تفسير الطبري

جامع البيان عن وجوه تأويل آي القرآن

الجزء الأول

فيه

رسالة التفسير
وتفسير فاتحة الكتاب
وتفسير سورة البقرة
من ١ — ٤٣
والآثار من ١ — ٨٣٩

تفسير الطبري

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الله وتعالى

الحمد لله رب العالمين * الرحمنِ الرحيم * مَلِكِ يومِ الدين *

والحمد لله الذى خلق السمٰواتِ والأرضَ وجعل الظلماتِ والنورَ .

والحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ، ولم يجعلْ له عِوَجاً .

والحمد لله الذى له ما فى السمٰواتِ والأرضِ ، وله الحمد فى الآخرة ، وهو الحكيمُ الخبيرُ .

والحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنَّا لنهتدىَ لولا أنْ هدانا الله .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمدٍ ، رسول الله وخيرته من خلقه ، خاتم النبيين ، وأشرف المرسلين .

وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

« فصلَّى الله على نبيِّنا كلَّما ذكره الذاكرون ، وغَفَل عن ذكره الغافلون . وصلى الله عليه فى الأوَّلين والآخرين . أفضلَ وأكثرَ وأزكىٰ ما صلَّى على أحدٍ من خلقه . وزكَّانا وإياكم بالصلاة عليه ، أفضلَ ما زكَّىٰ أحداً من أمته بصلاته عليه ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته »[1] .

---

(١) اقتباس من كلام الشافعى ، فى كتابه (الرسالة) ، رقم ٣٩ ، بتحقيقنا .

أما بعد :

فإن هذا التفسير الجليل ، باكورة عمل عظيم ، تقوم به ﴿ دار المعارف بمصر ﴾ ، لإحياء ﴿ تُراث الإسلام ﴾ ، وإخراج نفائس الكنوز . التى بقيتْ لنا من آثار سلفنا الصالح ، وعلمائنا الأفذاذ . الذين خدموا دينَهم ، وعُنُوا بكتاب ربّهم ، وسنّة نبيّهم ، وحفظِ لغتهم ، بما لم تصنعه أمةٌ من الأمم ، ولم يبلغْ غيرُهم مِعْشارَ ما وفّقهم الله إليه .

فكان أوّلَ ما اخترنا ، باكورةً لهذا المشروع الخطير : كتابُ ﴿ تفسير الطبرى ﴾ . وما بى من حاجةٍ لبيان قيمته العلمية ، وما فيه من مزايا يندر أن توجدَ فى تفسيرٍ غيرِه . وهو أعظم تفسير رأيناه ، وأعلاه وأثبتُه . استحقّ به مؤلفُه الحجةُ أن يسمَّىٰ (إمامَ المفسّرين) .

وكنتُ أخشى الإقدامَ على الاضطلاع بإخراجه وأُعْظِمُه ، عن علمٍ بما يكتنفُ ذلك من صعوباتٍ ، وما يقوم دونَه من عقباتٍ ، وعن خبرةٍ بالكتاب دهراً طويلاً : أربعين سنةً أو تزيد .

لولا أنْ قوّىٰ من عزمى ، وشدّ من أزْرى ، أخى الأصغر ، الأستاذ محمود محمد شاكر . وهو — فيما أعلم — خير من يستطيع أن يحمل هذا العبء ، وأن يقوم بهذا العمل حقّ القيام ، أو قريباً من ذلك . لا أعرف أحداً غيرَه له أهلاً .

وما أريد أن أشهدَ لأخى أو أثْنىَ عليه . ولكنى أقرّ بما أعلم ، وأشهد بما أسْتَيْقن .

وقد أَبَىٰ أخى السيد محمود إلّا أن يُلْقِيَ علىّ بعضَ العبء ، بالتعاون معه فى مراجعة الكتاب ، وبتخريج أحاديثه ، ودَرْس أسانيده . وهذا — وحدَه — عملٌ فوقَ مقدورى . ولكنّى لم أستطع التخلىَ عنه ، فقبلتُ وعملتُ ، متوكلاً على الله ، مستعيناً به .

وأسأل الله سبحانه الهدى والسداد ، والرعاية والتوفيق . إنه سميع الدعاء .

كتبه

أحمد محمد شاكر

عفا الله عنه بمنه

القاهرة يوم الجمعة ٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٤

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ۝ الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِى المُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ۝ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعاً وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُوراً ۝ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْمًا وَزُورًا ۝ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِى يَعْلَمُ السِّرَّ فِى السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيماً ﴾

* * *

﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ۝ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هٰذَا القُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً ﴾

* * *

والحمد لله الذى أرسلَ رسولَه محمدًا صلى الله عليه وسلم بالهُدَىٰ ودِينِ

الحقِّ ليُظْهِرَه عَلَى الدِّين كُلِّه وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكونَ . ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ ذٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾

° ° °

اللَّهُمَّ إنّا نبرأُ إليك من كُلِّ حَوْلٍ وقوَّةٍ ، ونستَعينك ونَسْتَهديك ، ونعوذُ برضاكَ من غَضَبِك ، فاغفر لَنا وارْحَمنا وتبْ علينا إنّك أنْتَ التَّوَّابُ الرَّحيم . ربَّنا وَلَا تجعلنَا من الذين فرَّقُوا دِينَهم وَكانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُون .

° ° °

اللَّهُمَّ اجعلنا مسلِمِينَ لك ، وَافِين لك بالميثاق الذى أخذتَ علينا : أن نكون قوّامين بالقِسْط شُهَداء على الناس ، اللهُمَّ اهدنا صراطَك المستقيم ، صراطَ الذين أنعمت عليهم من النبيّين والصِّدِّيقين والشُّهَداء ، الذين قالوا ربُّنا الله ثم استقاموا ، وعلموا أنك أنت الجبّارُ الذى خَضَعتْ لجَبَرُوتِه الجبَابرة ، والعزيزُ الذى ذلّتْ لعزّته الملوكُ الأعِزَّة ، وخَشَعت لمهَابة سَطْوتِه ذوُو المهابة ، فلم يُرهِبْهم بغىُ باغٍ ولا ظُلْم سفّاحٍ ظالم : ﴿ يثبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ . ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ

غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ۝ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾

• • •

اللّهُم اغفر لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، وتغمّده برحمتك ، واجعله من السابقين المقرّبين فى جنّات النعيم ، فقد كان — ما عَلِمْنا — من الذين بَيَّنوا كتابَك للناس ولم يكتموه ، ولم يشترُوا به ثَمَناً قليلاً من مَتاع هذه الحياةِ الدنيا ؛ ومن الذين أدَّوْا ما لزمهم من حقِّك ، وذادُوا عن سنة نبيِّك ؛ ومن الذين ورَّثوا الخلَفَ من بعدهم علم ما عَلموا ، وحَمَّلوهم أمانةَ ما حَمَلوا ، وخلعُوا لك الأندادَ ، وكفَروا بالطاغوتِ ، ونَضَحوا عن دينك ، وذبُّوا عن شريعتك ، وأفضَوْا إليك ربَّنا وهمْ بميثاقك آخذون ، وعلى عهدك محافظون ، يرجون رَحْمتَك ويخافُون عذابَك . فاعفُ اللهمّ عنا وعنهم ، واغفر لنَا ولهم ، وارحمنا وارحمهم ، أنت مولانَا فانصرنَا على القومِ الكافرين .

• • •

كان أبو جعفر رضى الله عنه يقول : « إنّى لأعجبُ ممّنْ قرأ القرآن ولم يعلَم تأويلَه ، كيف يلتذُّ بقراءته ؟ » . ومنذ هدانى الله إلى الاشتغال بطلب العلم ، وأنا أصاحب أبا جعفر فى كتابيه : كتاب التفسير ، وكتاب التاريخ . فقرأتُ تفسيره صغيراً وكبيراً ، وما قرأتُه مرّةً إلّا وأنا أسمعُ صوته يتخطّى إلىّ القرون : إنى لأعجب ممن قرأ القرآن ولم يعلم تأويله ، كيف يلتذُّ بقراءته ؟ فكنتُ أجدُ فى تفسيره مصداقَ قوله رضى الله

عنه . بيد أنى كنتُ أجدُ من المشقّة فى قراءتِه ما أجد .

كان يستوقفنى فى القراءةِ ، كثرةُ الفُصُول فى عبارته ، وتباعُد أطراف الجُمَل . فلا يسلم لى المعنى حتى أعيد قراءة الفقرة منه مرتين أو ثلاثاً . وكان سبب ذلك أنّنا ألفنا نهجاً من العبارة غيرَ الذى انتهج أبو جعفر ، ولـكن تبيَّن لى أيضاً أن قليلاً من الترقيم فى الـكتابِ ، خليقٌ أن يجعَل عبارته أبينَ . فلما فعلتُ ذلك فى أنحاء متفرقة من نسختى ، وعدتُ بعدُ إلى قراءتِها ، وجدتُها قد ذهب عنها ما كنت أجد من المشقّة . ولما راجعتُ كتب التفسير ، وجدتُ بعضَهم ينقُل عَنْه ، فينسبُ إليه ما لم أجده فى كتابه ، فتبيَّنَ لى أن سبب ذلك هو هذه الجمل التى شقّت علىَّ قراءتها . يقرؤها القارئ ، فربّما أخطأ مُرادَ أبى جعفرٍ ، وربّما أصابَ . فتمنَّيت يومئذٍ أن ينشر هذا الـكتاب الجليلُ نشرةً صحيحة محقّقة مرقّمةً ، حتى تسهُل قراءتُها على طالب العلم ، وحتى تجنّبه كثيراً من الزَّلل فى فهم مُرَاد أبى جعفر .

ولـكنْ تبيَّن لى على الزمن أن ما طبع من تفسير أبى جعفر ، كانَ فيه خطأ كثير وتصحيفٌ وتحريف ، ولما راجعتُ التفاسير القديمة التى تنقُل عَنْه ، وجدتُهم يتخطّونَ بعض هذه العبارات المصحفة أو المحرفة ، فعلمتُ أن التصحيف قديم فى النسخ المخطوطة . ولا غرو ، فهو كتابٌ ضخْمٌ لا يكادُ يسلمُ كلّ الصواب لناسخه . وكان للذين طبعوه عذرٌ قائمٌ ، وهو سقم مخطوطاته التى سلمت من الضياع ، وضخامة الـكتاب ، واحتياجه إلى مراجعة مئات من الـكتب ، مع الصبْر على المشقة والبَصَر بمواضع

الخلل . فأضمرتُ فى نَفْسى أن أنشُر هذا الكتابَ ، حتى أؤدّى بعض حقِّ الله علىَّ ، وأشكر به نعمةً أنالُها — أنا لَهَا غيرُ مستحقّ — من ربٍّ لا يؤدّى عبدٌ من عباده شكرَ نعمة ماضيةٍ من نعمه ، إلّا بنعْمة منه حادثةٍ توجِب عليه أن يؤدّى شكرها ، هى إقدارُه على شكر النعمة التى سلفت ؛ كما قال الشافعى رضى الله عنه .

وتصرَّم الزَّمن ، وتفانت الأيّامُ ، وأنا مستهلَكٌ فيما لا يُغْنى عنّى شيئاً يوم يقوم الناس لربّ العالمين . حتَّى أيقظَنِى عدوانُ العادِين ، وظُلْم الظّالمين ، وطغيانُ الجبابرة المتكبّرين ، فعقدت العزمَ على طبع هذا التفسير الإمامِ ، أتقرَّبُ به إلى ربِّ العالمين ، ملك يوم الدين .

وأفضيتُ بما فى نفسى إلى أخى الأكبر السيد أحمد محمد شاكر — أطال الله بقاءه ، وأقبسنى من علمه — فرأى أن تنشره « دار المعارف » ، باكورةَ أعمالها فى نشر ﴿ تُراث الإسلام ﴾ . ولم يمض إلا قليل حتى أعدَّت الدار عُدّتها لنشر هذا الكتاب الضخم ، مشكورةً على ما بذلته فى إحياء الكتاب العربىّ .

وكنت أحبُّ أن يكون العمل فى نشر هذا الكتاب مشاركة بينى وبين أخى فى كلّ صغيرةٍ وكبيرة ، ولكن حالت دون ذلك كثرة عمله . وليتَه فَعَل ، حتى أستفيد من علمِه وهدايته ، وأتجنّبَ ما أخاف من الخطإ والزلل ، فى كتابٍ قال فيه أبو عمر الزاهد ، غلام ثعلب : « قابلتُ هذا الكتاب من أوّله إلى آخره ، فما وجدتُ فيه حرفاً خطأً فى نحو أو لغة » . وأنّى لمثلى أن يحقّق كلمة أبى عمر فى كتاب أبى جعفر !

ونحن أهل زمانٍ أُوتوا من العجز والتهاون ، أضعافَ ما أُوتى أسلافُهم من الجدّ والقدرة !

فتفضل أخى أن ينظُرَ فى أسانيد أبى جعفر ، وهى كثيرة جدًّا ، فيتكلّم عن بعض رجالها ، حيثُ يتطلب التحقيق ذلك ، ثم يخرِّج جميع ما فيه من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . فإن وجدَ بعد ذلك فراغًا نَظَر فى عملى وراجعه واستدرك عليه . فشكرتُ له هذه اليدَ التى طوّقنى بِها ، وكم له عندى من يدٍ لا أملك جزاءها ، عنْد الله جزاؤها وجزاء كلّ معروفٍ . وحسبُه من معروف أنّه سدّد خُطاىَ صغيرًا ، وأعاننى كبيرًا .

وتوليتُ تصحيحَ نصّ الكتاب ، وضبطه ، ومقابلته على ما بين أيدينا من مخطوطاته ومطبوعاته ، ومراجعته على كتب التفسير التى نقلت عنه . وعلّقتُ عليه ، وبيّنتُ ما استغلقَ من عبارته ، وشرحتُ شواهده من الشعر . وبذلتُ جُهْدى فى ترقيمه وتفصيله . فكلّ ما كان فى ذلك من إحسانٍ فمن الله ، وكلّ ما فيه من زَلَلٍ فمنّى ومن عجزى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

والنسخ المخطوطة الكاملة من تفسير الطبرى ، لا تكادُ تُوجَد ، والذى مِنْها فى دار الكتب أجزاء مفردة من الجزء الأوّل ، والجزء السادس عشر ، ومنها مخطوطة واحدة كانت فى خمسة وعشرين مجلّدًا ضاع منها الجزء الثانى والثالث ، وهى قديمةٌ غير معروفة التاريخ . وهى على ما فيها تكادُ تكون أصحّ النسخ . وهى محفوظة بالدار برقم : ١٠٠ تفسير .

فجعلتها أمًّا لنشر هذا الكتاب. أما سائر المخطوطات فهى سقيمة رديئة، لم تنفع فى كثير ولا قليل، فضلًا عن أنها قطع صغيرة منه.

فنهجتُ نهجاً آخر فى تصحيح هذا التفسير، وذلك بمراجعة ما فيه من الآثار على كتاب «الدرّ المنثور» للسيوطى، «وفتح القدير» للشوكانى، فهما يكثران النقل عن تفسير أبى جعفر. أما ابن كثير فى تفسيره، فإنه لم يقتصر على نقل الآثار، بل نقل بعض كلام أبى جعفر بنَصِّه فى مواضع متفرقة، وكذلك نقل أبو حيان والقرطبى فى مواضع قليلة من تفسيريهما. فقابلتُ المطبوع والمخطوط من تفسير أبى جعفر على هذه الكتب. وكنت فى هذا الجزء الأوّل من التفسير أذكر مرجع كلّ أثرٍ فى هذه الكتب، ثم وجدتُ أن ذلك يطيل الكتاب على غير جدوى، فبدأت منذ الجزء الثانى أغفل ذكر المراجع، إلّا عند الاختلاف، أو التصحيح، أو غير ذلك مما يوجب بيان المراجع.

وراجعتُ كثيرًا ممّا فى التفسير من الآثار، على سائر الكتب التى هى مظنّة لروايتها، وبخاصّة تاريخ الطبرى نَفْسِه، ومن فى طبقته من أصحاب الكتب التى تروى الآثار بالأسانيد. وبذلك استطعتُ أن أحرّر أكثرها فى الطبرى تحريراً أرجو أن يكون حسناً مقبولًا.

أمّا ما تكلّم فيه من النحو واللغة، فقد راجعته على أصوله، من ذلك «مَجاز القرآن» لأبى عبيدة، «ومعانى القرآن» للفراء، وغيرهما ممّن يذكر أقوال أصحاب المعانى من الكوفيين والبصريين.

وأما شواهدُه فقد تتبعتُ ما استطعتُ منها فى دواوين العربِ، ونسبت

ما لم يكن منها منسوباً ، وشرحتُها ، وحققت ما يَحتاجُ إلى تحقيق من قصائدها ، مختصراً فى ذلك ما استطعت .

وقد رأيتُ فى أثناء مراجعاتى أنّ كثيراً ممن نقل عن الطبرى ، ربّما أخطا فى فهم مُرَاد الطبرى ، فاعترض عليه ، لمّا استغلقَ عليه بعضُ عبارته . فقيدت بعضَ ما بدا لى خلالَ التعليق ، ولم أستوعِبْ ذلك استيعَاباً مخافة الإطالة ، وتركت كثيراً مما وقفتُ عليه من ذلك فى الجزء الأوّل ، ولكنى أرجو أنْ أستدرك ما فاتنى من ذلك فى الأجزاء الباقية من التفسير إن شاء الله ربُّنَا سبحانه .

وبيّنتُ ما وقفتُ عليه من اصطلاح النحاة القدماء وغيرهم ، ممّا استعمله الطبرى ، وخالفَه النحاةُ وغيرهم فى اصطلاحهم ، بعد ذلك ، إلى اصطلاح مُسْتَحدَث . وربّما فاتنى من ذلك شىء ، ولكنى أرجو أنْ أبيّن ذلك فيما يأتى من الأجزاء . وقد وضعتُ فهرساً خاصًّا بالمصطلحات ، فى آخر كلّ جزء ، حتى يتيسّر لطالب ذلك أن يجدَ ما استبهَمَ عليه من الاصطلاح فى موضع ، فى جزء آخر من الكتاب .

وكنتُ أحبُّ أن أبيّن ما انفردَ به الطبرىّ من القول فى تأويل بعض الآياتِ ، وأشرح ما أغْفَله المفسّرون غيرُه ، ولكنى خفتُ أن يكونَ ذلك سبباً فى زيادة الكتاب طولاً على طوله ؛ مع أنى أرَى أن هذا أمرٌ يكشف عن كتاب الطبرى ، ويزيدنا معرفة بالطبرى المفسّر ، وبمنهجه الذى اشتقّه فى التفسير ، ولم اختلف المفسّرون من بعده ، فأغفلوا ما حرصَ هو على بيانه ؟

وكنتُ أحبُّ أيضاً أن أسهِّل على قارئ كتابه ، فأجعل فى آخرِ الآياتِ المتتابعة التى انتهى من تفسيرها ، مُلَخَّصاً يجمَعُ ما تفرَّق فى عشراتٍ من الصفحاتِ . وذلك أنى رأيتُ نفسى قديماً ، ورأيت المفسِّرين الذين نقلوا عَنْهُ ، كانوا يقرأون القطعة من التفسير مفصولةً عمَّا قبلها ، أو كانوا يقرأونه متفرِّقاً . وهذه القراءةُ ، كما تبيَّن لى ، كانتْ سبباً فى كثيرٍ من الخَلْط فى معرفة مُرَادِ الطبرى ، وفى نسبة أقوالٍ إليه لم يقلْها . لأنَّه لما خاف التكرار لطول الكتابِ ، اقتصَر فى بعض المواضِع على ما لابُدَّ منه ، ثقةً منه بأنّه قد أبان فيما مضى من كتابه عن نهجه فى تفسير الآيات المتصلة المعانى . والقارئ الملتمِس لمعنى آيةٍ من الآياتِ ، ربَّما غَفَل عن هـذا الترابُط بين الآية التى يقرؤها ، والآيات التى سبقَ للطبرى فيها بيانٌ يتّصل كل الاتصالِ ببيانه عن هـذه الآية . ولكنى حين بدأت أفعل ذلك ، وجدت الأمر شاقًّا عسيرًا ، وأنه يحتاجُ إلى تكرار بعضِ ما مضى ، وإلى إطالةٍ فى البيانِ . وهذا شىء يزيدُ التفسيرَ طولًا وضخامة .

ولمَّا رأيتُ أن كثيرًا من العلماء كان يعيبُ على الطبرى أنه حشَدَ فى كتابِهِ كثيرًا من الرواية عن السالفين ، الذين قرأوا الكُتُب ، وذكروا فى معانى القرآنِ ما ذكروا من الرواية عن أهل الكتابَيْن السالِفَيْن : التَّوراة والإنجيل — أحببتُ أن أكشف عن طريقة الطبرى فى الاستدلال بهذه الرواياتِ روايةً روايةً ، وأبيّن كيف أخطأ الناسُ فى فهم مقصده ، وأنّه لم يَجْعل هذه الروايات قطُّ مهيمنةً على كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من يديه ولا من خلفه . وأحببتُ أن أبيّن عند كُلِّ روايةٍ مقالة الطبرىّ فى إسنادِها ، وأنه إسنادٌ لا تقوم به حُجَّةٌ فى دين الله ، ولا فى تفسير كتابه ،

وأن استدلاله بها كان يقوم مقام الاستدلالِ بالشِّعر القديم ، على فهم معنى كلمة ، أو للدلالة على سياقِ جملة . وقد علقتُ فى هذا الجزء ١ : ٤٥٤ ، ٤٥٨ وغيرهما من المواضع تعليقاً يبينُ عن نهج للطبرى فى الاستدلال بهذه الآثار ، وتركتُ التعليقَ فى أماكنَ كثيرة جدًّا ، اعتمادًا على هـذا التعليق . ورأيتُ أن أدَعَ ذلك حتى أكتب كتاباً عن « الطبرى المفسِّر » بعد الفراغ من طبع هـذا التفسير . لأنى رأيتُ هناكَ أشياء كثيرةً ، ينبغى بيانُها ، عن نهج الطبرى فى تفسيره . ورأيتنى يجدّ لى كُلَّ يوم جديدٌ فى معرفة نهجه ، كلَّما زدتُ معرفةً بكتابه ، وإلفاً لطريقته . فاسأل الله أن يعينى أن أفردَ له كتاباً فى الكلام عن أسلوبه فى التفسير ، مع بيان الحجّـة فى موضع موضعٍ ، على ما تبيّن لى من أسلوبه فيه . ورحمَ الله أبا جعفر ، فإنه ، كما قال ، كان حدَّث نفسَه بهذا التفسيرِ وهو صبيٌّ ، واستخار الله فى عمله ، وسأله العونَ على ما نواه ، ثلاثَ سنين قبل أن يعمله ، فأعانه الله سبحانه . ثم لمـا أراد أن يملى تفسيره قال لأصحابه : أتنشطون لتفسير القرآن ؟ قالوا : كم يكون قدرُه ؟ فقال : ثلاثون ألف ورقة . فقالوا : هـذا ممّا تفنَى فيه الأعمارُ قبل تمامه ! فاختصره لهم فى ثلاثة آلاف ورقةٍ . فكان هذا الاختصار سبباً فى تركه البيانَ عمّا نجتهد نحنُ فى بيانه عند كل آية . وهذا الاختصارُ بيّنٌ جدًّا لمن يتتبّع هذا التفسيرَ من أولِه إلى آخره .

هـذا وقد كنتُ رأيتُ أن أكتب ترجمةً للطبرى أجْعَلُها مقدّمَةً للتفسير . ولكنّى وجدت الكتابة عن تفسيره فى هذه الترجمة ، لن تتيسّر لى

إلا بعد الفراغ من كتابه ، وكشف النقاب عمّا استبهم من منهاجِه فى تفسيره . فأعرضتُ عن ذلك ، وقلت أجمع ترجمةً للطبرى ، فجمعتُ كُلّ ما فى الكتب المطبوعة والمخطوطة من ترجمة وأخبار ، وما قيل فى تصانيفه وتعدادها ، فإذا هى قد تجاوزت ما يمكن أن يكونَ ترجمةً فى صدر هذا التفسير ، فآثرتُ أن أفردها كتاباً قائماً بنفسه ، سوف يخرجُ قريباً بعون الله سبحانه .

أمّا الفهارسُ ، فإنّى كنت أريدُ أن أدعَها حتى أفرغَ من الكتاب كُلِّه ، فأصدرها فى مجلداتٍ مستقلّة ، ولكن الكتابَ كبيرٌ ، وحاجةُ الناسِ ، وحاجتى أنا ، إلى مراجعة بعضه على بعض ، وربط أوّله بآخره أوجبتْ أن أتعجّل فأُفرد بعض الفهارس مع كُلّ جزء . فجعلت فهرساً للآيات التى استدلّ بها فى غير موضعها من التفسير . فقد تبيّن لى أنّه ربّما ذكر فى تفسير الآية فى هذا الموضع ، قولًا فى الآية لم يذكرُه فى موضعها من تفسير السورة التى هى منها .

وأفردت فهرساً ثانياً لألفاظ اللغة ، لأنه كثير الإحالة على ما مضى فى كتابه ، وليكون هـذا الفهرس مرجعاً لكل اللُّغَة التى رواها الطبرى ، وكثير منها ممّا لم يرد فى المعاجم ، أو جاء بيـانه عن معانيها أجودَ من بيان أصحاب المعاجم . وهو فهرسٌ لا بُدَّ أن يتم عند كُلّ جزء ، حتى لا يسقط علىّ شىء من لغة الطبرى .

وأفردت فهرساً ثالثاً لمباحث العربيّة ، لأنّه كثيرًا ما يحيلُ على هذه المواضِع ، ولأنّ فيها نفعاً عظيماً تبيّنتُه وأنا أعمل فى هذا التفسير . وزدت

فهرساً رابعاً للمصطلحات القديمة التى استحدث الناسُ غيرها ، ليسْهُل على قارئ كتابه أن يجد تفسيرها فى موضعها ، فإنى لم أفسِّرها عند كُلّ موضع ذكرتْ فيه ، لكثرة تكرارها فى الكتاب . وفهرساً خامسًا ، هو ردوده على الفرق وأصحاب الأهواء .

وأفردتُ فهرساً سادساً للرجال الذى تكلَّم عنهم أخى السيد أحمد فى المواضع المتفرقة من التفسير ، حتى يسهُل على من يريد أن يحقّق إسنادًا أن يجد ضالّته . فإنّه حفظه الله ، لم يلتزم الكتابة على الرجال عند كُلّ إسنادٍ . وهذا فهرسٌ لا بُدّ منه مع كُلِّ جزء حتى لا تتكرّر الكتابة على الرجال فى مواضع مختلفة من الكتاب ، ولتصحيح أسماء الرجال حيث كانوا من التفسير .

أما الفهرس العام للكتاب ، فقد اقتصرت فيه على ذِكْرِ ما سوى ذلك ، ولم أذكر فيه بدأه فى تفسير كُلّ آية ، لأنّ آيات المصحف مرقمة ، وأثبتنا أرقام الآيات فى رأس الصفحات . فمن التمس تفسير آية ، فليستخرج رقمها من المصحف ، وليطلبْ رقمها فى تفسير الطبرى من رؤوس الصفحات .

• • •

هذا ، وقد تركتُ أن أصْنَع للشعر فهرساً مع كلِّ جزء ، فإنى سأجعلُ لَهُ فهرساً مفرداً بعد تمام طبع الكتابِ ، على نمط اخترتُه لصناعته .

وأمّا فهارس الكتاب عامّة ، فستكون بعد تمام الكتاب كله . وهى تشتمل فهارس أسانيد الطبرى ، على طراز أرجُو أن أكون موفقاً فى اختياره وعمله . ثم فهرس الأعلام ، وفهرس الأماكن ، وفهرسُ المعانى ،

والفهارس الجامعة لما أفردتُه من الفهارس مع كلِّ جزء . وهذا شيء لا بُدَّ منه ، لضبط ما فى التفسير من مناحى العلم المختلفة ، وليتيسّر على الطالب أن يجد بُغْيته حيث شاء من كتاب الطبرى ، لأنّه كثير الإحالة فى كتابه على ما مضى منه .

• • •

وبعـد ، فقد بذلتُ جهدى ، وتحرَّيتُ الصوابَ ما استطعتُ ، وأردتُ أن أجعَلَ نشرَ هذا الكتابِ الإمامِ فى التفسير ، زُلْفَى إلى اللهِ خالصةً . ولكن كيف يخلُص فى زماننا عملٌ من شائبة تشوبُه ! فأسألُ الله أن يتقبَّل منى ما أخلصتُ فيه ، وأن يغفر لى ما خالطه مِنْ أمرِ هذه الدنيا ، وأن يتغمّدنى برحمته يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَلَا بَنُونَ ، إلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ . وأضرع إليه أن يغفر لَنَا ولإخوانِنا الَّذِينَ سَبَقُونَا بالإيمان ، وآخرُ دَعْوَانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين .

محمود محمد شاكر

تراث الإسلام

تفسير الطبري

جامع البيان عن تأويل القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ - ٣١٠ هـ

١

حققه وعلق حواشيه

محمود محمد شاكر

راجعه وخرج أحاديثه

أحمد محمد شاكر

الطبعة الثانية

الناشر

مكتبة ابن تيمية

القاهرة ت ٨٦٤٢٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم

بركة من الله وعون

٢/١ قرئ على أبي جعفر محمد بن جرير الطَّبرى فى سنة ست وثلثمئة ، قال :

الحمد لله الذى حَجَّت الألبابَ بدائعُ حِكَمه ، وخَصَمت العقولَ لطائفُ حُججه[1] ، وقطعت عذرَ الملحدين عجائبُ صُنْعه ، وهَتفتْ فى أسماع العالمينَ ألسنُ أدلَّته ، شاهدةً أنه الله الذى لا إله إلا هو ، الذى لا عِدْلَ له معادل[2] ، ولا مثلَ له مماثل ، ولا شريكَ له مُظاهِر ، ولا وَلدَ له ولا والد ، ولم يكن له صاحبةٌ ولا كفواً أحدٌ ؛ وأنه الجبار الذى خضعت لجبروته الجبابرة ، والعزيز الذى ذلت لعزّته الملوكُ الأعزّة ، وخشعت لمهابة سطوته ذَوُو المهابة ، وأذعنَ له جميعُ الخلق بالطاعة طوْعاً وكرهاً ، كما قال الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه : ﴿ وللهِ يَسْجُدُ مَنْ فِى السَّمٰوٰاتِ والأَرْض طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلَالُهُمْ بِالغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴾ [سورة الرعد : ١٥] . فكل موجود إلى وَحدانيته داع ، وكل محسوس إلى رُبوبيته هاد ، بما وسَمَهم به من آثار الصنعة ، من نقص وزيادة ، وعجز وحاجة ، وتصرف فى عاهات عارضة ، ومقارنة أحداث لازمة ، لتكونَ له الحجة البالغة .

ثم أرْدف ما شهدتْ به من ذلك أدلَّتُه ، وأكد ما استنارت فى القلوب منه بهجته ، برسلٍ ابتعثهم إلى من يشاء من عباده ، دعاةً إلى ما اتضحت لديهم صحّته ، وثبتت فى العقول حجته ، ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [سورة النساء : ١٦٥]

---

(١) حاجه يحاجه : نازعه الحجة ، وحجه يحجه : غلبه على حجته . وخاصمه : جادله بالحجة والبرهان ، وخصمه : غلبه وظهرت حجته على حجته . واللطائف : جمع لطيفة ، وكل شىء دقيق محكم وغامض خفى ، يحتاج إلى الرفق والتأنى فى إدراكه ، فهو لطيف .

(٢) العدل (بكسر العين وفتحها وسكون الدال) والعديل : النظير والمثيل . وعادله : ساواه وماثله .

وليذكّر أولو النهى والحلم . فأمدّهم بعوْنه ، وأبانهم من سائر خلقه ، بما دل به على صدقهم من الأدلة ، وأيدهم به من الحجج البالغة والآى المعجزة ، لئلا يقول القائل منهم[1] : ﴿ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ . وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴾ [سورة المؤمنون : ٣٣ - ٣٤] فجعلهم سفراءَ بينه وبين خلقه ، وأمناءه على وحيه ، واختصهم بفضله ، واصطفاهم برسالته ، ثم جعلهم — فيما خصهم به من مواهبه ، ومنّ به عليهم من كراماته — مراتبَ مختلفة ، ومنازل مُفترقة ، ورفع بعضهم فوق بعض درجات ، متفاضلات منه ينات . فكرّم بعضهم بالتكليم والنجوى ، وأيّد بعضهم بروح القدس ، وخصّه بإحياء الموتى ، وإبراء أولى العاهة والعمى ، وفضّل نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم ، من الدرجات بالعليا ، ومن المراتب بالعُظمى . فحباه من أقسام كرامته بالقسم الأفضل[2] ، وخصه من درجات النبوّة بالحظ الأجزل ، ومن الأتباع والأصحاب بالنصيب الأوفر . وابتعثه بالدعوة التامة ، والرسالة العامة ، وحاطه وحيداً ، وعصمه فريداً ، من كل جبار عاند ، وكل شيطان مارد[3] ، حتى أظهر به الدّين ، وأوضح به السبيل ، وأنهج به معالم الحق ، ومَحَق به منار الشّرك . وزهق به الباطلُ ، واضمحل به الضلالُ وخُدَعُ الشيطان وعبادةُ الأصنام والأوثان[4] ، مؤيداً بدلالة على الأيام باقية ، وعلى الدهور والأزمان ثابتة ، وعلى مَرّ الشهور والسنين دائمة ، يزداد ضياؤها على كرّ الدهور إشراقاً ، وعلى مرّ الليالى والأيام

٣/١

---

(١) فى المطبوع : « القائل فيهم » ، ومثل هذا التبديل كثير فى المطبوع ، سأغفل منه ما شئت لكثرته ، وطلبا للاختصار فى التعليق بما لا غناء فيه .

(٢) الأقسام : جمع قسم (بكسر فسكون) ، وهو الحظ والنصيب من الخير .

(٣) الجبار العنيد والعائد : الذى جار ومال عن طريق الحق ، ثم عتا وطغا وجاوز قدره . والمارد : الذى مرن على الشر حتى بلغ الغاية ، فتطاول عتوا وتجبراً .

(٤) فى المخطوطة : « وجدع » بالجيم مضمومة ، من جدع الأنف ، وهو قطعها ، كناية عن الإذلال . ولا أظنها جيدة هنا . والخدع جمع خدعة (بضم فسكون) : وهى ما يخدع به من المكر والختل .

ائتلاقاً ، خِصِّيصَى من الله له بها دون سائر رسله[١] — الذين قهرتهم الجبابرة ، واستذلَّتهم الأمم الفاجرة ، فتعفَّتْ بعدهم منهم الآثار ، وأخملت ذكرهم الليالى والأيام — ودون من كان منهم مُرْسلا إلى أمة دون أمة ، وخاصّة دون عامةٍ ، وجماعة دون كافّة .

فالحمدُ لله الذى كرمنا بتصديقه ، وشرّفنا باتّباعه ، وجعلنا من أهل الإقرار والإيمان به وبما دعا إليه وجاء به ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، أزكى صلواته ، وأفضلَ سلامه ، وأتمَّ تحياته .

ثم أما بعد[٢] ، فإنّ من جسيم ما خصّ الله به أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من الفضيلة ، وشرّفهم به على سائر الأمم من المنازل الرفيعة ، وحباهم به من الكرامة السنية ، حفظَه ما حفظ عليهم — جلّ ذكره وتقدست أسماؤه — من وحيه وتنزيله ، الذى جعله على حقيقة نبوة نبيهم صلى الله عليه وسلم دلالة ، وعلى ما خصه به من الكرامة علامةً واضحة ، وحجةً بالغة ، أبانه به من كل كاذب ومفترٍ ، وفصَل به بينهم وبين كل جاحد ومُلحِد ، وفرّق به بينهم وبين كل كافر ومشرك ؛ الذى لو اجتمع جميعُ من بين أقطارها ، من جِنِّها وإنسها وصغيرها وكبيرها ، على أن يأتوا بسورة من مثله لم يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً[٣] . فجعله لهم فى دُجَى الظُّلَم نوراً ساطعاً ، وفى سُدَف الشُّبَه شهاباً لامعاً[٤] ، وفى مضَلّة المسالك دليلا هادياً ، وإلى سبل النجاة والحق حادياً ، ﴿ يَهْدِى به اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ويُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ بإذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة المائدة : ١٦] . حرسه بعين

(١) فى المطبوع : «تخصيصاً» ، وهو تصرف من الطابعين . خصه بالشىء يخصه خصا وخصوصية (بفتح الخاء وضمها) وخصيصى : أفرده به دون غيره .

(٢) حذف الطابعون قوله : « ثم » ، ليجعلوا كلام الطبرى دارجاً على ما ألفوا من الكلام .

(٣) يضمن ما جاء فى سورة البقرة : ٢٣ ، ويونس : ٣٨ ، والإسراء : ٨٨ .

(٤) السدف : جمع سدفة ، وهى ظلمة الليل يخالطها بعض الضوء ، تكون فى أول الليل وآخره ، ما بين الظلمة إلى الشفق ، وما بين الفجر إلى الصلاة .

منه لا تنام ، وحاطه برُكن منه لا يضام ، لا تَهِى على الأيام دعائمه ، ولا تبيد على طول الأزمان معالمه ، ولا يجور عن قصد المحجّة تابعه[١] ، ولا يضل عن سُبُل الهدى مُصَاحبه . من اتبعه فاز وهُدِى ، ومن حاد عنه ضلّ وغَوَى ، فهو موئلهم الذى إليه عند الاختلاف يَئِلون ، ومعقلهم الذى إليه فى النوازل يعقلون[٢] ، وحصنهم الذى به من وساوس الشيطان يتحصنون ، وحكمة ربهم التى إليها يحتكمون ، وفصْل قضائه بينهم الذى إليه ينتهون ، وعن الرضى به يصدرون ، وحبله الذى بالتمسك به من الهلكة يعتصمون .

اللهم فوفقنا لإصابة صواب القول فى مُحْكَمه ومُتَشابهه ، وحلاله وحرامه ، وعامّه وخاصّه ، ومجمَله ومفسَّره ، وناسخه ومنسوخه ، وظاهره وباطنه ، وتأويل آيه وتفسير مُشْكِله . وألهمنا التمسك به والاعتصام بمحكمه ، والثبات على التسليم لمتشابهه . وأوزعنا الشكر على ما أنعمتَ به علينا من حفظه والعلم بحدوده . إنك سميع الدعاء قريب الإجابة . وصلى الله على محمد النبى وآله وسلم تسليماً .

اعلموا عبادَ الله ، رحمكم الله ، أن أحقّ ما صُرِفت إلى علمه العناية ، وبُلِغت فى معرفته الغاية ، ما كان لله فى العلم به رضًى ، وللعالم به إلى سبيل الرشاد هُدًى ، وأن أجمعَ ذلك لباغيه كتابُ الله الذى لا ريب فيه ، وتنزيله الذى لا مِرْية فيه ، الفائزُ بجزيل الذخر وسنىّ الأجر تاليه ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيلٌ من حكيم حميد[٣] .

ونحن — فى شرح تأويله ، وبيان ما فيه من معانيه — منشئون إن شاء الله ذلك ، كتاباً مستوعِباً لكل ما بالناس إليه الحاجة من علمه ، جامعاً ، ومن سائر الكتب

---

(١) المحجة : الطريق . والقصد : استقامة الطريق وسهولته .

(٢) وأل يئل وألا وؤولا : لجأ طلباً للنجاة . والموئل : الملجأ والمنجى . والمعقل : الحصن المنيع فى رأس الجبل ، وعقل إليه يعقل عقلا وعقولا : لجأ إليه وامتنع به . وفى المطبوعة « يعتقلون » ، وفى المخطوطة مثلها غير منقوطة . ولم أجد « اعتقل » بمعنى عقل . وإن صحت فى قياس العربية .

(٣) تضمين آية سورة فصلت : ٤٢ .

غيره فى ذلك كافياً . ومخبرون فى كل ذلك بما انتهى إلينا من اتفاق الحجة فيما ١/٤
اتفقت عليه منه[1] ، واختلافها فيما اختلفت فيه منهُ . ومُبيِّنو عِلَل كل مذهب
من مذاهبهم ، ومُوَضِّحو الصحيح لدينا من ذلك ، بأوجز ما أمكن من الإيجاز
فى ذلك ، وأخصر ما أمكن من الاختصار فيه .

واللهَ نسألُ عونه وتوفيقه لما يقرب من محَابِّهِ ، ويُبْعد من مَساخِطه .
وصلى الله على صَفوته من خلقه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً .

وأولُ ما نبدأ به من القِيل فى ذلك : الإبانةُ عن الأسباب التى البدايةُ بها
أولى ، وتقديمها قبل ما عداها أحْرى . وذلك : البيانُ عما فى آى القرآن من المعانى
التى من قِبَلها يدخل اللَّبْس على من لم يعان رياضةَ العلوم العربية ، ولم
تستحكم معرفتُه بتصاريف وجوه منطق الألسُن السليقية الطبيعية .

---

(١) فى المطبوعة « عليه الأمة » ، وهو تصرف لا خير فيه . والهاء فى « منه » راجعة إلى كتاب الله .

﴿ القولُ فى البيانِ عن اتّفاق معانى آى القرآن ، ومعانى منطِق مَنْ نزل بلسانه القرآن من وَجْه البيان — والدّلالة على أن ذلك من الله تعالى ذكره هو الحكمة البالغة — مع الإبانةِ عن فضْل المعنَى الذى به بَايَنَ القرآنُ سائرَ الكلام ﴾

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبرىّ ، رحمه الله :

إن من أعظم نعم الله تعالى ذكره على عباده ، وجسيم مِنَّته على خلقه ، ما منحهم من فَضْل البيان الذى به عن ضمائرِ صُدُورهم يُبينون ، وبه على عزائم نفوسهم يَدُلّون ، فذَلَّل به منهم الألسن(١) ، وسهَّل به عليهم المستصعِب . فبِهِ إياه يُوَحِّدون ، وإيَّاه به يُسَبِّحون ويقدِّسون ، وإلى حاجاتهم به يتوصّلون ، وبه بينهم يتَحاورُون ، فيتعارفون ويتعاملون .

ثم جعلهم ، جلّ ذكره — فيما منحهم من ذلك — طبقاتٍ ، ورفع بعضهم فوق بعض درجاتٍ : فبَيْنَ خطيب مُسْهِب ، وذَلِقِ اللسان مُهْذِب ، ومفْحَمٍ(٢) عن نفسه لا يُبين ، وَعِىٍّ عن ضمير قلبه لا يُعبِّر . وجعل أعلاهم فيه رُتبة ، وأرفعهم فيه درجةً ، أبلغَهم فيما أرادَ به بَلاغاً ، وأبينَهم عن نفسه به بياناً . ثم عرّفهم فى تنزيله ومحكم آىِ كتابه فضلَ ما حباهم به من البيان ، على من

---

(١) ذلل الشىء : لينه وسهله ونفى عنه جفوته وصعوبته .

(٢) أسهب الرجل : أكثر الكلام ، فإذا أكثر الكلام فى خطأ قالوا : رجل مسهب (بفتح الهاء) ، وإذا أكثر وأصاب فهو مسهب (بكسر الهاء) . وذلق اللسان : فصيح طليق لا يتوقف . وقوله « مهذب » : من أهذب الطائر فى طيرانه ، والفرس فى عدوه ، والمتكلم فى كلامه : أسرع وتابع ، وفى حديث أبى ذر « فجعل يهذبُ الركوع » أى يسرع فيه ويتابعه . يقال : كلمنى فلان فأفحمته : أسكته فلم يطق جواباً وانقطع ، فهو مفحم . وفى المطبوعة « ومعجم عن نفسه ... »

فضّلهم به عليه من ذى البَكَم والمُستَعْجِم اللسان (١) ، فقال تعالى ذكرُه : ﴿ أَوَ مَنْ يُنَشَّأُ فِي الحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الخِصَامِ غَيرُ مُبِين ﴾ [سورة الزخرف : ١٨] . فقد وَضَحَ إذاً لذوى الأفهام ، وتبين لأولى الألباب ، أنّ فضلَ أهل البيان على أهل البَكَم والمستعجِم اللسان ، بفضل اقتدار هذا من نفسه على إبانة ما أراد إبانته عن نفسه ببيانه ، واستعجام لسان هذا عما حاول إبانته بلسانه .

فإذْ كان ذلك كذلك — وكان المعنى الذى به باينَ الفاضلُ المفضولَ فى ذلك، فصار به فاضلاً والآخرُ مفضولاً ، هو ما وصفنا من فضْل إبانة ذى البيان ، عما قصّر عنه المستعجمُ اللسان ، وكان ذلك مختلفَ الأقدار ، متفاوتَ الغايات والنهايات — فلا شك أن أعلى منازل البيان درجةً ، وأسنى مراتبه مرتبةً ، أبلغُه فى حاجة المُبِين عن نفسه ، وأبينُه عن مراد قائله ، وأقربُه من فهم سامعه . فإن تجاوز ذلك المقدار ، وارتفع عن وُسْع الأنام ، وعجز عن أن يأتى بمثله جميعُ العباد ، كان حجةً وعَلَماً لرسل الواحد القهار — كما كان حجةً وعَلَماً لها إحياءُ الموتى وإبراءُ الأبرص وذوى العمى ، بارتفاع ذلك عن مقادير أعلى منازل طبّ المتطببين(٢) ، وأرفع مراتب عِلاج المعالجين ، إلى ما يعجز عنه جميع العالَمين . وكالذى كان لها حجةً وعَلَماً قطعُ مسافة شهرين فى الليلة الواحدة ، بارتفاع ذلك عن وُسع الأنام ، وتعذُّر مثله على جميع العباد ، وإن كانوا على قطع القليل من المسافة قادرين ، والميسير منه فاعلين . ١/٥

فإذْ كان ما وصفْنا من ذلك كالذى وصفْنا ، فبيّنٌ أنْ لا بيان أبْيَنُ ، ولا حكمة أبلغُ ، ولا منطقَ أعلى ، ولا كلامَ أشرفُ — من بيان ومنطق تحدّى

---

(١) كل من لا يقدر على الكلام فهو أعجم ومستعجم . استعجمت عليه قراءته : التبست عليه فلم يتهيأ له أن يمضى فيها ، فسكت وانقطع عن القراءة .

(٢) مقادير : جمع مقدار ، وهو القوة ، ومثله القدر والقدرة والمقدرة .

به امرؤ قوماً فى زمان هم فيه رؤساء صناعة الخطب والبلاغة ، وقِيلِ الشعرِ والفصاحة ، والسجع والكهانة ، على كل خطيب منهم وبليغ(١) ، وشاعر منهم وفصيح ، وكلّ ذى سجع وكهانة — فسفّه أحلامهم ، وقصّر بعقولهم (٢)، وتبرأ من دينهم ، ودعا جميعهم إلى اتباعه والقبول منه والتصديق به ، والإقرار بأنه رسولٌ إليهم من ربهم . وأخبرهم أن دلالته على صدْق مقالته ، وحجّتَه على حقيقة نبوّته — ما أتاهم به من البيان ، والحكمة والفرقان ، بلسان مثل ألسنتهم ، ومنطق موافقةٍ معانيه معانىَ منطقهم . ثم أنبأ جميعهم أنهم عن أن يأتوا بمثل بعضه عَجَزَة ، ومن القدرة عليه نقَصَةٌ . فأقرّ جميعُهم بالعجز ، وأذعنوا له بالتصديق ، وشهدوا على أنفسهم بالنقص . إلا من تجاهل منهم وتعامى ، واستكبر وتعاشَى ، فحاول تكلُّف ما قد علم أنه عنه عاجز ، ورام ما قد تيقن أنه عليه غير قادر . فأبدى من ضعف عقله ما كان مستتراً ، ومن عِيّ لسانه ما كان مصُوناً ، فأتى بما لايعجِزُ عنه الضعيف الأخرق ، والجاهل الأحمق ، فقال : « والطاحنات طحناً ، والعاجنات عجناً ، فالخابزات خبزاً ، والثاردات ثَرْداً ، واللاقمات لَقْماً » ! (٣)، ونحو ذلك من الحماقات المشبهةِ دعواه الكاذبة .

فإذْ كان تفاضُلُ مراتب البيان ، وتبايُنُ منازل درجات الكلام ، بما وصفنا قبل — وكان الله تعالى ذكرُه وتقدّست أسماؤه ، أحكمَ الحكماء ، وأحلمَ الحلماء ،

---

(١) فى المطبوعة : « كل خطيب . . . » بحذف « على » ، وفى المخطوطة « على خطيب . . . » بحذف « كل » . وكلتاهما لا يستقيم بها كلام . والصواب ما أثبتناه . وأراد الطبرى أنهم رؤساء صناعة الخطب والبلاغة . . . على كل خطيب منهم و بليغ » . يعنى أن الذين تحداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن من العرب ، كانوا رؤساء البيان والبلاغة على كل مبين وبليغ من سائر العرب .

(٢) سفه أحلامهم : نسبهم إلى السفه ، وهو خفة الحلم واضطراب الرأى وضعفه ، وهو باب من الجهل . وفى المطبوعة : « وقصر معقولهم » والمعقول مصدر كالعقل ، يقال : ما لفلان معقول ، أى ما له عقل . وكأنه أراد بقوله « قصر » : نسبهم إلى قصر العقل وقلته . وأما قوله « قصر بعقولهم » ، فكأنه ضمن « قصر » معنى استخف بها ، فعداه بالباء ، أى عاب عقولهم واستقصرها واستخف بها . وأنا فى شك من صواب هذا الحرف .

(٣) من هذيان مسيلمة الكذاب لعنه الله . انظر تاريخ الطبرى ٣ : ٢٤٥ وسواه .

— كان معلوماً أن أبينَ البيان بيانُه ، وأفضلَ الكلام كلامه ، وأن قدرَ فضْل بيانه ، جلّ ذكره ، على بيان جميع خلقه ، كفضله على جميع عباده .

فإذْ كان كذلك — وكان غيرَ مبين منّا عن نفسه مَنْ خاطبَ غيره بما لا يفهمه عنه المخاطب — كان معلوماً أنه غير جائز أن يخاطبَ جل ذكره أحداً من خلقه إلا بما يفهمه المخاطَبُ ، ولا يرسلَ إلى أحد منهم رسولاً برسالة إلا بلسانٍ وبيانٍ يفهمه المرسَلُ إليه. لأن المخاطب والمرسَلَ إليه، إن لم يفهم ما خوطب به وأرسل به إليه ، فحالهُ — قبل الخطاب وقبل مجيء الرسالة إليه وبعدَه — سواءٌ ، إذ لم يفدْه الخطابُ والرسالةُ شيئاً كان به قبل ذلك جاهلا . والله جل ذكره يتعالى عن أن يخاطب خطاباً أو يرسل رسالةً لا توجب فائدة لمن خُوطب أو أرسلت إليه ، لأن ذلك فينا من فعل أهل النقص والعبث ، والله تعالى عن ذلك مُتَعالٍ . ولذلك قال جل ثناؤه في محكم تنزيله : ﴿ وما أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إلاَّ بِلِسَانِ قَومِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [سورة إبراهيم : ٤] . وقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ ومَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ إلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِى اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى ورَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة النحل : ٦٤] . فغير جائز أن يكونَ به مهتدياً، من كانَ بما يُهْدَى إليه جاهلاً .

فقد تبين إذاً — بما عليه دللنا من الدّلالة — أن كلّ رسولٍ لله جل ثناؤه أرسله إلى قوم ، فإنما أرسله بلسان من أرسله إليه ، وكلّ كتاب أنزله على نبي ، ورسالة أرسلها إلى أمة ، فإنما أنزله بلسان من أنزله أو أرسله إليه . فاتضح بما قلنا ووصفنا ، أن كتاب الله الذى أنزله إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، بلسان محمد صلى الله عليه وسلم . وإذْ كان لسان محمد صلى الله عليه وسلم عربيًّا ، فبيِّنٌ أن القرآن عربيٌّ . وبذلك أيضاً نطق محكم تنزيل ربنا ، فقال جل ذكره : ٦/١
﴿ إنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [سورة يوسف : ٢] . وقال : ﴿ وَإِنَّهُ

لَتَنْزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ . نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنْذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [سورة الشعراء : ١٩٢ – ١٩٥] .

وإذْ كانت واضحةً صحةُ ما قلنا – بما عليه استشهدنا من الشواهد ، ودللنا عليه من الدلائل – فالواجبُ أن تكون معانى كتاب الله المنزّل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، لمعانى كلام العرب موافقةً ، وظاهرُه لظاهر كلامها ملائماً ، وإن باينه كتابُ الله بالفضيلة التى فضَلَ بها سائرَ الكلام والبيان ، بما قد تقدّم وَصْفُنَاهُ .

فإذْ كان ذلك كذلك ، فبيِّن – إذْ كان موجوداً فى كلام العرب الإيجازُ والاختصارُ ، والاجتزاءُ بالإخفاء من الإظهار ، وبالقلة من الإكثار فى بعض الأحوال ، واستعمالُ الإطالة والإكثار ، والترداد والتكرار ، وإظهارُ المعانى بالأسماء دون الكناية عنها ، والإسرار فى بعض الأوقات ، والخبرُ عن الخاصّ فى المراد بالعامّ الظاهر ، وعن العامّ فى المراد بالخاصّ الظاهر ، وعن الكناية والمرادُ منه المصرَّح ، وعن الصفة والمرادُ الموصوف ، وعن الموصوف والمرادُ الصفة ، وتقديمُ ما هو فى المعنى مؤخر ، وتأخيرُ ما هو فى المعنى مقدّم ، والاكتفاءُ ببعض من بعض ، وبما يظهر عما يحذف ، وإظهارُ ما حظه الحذف –(١) أن يكون ما فى كتاب الله المنزّل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من ذلك ، فى كلّ ذلك له نظيراً ، وله مِثْلاً وشبيهاً .

ونحن مُبَيِّنو جميع ذلك فى أماكنه ، إن شاء الله ذلك وأمدّ منه بعونٍ وقوّة .

---

(١) قوله : « أن يكون ... » مبتدأ قوله « فبين » ، وما بينهما اعتراض طويل ؛ وهذا دأب الطبرى أبداً ، حتى كأنه لم يكن يخشى على قارىء أن يسوء فهمه أو تكل فطنته .

﴿ القول فى البَيَـان ﴾

﴿ عن الأحرف التى اتفقت فيها ألفاظ العرب ﴾

﴿ وألفاظ غيرها من بعض أجناس الأمم ﴾

قال أبو جعفر : إن سألنا سائل فقال : إنك ذكرت أنه غيرُ جائز أن يخاطب الله تعالى ذكرهُ أحداً من خلقه إلا بما يفهمه ، وأن يرسل إليه رسالة إلا باللسان الذى يفقهه . . . .

١ — فما أنت قائل فيما حدثكم به محمد بن حُميد الرازى ، قال : حدثنا حكّام بن سَلْم ، قال : حدثنا عنْبسة ، عن أبى إسحق ، عن أبى الأحوص عن أبى موسى : ﴿ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾ [سورة الحديد : ٢٨] ، قال : الكفلان : ضعفان من الأجر ، بلسان الحبشة(١) .

٢ — وفيما حدثكم به ابن حُمَيْد ، قال : حدثنا حكام ، عن عَنبسة ، عن أبى إسحق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ ﴾ [سورة المزمل : ٦] قال : بلسان الحبشة إذا قامَ الرجلُ من الليل قالوا : نَشأ(٢) .

٣ — وفيما حدّثكم به ابن حميد قال : حدّثنا حكام ، قال : حدثنا عنبسة ، عن أبى إسحق ، عن أبى ميسرة : ﴿ يا جبالُ أَوِّبِي معهُ ﴾ قال : سبِّحى ، بلسان الحبشة(٣) ؟

قال أبو جعفر : وكل ما قلنا فى هذا الكتاب « حدّثكم » فقد حدثونا به .

---

(١) الخبر ١ — يأتى بهذا الإسناد فى تفسير سورة الحديد : ٢٨ وفى إسناده هناك خطأ .

(٢) الخبر ٢ — يأتى بإسناده فى تفسير سورة المزمل : ٦

(٣) الخبر ٣ — يأتى بإسناده فى تفسير سورة سبأ : ١٠

٤ — وفيما حدّثكم به محمد بن خالد بن خِداش الأزديّ ، قال : حدثنا سلم ابن قتيبة ، قال : حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سئل عن قوله : ﴿فرّتْ منْ قَسورَة﴾ [سورة المدثر : ٥١] قال : هو بالعربية الأسد ، وبالفارسية شار ، وبالنبطية أريا ، وبالحبشية قسورة(١) .

٥ — وفيما حدّثكم به ابن حميد قال : حدّثنا يعقوب القمّى ، عن جعفر بن أبى المغيرة ، عن سعيد بن جُبَير قال : قالت قريش : لولا أنزِل هذا القرآن أعجميًّا وعربيًّا؟ فأنزل الله تعالى ذكره : ﴿وَقَالُوا لَوْلاَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وشِفَاءٌ﴾ [سورة فصلت : ٤٤] فأنزل الله بعد هذه الآية فى القرآن بكل لسان فيه . ﴿حجارةً من سجيل﴾ [سورة هود : ٨٢ ، وسورة الحجر : ٧٤] قال : فارسية أعربت « سنك وكل(٢) » .

٦ — وفيما حدثكم به محمد بن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدىّ ، قال : حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحق ، عن أبى ميسرة ، قال : فى القرآن من كل لسان (٣) .

٧/١ وفيما أشبه ذلك من الأخبار التى يطولُ بذكرها الكتاب ، مما يدل على أن فيه من غير لسان العرب ؟

قيل له : إنّ الذى قالوه من ذلك غير خارج من معنى ما قلنا — من أجل أنهم لم يقولوا : هذه الأحرف وما أشبهها لم تكن للعرب كلاماً ، ولا كان ذاك

---

(١) الخبر ٤ — يأتى بإسناده فى تفسير سورة المدثر : ٥١

(٢) الخبر ٥ — يأتى بإسناده فى تفسير سورة فصلت : ٤٤ . ونص الخبر هناك : «فأنزل الله بعد هذه الآية كل لسان فيه ...» وهى أجود . وفى الدر المنثور ٥ : ٣٦٧ : « وأنزل الله تعالى بعد هذه الآية فيه بكل لسان . حجارة ... » . ثم يأتى بإسناده مختصراً فى تفسير سورة هود : ٨٢ . وانظر سائر ما روى فى « سجيل » فى تفسير سورة الفيل : ٤ . وقوله « حجارة من سجيل » . . كلام مستأنف ، ضربه مثلا لما جاء فى القرآن من الألسنة الأخرى .

(٣) الخبر ٦ — لم أجده فى مكان آخر بعد . وهو فى الدر المنثور ٥ : ٣٦٧ وفيه : « بكل لسان » .

لها منطقاً قبل نزول القرآن ، ولا كانت بها العرب عارفةً قبل مجيء الفرقان — فيكون ذلك قولا لقولنا خِلافاً[١] . وإنما قال بعضهم : حرف كذا بلسان الحبشة معناهُ كذا ، وحرفُ كذا بلسان العجم معناه كذا . ولم نستنكر أن يكون من الكلام ما يتفق فيه ألفاظ جميع أجناس الأمم المختلفة الألسن بمعنى واحد ، فكيف بجنسين منها ؟ كما قد وجدنا اتفاقَ كثيرٍ منه فيما قد علمناه من الألسن المختلفة ، وذلك كالدرهم والدينار والدواة والقلم والقرْطاس ، وغير ذلك — مما يتعب إحصاؤه ويُمِلّ تعداده ، كرهنا إطالة الكتاب بذكره — مما اتفقت فيه الفارسية والعربية باللفظ والمعنى . ولعلّ ذلك كذلك فى سائر الألسن التى نجهل منطقها ولا نعرف كلامها .

فلو أن قائلا قال — فيما ذكرنا من الأشياء التى عددْنا وأخبرْنا اتفاقَه فى اللفظ والمعنى بالفارسية والعربية ، وما أشبهَ ذلك مما سكتنا عن ذكره — : ذلك كله فارسى لا عربى ، أو ذلك كله عربى لا فارسى ، أو قال : بعضه عربى وبعضه فارسى ، أو قال : كان مخرج أصله من عند العرب فوقع إلى العجم فنطقوا به ، أو قال : كان مخرج أصله من عند الفرس فوقع إلى العرب فأعربته — كان مُستجهِلاً[٢] . لأن العربَ ليست بأولى أن تكون كان مخرجُ أصل ذلك منها إلى العجم ، ولا العجم أحقَّ أن تكون كان مخرج أصل ذلك منها إلى العرب ، إذ كان استعمال ذلك بلفظ واحد ومعنى واحد موجوداً فى الجنسين .

وإذْ كان ذلك موجوداً على ما وصفنا فى الجنسين ، فليس أحدُ الجنسين أولى بأن يكون أصلُ ذلك كان من عنده من الجنس الآخر . والمدّعِى أن مخرج صل ذلك إنما كان من أحد الجنسين إلى الآخر ، مدّعٍ أمراً لا يوصَل إلى حقيقة صحّته إلا بخبر يوجب العلم ، ويزيل الشكّ ، ويقطع العذرَ صحّتُه .

---

(١) خلاف : مخالف ، وسيكثر مجيئها فى كلام الطبرى .

(٢) قوله : «كان مستجهلا» ، جواب قوله : «لو أن قائلا قال . . .» . والفصل فى عبارة الطبرى يكون أطول من هذا ، كما سيمر بك . واستجهل فلاناً : عده جاهلا ، أو وجده جاهلا . والجهل هنا : فساد الرأى واضطرابه ، لأنه مبنى على التحكم المحض ، كما ترى فى رد الطبرى .

بل الصواب فى ذلك عندنا : أنْ يسمَّى : عربيًّا أعجميًّا، أو حبشيًّا عربيًّا، إذ كانت الأمّتان له مستعملتين — فى بيانها ومنطقها — استعمالَ سائر منطقها وبيانها . فليس غيرُ ذلك من كلام كلّ أمة منهما ، بأولى أن يكون إليها منسوباً — منه(١) .

فكذلك سبيل كل كلمة واسم اتفقت ألفاظ أجناس أمم فيها وفى معناها ، وُوجد ذلك مستعملا فى كل جنس منها استعمالَ سائرِ منطقهم ، فسبيلُ إضافته إلى كل جنس منها ، سبيلُ ما وصفنا — من الدرهم والدينار والدواة والقلم ، التى اتفقت ألسن الفرس والعرب فيها بالألفاظ الواحدة والمعنى الواحد ، فى أنه مستحقٌّ إضافته إلى كل جنس من تلك الأجناس — اجتماعٌ واقترانٌ(٢) .

وذلك هو معنى من روينا عنه القولَ فى الأحرف التى مضت فى صدر هذا الباب ، من نسبة بعضهم بعضَ ذلك إلى لسان الحبشة ، ونسبة بعضهم بعضَ ذلك إلى لسان الفرس ، ونسبة بعضهم بعضَ ذلك إلى لسان الروم. لأنّ من نسب شيئاً من ذلك إلى ما نسبه إليه ، لم ينفِ — بنسبته إياه إلى ما نسبه إليه — أن يكون عربيًّا ، ولا من قال منهم : هو عربىّ ، نفى ذلك أن يكون مستحقًّا النسبةَ إلى من هو من كلامه من سائر أجناس الأمم غيرها . وإنما يكون الإثبات دليلا على النفى ، فيما لا يجوز اجتماعه من المعانى ، كقول القائل : فلان قائم ، فيكون بذلك من قوله دالاّ على أنه غير قاعد ، ونحو ذلك مما يمتنع اجتماعه لتنافيهما . فأمّا ما جاز اجتماعه فهو خارج من هذا المعنى . وذلك كقول القائل
٨/١ فلان قائم مكلِّمٌ فلاناً ، فليس فى تثبيت القيام له ما دلّ على نفى كلام آخر ،

(١) قوله « منه » ، متعلق بقوله « بأولى » ، أى « بأولى منه . . . » .

(٢) فى المطبوعة « باجتماع وافتراق » . وأراد الطبرى بقوله « اجتماع واقتران » أى أن يقال هو : « عربى أعجمى ، أو حبشى عربى » ، كما مر آنفاً فى كلامه . وسياق عبارته بعد حذف التفسير والاعتراض من كلامه هو هذا : « فسبيل إضافته إلى كل جنس منها ، سبيل ما وصفنا . . . اجتماع واقتران » . أى أن يجمع بين الوصفين أو يقرن بين النسبتين .

لجواز اجتماع ذلك فى حالٍ واحدٍ من شخص واحد . فقائل ذلك صادق إذا كان صاحبه على ما وصفه به .

فكذلك ما قلنا — فى الأحرف التى ذكرنا وما أشبهها — غيرُ مستحيل أن يكون عربيًّا بعضها أعجميًّا، وحبشيًّا بعضها عربيًّا، إذ كان موجوداً استعمالُ ذلك فى كلتا الأمتين . فناسِبُ ما نَسبَ من ذلك إلى إحدى الأمتين أو كلتيهما محقٌّ غيرُ مبطل .

فإن ظن ذو غباءٍ أنّ اجتماع ذلك فى الكلام مستحيلٌ — كما هو مستحيل فى أنساب بنى آدم — فقد ظنّ جهلاً . وذلك أن أنساب بنى آدم محصورة على أحد الطرفين دون الآخر ، لقول الله تعالى ذكره : ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [سورة الأحزاب : ٥] . وليس ذلك كذلك فى المنطق والبيان ، لأنّ المنطق إنما هو منسوب إلى من كان به معروفاً استعمالُه . فلو عُرِف استعمالُ بعض الكلام فى أجناس من الأمم — جنسين أو أكثر — بلفظ واحد ومعنى واحد ، كان ذلك منسوباً إلى كل جنس من تلك الأجناس ، لا يستحق جنسٌ منها أن يكون به أولى من سائر الأجناس غيره . كما لو أنّ أرضاً بين سَهل وجبل ، لها هواء السهل وهواء الجبل ، أو بين برٍّ وبحرٍ ، لها هواء البر وهواءُ البحر — لم يمتنع ذو عقل صحيح أن يصفها بأنها سُهْلية جبلية(١) . أو بأنها بَرِّية بَحْرية ، إذ لم تكن نسبتها إلى إحدى صفتيها نافيةً حقَّها من النسبة إلى الأخرى . ولو أفردَ لها مفردٌ إحدى صفتيها ولم يسلبها صفتها الأخرى ، كان صادقاً محقًّا .

وكذلك القول فى الأحرف التى تقدم ذكرُناها فى أول هذا الباب .

وهذا المعنى الذى قلناه فى ذلك ، هو معنى قول من قال : فى القرآن من كل لسان — عندنا بمعنى ، والله أعلم : أنّ فيه من كلّ لسان اتفق فيه لفظ العرب ولفظ غيرها من الأمم التى تنطق به ، نظيرَ ما وصفنا من القول فيما مضى .

(١) النسبة إلى سهل (بفتح فسكون) : سهلى ، بضم السين ، على غير القياس .

وذلك أنه غيرُ جائز أن يُتوهَّم على ذى فطرة صحيحة ، مقرّ بكتاب الله ، ممن قد قرأ القرآن وعرف حدود الله — أن يعتقد أنّ بعضَ القرآن فارسى لا عربىّ ، وبعضه نبطى لا عربىّ ، وبعضه رومىّ لا عربىّ ، وبعضه حبشى لا عربى [1] ، بعد ما أخبر الله تعالى ذكرُه عنه أنه جعله قرآناً عربياً . لأن ذلك إنْ كان كذلك ، فليس قولُ القائل : القرآن حبشىٌّ أو فارسىٌّ ، ولا نسبةُ من نسبه إلى بعض ألسن الأمم التى بعضُه بلسانه دون العرب — بأولى بالتطويل من قول القائل [2] : هو عربى . ولا قولُ القائل : هو عربىٌّ بأولى بالصّحة والصواب من

---

(١) فى المطبوع والمخطوط « وبعضه عربى لا فارسى » مكان « وبعضه رومى لا عربى » ، وهو فاسد المعنى فآثرت أن أثبت ما يقتضيه سياق الكلام . وقد ذكر الروم آنفاً فى ص ١٦ .

(٢) فى المطبوعة : « بالتطول » وأراد الطبرى بقوله « التطويل » نسبة القول إلى التزيد والسعة فى الكلام ، حتى يستغرق الوصف بإحدى الصفات سائر الصفات الأخرى . وكلام الطبرى يحتاج إلى فضل بيان — من أول قوله : « وذلك أنه غير جائز أن يتوهم . . . » إلى قوله : « ولا جائز نسبته إلى كلام العرب » . فأقول :

أراد الطبرى أن يقول : إنه لا يستقيم فى العقل أن يكون الرجل مؤمناً بكتاب الله ، عارفاً بمعانيه وحدوده ، مقراً بأن الخبر قد جاء من ربه أنه جعل القرآن « قرآناً عربيا » ، ولم يجعله أعجميا بقوله « ولو جعلناه قرآناً أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى » — ثم يعتقد مع ذلك : أن بعض القرآن فارسى لا عربى ، وبعضه نبطى لا عربى ، وبعضه رومى لا عربى ، وبعضه حبشى لا عربى . فإنه إن فعل ، فقد نفى عن بعض القرآن أنه عربى ، والله يصف القرآن كله بأنه عربى . وأثبت لبعض القرآن أنه أعجمى ، والله تعالى ينفى عن جميعه أنه أعجمى .

وخبر الله تعالى عن كتابه أنه جعله « قرآنا عربيا » صفة شاملة لا يجوز لأحد أن يخصص شمولها على بعض القرآن دون بعض . ولو جاز لأحد أن يخصص شمولها من عند نفسه فيقول : « بعض القرآن حبشى لا عربى ، أو فارسى لا عربى ... » ، لجاز أيضاً لقائل أن يقول من عند نفسه : « القرآن حبشى أو فارسى أو رومى ، أو أعجمى » .

وحجة الطبرى فى ذلك : أن الذى يخصص شمول الصفة من عند نفسه على بعض القرآن بأنه عربى ، ويقول إن بعضه الآخر يوصف بأنه حبشى أو فارسى أو رومى — يدعى أن وصف القرآن بأنه عربى ، محمول على تغليب إحدى الصفات على سائر الصفات الأخرى . ولو جاز ذلك ، لجاز لقائل أن يقول : « القرآن حبشى أو فارسى أو رومى » ، لأنه فعل مثله ، فغلب إحدى الصفات على الصفات الأخرى .

وإذا اقتصر المقتصر على صفة بعضه فقال : « القرآن حبشى أو فارسى » ، لم يكن أولى بأن ينسب إلى التوسع فى الكلام والتزيد فى الصفة ، من القائل : « القرآن عربى » ، لأنه اقتصر أيضاً على صفة بعضه ، فتوسع فى الكلام وتزيد فى الصفة .

وإذا كان ما فى القرآن من فارسى ورومى ونبطى وحبشى ، نظير ما فيه من عربى ، فليس قول القائل : « القرآن عربى » ، أولى بالصحة والصواب من قول القائل : « القرآن فارسى أو حبشى » ،

قول ناسبه إلى بعض الأجناس التى ذكرنا . إذ كان الذى بلسان غير العرب من سائر ألسن أجناس الأمم فيه ، نظيرَ الذى فيه من لسان العرب .

وإذا كان ذلك كذلك ، فبيِّن إذاً خطأ من زعم أن القائل من السلف : فى القرآن من كل لسان ، إنما عنى بقيله ذلك ، أنّ فيه من البيان ما ليس بعربىّ ، ولا جائز نسبته إلى لسان العرب .

ويقال لمن أبى ما قلنا — ممن زعم أن الأحرف التى قدمنا ذكرها فى أول الباب وما أشبهها ، إنما هى كلام أجناس من الأمم سوى العرب ، وقعت إلى العرب فعرَّبته — : ما برهانك على صحة ما قلت فى ذلك ، من الوجه الذى يجب التسليم له ، فقد علمتَ من خالفك فى ذلك ، فقال فيه خلاف قولك ؟ وما الفرقُ بينك وبين من عارضك فى ذلك فقال : هذه الأحرف ، وما أشبهها من الأحرف غيرها ، أصلها عربى ، غير أنها وقعت إلى سائر أجناس الأمم غيرها فنطقت كل أمة منها ببعض ذلك بألسنتها — من الوجه الذى يجبُ التسليم له ؟

فلن يقول فى شىء من ذلك قولا إلا ألزم فى الآخر مثله .

فإن اعتلّ فى ذلك بأقوال السلف التى قد ذكرنا بعضها وما أشبهها ، طولبَ

فكلاهما أطلق صفة أحد النظيرين على الآخر . وإذا جاز لأحدهما أن يفعل ذلك مصيباً فى قوله ، جاز للآخر مثله مصيباً فى قوله .

وهذا فساد من القول وتناقض ، ومخالف لقوله تعالى : « ولو جعلناه قرآناً أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى » ، فهذه شهادة من الله تعالى بأنه لم يجعله أعجمياً ، كشهادته سبحانه بأنه جعله « قرآناً عربيا » . وقد اقتضى مذهب هذا القائل أن يقال : « القرآن حبشى أو فارسى » . كما يقال : « القرآن عربى » سواء . فتناقض هذا قول الله سبحانه . وهذا قول « غير جائز أن يتوهم على ذى فطرة صحيحة ، مقر بكتاب الله ، ممن قرأ القرآن ، وعرف حدود الله » كما قال الطبرى رحمه الله .

وإذن فقول القائل من السلف : « فى القرآن من كل لسان » ، ليس يعنى به أن فيه ما ليس بعربى مما لا يجوز أن ينسب إلى لسان العرب — بل معناه أن فيه ألفاظاً استعملتها العرب ، وهذه الألفاظ أنفسها مما استعملته الفرس أو الروم أو الحبش ، على جهة اتفاق اللغات على استعمال لفظ واحد بمعنى واحد ، لا على جهة انفراد الكلمة من القرآن بأنها فارسية غير عربية ، أو رومية غير عربية . فإن السلف أعرف بكتاب الله وبمعانيه وبحدوده ، لا يدخلون الفساد فى أقوالهم ، مناقضين شهادة الله لكتابه بأنه عربى غير أعجمى .

— مطالبتنا من تأوّل عليهم فى ذلك تأويله — بالذى قد تقدم بيانه . وقيل له:
٩/١ ما أنكرتَ أن يكون من نسب شيئاً من ذلك منهم إلى من نسبه من أجناس الأمم سوى العرب ، إنما نسبه إلى إحدى نسبتيه التى هو لها مستحق ، من غير نَفْىٍ منه عنه النسبة الأخرى ؟ ثم يقال له: أرأيتَ من قال لأرض سُهْلية جبلية: هى سُهلية ، ولم ينكر أن تكون جبلية ، أو قال : هى جبلية ، ولم يدفعْ أن تكون سُهْلية ، أنافٍ عنها أن تكون لها الصفة الأخرى بقيله ذلك ؟

فإن قال: نعم ! كابر عَقْلَه . وإن قال : لا ، قيل له: فما أنكرت أن يكون قولُ من قال فى سجّيل : هى فارسية ، وفى القسطاس : هى رومية — نظيرَ ذلك ؟ وسئل الفرقَ بين ذلك ، فلن يقولَ فى أحدهما قولا إلا ألزِم فى الآخر مثله .

﴿ القول فى اللغة ﴾

﴿ التى نزل بها القرآن من لغات العرب ﴾

قال أبو جعفر :

قد دللنا ، على صحة القول بما فيه الكفاية لمن وُفِّق لفهمه ،[1] على أن الله جل ثناؤه أنزل جميع القرآن بلسان العرب دون غيرها من ألسن سائر أجناس الأمم ، وعلى فساد قول من زعم أن منه ما ليس بلسان العرب ولغاتها .

فنقول الآن — إذ كان ذلك صحيحاً — فى الدلالة عليه بأىِّ ألسن العرب أنزل : أبألسن جميعها أم بألسن بعضها ؟ إذ كانت العرب ، وإن جمَع جميعَها اسمُ أنهم عرب ، فهم مختلفو الألسن بالبيان ، متباينو المنطق والكلام . وإذْ كان ذلك كذلك — وكان الله جل ذكرُه قد أخبر عبادَه أنه قد جعلَ القرآن عربيًّا وأنه أنزل بلسانٍ عربىّ مبين ، ثم كان ظاهرُه محتملا خصوصاً وعُموماً — لم يكن لنا السبيلُ إلى العلم بما عنى الله تعالى ذكره من خصوصه وعمومه ، إلا ببيان مَنْ جعل إليه بيانَ القرآن ، وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فإذ كان ذلك كذلك —[2] وكانت الأخبار قد تظاهرت عنه صلى الله عليه وسلم

٧ — بما حدثنا به خلاد بن أسلم ، قال : حدثنا أنس بن عياض ، عن أبى حازم ، عن أبى سلمة ، قال — : لا أعلمه إلا عن أبى هريرة — : أن رسول

---

(١) هكذا فى المطبوع والمخطوط : « على أن الله جل ثناؤه » ، والأجود أن تكون « بأن الله جل ثناؤه » ، أى : « قد دللنا على صحة القول . . . بأن الله جل ثناؤه » ، والباء وما بعدها متعلقة بالقول .

(٢) جوابُ قوله : « فإذ كان ذلك كذلك » ، يأتى فى ص : ٤٨ س ٢٠ وهو قوله : « صحّ وثبت أن الذى نزل به القرآن . . . »

الله صلى الله عليه وسلم قال : أنزل القرآنُ على سبعة أحرف ، فالمِراءُ فى القرآن كفرٌ — ثلاث مرات — فما عرفتم منه فاعملوا به ، وما جهلتم منه فردُّوه إلى عالمه(١).

٨ — حدثنى عبيد بن أسباط بن محمد ، قال : حدثنا أبى ، عن محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنزِل القرآن على سبعة أحرف ، عليمٌ حكيم ، غفورٌ رحيم(٢) .

٩ — حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنى عبدة بن سليمان ، عن محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم مثلَه .

١٠ — حدثنا محمد بن حميد الرازى ، قال : حدثنا جرير بن عبد الحميد ، عن مغيرة ، عن واصل بن حيّان ، عمّن ذكره ، عن أبى الأحوص ، عن عبد الله ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنزل القرآن على سبعة أحرفٍ ، لكل حرف منها ظهر وبطنٌ ، ولكل حرف حدٌّ ، ولكل حدٍّ مُطّلَع(٣).

---

(١) الحديث ٧ — رواه الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده (رقم ٧٩٧٦ ج ٢ ص ٣٠٠ طبعة الحلبى) عن أنس بن عياض . ورواه ابن حبان فى صحيحه (رقم : ٧٣ بشرح أحمد محمد شاكر) عن أبى يعلى عن أبى خيثمة عن أنس بن عياض . ونقله ابن كثير فى التفسير ٢ : ١٠٢ عن مسند أبى يعلى ، وفى فضائل القرآن : ٦٣ عن مسند أحمد . وهو فى مجمع الزوائد ٧ : ١٥١ . ونسبه ابن كثير فى الفضائل للنسائى . والظاهر أنه يريد كتاب التفسير للنسائى .

(٢) الحديث ٨ ، ٩ — رواه أحمد فى المسند (٨٣٧٢ ج ٢ ص ٣٣٢ حلبى) عن محمد بن بشر ، و (٩٦٧٦ ج ٢ ص ٤٤٠) عن ابن نمير ، كلاهما عن محمد بن عمرو ، وهو محمد بن عمرو بن علقمة ، عن أبى سلمة ، وهو ابن عبد الرحمن بن عوف . وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧ : ١٥١ جعله رواية أخرى للحديث الأول ، ثم قال : « رواه كله أحمد بإسنادين ، ورجال أحدهما رجال الصحيح . ورواه البزار بنحوه » . وسيأتى حديث آخر لأبى هريرة ، برقم : ٤٥ .

(٣) الحديث ١٠ ، ١١ — هو حديث واحد بإسنادين ضعيفين ، أما أحدهما فلانقطاعه بجهالة راويه : « عمن ذكره عن أبى الأحوص » . وأما الآخر فمن أجل « إبرهيم الهجرى » راويه عن أبى الأحوص . و « مغيرة » فى الإسناد الأول : هو ابن مقسم الضبى ، وهو ثقة . و « واصل بن حيان » هو الأحدب ، وهو ثقة . و « أبو الأحوص » : هو الجشمى ، واسمه : عوف بن مالك بن نضلة ، وهو تابعى ثقة معروف . و « مهران » فى الإسناد الثانى : هو ابن أبى عمر العطار الرازى ، وهو ثقة ، ولكن فى روايته عن الثورى اضطراب . وشيخه سفيان هنا : هو الثورى الإمام . و « إبرهيم الهجرى » هو إبرهيم بن مسلم .

١١ — حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا مهران، قال: حدثنا سفيان، عن إبراهيم الهَجَرِيّ، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله.

١٢ — حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، قال: حدثنا عاصم، عن زِرٍّ، عن عبد الله، قال: اختلفَ رجلان في سورةٍ، فقال هذا: أقرأني النبي صلى الله عليه وسلم. وقال هذا: أقرأني النبي صلى الله عليه وسلم. فأتى النبيّ صلى الله عليه وسلم فأخبر بذلك، قال فتغير وجههُ، وعنده رجلٌ فقال: اقرأوا كما عُلِّمتم — فلا أدري أبشيء أمِرَ أم شيء ابتدعه من قِبَل نفسه — فإنما أهلك من كان قبلكم اختلافُهم على أنبيائهم. قال: فقام كلّ رجل منا وهو لا يقرأ على قراءة صاحبه. نحو هذا ومعناه(١)

١٣ — حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا الأعمش — وحدثني أحمد بن منيع، قال: حدثنا يحيى بن سعيد الأموي، عن الأعمش — عن عاصم، عن زر بن حبيش، قال: : قال عبد الله بن مسعود: تمارينا في سورة من القرآن، فقلنا: خمس وثلاثون أو ست وثلاثون آية. قال: فانطلقنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجدنا عليًّا يُنَاجِيه، ١٠/١

«الحديث بهذا اللفظ الذي هنا، ذكره السيوطي في الجامع الصغير رقم: ٢٧٢٧، ونسبه للطبراني في المعجم الكبير، ورمز له بعلامة الحسن، ولا ندري إسناده عند الطبراني. وأما أوله، دون قوله «ولكل حرف حد» إلخ، فإنه صحيح ثابت، رواه ابن حبان في صحيحه رقم: ٧٤. وانظر مجمع الزوائد ٧: ١٥٢، ١٥٣. وقوله «مطلع»: هو بتشديد الطاء وفتح اللام، قال في النهاية: «أي لكل حد مصعد يصعد إليه من معرفة علمه، والمطلع: مكان الاطلاع من موضع عال». ثم قال: «ويجوز أن يكون: لكل حد مطلع، بوزن مصعد ومعناه». وسيأتي شرح ألفاظ هذا الحديث ص٢٤ — ٢٥ بولاق، بعد الحديث ٧.

(١) الحديث ١٢ — إسناده صحيح. وهو مختصر. ورواه أحمد في المسند مطولا رقم: ٣٩٨١ عن يحيى بن آدم عن أبي بكر، وهو ابن عياش، بهذا الإسناد. ورواه من طرق أخرى مختصراً أيضاً. ورواه الحاكم في المستدرك ٢: ٢٢٣ — ٢٤٤ بأطول مما هنا، بإسنادين: من طريق إسرائيل عن عاصم، ومن طريق أبي عوانة عن عاصم. وصححه ووافقه الذهبي. وذكره الحافظ في الفتح ٩: ٢٣، ونسبه لابن حبان والحاكم.

قال : فقلنا : إنا اختلفنا فى القراءة . قال : فاحمرَّ وجهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : إنما هلكَ من كان قبلكم باختلافهم بينهم . قال : ثم أسرّ إلى علىّ شيئاً ، فقال لنا على : إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرُكم أن تقرأوا كما عُلِّمتم (١) .

١٤ — حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن عيسى بن قرطاس ، عن زيد القصار ، عن زيد بن أرقم ، قال : كنا معهُ فى المسجد فحدثنا ساعة ثم قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أقرأنى عبد الله بن مسعود سورة ، أقرأنيها زيدٌ وأقرأنيها أبىّ بن كعب ، فاختلفت قراءتهم ، فبقراءةِ أيِّهم آخُذُ ؟ قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وعلىٌّ إلى جنبه ، فقال على : ليقرأ كل إنسان كما عُلِّم ، كلٌّ حسنٌ جميل (٢) .

١٥ — حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرنى عروة بن الزبير : أن المِسْوَر بن مَخْرمة وعبد الرحمن بن عبدٍ القارىّ أخبراه : أنهما سمعا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورةَ الفرقان فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستمعت لقراءته ، فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة لم يُقْرِئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكدت أساوره فى الصلاة ، فتصبَّرت حتى سلَّم ، فلما سلَّم

(١) الحديث ١٣ — إسناده صحيحان أيضاً ، وهو رواية أخرى للحديث قبله . ولم نجده بهذا الإسناد واللفظ فى موضع آخر .

(٢) الحديث ١٤ — هذا حديث لا أصل له ، رواه رجل كذاب ، هو « عيسى بن قرطاس » ، قال فيه ابن معين : « ضعيف ليس بشىء ، لا يحل لأحد أن يروى عنه » . وقال ابن حبان : « يروى الموضوعات عن الثقات ، لا يحل الاحتجاج به » . وقد اخترع هذا الكذاب شيخاً له روى عنه ، وسماه « زيد القصار » ! لم نجد لهذا الشيخ ترجمة ولا ذكراً فى شىء من المراجع . وهذا الحديث ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧ : ١٥٣ — ١٥٤ ، وقال : « رواه الطبرانى ، وفيه عيسى بن قرطاس ، وهو متروك » . ومن العجب أن يذكر الحافظ هذا الحديث فى الفتح ٩ : ٢٣ ، وينسبه للطبرى والطبرانى ، ثم يسكت عن بيان علته وضعفه ! غفر الله لنا وله .

لببّته بردائه فقلت : من أقرأك هذه السورة التى سمعتُك تقرؤها ؟ قال : أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فقلت : كذبت ، فوالله إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لهو أقرأنى هذه السورة التى سمعتُك تقرؤها ! فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، إنى سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تُقْرِئنيها ، وأنت أقرأتنى سورة الفرقان ! قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسله ياعمر ، اقرأ ياهشام . فقرأ عليه القراءة التى سمعته يقرؤها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هكذا أنزلتْ . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ ياعمر . فقرأتُ القراءة التى أقرأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هكذا أنزلتْ . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرأوا ما تيسر منهـــا (١) .

١٦ — حدثنى أحمد بن منصور ، قال : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : حدثنا حرب بن ثابت من بنى سُلَيم ، قال : حدثنا إسحق بن عبد الله بن أبى طلحة ، عن أبيه ، عن جده ، قال : قرأ رجل عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه فغيّر عليه ، فقال : لقد قرأتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يغيّر علىّ . قال : فاختصما عند النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، ألم تقرئنى آية كذا وكذا ؟ قال : بلى ! قال : فوقع فى صدر عمرَ شىء ، فعرف

---

(١) الحديث ١٥ — رواه أحمد فى المسند رقم : ٢٩٦ عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى ، وهو ابن شهاب ، بهذا الإسناد نحوه . ورواه أيضاً رقم : ٢٩٧ عن الحكم بن نافع عن شعيب عن الزهرى ، به . ورواه بأسانيد أخر ، مطولا ومختصراً : ١٥٨ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٣٧٥ . ورواه البخارى ٩ : ٢١ — ٢٣ من فتح البارى ، مطولا بنحو مما هنا ، من طريق الليث بن سعد عن عقيل عن ابن شهاب . ونقله ابن كثير فى فضائل القرآن : ٧٢ عن رواية البخارى ، ثم ذكر أنه رواه أيضاً مسلم وأبو داود والنسائى والترمذى ، من طرق عن الزهرى . وفى تيسير الوصول ١ : ١٩٠ « أخرجه الستة » ، وفيه مكان « وتصبرت » ، و « تربصت به » وقوله : « كدت أساوره » أى كدت أواثبه وأبطش به . وقوله « فتصبرت حتى سلم » . موافق لرواية البخارى ، وفى المسند : « فنظرت حتى سلم » أى انتظرت .

النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في وجهه ، قال : فضربَ صدره وقال : ابعَدْ شيطاناً — قالها ثلاثاً — ثم قال : ياعمرُ ، إن القرآن كلَّه صواب ، مالم تجعلْ رحمةً عذاباً أو عذابا رحمةً[1] .

---

(١) الحديث ١٦ — رواه أحمد في المسند (١٦٤٣٧ ج ٤ ص ٣٠ طبعة الحلبي) عن عبد الصمد ، وهو ابن عبد الوارث ، بهذا الإسناد ، نحوه . ونقله الحافظ ابن كثير في فضائل القرآن : ٧٣ ، وقال : « وهذا إسناد حسن . وحرب بن ثابت هذا يكنى بأبي ثابت ، لا نعرف أحداً جرحه » . ونقله الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ١٥٠ — ١٥١ ، وقال : « رواه أحمد ، ورجاله ثقات » . وذكره الحافظ في الفتح ٩ : ٢٢ — ٢٣ ، ونسبه للطبري فقط ، فقصر إذ لم ينسبه للمسند .

وإسناده يحتاج إلى بحث :

فأولا — « حرب بن ثابت » : ثبت في نسخ الطبري هنا « حرب بن أبي ثابت » ، وهو خطأ صرف من الناسخين . صوابه « حرب بن ثابت » ، وهو « المنقري » ، ترجمه البخاري في التاريخ الكبير : ٢ / ١ / ٥٨ ، قال : « حرب بن أبي حرب أبو ثابت ، عن إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري ، قاله عبد الصمد . وقال موسى : حدثنا حرب بن ثابت المنقري . يعد في البصريين » .

وترجمه ابن حبان في الثقات ٤٤٣ — ٤٤٤ ، قال : «حرب بن ثابت المنقري ، من أهل البصرة ، يروي عن الحسن ومروان الأصفر ، روى عنه عبد الصمد ، كأنه : حرب بن أبي حرب الذي ذكرناه » . وقد ذكر قبله ترجمة « حرب بن أبي حرب ، يروي عن شريح ، روى عنه حصين أبو حبيب » .

والحافظ ابن حجر حين ترجم لحرب بن ثابت ، أشار إلى كلام ابن حبان هذا ، وعقب عليه بأنه « واحد ، جعله اثنين ، ثم شك فيه » ! ! ولم ينصفه في هذا ، فإنهما اثنان يقيناً ، فصل بينهما البخاري في الكبير ، فجعل الذي يروي عن شريح برقم : ٢٢٦ ، غير الذي نقلنا كلامه عنه برقم : ٢٢٧ .

وأما الذي جعل الراوي راويين فإنه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٢ / ١ / ٢٥٢ ذكر ثلاث تراجم ، بالأرقام : ١١٢١ ، ١١٢٣ ، ١١٢٥ ، فالأخير هو الذي روى عن شريح ، والأولان هما شخص واحد ، وهم فيه ابن أبي حاتم .

وقد نسب « حرب بن ثابت » هذا في التعجيل : ٩١ — ٩٢ بأنه « البكري » ، وكذلك في الإكمال للحسيني : ٢٣ . وأنا أرجح أن هذا خطأ من الناسخين ، أصله « البصري » ، فإن نسبته فيما أشرنا إليه من تراجمه « المنقري » ، وهو من أهل البصرة ، فمن ذلك رجحت أن صوابه « البصري » .

وثانياً — « إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة » : هكذا رواه عبد الصمد بن عبد الوارث عن حرب ابن ثابت المنقري . ولكن بعض العلماء شك في صحة هذا ، فقال البخاري في الكبير في ترجمة حرب : « وقال مسلم : حدثنا حرب بن ثابت سمع إسحق بن عبد الله » فهذه رواية البخاري عن شيخه مسلم بن إبرهيم الفراهيدي عن حرب بن ثابت « أنه سمع إسحق بن عبد الله » . وهي تؤكد صحة ما رواه عبدالصمد . ولكن قال البخاري عقب ذلك : « حدثني إسحق بن إبرهيم قال : أخبرنا عبد الصمد قال : حدثنا حرب أبو ثابت قال : حدثنا إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة . ويقال : إسحق هذا ليس بابن أبي طلحة ، وهم فيه عبد الصمد من حفظه ، وأصله صحيح » ، فهذه إشارة إلى هذا الحديث . .

ولكنه قال في التاريخ الكبير ١ / ١ / ٣٨٢ في ترجمة « إسحق الأنصاري » : « إسحق الأنصاري . حدثنا موسى بن إسمعيل قال : حدثنا حرب بن ثابت المنقري قال : حدثني إسحق الأنصاري

١٧ – حدثنا عبيد الله بن محمد الفريابي، قال: حدثنا عبد الله بن ميمون، قال: حدثنا عبيد الله[١] – يعني ابن عمر – عن نافع، عن ابن عمر، قال: سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا يقرأ القرآن، فسمع آية على غير ما سمع من النبي صلى الله عليه وسلم، فأتى به عمرُ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن هذا قرأ آية كذا وكذا. فقال رسول الله صلى الله عليه ١١/١ وسلم: أنزل القرآن على سبعة أحرف، كلها شافٍ كافٍ[٢].

عن أبيه عن جده، وكانت له صحبة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: القرآن كله صواب: وقال عبد الصمد: حدثنا حرب أبو ثابت سمع إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم، مثله. وقال بعضهم: لقن عبد الصمد، فقالوا: ابن عبد الله بن أبي طلحة، ولم يكن في كتابه: ابن عبد الله».

فهذه إشارة أخرى من البخاري لهذا الحديث أيضاً، كعادته في تاريخه، في الإشارة إلى الأحاديث التي يريد أن يرشد إلى مواطن البحث فيها.

وقد أشار البخاري في الموضعين إلى قول من شك في أن «إسحق الأنصاري» راوي هذا الحديث غير «إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري» الثقة المعروف بروايته عن أبيه «عبد الله» عن جده «أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري الصحابي الكبير» أحد النقباء، الذي شهد العقبة وبدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأتى بقوله هذا مجهلا إياه ممرضاً، بقوله مرة: «ويقال»، ومرة: «وقال بعضهم». ثم عقب على هذا التمريض في المرة الأولى بقوله: «وأصله صحيح»، يعني أصل الحديث. فهو تصريح منه بصحة الحديث، وبرفض قول هذا القائل الذي شك فيه.

وقد وافقه على ذلك زميله وصنوه أبو حاتم الرازي، فقال ابنه في الجرح والتعديل، في ترجمة «إسحق الأنصاري» ١ / ١ / ٢٣٩ – ٢٤٠: «سمعت أبي يقول: يرون أنه: إسحق بن عبدالله بن أبي طلحة الأنصاري».

وسبقهما إلى ذلك شيخهما إمام المحدثين، الإمام أحمد بن حنبل، فأثبت هذا الحديث في مسند «أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري» دون شك أو تردد. فصح الحديث، والحمد لله.

(١) هو عبيد الله بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب، وليس هو ابن عمر بن الخطاب.

(٢) الحديث ١٧ – إسناده ضعيف جداً، من أجل «عبد الله بن ميمون». أما «عبيدالله بن محمد بن هرون الفريابي» شيخ الطبري، فالظاهر أنه ثقة، ولكني لم أجد له ترجمة إلا في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: ٢ / ٢ / ٣٣٥، قال: «نزيل بيت المقدس، روى عن سفيان بن عيينة، سمع منه أبي ببيت المقدس». ولم يذكر فيه جرحاً. وأما علة الحديث فهو «عبد الله بن ميمون بن داود القداح»، وهو ضعيف جداً، قال البخاري: «ذاهب الحديث»، وقال أبو حاتم والترمذي: «منكر الحديث»، وقال أبو حاتم: «يروى عن الأثبات الملزقات، لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد»، وقال الحاكم: «روى عن عبيد الله بن عمر أحاديث موضوعة». وأما شيخه «عبيد الله

١٨ — حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني هشام بن سعد، عن علي بن أبي علي ، عن زبيد، عن علقمة النخعي ، قال : لما خرجَ عبد الله بن مسعود من الكوفة اجتمع إليه أصحابه فودّعهم ، ثم قال : لا تنازَعُوا في القرآن ، فإنه لا يختلفُ ولا يتلاشى ، ولا يتغير لكثرة الرد . وإن شريعة الإسلام وحدودَه وفرائضه فيه واحدة ، ولو كان شيء من الحرفين ينهى عن شيء يأمر به الآخر ، كان ذلك الاختلافَ . ولكنه جامعٌ ذلك كله ، لا تختلف فيه الحدود ولا الفرائض ، ولا شيء من شرائع الإسلام . ولقد رأيتُنا نتنازع فيه عندَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيأمرنا فنقرأ عليه ، فيخبرنا أن كلَّنا محسنٌ . ولو أعلمُ أحداً أعلم بما أنزل الله على رسوله مني لطلبته، حتى أزدادَ علمَه إلى علمي . ولقد قرأتُ من لسانِ رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة ، وقد كنت علمت أنه يُعْرَض عليه القرآنُ في كل رمضان ، حتى كانَ عامُ قُبِض ، فعرض عليه مرّتين ، فكان إذا فرغ أقرأ عليه فيخبرني أني محسنٌ . فمن قرأ على قراءتي فلا يدَعنَّها رغبة عنها ، ومن قرأ على شيء من هذه الحروف فلا يَدَعنَّه رغبة عنه ، فإنه من جحد بآية جحد به كله(١) .

بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب » ، فإنه إمام ثقة معروف ، وهو أحد الفقهاء السبعة .

ومعنى الحديث في ذاته صحيح ، كأنه مختصر من معنى حديث عمر بن الخطاب ، الذي مضى برقم : ١٥ . ولكن هذا القداح ألزقه بعبيد الله بن عمر ، وجعله من حديث نافع عن ابن عمر . ولا أصل لهذا ، ولم نجده قط من حديث ابن عمر .

ولم يحسن الحافظ ابن حجر ، إذ أشار إلى هذا الحديث في الفتح ٩ : ٢٣ ، ونسبه للطبري ، دون أن يذكر ضعف إسناده .

(١) الحديث ١٨ — إسناده ضعيف جداً ، غاية في الضعف . لعلتين :

أولاهما : « علي بن أبي علي » ، وهو « اللهبي » ، من ولد أبي لهب . قال البخاري في التاريخ الصغير : ١٩٦ ، وفي الضعفاء : ٢٥ : « منكر الحديث ، لم يرضه أحمد » . وقال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل : ٣ / ١ / ١٩٧ : « سألت أبي عن علي بن أبي علي اللهبي ؟ فقال : منكر الحديث ، تركوه » . وقال : « سئل أبو زرعة عن علي بن أبي علي الهاشمي ؟ فقال : هو من ولد أبي لهب ، وهو مديني ضعيف الحديث ، منكر الحديث » . وقال ابن حبان في الضعفاء : ٣١٥ « يروي عن الثقات الموضوعات ، وعن الأثبات المقلوبات ، لا يجوز الاحتجاج به » .

١٩ — حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أنبأنا ابن وَهب ، قال : أخبرني يونس — وحدثنا أبو كريب، قال : حدثنا رِشْدين بن سعد ، عن عُقيل ابن خالد — جميعاً عن ابن شهاب ، قال : حدثني عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن ابن عباس حدثه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أقرأني جبريلُ على حرف ، فراجعته ، فلم أزَل أستزيده فيزيدني ، حتى انتهى إلى سبعة أحرف . قال ابن شهاب: بلغني أن تلك السبعة الأحرف ، إنما هي في الأمر الذي يكون واحداً ، لا يختلفُ في حلال ولا حرام(١) .

وثانيتهما : أن « زبيد بن الحرث اليامي » لم يدرك علقمة ولم يرو عنه ، إنما يروى عن الطبقة الراوية عن علقمة ، فروايته عنه هنا منقطعة ، إن صح الإسناد إليه فيها ، ولم يصح قط .

وقد جاء نحو هذا الحديث عن ابن مسعود ، من وجه آخر ضعيف أيضاً : فرواه أحمد في المسند رقم : ٣٨٤٥ مطولا ، من طريق شعبة عن عبد الرحمن بن عابس ، قال : « حدثنا رجل من همدان ، من أصحاب عبد الله ، وما سماه لنا » إلخ . وهذا مجهول الراوي عن ابن مسعود ، فلا يكون صحيحاً . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد مختصراً ٧ : ١٥٣ ، وقال : « رواه الإمام أحمد في حديث طويل ، والطبراني ، وفيه من لم يسم ، وبقية رجاله رجال الصحيح » .

قال أخي السيد محمود محمد شاكر : ولفظ المسند : « إن هذا القرآن لا يختلف ، ولا يستشن ، ولا يتفه لكثرة الرد » . و « استشن » : بلى وصار خلقاً كالشن البالي ، وهو القربة البالية . وقوله « لا يتفه » : لا يصير تافهاً ، التافه : الحقير . وكل كلام رددت قراءته نفدت معانيه وضعف أثره إلا القرآن . وأما قوله في رواية الطبري هنا « ولا يتلاشى » ، فقد قال أهل اللغة إنه مولد من « لا شيء » ، كأنه اضمحل حتى صار إلى لا شيء . ومجيئه في هذا الخبر غريب .

أقول : وإذ تبين أن راويه « علي بن أبي علي الهمي » ممن يصطنع الأحاديث ويروى عن الثقات الموضوعات ، كما قال ابن حبان ، فلا يبعد أن يقول هذه الكلمة المولدة من عند نفسه . وهو متأخر أدرك عصر التوليد ، فقد أرخه البخاري في باب من مات بين سنتي ١٧٠ — ١٨٠ .

(١) الحديث ١٩ — هو بإسنادين : أحدهما صحيح ، والآخر ضعيف :

الإسناد الأول : عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن يونس ، وهو ابن يزيد الأيلي عن ابن شهاب الزهري . وهو إسناد صحيح جداً .

والثاني : عن أبي كريب عن رشدين ، وهو ابن سعد ، عن عقيل بن خالد عن الزهري . وهو إسناد ضعيف ، لضعف رشدين بن سعد ، وكان رجلا صالحاً فيه غفلة ، وكثر خطؤه فغلبت المناكير في أخباره . ولكنه في هذا الحديث لم ينفرد بروايته عن عقيل بن خالد ، كما سيأتي .

و « رشدين » : بكسر الراء والدال المهملتين بينهما شين معجمة ساكنة . و « عقيل » بضم العين المهملة .

والحديث رواه مسلم ١ : ٢٢٥ عن حرملة عن ابن وهب عن يونس ، مثل الإسناد الأول هنا . ورواه البخاري ٦ : ٢٢٢ فتح الباري ، من طريق سليمان بن بلال عن يونس أيضاً .

٢٠ – حدثني محمد بن عبد الله بن أبي مخلد الواسطي ، ويونس بن عبد الأعلى الصدفيّ ، قالا : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عبيد الله ، أخبره أبوه : أن أم أيوب أخبرته أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أنزل القرآن على سبعة أحرف ، أيّها قرأتَ أصبتَ[1] .

٢١ – حدثنا إسمعيل بن موسى السُّدّي ، قال : أنبأنا شَريك ، عن أبي إسحق ، عن سليمان بن صُرَد ، يرفعه ، قال : أتاني ملَكان ، فقال أحدهما : اقرأ . قال : على كم ؟ قال : على حرفٍ ، قال : زِدْهُ . حتى انتهى به إلى سبعة أحرف[2]

ورواه البخاري ٩ : ٢٠ – ٢١ ، عن سعيد بن عفير عن الليث بن سعد عن عقيل بن خالد عن الزهري .

وسيأتي أيضاً بإسناد صحيح ، برقم : ٢٢ ، من رواية نافع بن يزيد عن عقيل بن خالد عن الزهري .

وهذان الإسنادان يؤيدان الإسناد الثاني هنا ، أعني رواية رشدين بن سعد عن عقيل . ولذلك قلت إن رشدين – على ضعفه – لم ينفرد بروايته عن عقيل .

وقول ابن شهاب الزهري : « بلغني أن تلك الأحرف السبعة » إلخ : لم يذكره البخاري ، وذكره مسلم في روايته . وهو مرسل غير متصل ، فهو ضعيف الإسناد . ولذلك أعرض البخاري عن ذكره .

ثم إن الحديث رواه أيضاً أحمد ، بنحوه ، في المسند رقم : ٢٨٦٠ عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري . ورواه مسلم ١ : ٢٢٥ ، عن عبد بن حميد عن عبد الرزاق ، ولكنه لم يسق لفظه بل أحاله على رواية يونس عن الزهري .

ورواه أحمد أيضاً مختصراً رقم : ٢٣٧٥ ، ٢٧١٧ ، من رواية ابن أخي الزهري عن عمه .

ونقله ابن كثير في فضائل القرآن : ٥٣ عن إحدى روايتي البخاري ، ثم أشار إلى روايته الأخرى وروايتي مسلم ورواية الطبري هذه .

(١) الحديث ٢٠ – رواه أحمد في المسند (٦ : ٤٣٣ ، ٤٦٢ – ٤٦٣ من طبعة الحلبي) ، عن سفيان بن عيينة ، بهذا الإسناد . ونقله ابن كثير في فضائل القرآن : ٦٤ عن المسند ، وقال : « وهذا إسناد صحيح ، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة » . ونقله الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ١٥٤ ، وقال : « رواه الطبراني ، ورجاله ثقات » . فقصر إذ لم ينسبه للمسند أولا . ولفظ المسند « أيها قرأت أجزأك » . ولفظ الطبراني موافق للفظ الطبري هنا .

و « عبيد الله » ، في الإسناد : هو عبيد الله بن أبي يزيد المكي ، وهو ثقة معروف . وأبوه « أبو يزيد المكي » : ذكره ابن حبان في الثقات .

وسيأتي الحديث مكرراً ، برقمي : ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) الحديث ٢١ – الحديث في ذاته صحيح ، لأن معناه سيأتي مراراً ، ضمن أحاديث لأبي بن كعب ، وقد كررها الطبري بأسانيد متعددة ، بالأرقام الآتية : ٢٥ – ٣٩ . وسيأتي بحثها في مواضعها إن شاء الله .

وأما هذا الإسناد بعينه ، فهكذا ورد في الطبري ، من حديث سليمان بن صرد . ونقل الهيثمي في

٢٢ – حدثنا ابن البرقى ، قال : حدثنا ابن أبى مريم ، قال : حدثنا نافع ابن يزيد ، قال : حدثنى عُقَيْل بن خالد ، عن ابن شهاب ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أقرأنى جبريل القرآنَ على حرف ، فاستزدته فزادنى ، ثم استزدته فزادنى ، حتى انتهى إلى سبعة أحرف[1].

٢٣ – حدثنى الربيع بن سليمان ، قال : حدثنا أسد بن موسى ، قال : حدثنا سفيان ، عن عبيد الله بن أبى يزيد ، عن أبيه ، أنه سمع أم أيوب تحدث عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوَه – يعنى نحو حديث ابن أبى مخلد[2].

مجمع الزوائد ٧ : ١٥٣ نحوه ، من حديث سليمان بن صرد ، وقال : « رواه الطبرانى ، وفيه جعفر ، ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات » . وليس إسناد الطبرانى بين أيدينا حتى نستطيع القول فيه . ولعل اسم « جعفر » – الذى لم يعرفه الهيثمى فى إسناده – محرف عن شىء آخر .

ونقل ابن كثير فى الفضائل : ٦١ هذا الحديث عن هذا الموضع من الطبرى ، ثم قال : « ورواه النسائى فى اليوم والليلة : عن عبد الرحمن بن محمد بن سلام عن إسحق الأزرق عن العوام بن حوشب عن أبى إسحق عن سليمان بن صرد ، قال : أتى أبى بن كعب رسول الله صلى الله عليه وسلم برجلين اختلفا فى القراءة ، فذكر الحديث . وهكذا رواه أحمد بن منيع عن يزيد بن هرون عن العوام عن أبى إسحق عن سليمان بن صرد عن أبى : أنه أتى النبى صلى الله عليه وسلم برجلين ، فذكره » .

وهذان الإسنادان اللذان ذكرهما ابن كثير صحيحان ، يدلان على أن سليمان بن صرد إنما سمع هذا الحديث من أبى بن كعب .

وليس الخطأ الذى وقع فى إسناد الطبرى هنا ، بحذف « أبى بن كعب » – خطأ شريك بن عبد الله النخعى راويه عن أبى إسحق السبيعى . إنما الخطأ – فيما أرجح – إما من إسمعيل بن موسى السدى شيخ الطبرى ، وإما من الطبرى نفسه . فإن الحديث رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل ، فى مسند أبيه (٥ : ١٢٥ طبعة الحلبى) عن محمد بن جعفر الوركانى عن أبى إسحق عن سليمان عن أبى بن كعب – مختصراً كما هنا .

وسيأتى الحديث مطولا ، من رواية سليمان بن صرد عن أبى بن كعب رقم : ٢٥ .

(١) الحديث ٢٢ – هذا إسناد صحيح . قد مضى برقم : ١٩ ، بإسنادين آخرين ، وبينا تخريجه هناك .

و « ابن البرقى » ، شيخ الطبرى : هو « أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم » المصرى الحافظ ، توفى سنة ٢٧٠ . وله ترجمة فى تذكرة الحفاظ ٢ : ١٣٥ .

و « ابن أبى مريم » : هو « سعيد بن الحكم بن محمد بن سالم » المصرى ، عرف بابن أبى مريم . مترجم فى التهذيب .

(٢) الحديث ٢٣ – هذا إسناد صحيح . فالربيع بن سليمان : هو المرادى المؤذن ، صاحب الشافعى وراوية كتبه . وأسد بن موسى المروانى الأموى المصرى : يقال له « أسد السنة » ، ثقة من الثقات ، قال البخارى فى التاريخ الكبير : ١ / ٢ / ٥٠ : « مشهور الحديث » . والحديث مكرر رقم : ٢٠ ، كما أشار إلى ذلك الطبرى بالإحالة عليه . وسيأتى عقب هذا بإسناد آخر .

٢٤ – حدثنا الربيع ، قال : حدثنا أسد ، قال : حدثنا أبو الربيع السمان ، قال : حدثني عُبيد الله بن أبي يزيد ، عن أبيه ، عن أم أيوب ، أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : نزل القرآن على سبعة أحرف ، فما قرأتَ أصبتَ[1] .

٢٥ – حدثنا أبو كريب ، قال : حدثني يحيى بن آدم ، قال : حدثنا إسرائيل عن أبي إسحق ، عن فلان العَبْدى – قال أبو جعفر : ذَهب عنى اسمه – ، عن سليمان بن صُرَد ، عن أبيّ بن كعب ، قال : رحت إلى المسجد ، فسمعت رجلا يقرأ ، فقلت : من أقرأك ؟ فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم . فانطلقت ١٢/١ به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : استقرئْ هذا . قال : فقرأ ، فقال : أحسنت . قال فقلت : إنك أقرأتني كذا وكذا ! فقال : وأنتَ قد أحسنتَ . قال : فقلت : قد أحسنتَ ! قد أحسنتَ ! قال : فضرب بيده على صدرى ، ثم قال : اللهم أذهِبْ عن أبيٍّ الشكّ . قال : ففِضْتُ عرَقاً ، وامتلأ جوْفى فرَقاً – ثم قال : إن الملَكين أتيانى ، فقال أحدهما اقرأ القرآن على حرف . وقال الآخر : زده . قال : فقلت : زدْنى . قال : اقرأه على حرفين . حتى بلغَ سبعةَ أحرف ، فقال : اقرأ على سبعة أحرف[2] .

---

(١) الحديث ٢٤ – وأما هذا فإسناد ضعيف جدا ، فأبو الربيع السمان ، واسمه : أشعث بن سعيد البصرى ، ضعيف جدا ، كان شعبة يرميه بالكذب . والحديث مضى بإسنادين صحيحين ، رقم : ٢٠ ، ٢٣ .

(٢) الحديث ٢٥ – مضى بعض معناه مختصراً ، وأشرنا إلى هذا ، فى الحديث رقم : ٢١ ، وأن سليمان بن صرد ، راويه هناك ، إنما رواه عن أبى بن كعب .

وهذا الإسناد نسى فيه أبو جعفر الطبرى اسم « فلان العبدى » ، كما قال هو هنا .

وقد نقله ابن كثير فى الفضائل : ٦١ عن هذا الموضع من تفسير الطبرى ، ثم أشار إلى بعض رواياته الأخر التى سمى فيها « فلان العبدى » هذا باسمه ، وأراد أن يجمع بين هذه الروايات والرواية الماضية رقم : ٢١ ، التى فيها أن الحديث من رواية سليمان بن صرد دون ذكر أبى بن كعب ، فقال : « فهذا الحديث محفوظ من حيث الجملة عن أبى بن كعب ، والظاهر أن سليمان بن صرد الخزاعى شاهد ذلك » .

والصحيح ما ذهبنا إليه هناك ، من أنه من رواية سليمان بن صرد عن أبى بن كعب .

٢٦ – حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا ابن أبي عدي – وحدّثنا أبو كريب، قال: حدثنا محمد بن ميمون الزعفراني – جميعاً عن حُميد الطويل، عن أنس ابن مالك رضي الله عنه، عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه، قال: ما حاك في صدري شيءٌ منذ أسلمتُ، إلا أني قرأتُ آيةً، فقرأها رجل غيرَ قراءتي، فقلت: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال الرجل: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأتيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم. فقلت: أقرأتني آية كذا وكذا؟ قال: بلى. قال الرجل: ألم تُقرئني آية كذا وكذا؟ قال: بلى، إن جبريل وميكائيل عليهما السلام أتياني، فقعد جبريل عن يميني، وميكائيل عن يساري، فقال جبريل: اقرإ القرآن على حرف واحد. وقال ميكائيل: استزدْه، قال جبريل: اقرإ القرآن على حرفين. فقال ميكائيل:

وهذا الحديث المطول – الذي هنا – رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل في مسند أبيه ٥ / ١٢٤ من طبعة الحلبي، عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحق عن سقير العبدي عن سليمان بن صرد عن أبي بن كعب، بنحوه بمعناه.

فعرفنا من رواية عبد الله بن أحمد أن اسم هذا الراوي «العبدي»: «سقير». وهو بضم السين المهملة وفتح القاف، كما ضبطه الحافظ عبد الغني بن سعيد المصري في كتاب المؤتلف: ٦٥، وكذلك أثبته الذهبي في المشتبه: ٢٦٦. وفي اسمه خلاف قديم، ولكن هذا هو الراجح الصحيح.

فقد ترجمه البخاري في التاريخ الكبير ٢ / ٢ / ٣٣١ في حرف الصاد، باسم «صقير»، وإن قع فيه خطأ من النساخ، فرسم «صعير» بالعين بدل القاف. وقد حقق مصححه العلامة الشيخ عبد الرحمن بن يحيى اليماني ذلك بالهامش، ونقل أن الأمير ابن ماكولا ضبطه «سقير» أيضاً.

وترجمه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٢ / ١ / ٣١٨ في حرف السين، باسم «سقير العبدي»، ثم أعاده في حرف الصاد ٢ / ١ / ٤٥٢ باسم «صقر العبدي، ويقال: صقير العبدي»، فجاء بقول ثالث.

وترجمه الحسيني في الإكمال: ٤٥، فقال: «سقير العبدي، عن سليمان بن صرد الخزاعي، وعنه أبو إسحق السبيعي: ليس بالمشهور». وتعقبه الحافظ في التعجيل: ١٥٧، فقال: «لم يصب في ذلك، فقد ذكروه في حرف الصاد المهملة، ولم يذكر البخاري ولا ابن أبي حاتم فيه قدحاً، وذكره ابن حبان في الثقات»، وهو في الثقات: ٢٢٦، باسم «صقير العبدي».

فإذ تبين أن «العبدي» هذا تابعي ثقة، بتوثيق البخاري أن لم يجرحه، وبذكر ابن حبان إياه في الثقات – كان هذا الإسناد صحيحاً.

ثم إن سقيراً العبدي لم ينفرد بروايته عن سليمان بن صرد. فقد رواه عنه تابعي آخر، ثقة معروف، من مشهوري التابعين، وهو يحيى بن يعمر.

استزده . حتى بلغ ستةً أو سبعةً — الشك من أبي كريب — وقال ابن بشار في حديثه : حتى بلغ سبعةَ أحرف — ولم يَشكّ فيه — وكلٌّ شافٍ كافٍ . ولفظ الحديث لأبي كريب[1] .

٢٧ — حدثني يونس بن عبد الأعلى قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يحيى بن أيوب ، عن حُميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، عن أبيّ بن كعب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه . وقال في حديثه : حتى بلغ ستة أحرف ، قال : اقرأه على سبعة أحرف ، كلٌّ شافٍ كافٍ[2] .

٢٨ — حدثنا محمد بن مرزوق ، قال : حدثنا أبو الوليد ، قال : حدثنا حماد

فرواه أحمد في المسند ٥ : ١٢٤ عن عبد الرحمن بن مهدي ، وعن بهز ، ورواه ابنه عبد الله ابن أحمد عن هدبة بن خالد القيسي ، ورواه أبو داود في السنن رقم : ١٤٧٧ ج ٢ ص ١٠٢ عن أبي الوليد الطيالسي — : كلهم عن همام بن يحيى عن قتادة عن يحيى بن يعمر عن سليمان بن صرد عن أبي ابن كعب ، بنحوه مختصراً . وهذه أسانيد صحاح على شرط الشيخين .

وسيأتي عقب هذا بأسانيد كثيرة ، من أوجه مختلفة ، عن أبي بن كعب بالأرقام ٢٦ — ٣٩ ، ٤٦ .

(١) الحديث ٢٦ — هذا بإسنادين : « محمد بن بشار عن ابن أبي عدي » ، و « أبو كريب عن محمد بن ميمون الزعفراني » ، كلاهما عن حميد الطويل . فالإسناد الأول صحيح على شرط الشيخين دون خلاف . والإسناد الثاني فيه « محمد بن ميمون الزعفراني » ، وهو ثقة ، وثقه ابن معين وأبو داود وغيرهما ، وضعفه البخاري والنسائي وغيرهما .

والحديث صحيح بكل حال ، إذ لم ينفرد بروايته هذان :

فقد رواه أحمد في المسند ٥ : ١١٤ ، ١٢٢ طبعة الحلبي ، مختصراً قليلا ، عن يحيى بن سعيد ، وهو القطان عن حميد الطويل ، بهذا الإسناد . ثم رواه ابنه عبد الله بن أحمد عن محمد بن أبي بكر المقدمي عن بشر بن المفضل ، وعن سويد بن سعيد عن المعتمر بن سليمان ، كلاهما عن حميد الطويل ، بمعناه .

ورواه أيضاً أبو عبيد القاسم بن سلام — فيما نقل عنه ابن كثير في الفضائل : ٥٤ عن يزيد بن هرون ويحيى بن سعيد ، كلاهما عن حميد ، بهذا الإسناد مطولا .

وسيأتي عقب هذا ، رقم : ٢٧ ، من رواية يحيى بن أيوب عن حميد .

وقال ابن كثير ، بعد نقله رواية أبي عبيد : « وقد رواه النسائي من حديث يزيد ، وهو ابن هرون ، ويحيى بن سعيد القطان ، كلاهما عن حميد الطويل عن أنس عن أبي بن كعب ، بنحوه . وكذا رواه ابن أبي عدي ومحمد بن ميمون الزعفراني ويحيى بن أيوب ، كلهم عن حميد ، به » وهذا إشارة منه إلى أسانيد الطبري الثلاثة هنا . وهي كلها أسانيد صحاح .

(٢) الحديث ٢٧ — هو مكرر الحديث قبله . وقد أشرنا إليه في تخريجه .

ابن سلمة ، عن حُميد ، عن أنس بن مالك ، عن عُبادة بن الصّامت ، عن أبيّ ابن كعب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنزل القرآن على سبعة أحرف(١).

٢٩ — حدثنا أبو كريب قال حدثنا حسين بن على ، وأبو أسامة ، عن زائدة ، عن عاصم ، عن زِرّ ، عن أبيّ ، قال : لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عند أحجار المِرَاءِ فقال : إنى بُعثتُ إلى أمة أمّيّين ، منهم الغلامُ والخادمُ والشيخ العاسِي والعجوز ، فقال جبريل : فليقرأوا القرآن على سبعة أحرف(٢). ولفظ الحديث لأبى أسامة .

---

(١) الحديث ٢٨ — وهذا إسناد صحيح أيضاً ، إلا أن حماد بن سلمة زاد « عبادة بن الصامت » بين أنس وأبى بن كعب . وسنبين ذلك ، إن شاء الله .

ومحمد بن مرزوق ، شيخ الطبرى : هو محمد بن محمد بن مرزوق الباهلى ، نسب إلى جده . وهو ثقة ، روى عنه مسلم فى صحيحه والترمذى وابن ماجة وغيرهم . وشيخه أبو الوليد : هو الطيالسى ، واسمه : هشام بن عبد الملك ، إمام حافظ حجة .

والحديث رواه أحمد فى المسند ٥ : ١١٤ طبعة الحلبى ، هكذا مختصراً ، عن عفان عن حماد ابن سلمة ، بهذا الإسناد . ثم رواه بالإسناد نفسه مطولا ، بنحو الرواية الماضية ، فى ٢٦ ، ٢٧ ، ثم رواه عن يحيى بن سعيد عن حميد عن أنس : « أن أبيا قال » — فأشار إلى تلك الرواية ، ثم قال : « ولم يذكر فيه عبادة » .

فالظاهر — عندى — أن حماد بن سلمة هو الذى انفرد بزيادة « عبادة » فى الإسناد . ولعل هذا سهو منه ، فقد رواه الرواة الذين ذكرنا من قبل ، دون هذه الزيادة ، وهم أكثر منه عدداً وأحفظ وأشد إتقاناً .

وأيا ما كان فالحديث صحيح ، سواء أسمعه أنس من أبى بن كعب مباشرة ، أم سمعه من عبادة ابن الصامت عن أبى .

(٢) الحديث ٢٩ — وهذا إسناد صحيح أيضاً . حسين بن على : هو الجعفى . أبو أسامة : هو حماد بن أسامة . زائدة : هو ابن قدامة . عاصم : هو ابن بهدلة ، وهو ابن أبى النجود . زر : هو ابن حبيش .

والحديث رواه أحمد فى المسند ٥ : ١٣٢ عن حسين بن على الجعفى عن زائدة ، وعن أبى سعيد مولى بنى هاشم عن زائدة أيضاً . ونقله ابن كثير فى الفضائل : ٥٩ عن الرواية الأولى من المسند .

ورواه أبو داود الطيالسى فى مسنده رقم : ٥٤٣ عن حماد بن سلمة . ورواه الترمذى ٤ : ٦١ من طريق شيبان ، وهو ابن عبد الرحمن النحوى ، كلاهما عن عاصم ، بهذا الإسناد ، نحوه . قال الترمذى : « هذا حديث حسن صحيح . وقد روى عن أبى بن كعب من غير وجه » .

« أحجار المراء » ، بكسر الميم وتخفيف الراء وبالمد : موضع بقباء ، خارج المدينة ، وقال

٣٠ ــ حدثنا أبو كُريب ، قال : حدثنا ابن نُمير ، قال : حدثنا إسمعيل بن أبي خالد ــ وحدثنا عبد الحميد بن بيان القَنَّاد ، قال : حدثنا محمد بن يزيد الواسطي ، عن إسمعيل ــ عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي لَيْلى ، عن جده ، عن أُبيّ بن كعب ، قال : كنت في المسجد ، فدخل رجلٌ يصلي ، فقرأ قراءة أنكرتُها عليه ، ثم دخل رجلٌ آخر ، فقرأ قراءةً غيرَ قراءة صاحبه ، فدخلنا جميعاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فقلت : يا رسول الله ، إن هذا قرأ قراءةً أنكرتُها عليه ، ثم دخل هذا فقرأ قراءةً غيرَ قراءة صاحبه . فأمرهُما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرآ ، فحسَّن رسول الله صلى الله عليه وسلم شأنَهُما ، فوقع في نفسي من التكذيب ، ولا إذْ كنت في الجاهلية ! فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غَشيني ، ضربَ في صدري ، فَفِضت عَرَقاً ، كأنما أنظر إلى الله فَرَقاً . فقال : لي : يا أُبيّ ، أُرْسِلَ إليّ أن اقرإ القرآنَ على حرف ، فرددت عليه : أنْ هوِّن على أمتي ، فردّ عليّ في الثانية : أن اقرإ القرآن على حرف .

مجاهد : « هي قباء » ، كما في النهاية لابن الأثير ١ : ٢٠٣ ، ٤ : ٩١ ، والقاموس وشرحه ٣ : ١٢٧ ، ووفاء الوفا للسمهودي ٢ : ٢٤٤ . ولم نجد في ذلك خلافاً ، إلا ما ذهب إليه أبو عبيد البكري في معجم ما استعجم : ١١٧ ، إذ زعم أنه « موضع بمكة ، على لفظ جمع "حجر" كانت قريش تتارى عندها ، وهي صفى السباب » ، ثم ذكر هذا الحديث شاهداً ؛ وأنا أرجح أنه وهم منه ، انتقل ذهنه بمناسبة تقارب معنيي اللفظين إلى الظن باتحاد المكانين . فإن « صفى السباب » « موضع بمكة كانت قريش تتارى عندها » كما قال أبو عبيد نفسه في مادة « صفى » : ٨٣٨ ، فانتقل ذهنه فقال عقب ذلك : « وهو الموضع المعروف بأحجار المراء » ! ! و « المراء » : من المماراة ، و « الصفى » ، بضم الصاد وكسر الفاء وتشديد الياء : جمع « صفا » ، و « الصفا » : جمع « صفاة » ، وهي الحجر الصلد الضخم الذي لا ينبت شيئاً .

ومما يؤيد اليقين بما أخطأ فيه أبو عبيد : أن في بعض روايات هذا الحديث الآتية : « عند أضاة بني غفار » ، وهي موضع بالمدينة يقيناً . وقد بين أبو عبيدة نفسه ذلك في : ١٦٤ ، وذكر الحديث بالرواية الآتية أيضاً شاهداً عليه .

وقوله « والشيخ العاسي » ، في مطبوعة الطبري « والشيخ الفاني » ، وفي المخطوطة « العاشي » ، وفي المسند « العاصي » . وكلها بمعنى . و « عسا الشيخ » : إذا كبر وأسن وضعف بصره ويبس جلده وصلب . ومثله « عصا » . وقال الأزهري : عصا : إذا صلب ، كأنه أراد « عسا » بالسين ، فقلبها صاداً » . (اللسان : عصا) .

فرددت عليه أن هوّن على أمتى ، فردّ علىّ فى الثالثة ، أن اقرأه على سبعة أحرف ، ولك بكل رَدّة رَدَدْتُكَها مسألة تسألُنيها فقلت : اللهم اغفر لأمتى ، اللهم اغفر لأمتى ، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلىّ فيه الخلق كلهم حتى إبراهيم . إلا أن ابن بيانَ قال فى حديثه : فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم : قد أصبتم وأحسنتم . وقال أيضاً : فارفضَضت عرقاً(١) . ١٣/١

٣١ ــ حدثنا أبوكُريب ، قال : حدثنا محمد بن فُضيل ، عن إسمعيل بن أبى خالد ، بإسناده عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه ، وقال : قال لى : أعيذُك بالله من الشكّ والتكذيب . وقال أيضاً : إن الله أمرنى أقرأ القرآن على حرفٍ ، فقلت : اللهمّ ربّ خفف عن أمتى . قال : اقرأه على حرفين . فأمرنى أن أقرأه على سبعةِ أحرفٍ ، من سبعة أبوابٍ من الجنة ، كلها شافٍ كافٍ(٢) .

٣٢ ــ حدثنا أبوكريب ، قال : حدثنا وكيع ، عن إسمعيل بن أبى خالد ، عن عبد الله بن عيسى بن أبى ليلى ــ [و] عن ابن أبى ليلى عن الحكم ــ عن ابن أبى ليلى ، عن أبىّ قال : دخلتُ المسجدَ فصليتُ ، فقرأتُ النحل ،

---

(١) الحديث ٢٤ ــ إسناده صحيحان . وعبد الحميد بن بيان القناد ، شيخ الطبرى فى الإسناد الثانى : ثقة من شيوخ مسلم ، ويقال له أيضاً « السكرى » . و « القناد » : نسبة إلى « القند » بفتح القاف وسكون النون ، وهو السكر المصنوع من عسل القصب .

والحديث رواه مسلم ١ : ٢٢٥ عن محمد بن عبد الله بن نمير عن أبيه عن إسمعيل بن أبى خالد ، بهذا الإسناد ، نحوه . ثم رواه عن أبى بكر بن أبى شيبة عن محمد بن بشر عن إسمعيل .

ورواه أحمد فى المسند ٥ : ١٢٧ طبعة الحلبى عن يحيى بن سعيد عن إسمعيل . ورواه ابنه عبد الله فى المسند أيضاً ٥ : ١٢٨ ــ ١٢٩ ، عن وهب بن بقية عن خالد بن عبد الله ، وهو الطحان ، عن إسمعيل . ونقله ابن كثير فى الفضائل : ٥٥ عن رواية أحمد . ارفضاض العرق : تتابع سيلانه .

(٢) الحديث ٣١ ــ إسناده صحيح أيضاً . وهو مكرر الحديث قبله .

ونقله ابن كثير فى الفضائل : ٥٥ عن الطبرى فى هذا الموضع ، واقتصر فيه على آخره ، من أول قوله « إن الله أمرنى » . ولكن وقع فيه خطأ فى الإسناد « عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن أبيه عن جده » ! فزيادة « عن أبيه » خطأ ناسخ أو طابع ، ليست فى الطبرى ، ولا موضع لها ، لأن عيسى روى هذا الحديث عن جده مباشرة ، كما فى الإسناد الماضى .

وقوله « أمرنى أقرأ القرآن » : هو على تقدير « أن » ، وهى ثابتة فى المطبوعة وابن كثير ، ومحذوفة فى المخطوطة .

ثم جاء رجل آخر فقرأها على غير قراءتى ، ثم جاء رجل آخرَ فقرأ خِلافَ قراءتِنا ، فدخل نفسى من الشكّ والتكذيب أشدُّ مما كنتُ فى الجاهلية ، فأخذتُ بأيديهما فأتيتُ بهما النبى صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ، استقرئْ هذين . فقرأ أحدُهما ، فقال : أصبتَ . ثم استقرأ الآخر ، فقال : أصبتَ . فدخل قلبى أشدُّ مما كان فى الجاهلية من الشكّ والتكذيب ، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدرى ، وقال : أعاذك الله من الشكّ ، وأخْسأ عنك الشيطانَ . قال إسمعيل : ففِضْتُ عرقاً — ولم يقله ابنُ أبى ليلى — قال : فقال : أتانى جبريلُ فقال : اقرأ القرآن على حرف واحد . فقلت : إن أمّتى لاتستطيعُ . حتّى قال سبع مرات ، فقال لى : اقرأ على سبعة أحرفٍ ، ولك بكل ردة رُدِدتها مسألة . قال : فاحتاجَ إلىّ فيها الخلائق ، حتّى إبراهيم صلى الله عليه وسلم(١) .

---

(١) الحديث ٣٢ — هو بإسنادين ، أحدهما متصل صحيح ، والآخر ظاهره الاتصال . وسنبين ذلك تفصيلا ، إن شاء الله .

وقد وقع هنا فى نسخ الطبرى خطأ من الناسخين ، بحذف واو العطف قبل قوله « عن ابن أبى ليلى عن الحكم » . ولذلك زدناها بعلامة الزيادة [و] . بأنا على يقين أن حذفها يجعله إسناداً واحداً ، ويكون إسناداً مضطرباً لا يفهم .

والذى أوقع الناسخين فى الخطأ ، والذى يوقع القارىء فى الاشتباه والاضطراب ، تكرار « عن ابن أبى ليلى» فى الإسناد . وهما اثنان ، بل ثلاثة : فالأول صرح باسمه فيه ، وهو : «عبد الله بن عيسى ابن عبد الرحمن بن أبى ليلى» ، والثانى : «محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى » هم عيسى ، والثالث : « عبد الرحمن بن أبى ليلى » التابعى .

فالطبرى روى هذا الحديث عن أبى كريب محمد بن العلاء عنْ وكيع بن الجراح . ثم يفترق الإسنادان فوق وكيع :

فرواه وكيع عن إسمعيل بن أبى خالد « عن عبد الله بن عيسى بن أبى ليلى » ، وهو « عبد الله ابن عيسى بن عبد الرحمن بن أبى ليلى» .

ورواه وكيع أيضاً « عن ابن أبى ليلى » ، وهو« محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى » ، عن الحكم ، وهو « الحكم بن عتيبة » .

ثم يجتمع الإسنادان مرة أخرى :

فيرويه « عبد الله بن عيسى » عن جده « عبد الرحمن بن أبى ليلى » عن أبى بن كعب ، كالإسنادين الماضيين ٣٠ ، ٣١ . وهو إسناد متصل .

٣٣ – حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عبد الله ، عن ابن أبي ليلى ، عن الحكم ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبيّ ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه(١) .

٣٤ – حدثني أحمد بن محمد الطوسي ، قال : حدثنا عبد الصمد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا محمد بن جُحادة ، عن الحكم – هو ابن عُتَيْبة – عن مجاهد ، عن ابن أبي ليلى ، عن أبيّ بن كعب ، قال : أتى جبريلُ النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو عند أضَاة بني غِفار فقال : إن الله تبارك وتعالى يأمرك أن تُقرئ أمتك القرآنَ على سبعة أحرفٍ ، فمن قرأ منها حرفاً فهو كما قرأ(٢) .

ويرويه الحكم بن عتيبة عن « ابن أبي ليلى » ، وهو « عبد الرحمن » عن أبي بن كعب ، وهذا إسناد ظاهره الاتصال ، إلا أن فيه شبهة الانقطاع ، لأن الحكم بن عتيبة وإن كان يروى عن عبدالرحمن بن أبي ليلى كثيراً ، إلا أنه في هذا الحديث بعينه رواه عنه بواسطة مجاهد ، كما سيأتي في الأسانيد رقم : ٣٤ – ٣٧ ، وفيما سنذكر هناك إن شاء الله من التخريج .

ومن المحتمل جداً أن يكون الحكم سمعه من عبد الرحمن بن أبي ليلى نفسه ، وسمعه من مجاهد عنه ، فرواه على الوجهين . وهذا كثير في الرواية ، معروف مثله عند أهل العلم .

وإذا لم يكن الحكم سمعه من « عبد الرحمن بن أبي ليلى » ، فتكون الرواية التي هنا – كالرواية التالية رقم : ٣٣ – خطأ من « محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى » ، فإنه وإن كان فقيهاً صدوقاً ، إلا أنه « كان سيء الحفظ مضطرب الحديث » ، كما قال الإمام أحمد بن حنبل وغيره .

وليعلم أن « محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى » كان أصغر من ابن أخيه « عبد الله بن عيسى ابن أبي ليلى » ، وكان يروى عنه ، ولا يروى عن أبيه « عبد الرحمن » إلا بالواسطة ، وأما ابن أخيه « عبد الله بن عيسى » فقد أدرك جده وروى عنه مباشرة .

وعلى كل حال فالحديث صحيح بالروايات المتصلة ، ولا تؤثر في صحته رواية محمد بن عبد الرحمن إن ظهر عدم اتصالها .

(١) الحديث ٣٣ – إسناده كالإسناد قبله : « ابن أبي ليلى » ، هو « محمد بن عبد الرحمن » يرويه عن أبيه « عبد الرحمن » بواسطة « الحكم بن عتيبة » .

وأما « عبد الله » شيخ أبي كريب ، فالظاهر عندي أنه « عبد الله بن نمير » ، إذ روايته عن محمد بن عبد الرحمن أبي ليلى ثابتة عندي في المسند في حديث آخر ، هو الحديث رقم : ٢٨٠٩ هناك .

(٢) الحديث ٣٤ – إسناده صحيح . عبد الصمد : هو ابن عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان البصري وهو وأبوه من الأعلام الثقات . محمد بن جحادة – بضم الجيم وتخفيف الحاء المهملة ، ثقة عابد زاهد من أتباع التابعين .

وهذا الحديث مختصر ، وسيأتي عقبه مطولا بثلاثة أسانيد رقم : ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، من طريق

٣٥ ـ حدثنا محمد بن المثنى ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، عن ابن أبي ليلى ، عن أبيّ ابن كعب : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند أضاة بني غِفار ، قال : فأتاه جبريلُ فقال : إن الله يأمرك أن تُقرئ أمتك القرآنَ على حرفٍ . قال : أسألُ الله مُعَافاته ومغفرتَه ، وإن أمتي لا تطيق ذلك . قال : ثم أتاه الثانية فقال : إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرفين . قال : أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتي لا تطيق ذلك . ثم جاءه الثالثة فقال : إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآنَ على ثلاثة أحرف . قال : أسأل اللهُ معافاته ومغفرته ، وإن أمتي لا تطيق ذلك . ثم جاءه الرابعة فقال : إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القـرآنَ على سبعة أحرف ، فأيّما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا[1] .

٣٦ ـ حدثنا محمد بن المثنى ، قال : حدثنا ابن أبي عدى ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، عن ابن أبي ليلى ، قال : أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عند أضاة بني غفار ـ فذكر نحوه[2] .

٣٧ ـ حدثنا أبو كريب ، قال حدثنا موسى بن داود ، قال : حدثنا شعبة ـ وحدثنا الحسن بن عرَفة ، قال : حدثنا شبابة قال : حدثنا شعبة ـ عن الحكم ، ١٤/١

شعبة عن الحكم بن عتيبة . وسيأتي مطولا أيضاً رقم : ٤٦ من طريق عبد الوارث عن محمد بن جحادة . ورواه أحمد في المسند ٥ : ١٢٨ ، مطولا أيضاً ، من طريق عبد الوارث .

(١) الحديث ٣٥ ـ رواه أبو داود الطيالسي في مسنده رقم : ٥٥٨ ، عن شعبة . ورواه أحمد في المسند ٥ : ١٢٧ ـ ١٢٨ ، عن محمد بن جعفر عن شعبة . ورواه مسلم ١ : ٢٢٥ ـ ٢٢٦ ، عن محمد بن المثنى وغيره عن محمد بن جعفر . ورواه أبو داود السجستاني في السنن رقم : ٢/١٤٧٨ : ١٠٢ عن محمد بن المثنى أيضاً .

ونقله ابن كثير في الفضائل ٥٨ ـ ٥٩ عن هذا الموضع من تفسير الطبري . وقال : « وأخرجه مسلم وأبو داود والنسائي ، من رواية شعبة ، به » .

(٢) الحديث ٣٦ ـ هو مكرر الحديث قبله .

عن مجاهد ، عن ابن أبي ليلى ، عن أبيّ بن كعب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه(١) .

٣٨ – حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني هشام بن سعد ، عن عبيدالله بن عمر ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبيّ بن كعب أنه قال : سمعتُ رجلا يقرأ في سورة النحل قراءةً تخالفُ قراءتي ، ثم سمعت آخر يقرؤها قراءةً تخالف ذلك ، فانطلقتُ بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : إني سمعت هذين يقرآن في سورة النحل ، فسألتُهما : من أقرأهما ؟ فقالا : رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت : لأذهبن بكما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ خالفتما ما أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحدهما : اقرأ . فقرأ ، فقال : أحسنتَ . ثم قال للآخر : اقرأ . فقرأ ، فقال : أحسنتَ . قال أبيّ : فوجدتُ في نفسي وسوسة الشيطان ، حتى احمرّ وجهي ، فعرف ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهي ، فضرب بيده في صدري ، ثم قال : اللهمّ أخْسِئْ الشيطانَ عنه ! يا أبيّ ، أتاني آتٍ من ربي فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفٍ واحد . فقلت : ربِّ خفف عني . ثم أتاني الثانية فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد . فقلت : رب خفف عن أمتي . ثم أتاني الثالثة فقال مثل ذلك ، وقلت مثله . ثم أتاني الرابعة فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ القرآنَ على سبعة أحرف ، ولك بكل رَدّة مسألة . فقلت : يا رب اغفر لأمتي ، يا رب اغفر لأمتي . واختبأتُ الثالثة شفاعةً لأمتي يوم القيامة(٢) .

---

(١) الحديث ٣٧ – هو مكرر ما قبله أيضاً . وهو بإسنادين عن شعبة . و« شبابة » في الإسناد الثاني : هو شبابة بن سوار الفزاري المدائني ، وهو ثقة ، أخرج له أصحاب الكتب الستة .

(٢) الحديث ٣٨ – هذا الإسناد نقله ابن كثير في الفضائل : ٥٦–٥٧ ، وقال : « إسناد صحيح » . وأشار إليه الحافظ ابن حجر في الفتح ٩ : ٢١ . وعبيد الله ، الراوي عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى : هو عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، وهو إمام ثقة حجة ، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، وكان أحمد بن حنبل يقدمه على مالك وعلى غيره في الرواية عن نافع ،

٣٩ ــ حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعانى ، قال : حدثنا المعتمر بن سليمان، قال: سمعت عُبيد الله بن عمر ،عن سيّارٍ أبى الحكم، عن عبدالرحمن بن أبى ليلى، رَفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم: ذكر أن رَجُلين اختصما فى آية من القرآن ، وكلٌّ يزعم أن النبى صلى الله عليه وسلم أقرأه ، فتقارآ إلى أبىّ ، فخالفهما أبىّ ، فتقارَؤُا إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا نبى الله ، اختلفنا فى آية من القرآن ، وكلنا يزعم أنك أقرأته . فقال لأحدهما : اقرأ . قال : فقرأ ، فقال : أصبتَ . وقال للآخر : اقرأ . فقرأ خلافَ ما قرأ صاحبُه، فقال : أصبتَ . وقال لأبىّ : اقرأ . فقرأ فخالفهما ، فقال : أصبتَ . قال أبىّ : فدخلنى من الشكّ فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دَخل فىّ من أمر الجاهلية ، قال : فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى فى وجهى ، فرفع يدَه فضرب صدرى ، وقال : استعذْ بالله من الشيطان الرجيم ، قال : ففِضْتُ عرَقاً ،وكأنى أنظرُ إلى الله فَرَقاً . وقال : إنه أتانى آتٍ من ربىّ فقال: إن ربّك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد . فقلت : رب خفّف عن أمّتى . قال : ثم جاء فقال : إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد . فقلت : رب خفف عن أمّتى . قال : ثم جاء الثالثة فقال : إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد . فقلت : رب خفف عن أمّتى . قال : ثم جاءنى الرابعة فقال : إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف ، ولك بكل رَدّة مسألة . قال : قلت : ربّ اغفر لأمّتى ، رب اغفر لأمّتى ، واختبأت الثالثة شفاعةً

ويقول : « عبيد الله أثبتهم وأحفظهم وأكثرهم رواية » . وفى ترجمته فى التهذيب ٧ : ٤٠ : « وقال الحربى: لم يدرك عبد الرحمن بن أبى ليلى » . وأنا أرجح أن هذا خطأ من الحربى، فإن عبد الرحمن مات سنة ٨٢ أو ٨٣ ، وعبيد الله مات سنة ١٤٤ أو ١٤٥ ، فالمعاصرة ثابتة ، وهى كافية فى إثبات اتصال الرواية ، إذا لم يكن الراوى مدلساً ، وما كان عبيد الله ذلك قط . ولذلك جزم ابن كثير بصحة الإسناد .

قوله فى المرة الأولى « رب خفف عنى » ، فى الفضائل لابن كثير « رب خفف عن أمتى » .

لأمتى ، حتى إن إبراهيم خليلَ الرحمن ليرغبُ فيها[1].

٤٠ – حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا زيد بن الحُبَاب ، عن حمّاد بن سلمة ، عن على بن زيد ، عن عبد الرحمن بن أبى بكرة ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال جبريل : اقرأوا القرآنَ على حرف . فقال ميكائيل : استزده . فقال : على حرفين . حتى بلغَ ستة أو سبعة أحرف ، فقال : كلها شافٍ كافٍ ، ما لم يختم آيةَ عذاب برحمة ، أو آية رحمة بعذاب . كقولك : هلمَّ وتعالَ[2] .

٤١ – حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى سليمان بن بلال ، عن يزيد بن خصيفة ، عن بُسر بن سعيد : أن أبا جُهيم الأنصارى أخبره : أن رجلين اختلفا فى آية من القرآن ، فقال هذا : تلقَّيتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال الآخر : تلقَّيتها من رسول الله صلى الله ١٥/١

---

(١) الحديث ٣٩ – وهذا إسناد صحيح إلى عبد الرحمن بن أبى ليلى ، ولكنه مرسل ، إذ لم يذكر ابن أبى ليلى عمن رواه من الصحابة . وهو مؤيد بروايات ابن أبى ليلى الماضية عن أبى بن كعب ، فهو كالمتصل معنى .

و « سيار أبو الحكم » : هو العنزى الواسطى ، ثقة ثبت صدوق فى كل المشايخ ، كما قال أحمد ابن حنبل ، مات سنة ١٢٢ . وفى التاريخ الكبير للبخارى : ٢ / ٢ / ١٦٢ : « قال ابن عيينة : شيع سيار أبو الحكم عبيد الله بن عمر من الكوفة إلى المدينة ، فأمر له بألف درهم ، فقال : لم أشيعك لهذا ، ولكن قلت : رجل صالح ، فأردت أن أشيعك » .

(٢) الحديث ٤٠ – سيأتى مرة أخرى ، بهذا الإسناد واللفظ ، برقم : ٤٧ .

ورواه أحمد فى المسند ٥ : ٥١ طبعة الحلبى ، عن عفان عن حماد بن سلمة ، بنحوه . ورواه أيضاً ٥ : ٤١ عن عبد الرحمن بن مهدى عن حماد بن سلمة ، بشىء من الاختصار .

ونقله الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧ : ١٥١ ، وقال : « رواه أحمد ، والطبرانى بنحوه ، إلا أنه قال : واذهب وأدبر . وفيه على بن زيد بن جدعان ، وهو سيىء الحفظ ، وقد توبع ، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح » .

ونقله ابن كثير فى الفضائل : ٦٢ – ٦٣ عن الرواية المختصرة من المسند ، ثم قال : « وهكذا رواه ابن جرير عن أبى كريب عن زيد بن الحباب عن حماد بن سلمة ، به . وزاد فى آخره : كقولك هلم وتعال » . وهذه الزيادة ثابتة فى الرواية المطولة فى المسند ٥ : ٥١ بلفظ : « نحو قولك : تعال ، وأقبل ، وهلم ، واذهب ، وأسرع ، واعجل » .

عليه وسلم ، فسألا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عنها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فلا تَمارَوْا فى القرآن ، فإنّ المِراء فيه كفرٌ(١) .

٤٢ — حدثنا يونس ، قال : أخبرنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، قال : قال

(١) الحديث ٤١ — رواه أحمد فى المسند رقم : ١٧٦١٥ (٤ : ١٦٩ — ١٧٠ حلبى) ، عن أبى سلمة الخزاعى عن سليمان بن بلال ، بهذا الإسناد . ونقله ابن كثير فى الفضائل ٦٤ — ٦٥ عن المسند ، وقال : « وهذا إسناد صحيح أيضاً ، ولم يخرجوه » ، يعنى أصحاب الكتب الستة . ونقله الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧ : ١٥١ وقال : « رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح » .

ونقله ابن كثير قبل ذلك ، عن أبى عبيد القاسم بن سلام ، قال : « حدثنا إسمعيل بن جعفر عن يزيد بن خصيفة عن مسلم بن سعيد مولى الحضرى — وقال غيره : عن بسر بن سعيد — عن أبى جهيم الأنصارى : أن رجلين اختلفا » ، إلخ . ثم قال ابن كثير : « وهكذا رواه أبو عبيد على الشك ! وقد رواه الإمام أحمد على الصواب » ، ثم نقل رواية المسند .

وما كانت رواية أبى عبيد على الشك ، كما زعم ابن كثير ، إنما الحديث طريقان : إسمعيل ابن جعفر ، يرويه عن يزيد بن خصيفة عن «مسلم بن سعيد » . وسليمان بن بلال ، يرويه عن يزيد ابن خصيفة عن « بسر بن سعيد » ، وهو أخو مسلم بن سعيد . فأشار أبو عبيد أثناء الإسناد إلى الرواية الأخرى ، دون أن يذكر إسنادها .

وقد ذكر البخارى الروايتين فى التاريخ الكبير : ٤ / ١ / ٢٦٢ ، فى ترجمة « مسلم بن سعيد مولى ابن الحضرى » ، فأشار إلى أنه روى هذا الحديث عن أبى جهيم ، وقال : « قاله إسمعيل ابن جعفر عن يزيد بن خصيفة . وقال سليمان بن بلال عن يزيد بن خصيفة عن بسر بن سعيد عن أبى جهيم » . فأثبت بذلك الروايتين ، لم يجعل إحداهما علة للأخرى . فيكون يزيد بن خصيفة سمع الحديث من الأخوين : مسلم وبسر ، ابنى سعيد .

ومن عجب أن الحافظ أشار فى الإصابة ٧ : ٣٥ إلى رواية هذا الحديث من طريق مسلم ابن سعيد ، ونسبها للبغوى فقط ، ثم لم يشر إلى رواية بسر بن سعيد ، فأبعد جداً ! !

و « أبو جهيم الأنصارى » هذا : اسمه « عبد الله بن الحرث بن الصمة » ، وقيل فى اسمه أقوال أخر . ووقع فى هذا الحديث فى مطبوعة الطبرى ومجمع الزوائد والفضائل لابن كثير « عن أبى جهم » ، وهو خطأ مطبعى فى غالب الظن ، لأنه ثابت فى المسند « أبو جهيم » . وقال الحافظ فى الفتح ١ : ٣٧٤ — ٣٧٥ ، فى حديث آخر له عند البخارى : « وقع فى مسلم [يعنى صحيح مسلم] : دخلنا على أبى الجهم ، بإسكان الهاء ، والصواب أنه بالتصغير ، وفى الصحابة شخص آخر يقال له أبو الجهم ، وهو صاحب الأنبجانية ، وهو غير هذا ، لأنه قرشى ، وهذا أنصارى ، ويقال بحذف الألف واللام فى كل منهما ، وبإثباتهما » .

وقد أشار الحافظ إلى هذا الحديث فى الفتح ٩ : ٢٣ ، ونسبه لأحمد وأبى عبيد والطبرى . ووقع فيه فى هذا الموضع « أبى جهم » ، بدون تصغير ، وهو خطأ مطبعى أيضاً .

و « بسر بن سعيد » : بضم الباء وسكون السين المهملة . ووقع فى مطبوعة الطبرى « بشر » ، وهو خطأ مطبعى .

النبي صلى الله عليه وسلم : أنزل القرآن على سبعة أحرف ، كلها شاف كاف(١) .

٤٣ — حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، أخبرني سليمان بن بلال ، عن أبي عيسى بن عبد الله بن مسعود ، عن أبيه ، عن جده عبد الله بن مسعود : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أمِرتُ أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف ، كلٌّ كافٍ شافٍ(٢) .

٤٤ — حدثنا أحمد بن حازم الغِفاري ، قال : حدثنا أبو نُعيم ، قال : حدثنا أبو خَلْدة ، قال : حدثني أبو العالية ، قال : قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل خمسٍ رَجلٌ ، فاختلفوا في اللغة ، فرضي قراءتهم كلِّهم ، فكان بنو تميم أعرَبَ القوم(٣) .

٤٥ — حدثنا عمرو بن عثمان العثماني ، قال : حدثنا ابن أبي أويس ، قال : حدثنا أخي ، عن سليمان بن بلال ، عن محمد بن عجلان ، عن المقبري ، عن أبي

---

(١) الحديث ٤٢ — يونس : هو ابن عبد الأعلى . سفيان : هو ابن عيينة . وهذا حديث مرسل ، لأن عمرو بن دينار تابعي ، فروايته عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلة .

(٢) الحديث ٤٣ — هذا إسناد مشكل ، لم أجد له وجهاً يعرف . فظاهره أن «أبا عيسى بن عبد الله بن مسعود» يروي عن أبيه عن جده ، فالجد ظاهراً أنه «مسعود» ، ولكنه صرح بأنه «عبد الله بن مسعود» ! فيكون «أبو عيسى» ليس ابن «عبد الله بن مسعود» ، بل ابن ابنه ، نسب إلى جده . ولا بأس بذلك إن كان له أصل . ولكن ليس في الرواة الذين تراجمهم عندنا من يسمى أو يكنى «أبا عيسى» ، من ذرية ابن مسعود . ولا نعرف لابن مسعود من الولد إلا اثنين : عبد الرحمن ، وفي سماعه من أبيه خلاف ، والراجح أنه سمع منه . وأبو عبيدة ، واسمه «عامر» ، ولم يسمع من أبيه ، تركه صغيراً .

فهذا إسناد محرف يقيناً ، ما صوابه ؟ لا ندري . ولا نستطيع أن نتخيل فيه احتمالات لتصحيحه . الرواية أمانة ، لا تؤخذ بالرأي ولا بالقياس ولا بالخيال .

وأما لفظ الحديث ، فقد ذكره السيوطي في زيادات الجامع الصغير . بهذا اللفظ ١ : ٢٦٠ من الفتح الكبير ، ونسبه لابن جرير عن ابن مسعود . ولم نجده في موضع آخر من الدواوين التي فيها الروايات بالإسناد . وقد يوفق الله غيرنا لوجوده ، إن شاء الله .

(٣) الحديث ٤٤ — هذا مرسل ، لأن أبا العالية تابعي ، يروي عن الصحابة ، وأبو العالية : هو رفيع ، بضم الراء ، بن مهران ، بكسر الميم ، الرياحي ، بكسر الراء وتخفيف الياء الأولى . وأبو خلدة بفتح الخاء وسكون اللام : هو خالد بن دينار السعدي .

هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرأوا ولا حرَج ، ولكن لاتختموا ذكرَ رحمة بعذابٍ ، ولا ذكر عذابٍ برحمة(١) .

٤٦ — حدثنا محمد بن مرزوق، قال: حدثنا أبو مَعْمر عبدالله بن عمرو بن أبي الحجاج ، قال: حدثنا عبد الوارث قال: حدثنا محمد بن جُحادة عن الحكَم ابن عُتيبة ، عن مجاهد، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبيّ بن كعب ، قال: أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم جبريلُ ، وهو بأضاة بنى غِفَار ، فقال : إن الله يأمرك أن تُقرئ أمتك القرآنَ على حرف واحد . قال : فقال : أسأل الله مغفرَته ومعافاته — أو قال : ومعافاته ومغفرته — سل الله لهم التخفيف ، فإنهم لا يُطيقون ذلك . فانطلقَ ثم رجع ، فقال : إن الله يأمرك أن تُقرئ أمتك القرآن على حرفين . قال : أسأل الله مغفرَته ومعافاته — أو قال : معافاته ومغفرته — إنهم لا يطيقون ذلك ، فسل الله لهم التخفيف . فانطلق ثم رجع ، فقال : إن الله يأمرُك أن تقرئ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف . فقال : أسأل الله مغفرته ومعافاته — أو قال : معافاته ومغفرَته — إنهم لا يطيقون ذلك ، سل الله لهم التخفيف . فانطلق ثم رجع ، فقال : إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف ، فمن قرأ منها بحرف فهو كما قرأ(٢) .

قال أبو جعفر(٣) : صحّ وثبتَ أنّ الذى نزل به القرآن من ألسن العرب

---

(١) الحديث ٤٥ — ابن أبي أويس: هو إسمعيل بن عبد الله بن عبد الله بن أويس المدنى، ابن أخت مالك بن أنس ونسيبه . أخوه: هو أبو بكر عبد الرحمن بن عبد الله . والمقبرى: هو سعيد بن أبي سعيد . وهذا الحديث ، بهذا الإسناد واللفظ ، لم أجده فى موضع آخر ، وإسناده صحيح على شرط الشيخين . وقد مضى لأبي هريرة حديثان بثلاثة أسانيد ، بالأرقام : ٧ — ٩ .

(٢) الحديث ٤٦ — مضى الحديث مختصراً ، رقم : ٣٤ ، من طريق محمد بن جحادة . وأشرنا إليه هناك .

(٣) هذا جواب قوله فى أول الباب ، ص ٢١ س ١٤ : « فإذ كان ذلك كذلك ، وكانت الأخبار قد تظاهرت عنه صلى الله عليه وسلم ، بما حدثنا به خلاد بن أسلم . . . صح وثبت » ، إلخ . وقد نقل ابن كثير فى فضائل القرآن ٦٩ — ٧٠ بعض كلام الطبرى هنا ، واختصره اختصاراً .

البعضُ منها دون الجميع ، إذ كان معلوماً أن ألسنتها ولغاتها أكثرُ من سبعة ، بما يُعْجَزُ عن إحصائه .

فإن قال : وما برهانك على أن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : « نزل القرآن على سبعة أحرف » ، وقوله : « أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف » ، هو ما ادَّعيتَ — من أنه نزل بسبع لغات ، وأمرَ بقراءته على سبعة ألسُن — دون أن يكونَ معناهُ ما قاله مخالفوك ، من أنه نزل بأمر وزجر وترغيب وترهيب وقَصَص ومَثَل ونحو ذلك من الأقوال ؟ فقد علمتَ قائلَ ذلك من سلف الأمة وخيار الأئمة .

قيل له : إنّ الذين قالوا ذلك لم يدَّعوا أن تأويلَ الأخبار التي تقدم ذكرُناها ، هو ما زعمتَ أنهم قالوه في الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن دون غيره ، فيكونَ ذلك لقولنا مخالفاً ، وإنما أخبروا أن القرآن نزل على سبعة أحرف ، يعنون بذلك أنه نزل على سبعة أوجهٍ . والذي قالوه من ذلك كما قالوا . ١٦/١

وقد روَينا — بمثل الذي قالوا من ذلك — عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وعن جماعة من أصحابه ، أخباراً قد تقدم ذكرُنا بعضها ، ونستقصي ذكر باقيها ببيانه ، إذا انتهينا إليه ، إن شاء الله .

فأما الذي تقدم ذكرُناه من ذلك ، فخبر أبيّ بن كعب ، من رواية أبي كُريب ، عن ابن فضيل ، عن إسمعيل بن أبي خالد ، الذي ذكر فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرفٍ ، من سبعة أبواب من الجنة » .

والسبعة الأحرف : هو ما قلنا من أنه الألسن السبعة . والأبواب السبعة من الجنة : هي المعاني التي فيها ، من الأمر والنهي والترغيب والترهيب والقصص والمثَل ، التي إذا عَمل بها العامل ، وانتهى إلى حدودها المنتهى ، استوجب به الجنة . وليس والحمد لله في قول من قال ذلك من المتقدمين ، خلافٌ لشيء مما قلناه .

والدلالةُ على صحة ما قلناه — من أنّ معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم « نزل القرآن على سبعة أحرف » ، إنما هو أنه نزل بسبع لغات ، كما تقدم ذكرناه من الروايات الثابتة عن عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن مسعود ، وأبيّ بن كعب ، وسائر من قدمنا الرواية عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في أول هذا الباب — أنهم تمارَوْا في القرآن ، فخالف بعضهم بعضاً في نفْس التلاوة ، دون ما في ذلك من المعاني ، وأنهم احتكموا فيه إلى النبي صلى الله عليه وسلم (١) ، فاستقرأ كلَّ رجل منهم ، ثم صوَّب جميعَهُم في قراءتهم على اختلافها ، حتى ارتاب بعضُهم لتصويبه إياهم ، فقال صلى الله عليه وسلم للذي ارتاب منهم عند تصويبه جميعَهم : « إنّ الله أمرني أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف » .

ومعلوم أن تماريهم فيما تمارَوْا فيه من ذلك ، لو كان تمارياً واختلافاً فيما دلت عليه تلاواتهم من التحليل والتحريم والوعد والوعيد وما أشبه ذلك ، لكان مستحيلا أن يُصوِّب جميعهم ، ويأمرَ كل قارئ منهم أن يلزم قراءته في ذلك على النحو الذي هو عليه . لأن ذلك لو جاز أن يكون صحيحاً ، وجبَ أن يكون الله جلّ ثناؤه قد أمرَ بفعل شيء بعينه وفرَضَه ، في تلاوة من دلّت تلاوته على فرضه — ونهى عن فعل ذلك الشيء بعينه وزَجر عنه ، في تلاوة الذي دلت تلاوته على النهي والزجر عنه ، وأباح وأطلق فعلَ ذلك الشيء بعينه ، وجعل لمن شاء من عباده أن يفعله فيعْلَه ، ولمن شاء منهم أن يتركه تَرْكَه (٢) ، في تلاوة من دلت تلاوته على التخيير !

وذلك من قائله إنْ قاله ، إثباتُ ما قد نفى الله جل ثناؤه عن تنزيله وحُكْم كتابه فقال : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ، وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [سورة النساء : ٨٢] .

---

(١) في المخطوطة : « وأنهم اختلفوا فيه إلى النبي صلى الله عليه وسلم » . وكل صواب .

(٢) أي : جعل له فعله ، وجعل له تركه . و « جعل » هنا ، بمعنى : أباح وأذن .

وفى نفْى الله جلّ ثناؤه ذلك عن حُكْم كتابه، أوضحُ الدليل على أنه لم ينزل كتابه على لسان محمد صلى الله عليه وسلم إلا بحكمٍ واحدٍ متفق فى جميع خلقه، لا بأحكام فيهم مختلفة.

وفى صحّة كون ذلك كذلك، ما يبطل دعوى من ادّعى خلاف قولنا فى تأويل قول النبى صلى الله عليه وسلم: «أنزِل القرآن على سبعة أحرف» للذين تخاصموا إليه عند اختلافهم فى قراءتهم. لأنه صلى الله عليه وسلم قد أمرَ جميعهم بالثبوت على قراءته، ورضى قراءة كل قارئ منهم — على خلافها قراءةَ خصومه ومنازعيه فيها — وصوّبها. ولو كان ذلك منه تصويباً فيما اختلفت فيه المعانى، وكان قولُه صلى الله عليه وسلم: «أنزل القرآن على سبعة أحرف» إعلاماً منه لهم أنه نزل بسبعة أوجُهٍ مختلفة، وسبعة معان مفترقة — كان ذلك إثباتاً لما قد نفى الله عن كتابه من الاختلاف، ونفياً لما قد أوجب له من الائتلاف. مع أنّ فى قيام الحجة بأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يقض فى شىء واحد فى وقت واحد بحكمين مختلفين، ولا أذن بذلك لأمته — ما يُغْنى عن ١٧/١
الإكثار فى الدلالة على أن ذلك منفىٌّ عن كتاب الله.

وفى انتفاء ذلك عن كتاب الله، وجوبُ صحة القول الذى قلناه، فى معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم: «أنزل القرآن على سبعة أحرف»، عند اختصام المختصمين إليه فيما اختلفوا فيه من تلاوة ماتلَوْه من القرآن، وفسادِ تأويل قول من خالف قولنا فى ذلك.

وأحْرى أنّ الذين تمارَوْا فيما تمارَوْا فيه من قراءتهم فاحتكموا إلى النبى صلى الله عليه وسلم، لم يكن منكَراً عند أحد منهم أن يأمرَ الله عبادَه جلّ ثناؤه فى كتابه وتنزيله بما شاء، وينهى عما شاء، ويعِدَ فيما أحبَّ من طاعاته، ويوعِدَ على معاصيه، ويحْتِمَ لنبيه ويعظه فيه(١)، ويضربَ فيه لعباده الأمثال — فيُخاصمَ

(١) فى المطبوعة «ويحتج لنبيه»، بدل «ويحتم». وفى إحدى المخطوطات «ويعظ»، بغير الضمير وبغير «فيه». وأما الأخرى فليس فيها «ويعظه فيه»، بل «ويحتم لنبيه صلى الله عليه وسلم». و «حتم الأمر»: قضاه، أى: يقضى لنبيه ويكتب له وعليه.

غيرَه على إنكاره سماعَ ذلك من قارئه (١) . بل على الإقرار بذلك كلّه كان إسلامُ من أسلم منهم . فما الوجهُ الذى أوجبَ له إنكارَ ما أنكر ، إن لم يكن كان ذلك اختلافاً منهم فى الألفاظ واللغات ؟ .

وبعد ، فقد أبان صحةَ ما قلنا الخبرُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نصًّا . وذلك الخبر الذى ذكرنا :

٤٧ — أنّ أبا كُريب حدثنا قال : حدثنا زيد بن الحباب ، عن حماد ابن سلمة ، عن على بن زيد ، عن عبد الرحمن بن أبى بكرة ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال جبريل : اقرإ القرآنَ على حرف . قال ميكائيل عليه السلام : استزِدْه . فقال : على حرفين . حتى بلغ ستّة أو سبعةَ أحرف ، فقال : كلها شافٍ كافٍ ، ما لم يختم آيةَ عذاب بآية رحمة ، أو آيةَ رحمة بآية عذاب ، كقولك : هلمّ وتعال(٢) .

فقد أوضح نصُّ هذا الخبر أنّ اختلاف الأحرف السبعة ، إنما هو اختلاف ألفاظ ، كقولك « هلم وتعال » باتفاق المعانى ، لا باختلاف معانٍ موجبةٍ اختلافَ أحكامٍ .

وبمثل الذى قلنا فى ذلك صحت الأخبارُ عن جماعة من السّلَف والخلف .

٤٨ — حدثنى أبو السائب سَلْمُ بن جُنادة السُّوَائى ، قال : حدثنا أبو معاوية — وحدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا ابن أبى عدىّ عن شعبة — جميعاً عن الأعمش ، عن شقيق ، قال : قال عبد الله : إنى قد سمعت إلى القرَأة ، فوجدتُهم متقاربين فاقرأوا كما عُلِّمتم ، وإياكم والتنطع ، فإنما هو كقول أحدكم : هلم وتعال(٣) .

---

(١) يقول : « لم يكن منكراً عند أحد منهم . . . فيخاصم غيره » . فأطال الفصل .

(٢) الحديث ٤٧ — مضى الحديث بهذا الإسناد ، رقم : ٤٠ . فتلك إشارته بقوله هنا : « وذلك الخبر الذى ذكرنا أن أبا كريب حدثنا » ، إلخ .

(٣) الحديث ٤٨ — أبو السائب سلم بن جنادة السوائى الكوفى ، شيخ الطبرى : ثقة حجة لا شك

٤٩ – وحدثنا محمد بن المثنى ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا شعبة ، عن أبي إسحق ، عمن سمع ابنَ مسعود يقول : من قرأ منكم على حرف فلا يتحوَّلَنَّ ، ولو أعلمُ أحداً أعلمَ مني بكتاب الله لأتيتُه(١) .

٥٠ – وحدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : حدثنا شعبة ، عن عبد الرحمن بن عابس ، عن رجل من أصحاب عبد الله ، عن

فيه ، روى عنه البخاري في غير كتاب (الجامع الصحيح) ، والترمذي وابن ماجة وأبو حاتم ، وهو قديم الولاد ، ولد سنة ١٧٤ ، ومات سنة ٢٥٤ . وله ترجمة في تاريخ بغداد ٩ : ١٤٧ – ١٤٨ ، والتهذيب ٤ : ١٢٨ – ١٢٩ ، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٢ / ١ / ٢٦٩ . و « سلم » بفتح السين وسكون اللام ، ووقع في نسخ الطبري « سالم » ، وهو تحريف . و « جنادة » : بضم الجيم وتخفيف النون . و « السوائي » : بضم السين وتخفيف الواو وبعد الألف همزة ، نسبة إلى « بني سواءة بن عامر بن صعصعة » .

وأبو معاوية : هو محمد بن خازم الضرير ، ولد سنة ١١٣ ، ومات سنة ١٩٥ . فهذا الإسناد الأول عال جداً . وذلك أن الطبري روى أثر ابن مسعود هذا بإسنادين :

رواه عن سلم بن جنادة عن أبي معاوية عن الأعمش . ثم رواه عن محمد بن المثنى عن ابن أبي عدي عن شعبة عن الأعمش .

وهذا الأثر عن ابن مسعود لم نجده في غير هذا الكتاب ، إلا ما ذكره صاحب اللسان بغير إسناد ، كما سنشير إليه بعد ، إن شاء الله .

وقوله « قد سمعت إلى القرأة فوجدتهم متقاربين » ، في المطبوعة « قد سمعت القراء » . و « القراء » : جمع « قارئ » ، كما هو واضح ، ولكن الذي في المخطوطة « إلى القرأة » ، بزيادة « إلى » وبلفظ « القرأة » ، بفتح الراء والهمزة ثم الهاء في آخره ، وهو جمع « قارىء » أيضاً ، ففي اللسان « رجل قارئ ، من قوم قراء ، وقرأة ، وقارئين » . وهذا الجمع قياسي ، مثل « كاتب وكتبة » . وانظر همع الهوامع للسيوطي ٢ : ١٧٧ ، ١٧٨ . وهذا الأثر ذكره صاحب اللسان ١ : ١٢٤ ، قال : « وروي عن ابن مسعود : تسمعت القرأة ، فإذا هم متقارئون . حكاه اللحياني ولم يفسره . قال ابن سيدة : وعندي أن الجن كانوا يرومون القراءة » ! وهكذا وقع الخطأ لهم قديماً ، جعلوها « متقارئون » بالهمزة ، ثم فسرها ابن سيدة هذا التفسير العجيب . وهي واضحة في الطبري « متقاربين » بالباء . والسياق نفسه لا يدل إلا على صحة هذا وخطإ ما وقع في اللسان .

وكلمة « القرأة » ستأتي في مخطوطة الطبري كثيراً بهذا الرسم ، ثم يغيرها مصححو المطبوعة « القراء » ، دون حاجة إلى هذا التغيير !

(١) الحديث ٤٩ – أبو داود : هو الطيالسي . وأبو إسحق : هو السبيعي الهمداني التابعي المعروف ، واسمه « عمرو بن عبد الله » ، وهذا الإسناد ضعيف ، لإبهام شيخ أبي إسحق الذي حدثه عن ابن مسعود . وقد مضى نحو معناه ضمن حديث متصل ، عن ابن مسعود ، رقم : ١٨ . وانظر الإسناد التالي لهذا .

عبد الله بن مسعود ، قال : من قرأ على حرف فلا يتحوّلنّ منه إلى غيره[1] .

فمعلوم أنّ عبد الله لم يَعْنِ بقوله هذا : من قرأ ما فى القرآن من الأمر والنهى فلا يتحولنّ منه إلى قراءة ما فيه من الوعد والوعيد ، ومن قرأ ما فيه من الوعد والوعيد فلا يتحولنّ منه إلى قراءة ما فيه من القَصص والمثَل . وإنما عنى رحمة الله عليه أنّ من قرأ بحَرْفه — وحرْفُه : قراءته ، وكذلك تقول العرب لقراءة رجلٍ : حرفُ فلان ، وتقول للحرف من حروف الهجاء المقطَّعة : حرف ، كما تقول لقصيدة من قصائد الشاعر : كلمة فلان — فلا يتحولنّ عنه إلى غيره رغبة عنه . ومن قرأ بحرف أبىّ ، أو بحرف زيد ، أو بحرف بعض من قرأ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الأحرف السبعة — فلا يتحولنّ عنه إلى غيره رغبة عنه ، فإن الكفرَ ببعضه كفرٌ بجميعه ، والكفرُ بحرف من ذلك كفرٌ بجميعه . يعنى بالحرف ما وصفنا من قراءة بعض من قرأ ببعض الأحرف السبعة .

١٨/١ ٥١ — وقد حدثنا يحيى بن داود الواسطى ، قال : حدثنا أبو أسامة ، عن الأعمش ، قال : قرأ أنس هذه الآية : ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وأَصْوَبُ قِيلاً ﴾ . [سورة المزمل : ٦] فقال له بعض القوم : يا أبا حَمزة ، إنما هى « وأقْوَمُ » فقال : أقْوَمُ وأصْوَبُ وأهيَأ ، واحدٌ[2] .

---

(١) الحديث ٥٠ — عبد الرحمن بن عابس : تابعى أيضاً . وقد أبهم الرجل الذى حدثه عن ابن مسعود ، فكان الإسناد ضعيفاً .

وهذا الأثر رواه أحمد فى المسند رقم : ٣٨٤٥ ضمن حديث طويل ، عن محمد بن جعفر عن شعبة عن عبد الرحمن بن عابس ، قال : « حدثنا رجل من همدان ، من أصحاب عبد الله ، وما سماه لنا » إلخ.

(٢) الحديث ٥١ — أبو أسامة : هو حماد بن أسامة الكوفى الحافظ . وهذا الأثر سيأتى بهذا الإسناد ، وبإسناد آخر ، فى تفسير سورة « المزمل : ٢٩ : ٨٢ » . ونقله السيوطى فى الدر المنثور ٦ : ٢٧٨ ، ونسبه أيضاً لأبى يعلى ومحمد بن نصر وابن الأنبارى فى المصاحف . وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧ : ١٥٦ ، ونسبه للبزار وأبى يعلى ، وقال : « ولم يقل الأعمش : سمعت أنساً . ورجال أبى يعلى رجال الصحيح ، ورجال البزار ثقات » .

وقوله « وأهيأ » بدله فى مطبوعة الطبرى « وأهدى » ، والظاهر أنه من تصرف المصححين ، لأن ما أثبتنا هو الثابت فى المخطوطة وفى رواية الطبرى الآتية بالإسناد نفسه وفى الدر المنثور ومجمع الزوائد .

٥٢ – حدثني محمد بن حُميد الرازى ، قال : حدثنا حَكَّام ، عن عنبسة ، عن ليث ، عن مجاهد : أنه كان يقرأ القرآنَ على خمسة أحرُفٍ .

٥٣ – حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا حَكَّام ، عن عنبسة ، عن سالم : أن سعيدَ بن جُبَيرٍ كان يقرأ القرآن على حرفين .

٥٤ – حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن مُغيرة ، قال : كان يزيدُ بن الوليد يقرأ القرآن على ثلاثة أحرف(١) .

أفترى الزاعمَ أن تأويل قول النبي صلى الله عليه وسلم : « أنزل القرآنُ على سبعة أحرف » ، إنما هو أنه أنزل على الأوجه السبعة التى ذكرنا ، من الأمر والنهى والوعد والوعيد والجدل والقصص والمثل – كان يرى أنّ مجاهداً وسعيدَ ابن جبير لم يقرآ من القرآن إلا ما كان من وجهيه أو وجوهه الخمسة دون سائر معانيه ؟ لئن كانَ ظن ذلك بهما ، لقد ظنّ بهما غير الذى يُعرفان به من منازلهما من القرآن ، ومعرفتهما بآى الفرقان !

٥٥ – وحدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن عُليَّة ، قال حدثنا أيوب ، عن محمد ، قال : نُبئت أن جبرائيل وميكائيل أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال له جبرائيل : اقرإ القرآن على حرفين . فقال له ميكائيل : استزده . فقال : اقرإ القرآن على ثلاثة أحرف . فقال له ميكائيل : استزده . قال : حتى بلغ سبعة أحرف ، قال محمد : لا تختلفُ فى حلال ولا حرام ، ولا أمرٍ ولا نهى ،

---

(١) الأثر ٥٤ – يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، أمير المؤمنين ، عرف باسم « يزيد الناقص » ، وكان رجلا صالحاً . وهو الذى قيل فى المثل : « الأشج والناقص أعدلا بنى مروان » ، فهو الناقص ، لنقصه الناس من أعطياتهم ما كان زاده سلفه فى أعطياتهم ، والأشج : هو عمر بن عبد العزيز . ويزيد هذا هو الذى قتل ابن عمه الفاسق المستهتر : الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، سنة ١٢٦ ، وولى الخلافة بعده . انظر ترجمته فى تاريخ ابن كثير ١٠ : ١٦ – ١٧ ، والتاريخ الكبير للبخارى ٤ / ٢ / ٣٦٦ – ٣٦٧ .

ومغيرة ، راوى هذا عن يزيد : هو مغيرة بن مقسم ، بكسر الميم وسكون القاف وفتح السين ، الضبى . وهو ثقة معروف كثير الحديث ، مات سنة ١٣٣ .

هو كقولك : تعالَ وهلمَّ وأقبل ، قال : وفى قراءتنا ﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ [سورة يس: ٢٩، ٥٣] ، فى قراءة ابن مسعود (إن كانتْ إلا زَقيةً واحدة)[1] .

٥٦ ــ وحدثنى يعقوب قال : حدثنا ابن عُلية ، قال : حدثنا شُعيب ــ يعنى ابن الحَبْحَاب ــ قال : كان أبو العالية إذا قرأ عنده رجل لم يقل : « ليس كما يقرأ » وإنما يقول : أما أنا فأقرأ كذا وكذا . قال : فذكرت ذلك لإبراهيم النخعى ، فقال : أرى صاحبك قد سمع : « أنَّ من كفَر بحرفٍ منه فقدْ كفر به كله » .

٥٧ ــ حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، قال : أنبأنا ابن وهب ، قال : حدثنا يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرنى سعيد بن المسيّب : أن الذى ذكر الله تعالى ذكره [أنه قال] ﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ﴾ [سورة النحل : ١٠٣] إنما افتُتِن أنه كان يكتب الوحىَ ، فكان يملى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : سميعٌ عليمٌ ، أو عزيزٌ حكيمٌ ، أو غير ذلك من خواتم الآى ، ثم يشتغل عنه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو على الوحى ، فيستفهمُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فيقول : أعزيز حكيمٌ ، أو سميعٌ عليم أو عزيز عليم ؟ فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أىَّ ذلك كتبت فهو كذلك . ففتنه ذلك ، فقال : إنَّ محمداً وكَلَ ذلك إلىَّ ، فأكتبُ ما شئتُ . وهو الذى ذكر لى سعيد بن المسيب من الحروف السبعة[2] .

---

(١) الحديث ٥٥ ــ محمد : هو ابن سيرين التابعى ، فالحديث مرسل . ثم هو لم يدرك ابن مسعود ، فحكايته عنه قراءته منقطعة .

(٢) الحديث ٥٧ ــ هذا الحديث ذكره الطبرى مرة أخرى بهذا اللفظ نفسه فى تفسير سورة النحل : ١٠٣ ، بغير هذه الزيادة التى وضعناها بين القوسين . وهو بغير هذه الزيادة يوهم أن الذى نزل فيه « إنما يعلمه بشر » ، هو كاتب الوحى الذى افتتن . مع أنه أراد إن الذى قال « إنما يعلمه بشر » هو كاتب الوحى الذى افتتن : وصدر كلام الطبرى فى تفسير سورة النحل يقطع بذلك قال : « وقيل إن الذى قال ذلك رجل كاتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد عن الإسلام . ذكر من قال ذلك ... » ثم روى هذا الخبر ، فنفى ما قدمه هذا الوهم الذى يشكل على قارئه فى هذا المكان . وكاتب الوحى الذى ارتد هو عبد الله بن سعد بن أبى سرح العامرى القرشى ، وهو ليس بأعجمى ، وإنما قالوا إنه هو الذى ذكره الله تعالى فى قوله . « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شىء »

٥٨ – حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ، قال : من كفر بحرف من القرآن ، أو بآية منه ، فقد كفر به كله[١] .

قال أبو جعفر : فإن قال لنا قائل : فإذْ كان تأويلُ قول النبي صلى الله عليه وسلم : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » عندك ، ما وصفت ، بما عليه استشهدتَ ، فأوْجِدنا حرفاً فى كتاب الله مقروءاً بسبع لغات ، فنحققَ بذلك قولك . وإلاّ ، فإن لم تجد ذلك كذلك : كانَ معلوماً بِعَدَمِكَهُ[٢] – صحةُ قول من زعم أن تأويل ذلك : أنه نزل بسبعة معان ، وهو الأمر والنهي والوعد والوعيد والجدل والقصص والمثل – وفسادُ قولك . أو تقولَ فى ذلك : إن الأحرف السبعة لغاتٌ فى القرآن سبعٌ ، متفرقة فى جميعه ، من لغات أحياءٍ من قبائل العرب مختلفة الألسن – كما كان يقوله بعض من لم يُنعم النظرَ فى ذلك[٣] . فتصير بذلك إلى القول بما لا يجهل فسادَه ذُو عقل ، ولا يلتبس خَطؤه على ذى لُب . ١٩/١

وذلك أنّ الأخبار التى بها احتججتَ لتصحيح مقالتك فى تأويل قول النبي صلى الله عليه وسلم : « نزل القرآن على سبعة أحرف » ، هى الأخبار التى رويتها عن عُمرَ بن الخطاب ، وعبد الله بن مسعود ، وأبيّ بن كعب ، رحمة الله عليهم ، وعمن رويتَ ذلك عنه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم – بأنهم تماروْا فى تلاوة

ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله » [سورة الأنعام : ٩٣] وأما المعنى بقوله « إنما يعلمه بشر » فقد اختلفوا فى تحقيقه ، قالوا : قين بمكة نصرانى يقال له بلعام ، أو يعيش غلام لبنى المغيرة ، أو جبر النصرانى غلام بنى بياضة .

وقد ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٤ : ١٣١ وقال فى صدره : « إن الذى ذكر الله فى كتابه أنه قال : إنما يعلمه . . . » ، فأثبتنا الزيادة منه لذلك .

(١) الخبر ٥٨ – مثله فى حديث المسند رقم : ٣٨٤٥ ، وما مر آنفاً برقم : ١٨ .

(٢) العدم : فقدان الشيء وذهابه ، وعدم الشيء : فقده فلم يعثر عليه .

(٣) فى المطبوعة « لم يمعن » ، غيرها المصححون هنا وفى مواضع ستأتى !! وأنعم النظر : بالغ فيه وأدقه .

بعض القرآن ، فاختلفوا فى قراءته دون تأويله . وأنكر بعضٌ قراءةَ بعض ، مع دعوى كل قارئ منهم قراءةً منها : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأه ما قرأ بالصفة التى قرأ . ثم احتكموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم(١) ، فكان من حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم ، أن صوّب قراءة كل قارئ منهم ، على خلافها قراءةَ أصحابه الذين نازعوه فيها ، وأمرَ كل امرئ منهم أن يقرأ كما عُلّم ، حتى خالط قلبَ بعضهم الشكُّ فى الإسلام ، لما رأى من تصويب رسول الله صلى الله عليه وسلم قراءةَ كل قارئ منهم على اختلافها . ثم جلاهُ الله عنه ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم له : أن القرآن أنزل على سبعة أحرف .

فإن كانت الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن ، عندك — كما قال هذا القائل — متفرقةً فى القرآن ، مثبتةً اليوم فى مصاحف أهل الإسلام ، فقد بطلت معانى الأخبار التى رويتها عمن رويتها عنه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنهم اختلفوا فى قراءة سورة من القرآن ، فاختصموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر كلاً أن يقرأ كما عُلم . لأن الأحرف السبعة إذا كانت لغات متفرقة فى جميع القرآن ، فغير مُوجب حرفٌ من ذلك اختلافاً بين تاليه(٢) ، لأن كل تالٍ فإنما يتلو ذلك الحرفَ تلاوةً واحدةً على ما هو به فى المصحف ، وعلى ما أنزل .

وإذْ كان ذلك كذلك ، بطل وجه اختلاف الذين رُوى عنهم أنهم اختلفوا فى قراءة سورة ، وفسد معنى أمر النبى صلى الله عليه وسلم كلَّ قارئٍ منهم أن يقرأه على ما عُلم . إذْ كان لا معنى هنالك يُوجب اختلافاً فى لفظ ، ولا افتراقاً فى معنى . وكيف يجوز أن يكون هنالك اختلافٌ بين القوم ، والمعلِّم واحدٌ ، والعلم واحدٌ غير ذى أوجه ؟ وفى صحة الخبر عن الذين رُوى عنهم الاختلافُ فى حروف القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم — بأنهم اختلفوا وتحاكموا إلى

---

(١) فى المخطوطة : « ثم اختلفوا إلى رسول الله » ، وهما سواء .

(٢) هى « تالين » جمع « تال » ، مضافة إلى الضمير ، فحذفت النون .

رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك ، على ما تقدم وَصَفْنَاهُ — أبينُ الدلالة على فساد القول بأن الأحرُف السبعة إنما هى أحرف سبعة متفرقة فى سور القرآن ، لا أنها لغاتٌ مختلفة فى كلمة واحدة باتفاق المعانى .

مع أن المتدبر إذا تدبر قول هذا القائل — فى تأويله قول النبى صلى الله عليه وسلم : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » ، وادّعائه أنّ معنى ذلك أنها سبعُ لغات متفرقة فى جميع القرآن ، ثم جَمع بين قيله ذلك ، واعتلالِه لقيلِه ذلك بالأخبار التى رويت عمن رُوِىَ ذلك عنه من الصحابة والتابعين أنه قال : هو بمنزلة قولك تعالَ وهلم وأقبل ، وأن بعضهم قال : هو بمنزلة قراءة عبد الله « إلازقيةً » ، وهى فى قراءتنا « إلا صَيْحَةً » وما أشبه ذلك من حُججه —(١) علم أن حججه مفسدةٌ فى ذلك مقالتَه ، وأن مقالته فيه مُضادةٌ حججه .

لأن الذى نزل به القرآن عندَه إحدى القراءتين — : إما « صيحة » ، وإما « زَقية » وإما « تعالَ » أو « أقبل » أو « هلم » — لا جميع ذلك . لأن كلّ لغة من اللغات السبع عنده فى كلمة أو حرف من القرآن ، غيرُ الكلمة أو الحرف الذى فيه اللغة الأخرى .

وإذْ كان ذلك كذلك ، بطل اعتلاله لقوله بقول من قال : ذلك بمنزله « هلم » و « تعال » و « أقبل » ، لأنّ هذه الكلمات هى ألفاظ مختلفة ، يجمعها فى التأويل معنى واحد . وقد أبطل قائلُ هذا القول الذى حكينا قوله ، اجتماعَ اللغات السبع ٢٠/١
فى حرف واحد من القرآن . فقد تبين بذلك إفسادُ حجته لقوله بقوله ، وإفساد قوله لحجته(٢) .

قيل له : ليس القولُ فى ذلك بواحد من الوجهين اللذين وصفتَ . بل الأحرف السبعة التى أنزل الله بها القرآن ، هنّ لغات سبع ، فى حرف واحد ، وكلمة واحدة ،

---

(١) جواب قوله : « . . . . إذا تدبر قول هذا القائل . . . علم . . . »

(٢) انتهى اعتراض المعترض الذى بدأ فى ص : ٥٥ ، ويليه جواب الطبرى فيما اعترض به .

باختلاف الألفاظ واتفاق المعانى ، كقول القائل : هلم ، وأقبل ، وتعال ، وإلىّ ، وقصدى ، ونحوى ، وقربى ، ونحو ذلك ، مما تختلف فيه الألفاظ بضروب من المنطق وتتفق فيه المعانى ، وإن اختلفت بالبيان به الألسن ، كالذى رَوَينا آنفاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمن روينا ذلك عنه من الصحابة ، أن ذلك بمنزلة قولك : « هلمّ وتعالَ وأقبل » ، وقوله « ما ينظرون إلا زَقيةً » ، و « إلا صيحة » .

فإن قال : ففى أىّ كتاب الله نجدُ حرفاً واحداً مقروءاً بلغات سبع مختلفات الألفاظ ، متفقات المعنى ، فنسلم لك صحةَ ما ادّعيت من التأويل فى ذلك ؟

قيل : إنا لم ندع أن ذلك موجود اليوم ، وإنما أخبرنا أن معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » ، على نحو ما جاءت به الأخبار التى تقدّم ذكرناها . وهو ما وصفنا ، دون ما ادعاه مخالفونا فى ذلك ، للعلل التى قد بيّنّا .

فإن قال : فما بال الأحرف الأخَرِ الستة غير موجودة ، إن كان الأمر فى ذلك على ما وصفتَ ، وقد أقرأهن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ، وأمر بالقراءة بهنّ ، وأنزلهن الله من عنده على نبيه صلى الله عليه وسلم ؟ أنسخت فرُفعت ، فما الدلالة على نسخها ورَفعها ؟ أم نسيتهن الأمة ، فذلك تضييعُ ما قد أمروا بحفظه ؟ أم ما القصةُ فى ذلك ؟

قيل له : لم تنسخ فترفع ، ولا ضيعتها الأمة وهى مأمورة بحفظها . ولكنّ الأمة أمرت بحفظ القرآن ، وخُيِّرت فى قراءته وحفظه بأى تلك الأحرف السبعة شاءت . كما أمرت ، إذا هى حَنَثتْ فى يمين وهى مُوسرة ، أن تكفر بأىّ الكفارات الثلاث شاءت : إما بعتق ، أو إطعام ، أو كسوة . فلو أجمعَ جميعها على التكفير بواحدة من الكفارات الثلاث ، دون حَظرها التكفيرَ بأى الثلاث شاءَ المكفِّر ، كانت مُصيبةً حكمَ الله ، مؤديةً فى ذلك الواجبَ عليها من حق الله . فكذلك الأمة ، أمرت بحفظ القرآن وقراءته ، وخُيِّرت فى قراءته بأى الأحرف السبعة شاءت : فقرأت

ـ لعلة من العلل أوجبتْ عليها الثباتَ على حرف واحد ـ قراءتَهُ بحرف واحد ، ورفْضَ القراءة بالأحرف الستة الباقية ، ولم تحظُرْ قراءته بجميع حروفه على قارئه ، بما أذن له فى قراءته به .

فإن قال : وما العلة التى أوجبت عليها الثباتَ على حرف واحد دون سائر الأحرف الستة الباقية ؟

٥٩ ـ قيل : حدثنا أحمد بن عَبْدةَ الضَّبِّى ، قال : حدثنا عبد العزيز بن محمد الدَّرَاوَرْدى ، عن عُمارة بن غزِيَّة ، عن ابن شهاب ، عن خارجة بن زيد ابن ثابت ، عن أبيه زيد ، قال : لما قُتل أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم باليمامة ، دخل عمرُ بن الخطاب على أبى بكر رحمه الله فقال : إنَّ أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم باليمامة تهافتوا تهافتَ الفَراش فى النار ، وإنى أخشى أن لا يشهدوا موطناً إلا فعلوا ذلك حتى يُقتَلوا ـ وهمْ حملةُ القرآن ـ فيضيعَ القرآن ويُنسَى . فلو جمعتَه وكتبتَه ! فنفر منها أبو بكر وقال : أفعل ما لم يفعلْ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ! فتراجعا فى ذلك . ثم أرسل أبو بكر إلى زيد بن ثابت ، قال زيد : فدخلت عليه وعُمر مُحزَنْبِلٌ[1] ، فقال أبو بكر : إن هذا قد دعانى إلى أمر فأبيتُ عليه ، وأنت كاتبُ الوحى . فإنْ تكن معه اتبعتكما ، وإن توافِقْنى لا أفعل . قال : فاقتصَّ أبو بكر قولَ عمر ، وعمر ساكت ، فنفرت من ذلك وقلت : نفعلُ ما لم يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ! إلى أن قال عمر كلمة : « وما عليكما لو فعلتما ذلك ؟ » قال : فذهبنا ننظر ، فقلنا : لا شىء والله ! ما علينا فى ذلك شىء ! قال زيد : فأمرنى أبو بكر فكتبته فى قطَع الأدَم وكِسَرِ الأكتاف والعُسُب[2] . ٢١/١

(١) احزأل الرجل : اجتمع وتحفز ورفع صدره كالمتهيء لأمر ، فهو محزئل : منضم بعضه إلى بعض ، جالس جلسة المستوفز .

(٢) الأدم جمع أديم : وهو الجلد المدبوغ ، كانوا يكتبون فيه . والكسر جمع كسرة (بكسر فسكون) : وهى القطعة المكسورة من الشىء . والأكتاف جمع كتف : وهو عظم عريض فى أصل كتف الحيوان من الناس والدواب ، كانوا يكتبون فيه لقلة القراطيس عندهم يومئذ . والعسب جمع عسيب وهو : جريد النخل إذا نحى عنه خوصه .

فلما هلك أبو بكر وكانَ عُمر(١)، كتبَ ذلك فى صحيفة واحدةٍ، فكانت عنده. فلما هلك، كانت الصحيفةُ عند حفصة زوج النبى صلى الله عليه وسلم. ثم إن حذيفة بن اليمان قدِم من غزوة كان غزاها بِمَرْج أرْمينيةَ(٢)، فلم يدخل بيته حتى أتى عثمان بن عفان فقال: «يا أمير المؤمنين: أدرِكِ الناس! فقال عثمان: «وما ذاك؟» قال غزوت مَرْج أرمينية، فحضرها أهلُ العراق وأهلُ الشام، فإذا أهل الشام يقرءون بقراءة أبىّ بن كعب، فيأتون بما لم يسمع أهلُ العراق، فتكفرهم أهلُ العراق. وإذا أهل العراق يقرءون بقراءة ابن مسعود، فيأتون بما لم يسمع به أهل الشام، فتكفِّرهم أهلُ الشام. قال زيد: فأمرنى عثمان بن عفان أكتبُ له مُصْحفاً، وقال: إنّى مدخلٌ معك رجلا لبيباً فصيحاً، فما اجتمعتما عليه فاكتباه، وما اختلفتما فيه فارفعاه إلىّ. فجعل معه أبان بن سعيد بن العاص، قال: فلما بلغنا ﴿ إنَّ آيَةَ مُلْكه أن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٨] قال: زيد فقلت: «التابوه» وقال أبان بن سعيد: «التابوت»، فرفعنا ذلك إلى عثمان فكتب: «التابوت» قال: فلما فرغتُ عرضته عَرْضةً، فلم أجد فيه هذه الآية: ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ [سورة الأحزاب: ٢٣] قال: فاستعرضتُ المهاجرين أسألهم عنها، فلم أجدْها عند أحد منهم، ثم استعرضتُ الأنصارَ أسألهم عنها، فلم أجدها عند أحد منهم، حتى وجدتُها عند خُزيمة بن ثابت، فكتبتها، ثم عرَضته عَرضةً أخرى، فلم أجد فيه هاتين الآيتين: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ

(١) قوله «وكان عمر»، أى ولى الأمر من بعده. وقال ابن حجر فى فتح البارى ٩: ١٣ وذكر جمع القرآن فى الورق والصحف على عهد أبى بكر، ثم قال: «هذا كله أصح مما وقع فى رواية عمارة بن غزية..»

(٢) فى المطبوعة «فى فرج أرمينية»، وكذلك التى تليها. والمرج: أرض واسعة كثيرة النبت تمرج فيها الدواب، أى تذهب وتجىء. وقد أضيف «مرج» إلى كثير من المواضع والبلاد. وأرض أرمينية واسعة خصيبة. وذكر ابن حجر فى الفتح ٩: ١٤ رواية «فتح أرمينية» و «فرج..» ولم يذكر «مرج»، وذكرها أبو عمرو الدانى فى كتابه «المقنع»: ٤ قال: «وكانوا يقاتلون على مرج أرمينية».

عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [سورة التوبة : ١٢٨ ، ١٢٩] فاستعرضتُ المهاجرين ، فلم أجدها عند أحد منهم ، ثم استعرضت الأنصارَ أسألهم عنها فلم أجدها عند أحد منهم ، حتى وجدتها مع رَجل آخر يدعى خُزيمة أيضاً ، فأثبتها فى آخر « براءة » ، ولو تمّتْ ثلاثَ آيات لجعلتها سورة على حِدَة . ثم عرضته عرضةً أخرى ، فلم أجد فيه شيئاً ، ثم أرسل عثمان إلى حفصة يسألها أن تعطيه الصحيفة ، وحلف لها ليردنها إليها فأعطته إياها ، فعرض المصحف عليها ، فلم يختلفا فى شىء . فردّها إليها ، وطابت نفسه ، وأمرَ الناس أن يكتبوا مصاحفَ . فلما ماتت حفصةُ أرسل إلى عبد الله بن عمر فى الصحيفة بعزمة ، فأعطاهم إياها فغسلتْ غسلاً(١) .

٦٠ — وحدثنى أيضاً يونس بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا نعيم بن حماد قال : حدثنا عبد العزيز بن محمد ، عن عُمارة بن غَزِية ، عن ابن شهاب ، عن خارجة ابن زيد ، عن أبيه زيد بن ثابت ، بنحوه سواء .

٦١ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن عُلَيّة ، قال : حدثنا أيوب ، عن أبى قِلاَبة ، قال : لما كان فى خلافة عثمان ، جعل المعلّم يعلّم قراءة

---

(١) الحديث ٥٩ ، ٦٠ — قال ابن حجر فى فتح البارى ٩ : ٩ — ١٩ ، وذكر رواية الطبرى مفرقة فى شرح الباب فى أول « باب جمع القرآن » ، فى شرح حديث جمع القرآن الذى رواه البخارى من طريق ابن شهاب عن عبيد بن السباق عن زيد بن ثابت : « هذا هو الصحيح عن الزهرى ، أن قصة زيد ابن ثابت مع أبى بكر وعمر ، عن عبيد بن السباق عن زيد بن ثابت ، وقصة حذيفة مع عثمان عن أنس ابن مالك ، وقصة فقد زيد بن ثابت الآية من سورة الأحزاب فى رواية عبيد بن السباق عن خارجة بن زيد ابن ثابت عن أبيه . وقد رواه إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع عن الزهرى ، فأدرج قصة آية سورة الأحزاب فى رواية عبيد بن السباق » ، ثم قال عن هذا الخبر الذى رواه الطبرى : « وأغرب عمارة بن غزية فرواه عن الزهرى فقال : عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه ، وساق القصص الثلاث بطولها : قصة زيد مع أبى بكر وعمر ، ثم قصة حذيفة مع عثمان أيضاً ، ثم قصة فقد زيد بن ثابت الآية من سورة الأحزاب . أخرجه الطبرى . وبين الخطيب فى "المدرج" أن ذلك وهم منه ، وأنه أدرج بعض الأسانيد على بعض » .

الرجل ، والمعلم يعلم قراءةَ الرجل ، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون ، حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين — قال أيوب : فلا أعلمه إلا قال — : حتى كفر بعضهم بقراءة بعض . فبلغ ذلك عثمان ، فقام خطيباً فقال : « أنتم عندى تختلفون فيه وتلحنون ، فمن نأى عنى من أهل الأمصار أشد فيه اختلافاً وأشد لحناً . اجتمعوا يا أصحابَ محمد ، فاكتبوا للناس إماماً » . قال أبو قلابة ، فحدثنى أنس بن مالك قال : كنت فيمن يملى عليهم ، قال : فربما اختلفوا فى الآية فيذكرون الرجل قد تلقاها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولعلهُ أن يكون غائباً أو فى بعض البوادى ، فيكتبون ما قبلها وما بعدها ، ويَدعون موضعها ، حتى يجيءَ أو يُرسَلَ إليه . فلما فرغ من المصحف ، كتب عثمان إلى أهل الأمصار : « إنى قد صنعتُ كذا وكذا ، ومحوتُ ما عندى ، فامحوا ما عندكم »[1] .

٦٢ — حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يونس قال : قال ابن شهاب : أخبرنى أنس بن مالك الأنصارى : أنه ٢٢/١ اجتمع فى غزوة أذربيجان وأرمينيةَ أهلُ الشام وأهل العراق ، فتذاكرُوا القرآن ، واختلفوا فيه حتى كاد يكون بينهم فتنة . فركبَ حُذيفةُ بن اليمان — لما رأى اختلافهم فى القرآن — إلى عثمان ، فقال : « إنّ الناس قد اختلفوا فى القرآن ، حتى إنى والله لأخشى أن يصيبهم مثلُ ما أصاب اليهود والنصارى من الاختلاف » . قال : ففزع لذلك فزعاً شديداً ، فأرسل إلى حفصة فاستخرج الصحف التى كان أبو بكر أمر زيداً بجمعها ، فنسخ منها مصاحف ، فبعث بها إلى الآفاق[2] .

---

(١) الخبر ٦١ — ذكر ابن حجر فى الفتح ٩ : ١٥ أن ابن أبى داود أخرجه فى المصاحف من طريق أبى قلابة ، وذكر صدر الخبر ، ثم ذكر سائره فى ص : ١٨ . وفى المخطوطة مكان « ويدعون موضعها » و « يتركون موضعها » . وهو فى كتاب المصاحف ص ٢١ — ٢٢ ، رواه عن زياد بن أيوب عن إسماعيل ، يعنى ابن علية ، بهذا الإسناد . وفيه « ويدعون موضعها » .

(٢) الخبر ٦٢ — خرج ابن حجر فى الفتح ٩ : ١٤ وما بعدها رواية يونس عن ابن شهاب عن أنس . وقال : « أخرجها ابن أبى داود . . . مطولة » . وهى فى كتاب المصاحف ص ٢١ .

٦٣ — حدثني سعيد بن الربيع ، قال: حدثنا سفيان بن عيينة ، عن الزهري، قال : قُبض النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن القرآن جمع ، وإنما كان في الكرانيف والعسب(١) .

٦٤ — حدثنا سعيد بن الربيع قال : حدثنا سفيان ، عن مجالد، عن الشعبي ، عن صعصعة أنّ أبا بكر أوّلُ من ورّث الكلالةَ وجمعَ المصحف(٢).

قال أبو جعفر : وما أشبه ذلك من الأخبار التي يطول باستيعاب جميعها الكتابُ ، والآثار الدالة على أن إمامَ المسلمين وأميرَ المؤمنين عثمانَ بن عفان رحمة الله عليه ، جمع المسلمين — نظراً منه لهم ، وإشفاقاً منه عليهم ، ورأفة منه بهم ، حِذارَ الردّةِ من بعضهم بعدَ الإسلامَ ، والدّخولِ في الكفر بعد الإيمان، إذ ظهر من بعضهم بمحضَره وفي عصره التكذيبُ ببعض الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن ، مع سماع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم النهيَ عن التكذيب بشيء منها ، وإخباره إياهم أنّ المِراء فيها كفر — فحملهم رحمةُ الله عليه ، إذْ رأى ذلك ظاهراً بينهم في عصره ، وحَداثة عهدهم بنزول القرآن ، وفراق رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم بما أمِنَ عليهم معه عظيم البلاء في الدين من تلاوة القرآن — على حرف واحد(٣) .

وجمعهم على مصحف واحد ، وحرف واحد ، وخرّق ما عدا المصحف الذي

---

(١) الحديث ٦٣ — ذكر ابن حجر في الفتح ٩ : ٩ رواية سفيان عن الزهري عن عبيد عن زيد بن ثابت ، وأتمها في ص: ١١ باختلاف في اللفظ . والكرانيف جمع كرنافة : وهي أصول السعف الغلاظ العراض التي إذا يبست صارت أمثال الأكتاف . وكانوا يكتبون فيها قبل الورق .

(٢) الخبر ٦٤ — صعصعة : هو ابن صوحان ، بضم الصاد . وهو تابعي قديم ، كان مسلماً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يره . وهذا الخبر لم نجده في موضع آخر . وأما « الكلالة » ، فقد اختلف في تفسيرها ، والجمهور على أنه : من مات وليس له ولد ولا والد . كما قال الحافظ في الفتح ١٢ : ٢١ . وهو الذي اختاره الطبري ، فيما سيأتي في تفسير الآية ١٢ من سورة النساء ، رقم ١٧٦ منها ج ٤ ص ١٩١ — ١٩٤ ، وج ٦ ص ٢٨ — ٣١ من طبعة بولاق .

(٣) قوله « على حرف واحد » ، متعلق بقوله آنفاً : « فحملهم رحمة الله عليه » وقوله « فحملهم » معطوف على قوله أولا : « جمع المسلمين »

جمعهم عليه . وعزم على كل من كان عنده مُصحفٌ مخالفٌ المصحفَ الذى جمعهم عليه ، أن يخرقه[1] . فاستوسقتْ له الأمة على ذلك بالطاعة[2] ، ورأت أنّ فيما فعلَ من ذلك الرشدَ والهداية ، فتركت القراءة بالأحرف الستة التى عزم عليها إمامُها العادلُ فى تركها ، طاعةً منها له ، ونظراً منها لأنفسها ولمن بعدَها من سائر أهل ملتها ، حتى دَرَست من الأمة معرفتها ، وتعفت آثارها ، فلا سبيلَ لأحد اليوم إلى القراءة بها ، لدثورها وعُفُوّ آثارها ، وتتابعِ المسلمين على رفض القراءة بها ، من غير جحود منها صحتَها وصحةَ شىء منها[3] ، ولكن نظراً منها لأنفسها ولسائر أهل دينها . فلا قراءة للمسلمين اليوم إلا بالحرف الواحد الذى اختاره لهم إمامهم الشفيقُ الناصحُ ، دون ما عداه من الأحرف الستة الباقية .

فإن قال بعضُ من ضعفت معرفته : وكيف جاز لهم تركُ قراءة أقرأهموها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمرهم بقراءتها ؟

قيل : إن أمرَه إياهم بذلك لم يكن أمر إيجاب وفرض ، وإنما كان أمرَ إباحة ورخصة . لأنّ القراءة بها لو كانت فرضاً عليهم ، لوجب أن يكونَ العلمُ بكل حرف من تلك الأحرف السبعة ، عند من تقوم بنقله الحجة ، ويقطع خبرُه العذر ، ويزيل الشك من قرّاءِ الأمة[4] . وفى تركهم نقل ذلك كذلك أوضح الدليل على أنهم كانوا فى القراءة بها مخيرين ، بعد أن يكون فى نقلة القرآن من الأمة من تجبُ بنقله الحجة ببعض تلك الأحرف السبعة .

---

(١) فى الموضعين من المطبوعة « وحرق » بالحاء المهملة و « يحرقه » وقال ابن حجر فى الفتح ٩ : ١٨ فى شرح حديث البخارى : « فى رواية الأكثر " أن يخرق " بالخاء المعجمة ، وللمروزى بالمهملة ، ورواه الأصيلى بالوجهين ، والمعجمة أثبت » . ونخرق الكتاب أو الثوب : شققه ومزقه .

(٢) فى المطبوع والمخطوط « فاستوثقت » . ونقله ابن كثير فى الفضائل : ٧٠ « فاستوسقت » وهو الصواب . واستوسق القوم : اجتمعوا وانضموا . وفى حديث النجاشى : « واستوسق عليه أمر الحبش » أى اجتمعوا على طاعته . واستوسق لفلان الأمر : إذا أمكنه واجتمع له .

(٣) قوله « من غير جحود منها » ، أى من الأمة ، وكذلك الضمائر فيما بعدها

(٤) فى المطبوع : « من قراءة الأمة » ، والقرأة : جمع قارئ ، وانظر ما مضى : ٥١ فى التعليق وما سيأتى : ١٠٩ تعليق : ١ .

وإذْ كان ذلك كذلك، لم يكن القوم بتركهم نقل جميع القرآآت السبع ، تاركين ما كان عليهم نقله ، بل كان الواجب عليهم من الفعل ما فعلوا إذْ كانَ الذى فعلوا من ذلك ، كان هو النَّظرَ للإسلام وأهله . فكان القيامُ بفعل الواجب عليهم ، بهم أولى من فعل ما لو فعلوه ، كانوا إلى الجناية على الإسلام وأهله أقربَ منهم إلى السلامة ، من ذلك[1] . ٢٣/١

وأما ما كانَ من اختلاف القراءة فى رفع حرفٍ وجرِّه ونصبه ، وتسكين حرفٍ وتحريكه ، ونقل حرف إلى آخر مع اتفاق الصورة ، فمن معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف » — بمعزل[2] . لأنه معلوم أنه لاحرفَ من حروف القرآن — مما اختلفت القراءة فى قراءته بهذا المعنى — يوجب المراء به كفرَ المارى به فى قول أحد من علماء الأمة . وقد أوجب عليه الصلاة والسلام بالمراءِ فيه الكفر ، من الوجه الذى تنازع فيه المتنازعون إليه ، وتظاهرتْ عنه بذلك الرواية[3] ، على ما قد قدمنا ذكرها فى أول هذا الباب[4] .

فإن قال لنا قائل : فهل لك من علم بالألسن السبعة التى نزل بها القرآن ؟ وأى الألسن هى من ألسن العرب ؟

---

(١) قوله « من ذلك » ، أى من الجناية على الإسلام .

(٢) أى « فمن معنى قول النبى . . . بمعزل » .

(٣) قوله « وتظاهرت » هى فى المخطوطة مهملة ولا تكاد تقرأ على وجه مرضى .

(٤) نقل ابن حجر فى الفتح ٩ : ٢٧ عن الإمام الحافظ أبى شامة قال : «ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هى التى أريدت فى الحديث ، وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة ، وإنما يظن ذلك بعض أهل الجهل» . وقال ابن عمار أيضاً : « لقد فعل مسبع هذه السبعة ما لا ينبغى له ، وأشكل الأمر على العامة بإيهامه كل من قل نظره أن هذه القراءات هى المذكورة فى الخبر ، وليته إذ اقتصر نقص على السبعة أو زاد ليزيل الشبهة » . وقال الإمام ابن الجزرى فى النشر ١ : ٣٣ : «أول إمام معتبر جمع القراءات فى كتاب : أبو عبيد القاسم بن سلام ، وجعلهم فيما أحسب خمسة وعشرين قارئاً مع هؤلاء السبعة وتوفى سنة ٢٢٤ » . . . ثم قال فى ص ٣٤ : « وكان فى أثره أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد أول من اقتصر على قراءات هؤلاء السبعة فقط وتوفى سنة ٣٢٤ » . ثم قال فى ص ٣٥ : « وإنما أطلنا فى هذا الفصل لما بلغنا عن بعض من لا علم له أن القراءات الصحيحة هى التى عن هؤلاء السبعة ، وأن الأحرف السبعة التى أشار إليها النبى صلى الله عليه وسلم هى قراءة هؤلاء السبعة ، بل غلب على كثير من الجهال أن القراءات الصحيحة هى التى فى الشاطبية والتيسير . . . » .

قلنا : أما الألسن الستة التى قد نزلت القراءة بها ، فلا حاجة بنا إلى معرفتها ، لأنا لو عرفناها لم نقرأ اليومَ بها مع الأسباب التى قدمنا ذكرها . وقد قيل إن خمسة منها لعَجُز هوَازن ، واثنين منها لقريش وخزاعة . رُوى جميعُ ذلك عن ابن عباس ، وليست الرواية عنه من رواية من يجوز الاحتجاج بنقله . وذلك أن الذى رَوَى عنه : « أن خمسة منها من لسان العجز من هوازن » ، الكلبى عن أبى صالح ، وأنّ الذى روى عنه : « أن اللسانين الآخرين لسانُ قريش وخزاعة » ، قتادة ، وقتادة لم يلقَه ولم يسمع منه[1] .

٦٥ ــ حدثنى بذلك بعض أصحابنا ، قال : حدثنا صالح بن نصر الخزاعى ، قال : حدثنا الهيثم بن عدى ، عن سعيد بن أبى عَروبة ، عن قتادة ، عن ابن عباس ، قال : نزل القرآنُ بلسان قُريش ولسان خزاعة ، وذلك أن الدار واحدةٌ .

٦٦ ــ وحدثنى بعض أصحابنا ، قال : حدثنا صالح بن نصر ، قال : حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن أبى الأسود الدُّئَلى ، قال : نزل القرآن بلسان الكَعبين : كعب بن عمرو وكعب بن لؤىّ . فقال خالد بن سلمة لسعد بن إبراهيم : ألا تعجبُ من هذا الأعمى ! يَزعم أنّ القرآن نزل بلسان الكعبين ؛ وإنما أنزل بلسان قريش ![2]

---

(١) انظر ما استوعبه ابن حجر فى شرح هذا الباب كله فى فتح البارى ٩ : ٣٠ ، وابن الجزرى فى النشر ١ : ١٩ – ٥٣ ، وفضائل القرآن لابن كثير : ٥٤ – ٨٠ .

(٢) الأثر ٦٦ – وهذا الأثر منقطع أيضاً ، فإن قتادة ولد سنة ٦١ . وأبو الأسود الدئلى مات سنة ٦٩ .

وروى الخطيب فى تاريخ بغداد ٥ : ١٧٣ – ١٧٤ ، نحو هذا مرفوعاً ، بإسناده ، من طريق « أحمد بن عبد الجبار العطاردى حدثنى أبى عن سهل بن شعيب عن ابن سفيان الأسلمى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نزل القرآن على لغة الكعبين : كعب بن لؤى ، وهو أبو قريش ، وكعب بن عمرو ، وهو أبو خزاعة » .

وهذا إسناد مظلم ! ! أحمد بن عبد الجبار : ترجمه ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل ١ / ١ : ٦٢ ، وقال : « كتبت عنه ، وأمسكت عن التحديث عنه لما تكلم الناس فيه » ، ثم روى عن أبيه أبى حاتم قال : « ليس بقوى » . وأما عبد الجبار ، والد أحمد هذا ، فلم أجد له ترجمة قط . وأما سهل ابن شعيب ، فترجمه ابن أبى حاتم أيضاً ج ٢ / ١ : ١٩٩ ، وذكر أنه يروى « عن الشعبى وعبيد الله

قال أبو جعفر : والعجز من هوازن : سعد بن بكر ، وجشم بن بكر ، ونصر ابن معاوية ، وثقيف[1] .

وأما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ، إذْ ذكَر نزول القرآن على سبعة أحرفٍ : إن كلها شافٍ كافٍ — فإنه كما قال جل ثناؤه فى صفة القرآن : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وشِفَاءٌ لِمَا فى الصُّدُورِ وهُدًى ورَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة يونس : ٥٧] ، جعله الله للمؤمنين شفاءً ، يستشفون بمواعظه من الأدواء العارضة لصدورهم من وَساوس الشيطان وَخطراته ، فيَكفيهم ويغنيهم عن كل ما عداه من المواعظ ببيان آياته .

ابن عبد الله الكندى » ، ولم يذكره بجرح ولا تعديل . ولم أجد له ترجمة غيرها . وأما « ابن سفيان الأسلمى » ، فما عرفت من هو ؟ وما أظنه من طبقة الصحابة ، إذ لم يدرك ذلك سهل بن شعيب ، وإن كان منهم كان الإسناد منقطعاً .

(١) فى الأصل « وخيثم بن بكر » ، وكذلك فى فضائل القرآن : ٦٧ وهو خطأ . قال ابن كثير فى عقب هذا « وهم عليا هوازن الذين قال أبو عمرو بن العلاء : أفصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم ، يعنى بنى دارم » .

﴿القول فى البيان﴾

﴿عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنزل القرآن ﴿من سبعةِ أبوابِ الجنة » ، وذكر الأخبار الواردة بذلك[1]﴾

قال أبو جعفر : اختلفت النقلة فى ألفاظ الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

٦٧ — فروى عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : كان الكتاب الأول نزل من باب واحد وعلى حرف واحد ، ونزل القرآن من سبعة أبواب وعلى سبعة أحرف : زاجرٌ وآمرٌ[2] ، وحلالٌ وحرامٌ ، ومحكم ومتشابه ، وأمثال ، فأحِلُّوا حلاله وحَرِّموا حرامه ، وافعلوا ما أمرتم به ، وانتهوا عما نُهيتم عنه ، واعتبروا بأمثاله ، واعملوا بمحكمه ، وآمنوا بمتشابهه ، وقولوا : آمنّا به كلٌّ من عند ربنا .

حدثني بذلك يونس بن عبد الأعلى ، قال : أنبأنا ابن وهب ، قال : أخبرني حَيوَة بن شريح ، عن عقيل بن خالد ، عن سلمة بن أبي سلمة بن عبد الرحمن ابن عوف ، عن أبيه ، عن ابن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم[3] . ٢٤/١

---

(١) فى المطبوعة : « المروية بذلك » .

(٢) فى المطبوعة « زجر وأمر » ، والصواب من المخطوطة وفضائل القرآن ٦٦ ، وفتح البارى ٩ : ٢٦ .

(٣) الحديث ٦٧ — قال ابن حجر فى الفتح ٩ : ٢٦ وذكر الخبر السالف بهذا الإسناد فقال : « قال ابن عبد البر هذا حديث لا يثبت ، لأنه من رواية أبى سلمة بن عبد الرحمن عن ابن مسعود ، ولم يلق ابن مسعود » ، ثم قال : « وصحح الحديث المذكور ابن حبان والحاكم ، وفى تصحيحه نظر لانقطاعه بين أبى سلمة وابن مسعود . وقد أخرجه البيهقى من وجه آخر عن الزهرى مرسلا ، وقال : هذا مرسل جيد » . وانظر فضائل القرآن ٦٦ . وانظر مسند أحمد فى الحديث : ٤٢٥٢ عن قلفلة الجعفى عن ابن مسعود : « إن القرآن نزل على نبيكم صلى الله عليه وسلم من سبعة أبواب على سبعة أحرف — أو قال : حروف — وإن الكتاب قبله كان ينزل من باب واحد على حرف واحد » .

ورُوى عن أبي قلابة عن النبي صلى الله عليه وسلم مُرْسَلاً غيرُ ذلك :

٦٨ – حدثنا محمد بن بشار ، قال حدثنا عباد بن زكريا ، عن عوف ، عن أبي قِلابة ، قال : بلغَني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أنزل القرآنُ على سبعة أحرفٍ ، أمرٍ وزجرٍ وترغيبٍ وترهيب وجدل وقصص ومثل[1] .

٦٩ – وروى عن أبيّ ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ، ما حدثني به أبو كريب ، قال : حدثنا محمد بن فضيل ، عن إسمعيل بن أبي خالد ، عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبيّ ابن كعب ، قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله أمرني أن أقرأ القرآن على حرفٍ واحدٍ ، فقلت : ربِّ خففْ عن أمَّتي . قال : اقرأهُ على حرفين . فقلت : رب خفف عن أمتي . فأمرني أن أقرأه على سبعة أحرف من سَبْعة أبواب من الجنة ، كلها شافٍ كافٍ[2] .

وروى عن ابن مسعود من قِبلِه خلافُ ذلك كله .

٧٠ – وهو ما حدثنا به أبو كرُيب ، قال : حدثنا المحاربي ، عن الأحوص ابن حكيم ، عن ضَمْرة بن حبيب ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : إنّ الله أنزلَ القرآن على خمسة أحرف : حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال . فأحِلَّ الحلال ، وحَرِّمِ الحرام ، واعملْ بالمحكم ، وآمن بالمتشابه ، واعتبر بالأمثال[3] .

---

(١) الحديث ٦٨ – هذا حديث مرسل ، فلا تقوم به حجة .

(٢) الحديث ٦٩ – هذا إسناد صحيح . وهو أحد روايات الحديث رقم : ٣١ الماضي ، وقد أشار الحافظ إلى هذه الرواية ، في الفتح ٩ : ٢١ . ووقع في الإسناد في نسخ الطبري هنا « عبيد الله ابن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى » ، وهو خطأ ، صوابه « عبد الله » ، كما في الرواية الماضية . وليس في الرواة الذين رأينا تراجمهم « عبيد الله بن عيسى . . . » . ثم هنا أيضاً « عن أبيه عن جده » ، وأخشى أن يكون خطأ أيضاً ، إذ الحديث رواه عبد الله بن عيسى عن جده مباشرة ، كما مضى ، وكما في رواية مسلم في صحيحه ١ : ٢٢٥ لذلك الحديث .

(٣) الخبر ٧٠ – هذا موقوف على ابن مسعود ، من كلامه ، كما صرح بذلك الطبري هنا بقوله « وروى عن ابن مسعود من قبله » . وذكره ابن كثير في الفضائل : ٦٦ بعد الحديث

وكل هذه الأخبار التى ذكرناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، متقاربة المعانى ، لأن قول القائل: فلان مقيم على باب من أبواب هذا الأمر ، وفلان مقيم على وَجْه من وجوه هذا الأمر ، وفلان مُقيمٌ على حرفٍ من هذا الأمر — سواءٌ . ألا ترى أن الله جلّ ثناؤه وصف قوماً عبدوه على وجه من وُجوه العبادات ، فأخبر عنهم أنهم عبدوه على حرف فقال : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ ﴾ [سورة الحج : ١١] ، يعنى أنهم عبدوه على وجه الشك ، لا على اليقين والتسليم لأمره .

فكذلك روايةُ من روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « نزل القرآن من سبعة أبواب » و « نزل على سبعة أحرف » سواءٌ ، معناهما مؤتلف ، وتأويلهما غير مُختلف فى هذا الوجه .

ومعنى ذلك كله ، الخبرُ منه صلى الله عليه وسلم عما خصه الله به وأمتَه ، من الفضيلة والكرامة التى لم يؤتها أحداً فى تنزيله .

وذلك أنّ كل كتاب تقدّم كتابَنا نزولُه على نبىّ من أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم ، فإنما نزل بلسان واحد ، متى حُوِّل إلى غير اللسان الذى نزل به ، كان ذلك له ترجمة وتفسيراً[1] ، لا تلاوةً له على ما أنزلهُ الله .

وأنزل كتابنا بألسُن سبعة ، بأىّ تلك الألسن السّبعة تلاه التالى ، كان لهُ تالياً على ما أنزله الله لا مترجِماً ولا مفسِّراً ، حتى يحوِّله عن تلك الألسن السبعة إلى غيرها ، فيصيرَ فاعلُ ذلك حينئذٍ — إذا أصاب معناه — مُترجماً له . كما كان التالى

---

٦٧ الماضى ، جعله رواية أخرى له ، قال : « ثم رواه عن أبى كريب . . . عن ابن مسعود ، من كلامه . وهو أشبه » .

(١) يستعمل الطبرى « الترجمة » وما يشتق منه بمعنى البيان والتفسير والشرح ، لا بمعنى نقل الكلام من لسان إلى لسان يباينه . والترجمة التى يشير إليها هنا هى ما مضى فى خبر الأحرف التى نزل بها القرآن من مثل قولك « هلم . وأقبل » فإذا كان الكتاب الأول قد نزل وفيه ، « هلم » كان القارئ إذا قرأ « أقبل » ، وهى بمعناها ، مفسراً للكتاب لا تالياً له . انظر ما سيأتى : ٣٢ ، ٥٧ ، ٦٧ ، ٧٥ من مطبوعة بولاق .

لبعض الكتب التى أنزلها الله بلسان واحد — إذا تلاه بغير اللسان الذى نزل به — له مترجماً ، لا تالياً على ما أنزله الله به .

فذلك معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : كانَ الكتابُ الأول ، نزل على حرفٍ واحدٍ ، ونزل القرآن على سبعة أحرف .

وأما معنى قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الكتاب الأول نزل من باب واحد ، ونزل القرآن من سبعة أبواب » ، فإنه صلى الله عليه وسلم عنى بقوله : « نزل الكتاب الأول من باب واحد » ، والله أعلم ، ما نزل من كتب الله على من أنزله من أنبيائه ، خالياً من الحدود والأحكام والحلال والحرام ، كزبور داود ، الذى إنما هو تذكير ومواعظ ، وإنجيل عيسى ، الذى هو تمجيدٌ ومحامد وحضٌّ على الصفح والإعراض — دون غيرها من الأحكام والشرائع — وما أشبه ذلك من الكتب التى نزلت ببعض المعانى السبعة التى يحوى جميعَها كتابُنا ، الذى خصّ الله به نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم وأمّته . فلم يكن المتعبّدين بإقامته يجدون لرضى الله تعالى ذكره مطلباً ينالون ٢٥/١
به الجنة ، ويستوجبون به منه القُرْبَة ، إلا من الوجه الواحد الذى أنزل به كتابهم ، وذلك هو الباب الواحد من أبواب الجنة الذى نزل منه ذلك الكتاب .

وخص الله نبيّنا محمداً صلى الله عليه وسلم وأمّته ، بأن أنزل عليهم كتابَه على أوجه سبعةٍ من الوجوه التى ينالون بها رضوان الله ، ويدركون بها الفوز بالجنة ، إذا أقاموها[1] ، فكلُّ وجه من أوجُهه السبعة بابٌ من أبواب الجنة التى نزل منها القرآن . لأن العامل بكل وجه من أوجُهه السبعة ، عاملٌ فى باب من أبواب الجنة ، وطالب من قِبَله الفوز بها . والعملُ بما أمر الله جل ذكره فى كتابه ، بابٌ من أبواب الجنة ، وتركُ ما نهى الله عنه فيه ، بابٌ آخر ثانٍ من أبوابها ، وتحليلُ ما أحلّ الله فيه ، بابٌ ثالث من أبوابها ، وتحريمُ ما حرّم الله فيه ، باب رابعٌ من أبوابها ،

---

(١) فى المطبوعة : «فلكل وجه من أوجهه السبعة باب من أبواب الجنة الذى نزل منه القرآن » . وهو تغيير لاجدوى فيه .

والإيمانُ بمحكمه المبين ، باب خامسٌ مون أبوابها ؛ والتسليمُ لمتشابهه الذى استأثر الله بعلمه وحَجَب علمه عن خلقه والإقرارُ بأن كل ذلك من عند ربّه ، باب سادسٌ من أبوابها ؛ والاعتبار بأمثاله والاتعاظ بعظاته ، باب سابعٌ من أبوابها .

فجميع ما فى القرآن — من حروفه السبعة ، وأبوابه السبعة التى نزل منها — جعله الله لعباده إلى رضوانه هادياً ، ولهم إلى الجنة قائداً . فذلك معنى قوله صلى الله عليه وسلم : « نزل القرآن من سبعة أبواب الجنة » .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم فى القرآن : « إن لكلّ حرف منه حدًّا » ، يعنى[1] لكل وجه من أوجهه السبعة حد حدّه الله جل ثناؤه ، لا يجوز لأحد أن يتجاوزه .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « وإن لكل حرف منها ظَهراً وبطناً » ، فظهره : الظاهر فى التلاوة ، وبطنه : ما بطن من تأويله[2] .

وقوله : « وإن لكلّ حدٍّ من ذلك مُطَّلَعاً » ، فإنه يعنى أنّ لكل حدٍّ من حدود الله التى حدّها فيه — من حلالٍ وحرامٍ ، وسائر شرائعه — مقداراً من ثواب الله وعقابه ، يُعاينه فى الآخرة ، ويَطَّلع عليه ويلاقيه فى القيامة . كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « لو أنّ لى ما فى الأرض من صفراءَ وبيضاءَ لافتديتُ به من هَوْلِ المطَّلَع » ، يعنى بذلك ما يطَّلع عليه ويهجُم عليه من أمر الله بعد وفاته .

---

(١) انظر ما مضى فى خبر عبد الله بن مسعود . الحديث رقم : ١٠ والتعليق عليه .

(٢) الظاهر : هو ما تعرفه العرب من كلامها ، وما لا يعذر أحد بجهالته من حلال وحرام . والباطن : هو التفسير الذى يعلمه العلماء بالاستنباط والفقه . ولم يرد الطبرى ما تفعله طائفة الصوفية وأشباههم فى التلعب بكتاب الله وسنة رسوله ، والعبث بدلالات ألفاظ القرآن ، وادعائهم أن لألفاظه « ظاهراً » هو الذى يعلمه علماء المسلمين ، و « باطناً » يعلمه أهل الحقيقة ، فيما يزعمون .

﴿ القول فى الوجوه التى من قبلها يُوصَل إلى معرفة تأويل القرآن ﴾

قال أبو جعفر : قد قلنا فى الدلالة على أن القرآن كله عربى ، وأنه نزل بألسُن بعض العرب دونَ ألسن جميعها ، وأن قراءة المسلمين اليوم — ومصاحفهم التى هى بين أظهرهم — ببعض الألسن التى نزل بها القرآن دون جميعها . وقلنا — فى البيان عمّا يحويه القرآنُ من النور والبرهان ، والحكمة والتِّبْيان[1] ، التى أودعها الله إياه : من أمره ونهيه ، وحلاله وحرامه ، ووعده ووعيده ، ومحكمه ومتشابهه ، ولطائف حُكمه — ما فيه الكفاية لمن وُفِّق لفهمه .

ونحن قائلون فى البيان عن وُجوه مطالب تأويله :

قال الله جل ذكره وتقدست أسماؤه ، لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة النحل : ٤٤] ، وقال أيضاً جل ذكره : ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة النحل : ٦٤] ، وقال : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ، وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ، فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ، وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ، وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [سورة آل عمران : ٧] .

فقد تبين ببيان الله جلّ ذكره :

---

(١) فى المطبوعة : « والبيان » .

أنّ مما أنزل الله من القرآن على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ما لا يُوصل إلى علم تأويله إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم . وذلك تأويل جميع ما فيه : من وجوه أمره — واجبه وَنَدْبِه وإرْشاده — ، وصنوفِ نَهيه ، ووظائف حقوقه وحدوده ، ومبالغ فرائضه ، ومقادير اللازم بعضَ خَلْقه لبعض ، وما أشبه ذلك من أحكام آيه ، التي لم يُدرَك علمُها إلا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمّته . وهذا وجهٌ لا يجوز لأحد القول فيه ، إلا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم له تأويلَه[1] ، بنصٍّ منه عليه ، أو بدلالة قد نصَبها ، دالّةٍ أمّتَه على تأويله . ٢٦/١

وأنّ منه مالا يعلم تأويله إلا الله الواحد القهار . وذلك ما فيه من الخبر عن آجال حادثة ، وأوقات آتية ، كوقت قيام الساعة ، والنفخ فى الصور ، ونزول عيسى بن مريم ، وما أشبه ذلك : فإن تلك أوقاتٌ لا يعلم أحدٌ حدودَها ، ولا يعرف أحدٌ من تأويلها إلا الخبرَ بأشراطها ، لاستئثار الله بعلم ذلك على خلقه . وبذلك أنزل ربُّنا محكم كتابه[2] ، فقال : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ، قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي ، لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ، ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ، يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ، قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٨٧] . وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إذا ذكر شيئاً من ذلك ، لم يدلّ عليه إلا بأشراطه دون تحديده بوقته كالذى روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه ، إذْ ذكر الدجّال : إنْ يخرجْ وأنا فيكُم ، فأنا حَجِيجُه ، وإن يخرجْ بعدى ، فالله خليفتى عليكم »[3] ، وما أشبه

---

(١) فى المطبوعة : « له بتأويله » .

(٢) فى المطبوعه : « وكذلك أنزل ربنا فى محكم كتابه » ، وهو تغيير وزيادة لغير فائدة .

(٣) قال ابن حجر فى الفتح ١٣ : ٨٤ فى شرح حديث ابن عمر الذى أخرجه البخارى ، وذكر الدجال فقال : « وما من نبى إلا أنذره قومه » ، قال : « فى بعض طرقه : إن يخرج فيكم فأنا حجيجه » . وهو إشارة إلى حديث النواس بن سمعان ، مطولا ، فى صحيح مسلم ٢ : ٣٧٦ ، وفيه : « إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم ، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه ، والله خليفتى على

ذلك من الأخبار – التي يطُول باستيعابها الكتاب – الدالّةِ على أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن عنده علمُ أوقاتِ شيء منه بمقادير السِّنين والأيام ، وأن الله جل ثناؤه إنما كان عرَّفه مجيئه بأشراطه ، ووقَّته بأدلته .

وأن منه ما يعلم تأويلَه كلُّ ذي علم باللسان الذي نزل به القرآن . وذلك : إقامةُ إعرابه، ومعرفةُ المسمَّيات بأسمائها اللازمة غيرِ المشترَك فيها ، والموصوفات بصفاتها الخاصة دون ما سواها ، فإنّ ذلك لا يجهله أحدٌ منهم . وذلك كسامعٍ منهم لو سمع تالياً يتلو : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ، أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [سورة البقرة : ١١، ١٢]، لم يجهلْ أنّ معنى الإفساد هو ما ينبغي تركهُ مما هو مضرَّة ، وأن الإصلاحَ هو ما ينبغي فِعله مما فعلهُ منفعةٌ ، وإنْ جَهِل المعانيَ التي جعلها الله إفساداً، والمعانيَ التي جَعلها الله إصْلاحاً . فالذي يعلمه ذو اللسان – الذي بلسانه نزل القرآنُ – من تأويل القرآن ، هو ما وصفتُ : مِنْ معرفة أعيان المسمَّيات بأسمائها اللازمة غيرِ المشترَك فيها ، والموصوفات بصفاتها الخاصة ، دون الواجب من أحكامها وصفاتها وهيآتها التي خص الله بعلمها نبيَّه صلى الله عليه وسلم ، فلا يُدرَك علمُهُ إلا ببيانِه ، دون ما استأثر الله بعلمه دون خلقه .

وبمثل ما قُلنا من ذلك رُوي الخبر عن ابن عباس :

٧١ – حدثنا محمد بن بشّار ، قال : حدثنا مؤمَّل ، قال : حدثنا سفيان، عن أبي الزناد ، قال : قال ابن عباس : التفسيرُ على أربعةِ أوجهٍ : وجهٌ تعرفه العربُ من كلامها ، وتفسير لا يُعذر أحدٌ بجهالته ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى ذكره .

قال أبو جعفر : وهذا الوجهُ الرابع الذي ذكره ابن عباس : مِنْ أنّ أحداً

كل مسلم » . وانظر أيضاً مجمع الزوائد ٧ : ٣٤٧ – ٣٤٨ ، ٣٥٠ – ٣٥١ .

وقوله « حجيجه » أي محاجه ومغالبه بإظهار الحجة عليه .

لا يُعذر بجهالته ، معنى غيرُ الإبانة عن وُجوه مَطالب تأويله . وإنما هو خبرٌ عن أنّ من تأويله ما لا يجوز لأحد الجهل به . وقد روى بنحو ما قلنا فى ذلك أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرٌ فى إسناده نظر .

٧٢ ـ حدثنى يونس بن عبد الأعلى الصَّدَفى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعت عمرو بن الحارث يحدث ، عن الكلبىّ ، عن أبى صالح ، مولى أمّ هانىء ، عن عبد الله بن عباس : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أنزِل القرآن على أربعة أحرفٍ : حلالٌ وحرامٌ لا يُعذَر أحدٌ بالجهالة به ، وتفسيرٌ تفسِّره العرب ، وتفسيرٌ تفسِّره العلماء ، ومتشابهٌ لا يعلمه إلا الله تعالى ذكره ، ومن ادَّعى علمه سوى الله تعالى ذكره فهو كاذب[1] .

---

(١) الحديث ٧٢ – إنما قال الطبرى « فيه نظر » – : لأن الذى رواه هو الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس . وقد رد الطبرى آنفاً خبراً روى بمثل هذا الإسناد فقال : إنه ليس من رواية من يجوز الاحتجاج بنقله . انظر ص : ٦٦ .

﴿ذكر بعض الأخبار﴾

﴿التي رُويت بالنهي عن القولِ في تأويل القرآن بالرَّأي﴾ ٢٧/١

٧٣ ــ حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : حدثنا شَريك ، عن عبد الأعلى ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من قالَ في القرآن برأيه فليتبوأ مقعدَه من النار (١) .

٧٤ ــ حدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا يحيى بن سعيد ، قال : حدثنا سفيان ، قال : حدثنا عبد الأعلى ــ هو ابن عامر الثعلبي ــ ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : من قال في القرآن برأيه ــ أو بما لا يعلم ــ فليتبوأ مقعدَه من النار .

٧٥ ــ وحدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا محمد بن بشر ، وقَبيصة ، عن سفيان ، عن عبد الأعلى ، قال : حدثنا سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله

---

(١) الأحاديث ٧٣ ــ ٧٦ ــ تدور هذه الأحاديث كلها على عبد الأعلى بن عامر الثعلبي ، وقد تكلموا فيه . « قال أحمد : ضعيف الحديث . وقال أبو زرعة : ضعيف الحديث ، ربما رفع الحديث وربما وقفه . وقال ابن عدي : يحدث بأشياء لا يتابع عليها ، وقد حدث عنه الثقات . وقال يعقوب بن سفيان : في حديثه لين وهو ثقة . وقال الدارقطني : يعتبر به . وحسن له الترمذي ، وصحح له الحاكم ، وهو من تساهله . وصحح الطبري حديثه في الكسوف » . تهذيب التهذيب ٦ : ٩٤ ــ ٩٥ . وقد روى أحمد هذا الحديث من طريق سفيان الثوري عن عبد الأعلى : ٢٠٦٩ ، ورواه أيضاً من طريق أبي عوانة عن عبد الأعلى رقم : ٣٠٢٥ ، بلفظ : « من كذب على القرآن بغير علم » . وقلنا في شرح المسند : « إسناده ضعيف لضعف عبد الأعلى الثعلبي » ورواه أحمد أيضاً من أوجه أخر ، كلها من رواية عبد الأعلى . وقال ابن كثير في التفسير ١ : ١١ : « هكذا أخرجه الترمذي والنسائي من طرق عن سفيان الثوري ، به . ورواه أبو داود عن مسدد عن أبي عوانة عن عبد الأعلى ، به ، مرفوعاً وقال الترمذي : هذا حديث حسن » . وأخشى أن يكون قول ابن جرير بعد : « وهذه الأخبار شاهدة لنا على صحة ما قلنا . . . » ، دالا على أنه يصحح حديثه هذا كما صحح حديثه في الكسوف .

صلى الله عليه وسلم : من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعدَه من النار .

٧٦ ــ حدثنا محمد بن حميد ، قال : حدثنا الحكم بن بَشير ، قال : حدثنا عمرو بن قيس المُلائى ، عن عبد الأعلى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : من قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعدَه من النار .

٧٧ ــ حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن ليث ، عن بكر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : من تكلَّم فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعدَه من النار .

٧٨ ــ وحدثنى أبو السائب سَلْم بن جُنادة السُّوَائى ، قال : حدثنا حفص ابن غِياث ، عن الحسن بن عُبيد الله ، عن إبراهيم ، عن أبى معمر ، قال : قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : أىُّ أرْضٍ تُقِلُّنى ، وأىُّ سماءٍ تُظِلُّنى ، إذا قلتُ فى القرآن ما لا أعلم[1] !

٧٩ ــ حدثنا محمد بن المثنى ، قال : حدثنا ابن أبى عدى ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن عبد الله بن مرة ، عن أبى معمر ، قال : قال أبو بكر الصديق : أىُّ أرضٍ تُقِلُّنى ، وأىُّ سماءٍ تظلّنى ، إذا قلتُ فى القرآن برأيى ــ أو : بما لا أعلم .

قال أبو جعفر : وهذه الأخبار شاهدةٌ لنا على صحة ما قُلنا : من أنّ ما كان مِن تأويل آىِ القرآن الذى لا يُدرَك علمه إلا بنَصٍّ بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو بنَصْبه الدلالة عليه ــ فغير جائز لأحد القِيلُ فيه برأيه . بل القائلُ فى ذلك برأيه ــ وإن أصاب الحق فيه ــ فمخطئٌ فيما كانَ من فِعله ، بقيله فيه برأيه ، لأن إصابته ليستْ إصابة مُوقن أنه محقٌّ ، وإنما هو إصابة خارصٍ وظانٍّ . والقائل

---

(١) الخبر ٧٨ ــ فى المخطوطة والمطبوعة : « سالم بن جنادة » ، وهو خطأ . وفى المخطوطة « أبى نعم » مكان « أبى معمر » ، وهو خطأ . وأبو معمر هو : عبد الله بن سخبرة الأزدى ، تابعى ثقة ، أرسل الحديث عن أبى بكر . وإبراهيم الذى حدث عنه هو : إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعى .

وقوله « تقلنى » : أى تحملنى . أقل الشىء واستقله : رفعه وحمله . وانظر طرق هذا الخبر فى تفسير ابن كثير ١ : ١٢ .

فى دين الله بالظنّ ، قائلٌ على الله ما لم يعلم . وقد حرّم الله جلّ ثناؤه ذلك فى كتابه على عباده ، فقال : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ٣٣] . فالقائل فى تأويل كتاب الله ، الذى لا يدرك علمه إلا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى جعل الله إليه بيانه — قائلٌ بما لا يعلمُ وإن وافق قيله ذلك فى تأويله ، ما أراد الله به من معناه . لأن القائل فيه بغير علم ، قائلٌ على الله ما لا علم له به . وهذا هو معنى الخبر الذى :—

٨٠ — حدثنا به العباس بن عبد العظيم العنبرى ، قال : حدثنا حبّان بن هلال ، قال : حدثنا سهيل أخو حزم ، قال : حدثنا أبو عمران الجونىّ[١] ، عن جندب : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من قال فى القرآن برأيه فأصاب ، فقد أخطأ[٢] .

يعنى صلى الله عليه وسلم أنه أخطأ فى فعله ، بقيله فيه برأيه ، وإن وافق قيلُه ذلك عينَ الصّواب عند الله . لأن قيله فيه برأيه ، ليس بقيل عالم أنّ الذى قال فيه من قول حقٌّ وصوابٌ . فهو قائل على الله ما لا يعلم ، آثم بفعله ما قد نُهىَ عنه وحُظِر عليه .

---

(١) فى المطبوعة « سهيل بن أبى حزم » ، وهو نفسه « سهيل أخو حزم » . وإنما قيل « سهيل أخو حزم » تعريفاً له بأخيه « حزم بن أبى حزم القطعى » ، إذ كان أوثق منه وأشهر . و « سهيل » هذا قال البخارى فى التاريخ الكبير ٢ / ٢ : ١٠٧ : « ليس بالقوى عندهم » ، وروى ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل ٢ / ١ : ٢٤٧ — ٢٤٨ عن أبيه ، قال : « سهيل بن أبى حزم : ليس بالقوى ، يكتب حديثه ولا يحتج به ، وحزم أخوه أتقن منه » . وفى المطبوعة أيضاً « أبو عمران الجوينى » ، وهو خطأ ، وأبو عمران هو : عبد الملك بن حبيب الأزدى البصرى .

(٢) الحديث ٨٠ — قال ابن كثير فى التفسير ١ : ١١ — ١٢ ، ونقل الخبر عن الطبرى : « وقد روى هذا الحديث أبو داود والترمذى والنسائى من حديث سهيل بن أبى حزم القطعى . وقال الترمذى : غريب . وقد تكلم بعض أهل العلم فى سهيل » .

﴿ ذكر الأخبار التى رُويت ﴾

﴿ فى الحضّ على العلم بتفسير القرآن ، ومن كان يفسّره من الصّحابة ﴾

٨١ – حدثنا محمد بن على بن الحسن بن شقيق المروزى ، قال سمعت أبى يقول : حدثنا الحسين بن واقد ، قال : حدثنا الأعمش ، عن شَقيق ، عن ابن مسعود ، قال : كانَ الرجل مِنّا إذا تعلّم عَشْر آياتٍ لم يجاوزهُنّ حتى يعرف معانيهُنّ ، والعملَ بهنّ[1] .

٢٨/١ ٨٢ – حدثنا ابن حميد قال : حدثنا جَرير ، عن عطاء ، عن أبى عبدالرحمن ، قال : حدثنا الذين كانوا يُقرِئوننا : أنهم كانوا يستقرِئون من النبى صلى الله عليه وسلم ، فكانوا إذا تعلّموا عَشْر آيات لم يخلّفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل ، فتعلّمنا القرآن والعمل جميعاً[2] .

٨٣ – وحدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا جابر بن نوح ، قال : حدثنا الأعمش ، عن مُسْلم ، عن مَسْروق ، قال : قال عبد الله : والذى لا إله غيره ، ما نزلتْ آية فى كتاب الله إلاّ وأنا أعلم فيم نَزَلتْ ؟ وأينَ أنزلت؟ ولو أعلم مكانَ أحدٍ أعلمَ بكتاب الله مِنّى تنالُه المطايا لأتيته[3] .

---

(١) الحديث ٨١ – هذا إسناد صحيح . وهو موقوف على ابن مسعود ، ولكنه مرفوع معنى ، لأن ابن مسعود إنما تعلم القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فهو يحكى ما كان فى ذلك العهد النبوى المنير .

(٢) الحديث ٨٢ – هذا إسناد صحيح متصل . أبو عبد الرحمن : هو السلمى ، واسمه عبد الله ابن حبيب ، وهو من كبار التابعين . وقد صرح بأنه حدثه الذين كانوا يقرئونه ، وأنهم « كانوا يستقرئون من النبى صلى الله عليه وسلم » ، فهم الصحابة . وإبهام الصحابى لا يضر ، بل يكون حديثه مسنداً متصلا .

(٣) الحديث ٨٣ – أخرجه البخارى ، انظر فتح البارى ٩ : ٤٥ – ٤٦ ، ولفظه « تبلغه الإبل لركبت إليه » .

٨٤ – وحدثني يحيى بن إبراهيم المسعودى، قال : حدثنا أبى ، عن أبيه ، عن جده ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، قال : كان عبدُ الله يقرأ علينا السُّورة ، ثم يحدِّثنا فيها ويفسِّرها عامَّةَ النهار (١).

٨٥ – حدثني أبو السائب سلم بن جُنادة(٢)، قال : حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن شقيق ، قال : استعمل عليٌّ ابنَ عباسٍ على الحج ، قال : فخطب الناسَ خطبة لو سمعها الترك والرُّوم لأسلموا، ثم قرأ عليهم سُورة النور ، فجعل يفسرها .

٨٦ – وحدثنا محمد بن بشار ، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ، قال: حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى وائل شقيق بن سلمة ، قال : قرأ ابنُ عباسٍ سورة البقرة ، فجعل يُفسِّرها ، فقال رجل : لو سمعتْ هذا الديلمُ لأسلمتْ(٣) .

٨٧ – وحدثنا أبو كريب، قال : حدثنا أبو يمَان : عن أشعث بن إسحق، عن جعفر، عن سعيد بن جُبير ، قال: من قرأ القرآنَ ثم لم يُفسِّره ، كان كالأعمى أو كالأعرابى(٤) .

---

(١) الحديث ٨٤ – شيخ الطبرى : هو يحيى بن إبراهيم بن محمد بن أبى عبيدة بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود . مترجم فى التهذيب . وجده « محمد » ، وجد أبيه « أبو عبيدة » واسمه « عبد الملك بن معن » – مترجمان فيه أيضاً . ولم نجد ترجمة لأبيه « إبراهيم بن محمد » .

(٢) فى المخطوط والمطبوع « سالم » ، وانظر ما سلف ص : ٨٧ رقم : ١

(٣) الخبران ٨٥ – ٨٦ – ذكرهما الحافظ ابن حجر فى الإصابة ٤ : ٩٣ : فذكر أولها « فى رواية أبى العباس السراج من طريق أبى معاوية عن الأعمش». وذكر ثانيهما من رواية « يعقوب ابن سفيان عن قبيصة عن سفيان » ، وهو الثورى.

(٤) الأثر ٨٧ – أشعث بن إسحق بن سعد بن مالك بن عامر القمى : ثقة ، وثقه ابن معين وغيره . وله ترجمة فى الكبير للبخارى ١ / ١ : ٤٢٨ ، وفى الجرح والتعديل لابن أبى حاتم ١ / ١ : ٢٦٩ . وشيخه « جعفر » : هو جعفر بن أبى المغيرة الخزاعى القمى . وأما الراوى عن أشعث ، فقد ذكر هنا باسم « أبو يمان » ، و« أبو اليمان » هو الحكم بن نافع ، وهو من هذه الطبقة ، ولكن لم يذكر أنه يروى عن «أشعث» . والراجح عندنا أن صوابه «حدثنا ابن يمان » . وابن يمان : هو يحيى بن يمان العجلى الكوفى ، وقد ذكر فى الرواة عن أشعث ، وترجمه البخارى فى الكبير ٤ / ٢ : ٣١٣ وقال : « سمع سفيان الثورى وأشعث القمى » .

٨٨ ــ وحدثنا أبو كُريب ، قال: ذكر أبو بكر بن عياش : الأعمش ، قال : قال أبو وائل : وَلى ابنُ عباس الموسمَ ، فخطبهم ، فقرأ على المنبر سُورة النور ، والله لو سمَعها الترك لأسلموا . فقيل له : حدِّثنا به عن عاصم ؟ فسكت[1].

٨٩ ــ وحدثنا أبو كريب ، قال: حدثنا ابن إدريس ، قال : سمعتُ الأعمش ، عن شقيق ، قال : شهدت ابن عباس وَلىَ الموسم ، فقرأ سورة النور على المنبر ، وفسرها ، لو سمعت الروم لأسلمت[2] !

قال أبو جعفر : وفى حَثِّ الله عز وجلّ عباده على الاعتبار بما فى آى القرآن من المواعظ والبينات[3] ــ بقوله جل ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [سورة ص : ٢٩] وقوله : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ، قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [سورة الزمر : ٢٧ ، ٢٨] وما أشبه ذلك من آى القرآن ، التى أمر الله عبادَه وحثهم فيها على الاعتبار بأمثال آى القرآن ، والاتّعاظ بمواعظه ــ ما يدلّ على أنّ عليهم معرفةَ تأويل ما لم يُحجب عنهم تأويله من آيه .

لأنه محالٌ أن يُقال لمن لا يفهمُ ما يُقال له ولا يعقِل تأويلَه : «اعتبرْ بما لا فَهْم لك به ولا معرفةَ من القِيل والبيان والكلام» ــ إلاّ على معنى الأمر بأن يفهمَه ويفقَهَه ، ثم يتدبَّره ويعتبرَ به . فأما قبلَ ذلك ، فستحيلٌ أمرُه بتدبره وهو بمعناه جاهل . كما محالٌ أن يقال لبعض أصناف الأمم الذين لا يعقلون كلامَ العرب ولا يفهمونه ،

---

(١) الخبر ٨٨ ــ يريد : أن أبا بكر بن عياش قال : « الأعمش » ، ولم يقل : « حدثنا الأعمش » ولم يذكر من الذى حدثه عنه . ففهم السامعون أنه دلس شيخه الذى رواه عنه عن الأعمش ، وظنوا أنه عاصم بن أبى النجود ، فقالوا له « حدثنا به عن عاصم » ، فأبى وسكت . فلعله سمعه من شيخ آخر ضعيف .

(٢) الخبر ٨٩ ــ ابن إدريس : هو عبد الله بن إدريس الأودى .

(٣) فى المطبوعة « المواعظ والتبيان » .

لو أنشد قصيدة شعرٍ من أشعار بعض العرب ذاتَ أمثالٍ ومواعظ وحِكم : « اعتبر بما فيها من الأمثال ، وادّكر بما فيها من المواعظ » — إلا بمعنى الأمر لها بفهم كلامِ العرب ومعرفتِه ، ثم الاعتبار بما نبهها عليه ما فيها من الحكم[1]. فأما وهي جاهلة بمعانى ما فيها من الكلام والمنطق ، فمحالٌ أمرُها بما دلّت عليه معانى ما حوته من الأمثال والعِبَر. بل سواء أمرُها بذلك وأمرُ بعض البهائم به ، إلا بعدَ العلم بمعانى المنطق والبيان الذى فيها .

فكذلك ما فى آى كتاب الله من العبر والحِكم والأمثال والمواعظ ، لا يجوز أن يقال : « اعتبرْ بها » إلا لمن كان بمعانى بيانه عالماً ، وبكلام العرب عارفاً ؛ وإلا بمعنى الأمر — لمن كان بذلك منهُ جاهلاً — أنْ يعلم معانى كلام العرب ، ثم يتدبّره بعدُ ، ويتعظ بحِكَمه وصُنوف عِبَرِه .

فإذْ كان ذلك كذلك — وكان الله جل ثناؤه قد أمر عباده بتدبُّره وحثّهم على الاعتبار بأمثاله — كان معلوماً أنه لم يأمر بذلك من كان بما يدُلُّ عليه آيُه جاهلاً . ٢٩/١
وإذْ لم يجز أن يأمرهم بذلك إلا وهُمْ بما يدلهم عليه عالمون ، صحَّ أنهم — بتأويل ما لم يُحجَبْ عنهم علمه من آيه الذى استأثر الله بعلمه منه دون خلقه ، الذى قد قدّمنا صفتَه آنفاً — عارفون . وإذْ صَحَّ ذلك فسَدَ قول من أنكر تفسيرَ المفسرين — من كتاب الله وتنزيلِه — ما لم يحجب عن خَلقه تأويله .

---

(١) فى المخطوط والمطبوع : « نبهه عليه » ، وهو لا يستقيم لاضطراب الضمائر . وقد أعاد الطبرى ضمائر هذه الجملة مرة على « بعض » من قوله « بعض أصناف الأمم » فذكر وأفرد . وذلك قوله « أنشد ... واعتبر ... وادكر » . ثم أعاد الضمير فى سائر الجمل على « أصناف الأمم ... » فأنث وجمع ، وذلك قوله « نبهها . . . وهى جاهلة . . . فمحال أمرها . . . » .

﴿ ذكر الأخبار ﴾

﴿ التى غلِطَ فى تأويلها منكرو القول فى تأويل القرآن ﴾

فإن قال لنا قائل: فما أنت قائلٌ فيما :—

٩٠ — حدثكم به العباس بن عبد العظيم ، قال : حدثنا محمد بن خالد ابن عَثْمة ، قال : حدثنى جعفر بن محمد الزبيرى ، قال: حدثنى هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يُفسِّر شيئاً منَ القرآن إلا آياً بعَدد ، علَّمهنّ إياه جبريلُ .

٩١ — حدثنا أبو بكر محمد بن يزيد الطرسوسى ، قال: أخبرنا مَعْن ، عن جعفر بن خالد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : لم يكن النبىُّ صلى الله عليه وسلم يفسر شيئاً من القرآن ، إلا آياً بعَددٍ ، علمهنّ إياه جبريل عليه السلام[1] .

---

(١) الحديث ٩٠ ، ٩١ — هو بإسنادين ، ونقلهما ابن كثير فى التفسير ١ : ١٤ — ١٥ عن الطبرى ، وقال : « حديث منكر غريب . وجعفر هذا : هو ابن محمد بن خالد بن الزبير العوام القرشى الزبيرى ، قال البخارى : لا يتابع فى حديثه . وقال الحافظ أبو الفتح الأزدى : منكر الحديث ». وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٦ : ٣٠٣ ، وقال : « رواه أبو يعلى ، والبزار بنحوه . وفيه راو لم يتحرر اسمه عند واحد منهما ، وبقية رجاله رجال الصحيح . أما البزار فقال : عن حفص أظنه ابن عبد الله عن هشام بن عروة. وقال أبو يعلى : عن فلان بن محمد بن خالد عن هشام» . أما ما ذكر عن البزار ، فإنه لم يقع له الراوى بنسبه ، ووقع له باسم « حفص » فظنه « ابن عبد الله » ، ولعله تصحف عليه فى نسخته عن « جعفر » أو تصحف من الناسخين ، فظنه « جعفر بن عبد الله بن زيد بن أسلم » . و«جعفر ابن عبد الله » هذا : مترجم فى التهذيب ، وذكر أنه وقع اسمه فى بعض نسخ مسند مالك للنسائى « حفص ابن عبد الله » . وأيا ما كان فقد بان خطأ البزار فى ظنه ، وأن الراوى هو « جعفر بن محمد بن خالد الزبيرى » .

و « جعفر الزبيرى » ، راوى هذا الحديث : ذكر فى الإسناد الثانى منسوباً إلى جده ، وهو جعفر ابن محمد بن خالد ، كما بينه ابن كثير ، وكما ترجمه ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل ١ / ١ : ٤٨٧ — ٤٨٨ ، وابن حجر فى لسان الميزان ٢ : ١٢٤ . وترجمه البخارى فى الكبير ١ / ٢ : ١٨٩

٩٢ – وحدثنا أحمد بن عَبدة الضبي ، قال : حدثنا حماد بن زيد ، قال : حدثنا عُبيد الله بن عمر ، قال : لقد أدركت فقهاء المدينة ، وإنهم ليغلظون القول في التفسير[1] ، منهم : سالم بن عبد الله ، والقاسم بن محمد ، وسعيد بن المسيَّب ، ونافع .

٩٣ – وحدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا بشر بن عمر ، قال : حدثنا مالك بن أنس ، عن يحيى بن سعيد ، قال : سمعت رجلا يسأل سعيد بن المسيب عن آيةٍ من القرآن ، فقال : لا أقول في القرآن شيئاً .

٩٤ – حدثنا يونس ، قال : حدثنا ابن وهب ، قال : أخبرني مالك ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب : أنه كان إذا سُئل عن تفسير آية من القرآن ، قال : أنا لا أقول في القرآن شيئاً .

منسوباً لجده ، ثم قال : « قال لي خالد بن مخلد : حدثنا جعفر بن محمد بن خالد بن الزبير بن العوام . . . وقال معن : عن جعفر بن خالد » .

والراجح عندي أنه « جعفر بن محمد بن خالد » ، لما ذكرنا ، ولأن ابن سعد ترجم لجده « خالد ابن الزبير » ٥ : ١٣٧ ، وذكر أولاده ، وفيهم « محمد الأكبر » و « محمد الأصغر » ، ولم يذكر أن له ولداً اسمه « جعفر » .

وسيأتي أن يعل الطبري نفسه هذين الإسنادين بأن جعفراً راويهما « ممن لا يعرف في أهل الآثار » . ص: ٨٩ وقد نقل ابن كثير أن البخاري قال فيه : « لا يتابع في حديثه » ، وكذلك نقل الذهبي عنه في الميزان ، وتبعه ابن حجر في لسان الميزان . ولكن البخاري ترجم له في التاريخ الكبير ، فلم يقل شيئاً من هذا ولم يذكر فيه جرحاً ، وكذلك ابن أبي حاتم لم يذكر فيه جرحاً ، ولم يذكره البخاري ولا النسائي في الضعفاء . ونقل ابن حجر أن ابن حبان ذكره في الثقات . وأن يذكره البخاري في التاريخ دون جرح أمارة توثيقه عنده . وهذان كافيان في الاحتجاج بروايته . ولئن لم يعرفه الطبري في أهل الآثار لقد عرفه غيره .

وفي الإسناد الأول من هذين « محمد بن خالد ابن عثمة » ، وقد ترجمه البخاري في الكبير ١/١ : ٧٣ – ٧٤ ، وقال : « محمد بن خالد ، ويقال : ابن عثمة ، وعثمة أمه » ، ونحو ذلك في الجرح والتعديل ٣ / ٢ : ٢٤٣ ، فينبغي أن ترسم « ابن » بالألف ، وهي مرفوعة تبعاً لرفع « محمد » وأمه « عثمة » بفتح العين المهملة وسكون الثاء المثلثة . ومحمد بن خالد هذا : ثقة .

وقوله في الروايتين « إلا آياً بعدد » غيره مصححو المطبوعة « آيا تعد » . وفعلوا ذلك في حيث كرر لفظ الحديث بعد .

(١) في المطبوعة : « ليعظمون القول » ، وهما سواء .

٩٥ ــ حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعت الليث يحدث ، عن يحيي بن سعيد ، عن ابن المسيَّب : أنه كان لا يتكلم إلا فى المعلوم من القرآن[1] .

٩٦ ــ حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا حكام ، قال : حدثنا سفيان ، عن هشام ، عن ابن سيرين ، قال : سألت عَبِيدة السلمانى عن آيةٍ ، قال : عليك بالسَّداد ، فقد ذهب الذين علمُوا فيمَ أنزِل القرآن .

٩٧ ــ حدثنى يعقوب ، قال : حدثنا ابن عُلَيَة ، عن أيوب وابن عون ، عن محمد ، قال : سألت عَبِيدة عن آية من القرآن فقال : ذهبَ الذين كانوا يعلَمون فيمَ أنزل القرآن ، اتّق الله وعليك بالسَّداد .

٩٨ ــ حدثنى يعقوب ، قال : حدثنا ابن علية ، عن أيوب ، عن ابن أبى مُليكة : أنّ ابن عباس سُئل عن آية لو سئل عنها بعضكم لقال فيها ، فأبى أن يقول فيها .

٩٩ ــ حدثنى يعقوب ، قال : حدثنا ابن علية ، عن مهدى بن ميمون ، عن الوليد بن مسلم ، قال : جاء طَلْق بن حبيب إلى جندب بن عبد الله ، فسأله عن آية من القرآن ، فقال له : أحرِّج عليك إن كنت مُسلماً ، لمَّا قمت عنى ــ أو قال : أن تجالسنى .

١٠٠ ــ حدثنى عباس بن الوليد ، قال : أخبرنى أبى ، قال : حدثنا عبد الله ابن شَوْذَب ، قال : حدثنى يزيد بن أبى يزيد ، قال : كنا نسأل سعيدَ بن المسيَّب عن الحلال والحرام ، وكان أعلم الناس ، فإذا سألناه عن تفسير آية من القرآن سَكَتَ كأن لم يسمع .

١٠١ ــ وحدثنا محمد بن المثنى ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : أخبرنا شعبة ، عن عمرو بن مُرة ، قال : سأل رجلٌ سعيد بن المسيب عن آية من القرآن ،

---

(١) فى المخطوطة : « إلا فى المعلوم من التفسير » ، والمعنى قريب .

فقال : لا تسألني عن القرآن ، وسَل من يزعم أنه لا يخفى عليه شيء منه – يعني عكرمة .

١٠٢ – وحدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا سعيد بن عامر ، عن شعبة ، عن عبد الله بن أبي السَّفَر ، قال : قال الشعبي : والله مَا مِن آية إلا قد سألتُ عنها ، ولكنها الروايةُ عن الله[١] .

١٠٣ – حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن علية ، عن صالح – يعني ابن مسلم – قال : حدثني رجل ، عن الشعبي ، قال : ثلاثٌ لا أقول فيهن حتى أموت : القرآن ، والروح ، والرأى[٢] .

وما أشبه ذلك من الأخبار ؟[٣] ٣٠/١

قيل له : أما الخبر الذى روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن يفسِّر من القرآن شيئاً إلا آياً بعَدد ، فإن ذلك مصحِّح ما قلنا من القول فى الباب الماضى قَبْل ، وهو : أنّ من تأويل القرآن ما لا يُدرك علمُه إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم . وذلك تفصيل جُمَلِ ما فى آيه من أمر الله ونَهْيه[٤] ، وحلاله وحرامه ، وحدوده وفرائضه ، وسائر معانى شرائع دينه ، الذى هو مجمَلٌ فى ظاهر التنزيل ، وبالعباد إلى تفسيره الحاجة – لا يدرَك علمُ تأويله إلا ببيان من عند الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما أشبه ذلك مما تحويه آىُ القرآن ، من سائر حُكْمه الذى جعلَ الله بيانه لخلقه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلا يعلم أحدٌ من خلق الله تأويل ذلك إلا ببيان الرّسول صلى الله عليه وسلم ، ولا يعلمه رسول الله

---

(١) الأخبار السالفة جميعاً نقلها ابن كثير عن الطبرى فى تفسيره ١ : ١٣ – ١٤ .

(٢) الأثر ١٠٣ – صالح بن مسلم : هو البكرى ، وهو ثقة من الطبقة العليا ، كما قال يحيى بن سعيد القطان ، فيما نقل ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل ٢ / ١ : ٤١٣ . وترجمه البخارى فى الكبير أيضاً ٢ / ٢ : ٢٩١ . وهو من الرواة عن الشعبى ، ولكنه روى عنه هنا بالواسطة . وستأتى رواية له عن الشعبى رقم ١١٤ .

(٣) هذا آخر السؤال الذى بدأ منذ ص : ٨٤ .

(٤) فى المطبوعة « وذلك يفصل » . والإشارة فى قوله « وذلك » إلى بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم .

صلى الله عليه وسلم إلا بتعليم الله إيّاه ذلك بوحْيه إليه، إما مع جبريل، أو مع من شاء من رُسله إليه . فذلك هو الآىُ التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسِّرها لأصحابه بتعليم جبريل إياه ، وهنّ لاشك آىٌ ذوات عَددٍ .

ومن آىِ القرآن ما قد ذكرنا أن الله جل ثناؤه استأثرَ بعلم تأويله ، فلم يُطلعْ على علمه مَلَكاً مقرّباً ولا نبيًّا مرسلا ، ولكنهم يؤمنون بأنه من عنده ، وأنه لا يعلم تأويله إلا الله .

فأما ما لا بُدَّ للعباد من علم تأويله، فقد بيّن لهم نبيهم صلى الله عليه وسلم ببيان الله ذلك له بوحيه مع جبريل . وذلك هو المعنى الذى أمره الله ببيانه لهم فقال له جل ذكره : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة النحل : ٤٤] .

ولو كان تأويل الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم — أنه كان لا يفسِّر من القرآن شيئاً إلا آياً بعَددٍ — هو ما يسبقُ إليه أوهامُ أهل الغباء، من أنه لم يكن يفسّر من القرآن إلا القليل من آيه واليسير من حروفه ، كان إنما أُنزلَ إليه صلى الله عليه وسلم الذكرُ ليَترك للناس بيانَ ما أنزل إليهم ، لا ليبين لهم ما أُنزل إليهم .

وفى أمر الله جلّ ثناؤه نبيَّه صلى الله عليه وسلم ببلاغ ما أنزل إليه ، وإعلامِه إياه أنه إنما نزّل إليه ما أنزل ليبين للناس ما نُزِّل إليهم، وقيامِ الحجة على أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قد بلّغ وأدّى ما أمره الله ببلاغه وأدائِه على ما أمره به، وصحةِ الخبر عن عبد الله بن مسعود بقيله[1] : كان الرجل منا إذا تعلم عشرَ آيات لم يجاوزهُن حتى يعلم معانيهنّ والعملَ بهنّ —[2] ما ينبىء عن جهل من ظنّ أو توهّم أنّ معنى الخبر الذى ذكرنا عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه لم يكن

---

(١) فى المطبوعة « قد بلغ فأدى . . . » و « لقيله » .

(٢) سياق عبارته من أول هذه الفقرة هو : «وفى أمر الله جل ثناؤه ... وفى قيام الحجة . . . ، وفى صحة الخبر . . . ما ينبىء . . . »

يفسر من القرآن شيئاً إلا آياً بعَدد ، هو أنه لم يكن يبين لأمته من تأويله إلا اليسير القليل منه .

هذا مع ما فى الخبر الذى رُوى عن عائشة من العلّة التى فى إسناده ، التى لا يجوز معها الاحتجاجُ به لأحدٍ ممن علم صحيحَ سَنَد الآثار وفاسدَها فى الدين . لأنّ راويه ممن لا يُعْرف فى أهل الآثار ، وهو : جعفر بن محمد الزبيرى .

وأما الأخبارُ التى ذكرناها عمن ذكرناها عنه من التابعين ، بإحجامه عن التأويل ، فإنّ فِعلَ من فعل ذلك منهم ، كفعل من أحجم منهم عن الفُتيا فى النّوازل والحوادث ، مع إقراره بأنّ الله جل ثناؤه لم يقبض نبيه إليه ، إلا بعد إكمال الدين به لعباده ، وعلمه بأن لله فى كل نازلة وحادثة حُكماً موجوداً بنصٍّ أو دلالة . فلم يكن إحجامُه عن القول فى ذلك إحجامَ جاحدٍ أن يكون لله فيه حكم موجود بين أظهُرِ عباده ، ولكن إحجامَ خائفٍ أن لا يبلغَ فى اجتهاده ما كلّف الله العلماءَ من عباده فيه .

فكذلك معنى إحجام مَن أحجم عن القيل فى تأويل القرآن وتفسيره من العلماء السّلف ، إنما كان إحجامه عنه حِذاراً أن لا يبلغ أداءَ ما كلّف من إصابة صوابِ القول فيه ، لا على أن تأويل ذلك محجوبٌ عن علماء الأمة ، غير موجود بين أظهرهم .

﴿ ذكر الأخبار ﴾

﴿ عن بعض السلف فيمن كان من قدماء المفسرين محمودًا علمه بالتفسير ﴾ ٣١/١

﴿ ومن كان منهم مذموماً علمه به ﴾

١٠٤ – حدثنا محمد بن بشار، قال : حدثنا وكيع ، قال : حدثنا سفيان ، عن سليمان ، عن مسلم ، قال : قال عبد الله : نعم تَرْجمانُ القرآن ابنُ عباس .

١٠٥ – حدثني يحيى بن داود الواسطي ، قال : حدثنا إسحق الأزرق ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : نعم تَرْجمانُ القرآن ابنُ عباس .

١٠٦ – وحدثني محمد بن بشار ، قال : حدثنا جعفر بن عون ، قال : حدثنا الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق عن عبد الله ، بنحوه .

١٠٧ – حدثنا أبو كريب قال : حدثنا طَلق بن غنام ، عن عثمان المكي ، عن ابن أبي مُليكة قال : رأيت مجاهداً يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ، ومعه ألواحُه ، فيقول له ابن عباس : « اكتب » ، قال : حتى سأله عن التفسير كلِّه[1] .

١٠٨ – حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا المحاربي ، ويونس بن بُكير قالا : حدثنا محمد بن إسحق ، عن أبان بن صالح ، عن مجاهد ، قال : عرضتُ المصحفَ على ابن عباس ثلاث عَرْضات ، من فاتحته إلى خاتمته ، أوقِفه عند كل آية منه وأسألُه عنها .

---

(١) الخبر ١٠٧ – في المطبوعة : « ومع الواحد » وهو تصحيف . وقد نقله ابن كثير في التفسير ١ : ١٠ .

١٠٩ – وحدثني عبيد الله بن يوسف الجُبَيْرِيّ، عن أبي بكر الحنفي ، قال: سمعت سفيان الثوري يقول : إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبُكَ به .

١١٠ – وحدثنا محمد بن المثنى ، قال: حدثنا سليمان أبو داود ، عن شعبة ، عن عبد الملك بن مَيْسَرة ، قال: لم يلق الضحّاكُ ابنَ عباس، وإنما لقي سعيدَ ابن جبير بالرّيّ ، وأخذ عنه التفسير .

١١١ – حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا أبو داود ، عن شعبة ، عن مُشَاش ، قال : قلت للضحاك : سمعتَ من ابن عباس شيئاً ؟ قال : لا .

١١٢ – حدثنا أبو كريب، قال : حدثنا ابن إدريس ، قال حدثنا زكريا ، قال: كان الشعبي يمرّ بأبي صالح باذان ، فيأخُذ بأذنه فيعرُكُها ويقول : تُفسِّر القرآنَ وأنتَ لا تقرأ القرآن ![1]

١١٣ – حدثني عبد الله بن أحمد بن شَبُّويه ، قال: حدثنا علي بن الحسين ابن واقد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا الأعمش ، قال : حدثني سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس : ﴿ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ ﴾ [سورة غافر : ٢٠] قال : قادر على أن يجزيَ بالحسنة الحسنة[2]، وبالسيئة السيئة ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [سورة غافر : ٢٠] ، قال الحسين : فقلت للأعمش : حدّثني به الكلبي ، إلا أنه قال : إنّ الله قادرٌ أن يجزيَ بالسيئة السيئة وبالحسنة عَشْراً ، فقال الأعمش : لو أن الذي عند الكلبي عندي ما خرج مني إلا بخفير[3] .

---

(١) الأثر ١١٢ – أبو صالح باذان ، ويقال « باذام » : هو مولى أم هانىء بنت أبي طالب ، وهو تابعي ثقة ، ومن تكلم فيه فإنما تكلم لكثرة كلامه في التفسير ، وفي رواية الكلبي عنه . انظر شرح المسند في الحديث ٢٠٣٠ ، وهذا الخبر الذي هنا نقله ابن حجر في التهذيب في ترجمته ١ : ٤١٧ عن زكريا ، وهو ابن أبي زائدة . وعرك الأديم والأذن : أخذهما بين يديه أو إصبعيه ودلكهما دلكاً شديداً .

(٢) في المخطوطة : « قادر على أن لا يجزي » وهو خطأ .

(٣) الخبر ١١٣ – يأتي هذا الخبر في تفسير سورة غافر : ٢٠ . ونصه هناك : « ما خرج مني إلا بحقير » ، والذي كان هنا في المطبوعة « ما خرج مني بحقير » ، والصواب ما أثبتناه . و « الخفير » :

١١٤ – حدثني سليمان عبد الجبار ، قال : حدثنا على بن حَكيم الأوْدىّ ، قال : حدثنا عبد الله بن بُكَير ، عن صالح بن مسلم ، قال : مرّ الشعبي على السُّدِّى وهو يفسر ، فقال : لأن يُضرب على استِك بالطبل ، خيرٌ لك من مجلسك هذا[1] .

١١٥ – حدثني سليمان بن عبد الجبار ، قال : حدّثني على بن حَكيم ، قال : حدثنا شَريك ، عن مسلم بن عبد الرحمن النخعى ، قال : كنت مع إبراهيم ، فرأى السُّدِّى ، فقال : أمَا إنه يُفسِّر تَفسير القوم .

١١٦ – حدثنا ابن البرقى ، قال : حدثنا عمرو بن أبى سلمة ، قال : سمعتُ سعيد بن بَشِير ، يقول عن قتادة ، قال : ما أرى أحداً يجرى مع الكلبىّ فى التفسير فى عِنَان .

قال أبو جعفر : قد قلنا فيما مَضى من كتابنا هذا فى وُجوه تأويل القرآن ، وأن تأويل جميع القرآن على أوجهٍ ثلاثة :

أحدها لا سبيل إلى الوصول إليه ، وهو الذى استأثر الله بعلمه ، وحَجَبَ علمه عن جميع خلقه ، وهو أوقاتُ ما كانَ من آجال الأمور الحادثة ، التى أخبر الله فى كتابه أنها كائنة ، مثل : وقت قيام الساعة ، ووقت نزول عيسى بن مريم ، ووقتِ طلوع الشمس من مغربها ، والنفخ فى الصور ، وما أشبه ذلك .

والوجه الثانى : ما خصَّ الله بعلم تأويله نبيَّه صلى الله عليه وسلم دون سائر أمته ، وهو ما فيه مما بعباده إلى علم تأويله الحاجةُ ، فلا سبيل لهم إلى علم ذلك إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم لهم تأويلَه .

والثالث منها : ما كان علمهُ عند أهل اللسان الذى نزل به القرآن ، وذلك

مجير القوم الذى يكونون فى ضمانه ما داموا فى بلاده . وراوى هذا الخبر – على بن الحسين بن واقد : ضعفه أبو حاتم ، وقال البخارى : «كنت أمر عليه طرفى النهار ، ولم أكتب عنه» . وأبوه حسين بن واقد : ثقة .

(١) الأثر ١١٤ – صالح بن مسلم : مضت ترجمته فى الحديث ١٠٣ .

علم تأويل عربيته وإعرابه ، لا يُوصَل إلى علم ذلك إلا من قِبَلهم . ٣٢/١

فإذ كان ذلك كذلك ، فأحقُّ المفسرين بإصابة الحق — فى تأويلِ القرآنِ الذى إلى عِلم تأويله للعباد السبيلُ — أوضحُهم حُجة فيما تأوّل وفسَّر ، مما كان تأويله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم دون سائر أمته[1] من أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم الثابتة عنه: إمَّا من جهة النقل المستفيض، فيما وُجِد فيه من ذلك عنه النقلُ المستفيض ، وإمَّا من جهة نقل العدول الأثبات ، فيما لم يكن فيه عنه النَّقلُ المستفيض ، أو من جهة[2] الدلالة المنصوبة على صحته ؛ وأصحُّهم برهاناً[3] — فيما ترجَم وبيّن من ذلك — ممّا كان مُدركاً علمُه من جهة اللسان:[4] إمّا بالشواهد من أشعارهم السائرة، وإمّا من منطقهم ولغاتهم المستفيضة المعروفة، كائناً من كان ذلك المتأوِّل والمفسِّر ، بعد أن لا يكون خارجاً تأويلُه وتفسيره ماتأول وفسر من ذلك ، عن أقوال السلف من الصحابة والأئمة ، والخلف من التابعين وعلماء الأمة .

---

(١) سياق عبارته « أوضحهم حجه . . . من أخبار رسول الله . . . » وما بينهما فصل .

(٢) كل ما جاء فى هذه العبارة من قوله « جهة » ، فكانه فى المطبوعة « وجه » .

(٣) فى المطبوعة : « وأوضحهم برهانا » ، وليست بشىء . وقوله : « وأصحهم برهاناً» معطوف على قوله آنفاً « أوضحهم حجة » .

(٤) ترجم : فسر وبين ، كما مضى آنفاً فى ص : ٧٠ رقم : ١ .

﴿القول فى تأويل أسماء القرآن وسُوَره وآيه﴾

قال أبو جعفر : إنّ الله تعالى ذكرهُ سمَّى تنزيله الذى أنزله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم أسماء أربعة :

منهن : « القرآن » ، فقال فى تسميته إياه بذلك فى تنزيله : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [سورة يوسف : ٣] ، وقال : ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [سورة النمل : ٧٦] .

ومنهنّ : « الفرقان » ، قال جل ثناؤه فى وحيه إلى نبيه صلى الله عليه وسلم يُسمِّيه بذلك : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [سورة الفرقان : ١] .

ومنهن : « الكتاب » : قال تباركَ اسمهُ فى تسميته إياه به : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ، قَيِّمًا ﴾ [سورة الكهف : ١] .

ومنهنّ : « الذكر » ، قال تعالى ذكره فى تسميته إياه به : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [سورة الحجر : ٩] .

ولكلّ اسم من أسمائه الأربعة فى كلام العرب ، معنى ووجهٌ غيرُ معنى الآخر ووجهه .

* * *

فأما « القرآن » ، فإن المفسرين اختلفوا فى تأويله . والواجبُ أن يكون تأويله على قول ابن عباس : من التلاوة والقراءة ، وأن يكون مصدراً من قول القائل :

قرأت، كقولك « الخُسران » من « خسِرت » ، و « الغُفْران » من « غفر الله لك » ، و « الكُفران » من « كفرتُك » ، « والفرقان » من « فَرَق الله بين الحق والباطل » .

١١٧ — وذلك أنّ يحيى بن عثمان بن صالح السهمى حدثنى ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، قال : حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس فى قوله: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ ﴾ ، يقول : بيّنّاه . ﴿ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ [سورة القيامة : ١٨] يقول : اعمل به[١] .

ومعنى قول ابن عباس هذا : فإذا بيّنّاه بالقراءة ، فاعمل بما بيناه لك بالقراءة .

ومما يوضح صحة ما قلنا فى تأويل حديث ابن عباس هذا ، ما :—

١١٨ — حدثنى به محمد بن سعد ، قال : حدثنى أبى ، قال : حدثنى عمى ، قال : حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عباس : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ [سورة القيامة ١٧] قال : أن نُقرئك فلا تنسى ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ ﴾ عليك ﴿ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ يقول : إذا تُلى عليك فاتّبعْ ما فيه[٢] .

قال أبو جعفر : فقد صرّح هذا الخبرُ عن ابن عباس : أنّ معنى « القرآن » عنده القراءة ، فإنه مصدر من قول القائل : قرأتُ ، على ما بيّنّاه .

وأما على قول قتادة ، فإن الواجب أن يكون مصدراً ، من قول القائل : قرأتُ الشىء ، إذا جمعتَهُ وضممتَ بعضه إلى بعض ، كقولك : « ما قرأتْ هذه الناقةُ سَلًى قطُّ »[٣] ، تريد بذلك أنها لم تضمُمْ رحماً على ولد ، كما قال عمرو بن كلثوم التغلبىّ :

---

(١) الأثر ١١٧ — سيأتى فى تفسير سورة القيامة : ١٧ — ١٨ ، وفى إسناده هناك خطأ ، ذلك أنه قال: «حدثنا على قال حدثنا أبو صالح . . .» وصوابه : «حدثنا يحيى قال حدثنا أبو صالح» . وأبو صالح هو : عبد الله بن صالح المبين فى إسنادنا هذا .

(٢) الأثر ١١٨ — سيأتى أيضاً فى تفسير هذه الآية من سورة القيامة .

(٣) السلى : الجلدة الرقيقة التى يكون الولد فى بطن أمه ملفوفاً فيها ، وهو فى الدواب والإبل : السلى ، وفى الناس : المشيمة

تُرِيكَ – إذَا دَخَلْتَ على خَلاء ، وَقَدْ أَمِنَتْ عُيُونَ الـكَاشِحِينا –(١)

ذِرَاعَىْ عَيْطَلٍ ، أدْماء ، بِكْرٍ ، هِجَانِ اللَّوْن ، لَمْ تَقْرَأْ جَنِينا(٢)

يعنى بقوله : « لم تقرأ جنيناً » ، لم تضمُمْ رحماً على ولد .

١١٩ – وذلك أن بشر بن مُعاذ العَقَدىّ حدثنا قال : حدثنا يزيد بن ١/٣٣ زُرَيْع قال : حدثنا سعيد بن أبى عَرُوبة ، عن قتادةَ فى قوله تعالى : ﴿ إنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وقُرْآنَهُ ﴾ ، يقول : حفظه وتأليفه ، ﴿ فَإذا قَرَأْنَاهُ فاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ اتَّبع حلاله ، واجتنب حرامه .

١٢٠ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعانى ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، قال : حدثنا معمر ، عن قتادة بمثله .(٣)

فرأى قتادة أن تأويلَ « القرآن » : التأليفُ .

قال أبو جعفر : ولكلا القولين – أعنى قولَ ابن عباس وقول قتادة – اللذين حكيناهما ، وجهٌ صحيح فى كلام العرب . غيرَ أنّ أولى قولَيْهما بتأويل قول الله تعالى : ﴿ إنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وقُرْآنَهُ ، فَإذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ ، قول ابن عباس .

لأن الله جلّ ثناؤه أمر نبيه فى غير آيةٍ من تنزيله باتباع ما أوحى إليه ، ولم يرخِّص له فى ترك اتباع شىء من أمره إلى وقتِ تأليفِه القرآنَ له . فكذلك قوله : ﴿ فَإذَا قَرَأْنَاهُ فاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ ، نظير سائر ما فى آى القرآن التى أمره الله فيها باتباع ما أوحى إليه فى تنزيله .

---

(١) من معلقته المشهورة . والضمير فى قوله : « تريك » إلى أم عمرو صاحبته . والكاشح : العدو المضمر العداوة ، المعرض عنك بكشحه . وقوله : « على خلاء » ، أى على غرة وهى خالية متبذلة .

(٢) العيطل : الناقة الطويلة العنق فى حسن منظر وسمن . والأدماء : البيضاء مع سواد المقلتين ، وخير الإبل الأدم ، والعرب تقول : « قريش الإبل أدمها وصهبها » ، يعنون أنها فى الإبل كقريش فى الناس فضلا . ووصفها بأنها بكر ، لأن ذلك أحسن لها ، وهى فى عهدها ذلك ألين وأسمن . وهجان اللون : بيضاء كريمة . وسيأتى هذا البيت الثانى فى تفسير الطبرى ٢٩ : ١١٨ « بولاق » .

(٣) الأثر ١١٩ ، ١٢٠ – سيأتى بإسناديه فى تفسير سورة القيامة .

ولو وَجب أنْ يكون معنى قوله : ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾، فإذا ألّفناه فاتبع ما ألّفنا لك فيه — لوجب أن لا يكون كان لزمه فرضُ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ولا فرضُ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [سورة المدثر : ١ ، ٢] قبل أن يؤلَّف إلى ذلك غيرُه من القرآن . وذلك ، إنْ قاله قائل ، خروجٌ من قول أهل الملّة .

وإذ صَحَّ أن حكم كلّ آية من آى القرآن كانَ لازماً النبيَّ صلى الله عليه وسلم اتباعُه والعملُ به ، مؤلَّفة كانت إلى غيرها أو غيرَ مؤلَّفة — صحّ ما قال ابن عباس فى تأويل قوله : ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾، أنه يعنى به : فإذا بيّناه لك بقراءتنا، فاتبع ما بيناه لك بقراءتنا — دون قول من قال: معناه، فإذا ألّفناه فاتّبع ما ألفناه .

وقد قيل إن قول الشاعر :

ضَحَّوْا بِأَشْمَطَ عُنْوانُ السُّجُودِ بِهِ يُقَطِّعُ اللَّيلَ تَسْبِيحاً وقُرْآنَا(١)

يعنى به قائله : تسبيحاً وقراءةً .

فإن قال قائل : وكيف يجوز أن يسمى « قرآناً » بمعنى القراءة ، وإنما هو مقروء ؟

قيل : كما جاز أن يسمى المكتوب « كتاباً » ، بمعنى : كتاب الكاتب ، كما قال الشاعر فى صفة كتاب طلاقٍ كتبه لامرأته :

تُؤَمِّلُ رَجْعَةً مِنِّى ، وفيها كِتابٌ مثلَ ما لَصِقَ الغِرَاءُ(٢)

---

(١) البيت لحسان بن ثابت ، ديوانه : ٤١٠ ، وضحى : ذبح شاته ضحى النحر ، وهى الأضحية . واستعاره حسان لمقتل عثمان فى ذى الحجة سنة ٣٥، رضى الله عنهما . والعنوان : الأثر الذى يظهر فتستدل به على الشىء .

(٢) لم أجد هذا البيت فى شىء من المراجع التى بين يدى . وتنصب «مثل» على أنه بيان لحال المفعول المطلق المحذوف، وتقديره : « كتاب لاصق لصوقاً مثل ما لصق الغراء »

يريد : طلاقاً مكتوباً ، فجعل « المكتوب » كتاباً .

وأما تأويل اسمه الذى هو « فُرْقان » ، فإن تفسيرَ أهل التفسير جاء فى ذلك بألفاظ مختلفة ، هى فى المعانى مؤتلفة .

١٢١ – فقال عكرمة ، فيما حدثنا به ابن حُميد ، قال : حدثنا حَكَّام بن سَلْم ، عن عَنْبسة ، عن جابر ، عن عكرمة : أنه كان يقول : هو النَّجاة .

وكذلك كان السُّدِّىّ يتأوَّله .

١٢٢ – حدثنا بذلك محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن المُفَضَّل ، قال : حدثنا أسباط ، عن السُّدِّى – وهو قول جماعة غيرهما .

وكان ابن عباس يقول : « الفرقان » : المخرَجُ

١٢٣ – حدثنى بذلك يحيى بن عثمان بن صالح ، قال : حدثنا عبدالله بن صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس .

وكذلك كان مجاهد يقول فى تأويله بذلك .

١٢٤ – حدثنا بذلك ابن حُميد ، قال : حدثنا حَكَّام ، عن عنبسة ، عن جابر ، عن مجاهد[1] .

وكان مجاهد يقول فى قول الله عز وجل : ﴿ يَوْمَ الفُرْقَانِ ﴾ [سورة الأنفال : ٤١] يومٌ فَرَقَ الله فيه بين الحقّ والباطل

١٢٥ – حدثنى بذلك محمد بن عمرو الباهلى ، قال : حدثنى أبو عاصم ، عن عيسى بن ميمون ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد[2] .

وكلّ هذه التأويلات فى معنى « الفرقان » – على اختلاف ألفاظها – متقاربات المعانى . وذلك أنّ من جُعِل له مخرجٌ من أمر كان فيه ، فقد جُعل

---

(١) الآثار السالفة كلها مروية فى تفسير آية الأنفال : ٢٩

(٢) الأثر ١٢٥ – يأتى فى تفسير آية الأنفال : ٤١

له ذلك المخرجُ منه نجاةً. وكذلك إذا نُجِّى منه، فقد نُصِر على من بَغَاه فيه سُوءًا، وفُرِق بينه وبين باغيه السُّوءَ.

فجميع ما روينا – عمن روينا عنه – فى معنى «الفرقان»، قولٌ صحيح المعانى، لاتفاق معانى ألفاظهم فى ذلك. ١/٣٤

وأصلُ «الفُرْقان» عندنا: الفرقُ بين الشيئين والفصل بينهما. وقد يكون ذلك بقضاءٍ، واستنقاذٍ، وإظهار حُجَّة، ونَصْرٍ[1]، وغير ذلك من المعانى المفرِّقة بين المحقّ والمبطِل. فقد تبين بذلك أنّ القرآن سُمّى «فرقاناً»، لفصله – بحججه وأدلّته وحدود فرائضه وسائر معانى حُكمه – بين المحق والمبطل. وفرقانُه بينهما: بنصره المحقّ، وتخذيله المبطل، حُكماً وقضاءً.

* * *

وأما تأويل اسمه الذى هو «كتابٌ»: فهو مصدر من قولك «كتبت كتاباً» كما تقولُ: قمت قياماً، وحسبت الشيء حِساباً. والكتابُ: هو خطُّ الكاتب حروفَ المعجم مجموعةً ومفترقة. وسُمى «كتاباً»، وإنما هو مكتوب، كما قال الشاعر فى البيت الذى استشهدنا به:

* وفيها كِتابٌ مثلَ ما لَصِقَ الغِراء *

يعنى به مكتوباً.

* * *

وأما تأويل اسمه الذى هو «ذِكْرٌ»، فإنه محتمل معنيين: أحدهما: أنه ذكرٌ من الله جل ذكره، ذكَّر به عباده، فعرَّفهم فيه حدوده وفرائضه، وسائرَ ما أودعه من حُكمه. والآخر: أنه ذكرٌ وشرف وفخرٌ لمن آمن به وصدَّق بما فيه، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [سورة الزخرف: ٤٤]، يعنى به أنه شرفٌ له ولقومه.

* * *

(١) فى المطبوعة: «وتصرف» مكان «ونصر»، وهو خطأ محض

ثم لسوَر القرآن أسماءٌ سمّاها بها رسول الله صلى الله عليه وسلم :

١٢٦ – حدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا أبو داود الطيالسى ، قال : حدثنا أبو العوّام – وحدثنى محمد بن خلف العَسْقلانى ، قال : حدثنا رَوّاد بن الجرّاح ، قال : حدثنا سعيد بن بَشير ، جميعاً – عن قتادة ، عن أبى المَليح ، عن واثلة بن الأسْقَع : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : أعطِيتُ مكان التوراةِ السبعَ الطُّوَل ، وأعطيت مكان الزَّبور المِئِين ، وأعطيتُ مكان الإنجيل المَثَانى ، وفُضِّلت بالمفصَّل[1] .

١٢٧ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن عُلية ، عن خالد الحذّاء ، عن أبى قِلابة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعطِيتُ السبعَ الطُّوَل مكان التوراة ، وأعطيت المثانِىَ مكانَ الزَّبور ، وأعطيت المئين مكانَ الإنجيل ، وفُضِّلت بالمفصَّل[2] . قال خالد : كانوا يسمُّون المفصَّل : العربىَّ . قال خالد : قال بعضهم : ليس فى العربىّ سجدةٌ .

---

(١) الحديث ١٢٦ – رواه الطبرى هنا بإسنادين ، أحدهما صحيح ، والآخر ضعيف : فرواه من طريق أبى داود الطيالسى عن أبى العوام ، وهذا إسناد صحيح . ورواه من طريق رواد بن الجراح عن سعيد بن بشير ، وهذا إسناد ضعيف – كلاهما عن قتادة .

أما طريق الطيالسى ، فإنه فى مسنده رقم ١٠١٢ ، ورواه أحمد فى المسند رقم ١٧٠٤٩ (٤ : ١٠٧ طبعة الحلبى) وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧ : ١٥٨ ، ونسبه أيضاً للطبرانى « بنحوه » . وأبو العوام ، فى الإسناد الأول : هو « عمران بن داور » بفتح الدال وبعد الألف واو مفتوحة وآخره راء – « القطان » ، وهو ثقة .

وأما الطريق الثانى ، ففى إسناده « رواد بن الجراح العسقلانى » ، وهو صدوق ، إلا أنه تغير حفظه فى آخر عمره ، كما قال أبو حاتم ، فيما نقله عنه ابنه فى الجرح والتعديل ١ / ٢ : ٥٢٤ ، وقال البخارى فى الكبير ٢ / ١ : ٣٠٧ : « كان قد اختلط ، لا يكاد أن يقوم حديثه » . و« رواد » بفتح الراء وتشديد الواو وآخره دال . ووقع فى الأصول هنا « داود » ، وهو خطأ . وفى إسناده أيضاً « سعيد بن بشير » ، وهو صدوق يتكلمون فى حفظه . ولكن لم ينفرد « رواد » بروايته عن سعيد ، فقد ذكره ابن كثير فى التفسير ١ : ٦٤ من كتاب أبى عبيد : عن هشام بن إسمعيل الدمشقى عن محمد بن شعيب عن سعيد بن بشير ، وقال ابن كثير : « هذا حديث غريب ، وسعيد بن بشير : فيه لين » ، وهو تعليل غير محرر ! فإن سعيد بن بشير لم ينفرد به – كما هو ظاهر – بل تأيدت روايته برواية الطيالسى عن أبى العوام عمران بن داور ، وهو إسناد صحيح ، كما قلنا . وسيأتى بإسناد ثالث ، رقم ١٢٩ .

(٢) الحديث ١٢٧ – هذا خبر مرسل عن أبى قلابة

١٢٨ – وحدثنا محمد بن حميد، قال حدثنا حَكَّام بن سَلْم، عن عمرو بن أبي قيس، عن عاصم، عن المسيَّب، عن ابن مسعود قال: الطُّوَل كالتوراة، والمئون كالإنجيل، والمثاني كالزَّبور، وسائر القرآن بعدُ فَضْلٌ على الكتب[1].

١٢٩ – حدثني أبو عُبيد الوَصَّابي، قال: حدثنا محمد بن حفص، قال: أنبأنا أبو حميد، حدثنا الفزاري، عن ليث بن أبي سُلَيم، عن أبي بُرْدة، عن أبي المَلِيح، عن واثلة بن الأسقع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال أعطاني ربّي مكانَ التوراة السبعَ الطول، ومكان الإنجيل المثاني، ومكان الزَّبور المئين، وفضّلني ربي بالمفصَّل[2].

قال أبو جعفر: والسبع الطُّوَل: البقرةُ، وآل عِمْران، والنساء، والمائدة،

---

(١) الخبر ١٢٨ – لم نجد خبر ابن مسعود هذا. و «عاصم»: هو ابن أبي النجود، بفتح النون، وهو عاصم بن بهدلة. و «المسيب»: هو ابن رافع الأسدي، وهو تابعي ثقة، ولكنه لم يلق ابن مسعود، إنما يروي عن مجاهد ونحوه، كما قال أبو حاتم. انظر التهذيب ١٠: ١٥٣، والمراسيل لابن أبي حاتم: ٧٦، وشرح المسند، في الحديث: ٣٦٧٦.

(٢) الحديث ١٢٩ – هذا إسناد آخر للحديث الماضي ١٢٦، وهو إسناد مشكل، لم تستبن لنا حقيقته:

فأوله «أبو عبيد الوصابي حدثنا محمد بن حفص»! كذا وقع في الأصول. وأخشى أن يكون خطأ، بل لعله الراجح عندي، فإن أبا عبيد الوصابي: هو محمد بن حفص نفسه، ترجمه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٣ / ٢: ٢٣٧، قال: «محمد بن حفص الوصابي الحمصي أبو عبيد، روى عن محمد بن حمير وأبي حيوة شريح بن يزيد. أدركته وأردت قصده والسماع منه، فقال لي بعض أهل حمص: ليس بصدوق، ولم يدرك محمد بن حمير، فتركته». وترجمه الحافظ في لسان الميزان ٥: ١٤٦ بنحو هذا، وزاد أن ابن مندة ضعفه، وأن ابن حبان ذكره في الثقات. وكذلك ذكره الدولابي في الكنى ٢: ٧٥، ٧٦ باسمه وكنيته، وروى حديثاً عن عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبي عبيد هذا.

ثم «أبو حميد» الراوي عنه محمد بن حفص: لم أستطع أن أعرف من هو؟ وكذلك «الفزاري» شيخ أبي حميد، وقد يكون هو أبا إسحق الفزاري.

وأما أبو بردة: فهو أبو بردة بن أبي موسى الأشعري، وهو يروي في هذا الإسناد عن أبي المليح بن أسامة الهذلي، وكلاهما تابعي، إلا أن أبا بردة أكبر من أبي المليح، فيكون من رواية الأكابر عن الأصاغر.

وفي مجمع الزوائد ٧: ١٥٨ حديث نحو هذا من حديث أبي أمامة، قال الهيثمي: «رواه الطبراني، وفيه ليث بن أبي سليم، وقد ضعفه جماعة، ويعتبر بحديثه، وبقية رجاله رجال الصحيح».

والأنعام، والأعراف ، ويونس ، فى قول سعيد بن جبير [١] .

١٣٠ – حدثنى بذلك يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا هُشيم، عن أبى بِشر، عن سعيد بن جبير .

وقد روى عن ابن عباس قولٌ يدلّ على موافقته قولَ سعيد هذا .

١٣١ –وذلك ما حدثنا به محمد بن بَشّار ، قال : حدثنا ابن أبى عَدىّ ، ويحيى بن سعيد ، ومحمد بن جعفر ، وسهل بن يوسف ، قالوا : حدثنا عَوْف ، قال : حدثنى يزيد الفارسىّ ، قال : حدثنى ابن عباس : قال : قلت لعثمان بن عفان : ما حملكم على أن عَمَدْتُم إلى الأنفال، وهى من المثانى ، وإلى براءة وهى من المئين ، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا سطراً: «بسم الله الرحمن الرحيم»، ووضعتموهما فى السبع الطُّوَل ؟ ما حملكم على ذلك ؟ قال عثمان : « كان رسول الله صلى الله الله عليه وسلم ممَّا يأتى عليه الزمانُ وهو تُنزَّل عليه السُّورُ ذواتُ العَدد، فكان إذا
٣٥/١ نزل عليه الشىء دعا ببعض من كان يكتبُ فيقول : ضَعُوا هؤلاء الآيات فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا . وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة ، وكانت براءةُ من آخر القرآن نزولاً ، وكانت قِصَّتُها شبيهةً بقصتها ، فظننت أنها منها . فقُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يُبيِّن لنا أنها منها ، فمن أجل ذلك قرنتُ بينهما، ولم أكتب بينهما سطر : « بسم الله الرحمن الرحيم » ، ووضعتهما فى السَّبع الطُّوَل »[٢] .

فهذا الخبر ينبئ عن عثمان بن عفان رحمة الله عليه ، أنه لم يكن تَبيَّن له أنَّ

---

(١) انظر تفسير ابن كثير فى أول سورة البقرة ١ : ٦٤ . و « الطول » ، بضم الطاء وفتح اللام : جمع « الطولى » ، مثل « الكبر » و « الكبرى » .

(٢) الخبر ١٣١ – رواه أحمد بن حنبل فى المسند عن يحيى بن سعيد، وعن إسمعيل بن إبراهيم ، وعن محمد بن جعفر ، كلهم عن عوف الأعرابى ، بهذا الإسناد ، مطولا ، برقمى : ٣٩٩ ، ٤٩٩ وهو حديث ضعيف جداً ، فصلت طرقه ، ووجه ضعفه ، فى شرح المسند : ٣٩٩ .

الأنفال وبراءةَ من السبع الطُّوَل ، ويصرِّح عن ابن عباس أنه لم يكن يَرى ذلك منها .

وإنما سميت هذه السور السبعَ الطُّوَل ، لطولها على سائر سُوَر القرآن .

وأما «المثون : فهى ما كان من سور القرآن عددُ آيه مئة آية ، أو تزيد عليها شيئاً أو تنقص منها شيئاً يسيراً .

وأما «المثانى : فإنها ما ثَنَّى المئين فتلاها ، وكان المئون لها أوائلَ ، وكان المثانى لها ثوانى . وقد قيل : إن المثانى سميت مثانى ، لتثنية الله جل ذكره فيها الأمثالَ والخبرَ والعبرَ ، وهو قول ابن عباس .

١٣٢ — حدثنا بذلك أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن عبد الله بن عثمان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس .

وروى عن سعيد بن جبير ، أنه كان يقول : إنما سميت مثانى لأنها ثنيت فيها الفرائضُ والحدود .

١٣٣ — حدثنا بذلك محمد بن بَشَّار ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جُبير .

وقد قال جماعة يكثر تعدادهم : القرآن كله مَثانٍ .

وقال جماعة أخرى : بل المثانى فاتحة الكتاب ، لأنها تُثْنَى قراءتُها فى كل صلاة .

وسنذكر أسماء قائلى ذلك وعللَهم ، والصوابَ من القول فيما اختلفوا فيه من ذلك ، إذا انتهينا إلى تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ المَثَانِي ﴾ [سورة الحجر : ٨٧] إن شاء الله ذلك .

وبمثل ما جاءتْ به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أسماء سور القرآن التى ذُكِرَتْ ، جاء شعرُ الشعراء . فقال بعضهم :

حَلفتُ بالسَّبعِ اللّواتى طُوِّلتْ وبِمِئِينَ بعدَها قد أُمْئِيَت.(١)
وبمَثَانٍ ثُنِّيتْ فكُرِّرتْ وبالطَّواسِينِ التى قد ثُلِّثَت.(٢)
وبالحَوامِيم اللَّوَاتِى سُبِّعتْ وبالمفصَّلِ اللَّواتِى فُصِّلت.(٣)

قال أبو جعفر رحمة الله عليه : وهذه الأبيات تدل على صحّة التأويل الذى تأوّلناه فى هذه الأسماء .

وأما « المفصَّل » : فإنها سميت مفصَّلا لكثرة الفصول التى بين سوَرها بـ « بسم الله الرحمن الرحيم » .

* * *

قال أبو جعفر : ثم تسمى كل سورة من سور القرآن « سورة » ، وتجمع سُوَراً » ، على تقدير « خُطبة وخُطب » ، « وغُرفة وغُرَف » .

والسورة ، بغير همز : المنزلة من منازل الارتفاع . ومن ذلك سُور المدينة ، سمى بذلك الحائطُ الذى يحويها ، لارتفاعه على ما يحويه . غير أن السُّورة من سُور المدينة لم يسمع فى جمعها « سُوَر » ، كما سمع فى جمع سورة من القرآن « سور » . قال العجاج فى جمع السُّورة من البناء :

فرُبَّ ذِى سُرَادِقٍ مَحْجُورِ سُرْتُ إليه فى أعالى السُّورِ(٤)

فخرَج تقدير جمعها على تقدير جمع بُرَّة وبُسْرة ، لأن ذلك يجمع بُرًّا وبُسراً . وكذلك لم يسمع فى جمع سورة من القرآن سُوْرٌ ، ولو جمعت كذلك لم يكن خطأ فى القياس ، إذا أريد به جميعُ القرآن . وإنما تركوا — فيما نرى — جمعه كذلك ، لأن كل جمع كان بلفظ الواحد المذكَّر مثل : بُرّ وشعير وقَصَب وما أشبه ذلك ، فإن

(١) الأبيات فى مجاز القرآن لأبى عبيدة : ٧ . أمأيت لك الشىء : أكملت لك عدته حتى بلغ المئة.
(٢) الطواسين التى ثلثت ، يعنى طسم الشعراء ، وطس النمل ، وطسم القصص .
(٣) الحواميم التى سبعت : سبع سور من سورة غافر إلى سورة الأحقاف .
(٤) ديوانه : ٢٧ . والسرادق : كل ما أحاط بالشىء واشتمل عليه ، من مضرب أو خباء أو بناء . ويعنى حريم الملك . ومحجور : محرم ممنوع لا يوطأ إلا بإذن . وسار الحائط يسوره وتسوره : علاه وتسلقه . « سرتُ إليه » : تسلقته .

جماعَه يجرى مجرى الواحد من الأشياء غيره[١]. لأن حكم الواحد منه منفرداً قلَّما يُصاب، فجرى جماعه مجرى الواحد من الأشياء غيره[٢]، ثم جُعلت الواحدة منه كالقطعة من جميعه، فقيل: بُرَّة وشعيرة وقصبة، يراد به قطعة منه[٣]. ولم تكن سور القرآن موجودةً مجتمعةً اجتماعَ البرّ والشعير وسور المدينة، بل كلّ سورة منها موجودةٌ منفردة بنفسها، انفرادَ كل غُرْفة من الغُرف وخُطبة من الخطب، فجُعِل جمعُها جمع الغُرَف والخطب، المبنىّ جمعها من واحدها. ١/٣٦

ومن الدلالة على أنّ معنى السورة: المنزلةُ من الارتفاع، قول نابغة بنى ذُبيان:

أَلَمْ تَرَ أنَّ الله أعطاكَ سُورَةً ... تَرَى كلَّ مَلْكٍ دُونَهَا يَتَذَبْذَبُ[٤]

يعنى بذلك: أنّ الله أعطاه منزلة من منازل الشرف التى قصَّرت عنها منازلُ الملوك.

وقد همز بعضهم السورةَ من القرآن. وتأويلُها، فى لغة من هَمَزها، القطعةُ التى قد أفضِلت من القرآن عما سواها وأبقيت. وذلك أن سؤر كل شىء: البقية منه تَبقى بعدَ الذى يُؤخذ منه، ولذلك سميت الفضْلة من شراب الرجل — يشرَبُه ثم يُفضلها فيبقيها فى الإناء — سُؤْراً. ومن ذلك قول أعشى بنى ثعلبة، يصف امرأةً فارقته فأبقت فى قلبه من وجْدِها بقية:

فبَانَتْ، وقد أَسْأَرتْ فى الفُؤا ... دِ صَدْعاً، على نَأيِها، مُسْتَطِيرَا[٥]

---

(١) فى المطبوعة: «فإن جماعه كالواحد». وفى المخطوطة «فإن جماعه مجرى الواحد»، سقط من الناسخ قوله «يجرى . . .».

(٢) فى المطبوعة «مفرداً» مكان «منفرداً».

(٣) يعنى أنه اسم جنس، سبق الجمع الواحد. لأنه لم يوضع للآحاد، وإنما وضع لجملته مجتمعاً، وهو الذى يفرق بينه وبين واحده بالتاء.

(٤) ديوانه: ٥٧، ويأتى فى تفسير الطبرى: ٢١٥ (بولاق). يتذبذب: يضطرب ويحار. والذبذبة: تردد الشىء المعلق فى الهواء يمنة ويسرة. يقول: أعطاك الله من المنزلة الرفيعة، ما لو رامه ملك وتسامى إليه، بقى معلقاً دونها حائراً يضطرب ويتردد، لا يطيق أن يبلغها.

(٥) ديوانه: ٦٧، ويأتى فى تفسير الطبرى ٢٩: ١٢٩ (بولاق). استطار الصدع فى الزجاجة وغيرها: تبين فيها من أولها إلى آخرها، وفشا وامتد.

وقال الأعشى فى مثل ذلك :

بَانَتْ، وقدأ سْأَرْت فى النَّفس حَاجتَهَا ، بعدَ ائتِلاف ؛ وخيرُالوُدِّ ما نَفَعَا(١)

* * *

وأما الآية من آى القرآن ، فإنها تحتمل وجهين فى كلام العرب :

أحدُهما : أن تكون سمِّيت آية ، لأنها علامةٌ يُعرف بها تمام ما قبلها وابتداؤها ، كالآية التى تكون دلالةً على الشىء يُستدلّ بها عليه ، كقول الشاعر :

أَلِكْنى إليها ، عَمْرَكَ اللهُ يا فَتى ، بآيَةِ ما جاءتْ إلينا تَهَادِيَا(٢)

يعنى : بعلامة ذلك(٣) . ومنه قوله جل ذكرُه : ﴿ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ ﴾ [سورة المائدة : ١١٤] أى علامةً منك لإجابتك دُعاءنا وإعطائك إيَّانا سُؤْلَنا .

والآخر منهما : القصةُ ، كما قال كعب بن زهير بن أبى سُلمى :

أَلَا أبْلغا هذا المُعَرِّض آيَةً : أَيَقْظَانَ قالَ القولَ إذْ قَالَ، أمْ حَلَمْ(٤)

يعنى بقوله « آية » : رسالةً منّى وخبراً عنى .

فيكون معنى الآيات : القصص ، قصةٌ تتلو قصةً ، بفُصُول ووُصُول .

---

(١) ديوانه : ٧٣ . « بعد ائتلاف » : أى بعد ما كنا فيه من جتماع وألفة .

(٢) الشعر لسحيم عبد بنى الحسحاس ، ديوانه : ١٩ ، ويأتى فى تفسير الطبرى ١ : ١٥٦ (بولاق) ألكنى إليها : أبلغها رسالة منى ، والرسالة : الألوك والمألكة . وتهادى فى مشيه : تمايل دلالا أو ضعفاً .

(٣) فى المخطوطة : « بعلامة دلت » ، وهو خطأ .

(٤) ديوانه : ٦٤ ، وروايته : « أنه أيقظان » . وقد استظهرت فى شرح كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام : ٨٩ ، أن الصواب « آية » ، كما جاء فى مخطوطة الطبقات ، وشرح الطبرى دال على صواب ما استظهرت . وأهملت كتب اللغة تفسير هذا الحرف على وجهه ، مع مجيئه فى شعر كعب وغيره ، كقول حجل بن نضلة :

أبلغْ معـاويةَ الممـزَّقَ آيَةً عنّى ، فلستُ كبَعض من يتَقوَّلُ

﴿القول فى تأويل أسماء فاتحة الكتاب﴾

قال أبو جعفر : صَحَّ الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما :—

١٣٤ — حدثنى به يونس بن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن وهب ، قال: أخبرنى ابن أبى ذئب ، عن سعيد المقبرى، عن أبى هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: هى أمّ القرآن، وهى فاتحة الكتاب، وهى السبع المثانى[1].

فهذه أسماءُ فاتحة الكتاب .

وسمّيت «فاتحةَ الكتاب» ، لأنها يُفتتح بكتابتها المصاحف ، ويُقرأ بها فى الصلوات ، فهى فَواتح لما يتلوها من سور القرآن فى الكتابة والقراءة .

وسمّيت « أم القرآن » ، لتقدمها على سائر سور القرآن غيرها ، وتأخُّر ما سواها خلفها فى القراءة والكتابة. وذلك من معناها شبيهٌ بمعنى فاتحة الكتاب. وإنما قيل لها — بكونها كذلك — أمَّ القرآن ، لتسمية العرب كل جامع أمراً — أو مقدِّمٍ لأمر إذا كانت له توابعُ تتبعه ، هو لها إمام جامع — «أمًّا». فتقول للجلدة التى تجمع الدُّماغ : «أم الرأس»[2]. وتسمى لواء الجيش ورايتهم التى يجتمعون تحتها للجيش — «أمًّا» . ومن ذلك قول ذى الرُّمة ، يصف رايةً معقودة على قناة يجتمع تحتها هو وصحبُه :

---

(١) الحديث ١٣٤ — رواه أحمد فى المسند: ٩٧٨٧ (٢ : ٤٤٨ طبعة الحلبى) . والبخارى ٨ : ٢٨٩ فتح البارى — كلاهما من طريق ابن أبى ذئب ، بهذا الإسناد . ولفظ أحمد : « قال فى أم القرآن : هى أم القرآن ، وهى السبع المثانى ، وهى القرآن العظيم » . ولفظ البخارى : « أم القرآن : هى السبع المثانى ، والقرآن العظيم » . وذكره ابن كثير فى التفسير ١ : ٢١ ، من روايتى المسند والطبرى . وذكره السيوطى فى الدر المنثور ١ : ٣ ، ونسبه أيضاً للدارمى وأبى داود والترمذى وابن المنذر وغيرهم . وسيذكره الطبرى مرة أخرى ، فى تفسير الآية ٨٧ من سورة الحجر (١٤ : ٤٠ — ٤١ من طبعة بولاق) ، بهذا الإسناد .

(٢) فى المخطوطة : « تلى للدماغ » ، وهذه أجود .

٣٧/١ وَأَسْمَرَ، قَوَّامٍ إذَا نَامَ صُحْبَتِي ، خَفِيفِ الثِّيابِ لا تُوَارِي لَهُ أَزْرَا(١)

عَلَى رَأْسِهِ أُمٌّ لنا نَقْتَدِي بِهَا ، جِماعُ أمورٍ لا نُعاصِي لَهَا أَمْرَا(٢)

إذَا نزلتْ قِيلَ: انزِلُوا، وإذا غدَتْ غَدَتْ ذاتَ بِرْزِيقٍ نَنَال بِهَا فَخْرَا(٣)

يعنى بقوله : « على رأسه أمٌّ لنا »، أى على رأس الرمح رايةٌ يجتمعون لها فى النزول والرحيل وعند لقاء العدوّ . وقد قيل إن مكة سميت « أمّ القُرى »، لتقدُّمها أمامَ جميعِها، وَجمْعِها ما سواها . وقيل: إنما سُميت بذلك، لأن الأرض دُحِيَتْ منها فصارت لجميعها أمًّا . ومن ذلك قولُ حُميد بن ثَوْر الهلالىّ :

إذا كانتِ الخمسُونَ أُمَّكَ ، لَمْ يكنْ لِدَائك ، إلّا أنْ تَمُوت ، طَبِيبُ(٤)

لأن الخمسين جامعةٌ ما دونها من العدد ، فسماها أمًّا للذى قد بلغها .

---

(١) ديوانه : ١٨٣ ، مع اختلاف فى بعض الرواية ، ورواية الطبرى أجودهما . أسمر : يعنى رمحاً أسمر القناة . قوام : يظل الليل قائماً ساهراً . خفيف الثياب : يعنى اللواء . والأزر : الظهر . يقول : رمح أسمر عارى الثياب ، لا يوارى اللواء ظهره كما يوارى الثوب ظهر اللابس .

(٢) فى الديوان : « يهتدى »، والصواب « نهتدى » . وأمه التى ذكر ، هى اللواء ، ويقال للواء وما لف على الرمح منه : أم الرمح . وجماع أمور : أى تجمعها فتجتمع عليها ، وفى الحديث : « حدثنى بكلمة تكون جماعاً . قال : اتق الله فيما تعلم » . والأمور جمع أمر : يعنى شؤوناً عظاماً . وأما قوله : لا نعاصى لها أمراً . فهو من الأمر نقيض النهى .

(٣) « نزلت » يعنى الراية . و « غدت » : سارت غدوة . وفى المطبوعة « ذات تزريق » وهو خطأ . والبرزيق : الموكب الضخم فيه جماعات الناس . وقوله : « ننال بها فخراً » أى نغزو فى ظلالها ، فنظهر على عدونا ونظفر ونغنم ، وذلك هو الفخر . وفى الديوان : « تخال بها فخراً » وفى المخطوطة : « تخال لها »، كأنه من صفة الراية نفسها ، تهتز وتميل فخراً وتيهاً لكثرة أتباعها من الغزاة والفرسان .

(٤) الشعر ليس لحميد بن ثور ، ولا هو فى ديوانه ، بل هو لأبى محمد التيمى عبد الله بن أيوب ، مولى بنى تيم ثم من بنى سليم ، من أهل الكوفة ، من شعراء الدولة العباسية . أحد الخلعاء المجان الوصافين للخمر ، كان صديقاً لإبراهيم الموصلى وابنه إسحاق ، ونديماً لهما . ثم اتصل بالبرامكة ومدحهم ، واتصل بيزيد بن مزيد ، فلم يزل منقطعاً إليه حتى مات يزيد . الأغانى ١٨ : ١١٥ . وهذا البيت من قصيدة له ، روى بعض أبياتها الجاحظ فى البيان ٣ : ١٩٥ ، وابن قتيبة فى عيون الأخبار ٢ : ٣٢٢ ، والراغب فى محاضرات الأدباء ٢ : ١٩٨ ، ومجموعة المعانى: ١٢٤ ، والشعر فيها جميعاً منسوب لأبى محمد التيمى، وهو :

إذا كانت السبعون سنّك ، لم يكُن لدائك ، إلا أن تموتَ ، طبيبُ

وأما تأويل اسمها أنها «السَّبْعُ»، فإنها سبعُ آيات، لاخلاف بين الجميع من القرَّاء والعلماء فى ذلك.

وإنما اختلفوا فى الآى التى صارت بها سبع آيات. فقال عُظْمُ أهل الكوفة: صارت سبع آيات بـ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾، ورُوى ذلك عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين. وقال آخرون: هى سبع آيات، وليس منهن ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾، ولكن السابعة «أنعمت عليهم». وذلك قول عُظْمِ قَرَأةِ أهل المدينة ومُتْقنيهم[1].

قال أبو جعفر: وقد بيَّنا الصواب من القول عندنا فى ذلك فى كتابنا: (اللطيف فى أحكام شرائع الإسلام) بوجيز من القول، ونستقصى بيان ذلك بحكاية أقوال المختلفين فيه من الصحابة والتابعين والمتقدمين والمتأخرين فى كتابنا: (الأكبر فى أحكام شرائع الإسلام) إن شاء الله ذلك.

وأما وصف النبى صلى الله عليه وسلم آياتها السبعَ بأنهن مَثان، فلأنها تُثْنَى قراءتها فى كل صلاةٍ تطوُّع ومكتوبة. وكذلك كان الحسن البصرى يتأوّل ذلك.

١٣٥ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن عُليَّة، عن أبى رَجاء، قال سألت الحسن عن قوله: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾

وإن أمرأً قد سار سَبْعين حِجَّةً إلى مَنْهلٍ، مِن وِرْدِه لقريبُ
إذا ما خلوتَ الدَّهرَ يوماً، فلا تقل خلوتُ، ولكن قلْ علىَّ رقيبُ
إذا مَا انْقَضَى القَرْنُ الذى أنتَ منْهمُ وخُلِّفْتَ فى قرنٍ فأنت غريبُ

وللبيت الثانى قصة فى أمالى القالى ٣ : ١، وانظر زهر الآداب ٣ : ٢٢١، وذكر البيت الثانى والرابع وقال: «قال دعبل: وتزعم الرواة أنه لأعرابى من بنى أسد». واختلفوا فى رواية قوله: «السبعون سنك»، ففيها «الخمسون»، و «الستون». ولم أجد روايته «أمك» مكان «سنك» إلا فى كتاب الطبرى وحده.

(١) فى المطبوعة: «أعظم أهل الكوفة . . .» ثم «أعظم قراء أهل المدينة». وهو تغيير. وعظم الشىء أو الناس: معظمهم وأكثرهم. و «قرأة» جمع قارىء. وانظر ما سلف: ٥١ – ٥٢ التعليق رقم: ٣ و ص ٦٤ تعليق رقم: ٤. وفى المطبوعة «ومتفقهيهم»، غيروه أيضاً.

[سورة الحجر : ٨٧] قال : هى فاتحة الكتاب . ثم سئل عنها وأنا أسمع فقرأها : ﴿ الحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾ حتى أتى على آخرها ، فقال : تُثْنَى فى كل قراءة — أو قال — فى كل صلاة . الشك من أبى جعفر الطبرى[١] .

والمعنى الذى قلنا فى ذلك قصد أبو النجم العجلى بقوله :

الحمدُ لله الذى عَافَانِى وكلَّ خَيْرٍ بعدَهُ أعْطانِى
مِنَ القُرَان ومِنَ المَثَانِى[٢]

وكذلك قول الراجز الآخر :

نَشَدْتُكم بِمُنْزِلِ الفُرقانِ أمِّ الكِتَاب السَّبعِ من مَثَانِى[٣]
ثُنِّينَ مِنْ آيٍ من القُرْآنِ والسَّبعِ سبعِ الطُّوَلِ الدَّوانِى[٤]

وليس فى وجوب اسم « السبع المثانى » لفاتحة الكتاب ، ما يدفع صحة وجوب اسم « المثانى » للقرآن كله ، ولما ثُنِّىَ المثين من السور[٥] . لأن لكلٍّ وجهاً ومعنًى مفهوماً ، لا يَفْسُد — بتسميته بعضَ ذلك بالمثانى — تسميةُ غيره بها .

فأما وجه تسمية ما ثُنِّىَ المثينَ من سور القرآن بالمثانى ، فقد بينا صحته ، وسندُلّ على صحة وجه تسمية جميع القرآن به عند انتهائنا إليه فى سورة الزُّمَر ، إن شاء الله .

---

(١) الأثر ١٣٥ — سيأتى فى تفسير الآية : ٨٧ سورة الحجر ١٤ : ٣٨ — ٣٩ (بولاق) ، بهذا الإسناد ، بلفظ « فى كل قراءة » ، ولم يشك الطبرى هناك . و « أبو رجاء » ، فى هذا الإسناد : هو « محمد بن سيف الأزدى الحدانى البصرى » ، وهو ثقة ، وثقه ابن معين وابن سعد والنسائى وغيرهم .

(٢) اللسان (ثنى) : ومجاز القرآن لأبى عبيدة : ٧ . وقوله « بعده » الضمير عائد بالتذكير إلى معنى العافية فى البيت السالف . ورواية اللسان وأبى عبيدة « وكل خير صالح » ، ثم روى الأخير :

* « رب مثانى الآى والقرآن » *

(٣) مجاز القرآن لأبى عبيدة : ٧ « أم الكتاب » بدل من « الفرقان » .

(٤) فى المطبوعة « تبين » ، ولا معنى لها ، ومكان هذه الكلمة بياض فى المخطوطة . و « ثنين » : كررن مرة بعد مرة . وقوله « الدوانى » مكانها بياض فى المخطوطة . وكأنه أراد جمع دانية ، ووصفها بأنها « دوانى » ، أى قطوفها دانية .

(٥) فى المطبوعة : « وجود » مكان « وجوب » فى الموضعين السالفين . وفى المطبوعة « ولما يثنى من السور » ، وهى فى المخطوطة : « ولما هى المثين... » وكلتاهما خطأ . وقد سلف فى ص : ١٠٣ قوله : « وأما المثانى ، فإنها ما ثنى المثين فتلاها ، وكان المثون لها أوائل ، وكان المثانى لها ثوانى » وثنى : أتى ثانياً له .

﴿القول فى تأويل الاستعاذة﴾

تأويل قوله : ﴿أَعُوذُ﴾ .

قال أبو جعفر : والاستعاذة : الاستجارة . وتأويل قول القائل : ﴿أعوذُ باللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ أستجيرُ بالله — دون غيره من سائر خلقه — من الشيطان أن يضرَّنى فى دينى ، أو يصدَّنى عن حق يلزَمُنى لربى .

تأويل قوله : ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ .

قال أبو جعفر : والشيطان ، فى كلام العرب : كل متمرِّد من الجن والإنس والدوابِّ وكل شىء . وكذلك قال ربّنا جل ثناؤه : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالجِنِّ﴾ [سورة الأنعام : ١١٢] ، فجعل من الإنس شياطينَ ، مثلَ الذى جعل من الجنّ . ٣٨/١

وقال عمر بن الخطاب رحمة الله عليه، وركب بِرذَوْناً فجعل يتبختر به، فجعل يضربه فلا يزداد إلا تبختراً ، فنزل عنه ، وقال : ما حملتمونى إلا على شيطانٍ ! ما نزلت عنهُ حتى أنكرت نَفسى .

١٣٦ — حدثنا بذلك يونس بن عبد الأعلى، قال: أنبأنا ابن وهب ،قال: أخبرنى هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عمر[1] .

قال أبو جعفر : وإنما سُمى المتمرِّد من كل شىء شيطاناً ، لمفارقة أخلاقه وأفعاله أخلاقَ سائر جنسه وأفعاله ، وبُعدِه من الخير . وقد قيل : إنه أخذ من

---

(١) الأثر : ١٣٦ نقله ابن كثير فى التفسير ١ : ٣٢ من رواية ابن وهب ، بهذا الإسناد . وقال: « إسناده صحيح » . وذكر الطبرى فى التاريخ ٤ : ١٦٠ نحو معناه بسياق آخر ، بدون إسناد .

قول القائل : شَطَنَتْ دارى من دارك — يريد بذلك : بَعُدت . ومن ذلك قول نابغة بنى ذبيان :

نأتْ بِسُعَادَ عَنْك نَوًى شَطُونُ فبانَت ، والفؤادُ بها رَهِينُ[1]

والنوى : الوجه الذى نَوَتْه وقصَدتْه . والشَّطونُ : البعيد . فكأن الشيطان — على هذا التأويل — فَيعَالٌ من شَطَن . ومما يدلّ على أن ذلك كذلك ، قولُ أميّة ابن أبى الصّلت :

أيُّمَا شاطِن عَصَاه عَكَاهُ ثُم يُلْقَى فى السِّجْن والأَكْبَالِ[2]

ولو كان فَعلان ، من شاط يَشيط ، لقال أيُّما شائط ، ولكنه قال : أيما شاطنٍ ، لأنه من « شَطَن يَشْطُنُ ، فهو شاطن » .

تأويل قوله : ﴿ الرَّجِيمِ ﴾ .

وأما الرجيم فهو : فَعيل بمعنى مفعول ، كقول القائل : كفٌّ خضيبٌ ، ولحيةٌ دَهين ، ورجل لَعينٌ ، يريد بذلك : مخضوبة ومدهونة وملعون . وتأويل الرجيم : الملعون المشتوم . وكل مشتوم بقولٍ ردىء أو سبٍّ فهو مَرْجُوم . وأصل الرجم الرَّمىُ ، بقول كان أو بفعل . ومن الرجم بالقول قول أبى إبراهيم لإبراهيم صلوات الله عليه : ﴿ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ ﴾ [سورة مريم : ٤٦] .

وقد يجوز أن يكون قيل للشيطان رجيمٌ ، لأن الله جل ثناؤه طرَده من سَمواته ، ورجمه بالشُّهب الثَّواقِب[3] .

---

(١) زيادات ديوانه : ٢٠ .

(٢) ديوانه : ٥١ ، واللسان (شطن) و (عكا) . وعكاه فى الحديد والوثاق : شده شدًّا وثيقاً . والأكبال جمع كبل : وهو القيد من الحديد . وأظنه أراد هنا البيت فى السجن المضبب بالحديد ، من قولهم : كبله كبلا : حبسه فى سجن . هذا ما أستظهره من سياق الشعر .

(٣) الشهب ، جمع شهاب : وهو الشعلة من النار ، ثم استعير للكوكب الذى ينقض بالليل . والثواقب ، جمع ثاقب : وهو المضىء المشتعل .

وقد رُوى عن ابن عباس ، أن أول ما نزل جبريلُ على النبي صلى الله عليه وسلم عَلَّمه الاستعاذة .

١٣٧ – حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سَعيد ، قال : حدثنا بشر بن عُمَارة ، قال : حدثنا أبو رَوْق ، عن الضحّاك ، عن عبد الله بن عباس ، قال : أول ما نزل جبريلُ على محمد قال : « يا محمد استعذ ، قل : أستعيذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم » ، ثم قال : قل : « بسم الله الرحمن الرحيم » ، ثم قال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق : ١] . قال عبد الله : وهي أول سورة أنزلها الله على محمد بلسان جبريل[1] .

فأمره أن يتعوذ بالله دون خلقه .

---

(١) الحديث ١٣٧ – نقله ابن كثير في التفسير ١ : ٣٠ عن هذا الموضع من الطبري ، وقال : « وهذا الأثر غريب ! وإنما ذكرناه ليعرف ، فإن في إسناده ضعفاً وانقطاعاً » . وسيرويه الطبري بعد ذلك ، برقمي ١٣٨ ، ١٣٩ ، بهذا الإسناد نفسه ، بأطول مما هنا . وسنذكر الضعف الذي أشار إليه ابن كثير : وقوله « استعذ » ليست في المطبوعة .

أما عثمان بن سعيد ، فهو الزيات الأحول ، مترجم في التهذيب ، وفي الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ١٥٢/١/٣ ، وروى عن أبيه أنه قال : « لا بأس به » . وأما بشر بن عمارة ، فهو الخثعمي الكوفي ، وهو ضعيف ، قال البخاري في التاريخ الكبير ٨١/٢/١ « تعرف وتنكر » ، وقال النسائي في الضعفاء : ص ٦ « ضعيف » ، وقال الدارقطني : « متروك » ، وقال ابن حبان في كتاب المجروحين : ص ١٢٥ رقم ١٣٢ : « كان يخطىء حتى خرج عن حد الاحتجاج به إذا انفرد ، ولم يكن يعلم الحديث ولا صناعته » ، وأما شيخه أبو روق – بفتح الراء وسكون الواو – فهو عطية بن الحارث الهمداني ، وهو ثقة ، وقال أحمد والنسائي : « لا بأس به » .

وأما الانقطاع الذي أشار إليه ابن كثير ، فمن أجل اختلافهم في سماع الضحاك بن مزاحم الهلالي من ابن عباس . وقد رجحنا في شرح المسند : ٢٢٦٢ سماعه منه .

وكفى ببشر بن عمارة ضعفاً في الإسناد ، إلى نكارة السياق الذي رواه وغرابته ! !

﴿ القول فى تأويل ﴾
﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

القول فى تأويل : ﴿ بِسْمِ ﴾ .

قال أبو جعفر : إن الله تعالى ذكره وتقدّست أسماؤه أدّب نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بتعليمه تقديمَ ذكر أسمائه الحسنى أمام جميع أفعاله ، وتقدّم إليه فى وَصفه بها قبل جميع مُهمّاته[1] ، وجعل ما أدّبه به من ذلك وعلّمه إياه ، منه لجميع خلقه سُنّةً يستَنُّون بها[2] ، وسبيلا يتّبعونه عليها ، فبه افتتاح أوائل منطقهم[3] ، وصدور رسائلهم وكتبهم وحاجاتهم ، حتى أغنت دلالة ما ظهر من قول القائل: « بسم الله » ، على ما بطن من مراده الذى هو محذوف .

وذلك أن الباء من « بسم الله » مقتضية فعلاً يكون لها جالباً ، ولا فعلَ معها ظاهرٌ ، فأغنت سامعَ القائل « بسم الله » معرفتُه بمراد قائله ، عن إظهار قائل ذلك مُرادَه قولا[4] . إذْ كان كل ناطق به عند افتتاحه أمراً ، قد أحضرَ منطقُه به — إمّا معه ، وإمّا قبله بلا فصْلٍ — ما قد أغنى سامِعَه عن دلالةٍ شاهدةٍ على الذى من أجله افتتح قِيلَه به[4] . فصار استغناءُ سامعِ ذلك منه عن إظهار ما حذف منه ، نظيرَ استغنائه — إذا سمع قائلا قيل له : « ما أكلت اليوم ؟ » فقال : « طعاماً » — عن أن يكرّر المسئُولُ مع قوله « طعاماً » ، « أكلت » ، لما قد ظهر لديه من الدلالة على أن ذلك معناه[5] ، بتقدُّم مسئلة السائل إياه عما أكل . فمقول إذاً أنّ قول

٣٩/أ

(١) تقدم إليه بشىء : أمره بفعله أو إتيانه .
(٢) يقول : جعل الله ذلك سنة منه لجميع خلقه يستنون بها . فقدم قوله « منه لجميع خلقه » .
(٣) فى المطبوعة : « فى افتتاح . . . » ، والضمير فى « فبه » عائد إلى « ما أدبه به » .
(٤) فى المطبوعة : « من إظهار » ، « من دلالة شاهدة » .
(٥) معناه : أى ما يعنيه ويقصده .

القائل إذا قال: « بسم الله الرحمن الرحيم » ثم افتتح تالياً سورةً ، أن إتباعه « بسم الله الرحمن الرحيم » تلاوةَ السورة، يُنبئ عن معنى قوله: « بسم الله الرحمن الرحيم » . ومفهومٌ به أنه مريد بذلك : أقرأ بسم الله الرحمن الرحيم . وكذلك قوله: « بسم الله » عند نهوضه للقيام أو عند قعوده وسائر أفعاله ، ينبئ عن معنى مراده بقوله « بسم الله » ، وأنه أراد بقيلِه « بسم الله » ، أقوم باسم الله ، وأقعد باسم الله . وكذلك سائر الأفعال .

وهذا الذى قلنا فى تأويل ذلك ، هو معنى قول ابن عباس الذى : —

١٣٨ — حدثنا به أبوكريب ، قال: حدثنا عثمان بن سعيد ، قال: حدثنا بشر بن عُمارة ، قال: حدثنا أبو رَوْق ، عن الضحّاك ، عن عبد الله بن عباس ، قال: إنَّ أول ما نَزَل به جبريلُ على محمد ، قال: « يا محمد ، قُل: أستعيذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم » ثم قال: « قل بسم الله الرحمن الرحيم » . قال: قال له جبريل: قل بسم الله يا محمد ، يقول: اقرأ بذكر الله ربك ، وقم واقعد بذكر الله[1] .

قال أبو جعفر : فإن قال لنا قائل : فإن كان تأويلُ قول « بسم الله » ما وصفتَ ، والجالبُ الباءَ فى « بسم الله » ما ذكرتَ ، فكيف قيل « بسم الله » بمعنى أقرأ باسم الله ، أو أقوم أو أقعد باسم الله ؟ وقد علمتَ أن كلَّ قارئٍ كتابَ الله ، فبعَوْن الله وتوفيقه قراءتُه ، وأن كل قائم أو قاعد أو فاعلٍ فعلا ، فبالله قيامُه وقعودُه وفعلُه. وَهلاَّ — إذْ كان ذلك كذلك — قيل « بالله الرحمن الرحيم » ولم يُقَلْ « بسم الله » ؟ فإن قول القائل : أقوم وأقعد بالله الرحمن الرحيم ، أو أقرأ بالله — أوضحُ معنى لسامعه من قوله « بسم الله » ، إذ كان قوله « أقوم أو أقعد باسم الله » ، يوهم سامعَه أن قيامه وقعوده بمعنى غيرِ الله .

قيل له ، وبالله التوفيق : إن المقصودَ إليه من معنى ذلك غيرُ ما توهَّمته فى نفسك . وإنما معنى قوله « بسم الله » : أبدأ بتسمية الله وذكره قبل كل شىء ،

---

(١) الحديث ١٣٨ — مضى مختصراً ، بهذا الإسناد ١٣٧ . وفصلنا القول فيه هناك .

أو أقرأ بتسميتى اللهَ ، أو أقوم وأقعد بتسميتى اللهَ وذكرِه — لا أنه يعنى بقيلِه « بسم الله » : أقوم بالله، أو أقرأ بالله ، فيكونَ قولُ القائل : أقرأ بالله، أو أقوم أو أقعد بالله — أولى بوجه الصواب فى ذلك من قوله « بسم الله » .

فإن قال : فإن كان الأمر فى ذلك على ما وصفتَ ، فكيف قيل : « بسم الله » وقد علمتَ أنّ الاسم اسمٌ ، وأن التسمية مصدرٌ من قولك سَمَّيت ؟

قيل : إن العربَ قد تخرج المصادرَ مبهمةً على أسماء مختلفة ، كقولهم : أكرمتُ فلاناً كرامةً . وإنما بناءُ مصدر «أفعلتُ» — إذا أخرج على فعله — «الإفعالُ» . وكقولهم : أهنت فلاناً هَواناً ، وكلّمته كلاماً . وبناء مصدر : «فعّلت» التفعيل . ومن ذلك قول الشاعر :

أَكُفْراً بعـد رَدِّ المَوْتِ عنِّى وبعد عَطَائِكَ المِئَةَ الرِّتَاعَا[1]

يريد : إعطائك . ومنه قول الآخر :

وَإن كانَ هذا البُخْلُ منْك سَجيةً لقد كُنتُ فى طَولِى رَجَاءكَ أَشْعَبَا[2]

يريد : فى إطالتى رجاءك . ومنه قول الآخر :

أُظَلِيمَ إن مُصَابَكم رَجُلاً ، أَهْدَى السَّلامَ تحيَّةً ، ظُلْمُ[3]

يريد : إصابتكم . والشواهد فى هذا المعنى تكثرُ ، وفيما ذكرنا كفاية لمن وفّق لفهمه .

---

(١) الشعر للقطامى ديوانه : ٤١ ، ويأتى فى تفسير آية سورة يوسف : ١٢ (ج ١٢ ص ٩٤ بولاق) . يقوله لزفر بن الحارث الكلابى ، وكان أسره فى حرب ، فمن عليه وأعطاه مئة من الإبل، ورد عليه ماله . يقول : أأكفر بما أوليتنى ، وقد أعطيت ما أعطيت . والعطاء بمعنى الإعطاء ، ولذلك نصب به « المئة » . والرتاع جمع راتع : يعنى الإبل ترتع فى مرعى خصيب تذهب فيه وتجىء .

(٢) لم أجد البيت . وأشعب : الطماع الذى يضرب به المثل فى الطمع المستمر .

(٣) الشعر للحارث بن خالد المخزومى ، الأغانى ٩ : ٢٢٥ — ٢٢٦ ، وهذا البيت الذى من أجله أشخص الواثق إليه أبا عثمان المازنى النحوى ، وله قصة . انظر الأغانى ٩ : ٢٣٤ وغيره ، وفى المطبوعة : « أظلوم» ، والصواب من المخطوطة ، والأغانى وأمالى الشجرى ١ : ١٠٧ وغيرها . وهذه الشواهد السالفة استشهاد من الطبرى على أن الأسماء تقوم مقام المصادر فتعمل عملها فى النصب . وظليم : هى أم عمران ، زوجة عبد الله بن مطيع ، وكان الحارث ينسب بها ، فلما مات زوجها تزوجها .

فإذْ كان الأمر — على ما وصفنا ، من إخراج العرب مصادرَ الأفعال على غير بناء أفعالها — كثيراً ، وكان تصديرها إياها على مخارج الأسماء موجوداً فاشياً[١] ، فبيِّنٌ بذلك صَوابُ ما قلنا من التأويل فى قول القائل «بسم الله» ، أن معناه فى ذلك عند ابتدائه فى فعل أو قول : أبدأ بتسمية الله قبل فعلى أو قبل قولى .

وكذلك معنى قول القائل عند ابتدائه بتلاوة القرآن : « بسم الله الرحمن الرحيم » ، ٤٠/١ إنما معناه : أقرأ مبتدئاً بتسمية الله ، أو أبتدئ قراءتى بتسمية الله. فجُعِل «الاسمُ» مكان « التسمية » ، كما جُعل الكلامُ مكان التكليم ، والعطاءُ مكان الإعطاء .

وبمثل الذى قلنا من التأويل فى ذلك ، رُوِى الخبر عن عبد الله بن عباس .

١٣٩ — حدثنا أبو كريب، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال: حدثنا بشر بن عُمَارة، قال : حدثنا أبو رَوْق ، عن الضحاك ، عن عبد الله بن عباس، قال : أوّل ما نزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم قال : « يا محمد، قل : أستعيذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم» ، ثم قال : «قل : بسم الله الرحمن الرحيم» . قال : ابن عباس : « بسم الله » يقول له جبريلُ : يا محمد ، اقرأ بذكر الله ربِّك ، وقم واقعد بذكر الله[٢] .

وهذا التأويل من ابن عباس ينبئ عن صحة ما قلنا — من أنه يراد بقول القائل مفتتحاً قراءته : « بسم الله الرحمن الرحيم » : أقرأ بتسمية الله وذكره ، وأفتتح القراءة بتسمية الله بأسمائه الحسنى وصفاته العُلَى — ويوضح فسادَ قول من زعم أن معنى ذلك من قائله : بالله الرحمن الرحيم أوّلِ كلِّ شىء[٣] ، مع أن العباد

---

(١) أراد بقوله : « تصديرها » : أى جعلها مصادر تصدر عنها صوادر الأفعال ، وذلك كقولك : ذهب ذهاباً ، فذهب صدرت عن قولك « ذهاب » ، ويعمل عندئذ عمل الفعل . وعنى أنهم يخرجون المصدر على وزن الاسم فيعمل عمله ، كقولك « الكلام » هو اسم ما تتكلم به ، ولكنهم قالوا : كلمته كلاماً ، فوضعوه موضع التكليم ، وأخرجوا من « كلم » مصدراً على وزن اسم ما تتكلم به ، وهو الكلام ، فكان المصدر : « كلاماً » .

(٢) الحديث ١٣٩ — مضى هذا الخبر وتخريجه ، برقم ١٣٧ .

(٣) قوله : « يوضح » ساقطة من المطبوعة . وفيها مكان : « أول كل . . . » ، « فى كل . . . » .

إنما أمِروا أن يبتدئوا عند فواتح أمورِهم بتسمية الله، لا بالخبر عن عظمته وصفاته، كالذى أمِروا به من التسمية على الذبائح والصَّيد، وعند المَطعم والمَشرب، وسائر أفعالهم. فكذلك الذى أمِروا به من تسميته عند افتتاح تلاوة تنزيل الله، وصدور رسائلهم وكتبهم.

ولا خلاف بين الجميع من علماء الأمة، أن قائلاً لو قال عند تذكيته بعض بهائم الأنعام[1] : «بالله» ولم يقل : «بسم الله» أنه مخالف — بتركه قِيلَ : «بسم الله» — ما سُنَّ له عند التذكية من القول. وقد عُلم بذلك أنه لم يُرد بقوله «بسم الله» «بالله»، كما قال الزاعم أن اسمَ الله فى قول الله: «بسم الله الرحمن الرحيم» هو الله. لأن ذلك لو كان كما زعم، لوجب أن يكون القائل عند تذكيته ذبيحتَه «بالله»، قائلا ما سُنَّ له من القول على الذبيحة. وفى إجماع الجميع على أنَّ قائلَ ذلك تارك ما سُنَّ له من القول على ذبيحته — إذْ لم يقل «بسم الله» — دليلٌ واضح على فساد ما ادَّعى من التأويل فى قول القائل: «بسم الله»، أنه مراد به «بالله»، وأن اسم الله هو الله.

وليس هذا هو الموضع من مواضع الإكثار فى الإبانة عن الاسم : أهُوَ المسمى، أمْ غيرُه، أم هو صفة له؟ فنطيل الكتاب به، وإنما هذا موضع من مواضع الإبانة عن الاسم المضاف إلى الله : أهو اسمٌ، أم مصدر بمعنى التسمية[2]؟

---

(١) التذكية : النحر والذبح. ذكيت الشاة تذكية : ذبحتها.

(٢) استجاد أبو جعفر رضى الله عنه خير الرأى لحجته. والذى كتبه قبل، وما يأتى بعد، من أقوم ما قيل فى شرح هذا الموضع الذى لجت فيه العقول والأقلام. وبيان ما قال أبو جعفر : إن قولك «اسم» فى «بسم الله»، إنما هو اسم مصدر (أو اسم حدث)، أى هو فى الأصل اسم لما تفعل من تسميتك الشىء، مثل «الكلام» اسم حدث لما تفعل من التكليم، ومثل «العطاء» اسم حدث لما تفعل من الإعطاء، ومثل «الغسل»، اسم حدث لما تفعل من الاغتسال. وكأن أصله من قولك «سموت الشىء سموا»، فأماتوا فعله الثلاثى وبقى مصدره، «سمو»، فحذفوا واوه المتطرفة، فصار «سم» فأعاضوه منها ألفاً فى أوله، فصار «اسم»، كما كان قولك : «كلام» من فعل ثلاثى هو «كلم كلاماً»، على مثال «ذهب ذهاباً»، فأماتوا الفعل الثلاثى وبقى مصدره «كلام»، فجعلوه اسم حدث لما تفعل من التكليم، ثم أخرجوا مصدر الرباعى على مخرج اسم هذا الحدث، فقالوا : «كلم يكلم كلاماً»، بمعنى «كلم يكلم تكليما».

فإن قال قائل: فما أنت قائلٌ فى بيت لبيد بن ربيعة :

إلَى الحَوْلِ ، ثم اسْمُ السَّلام عليكُمَا، ومن يَبْكِ حَوْلاً كاملاً فَقَد اعتَذَرْ.(١)

فقد تأوله مُقدَّم فى العلم بلغة العرب، أنه معنىّ به : ثم السلام عليكما ، وأن اسمَ السلام هو السلام؟ (٢)

قيل له : لوجاز ذلك وصح تأويله فيه على ما تأوّل ، لجاز أن يقال : رأيتُ اسم زيد ، وأكلتُ اسمَ الطعام ، وشربتُ اسمَ الشراب؛ وفى إجماع جميع العرب على إحالة ذلك، ما ينبئ عن فساد تأويل من تأول قول لبيد : « ثمّ اسم السلام

فكذلك فعلوا فى قولهم « سمى يسمى تسمية » : أخرجوا لهذا الرباعى مصدراً على مخرج اسم الحدث وهو « اسم » ، فقالوا : « سمى يسمى اسماً » ؛ بمعنى « سمى يسمى تسمية » . فقولك « كلام » بمعنى « تكليم » وقولك « اسم » بمعنى « تسمية » صدُّرا على مخارج أسماء الأحداث . وإذن فالمضاف إلى اسمه تعالى فى قولك « بسم الله » وأشباهها ، إنما هو مصدر صدر على مخرج اسم الحدث ، وهو اسم ، من فعل رباعى هو « سمى يسمى » ، فكان بمعنى مصدره وهو « تسمية » . وهو فى هذا المكان وأمثاله بمعنى المصدر «تسمية»، لا بمعنى اسم الحدث لما تفعل من التسمية. (انظر : ١٢٣–١٢٤ ،كلام الطبرى فى «أله»)

وهذا الذى قاله أبو جعفر رضى الله عنه أبرع ما قيل فى شرح هذا الحرف من كلام العرب . وقد أحسن النظر وأدقه ، حتى خفى على جلة العلماء الذين تكلموا فى شرح معنى « اسم » فى « بسم الله » وأشباهها، فأغفلوه إغفالا لخفائه ووعورة مأتاه ، وإلفهم للكلام فى الذى افتتحوه من القول فى « الاسم » ، أهو المسمى أم غيره ، أم هو صفة له ، وما رسمه وما حده ؟ وهذا باب غير الذى نحن فيه ، فخلطوا فيه خلطاً ، فجاء الطبرى فحص الحق تمحيصاً ، وهو أرجح الآراء عندنا وأولاها بالتقديم ، لمن وفق لفهمه ، كما يقول أبو جعفر غفر الله له . وسيذكر بعد من الحجة ما يزيد المعنى وضوحاً وبياناً . ولولا خوف الإطالة ، لأتيت بالشواهد على ترجيح قول الطبرى الذى أغفلوه، على كل رأى سبقه أو أتى بعده .

(١) ديوانه، القصيدة رقم: ٢١، والخزانة ٢ : ٢١٧ ، ثم يأتى فى تفسير آية سورة التوبة: ٩٠ (١٠: ١٤٤ بولاق) ، وآية سورة الرعد: ٣٥ (١٣ : ١٠٩). والشعر يقوله لابنتيه ، إذ قال :

تَمَنَّى ابنتاىَ أن يعيشَ أبُوهما وهَلْ أنا إلاَّ من ربيعة أو مُضَرْ !

ثم أمرهما بأمره فقال قبل بيت الشاهد :

فقُوماَ فقولاَ بالذى قد علمتُما ولا تَخْمِشا وجْهاً ولا تَحْلِقا شَعَرْ

وقولاَ : هو المرءُ الّذى لا خليلَه أضاعَ،ولاخانَ الصديقَ،ولا غَدَرْ

فقوله « إلى الحول . . . » أى افعلا ذلك إلى أن يحول الحول . والحول : السنة كاملة بأسرها . وقوله « اعتذر » هنا بمعنى أعذر : أى بلغ أقصى الغاية فى العذر .

(٢) هذا المقدم فى العلم بلغة العرب ، هو أبو عبيدة معمر بن المثنى ، فى كتابه مجاز القرآن : ١٦ . وقد وقع بين ماضغى أسد ! وهذا الذى يأتى كله تقريع مرير من أبى جعفر لأبى عبيدة .

عليكما »، أنه أراد: ثم السلام عليكما، وادّعائه أن إدخال الاسم فى ذلك وإضافتَه إلى السلام إنما جاز، إذْ كان اسم المسمَّى هو المسمَّى بعينه.

ويُسأل القائلون قولَ من حكينا قولَه هذا، فيقال لهم: أتستجيزون فى العربية أن يقال: «أكلتُ اسمَ العسل»، يعنى بذلك: أكلت العسل، كما جاز عندكم: اسم السلام عليك، وأنتم تريدون: السلامُ عليك؟

فإن قالوا: نعم! خرجوا من لسان العرب، وأجازوا فى لغتها ما تخطّئه جميع العرب فى لغتها. وإن قالوا: لا، سئلوا الفرقَ بينهما: فلن يقولوا فى أحدهما قولاً إلا أُلزموا فى الآخر مثله.

فإن قال لنا قائل: فما معنى قول لبيد هذا عندك؟

قيل له: يحتمل ذلك وجهين، كلاهما غير الذى قاله من حكينا قوله.

أحدُهما: أن «السلام» اسمٌ من أسماء الله، فجائز أن يكون لبيد عنَى بقوله: «ثم اسم السلام عليكما»، ثم الزما اسمَ الله وذكرَه بعد ذلك، ودَعا ذكرى والبكاءَ علىّ، على وجه الإغراء. فرفعَ الاسم، إذْ أخّر الحرفَ الذى يأتى بمعنى الإغراء.[1] وقد تفعَلُ العرب ذلك، إذا أخّرت الإغراء وقدمت المُغْرَى به، وإن كانت قد تنصبُ به وهو مؤخَّر. ومن ذلك قول الشاعر:

يَا أَيُّها المائحُ دَلوِى دُونَكا! إنى رأيتُ النَّاس يَحْمَدُونَكا![2]

فأغرَى بـ «دونك» وهى مؤخرة، وإنما معناه: دونَك دلوى. فكذلك قول لبيد:

• إلى الحوْلِ، ثمَّ اسمُ السَّلامُ عَلَيْكُمَا •

يعنى: عليكما اسمَ السلام، أى الزما ذكر الله ودعا ذكرى والوجدَ بى، لأن من بكى حَوْلاً على امرئ ميّت فقد اعتذر. فهذا أحد وجهيه.

---

(١) فى المطبوعة: «إذا وأخر». وقوله «فرفع الاسم»، يعنى ما فى قول لبيد «ثم اسم»، وكان حقه أن ينصب على الإغراء لو قال: «ثم عليكما اسم السلام» بتقديم الإغراء.

(٢) هذا رجز فى خبر طويل، الخزانة ٣: ١٧ قيل هزءاً برجل ألقوه فى بئر ثم رجزوا به. والمائح: هو الرجل الذى ينزل إلى قرار البئر إذا قل ماؤها، فيلقى الدلاء فيملؤها بيده ويميح لأصحابه.

والوجه الآخر منهما : ثم تسميتى اللهَ عليكما ، كما يقول القائل للشىء يراه فيعجبه : « اسم الله عليك» يعوِّذه، بذلك من السوء، فكأنه قال : ثم اسمُ الله عليكما من السوء ، وكأنّ الوجه الأول أشبه المعنيين بقول لبيد[1].

ويقال لمن وجه بيت لبيد هذا إلى أنّ معناه : ثم السلام عليكما، أترَى ما قلنا — من هذين الوجهين — جائزاً ، أو أحدهما ، أو غيرَ ما قلتَ فيه ؟

فإن قال : لا ! — أبان مقدارَه من العلم بتصاريف وُجوه كلام العرب ، وأغنى خصمه عن مناظرته .

وإن قال : بَلى !

قيل له : فما برهانك على صحة ما ادَّعيت من التأويل أنه الصوابُ ، دون الذى ذكرتَ أنه محتملُه — من الوجه الذى يلزمنا تسليمه لك ؟ ولا سبيل إلى ذلك .

وأما الخبر الذى : —

١٤٠ — حدثنا به إسمعيل بن الفضل ، قال : حدثنا إبراهيم بن العلاء ابن الضحاك [وهو يلقب بزبريق] قال : حدثنا إسمعيل بن عياش ، عن إسمعيل بن يحيى ، عن ابن أبى مُليكة ، عمن حدثه ، عن ابن مسعود — ومِسْعَرِ ابن كِدَام، عن عطية، عن أبى سعيد — قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن عيسى بن مريم أسلمتْه أمُّه إلى الكتَّاب ليعلّمه، فقال له المعلم : اكتب «بسم » فقال له عيسى : وما « بسم » ؟ فقال له المعلم : ما أدرى ! فقال عيسى : الباء بهاءُ الله ، والسين سناؤه ، والميم مملكته[2] .

---

(١) الأول بغير شك أولى الأقوال بالصواب . فإنه كان قد أمر ابنتيه — كما قدمنا فى أبياته السالفة ، أن تقوما لتنوحا عليه بما أمرهما من ندبه وتأبينه ورثائه ، وأن تفعلا ذلك منذ يموت إلى أن يحول عليه الحول ، فلا معنى بعد أن يلقى السلام عليهما ، أى تحية المفارق ، بعد الحول ، فقد فارقهما منذ حول كامل . وأولى به أن يدعو لهما ، أو يستكفهما عما أمرهما به ، إذ قضتا ما أمرهما على الوجه الذى أحب ، « ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر » ، كأنه قال : كفا عندئذ عما أمرتكما ، فإن من بكى حولا فقد بلغ أقصى ما يسعه العذر . فسياق الشعر يقطع بترجيح ما ذهب إليه الطبرى عامة ، وإلى الجزم بأن معنى « ثم اسم السلام عليكما » هو : الزما ذكر الله ، ودعا ذكرى ، والبكاء على ، والوجد بى .

(٢) الحديث ١٤٠ — هذا حديث موضوع ، لا أصل له . وهو أطول من هذا ، وسيأتى بعضه برقمى ١٤٥ ، ١٤٧ ، فصل الطبرى كل قسم منه فى موضعه ، وفيه زيادة أخرى ، فى تفسير كلمات

ـ فأخشى أنْ يكون غلطاً من المحدِّث ، وأن يكون أراد [ب س م] ، على سبيل ما يعلِّم المبتدئ من الصبيان فى الكتّاب حروف أبى جاد ، فغلط بذلك فوصَله ، فقال : « بسم » ، لأنه لا معنى لهذا التأويل إذا تُلى « بسم الله الرحمن الرحيم » ، على ما يتلوه القارئ فى كتاب الله ، لاستحالة معناه عن المفهوم به عند جميع العرب وأهل لسانها ، إذا حُمِل تأويله على ذلك .

القول فى تأويل قول الله : ﴿ اللهِ ﴾ .

قال أبو جعفر : وأما تأويل قول الله تعالى ذكره « الله » ، فإنه على معنى ما رُوى لنا عن عبد الله بن عباس ـ : هو الذى يَألَهه كل شىء ، ويعبده كل خلْق .

« أبجد هوز » ، إلخ . رواه بطوله ابن حبان الحافظ ، فى كتاب المجروحين ، فى ترجمة إسمعيل بن يحيى ابن عبد الله التيمى ، رقم : ٤٤ ص ٨٥ ، وقال فى إسمعيل هذا : « كان ممن يروى الموضوعات عن الثقات ، وما لا أصل له عن الأثبات ، لا تحل الرواية عنه ، ولا الاحتجاج به بحال » . ثم ضرب مثلا من أكاذيبه ، فروى الحديث بطوله ، عن محمد بن يحيى بن رزين العطار عن إبراهيم بن العلاء بن الضحاك ، بالإسناد الثانى الذى هنا ، من حديث أبى سعيد الخدرى . وذكره ابن كثير فى التفسير ١ : ٣٥ نقلا عن ابن مردويه ، من حديث أبى سعيد وحده ، جمع فيه الأقسام الثلاثة التى فرقت هنا . ثم أشار إلى رواية الطبرى إياه . ثم قال : « وهذا غريب جدا ، وقد يكون صحيحاً إلى من دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد يكون من الإسرائيليات لا من المرفوعات » ! وما أدرى كيف فات الحافظ ابن كثير أن فى إسناده هذا الكذاب ، فتسقط روايته بمرة ، ولا يحتاج إلى هذا التردد . وأما السيوطى ، فقد ذكره فى الدر المنثور ١ : ٨ ، ونسبه لابن جرير وابن عدى فى الكامل وابن مردويه وأبى نعيم فى الحلية وابن عساكر فى تاريخ دمشق والثعلبى ، ولم يغفل عن علته ؛ فذكر أنه « بسند ضعيف جدا » . وترجم الذهبى فى الميزان ١ : ١١٧ ، وتبعه ابن حجر فى لسان الميزان ١ : ٤٤١ ـ ٤٤٢ لإسمعيل بن يحيى هذا ، وفى ترجمته : « قال صالح بن محمد جزرة : كان يضع الحديث . وقال الأزدى : ركن من أركان الكذب ، لا تحل الرواية عنه . . . وقال أبو على النيسابورى الحافظ والدراقطنى والحاكم : كذاب » . وقال ابن حجر : « مجمع على تركه » . وذكر هو والذهبى هذا الحديث مثالا من أكاذيبه .

ثم إن إسناده الأول ، الذى رواه إسمعيل بن يحيى عن أبى مليكة ، فيه أيضاً راو مجهول ، وهو « من حدثه عن ابن مسعود » . وإسناده الثانى ، الذى رواه إسمعيل هذا عن مسعر بن كدام ، فيه أيضاً « عطية ابن سعد بن جنادة العوفى » ، وهو ضعيف ، ضعفه أحمد وأبو حاتم وغيرهما .

والزيادة بين قوسين ، فى لقب إبراهيم بن العلاء من المخطوطة . و « زبريق » : بكسر الزاى والراء بينهما باء موحدة ساكنة . وهو لقب إبراهيم ، فيما قيل . والصحيح أنه لقب أبيه ، فقد قال البخارى فى ترجمته فى الكبير ١/١/٣٠٧ : « زعم إبراهيم أن أباه كان يدعى زبريق » . وقال ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل ١/١/١٢١ : « إبراهيم بن العلاء . . . يعرف بابن الزبريق » .

١٤١ — وذلك أنّ أبا كريب حدثنا ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عُمَارة ، قال : حدثنا أبو رَوْق ، عن الضحاك ، عن عبد الله ابن عباس ، قال : « الله » ذو الألوهية والمَعْبودية على خلقه أجمعين[1] .

فإن قال لنا قائل : فهل لذلك فى «فعل ويفعل» أصل كان منه بناءُ هذا الاسم ؟

قيل : أمّا سماعاً من العرب فلا ، ولكن استدلالاً .

فإن قال : وما دلّ على أن الألوهية هى العبادة ، وأنّ الإله هو المعبود ، وأنّ له أصلا فى « فعل ويفعل » .

قيل : لا تمانع بين العرب فى الحكم لقول القائل[2] — يصف رجلا بعبادة ، وبطلب ما عند الله جل ذكره : « تألّه فلان » — بالصحة ولا خلاف . ومن ذلك قول رؤبة بن العجاج :

لِلّهِ دَرُّ الغانِيـــاتِ المُدَّهِ سَبَّحْنَ واسْتَرْجَعْنَ مِن تَأَلُّهِى[3]

يعنى : من تعبدى وطلبى اللهَ بعملى .

ولا شك أنّ « التألُّه » ، التفعُّل من « ألَه يأله » ، وأن معنى « أله » — إذا نُطق به : — عَبَدَ اللهَ . وقد جاء منه مصدر يدل على أن العرب قد نطقت منه بـ « فعل يفعل » ، بغير زيادة .

١٤٢ — وذلك ما حدثنا به سفيان بن وكيع ، قال : حدثنا أبى ، عن نافع ابن عُمر ، عن عَمرو بن دينار ، عن ابن عباس : أنه قرأ ﴿ وَيَذَرَكَ وإلاهَتَكَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٢٧] قال : عبادتَك ، ويقال : إنه كان يُعبَد ولا يَعبُد . ١/٤٢

(١) الحديث ١٤١ — إسناد هذا الخبر ضعيف ، كما فصلنا القول فيه ، فى إسناد الخبر ١٣٧ . وهذا الذى هنا نقله السيوطى فى الدر المنثور ١ : ٨ مع باقيه الآتى برقم ١٤٨ بالإسناد نفسه . ونسبه السيوطى لابن جرير (وكتب فيه : ابن جريج ، خطأ مطبعيا) ، وابن أبى حاتم .

(٢) قوله « لا تمانع » ، أى لا اختلاف بينهم ، يدعو بعضهم إلى دفع مايقوله الآخر . وسيأتى مثله فى ص : ١٢٦ .

(٣) ديوانه : ١٦٥ . المده : جمع ماده . ومده فلاناً يمدهه مدهاً : نعت هيئته وجماله وأثنى عليه ومدحه . و « استرجعن » : قلن : إنا لله وإنا إليه راجعون . يقلنها حسرة عليه كيف تنسك وهجر الدنيا ، بعد الذى كان من شبابه وجماله وصبوته !

١٤٣ – حدثنا سفيان ، قال : حدثنا ابن عُيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن محمد بن عمرو بن الحسن ، عن ابن عباس : ﴿ وَيَذَرَكَ وَإِلاهَتَكَ ﴾ ، قال : إنما كان فرعونُ يُعبَد ولا يَعبُد[1] .

وكذلك كان عبدُ الله يقرؤها ومجاهد .

١٤٤ – حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : أخبرني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : قوله « ويذرَكَ وإلاهتك » قال : وعبادتَك[2] .

ولا شك أن الإلاهة – على ما فسره ابن عباس ومجاهد – مصدرٌ من قول القائل : ألَه اللهَ فلانٌ إلاهةً ، كما يقال : عَبَد الله فلانٌ عبادةً ، وعَبَرَ الرؤيا عبارةً . فقد بين قول ابن عباس ومجاهد هذا : أنّ « أله » عَبد ، وأن « الإلاهة » مصدرُه .

فإن قال : فإن كان جائزاً أن يقال لمن عبد الله : ألهه – على تأويل قول ابن عباس ومجاهد – فكيف الواجبُ في ذلك أن يقال ، إذا أراد المخبر الخبرَ عن استيجاب الله ذلك على عَبْده ؟

---

(١) الخبران ١٤٢ ، ١٤٣ – إسناداهما ضعيفان ، من أجل « سفيان بن وكيع بن الجراح » ، شيخ الطبري فيهما ، وسفيان هذا : ضعيف ، كان أبوه إماماً حجة ، وكان هو رجلا صالحاً ، ولكن وراقه أفسد عليه حديثه ، وأدخل عليه ما ليس من روايته . ونصحه العلماء أن يدعه فلم يفعل ، فمن أجل ذلك تركوه . قال ابن حبان في كتاب المجروحين ، رقم ٤٧٠ ص ٢٣٨ – ٢٣٩ : « فمن أجل إصراره على ما قيل له استحق الترك » .

وهذان الخبران ، سيذكرهما الطبري في تفسير آية سورة الأعراف : ١٢٧ (٩ : ١٨ بولاق) ، وهناك شيء من التحريف في أحدهما . ونقل معناهما السيوطي في الدر المنثور ٣ : ١٠٧ .

والقراءة الصحيحة المعروفة : (ويذرك وآلهتك) . وأما هذه القراءة « وإلاهتك » ، فقد نقلها صاحب إتحاف البشر : ٢٢٩ عن ابن محيصن والحسن . ونقلها ابن خالويه في كتاب القراءات الشاذة : ٤٥ عن علي وابن مسعود وابن عباس . وذكرها أبو حيان في البحر ٤ : ٣٦٧ عن هؤلاء الثلاثة « وأنس وجماعة غيرهم » .

(٢) الخبر ١٤٤ – الحسين بن داود : اسمه « الحسين » ولقبه « سنيد » ، بضم السين المهملة وفتح النون . واشتهر بهذا اللقب ، وترجم به في التهذيب ٤ : ٢٤٤ – ٢٤٥ ، وفي الجرح والتعديل ٢/١/٣٢٦ . وحجاج : هو ابن محمد المصيصي ، من شيوخ الإمام أحمد . وهذا الأثر عن مجاهد ، سيرويه الطبري في تفسير آية الأعراف (٩ : ١٨ بولاق) – بإسناد آخر .

قيل : أما الروايةُ فلا رواية فيه عندنا ، ولكن الواجب — على قياس ما جاء به الخبرُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى : —

١٤٥ — حدثنا به إسمعيل بن الفضل ، حدثنا إبراهيم بن العلاء ، قال : حدثنا إسمعيل بن عياش ، عن إسمعيل بن يحيى ، عن ابن أبى مُليكة ، عمن حدثه عن ابن مسعود — ومِسْعَر ابن كِدَام ، عن عطية العَوْفى ، عن أبى سعيد — قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّ عيسى أسلمَتْه أمه إلى الكتّاب ليعلّمه فقال له المعلم اكتب « الله » فقال له عيسى : « أتدرى ما الله ؟ الله إلهُ الآلهة[1] » .

— أن يقال[2] : اللهُ جل جلاله ألَهَ العبدَ ، والعبدُ ألَهَه . وأنْ يكون قولُ القائل « الله » — من كلام العرب أصله « الإله » .

فإن قال : وكيف يجوز أن يكون ذلك كذلك ، مع اختلاف لفظيهما ؟

قيل : كما جاز أن يكون قوله : ﴿لَكِنَّ هُوَ اللهُ رَبِّى﴾ [سورة الكهف : ٣٨] أصله : لكن أنا ، هو الله ربى ، كما قال الشاعر :

وتَرْمِينَنى بالطَّرْف ، أىْ أنتَ مُذْنبٌ ، وتَقْلِينَنى ، لَكِنَّ إياكِ لا أقْلِى[3]

يريد : لكن أنا إياك لا أقلى ، فحذَف الهمزة من « أنا » فالتقت نون « أنا » ونون « لكنْ » وهى ساكنة ، فأدغمت فى نون « أنا » فصارتا نوناً مشددة . فكذلك « الله » أصله « الإله » ، أسقطت الهمزةُ التى هى فاء الاسم ، فالتقت اللام التى هى عين الاسم ، واللام الزائدة التى دخلت مع الألف الزائدة وهى ساكنة ، فأدغمت فى

---

(١) الحديث ١٤٥ — هو حديث لا أصل له . وهو جزء من الحديث الموضوع الذى روى الطبرى بعضه فيما مضى ١٤٠ ، بهذا الإسناد . وفصلنا القول فيه هناك .

(٢) قوله : « أن يقال » من تمام قوله فى السطر الثالث « ولكن الواجب — » خبر لكن .

(٣) الأضداد لابن الأنبارى : ١٦٣ ، والخزانة ٤ : ٤٩٠ ، وقال : « لم أقف على تتمته وقائله ، مع أنه مشهور ، قلما خلا منه كتاب نحوى ، والله أعلم » .

الأخرى التى هى عين الاسم ، فصارتا فى اللفظ لاماً واحدة مشددة ، كما وصفنا من قول الله « لكنَّ هوَ الله ربّى » .

القول فى تأويل قوله : ﴿ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ .

قال أبو جعفر : وأما « الرحمن » ، فهو فَعلان ، من رَحم ، و « الرحيم » فعيل منه . والعرب كثيراً ما تبنى الأسماء من « فَعِل يفْعَل » على « فعلان » ، كقولهم من غَضِب : غَضبان ، ومن سَكر : سكران ، ومن عَطش : عطشان . فكذلك قولهم « رَحمن » من رَحِمَ ، لأن « فعِلَ » منه : رَحم يرْحم . وقيل «رحيم» ، وإن كانت عين « فعِل» منها مكسورة ، لأنه مدح . ومن شأن العرب أن يحملوا أبنية الأسماء — إذا كان فيها مدح أو ذم — على « فعيل » ، وإن كانت عين «فعل» منها مكسورةً أو مفتوحةً ، كما قالوا من « علم » عالم وعليم ، ومن « قدَر » قادر وقدير . وليس ذلك منها بناء على أفعالها ، لأن البناء من «فَعِل يفْعَل» و « فعَل يفعِل» فاعلٌ . فلو كان «الرحمن والرحيم» خارجين على بناء أفعالها ، لكانت صورتهما «الراحم» .

فإن قال قائل : فإذا كان الرحمن والرحيم اسمين مشتقين من الرحمة ، فما وجهُ تكرير ذلك ، وأحدهما مؤدٍّ عن معنى الآخر ؟

قيل له : ليس الأمر فى ذلك على ما ظننتَ ، بل لكل كلمة منهما معنى لا تؤدى الأخرى مهما عنها .

فإن قال : وما المعنى الذى انفردت به كل واحدة منهما ، فصارت إحداهما غير مؤدية المعنى عن الأخرى ؟

قيل : أما من جهة العربية فلا تمانُع [1] بين أهل المعرفة بلغات العرب ، أنَّ قول القائل : «الرحمن» — عن أبنية الأسماء من «فَعِل يفعَل» — أشدُّ عدولاً من قوله « الرّحيم» . ولا خلاف مع ذلك بينهم ، أنَّ كل اسم له أصل فى « فَعِلَ يفعَل» — ثم كان عن أصله

(١) لا تمانع أى لا اختلاف بينهم ، يدعو بعضهم إلى دفع ما يقوله الآخر

من « فَعِل يفعَلُ » أشد عدولا - أنّ الموصوف به مفضَّل على الموصوف بالاسم المبنى ٤٣/١
على أصله من « فَعِل يفعَل » ، إذا كانت التسمية به مدحاً أو ذمًّا . فهذا ما فى قول القائل « الرحمن » ، من زيادة المعنى على قوله : الرحيم » فى اللغة .

وأما من جهة الأثر والخبر ، ففيه بين أهل التأويل اختلاف : —

١٤٦ — فحدثنى السرى بن يحيى التميمى ، قال : حدثنا عثمان بن زفر ، قال : سمعت العَرْزَمى يقول : « الرحمن الرحيم » ، قال : الرحمن بجميع الخلق ، الرّحيم ، قال : بالمؤمنين[1] .

١٤٧ — حدثنا إسمعيل بن الفضل ، قال : حدثنا إبراهيم بن العلاء ، قال : حدثنا إسمعيل بن عياش ، عن إسمعيل بن يحيى ، عن ابن أبى مُليكة ، عمن حدثه ، عن ابن مسعود — ومسعر بن كدام ، عن عطية العَوفى ، عن أبى سعيد يعنى الخدرىّ — قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّ عيسى بن مريم قال : الرحمن رَحمنُ الآخرة والدنيا ، والرحيم رحيمُ الآخرة[2] .

فهذان الخبران قد أنبآ عن فرق ما بين تسمية الله جل ثناؤه باسمه الذى هو «رحمن» ، وتسميته باسمه الذى هو «رحيم» ، واختلافِ معنيي الكلمتين — وإن اختلفا فى معنى ذلك الفرق ، فدلّ أحدهما على أنّ ذلك فى الدنيا ، ودلّ الآخر على أنه فى الآخرة .

فإن قال : فأى هذين التأويلين أولى عندك بالصحة ؟

---

(١) الأثر ١٤٦ — نقله ابن كثير فى التفسير ١ . ٤٠ عن هذا الموضع . و « السرى بن يحيى ابن السرى التميمى الكوفى » . شيخ الطبرى ، لم نجد له ترجمة إلا فى الجرح والتعديل لابن أبى حاتم ٢٨٥/١/٢ ، وقال « لم يقض لنا السماع منه ، وكتب إلينا بشىء من حديثه ، وكان صدوقاً » . و« العرزمى » المروىّ عنه هذا الكلام هنا . ضعيف جدا ، قال الإمام أحمد فى المسند ٦٩٣٨ : « لا يساوى حديثه شيئاً » . وهو « محمد بن عبيد الله بن أبى سليمان العرزمى » . وأما عمه « عبد الملك بن أبى سليمان العرزمى » ، فإنه تابعى ثقة ، ولكنه قديم ، مات سنة ١٤٥ ، فلم يدركه « عثمان بن زفر » المتوفى سنة ٢١٨ و« العرزمى » بفتح العين المهملة وسكون الراء وبعدها زاى ، نسبة إلى « عرزم » . ووقع هنا فى الطبرى وابن كثير « العزرمى » ، بتقديم الزاى على الراء ، وهو تصحيف .

(٢) الحديث ١٤٧ — هذا إسناد ضعيف ، بل إسنادان ضعيفان ، كما فصلنا فيما مضى : ١٤٠ ، ١٤٥

قيل : لجميعهما عندنا فى الصحة مخرج ، فلا وجه لقول قائل : أيُّهما أولى بالصحة ؟ وذلك أنّ المعنى الذى فى تسمية الله بالرحمن ، دون الذى فى تسميته بالرحيم : هو أنه بالتسمية بالرحمن موصوف بعموم الرحمة جميعَ خلقه ، وأنه بالتسمية بالرحيم موصوف بخصوص الرحمة بعضَ خلقه ، إما فى كل الأحوال ، وإما فى بعض الأحوال . فلا شك — إذ كان ذلك كذلك — أنّ ذلك الخصوص الذى فى وصفه بالرحيم ، لا يستحيل عن معناه ، فى الدنيا كان ذلك أو فى الآخرة ، أو فيهما جميعاً .

فإذ كان صحيحاً ما قلنا من ذلك — وكان الله جل ثناؤه قد خصّ عباده المؤمنين فى عاجل الدنيا بما لطف بهم من توفيقه إياهم لطاعته ، والإيمان به وبرسله ، واتباع أمره واجتناب معاصيه ؛ مما خُذِل عنه من أشرك به ، وكفر ، وخالف ما أمره به ، وركب معاصيَه ؛ وكان مع ذلك قد جعلَ ، جلّ ثناؤه ، ما أعد فى آجل الآخرة فى جناته من النعيم المقيم والفوز المبين ، لمن آمن به ، وصدّق رسله ، وعمل بطاعته ، خالصاً ، دون من أشرك وكفر به —(١) كان بيّناً أن الله قد خص المؤمنين من رحمته فى الدنيا والآخرة ، مع ما قد عمّهم به والكفارَ فى الدنيا من الإفضال والإحسان إلى جميعهم فى البَسْط فى الرزق ، وتسخير السحاب بالغَيْثِ ، وإخراج النبات من الأرض ، وصحة الأجسام والعقول ، وسائر النعم التى لا تُحصى ، التى يشترك فيها المؤمنون والكافرون .

فربُّنا جل ثناؤه رحمنُ جميع خلقه فى الدنيا والآخرة ، ورحيمُ المؤمنين خاصةً فى الدنيا والآخرة . فأما الذى عمّ جميعَهم به فى الدنيا من رحمته فكان رَحماناً لهم به ، فما ذكرنا مع نظائره التى لا سبيل إلى إحصائها لأحد من خلقه ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا ﴾ [سورة إبراهيم : ٣٤ ، وسورة النحل : ١٨] . وأما فى الآخرة ، فالذى عمّ جميعهم به فيها من رحمته ، فكان لهم رحماناً ، فى تسويته

---

(١) جواب قوله « فإذ كان صحيحاً . . . » . وما بينهما فصل .

بين جميعهم جل ذكرُه فى عَدله وقضائه ، فلا يظلم أحداً منهم مِثْقال ذَرّة ، وإن تَكُ حسنةً يُضاعفها ويُؤتِ من لَدُنْهُ أجراً عظيما ، وتُوفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ. فذلك معنى عمومه فى الآخرة جميعَهم برحمته ، الذى كان به رحماناً فى الآخرة.

وأما ما خص به المؤمنين فى عاجل الدنيا من رحمته ، الذى كان به رحيما لهم فيها ، كما قال جل ذكره : ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً ﴾ [سورة الأحزاب : ٤٣]- فما وصفنا من اللطف لهم فى دينهم ، فخصّهم به ، دونَ من خذَله من أهل الكفر به . ٤٤/١
وأمّا ما خصّهم به فى الآخرة ، فكان به رحيما لهم دون الكافرين ، فما وصفنا آنفاً مما أعدّ لهم دون غيرهم من النعيم ، والكرامة التى تقصرُ عنها الأمانىّ .

وأما القول الآخر فى تأويله فهو ما :-

١٤٨- حدثنا به أبوكريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر ابن عمارة ، قال : حدثنا أبو رَوْق ، عن الضحاك ، عن عبد الله بن عباس ، قال : الرحمن ، الفعلان من الرحمة ، وهو من كلام العرب . قال : الرّحمن الرحيم : الرقيقُ الرفيقُ بمن أحبَّ أن يرحمه ، والبعيد الشديد على من أحب أن يَعنُف عليه[1] . وكذلك أسماؤه كلها .

وهذا التأويل من ابن عباس يدل على أن الذى به ربُّنا رحمن ، هو الذى به رحيم ، وإن كان لقوله « الرحمن » من المعنى ، ما ليس لقوله « الرحيم » . لأنه جعل معنى « الرحمن » بمعنى الرقيق على من رقَّ عليه ، ومعنى « الرحيم » بمعنى الرفيق بمن رفق به .

والقول الذى رويناه فى تأويل ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم وذكرناه عن العرْزَمى[2] ، أشبه بتأويله من هذا القول الذى رويناه عن ابن عباس . وإن

---

(١) الحديث ١٤٨ - نقله ابن كثير فى التفسير ١ : ٤١ من هذا الموضع ، وقد مضى الكلام فى هذا الإسناد ، وبيان ضعفه : ١٣٧ ، ١٤١ . والذى فى الدر المنثور ١ : ٨ - ٩ « على من أحب أن يضعف عليه العذاب » ، والظاهر أنه تصرف من ناسخ أو طابع .

(٢) إشارة إلى ما مضى : ١٤٦ ، ووقع فى الأصول هنا «العزرمى» أيضاً ، بتقديم الزاى ، وهو خطأ ، كما بينا من قبل .

كان هذا القول موافقاً معناه معنى ذلك ، فى أن للرحمن من المعنى ما ليس للرحيم ، وأن للرحيم تأويلا غيرَ تأويل الرحمن .

والقول الثالث فى تأويل ذلك ما :—

١٤٩ — حدثنى به عمران بن بَكَّار الكلاعى ، قال : حدثنا يحيى بن صالح ، قال : حدثنا أبو الأزهر نصر بن عمرو اللَّخمى من أهل فِلَسْطين ، قال : سمعت عطاء الخراسانى يقول : كان الرحمن ، فلما اختزلَ الرحمن من اسمه كان الرحمنَ الرحيمَ[1] .

والذى أراد ، إن شاء الله ، عطاءٌ بقوله هذا : أن الرحمن كان من أسماء الله التى لا يتسمَّى بها أحد من خَلْقه ، فلما تسمَّى به الكذابُ مسيلمة — وهو اختزاله إياه ، يعنى اقتطاعه من أسمائه لنفسه — أخبر الله جلّ ثناؤه أن اسمه «الرحمنُ الرحيمُ» ليفصِل بذلك لعباده اسمَهُ من اسم من قد تسمَّى بأسمائه ، إذ كان لا يسمَّى أحد « الرحمن الرحيم » ، فيجتمع له هذان الاسمان ، غيره جلّ ذكره . وإنما يتسمَّى بعضُ خَلْقه إما رحيما ، أو يتسمَّى رَحمن . فأما « رحمن رحيم » ، فلم يجمعا قطّ لأحد سواهُ ، ولا يجمعان لأحد غيره . فكأنّ معنى قول عطاء هذا : أن الله جل ثناؤه إنما فَصَل بتكرير الرحيم على الرحمن ، بين اسمه واسم غيره من خلقِه ، اختلف معناهما أو اتفقا .

والذى قال عطاءٌ من ذلك غيرُ فاسد المعنى ، بل جائز أن يكون جلّ ثناؤه خصّ نفسه بالتسمية بهما معاً مجتمعين ، إبانةً لها من خلقه ، ليعرف عبادُه بذكرهما مجموعينِ أنه المقصود بذكرهما دون مَنْ سواه من خلقه ، مع ما فى تأويل كل واحد منهما من المعنى الذى ليس فى الآخر منهما .

---

(١) الأثر ١٤٩ — نقله السيوطى فى الدر المنثور ١ : ٩ ونسبه للطبرى وحده . وعطاء الخراسانى هو عطاء بن أبى مسلم ، وهو ثقة ، وضعفه بعض الأئمة . وهو كثير الرواية عن التابعين ، وكثير الإرسال عن الصحابة ، فى سماعه منهم خلاف . وأما الراوى عنه « أبو الأزهر نصر بن عمرو اللخمى » ، فإنى لم أجد له ترجمة فيما بين يدى من المراجع ، إلا قول الدولابى فى الكنى والأسماء ١ : ١١٠ : « أبو الأزهر الفلسطينى نصر بن عمرو اللخمى ، روى عنه يحيى بن صالح الوحاظى » .

وقد زعم بعضُ أهل الغَبَاء أنّ العرب كانت لا تعرف « الرحمن »، ولم يكن ذلك فى لغتها[١]، ولذلك قال المشركون للنبى صلى الله عليه وسلم : ﴿وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ [سورة الفرقان : ٦٠] ، إنكاراً منهم لهذا الاسم . كأنه كان محالاً عنده أن ينكر أهل الشرك ما كانوا عالمين بصحته ، أوْ : لاَ ، وكأنه لم يتلُ من كتاب الله قول الله ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ ﴾ — يعنى محمداً — ﴿ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ [سورة البقرة : ١٤٦] ، وهم مع ذلك به مكذِّبون ، ولنبوته جاحدون ! فيَعلمَ بذلك أنهم قد كانوا يدافعون حقيقةَ ما قد ثبت عندهم صحتُه ، واستحكمتْ لديهم معرفتُه . وقد أنشِد لبعض الجاهلية الجهلاء :

أَلاَ ضربَتْ تلكَ الفتاةُ هَجِينَها ... أَلاَ قَضَبَ الرحْمَنُ رَبِّى يَمِينَها[٢]

وقال سلامة بن جَندل السَّعْدى[٣] :

عَجِلْتُمْ عَلَيْنَا عَجْلَتَيْنَا عَلَيْكُمُ ... وَمَا يَشَإِ الرحْمَنُ يَعْقِدْ وَيُطْلِقِ[٤]

---

(١) لا يزال أهل الغباء فى عصرنا يكتبونه ، ويتبجحون بذكره فى محاضراتهم وكتبهم ، نقلا عن الذين يتتبعون ما سقط من الأقوال ، وهم الأعاجم الذين يؤلفون فيما لا يحسنون باسم الاستشراق . ورد الطبرى مفحم لمن كان له عن الجهل والخطأ ردة تنهاه عن المكابرة .

(٢) لم أجد قائل البيت . واستشهد به ابن سيدة فى المخصص ١٧ : ١٥٢ ، وعلق على البيت محمد محمود التركزى الشنقيطى ، وادعى أن البيت مصنوع ، وأن « بعض الرجال الذين يحبون إيجاد الشواهد المعدومة لدعاويهم المجردة ، صنعه ولفقه ، وأن الوضع والصنعة ظاهران فيه ظهور شمس الضحى ، وركاكته تنادى جهاراً بصحة وضعه وصنعته ، والصواب وهو الحق المجمع عليه ، أن الشاعر الجاهلى المشار إليه ، هو الشنفرى الأزدى ، وهذا البيت ليس فى شعره » ، وأنه ملفق من قول الشنفرى :

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِى ، والتلَهُّفُ ضَلَّةٌ ... بما ضَرَبَتْ كَفُّ الفَتَاةِ هَجِينَهَا

والشنقيطى رحمه الله كان كثير الاستطالة ، سريعاً إلى المباهاة بعلمه وروايته . والذى قاله من إدعاء الصنعة لا يقوم . وكفى بالبيت الذى يليه دليلا على فساد زعمه أن الدافع لصنعته : إيجاد الشواهد المعدومة ، لدعاوى مجردة . وليس فى البيت ركاكة ولا صنعة .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « الطهوى » مكان السعدى ، وهو خطأ . ليس سلامة طهويا .

(٤) ديوانه : ١٩ ، وقد جاء فى طبقات فحول الشعراء : ١٣١ فى نسب الشاعر : سلامة بن جندل بن عبد الرحمن » ، وهذه رواية ابن سلام ، وغيره يقول : « ابن عبد » ، فإن صحت رواية ابن سلام ، فهى دليل آخر قوى على فساد دعوى الشنقيطى .

وقد زعم أيضاً بعضُ من ضعُفت معرفتُه بتأويل أهل التأويل ، وقلّت روايته
١/٤٥ لأقوال السلف من أهل التفسير ، أنّ « الرحمن » مجازه : ذو الرحمة ، « والرحيم » مجازه : الرّاحم[1] . ثم قال : قد يقدّرون اللفظين من لفظٍ والمعنى واحد ، وذلك لاتساع الكلام عندهم . قال : وقد فعلوا مثل ذلك فقالوا : ندمان ونديم ، ثم استشهد ببيتِ بُرْج بن مُسْهِر الطائى :

وَنَدْمَانٍ ، يزيدُ الكأسَ طِيباً ، سَقَيْتُ وَقَدْ تَغَوَّرَتِ النُّجُومُ[2]

واستشهد بأبياتٍ نظائرِه فى النّديم والنّدمان ، ففرق بين معنى الرحمن والرحيم فى التأويل لقوله : الرحمن ذو الرحمة ، والرحيم الراحم ، وإن كان قد ترك بيان تأويل معنيَيْهما على صحته . ثم مثّل ذلك باللّفظين يأتيان بمعنى واحد ، فعاد إلى ما قد جعله بمعنيين ، فجعله مثال ما هو بمعنى واحد مع اختلاف الألفاظ .

ولا شك أن ذا الرحمة هو الذى ثبت أن له الرحمة ، وصحّ أنها له صفة ؛ وأن الراحم هو الموصوف بأنه سيرحم ، أو قد رحم فانقضى ذلك منه ، أو هو فيه . ولا دلالة له فيه حينئذ أن الرحمة له صفة ، كالدلالة على أنها له صفة ، إذا وُصِف بأنه ذو الرحمة . فأين معنى « الرحمن الرحيم » على تأويله ، من معنى الكلمتين تأتيان مقدّرتين من لفظ واحد باختلاف الألفاظ واتفاق المعانى ؟ ولكن القول إذا كان على غير أصل معتمد عليه ، كان واضحاً عوارُه .

وإن قال لنا قائل : ولم قدّم اسمَ الله الذى هو « الله » ، على اسمه الذى هو « الرحمن » ، واسمه الذى هو « الرحمن » ، على اسمه الذى هو « الرحيم » ؟

قيل : لأن من شأن العرب ، إذا أرادوا الخبر عن مُخبَر عنه ، أن يقدّموا اسمه ، ثم يتبعونه صفاتِه ونعوتَه . وهذا هو الواجب فى الحُكم : أن يكون الاسم مقدّماً قبل نعته وصِفَته ، ليعلم السامع الخبرَ ، عمّن الخبرُ . فإذا كان ذلك كذلك —

(١) الذى عناه الطبرى ، هو أبو عبيدة معمر بن المثنى فى كتابه « مجاز القرآن » : ٢١ ، وقد نقل أكثر كلامه الآتى بنصه .

(٢) حماسة أبى تمام ٣ : ١٣٥ ، والمؤتلف والمختلف للآمدى : ٦٢ .

وكانَ لله جلَّ ذكره أسماءٌ قد حرَّم على خلقه أن يتسمَّوا بها، خصَّ بها نفسه دونهم، وذلك مثلُ «الله» و«الرحمن» و«الخالق»؛ وأسماءٌ أباحَ لهم أن يُسمِّيَ بعضهم بعضاً بها، وذلك: كالرحيم والسميع والبصير والكريم، وما أشبه ذلك من الأسماء — كان الواجب أن تقدَّم أسماؤه التي هي له خاصة دون جميع خلقه، ليعرف السامعُ ذلك مَنْ تَوجَّه إليه الحمد والتمجيدُ، ثم يُتبع ذلك بأسمائه التي قد تسمى بها غيره، بعد علم المخاطب أو السامع من توجَّه إليه ما يتلو ذلك من المعاني. فبدأ الله جل ذكره باسمه الذي هو «الله»، لأن الألوهية ليست لغيره جلَّ ثناؤه من وجهٍ من الوجوه، لا من جهة التسمِّي به، ولا من جهة المعنى. وذلك أنا قد بيَّنا أن معنى «الله» تعالى ذكره معنى المعبود[1]، ولا معبودَ غيرهُ جل جلاله، وأن التسمِّي به قد حرَّمه الله جل ثناؤه، وإن قصد المتسمِّي به ما يقصدُ المتسمِّي بسعيد وهو شقي، وبحسَنٍ وهو قبيح.

أولا ترى أنَّ الله جلَّ جلاله قال في غير آية من كتابه: ﴿أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾ فاستكبر ذلك من المقرِّ به، وقال تعالى في خصوصه نفسَه بالله وبالرحمن: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [سورة الإسراء: ١١٠]. ثم ثنَّى باسمه الذي هو «الرحمن»، إذ كان قد منع أيضاً خلقه التسمي به، وإن كان من خلْقه من قد يستحق تسميته ببعض معانيه. وذلك أنه قد يجوز وصْف كثير ممنْ هو دون الله من خلقه، ببعض صفات الرحمة. وغير جائز أن يستحق بعضَ الألوهية أحد دونه. فلذلك جاء الرحمن ثانياً لاسمه الذي هو «الله». وأما اسمه الذي هو «الرحيم» فقد ذكرنا أنه مما هو جائز وصْف غيره به. والرحمة من صفاته جل ذكره، فكان — إذ كان الأمرُ على ما وصفنا — واقعاً مواقع نعوت الأسماء اللواتي هنَّ توابعُها، بعد تقدم الأسماء عليها. فهذا وجه تقديم اسم الله

(١) في المطبوعة: «أن معنى الله هو المعبود».

الذى هو « الله » ، على اسمه الذى هو « الرحمن » ، واسمه الذى هو « الرحمن » ، على اسمه الذى هو « الرحيم »[١] .

٤٦/١ وقد كان الحسنُ البصريّ يقولُ فى « الرحمن » مثل ما قلنا ، أنه من أسماء الله التى مَنعَ التسميَ بها العبادَ[٢] .

١٥٠ــ حدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا حماد بن مسعدة ، عن عوف ، عن الحسن ، قال : « الرحمن » اسمٌ ممنوع[٣] .

مع أن فى إجماع الأمة من منع التسمّى به جميعَ الناس ، ما يُغنى عن الاستشهاد على صحة ما قلنا فى ذلك بقول الحسن وغيره .

---

(١) هذا الاحتجاج من أجود ما قيل ، ودقته تدل على حسن نظر أبى جعفر فيما يعرض له . وتفسيره كله شاهد على ذلك . رحمة الله عليه .

(٢) غيروه فى المطبوعة : « لعباده » .

(٣) الأثر ١٥٠ – نقله ابن كثير فى التفسير ١ : ٤١ – ٤٢ عن هذا الموضع . والسيوطى فى الدر المنثور ١ : ٩ ، ونسبه للطبرى وحده . و « عوف » الراويه عن الحسن : هو عوف بن أبى جميلة العبدى ، المعروف بابن الأعرابى ، وهو ثقة ثبت .

﴿القول فى تأويل فاتحة الكتاب﴾

﴿الحَمْدُ لِلّهِ﴾ :

قال أبو جعفر : ومعنى ﴿الحَمْدُ لِلّهِ﴾ : الشكر خالصاً لله جل ثناؤه دون سائر ما يُعبد من دونه ، ودون كلّ ما بَرأ من خلقه[1] ، بما أنعم على عباده من النّعم التى لا يُحصيها العدد ، ولا يحيط بعددها غيره أحدٌ ، فى تصحيح الآلات لطاعته ، وتمكين جوارح أجسام المكلّفين لأداء فرائضه ، مع ما بسط لهم فى دنياهم من الرزق ، وغذاهم به من نعيم العيش ، من غير استحقاق منهم ذلك عليه ، ومع ما نبّههم عليه ودعاهم إليه ، من الأسباب المؤدّية إلى دوام الخلود فى دار المُقام فى النعيم المقيم . فلربّنا الحمدُ على ذلك كله أولاً وآخراً .

وبما ذكرنا من تأويل قول ربنا جلّ ذكره وتقدّست أسماؤه ﴿الحَمْدُ لِلّهِ﴾ ، جاء الخبرُ عن ابن عباس وغيره : —

١٥١— حدثنا محمد بن العلاء ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عُمارة : ، قال : حدثنا أبو رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : قال جبريل لمحمد صلى الله عليهما : قل يا محمد «الحمدُ لله» قال ابن عباس : «الحمد لله» : هو الشكر لله ، والاستخذاء لله ، والإقرار بنعمته وهدايته وابتدائه ، وغير ذلك[2] .

---

(١) فى المطبوعة «ما يرى» ، والصواب من المخطوطة وابن كثير ١ : ٤٢ .

(٢) الحديث ١٥١ — هذا الإسناد سبق بيان ضعفه فى ١٣٧ . و«محمد بن العلاء» شيخ الطبرى : هو «أبو كريب» نفسه فى الإسناد السابق ، مرة يسميه ومرة يكنيه . وهذا الحديث نقله ابن كثير فى التفسير ١ : ٤٣ ، والسيوطى فى الدر المنثور ١ : ١١ ، والشوكانى فى تفسيره الذى سماه فتح القدير ١ : ١٠ ، ونسبوه أيضاً لابن أبى حاتم فى تفسيره .

١٥٢ – حدثني سعيد بن عمر السَّكُونى ، قال : حدثنا بقية بن الوليد ، قال : حدثني عيسى بن إبراهيم ، عن موسى بن أبي حَبيب ، عن الحكم بن عُمَير – وكانت له صحبة – قال : قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : إذا قلت « الحمد لله ربِّ العالمين » ، فقد شكرت الله ، فزادك[1] .

(١) الحديث ١٥٢ – نقله ابن كثير ١ : ٤٣ بإسناد الطبرى هذا ، وذكره السيوطى فى الدر المنثور ١ : ١١ ونسبه الطبرى والحاكم فى تاريخ نيسابور والديلمى « بسند ضعيف » . وإسناده ضعيف حقاً ، بل هو إسناد لا تقوم له قائمة ، كما سنذكر :

أما بقية بن الوليد ، فالحق أنه ثقة ، وإنما نعوا عليه التدليس ، ولا موضع له هنا ، فإنه صرح بالتحديث .

ولكن عيسى بن إبراهيم ، وهو القرشى الهاشمى ، كل البلاء منه فى هذا الحديث ، وفى أحاديث من نحوه ، رواها بهذا الإسناد . وقد قال فيه البخارى فى الضعفاء : ٢٧ : « منكر الحديث » ، وكذلك النسائى : ٢٢ . وترجم له ابن أبي حاتم فى الجرح والتعديل ٣ / ١ / ٢٧١ – ٢٧٢ ، وروى عن أبيه قال : « متروك الحديث » ، وعن ابن معين : « ليس بشيء » ، وقال ابن حبان فى الضعفاء ، الورقة ١٦٣ : « لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد » . وترجمته فى الميزان ولسان الميزان فيها العجب .

وشيخه « موسى بن أبي حبيب » مثله : ضعيف تالف ، وقال الذهبى فى الميزان : « ضعفه أبو حاتم ، وخبره ساقط . وله عن الحكم بن عمير ، رجل قيل : له صحبة . والذى أراه أنه لم يلقه . وموسى – مع ضعفه – فتأخر عن لقى صحابى كبير » . فالبلاء من هذين أو من أحدهما .

حتى لقد شك بعض الحفاظ فى وجود الصحابى نفسه « الحكم بن عميز » ، من أجلهما ! فترجم له ابن أبي حاتم فى الجرح والتعديل ١/ ٢ / ١٢٥ ، قال : « الحكم بن عمير : روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، لا يذكر السماع ولا لقاء ، أحاديث منكرة ، من رواية ابن أخيه موسى بن أبي حبيب ، وهو شيخ ضعيف الحديث ، ويروى عن موسى بن أبي حبيب عيسى بن إبراهيم ، وهو ذاهب الحديث ، سمعت أبي يقول ذلك » .

وحتى إن الذهبى أنكر صحبته وترجم له فى الميزان ، وأخطأ فى النقل فيه عن أبي حاتم ، ذكر أنه ضعف الحكم ! وكلام أبي حاتم – كما ترى – غير ذلك . وتعقبه الحافظ فى لسان الميزان ٢ : ٣٣٧ وأثبت أنه صحابى ، بما ذكره ابن عبد البر وابن منده وأبو نعيم والترمذى وغيرهم ، وأن الدارقطنى قال : « كان بدرياً » .

وقد ذكره ابن حبان فى كتاب الثقات (ص ٥٤) فى طبقة الصحابة ، وقال : « يقال إن له صحبة » . ونقل الحافظ هذا فى اللسان عن ابن حبان ، ولكن سها فزعم أنه ذكره « فى ثقات التابعين » .

وترجمه ابن عبد البر فى الاستيعاب ، رقم ٤٧٦ : باسم « الحكم بن عمرو الثمالى ، وثمالة فى الأزد ، شهد بدراً ، ورويت عنه أحاديث مناكير من أحاديث أهل الشأم ، لا تصح » . وتسمية أبيه باسم « عمرو » خطأ قديم فى نسخ الاستيعاب ، لأن ابن الأثير تبعه فى أسد الغابة ١ : ٢٦ ، وأشار إلى الغلط فيه ، ثم ترجمه على الصواب : « الحكم بن عمير » ١ : ٢٧ ، وترجمه ابن سعد فى الطبقات ٧/٢/١٣٤ على الصواب: « الحكم بن عمير الثمالى ، من الأزد ، وكان يسكن حمص » . وحقق الحافظ ترجمته فى الإصابة ٢ : ٣٠ تحقيقاً جيداً .

قال : وقد قيل : إنّ قول القائل « الحمد لله » ، ثناء على الله بأسمائه وصفاته الحُسنى ، وقوله : « الشكر لله » ، ثناءٌ عليه بنعمه وأياديه .

وقد رُوى عن كعب الأحبار أنه قال : « الحمدُ لله » ، ثناءٌ على الله. ولم يبيّن فى الرواية عنه ، من أى معنيي الثناء اللذين ذكرنا ذلك .

١٥٣ — حدثنا يونس بن عبد الأعلى الصَّدَفى ، قال : أنبأنا ابن وهب ، قال : حدثنى عمر بن محمد ، عن سهيل بن أبى صالح ، عن أبيه قال : أخبرنى السلولى عن كعب ، قال : من قال « الحمد لله » ، فذلك ثناء على الله [١] .

١٥٤ — حدثنى على بن الحسن الخرّاز ، قال : حدثنا مسلم بن عبد الرحمن الجَرْمى ، قال : حدثنا محمد بن مصعب القُرْقُسانى ، عن مُبارك بن فَضالة ، عن الحسن ، عن الأسود بن سريع : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ليس شىءٌ أحبَّ إليه الحمد ، من الله تعالى ، ولذلك أثنى على نفسه فقال : « الحمد لله » [٢] .

---

(١) الخبر ١٥٣ — هذا الإسناد صحيح ، وسواء صح أم ضعف ، فلا قيمة له ، إذ منتهاه إلى كعب الأحبار . وما كان كلام كعب حجة قط ، فى التفسير وغيره . و « الصدفى » : بفتح الصاد والدال المهملتين ، نسبة إلى « الصدف » بفتح الصاد وكسر الدال ، وهى قبيلة من حمير ، نزلت مصر . و « السلولى » ، هو : عبد الله بن ضمرة السلولى ، تابعى ثقة .

وهذا الخبر — عن كعب — ذكره ابن كثير ١ : ٤٣ دون إسناد ولا نسبة . وذكر السيوطى ١ : ١١ ونسبه للطبرى وابن أبى حاتم .

(٢) الحديث ١٥٤ — إسناده صحيح . على بن الحسن بن عبدويه أبو الحسن الخراز ، شيخ الطبرى : ثقة ، مترجم فى تاريخ بغداد ١١ : ٣٧٤ — ٣٧٥ . و « الخراز » : ثبت فى الطبرى بالخاء والراء وآخره زاى . وفى تاريخ بغداد « الخزاز » بزاءين ، ولم نستطع الترجيح بينهما . مسلم بن عبد الرحمن الجرمى : مترجم فى لسان الميزان ٦ : ٣٢ باسم « مسلم بن أبى مسلم » فلم يذكر اسم أبيه ، وهو هو . ترجمه الخطيب فى تاريخ بغداد ١٣ : ١٠٠ ، قال : « مسلم بن أبى مسلم الجرمى ، وهو مسلم بن عبد الرحمن » ، وقال : « كان ثقة ، نزل طرسوس ، وبها كانت وفاته » . و « الجرمى » : رسمت فى أصول الطبرى ولسان الميزان « الحرمى » بدون نقط . ولكنهم لم ينصوا على ضبطه . وعادتهم فى مثل هذا أن ينصوا على ضبط القليل والشاذ ، وأن يدعوا الكثير الذى يأتى على الجادة فى الضبط ، والجادة فى هذا الرسم « الجرمى » بالجيم ، وبذلك رسم فى تاريخ بغداد ، فمن هذا أو ذاك رجحناه . و « محمد بن مصعب القرقسانى » ، و « مبارك بن فضالة » : مختلف فيهما . وقد رجحنا توثيقهما فى شرح المسند : الأول فى ٣٠٤٨ ، والثانى فى ٥٢١ . و « الحسن » : هو البصرى ، وقد أثبتنا فى شرح صحيح ابن حبان ، فى الحديث ١٣٢ أنه سمع من الأسود بن سريع .

قال أبو جعفر : ولا تمانُع بين أهل المعرفة بلغات العرب من الحُكْم[١] — لقول القائل : «الحمد لله شكراً» — بالصحة. فقد تبيّن — إذْ كان ذلك عند جميعهم صحيحاً — أنّ الحمد لله قد يُنطق به فى موضع الشكر ، وأن الشكر قد يوضع موضعَ الحمد . لأن ذلك لو لم يكن كذلك، لما جاز أن يُقال« الحمد لله شكراً »، فيُخْرِج من قول القائل «الحمد لله» مُصَدَّرَ: «أشكُرُ»، لأن الشكر لولم يكن بمعنى الحمد، كان خطأ أن يُصَدَّرَ من الحمد غيرُ معناه وغير لفظه[٢] .

فإن قال لنا قائل : وما وجه إدخال الألف واللام فى الحمد ؟ وهلاَّ قيل : حمداً لله رب العالمين ؟

قيل : إن لدخول الألف واللام فى الحمد ، معنى لا يؤديه قول القائل « حَمْداً » بإسقاط الألف واللام . وذلك أن دخولهما فى الحمد مُنْبِئٌ عن أن معناه[٣] : جميعُ المحامد والشكرُ الكامل لله . ولو أسقطتا منه لما دَلّ إلاّ على أنّ حَمْدَ قائلِ ذلك لله ، دون المحامد كلها . إذْ كان معنى قول القائل : « حمداً لله » أو «حمدٌ الله» :

وقد ذكر السيوطى هذا الحديث فى الدر المنثور ١ : ١٢ عن تفسير الطبرى . ورواه أحمد فى المسند بمعناه مختصراً ١٥٦٥٠ (٣ : ٤٣٥ حلبى) عن روح بن عبادة عن عوف بن أبى جميلة عن الحسن عن الأسود بن سريع ، قال : « قلت : يا رسول الله ، ألا أنشدك محامد حمدت بها ربى ؟ قال : أما إن ربك يحب الحمد ». وهذا إسناد صحيح ، رجاله كلهم ثقات أثبات . وذكره ابن كثير فى التفسير ١ : ٤٣ عن المسند. وكذلك ذكره السيوطى ، ونسبه أيضاً للنسائى والحاكم وغيرهما .

ورواه أحمد أيضاً ١٥٦٥٤ ، والبخارى فى الأدب المفرد : ٥١ ، بنحوه ، فى قصة مطولة ، من رواية عبد الرحمن بن أبى بكرة عن الأسود بن سريع .

ومعناه ثابت صحيح ، من حديث ابن مسعود ، فى المسند ٤١٥٣ : « لا أحد أغير من الله ، ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا أحد أحب إليه المدح من الله، ولذلك مدح نفسه ». ورواه أيضاً البخارى ومسلم وغيرهما .

(١) انظر ما كتبناه آنفاً : ١٢٦ عن معنى « لا تمانع » .

(٢) تكلم العلماء فى نقض ما ذهب إليه أبو جعفر من أن «الحمد والشكر» بمعنى ، وأن أحدهما يوضع موضع الآخر ، وهو ما ذهب إليه المبرد أيضاً . انظر القرطبى ١ : ١١٦ ، وابن كثير ١ : ٤٢ ، وأخطأ النقل عن القرطبى ، فظنه استدل لصحة قول الطبرى ، وهو وهم . والذى قاله الطبرى أقوى حجة وأعرق عربية من الذين ناقضوه . وقوله « مصدر أشكر » ، وقوله « أن يصدر من الحمد » ، يعنى به المفعول المطلق . وانظر ما مضى : ١١٧ ، تعليق : ١ .

(٣) فى المطبوعة : « مبنى على أن معناه » ، أدخلوا عليه التبديل .

أحمد الله حمداً ، و ليس التأويل فى قول القائل: ﴿ الحمدُ لِلهِ ربِّ العالمين ﴾، تالياً سورةَ أم القرآن : أحمدُ الله، بل التأويلُ فى ذلك ما وصفنا قبلُ، من أنّ جميع المحامد لله بألوهيّته وإنعامه على خلقه بما أنعم عليهم به من النعم ، التى لا كِفاء لها ٤٧/١ فى الدين والدنيا ، والعاجل والآجل .

ولذلك من المعنى ، تتابعتْ قراءة القرّاء وعلماء الأمة على رَفع الحمد من ﴿ الحمدُ لِلهِ رَبِّ العالَمِينَ ﴾ دون نصبها ، الذى يؤدى إلى الدلالة على أن معنى تاليه كذلك : أحمد لله حمداً . ولو قرأ قارئ ذلك بالنصب ، لكان عندى مُحيلاً معناه ، ومستحقًّا العقوبةَ على قراءته إياه كذلك، إذا تعمّد قراءتَه كذلك ، وهو عالم بخطئه وفساد تأويله .

فإن قال لنا قائل : وما معنى قوله « الحمد لله » ؟ أَحمِد الله نفسه جلّ ثناؤه فأثنى عليها ، ثم علّمَناه لنقول ذلك كما قال ووصَف به نفسه ؟ فإن كان ذلك كذلك، فما وجه قوله تعالى ذكره إذاً ﴿ إيَّاكَ نَعْبُدُ وَإيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ،وهوعزّ ذكرُه معبودٌ لا عابدٌ ؟ أم ذلك من قِيلِ جبريلَ أومحمدٍ رَسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقد بَطل أن يكون ذلك لله كلاماً .

قيل : بل ذلك كله كلام الله جل ثناؤه ، ولكنه جلّ ذكره حَمِد نفسه وأثنى عليها بما هو له أهلٌ ، ثم علّم ذلك عباده ، وفرض عليهم تلاوته ، اختباراً منه لهم وابتلاءً ، فقال لهم قولوا : ﴿ الحمدُ لِلهِ رَبِّ العالَمِينَ ﴾ ، وقولوا : ﴿ إيَّاكَ نَعْبُدُ وَإيَّاكَ نَسْتَعِين ﴾ . فقوله ﴿ إياك نعبد ﴾ مما علمهم جلّ ذكره أن يقولوه ويَدينُوا له بمعناه، وذلك موصول بقوله : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ ، وكأنه قال : قولوا هذا وهذا .

فإن قال : وأين قوله : « قولوا » ، فيكونَ تأويلُ ذلك ما ادّعَيْتَ ؟

قيل : قد دللنا فيما مضى أن العرب من شأنها — إذا عرفتْ مكان الكلمة ،

ولم تَشكَّك أنّ سامعها يعرف ، بما أظهرت من منطقها ، ما حذفت — [١] حذفُ ما كفى منه الظاهرُ من منطقها ، ولا سيما إن كانت تلك الكلمة التى حُذفت ، قولاً ، أو تأويلَ قولٍ ، كما قال الشاعر :

وأعْلَمُ أنّنِى سَأكُونُ رَمْساً إذَا سَارَ النَّوَاعِجُ لا يَسِيرُ[٢]

فَقَالَ السّائلون لِمَنْ حَفَرْتُمْ ؟ فَقَالَ المُخْبِرُون لَهُمْ : وزيرُ[٣]

قال أبو جعفر : يريد بذلك ، فقال المخبرون لهم : الميّتُ وزيرٌ ، فأسقط الميت ، إذ كان قد أتى من الكلام بما دلّ على ذلك . وكذلك قول الآخر :

وَرأيتِ زَوْجَكِ فى الوغَى مُتَقَلِّدًا سَيْفاً ورُمْحَا[٤]

وقد علم أنّ الرمح لا يُتقلَّد به ، وأنه إنما أراد : وحاملا رمحاً ، ولكن لما كان معلوماً معناه ، اكتفى بما قد ظهر من كلامه ، عن إظهار ما حذف منه . وقد يقولون للمسافر إذا وَدّعوه : « مُصاحَباً مُعافىً » ، يحذفون « سر ، واخرج » ، إذ كان معلوماً معناه ، وإن أسقط ذكره .

فكذلك ما حُذف من قول الله تعالى ذكره : ﴿ الحمدُ لله رَبِّ العَالَمينَ ﴾ ، لمَّا عُلم بقوله جل وعزّ ﴿ إيّاكَ نَعبُدُ ﴾ ما أراد بقوله : ﴿ الحمدُ لله رب العالمين ﴾ ،

---

(١) سياق الكلام : « أن العرب من شأنها . . . حذف » وما بينهما فصل .

(٢) تأتى فى تفسير آية سورة المؤمنون : ٨٧ (١٨ : ٣٧ بولاق) ، ونسبهما لبعض بنى عامر ، وكذلك فى معانى القرآن للفراء ١ : ١٧٠ وهما فى البيان والتبيين ٣ : ١٨٤ منسوبان للوزيرى ، ولم أعرفه ، وفيها اختلاف فى الرواية . الرمس : القبر المسوى عليه التراب . يقول : أصبح قبرا يزار أو يناح عليه . ورواه الجاحظ : « سأصير ميتاً » ، وهى لا شىء . والنواعج جمع ناعجة : وهى الإبل السراع ، نعجت فى سيرها ، أى سارت فى كل وجه من نشاطها . وفى البيان ومعانى الفراء « النواجع » ، وليست بشىء .

(٣) رواية الجاحظ : « فقال السائلون : من المسجى » . وفى المعانى « السائرون » .

(٤) يأتى فى تفسير آيات سورة البقرة : ٧ / وسورة آل عمران : ٤٩ / وسورة المائدة : ٥٣ / وسورة الأنعام : ٩٩ / وسورة الأنفال : ١٤ / وسورة يونس : ٧١ / وسورة الرحمن : ٢٢ . وهو بيت مستشهد به فى كل كتاب .

من معنى أمره عبادَه ، أغنتْ دلالةُ ما ظُهِر عليه من القول عن إبداء ما حُذف .

وقد روينا الخبرَ الذى قدمنا ذكره مبتَدأ فى تأويل قول الله[١] : ﴿ الحمد لله رب العالمين﴾ ، عن ابن عباس ، وأنه كان يقول : إن جبريل قال لمحمد : قل يا محمد : « الحمد لله رب العالمين » ، وبيّنا أن جبريل إنما علّم محمداً صلى الله عليه وسلم ما أُمِر بتعليمه إياه[٢]. وهذا الخبر يُنبئ عن صحة ما قلنا فى تأويل ذلك .

* * *

القول فى تأويل قول الله ﴿ رَبِّ ﴾ .

قال أبو جعفر : قد مضى البيان عن تأويل اسم الله الذى هو « الله » ، فى « بسم الله » ، فلا حاجة بنا إلى تكراره فى هذا الموضع .

وأما تأويل قوله ﴿ رَبِّ ﴾ ، فإن الرّب فى كلام العرب منصرفٌ على معان .

فالسيد المطاع فيهم يدعَى ربًّا ، ومن ذلك قول لَبِيد بن ربيعة :

وأَهْلَكْنَ يوماً ربَّ كِنْدَةَ وابْنَه ورَبَّ مَعدٍّ ، بين خَبْتٍ وعَرْعَرِ[٣]

يعنى بربِّ كندة : سيِّد كندة . ومنه قول نابغة بنى ذُبيان :

تَخُبُّ إلى النُّعْمَانِ حَتَّى تَنالَهُ فِدًى لكَ مِن رَبٍّ طَرِيفِى وتَالِدِى[٤] ٤٨/١

والرجل المصلح للشىء يُدعى ربًّا ، ومنه قول الفرزدق بن غالب :

---

(١) فى المطبوعة : « فى تنزيل قول الله » .

(٢) انظر ما مضى آنفاً الحديث رقم : ١٥١ .

(٣) ديوانه القصيدة : ١٥ / ٣٢ . وسيد كندة هو حجر أبو امرىء القيس . ورب معد : حذيفة بن بدر ، كما يقول شارح ديوانه ، وأنا فى شك منه ، فإن حذيفة بن بدر قتل بالهباءة . ولبيد يذكر خبتاً وعرعراً ، وهما موضعان غيره .

(٤) ديوانه : ٨٩ ، والمخصص ٧ : ١٥٤ . الطريف والطارف : المال المستحدث ، خلاف التليد والتالد : وهو العتيق الذى ولد عندك

كانُوا كَسَالِئَةٍ حَمْقَاءَ إذْ حَقَنتْ سِلَاءَها فِى أَدِيمٍ غَيْرِ مَرْبُوبِ (١)

يعنى بذلك : فى أديم غير مُصلَحٍ . ومن ذلك قيل : إن فلاناً يَرُبُّ صنيعته عند فلان ؛ إذا كان يحاول إصلاحها وإدامتها ، ومن ذلك قول علقمة بن عَبَدة :

فَكُنْتَ امرَأً أَفْضَتْ إليك رِبَابَتِى وَقَبْلَكَ رَبَّتْنِى، فَضِعْتُ، رُبُوبُ (٢)

يعنى بقوله : « أفضتْ إليك » أى وصلتْ إليك رِبَابتى ، فصرتَ أنت الذى تَرُبُّ أمرى فتصلحه ، لمّا خرجتُ من ربابة غيرك من الملوك كانوا قبلك علىّ (٣) ، فضيَّعوا أمرى وتركوا تفقُّده — وهم الرُّبوب : واحدهم رَبٌّ . والمالك للشىء يدعى رَبَّه . وقد يتصرف أيضاً معنى « الربّ » فى وجوه غير ذلك ، غير أنها تعود إلى بعض هذه الوجوه الثلاثة .

فربّنا جلّ ثناؤه : السيد الذى لا شِبْه له ، ولا مثل فى مثل سُودده ، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه ، والمالك الذى له الخلق والأمر .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله جلّ ثناؤه ﴿ ربِّ العالَمين ﴾ ، جاءت الرواية عن ابن عباس : —

١٥٥ — حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا

---

(١) ديوانه : ٢٥ . سلأ السمن يسلؤه : طبخه وعالجه فأذاب زبده . والسلاء ، بكسر السين : السمن . وحقن اللبن فى الوطب ، والماء فى السقاء : حبسه فيه وعبأه . رب نحى السمن يربه : دهنه بالرب ، وهو دبس كل ثمرة ، وكانوا يدهنون أديم النحى بالرب حتى يمتنوه ويصلحوه ، فتطيب رائحته ، ويمنع السمن أن يرشح ، من غير أن يفسد طعمه أو ريحه . وإذا لم يفعلوا ذلك بالنحى فسد السمن . وأديم مربوب : جلد قد أصلح بالرب . يقول : فعلوا فعل هذه الحمقاء ، ففسد ما جهدوا فى تدبيره وعمله .

(٢) ديوانه : ٢٩ ، ويأتى فى تفسير آية سورة آل عمران : ٧٩ ، (٣ : ٢٣٣ بولاق) والمخصص ١٧ : ١٥٤ ، والشعر يقوله للحارث بن أبى شمر الغسانى ملك غسان ، وهو الحارث الأعرج المشهور . قال ابن سيدة : « ربوب : جمع رب ، أى الملوك الذين كانوا قبلك ضيعوا أمرى ، وقد صارت الآن ربابتى إليك — أى تدبير أمرى وإصلاحه — فهذا رب بمعنى مالك ، كأنه قال : الذين كانوا يملكون أمرى قبلك ضيعوه » . وقال الطبرى فيما سيأتى : « يعنى بقوله : ربتنى : ولى أمرى والقيام به قبلك من يربه ويصلحه فلم يصلحوه ، ولكنهم أضاعونى فضعت » . والربابة : المملكة ، وهى أيضاً الميثاق والعهد . وبها فسر هذا البيت ، وأيدوه برواية من روى بدل « ربابتى » ، « أمانتى » . والأول أجود .

(٣) فى المطبوعة : « من الملوك الذين كانوا » ، غيروه ليوافق ما ألفوا من العبارة .

بشر بن عُمارة ، قال : حدثنا أبو رَوْق ، عن الضحّاك ، عن ابن عباس ، قال : قال جبريل لمحمد : « يا محمد قل : ﴿ الحمد لله ربِّ العالمين ﴾ » ، قال ابن عباس : يقول : قل الحمد لله الذى له الخلق كله — السمواتُ كلهن ومن فيهنّ ، والأرَضون كلُّهنّ ومن فيهنّ وما بينهن ، مما يُعلم ومما لا يُعلم . يقول : اعلم يا محمد أن ربَّك هذا لا يشبهه شيء[1] .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ العَالَمِينَ ﴾ .

قال أبو جعفر : والعالَمون جمع عالَم ، والعالَم : جمعٌ لا واحدَ له من لفظه ، كالأنام والرهط والجيش ، ونحو ذلك من الأسماء التى هى موضوعات على جِمَاعٍ لا واحد له من لفظه .

والعالم اسم لأصناف الأمم ، وكل صنف منها عالَمٌ ، وأهل كل قَرْن من كل صنف منها عالم ذلك القرن وذلك الزمان . فالإنس عالَم ، وكل أهل زمان منهم عالمُ ذلك الزمان . والجنُّ عالم ، وكذلك سائر أجناس الخلق ، كلّ جنس منها عالمُ زمانه . ولذلك جُمع فقيل : عالَمون ، وواحده جمعٌ ، لكون عالم كلّ زمان من ذلك عالم ذلك الزمان . ومن ذلك قول العجاج :

* فَخِنْدِفٌ هامَةُ هَذَا العَالَمِ *[2]

فجعلهم عالمَ زمانه . وهذا القول الذى قلناه ، قولُ ابن عباس وسعيد بن جبير ، وهو معنى قول عامّة المفسرين .

---

(١) الحديث ١٥٥ — سبق الكلام مفصلا فى ضعف هذا الإسناد ، برقم ١٣٧ . وهذا الحديث فى ابن كثير ١ : ٤٤ ، والدر المنثور ١ : ١٣ ، والشوكانى ١ : ١١ . ونسبه الأخيران أيضاً لابن أبى حاتم . وفى المطبوع وابن كثير « والأرض ومن فيهن » .

(٢) ديوانه : ٦٠ ، وطبقات فحول الشعراء : ٦٤ ، وخندف : أم بنى اليأس بن مضر ، مدركة وطابخة ، وتشعبت منهم قواعد العرب الكبرى .

١٥٦ــ حدثنا أبو كريب ، قال: حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عُمارة ، قال : حدثنا أبو رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : ﴿ الحمدُ لله ربِّ العالمين ﴾ ، الحمد لله الذى له الخلق كله : السموات والأرَضون ومَن فيهنّ ، وما بينهن ، مما يُعلم ولا يعلم[١] .

١٥٧ــ حدثنى محمد بن سنان القَزّاز ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن شبيب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس: ﴿ ربِّ العالَمِين ﴾ : الجن والإنس[٢] .

١٥٨ــ حدثنى على بن الحسن ، قال : حدثنا مسلم بن عبد الرحمن ، قال : حدثنا محمد بن مصعب ، عن قيس بن الربيع ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، فى قول الله جل وعزّ ﴿ رَبِّ العالمين ﴾ ، قال: ربُّ الجن والإنس[٣] .

١٥٩ــ حدثنا أحمد بن إسحق بن عيسى الأهوازى ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيرى ، قال : حدثنا قيس ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير : قوله: ﴿ رَبِّ العالمين ﴾ ، قال : الجنّ والإنس[٤] .

---

(١) الحديث ١٥٦ – هو مختصر مما قبله : ١٥٥ .

(٢) الخبر ١٥٧ – إسناده صحيح . محمد بن سنان القزاز ، شيخ الطبرى : تكلموا فيه من أجل حديث واحد . والحق أنه لا بأس به ، كما قال الدارقطنى . وهو مترجم فى التهذيب ، وله ترجمة جيدة فى تاريخ بغداد ٥ : ٣٤٣ – ٣٤٦ . أبو عاصم : هو النبيل ، الضحاك بن مخلد ، الحافظ الحجة . شبيب : هو ابن بشر البجلى ، ووقع فى التهذيب ٤ : ٣٠٦ « الحلبى » ، وهو خطأ مطبعى ، صوابه فى التاريخ الكبير للبخارى ٢ / ٢ / ٢٣٢ / ٢٣٣ والجرح والتعديل لابن أبى حاتم ٢ / ١ / ٣٥٧ – ٣٥٨ والتقريب وغيرها ، وهو ثقة ، وثقه ابن معين .

(٣) الخبر ١٥٨ – إسناده حسن على الأقل ، لأن عطاء بن السائب تغير حفظه فى آخر عمره ، وقيس بن الربيع قديم ، لعله سمع منه قبل لاختلاط ، ولكن لم نتبين ذلك بدليل صريح . ووقع فى هذا الإسناد خطأ فى المطبوع « حدثنا مصعب » ، وصوابه من المخطوطة « حدثنا محمد بن مصعب » ، وهو القرقسانى ، كما مضى فى الإسناد ١٥٤ .

(٤) الخبر ١٥٩ – إسناده حسن كالذى قبله . وأبو أحمد الزبيرى : هو محمد بن عبد الله ابن الزبير الأسدى ، من الثقات الكبار ، من شيوخ أحمد بن حنبل وغيره من الحفاظ . وقيس : هو ابن الربيع . وهذه الأخبار الثلاثة ١٥٧ – ١٥٩ ، ولفظها واحد ، ذكرها ابن كثير ١ : ٤٤ خبراً واحداً دون إسناد . وذكرها السيوطى فى الدر المنثور ١ : ١٣ خبراً واحداً ونسبه إلى « الفريابى ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم وصححه ، عن ابن عباس »

١٦٠ــ حدثني أحمد بن عبد الرحيم البرْقي ، قال : حدثني ابن أبي مريم ، عن ابن لَهِيعة ، عن عطاء بن دينار ، عن سعيد بن جبير ، قوله : ﴿ رَبّ العالمين ﴾ ، قال : ابن آدم والجنّ والإنس ، كل أمة منهم عالمٌ على حِدَته(١) . ٤٩/١

١٦١ــ حدثني محمد بن حُميد ، قال : حدثنا مهران ، عن سفيان ، عن مجاهد : ﴿ الحمد لله ربّ العالمين ﴾ ، قال : الإنس والجنّ(٢) .

١٦٢ــ حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازي ، قال حدثنا أبو أحمد الزبيري ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد بمثله(٣) .

١٦٣ــ حدثنا بشر بن معاذ العَقَدي ، قال : حدثنا يزيد بن زُرَيْع ، عن سعيد ، عن قتادة : ﴿ ربّ العالمين ﴾ ، قال : كلّ صنف عالم(٤) .

---

(١) الأثر ١٦٠ – أحمد بن عبد الرحيم البرقي : اشتهر بهذا ، منسوباً إلى جده ، وكذلك أخوه « محمد » . وهو : أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم . وقد مضت رواية الطبري عنه أيضاً برقم ٢٢ باسم « ابن البرقي » . ابن أبي مريم : هو سعيد . ابن لهيعة : هو عبد الله . عطاء بن دينار المصري : ثقة ، وثقه أحمد بن حنبل وأبو داود وغيرهما ، وروى ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٣ / ١ / ٣٣٢ وفي المراسيل : ٥٨ عن أحمد بن صالح ، قال : « عطاء بن دينار ، هو من ثقات أهل مصر ، وتفسيره – فيما يروى عن سعيد بن جبير : صحيفة ، وليست له دلالة على أنه سمع من سعيد بن جبير » . وروى في الجرح عن أبيه أبي حاتم ، قال : « هو صالح الحديث ، إلا أن التفسير أخذه من الديوان ، فإن عبدالملك ابن مروان كتب يسأل سعيد بن جبير أن يكتب إليه بتفسير القرآن ، فكتب سعيد بن جبير بهذا التفسير إليه ، فوجده عطاء بن دينار في الديوان ، فأخذه فأرسله عن سعيد بن جبير » .

(٢) الأثر ١٦١ – إسناده إلى مجاهد ضعيف . لأن سفيان ، وهو الثوري ، لم يسمع من مجاهد . لأن الثوري ولد سنة ٩٧ ، ومجاهد مات سنة ١٠٠ أو بعدها بقليل ، والظاهر عندي أن هذه الرواية من أغلاط مهران بن أبي عمر ، راويها عن الثوري . فإن رواياته عن الثوري فيها اضطراب ، كما بينا في إسناد الحديث الماضي ١١ .

وهذا الأثر ذكره ابن كثير ١ : ٤٤ دون نسبة ولا إسناد . وذكره السيوطي في الدر المنثور ١ : ١٣ ، ونسبه أيضاً لعبد بن حميد .

(٣) الأثر ١٦٢ – إسناده ضعيف ، لإبهام الرجل راويه عن مجاهد . وهو يدل على غلط مهران في الإسناد قبله ، إذ جعله عن الثوري عن مجاهد مباشرة ، دون واسطة .

(٤) الأثر ١٦٣ – سعيد : هو ابن أبي عروبة . وقد مضى أثر آخر عن قتادة بهذا الإسناد ١١٩ . وهذا الأثر ذكره السيوطي في الدر المنثور ١ : ١٣ ، وفي نسبته هناك خطأ مطبعي : « ابن جريج » بدل « ابن جرير » . وكلام ابن جريج سيأتي ١٦٥ مرويا عنه لا راوياً .

١٦٤ــ حدثني أحمد بن حازم الغِفَاري، قال حدثنا عُبيد الله بن موسى، عن أبي جعفر، عن ربيع بن أنس، عن أبي العالية، في قوله: ﴿ رَبِّ العالمين ﴾، قال: الإنس عالَمٌ، والجنّ عالم، وما سوى ذلك ثمانية عشر ألف عالم، أو أربعةَ عشر ألف عالم ــ هو يشكّ ــ من الملائكة على الأرض. وللأرض أربع زوايا، في كل زاوية ثلاثة آلافِ عالم، وخمسمائة عالَمٍ، خلقهم لعبادته (١).

١٦٥ــ حدثنا القاسم بن الحسن، قال: حدثنا الحسين بن داود، قال: حدثنا حجاج، عن ابن جُريج، في قوله: ﴿ رَبِّ العالمين ﴾ قال: الجن والإنس (٢).

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

قال أبو جعفر: قد مضى البيانُ عن تأويل قوله «الرحمن الرحيم» في تأويل ﴿ بسم الله الرحمن الرحِيم ﴾، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع.

ولم نَحتجْ إلى الإبانة عن وجه تكرير ذلك في هذا الموضع، إذْ كنا لا نرى أن «بسم الله الرحمن الرحيم» من فاتحة الكتاب ــ آيةٌ، فيكونَ علينا لسائلٍ مسئلةٌ بأن يقول: ما وجه تكرير ذلك في هذا الموضع، وقد مضى وصفُ الله عزّ وجلّ به نفسه في قوله «بسم الله الرحمن الرحيم»، مع قرب مكان إحدى الآيتين من الأخرى، ومجاورتها صَاحِبتها؟ بل ذلك لنا حُجة على خطأ دعوى من ادّعى أن

---

(١) الأثر ١٦٤ ــ أبو جعفر: هو الرازي التميمي، وهو ثقة، تكلم فيه بعضهم، وقال ابن عبد البر: «هو عندهم ثقة، عالم بتفسير القرآن». وله ترجمة وافية في تاريخ بغداد ١١: ١٤٣ ــ ١٤٧. وهذا الأثر عن أبي العالية ذكره ابن كثير ١: ٤٥ والسيوطي ١: ١٣ بأطول مما هنا قليلا، ونسباه أيضاً لابن أبي حاتم، وقال ابن كثير: «وهذا كلام غريب، يحتاج مثله إلى دليل صحيح». وهذا حق.

(٢) الأثر ١٦٥ ــ سبق الكلام على هذا الإسناد ١٤٤. وهذا الأثر ذكره ابن كثير ١: ٤٤ دون نسبة ولا إسناد.

« بسم الله الرحمن الرحيم » من فاتحة الكتاب آية. إذ لو كان ذلك كذلك، لكان ذلك إعادةَ آية بمعنى واحد ولفظ واحدٍ مرتين من غير فَصْل يَفصِل بينهما . وغيرُ موجودٍ فى شىء من كتاب الله آيتان مُتجاورتان مكرّرتان بلفظ واحد ومعنى واحد، لا فصلَ بينهما من كلام يُخالف معناه معناهما . وإنما يُؤتى بتكرير آية بكمالها فى السورة الواحدة ، مع فُصولٍ تفصِل بين ذلك ، وكلامٍ يُعترضُ به بغير معنى الآيات المكررات أو غير ألفاظها ، ولا فاصِلَ بين قول الله تبارك وتعالى اسمه « الرحمن الرحيم » من « بسم الله الرحمن الرحيم » ، وقولِ الله: « الرحمن الرحيم » من « الحمدُ لله ربّ العالمين » .

فإن قال : فإن ﴿ الحمدُ لله ربِّ العالَمين ﴾ فاصل من ذلك[1] .

قيل: قد أنكر ذلك جماعة من أهل التأويل ، وقالوا : إن ذلك من المؤخَّر الذى معناه التقديم ، وإنما هو: الحمد لله الرحمن الرحيم رَبّ العالمين مَلِك يوم الدين . واستشهدوا على صحة ما ادعوا من ذلك بقوله «مَلِكِ يوم الدين»، فقالوا: إن قوله « ملِكِ يوم الدين » تعليم من الله عبدَه، أنْ يصفَه بالمُلْك فى قراءة من قرأ « ملِك » وبالمِلْك فى قراءة من قرأ « مالك » . قالوا: فالذى هو أولى أن يكونَ مجاورَ وصفه بالمُلْك أو المِلْك ، ما كان نظيرَ ذلك من الوصف ، وذلك هو قوله: «ربّ العالمين»، الذى هو خبر عن مِلْكه جميع أجناس الخلق ؛ وأن يكون مجاورَ وصفه بالعظمة والألُوهة ، ما كان له نظيراً فى المعنى من الثناء عليه ، وذلك قوله: « الرحمن الرحيم ». فزعموا أنّ ذلك لهم دليلٌ على أن قوله « الرحمن الرحيم » ، بمعنى التقديم قبل « رب العالمين» ، وإن كان فى الظاهر مؤخراً . وقالوا : نظائرُ ذلك — من التقديم الذى هو بمعنى التأخير ، والمؤخَّر الذى هو بمعنى التقديم — فى كلام العرب أفشى ، وفى منطقها أكثر ، من أن يُحصى . من ذلك قول جرير بن عطية :

---

(١) فى المطبوعة : « فاصل بين ذلك » ، والذى فى المخطوطة عربية جيدة .

طَافَ الْخَيَالُ — وأَيْنَ مِنْكَ؟ — لِمَامَا فَارْجِعْ لِزَوْرِكَ بالسَّلام سَلاما[١]

بمعنى : طاف الخيال لماماً ، وأين هو منك ؟ وكما قال جل ثناؤه فى كتابه :

٥٠/١ ﴿ الحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً قَيِّماً ﴾ [سورة الكهف : ١] بمعنى[٢] : الحمدُ لله الذى أنزل على عبده الكتاب قيِّماً ولم يجعل له عوجاً ، وما أشبه ذلك . فى ذلك دليل شاهدٌ على صحة قول من أنكر أن تكون — ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ من فاتحة الكتاب — آيةً[٣] .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ .

قال أبو جعفر : القرَّاء مختلفون فى تلاوة ﴿ ملك يَوْمِ الدِّين ﴾ . فبعضهم يتلوه ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّين ﴾ ، وبعضهم يتلوه ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ، وبعضهم يتلوه ﴿ مَلِكَ يَوْمِ الدِّين ﴾ بنصب الكاف . وقد استقصينا حكاية الرواية عمن رُوى عنه فى ذلك قراءةٌ فى « كتاب القراآت » ، وأخبرنا بالذى نختار من القراءة فيه ، والعلةِ الموجبة صحّة ما اخترنا من القراءة فيه . فكرهنا إعادة ذلك فى هذا الموضع ، إذ كان الذى قَصَدْنا له ، فى كتابنا هذا ، البيانَ عن وجوه تأويل آيِ القرآن ، دون وجوه قراءتها .

ولا خلاف بين جميع أهلِ المعرفة بلغات العرب ، أن المَلِك من « المُلْك »

---

(١) ديوانه : ٥٤١ ، والنقائض : ٣٨ . طاف الخيال : ألم بك فى الليل ، واللمام : اللقاء اليسير . والزور : الزائر ، يقال للواحد والمثنى والجمع : زور . « فارجع لزورك » ، يقول : رد عليه السلام كما سلم عليك .

(٢) فى المطبوعة : « المعنى : الحمد لله . . . »

(٣) وهكذا ذهب أبو جعفر رحمه الله إلى أن « بسم الله الرحمن الرحيم » ليست آية من الفاتحة ، واحتج لقوله بما ترى . وليس هذا موضع بسط الخلاف فيه ، والدلالة على خلاف ما قال ابن جرير . وقد حققت هذه المسئلة ، وأقمت الدلائل الصحاح — فى نظرى وفقهى — على أنها آية من الفاتحة — : فى شرحى لسنن الترمذى ٢ : ١٦ — ٢٥ . وفى الإشارة إليه غنية هنا . أحمد محمد شاكر .

مشتق، وأنّ المالك من « المِلْك » مأخوذٌ. فتأويل قراءةِ من قرأ ذلك ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِينِ ﴾ ، أن لله المُلْك يوم الدين خالصاً دون جميع خلقه ، الذين كانوا قبل ذلك فى الدنيا ملوكاً جبابرة ينازعونه الملك ، ويدافعونه الانفرادَ بالكبرياء والعظمة والسلطان والجبرية[1]. فأيقنوا بلقاء الله يوم الدين أنهم الصَّغَرة الأذِلّة[2] ،وأنّ له — من دُونهم ، ودون غيرهم — المُلك والكبرياء ، والعزة والبهاء ، كما قال جلّ ذكره وتقدست أسماؤه فى تنزيله : ﴿ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ، لِلهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ ﴾ [سورة غافر : ١٦] . فأخبر تعالى ذكره أنه المنفرد يومئذ بالمُلك دون ملوك الدنيا، الذين صارُوا يوم الدّين من مُلكهم إلى ذِلّة وصَغار ، ومن دُنياهم فى المعاد إلى خسار .

وأما تأويلُ قراءة من قرأ « مالك يوم الدين » ، فما : —

١٦٦ — حدثنا به أبوكُريب، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، عن بشر بن عُمارة، قال: حدثنا أبو رَوْق، عن الضحاك، عن عبد الله بن عباس : ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، يقول: لا يملك أحدٌ فى ذلك اليوم معه حُكماً كمِلْكِهم فى الدنيا. ثم قال: ﴿ لاَ يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ وَقَالَ صَوَاباً ﴾ [سورة النبأ: ٣٨] . وقال: ﴿ وخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمنِ ﴾[سورة طه: ١٠٨]. وقال : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ﴾[3] [سورة الأنبياء : ٢٨] .

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بالآية ، وأصحُّ القراءتين فى التلاوة عندى ،

---

(١) الجبرية والجبروت واحد ، وهو من صفات الله العلى . الجبار : القاهر فوق عباده ، يقهرهم على ما أراد من أمر ونهى ، سبحانه وتعالى .

(٢) الصغرة جمع صاغر : وهو الراضى بالذل المقر به . والأذلة جمع ذليل .

(٣) الخبر ١٦٦ — سبق الكلام مفصلا فى ضعف هذا الإسناد ١٣٧ . وهذا الخبر ، مع باقيه الآتى ١٦٧ نقله ابن كثير ١ : ٤٦ دون إسناد ولا نسبة ، ونقله السيوطى ١ : ١٤ ونسبه أيضاً لابن أبى حاتم . وقال ابن كثير : « وكذلك قال غيره من الصحابة والتابعين والسلف . وهو ظاهر » .

التأويلُ الأول، وهى قراءةُ من قرأ ﴿ مَلِكِ ﴾ بمعنى المُلك . لأن فى الإقرار له بالانفراد بالمُلك ، إيجاباً لانفراده بالمِلْك، وفضيلةَ زيادة الملِك على المالك[1]، إذْ كان معلوماً أن لا مَلِك إلا وهو مالكٌ، وقد يكون المالكُ لا ملكاً .

وبعدُ، فإن الله جلّ ذكره، قد أخبر عبادَه فى الآية التى قبل قوله ﴿ مالِكِ يوم الدين ﴾ أنه مالكُ جميع العالمين ، وسيِّدهم ، ومُصلحُهم ، والناظرُ لهم ، والرحيم بهم فى الدنيا والآخرة ، بقوله : ﴿ الحمد لله ربِّ العالمين * الرحمٰن الرحيم ﴾ . وإذْ كان جلّ ذكره قد أنبأهم عن مِلْكه إيَّاهم كذلك بقوله ﴿ ربِّ العالمين ﴾، فأولى الصّفات من صفاته جل ذكره أن يَتْبَع ذلك ، ما لم يحْوِه قوله ﴿ ربِّ العالمين الرَّحمن الرحيم ﴾ ، مع قرب ما بين الآيتين من المواصَلة والمجاورة ، إذْ كانت حكمتُه الحكمةَ التى لا تشبهها حِكمةٌ، وكان فى إعادة وصفه جلّ ذكره بأنه ﴿ مالِكِ يوم الدين ﴾، إعادةُ ما قد مضى من وصفه به فى قوله ﴿ ربِّ العالمين ﴾، مع تقارب الآيتين وتجاور الصفتين . وكان فى إعادة ذلك تكرارُ ألفاظ مختلفة بمعان متفقة ، لا تفيد سامع ما كُرِّر منه فائدةً به إليها حاجة . والذى لم يحْوِه من صفاته جلّ ذكره ما قبل قوله « مالك يوم الدين » ، المعنى الذى فى قوله « مَلِك يوم الدين »، وهو وصْفه بأنه المالِك .

فبيِّن إذاً أن أوْلى القراءتين بالصواب ، وأحقّ التأويلين بالكتاب ، قراءة من من قرأه ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّين ﴾، بمعنى إخلاص المُلك له يوم الدين، دون قراءة من قرأ « مالك يوم الدين» الذى بمعنى أنه يملك الحكمَ بينهم وفصلَ القضاء ، متفرِّداً به دون سائر خلقه .

٥١/١ فإن ظنّ ظانّ أنّ قوله ﴿ رَبّ العَالمين ﴾ نبأ عن ملكه إياهم فى الدنيا دون الآخرة ، يوجبُ وصْلَ ذلك بالنبأ عن نفسه أنه : مَنْ مَلَكهم فى الآخرة على نحو مِلْكه

---

(١) فى المخطوطة : « الملك على الملك » ، وهما سواء .

إياهم فى الدنيا بقوله « مالك يوم الدين » — فقد أغفلَ وظنَّ خطأ(١) .

وذلك أنه لو جاز لِظانّ أنْ يظنّ أن قوله ﴿ ربّ العالمين ﴾ محصورٌ معناه على الخبر عن ربوبيّة عالم الدنيا دونَ عالم الآخرة، مع عدم الدلالة على أن معنى ذلك كذلك فى ظاهر التنزيل ، أو فى خبرٍ عن الرسول صلى الله عليه وسلم به منقولٍ ، أو بحجّة موجودة فى المعقول — لجاز لآخر أن يظنّ أن ذلك محصور على عالم الزمان الذى فيه نزل قوله ﴿ رب العالمين ﴾ ، دون سائر ما يحدث بعدَه فى الأزمنة الحادثة من العالمين . إذْ كان صحيحاً بما قد قدّمنا من البيان ، أنّ عالمَ كل زمان غير عالم الزمان الذى بعده .

فإن غَبِىَ — عن علم صحة ذلك بما قد قدمنا — ذو غباء ، فإنّ فى قول الله جل ثناؤه : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِى إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الجاثية : ١٦] دلالةً واضحةً على أنّ عالم كلّ زمان ، غيرُ عالم الزمان الذى كان قبله ، وعالم الزمان الذى بعدَه ، إذْ كان الله جلّ ثناؤه قد فضّل أمّة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الأمم الخالية ، وأخبرهم بذلك فى قوله : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ الآية [سورة آل عمران : ١١٠] . فمعلومٌ بذلك أن بَنى إسرائيل فى عصر نبينا لم يكونوا — مع تكذيبهم به صلى الله عليه وسلم — أفضلَ العالمين ، بل كانَ أفضلَ العالمين فى ذلك العصر وبعدَه إلى قيام الساعة ، المؤمنون به المتّبِعون منهاجهُ ، دون من سِواهم من الأمم المكذّبة الضالة عن منهاجه .

وإذْ كان بيّناً فساد تأويل متأوّلٍ لو تأوّل قوله ﴿ ربّ العالمين ﴾ أنه معنىٌّ به

---

(١) قوله « أغفل » ، فعل لازم غير متعد . ومعناه : دخل فى الغفلة والنسيان ووقع فيهما ، وهى عربية معرقة ، وإن لم توجد فى المعاجم ، وهى كقولهم : أنجد ، دخل نجداً ، وأشباهها . وحسبك بها عربية أنها لغة الشافعى ، أكثر من استعمالها فى الرسالة والأم . من ذلك قوله فى الرسالة : ٤٢ رقم ؛ ١٣٦ : « وبالتقليد أغفل من أغفل منهم » .

أن الله ربُّ عالمى زمن نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم ، دون عالمى سائر الأزمنة غيره — كان واضحاً فساد قول من زعم أنّ تأويلَهُ : ربُّ عالَمِ الدنيا دُون عالَمِ الآخرة ، وأنّ « مالك يوم الدين » استحقّ الوصلَ به ليُعلمَ أنه فى الآخرة من مِلْكهم وربُوبيتهم بمثل الذى كان عليه فى الدنيا .

ويُسأل زاعم ذلك ، الفرقَ بينه وبين متحكم مثله — فى تأويل قوله ﴿رب العالمين﴾ ، تحكّم فقال : إنه إنما عنى بذلك أنه ربّ عالمى زمان محمدٍ صلى الله عليه ، دون عالمى غيره من الأزمان الماضية قبله ، والحادثة بعده ، كالذى زعم قائل هذا القول : أنه عَنى به عالمى الدنيا دُون عالمى الآخرة — من أصل أو دلالة(١). فلن يقول فى أحدهما شيئاً إلا ألزم فى الآخر مثله .

وأما الزاعم أن تأويل قوله ﴿ مالك يوم الدين ﴾ أنه الذى يملكُ إقامة يوم الدين ، فإن الذى ألزمْنا قائلَ هذا القول الذى قبله — له لازمٌ . إذْ كانت إقامةُ القيامة ، إنما هى إعادة الخلق الذين قد بادوا لهيئاتهم التى كانوا عليها قبل الهلاك ، فى الدار التى أعدّ لهم فيها ما أعدّ . وهُمُ العالَمون الذين قد أخبر جلّ ذكره عنهم أنه ربُّهم فى قوله ﴿ ربّ العالمين ﴾ .

وأما تأويل ذلك فى قراءة من قرأ ﴿مَالِكِ يَومِ الدِّينِ﴾ ، فإنه أراد : يا مالك يوم الدين ، فنصَبه بنيّة النداء والدعاء ، كما قال جلّ ثناؤه : ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هٰذَا ﴾ [سورة يوسف : ٢٩] بتأويل : يا يوسف أعرضْ عن هذا ، وكما قال الشاعر من بنى أسد ، وهو شعر — فيما يقال — جاهلى :

إنْ كُنْتَ أَزْنَنْتَنى بِهَا كَذِباً جَزْءُ ، فلاَقَيْتَ مِثْلَهَا عَجِلاَ(٢)

---

(١) سياق العبارة : « ويسأل زاعم ذلك ، الفرق .... من أصل أو دلالة » ، وما بينهما فصل .

(٢) الشعر لجاهلى مخضرم هو حضرمى بن عامر الأسدى ، وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من بنى أسد فأسلموا جميعاً. وسبب قوله هذا الشعر : أن إخوته كانوا تسعة ، فجلسوا على بئر فانخسفت بهم ، فورثهم ، فحسده ابن عمه جزء بن مالك بن مجمع ، وقال له : من مثلك ؟ مات إخوتك فورثتهم ، فأصبحت ناعماً جذلا. وما كاد ، حتى جلس جزء وإخوة له تسعة على بئر فانخسفت بإخوته

يريد : يا جزءُ ، وكما قال الآخر :

كَذَبْتُمْ وبيتِ اللهِ لا تَنْكِحُونَها، بَنِي شَابَ قَرْنَاها تَصُرُّ وتَحْلُبُ(١)

يريد : يا بنى شابَ قرْناها . وإنما أوْرطه فى قراءة ذلك — بنصب الكاف من « مالك » ، على المعنى الذى وصفتُ — حيرتهُ فى توجيه قوله : ﴿ إياكَ نَعْبُدُ وإيَّاكَ نَسْتَعِين ﴾ وِجْهَتَه، مع جر ﴿ مالك يوم الدين ﴾ وخفضِه . فظنّ أنّه لا يصحّ معنى ذلك بعد جرّه ﴿ مالكِ يوم الدين ﴾ ، فنصب « مالكَ يوم الدين » ليكون « إياك نعبد » له خطاباً . كأنه أراد : يا مالك يوم الدين ، إياك نعبد وإياك نَستعين . ولو كان عَلم تأويل أول السورة ، وأن « الحمدُ لله رَبّ العالمين » ١/٥٢ أمرٌ من الله عبدَه بقِيل ذلك — كما ذكرنا قبلُ من الخبر عن ابن عباس : أن جبريلَ قال للنبى صلى الله عليهما وسلم عن الله تعالى ذكره : قل يا محمد ، « الحمدُ لله رب العالمين الرحمن الرحيم مَالكِ يوم الدين » ، وقل أيضاً يا محمد: «إياكَ نَعبد وإياكَ نَستعين(٢)» — وكان عَقَل(٣) عن العرب أنّ من شأنها إذا حكَت أو أمرت بحكاية خبرٍ يتلو القولَ ، أن تخاطب ثم تخبر عن غائب ، وتخبرَ عن غائب ثم تعودَ إلى الخطاب ، لما فى الحكاية بالقول من معنى الغائب والمخاطب ، كقولهم للرجل : قد قلتُ لأخيك : لو قمتَ لقمتُ ، وقد قلتُ لأخيك: لو قام لقمتُ — (٤)لسَهُل عليه مخرجُ ما استصعب عليه وجْهتُه من جر « مالك يوم الدين » .

ونجا هو ، فبلغ ذلك حضرمياً فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، كلمة وافقت قدراً وأبقت حقداً . يعنى قوله لجزء : « فلاقيت مثلها عجلا » . وأزنته بشىء : اتهمته به . انظر أمالى القالى ١ : ٦٧ ، والكامل ١ : ٤١ — ٤٢ وغيرهما .

(١) نسبه فى اللسان (قرن) ومجاز القرآن : ١٠٠ إلى رجل من بنى أسد والبيت فى سيبويه ١ : ٢/٢٥٩ : ٧ ، ٦٥ ، وهو شاهد مشهور . « وبنى شاب قرناها » ، يعنى قوياً ، يقول : بنى التى يقال لها : شاب قرناها ، أى يا بنى العجوز الراعية ، لا هم لها إلا أن تصر ، أى تشد الصرار على الضرع حتى تجتمع الدرة ، ثم تحلب . وذلك ذم لها . والقرن : الضفيرة .

(٢) انظر : ١٥١ ، ١٥٥ .

(٣) عطف على قوله : « ولو كان علم . . . » .

(٤) جواب « لو كان علم . . . وكان عقل » .

ومن نظير «مالك يوم الدين» مجروراً، ثم عَوْده إلى الخطاب بـ «إياك نعبد»، كما ذكرنا قبل — البيتُ السائرُ من شعر أبي كبير الهُذَلي:

يَا لَهْفَ نَفْسِي كَانَ جِدَّةُ خَالِدٍ وَبَيَاضُ وَجْهِكَ لِلتُّرَابِ الأَعْفَرِ(١)

فرجعَ إلى الخطاب بقوله «وبياضُ وَجْهك»، بعد ما قد مضى الخبرُ عن خالد على معنى الخبر عن الغائب.

ومنه قول لبيد بن ربيعة:

بَاتَتْ تَشَكَّى إِلَيَّ النَّفْسُ مُجْهِشَةً وقد حَمَلْتُكِ سَبْعاً بَعْدَ سَبْعِينَا(٢)

فرجع إلى مخاطبة نفسه، وقد تقدم الخبر عنها على وجه الخبر عن الغائب.

ومنه قول الله، وهو أصدق قيلٍ وأثبتُ حجةٍ: ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [سورة يونس: ٢٢]، فخاطب ثم رجع إلى الخبر عن الغائب، ولم يقل: وَجرَين بكم. والشواهدُ من الشعر وكلام العرب فى ذلك أكثر من أن تُحصى، وفيما ذكرنا كفاية لمن وُفِّق لفهمه.

فقراءة «مالكَ يوم الدين» محظورة غير جائزة، لإجماع جميع الحجة من القرّاء وعلماء الأمة على رَفض القراءة بها.

* * *

---

(١) ديوان الهذليين ٢ : ١٠١ . فى المطبوعة : «جلدة» وهو خطأ وقوله «جدة» يعنى شبابه الجديد . والجدة : نقيض البلى . والتراب الأعفر : الأبيض، قل أن يطأه الناس بجدبه . وخالد: صديق له من قومه، يرثيه .

(٢) القسم الثانى من ديوانه : ٤٦ ، وقال ابن سلام فى طبقات فحول الشعراء : ص ٥٠ وذكر البيت وبيتاً معه، أنهما قد رويا عن الشعبى (ابن سعد ٦ : ١٧٨)، وهما يحملان على لبيد، ثم قال : «ولا اختلاف فى أن هذا مصنوع تكثر به الأحاديث، ويستعان به على السهر عند الملوك، والملوك لا تستقصى» . أجهش بالبكاء : تهيأ له وخنقه بكاؤه .

القول فى تأويل قوله ﴿ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ .

قال أبو جعفر : والدين فى هذا الموضع ، بتأويل الحساب والمجازاة بالأعمال ، كما قال كعب بن جُعَيْل :

إِذَا مَا رَمَوْنَا رَمَيْنَاهُمُ وَدِنَّاهُمُ مِثْلَ ما يُقْرِضُونَا(١)

وكما قال الآخر :

وَاعْلَمْ وأيقِنْ أنَّ مُلْكَكَ زائلٌ وأعلمْ بأنَّكَ ما تدِينُ تُدَانُ(٢)

يعنى : ما تَجْزِى تُجازى .

ومن ذلك قول الله جل ثناؤه ﴿ كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴾ — يعنى : بالجزاء — ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴾ [سورة الانفطار : ١٠،٩] يُحصون ما تعملون من الأعمال ، وقوله تعالى ﴿ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴾ [سورة الواقعة : ٨٦] ، يعنى غير مجزيِّين بأعمالكم ولا مُحاسَبين .

وللدين معانٍ فى كلام العرب ، غير معنى الحساب والجزاء ، سنذكرها فى أماكنها إن شاء الله .

---

(١) الكامل للمبرد ١ : ١٩١ ، ووقعة صفين لنصر بن مزاحم ١ : ٥٢ ، المخصص ١٧ : ١٥٥ .

(٢) الكامل ١ : ١٩٢ منسوباً إلى يزيد بن الصعق الكلابى ، وكذلك فى جمهرة الأمثال للعسكرى : ١٦٩ ، والمخصص ١٧ : ١٥٥ ، وفى اللسان (زنأ) و (دان) منسوبين إلى خويلد بن نوفل الكلابى ، وفى الخزانة ٤ : ٢٣٠ إلى بعض الكلابيين . يقولون : إن الحارث بن أبى شمر الغسانى كان إذا أعجبته امرأة من قيس عيلان بعث إليها واغتصبها ، فأخذ بنت يزيد بن الصعق الكلابى ، وكان أبوها غائباً ، فلما قدم أخبر . فوفد إليه فوقف بين يديه وقال :

يَا أَيُّهَا المَلِكُ المُقِيتُ ! أَمَا تَرَى لَيْلًا وصُبْحًا كَيْفَ يَخْتَلِفَانِ ؟
هَلْ تَستَطِيعُ الشَّمْسَ أن تَأْتِى بها لَيْلًا ؟ وهل لَكَ بِالْمَلِيكِ يَدَانِ ؟
يَا حَارِ ، أَيْقِنْ أَنَّ مُلْكَكَ زَائِلٌ . . . . . .

وبما قُلنا فى تأويل قوله « يوم الدين » ، جاءت الآثار عن السلف من المفسِّرين ، مع تصحيح الشواهد تأويلَهم الذى تأوّلوه فى ذلك .

١٦٧ — حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عُمارة ، قال حدثنا أبو رَوق ، عن الضحاك ، عن عبد الله ابن عباس : ﴿ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ، قال : يوم حساب الخلائق ، وهو يوم القيامة ، يدينهم بأعمالهم ، إن خيراً فخيراً ، وإن شرًّا فشرًّا ، إلا من عَفا عنه ، فالأمرُ أمرُه . ثم قال : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ [سورة الأعراف : ٥٤] (١) .

١٦٨ — حدثنى موسى بن هرون الهَمْدَانى ، قال : حدثنا عمرو بن حماد القَنَّاد ، قال : حدثنا أسباط بن نصر الهمدانى ، عن إسمعيل بن عبد الرحمن السُّدِّى ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود — وعن ناس أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ، هو يوم الحساب (٢) .

١٦٩ — حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا

---

(١) الخبر ١٦٧ — سبق تخريجه فى الخبر ١٦٦ .

(٢) الخبر ١٦٨ — هذا الإسناد من أكثر الأسانيد دوراناً فى تفسير الطبرى ، إن لم يكن أكثرها ، فلا يكاد يخلو تفسير آية من رواية بهذا الإسناد . وقد عرض الطبرى نفسه فى (ص١٢١ بولاق ، سطر : ٢٨ وما بعده) ، فقال ، وقد ذكر الخبر عن ابن مسعود وابن عباس بهذا الإسناد : « فإن كان ذلك صحيحاً ، ولست أعلمه صحيحاً ، إذ كنت بإسناده مرتاباً . . . . » . ولم يبين علة ارتيابه فى إسناده ، وهو مع ارتيابه قد أكثر من الرواية به . ولكنه لم يجعلها حجة قط .

بيد أنى أراه إسنادا يحتاج إلى بحث دقيق . ولأئمة الحديث كلام فيه وفى بعض رجاله . وقد تتبعت ما قالوا وما يدعو إليه بحثه ، ما استطعت ، وبدا لى فيه رأى ، أرجو أن يكون صواباً ، إن شاء الله . وما توفيقى إلا بالله :

أما شيخ الطبرى ، وهو « موسى بن هرون الهمدانى » : فما وجدت له ترجمة ، ولا ذكراً فى شىء مما بين يدى من المراجع ، إلا ما يرويه عنه الطبرى أيضاً فى تاريخه ، وهو أكثر من خمسين موضعاً فى الجزءين الأول والثانى منه . وما بنا من حاجة إلى ترجمته من جهة الجرح والتعديل ، فإن هذا التفسير الذى يرويه عن عمرو بن حماد ، معروف عند أهل العلم بالحديث . وما هو إلا رواية كتاب ، لا رواية حديث بعينه .

و « عمرو بن حماد » : هو عمرو بن حماد بن طلحة القناد ، وقد ينسب إلى جده ، فيقال « عمرو بن طلحة » ، وهو ثقة ، روى عنه مسلم فى صحيحه ، وترجمه ابن سعد فى الطبقات ٦ : ٢٨٥ ، وقال :

. . . . . .

« وكان ثقة إن شاء الله » . مات سنة ٢٢٢ . وترجمه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٣ / ١ / ٢٢٨ ، وروى عن أبيه ويحيى بن معين أنهما قالا فيه : « صدوق » .

أسباط بن نصر الهمداني : مختلف فيه ، وضعفه أحمد ، وذكره ابن حبان في الثقات : ٤١٠ ، وترجمه البخاري في الكبير ١ / ٢ / ٥٣ فلم يذكر فيه جرحاً ، وترجمه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ١ / ١ / ٣٣٢ ، وروى عن يحيى بن معين قال : « أسباط بن نصر ثقة » . وقد رجحنا توثيقه في شرح المسند ، في الحديث ١٢٨٦ .

إسمعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي : هو السدي الكبير ، قرشي بالولاء ، مولى زينب بنت قيس بن مخرمة ، من بني عبد مناف ، كما نص على ذلك البخاري في تاريخيه : الصغير : ١٤١ — ١٤٢ ، والكبير ١ / ١ / ٣٦١ ، وهو تابعي ، سمع أنساً ، كما نص على ذلك البخاري أيضاً ، وروى عن غيره من الصحابة ، وعن كثير من التابعين . وهو ثقة . أخرج له مسلم في صحيحه ، وثقه أحمد بن حنبل ، فيما روى ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ١ / ١ / ١٨٤ ، وروى أيضاً عن أحمد ، قال : « قال لي يحيى بن معين يوماً عند عبد الرحمن بن مهدي : السدي ضعيف ، فغضب عبد الرحمن ، وكره ما قال » : وفي الميزان والتهذيب « أن الشعبي قيل له : إن السدي قد أعطي حظاً من علم القرآن ، فقال : قد أعطي حظاً من جهل بالقرآن ! » . وعندي أن هذه الكلمة من الشعبي قد تكون أساساً لقول كل من تكلم في السدي بغير حق . ولذلك لم يعبأ البخاري بهذا القول من الشعبي ، ولم يروه ، بل روى في الكبير عن مسدد عن يحيى قال : « سمعت ابن أبي خالد يقول : السدي أعلم بالقرآن من الشعبي » . وروى في تاريخيه عن ابن المديني عن يحيى ، وهو القطان ، قال : « ما رأيت أحداً يذكر السدي إلا بخير ، وما تركه أحد » . وفي التهذيب : « قال العجلي : ثقة عالم بالتفسير راوية له » . وقد رجحنا توثيقه في شرح المسند ٨٠٧ . وتوفي السدي سنة ١٢٧ .

و « السدي » : بضم السين وتشديد الدال المهملتين ، نسبة إلى « السدة » ، وهي الباب ، لأنه كان يجلس إلى سدة الجامع بالكوفة ، ويبيع بها المقانع .

أبو مالك : هو الغفاري ، واسمه غزوان . وهو تابعي كوفي ثقة . ترجمه البخاري في الكبير ٤ / ١ / ١٠٨ ، وابن سعد في الطبقات ٦ : ٢٠٦ ، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٣ / ٢ / ٥٥ ، وروى توثيقه عن يحيى بن معين .

أبو صالح : هو مولى أم هانىء بنت أبي طالب ، واسمه باذام ، ويقال باذان . وهو تابعي ثقة ، رجحنا توثيقه في شرح المسند ٢٠٣٠ ، وترجمه البخاري في الكبير ١ / ٢ / ١٤٤ ، وروى عن محمد ابن بشار ، قال : « ترك ابن مهدي حديث أبي صالح » . وكذلك روى ابن أبي حاتم في ترجمته في الجرح والتعديل ١ / ١ / ٤٣١ — ٤٣٢ عن أحمد بن حنبل عن ابن مهدي . ولكنه روى أيضاً عن يحيى بن سعيد القطان ، قال : « لم أر أحداً من أصحابنا ترك أبا صالح مولى أم هانىء ، وما سمعت أحداً من الناس يقول فيه شيئاً ، ولم يتركه شعبة ولا زائدة ولا عبدالله بن عثمان » . وروى أيضاً عن يحيى بن معين ، قال : « أبو صالح مولى أم هانىء ليس به بأس ، فإذا روى عنه الكلبي فليس بشيء ، وإذا روى عنه غير الكلبي فليس به بأس ، لأن الكلبي يحدث به مرة من رأيه ، ومرة عن أبي صالح ، ومرة عن أبي صالح عن ابن عباس » . يعني بهذا أن الطعن فيما يروى عنه إنما هو في رواية الكلبي ، كما هو ظاهر .

. . . . . .

هذا عن القسم الأول من هذا الإسناد . فإنه فى حقيقته إسنادان أو ثلاثة . أولهما هذا المتصل بابن عباس .

والقسم الثانى ، أو الإسناد الثانى : « وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود » . والذى يروى عن مرة الهمدانى : هو السدى نفسه .

ومرة : هو ابن شراحيل الهمدانى الكوفى ، وهو تابعى ثقة ، من كبار التابعين ، ليس فيه خلاف بينهم .

والقسم الثالث ، أو الإسناد الثالث : « وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم » .

وهذا أيضاً من رواية السدى نفسه عن ناس من الصحابة .

فالسدى يروى هذه التفاسير لآيات من القرآن : عن اثنين من التابعين عن ابن عباس ، وعن تابعى واحد عن ابن مسعود ، ومن رواية نفسه عن ناس من الصحابة .

وللعلماء الأئمة الأقدمين كلام فى هذا التفسير ، بهذه الأسانيد ، قد يوهم أنه من تأليف من دون السدى من الرواة عنه ، إلا أنى استيقنت بعدُ ، أنه كتاب ألفه السدى .

فمن ذلك قول ابن سعد فى ترجمة « عمرو بن حماد القناد » ٦ : ٢٨٥ : « صاحب تفسير أسباط ابن نصر عن السدى » . وقال فى ترجمة «أسباط بن نصر» ٦ : ٢٦١ : « وكان راوية السدى ، روى عنه التفسير » . وقال قبل ذلك فى ترجمة « السدى » ٦ : ٢٢٥ : « إسمعيل بن عبد الرحمن السدى ، صاحب التفسير » . وقال قبل ذلك أيضاً ، فى ترجمة « أبى مالك الغفارى » ٦ : ٢٠٦ : « أبو مالك الغفارى صاحب التفسير ، وكان قليل الحديث » .

ولكن الذى يرجح أنه كتاب ألفه السدى ، جمع فيه التفسير ، بهذه الطرق الثلاث ، قول أحمد بن حنبل فى التهذيب ١ : ٣١٤ ، فى ترجمة السدى : « إنه ليحسن الحديث ، إلا أن هذا التفسير الذى يجىء به ، قد جعل له إسناداً ، واستكلفه » . وقول الحافظ فى التهذيب أيضاً ١ : ٣١٥ : « قد أخرج الطبرى وابن أبى حاتم وغيرهما ، فى تفاسيرهم ، تفسير السدى ، مفرقاً فى السور ، من طريق أسباط ابن نصر عنه » . وقول السيوطى فى الإتقان ٢ : ٢٢٤ فيما نقل عن الخليلى فى الإرشاد : « وتفسير إسمعيل السدى ، يورده بأسانيد إلى ابن مسعود وابن عباس . وروى عن السدى الأئمة ، مثل الثورى وشعبة . ولكن التفسير الذى جمعه ، رواه أسباط بن نصر . وأسباط لم يتفقوا عليه . غير أن أمثل التفاسير تفسير السدى » . ثم قال السيوطى : « وتفسير السدى ، [الذى] أشار إليه ، يورد منه ابن جرير كثيراً ، من طريق السدى عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس ، وعن مرة عن ابن مسعود ، و [عن] ناس من الصحابة . هكذا . ولم يورد منه ابن أبى حاتم شيئاً ، لأنه التزم أن يخرج أصح ما ورد . والحاكم يخرج منه فى مستدركه أشياء ، ويصححه ، لكن من طريق مرة عن ابن مسعود وناس ، فقط ، دون الطريق الأول ، وقد قال ابن كثير : إن هذا الإسناد يروى به السدى أشياء فيها غرابة » .

وأول ما نشير إليه فى هذه الأقوال : التناقض بين قولى الحافظ ابن حجر والسيوطى ، فى أن ابن أبى حاتم أخرج تفسير السدى مفرقاً فى تفسيره ، كما صنع الطبرى ، فى نقل الحافظ ، وأنه أعرض عنه ، فى نقل السيوطى . ولست أستطيع الجزم فى ذلك بشىء ، إذ لم أر تفسير ابن أبى حاتم . ولكنى أميل إلى ترجيح نقل ابن حجر ، بأنه أكثر تثبتاً ودقة فى النقل من السيوطى .

ثم قد صدق السيوطى فيما نقل عن الحاكم . فإنه يروى بعض هذا التفسير فى المستدرك ، بإسناده ،

. . . . . .

إلى أحمد بن نصر : «حدثنا عمرو بن طلحة القناد حدثنا أسباط بن نصر ، عن إسمعيل بن عبد الرحمن السدى ، عن مرة الهمدانى ، عن عبد الله بن مسعود ، وعن أناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم » . ثم يصححه على شرط مسلم ، ويوافقه الذهبى فى تلخيصه . من ذلك فى المستدرك ٢ : ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٧٣ ، ٣٢١. والحاكم فى ذلك على صواب ، فإن مسلماً أخرج لجميع رجال هذا الإسناد . من عمرو بن حماد بن طلحة القناد إلى مرة الهمدانى . ولم يخرج لأبى صالح باذام ولا لأبى مالك الغفارى ، فى القسم الأول من الإسناد الذى روى به السدى تفاسيره .

أما كلمة الإمام أحمد بن حنبل فى السدى « إلا أن هذا التفسير الذى يجىء به ، قد جعل له إسناداً واستكلفه » — فإنه لا يريد بها ما قد يفهم من ظاهرها : أنه اصطنع إسناداً لا أصل له ؛ إذ لو كان ذلك ، لكان — عنده — كذاباً وضاعاً للرواية . ولكنه يريد — فيما أرى ، والله أعلم — أنه جمع هذه التفاسير ، من روايته عن هؤلاء الناس : عن أبى مالك وأبى صالح عن ابن عباس ، وعن مرة عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة ، ثم ساقها كلها مفصلة ، على الآيات التى ورد فيها شىء من التفسير ، عن هذا أو ذاك أو أولئك ، وجعل لها كلها هذا الإسناد ، وتكلف أن يسوقها به مساقاً واحداً .

أعنى : أنه جمع مفرق هذه التفاسير فى كتاب واحد ، جعل له فى أوله هذه الأسانيد . يريد بها أن ما رواه من التفاسير فى هذا الكتاب ، لا يخرج عن هذه الأسانيد . ولا أكاد أعقل أنه يروى كل حرف من هذه التفاسير عنهم جميعاً . فهو كتاب مؤلف فى التفسير ، مرجع ما فيه إلى الرواية عن هؤلاء ، فى الجملة ، لا فى التفصيل .

إنما الذى أوقع الناس فى هذه الشبهة ، تفريق هذه التفاسير فى مواضعها ، مثل صنيع الطبرى بين أيدينا ، ومثل صنيع ابن أبى حاتم ، فيما نقل الحافظ ابن حجر ، ومثل صنيع الحاكم فى المستدرك . فأنا أكاد أجزم أن هذا التفريق خطأ منهم ، لأنه يوهم القارىء أن كل حرف من هذه التفاسير مروى بهذه الأسانيد كلها ، لأنهم يسوقونها كاملة عند كل إسناد ، والحاكم يختار منها إسناداً واحداً يذكره عند كل تفسير منها يريد روايته . وقد يكون ما رواه الحاكم — مثلا — بالإسناد إلى ابن مسعود ، ليس مما روى السدى عن ابن مسعود نصاً . بل لعله مما رواه من تفسير ابن عباس ، أو مما رواه عن ناس من الصحابة ، روى عن كل واحد منهم شيئاً ، فأسند الجملة ، ولم يسند التفاصيل .

ولم يكن السدى ببدع فى ذلك ، ولا يكون هذا جرحاً فيه ولا قدحاً . إنما يريد إسناد هذه التفاسير إلى الصحابة ، بعضها عن ابن عباس ، وبعضها عن ابن مسعود ، وبعضها عن غيرهما منهم . وقد صنع غيره من حفاظ الحديث وأئمته نحواً مما صنع ، فما كان ذلك بمطعن فيهم ، بل تقبلها الحفاظ بعدهم ، وأخرجوها فى دواوينهم . ويحضرنى الآن من ذلك صنيع معاصره : ابن شهاب الزهرى الإمام . فقد روى قصة حديث الإفك ، فقال : « أخبرنى سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وعلقمة بن وقاص ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن حديث عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، حين قال لها أهل الإفك ما قالوا ، فبرأها الله مما قالوا . وكلهم حدثنى طائفة من حديثها ، وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت اقتصاصاً ، وقد وعيت عن كل واحد منهم الحديث الذى حدثنى ، وبعض حديثهم يصدق بعضاً » ، إلخ . فذكر الحديث بطوله . وهو فى صحيح مسلم ٢ : ٣٣٣ — ٣٣٥ . وسيأتى فى تفسير الطبرى (١٨ : ٧١ — ٧٤ بولاق) . ورواه الإمام أحمد والبخارى فى صحيحه ، كما فى تفسير ابن كثير ٦ : ٦٨ — ٧٣. ثم قال ابن كثير : « وهكذا رواه ابن إسحق عن الزهرى كذلك ، قال : « وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله

معمر، عن قتادة في قوله ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ قال: يوم يَدين الله العبادَ بأعمالهم[١].

١٧٠ – حدثنا القاسم بن الحسن، قال: حدثنا الحسين بن داود، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج، «مالك يوم الدين» قال: يوم يُدان الناس بالحساب[٢].

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾.

قال أبو جعفر: وتأويل قوله ﴿ إِيَّاكَ نعبُد ﴾: لك اللهم نَخشعُ ونَذِلُّ ونستكينُ، إقراراً لك يا ربّنا بالرُّبوبية لا لغيرك.

١٧١ – كما حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، قال: حدثنا بشر بن عُمارة قال: حدثنا أبو رَوق، عن الضحاك، عن عبد الله بن عباس، قال: قال جبريلُ لمحمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد ﴿ إيّاكَ نَعبُد ﴾، إياكَ نُوحِّد ونخاف ونرجو يا ربَّنا لا غيرك[٣].

ابن الزبير عن أبيه عن عائشة، وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن عمرة عن عائشة». وإسناد ابن إسحق الأخير في الطبري أيضاً. والإسنادان كلاهما رواهما ابن إسحق عن الزهري، في السيرة (ص ٧٣١ من سيرة ابن هشام).

والمثل على ذلك كثيرة، يعسر الآن تتبعها.

وقد أفادنا هذا البحث أن تفسير السدي من أوائل الكتب التي ألفت في رواية الأحاديث والآثار. وهو من طبقة عالية، من طبقة شيوخ مالك من التابعين.

وبعد: فأما هذا الخبر بعينه، فقد رواه الحاكم في المستدرك ٢: ٢٥٨، بالإسناد الذي أشرنا إليه، من رواية السدي عن مرة عن ابن مسعود، وعن أناس من الصحابة. وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه». وافقه الذهبي. ونقله السيوطي في الدر المنثور ١: ١٤ عن «ابن جرير والحاكم، وصححه، عن ابن مسعود وناس من الصحابة».

(١) الأثر ١٦٩ – نقله السيوطي ١: ١٤، ونسبه لعبد الرزاق وعبد بن حميد. وهو ظاهر في رواية الطبري هذه – أنه من مصنف عبد الرزاق. ونسبه للشوكاني ١: ١٢ لهما وللطبري.

(٢) الأثر ١٧٠ – مضى الكلام على هذا الإسناد: ١٤٤. وأما لفظه فلم يذكره أحد منهم.

(٣) الخبر ١٧١ – إسناده ضعيف، بيناه في: ١٣٧. وهذا الخبر والذي بعده ١٧٢ جمعهما السيوطي ١: ١٤، ونسبهما أيضاً لابن أبي حاتم.

وذلك من قول ابن عباس بمعنى ما قلنا . وإنما اخترنا البيان عن تأويله بأنه بمعنى نَخشع ونذلّ ونستكينُ ، دون البيان عنه بأنه بمعنى نرجو ونَخاف — وإن كان الرّجاء والخوف لا يكونان إلا مع ذلة — لأنّ العبودية ، عندَ جميع العرب ، أصلُها الذلّة ، وأنها تسمى الطريقَ المذلَّلَ الذى قد وَطِئته الأقدام ، وذلّلته السابلة : معبَّداً . ومن ذلك قولُ طَرَفَة بن العَبْد :

تُبارِى عِتاقاً ناجياتٍ ، وأتْبَعت وَظِيفاً وظيفاً فوق مَوْرٍ مُعبَّدِ[1]

يعنى بالمَوْر : الطريق . وبالمعبَّد : المذلَّل الموطوء[2] . ومن ذلك قيل للبعير المذلّل بالركوب فى الحوائج : معبَّد . ومنه سمى العبْدُ عبداً لذلّته لمولاه . والشواهد على ذلك — من أشعار العرب وكلامها — أكثرُ من أن تُحصى ، وفيما ذكرناه كفاية لمن وُفّق لفهمه إن شاء الله تعالى .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ .

قال أبو جعفر : ومعنى قوله ﴿ وإياك نستعين ﴾ : وإياك ربّنا نستعين على عبادتنا إيّاك وطاعتنا لك فى أمورنا كلها — لا أحداً سواك ، إذْ كان من يكفُر بك يَستعين فى أمورِه معبودَه الذى يعبُدُه من الأوثان دونَك ، ونحن بك نستعين فى جميع أمورنا مخلصين لك العبادة .

١٧٢ — كالذى حدثنا أبو كريب ، قال : حدّثنا عثمان بن سعيد ، قال :

---

(١) ديوان الستة الجاهليين : ٣١ . يصف ناقته . تبارى : تجاريها وتسابقها . والعتاق جمع عتيق : وهو الكريم المعرق فى كرم الأصل . وناجيات : مسرعات فى السير ، من النجاء ، وهو سرعة السير . والوظيف : من رسغى البعير إلى ركبتيه فى يديه ، وأما فى رجليه فمن رسغيه إلى عرقوبيه . وعنى بالوظيف هنا : الخف .

(٢) فى المخطوطة : « الموطن » ، وهو قريب المعنى .

حدثني بشر بن عُمارة ، قال : حدثنا أبو رَوْق ، عن الضحاك ، عن عبد الله ابن عباس : ﴿ وإيَّاكَ نَستعين ﴾ ، قال : إياك نستَعِينُ على طاعتك وعلى أمورنا كلها[١] .

فإن قال قائل : وما معنى أمرِ الله عبادَه بأن يسألوه المعونةَ على طاعته ؟ أوَ جائزٌ ، وقد أمرهم بطاعته ، أن لا يعينهم عليها ؟ أم هل يقول قائل لربه : إياك نستعينُ على طاعتك ، إلا وهو على قوله ذلك مُعانٌ ؟ وذلك هو الطاعة . فما وجهُ مسألة العبد ربَّه ما قد أعطاه إياه ؟

قيل : إن تأويلَ ذلك على غير الوجه الذى ذهبتَ إليه ، وإنما الداعى ربَّه من المؤمنين أن يعينه على طاعته إياه ، داعٍ أن يعينه فيما بقى من عُمره على ما كلّفه من طاعته ، دون ما قد تَقضَّى ومَضى من أعماله الصالحة فيما خلا من عمره . وجازت مسألةُ العبد ربَّه ذلك ، لأن إعطاء الله عبدَه ذلك — مع تمكينه جوارَحه لأداء ما كلّفه من طاعته ، وافترض عليه من فرائضه — فضلٌ منه جل ثناؤه تفضّل به عليه ، ولُطْفٌ منه لَطَف له فيه . وليس فى تَركه التفضُّلَ على بعض عبيده بالتوفيق — مع اشتغال عبده بمعصيته ، وانصرافه عن محبّته ، ولا فى بَسطه فضلَه على بعضهم ، مع إجهاد العبد نفسه فى مَحبته ، ومسارعته إلى طاعته — فسادٌ فى تدبير ، ولا جَور فى حكم ، فيجوز أن يجهلَ جاهل موضع حُكم الله فى أمرِه عبدَه بمسألته عَونَه على طاعته[٢] .

وفى أمر الله جلّ ثناؤه عبادَه أن يقولوا : ﴿ إيّاكَ نعبُدُ وإياكَ نَسْتعين ﴾ ، بمعنى مسألتهم إياه المعونةَ على العبادة ، أدلُّ الدليل على فساد قول القائلين بالتّفويض من أهل القدر[٣] ، الذين أحالوا أن يأمُرَ الله أحداً من عباده بأمرٍ ، أو يكلّفه ١/٥٤

(١) الخبر ١٧٢ — هو بالإسناد الضعيف قبله . وأشرنا إليه هناك .

(٢) فى المطبوعة : « حكم الله وأمره عبده » ، وفى المخطوطة : «حكم الله أمره» بغير واو . والذى أثبتناه أصوب . والحكم : الحكمة ، كما مر مراراً .

(٣) أهل القدر : هم نفاة القدر لا مثبتوه . والقائلون بالتفويض هم القدرية والمعتزلة والإمامية .

فرضَ عمل ، إلا بعدَ إعطائه المعونة على فعلِه وعلى تركِه . ولو كانَ الذى قالوا من ذلك كما قالوا ، لبطلت الرَّغبة إلى الله فى المعونة على طاعته . إذ كان — على قولهم ، مع وجود الأمر والنهى والتكليف — حقًّا واجباً على الله للعبد إعطاؤه المعونة عليه ، سأله ذلك عبدُه أو تركَ مسألة ذلك . بل تَرك إعطائه ذلك عندهم منه جَورٌ . ولو كان الأمر فى ذلك على ما قالوا ، لكان القائل : ﴿ إيّاكَ نَعبُد و إيّاكَ نستعين ﴾ ، إنما يسأل ربَّه أن لا يجور .

وفى إجماع أهل الإسلام جميعاً — على تصويب قول القائل : « اللهم إنا نستعينك » ، وتخطئتِهم قول القائل : « اللهم لا تَجُرْ علينا » — دليل واضحٌ على خطأ ما قال الذين وصفتُ قولهم . إذْ كان تأويلُ قول القائل عندهم : اللهم إنّا نستعينك — اللهم لا تترك مَعونتنا التى تركُكَها جَوْرٌ منك .

فإن قال قائل : وكيف قيل : « إياك نعبدُ وإياك نستعين » ، فقُدِّم الخبرُ عن العِبادة ، وأخِّرتْ مسألةُ المعونة عليها بعدَها؟ وإنما تكون العِبادة بالمعونة ، فمسألةُ المعونة كانت أحقَّ بالتقديم قبلَ المُعَان عليه من العمل ، والعبادةُ بها .

قيل : لمَّا كان معلوماً أن العبادة لا سبيلَ للعبد إليها إلا بمعونة من الله جلَّ ثناؤه ، وكان محالاً أن يكون العبْد عابداً إلا وهو على العبادة مُعان ، وأن يكون مُعاناً عليها إلا وهو لها فاعل — كان سواءً تقديمُ ما قُدمَ منهما على صاحبه . كما سواءٌ قولك للرجل إذا قضى حاجتَك فأحسن إليك فى قضائها : «قضيتَ حاجتى فأحسنتَ إلىّ » ، فقدّمت ذكر قضائه حاجتَك ، أو قلتَ : « أحسنتَ إلىّ فقضيتَ حاجتى » ، فقدّمتَ ذكر الإحسان على ذكر قضاء الحاجة . لأنه لا يكون قاضياً حاجتَك إلا وهو إليك محسن ، ولا محسناً إليك إلا وهو لحاجتك قاضٍ . فكذلك سواءٌ قول القائل : اللهم إنّا إياك نعبُدُ فأعِنَّا على عبادتك ، وقوله : اللهم أعنَّا على عبادتك فإنّا إياك نعبُدُ .

يزعمون أن الأمر فوض إلى الإنسان (أى رد إليه) ، فإرادته كافية فى إيجاد فعله ، طاعة كان أو معصية ، وهو خالق لأفعاله ، والاختيار بيده .

قال أبو جعفر : وقد ظنّ بعض أهل الغفلة أنّ ذلك من المقدّم الذى معناه التأخيرُ ، كما قال امرؤ القيس :

ولَوْ أنّ ما أسْعَى لِأَدْنَى مَعِيشَةٍ كَفانى، ولم أطلُبْ ، قليلٌ من المالِ (١)

يريد بذلك : كفانى قليلٌ من المال ولم أطلب كثيراً . وذلك — من معنى التقديم والتأخير ، ومن مشابهة بيت امرئ القيس — بمعْزِل . من أجل أنّه قد يكفيه القليلُ من المال ويطلُب الكثيرَ ، فليس وُجودُ ما يكفيه منه بموجبٍ له تركَ طلب الكثير ، فيكونَ نظيرَ العبادة التى بوُجودها وجود المعونة عليها ، وبوجود المعونة عليها وُجُودها ، فيكونَ ذكرُ أحدِهما دالاًّ على الآخر ، فيعتدلَ فى صحة الكلام تقديمُ ما قُدِّم منهما قبلَ صاحبه ، أن يكونَ موضوعاً فى درجته ومرتَّباً فى مرتَبتِه .

فإن قال : فما وجْه تكراره « إياك » مع قوله : نستعين » ، وقد تقدّم ذلك قَبْل «نعبد »؟ وهلاّ قيل : « إياك نعبُدُ ونستعين» ، إذ كان المخبَرُ عنه أنه المعبودُ ، هو المخبر عنه أنه المستعانُ ؟

قيل له : إن الكاف التى مع « إيّا » ، هى الكاف التى كانت تتصل بالفعل — أعنى بقوله « نعبد » — لو كانت مؤخرةً بعدَ الفعل . وهى كنايةُ اسم المخاطبِ المنصوب بالفعل فكُثِّرت بـ « إيّا» متقدِّمةً ، إذْ كانت الأسماء إذا انفردتْ بأنفسِها لا تكون فى كلام العرب على حرف واحد .

فلمّا كانت الكاف من « إياكَ » هى كنايةَ اسم المخاطَب التى كانت تكون كافاً وحدها متصلةً بالفعل إذا كانتْ بعد الفعل ، ثم كان حظُّها أن تعادَ مع كلّ فعل اتصلتْ به ، فيقال : « اللهم إنا نعبدكَ ونستعينكَ ونحمدكَ ونشكرك» ، وكان ذلك أفصحَ فى كلام العرب ، من أن يقال : « اللهم إنا نعبدك ونستعين ونحمد» — كان كذلك ، إذا قدِّمت كنايةُ اسم المخاطب قبل الفعل موصولةً بـ « إيّا» ، كان الأفصح إعادتَها مع كل فعل . كما كان الفصيحُ من الكلام إعادتَها مع

١/٥٥

(١) ديوانه ١ : ٧١ .

كل فعل ، إذا كانت بعد الفعل متصلةً به ، وإن كان تركُ إعادتها جائزاً .

وقد ظنّ بعضُ من لم يُنعم النظرَ[١] أنّ إعادة « إياك » مع « نستعين » ، بعد تقدّمها فى قوله « إياك نعبد » ، بمعنى قول عدى بن زيد العِبَادىّ :

وجَاعِلِ الشَّمس مِصْراً لاَ خَفَاءَ بِهِ بَيْنَ النَّهارِ وبَيْنَ اللَّيل قد فَصَلَا[٢]

وكقول أعشى هَمْدان :

بَيْنَ الأَشَجِّ وبَيْنَ قَيْسٍ باذخٌ بَخٍ بَخٍ لوَالِدِهِ وللمَوْلُودِ[٣]

وذلك من قائله جهل ، من أجل أن حظ « إيّاك » أن تكون مكررة مع كل فعل ، لما وصفنا آنفاً من العلة ، وليس ذلك حُكم « بين » ، لأنها لا تكون — إذ اقتضت اثنين — إلا تكريراً إذا أعيدت ، إذْ كانت لا تنفرد بالواحد . وأنها لو أفْرِدت بأحد الاسمين ، فى حال اقتضائها اثنين ، كان الكلام كالمستحيل . وذلك أنّ قائلا لو قال : « الشمس قد فَصَلت بين النهار » ، لكان من الكلام خَلْفاً[٤] ، لنُقصان الكلام عما به الحاجة إليه ، من تمامه الذى يقتضيه « بين » .

ولو قال القائل : « اللهمّ إياك نعبد » ، لكان ذلك كلاماً تامًّا . فكان معلوماً بذلك أنّ حاجةَ كلّ كلمةٍ — كانت نظيرةَ « إياك نعبد » — إلى « إياك » كحاجة

---

(١) فى المطبوعة : « لم يمعن النظر » ، بدلوها ، كما فعلوا فى ص : ٥٥ ، تعليق : ٣ .

(٢) فى اللسان (مصر) منسوباً إلى أمية بن أبى الصلت . واستدركه ابن برى ونسبه لعدى بن زيد . والمصر : الحاجز والحد بين الشيئين . يقول : جعل الشمس حدا وعلامة بين الليل والنهار .

(٣) ديوان الأعشين : ٣٢٣ ، والأغانى ٦ : ٤٦ ، ٦١ . وأعشى همدان هو عبد الرحمن بن عبد الله الهمدانى أبو مصبح ، كان أحد الفقهاء القراء ، ثم ترك ذلك وقال الشعر . يمدح عبد الرحمن بن الأشعث ابن قيس الكندى ، وكان خرج على الحجاج ، فخرج معه الفقهاء والقراء ، فلما أسر الحجاج الأعشى ، قال له : ألست القائل : وأنشده البيت — والله لا تبخبخ بعدها أبداً ! وقتله . الأشج : هو الأشعث والد عبد الرحمن ، وقيس جده . و بخ بخ : كلمة التعظيم والتفخيم . وهذا البيت والذى سبقه شاهدان على صحة تكرار « بين » ، مع غير الضمير المتصل ، ومثلهما كثير . وأهل عصرنا يخطئون من يقوله ، وهم فى شرك الخطأ .

(٤) الخلف (بفتح فسكون) : الردىء من القول . يقال : هذا خلف من القول ، أى ردىء . وفى المثل : « سكت ألفاً ونطق خلفاً » ، يقال الرجل يطيل الصمت ، فإذا تكلم تكلم بالخطأ . أى سكت دهراً طويلا ، ثم تكلم بخطأ . كنى بالألف عن الزمن الطويل ، ألف ساعة مثلا .

« نَعْبد » إليها[1] ، وأنّ الصواب أن تكونَ معها « إياك » ، إذْ كانت كل كلمة منها جملةَ خبرٍ مبتدأ ، وبيّناً حُكم مخالفة ذلك حُكم « بين » ، فيما وَفّق بينهما الذى وصفنا قوله .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ اهْدِنَا ﴾ .

قال أبو جعفر : ومعنى قوله ﴿ اهدِنَا الصراطَ المستقيم ﴾ ، فى هذا الموضع عندنا : وَفّقْنا للثبات عليه ، كما رُوى ذلك عن ابن عباس : —

١٧٣ — حدثنا أبو كُريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال حدثنا بشر ابن عمارة ، قال حدثنا أبو رَوْق ، عن الضحاك ، عن عبد الله بن عباس ، قال : قال جبريل لمحمد صلى الله عليه : «قل ، يا محمد ، اهدنا الصراط المستقيمَ» . يقول : ألهمنا الطريق الهادى[2] .

وإلهامه إياه ذلك ، هو توفيقه له ، كالذى قلنا فى تأويله . ومعناه نظيرُ معنى قوله « إياك نستعين » ، فى أنه مَسألةُ العبد ربَّه التوفيقَ للثبات على العمل بطاعته ، وإصابةِ الحق والصواب فيما أمرَه به ونهاه عنه ، فيما يَستَقبِلُ من عُمُره ، دون ما قد مضى من أعماله ، وتقضّى فيما سَلف من عُمُره . كما قوله « إياك نستعين » ، مسألةٌ منه ربَّه المعونةَ على أداء ما قد كلّفه من طاعته ، فيما بقى من عُمُره .

فكانَ معنى الكلام : اللهمّ إياك نعبدُ وحدَك لا شريك لك ، مخلصين لك العبادةَ دونَ ما سِواك من الآلهة والأوثان ، فأعِنّا على عبادتك ، ووفّقنا لما

---

(١) يعنى أن حاجة الأولى منها كحاجة الثانية ، فلذلك وجب تكرارها . سياق العبارة : « فكان معلوماً أن حاجة كل كلمة . . . وكان معلوماً أن الصواب أن تكون معها . . . وكان بيناً . . . » إلى آخر الفقرة .

(٢) يأتى بتمامه وتخريجه برقم ١٧٩ .

وفَّقت له مَن أنعمتَ عليه من أنبيائك وأهل طاعتك ، من السبيل والمنهاج .

فإن قال قائل : وأنَّى وَجدتَ الهدايةَ فى كلام العرب بمعنى التَّوفيق ؟

قيل له : ذلك فى كلامها أكثرُ وأظهر من أن يُحصى عددُ ما جاء عنهم فى ذلك من الشواهد . فمن ذلك قول الشاعر :

لاَ تَحْرِمَنِّى ، هَدَاكَ الله ، مَسْأَلَتِى وَلاَ أَكُونَنْ كمن أَوْدَى به السَّفَرُ[1]

يعنى به : وفَّقك الله لقضاء حاجتى . ومنه قول الآخر :

ولاَ تُعْجِلَنِّى هَدَاكَ المليكُ ، فإنّ لكلِّ مَقامٍ مَقَالاَ[2]

فمعلوم أنه إنما أراد : وفقك الله لإصابة الحق فى أمرى .

ومنه قول الله جل ثناؤه : ﴿ وَاللهُ لاَ يَهْدِى القَوْمَ الظَّالمينَ ﴾ فى غير آية من تنزيله . وقد عُلم بذلك ، أنه لم يَعْنِ أنه لا يُبيِّنُ للظالمين الواجبَ عليهم من فرائضه . وكيف يجوزُ أن يكونَ ذلك معناه ، وقد عمَّ بالبيان جميع المكلَّفين من خلقه ؟ ولكنه عَنى جلّ وعزّ أنه لا يُوفِّقهم ، ولا يشرَحُ للحق والإيمان صدورَهم . ٥٦/١

وقد زعم بعضهم أن تأويل قوله ﴿ اهدِنا ﴾ : زِدْنا هدايةً .

وليس يخلُو هذا القولُ من أحدِ أمرين : إما أن يكون ظنَّ قائلُه أنّ النبى صلى الله عليه وسلم أُمِر بمسألة ربِّه الزيادة فى البيان ، أو الزيادةَ فى المعونة والتوفيق .

فإن كان ظن أنه أُمِر بمسألة الزيادة فى البيان ، فذلك مالا وجه له . لأن الله جلّ ثناؤه لا يكلِّف عبداً فرضاً من فرائضه ، إلا بعد تبيينه له وإقامةِ الحجة عليه به . ولو كان مَعنى ذلك معنى مسألتِه البيانَ ، لكانَ قد أمِر أن يدعو ربَّه أن يبين له ما فَرَض عليه ، وذلك من الدعاء خَلَفٌ[3] ، لأنه لا يفرض فرضاً إلا مبيِّناً

(١) لم أعرف نسبة البيت ، وأخشى أن يكون من أبيات ودقة الأسدى يقولها لمعن بن زائدة . أمالى المرتضى ١ : ١٦٠ .

(٢) نسبه المفضل بن سلمة فى الفاخر : ٢٥٣ ، وقال : «أول من قال ذلك طرفة بن العبد ، فى شعر يعتذر فيه إلى عمرو بن هند» ، وليس فى ديوانه ، وانظر أمثال الميدانى ٢ : ١٢٥ .

(٣) أى ردىء من القول . انظر ما سلف ص ١٦٥ رقم : ١ .

لمن فرضَه عليه. أو يكون أمِر أن يدعوَ ربَّه أن يفرض عليه الفرائضَ التى لم يفرضْها. وفى فساد وَجه مسألة العبد ربَّه ذلك ، ما يوضِّح عن أن معنى ﴿ اهدِنَا الصِّراط المستقيم ﴾ ، غير معنى : بيِّن لنا فرائضَك وحدودَك .

أو يكون ظنَّ أنه أمِر بمسألة ربه الزيادةَ فى المعونة والتوفيق . فإن كان ذلك كذلك ، فلن تخلوَ مسألتُه تلك الزيادةَ من أن تكون مسألةً للزيادة فى المعونة على ما قد مضى من عمله ، أو على ما يحدُث . وفى ارتفاع حاجةِ العبد إلى المعونة على ما قد تقضَّى من عمله[1] ، ما يُعلِمُ أنَّ معنى مسألة تلك الزيادة إنما هو مسألتُه الزيادةَ لما يحدث من عمله . وإذْ كانَ ذلك كذلك ، صارَ الأمر إلى ما وصفنا وقلنا فى ذلك : من أنه مسألة العبد ربَّه التوفيقَ لأداء ما كُلِّف من فرائضه، فيما يَستقبل من عُمُره .

وفى صحة ذلك، فسادُ قول أهل القدَر الزاعمين أنَّ كل مأمور بأمرٍ أو مكلَّف فرضاً ، فقد أعطى من المعونة عليه ، ما قد ارتفعت معه فى ذلك الفرض حاجتُه إلى ربِّه[2]. لأنه لوكان الأمرُ على ما قالوا فى ذلك ، لبطَلَ معنى قول الله جل ثناؤه ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. وفى صحة معنى ذلك ، على ما بيَّنا ، فسادُ قولهم .

وقد زعم بعضُهم أنَّ معنى قوله ﴿ اهدنا الصِّراطَ المستقيم ﴾ : أسْلِكنا طريق الجنة فى المعاد ، أىْ قدِّمنا له وامض بنا إليه ، كما قال جلَّ ثناؤه : ﴿ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ [سورة الصافات : ٢٣] ، أى أدخلوهم النار ، كما تُهدَى المرأة إلى زوجها ، يُعنى بذلك أنها تُدخَل إليه ، وكما تُهدَى الهديَّة إلى الرجل ، وكما تَهدِى الساقَ القدمُ ، نظيرَ قول طَرفة بن العبد :

---

(١) ارتفع الأمر : زال وذهب ، كأنه كان موضوعاً حاضراً ثم ارتفع . ومنه : ارتفع الخلاف بينهما .

(٢) انظر ص : ١٦٢ التعليق رقم : ٢ .

لَعِبتْ بَعْدِى السُّيُولُ بِهِ وجَرَى فى رَوْنَقٍ رِهِمُهْ (١)
لِلفَتَى عَقْـــلٌ يَعِيشُ بِهِ حَيْثُ تَهْدِى سَاقَهُ قَدَمُهْ (٢)

أى تَرِدُ به الموارد .

وفى قول الله جل ثناؤه ﴿ إيَّاكَ نعبُد وإيّاكَ نستعين ﴾ ما ينبىء عن خطأ هذا التأويل ، مع شهادة الحجة من المفسِّرين على تخطئته . وذلك أنّ جميع المفسرين من الصحابة والتابعين مجمِعُون على أنّ معنى « الصراط » فى هذا الموضع ، غيرُ المعنى الذى تأوله قائل هذا القول ، وأن قوله : « إياك نستعينُ » مسألةُ العبدِ ربَّه المعونةَ على عبادته . فكذلك قوله « اهْدِنا » إنما هو مسألةُ الثباتِ على الهدى فيما بقى من عُمُره .

والعربُ تقول : هديتُ فلاناً الطريقَ ، وَهديتُه للطريق ، وهديتُه إلى الطريق ، إذا أرشدتَه إليه وسدَّدته له . وبكل ذلك جاء القرآن ، قال الله جلّ ثناؤه : ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَذَا ﴾ [سورة الأعراف : ٤٣] ، وقال فى موضع آخر : ﴿ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة النحل : ١٢١] ، وقال : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ .

وكل ذلك فاش فى منطقها ، موجودٌ فى كلامها ، من ذلك قول الشاعر :

أَسْتَغْفِرُ اللهَ ذَنْباً لَسْتُ مُحْصِيَهُ ، رَبَّ العِباد ، إليهِ الوَجْهُ والعَمَلُ (٣)

---

(١) ديوان الستة الجاهليين : ٢٣٤ ، ٢٣٧ ، والبيت الأول فى فاتحة الشعر ، والأخير خاتمته . والضمير فى قوله : « لعبت » للربع ، فى أبيات سلفت . ورونق السيف والشباب والنبات : صفاؤه وحسنه وماؤه . ويروى : « فى ريق » . وريق الشباب : أوله وابتداءه ونضرته . وعنى نباتاً نضيراً كأنه يقول : فى ذى رونق ، أو فى ذى ريق . والرهم — بكسر الراء — جمع رهمة : وهى المطرة الضعيفة المتتابعة ، وهى مكرمة للنبات . يقول : أعشبت الأرض ، وجرى ماء السماء فى النبت يترقرق . والضمير فى « رهمه » عائد على الغيث ، غائب كذكور .

(٢) يقول : حيث سار الفتى عاش بعقله وتدبيره واجتهاده .

(٣) يأتى فى تفسير آية سورة آل عمران : ١٢١ ، وآية سورة القصص : ٨٨ . وسيبويه ١ : ١٧ ، والخزانة ١ : ٤٨٦ ، وهو من أبيات سيبويه الخمسين التى لا يعرف قائلها . قال الشنتمرى :

يريد : أستغفر الله لذنب ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾ [سورة غافر : ٥٥].

ومنه قول نابغة بني ذُبْيان :

٥٧/١ فَيَصِيدُنَا العَيْرَ المُدِلَّ بِحُضْرِهِ قَبْلَ الوَنَى، وَالأَشْعَبَ النَبَّاحَا[١]

يريد : فيصيدُ لنا . وذلك كثير في أشعارهم وكلامهم ، وفيما ذكرنا منه كفاية .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ ﴾ .

قال أبو جعفر : أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعاً على أن « الصراط المستقيم » ، هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه . وكذلك ذلك في لغة جميع العرب ، فمن ذلك قول جرير بن عطية الخَطَفي :

أميرُ المؤمنين عَلَى صِرَاطٍ — إذا أعوَجَّ المَوَارِدُ مُسْتَقِيمِ[٢]

يريد : على طريق الحق . ومنه قول الهُذلي أبي ذُؤَيْب :

صَبَحْنَا أَرْضَهُمْ بالخَيْلِ حَتَّى تركْنَاها أَدَقَّ مِنَ الصِّرَاطِ[٣]

« أراد من ذنب ، فحذف الجار وأوصل الفعل فنصب . والذنب هنا اسم جنس بمعنى الجمع . فلذلك قال : « لست محصيه » . والوجه : القصد والمراد ، وهو بمعنى التوجه » .

(١) البيت ليس في ديوانه . ومن القصيدة أبيات فيه : ٢٣ ، (مطبوعة محمد جمال) ، والمجتنى لابن دريد : ٢٣ ، يصف فرساً . والعير : حمار الوحش . والحضر : العدو الشديد ، وحمار الوحش شديد العدو . والوَنى : التعب والفترة في العدو أو العمل . والأشعب : الظبي تفرق قرناه فانشعبا وتباينا بينونة شديدة . ونبح الكلب والظبي والتيس ينبح نباحاً ، فهو نباح ، إذا كثر صياحه ، من المرح والنشاط . والظبي إذا أسن ونبتت لقرونه شعب ، نبح (الحيوان ١ : ٣٤٩) . يصف فرسه بشدة العدو ، يلحق العير المدل بحضره ، والظبي المستحكم السريع ، فيصيدها قبل أن يناله تعب .

(٢) ديوانه : ٥٠٧ ، يمدح هشام بن عبد الملك . والموارد جمع موردة : وهي الطرق إلى الماء . يريد الطرق التي يسلكها الناس إلى أغراضهم وحاجاتهم ، كما يسلكون الموارد إلى الماء .

(٣) ليس في ديوانه ، ونسبه القرطبي في تفسيره ١ : ١٢٨ لعامر بن الطفيل ، وليس في ديوانه ،

ومنه قول الراجز :

* فَصُدَّ عَنْ نَهْجِ الصِّراطِ القَاصِدِ[١] *

والشواهد على ذلك أكثرُ من أن تُحصى ، وفيما ذكرنا غنًى عما تركنا .

ثم تستعيرُ العرب « الصراط » فتستعمله فى كل قولٍ وعمل وُصِف باستقامة أو اعوجاج ، فتصفُ المستقيمَ باستقامته ، والمعوجَّ باعوجاجه .

والذى هو أولى بتأويل هذه الآية عندى ، أعنى : ﴿ اهدِنا الصِّراط المستقيم ﴾ ، أن يكون معنيًّا به : وَفِّقنا للثبات على ما ارتضيتَه ووَفَّقتَ له مَنْ أنعمتَ عليه من عبادِك ، من قولٍ وعملٍ ، وذلك هو الصِّراط المستقيم . لأن من وُفِّق لما وُفِّق له من أنعم الله عليه من النبيِّين والصديقين والشهداء ، فقد وُفِّق للإسلام ، وتصديقِ الرسلِ ، والتمسكِ بالكتاب ، والعملِ بما أمر الله به ، والانزجار عمّا زَجره عنه ، واتّباع منهج النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ومنهاج أبى بكر وعمر وعثمان وعلى . وكلٌّ عبدٍ لله صالحٍ ، وكل ذلك من الصراط المستقيم .

وقد اختلفتْ تراجمةُ القرآن فى المعنىِّ بالصراط المستقيم[٢] . يشملُ معانىَ جميعهم فى ذلك ، ما اخترنا من التأويل فيه .

ومما قالته فى ذلك ، ما رُوى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قال ، وذكر القرآن ، فقال : هو الصراط المستقيم .

١٧٤ — حدثنا بذلك موسى بن عبد الرحمن المسروقى ، قال : حدثنا حسين الجُعْفى ، عن حمزة الزيات ، عن أبى المختار الطائى ، عن ابن أخى الحارث ، عن الحارث ، عن علىّ ، عن النبى صلى الله عليه وسلم[٣] .

فإن يكن هذليا ، فاعله من شعر المتنخل ، وله قصيدة فى ديوان الهذليين ٢ : ١٨ — ٢٨ ، على هذه القافية . ولعمرو بن معد يكرب أبيات مثلها رواها القالى فى النوادر ٣ : ١٩١ .

(١) رواه القرطبى فى تفسيره ١ : ١٢٨ « الصراط الواضح » .

(٢) تراجمة القرآن ، جمع ترجمان : وأراد المفسرين ، وانظر ما مضى : ٧٠ تعليق : ١

(٣) الحديث ١٧٤ — إسناده ضعيف جدا . موسى بن عبد الرحمن المسروق : ثقة ، روى عنه

١٧٥– وحُدِّثْتُ عن إسمعيل بن أبي كريمة، قال: حدثنا محمد بن سَلمة، عن أبي سِنان، عن عمرو بن مُرّة، عن أبي البَخْتَرِيّ، عن الحارث، عن عليّ، عن النبي صلى الله عليه وسلم، مثله[1].

الترمذي، والنسائي، وابن خزيمة، وغيرهم. مات سنة ٢٥٨، مترجم في التهذيب. حسين الجعفي: هو حسين بن علي بن الوليد، ثقة معروف، روى عنه أحمد، وابن معين، وغيرهم، بل روى عنه ابن عيينة وهو أكبر منه. وأخرج له أصحاب الكتب الستة. حمزة الزيات: هو حمزة بن حبيب، القارىء المعروف. وتكلم في روايته بعضهم، والحق أنه ثقة، وأخرج له مسلم في صحيحه. أبو المختار الطائي: قيل اسمه: سعد، وهو مجهول، جهله المديني وأبو زرعة. ابن أخي الحارث الأعور: أشد جهالة من ذاك، لم يسم هو ولا أبوه. عمه الحارث: هو ابن عبد الله الأعور الهمداني، وهو ضعيف جدا. وقد اختلف فيه العلماء اختلافاً كثيراً، حتى وصفه الشعبي وغيره بأنه «كان كذاباً»، وقد رجحت في شرح الحديث ٥٦٥ وغيره من المسند أنه ضعيف جدا.

وأما متن الحديث: فقد رواه – بمعناه – ابن أبي حاتم، عن الحسن بن عرفة عن يحيى بن يمان عن حمزة الزيات، بهذا الإسناد، فيما نقل ابن كثير ١: ٥٠ ووقع فيه تحريف في الإسناد هناك. وهو جزء من حديث طويل، في فضل القرآن – رواه الترمذي (٤: ٥١ – ٥٢ من تحفة الأحوذي)، عن عبد بن حميد عن حسين الجعفي، بهذا الإسناد. وقال الترمذي: «هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات، وإسناده مجهول، وفي حديث الحارث مقال». كذلك رواه الدارمي في سننه ٢: ٤٣٥ عن محمد بن يزيد الرفاعي عن حسين الجعفي. ونقله السيوطي ١: ١٥ ونسبه أيضاً لابن أبي شيبة وابن الأنباري في المصاحف والبيهقي في شعب الإيمان. وأشار إليه الذهبي في الميزان ٣: ٣٨٠ في ترجمة أبي المختار الطائي، قال: «حديثه في فضائل القرآن منكر». ونقله ابن كثير في الفضائل: ١٤ – ١٥ عن الترمذي، ونقل تضعيفه إياه، ثم قال: «لم ينفرد بروايته حمزة بن حبيب الزيات، بل قد رواه محمد ابن إسحق عن محمد بن كعب القرظي عن الحارث الأعور. فبرئ حمزة من عهدته، على أنه وإن كان ضعيف الحديث، فإنه إمام في القراءة. والحديث مشهور من رواية الحارث الأعور، وقد تكلموا فيه، بل قد كذبه بعضهم من جهة رأيه واعتقاده، أما أنه تعمد الكذب في الحديث – فلا. وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وقد وهم بعضهم في رفعه، وهو كلام حسن صحيح».

وسيأتي ١٧٥، ١٧٦ بإسنادين آخرين، موقوفاً، من كلام علي رضي الله عنه.

ورواية ابن إسحق – التي أشار إليها ابن كثير – هي حديث أحمد في المسند: ٥٦٥. عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن ابن إسحق. وقد ضعفنا إسناده هناك، بالحارث الأعور، وبانقطاعه بين ابن إسحق ومحمد بن كعب. وليس فيه الحرف الذي هنا، في تفسير «الصراط المستقيم».

(١) الحديث ١٧٥ – هو الحديث السابق بإسناد آخر. وهذا الإسناد جيد إلى الحارث الأعور، ثم يضعف به الحديث جدا، كما قلنا من قبل.

ومحمد بن سلمة: هو الباهلي الحراني، وهو ثقة، روى عنه أحمد بن حنبل وغيره، وأخرج له مسلم في صحيحه، مات سنة ١٩١. وشيخه أبو سنان: وهو سعيد بن سنان الشيباني، وهو ثقة، ومن تكلم فيه إنما يكون من جهة خطئه بعض الخطأ، وقال أبو داود: «ثقة من رفعاء الناس»، وأخرج له مسلم في الصحيح. وعمرو بن مرة: هو المرادي الجملي، ثقة مأمون بلا خلاف، قال مسعر: «عمرو

١٧٦ــ حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازى ، قال : حدثنا أبو أحمد الزُّبيرى ، قال : حدثنا حمزة الزيات ، عن أبى المختار الطائى ، عن ابن أخى الحارث الأعور ، عن الحارث ، عن علىّ ، قال : الصِّراطُ المستقيم : كتاب الله تعالى ذكره[١] .

١٧٧ــ حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازى ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيرى ، قال : حدثنا سفيان ــ ح ــ وحدثنا محمد بن حُميد الرازى ، قال : حدثنا مِهْران ، عن سفيان ، عن منصور ، عن أبى وائل ، قال : قال عبدالله : « الصِّراطُ المستقيم » كتابُ الله[٢] .

١٧٨ــ حدثنى محمود بن خِدَاشٍ الطالَقانى ، قال : حدثنا حُميد بن عبدالرحمن الرُّؤاسِى ، قال : حدثنا على والحسن ابنا صالح ، جميعاً ، عن عبد الله بن محمد ابن عَقِيل ، عن جابر بن عبد الله : «اهدنا الصراط المستقيم » قال : الإسلام ، قال : هو أوسع مما بين السماء والأرض[٣] .

من معادن الصدق » . وأبو البختَرى ــ بفتح الباء الموحدة والتاء المثناة بينهما خاء معجمة ساكنة : هو سعيد بن فيروز الطائى الكوفى ، تابعى ثقة معروف .

(١) الخبر ١٧٦ ــ هو الحديث السابق بالإسنادين قبله ، بمعناه . ولكنه هنا موقوف على على ابن أبى طالب . والإسناد إليه منهار انهيار الإسناد ١٧٤ ، من أجل الحارث الأعور وابن أخيه . أما من دونهما ، فأبو المختار الطائى وحمزة مضيا فى ١٧٤ ، وأبو أحمد الزبيرى وأحمد بن إسحق مضيا فى ١٥٩ .

(٢) الخبر ١٧٧ ــ هذا موقوف من كلام عبد الله بن مسعود . وقد رواه الطبرى بإسنادين إلى سفيان ، وهو الثورى . أما أولهما : أحمد بن إسحق عن أبى أحمد الزبيرى عن سفيان الثورى ــ فإسناده صحيح ، لا كلام فيه . وأما ثانيهما : محمد بن حميد الرازى عن مهران ، وهو ابن أبى عمر العطار ــ فقد بينا فى الإسناد ١١ أن فى رواية مهران عن الثورى اضطراباً ، ولكنه هنا تابعه عن روايته حافظ ثقة ، هو أبو أحمد الزبيرى . وقد رواه الثورى عن منصور ، وهو ابن المعتمر الكوفى ، وهو ثقة ثبت حجة ، لا يختلف فيه أحد . وأبو وائل : هو شقيق بن سلمة الأسدى ، من كبار التابعين الثقات ، قال ابن معين : « ثقة لا يسأل عن مثله » .

وهذا الخبر ، رواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٢٥٨ من طريق عمر بن سعد أبى داود الحضرى عن الثورى ، بهذا الإسناد . وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى . وذكره السيوطى ١ : ١٥ ، والشوكانى ١ : ١٣ .

(٣) الخبر ١٧٨ ــ وهذا موقوف على جابر بن عبد الله . وإسناده صحيح : محمود بن خداش بكسر الخاء المعجمة وفتح الدال المهملة وآخره شين معجمة ــ الطالقانى : ثقة من أهل الصدق ، مات يوم الأربعاء ١٤ شعبان سنة ٢٥٠ ، كما فى التاريخ الصغير للبخارى : ٢٤٧ . وحميد بن عبد الرحمن الرؤاسى :

١٧٩ــ حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عُمارة ، قال : حدثنا أبو رَوق ، عن الضحّاك ، عن عبد الله بن عباس ، قال : قال جبريل لمحمد : قل يا محمد ﴿ اهدِنا الصراط المستقيم ﴾ يقول : ألهمنا الطريقَ الهادي ، وهو دين الله الذي لا عوج له[1] .

١٨٠ــ حدثنا موسى بن سهل الرازي ، قال : حدثنا يحيى بن عوف ، عن الفُرَات بن السائب ، عن ميمون بن مِهْران ، عن ابن عباس ، في قوله : ﴿ اهدِنا الصِّراطَ المُستقيم ﴾ قال : ذلك الإسلام[2] . ٥٨/١

١٨١ــ حدثني محمود بن خِدَاش ، قال : حدثنا محمد بن ربيعة الكِلابي ، عن إسمعيل الأزرق ، عن أبي عُمر البزّار ، عن ابن الحنفية ، في قوله

ثقة ثبت عاقل ، روى عنه أحمد وغيره من الحفاظ . والحسن وعلي ابنا صالح بن صالح بن حي : ثقتان ، وهما أخوان توأم . ومن تكلم في الحسن تكلم بغير حجة ، وقد وثقناه في المسند : ٢٤٠٣ . وأخاه فيه : ٢٢٠ . وعبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب ، وأمه زينب الصغرى بنت علي بن أبي طالب : تابعي ثقة ، ولا حجة لمن تكلم فيه .

والخبر رواه الحاكم في المستدرك ٢ : ٢٥٨ – ٢٥٩ ، من طريق أبي نعيم عن الحسن بن صالح – وحده – بهذا الإسناد . وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبي . وذكره ابن كثير ١ : ٥٠ ، والسيوطي ١ : ١٥ ، والشوكاني ١ : ١٣ .

(١) الحديث ١٧٩ – إسناده ضعيف ، سبق بيان ضعفه : ١٣٧ . وهذا اللفظ نقله ابن كثير ١ : ٥٠ دون إسناد ولا نسبة . ونقله السيوطي ١ : ١٤ مختصراً ، ونسبه للطبري فقط .

(٢) الخبر ١٨٠ – إسناده ضعيف جدا ، على ما فيه من جهلنا بحال بعض رجاله : فموسى ابن سهل الرازي ، شيخ الطبري : لم نجزم بأي الرجال هو ؟ ولعله « موسى بن سهل بن قادم ، ويقال ابن موسى ، أبو عمر الرملي ، نسائي الأصل » . فهو شيخ للطبري مترجم في التهذيب ١٠ : ٣٤٧ ، ولكنه لم ينسب « رازيا » . وكتب في المخطوطة : « سهل بن موسى » ! ولم نجد هذه الترجمة أيضاً ، ونرجح أنه خطأ من الناسخ . . ويحيى بن عوف : لم نجد ترجمة بهذا الاسم قط فيما لدينا من مراجع . وأما علة الإسناد ، فهو « الفرات بن السائب الجزري » ، وهو ضعيف جدا ، قال البخاري في الكبير ٤ / ١ / ١٣٠ : « تركوه ، منكر الحديث » ، وكذلك قال الأئمة فيه ، وقال ابن حبان في المجروحين (في الورقة ١٨٧) : « كان ممن يروي الموضوعات عن الأثبات ، ويأتي بالمعضلات عن الثقات ، لا يجوز الاحتجاج به ، ولا الرواية عنه ، ولا كتبة حديثه إلا على سبيل الاختبار » . وأما ميمون بن مهران فتابعي ثقة معروف ، فقيه حجة .

وهذا الخبر نقله ابن كثير ١ : ٥٠ مجهلا بلفظ «وقيل : هو الإسلام» . ونقله السيوطي ١ : ١٥ منسوباً لابن جرير فقط ، على خطأ مطبعي فيه « ابن جريج » !

﴿ اهدنا الصراطَ المستقيم ﴾ قال : هو دين الله الذى لا يقبل من العباد غيرَه[١] .

١٨٢ – حدثنى موسى بن هرون الهمدانى ، قال : حدّثنا عَمرو بن طلحة القنّاد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدّى – فى خبر ذكره – عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس – وعن مُرّة الهمدانى ، عن ابن مسعود – وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : ﴿ اهدنا الصراطَ المستقيم ﴾ قال : هو الإسلام[٢] .

١٨٣ – حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : حدثنى حجاج ، عن ابن جُريج ، قال : قال ابن عباس فى قوله : ﴿ اهدنا الصراطَ المستقيم ﴾ ، قال : الطريق[٣] .

١٨٤ – حدثنا عبد الله بن كثير أبو صديف الآمُلى ، قال : حدثنا هاشم بن القاسم ، قال : حدثنا حمزة بن المغيرة ، عن عاصم ، عن أبى العالية ، فى قوله : « اهدنا الصراط المستقيم » ، قال : هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصاحباه من بعده أبو بكر وعمر . قال : فذكرتُ ذلك للحسن فقال : صدَق أبو العالية ونصح[٤] .

---

(١) الأثر ١٨١ – ابن الحنفية : هو محمد بن على بن أبى طالب ، والحنفية أمه ، وهى خولة بنت جعفر من بنى حنيفة ، عرف بالنسبة إليها . وهذا الإسناد إليه ضعيف : محمد بن ربيعة الكلابى الرؤاسى : ثقة من شيوخ أحمد وابن معين . وإسمعيل الأزرق : هو إسمعيل بن سلمان ، وهو ضعيف ، قال ابن معين : «ليس حديثه بشىء» ، وقال ابن نمير والنسائى : « متروك » ، وقال ابن حبان فى كتاب المجروحين (ص ٧٨ رقم ٣٥) : «ينفرد بمناكير يرويها عن المشاهير» . وأبو عمر البزار : هو دينار بن عمر الأسدى الكوفى الأعمى ، وهو ثقة . والأثر ذكره ابن كثير ١ : ٥١ دون نسبة ولا إسناد .

(٢) الخبر ١٨٢ – هذا من تفسير السدى ، وقد سبق شرح إسناده ١٦٨ . وقد نقله ابن كثير ١ : ٥٠ والسيوطى ١ : ١٥ .

(٣) الخبر ١٨٣ – نقله السيوطى ١ : ١٤ منسوباً للطبرى وابن المنذر . وقد سبق أول هذا الإسناد : ١٤٤ ، وهو هنا منقطع ، لأن ابن جريج لم يدرك ابن عباس ، إنما يروى عن الرواة عنه .

(٤) الأثر ١٨٤ – عبد الله بن كثير أبو صديف الآمل ، شيخ الطبرى : لم أعرف من هو ، ولم أجد له ذكراً ، وأخشى أن يكون فيه تحريف . هاشم بن القاسم : هو أبو النضر – بالنون والضاد

١٨٥– حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال حدثنا ابن وهب، قال : قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : « اهدنا الصراط المستقيم » ، قال : الإسلام[١] .

١٨٦– حدثنا المثنى ، قال : حدثنا أبو صالح ، قال : حدثني معاوية بن صالح ، أنّ عبد الرحمن بن جُبير حدّثه ، عن أبيه ، عن نَوّاس بن سمعان الأنصاري ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ضرب الله مثلا صراطاً مستقيماً ، والصِّراط : الإسلامُ .

١٨٧– حدثنا المثنى قال : حدثنا آدم العسقلاني ، قال : حدثنا الليث ، عن معاوية بن صالح ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نُفير ، عن أبيه ، عن نَوّاس ابن سمعان الأنصاري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بمثله[٢] .

المعجمة – الحافظ الخراساني الإمام ، شيخ الأئمة : أحمد وابن راهويه وابن المديني وابن معين وغيرهم . حمزة بن المغيرة بن نشيط – بفتح النون وكسر الشين المعجمة – الكوفي العابد : ثقة ، مترجم في التهذيب ، وترجمه البخاري في الكبير ٢/١/٤٤ ، وابن أبي حاتم ١ /٢/ ٢١٤ – ٢١٥ ، وذكره ابن حبان في الثقات ٤٤٣ ، قال : « حمزة بن المغيرة العابد ، من أهل الكوفة . يروى عن عاصم الأحول عن أبي العالية (اهدنا الصراط المستقيم) ، قال : هو النبي صلى الله عليه وسلم وصاحباه . روى عنه أبو النضر هاشم بن القاسم » . ووقع هنا : في الأصول « حمزة بن أبي المغيرة » . وهو خطأ من الناسخين . عاصم : هو ابن سليمان الأحول ، تابعي ثقة ثبت . أبو العالية : هو الرياحي – بكسر الراء وتخفيف الياء ، واسمه : رفيع – بالتصغير – بن مهران ، من كبار التابعين الثقات ، مجمع على توثيقه .

وهذا الأثر ذكره ابن كثير ١ : ٥١ ونسبه أيضاً لابن أبي حاتم . والسيوطي ١ : ١٥ وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن عدي وابن عساكر . وأبو العالية لم يقله من قبل نفسه : فقد رواه الحاكم في المستدرك ٢ : ٢٥٩ من طريق أبي النضر بهذا الإسناد إلى « أبي العالية عن ابن عباس » . وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبي . واختصره السيوطي ونسبه للحاكم فقط .

(١) الأثر ١٨٥ – هذا من كلام عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وقد نقله ابن كثير ١ : ٥١ دون نسبة . وعبد الرحمن بن زيد : متأخر ، من أتباع التابعين ، مات سنة ١٨٢ . وهو ضعيف جدا ، بينت ضعفه في حديث المسند : ٥٧٢٣ ، ويكفي منه قول ابن خزيمة : « ليس هو ممن يحتج أهل العلم بحديثه ، لسوء حفظه ، وهو رجل صناعته العبادة والتقشف ، ليس من أحلاس الحديث » .

(٢) الحديث ١٨٦ ، ١٨٧ – رواه الطبري عن شيخه « المثنى » بإسنادين ، أولهما أعلى من الثاني درجة : بين المثنى وبين معاوية بن صالح في أولها شيخ واحد ، وفي ثانيهما شيخان .

أما المثنى شيخ الطبري : فهو المثنى بن إبراهيم الآملي ، يروى عنه الطبري كثيراً في التفسير والتاريخ . وأبو صالح ، في الإسناد الأول : هو عبد الله بن صالح المصري ، كاتب الليث بن سعد ، صحبه عشرين سنة . وهو ثقة ، ومن تكلم فيه ، في بعض حديثه عن الليث ، تكلم بغير حجة . وله ترجمة في

قال أبو جعفر : وإنما وصفه الله بالاستقامة ، لأنه صواب لا خطأ فيه . وقد زعم بعض أهل الغباء ، أنه سمّاه الله مستقيماً ، لاستقامته بأهله إلى الجنة . وذلك تأويلٌ لتأويل جميع أهل التفسير خلافٌ ، وكفى بإجماع جميعهم على خلافه دليلا على خطئه .

* * *

القول فى تأويل قوله : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ .

وقوله ﴿ صِرَاط الذين أنعمْتَ عليهم ﴾ ، إبانةٌ عن الصراط المستقيم ، أيُّ الصراط هو ؟ إذْ كان كلّ طريق من طرُق الحق صراطاً مستقيماً . فقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم : قُلْ يا محمد : اهدنا يا ربنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك ، من مَلائكتك وأنبيائك والصديقين والشهداء والصالحين . وذلك نظير ما قال ربنا جلّ ثناؤه فى تنزيله : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيراً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً * وَإِذاً لَآتَيْنَاهُم مِنْ لَدُنَّا أَجْراً عَظِيماً * وَلَهَدَيْنَاهُمْ

التهذيب جيدة ، وكذلك فى الجرح والتعديل لابن أبى حاتم ٢/٢/٨٦ – ٨٧ ، وتذكرة الحفاظ ١ : ٣٥١ – ٣٥٣ . ولد عبد الله بن صالح سنة ١٣٧ ومات سنة ٢٢٢ . ووقع تاريخ مولده فى التهذيب (١٧٣) وهو خطأ مطبعى ، صوابه فى تذكرة الحفاظ . وآدم العسقلانى ، فى الإسناد الثانى : هو آدم ابن أبى إياس ، وهو ثقة مأمون متعبد ، من خيار عباد الله ، كما قال أبو حاتم . الليث : هو ابن سعد ، إمام أهل مصر . معاوية بن صالح ، فى الإسنادين : هو الحمصى ، أحد الأعلام وقاضى الأندلس ، ثقة ، من تكلم فيه أخطأ . عبد الرحمن بن جبير بن نفير – بالتصغير فيهما – الحضرمى الحمصى : تابعى ثقة . وأبوه : من كبار التابعين ، أدرك زمن النبى صلى الله عليه وسلم . وهو ثقة مشهور بالعلم ، وذكره الطبرى فى طبقات الفقهاء . النواس – بفتح النون وتشديد الواو – بن سمعان الكلابى : صحابى معروف .

وهذا الحديث مختصر من حديث طويل ، رواه أحمد فى المسند : ١٧٧١١ (ج ٤ ص ١٨٢ حلبى) عن الحسن بن سوار عن الليث بن سعد عن معاوية بن صالح ، به . ونقله ابن كثير ١ : ٥١ من رواية المسند ، قال : « وهكذا رواه ابن أبى حاتم وابن جرير من حديث الليث بن سعد ، به . ورواه الترمذى والنسائى جميعاً عن على بن حجر عن بقية عن بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن النواس بن سمعان ، به . وهو إسناد حسن صحيح » . ونسبه السيوطى ١ : ١٥ ، والشوكانى ١ : ١٣ أيضاً للحاكم « وصححه » ، ولغيره .

صِرَاطاً مُسْتَقِيماً ۝ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ والرَّسُولَ فَأُولٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقِينَ والشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِين ﴾ [سورة النساء : ٦٦ – ٦٩] .

قال أبو جعفر : فالذى أمر محمدٌ صلى الله عليه وسلم وأمّتُه أن يسألوا ربَّهم من الهداية للطريق المستقيم ، هى الهداية للطريق الذى وَصف الله جلّ ثناؤه صفتَه . وذلك الطريق ، هو طريق الذين وَصفهم الله بما وصفهم به فى تنزيله ، ووعد من سَلكه فاستقام فيه طائعاً لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، أن يُورده مواردهم ، والله لا يخلف الميعاد .

وبنحو ما قلنا فى ذلك رُوِى الخبر عن ابن عباس وغيره : —

١٨٨ – حدثنا محمد بن العلاء ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عُمَارة ، قال : حدثنا أبو رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « صراطَ الذين أنعمت عليهم » يقول : طَريقَ من أنعمتَ عليهم بطاعتك وعبادتك من الملائكة والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، الذين أطاعوك وعبَدُوك[١] . ٥٩/١

١٨٩ – حدثنى أحمد بن حازم الغفارى ، قال : أخبرنا عبيد الله بن موسى ، عن أبى جعفر ، عن ربيع : « صراط الذين أنعمتَ عليهم » ، قال : النبيّون[٢] .

١٩٠ – حدثنى القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : « أنعمت عليهم » قال : المؤمنين[٣] .

١٩١ – حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : قال وكيع : « أنعمت عليهم » ، المسلمين[٤] .

---

(١) الخبر ١٨٨ – ضعف هذا الإسناد مفصل فى : ١٣٧ . وهذا الخبر نقله ابن كثير ١ : ٥٢ . وانظر أيضاً : ١٧٩ .

(٢) الأثر ١٨٩ – ربيع : هو ابن أنس البكرى . وسبق شرح هذا الإسناد إليه : ١٦٤ . والأثر نقله ابن كثير ١ : ٥٣ ، والسيوطى ١ : ١٦ .

(٣) الخبر ١٩٠ – هذا كالخبر ١٨٣ منقطع بين ابن جريج وابن عباس . وقد نقله ابن كثير ١ : ٥٣ ، والسيوطى ١ : ١٦ ، ولكن وقع فيه « ابن حميد » بدل « ابن جرير » .

(٤) الأثر ١٩١ – وهذا نقله ابن كثير أيضاً ١ : ٥٣ .

١٩٢ – حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال عبد الرحمن بن زيد في قول الله « صراط الذين أنعمت عليهم » ، قال : النبيّ صلى الله عليه وسلم ومن معه[1] .

قال أبو جعفر : وفي هذه الآية دليلٌ واضح على أنّ طاعةَ الله جلّ ثناؤه، لا ينالها المُطيعون إلا بإنعام الله بها عليهم، وتوفيقه إياهم لها . أوَ لا يسمعونه يقول : « صراط الذين أنعمت عليهم» ، فأضاف كلّ ما كان منهم من اهتداء وطاعة وعبادة إلى أنه إنعام منه عليهم ؟

فإن قال قائل : وأين تمام هذ الخبر ؟ وقد علمتَ أنّ قول القائل لآخر : « أنعمت عليك » مقتضٍ الخبرَ عمّا أنعمَ به عليه، فأين ذلك الخبرُ في قوله « صراط الذين أنعمت عليهم » ؟ وما تلك النعمة التي أنعمها عليهم ؟

قيل له : قد قدّمنا البيان – فيما مضى من كتابنا هذا – عن اجتزاء العرب في منطقها ببعضٍ من بعض ، إذا كان البعضُ الظاهر دالاًّ على البعض الباطن وكافياً منه . فقوله « صراط الذين أنعمتَ عليهم » من ذلك . لأن أمرَ الله جل ثناؤه عبادَه بمسألته المعونةَ ، وطلبهم منه الهدايةَ للصراط المستقيم، لمّا كان متقدّماً قولَه « صراطَ الذين أنعمت عليهم » ، الذي هو إبانةٌ عن الصراط المستقيم وإبدالٌ منه – كان معلوماً أن النعمة التي أنعم الله بها على من أمَرنا بمسألته الهدايةَ لطريقهم، هو المنهاجُ القويمُ والصراطُ المستقيم ، الذي قد قدّمنا البيان عن تأويله آنفاً . فكان ظاهرُ ما ظهر من ذلك – مع قرب تجاور الكلمتين – مغنياً عن تكراره .

كما قال نابغة بني ذبيان :

كأنّكَ مِنْ جِمالِ بَنِي أُقَيْشٍ يُقَعْقَعُ خَلْفَ رِجْلَيْهِ بِشَنِّ[2]

---

(١) الأثر ١٩٢ – مضى هذا الإسناد : ١٨٥ . وأما نص الأثر ، فهو عند ابن كثير ١ : ٥٣. وقال بعد هذه الروايات : « والتفسير المتقدم عن ابن عباس أعم وأشمل » . يعني الخبر ١٨٨ .

(٢) ديوانه : ٥٨ ، سيبويه ١ : ٣٧٥ ، مجاز القرآن : ١٠١ الخزانة ٢ : ٣١٤ ، وهذا الشعر يقوله النابغة لعيينة بن حصن الفزاري . بنو أقيش : هم بنو أقيش بن منقر بن عبيد . وقيل :

يريد : كأنك من جمال أقيش ، جملٌ يُقعقع خلف رجليه بشنّ ، فاكتفى بما ظهر من ذكر « الجمال » الدال على المحذوف ، من إظهار ما حذف .

وكما قال الفرزدق بن غالب :

تَرَى أَرْبَاقَهُمْ مُتَقَلِّدِيهَا إذا صَدِئَ الحديدُ عَلَى الكُمَاةِ (١)

يريد : متقلديها هم ، فحذف « هم » ، إذ كان الظاهرُ من قوله أرباقَهُم ، دالاًّ عليها . والشواهد على ذلك من شعر العرب وكلامها أكثر من أن تحصى . فكذلك ذلك فى قوله « صراط الذين أنعمت عليهم » .

* * *

القول فى تأويل قوله : ﴿ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ .

قال أبو جعفر : والقرّأةُ مجمعةٌ على قراءة « غير » بجر الراء منها (٢) . والخفضُ يأتيها من وجهين :

أحدهما : أن يكون « غير » صفة لـ « الذين » ونعتاً لهم فتخفضها . إذ كان « الذين » خفضاً . وهى لهم نعتٌ وصفةٌ . وإنما جاز أن يكون « غير » نعتاً لـ « الذين » ، و « الذين » ، معرفة و « غير » نكرة ، لأن « الذين » بصلتها ليست بالمعرفة الموقتة كالأسماء

فخذ من أشجع . وقيل : حى من اليمن فى إبلهم نفار شديد . وقيل : هم حى من الجن يزعمون . وقعقع : حرك شيئاً يابساً فتسمع له صوت . والشن : القربة البالية . يصف عيينة بالجبن والخور وشدة الفزع ، كأنه جمل شديد النفار ، إذا سمع صوت شن يقعقع به .

(١) ديوانه : ١٣١ والنقائض : ٧٧٣ ، ويأتى فى تفسير آيه سورة الشعراء : ٤ (١٩ : ٣٨ بولاق) ، وهو هناك « على الكتاب » ، وهو خطأ . يهجو جريراً وقومه بنى كليب بن يربوع . الأرباق : جمع ربق ، والربق جمع ربقة : وهو الحبل تشد به الغنم الصغار لئلا ترضع . وتقلد السيف : وضع نجاده على منكبه . والكماة ، جمع كمى : وهو البطل الشديد البأس . يصف بنى كليب بأنهم رعاء أخساء بخلاء ، لا هم لهم إلا رعية الغنم ، والأبطال فى الحرب يصلون حرها الأيام الطوال حتى يصدأ حديد الدروع على أبدانهم من العرق .

(٢) فى المطبوعة « والقراء مجمعة » ، والقرأة : جمع قارئ . انظر ما مضى : ٥١ فى التعليق ، و ٦٤ تعليق : ٤ و : ١٠٩ تعليق : ١ .

التى هى أماراتٌ بين الناس، مثل زيد وعمرو وما أشبه ذلك[1]، وإنما هى كالنكرات المجهولات، مثل الرجل والبعير وما أشبه ذلك. فلما كان « الذين » كذلك صفتُها، وكانت « غير » مضافةً إلى مجهول من الأسماء، نظيرَ « الذين »، فى أنه معرفة غير موقتة، كما « الذين » معرفة غير موقتة — جاز من أجل ذلك أن يكون « غير المغضوب عليهم » نعتاً لِـ « الذين أنعمت عليهم » كما يقال: « لا أجلس إلا إلى العالم غير الجاهل »، يراد: لا أجلس إلا إلى مَن يعلم، لا إلى مَن يجهل. ولو كان « الذين أنعمت عليهم » مَعرفة موقتة، كان غير جائز أن يكون « غير المغضوب عليهم » لها نعتاً. وذلك أنه خطأ فى كلام العرب — إذا وصفت معرفة موقَّتة بنكرة — أن تُلْزِم نَعتها النكرةَ إعرابَ المعرفة المنعوت بها، إلا على نية تكرير ما أعربَ المنعوتَ بها. خطأ فى كلامهم أن يقال: « مررت بعبد الله غير العالم »، فتخفض « غير »، إلا على نية تكرير الباء التى أعرَبتْ عبد الله. فكان معنى ذلك لو قيل كذلك: مَرَرتُ بعبد الله، مررت بغيرِ العالم. فهذا أحد وجهى الخفض فى « غير المغضوب عليهم ». ٦٠/١

والوجهُ الآخر من وجهى الخفض فيها: أن يكون « الذين » بمعنى المعرفة الموقتة. وإذا وُجِّه إلى ذلك، كانت « غير » مخفوضةً بنية تكرير « الصراط » الذى خُفِض « الذين » عليها، فكأنك قلت: صراطَ الذين أنعمت عليهم، صراطَ غير المغضوب عليهم.

وهذان التأويلان فى « غير المغضوب عليهم »، وإن اختلفا فى اختلاف مُعرِبَيْهما، فإنهما يتقارب معناهما. من أجل أنَّ من أنعم الله عليه فهداه لدينه الحق، فقد سلم من غض[illegible]به، ونجا من الضلال فى دينه.

فسواءٌ — إذْ كان [illegible]له « اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت

---

(١) يعنى بقوله « المعرفة الموقتة » المعرفة المحددة، وهو العلم الشخصى الذى يعين مسماه تعيينا مطلقاً غير مقيد. فقولك « زيد » يعين م[illegible] تعييناً مطلقاً أو محدداً. والمعرف بالألف واللام إنما يعين مسماه ما دامت فيه « أل »، فإذا فارقته فا[illegible] التعيين. وانظر معانى الفراء ١ : ٧.

عليهم » غيرَ جائزٍ أن يرتاب ، مع سماعه ذلك من تاليه ، فى أن الذين أنْعم الله عليهم بالهداية للصِّراط غيرُ غاضب ربُّهم عليهم ، مع النعمة التى قد عظمت مِنَّته بها عليهم فى دينهم ؛ ولا أن يكونوا ضُلاَّلاً وقد هداهم الحقَّ ربُّهم. إذْ كان مستحيلا فى فِطَرِهم اجتماعُ الرضَى من الله جلَّ ثناؤه عن شخص والغضب عليه فى حال واحدة ، واجتماعُ الهدى والضلال له فى وقت واحد — أوُصِف[1] القوم ؛ معَ وَصْف الله إياهم بما وصفهم به من توفيقه إياهم وهدايته لهم ، وإنعامه عليهم بما أنعم الله به عليهم فى دينهم ، بأنهم غيرُ مغضوب عليهم ولا هم ضَالُّون ؛ أم لم يوصفوا بذلك . لأن الصِّفة الظاهرة التى وُصفوا بها ، قد أنبأت عنهم أنهم كذلك ، وإن لم يصرِّح وصفَهُم به .

هذا ، إذا وجَّهنا « غير » إلى أنها مخفوضة على نية تكرير « الصراطِ » الخافضِ « الذين » ، ولم نجعل « غير المغضوب عليهم ولا الضالين » من صفة « الذين أنعمت عليهم » ، بل إذا جعلناهم غيرَهم . وإن كان الفريقان لا شك مُنْعَماً عليهما فى أدْيانهما .

فأمّا إذا وجهنا « غير المغضوب عليهم ولا الضالين » إلى أنها من نَعت « الذين أنعمت عليهم » ، فلا حاجة بسامعه إلى الاستدلال ، إذْ كان الصريحُ من معناه قد أغنى عن الدليل .

وقد يجوز نصب « غير » فى « غير المغضوب عليهم » ، وإن كنتُ للقراءة بها كارهاً لشذوذها عن قراءة القُرّاء . وإنَّ ما شذ من القراآت عما جاءت به الأمة نقلا ظاهراً مستفيضاً ، فرأىٌ للحق مخالف ، وعن سبيل الله وسبيل رسوله صلى الله عليه وسلم وسبيل المسلمين مُتجانفٌ . وإن كان له — لو كان جائزاً القراءةُ به[2] — فى الصواب مخرجٌ .

---

(١) سياق العبارة : « سواء . . . أوصف القوم ... أم لم يوصفوا » ، وما بين هذين فصل طويل كدأب أبى جعفر فى بيانه .

(٢) فى المطبوعة : « لو كانت القراءة جائزة به » ، بدلوه ليوافق عبارتهم ، دون عبارة الطبرى .

وتأويل وجه صوابه إذا نصبتَ: أن يوجَّه إلى أن يكون صفةً للهاء والميم اللتين في « عليهم »، العائدة على « الذين ». لأنها وإن كانت مخفوضة بـ «على» فهي في محل نصب بقوله « أنعمت » . فكان تأويل الكلام – إذا نصبت « غير » التي مع « المغضوب عليهم » – : صراطَ الذين هدَيتهم إنعاماً منك عليهم ، غيرَ مَغضوبٍ عليهم ، أي لا مغضوباً عليهم ولا ضالين . فيكون النصب في ذلك حينئذ ، كالنصب في « غير » في قولك : مررت بعبد الله غيرَ الكريم ولا الرشيدِ ، فتقطع « غيرَ الكريم » من «عبد الله»، إذْ كان « عبدُ الله » معرفة موقتة ، و « غير الكريم » نكرة مجهولة .

وقد كان بعضُ نحويِّي البصريين يزعم أنّ قراءة مَنْ نصب « غير » في « غير المغضوب عليهم » ، على وَجه استثناءِ « غير المغضوب عليهم » من معاني صفة « الذين أنعمت عليهم » ، كأنه كان يرى أنّ معنى الذين قرأوا ذلك نصباً : اهدنا الصراط المستقيم ، صراطَ الذين أنعمتَ عليهم ، إلا المغضوبَ عليهم – الذين لم تُنعم عليهم في أديانهم ولم تَهْدهم للحق – فلا تجعلنا منهم . وكما قال نابغة بني ذبيان :

وَقَفْتُ فِيهَا أُصَيْلاَلاً أُسَائِلُهَا عَيَّت جَواباً ، ومَا بالرَّبْعِ مِنْ أَحَدِ[1] ٦١/١
إلاَّ أَوَارِيَّ لأْيًا مَا أُبَيِّنُهَا والنُّؤْيُ كالحَوْضِ بالمَظْلُومَةِ الجَلَدِ[2]

---

(١) ديوانه : ٢٣ ، ويأتي في تفسير آية البقرة : ٣٥ (١ : ١٨٦ بولاق) ، وآية النساء : ١١٤ (٥ : ١٧٨) ، وآية يونس : ٩٨ (١١ : ١١٧) وآية سورة الليل : ٢٠ (٣٠ : ١٤٦). يقال : لقيته أصيلالا وأصيلاناً ، إذا لقيته بالعشي . وذلك أن الأصيل هو العشي ، وجمعه أصل (بضمتين) وأصلان (بضم فسكون) ، ثم صغروا الجمع فقالوا : أصيلان ، ثم أبدلوا من النون لاماً . فعلوا ذلك اقتداراً على عربيتهم ، ولكثرة استعمالهم له حتى قل من يجهل أصله ومعناه . وعي في منطقه : عجز عن الكلام .

(٢) أواري جمع آري (مشدد الياء) : وهو محبس الدابة ومأواها ومربطها ، من قولهم : تأرى بالمكان أقام وتحبس . ولأيا : بعد جهد ومشقة وإبطاء . والنؤي : حفرة حول الخباء تعلي جوانبها بالتراب ، فتحجز الماء لا يدخل الخباء ، والمظلومة : يعني أرضاً مروا بها في برية فتحوضوا حوضاً سقوا فيه إبلهم ، وليس بموضع تحويض لبعدها عن مواطىء السابلة . فلذلك سماها مظلومة ، والظلم : وضع الشيء في غير موضعه . والجلد : الأرض الصلبة ، يعني أنها لا تنبت شيئاً فلا يرعاها أحد .

والأوارىُّ معلومٌ أنها ليست من عدَاد « أحد » فى شىء . فكذلك عنده ، استثنى « غير المغضوب عليهم » من « الذين أنعمت عليهم » ، وإن لم يكونوا من معانيهم فى الدين فى شىء .

وأما نحويُّو الكوفيين ، فأنكروا هذا التأويل واستخفُّوه[1] . وزعموا أن ذلك لو كان كما قاله الزاعم من أهل البصرة ، لكان خطأ أن يقال « ولا الضالين » ، لأن « لا » نفى وجحد ، ولا يعطف بجحد إلا على جحد . وقالوا : لم نجد فى شىء من كلام العرب استثناءً يُعطف عليه بجحد ، وإنما وجدناهم يعطفون على الاستثناء بالاستثناء وبالجحد على الجحد ، فيقولون فى الاستثناء : قام القومُ إلا أخاك وإلا أباك . وفى الجحد : ما قام أخوك ولا أبوك . وأما : قام القومُ إلا أباك ولا أخاك . فلم نجده فى كلام العرب . قالوا : فلما كان ذلك معدوماً من كلام العرب ، وكان القرآن بأفصح لسان العرب نُزولُه ، علمنا — إذ كان قولُه « ولا الضالين » معطوفاً على قوله « غير المغضوب عليهم » — أن « غير » بمعنى الجحد لا بمعنى الاستثناء ، وأن تأويل من وجَّهها إلى الاستثناء خطأ .

فهذه أوجه تأويل « غير المغضوب عليهم » ، باختلاف أوجه إعراب ذلك .

وإنما اعترضْنا بما اعترضنا فى ذلك من بَيان وُجوه إعرابه — وإن كان قصدُنا فى هذا الكتاب الكشفَ عن تأويل آى القرآن — لما فى اختلاف وجوه إعراب ذلك من اختلاف وجوه تأويله . فاضطرّتنا الحاجة إلى كشف وجوه إعرابه ، لتنكشف لطالب تأويله وُجوه تأويله : على قدر اختلاف المختلفة فى تأويله وقراءته .

والصَّوابُ من القول فى تأويله وقراءته عندنا ، القول الأول . وهو قراءةُ ﴿ غيرِ المغضوب عليْهم ﴾ بخفض الراء من « غير » ، بتأويل أنها صفة لِـ « الذين أنعمت عليهم » ونعتٌ لهم — لما قد قدمنا من البيان — إن شئتَ ، وإن شئت فبتأويلِ تكرير « صراط » . كلُّ ذلك صوابٌ حَسنٌ .

(١) فى المطبوعة : « واستخطئوه » ، واستخفوه : رأوه خفيفاً لا وزن له .

فإن قال لنا قائل : فمن هؤلاء المغضوبُ عليهم ، الذين أمرنا الله جل ثناؤه بمسألته أن لا يجعلنا منهم ؟

قيل : هم الذين وصفهم الله جلّ ثناؤه فى تنزيله فقال : ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ ، مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [سورة المائدة : ٦٠] . فأعلمنا جلّ ذكره ثمّة[1] ، ما أحلّ بهم من عقوبته بمعصيتهم إياه . ثم علمنا ، منّةً منه علينا ، وجه السبيل إلى النجاة من أن يحلّ بنا مثل الذى حلّ بهم من المثُلات ، ورأفة منه بنا[2] .

فإن قال : وما الدليلُ على أنهم أولاء الذين وصفهم الله وذكر نبأهم فى تنزيله ، على ما وصفت ؟

قيل :

١٩٣ — حدثنى أحمد بن الوليد الرملى ، قال : حدثنا عبد الله بن جعفر الرقى ، قال : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن إسمعيل بن أبى خالد ، عن الشعبى ، عن عدىّ ابن حاتم ، قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : المغضوبُ عليهم ، اليهود[3] .

١٩٤ — حدثنا محمد بن المثنى ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شعبة ، عن سماك بن حرب ، قال : سمعت عبّاد بن حُبيش يحدث ، عن عدى ابن حاتم ، قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّ المغضوبَ عليهم اليهود[4] .

---

(١) بدلوها فى المطبوعة إلى « بمنه » ؛ وثم وثمة (بفتح الثاء) : إشارة للبعيد بمنزلة « هنا » للقريب

(٢) المثلات جمع مثلة (بفتح فضم ففتح) : وهى العقوبة والتنكيل .

(٣) الحديث ١٩٣ — هذا إسناد صحيح ، وسيأتى بعض هذا الحديث أيضاً بهذا الإسناد ٢٠٧ . وتخريجه سيأتى فى ١٩٥ .

(٤) الحديث ١٩٤ — وهذا إسناد صحيح أيضاً . عباد بن حبيش ، بضم الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة وآخره شين معجمة ، الكوفى ، ذكره ابن حبان فى الثقات ، وابن أبى حاتم ٣/١/٧٨ . وبعض الحديث سيأتى أيضاً ٢٠٨ بهذا الإسناد .

١٩٥– حدثني علي بن الحسن، قال : حدثنا مسلم بن عبد الرحمن ، قال : حدثنا محمد بن مصعب ، عن حماد بن سلمة ، عن سماك بن حرب ، عن مُرِّي ابن قَطَرِيّ ، عن عدي بن حاتم ، قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله جلّ وعزّ « غير المغضوب عليهم » قال : هم اليهود[1] .

١٩٦– حدثنا حُميد بن مَسْعَدة السّامي ، قال : حدثنا بشر بن المفضَّل ، قال : حدثنا الجُرَيْري ، عن عبد الله بن شَقِيق : أنّ رُجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محاصرٌ وادِيَ القُرَى ، فقال : مَنْ هؤلاء الذين تحاصرُ يا رسول الله ؟ قال : هؤلاء المغضوب عليهم ، اليهود[2] . ٦٢/١

---

(١) الحديث ١٩٥ – وهذا إسناد صحيح أيضاً . مرى بن قطرى الكوفى : ذكره ابن حبان فى الثقات ، وترجمه البخارى فى الكبير ٤/٢/٥٧ ، وقال : « سمع عدى بن حاتم ، روى عنه سماك بن حرب ، يعد فى الكوفيين » . و « مرى » : بضم الميم وتشديد الراء المكسورة مع تشديد الياء . و « قطرى » : بفتح القاف والطاء وبعد الراء ياء مشددة . وبعضه سيأتى أيضاً بالإسناد نفسه ٢٠٩ .

وهذا الحديث عن عدى بن حاتم : أصله قصة مطولة فى إسلامه . فرواه – بطوله – أحمد فى المسند ٤ : ٣٧٨ – ٣٧٩ عن محمد بن جعفر عن شعبة ، بالإسناد السابق ١٩٤ .. ورواه الترمذى ٤ : ٦٧ من طريق عمرو بن أبى قيس عن سماك عن عباد بن حبيش عن عدى . وقال : « هذا حديث حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث سماك بن حرب . وروى شعبة عن سماك بن حرب عن عباد بن حبيش عن عدى بن حاتم عن النبى صلى الله عليه وسلم – الحديث بطوله » . وروى بعضه الطيالسى فى مسنده : ١٠٤٠ عن عمرو بن ثابت « عمن سمع عدى بن حاتم » . وقد تبين لنا من روايات الطبرى هنا أن سماك بن حرب سمعه من عباد بن حبيش ومن مرى بن قطرى ، كلاهما عن عدى ، وأن سماك بن حرب لم ينفرد بروايته أيضاً ، إذ رواه إسمعيل بن أبى خالد عن الشعبى عن عدى . وأن لم يعرفه الترمذى إلا من حديث سماك – لا ينفى أن يعرفه غيره من وجه آخر . وذكره ابن كثير ١ : ٥٤ من رواية أحمد فى المسند ، وأشار إلى رواية الترمذى ، وإلى روايات الطبرى هنا ، ثم قال : « وقد روى حديث عدى هذا من طرق ، وله ألفاظ كثيرة يطول ذكرها » . وذكره الحافظ فى الإصابة ، فى ترجمة عدى ٢ : ٢٢٩ من رواية أحمد والترمذى . وذكر السيوطى منه ١ : ١٦ تفسير الحرفين ، ونسبه أيضاً لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن حبان فى صحيحه . وكذلك صنع الشوكانى ١ : ١٥ .

(٢) الحديث ١٩٦ – حميد بن مسعدة السامى ، شيخ الطبرى : هو « السامى » بالسين المهملة ، نص على ذلك الحافظ ابن حجر فى التقريب . وهو نسبة إلى « سامة بن لؤى بن غالب » . ووقع فى نسخ الطبرى – هنا وفيما يأتى ٢١٠ – « الشامى » بالمعجمة ، وهو تصحيف . و « الجريرى » ، بضم الجيم : هو سعيد بن إياس البصرى . و « عبد الله بن شقيق العقيلى » ، بضم العين وفتح القاف : تابعى كبير ثقة . وهذا الإسناد مرسل ، لقول عبد الله بن شقيق : « أن رجلا » . وسيأتى مرسلا أيضاً ١٩٧ ، ١٩٩ . ولكنه سيأتى موصولا ١٩٨

١٩٧– حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال : حدثنا ابن عُلَيَّة ، عن سعيد الجُرَيْرى، عن عروة ، عن عبد الله بن شَقيق : أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه .

١٩٨– حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أنبأنا عبد الرزّاق، قال : أخبرنا معمر ، عن بُدَيْل العقيلى ، قال: أخبرنى عبد الله بن شَقيق: أنه أخبره من سمع النبى صلى الله عليه وسلم – وهو بوادى القُرَى ، وهو عَلى فَرسه ، وسأله رجل من بنى القَيْن فقال : يا رسول الله ، من هؤلاء ؟ – قال : المغضوبُ عليهم . وأشار إلى اليهود[1] .

١٩٩– حدثنا القاسم بن الحسن، قال : حدثنا الحسين ، قال حدثنا خالد الواسطى ، عن خالد الحَذَّاء ، عن عبد الله بن شقيق : أنّ رجلاسأل النبى صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه .

٢٠٠– حدثنا أبو كريب ،قال حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر ابن عُمارة ، قال : حدثنا أبو رَوْق، عن الضحاك ، عن ابن عباس: «غير المغضوب عليهم » ، يعنى اليهودَ الذين غَضب الله عليهم[2] .

---

(١) الحديث ١٩٨ – بديل ، بضم الباء الموحدة وفتح الدال المهملة : هو ابن ميسرة العقيلى ، وهو تابعى ثقة . وهذه الرواية متصلة بإسناد صحيح . لأن عبد الله بن شقيق صرح فيها بأنه أخبره « من سمع النبى صلى الله عليه وسلم » ، وجهالة الصحابى لا تضر ، كما هو معروف . والوصل بذكر الصحابى المبهم – زيادة من الثقة ، فهى مقبولة .

وقد ذكر ابن كثير ١ : ٥٤ – ٥٥ هذه الرواية الموصولة ، ثم أشار إلى الروايات الثلاث المرسلة ، ثم قال : « ووقع فى رواية عروة تسمية : عبد الله بن عمرو ، فالله أعلم » . ولكنه لم يذكر من خرج رواية عروة التى يشير إليها . ثم قال ابن كثير : « وقد روى ابن مردويه من حديث إبراهيم بن طهمان عن بديل بن ميسرة عن عبد الله بن شقيق عن أبى ذر ، قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المغضوب عليهم ، قال : اليهود ، قلت : الضالين ؟ قال : النصارى » . وأشار الحافظ فى الفتح ٨ : ١٢٢ إلى رواية ابن مردويه هذه عن أبى ذر « بإسناد حسن» . وذكر أيضاً أن رواية عبد الله بن شقيق الموصولة « أنه أخبره من سمع النبى صلى الله عليه وسلم » – رواها أحمد . وهذه الروايات أيضاً عند السيوطى ١ : ١٦ ، والشوكانى ١ : ١٤ – ١٥ . وسيأتى تفسير (الضالين) بهذه الأسانيد ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ . وسيأتى فى ٢١١ بيان من عروة الذى فى الإسناد ١٩٧ .

(٢) الأثر ٢٠٠ – أثر الضحاك عن ابن عباس لم يخرجوه . وسيأتى باقيه ٢١٥ .

٢٠١ــ حدثني موسى بن هرون الهمداني، قال : حدثنا عمرو بن طلحة ، قال : حدثنا أسباط بن نصر ، عن السدّيّ في خبر ذكره ، عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس ــ وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود ــ وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « غير المغضوب عليهم » ، هم اليهود[1] .

٢٠٢ــ حدثنا ابن حميد الرازي ، قال: حدثنا مهران ، عن سفيان ، عن مجاهد ، قال : « غير المغضوب عليهم » قال : هم اليهود .

٢٠٣ــ حدثنا أحمد بن حازم الغفاري، قال : حدثنا عبد الله، عن أبي جعفر ، عن ربيع : « غير المغضوب عليهم » ، قال : اليهود .

٢٠٤ــ حدثنا القاسم ، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : « غير المغضوب عليهم » قال : اليهود .

٢٠٥ــ حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد : « غير المغضوب عليهم » ، اليهود .

٢٠٦ــ حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثني ابن زيد ، عن أبيه ، قال : المغضوب عليهم ، اليهود[2] .

قال أبو جعفر : واختُلِف في صفة الغضب من الله جلّ ذكره :

فقال بعضهم : غضبُ الله على من غضب عليه من خلقه ، إحلالُ عقوبته بمن غَضِبَ عليه، إمّا في دنياه وإمّا في آخرته، كما وصف به نفسه جلّ ذكره في كتابه فقال: ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة الزخرف : ٥٥] . وكما قال : ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ

(١) الخبر ٢٠١ ــ ابن كثير ١ : ٥٥ ، والدر المنثور ١ : ١٦ ، والشوكاني ١ : ١٥ . وسيأتي باقيه : ٢١٧ .

(٢) الآثار ٢٠٢ ــ ٢٠٦ : في ابن كثير ، والدر المنثور ، الشوكاني كالذي مضى . وسيأتي باقيها : ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ .

وَغَضِبَ عَلَيْهِ وجَعَلَ مِنْهُمُ القِرَدَةَ والخَنَازِيرَ ﴾ [سورة المائدة : ٦٠] .

وقال بعضهم : غضبُ الله على من غَضب عليه من عباده ، ذمٌّ منه لهم ولأفعالهم ، وشَتْم لهم منهُ بالقول .

وقال بعضهم : الغضَبُ منه معنى مفهومٌ كالذى يُعرف من معانى الغضب ، غيرَ أنه — وإن كان كذلك من جهة الإثبات[1] — فمخالفٌ معناه منه مَعْنى ما يكون من غَضب الآدميين الذين يُزعجهم ويحركهم ويَشُقّ عليهم ويؤذيهم . لأن الله جل ثناؤه لا تحلّ ذاتَه الآفاتُ ، ولكنه له صفةٌ ، كما العلم له صفةٌ ، والقدرة له صفة ، على ما يُعْقَل من جهة الإثبات ، وإن خالفت مَعانى ذلك مَعانىَ عُلوم العباد ، التى هى معارف القلوب ، وقواهم التى توجد مع وجود الأفعال وتُعْدَم مع عَدَمها[2] .

* * *

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ .

قال أبو جعفر : كان بعضُ أهل البصرة يزعم أن : « لا » مع « الضالين » أدخلت تتميما للكلام ، والمعنى إلغاؤها ، ويستشهد على قيله ذلك ببيت العجاج :

---

(١) الإثبات : مذهب أهل السنة فى إثبات الصفات لله تعالى كما وصف نفسه ، وإثبات القدر بلا تأويل ، خلافاً لأهل القدر ، وهم نفاته ، والجهمية والمعطلة للصفات .

(٢) بعد هذا الموضع من نسخة دار الكتب المصرية رقم : ١٠٠ تفسير ، ما نصه :

« وصلى الله على محمد النبى الأمى وعلى آله وسلم تسليما كثيراً .

— على الأصل المنقول منه —

سمعت وأحمد ومحمد والحسن بنى عبد الله بن أحمد الفرغانى فى يوم الخميس لسبع بقين من شهر رمضان سنة ست وأربعين وثلثمئة . ومحمد بن محمد الطوسى » .

فى بِئْرِلاَ حُورٍ سَرَى وَمَا شَعَرْ(١)

ويتأوله بمعنى : فى بئرٍ حُورٍ سَرى ، أى فى بئر هلكة ، وأنّ « لا » بمعنى الإلغاء والصلة . ويعتلّ أيضاً لذلك بقول أبى النجم :

فَمَا أَلوم البِيضَ أَنْ لاَ تَسْخَرَا لَمَّا رَأَين الشَّمْطَ القَفَنْدَرَا(٢)

١/٦٣ وهو يريد : فما ألوم البيض أن تسخر . وبقول الأحوص :

وَيَلْحَيْنَنِى فِى اللَّهْوِ أَنْ لاَ أُحِبَّهُ وَلِلَّهْوِ دَاعٍ دَائِبٌ غَيْرُ غَافِلِ(٣)

يريد : وَيلحيننى فى اللهو أن أحبه ، وبقوله تعالى : ﴿ ما مَنَعَكَ أَنْ لاَ تَسْجُدَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٢] ، يريد أن تسجد . وحُكى عن قائل هذه المقالة أنه كان يتأول « غير » ، التى مع « المغضوب عليهم » ، أنها بمعنى سوى(٤) . فكأنّ معنى الكلام كانَ عنده : اهدنا الصراط المستقيمَ ، صراط الذين أنعمتَ عليهم ، الذين همُ سوى المغضوب عليهم والضالين .

وكان بعضُ نحويى الكوفيين يستنكر ذلك من قوله(٥) ، ويزعمُ أن « غير »

---

(١) ديوانه : ١٦ ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٨ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة : ٢٥ والخزانة ٢ : ٩٥ ، وأمالى الشجرى ٢ : ٢٣١ ، والأضداد لابن الأنبارى : ١٨٦ . والقائل بأنها زائدة من البصريين هو أبو عبيدة .

(٢) نسبه شارح القاموس عن الصاغانى لأبى النجم وقال : روايته :

« إذا رأت ذا الشيبة القفندرا »

وضبطوا « الشمط » بفتح الميم ، أى الشيب ، وجائز أن يكون أبو النجم قاله « الشمط » بكسر الميم على أنه فرح ، طرح ألف « أشمط » ، كما فعلوا فى أشعث وشعث . وأحدب وحدب ، وأتعس وتعس ، وأحول وحول ، فى الصفات المشبهة من العيوب الظاهرة والحلى . وانظر الفائق للزمخشرى ٢ : ٣٢٦ فقد عدد ألفاظاً غيرها . وكأن الصاغانى أبى من رواية « الشمط » بفتحتين ، لأن القفندر : هو الصغير الرأس القبيح المنظر .

والبيت برواية الطبرى فى مجاز القرآن لأبى عبيدة : ٢٦ ، والأضداد لابن الأنبارى : ١٨٥ ، واللسان (قفندر) ، ثم انظر أمالى الشجرى ٢ : ٢٣١ ، وغيرها .

(٣) الكامل ١ : ٤٩ ، والأضداد لابن الأنبارى : ١٨٦ ، ولحاه يلحاه لحياً : عذله ولامه .

(٤) هو أبو عبيدة كما أسلفنا فى أول هذه الفقرة . وأشار إليه الفراء فى معانى القرآن : ٨ بقوله : « وقد قال بعض من لا يعرف العربية ... » ، وكذلك فعل الطبرى من قبل فى مواضع . وانظر اللسان (غير) .

(٥) يعنى الفراء الكوفى فى كتابه معانى القرآن : ٨ ، أو غيره من كتبه .

التى مع « المغضوب عليهم » ، لو كانت بمعنى سوى ، لكان خطأ أن يعطف عليها بـ « لا » ، إذْ كانت « لا » لا يعطف بها إلا على جحد قد تقدمها . كما كان خطأ قول القائل : «عندى سِوَى أخيك ولا أبيك » ، لأن سِوَى ليست من حروف النفى والجحود . ويقول : لما كان ذلك خطأ فى كلام العرب ، وكان القرآن بأفصحِ اللغات من لغات العرب ، كان معلوماً أن الذى زَعمه القائل : أن « غير » مع « المغضوب عليهم » بمعنى سوى المغضوب عليهم ، خطأ . إذ كان قد كرّ عليه الكلامَ بـ « لا » . وكان يزعم أن « غير » هنالك ، إنما هى بمعنى الجحد . إذْ كان صحيحاً فى كلام العرب ، وفاشياً ظاهراً فى منطقها ، توجيه « غير » إلى معنى النفى ، ومستعملا فيهم : « أخوك غير مُحسِن ولا مُجْمِل » يراد بذلك : أخوك لا محسن ولا مجمل . ويَستنكرُ أن تأتى « لا » بمعنى الحذف فى الكلام مُبتدأً ، ولمَّا يتقدمها جحد . ويقول : لو جاز مجيئها بمعنى الحذف مُبتدأ ، قبل دلالة تدلّ على ذلك من جحد سابق ، لصحَّ قول قائل قال : « أردْتُ أن لا أكرم أخاك » ، بمعنى : أردت أن أكرم أخاك . وكان يقول : فى شهادة أهل المعرفة بلسان العرب على تخطئة قائل ذلك ، دلالةٌ واضحة على أنّ « لا » لا تأتى مبتدأة بمعنى الحذف ، ولمَّا يتقدَّمها جحد . وكان يتأوّل فى « لا » التى فى بيت العجاج ، الذى ذكرنا أن البصْرىّ استشهد به ، بقوله : إنها جحْدٌ صحيح ، وأنّ معنى البيت : سَرَى فى بئر لا تُحيرُ عليه خيراً ، ولا يتبيَّن له فيها أثرُ عملٍ ، وهو لا يشعُر بذلك ولا يدرى به[1] . من قولهم : « طحنت الطَّاحنة فما أحارت شيئاً » ، أى لم يتبيَّن لها أثرُ عملٍ . ويقول فى سائر الأبيات الأخر ، أعنى مثل بَيت أبى النجم :

فما أَلُوم البيضَ أن لا تسخَرَا

إنما جازَ أن تكون « لا » بمعنى الحذف ، لأن الجحد قد تقدمها فى أول الكلام ، فكان الكلام الآخر مُواصِلاً للأول ، كما قال الشاعر :

(١) عبارة الفراء فى معانى القرآن : « كأنك قلت : إلى غير رشد توجه وما درى » .

مَا كانَ يَرْضَى رَسُولُ اللهِ فعلَهُمُ والطَّيِّبان أبو بَكْرٍ ولا عُمَرُ[١]

فجازَ ذلك ، إذْ كان قد تقدَّم الجحدُ فى أوّل الكلام .

قال أبو جعفر : وهذا القولُ الآخر أولى بالصواب من الأول ، إذ كان غيرَ موجودٍ فى كلام العرب ابتداءُ الكلام من غير جحد تقدَّمه بـ « لا » التى معناها الجحد ، ولا جائزٍ العطفُ بها على «سوى» ، ولا على حرف الاستثناء . وإنما لـ«غير» فى كلام العرب معان ثلاثة ، أحدها : الاستثناء ، والآخر : الجحد ، والثالث : سوى . فإذا ثبت خطأ أن تكون «لا» بمعنى الإلغاء مُبتدأ[٢] ، وفسدَ أن يكون عطفاً على « غير » التى مع « المغضوب عليهم » ، لو كانت بمعنى « إلا » التى هى استثناء ، ولم يَجز أيضاً أن يكون عطفاً عليها لو كانت بمعنى « سوى » ، وكانت « لا » موجودة عطفاً بالواو التى هى عاطفة لها على ما قبلها — صحَّ[٣] وثبت أن لا وجهَ لـ « غير » ، التى مع « المغضوب عليهم » ، يجوز توجيهها إليه على صحَّة ، إلا بمعنى الجحد والنفى ، وأن لا وَجه لقوله « ولا الضالين » إلا العطف على « غير المغضوب عليهم » .

فتأويلُ الكلام إذاً — إذْ كان صحيحاً ما قلنا بالذى عليه استشهدنا — اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، لا المغضوب عليهم ولا الضالين .

فإن قال لنا قائل : ومَن هؤلاء الضَّالُّون الذين أمرنا اللهُ بالاستعاذة بالله أن يَسلُكَ بنا سبيلهم ونَضِلَّ ضلالهم ؟

قيل : هم الذين وصَفهم الله فى تنزيله فقال : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِى دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا ٦٤/١

---

(١) الشعر لجرير يهجو الأخطل ، ديوانه : ٢٦٣ ، ونقائض جرير والأخطل : ١٧٤ ، وأضداد ابن الأنبارى : ١٨٦ ، ثم تفسير آية سورة البقرة : ١٥٨ .

(٢) فى المخطوطة : « فإذا بـ حط أن لا يكون بمعنى الإلغاء » غير منقوطة ، ولم يحسن طابعو المطبوعة قراءتها فجعلوها : « فإذا بطل حظ لا أن تكون بمعنى الإلغاء » . وقد صححنا ما فى المخطوطة من تقديم « لا » على « يكون » .

(٣) جواب قوله « فإذا ثبت خطأ . . . » .

وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [سورة المائدة : ٧٧] .

فإن قال : وما برهانك على أنهم أولاء ؟

قيل :

٢٠٧ – حدثنا أحمد بن الوليد الرملى ، قال : حدثنا عبد الله بن جعفر ، قال : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن إسمعيل بن أبى خالد ، عن الشَّعبى ، عن عدى بن حاتم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ولا الضالين » ، قال : النصارى[1] .

٢٠٨ – حدثنا محمد بن المثنى ، أنبأنا محمد بن جعفر ، أنبأنا شعبة ، عن سِمَاك ، قال : سمعت عبّاد بن حُبيش يحدث ، عن عدى بن حاتم ، قال : قالَ لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الضَّالين ، النَّصارى .

٢٠٩ – حدثنى على بن الحسن ، قال : حدثنا مسلم بن عبد الرحمن ، قال : حدثنا محمد بن مُصْعَب ، عن حماد بن سلمة ، عن سماك بن حرب ، عن مُرّىّ ابن قَطَرىّ ، عن عدى بن حاتم ، قال : سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن قول الله : « ولا الضالين » ، قال : النصارى هم الضالون .

٢١٠ – حدثنا حُميد بن مسعدة السَّامى ، قال : حدثنا بشر بن المفضَّل ، قال : حدثنا الجريرى ، عن عبد الله بن شقيق أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محاصرٌ وادىَ القُرَى ، قال : قلت : من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الضّالون ، النصارى .

٢١١ – حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن عُليَّة ، عن سعيد الجُرَيرى ، عن عروة – يعنى ابن عبد الله بن قيس – ، عن عبد الله بن شقيق ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بنحوه[2] .

---

(١) هذه الأحاديث والأخبار والآثار ٢٠٧ – ٢٢٠ ، فى تفسير (الضالين) ، سبقت أوائلها فى تفسير (المغضوب عليهم) ، مع تخريجها ، فى الأرقام ١٩٣ – ٢٠٦ ، مع شىء من التقديم والتأخير .

(٢) الحديث ٢١١ – سبق هذا الإسناد ١٩٧ ولم ينسب فيه « عروة » هذا ، وفى التعليق على الحديث ١٩٨ إشارة ابن كثير إلى رواية « عروة » ، ولم يذكر نسبه أيضاً . وقد بين الطبرى هنا أنه

٢١٢ــ حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : حدثنا عبد الرزاق، قال : أخبرنا معمر ، عن بُدَيْل العُقَيلي ، قال: أخبرني عبد الله بن شقيق: أنه أخبره من سمع النبي صلى الله عليه وسلم ــ وهو بوادي القرى ، وهو على فرسه، وسأله رجل من بني القَيْن ، فقال : يارسولَ الله، من هؤلاء؟ــ قال: هؤلاء الضَّالون ، يعني النصارى.

٢١٣ــ حدثنا القاسم ، قال حدثنا الحسين ،قال : حدثنا خالد الواسطي ، عن خالد الحذاء ، عن عبد الله بن شقيق : أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم وهو محاصِرٌ وادي القُرى ، وهو على فرس : من هؤلاء ؟ قال : الضالّون . يعني النصارى .

٢١٤ــ حدثنا محمد بن حميد: قال: حدثنا مهران ،عن سفيان ، عن مجاهد: « ولا الضالين » ، قال : النصارى .

٢١٥ــ حدثنا أبو كريب قال: حدثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن عُمارة قال : حدثنا أبو رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « ولا الضالين» قال : وَغير طريقِ النَّصارى الذين أضلَّهم الله بِفِرْيَتِهم عليه . قال: يقول : فألهِمنا دينك الحق ، وهو لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له ، حتى لا تغضَبَ علينا كما غضبتَ على اليهود ، ولا تضلَّنا كما أضللتَ النصارى ، فتعذِّبنا بما تعذِّبهم به . يقول : امنعْنا من ذلك برفْقِك ورَحمتك وقدرتك .

٢١٦ــ حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : الضالين ، النصارى .

« عروة بن عبد الله بن قيس » . وأنا أرجح أن كلمة « قيس » محرفة من الناسخين عن كلمة « قشير » . فإني لم أجد في التراجم قط من يسمى « عروة بن عبد الله بن قيس » ، ويبعد جدا أن لا يذكروه ، وهو يروي عن رجل من كبار التابعين . والذي في هذه الطبقة ، هو « عروة بن عبد الله بن قشير أبو مهل الكوفي » ، مترجم في التهذيب ٧ : ١٨٦ ، والتاريخ الكبير للبخاري ٤/١/٣٤ ، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٣/١/٣٩٧ ، والثقات لابن حبان : ٥٧٤ ، والكنى للدولابي ٢ : ١٣٥ . وذكر الأخيران قولا آخر في اسم جده ، أنه « بشير » . و « أبو مهل » : بفتح الميم والهاء ، كما ذكره الذهبي في المشتبه : ٥٠٨ .

٢١٧– حدثني موسى بن هرون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط بن نصر ، عن إسمعيل السدّيّ في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس – وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود – وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « ولا الضالين » ، هم النصارى .

٢١٨– حدثني أحمد بن حازم الغِفاري ، قال : أخبرنا عُبيد الله بن موسى ، عن أبي جعفر ، عن ربيع : « ولا الضالين » ، النصارى .

٢١٩– حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال عبد الرحمن بن زيد : « ولا الضالين » ، النصارى .

٢٢٠– حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثنا عبد الرحمن ابن زيد ، عن أبيه ، قال : الضالين ، النصارى .

* * *

قال أبو جعفر : فكلّ حائدٍ عن قَصْد السبيل ، وسالكٍ غيرَ المنهج القويم ، فضَالٌّ عند العرب ، لإضلاله وَجهَ الطريق . فلذلك سمى الله جل ذكره النصارَى ضُلاّلاً . لخطئهم في الحقّ مَنهجَ السبيل . وأخذهم من الدِّين في غير الطريق المستقيم .

فإن قال قائل : أوَليس ذلك أيضاً من صفة اليهود ؟

قيل : بلى !

فإن قال : كيف خَصّ النصارَى بهذه الصفة ، وَخصّ اليهودَ بما وصفَهم به من أنهم مغضوب عليهم ؟ ٦٥/١

قيل : كلا الفريقين ضُلاّل مغضوبٌ عليهم ، غيرَ أن الله جلّ ثناؤه وَسم كل فريق منهم من صِفَته لعباده بما يعرفونه به ، إذا ذكرهُ لهم أو أخبرهم عنه . ولم يسمّ واحداً من الفريقين إلا بما هو له صفةٌ على حقيقته ، وإن كان له من صفاتِ الذمّ زياداتٌ عليه .

فيظنّ بعض أهل الغباء من القدريّة أن في وصف الله جلّ ثناؤه النصارى

بالضّلال ، بقوله « ولا الضالين » ، وإضافته الضّلال إليهم دون إضافة إضلالهم إلى نفسه ، وتركه وصفهم بأنهم المضلّلون ، كالذى وَصف به اليهود أنهم المغضوبُ عليهم — دلالةً على صحة ما قاله إخوانُه من جهلة القدرية ، جهلاً منه بسَعَة كلام العرب وتصاريف وُجوهه .

ولو كان الأمر على ما ظَنّه الغبى الذى وصفنا شأنه ، لوجب أن يكونَ شأنُ كلّ موصوفٍ بصفةٍ أو مضافٍ إليه فعلٌ ، لا يجوزُ أن يكون فيه سببٌ لغيره ، وأنْ يكون كلُّ ما كان فيه من ذلك لغيره سببٌ ، فالحقُّ فيه أن يكون مضافاً إلى مُسبِّبه . ولو وَجب ذلك ، لوجبَ أن يكون خطأً قولُ القائل : « تحركت الشجرةُ » ، إذْ حرّكتها الريح ؛ و « اضطربت الأرض » ، إذْ حرّكتها الزلزلة ، وما أشبهَ ذلك من الكلام الذى يطولُ بإحصائه الكتاب .

وفى قول الله جلّ ثناؤه : ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِى الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ ﴾ [سورة يونس : ٢٢] — بإضافته الجرىَ إلى الفلك ، وإن كان جريها بإجراء غيرِها إيّاها — مادلّ على خطأ التأويل الذى تأوله من وصفنا قوله فى قوله « ولا الضالين » ، وادّعائه أنّ فى نسبة الله جلّ ثناؤه الضلالةَ إلى من نَسبها إليه من النصارى ، تصحيحاً لما ادّعى المنكرون : أن يكون لله جلّ ثناؤه فى أفعال خلقه سببٌ من أجله وُجدت أفعالهم ، مع إبانة الله عزّ ذكره نصًّا فى آيٍ كثيرة من تنزيله ، أنه المضلُّ الهادى ، فمن ذلك قوله جل ثناؤه : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ أَفَلَا تَذَكَّرُون ﴾ [سورة الجاثية : ٢٣] . فأنبأ جلّ ذكره أنه المضلّ الهادى دون غيره .

ولكنّ القرآن نزلَ بلسان العرب على ما قدّمنا البيان عنه فى أول الكتاب ، ومن شأن العرب إضافة الفعل إلى من وُجد منه — وإن كان مسبَّبُه غيرَ الذى وُجِد

منه ــ أحياناً ، وأحياناً إلى مسبِّبه ، وإن كان الذى وجد منه الفعل غيرُه . فكيف بالفعل الذى يكتسبه العبد كسباً ، ويُوجِده الله جلّ ثناؤه عَيْناً مُنْشَأةً ؟ بل ذلك أحرى أن يُضاف إلى مكتسِبه ؛ كسباً له ، بالقوة منه عليه ، والاختيار منه له ــ وإلى الله جلّ ثناؤه ، بإيجاد عينِه وإنشائها تدبيراً .

﴿ مسألة يَسأل عنها أهل الإلحاد الطَّاعنون فى القرآن ﴾

إن سألَنا منهم سائل فقال : إنك قد قدَّمتَ فى أول كتابك هذا فى وصْف البيان : بأنّ أعلاه درجة وأشرفَه مرتبة ، أبلغُه فى الإبانة عن حاجة المُبين به عن نفسه ، وأبينُه عن مُراد قائله ، وأقربُه من فهم سامعه . وقلتَ ، مع ذلك : إنّ أوْلى البيان بأن يكون كذلك ، كلامُ الله جل ثناؤه ، لِفَضْله على سائر الكلام بارتفاع دَرَجته على أعلى درجات البيان[1] ، فما الوجه — إذْ كان الأمرُ على ما وصفتَ — فى إطالة الكلام بمثل سُورة أم القرآن بسبعِ آيات؟ وقد حَوَت معانىَ جميعِها منها آيتان ، وذلك قوله ﴿ مَلكِ يومِ الدين إيّاك نَعبد وإياك نَستعين ﴾ ، إذْ كان لا شك أنّ من عَرف مَلك يوم الدين ، فقد عَرَفه بأسمائه الحسنى وصفاته المُثْلى . وأنّ من كان لله مطيعاً ، فلا شك أنه لسبيل من أنعم الله عليه فى دينه مُتَّبع ، وعن سبيل من غَضِب عليه وضَلّ مُنْعَدِل . فما فى زيادة الآيات الخمس الباقية ، من الحكمة التى لم تَحْوِها الآيتان اللتان ذكرنا ؟

قيل له : إنّ الله تعالى ذكرُه جمَع لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولأمته — بما أنزل إليه من كتابه — معانىَ لم يجمعْهُنّ بكتاب أنزله إلى نبىّ قبله ، ولا لأمّة من الأمم قبلهم . وذلك أنّ كُلّ كتاب أنزله جلّ ذكرُه على نبىّ من أنبيائه قبله ، فإنما أنزله ببعض المعانى التى يحوى جميعَها كتابُه الذى أنزله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . كالتَّوراة التى هى مواعظ وتفصيل ، والزَّبُور الذى هو تحميد وتمجيد ، والإنجيل الذى هو مواعظ وتذكير — لا مُعجزةَ فى واحد منها تشهد لمن أنزِل إليه بالتصديق . والكتابُ الذى أنزِل على نبيِّنا محمد صلى الله عليه وسلم ، يحوى معانى ذلك كله ، ويزيد عليه كثيراً من المعانى التى سائرُ الكتب غيرِه منها خالٍ .

٦٦/١

(١) انظر ما مضى : ٩ — ١١ .

وقد قدّمنا ذكرها فيما مضى من هذا الكتاب [١].

ومن أشرفِ تلك المعانى التى فَضَل بها كتابُنا سائرَ الكتب قبله، نظْمُه العجيبُ ورصْفُه الغريب [٢] وتأليفُه البديع، الذى عجزتْ عن نظم مثْلِ أصغرِ سورة منه الخطباء، وكلّت عن وَصْف شكل بعضه البلغاء، وتحيّرت فى تأليفه الشُّعراء، وتبلّدت — قصورًا عن أن تأتىَ بمثله — لديه أفهامُ الفُهماء، فلم يجدوا له إلا التسليمَ والإقرار بأنه من عند الواحد القهار. مع ما يحوى، مَع ذلك، من المعانى التى هى ترغيب وترهيب، وأمرٌ وزجرٌ، وقَصَص وَجدَل ومَثَل، وما أشبهَ ذلك من المعانى التى لم تجتمع فى كتاب أنزِل إلى الأرض من السماء.

فمهما يكن فيه من إطالة، على نحوَ ما فى أمّ القرآن [٣]، فلِما وصفتُ قبلُ من أن الله جل ذكره أرادَ أن يجمعَ — برَصْفه العجيب ونظْمِه الغريب، المنعدِل عن أوزان الأشعار وسجْع الكُهّان وخطب الخطباء ورَسائل البلغاء، العاجز عن رَصْف مثله جميع الأنام، وعن نظم نظيره كل العباد — الدلالةَ [٤] على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ وبما فيه من تحميد وتمجيد وثناء عليه — تنبيهَ [٥] العباد على عَظمته وسلطانه وقدرته وعِظم مملكته، ليذكرُوه بآلائه، ويحمدوه على نعمائه، فيستحقّوا به منه المزيدَ، ويستوجبوا عليه الثوابَ الجزيل؛ وبما فيه من نَعْتِ من أنعم عليه بمعرفته، وتفضّل عليه بتوفيقه لطاعته — تعريفَ [٥] عباده أن كل ما بهم من نعمة، فى دينهم ودنياهم، فمنه، ليصرفوا رَغبتهم إليه، ويبتغوا حاجاتهم من عنده دُون ما سواهُ من الآلهة والأنداد؛ وبما فيه من ذكره ما أحلّ بمن عَصاه من مَثُلاته، وأنزل بمن خالف أمره من عقوباته — ترهيبَ [٥] عباده عن ركوب

---

(١) انظر ما مضى: ٧١.

(٢) فى المطبوعة «ووصفه». ورصف الشىء ضم بعضه إلى بعض ونظمه حتى يكون مستوياً محكماً منضداً.

(٣) فى المخطوطة: «آنه القرآن» غير منقوطة.

(٤) «الدلالة» مفعول «أن يجمع ...»، ثم عطف عليها بعد، ما سننبه له.

(٥) هذه جميعاً معطوفة على قوله «الدلالة»، كما ذكرنا آنفاً.

معاصيه، والتعرُّضِ لما لا قِبَل لهم به من سَخَطه، فيسلكَ بهم فى النكال والنَّقِمات سبيلَ من ركب ذلك من الهُلاَّك.

فذلك وَجْه إطالة البيان فى سورة أم القرآن، وفيما كان نظيراً لها من سائر سور الفرقان. وذلك هو الحكمة البالغة والحجة الكاملة.

* * *

٢٢١ — حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا المحاربى، عن محمد بن إسحق، قال: حدثنى العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب، عن أبى السائب مولى زُهْرة، عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا قال العبد: «الحمد لله ربِّ العالمين»، قال الله: «حمدنى عبدى». وإذا قال: «الرحمن الرحيم»، قال: «أثنى علىَّ عبدى». وإذا قال: «مالكِ يوم الدين»، قال: «مجَّدنى عبدى. فهذا لى». وإذا قال: «إيَّاكَ نَعبدُ وإيَّاكَ نَستعين» إلى أن يختم السورة، قال: «فذاكَ لهُ»[1].

٢٢٢ — حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عبدة، عن ابن إسحق، عن العلاء ابن عبد الرحمن، عن أبى السائب، عن أبى هريرة، قال: إذا قال العبد: «الحمد لله»، فذكر نحوه، ولم يرفعه[2].

٢٢٣ — حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا أبو أسامة، قال: حدثنا الوليد بن كَثير، قال: حدثنى العلاء بن عبد الرحمن مولى الحُرَقَة، عن أبى السائب، عن أبى هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، مثله[3].

٢٢٤ — حدثنى صالح بن مسمار المروزى، قال: حدثنا زيد بن الحُبَاب،

---

(١) الحديث ٢٢١ — المحاربى: هو عبد الرحمن بن محمد بن زياد، وهو ثقة، أخرج له الجماعة. محمد بن إسحق: هو ابن يسار، صاحب السيرة، ثقة معروف، تكلم فيه بعضهم بغير حجة وبغير وجه. العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب مولى الحرقة — بضم الحاء وفتح الراء —: تابعى ثقة. أبو السائب مولى زهرة: تابعى ثقة، قال ابن عبد البر: «أجمعوا على أنه ثقة مقبول النقل». والحديث رواه الطبرى بعد هذا موقوفاً بإسنادين. وسنذكر تخريجه فى آخرهما: ٢٢٣.

(٢) الحديث ٢٢٢ — عبدة: هو ابن سليمان الكلابى، من شيوخ أحمد وإسحق، قال أحمد: «ثقة ثقة وزيادة، مع صلاح فى بدنه».

(٣) الحديث ٢٢٣ — أبو أسامة: هو حماد بن أسامة. الوليد بن كثير المخزومى: ثقة ثبت أخرج له الجماعة.

قال : حدثنا عَنْبسة بن سعيد ، عن مُطَرِّف بن طَرِيف ، عن سعد بن إسحق ابن كعب بن عُجْرة ، عن جابر بن عبد الله الأنصارى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله عز وجلّ : «قَسَمت الصلاة بينى وبين عبدى نِصْفين ، وله ما سَأل» . فإذا قال العبد : « الحمدُ لله ربِّ العالمين » قال الله : «حمدَنى عَبدى» ، وإذا قال : « الرحمن الرحيم » ، قال : « أثنى علىّ عَبدى » وإذا قال : « مالكِ يَومِ الدين » قال : « مجَّدنى عَبدى » قال : « هذا لى ، وله ما بقى »[1] . ٦٧/١

« آخرُ تفسيرِ سُورَةِ فَاتِحةُ الكتابِ »

وهذا الحديث – بإسناديه الموقوفين – مرفوع حكماً ، وإن كان فى هاتين الروايتين موقوفاً لفظاً . فإن هذا مما لا يعلم بالرأى ، ولا يدخل فيه مناط الاجتهاد .

ثم إن الرفع زيادة من الثقة ، وهى مقبولة . وفوق هذا كله ، فإنه لم ينفرد برفعه راويه فى الإسناد الأول ، وهو المحاربى ، بل ورد بأسانيد أخر مرفوعاً .

وهو قطعة من حديث طويل ، رواه مالك فى الموطأ : ٨٤ – ٨٥ عن العلاء بن عبد الرحمن ، بهذا الإسناد ، مرفوعاً . وكفى بمالك حجة فى التوثق من رفعه لفظاً فوق رفعه حكماً . وكذلك رواه مسلم ١ : ١٦٦ (٤ : ١٠١ – ١٠٤ من شرح النووى) ، من طريق مالك ، ومن طريق سفيان بن عيينة ، ومن طريق ابن جريج ، ومن طريق أبى أويس – كلهم عن العلاء عن أبى السائب ، به مرفوعاً . وزاد أبو أويس عن العلاء قال : « سمعت من أبى ومن أبى السائب ، وكانا جليسى أبى هريرة . . . » ، فذكره مرفوعاً .

ونسبه السيوطى ١ : ٦ لسفيان بن عيينة فى تفسيره ، وأبى عبيدة فى فضائله ، وابن أبى شيبة ، وأحمد ، والبخارى فى جزء القراءة ، وأصحاب السنن الأربعة ، وابن حبان ، وغيرهم . وذكر ابن كثير ١ : ٢٤ – ٢٥ بعض طرقه مفصلة .

(١) الحديث ٢٢٤ – هذا إسناد جيد صحيح . صالح بن مسمار السلمى المروزى : ثقة ، روى عنه مسلم فى صحيحه ، وقال أبو حاتم : « صدوق » ، كما فى كتاب ابنه ٢/١/٤١٥ ، وذكره ابن حبان فى الثقات . عنبسة بن سعيد بن الضريس الرازى قاضى الرى : ثقة ، وثقه ابن معين وأبو زرعة وأبو داود وغيرهم ، وصرح البخارى فى الكبير ٤ / ١ / ٣٥ بأنه يروى عن مطرف . و « الضريس » : بضم الضاد المعجمة وآخره سين مهملة ، كما ضبطه الحافظ فى التقريب . مطرف بن طريف : ثقة ثبت ، أخرج له الجماعة . سعد بن إسحق بن كعب بن عجرة : ثقة لا يختلف فيه ، كما قال ابن عبد البر ، وهو من شيوخ مالك . وروايته عن جابر متصلة ، لأنه يروى عن أبيه « إسحق بن كعب » المقتول يوم الحرة سنة ٦٣ ، وقد عاش جابر بعدها أكثر من عشر سنين .

والحديث ذكره السيوطى ١ : ٦ ونسبه لابن جرير وابن أبى حاتم فى تفسيريهما . وذكره ابن كثير ١ : ٢٥ عن هذا الموضع من الطبرى – ووقع فى إسناده غلط مطبعى – وقال : « وهذا غريب من هذا الوجه » ! ولعله يريد أنه لم يروه أحد من حديث جابر إلا بهذا الإسناد . وليس من ذلك بأس ، وقد ثبت معناه من حديث أبى هريرة ، فهو شاهد قوى لصحته .

تفسير
سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

رب أعن

﴿القول فى تفسير السورة التى يُذْكر فيها البقرة﴾

القول فى تأويل قول الله جل ثناؤه: ﴿ ألم ﴾

قال أبو جعفر: اختلفت تراجمة القرآن فى تأويل قول الله تعالى ذكره[1]: « ألم » فقال بعضهم: هو اسم من أسماء القرآن. ذكرُ من قال ذلك:

٢٢٥ — حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزّاق، قال، أخبرنا معمر، عن قتادة فى قوله: « ألم »، قال: اسم من أسماء القرآن.

٢٢٦ — حدثنى المثنى بن إبراهيم الآملى، قال: حدثنا أبو حذيفة موسى بن مسعود، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، قال: « ألم »، اسم من أسماء القرآن.

٢٢٧ — حدثنا القاسم بن الحسن، قال: حدثنا الحسين بن داود، قال: حدثنى حجاج، عن ابن جُريج، قال: « ألم »، اسم من أسماء القرآن.

وقال بعضهم: هو فواتحُ يفتح الله بها القرآن. ذكر من قال ذلك:

٢٢٨ — حدثنى هرون بن إدريس الأصم الكوفى، قال: حدثنا عبد الرحمن ابن محمد المحاربى، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال: « ألم »، فواتح يفتح الله بها القرآن.

---

(١) تراجمة القرآن: مفسروه، كما مر آنفاً: ١٧٠، تعليق: ٤ وما قبلها ٧٠، تعليق: ١٠

٢٢٩ – حدثنا أحمد بن حازم الغِفَارى ، قال : حدثنا أبو نعيم ، قال : حدثنا سفيان ، عن مجاهد ، قال : « ألم » ، فواتح .

٢٣٠ – حدثني المثنى بن إبراهيم قال : حدثنا إسحق بن الحجاج ، عن يحيى ابن آدم ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : « ألم » ، و « حم » ، و « ألمص » ، و « ص » ، فواتحُ افتتح الله بها[1] .

٢٣١ – حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثلَ حديث هرون بن إدريس .

وقال آخرون : هو اسم للسورة . ذكرُ من قال ذلك :

٢٣٢ – حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أنبأنا عبدالله بن وهب ، قال : سألت عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن قول الله : « ألم ذلك الكتاب » ، و « ألم تنزيل » ، و « ألمر تلك » ، فقال : قال أبي : إنما هي أسماء السُّوَر .

وقال بعضهم : هو اسم الله الأعظم . ذكر من قال ذلك :

٢٣٣ – حدثنا محمد بن المثنى ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ، قال : حدثنا شعبة ، قال : سألت السُّدّى عن « حم » و « طسم » و « ألم » ، فقال : قال ابن عباس : هي اسْم الله الأعظم .

٢٣٤ – حدثنا محمد بن المثنى ، قال : حدثني أبو النعمان ، قال : حدثنا شعبه ، عن إسمعيل السُّدّى ، عن مُرّة الهمدانى ، قال : قال عبدُالله : فذكر نحوه .

٢٣٥ – حدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحق بن الحجاج ، عن عُبيد الله بن موسى ، عن إسمعيل ، عن الشعبي ، قال : فواتح السور من أسماء الله .

وقال بعضهم : هو قسمٌ أقسمَ الله به ، وهو من أسمائه . ذكر من قال ذلك :

---

(١) الأثر ٢٣٠ – إسحق بن الحجاج : هو الطاحونى المقرئ ، ترجمه ابن أبي حاتم فى الجرح والتعديل ١/١/٢١٧ ، وقال : « سمعت أبا زرعة يقول : كتب عبد الرحمن الدشتكى تفسير عبد الرزاق عن إسحق بن الحجاج » .

٢٣٦ – حدثني يحيى بن عثمان بن صالح السهمي ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، قال حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قال : هو قَسَم أقسَم الله به ، وهو من أسماء الله .

٢٣٧ – حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن عُلَيَّة ، قال : حدثنا خالد الحذّاء ، عن عكرمة ، قال : « ألم » ، قسم[1] .

وقال بعضهم : هو حُرُوف مقطَّعةٌ من أسماءٍ وأفعالٍ ، كلُّ حرف من ذلك لمعنى غير معنى الحرف الآخر . ذكر من قال ذلك :

٢٣٨ – حدثنا أبو كريب قال حدثنا وكيع – وحدثنا سفيان بن وكيع قال : حدثنا أبي عن شريك ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي الضُّحَى ، عن ابن عباس : « ألم » قال : أنا الله أعلم[2] .

٢٣٩ – حُدِّثتُ عن أبي عُبيد ، قال : حدثنا أبو اليقظان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، قال : قوله : « ألم » ، قال : أنا الله أعلم .

٢٤٠ – حدثني موسى بن هرون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو بن حماد القنّاد ، قال : حدثنا أسباط بن نصر ، عن إسمعيل السُّدّي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس – وعن مُرَّة الهمداني ، عن ابن مسعود – وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « ألم » قال : أما « ألم » فهو حرف اشتُقَّ من حروف هجاء أسماء الله جل ثناؤه . ٦٨/١

٢٤١ – حدثنا محمد بن معْمَر ، قال : حدثنا عباس بن زياد الباهلي ، قال : حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : « ألم » و « حم » و « ن » ، قال : اسم مُقطَّع[3] .

---

(١) الأثر ٢٣٧ – يعقوب بن إبراهيم بن كثير بن زيد بن أفلح : هو الدورقي الحافظ البغدادي.

(٢) الخبر ٢٣٨ – رواه الطبري عن شيخين عن وكيع : عن أبي كريب ، وعن سفيان بن وكيع ، كلاهما عن وكيع عن شريك ، وهو ابن عبد الله النخعي القاضي . وجاء الإسناد الثاني منهما في مطبوعة بولاق محرفاً : « سفيان بن وكيع قال حدثنا ابن أبي شريك » . وصحح من المخطوطة .

(٣) الخبر ٢٤١ – محمد بن معمر بن ربعي ، شيخ الطبري : هو المعروف بالبحراني ، وهو

وقال بعضهم هي حروفُ هجاءٍ موضوعٍ . ذكر من قال ذلك :

٢٤٢ – حُدِّثتُ عن منصور بن أبي نُويرة، قال: حدثنا أبو سعيد المؤدِّب، عن خُصَيْف ، عن مجاهد ، قال: فواتح السور كلها « ق » و « ص » و « حم » و « طسم » و « ألر » وغير ذلك ، هجاء موضوع .

وقال بعضهم : هي حروف يشتمل كل حرفٍ منها على معان شتى مختلفة . ذكر من قال ذلك :

٢٤٣ – حدثني المثنى بن إبراهيم الطبري ، قال: حدثنا إسحق بن الحجاج ، عن عبد الله بن أبي جعفر الرازي ، قال : حدثني أبي ، عن الربيع بن أنس ، في قول الله تعالى ذكره: « ألم » ، قال : هذه الأحرف ، من التسعة والعشرين حرفاً ، دارت فيها الألسُن كلها. ليس منها حرف إلا وهو مِفتاح اسم من أسمائه ، وليس منها حرف إلا وهو في آلائه وبَلائه ، وليس منها حرف إلاّ وهو في مدّةِ قوم وآجالهم . وقال عيسى بن مريم : « وعجيبٌ ينطقون في أسمائه ، ويعيشون في رزقه ، فكيف يكفرون؟» . قال : الألف مفتاح اسمه : « الله » ، واللام مفتاح اسمه: « لطيف » ، والميم مفتاح اسمه: « مجيد » . الألف آلاء الله ، واللام لطفه ، والميم مجده . الألف سنةٌ ، واللام ثلاثون سنة ، والميم أربعون سنة .

٢٤٤ – حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حَكام، عن أبي جعفر، عن الربيع بنحوه[1]

وقال بعضُهم: هي حُروف من حساب الجُمَّل – كرهنا ذكْر الذي حُكي ذلك عنه ، إذْ كان الذي رواه ممن لا يُعتمد على روايته ونقله . وقد مَضت الروايةُ بنظير ذلك من القول عن الربيع بن أنس[2] .

ثقة ، روى عنه البخاري ومسلم في الصحيحين ، وهو متأخر الوفاة ، مات في العام الذي مات فيه البخاري سنة ٢٥٦ ، كما ذكر الذهبي في تذكرة الحفاظ ٢ : ١٢٩ ، وأما شيخه « عباس بن زياد الباهلي » فلم أجد له ترجمة قط .

(١) الأخبار ٢٢٥ – ٢٤٤ : ذكرها ابن كثير ١ : ٦٥ – ٦٦ ، بعضها بالإسناد ، وبعضها دون إسناد ، وسردها السيوطي ١ : ٢٢ – ٢٣ مع غيرها من الروايات . ونقل الشوكاني بعضها ١ : ٢١ .

(٢) يشير إلى الروايتين السابقتين : ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

وقال بعضهم : لكل كتاب سرٌّ ، وسرُّ القرآن فواتحه .

* * *

وأمَّا أهل العربية ، فإنهم اختلفوا فى معنى ذلك . فقال بعضهم : هى حروف من حُرُوف المعجم ، استُغْنِىَ بذكر ما ذُكر منها فى أوائل السور عن ذكر بواقيها ، التى هى تتمة الثمانية والعشرين حرفاً ؛ كما استغنى المُخبرُ — عمن أخبرَ عنه أنه فى حروف المعجم الثمانية والعشرين حرفاً — بذكر « أ ب ت ث » ، عن ذكر بواقى حروفها التى هى تتمة الثمانية والعشرين : قال . ولذلك رُفع ﴿ ذٰلِكَ الكتابُ ﴾ ، لأنّ معنى الكلام : الألف واللام والميم من الحروف المقطعة ، ذلك الكتابُ الذى أنزلته إليك مجموعاً لا ريب فيه .

فإن قال قائل : فإن « أ ب ت ث » ، قد صارتْ كالاسم فى حروف الهجاء ، كما كان « الحمدُ » اسماً لفاتحة الكتاب .

قيل له : لما كان جائزاً أن يقول القائل : ابنى فى « ط ظ » ، وكان معلوماً بقيله ذلك لو قاله أنّه يريد الخبر عن ابنه أنّه فى الحروف المقطَّعة — عُلم بذلك أنّ « أ ب ت ث » ليس لها باسْم ، وإن كان ذلك آثَرَ فى الذكر من سائرها [1] .

قال : وإنما خُولف بين ذكر حُرُوف المعجم فى فواتح السور ، فذُكِرت فى أوائلها مختلفةً ، وذِكْرِها إذا ذُكرت بأوائلها التى هى « أ ب ت ث » ، مؤتلفةً ، ليفصل بين الخبر عنها إذا أريد — بذكر ماذكر منها مختلفاً — الدلالةُ على الكلام المتصل ؛ وإذا أريد — بذكر ما ذكر منها مؤتلفاً — الدلالةُ على الحروف المقطعة بأعيانها . واستشهدوا — لإجازة قول القائل : ابنى فى « ط ظ » وما أشبه ذلك ، من الخبر عنه أنه فى حرُوف المعجم ، وأن ذلك من قيله فى البيان يَقوم مقام قوله : ابنى فى « أ ب ت ث » — برجز بعض الرُّجّاز من بنى أسد :

لَمَّا رَأَيْتُ أمرَهَا فى حُطِّى وفَنَكَتْ فى كَذِبٍ ولَطِّ

(١) فى المطبوعة : « يؤثر فى الذكر » . وآثر : يؤثره الناس ويقدمونه .

أخذتُ منها بقُرُونِ شُمْطٍ فلم يَزَلْ صَوْبِي بها ومَعْطِي
حَتى علَا الرأسَ دَمٌ يُغطِّي(١)

٦٩/١ فزعم أنه أراد بذلك الخبر عن المرأة أنها فى « أبى جاد » ، فأقام قوله : « لما رأيت أمرها فى حُطِّى » مقامَ خبرِه عنها أنها فى « أبى جاد » ، إذْ كان ذاك من قوله ، يدلّ سامعَه على ما يدلُّه عليه قوله : لما رأيت أمرَها فى « أبى جاد » .

• • •

وقال آخرون : بل ابتدئت بذلك أوائل السُّور ليفتح لاستماعه أسماعَ المشركين — إذ تواصَوْا بالإعراض عن القرآن — حتى إذا استمعوا له ، تُلى عليهم المؤلَّفُ منه .

وقال بعضهم : الحروفُ التى هى فواتح السُّور حروفٌ يستفتحُ الله بها كلامه .

فإن قيل : هل يكون من القرآن ما ليس له معنى ؟

قيل(٢) : معنى هذا أنه افتتح بها ليُعْلم أن السورة التى قبلها قد انقضت ، وأنه قد أخذ فى أخرى ، فجعل هذا علامةَ انقطاعِ ما بينهما . وذلك فى كلام العرب ، ينشد الرجل منهم الشعر فيقول :

بل • وبلدةٍ مَا الإنسُ من آهَالِها(٣)

ويقول :

لا بَلِ • مَا هاج أحزاناً وشَجْوًا قد شَجَا(٤)

و « بل » ليست من البيت ولا تعدّ فى وزنه ، ولكن يقطع بها كلاماً ويستأنفُ الآخر .

---

(١) أولها فى اللسان (فنك) . فنك فى الكذب : مضى فيه ولج ومحك . ولط الحق : جحده ومنعه وخاصم فأحمى الخصومة . والقرون ، جمع قرن : وهو الضفيرة . وشمط ، جمع أشمط : وهو الذى اشتعل رأسه شيباً . صاب يصوب صوباً : انحدر من علو إلى سفل . وفى المطبوعة : « ضربى » . والمعط : المد والجذب ، وعنى بذلك إسعاده بها وهو يجذب ضفائرها ، وذلك فى انحداره بها وصعوده .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « فإن قيل : هل يكون من القرآن ما ليس له معنى ؟ فإن معنى هذا ....» ، وهو كلام مضطرب ، والصواب ما أثبتناه .

(٣) اللسان (أهل) غير منسوب ، وكأنه لأبى النجم فيما أذكر .

(٤) هو للعجاج ، ديوانه : ٧ ، ويأتى بعد قليل فى : ٢١٢ أيضاً و : ٢٢٣ .

قال أبو جعفر : ولكل قول من الأقوال التى قالها الذين وصفنا قولهم فى ذلك ، وجهٌ معروفٌ .

فأما الذين قالوا : « ألم » ، اسم من أسماء القرآن ، فلقولهم ذلك وجهان :

أحدهما : أن يكونوا أرادوا أن « ألم » اسم للقرآن ، كما الفُرقان اسم له . وإذا كان معنى قائل ذلك كذلك ، كان تأويل قوله ﴿ ألم ذلك الكتاب ﴾ ، على معنى القسم. كأنه قال : والقرآنِ ، هذا الكتابُ لا ريب فيه .

والآخر منهما : أن يكونوا أرادوا أنه اسمٌ من أسماء السورة التى تُعرف به ، كما تُعرَف سائر الأشياء بأسمائها التى هى لها أمارات تعرف بها ، فيَفهم السامع من القائل يقول : — قرأت اليوم « ألمص » و « ن » — ، أىَّ السُّوَر التى قرأها من سُوَر القرآن[1] ، كما يفهم عنه — إذا قال : لقيتُ اليوم عمراً وزيداً ، وهما بزيد وعمرو عارفان — مَن الذى لقى من الناس .

وإن أشكل معنى ذلك على امرئ فقال : وكيف يجوز أن يكون ذلك كذلك ، ونظائر « ألم » « ألر » فى القرآن جماعةٌ من السُّور ؟ وإنما تكون الأسماء أماراتٍ إذا كانت مميَّزةً بين الأشخاص ، فأما إذا كانت غير مميزة فليست أمارات .

قيل : إن الأسماء — وإن كانت قد صارت ، لاشتراك كثير من الناس فى الواحد منها ، غيرَ مميَّزة إلا بمعانٍ أخرَ معها من ضَمٍّ نسبة المسمَّى بها إليها أو نعته أو صفته ، بما يفرِّق بينه وبين غيره من أشكالها — فإنها وُضعت ابتداءً للتمييز لاشكَّ . ثم احتيج ، عند الاشتراك ، إلى المعانى المفرِّقة بين المسمَّيْن بها[2] . فكذلك ذلك فى أسماء السور . جُعل كلّ اسم — فى قول قائل هذه المقالة — أمارةً للمسمى به من السُّور . فلما شارك المسمَّى به فيه غيرَه من سور القرآن ، احتاج المخبر عن

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « أى السورة التى قرأها . . . » .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « بين المسمى بها » .

سورةٍ منها أن يضمّ إلى اسمها المسمّى به من ذلك ، ما يفرّق به السامع بين الخبر عنها وعن غيرها ، من نعتٍ وصفةٍ أو غير ذلك . فيقول المخبر عن نفسه أنه تلا سورة البقرة ، إذا سماها باسمها الذى هو « ألم » : قرأتُ « ألم البقرة » . وفى آل عمران : قرأت « ألم آل عمران » ، و « ألم ذلك الكتاب » ، و « ألم الله لا إله إلا هو الحى القيوم » . كما لو أراد الخبر عن رَجلين ، اسم كل واحد منهما « عمرو » ، غير أنّ أحدهما تميمى والآخر أزدىّ ، للزمه أن يقول لمن أراد إخباره عنهما : لقيت عمراً التميمى وعمراً الأزدىّ ، إذْ كان لا يفرُقُ بينهما وبين غيرهما ممن يُشاركهما فى أسمائهما ، إلا نسبتهما كذلك . فكذلك ذلك فى قول من تأوّل فى الحروف المقطعة أنها أسماءٌ للسُّور .

وأما الذين قالوا : ذلك فواتحُ يفتتح الله عز وجل بها كلامه ، فإنهم وجهوا ذلك إلى نحو المعنى الذى حكينا عمّن حكينا ذلك عنهُ من أهل العربية ، أنه قال : ذلك أدِلّةٌ على انقضاء سُورة وابتداءٍ فى أخرى ، وعلامةٌ لانقطاع ما بينهما ، كما جعلت « بل » فى ابتداء قصيدةٍ دلالةً على ابتداء فيها ، وانقضاءِ أخرى قبلها . كما ذكرنا عن العرب إذا أرادوا الابتداءَ فى إنشاد قصيدة قالوا :

بل * ما هاجَ أحْزَانًا وشجوًا قد شَجا

١/٧٠ و « بل » ليست من البيت ولا داخلةً فى وزنه ، ولكن ليَدُلّ به على قطع كلام وابتداء آخر .

وأما الذين قالوا : ذلك حروف مقطّعة بعضها من أسماء الله عز وجل ، وبعضُها من صفاته ، ولكل حرف من ذلك معنى غيرُ معنى الحرف الآخر ، فإنهم نَحَوْا بتأويلهم ذلك نحو قول الشاعر :

قُلْنَا لها : قِفِى لنا ، قالت : قافْ * لَا تَحْسَبِى أنَّا نَسِينا الإيجافْ[1]

---

(١) الرجز للرليه بن عقبة . الأغانى ٥ : ١٣١ ، شرح شواهد الشافية : ٢٧١ ، ومشكل القرآن : ٢٣٨ . الإيجاف : حيث الدابة على سرعة السير ، وهو الوجيف .

يعنى بقوله : « قالت قاف » ، قالت : قد وقفتُ . فدلت بإظهار القاف من « وقفت » ، على مرادها من تمام الكلمة التى هى « وقفت » . فصرفوا قوله « ألم » وما أشبه ذلك ، إلى نحو هذا المعنى . فقال بعضهم : الألف ألف « أنا » ، واللام لام «الله» ، والميم ميم « أعلم » ، وكلُّ حرف منها دال على كلمة تامة . قالوا : فجملة هذه الحروف المقطَّعة إذا ظهر مع كل حرفٍ منهن تمام حروف الكلمة ، « أنا الله أعلم » . قالوا : وكذلك سائر جميع ما فى أوائل سُور القرآن من ذلك ، فعلى هذا المعنى وبهذا التأويل . قالوا : ومستفيضٌ ظاهرٌ فى كلام العرب أن ينقُصَ المتكلم منهم من الكلمةِ الأحرفَ ، إذا كان فيما بقى دلالة على ما حذف منها — ويزيدَ فيها ما ليس منها ، إذا لم تكن الزيادة مُلبِّسةً معناها على سامعها — كحذفهم فى النقص فى الترخيم من « حارثٍ » الثاءَ ، فيقولون : يا حارِ ، ومن « مالك » الكافَ ، فيقولون : يا مالِ ، وما أشبه ذلك ، وكقول راجزهم :

مَا لِلظليم عَالَ ؟ كَيْفَ لا يَا يَنْقَدُّ عنه جِلْدُه إذا يَا[1]

كأنه أراد أن يقول : إذا يَفعل كذا وكذا ، فاكتفى بالياء من « يفعل » ، وكما قال آخر منهم :

بالخيرِ خيراتٍ وإنْ شرًّا فَا

يريد : فشرًّا .

ولَا أُرِيد الشرَّ إلَّا أنْ تَا[2]

يريد : إلا أن تَشاء ، فاكتفى بالتاء والفاء فى الكلمتين جَميعاً ، من سائر حروفهما ، وما أشبهَ ذلك من الشواهد التى يَطول الكتاب باستيعابه .

---

(١) شرح شواهد الشافية : ٢٦٧. عال : دعاء عليه ، من قولهم « عال عوله » أى ثكلته أمه ، فاختصر . و« يا » فى البيت الأول كأنه أراد أن يقول « ينقد عنه . . . » فوقف ، ثم عاد يقول : « ينقد » ، و « يا » فى الآخر : أى إذا يعدو هذا العدو .

(٢) سيبويه ٢ : ٦٢ ، الكامل ١ : ٢٤٠ ، والموشح : ١٢٠ ، وشرح شواهد الشافية : ٢٦٢ ، ونسبه فى ٢٦٤ للقيم بن أوس .

٢٤٥ – وكما حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال : حدثنا ابن عُليَّة، عن أيوب، وابن عون ، عن محمد ، قال : لما مات يزيدُ بن معاوية قال لي عَبْدَة : إني لا أراها إلا كائنةً فتنةً ، فافزع منْ ضَيْعَتِكَ والحقْ بأهلك . قلت : فما تأمرني ؟ قال : أحَبُّ إليّ لك أنْ تا – قال أيوبُ وابن عون بيده . تحت خدِّه الأيمن ، يصف الاضطجاع – حتى ترى أمراً تعرفه[1] .

قال أبو جعفر : يعني بـ « تا » تضطجع ، فاجتزأ بالتاء من تضطجع . وكما قال الآخر في الزيادة على الكلام[2] ، على النحو الذي وصفت :

أقُول إذْ خَرَّتْ على الكَلْكالِ يا ناقَتِي ما جُلْتِ من مَجالِ[3]

يريد : الكَلْكل ، وكما قال الآخر :

إنّ شَكْلِي وَإن شَكْلَكِ شَتَّى فَالْزمي الخُصَّ واخْفِضي تَبْيَضِّي[4]

فزاد ضاداً ، وليست في الكلمة .

قالوا : فكذلك ما نقصَ من تمام حُروف كل كلمة من هذه الكلمات التي ذكرنا أنها تتمة حروف « ألم » ونظائرها – نظيرُ ما نقص من الكلام الذي حكيناهُ عن العرب في أشعارها وكلامها .

وأما الذين قالوا : كل حرف من « ألم » ونظائرها ، دالٌّ على معان شتى –

---

(١) الأثر ٢٤٥ – محمد : هو ابن سيرين . وعبدة : لم أوقن من هو ولم أرجح . بل أكاد أوقن أن هذا تحريف ، صوابه « عبيدة » بفتح العين وكسر الباء الموحدة وآخره هاء . وهو عبيدة بن عمرو – أو ابن قيس – السلماني ، من كبار التابعين ، من طبقة الصحابة ، أسلم قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يلقه . وكان ابن سيرين من أروى الناس عنه . وهو مترجم في التهذيب ، وفي ابن سعد ٦ : ٦٢ – ٦٤ ، وعند ابن أبي حاتم ٩١/١/٣ . وأما يزيد : فهو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، مات سنة ٦٤ . وقوله : « قال أيوب . . . » ، أي أشار .

(٢) في المطبوعة : « في الكلام » .

(٣) اللسان (كلل) ، ومشكل القرآن : ٢٣٥ . والكلكل : الصدر من البعير وغيره .

(٤) اللسان (بيض) (خفض) ، ومشكل القرآن : ٢٣٤ . يقوله لامرأته . والخص : البيت من قصب . وقوله « اخفضي » من الخفض : وهو الدعة ولين العيش . يقول لها : نحن مختلفان ، فالزمي بيتك وعيشي في دعة وخفض ، يزدك لين العيش بياضاً ونعمة . أما أنا فالرحلة دأبي ، تشقيني وتلوحني .

نحو الذى ذكرنا عن الربيع بن أنس — فإنهم وَجَّهوا ذلك إلى مثل الذى له وَجَّهه إليه من قال : هو بتأويل « أنا الله أعلم » ، فى أنّ كلّ حرف منه بعضُ حروفِ كلمة تامة ، استُغْنِىَ بدلالته على تمامه عن ذكر تمامه — وإن كانوا لهُ مخالفين فى كلّ حرف من ذلك : أهو من الكلمة التى ادّعى أنه منها قائلو القول الأول ، أم من غيرها ؟ فقالوا : بل الألف من « ألم » من كلمات شتى ، هى دالةٌ على معانى جميع ذلك وعلى تمامه . قالوا : وإنما أفرِد كلُّ حرف من ذلك ، وقصّر به عن تمام حروف الكلمة ، أن جميعَ حُروف الكلمة لو أظهِرت ، لم تدلّ الكلمة التى تُظهر — التى بعضُ هذه الحروف المقطعة بعضٌ لها — إلاّ على معنى واحد لا على معنيين وأكثر منهما . قالوا : وإذْ كان لا دلالة فى ذلك ، لو أظهر جميعها ، إلاّ على معناها الذى هو معنى واحدٌ ، وكان الله جل ثناؤه قد أراد الدلالة بكلّ حرف منها على معان كثيرة لشىء واحد — لم يَجُز إلاّ أن يُفرَد الحرفُ الدالُّ على تلك المعانى ، ليعلمَ المخاطبون به أنّ الله عز وجل لم يقصد قصد معنًى واحدٍ ودلالةٍ على شىء واحد بما خاطبهم به ، وأنه إنما قصد الدلالةَ به على أشياء كثيرة . قالوا : فالألف من « ألم » مقتضيةٌ معانىَ كثيرةً ، منها تمامُ اسم الربّ الذى هو « الله » ، وتمامُ اسم نعماء الله التى هى آلاء الله ، والدلالةَ على أجَلِ قومٍ أنه سنة ، إذ كانت الألف فى حساب الجُمَّل واحداً . واللام مقتضيةٌ تمامَ اسم الله الذى هو لطيف ، وتمامَ اسم فضْله الذى هو لُطفٌ ، والدلالةَ على أجَلِ قوم أنه ثلاثون سنة . والميم مقتضيةٌ تمامَ اسم الله الذى هو مَجيد ، وتمامَ اسم عظمته التى هى مَجْد ، والدلالةَ على أجَلِ قوم أنه أربعون سنة . فكان معنى الكلام — فى تأويل قائلى القول الأول — أنّ الله جل ثناؤه افتتح كلامه بوَصْف نفسه بأنه العالِمُ الذى لا يخفى عليه شىء ، وَجعل ذلك لعباده مَنهجاً يسلكونه فى مُفتتح خطبهم ورسائلهم ومُهِمّ أمورهم ، وابتلاءً منه لهم به ليستوجبوا به عظيمَ الثواب فى دار الجزاء ، كما افتتح بـ ﴿ الحمدُ لِلّه رَبّ العالمين ﴾ ، و ﴿ الحمدُ لِلّه الّذِى خَلَقَ السّمٰوَاتِ وَالأرضَ ﴾ ، [سورة الأنعام : ١]

٧١/١

وما أشبه ذلك من السُّور التى جعل مَفاتحها الحمدَ لنفسه ، وكما جعل مفاتحَ بَعضها تعظيمَ نفسه وإجلالها بالتسبيح ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً ﴾ [سورة الإسراء : ١] ، وما أشبه ذلك من سائر سور القرآن ، التى جعل مفاتحَ بعضها تحميدَ نفسه ، ومفاتحَ بعضها تمجيدَها ، ومفاتح بعضها تعظيمَها وتنزيهها. فكذلك جَعل مفاتحَ السور الأخَر التى أوائلها بعضُ حروف المعجم ، مدائحَ نفسه ، أحياناً بالعلم ، وأحياناً بالعدل والإنصاف ، وأحياناً بالإفضال والإحسان ، بإيجاز واختصار ، ثم اقتصاصَ الأمور بعدَ ذلك .

وعلى هذا التأويل يجبُ أن يكون الألف واللام والميم فى أماكن الرفع ، مرفوعاً بعضُها ببعض ، دون قوله ﴿ذلك الكتاب﴾ ، ويكون « ذلك الكتاب » خبراً مبتدأ مُنقطِعاً عن مَعنى « ألم ». وكذلك « ذلك » فى تأويل قول قائل هذا القول الثانى ، مرفوعٌ بعضه ببعض ، وإن كان مخالفاً معناهُ معنى قول قائلى القول الأول .

وأما الذين قالوا : هنّ حروفٌ من حروف حساب الجُمَّل دون ما خالف ذلك من المعانى ، فإنهم قالوا : لا نعرف للحروف المقطَّعة معنًى يُفهم سوى حساب الجُمَّل ، وسوى تَهَجِّى قول القائل : « ألم ». قالوا : وغيرُ جائز أن يخاطبَ الله جلّ ثناؤه عبادَه إلا بما يفهمون ويعقلون عنه . فلما كان ذلك كذلك — وكان قوله « ألم » لا يُعقَل لها وجهٌ تُوجَّه إليه ، إلا أحد الوجهين اللذين ذكرنا ، فبطل أحدُ وَجهيه ، وهو أن يكون مُراداً بها تهجِّى « ألم » — صحَّ وثبت أنه مرادٌ به الوجه الثانى ، وهو حساب الجُمَّل ، لأن قول القائل : « ألم » لا يجوز أن يليَه من الكلام « ذلك الكتاب » ، لاستحالة معنى الكلام وخرُوجه عن المعقول ، إنْ وَلِىَ « ألم » « ذلك الكتاب » .

واحتجوا لقولهم ذلك أيضاً بما : —

٢٤٦ — حدثنا به محمد بن حُميد الرازى ، قال : حدثنا سَلَمة بن الفضل ، قال : حدثنى محمد بن إسحق ، قال : حدثنى الكلبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، عن جابر بن عبد الله بن رِئاب ، قال : مرّ

أبو ياسر بن أخطب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو فاتحة سورة البقرة ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ، فأتى أخاه حُيَيَّ بن أخطب من يهود فقال : تعلمون والله[1] ، لقد سمعتُ محمداً يتلو فيما أنزل الله عز وجل عليه ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾ فقالوا : أنت سمعته ؟ قال : نعم ! قال : فمشى حُيَيٌّ بن أخطب فى أولئك النَّفر من يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد، ألمْ يذكرْ لنا أنك تتلو فيما أنزل عليك « ألم ذلك الكتاب» ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بلى ! فقالوا : أجاءك بهذا جبريلُ من عند الله ؟[2] قال : نعم ! قالوا : لقد بعث الله جل ثناؤه قبلك أنبياء ، ما نعلمه بيَّن لنبيٍّ منهم ، ما مدَّة ملكه وما أكل أمَّته غيرك![3] فقال : حُيَيّ بن أخطب، وأقبلَ على من كان معه فقال لهم : الألف واحدة، واللام ثلاثون، والميم أربعون، فهذه إحدى وسبعون سنة . أفتدخلون فى دين نبيٍّ إنما مدّة ملكه وأكل أمّته إحدى وسبعون سنة[4] ؟ قال : ثم أقبلَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ، هل مع هذا غيرُه ؟ قال : نعم ! قال : ماذا ؟ قال : ﴿الٓمٓصٓ﴾. قال : هذه أثقلُ وأطولُ ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون، والميم أربعون ، والصاد تسعون ، فهذه مئة وإحدى وستون سنة . هل مع هذا يا محمد غيره، قال : نعم ! قال : ماذا ؟ قال : ﴿الٓرٰ﴾ . قال : هذه والله أثقلُ وأطولُ . الألف واحدة ، واللام ثلاثون، والراء مئتان ، فهذه إحدى وثلاثون ومئتا سنة ، فقال : هل مع هذا غيرُه يا محمد ؟ قال : نعم ، ﴿الٓمٓرٰ﴾ ، قال : فهذه

٧٢/١

---

(١) هكذا فى المطبوعة والمخطوطة : «تعلمون» ، ونص محمد بن إسحاق ، سيرة ابن هشام ٢ : ١٩٤. « تعلموا » بتشديد اللام ، أى اعلموا . وهى كثيرة الورود فى سيرة ابن هشام وغيره .

(٢) الذى فى سيرة ابن هشام : « أجاءك بها جبريل من عند الله » .

(٣) فى المطبوعة ، وفى سائر الكتب التى خرجت الخبر عن الطبرى : « ما أجل » .

(٤) فى المطبوعة « قال ، فقال لهم : أتدخلون . . . » و « أجل أمته » والتصحيح من المخطوطة وابن هشام . والأكل (بضم فسكون) : الرزق . يقال : هو عظيم الأكل فى الدنيا ، أى واسع الرزق ، وهو الحظ من الدنيا ، كأنه يؤكل . ويراد به : مدة العمر التى يعيشها الناس فى الدنيا يأكلون مما رزقهم الله . فيقال للميت : انقطع أكله ، بمعنى : انقضى عمره .

والله أثقل وأطولُ ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والراء مئتان ، فهذه إحدى وسبعون ومئتا سنة . ثم قال : لقد لُبِّس علينا أمرك يامحمَّد ، حتى ما ندرى أقليلا أعطيتَ أم كثيراً ؟ ثم قاموا عنه . فقال أبو ياسر لأخيه حُيي بن أخطب ، ولمن معه من الأحبار : ما يُدْريكم لعلَّه قد جُمع هذا كله لمحمد ، إحدى وسبعون ، وإحدى وستون ومئة ، ومئتان وإحدى وثلاثون ، ومئتان وإحدى وسبعون ، فذلك سبعمئة سنة وأربع وثلاثون ! فقالوا : لقد تشابه علينا أمره ! ويزعمون أنّ هؤلاء الآيات نزلت فيهم : ﴿ هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾[1] [سورة آل عمران : ٧].

---

(١) الحديث ٢٤٦ — هذا حديث ضعيف الإسناد ، رواه محمد بن إسحق بهذا الإسناد الضعيف ، وبأسانيد أخر ضعاف :

فرواه فى السيرة ، التى هذبها عبد الملك بن هشام النحوى البصرى ، ورواها عن زياد بن عبد الله البكائى عن ابن إسحق ، وعرفت واشتهرت بأنها « سيرة ابن هشام » . وابن هشام هذا : ثقة ، وثقه ابن يونس وغيره ، مات سنة ٢١٨ . وشيخه زياد البكائى : ثقة ، من شيوخ أحمد . و« البكائى » ، بفتح الباء وتشديد الكاف : نسبة إلى « البكاء » ، وهو : ربيعة بن عامر بن صعصعة .

فقال ابن هشام ٢ : ١٩٤ — ١٩٥ (٢ : ٣٥ — ٣٧ من الروض الأنف شرح السيرة) : قال ابن إسحق : وكان ممن نزل فيه القرآن بخاصة من الأحبار وكفار يهود ، الذين كانوا يسألونه ويتمنتونه ، ليلبسوا الحق بالباطل ، فيما ذكر لى عن عبد الله بن عباس ، وجابر بن عبد الله بن رئاب : أن أبا ياسر ابن أخطب مر برسول الله صلى الله عليه وسلم . . . » .

فهذا إسناد ضعيف ، جهله ابن إسحق ، فجاء به معلقاً بصيغة التمريض . وفيه أن الرواية عن ابن عباس وجابر ، معاً .

ورواه البخارى فى التاريخ الكبير ، فى ترجمة « جابر بن عبد الله بن رئاب » ١ / ٢ / ٢٠٧ — ٢٠٨ بثلاثة أسانيد ، بعادته الدقيقة المتقنة ، فى الإيجاز والإشارة إلى الأسانيد وعللها :

وأولها : « حدثنى عمرو بن زرارة ، قال : حدثنا زياد : قال ابن إسحق : حدثنى مولى لزيد بن ثابت عن سعيد بن جبير وعكرمة ، عن عبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله : أن أبا ياسر بن أخطب مر بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو يتلو (ألم . ذلك الكتاب) » .

فهذه هى إشارة البخارى إلى الإسناد الأول من الثلاثة الأسانيد .

و « زياد » فى هذا الإسناد : هو البكائى . فهذا إسناد صحيح إلى ابن إسحق . ولكن فيه الضعف بجهالة أحد رواته « مولى لزيد بن ثابت » . وهو كإسناد السيرة : عن ابن عباس وجابر معاً . ولعل عمرو ابن زرارة — شيخ البخارى — روى السيرة عن البكائى ، كما رواها عنه ابن هشام .

وثانيها : « وقال سلمة : حدثنى ابن إسحق ، قال : حدثنى محمد بن أبى محمد ، عن عكرمة ، أو

. . . . . .

سعيد ، عن ابن عباس : (ألم . ذلك الكتاب) — بطوله » .

وهذه إشارة البخاري إلى الإسناد الثاني . يريد أنه رواه سلمة — وهو ابن الفضل الذي في إسناد الطبري هنا — عن ابن إسحق . ولم يذكر لفظ الحديث ، اكتفاء بهذه الإشارة إليه .

وابن إسحق — في هذا الإسناد — يرويه عن « محمد بن أبي محمد » ، وهو الأنصاري المدني ، مولى زيد بن ثابت . زعم الذهبي في الميزان أنه « لا يعرف » ! وهو معروف ، ترجمه البخاري في الكبير ٢٢٥/١/١ فلم يذكر فيه جرحاً ، وذكره ابن حبان في الثقات . وكفى بذلك معرفة وتوثيقاً . ولعله هو « مولى زيد بن ثابت » الذي أبهم في الإسناد الأول . ولكن اضطرب هذا الإسناد على ابن إسحق ، أو على سلمة بن الفضل — فكانت الرواية فيه : عن عكرمة ، أو سعيد ، يعني ابن جبير ، على الشك . ثم كانت عن ابن عباس ، دون ذكر « جابر بن عبدالله بن رئاب » .

ثالثها : « وعن ابن إسحق : كان مما نزل فيه القرآن من الأحبار ، فيما حدثني الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، عن جابر بن عبد الله بن رئاب : مر أبو ياسر بن أخطب بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يتلو (ألم) ، بطوله — في الحساب » .

وهذه الرواية الثالثة ، بالإسناد الذي عند الطبري هنا . تابعة للرواية الثانية ، عن سلمة بن الفضل ، عطفها عليها بقوله « وعن ابن إسحق » ، ليست تعليقاً جديداً .

وأشار البخاري — بصنيعه هذا — إلى اضطراب الرواية على سلمة بن الفضل ، بين هذا وذاك . ولذلك ذهب إلى جرح « سلمة » بهذا الاضطراب ، فقال عقب ذلك : « قال علي [يريد به شيخه علي بن المديني ، إمام الجرح والتعديل] : ما خرجنا من الري حتى رمينا بحديث سلمة » .

وقال في ترجمة سلمة ٢ / ٢ / ٨٥ : « سلمة بن الفضل أبو عبد الله الأبرش الرازي الأنصاري ، سمع محمد بن إسحق ، روى عنه عبد الله بن محمد الجعفي . عنده مناكير . يقال : مولاهم . مات بعد التسعين . وهنه علي » ، يعني شيخه ابن المديني . ويعني أن سلمة مات بعد سنة ١٩٠ . وقال في التاريخ الصغير ص ٢١٧ : « مات سلمة بن الفضل أبو عبد الله الأبرش الرازي الأنصاري بعد تسعين ومائة . قال علي [يعني ابن المديني] : رمينا بحديثه قبل أن نخرج من الري . وضعفه إسحق بن إبراهيم » . وقال في ترجمته أيضاً ، في كتاب الضعفاء (ص ١٦) : « سمع محمد بن إسحق ، روى عنه عبد الله بن عمر بن أبان ومحمد بن حميد . ولكن عنده مناكير . وفيه نظر » .

وأنا أذهب إلى توثيق سلمة بن الفضل ، فقد وثقه ابن معين ، فيما رواه ابن أبي حاتم في كتابه ، وله عنده ترجمة جيدة وافية ١٦٨/١/٢ — ١٦٩ . وروى أيضاً عن جرير ، قال : « ليس من لدن بغداد إلى أن تبلغ خراسان أثبت في ابن إسحق — من سلمة بن الفضل » . وقد رجحت توثيقه أيضاً في شرح المسند : ٨٨٦ .

وعندي أن هذا الاضطراب إنما هو من ابن إسحق ، أو لعله رواه بهذه الأسانيد كما سمعه . وكلها ضعيف مضطرب . وأشدها ضعفاً الرواية التي هنا ، والتي أشار إليها البخاري : من رواية الكلبي عن أبي صالح .

وقد در الحافظ ابن كثير ، فقد وضع الحق موضعه ، حين قال في التفسير ١ : ٦٩ — ٧٠ : « وأما من زعم أنها دالة على معرفة المدد ، وأنه يستخرج من ذلك أوقات الحوادث والفن والملاحم — فقد ادعى ما ليس له ، وطار في غير مطاره ! وقد ورد في ذلك حديث ضعيف ، وهو مع ذلك أدل على بطلان هذا

قالوا : فقد صرّح هذا الخبر بصحة ما قلنا فى ذلك من التأويل ، وفساد ما قاله مخالفونا فيه .

والصواب من القول عندى فى تأويل مفاتيح السور ، التى هى حروف المعجم : أنّ الله جلّ ثناؤه جعلها حروفاً مقطّعة ولم يصِل بعضها ببعض — فيجعلها كسائر الكلام المتّصِل الحروف — لأنه عز ذكره أراد بلفظه الدلالةَ بكل حرف منه على معان كثيرة ، لا على معنى واحد ، كما قال الربيعُ بن أنس . وإن كان الربيع قد اقتصَر به على معانٍ ثلاثةٍ ، دون ما زاد عليها .

والصوابُ فى تأويل ذلك عندى : أنّ كلّ حرف منه يحوى ما قاله الربيع ، وما قاله سائر المفسرين غيرُه فيه — سوى ما ذكرتُ من القول عمّن ذكرت عنه من أهل العربية : أنه كان يوجّه تأويلَ ذلك إلى أنه حروف هجاء ، استُغنى

المسلك من التمسك به على صحته » . ثم نقل هذا الحديث من هذا الموضع من الطبرى — ثم قال : « فهذا الحديث مداره على محمد بن السائب الكلبى ، وهو ممن لا يحتج بما انفرد به ، ثم كان مقتضى هذا المسلك — إن كان صحيحاً : أن يحسب ما لكل حرف من الحروف الأربعة عشر التى ذكرناها . وذلك يبلغ منه جملة كثيرة . وإن حسبت مع التكرار ، فأطم وأعظم ! ! » .

ومحمد بن السائب الكلبى : ضعيف جدا ، رمى بالكذب ، بل روى ابن أبى حاتم فى الجرح ٣/١/ ٢٧٠ — ٢٧١ فى ترجمته ، عن أبى عاصم النبيل ، قال : « زعم لى سفيان الثورى قال : قال لنا الكلبى : ما حدثت عنى عن أبى صالح عن ابن عباس ، فهو كذب ، فلا تروه » . وقال أبو حاتم : « الناس مجتمعون على ترك حديثه ، لا يشتغل به ، هو ذاهب الحديث » .

والطبرى نفسه قد ضعفه جدا ، فيما مضى : ٦٦ إذ أشار إلى رواية عن ابن عباس : « روى جميع ذلك عن ابن عباس ، وليست الرواية عنه من رواية من يجوز الاحتجاج بنقله » ، ثم ذكر أن الذى روى ذلك « الكلبى عن أبى صالح » . ووصف الحديث : ٧٢ الذى رواه من طريقه ، بأنه « خبر فى إسناده نظر » .

فكان عجباً منه بعد هذا ، أن يحتج بهذه الروايات المتهافتة ، ويرضى هذا التأويل المستنكر ، بحساب الجمل ! إذ يختار فيما سيأتى (هذه الصفحة سطر : ٨ وما بعدها) ، أن هذه الأحرف تحوى سائر المعانى التى حكاها إلا قولا واحداً غير هذا المعنى المنكر . بل هو يصرح بعد ذلك ص : ٢٢٢ سطر : ٨ أن من المعانى التى ارتضاها : أنهن « من حروف حساب الجمل » ! !

وقد نقل السيوطى هذا الحديث فى الدر المنثور ١ : ٢٢ ، و ٢ : ٤ — ٥ ، ووصفه فى الموضع الأول بالضعف . وكذلك نقله الشوكانى ١ : ٢٠ ، وضعفه .

وقوله فى آخره : « ويزعمون أن هؤلاء الآيات . . . » — هو من تتمة الرواية . وهو من كلام ابن إسحق حكاية عمن روى عنهم .

يذكر ما ذُكر منه فى مفاتيح السور ، عن ذكر تتمة الثمانية والعشرون حرفاً من حروف المعجم ، بتأويل : أن هذه الحروف ، ذلك الكتاب ، مجموعة ، لاريب فيه — فإنه قول خطأ فاسدٌ ، لخروجه عن أقوال جميع الصحابة والتابعين ومَن بَعدَهم من الخالفين منْ أهل التفسير والتأويل[1] . فكفى دلالة على خَطئة ، شهادةُ الحجة عليه بالخطأ ، مع إبطال قائل ذلك قولَه الذى حكينا عنه — إذ صار إلى البيان عن رفع « ذلك الكتاب » — بقوله مرّة إنه مرفوعٌ كلٌ واحد منهما بصاحبه ، ومرة أخرى إنه مرفوعٌ بالرّاجع من ذكره فى قوله « لا ريب فيه » ، ومرة بقوله « هدى للمتقين » . وذلك تركٌ منه لقوله : إن « ألم » رافعةٌ « ذلك الكتاب » ، وخروجٌ من القول الذى ادّعاه فى تأويل « ألم ذلك الكتاب » ، وأنّ تأويل ذلك : هذه الحروف ذلك الكتاب .

فإن قال لنا قائل : وكيفَ يجوز أن يكون حرفٌ واحدٌ شاملاً الدلالةَ على معانٍ كثيرة مختلفة ؟

قيل : كما جاز أن تكون كلمة واحدةٌ تشتمل على معانٍ كثيرة مختلفةٍ ، ١/٧٣ كقولهم للجماعة من الناس : أمّة ، وللحين من الزمان : أمّة ، وللرجل المتعبّد المطيع لله : أمّة ، وللدين والملة : أمّة . وكقولهم للجزاء والقصاص : دِين ، وللسلطان والطاعة : دين ، وللتذلل : دين ، وللحساب : دِينٌ ، فى أشباهٍ لذلك كثيرةٍ يطول الكتاب بإحصائها — مما يكون من الكلام بلفظ واحد ، وهو مشتمل على معان كثيرةٍ . وكذلك قول الله جل ثناؤه : « ألم » و « ألر » و « ألمص » وما أشبه ذلك من حروف المعجم التى هى فواتح أوائل السور ، كلّ حرفٍ منها دالّ على معانٍ شتى ، شاملٌ جميعُها من أسماء الله عزّ وجل وصفاته ما قاله المفسِّرُون من الأقوال التى ذكرنا عنهم . وهنّ ، مع ذلك ، فواتح السور ، كما قاله من قال ذلك . وليسَ

---

(١) الخالفين جمع خالف . خلف قوم بعد قوم يخلفون خلفاً فهم خالفون : جاءوا بعدهم وتبعوهم على آثارهم . تقول : أنا خالِفه وخالِفته : أى جئت بعده .

كونُ ذلك من حُروف أسماء الله جل ثناؤه وصفاتِه ، بمانعها أنْ تكون للسُّور فواتح . لأن الله جلّ ثناؤه قد افتتح كثيراً من سوَر القرآن بالحمد لنفسه والثناء عليها ، وكثيراً منها بتمجيدها وتعظيمها ، فغيرُ مستحيل أن يبتدئ بعض ذلك بالقسم بها .

فالتى ابتُدِئ أوائلُها بحرُوف المعجم ، أحدُ مَعانى أوائلها : أنهنّ فواتحُ ما افتتَح بهنّ من سُور القرآن . وهنّ مما أقسم بهن ، لأن أحدَ معانيهن أنّهنّ من حروف أسماء الله تعالى ذكرُه وصفاتِه ، على ما قدّمنا البيان عنها ، ولا شك فى صحة معنى القسَم بالله وأسمائه وصفاته . وهنّ من حروف حساب الجُمَّل . وهنّ للسُّور التى افتتحت بهنّ شعارٌ وأسماء . فذلك يحوى مَعانىَ جميع ما وصفنا ، مما بيّنّا ، من وجوهه . لأن الله جلّ ثناؤه لو أراد بذلك ، أو بشىء منه ، الدلالةَ على معنًى واحد مما يحتمله ذلك [1] ، دون سائر المعانى غيره ، لأبان ذلك لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إبانةً غيرَ مشكلةٍ . إذْ كان جلّ ثناؤه إنما أنزل كتابه على رسوله صلى الله عليه وسلم ليُبيِّن لهم ما اختلفوا فيه . وفى تركه صلى الله عليه وسلم إبانةَ ذلك — أنه مرادٌ به من وُجوه تأويله البعضُ دون البعض — أوضحُ الدليل على أنه مُرادٌ به جميعُ وجوهه التى هو لها محتمل . إذ لم يكن مستحيلا فى العقل وجهٌ منها أن يكون من تأويله ومعناه ، كما كان غير مستحيل اجتماعُ المعانى الكثيرة للكلمة الواحدة ، باللفظ الواحد ، فى كلام واحد .

ومن أبىَ ما قلناه فى ذلك ، سُئِل الفرقَ بين ذلك ، وبين سائر الحروف التى تأتى بلفظ واحد ، مع اشتمالها على المعانى الكثيرة المختلفة ، كالأمّة والدين وما أشبه ذلك من الأسماء والأفعال . فلن يقول فى واحدٍ منْ ذلك قولا إلاّ ألزم فى الآخر مثله .

وكذلك يُسأل كلّ من تأوّل شيئاً من ذلك — على وجهٍ دُون الأوجه الأخَر

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « مما لا يحتمله ذلك » ، وهو محيل لمعناه .

التى وصفنا — عن البرهان على دَعْواه، من الوَجه الذى يجب التسليم له . ثم يُعارَض بقول مُخالفه فى ذلك ، ويسأل الفرقَ بينه وبينه : من أصْل ، أو مما يدل عليه أصْل . فلن يقولَ فى أحدهما قولا إلاّ ألزم فى الآخر مثله .

وأما الذى زعم من النحويين : أنّ ذلك نظيرُ « بل » فى قول المنشد شعراً :

بل • ماهَاج أحزانًا وشجواً قد شَجَا

وأنه لا معنى له ، وإنما هو زيادة فى الكلام معناه الطَّرْح — فإنه أخطأ من وُجوه شتّى[1] :

أحدها : أنه وَصفَ الله تعالى ذكره بأنه خاطب العرب بغير ما هوَ من لغتها ، وغير ما هو فى لغة أحد من الآدميين . إذْ كانت العرُب — وإن كانت قد كانتْ تفتتح أوائل إنشادها ما أنشدت من الشعر بـ « بل » — فإنه معلوم منها أنها لم تكن تبتدئُ شيئاً من كلامها بـ « ألم » و « ألر » و « ألمص » ، بمعنى ابتدائها ذلك بـ «بل». وإذْ كان ذلك ليس من ابتدائها — وكان الله جل ثناؤه إنما خاطبهم بما خاطبهم من القرآن ، بما يعرفون من لغاتهم ، ويستعملون بينهم من منطقهم ، فى جميع آيِه — فلا شك أن سبيل ما وصفنا من حروف المعجم ، التى افتُتِحت بها أوائل السور ، التى هنّ لها فواتح ، سَبيلُ سائر القرآن ، فى أنه لم يعدلْ بها عن لغاتِهم التى كانوا بها عارفين ، ولها بينهم فى منطقهم مستعملين . لأن ذلك لو كان معدولاً به عن سبيل لغاتِهم ومنطقهم ، كان خارجاً عن معنى الإبانة التى وصف الله عزّ وجل بها القرآن ، فقال تعالى ذكره : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ • عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المنذِرِين • بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِين ﴾ [سورة الشعراء : ١٩٣ — ١٩٥] . وأنّى يكون مُبيناً ما لا يعقله ولا يفهمه أحد من العالمين[2] ، فى قول قائل هذه المقالة ، ولا يُعْرَف فى منطق أحد من المخلوقين ، فى قوله ؟ وفى إخبار الله جلّ ثناؤه عنه أنه عربى مبين ، ما يُكذّب هذه المقالة ، وينبىء عنه أنّ العربَ كانوا به

٧٤/١

(١) انظر ما مضى : ٢١٠ .

(٢) فى المطبوعة : « ما لا يعقله ولا يفقهه » .

عالمين ، وهو لها مُستبينٌ . فذلك أحدُ أوجه خطئه .

والوجه الثانى من خطئه فى ذلك : إضافته إلى الله جلّ ثناؤه أنه خاطب عباده بما لا فائدة لهم فيه ولا معنى له ، من الكلام الذى سواءٌ الخطابُ فيه به وترك الخطاب به . وذلك إضافة العبث الذى هو منفىٌّ فى قول جميع الموحِّدين عن الله — إلى الله تعالى ذكره .

والوجهُ الثالث من خطئه : أن «بل» فى كلام العرب مفهومٌ تأويلها ومعناها ، وأنها تُدْخلها فى كلامها رجوعاً عن كلامٍ لها قد تَقضَّى ، كقولهم : ما جاءنى أخوك بل أبوك ، وما رأيتُ عمراً بل عبد الله ، وما أشبه ذلك من الكلام ، كما قال أعشى بنى ثعلبة :

وَلأَشْرَبَنَّ ثَمانِيـــاً وثَمانِياً وثَلاثَ عَشْرَةَ وأُثْنَتَيْنِ وأَرْبَعَا[1]

ومضَى فى كلمته حتى بلغ قوله :

بالجُلَّسَـــانِ ، وطَيِّبٌ أَرْدَانُهُ بِالوَنِّ يَضْرِبُ لِى يَكُرُّ الإِصْبَعَا[2]

ثم قال :

بَلْ عَدِّ هٰذا ، فِى قَرِيضٍ غَيْرِهِ وَاذْكُرْ فَتًى سَمْحَ الخَلِيقةِ أَرْوَعَا

فكأنه قال : دَعْ هذا وخذ فى قريض غيره . فـ « بل » إنما يأتى فى كلام العرب على هذا النحو من الكلام ، فأما افتتاحاً لكلامها مُبتدأ بمعنى التطوّل والحذف[3] ، من غير أن يدلّ على معنى ، فذلك مما لا نعلم أحداً ادعاه من أهل المعرفة بلسان العرب ومنطقها ، سوى الذى ذكرتُ قوله ، فيكون ذلك أصلا يشبَّه به حُرُوف المعجم التى هى فواتح سور القرآن التى افتتحت بها — لو كانت له مُشبهةً — فكيف وهى من الشبه به بعيد ؟

---

(١) ديوان الأعشى ، زيادات : ٢٤٨ ، باختلاف فى الرواية . وانظر مراجعه هناك .

(٢) الجلسان : قبة أو بيت ينثر فيه الورد والريحان للشرب . وقوله : « وطيب أردانه » يعنى قينة تغنيهم وتعزف لهم ، طيبة الريح ، تضمخت وتزينت . والأردان جمع ردن (بضم فسكون) : وهو مقدم كم القميص . والون : صنج يضرب بالأصابع . وقوله « يكر » أى يرد إصبعه مرة بعد مرة فى ضربه بالصنج ، وأراد به سرعة حركة أصابعها بالصنج . وفى المطبوعة « يكد » بالدال ، وهو خطأ .

(٣) انظر ما مضى : ١٨ تعليق : ٢ ، وعنى بالتطول : الزيادة .

* * *

القول فى تأويل قوله جَلّ ثناؤه : ﴿ ذٰلِكَ الـكِتٰبُ ﴾

قال عامّة المفسرين : تأويل قول الله تعالى ﴿ ذلك الـكتاب ﴾ : هذا الكتاب .

ذكر من قال ذلك :

٢٤٧ — حدثنى هرون بن إدريس الأصم الكوفىّ ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى ، عن ابن جُريج ، عن مجاهد : «ذلك الكتاب» قال : هو هذا الكتاب .

٢٤٨ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن عُلَيّة ، قال : أخبرنا خالد الحذّاء ، عن عكرمة ، قال : « ذلك الكتاب» : هذا الكتاب .

٢٤٩ — حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازى ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيرى ، قال : حدثنا الحكَم بن ظُهَير ، عن السُّدّى ، فى قوله « ذلك الكتاب » قال : هذا الكتاب [1] .

٢٥٠ — حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين بن داود . قال : حدثنى حجاج ، عن ابن جُريج ، قوله : «ذلك الكتاب» : هذا الكتاب . قال : قال ابن عباس : « ذلك الكتاب » : هذا الكتاب [2] .

فإن قال قائل : وكيف يجوزُ أن يكون « ذلك » بمعنى « هذا » ؟ و « هذا » لا شكّ إشارة إلى حاضر مُعايَن ، و«ذلك» إشارة إلى غائب غير حاضر ولا مُعايَن ؟

---

(١) الأثر ٢٤٩ — الحكم بن ظهير — بضم الظاء المعجمة — الفزارى ، أبو محمد بن أبى ليلى الكوفى : ضعيف جداً ، رمى بوضع الحديث . قال البخارى فى الكبير ١ /٢/٣٤٢ — ٣٤٣ : « تركوه منكر الحديث » . وقال ابن أبى حاتم فى الجرح ١ / ٢ / ١١٨—١١٩ عن أبى زرعة : « واهى الحديث » . وقال ابن حبان فى كتاب المجروحين ، رقم ٢٣٩ : « كان يشتم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، يروى عن الثقات الأشياء الموضوعات » .

(٢) هذه الآثار جميعاً ٢٤٧ — ٢٥٠ ذكرها ابن كثير فى تفسيره ١ : ٧٠ ، والدر المنثور ١ : ٢٤ ، والشوكانى ١ : ٢١ .

قيل : جاز ذلك ، لأن كل ما تَقضَّى ، بقُرْبِ تَقضِّيه من الإخبار[١] ، فهو — وإن صار بمعنى غيرِ الحاضر — فكالحاضر عند المخاطب . وذلك كالرجل يحدِّث الرجلَ الحديثَ فيقول السامع : « إن ذلك والله لكما قلت » ، و « هذا والله كما قلتَ » ، و « هو والله كما ذكرت » ، فيخبرُ عنه مَرَّة بمعنى الغائب ، إذْ كان قد تَقضَّى ومضى ، ومرة بمعنى الحاضر ، لقُرْب جوابه من كلام مخبره ، كأنه غير مُنْقَضٍ . فكذلك «ذلك» فى قوله ﴿ ذلك الكتاب ﴾ لأنه جلّ ذكره لما قدم قبلَ « ذلك الكتاب » « ألم » ، التى ذكرنا تصرُّفَها فى وجُوهها من المعانى على ما وصفنا ، قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، هذا الذى ذكرته وبيَّنتُه لك ، الكتابُ . ولذلك حَسن وضع «ذلك» فى مكان «هذا» ، لأنه أشير به إلى الخبر عما تضمَّنه قوله « ألم » من المعانى ، بعد تقضّى الخبر عنه بـ « ألم » ، فصار لقرب الخبر عنه من تقضِّيه ، كالحاضر المشار إليه ، فأخبر به بـ « ذلك » لانقضائه ، ومصير الخبر عنه كالخبر عن الغائب ، وترجمهُ المفسِّرون[٢] : أنه بمعنى « هذا » ، لقرب الخبر عنه من انقضائه ، فكانَ كالمشاهَد المشار إليه بـ « هذا » ، نحو الذى وصفناه من الكلام الجارى بين الناس فى محاوراتهم ، وكما قال جل ذكره : ﴿ وَاذْكُرْ إِسْمٰعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ۝ هٰذَا ذِكْرٌ ﴾ [سورة ص : ٤٨ ، ٤٩] فهذا ما فى « ذلك » إذا عنى بها « هذا » .

وقد يحتمل قوله جل ذكره ﴿ ذلك الكتاب ﴾ ، أن يكون معنيًّا به السُّوَرُ التى نزلت قبل سورة البقرة بمكة والمدينة ، فكأنه قال جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، اعلم أنّ ما تضمَّنته سُوَرُ الكتاب التى قد أنزلتها إليك ، هو الكتابُ الذى لا ريبَ فيه . ثم ترجمه المفسرون[٢] بأن معنى « ذلك » « هذ الكتاب » ،

---

(١) فى المطبوعة « وقرب تقضيه » . يريد : أن ذكر ما انقضى ، وانقضاؤه قريب من إخبارك عنه .

(٢) ترجمه : أى فسره المفسرون وبينوه بوضع حرف مكان حرف . انظر ما مضى ٧٠ تعليق ١ / ٩٣ : ٤ / ومواضع أخر .

إذْ كانت تلك السُّور التى نزلت قبل سورة البقرة ، من جملة جميع كتابنا هذا ، الذى أنزله الله عزّ وجل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

وكان التأويل الأول أولى بما قاله المفسرون ، لأنّ ذلك أظهرُ معانى قولهم الذى قالوه فى « ذلك » .

وقد وَجَّه معنى « ذلك » بعضُهم ، إلى نظير معنى بيت خُفاف بن نُدبة السُّلمىّ :

فَإن تَكُ خَيْلى قد أُصِيبَ صَمِيمُها فَعَمْدًا على عَيْنٍ تَيَمَّمْتُ مَالِكَا[1]

أقولُ له ، والرُّمحُ يأطِرُ مَتْنَـهُ ، : تأمَّل خُفَافًا ، إننى أنا ذلِكَا[2]

كأنه أراد : تأملنى أنا ذلك . فزعم أنّ « ذلك الكتاب » بمعنى « هذا » ، نظيرُه[3] . أظهر خفافٌ من اسمه على وجه الخبر عن الغائب ، وهو مخبر عن نفسه . فكذلك أظهر « ذلك » بمعنى الخبر عن الغائب[4] ، والمعنى فيه الإشارة إلى الحاضر المشاهَد .

والقول الأول أولى بتأويل الكتاب ، لماذا ذكرنا من العلل .

وقد قال بعضهم : ﴿ ذلك الكتاب ﴾ ، يعنى به التوراة والإنجيل ، وإذا وُجِّه

---

(١) الأغانى ٢ : ١٣/٣٢٩ : ١٣٤ ، ١٦/١٣٥ : ١٣٤ ، والخزانة ٢ : ٤٧٠ ، وغيرهما ، ويأتى فى الطبرى ١ : ٣١٤ ، ٤٣٧ . يقول الشعر فى مقتل ابن عمه معاوية بن عمرو أخى الخنساء . ومالك ، هو مالك بن حِمَار الشمخى الفزارى . والخيل هنا : هم فرسان الغارة ، وكان معاوية وخفاف غزوا بنى مرة وفزارة . والصميم : الخالص المحض من كل شىء . وأراد معاوية ومقتله يومئذ . ويقال : « فعلت هذا الأمر عمد عين ، وعمداً على عين » ، إذا تعمدته مواجهة بجد ويقين . وتيمم : قصد وأمّ .

(٢) « أقول له » ، يعنى لمالك بن حِمَار . وأطر الشىء يأطره أطراً : هو أن تقبض على أحد طرفى الشىء ثم تعوجه وتعطفه وتثنيه . وأراد أن حر الطعنة جعله يتثنى من ألمها ، ثم ينحنى ليهوى صريعاً إذ أصاب الرمح مقتله . وأرى أن الإشارة فى هذا البيت إلى معنى غائب ، كأنه قال : « أنا ذلك الذى سمعت به وبيأسه » . وهذا المعنى يخرج البيت عن أن يكون شاهداً على ما أراد الطبرى .

(٣) فى المطبوعة : « كأنه أراد : تأملنى أنا ذلك ، فرأى أن « ذلك الكتاب » بمعنى « هذا » نظير ما أظهر خفاف من اسمه . . . » ، وهو تغيير لا خبر فيه .

(٤) فى المطبوعة : « فلذلك أظهر ذلك . . . » .

تأويل « ذلك » إلى هذا الوجه ، فلا مؤونة فيه على متأوّله كذلك ، لأن « ذلك » يكون حينئذ إخباراً عن غائب على صحة .

* * *

القول فى تأويل قوله : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾

وتأويل قوله : « لا ريب فيه » « لا شك فيه » . كما : —

٢٥١ — حدثنى هرون بن إدريس الأصم ، قال : حدثنا عبد الرحمن المحاربى عن ابن جُريج ، عن مجاهد : لا ريب فيه ، قال : لا شك فيه .

٢٥٢ — حدثنى سَلاَّم بن سالم الخزاعى ، قال : حدثنا خَلَف بن ياسين الكوفى ، عن عبد العزيز بن أبى رَوَّاد ، عن عطاء ، « لا ريب فيه » : قال : لا شك فيه[1] .

٢٥٣ — حدثنى أحمد بن إسحق الأهوازى ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيرى ، قال : حدثنا الحكم بن ظُهَير ، عن السُّدِّىّ ، قال : « لا ريب فيه » ، لا شك فيه.

٢٥٤ — حدثنى موسى بن هرون الهَمْدانى ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السُّدّى فى خبر ذكره ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مُرَّة الهَمْدانى ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : « لا ريب فيه » ، لا شك فيه .

٢٥٥ — حدثنا محمد بن حميد ، قال حدثنا سَلَمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ،

---

(١) الأثر ٢٥٢ — سلام ، شيخ الطبرى : لم أجد له ترجمة إلا فى تاريخ بغداد ٩ : ١٩٨ قال : « سلام بن سالم أبو مالك الخزاعى الضرير : حدث عن يزيد بن هرون ، وعمر بن سعيد التنوخى ، وموسى بن إبراهيم المروزى ، والفضل بن جبير الوراق . روى عنه الحسين بن إسمعيل المحاملى » . ليس غير . وأما شيخ سلام فى هذا الإسناد «خلف بن ياسين الكوفى» : فلم أجد إلا ترجمة فى الميزان ١ : ٢١١ ولسان الميزان ٢ : ٤٠٥ لراو اسمه « خلف بن ياسين بن معاذ الزيات » ، وهو رجل ضعيف كذاب ، لا يشتغل به . لا أدرى أهو هذا أم غيره ؟

عن ابن عباس : « لا ريبَ فيه »، قال : لا شكّ فيه .

٢٥٦ ــ حدثنا القاسم بن الحسن، قال : حدثنا الحسين، قال : حدثني حجاج، عن ابن جريج، قال : قال ابن عباس : « لا ريب فيه »، يقول : لا شك فيه .

٢٥٧ ــ حدثنا الحسن بن يحيى، قال : حدثنا عبد الرزاق، قال أخبرنا مَعْمَر، عن قتادة : « لا ريب فيه »، يقول : لا شك فيه .

٢٥٨ ــ حُدِّثت عن عمّار بن الحسن، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس : قوله « لا ريب فيه »، يقول : لا شك فيه[1] .

وهو مصدر من قول القائل : رابني الشيء يَريبني رَيباً . ومن ذلك قول ساعدة بن جُؤَيَّة الهذليّ : ٧٦/١

فقالوا : تَرَكْنا الحَيَّ قد حَصِرُوا به ، فلا رَيْبَ أنْ قد كان ثَمَّ لَحِيمُ[2]

ويروى : « حَصَرُوا » و« حَصِرُوا » والفتحُ أكثر، والكسر جائز . يعني بقوله « حصروا به » : أطافوا به . ويعني بقوله « لا ريب » . لا شك فيه . وبقوله « أن قد كان ثَمَّ لَحِيم »، يعني قتيلا، يقال : قد لُحِم، إذ اقتُل .

والهاء التي في « فيه » عائدة على الكتاب، كأنه قال : لا شك في ذلك الكتاب أنه من عند الله هُدًى للمتقين .

* * *

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿هُدًى﴾

٢٥٩ ــ حدثني أحمد بن حازم الغفاري، قال : حدثنا أبو نعيم، قال : حدثنا

---

(١) هذه الآثار جميعاً ٢٥١ ــ ٢٥٨ ساقها ابن كثير ١ : ٧١، وبعضها في الدر المنثور ١ : ٢٤، والشوكاني ١ : ٢٢ . وقال ابن كثير بعد سياقتها : « قال ابن أبي حاتم : لا أعلم في هذا خلافاً » .

(٢) ديوان الهذليين ١ : ٢٣٢، واللسان (حصر) .

سفيان ، عن بَيَان ، عن الشعبي ، « هُدًى » قال : هُدًى من الضلالة[١] .

٢٦٠ — حدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط بن نصر ، عن إسمعيل السُّدّى ، فى خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس وعن مُرة الهَمْدانى ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، « هدى للمتقين » ، يقول : نور للمتقين[٢] .

والهدى فى هذا الموضع مصدرٌ من قولك : هديتُ فلاناً الطريق — إذا أرشدتَه إليه ، ودللتَه عليه ، وبينتَه له — أهديه هُدًى وهداية .

فإن قال لنا قائل : أوَ ما كتابُ الله نوراً إلا للمتّقين ، ولا رَشاداً إلا للمؤمنين ؟

قيل : ذلك كما وصفه ربّنا عزّ وجل . ولو كان نوراً لغير المتقين ، ورشاداً لغير المؤمنين ، لم يخصُصِ الله عز وجل المتقين بأنه لهم هدًى ، بل كان يعُمّ به جميع المنذَرين . ولكنه هدًى للمتقين ، وشفاءٌ لما فى صدور المؤمنين ، ووَقْرٌ فى آذان المكذبين ، وعمًى لأبصار الجاحدين ، وحجةٌ لله بالغةٌ على الكافرين . فالمؤمن به مُهتدٍ ، والكافر به محجوجٌ[٣] .

وقوله « هدى » يحتمل أوجهاً من المعانى :

أحدُها : أن يكون نصباً ، لمعنى القطع من الكتاب ، لأنه نكرة والكتاب معرفة[٤] . فيكون التأويل حينئذ : ألم ذلك الكتاب هادياً للمتقين . و« ذلك » مرفوع بـ « ألم » ، و « ألم » به ، والكتابُ نعت لـ « ذلك » .

وقد يحتمل أن يكون نصباً ، على القطع من رَاجع ذكر الكتاب الذى فى

---

(١) الأثر ٢٥٩ — بيان ، بفتح الباء الموحدة والياء التحتية المخففة : هو ابن بشر الأحمسى ، ثقة من الثقات ، كما قال أحمد . وسفيان ، الراوى عنه : هو الثورى . وهذا الأثر نقله السيوطى ١ : ٢٤ ، ونسبه لوكيع والطبرى .

(٢) الخبر ٢٦٠ — نقله ابن كثير ١ : ٧١ ، ونقله السيوطى ١ : ٢٤ ، والشوكانى ١ : ٢٢ مع الخبر الآتى ٢٦٣ ، جعلاه خبراً واحداً ، وذكراه عن ابن مسعود فقط .

(٣) حجه يحجه فهو محجوج : غلبه بالحجة فهو مغلوب .

(٤) يريد بقوله « لمعنى القطع » ، أن يقطع عن نعت الكتاب ، ويصير حالا .

« فيه » ، فيكونُ معنى ذلك حينئذ : ألم الذى لا ريب فيه هادياً .

وقد يحتمل أن يكون أيضاً نصباً على هذين الوجهين ، أعنى على وجه القطع من الهاء التى فى « فيه » ، ومن « الكتاب » ، على أن « ألم » كلام تام ، كما قال ابن عباس إنّ معناه : أنا الله أعلم . ثم يكون «ذلك الكتاب» خبراً مستأنفاً ، فيرفع حينئذ «الكتاب» بـ «ذلك» ، و «ذلك» بـ «الكتاب» ، ويكون «هُدًى» قطعاً من «الكتاب» ، وعلى أن يرفع « ذلك » بالهاء العائدة عليه التى فى « فيه » ، و « الكتاب » نعتٌ له ؛ والهدى قطع من الهاء التى فى « فيه » . وإن جُعِل الهدى فى موضع رفع ، لم يجز أن يكون « ذلك الكتاب » إلا خبراً مستأنفاً ، و « ألم » كلاماً تامًّا مكتفياً بنفسه ، إلا من وجهٍ واحد ، وهو أن يُرفع حينئذ «هُدًى» بمعنى المدح ، كما قال الله جل وعز : ﴿ألم ۝ تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ الحَكِيمِ ۝ هُدًى ورَحْمَةٌ للمُحْسِنِين﴾ [سورة لقمان : ١ – ٣] فى قراءة من قرأ « رحمةٌ » . بالرفع ، على المدح للآيات .

والرفع فى « هدى » حينئذ يجوز من ثلاثة أوجه : أحدُها ما ذكرنا من أنه مَدْحٌ مستأنفٌ . والآخر : على أن يُجعل مُرافِعَ « ذلك » ، و « الكتاب » نعتٌ «لذلك» . والثالث : أن يُجعل تابعاً لموضع «لا ريب فيه» ، ويكون « ذلك الكتاب » مرفوعاً بالعائد فى « فيه » . فيكون كما قال تعالى ذكره : ﴿وهٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ [سورة الأنعام : ٩٢] .

وقد زعم بعض المتقدّمين فى العلم بالعربية من الكوفيين ، أنّ «ألم» مرافعُ « ذلك الكتاب » بمعنى : هذه الحروف من حروف المعجم ، ذلك الكتابُ الذى وعدتُك أن أوحيَه إليك[1] . ثم نقض ذلك من قوله فأسْرع نَقْضَه ، وهَدَم ما بنى فأسرع هَدْمَه ، فزعم أن الرفع فى «هُدًى» من وجهين ، والنصبَ من وجهين . وأنّ أحد وَجهى الرفع : أن يكون « الكتابُ » نعتاً لِـ «ذلك» و «الهدى» فى موضع رفعٍ خبرٌ لِـ «ذلك» .

---

(١) يعنى بصاحب هذا القول ، الفراء فى كتابه معانى القرآن ١ : ١٠ .

٧٧/١ كأنك قلت : ذلك هدًى لا شكّ فيه[١] . قال : وإن جعلتَ « لا ريب فيه » خبرَه ، رفعتَ أيضاً « هدى » ، بجعله تابعاً لموضع « لا ريب فيه » ، كما قال الله جل ثناؤه : ﴿ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾ ، كأنه قال : وهذا كتابٌ هُدًى من صفته كذا وكذا . قال : وأما أحدُ وجهى النَّصْب فأن تَجعَل الكتابَ خبراً لـ « ذلك » ، وتنصبَ «هدى » على القطع ، لأن « هدى » نكرة اتصلت بمعرفة ، وقد تمّ خبرُها فنصبْتَها[٢] ، لأن النكرة لا تكون دليلا على معرفة. وإن شئت نصبت « هدى » على القطع من الهاء التى فى « فيه » كأنك قلت : لا شك فيه هادياً[٣] .

قال أبو جعفر : فترك الأصل الذى أصَّله فى « ألم » وأنها مرفوعة بـ « ذلك الكتاب » ، ونبذه وراء ظهرِه . واللازم كان له على الأصل الذى أصَّله ، أن لا يجيز الرَّفع فى « هدى » بحالٍ إلا من وَجْه واحدٍ ، وذلك من قِبَلِ الاستئناف ، إذ كان مَدْحاً. فأما على وجه الخبر « لذلك » ، أو على وجه الإتباع لموضع « لا ريب فيه » ، فكان اللازم له على قوله أن يكون خطأ . وذلك أن « ألم » إذا رافعت « ذلك الكتاب » ، فلا شك أن « هدى » غيرُ جائز حينئذٍ أن يكون خبراً « لذلك » ، بمعنى المرافع له ، أو تابعاً لموضع « لا ريب فيه » ، لأن موضعه حينئذ نصبٌ ، لتمام الخبر قبلَه ، وانقطاعه — بمخالفته إيّاه — عنه .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢)

٢٦١ — حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن رجل ، عن الحسن ، قوله : «للمتقين» قال : اتَّقَوْا ما حُرِّم عليهم ، وأدَّوا ما افتُرِض عليهم.

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة « ذلك لا شك فيه » ، والتصحيح من معانى القرآن للفراء ١ : ١١ .
(٢) فى المطبوعة « فتنصبها » ، والتصحيح من المخطوطة ومعانى القرآن للفراء .
(٣) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ١١ — ١٢ .

٢٦٢ – حدثنا محمد بن حُميد ، قال : حدثنا سَلَمة بن الفضل ، عن محمد ابن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « للمتقين » ، أي الذين يحذَرُون من الله عز وجل عقوبتَه في تَرْك ما يعرفون من الهُدى ، ويرجون رحمَته بالتَّصديق بما جاء به.

٢٦٣ – حدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السُّدّي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس – وعن مُرّة الهَمْداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « هدًى للمتقين » ، قال : هم المؤمنون .

٢٦٤ – حدثنا أبو كُريب ، قال : حدثنا أبو بكر بن عيّاش ، قال : سألني الأعمش عن « المتقين » ، قال : فأجبتُه ، فقال لي : سل عنها الكَلْبيّ . فسألتُه ، فقال : الذين يَجتنِبُون كبائرَ الإثم. قال : فرجَعْت إلى الأعمش ، فقال : نُرَى أنه كذلك . ولم ينكره .

٢٦٥ – حدثني المثنى بن إبراهيم الطبري ، قال : حدثنا إسحق بن الحجاج ، عن عبد الرحمن بن عبد الله ، قال حدثنا عمر أبو حفص ، عن سعيد بن أبي عَرُوبة ، عن قتادة : « هدى للمتقين » ، هم مَنْ نعتَهم ووصفَهم فأثبت صفتَهم ، فقال : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾.

٢٦٦ – حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عُمارة ، عن أبي رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « للمتقين » قال : للمؤمنين الذين يتّقُون الشِّرك بي ، ويعملون بطاعتي[1] .

وأوْلى التأويلات بقول الله جل ثناؤه ﴿ هدى للمتقين ﴾ ، تأويلُ من وصَف القومَ بأنهم الذين اتَّقوُا اللهَ تبارك وتعالى في ركوب ما نهاهم عن ركوبه ، فتجنبوا

(١) الآثار ٢٦١ – ٢٦٦ ساقها جميعاً ابن كثير في تفسيره ١ : ٧١ – ٧٢ ، وبعضها في الدر المنثور ١ : ٢٤ ، والشوكاني ١ : ٢٢ .

معاصيه، واتّقوْه فيما أمرهم به من فرائضه، فأطاعوه بأدائها . وذلك أنّ الله عزّ وجلّ وصَفهم بالتقوَى ، فلم يحصُرْ تقواهم إياه على بعضِ ما هو أهلٌ له منهم دون بعض[1] .فليس لأحد من الناس أن يحصُر معنى ذلك، على وَصْفهم بشيء من تَقوى الله عز وجل دون شيء ، إلا بحجة يجبُ التسليمُ لها . لأن ذلك من صفة القوم – لو كان محصوراً على خاصّ من معانى التقوى دون العامّ منها – لم يدعِ الله جل ثناؤه بيانَ ذلك لعباده : إما فى كتابه ، وإما على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، إذْ لم يكن فى العقل دليلٌ على استحالة وصفهم بعموم التقوى .

٧٨/١ فقد تبيّن إذاً بذلك فسادُ قول من زعم أن تأويل ذلك إنما هو : الذين اتّقَوُا الشرك وبرئوا من النّفاق . لأنه قد يكون كذلك ، وهو فاسقٌ غيرُ مستَحِق أن يكون من المتقين ، إلا أن يكون – عند قائل هذا القول – معنى النفاق : ركوبُ الفواحش التى حرّمها الله جل ثناؤه ، وتضييعُ فرائضه التى فرضها عليه . فإن جماعةً من أهل العلم قد كانت تسمّى من كان يفعل ذلك منافقاً . فيكون – وإن كان مخالفاً فى تسميته من كان كذلك بهذا الاسم – مصيباً تأويلَ قول الله عز وجل « للمتقين ».

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ الَّذِين يُؤْمِنُونَ ﴾

٢٦٧ – حدثنا محمد بن حُميد الرازى ، قال : حدثنا سَلَمة بن الفضل، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « الذين يؤمنون »، قال : يصدّقون .

٢٦٨ – حدثنى يحيى بن عثمان بن صالح السّهمى، قال: حدثنا أبو صالح ،

---

(١) فى المطبوعة : « وذلك أن الله عز وجل إنما وصفهم » ، ولا فائدة من زيادة « إنما » . ثم جاء فى المخطوطة والمطبوعة : « فلم يحصر تقواهم إياه على بعضها من أهل منهم دون بعض » ؛ وهو كلام مختلط ، وصوابه ما أثبتّه ، وهو معنى الكلام كما ترى بعد .

قال : حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « يؤمنون » : يصدّقون[١] .

٢٦٩ – حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا إسحق بن الحجاج ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « يؤمنون » : يخشَوْنَ .

٢٧٠ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعاني ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن مَعْمَر ، قال : قال الزهري : الإيمانُ العملُ[٢] .

٢٧١ – حُدِّثْتُ عن عمّار بن الحسن قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن العلاء بن المسيَّب بن رافع ، عن أبي إسحق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، قال : الإيمان التَّصْديق[٣] .

ومعنى الإيمان عند العرب : التصديق ، فيُدْعَى المصدِّق بالشيء قولا ، مؤمناً به ، ويُدْعى المصدِّق قولَه بفِعْله ، مؤمناً . ومن ذلك قول الله جل ثناؤه : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ [سورة يوسف : ١٧] ، يعني : وما أنت بمصدِّق لنا في قولنا . وقد تدخل الخشية لله في معنى الإيمان ، الذي هو تصديق القولِ بالعمل . والإيمان كلمة جامعةٌ الإقرارَ بالله وكتُبه ورسلِه ، وتصديقَ الإقرار بالفعل . وإذْ كان ذلك كذلك ، فالذي هو أولى بتأويل الآيةِ ، وأشبه بصفة القوم : أن يكونوا موصوفين بالتصديق بالغَيْبِ قولاً واعتقاداً وعملاً ، إذ كان جلّ ثناؤه لم يخصُرْهم من معنى الإيمان على معنى دون معنى ، بل أجمل وصْفهم به ، من غير خُصوصِ شيء من معانيه أخرجَهُ من صفتهم بخبرٍ ولا عقلٍ .

---

(١) الأثر ٢٦٧ – سيأتي باقيه بهذا الإسناد : ٢٧٢ . ونقلهما ابن كثير ١ : ٧٣ مفرقين . ونقل ٢٦٨ مع أولها . ونقل السيوطي ١ : ٢٥ الثلاثة مجتمعة .

(٢) الأثران ٢٦٩ – ٢٧٠ : ذكرهما ابن كثير ١ : ٧٣ .

(٣) الخبر ٢٧١ – عبد الله : هو ابن مسعود . وقد نقل ابن كثير هذا الخبر وحده ١ : ٧٣ ، ثم نقل الخبر الآتي ٢٧٣ وحده . وفصل إسناد كل واحد منهما . أما السيوطي ١ : ٢٥ فقد جمع اللفظين دون بيان ، وأدخل معهما لفظ الخبر ٢٧٧ ! وهو تصرف غير سديد ، لاختلاف الإسنادين أولا ، ولأن ٢٧٣ ، ٢٧٧ ليسا عن ابن مسعود وحده ، كما ترى .

* * *

القول فى تأويل قول الله جل ثناؤه : ﴿ بِالْغَيْبِ ﴾

٢٧٢ — حدثنا محمد بن حُميد الرازى ، قال : حدثنا سَلَمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « بالغيب » ، قال : بما جاء منه ، يعنى : من الله جل ثناؤه .

٢٧٣ — حدثنى موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السُّدّىّ فى خبر ذكره ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مُرّة الهَمْدانى ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، « بالغيب » : أما الغيْبُ فما غابَ عن العباد من أمر الجنة وأمرِ النار ، وما ذكر الله تبارك وتعالى فى القرآن . لم يكن تصديقهُم بذلك — يعنى المؤمنين من العرب — من قِبَل أصْل كتابٍ أو عِلْم كان عندَهم .

٢٧٤ — حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازى ، قال : حدثنا أبو أحمد الزّبيرى ، قال : حدثنا سفيان ، عن عاصم ، عن زِرّ ، قال : الغيبُ القرآن[1] .

٢٧٥ — حدثنا بشر بن مُعَاذ العَقَدى ، قال : حدثنا يزيد بن زُرَيْع ، عن سعيد بن أبى عَرُوبة ، عن قتادة فى قوله « الذين يُؤمنون بالغيب » ، قال : آمنوا بالجنّة والنار ، والبَعْث بعدَ الموت ، وبيوم القيامة ، وكلُّ هذا غيبٌ[2] .

٢٧٦ — حُدِّثت عن عمّار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ،

---

(١) الأثر ٢٧٤ — سفيان : هو الثورى ، عاصم : هو ابن أبى النجود — بفتح النون — القارىء . زر ، بكسر الزاى وتشديد الراء : هو ابن حبيش ، بضم الحاء . وهو تابعى كبير إمام . وهذا الأثر عند ابن كثير ١ : ٧٣ — ٧٤ .

(٢) الأثر ٢٧٥ — ذكره ابن كثير والسيوطى أيضاً .

عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، « الذين يؤمنون بالغيب » : آمنوا بالله وملائكته ورُسُلِه واليومِ الآخِر ، وجَنّته وناره ولقائه ، وآمنوا بالحياة بعد الموت . فهذا كله غيبٌ[1] .

وأصل الغيب : كُلّ ما غاب عنك من شيءٍ . وهو من قولك : غاب فُلان يغيبُ غيباً . ٧٩/١

وقد اختلفَ أهلُ التأويل فى أعيان القوم الذين أنزل الله جل ثناؤه هاتين الآيتين من أول هذه السورة فيهم ، وفى نَعْتهم وصِفَتهم التى وَصَفهم بها ، من إيمانهم بالغيب ، وسائر المعانى التى حوتها الآيتان من صفاتهم غيرَه .

فقال بعضُهم : هم مؤمنو العربِ خاصة ، دون غيرهم من مؤمنى أهل الكتاب .

واستدَلُّوا على صحّة قولهم ذلك وحقيقة تأويلهم ، بالآية التى تتلو هاتين الآيتين ، وهو قول الله عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ . قالوا : فلم يكن للعرب كتابٌ قبل الكتاب الذى أنزله الله عزّ وجلّ على محمد صلى الله عليه وسلم ، تَدينُ بتصديقِه والإقرارِ والعملِ به . وإنما كان الكتابُ لأهل الكتابين غيرِها . قالوا : فلما قصّ الله عز وجل نبأ الذين يؤمنون بما أنزل إلى محمد وما أنزل من قبله — بعد اقتصاصه نبأ المؤمنين بالغيب — علمنا أن كلّ صِنفٍ منهم غيرُ الصنف الآخر ، وأن المؤمنين بالغيب نوعٌ غيرُ النوع المصدّق بالكتابين اللذين أحدهما مُنَزَّل على محمد صلى الله عليه وسلم ، والآخرُ منهما على مَنْ قَبْلَ رسول الله[2] .

---

(١) الأثر ٢٧٦ — ذكره ابن كثير ١ : ٧٣ هكذا : « قال أبو جعفر الرازى عن الربيع ابن أنس عن أبى العالية . . . » . وذكره السيوطى ١ : ٢٥ هكذا : « وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن أبى العالية . . . » . فأخشى أن يكون ذكر « عن أبى العالية » سقط من الإسناد من نسخ الطبرى ، لثبوته عند هذين الناقلين عنه .

(٢) فى المخطوطة : « والآخر منهما على من قبله رسول الله » ، والظاهر أن صوابها : « على من قبل رسول الله » ، كما أثبتناها . وأما المطبوعة ففيها : « على من قبله من رسل الله تعالى ذكره » .

قالوا : وإذْ كان ذلك كذلك ، صحَّ ما قلنا من أن تأويل قول الله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ ، إنما هم الذين يؤمنون بما غاب عنهم من الجنّة والنار ، والثّواب والعقاب والبعثِ ، والتصديقِ بالله ومَلائكته وكُتُبه ورسله ، وجميع ما كانت العرب لا تدينُ به فى جاهليّتها ، مما أوجب الله جل ثناؤه على عِبَاده الدَّيْنُونة به — دون غيرهم .

ذكر من قال ذلك :

٢٧٧ — حدثنى موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حمّاد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السُّدّىّ فى خبر ذكره ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مُرّة الهمدانى ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : أما ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ ، فهم المؤمنون من العرب ، ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ . أما الغَيْبُ فما غاب عن العباد من أمر الجنة والنار ، وما ذكر الله فى القرآن . لم يكن تصديقهم بذلك من قِبَل أصْلِ كتابٍ أو علمٍ كان عندهم . ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ هؤلاء المؤمنون من أهل الكتاب[1] .

وقال بعضهم : بل نَزَلَتْ هذه الآيات الأربعُ فى مؤمنى أهل الكتاب خاصّةً . لإيمانهم بالقرآن عند إخبار الله جل ثناؤه إيّاهم فيه عن الغيوب التى كانوا يخفونها بينهم ويُسرُّونها ، فعلموا عند إظهار الله جلّ ثناؤه نبيَّه صلى الله عليه وسلم على ذلك منهم فى تنزيله ، أنه من عند الله جلّ وعز ، فآمَنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وصدَّقوا بالقرآن وما فيه من الإخبار عن الغيوب التى لا علم لهم بها ، لِمَا استقرَّ عندهم — بالحجة التى احتج الله تبارك وتعالى بها عليهم فى كتابه ، من الإخبار فيه عمَّا كانوا يكتمونه من ضمائرهم — أنّ جميع ذلك من عند الله .

(١) الخبر ٢٧٧ — سبق أوله بهذا الإسناد : ٢٧٣ . ولم يذكره ابن كثير بهذا اللفظ المطول . وقد مضى فى شرح ٢٧١ أن السيوطى جمع الألفاظ الثلاثة : ٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٧ فى سياقة واحدة !

وقال بعضهم : بل الآيات الأربعُ من أول هذه السورة ، أنزلت على محمد صلى الله عليه وسلم بوصفِ جميع المؤمنين الذين ذلك صِفَتُهم من العرب والعجم ، وأهل الكتابين وسِوَاهم[1] . وإنما هذه صفة صِنْفٍ من الناس ، والمؤمنُ بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم ، وما أنزل من قبله ، هو المؤمن بالغيب .

قالوا : وإنما وصَفهم الله بالإيمان بما أنزل إلى محمد وبما أنزل إلى مَنْ قَبله ، بعد تقضّي وصفِه إياهم بالإيمان بالغيب ، لأنّ وصفه إياهم بما وصَفهم به من الإيمان بالغيب ، كان معنيًّا به أنهم يؤمنون بالجنّة والنار والبعث وسائر الأمور التى كلّفهم الله جل ثناؤه الإيمانَ بها ، مما لم يَرَوْه ولم يأت بعدُ مما هو آتٍ ، دون الإخبار عنهم أنّهم يؤمنون بما جاء به محمّدٌ صلى الله عليه وسلم ومَنْ قَبله من الرُّسل ومن الكتب . ٨٠/١

قالوا : فلما كان معنى قوله تعالى ذكره : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ غير موجود فى قوله ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ — كانت الحاجة من العباد إلى معرفتهم صِفَتَهم بذلك ليعرفُوهم ، نظيرَ حاجتهم إلى معرفتهم بالصفة التى وُصِفوا بها من إيمانهم بالغيب ، ليعلموا ما يَرْضَى اللهُ من أفعالِ عِباده ويُحبّه من صفاتهم ، فيكونوا به — إن وفّقهم له ربُّهم — [مؤمنين][2] .

ذكر من قال ذلك :

٢٧٨ — حدثنى محمد بن عمرو بن العباس الباهلى ، قال : حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مَخْلد ، قال : حدثنا عيسى بن ميمون المكى ، قال : حدثنا عبد الله ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد ، قال : أربعُ آيات من سورة البقرة فى نعت المؤمنين ،

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة « وأهل الكتابين سواهم » ، والصواب أن يقال « وسواهم » . فقد ذكر الطبرى ثلاثة أقوال : أما الأول : فهو أن المعنى به العرب خاصة ، والثانى : أن المعنى به أهل الكتاب خاصة ، فيكون الثالث : أن يعنى به الصنفين جميعاً وسواهم من الناس .

(٢) هذه الزيادة بين القوسين واجبة لتمام المعنى . وليست فى المطبوعة ولا المخطوطة .

وآيتان فى نعت الكافرين ، وثلاثَ عَشْرَةَ فى المنافقين[١] .

٢٧٩ – حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد ، بمثله[٢] .

٢٨٠ – حدثنى المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا موسى بن مسعود ، قال : حدثنا شِبْل ، عن ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد ، مثله[٣] .

٢٨١ – حُدِّثت عن عمّار بن الحسن قال : حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، قال : أربعُ آياتٍ من فاتحة هذه السورة – يعنى سورة البقرة – فى الذين آمنوا ، وآيتان فى قادة الأحزاب .

وأوْلى القولين عندى بالصواب ، وأشبههما بتأويل الكتاب ، القولُ الأول ، وهو : أنّ الذين وَصَفهم الله تعالى ذكره بالإيمان بالغيب ، وبما وصفهم به جلّ ثناؤه فى الآيتين الأوّلتَيْن[٤] ، غير الذين وصفهم بالإيمان بالذى أنزل على محمد والذى أنزل على مَنْ قبله من الرسل ، لما ذكرت من العلل قبلُ لمن قال ذلك .

ومما يدلّ أيضاً مع ذلك على صحّة هذا القول ، أنه جنّس – بعد وصف المؤمنين بالصّفتين اللتين وَصَف ، وبعد تصنيفه كلّ صنف منهما على ما صنّف الكفار –

---

(١) الأثر ٢٧٨ – أبو عاصم : هو النبيل ، الحافظ الكبير . عيسى بن ميمون المكى : هو المعروف بابن داية ، قال ابن عيينة : « كان قارئاً للقرآن . قرأ على ابن كثير » . وثقه أبو حاتم وغيره .

(٢) الأثر ٢٧٩ – هذا إسناد ضعيف ، بضعف سفيان بن وكيع ، ولإبهام الرجل الذى روى عنه سفيان الثورى . ولكن الأثر موصول بالإسنادين اللذين قبله وبعده .

(٣) الأثر ٢٨٠ – موسى بن مسعود : هو أبو حذيفة النهدى ، وهو ثقة ، روى عنه البخارى فى صحيحه ، ووثقه ابن سعد والعجلى . وترجمه البخارى فى الكبير ٤ / ١ / ٢٩٥ . شبل : هو ابن عباد المكى القارىء ، وهو ثقة ، وثقه أحمد وابن معين وغيرهما .

وهذا الأثر ، بأسانيده الثلاثة ، ذكره ابن كثير ١ : ٨٠ دون تفصيلها ، قال : « والظاهر قول مجاهد – فيما رواه الثورى عن رجل عن مجاهد ، ورواه غير واحد عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ، أنه قال ... » .

(٤) الأولة : الأولى ، وليست خطأ .

جِنْسَيْن[١] : فجعل أحدهما مطبوعاً على قلبه ، مختوماً عليه ، مأيوساً من إيابه[٢] ، والآخرَ منافقاً ، يُرائى بإظهار الإيمان فى الظاهر ، ويستسرُّ النفاق فى الباطن . فصيَّر الكفار جنسَيْن ، كما صيَّر المؤمنين فى أول السورة جِنْسين . ثم عرّف عباده نَعْتَ كلِّ صنف منهم وصِفَتَهم ، وما أعدَّ لكلِّ فريق منهم من ثواب أو عقاب ، وَذمّ أهل الذَّم منهم ، وشكرَ سَعْيَ أهل الطاعة منهم .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَيُقِيمُونَ ﴾

وإقامتُها : أداؤها — بحدودها وفروضها والواجب فيها — على ما فُرِضَتْ عليهم . كما يقال : أقام القومُ سُوقَهم ، إذا لم يُعَطِّلوها من البَيع والشراء فيها ، وكما قال الشاعر :

أَقَمْنَا لِأَهْلِ العِرَاقَيْنِ سُوقَ الـ ضِّرَابِ فَخَامُوا وَوَلَّوْا جَمِيعاً[٣]

٢٨٢ — وكما حدثنا محمد بن حميد ، قال : حدثنا سَلَمة بن الفضل ، عن محمد ابن إسحق ، عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، « ويقيمون الصلاة » ، قال : الذين يقيمون الصلاةَ بفرُوضها .

٢٨٣ — حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن عُمارة ، عن أبى رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، «ويقيمون الصلاة» قال : إقامة

---

(١) سياقه : « جنَّس . . . جنسين » ، وما بينهما فصل ، وجنس الشىء : جعله أجناساً ، كصنفه أصنافاً .

(٢) فى المطبوعة : « إيمانه » ، وهى صحيحة المعنى أيضاً . والإياب : الرجوع إلى الله بالتوبة والطاعة . ومنه قوله تعالى : « وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ »

(٣) فى المطبوعة « فحاسوا » ، وفى المخطوطة « مجآمرا » . وخام فى الحرب عن قرنه يخيم خيماً : جبن ونكص وانكسر . ولم أعرف قائل البيت .

الصلاة تمامُ الرُّكوع والسُّجود ، والتِّلاوةُ والخشوعُ ، والإقبالُ عليها فيها[١] .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ الصَّلٰوةَ ﴾

٢٨٤ – حدثنى يحيى بن أبى طالب ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا جُوَيْبر ، عن الضحاك فى قوله : «الذين يقيمون الصلاة» : يعنى الصلاة المفروضة[٢] .

وأما الصلاةُ فإنها فى كلام العرب الدُّعاءُ ، كما قال الأعشى :

لَهَا حَارِسٌ لا يبرَحُ الدَّهْرَ بَيْتَهَا وَإنْ ذُبِحَتْ صَلَّى عَلَيْهَا وزَمْزَمَا[٣]

يعنى بذلك : دعا لها ، وكقول الأعشى أيضاً[٤] :

وَقَابَلَهَا الرِّيحَ فى دَنِّهَا وصَلَّى عَلَى دَنِّهَا وَارْتَسَمْ[٥]

---

(١) الخبران ٢٨٢ ، ٢٨٣ – فى تفسير ابن كثير ١ : ٧٧ ، والدر المنثور ١ : ٢٧ ، والشوكانى ١ : ٢٥ .

(٢) الأثر ٢٨٤ – إسناده ضعيف جداً . يحيى بن أبى طالب جعفر بن الزبرقان : قال الذهبى : « محدث مشهور . . . وثقه الدارقطنى وغيره . . . والدارقطنى من أخبر الناس به » . مات سنة ٢٧٥ عن ٩٥ سنة . يزيد : هو ابن هرون ، أحد الحفاظ الأعلام المشاهير ، من شيوخ الأئمة أحمد وابن معين وابن راهويه وابن المدينى . جويبر – بالتصغير : هو ابن سعيد الأزدى البلخى ، ضعيف جداً ، ضعفه يحيى القطان ، فيما روى عنه البخارى فى الكبير ١/٢/٢٥٦ ، والصغير : ١٧٦ ، وقال النسائى فى الضعفاء : ٨ « متروك الحديث » ، وفى التهذيب ٢ : ١٢٤ « قال أبو قدامة السرخسى : قال يحيى القطان : تساهلوا فى أخذ التفسير عن قوم لا يوثقونهم فى الحديث . ثم ذكر الضحاك وجويبراً ومحمد بن السائب . وقال : هؤلاء لا يحتمل حديثهم ، ويكتب التفسير عنهم » .

(٣) ديوانه : ٢٠٠ ، يذكر الخمر فى دنها . وزمزم العلج من الفرس : إذا تكلف الكلام عند الأكل وهو مطبق فه بصوت خفى لا يكاد يفهم . وفعلهم ذلك هو الزمزمة . « ذبحت » أى بزلت وأزيل ختمها . وعندئذ يدعو مخافة أن تكون فاسدة ، فيخسر .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « وكقول الآخر أيضاً » ، والصواب أنه الأعشى ، وسبق قلم الناسخ .

(٥) ديوان الأعشى : ٢٩ . وقوله « وقابلها الريح » أى جعلها قبالة مهب الريح ، وذلك عند بزلها وإزالة ختمها . ويروى : « فأقبلها الريح » وهو مثله . وارتسم الرجل : كبر ودعا وتعوذ ، مخافة أن يجدها قد فسدت ، فتبور تجارته .

وأرى أن الصلاة المفروضة سُمِّيت «صلاة»، لأنّ المصلّى متعرِّضٌ لاستنجاح ٨١/١ طَلِبَته من ثواب الله بعمله، مع ما يسأل رَبَّه من حاجاته، تعرُّضَ الداعى بدعائه ربَّه استنجاحَ حاجاته وسؤلَهُ.

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿ومِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (٣)

اختلف المفسرون فى تأويل ذلك، فقال بعضهم بما :—

٢٨٥ — حدثنا به ابن حُميد، قال : حدثنا سَلَمة، عن محمد بن إسحق، عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، «ومما رزقناهم ينفقون»، قال : يؤتون الزكاة احتساباً بها.

٢٨٦ — حدثنى المثنى، قال : حدثنا عبد الله بن صالح، عن معاوية، عن على بن أبى طلحة، عن ابن عباس، «ومما رزقناهم ينفقون»، قال : زكاةَ أموالهم[1].

٢٨٧ — حدثنى يحيى بن أبى طالب، قال : حدثنا يزيد، قال : أخبرنا جُوَيْبر، عن الضحاك، «ومما رزقناهم يُنفقون»، قال : كانت النفقات قُرُبات يتقرَّبون بها إلى الله على قدر ميسورهم وجُهْدهم، حتى نَزَلت فرائضُ الصدقات : سبعُ آيات فى سورة براءَة، مما يذكر فيهنّ الصدقات، هنّ المُثْبَتات الناسخات[2].

وقال بعضهم بما :—

٢٨٨ — حدثنى موسى بن هرون قال : حدثنا عمرو بن حماد، قال : حدثنا أسباط، عن السُّدّى فى خبر ذكره، عن أبى مالك، وعن أبى صالح، عن ابن عباس — وعن مُرَّة الهَمْدانى، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب

(١) الخبر ٢٨٦ — فى المخطوطة «ابن المثنى»، وهو خطأ. والخبر ذكره ابن كثير ١ : ٧٧.

(٢) الأثر ٢٨٧ — ذكره ابن كثير ١ : ٧٧، والسيوطى ١ : ٢٧، والشوكانى ١ : ٢٥. وقوله «المثبتات»: بفتح الباء، أى التى أثبت حكمها ولم ينسخ، ويجوز كسرها، بمعنى أنها أثبتت الفريضة بعد نسخها ما سبقها فى النزول. وبدلها عند السيوطى والشوكانى «الناسخات المبينات». وليس بشىء.

النبي صلى الله عليه وسلم ، « ومما رزقناهم ينفقون» : هي نفقةُ الرّجل على أهله. وهذا قبل أن تنزل الزكاة[١] .

وأولى التأويلات بالآية وأحقُّها بصفة القوم : أن يكونوا كانوا لجميع اللازم لهم في أموالهم ، مؤدِّين ، زكاةً كان ذلك أو نفقةَ مَنْ لزمتْه نفقتُه ، من أهل وعيال وغيرهم، ممن تجب عليهم نفقتُه بالقرابة والملك وغير ذلك . لأن الله جل ثناؤه عمّ وصفهم إذْ وصفهم بالإنفاق مما رزقهم ، فمدحهم بذلك من صفتهم. فكان معلوماً أنه إذ لم يخصُص مدْحتهم ووصفهم بنوع من النفقات المحمود عليها صاحبُها دونَ نوعٍ بخبر ولا غيره — أنهم موصوفون بجميع معاني النفقات المحمودِ عليها صاحبُها من طيِّب ما رزقهم ربُّهم من أموالهم وأملاكهم، وذلك الحلالُ منه الذي لم يَشُبْهُ حرامٌ .

* * *

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾

قد مضى البيان عن المنعوتين بهذا النعت ، وأي أجناس الناس هم[٢] : غيرَ أنّا نذكر ما رُوي في ذلك عمن روى عنه في تأويله قولٌ :

٢٨٩ — فحدثنا ابن حُميد، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس، « والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك » : أي يصدِّقونك

---

(١) الخبر ٢٨٨ — نقله ابن كثير أيضاً . ونقله السيوطي مختصراً ، وجعله من كلام ابن مسعود وحده . وقلده الشوكاني دون بحث .

(٢) انظر ٢٣٧-٢٤١ .

بما جئت به من الله جلّ وعز وما جاء به مَنْ قبلك من المرسلين ، لا يفرّقون بينهم ، ولا يجحَدون ما جاؤهم به من عند ربهم[١] .

٢٩٠ — حدثنا موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السُّدّىّ فى خبر ذكره ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مُرّة الهَمْدانى ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون » : هؤلاء المؤمنون من أهل الكتاب[٢] .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ (٤)

قال أبو جعفر : أما الآخرةُ فإنها صفة للدار ، كما قال جل ثناؤه ﴿ وإنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة العنكبوت : ٦٤] . وإنما وصفت بذلك لمصيرها آخِرةً لأولى كانت قبلها ، كما تقول للرجل : « أنعمتُ عليك مرّة بعد أخرى ، فلم تشكر لى الأولى ولا الآخرة » ، وإنما صارت آخرة للأولى ، لتقدُّم الأولى أمامها . فكذلك الدارُ الآخرة ، سُمِّيت آخرةً لتقدُّم الدار الأولى أمامها ، ٨٢/١ فصارت التاليةُ لها آخرةً . وقد يجوز أن تكون سُمِّيت آخرةً لتأخُّرها عن الخلق ، كما سميت الدنيا « دنيا » لِدُنُوِّها من الخلق .

---

(١) الخبر ٢٨٩ — ذكره ابن كثير ١ : ٧٩ مع باقيه الآتى : ٢٩١ . وذكره السيوطى ١ : ٢٧ ، والشوكانى ١ : ٢٥ بزيادة أخرى على الروايتين ، منسوباً لابن إسحق وابن جرير وابن أبى حاتم .

(٢) الخبر ٢٩٠ — وهذا ذكره ابن كثير أيضاً ، لكن بالإشارة إليه دون سياقة لفظه . وقلده الشوكانى .

وعلى الأصل المخطوط بعد هذا ما نصه

سمع أحمد ومحمد والحسن ، بنو عبد الله بن أحمد الفرغانى جميعه .

سمع محمد بن محمد الطرسوسى والحسن بنو محمد بن عبدان ، والحسن بن إبراهيم الحماس جميعه . والحمد لله كثيراً .

وأما الذى وَصَف الله جل ثناؤه به المؤمنين — بما أنزل إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل إلى مَن قبله من المرسلين — من إيقانهم به من أمر الآخرة ، فهو إيقانهم بما كان المشركون به جاحدين : من البَعْث والنُّشور والثواب والعقاب والحساب والميزان ، وغير ذلك مما أعد الله لخلقه يومَ القيامة . كما :—

٢٩١— حدثنا به محمد بن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، ﴿ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ : أى بالبَعْث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان ، أىْ ، لا هؤلاء الذين يزعمون أنّهم آمنوا بما كان قبلك ، ويكفرون بما جاءك من ربك[1] .

وهذا التأويل من ابن عباس قد صرّح عن أنّ السورة من أولها — وإن كانت الآيات التى فى أولها من نعت المؤمنين — تعريضٌ من الله عزّ وجل بذمّ كُفّار أهلِ الكتاب ، الذين زعموا أنّهم — بما جاءت به رُسُل الله عز وجل الذين كانوا قبل محمد صلوات الله عليهم وعليه — مُصدِّقون ، وهم بمحمد صلى الله عليه مكذِّبون ، ولما جاء به من التنزيل جاحدون ، ويدّعون مع جحودهم ذلك أنهم مهتدون ، وأنه لن يدخل الجنة إلا من كان هُوداً أو نصارى . فأكذبَ الله جل ثناؤه ذلك من قيلهم بقوله : ﴿ الٓمٓ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ . وأخبر جل ثناؤه عبادَه : أن هذا الكتاب هُدًى لأهل الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به ، المصدِّقين بما أنزل إليه وإلى من قبله من رسله من البينات والهدى — خاصّةً ، دون من كذّب بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به ، وادّعى أنه مصدِّقٌ بمَن قَبل محمد صلى الله عليه وسلم من الرُّسل

---

(١) الخبر ٢٩١ — هو تتمة الخبر السابق ٢٨٩ وقد أشرنا إليه هناك .

وبما جاء به من الكتب. ثم أكَّدَ جل ثناؤه أمرَ المؤمنين من العرب ومن أهل الكتاب المصدِّقين بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما أنزل إليه وإلى مَنْ قبله من الرسل — بقوله : ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ فأخبر أنهم هم أهل الهُدَى والفلاح خاصة دون غيرهم ، وأن غيرهم هم أهل الضَّلال والخَسَار .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ﴾

اختلف أهلُ التأويل فيمن عَنَى الله جل ثناؤه بقوله : « أولئكَ على هُدًى من ربّهم » :

فقال بعضهم : عَنَى بذلك أهلَ الصِّفتين المتقدمتين ، أعنى : المؤمنين بالغيب من العرب ، والمؤمنين بما أنزل إلى محمد صلى الله عليه وسلم وإلى مَن قَبله من الرسل . وإياهم جميعاً وَصَف بأنهم على هُدًى منه ، وأنهم هم المفلحون .

ذكر من قال ذلك من أهل التأويل :

٢٩٢ — حدثنى موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السُّدّىّ فى خبر ذكره ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مُرّة الهَمْدانى ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، أما « الذين يؤمنون بالغيب » ، فهم المؤمنون من العرب ، « والذين يؤمنون بما أنزل إليك » ، المؤمنون من أهل الكتاب . ثم جمع الفريقين فقال : « أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون »[1] .

وقال بعضهم : بل عنَى بذلك المتقين الذين يؤمنون بالغيب ، وهم الذين يؤمنون

(١) الخبر ٢٩٢ — نقله ابن كثير ١ : ٨١ ، والشوكانى ١ : ٢٦ . ونقله السيوطى ١ : ٢٥ مطولا ، جمع معه الأخبار الماضية : ٢٧٣ ، ٢٧٧ ، ٢٨١ ، جعلها سياقاً واحداً ، عن ابن مسعود وحده ، ونسبه للطبرى .

بما أنزِل إلى محمد ، وبما أنزل إلى مَنْ قبله من الرسل .

وقال آخرون : بل عنَى بذلك الذين يؤمنون بما أنزل إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، وبما أنزل إلى مَن قبله ، وهم مُؤمنو أهل الكتاب الذين صدّقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به ، وكانوا مؤمنين من قبلُ بسائر الأنبياء والكُتُب . ٨٣/١

وعلى هذا التأويل الآخر يُحتمل أن يكون ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ﴾ فى محل خفضٍ ، ومحلّ رفع .

فأما الرّفع فيه فإنه يأتيها من وجهين : أحدهما : من قبل العطف على ما فى « يؤمنون بالغيب » من ذكر « الذين » ، والثانى : أن يكون خبرَ مبتدأ ، أو يكون « أولئك على هدى من ربهم » ، مُرافعها .

وأما الخفض فعلى العطف على « المتقين » ، وإذا كانت معطوفة على « الذين » اتّجه لها وجهان من المعنى : أحدهما : أن تكون هى و «الذين» الأولى، من صفة المتّقين. وذلك على تأويل من رَأى أن الآيات الأربع بعد «ألم»، نزلت فى صنف واحد من أصناف المؤمنين . والوجه الثانى : أن تكون « الذين » الثانية معطوفة فى الإعراب على « المتقين » بمعنى الخفض ، وهم فى المعنى صنفٌ غيرُ الصنف الأول . وذلك على مذهب من رَأى أنّ الذين نزلت فيهم الآيتان الأوّلتان من المؤمنين بعد قوله « ألم » ، غيرُ الذين نزلت فيهم الآيتان الآخرتان اللتان تليان الأوّلتين .

وقد يُحتمل أن تكون «الذين» الثانية مرفوعةً فى هذا الوجه بمعنى الائتناف[1] ، إذ كانت مبتدأً بها بعد تمام آيةٍ وانقضاء قِصّةٍ . وقد يجوز الرفعُ فيها أيضاً بنيّة الائتناف ، إذ كانت فى مبتدأ آية ، وإن كانت من صفة المتقين .

فالرفع إذاً يصحُّ فيها من أربعةِ أوجه ، والخفضُ من وجهين .

وأولى التأويلات عندى بقوله ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ ما ذكرت من قول ابن مسعود وابن عباس ، وأنْ تكون « أولئك » إشارةً إلى الفريقين ، أعنى :

(١) فى المطبوعة : « الاستئناف » فى هذا الموضع والذى يليه . وهما بمعنى .

المتقين ، والذين يؤمنون بما أنزل إليك ، وتكونَ « أولئك» مرفوعة بالعائد من ذكرهم في قوله « على هدى من ربهم » ؛ وأن تكون « الذين » الثانيةُ معطوفةً على ما قبلُ من الكلام ، على ما قد بيّنّاه .

وإنما رأينا أنّ ذلك أولى التأويلات بالآية ، لأن الله جل ثناؤه نعتَ الفريقين بنعتِهم المحمود ، ثم أثنى عليهم . فلم يكن عزّ وجل ليخصّ أحد الفريقين بالثناء ، مع تساويهما فيما استحقّا به الثناءَ من الصفات . كما غيرُ جائز في عدله أن يتساويا فيما يستحقان به الجزاءَ من الأعمال ، فيخصّ أحدَهما بالجزاء دون الآخر ، ويحرِمَ الآخر جزاءَ عمله . فكذلك سبيلُ الثناء بالأعمال ، لأن الثّناء أحد أقسام الجزاء .

وأما معنى قوله ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ فإن معنى ذلك : أنهم على نورٍ من ربِّهم وبرهانٍ واستقامة وسَدادٍ ، بتسديد الله إيّاهم ، وتوفيقه لهم . كما :—

٢٩٣ — حدثني ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، « أولئك على هدى من ربهم » : أي على نور من ربِّهم ، واستقامة على ما جاءهم[1] .

* * *

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٥)

وتأويل قوله : « وأولئك هم المفلحون» أي أولئك هم المُنْجِحُون المُدْرِكون ما طلَبوا عند الله تعالى ذكره بأعمالهم وإيمانهم بالله وكتبه ورُسله ، من الفَوْز بالثواب ، والخلود في الجِنان ، والنَّجاةِ مما أعد الله تبارك وتعالى لأعدائه من العقاب . كما :—

٢٩٤ — حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا ابن إسحق ،

---

(١) الخبر ٢٩٣ — ذكره ابن كثير ١ : ٨١ مع تتمته الآتية : ٢٩٤ .

عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس : ﴿ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ أي الذين أدركوا ما طلبوا ، ونجَوْا من شرّ ما منه هَرَبُوا .

ومن الدلالة على أن أحد معاني الفلاح ، إدراكُ الطَّلِبة والظفر بالحاجة ، قول لبيد بن ربيعة :

اِعْقِلِي ، إنْ كُنْتِ لمَّا تَعْقِلِي ، ولَقَدْ أفْلَحَ مَنْ كَانَ عَقَلْ[1]

٨٤/١ يعني ظَفِر بحاجته وأصابَ خيراً ، ومنه قول الراجز :

عَدِمتُ أمًّا ولَدتْ رِياحَا جَاءتْ بِهِ مُفَرْكَحاً فِرْكاحَا[2]

تَحْسِبُ أنْ قد وَلَدَتْ نَجَاحَا ! أشْهَـــدُ لَا يَزِيدُها فَلَاحَا

يعني : خيراً وقرباً من حاجتها . والفلاحُ مصدر من قولك : أفلح فلان يُفلح إفلاحاً وفلاحاً وفَلَحاً . والفلاح أيضاً : البقاءُ ، ومنه قول لبيد :

نَحُلُّ بلاداً ، كُلُّهَا حُلَّ قَبْلَنا ونَرْجُو الفَلَاحَ بَعْدَ عادٍ وحِمْيَرِ[3]

يريد : البقاء ، ومنه أيضاً قول عَبيد :

أَفْلِحَ بِما شِئْتَ، فَقَدْ يُدْرَكُ بِالضَّـ ـعْفِ ، وقد يُخْدَعُ الأرِيب[4]

يريد : عش وابقَ بما شئت ، وكذلك قول نابغة بني ذبيان :

وكُلُّ فَتًى سَتَشْعَبُهُ شَعُوبُ وإن أثْرَى ، وإن لَاقَى فَلَاحَا[5]

أي نجاحاً بحاجته وبَقاءً .

---

(١) ديوانه ٢ : ١٢ ، والخطاب في البيت لصاحبته .

(٢) البيت الثاني في اللسان (فركح) . والفركحة : تباعد ما بين الأليتين . والفركاح والمفركح منه ، يعني به الذم وأنه لا يطيق حمل ما يحمَّل في حرب أو مأثرة تبقى .

(٣) ديوانه القصيدة رقم : ١٤ ، يرثي من هلك من قومه .

(٤) ديوانه : ٧ ، وفي المطبوعة والديوان « فقد يبلغ » ، وهما روايتان مشهورتان .

(٥) من قصيدة ليست في زيادات ديوانه منها إلا أبيات ثلاثة، ليس هذا أحدها . وشعوب : اسم للمنية والموت ، غير مصروف ، لأنها تشعب الناس ، أي تصدعهم وتفرقهم . وشعبته شعوب : أي حطمته من ألافه فذهبت به وهلك .

* * *

القول فى تأويل قوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٦)

اختلف أهل التأويل فيمن عُنِى بهذه الآية ، وفيمن نزلَتْ . فكان ابن عباس يقول ، كما :—

٢٩٥— حدثنا به محمد بن حميد ، قال حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد ابن إسحق ، عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : «إن الذين كفروا» ، أى بما أنزِل إليك من ربِّك ، وإن قالوا إنا قد آمنا بما قد جاءنا من قبلك[1] .

وكان ابن عباس يرى أنّ هذه الآية نزلتْ فى اليهود الذين كانوا بنَواحى المدينةِ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، توبيخاً لهم فى جُحودهم نبوَّةَ محمد صلى الله عليه وسلم وتكذيبِهم به ، مع علمهم به ومعرفتِهم بأنّه رسولُ الله إليهم وإلى الناس كافّة .

٢٩٦ — وقد حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سَلَمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن أبى محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أن صَدر سورة البقرة إلى المئة منها ، نزل فى رجال سَمَّاهم بأعيانهم وأنْسَابهم من أحبار يهود ، من المنافقين من الأوس والخزرج ، كِرهنا تطويل الكتاب بذكر أسمائهم[2] .

---

(١) الخبر ٢٩٥ — ذكره ابن كثير ١ : ٨٢ مع باقيه الآتى : ٢٩٩ . وساقه السيوطى ١ : ٢٩ بأطول من ذلك ، زاد فيه ما يأتى : ٣٠٧ ، ٣١١ ، ونسبه أيضاً لابن إسحق وابن أبى حاتم ، وكذلك نسبه الشوكانى ١ : ٢٨ دون الزيادة الأخيرة .

(٢) الخبر ٢٩٦ — ذكره ابن كثير ١ : ٨٦ بنحوه ، من رواية ابن إسحق . ونقله السيوطى ١ : ٢٩ بلفظ الطبرى ، عنه وعن ابن إسحق . ونقله الشوكانى موجزاً ١ : ٢٩ . ومن الواضح أن قوله

وقد رُوِى عن ابن عباس فى تأويل ذلك قول آخر ، وهو ما :—

٢٩٧ — حدثنا به المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، عن على ابن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرِص أن يؤمن جميعُ الناس ويُتابعوه على الهدى ، فأخبره الله جل ثناؤه أنه لا يؤمنُ إلا من سبق له من الله السعادةُ فى الذِّكْر الأول ، ولا يضل إلا من سبق له من الله الشقاءُ فى الذِّكر الأول[1] .

وقال آخرون بما :—

٢٩٨ — حُدِّثت به عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، قال : آيتان فى قادةِ الأحزاب : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ • خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ، قال : وهم الذين ذكرهم الله فى هذه الآية : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ • جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ [سورة إبراهيم : ٢٨ ، ٢٩] ، قال : فهم الذين قُتلوا يوم بدر[2] .

وأولى هذه التأويلات بالآية تأويلُ ابن عباس الذى ذكره محمد بن أبى محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير عنه . وإنْ كان لكلٍّ قول مما قاله الذين ذكرنا قولهم فى ذلك مذهب .

---

* كرهنا تطويل الكتاب . . . » من كلام الطبرى نفسه . وانظر ما يأتى : ٣١٢ .

(١) الخبر ٢٩٧ — هو فى ابن كثير ١ : ٨٢ ، والسيوطى ١ : ٢٨ — ٢٩ ، والشوكانى ١ : ٢٨ ، ونسباه أيضاً لابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه والبيهقى .

(٢) الأثر ٢٩٨ — هكذا هو فى الطبرى ، من قول الربيع بن أنس . وذكره ابن كثير ١ : ٨٢ — ٨٣ مختصراً من رواية الربيع بن أنس عن أبى العالية ، ولم يذكر من خرجه . ونقله السيوطى ١ : ٢٩ ، والشوكانى ١ : ٢٨ ، بأطول مما هنا بذكر الأثر : ٣٠٩ معه ، من قول أبى العالية أيضاً ، ونسباه لابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم . فالظاهر أن الطبرى قصر بإسناده أو قصر به شيخه الميمى .

فأما مذهب من تأوّل فى ذلك ما قاله الربيع بن أنس ، فهو أنّ الله تعالى ذكره لمّا أخبرَ عن قوم من أهل الكفر بأنهم لا يؤمنون ، وأن الإنذارَ غيرُ نافعهم ، ثم كانَ من الكُفّار من قد نَفَعه الله بإنذار النبى صلى الله عليه وسلم إيّاه ، لإيمانه بالله وبالنبى صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله بعد نزول هذه السورة[1] — لم يَجُز أن تكون الآية نزلت إلا فى خاصٍّ من الكفار وإذ كان ذلك كذلك — وكانت قادةُ الأحزاب لا شك أنّهم ممن لم ينفعه الله عز وجل بإنذار النبى صلى الله عليه وسلم إياه ، حتى قتلهم الله تبارك وتعالى بأيدى المؤمنين يوم بدرٍ — عُلم أنهم مِمّن عنَى الله جل ثناؤه بهذه الآية . ٨٥/١

وأمّا عِلّتُنا فى اختيارنا ما اخترنا من التأويل فى ذلك ، فهى أنّ قول الله جل ثناؤه ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ ، عَقِيبَ خبر الله جل ثناؤه عن مؤمنى أهل الكتاب ، وعَقِيبَ نعتهم وصِفتهم وثنائه عليهم بإيمانهم به وبكتبه ورسله. فأوْلى الأمور بحكمة الله ، أن يُتلِيَ ذلك الخبرَ عن كُفّارهم ونُعُوتهم ، وذمّ أسبابهم وأحوالهم[2] ، وإظهارَ شَتْمهم والبراءةَ منهم . لأن مؤمنيهم ومشركيهم — وإن اختلفت أحوالهم فى اختلاف أديانهم — فإن الجنس يجمع جميعَهم بأنهم بنو إسرائيل .

وإنما احتجّ الله جلّ ثناؤه بأوّل هذه السورة لنبيِّه صلى الله عليه وسلم على مشركى اليهود من أحبار بنى إسرائيل ، الذين كانوا مع علمهم بنبوّته مُنكِرين نبوّته — بإظهار نبيِّه صلى الله عليه وسلم على ما كانت تُسِرُّه الأحبار منهم وتكتُمه ، فيجهلُه عُظْم اليهود وتعلمُه الأحبار منهم[3] — ليعلموا أن الذى أطلعه على علم ذلك ، هو الذى أنزل الكتابَ على موسى . إذْ كان ذلك من الأمور التى لم يكنْ محمد

---

(١) سياق عبارته « فهو أن الله تعالى ذكره لما أخبر عن قوم . . . . لم يجز . . . »

(٢) الأسباب جمع سبب : وأراد بها الطرق والوسائل .

(٣) عظم اليهود : معظمهم وأكثرهم .

صلى الله عليه وسلم ولا قومُه ولا عشيرتُه يعلمونه ولا يعرفونه من قبل نزول الفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم، فيمكنَهم ادّعاء اللَّبس فى أمره عليه السلام أنه نبيٌّ، وأنّ ما جاء به فمن عند الله[1]. وأنّى يُمكنُ ادّعاء اللَّبس فى صدق أمّيٍّ نشأ بين أمّيِّين لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسُب، فيقال قرأ الكتب فعَلِم، أو حَسَب[2] فنجّم؟ انبعثَ على أحبارٍ قُرّاءِ كَتَبَةَ[3] — قد دَرَسوا الكتب ورَأَسوا الأمم — يخبرهم عن مستور عُيوبهم، ومَصُون علومهم، ومكتوم أخبارهم، وخفيّات أمورهم التى جهلها من هو دونهم من أحبارهم. إنّ أمرَ من كان كذلك لغَيرُ مُشْكِلٍ، وإنّ صدقَه لبيِّن.

ومما ينبئ عن صحة ما قُلنا — من أنّ الذين عنى الله تعالى ذكره بقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ هم أحبارُ اليهود الذين قُتلوا على الكفرِ وماتوا عليه — اقتصاصُ الله تعالى ذكره نَبأهم، وتذكيرُه إياهم ما أخذ عليهم من العهود والمواثيق فى أمر محمدٍ عليه السلام، بَعْد اقتصاصه تعالى ذكرُه ما اقتصّ من أمر المنافقين، واعتراضِه بين ذلك بما اعترضَ به من الخبر عن إبليسَ وآدمَ — فى قوله: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ الآيات [سورة البقرة: ٤٠ وما بعدها]، واحتجاجُه لنبيِّه عليهم، بما احتجَّ به عليهم فيها بعد جُحُودهم نبوّته. فإذْ كان الخبر أوّلاً عن مُؤمِنِى أهل الكتاب، وآخراً عن مشركيهم، فأولى أن يكون وَسطاً :— عنهم. إذْ كان الكلامُ بعضُه لبعض تَبَعٌ، إلا أن تأتيهم دلالةٌ واضحةٌ بعُدول بعض ذلك عما ابتَدأ به من معانيه، فيكونَ معروفاً حينئذ انصرافه عنه.

---

(١) فى المطبوعة: «من عند الله».

(٢) يعنى بالحساب هنا: حساب سير الكواكب وبروجها، وبها يعرف المنجم أخبار مايدّعى من علم الغيب.

(٣) فى المطبوعة: «وانبعث على أحبار»، كأنه معطوف على كلام سابق. وليس صحيحاً، بل هو استئناف كلام جديد.

وأما معنى الكفر فى قوله « إن الذين كفروا » فإنه الجُحُود . وذلك أن الأحبار من يَهودِ المدينة جحدوا نبوّةَ محمد صلى الله عليه وسلم، وستَروه عن الناس وكتمُوا أمره ، وهُمْ يعرفونه كما يعرفون أبناءهم .

وأصْلُ الكفر عند العرب : تَغطيةُ الشيء، ولذلك سمَّوُا الليل « كافراً » ، لتغطية ظُلمته ما لِبستْه ، كما قال الشاعر :

فَتَذَكَّرَا ثَقَلاً رَثِيداً ، بَعْدَ مَا ألْقَتْ ذُكاءُ يَمِينَهَا فى كافِرِ (١)

٨٦/١

وقال لبيدُ بن ربيعة :

• فِى لَيْلَةٍ كَفَرَ النُّجُومَ غَمَامُهَا (٢) •

يعنى غَطَّاها. فكذلك الأحبار من اليهود غطَّوا أمر محمد صلى الله عليه وسلم وكَتَمُوه الناسَ — مع علمهم بنبوّته، ووُجُودِهم صِفَتَه فى كُتُبهم — فقال الله جل ثناؤه فيهم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِى الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ [سورة البقرة : ١٥٩]، وهم الذين أنزل الله عز وجل فيهم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

* * *

---

(١) الشعر لثعلبة بن صعير المازنى ، شرح المفضليات : ٢٥٧ . والضمير فى قوله « فتذكرا » للنعامة والظليم . والثقل : بيض النعام المصون ، والعرب تقول لكل شىء نفيس خطير مصون : ثقل . ورثد المتاع وغيره فهو مرثود و رثيد : وضع بعضه فوق بعض ونضده . وعنى ببيض النعام ، والنعام تنضده وتسويه بعضه إلى بعض . وذكاء : هى الشمس .

(٢) معلقته المشهورة ، ويأتى فى تفسير آية سورة المائدة : ١٢ (٦ : ٩٨ بولاق) . ويروى « ظلامها » . وصدره :

« يَعْلُو طَرِيقَةَ مَتْنِهَا مُتَوَاتِراً »

يعنى البقرة الوحشية ، قد ولجت كناسها فى أصل شجرة ، والرمل يتساقط على ظهرها .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٦)

وتأويل «سواءٌ» : معتدل. مأخوذ من التَّساوى ، كقولك : «مُتَساوٍ هذان الأمران عندى» ، و «هما عندى سَواءٌ» ، أى هما متعادلان عندى ، ومنه قول الله جل ثناؤه : ﴿فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ [سورة الأنفال : ٨] ، يعنى : أعلمهم وآذِنْهم بالحرب ، حتى يَستوى علمُك وعلمُهم بما عليه كلُّ فريقٍ منهم للفريقِ الآخر. فكذلك قوله «سَواءٌ عليهم» : معتدلٌ عندهم أىّ الأمرين كان منك إليهم ، الإنذار أم ترك الإنذار لأنهم لا يؤمنون[1] ، وقد خَتمتُ على قلوبهم وسمعهم . ومن ذلك قول عبد الله بن قيس الرُّقَيَّات :

تُغذُّ بِىَ الشَّهباءُ نَحْوَ ابنِ جَعْفَرٍ سَوَاءٌ عَلَيْهَا لَيْلُهَا ونَهَارُها[2]

يعنى بذلك : معتدلٌ عندها فى السير الليلُ والنهارُ ، لأنه لا فُتُورَ فيه. ومنه قول الآخر[3] :

وَلَيْلٍ يَقُولُ المَرْءُ مِنْ ظُلُمَاتِهِ سَوَاءٌ صَحِيحَاتُ العُيُونِ وَعُورُهَا

لأن الصحيح لا يبصر فيه إلا بصراً ضعيفاً من ظُلْمته .

وأما قوله : ﴿أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ، فإنه ظهرَ به الكلام ظهورَ الاستفهام وهو خبرٌ ، لأنه وَقعَ موقعَ «أىّ» كما تقول : «لا نُبالى أقمتَ أم

---

(١) فى المطبوعة «كانوا لا يؤمنون» .

(٢) ديوانه : ١٦٣ ، والكامل للمبرد ١ : ٣٩٨ ، ٣٩٩ . يمدح عبد الله بن جعفر بن أبى طالب . أغذ السير وأغذ فيه . أسرع . ورواية ديوانه ، والكامل «تقدت» . وتقدى به بعيره : أسرع على سنن الطريق . والشهباء : فرسه ، لونها الأشهب ، وهو أن يشق سوادها أو كمتها شعرات بيض حتى تكاد تغلب السواد أو الكمتة .

(٣) الشعر لمضرس بن ربعى الفقعسى . حماسة ابن الشجرى : ٢٠٤ .

قعدت »، وأنت مخبرٌ لا مستفهم ، لوقوع ذلك موقع « أى » . وذلك أنّ معناه إذا قلتَ ذلك : ما نبالى أىّ هذين كان منك . فكذلك ذلك فى قوله : «سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم » ، لمّا كان معنى الكلام : سواءٌ عليهم أىُّ هذين كان منك إليهم — حسُن فى موضعه مع سواءٌ : « أفعلتَ أم لم تفعل » .

وكان بعضُ نحويّى البصرة يزعمُ أنّ حرفَ الاستفهام إنما دَخَل مع «سواء»، وليس باستفهام، لأن المستفهِم إذا استفهَم غيرَه فقال : «أزيد عندك أم عمرو؟» مستثبتٌ صاحبه أيُّهما عنده . فليس أحدُهما أحقّ بالاستفهام من الآخر . فلما كان قوله : «سَواء عليهم أأنذرتهم أم لم تُنذرهم » بمعنى التسوية ، أشبه ذلك الاستفهامَ ، إذ أشبهه فى التّسوية . وقد بيّنّا الصّوابَ فى ذلك .

فتأويل الكلام إذاً : معتدلٌ يامحمد — على هؤلاء الذين جحدوا نبوّتك من أحبار يهود المدينة بعد علمهم بها ، وكتموا بيان أمرك للناس بأنك رسولى إلى خلقى ، وقد أخذتُ عليهم العهدَ والميثاقَ أن لا يكتموا ذلك، وأن يبيّنوه للناس، ويُخبرُوهم أنهم يجدُون صِفَتَك فى كتبهم — أأنذرتهم أم لم تنذرهم ، فإنهم لا يؤمنون، ولا يرجعون إلى الحق ، ولا يصدقونَ بك وبما جئتَهم به . كما :—

٢٩٩ — حدثنا محمد بن حميد قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد ابن إسحق، عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾، أى أنهم قد كفروا بما عندهم من العِلْم من ذكرى ،وجحدوا ما أُخِذ عليهم من الميثاق لك ، فقد كفروا بما جاءك، وبما عندهم مما جاءهم به غيرك ، فكيف يسمعون منك إنذاراً وتحذيراً ، وقد كفروا بما عندهم من علمك ؟(١)

• • •

(١) الخبر ٢٩٩ — سبق تخريجه مع الخبر ٢٩٥ .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ﴾

قال أبو جعفر : وأصلُ الختم : الطَّبْع. والخاتَم هو الطَّابع . يقال منه : ختمتُ الكتابَ ، إذا طبَعْتَه .

فإن قال لنا قائل: وكيف يختِمُ على القلوبِ ، وإنما الختمُ طبعٌ على الأوعية والظروف والغلف[1] ؟ ٨٧/١

قيل : فإن قلوبَ العباد أوعيةٌ لما أُودِعت من العلوم ، وظروفٌ لما جُعل فيها من المعارف بالأمور[2] . فمعنى الختم عليها وعلى الأسماع — التى بها تُدرَك المسموعات ، ومن قِبَلها يوصَل إلى معرفة حقائق الأنباء عن المُغَيَّبات — نظيرُ معنى الختم على سائر الأوعية والظروف .

فإن قال : فهل لذلك من صفةٍ تصفُها لنا فنفهمَها؟ أهى مثل الختم الذى يُعْرَف لما ظَهَر للأبصار ، أم هى بخلاف ذلك ؟

قيل : قد اختلف أهل التأويل فى صفة ذلك ، وسنخبر بصفته بعد ذكرنا قولهم :

٣٠٠ — فحدثنى عيسى بن عثمان بن عيسى الرَّمْلى ، قال: حدثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، قال: أرانا مُجاهدٌ بيَدِه فقال: كانوا يُرَوْنَ أنَّ القلبَ فى مثل هذا — يعنى الكفَّ — فإذا أذنبَ العبد ذنباً ضُمَّ منه — وقال بإصبعِه الخنصر هكذا[3] — فإذا أذنب ضُمَّ — وقال بإصبع أخرى — فإذا أذنب ضُمَّ — وقال بإصبع أخرى هكذا ، حتى ضم أصابعَه كلَّها ، قال : ثم يُطبع عليه بطابَعٍ . قال

(١) الغلف جمع غلاف : وهو الصوان الذى يشتمل على ما أوعيت فيه .
(٢) فى المخطوطة : « من المعارف بالعلوم » .
(٣) قال بإصبعه : أشار بإصبعه .

مُجاهد : وكانوا يُرَوْن أنّ ذلك : الرَّيْنُ[١].

٣٠١ – حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن مجاهد، قال : القلبُ مثلُ الكفّ ، فإذا أذنب ذنباً قبض أصبعاً حتى يقبض أصابعه كلها – وكان أصحابنا يُرون أنه الرّان[٢] .

٣٠٢ – حدثنا القاسم بن الحسن ، قال: حدثنا الحسين بن داود ، قال : حدثني حجاج، قال : حدثنا ابن جُريج، قال : قال مجاهد : نُبِّئت أنّ الذنوبَ على القلب تحُفّ به من نواحيه حتى تلتقي عليه، فالتقاؤُها عليه، الطَّبعُ ، والطبعُ : الختْم . قال ابن جريج : الختْم ، الختْم على القَلْب والسَّمع[٣] .

٣٠٣ – حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جُريج ، قال: حدثني عبد الله بن كَثير ، أنه سمع مجاهداً يقول : الرّانُ أيسَرُ من الطَّبْع ، والطَّبْع أيسر من الأقْفَال ، والأقفال أشدُّ ذلك كله[٤] .

---

(١) الأثر ٣٠٠ – عيسى بن عثمان بن عيسى بن عبد الرحمن ، التميمي النهشلي : قال النسائي : « صالح » . وهو من شيوخ الترمذي وابن مندة وغيرهما ، مات سنة ٢٥١ ، وروى عنه البخاري أيضاً في التاريخ الصغير : ٢٢٤ في ترجمة عمه . وعمه « يحيى بن عيسى » . وثقه أحمد والعجلي وغيرهما ، وترجمه البخاري في الصغير ، قال : « حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى ، قال : مات يحيى بن عيسى أبو زكريا التميمي سنة ٢٠١ أو نحوها . كوفي الأصل ، وإنما قيل : الرملي ، لأنه حدث بالرملة ومات فيها » ، وترجمه في الكبير أيضاً ٤/٢ : ٢٩٦ « يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن الرملي ، سمع الأعمش ، وهو التميمي أبو زكريا الكوفي ، سكن الرملة . . . » . ولم يذكر فيه جرحاً .

وهذا الأثر ، سيأتي بهذا الإسناد في تفسير آية سورة المطففين : ١٤ (٣٠ : ٦٣ بولاق) . وذكره ابن كثير ١ : ٨٢ ، والسيوطي ٦ : ٣٢٦ .

(٢) الأثر ٣٠١ – سيأتي أيضاً (٣٠ : ٦٣ بولاق) . وأشار إليه ابن كثير ١ : ٨٣ دون أن يذكر لفظه . وكذلك السيوطي ٦ : ٣٢٥ .

(٣) الأثر ٣٠٢ – هذا من رواية ابن جريج عن مجاهد ، والظاهر أنه منقطع ، لأن ابن جريج يروي عن مجاهد بالواسطة ، كما سيأتي في الأثر بعده . وهذا الأثر ذكره ابن كثير ١ : ٨٣ ، ولكنه محرف فيه من الناسخ أو الطابع .

(٤) الأثر ٣٠٣ – عبد الله بن كثير : هو الداري المكي ، أحد القراء السبعة المشهورين ، وهو ثقة . وقد قرأ القرآن على مجاهد . وقد خلط ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٢/٢ : ١٤٤ بينه وبين « عبد الله بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة السهمي » . ويظهر من كلام الحافظ في التهذيب ٥ : ٣٦٨ أن هذا الوهم كان من البخاري نفسه ، فلعل ابن أبي حاتم تبعه في وهمه دون تحقيق .

وهذا الأثر ذكره ابن كثير ١ : ٨٣ ، وكذلك السيوطي ٦ : ٣٢٦ ، وزاد نسبته إلى البيهقي .

وقال بعضهم : إنما معنى قوله « ختم الله على قلوبهم » إخبارٌ من الله جل ثناؤه عن تكبرهم ، وإعراضهم عن الاستماع لِمَا دُعُوا إليه من الحق ، كما يقال : « إنّ فلاناً لأصَمُّ عن هذا الكلام » ، إذا امتنع من سَمَاعه ، ورفع نفسه عن تفهُّمه تكبراً .

قال أبو جعفر : والحق فى ذلك عندى ما صَحَّ بنظيره الخبرُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو ما :—

٣٠٤ — حدثنا به محمد بن بشار قال : حدثنا صفوان بن عيسى ، قال : حدثنا ابن عَجْلان ، عن القَعْقَاع ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّ المؤمنَ إذا أذنب ذنباً كانت نُكْتَةٌ سوداءُ فى قلبه ، فإن تاب ونَزَع واستغفر ، صَقَلَت قلبه ، فإن زاد زادت حتى تُغْلَق قلبه ، فذلك « الرَّانُ » الذى قال الله جل ثناؤه : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١) [سورة المطففين : ١٤] .

---

(١) الحديث ٣٠٤ — سيأتى فى الطبرى بهذا الإسناد ٣٠ : ٦٢ بولاق . ورواه هناك بإسناد آخر قبله ، وبإسنادين آخرين بعده : كلها من طريق محمد بن عجلان عن القعقاع .

محمد بن بشار : هو الحافظ البصرى ، عرف بلقب « بندار » بضم الباء وسكون النون . روى عنه أصحاب الكتب الستة وغيرهم من الأئمة . ووقع فى المطبوعة هنا « محمد بن يسار » ، وهو خطأ . ابن عجلان ، بفتح العين وسكون الجيم : هو محمد بن عجلان المدنى ، أحد العلماء العاملين الثقات . القعقاع بن حكيم الكنانى المدنى : تابعى ثقة . أبو صالح : هو السمان ، واسمه « ذكوان » . تابعى ثقة ، قال أحمد : « ثقة ثقة ، من أجل الناس وأوثقهم » .

والحديث رواه أحمد فى المسند ٧٩٣٩ (٢ : ٢٩٧ حلبى) عن صفوان بن عيسى ، بهذا الإسناد . ورواه الحاكم ٢ : ٥١٧ من طريق بكار بن قتيبة القاضى عن صفوان . وقال : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى . ورواه الترمذى ٤ : ٢١٠ ، وابن ماجة ٢ : ٢٩١ ، من طريق محمد بن عجلان . قال الترمذى : « هذا حديث حسن صحيح » .

وذكره ابن كثير ١ : ٨٤ من رواية الطبرى هذه ، ثم قال : هذا الحديث من هذا الوجه ، قد رواه الترمذى والنسائى عن قتيبة عن الليث بن سعد ، وابن ماجة عن هشام بن عمار عن حاتم بن إسمعيل والوليد ابن مسلم — ثلاثتهم عن محمد بن عجلان ، به . وقال الترمذى : « حسن صحيح » ، ثم ذكره مرة أخرى ٩ : ١٤٣ من رواية هؤلاء ومن رواية أحمد فى المسند . وذكره السيوطى ٦ : ٣٢٥ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد ، وابن حبان ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، والبيهقى فى شعب الإيمان .

وفى متن الحديث هنا ، فى المطبوعة « كان نكتة . . . صقل قلبه . . . حتى يغلف قلبه » . وهو فى رواية الطبرى الآتية ، كما فى المخطوطة ، إلا قوله « حتى تغلق قلبه » ، فهى هناك « حتى تعلو قلبه » .

فأخبر صلى الله عليه وسلم أنّ الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلقتها ، وإذا أغلقتها أتاها حينئذ الختْم من قبل الله عز وجلّ والطبع[1] ، فلا يكون للإيمان إليها مَسْلك ، ولا للكفر منها مَخْلَص ، فذلك هو الطَّبع . والختم الذى ذكره الله تبارك وتعالى فى قوله : ﴿ خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ﴾ ، نظيرُ الطبع والختم على ما تدركه الأبصار من الأوعية والظروف ، التى لا يوصَل إلى ما فيها إلا بفضّ ذلك عنها ثمّ حلّها . فكذلك لا يصل الإيمان إلى قلوب من وَصَف الله أنه ختم على قلوبهم ، إلا بعد فضّه خاتمَه وحلّه رباطَه عنها .

ويقال لقائلى القول الثانى ، الزاعمين أنّ معنى قوله جل ثناؤه « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم » ، هو وَصْفُهم بالاستكبار والإعراض عن الذى دُعوا إليه من الإقرار بالحق تكبُّراً : أخبرونا عن استكبار الذين وَصَفهم الله جل ثناؤه بهذه الصفة ، وإعراضِهم عن الإقرار بما دُعوا إليه من الإيمان وسائر المعانى اللّواحق به — أفعلٌ منهم ، أم فعلٌ من الله تعالى ذكرُه بهم ؟

فإن زعموا أنّ ذلك فعلٌ منهم — وذلك قولهم — قيل لهم : فإنّ الله تبارك وتعالى قد أخبر أنه هو الذى ختَم على قلوبهم وسمْعهم . وكيف يجوز أن يكون إعراضُ ١/٨٨ الكافرِ عن الإيمان ، وتكبُّره عن الإقرار به — وهو فعله عندكم — ختماً من الله على قلبه وسمعه ، وختمهُ على قلبه وسَمْعه ، فعلُ الله عز وجل دون الكافر ؟

فإن زعموا أن ذلك جائز أن يكون كذلك — لأن تكبُّرَه وإعراضه كانا عن ختم الله على قلبه وسمعه ، فلما كان الختمُ سبباً لذلك ، جاز أن يسمى مُسبَّبه به — تركوا قولَهم ، وأوجبوا أنّ الختمَ من الله على قلوب الكفار وأسماعهم ، معنًى غيرُ كفْرِ الكافرِ ، وغيرُ تكبره وإعراضه عن قبول الإيمان والإقرار به . وذلك الدخولُ فيما أنكروه[2] .

---

(١) فى المطبوعة : « أغلقتها » فى الموضعين ، والتصحيح من المخطوطة وابن كثير .

(٢) فى المطبوعة : « وذلك دخول فيما أنكروه » .

وهذه الآية من أوْضحِ الدليل على فساد قول المنكرين تكليفَ ما لا يُطاق إلا بمعونة الله ، لأن الله جل ثناؤه أخبرَ أنه ختم على قلوب صِنْف من كُفَّار عباده وأسماعهم ، ثم لم يُسقط التكليف عنهم ، ولم يَضَعْ عن أحدٍ منهم فرائضَه ، ولم يعذِرْهُ في شيء مما كان منه من خلاف طاعته بسبب ما فعل به من الختم والطبع على قلبه وسمعه — بَلْ أخبر أن لجميعِهم منه عذاباً عظيما على تركِهم طاعتَه فيما أمرهم به ونهاهم عنه من حدوده وفرائضه ، مع حَتْمه القضاءَ عليهم مع ذلك ، بأنهم لا يؤمنون .

* * *

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾

قال أبو جعفر : وقوله ﴿ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ خبرٌ مبتدأ بعد تمام الخبر عمَّا ختم الله جلَّ ثناؤه عليه من جوارح الكفَّار الذين مضت قِصَصهم . وذلك أن « غِشاوةٌ » مرفوعة بقوله « وعلى أبصارهم » ، فذلك دليل على أنه خَبرٌ مبتدأ ، وأن قوله « ختم الله على قلوبهم » ، قد تناهى عند قوله « وعلى سمْعهم » .

وذلك هو القراءة الصحيحة عندنا لمعنيين :

أحدهما : اتفاق الحجة من القُرَّاء والعلماء على الشهادة بتصحيحها ، وانفرادُ المخالف لهم في ذلك ، وشذوذه عمَّا هم على تَخطئته مجمعون . وكفى بإجماع الحجة على تخطئة قراءته شاهداً على خطئها .

والثاني : أنَّ الختمَ غيرُ موصوفةٍ به العيونُ في شيء من كتاب الله ، ولا في خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا موجودٍ في لغة أحد من العرب . وقد قال تبارك وتعالى في سورة أخرى : ﴿ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ ﴾ ، ثم قال : ﴿ وَجَعَلَ

---

(١) في المطبوعة : « من أوضح الأدلة . . . » .

عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً ﴾ [سورة الجاثية : ٢٣] ، فلم يدخل البصرَ فى معنى الختْم . وذلك هو المعروف فى كلام العرب ، فلم يَجُزْ لنا ، ولا لأحدٍ من الناس ، القراءةُ بنصب الغِشاوة ، لما وصفتُ من العلّتين اللتين ذكرت ، وإن كان لنَصْبها مخرجٌ معروفٌ فى العربية .

وبما قلنا فى ذلك من القولِ والتأويلِ ، رُوى الخبر عن ابن عباس :

٣٠٥ — حدثنى محمد بن سعد ، قال : حدثنى أبى ، قال : حدثنى عمى الحسين ابن الحسن ، عن أبيه ، عن جده ، عن ابن عباس : «ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم » ، والغشاوة على أبصارهم[1] .

---

(١) الخبر ٣٠٥ — هذا الإسناد من أكثر الأسانيد دوراناً فى تفسير الطبرى ، وقد مضى أول مرة ١١٨ ، ولم أكن قد اهتديت إلى شرحه . وهو إسناد مسلسل بالضعفاء من أسرة واحدة ، إن صح هذا التعبير ! وهو معروف عند العلماء بـ « تفسير العوفى » ، لأن التابعى — فى أعلاه — الذى يرويه عن ابن عباس ، هو « عطية العوفى » ، كما سنذكر . قال السيوطى فى الإتقان ٢ : ٢٢٤ : « وطريق العوفى عن ابن عباس ، أخرج منها ابن جرير ، وابن أبى حاتم ، كثيراً . والعوفى ضعيف ، ليس بواه ، وربما حسن له الترمذى » . وسنشرحه هنا مفصلا ، إن شاء الله :

محمد بن سعد ، الذى يروى عنه الطبرى : هو محمد بن سعد بن محمد بن الحسن بن عطية بن سعد بن جنادة العوفى ، من « بنى عوف بن سعد » فخذ من « بنى عمرو بن عياذ بن يشكر بن بكر بن وائل » . وهو لين فى الحديث ، كما قال الخطيب . وقال الدارقطنى : « لا بأس به » . مات فى آخر ربيع الآخر سنة ٢٧٦ . ترجمه الخطيب فى تاريخ بغداد ٥ : ٣٢٢ — ٣٢٣ . والحافظ فى لسان الميزان ٥ : ١٧٤ . وهو غير « محمد بن سعد بن منيع » كاتب الواقدى ، وصاحب كتاب الطبقات الكبير ، فهذا أحد الحفاظ الكبار الثقات المتحرين ، قديم الوفاة ، مات فى جمادى الآخرة سنة ٢٣٠ .

أبوه «سعد بن محمد بن الحسن العوفى» : ضعيف جداً ، سئل عنه الإمام أحمد ، فقال : «ذاك جهمى » ، ثم لم يره موضعاً للرواية ولو لم يكن ، فقال : « لو لم يكن هذا أيضاً لم يكن ممن يستأهل أن يكتب عنه ، ولا كان موضعاً لذاك » . وترجمته عند الخطيب ٩ : ١٢٦ — ١٢٧ ، ولسان الميزان ٣ : ١٨ — ١٩ .

عن عمه : أى عم سعد ، وهو « الحسين بن الحسن بن عطية العوفى » . كان على قضاء بغداد ، قال ابن معين : « كان ضعيفاً فى القضاء . ضعيفاً فى الحديث » . وقال ابن سعد فى الطبقات : « وقد سمع سماعاً كثيراً ، وكان ضعيفاً فى الحديث » . وضعفه أيضاً أبو حاتم والنسائى . وقال ابن حبان فى المجروحين : « منكر الحديث . . . ولا يجوز الاحتجاج بخبره » . وكان طويل اللحية جدا ، روى الخطيب من أخبارها طرائف ، مات سنة ٢٠١ . مترجم فى الطبقات ٧/٢/٧٤ ، والجرح والتعديل ١/٢/٤٨ ، وكتاب المجروحين لابن حبان ، رقم ٢٢٨ ص ١٦٧ ، وتاريخ بغداد ٨ : ٢٩ — ٣٢ ، ولسان الميزان ٢ : ٢٧٨ .

عن أبيه : وهو « الحسن بن عطية بن سعد العوفى » ، وهو ضعيف أيضاً ، قال البخارى فى الكبير : « ليس بذاك » ، وقال أبو حاتم : « ضعيف الحديث » . وقال ابن حبان : « يروى عن أبيه ،

فإن قال قائل : وما وجهُ مخرج النَّصْب فيها ؟

قيل له : أن تنصبها بإضمار «جعل»[1] ، كأنه قال : وجعل على أبصارهم غِشَاوةً ، ثم أسقط «جعل» ، إذْ كان فى أول الكلام ما يدُلّ عليه . وقد يحتمل نَصبُها على إتباعها موضعَ السمع ، إذ كان موضعه نصباً ، وإن لم يكن حَسَناً إعادةُ العامل فيه على «غشاوة» ، ولكن على إتباع الكلام بعضِه بعضاً ، كما قال تعالى ذكره: ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ ﴾ ، ثم قال: ﴿ وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ * وحُورٍ عِينٍ ﴾، [سورة الواقعة: ١٧-٢٢]، فخفَضَ اللحمَ والحورَ على العطف به على الفاكهة ، إتباعاً لآخر الكلام أوّلَه . ومعلومٌ أن اللحمَ لا يطاف به ولا بالحور العين ، ولكن كما قال الشاعر يصف فرسه :

عَلَفْتُهَا تِبْناً وَمَاءً بارِدًا حَتَّى شَتَتْ هَمَّالَةً عَيْنَاهَا[2]

روى عنه ابنه محمد بن الحسن ، منكر الحديث ، فلا أدرى : البلية فى أحاديثه منه ، أو من أبيه ، أو منهما معاً ؟ لأن أباه ليس بشىء فى الحديث ، وأكثر روايته عن أبيه ، فمن هنا اشتبه أمره ، ووجب تركه » . مترجم فى التاريخ الكبير ٢٩٩/٢/١ ، وابن أبى حاتم ٢٦/٢/١ ، والمجروحين لابن حبان ، رقم ٢١٠ ص ١٥٨ ، والتهذيب .

عن جده : وهو « عطية بن سعد بن جنادة العوفى » ، وهو ضعيف أيضاً ، ولكنه مختلف فيه ، فقال ابن سعد : « كان ثقة إن شاء الله ، وله أحاديث صالحة . ومن الناس من لا يحتج به » ، وقال أحمد : « هو ضعيف الحديث . بلغنى أن عطية كان يأتى الكلبى فيأخذ عنه التفسير . وكان الثورى وهشيم يضعفان حديث عطية » . وقال أبو حاتم : «ضعيف الحديث ، يكتب حديثه » . وسئل يحيى بن معين : « كيف حديث عطية ؟ قال : صالح » . وقد رجحنا ضعفه فى شرح حديث المسند : ٣٠١٠ ، وشرح حديث الترمذى : ٥٥١ ، وإنما حسن الترمذى ذاك الحديث لمتابعات ، ليس من أجل عطية . وقد ضعفه النسائى أيضاً فى الضعفاء : ٢٤ . وضعفه ابن حبان جداً ، فى كتاب المجروحين ، قال : « . . . فلا يحل كتبة حديثه إلا على وجه التعجب » ، الورقة : ١٧٨ . وانظر أيضاً : ابن سعد ٦ : ٢١٢ — ٢١٣ والكبير البخارى ٨/١/٤ — ٩ . والصغير ١٢٦ . وابن أبى حاتم ٣٨٢/١/٣ — ٣٨٣ . والتهذيب .

والخبر نقله ابن كثير ١ : ٨٥ ، والسيوطى فى الدر المنثور ١ : ٢٩ ، وزاد نسبته لابن أبى حاتم . وكذلك صنع الشوكانى ١ : ٢٨ .

(١) فى المطبوعة : « إن نصبها . . . »

(٢) لا يعرف قائله ، وأنشده الفراء فى معانى القرآن ١ : ١٤ وقال : « أنشدنى بعض بنى أسد يصف فرسه » ، وفى الخزانة ١ : ٤٩٩ : « رأيت فى حاشية صحيحة من الصحاح أنه لذى الرمة ، ففتشت ديوانه فلم أجده » . وسيأتى فى تفسير آية سورة المائدة : ١٠٩ (٧ : ٨١ بولاق) . وقوله « شتت »

ومعلومٌ أن الماء يُشرَب ولا يعلف به ، ولكنه نَصب ذلك على ما وصفتُ قبلُ ، وكما قال الآخر :

ورأيْتُ زَوْجَكِ فِى الوَغَى مُتَقَلِّداً سَيْفاً ورُمْحَا(١)

وكان ابن جُريج يقول – فى انتهاء الخبر عن الختم إلى قوله « وعلى سَمْعهم » ، ٨٩/١
وابتداءِ الخبر بعده – بمثل الذى قلنا فيه، ويتأوّل فيه من كتاب الله ﴿ فَإِنْ يَشَإِ اللهُ يَخْتِمْ على قَلْبِكَ ﴾ [سورة الشورى : ٢٤].

٣٠٦ – حدثنا القاسم، قال : حدثنا الحسين، قال: حدثنى حجاج ، قال : حدثنا ابن جُريج ، قال : الختمُ على القلب والسمع ، والغشاوة على البَصَر، قال الله تعالى ذكره : ﴿ فَإِنْ يَشَأِ اللهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ (٢) ﴾، وقال: ﴿ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً ﴾ [سورة الجاثية : ٢٣].

والغشاوة فى كلام العرب : الغطاءُ ، ومنه قول الحارث بن خالد بن العاص :

تَبِعْتُكَ إذْ عَيْنِى عَلَيْهَا غِشَاوَةٌ فَلَمَّا انْجَلَتْ قَطَّعْتُ نَفْسِى أَلُومُهَا(٣)

ومنه يقال : تغشَّاه الهم، إذا تجلَّله وركبه ، ومنه قول نابغة بنى ذبيان :

من شتا بالمكان : أقام فيه زمن الشتاء ، وهو زمن الجدب ، وهمالة : تهمل دمعها أى تسكبه وتصبه من شدة البرد .

(١) مضى تخريج هذا البيت فى ص ١٤٠ .

(٢) الأثر ٣٠٦ – ساقه ابن كثير فى تفسيره ١ : ٨٥ ، والشوكانى ١ : ٢٨ .

(٣) الشاعر هو الحارث بن خالد المخزومى ، ويأتى البيت فى تفسير آية سورة الأعراف : ١٨ (٨ : ١٠٣ بولاق) ، وروايته هناك: «صحبتك إذ عينى . . . أذيمها» ، شاهداً على «الذام» ، وهو أبلغ فى العيب من الذم ، ثم قال أبو جعفر : « وأكثر الرواة على إنشاده : ألومها » ، وخبر البيت : أن عبد الملك بن مروان لما ولى الخلافة حج البيت ، فلما انصرف رحل معه الحارث إلى دمشق ، فظهرت له منه جفوة ، وأقام ببابه شهراً لا يصل إليه ، فانصرف عنه وقال البيت الشاهد وبعده :

وما بِىَ إن أقصَيتنِى من ضَرَاعةٍ وَلاَ أفتقَرَتْ نَفْسِى إلى مَنْ يَضِيمُها

(انظر الأغانى ٣ : ٣١٧) ، وبلغ عبد الملك شعره ، فأرسل إليه من رده إليه .

هَلَّا سَأَلْتِ بَنِي ذُبْيَانَ مَا حَسَبِي إِذَا الدُّخَانُ تَغَشَّى الأَشْمَطَ البَرَمَا[١]

يعني بذلك : تجلّله وَخالطه .

وإنما أخبر الله تعالى ذكره نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم عن الذين كفروا به من أحبار اليهود ، أنه قد ختَم على قلوبهم وطَبَعَ عليها — فلا يعقلون الله تبارك وتعالى موعظةً وعظهم بها ، فيما آتاهم من علم ما عندهم من كتُبِه ، وفيما حدَّد في كتابه الذي أوحاه وأنزله إلى نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم — وعلى سمعهم ، فلا يسمَعُون من محمد صلى الله عليه وسلم نبيِّ الله تحذيراً ولا تذكيراً ولا حجةً أقامها عليهم بنبوَّته ، فيتذكرُوا ويحذروا عقاب الله عز وجلّ في تكذيبهم إياه ، مع علمهم بصدقه وصحّة أمره . وأعلمه مع ذلك أنّ على أبصارهم غشاوةً عن أن يُبصروا سبيل الهُدَى ، فيعلموا قُبْحَ ما هم عليه من الضلالة والرَّدَى .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، رُوِى الخبر عن جماعة من أهل التأويل :

٣٠٧ — حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد ابن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ ، أيْ عن الهدى أن يُصيبوه أبداً بغير ما كذبوك به من الحقّ الذي جاءك من ربّك ، حتى يؤمنوا به ، وإن آمنوا بكل ما كان قبلك[٢] .

٣٠٨ — حدثني موسى بن هرون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السُّدّيّ في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس — وعن مُرّة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب رسول

---

(١) ديوانه : ٥٢ . والأشمط : الذي شاب رأسه من الكبر ، والبرم : الذي لا يدخل مع القوم في الميسر . قال ابن قتيبة في المعاني الكبير ٤١٠ ، ١٢٣٨ : « وإنما خص الأشمط ، لأنه قد كبر وضعف ، فهو يأتي مواضع اللحم » .

(٢) الخبر ٣٠٧ — ذكره السيوطي ١ : ٢٩ متصلا بما مضى : ٢٩٥ ، ٢٩٩ وبما يأتي : ٣١١ . ساقها سياقاً واحداً .

الله صلى الله عليه وسلم : «ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم» يقول : فلا يعقلون ولا يَسْمعون . ويقول : «وجعل على أبصارهم غشاوة» يقول : على أعينهم فلا يُبصرون[1] .

وأما آخرون ، فإنهم كانوا يتأولون أنّ الذين أخبر الله عنهم من الكفّار أنه فعل ذلك بهم ، هم قادة الأحزاب الذين قتلوا يوم بدر .

٣٠٩ – حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا إسحق بن الحجاج ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، قال : هاتان الآيتان إلى ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ هم ﴿ الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ ﴾ [سورة إبراهيم : ٢٨] ، وهمُ الذين قُتلوا يوم بدر ، فلم يدخل من القادة أحدٌ في الإسلام إلا رجلان : أبو سفيان بن حَرْب ، والحَكَم بن أبي العاص[2] .

٣١٠ – وحدثت عن عمار بن الحسن ، قال حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، عن الحسن ، قال : أما القادةُ فليس فيهم مُجيبٌ ولا ناجٍ ولا مُهْتَدٍ .

وقد دللنا فيما مضى على أوْلى هذين التأويلين بالصواب ، كرهنا إعادته .

* * *

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٧)

وتأويلُ ذلك عندي ، كما قاله ابن عباس وتأوّله :

---

(١) الخبر ٣٠٨ – ساقه ابن كثير ١ : ٨٥ . وذكره السيوطي ١ : ٢٩ ، والشوكاني ١ : ٢٨ عن ابن مسعود فقط .

(٢) الأثر ٣٠٩ – هو تتمة الأثر الماضي : ٢٩٨ ، كما ساقه السيوطي ١ : ٢٩ ، والشوكاني ١ : ٢٨ . وقد أشرنا إليه هناك .

٣١١ – حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ولهم بما هُمْ عليه من خلافك عذابٌ عظيم . قال : فهذا فى الأحبار من يهود، فيما كذّبوكِ به من الحق الذى جاءك من ربّك بعد معرفتهم[1] . ٩٠/١

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨)

قال أبو جعفر : أما قوله : « ومن الناس »، فإن فى « الناس » وجهين :

أحدهما : أن يكون جمعاً لا واحدَ له من لَفْظِه ، وإنما واحدهم « إنسانٌ »، وواحدتهم « إنسانة »[2] .

والوجه الآخر : أن يكون أصله « أُناس» أسقِطت الهمزة منها لكثرة الكلام بها، ثم دخلتها الألف واللام المعرِّفتان ، فأدغِمت اللام – التى دخلت مع الألف فيها للتعريف – فى النون ، كما قيل فى ﴿ لَـكِنَّ هُوَ اللَّهُ رَبِّى ﴾ [سورة الكهف : ٣٨]، على ما قد بينا فى « اسم الله » الذى هو الله[3] . وقد زعم بعضهم أن « الناس » لغة غير « أناس»، وأنه سمع العرب تصغره « نُوَيْس» من الناس، وأن الأصل لو كان أناس لقيل فى التصغير : أُنَيس ، فرُدَّ إلى أصله .

وأجمعَ جميع أهل التأويل على أنّ هذه الآية نزلت فى قوم من أهلِ النِّفاق ، وأن هذه الصِّفة صِفتُهم .

---

(١) الخبر ٣١١ – هو تتمة الأخبار : ٢٩٥ ، ٢٩٩ ، ٣٠٧ ، ساقها السيوطى ١ : ٢٩ مساقاً واحداً ، كما أشرنا من قبل . ولكنه حذف من آخره ما بعد قوله « فهذا فى الأحبار من يهود » . لعله ظنه من كلام الطبرى . والسياق واضح أنه من تتمة الخبر .

(٢) فى المطبوعة : « واحده إنسان ، وواحدته إنسانة » .

(٣) انظر ما مضى ص ١٢٥ – ١٢٦ .

ذكر من قال ذلك من أهل التأويل بأسمائهم :

٣١٢- حدثنا محمد بن حميد، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ، يعني المنافقين من الأوْس والخَزْرج ومَنْ كان على أمرهم .

وقد سُمِّي في حديث ابن عباس هذا أسماؤهم عن أبيّ بن كعب، غير أني تركت تسميتهم كراهة إطالة الكتاب بذكرهم[1] .

٣١٣ - حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أنبأنا عبد الرزّاق، قال : أنبأنا مَعْمَر، عن قتادة في قوله : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾، حتى بلغ : ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ قال : هذه في المنافقين[2] .

٣١٤ - حدثنا محمد بن عمرو الباهلي ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى بن ميمون ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي نَجِيح ، عن مجاهد ، قال : هذه الآية إلى ثلاثَ عشرة ، في نَعت المنافقين .

٣١٥ - حدثني المثنى بن إبراهيم، قال : حدثنا أبو حُذيفة ، قال : حدثنا شِبْل ، عن ابن أبي نَجيح ، عن مجاهد ، مثله .

٣١٦ - حدثنا سفيان، قال : حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد ، مثله .

---

(١) الخبر ٣١٢ - مضى نحو معناه : ٢٩٦ ، وأشرنا إلى هذا هناك .
وأسماء المنافقين ، من الأوس والخزرج ، الذين كره الطبري إطالة الكتاب بذكرهم - حفظها علينا ابن هشام، في اختصاره سيرة ابن إسحق ، بتفصيل واف : ٣٥٥-٣٦١ (طبعة أوربة)، ٢ : ١٦٦ - ١٧٤ (طبعة الحلبي) ، ٢ : ٢٦ - ٢٩ (الروض الأنف) .

(٢) الأثر ٣١٣ - الحسن بن يحيى ، شيخ الطبري ؛ وقع في الأصول هنا « الحسين » ، وهو خطأ . وقد مضى مثل هذا الإسناد على الصواب، رقم : ٢٥٧ .

٣١٧ – حدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن إسمعيل السدىّ فى خبر ذكره ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس – وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾ هم المنافقون .

٣١٨ – حدثنى المثنى ، قال : حدثنا إسحق ، عن ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، فى قوله : ﴿ومن الناس مَنْ يقول آمنا بالله وباليوم الآخر﴾ إلى ﴿فزادهم الله مَرَضاً ولهم عَذاب أليم﴾ ، قال : هؤلاء أهلُ النفاق .

٣١٩ – حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، فى قوله : ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾ قال : هذا المنافقُ ، يخالِفُ قولُه فعلَه ، وسرُّه علانيتَه ، ومدخلُه مخرجَه ، ومشهدُه مغيبَه[1] .

وتأويل ذلك : أنّ الله جل ثناؤه لما جمع لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم أمرَهُ فى دار هجرته ، واستقرّ بها قرارُه ، وأظهرَ الله بها كلمتَه ، وفشا فى دور أهلها الإسلام ، وقَهرَ بها المسلمون مَنْ فيها من أهل الشرك من عبدة الأوثان ، وذَلّ بها مَن فيها من أهل الكتاب – أظهر أحبارُ يهودها لرسول الله صلى الله عليه وسلم الضّغائن ، وأبدوا له العداوة والشنآنَ ، حسداً وبَغياً[2] ، إلا نفراً منهم هداهم الله للإسلام فأسلَموا ، كما قال جل ثناؤه : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [سورة البقرة : ١٠٩] ، وطابَقَهم سرًّا على مُعاداة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه

(١) الروايات ٣١٤ – ٣١٩ : ساق بعضها ابن كثير ١ : ٨٦ بين نص وإشارة . وساق بعضها أيضاً السيوطى ١ : ٢٩ . والشوكانى ١ : ٢٩ .

(٢) فى : المخطوطة « العداوة والشنار » ، وهو خطأ . والشنآن والشناءة : البغض يكشف عنه الغيظ الشديد . شنئ الشيء يشنؤه : أبغضه بغضاً شديداً .

وبَغْيِهم الغوائِل، قومٌ — من أراهط الأنصار الذين آوَوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونَصَروه[١] — وكانوا قد عَسَوْا فى شركهم وجاهليَّتِهم[٢] قد سُمُّوا لنا بأسمائهم، كرهنا تطويل الكتاب بذكر أسمائهم وأنسابهم، وظاهروهم على ذلك فى خَفاءٍ غيرِ جِهارٍ، حذارَ القتل على أنفسهم، والسِّباءِ من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وركوناً إلى اليهود لما هم عليه من الشرك وسوء البصيرة بالإسلام. فكانوا إذا لَقُوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأهل الإيمان به من أصحابه قالوا لهم — حِذاراً على أنفسهم —: إنا مؤمنون بالله وبرسوله وبالبَعْث، وأعطَوْهم بألسنتهم كلمةَ الحقّ، ليدرأوا عن أنفسهم حُكم الله فيمن اعتقدَ ما هم عليه مقيمون من الشرك، لو أظهروا بألسنتهم ما هم معتقدوه من شركهم. وإذا لقُوا إخوانَهم من اليهود وأهل الشّركِ والتكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به، فخلَوْا بهم ﴿ قَالُوا: إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾. فإياهم عَنَى جلّ ذكره بقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾، يعنى بقوله تعالى خبراً عنهم: آمنّا بالله —: وصدّقنا بالله[٣].

وقد دللنا على أنّ معنى الإيمان: التصديق، فيما مضى قبل من كتابنا هذا[٤].

وقوله: ﴿وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، يعنى: بالبعث يوم القيامة، وإنما سُمّى يومُ القيامة «اليومَ الآخر»، لأنه آخر يوم، لا يومَ بعده سواه.

فإن قال قائل: وكيف لا يكون بعده يوم، ولا انقطاعَ للآخرة ولا فناء ولا زوال؟

---

(١) الغوائل جمع غائلة: وهى: النائبة التى تغول وتهلك. وأراهط جمع رهط، والرهط: عدد يجمع من الثلاثة إلى العشرة، لا يكون فيهم امرأة. وعنى بهم العدد القليل من بطون الأنصار.

(٢) فى المطبوعة: «عتوا فى جاهليتهم» وكلتاهما صواب. عسا الشىء يعسو: اشتد وصلب وغلظ من تقادم العهد عليه، وعسا الرجل: كبر. والعاسى: هو الجافى، ومثله العاتى. وعتا يعتو، فى معناه. وانظر ما مضى ص: ٣٦، تعليق.

(٣) فى المطبوعة «وصدقنا بالله»، وزيادة الواو خطأ.

(٤) انظر ما مضى ص: ٢٣٤ — ٢٣٥.

قيل : إن اليومَ عند العرب إنما سُمّى يوماً بليلته التى قبله، فإذا لم يتقدم النهارَ ليلٌ لم يسمَّ يوماً . فيوم القيامة يوم لا ليلَ بعده ، سوى الليلة التى قامت فى صبيحتها القيامة ، فذلك اليوم هو آخر الأيام . لذلك سمّاه الله جل ثناؤه « اليوم الآخر » ، ونعتَه بالعَقِيم . ووصفه بأنه يوم عَقيم ، لأنه لا ليل بعده[1] .

وأما تأويل قوله : « وما هم بمؤمنين »، ونفيُه عنهم جلّ ذكره اسمَ الإيمان ، وقد أخبرَ عنهم أنّهم قد قالوا بألسنتهم : آمَنّا بالله وباليوم الآخر — فإن ذلك من الله جل وعزّ تكذيبٌ لهم فيما أخبَرُوا عن اعتقادهم من الإيمان والإقرار بالبعث ، وإعلامٌ منه نبيَّه صلى الله عليه وسلم أنّ الذى يُبْدونه له بأفواههم خلافُ ما فى ضمائر قلوبهم ، وضِدٌّ ما فى عزائم نفوسهم .

وفى هذه الآية دلالةٌ واضحة على بُطول ما زَعَمتْه الجهميةُ : من أنّ الإيمان هو التصديق بالقول ، دون سائر المعانى غيره. وقد أخبر الله جل ثناؤه عن الذين ذكرهم فى كتابه من أهل النفاق ، أنهم قالوا بألسنتهم : « آمنا بالله وباليوم الآخر »، ثم نفَى عنهم أن يكونوا مؤمنين ، إذْ كان اعتقادهم غيرَ مُصَدِّقٍ قِيلَهُم ذلك. وقوله « وما هم بمؤمنين » ، يعنى بمصدِّقين » فيما يزعمون أنهم به مُصَدِّقون .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾

قال أبو جعفر : وخداعُ المنافق ربَّه والمؤمنينَ ، إظهارُه بلسانه من القول والتصديق ، خلافَ الذى فى قلبه من الشكّ والتكذيب ، ليدْرَأ عن نفسه ، بما أظهر بلسانه ، حكمَ الله عز وجلّ — اللازمَ مَن كان بمثل حاله من التكذيب ، لولم يُظْهِرْ

(١) وذلك قول ربنا سبحانه فى سورة الحج : ٥٥ : ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾.

بلسانه ما أظهرَ من التصديق والإقرار — من القَتْل والسِّباء . فذلك خِداعُه ربَّه وأهلَ الإيمان بالله .

فإن قال قائل : وكيف يكون المنافق لله وللمؤمنين مُخادِعاً ، وهو لا يظهر بلسانه خلافَ ما هو له معتقدٌ إلا تَقِيَّةً ؟

قيل : لا تمتنعُ العربُ من أنْ تُسمّى من أعطى بلسانه غيرَ الذى هو فى ضميره تَقِيَّةً لينجو مما هو له خائف ، فنجا بذلك مما خافه — مُخادِعاً لمن تخلص منه بالذى أظهر له من التَّقِيَّة. فكذلك المنافق ، سمى مخادعاً لله وللمؤمنين ، بإظهاره ما أظهر بلسانه تقيَّةً ، مما تخلَّص به من القتل والسِّباءِ والعذاب العاجل ، وهو لغير ما أظهر مستبطِنٌ . وذلك من فعلِه — وإن كان خِداعاً للمؤمنين فى عاجل الدنيا — فهو لنفسه بذلك من فعله خادعٌ ، لأنه يُظهر لها بفعله ذلك بها ، أنه يُعطيها أمنيَّتها ، ويُسقيها كأسَ سُرورها ، وهو مُورِدُها بحِياض عَطَبها ، ومجرِّعها به كأسَ عذابها ، ومُزيرُها من غَضب الله وأليم عقابه ما لا قبل لها به[1] . فذلك خديعتُه نفسه ، ظنًّا منه — مع إساءته إليها فى أمر معادها — أنه إليها محسن ، كما قال جل ثناؤه : « وما يخدَعُون إلا أنفسهم وما يشعُرُون » . إعلاماً منه عبادَه المؤمنين أنَّ المنافقين بإساءتهم إلى أنفُسهم فى إسخاطهم ربَّهم بكُفْرهم وشكِّهم وتكذيبهم — غيرُ شاعرين ولا دارين ، ولكنهم على عَمْيَاء من أمرِهم مُقيمون .

١٢/١

وبنحو ما قلنا فى تأويل ذلك ، كان ابن زيد يقول .

٣٢٠ — حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سألت عبد الرحمن بن زيد عن قول الله جل ذكره : ﴿ يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ إلى

---

(١) فى المطبوعة : « ومذيقها من غضب الله » ، وفى المخطوطة : « ومر بدها . . . » ، وفى تفسير ابن كثير ١ : ٨٧ « ومز برها . . . » ، والصواب ما أثبتناه ، وأزاره : حمله على الزيارة . وفى حديث طلحة : « . . . حتى أزرته شعوب » ، وشعوب هى المنية ، أى أوردته المنية فزارها . وجعلها زيارة ، وهى هلاك . سخرية بهم واستهزاء ، لقبيح غرورهم بربهم ، وفرحهم بما مد لهم من العمر والمال والمتاع .

آخر الآية ، قال : هؤلاء المنافقون ، يخادعون الله ورسوله والذين آمنوا ، أنهم مؤمنون بما أظهروا[١] .

وهذه الآية من أوضح الدليل على تكذيب الله جلّ ثناؤه الزاعمين : أن الله لا يُعذّب من عباده إلا من كفَر به عناداً ، بعد علمه بوحدانيته ، وبعد تقرُّر صحّة ما عاندَ ربّه تبارك وتعالى عليه من توْحيده ، والإقرار بكتبه ورُسله — عنده . لأن الله جلّ ثناؤه قد أخبرَ عن الذين وَصفهم بما وصفهم به من النفاق ، وخِداعهم إياه والمؤمنين — أنهم لا يشعرون أنهم مُبْطلون فيما هم عليه من الباطل مُقيمون ، وأنّهم بخداعهم — الذى يحسبون أنهم به يُخادعون ربهم وأهلَ الإيمان به — مخدوعون . ثم أخبر تعالى ذكره أنّ لهم عذاباً أليماً بتكذيبهم بما كانوا يكذّبون من نبوة نبيّه ، واعتقاد الكفر به ، وبما كانوا يَكذِبون فى زعمهم أنهم مؤمنون ، وهم على الكفر مُصِرُّون .

فإن قال لنا قائل : قد علمت أن « المُفاعلة » لا تكون إلا من فاعلَيْن ، كقولك : ضاربتُ أخاك ، وجالست أباك — إذا كان كل واحد مجالسَ صاحبه ومضاربَه . فأما إذا كان الفعلُ من أحدهما ، فإنما يقال : ضربتُ أخاك ، وجلست إلى أبيك . فمَنْ خادع المنافق فجاز أن يُقال فيه : خادع الله والمؤمنين ؟

قيل : قد قال بعضُ المنسوبين إلى العلم بلغات العرب[٢] : إنّ ذلك حرفٌ جاء بهذه الصورة أعنى « يُخَادِع » بصورة « يُفَاعل » ، وهو بمعنى « يَفْعَل » ، فى حروفٍ أمثالها شاذةٍ من منطقِ العرب ، نظيرَ قولهم : قاتَلك الله ، بمعنى قَتَلك الله .

وليس القول فى ذلك عندى كالذى قال ، بل ذلك من « التفاعل » الذى لا يكون إلا من اثنين ، كسائر ما يُعرف من معنى « يفاعل ومُفاعل » فى كل كلام العرب . وذلك : أن المنافق يُخادع الله جل ثناؤه بكَذِبه بلسانه — على ما قد تقدّم

---

(١) الأثر ٣٢٠ — فى الدر المنثور ١ : ٣٠ ، والشوكانى ١ : ٣٠ بتمامه ، ويأتى تمامه فى تفسير بقية الآية برقم : ٣٢١ .

(٢) يعنى أبا عبيدة فى كتابه « مجاز القرآن » : ٣١ .

وصفه — والله تبارك اسمه خادعُه، بخذلانه عن حسن البصيرة بما فيه نجاةُ نفسه في آجل معادِه، كالذى أخبر فى قوله : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ﴾ [سورة آل عمران : ١٧٨] ، وبالمعنى الذى أخبرَ أنه فاعلٌ به فى الآخرة بقوله : ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ [سورة الحديد : ١٣]، فذلك نظيرُ سائر ما يأتى من معانى الكلام بـ « يُفاعِل ومُفاعل ».

وقد كان بعض أهل النحو من أهل البصرة يقول : لا تكون المفاعلة إلا من شيئين، ولكنه إنما قيل : « يُخادِعون الله » عند أنفسهم، بظنِّهم أن لا يعاقَبُوا، فقد علموا خلافَ ذلك فى أنفسهم، بحجة الله تبارك اسمه الواقعة على خلقه بمعرفته، وما يخدعون إلا أنفسهم. قال : وقد قال بعضُهم : « وما يخدعون »، يقول : يخدَعُون أنفسهم بالتَّخْلية بها[1] . وقد تكون المفاعلة من واحد فى أشياء كثيرة .

• • •

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ﴾

إن قال قائل : أو ليس المنافقون قد خدعُوا المؤمنين — بما أظهرُوا بألسنتهم من قيل الحق — عن أنفسهم وأموالِهم وذَرَارِيهم حتى سلمت لهم دنياهم، وإن

(١) يعنى بقوله « بالتخلية بها » ، أى بالانفراد بها وإخفاء ما يبطنون من الكفر . كأن أراد أن يجعل اشتقاق « يخدعون » من المخدع ، وهو البيت الصغير داخل البيت الكبير ، وأراد الستر الشديد لما يبطنون . وأخل بفلان يخل به إخلاء : انفرد به فى مكان خال . واستعمل « التخلية » بمعنى أنه حمل على الخلوة ، كأنه حمل نفسه على الخلوة بها والانفراد ، ليخفى ما فيها . وهذا الذى ذكره شرح لبقية الآية الذى سيأتى بعد .

١ /٩٣ كانوا قد كانوا مخدوعين فى أمر آخرتهم ؟

قيل : خطأٌ أن يقال إنهم خدعوا المؤمنين. لأنَّا إذا قلنا ذلك، أوجبنا لهم حقيقةَ خدعةٍ جازت لهم على المؤمنين[1] . كما أنَّا لو قلنا: قتل فلان فلاناً، أوجبنا له حقيقةَ قتلٍ كان منه لفلان. ولكنا نقول: خادَع المنافقون ربَّهم والمؤمنين ، ولم يَخْدَعوهم بل خدعوا أنفسهم، كما قال جل ثناؤه ، دون غيرها ، نظيرَ ما تقول فى رجل قاتَل آخر ، فقتَل نفسَه ولم يقتُل صاحبه : قاتَل فلان فلاناً فلم يقتل إلا نفسه ، فتوجبُ له مقاتَلةَ صاحبه، وتنفى عنه قتلَه صاحبَه، وتوجب له قتل نفسه. فكذلك تقول : « خادَعَ المنافقُ ربَّه والمؤمنين فلم يخدعْ إلا نفسه »، فتثبت منه مخادعةَ ربه والمؤمنين ، وتنفى عنه أن يكون خدَع غيرَ نفسه ، لأن الخادعَ هو الذى قد صحّت الخديعة له ، ووَقع منه فعلُها. فالمنافقون لم يخدَعوا غيرَ أنفسهم، لأنّ ما كان لهم من مال وأهلٍ ، فلم يكن المسلمون مَلَكوه عليهم — فى حال خِداعهم إياهم عنه بنفاقهم ولا قَبْلها — فيستنقِذُوه بخداعهم منهم، وإنما دافعوا عنه بكذبهم وإظهارهم بألسنتهم غيرَ الذى فى ضمائرهم ، ويحكُم الله لهم فى أموالهم وأنفسهم وذراريهم فى ظاهر أمورِهم بحُكْم ما انتسبوا إليه من الملّة، والله بما يُخْفون من أمورِهم عالم. وإنما الخادع من خَتَل غيرَهُ عن شيئه، والمخدوعُ غير عالم بموضع خديعةِ خادعِه. فأما والمخادَع عارفٌ بخداعِ صاحبه إياه = غير لاحقِه من خداعه إيّاه مكروهٌ ، بل إنما يَتجافى للظّانّ به أنه له مُخادع ، استدراجاً، ليبلغ غايةً يتكامل له عليه الحُجّةُ للعقوبة التى هو به مُوقِع عند بلوغه إياها[2] ، والمُسْتَدْرَج غيرُ عالم بحال نفسه عند مستدرِجه، ولا عارف باطّلاعه على ضميره ، وأنّ إمهالَ مستدرِجه إياه، تركه معاقبته على جرمه[3] ، ليبلغ المخاتِل المخادِعُ — من استحقاقه عقوبةَ مستدرِجه،

---

(١) فى المطبوعة: « جاءت لهم على المؤمنين » ، وهو خطأ .

(٢) فى المطبوعة : « التى هو بها موقع » ، وعنى : العقوبة التى هو موقعها به . . .

(٣) فى المطبوعة : « وأن إمهال مستدرجه ، وتركه إياه معاقبته على جرمه » ، وهو خطأ مفسد للمعنى .

بكثرة إساءته ، وطول عصيانه إياه، وكثرة صفح المستدرج ، وطول عفوه عنه — أقصى غاية[1] = فإنما هو خادع نفسه لا شك ، دون من حدّثته نفسه أنه له مخادعٌ . ولذلك نفى الله جل ثناؤه عن المنافق أن يكون خدَعَ غيرَ نفسه، إذ كانت الصِّفةُ التى وَصَفنا صفتَه .

وإذ كان الأمر على ما وصفنا من خِداع المنافق ربَّه وأهلَ الإيمان به، وأنه غير صائر بخداعه ذلك إلى خديعةٍ صحيحة إلا لنفسه دون غيرها، لما يُوَرِّطها بفعله من الهلاك والعطب — فالواجب إذاً أن يكون الصحيح من القراءة : ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ﴾ دون ﴿ وَمَا يُخَادِعُونَ ﴾ لأن لفظ «المخادع» غير مُوجب تثبيتَ خديعةٍ على صحّة ، ولفظ « خادع » موجب تثبيت خديعة على صحة . ولا شك أن المنافق قد أوْجبَ خديعة الله عز وجل لِنَفْسه بما رَكِبَ من خداعه ربَّه ورسولَه والمؤمنين — بنفاقه، فلذلك وجبَت الصِّحةُ لقراءة من قرأ: ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ﴾.

ومن الدلالة أيضاً على أن قراءة من قرأ: ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ ﴾ أولى بالصحة من قراءة من قرأ: ﴿وَمَا يُخَادِعُونَ﴾ ، أن الله جل ثناؤه قد أخبر عنهم أنهم يُخادعون الله والمؤمنين فى أول الآية ، فمحال أن يَنفى عنهم ما قد أثبت أنهم قد فعلوه، لأن ذلك تضادٌّ فى المعنى ، وذلك غير جائزٍ من الله جلّ وعزّ .

* * *

القول فى تأويل قول الله جل ثناؤه : ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٩)

يعنى بقوله جل ثناؤه « وما يَشعرون »، وما يَدْرُون . يقال : ما شَعَرَ فلانٌ بهذا الأمر، وهو لا يشعر به — إذا لم يَدْرِ ولم يَعلم — شِعراً وشعوراً. وقال الشاعر :

---

(١) سياق هذه العبارة : « ليبلغ المخاتل المخادع ... أقصى غاية » ، وسياق الذى يليها من صدر الجملة : « فأما والمخادع عارف . . . فإنما هو خادع نفسه . . . » ، وما بينهما فصل طويل .

عَقُّوا بِسَهمٍ وَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ أَحَدٌ ثُمَّ اسْتَفَاؤُوا وَقَالُوا: حَبَّذَا الوَضَحُ[1]

يعنى بقوله : لم يَشعر به ، لم يدر به أحد ولم يعلم . فأخبر الله تعالى ذكره عن المنافقين : أنهم لا يشعرون بأن الله خادِعُهم ، بإملائه لهم واستدراجِه إياهم ، الذى هو من الله جل ثناؤه إبلاغٌ إليهم فى الحجة والمعذرة ، ومنهم لأنفسهم خديعةٌ ، ولها فى الآجل مَضرّة ، كالذى — :

٩٤/١ ٣٢١— حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سألت ابن زيد عن قوله : ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ ، قال : ما يشعرون أنهم ضَرُّوا أنفسهم ، بما أسَرُّوا من الكفر والنِّفاق. وقرأ قول الله تعالى ذكره : ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً ﴾ ، قال : هم المنافقين حتى بلغ ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ ﴾ [سورة المجادلة : ١٨] ، قد كان الإيمان ينفعهم عندكم[2] .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾

قال أبو جعفر : وأصل المرَض : السَّقم ، ثم يقال ذلك فى الأجساد والأديان . فأخبر الله جلّ ثناؤه أن فى قلوب المنافقين مَرَضاً ، وإنما عنى تبارك وتعالى بخبره

---

(١) الشعر للمتنخل الهذلى ، ديوان الهذليين ٢ : ٣١ ، وأمالى القالى ١ : ٢٤٨ ، وسمط اللآلئ ٥٦٣ . عق بالسهم : رمى به فى السماء لا يريد به شيئاً ، وأصله فى الثأر والدية ، وذلك أنهم كانوا يجتمعون إلى أولياء المقتول بدية مكملة ، ويسألونهم قبول الدية . فإن كانوا أقوياء أبوا ذلك ، وإلا أخذوا سهماً ورموا به فى السماء ، فإن عاد مضرجاً بدم ، فقد زعموا أن ربهم نهاهم عن أخذ الدية . وإن رجع كما صعد ، فقد زعموا أن ربهم أمرهم بالعفو وأخذ الدية . وكل ذلك أبطل الإسلام . وفاء واستفاء : رجع . والوضح : اللبن . يهجوهم بالذلة والدناءة ، فأهدروا دم قتيلهم ، ورموا بالسهم الذى يزعمونه يأمرهم وينهاهم ، ورجعوا عن طلب الترة إلى قبول الدية ، وآثروا إبل الدية وألبانها على دم قاتل صاحبهم ، وقالوا فى أنفسهم : اللبن أحب إلينا من القود وأنفع .

(٢) الأثر ٣٢١ — هو تمام الأثر الذى سلف : ٣٢٠ .

عن مرض قلوبهم ، الخبرَ عن مرض ما فى قلوبهم من الاعتقاد = ولكن لمّا كان معلوماً بالخبَر عن مرض القلب ، أنّه معنىٌّ به مرضُ ما هم معتقدُوه من الاعتقاد — استغنى بالخبَر عن القلب بذلك = والكفاية عن تصريح الخبَر عن ضمائرهم واعتقاداتهم[1] ، كما قال عُمر بن لَجَأ :

وَسَبَّحَتِ الْمَدِينَةُ ، لا تَلُمْهَا ، رَأَتْ قَمَراً بِسُوقِهِمُ نَهَارَا[2]

يريد : وسبّح أهل المدينة ، فاستغنى بمعرفة السامعين خَبَرَه بالخبَرِ عن المدينة ، عن الخبر عن أهلها . ومثله قول عنترة العبسى :

هَلَّا سَأَلْتِ الْخَيْلَ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ؟ إِنْ كُنْتِ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي[3]

يريد : هلا سألتِ أصحاب الخيل ؟ ومنه قولهم : « يا خَيْلَ الله اركبي » ، يراد : يا أصحاب خيل الله اركبُوا . والشواهد على ذلك أكثر من أن يُحصيها كتاب ، وفيما ذكرنا كفاية لمن وُفّق لفهمه .

فكذلك معنى قول الله جل ثناؤه : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ إنما يعنى : فى اعتقاد قلوبهم الذى يعتقدونه فى الدين ، والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وبما جاء به من عند الله — مَرَض وسُقْم . فاجترأ بدلالة الخبَر عن قلوبهم على معناه ، عن تصريح الخبر عن اعتقادهم .

والمرضُ الذى ذكر الله جل ثناؤه أنّه فى اعتقاد قلوبهم الذى وصفنا : هو شكُّهم فى أمر محمد وما جاء به من عند الله ، وتحيُّرُهم فيه ، فلا هم به موقنون إيقان إيمان ، ولا هم له منكرون إنكارَ إشراك ، ولكنهم ، كما وصفهم الله عز وجل ، مُذَبْذَبُونَ بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء[4] ، كما يقال : فلان يُمَرِّضُ فى هذا الأمر ،

---

(١) فى المطبوعة : « والكناية عن تصريح الخبر . . . » ، وقوله : « والكفاية عن تصريح الخبر . . . » معطوف على قوله « الخبر عن مرض ما فى قلوبهم . . . »

(٢) يأتى البيت فى تفسير آية البقرة : ١١٠ (١ : ٣٩١ بولاق) .

(٣) فى معلقته المشهورة .

(٤) تضمين آية سورة النساء : ١٤٣ .

أى يُضَعِّف العزمَ ولا يصحِّح الرويَّة فيه .

وبمثل الذى قلنا فى تأويل ذلك ، تظاهر القول فى تفسيره من المفسِّرين .

ذكر من قال ذلك :

٣٢٢ – حدثنا محمد بن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « فى قلوبهم مرضٌ » ، أى شكٌّ .

٣٢٣ – وحدِّثت عن المِنْجاب ، قال : حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبى رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : المرض : النفاق .

٣٢٤ – حُدثنى موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السُّدِّىّ فى خبر ذكره ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس – وعن مُرَّة الهمدانى ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : « فى قلوبهم مرضٌ » يقول : فى قلوبهم شكٌّ .

٣٢٥ – حُدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال عبد الرحمن بن زيد ، فى قوله : « فى قلوبهم مَرَضٌ » ، قال : هذا مرض فى الدِّين ، وليس مَرَضاً فى الأجساد ، قال : وهم المنافقون .

٣٢٦ – حدثنى المثنَّى بن إبراهيم ، قال : حدثنا سُوَيد بن نصر ، قال : أخبرنا ابنُ المبارك قراءةً ، عن سعيد ، عن قتادة ، فى قوله « فى قلوبهم مَرَض » قال : فى قلوبهم رِيبَة وشك فى أمر الله جل ثناؤه .

٣٢٧ – وحدِّثت عن عمّار بن الحسن ، قال : حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس : « فى قلوبهم مَرَضٌ » قال : هؤلاء أهلُ النفاق ، والمرضُ الذى فى قلوبهم : الشك فى أمر الله تعالى ذكره .

٣٢٨ – حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال عبد الرحمن بن زيد : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ حتى بلغ ﴿ فِى

قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ قال : المرض : الشكّ الذى دخلهم فى الإسلام[١].

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾

قد دللنا آنفاً على أن تأويل المرض الذى وصَف الله جل ثناؤه أنه فى قلوب ١/٩٥
المنافقين ، هو الشكُّ فى اعتقادات قلوبهم وأديانهم ، وما هم عليه — فى أمر محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر نبوته وما جاء به — مقيمون.

فالمرض الذى أخبرَ الله جل ثناؤه عنهم أنَّه زادهم على مرضهم ، نظيرُ ما كان فى قلوبهم من الشَّكّ والحيْرة قبل الزيادة ، فزادهم الله بما أحدث من حدوده وفرائضه — التى لم يكن فرضَها قبلَ الزيادة التى زادها المنافقين — من الشك والحيرة ، إذْ شكُّوا وارتَابوا فى الذى أحدَث لهم من ذلك —[٢] إلى المرض والشك الذى كان فى قلوبهم فى السَّالف ، من حدوده وفرائضه التى كان فرَضها قبل ذلك . كما زاد المؤمنين به إلى إيمانهم الذى كانوا عليه قبل ذلك ، بالذى أحدث لهم من الفرائض والحدود إذْ آمنوا به ، إلى إيمانهم بالسالف من حُدُوده وفرائضه — إيماناً. كالذى قال جل ثناؤه فى تنزيله : ﴿ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي

---

(١) الأخبار : ٣٢٢ — ٣٢٨ ، نقلها ابن كثير ١ : ٨٨ ، والسيوطى ١ : ٣٠ ، والشوكانى ١ : ٣٠ — مع تتمتها الآتية فى تفسير بقية الآية ، بالأرقام : ٣٢٩ ، ٣٣٦ ، ٣٣٠ ، ٣٣٢ ، ٣٣١ ، ٣٣٣ — على هذا التوالى . ولكن ٣٣٦ لم يذكر فيه « عن ابن عباس » .

و « المنجاب » فى ٣٢٣ ، ٣٣٦ : هو ابن الحارث بن عبد الرحمن التميمى ، من شيوخ مسلم ، روى عنه فى صحيحه ، وذكره ابن حبان فى الثقات ، وهو بكسر الميم وسكون النون وفتح الجيم وآخره باء موحدة .

(٢) سياق العبارة : « فزادهم الله بما أحدث من حدوده . . . من الشك والحيرة . . . إلى المرض والشك الذى كان فى قلوبهم . . . » .

قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [سورة التوبة : ١٢٤ ، ١٢٥]. فالزيادة التي زيدَها المنافقون من الرَّجاسة إلى رَجاستهم، هو ما وصفنا. والتي زيدَها المؤمنون إلى إيمانهم ، هو ما بيَّنا . وذلك هو التأويل المجمَعُ عليه .

ذكرُ بعض من قال ذلك من أهل التأويل :

٣٢٩ — حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « فزادهم الله مَرَضاً » ، قال : شكًّا

٣٣٠ — حدثني موسى بن هرون، قال : أخبرنا عمرو بن حماد، قال : حدثنا أسباط ، عن السُّدِّيّ ، في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « فزادَهُم الله مَرَضاً » ، يقول : فزادهم الله رِيبَة وشكًّا .

٣٣١ — حدثني المثنى بن إبراهيم، قال : حدثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك قراءةً ، عن سعيد ، عن قتادة : « فزادهم الله مرضاً » ، يقول : فزادهم الله ريبةً وشكًّا في أمْر الله .

٣٣٢ — حدثني يونس، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد، في قول الله : « في قلوبهم مَرَضٌ فزادهم الله مَرَضاً »، قال : زادهم رِجْساً، وقرأ قول الله عز وجل : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ ﴾ قال : شرًّا إلى شرِّهم، وضلالةً إلى ضلالتهم .

٣٣٣ — وحدَّثت عن عمّار بن الحسن، قال : حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع : « فزادهم الله مَرَضاً »، قال : زادهم الله شكًّا[1] .

---

(١) الأخبار : ٣٢٩ — ٣٣٣ : هي تمام الآثار السالفة : ٣٢٢ — ٣٢٨ .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

قال أبو جعفر : والأليم : هو المُوجِعُ . ومعناه : ولهم عذاب مؤلم . بصرفِ « مؤلم » إلى « أليم »[1] ، كما يقال : ضَرْبٌ وجيعٌ بمعنى مُوجع ، والله بَديع السموات والأرض ، بمعنى مُبْدِع . ومنه قول عمرو بن معد يكرب الزبيدى :

أَمِنْ رَيْحَانَةَ الدَّاعى السَّمِيعُ يُؤَرِّقُنى وأَصْحَابِى هُجُوعُ[2]

بمعنى المُسْمِع . ومنه قول ذى الرمة :

وَتَرْفَعُ مِنْ صُدُورِ شَمَرْدَلَاتٍ يَصُدُّ وُجُوهَهَا وَهَجٌ أَلِيمُ[3]

ويروى « يَصُكُّ » ، وإنما الأليم صفةٌ للعذاب ، كأنه قال : ولهم عذاب مؤلم . وهو مأخوذ من الألم ، والألم : الوَجَعُ . كما — :

٣٣٤ — حدثنى المثنى ، قال : حدثنا إسحق ، قال : حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : الأليم ، المُوجع .

٣٣٥ — حدثنا يعقوب ، قال : حدثنا هُشيم ، قال : أخبرنا جُوَيْبر ، عن الضحاك ، قال : الأليمُ ، الموجع[4] .

---

(١) فى المطبوعة : « فصرف مؤلم . . . » .

(٢) الأصمعيات : ٤٣ ، ويأتى فى تفسير آية سورة يونس : ١ (١١ : ٥٨ بولاق) . وريحانة : هى بنت معديكرب ، أخت عمرو بن معديكرب ، وهى أم دريد بن الصمة ، وكان أبوه الصمة ، سباها وتزوجها . (الأغانى ١٠ : ٤) .

(٣) ديوانه : ٥٩٢ . وقوله « وترفع من صدور . . . » أى نستحثها فى السير ، والإبل إذا أسرعت رفعت من صدورها . وشمردلات جمع شمردلة : وهى الناقة الحسنة الجميلة الخلق الفتية السريعة . وقوله « يصد وجوهها » أى يستقبل وجوهها ويضربها وهج أليم ، فتصد وجوهها أى تلويها كالمعرضة عن لذعته . ورواية ديوانه : « يصك » ، وصكه صكة : ضربه ضربة شديدة . والوهج : حرارة الشمس ، أو حرارة النار من بعيد .

(٤) الأثر ٣٣٥ — يعقوب : هو ابن إبراهيم الدورقى الحافظ . هشيم — بضم الهاء : هو ابن بشير ، بفتح الباء وكسر الشين المعجمة ، بن القاسم ، أبو معاوية الواسطى ، إمام حافظ كبير ، روى عنه

٣٣٦ – وحدّثت عن المِنْجاب بن الحارث ، قال : حدثنا بشْر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، في قوله « أليم » ، قال : هو العذاب المُوجع . وكل شيء في القرآن من الأليم فهو الموجع[1] .

* * *

٩٦/١ القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (١٠)

اختلفت القرَأة في قراءة ذلك[2] ، فقرأه بعضهم : ﴿ بِمَا كانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ مُخَفَّفة الذّال مفتوحة الياء ، وهي قراءة عُظْم قرَأة أهل الكوفة . وقرأه آخرون : ﴿ يُكَذِّبُونَ ﴾ بضم الياء وتشديد الذال ، وهي قراءة عُظْم قرَأة أهل المدينة والحجاز والبصرة[3] .

وكأنّ الذين قرأوا ذلك ، بتشديد الذال وضم الياء ، رأوا أن الله جل ثناؤه إنما أوجب للمنافقين العذابَ الأليم بتكذيبهم نبيَّه صلى الله عليه وسلم وبما جاء به ، وأن الكذِبَ لولا التكذيبُ لا يُوجب لأحدٍ اليَسير من العذاب ، فكيف بالأليم منه ؟

وليس الأمر في ذلك عندي كالذي قالوا . وذلك : أنّ الله عز وجل أنبأ عن المنافقين في أول النبأ عنهم في هذه السورة ، بأنهم يَكذِبون بدَعْواهم الإيمانَ ، وإظهارهم ذلك بألسنتهم ، خِداعاً لله عز وجلّ ولرسوله وللمؤمنين ، فقال : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾

الأئمة : أحمد وابن المديني وغيرهما ، وقال عبد الرحمن بن مهدي : « كان هشيم أحفظ للحديث من سفيان الثوري » . ومعنى هذا الأثر مضمن في الذي بعده : ٣٣٦ .

(١) الأثر ٣٣٦ – ذكره السيوطي ١ : ٣٠ . وأشار إليه الشوكاني ١ : ٣٠ .

(٢) في المطبوعة : « اختلفت القراء » ، والقرأة : جمع قارئ ، وانظر ما مضى ، ٥١ تعليق ، وص ٦٤ تعليق : ٤ ، وص ١٠٩ تعليق : ١ .

(٣) في المطبوعة : « قراءة معظم أهل الكوفة » ، و « قراءة معظم أهل المدينة . . . » ، ومعظم الناس : معظمهم وأكثرهم . وانظر التعليق السالف ، ثم ص ١٠٩ تعليق : ١ .

بذلك من قيلهم، مع استسرارهم الشكّ والريبة ، ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ ﴾ بصنيعهم ذلك ﴿ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ﴾ دون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ؛ ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ بموضع خديعتهم أنفسَهم ، واستدراج الله عز وجل إيّاهم بإملائه لهم ، ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ شك النفاق وريبتُه[1] والله زائدهم شكًّا وريبة بما كانوا يكذبون الله ورسوله والمؤمنين بقَوْلهم بألسنتهم آمنّا بالله وباليوم الآخر ، وهم فى قيلهم ذلك كَذَبة ، لاستسرارهم الشّكّ والمرض فى اعتقادات قلوبهم فى أمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم . فأولى فى حكمة الله جل جلاله ، أن يكون الوعيد منه لهم على ما افتتح به الخبرَ عنهم من قبيح أفعالهم وذميم أخلاقهم ، دون ما لم يَجْرِ له ذكر من أفعالهم . إذْ كان سائرُ آيات تنزيله بذلك نَزَل ، وهو : أن يَفتتِح ذكر محاسن أفعالِ قومٍ ، ثم يختم ذلك بالوعد على ما افتتح به ذِكره من أفعالهم ، ويفتتح ذِكْر مساوى أفعالِ آخرين ، ثم يختم ذلك بالوعيدِ على ما ابتدأ به ذكرَه من أفعالهم .

فكذلك الصحيح من القول — فى الآيات التى افتتح فيها ذِكر بعض مساوى أفعال المنافقين — أنْ يختم ذلك بالوعيد على ما افتتح به ذِكرَه من قبائح أفعالهم . فهذا هذا[2] ، مع دلالة الآية الأخرى على صحة ما قلنا ، وشهادتِها بأن الواجب من القراءة ما اخترنا ، وأنّ الصواب من التأويل ما تأوّلنا ، من أنّ وعيد الله المنافقين فى هذه الآية العذابَ الأليمَ على الكذب الجامع معنى الشكّ والتكذيب ، وذلك قولُ الله تبارك وتعالى : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة المنافقون : ١ ، ٢] . والآية

---

(١) فى المطبوعة : « فى قلوبهم شك ، أى نفاق وريبة » . واللى فى المخطوطة أصح .

(٢) فى المطبوعة : « فهذا مع دلالة الآية الأخرى . . . » ، ولم يأت فى الجملة خبر قوله « فهذا » ، واللى فى المخطوطة هو الصواب .

الأخرى فى المجادلة : ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ [سورة المجادلة : ١٦]. فأخبر جل ثناؤه أنّ المنافقين — بقيلهم ما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع اعتقادهم فيه ما هم معتقدون — كاذبون . ثم أخبر تعالى ذكره أنّ العذابَ المُهينَ لهم ، على ذلك من كذبهم . ولو كان الصحيح من القراءة على ما قرأه القارئون فى سورة البقرة : «ولهم عذاب أليم بما كانوا يُكَذِّبون» لكانت القراءةُ فى السورة الأخرى : « والله يشهدُ إن المنافقين » لمكذِّبون ، ليكون الوعيدُ لهم الذى هو عَقِيب ذلك وعيداً على التكذيب لا على الكذب. وفى إجماع المسلمين على أنّ الصواب من القراءة فى قوله : « والله يشهد إنّ المنافقين لكاذبون » بمعنى الكذب — وأن إيعاد الله تبارك وتعالى فيه المنافقين العذابَ الأليمَ على ذلك من كذبهم — أوضحُ الدّلالة على أن الصحيح من القراءة فى سورة البقرة : « بما كانوا يَكْذِبون » بمعنى الكذِب ، وأن الوعيدَ من الله تعالى ذِكره للمنافقين فيها على الكذب — حقٌّ — لا على التكذيب الذى لم يجر له ذِكر — نظيرَ الذى فى سورة المنافقين سواءً . ٩٧/١

وقد زعم بعضُ نحويِّى البصرة أن « ما » من قول الله تبارك اسمه « بما كانوا يكذبون » ، اسم للمصدر ، كما أنّ «أنْ» و «الفعل» اسمان للمصدر فى قولك : أحب أن تأتينى ، وأن المعنى إنما هو بكَذِبهم وتَكْذِيبهم. قال : وأدخل « كان » ليخبر أنه كان فيما مضى ، كما يقال : ما أحسن ما كان عبدُ الله ، فأنت تعجَبُ من عبد الله لا من كونه ، وإنما وَقع التعجُّب فى اللفظ على كونه . وكان بعض نحويِّى الكوفة يُنكر ذلك من قوله ويستخطئه ، ويقول : إنما ألغيَت « كان » فى التعجُّب ، لأن الفعل قد تقدَّمها ، فكأنه قال : «حَسَناً كان زيد» و «حَسَن كان زَيْدٌ» يُبْطِلُ « كان » ، ويُعْمِل مع الأسماء والصِّفات التى بألفاظِ الأسماء ، إذا جاءت قبل « كان » ، ووقعت « كان » بينها وبين الأسماء . وأما العِلّة فى إبطالها إذا أبطِلت فى هذه الحال ، فَلِشَبَهِ الصِّفات والأسماء بـ «فعل» و «يفعل» اللتين لا يظهرُ عمل

« كان » فيهما . ألا ترى أنك تقول : « يقوم كان زيد » ولا يظهر عمل « كان » فى « يقوم » ، وكذلك « قام كان زيد » . فلذلك أبطل عملها مع « فاعل » تمثيلا بـ « فعل » و « يفعل » ، وأعملت مع « فاعل » أحياناً لأنه اسم ، كما تعمل فى الأسماء . فأما إذا تقدمت « كان » الأسماءَ والأفعالَ ، وكان الاسم والفِعْلُ بعدها ، فخطأ عنده أن تكون « كان » مبطلة . فلذلك أحال قول البصرىّ الذى حكيناه ، وتأوّل قول الله عز وجل « بما كانوا يكذبون » أنه بمعنى : الذى يكذبونه .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾

اختلف أهلُ التأويل فى تأويل هذه الآية :

فرُوى عن سَلْمان الفارسىّ أنه كان يقول : لم يجئْ هؤلاء بعدُ .

٣٣٧ – حدثنا أبو كُريب ، قال : حدثنا عَثّامُ بن على ، قال : حدثنا الأعمش ، قال : سمعت المِنْهال بن عمرو يُحدِّث ، عن عَبّاد بن عبد الله ، عن سَلْمان ، قال : ما جاء هؤلاء بعدُ ، الّذين ﴿ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ (١)

---

(١) الخبر ٣٣٧ – عثام – بفتح العين المهملة وتشديد الثاء المثلثة – بن على العامرى : ثقة ، وثقه أبو زرعة وابن سعد وغيرهما . ترجمه ابن سعد ٦ : ٢٧٣ ، والبخارى فى الكبير ٤/١/٩٣ ، وابن أبى حاتم ٣/٢/٤٤ . المنهال بن عمرو الأسدى : ثقة ، رجحنا توثيقه فى المسند : ٧١٤ ، وقد جزم البخارى فى الكبير ٤/٢/١٢ أن شعبة روى عنه ، ورواية شعبة عنه ثابتة فى المسند : ٣٣٣ . عباد ابن عبدالله : هو الأسدى الكوفى ، قال البخارى : « فيه نظر » ، وذكره ابن حبان فى الثقات ، وضعفه ابن المدينى ، وذكر ابن أبى حاتم ٣/١/٨٢ أنه « سمع عليًّا » . وقد بينت فى شرح المسند : ٨٨٣ أن حديثه حسن . وسلمان : هو سلمان الخير الفارسى الصحابى ، رضى الله عنه . وهذا الخبر نقله ابن كثير ١ : ٩١ ، والسيوطى ١ : ٣٠ ، ونسبه أيضاً لوكيع وابن أبى حاتم ، وذكره الشوكانى ١ : ٣١ ونسبه لابن اسحق وابن جرير وابن أبى حاتم ، ولم أجد نسبته لابن إسحق عند غيره .

٣٣٨ــ حدثني أحمد بن عثمان بن حكيم، قال: حدثنا عبد الرحمن بن شريك، قال : حدثنا أبي ، قال : حدثني الأعمش ، عن زيد بن وهب وغيره ، عن سلمان ، أنه قال في هذه الآية ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ ، قال : ما جاء هؤلاء بعدُ[1] .

وقال آخرون بما ــ :

٣٣٩ ــ حدثني به موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السُّدّيّ في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ــ وعن مُرّة الهَمْداني ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ ، هم المنافقون . أما « لا تفسدوا في الأرض »، فإن الفساد، هو الكفر والعملُ بالمعصية.

٣٤٠ــ وحدّثت عن عمّار بن الحسن، قال: حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الرّبيع : ﴿ وإذا قيل لهمْ لا تفسدوا في الأرض ﴾ يقول : لا تعصُوا في الأرض ﴿ قالوا إنما نحن مصلحون ﴾، قال: فكان فسادُهم ذلك معصيةَ الله جل ثناؤه، لأن من عَصى الله في الأرض أو أمر بمعصيته ، فقد أفسدَ في الأرض ، لأن إصلاحَ الأرض والسماء بالطاعة[2] .

---

(١) الخبر ٣٣٨ ــ أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي : ثقة ، وثقه النسائي والبزار وغيرهما ، روى عنه البخاري ومسلم في الصحيحين ، وهو من الشيوخ القلائل الذين روى عنهم البخاري وهم أحياء ، فإنه مات سنة ٢٦٠ أو ٢٦١ ، والبخاري مات سنة ٢٥٦ . عبد الرحمن بن شريك بن عبد الله النخعي : ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال أبو حاتم : « واهي الحديث » .

وإسناده عندي حسن ، وقد مضى قبله بإسناد آخر حسن . فكل منهما يقوي الآخر ، وقد نقله ابن كثير ١ : ٩١ عن الطبري بهذا الإسناد .

(٢) الأثر ٣٤٠ ــ قوله : « قالوا إنما نحن مصلحون » ، من المخطوطة ، وليس في المطبوعة ، وفي المطبوعة والمخطوطة: « فكان فسادهم على أنفسهم ذلك معصية الله . . . » ، و « على أنفسهم » كأنها زيادة من الناسخ ، وليست فيما نقله ابن كثير عن الطبري .

وأولى التأويلين بالآية تأويل من قال : إن قولَ الله تبارك اسمه: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ ، نزلت فى المنافقين الذين كانوا على عَهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن كان معنيًّا بها كُلُّ من كان بمثل صفتهم من المنافقين بعدَهم إلى يوم القيامة .

وقد يَحتمِل قولُ سلمان عند تلاوة هذه الآية : « ما جاء هؤلاء بعدُ » ، أن يكون قاله بعد فناء الذين كانوا بهذه الصِّفة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خبراً منه عمَّن هو جاء منهم بَعدَهم ولِمَّا يجئ بعدُ[1] ، لا أنَّه عنَى أنه لم ٩٨/١ يمضِ ممَّن هذه صفته أحدٌ .

وإنما قلنا أولى التأويلين بالآية ما ذكرنا ، لإجماع الحجّة من أهل التأويل على أنّ ذلك صفةُ من كان بين ظَهرَانَىْ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم — على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم — من المنافقين ، وأنّ هذه الآيات فيهم نَزَلَتْ . والتأويل المجمع عليه أولى بتأويل القرآن ، من قولٍ لا دلالةَ على صحته من أصل ولا نظير .

والإفساد فى الأرض ، العمل فيها بما نهى الله جلّ ثناؤه عنه ، وتضييعُ ما أمر الله بحفظه ، فذلك جملة الإفساد ، كما قال جل ثناؤه فى كتابه مخبراً عن قِيلِ ملائكته : ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ [سورة البقرة : ٣٠] ، يعنون بذلك : أتجعل فى الأرض من يَعْصِيكَ ويُخالف أمرك ؟ فكذلك صفة أهل النفاق : مُفسدون فى الأرض بمعصيتهم فيها ربَّهم ، وركوبهم فيها ما نَهاهم عن ركوبه ، وتضييعهم فرائضَه ، وشكِّهم فى دين الله الذى لا يقبَلُ من أحدٍ عملا إلا بالتَّصديق به والإيقان بحقيقته[2] ، وكذِبهم المؤمنين بدَعواهم غير ما هم عليه مقيمُون من الشّك والرَّيب ، وبمظاهرتهم أهلَ التكذيب بالله وكُتُبه ورسله على أولياء الله ، إذا وجدوا إلى ذلك سبيلا . فذلك إفساد المنافقين فى أرض الله ، وهم

(١) فى المطبوعة : « عمن جاء منهم بعدهم » ، وهو محيل للمعنى ، والصواب من المخطوطة .
(٢) فى المطبوعة : « بحقيقه » ، والصواب من المخطوطة وابن كثير .

يحسبون أنهم بفعلهم ذلك مصلحون فيها . فلم يسقط الله جل ثناؤه عنهم عقوبتَه ، ولا خفّف عنهم أليمَ ما أعدّ من عقابه لأهل معصيته — بحُسبانهم أنهم فيما أتَوْا من معاصى الله مصلحون — بل أوجبَ لهم الدَّرْكَ الأسفل من ناره ، والأليمَ من عذابه ، والعارَ العاجلَ بسَبَبِ الله إياهم وشَتْمِه لهم ، فقال تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ . وذلك من حكم الله جل ثناؤه فيهم ، أدلّ الدليل على تكذيبه تعالى قولَ القائلين : إن عقوباتِ الله لا يستحقها إلا المعاند ربَّه فيما لزمه من حُقُوقه وفروضه ، بعد علمه وثُبوت الحجّة عليه بمعرفته بلزوم ذلك إيّاه .

• • •

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ (١١)

وتأويل ذلك كالذى قاله ابن عباس ، الذى — :

٣٤١ — حدثنا به محمد بن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد ابن إسحق ، عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قوله : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ ، أى قالوا : إنما نريد الإصلاحَ بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب .

وخالفه فى ذلك غيره .

٣٤٢ — حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : حدثنى حجّاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ ، قال : إذا رَكِبُوا معصيةَ الله فقيل لهم : لا تفعلوا كذا وكذا ، قالوا : إنما نحن على الهدى ، مصلحون[1] .

---

(١) الخبران ٣٤١ ، ٣٤٢ — ساقهما ابن كثير ١ : ٩١ ، والسيوطى ١ : ٣٠ والشوكانى ١ : ٣٠ .

قال أبو جعفر : وأيُّ الأمرين كان منهم فى ذلك ، أعنى فى دعواهم أنهم مُصلحون ، فهم لا شك أنهم كانوا يحسبون أنهم فيما أتوا من ذلك مصلحون . فسواءٌ بين اليهود والمسلمين كانت دعواهم الإصلاحَ ، أو فى أديانهم ، وفيما ركبوا من معصية الله، وكذِبهم المؤمنينَ فيما أظهروا لهم من القول وهم لغير ما أظهرُوا مُستبطِنون ؛ لأنهم كانوا فى جميع ذلك من أمرهم عند أنفسهم محسنين ، وهم عند الله مُسيئون، ولأمر الله مخالفون. لأن الله جل ثناؤه قد كان فرض عليهم عداوةَ اليهودِ وحربَهم مع المسلمين،وألزمهم التصديق برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عند الله، كالذى ألزم من ذلك المؤمنين. فكان لقاؤهم اليهودَ – على وجه الولاية منهم لهم، وشكُّهم فى نبوَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيما جاء به أنه من عند الله – أعظمَ الفساد ، وإن كان ذلك كان عندهم إصلاحاً وهُدًى: فى أديانهم أو فيما بين المؤمنين واليهود ، فقال جل ثناؤه فيهم : ﴿ ألا إنهم هم المفسدون﴾ دون الذين ينهونهم من المؤمنين عن الإفساد فى الأرض، ﴿ ولكن لا يشعرون ﴾ ٩٩/١

• • •

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ (١٢)

وهذا القول من الله جل ثناؤه تكذيبٌ للمنافقين فى دعواهم . إذا أمِروا بطاعة الله فيما أمرَهم الله به ، ونُهوا عن معصية الله فيما نهاهم الله عنه ، قالوا : إنما نحن مصلحون لا مفسدون،ونحن على رُشْدٍ وهُدًى – فيما أنكرتموه علينا – دونكم لا ضالُّون. فكذَّبهم الله عز وجل فى ذلك من قيلِهم فقال : ألا إنهم هم المفسدون المخالفون أمرَ الله عز وجل، المتعدُّون حدُودَه، الراكبون معصيتَه، التاركُون فروضَه، وهم لا يشعُرون ولا يَدرُون أنهم كذلك – لا الذين يأمرونهم بالقسط من المؤمنين ،

وينهَوْنَهُم عن معاصى الله فى أرضه من المسلمين .

* * *

القول فى تأويل قول الله جل ثناؤه: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ ﴾

قال أبو جعفر : وتأويل قوله : ﴿ وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس ﴾ يعنى : وإذا قيل لهؤلاء الذين وَصَفهم الله ونعتَهم بأنهم يقولون: ﴿ آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ﴾ : صَدِّقوا بمحمد وبما جاء به من عند الله، كما صدّق به الناس . ويعنى بـ « الناس » : المؤمنين الذين آمنوا بمحمد ونبوته وما جاء به من عند الله ، كما — :

٣٤٣ — حدثنا أبو كريب، قال : حدثنا عثمان بن سعيد، عن بشر بن عُمارة، عن أبى رَوق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ ﴾ ، يقول: وإذا قيل لهم صدِّقوا كما صدّق أصحاب محمد، قولوا : إنّه نبيٌّ ورسول ، وإنّ ما أنزل عليه حقّ ، وصدِّقوا بالآخرة ، وأنّكم مبعوثون من بعد الموت [1] .

وإنما أدخِلت الألف واللام فى « الناس » ، وهم بعضُ الناس لا جميعُهم، لأنهم كانوا معروفين عند الذين خُوطبوا بهذه الآية بأعيانهم، وإنما معناه : آمِنُوا كما آمَن الناس الذين تعرفونهم من أهل اليقين والتصديق بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله وباليوم الآخر . فلذلك أدخِلت الألف واللام فيه ، كما أدخِلتا فى قوله : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ

---

(١) الخبر ٣٤٣ — نقله السيوطى ١ : ٣٠ ، والشوكانى ١ : ٣١ ، ويأتى تمامه فى تفسير بقية الآية ، برقمى : ٣٤٧ ، ٣٤٨ .

فَاخْشَوْهُمْ ﴾ [سورة آل عمران : ١٧٣] ، لأنه أشير بدخولها إلى ناس معروفين عند من خوطب بذلك .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ ﴾

قال أبو جعفر : والسفهاء جمع سفيه ، كما العلماء جمع عليم[1] ، والحكماء جمعُ حكيم . والسفيه : الجاهل ، الضعيفُ الرأى ، القليلُ المعرفة بمواضع المنافع والمضارّ . ولذلك سمى الله عز وجل النِّساء والصبيانَ سفهاء ، فقال تعالى : ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِى جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَاماً ﴾ [سورة النساء : ٥] ، فقال عامة أهل التأويل : هم النساء والصبيان ، لضعف آرائهم ، وقلة معرفتهم بمواضع المصالح والمضارِّ التى تصرف إليها الأموال .

وإنما عنَى المنافقون بقيلهم : أنؤمن كما آمَن السُّفهاء — إذْ دُعوا إلى التصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وبما جاء به من عند الله ، والإقرار بالبعث فقيل لهم : آمنوا كما آمن [الناس][2] — أصحابَ محمدٍ وأتباعَه من المؤمنين المصدِّقين به ، من أهل الإيمان واليقين ، والتصديقِ بالله ، وبما افترض عليهم على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وفى كتابه ، وباليوم الآخر . فقالوا إجابة لقائل ذلك لهم : أنؤمن كما آمَن أهل الجهل ، ونصدِّق بمحمد صلى الله عليه وسلم كما صدّق به هؤلاء الذين لا عقولَ لهم ولا أفهام ؟ كالذى — :

٣٤٤ — حدثنى موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السُّدِّىّ فى خبر ذكره ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن

---

(١) فى المطبوعة : « كالعلماء . . . »

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « فقال لهم آمنوا كما آمن أصحاب محمد . . . » ، وهو كلام مضطرب والصواب ما أثبتناه . وقوله : « أصحاب محمد » مفعول قوله : « وإنما عنى المنافقون بقيلهم . . . » .

عباس — وعن مُرّة الهَمْدانى، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء ﴾ ، يعنون أصحابَ النبي صلى الله عليه وسلم .

٣٤٥ — حدثني المثنّى بن إبراهيم، قال : حدثنا إسحق بن الحجاج ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس: ﴿ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء ﴾ يعنون أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . ١٠٠/١

٣٤٦ — حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أنبأنا ابن وهب ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى قوله : « قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء » ، قال : هذا قول المنافقين ، يريدون أصحابَ النبي صلى الله عليه وسلم .

٣٤٧ — حدثنا أبو كريب، قال : حدثنا عثمان بن سعيد، عن بشر بن عُمارة، عن أبي رَوق، عن الضحاك، عن ابن عباس: ﴿ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء ﴾ يقولون : أنقول كما تقولُ السفهاء ؟ يعنون أصحابَ محمد صلى الله عليه وسلم ، لخِلافهم لدينهم[1] .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ (١٣)

قال أبو جعفر : وهذا خبرٌ من الله تعالى عن المنافقين الذين تقدم نعتُه لهم ، ووصفُه إياهم بما وصفهم به من الشك والتكذيب — أنّهم هُم الجُهّال فى أديانهم،

---

(١) الأخبار ٣٤٤ — ٣٤٧ : أشار إليها ابن كثير ١ : ٩٢ والسيوطى ١ : ٣٠ والشوكانى ١ : ٣١ والأخير منها من تتمة الخبر : ٣٤٣ .

الضعفاء الآراء فى اعتقاداتهم واختياراتهم التى اختاروها لأنفسهم ، من الشك والريب فى أمر الله وأمر رسوله وأمر نبوته ، وفيما جاء به من عند الله ، وأمر البعث ، لإساءتهم إلى أنفسهم بما أتوا من ذلك وهم يحسبون أنهم إليها يحسنون. وذلك هو عين السفه، لأن السفيه إنما يفسد من حيث يرى أنه يصلح، ويضيع من حيث يرى أنه يحفظ ، فكذلك المنافق : يعصى ربه من حيث يرى أنه يطيعه، ويكفر به من حيث يرى أنه يؤمن به، ويسيء إلى نفسه من حيث يحسب أنه يحسن إليها، كما وصفهم به ربنا جل ذكره، فقال: ﴿ ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ﴾، وقال : ﴿ ألا إنهم هم السفهاء ﴾ — دون المؤمنين المصدقين بالله وبكتابه ، وبرسوله وثوابه وعقابه— ﴿ ولكن لا يعلمون ﴾ . وكذلك كان ابن عباس يتأول هذه الآية .

٣٤٨— حدثنا أبو كريب ، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، عن بشر بن عمارة، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس يقول الله جل ثناؤه: ﴿ ألا إنهم هم السفهاء ﴾ ، يقول: الجهال، ﴿ولكن لا يعلمون﴾ ، يقول : ولكن لا يعقلون[1].

وأما وجه دخول الألف واللام فى « السفهاء »، فشبيه بوجه دخولهما فى « الناس » فى قوله : ﴿ وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس ﴾، وقد بينا العلة فى دخولهما هنالك، والعلة فى دخولهما فى « السفهاء » نظيرتها فى دخولهما فى « الناس » هنالك ، سواء .

والدلالة التى تدل عليه هذه الآية من خطأ قول من زعم أن العقوبة من الله لا يستحقها إلا المعاند ربه، بعد علمه بصحة ماعانده فيه — نظير دلالة الآيات الأخر التى قد تقدم ذكرنا تأويلها فى قوله « ولكن لا يشعرون »، ونظائر ذلك[2] .

* * *

(١) الخبر ٣٤٨ — هو تتمة الخبرين : ٣٤٣ ، ٣٤٧ .

(٢) فى المطبوعة : « مع علمه بصحة ما عانده فيه »، وفيها أيضاً : « . . . ونظير ذلك » .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : وهذه الآية نظيرة الآية الأخرى التى أخبر الله جلّ ثناؤه فيها عن المنافقين بخداعهم الله ورسولَه والمؤمنين، فقال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ . ثم أكذبهم تعالى ذكره بقوله : ﴿ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ، وأنهم بقيلهم ذلك يُخادعون الله والذين آمنوا . وكذلك أخبر عنهم فى هذه الآية أنهم يقولون — للمؤمنين المصدِّقين بالله وكتابه ورسوله — بألسنتهم : آمنا وصدَّقنا بمحمد وبما جاء به من عند الله، خِداعاً عن دمائهم وأموالهم وذَرَارِيهم، ودرءاً لهم عنها، وأنهم إذا خلَوْا إلى مَرَدَتهم وأهل العُتُوّ والشر والخُبث منهم ومن سائر أهل الشرك[1] ، الذين هم على مثل الذى هم عليه من الكُفر بالله وبكتابه ورسوله — وهم شياطينهم ، وقد دللنا فيما مضى من كتابنا على أن شياطينَ كل شىء مَرَدَتُه — قالوا لهم : « إنا معكم » ، أى إنا معكم على دينكم ، وظُهراؤكم على من خالفكُم فيه ، وأولياؤكم دون أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، « إنما نحن مستهزِئون » بالله وبكتابه ورسوله وأصحابه ، كالذى — :

٣٤٩ — حدثنا محمد بن العلاء[2] ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد، قال : حدثنا
١٠١/١ بِشْر بن عُمارة ، عن أبى رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ﴾ ، قال : كان رجال من اليهود إذا لقوا أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أو بعضهم ، قالوا : إنا على دينكم . وإذا خلوا إلى أصحابهم ، وهم شياطينُهم ، قالوا : إنا معكم إنما نحن مستهزئون .

---

(١) فى المخطوطة : « وأنهم إذا خلوا إلى أهل مودتهم » ، والذى فى المطبوعة أصح فى سياق تفسيره .

(٢) « محمد بن العلاء » ، هو « أبو كريب » ، الذى أكثر الرواية عنه فيما مضى وفيما يستقبل .

٣٥٠ – حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحق، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾ قال : إذا خلوا إلى شياطينهم من يهود، الذين يأمرونهم بالتكذيب وخلاف ما جاء به الرسول ﴿ قالوا إنا معكم ﴾ ، أى إنا على مثل ما أنتم عليه ﴿ إنما نحن مستهزئون ﴾ .

٣٥١ – حدثني موسى بن هرون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السُّدىّ فى خبر ذكره عن أبى مالك، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس – وعن مُرّة الهَمْدانى ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وإذا خلوا إلى شياطينهم ﴾ ، أما شياطينهم ، فهم رءوسهم فى الكُفر .

٣٥٢ – حدثنا بشر بن معاذ العَقَدى[1]، قال : حدثنا يزيد بن زُرَيْع، عن سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ وإذا خلوا إلى شياطينهم ﴾ أى رؤسائهم فى الشرّ ﴿ قالوا إنما نحنُ مستهزئون ﴾ .

٣٥٣ – حدثنا الحسن بن يحيى ، قال: أخبرنا عبد الرزاق ، قال: أنبأنا معمر عن قتاده فى قوله ﴿ وإذا خلوا إلى شياطينهم ﴾ ، قال : المشركون .

٣٥٤ – حدثني محمد بن عمرو الباهلى، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى بن ميمون ، قال : حدثنا عبد الله بن أبى نَجيح ، عن مجاهد فى قول الله عز وجل: ﴿ وإذا خلوا إلى شياطينهم ﴾، قال: إذا خلا المنافقون إلى أصحابهم من الكفّار.

٣٥٥ – حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا أبو حُذيفة ، عن شِبْل ابن عبّاد، عن عبد الله بن أبى نَجيح، عن مجاهد : ﴿ وإذا خلوا إلى شياطينهم ﴾، قال : أصحابهم من المنافقين والمشركين .

٣٥٦ – حدثني المثنى ، قال: حدثنا إسحق بن الحجاج، عن عبد الله بن أبى

(١) بشر بن معاذ العقدى : ثقة معروف ، روى عنه الترمذى : والنسائى وابن ماجة وغيرهم . و « العقدى » : بالعين المهملة والقاف المفتوحتين ، نسبة إلى « العقد » : بطن من بجيلة .

جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم﴾ ، قال : إخوانهم من المشركين ، ﴿ قالو إنا معكم إنما نحن مستهزئون ﴾ .

٣٥٧ــ حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : حدثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج فى قوله : ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ﴾ ، قال : إذا أصاب المؤمنين رخاءٌ قالوا : إنا نحن معكم ، إنما نحن إخوانكم ، وإذا خلوا إلى شياطينهم استهزأوا بالمؤمنين .

٣٥٨ــ حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : وقال مجاهد : شياطينُهم : أصحابُهم من المنافقين والمشركين[1] .

فإن قال لنا قائل : أرأيتَ قولَه ﴿ وإذا خلوا إلى شياطينهم﴾ ؟ فكيف قيل : ﴿ خلوا إلى شياطينهم ﴾ ، ولم يقل خلَوْا بشياطينهم؟ فقد علمتَ أنّ الجاريَ بين الناس فى كلامهم : « خلوتُ بفلان » أكثر وأفشَى من : « خلوتُ إلى فلان » ؛ ومن قولك : إن القرآن أفصح البيان !

قيل : قد اختلف فى ذلك أهل العلم بلغة العرب . فكان بعض نحويِّى البصرة يقول : يقال «خلوتُ إلى فلان» إذا أريدَ به : خلوتُ إليه فى حاجة خاصة . لا يحتَمِل — إذا قيل كذلك — إلا الخلاءَ إليه فى قضاء الحاجة . فأما إذا قيل : « خلوت به » احتمل معنيين : أحدهما الخلاء به فى الحاجة ، والآخَر فى السخرية به . فعلى هذا القول ، ﴿ وَإِذَا خَلَوا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾ ، لا شكّ أفصحُ منه لو قيل « وإذا خلوا بشياطينهم » ، لما فى قول القائل : « إذا خلوا بشياطينهم » من التباس المعنى على سامعيه ، الذى هو مُنتفٍ عن قوله : « وإذا خلوا إلى شياطينهم » . فهذا أحد الأقوال .

والقول الآخر : فأن تُوَجَّه معنى[2] قوله ﴿ وإذا خلوا إلى شياطينهم﴾ ، « وإذا

---

(١) هذه الآثار السالفة : ٣٤٩ — ٣٥٨ : ذكر أكثرها ابن كثير فى تفسيره ١ : ٩٣ ، والسيوطى ١ : ٣١ ، والشوكانى ١ : ٣٣ .

(٢) فى المطبوعة : « والقول الآخر : أن توجيه معنى قوله » .

خلوا مع شياطينهم » ، إذْ كانت حروف الصِّفات يُعاقِبُ بعضُها بعضاً[١] ، كما قال الله مخبراً عن عيسى ابن مريم أنه قال للحواريين : ﴿ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ ﴾ [سورة الصف : ١٤] ، يريد : مع الله . وكما توضع « على » فى موضع « من » ، و« فى » و « عن » و « الباء » ، وكما قال الشاعر :

إِذَا رَضِيَتْ عَلَيَّ بنُو قُشَيْرٍ لَعَمْرُ اللهِ أَعْجَبَنِي رِضَاهَا[٢] ١٠٢/١

بمعنى عَنِّى .

وأما بعض نحويى أهل الكوفة ، فإنه كان يتأوَّل أن ذلك بمعنى : وإذا لَقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، وإذا صرَفوا خَلاءهم إلى شياطينهم — فيزعم أن الجالبَ لِـ « إلى » ، المعنى الذى دلّ عليه الكلامُ : من انصرافِ المنافقين عن لقاء المؤمنين إلى شياطينهم خالين بهم ، لا قوله « خَلَوْا » . وعلى هذا التأويل لا يصلح فى موضع « إلى » غيرُها ، لتغير الكلام بدخول غيرها من الحروف مكانها .

وهذا القول عندى أولى بالصواب ، لأن لكل حرف من حُرُوف المعانى وجهاً هو به أولى من غيره[٣] ، فلا يصلح تحويل ذلك عنه إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها . ولِـ « إلى » فى كل موضع دخلت من الكلام حُكْم ، وغيرُ جائز سلبُها معانيَها فى أماكنها .

* * *

---

(١) حروف الصفات : هى حرف الجر ، وسميت حروف الجر ، لأنها تجر ما بعدها ، وسميت حروف الصفات ، لأنها تحدث فى الاسم صفة حادثة ، كقولك : « جلست فى الدار » ، دلت على أن الدار وعاء للجلوس . وقيل : سميت بذلك ، لأنها تقع صفات لما قبلها من النكرات . ويسميها الكوفيون أيضاً : حروف الإضافة ، لأنها تضيف الاسم إلى الفعل ، أى توصله إليه وتربطه به . (همع الهوامع ٢ : ١٩) وتسمى أيضاً حروف المعانى ، كما سيأتى بعد قليل . والمعاقبة : أن يستعمل أحدهما مكان الآخر بمثل معناه .

(٢) الشعر للقحيف العقيلى ، يمدح حكيم بن المسيب القشيرى . نوادر أبى زيد : ١٧٦ ، خزانة الأدب ٤ : ٢٤٧ ، وغيرهما كثير .

(٣) حروف المعانى ، هى حروف الصفات ، وحروف الجر ، كما مضى آنفاً ، تعليق : ١

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ (١٤)

أجمع أهل التأويل جميعاً – لا خلاف بينهم – على أن معنى قوله : ﴿ إنما نحن مستهزئون ﴾ : إنما نحن ساخرون . فمعنى الكلام إذاً : وإذا انصرف المنافقون خالين إلى مَرَدَتهم من المنافقين والمشركين قالوا : إنا معكم على ما أنتم عليه من التكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به ، ومعاداتِه ومعاداة أتباعه ، إنما نحن ساخرون بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، بقيلنا لهم إذا لقيناهم : آمَنَّا بالله وباليوم الآخر[1] ، كما – :

٣٥٩– حدثنا محمد بن العلاء ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عُمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : قالوا : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ ، ساخرون بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .

٣٦٠– حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ إنما نحن مستهزئون ﴾ ، أى : إنما نحن نستهزئ بالقوم ونلعبُ بهم .

٣٦١– حدثنا بشر بن معاذ العَقَدى ، قال : حدثنا يزيد بن زُرَيع ، عن سعيد ، عن قتادة : ﴿ إنما نحن مستهزئون ﴾ ، إنما نستهزئ بهؤلاء القوم ونَسخَر بهم .

٣٦٢– حدثنى المثنى ، قال : حدثنا إسحق بن الحجاج ، عن عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : ﴿ إنما نحن مستهزئون ﴾ ، أى نستهزئ بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم[2] .

* * *

(١) فى المطبوعة : « فى قيلنا لهم إذا لقيناهم » .
(٢) هذه الآثار تتمة الآثار السالفة فى تفسير أول الآية .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾

قال أبو جعفر : اختُلِف فى صفة استهزاءِ الله جلّ جلاله ، الذى ذكر أنه فاعله بالمنافقين ، الذين وَصَف صفتهم . فقال بعضهم : استهزاؤه بهم ، كالذى أخبرنا تبارك اسمه أنه فاعلٌ بهم يوم القيامة فى قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾[سورة الحديد : ١٣ ، ١٤] . الآية. وكالذى أخبرنا أنّه فعَل بالكفار بقوله : ﴿ وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ ، إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً ﴾[سورة آل عمران : ١٧٨] . فهذا وما أشبهه من استهزاء الله جلّ وعزّ وسخريته ومكره وخديعته للمنافقين وأهل الشرك به — عند قائلى هذا القول ، ومتأوّلى هذا التأويل .

وقال آخرون : بل استهزاؤه بهم ، توبيخُه إياهم ولومه لهم على ما ركبوا من معاصى الله والكفر به ، كما يقال : « إن فلاناً ليُهزَأ منه منذ اليوم ، ويُسخر منه » ، يُراد به توبيخُ الناس إياه ولومهم له ، أو إهلاكه إياهم وتدميرُه بهم[1] ، كما قال عَبِيد ابن الأبرص :

سَائِلْ بِنَا حُجْرَ ابْنَ أُمِّ قَطَامِ ، إِذْ ظَلَّتْ بِهِ السُّمْرُ النَّوَاهِلُ تَلْعَبُ[2]

---

(١) الضمير لله سبحانه وتعالى ، وهو معطوف على قوله « توبيخه إياهم . . . » .

(٢) ديوانه : ١٦ ، وأمالى المرتضى ١ : ٤١ ، وحجر ، أبو امرئ القيس ، وكانت قتلته بنو أسد رهط عبيد بن الأبرص . وأم قطام ، هى أم حجر ملك كندة . والنواهل جمع ناهل وناهلة : والناهل : العطشان ، توصف به الرماح ، كأنها تعطش إلى الدم ، فإذا شرعت فى الدم رويت .

فزعموا أن السُّمر – وهى القَنَا – لا لعب منها ، ولكنها لما قتلتْهم وشرَّدتْهم ، جَعل ذلك مِنْ فعلها لعباً بمن فعلت ذلك به . قالوا : فكذلك استهزاءُ الله جل ثناؤه بمن استهزأ به من أهل النفاق والكفر به : إمّا إهلاكه إياهم وتدميرُه بهم ، وإمّا إملاؤهُ لهم ليأخذهم فى حال أمنهم عند أنفسهم بغتةً ، أو توبيخه لهم ولائمته إياهم. قالوا : وكذلك معنى المكر منه والخديعة والسُّخرية . ١ /١٠٣

وقال آخرون قوله : ﴿ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ[1] ﴾ [سورة النساء : ١٤٢] على الجواب ، كقول الرجل لمن كان يَخْدَعه إذا ظفر به : « أنا الذى خدعتُك » ، ولم تكن منه خديعة ، ولكن قال ذلك إذ صار الأمر إليه . قالوا : وكذلك قوله : ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران : ٥٤] ، و « الله يستهزئ بهم » ، على الجواب . والله لا يكونُ منه المكرُ ولا الهُزْء ، والمعنى أن المكرَ والهُزْءَ حاق بهم .

وقال آخرون : قوله : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ ، وقوله : ﴿ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ [سورة النساء : ١٤٢] ، وقوله : ﴿ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ ﴾ [سورة التوبة : ٧٩] ، ﴿ وَنَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [سورة التوبة : ٦٧] ، وما أشبه ذلك ، إخبارٌ من الله أنه مجازيهم جزاء الاستهزاء ، ومعاقبهم عقوبةَ الخداع . فأخرج خبرَه عن جزائه إياهم وعقابه لهم ، مُخْرَج خبره عن فعلهم الذى عليه استحقُّوا العقاب فى اللفظ ، وإن اختلف المعنيان . كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ [سورة الشورى : ٤٠] ، ومعلومٌ أن الأولى من صاحبها سيئة ، إذْ كانت منه لله تبارك وتعالى معصية ، وأن الأخرى عَدلٌ ، لأنها من الله جزاءٌ

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم » ، وهى آية سورة البقرة : ٩ ، ولم يرد الطبرى إلا آية سورة النساء ، كما يدل عليه سياق كلامه ، وكما ستأتى الآية بعد أسطر .

للعاصى على المعصية ، فهما — وإن اتفق لفظاهما — مختلفتا المعنى . وكذلك قوله : ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ ﴾ [سورة البقرة : ١٩٤] ، فالعدوان الأول ظلم ، والثانى جزاءٌ لا ظلم ، بل هو عدل ، لأنه عقوبة للظالم على ظلمه ، وإن وافق لفظه لفظ الأول .

وإلى هذا المعنى وَجَّهوا كل ما فى القرآن من نظائر ذلك ، مما هو خبرٌ عن مكر الله جل وعزّ بقومٍ ، وما أشبه ذلك .

وقال آخرون : إنّ معنى ذلك : أن الله جل وعز أخبر عن المنافقين أنهم إذا خَلَوْا إلى مَرَدَتهم قالوا : إنا معكم على دينكم فى تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به ، وإنما نحن بما نظهر لهم — من قولنا لهم : صدقنا بمحمد عليه السلام وما جاء به — مستهزئون . يعنون : إنا نُظهر لهم ما هو عندنا باطل لا حَقٌّ ولا هُدًى . قالوا : وذلك هو معنى من معانى الاستهزاء ، فأخبر الله أنه « يستهزئ بهم » ، فيظهر لهم من أحكامه فى الدنيا خلافَ الذى لهم عنده فى الآخرة ، كما أظهروا للنبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فى الدين ما هم على خلافه فى سرائرهم .

والصواب فى ذلك من القول والتأويل عندنا : أن معنى الاستهزاء فى كلام العرب : إظهارُ المستهزِئ للمستهزَإ به من القول والفعل ما يُرضيه[1] ظاهراً ، وهو بذلك من قِيله وفِعْله به مُورِثه مَساءة باطناً[2] . وكذلك معنى الخداع والسخرية والمكر .

فإذا كان ذلك كذلك = وكان الله جل ثناؤه قد جعل لأهل النفاق فى الدنيا من الأحكام — بما أظهروا بألسنتهم ، من الإقرار بالله وبرسوله وبما جاء به من عند الله ، المُدْخِلِهم فى عداد من يشمله اسمُ الإسلام[3] ، وإن كانوا لغير ذلك

---

(١) فى المطبوعة : « ما يرضيه ويوافقه ظاهراً » .

(٢) فى المخطوطة : « مورطه مساءة باطناً » .

(٣) فى المطبوعة : « المدخل لهم فى عداد . . . » ، وقوله : « المدخلهم » نعت لقوله : « من الإقرار » .

مستبطنين —[١] أحكامَ المسلمين المصدِّقين إقرارَهم بألسنتهم بذلك ، بضمائر قلوبهم ، وصحائح عزائمهم ، وحميدِ أفعالهم المحققة لهم صحة إيمانهم — معَ علم الله عز وجل بكذبهم ، واطلاعه على خُبث اعتقادهم ، وشكِّهم فيما ادَّعوا بألسنتهم أنهم به مصدِّقون[٢] ، حتى ظنُّوا فى الآخرة إذْ حشروا فى عِداد من كانوا فى عِدادهم فى الدنيا ، أنَّهم وارِدُون مَوْرِدَهم . وداخلون مدخلهم . والله جل جلاله — مع إظهاره ما قد أظهر لهم من الأحكام المُلْحِقَتِهم فى عاجل الدنيا وآجل الآخرة إلى حال تمييزه بينهم وبين أوليائه ، وتفريقِه بينهم وبينهم —[٣] معدٌّ لهم من أليم عقابه ونَكال عذابه ، ما أعدّ منه لأعدى أعدائه وشر عباده ، حتى ميز بينهم وبين أوليائه ، فألحقهم من طبقات جحيمه بالدَّرك الأسفل =[٤] كان معلوماً أنه جل ثناؤه بذلك

١٠٤/١ من فعلِه بهم — وإن كان جزاءً لهم على أفعالهم ، وعدلاً ما فعل من ذلك بهم لاستحقاقهم إياه منه بعصيانهم له — كان بهم — بما أظهرَ لهم من الأمور التى أظهرها لهم : من إلحاقه أحكامهم فى الدنيا بأحكام أوليائه وهم له أعداء ، وحشرِه إياهم فى الآخرة مع المؤمنين وهم به من المكذبين — إلى أن ميَّز بينهم وبينهم — مستهزئاً ، وبهم ساخراً ، ولهم خادعاً ، وبهم ماكراً[٥] . إذ كان معنى الاستهزاء والسخرية والمكر والخديعة ما وصفنا قبل ، دون أن يكون ذلك معناه فى حالٍ فيها المستهزئ بصاحبه له ظالم ، أو عليه فيها غير عادل ، بل ذلك معناه فى كل أحواله ، إذا وُجدت الصفات التى قدَّمنا ذكرها فى معنى الاستهزاء وما أشبهه من نظائره .

---

(١) فى المطبوعة : « من أحكام المسلمين . . . » ، وهى زيادة خطأ ، وقوله « أحكام » منصوب بقوله « قد جعل لأهل النفاق فى الدنيا من الأحكام » . . . « أحكام » ، وما بينهما فصل .

(٢) فى المطبوعة : « أنهم مصدقون » .

(٣) سياق العبارة : « والله جل جلاله . . . معد لهم . . . » .

(٤) قوله : « كان معلوماً » جواب قوله « فإذا كان ذلك كذلك . . . » ، فى أول هذه الفقرة .

(٥) أكثر الطبرى الفصل بين الكلام فى هذه الفقرة ، وسياق العبارة هو كما يلى : « . . . كان معلوماً أنه جل ثناؤه بذلك من فعله بهم . . . كان بهم . . . مستهزئاً ، وبهم ساخراً . . . » ، وما بين الكلام فى هذين الموضعين فصل للبيان .

وبنحو ما قلنا فيه رُوى الخبر عن ابن عباس :

٣٦٣ – حدثنا أبو كُريب قال : حدثنا عثمان بن سعيد، قال : حدثنا بشر ابن عُمَارة ، عن أبى رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس، فى قوله : « اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ » ، قال : يسخر بهم للنقمة منهم[1] .

* * *

وأما الذين زعموا أن قول الله تعالى ذكره: « اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِم »، إنما هو على وجه الجواب ، وأنه لم يكن من الله استهزاء ولا مكرٌ ولا خديعة ، فنافُون عن الله عز وجل ما قد أثبته الله عز وجل لنفسه ، وأوجبه لها . وسواءٌ قال قائل : لم يكن من الله جل ذكره استهزاء ولا مكر ولا خديعة ولا سخريةٌ بمن أخبر أنه يستهزئ ويسخر ويمكر به، أو قال : لم يخسف الله بمن أخبر أنه خَسَف به من الأمم ، ولم يُغرق من أخبر أنه أغرقه منهم .

ويقال لقائل ذلك: إن الله جل ثناؤه أخبرنا أنه مكرَ بقوم مضَوْا قبلنا لم نَرَهُم، وأخبر عن آخرين أنه خَسَف بهم، وعن آخرين أنه أغرقهم، فصدَّقْنا الله تعالى ذكره فيما أخبرنا به من ذلك، ولم نُفرِّق بين شىء منه . فما برهانُك على تفريقك ما فرَّقت بينه ، بزعمك: أنه قد أغرقَ وخَسف بمن أخبر أنه أغرقه وخسف به ، ولم يمكُرْ بمن أخبر أنه قد مكر به ؟

ثم نعكس القول عليه فى ذلك، فلن يقول فى أحدهما شيئاً إلا ألزِم فى الآخَر مثـــله .

فإن لجأ إلى أن يقول: إن الاستهزاء عبثٌ ولعبٌ ، وذلك عن الله عز وجل منفىٌّ .

قيل له : إن كان الأمر عندك على ما وصفتَ من معنى الاستهزاء ، أفلست

---

(١) الخبر ٣٦٣ – ساقه ابن كثير فى تفسيره ١ : ٩٤ ، والسيوطى ١ : ٣١ ، والشوكانى ١ : ٣٣ .

تقول : « الله يستهزئ بهم »، و« سخر الله منهم » ، و « مكر الله بهم » ، وإن لم يكن من الله عندك هزء ولا سخرية ؟

فإن قال : « لا »، كذّب بالقرآن ، وخرج عن ملة الإسلام .

وإن قال : « بلى »، قيل له : أفتقول من الوجه الذى قلت : « الله يستهزئ بهم » و« سخر الله منهم» — « يلعب الله بهم » و « يعبث » — ولا لعبَ من الله ولا عبث ؟

فإن قال : « نعم » ! وَصَف الله بما قد أجمع المسلمون على نفيه عنه ، وعلى تخطئة واصفه به ، وأضاف إليه ما قد قامت الحجة من العقول على ضلال مضيفه إليه .

وإن قال : لا أقول : « يلعب الله بهم » ولا « يعبث » ،وقد أقول « يستهزئ بهم » و « يسخر منهم » .

قيل : فقد فرقت بين معنى اللعب والعبث، والهزء والسخرية ، والمكر والخديعة . ومن الوجه الذى جازَ قِيلُ هذا ، ولم يَجُزْ قِيلُ هذا ، افترق معنياهُما . فعُلم أن لكل واحد منهما معنى غير معنى الآخر .

وللكلام فى هذا النوع موضع غير هذا ،كرهنا إطالة الكتاب باستقصائه . وفيما ذكرنا كفاية لمن وُفق لفهمه .

• • •

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَيَمُدُّهُمْ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : ﴿ ويمدهم ﴾ ، فقال بعضهم بما — :

٣٦٤ — حدثنى به موسى بن هرون، قال : حدثنا عمرو، قال : حدثنا أسباط، عن السُّدِّىّ فى خبر ذكره، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس —

وعن مُرّة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « يَمُدُّهُمْ » ، يملى لهم .

وقال آخرون بما — :

٣٦٥— حدثني به المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا سُوَيد بن نصر ، عن ابن المبارك ، عن ابن جريج قراءةً عن مجاهد : « يمدّهم » ، قال : يزيدُهم[1] .

١٠٥/١ وكان بعضُ نحويّ البصرة يتأوّل ذلك أنه بمعنى: يَمُدُّ لَهُم ، ويزعم أن ذلك نظيرُ قول العرب : الغلامُ يلعَب الكِعَابَ ، يراد به يَلعب بالكعاب. قال : وذلك أنّهم قد يقولون : « قد مَددت له وأمددتُ له » في غير هذا المعنى ، وهو قول الله تعالى ذكره : ﴿ وَأَمْدَدْنَاهُمْ ﴾ [سورة الطور : ٢٢] ، وهذا من : « مددناهم »[2] .

قال : ويقال : قد « مَدّ البحر فهو مادٌّ » و « أمَدّ الجرح فهو مُمِدّ » .

وحكى عن يونس الجَرْميّ أنه كان يقول : ما كان من الشر فهو « مدَدْت » ، وما كان من الخير فهو « أمْدَدت » . ثم قال : وهو كما فسرت لك ، إذا أردت أنك تركته فهو « مَدَدت له » ، وإذا أردت أنك أعطيته قلت : « أمْددت » .

وأما بعضُ نحويي الكوفة فإنه كان يقول : كل زيادة حدثت في الشيء من نفسه فهو « مَدَدت » بغير ألف ، كما تقول : « مدّ النهر ، ومدّه نهرٌ آخر غيره » ، إذا اتصل به فصار منه ، وكلّ زيادة أحدِثتْ في الشيء من غيره فهو بألف ، كقولك : « أمدّ الجرحُ » ، لأن المدّة من غير الجرح ، وأمدَدتُ الجيش بمَدَدٍ .

وأولى هذه الأقوال بالصواب في قوله : « وَيَمُدُّهُمْ » : أن يكون بمعنى يزيدهم ، على وجه الإملاء والترك لهم في عُتوّهم وتمردهم ، كما وصف ربُّنا أنه فعل بنظرائهم في قوله

---

(١) الخبران ٣٦٤ ، ٣٦٥ — ساقهما ابن كثير ١ : ٣١ ، والسيوطي ١ : ٣١ ، والشوكاني ١ : ٣٣.

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « وهذا من أمددناهم » ، ولعل الصواب ما أثبتناه . وعني أن قوله تعالى (ويمدهم في طغيانهم) من « مددت له » التي هي مثل « أمددت له » ، بعد طرح حرف الجر ، كما مثل في قول العرب « الغلام يلعب الكعاب » أي « يلعب بالكعاب » .

﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [سورة الأنعام : ١١٠] ، يعنى نذرُهم ونتركهم فيه ، ونملى لهم ليزدادوا إثماً إلى إثمهـــم .

ولا وجه لقول من قال : ذلك بمعنى « يَمُدُّ لهم » ، لأنه لا تدافُع بين العرب وأهل المعرفة بلغتها[1] ، أن يستجيزوا قول القائل : « مدّ النهرَ نهرٌ آخر » ، بمعنى : اتصل به فصار زائداً ماءُ المتَّصَل به بماء المتَّصِل — من غير تأوُّل منهم . وذلك أن معناه : مدّ النهرَ نهرٌ آخر . فكذلك ذلك فى قول الله : « وَيَمُدُّهُمْ فى طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ »

* * *

القول فى تأويل قوله : ﴿ فِي طُغْيَانِهِمْ ﴾

قال أبو جعفر : و« الطُّغيان » « الفُعْلان » ، من قولك : « طَغَى فلان يطغَى طُغياناً » . إذا تجاوز فى الأمر حده فبغَى . ومنه قول الله : ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى ۝ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى ﴾ [سورة العلق : ٦ ، ٧] ، أى يتجاوز حدّه . ومنه قول أمية بن أبى الصَّلْت :

وَدَعا اللهَ دَعْوَةً لاَتَ هَنَّا بَعْدَ طُغْيَانِه ، فَظَلَّ مُشِيرَا[2]

وإنما عنى الله جل ثناؤه بقوله « وَيَمُدُّهُمْ فى طُغْيَانِهِمْ » ،

---

(١) فى المخطوطة : « لأنه لا تتدافع العرب » ، وهما سواء فى المعنى .

(٢) ديوانه : ٣٤ مع اختلاف فى الرواية . والضمير فى قوله « ودعا الله » إلى فرعون حين أدركه الغرق . والهاء فى قوله « طغيانه » إلى فرعون ، أو إلى الماء لما طغا وأطبق عليه . وقوله « لات هنا » ، كلمة تدور فى كلامهم يريدون بها : « ليس هذا حين ذلك » ، والتاء فى قولهم « لات » صلة وصلت بها « لا » ، أصلها « لا هنا » أى ليس هنا ما أردت ، أى مضى حين ذلك . و « هنا » مفتوحة الهاء مشددة النون ، مثل « هنا » مضمومة الهاء مخففة النون . وقوله : « مشيراً » ، أى مشيراً بيده فى دعاء ربه أن ينجيه من الغرق .

أنه يُملى لهم ، ويَذَرُهم يَبغون فى ضلالهم وكفرهم حيارى يترددون . كما — :

٣٦٦ — حُدِّثت عن المِنْجاب ، قال : حدثنا بشر ، عن أبى رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس فى قوله : « فى طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ » ، قال : فى كفرهم يترددون .

٣٦٧ — حدثنى موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن السُّدّىّ فى خبر ذكره ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مُرّة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : « فى طُغيانهم » ، فى كفرهم .

٣٦٨ — حدثنا بشر بن مُعاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زُرَيع ، عن سعيد ، عن قتادة ، « فى طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ » ، أى فى ضلالتهم يعمهون .

٣٦٩ — حُدثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « فى طغيانهم » ، فى ضلالتهم .

٣٧٠ — وحدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله « فى طغيانهم » ، قال : طغيانهم ، كفرهم وضلالتهم[1] .

* * *

القول فى تأويل قوله : ﴿ يَعْمَهُونَ ﴾ (١٥)

قال أبو جعفر : والعَمَهُ نفسُه : الضَّلال . يقال منه : عَمِه فلان يَعْمه عَمَهاناً وعُمُوهاً ، إذا ضل[2] . ومنه قول رؤبة بن العجاج يصف مَضَلَّة من المهامه :

وَمَخْفَقٍ من لُهْلُهٍ ولُهْلُهِ مِنْ مَهْمَهٍ يَجْتَبْنَهُ فى مَهْمَهِ

---

(١) الأخبار ٣٦٦ — ٣٧٠ : ساقها ابن كثير ١ : ٩٥ ، والسيوطى ١ : ٣١ ، والشوكانى ١ : ٣٣ .

(٢) فى ابن كثير ١ : ٩٥ « عمها وعموها » ، والذى فى الطبرى صحيح : « عمها وعموها وعموهة وعمهاناً » .

أَعْمَى الهُدَى بِالجاهلين العُمَّهِ (١)

و « العُمَّه » جمع عامِه ، وهم الذين يضلّون فيه فيتحيرون . فمعنى قوله إذاً : « فى طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ » : فى ضلالهم وكفرهم الذى قد غمرهم دنسُه ، وعلاهم رِجْسُه ، يترددون حيارى ضُلاّلا ، لا يجدون إلى المخرج منه سبيلا ، لأن الله قد طبع على قلوبهم وختم عليها ، وأعمى أبصارهم عن الهدى وأغشاها ، فلا يبصرون رُشْداً ولا يهتدون سبيلا .

وبنحو ما قلنا فى « العَمَه » جاء تأويل المتأولين .

١٠٦/١ ٣٧١ — حدثنى موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن السُّدىّ ، فى خبر ذكره ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مُرّة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : « يَعْمَهُونَ » ، يتمادَوْن فى كفرهم .

٣٧٢ — وحدثنى المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « يَعْمَهُونَ » ، قال : يتمادَوْن .

٣٧٣ — حدّثت عن المِنْجاب ، قال : حدثنا بشر ، عن أبى رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس فى قوله : « يَعْمَهُونَ » ، قال : يتردّدون .

٣٧٤ — وحدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنى حجاج ، عن ابن جُريج ، قال : قال ابن عباس : « يَعْمَهُونَ » : المتلدّد (٢) .

---

(١) ديوانه : ١٦٦ . والمخفق : الأرض الواسعة المستوية التى يخفق فيها السراب ، أى يضطرب . ولهله : أرض واسعة يضطرب فيها السراب ، والجمع لهاله . والمهمه : الفلاة المقفرة ليس بها ماء ولا أنيس . وجاب المفازة واجتابها : قطعها سيراً . وقوله « فى مهمه » : أى يقطعنه ويدخلن فى مهمه آخر موغلين فى الصحراء .

(٢) تلدد الرجل فهو متلدد : إذا لبث فى مكانه حائراً متبلداً يتلفت يميناً وشمالا .

٣٧٥- حدثنا محمد بن عمرو الباهلي ، قال: حدثنا أبو عاصم، قال : حدثنا عيسى بن ميمون ، قال حدثنا ابن أبي نَجيح ، عن مجاهد ، في قول الله : « في طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ »، قال : يترددون .

٣٧٦- وحدثني المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نَجيح ، عن مجاهد ، مثله .

٣٧٧- حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : حدثنا أبي، عن سفيان، عن رجل ، عن مجاهد ، مثله .

٣٧٨- حدثني المثنى ، قال : حدثنا سويد بن نصر ، عن ابن المبارك ، عن ابن جريج قراءة ، عن مجاهد ، مثله .

٣٧٩- حُدِّثت عن عمار، قال: حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع ، « يَعْمَهُونَ »، قال : يترددون[1] .

• • •

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ ﴾

قال أبو جعفر : إن قال قائل: وكيف اشترى هؤلاء القومُ الضلالةَ بالهدى، وإنما كانوا منافقين لم يتقدم نفاقَهم إيمانٌ فيقال فيهم : باعوا هداهم الذي كانوا عليه بضلالتهم التي استبدلوها منه ؟ وقد علمتَ أن معنى الشراء المفهوم: اعتياضُ شيء ببذل شيء مكانه عِوَضاً منه ، والمنافقون الذين وصفهم الله بهذه الصفة، لم يكونوا قط على هُدًى فيتركوه ويعتاضوا منه كفراً ونفاقاً ؟

---

(١) الأخبار : ٣٧٢ - ٣٧٩ : ساقها السيوطي ١ : ٣١ ، والشوكاني ١ : ٣٣ ، وخرجا أثر مجاهد في تفسير الآية : « أي يلعبون ويترددون في الضلالة » .

قيل : قد اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فنذكر ما قالوا فيه ، ثم نبين الصحيحَ من التأويل فى ذلك إن شاء الله :

٣٨٠ــ حدثنا محمد بن حميد، قال: حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس : « أولئكَ الذينَ اشْتَرَوُا الضَّلاَلَةَ بِالهُدَى »، أى الكفرَ بالإيمان .

٣٨١ــ وحدثنى موسى بن هرون، قال: حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن السُّدّىّ ، فى خبر ذكره ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح، عن ابن عباس ــ وعن مُرّة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : « أولئك الذين اشْتَرَوُا الضَّلاَلَةَ بالهُدَى » ، يقول : أخذوا الضلالة وتركوا الهدى .

٣٨٢ــ حدثنا بشر بن مُعاذ ، قال: حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة: « أولئِك الذين اشْتَرَوُا الضَّلاَلَةَ بالهُدَى »، استحبوا الضلالة على الهدى .

٣٨٣ــ حدثنى محمد بن عمرو ، قال: حدثنا أبو عاصم، قال : حدثنا عيسى ابن ميمون ، عن ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد فى قوله : « أولئك الذين اشْتَرَوُا الضَّلاَلَةَ بِالهُدَى» ، آمنوا ثم كفروا .

٣٨٤ــ حدثنا المثنى ،قال :حدثنا أبو حُذَيفة، قال : حدثنا شِبْل، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله[1] .

قال أبو جعفر : فكأنّ الذين قالوا فى تأويل ذلك : « أخذوا الضلالة وتركوا الهدى» ــ وجّهوا معنى الشراء إلى أنه أخْذ المشترَى مكانَ الثمن المشترَى به، فقالوا : كذلك المنافق والكافر ، قد أخذَا مكانَ الإيمان الكفرَ، فكان ذلك منهما شراءً

---

(١) الأخبار: ٣٨٠ ــ ٣٨٤ : ساقها ابن كثير فى تفسيره ١ : ٩٥ ، ٩٦، والسيوطى ١ : ٣١، ٣٢ ، والشوكانى ١ : ٣٣ ، ٣٤ .

للكفر والضلالة اللذَيْن أخذاهما بتركهما ما تركا من الهدى، وكان الهدى الذى تركاه هو الثمن الذى جعلاه عوضاً من الضلالة التى أخذاها .

وأما الذين تأوّلوا أن معنى قوله « اشتَرَوْا »: «استحبُّوا »، فإنهم لما وَجدوا الله جل ثناؤه قد وصف الكفّار فى موضع آخر ، فنسبهم إلى استحبابهم الكفرَ على الهدى، فقال : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾ [سورة فصلت : ١٧] ، ١/١٠٧ صرفوا قوله «اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالهُدَى » إلى ذلك . وقالوا : قد تدخل « الباء » مكان « على » ، و «على» مكان « الباء »، كما يقال : مررت بفلان ، ومررت على فلان ، بمعنى واحد ، وكقول الله جل ثناؤه : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ﴾ [سورة آل عمران : ٧٥]، أى على قنطار. فكان تأويل الآية على معنى هؤلاء : أولئك الذين اختارُوا الضلالةَ على الهدى . وأراهم وجَّهوا معنى قول الله جل ثناؤه « اشترَوا » إلى معنى اختاروا ، لأن العرب تقول : اشتريت كذا على كذا ، واستَرَيتُه — يَعْنُون اخترتُه عليه .

ومن الاستراء قول أعشى بنى ثعلبة(١) :

فَقَدْ أُخْرِجُ الكَاعِبَ الْمُسْتَرَا ةَ مِنْ خِدْرِهَا وأُشِيعَ القِمَارَ(٢)

يعنى بالمستراة : المختارة .

وقال ذو الرُّمة ، فى الاشتراء بمعنى الاختيار :

يَذُبُّ القَصَايَا عَن شَرَاةٍ كَأَنَّهَا جَمَاهِيرُ تَحْتَ المُدْجِنَاتِ الهَوَاضِبِ(٣)

يعنى بالشَّراة : المختارة .

---

(١) فى المطبوعة « الاشتراء » بالشين المعجمة ، وهو خطأ ، صوابه بالسين المهملة .

(٢) ديوانه : ٣٥ ، وطبقات فحول الشعراء : ٣٦ ، واللسان (سرا) . وفى المطبوعة : «المشتراة» فى الموضعين ، والصواب ما أثبتناه. والكاعب : التى كعب ثديها ، أى نهد ، يعنى أنها غريرة منعمة محجوبة . وخدر الجارية : سترها الذى يمد لها لتلزمه بعد البلوغ ، وأشاع المال بين القوم : فرقه فيهم . وأراد بالقمار : لعب الميسر ، وعنى نصيب الفائز فى الميسر من لحم الجزور ، يفرقه فى الناس من كرمه .

(٣) ديوانه : ٦٢. والضمير فى قوله « يذب » لفحل الإبل . ويذب : يدفع ويطرد . والقصايا ،

وقال آخر فى مثل ذلك :

إنَّ الشَّراةَ رُوقَةُ الأموالِ وحَزْرَةُ القَلْبِ خِيَارُ المَالِ[1]

قال أبو جعفر : وهذا ، وإن كان وجهاً من التأويل ، فلستُ له بمختار . لأن الله جل ثناؤه قال : «فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهم» ، فدل بذلك على أن معنى قوله «أولئِكَ الذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلاَلَةَ بِالهُدَى» ، معنى الشراء الذى يتعارفه الناس ، من استبدال شىء مكان شىء ، وأخذِ عِوَض على عوض .

وأما الذين قالوا : إنّ القوم كانوا مؤمنين وكفروا ، فإنه لا مؤونة عليهم ، لو كان الأمر على ما وصفوا به القوم . لأن الأمر إذا كان كذلك ، فقد تركوا الإيمان ، واستبدلوا به الكفرَ عوضاً من الهدى . وذلك هو المعنى المفهوم من معانى الشراء والبيع ، ولكن دلائل أوّل الآيات فى نعوتهم إلى آخرها ، دالّةٌ على أن القوم لم يكونوا قط استضاءوا بنور الإيمان ، ولا دخلوا فى ملّة الإسلام . أوَما تسمعُ الله جل ثناؤه من لَدُنِ ابتدأ فى نعتهم ، إلى أن أتى على صفتهم ، إنما وصفهم بإظهار الكذب بألسنتهم : بدعواهم التصديق بنبيِّنا محمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به ، خداعاً لله ولرسوله وللمؤمنين عند أنفسهم ، واستهزاءً فى نفوسهم بالمؤمنين ، وهم لغير ما كانوا يظهرون مستبطنون . يقول الله جل جلاله[2] : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ، ثم اقتصّ قَصَصهم إلى قوله : ﴿أُولَـئِكَ الَّذِينَ

جمع قصية : وهى من الإبل رذالتها ، ضعفت فتخلفت . وجماهير ، جمع جمهور : وهو رملة مشرفة على ما حولها ، تراكم رملها وتعقد . والمدجنات ، من قولهم « سحابة داجنة ومدجنة » ، وهى : المطبقة الكثيفة المطر . والهواضب : التى دام مطرها وعظم قطرها . شبه الإبل فى جلالة خلقها وضخامتها بجماهير الرمل المتلبدة فى رأى العين من بعيد .

(١) البيت الثانى فى اللسان (حزر) . وروقة الناس : خيارهم وأبهاهم منظراً . ويقال : هذا الشىء حزرة نفسى وقلبى : أى خير ما عندى ، وما يتعلق به القلب لنفاسته .

(٢) فى المطبوعة : « لقول الله . . . » .

اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى ﴾ ؟ فأين الدلالة على أنهم كانوا مؤمنين ففكروا ؟

فإن كان قائل هذه المقالة ظن أنّ قوله : « أولئك الذين اشْتَرَوُا الضَّلالةَ بالهُدى » هو الدليل على أنّ القوم قد كانوا على الإيمان فانتقلوا عنه إلى الكفر ، فلذلك قيل لهم « اشتروا » — فإن ذلك تأويل غير مسلَّم له ، إذْ كان الاشتراء عند مخالفيه قد يكون أخذَ شيء بتركِ آخرَ غيره ، وقد يكون بمعنى الاختيار ، وبغير ذلك من المعاني . والكلمة إذا احتملت وجوهاً ، لم يكن لأحد صرفُ معناها إلى بعض وجوهها دون بعضٍ ، إلا بحجة يجب التسليم لها .

قال أبو جعفر : والذى هو أولى عندى بتأويل الآية ، ما روينا عن ابن عباس وابن مسعود من تأويلهما قوله : « اشْتَرَوُا الضَّلالةَ بِالهُدى » : أخذوا الضلالة وتركوا الهدى . وذلك أن كل كافر بالله فإنه مستبدلٌ بالإيمان كفراً ، باكتسابه الكفرَ الذى وُجد منه ، بدلاً من الإيمان الذى أمر به . أوَمَا تسمعُ الله جل ثناؤه يقول فيمن اكتسب كفراً به مكان الإيمان به وبرسوله : ﴿ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [سورة البقرة : ١٠٨] ؟ وذلك هو معنى الشراء ، لأن كلَّ مشترٍ شيئاً فإنما يستبدل مكانَ الذى يُؤخذ منه من البدل آخرَ بديلاً منه . فكذلك المنافقُ والكافر ، استبدلا بالهدى الضلالةَ والنفاق ، فأضلهما الله ، وسلبهما نورَ الهدى ، فترك جميعَهم فى ظلمات لا يبصرون .

١٠٨/١

• • •

القول فى تأويل قوله : ﴿ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ ﴾

قال أبو جعفر : وتأويل ذلك أنّ المنافقين — بشرائهم الضلالةَ بالهدى — خسروا ولم يربحوا ، لأن الرابح من التجّار : المستبدلُ من سلعته المملوكة عليه

بدلاً هو أنفسَ من سلعته المملوكة أو أفضلَ من ثمنها الذى يبتاعها به . فأما المستبدِلُ من سلعته بدلاً دُونها ودونَ الثمن الذى ابتاعها به[١] ، فهو الخاسر فى تجارته لا شكّ . فكذلك الكافر والمنافق ، لأنهما اختارا الحيرة والعمى على الرشاد والهدى ، والخوفَ والرعبَ على الحفظ والأمن ، واستبدلا فى العاجل : بالرَّشاد الحيرة ، وبالهُدى الضلالةَ ، وبالحفظ الخوفَ ، وبالأمن الرعبَ — مع ما قد أعدّ لهما فى الآجل من أليم العقاب وشديد العذاب ، فخابا وخَسِرا ، ذلك هو الخسران المبين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك كان قتادة يقول .

٣٨٥ — حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زُرَيْع ، عن سعيد ، عن قتادة ، «فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وما كانُوا مُهْتدين » : قد وَالله رأيتموهم خرجوا من الهدى إلى الضلالة ، ومن الجماعة إلى الفُرقة ، ومن الأمن إلى الخوف ، ومن السُّنة إلى البدعة[٢] .

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : فما وجه قوله : «فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهمْ »؟ وهل التجارة مما تَرْبَح أو تُوكس ، فيقال : رَبِحت أو وُضِعَت[٣] ؟

قيل : إن وجه ذلك على غير ما ظننتَ . وإنما معنى ذلك : فما ربحوا فى تجارتهم — لا فيما اشترَوْا ، ولا فيما شرَوْا . ولكن الله جل ثناؤه خاطب بكتابه عَرَباً فسلَكَ فى خطابه إياهم وبيانه لهم ، مَسلكَ خطاب بعضِهم بعضاً ، وبيانهم المستعمل بينهم[٤] . فلما كان فصيحاً لديهم قول القائل لآخر : خاب سعيُك ، ونام ليلُك ، وخسِر بيعُك ، ونحو ذلك من الكلام الذى لا يخفى على سامعه ما يريد قائله — خاطبهم بالذى هو فى منطقهم من الكلام ، فقال : « فَمَا رَبِحَتْ

---

(١) فى المطبوعة : « يبتاعها » .
(٢) الأثر ٣٨٥ — فى ابن كثير ١ : ٩٦ ، والسيوطى ١ : ٣٢ ، والشوكانى ١ : ٣٤ .
(٣) وضع فى تجارته يوضع وضيعة : غبن فيها وخسر ، ومثله : وكس .
(٤) فى المخطوطة : « المستعلم بينهم » ، ولعلها سبق قلم .

تِجارَتُهم » إذ كان معقولا عندهم أن الربح إنما هو فى التجارة ، كما النومُ فى الليل . فاكتفى بفهم المخاطبين بمعنى ذلك ، عن أن يقال : فما ربحوا فى تجارتهم ، وإنْ كان ذلك معناه ، كما قال الشاعر :

وشَرُّ المَنَايا مَيِّتٌ وَسْطَ أَهْلِهِ كَهُلْكِ الفَتَاةِ أَسْلَمَ الحَيَّ حَاضِرُهْ(١)

يعنى بذلك : وشر المنايا منيَّة ميت وسط أهله ، فاكتفى بفهم سامع قيلِه مرادَه من ذلك ، عن إظهار ما ترك إظهارَه ، وكما قال رؤبة بن العَجّاج :

حَارِثُ ! قد فَرَّجْتَ عَنِّى هَمِّى فنامَ لَيْلِى وتَجَلَّى غَمِّى(٢)

فوَصف بالنوم الليل ، ومعناه أنه هو الذى نام ، وكما قال جرير ابن الخَطَفَى :

وأَعْوَرَ من نَبْهَانَ أَمَّا نَهَارُه فأَعْمَى ، وأما ليلُه فبَصِيرُ(٣)

فأضاف العمى والإبصار إلى الليل والنهار ، ومرادُه وصفَ النبهانىّ بذلك .

* * *

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ (١٦)

يعنى بقوله جل ثناؤه « وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ » : ما كانوا رُشداءَ فى اختيارهم الضلالةَ على الهدى ، واستبدالهم الكفرَ بالإيمان ، واشترائهم النفاقَ بالتصديق والإقرار .

---

(١) هو للحطيئة ، من أبيات ليست فى ديوانه ، بل فى طبقات فحول الشعراء : ٩٥ ، وسيبويه ١ : ١٠٩ وأمالى الشريف المرتضى ١ : ٣٨ ، مع اختلاف فى بعض الرواية ، ورواية الطبقات أجودهن . « أيقظ الحى » ، يعنى أيقظ الحى حاضر الموت ، فقامت البواكى ترن وتندب ، وكأن رواية من روى « أسلم الحى » ، تعنى أسلمهم للبكاء .

(٢) ديوانه : ١٤٢ ، يمدح الحارث بن سليم ، من آل عمرو بن سعد بن زيد مناة .

(٣) ديوانه : ٢٠٦ ، والنقائض : ٣٥ ، والمؤتلف والمختلف : ٣٩ ، ١٦١ ، ومعجم الشعراء ٢٥٣ ، من شعر فى هجاء الأعور النبهانى ، وكان هجا جريراً ، فأكله جرير . قال أبو عبيدة : « أى هو أعور النهار عن الخيرات ، بصير الليل بالسوءات ، يسرق ويزنى » .

* * *

القول فى تأويل قوله: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (١٧)

قال أبو جعفر: إن قال لنا قائل: وكيف قيل «مثلهم كمثل الذى استوقد نارًا»، وقد علمتَ أن «الهاء والميم» من قوله «مثلهم» كناية جِماعٍ — من الرجال أو الرجال والنساء — و«الذى» دلالة على واحد من الذكور؟ فكيف جعل الخبر عن واحد مَثلاً لجماعة؟ وهلا قيل: مثلهم كمثل الذين استوقدوا ناراً؟ وإن جاز عندك أن تمثلَ الجماعةَ بالواحد، فتجيز لقائل رأى جماعة من الرجال فأعجبتْه صُوَرهم وتمامُ خلقهم وأجسامهم، أن يقول: كأنّ هؤلاء، أو كأنّ أجسامَ هؤلاء، نخلةٌ؟

١٠٩/١ قيل: أما فى الموضع الذى مثّل ربُّنا جل ثناؤه جماعةً من المنافقين، بالواحد الذى جعله لأفعالهم مثلا، فجائز حسنٌ، وفى نظائره[1]، كما قال جل ثناؤه فى نظير ذلك: ﴿ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِى يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ [سورة الأحزاب: ١٩]، يعنى كدَوَرانَ عينِ الذى يُغشى عليه من الموت — وكقوله: ﴿ مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [سورة لقمان: ٢٨] بمعنى: إلا كبَعْث نفسٍ واحدة.

وأما فى تمثيل أجسام الجماعة من الرجال، فى الطول وتمام الخلق، بالواحدة من النخيل، فغير جائز، ولا فى نظائره، لفرق بينهما.

فأما تمثيلُ الجماعة من المنافقين بالمستوقِدِ الواحد، فإنما جاز، لأن المرادَ من

---

(١) «وفى نظائره»، أى هو فى نظائره جائز حسن أيضاً. ومثلها ما يأتى بعد أسطر فى قوله «ولا فى نظائره»، حذف فيهما جميعاً.

الخبر عن مَثَل المنافقين ، الخبرُ عن مَثَل استضاءتهم بما أظهروا بألسنتهم من الإقرار وهم لغيره مستبطنون — من اعتقاداتهم الرَّديئة ، وخلطهم نفاقَهم الباطن بالإقرار بالإيمان الظاهر . والاستضاءةُ — وإن اختلفت أشخاص أهلها — معنًى واحد ، لا معانٍ مختلفة . فالمثل لها فى معنى المثَل للشخص الواحد ، من الأشياء المختلفة الأشخاص .

وتأويل ذلك : مَثَلُ استضاءة المنافقين بما أظهروه من الإقرار بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به ، قولاً ، وهُم به مكذبون اعتقاداً ، كمثَل استضاءة المُوقِد ناراً . ثم أسقط ذكر الاستضاءة ، وأضيف المثَلُ إليهم ، كما قال نابغةُ بنى جَعْدَة :

وكَيفَ تُوَاصِل من أَصْبَحَتْ خِلاَلَتُه كأبى مَرْحَبِ (١)

يريد : كخلالة أبى مَرْحب ، فأسقط « خلالة » ، إذ كان فيما أظهرَ من الكلام ، دلالةٌ لسامعيه على ما حذف منه . فكذلك القول فى قوله : « مَثَلُهُم كَمَثَلِ الذى اسْتَوْقَدَ نَارًا » ، لما كان معلوماً عند سامعيه بما أظهرَ من الكلام ، أنّ المثلَ إنما ضُرِب لاستضاءة القوم بالإقرار دون أعيان أجسامهم — حَسُن حذفُ ذكر الاستضاءة ، وإضافة المثل إلى أهله . والمقصود بالمثل ما ذكرنا . فلما وَصَفنا ، جاز وحَسُنَ قوله : « مَثَلُهُم كَمَثَلِ الذى اسْتَوقَد نَاراً » ، ويشبه مثل الجماعة فى اللفظ بالواحد ، إذ كان المراد بالمثل الواحد فى المعنى .

وأما إذا أريدَ تشبيهُ الجماعة من أعيان بنى آدم — أو أعيان ذوى الصور والأجسام ، بشىء — فالصَّواب من الكلام تشبيهُ الجماعة بالجماعة ، والواحدُ بالواحد ، لأن عينَ كل واحد منهم غيرُ أعيان الآخرين .

ولذلك من المعنى ، افترق القولُ فى تشبيه الأفعال والأسماء . فجاز تشبيهُ أفعال الجماعة من الناس وغيرهم — إذا كانت بمعنى واحدٍ — بفعل الواحد ،

---

(١) الشعر للنابغة الجعدى . اللسان (رحب) و (خلل) . والخلة والخلالة : الصداقة المختصة التى ليس فى علاقتها خلل . وأبو مرحب : كنية الظل ، يريد أنها تزول كما يزول الظل ، لا تبقى له مودة .

ثم حذف أسماء الأفعال وإضافة المثَل والتشبيه إلى الذين لهم الفعل . فيقال : ما أفعالكم إلا كفِعل الكلب ، ثم يحذف فيقال : ما أفعالكم إلا كالكلب أو كالكلاب ، — وأنت تعنى : إلا كفعل الكلب ، وإلا كفعل الكلاب . ولم يَجُزْ أن تقول : ما هم إلا نخلة ، وأنت تريد تشبيه أجسامهم بالنخل فى الطُّول والتمام .

وأما قوله : « استوْقَدَ نارًا » ، فإنه فى تأويل : أوقدَ ، كما قال الشاعر :

وَدَاعٍ دَعَا : يَا مَنْ يُجِيبُ إلى النَّدَى فَلَمْ يَسْتَجِبْه عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ[1]

يريد : فلم يُجبه . فكان معنى الكلام إذاً : مَثَلُ استضاءة هؤلاء المنافقين — فى إظهارهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين بألسنتهم ، من قولهم : آمنَّا بالله وباليوم الآخر ، وصدَّقنا بمحمد وبما جاء به ، وهم للكفر مستبطنون — فيما الله فاعل بهم[2] ، مثل استضاءة موقِد نارٍ بناره ، حتى أضاءت له النارُ ما حوله ، يعنى : ما حول المستوقِد .

وقد زعم بعضُ أهل العربية من أهل البصرة : أن « الذى » فى قوله : « كمثل الذى استوْقَدَ نارًا » بمعنى الذين ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَالَّذِى جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [سورة الزمر : ٣٣] ، وكما قال الشاعر : ١١٠/١

فإنَّ الَّذِى حَانَتْ بِفَلْجٍ دِمَاؤُهُمْ هُمُ القومُ كُلُّ القَوْمِ يَاأُمَّ خَالِدِ[3]

قال أبو جعفر : والقول الأول هو القول ، لما وصفنا من العِلة . وقد أغفل قائل

---

(١) الشعر لكعب بن سعد الغنوى . الأصمعيات : ١٤ ، وأمالى القالى ٢ : ١٥١ ، وهى من حسان قصائد الرثاء .

(٢) سياق عبارته : « مثل استضاءة هؤلاء . . . فيما الله فاعل بهم ، مثل استضاءة . . . » .

(٣) الشعر للأشهب بن رميلة . الخزانة ٢ : ٥٠٧ — ٥٠٨ ، والبيان ٤ : ٥٥ ، وسيبويه ١ : ٩٦ ، والمؤتلف والمختلف للآمدى : ٣٣ ، وذكر البغدادى أن أبا تمام أنشد البيت فى أبيات لحريث ابن محفض ، فى كتابه « مختار أشعار القبائل » . وروايته : « وإن الألى » . ولا شاهد فيه . وهم يقولون إن النون حذفت من « الذين » ، فصارت « الذى » لطول الكلام والتخفيف ، وهى بمعنى الجمع لا المفرد . وفلج : واد بين البصرة وحمى ضرية ، كانت فيه هذه الوقعة التى ذكرها

ذلك فرقَ ما بين « الذى » فى الآيتين وفى البيت. لأن « الذى » فى قوله: « والذى جاء بالصدق » ، قد جاءت الدّلالة على أن معناها الجمع ، وهو قوله: « أولئكَ هُمُ المتقونَ » ، وكذلك « الذى » فى البيت ، وهو قوله « دماؤهم » . وليست هذه الدلالة فى قوله : « كمثل الذى استوْقَدَ نارًا » . فذلك فَرْق ما بين « الذى » فى قوله: « كمثل الذى استوْقَدَ نارًا » ، وسائر شواهده التى استشهد بها على أنّ معنى « الذى » فى قوله: « كمثل الذى استوْقَدَ نارًا » بمعنى الجِماع . وغير جائز لأحد نقل الكلمة — التى هى الأغلب فى استعمال العرب على معنى — إلى غيره ، إلا بحجة يجب التسليم لها .

ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك . فرُوِى عن ابن عباس فيه أقوال :

أحدها : ما —

٣٨٦ — حدثنا به محمد بن حُميد ، قال: حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد بن أبى محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : ضرب الله للمنافقين مَثلاً فقال : « مَثلهمْ كمثل الذى استوْقدَ نارًا فلما أضاءتْ ما حوله ذهبَ اللهُ بنُورهمْ وتركهمْ فى ظُلمات لا يُبصرُونَ » أى يُبصرون الحق ويقولون به ، حتى إذا خرَجوا به من ظُلمة الكفر أطفئوه بكُفرهم به ونفاقِهم فيه ، فتركهم فى ظلمات الكفر ، فهم لا يبصرون هدى ولا يستقيمون على حق .

والآخر : ما —

٣٨٧ — حدثنا به المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا أبو صالح ، قال : حدثنا معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس: « مَثلهمْ كمثل الذى استوقدَ نارًا » إلى آخر الآية : هذا مثل ضربه الله للمنافقين أنهم كانوا يعتزُّون بالإسلام ، فيناكحُهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم الفىء ، فلما ماتوا سلبهم الله ذلك العزّ ، كما سلب صاحب النار ضَوءَه . ﴿ وَتَرَكَهُمْ فى ظُلُمَاتٍ ﴾ يقول : فى عذاب .

والثالث : ما —

٣٨٨ — حدثني به موسى بن هرون، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن السُّدّى، في خبر ذكره، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس — وعن مُرّة، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: «مَثلهمْ كمثل الذى استوْقدَ نارًا فلما أضاءتْ ما حولهُ ذَهبَ اللهُ بنورهمْ وتركهمْ في ظُلمات لا يُبصرُونَ»، زعم أنّ أناساً دخلوا في الإسلام مقدَم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، ثم إنهم نافقوا، فكان مثلهم كمثل رجُل كان في ظلمة فأوقد ناراً فأضاءت له ما حوله من قَذًى أو أذًى فأبصره حتى عرف ما يتّقى. فبينا هو كذلك، إذْ طَفِئَت ناره، فأقبل لا يدرى ما يتّقى من أذًى. فكذلك المنافق: كان في ظلمة الشرك فأسلم، فعرف الحلالَ من الحرام، والخير من الشر، فبينا هو كذلك إذْ كفَر، فصار لا يعرف الحلال من الحرام، ولا الخير من الشرّ. وأما النُّور، فالإيمان بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم. وكانت الظلمة نفاقهم.

والآخر : ما — .

٣٨٩ — حدثني به محمد بن سعد، قال: حدثني أبي سعد بن محمد[1]، قال: حدثني عمي، عن أبيه، عن جده، عن ابن عباس: قوله: «مَثلهمْ كمثل الذى استوْقدَ ناراً» إلى «فهم لا يرجعون»، ضرَبه الله مثلا للمنافق. وقوله: «ذَهبَ اللهُ بنورهمْ» قال: أما النور، فهو إيمانهم الذى يتكلمون به. وأما الظلمة، فهى ضلالتهُم وكفرهم يتكلمون به، وهم قوم كانوا على هدًى ثم نُزع منهم، فعتَوْا بعد ذلك.

وقال آخرون : بما —

٣٩٠ — حدثني به بِشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة، قوله: «مَثلهمْ كمثل الذى استوْقدَ ناراً فلما أضاءتْ ما حولهُ ذَهبَ اللهُ بنورهمْ وتركهمْ في ظُلمات لا يُبصرُونَ»، وأن المنافقَ تكلم

---

(١) في المطبوعة «محمد بن سعيد»، «سعيد بن محمد». وهو خطأ، صوابه من المخطوطة، ومن مراجع التراجم. وانظر شرح هذا السند مفصلا : ٣٠٥ .

بلا إله إلا الله، فأضاءت له فى الدنيا ، فناكَح بها المسلمين ، وَغازَى بها المسلمين[1]، ووارثَ بها المسلمين ، وَحقن بها دَمه وماله . فلما كان عند الموت ، سُلبها المنافق ، لأنه لم يكن لها أصل فى قلبه ، ولاحقيقة فى علمه . ١١١/١

٣٩١ — حدثنا الحسن بن يحيى ، قال: أخبرنا عبد الرزّاق ، قال: أخبرنا مَعْمَر ، عن قتادة « مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله » هى : لا إله إلا الله ، أضاءت لهم فأكلوا بها وشربوا ، وأمنوا فى الدنيا ، ونكحوا النساء ، وحقنوا بها دماءهم ، حتى إذا ماتوا ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يُبصرون .

٣٩٢ — حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين ، قال: حدثنى أبو تُميلة ،عن عُبيد بن سليمان[2] ، عن الضحاك بن مزاحم ، قوله : « كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله» ، قال : أما النّور ، فهو إيمانهم الذى يتكلمون به ، وأما الظلمات ، فهى ضلالتهم وكفرهم .

وقال آخرون بما : —

٣٩٣ — حدثنى به محمد بن عمرو الباهلى، قال: حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى بن ميمون ، قال : حدثنا ابن أبى نَجيح ،عن مجاهد،فى قول الله: «مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءتْ ما حوله»، قال : أما إضاءة النار ، فإقبالهم إلى المؤمنين والهدَى ؛ وذهابُ نورهم ، إقبالهم إلى الكافرين والضلالة .

---

(١) فى المطبوعة : « وعاد بها المسلمين » ، والصواب من المخطوطة وابن كثير فى تفسيره ، والدر المنثور ، كما سيأتى فى التخريج .

(٢) أبو تميلة ، بضم التاء المثناة وفتح الميم : هو يحيى بن واضح الأنصارى المروزى الحافظ ، من شيوخ أحمد وإسحق وغيرهما من الأئمة ، وهو ثقة ، وثقه ابن معين وابن سعد وأبو حاتم وغيرهم ، ووهم أبو حاتم ، إذ نسب إلى البخارى أنه ذكره فى الضعفاء . وما كان ذلك ، والبخارى ترجمه فى الكبير ٤ /٢ / ٣٠٩ ، فلم يذكر فيه جرحاً ، ولم يذكره فى كتاب الضعفاء الصغير . وقال الذهبى فى الميزان ٣ : ٣٠٥ حين ذكر كلام أبى حاتم : « فلم أر ذلك ، ولا كان ذلك . فإن البخارى قد احتج به ». ووقع فى مطبوعة الطبرى هنا « أبو نميلة » بالنون ، وهو خطأ مطبعى . و « عبيد بن سليمان » :هو الباهلى الكوفى أبو الحارث ، ذكره ابن حبان فى الثقات ، وذكر ابن أبى حاتم ٢ / ٢ / ٤٠٨ أنه سأل عنه أباه ، فقال : « لا بأس به » .

٣٩٤ – حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا أبو حُذَيفة ، عن شِبل ، عن ابن أبي نَجيح ، عن مجاهد : « مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله » ، أما إضاءة النار ، فإقبالُهم إلى المؤمنين والهدَى ؛ وذهابُ نورهم ، إقبالهم إلى الكافرين والضلالة .

٣٩٥ – حدثني القاسم ، قال : حدثني الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

٣٩٦ – حدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحق بن الحجاج ، عن عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، قال : ضَرب مثلَ أهل النفاق فقال : « مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً » ، قال : إنما ضوءُ النار ونورُها ما أوقدَتها ، فإذا خمدت ذهب نورُها . كذلك المنافق ، كلما تكلّم بكلمة الإخلاص أضاءَ له ، فإذا شك وقع فى الظلمة .

٣٩٧ – حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثني عبد الرحمن بن زيد ، فى قوله : « كمثل الذى استوقد ناراً » إلى آخر الآية ، قال : هذه صفة المنافقين . كانوا قد آمنوا حتّى أضاءَ الإيمانُ فى قلوبهم ، كما أضاءَت النارُ لهؤلاء الذين استوقدوا ، ثم كفروا فذهب الله بنورهم فانتزعه ، كما ذهب بضوء هذه النار ، فتركهم فى ظلمات لا يبصرون[1] .

وأولى التأويلات بالآية ما قاله قتادة ، والضحاك ، وما رواه على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس . وذلك : أن الله جلّ ثناؤه إنما ضرَب هذا المثل للمنافقين – الذين وَصَف صفتَهم وقص قصَصهم ، من لدُن ابتدأ بذكرهم بقوله : « ومن الناس مَنْ يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هُمْ بمؤمنين » – لا المعلنين بالكفر المجاهرين

---

(١) الأخبار ٣٨٦ – ٣٩٧ : هذه الآثار السالفة جميعاً ، وما سيأتى إلى قوله تعالى (فهم لا يرجعون) بالأرقام ٣٩٨ – ٤٠٤ ساقها ابن كثير ١ : ٩٧ – ٩٩ ، والدر المنثور ١ : ٣٢ – ٣٣ ، وفتح القدير ١ : ٣٥ .

بالشرك[1]. ولو كان المثل لمن آمنَ إيماناً صحيحاً ثم أعلن بالكفر إعلانا صحيحاً — على ما ظنَّ المتأول قولَ الله جل ثناؤه : « كمثل الذى استوقدَ ناراً فلما أضاءَتْ ما حولهَ ذهبَ الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون » : أن ضوءَ النار مثلٌ لإيمانهم الذى كان منهم عندَهُ على صحةٍ ، وأن ذهاب نورهم مثلٌ لارتدادهم وإعلانهم الكفر على صحة — لم يكن[2] هناك من القوم خداعٌ ولا استهزاءٌ عند أنفسهم ولا نفاقٌ . وأنّى يكون خداعٌ ونفاقٌ ممن لم يُبد لك قولاً ولا فعلاً إلا ما أوجبَ لك العلم بحاله التى هو لك عليها ، وبعزيمة نفسه التى هو مقيم عليها ؟ إنَّ هذا بغير شكٍّ من النفاق بعيدٌ ، ومن الخداع برىءٌ . وإذْ كان القومُ لم تكن لهم إلا حالتان[3] : حالُ إيمان ظاهر ، وحالُ كفر ظاهر ، فقد سقط عن القوم اسمُ النفاق . لأنهم فى حال إيمانهم الصحيح كانوا مؤمنين ، وفى حال كفرهم الصحيح كانوا كافرين . ولا حالةَ هناك ثالثةٌ كانوا بها منافقين .

وفى وَصْف الله جل ثناؤه إياهم بصفة النفاق ، ما ينبئ عن أن القول غيرُ القول الذى زعمه من زَعم : أن القوم كانوا مؤمنين ، ثم ارتدوا إلى الكفر فأقاموا عليه ، إلا أنْ يكون قائلُ ذلك أراد أنهم انتقلوا من إيمانهم الذى كانوا عليه ، إلى الكفر الذى هو نفاق . وذلك قولٌ إن قاله ، لم تُدرَك صحته إلا بخبر مستفيض ، أو ببعض المعانى الموجبة صحتَه . فأما فى ظاهر الكتاب فلا دلالة على صحته ، لاحتماله من التأويل ما هو أولى به منه . ١١٢/١

فإذْ كان الأمر على ما وصفنا فى ذلك ، فأولى تأويلات الآية بالآية : مثل استضاءَة المنافقين — بما أظهروا بألسنتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الإقرار به ، وقولهم له وللمؤمنين : آمنَّا بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر ، حتى حُكم لهم بذلك

---

(١) فى المطبوعة : « أى ، لا المعلنين » ، وفى المخطوطة : « المعالنين بالكفر » ، وسياق عبارته « إنما ضرب الله هذا المثل للمنافقين . . . لا المعلنين بالكفر » .

(٢) السياق : « ولو كان المثل لمن آمن إيماناً صحيحاً . . . لم يكن هنالك من القوم . . . » .

(٣) فى المطبوعة : « فإن كان القوم . . . » ، وهو خطأ .

فى عاجل الدنيا بحكم المسلمين : فى حقن الدماء والأموال ، والأمن على الذرية من السِّباء ، وفى المناكحة والموارثة — كمثل استضاءة الموقِد النارَ بالنار ، حتى إذا ارتفق بضيائها ، وأبصرَ ما حوله مُستضيئاً بنوره من الظلمة ، خمدت النارُ وانطفأت ، (١) فذهب نورُه ، وعاد المستضىء به فى ظلمة وحيْرة .

وذلك أن المنافق لم يزل مستضيئاً بضوء القول الذى دافع عنه فى حياته القتلَ والسِّباءَ ، مع استبطانه ما كان مستوجباً به القتلَ وسلبَ المال لو أظهره بلسانه — تُخيِّل إليه بذلك نفسُه أنه بالله ورسوله والمؤمنين مستهزئ مخادعٌ ، حتى سوّلت له نفسُه — إذْ وَرَد على ربه فى الآخرة — أنه ناج منه بمثل الذى نجا به فى الدنيا من الكذب والنفاق . أوَ ما تسمع الله جل ثناؤه يقول إذْ نعتهم ، ثم أخبر خبرَهم عند ورودهم عليه : ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَىْءٍ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ [سورة المجادلة : ١٨] ، ظنًّا من القوم أن نجاتهم من عذاب الله فى الآخرة ، فى مثل الذى كان به نجاؤهم من القتل والسباء وسلب المال فى الدنيا (٢) : من الكذب والإفك ، وأنّ خداعهم نافعُهم هنالك نفعَه إياهم فى الدنيا ، حتى عاينوا من أمر الله ما أيقنوا به أنهم كانوا من ظنونهم فى غرور وضلال ، واستهزاء بأنفسهم وخداع ، إذْ أطفأ الله نورَهم يوم القيامة ، فاستنظروا المؤمنين ليقتبسوا من نورهم فقيل لهم : ارجعوا وراءَكم فالتمسوا نوراً واصلوْا سَعيراً . فذلك حينَ ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون ، كما انطفأتْ نار المستوقِدِ النارَ بعد إضاءتها له ، فبقى فى ظلمته حيران تائهاً ، يقول الله جلّ ثناؤه : ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « حتى ارتفق بضيائها وأبصر ما حوله . . . حتى خمدت النار » ، وهى عبارة مختلة ، صوابها ما أثبتناه .

(٢) فى المطبوعة : « كان به نجاتهم من القتل » ، وهما سواء فى المعنى .

مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ * فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [سورة الحديد: ١٣ - ١٥].

فإن قال لنا قائل : إنك ذكرتَ أنّ معنى قول الله تعالى ذكره «كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله» : خمدتْ وانطفأتْ ، وليس ذلك بموجود فى القرآن . فما دلالتك على أنّ ذلك معناه؟

قيل : قد قلنا إنّ من شأن العرب الإيجاز والاختصار ، إذا كان فيما نطقت به الدلالةُ الكافية على ما حذفتْ وتركتْ ، كما قال أبو ذؤيب الهذلى:

عَصَيْتُ إِلَيْهَا الْقَلْبَ ، إِنِّى لَأَمْرِهَا سَمِيعٌ ، فَمَا أَدْرِى أَرُشْدٌ طِلَابُهَا ! (١)

يعنى بذلك : فما أدرى أرشدٌ طِلابُها أم غَىٌّ ، فحذف ذكر «أم غىٌّ» ، إذ كان فيما نطق به الدلالة عليها ، وكما قال ذو الرمة فى نعت حمير :

فَلَمَّا لَبِسْنَ اللَّيْلَ ، أَوْ حِينَ نَصَّبَتْ لَهُ مِنْ خَذَا آذَانِهَا وَهْوَ جَانِحُ (٢)

---

(١) ديوان الهذليين ١ : ٧١ ، وسيأتى فى تفسير آية آل عمران : ١١٣ (٤ : ٣٤ بولاق) ورواية الطبرى للبيت فى الموضعين لا يستقيم بها معنى ، ورواية ديوانه :

«عَصَانِى إِلَيْهَا الْقَلْبُ إِنِّى لَأَمْرِهِ»

ويروى «دعانى إليها . . .» ، وهما روايتان صحيحتان . وتمام معنى البيت فى الذى يليه :

فَقُلْتُ لِقَلْبِى : يَالَكَ الْخَيْرُ ! إِنَّمَا يُدَلِّيكَ لِلْمَوْتِ الْجَدِيدِ حِبَابُهَا

فهو يؤامر قلبه ، ولكنه أطاعه .

(٢) ديوانه : ١٠٨ وسيأتى فى تفسير آية يونس : ٧٧ (١١ : ١٠١ بولاق) ، وآية سورة

يعنى : أو حين أقبل الليل ، فى نظائر لذلك كثيرة ، كرهنا إطالة الكتاب بذكرها. فكذلك قوله : « كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءتْ ما حوله » ، لمّا كان فيه وفيما بعدَه من قوله : « ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون » دلالةٌ على المتروك كافيةٌ من ذكره – اختصرَ الكلامَ طلبَ الإيجاز . ١١٣/١

وكذلك حذفُ ما حذفَ واختصارُ ما اختصرَ من الخبر عن مَثل المنافقين بَعدَه ، نظير ما اختصرَ من الخبر عن مَثَل المستوقد النارَ . لأن معنى الكلام : فكذلك المنافقون ذَهبَ الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون – بعد الضياء الذى كانوا فيه فى الدنيا بما كانوا يظهرون بألسنتهم من الإقرار بالإسلام وهم لغيره مستبطنون – كما ذهب ضَوء نار هذا المستوقد ، بانطفاء ناره وخمودها ، فبقى فى ظلمة لا يُبصر .

و « الهاء والميم » فى قوله « ذهب الله بنورهم » ، عائدة على « الهاء والميم » فى قوله « مَثَلهم » .

* * *

القول فى تأويل قول الله : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ ﴾ (١٨)

قال أبو جعفر : وإذْ كانَ تأويل قول الله جلّ ثناؤه : « ذهبَ الله بنورهم

النبأ : ١٠ (٣٠ : ٣ بولاق) . يصف عانة حمر ، وقفت ترقب مغيب الشمس ، حتى إذا غربت انطلقت مسرعة إلى مورد الماء الذى تنوى إليه. وقوله : «لبسن الليل» يعنى الحمر ، حين غشيهن الليل وهن مترقبات مغيب الشمس . ونصبت : رفعت وأقامت آذانها . وخذيت الأذن خذاً : استرخت من أصلها مقبلة على الخدين ، وذلك يصيب الحمر فى الصيف من حر الشمس والظمأ . ونصبت خذا آذانها ، استعداداً للعدو إلى الماء . وجنح الليل فهو جانح : أقبل ، وهو من جنح الطائر : إذا كسر من جناحيه ثم أقبل كالواقع اللاجئ إلى موضع . وهو وصف جيد لإقبال الظلام من جانب الأفق . وأراد الطبرى أن ذا الرمة أراد أن يقول : أو حين أقبل الليل ، نصبت له من خذا آذانها ، وهو جانح . ولا ضرورة توجب ما قال به من الحذف فى هذا البيت .

وتركهم فى ظلمات لا يبصرون »، هو ما وصفنا — من أنّ ذلك خبر من الله جل ثناؤه عما هو فاعل بالمنافقين فى الآخرة ، عند هتك أستارهم ، وإظهاره فضائح أسرارهم، وسلبه ضياءَ أنوارهم ، من تركهم فى ظُلَم أهوال يوم القيامة يترددون ، وفى حنادسها لا يُبصرون — فبيّنٌ أنّ قوله جل ثناؤه : «صمٌّ بكمٌ عميٌ فهم لا يرجعون » من المؤخّر الذى معناه التقديم ، وأنّ معنى الكلام : أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ، صُمٌّ بكمٌ عُميٌ فهم لا يرجعون ، مَثلهم كمثل الذى استوقدَ ناراً فلما أضاءتْ ما حوْله ذهبَ الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون ، أو كمثل صَيِّب من السماء .

وإذْ كان ذلك معنى الكلام : فمعلومٌ أن قوله : « صُمٌّ بكمٌ عُميٌ » ، يأتيه الرفع من وجهين ، والنصب من وجهين :

فأما أحدُ وجهى الرفع : فعلى الاستئناف ، لما فيه من الذم . وقد تفعل العرب ذلك فى المدح والذم ، فتنصِب وترفع ، وإن كان خبراً عن معرفة ، كما قال الشاعر :

لاَ يَبْعَدَنْ قَوْمِى الَّذِينَ هُمُ سَمُّ العُدَاةِ وَآفَةُ الجُزْرِ (١)
النَّازِلِينَ بكلِّ مُعْتَرَكٍ والطَّيِّبِينَ مَعَاقِدَ الأُزْرِ (٢)

فيروى : « النازلون » و « النازلين » ، وكذلك « الطيِّبُون » و « الطيِّبين » ، على ما وصفتُ من المدح .

---

(١) الشعر للخرنق بنت بدر بن هفان ، أخت طرفة لأمه ، أمهما وردة ، ديوانها : ١٠ ، ترثى زوجها بشر بن عمرو بن مرثد . وسيأتى فى تفسير آية سورة غافر : ٣ (٢٤ : ٢٧ بولاق) ، وفى سيبويه ١ : ١٠٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، وخزانة الأدب ٢ : ٣٠١ . وقولها « لا يبعدن قومى » : أى لا يهلكن قومى ، تدعو لهم . وفعله : بعد يبعد بعداً (من باب فرح) : هلك . والعداة جمع عاد ، وهو العدو . والجزر جمع جزور : وهى الناقة التى تنحر . وآفة الجزر : علة هلاكها ، لا يبقون على أموالهم من الكرم .

(٢) المعترك : موضع القتال حيث يعتركون ، يطعن بعضهم بعضاً . وإذا ضاق المعترك نزل الفرسان ، وتطاعنوا واقتربوا حتى يعتنق بعضهم بعضاً إذا حمس القتال . والأزر جمع إزار : وهو ما ستر النصف الأسفل ، والرداء : ما ستر الأعلى . ومعاقد الأزر : حيث يعقد لئلا تسقط . وكنت بذلك عن عفتهم وطهارتهم ، لا يقربون فاحشة فيحلون معاقد الأزر .

والوجهُ الآخر : على نية التكرير من « أولئك » ، فيكون المعنى حينئذ : أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ، أولئك صُمٌّ بكم عمى فهم لا يرجعون .

وأمّا أحد وَجهى النصب : فأن يكون قطعاً مما فى « مهتدين » من ذكر « أولئك » ،[1] لأن الذى فيه من ذكرهم معرفة ، والصُّمُّ نكرة .

والآخر : أن يكون قطعاً من «الذين» ، لأن «الذين» معرفة و « الصم » نكرة[1].

وقد يجوز النصبُ فيه أيضاً على وجه الذم ، فيكون ذلك وجهاً من النصب ثالثاً .

فأما على تأويل ما روينا عن ابن عباس من غير وَجه رواية على بن أبى طلحة عنه ، فإنه لا يجوز فيه الرفع إلا من وجه واحد ، وهو الاستئناف . وأما النصب فقد يجوز فيه من وجهين : أحدهما : الذم ، والآخرُ : القطع من «الهاء والميم » اللتين فى « تركهم » ، أو من ذكرهم فى « لا يبصرون » .

وقد بيّنا القولَ الذى هو أولى بالصواب فى تأويل ذلك . والقراءةُ التى هى القراءةُ ، الرفعُ دون النصب[2]. لأنه ليس لأحد خلافُ رسوم مَصاحف المسلمين. وإذا قُرئ نصباً كانتْ قراءةً مخالفة رسم مصاحفهم .

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه عن المنافقين : أنهم باشترائهم الضلالة بالهدى لم يكونوا للهدى والحقّ مهتدين ، بل هم صُمٌّ عنهما فلا يسمعونهما ، لغلبة خِذلان الله عليهم ، بُكمٌ عن القيل بهما فلا ينطقون بهما — والبُكم : الخُرْسُ ، وهو جِماعُ أبكم — عُميٌ عن أن يبصرُوهما فيعقلوهما ، لأن الله قد طبع على قلوبهم بنفاقهم فلا يهتدون . ١١٤/١

وبمثل ما قلنا فى ذلك قال علماء أهل التأويل :

٣٩٨ — حدثنا محمد بن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ،

---

(١) قطعاً : أى حالا ، وانظر ما سلف : ٢٣٠ تعليق : ٤ .

(٢) فى المطبوعة : « والقراءة التى هى قراءة الرفع . . . » ، وهو خطأ محض .

عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « صمٌّ بكم عُميٌ » ، عن الخير .

٣٩٩ — حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، قال : حدّثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « صم بكم عُمي » ، يقول : لا يسمعون الهدى ولا يُبصرونه ولا يعقلونه .

٤٠٠ — حدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السُّدّي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس — وعن مُرّة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « بكم » ، هم الخُرس .

٤٠١ — حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زُرَيع ، عن سعيد ، عن قتادة ، قوله «صم بكمٌ عُمْيٌ » : صمٌّ عن الحق فلا يسمعونه ، عمي عن الحق فلا يبصرونه ، بُكم عن الحق فلا ينطقون به[1] .

* * *

القول في تأويل قوله : ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ (١٨)

قال أبو جعفر : وقوله « فهم لا يرجعون » ، إخبارٌ من الله جل ثناؤه عن هؤلاء المنافقين — الذين نعتهم الله باشترائهم الضلالة بالهدَى ، وَصممِهم عن سمَاع الخير والحق ، وَبكَمهم عن القيل بهما ، وعَماهم عن إبصارهما —[2] أنهم لا يرجعون إلى الإقلاع عن ضلالتهم ، ولا يتُوبون إلى الإنابة من نفاقهم . فآيَس المؤمنين من أن يبصرَ هؤلاء رشداً ، أوْ يقولوا حقًّا ، أو يَسمعوا داعياً إلى الهدى ، أو أن يَذّكّروا فيتوبوا من ضلالتهم ، كما آيس من تَوبة قادة كفّار أهل الكتاب

(١) هذه الأخبار ٣٩٨ — ٤٠١ : تتمة ما مضى في تفسير صدر الآية ، بالأرقام : ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٩٠ .

(٢) سياقه : « إخبار من الله عز وجل . . . أنهم لا يرجعون . . . » .

والمشركين وأحبارهم، الذين وَصَفهم بأنه قد ختم على قلوبهم وعلى سَمعهم وغشّى على أبصارهم .

وبمثل الذى قُلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

٤٠٢ـ حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زُريع ، عن سعيد ، عن قتادة : « فهم لا يَرجعون » ، أى : لا يتوبون ولا يذّكّرون .

٤٠٣ ـ وحدثنى موسى بن هرون، قال : حدثنا عمرو بن حماد، قال : حدثنا أسباط ، عن السُّدّى فى خبر ذكره ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس ـ وعن مُرّة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : « فهم لا يَرْجعون » : فهم لا يرجعون إلى الإسلام .

وقد رُوى عن ابن عباس قولٌ يخالف معناه معنى هذا الخبر ، وهو ما : ـ

٤٠٤ ـ حدثنا به ابن حميد، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق، عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « فهم لا يَرْجعون» ، أى : فلا يرجعون إلى الهدَى ولا إلى خير ، فلا يصيبون نَجاةً مَا كانوا على مَا هم عليه[1] .

وهذا تأويلٌ ظاهرُ التلاوة بخلافه . وذلك أن الله جلّ ثناؤه أخبرَ عن القوم أنهم لا يَرجعون ـ عن اشترائهم الضلالة بالهدى ـ إلى ابتغاء الهدى وإبصار الحق، من غير حَصْرٍ منه جلّ ذكره ذلك من حالهم على وقت دون وقت[2] وحال دون حال. وهذا الخبر الذى ذكرناه عن ابن عباس ، يُنبئ أنّ ذلك من صفتهم محصورٌ على وقت[3] ، وهو ما كانوا على أمرهم مقيمين ، وأنّ لهم السبيلَ إلى الرجوع

---

(١) هذه الأخبار ٤٠٢ ـ ٤٠٤ : تتمة ما مضى فى تفسير صدر الآية . بالأرقام : ٤٠١، ٤٠٠، ٣٩٨

(٢) فى المطبوعة : « إلى وقت دون وقت » ، وهو خطأ .

(٣) فى المطبوعة : « ينبئ عن أن . . . » .

عنه . وذلك من التأويل دعوى باطلة[1]، لا دلالة عليها من ظاهر ولا من خبر تقوم بمثله الحجة فيسلم لها .

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى ذكره: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ ﴾

قال أبو جعفر : والصَّيِّب الفَيْعِل من قولك: صَاب المطر يَصوب صَوباً ، إذا انحدَر ونَزَل ، كما قال الشاعر :

فَلَسْتَ لِإِنْسِيٍّ وَلَكِنْ لِمَلْأَكٍ تَنَزَّلَ مِن جَوِّ السَّماء يَصُوبُ[2]

وكما قال علقمة بن عَبَدَة :

١١٥/١

كأنَّهمُ صَابَتْ عليهم سَحَابَةٌ صَواعِقُها لطَيْرِهِنَّ دَبِيبُ[3]

---

(١) فى المخطوطة « دعوى ناظر » ، وصوابها « دعوى باطل » بالإضافة .

(٢) ينسب هذا البيت لعلقمة بن عبدة ، وليس له ، ولا هو فى ديوانه . وسيأتى فى تفسير آية سورة البقرة ٣٠ (١ : ١٥٥ بولاق) ، وبغير هذه الرواية، وهو من أبيات سيبويه ١ : ٣٧٩ وشرح شواهد الشافية : ٢٨٧ ، واللسان (ألك) وغيرها ، غير منسوب . ويقال إنه لرجل من عبد القيس جاهل يمدح النعمان . وحكى السيرافى أنه لأبى وجزة السعدى ، يمدح عبدالله بن الزبير . وجاء فى المخطوطة « ولكن ملأكاً » . وقبل البيت :

تعاليتَ أن تُعزَى إلى الإنس خَلَّةً ، وللإنسِ من يعزُوك ، فهو كذوبُ

(٣) ديوانه : البيت الأول : ٣٤ ، والثانى قبله : ١٩ ، وشرح المفضليات : ٧٨٤ ، ٧٦٩ ، يمدح بها الحارث بن جبلة بن أبى شمر الغسانى ، وكان أسر أخاه شأساً ، فرحل إليه يطلب فكه . ويذكر فى هذا البيت يوم عين أباغ ، وفيه غزا الحارث الغسانى ، المنذر بن المنذر بن ماء السماء ، فالتقوا بعين أباغ ، فهزم جيش المنذر ، وقتل المنذر يومئذ . وقوله « كأنهم » يعنى جيش المنذر . وصاب المطر : انحدر وانصب . وكان وصف الجيش المنهزم فى البيت الذى قبله ، بين ساقط قد صرع ، وبين قتيل قد هلك . فشبههم بطير أصابها المطر الغزير وأخذتها الصواعق ، ففزعت ، ولم تستطع أن تنهض فتطير ، فهى تدب تطلب النجاة . والضمير فى قوله : « لطيرهن » الصواعق ، أى لطير الصواعق ، وأراد الطير التى أفزعتها الصواعق ، ولبدها المطر .

فَلَا تَعدِلِي بَيني وَبينَ مُغَمَّرٍ، سُقِيتِ رَوَايَا المُزْنِ حين تَصُوبُ»(١)

يعني : حين تنحدر . وهو في الأصل «صَيْوِب»، ولكن الواو لما سَبقتها ياء ساكنة، صيرتا جميعاً ياءً مشددةً ، كما قيل : سيِّد، من ساد يسود ، وجيِّد ، من جاد يجود . وكذلك تفعل العربَ بالواو إذا كانت متحركة وقبلها ياء ساكنة ، تصيِّرهما جميعاً ياءً مشددةً .

وبما قلنا من القول في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

٤٠٥ – حدثني محمد بن إسمعيل الأحْمَسِي، قال : حدثنا محمد بن عُبيد ، قال : حدثنا هرون بن عَنترة ، عن أبيه(٢)، عن ابن عباس في قوله « أو كصيِّب من السماء » ، قال : القطر .

٤٠٦ – حدثني عباس بن محمد ، قال : حدثنا حجاج ، قال : قال : ابن جُرَيج ، قال لي عطاء : الصيِّب ، المطرُ .

٤٠٧ – حدثني المثنى ، قال : حدثنا أبو صالح ، قال : حدثني معاوية ابن صالح ، عن علي ، عن ابن عباس قال : الصيِّبُ ، المطرُ .

٤٠٨ – حدثني موسى ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن

---

(١) هذا البيت في صدر القصيدة . يخاطب صاحبته ، وفي المطبوعة «معمر» وهو خطأ. والمغمر والغمر : الجاهل الذي لم يجرب الأمور ، كأن الجهل غمره وطغا عليه . والشطر الثاني دعاء لها بالخصب والنعمة . والروايا جمع راوية : وهي الدابة التي تحمل مزاد الماء . والمزن : السحاب الأبيض ، شبهه بالروايا حاملات الماء . ورواية ديوانه والمفضليات « سقتك » .

(٢) الإسناد ٤٠٥ – محمد بن إسمعيل بن سمرة الأحمسي – شيخ الطبري : ثقة ، روى عنه الترمذي ، والنسائي ، وابن ماجة ، وغيرهم . له ترجمة في التهذيب . وترجمه ابن أبي حاتم ٣ / ٢ / ١٩٠ . محمد بن عبيد : هو الطنافسي الأحدب ، وهو ثقة معروف ، روى عنه أحمد ، وإسحق ، وابن معين ، وغيرهم . هرون بن عنترة بن عبد الرحمن : ثقة ، وثقه أحمد وابن سعد وغيرهما . وترجمه البخاري في الكبير ٤ / ٢ / ٢٢١ ، فلم يذكر فيه جرحاً ، وابن سعد ٦ : ٢٤٣ . أبوه : هو عنترة بن عبد الرحمن ، وكنيته « أبو وكيع » ، وهو تابعي ، قال البخاري في الكبير ٤ / ١ / ٨٤ « رأى : علياً ، روى عنه ابنه هرون ، وأبو سنان » ، وترجمه ابن سعد في الطبقات ٦ : ١٦٣ ، وابن أبي حاتم ٣ / ٢ / ٣٥ ، وذكر أنه روى عن عثمان ، وعلي ، وابن عباس ، وأن أبا زرعة سئل عنه فقال : « كوفي ثقة » .

السُّدّىّ فى خبر ذكره ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مُرّة عن ابن مسعود ، وعن ناسٍ من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : الصيّب ، المطرُ

٤٠٩ — حدثنى محمد بن سعد ، قال : حدثنى أبى سعدٌ ، قال : حدثنى عمّى الحسين ، عن أبيه ، عن جده ، عن ابن عباس ، مثله .

٤١٠ — حدثنا بشر بن مُعاذ، قال : حدثنا يزيد، عن سعيد، عن قتادة : « أو كصيِّب» ، يقول : المطر .

٤١١ — حدثنا الحسن بن يحيى ، قال: أخبرنا عبد الرزّاق، قال : أنبأنا مَعمر ، عن قتادة ، مثله .

٤١٢ — حدثنى محمد بن عمرو الباهلى، وعمرو بن على ، قالا: حدّثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى بن ميمون، عن ابن أبى نجيح ،عن مجاهد: الصيِّب، الربيعُ[1] .

٤١٣ — حدثنى المثنى ،قال: حدثنا أبو حُذيفة، قال: حدثنا شِبْل ، عن ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد : الصيِّب ، المطرُ .

٤١٤ — حدثنى المثنى ، قال: حدثنا إسحق، عن ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس : الصيِّبُ ، المطرُ .

٤١٥ — حُدِّثت عن المِنجاب ،قال: حدثنا بشر بن عمارة، عن أبى رَوْق، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : الصيِّبُ ، المطر .

٤١٦ — حدثنى يونس، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال عبد الرحمن بن زيد : « أو كصيِّب من السماء » قال : أو كغَيْثٍ من السماء .

٤١٧ — حدثنا سَوّار بن عبد الله العنبرى ،قال : قال سفيان : الصَّيِّب ، الذى فيه المطر .

---

(١) فى المطبوعة : « الصيب : المطر » . والربيع : المطر فى أول الربيع .

٤١٨ – حدثنا عمرو بن علي، قال : حدثنا أبو معاوية، قال : حدثنا ابن جُريج، عن عطاء، في قوله : « أو كصيِّب من السماء »، قال : المطر[١] .

قال أبو جعفر : وتأويل ذلك : مَثَلُ استضاءَةِ المنافقين بضوء إقرارهم بالإسلام ، مع استسرارهم الكفر ، مَثَلُ إضاءة موقد نارٍ بضوء ناره ، على ما وصف جل ثناؤه من صفته، أو كمثل مَطرٍ مُظلمٍ وَدْقُه تحدُّر من السماء[٢]، تحمله مُزنة ظلماء في ليلة مُظلمة . وذلك هو الظلمات التي أخبر الله جل ثناؤه أنها فيه .

فإن قال لنا قائل : أخبرنا عن هذين المثلين : أهما مثلان للمنافقين ، أو أحدُهما ؟ فإن يكونا مثلَيْن للمنافقين ،فكيف قيل : « أو كصيِّب » ، و « أو » تأتي بمعنى الشك في الكلام، ولم يقل « وكصيب » بالواو التي تُلحِق المثلَ الثاني بالمثَل الأول ؟ أو يكون مَثل القوم أحدهما ، فما وجه ذكر الآخر بـ « أو » ؟ وقد علمت أنّ « أو » إذا كانت في الكلام فإنما تدخل فيه على وجه الشكّ من المخبِر فيما أخبر عنه ، كقول القائل : « لقيني أخوك أو أبوك » وإنما لقيه أحدُهما ، ولكنه جهل عَيْنَ الذي لقيه منهما ، مع علمه أنّ أحدهما قد لقيه . وغير جائز في الله جل ثناؤه أن يُضاف إليه الشك في شيء ، أو عزُوب علم شيء عنه ، فيما أخبرَ أو ترَك الخبر عنه .

١١٦/١ قيل له : إنّ الأمرَ في ذلك بخلاف الذي ذهبت إليه . و « أو » – وإن كانت في بعض الكلام تأتي بمعنى الشكّ – فإنها قد تأتي دالة على مثل ما تدلُّ عليه الواو ، إما بسابق من الكلام قبلها ، وإما بما يأتي بعدَها ، كقول تَوْبة ابن الحُمَيِّر :

وقد زَعمتْ لَيلى بِأنِّيَ فاجرٌ لِنَفْسي تُقاها أوْ عَلَيها فجُورُها[٣]

(١) الأخبار ٤٠٥ – ٤١٨ : ساقها مختصرة ابن كثير ١ : ٩٩ ، والدر المنثور ١ : ٣٣ .
(٢) الودق : المطر يخرج من خلل السحاب مسترخياً .
(٣) من قصيدة له ، أمالي القالي ١ : ٨٨ ، ١٣١ ، وأمالي الشريف المرتضى ٣ : ١٤٦ ، وأمالي الشجري ٢ : ٣١٧ ، والأضداد لابن الأنباري : ٢٤٣ ، وغيرها كثير .

ومعلوم أنّ ذلك من توبة على غير وجه الشكّ فيما قال ، ولكن لمّا كانت « أو » فى هذا الموضع دالةً على مثل الذى كانت تدل عليه « الواو » لو كانت مكانها ، وضعها موضعها ، وكذلك قولُ جرير :

نال الخلافة أو كانتْ له قَدَراً ، كما أتى ربَّه مُوسَى عَلَى قَدَرِ (١)

وكما قال الآخر :

فَلَوْ كَانَ البُكاءُ يَرُدُّ شيْئاً بكيتُ عَلَى بُجَيْرٍ أوْ عِفَاقِ (٢)

عَلَى المرْأَينِ إذْ مَضَيا جَميعاً لشَأْنِهما ، بحُزْنٍ واشْتِياقِ (٣)

فقد دلّ بقوله « على المرأين إذْ مَضَيا جميعاً » أنّ بكاءه الذى أراد أن يبكيه لم يُرد أن يقصدَ به أحدَهما دونَ الآخر ، بل أراد أن يبكيهما جميعاً . فكذلك ذلك فى قول الله جل ثناؤه « أو كصيِّب من السماء » . لمّا كان معلوماً أن « أو » دالة فى ذلك على مثل الذى كانت تدل عليه « الواو » لو كانت مكانها — كان سواءً نطق فيه بـ « أو » أو بـ « الواو » . وكذلك وجه حذف « المثل » من قوله « أو كصيب » . لما كان قوله : « كمثل الذى استوقد ناراً » دالاً على أن معناه : كمثل صيب ، حذفَ « المثل » ، واكتفى — بدلالة ما مضى من الكلام فى قوله :

---

(١) ديوانه : ٢٧٥ ، وسيأتى فى تفسيرة آية البقرة : ٧٤ (١ : ٢٨٧ بولاق) ، وآية طه : ٤٠ (١٦ : ١٢٨ بولاق) ، وأمالى الشجرى ١ : ٣١٧ ، يقولها فى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز . وروايته « إذ كانت » ، وفى المطبوعة : « جاء الخلافة » ، وهى رواية سقيمة .

(٢) البيتان لمتمم بن نويرة اليربوعى . اللسان (عفق) ، أمالى الشجرى ، ٢ : ٣١٨ ، أمالى المرتضى ٣ : ١٤٧ ، الأضداد لابن الأنبارى : ٢٤٣ . وفى المطبوعة والمخطوطة « على جبير » ، وهو خطأ محض ، وفى المطبوعة : « عناق » ، وهو خطأ أيضاً . وهذا الشعر يقوله متمم بن نويرة فى رثاء بجير بن عبد الله بن الحارث اليربوعى ، وهو بجير بن أبى مليل ، وأخوه عفاق بن أبى مليل . قتل أولهما يوم قشاوة ، قتله لقيم بن أوس (النقائض : ٢٠) ، وقتل عفاق يوم العظالى ، قتله الدعاء ، وقيل قتله الفريس بن مسلمة (النقائض : ٥٨٣) .

(٣) يروى « بحزن واحتراق » و « بشجو واشتياق » . وقوله : « مضيا لشأنهما » أى ، هلكا ولقيا ما يلقى كل حى .

« كمثل الذى استوقد ناراً » على أن معناه : أو كمثل صيِّب – من إعادة ذكر المثلَ ، طلبَ الإيجاز والاختصار .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ﴾

قال أبو جعفر : فأما الظلمات ، فجمعٌ ، واحدها ظُلمة .

أما الرَّعد ، فإنّ أهل العلم اختلفوا فيه :

فقال بعضهم : هو مَلك يَزجُر السحابَ . ذكر من قال ذلك :

٤١٩ – حدثنا محمد بن المثنى ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شُعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، قال : الرعد ، مَلك يَزجُر السحاب بصوته .

٤٢٠ – حدثنا محمد بن المثنى ، قال : حدثنا ابن أبى عَدىّ ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، مثله .

٤٢١ – حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعى ، قال : حدثنا فُضَيْل بن عِيَاض ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله[1] .

٤٢٢ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا هُشيم ، قال : أنبأنا إسمعيل ابن سالم ، عن أبى صالح ، قال : الرَّعد ، مَلك من الملائكة يُسبِّح[2] .

---

(١) الإسناد ٤٢١ – يحيى بن طلحة اليربوعى : روى عنه الترمذى وغيره ، وذكره ابن حبان فى الثقات . وضعفه النسائى ، فقال فى الضعفاء : ٣٢ : « ليس بشىء » .

(٢) الإسناد ٤٢٢ – إسمعيل بن سالم الأسدى : ثقة ، روى عنه الثورى وأبو عوانة ، قال ابن سعد ٧ / ٢ / ٦٧ : « كان ثقة ثبتاً » . وأبو صالح : هو السمان .

٤٢٣ – حدثني نَصر بن عبد الرحمن الأزدي، قال: حدثنا محمد بن يَعْلَى، عن أبي الخطاب البصري، عن شَهر بن حَوشب، قال: الرّعد، مَلك موكّل بالسحاب يَسوقه، كما يسوق الحادي الإبل، يُسبِّح. كلما خالفتْ سحابةٌ سحابةً صاح بها، فإذا اشتد غضبه طارت النارُ من فيه، فهي الصواعقُ التي رأيتم[1].

٤٢٤ – حدثت عن المنجاب بن الحارث، قال: حدثنا بشر بن عُمارة، عن أبي رَوْق، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: الرَّعد، مَلَك من الملائكة اسمه الرعد، وهو الذي تسمعون صوته.

٤٢٥ – حُدِّثنا أحمد بن إسحق الأهوازي، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا عبد الملك بن حسين، عن السُّدّيّ، عن أبي مالك، عن ابن عباس، قال: الرعد، مَلَكٌ يزجُر السحاب بالتسبيح والتكبير[2].

٤٢٦ – وحدثنا الحسن بن محمد، قال: حدثنا علي بن عاصم، عن ابن جُريج، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: الرعد اسم مَلَك، وصوتهُ هذا تسبيحه، فإذا اشتد زَجْرُه السحابَ، اضطرب السحابُ واحتكّ. فتخرج الصَّواعق من بينه. ١١٧/١

٤٢٧ – حدثنا الحسن، قال: حدثنا عفان، قال: حدثنا أبو عَوانة، عن

---

(١) الإسناد ٤٢٣ – نصر بن عبد الرحمن بن بكار التاجي، شيخ الطبري: ثقة، روى عنه الترمذي وابن ماجة وغيرهما، مترجم في التهذيب، وقال «ويقال: الأزدي»، فكذلك نسب هنا، وكذلك روى عنه الطبري في التاريخ ٢ : ١٢٨، ونسبه «الأزدي»، ووقع في المطبوعة «الأودي» بالواو بدل الزاي، وهو تصحيف. محمد بن يعلى: هو السلمي الكوفي، ولقبه «زنبور»، وهو ضعيف، وقال البخاري «يتكلمون فيه». أبو الخطاب البصري: لم أعرف من هو؟ ولكن ذكر الدولابي في الكنى ١ : ١٦٧ «أبو الخطاب عبدالله»، ثم قال: «وروى محمد بن عبد الله بن عمار عن المعافى بن عمران عن عبدالله أبي الخطاب عن شهر بن حوشب» فذكر حديثاً. ولم يبين أكثر من ذلك، ولم أجد ترجمته.

(٢) الإسناد ٤٢٥ – عبد الملك بن حسين: هو أبو مالك النخعي الواسطي، اشتهر بكنيته وبها ترجم في التهذيب ١٢ : ٢١٩، وترجمه ابن أبي حاتم باسمه ٢ / ٢ / ٣٤٧. وهو ضعيف ليس بشيء.

موسى البزار ، عن شهر بن حَوْشب ، عن ابن عباس ، قال : الرعدُ مَلَكٌ يسوق السحاب بالتسبيح ، كما يسوق الحادى الإبل بحُدَائه .

٤٢٨ – حدثنا الحسن بن محمد، قال: حدثنا يحيى بن عَبَّاد ، وشَبابة ، قالا : حدثنا شعبة ، عن الحكَم ،عن مجاهد ، قال : الرَّعد مَلَكٌ يزجر السحاب.

٤٢٩ – حدثنا أحمد بن إسحق، قال: حدثنا أبو أحمد الزُّبيرى ، قال: حدثنا عتَّاب بن زياد ، عن عكرمة ، قال: الرعد مَلَك فى السحاب ، يَجمع السحابَ كما يَجمع الراعى الإبل .

٤٣٠ – وحدثنا بشر، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة ، قال: الرعد خَلْقٌ من خَلق الله جل وعز ، سامعٌ مطيعٌ لله جل وعز.

٤٣١ – حدثنا القاسم بن الحسن، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : حدثنى حجاج ، عن ابن جُريج ، عن عكرمة ، قال : إن الرعد مَلَكٌ يُؤمر بإزجاء السحاب فيؤلِّف بينه ، فذلك الصوت تسبيحه .

٤٣٢ – وحدثنا القاسم، قال حدثنا الحسين ، قال : حدثنى حجاج ، عن ابن جُريج ،.عن مجاهد ، قال : الرعد مَلَك .

٤٣٣ – وحدثنى المثنى ، قال : حدثنا الحجاج بن المنهال ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن المغيرة بن سالم ، عن أبيه ، أو غيره ، أن على بن أبى طالب قال: الرعد مَلَك .

٤٣٤ – حدثنا المثنى ، قال : حدثنا حجاج ، قال : حدثنا حماد ، قال: أخبرنا موسى بن سالم أبو جَهْضم ، مولى ابن عباس ، قال : كتب ابن عباس إلى أبى الجَلْدِ يسأله عن الرعد ، فقال : الرعد مَلَك[1] .

---

(١) الخبر ٤٣٤ – هذا إسناد منقطع : موسى بن سالم أبو جهضم : ثقة ، ولكن روايته عن ابن عباس مرسلة . « أبو الجلد » : بفتح الجيم وسكون اللام وآخره دال مهملة ، ووقع فى الأصول هنا ، وفى الروايات التالية « أبو الخلد » بالخاء بدل الجيم ، وهو تصحيف . وأبو الجلد : هو جيلان – بكسر الجيم – بن أبى فروة ، ويقال : ابن فروة الأسدى البصرى ، كما ذكر البخارى فى ترجمته فى الكبير ١ / ٢ / ٢٥٠ . وقال ابن أبى حاتم ١ / ١ / ٥٤٧ : « صاحب كتب التوراة ونحوها » . ثم روى عن أحمد بن حنبل أنه وثقه . وترجمه ابن سعد ٧ / ١ / ١٦١ ، وقال : « أبو الجلد الجونى ، حى من

٤٣٥ – حدثنا المثنى، قال: حدثنا مسلم بن إبراهيم، قال: حدثنا عمر بن الوليد الشَّنّى، عن عكرمة، قال: الرعدُ ملكٌ يسوق السحاب كما يسوق الراعى الإبل[١].

٤٣٦ – حدثنى سعد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: حدثنا حفص بن عمر، قال: حدثنا الحكَم بن أبان، عن عكرمة، قال: كان ابن عباس إذا سمع الرعد قال: سُبحان الذى سَبَّحتَ له. قال: وكان يقول: إن الرَّعد مَلكٌ يَنعَق بالغيث كما ينعَقُ الراعى بغنمه[٢].

وقال آخرون: إن الرعد ريح تختنق تحت السحاب فتصَّاعد، فيكون منه ذلك الصوت.

ذكر من قال ذلك:

٤٣٧ – حدثنا أحمد بن إسحق، قال: حدثنا أبو أحمد الزُّبيرى، قال: حدثنا بِشر بن إسمعيل، عن أبى كثير، قال: كنت عند أبى الجَلد، إذْ جاءه رسول ابن عباس بكتاب إليه، فكتب إليه: «كتبتَ تسألنى عن الرَّعد، فالرعد الريح[٣]»

٤٣٨ – حدثنى إبراهيم بن عبد الله، قال: حدثنا عِمْران بن مَيسرة، قال: حدثنا ابن إدريس، عن الحسن بن الفُرات، عن أبيه[٤]، قال: كتب ابن عباس

الأزد، واسمه: جيلان بن فروة، وكان ثقة». وذكره ابن حبان فى الثقات: ١٥٧، والدولابى فى الكنى ١: ١٣٩، والزبيدى فى شرح القاموس (جلد) و (جيل). وذكره الحافظ فى لسان الميزان فى الأسماء ٢: ١٤٤، ووعد بترجمته فى الكنى «أبو الجلد»، ثم لم يفعل، وروى عنه الطبرى أثراً فى التاريخ ٢: ٢٠٣. وسيأتى فى الخبر: ٤٤٥ أنه «رجل من أهل هجر».

(١) عمر بن الوليد الشنى أبو سلمة العبدى: ثقة، وثقه أحمد وابن معين وغيرهما، وقال أبو حاتم: «ما أرى بحديثه بأساً». وهو مترجم فى التعجيل: ٣٠٤، وابن أبى حاتم ٣ / ١ / ١٣٩. «الشنى»: بفتح الشين المعجمة، كما فى المشتبه: ٢٧٩. ووقع فى المطبوعة بالمهملة، وهو تصحيف.

(٢) الإسناد ٤٣٦ – سعد بن عبد الله بن عبد الحكم: لم أجد له ترجمة إلا فى كتاب ابن أبى حاتم ٢ / ١ / ٩٢، وقال: «سمعت منه بمكة وبمصر، وهو صدوق».

(٣) الإسناد ٤٣٧ – هو إسناد مشكل. ما وجدت ترجمة «بشر بن إسمعيل»، وما عرفت من هو. ثم لم أعرف من «أبو كثير» الراوى عن أبى الجلد. وسيأتى هذا الإسناد مرة أخرى: ٤٤٣.

(٤) الإسناد ٤٣٨ – عمران بن ميسرة المنقرى: ثقة، من شيوخ البخارى وأبى داود وأبى زرعة وأبى حاتم. ابن إدريس: هو عبد الله بن إدريس الأودى: ثقة مأمون حجة. الحسن بن الفرات: ثقة، أخرج له مسلم فى صحيحه. أبوه: فرات بن أبى عبد الرحمن القزاز التميمى، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة، ولكن روايته عن ابن عباس منقطعة، إنما هو يروى عن التابعين.

إلى أبي الجَلد يسأله عن الرعد ، فقال : الرعد ريح[١] .

قال أبو جعفر : فإن كان الرّعد ما ذكره ابن عباس ومجاهد ، فمعنى الآية : أو كصيِّب من السماء فيه ظلمات وصَوتُ رَعد. لأن الرعد إن كان مَلَكاً يسوق السَّحاب ، فغير كائن فى الصيِّب ، لأن الصيِّب إنما هو ما تحدَّر من صَوْب السحاب ، والرعد إنما هو فى جو السماء يَسوق السحاب. على أنه لو كان فيه ثَمَّ لم يكن له صوت مسموع ، لم يكن هنالك رُعب يُرْعَب به أحد[٢] . لأنه قد قيل : إنّ مع كل قطرةٍ من قطر المطر مَلَكاً ، فلا يعدُو الملكُ الذى اسمه « الرعد » ، لو كان مع الصيِّب ، إذا لم يكن مسموعاً صوته ، أن يكون كبعض تلك الملائكة التى تنزل مع القطر إلى الأرض ، فى أن لا رُعب على أحد بكونه فيه . فقد عُلم — إذ كان الأمر على ما وصفنا من قول ابن عباس — أنّ معنى الآية : أو كمثَل غَيث تحدَّر من السماء فيه ظلماتٌ وصوتُ رعدٍ ، إن كان الرعد هو ما قاله ابن عباس ، وأنه استغنى بدلالة ذكر الرعد باسمه على المراد فى الكلام مِنْ ذكر صوته . وإن كان الرعد ما قاله أبو الجَلد ، فلا شىء فى قوله « فيه ظلماتٌ ورَعدٌ » متروك . لأن معنى الكلام حينئذ : فيه ظلمات ورعدٌ الذى هو ما وصفنا صفته .

١١٨/١

وأما البَرْق ، فإن أهل العلم اختلفوا فيه : فقال بعضهم بما : —

٤٣٩ — حدثنا مَطرُ بن محَمد الضَّبّى ، قال : حدثنا أبو عاصم ، — ح — وحدثنى محمد بن بشار ، قال : حدثنى عبد الرحمن بن مهدى ، — ح — وحدثنا أحمد بن إسحق الأهوازى ، قال : حدثنا أبو أحمد الزُّبيرى ، قالوا جميعاً : حدثنا سفيان الثورى ، عن سَلمة بن كُهيل ، عن سعيد بن أشْوَعَ ، عن ربيعة

---

(١) الأخبار ٤١٩ — ٤٣٨ جميعاً : لم يذكرها ابن كثير ولا السيوطى فى الدر المنثور ، وذكر البغوى فى تفسيره ١ : ٩٩ — ١٠٠ ، بعضها ، والقرطبى ١ : ١٨٧ وما بعدها .

(٢) فى المطبوعة : « على أنه لو كان فيه يمر ، لم يكن له صوت مسموع ، فلم يكن هناك رعب » وهو من تبديل النساخ .

ابن الأبيض ، عن علي ، قال : البرق مخاريقُ الملائكة[1] .

٤٤٠ – حدثنا أحمد بن إسحق، قال: حدثنا أبو أحمد الزبيري، قال : حدثنا عبد الملك بن الحسين ، عن أبي مالك ، عن السُّدّيّ ، عن ابن عباس: البرقُ مخاريقُ بأيدي الملائكة ، يزْجرون بها السحاب .

٤٤١ – وحدثني المثنى ، قال : حدثنا الحجاج ، قال : حدثنا حماد ، عن المغيرة بن سالم ، عن أبيه، أو غيره ، أن علي بن أبي طالب قال : الرَّعد الملَك ، والبرق ضَرْبه السحابَ بمخراق من حديد .

وقال آخرون: هو سَوطٌ من نور يُزجي به الملكُ السحابَ .

ذكر من قال ذلك :

٤٤٢ – حدثت عن المنجاب بن الحارث ، قال: حدثنا بشر بن عُمارة ، عن أبي رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، بذلك .

وقال آخرون : هو ماء .

ذكر من قال ذلك :

٤٤٣ – حُدِّثنا أحمد بن إسحق الأهوازي، قال :حدثنا أبو أحمد الزبيري، قال : حدثنا بِشر بن إسمعيل ، عن أبي كثِير ، قال : كنت عند أبي الجَلْد، إذ جاء رسول ابن عباس بكتاب إليه ،فكتب إليه : «كتبت إليّ تسألني عن البرق، فالبرق الماء» .

٤٤٤– حدثنا إبراهيم بن عبد الله، قال : حدثنا عمران بن مَيسرة ، قال: حدثنا ابن إدريس ، عن الحسن بن الفرات ، عن أبيه ، قال : كتب ابن عباس إلى أبي الجَلد يسأله عن البرق ، فقال : البرق ماء .

---

(١) الإسناد ٤٣٩ – سلمة بن كهيل الحضرمي : ثقة معروف ، سعيد بن أشوع : هو سعيد ابن عمرو بن أشوع الكوفي القاضي ، نسب إلى جده . وهو ثقة ، أخرج له الشيخان في الصحيحين ، ربيعة بن الأبيض – الذي روى عن علي – لم أجد له ترجمة إلا في كتاب الثقات لابن حبان : ١٨٤ . قال : « ربيعة بن الأبيض ، يروي عن علي بن أبي طالب ، روى عنه ابن أشوع » .

المخاريق جمع مخراق : وهو منديل أو نحوه يلوى فيضرب به ، ويلف فيفزع به، وهو من لعب الصبيان ، ومنه سمي السيف مخراقاً .

٤٤٥ – حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن عطاء ، عن رجل ، من أهل البصرة من قُرَّائهم ، قال : كتب ابن عباس إلى أبي الجلد – رجل من أهل هَجَر – يسأله عن البرق ، فكتب إليه : «كتبت إليّ تسألني عن البرق، وإنه من الماء».

وقال آخرون : هو مَصْع مَلَك[1] .

٤٤٦ – حدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدى، قال : حدثنا سفيان ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد ، قال : البرق ، مَصْع مَلَك[2] .

٤٤٧ – حدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحق، قال : حدثنا هشام ، عن محمد ابن مُسلم الطائفى ، قال : بلغنى أن البرق مَلَكٌ له أربعة أوجه ، وجهُ إنسان ، ووجه ثَور ، ووجه نَسر ، ووجه أسد ، فإذا مَصَع بأجنحته فذلك البرق[3].

٤٤٨ – حدثنا القاسم ، قال: حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جُريج ، عن وهب بن سليمان ، عن شُعيب الجَبَّائى قال : فى كتاب الله : الملائكة حَمَلة العرش ، لكل مَلَك منهم وَجه إنسان وثور وأسد ، فإذا حركوا أجنحتهم فهو البرق[4] .

---

(١) المصع : الضرب بالسيف أو السوط أو غيرهما . والمصاع : المجالدة بالسيف . يعنى أن الملك يضرب السحاب بمخراقه .

(٢) الإسناد ٤٤٦ – عثمان بن الأسود بن موسى المكى : ثقة ثبت كثير الحديث ، يروى عن مجاهد ، ويروى عنه سفيان الثورى .

(٣) الإسناد ٤٤٧ – محمد بن مسلم بن سوسن الطائفى : وثقه ابن معين ، وقال ابن مهدى : « كتبه صحاح » ، وضعفه أحمد بن حنبل ، وأخرج له مسلم فى صحيحه حديثاً واحداً متابعة .

(٤) الأثر ٤٤٨ – وهب بن سليمان الجندى – بفتح الجيم والنون – اليمانى ، قال البخارى فى الكبير ٤ / ٢ / ١٦٩ – ١٧٠ : « عن شعيب الجبائى ، قوله ، روى عنه ابن جريج » . ولم أجد له ترجمة عند غيره . شعيب الجبائى : بفتح الجيم والباء الموحدة مخففة ، نسبة إلى« جبأ » ، بوزن « جبل»، وهو جبل فى اليمن قرب الجند ، كما قال ياقوت وغيره . وشعيب هذا ترجمه البخارى فى الكبير ٢/٢/٢١٩ . وترجمه ابن أبى حاتم ٢ / ١ / ٣٥٣ ، قال : « شعيب الجبائى : يمانى ، يروى عن الكتب [يريد الكتب المنسوبة لأهل الكتاب من الأساطير] ، روى عنه سلمة بن وهرام » ، ثم جزم ابن أبى حاتم بأنه

وقال أميةُ بن أبي الصلت :

رَجُلٌ وثورٌ تحت رِجْلِ يَمينِه والنَّسْرُ للأخرى ، ولَيْثٌ مُرْصِدُ (١)

٤٤٩ — حدثنا الحسين بن محمد ، قال: حدثنا على بن عاصم ، عن ابن جُريج ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : البرق ملك .

٤٥٠ — وقد حدثنا القاسم، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جُريج ، قال: الصواعق مَلَكٌ يضربُ السحابَ بالمخاريق ، يُصيب منه من يشاء(٢) .

قال أبو جعفر : وقد يحتمل أن يكون ما قاله على بن أبي طالب وابن عباس ومجاهد بمعنى واحد . وذلك أن تكون المخاريقُ التي ذكر عليّ رضى الله عنه أنها هي البرق ، هي السياط التي هي من نور ، التي يُزجي بها الملك السحاب ، كما قال ابن عباس . ويكون إزجاء الملك بها السحاب ، مَصْعَه إياه(٣) . وذلك أن المِصَاعَ عند العرب ، أصله : المجالَدَةُ بالسيوف ، ثم تستعمله في كل شيء جُولد به في حرب وغير حرب ، كما قال أعشى بني ثعلبة ، وهو يصف جَواريَ يلعبن بِحَلْيهنّ ويُجالدْن به(٤) :

١١٩/١

« شعيب بن الأسود » ، ثم روى بإسناده عن زمعة ، عن شعيب بن الأسود ، قال : أجد في كتاب الله » . وله ترجمة في لسان الميزان ٣ : ١٥٠ وقال : « أخباري متروك » . ثم ذكر شيئاً مما لا يقبله العقل من كلامه ، وقال : « ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : كان قد قرأ الكتب » .

(١) ديوانه : ٢٥ ، وسيأتي في تفسير آية الرعد : ٣٥ (١٣ : ١٠٩ بولاق) . ورواية ديوانه : « تحت يمنى رجله، والنسر اليسرى » . قال الطبري في الموضع الآخر : «كأنه قال : تحت رجله ، أو تحت رجله اليمنى » . والضمير في قوله : « رجله » ، يعني به إسرافيل ، وذكره في شعره قبل . وفي ديوانه ، وفي الموضع الآخر من الطبري : « زحل » ، كأنه يعني البروج ، ولكن استدلال الطبري هنا واضح ، دال على أن روايته « رجل » .

(٢) الأخبار ٤٣٩ — ٤٥٠ : لم تذكر في ابن كثير ، ولا في الدر المنثور . وانظر البغوي ١ : ٩٩ — ١٠٠ ، والقرطبي ١ : ١٨٨ .

(٣) في المطبوعة : « إزجاء الملك السحاب ، مصعه إياه بها » .

(٤) المجالدة : المضاربة بالسيوف وغيرها في المصارعة والقتال ، من الجلد .

إِذَا هُنَّ نَازَلْنَ أَقْرَانَهُنَّ وَكَانَ الْمِصَاعُ بِمَا فِي الْجُوَنْ[١]

يقال منه: ماصَعه مِصاعاً. وكأن مجاهداً إنما قال: « مَصْعُ ملك »، إذْ كان السحاب لا يماصع الملك، وإنما الرعد هو المماصع له، فجعله مصدراً من مَصَعه يَمصَعه مَصْعاً.

وقد ذكرنا ما فى معنى « الصاعقة » — ما قال شَهر بن حَوشب فيما مضى.

وأما تأويل الآية، فإن أهل التأويل مُختلفون فيه:

فرُوى عن ابن عباس فى ذلك أقوال: أحدها: ما —

٤٥١ — حدثنا به محمد بن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنا محمد ابن إسحق، عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت، عن عكرمة، أو عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس: « أو كصيِّب من السماء فيه ظلمات ورَعدٌ وبرقٌ يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حَذَرَ الموت »: أى هم من ظُلمات ما هم فيه من الكفر والحذَر من القتل — على الذى هم عليه من الخلاف والتخوف منكم — على مِثل ما وصف، من الذى هو فى ظلمة الصيب، فجعل أصابعه فى أذنيه من الصواعق حَذَرَ الموت، يكاد البرق يخطفُ أبصارهم — أى لشدة ضوء الحق — كلما أضاءَ لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا، أى يعرفون الحق ويتكلمون به، فهم من قولهم به على استقامة، فإذا ارتكسوا منه إلى الكفر قاموا متحيرين[٢].

والآخر: ما —

---

(١) ديوانه: ١٥، وزعم الطبرى كما ترى أنه أراد جوارى يلعبن بحليهن ويجالدن بها. وقد أخطأ المعنى. وإنما أراد الأعشى ما هو أبلغ. وذلك أن الأقران جمع قرن: وهو الذى يقارنك فى القوة والشجاعة، وأراد به الرجال، ويناوزلن: أراد ما يكون منهن من المداعبة والممارسة إرادة الغلبة على عقول الرجال وعزائمهم. والجون، جمع جونة: وهى سلة صغيرة مستديرة مغشاة بالأدم يكون فيها الطيب. ويقال أيضاً: « جؤنة وجؤن » بالهمز. وذكر الأعشى المعركة القديمة الدائرة بين الرجال والنساء، يتخذن الزينة والطيب سلاحاً، فيتصدين للرجال ابتغاء الظفر والغلبة، والفتنة التى تصرع الألباب والعزائم، فيقع الرجال أسرى فى أيديهن.

(٢) الخبر ٤٥١ — ذكره السيوطى فى الدر المنثور بتمامه ١: ٣٢ — ٣٣، ونسبه أيضاً لابن إسحق، وابن أبى حاتم. وفيه وفى المخطوطة « من الخلاف والتخويف منكم » ونقل ابن كثير بعضه ١: ١٠٠.

٤٥٢ – حدثني به موسى بن هرون، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن السُّدّيّ في خبر ذكره، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس – وعن مُرّة، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، «أو كصيِّب من السماء فيه ظُلماتٌ ورَعدٌ وبرق» إلى «إنّ الله على كل شيء قدير»، أما الصيب فالمطر[1]. كان رجلان من المنافقين من أهل المدينة هَرَبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين، فأصابهما هذا المطر الذي ذكر الله، فيه رعدٌ شديد وصواعقُ وبرقٌ، فجعلا كلّما أضاء لهما الصواعقُ جعلا أصابعَهما في آذانهما، من الفَرَق أن تدخل الصواعق في مسامعهما فتقتلهما. وإذا لمع البرق مَشيا في ضوئه[2]، وإذا لم يلمع لم يبصِرا وقاما مكانهما لا يمشيان[3]، فجعلا يقولان: ليتنا قد أصبحنا فنأتيَ محمداً فنضعَ أيدينا في يده. فأصبحا، فأتياه فأسلما، ووضعا أيديهما في يده، وحَسُن إسلامهما. فضرب الله شأن هذين المنافقيْن الخارجيْن مثلاً للمنافقين الذين بالمدينة. وكان المنافقون إذا حضروا مجلسَ النبي صلى الله عليه وسلم جعلوا أصابعهم في آذانهم، فَرَقاً من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، أن يَنزِل فيهم شيء أو يُذكَروا بشيء فيقتَلوا، كما كان ذانك المنافقان الخارجان يجعلان أصابعهما في آذانهما، وإذا أضاء لهم مشوا فيه. فإذا كثرت أموالهم، ووُلد لهم الغلمان[4]، وأصابوا غنيمةً أو فتحاً، مشوْا فيه، وقالوا: إن دين محمد صلى الله عليه وسلم دينُ صدق. فاستقاموا عليه، كما كان ذانك المنافقان يمشيان، إذا أضاء لهم البرق مشوا فيه، وإذا أظلم عليهم قاموا[5]. فكانوا

---

(١) في المطبوعة: «وأما الصيب والمطر»، وهو خطأ.

(٢) في الأصول: «مشوا»، وصححناه من الدر المنثور والشوكاني.

(٣) في الأصول: «قاما مكانهما» بغير واو، وفي إحدى النسخ المخطوطة: «فقاما مكانهما»، واتفقت سائر الأصول وما نقل في الدر المنثور والشوكاني على حذف الفاء، والجملة لا تستقيم، فجعلناها «وقاما»، وهو صواب العبارة.

(٤) في الدر المنثور: «وولدهم، وأصابوا . . .»، وفي الشوكاني: «وأولادهم وأصابوا . . .»

(٥) في المخطوطة: «إذا أضاء لهما مشيا، وإذا أظلم عليهما قاما». وفي الدر المنثور: «يمشيان

إذا هلكت أموالهم ، وولد لهم الجوارى ، وأصابهم البلاء[١] ، قالوا : هذا من أجل دين محمد . فارتدوا كفاراً ، كما قام ذانك المنافقان حين أظلم البرق عليهما[٢].

والثالث : ما —

٤٥٣ — حدثنى به محمد بن سعد، قال : حدثنى أبى، قال : حدثنى عمى، عن أبيه ، عن جده ، عن ابن عباس : « أو كصيِّب من السماء »، كمطر، « فيه ظلمات ورعدٌ وبرقٌ » إلى آخر الآية ، هو مَثل المنافق فى ضوء ما تكلّم بما معه من كتاب الله وعمل ، مُراءاةً للناس ، فإذا خلا وحده عمل بغيره . فهو فى ظلمة ما أقام على ذلك . وأما الظلماتُ فالضلالةُ ، وأما البرقُ فالإيمان، وهم أهل الكتاب.

إذا أضاء بهما البرق ، وإذا أظلم عليهم قاموا » ، وفى الشوكانى : « يمشيان إذا أضاء لهم البرق ، وإذا أظلم عليهم قاموا » ، وأجودهن ما فى المخطوطة ، وما فى المطبوعة .

(١) فى الدر المنثور والشوكانى : « إذا هلكت أموالهم وأولادهم وأصابهم البلاء » .

(٢) الحديث ٤٥٢ — نقل فى الدر المنثور ١ : ٣٢ ، والشوكانى ١ : ٣٦ — ٣٧ ، وسيأتى فى ص ٣٥٤ قول الطبرى عن هذا الحديث وعن إسناده : « ولست أعلمه صحيحاً، إذ كنت بإسناده مرتاباً. » وانظر ما كتبه أخى السيد أحمد محمد شاكر فى هذا الإسناد فيما مضى فى الخبر رقم : ١٦٨.

ويقول أحمد محمد شاكر عفا الله عنه : وحق لأبى جعفر رحمه الله أن يرتاب فى إسناده . فإن هذا الإسناد فيه تساهل كثير ، من جهة جمع مفرق التفاسير عن الصحابة فى سياق واحد ، تجمعه هذه الأسانيد، كما بينا آنفاً . فإذا كان الأمر فى تفسير معنى آية ، كان سهلا ميسوراً قبوله ، إذ يكون رأياً أو آراء لبعض الصحابة فى معنى الآية ، وما فى ذلك بأس . أما إذا ارتفع الخبر إلى درجة الحديث ، بالإخبار عن واقعة معينة أو وقائع ، كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أسباب لنزول بعض الآيات، أو نحو ذلك ، مما يلحق بالحديث المرفوع لفظاً أو حكماً — كان قبول هذا الإسناد — إسناد تفسير السدى — محل نظر وارتياب . إذ هو رواية غير معروف مصدرها معرفة محددة : أى هؤلاء الذى قال هذا ؟ وأيهم الذى عبر عنه باللفظ الذى جاء به ؟ نعم ، إن ظاهره أنه عن الصحابة : إما ابن عباس ، وإما ابن مسعود ، وإما «ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم » — فقد يقول قائل : إن مرجع الرواية فيه إلى الصحابة ، وسواء أعرف الصحابى الراوى أم أبهم اسمه ، فإن ذلك لا يخرجه عن رواية الصحابة ، وجهالة الصحابى لا تضر ؟ ولكن سياق هذه الروايات المطولة المفصلة ، فى التفسير وفى الحوادث المتعلقة بأسباب النزول ، مثل الرواية التى هنا فى هذا الموضع ، مع إعراض أئمة الحديث ، الذين خرجوا الروايات الصحيحة ، والروايات المقبولة مما هو دون الصحيح — عن إخراج هذه الرواية ونحوها ، وإعراض مؤرخى السيرة عن روايتها أيضاً ، كل أولئك يوجب الريبة فى اتصال مثل هذه الرواية ، وفى الجزم بنسبتها إلى الصحابة . إذ لعلها مما أدرج فى الرواية أثناء الحديث بها . والاحتياط فى نسبة الحديث المرفوع وما فى حكمه واجب .

وإذا أظلم عليهم ، فهو رجلٌ يأخذ بطرف الحق لا يستطيع أن يُجاوزه[١] . ١٢٠/١

والرابع : ما —

٤٥٤ — حدثني به المثنى ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، قال : حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « أو كصيِّب من السماء » ، وهو المطر ، ضرب مَثله في القرآن يقول : « فيه ظلمات » ، يقول : ابتلاء ، «ورعد» يقول : فيه تخويف ، « وبرق» ، « يكاد البرق يخطف أبصارهم »[٢] ، يقول : يكاد محكم القرآن يَدُلّ على عورات المنافقين ، «كلما أضاء لهم مَشوا فيه » . يقول : كلما أصابَ المنافقون من الإسلام عِزًّا اطمأنوا ، وإن أصابَ الإسلام نكبةٌ قاموا ليرجعوا إلى الكفر[٣] ، يقول : « وإذا أظلم عليهم قاموا » ، كقوله : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ ، فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ ، خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ، ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [سورة الحج : ١١][٤] .

ثم اختلف سائر أهل التأويل بعدُ في ذلك ، نظيرَ ما روى عن ابن عباس من الاختلاف :

٤٥٥ — فحدثني محمد بن عمرو الباهلي ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ابن مَيْمون ، عن ابن أبي نَجيح ، عن مجاهد ، قال : إضاءة البرق وإظلامُه ، على نحو ذلك المثَل .

٤٥٦ — حدثني المثنى ، قال : حدثنا أبو حُذيفة ، قال : حدثنا شِبْل ، عن ابن أبي نَجيح ، عن مجاهد ، مثلَه .

---

(١) الخبر ٤٥٣ — في الدر المنثور ١ : ٣٢ ، والشوكاني ١ : ٣٧ ، مع اختلاف يسير في اللفظ .

(٢) في الدر المنثور والشوكاني : « رعد وبرق — تخويف » .

(٣) في المطبوعة : « قالوا رجعوا إلى الكفر » ، وهو خطأ محض .

(٤) الخبر ٤٥٤ — في الدر المنثور ١ : ٣٢ ، والشوكاني ١ : ٣٦ ، وبعضه في تفسير ابن كثير ١ : ١٠٠ .

٤٥٧ – حدثنا عمرو بن علي ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نَجيح ، عن مجاهد . مثله .

٤٥٨ – وحدثنا بشر بن معاذ ، قال حدثنا يزيد بن زُرَيع ، عن سعيد ، عن قتادة ، في قول الله : «فيه ظلماتٌ ورعدٌ وبرقٌ» إلى قوله « وإذا أظلم عليهم قاموا» ، فالمنافق إذا رأى في الإسلام رخاءً أو طمأنينة أو سَلوة من عَيش قال : أنا معكم وأنا منكم ، وإذا أصابته شَديدةٌ حَقحقَ والله عندها ، فانقَطعَ به ، فلا يصبر على بلائها ، ولم يَحتسب أجرَها ، ولم يَرْجُ عاقبتها[1] .

٤٥٩ – وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا مَعمر ، عن قتادة : « فيه ظلمات ورعد وبرق » ، يقول : أجبنُ قوم[2] ، لا يسمعون شيئاً إلا إذا ظنوا أنهم هالكون فيه حَذراً من الموت ، والله مُحيطٌ بالكافرين . ثم ضرب لهم مَثلا آخر فقال : « يكادُ البرقُ يخطف أبصارَهم كلما أضاء لهم مشوا فيه » ، يقول : هذا المنافق ، إذا كثر ماله ، وكثُرت ماشيته ، وأصابته عافية قال : لم يُصبني منذُ دخلت في ديني هذا إلاّ خيرٌ . « وإذا أظلم عليهم قاموا » يقول : إذا ذهبت أموالهم ، وهلكت مواشيهم ، وأصابهم البلاءُ ، قاموا متحيرين[3] .

٤٦٠ – حدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحق بن الحجاج ، عن عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس : « فيه ظلمات ورعد وبرق » ، قال : مَثَلُهم

---

(١) الأثر ٤٥٨ – في الدر المنثور ١ : ٣٣ ، وهو جزء من أثر قتادة بتمامه ، ونصه هناك : « فإذا رأى المنافق من الإسلام طمأنينة وعافية ورخاء وسلوة عيش ، قالوا : إنا معكم ومنكم . وإذا رأى من الإسلام شدة وبلاء ، فقحقح عند الشدة ، فلا يصبر لبلائها ، ولم يحتسب أجرها ، ولم يرج عاقبتها » . وقوله في الدر المنثور « قحقح » ، أظنه خطأ ، وإنما هو حقحق كما في أصول الطبري . والحقحقة : أرفع السير وأتعبه للظهر . يريد أنه يسرع إسراعاً في حيرته حتى يهلكه التعب ، وذلك أن المنافق لا يصبر على البلوى صبر المؤمن الراضي بما شاء الله وقدر . وقوله « فانقطع به » بالبناء للمجهول يقال للدابة والرجل « قطع به وانقطع به » بالبناء للمجهول ، إذا عجز فلم ينهض ، وأتاه أمر لا يقدر على أن يتحرك معه ، وانقطع رجاؤه . وفي المخطوطة « فتقطع به » وليست بشيء . وفي المطبوعة : « وإذا أصابته شدة » .

(٢) في المطبوعة : « أخبر عن قوم » ، وهو كلام بلا معنى .

(٣) الأثر ٤٥٩ – لم أجده بلفظه ، وأثر قتادة في الدر المنثور ١ : ٣٣ شبيه به في المعنى دون اللفظ .

كمثل قوم ساروا فى ليلة مظلمة، ولها مطر ورَعد وبرق على جادّة ، فلما أبرقت أبصرُوا الجادّة فمضوا فيها ، وإذا ذهب البرق تحيّروا . وكذلك المنافق ، كلما تكلم بكلمة الإخلاص أضاء له، فإذا شك تحيّر ووقع فى الظلمة ، فكذلك قوله: « كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا » ، ثم قال : فى أسماعهم وأبصارهم التى عاشوا بها فى الناس ، « ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم » .

قال أبو جعفر :

٤٦١ — حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين ، قال : حدثنا أبو تميلة، عن عُبيد بن سليمان الباهلى ، عن الضحاك بن مُزَاحم ،« فيه ظلمات »، قال : أما الظلمات فالضلالة ، والبرق الإيمان[1] .

٤٦٢ — حدثنى يونس، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال حدثنى عبد الرحمن ابن زيد ، فى قوله: « فيه ظلمات ورَعد وبرق »، فقرأ حتى بلغ : « إنّ الله على كل شىء قدير »، قال: هذا أيضاً مَثلٌ ضربه الله للمنافقين ، كانوا قد استناروا بالإسلام، كما استنارَ هذا بنور هذا البرق .

٤٦٣ — حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال : حدثنى حجاج، قال : قال ابن جُريج : ليس فى الأرض شىء سمعه المنافق إلا ظنّ أنه يُراد به ، وأنه الموتُ ، كراهيةً له — والمنافق أكرهُ خلق الله للموت — كما إذا كانوا بالبَراز فى المطر ، فرُّوا من الصواعق[2] .

٤٦٤ — حدثنا عمرو بن على، قال: حدثنا أبو معاوية ،قال : حدثنا ابن جُريج، عن عطاء، فى قوله : « أو كصَيِّب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق »، قال : مثَل ضُرِبَ للكافر[3] . ١٢١/١

---

(١) الأثر ٤٦١ — فى الأصول « أبو نميلة » بالنون ، وهو خطأ ، والصواب « أبو تميلة » بالتاء مصغراً ، وهو يحيى بن واضح ، كما مضى فى : ٣٩٢ .

(٢) فى المخطوطة: « كما إذ كانوا بالبر فى المطر . . . » ، وهو شبيه بالصواب . والبراز : الفضاء من الأرض البعيد الواسع ، ليس به شجر ولا غيره مما يستتر به .

(٣) الآثار ٤٦٠ — ٤٦٤ : لم أجدها فى مكان

وهذه الأقوال التى ذكرنا عمن رويناها عنه ، فإنها — وإن اختلفت فيها ألفاظ قائليها — متقاربات المعانى ، لأنها جميعاً تُنبئ عن أن الله ضَرَب الصيِّب لظاهر إيمان المنافق مَثلا ، ومَثَّلَ ما فيه من ظلمات لضلالته ، وما فيه من ضياء برقٍ لنور إيمانه[1] ؛ وإتقاءه من الصواعق بتصيير أصابعه فى أذنيه ، لضَعف جَنانه ونَخْبِ فؤاده من حُلول عقوبة الله بساحته[2] ؛ ومَشيَه فى ضوء البرق لاستقامته على نور إيمانه ؛ وقيامَه فى الظلام ، لحيرته فى ضلالته وارتكاسه فى عَمَهه[3] .

فتأويل الآية إذاً — إذْ كان الأمر على ما وصفنا — : أو مَثَلُ ما استضاء به المنافقون — من قيلهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين بألسنتهم : آمنا بالله وباليوم الآخر وبمحمد وما جاء به ، حتى صار لهم بذلك فى الدنيا أحكامُ المؤمنين ، وهم — مع إظهارهم بألسنتهم ما يُظهرون — بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله وباليوم الآخر ، مكذِّبون ، وخلاف ما يُظهرون بالألسُن فى قلوبهم معتقدون ، على عمًى منهم ، وجهالة بما هم عليه من الضلال ، لا يدرون أىّ الأمرين اللذين قد شَرَعا لهم [فيه] الهداية[4] : أفى الكفر الذى كانوا عليه قبل إرسال الله محمداً صلى الله عليه وسلم بما أرسله به إليهم ، أم فى الذى أتاهم به محمد صلى الله عليه وسلم من عند ربهم ؟ فهم من وعيدِ الله إياهم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وَجِلون ، وهم مع وَجلهم من ذلك فى حقيقته شاكُّون ، فى قلوبهم مَرَض فزادهمُ الله مَرَضاً . كمثل غَيثٍ سرَى ليلاً فى مُزنة ظلماء

---

(١) فى المخطوطة : « بضلالته . . . بنور إيمانه » .

(٢) فى المطبوعة : « وتحير فؤاده » . والنخب : الجبن وضعف القلب . ورجل نخب ونخيب ومنخوب الفؤاد : جبان لا خير فيه ، كأنه منتزع الفؤاد ، فلا فؤاد له .

(٣) فى المطبوعة : « باستقامته . . . بحيرته فى ضلالته . . . » .

(٤) فى المخطوطة : « سرعا » غير واضحة ولا منقوطة . ولعل الصواب « شرعا » من قولهم شرعت الإبل الماء : أى دخلته وخاضت فيه لتشرب منه . والمنافق يخوض فى الإيمان بلسانه وفى الكفر بقلبه . وزدت ما بين القوسين ليستقيم المعنى . وفى المطبوعة بعد : « الهداية فى الكفر الذى كانوا عليه » ، بغير ألف الاستفهام ، وهو خطأ لا يستقيم .

ليلة مظلمة[١] ، يحدوها رعدٌ ، ويستطير فى حافاتها برقٌ شديد لمعانه[٢] ، كثير خطرانه[٣] ، يكادَ سنا برقه يَذهب بالأبصار ويختطفها من شدة ضيائه ونور شعاعه ، وينهبط منها تارات صواعقُ ، تكاد تَدَع النفوس من شدة أهوالها زَواهق .

فالصيِّب مَثلٌ لظاهر ما أظهر المنافقون بألسنتهم من الإقرار والتصديق ، والظلمات التى هى فيه لظُلمات ما هم مستبطنون من الشك والتكذيب ومرض القلوب . وأما الرعدُ والصواعق ، فلِما هم عليه من الوَجَل من وعيد الله إياهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فى آى كتابه ، إما فى العاجل وإما فى الآجل ، أنْ يحلَّ بهم ، مع شكهم فى ذلك : هل هو كائن أم غير كائن ؟ وهل له حقيقة أم ذلك كذبٌ وباطلٌ ؟ — مَثلٌ[٤] . فهم من وَجلهم ، أن يَكون ذلك حقًّا ، يتقونه بالإقرار بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بألسنتهم ، مخافةً على أنفسهم من الهلاك ونزول النَّقِمات[٥] . وذلك تأويل قوله جل ثناؤه « يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حَذَرَ الموت » ، يعنى بذلك : يتقون وَعيدَ الله الذى أنزله فى كتابه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، بما يبدونه بألسنتهم من ظاهر الإقرار ، كما يتّقى الخائف أصواتَ الصواعق بتغطية أذنيه وتصيير أصابعه فيها ، حَذَرًا على نفسه منها .

وقد ذكرنا الخبرَ الذى رُوى عن ابن مسعود وابن عباس أنهما كانا يقولان : إن المنافقين كانوا إذا حضروا مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم أدخلوا أصابعهم

---

(١) فى المطبوعة : « وليل مظلمة » ، وهو خطأ بين .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « يحذوها » بالذال المعجمة ، وهو خطأ . وإنما هو من حداء السائق بإبله : وهو غناؤه لها وزجره إياها ، وهو يسوقها . جعل صوت الرعد حداء للسحاب . واستطار البرق : سطع وشق السحاب وانتشر فى جوانب الغمام .

(٣) فى المخطوطة : « خطوانه » غير منقوطة ، وهو تحريف . من قولهم خطر بسيفه أو سوطه يخطر خطراناً : إذا رفعه مرة ووضعه أخرى ، شبه شقائق البرق بالسوط يلمع مرة ويخفى أخرى .

(٤) قوله « مثل » خبر مبتدأ محذوف ، فسياق الجملة كما ترى : أما الرعد والصواعق ، فمثل لما هم عليه من الوجل . . .

(٥) النقمات : جمع نقمة مثل كلمات وكلمة ، وهى العقوبات .

فى آذانهم فرَقاً من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل فيهم شىء ، أو يذكروا بشىء فيقتلوا . فإنْ كان ذلك صحيحاً — ولست أعلمه صحيحاً ، إذ كنت بإسناده مُرتاباً — فإنّ القولَ الذى رُوى عنهما هو القول[1] . وإن يكن غيرَ صحيح ، فأولى بتأويل الآية ما قلنا ، لأن الله إنما قصّ علينا من خبَرهم فى أول مُبتدأ قصتهم[2] : أنهم يُخادعون الله ورسوله والمؤمنين بقولهم : آمنا بالله وباليوم الآخر ، مع شكّ قلوبهم ومَرَض أفئدتهم فى حقيقة ما زَعموا أنهم به مؤمنون ، مما جاءهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند ربهم . وبذلك وَصَفهم فى جميع آى القرآن التى ذكرَ فيها صفتهم . فكذلك ذلك فى هذه الآية . ١٢٢/١

وإنما جَعل اللهُ إدخالهم أصابعهم فى آذانهم مثلاً لاتّقائهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بما ذكرنا أنهم يَتّقونهم به ، كما يتّقى سامعُ صَوتِ الصاعقة بإدخال أصابعه فى أذنيه . وذلك من المثَل نظيرُ تمثيل الله جل ثناؤه ما أنزَل فيهم من الوعيد فى آى كتابه بأصوات الصواعق. وكذلك قوله «حَذَرَ الموت» ، جعله جلّ ثناؤه مثلا لخوفهم وإشفاقهم من حلول عاجل العقاب المهلِكهم الذى تُوُعّدوه بساحتهم[3] ، كما يجعل سامعُ أصوات الصواعق أصابعه فى أذنيه ، حَذَرَ العطب والموت على نفسه ، أنْ تزهق من شدتها .

وإنما نصَب قوله «حَذَرَ الموت» على نحو ما تنصب به التكرمة فى قولك: «زُرْتك تَكرمةً لك» ، تريد بذلك: من أجل تكرمتك ، وكما قال جلّ ثناؤه، ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [سورة الأنبياء : ٩٠] على التفسير للفعل[4] .

وقد رُوى عن قتادة أنه كان يتأول قوله: «حَذَرَ الموت» ، حذراً من الموت .

---

(١) انظر الحديث رقم : ٤٥٢ والتعليق عليه .

(٢) فى المطبوعة : «قصصهم» ، ولا بأس بها . وبعد ذلك فى المخطوطة : «أنهم عارفون يخادعون الله . . .» ، ولا معنى لإقحام قوله : «عارفون» .

(٣) فى المطبوعة : «العقاب المهلك . . .» بدلوا لفظ الطبرى ، ليوافق ما اعتادوه من الكلام .

(٤) قوله «على التفسير للفعل» ، أى أنه مفعول لأجله .

٤٦٥ – حدثنا بذلك الحسن بن يحيى ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : أنبأنا مَعْمَر ، عنه .

وذلك مذهب من التأويل ضعيف ، لأن القوم لم يجعلوا أصابعهم فى آذانهم حَذَرًا من الموت ، فيكون معناه ما قال إنه يراد به[1] : حَذَرًا من الموت ، وإنما جعلوها من حِذَار الموت فى آذانهم .

وكان قتادةُ وابنُ جُريج يتأوّلان قوله : « يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حَذَرَ الموت » ، أن ذلك من الله جلّ ثناؤه صفةٌ للمنافقين بالهلع وضعف القلوب وكراهة الموت ، ويتأولان فى ذلك قوله : ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة المنافقون : ٤] .

وليس الأمر فى ذلك عندى كالذى قالا . وذلك أنه قد كان فيهم من لا تُنكر شجاعته ولا تُدفع بسالته ، كقُزْمان ، الذى لم يقم مقامه أحدٌ من المؤمنين بأُحُد ، أو دونه[2] . وإنما كانت كراهتُهم شُهود المشاهدِ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتركُهم مُعاونته على أعدائه ، لأنهم لم يكونوا فى أديانهم مُستبصرين ، ولا برسول الله صلى الله عليه وسلم مصدِّقين ، فكانوا للحضور معه مَشاهدَه كارهين ، إلا بالتخذيل عنه[3] . ولكن ذلك وَصفٌ من الله جل ثناؤه لهم بالإشفاق من حُلول عقوبة الله بهم على نفاقهم ، إما عاجلا وإما آجلاً . ثم أخبر جل ثناؤه أنّ

---

(١) فى المطبوعة « مراد به » ، وهما سواء .

(٢) هذه الجملة فى المخطوطة هكذا : « كقزمان الذى لم يقم مقامه من المؤمنين كثير أحد ودونه » وهى عبارة مبهمة . وقد أثبت ما فى المطبوعة ، وجعلت « ودونه » ، « أو دونه » ليستقيم المعنى . ويدل على ذلك أن عدة الذين قتلوا يوم أحد من المشركين اثنان وعشرون رجلا ، قتل قزمان وحده منهم عشرة ، وقتل على بن أبى طالب أربعة ، وقتل حمزة بن عبد المطلب ثلاثة ، وقتل عاصم ابن ثابت بن الأقلح رجلين ، وقتل سعد بن أبى وقاص رجلا واحداً . وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل رجلا صبراً ، وقتل آخر بيده صلى الله عليه وسلم . وقزمان حليف بنى ظفر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه لمن أهل النار . فلما أبلى يوم أحد ، قيل له : أبشر ! قال : بماذا أبشر ؟ فوالله ما قاتلت إلا عن أحساب قومى ! ولولا ذلك ما قاتلت . ولما اشتدت به جراحته وآذته ، أخذ سهماً من كنانته فقتل به نفسه .

(٣) التخذيل : حمل الرجل على خذلان صاحبه ، وتثبيطه عن نصرته .

المنافقين — الذين نعتهم الله النعتَ الذى ذكر ، وضرب لهم الأمثال التى وَصَف ، وإن اتقوْا عقابه ، وأشفقوا عذابه إشفاق الجاعل فى أذنيه أصابعه حِذَارَ حُلول الوعيد الذى توعدهم به فى آى كتابه — غيرُ مُنْجيهم ذلك من نزوله بعَقْوَتهم[1] ، وحُلوله بساحتهم ، إما عاجلاً فى الدنيا ، وإما آجلاً فى الآخرة ، للذى فى قلوبهم من مَرَضها ، والشكّ فى اعتقادها ، فقال : « والله مُحيطٌ بالكافرين » ، بمعنى جامِعُهم ، فمُحلٌّ بهم عُقوبته .

وكان مجاهدٌ يتأول ذلك كما : —

٤٦٦ — حدثنى محمد بن عمرو الباهلى ، قال : حدثنا أبو عاصم . عن عيسى ابن ميمون ، عن عبد الله بن أبى نَجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله : « والله محيط بالكافرين » ، قال : جامعهم فى جهنم[2] .

وأما ابن عباس فروى عنه فى ذلك ما : —

٤٦٧ — حدثنى به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن أبى محمدٍ مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « والله مُحيط بالكافرين » ، يقول : الله منزلٌ ذلك بهم من النِّقمة[3] .

٤٦٨ — حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، فى قوله : « والله محيط بالكافرين » ، قال : جامِعُهم .

١٢٣/١ ثم عاد جل ذكره إلى نعت إقرار المنافقين بألسنتهم ، والخبر عنه وعنهم وعن نفاقهم ، وإتمام المثل الذى ابتدأ ضربَه لهم ولشكّهم ومَرَض قلوبهم ، فقال : « يكاد البرق » ، يعنى بالبرق ، الإقرارَ الذى أظهروه بألسنتهم بالله وبرسوله وما جاء به من عند ربهم . فجعل البرقَ له مثلاً ، على ما قدّمنا صفته .

---

(١) فى المطبوعة : « بعقوبتهم » ، وفى بعض المخطوطات : « بعقولهم » ، وكلتاهما خطأ محض . والعقوة : ساحة الدار ، وما كان حولها وقريباً منها .

(٢) الأثر ٤٦٦ — من تمام أثر فى الدر المنثور ١ : ٣٣ .

(٣) الخبر ٤٦٧ — من تمام خبر فى الدر المنثور ١ : ٣٢ — ٣٣ .

« يَخطفُ أبصَارهم »، يعنى : يذهب بها ويستلبُها ويلتمعها من شدة ضيائه ونُور شُعاعه .

٤٦٩ – كما حُدِّثت عن المنجاب بن الحارث ، قال : حدثنا بشر بن عُمارة ، عن أبى رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، فى قوله : « يكاد البرقُ يخطف أبصارهم »، قال : يلتمـعُ أبصارَهم ولمّا يفعل[1] .

قال أبو جعفر : والخطف السلب ، ومنه الخبر الذى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن الخطْفة ، يعنى بها النُّهبة[2]. ومنه قيل للخُطاف الذى يُخرج به الدلو من البئر خُطَّاف ، لاختطافه واستلابه ما عَلق به ، ومنه قول نابغة بنى ذُبيان :

خَطَاطِيفُ حُجْنٌ فِى حِبَالٍ متينةٍ تَمُدُّ بها أيدٍ إلَيْك نَوَازِعُ[3]

---

(١) الخبر ٤٦٩ – لم أجده . والتمع البصر أو غيره : اختلسه واختطفه وذهب به . ومنه الحديث : « إذا كان أحدكم فى الصلاة ، فلا يرفع بصره إلى السماء يلتمع بصره »، أى يختلس .

(٢) الذى ذكره ابن الأثير فى النهاية أن الخطفة : ما اختطف الذئب من أعضاء الشاة وهى حية ، لأن كل ما أبين من حى فهو ميت ، وذلك أن النهى عن الخطفة كان لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، رأى الناس يجبون أسنمة الإبل وأليات الغنم ويأكلونها . قال : والخطفة المرة الواحدة من الخطف ، فسمى بها العضو المختطف ، وأما النهبة والنهى ، فاسم لما ينهب ، وجاء بيانها فى حديث سنن أبى داود ٣ : ٨٨ « فأصاب الناس غنيمة فانتهبوها ، فقام عبد الرحمن بن سمرة خطيباً ، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن النهبى ». وفى الباب نفسه من سنن أبى داود عن رجل من الأنصار قال : « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر ، فأصاب الناس حاجة شديدة وجهد ، وأصابوا غنما فانتهبوها ، فإن قدورنا لتغلى إذ جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى على قوسه ، فأكفأ قدورنا بقوسه ، ثم جعل يرمل اللحم بالتراب ثم قال : إن النهبة ليست بأحل من الميتة » .

(٣) ديوانه : ٤١ ، وقبله البيت المشهور :

فإنّك كالليل الذى هو مدركى وإن خلتُ أن المنتأى عنك واسعُ

خطاطيف : جمع خطاف . وحجن : جمع أحجن ، وهو المعوج الذى فى رأسه عقافة . وقال « تمد بها » ولم يقل : تمدها ، لأنه لم يرد مد الحبال ذوات الخطاطيف ، وإنما أراد اليد التى تمتد بها وفيها الخطاطيف ، لأن اليد هى الذى تتبع الشىء حيث ذهب (انظر ما سيأتى من إدخال الباء على مثل هذا الفعل ص ٣٦٠ س : ٦ – ٩) وقوله « إليك » متعلق بقوله « نوازع » . ونوازع جمع نازع ونازعة ، من قولهم نزع الدلو من البئر ينزعها : جذبها وأخرجها . أى أن هذه الأيدى تجذب ما تشاء إليك ، وترده عليك . والبيت متصل بالذى قبله ،

فجعل ضَوءَ البرق وشدة شُعاع نُوره ، كضوء إقرارهم بألسنتهم بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عند الله واليوم الآخر وشُعاعِ نوره ، مثلاً .

ثم قال تعالى ذكره : «كلما أضاء لهم» ، يعنى أن البرق كلما أضاء لهم ، وجعل البرق لإيمانهم مَثلاً . وإنما أراد بذلك : أنهم كلما أضاء لهم الإيمان ، وإضاءتُه لهم : أن يروْا فيه ما يُعجبهم فى عاجل دنياهم ، من النُّصرة على الأعداء ، وإصابةِ الغنائم فى المغازى ، وكثرة الفتوح ومنافعِها ، والثراء فى الأموال ، والسلامةِ فى الأبدان والأهل والأولاد — فذلك إضاءتُه لهم ، لأنهم إنما يُظهرون بألسنتهم ما يُظهرونه من الإقرار ، ابتغاءَ ذلك ، ومدافعةً عن أنفسهم وأموالهم وأهليهم وذَراريهم ، وهم كما وصفهم الله جلّ ثناؤه بقوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ ﴾ [سورة الحج : ١١]

ويعنى بقوله «مشوا فيه» ، مشوا فى ضوء البرق . وإنما ذلك مَثلٌ لإقرارهم على ما وصفنا . فمعناه : كلما رأوا فى الإيمان ما يُعجبهم فى عاجل دنياهم على ما وصفنا ، ثبتوا عليه وأقاموا فيه ، كما يمشى السائر فى ظُلمة الليل وظُلمة الصَّيِّب الذى وصفه جل ثناؤه ، إذا برقت فيها بارقةٌ أبصرَ طريقه فيها .

«وإذا أظلم» ، يعنى : ذهب ضوءُ البرق عنهم .

ويعنى بقوله «عليهم» ، على السائرين فى الصيِّب الذى وَصف جل ذكره . وذلك للمنافقين مثَل . ومعنى إظلام ذلك : أنّ المنافقين كلما لم يَرَوْا فى الإسلام ما يعجبهم فى دنياهم — عند ابتلاء الله مؤمنى عباده بالضرّاء ، وتمحيصه إياهم بالشدائد والبلاء ، من إخفاقهم فى مَغزاهم ، وإدالة عدوّهم منهم[1] ، أو إدبارٍ من

وبيان لقوله «فإنك كالليل الذى هو مدركى» ، أراد تهويل الليل وما يرى فيه ، تتبعه حيث ذهب خطاطيف حجن لا مهرب له منها .

(١) فى المطبوعة «وإنالة عدوهم» ، وهو خطأ . والإدالة : الغلبة ، وهى من الدولة فى الحرب ، وهو أن يهزم الجيش مرة ، ويهزمه الجيش الآخر تارة أخرى . يقال : اللهم أدلنا من عدونا ! أى اللهم اجعل لنا الدولة عليه وانصرنا .

دنياهم عنهم — أقاموا على نفاقهم[١]، وثبتوا على ضلالتهم ، كما قام السائر فى الصيِّب الذى وصف جل ذكره[٢] ، إذا أظلم وَخفتَ ضوء البرق ، فحارَ فى طريقه ، فلم يعرف مَنهجه .

* * *

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ﴾

قال أبو جعفر : وإنما خَص جل ذكره السمعَ والأبصارَ — بأنه لو شاء أذهبَها من المنافقين دون سائر أعضاء أجسامهم[٣] — للذى جرَى من ذكرها فى الآيتين ، أعنى قوله : « يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق» ، وقوله: « يكادُ البرق يَخطَفُ أبصارهم كلما أضاء لهم مَشوْا فيه» ، فجرى ذكرها فى الآيتين على وجه المثَل . ثم عَقَّب جل ثناؤه ذكر ذلك ،بأنه لو شاء أذْهبه من المنافقين عقوبةً لهم على نفاقهم وكفرهم ، وعيداً من الله لهم ، كما توعَّدهم فى الآية التى قبلها بقوله: « والله مُحيط بالكافرين » ، واصفاً بذلك جل ذكره نفسَه ، أنه المقتدر عليهم ١٢٤/١
وعلى جمعهم ، لإحلال سَخَطه بهم ، وإنزال نِقْمته عليهم ، ومُحذِّرَهم بذلك سَطوته ، ومخوِّفَهم به عقوبته ، ليتقوا بأسَه ، ويُسارعوا إليه بالتوبة .

٤٧٠ — كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد بن أبى محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « ولو شاء

---

(١) فى المطبوعة : « قاموا على نفاقهم » . وهذه أجود .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « كما قام السائرون فى الصيب » ، وهو خطأ ، صوابه من مخطوطة أخرى .

(٣) فى المخطوطة : « دون سائر أجسامهم » .

الله لذَهب بسمعهم وأبصارهم »، لِمَا تركوا من الحق بعد معرفته[١] .

٤٧١ – وحدثني المثنى ،قال : حدثنا إسحق، قال: حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، قال : ثم قال – يعني قال الله – في أسماعهم ، يعني أسماعَ المنافقين ، وأبصارِهم التي عاشوا بها في الناس: « ولو شاءَ الله لذَهب بسمعهم وأبصارهم »[٢] .

قال أبو جعفر : وإنما معنى قوله : « لذهب بسمعهم وأبصارهم »، لأذهب سَمعَهم وأبصارَهم. ولكن العرب إذا أدخلوا الباء في مثل ذلك قالوا: ذهبتُ ببصره، وإذا حذفوا الباء قالوا: أذهبتُ بصره . كما قال جل ثناؤه: ﴿ آتِنَا غَدَاءَنَا ﴾ [سورة الكهف : ٦٢] ، ولو أدخلت الباء في الغداء لقيل : ائتنا بغدَائنا[٣] .

قال أبو جعفر : فإن قال لنا قائل : وكيف قيل: « لذهب بسمعهم » فوحَّد، وقال : « وأبصارهم » فجمع ؟ وقد علمتَ أن الخبر في السمع خبرٌ عن سَمْع جماعة[٤] ، كما الخبر عن الأبصار خبرٌ عن أبصار جماعة ؟[٥]

قيل :- قد اختلف أهل العربية في ذلك ، فقال بعض نحويي الكوفة : وحَّد السمعَ لأنه عَنَى به المصدرَ وقصَد به الخَرْق، وجمع الأبصار لأنه عَنَى به الأعينَ. وكان بعض نحويي البصرة يزعم : أنّ السمع وإن كان في لفظ واحد ، فإنه بمعنى جماعة[٦]. ويحتج في ذلك بقول الله: ﴿لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾ [سورة إبراهيم: ٤٣] ، يريد : لا ترتد إليهم أطرافهم ، وبقوله : ﴿ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ [سورة القمر : ٤٥] ،

---

(١) الخبر ٤٧٠ – من تمام الخبر الذي ساقه في الدر المنثور ١ : ٣٢–٣٣ ، وقد مضى صدره آنفاً : ٤٥١ ، ٤٦٧ .

(٢) الأثر ٤٧١ – هو من الأثر السالف رقم : ٤٦٠ .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ١٩ . وانظر ما مضى ص ٣٥٧ تعليق : ٣

(٤) في المخطوطة: « أن الخبر بالسمع » ، وهذه أجود ، وأجودهن « الخبر عن السمع » كما سيأتي في الذي يلي .

(٥) في المطبوعة : « كما الخبر في الأبصار » ، والذي في المخطوطة أجود .

(٦) في المخطوطة : « لمعنى جماعة » ، وهي صواب جيد .

يراد به أدْبارُهم . وإنما جاز ذلك عندى، لأن فى الكلام ما يَدُلّ على أنه مُرادٌ به الجمع ، فكان فى دلالته على المراد منه ، وأداء معنى الواحد من السمع عن معنى جماعة، مُغنياً عن جِماعه[1] . ولو فعل بالبصر نظيرَ الذى فعل بالسمع ، أو فعل بالسمع نظير الذى فعل بالأبصار — من الجمع والتوحيد — كان فصيحاً صحيحاً ، لما ذكرنا من العلة ، كما قال الشاعر :

كُلُوا فِى بَعْضِ بَطْنِكُمُ تَعِفُّوا فَإِنَّ زَمَانَنَا زَمَنٌ خَمِيصُ[2]

فوحّد البطن ، والمرادُ منه البطون ، لما وصفنا من العلة .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢٠)

قال أبو جعفر : وإنما وَصف الله نفسه جلّ ذكره بالقدرة على كل شىء فى هذا الموضع ، لأنه حذّر المنافقين بأسه وسطوته، وأخبرهم أنه بهم مُحيطٌ ، وعلى إذهاب أسماعهم وأبصارهم قَديرٌ . ثم قال : فاتقونى أيُّها المنافقون، واحذَرُوا خِداعى وخداعَ رسولى وأهلِ الإيمان بى ، لا أحِلّ بكم نقمتى ، فإنى على ذلك وعلى غيره من الأشياء قدير. ومعنى « قدير » قادر ، كما معنى « عليم » عالم ، على ما وصفتُ

---

(١) فى المطبوعة : « فكان فيه دلالة على المراد منه ، وأدى معنى الواحد من السمع عن معنى جماعة، مغنياً عن جماعة » ، وهو كلام لا معنى له . وفى المخطوطة : « ... على المراد منه واوا معنى الواحد ... » ، وقد صححت قراءتها كما ترى . وقوله « مغنياً عن جماعه » أى عن جمعه ، والطبرى يكثر استعمال « جماع » مكان جمع ، كما مضى وكما سيأتى .

(٢) البيت من أبيات سيبويه التى لا يعلم قائلها ، سيبويه ١ : ١٠٨ ، والخزانة ٣ : ٣٧٩ — ٣٨١ ، وانظر أمالى ابن الشجرى ١ : ٣١١ ، ٢ : ٢٥ ، ٣٨ ، ٣٤٣ ، وروايته : «فى نصف بطنكم». وفى المخطوطة : « تميشوا » ، مكان « تعفوا » ، وهى رواية ذكرها صاحب الخزانة . وروايتهم جميعاً « فإن زمانكم . . . » .

فيما تقدم من نظائره ، من زيادة معنى فعيل على فاعل فى المدح والذم[١] .

* * *

القول فى تأويل قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : فأمرَ جل ثناؤه الفريقين — اللذين أخبرَ الله عن أحدهما أنه سواءٌ عليهم أأنذروا أم لم يُنذروا أنهم لا يؤمنون[٢]، لطبْعِه على قلوبهم وعلى سمعهم[٣] ، وعن الآخرِ أنه يُخادع اللهَ والذين آمنوا بما يبدى بلسانه من قيله : آمنّا بالله وباليوم الآخر ، مع استبطانه خلافَ ذلك ، ومرض قلبه ، وشكّه فى حقيقة ما يُبدى من ذلك ؛ وغيرهم من سائر خلقه المكلَّفين — بالاستكانة ، والخضوع له بالطاعة ، وإفراد الربوبية له والعبادة دون الأوثان والأصنام والآلهة. ١٢٥/١
لأنه جلّ ذكره هو خالقهم وخالقُ مَنْ قبلهم من آبائهم وأجدادهم ، وخالقُ أصنامهم وأوثانهم وآلهتهم . فقال لهم جل ذكره : فالذى خلقكم وخلق آباءكم وأجدادكم وسائرَ الخلق غيركم ، وهو يقدرُ على ضرّكم ونفعكم — أولى بالطاعة ممن لا يقدر لكم على نفع ولا ضرّ[٤] .

وكان ابن عباس ، فيما رُوى لنا عنه ، يقول فى ذلك نظيرَ ما قلنا فيه ، غيرَ أنه ذُكر عنه أنه كان يقول فى معنى « اعبُدوا ربكم » : وحِّدوا ربكم . وقد دللنا — فيما مضى من كتابنا هذا — على أن معنى العبادة : الخضوعُ لله بالطاعة ،

---

(١) انظر تفسير قوله تعالى : « الرحيم » ، فيما مضى : ص ١٢٦ .
(٢) فى المخطوطة : « أأنذرتهم أم لم تنذرهم » ، وهما سواء فى المعنى .
(٣) فى المطبوعة : « . . . وعلى سمعهم وأبصارهم » ، والصواب حذف « وأبصارهم » ، لأنها غير داخلة فى معنى الطبع ، كما مضى فى تفسير الآية .
(٤) فى المخطوطة : « على ضرر ولا نفع » ، وهما سواء .

والتذلل له بالاستكانة[١]. والذى أراد ابن عباس – إن شاء الله – بقوله فى تأويل قوله : «اعبدوا ربكم» وحِّدوه، أى أفردُوا الطاعة والعبادة لربكم دون سائر خلقه[٢].

٤٧٢ – حدثنا محمد بن حميد ، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحق، عن محمد بن أبى محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال: قال الله : «يا أيها الناسُ اعبدُوا ربَكم »، للفريقين جميعاً من الكفار والمنافقين، أى وَحِّدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم[٣] .

٤٧٣ – وحدثنى موسى بن هرون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، عن أسباط، عن السُّدّىّ فى خبر ذكره ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس – وعن مُرّة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : «يا أيها الناس اعبدُوا ربّكم الذى خَلقكم والذين منْ قبلكم » يقول : خَلقكم وَخلق الذين من قبلكم[٤] .

قال أبو جعفر : وهذه الآيةُ من أدلّ دليل على فساد قول من زعم : أنّ تكليف ما لا يطاق إلا بمعونة الله غيرُ جائز ، إلا بَعد إعطاء الله المكلف المعُونةَ على ما كلّفه. وذلك أنّ الله أمرَ من وَصفنا، بعبادته والتوبة من كفره، بعد إخباره عنهم أنهم لا يؤمنون ، وأنهم عن ضَلالتهم لا يَرْجعون .

* * *

---

(١) مضى فى تفسير قوله تعالى « إياك نعبد » ص : ١٦٠ .

(٢) فى المخطوطة « وحدوه له أفردوا . . . » ، وليس لها معنى .

(٣) الخبر ٤٧٢ – فى الدر المنثور ١ : ٣٣ ، وابن كثير ١ : ١٠٥ ، والشوكانى ١ : ٣٨ . وفى الدر والشوكانى : « من الكفار والمؤمنين » ، ووافق ابن كثير أصول الطبرى .

(٤) الخبر ٤٧٣ – فى الدر المنثور ١ : ٣٣، ولم ينسب إخراجه لابن جرير . وفى المخطوطة : « خلقكم والذين . . . » .

القول فى تأويل قوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٢١)

قال أبو جعفر : وتأويل ذلك : لعلكم تتقون بعبادتكم ربّكم الذى خلقكم ، وطاعتِكم إياه فيما أمركم به ونهاكم عنه ، وإفرادكُم له العبادة[١] لتتقوا سَخَطه وغضَبه أن يَحلّ عليكم ، وتكونوا من المتقين الذين رضى عنهم ربهم .

وكان مجاهدٌ يقولُ فى تأويل قوله: « لعلكم تتقون » : تُطيعون .

٤٧٤ — حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنى أبى ، عن سفيان ، عن ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد ، فى قوله: « لعلكم تتقون » ، قال : لعلكم تطيعون[٢] .

قال أبو جعفر : والذى أظن أنّ مجاهداً أراد بقوله هذا : لعلكم أنْ تتقوا ربّكم بطاعتكم إياه ، وإقلاعِكم عن ضَلالتكم .

قال أبو جعفر : فإن قال لنا قائل: فكيف قال جل ثناؤه: « لعلكم تتقون » ؟ أولم يكن عالماً بما يصيرُ إليه أمرُهم إذا هم عبدوه وأطاعوه، حتى قال لهم: لعلكم إذا فعلتم ذلك أن تتقوا، فأخرج الخبر عن عاقبة عبادتهم إياه مخرج الشكّ؟

قيل له : ذلك على غير المعنى الذى توهّمتَ ، وإنما معنى ذلك : اعبدُوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم ، لتتقوه بطاعته وتوحيده وإفراده بالربوبية والعبادة[٣] ، كما قال الشاعر :

وَقُلْتُمْ لَنَا كُفُّوا الحروبَ ، لَعَلَّنَا ... نَكُفُّ ! وَوَثَّقْتُمْ لَنَا كُلَّ مَوْثِقِ[٤]

فَلَمَّا كَفَفْنَا الحَرْبَ كَانَتْ عُهُودُكُمْ ... كَلَمْحِ سَرَابٍ فِى الفَلا مُتَأَلِّقِ[٥]

---

(١) فى المطبوعة : « له بالعبادة » وهو خطأ .

(٢) الأثر ٤٧٤ — فى الدر المنثور ١ : ٣٤ .

(٣) يريد الطبرى أن العرب تستعمل « لعل » مجردة من الشك ، بمعنى لام كى ، كما قال ابن الشجرى فى أماليه ١ : ٥١ .

(٤) لم أعرف قائلهما ، ورواهما ابن الشجرى نقلا عن الطبرى، فيما أرجح ، فى أماليه ١ : ٥١ .

(٥) رواية ابن الشجرى « فى الملا » . والفلا جمع فلاة : وهى الأرض المستوية ليس فيها شىء والصحراء الواسعة . والملا : الصحراء والمتسع من الأرض — فهما سواء فى المعنى .

يريد بذلك : قلّم لنا كُفُّوا لنكفَّ . وذلك أن « لعل » فى هذا الموضع لو كان شكًّا ، لم يكونوا وثقوا لهم كل موثق.

* * *

القول فى تأويل قوله : ﴿الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا﴾

وقوله : « الذى جعل لكم الأرض فِراشاً » مردود على « الذى » الأولى فى قوله « اعبدُوا ربكم الذى خلقكم » ، وهما جميعاً من نعت « ربكم » ، فكأنه قال : اعبدُوا ربكم الخالقكُم ، والخالقَ الذين من قبلكم ، الجاعلَ لكم الأرض فراشاً . يعنى بذلك أنّه جعل لكم الأرض مهاداً مُوَطَّأً[1] وقراراً يُستقرّ عليها. يُذكّرُ ربّنا جلّ ذكره — بذلك من قيله — عبادَهُ نعمَه عندهم وآلاءه لديهم[2]، ليذْكروا أياديَه عندهم ، فينيبوا إلى طاعته — تعطُّفاً منه بذلك عليهم، ورأفةً منه بهم ، ورحمةً لهم ، من غير ما حاجة منه إلى عبادتهم ، ولكن ليُتمّ نعمته عليهم ولعلهم يهتدون. ١٢٦/١

٤٧٥ — كما حدثنى موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدّى فى خبر ذكره ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مرّة[3] ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : « الذى جعل لكم الأرض فراشاً » فهى فراشٌ يُمشى عليها ، وهى المهاد والقرار[4] .

٤٧٦ — حدثنا بشر بن معاذ، قال : حدثنا يزيد بن زُريع ، عن سعيد ، عن قتادة : « الذى جعل لكم الأرض فراشاً » ، قال : مهاداً لكم .

٤٧٧ — حدثنى المثنى ، قال : حدثنا إسحق ، عن عبد الله بن أبى جعفر ،

---

(١) فى المطبوعة : « مهاداً وموطئاً » ، وفى المخطوطة « مهاداً توتطا » ، وكأن الصواب ما أثبتناه . والموطأ : المهيأ الملين الممهد . وسيأتى أن الفراش هو المهاد .

(٢) فى المطبوعة « زيادة نعمه عندهم ، وآلائه لديهم » ، والصواب ما فى المخطوطة . وقوله « عباده » مفعول : « يذكر ربنا . . . » .

(٣) قوله « وعن مرة » ، ساقطة من المطبوعة ، وهذا هو الصواب .

(٤) الخبر ٤٧٥ — فى الدر المنثور ١ : ٣٤ ، والشوكانى ١ : ٣٨ .

عن أبيه ، عن الربيع بن أنس : « الذى جعل لكم الأرض فراشاً » ، أى مهاداً .

* * *

القول فى تأويل قوله : ﴿ والسَّماءَ بِنَاءً ﴾

قال أبو جعفر : وإنما سُميت السماءُ سماءً لعلوها على الأرض وعلى سُكانها من خلقه ، وكل شيء كان فوق شيء آخرَ فهو لما تحته سَمَاءٌ . ولذلك قيل لسقف البيت : سَمَاوةٌ[1] ، لأنه فوقه مرتفعٌ عليه . ولذلك قيل : سَمَا فلان لفلان ، إذا أشرف له وَقصَد نحوه عَالياً عليه ، كما قال الفرزدق :

سَمَوْنَا لِنَجْرَانَ الْيَمَانِى وَأَهْلِهِ ... ونَجْرَانُ أَرْضٌ لَمْ تُدَيَّثْ مَقَاوِلُهْ[2]

وكما قال نابغة بنى ذُبيانَ :

سَمَتْ لِى نَظْرَةٌ ، فرأيتُ منها ... تُحَيِّتَ الخِدْرِ وَاضِعَةَ القِرَامِ[3]

يريد بذلك : أشرفتْ لى نظرةٌ وَبدت . فكذلك السماء سُميت للأرض : سماءً ، لعلوها وإشرافها عليها .

---

(١) فى المطبوعة « سماؤه » ، وكلتاهما صواب ، سماء البيت ، وسماوته : سقفه .

(٢) ديوانه : ٧٣٥ ، والنقائض : ٦٠٠ . ونجران : أرض فى مخاليف اليمن من ناحية مكة . وذكر نجران ، على لفظه وأصل معناه ، والنجران فى كلام العرب : الخشبة التى يدور عليها رتاج الباب . وديث البعير : ذلله بعض الذل حتى تذهب صعوبته . والمقاول : جمع مقول . والمقول والقيل : الملك من ملوك حمير . يقول : هى أرض عز عزيز ، لم يلق ملوكها ضيما يذلهم ويحنى هاماتهم .

(٣) ديوانه : ٨٦ ، وروايته : « صفحت بنظرة » . وقوله « صفحت » ، أى تصفحت الوجوه بنظرة ، أو رميت بنظرة متصفحاً . والقرام : ستر رقيق فيه رقم ونقوش . والخدر : خشبات تنصب فوق قتب البعير مستورة بثوب ، وهو الهودج . ووضع الشيء : ألقاه . وتحيت : تصغير « تحت » ، وصغر « تحت » ، لأنه أراد أن ستر الخدر بعد وضع القرام لا يبدى منها إلا قليلا ، وهذا البيت متعلق بما قبله وما بعده . وقبله :

فلو كانتْ غَدَاةَ البَيْنِ مَنَّتْ ... وقد رَفَعُوا الخُدُورَ على الخِيامِ

صَفَحْتُ بنظرةٍ . . . . . .

. . . . . .

ترائبَ يستضىء الحلىُ فيها ... كجَمْرِ النارِ بُذِّرَ فى الظلامِ

يريد بذلك : قلّم لنا كُفُّوا لنكفّ . وذلك أن « لعل » فى هذا الموضع لو كان شكًّا ، لم يكونوا وثقوا لهم كل موثق .

* * *

القول فى تأويل قوله : ﴿الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا﴾

وقوله : « الذى جعل لكم الأرض فِراشاً » مردود على « الذى » الأولى فى قوله « اعبدُوا ربكم الذى خلقكم » ، وهما جميعاً من نعت « ربكم » ، فكأنه قال : اعبدُوا ربكم الخالقكُم ، والخالقَ الذين من قبلكم ، الجاعلَ لكم الأرض فراشاً . يعنى بذلك أنه جعل لكم الأرض مهاداً مُوَطَّأً[1] وقَرَاراً يُستقرّ عليها. يُذكّرُ ربّنا جلّ ذكره — بذلك من قِيله — عبادَهُ نعمَه عندهم وآلاءه لديهم[2]، ليذكروا أياديَه عندهم ، فينيبوا إلى طاعته — تعطُّفاً منه بذلك عليهم، ورأفةً منه بهم ، ورحمةً لهم ، من غير ما حاجة منه إلى عبادتهم ، ولكن ليُتمّ نعمته عليهم ولعلهم يهتدون. ١٢٦/١

٤٧٥ — كما حدثنى موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدّى فى خبر ذكره ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مرّة[3] ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : « الذى جعل لكم الأرض فراشاً » فهى فراشٌ يُمشى عليها ، وهى المهاد والقرار[4] .

٤٧٦ — حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زُريع ، عن سعيد ، عن قتادة : « الذى جعل لكم الأرض فراشاً » ، قال : مهاداً لكم .

٤٧٧ — حدثنى المثنى ، قال : حدثنا إسحق ، عن عبد الله بن أبى جعفر ،

---

(١) فى المطبوعة : « مهاداً وموطأً » ، وفى المخطوطة « مهاداً توتطا » ، وكأن الصواب ما أثبتناه . والموطأ : المهيأ الملين الممهد . وسيأتى أن الفراش هو المهاد .

(٢) فى المطبوعة « زيادة نعمه عندهم ، وآلائه لديهم » ، والصواب ما فى المخطوطة . وقوله « عباده » مفعول : « يذكر ربنا . . . » .

(٣) قوله « وعن مرة » ، ساقطة من المطبوعة ، وهذا هو الصواب .

(٤) الخبر ٤٧٥ — فى الدر المنثور ١ : ٣٤ ، والشوكانى ١ : ٣٨ .

عن أبيه ، عن الربيع بن أنس : « الذى جعل لكم الأرض فراشاً » ، أى مهاداً .

* * *

القول فى تأويل قوله : ﴿ والسَّماء بِنَاء ﴾

قال أبو جعفر : وإنما سُميت السماءُ سماءً لعلوها على الأرض وعلى سُكانها من خلقه ، وكل شيء كان فوق شيء آخرَ فهو لما تحته سَمَاءٌ . ولذلك قيل لسقف البيت : سَمَاوةٌ[1] ، لأنه فوقه مرتفعٌ عليه . ولذلك قيل : سَمَا فلان لفلان ، إذا أشرف له وقَصَد نحوه عَالياً عليه ، كما قال الفرزدق :

سَمَوْنَا لِنَجْرَانَ الْيَمَانِى وَأَهْلِهِ ونَجْرَانُ أَرْضٌ لَمْ تُدَيَّثْ مَقَاوِلُهْ[2]

وكما قال نابغة بنى ذُبيانَ :

سَمَتْ لِى نَظْرَةٌ ، فرأيتُ منها تُحَيْتَ الخِدْرِ وَاضِعَةَ القِرَامِ[3]

يريد بذلك : أشرفتْ لى نظرةٌ وبدت . فكذلك السماء سُميت للأرض : سماءً ، لعلوها وإشرافها عليها .

---

(١) فى المطبوعة « سماؤه » ، وكلتاهما صواب ، سماء البيت ، وسماوته : سقفه .

(٢) ديوانه : ٧٣٥ ، والنقائض : ٦٠٠ . ونجران : أرض فى مخاليف اليمن من ناحية مكة . وذكر نجران ، على لفظه وأصل معناه ، والنجران فى كلام العرب : الخشبة التى يدور عليها رتاج الباب . وديث البعير : ذلله بعض الذل حتى تذهب صعوبته . والمقاول : جمع مقول . والمقول والقيل : الملك من ملوك حمير . يقول : هى أرض عز عزيز ، لم يلق ملوكها ضيما يذلهم ويحنى هاماتهم .

(٣) ديوانه : ٨٦ ، وروايته : « صفحت بنظرة » . وقوله « صفحت » ، أى تصفحت الوجوه بنظرة ، أو رميت بنظرة متصفحاً . والقرام : ستر رقيق فيه رقم ونقوش . والخدر : خشبات تنصب فوق قتب البعير مستورة بثوب ، وهو الهودج . ووضع الشيء : ألقاه . وتحيت : تصغير « تحت » ، وصغر « تحت » ، لأنه أراد أن ستر الخدر بعد وضع القرام لا يبدى منها إلا قليلا ، وهذا البيت متعلق بما قبله وما بعده . وقبله :

فلو كانتْ غَدَاةَ البَيْنِ مَنَّت وقد رَفَعُوا الخُدُورَ على الخِيامِ

صَفَحْتُ بنظرةٍ . . . . . .

ترائبَ يستضىء الحلىُ فيها كجَمْرِ النارِ بُذِّرَ فى الظلامِ

٤٧٨ – كما حدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال حدثنا أسباط ، عن السُّدّى فى خبر ذكره ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس – وعن مُرّة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : « والسّماء بناء » ، فبناءُ السماء على الأرض كهيئة القبة ، وهى سقف على الأرض[1] .

٤٧٩ – حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة فى قول الله : « والسماءَ بناءً » ، قال : جعل السماءَ سقفاً لكَ .

وإنما ذكر تعالى ذكره السماءَ والأرض فيما عدّد عليهم من نعمه التى أنعمها عليهم ، لأن منهما أقواتهم وأرزاقهم ومعايشهم ، وبهما قوامُ دُنياهم . فأعلمهم أن الذى خَلقهما وخلق جميع ما فيهما وما هم فيه من النعم ، هو المستحقّ عليهم الطاعةَ ، والمستوجبُ منهم الشكرَ والعبادةَ ، دون الأصنام والأوثان ، التى لا تضرُّ ولا تنفع .

* * *

القول فى تأويل قول الله جلّ ثناؤه : ﴿ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ﴾

يعنى تعالى ذكره بذلك أنّه أنزل من السماء مطراً ، فأخرج بذلك المطر مما أنبتوه فى الأرض من زرعهم وغَرْسهم ثمرات[2] – رزقاً لهم ، غذاءً وأقواتاً . فنبههم بذلك على قدرته وسُلطانه ، وذكّرهم به آلاءَه لديهم ، وأنه هو الذى خلقهم ، وهو الذى يَرزقهم ويكفُلُهم ، دون من جعلوه له نِدًّا وعِدْلاً من الأوثان والآلهة .

---

(١) الخبر ٤٧٨ – فى الدر المنثور ١ : ٣٤ ، جمعه مع الخبر : ٤٧٥ خبراً واحداً .
(٢) فى المخطوطة : « زرعهم وغروسهم » ، وهما سواء .

ثم زَجرَهم عن أن يجعلوا له نداً ، مع علمهم بأن ذلك كما أخبرهم، وأنه لا نِدَّ له ولا عِدْل ، ولا لهم نافعٌ ولا ضارٌّ ولا خالقٌ ولا رازقٌ سِواه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا ﴾

١٢٧/١ قال أبو جعفر : والأنداد جمع نِدّ، والنِّدّ : العِدْلُ والمِثل، كما قال حسان ابن ثابت :

أتهجُوه ولَسْتَ له بِنِدٍّ ؟ فَشَرُّكُما لخيرِكُما الفِدَاءُ[1]

يعنى بقوله: « ولستَ له بند »، لست له بمثْلٍ ولا عِدْلٍ . وكل شىء كان نظيراً لشىء وله شبيهاً فهو له ند[2] .

٤٨٠ — كما حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد ، عن سعيد، عن قتادة: « فلا تجعلوا لله أنداداً » ، أى عُدَلاء .

٤٨١ — حدثنى المثنى، قال : حدثنى أبو حُذيفة ، قال: حدثنا شِبل، عن ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد : « فلا تجعلوا لله أنداداً » ، أى عُدَلاء[3] .

٤٨٢ — حدثنى موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو ، قال: حدثنا أسباط ، عن السُّدّى ، فى خبر ذكره ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مُرّة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : « فلا تجعلوا لله أنداداً »، قال : أكفاءً من الرجال تطيعونهم فى معصية الله[4] .

---

(١) ديوانه : ٨ ، روايته « بكفء » ، وكذلك فى رواية الطبرى الآتية (١٨ : ٦٩ — ٧٠ بولاق) وقصيدة حسان هذه ، يهاجى بها أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ، قبل إسلامه ، وكان هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) فى المطبوعة : « كان نظيراً لشىء وشبيهاً » .

(٣) الأثر ٤٨١ — فى الدر المنثور ١ : ٣٥ ، والعدلاء : جمع عديل ، وهو النظير والمثيل ، كالعدل .

(٤) الخبر ٤٨٢ — فى الدر المنثور ١ : ٣٤ — ٣٥ ، والشوكانى ١ : ٣٩ .

٤٨٣ – حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال : أخبرنا ابن وهب، قال : قال ابن زيد[١] في قول الله : « فلا تجعلوا لله أنداداً » ، قال: الأنداد : الآلهة التي جعلوها معه ، وجعلوا لها مثل ما جعلوا له .

٤٨٤ – حُدِّثت عن المنجاب، قال : حدثنا بِشر ، عن أبي رَوْق، عن الضحاك ، عن ابن عباس، في قوله: « فلا تجعلوا لله أنداداً » ، قال : أشباهاً[٢] .

٤٨٥ – حدثني محمد بن سِنان ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن شَبيب، عن عكرمة : « فلا تجعلوا لله أنداداً »، أنْ تقولوا: لولا كلبنا لدَخل علينا اللصّ الدارَ ، لولا كلبنا صَاح في الدار ، ونحو ذلك[٣] .

فنهاهم الله تعالى أن يُشركوا به شيئاً ، وأن يعبدوا غيرَه، أو يتخذوا له نِدًّا وَعِدْلاً في الطاعة ، فقال : كما لا شريك لي في خلقكم، وفي رزقكم الذي أرزقكم وملكي إياكم ، ونعمي التي أنعمتها عليكم[٤] – فكذلك فأفردوا لي الطاعة ،

---

(١) في المطبوعة : « ابن يزيد » ، وهو خطأ .

(٢) الخبر ٤٨٤ – في الدر المنثور ١ : ٣٤ ، والشوكاني ١ : ٣٩ .

(٣) الأثر ٤٨٥ – جاء مثله في خبر عن ابن عباس في ابن كثير ١ : ١٠٥ ، والشوكاني ١ : ٣٩ . وفي المطبوعة : « أي تقولوا : لولا كلبنا . . . » ، وليست بشيء . وفي المخطوطة « ونحو هذا » مكان « ونحو ذلك » . والخبر الذي في ابن كثير ، ساقه مطولا بالإسناد من تفسير ابن أبي حاتم ، من طريق الضحاك بن مخلد ، وهو أبو عاصم النبيل الذي في هذا الإسناد ، عن شبيب ، وهو ابن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، ولعل الطبري قصر بهذا الإسناد ، لأنه يروي مثل هذه الروايات ، بهذا الإسناد إلى عكرمة ، عن ابن عباس ، كما مضى برقم : ١٥٧ . وعن ذلك إعراض ابن كثير عن نقل رواية الطبري ، واختياره رواية ابن أبي حاتم . وسياق رواية ابن أبي حاتم – عن ابن عباس– فيها فوائد جمة . ولفظها : « قال : الأنداد ، هو الشرك ، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل . وهو أن يقول : والله وحياتك يا فلان ، وحياتي ، ويقول : لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص البارحة ، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص . وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وشئت . وقول الرجل : لولا الله وفلان . لا تجعل فيها "فلان" . هذا كله به شرك » . ثم قال ابن كثير : « وفي الحديث : أن رجلا قال لرسول صلى الله عليه وسلم : ما شاء الله وشئت ! قال : أجعلتني لله نداً ؟ ! » . والحديث الذي يشير إليه ابن كثير ، رواه أحمد في المسند بأسانيد صحاح ، عن ابن عباس : ١٨٣٩ ، ١٩٦٤ ، ٢٥٦١ ، ٣٢٤٧ . وكذلك رواه البخاري في الأدب المفرد ص : ١١٦ ونسبه الحافظ ابن حجر في الفتح ١١ : ٤٧٠ للنسائي وابن ماجة .

(٤) في المطبوعة : « ونعمتي » بالإفراد .

وأخلصُوا لِيَ العبادة ، ولا تجعلوا لى شريكاً ونِداً من خلقى، فإنكم تعلمون أن كلّ نعمةٍ عليكم فمنّى[١] .

* * *

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٢)

اختلف أهل التأويل فى الذين عُنُوا بهذه الآية :

فقال بعضهم : عَنَى بها جميع المشركين من مُشركى العرب وأهل الكتاب.

وقال بعضهم : عنى بذلك أهلَ الكتابين ، أهلَ التوراة والإنجيل[٢] .

ذكر من قال : عنى بها جميعَ عَبَدَة الأوثان من العرب وكفار أهل الكتابين :

٤٨٦ — حدثنا محمد بن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس، قال : نَزَل ذلك فى الفريقين جميعاً من الكفار والمنافقين. وإنما عَنى تعالى ذكره بقوله : « فلا تَجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون »، أى لا تشركوا بالله غيرَه من الأنداد التى لا تَنفع ولا تضرّ ، وأنتم تعلمون أنه لاربّ لكم يرزقكم غيره، وقد علمتم أن الذى يدعوكم إليه الرسول من توحيده هو الحق لا شك فيه[٣] .

٤٨٧— حدثنا بشر، قال : حدثنا يزيد، عن سعيد ، عن قتادة فى قوله : « وأنتمْ تعلمون » أى تعلمون أنّ الله خَلقكم وخلق السموات والأرض ، ثم تجعلون له أنداداً[٤] .

---

(١) فى المطبوعة : « . . . كل نعمة عليكم منى » . وهذه أجود .

(٢) فى المطبوعة : « أهل الكتابين التوراة والإنجيل » .

(٣) الخبر ٤٨٦ — مضى صدره فى رقم : ٤٧٢ ، وتمامه فى ابن كثير ١ : ١٠٥ ، والدر المنثور ١ : ٣٤ ، والشوكانى ١ : ٣٩ .

(٤) الأثر ٤٨٧ — فى الدر المنثور ١ : ٣٥ .

ذكر من قال : عنى بذلك أهلَ الكتابين :

٤٨٨ – حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد: « فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون » ، أنه إله واحدٌ فى التوراة والإنجيل.

٤٨٩ – حدثنى المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا قَبيصة ، قال : حدثنا سفيان ، عن مجاهد ، مثله[1] .

٤٩٠ – حدثنى المثنى ، قال : حدثنا أبو حُذيفة ، قال: حدثنا شِبْل ، عن ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد: « وأنتم تعلمون » ، يقول: وأنتم تعلمون أنّه لا ندّ له فى التوراة والإنجيل[2] .

قال أبو جعفر : وأحسِبُ أنّ الذى دَعا مجاهداً إلى هذا التأويل، وإضافة ذلك إلى أنه خطاب لأهل التوراة والإنجيل دُون غيرهم – الظنُّ منه بالعرب أنها لم تكن تعلم أنّ اللهَ خالقها ورازقها ، بجحودها وحدانيةَ ربِّها، وإشراكها معه ١٢٨/١ فى العبادة غيره . وإنّ ذلك لَقولٌ ! ولكنّ الله جلّ ثناؤه قد أخبرَ فى كتابه عنها أنها كانت تُقر بوحدانيته ، غير أنها كانت تُشرك فى عبادته ما كانت تُشرك فيها ، فقال جل ثناؤه : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ ﴾ [سورة الزخرف : ٨٧] ، وقال : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ والأَرْضِ ، أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ ، وَمَنْ يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ ، وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ ، فَسَيَقُولُونَ اللهُ ، فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ ﴾ [سورة يونس : ٣١] .

---

(١) الإسناد ٤٨٩ – قبيصة ، بفتح القاف : هو ابن عقبة بن محمد السوائى الكوفى ، وهو ثقة معروف ، من شيوخ البخارى ، وأخرج له أصحاب الكتب الستة ، تكلم بعضهم فى روايته عن سفيان الثورى ، بأنه يخطئ فى بعض روايته ، بأنه سمع من الثورى صغيراً ، ولكن لم يجزحه البخارى فى الكبير ٤ / ١ / ١٧٧ ، وقال ابن سعد فى الطبقات ٦ : ٢٨١ : « كان ثقة صدوقاً ، كثير الحديث عن سفيان الثورى » . وسأل ابن أبى حاتم (الجرح ٣ / ٢ / ١٢٦) أباه عن قبيصة وأبى حذيفة ، فقال : « قبيصة أجل عندى ، وهو صدوق . لم أر أحداً من المحدثين يأتى بالحديث على لفظ واحد لا يغيره ، سوى قبيصة بن عقبة ، وعلى بن الجعد ، وأبى نعيم – فى الثورى » .

(٢) الأثر ٤٩٠ – ذكره ابن كثير ١ : ١٠٥ ، والدر المنثور ١ : ٣٥ ، بنحوه .

فالذى هو أولى بتأويل قوله: « وأنتم تعلمون » — إذْ كان ما كان عند العرب من العلم بوحدانيّة الله ، وأنه مُبدعُ الخلق وخالقهم ورازقهم ، نظيرَ الذى كان من ذلك عند أهل الكتابين ، ولم يكن فى الآية دلالة على أنّ الله جل ثناؤه عنى بقوله: « وأنتم تعلمون » أحدَ الحزبين ، بل مُخرَج الخطاب بذلك عامٌّ للناس كافةً لهم ، لأنه تحدّى الناس كلهم بقوله: « يا أيها الناس اعبدُوا ربكم » — أن يكون تأويلُهُ ما قاله ابنُ عباس وقتادة ، من أنه يعنى بذلك كل مكلف ، عالم بوحدانية الله[1] ، وأنه لاشريكَ له فى خلقه ، يُشرِك معه فى عبادته غيرَه ، كائناً من كان من الناس ، عربيًّا كان أو أعجميًّا ، كاتباً أو أميًّا ، وإن كان الخطابُ لكفار أهل الكتابِ الذين كانوا حَوالىْ دار هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأهل النفاق منهم ، وممن بينَ ظهرانيهم ممّن كان مشركاً فانتقل إلى النفاق بمقدَم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِى رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ﴾

قال أبو جعفر : وهذا من الله عز وجل احتجاجٌ لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على مشركى قومه من العرب ومنافقيهم ، وكفار أهل الكتاب وُضلاّلهم ، الذين افتتح بقصَصهم قولَه جل ثناؤه: « إنّ الذين كفروا سَواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم » ، وإياهم يخاطب بهذه الآيات ، وضُرباءَهم يَعنى بها[2] ، قال الله جلّ

(١) فى المخطوطة : « من أنه معنى بذلك . . . » ، وهما سواء .

(٢) فى المطبوعة : « وأخبر بأهم نعوتها » ، وهى فى المخطوطة « وحرباهم نعى بها » غير منقوطة ولا بينة ، فاختار المصححون لها قراءة لا تحمل معنى ! والضرباء : جمع ضريب ؛ فلان ضريب فلان : نظيره أو مثله .

ذكر من قال : عنى بذلك أهلَ الكتابين :

٤٨٨ – حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد: « فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون » ، أنه إله واحدٌ فى التوراة والإنجيل.

٤٨٩ – حدثنى المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا قَبيصة ، قال : حدثنا سفيان ، عن مجاهد ، مثله[1] .

٤٩٠ – حدثنى المثنى ، قال : حدثنا أبو حُذيفة ، قال: حدثنا شِبْل ، عن ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد: « وأنتم تعلمون » ، يقول: وأنتم تعلمون أنّه لا ندّ له فى التوراة والإنجيل[2] .

قال أبو جعفر : وأحسَب أنّ الذى دَعا مجاهداً إلى هذا التأويل، وإضافة ذلك إلى أنه خطاب لأهل التوراة والإنجيل دُون غيرهم – الظنُّ منه بالعرب أنها لم تكن تعلم أنّ اللهَ خالقها ورازقها ، بجحودها وحدانيةَ ربِّها، وإشراكها معه ١٢٨/١
فى العبادة غيره . وإنّ ذلك لَقولٌ ! ولكنّ الله جلّ ثناؤه قد أخبرَ فى كتابه عنها أنها كانت تُقر بوحدانيته ، غير أنها كانت تُشرك فى عبادته ما كانت تُشرك فيها ، فقال جل ثناؤه : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ ﴾ [سورة الزخرف : ٨٧] ، وقال : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ والأَرْضِ ، أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ ، وَمَنْ يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ ، وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ ، فَسَيَقُولُونَ اللهُ ، فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ ﴾ [سورة يونس : ٣١] .

---

(١) الإسناد ٤٨٩ – قبيصة ، بفتح القاف : هو ابن عقبة بن محمد السوائى الكوفى ، وهو ثقة معروف ، من شيوخ البخارى ، وأخرج له أصحاب الكتب الستة ، تكلم بعضهم فى روايته عن سفيان الثورى ، بأنه يخطئ فى بعض روايته ، بأنه سمع من الثورى صغيراً ، ولكن لم يجرحه البخارى فى الكبير ٤ / ١ / ١٧٧ ، وقال ابن سعد فى الطبقات ٦ : ٢٨١ : « كان ثقة صدوقاً ، كثير الحديث عن سفيان الثورى » . وسأل ابن أبى حاتم (الجرح ٣ / ٢ / ١٢٦) أباه عن قبيصة وأبى حذيفة ، فقال : « قبيصة أجل عندى ، وهو صدوق . لم أر أحداً من المحدثين يأتى بالحديث على لفظ واحد لا يغيره ، سوى قبيصة بن عقبة ، وعلى بن الجعد ، وأبى نعيم – فى الثورى » .

(٢) الأثر ٤٩٠ – ذكره ابن كثير ١ : ١٠٥ ، والدر المنثور ١ : ٣٥ ، بنحوه .

فالذى هو أولى بتأويل قوله: « وأنتم تعلمون » — إذْ كان ما كان عند العرب من العلم بوحدانيّة الله ، وأنه مُبدعُ الخلق وخالقهم ورازقهم ، نظيرَ الذى كان من ذلك عند أهل الكتابين ، ولم يكن فى الآية دلالة على أنّ الله جل ثناؤه عنى بقوله: « وأنتم تعلمون » أحدَ الحزبين ، بل مُخرَج الخطاب بذلك عامٌّ للناس كافةً لهم ، لأنه تحدّى الناس كلهم بقوله: « يا أيها الناس اعبدُوا ربكم » — أن يكون تأويلُهُ ما قاله ابنُ عباس وقتادة ، من أنه يعنى بذلك كل مكلف ، عالم بوحدانية الله[1] ، وأنه لا شريكَ له فى خلقه ، يُشرِك معه فى عبادته غيرَه ، كائناً من كان من الناس ، عربيًّا كان أو أعجميًّا ، كاتباً أو أميًّا ، وإن كان الخطابُ لكفار أهل الكتابِ الذين كانوا حَوالىْ دار هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأهل النفاق منهم ، وممن بينَ ظهرانيهم ممّن كان مشركاً فانتقل إلى النفاق بمقدَم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِى رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ﴾

قال أبو جعفر : وهذا من الله عز وجل احتجاجٌ لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على مشركى قومه من العرب ومنافقيهم ، وكفار أهل الكتاب وُضلاّلهم ، الذين افتتح بقصَصهم قولَه جل ثناؤه: « إنّ الذين كفروا سَواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم » ، وإياهم يخاطب بهذه الآيات ، وضُرباءَهم يَعنى بها[2] ، قال الله جلّ

(١) فى المخطوطة : « من أنه معنى بذلك . . . » ، وهما سواء .

(٢) فى المطبوعة : « وأخبر بأهم نعوتها » ، وهى فى المخطوطة « وحرباهم نعى بها » غير منقوطة ولا بينة ، فاختار المصححون لها قراءة لا تحمل معنى ! والضرباء : جمع ضريب ؛ فلان ضريب فلان : نظيره أو مثله .

ثناؤه لهم : وإن كنتم أيها المشركون من العرب والكفارُ من أهل الكتابين ، فى شكٍّ — وهو الريب — مما نزّلنا على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم من النور والبرهان وآيات الفرقان : أنه من عندى ، وأنّى الذى أنزلته إليه ، فلم تُؤمنوا به ولم تصدّقوه فيما يقول ، فأتوا بحجة تدفع حُجته ، لأنكم تعلمون أن حجةَ كلّ ذى نبوّة على صدقه فى دعواه النبوة : أن يأتى ببرهان يَعجز عن أن يأتىَ بمثله جَميعُ الخلق . ومن حجة محمد صلى الله عليه وسلم على صدقه ، وبُرْهانه على حقيقة نبوته[1] ، وأنّ ما جاء به من عندى — عَجزُ جميعكم وجميع من تستعينون به من أعوانكم وأنصاركم ، عن أن تَأتوا بسورةٍ من مثله. وإذا عَجزتم عن ذلك — وأنتم أهل البراعة فى الفصاحة والبلاغة والذّرابة[2] — فقد علمتم أن غيركم عما عَجزتم عنه من ذلك أعْجزُ . كما كانَ برهانُ من سَلف من رُسلى وأنبيائى على صدْقه ، وحُجتهُ على نبوته من الآيات ، ما يَعجز عن الإتيان بمثله جميعُ خلقى . فيتقرر حينئذ عندكم أنّ محمداً لم يتقوّله ولم يختلقْه ، لأنّ ذلك لو كان منه اختلاقاً وتقوُّلاً لم تعجزوا وجميع خلقى عن الإتيان بمثله . لأن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يَعْدُ أن يكون بَشراً مثلكم ، وفى مثل حالكم فى الجسم وبَسطة الخلق وذرَابة اللسان — فيمكن أن يُظنّ به اقتدارٌ على ما عَجزْتم عنه ، أو يتوهم منكم عجزٌ عما اقتدر عليه .

ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « فأتوا بسورَة من مثله » .

٤٩١ — فحدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة : « فأتوا بسورة من مثله » ، يعنى : من مثل هذا القرآن حقًّا وصدْقاً ، لا باطل فيه ولا كذب . ١٢٩/١

٤٩٢ — حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أنبأنا عبد الرزّاق ، قال : أخبرنا

---

(١) فى المطبوعة : « وبرهانه على نبوته » .

(٢) فى المطبوعة : « والدراية » ، ولا معنى لها هنا ، وستأتى بعد أسطر على الصواب . والذرابة : الحدة فى كل شىء ، وحدة اللسان وفصاحته ولدده . ذرب الرجل يذرب ذرباً وذرابة : فصح وصار حديد اللسان ، فهو ذرب اللسان (بفتح الذال وكسر الراء) .

معمر، عن قتادة في قوله: «فأتوا بسورة من مثله»، يقول: بسورة مثل هذا القرآن[١].

٤٩٣ – حدثني محمد بن عمرو الباهلي، قال: حدثنا أبو عاصم، عن عيسى ابن ميمون، عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد: «فأتوا بسورة من مثله»، مثل القرآن.

٤٩٤ – حدثنا المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

٤٩٥ – حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: «فأتوا بسورة من مثله»، قال: «مثله» مثل القرآن[٢].

فمعنى قول مجاهد وقتادة الذي ذكرنا عنهما[٣]: أن الله جل ذكره قال لمن حاجه في نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من الكفار: فأتوا بسورة من مثل هذا القرآن من كلامكم أيها العرب، كما أتى به محمد بلغاتكم ومعاني منطقكم.

وقد قال قوم آخرون: إن معنى قوله: «فأتوا بسورة من مثله»، من مثل محمد من البشر، لأن محمداً بشر مثلكم[٤].

قال أبو جعفر: والتأويل الأول، الذي قاله مجاهد وقتادة، هو التأويل الصحيح. لأن الله جل ثناؤه قال في سورة أخرى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ [سورة يونس: ٣٨]، ومعلوم أن السورة ليست لمحمد بنظير ولا شبيه، فيجوز أن يقال: فأتوا بسورة مثل محمد.

فإن قال قائل: فإنك ذكرت أن الله عنى بقوله[٥]: «فأتوا بسورة من مثله»،

---

(١) الأثر ٤٩٢ – في الدر المنثور ١ : ٣٥، والشوكاني ١ : ٤٠.

(٢) الآثار ٤٩٣ – ٤٩٥ في الدر المنثور ١ : ٣٥، والشوكاني ١ : ٤٠، وابن كثير ١ : ١٠٨.

(٣) في المطبوعة: «اللذين ذكرنا عنهما».

(٤) يعني فأتوا بسورة من عند بشر مثل محمد.

(٥) في المطبوعة: «إنك ذكرت»، بغير فاء.

من مثل هذا القرآن ، فهل للقرآن من مثل فيقال : ائتوا بسورة من مثله ؟

قيل : إنه لم يعنِ به : ائتُوا بسورة من مثله فى التأليف والمعانى التى باينَ بها سائرَ الكلام غيرَه ، وإنما عنى : ائتوا بسورة من مثله فى البيان ، لأنّ القرآن أنزله الله بلسان عربىّ ، فكلام العرب لا شك له مثلٌ فى معنى العربية . فأمّا فى المعنى الذى باين به القرآن سائرَ كلام المخلوقين ، فلا مثلَ له من ذلك الوجه ولا نظيرَ ولا شبيه .

وإنما احتجّ الله جلّ ثناؤه عليهم لنبيه صلى الله عليه وسلم بما احتج به لهُ عليهم من القرآن[1] ، إذْ ظهر عجز القوم عن أن يأتوا بسورة من مثله فى البيان ، إذْ كان القرآن بياناً مثلَ بيانهم ، وكلاماً نزل بلسانهم ، فقال لهم جلّ ثناؤه : وإن كنتم فى رَيب من أنّ ما أنزلتُ على عَبدى من القرآن من عندى ، فأتوا بسورة من كلامكم الذى هو مثلُه فى العربية ، إذْ كنتم عرباً ، وهو بيانٌ نظيرُ بيانكم ، وكلامٌ شبيهُ كلاميكم . فلم يكلفهم جل ثناؤه أن يأتوا بسورة من غير اللسان الذى هو نظيرُ اللسان الذى نزل به القرآن ، فيقدِرُوا أن يقولُوا : كلفتنا ما لو أحسنّاه أتينا به ، وإنا لا نقدر على الإتيان به لأنا لسنا من أهل اللسان الذى كلفتنا الإتيان به ، فليس لك علينا بهذا حجة[2]. لأنا — وإن عَجزنا عن أن نأتى بمثله من غير ألسنتنا لأنّا لسنا من أهله[3] — فى الناس خلقٌ كثير من غير أهل لساننا يقدرُ على أن يأتىَ بمثله من اللسان الذى كلفتنا الإتيان به . ولكنه جل ثناؤه قال لهم : ائتوا بسورة من مثله ، لأن مثله من الألسن ألسنكم[4]. وأنتم — إن كان محمدٌ اختلقه وافتراه ، إذا اجتمعتم وتظاهرتُم على الإتيان بمثل سورة منه من لسانكم وبيانكم —

---

(١) فى المطبوعة : « بما احتج له عليهم » ، أسقط « به » .
(٢) فى المطبوعة : « حجة بهذا » على التأخير .
(٣) فى المطبوعة : « لسنا بأهله » .
(٤) فى المطبوعة : « ألسنتكم » .

أقدرُ على اختلاقه ورَصْفِه وتأليفه من محمد صلى الله عليه وسلم[١]، وإن لم تكونوا أقدرَ عليه منه ، فلن تعجزوا – وأنتم جميعٌ – عما قدَر عليه محمدٌ من ذلك وهو وحيدٌ[٢] ، إن كنتم صادقين فى دعواكم وزعمكم أنّ محمداً افتراه واختلقه ، وأنه من عند غيرى .

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : ﴿ وَٱدْعُوا شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (٢٣)

فقال ابن عباس بما :

٤٩٦ – حدثنا به محمد بن حميد، قال: حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق، عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد ، عن ابن عباس : « وادعوا شُهداءكم من دون الله »، يعنى أعوانكم على ما أنتم عليه ، إن كنتم صادقين . ١٣٠/١

٤٩٧ – حدثنى محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد : « وادعوا شُهداءكم »، ناس يَشهدون .

٤٩٨ – حدثنى المثنى ، قال: حدثنا أبو حذيفة ، قال: حدثنا شبل ، عن ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد ، مثله .

٤٩٩ – حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد ، قال : قوم يشهدون لكم .

---

(١) يقول : «وأنتم . . . أقدر على اختلاقه . . . » ، مبتدأ وخبر ، وما بينهما فصل . وفى المطبوعة مكان « ورصفه » ، « ووضعه » . والرصف : ضم الشيء بعضه إلى بعض ونظمه وإحكامه حتى يستوى . ومنه : كلام رصيف : أى محكم لا اختلاف فيه .

(٢) فى المطبوعة « وهو وحده » ، وهذه أجود .

٥٠٠ — حدثنا القاسم، قال : حدثنا الحسين، قال : حدثني حجاج، عن ابن جُريج، عن مجاهد : « وادعوا شهداءكم »، قال : ناس يشهدون . قال ابن جُريج : « شهداءكم » عليها إذا أتيتم بها — أنها مثلُه، مثل القرآن[1] .

وذلك قول الله لمن شكّ من الكفار فيما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم .

وقوله « فادعوا »، يعني : استنصروا واستغيثوا[2]، كما قال الشاعر :

فَلَمَّا التقت فُرْسانُنَا ورجالُهُم دَعَوْا: يا لَكَعْبٍ! واعتَزَيْنا لِعَامِرِ[3]

يعني بقوله : « دعوا يالكعب »، استنصروا كعباً واستغاثوا بهم[4] .

وأما الشهداء، فإنها جمعُ شهيد، كما الشركاء جمع شريك[5]، والخطباء جمع خطيب. والشهيد يسمى به الشاهدُ على الشيء لغيره بما يحقّق دعواه . وقد يسمّى به المشاهِدُ للشيء، كما يقال: فلان جليسُ فلان — يعني به مُجالسَه، ونديمه — يعني به منادِمَه، وكذلك يقال : شهيده — يعني به مُشاهِدَه .

فإذا كانت « الشهداء » محتملةً أن تكون جمعَ « الشهيد » الذى هو منصرف للمعنيين اللذين وصفتُ، فأولى وجهيه بتأويل الآية ما قاله ابن عباس، وهو أن يكون معناه: واستنصروا على أن تأتوا بسورة من مثله أعوانَكم وشُهداءَكم الذين يُشاهدونكم ويُعاونونكم على تكذيبكم الله ورسوله، ويُظاهرونكم على كفركم ونفاقكم، إن كنتم مُحقّين فى جُحودكم أنّ ما جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم اختلاق وافتراء، لتمتحنوا أنفسكم وغيرَكم: هل تقدرون على أن تأتوا بسورة من

---

(١) الآثار ٤٩٦ — ٥٠٠ : فى ابن كثير ١ : ١٠٨ بعضها، والدر المنثور ١ : ٣٥، والشوكانى ١ : ٤٠، وفى المخطوطة فى بعض المواضع : « أناس » مكان « ناس »، وهما سواء .

(٢) فى المطبوعة : « واستعينوا »، وهما متقاربتان، والأولى أجود، وهى كذلك فى معانى القرآن للفراء ١ : ١٩ .

(٣) البيت للراعى النميرى، اللسان (عزا) . واعتزى : انتسب، ودعا فى الحرب بمثل قوله : يا لفلان، أو يا للمهاجرين، أو يا للأنصار، والاسم العزاء والعزوة، وهى دعوى المستغيث .

(٤) فى المطبوعة : « واستعانوا »، كما سلف فى أختها قبل .

(٥) فى المطبوعة : « كالشركاء » .

مثله ، فيقدرَ محمد على أن يأتى بجميعه من قِبَل نفسه اختلاقاً ؟

وأما ما قاله مجاهد وابن جُريج فى تأويل ذلك ، فلا وجه له . لأن القوم كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أصنافاً ثلاثة : أهل إيمان صحيح ، وأهل كفر صحيح ، وأهلَ نفاق بين ذلك . فأهل الإيمان كانوا بالله وبرسوله مؤمنين ، فكان من المحال أن يدّعى الكفار أن لهم شُهداء — على حقيقة ما كانوا يأتون به ، لو أتوا باختلاق من الرسالة ، ثم ادّعوا أنه للقرآن نظير — من المؤمنين [1]. فأما أهلُ النفاق والكفر ، فلا شكّ أنهم لو دُعوا إلى تحقيق الباطل وإبطال الحق لتتارعوا إليه مع كفرهم وضلالهم [2] ، فمن أى الفريقين كانت تكون شُهداؤهم لو ادعوْا أنهم قد أتوْا بسورة من مثل القرآن [3] ؟

ولكنْ ذلك كما قال جل ثناؤه : ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [سورة الإسراء: ٨٨] ، فأخبر جل ثناؤه فى هذه الآية ، أنّ مثل القرآن لا يأتى به الجنّ والإنس ولو تظاهروا وتعاونوا على الإتيان به ، وتحدّاهم بمعنى التوبيخ لهم فى سورة البقرة فقال تعالى : « وإنْ كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إنْ كنتمْ صادقين » . يعنى بذلك : إن كنتم فى شكّ فى صدق محمد فيما جاءكم به من عندى أنه من عندى ، فأتوا بسورة ١٣١/١

(١) قوله « من المؤمنين » متعلق بقوله آنفاً « أن لهم شهداء . . . » ، يعنى شهداء من المؤمنين . ثم فصل ، لأن قوله « على حقيقة ما كانوا يأتون به . . . » متعلق أيضاً ، بشهداء .

(٢) فى المطبوعة : « لسارعوا إليه مع كفرهم وضلالهم » . وتترع إلى الشىء : تسرع إليه ، يقال فى التسرع إلى الشر وما لا ينبغى . وما فى المخطوطة « تتارعوا » صحيح فى اشتقاق العربية ، وإن لم تذكره المعاجم ، وهو مثل تسرع وتسارع ، سواء .

(٣) فى المطبوعة « فمن أى الفرق . . . » ، وكلام الطبرى استفهام واستنكار . لأن من المحال أن يشهد المؤمنون على هذا الباطل ، والكفار وأهل النفاق يتسرعون إلى الشهادة بالباطل لإبطال الحق ، فكان محالا أن يكون معنى « الشهداء » هنا : الذين يشهدون لهم ، أن ما جاءوا به نظير ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى . وصار حتما أن يكون معنى « الشهداء » : الذين يظاهرونهم ويعاونونهم ، كما جاء فى الآية التالية .

من مثله ، وليستنصر بعضُكم بعضاً على ذلك إن كنتم صادقين فى زعمكم ، حتى تعلموا أنكم إذْ عَجزتم عن ذلك — أنّه لا يقدر على أن يأتى به محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا من البشر أحدٌ ، وَيصحَّ عندكم أنه تنزيلى وَوحيى إلى عبدى .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾

قال أبو جعفر: يعنى تعالى ذكره بقوله: « فإن لم تفعلوا » ، إن لم تأتوا بسورة من مثله ، فقد تظاهرتم أنتم وشركاؤكم عليه وأعوانكم [1] ، فتبين لكم بامتحانكم واختباركم عَجزكم وَعجزُ جميع خلقى عنه ، وعلمتم أنه من عندى ، ثم أقمتم على التكذيب به .

وقوله: « ولن تفعلوا » ، أى لن تأتوا بسورة من مثله أبداً .

٥٠١ — كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال: حدثنا يزيد، عن سعيد ، عن قتادة: « فإن لم تفعلوا ولنْ تفعلوا » ، أى لا تقدرون على ذلك ولا تطيقونه [2] .

٥٠٢ — حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن أبى محمد، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا » ، فقد بَين لكم الحق [3] .

---

(١) فى المطبوعة : « وقد تظاهرتم » ، وما فى المخطوطة أجود ، وسيأتى بعد قليل بيان ذلك .

(٢) الأثر ٥٠١ — ذكره السيوطى ١ : ٣٥ بنحوه ، ونسبه لعبد بن حميد وابن جرير . وكتب فيه خطأ مطبعياً « ابن جريج » .

(٣) الأثران ٥٠١ ، ٥٠٢ — فى الدر المنثور ١ : ٣٥ ، والشوكانى ١ : ٤٠ . ولفظ الطبرى فى تفسير هذه الآية وفى التى تليها ، وما استدل به من الأثر الأخير ، يدل على أنه يرى أن جواب الشرط محذوف ، لأنه معلوم قد دل عليه السياق ؛ وجواب الشرط « فقد بين لكم الحق ، وأقمتم على التكذيب به وبرسولى » ، ثم قال مستأنفاً : « فاتقوا أن تصلوا النار بتكذيبكم رسولى ، أنه جاءكم بوحيى وتنزيلى ، بعد أن تبين لكم أنه كتابى ومن عندى » .

ولم أجد من تنبه لهذا غير الزمخشرى، فإنه قال فى تفسير الآية من كتابه « الكشاف » ما نصه : « فإن قلت : ما معنى اشتراطه فى اتقاء النار ، انتفاء إتيانهم بسورة من مثله ؟ قلت : إنهم إذا لم يأتوا بها ،

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله « فاتقوا النار » ، يقول : فاتقوا أن تَصْلَوُا النار بتكذيبكم رسولى بما جاءكم به من عندى أنه من وحيي وتنزيلى ، بعدَ تبيُّنكم أنه كتابى ومن عندى ، وقيام الحجة عليكم بأنه كلامى ووحيي ، بعجزكم وعجز جميع خلقى عن أن يأتوا بمثله .

ثم وصف جل ثناؤه النارَ التى حذرهم صِلِيَّها فأخبرهم أنّ الناس وَقودها ، وأن الحجارة وَقُودها ، فقال : « التى وَقودها الناس والحجارة » ، يعنى بقوله : «وَقُودُها» حَطبها ، والعرب تجعله مصدراً وهو اسم ، إذا فتحت الواو ، بمنزلة الحطب . فإذا ضَمت الواو من « الوقود » كان مصدراً من قول القائل : وَقَدَت النارُ فهى تَقِد وُقوداً وقِدَة ووَقَداناً وَوَقْداً ، يراد بذلك أنها التهبتْ .

فإن قال قائل : وكيف خُصَّت الحجارة فقرنت بالناس ، حتى جعلت لنار جهنم حَطباً ؟

وتبين عجزهم عن المعارضة ، صح عندهم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم . وإذا صح عندهم صدقه ، ثم لزموا العناد ولم ينقادوا ولم يشايعوا ، استوجبوا العقاب بالنار . فقيل لهم : إن استبنتم العجز فاتركوا العناد . فوضع « فاتقوا النار » موضعه ، لأن اتقاء النار لصيقه وضميمه ترك العناد ، من حيث إنه من نتائجه . لأن من اتقى النار ترك المعاندة . ونظيره أن يقول الملك لحشمه : « إن أردتم الكرامة عندى ، فاحذروا سخطى » . يريد : فأطيعونى واتبعوا أمرى ، وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط . وهو من باب الكناية التى هى شعبة من شعب البلاغة . وفائدته : الإيجاز ، الذى هو حلية القرآن ، وتهويل شأن العناد ، بإنابة اتقاء النار منابه ، وإبرازه فى صورته ، مشيعاً ذلك بتهويل صفة النار وتفظيع أمرها » .

فقد تبين بهذا مراد الطبرى ، وأنه أراد أن يبين أن اتقاء النار غير داخل فى الشرط ، ولا هو من جوابه ، ليخرج بذلك من أن يكون معنى الكلام : قصر اتقائهم النار ، على عجزهم عن الإتيان بمثله . وتفسير الآتى دال على هذا المعنى تمام الدلالة . وهو من دقيق نظر الطبرى رحمه الله وغفر للزمخشرى .

قيل : إنها حجارةُ الكبريت ، وهى أشد الحجارة — فيما بلغنا — حرًّا إذا أحميت .

٥٠٣ — كما حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا أبو معاوية ، عن مسعر ، عن عبد الملك بن مَيسرة الزرَّاد ، عن عبد الرحمن بن سَابط ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله بن مسعود ، فى قوله : « وقودُها الناس والحجارة » ، قال : هى حجارة من كبريت ، خلقها الله يومَ خلق السموات والأرض فى السماء الدنيا ، يُعدّها للكافرين .

٥٠٤ — حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أنبأنا عبد الرزّاق ، قال : أنبأنا ابن عُيينة ، عن مِسعر ، عن عبد الملك الزرَّاد ، عن عمرو بن ميمون ، عن ابن مسعود فى قوله : « وقودها الناسُ والحجارة » ، قال : حجارة الكبريت ، جعلها الله كما شاء[1] .

---

(١) الخبر ٥٠٣ ، ٥٠٤ — مسعر ، بكسر الميم وسكون السين وفتح العين المهملتين : هو ابن كدام — بكسر الكاف وتخفيف الدال ، وهو ثقة معروف ، أحد الأعلام . عبد الملك بن ميسرة الهلالى الكوفى الزراد ، نسبة إلى عمل الزرود : ثقة كثير الحديث ، من صغار التابعين . عبد الرحمن بن سابط الجمحى المكى : تابعى ثقة . عمرو بن ميمون الأودى : من كبار التابعين المخضرمين ، كان مسلماً فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يره .

وهذا الخبر رواه الطبرى بهذين الإسنادين وبالإسناد الآتى : ٥٠٧ . وفى الأول والثالث أن عبد الملك ابن ميسرة يرويه عن عبد الرحمن بن سابط عن عمرو بن ميمون ، وفى الثانى : ٥٠٤ « عبد الملك الزراد عن عمرو بن ميمون » مباشرة ، بحذف « عبد الرحمن بن سابط » . ولو كان هذا الإسناد وحده لحمل على الاتصال ، لوجود المعاصرة ، فإن عبد الملك الزراد يروى عن ابن عمر المتوفى سنة ٧٤ ، وعمرو بن ميمون مات سنة ٧٤ أو ٧٥ . ولكن هذين الإسنادين : ٥٠٣ ، ٥٠٤ دلا على أنه إنما رواه عن عبدالرحمن ابن سابط عن عمرو بن ميمون .

والخبر رواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٢٦١ ، من طريق محمد بن عبيد عن مسعر عن عبد الملك الزراد عن عبد الرحمن بن سابط عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود . فهذه طريق ثالثة تؤيد الطريقين اللذين فيهما زيادة عبد الرحمن فى الإسناد . وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبى . وذكره ابن كثير ١ : ١١٠ — ١١١ من رواية الطبرى ، ونسبه لابن أبى حاتم والحاكم ، ونقل تصحيحه إياه ولم يتعقبه . وذكره السيوطى ١ : ٣٦ وزاد نسبته إلى : عبد الرزاق ، وسعيد بن منصور ، والفريابى ، وهناد بن السرى فى كتاب الزهد ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، والطبرانى فى الكبير ، والبيهقى فى الشعب .

٥٠٥ – حدثني موسى بن هرون، قال : حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط ، عن السُّدّى فى خبر ذكره ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس – وعن مُرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : « اتقوا النار التى وَقودُها الناس والحجارة »، أما الحجارة ، فهى حجارةٌ فى النار من كِبْريت أسْوَد ، يُعذبون به مع النار[1] .

٥٠٦ – حدثنا القاسم ، قال: حدثنا الحسين ، قال : حدثنى حجاج ، عن ابن جُريج فى قوله: « وقودها الناس والحجارة »، قال: حجارة من كبريت أسودَ فى النار ، قال : وقال لى عمرو بن دينار : حجارةٌ أصلب من هذه وأعظم[2].

٥٠٧ – حدثنا سفيان بن وكيع ، قال: حدثنا أبى، عن مسعر ، عن عبد الملك ابن مَيسرة ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : حجارةٌ من الكبريت خَلقها الله عنده كيفَ شاء وكما شاء[3] .

• • •

القول فى تأويل قوله : ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ (٢٤)

١٣٢/١ قد دللنا فيما مضى من كتابنا هذا ، على أن « الكافر » فى كلام العرب ، هو الساتر شيئاً بغطاء[4] ، وأن الله جل ثناؤه إنما سمى الكافر كافراً، لجحوده آلاءه عنده ، وتغطيته نَعماءَه قِبَلَه .

فمعنى قوله إذاً: « أعدت للكافرين »، أعدّت النارُ للجاحدين أنّ الله رَبُّهم المتوحِّدُ بخلقهم وخلق الذين من قبلهم، الذى جَعل لهم الأرض فراشاً ، والسماء

(١) الخبر ٥٠٥ – ذكره ابن كثير ١ : ١١١ دون أن ينسبه ، والسيوطى ١ : ٣٦ ، ونسبه لابن جرير وحده .
(٢) الأثر ٥٠٦ – فى ابن كثير ١ : ١١١ دون نسبة .
(٣) الخبر ٥٠٧ – سبق تفصيل إخراجه مع ٥٠٣ ، ٥٠٤ .
(٤) انظر ما مضى : ٢٥٥ .

بناءً ، وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لهم — المشركينَ معه فى عبادته الأندادَ والآلهة[١] ، وهو المتفرد لهم بالإنشاء ، والمتوحِّد بالأقوات والأرزاق[٢] .

٥٠٨ — كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد ، عن ابن عباس : « أعدت للكافرين » ، أى لمن كان على مثل ما أنتم عليه من الكفر[٣] .

* * *

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ ﴾

قال أبو جعفر : أما قوله تعالى : « وبشِّر » ، فإنه يعنى : أخبرهم . والبشارة أصلها الخبرُ بما يُسَرُّ به المخبَرُ ، إذا كان سابقاً به كل مخبِرٍ سواه .

وهذا أمر من الله تعالى نبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم بإبلاغ بشارته خلقَه الذين آمنوا به وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عند ربه ، وصدّقوا إيمانهم ذلك وإقرارهم بأعمالهم الصالحة ، فقال له : يا محمد ، بشِّرْ من صدّقك أنك رسولى — وأن ما جئتَ به من الهدى والنور فمن عندى ، وحقّق تصديقَه ذلك قولاً بأداء الصالح من الأعمال التى افترضتُها عليه ، وأوجبتُها فى كتابى على لسانك عليه — أنّ له جنات تجرى من تحتها الأنهار ، خاصةً ، دون من كذّب بك وأنكرَ ما جئته به من الهدى من عندى وعاندك[٤] ، ودون من أظهر تصديقك[٥] ، وأقرّ

---

(١) قوله « المشركين » من صفة قوله آنفاً : « للجاحدين » .

(٢) فى المخطوطة : « بالأشياء » ، وهو خطأ .

(٣) الخبر ٥٠٨ — فى ابن كثير ١ : ١١١ ، والدر المنثور ١ : ٣٦ ، والشوكانى ١ : ٤١ .

(٤) فى المطبوعة : « ما جئت به من الهدى » .

(٥) فى المخطوطة : « دون من أظهر . . . » بحذف الواو ، وهو قريب فى المعنى .

أنّ ما جئته به فمن عندى قولاً ، وجحده اعتقاداً ، ولم يحققه عملاً . فإن لأولئك النارَ التى وقُودها الناسُ والحجارة ، مُعدةً عندى .

والجنات : جمع جنة ، والجنة : البستان .

وإنما عَنى جلّ ذكره بذكر الجنة : ما فى الجنة من أشجارها وثمارها وغروسها ، دون أرضها — ولذلك قال عز ذكره[1] : « تجرى من تحتها الأنهار » . لأنّه معلومٌ أنه إنما أراد جل ثناؤه الخبرَ عن ماء أنهارها أنه جارٍ تحت أشجارها وغروسها وثمارها ، لا أنّه جارٍ تحت أرضها . لأن الماء إذا كان جارياً تحت الأرض ، فلا حظّ فيها لعيون مَنْ فوقها إلا بكشف الساتر بينها وبينه . على أنّ الذى تُوصف به أنهارُ الجنة ، أنها جارية فى غير أخاديد .

٥٠٩ — كما حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا الأشجعى ، عن سفيان ، عن عمرو بن مرة ، عن أبى عُبيدة ، عن مسروق ، قال : نخل الجنة نَضيدٌ من أصْلها إلى فرعها ، وثمرها أمثالُ القِلال ، كلما نُزعت ثمرة عادتْ مكانها أخرى ، وماؤها يَجرى فى غير أخدود[2] .

٥١٠ — حدثنا مجاهد [بن موسى] ،[3] قال : حدثنا يزيد ، قال : أخبرنا مِسعر بن كدام ، عن عمرو بن مرة ، عن أبى عُبيدة ، بنحوه .

٥١١ — وحدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا ابن مهدى ، قال : حدثنا سفيان ، قال : سمعت عمرو بن مرة يحدث ، عن أبى عبيدة — فذكر مثله — قال : فقلت لأبى عُبيدة : من حدّثك ؟ فغضب ، وقال : مسروق .

---

(١) فى المطبوعة : « فلذلك قال . . . » ، وما فى المخطوطة أجود .

(٢) الأثر ٥٠٩ — فى الدر المنثور ١ : ٣٨ . وقال ابن كثير فى تفسيره ١ : ١١٣ : « وقد جاء فى الحديث أن أنهارها تجرى فى غير أخدود » ، ولم يبين ، وانظر ما سيأتى رقم : ٥١٧

(٣) الإسناد ٥١٠ — الزيادة بين القوسين من المخطوطة ، وهو مجاهد بن موسى بن فروخ الخوارزمى ، أبو على الختلى (بضم ففتح) ، وثقه ابن معين والنسائى وغيرهما . مترجم فى التهذيب ، وترجمه البخارى فى الكبير ٤ / ١ / ٤١٣ ، والصغير : ٢٤٥ ، والخطيب فى تاريخ بغداد ١٣ : ٢٦٥ — ٢٦٦ وابن الأثير فى اللباب ١ : ٣٤٥ . مات مجاهد هذا فى رمضان سنة ٢٤٤ . وشيخه يزيد : هو يزيد بن هرون .

فإذا كان الأمر كذلك ، فى أنّ أنهارَها جارية فى غير أخاديد ، فلا شكّ أنّ الذى أريدَ بالجنات : أشجارُ الجنات وغروسها وثمارها دون أرضها ، إذ كانت أنهارُها تجرى فوق أرضها وتحتَ غروسها وأشجارها ، على ما ذكره مسروق . وذلك أولى بصفة الجنة من أن تكون أنهارها جاريةً تحت أرضها .

وإنما رغّب الله جل ثناؤه بهذه الآية عبادَه فى الإيمان ، وحضّهم على عبادته بما أخبرهم أنه أعدّه لأهل طاعته والإيمان به عنده ، كما حذّرهم فى الآية التى قبلها بما أخبر من إعداده ما أعدّ — لأهل الكفر به ، الجاعلين معه الآلهةَ والأنداد — من عقابه عن إشراك غيره معه ، والتعرّض لعقوبته بركوب معصيته وترك طاعته[1] . ١٣٣/١

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « كلما رُزقوا منها » : من الجنات ، والهاء راجعةٌ على الجنات ، وإنما المعنىّ أشجارها ، فكأنه قال : كلما رُزقوا — من أشجار البساتين التى أعدّها الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات فى جناته — من ثمرة من ثمارها رزقاً قالوا : هذا الذى رُزقنا من قبل .

ثم اختلف أهلُ التأويل فى تأويل قوله : « هذا الذى رُزقنا من قَبل » .

فقال بعضهم : تأويل ذلك : هذا الذى رُزقنا من قبل هذا فى الدنيا .

ذكر من قال ذلك :

٥١٢ — حدثنى موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا

---

(١) فى المخطوطة : « والتفريق لعقوبته » ، ولا معنى لها .

أسباط ، عن السُّدّى فى خبر ذكره ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مُرّة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، قالوا : « هذا الذى رُزقنا من قبل » ، قال : إنهم أتوا بالثمرة فى الجنة ، فلما نظروا[1] إليها قالوا : هذا الذى رزقنا من قبلُ فى الدنيا .

٥١٣ — حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زُريع ، عن سعيد ، عن قتادة : « قالوا هذا الذى رُزقنا من قبل » ، أى فى الدنيا .

٥١٤ — حدثنى محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى بن ميمون ، عن ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد : « قالوا هذا الذى رزقنا من قبل » ، يقولون : ما أشبهه به .

٥١٥ — حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

٥١٦ — حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : « قالوا هذا الذى رزقنا من قبل » ، فى الدنيا ، قال : « وأتوا به مُتشابهاً » ، يعرفونه[2] .

قال أبو جعفر : وقال آخرون : بل تأويلُ ذلك : هذا الذى رزقنا من ثمار الجنة من قبل هذا ، لشدة مشابهة بعض ذلك فى اللون والطعم بعضاً . ومن علة قائلى هذا القول : أن ثمار الجنة كلما نزع منها شىءٌ عاد مكانه آخرُ مثله .

٥١٧ — كما حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا ابن مهدى ، قال : حدثنا سفيان ، قال : سمعت عمرو بن مُرّة يحدث ، عن أبى عُبيدة ، قال : نخل الجنة نضيد من أصلها إلى فرعها ، وثمرُها مثل القلال ، كلما نُزعت منها ثمرةٌ عادتْ مكانها أخرى[3] .

---

(١) فى الدر المنثور : « فينظروا » ، وفى الشوكانى : « فنظروا » ، وكذلك فى المخطوطة .

(٢) الآثار ٥١٢ — ٥١٦ : فى تفسير ابن كثير ١ : ١١٣ — ١١٤ ، والدر المنثور ١ : ٣٨ ، والشوكانى ١ : ٤٢ .

(٣) انظر الآثار السالفة رقم : ٥٠٩ — ٥١١ . وفى المخطوطة : « أمثال القلال » كما مر آنفاً .

قالوا : فإنما اشتبهت عند أهل الجنة ، لأن التى عادت ، نظيرةُ التى نُزعت فأُكِلت ، فى كل معانيها. قالوا : ولذلك قال الله جل ثناؤه : « وأتوا به متشابهاً » ، لاشتباه جميعه فى كل معانيه .

وقال بعضهم : بل قالوا : « هذا الذى رزقنا من قبل » ، لمشابهته الذى قبله فى اللون ، وإن خالفه فى الطعم .

ذكر من قال ذلك :

٥١٨ — حدثنا القاسم بن الحسين ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : حدثنا شيخ من المِصِّيصة ، عن الأوزاعى ، عن يحيى بن أبى كثير ، قال : يؤتى أحدهم بالصحفة فيأكل منها ، ثم يؤتى بأخرى فيقول : هذا الذى أتينا به من قبل . فيقول الملَك : كُلْ ، فاللونُ واحد والطعمُ مختلف[1] .

وهذا التأويل مذهب من تأوّل الآية . غير أنه يدفَع صحته ظاهرُ التلاوة . والذى يدل على صحته ظاهرُ الآية ويحقق صحته ، قول القائلين : إن معنى ذلك : هذا الذى رزقنا من قبلُ فى الدنيا . وذلك أن الله جلّ ثناؤه قال : « كلما رُزقوا منها من ثمرة رزقاً » ، فأخبر جل ثناؤه أنّ مِنْ قِيل أهل الجنة كلما رزقوا من ثمر الجنة رزقاً ، أن يقولوا : هذا الذى رُزقنا من قبلُ . ولم يخصص بأن ذلك من قِيلهم فى بعض ذلك دون بعض . فإذْ كان قد أخبر جلّ ذكره عنهم أن ذلك من قيلهم فى كل ما رزقوا من ثمرها ، فلا شكّ أن ذلك من قيلهم ١٣٤/١ فى أول رزق رُزقوه من ثمارها أتُوا به بعد دخولهم الجنة واستقرارهم فيها ، الذى لم يتقدّمه عندهم من ثمارها ثمرة . فإذْ كان لا شك أنّ ذلك من قِيلهم فى أوله ، كما هو من قيلهم فى أوْسطه وَما يَتلوه[2] — فمعلومٌ أنه مُحال أن يكون من قيلهم لأول رزق رُزقوه من ثمار الجنة : هذا الذى رُزقنا من قبل هذا من ثمار

(١) الأثر ٥١٨ — فى ابن كثير ١ : ١١٤ ، والدر المنثور ١ : ٣٨ .
(٢) فى المطبوعة : « فى وسطه » .

الجنة ! وكيف يجوز أن يقولوا لأول رزق رُزقوه من ثمارها ولمَّا يتقدمه عندهم غيره : هذا هو الذى رُزقناه من قبل ؟ إلا أن ينسبُهم ذو غَيَّة وضَلال إلى قيل الكذب الذى قد طهرهم الله منه[1] ، أو يدفعَ دافعٌ أن يكونَ ذلك من قيلهم لأول رزق رُزقوه منها من ثمارها ، فيدفعَ صحة ما أوجب الله صحّته بقوله : « كلما رُزقوا منها من ثمرة رزقاً » ، من غير نَصْب دلالة على أنه معنىّ به حالٌ من أحوالهم دون حال .

فقد تبيّن بما بيّنا أنّ معنى الآية : كلما رُزق الذين آمنوا وعملوا الصالحات من ثمرة من ثمار الجنة فى الجنة رزقاً قالوا : هذا الذى رُزقنا من قبل هذا فى الدنيا[2] .

فإن سألنا سائل ، فقال : وكيف قال القوم : هذا الذى رُزقنا من قبل ، والذى رُزقوه من قبل قد عُدم بأكلهم إياه ؟ وكيف يجوز أن يقول أهل الجنة قولاً لا حقيقة له ؟

قيل : إنّ الأمر على غير ما ذهبتَ إليه فى ذلك . وإنما معناه : هذا من النوع الذى رُزقناه من قَبل هذا ، من الثمار والرزق . كالرجل يقول لآخر : قد أعدّ لك فلانٌ من الطعام كذا وكذا من ألوان الطبيخ والشواء والحلوى . فيقول المقول له ذاك : هذا طعامى فى منزلى . يعنى بذلك : أن النوع الذى ذكر له صاحبه أنه أعدّه له من الطعام هو طعامُه ، لا أنّ أعيانَ ما أخبره صاحبه أنه قد أعده له ، هو طعامه . بل ذلك مما لا يجوز لسامع سمعه يقول ذلك ، أن يتوهم أنه أراده أو قصدَه ، لأن ذلك خلافُ مَخرَج كلام المتكلم . وإنما يوجَّه كلام كلّ متكلم إلى المعروف فى الناس من مخارجه ، دون المجهول من معانيه . فكذلك ذلك فى قوله : « قالوا هذا الذى رُزقنا من قبل » ، إذ كان ما كانوا رُزقوه من قبل قد فنى وعُدِم . فمعلوم أنهم عَنَوْا بذلك : هذا من النوع الذى رُزقناه من قبل ، ومن جنسه

---

(١) فى المطبوعة مكان قوله : « ذو غية » ، « ذو غرة » ، وفى المخطوطة : « ذو عته » . والعته : نقص العقل ، أو الجنون ، وأجودهن ما أثبته عن كتاب حادى الأرواح لابن قيم الجوزية ١ : ٢٦٨ ، حيث نقل نص الطبرى .

(٢) هذا التفصيل الذى ذكره الطبرى من جيد النظر فى معانى الكلام .

فى السِّمات والألوان[١] — على ما قد بينا من القول فى ذلك فى كتابنا هذا[٢] .

* * *

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَٰبِهًا ﴾ .

قال أبو جعفر : والهاء فى قوله : « وأتُوا به مُتشابهاً » عائدة على الرزق، فتأويله : وأتوا بالذى رُزقوا من ثمارها متشابهاً .

وقد اختلَفَ أهلُ التأويل فى تأويل « المتشابه » فى ذلك :

فقال بعضهم : تشابهه أنّ كله خيار لا رَذْلَ فيه .

ذكر من قال ذلك :

٥١٩ — حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : أخبرنا النضر بن شُميل، قال : أخبرنا أبو عامر ، عن الحسن فى قوله: « متشابهاً » قال : خياراً كُلَّها لا رَذل فيها .

٥٢٠ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن عُلَيَّة، عن أبى رَجاء: قرأ الحسنُ آيات من البقرة، فأتى على هذه الآية: « وأتُوا به مُتشابهاً » قال : ألم تَروْا إلى ثمار الدنيا كيف تُرذِلُون بعضَه ؟ وإن ذلك ليس فيه رَذْل .

٥٢١ — حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : حدثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر ، قال : قال الحسن : «وأتوا به متشابهاً» قال: يشبه بعضه بعضاً، ليس فيه من رَذْل[٣] . ١٣٥/١

٥٢٢ — حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد، عن سعيد، عن قتادة : « وأتوا به

---

(١) فى المطبوعة : « فى التسميات والألوان » ، وهو خطأ .

(٢) يعنى بذلك الذى تقدم ، معنى قوله : « وإنما يوجه كلام كل متكلم إلى المعروف فى الناس من مخارجه ، دون المجهول من معانيه » ، وقد مضى ذكر ذلك فى ص ٣٨٨

هذا ، وقد وقع فى المطبوعة خطأ بين ، فقد وضع فى هذا المكان ما نقلناه إلى حق موضعه فى ص ٣٩٤ من أول قوله : « وقد زعم بعض أهل العربية . . . » إلى قوله : « بخروجه عن قول جميع أهل العلم ، دلالة على خطئه » .

(٣) فى المطبوعة : « ليس فيه مرذول » .

متشابهاً » ، أى خياراً لا رَذلَ فيه، وإن ثمار الدنيا يُنقّى منها ويُرْذَل منها، وثمار الجنة خيارٌ كله ، لا يُرْذَل منه شيء .

٥٢٣ ــ حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنى حجاج ، عن ابن جُريج . قال : ثمر الدنيا منه ما يُرْذَل، ومنه نَقاوَةٌ، وثمرُ الجنة نقاوة كله ، يشبه بعضُه بعضاً فى الطيب ، ليس منه مرذول[1] .

* * *

وقال بعضهم : تشابُهه فى اللون وهو مختلف فى الطعم .

ذكر من قال ذلك :

٥٢٤ ــ حدثنى موسى ، قال حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن السُّدّى فى خبر ذكره ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس ــ وعن مُرّة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : « وأتوا به متشابهاً » فى اللَّوْن والمرْأى ، وليس يُشبه الطعمَ .

٥٢٥ ــ حدثنى محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وأتوا به متشابهاً » مِثلَ الخيار .

٥٢٦ ــ حدثنا المثنى ، قال : حدثنا أبو حُذيفة ، قال : حدثنا شِبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : وأتوا به متشابهاً لونه مختلفاً طعمُه، مثلَ الخيار من القثّاء .

٥٢٧ ــ حُدثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس : « وأتوا به متشابهاً » ، يشبه بعضه بعضاً ويختلف الطعم .

٥٢٨ ــ حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : أنبأنا الثورى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله : متشابهاً ، قال : مشتبهاً فى اللون ، ومختلفاً فى الطعم .

---

(١) الآثار : ٥١٩ ــ ٥٢٣ بعضها فى الدر المنثور ١ : ٣٨ ، وبعضها فى الشوكانى ١ : ٤٢ .

٥٢٩ – حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « وأتوا به متشابهاً » ، مثل الخيار[1] .

* * *

وقال بعضهم : تشابُهه في اللون والطعم .

ذكر من قال ذلك :

٥٣٠ – حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد ، قوله : « متشابهاً » قال : اللونُ والطعمُ .

٥٣١ – حدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحق ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، ويحيى بن سعيد : « متشابهاً » قالا : في اللون والطعم .

* * *

وقال بعضهم : تشابهه ، تشابه ثمر الجنة وثمر الدنيا في اللون ، وإن اختلف طعومهما .

ذكر من قال ذلك :

٥٣٢ – حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أنبأنا عبد الرزّاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة : « وأتوا به متشابهاً » قال : يشبه ثمر الدنيا ، غيرَ أن ثمر الجنة أطيب .

٥٣٣ – حدثنا المثنى ، قال : حدثنا إسحق ، قال : قال حفص بن عمر ، قال : حدثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة في قوله : « وأتوا به متشابهاً » ، قال : يشبه ثمر الدنيا ، غير أن ثمر الجنة أطيبُ .

* * *

وقال بعضهم : لا يُشبه شيء مما في الجنة ما في الدنيا ، إلا الأسماء .

ذكر من قال ذلك :

٥٣٤ – حدثني أبو كريب ، قال : حدثنا الأشجعيّ – ح – وحدثنا محمد

---

(١) الآثار : ٥٢٤ – ٥٢٩ بعضها في ابن كثير ١ : ١١٤ – ١١٥ ، والدر المنثور ١ : ٣٨ ، والشوكاني ١ : ٤٢ .

ابن بشار ، قال ، حدثنا مؤمّل ، قالا جميعاً : حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى ظَبْيَان ، عن ابن عباس – قال أبو كريب فى حديثه عن الأشجعى – : لا يشبه شىءٌ مما فى الجنة ما فى الدنيا ، إلا الأسماء . وقال ابن بشار فى حديثه عن مؤمل ، قال : ليس فى الدنيا مما فى الجنة إلا الأسماء .

٥٣٥ – حدثنا عباس بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن عُبيد ، عن الأعمش ، عن أبى ظبيان ، عن ابن عباس ، قال : ليس فى الدنيا من الجنة شىء إلا الأسماء .

٥٣٦ – حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال : أنبأنا ابن وهب ، قال : قال عبد الرحمن بن زيد ، فى قوله : « وأتوا به متشابهاً » ، قال : يعرفون أسماءه كما كانوا فى الدنيا ، التُّفاح بالتفاح والرُّمان بالرمان ، قالوا فى الجنة : « هذا الذى رزقنا من قبل » فى الدنيا ، « وأتوا به متشابهاً » يعرفونه ، وليس هو مثله فى الطعم[1] .

١٣٦/١ قال أبو جعفر : وأولى هذه التأويلات بتأويل الآية ، تأويلُ من قال : وأتوا به متشابهاً فى اللون والمنظر ، والطعمُ مختلف . يعنى بذلك اشتباهَ ثمر الجنة وثمر الدنيا فى المنظر واللون ، مختلفاً فى الطعم والذوق ، لما قدّمنا من العلة فى تأويل قوله : « كلما رُزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذى رُزقنا من قبل » وأن معناه : كلما رُزقوا من الجِنان من ثمرة من ثمارها رزقاً قالوا : هذا الذى رُزقنا من قبل هذا فى الدنيا : فأخبر الله جل ثناؤه عنهم أنهم قالوا ذلك ، ومن أجل أنهم أتُوا بما أتوا به من ذلك فى الجنة متشابهاً ، يعنى بذلك تشابهَ ما أتوا به فى الجنة منه ، والذى كانوا رُزقوه فى الدنيا ، فى اللون والمرأى والمنظر ، وإن اختلفا فى الطعم والذوق ، فتباينا ، فلم يكن لشىء مما فى الجنة من ذلك نظير فى الدنيا .

وقد دللنا على فساد قول من زعم أنّ معنى قوله : « قالوا هذا الذى رزقنا من قبل » ، إنما هو قول من أهل الجنة فى تشبيههم بعضَ ثمر الجنة ببعض[2] . وتلك الدّلالة

---

(١) الآثار : ٥٣٠ – ٥٣٦ بعضها فى الدر المنثور ١ : ٣٨ ، والشوكانى ١ : ٤٢ .

(٢) انظر ما مضى ص ٣٨٧ وما بعدها .

على فساد ذلك القول ، هى الدلالة على فساد قول من خالف قولنا فى تأويل قوله : « وأتوا به متشابهاً » ، لأن الله جل ثناؤه إنما أخبر عن المعنى الذى من أجله قال القوم : « هذا الذى رُزقنا من قبل » بقوله : « وأتوا به متشابهاً » .

ويُسأل من أنكر ذلك[1] ، فزعم أنه غير جائز أن يكون شىء مما فى الجنة نظيراً لشىء مما فى الدنيا بوجه من الوجوه ، فيقال له : أيجوز أن يكون أسماءُ ما فى الجنة من ثمارها وأطعمتها وأشربتها نظائرَ أسماء ما فى الدنيا منها ؟

فإن أنكر ذلك خالف نصّ كتاب الله ، لأن الله جل ثناؤه إنما عرّف عبادَه فى الدنيا ما هو عنده فى الجنة بالأسماء التى يسمى بها ما فى الدنيا من ذلك .

وإن قال : ذلك جائز ، بل هو كذلك .

قيل : فما أنكرتَ أن يكون ألوانُ ما فيها من ذلك ، نظيرَ ألوان ما فى الدنيا منه[2] ، بمعنى البياض والحمرة والصفرة وسائر صنوف الألوان ، وإن تباينت فتفاضلت بفضل حسن المَرآة والمنظر ، فكان لما فى الجنة من ذلك من البهاء والجمال وحسن المَرآة والمنظر ، خلافُ الذى لما فى الدنيا منه ، كما كان جائزاً ذلك فى الأسماء مع اختلاف المسميات بالفضْل فى أجسامها ؟ ثم يُعكس عليه القول فى ذلك ، فلن يقول فى أحدهما شيئاً إلا ألزم فى الآخر مثله .

وكان أبو موسى الأشعرى يقول فى ذلك بما :

٥٣٧ — حدثنى به ابن بشار ، قال : حدثنا ابن أبى عدىّ ، وعبد الوهاب ، ومحمد بن جعفر ، عن عوف ، عن قَسَامةَ ، عن الأشعرى ، قال : إن الله لما أخرج آدم من الجنة زوّده من ثمار الجنة ، وعلّمه صَنعةَ كل شىء ، فثمارُكم هذه من ثمار الجنة ، غيرَ أن هذه تَغيّرُ وتلك لا تَغيّرُ[3] .

---

(١) فى المطبوعة : « وسئل من أنكر . . . » ، وهو خطأ بين .

(٢) فى المطبوعة : « نظائر ألوان » .

(٣) الحديث ٥٣٧ — هذا إسناد صحيح . وهو وإن كان موقوفاً لفظاً فإنه مرفوع حكماً ، لأنه إخبار عن غيب لا يعلم بالرأى ولا القياس . والأشعرى : هو أبو موسى ، ولم يكن ممن يحكى عن

(١) وقد زعم بعض أهل العربية أنّ معنى قوله: « وأتوا به متشابهاً »، أنه متشابهٌ فى الفضل ، أى كل واحد منه له من الفضْل فى نحوه ، مثلُ الذى للآخر فى نحوه .

قال أبو جعفر : وليس هذا قولاً نستجيز التشاغلَ بالدلالة على فساده ، لخروجه عن قول جميع علماء أهل التأويل . وحسبُ قولٍ — بخروجه عن قول جميع أهل العلم — دلالةٌ على خطئه .

* * *

الكتب القديمة . عوف : هو ابن أبى جميلة الأعرابى ، وهو ثقة ثبت ، أخرج له أصحاب الكتب الستة . قسامة — بفتح القاف وتخفيف السين المهملة : هو ابن زهير المازنى التميمى البصرى ، وهو ثقة تابعى قديم ، بل ذكره بعضهم فى الصحابة فأخطأ . وله ترجمة فى الإصابة ٥ : ٢٧٦ وابن سعد ١١٠/١/٧ ، وقال : «كان ثقة إن شاء الله ، وتوفى فى ولاية الحجاج على العراق » ، وابن أبى حاتم ١٤٧/٢/٣ ، وروى توثيقه عن ابن معين .

والحديث ذكره ابن كثير فى التاريخ ١ : ٨٠ ، من رواية عبد الرزاق عن معمر عن عوف ، بهذا الإسناد . وذكره ابن القيم فى حادى الأرواح ١ : ٢٧٣ (ص ١٢٥ من الطبعة الثانية ، طبعة محمود ربيع سنة ١٣٥٧) من رواية عبد الله بن أحمد بن حنبل ، عن عقبة بن مكرم العمى الحافظ ، عن ربعى بن إبرهيم بن علية عن عوف ، بهذا الإسناد ، مرفوعاً صراحة : « قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم» . وكذلك ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٨ : ١٩٧ — ١٩٨ « عن أبى موسى رفعه » ، وقال : « رواه البزار ، والطبرانى ، ورجاله ثقات » . وذكره ابن القيم فى حادى الأرواح قبل ذلك (ص ٣٠ — ٣١) ، من رواية « هوذة بن خليفة عن عوف » بهذا الإسناد ، موقوفاً لفظاً . ورواية هوذة بن خليفة : رواها الحاكم فى المستدرك ٢ : ٥٤٣ ، ولكن إسنادها عندى أنه مغلوط ، والظاهر أنه غلط من الناسخين . لأن الذى فيه : « هوذة بن خليفة حدثنا عوف عن قسامة بن زهير عن أبى بكر بن أبى موسى الأشعرى ، قال : إن الله لما أخرج آدم » إلخ . ثم قال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى ! ولا يمكن — فيما أعرف وأعتقد — أن يصحح الحاكم هذا الإسناد ، ثم يوافقه الذهبى ، إن كان على هذا الوجه ، لأن أبا بكر بن أبى موسى الأشعرى تابعى ثقة ، فلو كان الإسناد هكذا كان الحديث مرسلا لا حجة فيه ، سواء أرفعه أم قاله من قبل نفسه ، فالظاهر أن الناسخين القدماء للمستدرك أخطؤا فى زيادة « أبى بكر بن » ، وأن صوابه : « عن أبى موسى الأشعرى » ، كما تبين من نقل ابن القيم رواية هوذة ، وكما تبين من الروايات الأخر التى سقناها . والحمد لله على التوفيق .

(١) هذه الفقرة كلها من أول قوله : « وقد زعم بعض أهل العربية . . . » كانت فى المطبوعة فى الموضع الذى أشرنا إليه آنفاً ص ٣٨٩.

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ﴾

قال أبو جعفر : والهاء والميم اللتان فى « لهم » عائدتان على الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، والهاء والألف اللتان فى « فيها » عائدتان على الجنات . وتأويل ذلك : وبشِّر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنّ لهم جنات فيها أزواجٌ مطهرة .

والأزواج جمع زَوْج ، وهى امرأة الرجل . يقال : فلانة زَوْجُ فلان وزوجته .

وأما قوله : « مطهَّرة » فإن تأويله أنهن طُهِّرن من كل أذًى وقَذًى وريبة ، مما يكون فى نساء أهل الدنيا ، من الحيض والنفاس والغائط والبول والمخاط والبُصاق والمنىّ ، وما أشبه ذلك من الأذى والأدناس والريب والمكاره .

٥٣٨ — كما حدثنا به موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى فى خبر ذكره ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : أما أزواجٌ مطهرة ، فإنهن لا يحضْن ولا يُحْدِثن ولا يتنخَّمن .

٥٣٩ — حدثنى المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، قال : حدثنا معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله : « أزْواج مطهرة » . يقول : مطهرة من القذَر والأذى . ١٣٧/١

٥٤٠ — حدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا يحيى القطان[1] ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ولهم فيها أزواجٌ مطهرة » قال : لا يبلن ولا يتغوّطن ولا يَمذِين .

٥٤١ — حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازى ، قال : حدثنا أبو أحمد الزُبيرى ، قال : حدثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، نحوه — إلا أنه زَاد فيه : ولا يُمنِين ولا يحضْنَ .

---

(١) فى المخطوطة : « يحيى العطار » ، وهو خطأ .

٥٤٢ – حدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى ذكره : « ولهم فيها أزواج مطهرة » قال : مطهرة من الحيض والغائط والبول والنخام والبُزاق والمنيّ والولد .

٥٤٣ – حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا سويد بن نصر ، قال : حدثنا ابنَ المبارك ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

٥٤٤ – حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزّاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : لا يَبُلْنَ ولا يتغوّطنَ ولا يحضْنَ ولا يلدن ولا يُمْنِين ولا يبزُقنَ .

٥٤٥ – حدثني المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوَ حديث محمد بن عمرو ، عن أبي عاصم .

٥٤٦ – حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زُريع ، عن سعيد ، عن قتادة : « ولهم فيها أزواج مطهرة » ، إي والله من الإثم والأذى .

٥٤٧ – حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « ولهم فيها أزواجٌ مطهرة » ، قال : طهّرهن اللهُ من كل بول وغائط وقذَر ، ومن كل مأثم .

٥٤٨ – حُدثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثني ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة ، قال مطهرة من الحيض والحبَل والأذى .

٥٤٩ – حُدثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : المطهرة من الحيض والحبَل .

٥٥٠ – حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، عن عبد الرحمن بن زيد : « ولهم فيها أزواجٌ مطهَّرة » قال : المطهَّرة التي لا تحيض . قال : وأزواج الدنيا ليست بمطهرة ، ألا تراهنّ يدمَيْنَ ويتركن الصلاة والصيامَ ؟ قال ابن زيد : وكذلك خُلقت حواء حتى عصَتْ ، فلما عصَتْ قال الله : إني خلقتك مطهَّرة

وسأدميك كما أدميت هذه الشجرة[١] .

٥٥١ – حُدثت عن عمار ، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن الحسن في قوله : « ولهم فيها أزواج مطهرة » ، قال يقول : مطهَّرة من الحيض .

٥٥٢ – حدثنا عمرو بن علي ، قال : حدثنا خالد بن يزيد ، قال : حدثنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن الحسن في قوله : « ولهم فيها أزواجٌ مطهرة » ، قال : من الحيض .

٥٥٣ – حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أبو معاوية ، قال : حدثنا ابن جريج ، عن عطاء ، قوله : « ولهم فيها أزواج مطهرة » ، قال : من الولد والحيض والغائط والبول ، وذكر أشياءَ من هذا النحو[٢] .

* * *

القول في تأويل قوله : ﴿ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (٢٥)

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بذلك : والذين آمنوا وعملوا الصالحات في الجنات خالدون . والهاء والميم من قوله « وهم » ، عائدة على الذين آمنوا وعملوا

---

(١) في المخطوطة : « كما دميت » بتشديد الميم ، وهما سواء ، ويعني بذلك دم الحيض . وهذا الأثر نقله ابن كثير ١ : ١١٥ عن هذا الموضع ، وفيه « أدميت » ، كما في المطبوعة هنا . وقال ابن كثير بعد سياقه : « وهذا غريب » .

(٢) الآثار ٥٣٨ – ٥٥٣ : بعضها في ابن كثير ١ : ١١٥ ، والدر المنثور ١ : ٣٩ ، والشوكاني ١ : ٤٢ وكرهنا الإطالة بتفصيل مراجعها واحداً واحداً . ونقل ابن كثير ١ : ١١٥ – ١١٦ حديثاً مرفوعاً بهذا المعنى : يعني مطهرة « من الحيض والغائط والنخاعة والبزاق » ، من تفسير ابن مردويه بإسناده – من طريق محمد بن عبيد الكندي عن عبد الرزاق بن عمر البزيعي عن عبد الله ابن المبارك عن شعبة عن قتادة عن أبي نضرة عن أبي سعيد ، مرفوعاً . وقال : « هذا حديث غريب » . ثم نقل عن الحاكم أنه رواه في المستدرك ، من هذا الوجه ، وأنه صححه على شرط الشيخين . ثم قال : « وهذا الذي ادعاه فيه نظر ، فإن عبد الرزاق بن عمر البزيعي هذا – قال فيه أبو حاتم بن حبان البستي : لا يجوز الاحتجاج به . قلت : والأظهر أن هذا من كلام قتادة ، كما تقدم » . وهو كما قال ابن كثير . انظر الميزان ٢ : ١٢٦ .

الصالحات . والهاء والألف فى « فيها » على الجنات . وخلودهم فيها دوام بقائهم فيها على ما أعطاهم الله فيها من الحَبْرَةِ والنعيم المقيم[1].

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ .

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى أنزل الله جل ثناؤه فيه هذه الآية وفى تأويلها .

فقال بعضهم بما :

١٣٨/١ ٥٥٤ — حدثنى به موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدّى ، فى خبر ذكره ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : لمّا ضرَب الله هذين المثلين للمنافقين — يعنى قوله : « مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً » وقوله : «أو كصيّب من السماء» ، الآيات الثلاث — قال المنافقون : الله أعلى وأجلّ من أن يضرب هذه الأمثال ، فأنزل الله : « إن الله لا يستحيى أنْ يضرب مثَلاً ما بعوضةً » إلى قوله : « أولئك همُ الخاسرُون » .

وقال آخرون بما :

٥٥٥ — حدثنى به أحمد بن إبراهيم ، قال حدثنا قُرَاد ، عن أبى جعفر الرازى ، عن الرّبيع بن أنس ، فى قوله تعالى : « إن الله لا يستحيى أن يضرب

---

(١) فى الدر المنثور ١ : ٤١ ، والشوكانى ١ : ٤٢ ، أن ابن جرير أخرج عن ابن عباس فى قوله « وهم فيها خالدون » — « أى خالدون أبداً ، يخبرهم أن الثواب بالخير والشر مقيم على أهله أبداً لا انقطاع له »

وهذا الخبر سيأتى عند تفسير الآية : ٨٢ من هذه السورة (١ : ٣٠٧ بولاق) . فنقله السيوطى إلى هذا الموضع ، وتبعه الشوكانى .

مثلاً ما بعوضةً فما فوقها » . قال : هذا مثل ضربه الله للدنيا ، إن البعوضة تحيا ما جاعتْ ، فإذا سمنت ماتتْ . وكذلك مثل هؤلاء القوم الذين ضرب الله لهم هذا المثل فى القرآن : إذا امتلأوا من الدنيا رِيًّا أخذَهم الله عند ذلك . قال : ثم تلا : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَاهُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ [سورة الأنعام: ٤٤] (١)

٥٥٦ – حدثنى المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا إسحق بن الحجاج ، قال : حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس بنحوه – إلا أنه قال : فإذا خلتْ آجالهم وانقطعت مُدّتهم (٢) ، صاروا كالبعوضة تحيا ما جاعت ، وتموت إذا رَويت ، فكذلك هؤلاء الذين ضرب الله لهم هذا المثل ، إذا امتلئوا من الدنيا رِيًّا أخذهم الله فأهلكهم . فذلك قوله : ﴿ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَاهُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ [سورة الأنعام : ٤٤] .

وقال آخرون بما :

٥٥٧ – حدثنا به بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد عن سعيد ، عن قتادة ، قوله : « إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها » ، أى إن الله لا يستحى من الحق أن يذكرَ منه شيئاً ما قلّ منه أو كثر (٣) . إن الله حين ذكر فى كتابه الذباب والعنكبوت قال أهل الضلالة : ما أراد الله من ذكر هذا ؟ فأنزل الله :

---

(١) الأثر ٥٥٥ – « قراد » بضم القاف وفتح الراء مخففة : لقب له ، واسمه « عبد الرحمن ابن غزوان بفتح الغين المعجمة وسكون الزاى ، الخزاعى » ، وهو ثقة ، وقال أحمد : « كان عاقلا من الرجال » . وترجمه ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل ٢/٢/٢٧٤ .

(٢) فى المطبوعة : « خلى آجالهم » ، وفى المخطوطة « خلا » ، والصواب ما أثبته . وخلا العمر يخلو خلوا : مضى وانقضى .

(٣) فى المخطوطة : « شيئاً قل منه أو كثر » بحذف « ما » ، وفى ابن كثير « مما قل أو كثر » وكلها متقاربة .

« إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها » .

٥٥٨ – حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : لما ذكر الله العنكبوت والذباب ، قال المشركون : ما بال العنكبوت والذباب يذكران ؟ فأنزل الله : « إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها »[1] .

وقد ذهب كلّ قائل ممن ذكرنا قوله فى هذه الآية ، وفى المعنى الذى نزلت فيه ، مذهباً ؛ غير أنّ أولى ذلك بالصواب وأشبهه بالحقّ ، ما ذكرنا من قول ابن مسعود وابن عباس .

وذلك أنّ الله جلّ ذكره أخبر عباده أنه لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضةً فما فوقها ، عَقِيب أمثالٍ قد تقدمت فى هذه السورة ، ضربها للمنافقين ، دون الأمثال التى ضربها فى سائر السور غيرها . فلأن يكون هذا القول – أعنى قوله : « إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما » – جواباً لنكير الكفار والمنافقين ما ضرب لهم من الأمثال فى هذه السورة ، أحقّ وأولى من أن يكون ذلك جواباً لنكيرهم ما ضرب لهم من الأمثال فى غيرها من السور .

فإن قال قائل : إنما أوْجبَ أن يكون ذلك جواباً لنكيرهم ما ضرَب من الأمثال فى سائر السور ، لأن الأمثال التى ضربها الله لهم ولآلهتهم فى سائر السور أمثالٌ موافقة المعنى لما أخبر عنه : أنه لا يستحى أن يضربه مثلاً ، إذ كان بعضها تمثيلاً لآلهتهم بالعنكبوت ، وبعضها تشبيهاً لها فى الضّعف والمهانة بالذباب .

١٣٩/١ وليس ذكر شىء من ذلك بموجود فى هذه السورة ، فيجوزَ أنْ يقال : إن الله لا يستحى أن يضربه مثلا[2] .

---

(١) الآثار : ٥٥٤ – ٥٥٨ أكثرها فى ابن كثير ١ : ١١٧ ، وبعضها فى الدر المنثور ١ : ٤١ ، والشوكانى ١ : ٤٥ .

(٢) فى المطبوعة : « أن يضرب مثلا ما » ، وليست بشىء .

فإن ذلك بخلاف ما ظنّ. وذلك أنّ قول الله جلّ ثناؤه: « إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها »، إنما هو خبرٌ منه جلّ ذكره أنه لا يستحى أن يضرب فى الحقّ من الأمثال صغيرِها وكبيرِها ، ابتلاءً بذلك عبادَه واختباراً منه لهم ، ليميز به أهل الإيمان والتصديق به من أهل الضلال والكفر به ، إضلالاً منه به لقوم ، وهدايةً منه به لآخرين .

* * *

٥٥٩ — كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « مثلا ما بعوضة » ، يعنى الأمثال صغيرَها وكبيرَها ، يؤمن بها المؤمنون ، ويعلمون أنها الحق من ربهم ، ويهديهم الله بها ويُضل بها الفاسقين . يقول : يعرفه المؤمنون فيؤمنون به ، ويعرفه الفاسقون فيكفرون به .

٥٦٠ — حدثنى المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٥٦١ — حدثنى القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنى حجاج ، عن ابن جُريج عن مجاهد ، مثله[1].

* * *

قال أبو جعفر : — لا أنه جلّ ذكره قصَد الخبرَ عن عين البعوضة أنه لا يستحى من ضرْب المثل بها ، ولكن البعوضة لما كانت أضعف الخلق —

٥٦٢ — كما حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : البعوضة أضعفُ ما خلق الله .

٥٦٣ — حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، بنحوه[2] .

---

(١) الآثار : ٥٥٩ — ٥٦١ ، وهى واحد كلها ، فى الدر المنثور ١ : ٤٢ ، والشوكانى ١ : ٤٥ ، وسيأتى برقم : ٥٦٦ .

(٢) الأثر : ٥٦٢ فى الدر المنثور ١ : ٤١ .

— [١]خصها الله بالذكر فى القِلة ، فأخبر أنه لا يستحى أن يضرب أقلّ الأمثال فى الحق وأحقرَها وأعلاها إلى غير نهاية فى الارتفاع ، جواباً منه جل ذكره لمن أنكر من منافقى خلقه ما ضرَب لهم من المثل بمُوقِد النار والصيِّب من السماء ، على ما نَعَتَهما به من نَعْتهما .

فإن قال لنا قائل : وأين ذكر نكير المنافقين الأمثالَ التى وصفتَ ، الذى هذا الخبر جوابه ، فنعلم أنّ القول فى ذلك ما قلت ؟

قيل : الدلالة على ذلك بينة فى قول الله تعالى ذكره [٢] : « فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا » . وإن القوم الذين ضرَب لهم الأمثال فى الآيتين المقدّمتين — اللتين مثّل ما عليه المنافقون مقيمون فيهما[٣] : بمُوقِد النار والصيِّب من السماء[٤] ، على ما وصف من ذلك قبل قوله : « إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا » — قد أنكروا المثل وقالوا : ماذا أراد الله بهذا مثلاً ؟ فأوضح لهم تعالى ذكره خطأ قِيلهم ذلك ، وقبّح لهم ما نطقوا به ، وأخبرهم بحكمهم فى قيلهم ما قالوا منه ، وأنه ضلال وفسوق ، وأن الصواب والهدى ما قاله المؤمنون دون ما قالوه .

وأما تأويل قوله : « إن الله لا يستحيي » ، فإن بعض المنسوبين إلى المعرفة بلغة العرب كان يتأول معنى « إن الله لا يستحيي » : إن الله لا يخشى أن يضرب مثلاً ، ويستشهدُ على ذلك من قوله بقول الله تعالى : ﴿ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ [سورة الأحزاب : ٣٧] ، ويزعم أن معنى ذلك : وتستحى الناسَ والله أحقُّ أن تستحيه — فيقول : الاستحياء بمعنى الخشية ، والخشية بمعنى الاستحياء[٥] .

---

(١) قوله : « خصها . . . » جواب قوله آنفاً : « . . . لما كانت أضعف الخلق » .

(٢) فى المطبوعة : « الدلالة على ذلك بينها جل ذكره فى قوله » .

(٣) قوله : « فيهما » متعلق بقوله « مثل » ، أى : اللتين مثل فيهما — ما عليه المنافقون مقيمون — بموقد النار . . .

(٤) فى المطبوعة : « وبالصيب من السماء » .

(٥) لم أعرف قائل هذا القول من المنسوبين إلى المعرفة بلغة العرب ، ولكنى رأيت أبا حيان

وأما معنى قوله : « أن يضرب مثلاً »، فهو أن يبيِّن ويصف ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ [سورة الروم : ٢٨]، بمعنى وصف لكم ، وكما قال الكُمَيْت :

وذَلِكَ ضَرْبُ أَخْمَاسٍ أُرِيدَتْ لأَسْدَاسٍ ، عَسَى أَنْ لا تَكُونَا(١)

بمعنى : وصف أخماس .

والمثَل: الشبه، يقال: هذا مَثَل هذا ومِثْله،كما يقال : شبَهُه وشِبْهه ، ومنه قول كعب بن زهير :

كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ لها مَثَلاً وَمَا مَوَاعِيدُها إلاَّ الأَبَاطِيلُ(٢) ١٤٠/١

يعنى شَبَهاً ، فمعنى قوله إذاً : « إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً » : إن

يقول فى تفسيره ١ : ١٢١ ،يزعم أن هذا المعنى هو الذى رجحه الطبرى ، ومن البين أنه أخطأ فيما توهمه ، فإن لفظ الطبرى دال على أنه لم يحقق معناه ، ولم يرضه ، ولم ينصره . هذا على أنى أظن أن مجاز اللفظ يجيز مثل هذا الذى قاله المنسوب إلى المعرفة بلغة العرب ، وإن كنت أكره أن أحمل هذه الآية على هذا المعنى .

(١) هذا بيت استرقه الكميت استراقاً ، على أنه مثل اجتلبه . وأصله : أن شيخاً كان فى إبله ، ومعه أولاده ، حالا يرعونها ، قد طالت غربتهم عن أهلهم . فقال لهم ذات يوم : « ارعوا إبلكم ربعا » (بكسر فسكون : وهو أن تحبس عن الماء ثلاثاً ، وترد فى اليوم الرابع) ، فرعوا ربعاً نحو طريق أهلهم . فقالوا : لو رعيناها خمساً ! (بكسر فسكون : أن تحبس أربعاً وترد فى الخامس) فزادوا يوماً قبل أهلهم . فقالوا : لو رعيناها سدساً ! (أن تحبس خمساً وترد فى السادس) . ففطن الشيخ لما يريدون ، فقال : ما أنتم إلا ضرب أخماس لأسداس ، ما همتكم رعيها،إنما همتكم أهلكم ! وأنشأ يقول :

وَذَلِكَ ضَرْبُ أَخْمَاسٍ أُرَاهُ ، لأَسْدَاسٍ ، عَسَى أَنْ لاَ تَكُونَا

فصار قولهم : « ضرب أخماس لأسداس » مثلا مضروباً للذى يراوغ ويظهر أمراً وهو يريد غيره .

وحقيقة قوله « ضرب : بمعنى وصف » ، أنه من ضرب البعير أو الدابة ليصرف وجهها إلى الوجه الذى يريد ، يسوقها إليه لتسلكه . فقولهم : ضرب له مثلا ، أى ساقه إليه ، وهو يشعر بمعنى الإبانة بالمثل المسوق . وهذا بين .

(٢) ديوانه : ٨ ، وفى المخطوطة : « وما مواعيده » ، وعرقوب — فيما يزعمون — : هو عرقوب ابن نصر ، رجل من العمالقة ، نزل المدينة قبل أن تنزلها يهود بعد عيسى ابن مريم عليه السلام . وكان يحتال فى إخلاف المواعيد بالمماطلة ، كما هو معروف فى قصته .

الله لا يخشى أن يصف شيئاً لما شبّه به[١].

وأما « ما » التى مع « مثل » ، فإنها بمعنى « الذى » ، لأن معنى الكلام : إن الله لا يستحيي أن يضرب الذى هو بعوضةٌ فى الصغر والقِلة فما فوقها — مثلا .

فإن قال لنا قائل : فإن كان القول فى ذلك ما قلت[٢] ، فما وجه نصب البعوضة ، وقد علمتَ أنّ تأويل الكلام ما تأوّلت[٣] : أن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا الذى هو بعوضة ؛ فالبعوضةُ على قولك فى محل الرفع ؟ فأنّى أتاها النصب ؟

قيل : أتاها النصب من وجهين : أحدُهما ، أن « ما » لما كانت فى محل نصْب بقوله « يضرب » ، وكانت البعوضة لها صلة ، عُرِّبت بتعريبها[٤] ، فألزمت إعرابها ، كما قال حسان بن ثابت :

وَكَفَى بِنَا فَضْلاً على مَنْ غيرِنَا حُبُّ النَّبِيِّ محمدٍ إيَّانَا[٥]

فعُرِّبت « غيرُ » بإعراب « من » . والعرب تفعل ذلك خاصة فى « من » و « ما »[٦] ، تعرب صِلاتهما بإعرابهما ، لأنهما يكونان معرفة أحياناً ، ونكرة أحياناً .

---

(١) هذا بقية تفسير الكلمة على مذهب من قال إن الاستحياء بمعنى الخشية ، لا ما أخذ به الطبرى ، وتفسير الطبرى صريح بين فى آخر تفسير الآية .

(٢) فى المطبوعة : « كما قلت » .

(٣) فى المطبوعة : « على ما تأولت » ، وليست بجيدة .

(٤) فى المطبوعة « أعربت بتعريبها » . وقوله « عربت » : أى أجريت مجراها فى الإعراب ، وهذا هو معنى « التعريب » فى اصطلاح قدماء النحاة ، وستمر بك كثيراً فاحفظها ، وهى أوجز مما اصطلح عليه المحدثون منهم .

(٥) ليس فى ديوانه ، ويأتى فى الطبرى ٤ : ٩٩ غير منسوب ، وفى الخزانة : ٢ : ٥٤٥ — ٥٤٦ أنه لكعب بن مالك ، ونسب إلى حسان بن ثابت ولم يوجد فى شعره . ونسب لبشير بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، ونسب أيضاً لعبد الله بن رواحة . وذكره السيوطى فى شرح شواهد المغنى : ١١٦ ، ٢٥٢ ، وأثبت بيتاً قبله :

نَصَرُوا نَبِيَّهُمُ بِنَصْرِ وَلِيِّهِ فالله ، عَزَّ ، بِنَصْرِهِ سَمَّانَا

قال : يعنى أن الله عز وجل سماهم « الأنصار » ، لأنهم نصروا النبى صلى الله عليه وسلم ومن والاه . والباء فى « بنصر وليه » ، بمعنى « مع » .

(٦) فى المطبوعة : « فالعرب تفعل . . . » .

وأما الوجه الآخر ، فأن يكون معنى الكلام : إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بين بعوضة إلى ما فوقها ، ثم حذف ذكر « بين » و« إلى »، إذ كان فى نصب البعوضة ودخول الفاء فى « ما » الثانية، دلالة عليهما، كما قالت العرب : « مُطِرنا ما زُبالة فالثَعْلَبِيَّة»، و« له عشرون ما ناقة فجملاً »، و«هى أحسنُ الناس ما قرناً فقدماً » ، يعنون : ما بين قرنها إلى قدمها[1] . وكذلك يقولون فى كل ما حسُن فيه من الكلام دخول : « ما بين كذا إلى كذا »، ينصبون الأول والثانى، ليدلّ النصبُ فيهما على المحذوف من الكلام[2] . فكذلك ذلك فى قوله : « ما بعوضة فما فوقها»[3].

وقد زعم بعضُ أهل العربية أنّ « ما » التى مع المثَل صلةٌ فى الكلام بمعنى التطوُّل[4] ، وأن معنى الكلام : إن الله لا يستحيي أن يضربَ بعوضةً مثلاً فما فوقها. فعلى هذا التأويل، يجب أن تكون « بعوضةً » منصوبةً بـ « يضرب»، وأن تكون « ما » الثانية التى فى « فما فوقها » معطوفة على البعوضة لا على « ما » .

وأما تأويل قوله « فما فوقها » : فما هو أعظم منها[5] — عندى — لما ذكرنا قبل من قول قتادة وابن جُريج : أن البعوضة أضعف خلق الله ، فإذْ كانت أضعف خلق الله فهى نهايةٌ فى القلة والضعف . وإذ كانت كذلك ، فلا شك أنّ ما فوق أضعف الأشياء ، لا يكون إلا أقوى منه . فقد يجب أن يكون المعنى

---

(١) فى المخطوطة : « يعنون بذلك من قرنها . . . » .

(٢) فى المخطوطة : « ليدل النصب فى الأسماء على المحذوف . . . » ، وهما سواء .

(٣) أكثر هذا من كلام الفراء فى معانى القرآن ١ : ٢١ — ٢٢ ، وذكر الوجهين السالفين جميعاً، وكلامه أبسط من كلام الطبرى وأبين .

(٤) قد مضى قديماً شرح معنى التطول (انظر : ١٨، ٢٢٤ وما يأتى ص: ٤٠٦، ١٥٤ من بولاق)، وهو الزيادة فى الكلام . وهذا الذى قال عنه : « زعم بعض أهل العربية » ، هو الفراء نفسه ، فقد ذكر هذا أول وجه من ثلاثة وجوه فى الآية فى معانى القرآن ١ : ٢١ ، وقال : « أولها : أن توقع الضرب على البعوضة ، وتجعل ما صلة ، كقوله : « عما قليل ليصبحن نادمين » ، يريد : عن قليل . المعنى — والله أعلم — : إن الله لا يستحيى أن يضرب بعوضة فما فوقها مثلا ».

والذى يسميه الطبرى البغدادى المذهب فى النحو « تطولا » ، يسميه الفراء الكوفى المذهب فى النحو « صلة » ، وهى الزيادة فى الكلام .

(٥) فى المخطوطة : « فهو ما قد عظم منها » ، وهو خطأ بلا معنى .

ـعلى ما قالاه ـ فما فوقها فى العظم والكبر ، إذ كانت البعوضة نهايةً فى الضعف والقلة .

وقيل فى تأويل قوله « فما فوقها » ، فى الصغر والقلة . كما يقال فى الرجل يذكرُه الذاكرُ فيصفه باللؤم والشحّ ، فيقول السامع : « نعم ، وفوقَ ذاك » ، يعنى فوقَ الذى وصفت فى الشحّ واللؤم [1] ، وهذا قولٌ خلافُ تأويل أهل العلم الذين تُرْتَضى معرفتهم بتأويل القرآن .

فقد تبين إذاً ، بما وصفنا ، أن معنى الكلام : إن الله لا يستحيي أن يصف شبهاً لما شبَّه به الذى هو ما بين بعوضةٍ إلى ما فوق البعوضة .

فأما تأويل الكلام لو رفعت البعوضة ، فغير جائز فى « ما » ، إلا ما قلنا من أن تكون اسما ، لا صلة بمعنى التطول [2] .

* * *

القول فى تأويل قوله : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « فأما الذين آمنوا » ، فأما الذين صدّقوا الله ورسوله . وقوله : « فيعلمون أنه الحقّ من ربهم » . يعنى : فيعرفون أن المثَل الذى ضربَه الله ، لِما ضرَبه له ، مثَل . ١٤١/١

٥٦٤ ـ كما حدثنى به المثنى ، قال : حدثنا إسحق بن الحجاج ، قال : حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس : « فأما الذين آمنوا

---

(١) فى المطبوعة : « فوق الذى وصف » . وهذا التأويل الذى ذكره الطبرى ، قد اقترحه الفراء فى معانى القرآن ١ : ٢٠ ـ ٢١ وأبان عنه ، وقال : « ولو جعلت فى مثله من الكلام « فما فوقها » ، تريد أصغر منها ، لجاز ذلك . ولست أستحبه » ، يعنى : أنه لا يستحبه فى هذا الموضع من تفسير كتاب الله .

(٢) قد شرحنا معنى « صلة » و « تطول » فيما مضى ص : ٤٠٥ .

فيعلمون أنه الحق من ربهم »، أنّ هذا المثلَ الحقُّ من ربهم، وأنه كلامُ الله ومن عنده[١] .

٥٦٥ — وكما حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة ، قوله « فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم » ، أى يعلمون أنه كلامُ الرحمن ، وأنه الحق من الله[٢] .

* * *

« وأما الذين كفروا فيقولونَ ماذا أرَاد الله بهذا مثلا » .

قال أبو جعفر : وقوله « وأما الذين كفرُوا »، يعنى الذين جحدوا آيات الله، وأنكرُوا ما عرفوا ، وستروا ما علموا أنه حق، وذلك صفةُ المنافقين، وإياهم عَنَى الله جلّ وعز — ومن كان من نظرائهم وشركائهم من المشركين من أهل الكتاب وغيرهم — بهذه الآية ، فيقولون : ماذا أراد الله بهذا مثلاً ، كما قد ذكرنا قبل من الخبر الذى رويناه عن مجاهد الذى : —

٥٦٦ — حدثنا به محمد بن عمرو، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فأما الذين آمنوا فيعلمونَ أنه الحقّ من ربهم » الآية ، قال: يؤمن بها المؤمنون، ويعلمون أنها الحق من ربهم ، ويهديهم الله بها، ويَضلّ بها الفاسقون . يقول : يعرفه المؤمنون فيؤمنون به ، ويعرفه الفاسقون فيكفرون به[٣] .

وتأويل قوله: « ماذا أراد الله بهذا مثلا »، ما الذى أراد الله بهذا المثل مثلاً . « فذا »، الذى مع « ما »، فى معنى « الذى »، وأراد صلته ، وهذا إشارةٌ إلى المثل[٤] .

* * *

(١) الأثر : ٥٦٤ — هو عن الربيع بن أنس عن أبى العالية ، كما مر كثيراً ، وكذلك جاء فى الدر المنثور ١ : ٤٢ .

(٢) الأثر ٥٦٥ — فى ابن كثير ١ : ١١٨ .

(٣) الأثر ٥٦٦ — قد مضى برقم : ٥٥٩ .

(٤) فى المطبوعة : « فذا مع ما فى معنى . . . »

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِ كَثِيرًا ﴾

قال أبو جعفر : يعني بقوله جل وعز : « يضلّ به كثيراً » ، يضلّ الله به كثيراً من خلقه . والهاء فى « به » من ذكر المثل . وهذا خبر من الله جل ثناؤه مبتدأ ، ومعنى الكلام : أن الله يُضلّ بالمثل الذى يضربه كثيراً من أهل النفاق والكفر : —

٥٦٧ — كما حدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدّى ، فى خبر ذكره ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « يضلّ به كثيراً » يعني المنافقين ، « ويهدى به كثيراً » ، يعني المؤمنين[1] . — فيزيد هؤلاء ضلالا إلى ضلالهم ، لتكذيبهم بما قد علموه حقًّا يقيناً من المثل الذى ضربه الله لما ضربه له ، وأنه لما ضرَبه له موافق . فذلك إضْلال الله إياهم به . و « يهدى به » ، يعنى المثل ، كثيراً من أهل الإيمان والتصديق ، فيزيدهم هدى إلى هُداهم وإيماناً إلى إيمانهم . لتصديقهم بما قد علموه حقًّا يقيناً أنه موافق ما ضرَبه الله له مثلا ، وإقرارُهم به . وذلك هدايةٌ من الله لهم به .

وقد زعم بعضهم أنّ ذلك خبرٌ عن المنافقين ، كأنهم قالوا : ماذا أراد الله بمثل لا يعرفه كل أحد ، يضلّ به هذا ويهدى به هذا . ثم استؤنف الكلام والخبر عن الله ، فقال الله : « وما يُضلّ به إلا الفاسقين » . وفيما فى سورة المدّثر — من قول الله : « وليقولَ الذينَ فى قلوبهم مَرَضٌ والكافرونَ ماذا أرَاد الله بهذا مثلا . كذلك يُضلّ اللهُ مَن يشاءُ ويهدى من يشاء » — ما ينبئ عن أنه فى سورة البقرة كذلك ، مبتدأٌ — أعنى قوله : « يضلّ به كثيراً ويهدى به كثيراً » .

---

(١) الخبر : ٥٦٧ — فى ابن كثير ١ : ١١٩ ، والدر المنثور ١ : ٤٢ ، والشوكانى ١ : ٤٥ ، وهو فيها تام متصل ، وتمامه الأثر الذى يليه : ٥٦٨ . ولكن ابن كثير أخطأ ، فوصل هذا الخبر بكلام الطبرى الذى يليه ، كأنه كله من تفسير ابن عباس وابن مسعود ، وهو خطأ محض . فقول الطبرى بعد « « فيزيد هؤلاء ضلالا . . . » هو من تمام قوله قبل هذا « أن الله يضل بالمثل الذى يضربه كثيراً من أهل النفاق والكفر » .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَٰسِقِينَ ﴾ (٢٦)

وتأويل ذلك ما :—

٥٦٨ — حدثنى به موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدّى فى خبر ذكره ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : « وما يُضلّ به إلا الفاسقين » ، هم المنافقون[1] . ١٤٢/١

٥٦٩ — وحدثنا بشر بن مُعاذ ، قال : حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة : « وما يُضِلّ به إلا الفاسقين » ، فسقوا فأضلّهم الله على فِسقهم[2] .

٥٧٠ — حدثنى المثنى ، قال : حدثنا إسحق ، قال : حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس : « وما يضل به إلا الفاسقين » ، هم أهل النفاق[3] .

* * *

قال أبو جعفر : وأصلُ الفسق فى كلام العرب : الخروجُ عن الشىء . يقال منه : فسقت الرُّطَبة إذا خرجت من قشرها . ومن ذلك سُمّيت الفأرةُ فُوَيْسِقة ، لخروجها عن جُحرها[4] ، فكذلك المنافق والكافر سُمّيا فاسقيْن ، لخروجهما عن طاعة ربهما . ولذلك قال جل ذكره فى صفة إبليس : ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ [سورة الكهف : ٥٠] ، يعنى به خرج عن طاعته واتباع أمره .

٥٧١ — كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنى ابن إسحق ،

---

(١) الخبر ٥٦٨ — تمام الأثر السالف ، وقد ذكرنا موضعه .

(٢) الأثر : ٥٦٩ — فى ابن كثير ١ : ١١٩ ، وفى الدر المنثور ١ : ٤٢ ، والشوكانى ١ : ٤٥ ، وفيهما مكان « على فسقهم » ، « بفسقهم » .

(٣) الأثر : ٥٧٠ — فى ابن كثير ١ : ١١٩ .

(٤) انظر الطبرى ١٥ : ١٧٠ (بولاق) . وقوله : « يحكى عن العرب سماعاً : فسقت الرطبة من قشرها ، إذا خرجت . وفسقت الفأرة إذا خرجت من جحرها » ، وسائر ما قال هناك .

عن داود بن الحُصين ، عن عكرمة مولى ابن عباس، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [سورة البقرة : ٥٩]، أى بما بعُدوا عن أمرى[1] .

فمعنى قوله : « وما يُضِلّ به إلا الفاسقين »، وما يضلّ الله بالمثل الذى يضربه لأهل الضلال والنفاق ، إلا الخارجين عن طاعته ، والتاركين اتباعَ أمره ، من أهل الكفر به من أهل الكتاب ، وأهل الضّلال من أهل النفاق .

* * *

القول فى تأويل قوله : ﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾

قال أبو جعفر : وهذا وصف من الله جل ذكره الفاسقين الذين أخبر أنه لا يُضلّ بالمثَل الذى ضربه لأهل النفاق غيرَهم ، فقال : وما يُضِلّ الله بالمثل الذى يضربه — على ما وصف قبلُ فى الآيات المتقدمة — إلا الفاسقين الذين ينقُضُون عهدِ الله من بعد ميثاقه .

ثم اختلف أهل المعرفة فى معنى العهد الذى وصف الله هؤلاء الفاسقين بنقضه : —

فقال بعضهم : هو وصية الله إلى خلقه ، وأمره إياهم بما أمرهم به من طاعته ، ونهيه إياهم عما نهاهم عنه من معصيته ، فى كتبه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم . ونقضُهم ذلك ، تركُهم العمل به .

وقال آخرون : إنما نزلت هذه الآيات فى كفار أهل الكتاب والمنافقين منهم ، وإياهم عَنى الله جل ذكره بقوله : « إنّ الذين كفرُوا سواءٌ عليهم أأنذرتهم » ، وبقوله : « ومن الناس مَنْ يَقول آمنّا بالله وباليوم الآخر» . فكل ما فى هذه الآيات ، فعَذْل لهم وتوبيخ إلى انقضاء قَصَصهم . قالوا : فعهدُ الله الذى

(١) الخبر : ٥٧١ — لم أجده فى مكانه من تفسير آية البقرة ، ولا فى أية آية ذكر فيها هذا الحرف . ولم يخرجه أحد ممن اعتمدنا ذكره . وفى المخطوطة : « من أمرى » .

نقضوه بعدَ ميثاقه ، هو ما أخذه الله عليهم فى التوراة — منَ العمل بما فيها ، واتباع محمد صلى الله عليه وسلم إذا بُعث ، والتصديق به وبما جاء به من عند ربهم . ونقضُهم ذلك ، هو جحودهم به بعد معرفتهم بحقيقته ، وإنكارهم ذلك ، وكتمانهم علمَ ذلك الناسَ[1] ، بعد إعطائهم اللهَ من أنفسهم الميثاق لَيُبَيِّنُنَّه للناس ولا يكتمونه. فأخبر الله جل ثناؤه أنهم نبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلا .

وقال بعضهم : إن الله عنى بهذه الآية جميعَ أهل الشرك والكفر والنفاق . وعهدُه إلى جميعهم فى توحيده : ما وَضع لهم من الأدلة الدالة على ربوبيته . وعهدُه إليهم فى أمره ونهيه : ما احتجّ به لرسله من المعجزات التى لا يقدرُ أحد من الناس غيرهم أن يأتى بمثلها ، الشاهدةِ لهم على صدقهم . قالوا : ونقضهم ذلك ، تركهم الإقرارَ بما قد تبيَّنت لهم صحته بالأدلة ، وتكذيبُهم الرسلَ والكُتُب ، مع علمهم أن ما أتوا به حقّ .

وقال آخرون : العهدُ الذى ذكره الله جل ذكره ، هو العهدُ الذى أخذه عليهم حين أخرجهم من صُلب آدم ، الذى وصفه فى قوله : ١٤٣/١
﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ . أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٧٢ – ١٧٣] . ونقضُهم ذلك ، تركهم الوفاء به .

وأولى الأقوال عندى بالصواب فى ذلك قولُ من قال : إن هذه الآيات نزلت فى كفّار أحبار اليهود الذين كانوا بين ظَهْرانَىْ مهاجَر رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) فى المطبوعة : « عن الناس » ، و « الناس » منصوب ، مفعول ثان ، للمصدر « كتمانهم » . والفعل « كتم » يتعدى إلى مفعول ومفعولين ، تقول : كتمت فلاناً سرى ، وكتمت عن فلان سرى ، وهما سواء .

وما قرُب منها من بقايا بنى إسرائيل ، ومن كان على شركه من أهل النفاق الذين قد بينا قصَصهم فيما مضى من كتابنا هذا .

وقد دللنا على أن قول الله جل ثناؤه : « إنّ الذين كفروا سواء عليهم » ، وقوله : « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر » ، فيهم أنزِلت ، وفيمن كان على مثل الذى هم عليه من الشرك بالله . غيرَ أن هذه الآيات عندى ، وإن كانت فيهم نزلتْ ، فإنه معنىٌّ بها كل من كان على مثل ما كانوا عليه من الضّلال ، ومعنىٌّ بما وافق منها صفة المنافقين خاصّةً ، جميعُ المنافقين[1] ؛ وبما وافق منها صفةَ كفار أحبار اليهود ، جميعُ من كان لهم نظيراً فى كفرهم .

وذلك أن الله جلّ ثناؤه يعم أحياناً جميعَهم بالصّفة ، لتقديمه ذكر جميعهم فى أول الآيات التى ذكرتْ قصَصهم ، ويخصّ أحياناً بالصفة بعضَهم ، لتفصيله فى أول الآيات بين فريقيْهم ، أعنى : فريقَ المنافقين من عبدة الأوثان وأهل الشرك بالله ، وفريقَ كفار أحبار اليهود . فالذين ينقضون عهدَ الله ، هم التاركون ما عهد الله إليهم من الإقرار بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به ، وتبيين نبوته للناس ، الكاتمون بيان ذلك بعدَ علمهم به ، وبما قد أخذَ الله عليهم فى ذلك ، كما قال الله جل ذكره : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ [سورة آل عمران : ١٨٧] ، ونبذُهم ذلك وراء ظهورهم ، هو نقضُهم العهدَ الذى عهد إليهم فى التوراة الذى وصفناه ، وتركُهم العمل به .

وإنما قلت : إنه عنى بهذه الآيات من قلتُ إنه عنى بها ، لأن الآيات — من مبتدأ الآيات الخمس والست من سورة البقرة[2] — فيهم نزلتْ ، إلى تمام قصصهم .

---

(١) سياق العبارة : « ومعنى جميع المنافقين ، بما وافق منها صفة المنافقين » وعبارة الطبرى أعرب .

(٢) فى المطبوعة : « من ابتداء الآيات » ، وكأنه تغيير من المصححين .

وفى الآية التى بعد الخبر عن خلق آدم وبيانه فى قوله[1] : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ [سورة البقرة : ٤٠]. وخطابه إياهم جلّ ذكره بالوفاء بذلك خاصّة دون سائر البشر[2] — ما يدل على أن قوله : « الذين ينقضُون عهدَ الله من بعد ميثاقه » مقصودٌ به كفارهم ومنافقوهم ، ومن كان من أشياعهم من مشركى عبدة الأوثان على ضلالهم . غيرَ أنّ الخطاب — وإن كان لمن وصفتُ من الفريقين — فداخلٌ فى أحكامهم ، وفيما أوجبَ الله لهم من الوعيد والذم والتوبيخ ، كلّ من كان على سبيلهم ومنهاجهم من جميع الخلق وأصناف الأمم المخاطبين بالأمر والنهى .

فمعنى الآية إذاً : وما يُضِلّ به إلا التاركين طاعةَ الله ، الخارجين عن اتباع أمره ونهيه ، الناكثين عهود الله التى عهدها إليهم ، فى الكتب التى أنزلها إلى رُسله وعلى ألسن أنبيائه ، باتباع أمر رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به ، وطاعة الله فيما افترض عليهم فى التوراة من تبيين أمره للناس ، وإخبارهم إياهم أنهم يجدونه مكتوباً عندهم أنه رسولٌ من عند الله مفترضةٌ طاعتُه ، وترك كتمان ذلك لهم[3] . ونكثُهم ذلك ونقضُهم إياه ، هو مخالفتهم الله فى عهده إليهم — فيما وصفتُ أنه عهد إليهم — بعد إعطائهم ربهم الميثاقَ بالوفاء بذلك . كما وصفهم به ربنا تعالى ذكره بقوله : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ . [سورة الأعراف : ١٦٩] ١٤٤/١

---

(١) فى المطبوعة « عن خلق آدم وأبنائه فى قوله » ، وهو خطأ محض . وقوله « وبيانه » ، مجرور معطوف على قوله : « وفى الآية التى بعد الخبر . . . » أى ، « وفى بيانه فى قوله : . . . » .

(٢) قوله : « وخطابه » مجرور معطوف على قوله : « وفى الآية ... » و « وبيانه ... » كما أسلفنا فى التعليق قبله . وفى المطبوعة : « فى ذلك خاصة » . وليست بشىء .

(٣) هكذا فى الأصول ، ولعل الأجود أن يقول : وترك كتمان ذلك عنهم .

وأما قوله : « من بعد ميثاقه » ، فإنه يعنى : من بعد توثُّق الله فيه[١] ، بأخذ عهوده بالوفاء له ، بما عهد إليهم فى ذلك[٢] . غيرَ أن التوثق مصدر من قولك : توثقت من فلان تَوَثُّقاً ، والميثاقُ اسمٌ منه . والهاء فى الميثاق عائدة على اسم الله .

* * *

وقد يدخل فى حكم هذه الآية كلّ من كان بالصفة التى وصف الله بها هؤلاء الفاسقين من المنافقين والكفار ، فى نقض العهد وقطع الرّحم والإفساد فى الأرض .

٥٧٢ — كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة ، قوله : « الذين ينقضُون عهدَ الله من بعد ميثاقه » ، فإياكم ونقضَ هذا الميثاق ، فإن الله قد كره نقضَه وأوعدَ فيه ، وقدّم فيه فى آى القرآن حُجة وموعظة ونصيحة ، وإنا لا نعلم الله جل ذكره أوعد فى ذنب ما أوعدَ فى نقض الميثاق . فمن أعطى عهدَ الله وميثاقه من ثمرَة قلبه فَلْيَفِ به لله[٣] .

٥٧٣ — حدثنى المثنى ، قال : حدثنا إسحق ، قال : حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، فى قوله : « الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويَقطعون ما أمرَ الله به أن يُوصَل ويفسدون فى الأرض أولئك همُ الخاسرون » ، فهى ستٌّ خلال فى أهل النفاق ، إذا كانت لهم الظَّهَرَة ،[٤] أظهرُوا هذه الخلال الستّ

---

(١) فى المطبوعة : « منه » مكان « فيه » .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة « بما عهد إليه » ، وهو خطأ بين .

(٣) الأثر : ٥٧٢ — فى الدر المنثور ١ : ٤٢ ، والشوكانى ١ : ٤٥ . وقوله « من ثمرة قلبه » ، أى خالص قلبه ، مأخوذ من ثمرة الشجرة ، لأنها خلاصتها وأطيب ما فيها . وفى حديث المبايعة : « فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه » ، أى خالص عهده وهو حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، فى المسند : ٦٥٠١ ، ٦٥٠٣ ، ٦٧٩٣ . ويقال : خصنى فلان بثمرة قلبه : أى خالص مودته .

(٤) الظهرة (بثلاث فتحات) : الكثرة ، وأراد بها ظهور الأمر والغلبة . ولو أسكنت الهاء ، كان صواباً ، من قولهم : ظهرت على فلان : إذا علوته وغلبته .

جميعاً : إذا حدّثوا كذبوا ، وإذا وَعدوا أخلفوا ، وإذا اؤتمنوا خانوا ، ونقضُوا عهد الله من بعد ميثاقه ، وقطعوا ما أمرَ اللهُ به أن يوصل ، وأفسدُوا فى الأرض . وإذا كانت عليهم الظَّهَرَةُ ، أظهروا الخلالَ الثلاثَ إذا حدّثوا كذَبوا ، وإذا وَعدوا أخلفوا ، وإذا اؤتمنوا خانوا[1] .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ﴾

قال أبو جعفر : والذى رَغب اللهُ فى وَصْله وذمّ على قطعه فى هذه الآية : الرّحِمُ . وقد بين ذلك فى كتابه ، فقال تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [سورة محمد : ٢٢]. وإنما عَنى بالرّحم ، أهلَ الرّحم الذين جمعتهم وإياه رَحِمُ والدة واحدة. وقطعُ ذلك : ظلمه فى ترك أداء ما ألزم الله من حقوقها ، وأوجبَ من بِرّها . ووَصْلُها : أداءُ الواجب لها إليها من حقوق الله التى أوجبَ لها ، والتعطفُ عليها بما يحقُّ التعطف به عليها .

« وأنْ » التى مع « يوصل » فى محل خفض ، بمعنى رَدِّها على موضع الهاء التى فى « به » : فكان معنى الكلام[2] : ويقطعون الذى أمرَ الله بأن يُوصَل . والهاء التى فى « به »، هى كناية عن ذكر « أن يوصل » . وبما قلنا فى تأويل قوله : « ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل »، وأنه الرّحم ، كان قتادة يقول :

(١) الأثر : ٥٧٣ — فى ابن كثير ١ : ١٢٠ — ١٢١ عن أبى العالية ، ثم قال : « وكذا قال الربيع بن أنس أيضاً » . هذا ، وقد ذكر السيوطى فى الدر المنثور ، والشوكانى خبراً خرجوه عن ابن جرير عن سعد بن أبى وقاص قال : « الحرورية هم الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، قال : إياكم ونقض هذا الميثاق . وكان يسميهم : الفاسقين » الدر المنثور ١ : ٤٢ ، والشوكانى ١ : ٤٥ . أما ابن كثير فقد رواه فى تفسيره ١ : ١١٩ نقلا عن ابن أبى حاتم ؛ بإسناده ، ولم ينسبه إلى الطبرى . وأخشى أن يكون وهماً من السيوطى والشوكانى .

(٢) فى المطبوعة : « وكان معنى الكلام » بالواو .

٥٧٤ – حدثنا بشر بن معاذ ، قال حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة : « ويقطعون ماأمر الله به أنْ يوصَل » ، فقطع والله ما أمر الله به أن يوصل بقطيعة الرّحم والقرابة[1] .

* * *

وقد تأول بعضهم ذلك : أنّ الله ذمهم بقطعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به وأرحامَهم . واستشهد على ذلك بعموم ظاهر الآية ، وأن لا دلالة على أنه معنيٌّ بها بعضُ ما أمر الله بوصله دون بعض[2] .

قال أبو جعفر : وهذا مذهبٌ من تأويل الآية غيرُ بعيد من الصواب ، ولكن الله جل ثناؤه قد ذكر المنافقين فى غير آية من كتابه ، فوصفهم بقطع الأرحام . فهذه نظيرةُ تلك ، غير أنها – وإن كانت كذلك – فهى دالّةٌ على ذمّ الله كلّ قاطعٍ قطعَ ما أمر الله بوصله ، رَحماً كانتْ أو غيرَها .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾

قال أبو جعفر : وفسادُهم فى الأرض : هو ما تقدم وَصْفُناه قبلُ من معصيتهم ربَّهم ، وكفرهم به ، وتكذيبهم رسوله ، وجحدهم نبوته ، وإنكارِهم ما أتاهم به من عند الله أنه حقٌّ من عنده . ١٤٥/١

* * *

(١) الأثر : ٥٧٤ – فى الدر المنثور ١ : ٤٢ ، والشوكانى ١ : ٤٦ مختصراً ، ونصه هناك : « ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ، قال : الرحم والقرابة » .

(٢) فى المخطوطة : « واستشهد على ذلك عموم ظاهر الآية ، ولا دلالة . . . » .

القول فى تأويل قوله : ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٢٧)

قال أبو جعفر : والخاسرون جمع خاسر[١] ، والخاسرون : الناقصُون أنفسَهم حظوظَها — بمعصيتهم الله — من رحمته ، كما يخسرُ الرجل فى تجارته ، بأن يوضَع من رأس ماله فى بيعه[٢] . فكذلك الكافر والمنافق ، خسر بحرمان الله إياه رحمتَه التى خلقها لعباده فى القيامة ، أحوج ما كان إلى رحمته . يقال منه : خسِرَ الرجل يخسَرُ خَسْراً وخُسرَانا وخَساراً ، كما قال جرير بن عطية :

إن سَلِيطاً فى الخَسَارِ إنَّهْ أولادُ قَوْمٍ خُلِقُوا أَقِنَّهْ[٣]

يعنى بقوله : « فى الخسار » ، أى فيما يوكسهم حظوظهم من الشرف والكرم .

وقد قيل : إن معنى « أولئك هم الخاسرون » : أولئك هم الهالكون . وقد يجوز أن يكون قائل ذلك أراد ما قلنا من هلاك الذى وصف الله صفته بالصفة التى وصفه بها فى هذه الآية ، بحرمان الله إياه ما حرَمه من رحمته ، بمعصيته إياه وكفره به . فحمل تأويلَ الكلام على معناه ، دون البيان عن تأويل عين الكلمة بعينها ، فإن أهل التأويل ربما فعلوا ذلك لعلل كثيرة تدعوهم إليه .

وقال بعضهم فى ذلك بما :

٥٧٥ — حُدِّثت به عن المنجاب ، قال : حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : كل شىء نسبه الله إلى غير أهل الإسلام من اسم مثل « خاسر » ، فإنما يعنى به الكفر . وما نسبه إلى أهل الإسلام ، فإنما يعنى به الذنب .

---

(١) فى المطبوعة : « جمع الخاسر » ، وليست بشىء .

(٢) وضع فى البيع يوضع (مبنى للمجهول) وضيعة : إذا خسر خسارة من رأس المال .

(٣) ديوانه : ٥٩٨ ، والنقائض : ٤ ، واللسان (قنن) ، وروايته : « أبناء قوم » . وسليط : بطن من بنى يربوع قوم جرير ، واسم سليط : كعب بن الحارث بن يربوع . وكان غسان ابن ذهيل السليطى هجا بنى الخطفى ، فهجاه جرير بهذا الرجز . وأقنة جمع قن (بكسر القاف) ، والقن : العبد الذى ملك هو وأبواه . والأنثى ، قن أيضاً بغير هاء .

القول فى تأويل قول الله : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٨) هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك :

فقال بعضهم بما :

٥٧٦ — حدثنى به موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى فى خبر ذكره ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : « كيفَ تكفرُون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم » ، يقول : لم تكونوا شيئاً فخلقكم ، ثم يميتكم ، ثم يحييكم يومَ القيامة .

٥٧٧ — حدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ، قال : حدثنا سفيان ، عن أبى إسحق ، عن أبى الأحوص ، عن عبد الله ، فى قوله : ﴿ أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ ﴾ [سورة غافر : ١١] ، قال : هى كالتى فى البقرة : « كنتمْ أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم » .

٥٧٨ — حدثنى أبو حَصين عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن يونس ، قال : حدثنا عَبْثَر ، قال : حدثنا حُصين ، عن أبى مالك ، فى قوله : « أمتَّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين » ، قال : خلقتنا ولم نكن شيئاً ، ثم أمتَّنا ، ثم أحييتَنا .

٥٧٩ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا هُشيم ، عن حُصين ، عن أبى مالك ، فى قوله : « أمتَّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين » ، قال : كانوا أمواتاً فأحياهم الله ، ثم أماتهم ، ثم أحياهم[1] .

---

(١) الأثر : ٥٧٩ — « حصين » . بضم الحاء المهملة : هو ابن عبد الرحمن السلمى . و « أبو مالك » : هو الغفارى الكوفى ، واسمه « غزوان » . سبقت ترجمته فى : ١٦٨

٥٨٠ – حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين بن داود، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، في قوله: «كيف تكفرُون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم»، قال: لم تكونوا شيئاً حين خلقكم، ثم يميتكم الموْتةَ الحقّ، ثم يحييكم. وقوله: «أمتَّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين»، مثلها.

٥٨١ – حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج، قال: حدثني عطاء الخراساني، عن ابن عباس، قال: هو قوله: «أمتَّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين». ١٤٦/١

٥٨٢ – حُدثت عن عمار بن الحسن، قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قال: حدثني أبو العالية، في قول الله: «كيفَ تكفرون بالله وكنتم أمواتاً»، يقول: حين لم يكونوا شيئاً، ثم أحياهم حين خلقهم، ثم أماتهم، ثم أحياهم يوم القيامة، ثم رَجعوا إليه بعد الحياة.

٥٨٣ – حُدثت عن المنجاب، قال: حدثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس، في قوله: «أمتَّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين»، قال: كنتم تُراباً قبل أن يخلقكم، فهذه ميتة، ثم أحياكم فخلقكم، فهذه إحياءة. ثم يميتكم فترجعون إلى القبور، فهذه ميتة أخرى. ثم يبعثكم يوم القيامة، فهذه إحياءة. فهما ميتتان وحياتان، فهو قوله: «كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم، ثم إليه ترجعون».

وقال آخرون بما:

٥٨٤ – حدثنا به أبو كريب، قال: حدثنا وكيع، عن سفيان، عن السدي، عن أبي صالح: «كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم، ثم يميتكم ثم يحييكم، ثم إليه ترجعون»، قال: يحييكم في القبر، ثم يميتكم.

قال آخرون بما:

٥٨٥ – حدثنا به بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد بن زُريع، عن سعيد،

عن قتادة ، قوله : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً » الآية ، قال : كانوا أمواتاً في أصلاب آبائهم[١] ، فأحياهم الله وخلقهم ، ثم أماتهم الموتة التي لا بد منها ، ثم أحياهم للبعث يوم القيامة ، فهما حياتان وموتتان[٢] .

وقال بعضهم بما :

٥٨٦ – حدثني به يونس، قال : أنبأنا ابن وهب، قال : قال ابن زيد، في قول الله تعالى : « ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين » . قال : خلقهم من ظهر آدم حين أخذ عليهم الميثاق، وقرأ : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ ،حتى بلغ : ﴿ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٧٢ – ١٧٣] . قال : فكسبهم العقلَ وأخذ عليهم الميثاق . قال : وانتزع ضلعاً من أضلاع آدم القُصَيرى[٣] فخلق منه حواء – ذكرَه عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال : وذلك قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ﴾ [سورة النساء : ١]، قال : وبثّ منهما بعد ذلك في الأرحام خلقاً كثيراً[٤] ، وقرأ : ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ ﴾ [سورة الزمر : ٦]، قال : خلقاً بعد ذلك . قال : فلما أخذ عليهم الميثاق أماتهم، ثم خلقهم في الأرحام ، ثم أماتهم ، ثم أحياهم يوم القيامة ، فذلك قول الله : ﴿ رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا ﴾ .

---

(١) في المخطوطة : « في أصلبة » ، والصواب « صلبة » (بكسر الصاد وفتح اللام) أو « أصلب » (بسكون الصاد وضم اللام) . وكلها جمع صلب (بضم فسكون) : وهو عظم الظهر من لدن الكاهل إلى عجب الذنب .

(٢) الآثار : ٥٧٥ – ٥٨٥ : بعضها في ابن كثير ١ : ١٢٢ مجملة ، وبعضها في الدر المنثور ١ : ٤٢ ، والشوكاني ١ : ٤٦ ، وكرهنا الإطالة بتفصيلها .

(٣) القصيرى ، بالتصغير : هي الضلع التي تلي الشاكلة أسفل الأضلاع ، وهي أقصرهن .

(٤) في المطبوعة : « وبث فيهما بعد ذلك . . . » ، وهو خطأ .

وقرأ قول الله : ﴿ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٧]. قال : يومئذ . قال : وقرأ قول الله : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ (١) [سورة المائدة : ٧] .

قال أبو جعفر : ولكلّ قول من هذه الأقوال التى حكيناها عمن روَيناها عنه ، وجه ومذهبٌ من التأويل .

* * *

فأما وجه تأويل من تأوّل قوله : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم » ، أى لم تكونوا شيئاً ، فإنه ذهب إلى نحو قول العرب للشيء الدارس والأمر الخامل الذكر : هذا شيء ميّتٌ ، وهذا أمر ميّت — يراد بوصفه بالموت : خُمول ذكره ، ودُرُوس أثره من الناس . وكذلك يقال فى ضد ذلك وخلافه : هذا أمر حىّ ، وذكر حىٌّ — يراد بوصفه بذلك أنه نابه مُتعالم فى الناس ، كما قال أبو نُخَيْلة السعدىّ :

فأحْيَيْت لِى ذِكْرى ، وَمَا كُنْتُ خاملاً ولكنَّ بَعْضَ الذِّكر أنْبَهُ من بَعْضِ (٢)

يريد بقوله : « فأحييتَ لى ذكرى » ، أى : رفعته وشهرته فى الناس حتى نبه فصار مذكوراً حيًّا ، بعد أن كان خاملاً ميتاً . فكذلك تأويل قول من قال فى قوله : « وكنتم أمواتاً » لم تكونوا شيئاً ، أى كنتم خُمولا لاذكر لكم ، وذلك كان موتكم فأحياكم ، فجعلكم بَشراً أحياء تُذكرون وتُعرفون ، ثم يميتكم بقبض أرواحكم وإعادتكم ، كالذى كنتم قبل أن يحييكم ، من دروس ذكركم ، وتعفّى آثاركم ، وخمول أموركم ، ثم يحييكم بإعادة أجسامكم إلى هيئاتها ، ونفخ الروح فيها ، ١٤٧/١

(١) الأثر : ٥٨٦ — فى ابن كثير ١ : ١٢٢ ، والشوكانى ١ : ٤٧ ، مختصراً جداً .

(٢) الأغانى ١٨ : ١٤٠ ، والمؤتلف والمختلف للآمدى : ١٩٣ ، وأبو نخيلة اسمه لا كنيته ، كما قال أبو الفرج ، ويقال اسمه : يعمر بن حزن بن زائدة ، من بنى سعد بن زيد مناة ، وكان الأغلب عليه الرجز ، وله قصيد قليل ، وكان عاقاً بأبيه ، فنفاه أبوه عن نفسه . والبيت من أبيات ، يمدح بها مسلمة بن عبد الملك .

وتصييركم بشراً كالذى كنتم قبل الإماتة ، تتعارفون فى بعثكم وعند حشركم[١] .

* * *

وأما وجه تأويل من تأوّل ذلك : أنه الإماتة التى هى خروج الرّوح من الجسد ، فإنه ينبغى أن يكون ذهب بقوله « وكنتم أمواتاً » ، إلى أنه خطاب لأهل القبور بعد إحيائهم فى قبورهم . وذلك معنى بعيد ، لأن التوبيخ هنالك إنما هو توبيخ على ما سلف وفرط من إجرامهم ، لا استعتابٌ واسترجاع[٢] . وقوله جل ذكره : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً » ، توبيخ مُستعتِبٍ عبادَه ، وتأنيبُ مسترجعٍ خلقَه من المعاصى إلى الطاعة ، ومن الضلالة إلى الإنابة ، ولا إنابة فى القبور بعد الممات ، ولا توبة فيها بعد الوفاة .

* * *

وأما وجه تأويل قول قتادة ذلك : أنهم كانوا أمواتاً فى أصلاب آبائهم . فإنه عنى بذلك أنهم كانوا نطفاً لا أرواح فيها ، فكانت بمعنى سائر الأشياء الموات التى لا أرواح فيها . وإحياؤه إياها تعالى ذكره ، نفخُه الأرواح فيها ، وإماتتُه إياهم بعد ذلك ، قبضُه أرواحهم . وإحياؤه إياهم بعد ذلك ، نفخُ الأرواح فى أجسامهم يوم يُنفخ فى الصّور ، ويبْعثُ الخلق للموعود .

* * *

وأما ابن زيد ، فقد أبان عن نفسه ما قصَد بتأويله ذلك ، وأنّ الإماتة الأولى عنده إعادة الله جل ثناؤه عبادَه فى أصلاب آبائهم ، بعد ما أخذَهم من صُلب آدم ، وأن الإحياء الآخر هو نفخ الأرواح فيهم فى بطون أمهاتهم ، وأن الإماتة الثانية هى قبضُ أرواحهم للعود إلى التراب[٣] ، والمصير فى البرزخ إلى يوم

---

(١) فى المطبوعة : « لتعارفوا » ، وهى قريبة فى المعنى .

(٢) الاستعتاب : الاستقالة من الذنب ، والرجوع إلى ما يجلب الرضا ، أى أن يستقيلوا وبهم ويستغفروه ، ويرجعوا عن إساءتهم ويطلبوا رضاه . واستعتبه : طلب إليه الرجوع إلى ما يرضى . والاسترجاع : طلب الرجوع . واسترجعه : رده الله إلى الطاعة .

(٣) فى المخطوطة : « للعودة إلى التراب » ، وهى قريب.

البعث ، وأن الإحياء الثالثَ هو نفخُ الأرواح فيهم لبعث الساعة ونشر القيامة .

وهذا تأويل إذا تدبره المتدبر وجده خلافاً لظاهر قول الله الذى زعم مفسِّره أن الذى وصفنا من قوله تفسيره . وذلك أن الله جل ثناؤه أخبر فى كتابه — عن الذين أخبر عنهم من خلقه — أنهم قالوا : « ربنا أمتَّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين » ، وزعم ابن زيد فى تفسيره أنّ الله أحياهم ثلاث إحياءات ، وأماتهم ثلاث إماتات . والأمر عندنا — وإن كان فيما وَصَف من استخراج الله جل ذكره من صُلب آدم ذرّيته ، وأخذه ميثاقه عليهم كما وصف — فليس ذلك من تأويل هاتين الآيتين — أعنى قوله : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً » الآية ، وقوله : « ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين » — فى شىء . لأن أحداً لم يدع أن الله أمات من ذرّاً يومئذ غيرَ الإماتة التى صار بها فى البرزخ إلى يوم البعث ، فيكون جائزاً أن يوجّه تأويل الآية إلى ما وجهه إليه ابن زيد .

* * *

وقال بعضُهم : الموتة الأولى مفارقة نطفة الرجل جسده إلى رحم المرأة ، فهى ميّتة من لَدُنْ فراقها جسدَه إلى نفخ الروح فيها . ثم يحييها الله بنفخ الروح فيها فيجعلها بشراً سويًّا بعد تاراتٍ تأتى عليها . ثم يميته الميتة الثانية بقبض الروح منه ، فهو فى البرزخ ميت إلى يوم ينفخ فى الصُّور ، فيردّ فى جسده روحه[1] ، فيعود حيًّا سويًّا لبعث القيامة . فذلك موتتان وحياتان . وإنما دعا هؤلاء إلى هذا القول ، لأنهم ١٤٨/١ قالوا : موتُ ذى الروح مفارقة الرّوح إياه . فزعموا أن كل شىء من ابن آدم حىّ ما لم يفارق جسده الحى ذا الروح . فكل ما فارق جسده الحى ذا الرّوح ، فارقتْه الحياةُ فصار ميتاً . كالعضو من أعضائه — مثل اليد من يديه ، والرِّجل من رجليه — لو قطعت فأبِينتْ[2] ، والمقطوع ذلك منه حىٌّ ، كان الذى بان من جسده ميتاً لا رُوح فيه بفراقه سائر جسده الذى فيه الروح . قالوا : فكذلك نطفته حية بحياته

(١) فى المخطوطة : « فيرد فى جسمه » ، وهى قريب .
(٢) فى المطبوعة : « وأبينت » ، وهذه أجود .

ما لم تفارق جسده ذا الروح، فإذا فارقته مباينةً له صارت ميتةً ، نظيرَ ما وصفنا من حكم اليد والرجل وسائر أعضائه . وهذا قولٌ ووجه من التأويل ، لو كان به قائلٌ من أهل القدوة الذين يُرتضى للقرآن تأويلهم .

* * *

وأولى ما ذكرنا — من الأقوال التى بيّنّا — بتأويل قول الله جل ذكره : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم » الآية ، القول الذى ذكرناه عن ابن مسعود وعن ابن عباس : من أن معنى قوله : « وكنتم أمواتاً » أمواتَ الذكر ، خمولا فى أصلاب آبائكم نطفاً ، لا تُعرفون ولا تُذكرون : فأحياكم بإنشائكم بشراً سويًّا حتى ذُكِرتم وعُرِفتم وحَيِيتم ، ثم يُميتكم بقبض أرواحكم وإعادتكم رُفاتاً لا تُعرفون ولا تُذكرون فى البرزخ إلى يوم تبعثون، ثم يحييكم بعد ذلك بنفخ الأرواح فيكم لبعث الساعة وصَيحة القيامة ، ثم إلى الله ترجعون بعد ذلك ، كما قال : «ثم إليه تُرجعون »، لأن الله جل ثناؤه يحييهم فى قبورهم قبلَ حشرهم، ثم يحشرهم لموقف الحساب، كما قال جل ذكره :﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴾ [سورة المعارج : ٤٣ ،] وقال : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ [سورة يس : ٥١] .

والعلة التى من أجلها اخترنا هذا التأويل ، ما قد قدّمنا ذكره للقائلين به ، وفساد ما خالفه بما قد أوضحناه قبل .

وهذه الآية توبيخٌ من الله جل ثناؤه للقائلين : « آمنّا بالله وباليوم الآخر » ، الذين أخبر الله عنهم أنهم مع قيلهم ذلك بأفواههم ، غيرُ مؤمنين به . وأنهم إنما يقولون ذلك خداعاً لله وللمؤمنين ، فعذَلهم الله بقوله : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم »، ووبّخهم واحتجّ عليهم — فى نكيرهم ما أنكروا من ذلك وجحودهم ما جحدوا بقلوبهم المريضة — فقال : كيف تكفرون بالله فتجحدون قدرته على إحيائكم بعد إماتتكم ، [لبعث القيامة ، ومجازاة المسىء منكم بالإساءة والمحسن

بالإحسان ، وقد كنتم نطفاً أمواتاً فى أصلاب آبائكم ، فأنشأكم خلقاً سويًّا ، وجعلكم أحياءً ، ثم أماتكم بعد إنشائكم . فقد علمتم أن مَنْ فعل ذلك بقدرته ، غير مُعجزِه — بالقدرة التى فعل ذلك بكم — إحياؤكم بعد إماتتكم][1] ، وإعادتكم بعد إفنائكم ، وحشركم إليه لمجازاتكم بأعمالكم .

ثم عدّد ربنا تعالى ذكره عليهم وعلى أوليائهم من أحبار اليهود — الذين جمع بين قصَصهم وقصَص المنافقين فى كثير من آى هذه السورة التى افتتح الخبرَ عنهم فيها بقوله : « إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تُنذرْهم لا يؤمنون » — [2]نِعَمَه التى سلفت منه إليهم وإلى آبائهم ، التى عظُمتْ منهم مواقعها . ثم سلب كثيراً منهم كثيراً منها ، بما ركبوا من الآثام ، واجترموا من الأجْرام ، وخالفوا من الطاعة إلى المعصية ، محذّرَهم بذلك تعجيلَ العقوبة لهم ، كالتى عجلها للأسلاف والأفرْاط قبلهم ، ومُخوّفَهم حُلول مَثُلاتِه بساحتهم كالذى أحلّ بأوّليهم ، ومُعرّفَهم ما لهم من النجاة فى سرعة الأوْبة إليه ، وتعجيل التوبة ، ومن الخلاص لهم يوم القيامة من العقاب[3] .

فبدأ بعد تعديده عليهم ما عدّد من نعمه التى هم فيها مُقيمون ، بذكر أبينا وأبيهم آدم أبى البشر صلوات الله عليه ، وما سلف منه من كرامته إليه ، وآلائه لديه ، وما أحلّ به وبعدوّه إبليس من عاجل عقوبته : صيتهما التى كانت منهما ، ومخالفتهما أمره الذى أمرهما به . وما كان من تغمُّده آدمَ برَحمته إذْ تاب وأناب إليه . وما كان من إحلاله بإبليس من لعنته فى العاجل ، وإعداده له ما أعدّ له من العذاب المقيم فى الآجل ، إذ استكبر وأبى التوبة إليه والإنابة ، منبهاً لهم على حكمه ١٤٩/١

(١) ما بين القوسين ساقط من المطبوعة .

(٢) قوله « نعمه » مفعول قوله « ثم عدد ربنا . . . » ، وما بينهما فصل .

(٣) فى المطبوعة « يحذرهم بذلك . . . ويخوفهم . . . أحل بأوائلهم ، ويعرفهم » ، وانظر ما سيأتى فى ص : ١٥٤ بولاق . وفى المخطوطة والمطبوعة : « من الخلاص . . . » بغير واو ، وهو لا يستقيم ، فلذلك زدناها . وقوله : « حلول مثلاته » جمع مثلة (بفتح الميم وضم الثاء) : وهى العقوبة والعذاب والنكال .

فى المنيبين إليه بالتوبة، وقضائه فى المستكبرين عن الإنابة، إعذاراً من الله بذلك إليهم، وإنذاراً لهم، ليتدبروا آياته وليتذكر منهم أولو الألباب. وخاصًّا أهلَ الكتاب — بما ذَكر من قصص آدم وسائر القصص التى ذكرها معها وبعدها، مما علمه أهل الكتاب وجهلته الأمة الأمِّية من مشركى عبَدة الأوثان — بالاحتجاج عليهم — دون غيرهم من سائر أصناف الأمم، الذين لا علم عندهم بذلك — لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم[1]، ليعلموا بإخباره إياهم بذلك، أنه لله رسولٌ مبعوث، وأن ما جاءهم به فمن عنده. إذْ كان ما اقتص عليهم من هذه القصص، من مكنون علومهم، ومصون ما فى كتبهم، وخفىّ أمورهم التى لم يكن يدّعى معرفة علمها غيرُهم وغيرُ من أخذ عنهم وقرأ كتبهم.

* * *

وكان معلوماً من محمد صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن قط كاتباً، ولا لأسفارهم تالياً، ولا لأحد منهم مُصاحباً ولا مجالساً، فيمكنهم أن يدّعوا أنه أخذ ذلك من كتبهم أو عن بعضهم، فقال جل ذكره — فى تعديده عليهم ما هم فيه مقيمون من نعمه، مع كفرهم به، وتركهم شكرَه عليها بما يجب له عليهم من طاعته[2] — : ﴿ هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُمْ مَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّماءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة : ٢٩]. فأخبرهم جل ذكره أنه خلق لهم ما فى الأرض جميعاً، لأنّ الأرضَ وجميعَ ما فيها لبنى آدم منافعُ. أما فى الدين، فدليلٌ على وحدانية ربهم، وأما فى الدنيا فمعاشٌ وبلاغ لهم إلى طاعته وأداء فرائضه.

فلذلك قال جل ذكره : « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً ».

---

(١) سياق هذه العبارة : « وخاصاً أهل الكتاب . . . بالاحتجاج عليهم . . . لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ». وما بين هذه الأحرف المتعلقة بمراجعها، فصل متتابع، كعادة الطبرى فى كتابته

وقوله : « هو » مكنيّ من اسم الله جل ذكره عائد على اسمه فى قوله : « كيف تكفرون بالله » . ومعنى خلقه ما خلق جلّ ثناؤه ، إنشاؤه عينه ، وإخراجه من حال العدم إلى الوجود . و « ما » بمعنى « الذى » .

فمعنى الكلام إذاً : كيف تكفرون بالله وكنتم نُطفاً فى أصلاب آبائكم فجعلكم بشراً أحياءً ، ثم يميتكم ، ثم هو مُحييكم بعد ذلك وباعثكم يوم الحشر للثواب والعقاب ، وهو المنعمُ عليكم بما خلق لكم فى الأرض من معايشكم وأدلتكم على وحدانية ربكم .

و « كيف » بمعنى التعجب والتوبيخ ، لا بمعنى الاستفهام ، كأنه قال : ويْحكم كيف تكفرون بالله ، كما قال : ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾ [سورة التكوير : ٢٦] . وحل قولُه : « وكنتم أمواتاً فأحياكم » محلّ الحال . وفيه ضميرُ « قد »[1] ، ولكنها حذفت لما فى الكلام من الدليل عليها . وذلك أن « فعل » إذا حلت محلّ الحال كان معلوماً أنها مقتضية « قد » ، كما قال ثناؤه ﴿ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾ [سورة النساء : ٩٠] ، بمعنى : قد حَصِرَت صدورهم . وكما تقول للرجل : أصبحتَ كثرت ماشيتك ، تريد : قد كثرت ماشيتك .

وبنحو الذى قلنا فى قوله : « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً » ، كان قتادة يقول :

٥٨٧ — حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة ، قوله : « هو الذى خلقَ لكم ما فى الأرض جميعاً » ، نَعَمْ والله سخر لكم ما فى الأرض[2] .

* * *

(١) فى المطبوعة « وفيه إضمار قد » ، ولم يرد بالضمير ما اصطلح عليه النحويون ، وإنما أراد المضمر الذى أخفى وستر . وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٣ — ٢٥ .

(٢) الأثر : ٥٨٧ — فى الدر المنثور ١ : ٤٢ ، والشوكانى ١ : ٤٨ ، وفيهما زيادة على الذى فى أصول الطبرى ، وهى : « . . . ما فى الأرض جميعاً ، كرامةً من الله ونعمةً لابن

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَاءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ﴾

قال أبو جعفر : اختلفوا فى تأويل قوله : « ثم استوى إلى السَّماء » .

فقال بعضهم : معنى استوى إلى السماء ، أقبل عليها ، كما تقول : كان فلان مقبلا على فلان ، ثم استوى علىّ يشاتمنى — واستوَى إلىّ يشاتمنى . بمعنى أقبل علىّ وإلىّ يشاتمنى . واستُشْهِد على أنّ الاستواء بمعنى الإقبال بقول الشاعر :

أَقُولُ وقد قَطَعْنَ بِنَا شَرَوْرَى سَوَامِدَ، واسْتَوَيْنَ مِنَ الضَّجُوعِ(١)

فزعم أنه عنى به أنهن خرجن من الضّجوع ، وكان ذلك عندهم بمعنى : أقبلن . وهذا من التأويل فى هذا البيت خطأ ، وإنما معنى قوله : « واستوين من الضجوع » ، استوين على الطريق خارجات ، بمعنى استقمن عليه . ١٥٠/١

وقال بعضهم : لم يكن ذلك من الله جل ذكره بتحوُّل ، ولكنه بمعنى فعله ، كما تقول : كان الخليفة فى أهل العراق يواليهم ، ثم تحوَّل إلى الشام . إنما يريد :

آدم متاعاً ، وبُلْغةً ومنفعة إلى أجل » .

هذا وقد زادا معاً أثراً آخر قالا أخرجه ابن جرير عن مجاهد ، هذا هو : « فى قوله : هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً ، قال : سخّر لكم ما فى الأرض جميعاً » . وإسناد هذا الأثر ، هو الذى يأتى برقم : ٥٩١ ، لأنه من تمامه ، كما هو بين فيما نقله السيوطى والشوكانى . ويوشك أن يكون فى نسخ الطبرى التى بين أيدينا حذف ألجأ النساخ إليه طول الكتاب ، فقد مضى آنفاً مثل هذا النقص ، ومثل هذه الزيادة .

(١) البيت لتميم بن أبى بن مقبل (معجم ما استعجم : ٧٩٥ ، ٨٥٧) ، وروايته « ثوانى » مكان « سوامد » . وشروورى : جبل بين بنى أسد وبنى عامر ، فى طريق مكة إلى الكوفة . والضجوع — بفتح الضاد المعجمة — : موضع أيضاً بين بلاد هذيل وبنى سليم . وقوله : « سوامد » جمع سامد . سمدت الإبل فى سيرها : جدت وسارت سيراً دائماً ، ولم تعرف الإعياء . وسوامد : دوائب لا يلحقهن كلال . والنون فى « قطعن » للإبل .

تحوّل فِعله . [وقال بعضهم : وله : « ثم استوى إلى السماء » يعنى به : استوت][1] . كما قال الشاعر :

أقولُ له لمَّا اسْتَوى فى تُرَابه عَلَى أىِّ دِينٍ قتَّل النَّاس مُصْعَبُ[2]

وقال بعضهم : « ثم استوى إلى السماء » ، عمدَ لها[3] . وقال : بل كلُّ تارك عملا كان فيه إلى آخر ، فهو مُستوٍ لما عمدَ له ، ومستوٍ إليه .

وقال بعضهم : الاستواء هو العلو ، والعلوّ هو الارتفاع . وممن قال ذلك الربيع بن أنس .

٥٨٨ ــ حُدِّثت بذلك عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس : « ثم استوى إلى السماء » . يقول : ارتفع إلى السماء[4] .

ثم اختلف متأوّلو الاستواء بمعنى العلوّ والارتفاع ، فى الذى استوى إلى السّماء. فقال بعضهم : الذى استوى إلى السماء وعلا عليها ، هو خالقُها ومنشئها . وقال بعضهم : بل العالى عليها : الدّخانُ الذى جعله الله للأرض سماء[5] .

قال أبو جعفر : الاستواء فى كلام العرب منصرف على وجوه : منها انتهاءُ شباب الرجل وقوّته ، فيقال ، إذا صار كذلك : قد استوى الرّجُل . ومنها استقامة ما كان فيه أوَدٌ من الأمور والأسباب ، يقال منه : استوى لفلان أمرُه . إذا استقام بعد أوَدٍ ، ومنه قول الطِّرِمَّاح بن حَكيم :

طالَ على رَسْمِ مَهْدَدٍ أبَدُهْ وعَفَا وَاسْتَوَى بِه بَلَدُهْ[6]

---

(١) هذه الجملة بين القوسين ، ليست فى المخطوطة ، وكأنها مقحمة .

(٢) لم أجد هذا البيت . وفى المطبوعة : « قبل الرأس مصعب » ، وهو خطأ لا شك فيه . وفى المخطوطة : « فى ثراته » ، ولا معنى لها ، ولعلها « فى تراثه » . وأنا فى شك من كل ذلك . بيد أن مصعباً الذى ذكر فى الشعر ، هو فيما أرجح مصعب بن الزبير .

(٣) فى المطبوعة : « عمد إليها » .

(٤) الأثر : ٥٨٨ ــ فى الدر المنثور ١ : ٤٣ ، والأثر التالى : ٥٨٩ ، من تمامه .

(٥) فى المطبوعة : « العالى إليها » .

(٦) ديوانه : ١١٠ ، واللسان (سوى) قال : « وهذا البيت مختلف الوزن ، فالمصراع الأول

يعنى : استقام به . ومنها : الإقبال على الشيء يقال استوى فلان على فلان بما يكرهه ويسوءه بعد الإحسان إليه . ومنها . الاحتياز والاستيلاء[١] ، كقولهم : استوى فلانٌ على المملكة . بمعنى احتوى عليها وحازَها . ومنها : العلوّ والارتفاع ، كقول القائل ، استوى فلان على سريره . يعنى به علوَّه عليه .

وأولى المعانى بقول الله جل ثناؤه : « ثم استوى إلى السماء فسوَّاهن » ، علا عليهن وارتفع ، فدبرهنّ بقدرته ، وخلقهنّ سبع سموات .

والعجبُ ممن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب فى تأويل قول الله : « ثم استوى إلى السماء » ، الذى هو بمعنى العلو والارتفاع ، هرباً عند نفسه من أن يلزمه بزعمه — إذا تأوله بمعناه المفهوم كذلك — أن يكون إنما علاَ وارتفع بعد أن كان تحتها — إلى أن تأوله بالمجهول من تأويله المستنكر . ثم لم ينْجُ مما هرَب منه ! فيقال له : زعمت أن تأويل قوله « استوى » أقبلَ ، أفكان مدْبِراً عن السماء فأقبل إليها ؟ فإن زعم أنّ ذلك ليس بإقبال فعل ، ولكنه إقبال تدبير ، قيل له : فكذلك فقُلْ : علا عليها علوّ مُلْك وسلْطان ، لا علوّ انتقال وزَوال . ثم لن يقول فى شيء من ذلك قولا إلا ألزم فى الآخر مثله . ولولا أنا كرهنا إطالة الكتاب بما ليس من جنسه ، لأنبأنا عن فساد قول كل قائل قال فى ذلك قولاً ، لقول أهل الحق فيه مخالفاً . وفيما بينا منه ما يُشرِف بذى الفهم على ما فيه له الكفاية إن شاء الله تعالى .

قال أبو جعفر : فإن قال لنا قائل[٢] : أخبرنا عن استواء الله جل ثناؤه إلى السماء ، كان قبل خلق السماء أم بعده ؟

قيل : بعده ، وقبل أن يسويهن سبعَ سموات ، كما قال جل ثناؤه :

من المنسرح ، والثانى من الخفيف » . والرسم : آثار الديار اللاصقة بالأرض . ومهدد اسم امرأة . والأبد : الدهر الطويل ، والهاء فى « أبده » راجع إلى الرسم . وعفا : درس وذهب أثره . والبلد : الأثر يقول : انمحى رسمها حتى استوى بلا أثر .

(١) فى المخطوطة : « الاستيلاء والاحتواء » .

(٢) فى المطبوعة : « وإن قال . . . » .

﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ [سورة فصلت : ١١] . والاستواء كان بعد أن خلقها دُخاناً، وقبل أن يسوِّيَها سبعَ سموات.

وقال بعضهم : إنما قال : «استوى إلى السّماء»، ولا سماء ، كقول الرجل لآخر : «اعمل هذا الثوب» ، وإنما معه غزلٌ . ١٥١/١

* * *

وأما قوله «فسواهن» فإنه يعني هيأهن وخلقهن ودبَّرهن وقوَّمهن . والتسوية في كلام العرب ، التقويم والإصلاح والتوطئة ، كما يقال : سوَّى فلان لفلان هذا الأمر . إذا قوّمه وأصلحه ووَطَّأه له. فكذلك تسوية الله جل ثناؤه سمواته : تقويمه إياهن على مشيئته ، وتدبيره لهنّ على إرادته ، وتفتيقهنّ بعد ارتتاقهنّ[1] .

٥٨٩ — كما : حُدِّثت عن عمار ، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس : «فسوّاهن سبع سموات» يقول : سوّى خلقهن ، «وهو بكل شيء عليم[2]» .

وقال جل ذكره : «فسواهن» ، فأخرج مكنيِّهن مخرج مكنيِّ الجميع[3] ، وقد قال قبلُ : «ثم استوى إلى السماء» فأخرجها على تقدير الواحد . وإنما أخرج مكنيِّهن مخرج مكنيِّ الجميع ، لأن السماء جمع واحدها سماوة ، فتقدير واحدتها وجميعها إذاً تقدير بقرة وبقر ونخلة ونخل ، وما أشبه ذلك . ولذلك أنِّثت السماء مرة فقيل : هذه سماءٌ ، وذُكِّرت أخرى[4] فقيل : ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ [سورة المزمل : ١٨] ،

---

(١) في المطبوعة : «بعد إرتاقهن» وليست بشيء ، وفي المخطوطة : «بعد أن نتاقهن» ، وظاهر أنها تحريف لما أثبتناه . وارتتق الشيء : التأم والتحم حتى ليس به صدع . وهذا من تأويل ما في سورة الأنبياء : ٣٠ من قول الله سبحانه :
﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ والفتق : الشق.

(٢) الأثر : ٥٨٩ — في الدر المنثور ١ : ٤٣ ، وهو من تمام الأثر السالف : ٥٨٨ .

(٣) المكنى : هو الضمير ، فيما اصطلح عليه النحويون ، لأنه كناية عن الذي أخفيت ذكره . وفي المطبوعة : «الجمع» مكان «الجميع» حيث ذكرت في المواضع الآتية في هذه العبارة .

(٤) في المطبوعة : «أنث السماء . . . وذكر» بطرح التاء .

كما يُفعل ذلك بالجميع الذى لا فرق بينه وبين واحده غير دخول الهاء وخروجها ، فيقال : هذا بقر وهذه بقر ، وهذا نخل وهذه نخل ، وما أشبه ذلك .

وكان بعض أهل العربية يزعم أنّ السماء واحدة ، غير أنها تدلّ على السموات ، فقيل : « فسواهن » ، يراد بذلك التى ذُكِرت وما دلت عليه من سائر السموات التى لم تُذْكر معها [1] . قال : وإنما تُذكر إذا ذُكِّرت وهى مؤنثة ، فيقال : « السماء منفطر به » ، كما يذكر المؤنث [2] ، وكما قال الشاعر :

فَلَا مُزْنَةٌ وَدَقَتْ وَدْقَهَا وَلَا أَرْضَ أَبْقَلَ إِبْقَالَهَا [3]

وكما قال أعشى بنى ثعلبة :

فَإِمَّا تَرَىْ لِمَّتِى بُدِّلَتْ فَإِنَّ الحوادِثَ أَزْرَى بِهَا [4]

---

(١) « بعض أهل العربية » هو الفراء ، وإن لم يكن اللفظ لفظه ، فى كتابه معانى القرآن ١ : ٢٥ ، ولكنه ذهب هذا المذهب ، فى كتابه أيضاً ص : ١٢٦ — ١٣١ .

(٢) هكذا فى الأصول « كما يذكر المؤنث » ، وأخشى أن يكون صواب هذه العبارة : « كما تذكر الأرض ، كما قال الشاعر : . . . » وقد ذكر الفراء فى معانى القرآن ذلك فقال : « . . . فإن السماء فى معنى جمع فقال : (فسواهن) للمعنى المعروف أنهن سبع سموات . وكذلك الأرض يقع عليها — وهى واحدة — الجمع . ويقع عليهما التوحيد وهما مجموعتان ، قال الله عز وجل : (رب السموات والأرض) ثم قال : (وما بينهما) ، ولم يقل : بينهن . فهذا دليل على ما قلت لك » . معانى القرآن ١ : ٢٥ ، وانظر أيضاً ص : ١٢٦ — ١٣١ .

(٣) البيت من شعر عامر بن جوين الطائى ، فى سيبويه ١ : ٢٤٠ ، ومعانى القرآن ١ : ١٢٧ والخزانة ١ : ٢١ — ٢٦ ، وشرح شواهد المغنى : ٣١٩ ، والكامل ١ : ٤٠٦ ، ٢ : ٦٨ ، وقبله ، يصف جيشاً :

وَجَارِيَةٍ من بَنَاتِ المُلُو كِ قَعْقَعْتُ بالخَيْلِ خَلْخَالَهَا
كَكِرْفِئَةِ الغَيْثِ ذَاتِ الصَّبِيـ ـرِ تَرْمِى السَّحابَ وَيَرْمِى لَهَا
تَوَاعَدْتُهَا بَعْدَ مَرِّ النُّجُو م ، كَلْفاء تُكْثِرُ تَهْطَالَهَا
فلا مزنة . . . . . .

(٤) أعشى بنى ثعلبة ، وأعشى بنى قيس ، والأعشى ، كلها واحد ، ديوانه ١ : ١٢٠ ، وفى سيبويه ١ : ٢٣٩ ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ١٢٨ ، والخزانة ٤ : ٥٧٨ ، ورواية الديوان :

فإن تعهدينى ولى لِمَّةٌ فإن الحوادثَ أَلْوَى بها

وقال بعضهم : السماء وإن كانت سماء فوق سماء وأرضاً فوق أرض ، فهى فى التأويل واحدةٌ إن شئت ، ثم تكون تلك الواحدة جِماعاً ، كما يقال : ثوبٌ أخلاقٌ وأسمالٌ ، وبُرْمة أعشار ، للمتكسرة ، وبُرْمة أكسار وأجبار . وأخلاق ، أى أنّ نواحيه أخلاق[1] .

* * *

فإن قال لنا قائل : فإنك قد قلت إن الله جل ثناؤه استوَى إلى السماء وهى دخان قبل أن يسويها سبع سموات ، ثم سواها سبعاً بعد استوائه إليها ، فكيف زعمت أنها جِماع ؟

قيل : إنهن كنّ سبعاً غيرَ مستويات ، فلذلك قال جل ذكره : فسوَّاهن سبعاً . كما : —

٥٩٠ — حدثنى محمد بن حميد ، قال حدثنا سلمة بن الفضل ، قال : قال محمد ابن إسحق : كان أوّلَ ما خلق الله تبارك وتعالى النورُ والظلمةُ ، ثم ميَّز بينهما ، فجعل الظلمة ليلاً أسود مظلماً ، وجعل النور نهاراً مضيئاً مبصراً ، ثم سمك السموات السبع من دخان — يقال ، والله أعلم ، من دخان الماء — حتى استقللن ولم يحبُكْهن[2] . وقد أغطش فى السماء الدنيا ليلها ، وأخرج ضُحاها ، فجرى فيها الليل والنهار ، وليس فيها شمس ولا قمر ولا نجوم . ثم دحا الأرض وأرْساها بالجبال ، وقدر فيها الأقوات ، وبث فيها ما أراد من الخلق ، ففرَغ من الأرض وما قدر فيها من أقواتها فى أربعة أيام . ثم استوى إلى السماء وهى دخان — كما قال — فحبكهن ، وجعل فى السماء الدنيا شمسها وقمرها ونجومها ، وأوحى فى كل سماء أمرها ، فأكمل

ورواية سيبويه كما فى الطبرى ، إلا أنه روى « أودى بها » . وألوى به : ذهب به وأهلكه . وأودى به : أهلكه ، أيضاً . وأما « أزرى بها » : أى حقرها وأنزل بها الهوان ، من الزراية وهى التحقير . وكلها جيد .

(١) أخلاق ، جمع خلق (بفتحتين) : وهو البالى . وأسمال جمع سمل (بفتحتين) : وهو الرقيق المتمزق البالى . وبرمة أجبار ، ضد قولهم برمة أكسار ، كأنه جمع برمة جبر (بفتح فسكون) وإن لم يقولوه مفرداً ، كما لم يقولوا برمة كسر ، مفرداً . وأصله من جبر العظم ، وهو لأمه بعد كسره .

(٢) فى المخطوطة : « ولم يحبكن » .

خلقهن فى يومين ، ففرغ من خلق السموات والأرض فى ستة أيام . ثم استوى فى
١٥٢/١ اليوم السابع فوق سمواته ، ثم قال للسموات والأرض : ائتيا طوعاً أو كرهاً لما أردت بكما ، فاطمئنا عليه طوعاً أو كرهاً ، قالتا : أتينا طائعين (١) .

فقد أخبر ابن إسحق أنّ الله جل ثناؤه استوى إلى السماء — بعد خلق الأرض(٢) وما فيها — وهن سبع من دخان ، فسواهن كما وَصف . وإنما استشهدنا لقولنا الذى قلنا فى ذلك بقول ابن إسحق ، لأنه أوضح بياناً — عن خلق السموات(٣) ، أنهن كُنّ سبعاً من دخان قبل استواء ربنا إليها لتسويتها — من غيره(٤) ، وأحسنُ شرحاً لما أردنا الاستدلال به ، من أن معنى السماء التى قال الله تعالى ذكره فيها : « ثم استوى إلى السماء » بمعنى الجميع(٥) ، على ما وصفنا . وأنه إنما قال جل ثناؤه : « فسوّاهن » ، إذ كانت السماء بمعنى الجميع ، على ما بينا .

قال أبو جعفر : فإن قال لنا قائل : فما صفة تسوية الله جل ثناؤه السموات التى ذكرها فى قوله « فسواهن » ، إذ كن قد خُلِقن سبعاً قبل تسويته إياهن ؟ وماوجه ذِكْر خَلْقهن بعد ذِكْر خَلْق الأرض؟ ألأنها خلقت قبلها ، أم لمعنى غير ذلك(٦)؟

قيل : قد ذكرنا ذلك فى الخبر الذى رويناه عن ابن إسحق ، ونؤكد ذلك تأكيداً بما نضم إليه من أخبار بعض السلف المتقدمين وأقوالهم(٧) :

---

(١) الأثر : ٥٩٠ — هذا الأثر فى الحقيقة تفسير للآيات ٩ — ١٢ من سورة فصلت . ولم يذكره الطبرى فى موضعه عند تفسيرها (٢٤ : ٦٠ — ٦٥ طبعة بولاق) . وكذلك لم يذكره ابن كثير والسيوطى والشوكانى — فى هذا الموضع ، ولا فى موضعه من تفسير سورة فصلت . وهو من كلام ابن إسحق ، ولا بأس عليهم فى الإعراض عن إخراجه . وقد صرح الطبرى هنا — بعد — أنه إنما ذكره استشهاداً ، لا استدلالا ، إذ وجده أوضح بياناً ، وأحسن شرحاً .

(٢) فى المطبوعة : « بعد خلقه الأرض » .

(٣) فى المطبوعة : « عن خبر السموات » .

(٤) فى المطبوعة : « بتسويتها » ، وسياق كلامه : « أوضح بياناً . . . من غيره » ، وما بينهما فصل .

(٥) فى المطبوعة « بمعنى الجمع » ، وفى التى تليها ، وقد مضى مثل ذلك آنفاً .

(٦) فى المطبوعه : « أم بمعنى » ، وهذه أجود .

(٧) فى المطبوعة : « ونزيد ذلك توكيداً » .

٥٩١ – فحدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى فى خبر ذكره ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس – وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : « هو الذى خلقَ لكم ما فى الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبعَ سموات » . قال : إن الله تبارك وتعالى كان عرشه على الماء ، ولم يخلق شيئاً غير ما خلق قبل الماء . فلما أراد أن يخلق الخلق ، أخرج من الماء دخاناً ، فارتفع فوق الماء فسما عليه ، فسماه سماء . ثم أيبس الماء فجعله أرضاً واحدة ، ثم فتقها فجعل سبع أرضين فى يومين – فى الأحد والاثنين ، فخلق الأرض على حوت ، والحوتُ هو النون الذى ذكره الله فى القرآن : « ن والقلم » ، والحوت فى الماء ، والماء على ظهر صفاة ، والصفاةُ على ظهر ملَك ، والملك على صخرة ، والصخرة فى الريح – وهى الصخرة التى ذكر لقمان – ليست فى السماء ولا فى الأرض : فتحرك الحوت فاضطرب ، فتزلزلت الأرض ، فأرسى عليها الجبال فقرّت ، فالجبال تفخر على الأرض ، فذلك قوله : ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾(١) [سورة النحل : ١٥] . وخلق الجبالَ فيها ، وأقواتَ أهلها وشجرها وما ينبغى لها فى يومين ، فى الثلاثاء والأربعاء ، وذلك حين يقول : ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ . وجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا﴾ يقول : أنبتَ شجرَها ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ يقول : أقواتها لأهلها ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ يقول : قلْ لمن يسألك : هكذا الأمر(٢) ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [سورة فصلت ٩ – ١١] ، وكان ذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس ، فجعلها

---

(١) فى الأصول : « وجعل لها رواسى أن تميد بكم » ، وهو وهم سبق إليه القلم من النساخ فيما أرجح ، والآية كما ذكرتها فى سورة النحل ، ومثلها فى سورة لقمان : ١٠

(٢) فى المخطوطة : « يقول : من سأل ، فهكذا الأمر » .

سماء واحدة ، ثم فتقها فجعلها سبع سموات فى يومين — فى الخميس والجمعة ، وإنما سمى يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض — « وأوحى فى كل سماء أمرها » قال : خلق فى كل سماء خلقها من الملائكة والخلق الذى فيها ، من البحار وجبال البَرَد ومالا يُعلم ، ثم زين السماء الدنيا بالكواكب ، فجعلها زينةً وحِفظاً ، تُحفظُ من الشياطين . فلما فرغ من خلق ما أحبّ ، استوى على العرش . فذلك حين يقول : ﴿ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ [سورة الأعراف : ٥٤] . ويقول : ﴿ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾[1] [سورة الأنبياء : ٣٠] .

٥٩٢ — وحدثنى الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله : « هوَ الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً ، ثم استوى إلى السماء » . قال : خلق الأرض قبل السماء ، فلما خلق الأرضَ ثار منها دخان ، فذلك حين يقول : « ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات » . قال : بعضُهن فوق بعض ، وسبعَ أرضين ، بعضُهن تحت بعض[2] . ١٥٣/١

---

(١) الخبر : ٥٩١ — فى ابن كثير ١ : ١٢٣ ، والدر المنثور ١ : ٤٢ — ٤٣ ، والشوكانى ١ : ٤٨ . وقد مضى الكلام فى هذا الإسناد ، واستوعب أخى السيد أحمد شاكر تحقيقه فى موضعه (انظر الخبر: ١٦٨) ، وقد مضى أيضاً قول الطبرى ، حين عرض لهذا الإسناد فى الأثر رقم : ٤٦٥ ص : ٣٥٣ : « فإن كان ذلك صحيحاً ، ولست أعلمه صحيحاً ، إذ كنت بإسناده مرتاباً . . . » . وقد مضى الطبرى فى تفسيره على رواية مالم يصح عنده إسناده ، لعلمه أن أهل العلم كانوا يومئذ يقومون بأمر الإسناد والبصر به ، ولا يتلقون شيئاً بالقبول إلا بعد تمحيص إسناده . فلئن سألت : فيم يسوق الطبرى مثل هذا الخبر الذى يرتاب فى إسناده ؟ وجواب ذلك : أنه لم يسقه ليحتج بما فيه ، بل ساقه للاعتبار بمعنى واحد ، وهو أن الله سبحانه سمك السموات السبع من دخان ، ثم دحا الأرض وأرساها بالجبال ، ثم استوى إلى السماء وهى دخان ، فحبكهن سبعاً ، وأوحى فى كل سماء أمرها . وليس فى الاعتبار بمثل هذا الأثر ضرر ، لأن المعنى الذى أراده هو ظاهر القرآن وصريحه . وإن كان الخبر نفسه مما تلقاه بعض الصحابة عن بنى إسرائيل ، لا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا حجة إلا فيما أنزل الله فى كتابه ، أو فى الذى أوحى إلى نبيه مما صح عنه إسناده إليه . وكل ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قبلناه لا نحكم فيه أحداً ، فإن قوله هو المهيمن بالحق على أقوال الرجال .

(٢) الأثر : ٥٩٢ — فى ابن كثير ١ : ١٢٤ ، والدر المنثور ١ : ٤٢ ، والشوكانى ١ : ٤٨ .

٥٩٣ – حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أنبأنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « فسواهنّ سبعَ سموات » قال : بعضُهن فوق بعض ، بين كل سماءين مسيرة خمسمئة عام .

٥٩٤ – حدثنا المثنى بن إبراهيم قال : حدثنا أبو صالح ، قال : حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس فى قوله : – حيث ذكر خلق الأرض قبل السماء ، ثم ذكر السماء قبل الأرض ، وذلك أن الله خلق الأرض بأقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء – « ثم استوى إلى السماء فسوّاهن سبع سموات » ، ثم دحا الأرض بعد ذلك ، فذلك قوله : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴾ [سورة النازعات : ٣٠] .

٥٩٥ – حدثنى المثنى ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، قال حدثنى أبو معشر ، عن سعيد بن أبى سعيد ، عن عبد الله بن سلام أنه قال : إنّ الله بدأ الخلق يوم الأحد ، فخلق الأرَضِين فى الأحد والاثنين ، وخلق الأقواتَ والرواسىَ فى الثلاثاء والأربعاء ، وخلق السموات فى الخميس والجمعة ، وفرَغ فى آخر ساعة من يوم الجمعة ، فخلق فيها آدم على عجل . فتلك الساعة التى تقوم فيها الساعة .

قال أبو جعفر : فمعنى الكلام إذاً : هو الذى أنعم عليكم ، فخلق لكم ما فى الأرض جميعاً وسخَّره لكم تفضُّلاً منه بذلك عليكم ، ليكون لكم بلاغاً فى دنياكم ومتاعاً إلى موافاة آجالكم ، ودليلاً لكم على وَحدانية ربكم . ثم علا إلى السموات السبع وهى دخان ، فسوَّاهنّ وحبَكهن ، وأجرى فى بعضهن شمسه وقمره ونجومه ، وقدر فى كل واحدة منهن ما قدر من خلقه[1] .

* * *

(١) الآثار : ٥٩٣ – ٥٩٥ ، لم نجدها فى شىء من تلك المراجع .

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٢٩)

يعنى بقوله جل جلاله : « وهو » نفسَه ، وبقوله : « بكل شىء عليم » أن الذى خلقكم ، وخلق لكم ما فى الأرض جميعاً ، وسوّى السموات السبع بما فيهن فأحكمهن من دخان الماء ، وأتقن صُنعهنّ ، لا يخفى عليه — أيها المنافقون والملحدون الكافرون به من أهل الكتاب[1] — ما تُبدون وما تكتمون فى أنفسكم ، وإن أبدى منافقوكم بألسنتهم قولهم : آمنا بالله وباليوم الآخر ، وهم على التكذيب به منطوون . وكذّبتْ أحباركم بما أتاهم به رسولى من الهدى والنور ، وهم بصحته عارفون . وجحدوه وكتموا ما قد أخذتُ عليهم — ببيانه لخلقى من أمر محمد ونُبوّته — المواثيقَ وهم به عالمون . بل أنا عالم بذلك من أمركم وغيره من أموركم . وأمور غيركم[2] ، إنى بكل شىء عليم .

وقوله : « عليم » بمعنى عالم . ورُوى عن ابن عباس أنه كان يقول : هو الذى قد كمَل فى علمه .

٥٩٦ — حدثنى المثنى ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، قال : حدثنا معاوية بن صالح ، قال : حدثنى على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قال : العالم الذى قد كمَل فى علمه[3] .

* * *

(١) فى المخطوطة : « وأهل الكتاب » عطفاً .
(٢) فى المطبوعة : « بل أنا عالم بذلك وغيره من أموركم . . . » .
(٣) الخبر : ٥٩٦ — ليس فى مراجعنا .

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ ﴾

قال أبو جعفر : زعم بعض المنسوبين إلى العلم بلغات العرب من أهل البصرة[١] : أن تأويل قوله : « وإذ قال ربك » ، وقال ربك ؛ وأن « إذ » من الحروف الزوائد ، وأن معناها الحذف . واعتلّ لقوله الذى وصفنا عنه فى ذلك ببيت الأسود بن يَعْفُر :

فَإِذَا وذَلِكَ لاَمَهَاهَ لِذِكْرِهِ والدَّهْرُ يُعْقِبُ صَالِحاً بِفَسَادِ[٢]

---

(١) هو أبو عبيدة (انظر تفسير ابن كثير ١ : ١٢٥) ، وكما مضى آنفاً فى مواضع من كلام الطبرى . ويؤيد ذلك أن البغدادى نقل فى شرح بيت عبد مناف بن ربعى ، (الخزانة ٣ : ١٧١) ، عن ابن السيد : « وقال أبو عبيدة : إذا ، زائدة ، فلذلك لم يؤت لها بجواب » . هذا والشاهدان الآتيان فى زيادة « إذا » لا فى زيادة « إذ » ، وهو من جرأة أبى عبيدة وخطئه ، وأيا ما كان قائله ، فهو جرىء مخطئ .

(٢) المفضليات ، القصيدة رقم : ٤٤ ، وليس البيت فى رواية ابن الأنبارى شارح المفضليات . وقوله « لامهاه » ، يقال : ليس لعيشنا مهه (بفتحتين) ومهاء : أى ليس له حسن أو نضارة . وقد زعموا أن الواو فى قوله « فإذا وذلك . . . » زائدة مقحمة ، كأنه قال : فإذا ذلك ... ، وقد قال الطبرى فى تفسير قوله تعالى : « حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين » ج ٢٤ ص ٢٤ : « واختلف أهل العربية فى موضع جواب « إذا » التى فى قوله : (حتى إذا جاءوها) ، فقال بعض نحويى البصرة ، يقال إن قوله : (وقال لهم خزنتها) فى معنى : قال لهم . كأنه يلغى الواو . وقد جاء فى الشعر شىء يشبه أن تكون الواو زائدة ، كما قال الشاعر :

فَإِذَا وَذَلِكَ يا كُبَيْشَةُ لَمْ يَكُنْ إِلاَّ تَوَهُّمَ حَالِمٍ بِخَيَالِ

فيشبه أن يكون يريد : فإذا ذلك لم يكن » . وقال أبو سعيد السكرى فى شرح أشعار الهذليين ٢ : ١٠٠ ، فى شرح بيت أبى كبير الهذلى :

فَإِذَا وَذَلِكَ لَيْسَ إِلاَّ حِينَهُ وَإِذَا مَضَى شَىءٌ كَأَنْ لَمْ يُفْعَلِ

قال أبو سعيد : « الواو زائدة . قال : قلت لأبى عمرو : يقول الرجل : ربنا ولك الحمد . فقال : يقول الرجل : قد أخذت هذا بكذا وكذا . فيقول : وهو لك » .

وقال ابن الشجرى فى أماليه ١ : ٣٥٨ : « قيل فى الآية إن الواو مقحمة ، وليس ذلك بشىء ، لأن زيادة الواو لم تثبت فى شىء من الكلام الفصيح » . والذى ذهب إليه ابن الشجرى هو الصواب ،

ثم قال : ومعناها : وذلك لامهاه لذكره – وببيت عبد مناف بن رِبْع الهُذَلىّ :

حتَّى إذَا أسْلَكُوهم فى قُتَائِدَةٍ شَلاًّ كما تَطْرُدُ الجَمَّالَةُ الشُّرُدَا[1]

وقال : معناه ، حتى أسلكوهم .

قال أبو جعفر : والأمر فى ذلك بخلاف ما قال : وذلك أن « إذ » حرف يأتى بمعنى الجزاء ، ويدل على مجهول من الوقت . وغيرُ جائز إبطال حرف كان دليلاً على معنى فى الكلام . إذْ سواءٌ قيلُ قائل : هو بمعنى التطوُّل ، وهو فى الكلام دليل على معنى مفهوم – وقيلُ آخرَ ، فى جميع الكلام الذى نطق به دليلاً على ما أريد به : هو بمعنى التطوُّل[2] . ١٥٤/١

ولكل شاهد مما استشهدوا به وجه فى البيان ، ليس هذا موضع تفصيله . وكفى برد الطبرى فى هذا الموضع ما زعمه أبو عبيدة من زيادة « إذ » كما سيأتى : « وغير جائز إبطال حرف كان دليلا على معنى فى الكلام » إلى آخر ما قال . وهو من سديد الفهم . وشرحه للبيت بعد ، يدل على أنه لا يرى زيادة الواو ، وذلك قوله فى شرحه : « فإذا الذى نحن فيه ، وما مضى من عيشنا » .

(١) ديوان الهذليين ٢ : ٤٢ ، ويأتى فى تفسير الطبرى ١٤ : ٨ ، ١٨ : ١٣ ، ٢٤ : ٢٥ (طبعة بولاق) والخزانة ٣ : ١٧٠ – ١٧٤ ، وأمالى ابن الشجرى ١ : ٣٥٨ ، ٢ : ٢٨٩ ، وكثير غيرها . وسلك الرجل الطريق ، وسلكه غيره فيه ، وأسلكه الطريق : أدخله فيه أو اضطره إليه . وقتائدة : جبل بين المنصرف والروحاء ، أى فى الطريق بين مكة والمدينة . وشل السائق الإبل : طردها أمامه طرداً . ومر فلان يشل العدو بالسيف : يطردهم طرداً يفرون أمامه . والجمالة : أصحاب الجمال . وشرد البعير فهو شارد وشرود : نفر وذهب فى الأرض ، وجمع شارد شرد (بفتحتين) مثل خادم وخدم . وجمع شرود شرد (بضمتين) . ويذكر عبد مناف قوماً أغاروا على عدو لهم ، فأزعجوهم عن منازلهم ، واضطروهم إلى « قتائدة » يطردونهم بالسيوف والرماح والنبال ، كما تطرد الإبل الشوارد . وجواب « إذا » تقديره : شلوهم شلا ، فعل محذوف دل عليه المصدر ، كما سيأتى فى كلام الطبرى بعد .

(٢) فى المخطوطة : « هو بمعنى التطول فى الكلام » . وهو خطأ . والتطول ، فى اصطلاح الطبرى وغيره : الزيادة فى الكلام بمعنى الإلغاء ، كما مضى آنفاً فى ص ١٤٠ من بولاق ، وأراد الطبرى أن ينفى ما لج فيه بعض النحاة من ادعاء اللغو والزيادة فى الكلام ، فهو يقول : إذا كان للحرف أو الكلمة معنى مفهوم فى الكلام ، ثم ادعيت أنه زيادة ملغاة ، فجائز لغيرك أن يدعى أن جملة كاملة مفهومة المعنى ، أو كلاماً كاملا مفهوم المعنى – إنما هى زيادة ملغاة أيضاً . وبذلك يبطل كل معنى لكل كلام ، إذ يجوز لمدع أن يبطل منه ما يشاء بما يهوى من الجرأة والادعاء . وهذا تأييد لمذهبنا الذى ارتضيناه فى التعليق السالف .

وليس لما ادّعَى الذى وصفنا قوله[1] — فى بيت الأسود بن يعفر : أن « إذا » بمعنى التطوّل — وجه مفهوم ، بل ذلك لو حذف من الكلام لبطل المعنى الذى أراده الأسود بن يعفر من قوله :

* فَإِذَا وذلك لاَمَهَاهَ لذِكْرِه *

وذلك أنه أراد بقوله : فإذا الذى نحن فيه ، وما مضى من عيشنا . وأشار بقوله « ذلك » إلى ما تقدم وصْفه من عيشه الذى كان فيه — « لامهاه لذكره » يعنى لا طعمَ ولا فضلَ ، لإعقاب الدهر صَالح ذلك بفساد . وكذلك معنى قول عبد مناف بن رِبْعٍ :

حتى إذا أسلكوهم فى قُتَائدةٍ شَلاًّ . . . . . .

لو أسقط منه « إذا » بطل معنى الكلام ، لأن معناه : حتى إذا أسلكوهم فى قتائدة سلكوا شلا ، فدل قوله . « أسلكوهم شلا » على معنى المحذوف ، فاستغنى عن ذكره بدلالة « إذا » عليه ، فحذف . كما دَلّ — ماقد ذكرنا فيما مضى من كتابنا[2] — على ما تفعل العربُ فى نظائر ذلك . وكما قال النمر بن تَوْلَب :

فإن المَنِيَّةَ مَنْ يَخْشَها فَسَوْفَ تُصَادِفُه أَيْنَمَا[3]

وهو يريد : أينما ذهب . وكما تقول العرب : « أتيتك من قبلُ ومن بعدُ » . تريد من قبل ذلك ، ومن بعد ذلك . فكذلك ذلك فى « إذا » كما يقول القائل :

---

(١) فى المطبوعة « وليس لمدعى الذى . . . » وهو خطأ .

(٢) فى المطبوعة : « كما قد ذكرنا فيما مضى من كتابنا على ما تفعل . . . » ، وفى المخطوطة : « كما قال .قد ذكرنا فيما مضى . . . » ، وكلاهما خطأ ، الأول من تغيير المصححين ، والثانى تصحيف فى « قال » ، فهى « دل » ، والنقطة السوداء ، بياض كان فى الأصل المنقول عنه ، أو « ما » ضاعت ألفها وبقيت « م » مطموسة ، فظنها ظان علامة فصل .

هذا وقد أشار الطبرى إلى ما مضى فى كتابه هذا ص : ١١٤ ، ص : ٣٢٧ فانظره .

(٣) من قصيدة محكمة فى مختارات ابن الشجرى ١ : ١٦ ، والخزانة ٤ : ٤٣٨ ، وشرح شواهد المغنى : ٦٥ ، وبعده :

وإنْ تتخطّاكَ أسْبابُها فإن قُصَاراكَ أنْ تهرمَا

« إذا أكرمك أخوكَ فأكرمه ، وإذا لا فلا » . يريد : وإذا لم يكرمك فلا تكرمه . ومن ذلك قول الآخر :

فَإِذَا وذَلِكَ لاَ يَضُرُّكَ ضُرُّهُ في يَوْمِ أَسْأَلُ نَائِلاً أو أُنْكَدُ[1]

نظيرَ ما ذكرنا من المعنى فى بيت الأسود بن يعفر . وكذلك معنى قول الله جل ثناؤه : « وإذ قالَ ربك للملائكة » ، لو أبْطِلت « إذ » وحُذِفت من الكلام ، لاستحال عن معناه الذى هو به[2] ، وفيه « إذ » .

فإن قال لنا قائل : فما معنى ذلك ؟ وما الجالب لـ « إذ » ، إذ لم يكن فى الكلام قبله ما يُعطف به عليه[3] ؟

قيل له : قد ذكرنا فيما مضى[4] : أنّ الله جل ثناؤه خاطب الذين خاطبهم بقوله : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم » ، بهذه الآيات والتى بعدها ، مُوَبِّخهم مقبحاً إليهم سوءَ فعالهم ومقامهم على ضلالهم ، مع النعم التى أنعمها عليهم وعلى أسلافهم ؛ ومذكِّرَهم — بتعديد نعمه عليهم وعلى أسلافهم — بأسَه ، أن يسلكوا سبيل من هلك من أسلافهم فى معصيته[5] ، فيسلك بهم سبيلهم فى عقوبته ؛ ومعرِّفهم ما كان منه من تعطّفه على التائب منهم استعتاباً منه لهم . فكان مما عدّد من نعمه عليهم أنه خلق لهم ما فى الأرض جميعاً ، وسخّر لهم ما فى السموات من شمسها

(١) لم أعرف صاحبه . وفى المطبوعة :

« فى يوم أثل نائلا أو أنكدا »

وهو خطأ عريق. وفى المطبوعة : « أسل نائلا » ، وهى أقرب إلى الصواب . الضر : سوء الحال من فقر أو شدة أو بلاء أو حزن . والنائل : ما تناله وتصيبه من معروف إنسان . ونكده ما سأله : قلل له العطاء ، أو لم يعطه البتة ، يقول القائل :

وأَعْطِ ما أعطيتَهُ طَيِّباً لا خيرَ فى المنكودِ والنَّاكِدِ

(٢) قوله : « الذى هو به » ، أى : الذى هو به كلام قائم مفهوم .

(٣) فى المطبوعة : « فإن قال قائل » ، بحذف : « لنا » .

(٤) انظر ما سلف فى ص : ٤٢٤ وما بعدها .

(٥) فى المطبوعة : « من أسلافهم فى معصية الله » ، وفى المخطوطة : « سلافهم » مضبوطة بالقلم بضم السين وتشديد اللام ، وفى المواضع السالفة : « أسلاف » . والأسلاف والسلاف جمع سلف وسالف : وهم آباؤنا الذين مضوا وتقدمونا إلى لقائه سبحانه .

وقمرها ونجومها ، وغير ذلك من منافعها التى جعلها لهم ولسائر بنى آدم معهم منافع .
فكان فى قوله تعالى: ذكره « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون » ، معنى : اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم ، إذ خلقتكم ولم تكونوا شيئاً . وخلقت لكم ما فى الأرض جميعاً ، وسويت لكم ما فى السماء .
ثم عطف بقوله : « وإذ قال ربُّك للملائكة » على المعنى المقتضَى بقوله : « كيف تكفرون بالله » ، إذ كان مقتضياً ما وصفتُ من قوله : اذكروا نعمتى إذ فعلت بكم وفعلتُ ، واذكروا فعلى بأبيكم آدم إذ قلتُ للملائكة إنى جاعلٌ فى الأرض خليفةً[1] .

١٥٥/١ فإن قال قائل : فهل لذلك من نظير فى كلام العرب نعلم به صحة ما قلت ؟
قيل : نعم ، أكثرُ من أن يحصى ، من ذلك قول الشاعر :

أجِدَّكَ لَنْ تَرَى بُثُعَيْلِبَاتٍ وَلاَ بَيْدَانَ نَاجِيَةَ ذَمُولاَ[2]
ولاَ مُتَدَارِكٍ والشمْسُ طِفْلٌ بِبعضِ نَوَاشِغِ الوَادى حُمُولاَ[3]

فقال : « ولامتدارك » ، ولم يتقدمه فعلٌ بلفظه يعطفه عليه[4] ، ولا حرف

---

(١) هذا الذى قاله أبو جعفر تغمده الله بمغفرته ، من أجود النظر فى تأويل كتاب الله ، ومن حسن بصره بالعربية وأسرار إيجازها ، واعتمادها على الاكتفاء بالقليل من اللفظ الدال على الكثير من المعنى ، واتخاذها الحروف روابط للمعانى الجامعة ، لا لرد حرف على حرف سبق .

(٢) هو للمرار بن سعيد الفقعسى ، معانى القرآن للفراء ١ : ١٧١ ، مجالس ثعلب : ١٥٩ ، اللسان (بيد) (طفل) (نشغ) ، ومعجم البلدان (ثعيلبات) . وثعيلبات وبيدان موضعان . والناجية : الناقة السريعة ، من النجاء : وهو سرعة السير . والذمول : الناقة التى تسير سيراً سريعاً ليناً . ذملت ذميلا وذملاناً .

(٣) يروى « ولا متلافياً » بالنصب . وتدارك القوم (متعدياً) ، بمعنى أدركهم ، أو حاول اللحاق بهم . وتلافاه : تداركه أيضاً . والشمس طفل : يعنى هنا : عند شروقها — لا عند غروبها — أخذت من الطفل الصغير . ونواشغ الوادى جمع ناشغة : وهى مجرى الماء إلى الوادى . الحمول : هى الهوادج التى فيها النساء تحملها الإبل . وسميت الإبل وما عليها حمولا ، لأنهم يحملون عليها الهوادج للرحلة . يقول : لن تدركهم ، فقد بكروا بالرحيل .

(٤) فى المطبوعة : « يعطف عليه » . وفى المخطوطة « يعطف به » ، وقوله « به » ملصقة إلصاقاً فى الفاء من « يعطف » .

مُعرَب إعرابَه ، فيردّ « متدارك » عليه فى إعرابه . ولكنه لما تقدّمه فعل مجحود بـ « لن » يدل على المعنى المطلوب فى الكلام من المحذوف[١] ، استغنى بدلالة ما ظهر منه عن إظهار ما حُذِف ، وعاملَ الكلامَ فى المعنى والإعراب معاملته أن لو كان ما هو محذوف منه ظاهراً [٢]. لأن قوله :

• أجدّكَ لن ترَى بِثُعَيْلِبَاتٍ •

بمعنى : « أجدّك لستَ بِرَاءٍ »، فردّ « متداركاً » على موضع « ترى »، كأنّ « لست » و « الباء » موجودتان فى الكلام . فكذلك قوله : « وإذ قالَ ربُّك » ، لمّا سلف قبله تذكير الله المخاطبين به ما سلف قِبَلَهم وقِبَلَ آبائهم من أياديه وآلائه ، وكانَ قوله : « وإذ قال ربك للملائكة » مع ما بعده من النعم التى عدّدها عليهم ونبّههم على مواقعها — رَدّ « إذْ » على موضع « وكنتم أمواتاً فأحياكم » . لأن معنى ذلك : اذكروا هذه من نعمى ، وهذه التى قلت فيها للملائكة . فلما كانت الأولى مقتضية « إذ »، عطف بـ « إذ » على موضعها فى الأولى[٣] ، كما وصفنا من قول الشاعر فى « ولا متدارك » .

* * *

القول فى تأويل قوله : ﴿ لِلْمَلٰٓئِكَةِ ﴾

قال أبو جعفر : والملائكة جمع مَلَأك[٤]، غيرَ أن أحدَهم[٥] ، بغير الهمزة أكثرُ وأشهر فى كلام العرب منه بالهمز . وذلك أنهم يقولون فى واحدهم : مَلَك من

---

(١) فى المطبوعة : « فى الكلام ، وعلى المحذوف » ، لعله من تغيير المصححين . وأراد الطبرى أن الفعل المجحود ، يدل على المعنى المطلوب من المحذوف . وهذا بين .

(٢) فى المخطوطة : « إذ لو كان ما هو محذوف منه ظاهر » ، وهو خطأ .

(٣) فى المطبوعة : « عطف « وإذ » على موضعها فى الأولى » ، وليس بشىء .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « جمع ملك » ، وظاهر كلام الطبرى يدل على صواب ما أثبتناه .

(٥) فى المطبوعة : « غير أن واحدهم » ، وهما سواء .

الملائكة، فيحذفون الهمز منه ، ويحركون اللام التى كانت مسكنة لو هُمز الاسم . وإنما يحركونها بالفتح ، لأنهم ينقلون حركة الهمزة التى فيه بسقوطها إلى الحرف الساكن قبلها : فإذا جمعوا واحدهم ، ردّوا الجمعَ إلى الأصل وهمزوا ، فقالوا : ملائكة .

وقد تفعل العرب نحو ذلك كثيراً فى كلامها ، فتترك الهمز فى الكلمة التى هى مهموزة ، فيجرى كلامهم بترك همزها فى حال ، وبهمزها فى أخرى ، كقولهم : « رأيت فلاناً » فجرى كلامهم بهمز « رأيت » ثم قالوا : « نرى وترى ويرى » ، فجرى كلامهم فى « يفعل » ونظائرها بترك الهمز ، حتى صارَ الهمز معها شاذًّا ، مع كون الهمز فيها أصلاً . فكذلك ذلك فى « ملك وملائكة » ، جرى كلامهم بترك الهمز من واحدهم ، وبالهمز فى جميعهم . وربما جاء الواحد مهموزاً ، كما قال الشاعر :

فلَسْتَ لإنسِيٍّ ولكنْ لِمَلْأَكٍ تحدَّرَ من جَوِّ السَّماء يَصُوبُ[1]

وقد يقال فى واحدهم ، مألك ، فيكون ذلك مثل قولهم : جَبَذ وجذب ، وشأمَل وشمأل ، وما أشبه ذلك من الحروف المقلوبة . غير أن الذى يجبُ إذا سمى واحدهم « مألك » أن يجمع إذا جمع على ذلك « مآلك » ، ولست أحفظ جمعَهم كذلك سماعاً ، ولكنهم قد يجمعون : ملائك وملائكة ، كما يجمع أشعث : أشاعث وأشاعثة ، ومِسْمع : مَسامِع ومَسامِعة ، قال أميّة بن أبى الصّلت فى جمعهم كذلك :

وفِيهما مِنْ عِبَـاد الله قومٌ مَلَائِك ذُلِّلُوا وهُمُ صِعَابُ[2]

وأصل الملأك : الرسالة ، كما قال عدى بن زيد العِبَادِىّ :

---

(١) سلف الكلام على هذا البيت فى ص : ٣٣٣ ، ورواية المخطوطة فى هذا الموضع :

« ولستَ لجنّىّ ولكنّ مَلْأكاً »

(٢) ديوانه : ١٩ . « ذللوا » من الذل (بكسر الذال) وذلله : راضه حتى يذل ويلين ويطيع .

أَبْلِغِ النُّعْمَـــانَ عَنِّى مَلْأَكًا إِنَّهُ قد طال حَبْسِى وَانْتِظَارِى(١)

وقد ينشد : مألكاً ، على اللغة الأخرى. فمن قال : ملأكاً فهو مَفْعَل، من لأك إليه يَلأك إذا أرسل إليه رسالة مَلأكة(٢)؛ ومن قال: مألكاً فهو مَفْعَل من ألكت إليه آلك : إذا أرسلت إليه مألكة وألوكاً(٣)، كما قال لبيد بن ربيعة(٤) : ١٥٦/١

وَغُلامٍ أَرْسَلَتْـــهُ أُمُّه بِأَلُوكٍ فَبَذَلْنا ما سَأَلْ(٥)

فهذا من « ألكت » ، ومنه قول نابغة بنى ذبيان :

أَلِكْنِى يا عُيَيْنَ إليكَ قَوْلاً سَأُهْدِيه ، إِلَيْكَ إِلَيْكَ عَنِّى(٦)

---

(١) الأغانى ٢ : ١٤ ، والعقد الفريد ٥ : ٢٦١ ، وفى المطبوعة «وانتظار» ، وهى إحدى قصائد عدى ، التى كان يكتبها إلى النعمان ، لما حبسه فى محبس لا يدخل عليه فيه أحد . وبعده البيت المشهور ، وهو من تمامه :

لَوْ بغيرِ المـــاء حَلْقِى شرِقٌ كُنْتُ كالغَصَّانِ بالماء اعتصارِى

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « يلئك » ، وهذا الثلاثى : « لأك يلأك » لم أجده منصوصاً عليه فى كتب اللغة ، بل الذى نصوا عليه هو الرباعى : « ألكنى إلى فلان : أبلغه عنى . أصله ألتكنى ، فحذفت الهمزة وألقيت حركتها على ما قبلها » ، ولكنهم نصوا على أنه مقلوب ، فإذا صح ذلك ، صح أيضاً أن تكون « لأك » مقلوب « ألك » الثلاثى ، وهو مما نصوا عليه .

(٣) كلام الطبرى يشعر بأنه أراد وزن « مفعل » بفتح العين ، فهى مألك ، بفتح اللام ، والأشهر الأفصح : والمألك والمألكة (بفتح الميم وضم اللام فيهما) .

(٤) فى المطبوعة : « لبيد بن أبى ربيعة » ، وهو خطأ .

(٥) ديوانه القصيدة رقم : ٣٧ ، البيت : ١٦ ، وقوله « وغلام » مجرور بواو « رب » . أرسلت الغلام أمه تلتمس من معروف لبيد ، فأعطاها ما سألت .

(٦) فى المطبوعة : « سهديه الرواة إليك . . . » ، وأثبتنا نص المخطوطة ، والديوان : ٨٥ وغيرهما . ويضبطونه « سأهديك » بضم الهمزة ، من الهدية ، أى سأهديه إليك ، ولست أرتضيه ، والشعر يختل بذلك معناه . وإنما هو عندى بفتح الهمزة ، من « هديته الطريق » إذا عرفته الطريق وبينته له . ومنه أخذوا قولهم : هادانى فلان الشعر وهاديته : أى هاجانى وهاجيته . وقوله : « إليك إليك » أى خذها ، كما قال القطامى :

إذا التَّيَّازُ ذُو العَضَلاتِ قلنا : إِلَيْكَ إِلَيْكَ ! ضاقَ بِهَا ذِراعَا

وقوله : « عنى » أى منى ، كما فى قولهم : « عنك جاء هذا » أى منك ، أو من قبلك . وكذلك هو فى قوله تعالى : (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) ، أى من عباده ، وقوله تعالى : (أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا) ، أى نتقبل منهم . وليس قول النابغة من قولهم « إليك عنى » ، أى كف وأمسك — فى شىء . والشعر الذى يليه دال على ذلك ، والبيت الذى يلى هذا فيه الكلمة المنصوبة

وقال عبدُ بنى الحَسْحَاس :

أَلِكْنِى إليها عَمْرَكَ اللهُ يَا فَتَى بِآيَةِ ما جاءتْ إلينَا تَهَادِيَا[1]

يعنى بذلك : أبلغها رسالتى. فسميت الملائكةُ ملائكة بالرسالة ، لأنها رُسُل الله بينه وبين أنبيائه ، ومن أرسلت إليه من عباده .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ ﴾

اختلف أهل التأويل فى قوله : « إنى جاعل » ، فقال بعضهم : إنى فاعل.

ذكر من قال ذلك :

٥٩٧ — حدثنا القاسم بن الحسن ، قال: حدثنا الحسين ، قال : حدثنى حجاج ، عن جرير بن حازم ، ومبارك ، عن الحسن ، وأبى بكر — يعنى الهذلى — عن الحسن ، وقتادة ، قالوا : قال الله تعالى ذكره لملائكته : « إنى جاعلٌ فى الأرض خليفة »[2] ، قال لهم : إنى فاعل[3] .

بقوله « إليك إليك » :

قوافِىَ كالسَّلَام إذا استمَرَّتْ فليسَ يُرُدّ مَذْهبَها التظنِّى

أى خذها قوافى كالسلام ، وهى الحجارة .

وقوله: « عيين » يعنى عيينة بن حصن الفزارى ،وكان أعان بنى عبس على بنى أسد حلفاء بنى ذبيان ، رهط النابغة .

(١) سلف القول فى هذا البيت : ١٠٦ آنفاً .

(٢) فى المطبوعة : « قال الله للملائكة إنى . . . » . وهو موافق لما نقله ابن كثير .

(٣) الأثر : ٥٩٧ — نقله ابن كثير ١ : ١٢٧ عن الطبرى . ووقع فى إسناده هناك سقط ، والظاهر أنه خطأ مطبعى . وذكره السيوطى ١ : ٤٤ مختصراً . وسيأتى مرة أخرى : ٦١١ مطولا ، بهذا الإسناد نصاً . وهو هنا بإسنادين بل ثلاثة : رواه الحجاج — وهو ابن المنهال — عن جرير ابن حازم ، وعن المبارك — وهو ابن فضالة — ثم رواه عن أبى بكر الهذلى ، ثلاثتهم عن الحسن البصرى ، والإسنادان الأولان جيدان ، والثالث ضعيف ، بضعف أبى بكر الهذلى ، ضعفه ابن المدينى جداً ، وقال ابن معين : « ليس بشىء » ، وترجمه البخارى فى الكبير ٢/٢/١٩٩ باسم

وقال آخرون : إنى خالق . ذكر من قال ذلك :

٥٩٨ ـ حُدِّثت عن المنجاب بن الحارث ، قال : حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، قال : كل شيء فى القرآن « جَعَل » ، فهو خلق[1] .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب فى تأويل قوله : « إنى جاعل فى الأرض خليفة » : أى مستخلف فى الأرض خليفةً ، ومُصَيِّر فيها خَلَفاً[2] . وذلك أشبه بتأويل قول الحسن وقتادة .

وقيل : إن الأرض التى ذكرها الله فى هذه الآية هى « مكة » . ذكر من قال ذلك :

٥٩٩ ـ حدثنا ابن حميد قال : حدثنا جرير ، عن عطاء ، عن ابن سابط : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : دُحِيت الأرضُ من مكة ، وكانت الملائكة تطوفُ بالبيت ، فهى أوّل من طاف به ، وهى « الأرضُ » التى قال الله : « إنى جاعلٌ فى الأرض خليفة » ، وكان النبيّ إذا هلك قومه ، ونجا هو والصالحون ، أتاها هو ومن معه فعبدو الله بها حتى يموتوا . فإنّ قَبر نُوحٍ وهودٍ وصَالحَ وشعَيْب ، بين زَمزَم والرُّكن والمَقَام[3] .

* * *

« سامى أبو بكر الهذلى البصرى » ، وقال : « ليس بالحافظ عندهم . قال عمرو بن على : عدلت عن أبي بكر الهذلى عمداً » . وكذلك ترجمه ابن أبي حاتم ٢/١/٣١٣ – ٣١٤ ، وأبان عن ضعفه . و « سلمى » : بضم السين وسكون اللام مع إمالة الألف المقصورة .

(١) الأثر : ٥٩٨ – نقله السيوطى ١ : ٤٤ عن الطبرى ، ولكنه جعله من كلام الضحاك . وأبو روق يكثر رواية التفسير عن الضحاك . فلعل ذكر « الضحاك » سقط من الناسخين فى بعض نسخ الطبرى . وأياً ما كان فهذا الإسناد ضعيف . سبق بيان ضعفه : ١٣٧ . ويزيده ضعفاً هنا جهالة الشيخ الذى رواه عنه الطبرى عن المنجاب ، فى قوله « حدثت » ، بتجهيل من حدثه .

(٢) فى المخطوطة : « خنقاً » ، بالقاف .

(٣) الحديث : ٥٩٩ – نقل ابن كثير فى التفسير ١ : ١٢٧ معناه من تفسير ابن أبي حاتم : « حدثنا أبي ، حدثنا أبو سلمة ، حدثنا حماد ، عن عطاء بن السائب ، عن عبد الرحمن ابن سابط » ، فذكره مرفوعاً بنحوه مختصراً . وقال ابن كثير : « وهذا مرسل ، وفى سنده ضعف ، وفيه

القول فى تأويل قوله ﴿ خَلِيفَةً ﴾

والخليفة الفعيلة من قولك : خلف فلان فلاناً فى هذ الأمر ، إذا قام مقامه فيه بعده . كما قال جل ثناؤه ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة يونس : ١٤] يعنى بذلك أنه أبدلكم فى الأرض منهم ، فجعلكم خلفاء بعدهم . من ذلك قيل للسلطان الأعظم : خليفة ، لأنه خلف الذى كان قبله ، فقام بالأمر مقامه ، فكان منه خلَفاً . يقال منه : خلف الخليفة ، يخلُف خِلافة وخِلِّيفَى[1] .

وكان ابن إسحق يقول بما :

٦٠٠ — حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « إنى جاعل فى الأرض خليفة » ، يقول : ساكناً وعامراً يسكنها ويعمُرها خلَفاً ، ليس منكم[2] .

وليس الذى قال ابن إسحق فى معنى الخليفة بتأويلها — وإن كان الله جل

مدرج ، وهو أن المراد بالأرض مكة ، والله أعلم — فإن الظاهر أن المراد بالأرض أعم من ذلك » . أما إرساله : فإن « عبد الرحمن بن سابط » : تابعى ، وهو ثقة ، ولكنه لم يدرك النبى صلى الله عليه وسلم ، بل لم يدرك كبار الصحابة ، كعمر وسعد ومعاذ وغيرهم . ويقال إنه « عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط » . واختلف فى ذلك جداً ، فلذلك ترجمه الحافظ لأبيه فى الموضعين : «سابط» ، أو « عبد الله بن سابط » ، وفى الإصابة ٣ : ٥١ — ٥٢ ، و ٤ : ٧٣ . ونقله السيوطى ١ : ٤٦ ، ونسبه للطبرى وابن أبى حاتم وابن عساكر ، مطولا كرواية الطبرى ، ونقله الشوكانى ١ : ٥٠ مختصراً ، كرواية ابن أبى حاتم ، ونقل تعليل ابن كثير إياه .

وفى المطبوعة « أتى هو ومن معه » . وفى المخطوطة « فيعبدوا الله بها » .

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « وخليفاً » ، والصواب ما أثبتناه . فى حديث عمر : « لولا الخليفى لأذنت » (بكسر الخاء وتشديد اللام المكسورة ، بعدها ياء ، ثم فاء مفتوحة) قالوا : وهو وأمثاله من الأبنية كالرميى والدليل ، مصدر يدل على معنى الكثرة . يريد عمر : كثرة اجتهاده فى ضبط أمور الخلافة وتصريف أعنتها .

(٢) الأثر : ٦٠٠ — فى ابن كثير ١ : ١٢٧ وفى المطبوعة هنا ، وفى : ٦١٥ « خلفاً

ثناؤه إنما أخبر ملائكته أنه جاعل فى الأرض خليفةً يسكنها – ولكن معناها ما وصفتُ قبلُ .

فإن قال قائل : فما الذى كان فى الأرض قبل بنى آدم لها عامراً ، فكان بنو آدم منه بدلاً (١) ، وفيها منه خلَفاً ؟

قيل : قد اختلف أهل التأويل فى ذلك :

٦٠١ – فحدثنا أبو كريب قال : حدثنا عثمان بن سعيد، قال: حدثنا بشر ابن عمارة ، عن أبى روق، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : أول من سكن الأرضَ الجنُّ فأفسدوا فيها وسفكوا فيها الدماء وقتل بعضهم بعضاً . فبعث الله إليهم إبليس فى جند من الملائكة ، فقتلهم إبليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال . ثم خلق آدم فأسكنه إياها ، فلذلك قال : « إنى جاعل فى الأرض خليفة »(٢) . ١٥٧/١

فعلى هذا القول : « إنى جاعل فى الأرض خليفة » ، من الجن ، يخلفونهم فيها فيسكنونها ويعمرونها .

٦٠٢ – وحدثنى المثنى ، قال : حدثنا إسحق ، قال: حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس فى قوله : « إنى جاعل فى الأرض خليفة » ، الآية ، قال : إن الله خلق الملائكة يوم الأربعاء ، وخلق الجن يوم

ليس منكم » بالقاف ، وهو خطأ ، والصواب فى ابن كثير ١ : ١٢٧ . وقوله « خلفاً » : أى بدلا ممن مضى ، وهم سكان الأرض قبل أبينا آدم عليه السلام ، كما يأتى فى الخبر التام : ٦١٥ . وقوله : « ليس منكم » ، كلام مستأنف ، أى ليس منكم أيتها الملائكة . أما المخطوطة ففيها : « ليس خلفاً منكم » وهو خطأ محض .

(١) فى المطبوعة : « بدلا منه » بالتقديم .

(٢) الخبر : ٦٠١ – فى ابن كثير ١ : ١٢٧ . وقد روى الحاكم فى المستدرك ٢ : ٢٦١ خبراً يشبهه فى بعض المعنى ويخالفه فى اللفظ قال : « أخبرنا عبد الله بن موسى الصيدلانى ، حدثنا إسماعيل بن قتيبة ، حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن بكير بن الأخنس، عن مجاهد، عن ابن عباس : ...» وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبى . وأما إسناد الطبرى هنا فضعيف ، كما بينا فيما سبق : ١٣٧ .

الخميس ، وخلق آدم يوم الجمعة ، فكفر قوم من الجن ، فكانت الملائكة تهبط إليهم فى الأرض فتقاتلهم ، فكانت الدماء ، وكان الفساد فى الأرض[١] .

وقال آخرون فى تأويل قوله : « إنى جاعل فى الأرض خليفة » ، أى خلفاً يخلف بعضهم بعضاً ، وهم ولد آدم الذين يخلفون أباهم آدم ، ويخلف كل قرن منهم القرنَ الذى سلف قبله . وهذا قول حكى عن الحسن البصرى .

ونظيرٌ له ما : —

٦٠٣ — حدثنى به محمد بن بشار ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيرى ، قال : حدثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن ابن سابط فى قوله : « إنى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » قال : يعنون به بنى آدم صلى الله عليه وسلم .

٦٠٤ — حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : قال الله تعالى ذكره للملائكة : إنى أريد أنْ أخلق فى الأرض خلقاً وأجعلَ فيها خليفةً . وليس لله يومئذ خلق إلا الملائكة ، والأرض ليس فيها خلق[٢] .

وهذا القول يحتمل ما حكى عن الحسن ، ويحتمل أن يكون أراد ابنُ زيد أنّ الله أخبر الملائكة أنه جاعل فى الأرض خليفةً له يحكم فيها بين خلقه بحكمه ، نظيرَ ما : —

٦٠٥ — حدثنى به موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى فى خبر ذكره ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبى

---

(١) الأثر : ٦٠٢ — رواه الطبرى فى التاريخ ١ : ٤٣ ، بهذا الإسناد . سيأتى أيضاً بهذا الإسناد بأطول منه : ٦١٢ . ونقله ابن كثير ١ : ١٢٨ ، والسيوطى ١ : ٤٥ بالرواية المطولة ، ولكنهما جعلاه من كلام أبى العالية . فهو من رواية الربيع بن أنس عن أبى العالية . وزاد السيوطى فى نسبته أنه رواه أيضاً ابن أبى حاتم ، وأبو الشيخ فى العظمة .

(٢) الأثران : ٦٠٣ ، ٦٠٤ — فى ابن كثير ١ : ١٢٨ .

صلى الله عليه وسلم : أنّ الله جل ثناؤه قال للملائكة : « إنى جاعل فى الأرض خليفة » . قالوا : ربنا وما يكون ذلك الخليفة ؟ قال : يكون له ذُرّيةٌ يُفسدون فى الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضاً[1] .

فكان تأويل الآية على هذه الرواية التى ذكرناها عن ابن مسعود وابن عباس : إنى جاعل فى الأرض خليفةً منّى يخلفنى فى الحكم بين خلقى . وذلك الخليفة هو آدمُ ومن قام مقامه فى طاعة الله والحكم بالعدل بين خلقه . وأما الإفساد وسفك الدماء بغير حقها ، فمن غير خلفائه ، ومن غير آدم ومن قام مقامه فى عباد الله — لأنهما أخبرا أن الله جل ثناؤه قال لملائكته — إذ سألوه : ما ذاك الخليفة؟ —: إنه خليفة يكون له ذُرّية يفسدون فى الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضاً . فأضاف الإفساد وسفك الدماء بغير حقها إلى ذُرّية خليفته دونه ، وأخرج منه خليفته .

وهذا التأويل ، وإن كان مخالفاً فى معنى الخليفة ما حكى عن الحسن من وجه ، فموافق له من وجه . فأما موافقته إياه ، فصرْفُ متأوّليه إضافة الإفساد فى الأرض وسفك الدماء فيها إلى غير الخليفة . وأما مخالفته إياه ، فإضافتهما الخلافة إلى آدم[2] ، بمعنى استخلاف الله إياه فيها . وإضافة الحسن الخلافةَ إلى ولده ، بمعنى خلافة بعضهم بعضاً ، وقيام قرن منهم مقام قرن قبلهم ، وإضافة الإفساد فى الأرض وسفك الدماء إلى الخليفة .

١٥٨/١ والذى دعا المتأوّلين قولَه : « إنى جاعلٌ فى الأرض خليفة » — فى التأويل الذى ذُكر عن الحسن — إلى ما قالوا فى ذلك ، أنهم قالوا إن الملائكة إنما قالت لربها — إذ قال لهم ربهم : « إنى جاعلٌ فى الأرض خليفة » —: « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » ، إخباراً منها بذلك عن الخليفة الذى أخبرَ الله جل ثناؤه أنه

---

(١) الأثر : ٦٠٥ — فى ابن كثير ١ : ١٢٧ .

(٢) فى المطبوعة : « فإضافتهم » ، والصواب ما فى المخطوطة ، ويعنى بهما ابن مسعود وابن عباس كما مضى آنفاً .

جاعله فى الأرض لا عنْ غيره [١] . لأنّ المحاورة بين الملائكة وبين ربها عنهُ جرتْ . قالوا : فإذا كان ذلك كذلك — وكان الله قد بَرّأ آدم من الإفساد فى الأرض وسفك الدماء، وطهّره من ذلك — عُلم أن الذى عنى به غيرَه من ذرّيته . فثبت أن الخليفة الذى يفسد فى الأرض ويسفك الدماء هو غيرُ آدم ، وأنهم وَلدُه الذين فعلوا ذلك ، وأن معنى الخلافة التى ذكرَها الله إنما هى خلافة قرن منهم قرناً غيرَهم لما وصفنا .

وأغفل قائلو هذه المقالة ، ومتأوّلو الآية هذا التأويل ، سبيلَ التأويل . وذلك أنّ الملائكة إذ قال لها ربها : « إنى جاعلٌ فى الأرض خليفة » ، لم تُضف الإفساد وسفك الدماء فى جوابها ربَّها إلى خليفته فى أرضه ، بل قالت : « أتجعل فيها من يُفسد فيها »؟ وغيرُ مُنْكَر أن يكون ربُّها أعلمها أنه يكون لخليفتِه ذلك ذرّيةٌ يكون منهم الإفساد وسفك الدماء ، فقالت : يا ربنا ، « أتجعل فيها من يُفسدُ فيها ويسفكُ الدماء » . كما قال ابن مسعود وابن عباس ، ومن حكينا ذلك عنه من أهل التأويل [٢] .

---

(١) فى المطبوعة « لا غيره » بإسقاط « عن » .

(٢) فى الأصل المخطوط بعد هذا الموضع ما نصه :—

[بلغتُ من أوّله بقراءتى على القاضى أبى الحسن الخصيب ابن عبد الله الخصيبىّ ، عن أبى محمد الفَرْغانىّ ، عن أبى جعفر الطبرى . وسمع معى أخى على بن أحمد بن عيسى ، ونصر بن الحسن الطبرى . وسمع أبو الفتح أحمد بن عمر الجهارى ، من موضع سماعه .

وكتب محمد بن أحمد بن عيسى السعدى فى جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعمئة]

* * *

« تذكرة »

تبين لى مما راجعته من كلام الطبرى ، أن استدلال الطبرى بهذه الآثار التى يرويها بأسانيدها ، لايراد به إلا تحقيق معنى لفظ ، أو بيان سياق عبارة . فهو قد ساق هنا الآثار التى رواها بإسنادها

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه خبراً عن ملائكته : ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾

قال أبو جعفر : إن قال لنا قائل[1] : وكيف قالت الملائكة لربها إذ أخبرها أنه جاعل فى الأرض خليفة : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » ، ولم يكن آدمُ بعد مخلوقاً ولا ذُرِّيته ، فيعلموا ما يدلون عياناً؟ أعلمتِ الغيبَ فقالت ذلك ، أم قالت ما قالت من ذلك ظنًّا ؟ فذلك شهادة منها بالظنّ ، وقولٌ بما لا تعلم. وذلك ليس من صفتها . أمْ ما وجه قيلها ذلك لربها ؟[2]

ليدل على معنى « الخليفة » ، و « الخلافة » ، وكيف اختلف المفسرون من الأولين فى معنى « الخليفة » . وجعل استدلاله بهذه الآثار ، كاستدلال المستدل بالشعر على معنى لفظ فى كتاب الله . وهذا بين فى الفقرة التالية للأثر رقم : ٦٠٥ ، إذ ذكر ما روى عن ابن مسعود وابن عباس ، وما روى عن الحسن فى بيان معنى « الخليفة » ، واستظهر ما يدل عليه كلام كل منهم . ومن أجل هذا الاستدلال ، لم يبال بما فى الإسناد من وهن لا يرتضيه . ودليل ذلك أن الطبرى نفسه قال فى إسناد الأثر : ٤٦٥ عن ابن مسعود وابن عباس ، فيما مضى ص : ٣٥٣ « فإن كان ذلك صحيحاً ، ولست أعلمه صحيحاً ، إذ كنت بإسناده مرتاباً . . . » ، فهو مع ارتيابه فى هذا الإسناد ، قد ساق الأثر للدلالة على معنى اللفظ وحده ، فيما فهمه ابن مسعود وابن عباس — إن صح عنهما — أو ما فهمه الرواة الأقدمون من معناه . وهذا مذهب لا بأس به فى الاستدلال . ومثله أيضاً ما يسوقه من الأخبار والآثار التى لا يشك فى ضعفها ، أو فى كونها من الإسرائيليات ، فهو لم يسقها لتكون مهيمنة على تفسير آى التنزيل الكريم ، بل يسوق الطويل الطويل ، لبيان معنى لفظ ، أو سياق حادثة ، وإن كان الأثر نفسه مما لا تقوم به الحجة فى الدين ، ولا فى التفسير التام لآى كتاب الله .

فاستدلال الطبرى بما ينكره المنكرون ، لم يكن إلا استظهاراً للمعانى التى تدل عليها ألفاظ هذا الكتاب الكريم ، كما يستظهر بالشعر على معانيها . فهو إذن استدلال يكاد يكون لغوياً . ولما لم يكن مستنكراً أن يستدل بالشعر الذى كذب قائله ، ما صحت لغته ؛ فليس بمستنكر أن تساق الآثار التى لا يرتضيها أهل الحديث ، والتى لا تقوم بها الحجة فى الدين ، للدلالة على المعنى المفهوم من صريح لفظ القرآن ، وكيف فهمه الأوائل — سواء كانوا من الصحابة أو من دونهم .

وأرجو أن تكون هذه تذكرة تنفع قارئ كتاب الطبرى ، إذا ما انتهى إلى شىء مما عده أهل علم الحديث من الغريب والمنكر . ولم يقصر أخى السيد أحمد شاكر فى بيان درجة رجال الطبرى عند أهل العلم بالرجال ، وفى هذا مقنع لمن أراد أن يعرف علم الأقدمين على وجهه ، والحمد لله أولا وآخراً .

(١) فى المطبوعة : « إن قال قائل » .

(٢) فى المطبوعة : « فما وجه » .

قيل : قد قالت العلماء من أهل التأويل فى ذلك أقوالا. ونحن ذاكرو أقوالهم فى ذلك، ثم مخبرون بأصحّها برهاناً وأوضحها حُجة. فروى عن ابن عباس فى ذلك ما :

٦٠٦ — حدثنا به أبو كريب، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، قال : حدثنا بشر بن عمارة، عن أبى روق، عن الضحاك، عن ابن عباس قال : كان إبليس من حىّ من أحياء الملائكة يقال لهم « الحِن »، خُلقوا من نار السَّمُوم من بين الملائكة [1]، قال : وكان اسمه الحارث، قال : وكان خازناً من خُزّان الجنة. قال : وخُلقت الملائكة كلهم من نور غير هذا الحىّ. قال : وخلقت الجنّ الذين ذكروا فى القرآن من مارج من نار — وهو لسان النار الذى يكون فى طرفها إذا ألهبت. قال : وخُلق الإنسان من طين. فأوّل من سكن الأرضَ الجنُّ. فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضاً. قال : فبعث الله إليهم إبليس فى جند من الملائكة — وهم هذا الحى الذين يقال لهم الحِن [1] — فقتلهم إبليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال. فلما فعل إبليس ذلك اغترّ فى نفسه. وقال : « قد صنعتُ شيئاً لم يصنعه أحد »! قال : فاطلّع الله على ذلك من قلبه، ولم تطلع عليه الملائكة الذين كانوا معه. فقال الله للملائكة الذين معه : « إنى جاعلٌ فى الأرض خليفة ». فقالت الملائكة مجيبين له : « أتجعلُ فيها من يُفسد فيها ويَسفِك الدماء »، كما

(١) فى المطبوعة فى الموضعين « الجن » بالجيم، وهو خطأ، يدل عليه سياق هذا الأثر، فقد ميز ما بين إبليس، وبين الجن الذين ذكروا فى القرآن. إبليس مخلوق من نار السموم، والآخرون خلقوا من مارج من نار. والجن (بالجيم) أول من سكن الأرض، وإبليس جاء لقتالهم فى جند من الملائكة. وهذا بين. وقد قال الجاحظ فى الحيوان ٧ : ١٧٧، وبعض الناس يقسم الجن على قسمين فيقول : هم جن وحن (بالحاء)، ويجعل الّتى بالحاء أضعفهما. وقال فى ١ : ٢٩١ — ٢٩٢، وبعض الناس يزعم أن الحن والجن صنفان مختلفان، وذهبوا إلى قول الأعرابى حين أتى باب بعض الملوك ليكتتب فى الزمنى فقال فى ذلك :

إن تكتُبُوا الزَّمْنى فإنّى لزَمِنْ ... من ظاهر الداء وداء مستكِنْ
أبيتُ أهوِى فى شياطينَ ترِنْ ... مختلفٍ نجارُهُمْ جنٌّ وحِنْ

فافرق بين هذين الجنسين. وانظر الحيوان ٦ : ١٩٣، أيضاً، واللسان (جنن)، وغيرهما

أفسدت الجن وسفكت الدماء ، وإنما بُعثنا عليهم لذلك . فقال : « إنى أعلم ما لا تعلمون » ، يقول : إنى قد اطلعتُ من قلب إبليس على ما لم تطلعوا عليه ، من كبره واغتراره . قال : ثم أمر بتُربة آدم فرُفعت ، فخلق الله آدم من طين لازب — واللازبُ : اللزِجُ الصُّلب ، من حمأ مسنون — مُنْتِن . قال : وإنما كان حمأ مسنوناً بعد التراب . قال : فخلق منه آدم بيده ، قال فمكث أربعين ليلة جسداً مُلقًى . فكان إبليس يأتيه فيضربه برجله فيُصَلصِل — أى فيصوّت — قال : فهو قول الله : ﴿ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ [سورة الرحمن : ١٤] . يقول : كالشىء المنفوخ الذى ليس بمُصْمت[1] . قال : ثم يَدخل فى فيه ويخرج من دُبُره ، ويدخل من دُبُره ويخرج من فيه ، ثم يقول : لست شيئاً ! — للصّلصَلة — ولشىء ما خُلقت ! لئن سُلِّطتُ عليك لأهلكنك ، ولئن سُلِّطتَ على لأعصِيَنَّك . قال : فلما نفخ الله فيه من روحه ، أتت النفخة من قبل رأسه ، فجعل لا يجرى شىء منها فى جسده إلا صَار لحماً ودماً . فلما انتهت النفخة إلى سُرّته ، نظر إلى جسده فأعجبه ما رأى من حسنه ، فذهب لينهضَ فلم يقدرْ ، فهو قول الله : ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولاً ﴾ [سورة الإسراء : ١١] قال : ضَجِراً لا صَبرَ له على سَرّاء ولا ضرّاء . قال : فلما تمت النفخة فى جسده عطس ، فقال : « الحمد لله ربّ العالمين » بإلهام من الله تعالى ، فقال الله له : يرحمُك الله يا آدم . قال : ثم قال الله للملائكة الذين كانوا مع إبليس خاصّة دون الملائكة الذين فى السموات : اسجدوا لآدم . فسجدُوا كلهم أجمعون إلا إبليس أبىَ واستكبر ، لماَ كان حدّث به نفسه من كبره واغتراره . فقال : لا أسجُد له ، وأنا خير منه وأكبرُ سنًّا وأقوى خَلْقاً ، خلقتنى من نار وخلقته من طين — يقول : إن النار أقوى من الطين . قال : فلما أبَى إبليس أن يسجد أبلسه الله — أى آيسه من الخير كله[2] ، وجعله شيطاناً رجيما

١٥٩/١

(١) المصمت : الذى لا جوف له ، وكل ذى جوف إذ قرع صوت ، أما المصمت فهو صامت لا صوت له . فمن الصمت أخذوه .

(٢) فى المطبوعة : « وآيسه الله . . . » .

عقوبةً لمعصيته . ثم علم آدم الأسماء كلها ، وهى هذه الأسماء التى يتعارف بها الناس : إنسان ودابة وأرْض وسهلٌ وبحر وجبل وحمار ، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها . ثم عرض هذه الأسماء على أولئك الملائكة — يعنى الملائكة الذين كانوا مع إبليس ، الذين خلقوا من نار السموم — وقال لهم : أنبئونى بأسماء هؤلاء — يقول : أخبرونى بأسماء هؤلاء ، إن كنتم صادقين ، إن كنتم تعلمون أنِّى لمَ أجعلُ خليفة فى الأرض[1].

قال : فلما علمت الملائكة مؤاخذةَ الله عليهم فيما تكلموا به من علم الغيب ، الذى لا يعلمه غيرُه ، الذى ليس لهم به علم ، قالوا : سبحانك ، تنزيهاً لله من أن يكون أحد يعلم الغيب غيرُه — تبنا إليك ، لا علم لنا إلا ما علمتنا ، تبرِّياً منهم من علم الغيب ، إلا ما علمتنا كما علّمت آدم . فقال : يا آدم أنبئهم بأسمائهم — يقول : أخبرهم بأسمائهم . فلما أنبأهم بأسمائهم قال : ألم أقل لكم — أيها الملائكة خاصة — إنى أعلم غيبَ السموات والأرض ، ولا يعلمه غيرى ، وأعلم ما تبدون — يقول : ما تُظهرون — وما كنتم تكتمون — يقول : أعلم السرّ كما أعلم العلانية ، يعنى ما كتم إبليس فى نفسه من الكبر والاغترار[2] .

قال أبو جعفر : وهذه الرواية عن ابن عباس ، تُنبئ عن أن قول الله جل ثناؤه : « وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعلٌ فى الأرض خليفة » ، خطابٌ من الله جل ثناؤه لخاصٍ من الملائكة دون الجميع ، وأنّ الذين قيل لهم ذلك من الملائكة كانوا قبيلة إبليس خاصةً — الذين قاتلوا معه جنّ الأرض قبل خلق آدم — وأنّ الله إنما خصّهم بقيل ذلك امتحاناً منه لهم وابتلاءً ، ليعرِّفهم قصورَ علمهم وفضلَ كثير ممن هو أضعفُ خلقاً منهم من خلقه عليهم ، وأنّ كرامته

---

(١) فى المطبوعة : « أنكم تعلمون أنى أجعل فى الأرض خليفة » ، وقوله « لم أجعل . . . » سقط « لم » من المخطوطة أيضاً . والصواب من الدر المنثور ، والشوكانى ، حيث يأتى تخريجه . وسيأتى على الصواب أيضاً فى رقم : ٦٧١ ص : ٤٩٠ ، وهو مختصر من هذا الأثر .

(٢) الخبر : ٦٠٦ — خرجه السيوطى فى الدر المنثور مفرقاً ١ : ٤٤ — ٤٥ ، ٤٩ ، ٥٠ . والشوكانى ١ : ٥٢ بعضه مفرقاً . وروى الطبرى قطعة منه ، بهذا الإسناد ، فى تاريخه ١ : ٤٢ — ٤٣ .

لا تنال بقوَى الأبدان وشدّة الأجسام، كما ظنه إبليس عدوّ الله . ومُصَرِّح بأن قيلهم لربِّهم[١] : « أتجعل فيها من يُفسد فيها ويسفك الدماء » ، كانت هفوةً منهم ورجماً بالغيب ، وأن الله جل ثناؤه أطلعهم على مكروه ما نطقوا به من ذلك ، ووقفَهم عليه حتى تابوا وأنابوا إليه مما قالوا ونطقوا من رَجْم الغيْب بالظُّنون ، وتبرَّأوا إليه أن يعلم الغيب غيرُه . وأظهرَ لهم من إبليس ما كان منطوياً عليه من الكِبْر الذى قد كان عنهم مستخفياً[٢] . ١٦٠/١

* * *

وقد رُوى عن ابن عباس خلاف هذه الرواية ، وهو ما : —

٦٠٧ — حدثنى به موسى بن هرون، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى فى خبر ذكره ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : « لما فرَغ الله من خلق ما أحبّ، استوى على العرش ، فجعل إبليس على مُلْك سماء الدنيا، وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجنّ[٣] — وإنما سموا الجنّ لأنهم خزّان الجنة . وكان إبليس مع مُلكه خازنا ، فوقع فى صدره كبر ، وقال : ما أعطانى الله هذا إلا لمزية لى — هكذا قال موسى بن هرون ، وقد حدثنى به غيره، وقال : لمزيّة لى على الملائكة[٤] — فلما وقع ذلك الكبر فى نفسه ،

(١) فى المطبوعة : « ويصرح » ، وسياق الكلام : « تنبئ عن أن قول الله . . . خطاب من الله جل ثناؤه لخاص من الملائكة دون الجميع ،.. ومصرح بأن قيلهم » ، عطفاً على خبر « أن » .

(٢) هذا التعقيب على خبر ابن عباس ، دليل على ما ذهبنا إليه فى بيان طريقة الطبرى فى الاستدلال بالأخبار والآثار انظر ص : ٤٥٣-٤٥٤ . فهو لم يروه لاعتقاد صحته ، بل رواه لبيان أن قول الله سبحانه : « وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة » ، إنما هو خطاب فيه لفظ العموم « الملائكة » ، ويراد به الخصوص لبعض الملائكة ، كما هو معروف فى لسان العرب . وأن قول هؤلاء الملائكة : « أتجعل فيها من يفسد فيها . . . » ، لم يكن عن علم عرفوه من علم الغيب ، بل كان ظناً ظنوه . وسيأتى بعد ما يوضح مذهب الطبرى فى الاستدلال ، كما سأشير إليه فى موضعه .

(٣) فى المخطوطة : « الحن » بالحاء ، وتفسيرها التالى يدل على أنها بالجيم . وانظر ما كتبناه آنفاً فى ص : ٤٥٥ التعليق : ١

(٤) غيره ، الذى أبهمه الطبرى هنا ، بينه فى التاريخ ١ : ٤٣ ، قال : « وحدثنى به أحمد بن أبى خيثمة ، عن عمرو بن حماد » .

اطلع الله على ذلك منه ، فقال الله للملائكة : « إنى جاعل فى الأرض خليفة ». قالوا : ربنا ، وما يكون ذلك الخليفة ؟ قال : يكون له ذرّية يفسدون فى الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضاً . قالوا : ربنا ، « أتجعل فيها من يُفسد فيها ويسفك الدماء ونحنُ نسبِّح بحمدك ونُقدّس لك قال إنى أعلم ما لا تعلمون » . يعنى من شأن إبليس . فبعث جبريلَ إلى الأرض ليأتيه بطين منها فقالت الأرض : إنى أعوذ بالله منك أن تنقُص منى أو تشيننى . فرجع ، ولم يأخذ . وقال : ربِّ إنها عاذت بك فأعذْتُها . فبعث الله ميكائيل ، فعاذَت منه فأعاذها ، فرجع فقال كما قال جبريل . فبعث مَلَكَ الموت فعاذت منه ، فقال : وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفذ أمره . فأخذ من وجه الأرض ، وخلَط فلم يأخذ من مكان واحد ، وأخذ من تُرْبة حمراء وبيضاء وسوداء ، فلذلك خرج بنو آدم مختلفين . فصَعِد به ، فبلّ التراب حتى عاد طيناً لازباً — واللازبُ : هو الذى يلتزق بعضه ببعض — ثم ترك حتى أنتن وتغير[1] . وذلك حين يقول : ﴿ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾ [سورة الحجر : ٢٨] . — قال : منتن — ثم قال للملائكة : ﴿ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [سورة ص ٧١ – ٧٢] . فخلقه الله بيديه لكيلا يتكبر إبليس عنه ، ليقول له : تتكبر عما عملت بيدىّ ، ولم أتكبر أنا عنه ؟ فخلقه بشراً ، فكان جسداً من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة : فمرت به الملائكة ففزعوا منه لما رأوه . وكان أشدّهم منه فزعاً إبليس ، فكان يمر به فيضربه فيصوّت الجسدُ كما يصوّت الفخار وتكون له صلصلة ، فذلك حين يقول : ﴿ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ [سورة الرحمن : ١٤] . ويقول لأمر ما خُلقت ! ودخل من فيه فخرج من دُبُره . فقال للملائكة : لا ترهبوا من هذا ،

---

(١) فى المطبوعة « حين أنتن » ، وصحته « حتى أنتن » ، كما فى تاريخ الطبرى ، وتفسير ابن كثير — فيما نبين فى تخريجه .

فإنّ ربكم صَمَدٌ وهذا أجوف[١]. لئن سُلطت عليه لأهلكنّه . فلما بلغ الحين الذى يريد الله جل ثناؤه أن ينفخ فيه الروح ، قال للملائكة : إذا نفختُ فيه من رُوحى فاسجدوا له . فلما نفخ فيه الرّوح فدخل الروح فى رأسه ، عَطَس ، فقالت له الملائكة : قل الحمد لله . فقال : الحمدُ لله . فقال له الله : رحمك ربُّك . فلما دخل الروح فى عينيه نظر إلى ثمار الجنة . فلما دخل فى جوفه اشتهى الطعامَ ، فوَثب قبل أن تبلغ الروح رجليه عَجْلانَ إلى ثمار الجنة ، فذلك حين يقول : ﴿ خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ [سورة الأنبياء: ٣٧]. فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين — أى استكبرَ[٢] — وكان من الكافرين . قال الله له : ما منعك أن تسجد إذ أمرتك لِما خلقتُ بيدّى ؟ قال : أنا خير منه ، لم أكن لأسجدَ لبشر خلقته من طين . قال الله له : اخرج منها فما يكون لك — يعنى ما ينبغى لك — . أن تتكبر فيها ، فاخرج إنك من الصاغرين — والصَّغار : هو الذل — . قال وعلَّم آدم الأسماء كلها ، ثم عرض الخلق على الملائكة ، فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين أنّ بنى آدم يُفسدون فى الأرض ويسفكون الدماء . فقالوا له : سبحانك لا علم لنا إلا ما علَّمتنا إنك أنتَ العليم الحكيم . قال الله : يا آدم أنبئهم بأسمائهم ، فلما أنبأهم بأسمائهم قال : ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون . قال قولهم : « أتجعل فيها من يفسد فيها » ، فهذا الذى أبدَوْا ، « وأعلم ما كنتم تكتمون » ، يعنى ما أسر إبليس فى نفسه من الكبر[٣].

١٦١/١

---

(١) الصمد هنا : هو الذى لا جوف له ، والمصمد والمصمت واحد . وانظر ما سلف ص : ٤٥٦ تعليق : ١ .

(٢) فى المطبوعة : « أبى واستكبر » ، وهو تحريف .

(٣) الخبر : ٦٠٧ — روى الطبرى قطعة منه فى تاريخه ١ : ٤١ — ٤٢ ، بهذا الإسناد . وقطعة أخرى أيضاً ١ : ٤٣ . وثالثة ١ : ٤٥ — ٤٦ . ورابعة ١ : ٤٧ . وخامسة ١ : ٤٧ — ٤٨ . وسادسة ١ : ٥٠ . وبعضه عن السيوطى ١ : ٤٥ — ٤٧ ، والشوكانى ١ : ٥٠ . وقد مضى تعليل هذا الإسناد ، فى : ١٦٨ ، ورأى الطبرى نفسه فيه : ٤٥٢ ، وأنه فيه مرتاب . وقد ساقه ابن

قال أبو جعفر : فهذا الخبر أوّله مخالف معناه معنى الرواية التى رويت عن ابن عباس من رواية الضحاك التى قد قدمنا ذكرها قبل ، وموافقٌ معنى آخره معناها . وذلك أنه ذكر فى أوّله أن الملائكة سألت ربها : ما ذاك الخليفة ؟ حين قال لها : إنى جاعلٌ فى الأرض خليفة . فأجابها أنه تكون له ذُرّية يُفسدون فى الأرض ويَتحاسدون ويقتل بعضهم بعضاً . فقالت الملائكة حينئذ : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟ فكان قولُ الملائكة ما قالت من ذلك لربِّها ، بعد إعلام الله إياها أنّ ذلك كائن من ذُرّية الخليفة الذى يجعله فى الأرض . فذلك معنى خلاف أوله معنى خبر الضحاك الذى ذكرناه .

وأما موافقته إياه فى آخره ، فهو قولهم فى تأويل قوله: « أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين » : أنّ بنى آدم يفسدون فى الأرض ويسفكون الدماء ، وأن الملائكة قالت إذ قال لها ربها ذلك، تبرّياً من علم الغيب —: « سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم » .

وهذا إذا تدبّره ذوالفهم ، علم أن أوّله يفسد آخرَه ، وأن آخره يُبطل معنى أوّله. وذلك أن الله جل ثناؤه إن كان أخبر الملائكة أن ذرّية الخليفة الذى يجعله فى الأرض تفسد فيها وتسفك الدماء ، فقالت الملائكة لربها : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » ؛ فلا وجه لتوبيخها على أن أخبرت عمن أخبرها الله عنه أنه يفسد فى الأرض ويسفك الدماء ، بمثل الذى أخبرها عنهم ربُّها ، فيجوزَ أن يقالَ لها فيما طوى عنها من العلوم : إن كنتم صادقين فيما علمتم بخبر الله إياكم أنه كائن من الأمور فأخبرتم به ، فأخبرونا بالذى قد طوى الله عنكم علمه ، كما قد أخبرتمونا بالذى قد أطلعكم الله عليه — بل ذلك خُلفٌ من التأويل ، ودعوَى على

كثير بطوله ١ : ١٣٧ — ١٣٨ ، ثم قال : « فهذا الإسناد إلى هؤلاء الصحابة مشهور فى تفسير السدى ، ويقع فيه إسرائيليات كثيرة . فلعل بعضها مدرج ، ليس من كلام الصحابة ، أو أنهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة ، والله أعلم . والحاكم يروى فى مستدركه ، بهذا الإسناد بعينه ، أشياء ، ويقول : على شرط البخارى ! » .

الله ما لا يجوز أن يكون له صفة[١]. وأخشى أن يكون بعض نَقَلة هذا الخبر هو الذى غَلِط على من رواه عنه من الصحابة ، وأن يكون التأويل منهم كان على ذلك : « أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين فيما ظننتم أنكم أدركتموه من العِلم بخبَرى إياكم أنّ بنى آدم يفسدون فى الأرض ويسفكون الدماء ، حتى استجزتم أن تقولوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » . فيكون التوبيخ حينئذ واقعاً على ما ظنوا أنهم قد أدركوا بقول الله لهم : « إنه يكون له ذرّية يفسدون فى الأرض ويسفكون الدماء » ، لا على إخبارهم بما أخبرهم الله به أنه كائن . وذلك أن الله جل ثناؤه ، وإن كان أخبرهم عما يكون من بعض ذرّية خليفته فى الأرض ، ما يكون منه فيها من الفساد وسفك الدماء ، فقد كانَ طوَى عنهم الخبرَ عما يكون من كثيرٍ منهم ما يكون من طاعتِهم ربَّهم ، وإصلاحهم فى أرْضه ، وحقن الدماء ، ورفعِه منزلتهَم ، وكرامتِهم عليه ، فلم يخبرهم بذلك . فقالت الملائكة : « أتجعلُ فيها من يُفسد فيها ويسفك الدماء » ، على ظنٍّ منها — على تأويل هذين الخبرين اللذين ذكرتُ وظاهرِهما — أنّ جميع ذرية الخليفة الذى يجعله فى الأرض يُفسدون فيها ويسفكون فيها الدماء ، فقال الله لهم — إذ علّم آدم الأسماء كلها — : أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين أنكم تعلمون أنّ جميع بنى آدم يُفسدون فى الأرض ويسفكون الدماء ، على ما ظننتم فى أنفسكم — إنكاراً منه جل ثناؤه لقيلهم ما قالوا من ذلك على الجميع والعموم ، وهو من صفة خاصٍّ ذرّية الخليفة منهم . وهذا الذى ذكرنا هو صفةٌ منا لتأويل الخبر ، لا القول الذى نختاره فى تأويل الآية[٢] .

١٦٢/١

---

(١) نقد الطبرى دال أيضاً على ما ذهبنا إليه من الاستدلال بالآثار كاستدلال المستدل بالشعر . وأنت تراه ينقض هذا الخبر نقضاً ، ويبين الخطأ فى سياقه ، وتناقضه فى معناه . وهذا بين إن شاء الله .

(٢) وهذا أيضاً دليل واضح على أن استدلال الطبرى بالأخبار والآثار ، ليس معناه أنه ارتضاها ، بل معناه أنه أتى بها ليستدل على سياق تفسير الآية مرة ، وعلى بيان فساد الأخبار أنفسها مرة أخرى . وقد أخطأ كثير ممن نقل عن الطبرى فى فهم مراده ، وتحامل عليه آخرون لم يعرفوا مذهبه فى هذا التفسير .

ومما يدل على ما ذكرنا من توجيه خبر الملائكة عن إفساد ذرية الخليفة وسفكها الدماء على العموم ، ما : —

٦٠٨ — حدثنا به أحمد بن إسحق الأهوازى[١] ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيرى ، قال : حدثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن عبد الرحمن بن سابط ، قوله : « أتجعل فيها من يُفسد فيها ويسفك الدماء » ، قال : يعنون الناس[٢] .

وقال آخرون فى ذلك بما : —

٦٠٩ — حدثنا به بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة قوله : « وإذ قال ربُّك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفةً » ، فاستشار الملائكة فى خلق آدمَ ، فقالوا : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » — وقد علمت الملائكة من علم الله أنه لا شىء أكره إلى الله من سفك الدماء والفساد فى الأرض — «ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم ما لا تعلمون» فكان فى علم الله جل ثناؤه أنه سيكون من ذلك الخليفة أنبياءُ ورسل وقوم صالحون وساكنو الجنة . قال : وذكر لنا أن ابن عباس كان يقول : إن الله لما أخذ فى خلق آدم قالت الملائكة : ما الله خالقٌ خلقاً أكرم عليه منَّا ولا أعلم منَّا ؟ فابتلوا بخلق آدم — وكل خلق مُبْتَلًى — كما ابتليت السموات والأرض بالطاعة ، فقال الله : ﴿ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾[٣] [سورة فصلت : ١١] .

وهذا الخبر عن قتادة يدل على أن قتادة كان يرى أن الملائكة قالت ما قالت من قولها : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » ، على غير يقين علمٍ تقدم منها بأن ذلك كائن ، ولكن على الرأى منها والظنّ ، وأن الله جل ثناؤه أنكر ذلك من

---

(١) فى المطبوعة . « ابن أحمد بن إسحق الأهوازى » ، وزيادة « ابن » خطأ .

(٢) الأثر : ٦٠٨ — لم أجده .

(٣) الأثر : ٦٠٩ — فى ابن كثير ١ : ١٢٩ ، وبعضه فى الدر المنثور مفرقاً ١ : ٤٥ ، ٤٦ ، ٥٠ .

قيلها ، وردّ عليها ما رأت بقوله : « إنى أعلم ما لا تعلمون » من أنه يكون من ذرية ذلك الخليفة الأنبياء والرسلُ والمجتهدُ فى طاعة الله .

وقد رُوِى عن قتادةَ خلافُ هذا التأويل وهو ما : —

٦١٠ — حدثنا به الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزّاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله : « أتجعل فيها من يُفسد فيها » قال : كان الله أعلمهم إذا كان فى الأرض خلق أفسدوا فيها وسفكوا الدماء ، فذلك قوله : « أتجعل فيها من يفسد فيها »[1] .

وبمثل قول قتادة قال جماعة من أهل التأويل ، منهم الحسن البصرى :

٦١١ — حدثنا القاسم : قال حدثنا الحسين ، قال : حدثنى حجاج ، عن جرير بن حازم ، ومبارك ، عن الحسن — وأبى بكر ، عن الحسن وقتادة — قالا : قال الله للملائكته : « إنى جاعلٌ فى الأرض خليفة » — قال لهم : إنى فاعلٌ — فعرضُوا برأيهم ، فعلّمهم علماً وطوَى عنهم علماً علمه لا يعلمونه ، فقالوا بالعلم الذى علمهم : « أتجعل فيها من يُفسد فيها ويسفك الدماء » — وقد كانت الملائكة علمتْ من علم الله أنه لا ذنب أعظم عند الله من سفك الدماء — « ونحن نسبحّ بحمدك ونُقدس لكَ . قال إنى أعلم ما لا تعلمون » . فلما أخذ فى خلق آدم همَست الملائكة فيما بينها ، فقالوا : ليخلق رَبنا ما شاء أن يخلق ، فلن يخلق خلقاً إلا كنا أعلمَ منه وأكرمَ عليه منه . فلما خلقه ونفخ فيه من روحه أمرَهم أن يسجدوا له لما قالوا ، ففضّله عليهم ، فعلموا أنهم ليسوا بخير منه ، فقالوا : إن لم نكن خيراً منه فنحن أعلمُ منه ، لأنا كنا
١٦٣/١ قَبله ، وخُلقت الأمم قبله . فلما أعجبوا بعملهم ابتلوا ، فـ « علم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسمَاء هؤلاء إن كنتم صادقين » أنى لا أخلق خلقاً إلا كنتم أعلمَ منه ، فأخبرونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قال : ففزع القومُ إلى التوبة — وإليها يفزع كل مؤمن — فقالوا : « سبحانك لا علم لنا إلا

(١) الأثر : ٦١٠ — لم أجده .

ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، قال: يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال: ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون» — لقولهم: «ليخلق ربنا ما شاء، فلن يخلق خلقاً أكرم عليه منا ولا أعلم منا».

قال: علمه اسم كل شيء، هذه الجبال وهذه البغال والإبل والجن والوحش، وجعل يسمى كل شيء باسمه، وعرضت عليه كل أمة، فقال: «ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون»، قال: أما ما أبدوا فقولهم: «أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء»، وأما ما كتموا فقول بعضهم لبعض: «نحن خير منه وأعلم»[1].

٦١٢ — وحدثنى المثنى بن إبراهيم، قال: حدثنا إسحق بن الحجاج، قال: حدثنا ابن أبى جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، فى قوله: «إنى جاعل فى الأرض خليفة» الآية، قال: إن الله خلق الملائكة يوم الأربعاء، وخلق الجن يوم الخميس، وخلق آدم يوم الجمعة. قال: فكفر قوم من الجن، فكانت الملائكة تهبط إليهم فى الأرض فتقاتلهم، فكانت الدماء وكان الفساد فى الأرض. فمن ثم قالوا: «أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء» الآية[2].

٦١٣ — [حدثنا محمد بن جرير، قال]: حدثت عن عمار بن الحسن، قال: أخبرنا عبد الله بن أبى جعفر، عن أبيه، عن الربيع بمثله —: «ثم عرضهم

---

(١) الأثر: ٦١١ — سبق بعضه بهذا الإسناد نصاً. وشرحنا جودة بعضه وضعف بعضه. ونقل السيوطى ١ : ٤٩، بعضه عن هذا الموضع من تفسير الطبرى. وذكر ابن كثير ١ : ١٢٨ قسما منه، من تفسير ابن أبى حاتم: عن الحسن بن محمد بن الصباح، عن سعيد بن سليمان، عن مبارك بن فضالة، عن الحسن — وهو البصرى. وهذا إسناد صحيح إلى الحسن البصرى: فإن «الحسن بن محمد بن الصباح»: هو الزعفرانى الثقة المأمون، تلميذ الشافعى وراوية كتبه بالعراق. وسعيد بن سليمان: هو سعدويه الضبى الواسطى، وهو ثقة مأمون من شيوخ البخارى ومن أقران الإمام أحمد. ومبارك بن فضالة: ثقة، من أخص الناس بالحسن البصرى، جالسه ١٣ أو ١٤ سنة.

(٢) الأثر: ٦١٢ — مضى صدره برقم: ٦٠٢، وأشرنا إلى هذا هناك.

على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين » . إلى قوله : « إنك أنتَ العليم الحكيم » . قال : وذلك حين قالوا : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك » . قال : فلما عرفوا أنه جاعل فى الأرض خليفةً قالوا بينهم : لن يخلق الله خلقاً إلا كنا نحن أعلم منه وأكرمَ . فأراد الله أن يخبرهم أنه قد فضل عليهم آدَم . وَعلم آدم الأسماء كلها ، فقال للملائكة : « أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين » ، إلى قوله : « وأعلم ما تُبدون وما كنتم تكتمون » ، وكان الذى أبْدَوْا حين قالوا : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » ، وكان الذى كتموا بينهم قولهم : « لن يخلق الله خلقاً إلا كنا نحن أعلم منه وأكرم » ، فعرفوا أن الله فضّل عليهم آدم فى العلم والكرم[1] .

وقال ابن زيد بما :—

٦١٤ — حدثنى به يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال قال ابن زيد : لما خلق الله النارَ ذعرت منها الملائكة ذعراً شديداً ، وقالوا : ربنا لم خلقت هذه النار ؟ ولأى شىء خلقتها ؟ قال : لمن عصانى من خلقى . قال : ولم يكن لله خلق يومئذ إلا الملائكة ، والأرض ليس فيها خلق ، إنما خُلق آدم بعد ذلك ، وقرأ قول الله : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ﴾ [سورة الإنسان : ١] . قال : قال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ليت ذلك الحين[2] . ثم قال : قالت الملائكة : يارب ، أو يأتى علينا دهرٌ نعصيك فيه ! — لا يرَوْن له خلقاً غيرهم — قال : لا ، إنى أريد أن أخلق فى الأرض خلقاً

---

(١) الأثر : ٦١٣ — هو رواية أخرى للأثر السالف . ولم أجده فى المراجع السالفة .

(٢) كلمة عمر رضى الله عنه : « ليت ذلك الحين » ، يعنى ليت الإنسان بقى شيئاً غير مذكور ، طيناً لازباً . يقولها من مخافة عذابه ربه يوم القيامة . وفى الدر المنثور ٦ : ٢٩٧ : « أخرج ابن المبارك ، وأبو عبيد فى فضائله ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، عن عمر بن الخطاب : أنه سمع رجلا يقرأ : (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً) ، فقال عمر : ليتها تمت » . فهذا فى معنى كلمة عمر هنا .

وأجعل فيها خليفةً ، يسفكون الدماء ويفسدون فى الأرض . فقالت الملائكة : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » ؟ وقد اخترتنا ، فاجعلنا نحن فيها ، فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك ونعمل فيها بطاعتك . وأعظمت الملائكة أن يجعل الله فى الأرض من يعصيه فقال : « إنى أعلمُ ما لا تعلمون » . « يا آدم أنبئهم بأسمائهم » . فقال : فلان وفلان . قال : فلما رأوا ما أعطاه الله من العلم أقروا لآدم بالفضل عليهم ، وأبى الخبيث إبليس أن يقرَّ له ، قال : « أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين » . قال : « فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها[1] » . ١٦٤/١

وقال ابن إسحق بما : —

٦١٥ — حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحق قال : لما أراد الله أن يخلق آدم بقدرته ليبتليه ويبتلى به ، لعلمه بما فى ملائكته وجميع خلقه — وكان أوّل بلاء ابتُليت به الملائكةُ مما لها فيه ما تحبّ وما تكره ، للبلاء والتمحيص لما فيهم مما لم يعلموا ، وأحاط به علم الله منهم — جمع الملائكة من سكان السموات والأرض ، ثم قال : « إنى جاعل فى الأرض خليفة » — يقول : ساكناً وعامراً ليسكنها ويعمرُها — خَلَفاً ، ليس منكم[2] . ثم أخبرهم بعلمه فيهم ، فقال : يفسدون فى الأرض ويسفكون الدماء ويعملون بالمعاصى . فقالوا جميعاً : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك »

---

(١) الأثر : ٦١٤ — سيأتى بعض معناه بهذا الإسناد : (ص ١٧٦ بولاق) . وأما هذا النص ، فقد ذكر السيوطى بعضه ١ : ٤٥ ونسبه لابن جرير فقط . ولم يذكر فيه كلمة عمر ابن الخطاب . وقد أشرنا إلى ورود معناها من وجه آخر ، فى الهامشة قبل هذه . وكلمة عمر هنا سيقت مساق الحديث المرفوع ، إذ قال : « يا رسول الله ، ليت ذلك الحين » . فتكون حديثاً مرفوعاً مرسلا ، بل منقطعاً ، لأن ابن زيد — وهو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم — لم يدرك إلا بعض التابعين . هذا إلى أنه ضعيف جداً ، كما سبق فى : ١٨٥ .

(٢) فى المطبوعة : « عامر وساكن يسكنها ويعمرها خلقاً ليس منكم » ، وانظر ما مضى ، رقم : ٦٠٠ ، وانظر تخريجه بعد .

لا نعصى ، ولا نأتى شيئاً كرهته ؟ قال : « إنى أعلم ما لا تعلمون » — قال : إنى أعلم فيكم ومنكم ولم يُبدها لهم — من المعصية والفساد وسفك الدماء وإتيان ما أكره منهم ، مما يكون فى الأرض ، مما ذكرتُ فى بنى آدم . قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم : ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ * إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ * إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ *﴾ [سورة ص : ٦٩ — ٧٢] . فذكر لنبيه صلى الله عليه وسلم الذى كان منْ ذكره آدم حين أراد خلقه ، ومراجعة الملائكة إياه فيما ذكر لهم منه . فلما عزم الله تعالى ذكره على خلق آدم قال للملائكة : إنى خالقٌ بشراً من صلصال من حَمإٍ مسنون بيدى — تكرمةً له وتعظيماً لأمره وتشريفاً له — حفظت الملائكة عهده وَوَعوْا قوله ، وأجمعوا الطاعة إلا ما كان من عدوّ الله إبليس ، فإنه صمتَ على ما كان فى نفسه من الحسد والبغْيِ والتكبر والمعصية . وخلق الله آدم من أدَمة الأرض ، من طين لازب من حَمَإٍ مسنون بيديه ، تكرمةً له وتعظيماً لأمره وتشريفاً له على سائر خلقه . قال : ابن إسحق : فيقال ، والله أعلم : خلق الله آدم ثم وضعه ينظر إليه أربعين عاماً قبل أن ينفخ فيه الروح حتى عاد صلصالاً كالفخار ولم تمسسه نار . قال : فيقال ، والله أعلم : إنه لما انتهى الروح إلى رأسه عَطس فقال : الحمد لله ، فقال له ربه : يرحمك ربك ، ووقع الملائكة حين استوى سجوداً له ، حفظاً لعهد الله الذى عهد إليهم ، وطاعة لأمره الذى أمرهم به . وقام عدوّ الله إبليس من بينهم فلم يَسجد ، مكابراً متعظماً بغياً وحسداً . فقال له : ﴿ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ إلى : ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة ص ٧٥—٨٥] .

قال : فلما فرغ الله من إبليس ومعاتبته ، وأبى إلا المعصية ، أوقع عليه اللعنة وأخرجه من الجنة . ثم أقبل على آدم ، وقد علمه الأسماء كلها ، فقال : « يا آدم

أنبئهم بأسمائهم ، فلما أنبأهم بأسمائهم قال: ألم أقل لكم إنّى أعلم غيبَ السموات والأرض وأعلم ما تُبدون وما كنتم تكتمون . قالوا: سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم » — أى ، إنما أجبناك فيما علمتنا، فأما ما لم تعلمنا فأنت أعلم به . فكان ما سمّى آدمُ من شيء ، كان اسمه الذى هو عليه إلى يوم القيامة[1].

وقال ابن جريج بما : —

٦١٦ — حدثنا به القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : إنما تكلموا بما أعلمهم أنه كائن من خلق آدم، فقالوا: « أتجعلُ فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » ؟ وقال بعضهم: إنما قالت الملائكة ١٦٥/١ ما قالت : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » لأن الله أذن لها فى السؤال عن ذلك ، بعد ما أخبرها أن ذلك كائن من بنى آدم . فسألته الملائكة ، فقالت — على التعجب منها —: وكيف يعصونك يا رب وأنت خالقهم ؟ فأجابهم ربهم: إنى أعلم ما لا تعلمون ، يعنى : أن ذلك كائن منهم — وإن لم تعلموه أنتم — ومن بعض من ترونه لى طائعاً . يعرّفهم بذلك قصور علمهم عن علمه[2].

* * *

وقال بعض أهل العربية: قول الملائكة : « أتجعل فيها من يفسد فيها » على غير وجه الإنكار منهم على ربّهم ، وإنما سألوه ليعلموا ، وأخبروا عن أنفسهم أنهم يسبحون . وقال : قالوا ذلك لأنهم كرهوا أن يُعْصَى الله، لأن الجن قد كانت أمرتْ قبل ذلك فعصتْ .

وقال بعضهم : ذلك من الملائكة على وجه الاسترشاد عما لم يعلموا من ذلك ، فكأنهم قالوا: « يارب خبرنا »، مسألةَ استخبار منهم لله، لا على وجه مسألة التوبيخ .

قال أبو جعفر : وأولى هذه التأويلات بقول الله جل ثناؤه ، مخبراً عن ملائكته قيلها له : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس

(١) الأثر : ٦١٥ — مضى صدره برقم : ٦٠٠ .
(٢) الأثر : ٦١٦ — لم أجده فى مكان .

لك » ، تأويل من قال : إن ذلك منها استخبار لربها ، بمعنى : أعلمنا يا ربنا أجاعلٌ أنت فى الأرض مَنْ هذه صفته ، وتارك أن تجعل خلفاءَك منا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك — لا إنكارٌ منها لما أعلمها ربها أنه فاعل . وإن كانت قد استعظمتْ لما أخبرت بذلك ، أن يكون لله خلقٌ يعصيه .

وأما دعوى من زعم أن الله جل ثناؤه كان أذن لها بالسؤال عن ذلكَ فسألته على وجه التعجب ، فدعْوَى لا دلالة عليها فى ظاهر التنزيل ، ولا خبر بها من الحجة يقطعُ العذرَ . وغير جائز أن يقال فى تأويل كتاب الله بما لا دلالة عليه من بعض الوجوه التى تقوم بها الحجة .

وأما وصفُ الملائكة مَن وصفت — فى استخبارها ربَّها عنه — بالفساد فى الأرض وسفك الدماء ، فغير مستحيلٍ فيه ما رُوى عن ابن عباس وابن مسعود من القول الذى رواه السدىّ ، ووافقهما عليه قتادة — من التأويل : وهو أن الله جل ثناؤه أخبرهم أنه جاعلٌ فى الأرض خليفة تكون له ذرية يفعلون كذا وكذا ، فقالوا : « أتجعل فيها من يفسد فيها » ، على ما وصفت من الاستخبار .

فإن قال لنا قائل : وما وجه استخبارها ، والأمر على ما وصفتَ ، من أنها قد أخبرت أنّ ذلك كائن ؟

قيل : وجه استخبارها حينئذ يكون عن حالهم عند وقوع ذلك . وهل ذلك منهم ؟ ومسألتهم ربَّهم أن يجعلهم الخلفاءَ فى الأرض حتى لا يعصوه . وغيرُ فاسد أيضاً ما رواه الضحاك عن ابن عباس ، وتابعه عليه الربيع بن أنس ، من أن الملائكة قالت ذلك لما كان عندها من علم سكان الأرض — قبل آدم — من الجنّ ، فقالت لربها : « أجاعل فيها أنت مثلهم من الخلق يفعلون مثل الذى كانوا يفعلون » ؟ على وجه الاستعلام منهم لربهم ، لا على وجه الإيجاب أنّ ذلك كائن كذلك ، فيكون ذلك منها إخباراً عما لم تطلع عليه من علم الغيب . وغيرُ خطأ أيضاً ما قاله ابن زيد من أن يكون قيلُ الملائكة ما قالت من ذلك ، على

وجه التعجب منها من أن يكون لله خلقٌ يعصى خالقه .

وإنما تركنا القول بالذى رواه الضحاك عن ابن عباس ، ووافقه عليه الربيع ابنَ أنس ، وبالذى قاله ابن زيد فى تأويل ذلك ، لأنه لاخبر عندنا بالذى قالوه من وجه يقطعُ مجيئُه العذرَ ، ويُلزمُ سامِعَه به الحجة . والخبر عما مضى وما قد سلف ، لا يُدرك علمُ صحته إلا بمجيئه مجيئاً يمتنع مَعه التشاغب والتواطؤ ، ويستحيل مَعه الكذب والخطأ والسهو[1] . وليس ذلك بموجود كذلك فيما حكاه الضحاك عن ابن عباس ووافقه عليه الربيع ، ولا فيما قاله ابن زيد . ١٦٦/١

فأولى التأويلات — إذ كان الأمر كذلك — بالآية ، ما كان عليه من ظاهر التنزيل دلالةٌ ، مما يصح مخرجُه فى المفهوم .

فإن قال قائل : فإن كان أولى التأويلات بالآية هو ما ذكرتَ ، من أن الله أخبر الملائكة بأن ذرّية خليفته فى الأرض يفسدون فيها ويسفكون فيها الدماء ، فمن أجل ذلك قالت الملائكة : «أتجعل فيها من يفسد فيها» ، فأين ذكر إخبارِ الله إياهم فى كتابه بذلك ؟

قيل له : اكتفى بدلالة ما قد ظهرَ من الكلام عليه عنه ، كما قال الشاعر :

فلا تَدْفِنُونِي، إنَّ دَفْنِي مُحَرَّمٌ عليكم، ولكن خامِرِى أمَّ عامِرِ[2]

فحذف قوله : «دعونى للتى يقال لها عند صَيدها» : خامرى أمَّ عامر . إذ كان فيما أظهر من كلامه، دلالة على معنى مراده . فكذلك ذلك فى قوله : «قالوا :

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : «يمتنع منه ... ويستحيل منه» ، وليست بشىء . وفى المخطوطة مكان «التشاغب» : «الساهر» غير مبينة .

(٢) البيت للشنفرى الأزدى فى قصة . شرح الحماسة ٢ : ٢٤–٢٦ ، والأغانى ٢١ : ٨٩ وغيرهما . ويروى : «لا تقبروني إن قبرى» ، «ولكن أبشرى» . وقوله «خامرى» : أى استترى ، وأصله من الخمرة (بكسر فسكون) وهو الاستخفاء . يريدون بذلك دنو الضبع مستخفية ملازمة لمكانها حتى تخالط القتيل فتصيب منه . وأم عامر : كنية الضبع . وذلك مما يقوله لها الصائد حين يريد صيدها ، يغرها بذلك حتى يتمكن منها ، فيقول لها : «أبشرى أم عامر بشياه هزل ، وجراد مثل ، وكسر رجال قتل» ، فتميل الضبع إليه فيصيدها .

« أتجعل فيها من يفسد فيها » ، لما كان فيه دلالة على ما ترك ذكره بعد قوله : « إنّي جاعل فى الأرض خليفة » ، من الخبر عما يكون من إفساد ذريته فى الأرض ، اكتفى بدلالته وحذف ، فترك ذكره كما ذكرنا من قول الشاعر . ونظائر ذلك فى القرآن وأشعار العرب وكلامها أكثر من أن يحصى . فلما ذكرنا من ذلك ، اخترنا ما اخترنا من القول فى تأويل قوله : « قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾

قال أبو جعفر : أما قوله : « ونحن نسبّح بحمدك » فإنه يعنى : إنا نعظّمك بالحمد لك والشكر ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ [سورة النصر : ٣] ، وكما قال : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ (سورة الشورى : ٥) . وكلّ ذكر لله عند العرب فتسبيحٌ وصلاة . يقول الرجل منهم : قضيتُ سُبْحَتى من الذكر والصلاة . وقد قيل : إن التسبيحَ صلاةُ الملائكة .

٦١٧ — حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب القمى ، عن جعفر بأن بى المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يُصلى ، فمرّ رجل من المسلمين على رجل من المنافقين ، فقال له : النبيُّ صلى الله عليه وسلم يُصلّى وأنت جالس ! فقال له : امض إلى عملك إن كان لك عمل . فقال : ما أظنّ إلاّ سيمر عليك من ينكر عليك . فمرّ عليه عمر بن الخطاب فقال : له : يا فلان ، النبى صلى الله عليه وسلم يصلّى وأنت جالس ! فقال له مثلها ، فقال : هذا من عملى . فوثب عليه فضربه حتى انتهى ، ثم دخل المسجدَ فصلّى

مع النبي صلى الله عليه وسلم . فلما انفتل النبي صلى الله عليه وسلم قام إليه عمر فقال : يا نبيَّ الله ، مررت آنفاً على فلان وأنت تُصلي ، فقلت له : النبيّ صلى الله عليه وسلم يُصلّي وأنت جالس ! فقال : سرْ إلى عملك إن كان لكَ عمل . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فهلاّ ضربْتَ عُنقه . فقام عمر مسرعاً ، فقال : يا عُمر ارجع فإن غضبك عِزّ ، ورضاك حُكْم ، إن لله في السموات السبع ملائكة يصلون ، له غنًى عن صلاة فلان . فقال عمر : يا نبي الله ، وما صلاتهم ؟ فلم يردّ عليه شيئاً ، فأتاه جبريل فقال : يا نبي الله ! سألك عُمر عن صلاة أهل السماء ؟ قال : نعم . فقال : اقرأ على عمر السلام ، وأخبره أن أهل السماء الدنيا سجودٌ إلى يوم القيامة يقولون : « سبحان ذي الملك والملكوت » ، وأهل السماء الثانية ركوعٌ إلى يوم القيامة يقولون : « سبحان ذي العزة والجبروت » ، وأهل السماء الثالثة قيامٌ إلى يوم القيامة يقولون « : سبحان الحي الذي لا يموت »[1] . ١٦٧/١

٦١٨ — قال أبو جعفر : وحدثني يعقوب بن إبراهيم ، وسهل بن موسى الرازي ، قالا : حدثنا ابن عُلَيّة ، قال : أخبرنا الجُرَيْري ، عن أبي عبد الله الجَسْري ، عن عبد الله بن الصامت ، عن أبي ذر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عادَه — أو أن أباذَر عاد النبي صلى الله عليه وسلم — فقال : يا رسول الله ، بأبي أنتَ ، أي الكلام أحب إلى الله ؟ فقال : ما اصطفى الله لملائكته : «سبحان ربي وبحمده ، سبحان ربي وبحمده »[1] .

---

(١) الحديث : ٦١٧ هو حديث مرفوع ، ولكنه مرسل ، لأن سعيد بن جبير تابعي . وإسناده إليه إسناد جيد . يعقوب بن عبد الله الأشعري القمي أبو الحسن : ثقة ، مترجم في التهذيب ، وترجمه البخاري في الكبير ٣٩١/٢/٤ ، فلم يذكر فيه جرحاً . وفي التهذيب : « قال محمد بن حميد الرازي [وهو شيخ الطبري هنا] : دخلت بغداد ، فاستقبلني أحمد وابن معين ، فسألاني عن أحاديث يعقوب القمي ». جعفر بن أبي المغيرة الخزاعي القمي : ثقة ، ترجمه البخاري في الكبير ٢٠٠/٢/١ ، وابن أبي حاتم في الجرح ٤٩٠/١/١ — ٤٩١ ، فلم يذكرا فيه مطعناً . وفي التهذيب أن ابن حبان نقل في الثقات توثيقه عن أحمد بن حنبل . وهذا الحديث بطوله ، رواه أبو نعيم في الحلية ٤ : ٢٧٧ — ٢٧٨ ، من طريق محمد بن حميد — شيخ الطبري — بهذا الإسناد . وذكر السيوطي في الدر المنثور ١ : ٤٦ آخره ، من أول سؤال عمر عن صلاة الملائكة ، ولم ينسبه لغير الطبري وأبي نعيم .

(١) الحديث : ٦١٨ — في الدر المنثور ولم ينسبه لابن جرير ، وقال : « أخرج ابن أبي

ـ فى أشكال لما ذكرنا من الأخبار[١] ، كرهنا إطالةَ الكتاب باستقصائها .

* * *

وأصلُ التسبيح لله عند العرب: التنزيهُ له من إضافة ما ليس من صفاته إليه ، والتبرئة له من ذلك ، كما قال أعشى بنى ثعلبة :

أقولُ ـ لمَّا جَاءنى فخرُه ـ : سُبْحَانَ من عَلْقَمَةَ الفَاخِرِ[٢]

يريد: سُبحان اللهمن فخر علقمة، أى تنزيهاً لله مما أتى علقمة من الافتخار، على وجه النكير منه لذلك .

وقد اختلف أهل التأويل فى معنى التسبيح والتقديس فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : قولهم « نسبح بحمدك » : نصلى لك . ذكر من قال ذلك :

٦١٩ ـ حدثنى موسى بن هرون، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال: حدثنا أسباط ، عن السدّى فى خبر ذكره ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس ـ وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : « ونحن نسبح بحمدك ونُقدس لك » ، قال: ، يقولون : نصلّى لك .

وقال آخرون : « نُسبّح بحمدك»[٣] التسبيح المعلوم . ذكر من قال ذلك :

٦٢٠ ـ حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : حدثنا عبد الرزّاق، قال أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله: « ونحن نسبّح بحمدك » ، قال : التسبيحَ التسبيحَ[٤] .

شيبة وأحمد ومسلم والترمذى والنسائى عن أبى ذر ... » ٥ : ١٦١ ، ١٧٦. وهو فى المسند ٥ : ١٤٨ ومسلم ٢ : ٣١٩، ٨ : ٨٦ .

(١) فى المطبوعة : « فى كل أشكال لما ذكرنا ... » ، و « كل » مقحمة هنا بلا شك .

(٢) ديوانه: ١٠٦ ، من قصيدته المشهورة ، التى قالها فى هجاء علقمة بن علاثة، فى خبر منافرة علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل (الأغانى ١٥ : ٥٠ ـ ٥٦). وذكر ابن الشجرى فى أماليه ١ : ٣٤٨ عن أبى الخطاب الأخفش ، قال : « وإنما ترك التنوين فى « سبحان » وترك صرفه ، لأنه صار عندهم معرفة » . وقال فى ٢ : ٢٥٠ : « لم يصرفه ، لأن فيه الألف والنون زائدين ، وأنه علم التسبيح ، فإن نكرته صرفته » . وانظر ص : ٤٩٥ وتعليق رقم : ٣ .

(٣) فى الأصول : « نسبح لك » ، والصواب ما أثبتناه ، وهو نص الآية .

(٤) الأثران : ٦١٩ ، ٦٢٠ ـ فى ابن كثير ١ : ١٢٩ ، والدر المنثور ١ : ٤٦ ، والشوكانى ١ : ٥٠ .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾

قال أبو جعفر : والتقديس هو التطهير والتعظيم ، ومنه قولهم : « سُبُّوح قُدُّوس » ، يعنى بقولهم : « سُبوح » ، تنزيهٌ لله ، وبقولهم : « قُدوسٌ » ، طهارةٌ له وتعظيم . ولذلك قيل للأرض : « أرض مُقدسة » ، يعنى بذلك المطهرة . فمعنى قول الملائكة إذاً : « ونحن نسبِّح بحمدك » ، ننزهك ونبرئك مما يضيفه إليك أهلُ الشرك بك ، ونصلى لك « ونقدس لك » ، ننسبك إلى ما هو من صفاتك ، من الطهارة من الأدناس وما أضاف إليك أهل الكفر بك . وقد قيل : إن تقديس الملائكة لربها صَلاتها له . كما : —

٦٢١ — حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزّاق ، قال أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله : « ونقدس لك » ، قال : التقديسُ : الصلاة[1].

وقال بعضهم : « نقدس لك » : نعظمك ونمجدك . ذكر من قال ذلك .

٦٢٢ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا هاشم بن القاسم ، قال : حدثنا أبو سعيد المؤدّب ، قال : حدثنا إسمعيل ، عن أبى صالح ، فى قوله : « ونحن نسبحّ بحمدك ، ونقدس لك » ، قال : نعظمك ونمجِّدك[2].

٦٢٣ — وحدثنى محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنى عيسى — وحدثنى المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل — جميعاً عن ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله : « ونقدس لك » ، قال نعظّمك ونكبِّرك[3] .

---

(١) الأثر : ٦٢١ — فى ابن كثير ١ : ١٢٩ ، والدر المنثور ١ : ٤٦ ، والشوكانى ١ : ٥٠ .

(٢) الأثر : ٦٢٢ — فى الدر المنثور ١ : ٤٦ .

(٣) الأثر : ٦٢٣ — فى ابن كثير ١ : ١٢٩ ، والدر المنثور ١ : ٤٦ .

٦٢٤ــ وحدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة بن الفضل، عن ابن إسحق : « ونحن نسبِّح بحمدك ونقدس لك » ، لا نَعْصى ولا نأتى شيئاً تكرهُه[1].

١٦٨/١ ٦٢٥ــ وحدثت عن المنجاب، قال حدثنا بشر، عن أبى رَوق، عن الضحاك، فى قوله: « ونقدس لك » ، قال : التقديس: التطهير[2] .

وأما قول من قال : إن التقديس الصلاة أو التعظيم ، فإن معنى قوله ذلك راجع إلى المعنى الذى ذكرناه من التطهير ، من أجل أنّ صلاتها لربها تعظيم منها له ، وتطهير مما ينسبه إليه أهل الكفر به . ولو قال مكانَ « ونقدِّس لك » و « نقدِّسك » كان فصيحاً من الكلام . وذلك أن العرب تقول: فلان يسبِّح الله ويقدِّسه ، ويسبح لله ويقدِّس له، بمعنى واحد . وقد جاء بذلك القرآن، قال الله جل ثناؤه : ﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً ﴾ [سورة طه : ٣٣، ٣٤]، وقال فى موضع آخر: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [سورة الجمعة : ١]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣٠)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : يعنى بقوله: « أعلم ما لا تعلمون »، مما اطلع عليه من إبليس وإضماره المعصيةَ لله وإخفائه الكبر ، مما اطلع عليه تبارك وتعالى منه وخفى على ملائكته . ذكر من قال ذلك :

٦٢٦ــ حدثنا محمد بن العلاء، قال: حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « إنى أعلم

---

(١) الأثر : ٦٢٤ – فى ابن كثير ١ : ١٢٩ .

(٢) الأثر : ٦٢٥ – فى ابن كثير ١ : ١٢٩ ، وفى الدر المنثور ١ : ٤٦ : « وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس، قال : التقديس : التطهير »، ولم ينسبه للضحاك ، ولا لابن جرير .

ما لا تعلمون » ، يقول : إنى قد اطلعت من قلب إبليس على ما لم تطلعوا عليه من كبره واغتراره[١] .

٦٢٧ – وحدثني موسى ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدّى فى خبر ذكره ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس – وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « إنى أعلم ما لا تعلمون » ، يعنى من شأن إبليس .

٦٢٨ – وحدثنا أحمد بن إسحق الأهوازى ، قال : حدثنا أبو أحمد – وحدثنا محمد ابن بشار ، قال : حدثنا مؤمل – قالا جميعاً : حدثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « إنى أعلم ما لا تعلمون » ، قال : علم من إبليس المعصية وخلقه لها .

٦٢٩ – وحدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقى ، قال : حدثنا محمد بن بشر ، قال : حدثنا سفيان ، عن على بن بَذِيمة ، عن مجاهد ، بمثله[٢] .

٦٣٠ – حدثنا أبو كريب قال : حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن على ابن بذيمة ، عن مجاهد مثله[٣] .

٦٣١ – وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا حَكَّام ، عن عنبسة ، عن محمد ابن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بزة ، عن مجاهد فى قوله : « إنى أعلم مالا تعلمون ، » قال : علم من إبليس المعصية وخلقه لها[٤] .

---

(١) الخبر : ٦٢٦ – لم يذكر فى المصادر السالفة . و « بشر بن عمارة » : مضت ترجمته فى : ١٣٧ ، وتكرر مراراً ، ولكن مصححو طبعة بولاق قالوا فى هذا الموضع : « كذا فى النسخ بالتاء ، وتكرر بها فيها كلها . وهو فى الخلاصة بدون تاء » ! ! وهو « عمارة » بالتاء فى جميع الكتب والدواوين . والذى فى الخلاصة خطأ مطبعى فقط ! !

(٢) الأثر : ٦٢٩ – « على بن بذيمة » ، بفتح الباء الموحدة وكسر الذال المعجمة ، وهو ثقة .

(٣) الأثر : ٦٣٠ – « ابن يمان » ، بفتح الياء وتخفيف الميم : هو يحيى بن يمان العجلى الكوفى ، وهو صدوق من شيوخ أحمد بن حنبل . و « سفيان » فى هذا والذى قبله – هو الثورى .

(٤) الأثر : ٦٣١ – « القاسم بن أبى بزة » ، بفتح الباء الموحدة وتشديد الزاى : ثقة مكى ، قال ابن حبان : « لم يسمع التفسير من مجاهد – أحد غير القاسم ، وكل من يروى عن مجاهد التفسير –

٦٣٢- وحدثني جعفر بن محمد البُزُوري ، قال : حدثنا حسن بن بشر ، عن حمزة الزيات ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « إني أعلم ما لا تعلمون » ، قال : علم من إبليس كتمانه الكِبْر أن لا يسجُد لآدم .

٦٣٣- وحدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى بن ميمون ، قال : - وحدثني المثنى ، قال : حدثنا ، أبو حذيفة ، قال : حدثنا شِبل - جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله : « إني أعلم ما لا تعلمون » ، قال : علم من إبليس المعصية .

٦٣٤- وحدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد ، مثله .

٦٣٥- وحدثني المثنى ، قال : حدثنا سُويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن سفيان ، قال : قال مجاهد في قوله : « إني أعلم ما لا تعلمون » ، قال : علم من إبليس المعصية وخلقه لها[1] .

وقال مرّةً : آدم .

٦٣٦- وحدثني المثنى ، قال : حدثنا حجاج بن المنهال ، قال : حدثنا المعتمر ابن سليمان ، قال سمعت عبد الوهاب بن مجاهد يحدث عن أبيه في قوله : « إني أعلم ما لا تعلمون » ، قال : علم من إبليس المعصية وخلقه لها ، وعلم من آدم الطاعة وخلقه لها[2] . ١٦٩/١

فإنما أخذه من كتاب القاسم» . وقال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ١٢٢/٢/٣ : « هو القاسم ابن نافع بن أبي بزة ، واسم أبي بزة : يسار» . و « محمد بن عبد الرحمن » الراوي عنه هنا : هو ابن أبي ليلى .

(١) الأثر : ٦٣٥ - ذكره السيوطي ١ : ٤٦ . والشوكاني ١ : ٥٠ . ولكن سقط اسم « مجاهد » ، من الدر المنثور ، خطأ مطبعياً .

(٢) الأثر : ٦٣٦ - أما « مجاهد بن جبر » ، فهو التابعي الكبير ، الثقة الفقيه المفسر . ولكن ابنه « عبد الوهاب بن مجاهد » : ضعيف جداً ، قال أحمد بن حنبل : « لم يسمع من أبيه ، ليس بشيء ، ضعيف الحديث » . وضعفه أيضاً ابن معين وأبو حاتم . ومر عبد الوهاب بسفيان الثوري *

٦٣٧– وحدثنا الحسن بن يحيى ،قال : أخبرنا عبد الرزّاق ، عن معمر ، عن ابن طاوس، عن أبيه ، والثورى، عن على بن بَذِيمة ، عن مجاهد فى قوله : « إنى أعلم ما لا تعلمون »، قال : علم من إبليس المعصية وخلقه لها(١) .

٦٣٨– وحدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق: « إنى أعلم ما لا تعلمون ».أى فيكم ومنكم، ولم يُبْدِها لهم ،من المعصية والفساد وسفك الدماء.

وقال آخرون : معنى ذلك : إنى أعلم ما لا تعلمون من أنه يكون من ذلك الخليفة أهلُ الطاعة والولايةِ لله . ذكر من قال ذلك :

٦٣٩– حدثنا بشر بن معاذ،قال: حدثنا يزيد بن زُريع ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال: « إنى أعلم ما لا تعلمون »،فكان فى علم الله أنه سيكون من ذلك الخليفة أنبياءُ ورسلٌ وقوم صالحون وساكنو الجنة(٢) .

* * *

وهذا الخبر من الله جل ثناؤه يُنبئ عن أن الملائكة التى قالت : « أتجعل فيها من يُفسد فيها ويسفك الدماء » ، استفظعتْ أن يكون لله خلق يعصيه ، وعجبتْ منه إذْ أخبرت أن ذلك كائن . فلذلك قال لهم ربهم : « إنى أعلم ما لا تعلمون » . يعنى بذلك، والله أعلم : إنكم لتعجبون من أمر الله وتستفظعونه ، وأنا أعلم أنه فى بعضكم ، وتصفون أنفسكم بصفةٍ أعلمُ خِلافَها من بعضكم، وتعرّضون بأمر قد جعلته لغيركم . وذلك أن الملائكة لما أخبرها ربها بما هو كائن من ذرية خليفته ، من الفساد وسفك الدماء ، قالت لربها : يا رب أجاعل أنت فى الأرض خليفةً من غيرنا ، يكون من ذريته من يعصيك ، أم منا ، فإنا نعظمك

فى مسجد الحرام ، فقال سفيان : « هذا كذاب » . وأما هذا الأثر ، بزيادة : « وعلم من آدم الطاعة – ... » – فلم نجده فى موضع آخر .

(١) الأثر : ٦٣٧ – هو فى معنى الآثار السالفة : ٦٣٣ – ٦٣٥ .

(٢) الأثر : ٦٣٩ – فى ابن كثير ١ : ١٣٠ ، والدر المنثور ١ : ٤٦ ، والشوكانى ١ : ٥٠ . وفى ابن كثير : « فى تلك الخليقة » وفى الدر : المنثور « من تلك الخليقة » وفى الشوكانى : « سيكون من الخليقة » : وجميعها بالقاف ، وهو خطأ ، والصواب ما فى نص الطبرى .

ونصلي لك ونطيعك ولا نعصيك؟ - ولم يكن عندها علم بما قد انطوى عليه كَشْحاً إبليسُ من استكباره على ربه - فقال لهم ربهم : إني أعلم غير الذي تقولون من بعضكم . وذلك هو ما كان مستوراً عنهم من أمر إبليس ، وانطوائه على ما قد كان انطوى عليه من الكبر . وعلى قِيلهم ذلك ، ووصفهم أنفسهم بالعموم من الوصف ، عُوتبوا.

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ذكره : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ﴾

٦٤٠ - حدثنا محمد بن جرير ، قال : حدثنا محمد بن حميد، قال : حدثنا يعقوب القُمّي ، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس، قال : بعث ربُّ العزة مَلَكَ الموت فأخذ من أديم الأرض ، من عذْبها ومالحها ، فخلق منه آدم . ومن ثَمَّ سُمي آدم . لأنه خُلق من أديم الأرض[1] .

٦٤١ - وحدثنا أحمد بن إسحق، قال: حدثنا أبو أحمد الزبيري، قال : حدثنا عمرو بن ثابت ، عن أبيه ، عن جده ، عن علي ، قال : إن آدم خُلق من أديم الأرض، فيه الطيّب والصالح والرديء، فكل ذلك أنت راءٍ في ولده، الصالح والرديء[2] .

---

(١) الخبر : ٦٤٠ - هذا إسناد صحيح . ورواه الطبري في التاريخ أيضاً ١ : ٤٦ ، بهذا الإسناد ، بزيادة في آخره . ولكن فيه : « بعث رب العزة إبليس » بدل « ملك الموت » . وهذا هو الصواب الموافق لسائر الروايات ، فلعل ما هنا تحريف قديم من الناسخين . وكذلك رواه ابن سعد في الطبقات ١/١/٦ ، عن حسين بن حسن الأشقر ، عن يعقوب بن عبد الله القمي ، بهذا الإسناد . وكذلك نقله السيوطي ١ : ٤٧ ، مطولا ، عن ابن سعد ، والطبري ، وابن أبي حاتم ، وابن عساكر .

(٢) الخبر : ٦٤١ - رواه الطبري في التاريخ ١ : ٤٦ ، بهذا الإسناد. وذكره السيوطي ١ : ٤٧ ، منسوباً للطبري وحده ، ولم أجده عند غيره . وإسناده ضعيف جداً . عمرو بن ثابت : هو ابن أبي المقدام الحداد ، ضعيف جداً ، قال ابن معين : « ليس بثقة ولا مأمون » . وأما أبوه « ثابت بن هرمز أبو المقدام » ، فإنه ثقة . ويزيد هذا الإسناد ضعفاً وإشكالا - قوله فيه : « عن جده » ! فإن ترجمة ثابت في المراجع كلها ليس فيها أنه يروى عن أبيه « هرمز » . ثم لا نجد لهرمز هذا ذكراً ولا ترجمة ، فما أدري ما هذا ؟

٦٤٢ – حدثنا أحمد بن إسحق، قال: حدثنا أبو أحمد ، قال حدثنا مِسعر ، عن أبي حَصين ، عن سعيد بن جُبير ، قال : خُلق آدم من أديم الأرض ، فسمِّي آدم .

٦٤٣ – وحدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا أبو داود، قال: حدثنا شعبة، عن أبي حَصين ، عن سعيد بن جبير ، قال: إنما سمي آدمَ لأنه خلق من أديم الأرض[1].

٦٤٤ – وحدثني موسى بن هرون، قال: حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدّي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس – وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : أنّ ملك الموت لما بُعث ليأخذ من الأرض تربةَ آدم ، أخذ من وجه الأرض وخلط فلم يأخذ من مكان واحد ، وأخذ من تربة حمراء وبيضاءَ وسوداء ، فلذلك خرَج بنو آدم مختلفين . ولذلك سُمي آدم ، لأنه أخذ من أديم الأرض[2] .

وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرٌ يحقق ما قال مَن حكينا قوله في معنى آدم . وذلك ما – :

٦٤٥ – حدثني به يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن عُليـة ، عن عوف – وحدثنا محمد بن بشار ، وعمر بن شَبة – قالا : حدثنا يحيى بن سعيد – قال : حدثنا عوف – وحدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا ابن أبي عدى ، ومحمد بن جعفر ، وعبد الوهاب الثقفي ، قالوا حدثنا عوف – حدثني محمد بن عمارة الأسدي ، قال : حدثنا إسمعيل بن أبان ، قال : حدثنا عنبسة – عن عوف الأعرابي، عن قَسامَة بن زُهير ، عن أبي موسى الأشعري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّ الله خلق آدم من قَبضة قَبضها من جميع الأرض ، فجاء ١٧٠/١

(١) الأثران : ٦٤٢ ، ٦٤٣ – رواهما الطبري في التاريخ أيضاً ١ : ٤٦ ، بهذين الإسنادين . وذكره بنحوه السيوطي ١ : ٤٩ ، والشوكاني ١ : ٥٢ . و « أبو حصين » ، فيهما : بفتح الحاء وكسر الصاد المهملتين، وهو : عثمان بن عاصم بن حصين الأسدي، ثقة ثبت صاحب سنة .

(٢) الخبر : ٦٤٤ – مضى ضمن خبر مطول ، بهذا الإسناد : ٦٠٧ .

بنو آدم على قدر الأرض ، جاء منهم الأحمر والأسود والأبيض وبين ذلك ، والسهلُ والحَزْن ، والخبيث والطيب[١] .

فعلى التأويل الذى تأوّل « آدم » من تأوله ، بمعنى أنه خُلق من أديم الأرض ، يجب أن يكون أصْل « آدم » فعلاً سُمِّى به أبو البشر ، كما سمى « أحمد » بالفعل من الإحماد ، و « أسعد » من الإسعاد ، فلذلك لم يُجرَّ . ويكون تأويله حينئذ : آدمَ المَلكُ الأرضَ ، يعنى به بلغ أدمتها — وأدَمتها : وجهها الظاهر لرأى العين ، كما أنّ جلدة كل ذى جلدة له أدَمة . ومن ذلك سُمى الإدام إدَاماً ، لأنه صار كالجلدة العليا مما هى منه — ثم نقل من الفعل فجعل اسماً للشخص بعينه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى الأسماء التى علمها آدمَ ثم عَرضها على الملائكة ، فقال ابن عباس ما — :

٦٤٦— حدثنا به أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : علم الله آدم الأسماء كلها ، وهى هذه الأسماء التى يتعارف بها الناس : إنسانٌ ودابة وأرض وَسهل وبحر وجبل وحمار ، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها[٢] .

---

(١) الحديث : ٦٤٥ — هو حديث صحيح . ورواه أحمد فى المسند ٤ : ٤٠٠ ، ٤٠٦ (حلبى) ، وابن سعد فى الطبقات ١/١/٥ — ٦ ، وأبو داود : ٤٦٩٣ ، والترمذى ٤ : ٦٧—٦٨ ، والحاكم ٢ : ٢٦١ — ٢٦٢ ، كلهم من طريق عوف بن أبى جميلة الأعرابى ، عن قسامة بن زهير ، به . قال الترمذى : « حسن صحيح » . وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى ، وذكره السيوطى ١ : ٤٦ ، ونسبه لهؤلاء ، ولعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، وغيرهم . ورواه أيضاً الطبرى فى التاريخ ١ : ٤٦ ، بهذه الأسانيد التى هنا ، بزيادة فى آخره .

(٢) الخبر : ٦٤٦ — فى ابن كثير ١ : ١٣٢ ، والدر المنثور ١ : ٤٩ ، والشوكانى ١ : ٥٢ وقد مضى برقم : ٦٠٦ ، مطولا .

٦٤٧ – وحدثنا محمد بن عمرو ، قال: حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثني عيسى ، عن ابن أبي نَجيح ، عن مجاهد – وحدثني المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ،عن مجاهد ، في قول الله : « وعلم آدم الأسماء كلها » ، قال : علمه اسم كل شيء .

٦٤٨ – وحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ،عن سفيان ، عن خُصيف ، عن مجاهد : « وعلم آدم الأسماء كلها » قال : علمه اسم كل شيء[1] .

٦٤٩ – وحدثنا علي بن الحسن ، قال :حدثنا مسلم الجَرمي ،عن محمد بن مصعب ، عن قيس بن الربيع ، عن خُصيف ، عن مجاهد ، قال : علمه اسم الغراب والحمامة واسم كل شيء[2] .

٦٥٠ – وحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن شَريك ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير ، قال : علمه اسمَ كل شيء ، حتى البعير والبقرة والشاة[3] .

٦٥١ – وحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن شَريك ، عن عاصم ابن كليب ، عن سعيد بن مَعبد ، عن ابن عباس ، قال : علمه اسم القصعة والفسوة والفُسَيَّة[4] .

٦٥٢ – وحدثنا أحمد بن إسحق ، قال : حدثنا أبو أحمد ، قال : حدثنا شريك ،

---

(١) الأثران : ٦٤٧ ، ٦٤٨ – في الدر المنثور ١ : ٤٩ ، وكأنهما اختصار لما بعدهما .

(٢) الأثر : ٦٤٩ – لم أجده بنصه ولعله مطول الذي قبله ، وانظر ما سيأتي رقم : ٦٦٦ . و « مسلم الجرمي » : ثبت في الأصول بالحاء . وقد مضى في : ١٥٤ ترجيحنا أنه بالجيم .

(٣) الأثر : ٦٥٠ – في الدر المنثور ١ : ٤٩ .

(٤) الخبر : ٦٥١ – سعيد بن معبد : تابعي ، يروى عن ابن عباس ، لم أجد له ترجمة إلا في التاريخ الكبير للبخاري ٤٦٨/١/٢ ، والجرح لابن أبي حاتم ٦٣/١/٢ . وكلاهما ذكر أنه يروى عن ابن عباس ، ويروى عنه : القاسم بن أبي بزة . فجاءنا الطبري بفائدة زائدة ، في هذا الإسناد ، وفي الإسناد : ٦٥٣ : أنه يروى عنه أيضاً عاصم بن كليب . وهذا الخبر ذكره بنحوه : ابن كثير ١ : ١٣٢ ، والسيوطي ١ : ٤٩ . ونسباه أيضاً لابن أبي حاتم . وهذا الخبر والثلاثة بعده ، متقاربة المعنى ، هي روايات لخبر واحد .

عن عاصم بن كليب ، عن الحسن بن سعد ، عن ابن عباس : « وعلم آدم الأسماء كلها » ، قال : حتى الفسوة والفُسيَّة .

٦٥٣ــ حدثنا على بن الحسن، قال : حدثنا مسلم ، قال: حدثنا محمد بن مُصعب ، عن قيس ، عن عاصم بن كليب ، عن سعيد بن مَعبد ، عن ابن عباس فى قول الله: « وعلم آدم الأسماء كلها » ، قال : علمه اسم كل شىء حتى الهَنة والهُنَيَّة والفسوة والضرطة .

٦٥٤ــ وحدثنا القاسم ،قال: حدثنا الحسين، قال : حدثنا على بن مسهر ، عن عاصم بن كليب، قال : قال ابن عباس : علمه القصعة من القُصيعة والفسوة من الفسية[١] .

٦٥٥ــ وحدثنا بشر بن معاذ، قال : حدثنا يزيد بن زُريع ،عن سعيد ، عن قتادة ، قوله : « وعلم آدم الأسماء كلها » حتى بلغ « إنك أنتَ العليمُ الحكيم قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم » ، فأنبأ كل صنف من الخلق باسمه ، وألجأه إلى جنسه[٢] .

١٧١/١ ٦٥٦ــ وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال: حدثنا عبد الرزّاق، قال : حدثنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « وعلم آدم الأسماء كلها »،قال : علمه اسم كل شىء، هذا جبل ، وهذا بحر ، وهذا كذا وهذا كذا ، لكل شىء . ثم عرض تلك الأشياء على الملائكة فقال: أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين[٣] .

٦٥٧ــ وحدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنى حجاج ، عن جرير بن حازم ــ ومبارك ، عن الحسن ــ وأبى بكر عن الحسن وقتادة ،

---

(١) الخبر : ٦٥٤ ــ عاصم بن كليب الجرمى : ثقة يحتج به . ولكنه إنما يروى عن التابعين ، فروايته عن ابن عباس هنا منقطعة . وقد دلتنا الأسانيد الثلاثة الماضية على أنه إنما روى هذا المعنى عن سعيد بن معبد ، وعن الحسن بن سعد ، عن ابن عباس .

(٢) الأثر : ٦٥٥ ــ فى الدر المنثور ١ : ٤٩، بغير هذا اللفظ. وانظر رقم : ٦٩٧ .

(٣) الأثر : ٦٥٦ ــ فى ابن كثير ١ : ١٣٣ مختصراً ، وفى الدر المنثور ١ : ٤٩ مطولا وفى ابن كثير : « ثم عرض تلك الأسماء » .

قالا : علمه اسم كل شيء : هذه الخيل ، وهذه البغال والإبل والجنّ والوحش ، وجعل يسمى كل شيء باسمه[١].

٦٥٨ــ وحُدِّثت عن عمّار ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : اسم كل شيء[٢].

وقال آخرون : علم آدم الأسماء كلها ، أسماء الملائكة . ذكر من قال ذلك :

٦٥٩ــ حُدِّثت عن عمار ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « وعلم آدمَ الأسماء كلها » ، قال : أسماء الملائكة[٣].

وقال آخرون : إنما عمله أسماء ذريته كلها . ذكر من قال ذلك :

٦٦٠ــ حدثنا محمد بن جرير ، قال : حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : « وعلم آدم الأسماء كلها » ، قال : أسماء ذريته أجمعين[٤] .

* * *

وأولَى هذه الأقوال بالصواب ، وأشبهها بما دل على صحته ظاهرُ التلاوة ، قول من قال في قوله : « وعلم آدم الأسماء كلها » أنها أسماءُ ذرّيته وأسماءُ الملائكة ، دون أسماء سائر أجناس الخلق . وذلك أن الله جلّ ثناؤه قال : « ثم عرَضهم على الملائكة » ، يعني بذلك أعيانَ المسمَّين بالأسماء التي علمها آدم . ولا تكادُ العرب تكني بالهاء والميم إلا عن أسماء بني آدم والملائكة . وأمّا إذا كانت عن أسماء البهائم وسائر الخلق سوى من وصفناها ، فإنها تكني عنها بالهاء والألف أو بالهاء والنون ، فقالت : « عرضهن » أو « عرضها » ، وكذلك تفعل إذا كنَتْ عن أصناف

(١) الأثر : ٦٥٧ – في ابن كثير ١ : ١٣٣ بغير هذا اللفظ مختصراً ، وفي الدر المنثور ١ : ٤٩ ، وسيأتي كما جاء فيهما برقم : ٦٦٧ .

(٢) الأثر : ٦٥٨ – لم أجده .

(٣) الأثر : ٦٥٩ – في ابن كثير ١ : ١٣٢ ، والدر المنثور ١ : ٤٩ ، والشوكاني ١ : ٥٢ .

(٤) الأثر : ٦٦٠ – في ابن كثير ١ : ١٣٢ ، والدر المنثور ١ : ٤٩ ، والشوكاني ١ : ٥٢ .

من الخلق كالبهائم والطير وسائر أصناف الأمم وفيها أسماءُ بنى آدم والملائكة ، فإنها تكنى عنها بما وصفنا من الهاء والنون أو الهاء والألف . وربما كنَتْ عنها ، إذا كان كذلك[1] ، بالهاء والميم ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ﴾ [سورة النور : ٤٥]، فكنى عنها بالهاء والميم ، وهى أصناف مختلفة فيها الآدمى وغيره . وذلك ، وإن كان جائزاً ، فإن الغالب المستفيض فى كلام العرب ما وَصفنا ، من إخراجهم كنايةَ أسماء أجناس الأمم — إذا اختلطت — بالهاء والألف أو الهاء والنون . فلذلك قلتُ : أولى بتأويل الآية أن تكون الأسماء التى علَّمها آدمَ أسماء أعيان بنى آدم وأسماء الملائكة ، وإن كان ما قال ابن عباس جائزاً على مثال ما جاء فى كتاب الله من قوله : «والله خَلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بَطنه » الآية . وقد ذكر أنها فى حرف ابن مسعود : « ثم عَرضهن » ، وأنها فى حرف أبىّ : « ثم عَرَضها »[2] . ولعل ابن عباس تأول ما تأول من قوله : علمه اسم كل شىء حتى الفسوة والفسيَّة ، على قراءة أبىّ ، فإنه فيما بلغنا كان يقرأ قراءة أبىّ . وتأويل ابن عباس — على ما حُكى عن أبىّ من قراءته — غيرُ مستنكر ، بل هو صحيح مستفيض فى كلام العرب ، على نحو ما تقدم وصفى ذلك .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾

قال أبو جعفر : قد تقدم ذكرنا التأويل الذى هو أولى بالآية ، على قراءتنا ورَسم مُصْحفنا ، وأن قوله : « ثم عَرَضهم » ، بالدلالة على بنى آدم والملائكة ،

---

(١) فى المطبوعة : « إذ كان ... » وهو خطأ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ١ : ١٣٢ فى التعقيب على كلام الطبرى .

أولى منه بالدلالة على أجناس الخلق كلها ، وإن كان غيرَ فاسد أن يكون دالاً على جميع أصناف الأمم ، للعلل التى وصفنا . ١٧٢/١

ويعنى جل ثناؤه بقوله : « ثم عَرَضهم » ، ثم عرَض أهل الأسماء على الملائكة .

* * *

وقد اختلف المفسرون فى تأويل قوله : « ثم عَرَضهم على الملائكة » نحو اختلافهم فى قوله : « وعلم آدمَ الأسماء كلها » . وسأذكر قول من انتهى إلينا عنه فيه قولٌ .

٦٦١ — حدثنا محمد بن العلاء ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « ثم عَرضهم على الملائكة » ، ثم عرض هذه الأسماء ، يعنى أسماء جميع الأشياء ، التى علّمها آدم من أصناف جميع الخلق[١] .

٦٦٢ — وحدثنى موسى ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى فى خبر ذكره ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : « ثم عرضهم » ، ثم عرض الخلقَ على الملائكة[٢] .

٦٦٣ — وحدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : أسماء ذريته كلّها ، أخذهم من ظَهره . قال : ثم عرضهم على الملائكة[٣] .

٦٦٤ — وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة : « ثم عرضهم » ، قال : علمه اسم كل شىء ، ثم عرض تلك الأسماء على الملائكة[٤]

---

(١) الخبر : ٦٦١ — هو من تمام الآثار السالفة قريباً .
(٢) الخبر : ٦٦٢ — مختصر من الخبر الطويل الماضى قريباً ، وفى ابن كثير ١ : ١٣٢ .
(٣) الأثر : ٦٦٣ — فى الدر المنثور ١ : ٤٩ .
(٤) الأثر : ٦٦٤ — مختصر أثر سلف بإسناده هذا ، وفى ابن كثير ١ : ١٣٣ .

٦٦٥ – وحدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال: حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد: « ثم عرضهم » ، عرض أصحاب الأسماء على الملائكة [١].

٦٦٦ – وحدثنا علي بن الحسن ، قال : حدثنا مسلم ، قال: حدثنا محمد ابن مصعب ، عن قيس ، عن خُصَيف ، عن مجاهد: « ثم عرضهم على الملائكة » ، يعني عرض الأسماء ، الحمامةَ والغراب [٢].

٦٦٧ – وحدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن جرير بن حازم – ومبارك عن الحسن – وأبي بكر عن الحسن وقتادة – قالا : علّمه اسم كل شيء: هذه الخيلَ ، وهذه البغال ، وما أشبه ذلك . وجعل يُسمي كل شيء باسمه ، وعُرضت عليه أمة أمة [٣].

* * *

القول في تأويل قوله : ﴿ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ ﴾

قال أبو جعفر : وتأويل قوله « أنبئوني » : أخبروني ، كما : –

٦٦٨ – حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان ، قال : حدثنا بشر ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « أنبئوني » ، يقول : أخبروني بأسماء هؤلاء [٤].

ومنه قول نابغة بني ذُبيان :

---

(١) الأثر : ٦٦٥ – في ابن كثير : ١ : ١٣٣ ، والدر المنثور ١ : ٤٩ ، والشوكاني ١ : ٥٢ .

(٢) الأثر : ٦٦٦ – في ابن كثير ١ : ١٣٤ ، وانظر ما مضى قريباً بإسناده .

(٣) الأثر : ٦٦٧ – انظر ما مضى رقم : ٦٥٧ وابن كثير ١ : ١٣٣ ، والدر المنثور ١ : ٤٩ .

(٤) الخبر : ٦٦٨ – مختصر من الخبر رقم : ٦٠٦ .

وأنبأه المُنَبِّئُ أنّ حَيًّا حُلُولٌ من حَرَامٍ أو جُذَامِ(١)

يعنى بقوله : « أنبأه » : أخبره وأعلمه .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ذكره : ﴿ بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ ﴾

قال أبو جعفر :

٦٦٩ — حدثنى محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال حدثنا عيسى — وحدثنا المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد فى قوله الله : « بأسماء هؤلاء » ، قال : بأسماء هذه التى حدّثتُ بها آدمَ .

٦٧٠ — حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين » يقول : بأسماء هؤلاء التى حَدّثت بها آدم(٢)

* * *

---

(١) ديوانه : ٨٧ من قصيدة له ، فى عمرو بن هند ، وكان غزا الشام بعد قتل المنذر أبيه . وقال أبو عبيدة : هذه القصيدة لعمرو بن الحارث الغسانى فى غزوة العراق . ورواية الديوان : « أن حياً حلولا » بالنصب ، صفة « حياً » وهى الرواية الجيدة . وخبر « أن » محذوف ، كأنه يقول : قد تألبوا يترصدون لك . وحذفه للتهويل فى شأن اجتماعهم وترصدهم . والبيت الذى يليه دال على ذلك ، وهو قوله :

وَأَنَّ القَوْمَ نَصْرُهُمُ جَمِيعٌ فِئَامٌ مُجْلِبُونَ إِلَى فِئَامِ

ورواية الرفع ، لا بأس بها ، وإن كنت لا أستجيدها . وقوله : « حرام » كأنه يعنى بنى حرام ابن ضنة بن عبد بن كبير بن عذرة بن سعد هذيم . أو كأنه يعنى بنى حرام بن جذام بن عدى بن الحارث ابن مرة بن أدد بن زيد . ودار جذام جبال حسمى ، وأرضها بين أيلة وجانب تيه بنى إسرائيل الذى يلى أيلة ، وبين أرض بنى عذرة من ظهر حرة نهيل (معجم البلدان : حسمى) . فمن أجل أن بنى عذرة هذه ديارهم قريبة من جذام ، شككت فيمن عنى النابغة ببنى حرام فى هذا البيت .

(٢) الأثران : ٦٦٩ ، ٦٧٠ — لم أجدهما فى مكان .

القول فى تأويل قوله تعالى ذكره: ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِينَ ﴾ (٣١)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى ذلك :

٦٧١ — فحدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد، قال: حدثنا بشر بن عمارة، عن أبى روق، عن الضحاك ، عن ابن عباس: « إن كنتم صادقين » ، إن كنتم تعلمون لِمَ أجعل فى الأرض خليفة (١).

١٧٣/١ ٦٧٢ — وحدثنا موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدّى فى خبر ذكره ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : « إن كنتم صادقين » أنّ بنى آدم يُفسدون فى الأرض ويسفكون الدماء(٢).

٦٧٣ — وحدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا حجاج ، عن جرير بن حازم — ومبارك عن الحسن — وأبى بكر عن الحسن وقتادة — قالا : « أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين » أنى لم أخلق خلقاً إلا كنتم أعلمَ منه ، فأخبرونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين (٣) .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية، تأويلُ ابن عباس ومن قال بقوله . ومعنى ذلك: فقال أنبئونى بأسماء من عرضتُه عليكم أيتها الملائكة — القائلون : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء من غيرنا ، أم منا ، فنحن نسبح بحمدك

---

(١) الخبر : ٦٧١ — مختصر من الخبر السالف رقم ٦٠٦ ، وانظر التعليق ، هناك على هذه الفقرة . وانظر الشوكانى ١ : ٥٢ .

(٢) الخبر : ٦٧٢ — مختصر من الخبر السالف رقم ٦٠٧ ، وابن كثير ١ : ١٣٣ ، والدر المنثور ١ : ٥٠ ، والشوكانى ١ : ٥٢ .

(٣) الأثر : ٦٧٣ — مختصر من الأثر السالف رقم ٦١١ ، وابن كثير ١ : ١٣٣ .

ونقدس لك ؟ إن كنتم صادقين فى قيلكم أنى إن جعلت خليفتى فى الأرض من غيركم عَصَانى ذريته وأفسدوا فيها وسفكوا الدماء ، وإن جعلتكم فيها أطعتمونى واتّبعتم أمرى بالتعظيم لى والتقديس . فإنكم إن كنتم لا تعلمون أسماء هؤلاء الذين عرضتُهم عليكم من خلقى ، وهم مخلوقون موجودون ترونهم وتعاينونهم ، وَعِلمه غيركم بتعليمى إيّاه ؛ فأنتم = بما هو غير موجود من الأمور الكائنة التى لم توجد بَعدُ ، وبما هو مستتر من الأمور — التى هى موجودة — عن أعينكم = أحرى أن تكونوا غير عالمين . فلا تسألونى ما ليس لكم به علم ، فإنى أعلم بما يصلحكم ويصلح خلقى .

وهذا الفعل من الله جل ثناؤه بملائكته — الذين قالوا له : « أتجعل فيها من يفسد فيها » ، من جهة عتابه جل ذكره إياهم — نظيرُ قوله جل جلاله لنبيه نوح صلوات الله عليه إذ قال : ﴿ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ ٱلْحَاكِمِينَ ﴾ [سورة هود : ٤٥] — : لاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ ٱلْجَاهِلِينَ (١). فكذلك الملائكة سألت ربها أن تكون خُلفاءه فى الأرض ليسبّحوه ويقدسوه فيها ، إذ كان ذرية من أخبرهم أنه جاعلُه فى الأرض خليفةً ، يفسدون فيها ويسفكون الدماء ، فقال لهم جل ذكره : « إنى أعلم ما لا تعلمون » . يعنى بذلك : إنى أعلم أنّ بعضكم فاتحُ المعاصى وخاتمُها ، وهو إبليس ، منكراً بذلك تعالى ذكره قولهم . ثم عرّفهم موضع هفوتهم فى قيلهم ما قالوا من ذلك ، بتعريفهم قصور علمهم عما هم له شاهدون عياناً ، — فكيف بما لم يروه ولم يُخبَروا عنه ؟ — بعرَضه ما عرض عليهم من خلقه الموجودين يومئذ ، وقيله لهم : « أنبئونى

---

(١) فى المطبوعة : « وأنت أحكم الحاكين فلا تسألن » ، وهو خطأ فاحش ، فإن الآية التى قبل قوله : « وأنت أحكم الحاكين » : « قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم ... » ، ولم يرد الطبرى أن يسوق الآيتين ، بل ساق قول الله سبحانه لنبيه حين قال ما قال . والصواب ما فى المخطوطة كما أثبتناه .

بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين » أنكم إن استخلفتكم فى أرضى سبّحتمونى وقدستمونى ، وإن استخلفت فيها غيركم عصانى ذريته وأفسدوا وسفكوا الدماء . فلما اتضح لهم موضع خطأ قيلهم ، وبدت لهم هفوة زلّتهم ، أنابوا إلى الله بالتوبة فقالوا : « سبحانك لا علم لنا إلاّ ما علمتنا » ، فسارعوا الرجعة من الهفوة ، وبادروا الإنابة من الزلة ، كما قال نوح — حين عوتب فى مسئلته فقيل له : لا تسألن ما ليس لك به علم (١) — : ﴿ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [سورة هود : ٤٧] . وكذلك فعل كل مسدّد للحق موفّق له — سريعة إلى الحق إنابته ، قريبة إليه أوْبته .

* * *

وقد زعم بعض نحويّى أهل البصرة أنّ قوله : « أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين » ، لم يكن ذلك لأن الملائكة ادّعوا شيئا ، إنما أخبر الله عن جهلهم بعلم الغيب ، وعلمه بذلك وفضله ، فقال : « أنبئونى إن كنتم صادقين » — كما يقول الرجل للرجل : « أنبئنى بهذا إن كنت تعلم » . وهو يعلم أنه لا يعلم ، يريد أنه جاهل .

١٧٤/١ وهذا قول إذا تدبره متدبر ، علم أن بعضه مفسد بعضاً . وذلك أن قائله زعم أن الله جل ثناؤه قال للملائكة — إذ عرض عليهم أهل الأسماء — : أنبئونى بأسماء هؤلاء ، وهو يعلم أنهم لا يعلمون ، ولا هم ادّعوا علم شىء يوجب أن يوبّخوا بهذا القول .

وزعم أن قوله : « إن كنتم صادقين » نظير قول الرجل للرجل : « أنبئنى بهذا إن كنت تعلم » . وهو يعلم أنه لا يعلم ، يريد أنه جاهل .

ولا شك أن معنى قوله : « إن كنتم صادقين » إنما هو : إن كنتم صادقين ، إمّا فى قولكم ، وإما فى فعلكم . لأن الصّدق فى كلام العرب ، إنما هو صدق فى الخبر لا فى

(١) فى المطبوعة هنا أيضاً : « فلا تسألن » .

العلم . وذلك أنه غير معقول فى لغة من اللغات أن يقال : صدَق الرجل بمعنى علم . فإذْ كان ذلك كذلك، فقد وجب أن يكون الله جل ثناؤه قال للملائكة — على تأويل قول هذا الذى حكينا قوله فى هذه الآية — : « أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين » وهو يعلم أنهم غيرُ صادقين، يريد بذلك أنهم كاذبون . وذلك هو عين ما أنكره، لأنه زعم أن الملائكة لم تدَّع شيئاً ، فكيف جاز أن يقال لهم : إن كنتم صَادقين ، فأنبئونى بأسماء هؤلاء ؟ هذا مع خروج هذا القول — الذى حكيناه عن صاحبه — من أقوال جميع المتقدمين والمتأخرين من أهل التأويل والتفسير .

وقد حُكى عن بعض أهل التفسير أنه كان يتأول قوله : « إن كنتم صادقين » بمعنى : إذْ كنتم صادقين .

ولو كانت « إن » بمعنى « إذ » فى هذا الموضع ، لوجب أن تكون قراءتها بفتح ألفها ، لأن « إذ » إذا تقدّمها فعل مُستقبل صارت علة للفعل وسبباً له . وذلك كقول القائل : « أقوم إذ قمت » . فمعناه أقوم من أجل أنك قمت . والأمرُ بمعنى الاستقبال ، فمعنى الكلام — لو كانت « إن » بمعنى « إذ » — : أنبئونى بأسماء هؤلاء من أجل أنكم صادقون . فإذا وُضعت « إن » مكان ذلك قيل : أنبئونى بأسماء هؤلاء أنْ كنتم صَادقين، مفتوحةَ الألف . وفى إجماع جميع قرّاء أهل الإسلام على كسر الألف من « إنْ » ، دليل واضح على خطأ تأويل من تأول « إن » بمعنى « إذ » فى هذا الموضع

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى ذكره : ﴿ قَالُوا سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (٣٢)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله جل ذكره عن ملائكته ، بالأوبة إليه ، وتسليم علم ما لم يعلموه له، وتبرّيهم من أن يعلموا أو يعلم أحد شيئاً إلا ما علّمه تعالى ذكره .

وفى هذه الآيات الثلاث العبرة لمن اعتبرَ ، والذكرى لمن ادّكر ، والبيان لمن كان له قلبٌ أو ألقىَ السمعَ وهو شهيد ، عمّا أودع الله جل ثناؤه آىَ هذا القرآن من لطائف الحكم التى تعجز عن أوصافها الألسن .

وذلك : أن الله جل ثناؤه احتجّ فيها لنبيه صلى الله عليه وسلم على من كان بين ظهرانَيْه من يَهود بنى إسرائيل ، بإطلاعه إياه من علوم الغيب التى لم يكن جل ثناؤه أطلعَ عليها من خلقه إلا خاصًّا ، ولم يكن مُدرَكاً علمه إلا بالإنباء والإخبار ، لتتقرر عندهم صحة نبوته ، ويعلموا أن ما أتاهم به فمن عنده . ودلّ فيها على أنّ كل مخبر خبراً عما قد كان — أو عما هو كائن مما لم يكنْ ، ولم يأته به خبر ، ولم يُوضَع له على صحّته برهان ، — فمتقوّلٌ ما يستوجبُ به من ربه العقوبة . ألا ترى أنّ الله جل ذكره ردّ على ملائكته قِيلَهم : « أتجعلُ فيها من يُفسدُ فيها ويَسفكُ الدماءَ ونَحنُ نُسبح بحمدك ونقدسُ لك » قال : « إنى أعلمُ ما لا تعلمونُ » ، وعرفهم أن قِيلَ ذلك لم يكن جائزاً لهم ، بما عرّفهم من قصور علمهم عند عرضه ما عرض عليهم من أهل الأسماء ، فقال : « أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتمْ صادقين » . فلم يكن لهم مَفزَعٌ إلا الإقرارُ بالعجز ، والتبرّى إليه أن يعلموا إلاّ ما علّمهم ، بقولهم : « سبحانك لا عِلْمَ لنا إلا ما علّمتنا » . فكان فى ذلك أوضحُ الدلالة وأبينُ الحجة ، على كذب مقالة كلّ من ادعى شيئاً من علوم الغيب من الحُزاة والكهنة والعافَةِ والمنجِّمة[1] . وذكّر بها الذين ١٧٥/١

(١) الحزاة جمع حاز : وهو كالكاهن ، يحزر الأشياء ويقدرها بظنه . ويقال للذى ينظر فى النجوم ويتكهن حاز وحزاء ، وفى حديث هرقل أنه « كان حزاء » ، وفى الحديث : « كان لفرعون حاز » ، أى كاهن . والكهنة جمع كاهن : وهو الذى يتعاطى الخبر عن الكائنات فى مستقبل الزمان ويدعى معرفة الأسرار . وفى المطبوعة « والثافة » مكان « والعافة » ، وهو خطأ بين ، فالقيافة ليست مما أراد الطبرى فى شىء ، وهى حق ، لا باطل كباطل التحزى والكهانة والتنجيم . والعافة جمع عائف : وهو الذى يعيف الطير فيزجرها ويتفاءل أو يتشاءم بأسمائها وأصواتها ومرها . واسم حرفته : العيافة ، وفى الحديث : «العيافة والطرق من الجبت» . وهو ضرب من الكهانة. والمنجم والمتنجم : الذى ينظر فى النجوم يحسب مواقيتها وسيرها ، ثم يربط بين ذلك وبين أحوال الدنيا والناس ، فيقول بالظن فى غيب أمورهم .

وَصَفنا أمرَهم من أهل الكتاب – سوالفَ نعمه على آبائهم ، وأياديَه عند أسلافهم ، عند إنابتهم إليه ، وإقبالهم إلى طاعته ، مُستعطفَهم بذلك إلى الرشاد ، ومُستعتِبَهم به إلى النجاة . وحذَّرهم – بالإصرار والتمادى فى البغى والضلال – حلولَ العقاب بهم ، نظيرَ ما أحلّ بعدوِّه إبليس ، إذ تمادَى فى الغىّ والخَسَار [1] .

* * *

قال : وأما تأويل قوله : « سبحانك لا علم لنا إلا ماعلمتنا » ، فهو كما : –

٦٧٤ – حدثنا به أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « قالوا سبحانك » تنزيهاً لله من أن يكون أحدٌ يعلم الغيبَ غيرُه ، تُبنا إليك « لا علم لنا إلا ما عَلَّمتنا » ، تبرّياً منهم من علم الغيب ، « إلا ما علَّمتنا » كما علمت آدم [2] .

* * *

وسُبحان مصدر لا تصرُّف له [3] . ومعناه : نسبِّحك ، كأنهم قالوا : نسبحك تسبيحاً ، وننزهك تنزيهاً ، ونبرّئك من أن نعلم شيئاً غير ما علمتنا .

* * *

القول فى تأويل قوله : ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

قال أبو جعفر : وتأويل ذلك : أنك أنت يا ربنا العليمُ من غير تعليم بجميع ما قد كان وما هو كائن ، والعالم للغيوب دون جميع خلقك . وذلك أنّهم نَفَوْا عن أنفسهم بقولهم : « لا علم لنا إلاّ ما علمتنا » ، أن يكون لهم علمٌ إلا ما علَّمهم ربهم ، وأثبتوا ما نَفَوْا عن أنفسهم من ذلك لربهم بقولهم : « إنك أنتَ العليم » ،

---

(١) فى المطبوعة : « فى البغى والخسار » ، والصواب ما فى المخطوطة .
(٢) الخبر : ٦٧٤ – مختصر من الخبر رقم : ٦٠٦ . وفى المطبوعة هنا « تبرؤاً منهم » .
(٣) انظر ما مضى : ص ٤٧٤ التعليق رقم : ٣

يعنون بذلك العالم من غير تعليم ، إذ كان مَنْ سواك لا يعلم شيئاً إلا بتعليم غيره إياه . والحكيم : هو ذو الحكمة . كما : —

٦٧٥ — حدثني به المثنى ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، قال : حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « العليم » الذي قد كمل في علمه ، و « الحكيم » الذي قد كمل في حُكمه[1] .

وقد قيل ، إن معنى الحكيم : الحاكم ، كما أنّ العليم بمعنى العالم ، والخبير بمعنى الخابر .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾

قال أبو جعفر : إن الله جل ثناؤه عَرّف ملائكته — الذين سألوه أن يجعلهم الخلفاء في الأرض ، ووَصفوا أنفسهم بطاعته والخضوع لأمره ، دونَ غيرهم الذين يُفسدون فيها ويسفكون الدماء — أنهم ، من الجهل بمواقع تدبيره ومحلّ قَضائه قَبل إطلاعه إياهم عليه ، على نحو جهلهم بأسماء الذين عَرَضهم عليهم ، إذ كان ذلك مما لم يعلّمهم فيعلَموه ، وأنهم وغيرَهم من العباد لايعلمون من العلم إلا ما علّمهم إياه ربهم ، وأنه يخص بما شاء من العلم مَنْ شاء من الخلق ، ويمنعه منهم من شاء ، كما علم آدم أسماء ما عَرَض على الملائكة ، ومنعهم عِلْمها إلا بعد تعليمه إيّاهم .

فأمّا تأويل قوله : « قال يا آدم أنبئهم » ، يقول : أخبر الملائكةَ ، والهاء والميم في قوله « أنبئهم » عائدتان على الملائكة . وقوله : « بأسمائهم » يعني بأسماء الذين عَرَضهم على الملائكة ، والهاء والميم اللتان في « أسمائهم » كناية عن ذكر

(١) الخبر : ٦٧٥ في الدر المنثور ١ : ٤٩ ، والشوكاني ١ : ٥٢ .

« هؤلاء » التى فى قوله : « أنبئونى بأسماء هؤلاء » . « فلما أنبأهم » يقول : فلما أخبر آدمُ الملائكةَ بأسماء الذين عرضهم عليهم فلم يَعرفوا أسماءهم ، وأيقنوا خطأ قيلهم : « أتجعلُ فيها من يُفسد فيها ويَسفك الدماءَ ونحن نسبِّح بحمدك ونقدس لك » ، وأنهم قد هفوْا فى ذلك وقالوا ما لا يعلمون كيفية وقوع قضاء ربهم فى ذلك لو وقع ، على ما نطقوا به ، — قال لهم ربهم : « ألم أقلْ لكمُ إنّى أعلمُ غيبَ السموات والأرض » . والغيب : هو ما غاب عن أبصارهم فلم يعاينوه ؛ توبيخاً من الله جل ثناؤه لهم بذلك ، على ما سلف من قيلهم ، وفَرَط منهم من خطأ مسألتهم . كما — :

٦٧٦ — حدثنا به محمد بن العلاء ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « قال يا آدمُ أنبئهم بأسمائهم » ، يقول : أخبرهم بأسمائهم — « فلما أنبأهم بأسمائهم ١٧٦/١ قال : ألم أقلْ لكم » أيها الملائكة خاصة « إنّى أعلم غيبَ السموات والأرض» ولا يعلمه غيرى(١) .

٦٧٧ — وحدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قصة الملائكة وآدم : فقال الله للملائكة : كما لم تعلموا هذه الأسماء فليس لكم علم ، إنما أردت أن أجعلهم ليفسدوا فيها ، هذا عندى قد علمتُه ، فكذلك أخفيتُ عنكم أنى أجعل فيها من يعصينى ومن يُطيعنى ، قال : وسبقَ من الله : ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[سورة هود : ١١٩ ، وسورة السجدة : ١٣]، قال : ولم تعلم الملائكة ذلك ولم يدروه . قال : فلما رأوْا ما أعطى الله آدمَ من العلم أقروا لآدم بالفضل(٢) .

* * *

(١) الخبر : ٦٧٦ — مختصر من الخبر السالف رقم : ٦٠٦ .
(٢) الأثر : ٦٧٧ — فى ابن كثير ١ : ١٣٥ . فى المخطوطة : « علم بما أردت . . . هذا عبدى » .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (٣٣)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فرُوى عن ابن عباس فى ذلك ما — :

٦٧٨ — حدثنا به أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « وأعلم ما تبدون » يقول : ما تظهرون ، « وما كنتم تكتمون » يقول : أعلم السرّ كما أعلم العلانية . يعنى : ما كتم إبليس فى نفسه من الكبر والاغترار[1] .

٦٧٩ — وحدثنى موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى فى خبر ذكره ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : « وأعلمُ ما تبدون وما كنتم تكتمون » ، قال : قولهم : « أتجعل فيها من يُفسد فيها » ، فهذا الذى أبدوْا ، « وما كنتم تكتمون » ، يعنى ما أسرّ إبليس فى نفسه من الكبْر[2] .

٦٨٠ — وحدثنا أحمد بن إسحق الأهوازى ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيرى ، قال : حدثنا عمرو بن ثابت ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير ، قوله : « وأعلم ما تُبدون وما كنتم تكتمون » ، قال : ما أسرّ إبليس فى نفسه[3] .

---

(١) الخبر : ٦٧٨ — فى ابن كثير ١ : ١٣٥ ، والدر المنثور ١ : ٥٠ ، والشوكانى ١ : ٥٢ .

(٢) الخبر : ٦٧٩ — فى ابن كثير ١ : ١٣٥ ، والدر المنثور ١ : ٥٠ والشوكانى ١ : ٥٢ ، وهو مختصر الخبر السالف رقم : ٦٠٦ .

(٣) الأثر : ٦٨٠ — لم أجده فى مكان . وقد مضى فى : ٦٤١ ترجمة «عمرو بن ثابت» وأبيه . وبينا ما فى ذاك من شبهة الخطأ فى قوله «عن جده» . وهذا الإسناد هنا صواب ، لأن « ثابت ابن هرمز » معروف بالرواية عن سعيد بن جبير .

٦٨١ – وحدثنا أحمد بن إسحق، قال : حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا سفيان في قوله: « وأعلم ما تُبدون وما كنتم تكتمون »، قال: ما أسرّ إبليس في نفسه من الكبْر ألاّ يسجد لآدم[1] .

٦٨٢ – وحدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : أخبرنا الحجاج الأنماطي ، قال : حدثنا مهدي بن ميمون ، قال: سمعت الحسن بن دينار ، قال للحسن – ونحن جُلوس عنده في منزله–: يا أبا سَعيد، أرأيتَ قول الله للملائكة: « وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون » ، ما الذي كتمت الملائكة ؟ فقال الحسن : إن الله لمّا خلق آدم رأت الملائكة خلقاً عجيباً فكأنهم دَخلهم من ذلك شيء ، فأقبل بعضهم إلى بعض ، وأسرّوا ذلك بينهم ، فقالوا : وما يُهمكم من هذا المخلوق ! إن الله لن يخلقَ خلقاً إلا كنا أكرمَ عليه منه[2] .

٦٨٣ – وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عَبد الرزّاق، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله « وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون » ، قال : أسرّوا بينهم فقالوا : يخلق الله ما يشاءُ أن يخلُق ، فلن يخلُق خلقاً إلا ونحن أكرم عليه منه[3] .

٦٨٤ – وحدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحق ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي

---

(١) الأثر : ٦٨١ – لم أجده في مكان .

(٢) الأثر : ٦٨٢ – في الدر المنثور ١ : ٥٠ . و « الحجاج الأنماطي » : هو الحجاج ابن المنهال ، وهو ثقة من شيوخ البخاري والدارمي وغيرهما . و « مهدي بن ميمون » : ثقة معروف ، روى عن الحسن البصري ، وابن سيرين وغيرهما . وهو في هذا الإسناد يصرح بأنه سمع جواب الحسن البصري ، حين سأله الحسن بن دينار . وقد نبهت على هذا ، خشية أن يظن أنه من رواية مهدي عن الحسن بن دينار . والحسن بن دينار : كذاب لا يوثق به . وله ترجمة حافلة بالمنكرات والموضوعات – في كتاب المجروحين لابن حبان ، رقم : ٢٠٨ ، والميزان ، ولسان الميزان ، والتهذيب ، وترجم له البخاري في الكبير ١/٢/٢٩٠ – ٢٩١ ، والصغير : ١٨٥ ، وابن أبي حاتم ١/٢/١١ – ١٢ ، وابن سعد ٧/٢/٣٧ .

(٣) الأثر : ٦٨٣ – في الدر المنثور ١ : ٥٠ ، بلفظ آخر ، منسوباً للطبري « عن قتادة والحسن » .

جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس : « وأعلم ما تُبدون وما كنتم تكتمون »، فكان الذى أبدَوْا حين قالوا : « أتجعل فيها من يفسد فيها »، وكان الذى كتموا بينهم قولهم : لن يخلق ربّنا خلقاً إلا كنا نحن أعلم منه وأكرم . فعرفوا أن الله فضّل عليهم آدم فى العلم والكرم[1] .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ما قاله ابن عباس ، وهو أن معنى قوله : «وأعلم ما تُبدون»، وأعلم — مع علمى غيبَ السموات والأرض — ما تُظهرون بألسنتكم ، « وما كنتم تكتمون » ، وما كنتم تخفونه فى أنفسكم ، فلا يخفى علىّ شىء ، سواءٌ عندى سرائركم وعلانيتكم .

١٧٧/١ والذى أظهروه بألسنتهم ما أخبرَ الله جل ثناؤه عنهم أنهم قالوه ، وهو قولهم : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبّح بحمدك ونقدس لك » ؛ والذى كانوا يكتمونه ، ما كان منطوياً عليه إبليس من الخلاف على الله فى أمره ، والتكبُّر عن طاعته . لأنه لا خلاف بين جميع أهل التأويل أن تأويل ذلك غيرُ خارج من أحد الوجهين اللذين وصفت ، وهو ما قلنا ، والآخرُ ما ذكرنا من قول الحسن وقتادة ، ومن قال إن معنى ذلك كتمانُ الملائكة بينهم لن يخلق الله خلقاً إلا كنا أكرم عليه منه . فإذ كان لا قول فى تأويل ذلك إلا أحد القولين اللذين وصفت ، ثم كان أحدُهما غيرَ موجودةٍ على صحته الدّلالةُ من الوجه الذى يجب التسليم له — صح الوجهُ الآخر . فالذى حكى عن الحسن وقتادة ومن قال بقولهما فى تأويل ذلك ، غيرُ موجودةٍ الدلالةُ على صحته من الكتاب ، ولا من خبر يجب به حجة . والذى قاله ابن عباس يدلّ على صحته خبرُ الله جل ثناؤه عن إبليس وعصيانه إياه، إذْ دعاه إلى السجود لآدم فأبى واستكبر ، وإظهارُه لسائر الملائكة من معصيته وكبره ، ما كان له كاتماً قبل ذلك .

فإن ظن ظانٌّ أنّ الخبر عن كتمان الملائكة ما كانوا يكتمونه ، لمّا كان

---

(١) الأثر : ٦٨٤ — فى ابن كثير ١ : ١٣٥ .

خارجاً مخرج الخبر عن الجميع ، كان غيرَ جائز أن يكون ما رُوى فى تأويل ذلك عن ابن عباس — ومن قال بقوله : من أن ذلك خبر عن كتمان إبليس الكبْرَ والمعصية — صحيحاً ، فقد ظن غير الصواب . وذلك أنّ من شأن العرب ، إذا أخبرتْ خبراً عن بعض جماعة بغير تسمية شخص بعينه ، أن تخرج الخبر عنه مخرج الخبر عن جميعهم ، وذلك كقولهم : « قُتل الجيش وُهزموا » ، وإنما قتل الواحد أو البعض منهم ، وهزم الواحد أو البعض . فتخرج الخبر عن المهزوم منه والمقتول مُخرج الخبر عن جميعهم ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة الحجرات : ٤] ، ذُكر أن الذى نادَى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم — فنزلت هذه الآية فيه — كان رجلاً من جماعة بنى تميم ، كانوا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأخرج الخبر عنه مُخرج الخبر عن الجماعة . فكذلك قوله : « وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون » ، أخرج الخبر مُخرج الخبر عن الجميع ، والمراد به الواحد منهم .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ذكره : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٣٤)

قال أبو جعفر : أمّا قوله : « وإذ قلنا » فمعطوف على قوله : « وإذ قال ربّك للملائكة » ، كأنه قال جل ذكره لليهود — الذين كانوا بين ظهرانَىْ مُهاجَرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى إسرائيل ، معدداً عليهم نعَمه ، ومذكِّرهم آلاءه ، على نحو الذى وصفنا فيما مضى قبل — : اذكروا فعلى بكم إذْ أنعمتُ عليكم .

فخلقت لكم ما فى الأرض جميعاً ، وإذ قلت للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة فكرمت أباكم آدمَ بما آتيته من عِلمى وفضلى وكرامتى ، وإذْ أسجدت له ملائكتى فسجدوا له . ثم استثنى من جميعهم إبليس ، فدلّ باستثنائه إياه منهم على أنه منهم ، وأنه ممن قد أمِر بالسجود معهم ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ۝ قَالَ مَامَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ [سورة الأعراف : ١١ ، ١٢] ، فأخبر جل ثناؤه أنه قد أمر إبليس فيمن أمرَه من الملائكة بالسجود لآدمَ . ثم استثناه جل ثناؤه مما أخبر عنهم أنهم فعلوه من السجود لآدم ، فأخرجه من الصفة التى وصفهم بها من الطاعة لأمره ، ونفى عنه ما أثبته لملائكته من السجود لعبده آدم .

* * *

١٧٨/١ ثم اختلف أهل التأويل فيه : هل هو من الملائكة ، أم هو من غيرها ؟ فقال بعضهم بما — :

٦٨٥ — حدثنا به أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : كان إبليس من حىّ من أحياء الملائكة يقال لهم « الجن » ، خلقوا من نار السَّموم من بين الملائكة . قال : فكان اسمه الحارث . قال : وكان خازناً من خُزّان الجنة . قال : وخلقت الملائكة من نورٍ غير هذا الحىّ . قال : وخلقت الجنّ الذى ذكروا فى القرآن من مارج من نار ، وهو لسان النار الذى يكون فى طرفها إذا التهبت[1] .

٦٨٦ — وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن خلاّد ، عن عطاء ، عن طاوس ، عن ابن عباس . قال : كان إبليس قبل أن يركب المعصيةَ من الملائكة اسمه « عزازيل » ، وكان من سكان الأرض ، وكان من أشد الملائكة

(١) الخبر : ٦٨٥ — مضى بتمامه فى الخبر السالف رقم : ٦٠٦ ، وفى ابن كثير ١ : ١٣٦ ، وفيهما معاً « إذا ألهبت » . وأعاده ابن كثير ٥ : ٢٩٦ . وفيه كما هنا « التهبت » . وفيه « الجن » بالجيم ، وانظر ما مضى ص : ٤٥٥ تعليق : ١

اجتهاداً وأكثرهم علماً ، فذلك دعاه إلى الكبر ، وكان من حيّ يسمون جنا[١] .

٦٨٧ – وحدثنا به ابن حميد مرة أخرى ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن خلاد ، عن عطاء ، عن طاوس ، أو مجاهد أبي الحجاج ، عن ابن عباس وغيره بنحوه ، إلا أنه قال : كان ملكاً من الملائكة اسمه « عزازيل » ، وكان من سكان الأرض وعُمَّارها ، وكان سكان الأرض فيهم يسمون « الجنّ » من بين الملائكة[٢] .

٦٨٨ – وحدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى فى خبر ذكره ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس – وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : جعل إبليس على مُلك سماء الدنيا ، وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم « الجنّ » ، وإنما سُمُّوا الجن لأنهم خُزّان الجنة . وكان إبليس مع مُلكه خازناً[٣] .

٦٨٩ – وحدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا حسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : كان إبليس من أشراف الملائكة وأكرمهم قبيلة ، وكان خازناً على الجنان ، وكان له سلطانُ سماء الدنيا ، وكان له سلطانُ الأرض . قال : قال ابن عباس : وقوله : ﴿ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾ [سورة الكهف : ٥٠] إنما يسمى بالجنان أنه كان خازناً عليها ، كما يقال للرجل مكيّ ومدنيّ وكوفيّ وبصريّ[٤] .

قال ابن جريج ، وقال آخرون : هم سبط من الملائكة قبيله ، فكان اسم قبيلته الجن .

---

(١) الخبر : ٦٨٦ فى ابن كثير ١ : ١٣٩ و ٥ : ٢٩٦ ، والدر المنثور ١ : ١٥٠ ، والشوكانى ١ : ٥٣ . وخلاد : هو ابن عبد الرحمن الصنعانى ، وهو ثقة ، ويروى عن طاوس ومجاهد مباشرة ، ولكنه روى عنهما ، هنا وفى الخبر التالى ، بواسطة عطاء .

(٢) الخبر : ٦٨٧ – فى ابن كثير ١ : ١٣٩ عقب الذى قبله .

(٣) الخبر : ٦٨٨ – مختصر من الأثر السالف رقم : ٦٠٧ .

(٤) الخبر : ٦٨٩ – فى ابن كثير ١ : ١٣٩ و ٥ : ٢٩٦ ، والدر المنثور ١ : ١٧٨ .

٦٩٠ – وحدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن صالح مولى التَّوْأمة ، وشريك بن أبي نَمِر – أحدهما أو كلاهما – عن ابن عباس ، قال : إن من الملائكة قبيلةً من الجن ، وكان إبليس منها ، وكان يسوس ما بين السماء والأرض[1] .

٦٩١ – وحدثت عن الحسن بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد ، قال : أخبرنا عُبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك بن مُزَاحم يقولُ في قوله : ﴿ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾ [سورة الكهف : ٥٠] ، قال : كان ابن عباس يقول : إن إبليس كان من أشراف الملائكة وأكرمهم قبيلة . ثم ذكر مثل حديث ابن جريج الأول سواء[2] .

٦٩٢ – وحدثنا محمد بن المثنى ، قال : حدثني شيبان ، قال حدثنا سلاّم بن مسكين ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، قال : كان إبليس رئيسَ ملائكة سماء الدنيا[3] .

٦٩٣ – وحدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾ [سورة الكهف : ٥٠] ، كان من قبيل من الملائكة يقال لهم « الجن » ،

---

(١) الخبر : ٦٩٠ – في ابن كثير ٥ : ٢٩٦ – ٢٩٧ ، وفيه زيادة هناك . وسيأتي بإسناد آخر مطولا : ٧٠٠ .

(٢) الخبر : ٦٩١ – الحسن بن الفرج : لم أعرف من هو ؟ وأبو معاذ الفضل بن خالد : هو النحوي المروزي ، وهو ثقة ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وترجمه ابن أبي حاتم ٣/٢/٦١ ، وياقوت في الأدباء ٦ : ١٤٠ ، والسيوطي في البغية : ٣٧٣ . وقال ياقوت : « روى عنه الأزهري في كتاب التهذيب ، فأكثر » . وليس يريد بذلك رواية السماع ، بل يريد أنه روى آراءه أو نقله في اللغة . أما رواية السماع فلا . لأن الفضل هذا مات سنة ٢١١ ، والأزهري ولد سنة ٢٨٢ . فهذا كلام موهم ؛ ولم يكن يجدر بالسيوطي – وهو محدث – أن يتبعه دون تأمل !

(٣) الأثر : ٦٩٢ – في ابن كثير ١ : ١٣٩ . شيبان : هو ابن فروخ ، وهو ثقة . سلام بن مسكين الأزدي : ثقة ، أخرج له الشيخان .

وكان ابن عباس يقول : لو لم يكن من الملائكة لم يُؤمر بالسجود ، وكان على خِزانة سماء الدنيا ، قال : وكان قتادة يقول : جَنّ عن طاعة ربه[١] .

٦٩٤ – وحدثنا الحسين بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله : « إلا إبليسَ كان من الجن » قال : كان من قبيل من الملائكة يقال لهم الجن[٢] . ١٧٩/١

٦٩٥ – وحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحق، قال : أما العرب فيقولون : ما الجنّ إلا كل من اجتَنّ فلم يُرَ . وأما قوله : « إلا إبليس من كان من الجن » أى كان من الملائكة ، وذلك أن الملائكة اجتنُّوا فلم يُرَوْا . وقد قال الله جل ثناؤه: ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ [سورة الصافات: ١٥٨] ، وذلك لقول قريش: إن الملائكة بناتُ الله ، فيقول الله : إن تكن الملائكة بناتى فإبليس منها ، وقد جعلوا بينى وبين إبليس وذريته نسباً . قال : وقد قال الأعشى ، أعشى بنى قيس بن ثعلبة البكرى ، وهو يذكر سليمانَ بن داود وما أعطاه الله :

وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ خَالِدًا أَوْ مُعَمَّرا لَكَانَ سُلَيْمَانُ البَرِىءَ من الدَّهْرِ[٣]

---

(١) الأثر : ٦٩٣ – لم نجده فى مكان آخر .

(٢) الأثر : ٦٩٤ – لم نجده أيضاً . وقال الحافظ ابن كثير ٥ : ٢٩٧ – بعد أن نقل كثيراً من الآثار فى مثل هذه المعانى : « وقد روى فى هذا آثار كثيرة عن السلف . وغالبها من الإسرائيليات التى تنقل لينظر فيها ، والله أعلم بحال كثير منها . ومنها ما قد يقطع بكذبه ، لمخالفته للحق الذى بأيدينا . وفى القرآن غنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة ، لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان ، وقد وضع فيها أشياء كثيرة . وليس لهم من الحفاظ المتقنين ، الذين ينفون عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين – كما لهذه الأمة من الأئمة والعلماء ، والسادة والأتقياء ، والبررة والنجباء ، من الجهابذة النقاد ، والحفاظ الجياد . الذين دونوا الحديث وحرروه ، وبينوا صحيحه ، من حسنه ، من ضعيفه ، من منكره وموضوعه ، ومتروكه ومكذوبه . وعرفوا الوضاعين والكذابين والمجهولين ، وغير ذلك من أصناف الرجال . كل ذلك صيانة للجناب النبوى ، والمقام المحمدى ، خاتم الرسل ، وسيد البشر ، صلى الله عليه وسلم – : أن ينسب إليه كذب ، أو يحدث عنه بما ليس منه . فرضى الله عنهم وأرضاهم ، وجعل جنات الفردوس مأواهم . وقد فعل » .

(٣) ملحق ديوان الأعشى : ٢٤٣ ، والأضداد لابن الأنبارى : ٢٩٣ . ولم يعن بالدهر

بَرَاهُ إِلٰهِي وَاصْطَفَاهُ عِبَادَهُ وَمَلَّكَهُ مَا بَيْنَ ثُرْيَا إِلَى مِصْرَ[١]
وَسَخَّرَ مِنْ جِنِّ الْمَلَائِكِ تِسْعَةً قِيَاماً لَدَيْهِ يَعْمَلُونَ بِلَا أَجْرِ

قال: فأبت العربُ في لغتها إلا أنّ «الجن» كل ما اجتنّ. يقول: ما سمّى الله الجن إلا أنهم اجتنُّوا فلم يُرَوا، وما سمّى بنى آدم الإنس إلا أنهم ظهروا فلم يجتنوا. فما ظهر فهو إنس، وما اجتنّ فلم يُرَ فهو جنّ[٢].

وقال آخرون بما — :

٦٩٦ — حدثنا به محمد بن بشار، قال: حدثنا ابن أبي عدى، عن عوف، عن الحسن، قال: ما كان إبليسُ من الملائكة طرفةَ عين قطّ، وإنه لأصل الجنّ، كما أن آدم أصل الإنس[٣].

٦٩٧ — وحدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد بن زريع، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قال: كان الحسن يقول في قوله: «إلاّ إبليس كانَ من الجن» ألجأه إلى نسبه[٤]، فقال الله: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾ [سورة الكهف: ٥٠]، وهم يتوالدون كما يتوالد بنو آدم[٥].

٦٩٨ — وحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا

ههنا الأمد الممدود، بل عنى مصائب الدهر ونكباته، كما قال عدى بن زيد، وجعل مصائب الدهر هي الدهر نفسه:

أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمُعَيِّرُ بِالدَّ هْرِ أَأَنْتَ الْمُبَرَّأُ الْمَوْفُورُ

(١) ثريا: هكذا ضبط في ملحق ديوان الأعشى، ولم أعرف الموضع ولم أجده. ولم أهتد إلى تحريفه إن كان محرفاً. وفي الأضداد: «تونى».

(٢) الأثر: ٦٩٥ — رواه مختصراً صاحب الأضداد: ٢٩٣، ولم أجده في مكان آخر.

(٣) الأثر: ٦٩٦ — في ابن كثير ١: ١٣٩ و٥: ٢٩٦. وقال: «وهذا إسناد صحيح عن الحسن».

(٤) في المطبوعة: «إلجاء إلى نسبه»، وألجأه إلى نسبه: رده إليه. وانظر رقم: ٦٥٥

(٥) الأثر: ٦٩٧ — لم أجده في مكان.

أبو سعيد اليحمَدىّ ، حدثنا إسمعيل بن إبراهيم ، قال : حدثنا سَوار بن الجعد اليحمَدى ، عن شَهر بن حَوْشب ، قوله : « من الجن » ، قال : كان إبليس من الجنّ الذين طرَدتهم الملائكة ، فأسرَه بعض الملائكة فذهب به إلى السماء[1] .

٦٩٩ – وحدثني على بن الحسين ، قال : حدثني أبو نصر أحمد بن محمد الخلاّل ، قال : حدثني سنيد بن داود ، قال حدثنا هشيم ، قال أخبرنا عبدالرحمن بن يحيي ، عن موسى بن نُمير ، وعثمان بن سعيد بن كامل ، عن سعد بن مسعود ، قال : كانت الملائكة تقاتل الجنّ ، فسُبِي إبليس وكان صغيراً ، فكان مع الملائكة فتعبَّد معها ، فلما أمِروا بالسجود لآدم سجدوا . فأبى إبليس . فلذلك قال الله : « إلا إبليس كان من الجن »[2] .

٧٠٠ – وحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة بن الفضل، قال: حدثنا المبارك بن مجاهد أبو الأزهر ، عن شريك بن عبد الله بن أبي نَمِر ،عن صالح مولى التوأمة، عن ابن عباس، قال : إن منَ الملائكة قبيلاً يقال لهم: الجن، فكان إبليس منهم، وكان إبليس يسوس ما بين السماء والأرض ، فعصَى ، فمسخه الله شيطاناً رجيما[3] .

٧٠١ – قال : وحدثنا يونس ، عن ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : إبليس أبو الجن ، كما آدم أبو الإنس[4].

* * *

وعلة من قال هذه المقالة ، أن الله جل ثناؤه أخبرَ فى كتابه أنه خلق إبليس من نار السَّموم ، ومن مارج من نار ، ولم يخبر عن الملائكة أنه خلقها من شيء من ذلك ، وأن الله جل ثناؤه أخبر أنه من الجنّ – فقالوا : فغيرُ جائز أن يُنسب إلى غير ما نسبه الله إليه . قالوا: ولإبليس نسلٌ وذرية، والملائكة لا تتناسل ولا تتوالد . ١٨٠/١

(١) الأثر : ٦٩٨ – فى ابن كثير ١ : ١٣٩ .
(٢) الأثر : ٦٩٩ – فى ابن كثير ١ : ١٣٩ .
(٣) الخبر : ٧٠٠ – هو فى ابن كثير ١ : ١٣٩ . وقد مضى نحوه مختصراً ، بإسناد آخر : ٦٩٠ .
(٤) الأثر : ٧٠١ – لم أجده فى مكان .

٧٠٢ – حدثنا محمد بن سنان القزّاز ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن شَريك ، عن رجل ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : إن الله خلق خلقاً ، فقال : اسجدوا لآدم : فقالوا : لا نفعل . فبعث الله عليهم ناراً تُحرقهم ، ثم خلق خلقاً آخر ، فقال : إنى خالقٌ بشراً من طين ، اسجدوا لآدم . فأبوا ، فبعث الله عليهم ناراً فأحرقتهم . قال : ثم خلق هؤلاء ، فقال : اسجدوا لآدم . فقالوا : نعم . وكان إبليسُ من أولئك الذين أبوا أن يسجدوا لآدم[1] .

• • •

قال أبو جعفر : وهذه علل تنبئ عن ضعف معرفة أهلها . وذلك أنه غيرُ مستنكر أن يكون الله جل ثناؤه خَلق أصنافَ ملائكته من أصنافٍ من خلقه شتّى . فخلق بعضاً من نُور ، وبعضاً من نار ، وبعضاً مما شاء من غير ذلك . وليس فى ترك الله جل ثناؤه الخبر عما خَلق منه ملائكته[2] ، وإخبارِه عما خلق منه إبليس – ما يوجب أن يكون إبليس خارجاً عن معناهم . إذْ كان جائزاً أن يكون خلق صِنفاً من ملائكته من نار كان منهم إبليس ، وأن يكون أفرد إبليس بأنْ خلقه من نار السموم دون سائر ملائكته . وكذلك غيرُ مخرجه أن يكون كان من الملائكة بأنْ كان له نسل وذرية ، لِمَا ركّب فيه من الشهوة واللذة التى نُزعت من سائر الملائكة ، لِمَا أراد الله به من المعصية . وأما خبرُ الله عنه أنه « من الجن » ، فغير مدفوع أن يسمى ما اجتنّ من الأشياء عن الأبصار كلها جنًّا – كما قد ذكرنا قبل فى شعر الأعشى – فيكون إبليسُ والملائكةُ منهم ، لاجتنانهم عن أبصار بنى آدم .

• • •

---

(١) الأثر : ٧٠٢ – فى ابن كثير ١ : ١٣٩ ، والدر المنثور ١ : ٥٠ وقال ابن كثير فى إسناده : « وهذا غريب ، ولا يكاد يصح إسناده ، فإن فيه رجلا مبهماً ، ومثله لا يحتج به ، والله أعلم » .

(٢) فى المطبوعة : « وليس فيما نزل الله جل ثناؤه . . . » ، وهو خطأ صرف . وقوله بعد : « وإخباره عما خلق منه إبليس » معطوف على قوله : « وفى ترك . . . » .

القول فى معنى ﴿ إبليس ﴾

قال أبو جعفر : وإبليس « إفعيل » ، من الإبلاس ، وهو الإياس من الخير والندمُ والحزن . كما — :

٧٠٣ — حدثنا به أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : إبليس ، أبلسه الله من الخير كله ، وجعله شيطاناً رَجيماً عقوبة لمعصيته[1] .

٧٠٤ — وحدثنا موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى ، قال : كان اسم إبليس « الحارث » ، وإنما سمى إبليس حين أبلس مُتحيِّراً[2] .

قال أبو جعفر : وكما قال الله جل ثناؤه : ﴿ فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ [سورة الأنعام : ٤٤] ، يعنى به : أنهم آيسون من الخير ، نادمون حزناً ، كما قال العجّاج :

يَا صَاحِ ، هلْ تَعْرِفُ رَسْماً مُكْرَسَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، أعْرِفُهُ ! وأبْلَسَا[3]

---

(١) الخبر : ٧٠٣ — مختصر من الخبر السالف رقم : ٦٠٦ ، وهو فى الدر المنثور ١ : ٥٠ ، والشوكانى ١ : ٥٣ .

(٢) الأثر : ٧٠٤ — فى الدر المنثور ١ : ٥٠ ، مقتصراً على أوله إلى قوله : « الحارث » . وجاء النص فى المطبوعة هكذا : « وإنما سمى إبليس حين أبلس فغير كما قال الله جل ثناؤه . . . » أسقطوا ما أثبتناه من المخطوطة ، لأنهم لم يحسنوا قراءة الكلمة الأخيرة ، فبدلوها ووصلوا الكلام بعد الحذف ، وهو تصرف معيب . وقوله : « متحيراً » كتبت فى المخطوطة ممجمجة هكذا « مجرا » غير معجمة . والإبلاس : الحيرة ، فكذلك قرأتها .

(٣) ديوانه ١ : ٣١ ، والكامل ١ : ٣٥٢ ، واللسان : (بلس) ، (كرس) . المكرس : الذى صار فيه الكرس ، وهو أبوال الإبل وأبعارها يتلبد بعضها على بعض فى الدار . وأبلس الرجل : سكت غماً وانكسر وتحير ولم ينطق .

وقال رؤبة :

وحَضَرَتْ يَوْمَ الْخَمِيسِ الْأَخْمَاسْ وَفِى الْوُجُوهِ صُفْرَةٌ وإبْلَاسْ(١)

يعنى به اكتئاباً وكسوفاً .

* * *

فإن قال قائل: فإن كان إبليس ، كما قلت ، « إفعيل » من الإبلاس، فهلاّ صُرف وأجرى ؟ قيل : تُرك إجراؤه استثقالا ، إذ كان اسماً لا نظيرَ له من أسماء العرب ، فشبَّهته العرب — إذْ كان كذلك — بأسماء العجم التى لا تُجرَى . وقد قالوا : مررت بإسحق ، فلم يُجروه . وهو من « أسحقه الله إسحاقاً » ، إذْ كان وَقع مبتدأً اسماً لغير العرب ، ثم تسمت به العرب فجرى مَجراه — وهو من أسماء العجم — فى الإعراب فلم يصرف . وكذلك « أيوب » ، إنما هو « فيْعول » من « آب يؤبُ » .

وتأويل قوله : « أبَى » ، يعنى جل ثناؤه بذلك إبليس ، أنه امتنع من السجود لآدم فلم يسجد له . « واستكبر » ، يعنى بذلك أنه تعظَّم وتكبَّر عن طاعة الله فى السجود لآدم . وهذا ، وإن كان من الله جل ثناؤه خبراً عن إبليس ، فإنه تقريعٌ لضُربائه من خلق الله الذين يتكبرون عن الخضوع لأمر الله ، والانقيادِ لطاعته فيما أمرهم به وفيما نهاهم عنه ، والتسليم له فيما أوجب لبعضهم على بعض من الحق . وكان ممن تكبر عن الخضوع لأمر الله ، والتذلل لطاعته ، والتسليم لقضائه فيما ألزمهم من حقوق غيرهم — اليهودُ الذين كانوا بين ظهرانىْ مُهاجَرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحبارُهم الذين كانوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وصِفته عارفين ، وبأنه لله رسولٌ عالمين . ثم استكبروا — مع علمهم بذلك — عن الإقرار بنبوّته ، والإذعان لطاعته ، بَغْياً منهم له وحسداً . فقرّعهم الله بخبره عن إبليس

١٨١/١

(١) ديوانه : ٦٧ ، واللسان (بلس)، ورواية ديوانه « وعرفت يوم الخميس » . وبين البيتين بيت آخر هو :

« وَقَدْ نَزَتْ بينَ التَّرَاقِى الأَنْفَاسْ »

الذى فعل فى استكباره عن السجود لآدم حسداً له وبغياً ، نظيرَ فعلهم فى التكبر عن الإذعان لمحمد نبى الله صلى الله عليه وسلم ونبوّته ، إذ جاءهم بالحق من عند ربهم حسداً وبغياً .

ثم وَصَف إبليس بمثل الذى وصف به الذين ضرَبه لهم مثلا فى الاستكبار والحسد والاستنكاف عن الخضوع لمن أمرَه الله بالخضوع له ، فقال جل ثناؤه : « وكان » — يعنى إبليس — « منَ الكافرين » — من الجاحدين نعمَ الله عليه وأياديَه عنده ، بخلافه عليه فيما أمرَه به من السجود لآدم ، كما كفرت اليهود نعمَ ربِّها التى آتاها وآباءَها قبلُ : من إطعام الله أسلافَهم المنّ والسلوى ، وإظلال الغمام عليهم ، وما لا يحصى من نعمه التى كانت لهم ، خصوصاً ما خصّ الذين أدركوا محمداً صلى الله عليه وسلم بإدراكهم إياه ، ومشاهدتهم حجةَ الله عليهم ، فجحدت نبوّته بعد علمهم به ، ومعرفتهم بنبوّته حسداً وبغياً . فنبسه الله جل ثناؤه إلى « الكافرين» ، فجعله من عِدَادهم فى الدين والملة ، وإن خالفهم فى الجنس والنسبة . كما جعل أهل النفاق بعضَهم من بعض ، لاجتماعهم على النفاق ، وإن اختلفت أنسابهم وأجناسهم فقال : ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾ [سورة التوبة : ٦٧] يعنى بذلك أن بعضهم من بعض فى النفاق والضلال . فكذلك قوله فى إبليس : كان من الكافرين ، كان منهم فى الكُفر بالله ومخالفته أمرَه ، وإن كان مخالفاً جنسُه أجناسَهم ونسبُه نسبهم . ومعنى قوله : «وكان من الكافرين» أنه كان — حين أبَى عن السجود — من الكافرين حينئذ .

وقد رُوى عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية أنه كان يقول : فى تأويل قوله : « وكان منَ الكافرين » ، فى هذا الموضع ، وكان من العاصين .

٧٠٥ — حدثنى المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا آدم العسقلانى ، قال : حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، فى قوله : «وكان من الكافرين» ، يعنى العاصين (١) .

---

(١) الأثر ٧٠٥ — فى ابن كثير ١ : ١٤٠ .

٧٠٦ – وحدثت عن عمار بن الحسن، قال حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، بمثله.

وذلك شبيه بمعنى قولنا فيه.

وكان سجود الملائكة لآدم تكرمةً لآدم وطاعة لله، لا عبادةً لآدم، كما :–

٧٠٧ – حدثنا به بشر بن معاذ : قال : حدثنا يزيد بن زريع، قال : حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: «وإذْ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم»، فكانت الطاعة لله، والسجدة لآدم، أكرم الله آدم أن أسجد له ملائكته[1].

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾

قال أبو جعفر : وفي هذه الآية دلالة واضحة على صحة قول من قال : إن إبليس أخرج من الجنة بعد الاستكبار عن السجود لآدم، وأسكنها آدمُ قبل أن يهبط إبليس إلى الأرض. ألا تسمعون الله جل ثناؤه يقول : «وقلنا يا آدمُ اسكنْ أنت وزوجك الجنة وكُلا منها رَغداً حيثُ شئتما ولا تقربا هذه الشجرةَ فتكونا من الظالمين. فأزلهما الشيطانُ عنها فأخرجهما مما كانا فيه». فقد تبين أن إبليس إنما أزلهما عن طاعة الله بعد أن لُعِن وأظهرَ التكبر، لأن سجود الملائكة لآدم كان بعد أن نُفخ فيه الروح، وحينئذ كان امتناع إبليس من السجود له، وعند الامتناع من ذلك حلّت عليه اللعنة. كما :– ١٨٢/١

٧٠٨ – حدثني به موسى بن هرون، قال : حدثنا عمرو بن حماد، قال : حدثنا أسباط، عن السدي في خبر ذكره، عن أبي مالك وعن أبي صالح، عن

(١) الأثر : ٧٠٧ – في ابن كثير ١ : ١٤٠، وفي الدر المنثور ١ : ٥٠ مطولا.

ابن عباس — وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : أن عدوّ الله إبليس أقسم بعزة الله ليُغوينّ آدم وذريته وزوجَه إلا عباده المخلصين منهم ، بعد أن لعنه الله ، وبعد أن أخرِج من الجنة ، وقبل أن يهبط إلى الأرض . وعلّم الله آدم الأسماء كلها[1] .

٧٠٩ — وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، قال : لما فرغ الله من إبليس ومعاتبته ، وأبَى إلاّ المعصية وأوقع عليه اللعنة ، ثم أخرجه من الجنة ، أقبل على آدمَ وقد علّمه الأسماء كلها ، فقال : « يا آدم أنبئهم بأسمائهم » إلى قوله « إنك أنت العليم الحكيم »[2] .

ثم اختلف أهل التأويل فى الحال التى خُلقت لآدم زوجته ، والوقت الذى جُعلت له سكناً . فقال ابن عباس بما : —

٧١٠ — حدثنى به موسى بنْ هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى فى خبر ذكره ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : فأخرِج إبليسُ من الجنة حين لعن ، وأسكِن آدم الجنة . فكان يمشى فيها وَحْشاً ليس له زوج يسكن إليها ، فنام نومة فاستيقظ ، وإذا عند رأسه امرأة قاعدةٌ خلقها الله من ضلعه ، فسألها : من أنت ؟ فقالت : امرأة . قال : ولم خلقت ؟ قالت : تسكن إلىّ . قالت له الملائكة — ينظرون ما بلغ علمه —: ما اسمها يا آدم ؟ قال : حواء . قالوا : ولم سُميت حواء ؟ قال : لأنها خلقت من شىء حىّ . فقال الله له : « يا آدمُ اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رَغداً حيث شئتما »[3] .

---

(١) الخبر : ٧٠٨ — لم أجده فى مكان .

(٢) الأثر : ٧٠٩ — لم أجده فى مكان بنصه هذا ، لكنه من صدر الأثر الآتى بعد رقم : ٧١١

(٣) الأثر : ٧١٠ — فى تاريخ الطبرى ١ : ٥٢ ، مع اختلاف فى بعض اللفظ . وابن كثير ١ : ١٤٢ والشوكانى ١ : ٥٦ ، وقوله : « وحشاً » أى ليس معه غيره ، خلواً . ومكان وحش : خال .

فهذا الخبر يُنبيء أن حواء خُلقت بعد أن سَكن آدمُ الجنةَ ، فجعلت له سكناً .

* * *

وقال آخرون : بل خُلقت قبل أن يسكن آدم الجنة . ذكر من قال ذلك :

٧١١ – حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، قال : لما فرغ الله من مُعاتبة إبليس، أقبل على آدم وقد علّمه الأسماء كلها فقال : « يا آدم أنبئهم بأسمائهم » إلى قوله : « إنك أنت العليم الحكيم » . قال: ثم ألقى السِّنةَ على آدم – فيما بلغنا عن أهل الكتاب من أهل التوراة ، وغيرهم من أهل العلم، عن عبد الله بن عباس وغيره – ثم أخذ ضِلَعاً من أضلاعه من شِقِّه الأيسر ، ولأم مكانه لحماً ، وآدم نائم لم يهبَّ من نومته، حتى خلق الله من ضِلَعه تلك زوجته حوّاء، فسوّاها امرأةً ليسكن إليها . فلما كُشِف عنه السِّنة وهبّ من نومته ، رآها إلى جنبه ، فقال – فيما يزعمون والله أعلم – : لحمي ودمي وزوجتي ، فسكن إليها . فلما زوّجه الله تبارك وتعالى، وجعل له سكناً من نفسه، قال له قَبيلاً : « يا آدم اسكنْ أنتَ وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرةَ فتكونا من الظالمين » (١).

قال أبو جعفر : ويقال لامرأة الرجل : زَوْجُه وزَوْجتُه ، والزوجة بالهاء أكثر في كلام العرب منها بغير الهاء . والزوج بغير الهاء يقال إنه لغة لأزْد شَنوءة . فأما الزوج الذي لا اختلاف فيه بين العرب ، فهو زوجُ المرأة(٢) .

* * *

(١) الأثر : ٧١١ – في تاريخ الطبري ١ : ٥٢ وابن كثير ١ : ١٤١ – ١٤٢ . وقوله « قال له قبيلا » أي عياناً . وفي حديث أبي ذر (ابن كثير ١ : ١٤١) « قال : قلت يا رسول الله ؛ أرأيت آدم ؛ أنبياً كان ؟ قال : نعم نبياً رسولا يكلمه الله قبيلا – أي عياناً » . وجاء هذا الحرف في المطبوعة : « قال له فتلا يا آدم اسكن... » وهو خطأ . وفي تاريخ الطبري « قال له قيلا يا آدم . . . » وهو أيضاً خطأ .

(٢) انظر اختلافهم في ذلك في مادته (زوج) من لسان العرب .

القول فى تأويل قوله ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾

قال أبو جعفر : أما الرَّغَد ، فإنه الواسع من العيش، الهنىء الذى لا يُعنَّى صاحبه . يقال : أرْغد فلان ، إذا أصاب واسعاً من العيش الهنىء ، كما قال امرؤ القيس بن حُجْر :

بَيْنَا المَرْءُ تَراه نَاعِمـاً يَأْمَنُ الأحْدَاثَ فى عيشٍ رَغَدْ[1] ١٨٣/١

٧١٢ – وكما حدثنى به موسى بن هرون قال : حدثنا عمرو ، قال :حدثنا أسباط ، عن السدى فى خبر ذكره ، عن أبى مالك، وعن أبى صالح، عن ابن عباس – وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، « وكلا منها رَغداً » ، قال : الرغد، الهنىء[2] .

٧١٣ – وحدثنى محمد بن عمرو ، قال :حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد ، فى قوله: « رغداً » ، قال: لاحسابَ عليهم .

٧١٤ – وحدثنا المثنى ، قال حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل ، عن ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد ، مثله .

٧١٥ – وحدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد ابن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبى بَزَّة ، عن مجاهد: « وكلا منها رغداً »، أى لا حسابَ عليهم[3] .

٧١٦ – وحُدِّثت عن المنجاب بن الحارث ، قال : حدثنا بشر بن عمارة،

---

(١) لم أجد البيت فيما جمعوا من شعر امرىء القيس.

(٢) الخبر : ٧١٢ – فى الدر المنثور ١ : ٥٢ ، والشوكانى ١ : ٥٦ .

(٣) الآثار : ٧١٣ – ٧١٥ فى الدر المنثور ١ : ٥٢ ، والشوكانى ١ : ٥٦

عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « وكلا منهما رغداً حيث شئتما » ، قال : الرغد ، سعة المعيشة .[١]

فمعنى الآية وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ، وكلا من الجنة رزقاً واسعاً هنيئاً من العيش حيث شئتما .

٧١٧ – كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زُريع ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : « يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رَغداً حيث شئتما » ، ثم إن البلاء الذى كتب على الخلق ، كتب على آدمَ ، كما ابتُلى الخلقُ قبله ، أن الله جل ثناؤه أحل له ما فى الجنة أن يأكل منها رَغداً حيث شاء ، غيرَ شجرة واحدة نُهى عنها ، وقُدِّم إليه فيها ، فما زال به البلاء حتى وقع بالذى نُهى عنه[٢] .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾

قال أبو جعفر : والشجر فى كلام العرب : كلّ ما قام على ساق ، ومنه قول الله جل ثناؤه ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ [سورة الرحمن : ٦] ، يعنى بالنجم ما نَجمَ من الأرض من نَبت ، وبالشجر ما استقلّ على ساق .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى عين الشجرة التى نُهى عن أكل ثمرها آدم ، فقال بعضهم : هى السُّنبلة . ذكر من قال ذلك :

٧١٨ – حدثنى محمد بن إسمعيل الأحمسى ، قال : حدثنا عبد الحميد الحِمَّانى ،

---

(١) الخبر : ٧١٦ – فى الدر المنثور ١ : ٥٢ والشوكانى ١ : ٥٦

(٢) الأثر : ٧١٧ – فى الدر المنثور ١ : ٥٣ من غير طريق الطبرى . وقوله : « قدم إليه فيها » أى أمر فيها بأمر أن لا يقربها . ويقال : تقدمت إليه بكذا وقدمت إليه بكذا : أى أمرته بكذا .

عن النضر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : الشجرة التى نُهى عن أكل ثمرها آدم ، هى السنبلة[١] .

٧١٩ – وحدثنى يعقوب بن إبراهيم، حدثنا هشيم – وحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرْان بن عُتيبة – جميعاً عن حُصين ، عن أبى مالك ، فى قوله : « ولا تقرَبا هذه الشجرة »، قال : هى السنبلة

٧٢٠ – وحدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا ابن مهدى – وحدثنا أحمد بن إسحق الأهوازى ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيرى – قالا جميعاً : حدثنا سفيان ، عن حُصين ، عن أبى مالك ، مثله[٢] .

٧٢١ – وحدثنا أبو كريب، وابن وكيع ، قالا : حدثنا ابن إدريس ، قال : سمعت أبى ، عن عطية فى قوله : « ولا تقربا هذه الشجرة »، قال : السنبلة[٣] .

٧٢٢ – وحدثنا بشر بن معاذ، قال : حدثنا يزيد، عن سعيد ، عن قتادة ، قال: الشجرة التى نُهى عنها آدم ، هى السنبلة[٤] .

٧٢٣ – وحدثنى المثنى بن إبراهيم، قال : حدثنا مسلم بن إبراهيم ، قال: حدثنا القاسم ، قال : حدثنى رجل من بنى تميم ، أن ابن عباس كتب إلى أبى الجَلْد يسأله عن الشجرة التى أكل منها آدمُ ، والشجرة التى تاب عندها : فكتب إليه أبو الجلد : « سألتنى عن الشجرة التى نُهى عنها آدم ، وهى السنبلة ، وسألتنى

---

(١) الخبر : ٧١٨ – فى ابن كثير ١ : ١٤٢ ، والدر المنثور ١ : ٥٣ ، والشوكانى ١ : ٥٦ وهو إسناد ضعيف . محمد بن إسمعيل الأحمسى سبق توثيقه : ٤٠٥ عبد الحميد بن عبد الرحمن، أبو يحيى الحمانى : ثقة ، وثقه ابن معين وغيره ، وأخرج له الشيخان. النضر : هو ابن عبد الرحمن ، أبو عمر الخزاز – بمعجمات – وهو ضعيف جداً ، قال البخارى فى الكبير ٤/٢/٩١ : « منكر الحديث » . وروى ابن أبى حاتم ٤/١/٤٧٥ عن أحمد بن حنبل ، قال : « ليس بشىء ، ضعيف الحديث » ، وروى عن ابن معين أنه قال : « لا يحل لأحد أن يروى عنه ».

(٢) الأثران : ٧١٩ ، ٧٢٠ – فى ابن كثير ١ : ١٤٢ ، والدر المنثور ١ : ٥٣

(٣) الأثر : ٧٢١ – عطية : هو العوفى . وقد أشار ابن كثير ١ : ١٤٢ إلى هذه الرواية عنه .

(٤) الأثر : ٧٢٢ – لم أجده فى مكان .

عن الشجرة التى تاب عندها آدم ، وهى الزيتونة[١] » .

١٨٤/١ ٧٢٤ – وحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن رجل من أهل العلم، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، أنه كان يقول : الشجرة التى نُهى عنها آدمَ ، البُرُّ[٢] .

٧٢٥ – وحدثنى المثنى ،قال: حدثنا إسحق ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، وابن المبارك، عن الحسن بن عمارة ، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كانت الشجرة التى نهى الله عنها آدم وزَوجته ، السُّنبلة[٣] .

٧٢٦ – وحدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق، عن بعض أهل اليمن ، عن وهب بن منبه اليمانى ، أنه كان يقول : هى البُرُّ ، ولكن الحبة منها فى الجنة ككُلَى البقر ، ألين من الزبد وأحلى من العسل . وأهل التوراة يقولون : هى البرّ[٤] .

٧٢٧ – وحدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحق ، عن يعقوب بن عتبة : أنه حُدِّث أنها الشجرةُ التى تحتكُّ بها الملائكة للخُلد .

٧٢٨ – وحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا ابن يَمانَ ، عن جابر بن يزيد ابن رفاعة ، عن محارب بن دِثار ، قال : هى السنبلة .

٧٢٩ – وحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبو أسامة ، عن يزيد بن إبراهيم،

---

(١) الخبر : ١٢٣ – فى ابن كثير ١ : ١٤٢ ، وفى الأصول : « أبو الخلد » ، وانظر ما سلف فى التعليق على الأثر رقم : ٤٣٤ . وهذا الإسناد ضعيف ، لجهالة الرجل من بنى تميم .

(٢) الخبر : ٧٢٤ – ابن كثير ١ : ١٤٢ ، والدر المنثور ١ : ٥٢ ، والشوكانى ١ : ٥٦ . والذى فى ابن كثير : « عن رجل من أهل العلم ، عن حجاج ، عن مجاهد . . . » .

(٣) الأثر : ٧٢٥ – فى ابن كثير ١ : ١٤٢.

(٤) الأثر : ٧٢٦ – فى ابن كثير ١ : ١٤٢ – ١٤٣ ، والدر المنثور ١ : ٥٢ – ٥٣ . ولكن ليس فيهما قوله « وأهل التوراة . . . » .

عن الحسن ، قال : هى السنبلة التى جعلها الله رزقاً لولده فى الدنيا[1] .

* * *

قال أبو جعفر : وقال آخرون : هى الكرمة . ذكر من قال ذلك .

٧٣٠ – حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عبد الله ، عن إسرائيل ، عن السدى ، عمن حدثه ، عن ابن عباس ، قال : هى الكرمة .

٧٣١ – حدثنى موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى فى خبر ذكره ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس – وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : « ولا تقربا هذه الشجرة » ، قال : هى الكرمة ، وتزعم اليهود أنها الحنطة .

٧٣٢ – وحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى ، قال : الشجرة هى الكَرْم .

٧٣٣ – وحدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن الشعبى ، عن جعدة بن هُبيرة ، قال : هو العِنَب فى قوله : «ولا تقربا هذه الشجرة» .

٧٣٤ – وحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنى أبى ، عن خلاّد الصفار ، عن بَيان ، عن الشعبى ، عن جعدة بن هُبيرة : « ولا تقربا هذه الشجرة » ، قال : الكرمُ .

٧٣٥ – وحدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنى الحسين ، قال : حدثنا خالد الواسطى ، عن بيان ، عن الشعبى ، عن جعدة بن هبيرة : « ولا تقربا هذه الشجرة » ، قال : الكرم .

٧٣٦ – وحدثنا ابن حميد ، وابن وكيع ، قالا : حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبى ، عن جعدة بن هُبيرة ، قال : الشجرة التى نُهى عنها آدم ، شجرة الخمر .

٧٣٧ – وحدثنا أحمد بن إسحق ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيرى ، قال : حدثنا

---

(١) الآثار : ٧٢٧ – ٧٢٩ : لم أجدها بلفظها فى مكان .

عباد بن العوام ، قال : حدثنا سفيان بن حسين ، عن يعلى بن مُسلم ، عن سعيد بن جبير ، قوله « ولا تقربا هذه الشجرة » ، قال : الكرم .

٧٣٨ – وحدثنا أحمد بن إسحق ، قال : حدثنا أبو أحمد ، قال : حدثنا سفيان ، عن السدى ، قال : العنب .

٧٣٩ – وحدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنى حجاج ، عن أبى معشر ، عن محمد بن قيس ، قال : عِنَب[1] .

* * *

وقال آخرون : هى التِّينة . ذكر من قال ذلك .

٧٤٠ – حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : تينة[2] .

* * *

قال أبو جعفر : والقول فى ذلك عندنا أن الله جل ثناؤه أخبر عباده أن آدم وزوجَه أكلا من الشجرة التى نهاهُما ربُّهما عن الأكل منها ، فأتيا الخطيئة التى نهاهما عن إتيانها بأكلهما ما أكلا منها ، بعد أن بيّن الله جل ثناؤه لهما عين الشجرة التى نهاهما عن الأكل منها ، وأشار لهما إليها بقوله : « ولا تقربا هذه الشجرة » ، ولم يضع الله جل ثناؤه لعباده المخاطَبين بالقرآن ، دلالةً على أىّ أشجار الجنة كان نَهيُه آدمَ أن يقربها ، بنصٍّ عليها باسمها ، ولا بدلالة عليها . ولو كان لله فى العلم بأىّ ذلك من أىٍّ رضاً ، لم يُخل عبادَه من نَصْب دلالة لهم عليها يَصلون بها إلى معرفة عينها ، ليطيعوه بعلمهم بها ، كما فعل ذلك فى كل ما بالعلم به له رضاً . ١٨٥/١

فالصواب فى ذلك أن يقال : إن الله جل ثناؤه نهى آدمَ وزوجته عن أكل

---

(١) الآثار : ٧٣٠ – ٧٣٩ : مذكورة بلا تعيين فى ابن كثير ١ : ١٤٢ ، والدر المنثور ١ : ٥٣ والشوكانى ١ : ٥٦.

(٢) الخبر : ٧٤٠ – فى ابن كثير ١ : ١٤٣ ، والدر المنثور ١ : ٥٣ ، والشوكانى ١ : ٥٦.

شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها ، فخالفا إلى ما نهاهما الله عنه ، فأكلا منها كما وصفهما الله جل ثناؤه به . ولا علم عندنا بأى شجرة كانت على التعيين ، لأن الله لم يَضَع لعباده دليلاً على ذلك فى القرآن ، ولا فى السنة الصحيحة. فأنّى يأتى ذلك ؟[1] وقد قيل : كانت شجرة البر ، وقيل : كانت شجرة العنب ، وقيل : كانت شجرة التين ، وجائز أن تكون واحدة منها ، وذلك عِلمٌ ، إذا عُلم لم ينفع العالمَ به علمه[2] ، وإن جهله جاهل لم يضرّه جهلُه به .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ذكره ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل العربية فى تأويل قوله : « ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » .

فقال بعض نحويّى الكوفيين : تأويل ذلك : ولا تقرَبا هذه الشجرة ، فإنكما إن قربتماها كنتما من الظالمين . فصار الثانى فى موضع جواب الجزاء . وجوابُ الجزاء يعمل فيه أوّله ، كقولك : إن تَقُم أقُم ، فتجزم الثانى بجزم الأول . فكذلك قوله « فتكونا » ، لما وقعت الفاء فى موضع شرط الأوّل نُصب بها ، وصُيرت

---

(١) فى المخطوطة خلاف ما فى المطبوعة ، وهذا نصه « ولا علم عندنا بأى ذلك . وقد قيل كانت شجرة البر . . . » ، كأن الناسخ أسقط سطراً فاختل الكلام . وكان فى المطبوعة : « فأنى يأتى ذلك من أتى » بزيادة قوله « من أتى » والظاهر أن التحريف قديم ، فإن ابن كثير نقل نص الطبرى هذا فى تفسيره ١ : ١٤٣ فحذف قوله : « فأنى يأتى ذلك » . وقد استظهرت أن الصواب حذف « من أتى » ، ليكون الاستفهام منصباً على كيفية إتيان العلم بهذه الشجرة ، وليس فى القرآن عليها دليل ولا فى السنة الصحيحة. وأما الجملة كما جاءت فى المطبوعة ، فهى فاسدة مفسدة لما أراد الطبرى .

(٢) فى المطبوعة : « وذلك إن علمه عالم لم ينفع العالم . . . » ، وأثبت ما فى المخطوطة وابن كثير (١ : ١٤٣) .

بمنزله « كى » فى نصبها الأفعال المستقبلة ، للزومها الاستقبال . إذ كان أصل الجزاء الاستقبال .

وقال بعض نحويّى أهل البصرة : تأويل ذلك ، لا يكن منكما قُرْبُ هذه الشجرة فأن تكونا من الظالمين . غير أنه زعم أنّ « أن » غير جائز إظهارها مع « لا »، ولكنها مضمرة لا بد منها ، ليصح الكلام بعطف اسم — وهى « أن » — على الاسم . كما غير جائز فى قولهم : « عسى أن يفعل » ، عسى الفعل . ولا فى قولك: « ما كان ليفعل » : ما كان لأن يفعل .

وهذا القولُ الثانى يُفسده إجماعُ جميعهم على تخطئة قول القائل: « سرنى تقوم يا هذا » ، وهو يريد سرنى قيامُك . فكذلك الواجب أن يكون خطأ على هذا المذهب قول القائل : « لا تقم » إذا كان المعنى : لا يكن منك قيام . وفى إجماع جميعهم — على صحة قول القائل : « لا تقم »، وفساد قول القائل: «سرنى تقوم» بمعنى سرنى قيامك — الدليل الواضح على فسادِ دعوى المدعى أنّ مع « لا » التى فى قوله : « ولا تقربا هذه الشجرة »، ضمير « أن » — وصحةِ القول الآخر .

وفى قوله « فتكونا من الظالمين »، وجهان من التأويل :

أحدهما أن يكون « فتكونا » فى نية العطف على قوله « ولا تقربا » ، فيكون تأويله حينئذ : ولا تقربا هذه الشجرة ولا تكونا من الظالمين . فيكون « فتكونا » حينئذ فى معنى الجزم مجزوماً بما جُزم به « ولا تقربا » ، كما يقول القائل : لا تُكلم عمراً ولا تؤذه ، كما قال امرؤ القيس .

فَقُلْتُ لَهُ : صوِّبْ ولا تَجْهَدَنَّهُ فَيُذْرِكَ مِنْ أُخْرَى القَطَاةِ فَتَزْلَقِ (١)

فجزم « فيذرِك » بما جزم به « لا تجهدنه » ، كأنه كرّر النهى.

---

(١) ديوانه ، من رواية الأعلم الشنتمرى ، القصيدة رقم : ٣٠ ، البيت : ٢٦ . وفى معانى القرآن للفراء ١ : ٢٦ ، ونسبه سيبويه فى الكتاب ١ : ٤٥٢ ، لعمرو بن عمار الطائى، وسيذكره الطبرى فى (١٥ : ١٦٤ بولاق) غير منسوب ، ورواية سيبويه «فيدنك من أخرى القطاة» وقوله : « فقلت له »

والثانى أن يكون « فتكونا من الظالمين » ، بمعنى جواب النهى . فيكون تأويله حينئذ : لا تقربا هذه الشجرة ، فإنكما إن قربتماها كنتما من الظالمين. كما تقول: لا تشتم عمراً فيشتمك، مجازاة . فيكون « فتكونا » حينئذ فى موضع نصب ، إذ كان حرفاً عطف على غير شكله ، لما كان فى « ولا تقربا » حرف عامل فيه ، ولا يصلح إعادته فى « فتكونا »، فنصب على ما قد بينت فى أول هذه المسئلة . ١٨٦/١

وأما تأويل قوله « فتكونا من الظالمين »، فإنه يعنى به فتكونا من المتعدين إلى غير ما أذن لهم وأبيح لهم فيه ، وإنما عنى بذلك أنكما إن قربتما هذه الشجرة ، كنتما على منهاج من تعدى حدودى ، وعصى أمرى ، واستحل محارمى ، لأن الظالمين بعضهم أولياء بعض ، والله ولى المتقين .

* * *

وأصل «الظلم» فى كلام العرب، وضعُ الشىء فى غير موضعه ، ومنه قول نابغة بنى ذبيان:

إلّا أُوَارِىَّ لَأْيًا مَا أُبَيِّنُهَا وَالنُّؤْىُ كالحَوْضِ بِالمَظْلُومَةِ الجَلَدِ[1]

فجعل الأرض مظلومة ، لأن الذى حفر فيها النؤى حفر فى غير موضع الحفر . فجعلها مظلومة، لموضع الحفرة منها فى غير موضعها[2]. ومن ذلك قول ابن قميئة فى صفة غيث :

يعنى غلامه ، وذكره قبل أبيات . وقوله : « صوب » ، أى خذ الفرس بالقصد فى السير وارفق به ولا تجهده بالعدو الشديد فيصرعك . أذراه عن فرسه : ألقاه وصرعه . والقطاة : مقعد الردف من الفرس . وأخرى القطاة : آخر المقعد . ورواية الشنتمرى : « من أعلى القطاة » . وهما سواء .

(١) سلف تخريجه وشرحه فى هذا الجزء : ١٨٣

(٢) فى المطبوعة : « لوضع الحفرة منها فى غير موضعها » ، وفى المخطوطة أيضاً : « لموضع الحفر فيها فى غير موضعها » .

ظَلَمَ البِطَاحَ بِهَا انْهِلالُ حَرِيصَةٍ فَصَفَا النِّطَافُ لَهُ بُعَيْدَ المُقْلَعِ (١)

وظلمه إياه: مجيئه فى غير أوانه ، وانصبابه فى غير مصبّه . ومنه : ظَلَم الرجلُ جَزورَه، وهو نحره إياه لغير علة . وذلك عند العرب وَضْع النحر فى غير موضعه .

وقد يتفرع الظلم فى معان يطول بإحصائها الكتاب، وسنبينها فى أماكنها إذا أتينا عليها إن شاء الله تعالى . وأصل ذلك كله ما وصفنا من وضع الشىء فى غير موضعه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَٰنُ عَنْهَا ﴾

قال أبو جعفر : اختلفت القَرَأة (٢) فى قراءة ذلك . فقرأته عامتهم، «فأزلَّهما» بتشديد اللام، بمعنى : استزلَّهما، من قولك زلَّ الرجل فى دينه: إذا هفا فيه وأخطأ، فأتى ما ليس له إتيانه فيه . وأزلَّه غيره : إذا سبب له ما يزلّ من أجله فى دينه أو دنياه ، ولذلك أضاف الله تعالى ذكره إلى ابليسَ خُروجَ آدم وزوجته من الجنة ، فقال : « فأخرجهما » يعنى إبليس « مما كانا فيه »، لأنه كانَ الذى سَبَّب لهما الخطيئة التى عاقبهما الله عليها بإخراجهما من الجنة .

* * *

وقرأه آخرون: «فأزالهما»، بمعنى إزالة الشىء عن الشىء، وذلك تنحيته عنه .

وقد روى عن ابن عباس فى تأويل قوله : « فأزلهما »، ما :—

---

(١) جاء أيضاً فى تفسيره (٢ : ٥٠ بولاق) منسوباً لعمرو بن قميئة . وصحة نسبته إلى الحادرة الذبيانى ، وهو فى ديوان الحادرة ، قصيدة : ٤ ، البيت رقم : ٧ ، وشرح المفضليات : ٥٤ . والبطاح جمع بطحاء وأبطح : وهو بطن الوادى . وانهل المطر انهلالا : اشتد صوبه ووقعه . والحريصة والحارصة : السحابة التى تحرص مطرتها وجه الأرض ، أى تقشره من شدة وقعها . والنطاف جمع نطفة : وهى الماء القليل يبقى فى الدلو وغيره . وقوله : « بعيد المقلع » : أى بعد أن أقلعت هذه السحابة . ورواية المفضليات : « ظلم البطاح له » وقوله : « له » : أى من أجله .

(٢) فى المطبوعة : « اختلف القراء » والقرأة جمع قارىء ، وانظر ما مضى : ٥١ ، تعليق ، وص : ٦٤ ، ١٠٩ وغيرهما .

٧٤١ – حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس في تأويل قوله تعالى: «فأزلهما الشيطان»، قال: أغواهما[١].

* * *

وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ «فأزلَّهما»، لأن الله جل ثناؤه قد أخبر في الحرف الذي يتلوه. بأن إبليس أخرجهما مما كانا فيه. وذلك هو معنى قوله «فأزالهما»، فلا وجه – إذْ كان معنى الإزالة معنى التنحية والإخراج – أن يقال: «فأزالهما الشيطانُ عنها فأخرجهما مما كانا فيه» فيكون كقوله: فأزالهما الشيطان عنها فأزالهما مما كانا فيه. ولكن المفهوم أن يقال[٢]: فاستزلهما إبليسُ عن طاعة الله – كما قال جل ثناؤه: «فأزلهما الشيطان»، وقرأت به القراء – فأخرجهما باستزلاله إياهما من الجنة.

* * *

فإن قال لنا قائل: وكيف كان استزلال إبليسُ آدمَ وزوجته، حتى أضيف إليه إخراجهما من الجنة؟

قيل: قد قالت العلماء في ذلك أقوالاً، وسنذكر بعضها[٣]:

فحكى عن وهب بن منبه في ذلك ما:–

٧٤٢ – حدثنا به الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا عمر بن عبد الرحمن بن مُهرِب[٤]، قال: سمعت وهب بن منبه، يقول: لما

---

(١) الخبر: ٧٤١ – في الدر المنثور ١: ٥٣، والشوكاني ١: ٥٦.

(٢) في المطبوعة: «لكن المعنى المفهوم»، زاد ما لا جدوى فيه.

(٣) في المطبوعة: «سنذكر» بغير واو.

(٤) في المطبوعة: «عمرو» بدل «عمر»، وفي المخطوطة وابن كثير: «مهران»، بدل «مهرب». وكلاهما خطأ، صوابه ما أثبتنا: «عمر بن عبد الرحمن بن مهرب»، فهذا الشيخ ترجمه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٣/١/١٢١، وقال: «سمع وهب بن منبه، روى عنه إبراهيم بن خالد الصنعاني، وعبد الرزاق». ثم روى عن يحيى بن معين، قال: «عمر بن عبد الرحمن بن مهرب: ثقة». ولم أجد له ترجمة أخرى. و«مهرب»: لم أجد نصاً بضبطها في هذا النسب، إلا قول صاحب القاموس أنهم سموا من مادة (هـ ر ب) بوزن «محسن» – يعني بضم أوله وسكون ثانيه وكسر ثالثه.

أسكن الله آدمَ وذريته — أو زوجته — الشك من أبي جعفر : وهو في أصل كتابه « وذريته » — ونهاه عن الشجرة، وكانت شجرةً غصونها متشعِّبٌ بعضها في بعض ، وكان لها ثمر تأكله الملائكة لخلدهم ، وهي الثمرة التي نهى الله آدمَ عنها وزوجته . ١٨٧/١
فلما أراد إبليس أن يستزلَّهما دخل في جوف الحية ، وكانت للحية أربع قوائم كأنها بُخْتِيَّة، من أحسن دابة خلقها الله — فلما دخلت الحية الجنة، خرج من جوفها إبليس ، فأخذ من الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته ، فجاء بها إلى حواء[1] ، فقال : انظري إلى هذه الشجرة! ما أطيبَ رِيحَها وأطيبَ طعمها وأحسن لونها! فأخذت حواءُ فأكلتْ منها ثم ذهبت بها إلى آدم فقالت : انظرْ إلى هذه الشجرة! ما أطيبَ ريحها وأطيبَ طعمها وأحسنَ لونها ! فأكل منها آدم ، فبدت لهما سوآتُهما . فدخل آدم في جوف الشجرة ، فناداه ربُّه يا آدم أين أنت ؟ قال : قال : أنا هذا يارب[2] ! قال : ألا تخرج ؟ قال : أستحيي منك يا رب . قال : ملعونة الأرض التي خُلقتَ منها لعنةً يتحوَّل ثمرها شوكاً . قال : ولم يكن في الجنة ولا في الأرض شجرةٌ كان أفضل من الطَّلح والسِّدر ، ثم قال : يا حواء ، أنت التي غرَرْتِ عبدي ، فإنك لا تحملين حملا إلا حملته كَرْهاً، فإذا أردتِ أن تضعي ما في بطنك أشرفتِ على الموت مراراً . وقال للحية : أنت التي دخل الملعون في جوفك حتى غرَّ عبدي، ملعونة أنتِ لعنة تتحول قوائمك في بطنك ، ولا يكن لك رزق إلا التراب ، أنت عدوة بني آدم وهم أعداؤك ، حيث لقيت أحداً منهم أخذت بعقِبه، وحيث لقيك شدَخ رأسك . قال عمر :[3] قيل لوهب : وما كانت الملائكة تأكل ؟ قال : يفعل الله ما يشاء[4] .

ووقع اسم هذا الشيخ محرفاً إلى شيخين ، في تاريخ الطبري ١ : ٥٤ — في هذا الإسناد ، هكذا : « معمر عن عبد الرحمن بن مهران » !

(١) في المطبوعة : « فجاء به » ، والذي أثبتناه من المخطوطة وتاريخ الطبري .

(٢) في المطبوعة : « أنا هنا يا رب » ، وأثبتنا ما في المخطوطة وتاريخ الطبري .

(٣) في المطبوعة : « قال عمرو » ، وأثبتنا الصواب من المخطوطة ، ومما ذكرنا آنفاً .

(٤) الأثر : ٧٤٢ — في تاريخ الطبري ١ : ٥٤ ، بهذا الإسناد ، وأوله في ابن كثير ١ : ١٤٣ .

وروى عن ابن عباس نحو هذه القصة :

٧٤٣ – حدثني موسى بن هرون، قال: حدثنا عمرو ، قال :حدثنا أسباط ، عن السدى فى خبر ذكره ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس – وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : لما قال الله عز وجلّ لآدم: « اسكن أنتَ وزوجُك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ، ولا تقربا هذه الشجرةَ فتكونا من الظالمين » ، أراد إبليس أن يدخل عليهما الجنة ، فمنعته الخزَنة. فأتى الحية – وهى دابّة لها أربعُ قوائم كأنها البعير ، وهى كأحسن الدواب – فكلمها أن تُدخله فى فمها حتى تدخل به إلى آدم ، فأدخلته فى فُقْمها – قال أبو جعفر : والفقم جانب الشدق[1] – فمرت الحية على الخزنة فدخلت ولا يعلمون لما أراد الله من الأمر . فكلمه من فُقمها فلم يُبال كلامه[2] ، فخرج إليه فقال : ﴿ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴾ [سورة طه : ١٢٠] يقول : هل أدلك على شجرة إن أكلت منها كنت مَلِكاً مثل الله عز وجل ، أو تكونا من الخالدين[3] ، فلا تموتان أبداً . وحلف لهما بالله إنى لكما لمن الناصحين . وإنما أراد بذلك ليبدىَ لهما ما تَوارى عنهما من سَوآتهما بهتكِ لباسهما . وكان قد علم أن لهما سوأة ، لما كان يقرأ من كتب الملائكة ، ولم يكن آدم يعلم ذلك . وكان لباسُهما الظُّفر ، فأبى آدم أن يأكل منها ، فتقدمت حواء فأكلت ، ثم قالت : يا آدم كُلْ ، فإنى قد أكلتُ فلم يضرّنى . فلما أكل آدم بدت لهما سوآتُهما وَطفقا يَخصفان عليهما من ورق الجنة[4] .

---

(١) فى المطبوعة وتاريخ الطبرى ١ : ٥٣ : « فأدخلته فى فمها ، فمرت الحية . . . » ، وما أثبتناه من المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة وتاريخ الطبرى : « فكلمة من فمها » . وفى المطبوعة : « فلم يبال بكلامه » .

(٣) فى المخطوطة : « وتكونا من الخالدين » .

(٤) الخبر : ٧٤٣ . بنصه فى تاريخ الطبرى ١ : ٥٣ ، وببعض الاختلاف فى الدر المنثور ١ : ٥٣ ، والشوكانى ١ : ٥٦ .

٧٤٤ – حُدِّثت عن عمار بن الحسن، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : حدثني محدِّث : أن الشيطان دخل الجنة في صورة دابة ذات قوائم ، فكان يُرى أنه البعير ، قال : فلعِن ، فسقطت قوائمه فصار حيَّة[١] .

٧٤٥ – وحُدِّثت عن عمار ، قال: حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : وحدثني أبو العالية أن من الإبل ما كان أوّلها من الجن ، قال : فأبيحت له الجنة كلها إلا الشجرة[٢] ، وقيل لهما : لا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » . قال : فأتى الشيطان حواء فبدأ بها ، فقال : أنُهيتما عن شيء ؟ قالت: نعم ! عن هذه الشجرة فقال : ﴿ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ [سورة الأعراف : ٢٠] قال: فبدأت حواء فأكلت منها ، ثم أمرت آدم فأكل منها . قال : وكانت شجرةً من أكل منها أحدث . قال : ولا ينبغي أن يكون في الجنة حَدَث . قال : « فأزالهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه »[٣] ، قال: فأخرج آدم من الجنة[٤] .

١٨٨/١

٧٤٦ – حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة ، قال :حدثنا ابن إسحق ، عن بعض أهل العلم : أن آدم حين دخل الجنة ورأى ما فيها من الكرامة وما أعطاه الله منها ، قال : لو أن خُلداً كان ! فاغتمز فيها منه الشيطان لما سمعها منه[٥] ، فأتاه من قِبَل الخلد[٦] .

---

(١) الأثر : ٧٤٤ – في تاريخ الطبري ١ : ٥٥

(٢) في تاريخ الطبري ١ : ٥٥، زيادة سياقها : « . . . كلها – يعني آدم – إلا الشجرة » .

(٣) في تاريخ الطبري ١ : ٥٥ « فأزلهما الشيطان » .

(٤) الأثر : ٧٤٥ – في تاريخ الطبري ١ : ٥٥ .

(٥) في التاريخ : « لو أنا خلدنا » . وفي المطبوعة : « فاغتنمها منه الشيطان» ، لم يحسنوا قراءة المخطوطة فبدلوا الحرف ، وأثبتنا ما في المخطوطة والتاريخ . يقال: سمع مني كلمة فاغتمزها ، أي استضعفها ووجد فيها مغمزاً يعاب ويؤتى من قبله .

(٦) الأثر : ٧٤٦ – في تاريخ الطبري ١ : ٥٥ .

٧٤٧ – حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : حُدثت : أن أول ما ابتدأهما به من كيده إياهما ، أنه ناح عليهما نياحة أحزنتهما حين سمعاها ، فقالا : ما يبكيك ؟ قال : أبكى عليكما ، تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة والكرامة . فوقع ذلك فى أنفسهما . ثم أتاهما فوسوس إليهما ، فقال : يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد ومُلك لا يبلى ؟ وقال : « مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ، وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين » . أى تكونا ملكين ، أو تخلدا ، إن لم تكونا ملكين[1] – فى نعمة الجنة فلا تموتان . يقول الله جل ثناؤه : « فدلاهما بغرور »[2] .

٧٤٨ – حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : وسوس الشيطان إلى حواء فى الشجرة حتى أتى بها إليها ، ثم حسنها فى عين آدم . قال : فدعاها آدم لحاجته ، قالت : لا ! إلا أن تأتى ههنا . فلما أتى قالت : لا ! إلا أن تأكل من هذه الشجرة . قال : فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما . قال : وذهب آدم هارباً فى الجنة ، فناداه ربه : يا آدم أمنى تفر ؟ قال : لا يارب ، ولكن حياء منك . قال : يا آدم أنى أُتيت ؟ قال : من قِبَل حواء أى رب . فقال الله : فإن لها على أن أدميها فى كل شهر مرة ، كما أدميت هذه الشجرة[3] ، وأن أجعلها سفيهة فقد كنت خلقتها حليمة ، وأن أجعلها تحمل كرهاً وتضع كرهاً ، فقد كنت جعلتها تحمل يُسراً وتضع يُسراً . قال ابن زيد : ولولا البلية التى أصابت حواء ، لكان نساء الدنيا لا يحضن ، ولكُنّ حليمات ، وكن يحملن يُسراً ويضعن يُسراً[4] .

---

(١) فى المخطوطة : « أى تكونا ملكين ، أو تخلدان إن لم . . . » وفى التاريخ ١ : ٥٥ : « أى تكونان ملكين أو تخلدان – أى إن لم . . . » .

(٢) الأثر : ٧٤٧ – فى تاريخ الطبرى ١ : ٥٥ .

(٣) فى المخطوطة : « كما دمت هذه الشجرة » .

(٤) الأثر : ٧٤٨ – فى تاريخ الطبرى ١ : ٥٥ .

٧٤٩ ــ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحق ، عن يزيد ابن عبد الله بن قُسيط ، عن سعيد بن المسيب ، قال : سمعته يحلف بالله ما يستثنى ــ ما أكل آدم من الشجرة وهو يَعقل ، ولكن حواء سقته الخمر ، حتى إذا سكر قادته إليها فأكل [١].

٧٥٠ ــ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ،عن ليث ابن أبي سُليم، عن طاوس اليماني ، عن ابن عباس ، قال: إن عدو الله إبليس عرض نفسه على دوابّ الأرض أيُّها يحمله حتى يدخل الجنة معها ويكلم آدم وزوجته[٢] ، فكلّ الدواب أبى ذلك عليه ، حتى كلّم الحية فقال لها : أمنعك من ابن آدم ، فأنت في ذمتي إن أنت أدخلتِني الجنة . فجعلته بين نابين من أنيابها ، ثم دخلت به ، فكلمهما من فيها ؛ وكانت كاسية تمشي على أربع قوائم ، فأعراها الله وجعلها تمشي على بطنها . قال : يقول ابن عباس: اقتلوها حيث وَجدتُموها ، أخفِروا ذمّةَ عدوّ الله فيها[٣] .

٧٥١ ــ وحدثنا ابن حميد قال : حدثنا سلمة ، قال قال ابن إسحق : وأهل التوراة يدرُسون : إنما كلم آدمَ الحية . ولم يفسروا كتفسير ابن عباس .

٧٥٢ ــ وحدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين ، قال: حدثني حجاج ، عن أبي مَعشر ، عن محمد بن قيس ، قال : نهى الله آدمَ وحواء أن يأكلا من شجرة واحدة في الجنة ، ويأكلا منها رَغداً حيث شاءا ، فجاء الشيطان فدخل في جوف الحية ، فكلم حواء، ووسوس الشيطان إلى آدم فقال : « ما نهاكما ربُّكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا مَلكين أو تكونا من الخالدين ، وقاسمهما إني لكما لمن ١٨٩/١

---

(١) الأثر : ٧٤٩ ــ في تاريخ الطبري ١ : ٥٥ ــ ٥٦ ، وهو هناك تام .

(٢) في المخطوطة والمطبوعة والدر المنثور : « أنها تحمله حتى يدخل . . . » ، وأثبت ما في تاريخ الطبري ١ : ٥٤ ، فهو أجود وأصح .

(٣) الخبر : ٧٥٠ ــ في تاريخ الطبري ١ : ٥٣ ــ ٥٤ ، والدر المنثور ١ : ٥٣ . وأخفر الذمة والعهد : نقضهما ، ولم يف بهما .

الناصحين » . قال : فقطعت[1] حواء الشجرة فدَميت الشجرة . وسقط عنهما رياشهما الذى كان عليهما ، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، وناداهما ربهما : ﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [سورة الأعراف : ٢٢] . لم أكلتما وقد نهيتك عنها ؟ قال : يا رب أطعمتنى حواء . قال لحواء : لم أطعمته؟ قالت : أمرتنى الحية . قال للحية : لم أمرتِها ؟ قالت : أمرنى إبليس. قال : ملعونٌ مدحورٌ ! أما أنت يا حواء فكما أدميتِ الشجرة تَدمَيْن[2] فى كلّ هلال ، وأما أنت يا حية فأقطع قوائمك فتمشين جَرياً على وَجهك ، وَسيشدخ رأسك من لقيك بالحجر ، اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ[3] .

* * *

قال أبو جعفر : وقد رُويت هذه الأخبار — عمن رويناها عنه من الصحابة والتابعين وغيرهم — فى صفة استزلال إبليس عدوّ الله آدمَ وزوجتَه حتى أخرجهما من الجنة . وأولى ذلك بالحق عندنا ما كان لكتاب الله مُوافقاً . وقد أخبر الله تعالى ذكره عن إبليس أنه وسوس لآدم وزوجته ليبدىَ لهما ما وُورى عنهما من سَوآتهما ، وأنه قال لهما : « ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا مَلكين أو تكونا من الخالدين » ، وأنه « قاسمَهما إنى لكما لمن الناصحين » مُدلّياً لهما بغرور . فنى إخباره جل ثناؤه — عن عدوّ الله أنه قاسم آدم وزوجته بقيله لهما : إنى لكما لمن الناصحين — الدليلُ الواضح على أنه قد باشر خطابهما بنفسه : إما ظاهراً لأعينهما ، وإما مستجِنًّا فى غيره . وذلك أنه غير مَعقول فى كلام العرب أن يقال : قاسم فلانٌ فلاناً فى كذا وكذا . إذا سبّب له سبباً وصل به إليه دون أن يحلف له . والحلف لا يكون بتسبب السبب . فكذلك قوله « فوسوس إليه الشيطان » ، لو كان ذلك كان منه إلى آدم — على نحو الذى منه إلى ذريته ، من تزيين أكل ما نهى الله آدم

(١) فى المطبوعة : « فعضت حواء الشجرة » ، وأثبتنا ما فى المخطوطة وتاريخ الطبرى ١ : ٥٤ .
(٢) فى المطبوعة : « فتدمين » ، وأثبتنا ما فى المخطوطة والتاريخ .
(٣) الأثر : ٧٥٢ — فى تاريخ الطبرى ١ : ٥٤ .

عن أكله من الشجرة ، بغير مباشرة خطابه إياه بما استزلّه به من القول والحيل — لما قال جلّ ثناؤه: « وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين » . كما غير جائز أن يقول اليوم قائلٌ ممن أتى معصية: قاسمنى إبليس أنه لى ناصحٌ فيما زيّن لى من المعصية التى أتيتها . فكذلك الذى كان من آدمَ وزوجته ، لو كان على النحو الذى يكون فيما بين إبليس اليومَ وذرية آدم — لما قال جل ثناؤه: «وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين» ، ولكن ذلك كان — إن شاء الله — على نحو ما قال ابن عباس ومن قال بقوله .

فأما سَبب وصوله إلى الجنة حتى كلم آدم بعد أن أخرجه الله منها وطرده عنها ، فليس فيما رُوى عن ابن عباس ووهب بن منبه فى ذلك معنى يجوز لذى فهم مُدافعته ، إذ كان ذلك قولا لا يدفعه عقل ولا خبر يلزم تصديقه من حجة بخلافه[1] ، وهو من الأمور الممكنة . فالقول فى ذلك أنه وصل إلى خطابهما على ما أخبرنا الله جل ثناؤه[2] ؛ وممكن أن يكون وصل إلى ذلك بنحو الذى قاله المتأولون ، بل ذلك — إن شاء الله — كذلك ، لتتابع أقوال أهل التأويل على تصحيح ذلك . وإن كان ابن إسحق قد قال فى ذلك ما :—

٧٥٣ — حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحق فى ذلك ، والله أعلم ، كما قال ابن عباس وأهل التوراة : إنه خَلص إلى آدم وزوجته بسُلطانه الذى جعل الله له ليبتلى به آدم وذريته ، وأنه يأتى ابن آدم فى نَوْمته وفى يَقظته ، وفى كل حال من أحواله ، حتى يخلص إلى ما أراد منه ، حتى يدعوَه إلى المعصية ، ويوقع فى نفسه الشهوة وهو لا يراه . وقد قال الله عز وجلّ : « فأزلهما الشيطان عنها ، فأخرَجهما مما كانا فيه»[3] ، وقال : ﴿ يَا بَنِى آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ

١٩٠/١

---

(١) فى المطبوعة : « إذ كان ذلك قولا لا يدفعه قول . . . » .

(٢) فى المطبوعة : « والقول فى ذلك . . . » .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « وقد قال الله فوسوس لهما الشيطان ، فأخرجهما مما كان فيه » ، وهذه ليست آية ، والصواب أنه أراد آية سورة البقرة هذه .

الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ٢٧] وقد قال الله لنبيه عليه السلام : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ ﴾ إلى آخر السورة . ثم ذكر الأخبار التى رُويت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: إن الشيطان يجرى من ابن آدمَ مَجرى الدم[1] . ثم قال ابن إسحق[2] : وإنما أمرُ ابن آدم فيما بينه وبين عدوِّ الله، كأمره فيما بينه وبين آدم . فقال الله : ﴿ اهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ [سورة الأعراف: ١٣] . ثم خلص إلى آدم وزوجته حتى كلمهما، كما قصَّ الله علينا من خبرهما، فقال : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴾ [سورة طه: ١٢٠] ، فخلص إليهما بما خلص إلى ذريته من حيث لا يريانه — فالله أعلم أىّ ذلك كان — فتابا إلى ربهما .

* * *

قال أبو جعفر : وليس فى يقين ابن إسحق — لو كان قد أيقن فى نفسه — أن إبليس لم يخلص إلى آدم وزوجته بالمخاطبة بما أخبر الله عنه أنه قال لهما وخاطبهما به ، ما يجوز لذى فهم الاعتراضُ به على ما ورد من القول مستفيضاً من أهل العلم ، مع دلالة الكتاب على صحة ما استفاض من ذلك بينهم . فكيف بشكّه ؟ والله نسأل التوفيق .

* * *

---

(١) حديث « إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم » — حديث صحيح جدًّا — رواه أحمد والشيخان وأبو داود ، من حديث أنس ، ورواه الشيخان وأبو داود وابن ماجة ، من حديث صفية ، وهى بنت حيى ، أم المؤمنين ، كما فى الجامع الصغير : ٢٠٣٦ .

(٢) فى المطبوعة إسقاط : « ثم » .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾

قال أبو جعفر : وأما تأويل قوله « فأخرجهما » ، فإنه يعنى : فأخرج الشيطانُ آدمَ وزوجته ، « مما كانا » ، يعنى مما كان فيه آدمُ وزوجته من رغد العيش فى الجنة ، وسعة نعيمها الذى كانا فيه . وقد بينا أن الله جل ثناؤه إنما أضاف إخراجهما من الجنة إلى الشيطان — وإن كان الله هو المخرجَ لهما — لأن خروجهما منها كان عن سبب من الشيطان ، فأضيف ذلك إليه لتسبيبه إياه[1] ، كما يقول القائل لرجل وَصل إليه منه أذى حتى تحوّل من أجله عن موضع كان يسكنه : « ما حوّلنى من موضعى الذى كنت فيه إلا أنت » ، ولم يكن منه له تحويل ، ولكنه لما كان تحوّله عن سبب منه ، جازَ له إضافة تحويله إليه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾

قال أبو جعفر : يقال هَبط فلان أرضَ كذا ووادىَ كذا ، إذا حلّ ذلك[2] ، كما قال الشاعر :

مَازِلْتُ أرمُقُهُمْ ، حَتَّى إذا هَبَطَتْ أيْدِى الرِّكابِ بِهِمْ مِنْ رَاكِسٍ فَلَقَا[3]

---

(١) فى المطبوعة : « وأضيف ذلك . . . » .

(٢) لعل صواب العبارة : « إذا حل ذلك الموضع » ، فسقطت كلمة من الناسخين .

(٣) البيت لزهير بن أبى سلمى ، ديوانه : ٣٧ ، أرمقهم : يعنى أحبابه الراحلين ، وينظر إليهم حزيناً كئيباً ، والركاب : الإبل التى يرحل عليها . وراكس : واد فى ديار بنى سعد بن ثعلبة ، من بنى أسد . وفلق وفالق : المطمئن من الأرض بين ربوتين أو جبلين أو هضبتين ، وقالوا : فالق وفلق ، كما قالوا : يابس ويبس (بفتحتين) .

وقد أبان هذا القولُ من الله جل ثناؤه ، عن صحة ما قلنا من أنّ المخرِجَ آدمَ من الجنة هو الله جل ثناؤه ، وأن إضافة الله إلى إبليس ما أضاف إليه من إخراجهما ، كان على ما وصفنا . ودلّ بذلك أيضاً على أنّ هبوط آدم وزوجته وعدوهما إبليس ، كان فى وقت واحد ، بجَمْع الله إياهم فى الخبر عن إهباطهم ، بعد الذى كان من خطيئة آدم وزوجته ، وتسبُّب إبليس ذلك لهما[1] ، على ما وصفه ربنا جل ذكره عنهم.

* * *

قال أبو جعفر : وقد اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بقوله : « اهبطوا » ، مع إجماعهم على أن آدم وزوجته ممن عُنى به .

٧٥٤ — فحدثنا سفيان بن وكيع ، قال : حدثنا أبو أسامة ، عن أبى عَوَانة ، عن إسمعيل بن سالم ، عن أبى صالح : « اهبطوا بَعضُكم لبعض عَدوٌّ » ، قال : آدم وحواءُ وإبليس والحية[2] .

٧٥٥ — حدثنا ابن وكيع ، وموسى بن هرون ، قالا : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى : « اهبطوا بعضكم لبعض عدوٌّ » ، قال : فلعنَ الحية وقطع قوائمها وتركها تمشى على بطنها ، وجعل رزقها من التراب . وأهبِط إلى الأرض آدمُ وحواء وإبليس والحية[3]. ١٩١/١

٧٥٦ — وحدثنى محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى بن ميمون ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « اهبِطوا بعضكم لبعض عدو » ، قال : آدم وإبليس والحية[4] .

---

(١) لعل الأجود : « وتسبيب إبليس ذلك لهما » ، وهى فى المخطوطة غير منقوطة .

(٢) الأثر : ٧٥٤ — فى الدر المنثور ١ : ٥٥ .

(٣) الأثر : ٧٥٥ — فى تاريخ الطبرى ١ : ٥٦ ، والظاهر أن إسناده هنا سقط منه شىء ، وتمامه فى التاريخ : « . . . عن السدى — فى خبر ذكره عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : اهبطوا . . . » . وهو الإسناد الذى يكثر الطبرى من الرواية به .

(٤) الأثر : ٧٥٦ — فى تاريخ الطبرى ١ : ٥٦

٧٥٧ ــ وحدثني المثنى بن إبراهيم، قال: حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « اهبطوا بعضكم لبعض عدو» ، آدم وإبليس والحية ، ذريةٌ بعضُهم أعداءٌ لبعضٍ .

٧٥٨ ــ وحدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج، عن مجاهد: « بعضكم لبعض عدوّ »، قال: آدم وذريته، وإبليس وذريته .

٧٥٩ ــ وحدثنا المثنى ، قال: حدثنا آدم بن أبي إياس، قال : حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية في قوله : « بعضكم لبعض عدوّ » ، قال : يعني إبليس وآدم[١] .

٧٦٠ ــ حدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحق، قال : حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل، عن السدى، عمن حدثه عن ابن عباس في قوله : « اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ » ، قال: بعضهم لبعض عدوّ : آدم وحواء وإبليس والحية[٢] .

٧٦١ ــ وحدثني يونس بن عبد الأعلى، قال : حدثنا ابن وهب ،قال : حدثني عبد الرحمن بن مهدىّ ، عن إسرائيل ، عن إسمعيل السدى ، قال : حدثني من سمع ابن عباس يقول : « اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ » ، قال : آدم وحواء وإبليس والحية[٣] .

٧٦٢ ــ وحدثني يونس ، قال: أخبرنا ابن وهب ،قال : قال ابن زيد في قوله: « اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ » ، قال : لهما ولذريتهما[٤] .

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : وما كانت عداوة ما بين آدم وزوجته وإبليس والحية ؟

---

(١) الآثار : ٧٥٧ ــ ٧٥٩ لم أجدها بإسنادها في مكان .
(٢) الخبر : ٧٦٠ ــ كالذي يليه من طريق آخر .
(٣) الخبر : ٧٦١ ــ في تاريخ الطبري ١ : ٥٦ .
(٤) الأثر : ٧٦٢ ــ لم أجده في مكان .

قيل : أما عداوة إبليس آدمَ وذريته، فحسدهُ إياه، واستكبارُه عن طاعة الله في السجود له حين قال لربه: ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ [سورة ص : ٧٦] . وأما عداوة آدم وذريته إبليس ، فعداوةُ المؤمنين إياه لكفره بالله وعصيانه لربّه في تكبره عليه ومُخالفته أمرَه . وذلك من آدم ومؤمني ذريته إيمانٌ بالله . وأما عداوة إبليسَ آدمَ فكفرٌ بالله .

وأما عداوة ما بين آدم وذريته والحية ، فقد ذكرنا ما روى في ذلك عن ابن عباس ووهب بن منبه ، وذلك هي العداوة التي بيننا وبينها ، كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : مَا سَالمناهُنَّ مُنذ حَاربْناهن ، فمن تركهنَّ خشيةَ ثأرهنَّ فليس منَّا .

٧٦٣ – حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: حدثني حَجاج بن رِشْدين، قال : حدثنا حَيْوَة بن شُريح ، عن ابن عَجلانَ ، عن أبيه ، عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ما سَالمناهُنَّ مُنذ حاربناهنَّ ، فمن ترك شيئاً منهنَّ خيفةً ، فليس منا[1] .

---

(١) الحديث : ٧٦٣ – إسناده جيد . والحديث مروى بأسانيد أخر صحاح ، كما سنذكر ، إن شاء الله . حجاج : هو ابن رشدين بن سعد المصري ، ترجمه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ١ / ٢ / ١٦٠ ، وذكر أنه يروى عن « حيوة بن شريح » ، ويروى عنه « محمد بن عبد الله بن عبد الحكم » . وذكر أنه سأل عنه أبا زرعة ، قال : « لا علم لي به ، لم أكتب عن أحد عنه » . وترجمه الحافظ في لسان الميزان ، ونقل أنه ضعفه ابن عدى ، وأنه مات سنة ٢١١ ، وأن ابن يونس لم يذكر فيه جرحاً ، « وقال الخليلي : هو أمثل من أبيه ، وقال مسلمة بن قاسم : لا بأس به » ، وأن ابن حبان ذكره في الثقات . وهذا كاف في توثيقه ، خصوصاً وأن ابن يونس أعرف بتاريخ المصريين .

وأبوه اسمه « رشدين » ، بكسر الراء والدال بينهما شين معجمة ساكنة ، وبعد الدال ياء ونون . ووقع في المطبوعة « رشد » ؛ وهو خطأ .

والحديث رواه أحمد في المسند : ٩٥٨٦ ، عن يحيى – وهو القطان ، ١٠٧٥٢ ، عن صفوان – وهو ابن عيسى الزهري ، كلاهما عن ابن عجلان ، به (٢ : ٤٣٢ ، ٥٢٠ من طبعة الحلبي) . ورواه أيضاً قبل ذلك مختصراً : ٧٣٦٠ (٢ : ٢٤٧) عن سفيان بن عيينة . ورواه أبو داود : ٥٢٤٨ (٤ : ٥٣٤ عون المعبود) ، من طريق سفيان ، تاما . وهذه أسانيد صحاح .

وورد معناه من حديث ابن عباس ، في المسند أيضاً : ٢٠٣٧ ، ٣٢٥٤ . وقريب من معناه من حديث ابن مسعود ، في المسند أيضاً : ٣٩٨٤ .

قال أبو جعفر : وأحسبُ أن الحرب التي بيننا ، كان أصله ما ذكره علماؤنا الذين قدمنا الرواية عنهم ، في إدخالها إبليس الجنة بعد أن أخرجه الله منها ، حتى استزلّه عن طاعة ربه في أكله ما نُهي عن أكله من الشجرة .

٧٦٤ – وحدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا معاوية بن هشام – وحدثني محمد ابن خلف العسقلاني ، قال حدثني آدم – جميعاً ، عن شيبان ، عن جابر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الحيّات ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خُلقتْ هي والإنسانُ كل واحد منهما عدوّ لصاحبه ، إن رآها أفزعته ، وإن لدَغته أوجعته ، فاقتلها حيث وجدتها[1] .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾

١٩٢/١ قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال : بعضهم بما :–

٧٦٥ – حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا آدم العسقلاني ، قال : حدثنا أبو جعفر الرازيّ ، عن الربيع ، عن أبي العالية في قوله : « ولكم في الأرض مُستقرٌّ » قال : هو قوله : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً ﴾ [سورة البقرة : ٢٢] .

٧٦٦ – وحُدّثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : « ولكم في الأرض مستقرٌّ » ، قال : هو قوله : ﴿ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَاراً ﴾[2] [سورة غافر : ٦٤] .

---

(١) الحديث : ٧٦٤ – في الدر المنثور ١ : ٥٥ ، ونسبه للطبري فقط . وهو في مجمع الزوائد ٤ : ٤٥ بلفظ آخر ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه جابر غير مسمى ، والظاهر أنه الجعفي ، وثقه الثوري وشعبة ، وضعفه الأئمة أحمد وغيره .

(٢) الأثران : ٧٦٥ – ٧٦٦ : لم أجدهما في مكان .

وقال آخرون: معنى ذلك ولكم فى الأرض قَرَار فى القبور . ذكر من قال ذلك :

٧٦٧ – حدثنى موسى بن هرون، قال: حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولكم فى الأرض مستقر » ، يعنى القبور[١] .

٧٦٨ – وحدثنى يونس ، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثنى عبد الرحمن ابن مهدى، عن إسرائيل ، عن إسمعيل السدى ، قال : حدثنى من سمع ابن عباس قال : « ولكم فى الأرض مستقرٌّ » ، قال : القبور[٢].

٧٦٩ – وحدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: «ولكم فى الأرض مستقر » ، قال : مقامهم فيها[٣] .

* * *

قال أبو جعفر : والمستقرُّ فى كلام العرب، هو موضع الاستقرار . فإذْ كان ذلك كذلك ، فحيث كان من الأرض موجوداً حالاً ، فذلك المكان من الأرض مستقره. وإنما عنى الله جل ثناؤه بذلك: أنّ لهم فى الأرض مستقرًّا ومنزلا ، بأماكنهم ومستقرِّهم من الجنة والسماء . وكذلك قوله : « ومتاع » يعنى به : أن لهم فيها متاعاً بمتاعهم فى الجنة .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (٣٦)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك . فقال بعضهم : ولكم فيها بَلاغ إلى الموت . ذكر من قال ذلك :

٧٧٠ – حدثنى موسى بن هرون، قال: حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا

---

(١) الأثر : ٧٦٧ – لم أجده فى مكان .

(٢) الخبر : ٧٦٨ – فى الدر المنثور ١ : ٥٥ ، وهو من تمام الخبر : ٧٦١ .

(٣) الأثر : ٧٦٩ – لم أجده فى مكان .

أسباط ، عن السدى فى قوله : « ومتاعٌ إلى حين » ، قال يقول : بلاغ إلى الموت [١].

٧٧١ — وحدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال حدثنا عبد الرحمن ابن مهدى ، عن إسرائيل ، عن إسمعيل السدى ، قال : حدثنى من سمع ابن عباس : «ومتاعٌ إلى حين » ، قال : الحياة[٢] .

* * *

وقال آخرون : يعنى بقوله « ومتاعٌ إلى حين » ، إلى قيام الساعة . ذكر من قال ذلك :

٧٧٢ — حدثنى المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ومتاع إلى حين » ، قال : إلى يوم القيامة ، إلى انقطاع الدنيا .

* * *

وقال آخرون : « إلى حين » . قال : إلى أجل . ذكر من قال ذلك :

٧٧٣ — حُدِّثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « ومتاع إلى حين » ، قال : إلى أجل[٣] .

* * *

والمتاع ، فى كلام العرب ، كل ما استُمتع به من شىء ، من معاش استُمتع به أو رِياش أو زينة أو لذة أو غير ذلك[٤] . فإذْ كان ذلك كذلك — وكان الله جل ثناؤه قد جعل حياة كل حىّ متاعاً له يستمتع بها أيام حياته ، وجعل الأرض للإنسان متاعاً أيام حياته ، بقراره عليها ، واغتذائه بما أخرج الله منها من الأقوات والثمار ، والتذاذه بما خلق فيها من الملاذّ ، وجعلها من بعد وفاته لجثته كِفاتاً[٥] ، ولجسمه منزلا وقراراً ؛ وكان اسم المتاع يشمل جميع ذلك — كان أولى التأويلات

(١) الأثر : ٧٧٠ — لم أجده فى مكان .
(٢) الأثر : ٧٧١ — فى الدر المنثور ١ : ٥٥ ، وهو من تمام الأثرين : ٧٦١ ، ٧٦٨
(٣) الأثران : ٧٧٢ ، ٧٧٣ : لم أجدهما فى مكان .
(٤) فى المخطوطة : « فى معاش استمتع . . . » .
(٥) الكفات : الموضع الذى يضم فيه الشىء ويقبض .

بالآية—[١] إذْ لم يكن الله جل ثناؤه وضع دلالة دالة على أنه قصد بقوله : «ومتاعٌ إلى حين » بعضاً دون بعض ، وخاصًّا دون عامّ في عقل ولا خبر — أن يكون ذلك في معنى العامّ ، وأن يكون الخبر أيضاً كذلك ، إلى وقت يطول استمتاع بني آدم وبني إبليس بها ، وذلك إلى أن تُبدَّل الأرض غير الأرض . فإذْ كان ذلك أولى التأويلات بالآية لما وَصفنا ، فالواجب إذاً أن يكون تأويل الآية : ولكم في الأرض ١٩٣/١ مَنازلُ ومساكنُ تستقرُّون فيها استقرارَكم — كان — في السموات ، وفي الجنان في منازلكم منها [٢] ، واستمتاع منكم بها وبما أخرجت لكم منها ، وبما جعلت لكم فيها من المعاش والرياش والزَّين والملاذّ ، وبما أعطيتكم على ظهرها أيام حياتكم ومن بعد وفاتكم لأرْماسكم وأجداثكم تُدفنون فيها[٣] ، وتبلغون باستمتاعكم بها إلى أن أبدلكم بها غيرها .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾

قال أبو جعفر : أما تأويل قوله : «فتلقى آدم » ، فقيل : إنه أخذ وقَبِل[٤] . وأصله التفعُّل من اللقاء ، كما يتلقى الرجلُ الرجلَ مُستقبلَه عند قدومه من غيبته أو سفره ، فكأنّ ذلك كذلك في قوله « فتلقى »[٥] ، كأنه استقبله فتلقاه بالقبول حين أوحى إليه أو أخبر به . فمعنى ذلك إذاً : فلقّى الله آدمَ كلمات توبة ، فتلقّاها آدم من ربه وأخذها عنه تائباً ، فتاب الله عليه بقبله إياها ، وقبوله إياها من ربه . كما : —

٧٧٤ — حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال قال ابن

---

(١) في المطبوعة : « إن لم يكن الله . . . » ، وهو خطأ .

(٢) في المطبوعة : « في الجنات » .

(٣) الأرماس جمع رمس ، والأجداث جمع جدث (بفتحتين) : وهما بمعنى القبر .

(٤) في المطبوعة : « أخذ . وقيل : أصله » ، وهو خطأ .

(٥) في المطبوعة : « . . . يستقبله عند قدومه من غيبة أو سفر فكذلك ذلك في قوله » ، تصرف نساخ .

زيد فى قوله: « فتلقى آدمُ من ربه كلمات » الآية . قال : لقّاهما هذه الآية : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[1] [سورة الأعراف : ٢٣] .

* * *

وقد قرأ بعضهم : « فتلقى آدمَ من ربه كلماتٌ » ، فجعل الكلمات هى المتلقية آدم . وذلك، وإن كان من جهة العربية جائزاً، — إذْ كان كل ما تلقاه الرجل فهو له مُتلقّ ، وما لقيه فقد لَقيه ، فصار للمتكلم أن يُوجه الفعل إلى أيهما شاء ، ويخرج من الفعل أيهما أحب — فغير جائز عندى فى القراءة إلا رفع « آدم » على أنه المتلقى الكلمات ، لإجماع الحجة من القرّاة وأهل التأويل من علماء السلف والخلف[2] ، على توجيه التلقى إلى آدم دون الكلمات . وغيرُ جائز الاعتراض عليها فيما كانت عليه مجمعة ، بقول من يجوز عليه السهو والخطأ .

* * *

واختلف أهل التأويل فى أعيان الكلمات التى تلقاها آدمُ من ربه. فقال بعضهم بما :—

٧٧٥ — حدثنا به أبو كريب ، قال : حدثنا ابن عطية ، عن قيس ، عن ابن أبى ليلى ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « فتلقى آدمُ من ربه كلمات فتابَ عليه » ، قال : أى رب ، ألم تخلقنى بيدك؟ قال: بلى . قال: أى رب ، ألم تنفخ فىّ من روحك ؟ قال : بلى . قال : أى رب ، ألم تسكنى جنتك ؟ قال : بلى . قال : أى رب ، ألم تسبق رحمتُك غضبك ؟ قال : بلى . قال : أرأيت إن أنا تبت وأصلحت ، أراجعى أنت إلى الجنة ؟ قال: نعم .

---

(١) الأثر : ٧٧٤ — ابن كثير ١ : ١٤٧ ، والدر المنثور ١ : ٥٩ ، والشوكانى ١ : ٥٨ ، وسيأتى برقم : ٧٩٢

(٢) فى المطبوعة : « لإجماع الحجة من القراء » . والقرأة : جمع قارىء ، كما سلف مراراً ، انظر ما مضى ص ٥٢٤ .

قال : فهو قوله : « فتلقى آدمُ من ربه كلمات »[١] .

٧٧٦ – وحدثني على بن الحسن، قال: حدثنا مسلم ، قال: حدثنا محمد ابن مُصْعب، عن قيس بن الربيع ، عن عاصم بن كليب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، نحوه .

٧٧٧ – وحدثني محمد بن سعد قال: حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « فتلقى آدمُ من ربه كلمات فتاب عليه » ، قال : إن آدم قال لربه إذ عصاه : رب ، أرأيت إن أنا تبت وأصلحت ؟ فقال له ربه : إني راجعك إلى الجنة[٢] .

٧٧٨ – وحدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة، قوله: «فتلقى آدم من ربه كلمات»، ذكر لنا أنه قال : يا رب ، أرأيت إن أنا تبت وأصلحت ؟ قال : إني إذاً راجعك إلى الجنة ، قال : وقال الحسن : إنهما قالا: « ربَّنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تَغفر لنا وتَرحمنا لنكونن من الخاسرين »[٣] .

٧٧٩ – وحدثني المثنى ، قال: حدثنا آدم العسقلاني، قال: حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية في قوله « فتلقى آدم من ربه كلمات » ، قال : إن آدم لما أصاب الخطيئة قال : يا رب ، أرأيت إن تبت أصلحتُ ؟ فقال الله : ١٩٤/١
إذاً أرجعك إلى الجنة . فهي من الكلمات . ومن الكلمات أيضاً : « ربنا ظَلمنا أنفسنا وإن لم تغفرْ لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين »[٤] .

٧٨٠ – وحدثني موسى بن هرون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال حدثنا أسباط ، عن السدي : « فتلقى آدمُ من ربه كلمات »، قال : رب ، ألم تخلقني بيدك ؟ قيل له : بلى . قال : ونفخت فيّ من روحك ؟ قيل له : بلى . قال وسبقت رحمتك

---

(١) الخبر : ٧٧٥ – في ابن كثير ١ : ١٤٧ ، والدر المنثور ١ : ٥٨ ، والشوكاني ١ : ٥٧.
(٢) الخبر : ٧٧٧ – لم أجده بلفظه في مكان .
(٣) الأثر : ٧٧٨ – في ابن كثير ١ : ١٤٧ .
(٤) الأثر : ٧٧٩ – في ابن كثير ١ : ١٤٧ .

غضبك؟ قيل له: بلى. قال: ربّ هل كنتَ كتبتَ هذا عليّ؟ قيل له: نعم. قال: رب، إن تبت وأصلحت، هل أنت راجعي إلى الجنة؟ قيل له: نعم. قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾[1] [سورة طه: ١٢٢].

* * *

وقال آخرون بما:—

٧٨١ — حدثنا به محمد بن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدى، قال: حدثنا سفيان، عن عبد العزيز بن رُفَيع، قال: حدثنى من سمع عُبيد ابن عُمير يقول: قال: آدم: يا رب، خطيئتى التى أخطأتها، أشيء كتبته علىّ قبل أن تخلقنى، أو شيء ابتدعتُه من قبل نفسى؟ قال: بلى، شيء كتبته عليك قبل أن أخلقك. قال: فكما كتبته علىّ فاغفره لى. قال: فهو قول الله: «فتلقّى آدم من ربه كلمات»[2].

٧٨٢ — وحدثنا ابن سنان، قال: حدثنا مؤمّل، قال: حدثنا سفيان، عن عبد العزيز بن رُفيع، قال: أخبرنى من سمع عُبيد بن عُمير، بمثله.

٧٨٣ — وحدثنا ابن سنان، قال: حدثنا وكيع بن الجراح، قال: حدثنا سفيان، عن عبد العزيز بن رفيع، عمن سمع عبيد بن عمير يقول: قال آدم: فذكر نحوه.

٧٨٤ — وحدثنا المثنى، قال: حدثنا أبو نعيم، قال: حدثنا سفيان، عن عبد العزيز بن رفيع، قال أخبرنى من سمع عبيد بن عمير، بنحوه.

٧٨٥ — وحدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثورى، عن عبد العزيز، عن عبيد بن عمير، بمثله.

وقال آخرون بما:—

٧٨٦ — حدثنى به أحمد بن عثمان بن حكيم الأودى، قال: حدثنا عبد الرحمن

---

(١) الأثر: ٧٨٠ — لم أجده بنصه فى مكان.

(٢) الأثر: ٧٨١ — فى ابن كثير ١: ٤٧. والدر المنثور ١: ٥٩.

ابن شريك ، قال: حدثنا أبي ، قال: حدثنا حصين بن عبد الرحمن ، عن حميد ابن نبهان ، عن عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية، أنه قال : قوله : « فتلقى آدمُ من ربه كلمات فتاب عليه »، قال آدم : اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك ، أستغفرك وأتوب إليك ، تب عليّ إنك أنت التواب الرحيم[١] .

٧٨٧ – وحدثني المثنى بن إبراهيم ، قال: حدثنا أبو غسان، قال : أنبأنا أبو زهير – وحدثنا أحمد بن إسحق الأهوازى ، قال : أخبرنا أبو أحمد ، قال : حدثنا سفيان، وقيس – جميعاً عن خُصَيف ، عن مجاهد فى قوله: « فتلقى آدم من ربه كلمات»، قال قوله: «ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا»، حتى فرغ منها[٢].

٧٨٨ – وحدثني المثنى ،قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال: حدثني شبل ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ، كان يقول فى قول الله: « فتلقى آدم من ربه كلمات » الكلمات : اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك ، ربّ إنى ظلمت نفسى فاغفر لى إنك خير الغافرين ، اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك ، ربى إنى ظلمت نفسى فارحمنى إنك خير الراحمين . اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك ، ربّ إنى ظلمت نفسى فتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم[٣] .

٧٨٩ – وحدثنا ابن وكيع ، قال: حدثنا أبي ،عن النضر بن عربى ، عن مجاهد : « فتلقى آدم من ربه كلمات » هو قوله : « ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا » الآية[٤] .

٧٩٠ – وحدثنا القاسم، قال : حدثنا الحسين ، قال: حدثني حجاج ، عن

---

(١) الأثر : ٧٨٦ – لم أجده فى مكان . وعبد الرحمن بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان : ثقة ، مترجم فى التهذيب ، وقال مصعب الزبيرى : « وكان رجلا صالحاً » . وقال أبو زرعة : « معاوية ، وعبد الرحمن ، وخالد – بنو يزيد بن معاوية : كانوا صالحى القوم » . وأما الراوى عنه « حميد بن نبهان » فلم أجد له ترجمة ولا ذكراً ، وأخشى أن يكون محرفاً عن شىء لا أعرفه .

(٢) الأثر : ٧٨٧ – فى ابن كثير ١ : ١٤٧ ، والدر المنثور ١ : ٥٩ ، والشوكانى ١ : ٥٨.

(٣) الأثر : ٧٨٨ – فى ابن كثير ١ : ١٤٧ .

(٤) الأثر : ٧٨٩ – انظر الأثر السالف رقم : ٧٨٧ .

ابن جريج ، عن مجاهد : « فتلقى آدم من ربه كلمات » ، قال : أى رب ، أتتوب علىّ إن تبت ؟ قال نعم . فتاب آدم ، فتاب عليه ربه[١] .

٧٩١ – وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « فتلقى آدم من ربه كلمات » ، قال هو قوله : « ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين[٢] » .

٧٩٢ – حدثنى يونس ، قال أخبرنا ابن وهب ، قال قال ابن زيد : هو قوله : « ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين[٣] » .

* * *

وهذه الأقوال التى حكيناها عمن حكيناها عنه ، وإن كانت مختلفة الألفاظ ، فإن معانيها متفقة فى أن الله جل ثناؤه لقّى آدمَ كلماتٍ ، فتلقّاهنّ آدمُ من ربه فقبلهن وعمل بهن ، وتاب بقيله إياهنّ وعمله بهنّ إلى الله من خطيئته ، معترفاً بذنبه ، متنصّلاً إلى ربه من خطيئته ، نادماً على ما سلف منه من خلاف أمره ، فتاب الله عليه بقبوله الكلمات التى تلقاهن منه ، وندمه على سالف الذنب منه . ١٩٥/١

والذى يدل عليه كتابُ الله ، أن الكلمات التى تلقاهنّ آدمُ من ربه ، هن الكلمات التى أخبر الله عنه أنه قالها متنصّلا بقيلها إلى ربه ، معترفاً بذنبه ، وهو قوله : « ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » . وليس ما قاله من خالف قولنا هذا – من الأقوال التى حكيناها – بمدفوع قوله ، ولكنه قولٌ لا شاهد عليه من حجة يجب التسليم لها ، فيجوز لنا إضافته إلى آدم ، وأنه مما تلقاه من ربّه عند إنابته إليه من ذنبه . وهذا الخبر الذى أخبر الله عن آدم – من قيله الذى لقّاه إياه فقاله تائباً إليه من خطيئته – تعريف منه جل ذكره جميعَ المخاطبين

---

(١) الأثر : ٧٩٠ – لم أجده فى مكان .

(٢) الأثر : ٧٩١ – فى ابن كثير ١ : ١٤٧ ، والدر المنثور ١ : ٥٩ .

(٣) الأثر : ٧٩٢ – فى ابن كثير ١ : ١٤٧ ، والدر المنثور ١ : ٥٩ ، ومضى رقم : ٧٧٤

بكتابه ، كيفية التوبة إليه من الذنوب[1] ، وتنبيهٌ للمخاطبين بقوله : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ﴾ [سورة البقرة : ٢٨] ، على موضع التوبة مما هم عليه من الكفر بالله ، وأنّ خلاصهم مما هم عليه مُقيمون من الضلالة ، نظير خلاص أبيهم آدم من خطيئته ، مع تذكيره إياهم به السالفَ إليهم من النعم التى خصّ بها أباهم آدم وغيرَه من آبائهم .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾

قال أبو جعفر : وقوله « فتاب عليه » ، يعنى : على آدم . والهاء التى فى « عليه » عائدة على آدم . وقوله : « فتاب عليه » ، يعنى رزَقه التوبة من خطيئته. والتوبة معناها الإنابة إلى الله ، والأوبةُ إلى طاعته مما يَكرَهُ من معصيته .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً ﴾

قال أبو جعفر : وتأويل قوله : « إنه هو التواب الرحيم » ، أن الله جل ثناؤه هو التوّاب على من تاب إليه — من عباده المذنبين — من ذنوبه ، التارك مجازاته بإنابته إلى طاعته بعد معصيته بما سلف من ذنبه . وقد ذكرنا أن معنى التوبة من العبد إلى ربّه ، إنابتُه إلى طاعته ، وأوبته إلى ما يرضيه بتركه ما يَسْخَطه من الأمور التى كان عليها مقيماً مما يكرهه ربه . فكذلك توبة الله على عبده ، هو أن يرزقه ذلك ،

---

(١) فى المخطوطة : « التوبة من الذنوب » ، بالحذف .

ويؤوب له من غضبه عليه إلى الرضا عنه[١] ، ومن العقوبة إلى العفو والصفح عنه .

* * *

وأما قوله : « الرحيم » ، فإنه يعني أنه المتفضل عليه مع التوبة بالرحمة . ورحمته إياه ، إقالة عثرته ، وصفحه عن عقوبة جُرمه .

* * *

قال أبو جعفر : وقد ذكرنا القول فى تأويل قوله : « قلنا اهبطوا منها جميعاً » فيما مضى ،[٢] فلا حاجة بنا إلى إعادته ، إذْ كان معناه فى هذا الموضع ، هو معناه فى ذلك الموضع .

٧٩٣ — وقد حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال : حدثنا هشيم ، قال : أخبرنا إسمعيل بن سالم ، عن أبى صالح ، فى قوله : « اهبطوا منها جميعاً » ، قال : آدم وحواء والحية وإبليس[٣] .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى ﴾

قال أبو جعفر : وتأويل قوله : فإما يأتينكم » ، فإنْ يأتكم . و« ما » التى مع « إن » توكيدٌ للكلام ، ولدخولها مع « إن » أدخلت النون المشددة فى « يأتينَّكم » ، تفرقةً بدخولها بين « ما » التى تأتى بمعنى توكيد الكلام — التى تسميها أهل العربية صلة وَحشواً — وبين « ما » التى تأتى بمعنى « الذى » ، فتؤذِن بدخولها فى الفعل ، أنّ « ما » التى مع « إن » التى بمعنى الجزاء ، توكيد ، وليست « ما » التى بمعنى « الذى » .

وقد قال بعض نحويى أهل البصرة[٤] : إنّ « إمَّا » ، « إن » زيدت معها « ما » ،

(١) فى المطبوعة : « ويؤوب من غضبه عليه » ، بالحذف .
(٢) انظر ص : ٥٣٤ .
(٣) الأثر : ٧٩٣ — لم أجده بهذا الإسناد ، وانظر ، ما مضى الأرقام : ٧٥٤ وما بعده .
(٤) فى المطبوعة : « نحويى البصريين » .

وصار الفعل الذي بعده بالنون الخفيفة أو الثقيلة ، وقد يكون بغير نون . وإنما حسنت فيه النون لمّا دخلته « ما » ، لأن « ما » نفيٌ ، فهي مما ليس بواجب ، وهي الحرف الذي ينفي الواجب ، فحسنت فيه النون ، نحو قولهم : «بعينٍ مَّا أرَيَنَّك» ، حين أدخلت فيها « ما » حسنت النون فيما ههنا .

وقد أنكرت جماعة من أهل العربية دعوى قائل هذه المقالة[1] : أن « ما » التي مع « بعينٍ ما أرَيَنَّك » بمعنى الجحد ، وزعموا أن ذلك بمعنى التوكيد للكلام .

وقال آخرون : بل هو حشو في الكلام ، ومعناها الحذف ، وإنما معنى الكلام : « بعين أراك » ، وغير جائز أن يُجْعل مع الاختلاف فيه أصلا يُقاس عليه غيره .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٣٨)

قال أبو جعفر : والهدى ، في هذا الموضع ، البيان والرشاد . كما :-

٧٩٤ - حدثنا المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا آدم العسقلاني قال : حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، في قوله : « فإما يأتينكم مني هُدًى » ١٩٦/١ قال : الهدى ، الأنبياءُ والرسل والبيان[2] .

فإن كان ما قال أبو العالية في ذلك كما قال ، فالخطاب بقوله : «اهبطوا» ، وإن كان لآدم وزوجته ، فيجب أن يكون مراداً به آدمُ وزوجتُه وذريتُهما . فيكون ذلك حينئذ نظيرَ قوله : ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [سورة فصلت : ١١] ، بمعنى أتينا بما فينا من الخلق طائعين ، ونظيرَ قوله في قراءة

---

(١) في المطبوعة : « وقد أنكر جماعة . . . دعوى قائل . . . » .

(٢) الأثر : ٧٩٤ - في ابن كثير ١ : ١٤٨ ، والدر المنثور ١ : ٦٣ ، والشوكاني ١ : ٥٨ .

ابن مسعود : ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِهِمْ مَنَاسِكَهُمْ﴾ [سورة البقرة : ١٢٨] ، فجمع قبل أن تكون ذريةً ، وهو فى قراءتنا « وأرنا مناسكنا ». وكما يقول القائل لآخر : « كأنك قد تزوجت وولد لك ، وكثرتم وعززتم » ، ونحو ذلك من الكلام .

وإنما قلنا إن ذلك هو الواجب على التأويل الذى ذكرناه عن أبى العالية ، لأنّ آدمَ كان هو النبيَّ أيام حياته بعد أن أُهبط إلى الأرض[1] ، والرسولَ من الله جل ثناؤه إلى ولده . فغير جائز أن يكونَ معنيًّا — وهو الرسولُ صلى الله عليه — بقوله : « فإما يأتينّكم منّى هدًى » ، خطاباً له ولزوجته ، « فإما يأتينكم منى أنبياءُ ورسل »[2] إلا على ما وصفتُ من التأويل .

وقول أبى العالية فى ذلك — وإن كان وجهاً من التأويل قد تحتمله الآية — فأقرب إلى الصواب منه عندى وأشبهُ بظاهر التلاوة ، أن يكون تأويلها : فإما يأتينكم يا معشرَ من أُهبط إلى الأرض من سمائى[3] ، وهو آدمُ وزوجته وإبليس — كما قد ذكرنا قبل فى تأويل الآية التى قبلها — إما يأتينكم منىّ بيانٌ من أمرى وطاعتى ، ورشاد إلى سبيلى ودينى ، فمن اتبعه منكم فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وإن كان قد سلف منهم قبل ذلك إلىّ معصية وخلافٌ لأمرى وطاعتى . يعرّفهم بذلك جل ثناؤه أنه التائبُ على من تاب إليه من ذنوبه ، والرحيمُ لمن أناب إليه ، كما وصف نفسه بقوله : « إنه هو التّواب الرحيم » .

وذلك أن ظاهر الخطاب بذلك إنما هو للذين قال لهم جل ثناؤه : « اهبطوا منها جميعاً » ، والذين خوطبوا به هم من سمّينا فى قول الحجة من الصحابة والتابعين الذين قد قدّمنا الرواية به عنهم[4] . وذلك ، وإن كان خطاباً من الله جل ذكره لمن أُهبط

---

(١) فى المطبوعة : « هو النبى صلى الله عليه وسلم » .
(٢) فى المطبوعة : « . . . منى هدى أنبياء ورسل . . . » .
(٣) فى المطبوعة : « فإما يأتيكم منى يا معشر من أهبطته . . . » .
(٤) فى المطبوعة : « الرواية عنهم » بالحذف .

حينئذٍ من السماء إلى الأرض ، فهو سنّة الله فى جميع خلقه ، وتعريفٌ منه بذلك الذين أخبر عنهم فى أول هذه السورة بما أخبر عنهم فى قوله[١] : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة البقرة : ٦] ، وفى قوله : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة البقرة : ٢٨] ، وأنّ حكمه فيهم — إن تابوا إليه وأنابوا واتبعوا ما أتاهم من البيان من عند الله على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم — أنهم عنده فى الآخرة ممن لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ، وأنهم إن هلكوا على كُفرهم وضلالتهم قبل الإنابة والتوبة ، كانوا من أهل النار المخلَّدين فيها .

وقوله : « فمن تَبِعَ هُدَايَ » ، يعنى : فمن اتبع بَيانى الذى آتيتُه على ألسن رُسلى ، أو مع رسلى[٢] . كما : —

٧٩٥ — حدثنا به المثنى ، قال : حدثنا آدم ، قال : حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية : « فمن تَبِع هُدَاى » ، يعنى بيانى[٣] .

* * *

وقوله : « فلا خوفٌ عليهم » ، يعنى فهم آمنون فى أهوال القيامة من عقاب الله ، غير خائفين عذابه ، بما أطاعوا الله فى الدنيا واتبعوا أمرَه وهُداه وسبيله ، ولا هم يحزنون يومئذ على ما خلّفوا بعد وفاتهم فى الدنيا . كما : —

٧٩٦ — حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال قال ابن زيد : « لا خوفٌ عليهم » ، يقول : لا خوف عليكم أمامكم[٤] .

وليس شىء أعظمَ فى صدر الذى يموت ممّا بعد الموت . فأمّنهم منه وسلاّهم عن الدنيا فقال : « ولا هم يحزنون » .

---

(١) فى المطبوعة : « وتعريف منه بذلك للذين » .
(٢) فى المطبوعة : « . . . بيانى الذى أبينه على ألسن رسلى » .
(٣) الأثر : ٧٩٥ — لم أجده فى مكان .
(٤) الأثر : ٧٩٦ — لم أجده فى مكان .

وقوله ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٣٩)

يعني : والذين جحدوا آياتي وكذّبوا رسلي. وآيات الله : حُجَجه وأدلتُه على وحدانيّته وربوبيّته ، وما جاءت به الرُّسُل من الأعلام والشواهد على ذلك ، وعلى صدقها فيما أنبأتْ عن ربّها . وقد بيّنا أن معنى الكفر ، التغطيةُ على الشيء[1] .

« أولئك أصحاب النار » ، يعني : أهلُها الذين هم أهلها دون غيرهم ، المخلدون فيها أبداً إلى غير أمد ولا نهاية . كما : —

١٩٧/١ ٧٩٧ — حدثنا به عُقبة بن سنان البصري ، قال : حدثنا غسان بن مُضَر ، قال حدثنا سعيد بن يزيد — وحدثنا سوّار بن عبد الله العنبري ، قال : حدثنا بشر بن المفضل ، قال : حدثنا أبو مَسْلَمَة سعيد بن يزيد — وحدثني يعقوب بن إبراهيم ، وأبو بكر بن عون ، قالا : حدثنا إسمعيل بن عُلَيّة ، عن سعيد بن يزيد — عن أبي نَضْرة ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمّا أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يَحْيَوْن ، ولكن أقواماً أصابتْهم النارُ بخطاياهم أو بذنوبهم ، فأماتتهم إماتة ، حتى إذا صاروا فحماً ، أُذِنَ في الشفاعة[2] .

---

(١) انظر ما مضى ص : ٢٥٥

(٢) الحديث : ٧٩٧ — رواه الطبري هنا بثلاثة أسانيد ، تنتهي إلى سعيد بن يزيد . وذكره ابن كثير ١ : ١٥٨ ، ولكنه سها فذكر أنه رواه من طريقين ، وهي ثلاثة كما ترى :

و « عقبة بن سنان بن عقبة بن سنان البصري » — شيخ الطبري في الإسناد الأول : ثقة ، سمع منه أبو حاتم ، وقال : « صدوق » . ولم أجد له ترجمة إلا في الجرح والتعديل ٣ / ١ / ٣١١ . و « غسان بن مضر الأزدي البصري » : ثقة من شيوخ أحمد القدماء ، وقال أحمد : « شيخ ثقة ثقة » . وترجمه البخاري في الكبير ٤/١/١٠٧ ، وابن أبي حاتم ٣/٢/٥١ . و « أبو بكر بن عون » — شيخ الطبري في الإسناد الثالث : لم أستطع أن أعرف من هو ؟ ولا أثر لذلك في الإسناد ، فإن الطبري رواه عنه وعن يعقوب بن إبراهيم الدورقي ، كلاهما عن ابن علية . و « سعيد بن يزيد بن مسلمة أبو مسلمة الأزدي

القول فى تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « يابنى إسرائيل » ولد يعقوب بن إسحق ابن إبراهيم خليل الرحمن[1] وكان يعقوب يدعى « إسرائيل » ، بمعنى عبد الله وصفوته من خلقه . و« إيل » هو الله ، و« إسرا » هو العبد ، كما قيل : « جبريل » بمعنى عبد الله . وكما :—

٧٩٨ — حدثنا ابن حميد، حدثنا جرير ، عن الأعمش عن إسمعيل بن رجاء، عن عُمير مولى ابن عباس، عن ابن عباس : أن إسرائيل كقولك : عبد الله[2]

٧٩٩ — وحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير ، عن الأعمش، عن المنهال، عن عبد الله بن الحارث ، قال : « إيل » ، الله بالعبرانية[3] .

البصرى » : تابعى ثقة ، روى له الجماعة . وترجمه البخارى ٢ / ١ / ٤٧٦ ، وابن أبى حاتم ٢ / ١ / ٧٣ . وكنيته « أبو مسلمة » بالميم فى أولها . ووقع فى تفسير ابن كثير « أبو سلمة » بحذفها ، وهو خطأ مطبعى.

وهذا الحديث رواه مسلم ١ : ٦٧ — ٦٨ ، وابن ماجة : ٤٣٠٩ — كلاهما من طريق بشر بن المفضل ، عن سعيد بن يزيد أبى مسلمة ، به . ولكنه عندهما أطول مما هنا . ولم يروه من أصحاب الكتب الستة غيرهما ، كما يدل على ذلك تخريجه فى جامع الأصول لابن الأثير : ٨٠٨٥ . وكذلك رواه الإمام أحمد فى المسند : ١١٠٩٣ (٣ : ١١ حلبى) عن ابن علية . ورواه أيضاً أحمد : ١١٧٦٩ (٣ : ٧٨ — ٧٩) ، ومسلم ١ : ٦٨ — كلاهما من طريق شعبة ، عن سعيد بن يزيد .

وهو فى الحقيقة جزء من حديث طويل ، ورواه أحمد فى المسند ، مطولا ومختصراً ، من أوجه ، عن أبى نضرة ، منها : ١١٠٢٩ ، ١١١٦٨ ، ١١٢١٨ — ١١٢٢٠ (٣ : ٥ ، ٢٠ ، ٢٥ — ٢٦ حلبى) .

(١) فى المطبوعة : « يا ولد يعقوب . . . » بزيادة النداء .

(٢) الخبر : ٧٩٨ — فى ابن كثير ١ : ١٤٩ ، والدر المنثور ١ : ٦٣ . وهذا إسناد صحيح . إسمعيل بن رجاء بن ربيعة : ثقة ، أخرج له مسلم فى صحيحه . عمير مولى ابن عباس : هو عمير بن عبد الله الهلالى ، مولى أم الفضل ، وقد ينسب إلى ولاء زوجها « العباس » ، كما ورد فى إسناد حديث آخر فى المسند : ٧٧ ، وقد ينسب إلى ولاء بعض أولادها ، كما فى هذا الإسناد . وهو تابعى ثقة ، ترجمه ابن أبى حاتم ٣ / ١ / ٣٨٠ ، وأخرج له الشيخان وغيرهما .

(٣) الأثر : ٧٩٩ — فى الدر المنثور ١ : ٦٣ . و « المنهال » : هو ابن عمرو الأسدى . و « عبد الله بن الحارث » : هو الأنصارى البصرى أبو الوليد ، وهو تابعى ثقة .

وإنما خاطب الله جل ثناؤه بقوله : «يابنى إسرائيل» أحبارَ اليهود من بنى إسرائيل، الذين كانوا بين ظَهرانَىْ مُهاجَر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنسبهم جل ذكره إلى يعقوب، كما نسب ذرية آدم إلى آدم، فقال: ﴿ يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [سورة الأعراف : ٣١] وما أشبه ذلك . وإنما خصّهم بالخطاب فى هذه الآية والتى بعدها من الآى التى ذكّرهم فيها نعمَه — وإن كان قد تقدّم ما أنزل فيهم وفى غيرهم فى أول هذه السورة ما قد تقدم — أن الذى احتج به من الحجج والآيات التى فيها أنباء أسلافهم ، وأخبارُ أوائلهم ، وقَصَصُ الأمور التى هم بعلمها مخصوصون دون غيرهم من سائر الأمم ، ليس عند غيرهم من العلم بصحته وحقيقته مثلُ الذى لهم من العلم به ، إلا لمن اقتبس علم ذلك منهم . فعرّفهم بإطلاع محمّد على علمها — مع بعد قومه وعشيرته من معرفتها، وقلّة مزاولة محمد صلى الله عليه وسلم درَاسةَ الكتب التى فيها أنباء ذلك[1] — أن محمداً صلى الله عليه وسلم

---

(١) قوله : « وقلة مزاولة محمد صلى الله عليه وسلم دراسة الكتب . . . » ، هو كما نقول اليوم فى عبارتنا المحدثة : «وعدم مزاولة محمد . . . » . قال الجاحظ فى البيان والتبيين ١ : ٢٨٥ : «واستجار عون ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود، بمحمد بن مروان بنصيبين ، وتزوج بها امرأة فقال محمد : كيف ترى نصيبين ؟ قال : « كثيرة العقارب ، قليلة الأقارب » . يريد بقوله : « قليلة » ، كقول القائل : « فلان قليل الحياء » ، وليس يريد أن هناك حياء وإن قل . يضعون : « قليلا » فى موضع « ليس » . انتهى .

قلت : ومنه قول دريد بن الصمة فى أخيه :

قليلُ التَشَكّى للمصيبات ، حافظٌ مِنَ اليَوْمِ أعقابَ الأحاديث فى غَدِ

وسيأتى قول الطبرى فى تفسير قوله تعالى من (سورة البقرة : ٨٨) « فقليلا ما يؤمنون » : (١ : ٣٢٤ ، بولاق) : « وإنما قيل : فقليلا ما يؤمنون ، وهم بالجميع كافرون ، كما تقول العرب : « قلما رأيت مثل هذا قط » . وقد روى عنها سماعاً منها : « مررت ببلاد قلما تنبت إلا الكراث والبصل » ، يعنى ما تنبت غير الكراث والبصل ، وما أشبه ذلك من الكلام الذى ينطق به بوصف الشىء بالقلة ، والمعنى فيه نفى جميعه » ، انتهى .

وفى الحديث : « إنه كان يقل اللغو » أى لا يلغو أصلا ، قال ابن الأثير : وهذا اللفظ يستعمل فى نفى أصل الشىء (اللسان : قلل) .

ولولا زمان فسد فيه اللسان ، وقل الإيمان ، واشتدت بالمتهجمين الجرأة على تفسير الكلمات ، وتصيد الشبهات — ولولا أن يقول قائل فيفترى على الطبرى أنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدارس كتب أهل الكتاب ، لكنت فى غنى عن مثل هذه الإطالة .

لم يَصلْ إلى علم ذلك إلا بوحى من الله وتنزيلٍ منه ذلك إليه- لأنهم من عِلْمٍ صحة ذلك بمحلٍّ ليس به من الأمم غيرهم، فلذلك جل ثناؤه خص بقوله: «يا بنى إسرائيل» خطابَهم. كما :-

٨٠٠ - حدثنا به ابن حميد، قال : حدثنا سلمة، عن ابن إسحق، عن محمد بن أبى محمد، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قوله : «يا بنى إسرائيل»، قال : يا أهل الكتاب، للأحبار من يهود[1].

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : ونعمته التى أنعم بها على بنى إسرائيل جلّ ذكره، اصطفاؤه منهم الرسلَ، وإنزاله عليهم الكتب، واستنقاذُه إياهم مما كانوا فيه من البلاء والضَّرَّاء من فرعون وقومه، إلى التمكين لهم فى الأرض، وتفجير عيون الماء من الحجر، وإطعام المنّ والسلوى. فأمر جل ثناؤه أعقابهم أن يكون ما سلَف منه إلى آبائهم على ذُكْرٍ، وأن لاينسوا صنيعه إلى أسلافهم وآبائهم، فيحلّ بهم من النقم ما أحلّ بمن نسى نعمتَه عنده منهم وكفرها، وجحد صنائعه عنده. كما :-

٨٠١ - حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحق، عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس : «اذكروا نعمتِى التى أنعمتُ عليكم»، أى آلائى عندكم وعند آبائكم، لما كان نجّاهم به من فرعون وقومه[2].

٨٠٢ - وحدثنى المثنى، قال: حدثنا آدم، قال: حدثنا أبو جعفر، عن

---

(١) الأثر ٨٠٠ - فى الدر المنثور ١ : ٦٣، والشوكانى ١ : ٦١ بتمامه. وسيأتى تمامه فى الأثر التالى.

(٢) الأثر : ٨٠١ - من تمام الأثر السالف، المراجع السالفة، وابن كثير ١ : ١٤٩.

الربيع ، عن أبي العالية ، في قوله : « اذكروا نعمتي » ، قال : نعمتُه أنْ جعل منهم الأنبياء والرسل ، وأنزل عليهم الكتب[١] .

٨٠٣ – وحدثني المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم » ، يعني نعمتَه التي أنعم على بني إسرائيل ، فيما سمى وفيما سوَى ذلك : فجَّر لهم الحجر ، وأنزل عليهم المنّ والسلوى ، وأنجاهم من عبودية آل فرعون[٢] .

٨٠٤ – وحدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال قال ابن زيد في قوله : « نعمتي التي أنعمت عليكم » قال : نعمه عامة ، ولا نعمةَ أفضلُ من الإسلام ، والنعم بعدُ تبع لها ، وقرأ قول الله : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾[٣] [سورة الحجرات : ١٧] ١٩٨/١

وتذكيرُ الله الذين ذكرّهم جل ثناؤه بهذه الآية من نعمه على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، نظيرُ تذكير موسى صلوات الله عليه أسلافَهم على عهده ، الذي أخبر الله عنه أنه قال لهم ، وذلك قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة المائدة : ٢٠] .

* *

---

(١) الأثر : ٨٠٢ – في ابن كثير ١ : ١٤٩ .
(٢) الأثر : ٨٠٣ – في ابن كثير ١ : ١٤٩ وفيه : « وفيما سوى ذلك : أن فجر » ، بالزيادة .
(٣) الأثر : ٨٠٤ – لم أجده في مكان .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : قد تقدم بياننا فيما مضى — عن معنى العهد — من كتابنا هذا[1] ، واختلاف المختلفين فى تأويله ، والصوابُ عندنا من القول فيه[2] . وهو فى هذا الموضع : عهدُ الله ووصيته التى أخذ على بنى إسرائيل فى التوراة ، أن يبيِّنوا للناس أمر محمد صلى الله عليه وسلم أنه رسولٌ ، وأنهم يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة أنه نبىّ الله ، وأن يؤمنوا به وبما جاء به من عند الله .

«أوف بعهدكم» : وعهدُه إياهم أنهم إذا فعلوا ذلك أدخلهم الجنة ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً وَقَالَ اللهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [سورة المائدة : ١٢] ، وكما قال : ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا

---

(١) انظر ما مضى : ٤١٠ — ٤١٥ .

(٢) فى المطبوعة : « قد تقدم بياننا معنى العهد فيما مضى من كتابنا . . . » ، غيروه ليستقيم الكلام على ما ألفوه .

النورَ الَّذِى أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[١] [سورة الأعراف: ١٥٦، ١٥٧].

٨٠٥ — وكما حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل، عن ابن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وأوفوا بعهدى» الذى أخذتُ فى أعناقكم للنبيّ محمد إذا جاءكم ،[٢] « أوف بعهدكم » ، أى أنجزْ لكم ما وعدتكم عليه بتصديقه واتباعه، بوضع ما كان عليكم من الإصْر والأغلال التى كانت فى أعْناقكم بذنوبكم التى كانت من أحداثكم[٣] .

٨٠٦ — وحدثنا المثنى ، قال : حدثنا آدم، قال حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية فى قوله: « أوْفوا بعهدى أوفِ بعهدكم »، قال: عهدُه إلى عباده، دينُ الإسلام أن يتبعوه ، « أوف بعهدكم » ، يعنى الجنة[٤] .

٨٠٧ — وحدثنا موسى بن هرون ، قال: حدثنا عمرو بن حماد ، قال: حدثنا أسباط ، عن السدى: «أوفوا بعهدى أوف بعهدكم »: أما « أوفوا بعهدى»، فما عهدت إليكم فى الكتاب . وأما « أوف بعهدكم » فالجنة ، عهدتُ إليكم أنكم إن عملتم بطاعتى أدخلتكم الجنة[٥].

٨٠٨ — وحدثنى القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنى حجاج ، عن ابن جريج، فى قوله: « وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم »، قال: ذلك الميثاق الذى أخذ عليهم فى المائدة : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِى إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَىْ عَشَرَ

---

(١) فى الأصول : « . . . اثنى عشر نقيباً ، الآية » . و « النبى الأمى ، الآية » . وآثرنا إتمام الآيتين ، كما جرينا عليه فيما سلف ، وفيما سيأتى .

(٢) فى المطبوعة : « ... للنبى صلى الله عليه وسلم إذا جاءكم ... » ، وفى المراجع الأخرى .

(٣) الأثر : ٨٠٥ — من تمام الأثر السالف رقم : ٨٠٠ ، ورقم ٨٠١، ومراجعه ما سلف .

(٤) الأثر : ٨٠٦ — فى ابن كثير ١ : ١٥٠ .

(٥) الأثر : ٨٠٧ — فى ابن كثير ١ : ١٥٠ تضميناً .

نسياً ﴾ إلى آخر الآية [سورة المائدة : ١٢] . فهذا عهدُ الله الذى عهد إليهم، وهو عهد الله فينا ، فمن أوفى بعهد الله وفَى الله له بعهده[١] .

٨٠٩ – وحُدِّثت عن المنجاب ، قال : حدثنا بشر ، عن أبى روق، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، فى قوله « وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم » ، يقول : أوفوا بما أمرتكم به من طاعتى ونهيتكم عنه من معصيتى فى النبى صلى الله عليه وسلم وفى غيره ، « أوف بعهدكم » ، يقول : أرض عنكم وأدخلكم الجنة[٢] .

٨١٠ – وحدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال قال ابن زيد فى قوله : « وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم » ، قال : أوفوا بأمرى أوفِ بالذى وعدتكم ، وقرأ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم ﴾ حتى بلغ ﴿ ومن أوفى بعهده من الله ﴾ [سورة التوبة : ١١١] ، قال : هذا عهده الذى عهده لهم[٣] .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ (٤٠)

قال أبو جعفر : وتأويل قوله : « وإياى فارهبون » ، وإياى فاخشَوْا – واتَّقُوا أيها المضيِّعون عهدى من بنى إسرائيل ، والمكذبون رسولى الذى أخذتُ ميثاقكم – فيما أنزلتُ من الكتُب على أنبيائى – أن تؤمنوا به وتتبعوه – أن أُحِلَّ بكمْ من عقوبتى ، إن لم تنيبوا وتتوبوا إلىّ باتباعه والإقرار بما أنزلت إليه ، ما أحللتُ بمن خالف أمرى وكذّب رُسلى من أسلافكم . كما :–

٨١١ – حدثنى به محمد بن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ،

---

(١) الأثر : ٨٠٨ – لم أجده بنصه فى مكان .

(٢) الأثر : ٨٠٩ – فى ابن كثير ١ : ١٥٠ ، الدر المنثور ١ : ٦٣ ، والشوكانى ١ : ٦١ .

(٣) الأثر ٨١٠ – لم أجده فى مكان .

عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وإياىَ فارهبون » ، أن أنزل بكم ما أنزلت بمن كان قبلكم من آبائكم من النَّقِمات التي قد عرفتم ، من المسخ وغيره[1] . ١٩٩/١

٨١٢ – وحدثنا المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثني آدم العسقلاني ، قال : حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، في قوله : « وإياى فارَهبُون » ، يقول : فاخشَوْن .

٨١٣ – وحدثني موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإياى فارهبون » ، يقول : وإياى فاخشون[2] .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾

قال أبو جعفر : يعني بقوله جل ثناؤه : « آمنوا » ، صدِّقوا ، كما قد قدمنا البيان عنه قبل[3] . ويعني بقوله « بما أنزلت » ، ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن. ويعني بقوله . «مصدِّقاً لما معكم» ، أن القرآن مصدِّق لما مع اليهود من بني إسرائيل من التوراة . فأمرهم بالتصديق بالقرآن ، وأخبرهم جل ثناؤه أن في تصديقهم بالقرآن تصديقاً منهم للتوراة ، لأن الذي في القرآن من الأمر بالإقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وتصديقه واتباعه ، نظيرُ الذي من ذلك في التوراة والإنجيل . ففي تصديقهم بما

---

(١) الأثر : ٨١٢ – من تمام الآثار السالفة الأرقام : ٨٠٠ ، ٨٠١ ، ٨٠٥ . وابن كثير ١ : ١٥٠ من تمام ما سلف في ص ١٤٩ . المراجع المذكورة .

(٢) الأثر : ٨١٣ – في ابن كثير ١ : ١٥٠ .

(٣) انظر ما مضى : ٢٣٤ ، ٢٣٥

أنزل على محمد تصديقٌ منهم لما معهم من التوراة، وفى تكذيبهم به تكذيبٌ منهم لما معهم من التوراة .

وقوله: « مصدقاً »، قطع من الهاء المتروكة فى «أنزلته» من ذكر «ما»[1] . ومعنى الكلام وآمنوا بالذى أنزلته مصدقاً لما معكم أيها اليهود ، والذى معهم : هو التوراة والإنجيل . كما : —

٨١٤ — حدثنا به محمد بن عمرو الباهلى، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى بن ميمون، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد، فى قول الله : « وآمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم » ، يقول : إنما أنزلت القرآن مصدقاً لما معكم التوراة والإنجيل[2] .

٨١٥ — وحدثنى المثنى ، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

٨١٦ — وحدثنى المثنى ، قال : حدثنا آدم، قال: أخبرنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية : « وآمنوا بما أنزلت مصدّقاً لما معكم » ، يقول : يامعشر أهل الكتاب ، آمنوا بما أنزلت على محمّد مصدقاً لما معكم . يقول: لأنهم يجدون محمّداً صلى الله عليه وسلم مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل[3] .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ﴾

قال أبو جعفر : فإن قال لنا قائل : كيف قيل: « ولا تكونوا أول كافر به »،

---

(١) قوله « قطع » ، أى حال . وانظر ما سلف ص ٢٣٠ : تعليق : ٤ ، وص ٣٣٠ تعليق: ١ .

(٢) الأثر : ٨١٤ — فى ابن كثير ١ : ١٥٠ تضميناً، والدر المنثور ١ : ٢٦٤، والشوكانى ١ : ٦١ .

(٣) الأثر : ٨١٥ — فى ابن كثير ١ : ١٥٠، والدر المنثور ١ : ٦٤ ، والشوكانى ١ : ٦١.

والخطاب فيه لجميع[1] ، وقوله : « كافر » واحد ؟ وهل نجيز — إن كان ذلك جائزاً — أن يقول قائل : « ولا تكونوا أول رُجل قام » ؟

قيل له : إنما يجوز توحيد ما أضيف له « أفعل » وهو خبر لجميع[1] ، إذا كان اسماً مشتقاً من «فعل ويفعل » ، لأنه يؤدّى عن المرادِ معه المحذوفَ من الكلام وهو « مَنْ » ، ويقوم مقامه فى الأداء عن معنى ما كان يؤدى عنه « مَنْ » من الجمع والتأنيث ، وهو فى لفظ واحد . ألا ترى أنك تقول : ولا تكونوا أوّلَ من يكفر به . « فمن » بمعنى جميع[1] ، وهو غير متصرف تصرفَ الأسماء للتثنية والجمع والتأنيث . فإذا أقيم الاسمُ المشتق من « فعل ويفعل » مُقامَه ، جرى وهو موحّد مجراه فى الأداء عما كان يؤدى عنه « مَنْ » من معنى الجمع والتأنيث ، كقولك : « الجيش مُنهزم » ، «والجند مقبلٌ »[2] ، فتوحّد الفعلَ لتوحيد لفظ الجيش والجند . وغير جائز أن يقال : « الجيش رجل ، والجند غلام » ، حتى تقول : « الجند غلمان والجيش رجال » . لأن الواحد من عدد الأسماء التى هى غير مشتقة من «فعل ويفعل » ، لا يؤدّى عن معنى الجماعة منهم ، ومن ذلك قول الشاعر :

وَإِذَاهُمُ طَعِمُوا فَأَلْأَمُ طَاعِمٍ ... وَإِذاهُمُ جَاعُوا فشَرُّ جِيَاعِ[3]

فوحّد مَرّةً على ما وصفتُ من نية «مَنْ » ، وإقامة الظاهر من الاسم الذى هو مشتق من « فعل ويفعل » مقامه ، وجمع أخرى على الإخراج على عدد أسماء

---

(١) فى المطبوعة فى المواضع الثلاثة : « لجمع . . . لجميع . . . جمع » .

(٢) فى المطبوعة . « الجيش ينهزم ، والجند يقبل » ، وهو خطأ صرف .

(٣) نوادر أبى زيد : ١٥٢ ، لرجل جاهلى ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٣٣ ، وهى ثلاثة أبيات نوادر ، وقبله :

وَمُوَيْلِكٌ زَمَعُ الكِلابِ يَسُبُّنِي ... فَسَمَاعِ أَسْتَاهَ الكلابِ سَمَاعِ

هَلْ غير عَدْوِكُمُ عَلَىَّ جَارَاتكُمْ ... لُبطُونِكُمْ مَلَثَ الظَّلَامِ دَوَاعِي

وقوله : « « طعموا » أى شبعوا ، فهم عندئذ ألأم من شبع . وفى الحديث : « طعام الواحد يكفى الاثنين وطعام الاثنين يكفى الأربعة » ، يعنى شبع الواحد قوت الاثنين ، وشبع الاثنين قوت الأربعة .

المخبر عنهم ، ولو وحَّد حيث جَمع ، أو جمع حيث وحَّد ، كان صواباً جائزاً[١] .

وأما تأويل ذلك[٢] ، فإنه يعنى به : يا معشر أحبار أهل الكتاب ، صدِّقوا بما أنزلتُ على رسولى محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن المصدِّق كتابَكم والذى عندكم من التوراة والإنجيل ، المعهود إليكم فيهما أنه رسولى ونبيِّىَ المبعوثُ بالحق ، ولا تكونوا أوَّل أمّتكمْ كذَّبَ به[٣] وَجحد أنه من عندى ، وعندكم من العلم به ما ليس عند غيركم . ٢٠٠/١

وكفرهم به : جُحودهم أنه من عند الله[٤] . والهاء التى فى « به » من ذكر « ما » التى مع قوله « وآمنوا بما أنزلت » . كما : —

٨١٧ — حدثنى القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا حجاج ، قال قال ابن جريج ، فى قوله : « ولا تكونوا أول كافر به » ، بالقرآن[٥] .

قال أبو جعفر : وروى عن أبى العالية فى ذلك ، ما : —

٨١٨ — حدثنى به المثنى ، قال : حدثنا آدم ، قال : حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية : « ولا تكونوا أول كافر به » ، يقول : لا تكونوا أوّل من كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم[٦] .

وقال بعضهم : « ولا تكونوا أول كافر به »، يعنى : بكتابكم . ويتأول أنّ فى تكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم تكذيباً منهم بكتابهم ، لأن فى كتابهم الأمرَ باتباع محمد صلى الله عليه وسلم .

وهذان القولان من ظاهر ما تدلّ عليه التلاوة بعيدانِ . وذلك أن الله جل ثناؤه

---

(١) انظر مثل ما قال الطبرى فى معانى القرآن للفراء ١ : ٣٢ — ٣٣ .

(٢) فى المطبوعة : « فأما . . . » بالفاء .

(٣) فى المطبوعة : « أول من كذب به » ، والذى أثبتناه هو صواب بيان الطبرى .

(٤) فى المخطوطة : « وكفرهم به وجحودهم . . . » وهو خطأ .

(٥) الأثر : ٨١٧ — فى الدر المنثور ١ : ٦٤ ، والشوكانى ١ : ٦١ .

(٦) الأثر : ٨١٨ — فى ابن كثير ١ : ١٥٠ ، والدر المنثور ١ : ٦٤ ، والشوكانى ١ : ٦١.

أمر المخاطبين بهذه الآية فى أولها بالإيمان بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال جل ذكره : «وآمِنُوا بما أنزلتُ مصدقاً لما معكم» . ومعقول أن الذى أنزله الله فى عصر محمد صلى الله عليه وسلم هو القرآن لا محمد ، لأن محمداً صلوات الله عليه رسولٌ مرسل ، لا تنزيلٌ مُنْزَل ، والمنْزَل هو الكتاب . ثم نهاهم أن يكونوا أوّل من يكفر بالذى أمرهم بالإيمان به فى أول الآية[1] . ولم يجر لمحمد صلى الله عليه وسلم فى هذه الآية ذكرٌ ظاهر ، فيعاد عليه بذكره مكنيًّا فى قوله : «ولا تكونوا أول كافر به» — وإن كان غير محال فى الكلام أن يُذْكر مكنىٌّ اسمٍ لم يَجْرِ له ذكرٌ ظاهر فى الكلام[2] .

وكذلك لا معنى لقول من زعم أنّ العائد من الذكر فى « به » على « ما » التى فى قوله « لما معكم » . لأن ذلك ، وإن كان محتمَلاً ظاهرَ الكلام[3] ، فإنه بعيدٌ مما يدل عليه ظاهر التلاوة والتنزيل ، لما وصفنا قبل من أن المأمور بالإيمان به فى أول الآية هو القرآن . فكذلك الواجب أن يكون المنهىُّ عن الكفر به فى آخرها هو القرآن[4] . وأما أن يكون المأمور بالإيمان به غيرَ المنهىّ عن الكفر به ، فى كلام واحد وآية واحدة ، فذلك غير الأشهر الأظهر فى الكلام . هذا مع بُعْد معناه فى التأويل[5] .

٨١٩ — حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد

---

(١) فى المطبوعة زيادة بين هاتين الجملتين ، وهى مقحمة مفسدة للكلام نابية فى السياق . ونصها « . . . فى أول الآية من أهل الكتاب ، فذلك هو الظاهر المفهوم . ولم يجر لمحمد . . . » .

(٢) بيان الطبرى جيد محكم ، وإن ظن بعض من نقل كلامه أن كلا القولين صحيح ، لأنهما متلازمان . لأن من كفر بالقرآن فقد كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ومن كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد كفر بالقرآن (ابن كثير ١ : ١٥٠) . ونعم ، كلا القولين صحيح المعنى فى ذاته ، ولكن الطبرى يحدد دلالة الألفاظ والضمائر فى الآية ، ويعين ما يحتمله ظاهر التلاوة والتنزيل ، ويخلص معنى من معنى ، وإن كان كلاهما صحيحاً فى العقل ، صحيحاً فى الحكم ، صحيحاً فى الدين . وما أكثر ما يتساهل الناس إذا تقاربت المعانى ، ولا يخلص معنى من معنى إلا بصير بالعربية كأبى جعفر رضى الله عنه .

(٣) فى المطبوعة : « محتمل ظاهر الكلام » .

(٤) فى المخطوطة : « . . . أن الأمر بالإيمان به فى أول الآية . . . أن يكون النهى عن الكفر به فى آخرها . . . » ، والذى فى المطبوعة أجود وأبين .

(٥) وهذا أيضاً من جيد البصر ؛ بمنطق العربية ، وإن ظنه بعضهم قريباً من قريب .

ابن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وآمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم ولا تكونوا أول كافر به » ، وعندكم فيه من العلم ما ليس عند غيركم[1] .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ذكره ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك :

٨٢٠ — فحدثني المثنى بن إبراهيم قال : حدثنا آدم ، قال : حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : « ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلا » ، يقول : لا تأخذوا عليه أجراً . قال : وهو مكتوب عندهم في الكتاب الأول : يا ابنَ آدم ، عَلِّمْ مَجَّاناً كما عُلِّمتَ مَجَّاناً[2] .

وقال آخرون بما : —

٨٢١ — حدثني به موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي : « ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلا » ، يقول : لا تأخذوا طمَعاً قليلا وتكتُموا اسمَ الله ، وذلك الثمن هو الطمع[3] .

---

(١) الخبر : ٨١٩ — من تمام الأخبار السالفة الأرقام ٨٠٥ ، ٨١١ ، في الدر المنثور ١ : ٦٣ .

(٢) الأثر : ٨٢٠ — من تمام الأثر السالف رقم : ٨١٨ ومراجعه هناك . وفي ابن كثير ١ : ١٥١ . والمجان : عطية الشيء بلا منة ولا ثمن . قال أبو العباس : سمعت ابن الأعرابي يقول : المجان عند العرب الباطل ، وقالوا : « ماء مجان » . قال الأزهري : العرب تقول : تمر « مجان » ، وماء « مجان » ، يريدون أنه كثير كاف . قال : واستطعمني أعرابي تمراً فأطعمته كتلة واعتذرت إليه من قلته ، فقال : هذا والله « مجان » . أي كثير كاف . وقولهم : أخذه مجاناً . أي بلا بدل ، وهو فعال لأنه ينصرف (اللسان : مجن) .

(٣) الأثر : ٨٢١ — في ابن كثير ١ : ١٥١ . وفي المطبوعة وابن كثير : « فذلك الطمع هو الثمن » ، وأثبت ما في المخطوطة ، فهو أجود .

فتأويل الآية إذاً : لا تبيعوا ما آتيتكم من العلم بكتابى وآياته بثمن خسيسٍ وَعرضٍ من الدنيا قليل. وبيعُهم إياه – تركهم إبانةَ ما فى كتابهم من أمر محمد صلى الله عليه وسلم للناس ، وأنه مكتوب فيه أنه النبىّ الأمىّ الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل – بثمن قليل، وهو رضاهم بالرياسة على أتباعهم من أهل ملتهم ودينهم ، وأخذهم الأجرَ ممّن بيّنوا له ذلك على ما بيّنوا له منه . ٢٠١/١

وإنما قلنا بمعنى ذلك « لا تبيعوا »[1] ، لأن مشترى الثمن القليل بآيات الله بائعٌ الآياتِ بالثمن، فكل واحد من الثمن والمثمَّن مبيع لصاحبه ، وصاحبه به مشترى : وإنما معنى ذلك على ما تأوله أبو العالية[2] : بينوا للناس أمر محمّد صلى الله عليه وسلم ، ولا تبتغوا عليه منهم أجراً . فيكون حينئذ نهيُه عن أخذ الأجر على تبيينه، هو النهىَ عن شراء الثمن القليل بآياته .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ وَإِيَّـٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾

قال أبو جعفر : يقول : فاتقونِ – فى بَيعكم آياتى بالخسيس من الثمن ، وشرائكم بها القليل من العرَض، وكفركم، بما أنزلت على رسولى وجحودكم نبوة نبيّى – أنْ أُحِلّ بكم ما أحللتُ بأسلافكم الذين سلكوا سبيلكم من المَثُلات والنَّقِمات .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله: « ولا تلبسُوا »، لا تخلطوا . واللَّبْس هو الخلط.

---

(١) فى المطبوعة : « وإنما قلنا معنى ذلك . . . » .

(٢) فى المطبوعة : « وإنما معناه على ما تأوله . . . » .

يقال منه : لَبَسْت عليه هذا الأمر ألبِسُه لبساً : إذا خلطته عليه[١] . كما : —

٨٢٢ — حُدِّثت عن المنجاب ، عن بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، في قوله : ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾ [سورة الأنعام : ٩] يقول : لخلطنا عليهم ما يخلطون[٢] .

ومنه قول العجاج :

لَمَّا لَبَسْنَ الْحَقَّ بِالتَّجَنِّي غَنِينَ وَاسْتَبْدَلْنَ زيدًا مِنِّي[٣]

يعني بقوله : « لبسن » ، خلطن . وأما اللُّبس فإنه يقال منه : لبِسْته ألبَسُه لُبْساً ومَلْبَساً ، وذلك الكسوةُ يكتسيها فيلبسها[٤] . ومن اللُّبس قول الأخطل :

لَقَدْ لبِسْتُ لهذَا الدَّهْرِ أعْصُرَهُ حَتَّى تَجَلَّلَ رَأْسِي الشَّيْبُ وَاشْتَعَلَا[٥]

ومن اللَّبْس قول الله جل ثناؤه : ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾ . [سورة الأنعام : ٩]

* * *

فإن قال لنا قائل[٦] : وكيف كانوا يلبِسون الحق بالباطل وهم كفّار ؟ وأيُّ حق كانوا عليه مع كفرهم بالله ؟

قيل : إنه كان فيهم منافقون منهم يظهرون التصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم ويستبطنون الكفر به . وكان عُظْمُهم يقولون[٧] : محمد نبيٌّ مبعوث ، إلا أنه

---

(١) في المطبوعة : « لبست عليهم الأمر . . . خلطته عليهم » .

(٢) الخبر : ٨٢٢ — لم أجده في مكان ، ولم يذكره الطبري في مكانه من تفسير هذه الآية في سورة الأنعام (٧ : ٩٨ بولاق) .

(٣) ديوانه : ٦٥ . غنى عن الشيء واستغنى : اطرحه ورمى به من عينه ولم يلتفت إليه .

(٤) في المطبوعة : « وذلك في الكسوة . . . » ، بالزيادة .

(٥) ديوانه : ١٤٢ ، وفيه « وقد لبست » . وأعصر جمع عصر : وهو الدهر والزمان . وعني هنا اختلاف الأيام حلوها ومرها ، فجمع . ولبس له أعصره : عاش وقاسى خيره وشره . وتجلل الشيب رأسه : علاه .

(٦) في المطبوعة : « إن قال . . . »

(٧) في المطبوعة : « وكان أعظمهم . . . » ، وهو تحريف قد مضى مثله مراراً . وعظم الشيء : معظمه وأكثره .

مبعوث إلى غيرنا . فكان لَبْسُ المنافق منهم الحقَّ بالباطل، إظهارَه الحقَّ بلسانه ، وإقرارَه بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به جهاراً[١] ، وخلطه ذلك الظاهر من الحق بما يستبطنه[٢] . وكان لَبْسُ المقرّ منهم بأنه مبعوث إلى غيرهم ، الجاحدُ أنه مبعوث إليهم ، إقرارَه بأنه مبعوث إلى غيرهم ، وهو الحق ، وجحودَه أنه مبعوث إليهم ، وهو الباطل ، وقد بَعثه الله إلى الخلق كافة . فذلك خلطهم الحق بالباطل ولَبْسهم إياه به . كما : —

٨٢٣ — حدثنا به أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قوله : « ولا تلبِسُوا الحق بالباطل » ، قال : لا تخلطوا الصدق بالكذب[٣] .

٨٢٤ — وحدثني المثنى ، قال : حدثنا آدم ، قال : حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : « ولا تلبِسُوا الحق بالباطل»، يقول : لا تخلطوا الحق بالباطل ، وأدُّوا النصيحةَ لعباد الله في أمر محمد صلى الله عليه وسلم[٤] .

٢٠٢/١ ٨٢٥ — وحدثنا القاسم، قال : حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، قال: قال ابن جريج، قال مجاهد: «ولا تلبسوا الحق بالباطل»، اليهوديةَ والنصرانية بالإسلام[٥] .

٨٢٦ — وحدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال قال ابن زيد في قوله: « ولا تلبِسُوا الحقَّ بالباطل»، قال: الحقّ، التوراةُ الذي أنزل الله على موسى ، والباطلُ الذي كتبوه بأيديهم[٦] .

* * *

---

(١) في المطبوعة : « وإقراره لمحمد . . . » .

(٢) في المطبوعة : « بالباطل الذي يستبطنه » .

(٣) الخبر : ٨٢٣ — في ابن كثير ١ : ١٥٢ ، والدر المنثور ١ : ٦٤ ، والشوكاني ١ : ٦٢ .

(٤) الأثر : ٨٢٤ — في ابن كثير ١ : ١٥٢ .

(٥) الأثر : ٨٢٥ — لم أجده عن مجاهد ، ومثله عن قتادة في ابن كثير ١ : ١٥٢ ، والدر المنثور ١ : ٦٤ .

(٦) الأثر : ٨٢٦ — في الدر المنثور ١ : ٦٤ ، والشوكاني ١ : ٦٢ .

القول فى تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٤٢)

قال أبو جعفر : وفى قوله « وتكتموا الحق »، وجهان من التأويل :

أحدُهما : أن يكون الله جل ثناؤه نهاهم عن أن يكتموا الحق ، كما نهاهم أن يلبسوا الحق بالباطل . فيكون تأويل ذلك حينئذ: ولا تلبسوا الحق بالباطل ولا تكتموا الحق . ويكون قوله: «وتكتموا» عند ذلك مجزوماً بما جُزِم به «تلبسوا»، عطفاً عليه .

والوجه الآخر منهما : أن يكون النهى من الله جل ثناؤه لهم عن أن يلبسوا الحق بالباطل ، ويكون قوله: «وتكتموا الحق» خبراً منه عنهم بكتمانهم الحق الذى يعلمونه، فيكون قوله: « وتكتموا » حينئذ منصوباً لانصرافه عن معنى قوله: « ولا تلبسوا الحق بالباطل» ، إذ كان قوله : « ولا تلبسوا » نهياً، وقوله « وتكتموا الحق » خبراً معطوفاً عليه ، غيرَ جائز أن يعاد عليه ما عمل فى قوله « تلبسوا » من الحرف الجازم . وذلك هو المعنى الذى يسميه النحويون صَرْفاً[1] . ونظيرُ ذلك فى المعنى والإعراب قول الشاعر :

لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ عارٌ عَلَيْكَ إذا فعلتَ عَظِيمُ[2]

---

(١) ذكر هذا الفراء فى كتابه معانى القرآن ١ : ٣٣ – ٣٤ ، ثم قال : « فإن قلت : وما الصرف ؟ قلت : أن تأتى بالواو معطوفاً على كلام فى أوله حادثة لا تستقيم إعادتها على ما عطف عليها ، فإذا كان كذلك فهو الصرف ، كقول الشاعر : . . . » وأنشد البيت وقال : « ألا ترى أنه لا يجوز إعادة « لا » فى « تأتى مثله » ، فلذلك سمى صرفاً ، إذ كان معطوفاً ، ولم يستقم أن يعاد فيه الحادث الذى قبله » .

(٢) هذا من الأبيات التى رويت فى عدة قصائد . كما قال صاحب الخزانة ٣ : ٦١٧ . نسبه سيبوية ١ : ٤٢٤ للأخطل ، وهو فى قصيدة للمتوكل الليثى ، ونسب لسابق البربرى ، وللطرماح ، ولأبى الأسود الدؤلى فى قصيدة ساقها صاحب الخزانة (٣ : ٦١٨) ، وليست فى ديوانه الذى نشره الأستاذ محمد حسن آل ياسين فى (نفائس المخطوطات) طبع مطبعة المعارف ببغداد سنة ١٣٧٣ هـ (١٩٥٤ م) ، وهذا الديوان من نسخة بخط أبى الفتح عثمان بن جنى . ولم يلحقها الأستاذ الناشر بأشتات شعر أبى الأسود التى جمعها .

فنصب « تأتى » على التأويل الذى قلنا فى قوله : « وتكتموا »[1] ، لأنه لم يرد : لا تنه عن خُلق ولا تأت مثله ، وإنما معناه : لا تنه عن خلق وأنت تأتى مثله ، فكان الأول نهياً ، والثانى خبراً ، فنصبَ الخبر إذ عطفه على غير شكله . فأما الوجه الأول من هذين الوجهين اللذين ذكرنا أن الآية تحتملهما ، فهو على مذهب ابن عباس الذى :—

٨٢٧ — حدثنا به أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قوله : « وتكتموا الحق » ، يقول : ولا تكتموا الحق وأنتم تعلمون .

٨٢٨ — وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن ابن إسحق ، عن محمد بن أبى محمد ، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وتكموا الحق » ، أى ولا تكتموا الحق[2] .

وأما الوجه الثانى منهما ، فهو على مذهب أبى العالية ومجاهد .

٨٢٩ — حدثنى المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا آدم ، قال : حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية : « وتكتموا الحق وأنتم تعلمون » ، قال : كتموا بعث محمد صلى الله عليه وسلم[3] .

٨٣٠ — وحدثنا محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى بن ميمون ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد نحوه .

٨٣١ — وحدثنى المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد نحوه .

---

(١) فى المطبوعة : « وتكتموا ، الآية ، لأنه . . . » ، وهو خطأ فى قراءة ما فى المخطوطة وهو : « وتكتموا إلا أنه لم يرد » .

(٢) الخبران : ٨٢٧ ، ٨٢٨ — لم أجدهما بنصهما فى مكان ، وثانيهما فى ضمن خبر ابن عباس الذى سلف تخريجه رقم : ٨١٩ ، وفى ابن كثير ١ : ١٥٢ ، والدر المنثور ١ : ٦٣ .

(٣) الأثر : ٨٢٩ — لم أجده فى مكان .

وأما تأويل الحق الذى كتموه وهم يعلمونه ، فهو ما : —

٨٣٢ — حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وتكتموا الحق » ، يقول : لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولى وما جاء به ، وأنتم تجدونه عندكم فيما تعلمون من الكتب التى بأيديكم[١] .

٨٣٣ — وحدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « وتكتموا الحق » ، يقول : إنكم قد علمتم أن محمداً رسول الله ، فنهاهم عن ذلك[٢] .

٨٣٤ — وحدثنى محمد بن عمرو قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله : « وتكتموا الحق وأنتم تعلمون » ، قال : يكتم أهل الكتاب محمداً صلى الله عليه وسلم ، وهم يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل[٣] .

٨٣٥ — وحدثنى المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

٨٣٦ — وحدثنى موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى : « وتكتموا الحقّ وأنتم تعلمون » ، قال : الحقُّ هو محمد صلى الله عليه وسلم[٤] .

٨٣٧ — وحدثنى المثنى ، قال : حدثنا آدم ، قال : حدثنا أبو جعفر ، عن

---

(١) الخبر : ٨٣٢ — فى ابن كثير ١ : ١٥٢ ، والدر المنثور ١ : ٦٣ ، والشوكانى ١ : ٦١.

(٢) الخبر : ٨٣٣ — فى الدر المنثور ١ : ٦٤ ، والشوكانى ١ : ٦٢ ، إلا قوله : « فنهاهم عن ذلك » وفى المطبوعة « . . . رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

(٣) الأثر : ٨٣٤ — فى ابن كثير ١ : ١٥٢ تضميناً .

(٤) الأثر : ٨٣٦ — فى ابن كثير ١ : ١٥٢ تضميناً ، وفى الدر المنثور ١ : ٦٤ ، والشوكانى ١ : ٦٢ .

الربيع ، عن أبي العالية : « وتكتموا الحق وأنتم تعلمون » ، قال : كتموا بعثَ محمد صلى الله عليه وسلم ، وهم يجدونه مكتوباً عندهم[1] .

٨٣٨ – وحدثنا القاسم، قال : حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج ، عن مجاهد : تكتموا محمداً وأنتم تعلمون ، وأنتم تجدونه عندكم في التوراة والإنجيل[2] . ٢٠٣/١

فتأويل الآية إذاً : ولا تخلطوا على الناس – أيها الأحبار من أهل الكتاب – في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند ربه ، وتزعموا أنه مبعوث إلى بعض أجناس الأمم دون بعض ، أو تنافقوا في أمره ، وقد علمتم أنه مبعوثٌ إلى جميعكم وجميع الأمم غيركم ، فتخلطوا بذلك الصدق بالكذب ، وتكتموا به ما تجدونه في كتابكم من نعته وصفته ، وأنه رسولي إلى الناس كافة ، وأنتم تعلمون أنه رسولي ، وأن ما جاء به إليكم فمن عندي ، وتعرفون أن من عهدي – الذي أخذت عليكم في كتابكم – الإيمانَ به وبما جاء به والتصديقَ به .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّٰكِعِينَ ﴾ (٤٣)

قال أبو جعفر : ذُكِر أن أحبارَ اليهود والمنافقين كانوا يأمرون الناس بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولا يفعلونه ، فأمرهم الله بإقام الصلاة مع المسلمين المصدِّقين بمحمد وبما جاء به ، وإيتاء زكاة أموالهم معهم ، وأن يخضعوا لله ولرسوله كما خضعوا .

٨٣٩ – كما حُدِّثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن

---

(١) الأثر : ٨٣٧ – لم أجده في مكان .

(٢) الأثر : ٨٣٨ – لم أجده بنصه في مكان. وفي المطبوعة : « تكتمون محمداً . . . » .

أبيه ، عن قتادة ، فى قوله : « وأقيموا الصَّلاةَ وآتُوا الزكاة » ، قال : فريضتان واجبتان، فأدُّوهما إلى الله[١] .

وقد بينا معنى إقامة الصلاة فيما مضى من كتابنا هذا ، فكرهنا إعادته[٢] . أما إيتاءُ الزكاة ، فهو أداء الصدقة المفروضة . وأصل الزَّكاة، نماءُ المال وتثميرُه وزيادتُه . ومن ذلك قيل: زَكا الزرع ، إذا كثر ما أخرج الله منه . وزَكتِ النَّفقة، إذا كثرتْ . وقيل زَكا الفَرْدُ ، إذا صارَ زَوْجاً بزيادة الزائد عليه حتى صار به شفْعاً ، كما قال الشاعر :

كانُوا خَسًّا أو زَكاً مِنْ دُونِ أرْبَعَةٍ لَمْ يُخْلَقُوا، وجُدُودُ النَّاسِ تَعْتَلِجُ[٣]

وقال آخر :

فَلَا خسًّا عَدِيدُهُ ولَا زَكا كَمَا شِرَارُ البَقْلِ أطْرَافُ السَّفَا[٤]

قال أبو جعفر : السفا شوك البُهْمَى ، والبُهْمى الذى يكون مُدَوَّراً فى السُّلاَّء[٥] .

---

(١) الأثر : ٨٣٩ — لم أجده فى مكان .

(٢) انظر ما مضى ص : ٢٤١ — ٢٤٢ .

(٣) اللسان (خسا) ، وفيه : « الفراء : العرب تقول للزوج زكا ، وللفرد خسا . . . قال ، وأنشدتنى الدبيرية . . . » وأنشد البيت . وتعتلج : تصطرع ويمارس بعضها بعضا .

(٤) لرجل من بنى سعد ، ثم أحد بنى الحارث فى عمرو بن كعب بن سعد . وهذا الرجز فى خبر للأغلب العجلى ، (طبقات فحول الشعراء : ٥٧٢ / ومعجم الشعراء : ٤٩٠ / والأغانى ١٨ : ١٦٤) ورواية الطبقات والأغانى : « كما شرار الرعى » . والرعى (بكسر فسكون) : الكلأ نفسه ، والمرعى أيضاً. والسفا : شوك البهمى والسنبل وكل شىء له شوك . يقول : أنت فى قومك كالسفا فى البهمى ، هو شرها وأخبثها . والبيت الأول زيادة ليست فى المراجع المذكورة .

(٥) البهمى : من أحرار البقول ، (وهى ما رق منها ورطب وأكل غير مطبوخ) ، تنبت كما ينبت الحب ، ثم يبلغ بها النبت إلى أن تصير مثل الحب ، ترتفع قدر الشبر ، ونباتها ألطف من نبات البر ، وطعمها طعم الشعير ، ويخرج لها إذا يبست شوك مثل شوك السنبل ، (وهو السفا) ، وإذا وقع فى أنوف الإبل أنفت منه ، حتى ينزعه الناس من أفواهها وأنوفها . وفى المطبوعة : « فى السل » بتشديد الياء ، وفى المخطوطة « فى السل » بضم السين وتشديد اللام . والصواب ما أثبته ، والسلاء جمع سلاءة ، وهى شوكة النخلة ، وأراد بها سفا البهمى أى شوكها .

يعنى بقوله : « ولا زكا » ، لم يُصيِّرْهم شفعاً من وترٍ ، بحدوثه فيهم[١] .

وإنما قيل للزكاة زكاة ، وهى مالٌ يخرجُ من مال ، لتثمير الله — بإخراجها مما أخرجت منه — ما بقى عند ربِّ المال من ماله . وقد يحتمل أن تكون سُمِّيت زكاة ، لأنها تطهيرٌ لما بقى من مال الرجل ، وتخليص له من أن تكون فيه مَظْلمة لأهل السُّهْمان[٢] ، كما قال جل ثناؤه مخبراً عن نبيه موسى صلوات الله عليه : ﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً ﴾ [سورة الكهف : ٧٤] ، يعنى بريئة من الذنوب طاهرة . وكما يقال للرجل : هو عدل زكيٌّ — لذلك المعنى[٣] . وهذا الوجه أعجب إلىّ — فى تأويل زكاة المال — من الوجه الأوّل ، وإن كان الأوّل مقبولا فى تأويلها .

وإيتاؤها : إعطاؤُها أهلها .

وأما تأويل الرُّكوع ، فهو الخضوع لله بالطاعة . يقال منه : ركع فلانٌ لكذا وكذا ، إذا خضع له ، ومنه قول الشاعر :

بِيعَتْ بِكَسْرٍ لَئِيمٍ وَاسْتغَاثَ بِهَا ... مِنَ الهُزَالِ أَبُوهَا بَعْدَ مَا رَكَعَا[٤]

---

(١) قوله : « بحدوثه فيهم » ، أى بوجوده فى هؤلاء القوم . والعديد (فى الرجز) ، من قولهم فلان عديد بنى فلان : أى يعد فيهم وليس منهم : يريد أنه إذا دخل فى قوم لم يعد فيهم شيئاً ، فإذا كانوا شفعاً ، لم يصيرهم دخوله وتراً ، وإذا كانوا وتراً لم يصيرهم شفعاً ، فهو كلا شىء فى العدد . يهجوه ويستسقطه .

(٢) السهمان جمع سهم ، كالسهام : وهو النصيب والحظ .

(٣) فى المطبوعة : « بذلك المعنى» وليست بشىء .

(٤) هذا البيت من أبيات لعصام بن عبيد الزمانى (من بنى زمان بن مالك بن صعب بن على بن بكر بن وائل) رواها أبو تمام فى الوحشيات رقم ١٣٠ (مخطوطة عندى) ، ورواها الجاحظ فى الحيوان ٤ : ٢٨١ ، وجاء فيه : « قال الزيادى » وهو تحريف وتصحيف كما ترى . وهذه الأبيات من مناقضة كانت بين الزمانى ويحيى بن أبى حفصة . وذلك أن يحيى تزوج بنت طلبة بن قيس بن عاصم المنقرى فهاجاه عصام الزمانى وقال :

أَرَى حَجْراً تغيَّر واقشعرَّا ... وبُدِّل بعد حُلْو العيش مُرَّا

فأجابه يحيى بأبيات منها :

أَلَا مَنْ مُبلغٌ عنِّى عِصَاماً ... بأنِّى سوف أَنْقُضُ مَا أَمرَّا

هكذا روى المرزبانى فى معجم الشعراء : ٢٧٠ ، وروى أبو الفرج فى أغانيه ١٠ : ٧٥ أن يحيى

يعنى : بعد ما خضع من شدة الجهد والحاجة .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا أمر من الله جل ثناؤه — لمن ذكر من أحبار بنى إسرائيل ومنافقيها — بالإنابة والتوبة إليه ، وبإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، والدخول مع المسلمين فى الإسلام ، والخضوع له بالطاعة ؛ ونهى منه لهم عن كتمان ما قد علموه من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، بعد تظاهر حججه عليهم ، بما قد وصفنا قبل فيما مضى من كتابنا هذا ، وبعد الإعذار إليهم والإنذار ، وبعد تذكيرهم نعمه إليهم وإلى أسلافهم تعطفاً منه بذلك عليهم ، وإبلاغاً فى المعذرة[1] .

تم الجزء الأول من تفسير الطبرى

ويليه الجزء الثانى وأوله :

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾

خطب إلى مقاتل بن طلبة المنقرى ابنته وأختيه ، فأنعم له بذلك . فبعث يحيى إلى بنيه سليمان وعمر وجميل ، فأتوه فزوجهن بنيه الثلاثة ، ودخلوا بهن ثم حملوهن إلى حجر ، (وهو مكان) .

وأبيات عصام الزمانى ، ونقيضتها التى ناقضه بها يحيى ، من جيد الشعر ، فاقرأها فى الوحشيات ، والحيوان ، والشعر والشعراء : ٧٤٠ ، ورواية الحيوان والوحشيات

« بيعت بوكس قليل واستقل بها »

الوكس : انضاع الثمن فى البيع . وفى المخطوطة والمطبوعة « بكسر لئيم » ، وهو تحريف لا معنى له ، وأظن الصواب ما أثبت اجتهاداً . والكسر : أخس القليل . وقوله : « بيعت » الضمير لابنة مقاتل بن طلبة المنقرى التى تزوجها يحيى أو أحد بنيه . يقول : باعها أبوها بثمن بخس دنىء خسيس ، فتزوجها مستغيثاً ببيعها مما نزل به من الجهد والفاقة ، فتزوجها هذا الغبى اللئيم الدنىء ، ليستعين بمهرها .

(١) فى المطبوعة : « وإبلاغاً إليهم . . . » بالزيادة .

الفهارس

فهرس الآيات التى استدل بها فى غير موضعها من التفسير

اسم السورة ، ورقم الآية	رقم الصفحة
آيات سورة البقرة	
٦	٥٥١
٨	٥٥١
١١	٧٥
٢٢	٥٣٨
٢٨	٥٤٧
٢٩	٤٢٦
٣٠	٢٨٩
٤٠	٤١٣
٤٠ ومابعدها	٢٥٤
٥٩	٤١٠
١٠٨	٣١٥
١٠٩	٢٧٠
١٢٨	٥٥٠
١٤٦	١٣١
١٥٩	٢٥٤
١٩٤	٣٠٣
٢٤٨	٦٠
آيات سورة آل عمران	
٧	٢١٨،٧٣
٥٤	٣٠١
٧٥	٣١٣
١١٠	١٥١

اسم السورة ، ورقم الآية	رقم الصفحة
آيات سورة آل عمران	
١٧٣	٢٩٣،٢٩٢
١٧٨	٣٠١،٢٧٥
١٨٧	٤١٢
آيات سورة النساء	
١	٤٢٠
٥	٢٩٣
٦٦—٦٩	١٧٧—١٧٨
٨٢	٤٨
٩٠	٤٢٧
١٤٢	٣٠٢
١٦٥	٣
آيات سورة المائدة	
٧	٤٢١
١٢	٥٥٧—٥٥٩
١٦	٥
٢٠	٥٥٦
٦٠	١٨٥،١٨٨
	١٨٩—
٧٧	١٩٢—١٩٣
١١٤	١٠٦

اسم السورة ، ورقم الآية	رقم الصفحة
آيات سورة الأنعام	
١	٢١٥
٩	٥٦٧
٤٤	٣٩٩، ٥٠٩
٩٢	٢٣١–٢٣٢
١١٠	٣٠٨
١١٢	١١١
آيات سورة الأعراف	
١١	٥٠٢
١٢	١٩٠، ٥٠٢
١٣	٥٣٣
٢٠	٥٢٨، ٥٣٠
٢٢	٥٣١
٢٣	٥٤٢، ٥٤٥
	–٥٤٦
٢٧	٥٣٣
٣١	٥٥٤
٣٣	٧٩
٤٣	١٦٩
٥٤	١٥٦، ٤٣٦
١٢٧، ١٢٨	١٢٣
١٥٦، ١٥٧	٥٥٧ – ٥٥٨
١٦٩	٤١٣
١٧٢، ١٧٣	٤١١، ٤٢٠
١٨٧	٧٤
آيات سورة الأنفال	
٤١	٩٨

اسم السورة ورقم الآية	رقم الصفحة
آيات سورة التوبة	
٦٧	٣٠٢، ٥١١
٧٩	٣٠٢
١١١	٥٥٩
١٢٤، ١٢٥	٢٨١–٢٨٢
١٢٨، ١٢٩	٦٠ – ٦١
آيات سورة يونس	
١٤	٤٤٩
٢٢	١٥٤، ١٩٦
٣١	٣٧١
٣٨	٣٧٤
٥٧	٦٧
آيات سورة هود	
٤٥	٤٩١
٤٧	٤٩٢
٨٢	١٤
١١٩	٤٩٧
آيات سورة يوسف	
٢	١١
٣	٩٤
١٧	٢٣٥
٢٩	١٥٢
آيات سورة الرعد	
١٥	٣

اسم السورة ، ورقم الآية	رقم الصفحة
آيات سورة إبراهيم	
٤	١١
٢٨، ٢٩	٢٥٢، ٢٦٧
٣٤	١٢٨
٤٣	٣٦٠
آيات سورة الحجر	
٩	٩٤
٢٨	٤٥٩
٨٢	١٤
٨٧	١٠٣، ١٠٩
آيات سورة النحل	
١٥	٤٣٥
١٨	١٢٨
٤٤	٧٣، ٨٨
٦٤	١١، ٧٣
١٠٣	٥٤
١٢١	١٦٩
آيات سورة الإسراء	
١	٢١٦
١١	٤٥٦
٨٨	٣٧٨
١١٠	١٣٣
آيات سورة الكهف	
١	٩٤، ١٤٨
٣٨	١٢٥، ٢٦٨
٥٠	٤٠٩، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٦

اسم السورة ، ورقم الآية	رقم الصفحة
آيات سورة الكهف	
٦٢	٣٦٠
٧٤	٥٧٤
آيات سورة مريم	
٤٦	١١٢
آيات سورة طه	
٣٣، ٣٤	٤٧٦
١٠٨	١٤٩
١٢٠	٥٢٧، ٥٣٣
١٢٢	٥٤٤
آيات سورة الأنبياء	
٢٨	١٤٩
٣٠	٤٣٦
٣٧	٤٦٠
٩٠	٣٥٤
آيات سورة الحج	
١١	٧٠، ٣٤٩، ٣٥٨
٥٥	٢٧٢
آيات سورة المؤمنون	
٣٣، ٣٤	٤
آيات سورة النور	
٤٥	٤٨٦
آيات سورة الفرقان	
١	٩٤
٦٠	١٣١

اسم السورة ، ورقم الآية	رقم الصفحة
آيات سورة الشعراء	
١٩٢—١٩٥	١١، ١٢
١٩٣—١٩٥	٢٢٣
آية سورة النمل	
٧٦	٩٤
آية سورة العنكبوت	
٦٤	٢٤٥
آية سورة الروم	
٢٨	٤٠٣
آيات سورة لقمان	
١	٢٣١
٢٨	٣١٨
آية سورة السجدة	
١٣	٤٩٧
آيات سورة الأحزاب	
٥	١٧
٧	٤٢١
١٩	٣١٨
٢٣	٦٠
٣٧	٤٠٢
٤٣	١٢٩
آية سورة سبأ	
١٠	١٣

اسم السورة ، ورقم الآية	رقم الصفحة
آيات سورة يس	
٢٩	٥٤
٥١	٤٢٤
٥٣	٥٤
آيات سورة الصافات	
٢٣	١٦٨
١٥٨	٥٠٥
آيات سورة ص	
٢٩	٨٢
٤٨، ٤٩	٢٢٦
٦٩—٧٢	٤٦٨
٧١—٧٢	٤٥٩
٧٥—٨٥	٤٦٨
٧٦	٥٣٧
آيات سورة الزمر	
٦	٤٢٠
٢٧، ٢٨	٨٢
٣٣	٣٢٠
آيات سورة غافر	
١١	٤١٨، ٤٢٠
١٦	١٤٩
٢٠	٩١
٥٥	١٧٠
٦٤	٥٣٨

اسم السورة ، ورقم الآية	رقم الصفحة
آيات سورة فصلت	
٩—١١	٤٣٥
١١	٤٣١، ٤٦٣، ٥٤٩
١٧	٣١٣
٤٤	١٤
آيات سورة الشورى	
٥	٤٧٢
٢٤	٢٦٥
٤٠	٣٠٢
آيات سورة الزخرف	
١٨	٩
٤٤	٩٩
٥٥	١٨٨
٨٧	٣٧١
آيات سورة الجاثية	
١٦	١٥١
٢٣	١٩٦، ٢٦٢، ٢٦٣—٢٦٥
آية سورة محمد	
٢٢	٤١٥
آيات سورة الحجرات	
٤	٥٠١
١٧	٥٥٦

اسم السورة ، ورقم الآية	رقم الصفحة
آية سورة الطور	
٢٢	٣٠٧
آية سورة القمر	
٤٣	٣٦٠
آيات سورة الرحمن	
٦	٥١٦
١٤	٤٥٦، ٤٥٩
آيات سورة الواقعة	
١٧—٢٢	٢٦٤
٨٦	١٥٥
آيات سورة الحديد	
١٣	٢٧٥
١٣، ١٤	٣٠١
١٣—١٥	٣٢٦—٣٢٧
٢٨	١٣
آيات سورة المجادلة	
١٦	٢٨٦
١٨	٢٧٨، ٣٢٦
آية سورة الصف	
١٤	٢٩٩
آية سورة الجمعة	
١	٤٧٦

اسم السورة ، ورقم الآية	رقم الصفحة
آيات سورة المنافقون	
٢،١	٢٨٥
٤	٣٥٥
آية سورة المعارج	
٤٣	٤٢٤
آيات سورة المزمل	
٦	٥٢،١٣
١٨	٤٣١
آيات سورة المدثر	
٢،١	٩٧
٣٢	٤٠٨
٥١	١٤
آيات سورة القيامة	
١٨،١٧	٩٥—٩٧
آية سورة الإنسان	
١	٤٦٦

اسم السورة ، ورقم الآية	رقم الصفحة
آية سورة النبأ	
٣٨	١٤٩
آية سورة النازعات	
٣٠	٤٣٧
آية سورة التكوير	
٢٦	٤٢٧
آيات سورة الانفطار	
١٠،٩	١٥٥
آية سورة المطففين	
١٤	٢٦٠
آيات سورة العلق	
٧،٦	٣٠٨
آية سورة النصر	
٣	٤٧٢
سورة الناس	٥٣٣

فهرس اللغة

(قرأ) قرآن ، قرأت الشيء : ٩٤ — ٩٨
(نبأ) أنبأ : ٤٥٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩
(نشأ) ناشئة : ١٣
(هزأ) مستهزئون : ٣٠٠
يستهزئ بهم : ٣٠١ ، ٣٠٣
* * *
(أوب) أوّبي : ١٣
أيّوب : ٥١٠
(توب) تاب ، التوبة : ٥٤٧
(جوب) استجاب : ٣٢٠
(خضب) خضيب : ١١٢
(ربب) ربّ ، مربوب : ١٤١— ١٤٣
(رهب) فارهبونِ : ٥٥٩
(ريب) ريْب : ٢٢٨ ، ٣٧٨
(صوب) صيّب ، صاب : ٣٣٣— ٣٣٦
(ضرب) ضرب مثلا : ٤٠٣
ضرب أخماس لأسداس : ٤٠٣
العربي : ١٠٠
(عرب) المغضوب عليهم : ١٨٨— ١٨٩.
(غضب)
(غيب) الغيب : ٢٣٦ ، ٢٣٧
(كتب) كتاب : ٩٧، ٩٩، ٢٢٧
(لزب) لازب : ٤٥٦ ، ٤٥٩
(لعب) لعب : ٣٠١ ، ٣٠٢
* * *
(موت) أمات ، ميت : ٤٢١، ٤٢٣
* * *
(زوج) زوج ، أزواج : ٣٩٥
زوجة ، زوج : ٥١٤
* * *
(سبح) يسبح : ٤٧٢ ، ٤٧٤
سبحان : ٤٧٤ ، ٤٩٥
سبوح : ٤٧٥
(صلح) الإصلاح : ٧٥
(فتح) فاتحة : ١٠٧
(فلح) المفلحون : ٢٤٩
الفلاح : ٢٥٠
* * *
(حدد) حدّ : ٧٢
(حمد) الحمد : ١٣٥ — ١٤١
(خلد) خالد : ٣٩٨ ، ٥٥٢
(رعد) رعد : ٣٣٨ — ٣٤٢
(رغد) رغد ، أرغد : ٥١٥
(شهد) شهيد ، شهداء : ٣٧٦ — ٣٧٧

(صيد) يصيدنا العيرَ : ١٧٠
(عبد) يعبد : ١٦٠ ، ٣٦٢
معبّد: ١٦١
العبد : ١٦١
(عهد) العهد : ٤١١ — ٤١٥ ، ٥٥٧
(فسد) يفسد، الفساد، الإفساد: ٧٥ ، ٢٨٩ ، ٤١٦
(مدد) يمدّهم : ٣٠٧ — ٣٠٩
أمد الجرح : ٣٠٧
(ندد) ندّ ، أنداد : ٣٦٨
(وقد) استوقد : ٣٢٠
وقود : ٣٨٠

* * *

(عوذ) أعوذ : ١١١

* * *

(أخر) الآخرة : ٢٤٥
اليوم الآخرة : ٢٧١
(بشر) بشر ، البشارة : ٣٨٣
(بصر) أبصار : ٣٥٩
(تجر) تجارة : ٣١٥ — ٣١٧
(حصر) حصر : ٢٢٩
(خبر) خبير : ٤٩٦
(خسر) خاسر ، خسار : ٤١٧
(دبر) دبر ، أدبار : ٣٦٠ ، ٣٦١
(دنر) دينار : ١٥
(ذكر) الذكْر : ٩٩
(سأر) سؤرة ، سؤر ، أسأر : ١٠٥ ، ١٠٦
(سمر) سمر ، جمع أسمر : ٣٠٢
(سور) سورة ، سور : ١٠٤
(شجر) الشجر : ٥١٦
(شعر) يشعرون : ٢٧٧
(صغر) الصغار ، صاغر : ٤٦٠
(طهر) مطهرة : ٣٩٥
(ظهر) ظهر ، ظاهر : ٧٢
(غفر) أستغفر الله ذنباً : ١٦٩
(غير) غير : ١٩٠
(قدر) قدير : ٣٦١
(قرر) مستقر : ٥٣٨ — ٥٣٩
(قسر) قسورة : ١٤
(كبر) استكبر : ٥١٠
(كفر) الكفر ، كافر : ٢٥٥ ، ٣٨٢ ، ٥٥٢
(مور) مَوْر : ١٦١

* * *

(أنس) إنسان ، الناس : ٢٦٨ (نوس) .
(بلس) إبليس : ٤٥٦ ، ٥٠٩ ، ٥١٠
أبلس ، مبلس : ٥٠٩ ، ٥١٠
(جلس) جليس ، مجالس : ٣٧٧
(قدس) يقدّس ، قدّوس : ٤٧٥ — ٤٧٦
(قرطس) قرطاس : ١٥
(لبس) لبس يلبس ، تلبيس: ٥٦٦
لبس ، لبس : ٥٦٦
(نوس) الناس : ٢٦٨ (أنس)

(فرش) فراش : ٣٦٥

* * *

(مرض) مرض : ٢٧٨ ، ٢٨١
يمرّض : ٢٧٩

(نقض) نقض : ٤١١ ، ٤١٢

* * *

(حوط) محيط : ٣٥٦

(صرط) صراط : ١٧٠ — ١٧١

(قسط) قسطاس : ٢٠

(هبط) هبط : ٥٣٤ ، ٥٤٨

* * *

(بدع) بديع : ٢٨٣

(خدع) يخادع : ٢٧٣

(رجع) يرجعون : ٣٣١ ، ٣٣٢

(ركع) ركع ، الركوع : ٥٧٤ ، ٥٧٥

(سمع) سمع : ٣٥٩

(طلع) مطّلع : ٧٢

(قطع) يقطعون : ٤١٥

(متع) متاع : ٥٣٩ ، ٥٤٠

(مصع) مصع ، مصاع : ٣٤٥ ، ٣٤٦

(وجع) وجيع : ٢٨٣

* * *

(خطف) يخطف ، خطفة ، خطاف : ٣٥٧

(خلف) خليفة ، خلافة : ٤٤٩

(خوف) الخوف : ١٦١

(طرف) طرف ، أطراف : ٣٦٠

* * *

(برق) البرق : ٣٤٢

(حقق) الحق : ٤٠٧

(خلق) خلق : ٤٢٧

(رزق) رزق : ٣٦٧

(سحق) إسحاق : ٥١٠

(صعق) الصواعق : ٣٣٩

(فرق) الفرقان : ٩٨

(فسق) فاسق ، الفسق : ٤٠٩ ، ٤١٠

(فوق) فوق : ٤٠٥ ، ٤٠٦

(نفق) النفاق ، المنافق : ٢٣٤ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣ ، ٣٢٤ — ٣٢٧ ، ٣٤٦ — ٣٦٣ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٤

(وثق) ميثاق : ٤١٤

* * *

(ألك) ملائكة ، ألوكة : ٤٤٤ — ٤٤٧

(ملك) مالك ، ملك : ١٤٨ ، ١٤٩

* * *

(إسرائيل) إسرائيل : ٥٥٣

(جعل) جاعل : ٤٤٧ — ٤٤٨ ، ٤٦٤

(ذلل) ذلة ، المذلل : ١٦١

(زلل) أزلّ : ٥٢٤ ، ٥٢٥

(زول) أزال : ٥٢٤ ، ٥٢٥

(سجل) سجّيل : ١٤ ، ٢٠

(صلل) صلصال : ٤٥٦ ، ٤٥٩

(ضلل) الضالون : ١٩٥

(طول) طول ، إطالة : ١١٦

(فصل) المفصّل : ١٠٤

(كفل) كفل : ١٣
(مثل) مثل : ٤٠٣
(وصل) يوصل : ٤١٥
(أدم) آدم ، أديم ، أدمة ، إدام : ٤٨٠ — ٤٨٢
(ألم) أليم : ٢٨٣
(أمم) أم : ١٠٧
أمة : ٢٢١
(بكم) أبكم ، بكم : ٣٣١
(حكم) حكيم : ٤٩٦
(ختم) الختم ، ختم : ٢٥٨ ، ٢٦٢
(درهم) درهم : ١٥
(رجم) الرجيم : ١١٢
(رحم) الرحمن : ١٢٦ — ١٣٤
الرحيم : ١٢٦ — ١٣٤ ، ٥٤٨
(سلم) السلام : ١٢٠
(صمم) صم : ٣٣١
(ظلم) ظلمة ، ظلمات : ٣٣٨
ظالم ، مظلومة ، ٥٢٣ ، ٥٢٤
(عقم) عقيم : ٢٧٢
(علم) العالمين : ١٤٣
عليم : ٤٣٨ ، ٤٩٦
(فقم) فقم : ٥٢٧
(قلم) قلم : ١٥
(قوم) المستقيم : ١٧٠ ، ١٧١
إقامة الصلاة : ٢٤١ ، ٥٧٣
(كتم) يكتم : ٤٩٨ — ٥٠٠
(لحم) لحم ، لحيم : ٢٢٩
(نجم) النجم : ٥١٦
(ندم) نديم ، منادم : ٣٧٧
(نعم) نعمة : ٥٥٥
(يوم) : اليوم : ٢٧٢

* * *

(أمن) آمن ، الإيمان : ٢٣٤ — ٢٣٥ ، ٢٧١ ، ٥٦٠
(بطن) بطن ، باطن : ٧٢
(بين) بين : ١٦٥
(ثمن) ثمن : ٥٦٥
(جنن) جنة ، جنات : ٣٨٤
الجن : ٤٥٥ ، ٤٥٨ ، ٥٠٢ — ٥٠٧
(حنن) الحنّ : ٤٥٥ ، ٥٠٢
(حين) حين : ٥٤٠
(دهن) دهين : ١١٢
(دون) دونك : ١٢٠
(دين) الدين : ١٥٥
دين : ٢٢١
(رين) الرين : ٢٥٩ ، ٢٦٠
(سنن) مسنون : ٤٥٦ ، ٤٥٩
(شطن) شيطان ، شطن ، شطون ، شاطن : ١١١ ، ١١٢ ، ٢٩٦
(عون) نستعين : ١٦١
(لعن) لعين : ١١٢

* * *

(أله) الله ، إله ، إلاهة : ١٢٢ — ١٢٦

(سفه) السفهاء : ٢٩٣
السفه : ٢٩٣ ، ٢٩٥
(شبه) متشابه : ٣٨٩
(عمه) يعمهون ، عمه : ٣٠٩–٣١٠

* * *

(أبى) أبى : ٥١٠
(أتى) إيتاء الزكاة : ٥٧٤
(أيا) آية : ١٠٦
(بدا) أبدى يبدى : ٥٠٠
(بنى) بناء : ٣٦٧
(ثنى) المثانى : ١٠٣ ، ١٠٩ ، ١١٠
(حيي) استحى : ٤٠٢
أحيي ، حى : ٤٢١ ، ٤٢٣
حواء : ٥١٣
(خلا) خلا إليه ، خلا به : ٢٩٨
(دعا) يدعو : ٣٧٧
(دنا) الدنيا : ٢٤٥
(دوى) دواة : ١٥
(رجا) الرجاء : ١٦١
(زكا) الزكاة : ٥٧٣ – ٥٧٤
زكاً : ٥٧٣
(سرى) استرى ، استراء : ٣١٣
(سفا) السفا : ٥٧٣
(سلا) سلّى : ٥٩ ، ٩٦
(سما) سماء ، سماوة : ٣٦٦ ، ٤٣١
سما له يسمو : ٣٦٦
(سوى) سواء : ٢٥٦
استوى على : ٤٢٨ – ٤٣٠
سوّى : ٤٣١
(شرى) اشترى ، اشتراءً : ٣١١–٣١٥ ، ٥٦٥
(صلا) الصلاة ، صلّى : ٢٤٢
(طغا) طغيان : ٣٠٨
(عدا) اعتدى : ٣٠٢
(عطا) إعطاء ، عطاء : ١١٦
(علا) عليك : ١٢٠
(عمى) عمى : ٣٣١
(غشا) غشاوة ، تغشاه : ٢٦٥
(لقى) تلقّى ، لقّى : ٥٤١ – ٥٤٢
(نوى) النوى : ١١٢
(هدى) هدى يهدى ، اهدنا : ١٦٦ – ١٧٠ ، ٢٣٠ ، ٢٤٩ .
الهُدَى : ٥٤٩ – ٥٥١
(وفى) أوفى : ٥٥٨
(وقى) المتقون ، اتقى : ٢٣٢ ، ٣٦٤ ، ٥٦٦

أعلام المترجمين فى التعليق

[الأرقام فى هذا الفهرست هى أرقام الآثار ، لا الصفحات]

آدم العسقلانى (آدم بن أبى إياس)
آدم بن أبى إياس (آدم العسقلانى) ١٨٦ ، ١٨٧
إبراهيم الهجرى (إبراهيم بن مسلم)
إبراهيم بن العلاء (زبريق) ١٤٠
إبراهيم بن مسلم الهجرى (إبراهيم الهجرى) : ١١
إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعى : ٧٨
أبو أحمد الزبيرى (محمد بن عبد الله ابن الزبير الأسدى)
أحمد بن إسحق : ١٧٧
أحمد بن عبد الجبار العطاردى : ٦٦
أحمد بن عبد الرحيم البرقى (أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم) (ابن البرقى) : ١٦٠
أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم (ابن البرقى) : ٢٢ .
أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم البرقى (أحمد بن عبد الرحيم)
أحمد بن عثمان بن حكيم الأودى : ٣٣٨
أبو الأحوص الجشمى (عوف بن مالك بن نضلة)
ابن إدريس (عبد الله بن إدريس الأودى)
أبو الأزهر (نصر بن عمرو اللخمى)
أبو أسامة (حماد بن أسامة)
أسباط بن نصر الهمدانى : ١٦٨
إسحق الأنصارى (إسحق بن عبد الله ابن أبى طلحة)
أبو إسحق السبيعى (عمرو بن عبد الله)
أبو إسحق الفزارى (الفزارى) : ١٢٩
إسحق بن الحجاج الطاحونى : ٢٣٠
إسحق بن عبد الله بن أبى طلحة (إسحق الأنصارى) : ١٦
أسد السنة (أسد بن موسى المروانى)
أسد بن موسى المروانى (أسد السنة) : ٢٣
إسماعيل الأزرق (إسماعيل بن سلمان)
إسماعيل بن إبراهيم : ١٣١
إسماعيل بن رجاء بن ربيعة : ٧٩٨
إسماعيل بن سالم الأسدى : ٤٢٢
إسماعيل بن سلمان (إسماعيل الأزرق) : ١٨١
إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبى كريمة (السدى — الكبير) : ١٦٨
إسماعيل بن عبد الله بن عبد الله بن أويس المدنى (ابن أبى أويس) : ٤٥
إسماعيل بن يحيى بن عبد الله التيمى : ١٤٠

الأسود بن سريع : ١٥٤
الأشج (عمر بن عبد العزيز)
أشعث بن إسحق بن سعد القمى : ٨٧
أشعث بن سعيد البصرى (أبو الربيع السمان) : ٢٤
الأشعرى (أبو موسى)
ابن الأعرابى (عوف بن أبى جميلة العبدى)
الأودى (أحمد بن عثمان بن حكيم)
ابن أبى أويس (إسماعيل بن عبد الله بن عبد الله بن أويس)

* * *

باذان (أبو صالح)
البحرانى (محمد بن معمر بن ربعى)
أبو البخترى (سعيد بن فيروز الطائى الكوفى)
بديل العقيلى (بديل بن ميسرة)
بديل بن ميسرة العقيلى : ١٩٨
أبو بردة بن أبى موسى الأشعرى : ١٢٩
ابن البرقى (أحمد بن عبد الرحيم البرقى)
ابن البرقى (أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم)
أبو بزة (يسار)
بسر بن سعيد مولى الحضرمى : ٤١
بشر بن إسماعيل : ٤٣٧
بشر بن عمارة الخثعمى : ١٣٧ ، ٦٢٦
بشر بن معاذ العقدى : ٣٥٢
بقية بن الوليد : ١٥٢
أبو بكر المزلى (سلمى) : ٥٩٧
أبو بكر بن عون : ٧٩٧
بندار (محمد بن بشار)

* * *

أبو تميلة (يحيى بن واضح الأنصارى)

* * *

أبو ثابت (حرب بن ثابت)
ثابت بن هرمز (أبو المقدام) : ٦٤١ ، ٦٨٠

* * *

جابر الجعفى : ٧٦٤
جرير بن حازم : ٥٩٧
الجريرى (سعيد بن إياس البصرى)
أبو جعفر الرازى التميمى : ١٦٤
جعفر الزبيرى (جعفر بن محمد بن خالد)
جعفر بن عبد الله بن زيد بن أسلم : ٩٠ ، ٩١
جعفر بن محمد بن خالد بن الزبير الزبيرى ٩٠ ، ٩١
جعفر بن أبى المغيرة الخزاعى : ٨٧ ، ٦١٧
أبو الجلد الجونى (جيلان بن أبى فروة)
أبو جهضم (موسى بن سالم)
أبو الجهم (أبو جهيم الأنصارى)
أبو جهيم الأنصارى (عبد الله بن الحارث بن الصمة)
جويبر بن سعيد الأزدى : ٢٨٤
جيلان بن أبى فروة (أبو الجلد) : ٤٣٤ ، ٧٢٣

* * *

الحارث الأعور (الحارث بن عبد الله الأعور)

ابن أخي الحارث الأعور : ١٧٤
الحارث بن عبد الله الأعور الهمداني : ١٧٤
الحجاج الأنماطي (الحجاج بن المنهال)
حجاج بن رشدين بن سعد المصري : ٧٦٣
حجاج بن محمد المصيصي : ١٤٤
الحجاج بن المنهال (الحجاج الأنماطي ٥٩٧ ، ٦٨٢
أبو حذيفة النهدي (موسى بن مسعود)
حرب بن ثابت المنقري : (أبو ثابت) (حرب بن أبي حرب) : ١٦
حرب بن أبي حرب : (حرب بن ثابت)
حزم بن أبي حزم) ٨٠
الحسن البصري : ١٥٤
الحسن بن دينار : ٦٨٢
الحسن بن صالح بن صالح بن حيّ : ١٧٨
الحسن بن عطية بن سعد العوفي : ٣٠٥
الحسن بن الفرات : ٤٣٨
الحسن بن الفرج : ٦٩١
الحسن بن محمد بن الصباح : ٦١١
الحسن بن يحيى : ٣١٣
حسين الجعفي (حسين بن علي بن الوليد)
الحسين بن الحسن بن عطية العوفي : ٣٠٥
الحسين بن داود (سنيد) : ١٤٤
حسين بن علي بن الوليد الجعفي (حسين الجعفي) : ٢٩ ، ١٧٤
أبو حصين (عثمان بن عاصم بن حصين الأسدي)
حصين بن عبد الرحمن السلمي : ٥٧٩
حفص بن عبد الله : ٩٠ ، ٩١
الحكم بن ظهير الفزاري : ٢٤٩
الحكم بن عتبة : ٣٢
الحكم بن عمرو الثمالي (الحكم بن عمير) : ١٥٢
الحكم بن عمير الثمالي (الحكم بن عمرو الثمالي) : ١٥٢
الحكم بن نافع (أبو اليمان) : ٨٧
حماد بن أسامة (أبو أسامة) : ٢٩ ، ٥١ ، ٢٢٣
حمزة الزيات (حمزة بن حبيب)
حمزة بن حبيب (حمزة الزيات) : ١٧٤
حمزة بن المغيرة بن نشيط : ١٨٤
أبو حميد : ١٢٩
حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي : ١٧٨
حميد بن نبهان : ٧٨٦
حميدة بن مسعدة السامي : ١٩٦
ابن الحنفية (محمد بن علي بن أبي طالب)

***

خالد بن دينار السعدي (أبو خلدة) : ٤٤
خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان : ٧٨٦

الخراز (على بن الحسن بن عبد ربه)
أبو الخطاب البصرى : ٤٢٣
خلاد بن عبد الرحمن الصنعانى : ٦٨٦
أبو خلدة (خالد بن دينار السعدى)
خلف بن ياسين بن معاذ الزيات : ٢٥٢

* * *

أبو داود الطيالسى : ٤٩
ابن داية (عيسى بن ميمون المكى)
الدورقى (يعقوب بن إبراهيم بن كثير)
دينار بن عمر الأسدى الأعمى (أبو عمر البزار) : ١٨١

* * *

ذكوان (أبو صالح السمان) : ٣٠٤

* * *

أبو الربيع السمان (أشعث بن سعيد البصرى)
ربيع بن أنس البكرى : ١٨٩
الربيع بن سليمان المرادى : ٢٣
ربيعة بن الأبيض : ٤٣٩
أبو رجاء (محمد بن سيف الأزدى)
رشدين بن سعد : ١٩
رفيع بن مهران (أبو العالية) : ٤٤، ١٨٤
روّاد بن الجراح العسقلانى : ١٢٦
أبو روق (عطية بن الحارث الهمدانى)

* * *

زائدة بن قدامة : ٢٩
زبريق (إبراهيم بن العلاء)
ابن الزبريق (إبراهيم بن العلاء)
زبيد بن الحارث اليامى : ١٨٠
زرّ بن حبيش : ٢٩ ، ٢٧٤
زكريا بن أبى زائدة : ١١٢
زنبور (محمد بن يعلى السلمى)
الزيات الأحول (عثمان بن سعيد)
زياد البكائى : ٢٤٦
زيد القصار : ١٤
ابن زيد (عبدالرحمن بن زيد بن أسلم)

* * *

أبو السائب (سلم بن جنادة السوائى)
أبو السائب مولى زهرة : ٢٢١
سابط : ٥٩٩
ابن سابط (عبد الرحمن بن سابط)
السدى الكبير (إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبى كريمة)
السرى بن يحيى بن السرى التميمى) ١٤٦
سعد (أبو المختار الطائى) : ١٧٤
سعد بن إسحق بن كعب بن عجرة : ٢٢٤
سعد بن عبد الله بن عبد الحكم : ٤٣٦
سعد بن محمد بن الحسن العوفى : ٣٠٥
سعدويه الضبى الواسطى (سعيد بن سليمان)
سعيد بن أشوع (سعيد بن عمرو بن أشوع)
سعيد بن إياس البصرى (الجريرى) : ١٩٦
سعيد بن بشير : ١٢٦
سعيد بن جبير : ٦١٧

سعيد بن الحكم بن محمد بن سالم المصرى (ابن أبى مريم) : ٢٢
سعيد بن سليمان (سعدويه الضبى الواسطى) : ٦١١
سعيد بن سنان الشيبانى (أبو سنان) : ١٧٥
سعيد بن أبى عروبة (ابن أبى عروبة) ١٦٣
سعيد بن عمرو بن أشوع الكوفى (سعيد بن أشوع) : ٤٣٩
سعيد بن فيروز الطائى (أبو البخترى) ١٧٥
سعيد بن أبى مريم (ابن أبى مريم) : ١٦٠
سعيد بن معبد : ٦٥١
سعيد بن يزيد بن مسلمة الأزدى (أبو مسلمة) : ٧٩٧
ابن سفيان الأسلمى : ٦٦
سفيان الثورى : ١١ ، ١٦١
سفيان بن وكيع بن الجراح : ١٤٢ ، ١٤٣ ، ٢٧٩
سقير العبدى (صقير) (فلان العبدى) : ٢٥
سلام بن سالم الخزاعى : ٢٥٢
سلام بن مسكين الأزدى : ٦٩٢
سلم بن جنادة السوائى (أبو السائب) : ٤٨
سلمان الفارسى : ٣٣٧
أبو سلمة العبدى (عمر بن الوليد الشنى)
أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف : ٨ ، ٦٧
سلمة بن الفضل : ٢٤٦
سلمة بن كهيل الحضرمى : ٤٣٩
سلمى (أبو بكر الهذلى)
السلولى (عبد الله بن حمزة)
أبو سنان (سعيد بن سنان الشيبانى)
سنيد (الحسين بن داود)
سهل بن شعيب : ٦٦
سهل بن موسى ؟؟ : ١٨٠
سهيل بن أبى حزم (سهيل أخو حزم) ٨٠
سهيل أخو حزم (سهيل بن أبى حزم)
سيار أبو الحكم العنزى الواسطى : ٣٩
ابن سيرين (محمد بن سيرين)

* * *

شبابة بن سوار الفزارى : ٣٧
شبل بن عباد المقرئ : ٢٨٠
شبيب بن بشر : ٤٨٥
شريك بن عبد الله النخعى : ٢٣٨
شعيب الجبائى (شعيب بن الأسود) : ٤٤٨
شعيب بن الأسود (شعيب الجبائى) : ٤٤٨
شقيق بن سلمة الأسدى (أبو وائل) : ١٧٧
شيبان بن فروخ : ٦٩٢

* * *

أبو صالح (عبد الله بن صالح المصرى)
أبو صالح باذان : ١١٢ ، ١٦٨
أبو صالح السمان (ذكوان) : ٤٢٢
صالح بن مسمار السلمى المروزى : ٢٢٤

صالح بن مسلم البكرى : ١٠٣ ، ١١٤
أبو صديف الآملى (عبد الله بن كثير)
صعصعة بن صوحان : ٦٤
صقير العبدى (سقير)

* * *

الضحاك بن مخلد (أبو عاصم النبيل) ١٥٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨٤ ، ٤٨٥
الضحاك بن مزاحم الهلالى : ١٣٧

* * *

عاصم (ابن أبى النجود) : ٢٧٤
أبو عاصم النبيل (الضحاك بن مخلد)
عاصم بن بهدلة (ابن أبى النجود)
(عاصم بن أبى النجود) : ٢٩ ، ٨٨ ، ١٢٨
عاصم بن سليمان الأحول : ١٨٤
عاصم بن كليب الجرمى : ٦٥٤
عاصم بن أبى النجود (عاصم بن بهدلة)
أبو العالية (رفيع بن مهران)
عامر بن عبد الله بن مسعود (أبو عبيدة) : ٤٣
عباد بن حبيش : ١٩٤
عباد بن عبد الله الأسدى : ٣٣٧
عباس بن زياد الباهلى : ٢٤١
عبد الأعلى بن عامر الثعلبى : ٧٣
عبد الجبار العطاردى : ٦٦
عبد الحميد بن بيان القناد : ٣٠
عبد الحميد بن عبد الرحمن (أبو يحيى الحمانى) : ٧١٨
أبو عبد الرحمن السلمى (عبد الله ابن حبيب)
عبد الرحمن بن جبير بن نفير : ١٨٦ ، ١٨٧
عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ابن زيد) : ١٨٥ ، ٦١٤
عبد الرحمن بن سابط الجمحى (عبدالرحمن بن عبد الله بن سابط) ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٩٩
عبد الرحمن بن عابس : ٥٠
عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط (عبد الرحمن بن سابط)
عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الله ابن أويس : ٤٥
عبد الرحمن بن أبى ليلى : ٣٢
عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود : ٤٣
عبد الرحمن بن غزوان الخزاعى (قراد) : ٥٥٥
عبد الرحمن بن محمد بن زياد (المحاربى) ٢٢١
عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان : ٧٨٦
عبد الرزاق بن عمر البزيعى : ٥٣٨ — ٥٥٣
عبد الصمد بن عبد الوارث بن سعيد البصرى : ٣٤
عبد الله بن إدريس الأودى (ابن إدريس) : ٨٨ ، ٤٣٨
عبد الله بن الحارث الأنصارى (أبو الوليد) : ٧٩٩

عبد الله بن الحارث بن الصمة (أبو جهيم الأنصارى) : ٤١
عبد الله بن حبيب (أبو عبدالرحمن السلمى) : ٨٢
عبد الله بن سابط : ٥٩٩
عبد الله بن سخبرة الأزدى (أبو معمر) ٧٨
عبد الله بن شقيق العقيلى : ١٩٦
عبد الله بن صالح المصرى(أبو صالح) ١١٧ ، ١٨٦ ، ١٨٧
عبد الله بن ضمرة السلولى (السلولى) : ١٥٣
عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن ابن أبى ليلى : ٣١ ، ٣٢ ، ٦٩
عبد الله بن كثير الدارى : ٣٠٣
عبد الله بن كثير (أبو صديف الآملى) : ١٨٤
عبد الله بن كثير بن المطلب السهمى : ٣٠٣
عبد الله بن لهيعة (ابن لهيعة) : ١٦٠
عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبى طالب : ١٧٨
عبد الله بن ميمون بن داود القداح : ١٧
عبد الله بن نمير : ٣٣
عبد الملك الزراد (عبد الملك بن ميسرة)
عبد الملك بن حبيب الأزدى (أبو عمران الجوينى) : ٨٠
عبد الملك بن حسين (أبو مالك النخعى الواسطى) : ٤٢٥
عبد الملك بن أبى سليمان (العزرمى) : ١٤٦
عبد الملك بن معن بن عبد الرحمن (أبو عبيدة) : ٨٤
عبد الملك بن ميسرة الهلالى الزراد : ٥٠٣ ، ٥٠٤
عبد الوهاب بن مجاهد بن جبر : ٦٣٦
عبدة ؟ ؟ : ٢٤٥
عبدة بن سليمان الكلابى : ٣٢٢
أبو عبيدة الوصابى (محمد بن حفص)
عبيد بن السبق : ٥٩ ، ٦٠
عبيد بن سلمان الباهلى : ٣٩٢
عبيد الله بن حفص بن عاصم بن عمر : ١٧ ، ٣٨
عبيد الله بن محمد بن هارون الفريابى : ١٧
عبيد الله بن أبى يزيد المكى : ٢٠
أبو عبيدة (عبد الملك بن معن)
أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود (عامر بن عبد الله . . .)
عبيدة بن عمرو (قيس) السلمانى : ٢٤٥
عبيدة بن قيس (عمرو) السلمانى : ٢٤٥
عثام بن على العامرى : ٣٣٧
عثمان بن الأسود بن موسى المكى : ٤٤٦
عثمان بن زفر : ١٤٦
عثمان بن سعيد (الزيات الأحول) : ١٣٧

عثمان بن عاصم بن حصين الأسدى (أبو حصين) : ٦٤٢ ، ٦٤٣
ابن عثمة (محمد بن خالد)
ابن عجلان (محمد بن عجلان)
ابن أبى عروبة (سعيد)
عروة بن عبد الله بن قشير (.. قيس) : ٢١١
عروة بن عبد الله بن قيس (... بن قشير) : ٢١١
العزرمى (محمد بن عبيد الله بن أبى سليمان)
(عبد الملك بن أبى سليمان)
عطاء الخراسانى (عطاء بن أبى مسلم)
عطاء بن دينار المصرى : ١٦٠
عطاء بن السائب : ١٥٨
عطاء بن أبى مسلم (عطاء الخراسانى) : ١٤٩
عطية العوفى (عطية بن سعد)
عطية بن الحارث الهمدانى (أبو روق) : ١٣٧
عطية بن سعد بن جنادة العوفى (عطية العوفى) : ١٤٠ ، ٣٠٥ ، ٧٢١
عقبة بن سنان بن عقبة بن سنان البصرى : ٧٩٧
عقيل بن خالد : ١٩
العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب مولى الحرقة : ٢٢١
أبو على الختلى (مجاهد بن موسى ابن فروخ)
على بن بذيمة : ٦٢٩
على بن الحسن بن عبدويه أبو الحسن الخرّاز : ١٥٤
على بن زيد بن جدعان : ٤٠
على بن صالح بن صالح بن حى : ١٧٨
على بن أبى على اللهبى الهاشمى : ١٨
عمارة بن غزية : ٥٩ ، ٦٠
أبو عمر البزّار (دينار بن عمر الأسدى)
أبو عمر الخزاز (النضر بن عبدالرحمن)
عمر بن عبد الرحمن بن مهرب (عمرو بن عبد الرحمن بن مهران) ؟؟ : ٧٤٢
عمر بن عبد العزيز (الأشج) : ٥٤
عمر بن الوليد الشنى (أبو سلمة العبدى) : ٤٣٥
أبو عمران الجوينى (عبد الملك بن حبيب الأزدى)
عمران بن داور (أبو العوام) : ١٢٦
عمران بن ميسرة المنقرى : ٤٣٨
عمرو بن ثابت (ابن أبى المقدام الحداد) : ٦٤١ ، ٦٨٠
عمرو بن حماد بن طلحة القناد (عمرو ابن طلحة) : ١٦٨
عمرو بن دينار : ٤٢
عمرو بن طلحة القناد (عمرو بن حماد بن طلحة)
عمرو بن عبد الرحمن بن مهران ؟ ؟ (عمر بن عبد الرحمن بن مهرب) ٧٤٢
عمرو بن عبد الله (أبو إسحق السبيعى) : ٤٩

عمرو بن مرة المرادى الجملى : ١٧٥
عمرو بن ميمون الأودى : ٥٠٣ ، ٥٠٤
عمير مولى ابن عباس (عمير بن عبد الله الهلالى)
عمير بن عبد الله الهلالى (عمير مولى ابن عباس) : ٧٩٨
عنبسة بن سعيد بن الضريس : ٢٢٤
عنترة بن عبد الرحمن (أبو وكيع) : ٤٠٥
أبو العوام (عمران بن داور)
عوف بن أبى جميلة العبدى الأعرابى (ابن الأعرابى) : ١٥٠ ، ٥٣٧
عوف بن مالك بن نضلة (أبو الأحوص الجشمى) : ١٠
عيسى بن إبراهيم القرشى : ١٥٢
أبو عيسى بن عبد الله بن مسعود : ٤٣
عيسى بن عثمان بن عيسى الرملى : ٣٠٠
عيسى بن قرطاس : ١٤
عيسى بن ميمون المكى : ٢٧٨

* * *

غزوان (أبو مالك الغفارى) : ١٦٨ ، ٥٧٩
غسان بن مُضر الأزدى : ٧٩٧

* * *

الفرات بن السائب الجزرى : ١٨٠
فرات بن أبى عبد الرحمن القزاز : ٤٣٨
الفزارى (أبو إسحق الفزارى)
فلان العبدى (سقير العبدى) (صقير)

* * *

القاسم بن أبى بزة (القاسم بن نافع بن أبى بزة)
القاسم بن نافع بن أبى بزة (القاسم ابن أبى بزة) : ٦٣١
قبيصة بن عقبة بن محمد السوائى : ٤٨٩
قراد (عبد الرحمن بن غزوان)
قسامة بن زهير المازنى : ٥٣٧
القعقاع بن حكيم الكنانى : ٣٠٤
قيس بن الربيع : ١٥٩

* * *

أبو كثير : ٤٣٧
أبو كريب (محمد بن العلاء)
كعب الأحباز : ١٥٣
الكلبى (محمد بن السائب)

* * *

ابن لهيعة (عبد الله بن لهيعة)
الليث بن سعد : ١٨٦ ، ١٨٧
ليث بن أبى سليم : ١٢٩
ابن أبى ليلى (محمد بن عبد الرحمن ابن أبى لعلى)

* * *

أبو مالك الغفارى (غزوان)
أبو مالك النخعى الواسطى (عبدالملك ابن حسين)
مبارك بن فضالة : ١٥٤ ، ٥٩٧ ، ٦١١

المثنى بن إبراهيم الآملى : ١٨٦ ، ١٨٧
مجاهد : ١٦١
مجاهد بن جبر : ٦٣٦
مجاهد بن موسى بن فروخ الخوارزمى (أبو على الختلى) : ٥١٠
المحاربى (عبد الرحمن بن محمد بن زياد)
محمد (ابن سيرين)
محمد بن إسحق بن يسار : ٢٢١
محمد بن إسماعيل الأحمسى : ٤٠٥ ، ٧١٨
محمد بن بشار (بندار) : ٣٠٤
محمد بن حجادة : ٣٤
محمد بن جعفر : ١٣١
محمد بن حفص (أبو عبيد الوصابى) : ١٢٩
محمد بن حميد الرازى : ١٧٧
محمد بن خازم الضرير (أبو معاوية)
محمد بن خالد ابن عثمة : ٩٠ ، ٩١
محمد بن ربيعة الكلابى الرؤاسى : ١٨١
محمد بن السائب (الكلبى) : ٧٢ ، ٢٤٦ ، ٢٨٤
محمد بن سعد بن محمد . . . العوفى : ٣٠٥
محمد بن سعد بن منيع كاتب الواقدى : ٣٠٥
محمد بن سلمة الباهلى الحرانى : ١٧٥
محمد بن سنان القزاز : ١٥٧
محمد بن سيرين (ابن سيرين)
(محمد) : ٥٥ ، ٢٤٥
محمد بن سيف الأزدى الحدانى (أبو رجاء) : ١٣٥
محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى (ابن أبى ليلى) : ٣٢ ، ٣٣ ، ٦٣١
محمد بن عبد الرحيم البرقى (محمد ابن عبد الله بن عبد الرحيم)
محمد بن عبد الله بن الزبير الأسدى (أبو أحمد الزبيرى) : ١٥٩
محمد عبد الله بن عبد الرحيم البرقى (محمد بن عبد الرحيم)
محمد بن عبيد الطنافسى : ٤٠٥
محمد بن عبيد الله بن أبى سليمان (العزرمى) : ١٤٦
محمد بن أبى عبيدة : ٨٤
محمد بن عجلان (ابن عجلان) : ٣٠٤
محمد بن العلاء (أبو كريب) : ١٥١
محمد بن على بن أبى طالب (ابن الحنفية) : ١٨١
محمد بن عمرو بن علقمة : ٨
أبو محمد بن أبى ليلى الكوفى : ٢٤٩
محمد بن أبى محمد الأنصارى : ٢٤٦
محمد بن محمد بن مرزوق الباهلى (محمد بن مرزوق) : ٢٨
محمد بن مرزوق (محمد بن محمد ابن مرزوق)
محمد بن مسلم بن سوسن الطائفى : ٤٤٧

محمد بن مصعب القرقسانى : ١٥٤ ، ١٥٨
محمد بن معمر بن ربعى (البحرانى) : ٢٤١
محمد بن ميمون الزعفرانى : ٢٦
محمد بن يعلى السلمى (زنبور) : ٤٢٣
محمود بن خداش الطالقانى : ١٧٨
أبو المختار الطائى (سعد) : ١٧٤
مرة بن شراحيل الهمدانى : ١٦٨
مرىّ بن قطرى الكوفى : ١٩٥
ابن أبى مريم (سعيد بن أبى مريم)
ابن أبى مريم (سعيد بن الحكم بن محمد بن سالم المصرى)
مسعر بن كدام : ٥٠٣ ، ٥٠٤
مسلم بن سعيد مولى الحضرمى : ٤١
مسلم بن عبد الرحمن الجرمى (مسلم بن أبى مسلم) : ١٥٤
مسلم بن أبى مسلم (مسلم بن عبدالرحمن)
أبو مسلمة (سعيد بن يزيد بن مسلمة)
المسيب بن رافع الأسدى : ١٢٨
مصعب ؟؟ (محمد بن مصعب القرقسانى)
أبو معاذ الفضل بن خالد النحوى المروزى : ٦٩١
أبو معاوية (محمد بن خازم الضرير)
معاوية صالح الحمصى : ١٨٦ ، ١٨٧
معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان : ٧٨٦
أبو معمر (عبد الله بن سخبرة الأزدى)
مغيرة بن مقسم الضبى : ١٠ ، ٥٤
أبو المقدام (ثابت بن هرمز)
ابن أبى المقدام الحداد (عمرو بن ثابت)
المنجاب بن الحارث بن عبد الرحمن التميمى : ٣٢٢ — ٣٢٨
منصور بن المعتمر الكوفى : ١٧٧
المنهال بن عمرو الأسدى : ٣٣٧ ، ٣٩٩
مهدى بن ميمون : ٦٨٢
مهران : ١٧٧
مهران بن أبى عمر العطار الرازى : ١١ ، ١٦١
أبو موسى الأشعرى : ٥٣٧
موسى بن أبى حبيب : ١٥٢
موسى بن سالم (أبو جهضم) : ٤٣٤
موسى بن سهل بن قادم أبو عمر الرملى : ١٨٠
موسى بن عبد الرحمن المسروقى : ١٧٤
موسى بن مسعود (أبو حذيفة النهدى) : ٢٨٠
موسى بن هرون الهمدانى : ١٦٨ ، ٤٥٢ ، ٥٩١

* * *

الناقص (يزيد الناقص)
النبيل (أبو عاصم النبيل) (الضحاك ابن مخلد)
ابن أبى النجود (عاصم بن بهدلة)
نصر بن عبد الرحمن بن بكار التاجى الأزدى : ٤٢٣
نصر بن عمرو اللخمى (أبو الأزهر) : ١٤٩

النضر بن عبد الرحمن (أبو عمر الخزاز) : ٧١٨
أبو النضر (هاشم بن القاسم)
النواس بن سمعان الكلابي : ١٨٦ ، ١٨٧

* * *

هارون بن عنترة بن عبد الرحمن : ٤٠٥
هاشم بن القاسم (أبو النضر) : ١٨٤
هرمز : ٦٤١
هشام بن عبد الملك (أبو الوليد الطيالسى) : ٢٨
هشيم بن بشير : ٣٣٥

* * *

أبو وائل (شقيق بن سلمة الأسدى)
واصل بن حيان : ١٠
أبو وكيع (عنترة بن عبد الرحمن) : ٤٠٥
وكيع بن الجراح : ١٤٢ ، ١٤٣
أبو الوليد (عبد الله بن الحارث الأنصارى)
أبو الوليد الطيالسى (هشام بن عبد الملك)
الوليد بن كثير المخزومى : ٢٢٣
وهب بن سليمان الجندى : ٤٤٨

* * *

أبو يحيى الحمانى (عبد الحميد بن عبد الرحمن)
يحيى بن إبراهيم بن محمد بن أبى عبيدة : ٨٤
يحيى بن سعيد : ١٣١
يحيى بن أبى طالب جعفر بن الزبرقان : ٢٨٤
يحيى بن طلحة اليربوعى : ٤٢١
يحيى بن عوف : ١٨٠
يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن التميمى النهشلى : ٣٠٠
يحيى بن واضح الأنصارى (أبو تميلة) : ٣٩٢ ، ٤٦١
يحيى بن يمان العجلى (ابن يمان) : ٨٧ ، ٦٣٠
يزيد الناقص (يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان)
أبو يزيد المكى : ٢٠
يزيد بن معاوية بن أبى سفيان : ٢٤٥
يزيد بن هرون : ٢٨٤ ، ٥١٠
يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان (يزيد الناقص) : ٥٤
يسار (أبو بزة) : ٦٣١
يعقوب بن إبراهيم بن كثير (الدورقى) : ٢٣٧ ، ٣٣٥
يعقوب بن عبد الله الأشعرى القمى : ٦١٧
ابن يمان (يحيى بن يمان العجلى)
أبو اليمان (الحكم بن نافع)
يونس بن يزيد الأيلى : ١٩

مصطلحات

الائتناف (بمعنى الاستئناف) : ٢٤٨ ، ٣٢٩

أهل الإثبات : ١٨٩

أهل القدر (القدرية) : ١٦٢ ، ١٦٨ ، ١٩٥ ، ١٩٦

الباطن : ٧٢

التدافع : ٣٠٨

ترجم ، ترجمة ، ترجمان ، مترجم : ٧٠ ، ٩٣ ، ١٧١ ، ٢٠٥ ، ٢٢٦

التصدير (الإخراج على صيغة المصدر والمفعول المطلق) : ١١٧، ١٣٨

التطول (بمعنى الزيادة والحذف) : ١١٨ ، ٢٢٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٤٠ ، ٤٤١

التعريب (الإعراب) : ٤٠٤

التفسير للفعل (المفعول لأجله) : ٣٥٤ .

التفويض : ١٦٢

التمانع : ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٣٨

جماع (جمع) : ١٠٥ ، ٣٦١

حروف المعانى
حروف الصفات } ٢٩٩
حروف الجر

حشو (صلة ، زيادة) : ٤٥٨ ، ٥٤٩

الدعاء (النداء) : ١٥٢

الصرف : ٥٦٩

الصلة (التطول ، الإلغاء) : ١٩٠ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٥٤٨

ضمير (بمعنى مضمر) : ٤٢٧ ، ٥٢٢

الظاهر ، ظاهر التلاوة : ٧٢

القطع (الحال) : ٢٣٠ — ٢٣٢ ، ٣٣٠ ، ٥٦١

معرفة موقتة : ١٨١

معرفة غير موقتة : ١٨١

الواجب (المثبت) : ٥٤٩

الرد على الفرق

- دليلٌ على فساد قول القائلين بالتفويض من أهل القدر : ١٦٢
- دليل على فساد قول أهل القدر : إن كل مأمور بأمر فقد أعطى المعونة عليه : ١٦٨
- مخالفة غضب الله غضب الآدميين ١٨٩
- الردّ على أهل القدر فى زعمهم أنوصف الله للنصارى بقوله : « الضالين »، بإضافة الضلال إليهم، دون إضافته إلى نفسه ــ دليلٌ على صحة مذهبهم : ١٩٥
- مسألة فى الرد على أهل الإلحاد ، والطاعنين فى القرآن : ١٩٨
- الردّ على أهل القدر فى تأويلهم : « ختم الله على قلوبهم » ، أنه بمعنى تكبّرهم وإعراضهم عن الاستماع لما دعوا إليه من الحق : ٢٦١ .
- الردّ على الجهمية فى قولهم إن الإيمان هو التصديق بالقول ، دون سائر المعانى غيره : ٢٧٢
- الدليل على فساد قول من زعم أن الله لا يعذّب من عباده إلا من كفر به عناداً ، بعد علمه بوحدانيته : ٢٧٤ ، ٢٩٠ ، ٢٩٥ .
- الردّ على الذين يتأولون ألفاظ القرآن على معانى مذاهبهم كما فى قوله تعالى : « الله يستهزئ بهم »، وينفون عن الله ما وصف به نفسه من مثل قوله تعالى : « يخادعون الله وهو خادعهم» ، وقوله «ومكروا ومكر الله»: ٣٠١ ــ ٣٠٦
- الردّ على نفاة صفات الله عز وجلّ : ٣٠٥ .
- الدليل على فساد زعم من زعم أن تكليف ما لا يطاق إلا بمعونة الله عز وجل ، غير جائز ، إلاّ بعد إعطاء الله المكلف المعونة على ما كلّفه : ٣٦٣
- الردّ على منكرى الاستواء : ٤٣٠

مباحث العربية والنحو وغيرها

- « فُعلان » مصدر ، مثل خسران وكفران وقرآن وفرقان : ٩٥
- « فعيل » بمعنى مفعول ومفعولة . لحية دهين ، مدهونة ، ورجل لعين : ملعون ١١٢
- « فُعلة ، وفُعَل » فى الجمع ، مثل غرفة وغرف ، وسورة وسور : ١٠٤ ، ١٠٥ .
- الجمع الذى يفرق بينه وبين واحده بالهاء ، مثل بُرّ وبُرة ، وشعير وشعيرة . جعلت الواحدة منه مثل القطعة من جميعه ، فسبق الجمع الواحد ، لأن حكم الواحد منه قلما يصاب ، فجرى جمعه مجرى الواحد من الأشياء غيره : ١٠٤ ، ١٠٥ ، ٤٣١ ، ٤٣٢
- العربُ تخرج المصادر على غير بناء أفعالها ، كقولهم : أكرمتُ فلاناً كرامة ، وأهنته هواناً ، وكلمته كلاماً : ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ .
- العرب تضع اسم المصدر مكان المصدر فى المفعول المطلق ، كقوله : « وبعد عطائك المئة الرتاعا » ، أى إعطائك : ١١٦ ، ١١٧
- العرب تبنى الاسم من « فعل » مكسور العين « يفعَل » مفتوح العين — على « فعيل » ، إذا كان فيه مدح أو ذم . ومن شأنهم أن يحملوا أبنية الأسماء على « فعيل » إذا كان فيها مدح أو ذم : ١٢٦
- العرب تبنى الأسماء من « فعل » بكسر العين « يفعَل » بفتحها على « فَعْلان » مثل : سكران وعطشان : ١٢٦ .
- القول فى صيغة : « المفاعلة » و « التفاعل » بين اثنين ، وما شذ منهما للواحد ، كقولهم : « قاتلك الله » بمعنى قتلك الله : ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

• « فعيل » بمعنى « مُفْعِل » مثل « أليم » بمعنى مؤلم ، و « وجيع » بمعنى موجع : ٢٨٣

• وزن « فيعل » فى كلامهم : كصيب، وسيد، وجيّد: ٣٣٣، ٣٣٤ .

• زيادة الألف فى « أفعل » من « فعل » ، كقولهم « مدّ » و « أمدّ » : ٣٠٧

• « فعيل » بمعنى « فاعل » مثل « شهيد » بمعنى « شاهد » وعليم بمعنى عالم: ٣٧٧ ، ٤٣٨ ، ٤٩٦ .

• « فعيل » بمعنى « مفاعل » مثل « شهيد » بمعنى مشاهد ، و «جليس» بمعنى مجالس : ٣٧٧ .

• زيادة التاء فى الجمع كقولهم : « مسمع ومسامع ومسامعة » : ٤٤٥ .

• الاسم إذا لم يكن له نظير فى أسماء العرب، منعوه من الصرف تشبيهاً له بأسماء العجم، مثل : « أيّوب» فيعول من « آب يؤوب » ، و « إسحاق » من « أسحقه إسحاقاً » : ٥١٠ .

• العرب تترك الهمز فى الكلمة المهموزة وتهمزها فى أخرى ، فيجرى كلامها بتركها فى كلّ حال كقولهم : « رأى » ، ثم قالوا « يرى » حتى صار الهمز شاذاً، وكقولهم « ملك » فى المفرد، و « ملائكة » فى الجمع : ٤٤٠

• العرب ترفع المغرى به ، إذا أخرت الإغراء وقدمت المغرى به ، وإن كانت تنصب به وهو مؤخر : ١٢٠ .

• العربُ قد تخرج المفعول المطلق من كلمة على غير لفظها ، إذا اتفق معنى اللفظين ، كقولهم : « الحمد لله شكراً » : ١٣٨ .

• الفرق بين « حمداً لله » و « الحمد لله » : ١٣٨ .

• خطأ فى كلام العرب إذا وصفت معرفة موقتة بنكرة ، أن تعربها بإعرابها إلا على نية التكرير . فمن الخطأ أن تقول : « مررت بعبدالله غير العالم »، بخفض « غير » ، إلا على نية تكرار الباء أى مررت بعبد الله ، مررت بغير العالم : ١٨١ ، ١٨٣ .

- لا تكاد العربُ تكنى « بالهاء والميم » إلا عن أسماء بنى آدم والملائكة ، كقوله : « ثم عرضهم على الملائكة » . وأما إذا أرادت أسماء البهائم وسائر الخلق سوى بنى آدم والملائكة ، فإنها تكنى «بالهاء والألف ، أو بالهاء والنون » فقالت : «ثم عرضها — أو عرضهن » . فإذا جمعت ذلك كله ، فإنها تكنى عنه أيضاً « بالهاء والألف ، أو الهاء والنون . » هذا هو المستفيض فى كلامهم . وربما أتت بالهاء والميم كقوله : « والله خلق كل دابة من ماء ، فمنهم من يمشى على بطنه ...» : ٤٨٥ — ٤٨٦ .

- إتباعُ الكلام بعضه بعضـــاً ، والعطفُ على الموضع ، كما فى قراءة من قرأ : «ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ، وعلى أبصارهم غشاوةٌ » بنصب « غشاوة » ، إتباعاً على موضع « سمعهم » إذ كان موضعها نصباً وهى مجرورة : ٢٦٤ .

- النصب والرفع ، فى المدح والذمّ : ٣٢٩ .

- النصبُ فى كلامهم للدلالة على المحذوف من الكلام ، كقولهم : « هى أحسن الناس ما قرناً فقدماً» أى ما بين قرن إلى قدم ، فلما حذفوا « بين » ، « وإلى » نصبوا ما بعدهما : ٤٠٥

- الكناية عن متأخر بالضمير ، كقوله : « ما أمر الله به أن يوصل » ، الهاء فى « به » كناية عن « أن يوصل » ، أى بأن يوصل : ٤١٥

- الفعل الماضى إذا حلّ محل الحال اقتضى « قد » ، وتحذف على تقدير إضمارها : ٤٠٧ .

- العطف على مؤوّل ، وإعراب المعطوف بإعراب المؤوّل المعطوف عليه كقول الشاعر : « أجدك لن ترى بثعيلبات . . . » ثم قال « ولا متدارك » بالجر . كأنه قال : لست براء ولا متدارك : ٤٤٣ — ٤٤٤ .

- نصب الفعل المعطوف على فعل مجزوم بالنهى ، إذا كان لايستقيم معناه لو عطف عليه بالجزم ، كقوله : « لا تنه عن خلق وتأتى مثله » ، وهذا الذى يسمى « الصرف » : ٥٦٩ .

* * *

* العربُ تقدم الاسم ، ثم تتبعه صفاته ونعوته : ١٣٢

* العرب تقدر اللفظين من لفظ واحد ، ومعناهما واحد ، لاتساع الكلام . مثل : نديم وندمان : ١٣٢ .

* المؤخر الذى هو بمعنى التقديم ، وكثرته فى كلام العرب : ١٤٧—١٤٨ .

* العربُ تخاطب ثم تخبر عن غائب ، وتخبر عن غائب ثم تعود إلى الخطاب : ١٥٣—١٥٤

* المقدم الذى هو بمعنى التأخير فى كلام العرب ، كقوله «كفانى ، ولم أطلب ، قليل من المال » : ١٦٤ .

* وقوع الاستفهام موقع الخبر ، إذا وقع موقع « أى » ، كما تقول : « لا نبالى أقمت أم قعدت » ، وأنت مخبر لا مستفهم ، ومعناه : ما نبالى أى هذين كان : ٢٥٦، ٢٥٧ .

* « كان » فى مثل قوله : « بما كانوا يكذبون » ، وإدخالها للخبر عن أنه كان فيما مضى ، كما يقال : « ما أحسن ما كان عبد الله » عجباً من عبد الله ، لا من كونه ، وإن وقع التعجب فى اللفظ على كونه : ٢٨٦ .

* إضافة الفعل إلى غير فاعله ، كقوله : « فما ربحت تجارتهم » ، أى فما ربحوا فى تجارتهم : ٣١٦، ٣١٧ ، وكقولهم : « نام ليلى » وهو الذى نام فى ليله : ٣١٧ .

* وصف المضاف بصفة ، والمراد وصف المضاف إليه كقوله : « وأعور من نبهان أما نهاره فأعمى » ، أضاف العمى إلى الليل ، ومراده وصف النبهانى : ٣١٧ .

* متى يجوز للمتكلم أن يوجه الفعل إلى الفاعل أو المفعول إن شاء ، كقوله « وتلقى آدم من ربه كلمات » برفع « آدم » ، ونصب « كلمات » . ثم قراءة من قرأها بنصب « آدم » ورفع « كلمات » : ٥٤٢ .

* * *

- لايعطف على جحْدٍ إلا بجحْدٍ ، وليس فى كلامهم استثناء يعطف عليه بجحد : ١٨٤ .

- من شأن العرب إضافة الفعل إلى من وُجد منه ، وإن كان مسبّبه غير الذى وجد منه ، وتضيفه أحياناً إلى مسبّبه ، وإن كان الذى وجد منه الفعل غيره كقولهم : « تحركت الشجرة » والريح هى التى حركتها : ١٩٦ .

- الأسماء فى أصل الوضع للتمييز ، ولكن صار الأمر إلى اشتراك كثير من الناس فيها ، فاحتاجت إلى ضم نسبة أو نعت أو صفة للتمييز ٢١١ ، ٢١٢ .

- اللفظ الواحد الجامع لمعانى مختلفة مشتركة فيه : ٢٢٢ .

- الإشارة إلى الحاضر المعاين ، بإشارة غائب غير حاضر ولامعاين ، وجواز ذلك ، لأن كل ما تقضّى وقرب انقضاؤه من الإخبار به ، هو كالحاضر عند المخاطب ، وإن صار بمعنى غير الحاضر : ٢٢٥ — ٢٢٧ .

- النكرة لا تكون دليلا على معرفة : ٢٣٢ .

- شبه الصفة بالفعل مثل « حسن » : ٢٨٦ .

- التذكر والتأنيث فى الكلمة الواحدة ، مثل : سماء ، وأرض : ٤٣١ ، ٤٣٢

- « الألف واللام » ، لا تقتضى الاستغراق ، كما فى قوله : « الذين قال لهم الناس إنّ الناس قد جمعوا لكم » : ٢٩٢ .

- القلب فى مثل : جذب وجبذ : ٤٤٥ .

- إنما يوجه كلام كل متكلم إلى المعروف فى الناس من مخارجه ، دون المجهول من معانيه : ٣٨٨ .

- غير جائز إبطال حرف كان دليلا على معنى فى الكلام : ٤٤٠ .

- الأمر فى معنى الاستقبال : ٤٩٣

• الجزاء ، أصله الاستقبال : ٥٢٢

• • •

• الخبر عن واحد يراد به الجمع ، كقوله : « مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً » ، فقال : « الذى » ، وهو خبر عن واحد : ٣١٨ .

• الواحد الذى يراد به الجمع كقوله : « لذهب بسمعهم » ، أى أسماعهم ، و « يرتد إليهم طرفهم » ، أى أطرافهم ٣٦٠ ، ٣٦١ .

• تشبه الجماعة بالجماعة ، والواحد بالواحد ، فلا يجوز أن يقال : كأن أجسام هؤلاء نخلةٌ : ٣١٨.

• الفرق بين تشبيه الجماعة بالواحد ، والخبر عن واحد يرادبه الجمع : ٣١٨.

• إخراج الكناية عن الواحد فى لفظه مخرج الجمع ، كقوله : « ثم استوى إلى السماء فسوّاهن سبع سموات » : ٤٣١ .

• الجمع وردّ الضمير إليه بالإفراد كقوله : « فإن الحوادث أزرى بها » : ٤٣٢

• وصف المفرد فى اللفظ بالجمع كقولهم : برمة أعشار وثوب أخلاق : ٤٣٣ .

• العربُ إذا أخبرت خبراً عن بعض جماعة ، بغير تسمية شخص بعينه ، تخرج الخبر عن بعضهم مخرج الخبر عن جميعهم ، كقولهم : « قتل الجيش وهزموا » ، وإنما قتل الواحد منهم ، أو بعضهم : ٥٠١ .

• « فاعل » وتأويله بمعنى « مَنْ فعل » ، وتوحيده على نية « مَنْ فعل » فى مقام الجمع : ٥٦٢

• كيف يجوز توحيد ما أضيف له « أفعل » ، وهو خبرٌ عن جمع مثل قوله : « ولا تكونوا أوّل كافر به » : ٥٦٢ .

• توحيد الخبر لتوحيد اللفظ ، إذا كان مشتقاً من الفعل كقولك : « الجيش منهزم » ، ولا يجوز أن يقال : « الجيش غلام » ، لأنه غير مشتق من فعل : ٥٦٢ .

• • •

• من المستفيض فى كلامها الزيادة فى الكلمة، إذا لم يكن فى الزيادة تلبيس على السامع نحو : « أقول إذ خرت على الكلكال » :٢١٣، ٢١٤ .

* * *

• إسقاط حرف من كلمة وإدغام ما قبل المحذوف فيما بعده ، كما فى قولهم « لكن أنا » ، « لكن » ، و « الإله » ، « الله » ، و « الأناس » ، « الناس » : ١٢٥ ، ١٢٦ ، ٢٦٨ .

• العربُ تحذف ما كفى منه الظاهر فى الكلام ، إذا لم تشكّ فى معرفة السامع مكان الحذف : ١٣٩ — ١٤١ ، ١٧٩ .

• حذف حرف النداء فى كلام العرب : ١٥٢ .

• حذف حرف الجرّ ، وإيصالُ الفعل ، ونصب ما كان مجروراً به ، مثل « أستغفر الله ذنباً » و « يصيدنا العيرَ » : ١٦٩ — ١٧٠ وكقولهم : « فلان يلعب الكعاب » ، يراد : يلعب بالكعاب ٣٠٧ .

• من المستفيض فى كلام العرب أن ينقص المتكلم أحرفاً ، إذا كان فيما بقى دلالة ، نحو قولهم : « قلت لها : قفى ، قالت: قاف » وقولهم : « بالخير خيرات وإن شرافا » : ٢١٢ — ٢١٣ .

• جواز ذكر ضمير كناية عن اسم لم يجر له ذكرٌ فى الكلام : ٥٦٤ .

• حذف الفعل ، إذا كان فى أول الكلام دليل يدل عليه : ٢٦٤

• الحذف وإسناد الفعل إلى غير فاعله ، كقولهم : « سبحت المدينة » والمعنى ، أهل المدينة : ٢٧٩

• إبطال « كان » فى قولهم : « حسنٌ كان زيد » ، لشبه الصفات بالفعل: ٢٨٦ .

• إبطال « كان » فى قولهم « ما أحسن ما كان عبد الله » ، فى التعجب ، لأن الفعل قد تقدمها: ٢٨٦ .

* حذف المضاف، لدلالة ما بقى على ما حذف ، مثل قوله : « وشر المنايا ميّت وسط أهله » ، أى منية ميّت وسط أهله: ٣١٧، وقوله : « ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة »، أى كبعث نفس : ٣١٨ .

* الحذف للإيجاز والاختصار ، إذا كان فيما بقى دلالة على ماترك ، كقوله : « فما أدرى أرشد طلابها »، أى: أم غىّ ، : ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٧، ٤٤١ ، ٤٤٤ ، ٤٧١ .

* حذف الشرط فى مثل قوله تعالى: « ولا تقربا هذه الشجرة، فتكونا من الظالمين » ، أى ولا تقربا هذه الشجرة ، فإنكما إن قربتماها كنتما من الظالمين : ٥٢١ .

* * *

* « إيّاك »، وكافها ، وتكرارها : ١٦٤ .

* « بين » ، تكرارها مضافة إلى الظاهر كقوله : « بين الأشجّ وبين قيس . . . » : ١٦٥ .

* إثبات « لا » ، والمعنى إلغاؤها مثل: « فى بئر لاحور سرى وما شعر » ، وقوله : « ويلحيننى فى اللهو أن لا أحبّه » : ١٩٠ .

* « غير » بمعنى « سوى » : ١٩٠، ١٩١ .

* « غير » بمعنى النفى ، كقولهم : «أخوك غير محسن ولا مجمل » أى لا محسن ولا مجمل : ١٩١ .

* « لا » لا تأتى مبتدأة بمعنى الحذف إلا أن يتقدمها جحد : ١٩١، ١٩٢ .

* « بل » زيادتها فى الكلام ، وفى إنشاد الشعر ، يبتدئ بها المنشد ليقطع كلاماً ، ويستأنف الآخر ٢١٠ ، ٢٢٣ .

* « بل » ومعناها ، وأنها تدخل فى كلام رجوعاً عن كلام قد تقضّى: ٢٢٤ .

* « ذلك » بمعنى « هذا » : ٢٢٧

* زعم بعض نحاة البصرة أن حرف الاستفهام دخل مع « سواء » ، وليس

باستفهام ، بل هو تسوية ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

• « ما » المصدرية ، فى مثل قوله : « بما كانوا يكذبون » عند البصريين : ٢٨٦ .

• تغير معنى الكلمة بتغير حرف الجرّ ، فى مثل قولهم : « خلوت إلى فلان » . من الخلاء به فى حاجة ، و « خلوت به » ، بمعنى السخرية به : ٢٩٨

• « إلى » بمعنى « مع » فى قوله : « وإذا خلوا إلى شياطينهم » : ٢٩٨—٢٩٩ .

• « على » بمعنى « مِنْ » ، و « فى » و « الباء » ، و « عن » ، كقوله : « إذا رضيت علىّ بنو قشير » ، بمعنى عنّى : ٢٩٩ .

• « على » تدخل مكان « الباء » كقولهم « مررت بفلان » و « مررت على فلان » ، و « الباء » مكان « على » كقوله تعالى : « ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار » ، أى على قنطار : ٣١٣ .

• لكل حرف من حروف الجرّ معنى هو أولى به من غيره ، فلا يصلح تحويل ذلك عنه ، إلا بحجّة يجب التسليم لها : ٢٩٩ .

• حروف الجرّ يعاقب بعضُها بعضاً : ٢٩٩ .

• « الذى » بمعنى « الذين » كقوله : « فإنّ الذى حانت بفلج دماؤهم » ، أى الذين : ٣٢٠ .

• « أو » بمعنى الشكّ ، كقولك « لقينى أخوك أو أبوك » ، ومجيئها بمعنى « الواو » التى تلحق المثل بالمثل ، كقوله : « لنفسى تُقاها أوعليها فجورها » ، أى : وعليها فجورها . : ٣٣٦ ، ٣٣٧

• « الباء » فى الثلاثى مثل : « ذهب ببصره » ، بمعنى الرباعىّ : « أذهب بصره » : ٣٦٠ .

• « لعلّ » للشك ، وتأتى بمعنى التعليل ، مثل قوله : « لعلكم تتقونِ » أى : لتتقوا ربكم : ٣٦٤ ، ٣٦٥ .

* « مَنْ » ، و « ما » بمعنى الذى — العربُ تعرب صلاتهما بإعرابهما لأنهما يكونان نكرة أحياناً ومعرفة أحياناً ، كقوله. « وكفى بنا فضْلاً على من غيرِنا » بجر « غير » : ٤٠٤ ، ٤٠٥ .

* حذف « بين» و « إلى » فى مثل قولهم : « مطرنا ما زبالة فالثعلبية » ، أي ما بين زبالة إلى الثعلبية : ٤٠٥ .

* « ما » وزيادتها فى الكلام : ٤٠٥ ، ٤٠٦

* «ماذا» وتفسيرها : ما الذى : ٤٠٧

* « ذا » بمعنى « الذى » فى قولهم: «ماذا أراد »، أى ما الذى أراد : ٤٠٧ .

* « كيف » بمعنى التوبيخ والتعجب، لا بمعنى الاستفهام ، فى قوله : « كيف تكفرون بالله » : ٤٢٧ .

* « أين » بمعنى التوبيخ والتعجب ، لا بمعنى الاستفهام فى قوله : فأين تذهبون » : ٤٢٧ .

* « قد » يقتضيها الفعل الماضى إذا حل محل الحال ، وحذفها وبقاؤها مضمرة ، كقوله : « أو جاءوكم حصرت صدورهم » ، أى : وقد حصرت

* « إذا » حرف زائد معناه الحذف: ٤٣٩ — ٤٤١

* « إذْ » حرف بمعنى الجزاء ، ويدل على مجهول من الوقت : ٤٤٠

* « فإذا وذلك » بيان معناها فى مثل قوله : « فإذا وذلك لامهاه لذكره » ٤٣٩ — ٤٤١ .

* « إذ » إذا تقدمها فعل مستقبل صارت علة للفعل وسبباً له ، كقولك : « أقوم إذ قمت » ،معناه: من أجل أنك قمت: ٤٩٣ .

* « إنْ» بمعنى « إذ » ، وفساد قول من قال ذلك : ٤٩٣

* « أنْ» بمعنى « إذ » : ٤٩٣

* « كى » تنصب الأفعال المستقبلة للزومها الاستقبال : ٥٢٢

* « الفاء » فى قوله « ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » وقعت فى موضع الشرط فنصب بها ، وأنزلوها منزلة « كى » : ٥٢١ ، ٥٢٢ .

* وجوب إضمار « أن » مع « لا » فى تأويل من قال : « ولا تقربا هذه الشجرة » بمعنى ولا يكن منكما قرب هذه الشجرة : ٥٢٢

* لا يجوز تأويل « أن » فى المصدر فى قولك : « عسى أن يفعل » فتقول : عسى الفعل : ٥٢٢

* لا يجوز إظهار « أن » فى قولك : « ما كان ليفعل » ، فتقول : ما كان لأن يفعل : ٥٢٢

* « الفاء » فى نية العطف على النهى ، كما فى قوله : « ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » ، أى ولا تقربا هذه الشجرة ولا تكونا من الظالمين ، كأنه أراد تكرار النهى : ٥٢٢

* « ما » الزائدة ، فى قولهم « إمّا » و « بعين ما أرينّك » : ٥٤٨ ، ٥٤٩ .

* « ما » نفى فى مثل قولهم : « بعينٍ ما أرينك » : ٥٤٩

* « إمّا » وبيان تصريفها : ٥٤٨

* « مَنْ » للواحد والجمع والمذكر والمؤنث، غير متصرفة تصرف الأسماء : ٥٦٢ .

فهرس التفسير

تصدير « تراث الإسلام »

المقدمة

٣ — ٧ خطبة التفسير

٨ — ١١٣ ﴿رسالة التفسير﴾ (مقدمة التفسير)[١] .

٨ ﴿باب﴾ : بيان اتفاق معانى القرآن ، ومعانى منطق لسان العرب .

٩ تفاضل مراتب البيان ، وإعجاز القرآن .

١٠ بعض كلمات مسيلمة ، لعنه الله .

١١ إرسال الرسل بلسان قومهم ، وأن الله لا يخاطب أحداً إلا بما يفهمه المخاطب .

١١ القرآن عربى

١٢ خصائص كلام العرب : الإيجاز والاختصار ، والإظهار والإخفاء ، . . .

١٣ ﴿باب﴾ : بعض ما اتفقت فيه ألفاظ العرب العجم

١٣ الأخبار من ١ — ٦ فى ذكر كلمات من القرآن اتفقت مع ألفاظ العجم ، وقول من قال : فى القرآن من كل لسان .

١٤ تأويل الطبرى لهذه الأخبار ، واحتجاجه على أنه ليس فى فى القرآن غير لسان العرب.

٢١ ﴿باب﴾ : اللغة التى نزل بها القرآن من لغات العرب .

٢١ حديث نزول القرآن على سبعة أحرف ، وفيه رواياته : الأخبار من ٧—٦٦ .

---

(١) رأيت فى ترجمة الطبرى ، أنه كان يسمى مقدمات كتبه « رسالة » . وكان لكل كتاب من كتبه الكبيرة « رسالة » . وسأبين ذلك فى ترجمته المفردة .

٤٦ استدلاله بهذه الأخبار على أن القرآن نزل ببعض لغات العرب دون جميعها ، وأن لغاتها أكثر من سبعة ، بما يعجز عن إحصائه .

٤٧ الردّ على من تأول هذه الأخبار أنها نزلت بأمر وزجر وترغيب وترهيب ، وأن أبواب الجنة السبعة هى الأمر والزجر . . .

٤٨ اختلاف الأحرف السبعة اختلاف ألفاظ باتفاق المعانى .

٤٨ أن الذى تمارى فيه الصحابة ، كان اختلافاً فى اللفظ ، دون ما تدل عليه التلاوة من التحليل والتحريم وما أشبه ذلك .

٤٩ أن الله لم ينزل كتابه إلا بحكم واحد متفق فى جميع خلقه . وأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يقض فى شىء واحد ، فى وقت واحد ، بحكمين مختلفين ، ولا أذن بذلك لأمته .

٥٥ سؤال من سأل : أوجدنا حرفاً فى كتاب الله مقروءاً بسبع لغات . وسياق مقالته وحجته .

٥٧ الرد على سؤاله ، وأن الأحرف السبعة هنّ لغات سبع ، فى حرف واحد ، فى كلمة واحدة ، باختلاف الألفاظ واتفاق المعانى

٥٨ الخبر عما كان من أمر الأحرف الستة الأخر .

٥٩ خبر زيد بن ثابت ، فى شأن جمع القرآن على عهد أبي بكر . ثم اختلاف الناس على عهد عثمان ، وجمع الناس على مصحف واحد وحرف واحد . الأخبار من ٥٩ — ٦٤ .

٦٣ الحكمة فى جمع الناس على حرف واحد ، وصواب ما فعله عثمان .

٦٤ أنّ القراءة بالأحرف السبعة لم تكن أمر يجاب وفرض ، بل كانت أمر إباحة ورخصة .

٦٥ أن إختلاف القراءة فى الرفع والجر والنصب ، ونقل حرف إلى آخر مع اتفاق الصورة ، كما هى القراءة اليوم ، فليس من الأحرف السبعة فى شىء . وأن المراء فيها لا يوجب كفراً .

٦٦ أن الأحرف الستة الأخر ، لا حاجة بنا إلى معرفتها .

٦٦ الأخبار فى أن الألسنة خمسة من لسان العجز من هوازن ، وأن اللسانين الآخرين لسان قريش وخزاعة .

٦٧ بيان العجز من هوازن .

٦٨ ﴿ باب ﴾ : نزول القرآن من سبعة أبواب الجنة .
الأخبار ٦٧ — ٧٠ وتأويل معانيها .

٧٢ شرح قوله صلى الله عليه فى الخبر رقم : ١٠ : « لكل حرف منها ظهر وبطن ، والكل حرف حدّ ، ولكل حد مطلع » .

٧٣ ﴿ باب ﴾ : الوجوه التى من قبلها يوصل إلى معرفة تأويل القرآن .

٧٤ ما لا يوصل إلى علم تأويله إلا ببيان رسول الله ، وما لا يعلم تأويله إلا الله الواحد القهار .

٧٥ وما يعلم تأويله كل ذي علم بلسان العرب .

٧٥ خبر ابن عباس : أن التفسير على أربعة أوجه : وجه تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى .

٧٧ ﴿ باب ﴾ : الأخبار فى النهى عن تأويل القرآن بالرأى .

٧٨ أن القائل فى القرآن برأيه ، وإن أصاب الحق ، فقد أخطأ .

٨٠ ﴿ باب ﴾ : الأخبار فى الحض على العلم بتفسير القرآن ، ومن كان يفسّره من الصحابة .

٨٢ حث الله تعالى على الاعتبار بالقرآن وتدبّره .

٨٤ ﴿ باب ﴾ : أخبار غلط فى تأويلها منكر والقول فى تأويل القرآن الأخبار من ٩٠ — ١٠٣

٨٧ شرح الطبرى لهذه الآثار ، وبيان معانيها ، وبيان معنى قول عائشة إن رسول الله لم يكن يفسر من القرآن شيئاً إلاّ آياً بعدد .

٩٠ ﴿ باب ﴾ : الأخبار عمن كان من قدماء المفسرين محموداً علمه بالتفسير ، ومن كان منهم مذموماً علمُه به .

٩٢ الوجوه الثلاثة فى تأويل القرآن، وبيان إصابة الحق فى التفسير كيف تكون .
٩٤ ﴿ باب ﴾ : القول فى تأويل أسماء القرآن وسوره وآيه .
٩٤ أسماء القرآن الأربعة ، وتفسيرها .
٩٤ معنى « القرآن »
٩٨ معنى « الفرقان »
٩٩ معنى « الكتاب »
٩٩ معنى « الذكر »
١٠٠ أسماء سور القرآن التى سماها بها رسول الله ، والأخبار فى ذلك .
١٠١ معنى : « السبع الطول » ، وما هى
١٠٢ خبر الأنفال وبراءة .
١٠٣ معنى « المئون »
١٠٣ معنى « المثانى »
١٠٤ معنى « المفصّل » ، « العربى»
١٠٤ معنى « سورة »
١٠٦ معنى « آية »

* * *

١٠٧ ﴿ باب ﴾ : القول فى تأويل أسماء فاتحة الكتاب
١٠٧ معنى « فاتحة الكتاب »
معنى « أم القرآن »
١٠٩ معنى « السبع المثانى »

* * *

١١١ ﴿ باب ﴾ : القول فى تأويل الاستعاذة

١١٣ خبر أول سورة أنزلت من القرآن : « اقرأ »

* * *

١١٤ ﴿ باب ﴾ : القول فى تأويل : « بسم الله الرحمن الرحيم »

١١٤ الفعل الجالب للباء فى « بسم »

١١٥ أن « اسم » بمعنى المصـــدر « تسمية »

١١٨ تعليق على صحة مذهب الطبرى أن كلمة « اسم » مصدر جاء على غير بناء فعله ، بمعنى « تسمية » .

١١٨ أن القائل « بالله » عند تذكية البهائم والأنعام ، تارك ما سنّ له بإجماع الجميع .

١١٩ الردّ على قول من قال إن « اسم » زائد فى بيت لبيد :
* إلى الحول ثم اسم السلام عليكما *

١٢٢ « الله » وبيان تفسيره

١٢٣ « الإله » و « الإلاهة » وفعلهما

١٢٦ « رحمن » و « رحيم » ، وبيان الفرق بينهما ، وإن كان اشتقاقهما من « الرحمة »

١٣١ بطلان زعم من زعم أن العرب لم تكن تعرف « الرحمن »

١٣٢ خطأ من زعم أن « الرحمن » : ذو الرحمة ، وأن « الرحيم » : الراحم .

١٣٣ « الرحمن » اسم منع من التسمى به ومن الوصف به . و «الرحيم» اسم يجوز الوصف به .

* * *

١٣٥ ﴿ باب ﴾ : القول فى تأويل فاتحة الكتاب

١٣٩ خطأ من قرأ « الحمدَ لله » واستحقاقه العقوبة إذ قرأها وهو عالم بخطئه .

١٤٣ كل أهل زمان « عالم » ذلك الزمان .

١٤٦ مذهب الطبرى أن « بسم الله الرحن الرحيم » ، ليست آية من الفاتحة .
١٤٧ ليس فى القرآن آيتان متجاورتان مكررتان بمعنى واحد
١٤٨ اختلاف القراء فى « مالك » و « ملك » ، وبيان وجوههما .
١٥١ تفضيل بنى إسرائيل على العالمين ، تفضيل موقوت بزمانهم
١٥٢ قراءة من قرأ « مالك » بنصب الكاف ، ورفض هذه القراءة
١٥٦ الكلام فى إسناد من أكثر الأسانيد دوراناً فى تفسير الطبرى .
١٦٢ بيان معنى أمر الله عباده أن يسألوه المعونة .
١٦٣ سبب تقديم الخبر عن العبادة ، وتأخير طلب المعونة .
١٦٤ وجه تكرار « إياك » فى الآية .
١٦٧ أن الله لا يكلف عبداً فرضاً إلا بعد تبيينه له ، وإقامة الحجة عليه .
١٧٩ الدليل على أن طاعة الله لا ينالها المطيعون إلا بإنعام من الله .
١٨٢ كراهة القراءة بنصب « غير المغضوب » .
١٨٤ حاجة الطبرى إلى ذكر وجوه إعراب القرآن ، مع أنه قصده فى كتابه وجوه تأويل القرآن .
١٨٨ صفة غضب الله تعالى .
١٩٠ ردّ مقالة من قال : « غير » فى آية الفاتحة ، بمعنى « سوى » .
١٩٨ ﴿باب﴾ : مسألة يسأل عنها أهل الإلحاد والطاعنون فى القرآن : أن قوله تعالى : « ملك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين » قد حوت معانى الآيات الخمس الباقية من سورة فاتحة الكتاب . وجواب الطبرى .
١٩٨ « التّوراة » مواعظ وتفصيل ، و « الزبور » تحميد وتمجيد ، « والإنجيل » مواعظ وتذكير — ليس فى واحد منهما معجزة تشهد لمن أنزل إليه بالتصديق .
١٩٨ المعانى التى فضل بها القرآن سائر الكتب ، وهى خالية منها
٢٠٠ حديث « فاتحة الكتاب » ، وما يجاب به العبد إذا تلاها

* * *

٢٠٥ ﴿القول فى تفسير السورة التى يذكر فيها البقرة﴾ .

* * *

٢٠٥ وجوه القول فى فواتح سور القرآن ، وبيان كل قول ، وما رجحه الطبرى من معانى هذه الوجوه .

٢٠٩ ذكر « أ ب ت ث » ، و « حطى » ، و « أبى جاد »

٢١٥ بعض سور القرآن يفتتحها الله بالحمد لنفسه ، وبعضها بتعظيم نفسه بالتسبيح .

٢٢١ كيف يجوز أن يكون حرف واحد شامل للدلالة على معان كثيرة .

٢٢٢ كُلّ من تأوّل شيئاً على وجه دون وجه ، سئل البرهان على دعواه بما يجب التسليم له . ثم يعارض بقول مخالفه ، ويسأل عن الفرق بينه وبينه من أصل يدلّ عليه .

* * *

٢٣٧ اختلاف أهل التأويل فى القوم الذين نزلت فيهم أوائل سورة البقرة : أنهم مؤمنو العرب خاصة ، وأنهم مؤمنو أهل الكتاب خاصة ، وأنهم جميع المؤمنين من العرب والعجم وأهل الكتابين ، وسواهم .

٢٣٩ أربع آيات من سورة البقرة فى نعت المؤمنين ، وآيتان فى نعت الكافرين ، وثلاث عشرة فى المنافقين .

٢٤٣ كانت النفقات قربات ، قبل نزول فرض الزكاة ، وفرائض الزكاة فى سورة براءة .

٢٤٦ خبر ابن عباس : أن سورة البقرة من أولها تعريض بذم كفار أهل الكتاب .

٢٥١ اختلاف المفسرين فى الذين عنوا بقوله : « إن الذين كفروا سواءٌ عليهم . . . » ، أنهم اليهود ، أو أنهم الكفار جميعاً ، أو أنهم الذين قتلوا يوم بدر .

٢٦٣ قراءة من قرأ : « وعلى أبصارهم غشاوة » بنصب « غشاوة » غير جائزة، وإن كان لها مخرج فى العربية . وبيان هذا المخرج .

٢٧٠ صفة المنافق .

٢٧٠ ما كان عليه اليهود من عداوة رسول الله صلى الله عليه .

٢٨٢ اختلاف القراء فى قراءة : « بما كانوا يكذبون »

٣٠١ الاختلاف فى صفة استهزاء الله عزّ وجل

٣٠٥ الرد على من نفى عن الله تعالى ما وصف به نفسه .

٣٣٠ ليس لأحد خلاف رسوم مصاحف المسلمين

٣٧١ أن العرب فى جاهليتها كان عندها من العلم بوحدانية الله وأنه مبدع الخلق وخالقهم ورازقهم ، نظير الذى كان عند أهل الكتابين .

٣٨٤ أخبار فى صفة الجنة .

٣٨٩ أخبار فى صفة ثمار الجنة .

٣٩٥ أخبار فى صفة الأزواج المطهرة .

٤١١ العهد الذى أخذه الله على الناس حين أخرجهم من صلب آدم .

٤١٧ كل شىء نسبه الله إلى غير أهل الإسلام من مثل اسم « خاسر» فإنما يعنى به الكفر ، وما نسبه إلى أهل الإسلام ، فإنما يعنى به الذنب .

٤١٨ القول فى الإحياء والإماتة مرتين .

٤٢٦ أن رسول الله صلى الله عليه ، لم يكن قط كاتباً ، ولا لأسفار أهل الكتاب تالياً ، ولا لأحد منهم مصاحباً ومجالساً .

٤٣٣ الخبر فى خلق السماء من رقم ٥٩٠ — ٥٩٥

٤٤٨ خبر دحو الأرض من مكة ، وأن بها قبر نوح وهود وصالح وشعيب بين زمزم ، والركن ، والمقام .

٤٤٩ الأخبار فى خلق آدم وخلافته وما كان من قول الملائكة وإبليس من رقم ٦٠٠ — ٦١٦

٥٠١ الأخبار فى ذكر إبليس وما كان قبل لعنته .
٥١٢ الأخبار فى أمر آدم وحواء .
٥٢٤ اختلاف القراء فى قراءة : « فأزلهما الشيطان » .
٥٢٦ أخبار استزلال إبليس آدم وحواء ، ودخوله الجنة بعد طرده . أخبار من رقم ٧٤٢ — ٧٥٢ .
٥٣٥ الذين أهبطوا من الجنة ، والعداوة بين آدم والحية .
٥٤٢ الاختلاف فى الكلمات التى تلقاها آدم

* * *

٥٧٩ فهرس الآيات التى استدل بها فى غير موضعها من التفسير
٥٨٥ فهرس اللغة
٥٩٠ فهرس أعلام المترجمين فى التعليق
٦٠٢ فهرس المصطلحات
٦٠٣ فهرس الردّ على الفرق
٦٠٤ فهرس مباحث العربية والنحو وغيرهما

تراث الإسلام

تفسير الطبري

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ - ٣١٠ هـ

٢

حققه وعلق حواشيه

محمود محمد شاكر

راجعه وخرج أحاديثه

أحمد محمد شاكر

الطبعة الثانية

الناشر

مكتبة ابن تيمية

القاهرة ت ٨٦٤٢٤٠

تفسير الطبري

الجزء الثاني

فيه

تفسير سورة البقرة

من ٤٣ – ١٢٣

والآثار من ٨٤٠ – ٩٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحدَه لا شريك لَهُ فى سلطانه ، مُذِلّ الجبابرة ، ومُدِيل الفئة المؤمنة من الفئة الكافرة ، أحمده رضًى بقضائه وقدَره ، وأسبّحه كما سبَّحت له السَّموات السبعُ والأرضُ ومن فيهنّ ، ﴿ فَتَعَالَى اللهُ المَلِكُ الحَقُّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ ۝ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الكَافِرُونَ ۝ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾

وصَلَّى الله على محمّد وعلى آل محمَّدٍ كما صَلَّى على إبراهيم وعلى آلِ إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما بارك على إبراهيم وعلى آلِ إبراهيم فى العالمين إنّه حميدٌ مجيدٌ .

* * *

وبعدُ فقد منَّ الله بالمعونة على الفراغِ من الجزء الثانى من تفسير أبى جعفر رضى الله عنه ، فما كان فيه من إحسان فمن الله ، وما كانَ فيه من زَلَل فمنِّى . وأسأل الله أن يتغمَّد ما أخطأتُ فيه ، وأن يكتب لنا من السدادِ فى أعمالنا ما هو لَهُ أهلٌ من تفضُّله على خلْقه ، ومنّه على عباده .

هذا وقد فاتنى أن أذكر فى مقدمة الجزء الأوَّل أنى وضعت على هامش هذه الطبعة من التفسير ، ما يقابلها من مطبوعة بولاق ، فأثبت الجزء والصفحة معًا ، لطول ما تداول الناس مطبوعة بولاق ، ولكثرة الإشارة إليها فى

الكتب . هذا ، وقد حرصت أيضاً كلَّ الحرص على أن أثبت فى التعليق كُلَّ ما أحال عليه الطبرى من سالف كلامه ، حتى يسهل على الباحث والقارئ أن يتابع ماقاله أبو جعفر ، فلا يسقط عليه شىء من معانيه . فإن الكتابَ يطول ، وأبو جعفر يختصر ، والإحالةُ تكثُر ، ومن الصَّعب أن يستدلَّ قارئ كتابه على المواضع التى يحيل عليها .

* * *

اللهُمَّ إنِّى أسألُك عوناً لا ينقطِعُ ، وسدَاداً لا يُمَنُّ ، وتوفيقاً لايحبَس عنِّى خيرُه ، برئتُ إليك ربِّى من الحَوْلِ والقُوَّة ، كما برئت مِن الشركاء والأندادِ ، فاغفر لى خطيئتى يوم الدين ؟

محمود محمد شاكر

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى معنى « البر » الذى كان المخاطَبون بهذه الآية يأمرون الناسَ به وينسون أنفسهم ، بعد إجماع جميعهم على أن كل طاعة لله فهى تسمى « برًّا » ، فروى عن ابن عباس ما :—

٨٤٠ — حدثنا به ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن أبى محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « أتأمرُون الناس بالبرِّ وتنسوْن أنفُسكم وأنتم تتلُونَ الكتابَ أفلا تعقِلون » ، أى تنهون الناس عن الكفر بما عندكم من النبوة والعُهْدةِ من التوراة وتتركون أنفسكم ،[1] أى وأنتم تكفرون بما فيها من عَهْدى إليكم فى تصديق رسولى ، وتنقضون ميثاقى ، وتجحدون ما تعلمون من كتابى. ١/٢٠٤

٨٤١ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد قال ، حدثنا بشر ابن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، فى قوله : « أتأمرون الناس بالبر » ، يقول : أتأمرون الناس بالدخول فى دين محمد صلى الله عليه وسلم ، وغير ذلك مما أُمرتم به من إقام الصلاةِ ، وتنسوْن أنفسكم .

* * *

(١) فى المطبوعة ، وفى المراجع : « والعهد من التوراة » . والعهد والعهدة واحد .

وقال آخرون بما : —

٨٤٢ — حدثني به موسى بن هرون قال ، حدثني عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم » ، قال : كانوا يأمرون الناس بطاعة الله وبتقواه ، وهم يعصونه .

٨٤٣ — وحدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزّاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم » ، قال : كان بنو إسرائيل يأمرون الناس بطاعة الله وبتقواه وبالبر ، ويخالفون ، فعيَّرهم الله .

٨٤٤ — وحدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا الحجاج ، قال قال ابن جريج : « أتأمرون الناس بالبر » ، أهلُ الكتاب والمنافقون ، كانوا يأمرون الناس بالصوم والصلاة ، ويدَعون العملَ بما يأمرون به الناس ، فعيَّرهم الله بذلك . فمن أمرَ بخير فليكن أشد الناس فيه مسارعة .

* * *

وقال آخرون بما : —

٨٤٥ — حدثني به يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : هؤلاء اليهود . كان إذا جاء الرجل يسألهُم ما ليس فيه حقّ ولا رِشوة ولا شيء ، أمروه بالحق . فقال الله لهم : « أتأمرون الناسَ بالبرّ وتنسوْن أنفسكم وأنتم تَتْلُونَ الكتاب أفلا تعقلون » .(١)

٨٤٦ — وحدثني على بن الحسن قال ، حدثنا مسلم الجَرْمِي قال ، حدثنا مَخْلد بن الحسين ، عن أيوب السَّخْتياني ، عن أبي قِلاَبة ، فى قول الله : « أتأمرون النّاس بالبرّ وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب » ، قال قال أبو الدرداء : لا يفْقَهُ الرجل كلَّ الفقه حتّى يمقُتَ الناسَ فى ذاتِ الله ، ثم يرجع إلى نفسه فيكون لها أشد مقتاً .(٢)

---

(١) الأثر : ٨٤٥ — فى ابن كثير ١ : ١٥٤ ، وفيه « إذا جاء الرجل سألهم عن الشيء ليس فيه . . . » . وفى المخطوطة : « يسألهم ليس فيه » .

(٢) الخبر : ٨٤٦ — نقله ابن كثير ١ : ١٥٤ عن هذا الموضع . وذكره السيوطى ١ : ٦٤ ، ونسبه أيضاً لعبد الرزاق ، وابن أبي شيبة ، والبيهقي في الأسماء والصفات ، وقلده الشوكاني ١ : ٦٥ . وقد

* * *

قال أبو جعفر : وجميعُ الذى قال — فى تأويل هذه الآية — من ذكرنا قولَه، متقاربُ المعنى. لأنهم وإن اختلفوا فى صفة « البرّ » الذى كان القوم يأمرون به غيرهم، الذين وصفهم الله بما وصفهم به ، فهم متفقون فى أنهم كانوا يأمرون الناس بما لله فيه رضاً من القول أو العمل ، ويخالفون ما أمروهم به من ذلك إلى غيره بأفعالهم .

فالتأويل الذى يدلُّ على صحته ظاهر التلاوة إذاً : أتأمرون الناس بطاعة الله وتتركون أنفسكم تعصيه ؟ فهلاّ تأمرونها بما تأمرون به الناس من طاعة ربكم ؟ مُعيِّرَهم بذلك ، ومقبِّحاً لهم قبيحَ ما أتوا به .(١)

* * *

ومعنى « نِسيْانهم أنفسَهم » فى هذا الموضع ، نَظيرُ « النسيان » الذى قال جل ثناؤه ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [سورة التوبة : ٦٧] بمعنى : تركوا طاعة الله، فتركهم الله من ثوابه.

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « تتلون » ، تدرسون وتقرأون . كما : —

٨٤٧ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد قال ، حدثنا بشر ، عن أبى روق ، عن الضحاك، عن ابن عباس ، « وأنتم تتْلُون الكتاب »،

رواه البيهقى ص : ٢١٠ ، من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن أيوب ، به نحوه .

و « مسلم الجرمى » : وقع فى ابن كثير فى هذا الموضع « أسلم » ، وهو خطأ مطبعى . ووقع فيه وفى نسخ الطبرى « الحرمى » ، بالحاء . وقد رجحنا فى ترجمته — فيما مضى : ١٥٤ أنه بالجيم . وذكرنا مصادر ترجمته هناك ، ونزيد هنا أنه ترجمه ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل ٤ / ١ / ١٨٨ ، ووصفه بأنه « من الغزاة » . وشيخه « مخلد بن الحسين » — بفتح الميم واللام بينهما خاء معجمة ساكنة : ثقة معروف ، قال ابن سعد : « كان ثقة فاضلا » وقال أبو داود : « كان أعقل أهل زمانه » . وأبو قلابة : هو عبدالله ابن زيد الجرمى ، أحد الأعلام من ثقات التابعين ، وأرى أن روايته عن أبى الدرداء مرسلة ، فإن أبا الدرداء مات سنة ٣٢ ، وأبو قلابة متأخر الوفاة ، مات سنة ١٠٤ ، وقيل : ١٠٧ .

(١) فى المطبوعة : « ومقبحاً إليهم » .

يقول : تدرسون الكتاب بذلك . ويعنى بـ « الكتاب » ، التوراة .[١]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٤٤)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « أفلا تعقلون »،[٢] أفلا تفقهون وتفهمُون قبح ما تأتون من معصيتكم ربّكم التى تأمرون الناس بخِلافها ، وتَنهوْنهم عن رُكوبها وأنتم راكبُوها ، وأنتم تعلمون أن الذى عليكم من حق الله وطاعته، واتّباعِ محمد والإيمان به وبما جاء به ،[٣] مثل الذى على من تأمرونه باتباعه ؟ كما : —

٨٤٨ — حدثنا به محمد بن العلاء قال ، حدثنا عثمان بن سعيد قال ، حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « أفلا تعقِلون »، يقول : أفلا تفهمون؟ ينهاهم عن هذا الخلُق القبيح .[٤]

* * *

قال أبو جعفر : هذا يدل على صحة ما قلنا ، من أمر أحبار يهود بنى إسرائيل غيرَهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنهم كانوا يقولون : هو مبعوث إلى غيرنا ! كما ذكر قبل.[٥]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ذكره ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « واستعينوا بالصبر » ، استعينوا على الوفاء بعهدى الذى عاهدتمونى فى كتابكم — من طاعتى واتباع أمرى ، وترك ما تهوَوْنه ٢٠٥/١

(١) الخبر : ٨٤٧ — فى الدر المنثور ١ : ٦٤ ، وتتمته فى الخبر الآتى إلا قوله : « ويعنى بالكتاب التوراة » وأخشى أن تكون من كلام الطبرى .

(٢) فى المخطوطة : «يعنى بذلك أفلا تفقهون » . . . .

(٣) فى المطبوعة : « فى اتباع محمد . . . » .

(٤) الخبر : ٨٤٨ — من تتمة الأثر السالف . وفى المطبوعة : « فنهاهم » .

(٥) انظر ما مضى ص : ١ : ٥٦٧ — ٥٦٨ .

من الرياسة وحبّ الدنيا ، إلى ما تكرهونه من التسليم لأمرى واتباع رسولى محمد صلى الله عليه وسلم — بالصبر عليه والصلاة .

* * *

وقد قيل: إن معنى «الصبر» فى هذا الموضع الصّوم، و«الصومُ» بعض معانى «الصبر» . وتأويل من تأوّل ذلك عندنا[1] : أن الله تعالى ذكره أمرهم بالصبر على كل ما كرهته نفوسهم من طاعة الله، وترك معاصيه. وأصل «الصبر»: منعُ النفس محابَّها، وكفُّها عن هواها، ولذلك قيل للصابر على المصيبة : «صابرٌ»، لكفّه نفسه عن الجزع . وقيل لشهر رمضان « شهر الصَّبر»، لصبر صائميه عن المطاعم والمشارب نهاراً ،[2] وصبرُه إياهُم عن ذلك ،[3] حبسه لهم وكفُّه إياهم عنه ، كما تصبر الرجلَ المسيءَ للقتل فتحبسه عليه حتى تقتله.[4] ولذلك قيل : « قتل فلانٌ فلاناً صبراً » ، يعنى به: حبسه عليه حتى قتله ، فالمقتول «مصبور» والقاتلُ «صابر» .

* * *

وأما « الصلاة » ، فقد ذكرنا معناها فيما مضى .[5]

* * *

فإن قال لنا قائل : قد علمنا معنى الأمر بالاستعانة بالصبر على الوفاء بالعهد والمحافظة على الطاعة ، فما معنى الأمر بالاستعانة بالصلاة على طاعة الله وترك معاصيه ، والتعرّى عن الرياسة وترك الدنيا ؟

قيل : إن الصلاة فيها تلاوة كتابِ الله الداعيةِ آياتُه إلى رفض الدنيا وهجر

---

(١) فى المطبوعة : « . . . بعض معانى الصبر عندنا بل تأويل ذلك عندنا . . . » ، وفى المخطوطة : « . . . بعض معانى الصبر عند تأويل من تأول ذلك عندنا . . . » ، وكأن الصواب ما أثبته .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « لصبره صائمه . . . » ، ولكن الكلام لا يستقيم لاختلال الضمائر فى الجملة التالية .

(٣) الضمير فى قوله « وصبره » إلى شهر رمضان .

(٤) فى المخطوطة والمطبوعة : « كما يصبر . . . فيحبسه . . . حتى يقتله» كله بالياء، والصواب ما أثبته.

(٥) انظر ما مضى : ١ : ٢٤٢ — ٢٤٣ .

نعيمها، المسلية النفوسَ عن زينتها وغرورها، المذكّرة الآخرةَ وما أعدّ الله فيها لأهلها ، ففى الاعتبار بها المعونةُ لأهل طاعة الله على الجدّ فيها ، كما روى عن نبيّنا صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا حَزَبهُ أمر فزع إلى الصلاة .

٨٤٩ ــ حدثنى بذلك إسمعيل بن موسى الفزارى قال ، حدثنا الحسين ابن رتاق الهمدانى ، عن ابن جريج ، عن عكرمة بن عمار ، عن محمد بن عبيد أبى قدامة ، عن عبد العزيز بن اليمان ، عن حذيفة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حَزَبه أمر فزع إلى الصلاة .(١)

٨٥٠ ــ وحدثنى سليمان بن عبد الجبار قال ، حدثنا خلف بن الوليد الأزدى قال ، حدثنا يحيى بن زكريا، عن عكرمة بن عمار، عن محمد بن عبد الله الدؤلى، قال ، قال عبد العزيز أخو حذيفة ، قال حذيفة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حَزَبه أمر صَلّى .(٢)

---

(١) الحديث : ٨٤٩ ــ « الحسين بن رتاق الهمدانى » : هكذا ثبت فى المطبوعة . ولم أجد راوياً بهذا الاسم ولا ما يشبهه ، فيما لدى من المراجع ، وفى المخطوطة « الحسين بن زياد الهمدانى » ــ ولم أجد فى الرواة من يسمى « الحسين بن زياد » إلا اثنين ، لم ينسب واحد منهما همدانياً ، ولا يصلح واحد منهما فى هذا الإسناد : أحدهما : « حسين بن زياد » ، دون وصف آخر ، ترجمه البخارى فى الكبير ١ / ٢ / ٣٨٧ برقم : ٢٨٨١ ، وذكر أنه يروى عن عكرمة، ويروى عنه جرير بن حازم، وجرير مات سنة ١٧٥ فهذا قديم جداً ، لا يدركه إسمعيل بن موسى الفزارى المتوفى سنة ٢٤٥ . والثانى « حسين ابن زياد أبو على المروزى » ترجمه البخارى عقب ذاك ، وذكر أنه مات سنة ٢٢٠ . فهذا متأخر عن أن يدرك الرواية عن ابن جريج المتوفى سنة ١٥٠ . وعكرمة بن عمار : هو العجلى اليمامى . وفى المخطوطة « عكرمة عن عمار » . وهو خطأ . والحديث سيأتى عقب هذا بإسناد آخر صحيح .

(٢) الحديث : ٨٥٠ ــ هو الذى قبله بمعناه : « خلف بن الوليد » : هو أبو الوليد العتكى الجوهرى ، و « العتكى » : نسبة إلى « العتيك » ، بطن من الأزد . وهو من شيوخ أحمد الثقات . يحيى ابن زكريا : هو ابن أبى زائدة . محمد بن عبد الله الدؤلى : هو « محمد بن عبيد أبو قدامة » الذى فى الإسناد السابق . ووقع فى الأصول هنا « محمد بن عبيد بن أبى قدامة » . وهو خطأ . بل « أبو قدامة » كنية « محمد بن عبيد » . وقد حققنا ترجمته فى شرح حديث آخر فى المسند : ٦٥٤٨ ، ورجحنا أن ابن أبى زائدة أخطأ فى اسمه، فسماه « محمد بن عبد الله » .

والحديث رواه أحمد فى المسند ٥ : ٣٨٨ (حلبى) عن إسمعيل بن عمر ، وخلف بن الوليد ، كلاهما عن يحيى بن زكريا . ورواه أبو داود : ١٣١٩ ، عن محمد بن عيسى ، عن يحيى بن زكريا ــ بهذا الإسناد . وأشار إليه البخارى فى الكبير ١ / ١ / ١٧٢ ، فى ترجمة « محمد بن عبيد أبى قدامة الحنفى » ،

٨٥١ – وكذلك روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه رأى أبا هريرة مُنبطِحاً على بطنه فقال له: اشكَنْب دَرْد . قال : نعم . قال: قم فصلِّ ، فإن فى الصلاة شفاءً .(١)

قال : « وقال النضر عن عكرمة ، عن محمد بن عبيد أبي قدامة ، سمع عبد العزيز أخا حذيفة ، عن حذيفة : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى . وقال ابن أبي زائدة : عن عكرمة عن محمد ابن عبد الله الدؤلى » . و « النضر » الذى يشير إليه البخارى : هو النضر بن محمد الجريشى اليمامى .

و « عبد العزيز بن اليمان » : هو أخو حذيفة بن اليمان ، كما صرح بنسبه فى الرواية السابقة ، وكما وصف بذلك فى هذه الرواية ، وفى روايتى المسند والبخارى فى الكبير . وأما رواية أبى داود ففيها « عن عبد العزيز ابن أخى حذيفة » . وكذلك فى رواية ابن مندة ، التى أشار إليها الحافظ فى الإصابة ٥ : ١٥٩ . ورجح الحافظ فى ذلك الموضع ، وفى التهذيب ٦ : ٣٦٤ – ٣٦٥ أنه ابن أخى حذيفة ، لا أخوه . ولكن أكثر الرواة ذكروا أنه أخوه ، كما أشرنا ، لم يخالفهم إلا « محمد بن عيسى » شيخ أبى داود – فيما رأيت . فلا أدرى ثم هذا الترجيح ؟ بل الذى أراه ترجيح رواية الأكثر ، ومنهم « النضر ابن محمد » ، وكان مكثراً للرواية عن عكرمة بن عمار .

وبذلك جزم ابن أبى حاتم فى ترجمة «عبد العزيز بن اليمان » فى كتاب الجرح والتعديل ٢ / ٢ / ٣٩٩ ، لم يذكر خلافاً ولا قولا آخر .

والحديث ذكره أيضاً ابن كثير ١ : ١٥٧ – ١٥٨ من روايات المسند وأبى داود والطبرى . ثم ذكر نحوه مطولا ، من رواية محمد نصر المروزى فى كتاب الصلاة .

(١) الحديث : ٨٥١ – هكذا ذكره الطبرى معلقاً ، دون إسناد . وقد رواه أحمد فى المسند : ٩٠٥٤ (٢ : ٣٩٠ حلبى) ، عن أسود بن عامر ، عن ذواد أبى المنذر ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن أبى هريرة . ثم رواه مرة أخرى : ٩٢٢٩ (٢ : ٤٠٣ حلبى) ، عن موسى بن داود ، عن ذواد . وكذلك رواه ابن ماجة : ٣٤٥٨ ، بإسنادين عن ذواد .

و « ذواد » : بفتح الذال المعجمة وتشديد الواو وآخره دال مهملة . وضبطه صاحب الخلاصة « ذؤاد » بضم المعجمة وبعدها همزة مفتوحة ، وهو خطأ . وذواد : هو ابن علبة الحارثى ، وكان شيخاً صالحاً صدوقاً ، وضعفه ابن معين ، فقال : « ليس بشىء » . وترجمه البخارى فى الكبير ٢ / ١ / ٢٤١ ، والصغير ، ص : ٢١٤ ، وقال : « يخالف فى بعض حديثه » . وروى هذا الحديث فى الصغير عن ابن الأصبهانى ، عن المحاربى ، عن ليث ، عن مجاهد : « قال لى أبو هريرة : يا فارسى ، شكم درد » ثم قال البخارى : « قال ابن الأصبهانى : ورفعه ذواد ، وليس له أصل ، أبو هريرة لم يكن فارسياً ، إنما مجاهد فارسى » . فهذا تعليل دقيق من ابن الأصبهانى ، ثم من البخارى ، يقضى بضعف إسناد الحديث مرفوعاً .

وقوله فى متن الرواية « اشكنب درد » : كتب عليها فى طبعة بولاق ما نصه : « يعنى : تشتكى بطنك ، بالفارسية . كذا بهامش الأصل » . وكذلك ثبت هذا اللفظ فى المسند ، إلا أن الموضع الأول فيه كتب « ذرد » بنقطة فوق الدال الأولى ، وهو تصحيف . وثبت هذا اللفظ فى رواية البخارى فى التاريخ الصغير ، ص ٢١٤ : « شكم درد » . وفى رواية ابن ماجة « اشكت درد » . وكتب الأستاذ فؤاد عبد الباقى شارحاً له : « بالفارسية : اشكم ، أى بطن . ودرد ، أى وجع . والتاء للخطاب . والهمزة همزة

فأمر الله جل ثناؤه الذين وصف أمرهم من أحبار بنى إسرائيل ، أن يجعلوا مفزَعهم — فى الوفاء بعهد الله الذى عاهدوه — إلى الاستعانة بالصبر والصلاة ، كما أمر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بذلك فقال له : ﴿فَاصْبِرْ﴾ يا محمدُ ﴿عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ [سورة طه : ١٣٠] . فأمره جل ثناؤه فى نوائبه بالفزَع إلى الصبر والصلاة . وقد : —

٨٥٢ — حدثنا محمد بن العلاء ، ويعقوب بن إبراهيم ، قالا : حدثنا ابن علية ، قال : حدثنا عيينة بن عبد الرحمن ، عن أبيه : أنّ ابنَ عباس نُعِيَ إليه أخوه قُثَم ، وهو فى سفر ، فاسترجع . ثم تنحّى عن الطريق ، فأناخ فصلّى ركعتين أطال فيهما الجلوس ، ثم قام يمشى إلى راحلته وهو يقول : « واستعينوا بالصبْر والصلاةِ وإنها لكبيرةٌ إلاّ على الخاشعين ».(١)

* * *

وأما أبو العالية فإنه كان يقول بما : —

٨٥٣ — حدثنى به المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية : « واستعينوا بالصبر والصلاة » ، قال يقول : استعينوا

وصل . كذا حققه الدكتور حسين الهمدانى . ومعناه : أتشتكى بطنك ؟ ولكن جاء فى تكملة مجمع بحار الأنوار ، ص ٧ (أشكنب ددم) . وفى رواية بسكون الباء » . وأنا أرى أن النقل الأخير فيه خطأ . لأنى نقلت فى أوراق على المسند قديماً أن صوابها « أشكنب دردم » . وأكبر ظنى الآن أنى نقلت ذاك عن تكملة مجمع بحار الأنوار ، وهو ليس فى متناول يدى حين أكتب هذا .

(١) الخبر : ٨٥٢ — إسناده صحيح . عيينة بن عبد الرحمن : ثقة . وأبوه عبد الرحمن بن جوشن الغطفانى : تابعى ثقة .

والأثر ذكره السيوطى فى الدر المنثور ١ : ٦٨ ، ونسبه أيضاً لسعيد بن منصور ، وابن المنذر ، والبيهقى فى الشعب .

قثم بن العباس بن عبد المطلب ، أخو عبد الله بن العباس . وأمه أم الفضل . كان يشبه بالنبى صلى الله عليه وسلم ، ولا يصح سماعه عنه ، فإنه كان فى آخر عهد النبى صلى الله عليه فوق ثمان . وخرج مع سعيد بن عثمان زمن معاوية إلى سمرقند ، فاستشهد بها . استرجع : قال : « إنا لله وإنا إليه راجعون » .

بالصبر والصلاة على مرضاة الله ، واعلموا أنهما من طاعة الله .

* * *

وقال ابن جريج بما : —

٨٥٤ — حدثنا به القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال ، قال : ابن جريج في قوله : « واستعينوا بالصبر والصلاة » ، قال : إنهما معونتان على رحمة الله .(١)

٨٥٥ — وحدثني يونس بن عبد الأعلى، قال : أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله: « واستعينوا بالصبر والصلاة »الآية ، قال: قال المشركون : والله يا محمد إنك لتدعونا إلى أمر كبير ! قال : إلى الصلاة والإيمان بالله جل ثناؤه .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ (٤٥)

قال أبو جعفر : يعني بقوله جل ثناؤه : « وإنها » ، وإن الصلاة . فـ «الهاء والألف» ١/٢٠٦ في «وإنها» عائدتان على الصلاة . وقد قال بعضهم : إن قوله : « وإنها» بمعنى : إن إجابة محمد صلى الله عليه وسلم . ولم يجر لذلك بلفظ الإجابة ذكر ، فتجعل « الهاء والألف » كناية عنه . وغير جائز ترك الظاهر المفهوم من الكلام ، إلى باطن لا دلالة على صحته.(٢)

* * *

ويعني بقوله: « لكبيرة » ، لشديدة ثقيلة ، كما : —

٨٥٦ — حدثني يحيى بن أبي طالب قال، أخبرنا ابن يزيد قال، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك في قوله: « وإنها لكبيرةٌ إلا على الخاشعين » ، قال: إنها لثقيلة .(٣)

---

(١) الأثر : ٨٥٤ — الحسين : هو سنيد بن داود المصيصي . و « سنيد » لقب له ، كما مضى : ١٤٤ .

(٢) الظاهر : هو ما تعرفه العرب من كلامها . والباطن : ما يأتي بالاستنباط من الظاهر على طريق العرب في بيانها . وانظر ما مضى ١ : ٧٢ تعليق : ٢ .

(٣) الأثر : ٨٥٦ — في المطبوعة « أخبرنا ابن زيد » ، والصواب « يزيد » من المخطوطة . وهو

• • •

ويعنى بقوله : « إلاّ على الخاشعين » ، إلا على الخاضعين لطاعته . الخائفين سطواتِه ، المصدقين بوعده ووعيده . كما : —

٨٥٦ — حدثنى المثنى بن إبراهيم قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « إلا على الخاشعين » ، يعنى : المصدّقين بما أنزل الله .

٨٥٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا آدم العسقلانى قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية فى قوله : « إلا على الخاشعين » ، قال : يعنى الخائفين.

٨٥٨ — وحدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد : « إلا على الخاشعين » ، قال : المؤمنين حقاً .(١)

٨٥٩ — وحدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

٨٦٠ — وحدثنى يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : الخشوع : الخوف والخشية لله ، وقرأ قول الله : ﴿ خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ ﴾ [سورة الشورى : ٤٥] ، قال : قد أذلهم الخوف الذى نزل بهم ، وخشعوا له

« يزيد بن هرون » وقد مضى مثل هذا الإسناد على الصواب : ٢٨٤ .

ومن الرواة عن جويبر : « حماد بن زيد » ، ولا يحتمل أن يكون مراداً فى هذا الإسناد ، لأن حماد ابن زيد مات سنة ١٧٩ . فلا يحتمل أن يروى عنه يحيى بن أبى طالب ، لأنه ولد سنة ١٨٢ ، كما فى ترجمته فى تاريخ بغداد للخطيب ١٤ : ٢٢٠ — ٢٢١

(١) الأثر : ٨٥٨ — محمد بن عمرو ، هو محمد بن عمرو بن العباس ، أبو بكر الباهلى ، وهو من شيوخ الطبرى الثقات . أكثر من الرواية عنه . مات سنة ٢٤٩ . وله ترجمة فى تاريخ بغداد ٣ : ١٢٧ . و « أبو عاصم » هو النبيل ، الضحاك بن مخلد . و « سفيان » : هو الثورى . و « جابر » : هو ابن يزيد الجعفى

وهكذا جاء هذا الإسناد فى هذا الموضع فى المخطوطة . ووقع فى المطبوعة « محمد بن جعفر » بدل « محمد بن عمرو » ، وهو خطأ لا شك فيه .

إنما الشبهة هنا : أن هذا الإسناد « أبو عاصم ، عن سفيان ، عن جابر » — يرويه الطبرى فى أكثر المواضع «عن محمد بن بشار» ، عن أبى عاصم . وأما روايته عن «محمد بن عمرو» ، فإنما هى لإسناد « أبو عاصم ، عن عيسى بن ميمون ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد » . والأمر قريب ، ولعله روى هذا وذاك .

• • •

وأصل « الخشوع » : التواضع والتذلل والاستكانة ، ومنه قول الشاعر (١).

لَمَّا أَتَى خَبَرُ الزُّبير تواضَعَتْ سُورُ المَدِينَةِ والجِبَالُ الخُشَّعُ (٢)

يعنى : والجبال خُشَّع متذللة لعظم المصيبة بفقده .

• • •

فمعنى الآية : واستعينوا ، أيها الأحبار من أهل الكتاب ، بحبْس أنفسكم على طاعة الله ، وكفِّها عن معاصى الله ، وبإقامة الصلاة المانعة من الفحشاء والمنكر ، المقرِّبةِ من مَراضى الله ، العظيمةِ إقامتُها إلا على المتواضعين لله ، المستكينين لطاعته ، المتذللين من مخافته .

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ ﴾

قال أبو جعفر : إن قال لنا قائل : وكيف أخبر الله جل ثناؤه عمّن قد وَصَفه بالخشوع له بالطاعة ، أنه « يظن » أنه ملاقيه ، والظن شكّ ، والشاك فى لقاء الله عندك بالله كافر ؟

قيل له : إن العرب قد تسمى اليقين « ظنًّا » ، والشك « ظنًّا » ، نظيرَ تسميتهم الظُّلمة

---

(١) الشعر لجرير .

(٢) ديوان جرير : ٣٤٥ ، والنقائض : ٩٦٩ ، وقد جاء منسوباً له فى تفسيره (١ : ٢٨٩/٧ : ١٥٧ بولاق) ، وطبقات ابن سعد : ٣ /١/ ٧٩ ، وسيبويه ١ : ٢٥ ، والأضداد لابن الأنبارى : ٢٥٨ ، والخزانة ٢ : ١٦٦ . استشهد به سيبويه على أن تاء التأنيث جاءت للفعل ، لما أضاف « سور » إلى مؤنث وهو « المدينة » ، وهو بعض منها . قال سيبويه : « وربما قالوا فى بعض الكلام : « ذهبت بعض أصابعه » ، وإنما أنث البعض ، لأنه أضافه إلى مؤنث هو منه ، ولو لم يكن منه لم يؤنثه . لأنه لو قال : « ذهبت عبد أمك » لم يحسن . (١ : ٢٥) .

وهذا البيت يعير به الفرزدق بالغدر ويهجوه ، فإن الزبير بن العوام رضى الله عنه حين انصرف يوم الجمل ، عرض له رجل من بنى مجاشع رهط الفرزدق ، فرماه فقتله غيلة . ووصف الجبال بأنها « خشع » . يريد عند موته ، خشعت وطأطأت من هول المصيبة فى حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن قبح ما لقى من غدر بنى مجاشع .

«سُدْفَة»، والضياء «سُدْفَة»؛ والمغيث «صَارخاً»، والمستغيث «صارخاً»، وما أشبه ذلك من الأسماء التى تسمى بها الشىء وضدّه . ومما يدل علىّ أنه يسمى به اليقين، قولُ دُرَيد بن الصِّمَّة :

فقُلْتُ لهم ظُنُّوا بِأَلْفَى مُدَجَّجٍ سَرَاتُهُمُ فى الفَارِسِىِّ المُسَرَّدِ (١)

يعنى بذلك : تيقّنوا ألفَىْ مدجج تأتيكم . وقول عَميرة بن طارق :

بأن تَغْتَزُوا قَوْمِى وأَقْعُدَ فيكُمُ وأَجْعَلَ مِنِّى الظَّنَّ غيباً مُرَجَّماً (٢)

يعنى : وأجعل منّى اليقين غيباً مرجّماً . والشواهد من أشعار العرب وكلامها

---

(١) الأصمعيات : ٢٣ ، وشرح الحماسة ٢ : ١٥٦ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة : ٤٠ ، وسيأتى غير منسوب فى ٢٥ : ٨٣، وغير منسوب فى ١٣ : ٥٨ برواية أخرى : «فظنوا بألفى فارس متلبب» ، وقبل البيت فى رواية الأصمعى :

وقلتُ لِعارضٍ ، وأَصْحابِ عَارِضٍ ورَهْطِ بنى السَّوْداء ، والقومُ شُهَّدِى
عَلانِيَةً ظُنُّوا . . . . . .

ورواية أبى تمام : « نصحت لعارض » . . . « فقلت لهم ظنوا . . . » . وهذا الشعر قاله فى رثاء أخيه عبد الله بن الصمة ، وهو عارض ، المذكور فى شعره . المدجج : الفارس الذى قد تدجج فى شكته ، أى دخل فى سلاحه ، كأنه تغطى به . والسراة جمع سرى : وهم خيار القوم من فرسانهم . والفارسى المسرد : يعنى الدروع الفارسية ، قال عمرو بن امرئ القيس الخزرجى :

إذا مَشَيْنَا فى الفَارِسِىِّ كَمَا يَمْشِى جِمَالٌ مَصَاعِبٌ قُطُفُ

السرد : إدخال حلق الدرع بعضها فى بعض . والمسرد : المحبوك النسج المتداخل الحلق . ينذر أخاه وقومه أنهم سوف يلقون عدواً من ذوى البأس قد استكمل أداة قتاله .

(٢) نقائض جرير والفرزدق : ٥٣ ، ٧٨٥، والأضداد لابن الأنبارى . ١٢ . وهو عميرة بن طارق بن ديسق اليربوعى ، قالها فى خبر له مع الحوفزان، ورواية النقائض : « وأجلس فيكم . . . » ، و « وأجعل علمى ظن غيب مرجماً » . وقبل البيت :

فلاَ تأمُرَنِّى يا ابنَ أسماء بالتى تَجَرُّ الفتى ذَا الطَّعْمِ أنْ يتكلَّما

ذو الطعم : ذو الحزم . وتجر ، من الإجرار : وهو أن يشق لسان الفصيل ، إذا أرادوا فطامه ، لئلا يرضع . يعنى يحول بينه وبين الكلام .

وغزا الأمر واغتزاه : قصده ، ومنه الغزو : وهو السير إلى قتال العدو وانتهابه . والمرجم : الذى لا يوقف على حقيقة أمره ، لأنه يقذف به على غير يقين ، من الرجم : وهو القذف .

هذا ، والبيت ، كما رواه فى النقائض ، ليس بشاهد على أن الظن هو اليقين . ورواية الطبرى هى التى تصلح شاهداً على هذا المعنى

على أنّ «الظنّ» فى معنى اليقين ، أكثرُ من أن تحصى ، وفيما ذكرنا لمن وُفّق لفهمه ١/٢٠٧ كفايةٌ . ومنه قول الله جل ثناؤه : ﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا ﴾ [سورة الكهف : ٥٣] . وبمثل الذى قلنا فى ذلك جاء تفسيرُ المفسرين .

٨٦١ – حدثنى المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا آدم ، قال : حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية فى قوله : « يظنون أنهم مُلاقو ربّهم » قال : إن الظن ههنا يقين .

٨٦٢ – حدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد قال : كل ظنٍّ فى القرآن يقين ، «إنى ظننتُ» ، «وظنّوا» .

٨٦٣ – حدثنى المثنى ، قال : حدثنا إسحق ، قال : حدثنا أبو داود الحفرى ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : كل ظنّ فى القرآن فهو عِلْم[1] .

٨٦٤ – حدثنى موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى : « الذينَ يُظنون أنهم مُلاقو ربّهم » ، أمّا « يظنون » فيستيقنون .

٨٦٥ – حدثنى القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : « الذين يظنون أنهم مُلاقو ربّهم » ، علموا أنهم ملاقو ربهم ، هى كقوله : ﴿ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴾ [سورة الحاقة : ٢٠] يقول : علمت .

٨٦٦ – وحدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال قال ابن زيد فى قوله : « الذين يظنّون أنهم مُلاقو ربّهم » ، قال : لأنهم لم يعاينوا ، فكان ظنّهم يقيناً ،

---

(١) الأثر : ٨٦٣ – إسحق : هو ابن راهويه الإمام الحافظ . أبو داود الحفرى – بالحاء المهملة والفاء المفتوحتين – هو : عمر بن سعد بن عبيد . ووقع فى تفسير ابن كثير ١ : ١٥٩ « أبو داود الجبرى » ، وهو تصحيف . وسفيان : هو الثورى .

وليس ظنًّا فى شك ، وقرأ : « إنى ظننتُ أنى مُلاق حسابِيَه » .

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى ذكره ﴿أَنَّهُمْ مُلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾

قال أبو جعفر : إن قال لنا قائل : وكيف قيل إنهم ملاقو ربّهم ، فأضيف « الملاقون» إلى الرب تبارك وتعالى ، وقد علمتَ أن معناه : الذين يظنون أنهم يَلقَوْن ربهم ؟ وإذْ كان المعنى كذلك ، فمن كلام العرب ترك الإضافة وإثبات النون ، وإنما تُسقط النونَ وتضيف ، فى الأسماء المبنية من الأفعال ، إذا كانت بمعنى « فعل » ، فأما إذا كانت بمعنى « يفعل وفاعل » ، فشأنها إثبات النون وترك الإضافة .

قيل : لا تدافع بين جميع أهل المعرفة بلغات العرب وألسنها ، فى إجازة إضافة الاسم المبنى من « فعل ويفعل » وإسقاط النون ،وهو بمعنى « يفعل وفاعل » ، أعنى بمعنى الاستقبال وحالِ الفعل ولما يَنْقض . فلا وجه لمسئلة السائل عن ذلك : لم قيلَ ؟ وإنما اختلفَ أهل العربية فى السبب الذى من أجله أضيفَ وأسقطت النون .

فقال نحويُّو البصرة ، أسقطت النون من «ملاقو ربِّهم» ، وما أشبهه من الأفعال التى فى لفظ الأسماء ، وهى فى معنى « يفعل » ، وفى معنى ما لم ينقض ، استثقالا لها وهى مُرادة ، كما قال جل ثناؤه : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [سورة آل عمران : ١٨٥ / سورة الأنبياء : ٣٥ / سورة العنكبوت : ٥٧] ، وكما قال ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ [سورة القمر : ٢٧] ، ولمّا يُرسلها[1] ، وكما قال الشاعر :

---

(١) فى المطبوعة : « ولما يرسلها بعد » .

هلْ أنتَ بَاعِثُ دِينَارٍ لحاجَتِنَا أوْ عَبْدَ رَبٍّ أخَا عَوْنِ بنِ مِخْرَاقِ؟[١]

فأضاف « باعثاً » إلى « الدينار » ، ولما يبعث ، ونصب «عبدَ ربٍّ» . عطفاً على موضع دينار ، لأنه فى موضع نصب وإنْ خُفِض ، وكما قال الآخر[٢] : .

الحافِظُو عَوْرَةِ العَشِيرةِ ، لَا يَأْتِيهِمُ مِنْ وَرَائِهِمْ نَطَفُ[٣]

بنصب « العورة » وخفضها ، فالخفضُ على الإضافة ، والنصب على حذف النون استثقالا وهى مرادة . وهذا قول نحوى البصرة[٤] .

• • •

وأما نحويو الكوفة فإنهم قالوا : جائزٌ فى «ملاقو» الإضافة ، وهو فى معنى «يلقون» ، وإسقاط النون منه ، لأنه فى لفظ الأسماء ، فله فى الإضافة إلى الأسماء حظ الأسماء. وكذلك حكم كل اسم كان له نظيراً . قالوا : وإذا أثبتَّ فى شىء من ذلك النون وتركتَ الإضافة ، فإنما تفعل ذلك به ، لأن له معنى « يفعل » ، الذى لم يكن ٢٠٨/١ ولم يَجب بعد . قالوا : فالإضافة فيه للفظ ، وترك الإضافة للمعنى .

---

(١) سيبويه ١ : ٨٧ ، والخزانة ٣ : ٤٧٦ ، والعينى ٣ : ٥٦٣ . قال صاحب الخزانة : « البيت من أبيات سيبويه التى لم يعرف قائلها . وقال ابن خلف : قيل هو لجابر بن رألان السنبسى ، وسنبس أبو حى من طيء . ونسبه غير خلمة سيبويه إلى جرير ، وإلى تأبط شراً ، وإلى أنه مصنوع ، والله أعلم بالحال ! » . دينار وعبد رب ، رجلان . والشاهد فيه نصب « عبد رب » على موضع « دينار » ، لأن المعنى : هل أنت باعث ديناراً أو عبد رب .

(٢) هو عمرو بن امرئ القيس ، من بنى الحارث بن الخزرج ، وهو جد عبد الله بن رواحة رضى الله عنه ، جاهلى قديم .

(٣) جمهرة أشعار العرب : ١٢٧ ، سيبويه ١ : ٩٥ ، واللسان (وكف) والخزانة ٢ : ١٨٨ ، ٣٣٧ ، ٣/٤٨٣ : ٤٠٠ ، ٤٧٣ . وهو من قصيدة يقولها لمالك بن العجلان النجارى فى خبر مذكور . والعورة : المكان الذى يخاف منه مأتى العدو . والنطف : العيب والريبة ، يقال : هم أهل الريب والنطف . وهذه رواية سيبويه والطبرى ، وأما رواية غيره فهى : « من ورائنا وكف » ، والوكف : العيب والنقص .

(٤) قال سيبويه ١ : ٩٥ : « لم يحذف النون للإضافة ، ولا ليعاقب الاسم النون ، ولكن حذفوها كما حذفوها من اللذين والذين ، حين طال الكلام ، وكان الاسم الأول منتهاه الاسم الآخر » .

• • •

فتأويل الآية إذاً : واستعينوا على الوفاء بعهدى بالصّبر عليه والصلاة ، وإن الصلاة لكبيرة إلا على الخائفين عقابى ، المتواضعين لأمرى ، الموقنين بلقائى والرجوع إلىّ بعد مماتهم .

وإنما أخبر الله جل ثناؤه أن الصلاة كبيرةٌ إلا على من هذه صفته ، لأن من كان غيرَ مُوقن بمعادٍ ، ولا مصدّق بمرجع ولا ثواب ولا عقاب ، فالصلاة عنده عناء وضلال ، لأنه لا يرجو بإقامتها إدراكَ نفع ولا دفعَ ضُرّ . وحُقّ لمن كانت هذه الصفةُ صفته أنْ تكون الصلاة عليه كبيرة ، وإقامتها عليه ثقيلة وله فادحة . وإنما خفّت على المؤمنين المصدّقين بلقاء الله ، الراجين عليها جزيل ثوابه ، الخائفين بتضييعها أليم عقابه ، لِمَا يرجون بإقامتها فى معادهم من الوصول إلى ما وعد الله عليها أهلها ، ولما يحذرون بتضييعها ما أوعد مُضيعَها . فأمر الله جل ثناؤه أحبار بنى إسرائيل الذين خاطبهم بهذه الآيات ، أن يكونوا من مُقيميها الراجين ثوابها ، إذا كانوا أهلَ يقين بأنهم إلى الله راجعون ، وإياه فى القيامة مُلاقون .

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (٤٦)

قال أبو جعفر : و «الهاء والميم» اللتان فى قوله : «وأنهم» ، من ذكر الخاشعين ، و «الهاء» فى «إليه» ، من ذكر الرب تعالى ذكره فى قوله : «ملاقو ربهم» . فتأويل الكلمة ، وإنها لكبيرة إلاّ على الخاشعين الموقنين أنهم إلى ربهم راجعون .

• • •

ثم اختلف فى تأويل «الرجوع» الذى فى قوله : «وأنهم إليه راجعون» . فقال بعضهم ، بما :—

٨٦٧ – حدثني به المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا آدم ، قال : حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية في قوله : « وأنهم إليه راجعون »، قال : يستيقنون أنهم يرجعون إليه يوم القيامة .

• • •

وقال آخرون : معنى ذلك : أنهم إليه يرجعون بموتهم .

• • •

وأولى التأويلين بالآية ، القول الذي قاله أبو العالية . لأن الله تعالى ذكره قال في الآية التي قبلها : « كيفَ تكفرونَ بالله وكنتمْ أمواتاً فأحياكمْ ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه تُرجعون» . فأخبر جل ثناؤه أن مرجعهم إليه بعد نَشرهم وإحيائهم من مماتهم ، وذلك لاشك يوم القيامة . فكذلك تأويل قوله : « وأنهم إليه راجعون » .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : وتأويل ذلك في هذه الآية ، نظيرُ تأويله في التي قبلها في قوله : « اذكروا نعمتي التي أنعمتُ عليكم وأوفوا بعهدي » . وقد ذكرته هنالك[1].

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٤٧)

قال أبو جعفر : وهذا أيضاً مما ذكّرهم جل ثناؤه من آلائه ونعمه عندهم . ويعني بقوله : « وأني فضلتكم على العالمين »، أني فضلت أسلافكم، فنسب نِعَمه على آبائهم وأسلافهم، إلى أنها نعم منه عليهم، إذ كانت مآثر الآباء مآثرَ للأبناء،

(١) انظر ١ : ٥٥٥ – ٥٥٩ .

والنعم عند الآباء نعماً عند الأبناء ، لكون الأبناء من الآباء . وأخرج جل ذكره قوله : « وأنى فضلتكم على العالمين » مُخرَج العموم، وهو يريد به خصوصاً ، لأن المعنى : وأنى فضلتكم على عَالَمِ من كنتم بين ظَهرَيه وفى زمانه[1]. كالذى :—

٨٦٨ — حدثنا به محمد بن عبد الأعلى الصنعانى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر — وحدثنا الحسن بن يحيى قال، حدثنا عبدالرزاق قال، أخبرنا معمر — عن قتادة، « وأنى فضلتكم على العالمين»، قال : فضلهم على عالمَ ذلك الزمان .

٨٦٩ — حدثنى المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبى العالية : « وأنّى فضّلتكم على العالمين» قال : بما أعطوا من الملك والرُسل والكتب ، على عالم مَنْ كان فى ذلك الزمان ، فإنّ لكل زمان عالَماً . ٢٠٩/١

٨٧٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال مجاهد فى قوله : « وأنى فضّلتكم على العالمين » ، قال : على من هم بين ظهرانَيْه

٨٧١ — وحدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : على من هم بين ظَهرانيه .

٨٧٢ — وحدثنى يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، سألت ابن زيد عن قول الله: « وأنّى فضلتكم على العالمين»، قال : عالم أهل ذلك الزمان. وقرأ قول الله ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾، [سورة الدخان : ٣٢] قال: هذه لمن أطاعه واتبع أمره، وقد كان فيهم القردةُ، وهم أبغض خلقه إليه، وقال لهذه الأمة: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾، [سورة آل عمران : ١١٠] قال:

---

(١) انظر ١ : ١٤٣ — ١٤٦ ، ثم ١٥١ — ١٥٢ . يقال لكل ما كان فى وسط شىء ومعظمه : « هو بين ظهرينا وظهرانينا » على تقدير أنه مقيم بين ظهر من ورائه وظهر من أمامه ، فهو مكنوف من جانبيه ، ثم كثر حتى استعمل فى الإقامة بين القوم مطلقاً . ويقال أيضاً : « هو بين أظهرهم مقيم » بهذا المعنى . ويقال أيضاً : « لقيته بين ظهرانى الليل » ، أى بين العشاء والفجر ، وعلى هذا فقس استعمال هذه الكلمة .

هذه لمن أطاع الله ، واتبع أمرَه ، واجتنب محارمه .

* * *

قال أبو جعفر : والدليل على صحة ما قلنا من أن تأويل ذلك على الخصوص الذى وصفنا ما :—

٨٧٣ — حدثنى به يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن علية — وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر — جميعاً ، عن بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ألا إنكم وَفَّيْتُم سبعين أمّة — قال يعقوب فى حديثه : أنتم آخرها — وقال الحسن : أنتمُ خيرُها وأكرمُها على الله[1] .

* * *

فقد أنبأ هذا الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنّ بنى إسرائيل لم يكونوا مفضَّلين على أمة محمد عليه السلام ، وأنّ معنى قوله : ﴿ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ ، [سورة الجاثية : ١٦ ، وقوله : « وأنى فضّلتكم على العالمين » ، على ما بيّنا من تأويله .

---

(١) الحديث : ٨٧٣ — بهز ، بفتح الباء وسكون الهاء : هو ابن حكيم بن معاوية بن حيدة القشيرى . وهو ثقة ، وثقه ابن معين وابن المدينى وغيرهما ، ولا حجة لمن تكلم فيه ، وقد ترجمه البخارى فى الكبير ١ / ٢ / ١٤٢ — ١٤٣ ، وابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل ١ / ١ / ٤٣٠ — ٤٣١ . بل أخرج له البخارى فى الصحيح تعليقاً ، كما ذكر الحافظ فى الإصابة ٦ : ١١٢ ، فى ترجمة جده . أبوه حكيم بن معاوية : تابعى ثقة ، ترجمه البخارى ٢ / ١ / ١٢ ، وابن أبى حاتم ١ / ٢ / ٢٠٧ . وجده معاوية بن حيدة : صحابى ثابت الصحبة ، قال ابن سعد فى الطبقات ٧ / ١ / ٢٢ : « وفد على النبى صلى الله عليه وسلم ، فأسلم وصحبه ، وسأله عن أشياء ، وروى عنه أحاديث » . وترجمه البخارى ٤ / ١ / ٣٢٩ ، وقال : « سمع النبى صلى الله عليه وسلم » .

وهذا الحديث رواه الطبرى هنا بإسنادين : من طريق ابن علية عن بهز ، ومن طريق معمر بن راشد عن بهز . وسيأتى بهذين الإسنادين منفصلين (٤ : ٣٠ بولاق) .

ورواه الترمذى ٤ : ٨٢ — ٨٣ ، من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن بهز ، عن أبيه ، عن جده : « أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول ، فى قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) ، قال : أنتم تتمون سبعين أمة ، أنتم خيرها وأكرمها على الله » . ثم قال الترمذى : « هذا حديث حسن . وقد روى غير واحد هذا الحديث عن بهز بن حكيم ، نحو هذا ، ولم يذكروا فيه (كنتم خير أمة أخرجت للناس) » .

وقد أتينا على بيان تأويل قوله: « العالمين» بما فيه الكفاية فى غير هذا الموضع، فأغنى ذلك عن إعادته[١] .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾ -

قال أبو جعفر : وتأويل قوله: «واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً »: واتقوا يوماً لا تجزى فيه نفس عن نفس شيئاً . وجائزٌ أيضاً أن يكون تأويله ، واتقوا يوماً لا تجزيه نفس عن نفس شيئاً ، كما قال الراجز :

قَدْ صَبَّحَتْ ، صبَّحَهَا السَّلامُ ، بِكَبِدٍ خَالَطَهَا سَنَامُ
فى سَاعَةٍ يُحَبُّهَا الطَّعَامُ[٢]

وهو يعنى : يُحب فيها الطعام. فحذفت «الهاء» الراجعة على اليوم، إذ فيه اجتزاء

ورواه ابن ماجة : ٤٢٨٨ ، من طريق ابن علية ، عن بهز .

ورواه الإمام أحمد فى المسند (٥ : ٣ حلبى) ، عن يزيد بن هرون ، عن بهز . ورواه (٥ : ٥)، عن يحيى القطان ، عن بهز .

ورواه الدارمى ٢ : ٣١٣ ، عن النضر بن شميل ، عن بهز .

ورواه ابن ماجة أيضاً : ٤٢٨٧ ، من طريق ابن شوذب ، عن بهز .

ثم لم ينفرد به بهز عن أبيه حكيم ، إذ رواه أيضاً سعيد بن إياس الجريرى : فرواه الإمام أحمد (٤ : ٤٤٧) ، عن عفان ، عن حماد بن سلمة ، عن الجريرى ، عن حكيم بن معاوية ، عن أبيه ، بنحوه . ورواه أيضاً مطولا (٥ : ٣) ، عن حسن بن موسى ، عن حماد بن سلمة ، عن الجريرى .

والحديث ذكره ابن كثير ١ : ١٦٠ ، نسبه إلى « المسانيد والسنن » . ثم ذكره مرة أخرى ٢ : ٢١٤ ، عن « مسند الإمام أحمد ، وجامع الترمذى ، وسنن ابن ماجة ، ومستدرك الحاكم » . ثم قال عقبه : « وهو حديث مشهور . وقد حسنه الترمذى » .

(١) انظر ما سلف ١ : ١٤٣ - ١٤٦ .

(٢) الكامل ١ : ٢٢ ، وأمالى ابن الشجرى ١ : ٦ ، ١٨٦ وغيرهما . صبح القوم : سقاهم الصبوح ، وهو ما يشرب صباحاً من لبن أو خمر . يدعو لها بالخير من حسن ما أطعمته على مسغبة كابدها.

— بما ظهر من قوله : « واتقوا يوماً لا تَجزْى نفس »، الدالّ على المحذوف منه — عما حذف . إذ كان معلوماً معناه .

وقد زعم قوم من أهل العربية أنه لا يجوز أن يكون المحذوف فى هذا الموضع إلا «الهاء» . وقال آخرون لا يجوز أن يكون المحذوف إلا «فيه» . وقد دللنا فيما مضى على جواز حذف كل ما دلّ الظاهر عليه[1] .

* * *

وأما المعنى فى قوله : « واتّقوا يوماً لا تجزى نفسٌ عن نفس شيئاً » ، فإنه تحذير من الله تعالى ذكرُه عبادَه الذين خاطبهم بهذه الآية — عقوبتَهُ أن تحلّ بهم يوم القيامة ، وهو اليوم الذى لا تجزى فيه نفسٌ عن نفس شيئاً ، ولا يَجزى فيه والدٌ عن وَلده ولا مولودٌ هو جازٍ عن وَالده شيئاً[2] .

* * *

وأما تأويل قوله : « لا تَجزْى نفسٌ » ، فإنه يعنى : لا تُغنى كما : —

٨٧٤ — حدثنى به موسى بن هرون ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى : « واتقوا يوماً لا تجزى نفس » : أما « تجزى » ، فتغنى .

* * *

وأصل «الجزاء» — فى كلام العرب — : القضاء والتعويض . يقال : «جَزيته قَرْضَه ودَينه أجزيه جَزَاءً» ، بمعنى قضَيْته دَينه . ومن ذلك قيل : « جزى الله فلاناً عَنّى خيراً أو شرًّا» ، بمعنى أثابه عنى ، وقَضاهُ عَنّى ما لزمنى له بفعله الذى سلف منه إلىّ . وقد قال قوم من أهل العلم بلغة العرب : «يقال أجزيتُ عنه كذا » إذا أعنته عليه ، و «جَزَيت عنك فلاناً» إذا كافأته . ١/٢١٠

وقال آخرون منهم : بل «جَزَيت عنك» ، قضيت عنك . و «أجزَيتُ» ، كفيت .

---

(١) انظر ١ : ١٣٩ — ١٤١ ، ١٧٩ ، وانظر لسان العرب (جزى) .

(٢) تفسير من آية سورة لقمان : ٣٣ .

وقال آخرون منهم: بل هما بمعنى واحد، يقال: «جزت عنك شاةٌ وأجزَتْ، وَجزى عنك درْهمٌ وأجزَى ، ولا تَجزى عنك شاةٌ ولا تُجزى»، بمعنى واحد . إلا أنهم ذكروا أنّ « جزَت عنك ، ولا تُجزى عنك » من لغة أهل الحجاز ، وأنّ «أجزأ وتُجزئ » من لغة غيرهم . وزعموا أن تميماً خاصّة من بين قبائل العرب تقول : «أجزأتْ عنك شاة ، وهى تُجزئ عنك » .

وزعم آخرون أن « جَزى » بلا همز ، قضى . « وأجزأ » بالهمز ، كافأ[1] .

* * *

فمعنى الكلام إذاً: واتقوا يَوْماً لا تقضى نفس عن نفس شيأ ولا تُغنى عنها غِنًى.

* * *

فإن قال لنا قائل: وما معنى : لا تقضى نفسٌ عن نفس ولا تُغنى عنها غِنًى؟

قيل: هو أنّ أحدنا اليوم ربّما قضى عن ولده أو والده أوْ ذِى الصداقة والقرابة — دَيْنه . وأما فى الآخرة فإنه — فيما أتتنا به الأخبار عنها — يسرُّ الرجلَ أن يَبرُدَ لهُ على وَلده أو والده حَقٌّ[2] . وذلك أن قضاء الحقوق فى القيامة من الحسنات والسيّآت ، كما :

٨٧٥ — حدثنا أبو كريب ونصر بن عبد الرحمن الأزدىّ قالا ، حدثنا المحاربى ، عن أبى خالد الدالانىّ يزيد بن عبد الرحمن ، عن زيد بن أبى أنيسة ، عن سعيد ابن أبى سعيد المقبرى ، عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رَحم الله عبدًا كانت عنده لأخيه مَظلمة فى عِرْض — قال أبو كريب فى حديثه : أو مال ، أو جَاهٍ — فاستحلَّه قبل أن يُؤخذ منه ، وليس ثَمَّ دينارٌ ولا درْهمٌ ؛ فإنْ كانتْ له حَسناتٌ أُخذوا من حَسناته ، وإن لم تَكنْ له حسناتٌ حَملوا عليه من سيّآتهم[3] .

---

(١) انظر ما جاء فى ذلك فى لسان العرب (جزى) ، والذى جاء به الطبرى أتم وأبين .

(٢) برد عليه حق : وجب ولزم . وبرد لى عليه كذا وكذا : أى ثبت . ويقال : لى عليه ألف بارد ، أى ثابت .

(٣) الحديث : ٨٧٥ — هذا إسناد صحيح . نصر بن عبد الرحمن الأزدى : سبق فى : ٤٢٣ ،

٨٧٦ – حدثنا أبو عثمان المقدمى قال، حدثنا الفَرْوىّ، قال حدثنا مالك، عن المقبرى، عن أبيه، عن أبى هريرة، عن النبى صلى الله عليه وسلم، بنحوه[١].

٨٧٧ – حدثنا خلاد بن أسلم قال، حدثنا أبو همام الأهوازى قال، أخبرنا عبد الله بن سعيد، عن سعيد، عن أبى هريرة، عن النبى صلى الله عليه وسلم، بنحوه[٢].

وأثبت فى الشرح هناك « التاجى » ، وهو سهو ، صوابه « الناجى » بالنون . و « الأزدى » بالزاى ، وفى المطبوعة هنا « الأودى » بالواو ، وهو خطأ . المحاربى : هو عبد الرحمن بن محمد ، سبق فى : ٢٢١ . أبو خالد الدالانى ، يزيد بن عبد الرحمن : تكلموا فيه ، والحق أنه ثقة ، وثقه أبو حاتم وغيره ، وترجمه البخارى فى الكبير ٤ / ٢ / ٣٤٦ – ٣٤٧ ، وابن أبى حاتم ٤ / ٢ / ٢٧٧ ، فلم يذكرا فيه جرحاً . وهو مترجم فى التهذيب فى الكنى ، لخلاف فى اسم أبيه ، ولكن رجح الترمذى والطبرى ما ذكرنا ، وكذلك رجح البخارى وابن أبى حاتم . « الدالانى » فى المطبوعة هنا « الدولابى » ، وهو خطأ ، صححناه من المخطوطة .

والحديث رواه الترمذى ٣ : ٢٩٢ ، عن هناد ، ونصر بن عبد الرحمن ، كلاهما عن المحاربى ، بهذا الإسناد . ثم قال : « هذا حديث حسن صحيح . وقد روى مالك بن انس ، عن سعيد المقبرى ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه سلم ، نحوه » .

وقوله أثناء الحديث « قال أبو كريب » ، فى المطبوعة « قال أبو بكر » ، وهو خطأ واضح ، صححته من المخطوطة .

(١) الحديث : ٨٧٦ – هو الحديث السابق ، بمعناه ، ولكن من رواية مالك . وهى الرواية التى نقلنا إشارة الترمذى إليها .

أبو عثمان المقدمى – بضم الميم وفتح القاف وتشديد الدال المهملة المفتوحة : وهو أحمد بن محمد بن أبى بكر ، نسب إلى « مقدم » أحد أجداده . وهو ثقة ، ترجمه ابن أبى حاتم ١ / ١ / ٧٣ ، وقال : « سمعت منه بمكة ، وهو صدوق » ، وترجمه السمعانى فى الأنساب ، فى الورقة : ٥٣٩ ، والخطيب فى تاريخ بغداد ٤ : ٣٩٨ – ٣٩٩ ، مات سنة ٢٦٤ . الفروى : بفتح الفاء وسكون الراء ، نسبة إلى أحد أجداده ، وفى المطبوعة بالقاف بدل الفاء ، وهو تصحيف . وهو : إسحق بن محمد بن أبى فروة ، أحد الرواة عن مالك ، وأحد شيوخ البخارى ، وهو ثقة ، تكلم فيه بعضهم بغير حجة . وقد رجحنا توثيقه فى شرح المسند : ٧٤٢٥ .

والحديث من طريق مالك : رواه البخارى ١١ : ٣٤٣ – ٣٤٤ (فتح البارى) ، عن إسمعيل – وهو ابن أبى أويس ، ابن أخت مالك ونسيبه – عن مالك . ورواه أحمد فى المسند : ٩٦١٣ (٢ : ٤٣٥ حلبى) ، من طريق مالك وابن أبى ذئب ، كلاهما عن المقبرى . ثم رواه أيضاً : ١٠٥٨٠ (٢ : ٥٠٦) ، من طريق ابن أبى ذئب . ورواه البخارى أيضاً ٥ : ٧٣ ، من طريق ابن أبى ذئب . وأوله فى هذه الروايات : « من كانت عنده مظلمة . . . » ، فذكر نحوه ، بمعناه .

(٢) الحديث : ٨٧٧ – هو الحديث السابق ، بنحوه ، من طريق أخرى . أبو همام الأهوازى : هو محمد بن الزبرقان ، وهو ثقة ، وترجمه البخارى فى الكبير ١ / ١ / ٨٧ ، وقال : « معروف الحديث » ، ابن أبى حاتم ٣ / ٢ / ٢٦٠ ، وأخرج له الشيخان فى الصحيحين .

٨٧٨ – حدثني موسى بن سهل الرملي قال ، حدثنا نعيم بن حماد قال ، حدثنا عبد العزيز الدراوردي ، عن عمرو بن أبي عمرو ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يموتَنّ أحدُكم وعليه دين، فإنه ليس هُناك دينارٌ ولا درهم ، إنما يَقتسمون هنالك الحسنات والسيآت . وأشارَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده يميناً وشمالاً"[1] .

٨٧٩ – وحدثني محمد بن إسحق قال ، حدثنا سلم بن قادم، قال حدثنا أبو معاوية هاشم بن عيسى ، قال أخبرني الحارث بن مُسلم ، عن الزهريّ ، عن أنس بن مالك ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بنحو حديث أبي هريرة[2] .

• • •

قال أبو جعفر : فذلك معنى قوله جل ثناؤه : «لا تجزى نفس عن نفس شيئاً».

عبد الله بن سعيد : أنا أرجح أنه « عبد الله بن سعيد بن أبي هند » ، وهو ثقة . وبعيد أن يكون « عبد الله بن سعيد بن أبي سعيد المقبرى » ، إذ يأباه سياق الإسناد ، لو كان إياه لكان « عبد الله بن سعيد عن أبيه » . أما وهو « عبد الله بن سعيد عن سعيد » – فالظاهر أنه غير ابن سعيد المقبرى . والحديث صحيح بكل حال ، بالأسانيد السابقة .

(١) الحديث : ٨٧٨ – هذا إسناد صحيح متصل عن ابن عباس ، ولم أجده فى مسند الإمام أحمد ، ولا فى الكتب الستة ، ولا فى مجمع الزوائد ، ولا أشار إليه الترمذى فى قوله « وفى الباب » . فهو فائدة زائدة ، يستفاد من رواية أبي جعفر رحمه الله .

(٢) الحديث : ٨٧٩ – هذا إسناد فيه إشكال لم أستطع تحقيقه .

أما « سلم بن قادم » : فإنه « سلم » بفتح السين وسكون اللام . وفى المطبوعة هنا « سالم » بالألف بعد السين ، وهو خطأ . وسلم هذا : بغدادى ثقة ، يروى عن سفيان بن عيينة ، وبقية بن الوليد ، وغيرهما . ترجمه ابن أبي حاتم ٢ / ١ / ٢٦٨ ، والخطيب فى تاريخ بغداد ٩ : ١٤٥ – ١٤٦ . وله ترجمة موجزة فى لسان الميزان ٣ : ٦٥ .

وأبو معاوية هاشم بن عيسى : هو هاشم بن أبي هريرة الحمصى ، اشتهر بالانتساب إلى كنية أبيه ، أعنى « هاشم بن أبي هريرة » . ترجمه ابن أبي حاتم ٤ / ٢ / ١٠٥ ، ولم يذكر فيه جرحاً . وله ترجمة غير محررة فى لسان الميزان ٦ : ١٨٤ ، ذكر فيها اسم الراوى عنه « مسلم بن قادم » ، وهو تحريف .

وأما الإشكال فى الإسناد ، ففى « الحارث بن مسلم» ، الراوى هنا عن الزهرى . فما أدرى من ذا ؟ ولا ما صحته ؟ ولعل فيه تحريفاً لم أستطع إدراكه . ثم لم أجد هذا الحديث من حديث أنس قط ، بعد طول البحث والتتبع . وهناك فى المستدرك للحاكم ٤ : ٥٧٦ ، حديث آخر لأنس ، من وجه آخر ، فيه بعض هذا المعنى . إسناده ضعيف .

يعنى : أنها لا تقضى عنها شيئاً لزمها لغيرها ، لأن القضاءَ هنالك من الحسنات والسيآت على ما وصفنا . وكيف يقضى عن غيره ما لزمه ، مَنْ كان يسرّه أن يثبُتَ له على وَلده أو والده حق ، فيؤخذَ منه ولا يُتجافى له عنه ؟ (١)

* * *

وقد زعم بعض نحويى البصرة أن معنى قوله : « لا تجزى نفسٌ عن نفس شيئاً » : لا تَجزى منها أن تكون مكانها .

وهذا قولٌ يشهد ظاهرُ القرآن على فساده(٢). وذلك أنه غيرُ معقول فى كلام العرب أن يقول القائل : « ما أغنيت عنى شيئاً » ، بمعنى ما أغنيت منّى أن تكون مكانى . بل إذا أرادوا الخبر عن شىء أنه لا يَجزى من شىء قالوا : « لا يجزى هذا من هذا » ، ولا يستجيزون أن يقولوا : « لا يجزى هذا من هذا شيئاً » . فلو كان تأويل قوله : « لا تجزى نفسٌ عَنْ نفس شيئاً » ما قاله من حكينا قوله ، لقال : واتقوا يوماً لا تجزى نفسٌ عن نفس ، كما يقال : لا تجزى نَفسٌ مِنْ نفس ، ولم يقل : « لا تجزى نفسُ عن نفس شيئاً » . وفى صحة التنزيل بقوله : « لا تجزى نفس عن نفس شيئاً » ، أوضح الدلالة على صحة ما قلنا ، وفسادِ قول من ذكرنا قوله فى ذلك(٣) . ١/٢١١

* * *

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ ﴾

قال أبو جعفر : و«الشفاعة» مصدر من قول الرجل : «شَفع لى فلانٌ إلى فلان شَفاعة»(٤) ، وهو طلبه إليه فى قضاء حاجته. وإنما قيل للشفيع «شَفيعٌ وشافع» ، لأنه

(١) فى المطبوعة : « فيأخذه منه » ، والذى فى المخطوطة أعرب . تجافى له عن الشىء : أعرض عنه ولم يلازمه بطلبه ، وتجاوز له عنه .

(٢) انظر ما مضى فى معنى « ظاهر » ١ ، ٧٢ ، تعليق : ٢ ، وهذا الجزء ٢ : ١٥ .

(٣) هذا من جيد البيان عن معانى اللغة ، وهو منهج من النظر سبق به الطبرى كل من تكلم فى الفصل بين معانى الكلام العربى .

(٤) فى المخطوطة : « شفع لى فلان شفاعة » بالحذف .

ثنّى المستشفعَ به فصار به شفعاً[١]، فكان ذو الحاجة – قبل استشفاعه به فى حاجته – فرداً، فصار صاحبُه له فيها شافعاً ، وطلبُه فيه وفى حاجته شفاعة . ولذلك سُمى الشفيعُ فى الدار وفى الأرض «شفيعاً» ، لمصير البائع به شفعاً[٢] .

* * *

فتأويل الآية إذاً : واتقوا يوماً لا تقضى نفس عن نفس حقاً لزمها لله جل ثناؤه ولا لغيره، ولا يقبل الله منها شفاعةَ شافع ، فيترك لها ما لزمها من حقّ .

وقيل: إن الله عز وجل خاطب أهل هذه الآية بما خاطبهم به فيها ، لأنهم كانوا من يهود بنى إسرائيل، وكانوا يقولون : نحنُ أبناء الله وأحبّاؤه وأولاد أنبيائه، وسيشفع لنا عنده آباؤنا . فأخبرهم الله جلّ وعز أنّ نفساً لا تجزى عن نفس شيئاً فى القيامة، ولا يُقبل منها شفاعةُ أحد فيها، حتى يُستوفَى لكل ذى حق منها حقه. كما :–

٨٨٠ – حدثنى عباس ابن أبى طالب قال ، حدثنا حجاج بن نصير ، عن شعبة ، عن العوام بن مراجم – رجل من قيس بن ثعلبة –، عن أبى عثمان النهدى ، عن عثمان بن عفان: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الجمّاء لتقتصُّ من القرناء يوم القيامة ، كما قال الله عز وجل : ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [سورة الأنبياء : ٤٧][٣]

---

(١) فى المطبوعة : « المستشفع له » ، وهو خطأ ، كما يدل عليه تمام الكلام .

(٢) قال ابن قتيبة فى تفسير « الشفعة » : « كان الرجل فى الجاهلية ، إذا أراد بيع منزل ، أتاه رجل فشفع إليه فيما باع ، فشفعه وجعله أولى بالمبيع ممن بعد سببه . فسميت شفعة ، وسمى طالبها شفيعاً » . والشفعة فى الدار والأرض : القضاء بها لصاحبها (اللسان : شفع) .

(٣) الحديث : ٨٨٠ – عباس بن أبى طالب : هو عباس بن جعفر بن الزبرقان البغدادى، وهو ثقة، مترجم فى التهذيب، ترجمه ابن أبى حاتم ٣ /١/ ٢١٥، والخطيب فى تاريخ بغداد ١٢ : ٤١١ – ١٤٢ . « العوام بن مراجم » : بالراء والجيم ، ثبت فى الأصول « مزاحم » بالزاى والحاء ، وهو تصحيف .

والحديث ضعيف الإسناد ، من أجل حجاج بن نصير الفساطيطى . وقد رواه عبد الله بن أحمد ، فى الزوائد على المسند : ٥٢٠ ، عن عباس بن محمد وأبى يحيى البزار ، كلاهما عن حجاج بن نصير . وقد فصلنا القول فى ضعفه هناك

فآيسهم جل ثناؤه مما كانوا أطمعوا فيه أنفسَهم ، من النجاة من عذاب الله — مع تكذيبهم بما عرفوا من الحق، وخلافِهم أمرَ الله فى اتباع محمدٍ صلى الله عليه وسلم وما جاءهم به من عنده — بشفاعة آبائهم وغيرهم من الناس كلهم ؛ وأخبرهم أنه غيرُ نافعهم عنده إلا التوبة إليه من كفرهم، والإنابة من ضلالهم. وجَعل ما سنّ فيهم من ذلك إماماً لكل من كان على مِثل مِنهاجهم، لئلا يطمع ذو إلحاد فى رحمته[1].

وهذه الآية ، وإن كان مَخرجها عاماً فى التلاوة ، فإنّ المرادَ بها خاصٌّ فى التأويل ، لتظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « شفاعتى لأهل الكبائر من أمّتى » وأنه قال : « ليس منْ نبىٍّ إلا وقد أعطى دَعْوةً ، وإنّى اختبأتُ دَعوتى شفاعةً لأمّتى ، وهى نائلةٌ إن شاء اللهُ منهم من لا يشرك بالله شيئاً »[2]. فقد تبين بذلك أن الله جل ثناؤه قد يَصفح لعباده المؤمنين — بشفاعة نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم لهم — عن كثير من عُقوبة إجرامهم بينهم وبينه ، وأن قولَه : « ولا يُقبل منها شفاعة » ، إنما هى لمن مات على كفره غيرَ تائب إلى الله عز وجل . وليس هذا من مواضع الإطالة فى القول فى الشفاعة والوعد والوعيد ، فنستقصى الحِجاجَ فى ذلك . وسنأتى على ما فيه الكفاية فى مواضعه إن شاء الله .

* * *

وأما معناه فصحيح ثابت ، من حديث أبى هريرة ، رواه أحمد فى المسند : ٧٢٠٣ . ورواه مسلم ، والترمذى ، وصححه .

« الجماء » : لا قرن لها . و « القرناء » : ذات القرن .

(١) فى المطبوعة : « فى رحمة الله » ، وليست بجيدة .

(٢) حديث : « شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى » : هكذا ذكره الطبرى دون إسناد . وهو حديث صحيح ، ذكره السيوطى فى الجامع الصغير ، ونسبه لأحمد ، وأبى داود ، والترمذى ، وابن حبان ، والحاكم — عن أنس . والترمذى ، وابن ماجة ، وابن حبان ، والحاكم — عن جابر . انظر شرح المناوى الكبير ، رقم ٤٨٩٢ (ج ٤ ص ١٦٣) .

وحديث « ليس من نبى » إلخ : كذلك جاء به الطبرى دون إسناد . ومعناه ثابت صحيح ، من حديث أنس بن مالك ، رواه البخارى ، ومسلم . انظر الترغيب والترهيب ٤ : ٢١٣ .

(٣) فى المطبوعة : « إجرامهم بينه وبينهم » ، والذى فى المخطوطة هو الصواب الجيد .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾

قال أبو جعفر : و«العَدل» — فى كلام العرب ؛ بفتح العين — الفِدْية ، كما :—

٨٨١ — حدثنا به المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية : « ولا يؤخذ منها عدل » ، قال : يعنى فداء .

٨٨٢ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حمّاد قال ، حدثنا أسباط بن نصر ، عن السدى : « ولا يُؤخذ منها عَدلٌ » ، أمّا عَدلٌ : فيعدلها ، من العدْل : يقول لو جاءت بملء الأرض ذهباً تفتدى به ما تُقبَّل منها .

٨٨٣ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبدالرزاق ، أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله : «ولا يؤخذ منها عدل» ، قال : لو جاءت بكل شىء لم يقبل منها . ٢١٢/١

٨٨٤ — حدثنا القاسم بن الحسن قال ، حدثنا حسين ، قال حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال مجاهد : قال ابن عباس : «ولا يؤخذ منها عدل» ، قال : بَدَل ، والبدل : الفدية .

٨٨٥ — حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : « ولا يؤخذ منها عدل» ، قال : لو أن لها ملء الأرض ذهباً لم يقبل منها فداء . قال : ولو جاءت بكل شىء لم يقبل منها .

٨٨٦ — حدثنى نجيح بن إبراهيم قال ، حدثنا على بن حكيم قال ، حدثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن عمرو بن قيس الملائى ، عن رجل من بنى أمية — من أهل الشام أحسن عليه الثناء — قال : قيل يا رسول الله : ما العدل ؟ قال : العدلُ الفديةُ[1] .

---

(١) الحديث : ٨٨٦ — نجيح بن إبرهيم : لم أجد فى كل المراجع التى بين يدى ، غير ترجمة « نجيح بن إبرهيم بن محمد الكرمانى » ، فى لسان الميزان ٦ : ١٤٩ ، وأنه كوفى ثقة ، يروى عن أبى نعيم فهو من طبقة شيوخ الطبرى . فالراجح أنه هو ، على بن حكيم — بفتح الحاء — هو الأودى الكوفى ، وهو

وإنما قيل للفدية من الشيء والبدل منه : «عدل»، لمعادلته إياه وهو من غير جنسه، ومصيره له مثلاً، من وجه الجزاء، لا من وجه المشابهة في الصورة والخلقة، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لا يُؤْخَذْ مِنْهَا﴾ [سورة الأنعام : ٧٠]، بمعنى : وإن تفد كل فدية لا يؤخذ منها[١] .

يقال منه : «هذا عدله وعديله» . وأما «العِدل» — بكسر العين — فهو مثل الحِمل المحمول على الظهر . يقال من ذلك : «عندي غلام عِدل غلامك ، وشاة عِدل شاتك» — بكسر العين — إذا كان غلامٌ يعدِلُ غلاماً ، وشاة تعدل شاة[٢]. وكذلك ذلك في كل مِثل للشيء من جنسه . فإذا أريد أنّ عنده قيمتُه من غير جنسه ، نُصبت العين، فقيل: «عِندي عدل شاتِكَ من الدراهم» . وقد ذكر عن بعض العرب أنه يكسر العين من «العدل» الذي هو بمعنى الفِدية ، لمعادلة ما عادله من جهة الجزاء ، وذلك لتقارب معنى العَدل والعِدل عندهم . فأما واحد «الأعدال»، فلم يسمع فيه إلا «عِدل» بكسر العين[٣].

* * *

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ (٤٨)

وتأويل قوله : «ولا هُم يُنصرون» ، يعني أنهم يومئذ لا ينصرهم ناصر ، كما لا يَشفعُ لهم شافع ، ولا يُقبل منهم عَدلٌ ولا فدية . بَطلت هنالك المُحاباة ،

ثقة من شيوخ البخاري ومسلم . حميد بن عبد الرحمن بن حميد الرؤاسي ، وأبوه : ثقتان . عمرو بن قيس الملائي — بضم الميم وتخفيف اللام — الكوفي : ثقة من أتباع التابعين . وقد روى هذا الحديث مرفوعاً ، عن رجل أبهم اسمه وأثنى عليه ، والراجح أنه تابعي . فيكون الإسناد مرسلا أو منقطعاً ، فهو ضعيف . ولم أجده عن غير الطبري ، نقله عنه ابن كثير ١ : ١٦١ ، والسيوطي ١ : ٦٨ .

(١) الجملة في تفسير الآية ، ساقط من المخطوطة .

(٢) وهذه الجملة في المخطوطة جاءت هكذا : «يقال من ذلك : عندي غلام عدل غلاماً ، وشاة عدل شاة» ، واكتفى بهذا القدر منها ، مع الخطأ البين فيها .

(٣) وهذا أيضاً بيان جيد ، قلما تصيبه في كتاب من كتب اللغة .

واضمحلت الرُّشَى والشفاعات ، وارتفع بين القوم التعاوُن والتناصر[1] ، وصار الحُكم إلى العَدل الجبار الذى لا ينفع لديه الشُّفعاء والنُّصراء ، فيجزى بالسيئة مثلها وبالحسنة أضعافها ، وذلك نظير قوله جل ثناؤه : ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ * بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ [سورة الصافات : ٢٤ - ٢٦]

وكان ابن عَباس يَقول فى معنى « لا تناصرون » ، ما :-

٨٨٧ - حدثت به عن المنجاب قال، حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « ما لكم لا تناصرون » ، ما لكم لا تَمانَعون منا ؟ هيهات ليس ذلك لكم اليومَ ![2]

* * *

وقد قال بعضهم فى معنى قوله : «ولا هُمْ يُنصرون» ، وليس لهم من الله يومئذ نصيرٌ ينتصر لهم من الله إذا عاقبهم . وقد قيل : « ولا هم ينصرون » ، بالطلب فيهم والشفاعة والفِدية .

* * *

قال أبو جعفر : والقول الأول أولى بتأويل الآية ، لما وصفنا من أن الله جل ثناؤه إنما أعلم المخاطَبين بهذه الآية، أنّ يوم القيامة يومٌ لا فِديةَ - لمن استحق من خَلقه عقوبته - ولا شفاعة فيه ، ولا ناصر له . وذلك أنّ ذلك قد كان لهم فى الدنيا ، فأخبر أنّ ذلك يومَ القيامة معدومٌ لا سبيل لهم إليه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾

أما تأويل قوله : « وإذ نجيّناكم »، فإنه عطف على قوله : « يا بنى إسرائيلَ اذكرُوا نِعمتى » . فكأنه قال : اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم ، واذكروا

(١) فى المطبوعة : « وارتفع من القوم » ، وهو خطأ . وارتفع هنا : بمعنى ذهب وانقضى ، مجاز من الارتفاع ، وهو العلو .

(٢) الأثر : ٨٨٧ - لم يذكره فى تفسير الآية من سورة الصافات ، انظر (٢٣ : ٣٢ بولاق)

إنعامنا عليكم – إذ نجيناكم من آل فرعون – بإنجائنا كم منهم [١] .

* * *

وأما «آل فرعون» ، فإنهم أهلُ دينه وقومُه وأشياعُه .

وأصل «آل» أهل، أبدلت الهاء همزة، كما قالوا «ماءٌ»[٢] فأبدلوا الهاء همزة، فإذا صغّروه قالوا: «مُوَيْهٌ» فردوا الهاء فى التصغير . وأخرجوه على أصله. وكذلك ٢١٣/١
إذا صغّروا «آل» ، قالوا «أهيْل» . وقد حكى سماعاً من العرب فى تصغير «آل» «أويل»[٣] . وقد قيل : «فلان من آل النساء»[٤] ، يراد به أنه منهن خلق . ويقال ذلك أيضاً بمعنى أنه يريدُهنّ ويهواهنّ ، كما قال الشاعر .

فَإِنَّكَ مِنْ آلِ النِّسَاءِ ، وَإِنَّمَا يَكُنَّ لِأَدْنَى؛ لَا وِصَالَ لِغَائِبِ[٥]

وأحسن أماكن «آل» أن يُنطق به مع الأسماء المشهورة ، مثلُ قولهم : آل النبى محمد صلى الله عليه وسلم، وآل على، وآل عباس، وآلُ عقيل. وغيرُ مستحسن استعمالُه مع المجهول وفى أسماء الأرَضين وما أشبه ذلك . غيرُ حسن عند أهل العلم بلسان العرب أن يقال : رأيتُ آلَ الرجل ورأى آل المرأة – ولا –: رأيتُ آل البصرة وآل الكوفة . وقد ذُكر عن بعض العرب سماعاً أنها تقول : «رأيتُ آل مكة ، وآل المدينة» . وليس ذلك فى كلامهم بالفاشى المستعمل[٦] .

* * *

(١) فى المطبوعة: «بإنجائنا لكم منهم» ، غيروه ليستقيم وما ألفوه من دارج الكلام .
(٢) فى المطبوعة : «كما قالوا : ماه» ، وهو خطأ بين .
(٣) انظر مادة (أهل) و (أول) فى لسان العرب .
(٤) فى المطبوعة : «وقد يقال : فلان . . . .» .
(٥) لم أجد البيت ولم أعرف قائله ، وقوله : «يكن لأدنى» ، يعنى للدانى القريب الحاضر ، يصلن حباله بالمودة ، أما الغائب فقد تقطعت حباله . وتلك شيمتهن ، أستغفر الله بل شيمة أبناء أبينا آدم .
(٦) فى المطبوعة : «بالمستعمل الفاشى» .

وأما « فرعون » فإنه يقال إنه اسمٌ كانت مُلوك العمالِقة بمصر تسمَّى به ، كما كانت مُلوك الروم يسمَّى بعضهم « قيصر »، وبعضهم « هِرَقْل »، وكما كانت ملوك فارس تسمَّى « الأكاسرة » واحدهم « كسرى » ، وملوك اليمن تسمَّى « التبابعة »، واحدهم « تُبَّع » .

وأما «فرعونُ موسى» الذى أخبر الله تعالى عَنْ بنى إسرائيل أنه نجَّاهم منه، فإنه يقال إن اسمه «الوَليد بن مُصْعب بن الرَّيَّان»، وكذلك ذكر محمد بن إسحق أنه بلغه عن اسمه .

٨٨٨ ــ حدثنا بذلك محمد بن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق: أن اسمه الوليد بن مُصعب بن الرَّيَّان[1].

* * *

وإنما جاز أن يقال : « وإذ نجيناكم من آل فرعون » ، والخطابُ به لمن لم يدرك فرعونَ ولا المنجَّين منه ، لأن المخاطبين بذلك كانوا أبناءَ من نَجَّاهم من فرعون وقومه ، فأضاف مَا كان من نعمه على آبائهم إليهم ، وكذلك ما كانَ من كُفران آبائهم على وجه الإضافة ، كما يقول القائل لآخر : « فعلنا بكم كذا وفعلنا بكم كذا ، وقتلناكم وسبيناكم » ، والمخبِر إما أن يكون يعنى قومه وعشيرته بذلك ، أو أهل بلده ووطنه ــ كانَ المقولُ له ذلك أدركَ ما فُعِل بهم من ذلك أو لم يدركه ، كما قال الأخطل يُهاجى جَرير بن عَطيَّةَ :

وَلَقَدْ سَمَا لَكُمُ الهُذَيْلُ فَنَالَكُمْ ... بِإِرَابَ ، حَيْثُ يُقَسِّمُ الأَنْفَالاَ[2]

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ١ : ١٩٩ .

(٢) ديوانه : ٤٨ ، ونقائض جرير والأخطل : ٧٧ ــ ٧٨ . قال الطبرى فيما مضى ١ : ٣٦٦ : « سما فلان لفلان : إذا أشرف عليه وقصد نحوه عالياً عليه » . والهذيل ، هو الهذيل بن هبيرة التغلبى غزا بنى يربوع بإراب (وهو ماء لبنى رياح بن يربوع) فقتل منهم قتلا ذريعاً .وأصاب نعماً كثيراً ، وسبى سبياً كثيراً ، منهم « الخطفى » جد جرير ، فسمى الهذيل « مجدعاً » ، وصارت بنو تميم تفزع أولادها

فِى فَيْلَقٍ ، يَدْعُو الأَرَاقِمَ، لَمْ تَكُنْ فُرْسَانُهُ عُزْلاً وَلَا أَكْفَالاَ[١]

ولم يلحق جريرٌ هذيلا ولا أدركه ، ولا أدرك إرَابَ ولا شَهده[٢] . ولكنه لما كان يوماً من أيام قَوم الأخطل على قوم جرير ، أضاف الخطابَ إليه وإلى قومه . فكذلك خطاب الله عز وجل من خاطبه بقوله : « وإذ نَجَّيْناكم من آل فرعون » ، لما كان فعله ما فعل من ذلك بقوم مَنْ خاطبه بالآية وآبائهم ، أضافَ فعله ذلك الذى فعله بآبائهم ، إلى المخاطبين بالآية وقومهم[٣] .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾

وفى قوله : « يسومونكم » وجهان من التأويل . أحدهما ، أن يكون خبراً مستأنفاً عن فِعل فرعونَ ببنى إسرائيل ، فيكونَ معناه حينئذ : واذكروا نعمتى عليكم إذ نجَّيتُكم من آل فرعون[٤] ، وكانوا من قبل يسومونكم سُوء العذاب . وإذ كان ذلك تأويله ، كان موضع « يَسومونكم » رفعاً .

والوجه الثانى : أن يكون يسومونكم حالاً ، فيكون تأويله حينئذ: وإذ نجَّيناكم

باسمه . (انظر خبر ذلك فى النقائض ٤٧٣ ، ونقائض جرير والأخطل : ٧٨) نالكم : أدرككم وأصاب منكم ما أصاب . والأنفال جمع نفل (بفتحتين) : وهى الغنائم . وفى المطبوعة : « تقسم » وهى صواب لا بأس بها .

(١) الفيلق : الكتيبة العظيمة . وقوله : « يدعو » الضمير للهذيل . والأراقم : هم جشم ومالك والحارث وثعلبة ومعاوية وعمرو — أبناء بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ، رهط الهذيل . وإنما سموا الأراقم لأن كاهنتهم نظرت إليهم وهم صبيان ، وكانوا تحت دثار لهم ، فكشفت الدثار ، فلما رأتهم قالت : « كأنهم نظروا إلى بعيون الأراقم » ، والأراقم جمع أرقم : وهو أخبث الحيات ، وأشدها ترقداً وطلباً للناس . والعزل جمع أعزل : وهو الذى لا سلاح معه ، والأكفال جمع كفل (بكسر فسكون) : وهو الذى لا يثبت على متن فرسه ، ولا يحسن الركوب .

(٢) فى المطبوعة : « ولم يلق جرير . . . » .

(٣) انظر ما سلف قريباً ، ٢٣ — ٢٤

(٤) فى المطبوعة : « إذ نجيناكم . . . » على سياق الآية ، وهذه أجود .

من آل فرعون سائميكم سوء العذاب ، فيكون حالاً من آل فرعون .

* * *

وأما تأويل قوله : « يسومونكم » فإنه : يوردونكم ، ويذيقونكم ، ويولونكم .
١/٢١٤ يقال منه : «سامه خطة ضيم» ، إذا أولاه ذلك وأذاقه ، كما قال الشاعر :

* إنْ سِمَ خَسْفاً ، وَجْهُهُ تَرَبَّدَا[1] *

* * *

فأما تأويل قوله : « سوء العذاب » ، فإنه يعنى ما ساءهم من العذاب .
وقد قال بعضهم : أشد العذاب . ولو كان ذلك معناه لقيل : أسوأ العذاب .

* * *

فإن قال لنا قائل : وما ذلك العذاب الذى كانوا يسومونهم ، الذى كان يسوءهم؟[2]

قيل : هو ما وصفه الله تعالى فى كتابه فقال : « يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم » ، وقد قال محمد بن إسحق فى ذلك ما :—

٨٨٩ — حدثنا به ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، أخبرنا ابن إسحق قال : كان فرعون يعذب بنى إسرائيل ، فيجعلهم خدماً وخولاً ، وصنفهم فى أعماله ، فصنف يبنون ، [وصنف يحرثون] ، وصنف يزرعون له ، فهم فى أعماله . ومن لم يكن منهم فى صنعة [له] من عمله : فعليه الجزية — فسامهم — كما قال الله عز وجل . سوء العذاب[3] .

---

(١) لم أجد الرجز . الخسف : الظلم والإذلال والهوان ، وهى شر ما ينزل بالإنسان ، وأقبح ما ينزله أخ بأخيه الإنسان . وتربد وجهه : تلون من الغضب وتغير ، كأنما تسود منه مواضع . وقوله : « وجهه » فاعل مقدم ، أى تربد وجهه .

(٢) قوله : « الذى كان يسومهم » ، ليس فى المخطوطة ، سقط منها .

(٣) الأثر : ٨٨٩ — من خبر طويل فى تاريخ الطبرى ١ : ١٩٩ ، والزيادة بين الأقواس من موضعها هناك ويقال : هؤلاء خول فلان : إذا اتخذهم عبيداً .

وقال السدى : جعلهم فى الأعمال القذرة ، وجعلَ يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم :

٨٩٠ – حدثني بذلك موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط ، عن السدى[١] .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : وأضاف الله جل ثناؤه ما كان من فعل آل فرعون ببنى إسرائيل = من سَوْمهم إياهم سُوءَ العذاب ، وذَبْحهم أبناءَهم ، واستحيائهم نساءَهم = إليهم ، دون فرعون – وإن كان فعلهم ما فعلوا من ذلك كانَ بقوّة فرعون ، وعن أمره – لمباشرتهم ذلك بأنفسهم . فبيّنٌ بذلك أنّ كل مباشرٍ قتلَ نفس أو تعذيبَ حيّ بنفسه ، وإن كان عن أمْر غيره ، ففاعله المتولّى ذلك هو المستحقُّ إضافةَ ذلك إليه ، وإن كان الآمرَ قاهراً الفاعلَ المأمورَ بذلك – سلطاناً كان الآمرُ ، أو لصًّا خارباً ، أو متغلباً فاجراً[٢] . كما أضاف جلّ ثناؤه ذَبْح أبناء بنى إسرائيل واستحياء نسائهم ، إلى آل فرعون دون فرعون ، وإنْ كانوا بقوة فرعون وأمرِه إياهم بذلك، فعلوا ما فعلوا ، مَعَ غلبته إياهم وقهره لهم . فكذلك كل قاتلٍ نَفساً بأمر غيره ظلماً ، فهو المقتولُ عندنا به قِصَاصاً، وإن كان قَتله إيّاها بإكراه غيره له على قتله[٣] .

* * *

---

(١) الأثر : ٨٩٠ – من خبر طويل فى تاريخ الطبرى ١ : ٢٠٠ ، وانظر ما سيأتى رقم : ٨٩٥ .

(٢) الخارب : اللص الشديد الفساد ، من قولهم : فلان صاحب خربة (بضم فسكون) أى فساد وريبة ، ومنه الخارب : من شدائد الدهر . وأما أصحاب اللغة فيقولون : الخارب : سارق الإبل خاصة ، ثم نقل إلى غيره من اللصوص اتساعاً .

(٣) فى المطبوعة : « وإن كان قتله إياه » ، وهو تصرف لا خير فيه .

وأما تأويل ذبحهم أبناء بنى إسرائيل واستحيائهم نساءهم[١] ، فإنه كان فيما ذُكر لنا عن ابن عباس وغيره ، كالذى : —

٨٩١ — حدثنا به العباس بن الوليد الآملى ، وتميم المنتصر الواسطى قالا ، حدثنا يزيد بن هرون قال ، أخبرنا الأصبغ بن زيد [الجهنى] قال ، حدثنا القاسم ابن أبى أيوب قال ، حدثنا سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعدَ إبراهيمَ خليلَه — : أن يجعل فى ذرّيته أنبياء وملوكاً ؛ وائتمروا وأجمعوا أمرَهم على أن يبعثَ رجالاً معهم الشِّفارَ[٢] ، يطوفون فى بنى إسرائيل ، فلا يجدون مولوداً ذكراً إلا ذبحوه . ففعلوا . فلما رأوا أنّ الكبارَ من بنى إسرائيل يموتون بآجالهم ، وأن الصغار يُذبَحون ، قال : توشِكون أن تفنوا بنى إسرائيل ، فتصيروا إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة ما كانوا يَكفُونكم ! فاقتلوا عاماً كل مولود ذكر ، فتقلّ أبناؤهم ؛ ودعوا عاماً . فحملتْ أم موسى بهارونَ فى العام الذى لا يُذبحَ فيه الغلمانَ ، فولدته علانية آمنة ، حتى إذا كان القابل حملتْ بموسى[٣] .

٨٩٢ — وقد حدثنا عبد الكريم بن الهيثم قال ، حدثنا إبراهيم بن بَشار الرَّمادى

---

(١) فى المطبوعة : « ذبح » ، مكان « ذبحهم » ، وسقط من المخطوطة قوله : « أبناء » .

(٢) الشفار جمع شفرة : وهى السكين العريضة العظيمة الحديدة ، تمتهن فى قطع اللحم وغيره .

(٣) الأثر : ٨٩١ — هذا موقوف ، وإسناده صحيح إلى ابن عباس . أما صحة المتن ، فلا نستطيع أن نجزم بها ، لعله مما كان يتحدث به الصحابة عن التاريخ القديم نقلا عن أهل الكتاب .

العباس بن الوليد بن مزيد الآملى البيروتى : ثقة ، مترجم فى التهذيب ، وترجمه ابن أبى حاتم ٣/١/ ٢١٤ — ٢١٥ . وتميم بن المنتصر بن تميم الواسطى : ثقة ، مترجم فى التهذيب ، وترجمه ابن أبى حاتم ١/١/٤٤٤—٤٤٥ . والأصبغ بن زيد بن على الجهنى الواسطى الوراق : ثقة ، وثقه ابن معين وغيره ، مترجم فى التهذيب ، وترجمه البخارى فى الكبير ١/٢/ ٣٦ ، وابن أبى حاتم ١/١/٣٢٠ — ٣٢١ . القاسم بن أبى أيوب الأسدى الواسطى : ثقة ، مترجم فى التهذيب ، والكبير البخارى ٤/١/١٦٨ — ١٦٩ ، وابن أبى حاتم ٣/٢/١٠٧ . ووقع فى المطبوعة هنا « القاسم بن أيوب » ، وهو خطأ .

وهو فى تاريخ الطبرى بتمامه ١ : ٢٠٢ ، مع اختلاف يسير فى اللفظ . وفى المخطوطة فى هذا الموضع أخطاء من الناسخ تجافينا عن ذكرها . وفى المطبوعة والمخطوطة : «فولدته علانية أمه » ، والصواب من التاريخ .

قال ، حدثنا سفيان بن عيينة قال ، حدثنا أبو سعيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قالت الكهنة لفرعون : إنه يولد فى هذا العام مولود يَذهبُ بملكك ، قال : فجعل فرعونُ على كل ألف امرأة مئة رجل ، وعلى كل مئة عشرة ، وعلى كل عشرة رجلا ، فقال : انظروا كلّ امرأة حاملٍ فى المدينة ، فإذا وضعت حَمْلها ١/٢١٥ فانظروا إليه ، فإن كان ذكراً فاذبحوه ، وإن كان أنثى فخلُّوا عنها . وذلك قوله : « يذبِّحون أبناءكم ويستحيونَ نساءكمُ وفى ذلكم بَلاءٌ من ربكم عَظيم»[1].

٨٩٣ — حدثنى المثنى بن إبراهيم قال، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية فى قوله : « وإذ نجَّيناكمْ منْ آل فرعونَ يَسومُونكم سُوءَ العذاب » ، قال : إن فرعون مَلَكهم أربعمئة سنة ، فقالت الكهنة إنه سيولد العامَ بمصر غلامٌ يكون هلاكُكَ على يديه . فبعث فى أهل مصر نساءً قَوابل[2] ، فإذا ولدت امرأةٌ غلاماً ، أُتى به فرعون فقتله ، ويستحيي الجوارى .

٨٩٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق بن الحجاج قال ، حدثنا عبد الله ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، فى قوله : « وإذْ نجَّيناكم من آل فرعون » الآية ، قال : إن فرعون مَلكهم أربعمئة سنة ، وإنه أتاه آتٍ فقال : إنه سينشأ فى مصر غلامٌ من بنى إسرائيل، فيظهرُ عليك ، ويكون هلاكُك على يديه . فبعث فى مصر نساء . فذكر نحو حديث آدم .

٨٩٥ — وحدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا

---

(١) الأثر : ٨٩٢ — بهذا كالذى قبله ، موقوف ، إسناده إلى ابن عباس صحيح . وقد رواه الطبرى بهذا الإسناد ، فى التاريخ أيضاً ١ : ٢٢٥ .

عبد الكريم بن الهيثم بن زياد القطان : ثقة مأمون ، مات سنة ٢٧٨ . ترجمه الخطيب فى تاريخ بغداد ١١ : ٧٨ — ٧٩ ، وياقوت فى معجم الأدباء ٤ : ١٥٤ . إبرهيم بن بشار الرمادى : ثقة ، يهم فى الشىء بعد الشىء . مترجم فى التهذيب ، وفى الكبير ١/١/٢٧٧ ، وابن أبى حاتم ١/١/٨٩ — ٩٠ .

أبو سعيد — الراوى عن عكرمة : هو عبد الكريم بن مالك الجزرى .

ولم أجد الأثر فى مكانه من تاريخ الطبرى .

(٢) قوابل جمع قابلة : وهى المرأة التى تتلقى الولد عند الولادة .

أسباط بن نصر ، عن السدى ، قال : كان من شأن فرعون أنه رأى فى منامه أن ناراً أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر ، فأحرقت القبط وتركت بنى إسرائيل ، وأخربت بيوت مصر . فدعا السحرة والكهنة والعافة والقافة والحازة فسألهم عن رؤياه[1] ، فقالوا له : يخرج من هذا البلد الذى جاء بنو إسرائيل منه — يعنون بيت المقدس — رجل يكون على وجهه هلاك مصر . فأمر ببنى إسرائيل أن لا يولد لهم غلام إلا ذبحوه ، ولا تولد لهم جارية إلا تركت ، وقال للقبط : انظروا مملوكيكم الذين يعملون خارجاً فأدخلوهم ، واجعلوا بنى إسرائيل يلون تلك الأعمال القذرة . فجعل بنى إسرائيل فى أعمال غلمانهم ، وأدخلوا غلمانهم . فذلك حين يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِى الْأَرْضِ ﴾ — يقول : تجبر فى الأرض — ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً ﴾ — يعنى بنى إسرائيل ، حين جعلهم فى الأعمال القذرة — ﴿ يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ [سورة القصص : ٤] . فجعل لا يولد لبنى إسرائيل مولود إلا ذبح ، فلا يكبر الصغير . وقذف الله فى مشيخة بنى إسرائيل الموت ، فأسرع فيهم . فدخل رؤوس القبط على فرعون فكلموه ، فقالوا : إن هؤلاء قد وقع فيهم الموت ، فيوشك أن يقع العمل على غلماننا ! نذبح أبناءهم ، فلا تبلغ الصغار وتفنى الكبار ![2] فلو أنك كنت تبقى من أولادهم ! فأمر أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة . فلما كان فى السنة التى لا يذبحون

---

(١) الكهنة جمع كاهن : وهو الذى يتعاطى الخبر عن الكائنات فى مستقبل الزمان . والعافة جمع عائف : وهو الذى يتعاطى العيافة ، وهو تكهن كان فى الجاهلية ، ذكروا أنها زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها . وفى اللسان (حزا) : العائف : العالم بالأمور ، ولا يستعاف إلا من علم وجرب وعرف . فلعل الذى وصفه أصحاب كتب اللغة إنما هو ضرب واحد من ضروب العيافة . والقافة جمع قائف : وهو الذى يتبع الآثار ويعرفها ، ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه ، وليست من السحر والكهانة ولا الجبت . ولعل زيادة ذكرها هنا زيادة من النساخ ، فإن الذى جاء فى رواية التاريخ : « القافة » ، ولم يذكر « العافة » ، فلعل الذى فى التاريخ تصحيف صوابه « العافة » ، والحازة جمع حاز ، والحازى : هو الذى ينظر فى النجوم وأحكامها بظنه وتقديره ، فربما أصاب ، وهو الحزاء (بتشديد الزاى) .

(٢) فى المطبوعة : « بذبح أبنائهم » ، والصواب من التاريخ .

فيها ، وُلدَ هارون فترك . فلما كان فى السنة التى يذبحون فيها ،حملت بموسى[١].

٨٩٦ ــ حدثنا محمد بن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال: ذُكر لى أنه لما تقارب زمان موسى ، أتى منجِّمُو فرعون وحُزاته إليه[٢] ، فقالوا له: تعلَّم أنَّا نجد فى علمنا أن مولوداً من بنى إسرائيل قد أظلَّك زمانه الذى يولد فيه[٣] ، يسلُبك ملكك، ويغلبك على سلطانك ، ويخرِجك من أرْضك ، ويبدّلُ دينك . فلما قالوا له ذلك ، أمر بقتل كل مولود يُولد من بنى إسرائيل من الغلمان ، وأمرَ بالنساء يُستحيَيْن. فجمع القوابل من نساء [أهل] مملكته، فقال لهن : لا يسقطنَّ على أيديكُنَّ غلام من بنى إسرائيل إلا قتلتُنَّه . فكنَّ يفعلنَ ذلك . وكان يذبحُ مَنْ فوقَ ذلك من الغلمان، ويأمُر بالحبالَى فيعذَّبن حتى يطرَحنَ ما فى بطونهن[٤]

٨٩٧ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن ٢١٦/١ عبد الله بن أبى نجيح ، عن مجاهد قال: لقد ذُكر [لى] أنه كان ليأمُر بالقصَب فيُشقّ حتى يُجعل أمثالَ الشِّفار ، ثم يُصَفُّ بعضُه إلى بعض، ثم يأتى بالحبالى من بنى إسرائيل فيوقفهنّ عليه[٥] ، فيحزّ أقدامهن . حتى إن المرأة منهن لتمصَع بوَلدها فيقع من بين رجليها[٦] ، فتظل تطؤه تتّقى به حدَّ القصب عن رجلها ، لما بلغ من جهدِها ، حتى أسرَف فى ذلك وكاد يُفنيهم . فقيل له : أفنيت الناس

---

(١) الأثر : ٨٩٥ – فى تاريخ الطبرى ١ : ٢٠٠ ، وإسناده هناك هو الإسناد الذى يدور فى فى التفسير وتمامه : « . . . عن السدى فى خبره عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس – وعن مرة الهمدانى ، عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . » .

(٢) فى المطبوعة : « فرعون وأحزابه » ، وهو خطأ محض ، صوابه فى المخطوطة وتاريخ الطبرى . والحزاة جمع حاز أيضاً ، كقاض وقضاة . والحازى : سلف شرحه فى ص : ٤٤ ، تعليق : ٢ .

(٣) فى المطبوعة : « نعم ، إنا نجد فى علمنا » ، وهو خطأ معرق . وتعلم (بتشديد اللام) : بمعنى : اعلم ، وهى فاشية فى سيرة ابن إسحق وغيره . وانظر تعليقنا فيما مضى ١ : ٢١٧ . وأظلك : صار كالظل ، أى قارب ودنا دنواً شديداً .

(٤) الأثر : ٨٩٦ – فى تاريخ الطبرى ١ : ١٩٩ ، والزيادة بين القوسين ، والتصحيح منه .

(٥) فى المطبوعة : « ثم يؤتى . . . فيوقفن » ، بالبناء للمجهول . وذاك نص التاريخ والمخطوطة .

(٦) مصعت المرأة بولدها : زحرت زحرة واحدة فرمته من بطنها وألقته .

وقطعتَ النسل! وإنهم خولَك وعُمَّالك ! فأمر أن يُقتل الغلمانُ عاماً ويُستحيَوا عاماً. فوُلِد هارون فى السَّنة التى يُستحيَى فيها الغلمان، وولد مُوسى فى السنة التى فيها يُقتلون(١)

* * *

قال أبو جعفر : والذى قاله من ذكرنا قوله من أهل العلم : كان ذَبحُ آلِ فرعون أبناءَ بنى إسرائيل واستحياؤهم نساءهم(٢) ، فتأويل قوله إذاً — على ما تأوله الذين ذكرنا قولهم —: «ويَستحيونَ نساءكم» ، يَستبقونهن فلا يَقتلونهن .

وقد يجبُ — على تأويل من قال بالقول الذى ذكرنا عن ابن عباس وأبى العالية والربيع بن أنس والسدى فى تأويل قوله : « ويَستحيون نساءَكم» ، أنه تركُهمُ الإناثَ من القتل عند ولادتهنّ إياهن — أن يكون جائزاً أن يُسمَّى الطفلُ من الإناث فى حال صباها وبعد وِلادها: « امرأة »(٣)، والصبايا الصغارُ وهنّ أطفال: « نساء » . لأنهم تأوّلوا قول الله عز وجل: « ويستحيون نساءكم»، يستبقون الإناث من الوِلدان عند الولادة فلا يقتلونهن .

وقد أنكر ذلك من قولِهم ابنُ جريج، فقال بما :—

٨٩٨ — حدثنا به القاسم بن الحسن قال، حدثنا الحسين بن داود قال ، حدثنى حجاج، عن ابن جريج قوله : « ويستحيون نساءكم » قال : يَسترِقُّون نساءكم .

---

(١) الأثر : ٨٩٧ — فى تاريخ الطبرى ١ : ١٩٩ — ٢٠٠ .

(٢) هذه جملة سقط منها خبر « كان » ، وهى هكذا فى الأصول ، وأظن أن صوابها : كان ذبح آل فرعون أبناء بنى إسرائيل واستحياؤهم نساءهم ، أن فرعون أمر ، بقتل كل مولود يولد من أبناء بنى إسرائيل ، وباستحياء نسائهم » كما فى الأثرين : ٨٩١ ، ٨٩٦ ، فكأن سطراً سقط من الناسخ .

(٣) فى المطبوعة : « الطفلة من الإناث» . والعرب تقول : جارية طفل وطفلة ، وجاريتان طفل ، وجوار طفل، قال تعالى : «ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً » ،وقال: « أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ » .

فحادَ ابن جريج ، بقوله هذا ، عما قاله من ذكرنا قوله فى قوله : « ويستحيون نساءكم» : إنه استحياء الصَّبايا الأطفال ، إذ لم يَجدهُنّ يلزمُهن اسم «نساء»[١] ، ثم دخل فيما هو أعظمُ مما أنكر ، بتأويله « ويستحيون » ، يسترِقُّون . وذلك تأويلٌ غير موجود فى لغة عربية ولا أعجمية[٢]. وذلك أن «الاستحياء» ، استفعال ، من الحياة[٣] ، نظيرُ « الاستبقاء » من « البقاء » ، و« الاستسقاء » من « السقى » . وهو من معنى الاسترقاق بمعزل .

* * *

وقد تأوّلَ آخرون قوله[٤] : «يُذبّحون أبناءَكم » ، بمعنى ، يذبّحون رجالكم آباءَ أبنائكم ، وأنكروا أن يكون المذبوحون الأطفال ، وقد قَرَن بهم النساء . فقالوا : فى إخبار الله جل ثناؤه أنّ المستحيَيْن هم النساء ، الدلالةُ الواضحةُ على أن الذين كانوا يُذبَّحون هم الرجال دون الصبيان ، لأن المذبَّحين لو كانوا هم الأطفال ، لوجب أن يكون المستحيَوْن هم الصبايا . قالوا : وفى إخبار الله تعالى ذكره أنهم النساء ، ما بيَّن أن المذبَّحين هم الرّجال[٥] .

قال أبو جعفر : وقد أَغْفَل قائلو هذه المقالة — مع خروجهم من تأويل أهل التأويل من الصحابة والتابعين — موضعَ الصواب . وذلك أن الله جل ثناؤه قد أخبر عن وَحيه إلى أمّ موسى أنه أمرَها أن تُرضع موسى ، فإذا خافت عليه أن تُلْقيه فى التابوت ، ثم تلقيه فى اليمّ . فمعلوم بذلك أن القوم لو كانوا إنما كانوا يقتلون الرجال ويتركون النساء ، لم يكن بأمّ موسى حاجةٌ إلى إلقاء موسى فى اليم ؛ أو لو أنّ موسى كان رجلا لم تجعله أمه فى التابوت .

---

(١) فى المطبوعة : « قال : إذ لم يجدهن » بزيادة « قال » ، وهو فساد .

(٢) فى المطبوعة : « عجمية » .

(٣) فى المطبوعة : « إنما هو الا ستفعال من الحياة » ، وليس بشىء .

(٤) فى المطبوعة : « وقد قال آخرون . . . » ، وليست بشىء .

(٥) فى المطبوعة : « ما يبين أن المذبحين . . . » .

ولكنّ ذلك عندنا على ما تأوله ابن عباس ومن حكينا قَوْله قبلُ : من ذبْح آل فرعون الصِّبيانَ وترْكهم من القتل الصَّبايا . وإنما قيل : « ويَستحيون نساءكم » ، إذ كان الصَّبايا داخلات مع أمهاتهن — وأمهاتهن لا شك نساء — فى الاستحياء ، لأنهم لم يكونوا يقتلون صغار النساء ولا كبارَهن ، فقيل : « ويستحيون نساءكم » ، يعنى بذلك الوالداتِ والمولودات ، كما يقال : « قد أقبلَ الرجال » ، وإن كان فيهم صبيان . فكذلك قوله : « ويستحيون نساءكم » . وأما من الذكور ، فإنه لمّا لم يكنْ يذبح إلا المولودون ، قيل : « يذبحون أبناءكم » ، ولم يقل : يذبحون رجالكم . ٢١٧/١

• • •

القول فى تأويل قوله ﴿ وَفِى ذَٰلِكُمْ بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ (٤٩)

أما قوله : « وفى ذلكُم بَلاءٌ من ربكم عَظيمٌ » ، فإنه يعنى : وفى الذى فعلنا بكم ، من إنجائناكم[1] — مما كنتم فيه من عذاب آل فرعون إياكم ، على ما وصفتُ — بلاءٌ لكم من ربكم عظيم .

• • •

ويعنى بقوله « بلاء » : نعمةٌ ، كما :—

٨٩٩ — حدثنى المثنى بن إبراهيم قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله : « بلاءٌ من ربكم عظيم » ، قال : نعمةٌ .

٩٠٠ — وحدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ،عن السدّى فى قوله : «وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم »،أما البلاء فالنعمة .

---

(١) فى المطبوعة : « من إنجائنا إياكم » ، بدلوه ليجرى على دارج كلامهم

٩٠١ ــ وحدثنا سفيان قال، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد : « وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم »، قال : نعمةٌ من ربكم عظيمة .

٩٠٢ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثل حديث سُفيان .

٩٠٣ ــ حدثني القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « وفي ذلكم من ربكم عظيم » ، قال : نعمة عظيمة[1] .

* * *

وأصل « البَلاء » ــ في كلام العرب ــ الاختبارُ والامتحان ، ثم يستعمل في الخير والشر . لأن الامتحان والاختبارَ قد يكون بالخير كما يكون بالشر ، كما قال ربُّنا جل ثناؤه : ﴿ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٦٨] ، يقول : اختبرناهم ، وكما قال جل ذكره : ﴿ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ [سورة الأنبياء : ٣٥] . ثم تسمّي العربُ الخيرَ «بلاءً» والشر «بلاءً» . غير أن الأكثر في الشر أن يقال : «بلوته أبلوه بَلاءً» ، وفي الخير : «أبليتُه أبْليه إبلاءً وبلاءً» ، ومن ذلك قول زهير بن أبي سلمى :

جَزَى اللهُ بِالإِحْسَانِ مَا فَعَلَا بِكُمْ وَأَبْلَاهُمَا خَيْرَ البَلَاءِ الَّذِي يَبْلُو[2]

فجمع بين اللغتين ، لأنه أراد: فأنعم الله عليهما خير النِّعم التي يَختبرُ بها عبادَه .

* * *

---

(١) الأثر : ٩٠٣ ــ مقدم في المخطوطة على الذي قبله .

(٢) ديوانه : ١٠٩ ، وروايته « رأى الله . . . فأبلاهما » . وهذا بيت من قصيدة من جيد شعر زهير وخالصه .

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ ﴾

أما تأويلُ قوله : « وإذ فرقنا بكم » ، فإنه عطفٌ على « وإذ نجَّيْناكم » ، بمعنى : واذكروا نعمتى التى أنعمتُ عليكم ، واذكروا إذ نجَّيناكم من آل فرعون ، وإذ فرَقنا بكم البحر .

ومعنى قوله : « فَرَقنا بكم » ، فَصَلنا بكم البحر . لأنهم كانوا اثنَىْ عشر سِبْطاً ؛ ففرَقَ البحرَ اثنى عشر طريقاً ، فسلك كل سِبْط منهم طريقاً منها . فذلك فَرْقُ الله بهم عز وجلّ البحرَ وفصلُه بهم ، بتفريقهم فى طرُقه الاثنى عشر ، كما : —

٩٠٤ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط بن نصر ، عن السدى : لما أتى موسى البحر كَنَّاه « أبا خالد » ، وضربَه فانفلق ، فكان كل فِرْق كالطَّوْد العظيم ، فدخلت بنو إسرائيل . وكان فى البحر اثنا عشر طريقاً ، فى كل طريق سِبْط [1] .

* * *

وقد قال بعض نحويى البصرة : معنى قوله : « وإذْ فرَقنا بكم البحر » ، فرَقْنا بَينكم وبين الماء . يريد بذلك : فَصَلنا بينكم وبينه ، وحجزْناه حيث مَرَرْتم به .

وذلك خلاف ما فى ظَاهر التلاوة ، [2] لأن الله جل ثناؤه إنما أخبر أنه فَرَق البحرَ بالقوم ، ولم يخبر أنه فرَق بين القوم وبين البحر ، فيكونَ التأويلُ ما قاله قائلو هذه المقالة . وفرقُه البحر بالقوم ، إنما هو تفريقه البحرَ بهم ، على ما وصفنا من افتراق سبيله بهم ، على ما جاءت به الآثار

* * *

---

(١) الأثر ٩٠٤ — من خبر طويل فى تاريخ الطبرى ، وهذه الفقرة منه فى ١ : ٢١٤ ، وانظر أيضاً رقم ٩١٠

(٢) انظر تفسير « الظاهر » فيما مضى : ٢ : ١٥ ، والمراجع

القول فى تأويل قوله ﴿ فَأَنجَيْنَـٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ ١/٢١٨
تَنظُرُونَ ﴾ (٥٠)

قال أبو جعفر : إن قال لنا قائل وكيف غرق الله جل ثناؤه آلَ فرعون ونجّى بنى إسرائيل ؟

قيل له ، كما : —

٩٠٥ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن كعب القرظى ، عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال : لقد ذُكر لى أنه خرج فرعونُ فى طلب مُوسى على سبعين ألفاً من دُهْمِ الخيْل ، سوى ما فى جنده من شُهْب الخيل .(١) وخرج موسى ، حتى إذا قابله البحر ولم يكن له عنه مُنصرَف، طلع فرعونُ فى جنده من خلفهم . ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝ قَالَ ﴾ — موسى — ﴿ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [سورة الشعراء : ٦١، ٦٢] أى للنجاة ، وقد وعدنى ذلك ، ولا خُلف لوْعده .(٢)

٩٠٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثنى ابن إسحق قال : أوحى الله إلى البحر — فيما ذُكر لى : إذا ضربَك موسى بعصاه فانفلِقْ له. قال: فباتَ البحر يضرب بعضه بعضاً فَرَقاً من الله وانتظاره أمرَه .(٣) فأوحى الله عز وجل إلى موسى أنِ اضْرب بعصاك البحر ، فضربه بها، وفيها سُلطان الله الذى أعطاه ، فانفلق فكانَ كل فِرْق كالطَّوْد العظيم، أى كالجبل على نَشَزٍ من الأرض(٤) .

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « من شية الخيل » ، وشية الفرس : لونه ، فكان الأجود أن يقول : « من شيات الخيل » . وفى التاريخ . « من شهب الخيل » ، كما أثبتناه . والشهب جمع أشهب ، والشهبة فى ألوان الخيل : أن تشق معظم لونه شعرة أو شعرات بيض ، كميتاً كان الفرس أو أشقر أو أدهم .

(٢) الأثر : ٩٠٥ — فى تاريخ الطبرى ١ : ٢١٧ ، وفيه « ولا خلف لموعوده » . والموعود كالوعد ، وهو من المصادر التى جاءت على مفعول .

(٣) فى المطبوعة : « فثاب البحر . . . » ، وهو تصحيف ، والصواب فى المخطوطة والتاريخ . وفى المطبوعة : « وانتظار أمره » ، وفى التاريخ « وانتظاراً لأمره » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو جيد .

(٤) فى المطبوعة : « على يبس من الأرض » ، وأثبت ما فى المخطوطة والتاريخ . والنشز : المتن المرتفع من الأرض — أو ما ارتفع عن الوادى إلى الأرض ، وليس بالغليظ .

يقول الله لموسى : ﴿ فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى الْبَحْرِ يَبَسًا لاَ تَخَافُ دَرَكًا وَلاَ تَخْشَى ﴾ [سورة طه : ٧٧]. فلما استقر له البحر على طريق قائمة يَبَسٍ ،(١) سلك فيه موسى ببنى إسرائيل وأتبعه فرعون بجنوده .(٢)

٩٠٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثنى محمد بن إسحق ، عن محمد بن كعب القرظى ، عن عبد الله بن شدّاد بن الهاد الليثى قال : حُدِّثت أنه لما دخلت بنو إسرائيل البحر فلم يبق منهم أحد ، أقبلَ فرعون وهو على حِصَان له من الخيل ، حتى وقف على شَفير البحر ، وهو قائم على حاله ، فهاب الحصان أن ينفذ.(٣) فعرض له جبريل على فرس أنثى وَدِيق ،(٤) فقرَّبها منه ، فشمَّها الفحل ، فلما شمَّها قَدَّمها ،(٥) فتقدّم معها الحصان عليه فرعون . فلما رَأى جُندُ فرعونَ فرعونَ قد دخل ، دخلوا مَعه وجبريل أمامه ، وهم يتبعون فرعونَ ، وميكائيل على فرَس من خَلف القوم يسوقهم ، يقول : « الحقُوا بصاحبكم». حتى إذا فَصَل جبريلُ من البحر ليس أمامه أحد ، ووقف ميكائيل على نَاحيته الأخرى ، وليس خلفه أحد ، طبَّق عليهم البحرُ ، ونادى فرعون — حين رَأى من سُلطان الله عز وجل وقُدرته ما رأى ، وعرف ذُلَّه ، وخذَلته نفسه(٦) — : ﴿ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الَّذِى آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾(٧) [سورة يونس : ٩٠]

---

(١) فى المطبوعة : « فلما استقر لهم . . . » .

(٢) الأثر : ٩٠٦ — فى تاريخ الطبرى ١ : ٢١٧ .

(٣) هكذا فى المخطوطة والمطبوعة « أن ينفذ » ، وفى التاريخ : « أن يتقدم » ، وكأنها الصواب ، والآخر تحريف ، سقط الميم من آخره .

(٤) فرس وديق : مريدة للفحل تشتهيه .

(٥) فى المطبوعة : « فلما شمها تبعها » ، وهو خطأ وخلط . والصواب ما فى المخطوطة والتاريخ . وقوله : « قدمها » أى زجرها ، بقولهم للفرس : « أقدم » أى امض قدماً إلى أمام .

(٦) فى المطبوعة وحدها : « ذلته » .

(٧) الأثر : ٩٠٧ — فى تاريخ الطبرى ١ : ٢١٧ . وفى المطبوعة : « آمنت أنه لا إله إلا الذى . . . » وفى التاريخ : « نادى أن لا إله إلا الذى . . . » . وأثبت ما فى المخطوطة .

٩٠٨ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن أبي إسحق الهمداني، عن عمرو بن ميمون الأودي في قوله: «وإذ فرقنا بكم البحرَ فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعونَ وأنتم تنظرُون»، قال: لما خرج موسى ببني إسرائيل، بلغَ ذلك فرعونَ فقال: لا تتبعوهم حتى يَصيحَ الديك. قال: فوالله ما صاح ليلتئذٍ ديك حتى أصبحوا: فدعا بشاة فذُبحت، ثم قال: لا أفرُغ من كبدها حتى يجتمع إليّ ستمئة ألف من القِبْط. فلم يفرُغ من كبدها حتى اجتمع إليه ستمئة ألف من القبط. ثم سار، فلما أتى موسى البحرَ، قال له رجل من أصحابه يقال له يوشع بن نون: أين أمرَك ربّك يا موسى؟ قال: أمامك. يشير إلى البحر. فأقحم يوشع فرسه في البحر حتى بلغ الغَمْرَ، فذهب به، ثم رجع.(١) فقال أين أمرك ربّك يا موسى؟ فوالله ما كذَبْتَ ولا كُذبتَ: ففعل ذلك ثلاث مرات. ثم أوحى الله جل ثناؤه إلى موسى: ﴿أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [سورة الشعراء: ٦٣] ــ يقول: مثل جبل ــ قال: ثم سارَ موسى ومن معهُ وأتبعهم فرعونُ في طريقهم، حتى إذا تتامُّوا فيه أطبقه الله عليهم. فلذلك قال: «وأغرقنا آل فرْعَوْن وأنتُم تنظرون». قال معمر، قال قتادة: كان مَعَ مُوسى ستمئة ألفٍ، وأتبعه فرعونُ على ألفِ ألفٍ ومئة ألف حصان.

٩٠٩ ــ حدثني عبد الكريم بن الهيثم قال، حدثنا إبراهيم بن بشار الرمادي، قال، حدثنا سفيان قال، حدثنا أبو سعيد، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: أوحى الله جل وعز إلى موسى أنْ أسر بعبادي ليلا إنكم مُتَّبَعون. قال: فسرى موسى ببني إسرائيل ليلاً، فاتّبعهم فرعونُ في ألف ألف حصان سوى الإناث، وكان موسى في ستمئة ألف. فلما عاينهم فرعونُ قال: ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ۝ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ۝ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾ [سورة الشعراء: ٥٤-٥٦] فسرى موسى ببني إسرائيل حتى هجموا على البحر، فالتفتوا فإذا هم برَهَج دوابّ فرعون، فقالوا: ياموسى،

(١) في ابن كثير ١ : ١٦٥ «فذهب به الغمر، ثم رجع».

أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعدما جئتنا ! هذا البحر أمامنا ، وهذا فرعون قد رهقنا بمن معه ! [١] قال : عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون.

قال : فأوحى الله جل ثناؤه إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر ، وأوحى إلى البحر أن اسمع لموسى وأطع إذا ضربك. قال : فبات البحر له أفكل [٢] — يعنى : له رعدة — لا يدرى من أى جوانبه يضربه . قال : فقال يوشع لموسى : بماذا أمرت ؟ قال : أمرت أن أضرب البحر . قال : فاضربه . قال : فضرب موسى البحر بعصاه ، فانفلق فكان فيه اثنا عشر طريقاً ، كل طريق كالطود العظيم ؛ فكان لكل سبط منهم طريق يأخذون فيه . فلما أخذوا فى الطريق قال بعضهم لبعض : ما لنا لا نرى أصحابنا ؟ قالوا لموسى : أين أصحابنا لا نراهم ؟ قال : سيروا فإنهم على طريق مثل طريقكم . قالوا : لا نرضى حتى نراهم .

قال سفيان ، قال عمار الدهنى : قال موسى : اللهم أعنى على أخلاقهم السيئة . قال : فأوحى الله إليه أن قل بعصاك هكذا. وأومأ إبراهيم بيده يديرها على البحر. قال موسى بعصاه على الحيطان هكذا ، [٣] فصار فيها كوى ينظر بعضهم إلى بعض .

قال سفيان : قال أبو سعيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : فساروا حتى خرجوا من البحر . فلما جاز آخر قوم موسى ، هجم فرعون على البحر هو وأصحابه ، وكان فرعون على فرس أدهم ذنوب حصان [٤] . فلما هجم على البحر ، هاب الحصان أن يقتحم فى البحر ، فتمثل له جبريل على فرس أنثى وديق ، [٥]

---

(١) رهقه : غشيه وأوشك أن يدركه .

(٢) فى المطبوعة : « فثاب له » ، وهو تصحيف مضى مثله فى : ٥١ ، تعليق : ٣

(٣) قال بعصاه أو بيده : أشار بها . والإشارة ضرب من التعبير والبيان ، فكان مجاز القول إلى معنى الإشارة جيداً .

(٤) الأدهم : الأسود . والذنوب : الفرس الوافر الذنب الطويله . وقوله : « حصان » هنا : أى فحل ، قد ضن بمائه فلم ينز على أنثى .

(٥) الوديق : مضى تفسيرها فى ص : ٥٢ تعليق : ٤

فلما رآها الحصان تقحّم خلفها. وقيل لموسى : اترك البحر رَهْواً — قال : طُرقاً على حاله [١] — قال : ودخل فرعون وقومُه فى البحر ، فلما دخل آخر قوم فرعون ، وجاز آخر قوم موسى ، أطبق البحر على فرعون وقومه ، فأغرِقوا .[٢]

٩١٠ — حدثنا موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط بن نصر ، عن السدى : أن الله أمر موسى أن يخرج ببنى إسرائيل ، فقال : أسرِ بعبادى ليلاً إنكم مُتَّبَعون . فخرج موسى وهرون فى قومهما ، وألقِى على القبط الموتُ ، فمات كل بكر رَجل ، فأصبحوا يدفنونهم ، فشغلوا عن طلبهم حتى طلعت الشمس. فذلك حين يقول الله جل ثناؤه : ﴿فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾ [سورة الشعراء: ٦٠] فكان موسى على ساقة بنى إسرائيل وكان هرون أمامهم يقدُمُهم[٣] : فقال المؤمن لموسى : يا نبيَّ الله، أين أمرت ؟ قال: البحرَ. فأراد أن يقتحم فمنعه موسى ، وخرج موسى فى ستمائة ألف وعشرين ألف مقاتل — لا يعدُّون ابنَ العشرين لصغره ، ولا ابن الستين لكبره ، وإنما عدُّوا ما بينَ ذلك ، سوى الذرّية . وتبعهم فرعون ، وعلى مقدمته هامان فى ألف ألف وسبعمئة ألف حصان ، ليس فيها ما ذِيَانة[٤] — يعنى الأنثى — وذلك حين يقول الله جل ثناؤه : ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۝ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ [سورة الشعراء : ٥٣ ، ٥٤] يعنى بنى إسرائيل . فتقدم هرون فضرَب البحرَ، فأبى البحرُ أن ينفتح ، وقال : من هذا الجبار الذى يضربنى؟ حتى أتاه موسى فكنّاهُ «أبا خالد» وضربه فانفلق ، ١/٢٢٠

(١) فى المخطوطة : «على حياله» ، وهو خطأ ، وانظر ما مضى ص : ٥٢ ، وانظر أيضاً تفسير : «رهواً» فى ٢٥ : ٧٣ (بولاق) .

(٢) الأثر : ٩٠٩ — هو كالأثر الماضى : ٨٩٢ ، وبالإسناد نفسه . انظر تمام هذا الأثر فى رقم : ٩١٨ . وأقحم سفيان روايته عن عمار الدهنى، فى روايته عن أبى سعيد . وعمار ، هو عمار بن معاوية الدهنى (بضم الدال وسكون الهاء) ، وثقه أحمد وابن معين وأبو حاتم والنسائى ، وذكره ابن حبان فى الثقات (تهذيب التهذيب) .

(٣) ساقة الجيش ، وساقة الحاج : هم الذين يكونون فى مؤخره يسوقونه ويحفظونه من ورائه .

(٤) فى المطبوعة : «ما ذبانه» ، وفى المخطوطة : «ما دنانة» بالدال المهملة . ولم أجد الكلمة فيما بين يدى من الكتب .

فكان كل فِرْق كالطَّوْد العظيم – يقول : كالجبل العظيم –، فدخلت بنو إسرائيل . وكان فى البحر اثنا عشر طريقاً ، فى كل طريق سِبْط – وكانت الطرق انفلقت بجدران[1] – فقال كل سِبْط : قد قُتل أصحابنا ! فلما رأى ذلك موسى ، دَعا الله فجعلها لهم كَقناطر كهيئة الطِّيقان،[2] فنظر آخرهم إلى أولهم، حتى خرَجوا جميعاً . ثم دَنا فرعون وأصحابه ، فلما نظرَ فرعون إلى البحر مُنفلقاً قال : ألا تَرون البحر فَرِقَ منِّى؟[3] قد انفتح لى حتى أدرِك أعدائى فأقتلهم ! فذلك حين يقول الله جل ثناؤه : ﴿ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴾ [سورة الشعراء : ٦٤] يَقول : قرَّبنا ثمَّ الآخرين ، يعنى آلَ فرعون . فلما قام فرعونُ على أفواه الطُّرُق ، أبتْ خيله أن تقتحم ،فنزل جبريل على مَاذِيانة ، فشامَّتِ الحُصُن ريحَ الماذِيانة، فاقتحم فى أثرها،[4] حتى إذا همّ أولهم أن يخرج ودخل آخرهم ، أمِر البحر أن يأخذهم ، فالتطم عليهم[5].

٩١١ – حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال قال ابن زيد : لما أخذَ عليهم فرعونُ الأرضَ إلى البحرِ ، قال لهم فرعون : قولوا لهم يَدخلون البحر إن كانوا صادقين ! فلما رآهم أصحاب موسى قالوا: إنا لمدرَكون! قال : كلا إن مَعىَ رَبى سَيَهْدين. فقال موسى للبحر : ألستَ تَعلم أنِّى رسول الله ؟ قال : بَلَى ! قال : وتعلمُ أنّ هؤلاء عبادٌ من عباد الله أمرَنى أنْ آتى بهم؟ قال : بلى .

---

(١) فى تاريخ الطبرى : « وكأن الطرق إذاً انفلقت بجدران » .

(٢) الطيقان والأطواق ، جمع طاق : وهو عقد البناء حيث كان .

(٣) فرق يفرق فرقاً (بفتحين) : فزع أشد الفزع .

(٤) فى المطبوعة : « ماذبانة . . . الماذبانة » ، وانظر ما سلف : ٥٤ تعليق : ٤ ، وفى المطبوعة « فشام الحصان » بالإفراد ، وهو غير جيد فى سياق الكلام . الصواب من المخطوطة وتاريخ الطبرى. وشام الشىء : تشممه . والحصن ، جمع حصان .

(٥) الأثر : ٩١٠ – فى تاريخ الطبرى ١ : ٢١٣ – ٢١٤ ، ومضت فقرة منه برقم : ٩٠٤ . والتطم البحر عليهم : أطبق عليهم وختم وهو يتلاطم موجه . ولم أجدها فى كتب اللغة . ولكنهم يقولون : التطمت الأمواج وتلاطمت ، ضرب بعضها بعضاً . ويقولون : لطم الكتاب : أى ختمه . فالذى جاء فى الخبر عربى معرق فى مجازه .

قال : أتعلم أنّ هذا عدوُّ الله ؟ قال : بلى. قال : فافرق لى طريقاً ولمن معى .[١]
قال : يا موسى إنما أنا عبد مملوك ، ليس لى أمرٌ إلا أن يأمرنى الله تعالى . فأوحى الله عز وجل إلى البحر : إذا ضَرَبك موسى بعصاه فانفرق . وأوحى إلى موسى أن يضرب البحر ، وقرأ قول الله تعالى : ﴿ فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِى الْبَحْرِ يَبَساً لاَ تَخَافُ دَرَكاً وَلاَ تَخْشَى ﴾ [سورة طه : ٧٧] وقرأ قوله : ﴿ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْواً ﴾ [سورة الدخان : ٢٤] — سهلاً ليس فيه نُقَر[٢] — فانفرق اثنتى عشرة فرقة ، فسلك كل سِبْط فى طريق . قال : فقالوا لفرعون : إنهم قد دخلوا البحرَ ! قال : ادخلوا عليهم . قال : وجبريل فى آخر بنى إسرائيل يقول لهم : ليلحقْ آخرُكم أولَكم . — وفى أوّل آل فرعونَ يقول لهم : رُويداً يلحقْ آخرُكم أوّلَكم . فجعل كلّ سِبْط فى البحر يقولون للسِّبط الذين دخلوا قبلهم : قد هلكوا ! فلما دخل ذلك قلوبهم أوحى الله جل وعزّ إلى البحر فجعلَ لهم قناطر ، ينظر هؤلاء إلى هؤلاء ، حتى إذا خرج آخرُ هؤلاء ودخل آخرُ هؤلاء ، أمر الله البحر فأطبقَ على هؤلاء .

* * *

ويعنى بقوله : « وأنتم تنظرون » ، أى تنظرون إلى فَرْق الله لكم البحرَ ، وإهلاكه آل فرعون فى الموضع الذى نجّاكم فيه ، وإلى عظيم سلطانه — فى الذى أراكم من طاعة البحر إياه ، من مصيره رُكاماً فِلَقاً كهيئة الأطواد الشامخة ،[٣] غير زائل عن حدّه ، انقياداً لأمر الله وإذعاناً لطاعته ، وهو سائل ذائبٌ قبل ذلك .

يُوقفهم بذلك جل ذكره على موضع حُججه عليهم ، ويذكّرهم آلاءَه عند أوائلهم ، ويحذّرهم — فى تكذيبهم نبيّنا محمداً صلى الله عليه وسلم — أنْ يحلّ

---

(١) فى المطبوعة « فانفرق لى طريقا . . . » وهو خطأ .

(٢) فى المطبوعة : « ليس فيه تمد » ، وفى المخطوطة : « نفد » والدال تشبه أن تكون راء . فاستظهرت أن تكون ما أثبت . والنقر جمع نقرة : وهى الوهدة المستديرة فى الأرض ، أو الحفرة صغيرة ليست بكبيرة . وهذا أشبه بالكلام والمعنى .

(٣) فى المطبوعة : « ركاماً فرقاً » ، وهو تغيير بلا سبب . ركام : مجتمع بعضه فوق بعض . والفلق جمع فلقة (بكسر فسكون) : وهى الشق .

بهم ما حلّ بفرعونَ وآله، فى تكذيبهم موسى صلى الله عليه وسلم .

* * *

وقد زعم بعض أهل العربية أن معنى قوله : « وأنتم تنظرون » ، كمعنى قول القائل : «ضُرِبت وأهلك ينظرون ، فما أتوك ولا أعانوك» ، بمعنى : وهم قريبٌ بمرأى ومسمع ، وكقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ [سورة الفرقان : ٤٥] ، وليس هُناك رؤيةٌ ، إنما هُو علم . ٢٢١/١

قال أبو جعفر : والذى دعاه إلى هذا التأويل ، أنه وجّه قوله : « وأنتم تنظرون » ، أى وأنتم تنظرون إلى غرق فرعون ، فقال : قد كانوا فى شُغل من أن ينظروا — ممّا اكتنفهم من البحر — إلى فرعون وغرقه . وليس التأويلُ الذى تأوّله تأويلَ الكلام ، إنما التأويل : وأنتم تنظرون إلى فَرْق الله البحرَ لكم — على ما قد وصفنا آنفاً — والتطام أمواج البحر بآل فرعون ، فى الموضع الذى صيّر لكم فى البحر طريقاً يَبَساً. وذلك كان، لاشكّ، نظرَ عِيانٍ لانظرَ علم، كما ظنّه قائل القول الذى حكينا قوله .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِذْ وَاعَدْنَا ﴾

اختلفت القرَأة فى قراءة ذلك ،(١) فقرأ بعضهم : « وَاعَدْنا » بمعنى أن الله تعالى واعد موسى مُوافاة الطور لمناجاته ، (٢)فكانت المواعدة من الله لموسى ، ومن موسى لربه . وكان من حجّتهم على اختيارهم قراءة « واعَدنا » على « وَعَدْنا » أنْ قالوا : كل اتّعادٍ كان بين اثنين للالتقاء والاجتماع ،(٣) فكل واحد منهما

(١) فى المطبوعة فى الموضعين : « القراء » ، كما فعل كثيراً فيما مضى . والقرأة جمع قارئ .
(٢) فى المطبوعة : « ملاقاة الطور » ، ولا أدرى لم غيره من غيره !
(٣) فى المطبوعة : « كل إيعاد . . . أو الاجتماع » ، ولا أدرى لم فعل ذلك ! واتعد اتعاداً افتعل ، من الوعد .

مواعدٌ صاحبَه ذلك. فلذلك — زعموا —[1] وَجب أن يُقْضَى لقراءة من قرأ « واعَدنا »، بالاختيار على قراءة من قرأ « وعدنا » .

وقرأ بعضهم : « وعدنا » ، بمعنى أن الله الواعدُ والمنفردُ بالوعد دونه . وكان من حجتهم فى اختيارهم ذلك أنْ قالوا : إنما تكون المواعدة بين البشر ، فأما الله جل ثناؤه، فإنه المنفردُ بالوعد والوعيد فى كل خير وشر. قالوا : وبذلك جاء التنزيل فى القرآن كله ، فقال جل ثناؤه : ﴿ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ ﴾ [سورة إبراهيم : ٢٢] وقال : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾ [سورة الأنفال : ٧] . قالوا : فكذلك الواجب أن يكون هو المنفرد بالوعد فى قوله : « وإذ وَعدْنا موسى »

* * *

والصواب عندنا فى ذلك من القول : أنهما قراءتان قد جاءت بهما الأمَّة وقرأت بهما القرَأة ، وليس فى القراءة بإحداهما إبطال معنى الأخرى ، وإن كان فى إحداهما زيادةُ معنى على الأخرى من جهة الظاهر والتلاوة ،[2] فأما من جهة المفهوم بهما، فهما متفقتان. وذلك أنّ من أخبرَ عن شخص أنه وعد غيره اللقاءَ بموضع من المواضع ، فمعلوم أن الموعودَ ذلك واعدَ صاحبه من لقائه بذلك المكان، مثل الذى وَعده من ذلك صاحبه ، إذا كان وعدُه ما وَعده إياه من ذلك عن اتفاق منهما عليه . ومعلومٌ أن موسى صلوات الله عليه لم يعدْهُ ربُّه الطورَ إلا عن رضًا موسى بذلك ، إذ كان موسى غير مشكوكٍ فيه أنه كان بكل ما أمر الله به راضياً ، وإلى محبّته فيه مسارعاً . ومعقولٌ أن الله تعالى لم يعد موسى ذلك ، إلا وموسى إليه مستجيب . وإذْ كان ذلك كذلك ، فمعلوم أن الله عز ذكره كان وَعد موسى الطورَ، ووعدَه موسَى اللقاءَ . فكان الله عز ذكره لموسى واعداً مُواعداً

---

(١) فى المطبوعة : « فلذلك رموا أنه وجب » بزيادة « أنه » ، وهى زيادة مفسدة للمعنى .

(٢) انظر ما مضى فى تفسير « الظاهر » : ٥٠ ، والمراجع

له المناجاة على الطور ، [١] وكان موسى واعداً لربّه مواعداً له اللقاءَ . فبأيّ القراءتين من « وعد » و « واعد » قرأ القارئ ، فهو للحق فى ذلك — من جهة التأويل واللغة — مصيبٌ ، لما وصفنا من العِلَل قبل [٢] .

ولا معنى لقول القائل : إنما تكون المواعدةُ بين البشر ، وأن الله بالوعد والوعيد منفرد فى كل خير وشر . وذلك أن انفرادَ الله بالوعد والوعيد فى الثواب والعقاب ، والخير والشر ، والنفْع والضرّ الذى هو بيده وإليه دون سائر خلقه — لا يُحيل الكلامَ الجارىَ بين الناسَ فى استعمالهم إياه عن وجوهه ، ولا يغيّره عن معانيه . والجارى بين الناس من الكلام المفهوم ما وصفنا : من أنّ كل اتّعاد كان بين اثنين ، [٣] فهو وعْد من كل واحد منهما صاحبَه ، ومواعدةٌ بينهما ، وأنّ كلَّ واحد منهما واعدٌ صاحبه مواعدٌ . وأن الوعْد الذى يكون به الانفرادُ من الواعد دون الموعود ، إنما هو ما كان بمعنى « الوعد » الذى هو خلافُ « الوَعيد » . ٢٢٢/١

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ مُوسَىٰٓ ﴾

« وموسى » — فيما بلغنا — بالقبطية كلمتان ، يُعنى بهما : ماء وشجر . « فمو » ، هو الماء ، و « شا » هو الشجر . [٤] وإنما سمى بذلك — فيما بلغنا — لأن أمه لما جعلته فى التابوت — حين خافت عليه من فرعون وألقته فى اليمّ ، كما أوحى الله إليها ، وقيل : إن اليمّ الذى ألقته فيه هو النيل — دفعته أمواجُ اليم حتى أدخلته بين أشجار عند بيت فرعون ، فخرج جوارى آسيةَ امرأةِ فرعون يغتسلنَ ، فوجدن

---

(١) فى المطبوعة : « قد كان وعد موسى » بزيادة « قد » ، وفيها أيضاً « وكان الله عز وجل لموسى واعد ومواعداً » ، والواو هنا ليست بشىء فى قوله « وكان » ، و « ومواعداً » .

(٢) فى المطبوعة : « فهو الحق فى ذلك . . . » ، وهو خطأ .

(٣) فى المطبوعة هنا أيضاً كما سلف : « كل إيعاد » ، وهو فساد وخطأ .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « سا » وأثبت ما فى التاريخ .

التابوت فأخذنه . فسمى باسم المكان الذى أصيب فيه ، ، وكان ذلك بمكان فيه ماء وشجر ،[١] فقيل : موسى ، ماء وشجر . كذلك : —

٩١٢ — حدثنى موسى بن هرون، قال حدثنا عمرو بن حماد، عن أسباط بن نصر، عن السدى .[٢]

* * *

وقال أبو جعفر : وهو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب إسرائيل الله بن إسحق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله ، فيما زعم ابن إسحق .

٩١٣ — حدثنى بذلك ابن حميد قال، حدثنا سلمة بن الفضل، عنه .[٣]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾

ومعنى ذلك : وإذ وَاعَدنا موسى أربعين ليلة بتمامها . فالأربعون ليلة كلها داخلة فى الميعاد .

وقد زعم بعض نحويّى البصرة أن معناه : وإذ وَاعدنا موسَى انقضاء أربعين ليلة ،أى رأسَ الأربعين . ومثّل ذلك بقوله : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [سورة يوسف: ٨٢] وبقولهم : « اليوم أربعون منذ خرج فلان » ، « واليوم يومان » . أى اليوم تمامُ يومين ، وتمام أربعين .

قال أبو جعفر : وذلك خلاف ما جاءت به الرواية عن أهل التأويل ، وخلافُ ظاهر التلاوة . فأما ظاهر التلاوة، فإن الله جل ثناؤه قد أخبر أنه واعد موسى أربعين ليلة ،فليس لأحد إحالة ظاهر خبره إلى باطن،[٤] بغير برهان دالّ على صحته.

---

(١) فى المطبوعة : « وكان ذلك المكان فيه » وليست بشىء .

(٢) الأثر : ٩١٢ تاريخ الطبرى ١ : ٢٠١ فى خبر طويل .

(٣) الأثر : ٩١٣ — مختصر من خبر نسبه فى تاريخ الطبرى ١ : ١٩٨ .

(٤) انظر تفسير « ظاهر » و « باطن » فيما سلف ص : ٥٠ ، والمراجع قبلها

* * *

وأما أهل التأويل فإنهم قالوا فى ذلك ما أنا ذاكره ، وهو ما : —

٩١٤ — حدثنى به المثنى بن إبراهيم قال، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية ، قوله : « وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة » ، قال : يعنى ذا القعدة وعشراً من ذى الحجة . وذلك حين خلّف موسى أصحابه واستخلف عليهم هرون ، فمكث على الطُّور أربعين ليلة ، وأنزل عليه التوراةُ فى الألواح — وكانت الألواح من بَرَد[1] — فقربه الرّب إليه نجيًّا وكلّمه ، وسمع صريفَ القلم . وبلغنا أنه لم يُحدث حدثاً فى الأربعين ليلةً حتى هبط من الطُّور .[2]

٩١٥ — وحدثت عن عمار بن الحسن ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بنحوه .

٩١٦ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة بن الفضل ، عن ابن إسحق قال : وعد الله موسى — حين أهلك فرعونَ وقومَه . ونجّاه وقومَه — ثلاثين ليلة ثم أتمّها بعشر ، فتمّ ميقات ربّه أربعين ليلة، يلقاه ربه فيها ما شاء .[3] واستخلف موسى هرونَ على بنى إسرائيل، وقال : إنى متعجّل إلى ربى، فاخلُفنى فى قومى ولاتتّبع سبيلَ المفسدين. فخرج موسى إلى ربه متعجلاً لِلُقيِّه شوقاً إليه،[4] وأقام هرون فى بنى إسرائيلَ ومعه السامرىّ ، يسيرُ بهم على أثر موسى ليلحقهم به .[5]

٩١٧ — حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا

---

(١) فى المطبوعة : « وكانت الألواح من زبرجد » ، والصواب ما أثبته من المخطوطة ، ومما جاء عن أبى العالية ، فى صفة الألواح ٩ : ٤٦ (بولاق) .

(٢) صريف الأقلام : صوتها وصريرها وهى تجرى بما تكتبه الملائكة . وقوله : « لم يحدث حدثاً » ، أى لم يكربه ما يكرب الناس من قضاء الحاجة .

(٣) فى المطبوعة : « تناه ربه فيها بما شاء » .

(٤) فى المطبوعة : « للقائه » ، وهما سواء فى المعنى .

(٥) الأثر : ٩١٦ — صدر هذا الأثر فى تاريخ الطبرى ١ : ٢١٧ — ٢١٨ ، ولكن قطعه الطبرى ، وأتمه من خبر السدى .

أسباط ، عن السدى ، قال : انطلق موسى ، واستخلف هرون على بنى إسرائيل ، وواعدَهم ثلاثين ليلة ، وأتمها الله بعشر .[١]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴾

وتأويل قوله : « ثم اتخذتم العجلَ من بَعده » ، ثم اتخذتم فى أيام مُواعَدة مُوسى العجلَ إلهاً ، من بعد أن فارقكم موسى متوجّهاً إلى الموعد . و «الهاء» فى قوله : « من بَعْدِه » عائدةٌ على ذكر موسى .

فأخبر جل ثناؤه المخالفين نبيَّنا صلى الله عليه وسلم من يهود بنى إسرائيل ، المكذِّبين ، المخاطَبين بهذه الآية — عن فِعل آبائهم وأسلافهم ، وتكذيبهم رُسُلهم ، ١/٢٢٣ وخلافهم أنبياءَهم ، مع تَتابع نِعَمه عليهم ، وشُيوع آلائه لديهم ،[٢] معرِّفهم بذلك أنهم — من خلاف محمد صلى الله عليه وسلم وتكذيبهم به ، وجحودهم لرسالته ، مع علمهم بصدقه[٣] — على مثل منهاج آبائهم وأسلافهم ، ومحذِّرَهم من نزول سَطوته بهم = بمُقامهم على ذلك من تكذيبهم = ما نزلَ بأوائلهم المكذبين بالرسُل : منَ المسخ واللعن وأنواع النَّقِمات .

وكان سببُ اتخاذهم العجل ، ما : —

٩١٨ — حدثنى به عبد الكريم بن الهيثم قال ، حدثنا إبراهيم بن بشار الرمادى قال ، حدثنا سفيان بن عيينة قال ، حدثنا أبو سعيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما هجم فرعون على البحر هو وأصحابه ، وكان فرعونُ على فرس أدَهم

---

(١) الأثر : ٩١٧ — فى تاريخ الطبرى فى خبر طويل ١ : ٢١٨ ، وسيأتى تمامه فى رقم : ٩١٩.

(٢) فى المطبوعة : « سبوغ آلائه » . وشيوع آلائه : ظهورها وعمومها حتى استوى فيها جميعهم . وانظر ما سيأتى بعد ص : ٨١ ، تعليق : ٣ .

(٣) فى المطبوعة : « من خلافهم محمداً . . . »

ذَنُوب حِصَان ، فلما هجم على البحر ، هابَ الحِصان أن يقتحم فى البحر ، فتمثل له جبريل على فرس أنثى وَديق ، فلما رآها الحصان تقحَّم خلفها.[1] قال : وعرف السامرىُّ جبريلَ ، لأن أمه حين خافت أن يُذبح خلَّفته فى غار وأطبقت عليه ، فكان جبريل يأتيه فيغذُوه بأصابعه ، فيجد فى بعض أصابعه لبناً ، وفى الأخرى عسلاً ، وفى الأخرى سمناً ، فلم يزل يغذوه حتى نشأ . فلما عاينه فى البحرَ عرَفه ، فقبض قبضةً من أثر فرَسه ، قال : أخذ من تحت الحافر قَبضَةً . — قال سفيان : فكان ابن مسعود يقرؤها : ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ فَرَسِ الرَّسُولِ﴾ [سورة طه : ٩٦] —

قال أبو سعيد قال ، عكرمة ، عن ابن عباس : وألقى فى رُوْع السامرىّ :[2] إنك لا تُلقيها على شىء فتقول : «كنْ كذا وكذا» ، إلا كان . فلم تزل القَبْضة معه فى يده حتى جاوز البحرَ . فلما جاوز مُوسى وبنو إسرائيل البحرَ ، وأغرق الله آل فرعون ، قال موسى لأخيه هرون : اخلُفْنى فى قومى وأصْلح . ومضى موسى لموعد ربّه . قال : وكان مع بنى إسرائيل حَلْىٌ من حَلْىِ آل فرعون قد تعوَّرُوه ،[3] فكأنهم تأثَّموا منه ، فأخرجوه لتنزلَ النارُ فتأكله . فلما جمعوه ، قال السامرى بالقبضة التى كانت فى يده هكذا ،[4] فقذفها فيه — وأومأ ابن إسحق بيده هكذا — وقال : كن عِجلاً جسداً له خُوارٌ . فصار عجلاً جسداً له خوارٌ ، وكان تدخل الريح فى دُبُره وتخرج من فيه ، يسمع له صوت ، فقال : هذا إلهكم وإله مُوسى . فعكفوا على العجل يعبدُونه ، فقال هرون : يا قوم ، إنما فُتِنتم به ، وإن ربَّكم الرحمنُ فاتَّبعونى وأطيعوا أمرى ! قالوا : لن نَبرَح عليه عاكفين حتى يرجعَ إلينا مُوسى .

٩١٩ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا

---

(١) انظر آخر الأثر رقم : ٩٠٩ فهو هذا بنصه ، ثم يأتى تمامه .

(٢) الروع (بضم الراء) : القلب والعقل . وقع ذلك فى روعى : أى فى نفسى وخلدى وبالى .

(٣) تعور الشئ واستعاره : أخذه عارية ، كما تقول : تعجب واستعجب .

(٤) قال بالقبضة : رفعها مشيراً بيده ليلقيها . وقد مضى تفسير ذلك فى ص : ٥٤ تعليق : ٣

أسباط بن نصر ، عن السدى : لما أمر الله موسى أن يخرج ببنى إسرائيل — يعنى من أرض مصر — أمر موسى بنى إسرائيل أن يخرجوا ، وأمرهم أن يستعيروا الحلى من القِبْط . فلما نجّى اللهُ موسى ومن معه من بنى إسرائيل من البحر ، وغرق آل فرعون ، أتى جبريلُ إلى موسى يذهب به إلىَ الله . فأقبل على فرسٍ ، فرآه السامرىُّ فأنكره وقال : إنه َفرَسُ الحياة ! فقال حين رآه : إنّ لهذا لشأناً ! فأخذ من تربة الحافر — حافر الفرس — فانطلقَ موسى ، واستخلف هرون على بنى إسرائيل ، وواعدهم ثلاثين ليلة ، وأتمها الله بعشر . فقال لهم هرون : يا بنى إسرائيل ، إن الغنيمةَ لا تحلُّ لكم ، وإن حلَى القبط إنّما هو غنيمة ، فاجمعوها جميعاً واحفروا لها حفرة فادفنوها ، فإن جاء مُوسى فأحلّها أخذتموها ، وإلاّ كان شيئاً لم تأكلوه . فجمعوا ذلك الحلى فى تلك الحفرة ، وجاء السامرى بتلك القبضة فقذَفها ، فأخرج الله من الحلى عجلاً جسداً له خُوَار . وعدَّت بنو إسرائيل موعِدَ موسى ، فعدُّوا الليلة يوماً واليومَ يوماً . فلما كان تمام العشرين ، خرج لهم ٢٢٤/١
العجلُ . فلما رأوهُ قال لهم السامرى : هذا إلهكم وإله مُوسَى َفنسِيَ — يقول ترك مُوسى إلهه ههنا وذهب يطلبه . فعكفوا عليه َيعبدونه ، وكان َيخور ويمشى . فقال لهم هرون : يا بنى إسرائيل إنما فُتنتم به — يقول : إنما ابتليتم به ، يقول : بالعجل — وإنّ ربكم الرّحمن . فأقام هرون ومن معه من بنى إسرائيل لا يقاتلونهم ، وانطلق موسى إلى إلهه يكلمه ، فلما كلّمه قال له : ما أعجلك عن قومِك يا موسى ؟ قال : هم أولاءِ على أثرى وَعجلتُ إليكَ ربِّ لترضى . قال : فإنا قد فتنّا قومك من بعْدِك وأضلّهُم السامرىّ : فأخبره خبرهم . قال موسى : ياربّ ، هذا السامرىّ أمرهم أن يتخذوا العجلَ ، أرأيت الرّوح من َنفَخها فيه ؟ قال الرب : أنا . قال : ربّ أنت إذاً أضللْتَهم .(١)

٩٢٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : كان

(١) الأثر : ٩١٩ — مضى صدره فى رقم : ٩١٧ . وفى التاريخ ١ : ٢١٨ .

– فيما ذُكر لى – أن موسى قال لبنى إسرائيلَ فيما أمرهُ الله به : استعيروا منهم – يعنى من آل فرعون – الأمتعة والحلى والثيابَ ، فإنى مُنفِّلكم أموالَهم مع هلاكهم. فلما أذّن فرعون فى الناس، كان مما يحرِّض به على بنى إسرائيل أنْ قالَ : حين ساروا لم يرضوا أن خرجوا بأنفسهم ، حتى ذهبوا بأموالكم معهم ! [1]

٩٢١ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثنى محمد بن إسحق عن حكيم بن جبير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان السامرى رجُلا من أهل باجَرْمَا ، وكان من قوم يعبدون البَقر ، وكان حُبّ عبادةِ البقر فى نفسه ، وكان قد أظهر الإسلام فى بنى إسرائيل . فلما فَصَل هرون فى بنى إسرائيل ، وفصل موسى إلى ربه ، [2] قال لهم هرون: أنتم قد حمَّلتم أوزاراً من زينة القوم – آل فرعون – وأمتعةً ، وحليًّا ، فتطهَّروا منها فإنها نَجَسٌ . وأوقد لهم ناراً فقال: اقذِفوا ما كان معكم من ذلك فيها . قالوا : نعم . فجعلوا يأتون بما كان فيهم من تلك الأمتعة وذلك الحلى ، [3] فيقذفون به فيها . حتى إذا تكسّر الحلى فيها، ورأى السامرىّ أثر فرس جبريل، فأخذ تراباً من أثر حافره ، [4] ثم أقبل إلى النار فقال لهرون: [5] يانبى الله، ألقِى ما فى يدى؟ قال : نعم . ولا يظن هرون إلا أنه كبعض ما جاء به غيرُه من ذلك الحلى والأمتعة، فقذفه فيها وقال : «كن عجلا جسداً له خوار» ، فكان ، للبلاء والفتنة . فقال: هذا إلهكم وإلهُ موسى. فعكفوا عليه ، وأحبُّوه حبًّا لم يحبّوا مثله شيئا قط. يقول الله عز وجل : ﴿ فَنَسِيَ ﴾ ، [سورة : طه ٨٨] أى ترك ما كان عليه من الإسلام – يعنى السامرى – ﴿ أَفَلَا

---

(١) الأثر : ٩٢٠ – فى تاريخ الطبرى ١ : ٢١٦ . وفى المطبوعة «أن يخرجوا بأنفسهم» ، وأثبت ما فى المخطوطة والتاريخ . نفله الشىء : جعله نفلا ، أى غنيمة مستباحة .

(٢) فصل فلان عن البلد يفصل فصولا : إذا خرج وفارقها .

(٣) فى المطبوعة : «بما كان معهم» ، غيروه ليستقيم على دارج ما ألفوه .

(٤) فى المطبوعة : «أخذ تراباً» ، حذفوا الفاء ليستقيم على ما بينهم ، فيما زعموا .

(٥) فى تاريخ الطبرى : «ثم أقبل إلى الحفرة . . . »

يَرَوْنَ أَنْ لاَ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلاَ يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلاَ نَفْعاً ﴾ [سورة طه : ٨٩] وكان اسم السامرىّ . مُوسى بن ظَفَر – وقع فى أرض مصرَ فدخل فى بنى إسرائيل.[١] فلما رأى هرون ماوقعوا فيه قال : ﴿يا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ به وإنّ رَبَّكُمُ الرَّحْمٰنُ فاتَّبِعُونى وَأَطِيعُوا أَمْرِى * قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴾ [سورة طه : ٩٠ – ٩١] . فأقام هرون فيمن معه من المسلمين ممن لم يُفتَتَن ، وأقام من يعبُد العجل على عبادة العجل ، وتخوّف هرون ، إنْ سار بمن معه من المسلمين ، أن يقول له موسى : فرّقت بَين بنى إسرائيل ولم ترقُبْ قَوْلى . وكان له هائباً مطيعاً[٢] .

٩٢٢ – حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب ، قال ، قال ابن زيد : لما أنجى الله عز وجل بنى إسرائيل من فرعون ، وأغرق فرعون ومن معه ، قال موسى لأخيه هرون : اخلفنى فى قومى وأصْلح ولا تتبع سبيلَ المفسدين . قال : لما خرج موسى وأمر هرون بما أمره[٣] ، وخرج موسى مُتعجِّلاً مسروراً إلى الله ، قد عرَف موسى أنّ المرء إذا أنجح فى حاجة سيده ، كان يسرُّه أن يتعجَّل إليه[٤] . قال : وكان حين خرجوا استعاروا حَلياً وثياباً من آل فرعون ، فقال لهم هرون : إنّ هذه الثياب والحَلْى لا تحلُّ لكم ، فاجمعوا ناراً فألقوه فيها فأحرقوه . قال : فجمعوا ناراً . قال : وكان السامرىُّ قد نظر إلى أثر دابّة جبريل ، وكان على فَرس أنثى – وكان السامرى فى قوم موسى – قال : فنظر إلى أثره فقبض منه قبضة ، فيبست عليها يده . فلما ألقى قومُ موسى الحلى فى النار ، وألقى السامرى ١/٢٢٥

(١) هو كما ذكر فى أول الخبر من أهل « باجرما » ، وباجرما : قرية من أعمال البليخ قرب الرقة ، من أرض الجزيرة . (ياقوت) . ويقال : موضع قبل نصيبين (معجم ما استعجم) . وقال الميدانى فى شرح المثل : [خطب يسير فى خطب كبير] أن الزباء كانت من أهل باجرما وتتكلم العربية .

(٢) الأثر : ٩٢١ – فى تاريخ الطبرى ١ : ٢١٩ – ٢٢٠ .

(٣) فى المطبوعة : « بما أمره به » .

(٤) فى المطبوعة : « نجح » ، وأنجح : أدرك طلبته وبلغ النجاح . وإن كنت أخشى أن يكون فى الكلمة تصحيف خفى على .

مَعهم القبضة ، صَوَّر الله جل وعز ذلك لهم عجلاً ذهباً ، فدخلته الريحُ فكان له خُوَار . فقالوا : ما هذا ؟ فقال السامريُّ الخبيث : ﴿هٰذَا إِلٰهُكُمْ وَإِلٰهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ ، الآية – إلى قوله ﴿حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾ [سورة طه : ٨٨ – ٩١] قال : حتى إذا أتى موسى الموعدَ قال الله : ﴿مَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾ [سورة طه : ٨٤ – ٨٦]

٩٢٣ – حدثنا القاسم بن الحسن قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد في قوله : « ثُم اتخذتم العجل من بَعده » . قال : العجل : حَسِيلُ البقرة[1] . قال : حليٌ استعاروه من آل فرعون ، فقال لهم هرون : أخرجوه فتطهّروا منه وأحرقوه . وكان السامري أخذَ قبضة من أثر فرس جبريل فطرحه فيه ، فانسبك ، فكان له كالجوف تهوى فيه الرياح .

٩٢٤ – حدثني المثنى بن إبراهيم قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية قال : إنما سُميَ العِجل ، لأنهم عَجِلوا فاتخذوه قبلَ أن يأتيهم مُوسى .

٩٢٥ – حدثني محمد بن عمرو الباهلي قال ، حدّثنا أبو عاصم قال ، حدثني عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحو حديث القاسم عن الحسن .

٩٢٦ – حدثني المثنى بن إبراهيم قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بنحوه[2]

* * *

(١) الحسيل (بفتح فكسر) : ولد البقرة .

(٢) الأثران : ٩٢٥ ، ٩٢٦ – في المخطوطة ساق إسناد الأثرين جميعاً في موضع واحد قال : « قال حدثنا عيسى – وحدثني المثنى بن إبراهيم ، قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل – جميعاً عن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « ثم اتخذتم العجل » قال : العجل : حسيل البقرة . . . » ثم ساق نص ما في الأثر : ٩٢٤ . فآثرت ترك ما في المطبوعة على حاله .

تأويل قوله ﴿ وَأَنْتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ (٥١)

يعنى : وأنتمُ واضعو العبادة فى غير موضعها ، لأن العبادة لا تَنبغى إلا لله عز وجل ، وعبدتُم أنتم العجل ظلماً منكم ، ووضعاً للعبادة فى غير موضعها . وقد دللنا — فى غير هذا الموضع مما مضى من كتابنا — أنّ أصلَ كل ظُلم ، وضع الشىء فى غير مَوْضعه . فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع [1] .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٥٢)

قال أبو جعفر : وتأويل قوله : « ثم عفونا عنكم من بعد ذلك » ، يقول : تركنا معاجلتكم بالعقوبة ، « من بعد ذلك » ، أى من بعد اتخاذكم العجل إلهاً ، كما :—

٩٢٧ — حدثنى به المثنى بن إبراهيم قال ، حدثنا آدم العسقلانى قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية : « ثُم عَفونا عنكم من بعد ذلك » ، يعنى : من بعدَ ما اتخذتم العجلَ .

* * *

وأما تأويل قوله : « لعلكم تشكرون » ، فإنّه يعنى به : لتشكروا . ومعنى « لعل » فى هذا الموضع معنى « كى » . وقد بينتُ فيما مضى قبلُ أن أحد معانى « لعل » « كى » ، بما فيه الكفاية عن إعادته فى هذا الموضع [2] .

* * *

فمعنى الكلام إذاً : ثم عفونا عنكم من بعد اتخاذكم العجلَ إلهاً ، لتشكرونى على عفوى عنكم ، إذ كان العفوُ يوجب الشكرَ على أهل اللبّ والعقل .

* * *

(١) انظر ما مضى ١ : ٥٢٣ — ٥٢٤ .
(٢) انظر ما مضى ١ : ٣٦٤ — ٣٦٥ .

القول فى تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَٰبَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (٥٣)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « وإذ آتينا موسى الكتابَ » : واذكروا أيضاً إذْ آتينا مُوسى الكتاب والفُرقان. ويعنى بـ «الكتاب» : التوراة، وبـ «الفرقان» : الفصل بين الحق والباطل، كما : —

٩٢٨ — حدثنى المثنى بن إبراهيم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية فى قوله : « وإذ آتينا مُوسى الكتابَ والفرقان »، قال : فَرَق به بينَ الحقّ والباطل .

١/٢٢٦ ٩٢٩ — حدثنى محمد بن عمرو الباهلى قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « وإذْ آتينا مُوسَى الكتاب والفرقان » ، قال : الكتاب : هو الفرقان ، فُرقانٌ بين الحق والباطل[1] .

٩٣٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٩٣١ — وحدثنى القاسم بن الحسن قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله : « وإذْ آتينا مُوسَى الكتابَ والفرقَان » ، قال: الكتاب هو الفُرقان ، فرَق بين الحق والباطل .

٩٣٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قال ، وقال ابن عباس : « الفُرقان » جِمَاعُ اسم التوراة والإنجيل والزَّبور والفُرقَان .

وقال ابن زيد فى ذلك بما : —

٩٣٣ — حدثنى به يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب. قال ،

---

(١) فى المخطوطة : « هو الفرقان بين الحق والباطل » ، والذى فى المطبوعة أجود .

سألته — يعنى ابن زيد — عن قول الله عز وجل : « وإذْ آتينا مُوسَى الكتابَ والفرقان » فقال : أمّا « الفُرْقان » الذى قال الله جل وعز : « ﴿ يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ﴾ [سورة الأنفال : ٤١] ، فذلك يومُ بدر ، يومَ فَرَق الله بين الحق والباطل ، والقضاءُ الذى فرق به بين الحق والباطل . قال : فكذلك أعطى الله موسى الفُرْقان ، فرق الله بينهم ، وسلّمه وأنجاه ، فرقَ بينهم بالنصر . فكما جعل الله ذلك بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين المشركين ، فكذلك جعله بين موسى وفرعون.[1]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه التأويلات بتأويل الآية ،[2] ما روى عن ابن عباس وأبى العالية ومجاهد : من أنّ « الفرقان » ، الذى ذكر الله أنه آتاه موسى فى هذا الموضع ، هو الكتاب الذى فَرَق به بين الحق والباطل ، وهو نعتٌ للتوراة وصفة لها.

فيكون تأويل الآية حينئذ : وإذ آتينا مُوسى التوراة التى كتبناها له فى الألواح وَفرَقنا بها بين الحق والباطل .

فيكون « الكتاب » نعتاً للتوراة أقيم مقامَها ، استغناء به عن ذكر التوراة ، ثم عَطف عليه بـ « الفرقان » ، إذ كان من نعتها .

* * *

وقد بينا معنى «الكتاب» فيما مضى من كتابنا هذا ، وأنه بمعنى المكتوب .[3]

* * *

وإنما قلنا هذا التأويل أولى بالآية ، وإن كان محتملاً غيرُه من التأويل ، لأن الذى قبله من ذِكْر «الكتاب» ، وأن معنى « الفرقان » الفصل[4] — وقد دللنا على ذلك فيما مضى من كتابنا هذا[5] — ، فإلحاقُه ، إذْ كان كذلك ، بصفة مَا وَليه ، أولَى من إلحاقه بصفة ما بَعُد منه .

---

(١) فى المطبوعة : « بين محمد والمشركين » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « فأولى هذين التأويلين . . . » .

(٣) انظر ما مضى ١ : ٩٧ — ٩٩ .

(٤) فى المطبوعة : « لأن الذى قبله ذكر الكتاب » بإسقاط « من » .

(٥) انظر ما مضى ١ : ٩٨ — ٩٩ .

وأما تأويل قوله : « لعلكم تهتدون » ، فنظيرُ تأويل قوله : « لعلكم تشكرون » ، ومعناه لتهتدوا[1] .

وكأنه قال : واذكروا أيضاً إذ آتينا مُوسى التوراةَ التى تَفرُق بين الحق والباطل لتهتدوا بها ، وتتبعوا الحق الذى فيها ، لأنى جعلتها كذلك هُدًى لمن اهتدَى بها ، واتَّبع ما فيها .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (٥٤)

وتأويل ذلك : واذكرُوا أيضاً إذ قال موسى لقومه من بنى إسرائيل : يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم . وظُلمهم إيّاها ، كانَ فعلَهم بها ما لم يكن لهمْ أن يفعلوه بها ، مما أوجبَ لهم العقوبةَ من الله تعالى . وكذلك كل فاعلٍ فعلاً يستوجب به العقوبةَ من الله تعالى ، فهو ظالمٌ لنفسه بإيجابه العقوبة لها من الله تعالى . وكان الفعل الذى فعلوه فظلموا به أنفسهم ، هو ما أخبر الله عنهم : من ارتدادهم باتخاذهم العجل ربًّا بعد فراق موسى إيّاهم .

ثم أمرَهم موسى بالمراجعة من ذنبهم ، والإنابة إلى الله من رِدّتهم ، بالتوبة
٢٢٧/١ إليه ، والتسليم لطاعته فيما أمرهم به . وأخبرهم أن توبتهم من الذنب الذى ركبوه قتلُهم أنفسهم .

* * *

وقد دللنا فيما مضى على أن معنى « التوبة » : الأوبة مما يكرهه الله إلى مايرضاه

---

(١) انظر ما مضى ٢ : ٦٩ .

من طاعته .[١]

* * *

فاستجاب القوم لما أمرهم به موسى من التوبة مما ركبوا من ذنوبهم إلى ربهم، على ما أمرهم به ، كما : —

٩٣٤ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة بن الحجاج ، عن أبي إسحق ، عن أبي عبد الرحمن أنه قال في هذه الآية : « فاقتلوا أنفسكم » ، قال : عَمَدوا إلى الخناجر فجعل يطعُن بعضُهم بعضاً .

٩٣٥ — حدثني عباس بن محمد قال ، حدثنا حجاج بن محمد ، قال ابن جريج ، أخبرني القاسم بن أبي بزة أنه سمع سعيد بن جبير ومجاهداً قالا : قام بعضهم إلى بعض بالخناجر يقتُل بعضهم بعضاً ، لا يَحنُّ رجلٌ على رجل قريب ولا بعيد ،[٢] حتى ألْوى موسى بثوبه ،[٣] فطرَحوا ما بأيديهم ، فتكشَّف عن سبعين ألف قتيل . وإنّ الله أوحى إلى موسى : أنْ حَسْبِي ، فقد اكتفيت ! فذلك حين ألوَى بثوبه .[٤]

٩٣٦ — حدثني عبد الكريم بن الهيثم قال ، حدثنا إبراهيم بن بَشار قال ، حدثنا سفيان بن عيينة قال ، قال أبو سعيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال موسى لقومه : « تُوبُوا إلى بَارئكم فاقتلوا أنفسَكم ذلكم خيرٌ لكم عند بَارئكم فتابَ عليكمْ إنه هو التَّوّاب الرحيم » . قال: أمر موسى قومَه — عن أمر ربه عز وجل — أن يقتلوا أنفسهم ، قال : فاحتبى الذين عكفوا على العجل فجلسوا ،[٥]

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٥٤٧ .

(٢) حن عليه : عطف عليه . وفي ابن كثير ١ : ١٦٩ « لا يحنو » ، وهو مثله في المعنى .

(٣) ألوى بثوبه : لمع به وأشار . يأمرهم موسى بالكف عما هم فيه .

(٤) في المطبوعة : « قد اكتفيت ، فذلك حين ألوى . . . » . وفي المخطوطة « بذلك » ، واخترت ما نقله ابن كثير ١ : ١٦٩ .

(٥) في المخطوطة : « فاختبأ الذي عكفوا . . . » ، وفي ابن كثير ١ : ١٦٩ : « فأخبر » ، وهو خطأ محض . واحتبى بثوبه : ضم رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ، يشده عليها ، وقد يكون الاحتباء باليدين عوض الثوب . وانظر البغوي ١ : ١٦٩ ، فهو دال على صواب ما استظهرته في قراءة الكلمة .

وَقام الذين لم يعكفوا على العجل ، وأخذوا الخناجر بأيديهم ، وأصابتهم ظلمة شديدةٌ ، فجعل يقتل بعضهم بعضاً ، فانجلت الظلمة عنهم وقد أجْلَوْا عن سبعين ألف قتيل ،(١) كلّ من قُتل منهم كانت له توبة ، وكل من بَقِى كانت له توبة .

٩٣٧ – حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : لما رجع موسى إلى قومه قال : ﴿يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ إلى قوله ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ [سورة طه : ٨٦ – ٨٧] . فألقى مُوسى الألواحَ وأخذ برأس أخيه يجره إليه ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [سورة طه : ٩٤] . فترك هرونَ ومال إلى السامرى ، فقال : ﴿مَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾ إلى قوله ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ [سورة طه : ٩٥ – ٩٧] ثم أخذه فذبحه ، ثم حرقه بالمبرد ،(٢) ثم ذرّاه فى اليم ، فلم يبق بحر يجرى يومئذ إلا وقع فيه شىء منه . ثم قال لهم موسى : اشربوا منه . فشربوا ، فمن كان يحبه خرج على شاربيه الذهب . فذلك حين يقول : ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [سورة البقرة : ٩٣] . فلما سُقِط فى أيدى بنى إسرائيل حين جاء موسى ، ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا : «لئن لم يَرحمنا ربُّنا ويَغفر لنا لنكونن من الخاسرين» . فأبى الله أن يقبل توبة بنى إسرائيل ، إلا بالحال التى كرهوا أن يقاتلهم حين عبدوا العجل ،(٣) فقال لهم موسى : «يا قوم إنكم ظلمتمُ أنفسكم باتخاذكمُ العجلَ فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم» . قال : فصَفُّوا صَفَّين ، ثم اجتلدوا بالسيوف . فاجتلد الذين عبدوه

(١) أجل عن كذا : انكشف عنه .

(٢) حرق الحديد بالمبرد حرقاً ، وحرقه (بتشديد الراء) : برده وحك بعضه ببعض . وكذلك جاء عن ابن إسحاق فى تاريخ الطبرى ١ : ٢٢٠ قال : «سمعت بعض أهل العلم يقول : إنما كان إحراقه محله» . والسحل : السحق والحك بالمبرد .

(٣) فى المطبوعة : «أن يقاتلوهم» ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وتاريخ الطبرى .

والذين لم يعبدوه بالسيوف ، فكان من قتل من الفريقين شهيداً ، حتى كثُر القتل ، حتى كادوا أن يَهلكوا ، حتى قُتل بينهم سبعون ألفاً ، حتى دعا موسى وهرون[1] : ربَّنا هلكت بنو إسرائيل ! ربنا البقية البقية ! [2] فأمرهم أن يضعوا السلاح وتاب عليهم . فكان من قتل شهيداً ، ومن بقى كان مكفَّراً عنه . فذلك قوله : « فتاب عليكم إنه هو التوابُ الرحيم » .[3]

٩٣٨ — حدثنى محمد بن عمرو الباهلى قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله تعالى : « باتخاذكم العجل » ، ١/٢٢٨ قال : كان موسى أمر قومَه — عن أمر ربه — أن يقتل بعضُهم بعضاً بالخناجر ، فجعل الرجل يقتل أباه ويقتل ولده ، فتاب الله عليهم .

٩٣٩ — وحدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد : « باتخاذكم العجل » ، قال : كانَ أمر موسى قومه — عن أمر ربه — أن يقتل بعضهم بعضاً ، ولا يقتل الرجل أباه ولا أخاه . فبلغ ذلك فى ساعة من نهار سبعين ألفاً .[4]

٩٤٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية فى قوله : « وإذْ قالَ مُوسَى لقومه يَاقوم إنكم ظلمتم أنفسكم » الآية ، قال : فصاروا صَفَّين ، فجعل يقتل بعضهم بعضاً ، فبلغ القتلى ما شاء الله . ثم قيل لهم : قد تِيبَ على القاتل والمقتول .

٩٤١ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى الليث قال ، حدثنى عقيل ، عن ابن شهاب قال : لما أمِرت بنو إسرائيل بقتل أنفسها ، برزوا

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « وحتى دعا موسى » ، وأثبت ما فى التاريخ بحذف واو العطف

(٢) البقية : الإبقاء عليهم ، يدعوان ربهما أن يبقى بقية ، فلا يستأصلهم بقتل أنفسهم .

(٣) الأثر : ٩٣٧ — فى تاريخ الطبرى ١ : ٢١٩ .

(٤) الأثر : ٩٣٩ — سقط هذا الأثر كله من المطبوعة .

ومعهم موسى ، فاضطربوا بالسيوف ، [١] وتطاعنوا بالخناجر ، وموسى رافع يديه . حتى إذا فتر ، أتاه بعضهم فقالوا : يانبي الله ، ادعُ الله لنا . وأخذوا بعضديه يسندون يديه .[٢] فلم يزل أمرهم على ذلك ، حتى إذا قبل الله توبتهم قبض أيدى بعضهم عن بعض ، فألقوا السلاح . وحزن موسى وبنو إسرائيل للذى كان من القتل فيهم ، فأوحى الله جل ثناؤه إلى موسى : ما يحزنك؟ [٣] أما من قتل منكم ، فحيٌّ عندى يرزق ؛ وأما من بقى ، فقد قبلت توبته ! فبشّر بذلك موسى بنى إسرائيل[٤] .

٩٤٢ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهرى وقتادة فى قوله : « فاقتلوا أنفسكم » ، قال : قاموا صفّين يقتل بعضهم بعضاً ، [٥] حتى قيل لهم : كُفُّوا ! قال قتادة : كانت شهادةً للمقتول وتوبة للحىّ .

٩٤٣ — حدثنا القاسم بن الحسن قال ، حدثنا الحسين بن داود قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال لى عطاء : سمعت عبيد بن عمير يقول : قام بعضهم إلى بعض ، يقتل بعضهم بعضاً ، ما يترابأ الرجل أخاه ولا أباه ولا ابنه ولا أحداً ، حتى نزلت التوبة .[٦]

قال ابن جريج ، وقال ابن عباس : بلغ قتلاهم سبعين ألفاً ، ثم رفع الله جل وعز عنهم القتل وتاب عليهم .

---

(١) فى المطبوعة : « فتضاربوا » وأثبت ما فى المخطوطة وابن كثير ١ : ١٧٠ . وتضارب الرجلان بسيفيهما واضطربا : تجالدا بالسيف ، بمعنى واحد .

(٢) فى المطبوعة : « يشدون » ، والصواب من المخطوطة وابن كثير . يريد : يسندون يديه وموسى رافع يديه يدعو الله .

(٣) فى المطبوعة : « لا يحزنك » ، والصواب من المخطوطة وابن كثير .

(٤) فى المطبوعة وابن كثير : « فسر بذلك موسى وبنو إسرائيل » .

(٥) فى المطبوعة : « فقتل بعضهم بعضاً » ، ليست بشىء .

(٦) فى المطبوعة « ما يتوق الرجل » ، وفى المخطوطة « ما يترانا » . وراباه فلاناً : اتقيته واتقانى . ومن مادته : «أربأ بك عن كذا» . أى أرفعك عنه ولا أرضاه لك . ويقال : «ما عبأت به ولا ربأت» : أى ما باليت به ولا حفلت . فقوله : « ما يترابأ » أى ما يبالى الرجل أن يقتل أخاه .

قال ابن جريج : قاموا صَفّين فاقتتلوا بينهم ، فجعل الله القتل لمن قُتل منهم شهادةً ، وكانت توبةً لمن بقى . وكان قتلُ بعضهم بعضاً : أنّ الله علم أنّ ناساً منهم علموا أن العجلَ باطل ، فلم يمنعهم أن ينكروا عليهم إلا مخافة القتال ، فلذلك أمر أن يقتُل بعضهم بعضاً .

٩٤٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : لما رجع موسى إلى قومه — وأحرَق العِجل وذَرّاه فى اليمّ ،[1] وخرج إلى ربّه بمن اختار من قومه ، فأخذتهم الصاعقة ، ثم بعثوا — سأل موسى ربَّه التوبة لبنى إسرائيل من عبادة العجل ، فقال : لا ، إلا أن يقتلوا أنفسهم . قال : فبلغنى أنهم قالوا لموسى : نصبرُ لأمر الله ! فأمر موسى من لم يكن عَبَد العجلَ أن يقتُلَ من عَبَده. فجلسوا بالأفنية ، وأصْلتَ عليهم القوم السيوف ،[2] فجعلوا يقتلونهم . وبكى موسى ، وبَهِش إليه النساءُ والصبيانُ يطلبون العفو عنهم ،[3] فتابَ عليهم وعفا عنهم ، وأمر موسى أن ترفع عنهم السيوف .[4]

٩٤٥ — حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : لما رجع موسى إلى قومه وكان سبعون رجلا قد اعتزلوا مع هرون العجلَ لم يعبدوه ، فقال لهم موسى : انطلقوا إلى موعد ربّكم . فقالوا : يا موسى ، أمّا من توبَة ؟ قال : بَلى ! « اقتُلوا أنفسكم ذلكم خَير لكم عند بارئكم فتابَ عليكم »

(١) فى صدر هذا الخبر من التاريخ ١ : ٢٢٠ أن إحراق العجل : سحله ، كما مضى فى ص : ٧٤ تعليق : ٢

(٢) فى المطبوعة : « وسلت القوم عليهم السيوف » . وأثبت ما فى تاريخ الطبرى وابن كثير ١ : ١٧٠. وأصلت السيف : جرده من غمده .

(٣) بهش إليه : أقبل عليه وأسرع إليه ، وتهيأ للبكاء .

(٤) الأثر : ٩٤٤ — فى تاريخ الطبرى ١ : ٢٢١ ، وابن كثير ١ : ١٧٠ ، وفى التاريخ وحده : « أن يرفع عنهم السيف » .

هذا ، وفى النسخة المخطوطة التى اعتمدناها ، خرم من عند قوله فى هذا الأثر : « سأل ربه التوبة لبنى إسرائيل من عبادة » — إلى أن يأتى قوله : « القول فى تأويل قوله تعالى : « ثم بعثناكم من بعد موتكم » . وهو أول المجلد الثانى من هذه النسخة ، وتدل وثيقة الوقف التى كتبت على ظهر هذا المجلد ، أن هذه النسخة مجزأة فى اثنين وعشرين جزءاً .

الآية . فاختَرطوا السيوف والجِرَزة والخناجرَ والسكاكين .(١) قال : وبعث عليهم ضبابةً . قال : فجعلوا يتلاَمسون بالأيدى ، ويقتل بعضهم بعضاً . قال : ويلقَى الرجل أباه وأخاه فيقتله ولا يدرى ، ويتنادون فيها : رحم الله عبداً صَبر نفسَهُ حتى يبلغ الله رضاه .(٢) وقرأ قول الله جل ثناؤه : ﴿ وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الآيَاتِ مَا فِيهِ بَلاَءٌ مُبِينٌ ﴾ [سورة الدخان : ٣٣] . قال : فقتلاهم شُهداء ، وتِيبَ عل أحيائهم ، وقرأ : « فتابَ عليكم إنه هو التوابُ الرحيم » .(٣) ٢٢٩/١

* * *

فالذى ذكرنا — عمن روينا عنهُ الأخبار التى رويناها — كان توبةُ القوم من الذنْب الذى أتوه فيما بينهم وبين ربهم ، بعبادتهم العجلَ ، مع ندمهم على ما سلفَ منهم من ذلك .

* * *

وأما معنى قوله : « فتوبوا إلى بَارئكم » ، فإنه يعنى به : ارجعوا إلى طاعة خالقكم ، وإلى ما يرضيه عنكم ، كما : —

٩٤٦ — حدثنى به المثنى بن إبراهيم قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية : « فتوبُوا إلى بارئكم » ، أى : إلى خالقكم .

* * *

وهو من « بَرَأ الله الخلق يبرؤه فهو بارئ » . و « البريَّة » : الخَلق . وهى « فَعيلةٌ » بمعنى « مفعولة » ، غير أنها لا تُهمز . كما لا يهمز « مَلَك » وهو من « لأك » ، لكنه جرى بترك الهمز كذلك .(٤) قال نابغة بنى ذبيان :

إِلاَّ سُلَيْمَانَ إِذْ قَالَ الْمَلِيكُ لَهُ : قُمْ فِى الْبَرِيَّةِ فَاحْدُدْهَا عَنِ الْفَنَدِ(٥)

---

(١) اختَرط السيف : سله . والجرزة (بكسر الجيم وفتح الزاى) جمع جرز (بضم فسكون) ، وهو عمود من الحديد ، سلاح يقاتل به .

(٢) فى المطبوعة : « صبر حتى يبلغ » بحذف « نفسه » . والزيادة من ابن كثير ١ : ١٧٠

(٣) الأثر : ٩٤٥ — فى ابن كثير ١ : ١٧٠ .

(٤) انظر ما مضى ١ : ٤٤٤ — ٤٤٧

(٥) ديوانه : ٢٩ ، من قصيدته التى قالها يذكر النعمان ويعتذر إليه ، وقبل البيت :

وقد قيل : إنّ «البرية» إنما لم تُهمز ، لأنها «فعيلة» من « البَرَى » ، والبَرَى : التراب. فكأن تأويله على قول من تأوله كذلك : أنه مخلوقٌ من التراب .

* * *

وقال بعضهم : إنما أخذت «البريّة» من قولك : «بريتُ العود» . فلذلك لم يُهمز .

* * *

قال أبو جعفر : وترك الهمز من « بارِئكم » جائز ، والإبدال منها جائز . فإذ كان ذلك جائزاً فى « باريكم » ، فغير مستنكر أن تكون «البرية» من : « بَرَى الله الخلق » ، بترك الهمزة .

* * *

وأما قوله : « ذلكم خيرٌ لكم عند بَارِئكم » ، فإنه يعنى بذلك : توبتُكم بقتلكم أنفسَكم ، وطاعتُكم ربكم ، خير لكم عند بارئكم ، لأنكم تنجون بذلك من عقاب الله فى الآخرة على ذنبكم ، وتستوجبون به الثواب منه .

* * *

وقوله : « فتاب عليكم » ، أى : بما فعلتم مما أمركم به من قتل بعضكم بعضاً . وهذا من المحذوف الذى استغنى بالظاهر منه عن المتروك . لأن معنى الكلام : فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسَكم ، ذلكم خير لكم عند بارئكم ، فتُبتم ، فتاب عليكم. فترك ذكر قوله : «فتبتم» ، إذْ كان فى قوله : « فتاب عليكم » دلالةٌ بينة على اقتضاء الكلام « فتبتم » .

* * *

ويعنى بقوله : « فتاب عليكم » ، رجعَ لكم ربكم إلى ما أحببتم : من العفو عن ذنوبكم وعظيم ماركبتم ، والصفح عن جرمكم ، « إنه هو التواب الرحيم » يعنى : الراجعُ لمن أناب إليه بطاعته إلى ما يحب من العفو عنه .

ويعنى بـ « الرحيم » ، العائد إليه برحمته المنجيةِ من عقوبته .

* * *

وَلَا أَرَى فَاعِلاً فِى النَّاسِ يُشْبِهُهُ وَلَا أُحَاشِى مِنَ الأَقْوَامِ مِنْ أَحَدِ

حددت فلان عن الشر : منعته وحبسته . والفند : الخطأ فى الرأى وفى القول .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾

قال أبو جعفر : وتأويل ذلك : واذكروا أيضاً إذ قلتم يا مُوسى لن نصدِّقك ولن نُقِرَّ بما جئتنا به ، حتى نرى الله جَهرة — عِياناً برفع الساتر بيننا وبينه ، وكشف الغطاء دوننا ودُونه ، حتى ننظر إليه بأبصارنا ، كما تُجهرَ الرَّكيَّةُ . وذلك إذا كان ماؤها قد غطَّاهُ الطين ، فنُقِّى ما قد غطاه حتى ظَهرَ الماء وَصفَا . يقال منه : (١) «قد جَهرت الركية أجهرُها جَهرًا وَجهْرة» . (٢) ولذلك قيل : « قد جاهر فلان بهذا الأمر مُجاهَرة وجِهاراً» ، (٣) إذا أظهره لرأى العين وأعلنه ، كما قال الفرزدق بن غالب :

مِنَ اللَّائِى يَظَلُّ الألفُ مِنْهُ مُنِيخاً مِنْ مَخَافَتِهِ جِهَارَا (٤)

---

(١) هذا نص كلام الأخفش (اللسان جهر) . وفى المطبوعة « فنقى ما قد غطاه » ، ولا بأس بها ، ولكنى أثبت ما فى اللسان .

(٢) قوله « وجهرة » ، مصدر لم أجده فى اللسان ولا فى غيره .

(٣) فى المطبوعة : « جهر فلان بهذا الأمر مجاهرة وجهاراً » ، وليس حسناً أن يقال كذلك . فإن « مجاهرة » لا تكون مصدر « جهر » ألبتة ، وإن جاز أن يكون « جهار » مصدراً له كما فى اللسان : « جهر بكلامه يجهر جهراً وجهاراً » . فمن أجل ذلك آثرت أن أضع مكان « جهر » « جاهر » ، حتى يستقيم على الجادة .

(٤) ديوانه : ٤٤٣ ، والنقائض : ٢٥٥ ، يهجو جريراً ، وقبل البيت :

عَوَى ، فأثَارَ أغْلَبَ ضَيْغَمِيًّا فَوَيْلَ ابنِ المَرَاغَةِ ! مَا أُسْتَثَارَا ؟

وقوله « عوى » يعنى جريراً . وقوله « من اللائى » ، أصله : من اللائين . و « اللاؤن » جمع « الذى » من غير لفظه ، بمعنى « الذين » . وفيه لغات : اللاؤون ، فى الرفع ، واللائين ، فى الخفض والنصب . واللاؤو ، بلا نون ، واللائى ، بإثبات الياء فى كل حال . يستوى فيه الرجال والنساء ، ومنه قول عباد بن طهفة ، وهو أبو الربيس ، شاعر أموى :

مِنَ النَّفَرِ اللائى الَّذِينَ إذَا هُمُ يَهَابُ اللِّئَامُ حَلْقَةَ البَابِ قَعْقَعُوا

وأجاز أبو الربيس أن يجمع بين « اللائى » و « الذين » ، لاختلاف اللفظين ، أو على إلغاء أحدهما .

٩٤٧ــ وكما حدثنا به القاسم بن الحسن قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قال، قال ابن عباس: « حتى نرى الله جهرةً » ، قال: علانيةً .

٩٤٨ ــ وحدثت عن عمار بن الحسن قال، ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع : « حتى نرى الله جهرة » ، يقول : عياناً . ٢٣٠/١

٩٤٩ ــ وحدثني يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « حتى نرى الله جهرةً » ، حتى يطلُع إلينا .

٩٥٠ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: « حتى نرى الله جهرة » ، أي عياناً .

فذكّرهم بذلك جل ذكرُه اختلافَ آبائهم، وسوءَ استقامة أسلافهم لأنبيائهم، مع كثرة مُعاينتهم من آيات الله جل وعز وعِبَره ما تَثلَج بأقلّها الصدور،[1] وتطمئن بالتصديق معها النفوس . وذلك مع تتابع الحجج عليهم ، وسبوغ النعم من الله لديهم ،[2] وهم مع ذلك مرة يسألون نبيَّهم أن يجعل لهم إلهاً غيرَ الله . ومرّة يعبُدون العجل من دون الله . ومرة يقولون: لا نصدِّقك حتى نرى الله جهرةً . وأخرى يقولُون له ، إذا دعوا إلى القتال : اذْهبْ أنتَ وربُّك فقاتلا إنا ههنا

فقول الفرزدق : « من اللائى » ، يعنى : من الذين . ثم قطع القول وحذف ، لدلالة الكلام على ما أراد ، كأنه قال : هو من الذين عرفت يا جرير . ثم استأنف فقال : يظل الألف منه . . . ، والضمير فى « منه » عائد إلى قوله: « أغلب ضيغمياً » ، هو الأسد، ويعنى نفسه . والألف : يعنى ألف رجل . وقوله : « منيخاً » : أى قد أناخ « الألف » ركابهم من مخافته ، وقد قطع عليهم الطريق .

هذا ، ورواية النقائض والديوان : « « نهاراً » مكان « جهاراً » جاء تفسيرها فى النقائض: « قال : نهاراً ، ولم يقل : ليلا ، لأن الأسد أكثر شجاعته وقوته بالليل . فيقول : هذا الأسد يظل الألف منه منيخاً بالنهار ، فكيف بالليل ! » .

ورواية الطبرى : « جهاراً » قريبة المعنى من رواية من روى « نهاراً » . وهم يقولون : لقيته جهاراً نهاراً . لأن النهار يكشف كل شىء ويعلنه ويجهره . أى أناخوا وهم يرونه رأى العين ، وذلك فى النهار .

(١) ثلجت نفسه بالشىء (بكسر اللام) تثلج وتثلج (بفتح اللام وضمها) ثلوجاً : اشتفت واطمأنت وسكنت إليه ، ووثقت به .

(٢) مضى فى ص : ٦٣ التعليق على مثل هذه الكلمة ، وكانت فى المخطوطة : « شيوع آلائه لديهم » . وسبوغ النعمة : كمالها وتمامها واتساعها . ولا أزال أستحسن أن تكون هنا « شيوع » ، لقوله « لديهم » ، فأما إن قال « وسبوغ النعم عليهم » ، كما سيأتى فى آخر هذه الفقرة ، فهى « سبوغ » ولا شك.

قاعدون . ومرة يقال لهم : قُولوا حِطَّةٌ وادْخلوا الباب سُجَّداً نغفر لكم خطاياكم . فيقولون : حِنطة فى شعيرة ! ويدخلون البابَ من قبل أسْتاههم ، مع غير ذلك من أفعالهم التى آذوا بها نبيهم عليه السلام ، التى يكثر إحصاؤها .

فأعلم ربُّنا تبارك وتعالى ذكره الذين خاطبهم بهذه الآياتِ من يهود بنى إسرائيل ، الذين كانوا بين ظهرانَىْ مُهاجَر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنهم لن يَعْدُوا أن يكونوا — فى تكذيبهم محمداً صلى الله عليه وسلم ، وجحودهم نبوَّتَه ، وتركهم الإقرار به وبما جاء به ، مع علمهم به ، ومعرفتهم بحقيقة أمره — كأسلافهم وآبائهم الذين فصَّل عليهم قَصَصهم ، فى ارتدادِهم عن دينهم مرةً بعد أخرى ، وتوثُّبهم على نبيهم موسى صلوات الله وسلامه عليه تارة بعد أخرى ، مع عظيم بلاء الله جل وعزّ عندهم ، وسُبوغ آلائه عليهم .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَأَخَذَتْكُمُ الصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ (٥٥)

اختلفَ أهل التأويل فى صِفة الصاعقة التى أخذتهم . فقال بعضهم بما : —

٩٥١ — حدثنا به الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « فأخذتكمُ الصاعقة » ، قال : ماتُوا .

٩٥٢ — وحدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « فأخذتكم الصاعقةُ » ، قال : سمعوا صوتاً فصَعِقوا ، يقول : فماتوا .

* * *

وقال آخرون بما : —

٩٥٣ — حدثنى موسى بن هرون الهمدانى قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ،

---

(١) انظر التعليق السالف : ٨١ تعليق : ٢

حدثنا أسباط ، عن السدى : « فأخذتكمُ الصاعقة » ، والصاعقة نارٌ .

* * *

وقال آخرون بما : —

٩٥٤ — حدثنا به ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : أخذتهم الرَّجفة ، وهى الصاعقة ، فماتوا جميعاً .

* * *

وأصل « الصاعقة » ، كل أمر هائل رآه [المرء] أو عاينه أو أصابه —(١) حتى يصيرَ من هوله وعظيم شأنه إلى هلاك وَعطب ، وإلى ذهاب عقلٍ وغُمور فهم ،(٢) أو فقدِ بعض آلات الجسم — صوتاً كان ذلك أو ناراً أو زِلْزِلة أو رَجْفاً . ومما يدلُّ على أنه قد يكونُ مصعوقاً وهو حىٌّ غيرُ ميت ، قول الله عز وجل : ﴿ وخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ﴾ [سورة الأعراف : ١٤٣] ، يعنى : مغشيًّا عليه ، ومنه قول جرير بن عطية :

وهَلْ كَانَ الفَرَزْدَقُ غَيْرَ قِرْدٍ أَصَابَتْهُ الصَّوَاعِقُ فَاسْتَدَارَا ؟(٣)

فقد عُلم أنّ موسى لم يكن — حين غُشِي عليه وصَعِق — ميتاً ، لأن الله

---

(١) الزيادة بين القوسين من عندى . ليستقيم بها الكلام .

(٢) قوله « غمور فهم » لم أجد هذا المصدر فى كتب اللغة . وكأنه مصدر غمر عليه (بالبناء للمجهول) : أغمى عليه . وفى الحديث أنه أول ما اشتكى بأبى وأمى صلى الله عليه وسلم — فى بيت ميمونة ، اشتد مرضه حتى غمر عليه — أى : أغمى عليه ، حتى كأنه غطى على عقله وستر ، من قولهم : غمرت الشىء : إذا سترته ، وغشى عليه وأغمى عليه من معنى الستر أيضاً (اللسان ، الفائق) .

(٣) ديوانه : ٢٨١ ، والنقائض : ٢٥١ وبعده فى هجاء الفرزدق ، وهو من أشده :

وَكُنْتَ إِذَا حَلَلْتَ بِدَارِ قَوْمٍ رَحَلْتَ بِخَزْيَةٍ وتَرَكْتَ عارَا

وما أشد ما قال ! وقال فى النقائض فى شرح البيت : « ولغته — يعنى جريراً — الصواقع . فاستدار : أى استدار إنساناً بعد أن كان قرداً » . وكأنه أخطأ المعنى ، فإنه أراد أنه مسخ قرداً على هيئته التى كان عليها قبل أن يكون إنساناً . فقوله : « استدار » : عاد إلى الموضع الذى ابتدأ منه ، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض » أى عاد كما بدأ . فهو يقول : كان الفرزدق فى أصل نشأته قرداً ، ثم تحول إنساناً . فلما أصابته صواعق شعرى عاد كما كان فى أصل نشأته قرداً صريحاً .

جل وعز أخبر عنه أنه لما أفاق قال : ﴿ تُبْتُ إِلَيْكَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٤٣]- ولا شبَّه جريرٌ الفرزدقَ وهو حَيٌّ بالقرد ميتاً . ولكن معنى ذلك ما وصفنا .

* * *

ويعنى بقوله : « وأنتم تنظرون » ، وأنتم تنظرون إلى الصاعقة التى أصابتكم ، يقول : أخذتكم الصاعقة عياناً جهاراً وأنتم تنظرون إليها .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى[1] ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٥٦)

يعنى بقوله : « ثم بعثناكم » ، ثم أحيينا كم .

* * *

وأصل « البعث » إثارة الشىء من محلِّه . ومنه قيل : « بَعث فلان راحلتَه » . إذا أثارَها من مَبْرَكها للسير ، كما قال الشاعر : ٢٣١/١

فأبْعَثُهَا وَهِيَّ صَنِيعُ حَوْلٍ كَرُكْنِ الرَّعْنِ ، ذِعْلِبَةً وَقَاحَا[2]

---

(١) عند هذا انتهى الخرم الذى ذكرناه فى ص : ٧٧ وبدأت المخطوطة .

(٢) لم أجد البيت فى مكان . وقوله : « هى » بتشديد الياء ، وهى لغة همدان ، يشددون الواو من « هو » كقول القائل .

وإنَّ لِسَانى شُهْدَةٌ يُشْتَفَى بها وهُوَّ، عَلَى مَنْ صَبَّه اللهُ ، عَلْقَمُ

ويشدد الياء من « هى » كقول القائل :

وَالنَّفْسُ مَا أُمِرَتْ بالعُنْفِ آبِيَةٌ وَهِيَّ - إنْ أُمِرَتْ بِاللُّطْفِ تَأْتَمِرُ

والضمير فى « أبعثها » إلى ناقته . وقوله : « صنيع حول » أى قد رعت حولا - عاماً - حتى سمنت وقويت . يقال صنع فرسه صنعاً وصنعة ، فهو فرس صنيع ، والأنثى بغير هاء : إذا أحسن القيام عليه فغذاه وعلفه وسمنه . وكل ما تعهدته حتى جاد فهو صنيع . والرعن : الأنف العظيم من الجبل تراه متقدماً . شبه ناقته فى جلالها وقوتها بركن الجبل . ذعلبة : ناقة سريعة باقية على السير . وقاح : صلبة صبور ، الذكر والأنثى سواء .

و«الرَّعن» : منقطعُ أنف الجبل ، و «الذَّعلبة» : الخفيفة . و «الوَقاح» : الشديدة الحافر أو الخف . ومن ذلك قيل : «بعثت فلاناً لحاجتى» ، إذا أقمته من مكانه الذى هو فيه للتوجه فيها . ومن ذلك قيل ليوم القيامة : « يوم البَعْث» ، لأنه يومٌ يثار الناس فيه من قبورهم لموقف الحساب .

* * *

ويعنى بقوله : « من بعد موتكم » ، من بعد موتكم بالصاعقة التى أهلكتكم .

* * *

وقوله : « لعلكم تشكرون » ، يقول : فعلنا بكم ذلك لتشكرونى على ما أوليتكم من نعمتى عليكم ، بإحيائى إياكم ، استبقاءً منّى لكم ، لتراجعوا التوبة من عظيم ذنبكم ، بعد إحلالى العقوبة بكم بالصاعقة التى أحللتها بكم ، فأماتتكم بعظيم خطئكم الذى كان منكم فيما بينكم وبين ربكم .

وهذا القول على تأويل من تأول قوله : « ثم بَعثناكم » ، ثم أحييناكم .

* * *

وقال آخرون : معنى قوله « ثم بعثناكم » ، أى بعثناكم أنبياء .

٩٥٥ ــ حدثنى بذلك موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط عن السدى .

* * *

قال أبو جعفر : وتأويل الكلام على ما تأوله السدى : فأخذتكم الصاعقة ، ثم أحييناكم من بعد موتكم ، وأنتم تنظرون إلى إحيائنا إياكم من بعد موتكم ، ثم بعثناكم أنبياءَ لعلكم تشكرون .

وزعم السدى أن ذلك من المقدّم الذى معناه التأخير ، والمؤخر الذى معناه التقديم .

٩٥٦ ــ حدثنا بذلك موسى قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى .

وهذا تأويل يدل ظاهرُ التلاوة على خلافه ، مع إجماع أهل التأويل على تخطئته .

والواجبُ على تأويل السدّى ، الذى حكيناه عنه ، أن يكون معنى قوله : « لعلكم تشكرون » ، تشكرونى على تصييرى إيّاكم أنبياء .

* * *

وكان سببُ قيلهم لموسى ما أخبر الله جل وعز عنهم أنّهم قالوه له ، من قولهم : « لن نُؤمن لك حتى نرى الله جَهرةً » ، ما : —

٩٥٧ — حدثنا به محمد بن حميد قال ، حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحق قال : لما رجع موسى إلى قومه ، ورأى ما هم فيه من عبادة العجل ، وقال لأخيه وللسامريّ ما قال ، وحرّق العجل وذراه فى اليمّ ،[1] اختار موسى منهم سبعين رُجلا ، الخيّرَ فالخيّرَ ، وقال : انطلقوا إلى الله عز وجل فتوبوا إليه مما صنعتم ، وسلوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم ؛ صُوموا وتطهّروا وطهّروا ثيابكم . فخرج بهم إلى طُورسَيْناء لميقاتٍ وقّته له ربه ، وكان لا يأتيه إلاّ بإذن منه وعلم . فقال له السبعون — فيما ذُكر لى — حين صنعوا ما أمرهم به ، وخرجوا للقاء ربّه :[2] يا موسى ، اطلب لنا إلى ربك نسْمع كلام ربنا ،[3] قال : أفعل . فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عَمودُ غمامٍ حتى تغشى الجبل كله ،[4] ودنا موسى فدخل فيه ، وقال للقوم : ادنوا . وكان موسى ، إذا كلمه ربّه ، وقع على جَبهته نور ساطعٌ لا يستطيع أحد من بنى آدم أن ينظر إليه . فضُرِب دُونه الحجاب ، ودنا القوم ، حتى إذا دخلوا فى الغمام وقعوا سجوداً ، فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه : افعل ، ولا تفعل . فلما فرغ إليه من أمره ، انكشف عن موسى الغمام.[5] فأقبل إليهم ، فقالوا لموسى : « لن نُؤمن لكَ حتى نرى الله جَهرةً » ، فأخذتهم

---

(١) فى المخطوطة : « وذراه فى البحر » .

(٢) فى المطبوعة : « للقاء الله » ، وأثبت ما فى المخطوطة وتاريخ الطبرى . وفى المخطوطة بعد قوله : « ربه » : « لموسى » ، وأما التاريخ ، فلم يذكر « يا موسى » ، ولا « لموسى » .

(٣) فى المطبوعة : « لنسمع كلام . . . » وفى التاريخ : « اطلب لنا نسمع كلام ربنا » بحذف « إلى ربك » .

(٤) فى المطبوعة : « وقع عليه الغمام » ، وفى التاريخ : « وقع عليه عمود الغمام » .

(٥) فى المطبوعة : « فلما فرغ من أمره » ، وأثبت ما فى المخطوطة والتاريخ . وفيها أيضاً : « وانكشف » بزيادة الواو ، وهو خطأ .

الرَّجفة — وهى الصاعقة — [فافتُلِتت أرواحُهم] فما توا جميعاً.[١] وقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب إليه ويقول : ربِّ لو شئتَ أهلكتَهم من قبلُ وإياى! قد سَفِهوا، أفتهلك مَنْ ورائى من بنى إسرائيل بما تفعل السُّفهاء منا؟[٢] — أى : إن هذا لهم هلاكٌ — اخترتُ منهم سبعين رجلاً ، الخيِّرَ فالخيِّرَ، أرجع إليهم وليس معى منهم رجل واحد ! فما الذى يصدقونى به أو يأمَنونى عليه بعدَ هذا ؟ « إنا هُدْنا إليك ». فلم يزل موسى يناشد ربه ويسأله ويطلب إليه،[٣] حتى ردّ إليهم أرْواحهم، فطلب إليه التوبة لبنى إسرائيل من عبادة العجل ، فقال : لا ، إلا أنْ يقتُلوا أنفسهم.[٤] ٢٣٢/١

٩٥٨ — حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد، حدثنا أسباط بن نصر ، عن السدّى : لما تابت بنو إسرائيل من عبادة العجل ، وتاب الله عليهم بقتل بعضهم بعضاً كما أمرهم به ، أمر الله تعالى موسى أن يأتيَه فى ناسٍ من بنى إسرائيل ، يعتذرون إليه من عبادة العجل، ووعدهم موْعِداً . فاختار موسى قوْمه سبعينَ رجلاً على عَيْنه ، ثم ذهب بهم ليعتذروا. فلما أتوا ذلك المكان قالوا: « لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة »، فإنك قد كلمته فأرِناه: فأخذتهم الصاعقة فماتوا . فقام موسى يبكى ويدعوا الله ويقول : ربِّ ماذا أقول لبنى إسرائيل إذا أتيتُهم وقد أهلكتَ خيارهم ؟ ربِّ لو شِئتَ أهلكتهم من قبلُ وإياى، أتُهلكنا بما فعل السفهاء منا ؟ فأوحى اللهُ إلى موسى : إنّ هؤلاء السبعين ممن اتخذ العجلَ . فذلك حين يقولُ موسى : ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ ﴾ [إلى قوله]

---

(١) الذى بين القوسين زيادة من تاريخ الطبرى ، وهى هناك : « فانفلتت أرواحهم » ، والصواب ما أثبته . يقال : « افتلتت نفسه » (بالبناء للمجهول) ، مات فلتة ، أى بغتة ، وفى الحديث : أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن أمى افتلتت نفسها ، فماتت ولم توص ، أفأتصدق عنها ؟ قال : نعم .

(٢) فى التاريخ : « قد سفهوا ، فيهلك من ورائى . . . إن هذا لهم هلاك » ، بحذف « أى » .

(٣) قوله : « ويسأله » ليست فى المطبوعة .

(٤) الأثر : ٩٥٧ — فى تاريخ الطبرى ١ : ٢٢٠ — ٢٢١ .

﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٥ - ١٥٦]. [يقول تُبنا إليك][١]. وذلك قوله : « وإذْ قُلتم يا موسى لَنْ نُؤمنَ لك حتّى نَرَى الله جهرة فأخذتكمُ الصاعقة » . ثم إنّ الله جل ثناؤه أحياهم فقامُوا وعاشوا رجلاً رجلاً ، ينظرُ بعضُهم إلى بعض كيفَ يَحيون ، فقالوا : يا موسى أنتَ تدعو الله فلا تسأله شيئاً إلا أعطاك ، فادْعه يجعلنا أنبياءَ . فدعا الله تعالى فجعلهم أنبياءَ . فذلك قوله : « ثم بَعثناكم من بَعد مَوْتكم »، ولكنه قدّم حرفاً وأخّر حرفاً .[٢]

٩٥٩ — حدثني يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : قال لهم موسى — لما رجع من عند ربّه بالألواح ، قد كتِب فيها التوراة ، فوجدهم يعبدون العجلَ ، فأمرهم بقتل أنفسهم ، ففعلوا فتاب الله عليهم —:[٣] إن هذه الألواح فيها كتاب الله ، فيه أمرُه الذى أمركم به ، ونَهيُه الذى نهاكم عنه . فقالوا : ومن يأخذُه بقولك أنت ! لا والله حتى نَرَى الله جهرةً ، حتى يطلُع اللهُ إلينا[٤] فيقول : هذا كتابى فخذُوه ، فما له لا يكلّمنا كما كلمك أنت يا موسى ،[٥] فيقول : هذا كتابى فخذوه ؟ وقرأ قول الله تعالى : « لن نُؤمن لك حتى نَرَى الله جهرةً » ، قال: فجاءت غضبةٌ من الله ، فجاءتهم صاعقةٌ بعد التوبة ، فصَعقتهم فماتوا أجمعون . قال : ثم أحياهم الله من بعد موتهم ، وقرأ قول الله تعالى : « ثم بَعثناكم من بَعد موتكم لعلكم تشكرون » . فقال لهم موسى : خُذوا كتاب الله . فقالوا : لا. فقال : أىّ شىء أصابكم ؟ قالوا: أصابنا أنّا مِتنا ثم حَيينا ! قال : خذوا كتابَ الله . قالوا : لا . فبعث الله تعالى ملائكة فَنَتَقت الجبل

---

(١) الزيادة التى بين الأقواس من تاريخ الطبرى ، والأولى منهما زيادة لابد منها .

(٢) الأثر : ٩٥٨ فى تاريخ الطبرى ١ : ٢٢١ . وقوله : « قدم حرفاً وأخر حرفاً » ، هو ما ذكره فى تأويل الآية على ما ذهب إليه السدى (ص: ٨٥) « فأخذتكم الصاعقة، ثم أحييناكم . . . »

(٣) فى المطبوعة : « فقال : إن هذه الألواح . . . » .

(٤) فى المطبوعة : « يطلع الله علينا » .

(٥) فى المطبوعة : « كما يكلمك أنت » . وسيأتى على الصواب فى رقم : ١١١٥ .

فوقهم .[1]

٩٦٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون . ثم بعثناكم من بَعد موتكم » ، قال : أخذتهم الصاعقة ، ثم بَعثهم الله تعالى ليكملوا بقيةَ آجالهم .

٩٦١ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس فى قوله : « فأخذتكم الصاعقة » ، قال : هم السبعون الذين اختارَهم موسَى فسارُوا معه ، قال : فسمعوا كلاماً ، فقالوا : « لن نؤمنَ لك حتى نَرَى الله جهرةً » . قال : فسمعوا صوتاً فصَعِقوا – يقول : ماتوا – فذلك قوله : « ثم بَعثناكم من بعد موتكم » ، فبُعثوا من بعد موتهم ، لأن موتهم ذاك كان عقوبة لهم ، فبُعثوا لبقية آجالهم .

* * *

فهذا ما روى فى السبب الذى من أجله قالوا لموسى : « لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرةً » . ولا خبر عندنا بصحة شىء مما قاله من ذكرنا قوله فى سبب قيلهم ذلك لموسى ، تقومُ به حجة فيُسلَّم له .[2] وجائز أن يكون ذلك بعض ما قالوه . فإذْ كان لا خبر بذلك تقوم به حُجة ، فالصوابُ من القول فيه أن يقال : إن الله جل ثناؤه قد أخبر عن قوم موسى أنهم قالوا له : « يا موسى لن نُؤمنَ لك حتى نَرَى الله جهرةً » ، كما أخبر عنهم أنهم قالوه . وإنما أخبر الله عز وجل بذلك عنهم الذين خوطبوا بهذه الآيات ، توبيخاً لهم فى كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وقد قامت حجَّته على من احتجَّ به عليه ، ولا حاجة لمن ٢٣٣/١

(١) الأثر : ٩٥٩ – سيأتى أيضاً رقم : ١١١٥ ، وفيه تمام الخبر نتقوا الجبل : اقتلعوه من أصله و رفعوه فوقهم .

(٢) فى المطبوعة : « فسلم لهم » ، وهو خطأ وتعبير فاسد . وإنما أراد التسليم للخبر الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذا الذى قاله الطبرى دليل على صحة ما ذكرنا من أنه لم يستدل بهذه الأخبار إلا للبيان عن بعض المعانى ، وإن كانت لا تقوم بها الحجة فى التفسير ، كما قلنا فى التذكرة التى كتبناها فى الجزء الأول : ٤٥٣ – ٤٥٤ . وانظر بقية كلام الطبرى فى هذه الفقرة . فإنه كلام بليغ الدلالة ، مفيد فى معرفة أسلوب الطبرى فى تفسيره .

انتهت إليه إلى معرفة السبب الداعى لهم إلى قيل ذلك . وقد قال الذين أخبرنا عنهم الأقوال التى ذكرناها ، وجائز أن يكون بعضها حقًّا كما قال .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ ﴾

« وظللنا عليكم الغمام » عطف على قوله : « ثم بعثناكم من بعد موتكم » . فتأويل الآية : ثم بعثناكم من بعد موتكم وظللنا عليكم الغمام — وعدد عليهم سائر ما أنعم به عليهم — لعلكم تشكرون .

* * *

و « الغمام » جمع «غمامة» ، كما السحاب جمع سحابة . و « الغمام » هو ما غمّ السماء فألبسها من سحاب وقتام ، وغير ذلك مما يسترها عن أعين الناظرين . وكل مغطًّى فالعربُ تسميه مغموماً . (١)

* * *

وقد قيل إن الغمام التى ظللها الله على بنى إسرائيل لم تكن سحاباً .

٩٦٢ — حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازى قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله : « وظللنا عليكم الغمام » ، قال : ليس بالسحاب .

٩٦٣ — حدثنى المثنى بن إبراهيم قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله : « وظللنا عليكم الغمام » ، قال : ليس بالسحاب ، هو الغمام الذى يأتى الله فيه يوم القيامة ، لم يكن إلا لهم . (٢)

٩٦٤ — حدثنى محمد بن عمرو الباهلى قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله جل ثناؤه : « وظللنا عليكم

---

(١) فى المطبوعة : « فإن العرب تسمية » .

(٢) الأثر ٩٦٣ — فى المخطوطة ، ساق هذا الأثر إلى قوله « قال : ليس بالسحاب » ثم قال بعده ما نصه : « و بإسناده عن مجاهد قال : ليس بالسحاب ، هو الغمام الذى . . . » إلى آخر الخبر .

الغمام » ، قال : هو بمنزلة السحاب .

٩٦٥ – حدثني القاسم بن الحسن قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال: قال ابن عباس : « وظللنا عليكم الغمام »، قال : هو غَمامٌ أبردُ من هذا وأطيبُ ، وهو الذى يأتى الله عز وجل فيه يوم القيامة فى قوله :(١) ﴿ فى ظُلَلٍ مِنَ الغَمَامِ ﴾ [سورة البقرة : ٢١٠] ، وهو الذى جاءت فيه الملائكة يوم بدر . قال ابن عباس: وكان معهم فى التِّيه .(٢)

* * *

وإذا كان معنى الغمام ما وصفنا، مما غَمَّ السماء من شيء يُغطى وجهها عن الناظر إليها ،(٣) فليس الذى ظلله الله عز وجل على بنى إسرائيل – فوصفه بأنه كان غماماً – بأولى ، بوصفه إياه بذلك أن يكون سحاباً ، منه بأن يكون غير ذلك مما ألبس وجهَ السماء من شيء .

* * *

وقد قيل : إنه ما ابيضَّ من السحاب .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ ﴾

اختلفَ أهل التأويل فى صفة « المنّ » . فقال بعضهم بما : –

٩٦٦ – حدثني به محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله عز وجل: « وأنزلنا عليكمُ المنّ » ، قال : المن صمغة .

٩٦٧ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن

---

(١) فى المخطوطة : « فيه فى قوله » بحذف « يوم القيامة » .

(٢) الضمير فى قوله : « وكان .. » للغمام .

(٣) فى المطبوعة : « تغطى وجهها » ، وتلك أجود .

أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٩٦٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « وأنزلنا عليكم المن والسلوى » ، يقول : كان المنّ ينزل عليهم مثل الثلج.

* * *

وقال آخرون : هو شرابٌ . * ذكر من قال ذلك :

٩٦٩ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس قال : المنُّ ، شراب كان ينزل عليهم مثل العسل ، فيمزجونه بالماء ثم يشربونه .

* * *

وقال آخرون : « المنّ » ، عسلٌ . * ذكر من قال ذلك :

٢٣٤/١ ٩٧٠ – حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : المنّ ، عسل كان ينزل لهم من السماء .

٩٧١ – حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر قال : عسلُكم هذا جزءٌ من سبعين جزءً من المنّ .

* * *

وقال آخرون : « المنّ » الخبز الرّقاق .(١) * ذكر من قال ذلك :

٩٧٢ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا إسمعيل بن عبد الكريم قال ، حدثني عبد الصمد قال : سمعت وهباً – وسئل : ما المنُّ ؟ – قال : خبز الرقاق ، مثل الذرةُ ومثل النّقى .(٢)

* * *

وقال آخرون : « المن » ، الزنجبيل .(٣) * ذكر من قال ذلك :

---

(١) في المطبوعة : « خبز الرقاق » . خبز رقاق ورقيق ، كطويل وطوال ، صفة . وهو خبز منبسط رقيق .

(٢) الأثر : ٩٧٢ – بعض أثر سيأتي برقم : ٩٩٥ . وفي المخطوطة : « من الذرة » ، وفي ابن كثير كما في المطبوعة ، وسيأتي كذلك في رقم : ٩٩٥ .

(٣) في المطبوعة « الترنجبين » ، وكذلك في البغوي « الترنجبين » . وفي تاج العروس : « الترنجبين »

٩٧٣ ــ حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : المن كان يسقط على شجر الزنجبيل .(١)

* * *

وقال آخرون : «المن» ، هو الذى يسقط على الشجر ، الذى يأكله الناس .

* ذكر من قال ذلك :

٩٧٤ ــ حدثني القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : كان المن ينزل على شجرهم ، فيغدون عليه ، فيأكلون منه ما شاؤا .(٢)

٩٧٥ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا الحمانى قال ، حدثنا شريك ، عن مجالد ، عن عامر فى قوله : « وأنزلنا عليكم المن » ، قال : المن الذى يقع على الشجر .

٩٧٦ ــ حدثت عن المنجاب بن الحارث قال ، حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس فى قوله : « المن » ، قال : المن الذى يسقط من السماء على الشجر فتأكله الناس .

٩٧٧ ــ حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد الزبيرى ، قال حدثنا شريك ، عن مجالد ، عن عامر قال : المن ، هذا الذى يقع على الشجر .

* * *

وقد قيل : إن « المن » ، هو الترنجبين .

* * *

وقال بعضهم : «المن» ، هو الذى يسقط على الثمام والعُشَر ، وهو حلو كالعسل ، وإياه عنى الأعشى ــ ميمون بن قيس ــ بقوله :

بالضم ، هو المن المذكور فى القرآن » . وسيأتى ذلك بعد رقم : ٩٧٧ ، وهو هنا « الزنجبيل » كما فى ابن كثير ، والمخطوطة . وانظر لسان العرب : (منن) .

(١) فى المطبوعة : « شجر الترنجبين » .

(٢) الأثر : ٩٧٤ ــ هو فى المخطوطة بعد رقم : ٩٧٦ .

لَوْ أَطْعِمُوا المَنَّ والسَّلْوَى مَكَانَهُمُ ... مَا أَبْصَرَ النَّاسُ طُعْماً فِيهِمُ نَجَعَا[١]

وتظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

٩٧٨ — « الكَمْأَةُ من المنّ ، وماؤها شفاء للعين »[٢] .

* * *

وقال بعضهم : « المن » ، شرابٌ حلو كانوا يطبخونه فيشربونه .

* * *

وأما أميّة بن أبي الصلت ، فإنه جعله فى شعره عَسلاً ، فقال يصف أمرهم فى التِّيه وما رُزقوا فيه :

فَرَأَى اللهُ أَنَّهُمْ بِمَضِيعٍ ... لاَ بِذِي مَزْرَعٍ ولا مَعْمُورا[٣]

---

(١) ديوانه : ٨٧ من قصيدة طويلة ، يذكر فيها ذا التاج هوذة بن على الحنفى صاحب اليمامة . وكانت بنو تميم قد وثبت على مال وطرف كانت تساق إلى كسرى ، فأوقع بهم المكعبر الفارسى ، والى كسرى على البحرين ، وأدخلهم المشقر — وهو حصن بالبحرين — بخديعة خدعهم بها ، فقتل رجالهم واستبقى الغلمان . وكلم هوذة بن على الحنفى المكعبر يومئذ فى مئة من أسرى بنى تميم ، فوهبهم له يوم الفصح ، فأعتقهم ، فقال الأعشى ، يذكر ما كان من فعل هوذة فى بنى تميم :

سَائِلْ تميماً به أَيَّامَ صَفْقَتِهِم ... لَمَّا أَتَوْهُ أُسَارَى كُلُّهُمْ ضَرَعا

وَسْطَ المشقَّرِ فى عَيْطَاءَ مُظْلِمَةٍ ... لا يَسْتَطِيعُونَ فيها ثَمَّ مُمْتَنَعَا

لَوْ أطعموا المن . . . . . .

فوصف بنى تميم بالكفر لنعمته (تاريخ الطبرى ٢ : ١٣٢ — ١٣٤) . والطعم : ما أكل من الطعام . ونجع الطعام فى الإنسان : هنأ آكله وتبينت تنميته ، واستمرأه وصلح عليه .

(٢) الحديث : ٩٧٨ — هكذا رواه الطبرى دون إسناد . وقد صدق فى أنه تظاهرت به الأخبار . فقد رواه أحمد والشيخان والترمذى ، من حديث سعيد بن زيد . ورواه أيضاً أحمد والشيخان وابن ماجة ، من حديث أبى سعيد وجابر . ورواه أبو نعيم فى الطب ، من حديث ابن عباس وعائشة . انظر مثلا ، المسند : ١٦٢٥ ، ١٦٢٦ . والجامع الصغير : ٦٤٦٣ . وزاد المعاد لابن القيم ٣ : ٣٨٣ . وتفسير ابن كثير ١ : ١٧٤ — ١٧٦ ، وقد ساق كثيراً من طرقه .

(٣) ديوانه : ٣٤ — ٣٥ . فى الأصول والديوان . « ولا مشموراً » . مضيع : بموضع ضياع وهوان وهلاك . يقال : هو بدار مضيعة (بفتح الميم وكسر الضاد) ، كأنه فيها ضائع . وهو مفعلة ، وطرح التاء منها كما يقولون : المنزل والمنزلة . ومزرع : مصدر ميمى من « زرع » يعنى ليس بذى زرع ، ومعمور : أى آهلا ذهب خرابه . ونصب « ولا معموراً » ، عطفاً على محل « بذى مزرع » ، وهو نصب . وآثرت هذه الكلمة ، لأنها هى التى تتفق مع سياقة الشعر ، ولأن التحريف فى « معمور » و « مشمور » سهل ، ولما سترى فى شرح البيت الثالث .

فَنَسَاهَا عَلَيْهِمُ غَادِيَاتٍ ، وَمَرَى مُزْنَهُم خَلَايَا وَخُورَا[١]
عَسَلاً نَاطِفاً ، وَمَاءً فُرَاتاً ، وَحَلِيباً ذَا بَهْجَةٍ مَثْمُورا[٢]

المثمور : الصافى من اللبن[٣] . فجعل المن الذى كان ينزل عليهم عسلاً ناطفاً ، والناطف : هو القاطر[٤] .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « فعفاها » وفى المخطوطة : « فسناها » ، وفى الديوان « فعفاها » ولا معنى لشىء منها ، فاستظهرت أن أقرأها من المخطوط « فنساها » ، أصلها « فنسأها » مهموزة ، كما قالوا : برأ الله الخلق وبراهم بطرح الهمزة . ونسأ الدابة والإبل ينسؤها نسأ : زجرها وساقها . يقول : ساق عليهم السحاب . غاديات جمع غادية : وهى السحابة التى تنشأ غدوة . ومرى الناقة مرياً : مسح ضرعها لتدر . والمزن جمع مزنة : وهى السحابة ذات الماء . وخلايا جمع خلية : وهى الناقة التى خليت للحلب لكرمها وغزارة لبنها . الخور : إبل حمر إلى الغبرة ، رقيقات الجلود ، طوال الأوبار ، لها شعر ينفذ وبرها ، وهى أطول من سائر الوبر ، فإذا كانت كذلك فهى غزار كثيرة اللبن . شبه السحاب الغزير الماء بهذين الضربين من النوق الغزيرة اللبن ، يحلب مطرها عليهم حلباً ، ثم فصل فى البيت التالى أنواع ما نزل عليهم من السماء .

(٢) ناطف ، من نطف ينطف : قطر . وهو مشروح بعد — أى يقطر من السماء . والفرات : أشد الماء عذوبة . ووصف اللبن بأنه ذو بهجة . وهى الحسن والنضارة ، لأنه لم يؤخذ زبده ، فيرق ، وتذهب لمعة الزبد منه ، فاستعار البهجة لذلك . أما قوله : « مثموراً » ، فهى فى المطبوعة : « ممروراً » ، وفى المخطوطة فى الصلب كانت تقرأ « مشموراً » ، ثم لعب فيها قلم الناسخ فى الثاء والميم ، ثم كتب هو نفسه فى الهامش : « مزموراً » ، ثم شرح فى طرف الصفحة فقال : « المزمور : الصافى من اللبن » . وذلك شىء لا وجود له فى كتب اللغة ، وقد رأيت أنه كتب فى البيت الأول « مشموراً » ، ورجحت أن صوابها « معمورا » ، ورجحت فى هذا البيت أن يكون اختلط عليه حين كتب « مشموراً » فعاد فجعلها « مزموراً » .

ولم أجد « مشموراً » فى كتب اللغة ، ولكن يقال : الثمير والثميرة : اللبن الذى ظهر زبده وتحبب . قال ابن شميل : إذا مخض رؤى عليه أمثال الحصف فى الجلد ، ثم يجتمع فيصير زبداً ، وما دامت صغاراً فهو ثمير . ويقولون : إن لبنك لحسن الثمر ، وقد أثمر مخاضك . فكأنه قال : « مشموراً » ويعنى « ثميراً » ، لأن فعيلا بمعنى مفعول هنا .

(٣) كانت فى المطبوعة « المعرور » ، وقد ذكرت فى التعليقة السالفة ، أنها بهامش المخطوطة « المزمور » .

(٤) قوله : « فجعل المن . . . » إلى آخر الجملة ليس فى المخطوطة .

القول فى تأويل قوله تعالى ذِكره ﴿وَالسَّلْوَىٰ﴾

قال أبو جعفر : «والسلوى» اسم طائر يشبه السُّمانَى، واحده وجماعه بلفظ واحد، كذلك السُّمانَى لفظ جماعها وواحدها سواء. وقد قيل: إن واحدة السلوى، سَلواةٌ.

* ذكر من قال ذلك :

٩٧٩ – حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنى عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى ، فى خبر ذكره عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس – وعن مرة الهمدانى ، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : السلوى ، طير يُشبه السُّمانَى .[1] ١/٢٣٥

٩٨٠ – حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : كان طيراً أكبرَ من السُّمانَى .

٩٨١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : السلوى طائر كانتْ تحشُرها عليهم الريح الجَنوب .

٩٨٢ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : السلوى طائر .

٩٨٣ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : السلوى طَير .

٩٨٤ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا إسمعيل بن عبد الكريم قال ، حدثنى عبد الصمد قال: سمعت وهباً – وسئل : ما السلوى؟ فقال –: طير سمين مثلُ الحمام[2] .

---

(١) الأثر : ٩٧٨ – اختصر فى المخطوطة على بعض هذا الإسناد ، إلى قوله : عن السدى » ، وأسقط الباقى ، وهو الإسناد الدائر فى تفسيره ، فكأن كل إسناد وقف على السدى ، هو هذا الإسناد ، ثم اجتزأ ببعضه عن جميعه ، كما مضى آنفاً ، وكما سيأتى بعد .

(٢) الأثر ٩٨٤ – بعض أثر سيأتى برقم : ٩٩٥ .

٩٨٥ ــ حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : السلوى طير .

٩٨٦ ــ حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس : السلوى كان طيراً يأتيهم مثل السُّمانى .

٩٨٧ ــ حدثني المثنى ، حدثنا الحمانى قال ، حدثنا شريك ، عن مجالد ، عن عامر قال : السلوى السُّمانى .

٩٨٨ ــ حدثت عن المنجاب قال ، حدثنا بشر ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : السلوى ، هو السُّمانى .

٩٨٩ ــ حدثنا أحمد بن إسحق قال، أخبرنا أبو أحمد قال، حدثنا شريك، عن مجالد ، عن عامر قال : السلوى السُّمانى .

٩٩٠ ــ حدثنا ابن بشار قال، حدثنا أبو عامر قال، حدثنا قُرّة، عن الضحاك، قال : السُّمانى هو السلوى .

* * *

فإن قال قائل : وما سببُ تظليل الله جل ثناؤه الغمامَ ، وإنزالُه المنَّ والسلوى على هؤلاء القوم ؟

قيل : قد اختلف أهل العلم فى ذلك . ونحن ذاكرون ما حضرنا منه : ــ

٩٩١ ــ فحدثنا موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط بن نصر، عن السدى : لما تاب الله على قوم موسى ، [1] وأحيَ السبعين الذين اختارهم موسى بعد ما أماتهم ، أمرهم الله بالسير إلى أريحا ، [2] وهى أرض بيت المقدس . فساروا ، حتى إذا كانوا قريباً منهم ، بعثَ موسى اثنى عشر نقيباً . فكان من أمرهم وأمر الجبَّارين وأمر قوم موسى ، ما قد قص الله فى كتابه . [3]

---

(١) فى المخطوطة : « على موسى » بحذف « قوم » .

(٢) فى المطبوعة : « بالمسير » ، وهما سواء .

(٣) هذا اختصار ، وتفصيله فى التاريخ فى موضعه ، كما سيأتى فى موضعه من ذكر مراجعه .

فقال قوم موسى لموسى : « اذهبْ أنتَ وربُّك فقاتلا إنا ههنا قاعدُون » . فغضب موسى فدعا عليهم فقال : «ربِّ إنى لا أملك إلا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين» . فكانت عجْلةً من موسى عجلها ، فقال الله تعالى : «إنها محرَّمة عليهم أربعينَ سنةً يتيهون فى الأرض» . فلما ضُرب عليهم التِّيه ، ندم موسى ، وأتاه قومه الذين كانوا معه يطيعونه فقالوا له : ما صنعت بنا يا موسى ؟ فلما ندم ، أوحى الله إليه : أنْ لا تأسَ على القوم الفاسقين – أى لا تحزَنْ على القوم الذين سميتهم فاسقين – فلم يحزن ، فقالوا : يا موسى كيف لنا بماء ههنا ؟ أين الطعام ؟ فأنزل الله عليهم المنّ – فكان يسقط على شجر التُرَنْجبين[1] – والسلوى = وهو طير يشبه السُّمانى = فكان يأتى أحدهم فينظرُ إلى الطير ، إن كان سميناً ذَبحه وإلا أرسله ، فإذا سمن أتاه . فقالوا : هذا الطعام ، فأين الشراب ؟ فأُمر موسى فضرب بعصاه الحجرَ فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً ، فشرب كل سِبْط من عين . فقالوا : هذا الطعام والشراب؟ فأين الظلّ ؟ فظلَّل عليهم الغمام . فقالوا : هذا الظل ، فأين اللباس ؟ فكانت ثيابهم تطولُ معهم كما تطولُ الصبيان ، ولا يتخرَّق لهم ثوب ، فذلك قوله : « وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى » وقوله : ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ ﴾ . [سورة البقرة : ٦٠][2]

٢٣٦/١

٩٩٢ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : لما تابَ الله عز وجل على بنى إسرائيل ، وأمر موسى أن يَرْفع عنهم السيف من عبادة العجل ، أمر موسى أن يسيرَ بهم إلى الأرض المقدسة ،[3] وقال : إنّى قد كتبتُها لكم داراً وقراراً ومنزلاً ، فاخرجْ إليها ، وجاهدْ من فيها من العدوّ ، فإنى ناصركُم

---

(١) فى المخطوطة وحدها : « الزنجبيل » . وانظر ما مضى : ٩٢

(٢) الأثر : ٩٩١ – فى تاريخ الطبرى ١ : ٢٢١ – ٢٢٢

(٣) فى المخطوطة : « أن يسبق بهم » ، وأراد الناسخ أن يصححها فى الهامش ، فكتب « – » ولم يتمها .

عليهم . فسار بهم موسى إلى الأرض المقدّسة بأمر الله عز وجل . حتى إذا نزل التِّيه — بين مصر والشام ، وهى أرض ليس فيها خَمَرٌ ولا ظلٌّ[١] — دعا موسى ربَّه حين آذاهم الحرّ ، فظلّل عليهم بالغمام ؛ ودعا لهم بالرزق ، فأنزل الله لهم المنّ والسلوَى .

٩٩٣ — حدثنى المثنى بن إبراهيم قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس —

٩٩٤ — وحدثت عن عمار بن الحسن ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع[٢] قوله : « وظللنا عليكم الغمام » ، قال : ظلل عليهم الغمام فى التِّيه ، ما هو فى قدر خمسة فراسخ أو ستة ،[٣] كلما أصبحوا سَاروا غادين ، فأمسوا فإذا هم فى مكانهم الذى ارتحلوا منه . فكانوا كذلك حتى مرّت أربعون سنة .[٤] قال : وهم فى ذلك ينزل عليهم المن والسلوى ، ولا تبلى ثيابهم . ومعهم حجرٌ من حجارة الطُّور يحملونه معهم ، فإذا نزلوا ضربه موسى بعصاه ، فانفجرتْ منه اثنتا عشرة عيناً .

٩٩٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا إسمعيل بن عبد الكريم قال ، حدثنى عبد الصمد قال ، سمعت وهباً يقول : إن بنى إسرائيل — لما حرم الله عليهم أن يدخلوا الأرض المقدّسة أربعين سنةً يَتيهون فى الأرض — شكوا إلى موسى فقالوا : ما نأكل ؟ فقال : إن الله سيأتيكم بما تأكلون . قالوا : من أين لنا ؟ إلا أن يُمطر علينا خُبزاً ! قال : إن الله عز وجل سينزل عليكم خُبزاً مخبوزاً . فكان ينزل عليهم المنّ — سئل وهب : ما المنّ ؟ قال : خُبز الرقاق مثل الذرة أو

---

(١) الخمر (بفتحتين) : كل ما سترك من شجر أو بناء أو غيره .

(٢) هذا الإسناد الثانى ساقط من المخطوطة .

(٣) فى المخطوطة : « فإذا هو فى قدر » مصحفة ، وانظر تفسير الطبرى ٦ : ١١٦ — ١١٧ ، ١١٩ (بولاق) وقوله : « قدر » ليست فى المطبوعة .

(٤) فى المخطوطة : « حتى قمرت أربعين سنة » محرفاً .

مثل النقىّ ـ[١] قالوا . وما نأتدم ؟ وهل بُدٌّ لنا من لحم ؟ قال : فإن الله يأتيكم به . فقالوا : من أين لنا ؟ إلا أن تأتينا به الريح ! قال : فإن الريح تأتيكم به . فكانت الريح تأتيهم بالسلوى ـ فسُئل وهب : ما السلوى ؟ قال : طيرٌ سمين مثل الحمام ، [٢]كانت تأتيهم فيأخذون منه من سبت إلى سبت ـ[٣] قالوا : فما نلبس؟ قال : لا يخلَقُ لأحد منكم ثوب أربعين سنة . قالوا : فما نحتذى ؟ قال : لا ينقطع لأحدكم شِسْع أربعين سنة .[٤] قالوا : فإن يولد فينا أولاد ، فما نكسوهم؟[٥] قال : ثوبُ الصغير يَشِبُّ معه . قالوا : فمن أين لنا الماء ؟ قال : يأتيكم به الله . قالوا : فمن أين ؟ إلا أن يخرج لنا من الحجر ! فأمر الله تبارك وتعالى موسى أن يضرب بعصاه الحجر . قالوا : فما نبصر ! تغشانا الظُّلمة ![٦] فضرَب لهم عموداً من نور فى وسط عسكرهم ، أضاء عسكرهم كله . قالوا : فبم نستظِلُّ ؟ فإن الشمس علينا شديدة ! قال : يُظِلّكم الله بالغمام .[٧]

٩٩٦ ـ حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب ، قال ابن زيد ، فذكر نحو حديث موسى بن هرون ، عن عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عن السدّى .

٩٩٧ ـ حدثنى القاسم بن الحسن قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج : قال عبد الله بن عباس : خُلق لهم فى التِّيه ثيابٌ لا تخلَق

---

(١) هذه الجملة سلفت فى الأثر رقم : ٩٧٢

(٢) هذه الجملة سلفت فى الأثر رقم : ٩٨٤

(٣) فى المطبوعة : « من السبت إلى السبت » .

(٤) الشسع : أحد سيور النعل الذى يدخل بين الإصبعين .

(٥) فى المطبوعة : « فإن فينا أولاداً » .

(٦) فى المطبوعة : « فبم نبصر » ، خطأ .

(٧) الأثر : ٩٩٥ ـ إسحق : هو ابن راهويه الإمام الكبير . إسمعيل بن عبد الكريم بن معقل ابن منبه الصنعانى : ثقة ، مترجم فى التهذيب ، ترجمه البخارى ١/١/٣٦٧ ، وابن أبى حاتم ١/١/١٨٧ . وهو يروى هنا عن عمه : عبد الصمد بن معقل بن منبه ، وهو ثقة أيضاً ، مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣/١/٥٠ . وعبد الصمد يروى عن عمه : وهب بن منبه ، هذا الأثر .

ولا تَدْرَن.[1] قال، وقال ابن جريج: إن أخذ الرَّجُل من المنّ والسلوى فوقَ طعام يوم ١/٢٣٧
فَسَد، إلا أنهم كانوا يأخذون فى يوم الجمعة طعامَ يوم السبت، فلا يصبح فاسداً.

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾

وهذا مما استُغنى بدلالة ظاهره على ما تُرك منه. وذلك أن تأويل الآية: وظللنا عليكم الغمامَ، وأنزلنا عليكم المنّ والسلوى، وقلنا لكم: كلوا من طيبات ما رزقناكم. فترك ذكر قوله: «وقلنا لكم»، لما بيّنا من دلالة الظاهر فى الخطاب عليه.

وعنى جلّ ذكره بقوله «كلوا من طيبات ما رزقناكم»: كلوا من شهيّات رزْقنا الذى رزقناكموه.[2]

وقد قيل: عنى بقوله: «من طيبات ما رزقناكم»، من حلاله الذى أبحناه لكم فجعلناه لكم رزقاً.

والأول من القولين أولى بالتأويل، لأنه وصف ما كان القوم فيه من هَنىء العيش الذى أعطاهم، فوصف ذلك بـ «الطيب»، الذى هو بمعنى اللذة، أحرى من وصْفه بأنه حلال مباح.

و«ما» التى مع «رزقناكم»، بمعنى «الذى». كأنه قيل: كلوا من طيبات الرزق الذ رزقناكموه.

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (٥٧)

وهذا أيضاً من الذى استغنى بدلالة ظاهره على ما ترك منه. وذلك أن معنى

---

(١) درن الثوب يدرن درناً فهو درن وأدرن: تلطخ بالوسخ.
(٢) فى المطبوعة: «من مشتهيات»، ليست بشىء.

الكلام : كلوا من طيبات ما رزقناكم . فخالفوا ما أمرناهم به وعصوا ربهم ، ثم رسولَنا إليهم ، و« ما ظلمونا » ، فاكتفى بما ظهر عما تُرك .

وقوله : « وما ظلمونا » يقول : وما ظلمونا بفعلهم ذلك ومعصيتهم ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون .

ويعنى بقوله : «وما ظلمونا» ، وما وضعوا فعلهم ذلك وعصيانَهم إيّانا ، موضع مَضرّةٍ علينا ومنقصةٍ لنا ، ولكنهم وضعُوه من أنفسهم موضع مضرّةٍ عليها ومنقصةٍ لها . كما : —

٩٩٨ — حدثت عن المنجاب قال ، حدثنا بشر ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسَهم يَظلمون » ، قال : يَضرُّون .

* * *

وقد دللنا فيما مضى ، على أن أصل «الظلم» : وضعُ الشيء في غير موضعه — بما فيه الكفاية ، فأغنى ذلك عن إعادته .(١)

* * *

وكذلك ربُّنا جل ذكره ، لا تضرُّه معصية عاص ، ولا يتحيَّف خزائنه ظلم ظالم ، ولا تنفعه طاعةُ مطيعٍ ، ولا يزيد في ملكه عَدْلُ عادل ، بل نفسَه يظلمُ الظالمُ ، وحظَّها يَبْخَسُ العاصي ، وإياها ينفعُ المطيع ، وحظَّها يُصيب العادلُ .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ ﴾

و «القرية» — التي أمرهم الله جل ثناؤه أن يدخلوها ، فيأكلوا منها رغداً حيث شاؤا — فيما ذُكر لنا : بيت المقدس . ذكر الرواية بذلك :

٩٩٩ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أنبأنا عبدالرزاق . قال ، أنبأنا معمر ، عن قتادة في قوله : « ادخلوا هذه القرية » ، قال : بيت المقدس .

١٠٠٠ — حدثني موسى بن هرون قال ، حدثني عمرو بن حماد قال ، حدثنا

---

(١) انظر ما مضى ١ : ٥٢٣ — ٥٢٤ ، وهذا الجزء ٢ : ٦٩

أسباط ، عن السدّى : « وإذ قُلنا ادخلوا هذه القرية » ، أما القرية ، فقريةُ بيت المقدس.

١٠٠١ ــ حُدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « وإذْ قُلنا ادخلوا هذه القرية » ، يعنى بيتَ المقدس .

١٠٠٢ ــ حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب ، قال : سألته ــ يعنى ابن زيد ــ عن قوله : « ادخلوا هذه القريةَ فكلوا منها حيث شِئتم » ، قال : هى أريحا ، وهى قريبة من بيت المقدس .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا ﴾

يعنى بذلك : فكلوا من هذه القرية حيث شئتم عيشاً هنيئاً واسعاً بغير حساب . وقد بينا معنى « الرغد » فيما مضى من كتابنا ، وذكرنا أقوال أهل التأويل فيه .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ﴾

أما «البابُ» الذى أمروا أن يدخلوه ، فإنه قيل : هو باب الحِطَّة من بيت المقدس.

* ذكر من قال ذلك :

١٠٠٣ ــ حدثني محمد بن عمرو الباهلى قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ادخُلوا البابَ سُجَّداً » ، قال : باب الحِطَّة ، من بَاب إيلياء ، من بيت المقدس . ٢٣٨/١

١٠٠٤ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

---

(١) انظر ما مضى ١ : ٥١٥ ــ ٥١٦ .

١٠٠٥ ــ حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : «وادخلوا البابَ سُجَّداً» ، أما الباب ، فباب من أبواب بيت المقدس.

١٠٠٦ ــ حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وادخلوا البابَ سجداً » أنه أحد أبواب بيت المقدس ، وهو يدعى باب حِطَّة. وأما قوله : « سجّداً » ، فإن ابن عباس كان يتأوّله بمعنى الرُّكَّع .

١٠٠٧ ــ حدثني محمد بن بشار قال ، حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن ابن عباس فى قوله : « ادخلوا البابَ سجّداً » ، قال : رُكَّعاً من باب صغير .

١٠٠٨ ــ حدثنا الحسن بن الزبرقان النخعى قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد ، عن ابن عباس فى قوله : « ادخلوا البابَ سُجَّداً ، قال : أمِروا أن يدخلوا ركَّعاً .

* * *

قال أبو جعفر : وأصل « السجود » الانحناء لمن سُجِدَ له معظَّماً بذلك. فكلّ مُنحنٍ لشيء تعظيماً له فهو « ساجد » . ومنه قول الشاعر : (١)

بِجَمْعٍ تَضِلُّ البُلْقُ فِى حَجَرَاتِهِ ... تَرَى الأُكْمَ مِنْهُ سُجَّداً لِلحَوَافِرِ (٢)

---

(١) هو زيد الخيل بن مهلهل الطائى ، الفارس المشهور .

(٢) سيأتى بعد فى هذا الجزء ١ : ٢٨٩ (بولاق) والكامل ١ : ٢٥٨ ، والمعانى الكبير : ٨٩٠ ، والأضداد لابن الأنبارى : ٢٥٦ ، وحماسة ابن الشجرى : ١٩ ، ومجموعة المعانى : ١٩٢ ، وغيرها . والباء فى قوله « بجمع » متعلقة ببيت سالف هو :

بَنِى عَامِرٍ ، هَلْ تَعْرِفُونَ إِذَا غَدَا ... أَبُو مِكْنَفٍ قَدْ شَدَّ عَقْدَ الدَّوَابِرِ ؟

والبلق جمع أبلق و بلقاء : الفرس يرتفع تحجيلها إلى الفخذين . والحجرات جمع حجرة (بفتح فسكون) : الناحية . والأكم (بضم فسكون ، وأصلها بضمتين) جمع إكام ، جمع أكمة : وهى تل يكون أشد ارتفاعاً مما حوله ، دون الجبل ، غليظ فيه حجارة . قال ابن قتيبة فى المعانى الكبير : « يقول : إذا ضلت البلق فيه مع شهرتها فلم تعرف ، فغيرها أحرى أن يضل . يصف كثرة الجيش ، و يريد أن الأكم قد خشعت من وقع الحوافر » . وفى المطبوعة هنا « فيه » ، والجيد ما أثبته ، والضمير فى « منه » للجيش أو الجمع .

يعنى بقوله : « سجّداً » خاشعة خاضعة . ومن ذلك قول أعشى بنى قيس بن ثعلبة .

يُرَاوِحُ مِنْ صَلَوَاتِ المَلِيـــكِ ،طَوْراً سُجُوداً وَطَوْراً جُؤَارَا[1]

فذلك تأويل ابن عباس قوله: «سجّداً» ركّعاً . لأن الراكع مُنحنٍ ، وإن كان الساجدُ أشدّ انحناءً منه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾

وتأويل قوله: «حِطَّة»، فِعْلَةٌ، من قول «القائل: حَطّ الله عنك خطاياك فهو يَحُطُّها حِطَّة» ، بمنزلة الردّة والجِدّة والمِدّة ، من حَددتَ ومَددت .

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويله . فقال بعضهم بنحو الذى قلنا فى ذلك . ذكر من قال ذلك:[2]

١٠٠٩ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر : « وقُولوا حِطَّة » ، قال قال : الحسن وقتادة : أى احطُطْ عنا خطايانا .

١٠١٠ ــ حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « وقولوا

---

(١) ديوانه : ٤١ ، وسيأتى فى ١٨ : ٢٨ (بولاق) ، ومعه بيت آخر فى ١٤ : ٨٢ (بولاق) راوح يراوح مراوحة : عمل عملين فى عمل ، يعمل ذامرة وذا مرة ، قال لبيد يصف فرساً .

ووَلّى عامداً لِطِيَاتِ فَلْجٍ يُرَاوِحُ بَيْنَ صَونٍ وابتذالِ

وقوله : « من صلوات » « من » هنا لبيان الجنس ، مثل قوله تعالى : « يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق» . وحذف «بين» التى تقتضيها «يراوح»، لدلالة ما يأتى عليها ، وهو قوله : « طوراً . . . وطوراً » . والجؤار : رفع الصوت بالدعاء مع تضرع واستغاثة وجزع . جأر إلى ربه يجأر جؤاراً .

(٢) فى المطبوعة : « ذلك منهم » بالزيادة .

حِطَّة »، يحط الله بها عنكم ذنبكم وخطيئتكم .[1]

١٠١١ ــ حدثنا القاسم بن الحسن قال ، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال، قال ابن جريج ، قال ابن عباس: «قولوا حطّة» قال: يُحطّ عنكم خطاياكم .

١٠١٢ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قوله: « حِطَّة »، مغفرة .

١٠١٣ ــ حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قوله : « حِطّة » ، قال : يحط عنكم خطاياكم .

١٠١٤ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، أخبرني حجاج ، عن ابن جريج قال: قال لي عطاء في قوله: « وقولوا حِطَّة »، قال : سمعنا أنه : يحطّ عنهم خطاياهم .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : قولوا « لا إله إلاّ الله »، كأنهم وجهوا تأويله : قولوا الذي يحطّ عنكم خطاياكم، وهو قول لا إله إلا الله . * ذكر من قال ذلك :

١٠١٥ ــ حدثني المثنى بن إبراهيم وسعد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري قالا ، أخبرنا حفص بن عمر ، قال حدثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة : « وقولوا حِطَّة »، قال : قولوا، « لا إله إلا الله »

* * *

وقال آخرون بمثل معنى قول عكرمة ، إلا أنهم جعلوا القول الذي أمروا بقيله : الاستغفارَ . * ذكر من قال ذلك :

١٠١٦ ــ حدثنا الحسن بن الزبرقان النخعي، حدثنا أبو أسامة ، عن سفيان، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وقولوا حِطَّة »، قال : أمِروا أن يستغفروا .

* * *

---

(١) في المطبوعة : « وخطاياكم » .

وقال آخرون نظيرَ قول عكرمة ، إلا أنهم قالوا : القولُ الذى أمروا أن يقولوه ، ١/٢٣٩
هو أن يقولوا : هذا الأمر حقٌّ كما قيل لكم . * ذكر من قال ذلك:

١٠١٧ - حدثت عن المنجاب قال، حدثنا بشر ، عن أبى روق ، عن الضحاك، عن ابن عباس فى قوله: « وقولوا حِطَّة»، قال: قولوا : هذا الأمر حقٌّ كما قيل لكم .

* * *

واختلفَ أهل العربية فى المعنى الذى من أجله رُفعت « الحطة » .

فقال بعض نحويى البصرة : رفعت «الحطة» بمعنى «قولوا»، ليكن منك حِطَّةٌ لذنوبنا ، كما يقول للرجل : سَمْعُك .

وقال آخرون منهم : هى كلمة أمرَهم الله أن يقولوَها مرفوعةً ، وفرض عليهم قيلها كذلك .

وقال بعض نحويى الكوفيين : رُفعت « الحطة » بضمير « هذه » ، كأنه قال : وقولوا : « هذه » حطة .(١)

وقال آخرون منهم : هى مرفوعة بضميرٍ معناهُ الخبر ، كأنه قال : قولوا ما هوَ حطةٌ . فتكون « حطة » حينئذ خبراً لـ « ما »

* * *

قال أبو جعفر : والذى هو أقرب عندى فى ذلك إلى الصواب ، وأشبه بظاهر الكتاب : أن يكون رفع « حطة » بنيّة خبر محذوف قد دل عليه ظاهر التلاوة ، وهو : دخولُنا البابَ سُجَّداً حطةٌ ، فكفى من تكريره بهذا اللفظ ، ما دلّ عليه الظاهر من التنزيل ، وهو قوله : « وادخلوا البابَ سُجداً » ، كما قال جل ثناؤه :

---

(١) الضمير : المضمر أو الإضمار، كما سلف فى ١ : ٤٢٧ تعليق : ١ ، وقد رأيتها أيضاً فى كلام نقله الشريف المرتضى فى أماليه ١ : ٣٣٤ عن أبى بكر بن الأنبارى قال : « كاد ، لا تضمر ، ولا بد من أن يكون منطوقاً بها ، ولو جاز ضميرها لجاز : قام عبد الله، بمعنى كاد عبد الله يقوم . . . » ، وهى هنا بمعنى الإضمار لا شك . وسيأتى فى الفقرة التالية أيضاً ، بمعنى المضمر .

﴿ وإذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُوا مَعْذِرَةً إلى رَبِّكُمْ ﴾ [سورة الأعراف : ١٦٤] ،[١] يعنى : موعظتنا إياهم معذرة إلى ربكم. فكذلك عندى فى تأويل قوله: « وقولوا حطة »، يعنى بذلك: وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية، وادخلوا الباب سُجّداً، وقولوا : دخولنا ذلك سُجداً حطةٌ لذنوبنا . وهذا القول على نحو تأويل الربيع بن أنس وابن جريج وابن زيد ، الذى ذكرناه آنفاً .

[٢]قال أبو جعفر : وأما على تأويل قول عكرمة ، فإن الواجبَ أن تكون القراءةُ بالنصب فى «حطة» ، لأن القومَ إن كانوا أُمروا أن يقولوا: «لا إله إلا الله»، أو أن يقولوا : « نستغفر الله » ، فقد قيل لهم: قولوا هذا القول ، فـ « قولوا » واقع حينئذ على « الحطة » ، لأن « الحطة » على قول عكرمة — هى قول « لا إله إلا الله » . وإذا كانت هى قول «لا إله إلا الله»، فالقول عليها واقع ، كما لو أمر رجلٌ رجلاً بقول الخير فقال له : « قل خيراً » نصْباً ، ولم يكن صواباً أن يقول له : « قل خير » ، إلا على استكراه شديد .

وفى إجماع القرّأة على رفع « الحطة »[٣] بيانٌ واضح على خلاف الذى قاله عكرمة من التأويل فى قوله: «وقولوا حطة». وكذلك الواجب على التأويل الذى رويناه عن الحسن وقتادة فى قوله : « وقولوا حطة » ،[٤] أن تكون القراءة فى « حطة » نصباً . لأن من شأن العرب — إذا وضعوا المصادرَ مواضع الأفعال ، وحذفوا الأفعال — أن ينصبوا المصادر . كما قال الشاعر :[٥]

---

(١) قراءتنا : « معذرة » بالنصب فى مصاحفنا . وقد ذكر الطبرى فى تفسير الآية ٩ : ٦٣ (بولاق) أن الرفع قراءة عامة قراء الحجاز والكوفة والبصرة ، وقرأ بعض أهل الكوفة « معذرة » بالنصب .

(٢) من هنا أول جزء فى التجزئة القديمة التى نقل عنها كاتب مخطوطتنا . وأولها :

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ رَبِّ يَسِّر بِرَحْمَتِكَ

(٣) فى المطبوعة « القراء » ، كما جرت عليه فى كل ما مضى .

(٤) انظر رقم : ١٠١٠ فيما سلف .

(٥) هو الفرزدق .

أُبِيدُوا بأَيْدِى عُصْبَةٍ ، وسُيُوفُهُمْ عَلَى أُمَّهَاتِ الهَامِ ضَرْباً شآمِيا[1]

وكقولِ القائل للرجل : «سمعاً وطاعةً» بمعنى : أسمعُ سمعاً وأطيع طاعة ، وكما قال جل ثناؤه : ﴿ معاذَ الله ﴾ [سورة يوسف : ٢٣ ، ٧٩] ، بمعنى : نعوذ بالله .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ نَغْفِرْ لَكُمْ ﴾

يعنى بقوله « نغفرْ لكم » نتغمَّد لكم بالرّحمة خطاياكم ، ونسترها عليكم ، فلا نفضحكم بالعقوبة عليها .

* * *

وأصل « الغفر » التغطية والستر ، فكل ساتر شيئاً فهو غافرُه . ومن ذلك قيل للبيضة من الحديد التى تُتخذ جُنّة للرأس : «مِغْفر» ، لأنها تغطى الرأس وتُجنُّه . ومثله «غِمْدُ السيف» ، وهو ما تغمَّده فواراه .[2] ولذلك قيل لزئبر الثَّوب : «غَفْرة» ، لتغطيته الثوب ،[3] وحَوْلِه بين الناظر والنظر إليه . ومنه قول أوس بن حجر :

---

(١) ديوانه : ٨٩٠ فى قصيدة يمدح فيها – يزيد بن عبد الملك ، ويذكر إيقاعه بيزيد بن المهلب فى سنة ١٠٢ (انظر خبره فى تاريخ الطبرى ٨ : ١٥١ – ١٦٠) . ورواية ديوانه :

« أناخُوا بِأيدى طَاعةٍ ، وسيوفهم »

وقوله : « أناخوا » ، أى ذلوا وخضعوا ، أو صرعوا فماتوا ، كأنهم إبل أناخت واستقرت . وقوله : « أيدى طاعة » ، أى أهل طاعة .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « ومنه غمد السيف » ، وهذا يجعل الكلام مضطرباً مقحماً ، فرجح عندى أن تكون « ومنه » ، و « مثله » لأنه فسر « نغفر » بقوله « نتغمد » . وفى المطبوعة : « ما يغمده فيواريه » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « غفر » . والغفر جمع غفرة ، وزئبر الثوب : هو ما يعلو الثوب الجديد من مائه ، كالذى يعلو القطيفة والخز ، ويسمونه « درز الثوب » أيضاً . وفى المطبوعة : « لتغطيته العورة . . . والنظر إليها » ، وهى عبارة غريبة فاسدة ، والذى فى المخطوطة «لتغطيته الثوب » كما أثبتناها ، يعنى الزئبر كما

فَلاَ أَعْتِبُ ابْنَ العَمِّ إنْ كَانَ جَاهِلاً وَأَغْفِرُ عَنْهُ الجَهْلَ إنْ كَانَ أَجْهَلاَ (١)

١/٢٤٠ يعنى بقوله: « وأغفرُ عنه الجهلَ » ، أستر عليه جهله بحلمى عنه .

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ خَطَيَٰكُمْ ﴾

«والخطايا» جمع «خَطية» ، بغير همز ، كما «المطايا» جمع «مطيّة» ، و«الحشايا» جمع «حَشيّة» . وإنما تُرك جمع «الخطايا» بالهمز ، لأن ترك الهمز فى «خَطيئة» أكثر من الهمز ، فجمع على « خطايا » ، على أن واحدتها غير مهموزة . ولو كانت « الخطايا » مجموعةً على « خطيئة » بالهمز : لقيل : خَطائى ، على مثل قبيلة وقبائل ، وصحيفة وصحائف . وقد تجمع « خطيئة » بالتاء ، فيهمز فيقال «خطيئات» . و « الخطيئة » فعيلة ، من «خَطِىءَ الرجل يَخْطَأ خِطْأً» ، وذلك إذا عدَل عن سبيل الحق . ومنه قول الشاعر : (٢)

وإنَّ مُهَاجِرَيْنِ تَكَنَّفَاهُ لَعَمْرُ اللهِ قَدْ خَطِئَا وَخَابَا (٣)

يعنى : أضلاَّ الحق وأثِما .

• • •

وصفنا . ويقال غفر الثوب : إذا أثار زئبره ، يكون كالمنتفش على وجه الثوب .

هذا ، وقد انتهت المخطوطة التى اعتمدنا عند قوله : «لتغطيته الثوب» . ويأتى بعدها خرم طويل سيستغرق أجزاء برمتها ، كما سنبينه فى مواضعه .

(١) ديوانه ، قصيدة : ٣١ . وهذه الرواية جاءت فى شرح شواهد المغنى : ١٣٧ ، وأما فى سائر الكتب : « إن كان ظالماً » ، وهى أجود . وقوله : « أجهل » بمعنى جاهل ، كما قالوا « أوجل » بمعنى وجل ، وأميل بمعنى مائل ، وأوحد بمعنى واحد ، وغيرها . ورواية صدر البيت على الصواب : « ألا أعتب » كما فى المفضليات ٥٩٠ وغيره ، أو « وقد أعتب » كما فى القرطين ٢ : ٦٩. ويروى « ولا أشتم ابن العم » . يقول : أبلغ رضاه إذا ظلم أو جهل ، فأترك له ما لا يحب إلى ما يرضاه .

(٢) هو أمية بن الأسكر (طبقات فحول الشعراء : ١٥٩ – ١٦٠)

(٣) أمالى القالى ٣ : ١٠٩ ، وكتاب المعمرين : ٦٨ والخزانة ٢ : ٤٠٥ ، ويروى صدره

القول فى تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٥٨)

وتأويل ذلك ما روى لنا عن ابن عباس، وهو ما :—

١٠١٨ — حدثنا به القاسم بن الحسن قال : حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال ابن عباس : « وَسنزيد المحسنين » ، من كان منكم مُحسناً زيدَ فى إحسانه، ومن كان مخطِئاً نغفر له خَطيئته .

* * *

فتأويل الآية : وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية مُباحاً لكم كل ما فيها من الطيبات، مُوسَّعاً عليكم بغير حساب ؛ وادخلوا البابَ سُجَّداً، وقولوا: سجودنا هذا لله حِطَّةٌ من ربنا لذنوبنا يحُطُّ به آثامنا، نتغمَّدْ لكم ذنوبَ المذنب منكم فنسترها عليه ، ونحط أوزارَه عنه ، وَسنزيد المحسنَ منكم — إلى إحساننا السالف عنده — إحساناً. ثم أخبر الله جل ثناؤه عن عظيم جَهالتهم ، وسوء طاعتهم ربَّهم ، وعِصيانهم لأنبائهم ، واستهزائهم برُسله — مع عظيم آلاء الله عز وجل عندهم ، وعجائب ما أراهم من آياته وعِبرَه ؛ موبِّخاً بذلك أبناءهم الذين خوطبوا بهذه الآيات، ومعلِّمَهم أنهم إنْ تعدَّوْا(١) — فى تكذيبهم محمداً صلى الله عليه وسلم، وجحودهم نبوَّته، مع عظيم إحسان الله بمبعثه فيهم إليهم ، وعجائب ما أظهر على يديه من الحجج بين أظهرهم — أن يكونوا كأسلافهم الذين وصفَ صفتهم ، وقص علينا أنباءَهم فى

« أتاه مهاجران تكنفاه » . وأما عجزه فاختلفت رواياته : «بترك كبيره خطئاً ...» و « ليترك شيخه خطئاً . . . » ، « ففارق شيخه ، . . » وكان أمية قد أسن ، عمر فى الجاهلية عمراً طويلا ، وألفاه الإسلام هرماً . ثم جاء زمن عمر ، فخرج ابنه كلاب غازياً، وتركه هامة اليوم أو غد . فقال أبياتاً منها هذا البيت ، فلما سمعها عمر ، كتب إلى سعد بن أبى وقاص : أن رحل كلاب بن أمية بن الأسكر ، فرحله . وله مع عمر فى هذه الحادثة قصة جيدة (فى القالى ١ : ١٠٩)

(١) سياق الجملة : « . . إن تعدوا . . . أن يكونوا » ، و « إن » هنا ، نافية بمعنى « ما » ، كالتى فى قوله تعالى : « قل إن أدرى أقريب ما توعدون » ، وقوله : « إن أدرى لعله فتنة لكم » .

هذه الآيات ، فقال جل ثناؤه : « فبدَّلَ الذين ظلموا قولاً غير الذى قيلَ لهمْ فأنزلنا على الذينَ ظلمُوا رجزاً من السماء » الآية .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ ﴾

وتأويل قوله : « فبدَّل » ، فغيَّر . ويعنى بقوله : «الذين ظلموا» ، الذين فعلوا ما لم يكن لهم فعله . ويعنى بقوله : « قولاً غيرَ الذى قيل لهم » ، بدَّلوا قولاً غير الذى أمِروا أن يقولوه ، فقالوا خلافه . وذلك هو التبديل والتغيير الذى كان منهم . وكان تبديلُهم — بالقول الذى أمِروا أن يقولوا — قولاً غيره ، [1] ما :—

١٠١٩ — حدثنا به الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن همام بن منبه ، أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله لبنى إسرائيل : «ادخلوا الباب سُجَّداً وقُولوا حِطَّةٌ نغفرْ لكم خطاياكم» ، فبدَّلوا ودخلوا الباب يَزحفون على أستاههم ، وقالوا : حبَّة فى شعيرة.[2]

١٠٢٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة وعلى بن مجاهد قالا ، حدثنا محمد بن إسحق ، عن صالح بن كيسان ، عن صالح مولى التوأمة ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : —

١٠٢١ — وحدثت عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت ، عن سعيد

---

(١) قوله : « قولا » مفعول « تبديلهم » . وأما خبر « كان » فهو قوله : « ما حدثنا به الحسن . . . »

(٢) الحديث : ١٠١٩ — رواه أحمد فى المسند : ٨٢١٣ (ج ٢ ص ٣١٨ حلبى) ، عن عبد الرزاق ، بهذا الإسناد ، لكن بلفظ « حبة فى شعرة » . وكذلك رواه البخارى ٦ : ٣١٢ ، و ٨ : ٢٢٨ — ٢٢٩ (فتح البارى) ، من طريق عبد الرزاق . وذكر الحافظ (٨ : ٢٢٩) أن لفظ « شعرة » رواية أكثر رواة البخارى ، وأن رواية الكشميهنى « شعيرة » . وذكره ابن كثير ١ : ١٨٠ ، ونسبه أيضاً لمسلم والترمذى ، من رواية عبد الرزاق .

ابن جبير ، أو عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم — قال : دخلوا الباب — الذى أمروا أن يدخلوا منه سُجَّداً — يَزحفون على أستاههم ، يقولون : حنطة فى شعيرة .(١)

١٠٢٢ — حدثنى محمد بن عبد الله المحاربى قال ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، عن معمر ، عن همام ، عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله : «حطة» ، قال : بدلوا فقالوا : حبة .(٢)

١٠٢٣ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ، حدثنا ١/٢٤١ سفيان ، عن السدى ، عن أبى سعيد ، عن أبى الكنود ، عن عبد الله : « ادخُلوا البابَ سُجَّداً وقولوا حِطَّة» ، قالوا : حنطة حمراء فيها شعيرة . فأنزل الله : «فبدَّل الذين ظَلمُوا قولاً غيرَ الذى قيل لهم » .

١٠٢٤ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن بن عباس فى قوله : « ادخلوا البابَ سجَّداً » — قال : ركوعاً — من باب صغير ، فجعلوا يدخلون من قبل أستاههم ويقولون : حنطةٌ . فذلك قوله : «فبدَّل الذين ظَلمُوا قولاً غيرَ الذى قيل لهم » .

١٠٢٥ — حدثنا الحسن بن الزبرقان النخعى قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد ، عن ابن عباس قال : أمِروا

---

(١) الحديث : ١٠٢٠ ، ١٠٢١ — هو الحديث السابق ، ولكن رواة الطبرى هنا بإسنادين ، أحدهما صحيح متصل ، والآخر ضعيف فيه راو مبهم بين ابن إسحق ومحمد ابن أبى محمد .

صالح بن كيسان المدنى : تابعى ثقة . وصالح مولى التوأمة : هو ابن نبهان ، وهو ثقة أيضاً ، إلا أنه تغير بأخرة ، فمن روى عنه قديماً فحديثه صحيح . وصالح بن كيسان قديم ، وهو بلديه ، فالراجح أن يكون ممن سمع منه قبل تغيره .

(٢) الحديث : ١٠٢٢ — هو مختصر من الحديث : ١٠١٩ . وقد رواه أحمد فى المسند : ٨٠٩٥ (ج ٢ ص ٣١٢ حلبى) عن يحيى بن آدم ، عن ابن المبارك ، بهذا الإسناد ، مطولا . وكذلك رواه البخارى ٨ : ١٢٥ (فتح البارى) ، مطولا ، من طريق عبد الرحمن بن مهدى . عن ابن المبارك .

أن يدخلوا رُكَّعاً ويقولوا : حِطَّة . قال : أمروا أن يستغفروا ، قال : فجعلوا يدخلون من قبل أستاههم من باب صغير ويقولون : حِنْطة – يستهزئون . فذلك قوله : « فبدَّل الذين ظلموا قولاً غيرَ الذى قيل لهم » .

١٠٢٦ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أنبأنا عبد الرزاق قال ، أنبأنا معمر ، عن قتادة والحسن : « ادخلوا البابَ سجَّداً » قالا : دَخلوها على غير الجهة التى أمِروا بها ، فدخلوها متزَحِّفين على أوْرَاكهم ، وبدَّلوا قولاً غير الذى قيل لهم ، فقالوا : حبَّة فى شعيرة .

١٠٢٧ – حدثنى محمد بن عمرو الباهلى . قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن نجيح ، عن مجاهد قال : أمر موسى قومَه أن يدخلوا الباب سجَّدًا ويقولوا : حِطَّةٌ ، وُطوطِىء لهم الباب ليسجدوا ، فلم يسجدوا ، ودخلوا على أدبارهم ، وقالوا : حِنْطة .(١)

١٠٢٨ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : أمر موسى قومه أن يدخلوا المسجد ويقولوا : حطة . وُطوطِىء لهم الباب ليخفضوا رؤسهم ، فلم يسجدوا ودخلوا على أستاههم إلى الجبل – وهو الجبل الذى تجلى لهُ ربُّه – وقالوا : حِنْطة . فذلك التبديل الذى قال الله عز وجل : « فبدَّل الذين ظلموُا قولاً غيرَ الذى قيل لهم » .(٢)

١٠٢٩ – حدثنى موسى بن هرون الهمدانى [قال ، حدثنى عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدىّ ، عن مرّة الهمدانى] ، عن ابن مسعود أنه قال : إنهم قالوا : « هطى سمقا يا ازبة هزبا » ، وهو بالعربية : حبة حنطة حمراء مثقوبة فيها شعيرة سوداء . فذلك قوله : « فبدَّل الذين ظلموا قولاً غيرَ الذى قيل لهم » .

١٠٣٠ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن الأعمش ،

---

(١) الأثر : ١٠٢٧ . سيأتى تمامه فى رقم : ١١١٦ .

(٢) الأثر : ١٠٢٨ – انظر ما سيأتى رقم : ١١١٧ ، فهو منه .

عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وادخلوا البابَ سُجَّدًا » قال : فدخلوا على أستاههم مُقنّعى رؤُسهم .

١٠٣١ – حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن النضر بن عدى ، عن عكرمة : «وادخلوُا الباب سجداً» ، فدخلوا مُقنعى رؤسهم – « وقولوا حِطَّة » فقالوا: حنطة حمراء فيها شعيرة . فذلك قوله: « فبدّل الذين ظلموا قولاً غيرَ الذى قيل لهم » .

١٠٣٢ – حُدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس: « وادْخلوا البابَ سُجَّداً وقولوا حِطَّةٌ »، قال: فكان سجود أحدهم على خَدّه . و « قولوا حطة » نحطّ عنكم خطاياكم، فقالوا: حنطة . وقال بعضهم : حبة فى شعيرة، « فبدّل الذين ظَلموا قولا غيرَ الذى قيل لهم » .

١٠٣٣ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب. قال ، قال ابن زيد : «وادخلوا البابَ سُجَّدًا وقولوا حطة» ، يحطّ الله بها عنكم ذنبكم وخطيئاتكم، قال : فاستهزأوا به – يعنى بموسى – وقالوا : ما يَشاءُ موسى أن يلعب بنا إلاّ لعب بنا ، حِطَّةٌ حِطَّةٌ ! ! أى شىء حطة ؟ وقال بعضهم لبعض : حنطة .

١٠٣٤ – حدثنا القاسم بن الحسن قال، حدثنى الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، وقال ابن عباس : لما دخلُوا قالوا : حبة فى شعيرة .

١٠٣٥ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى سعدُ بن محمد بن ٢٤٢/١ الحسن قال ، أخبرنى عمى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : لما دخلوا البابَ قالوا : حبة فى شَعيرة ، « فبدّلوا قولاً غير الذى قيل لهم » .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ﴾

يعنى بقوله : « فأنزلنا على الذين ظلمُوا »، = على الذين فعلوا ما لم يكن لهم فِعلُه ، من تبديلهم القولَ — الذى أمرهم الله جل وعز أن يقولوه — قولاً غيره ، ومعصيتهم إياه فيما أمرهم به ، وبركوبهم ما قد نهاهم عن ركوبه ، = « رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون » .

* * *

و« الرِّجز » ، فى لغة العرب ،العذابُ . وهو غير « الرُّجْز » .[1] وذلك أنّ « الرِّجز» : البَثْر ،[2] ومنه الخبر الذى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الطاعون أنه قال : إنه رِجْز عُذِّب به بعضُ الأمم الذين قبلكم .

١٠٣٦ — حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب قال ، أخبرنى عامر بن سعد بن أبى وقاص ، عن أسامة ابن زيد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن هذا الوَجع — أو السُّقم — رِجْزٌ عُذِّب به بعض الأمم قبلكم .[3]

١٠٣٧ — وحدثنى أبو شيبة بن أبى بكر بن أبى شيبة قال ، حدثنا عمر بن حفص قال ، حدثنا أبى ، عن الشيبانى ، عن رياح بن عبيدة ، عن عامر بن سعد قال : شهدتُ أسامة بن زيد عند سعد بن مالك يقول : قال رسول الله صلى

---

(١) الرجز (بضم فسكون) ، وهو الذى جاء فى قوله تعالى فى سورة المدثر : « والرجز فاهجر » . وذكر الطبرى فرق ما بينهما فى ٢٩ : ٩٢ (بولاق) فقال : « الرجز بضم الراء . . . الأوثان »

(٢) البثر : خراج صغار ، كالذى يكون من الطاعون والجدرى .

(٣) الحديث : ١٠٣٦ — إسناده صحيح . وقد ذكره ابن كثير ١ : ١٨٢ ، وقال : « وهذا الحديث أصله مخرج فى الصحيحين ، من حديث الزهرى ، ومن حديث مالك عن محمد بن المنكدر وسالم أبى النضر — عن عامر بن سعد ، بنحوه » . ورواه أحمد فى المسند ، من طريق الزهرى (٥ : ٢٠٧ — ٢٠٨ حلبى) . ورواه أيضاً (٥ : ٢٠٩) ، من طريق حبيب بن أبى ثابت ، عن إبرهيم بن سعد ، عن أسامة بن زيد ، مطولا .

الله عليه وسلم : إن الطاعون رِجزٌ أنزِل على من كان قبلكم – أو على بنى إسرائيل .(١)

* * *

وبمثل الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل . * ذكر من قال ذلك :

١٠٣٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « رِجزاً » ، قال : عذاباً .

١٠٣٩ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا آدم العسقلانى قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية فى قوله : «فأنزلنا على الذين ظلمُوا رِجزًا من السماء» ، قال : الرجز ، الغضب .

١٠٤٠ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : لما قِيل لبنى إسرائيل : – ادخلوا الباب سجّدًا ، وقولوا : حطّة ، فبدّل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذى قيل لهم – بعث الله جل وعزّ عليهم الطاعون ، فلم يُبق منهم أحداً . وقرأ : «فأنزلنا على الذين ظلموا رِجزاً من السماء بما كانوا يفسقون» ، قال : وَبَقى الأبناء = ففيهم الفضلُ والعبادةُ – التى توصف فى بنى إسرائيل – والخيرُ = وَهلك الآباء كلُّهم ، أهلكهم الطاعون .

١٠٤١ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : الرِّجز ، العذابُ . وكل شيء فى القرآن « رِجز » ، فهو عذاب .

---

(١) الحديث ١٠٣٧ – وهذا إسناد آخر صحيح ، للحديث السابق . أبو شيبة بن أبى بكر بن أبى شيبة : هو « إبرهيم بن عبد الله بن محمد » ، وهو ثقة ، روى عنه أيضاً النسائى وأبو زرعة وأبو حاتم ، مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ١/١/١١٠ . عمر بن حفص بن غياث : ثقة ، روى عنه البخارى ومسلم فى الصحيحين . أبوه حفص بن غياث : ثقة مأمون ، معروف ، أخرج له الجماعة . الشيبانى : هو أبو إسحق ، سليمان بن أبى سليمان ، ثقة حجة . رياح بن عبيدة : هو بكسر الراء وفتح الياء التحتية المخففة ، ووقع فى المطبوعة « رباح » بالموحدة ، وهو تصحيف . و « عبيدة » بفتح العين وكسر الباء الموحدة ، ورياح هذا بصرى ثقة ، وثقه ابن معين وأبو زرعة ، وهو مترجم فى التهذيب ٣ : ٢٩٩ – ٣٠٠ ، والكبير للبخارى ٢/١/٣٠٠ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٥١١ ، والمشتبه للذهبى ، ص : ٢١٢ . وهو غير « رياح بن عبيدة السلمى الكوفى » ، فرق بينهما المزى فى التهذيب . والذهبى فى المشتبه . وأنكر الحافظ ابن حجر ذلك على المزى ، ولكنه تبع الذهبى فى تبصير المنتبه ، ولم يعقب عليه ، وهو الصواب ، إن شاء الله .

١٠٤٢ ــ حدثت عن المنجاب قال ، حدثنا بشر ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس في قوله : « رِجْزًا » ، قال : كل شيء في كتاب الله من « الرجز » ، يعني به العذابَ .

* * *

وقد دللنا على أن تأويل « الرجز » العذاب . وعذابُ الله جل ثناؤه أصناف مختلفة . وقد أخبر الله جل ثناؤه أنه أنزل على الذين وصفْنا أمرَهم الرجزَ من السماء . وجائز أن يكون ذلك طاعوناً ، وجائز أن يكون غيره . ولا دلالة في ظاهر القرآن ولا في أثر عن الرسول ثابت ،(١) أي أصناف ذلك كان .

فالصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله عز وجل : فأنزلنا عليهم رجزاً من السماء بفسقهم .

غيرَ أنه يغلب على النفس صحة ما قاله ابن زيد ، للخبر الذي ذكرتُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في إخباره عن الطاعون أنه رِجْز ، وأنه عُذِّب به قوم قبلنا . وإن كنتُ لا أقول إنّ ذلك كذلك يقيناً ، لأن الخبرَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بيان فيه أيُّ أمّةٍ عُذبت بذلك . وقد يجوز أن يكونَ الذين عُذبوا به ، كانوا غيرَ الذين وصفَ الله صفتهم في قوله : « فبدّل الذين ظلموا قولاً غيرَ الذي قيل لهم » . ٢٤٣/١

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾

وقد دللنا ــ فيما مضى من كتابنا هذا ــ على أن معنى « الفِسْق » ، الخروج من الشيء .(٢)

---

(١) انظر تفسير قوله « ظاهر القرآن » فيما مضى : ٢ : ١٥ والمراجع.

(٢) انظر ما سلف ١ : ٤٠٩ ــ ٤١٠ ، وقد ذكر الآية هناك في أثر عن ابن عباس ، فيه : « أي بما بعدوا عن أمري » ، (ص ٤١٠) .

فتأويل قوله : « بما كانوا يفسقون » إذاً : بما كانوا يتركون طاعةَ الله عز وجل، فيخرُجون عنها إلى معصيته وخلاف أمره .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ ﴾

يعنى بقوله : « وإذ استَسْقَى مُوسَى لقومه » ، وإذ استسقانا موسى لقومه ، أى سألنا أن نسقى قومه ماءً . فترك ذكر المسئول ذلك، والمعنى الذى سَأل موسى ،[1] إذ كان فيما ذُكر من الكلام الظاهر دلالة على معنى ما تُرك .

وكذلك قوله « فقلنا اضربْ بعصَاك الحجرَ فانفجرت منه اثنتا عشر عيناً » ، مما استغنى بدلالة الظاهر على المتروك منه . وذلك أن معنى الكلام : فقلنا اضرب بعصاك الحجر ، فضرَبه ، فانفجرت . فترك ذكر الخبر عن ضَرْب موسى الحجر، إذ كان فيما ذكر دلالة على المراد منه .

وكذلك قوله : « قد علم كل أناس مشرَبهم » ، إنما معناه : قد علم كل أناس منهم مشربهم . فترك ذكر « منهم » لدلالة الكلام عليه .

* * *

وقد دللنا فيما مضى على أن « أناس » جمع لا واحد له من لفظه ،[2] وأن « الإنسان » لو جمع على لفظه لقيل : أناسىّ وأناسِية .[3]

* * *

(١) قوله « والمعنى الذى سأل موسى » ، يعنى « والشىء » وهو الماء .

(٢) فى المطبوعة : « أن الناس جمع لا واحد له » ، وقد مضى ذلك ، ولكنه هنا أراد « أناس » ، المذكور فى الآية ، وهو أيضاً جمع لا واحد له من لفظه ، وإن قال بعضهم إنه جمع إنس .

(٣) انظر ما سلف ١ : ٢٦٨ .

وقومُ موسى ، هم بنو إسرائيل ، الذين قصّ الله عز وجل قَصَصهم فى هذه الآيات . وإنما اسْتسقى لهم ربّه الماءَ فى الحال التى تاهوا فيها فى التّيه ، كما :—

١٠٤٣ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ابن أبى عروبة ، عن قتادة قوله : « وإذ استسقَى مُوسَى لقومه » الآية ، قال : كان هذا إذْ هم فى البرّيّة، اشتكوا إلى نبيهم الظمأ، فأُمروا بحجر طُورىٍّ — أى من الطور — أن يضربه موسى بعصاه . فكانوا يحملونه مَعهم ، فإذا نزلوا ضربه موسى بعصَاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، لكل سِبْط عينٌ معلومة مستفيضٌ ماؤها لهم .

١٠٤٤ — حدثنى تميم بن المنتصر قال ، حدثنا يزيد بن هرون قال ، حدثنا أصبغ بن زيد ، عن القاسم بن أبى أيوب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : ذلك فى التيه ؛ ظلّل عليهم الغمامَ ، وأنزل عليهم المنّ والسلوى ، وجعل لهم ثياباً لا تبلى ولا تتّسخ، وجُعل بين ظهرَانيهم حَجر مربّع ، وأُمر موسى فضرَب بعصاه الحجر ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً ، فى كل ناحيةٍ منه ثلاثُ عيون ، لكل سبط عَين ؛ ولاَ يرْتحلون مَنقلةً إلا وجدُوا ذلك الحجر معهم بالمكان الذى كان به معهم فى المنزل الأول .[1]

١٠٤٥ — حدثنى عبد الكريم قال ، أخبرنا إبراهيم بن بشار قال ، حدثنا سفيان ، عن أبى سعيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : ذلك فى التيه . ضرَب لهم موسى الحجرَ فصار فيه اثنتا عَشرة عيناً من ماء، لكل سِبْطٍ منهم عينٌ يشربون منها .

١٠٤٦ — وحدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فقلنا اضرْب بعصَاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً » ، لكلّ سِبط منهم عين . كل ذلك كان فى تيهم حين تاهوا .

١٠٤٧ — حدثنا القاسم بن الحسن قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج،

---

(١) المنقلة : المرحلة من مراحل السفر ، والجمع مناقل .

عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « وإذ استسقى موسى لقومه »، قال: خافوا الظمأ فى تيههم حين تاهوا ، فانفجر لهم الحجر اثنتى عشرة عيناً ، ضربه موسى . قال ابن جريج : قال ابن عباس : « الأسباط » بنو يعقوب ، كانوا اثنى عشر رجلاً ، كل واحد منهم ولد سبطاً ، أمة من الناس .(١)

١٠٤٨ – حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : استسقى لهم موسى فى التيه ، فسقوا فى حجر مثل رأس الشاة ، قال : يلقونه فى جانب الجوالق إذا ارتحلوا،(٢) ويقرعه موسى بالعصا إذ نزل، فتنفجر ٢٤٤/١ منه اثنتا عشرة عيناً ، لكل سبط منهم عين ، فكان بنو إسرائيل يشربون منه ، حتى إذا كان الرحيل استمسكت العيون، وقيل به فألقى فى جانب الجوالق(٣). فإذا نزل رمى به ، فقرعه بالعصا ، فتفجرت عين من كل ناحية مثل البحر .

١٠٤٩ – حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنى أسباط ، عن السدى قال : كان ذلك فى التيه .

* * *

وأما قوله : « قد علم كل أناس مشربهم » ، فإنما أخبر الله عنهم بذلك . لأن معناهم – فى الذى أخرج الله عز وجل لهم من الحجر ، الذى وصف جل ذكره فى هذه الآية صفته –(٤) من الشرب ، كان مخالفاً معانى سائر الخلق فيما أخرج الله لهم من المياه من الجبال والأرضين ، التى لا مالك لها سوى الله عز وجل . وذلك

(١) فى المطبوعة : « ولد سبطاً وأمة من الناس » ، والصواب حذف واو العطف فإن قوله : « أمة من الناس » تفسير قوله « سبطاً » .

(٢) الجوالق : وعاء كبير منسوج من صوف أو شعر ، تحمل فيه الأطعمة ، وهو الذى نسميه فى بلادنا « الشوال » محرفة من « الجوالق » .

(٣) « قيل به » مبنى للمجهول من « قال به » . وقال بالشىء : رفعه أو حمله . والعرب تجعل القول عبارة عن جميع الأفعال وتطلقه على غير الكلام واللسان . يقولون : قال برجله : إذا بدأ يتقدم ومشى ، أو إذا أشار بها للركل . ويقولون : قال بالماء على يده أى قلبه وصبه . وما أشبه ذلك . وقد مضى مثل ذلك آنفاً ص ٥٤ تعليق : ٣ ، ص : ٦٤ تعليق : ٤

(٤) سياق الجملة « لأن معناهم . . . من الشرب ، كان مخالفاً معانى » ، وفصل كعادته فيما بينا مراراً . يعنى لأن شربهم كان مخالفاً شرب سائر الناس . . .

أن الله كان جعل لكل سِبْط من الأسباط الاثنى عشر ، عيناً من الحجر الذى وصف صفته فى هذه الآية ، يشربُ منها دون سائر الأسباط غيرِه ، لا يدخل سِبْط منهم فى شُرب سبط غيره . وكان مع ذلك لكل عين من تلك العيون الاثنتى عشرة ، موضعٌ من الحجر قد عرفه السِّبط الذى منه شربه . فلذلك خصّ جل ثناؤه هؤلاء بالخبر عنهم : أن كلّ أناس منهم كانوا عالمين بمشرَبهم دون غيرهم من الناس . إذْ كان غيرهم — فى الماء الذى لا يملكه أحدٌ — شُركاءَ فى منابعه ومسايله . وكان كل سِبط من هؤلاء مفرداً بشُرب مَنبَعٍ من منابع الحجر — دون سائر منابعه — خاصٌ لهم دون سائر الأسباط غيرهم . فلذلك خُصوا بالخبر عنهم : أن كل أناس منهم قد عَلموا مشرَبهم .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللهِ ﴾

وهذا أيضاً مما استغنى بذكر ما هو ظاهر منه ، عن ذكره ما تُرك ذكره . وذلك أن تأويل الكلام : فقلنا اضرب بعصاك الحجرَ ، فضربه ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً ، قد علم كل أناس مشربهم ، فقيل لهم : كلوا واشربوا من رزق الله . أخبر الله جل ثناؤه أنه أمرهم بأكل ما رزَقهم فى التِّيه من المنّ والسلوى ، وبشرب ما فجَّر لهم فيه من الماء من الحجر المُتعاوَر ،(١) الذى لا قَرار له فى الأرض ، ولا سبيل إليه [إلاّ] لمالكيه ،(٢) يتدفق بعيون الماء ، ويزخَرُ بينابيع العَذْب الفرات ، بقدرة ذى الجلال والإكرام .

ثم تَقدم جل ذكره إليهم(٣) — مع إبَاحتهم ما أَباح ، وإنعامه عليهم بما

(١) الحجر المتعاور : الحجر المتبادل ، ينقل من يد إلى يد . من تعاوروا الشىء : إذا تبادلوه ، ولا يتعاور شىء حتى يكون منقولا ، أما الثابت فلا يتعاوره الناس ولا يتبادلونه .

(٢) فى المطبوعة : « لا سبيل إليه لمالكية » ، وهو كلام بلا معنى . والصواب ما أثبتناه بزيادة « إلا » ويدل على صواب ذلك ما مضى منذ قليل فى تفسير ما سبق من الآية .

(٣) تقدم إليه بكذا : إذا أمره .

أنعم به عليهم من العيش الهنيء – بالنهي عن السعي فى الأرض فساداً ، والعَثَا فيها استكباراً ،[1] فقال جل ثناؤه لهم : « ولا تَعثَوْا فى الأرض مُفسدين » .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَلاَ تَعْثَوْا فِى الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (٦٠)

يعنى بقوله : « لا تَعثَوْا » لا تطغوا ، ولا تسعوا فى الأرض مفسدين . كما : –

١٠٥٠ – حدثنى به المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية : « ولا تَعثَوْا فى الأرْض مُفسدين » ، يقول : لا تَسعوا فى الأرض فساداً .

١٠٥١ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ولا تَعثَوْا فى الأرض مفسدين » ، لا تَعثَ ، لا تطغَ .

١٠٥٢ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ولا تعثَوْا فى الأرض مفسدين » ، أى لا تسيرُوا فى الأرض مفسدين .

١٠٥٣ – حدثت عن المنجاب قال ، حدثنا بشر ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « ولا تعثَوْا فى الأرض مفسدين » ، لا تسعوا فى الأرض .

* * *

وأصل « العَثا » شدة الإفساد ، بل هو أشدّ الإفساد .[1] يقال منه : « عَثِىَ فلانٌ فى الأرض » – إذا تجاوز فى الإفساد إلى غايته – « يَعْثَى عَثا » ، مقصور[1] ، وللجماعة : هم يَعثَوْن . وفيه لغتان أخريَان ، إحداهما : « عَثَا يعثو عُثُوًّا » . ومن قرأها بهذه اللغة ، فإنه ينبغى له أن يضُمّ الثاء من « يعثُو » ، ولا أعلم قارئاً يُقتدَى بقراءته ٢٤٥/١

(١) العثا : مصدر : عثى يعثى ، كرضى يرضى ، وهى لغة الحجاز . ولم أجد هذا المصدر إلا فى تاج العروس ولست أعلم أهو بفتح العين أم بكسرها . ولكنى أستظهر أن يكون فتح العين هو الأرجح .

قرأ به .[١] ومن نطق بهذه اللغة مخبراً عن نفسه قال : « عَثَوْتُ أعثو » ، ومن نطق باللغة الأولى قال : « عَثِيتُ أعْثَى » .

والأخرى منهما : « عَاثَ يعيثُ عَيْثاً وعُيُوثاً وعَيَثاناً » ، كل ذلك بمعنى واحد . ومن « العيث » ، قول رؤبة بن العجاج :

وَعَاثَ فِينَا مُسْتَحِلٌّ عَائِثُ : مُصَدِّقٌ ، أو تَاجِرُ مُقَاعِثُ[٢]

يعنى بقوله : « عاث فينا » ، أفسد فينا .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ ، فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ﴾

قد دللنا — فيما مضى قبل — على معنى « الصبر » وأنه كَفُّ النفس وَحبسُها عن الشيء .[٣] فإذْ كان ذلك كذلك ، فمعنى الآية إذاً : واذكروا إذ قلتم — يَا مَعشر بنى إسرائيل — : لنْ نُطيق حَبس أنفسنا على طعام واحد — وذلك « الطعام الواحد » ، هو ما أخبر الله جل ثناؤه أنه أطعمهُموه فى تِيههم ، وهو « السلوى »

---

(١) « القراءة سنة ، ولا يقرأ إلا بما قرأ به القراء » . لسان العرب (عثى) .

(٢) ديوانه : ٣٠ . مستحل : قد استحل أموالهم واستباحها . والمصدق : هو العامل الذى يقبض زكاة أموال الناس ، وهو وكيل الفقراء فى القبض ، وله أن يتصرف لهم بما يؤديه إليه اجتهاده ، فربما جار إذا لم يكن من أهل الورع . قعث الشيء يقعثه : استأصله واستوعبه . وقعثه فانقعث : إذا قلعه من أصله فانقلع . ولم تذكر معاجم اللغة : « قاعث فهو مقاعث » ، ولكنه لما أراد أن التاجر يأتى بظلمه وجوره وإغلائه السعر ، فيستأصل أموال الناس ويقتلعها ، والناس يدافعونه عن أموالهم — اشتق له من المفاعلة التى تكون بين اثنين : «قاعث فهو مقاعث » ، أى يحاول استئصال أموال الناس ، والناس يدافعونه عن أموالهم .

(٣) انظر ما مضى فى هذا الجزء ٢ : ١١

فى قول بعض أهل التأويل ، وفى قول وهب بن منبه هو « الخبز النقىّ مع اللحم » — فاسأل لنا ربّك يُخرج لنا مما تنبتُ الأرض من البقْل والقِثّاء ، وما سمى الله مع ذلك ، وذكر أنهم سألوه موسى .

* * *

وكان سبب مسألتهم موسى ذلك فيما بلغنا ، ما : —

١٠٥٤ — حدثنا به بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وإذ قلتم يا موسى لن نصبرَ على طعام واحد » قال : كان القوم فى البرّية قد ظلّل عليهم الغمامَ ، وأنزل عليهم المنّ والسلوى ، فملّوا ذلك ، وذكروا عيشاً كان لهم بمصر ، فسألوه موسى . فقال الله تعالى : « اهبطوا مصرًا فإن لكم ما سألتم » .

١٠٥٥ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبدالرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « لن نصبرَ على طعام واحد » ، قال : ملّوا طعامهم ، وذكروا عيشهم الذى كانوا فيه قبل ذلك ، قالوا : « ادع لنا ربك يخرج لنا مما تُنبت الأرض من بقلها وقثائها وفُومها » الآية .

١٠٥٦ — حدثنى المثنى بن إبراهيم قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية فى قوله : « وإذْ قُلتم يا موسى لن نصبرَ على طعام واحد » ، قال : كان طعامهم السلوَى وشرابُهم المن ، فسألوا ما ذُكر ، فقيل لهم : « اهبطوا مصرًا فإنّ لكم ما سألتم » .

* * *

قال أبو جعفر : وقال قتادة : إنهم لما قدموا الشأم فقدُوا أطعمتهم التى كانوا يأكلونها ، فقالوا : « ادع لنا ربّك يُخرج لنا مما تنبت الأرضُ من بَقلها وقِثّائها وفُومها وعدَسها وبَصلها » ، وكانوا قد ظُلّل عليهم الغمامُ ، وأنزل عليهم المنّ والسلوى ، فملّوا ذلك ، وذكروا عيشاً كانوا فيه بمصر .

١٠٥٧ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى

قال ، سمعت ابن أبي نجيح في قوله عز وجل : « لن نَصْبر على طَعام واحد » ، المنّ والسلوى ، فاستبدَلوا به البقلَ وما ذُكر معه .

١٠٥٨ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حديفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بمثله سواء .

١٠٥٩ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد بمثله .

١٠٦٠ — حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أعْطوا في التِّيه ما أعطوا ، فملُّوا ذلك وقالوا : « يا مُوسى لَنْ نصبر على طَعام واحد فادْعُ لنا ربَّك يُخرجْ لنا مما تُنبت الأرض من بَقلها وقِثَّائها وفُومها وعَدَسها وبصلها » .

١٠٦١ — حدثني يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أنبأنا ابن زيد قال : كان طعامُ بني إسرائيل في التِّيه واحدًا ، وشرابهم واحدًا . كان شرابُهم عَسلاً ينزل لَهم من السماء يقال له المنّ ، وطعامهم طيرٌ يقال له السَّلوى ، يأكلون الطيرَ ويشربون العسل ، لم يكونوا يعرفون خُبزاً ولا غيرَه . فقالوا : « يا مُوسى لن نصبرَ على طَعام واحد فادعُ لنا ربَّك يخرجْ لنا مما تُنبت الأرض من بَقلها » ، فقرأ حتى بلغ : « اهبطوا مصرًا فإنّ لكم ما سَألتم » . ٢٤٦/١

* * *

وإنما قال جل ذكره : « يُخرجْ لنا مما تُنبتُ الأرض » — ولم يذكر الذى سألوه أن يدعُو ربَّه ليخرُجَ لهم من الأرض ، فيقول : قالوا ادع لنا ربك يخرج لنا كذا وكذا مما تنبته الأرضُ من بقلها وقثائها — لأن « من » تأتى بمعنى التبعيض لما بعدها ، فاكتفى بها عن ذِكْر التبعيض ، إذْ كان معلوماً بدخولها معنى ما أريد بالكلام الذى هى فيه . كقول القائل : « أصبحَ اليوم عند فلان من الطعام » ، يريد شيئاً منه .

وقد قال بعضهم : « من » ههنا بمعنى الإلغاء والإسقاط . كأن مَعنى الكلام

عندَه : يُخرج لنا مَا تنبتُ الأرض من بقلها . واستشهد على ذلك بقول العرب : « ما رأيت من أحد » بمعنى : ما رأيت أحداً ، وبقول الله : « وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ » [سورة البقرة : ٢٧١] ، وبقولهم : « قد كان منْ حَديثٍ ، فَخَلِّ عَنى حتى أذهب » ، يريدون : قد كان حديث .

وقد أنكر من أهل العربية جماعةٌ أن تكون « من » بمعنى الإلغاء فى شىء من الكلام ، وادَّعوا أن دخولها فى كل موضع دخلت فيه ، مُؤذِنٌ أن المتكلمَ مُريد لبعض ما أدخلت فيه لا جميعه ، وأنها لا تدخل فى موضع إلا لمعنى مفهوم .

* * *

فتأويل الكلام إذاً — على ما وصفنا من أمر « من »[1] — : فادع لنا ربك يخرج لنا بعض ما تنبت الأرض من بقلها وقثائها .

* * *

و « البَقْل » و « القِثَّاء » و « العَدَس » و « البَصَل » ، هو ما قد عرفه الناس بينهم من نبات الأرض وَحبِّها .

* * *

وأما « الفُوم » ، فإن أهل التأويل اختلفوا فيه . فقال بعضهم : هو الحِنطة والخبز . * ذكر من قال ذلك :

١٠٦٢ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا أبو أحمد ومؤمل قالا ، حدثنا سيفان ، عن ابن أبى نجيح ، عن عطاء قال : الفُومُ ، الخبز .

١٠٦٣ — حدثنى أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد ، حدثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء ومجاهد قوله : « وفُومها » ، قالا : خبزها .

١٠٦٤ — حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة ومحمد بن عمرو قالا ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى بن ميمون ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وفُومها » ، قال : الخبز .

---

(١) فى المطبوعة : « على ما وصفنا من أمر من ذكرنا » ، و « ذكرنا » زائدة ولا شك ، كما تبين من سياق كلامه السالف والآتى .

١٠٦٥ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة والحسن : الفُوم ، هو الحب الذى تختبزه الناس .

١٠٦٦ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ،أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة والحسن ، بمثله .

١٠٦٧ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ،حدثنا هشيم . قال ، أخبرنا حصين ، عن أبى مالك فى قوله : « وفُومها » ، قال : الحنطة .

١٠٦٨ – حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط بن نصر ، عن السدى : « وفُومها » ، الحِنطة .

١٠٦٩ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، حدثنا هشيم ، عن يونس ، عن الحسن وحصين ، عن أبى مالك فى قوله : «وفُومها » ، الحِنطة .

١٠٧٠ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر الرازى ، عن قتادة قال : الفُوم ، الحب الذى يختبز الناس منه .

١٠٧١ – حدثنى القاسم قال ،حدثنا الحسين ،حدثنى حجاج ،عن ابن جريج قال: قال لى عطاء بن أبى رباح: قوله: «وفُومها» ، قال: خبزها، قالها مجاهد .

١٠٧٢ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال لى ابن زيد : الفوم ، الخبزُ .

١٠٧٣ – حدثنى يحيى بن عثمان السهمى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح
٢٤٧/١ قال، حدثنى معاوية، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس فى قوله: « وفُومها » يقول : الحنطة والخبز .

١٠٧٤ – حُدثت عن المنجاب قال ، حدثنا بشر ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس فى قوله : « وفُومها » قال : هو البُرُّ بعينه ، الحنطةُ .

١٠٧٥ – حدثنا على بن الحسن قال ، ثنا مسلم الجرمى قال ، حدثنا عيسى ابن يونس ، عن رشدين بن كريب ، عن أبيه ، عن ابن عباس فى قول الله عز

وجل : « وفُومها » قال : الفوم ، الحنطةُ بلسان بنى هاشم .(١)

١٠٧٦ – حدثنى عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم قال ، حدثنا عبد العزيز بن منصور ، عن نافع بن أبى نعيم ، أن عبد الله بن عباس سئل عن قول الله : «وفُومها» ، قال : الحنطة ، أما سمعتَ قولَ أُحيْحة بن الجُلاَح وهو يقول :

قَدْ كُنْتُ أَغْنَى النَّاسِ شَخْصاً وَاحِداً وَرَدَ المَدِينةَ عَنْ زِرَاعَةِ فُومِ (٢)

* * *

وقال آخرون : هو الثوم . ٭ ذكر من قال ذلك :

١٠٧٧ – حدثنى أحمد بن إسحق الأهوازىّ قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا شريك ، عن ليث ، عن مجاهد قال : هو هذا الثّوم .

١٠٧٨ – حدثنى المثنى بن إبراهيم قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : الفُوم ، الثّوم .

* * *

وهو فى بعض القراآت « وثُومِها » .

* * *

---

(١) الحديث : ١٠٧٥ – مسلم الجرمى : سبق أن رجحنا فى : ١٥٤ ، ٦٤٩ ، ٨٤٦ أنه « الجرمى » بالجيم . وقد ثبت هنا فى المطبوعة بالجيم على ما رجحنا . رشدين – بكسر الراء وسكون الشين المعجمة وكسر الدال المهملة – بن كريب : ضعيف ، بينا القول فى ضعفه فى شرح المسند : ٢٥٧١ . وأبوه ، كريب بن أبى مسلم : تابعى ثقة .

(٢) الحديث : ١٠٧٦ – عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم المصرى : ثقة ، كان من أهل الحديث عالماً بالتواريخ ، صنف تاريخ مصر وغيره ، كما فى التهذيب ، مات سنة ٢٥٧ . وهو مؤلف كتاب (فتوح مصر) المطبوع فى أوربة ، شيخه ، عبد العزيز بن منصور : لم أجد له ذكراً فيما بين يدى من المراجع ، إلا فى فتوح مصر ، ص ٤٠ س ٧ – ٨ ، قال ابن عبد الحكم هناك : « حدثنا عبد العزيز بن منصور اليحصبى ، عن عاصم بن حكيم . . . » . وشيخه ، نافع : هو نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم المدنى ، أحد القراء السبعة المعروفين . وهو لم يدرك ابن عباس ، إنما يروى عن التابعين . وله ترجمة فى التهذيب ، والكبير للبخارى ٨/٢/٤ ، وابن أبى حاتم ٤٥٦/١/٤ – ٤٥٧ ، وتاريخ إصبهان لأبى نعيم ٢ : ٣٢٦ – ٣٢٧ .

والبيت فى اللسان (فوم) ، ونسبه لأبى محجن الثقفى ، أنشده الأخفش له ، وروايته :

قدْ كنتُ أَحْسُبُنِى كأغنَى واحدٍ نزل المدينـة ... ...

وفى الروض الأنف ٢ : ٤٥ نسبه لأحيحة ، أو لأبى محجن ، ورواه « سكن المدينة »

وقد ذُكر أن تسمية الحِنطة والخبز جميعاً « فوماً » من اللغة القديمة . حكى سماعاً من أهل هذه اللغة : « فوِّموا لنا »، بمعنى : اختبزوا لنا .

• • •

وذُكر أن ذلك قراءة عبد الله بن مسعود : « ثُومها » بالثاء .[1] فإن كان ذلك صحيحاً ، فإنه من الحروف المبدَلة كقولهم : « وقعوا فى عَاثُور شَرّ : وعافور شر » وكقولهم : « للأثافى ، أثَافِىّ ؛ وللمغافير ، مَغاثير » ، وما أشبه ذلك مما تقلب الثاء فاء والفاء ثاء ، لتقارب مخرج الفاء من مخرج الثاء . و « المغافير » شبيه بالشىء الحلو ، يُشبّه بالعسل ، ينزل من السماء حلواً ، يقع على الشجر ونحوها .

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِى هُوَ خَيْرٌ ﴾

يعنى بقوله : « قال أتستبدلون الذى هو أدْنَى بالذى هو خَير »، قال : لهم موسى : أتأخذون الذى هو أخسُّ خطراً وقيمةً وقدراً من العيش ، بَدلاً بالذى هو خير منه خطرًا وقيمةً وقدراً ؟ وذلك كان استبدالهم .

• • •

وأصل « الاستبدال » : هو ترك شىء لآخر غيره مكانَ المتروك .

• • •

ومعنى قوله : « أدنى » أخس وأوضعُ وأصغرُ قدراً وخطراً . وأصله من قولهم : « هذا رجل دَنِىٌّ بين الدَّناءة» و « إنه ليُدنِىُّ فى الأمور » بغير همز ، إذا كان يتتبع خَسيسها . وقد ذُكر الهمزُ عن بعض العرب فى ذلك ، سماعاً منهم . يقولون : « ما كنتَ دانئاً ، ولقد دَنأتْ » ،[2] وأنشدنى بعض أصحابنا عن غيره ، أنه سمع بعضَ بنى كلاب يُنشد بيت الأعشى[3] :

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤١

(٢) هذا كله من قول الفراء فى معانى القرآن ١ : ٤٢ . وكان فى المطبوعة «ما كنت دنيئاً»، والصواب ما أثبته من كتاب الفراء .

(٣) الذى سمع هذا هو الفراء . انظر معانى القرآن له ١ : ٤٢ ، والطبرى يجهله دائماً .

بَاسِلَةُ الوَقْعِ سَرَابِيلُهَا بِيضٌ إِلَى دَانِيهَا الظَّاهِرِ (١)

بهمز الدانئ ، وأنه سمعهم يقولون : « إنه لدانئ خبيثٌ» بالهمز.(٢) فإن كان ذلك عنهم صحيحاً ، فالهمز فيه لغة، وتركه أخرى .

* * *

ولاشكّ أنمن استبدَل بالمنّ والسلوى البقلَ والقثّاءَ والعدَس والبصلَ والثّوم، فقد استبدل الوَضيع من العيش بالرفيع منه .

* * *

وقد تأوّل بعضهم قوله : « الذى هُو أدْنى » بمعنى : الذى هو أقربُ . ووجّه قوله : « أدْنى »، إلى أنه أفعل من « الدنو » ،الذى هو بمعنى القرب .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله « الذى هو أدْنى » قاله عدَدٌ من أهل التأويل فى تأويله . « ذكر من قال ذلك :

١٠٧٩ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة قال : « أتستبدلون الذى هو أدْنىَ بالذى هو خَيرٌ »، يقول : أتستبدلون الذى هو شَرٌّ بالذى هو خير منه .

١٠٨٠ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ،

---

(١) ديوانه : ١٠٨ ، وروايته « إلى جانبه الظاهر » . يصف حصناً. قال قبله :

فى مِجْدَلٍ شُيِّد بُنْيَانُه يَزِلُّ عَنْهُ ظُفُرُ الطَّائِرِ
يَجْمَعُ خَضْرَاءَ لَهَا سَوْرَةٌ تَعْصِفُ بِالدَّارِعِ وَالحَاسِرِ
باسلة الوقْع ... ...

والضمير فى قوله : « سرابيلها » راجع إلى « خضراء » يقال : كتيبة خضراء ، وهى التى غلب عليها لبس الحديد وعلاها سواده ، والخضرة سواد عندهم . والسرابيل هنا : الدروع ، جمع سربال : وهو كل ما لبس كالدرع وغيره . وقال الفراء : « يعنى الدروع على خاصتها – يعنى الكتيبة – إلى الخميس منها » . كأنه أراد : يلبسون الدروع من شريف إلى خسيس . وأما رواية الديوان : فالضمير فى « جانبه » ، راجع إلى « المجدل » وهى أبين الروايتين معنى وأصحهما .

(٢) فى معانى الفراء زيادة بين قوسين من بعض النسخ : [إذا كان ماجنا] .

٢٤٨/١ عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « الذى هو أدْنى » ، قال : أرْدأ .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ اهْبِطُوا مِصْرًا فإنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ ﴾

وتأويل ذلك : فدعا مُوسى ، فاستجبنا له ، فقلنا لهم : « اهبطوا مصرًا » ، وهو من المحذوف الذى اجتُزِئ بدلالة ظاهره على ذكر ما حُذف وتُرك منه .

* * *

وقد دللنا — فيما مضى — على أن معنى « الهُبُوط » إلى المكان ، إنما هو النزول إليه والحلول به .(١)

* * *

فتأويل الآية إذاً : وإذ قُلتم يا موسى لنْ نَصبر على طعام واحد ، فادْع لنا ربك يُخرجْ لنا مما تُنبت الأرضُ من بقلها وقِثائها وفُومها وعَدَسها وبَصَلها . قال لهم موسى : أتستبدلون الذى هو أخس وأردأ من العيش ، بالذى هو خير منه . فدعا لهم موسى ربَّه أن يعطيهم ما سألوه ، فاستجاب الله له دعاءه ، فأعطاهم ما طلبوا ، وقال الله لهم : اهبطوا مصرًا فإن لكم ما سألتم .

* * *

ثم اختلف القرّأة فى قراءة قوله(٢) : « مصرًا » فقرأه عامة القرأة « مصرًا » بتنوين « المِصْر » وإجْرائه . وقرأه بعضهم بترك التنوين وحذف الألف منه . فأمّا الذين نَوّنوه وأجروه ، فإنهم عنوا به مصرًا من الأمصار ، لا مصرًا بعينه . فتأويله — على قراءتهم — : اهبطوا مصرًا من الأمصار ، لأنكم فى البدو ، والذى طلبتم لا يكون فى البَوادى والفَيافى ، وإنما يكون فى القرى والأمصار ، فإنّ لكم — إذا هبطتموه — ما سألتم من العيش . وقد يجوز أن يكون بعضُ من قرأ ذلك بالإجراء

(١) انظر ما مضى ١ : ٥٣٤

(٢) فى المطبوعة : « القراء » ، ورددناها إلى الذى جرى عليه لفظ الطبرى فيما سلف ، فى كل المواضع التى جروا على تبديلها من « قرأة » ، إلى « قراء » .

والتنوين ، كان تأويل الكلام عنده : « اهبطوا مصرًا » ، البلدةَ التى تُعرفُ بهذه الاسم ، وهى مصر التى خرَجوا عنها . غير أنه أجراها ونوَّنها اتِّباعاً منه خطَّ المصحف ، لأن فى المصحف ألفاً ثابتةً فى « مصر » ، فيكونُ سبيلُ قراءته ذلك بالإجراء والتنوين ، سبيلَ من قرأ « قَوَارِيراً قَوَارِيراً مِنْ فِضَّةٍ » [سورة الإنسان : ١٥ ، ١٦] منونةً ، اتباعاً منه خطَّ المصحف . وأما الذى لم ينوّن «مصر» فإنه لا شك أنه عنى «مصرَ» التى تعرف بهذا الاسم بعينها دون سائر البلدان غيرها.(١)

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فى ذلك ، نظيرَ اختلاف القرأة فى قراءته .

١٠٨١ – فحدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة : « اهبطوا مصرًا » ، أى مِصْراً من الأمصار ، فإن لكم ما سألتم .

١٠٨٢ – حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « اهْبِطوا مصرًا » من الأمصار ، فإن لكم ما سألتم . فلما خرجوا من التِّيه ، رُفع المنّ والسلوى وأكلوا البقول .

١٠٨٣ – حدثنى المثنى قال ، حدثنى آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن قتادة فى قوله : « اهبطوا مِصْرًا » قال : يعنى مصرًا من الأمصار .

١٠٨٤ – حدثنا القاسم بن الحسن قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « اهبطوا مصرًا » قال : مِصراً من الأمصار . زعموا أنهم لم يرجعوا إلى مصر .

١٠٨٥ – حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « اهبطوا مصرًا » ، قال : مصرًا من الأمصار . و « مصرُ » لا تُجرَى فى الكلام . فقيل : أىُّ مِصْرٍ . فقال : الأرض المقدسة التى كتبَ الله لهم ، وقرأ قول الله جل ثناؤه : ﴿ ادْخُلُوا الأَرْضَ المقدَّسة الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ ﴾ [سورة المائدة : ٢١]

* * *

(١) انظر ما قاله الفراء فى معانى القرآن ١ : ٤٢ – ٤٣ .

* * *

وقال آخرون : هي مصر التي كان فيها فرعون . ذكر من قال ذلك :

١٠٨٦ – حدثني المثنى ، حدثنا آدم، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية في قوله : « اهبطوا مصرًا »، قال : يعني به مصرَ فرعون .

١٠٨٧ – حُدثت عن عمار بن الحسن ، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

* * *

ومن حُجَّة مَن قال إنّ الله جل ثناؤه إنّما عنى بقوله : « اهبطوا مصرًا »، مصرًا من الأمصار دون «مصر» فرعونَ بعينها – : أنّ الله جعلَ أرضَ الشام لبني إسرائيل مساكنَ بعد أن أخرجهم من مصر . وإنما ابتلاهم بالتّيه ، بامتناعهم ٢٤٩/١ على موسى في حرب الجبابرة ، إذْ قال لهم : ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ . قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ . قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ البَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ [سورة المائدة : ٢١ – ٢٤] ، فحرَّم الله جل وعز على قائلي ذلك – فيما ذُكر لنا – دخولَها حتى هلكوا في التّيه . وابتلاهم بالتّيهان في الأرض أربعين سنة ، ثم أهبط ذريتهم الشأم، فأسكنهم الأرضَ المقدّسة ، وجعل هلاكَ الجبابرة على أيديهم مع يُوشع بن نُون – بعد وَفاة موسى بن عمران . فرأينا الله جل وعز قد أخبرَ عنهم أنّه كتب لهم الأرضَ المقدّسة ، ولم يخبرنا عنهم أنه ردّهم إلى مصر بعد إخراجه إياهم منها ، فيجوزَ لنا أن نقرأ : « اهبطوا مصرَ » ، ونتأوّله أنه ردّهم إليها .

قالوا: فإن احتجّ محتجٌّ بقول الله جل ثناؤه : ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [سورة الشعراء : ٥٧ – ٥٩]

قيل له : (١) فإنّ الله جل ثناؤه إنما أورثهم ذلك، فملّكهم إياها ولم يردّهم إليها ، وجعل مساكنهم الشأم .

* * *

وأما الذين قالوا : إن الله إنّما عنى بقوله جل وعز : « اهبطوا مصرَ» مصرَ؛ فإن من حُجتهم التى احتجوا بها الآية التى قال فيها: ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُم مِنْ جَنَّاتٍ وعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ ومَقَامٍ كَرِيمٍ * كَذٰلِكَ وأَوْرَثْنَاهَا بَنِي اسرائيل﴾ [سورة الشعراء : ٥٧ – ٥٩]، وقوله : ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ ﴾ [سورة الدخان : ٢٥–٢٨] ، قالوا : فأخبر الله جل ثناؤه أنه قد ورّثهم ذلك وجعلها لهم ، فلم يكونوا يرِثونها ثم لا ينتفعونَ بها . قالوا : ولا يكونون منتفعين بها إلا بمصير بعضهم إليها، وإلا فلا وجه للانتفاع بها، إن لم يصيروا، أو يصِرْ بعضهم، إليها . قالوا : (٢) وأخرى ، أنها فى قراءة أبىّ بن كعب وعبد الله بن مسعود: « اهبطوا مصرَ » بغير ألف . قالوا : فى ذلك الدلالة البينة أنها « مصرُ » بعينها .

* * *

قال أبو جعفر: والذى نقول به فى ذلك، أنه لا دلالةَ فى كتاب الله على الصواب من هذين التأويلين ، ولا خبر به عن الرسول صلى الله عليه وسلم يقطع مجيئه العذرَ. وأهل التأويل متنازعون تأويله ، فأولى الأقوال فى ذلك عندنا بالصواب أن يقال : (٣) إن موسَى سأل ربه أن يعطى قومَه ما سألوه من نبات الأرض – على ما بينه الله جل وعز فى كتابه – وهم فى الأرض تائهون ، فاستجاب الله لموسى دعاءه ، وأمره أن يهبط بمن معه من قومه

(١) فى المطبوعة : « قيل لهم » ، وهو خطأ . والضمير فى «له» راجع إلى قوله : «فإن احتج محتج» .
(٢) قوله: « وأخرى » ، أى وحجة أخرى . وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٣
(٣) فى المطبوعة: « عندنا والصواب » ، وهو سهو ناسخ .

قراراً من الأرض التى تُنبت لهم ما سأل لهم من ذلك . إذ كان الذى سألوه لا تُنبته إلا القُرى والأمصار ، وأنه قد أعطاهم ذلك إذْ صارُوا إليه . وجائز أن يكون ذلك القَرار « مصرَ » ، وجائز أن يكون « الشأم » .

فأما القراءةُ ، فإنها بالألف والتنوين : « اهبطوا مصرًا » . وهى القراءة التى لا يجوز عندى غيرها ، لاجتماع خطوط مصاحف المسلمين ، واتفاق قراءة القرأة على ذلك . ولم يقرأ بترك التنوين فيه وإسقاط الألف منه ، إلا من لا يجوز الاعتراض به على الحجة ،[1] فيما جاءت به من القراءة مستفيضاً بينها .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « وضُربت » . أى فُرضت ووُضعت عليهم الذلةُ وألزمُوها . من قول القائل : «ضرَبَ الإمامُ الجزيةَ على أهل الذمة» و «ضربَ الرجل على عبده الخراج » ، يعنى بذلك وضعه فألزمه إياه ، ومن قولهم : «ضَربَ الأمير على الجيش البَعْثَ » ، يُراد به : ألزمهموه .[2]

* * *

وأما « الذلة » فهى «الفِعْلة» من قول القائل : «ذَلَّ فلانٌ يَذِلُّ ذُلاً وذِلَّة» ، كـ « الصِّغرة » من «صُغر الأمر» ، و « القِعْدة » من «قَعَد» .[3]

٢٥٠/١ و « الذِّلَّة » هى الصَّغارُ الذى أمرَ الله جل ثناؤه عبادَه المؤمنين أنْ لا يُعطوهم أماناً — على القرار على ما هم عليه من كفرهم به وبرسوله — إلا أن يبذُلوا الجزية عليه لهم ، فقال جل وعز : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ

---

(١) الحجة هنا : الذين يحتج بهم .

(٢) البعث : بعث الجند إلى الغزو .

(٣) لم أجد فيما بين يدى من الكتب من نص على أن « صغرة » و « قعدة » مصدر على فعلة مثل : نشد الدابة نشدة ، ليس للهيئة ، وإن وافقها فى الوزن .

وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [سورة التوبة: ٢٩] كما :—

١٠٨٨ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن الحسن وقتادة فى قوله : « وضُربت عليهم الذلة » ، قالا : يُعطون الجزية عن يدٍ وهم صاغرون .

* * *

وأما « المَسْكنة » فإنها مصدر « المسكين ». يقال: « ما فيهم أسكنُ من فلان»، [1] و« ما كان مِسكيناً » و « لقد تمسكن مسكنة ». ومن العرب من يقول: « تمسكن تمسكُناً» . و« المسكنة » فى هذا الموضع مسكنة الفاقة والحاجة ، وهى خُشوعها وذلها ، كما :—

١٠٨٩ — حدثنى به المثنى بن إبراهيم قال، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية فى قوله : « والمسكنة » قال : الفاقة .

١٠٩٠ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « وضُربتْ عليهم الذلة والمسْكنة »، قال : الفقر .

١٠٩١ — وحدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وضُربت عليهم الذلّة والمسكنة »، قال: هؤلاء يهود بنى إسرائيل . قلت له : هم قِبط مصر ؟ قال : وما لِقِبط مصر وهذا ، لا والله ما هُم هُم، ولكنهم اليهودُ ، يهودُ بنى إسرائيل .

* * *

فأخبرهم الله جل ثناؤه أنه يُبدلهم بالعزّ ذُلاً ، وبالنعمة بؤساً، وبالرِّضا عنهم غضباً ، جزاءً منه لهم على كُفرهم بآياته، وقتلهم أنبياءَه ورسلَه ، اعتداءً وظلماً منهم بغير حق ، وعصيانهم لهُ ، وخلافاً عليه .

* * *

(١) قاله أبو عبيدة فى مجاز القرآن : ٤٢، وفسره فقال : « أى أفقر منه » .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « وَباؤوا بغضَب من الله » ، انصرفوا ورَجعوا . ولا يقال « باؤوا » إلاّ موصولاً : إمّا بخير ، وإمّا بشر . يقال منه : « باء فُلان بذنبه يَبوء به بَوْأً وبَواءً ». ومنه قول الله عز وجل ﴿ إِنِّى أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ ﴾ [سورة المائدة : ٢٩] ، يعنى : تنصرفَ متحمِّلهما وترجعَ بهما ، قد صارا عليك دُونى .

* * *

فمعنى الكلام إذاً : ورجعوا منصرفين متحمِّلين غَضَب الله ، قد صار عليهم من الله غَضَبٌ ، ووَجب عليهم منه سُخط . كما : —

١٠٩٢ — حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « وَباؤوا بغضَب من الله » فحدَث عليهم غَضَبٌ من الله .

١٠٩٣ — حدثنا يحيى بن أبى طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « وَباؤوا بغضَب من الله » قال : استحقوا الغضَب من الله .

* * *

وقدّمنا معنى غَضَب الله على عبده فيما مضى من كتابنا هذا ، فأغنى عن إعادته فى هذا الموضع .(١)

* * *

(١) انظر ما سلف ١ : ١٨٨ — ١٨٩ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « ذلك » ، ضربَ الذلة والمسكنة عليهم ، وإحلالَه غضَبه بهم . فدّل بقوله « ذلك » — وهو يعنى به ما وصفنا — على أن قول القائل : « ذلك » ، يشملُ المعانىَ الكثيرةَ إذا أشير به إليها .

* * *

ويعنى بقوله : « بأنهم كانوا يكفرون » ، من أجل أنهم كانوا يكفرون . يقول : فعلنا بهم — من إحلال الذلّ والمسكنة والسُّخط بهم — من أجل أنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ، كما قال أعشى بنى ثعلبة :

مَلِيكِيَّةٌ جَاوَرَتْ بِالحِجَا زِ قَوْماً عُدَاةً وأَرْضاً شَطِيرَا[1]
بِمَا قَدْ تَرَبَّعُ رَوْضَ القَطَا وَرَوْضَ التَّنَاضِبِ، حَتَّى تَصِيرَا[2]

يعنى بذلك : جاوَرتْ بهذا المكان ، هذه المرأة ، قوماً عُداة وأرضاً بعيدةً من أهله — لمكان قُرْبها كانَ منه ومن قومه وبلده —[3] من تربُّعها رَوضَ القطا ورَوض التناضب . ٢٥١/١

---

(١) ديوانه : ٦٧ . مليكية ، منسوبة إلى « المليك » : وهو الملك ، يعنى من بنات الملوك . العداة ، جمع عاد ، وهو العدو . الشطير : البعيد ، والغريب ، أراد أنها فى أرض مجهولة . وذكره الأرض فى هذا البيت . يعنى أنها نزلت ديار قوم نشبت العداوة بينا وبينهم ، فى غربة بعيدة . فصرت لا أقدر عليها .

(٢) قوله « بما » يعنى بسبب تربعها . وتربع القوم المكان وارتبعوه : أقاموا فيه فى زمن الربيع . وروض القطا ، من أشهر رياض العرب ، فى أرض الحجاز . وروض التناضب أيضاً بالحجاز عند سرف . وقوله : « حتى تصيرا » ، من قولهم صار الرجل يصير فهو صائر : إذا حضر الماء ، والقوم الذين يحضرون الماء يقال لهم : الصائرة . والصير (بكسر الصاد) الماء الذى يحضره الناس . يقول : اغتربت فى غير قومها ، لما دفعها إلى ذلك طلب الربيع والخصب ومساقط الماء فى البلاد .

(٣) كانت هذه الجملة فى المخطوطات والمطبوعة هكذا : « وأرضاً بعيدة من أهله بمكان قربها كان منه ومن قومه وبدلا من تربعها . . . » ، وهو كلام لا معنى له . وقد جعلت « بمكان » ، « لمكان » و « بدلا » ، « بلده » . فصار لها معنى تطمئن إليه النفس والجملة بين الخطين اعتراض ، وتفسير لقوله : « أرضاً بعيدة من أهله » .

فكذلك قوله : « وضُربَتْ عليهم الذِّلة والمسكنةُ وباؤوا بغضَب من الله ذلك بأنّهم كانوا يكفرون بآيات الله »، يقول : كان ذلك منّا بكفرهم بآياتنا ، وجزاءً لهم بقتلهم أنبياءَنا .

* * *

وقد بينا فيما مضى من كتابنا أن معنى « الكفر » : تغطية الشيء وستره ،[1] وأن « آيات الله » حُججه وأعلامُه وأدلتهُ على توحيده وصدق رسله .[2]

فمعنى الكلام إذاً . فعلنا بهم ذلك ، من أجل أنهم كانوا يجحدون حُجج الله على توحيده وتصديق رسله ، ويدفعون حقيّها ، ويكذبون بها .

* * *

ويعنى بقوله : « ويقتلونَ النبيين بغير الحق » : ويقتلون رسلَ الله الذين ابتَعثهم — لإنباء ما أرسلهم به عنه — لمن أرسلوا إليه .

* * *

وهم جماعٌ ، واحدهم « نبيّ » ، غير مهموز ، وأصله الهمز ، لأنه من « أنبأ عن الله فهو يُنبيء عنه إنباءً » ، وإنما الاسم منه ، «مُنبيء» ، ولكنه صُرِفَ وهو « مُفعل » إلى « فعيل » ، كما صرف « سميع » إلى « فعيل » من « مُسمِع » ، و « بصير » من «مُبصر» ، وأشباه ذلك .[3] وأبدل مكان الهمزة من« النبيء » الياء ، فقيل : « نبيّ » . هذا ويجمع «النبيّ» أيضاً على«أنبياء» ، وإنما جمعوه كذلك ، لإلحاقهم «النبيء» ، بإبدال الهمزة منه ياء ، بالنعوت التى تأتى على تقدير « فعيل » من ذوات الياء والواو . وذلك أنّهم إذا جمعوا ما كان من النعوت على تقدير « فعيل » من ذوات الياء والواو ، جمعوه على« أفعلاء » كقولهم : «وَلىّ وأولياء» ، و « وصىٌّ وأوصياء » ،

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٢٥٥ .

(٢) انظر ما سلف ١ : ٥٥٢ .

(٣) كان فى المطبوعة : « مفعل » مكان « مسمع » . وليس يعنى بقوله « سميع » ، صفة الله عز وجل ، بل يعنى ما جاء فى شعر عمرو بن معد يكرب .

أمِنْ ريحانةَ الدّاعِي السميعُ ؟ يُؤَرِّقُنى ، وأصحابِي هُجُوعُ

أى الداعى المسمع . وانظر ما سلف ١ : ٢٨٣ .

و «دَعِيٌّ وأدعياء» . ولو جمعوه على أصله الذى هو أصله ، وعلى أن الواحد « نبىء » مهموز ، لجمعوه على « فُعَلاء » ، فقيل لهم « النبآء » ، على مثال « النبهاء » ،[1] لأن ذلك جمعُ ما كان على « فعيل » من ذوات الياء والواو من النعوت ، كجمعهم : الشريك شركاء ، والعليم علماء ، والحكيم حكماء ، وما أشبه ذلك . وقد حُكى سماعاً من العرب فى جمع « النبىّ » « النبآء » ، وذلك من لغة الذين يهمزون « النبىء » ، ثم يجمعونه على « النبآء » — على ما قد بيّنت . ومن ذلك قول عباس بن مِرْداس فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم .

يَا خَاتَمَ النُّبَآءِ إِنَّكَ مُرْسَلٌ بِالْخَيْرِ، كُلُّ هُدَى السَّبِيلِ هَدَاكَا[2]

فقال : « ياخاتم النبآء » ، على أن واحدهم « نبىء » مهموز . وقد قال بعضهم :[3] « النبىّ » و « النبوّة » غير مهموز ، لأنهما مأخوذان من « النَّبْوة » ، وهى مثل «النَّجْوة» ، وهو المكان المرتفع ، وكان يقول : إن أصل « النبىّ » الطريق ، ويستشهد على ذلك ببيت القطامى :

لَمَّا وَرَدْنَ نَبِيًّا وَاسْتَتَبَّ بِهَا مُسْحَنْفِرٌ كَخُطُوطِ السَّيْحِ مُنْسَحِلُ[4]

---

(١) فى المطبوعة : « النبعاء » وفى المخطوطات « النبآء » .

(٢) من أبيات له فى سيرة ابن هشام ٤ : ١٠٣ وغيرها . والضمير الفاعل فى قوله « هداكا » ، لله سبحانه وتعالى ، دل عليه ما فى قوله « إنك مرسل بالخير » ، فإن الله هو الذى أرسله . وهو مضبوط فى أكثر الكتب « كل » بالرفع ، و « هدى » ، و « هداكا » بضم الهاء .

(٣) كأنه يريد الكسائى (البحر المحيط ١ : ٢٢٠) . ووجدت فى معجم البلدان ٨ : ٢٤٩ « وقال أبو بكر بن الأنبارى فى « الزاهر » فى قول القطامى . . . إن النبى فى هذا البيت هو الطريق » ، وليس يعنيه أبو جعفر ، فإن أبا بكر قد ولد سنة ٢٧١ وتوفى ٣٢٨ . وقد رد هذا القول أبو القاسم الزجاج — فيما نقل ياقوت — فقال : « كيف يكون ذلك من أسماء الطريق ، وهو يقول : « لما وردن نبياً » ، وقد كانت قبل وروده على الطريق ؟ فكأنه قال : « « لما وردن طريقاً » ، وهذا لا معنى له ، إلا أن يكون أراد طريقاً بعينه فى مكان مخصوص ، فيرجع إلى أنه اسم مكان بعينه ، قيل : هو رمل بعينه ، وقيل : هو اسم جبل ». وانظر تحقيق ذلك فى معجم البلدان ، ومعجم ما استعجم ، وغيرهما .

(٤) ديوان : ٤ ، فى قصيدته الجيدة المشهورة ، والضمير فى « وردن » للإبل ذكرها قبل . وروايته « واستتب بنا » . نبى : كثيب رمل مرتفع فى ديار بنى تغلب ، ذكره القطامى فى كثير من شعره . واستتب الأمر والطريق : استوى واستقام وتبين واطرد وامتد . مسحنفر ، صفة للطريق : واسع

يقول : إنما سمى الطريق « نبيًّا » ، لأنه ظاهر مستبين ، من « النَّبْوة » . ويقول : لم أسمع أحداً يهمز « النبيّ » . قال : وقد ذكرنا ما فى ذلك ، وبينا ما فيه الكفاية إن شاء الله .

* * *

ويعنى بقوله : « ويقتلون النبيين بغير الحق » ، أنهم كانوا يقتلون رُسُل الله ، بغير إذن الله لهم بقتلهم ، منكرين رسالتهم ، جاحدين نبوّتهم .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (٦١)

وقوله : « ذلك » ، رد على « ذلك » الأولى . ومعنى الكلام : وضُربت عليهم الذلة والمسكنة ، وباؤوا بغضب من الله من أجل كفرهم بآيات الله وقتلهم النبيين بغير الحق ، من أجل عِصْيانهم ربَّهم واعتدائهم حدوده ، فقال جل ثناؤه . « ذلك بما عَصَوْا » ، والمعنى : ذلك بعصيانهم وكفرهم مُعتدين .

* * *

١/٢٥٢ و « الاعتداء » ، تجاوز الحد الذى حدّه الله لعباده إلى غيره . وكل متجاوز حدّ شىء إلى غيره ، فقد تعدّاه إلى ما جاوزَ إليه .

* * *

ومعنى الكلام : فعلت بهم ما فعلتُ من ذلك ، بما عَصَوا أمرى ، وتجاوزوا حدّى إلى ما نهيتهم عنه .

* * *

ممتد ذاهب بين . والسبح : ضرب من البرود أو العباء مخطط ، يلبس ، أو يستتر به ويفرش . شبه آثار السير عليها بخطوط البرد . وسحلت الريح الأرض فانسحلت : كشطت ما عليها . ووصف الطريق بذلك ، لأنه قد استتب بالسير وصار لاحباً واضحاً .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا ﴾

قال أبو جعفر : أمَّا « الذين آمنوا »، فهم المصدِّقُون رسولَ الله فيما أتاهم به من الحقّ من عند الله . وإيمانهم بذلك، تصديقهم به — على ما قد بيّنّاه فيما مضى من كتابنا هذا .(١)

* * *

وأما « الذين هادوا »، فهم اليهود . ومعنى : « هادوا » ، تابوا . يقال منه : «هادَ القومُ يَهودُون هَودًا وَهادَةً» .(٢) وقيل: إنما سُميت اليهودُ «يَهودَ»، من أجل قولهم : ﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٥٦]

١٠٩٤ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : إنما سُميت اليهودُ من أجل أنهم قالوا : « إنا هُدْنا إليك »

* * *

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ وَالنَّصَارَىٰ ﴾

قال أبو جعفر : و « النصارى » جمع ، واحدهم نَصْرَان ، كما واحد السَّكارَى سَكران، وواحد النَّشاوى نَشوان . وكذلك جمع كل نعت كان واحده على «فَعْلان» فإن جمعه على « فعالى » . إلا أن المستفيضَ من كلام العرب فى واحد « النصارى » « نصرانىٌّ » . وقد حُكى عنهم سماعاً « نَصْران » بطرح الياء ، ومنه قول الشاعر :

تَرَاهُ إِذَا زَارَ العَشِيُّ مُحَنَّفًا وَيُضْحِي لَدَيْهِ وَهْوَ نَصْرَانُ شَامِسُ(٣)

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٢٣٤ — ٢٣٥ .

(٢) قوله « هادة » ، مصدر لم أجده فى كتب اللغة .

(٣) لم أعرف قائله . الأضداد لابن الأنبارى : ١٥٥ ، ورواه: « تراه ويضحى وهو . . » ونقله أبو حيان فى البحر المحيط ١ : ٢٣٨ عن الطبرى، وفيهما « إذا دار العشى » وأخطأ القرطبى (تفسيره ١ : ٣٦٩) فقال: « وأنشد سيبويه » وذكر البيت ، ولم ينشده سيبويه . وروى صدره .

وسُمع منهم فى الأنثى : « نصرانة » ، قال الشاعر :[١]

فكِلْتَاهُمَا خَرَّتْ وَأَسْجَدَ رَأْسُها كَمَا سَجَدَتْ نصْرَانَةٌ لَمْ تَحَنَّفِ[٢]

يقال : أسجد، إذا مال .[٣] وقد سُمع فى جمعهم « أنصار »، بمعنى النصارى . قال الشاعر :

لَمَّا رأَيْتُ نَبَطاً أَنْصَارَا شَمَّرْتُ عَنْ رُكْبَتِيَ الإزَارَا
كُنْتُ لَهُمْ مِنَ النَّصَارى جَارَا[٤]

* * *

وهذه الأبيات التى ذكرتها، تدلّ على أنهم سُمُّوا « نصارى » لنصرة بعضهم بعضا، وتناصُرِهم بينهم . وقد قيل إنهم سموا « نَصَارى »، من أجل أنهم نزلوا أرضاً يقال لها « ناصرة » .

﴿ تراه إذا دار العشا متحنِّفاً ﴾

والبيت فى صفة الحرباء . و « محنفاً » : قد تحنف ، أو صار إلى الحنيفية . ويعنى أنه مستقبل القبلة. وقوله: « لديه » ، أى لدى العشى ، ويريد قبل أن يستوى العشى أو لدى الضحى ، ويكون قد ذكره فى بيت قبله . وقوله : « شامس » ، يريد مستقبل الشمس ، قبل المشرق . يقول يستقبل الشمس كأنه نصرانى ، وهو كقول ذى الرمة فى صفة الحرباء أيضاً :

إذا حَوَّلَ الظِّلَّ العَشِيُّ رأَيتَهُ حَنِيفاً ، وَفى قَرْنِ الضُّحَى يَتَنَصَّرُ

(١) هو أبو الأخزر الحمانى .

(٢) سيبويه ٢ : ٢٩ ، ١٠٤ ، واللسان (حنف) ، يصف ناقتين ، طأطأتا رؤوسهما من الإعياء ، فشبه رأس الناقة فى طأطأتها ، برأس النصرانية إذا طأطأته فى صلاتها . وأسجد الرجل : طأطأ رأسه وخفضه وانحنى . قال حميد بن ثور ، يصف نوقاً :

فلمَّا لَوَيْنَ عَلَى مِعْصَمٍ وكَفٍّ خَضِيبٍ وَأَسْوَارِهَا
فُضُولَ أَزِمَّتِهَا أَسْجَدَتْ سُجُودَ النَّصَارَى لِأَحْبَارِهَا

(٣) بيان الطبرى عن معنى « أسجد » ليس بجيد .

(٤) لم أعرف صاحب الرجز . والأبيات، فى معانى القرآن للفراء ١ : ٤٤ أمالى ابن الشجرى ١ : ٧٩ ، ٣٧١ ، أنشده شاهداً على حذف واو العطف : أى « وكنت لهم من النصارى جاراً » ، ثم أنشده فى الموضع الآخر شاهداً على حذف الفاء العاطفة أى « فكنت لهم . . . »

١٠٩٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « النصارى » ، إنما سُموا نصارى من أجل أنهم نزلوا أرْضاً يقال لها « ناصرة » .

* * *

ويقول آخرون لقوله : ﴿ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ ﴾ [سورة الصف : ١٤]

* * *

وقد ذكر عن ابن عباس من طريق غير مرتضًى ، أنه كان يقول : إنما سَمّيت النصارى نَصارى، لأن قرية عيسى بن مريم كانت تسمى «ناصرة» ، وكان أصحابه يسمون النّاصِرِيِّين ، وكان يقال لعيسى « الناصرىّ» .

١٠٩٦ – حدثت بذلك عن هشام بن محمد ، عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس .

١٠٩٧ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال: إنما سُمّوا نَصارى ، لأنهم كانوا بقرية يقال لها نَاصِرة ينزلها عيسى بن مريم ، فهو اسم تسمَّوا به ، ولَم يُؤمروا به .

١٠٩٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ﴾ [سورة المائدة : ٢٢] قال : تسمَّوا بقرية يقال لها « ناصرة » ، كان عيسى بن مريم ينزلها .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ وَالصَّابِئِينَ ﴾

قال أبو جعفر : و « الصابئون » جمع «صَابِئ» . وهو المستحدث سِوَى دينه ديناً . كالمرتد من أهل السلام عن دينه . وكلّ خارج من دين كان عليه إلى آخر غيره، تسميه العرب : «صابئاً» . يقال منه : «صَبأ فلان يَصْبأ صَبْأً». ويقال : صَبأت النُّجوم» : إذا طلعت . «وصَبأ علينا فُلان موضعَ كذا وكذا» ، يعنى به : طلع .

* * *

واختلف أهلُ التأويل فيمن يَلزمه هذا الاسم من أهل الملل . فقال بعضهم : يلزمَ ذلك كل من خرج من دين إلى غير دين . وقالوا : الذين عَنى الله بهذا الاسم، قومٌ لا دين لهم . ذكر من قالَ ذلك : ٢٥٣/١

١٠٩٩ ــ حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى

١١٠٠ ــ وحدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق ــ جميعاً، عن سفيان ، عن ليث، عن مجاهد قال: الصابئون ليسوا بيهود ولا نصارى ، ولا دين لهم .

١١٠١ ــ حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن الحجاج بن أرطاة ، عن القاسم بن أبى بزة ، عن مجاهد مثله .

١١٠٢ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن عنبسة ، عن الحجاج، عن مجاهد قال : الصابئون بين المجوس واليهود، لا تُؤكل ذبائحهم، ولا تُنكح نساؤهم.

١١٠٣ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن حجاج ، عن قتادة ، عن الحسن مثل ذلك .

١١٠٤ ــ حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح : « الصابئين » بين اليهود والمجوس ، لا دين لهم

١١٠٥ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

١١٠٦ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين. قال ، حدثنى حجاج ، قال قال ابن جريج : قال مجاهد : « الصابئين » بين المجوس واليهود ، لا دين لهم. قال ابن جريج: قلت لعطاء: « الصابئين» ، زعموا أنها قبيلة من نحو السواد ،[1] ليسوا بمجوس ولا يهود ولا نصارى . قال : قد سمعنا ذلك ، وقد قال المشركون للنبى صلى الله عليه وسلم : قد صبَأ .

---

(١) يعنى سواد العراق .

١١٠٧ – وحدثني يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب ، قال قال ابن زيد فى قوله: «والصابئين» قال: الصابئون، [أهل] دين من الأديان كانوا بجزيرة الموصل[١]، يقولون: لا إله إلا الله ، وليس لهم عملٌ ولا كتاب ولا نبي ، إلا قول لا إله إلا الله . قال : ولم يؤمنوا برسول الله ، فمن أجل ذلك كان المشركون يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه : « هؤلاء الصابئون »، يشبهونهم بهم .

* * *

وقال آخرون هم قوم يعبدون الملائكة ويصلون إلى القبلة . ذكر من قال ذلك:

١١٠٨ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى. قال ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن الحسن قال حدثني زياد[٢] : أن الصابئين يصلُّون إلى القبلة ، ويصلون الخمسَ . قال: فأراد أن يَضعَ عنهم الجزية . قال : فخُبِّر بعد أنهم يعبدون الملائكة .

١١٠٩ – وحدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله: « والصابئين » قال: الصابئون قوم يعبدون الملائكة، يصلُّون إلى القبلة ، ويقرأون الزَّبُور .

١١١٠ – حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية قال : الصابئون فرقة من أهل الكتاب يقرأون الزَّبور. قال أبو جعفر الرازى : وبلغني أيضاً أنّ الصابئين قومٌ يعبدون الملائكة ، ويقرأون الزبور ، ويصلُّون إلى القبلة .

* * *

وقال آخرون : بل هم طائفة من أهل الكتاب . ذكر من قال ذلك :

١١١١ – حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان ، قال : سئل السدّى عن الصابئين ، فقال : هم طائفة من أهل الكتاب .

* * *

---

(١) فى المطبوعة «الصابئون دين من الأديان»، والزيادة بين القوسين لا بد منها .

(٢) زياد ، هو زياد بن أبيه ، والى العراق فى زمن معاوية رضى الله عنه .

القول فى تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « من آمن بالله واليوم الآخر » ، من صدّق وأقر بالبعث بعد الممات يوم القيامة ، وعمل صالحاً فأطاع الله ، فلهم أجرهم عند ربهم. يعنى بقوله : «فلهمُ أجرهم عند ربهم» ، فلهم ثوابُ عملهم الصالح عند ربهم .

* * *

فإن قال لنا قائل: فأين تمام قوله: « إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين » ؟

قيل : تمامه جملة قوله: « مَنْ آمن بالله واليوم الآخر » . لأن معناه : من آمن منهم بالله واليوم الآخر ، فترك ذكر « منهم » لدلالة الكلام عليه ، استغناءً بما ذكر عما ترك ذكره . ٢٥٤/١

فإن قال : وما معنى هذا الكلام ؟

قيل : إن معناه : إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين ، مَنْ يؤمنْ بالله واليوم الآخر ، فلهم أجرُهم عند ربهم .

فإن قال : وكيف يُؤمن المؤمن ؟

قيل : ليس المعنى فى المؤمن المعنى الذى ظننتَهُ ، من انتقال من دين إلى دين ، كانتقال اليهودىّ والنصرانىّ إلى الإيمان = وإن كان قد قيل إنّ الذين عُنُوا بذلك ، من كان من أهل الكتاب على إيمانه بعيسى وبما جاء به ، حتى أدرك محمداً صلى الله عليه وسلم فآمن به وصدّقه ، فقيل لأولئك الذين كانوا مؤمنين بعيسى وبما جاء به ، إذ أدركوا محمداً صلى الله عليه وسلم : آمنوا بمحمد وبما جاء به = ولكن معنى إيمان المؤمن فى هذا الموضع ، ثباتُه على إيمانه وتركُه تبديلَه . وأما إيمان اليهود والنصارى والصابئين ، فالتصديقُ بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما

جاء به ، فمن يؤمن منهم بمحمدٍ وبما جاء به واليوم الآخر ، وَيعملْ صالحاً ، فلم يبدِّل ولم يغيِّر حتى توفى على ذلك ، فله ثواب عمله وأجره عند ربه ، كما وصف جل ثناؤه .

فإن قال قائل : وكيف قال : « فلهم أجرُهم عند ربهم » ، وإنما لفظ « مَنْ » لفظ واحد ، والفعل معه موحَّد ؟

قيل : « مَنْ » ، وإن كان الذى يليه من الفعل موحَّد ، فإن له معنى الواحد والاثنين والجمع ، والتذكير والتأنيث ، لأنه فى كل هذه الأحوال على هيئة واحدة وصورة واحدة لا يتغير . فالعرب توحِّد معه الفعل — وإن كان فى معنى جَمْع — للفظه ، وتجمع أخرى معه الفعل لمعناه ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لاَ يَعْقِلُونَ * وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لاَ يُبْصِرُونَ ﴾ [سورة يونس : ٤٢ ، ٤٣] . فجمع مرة مع « مَنْ » الفعلَ لمعناه ، ووحَّد أخرى معه الفعل لأنه فى لفظ الواحد ، كما قال الشاعر :

أَلِمَّا بِسَلْمَى عَنْكُمَا إِنْ عَرَضْتُمَا ، وَقُولاَ لَهَا : عُوجِي عَلَى مَنْ تَخَلَّفُوا(١)

---

(١) فى ديوان لامرىء القيس ، منسوب إليه من قصيدة عدتها ٢٣ بيتاً ، وفيه : « ويقال إنها لرجل من كندة » وأولها :

دِيارٌ بِهَا الظِّلْمَانُ وَالعِينُ تَعْكُفُ وَقَفْتَ بِهَا تَبكى ودَمْعُكَ يَذْرِفُ

والأضداد لابن الأنبارى : ٢٨٨ ، قال أنشده الفراء ، وروايته صدره :

﴿ أَلَمَّا بِسَلْمَى لَمَّةً إِذْ وَقَفْتُمَا ﴾

والذى فى رواية الطبرى من قوله : « عنكما » زائدة فى الكلام ، والعرب تقول : « سر عنك » ، و « انفذ عنك » أى امض ، وجز — لا معنى لـ « عنك » . وفى حديث عمر رضى الله عنه : أنه طاف بالبيت مع يعلى بن أمية ، فلما انتهى إلى الركن الغربى الذى يلى الأسود ، قال له : ألا تستلم ؟ فقال : انفذ عنك ، فإن النبى صلى الله عليه وسلم لم يستلمه . وفى الحديث تفسيره : أى دعه وتجاوزه . وقوله « عرضتما » من قولهم : عرض الرجل : إذا أتى العروض (بفتح العين) ، وهى مكة والمدينة وما حولهما .

فقال : « تخلفوا » ، وجعل « مَنْ » بمنزلة « الذين » ، وقال الفرزدق :

تَعَالَ فَإِنْ عَاهَدْتَنِي لاَ تَخُونُنِي نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَاذِئْبُ يَصْطَحِبَانِ(١)

فثنّى « يصطحبان » لمعنى « مَنْ » . فكذلك قوله : « من آمنَ بالله واليوم الآخر فلهُم أجرُهم عند ربّهم » ، وحّد « آمن وعمل صالحاً » للفظ « مَنْ » ، وجمع ذكرهم فى قوله : « فلهُمْ أجرهم » ، لمعناه ، لأنه فى معنى جمع .

* * *

وأما قوله ﴿ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَهُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٦٢)

فإنه يعنى به جل ذكره : ولا خوفٌ عليهم فيما قدِموا عليه من أهوال القيامة ، ولا هم يحزنون على ما خلّفوا وراءهم من الدنيا وعيشها ، عند معاينتهم ما أعدّ الله لهم من الثواب والنعيم المقيم عنده .

* * *

* ذِكْرُ من قال : عُنى بقوله : « مَنْ آمن بالله » ، مؤمنو أهل الكتاب الذين أدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

١١١٢ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ابن نصر ، عن السدّى : « إنّ الذينَ آمنوا والذين هادُوا » الآية ، قال : نزلت هذه الآية فى أصحاب سلمان الفارسى . وكان سلمان من جُنْدَيْسابور ، وكان من أشرافِهم ، وكان ابنُ الملك صديقاً له مُؤاخياً ، لا يقضى واحد منهما أمراً دون صاحبه ، وكانا يركبان إلى الصيد جميعاً . فبينما هما فى الصَّيد ، إذ رُفع لهما بيت من عباء ،(٢) فأتياهُ ، فإذا هُما فيه برجل بين يديه مُصْحفٌ يقرأ فيه

---

(١) ديوانه : ٨٧٠ ، وسيبويه ١ : ٤٠٤ ، والكامل ١ : ٢١٦ ، وطبقات فحول الشعراء : ٣١٠ ، والأضداد : ٢٨٨ ، وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٣١١ . ورواية ديوانه «تعش فإن واثقتنى» . وهو بيت من قصيدته الجيدة التى قالها حين نزل به ذئب فأضافه .

(٢) رفع له الشىء (بالبناء للمجهول) : أبصره من بعد . وفى المطبوعة : « بيت من خباء »

وهو يبكى . فسألاه: ما هذا ؟ فقال : الذى يُريد أن يعلم هذا لا يقف موقفكما ، فإن كنتما تريدان أن تعلما ما فيه فانزلا حتى أعلّمكما. فنزلا إليه، فقال لهما : ١/٢٥٥ هذا كتابٌ جاء من عند الله أمرَ فيه بطاعته ونَهى عن معصيته ، فيه : أنْ لا تزنى ، ولا تسرق ، ولا تأخذَ أموال الناس بالباطل . فقص عليهما ما فيه ، وهو الإنجيل الذى أنزله الله على عيسى . فوقع فى قلوبهما، وتابعاه فأسلما. وقال لهما: إن ذبيحة قومكما عليكما حرامٌ .

فلم يزالا معه كذلك يتعلمان منه ، حتى كان عيدٌ للملك ، فجعل طعاماً،(١) ثم جمع الناس والأشرافَ ، وأرسل إلى ابن الملك فدعاه إلى صَنيعه ليأكل مع الناس . فأبى الفتى ، وقال : إنىّ عنك مشغول ، فكلْ أنت وأصحابك . فلما أكثر عليه من الرُّسل ، أخبرهم أنه لا يأكل من طعامهم. فبعث الملك إلى ابنه فدعاه . وقال : ما أمرك هذا ؟ قال : إنا لا نأكل من ذبائحكم ، إنكم كفّار ، ليس تحل ذبائحُكم . فقال الملك : من أمرَك بهذا ؟ فأخبره أن الراهب أمره بذلك . فدعا الراهب فقال : ماذا يقولُ ابنى ؟ قال : صَدَق ابنُك . قال له: لولا أن الدَّمَ فينا عظيمٌ لقتلتك ، ولكن اخرج من أرضنا . فأجّله أجلاً . فقال سلمان: فقمنا نبكى عليه، فقال لهما : إن كنتما صادقين ، فإنّا فى بِيعة بالموصل مع ستين رجلاً نعبُد الله فيها ، فأتونا فيها .

فخرج الراهبُ ، وبقى سلمان وابن الملك ، فجعل يقول لابن الملك : انطلق بنا ! وابن الملك يقول : نعم . وجعل ابن الملك يبيع متاعَهُ يريد الجهاز . فلما أبطأ على سلمان ، خرج سلمان حتى أتاهم ، فنزل على صاحبه ، وهو ربُّ البيِّعة .

والخباء بيت من وبر أو صوف . فهو كلام لا معنى له . وفى الدر المنثور ١ : ٧٣ وروى الخبر بطوله: « من عباءة » . والصواب ما أثبته . والعباء ضرب من الأكسية فيه خطوط سود كبار ، وهو هنا مفرد ، وجمعه أعبية . والعباء أيضا جمع عباءة .

(١) فى الدر المنثور : « فجمع طعاماً » ، وأظن أن الصواب : « فصنع طعاماً » ، ويدل على صواب ذلك قوله بعد : « فدعاه إلى صنيعه » . يقال : صنع لهم طعاماً ، وكنت فى صنيع فلان : أى مأدبته ومدعاته .

وكان أهل تلك البيعة من أفضل الرهبان ،[1] فكان سلمان معهم يجتهد فى العبادة ويتعب نفسه ، فقال له الشيخ: إنك غلام حدث تتكلف من العبادة ما لا تطيق، وأنا خائف أن تفتر وتعجز : فارفق بنفسك وخفف عليها . فقال سلمان: أرأيت الذى تأمرنى به ، أهو أفضل أو الذى أصنع ؟ قال : بل الذى تصنع . قال : فخل عنى .

ثم إن صاحب البيعة دعاه فقال: أتعلم أن هذه البيعة لى ، وأنا أحق الناس بها ، ولو شئت أن أخرج هؤلاء منها لفعلت ! ولكنى رجل أضعف عن عبادة هؤلاء ، وأنا أريد أن أتحول من هذه البيعة إلى بيعة أخرى هم أهون عبادة من هؤلاء ، فإن شئت أن تقيم ههنا فأقم ، وإن شئت أن تنطلق معى فانطلق . قال له سلمان : أى البيعتين أفضل أهلا ؟ قال: هذه . قال سلمان : فأنا أكون فى هذه . فأقام سلمان بها وأوصى صاحب البيعة عالم البيعة بسلمان، فكان سلمان يتعبد معهم .

ثم إن الشيخ العالم أراد أن يأتى بيت المقدس ، فقال لسلمان : إن أردت أن تنطلق معى فانطلق ، وإن شئت أن تقيم فأقم . فقال له سلمان : أيهما أفضل ، أنطلق معك أم أقيم ؟ قال: لا ، بل تنطلق معى . فانطلق معه . فمروا بمقعد على ظهر الطريق ملقى ، فلما رآهما نادى: يا سيد الرهبان ، ارحمنى يرحمك الله ! فلم يكلمه ولم ينظر إليه . وانطلقا حتى أتيا بيت المقدس ، فقال الشيخ لسلمان : اخرج فاطلب العلم ، فإنه يحضر هذا المسجد علماء أهل الأرض . فخرج سلمان يسمع منهم ، فرجع يوماً حزيناً، فقال له الشيخ: مالك يا سلمان؟ قال : أرى الخير كله قد ذهب به من كان قبلنا من الأنبياء وأتباعهم ! فقال له الشيخ : يا سلمان لا تحزن ، فإنه قد بقى نبى ليس من نبى بأفضل تبعاً منه ، وهذا زمانه الذى يخرج فيه ، ولا أرانى أدركه ، وأما أنت فشاب لعلك أن تدركه ، وهو

(١) فى الدر المنثور : « فكان أهل تلك البيعة ، أفضل مرتبة من الرهبان »

يخرج فى أرض العرَب فإن أدركته فآمن به واتَّبعه . فقال له سلمان : فأخبرنى عن علامته بشىء . قال : نعم ، هو مختوم فى ظهره بخاتم النُّبُوة ، وهو يأكل الهدية ولا يأكل الصدَقة .

ثم رَجعا حتى بلغا مكان المُقْعَدَ ، فناداهما فقال : يا سيِّد الرهبان ، ارحمنى يرحمك الله ! فعطف إليه حمارَه ، فأخذ بيده فرَفعه ، فضرب به الأرض ، ودعا له وقال : قُمْ بإذن الله ! فقام صحيحاً يشتدّ .[1] فجعل سلمان يتعجب وهو ينظر إليه يَشتدّ . وسار الراهب فتغيب عن سَلمان ، ولا يعلم سَلمان . ٢٥٦/١

ثم إن سلمان فزع فطلبَ الراهب . فلقيه رجلان من العرب من كلْب ، فسألهما : هل رأيتما الراهب؟ فأناخ أحدهما راحلته ، قال : نِعْمَ رَاعى الصِّرمة هذا ![2] فحمله فانطلق به إلى المدينة .

قال سلمان : فأصَابنى من الحزن شىء لم يصبنى مثله قط . فاشترته امرأة من جُهَيْنة ، فكان يَرْعى عليها هو وغلام لها يتراوَحان الغنم ، هذا يوماً وهذا يوماً . فكان سَلمان يجمع الدراهم ينتظر خروجَ محمد صلى الله عليه وسلم . فبينا هو يوماً يرعى ، إذْ أتاه صاحبه الذى يَعقُبُه ،[3] فقال : أَشعَرْت أنه قد قَدِم اليوم المدينةَ رجل يزعمُ أنه نَبىّ ؟[4] فقال له سلمان : أقم فى الغنم حتى آتيك .

فهبط سلمانُ إلى المدينة . فنظرَ إلى النبى صلى الله عليه وسلم ودارَ حوله . فلما رآه النبى صلى الله عليه وسلم عرَف ما يريد ، فأرسل ثوبه حتى خرج خَاتَمه ، فلما رآه أتاه وكلمه . ثم انطلق فاشترى بدينار ، ببعضه شاةً وببعضه خبزاً ، ثم أتاه به . فقال : ما هذا ؟ قال سلمان : هذه صدقة . قال : لا حاجة لى بها ،

---

(١) اشتد : عدا وأسرع .

(٢) الصرمة : القطيع من الإبل والغنم .

(٣) عقبه يعقبه : جاء بعده فى نوبته ، ومنه التعاقب : أن يأتى هذا ويذهب ذاك .

(٤) أشعرت : علمت .

فأخرجها فليأكلها المسلمون . ثم انطلق فاشترى بدينار آخر خبزاً ولحماً ، فأتى به النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما هذا ؟ قال : هذه هديّة . قال : فاقعد [فكُل] .(١) فقعد فأكلا جميعاً منها . فبينا هو يحدّثه ، إذ ذكر أصحابَه فأخبره خبرهم فقال : كانوا يَصُومون ويصلُّون ويؤمنون بك ، ويشهدون أنك ستبعث نبيًّا . فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم ، قال له نبي الله صلى الله عليه وسلم : يا سلمان ، هم من أهل النار . فاشتدّ ذلك على سلمان ، وقد كان قال له سلمان : لو أدْركوك صدّقوك واتّبعوك . فأنزل الله هذه الآية : « إن الذين آمنوا والذين هادُوا والنصارَى والصابئين مَنْ آمن بالله واليوم الآخر » .(٢)

* * *

فكان إيمان اليهود : أنه من تمسّك بالتوراة وسُنة موسى ، حتى جاء عيسى . فلما جاء عيسى كان من تمسّك بالتوراة وأخذ بسُنة موسى — فلم يدعها ولم يتبع عيسى — كان هالكاً . وإيمان النصارى : أنه من تمسك بالإنجيل منهم وشرَائع عيسى كان مؤمناً مقبولا منه ، حتى جاءَ محمد صلى الله عليه وسلم ، فمن لم يتبعْ محمداً صلى الله عليه وسلم منهم ويَدَعْ ما كان عليه من سُنة عيسى والإنجيل — كان هالكاً .

* * *

١١١٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « إنّ الذين آمنوا والذين هادُوا » الآية ، قال :(٣)

---

(١) الزيادة من الدر المنثور ١ : ٧٤ .

(٢) الحديث : ١١١٢ — هذا حديث منقطع ، في شأن إسلام « سلمان الفارسي » . وقال الحافظ في الإصابة ٣ : ١١٣ : « ورويت قصته من طرق كثيرة ، من أصحها ما أخرجه أحمد من حديثه نفسه . وأخرجها الحاكم من وجه آخر عنه أيضاً . وأخرجه الحاكم من حديث بريدة . وعلق البخاري طرفاً منها . وفي سياق قصته في إسلامه اختلاف يتعسر الجمع فيه » . وإشارته إلى رواية أحمد ، هي في المسند ٥ : ٤٤١ — ٤٤٤ (حلبي) ، وهي بالإسناد نفسه في ابن سعد ٤ : ٥٣ — ٥٧ . وانظر المستدرك للحاكم ٣ : ٥٩٩ — ٦٠٤ . وتاريخ إصبهان لأبي نعيم ١ : ٤٨ — ٥٧ ، والحلية لأبي نعيم ١ : ١٩٠ — ١٩٥ .

(٣) في المطبوعة : « قال سلمان الفارسي للنبي صلى الله عليه وسلم » ، بحذف « سأل » . والصواب من الدر المنثور ١ : ٧٤ .

سأل سلمانُ الفارسيّ النبيّ صلى الله عليه وسلم عن أولئك النصارى وما رأى من أعمالهم ، قال : لم يموتوا على الإسلام . قال سلمان : فأظلمتْ عليّ الأرضُ ، وذكرت اجتهادهم ، [1] فنزلت هذه الآية : « إنّ الذين آمنوا والذين هادوا » .[2] فدعا سلمان فقال : نزلت هذه الآية فى أصحابك . ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم من مَاتَ على دين عيسَى ومات على الإسلام قبل أن يسمع بى ، فهو على خير ؛ ومن سمع بى اليوم ولم يؤمن بى فقدْ هلَك .[3]

* * *

وقال ابن عباس بما : —

١١١٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن ابن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « إنّ الذين آمنوا والذين هادُوا والنصارَى والصابئين » إلى قوله : « ولا هم يحزنون » . فأنزل الله تعالى بعدَ هذا ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِين ﴾ [سورة آل عمران : ٨٥]

وهذا الخبر يدلّ على أن ابن عباس كانَ يرى أن الله جل ثناؤه كان قد وَعَدَ مَنْ عمل صالحاً — من اليهود والنصارى والصابئين — على عمله ، فى الآخرة ١/٢٥٧ الجنة ، ثم نسخ ذلك بقوله : « ومَنْ يَبتغ غيرَ الإسلام ديناً فلنْ يُقبل منه » .

* * *

فتأويل الآية إذاً ، على ما ذكرنا عن مجاهد والسدى : إنّ الذين آمنوا منْ هذه الأمة ، والذين هادوا ، والنصارَى ، والصابئين — مَن آمَن منَ اليهود والنصارَى والصابئين بالله واليوم الآخر — فلهم أجرُهم عند ربّهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون.

* * *

والذى قلنا من التأويل الأوّل ، أشبهُ بظاهر التنزيل . لأن الله جل ثناؤه لم

---

(١) فى المطبوعة : « وذكر اجتهادهم » ، والصواب من الدر المنثور .
(٢) الآية لم ترد فى المطبوعة ، ووردت فى نص الدر المنثور .
(٣) الحديث : ١١١٣ — وهذا منقطع أيضاً .

يخصّص – بالأجر على العمل الصالح مع الإيمان – بعض خلقه دون بعض منهم ، والخبرُ بقوله : « من آمن بالله واليوم الآخر » ، عن جميع ما ذكر فى أول الآية .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : « الميثاق » ، « المفعال » ، من « الوثيقة » ، إمّا بيمين ، وإما بعهد ، أو غير ذلك من الوثائق .(١)

ويعنى بقوله : « وإذْ أخذْنا ميثاقكم » ، الميثاقَ الذى أخبرَ جل ثناؤه أنه أخذَ منهم فى قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [سورة البقرة : ٨٣ – ٨٥]، الآيات التى ذكر معها . وكان سببُ أخذ الميثاق عليهم – فيما ذكره ابن زيد – ما : –

١١١٥ – حدثنى به يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : لما رَجع مُوسى من عند ربه بالألواح . قال لقومه بنى إسرائيل : إن هذه الألواح فيها كتاب الله ، فيه أمره الذى أمركم به ونهيه الذى نهاكم عنه .(٢) فقالوا : ومن يأخُذه بقولك أنت ؟ لا والله حتى نَرَى الله جَهْرَةً ، حتى يطلع الله إلينا فيقول : هذا كتابى فخذوه ! فإنّه لا يكلمنا كما كلمك أنت يا موسى ، فيقول : هذا كتابى فخذوه ؟ قال : فجاءت غضْبة من الله ، فجاءتهم صاعقة فصَعقتهم ، فماتوا أجمعون . قال : ثم أحياهم الله بعد موتهم ، فقال لهم موسى : خذوا كتاب الله . فقالوا : لا . قال : أى شىء أصابكم ؟ قالوا : مِتنا ثم حيينا !(٣) قال : خذوا

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٤١٤ ، فى قوله تعالى : « من بعد ميثاقه » [سورة البقرة : ٢٧] .

(٢) فى المطبوعة : « وأمره الذى أمركم » ، والتصحيح من روايته فى رقم : ٩٥٩ .

(٣) فى رقم : ٩٥٩ : « قالوا أصابنا أنا متنا . . . » .

كتاب الله . قالوا : لا . فبعث ملائكته فنتقت الجبل فوقهم ، فقيل لهم : أتعرفون هذا ؟ قالوا : نعم ، هذا الطور ! قال : خذوا الكتاب وإلا طرحناه عليكم . قال : فأخذوه بالميثاق ، وقرأ قول الله : ﴿ وإذْ أخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إلاَّ اللهَ وبالْوَالِدَيْنِ إحْسَانًا ﴾ حتى بلغ ﴿ وَمَا اللهُ بغَافِلٍ عَمَّا تَعملون ﴾ [سورة البقرة : ٨٣- ٨٥] ، قال : ولو كانوا أخذوه أول مرة ، لأخذوه بغير ميثاق .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ﴾

قال أبو جعفر : وأما « الطور » فإنه الجبل فى كلام العرب ، ومنه قول العجاج :

دَانَى جَنَاحَيْهِ مِنَ الطُّورِ فَمَرّْ تَقَضِّيَ البَازِى إذَا البَازِى كَسَرْ(٢)

وقيل : إنه اسم جبل بعينه. وذُكر أنه الجبلُ الذى ناجَى الله عليه موسى .

وقيل : إنّه من الجبال ما أنبتَ دون ما لم يُنبت .(٣)

---

(١) الأثر رقم : ١١١٥ – مضى أكثره فى رقم : ٩٥٩ .

(٢) ديوانه : ١٧ ، وهو من قصيدة جيدة يذكر فيها مآثر عمر بن عبيد الله بن معمر التيمى ، وقد ولى الولايات العظيمة ، وفتح الفتوح الكثيرة ، وقاتل الخوارج . والضمير فى قوله : « دانى » يعود إلى متأخر ، وهو « البازى » المذكور فى البيت بعده . فإن قبله ، ذكر عمر بن عبيد الله وكتائبه من حوله :

حَوْلَ ابْنِ غَرَّاءَ حَصَانٍ إنْ وَتَرْ فَاتَ ، وَإنْ طَالَبَ بالوَغْمِ اقْتَدَرْ
إذَا الكِرَامُ ابْتَدَرُوا البَاعَ ابْتَدَرْ دَانَى جَنَاحيه . . . . . .

يريد : « ابتدر منقضاً انقضاض البازى من الطور ، دانى جناحيه ... فر » . فقدم وأخر . وهو من جيد التقديم والتأخير . وقوله : « دانى » أى ضم جناحيه وقربهما وضيق ما بينهما تأهباً للانقضاض من ذروة الجبل . ومر : أسرع إسراعاً شديداً . وقوله : « تقضى » أصلها « تقضض » ، فقلب الضاد الأخيرة ياء ، استثقل ثلاث ضادات ، كما فعلوا فى « تظنن » « وتظنى » على التحويل . وتقضض الطائر : هوى فى طيرانه يريد الوقوع . والبازى : ضرب من الصقور ، شديد . وكسر الطائر جناحيه : ضم منهما شيئاً – أى قليلا – وهو يريد السقوط .

(٣) هذا قول لم أجده فى كتب اللغة فى مادته .

* * *

* ذكر من قال : هو الجبلُ كائناً ما كان :

١١١٦ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : أمر موسى قومَه أن يدُخلوا الباب سُجَّدًا ويقولوا : « حِطَّة » ، وطُوطِئ لهم البابُ ليسجدوا ، فلم يسجدوا ودخلوا على أدبارهم ، وقالوا : حِنْطة . فَنتق فوقَهم الجبل – يقول : أخرَج أصْلَ الجبل من الأرض فرَفعه فوقهم كالظُّلة = و «الطور» ، بالسريانية ، الجبل = تخويفاً ، أو خوفاً ، شكَّ أبو عاصم ، فدَخلوا سجداً على خوف ، وأعينهم إلى الجبل . هو الجبل الذى تجلَّى لهم ربّه .(١)

١١١٧ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : رفع الجبل فَوْقهم كالسحابة ، فقيل لهم : لتؤمنُنَّ أو ليقعَنَّ عليكم . فآمنوا . والجبل بالسريانية « الطور » .

١١١٨ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وإذْ أخذْنا ميثاقكم ورَفعنا فوقكمُ الطور » قال : الطور الجبلُ ؛ كانوا بأصله ، فرُفع عليهم فوقَ رؤسهم ، فقال : لتأخُذُنَّ أمْرى ، أوْ لأرمينَّكم به . ٢٥٨/١

١١١٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « ورَفعنا فوْقكم الطور » ، قال : الطورُ الجبل . اقتلعه الله فرَفعه فوقهم ، فقال : « خُذُوا ما آتيناكم بقوة » فأقرّوا بذلك .

١١٢٠ – حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : « ورفعنا فوقكم الطور » قال : رفع فوقهم الجبل ، يُخوِّفهم به .

---

(١) الأثر رقم : ١١١٦ – مضى صدر منه برقم : ١٠٢٧ .

١١٢١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن النضر ، عن عكرمة قال : الطُّور الجبلُ .

١١٢٢ – وحدثنا موسى قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى: لما قال الله لهم: ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة . فأبوا أن يسجدوا، أمر الله الجبل أن يقع عليهم، فنظروا إليه وقد غشيهم ، فسقطوا سجداً على شق، ونظروا بالشق الآخر، فرحمهم الله فكشفه عنهم فذلك قوله : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ﴾ [سورة الأعراف : ١٧١] ، وقوله: « وَرفعنا فوقكم الطُّورَ » .

١١٢٣ – وحدثني يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : الجبل بالسُّريانية الطُّور .

* * *

وقال آخرون : « الطور » اسم للجبل الذى نَاجَى الله موسى عليه . ذكر من قال ذلك :

١١٢٤ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال: قال ابن عباس : الطُّور ، الجبل الذى أنزِلت عليه التوراة – يعنى على موسى – ، وكانت بنو إسرائيل أسفلَ منه . قال ابن جريج : وقال لى عطاء : رُفع الجبل على بنى إسرائيل، فقال : لتؤمنُن به أو ليقعَنَّ عليكم . فذلك قوله : « كأنه ظُلَّة » .

* * *

وقال آخرون : الطُّور ، من الجبال ، ما أنبت خَاصَّةً . ذكر من قال ذلك :

١١٢٥ – حدثت عن المنجاب قال، حدثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق ، عن الضحاك، عن ابن عباس فى قوله: « الطور » قال: الطور من الجبال ما أنْبتَ ، وما لم يُنبت فليس بطُورٍ .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ذكره ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل العربية فى تأويل ذلك . فقال بعض نحويى أهل البصرة : هو مما استغنى بدلالة الظاهر المذكور عما تُرك ذكره له . وذلك أن معنى الكلام : ورفعنا فوقكم الطور ، وقلنا لكم : خذوا ما آتيناكم بقوة، وإلاّ قذفناهُ عليكم .

وقال بعض نحويى أهل الكوفة : أخذُ الميثاق قولٌ ، فلا حاجة بالكلام إلى إضمار قولٍ فيه ، فيكون من كلامين ، غير أنه ينبغى لكلّ ما خالف القولَ من الكلام — الذى هو بمعنى القول — أن يكون معه « أنْ » ، كما قال الله جل ثناؤه ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ﴾ [سورة نوح: ١] قال : ويجوز أن تحذف « أن » .

والصوابُ فى ذلك عندنا : أن كل كلام نُطِق به — مفهومٍ به معنى ما أريد — ففيه الكفاية من غيره .

ويعنى بقوله : « خُذوا ما آتيناكم » ، ما أمرناكم به فى التوراة .

* * *

وأصلُ « الإيتاء » ، الإعطاء .(١)

* * *

ويعنى بقوله : « بقُوّة » ، بجدٍّ فى تأدية ما أمركم فيه وافترض عليكم ، كما :—

١١٢٦ — حدثت عن إبراهيم بن بشار قال : ، حدثنا ابن عيينة ، قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « خذوا ما آتيناكم بقوة » . قال : تعملوا بما فيه .

١١٢٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

١١٢٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن

(١) انظر ما سلف ١ : ٥٧٤

الربيع ، عن أبي العالية : « خُذُوا ما آتيناكم بقوة » ، قال : بطاعة .

١١٢٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « خُذوا ما آتيناكم بقوة » . قال : « القوة » الجدّ ، وإلا قَذفتُه عليكم . قال : فأقرّوا بذلك : أنهم يأخذون ما أوتوا بقوة . ٢٥٩/١

١١٣٠ – حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « بقوة » ، يعنى : بجدّ واجتهاد .

١١٣١ – حدثني يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد – وسألته عن قول الله « خُذُوا مَا آتيناكم بقوة » – قال : خُذوا الكتاب الذى جاء به موسى بصدق وبحق .

* * *

فتأويل الآية إذاً : خُذُوا ما افترضناه عليكم فى كتابنا من الفرائض ، فاقبلوه ، واعملوا باجتهادٍ منكم فى أدائه ، من غير تقصير ولا توانٍ . وذلك هو معنى أخذهم إياه بقُوَّةٍ ، بجدٍّ .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٦٣)

قال أبو جعفر : يعنى : واذكروا مَا فيما آتيناكم من كتابنا من وعد ووعيد شديد ، وترغيب وترهيب ، فاتلوه ، واعتبروا به ، وتدبّروه إذا فعلتم ذلك ، كى تتقوا وتخافوا عقابى ،[1] بإصراركم على ضلالكم ، فتنتهوا إلى طاعتى ، وتنزعوا عما أنتمُ عليه من معصيتى . كما : –

١١٣٢ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثنى ابن إسحق ، عن

(١) انظر ما مضى فى بيان « لعل » بمعنى « كى » ١ : ٣٦٤ – ٣٦٥ ، وهذا الجزء ٢ : ٦٨ .

داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « لعلكم تتقون » ، قال : تنزعون عما أنتم عليه .

* * *

والذى آتاهم الله ، هو التوراة . كما : —

١١٣٣ — حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : « واذكروا ما فيه » ، يقول : اذكروا ما فى التوراة .

١١٣٤ — كما حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « واذكروا ما فيه » يقول : أمروا بما فى التوراة .

١١٣٥ — وحدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، سألت ابن زيد عن قول الله : « واذكروا ما فيه » ، قال : اعملوا بما فيه بطاعة لله وصدق .[1] قال : وقال : اذكروا ما فيه ، لا تنسوه ولا تغفلوه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « ثم توليتم » : ثم أعرضتم . وإنما هو « تفعلتم » من قولهم : « ولاّنى فلان دُبره » إذا استدبر عنه وخلّفه خلف ظهره . ثم يستعمل ذلك فى كل تارك طاعة أمر بها ، ومُعرض بوجهه .[2] يقال : « قد تولّى فلانٌ عن طاعة فلان ، وتولّى عن مواصلته » ، ومنه قول الله جل ثناؤه ﴿ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [سورة التوبة : ٧٦] ، يعنى بذلك : خالفوا ما كانوا وعدوا الله من قولهم : ﴿ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ

---

(١) فى المطبوعة : « بطاعة الله وصدق » خطأ .

(٢) فى المطبوعة : « طاعة أمر . أعز وجل » ، بزيادة الثناء على ربنا سبحانه ، وعلى أن « أمر » مبنى للمعلوم . وهذا مخالف للسياق ، وسهو من النساخ .

﴿ لَنَكُونَنَّ من الصَّالِحِين ﴾ [سورة التوبة : ٧٥] ، ونبذوا ذلك وراء ظُهورهم.

• • •

ومن شأن العرب استعارةُ الكلمة ووضعها مكان نظيرها ، كما قال أبو خِراش الهذلى : (١)

فَلَيْسَ كَعَهْدِ الدَّارِ يَا أُمَّ مَالِكٍ ... وَلَكِنْ أَحَاطَتْ بِالرِّقَابِ السَّلَاسِلُ (٢)

وَعَادَ الفَتَى كَالكَهْلِ، لَيْسَ بِقَائِلٍ ... سِوَى الحَقِّ شَيْئًا، واستَرَاحَ العَوَاذِلُ (٣)

يعنى بقوله : « أحاطتْ بالرِّقاب السلاسل » ، أن الإسلام صارَ — فى مَنعه إيّانا ما كنا نأتيه فى الجاهلية ، مما حرَّمه الله علينا فى الإسلام — بمنزلة السلاسل المحيطة برقابنا ، التى تحول بين مَنْ كانت فى رَقبته ، مع الغُلّ الذى فى يده ، وبين ما حاول أن يتناوله .

ونظائر ذلك فى كلام العرب أكثر من أن تُحصى . فكذلك قوله : « ثم توليتم

---

(١) كان فى المطبوعة : « قال أبو ذؤيب الهذلى » ، وهو خطأ فاضح ، لا يقع فى مثله مثل أبى جعفر .

(٢) ديوان الهذليين ٢ : ١٥٠ ، وسيرة ابن هشام ٤ : ١١٨ ، والأغانى ٢١ : ٤١ ، والكامل ١ : ٢٦٧ . وهى أبيات جياد فى رثاء صديق . وذلك أن زهير بن الجعوة الهذلى من بنى عمرو بن الحارث — وكان ابن عم أبى خراش ، وله صديقاً — خرج يطلب الغنائم يوم حنين فأسر ، وكتف فى أناس أخذهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرآه جميل بن معمر الجمحى — وكانت بينهما إحنة فى الجاهلية — فقال له : أنت الماشى لنا بالمغايظ ؟ فضرب عنقه ، فقال أبو خراش يرثيه . وقال لجميل بن معمر :

وَإِنَّكَ لَوْ وَاجَهْتَهُ إِذْ لَقِيتَهُ ... فَنَازَلْتَهُ ، أَوْ كُنْتَ مِمَّنْ يُنَازِلُ

لَظَلَّ جَمِيلٌ أَسْوَأَ القَوْمِ تِلَّةً ... وَلَكِنَّ قِرْنَ الظَّهْرِ لِلْمَرْءِ شَاغِلُ

فليس كعهد . . . . . .

وفى المطبوعة : « فليس لعهد الدار » خطأ . ويعنى بقوله : « الدار » : مكة وما حولها وما جاورها. يقول : ليس الأمر كما عهدت بها وعهدنا ، لجاء الإسلام فهدم ذلك كله .

(٣) يقول : فارق الفتى أخلاق فتوته وعرامه ، وصار كالكهل فى أناته وتثبته ، فإن الدين قد وقذ الفتيان ذوى البأس وسكنهم من مخافة عقاب ربهم فى القتل من غير قتال ومعركة . فاستراحت العواذل لأنهن أصبحن لا يجدن ما يعذلن فيه أزواجهن من التعرض للهلاك .

من بعد ذلك »، يعنى بذلك: أنكم تركتم العمل بما أخذنا ميثاقكم وعهودكم على العمل به بجدّ واجتهاد ، بعد إعطائكم ربكم المواثيقَ على العمل به، والقيام بما أمركم به فى كتابكم ، فنبذتموه وراء ظهوركم .

وكنَى بقوله جل ذكره: « ذلك »، عن جميع ما قبله فى الآية المتقدمة ، أعنى قوله : « وإذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطورَ » .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ فَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ﴾

٢٦٠/١ قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ذكره: « فلولا فضلُ الله عليكم » ، فلولا أن الله تفضّل عليكم بالتوبة = بعد نكثكم الميثاقَ الذى واثقتُموه — إذ رفع فوقكم الطور — بأنكم تجتهدون فى طاعته ، وأداء فرائضه ، والقيام بما أمركم به ، والانتهاء عما نهاكم عنه فى الكتاب الذى آتاكم ، فأنعم عليكم بالإسلام ورحمته التى رحمكم بها — وتجاوز عنكم خطيئتكم التى ركبتموها — بمراجعتكم طاعة ربكم = لكنتم من الخاسرين .

وهذا ، وإنْ كان خطاباً لمن كان بين ظهرانىْ مُهاجَر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب أيامَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنما هو خبر عن أسلافهم — فأخرجَ الخبرُ مخرجَ المخبَر عنهم — على نحو ما قد بينا فيما مضى ، من أنّ القبيلة من العرب تخاطب القبيلة عند الفخار أو غيره ، بما مضى من فِعل أسلاف المخاطِب بأسلاف المخاطَب ، فتضيف فعل أسلاف المخاطِب إلى نفسها فتقول : فعلنا بكم وفعلنا بكم. وقد ذكرنا بعضَ الشواهد فى ذلك من شعرهم فيما مضى .(١)

* * *

(١) انظر ما مضى فى هذا الجزء ٢ : ٣٨ — ٣٩

وقد زعم بعضهم أن الخطاب فى هذه الآيات ، إنما أخرج بإضافة الفعل إلى المخاطَبين به ، والفعلُ لغيرهم ، لأن المخاطَبين بذلك كانوا يتولَّوْن من كان فعل ذلك من أوائل بنى إسرائيل، فصيَّرهم الله منهم من أجل ولايتهم لهم .

* * *

وقال بعضهم : إنما قيل ذلك كذلك ، لأن سامعيه كانوا عالمين — وإن كان الخطابُ خرَج خطاباً للأحياء من بنى إسرائيل وأهل الكتاب —[1] أنّ المعنى فى ذلك إنّما هو خبرٌ عما قصّ الله من أنباء أسلافهم . فاستغنى بعلم السامعين بذلك ، عن ذكر أسلافهم بأعيانهم . ومثّل ذلك يقول الشاعر :[2]

إِذَ مَا انْتَسَبْنَا لَمْ تَلِدْنِى لَئِيمَةٌ ، وَلَمْ تَجِدِى مِنْ أَنْ تُقِرِّى بِهِ بُدًّا[3]

فقال : « إذا ما انتسبنا »، و « إذا » تقتضى من الفعل مُستقبلاً ، ثم قال : « لمْ تلدنى لئيمة »، فأخبر عن ماض من الفعل . وذلك أن الولادة قد مضَت وتقدّمت . وإنما فعل ذلك — عند المحتج به — لأن السامع قد فهم معناه . فجعل ما ذكرنا — منْ خطاب الله أهلَ الكتاب الذين كانوا بين ظهرانَىْ مُهاجَر رسول الله صلى الله عليه وسلم أيامَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بإضافة أفعال أسلافهم إليهم — نظيرَ ذلك .

والأول الذى قُلنا ، هو المستفيض من كلام العرب وخطابها .

---

(١) فى المطبوعة : « إذ المعنى فى ذلك ... »، وهو كلام لا يستقيم . وسياق الجملة يقتضى أن توضع « أن » مكان « إذ » أى : « لأن سامعيه كانوا عالمين . . . أن المعنى فى ذلك . . . » ، وما بينهما فصل واعتراض .

(٢) فى حاشية الأمير على مغنى اللبيب ١ : ٢٥ ، قال : « فى حاشية السيوطى : قائله زائدة ابن صعصعة الفقعسى، يعرض بزوجته ، وكانت أمها سرية » ، ولم ينسبه السيوطى فى شرحه على شواهد المغنى : ٣٣ .

(٣) سيأتى فى هذا الجزء ١ : ٣٣٣ (بولاق)، وفى ٣ : ٤٩ (بولاق)، ومعانى الفراء: ٦١، ١٧٨. وقبل البيت يقول لامرأته :

رَمَتْنِى عَنْ قَوْسِ العَدُوِّ ، وَبَاعَدَتْ عُبَيْدَةُ ، زَادَ اللهُ مَا بَيْنَنَا بُعْدَا

* * *

وكان أبو العالية يقول فى قوله : « فلولا فضلُ الله عليكم ورحمته » – فيما ذُكر لنا – نحو القول الذى قلناه :

١١٣٦ – حدثنى المثنى بن إبراهيم قال، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو النضر ، عن الربيع ، عن أبى العالية : « فلولا فَضْلُ الله عليكم ورحمتُه » ، قال : «فضل الله» ، الإسلام ، « ورحْمته » ، القرآن .

١١٣٧ – وحدثت عن عمار ، قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، [عن أبيه] ، عن الربيع بمثله .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَٰسِرِينَ ﴾ (٦٤)

قال أبو جعفر : فلولا فضل الله عليكم ورحمته إياكم – بإنقاذه إياكم بالتَّوبة عليكم من خطيئتكم وجُرْمكم – لكنتم الباخسين أنفسكم حُظوَظها دائماً ، الهالكين بما اجترمتم من نَقض ميثاقكم ، وخلافكم أمرَه وطاعته .

وقد تقدم بياننا قَبلُ بالشواهد ، عن معنى « الخسار » ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .(٢)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « وَلقدْ علمتم » ، ولقد عَرَفتم .(٣) كقولك :

---

(١) ما بين القوسين زيادة لابد منها ، وانظر آخر إسناد عن عمار بن الحسن رقم : ١١٣٤ .

(٢) انظر ما مضى ١ : ٤١٧ .

(٣) سيأتى دليل هذا من تفسير ابن عباس فى رقم : ١١٣٨

« قد عَلمتُ أخاك، ولم أكن أعلمه »، يعنى عرفته، ولم أكن أعرفه، كما قال جل ثناؤه : ﴿وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [سورة الأنفال: ٦٠]، يعنى : لا تعرفونهم الله يعرفهم .

* * *

وقوله : « الذينَ اعتدَوا منكم فى السبت » ، أى الذين تجاوزوا حدّى ، وركبوا ما نهيتهم عنه فى يوم السبت ، وعَصَوا أمْرى .

وقد دللت — فيما مضى — على أنّ « الاعتداء » ، أصله تجاوز الحدّ فى كل شىء . بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[1] ٢٦١/١

* * *

قال أبو جعفر : وهذه الآية وآيات بَعدها تتلوها ، مما عدّد جل ثناؤه فيها على بَنى إسرائيل — الذين كانوا بين خِلال دور الأنصار زمانَ النبى صلى الله عليه وسلم، الذين ابتدأ بذكرهم فى أول هذه السورة من نكث أسلافهم عهد الله وميثاقه — [2]ما كانوا يُبرمون من العقود ، وحَذّر المخاطَبين بها أن يحل بهم — بإصرارهم على كفرهم ، ومُقامهم على جحود نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم ، وتركهم اتباعَه والتصديقَ بما جاءهم به من عند ربّه — مثلُ الذى حَلّ بأوائلهم من المسخ والرَّجْف والصعق، وما لا قِبَلَ لهم به من غَضَب الله وسَخَطه. كالذى :—

١١٣٨ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثمان بن سعيد قال ، حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « ولَقد عَلمتم الذينَ اعْتدَوْا منكم فى السبت » يقول : ولقد عَرفتم . وهذا تحذير لهم من المعصية . يقول : احذرُوا أنْ يصيبكم ما أصابَ أصحابَ السبت ، إذ عصونى ، اعتدوا — يقول : اجترأوا — فى السبت. قال: لم يبعث الله نبيًّا إلا أمرَه بالجمُعة ،

---

(١) انظر ما مضى من هذا الجزء : ٢ : ١٤٢

(٢) سياق عبارته : مما عدد الله على بنى إسرائيل . . . ما كانوا يبرمون من العقود » ، وما بينهما فصل بصفة « بنى إسرائيل » .

وأخبرَه بفضلها وعِظَمها فى السموات وعند الملائكة ، وأنّ الساعة تقوم فيها . فمن اتبعَ الأنبياء فيما مَضى ، كما اتبعتْ أمةُ محمد صلى الله عليه وسلم محمداً ، قَبِلَ الجمعةَ وسَمع وأطاع ، وعرَف فضلها وثبت عليها ، كما أمر الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم . (١) ومن لم يفعل ذلك ، كان بمنزلة الذين ذكر الله فى كتابه فقال : « ولقد علمتمُ الذينَ اعتدَوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردةً خاسئين » . وذلك أن اليهود قالت لموسى — حين أمرهم بالجمعة ، وأخبرهم بفضلها — : ياموسى ، كيف تأمرنا بالجمعة وتفضلها على الأيام كلها ، والسبت أفضلُ الأيام كلها ، لأن الله خلق السموات والأرض والأقوات فى ستة أيام ، وسَبتَ له كلّ شىء مطيعاً يوم السبت ، (٢) وكان آخر الستة ؟ قال : وكذلك قالت النصارى لعيسى ابن مريم — حين أمرهم بالجمعة — قالوا له : كيف تأمرُنا بالجمعة وأول الأيام أفضلها وسيّدها ، والأوّل أفضل ، والله واحد ، والواحد الأول أفضَلُ ؟ فأوحى الله إلى عيسى : أنْ دعهم والأحدَ ، ولكنْ ليفعلوا فيه كذا وكذا . — مما أمرهم به . فلم يَفعلوا ، فقصّ الله تعالى قَصَصهم فى الكتاب بمعصيتهم . قال : وكذلك قال الله لموسى — حين قالت له اليهود ما قالوا فى أمر السبت — : أنْ دعهم والسبتَ ، فلا يصيدُوا فيه سمكاً ولا غيره ، ولا يعملون شيئاً كما قالوا . قال : فكان إذا كان السبت ظهرت الحيتانُ على الماء ، فهو قوله : ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً﴾ [سورة الأعراف : ١٦٣] ، يقول : ظاهرةً على الماء ، ذلك لمعصيتهم موسى — وإذا كان غير يوم السبت ، صارت صيداً كسائر الأيام فهو قوله : ﴿وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِم﴾ [سورة الأعراف : ١٦٣] . ففعلت الحيتان ذلك ما شاء الله . فلما رأوها كذلك ، طمعوا فى أخذها وخافوا العقوبة ، فتناوَل بعضهم

---

(١) فى المطبوعة : « بما أمره الله تعالى به ونبيه صلى الله عليه وسلم » ، وهى جملة غير صحيحة ، صححتها كما ترى .

(٢) سبت : سكن ، وقولهم : « سبت له » ، يريدون : خشع له وانقطع عن كل عمل إلا عبادته سبحانه وانظر ما سيأتى ص : ١٧٤

منها فلم تمتنع عليه ، وحذر العقوبة التي حذرهم موسى من الله تعالى . فلما رأوا أن العقوبة لا تحل بهم ، عادوا ، وأخبر بعضهم بعضاً بأنهم قد أخذوا السمك ولم يصبهم شيء ، فكثروا في ذلك ، وظنوا أن ما قال لهم موسى كان باطلاً . وهو قول الله جل ثناؤه : « ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين » — يقول : لهؤلاء الذين صادوا السمك — فمسخهم الله قردة بمعصيتهم . يقول : إذاً لم يحيوا في الأرض إلا ثلاثة أيام . [قال : ولم يعش مسخ قط فوق ثلاثة أيام] ،(١) ولم يأكل ولم يشرب ولم ينسل . وقد خلق الله القردة والخنازير وسائر الخلق في الستة الأيام التي ذكر الله في كتابه . فمسخ هؤلاء القوم في صورة القردة ، وكذلك يفعل بمن شاء ، كما يشاء ، ويحوله كما يشاء . ٢٦٢/١

١١٣٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة بن الفضل قال ، حدثنا محمد ابن إسحق ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، مولى ابن عباس قال : قال ابن عباس : إن الله إنما افترض على بني إسرائيل اليوم الذي افترض عليكم في عيدكم — يوم الجمعة — . فخالفوا إلى السبت فعظموه ، وتركوا ما أمروا به . فلما أبوا إلا لزوم السبت ، ابتلاهم الله فيه ، فحرم عليهم ما أحل لهم في غيره . وكانوا في قرية بين أيلة والطور يقال لها : « مدين » . فحرم الله عليهم في السبت الحيتان : صيدها وأكلها . وكانوا إذا كان يوم السبت أقبلت إليهم شرعاً إلى ساحل بحرهم ، حتى إذا ذهب السبت ذهبن ، فلم يروا حوتاً صغيراً ولا كبيراً . حتى إذا كان يوم السبت أتين إليهم شرعاً ، حتى إذا ذهب السبت ذهبن . فكانوا كذلك ، حتى إذا طال عليهم الأمد وقرموا إلى الحيتان ،(٢) عمد رجل منهم فأخذ حوتاً سراً يوم السبت ، فخزمه بخيط ، ثم أرسله في الماء ، وأوتد له وتداً في الساحل فأوثقه ، ثم تركه . حتى إذا كان الغد ، جاء فأخذه — أي : إني لم آخذه في

(١) هذه الزيادة من تفسير ابن كثير ١ : ١٩٣ ، والدر المنثور ١ : ٧٥ ، وهي زيادة لابد منها . وفي المطبوعة بعدها ؛ « ولم تأكل ولم تشرب ، ولم تنسل » خطأ .

(٢) القرم : شدة الشهوة إلى اللحم ، قرم يقرم (بفتح الراء) قرماً (بفتحتين) .

يوم السبت – ثم انطلق به فأكله . حتى إذا كان يوم السبت الآخر ، عاد لمثل ذلك ، ووَجد الناسُ ريح الحيتان، فقال أهل القرية : والله لقد وجدنا ريحَ الحيتان! ثم عَثروا على صنيع ذلك الرجل . (١) قال : ففعلوا كما فعل ، وأكلوا سرًّا زماناً طويلاً ، لم يعجل الله عليهم بعقوبة، حتى صادُوها علانيةً وباعوُها بالأسواق . وقالت طائفة منهم من أهل البَقية : (٢) ويحكم! اتقوا الله ! وَنهوْهم عما كانوا يصنعون . وقالت طائفةٌ أخرى لم تأكلْ الحيتان ، ولم تنْهَ القوم عما صَنعوا : ﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ ﴾ لسخطنا أعمالهم – ﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٦٤] ،

قال ابن عباس: فبينما هم على ذلك، أصبحت تلك البقية فى أنديتهم ومساجدهم، وَفقدوا الناس فلا يَرَونهم. فقال بعضهم لبعض: إنّ للناس لشأناً! فانظروا ما هو! فذهبوا ينظرون فى دورهم ، فوجدوها مغلقة عليهم ، قد دخلوا ليلاً فغلَّقوها على أنفسهم ، كما يُغلَّق الناس على أنفسهم ، فأصبحوا فيها قرَدة ، وإنهم ليعرفون الرجل بعينه وإنه لقرد، والمرأة بعينها وإنها لقردة، والصبيّ بعينه وأنه لقردٌ . قال: يقول ابن عباس : فلولا ماذكر الله أنه أنجى الذين نَهوْا عن السوء ، لقلنا أهلك الجميعَ منهم . قالوا : وهى القرية التى قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَاسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ﴾ الآية [سورة الأعراف : ١٦٣] .

١١٤٠ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال: حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وَلقدْ علمتم الذين اعتدَوا منكم فى السبت فقلنا لهمْ كونوا قِرَدة

---

(١) عثر على الأمر : اطلع عليه وكان خافياً . وفى المطبوعة: «على ما صنع» ، وأثبت نص ابن كثير فى التفسير ١ : ١٩٤ .

(٢) فى المطبوعة : « من أهل التقية » ، وهو خطأ محض . أهل البقية : هم أهل التمييز والفهم ، يبقون على أنفسهم بطاعة الله ، و بتمسكهم بالدين المرضى . وفلان بقية : فيه فضل وخير فيما يمدح به . وسيأتى بعد على الصواب . وقال الله تعالى : ﴿ فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ ﴾ [سورة هود : ١١٦].

خاسئين » : أحلّت لهم الحيتان ، وحُرّمت عليهم يوم السبت بلاءً من الله، ليعلمَ من يُطيعه ممن يَعْصِيه . فصارَ القوم ثلاثة أصناف : فأما صنف فأمْسك ونَهى عن المعصية، وأمّا صنف فأمسك عن حُرْمة الله ، وأما صنف فانتهك حُرْمة الله ومرَد على المعصية. فلما أبَوا إلاّ الاعتداء إلى ما نهوا عنه، قال الله لهم : « كونوا قرَدة خاسئين »، فصاروا قرَدة لها أذنابٌ ، تعاوَى ، بعد ما كانوا رجالاً ونساءً .

١١٤١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « ولَقدْ علمتمُ الذين اعتدَوا منكم فى السبت »، قال : نهوا عن صَيد الحيتان يوم السبت ، فكانت تشرَع إليهم يوم السبت، وبُلوا بذلك، فاعتدوا فاصطادُوها، فجعلهم الله قردة خاسئين .

١١٤٢ – حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولقدْ علمتم الذين اعتدَوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قرَدةً خاسئين» قال : فهم أهل . « أيلة » ، وهى القرية التى كانت حاضرةَ البحر ، فكانت الحيتان إذا كان يوم السبت – وقدْ حرَّم الله على اليهود أن يعملوا فى السبت شيئاً – ٢٦٣/١
لم يبقَ فى البحر حُوت إلاّ خرج ، حتى يخرْجن خراطيمَهنّ من الماء . فإذا كان يوم الأحد لزِمْنَ سُفلَ البحر ، فلم يُرَ منهن شىء حتى يكون يوم السبت . فذلك قوله : ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ﴾ [سورة الأعراف : ١٦٣]، فاشتهى بعضهم السمك، فجعل الرجل يحفِر الحفيرة ويجعلُ لها نهراً إلى البحر . فإذا كان يومُ السبت فتح النهر ، فأقبل الموجُ بالحيتان يضرُبها حتى يلقيها فى الحفيرة . ويُريد الحوت أن يخرج ، فلا يطيق من أجل قلّة ماء النهر ، فيمكث [فيها] .(١) فإذا كان يوم الأحد جاء فأخذه . فجعل الرجل يَشوى

(١) الزيادة من تفسير ابن كثير ١ : ١٩٥ .

السَّمك ، فيجد جارُه ريحَه ، فيسأله فيخبره ، فيصنع مثل ما صَنَعَ جارُه . حتى إذا فَشا فيهم أكل السمك ، قال لهم علماؤهم : ويحكم ! إنما تصطادون السمك يوم السبت وهو لا يحل لكم ! فقالوا : إنما صدْناه يوم الأحد حين أخذْناه ! فقال الفقهاء : لا ، ولكنكم صِدْتموه يوم فتحتم له الماء فدَخل . فقالوا : لا ! وَعتوْا أن يَنتهوا . فقال بعض الذين نهوهم لبعض : ﴿ لِمَ تَعِظُون قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً ﴾ [سورة الأعراف : ١٦٤] ، يقول : لم تعظُونهم ، وقد وعظتموهم فلم يطيعوكم ؟ فقال بعضهم : ﴿ مَعْذِرةً إلى رَبِّكم وَلَعَلَّهُم يَتَّقُون ﴾ [سورة الأعراف : ١٦٤] . فلما أبوا قال المسلمون : والله لا نُساكنكم فى قرية واحدة . فقسموا القريةَ بجدار ، ففتح المسلمون باباً والمعتدون فى السبت باباً ، ولعنهم داود . فجعل المسلمون يخرجون من بابهم والكفار من بابهم . فخرج المسلمون ذات يوم ، ولم يفتح الكفار بابهم . فلما أبطأوا عليهم ، تسوَّر المسلمون عليهم الحائط ، فإذا هم قِرَدةٌ يَثب بعضهم على بعض ، ففتحوا عنهم ، فذهبوا فى الأرض . فذلك قول الله عز وجل : ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِين ﴾ [سورة الأعراف : ١٦٦] ، فذلك حين يقول : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ [سورة المائدة : ٧٨] ، فهم القردة .

١١٤٣ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « الذين اعْتدَوا منكمْ فى السبت فقلنا كونوا قِرَدة خاسئين » . قال : لمْ يُمسخوا ، إنما هو مثل ضرَبه الله لهم ، مثل ما ضَرَب مَثل الحمار يَحملُ أسفاراً .(١)

١١٤٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن

---

(١) سورة الجمعة : ٥ .

ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ولقدْ علمتم الذين اعتدَوا منكم فى السبْت فقلنا لهم كونوا قرَدةً خاسئين » . قال : مُسخت قُلوبهم، ولم يُمسخوا قرَدة . وإنما هُو مَثل ضرَبه الله لهم ، كمثل الحمار يحمل أسفاراً .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا القول الذى قاله مجاهد ، قولٌ لظاهرِ ما دلّ عليه كتابُ الله مُخالفٌ .(١) وذلك أن الله أخبر فى كتابه أنه جعل منهم القرَدَة والخنازير وعَبَدَ الطاغوتِ ،(٢) كما أخبر عنهم أنهم قالوا لنبيهم : ﴿ أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً ﴾ [سورة النساء : ١٥٣] ، وأن الله تعالى ذكره أصعقهم عند مسألتهم ذلك ربَّهم، وأنهم عبدوا العجل فجعل توبتهم قتل أنفسهم ، وأنهم أمِروا بدُخول الأرض المقدسة فقالوا لنبيهم : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هٰهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ [سورة المائدة : ٢٤] فابتلاهم بالتيه . فسواءٌ قائلٌ قال :(٣) هم لم يمسخهم قرَدة، وقد أخبر جل ذكره أنه جعل منهم قردة وخنازير — وآخرُ قال : لم يكن شيء مما أخبر الله عن بنى إسرائيل أنه كان منهم — من الخلاف على أنبيائهم ، والنكال والعقوبات التى أحلها الله بهم .(٤) ومن أنكر شيئاً من ذلك وأقرّ بآخر منه ، سُئل البرهان على قوله، وعورض — فيما أنكر من ذلك — بما أقرّ به . ثم يُسأل الفرقَ من خبرٍ مستفيض أو أثر صحيح . ١/٢٦٤

هذا مع خلاف قولِ مجاهد قولَ جميع الحُجة التى لا يجوز عليها الخطأ والكذب فيما نقلته مجمعةً عليه. وكفى دليلاً على فسادِ قولٍ ، إجماعُها على تخطئته .

* * *

---

(١) انظر معنى « ظاهر » فيما سلف ٢ : ١٥ والمراجع .

(٢) سورة المائدة : ٦٠ .

(٣) فى المطبوعة : « فسواء قال قائل » ، وسياق العبارة يقتضى التقديم . لقوله « وآخر قال » .

(٤) فى المطبوعة : « والعقوبات والأنكال » ، وليس صواباً . والنكال : العذاب الشديد يكون عبرة للناس حتى ينكلوا عن شيء ويخافوه . وأما « الأنكال » فجمع نكل : وهو القيد .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ (٦٥)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : «فقلنا لهم» أى : فقلنا للذين اعتدَوْا فى السبت — يعنى فى يوم السبت

• • •

وأصل «السبت»، الهدوّ والسكون فى راحة ودَعة، ولذلك قيل للنائم «مَسْبُوت» لهدوّه وسكون جسده واستراحته، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾ [سورة النبأ : ٩] أى راحة لأجسادكم . وهو مصدر من قول القائل : «سبت فلان يَسْبُتُ سَبْتاً» .

وقد قيل : إنّه سمى «سبْتاً»، لأن الله جل ثناؤه فَرَغ يوم الجمعة — وهو اليوم الذى قبله — من خلق جميع خلقه .

• • •

وقوله : «كونُوا قِرَدَةً خاسئين»، أى : صيرُوا كذلك .

• • •

و «الخاسىء» المبعَد المطرُود، كما يخسأ الكلب يقال منه : «خَسأتُه أخسؤُه خَسأً وخُسوءاً، وهو يَخسأ خُسوءاً» . قال : ويقال : «خَسأته فخسأ وانخسأ» . ومنه قول الراجز :

• كَالْكَلْبِ إِنْ قُلْتَ لَهُ اخْسَأْ انْخَسَأْ(١) •

يعنى : إن طردته انطردَ ذليلاً صاغراً .

• • •

فكذلك معنى قوله : «كونُوا قِرَدة خاسئين» أى، مُبعدين من الخير أذلاّء صُغَراء، (٢) كما : —

١١٤٥ — حدثنا محمد بن بشار، (٣) قال، حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال،

---

(١) لسان العرب : (خسأ)، وروايته : «إن قيل له» .

(٢) صاغر، جمعه صغرة (بفتحات) . وهذا ما نصوا عليه، ولم أجد «صغراء» على وزن جهلاء، وهو جمع فى بعض الصفات التى على وزن «فاعل»، مثل شاعر وشعراء، وعالم وعلماء . فهم يشبهون «فاعلا» بـ «فعيل» نحو كريم وكرماء، فيجمعونه كجمعه .

(٣) فى المطبوعة «حدثنا بشار» وهو خطأ لاشك فيه، وأقرب إسناد مثله مر بنا هو رقم : ١٠٦٢

حدثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله : « كونوا قرَدةً خاسئين » قال : صاغرين .

١١٤٦ — حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد ، قال : حدثنا سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد مثله .

١١٤٧ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

١١٤٨ — حدثني الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر، عن قتادة : « خاسئين » ، قال : صاغرين .

١١٤٩ — حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله: « كونوا قرَدة خاسئين » ، أي أذِلَّة صَاغرين .

١١٥٠ — وحُدثت عن المنجاب قال ،حدثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : خاسئاً، يعني ذليلاً .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فَجَعَلْنَـٰهَا ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل « الهاء والألف » في قوله : «فجعلناها» ، وعلامَ هي عائدة ؟ فروى عن ابن عباس فيها قولاَن : أحدهما ما :—

١١٥١ — حدثنا به أبو كريب قال، حدثنا عثمان بن سعيد قال، حدثنا بشر بن عمارة قال، حدثنا أبو روق، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « فجعلناها» فجعلنا تلك العُقوبة — وهي المَسخة — « نكالاً » .

فالهاءُ والألف من قوله : « فجعلناها » — على قول ابن عباس هذا — كناية

عن « المَسْخة »، وهى « فَعلة » من مَسخهم الله مَسخةً[1] .

فمعنى الكلام على هذا التأويل : فقلنا لهمُ : كونوا قردة خاسئين ، فصاروا قرَدة ممسوخين ، « فجعلناها »، فجعلنا عقوبتنا ومسخنا إياهم، « نكالاً لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين » .

* * *

والقول الآخر من قولى ابن عباس ، ما : —

١١٥١ — حدثنى به محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « فجعلناها »، يعنى الحيتان .

« والهاء والألف » — على هذا القول — من ذكر الحيتان ، ولم يجر لها ذكرٌ. ولكن لما كان فى الخبر دلالة ، كنَى عن ذكرها . والدلالة على ذلك قوله : « ولقد علمتم الذين اعتدوا منكمْ فى السبت » .

* * *

وقال آخرون : فجعلنا القرية التى اعتدى أهلها فى السبت. فـ « الهاء والألف» — فى قول هؤلاء — كنايةٌ عن قرْية القوم الذين مُسخوا .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك فجعلنا القِرَدة الذين مُسخوا « نكالاً لما بين يديها وما خلفها » ، فجعلوا « الهاء والألف » كناية عن القردة . ١/٢٦٥

* * *

وقال آخرون : « فجعلناها »، يعنى به: فجعلنا الأمة التى اعتدت فى السبت « نكالاً » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ نَكَالًا ﴾

و « النَّكال» مصدرٌ من قول القائل: «نكَّل فلان بفلان تنكيلاً ونكالاً » . وأصل « النَّكال »، العقوبة ، كما قال عدىّ بن زيد العِبادىّ :

---

(١) كأنه يريد أنه مصدر : كقولهم : رحمه الله رحمة ، ولم يرد المرة ، وسيدل على ذلك ما يقوله بعد سطرين.

لا يسخط الضليل ما يسَع العـ ـبد ، وَلاَ فى نَكاَلِه تَنْكِيرُ[1]

* * *

وبمثل الذى قلنا فى ذلك روى الخبر عن ابن عباس :—

١١٥٢ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثمان بن سعيد قال ، حدثنا بشر ابن عمارة قال ، حدثنا أبو روق، عن الضحاك ، عن ابن عباس: « نَكالاً » يقول : عقوبة .

١١٥٣ — حدثنى المثنى قال، حدثنى إسحق قال ، حدثنى ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله: « فجعلناها نَكالا » ، أى عقوبةً .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك . فقال بعضهم بما : —

١١٥٤ — حدثنا به أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد قال ، حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبى روق، عن الضحاك ، عن ابن عباس: « لما بين يديها » يقول: ليحذرَ مَنْ بعدَهم عُقوبتى . « وما خلفها » ، يقول: الذين كانوا بقُوا معهم.

١١٥٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : «لما بين يديها وما خلفها» ، لما خلاَ لهم من الذنوب ،[2] «وما خلفها» ، أى عبرة لمن بَقى من الناس .

---

(١) لم أجد البيت فى جميع المراجع التى ذكرت قصيدة عدى بن زيد التى كتبها إلى النعمان من محبسه . وقد أثبت البيت كما هو فى النسخ السقيمة التى بقيت من تفسير الطبرى ، وظنى أن يكون البيت :

لا يكُظُّ المليكَ مَا يَسَعُ الْعَـ ـبْدَ ، وَلاَ فِى نَكالِهِ تَنْكِيرُ

فلم يحسن الناسخ قراءة « يكظ » فكتبها « لسخط » ، ووضع مكان « المليك » « الضليل ». وكظه الأمر : بهظه وشق عليه . يقول للنعمان : أنت مليك قادر ، فلا يبهظك ما يسع عبيدك من العفو عن أساء واجترم ، فإن عاقبت ، فما فى عقابك ما يستنكر ، فأنت السيد المطاع النافذ أمرك فى رعيتك صغيرهم وكبيرهم .

(٢) خلا : مضى وذهب وانقضى .

* * *

وقال آخرون بما : —

١١٥٦ — حدثني ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال ، حدثني ابن إسحق ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة مولى ابن عباس . قال ، قال ابن عباس : « فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها » ، أى من القرى .

* * *

وقال آخرون بما : —

١١٥٧ — حدثنا به بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال الله: « فجعلناها نكالاً لما بين يديها » — من ذنوب القوم — « وما خلفها » ، أى للحيتان التى أصابوا .

١١٥٨ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله: « لما بين يديها »، من ذنوبها ، « وما خلفها »، من الحيتان .

١١٥٩ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال، حدثني عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قول الله تعالى: « لما بين يديها »، ما مضى من خطاياهم إلى أن هلكوا به .

١١٦٠ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد: « نكالاً لما بين يديها وما خلفها »، يقول : « بين يديها »، ما مضى من خطاياهم ، « وما خلفها » خطاياهم التى هلكوا بها .

١١٦١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله — إلا أنه قال : « وما خلفها »، خطيئتهم التى هلكوا بها

* * *

وقال آخرون بما : —

١١٦٢ — حدثني به موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدى : « فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها» قال: أمّا «ما بين يديها» فما سلف من عملهم ، « وما خلفها»، فمن كان بعدهم من الأمم، أن يعصوا فيصنع الله بهم مثل ذلك.

* * *

وقال آخرون بما :—

١١٦٣ — حدثني به ابن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها » ، يعني الحيتان ، جعلها نكالاً « لما بين يديها وما خلفها » ، من الذنوب التي عملوا قبل الحيتان ، وما عملوا بعد الحيتان . فذلك قوله : « ما بين يديها وما خلفها » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه التأويلات بتأويل الآية ، ما رواه الضحاك عن ابن عباس . وذلك لما وصفنا من أن « الهاء والألف » — في قوله : « فجعلناها نكالاً » — بأن تكون من ذكر العقوبة والمسخة التي مسخها القوم ، أولى منها بأن تكون من ذكر غيرها . من أجل أن الله جل ثناؤه إنما يحذر خلقه بأسه وسطوته ، بذلك يخوفهم[1] . وفي إبانته عز ذكره — بقوله : « نكالاً » : أنه عنى به العقوبة التي أحلها بالقوم — ما يعلم أنه عنى بقوله : « فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها » ، فجعلنا عقوبتنا التي أحللناها بهم عقوبة لما بين يديها وما خلفها — دون غيره من المعاني . وإذ كانت « الهاء والألف » — بأن تكون من ذكر المسخة والعقوبة ، أولى منها بأن تكون من ذكر غيرها ؛ فكذلك العائد في قوله : « لما بين يديها وما خلفها » من « الهاء والألف » : أن يكون من ذكر « الهاء والألف » اللتين في قوله : « فجعلناها » ، أولى من أن يكون من [ذكر] غيره .[2]

١/٢٦٦

فتأويل الكلام — إذ كان الأمر على ما وصفنا — : فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ، فجعلنا عقوبتنا لهم عقوبة لما بين يديها من ذنوبهم السالفة منهم ، بمسخنا إياهم وعقوبتنا لهم —[3] ولما خلف عقوبتنا لهم من أمثال ذنوبهم : أن يعمل

---

(١) في المطبوعة : « وبذلك يخوفهم » ، ولعل الأجود ما أثبت .

(٢) ما بين القوسين زيادة لا بد منها في سياق الجملة .

(٣) في المطبوعة « مسخنا إياهم » بحذف حرف الجر ، وهو غير مستقيم ، وقوله : « ولما خلف عقوبتنا لهم » معطوف على قوله : « لما بين يديها . . . »

بها عامل ، فيمسخوا مثل ما مُسخوا ، وأنْ يحلَّ بهم مثل الذى حل بهم ، تحذيراً من الله تعالى ذكرُه عبادَه : أنْ يأتوا من مَعاصيه مثل الذى أتى الممسوخون ، فيعاقَبوا عقوبتَهم .

وأما الذى قال فى تأويل ذلك : — « فجعلناها » ، يعنى الحيتان ، عقوبةً لما بين يدىِ الحيتان من ذنوب القوم وما بعدها من ذنوبهم — فإنه أبعد فى الانتزاع . وذلك أن الحيتان لم يجرِ لها ذكرٌ فيقال : « فجعلناها » . فإن ظنّ ظانّ أن ذلك جائز — وإن لم يكن جرى للحيتان ذكر — لأن العرب قد تكنِى عن الاسم ولم يجر له ذكر ، فإنّ ذلك ، وإن كان كذلك ، فغير جائز أن يُترك المفهوم من ظاهر الكتاب — والمعقولُ به ظاهرٌ فى الخطاب والتنزيل — إلى باطنٍ لا دلالة عليه من ظاهر التنزيل ، ولا خبرٍ عن الرسول صلى الله عليه وسلم منقول ،[1] ولا فيه من الحجة إجماع مستفيض .

وأما تأويل من تأوّل ذلك : لما بين يديها من القرى وما خلفها ، فينظرُ إلى تأويل من تأول ذلك : بما بين يدى الحيتان وما خلفها .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَمَوْعِظَةً ﴾

و « الموعظة » ، مصدر من قول القائل : « وَعظتُ الرجل أعِظه وَعظاً وَموْعظة » ، إذا ذكّرته .

* * *

فتأويل الآية : فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها وَتذْكرَة للمتقين ، ليتّعظوا بها ، ويعتبرُوا ، ويتذكروا بها ، كما : —

١١٦٤ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد ، قال ، حدثنا

---

(١) انظر تفسير « ظاهر » و « باطن » فيما سلف من هذا الجزء ٢ : ١٥ والمراجع .

بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « وموعظة » يقول : وتذكرة وعبرةً للمتَّقين.

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٦٦)

وأمّا « المتقون » ، فهم الذين اتقوا ، بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ، كما : —

١١٦٥ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد قال ، حدثنا بشر بن عمارة قال ، حدثنا أبو روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « وموعظة للمتقين » ، يقول : للمؤمنين الذين يتقون الشِّرك ويعملون بطاعتي.

* * *

فجعل تعالى ذكرُه ما أحلّ بالذين اعتدَوْا فى السبت من عقوبته ، موعظةً للمتقين خاصّةً ، وعبرة للمؤمنين ، دون الكافرين به — إلى يوم القيامة — ، كالذى : —

١١٦٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثنى ابن إسحق ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، عن عبد الله بن عباس فى قوله : « وَموعظة للمتقين » ، إلى يوم القيامة .

١١٦٧ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وموعظة للمتقين » ، أى : بَعدهم .

١١٦٨ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة مثله . ٢٦٧/١

١١٦٩ — حدثنا موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أمّا « موعظة للمتقين » ، فهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

١١٧٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « وموعظة للمتقين » ، قال : فكانت موعظة للمتقين خاصّةً .

١١٧١ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسن ، قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج في قوله : « ومَوعظةً للمتقين » ، أي لمن بعدهم .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٦٧)

قال أبو جعفر : وهذه الآية مما وبّخ الله بها المخاطبين من بني إسرائيل ، نَقْض أوائلهم الميثاقَ الذي أخذه الله عليهم بالطاعة لأنبيائه ، فقال لهم : واذكروا أيضاً من نكْثكم ميثاق ، « إذ قال مُوسى لقومه » – وقَوْمُه بنو إسرائيل ، إذ ادّارأُوا في القتيل الذي قُتل فيهم إليه – « إنّ الله يأمرُكم أن تذبحوا بَقرَةً قالوا أتتخذنا هزُواً » .

* * *

و « الهزُؤ » اللعب والسخرية ، كما قال الراجز : (١)

قَدْ هَزِئَتْ مِنِّيَ أُمُّ طَيْسَلَهْ قَالَتْ : أَرَاهُ مُعْدِماً لاَ شَيْءَ لَهْ (٢)

يعني بقوله : « قد هَزئت » ، قد سَخرت ولعبت .

ولا ينبغي أن يكون من أنبياء الله – فيما أخبرتْ عن الله من أمر أو نهي – هزؤ أو لعب . فظنوا بموسى أنه في أمره إيّاهم – عن أمر الله تعالى ذكره بذبح البقرة عند تَدارُئهم في القتيل إليه – أنه هازئ لاعبٌ . ولم يكن لهم أن يُظنوا ذلك بنبيّ الله ، وهو يخبرهم أنّ الله هو الذي أمرَهم بذبح البقرة .

* * *

(١) هو صخير بن عمير التميمي ، ويقال إن القصيدة للأصمعي نفسه.

(٢) الأصمعيات : ٥٨ ، وأمالي القالي ٢ : ٢٨٤ ، وانظر تحقيق ما قيل فيها في تعليق سمط اللآلىء للراجكوتي : ٩٣٠ . وروايتهم جميعاً :

* تَهْزَأُ مِنِّي أُخْتُ آلِ طَيْسَلَهْ *

ويروى « مملقاً لا شيء له » و « مبلطاً » ، وكلها بمعنى واحد : فقيراً لا شيء له .

وحذفت « الفاء » من قوله : « أتتخذنا هُزُواً » ، وهو جواب ، لاستغناء ما قبله من الكلام عنه ، وحسُن السكوت على قوله : « إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة » ، فجاز لذلك إسقاط « الفاء » من قوله : « أتتخذنا هُزُوًا » ، كما جاز وحسن إسقاطها من قوله تعالى ﴿ قال فَمَا خَطْبُكُم أيُّها المرسَلُون ۝ قالُوا إنّا أُرْسِلْنا ﴾ [سورة الحجر : ٥٧ ، ٥٨ / سورة الذاريات : ٣١ ، ٣٢] ، ولم يقل : فقالوا إنا أرسلنا . ولو قيل « فقالوا » ، كان حسناً أيضاً جائزاً . ولو كان ذلك على كلمة واحدة ، لم تُسقط منه « الفاء » . وذلك أنك إذا قلت : « قمت ففعلت كذا وكذا » ، لم تقل : قمت فعلت كذا وكذا »[1] ، لأنها عطف ، لا استفهامٌ يُوقَفُ عليه .

فأخبرهم موسى — إذْ قالوا له ما قالوا — أن المخبر عن الله جل ثناؤه بالهزء والسخرية ، من الجاهلين .[2] وبرّأ نفسه مما ظنوا به من ذلك فقال : « أعوذ بالله أن أكونَ من الجاهلين » ، يعني : من السفهاء الذين يروُون عن الله الكذب والباطل .

* * *

وكان سببُ قيل موسى لهم : « إنّ الله يأمرُكم أنْ تذبحوا بقرةً » ، ما : —

١١٧٢ — حدثنا به محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا المعتمر بن سليمان قال ، سمعت أيوب ، عن محمد بن سيرين ، عن عَبيدة قال : كان في بني إسرائيل رجُلٌ عَقيم — أو عَاقر — قال : فقتله وليُّه ، ثم احتمله فألقاه في سِبْط غير سِبْطه . قال : فوَقع بينهم فيه الشرُّ حتى أخذوا السلاح . قال : فقال أولو النُّهى : أتقتتلون وفيكم رَسول الله ؟ قال : فأتوا نبي الله . فقال : اذبحوا بَقرة . فقالوا : أتتخذنا هُزُوًا ، قال : «أعوذ بالله أن أكونَ من الجاهلين ۝ قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هيَ قال إنه يقولُ إنها بقرةٌ » ، إلى قوله : « فذبحوها وما كادُوا يَفعلون » قال : فضُرب ، فأخبرهم بقاتله . قال : ولم تؤخذ البقرُة إلا بوَزنها ذهباً ، قال :

---

(١) في المطبوعة : « قمت وفعلت » وفي المطبوعة : « ولم تقل : قمت . . . » بزيادة الواو ، وهو فاسد . وانظر معاني القرآن للفراء ١ : ٤٤ .

(٢) سياق معناه : أخبرهم موسى أن المخبر عن الله بهزء وسخرية ، هو من الجاهلين .

ولو أنهم أخذُوا أدنى بقرة لأجزأت عنهم . فلم يُورَّث قاتل بعد ذلك .(١)

١١٧٣ – حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثني أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية في قول الله : «إنّ الله يأمرُكم أن تذبحوا بَقرةً » . قال : كانَ رجل من بني إسرائيل ، وكان غنيًّا ولم يكن له ولد ، وكان له قريبٌ وارثه ، فقتله ليرثُه ، ثم ألقاه على مَجمع الطريق ،(٢) وأتى موسى فقال له : إنّ قريبي قُتل وأتى إليّ أمرٌ عظيم ، وإني لا أجد أحداً يبيّن لي مَنْ قتله غيرك يا نبي الله . ٢٦٨/١

قال : فنادى موسى في الناس : أنشُدُ الله مَنْ كان عنده من هذا علم إلا بيّنه لنا . فلم يكن عندهم علمه . فأقبل القاتل على موسى فقال : أنت نبي الله ، فاسأل لنا ربك أن يبيّن لنا . فسأل ربه ، فأوحى الله إليه : « إن اللهَ يأمرُكم أن تذبحوا بَقرة » . فعجبوا وقالوا : « أتتخذنا هُزُواً قال أعوذ بالله أن أكونَ من الجاهلين » قالوا ادعُ لنا ربَّك يُبين لنا ما هي ، قال إنه يقولُ إنها بَقرَة لا فارضٌ » – يعني : لا هَرمة – « ولا بكر » – يعني : ولا صغيرة – « عوان بين ذلك » – أي : نَصَف ، بين البكر والهرمة – « قالوا ادْعُ لَنا ربَّك يبيّن لَنا ما لونها ، قال : إنه يقولُ إنها بَقرةٌ صفراء فَاقعٌ لونها » – أي : صاف لونها – « تسرُ الناظرين » – أي : تعجب الناظرين – « قالوا ادْعُ لَنا ربك يُبيّن لنا ما هيَ إن البقر تَشابهَ علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون » قال إنه يقول إنها بَقرة لا ذَلول » – أي : لم يُذللها العمل – « تثير الأرض » – يعني ليست بذَلول فتثير الأرض – « ولا تَسقي الحَرْث » – يقول : ولا تعمل في الحَرْث – « مُسلَّمة » ، يعني مسلَّمة من العيوب ، « لاشيَة فيها » – يقول : لا بياض فيها – « قالوا الآنَ جئتَ بالحق فذبحوها وما

(١) الأثر : ١١٧٢ – عبيدة ، بفتح العين وبعد الباء الموحدة ياء تحتية : هو عبيدة السلماني . وهذا الأثر نقله ابن كثير ١ : ١٩٧ – ١٩٨ ، من رواية ابن أبي حاتم ، من طريق هشام بن حسان « عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة السلماني » . ثم أشار إلى رواية الطبري هذه .

وقد مضى أثر آخر : ٢٤٥ من رواية أيوب وابن عون ، عن ابن سيرين ، عن « عبيدة » . ورجحنا هناك أن صوابه « عبيدة » . فهذا الإسناد الذي هنا يؤيد ما رجحنا .

(٢) مجمع الطريق : هو حيث يلتقي الناس ويجتمعون ، أو حيث تلتقي الطرق .

كادُوا يَفعلون » . قال : ولو أن القوم حين أمروا أن يذبحوا بقرة ، استعرَضوا بقرة من البقر فذَبحوها ، (١) لكانتْ إيّاها ، ولكنهم شَدَّدوا على أنفسهم فشدد الله عليهم . ولولا أنّ القوم استثنوا فقالوا : « وإنّا إن شاء الله لمهتدون » ، لما هُدُوا إليها أبداً. فبلغنا أنهم لم يجدوا البقرة التى نُعِتَتْ لهم ، إلا عند عَجوز عندَها يَتامَى ، وهى القيِّمة عليهم . فلما علمت أنهم لا يَزْكو لهم غيرها ، (٢) أضعفت عليهم الثمن . فأتوا موسى فأخبروه أنّهم لم يجدوا هذا النعت إلا عند فلانة ، وأنها سألتهم أضعاف ثَمنها . فقال لهم موسى : إنّ الله قد كان خفف عليكم فشدَّدتم على أنفسكم ، فأعطوها رضَاها وحُكمها . ففعلوا ، واشتروها فذبحوها . فأمرهم موسى أن يأخذوا عَظْماً منها فيضربُوا به القتيل . ففعلوا ، فرجع إليه روحه ، فسمَّى لهم قاتله ، ثم عاد ميتاً كما كان . فأخذوا قاتله — وهو الذى كان أتى موسى فشكى إليه — فقتله الله على أسوأ عمله .

١١٧٤ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو ، قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإذْ قال مُوسَى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة » . قال : كان رجل من بنى إسرائيل مكثراً من المال ، وكانت له ابنة ، وكان له ابن أخ محتاجٌ . فخطب إليه ابنُ أخيه ابنتَه ، فأبى أن يزوِّجه إياها ، فغضب الفتى وقال : والله لأقتُلنّ عمى ، ولآخذنّ ما له ، ولأنكِحنّ ابنته ، ولآكلنّ دِيَته ! فأتاه الفتى ، وقد قدم تِجارٌ فى أسباط بنى إسرائيل ، فقال : ياعم ، انطلق معى فخذْ لى من تجارة هؤلاء القوم ، لعلّى أصيب منها ، (٣) فإنهم إذا رأوك معى أعطَوْنى . فخرج العم مع الفتى ليلاً ، فلما بلغ الشيخُ ذلك السِّبطَ ، قتله الفتى ، ثم رجع إلى أهله .

---

(١) استعرضوا : أخذوا من عرض البقر (بضم العين وسكون الراء) فلم يبالوا أيها أخذوا. والعرض : الوجه والناحية ، أى ما يعرض لك من الشىء .

(٢) تقول : « هذا الأمر لا يزكو بفلان » ، أى لا يليق به ولا يصلح له . فقوله : « لا يزكو لهم غيرها » ، أى لا يصلح لهم غيرها ولا ينفع فيما أمرهم الله به .

(٣) فى المطبوعة : « أصيب فيها » ، وهو خطأ ، والصواب من تفسير ابن كثير ١ : ٢٠٠ . أصاب الإنسان من المال وغيره : تناول وأخذ . ويريد أصيب منها ربحاً .

فلما أصبح ، جاء كأنه يطلب عمه ، كأنه لا يدرى أين هو ، فلم يجده . فانطلق نحوه ، فإذا هو بذلك السِّبط مجتمعين عليه ، فأخذهم وقال : قتلتم عمِّى فأدوا إلىّ ديته . وجعل يبكى ويحثُو التراب على رأسه ويُنادى : وا عمّاه! فرفعهم إلى موسى ، فقضى عليهم بالدية ، فقالوا له : يا رسول الله ، ادع لنا ربَّك حتى يبين له مَنْ صاحبه ، فيؤخذ صاحب الجريمة ،(١) فوالله إنّ ديته علينا لهيِّنة ، ولكنا نستحى أن نُعيَّر به . فذلك حين يقول الله جل ثناؤه : « وإذْ قتلتمْ نفساً فادّارأتم فيها والله مخرجٌ ما كنتم تكتمون». فقال لهم موسى : « إنّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ». قالوا : نسألك عن القتيل وعمَّن قتله ، وتقول : اذبحوا بقرة ! أتهزأ بنا ؟ قال موسى : « أعوذُ بالله أن أكون من الجاهلين » — قال ، قال ابن عباس : فلو اعترضُوا بقرةً فذبحوها لأجزأت عنهم ، ولكنهم شدّدوا وتعنَّتوا موسى فشدد الله عليهم —(٢) فقالوا : « ادعُ لنا ربك يُبين لنا ما هى قال إنّه يقول إنها بقرة لا فارضٌ ولا بِكر عوانٌ بين ذلك » — والفارضُ : الهرمة التى لا تلد ، والبكر : التى لم تلد إلا ولداً واحداً ، والعوان : النَّصَف التى بين ذلك ، التى قد ولدت وولدَ ولدُها — « فافعلوا ما تؤمرون » قالوا ادْع ربّك يبيِّنْ لنا ما لونُها قال إنه يقولُ إنها بقرة صفراء فاقعٌ لونُها تسرُ الناظرين » — قال : تعجب الناظرين — « قالوا ادْع لنا ربّك يُبيِّن لنا ما هىَ إن البقر تشابه علينا وإنّا إن شاء الله لمهتدون » قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلولٌ تُثير الأرض ولا تسقى الحرثَ مُسلَّمة لا شيةَ فيها » — من بياض ولا سواد ولا حُمرة — « قالوا الآنَ جئتَ بالحق » . فطلبوها فلم يقدروا عليها .

٢٦٩/١

وكانَ رجلٌ من بنى إسرائيل ، من أبرِّ الناس بأبيه ، وإنّ رجلاً مرّ به معه لؤلؤ يبيعه ، فكان أبوه نائماً تحت رأسه المفتاح ، فقال له الرجل : تشترى

---

(١) فى المطبوعة : « ادع لنا حتى يتبين » . ونص ابن كثير فى تفسيره ١ : ٢٠٠ « ادع لنا ربك حتى يبين لنا من صاحبه ، فيؤخذ صاحب القضية » .

(٢) أعنته وتعنته : سأله عن شىء أراد به اللبس عليه والمشقة .

منى هذا اللؤلؤ بسبعين ألفاً ؟ فقال له الفتى : كما أنتَ حتى يستيقظ أبي فآخذه بثمانين ألفاً : فقال له الآخر : أيقِظ أباك وهو لك بستّين ألفاً . فجعل التاجر يَحُط له حتى بلغ ثلاثين ألفاً ، وزادَ الآخرَ على أن ينتظر حتى يستيقظ أبوه ، حتى بلغ مئة ألف . فلما أكثر عليه قال : لا والله ، لا أشتريه منك بشيء أبداً . وأبى أن يوقظ أباه ، فعوّضه الله من ذلك اللؤلؤ أن جعل له تلك البقرة . فمرّت به بنو إسرائيل يطلبون البقرة ، فأبصروا البقرة عندَه ، فسألوه أن يبيعهم إياها بقرةً ببقرة ، فأبى ، فأعطوه ثنتين فأبى ، فزادوه حتى بلغوا عشراً ، فأبى ، فقالوا: والله لانتركك حتى نأخذها منك . فانطلقوا به إلى موسى فقالوا : يا نبيَّ الله ، إنا وجدنا البقرة عند هذا فأبَى أن يعطيناها ، وقد أعطيناه ثمناً . فقال له موسى : أعطهم بقرتك . فقال : يا رسول الله ، أنا أحقُّ بمالي . فقال : صدقت. وقال للقوم : أرْضُوا صاحبكم . فأعطوه وزنها ذهباً فأبى ، فأضعفوا له مثلَ ما أعطوه وزنها ، حتى أعطوْه وزنها عشر مرات ، فباعهم إياها وأخذ ثمنها. فقال: اذبحوها. فذبحوها فقال: اضرُبوه ببعضها . فضربوه بالبَضْعة التي بين الكتفين ، فعاشَ ، فسألوه : من قتلك؟ فقال لهم: ابن أخي ، قال: أقتلُه، وآخُذ ما له، وأنكح ابنته. فأخذوا الغلام فقتلوه.

١١٧٥ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة —

١١٧٦ — وحدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب ، عن ابن زيد ، عن مجاهد —

١١٧٧ — وحدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة . قال ، حدثنا شبل ، قال حدثني خالد بن يزيد ، عن مجاهد —

١١٧٨ — وحدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا إسمعيل بن عبد الكريم قال ، حدثني عبد الصمد بن معقل : أنه سمع وهباً يذكر —

١١٧٩ — وحدثني القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج عن مجاهد — وحجاج عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب القرظي ، ومحمد بن قيس —

١١٨٠ – وحدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي ، قال ، حدثني عمي قال ، أخبرني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس –

– فذكر جميعهم أن السبب الذي من أجله قال لهم موسى : « إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة » ، نحو السبب الذي ذكره عبيدة وأبو العالية والسدي ، غير أن بعضهم ذكر أن الذي قتل القتيل الذي اختصم في أمره إلى موسى ، كان أخا المقتول ، وذكر بعضهم أنه كان ابن أخيه ، وقال بعضهم : بل كانوا جماعة ورثة استبطأوا حياته . إلا أنهم جميعاً مجمعون على أن موسى إنما أمرهم بذبح البقرة من أجل القتيل إذ احتكموا إليه – عن أمر الله إياهم بذلك – [1] فقالوا له : وما ذبح البقرة ؟ يبيّن لنا خصومتنا التي اختصمنا فيها إليك في قتل من قتل ، فادّعى على بعضنا أنه القاتل ! أتهزأ بنا ؟ كما : –

٢٧٠/١ ١١٨١ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : قُتِل قتيل من بني إسرائيل ، فطُرح في سبط من الأسباط ، فأتى أهل ذلك القتيل إلى ذلك السبط فقالوا : أنتم والله قتلتم صاحبنا . قالوا : لا والله . فأتوا موسى فقالوا : هذا قتيلنا بين أظهرهم ، وهم والله قتلوه ! فقالوا : لا والله يانبي الله ، طُرِح علينا ! فقال لهم موسى : إنّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرة . فقالوا : أتستهزئ بنا ؟ وقرأ قول الله جل ثناؤه : « أتتخذنا هُزُواً » . قالوا : نأتيك فنذكر قتيلنا والذي نحن فيه ، فتستهزئ بنا ؟ فقال موسى : أعوذُ بالله أن أكون من الجاهلين .

١١٨٢ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد – وحجاج ، عن أبي معشر – عن محمد بن كعب القرظي ، ومحمد بن قيس : لما أتى أولياءُ القتيل والذين ادّعوا عليهم قتل صاحبهم – موسى وقصوا قصتهم عليه ، أوحى الله إليه أن يذبحوا بقرة ، فقال لهم موسى : « إنّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرة » قالوا أتتخذنا هُزُواً قال أعوذُ بالله أن أكونَ من

(١) الأجود أن يكون « عن أمر الله إياه بذلك » .

الجاهلين » . قالوا : وما البقرةُ والقتيل؟ قال : أقول لكم : « إنّ الله يأمركم أن تذبحُوا بقرةً » ، وتقولون : « أتتخذنا هُزُواً » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالُوا ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَّنَا مَا هِىَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ ﴾(١)

قال أبو جعفر : فقال الذين قيل لهمُ : « إنّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرة » — بعد أنْ علموا واستقرّ عندهم ، أنّ الذى أمرهم به موسى عليه السلام من ذلك عن أمر الله من ذبْح بقرة — جدّ وحقّ ،(٢) « ادعُ لنا ربك يُبين لنا ما هِىَ » ، فسألوا موسى أن يسأل ربه لهم ما كان الله قد كفاهم بقوله لهم : « اذبحوا بقرة » . لأنه جل ثناؤه إنما أمرهم بذبح بقرة من البقر — أىّ بقرة شاؤا ذبحها من غير أن يحصر لهم ذلك على نوع منها دون نوع أو صنف دون صنف — فقالوا بجفاء أخلاقهم وغِلَظ طبائعهم ، وسُوء أفهامهم ، وتكلُّف ما قد وضع الله عنهم مؤُونته ، تعنُّتاً منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما : —

١١٨٣ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : لما قال لهم موسى : : « أعوذُ بالله أن أكونَ من الجاهلين » . قالوا له يتعنّتونه : « ادعُ لنا ربك يبين لنا ما هى » .

فلما تكلّفوا جهلاً منهم ما تكلّفوا — من البحث عما كانوا قد كُفُوه من صِفة البقرة التى أمِروا بذبحها ، تعنُّتاً منهم نبيَّهم مُوسَى صلوات الله عليه ، بعد الذى كانوا أظهروا له من سوء الظنّ به فيما أخبرهم عن الله جل ثناؤه ، بقولهم : « أتتخذنا هزواً »(٣) — عاقبهم عز وجل بأن حصرَ ذبح ما كان أمرهم بذبحه

(١) الآية كلها ساقطة من الأصول ، فوضعتها فى موضعها .

(٢) قوله « جد وحق » ، خبر قوله « أن الذى أمرهم به موسى . . . »

(٣) سياق العبارة : « فلما تكلفوا جهلا منهم ما تكلفوا ... عاقبهم . . . » ، وما بينهما فصل .

من البقر ، على نوع منها دون نوع ، [١] فقال لهم جل ثناؤه — إذ سألوه فقالوا: ما هي؟ ما صفتها ؟ وما حِلْيتها ؟ حَلِّها لنا لنعرفها ! [٢] — قال: « إنها بَقرةٌ لا فَارضٌ ولا بكرٌ » .

يعنى بقوله جل ثناؤه: « لا فَارضٌ » ، لا مُسِنَّةٌ هرمة . يقال منه: « فرضتْ البقرة تَفرِضُ فُروضاً » ، يعنى بذلك : أسَنَّتْ . ومن ذلك قول الشاعر :

يَا رُبَّ ذِى ضِغْنٍ عَلَىَّ فَارِضِ لَهُ قُرُوءٌ كَقُرُوءِ الحَائِضِ [٣]

يعنى بقوله : « فارض » ، قديم . يصف ضغناً قديماً . ومنه قول الآخر :

لَهَا زِجَاجٌ وَلَهَاةٌ فَارِضُ حَدْلاَءُ كَالوَطْبِ نِحَاهُ المَاخِضُ [٤]

---

(١) فى المطبوعة « بأن خص بذبح ما كان أمرهم » ، وعبارة الطبرى فيما أرجح هى ما أثبته ، وقد وقد قال آنفاً : ١٨٩ « من غير أن يحصر لهم ذلك على نوع منها دون نوع » ، وسيقول بعد : ١٩٧ « فحصروا على نوع دون سائر الأنواع » .

(٢) الحلية (بكسر فسكون) الصفة والصورة : حلى الرجل يحليه تحلية : وصف صورته وهيأته . وتحليت الرجل : عرفت صفته .

(٣) مجالس ثعلب : ٣٦٤ ، والمعانى الكبير : ٨٥٠ ، ١١٤٣ ، والحيوان ٦ : ٦٦ — ٦٧ ، والأضداد : ٢٢ ، وكتاب القرطين ١ : ٤٤ ، ٧٧ ، واللسان (فرض) ، وغيرها ، وصواب إنشاده :

يا رُبَّ مَوْلًى حاسِدٍ مباغِضٍ عَلَىَّ ذِى ضِغْنٍ وضَبٍّ فارِضِ

والضب : الغيظ والحقد تضمره فى القلب . وقروء وأقراء جمع قرء (بضم فسكون) : وهو وقت الحيض . قال ابن قتيبة : « أى له أوقات تهيج فيها عداوته » ، وقال الجاحظ : « كأنه ذهب إلى أن حقده يخبو ثم يستعر ، ثم يخبو ثم يستعر » .

(٤) البيت الأول فى اللسان (زجج) ، والثانى فى المخصص ١ : ١٦٢ . وكان فى الأصل :

لهُ زجاج ولهاة فارض هدلاء كالوطب تجاه الماخض

وهو تصحيف . والزجاج جمع زج : وهو الحديدة التى تركب فى أسفل الرمح يركز به فى الأرض . فاستعاره للأنياب . واللهاة : لحمة حمراء فى الحنك ، معلقة على عكدة اللسان ، مشرفة على الحلق . والفارض فى هذا البيت : الواسع العظيم الضخم يقال : لحية فارض ، وشقشقة فارض . (وهى لهاة البعير) ، ودلو فارض ، قال أبو محمد الفقعسى يذكر دلواً واسعاً (وهو الغرب)

وبمثل الذى قلنا فى تأويل « فارض» قال المتأولون * ذكر من قال ذلك:

١١٨٤ – حدثنى على بن سعيد الكندى قال، حدثنا عبد السلام بن حرب، عن خصيف، عن مجاهد: « لافارض »، قال: لا كبيرة.(١)

١١٨٥ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن عطية قال، حدثنا شريك، عن خصيف، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس – أو عن عكرمة، شك شريك – : « لافارض »، قال: الكبيرة.

١١٨٥م – حدثنى محمد بن سعد قال، أخبرنى أبى قال، حدثنى عمى قال، حدثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: « لا فارض »، الفارض: الهَرِمة. ٢٧١/١

١١٨٦ – حُدثت عن المنجاب قال، حدثنا بشر، عن أبى روق، عن الضحاك، عن ابن عباس: « لا فارض »، يقول: ليست بكبيرة هرمة.

١١٨٧ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج، قال قال ابن جريج، عن عطاء الخراسانى، عن ابن عباس: « لا فارض »، الهرمة.

١١٨٨ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد: « الفارضُ » الكبيرة.

١١٨٩ – حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازى قال، حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال،

---

* والغَرْبُ غَرْبٌ بَقَرِىٌّ فَارِضُ *

وحدلاء وأحدل: وهو الذى يمشى فى شق، وفى منكبيه ورقبته إقبال على صدره، وانحناء. والوطب: سقاء اللبن، يكون من جلد. ونحاه: صرفه وأماله. والماخض: من مخض اللبن: إذا وضع فى المخضة، ليخرج زبده. لعله يهجو امرأته، ويذكر قبح أفيابها، وسعة لهاتها، من شدة شرهها. ويصف مشيتها مائلة على شق، وتكدس بدنها بعضه على بعض، كأنها وطب أماله الماخض يمنة ويسرة يحركه.

(١) الخبر ١١٨٤ – على بن سعيد بن مسروق الكندى، شيخ الطبرى: كوفى ثقة، مترجم فى التهذيب، وابن أبى حاتم ٣/١/١٨٩ – ١٩٠، مات سنة ٢٤٩. عبد السلام بن حرب الملائى الكوفى، الحافظ: ثقة حجة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. وترجمه ابن أبى حاتم ٣/١/٤٧.

حدثنا شريك ، عن خصيف ، عن مجاهد قوله : « لا فارض »، قال : الكبيرة .

١١٩٠ ــ حدثنا المثنى قال، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : « لا فارض »، يعني : لاهَرِمة .

١١٩١ ــ حدثت عن عمار قال ،حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

١١٩٢ ــ حدثنا بشر قال ،حدثنا يزيد ، قال حدثنا سعيد ، عن قتادة : « الفارض »، الهرمة .

١١٩٣ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، قال معمر ، قال قتادة : « الفارض » الهرمة . يقول : ليست بالهرِمة ولا البِكر ، عَوَانٌ بين ذلك .

١١٩٤ ــ حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « الفارض » ، الهرمة التي لا تلد .

١١٩٥ ــ حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ،قال ابن زيد : «الفارض»، الكبيرة .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَلاَ بِكْرٌ ﴾

قال أبو جعفر : و« البِكر » من إناث البهائم وبني آدم ، ما لم يفتَحِلْه الفَحْل، وهي مكسورة الباء. لم يسمع منه « فَعَل » ولا «يفعل» . وأما «البَكْرُ» بفتح الباء ، فهو الفتيُّ من الإبل .

* * *

وإنما عنَى جل ثناؤه بقوله « وَلا بِكْرٌ » ولا صغيرة لم تلد ، كما : ــ

١١٩٦ ــ حدثني علي بن سعيد الكندي قال ، حدثنا عبد السلام بن حرب ، عن خصيف، عن مجاهد : « ولا بكر » ، صَغيرة .

١١٩٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة . قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « البِكر »، الصغيرة .

١١٩٨ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا الحسن بن عطية قال، حدثنا شريك، عن خصيف ، عن سعيد، عن ابن عباس – أو عكرمة، شك – : « ولا بكر »، قال : الصغيرة .

١١٩٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسن قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس: « ولا بِكْر »، الصغيرة .

١٢٠٠ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة : « ولا بكر »، ولا صغيرة .

١٢٠١ – حدثت عن المنجاب قال، حدثنا بشر ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « ولا بكر »، ولا صَغيرة ضَعيفة .

١٢٠٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر، عن الربيع ، عن أبي العالية : « ولا بكر »، يعني : ولا صغيرة .

١٢٠٣ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

١٢٠٤ – وحدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : في « البكر »، لم تلدْ إلا وَلداً واحداً .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ عَوَانٌ ﴾

قال أبو جعفر : « العوَان » النَّصَف التي قد وَلدتَ بَطناً بعد بطن، وليست بنعت للبكر. يقال منه : « قد عَوَّنت »، إذا صَارت كذلك .

وإنما معنى الكلام أنه يقول : إنها بقـــرة لا فارض ولا بكر بَلْ عوانٌ

بين ذلك . ولا يجوز أن يكون « عوَانٌ » إلا مبتدأ . لأن قوله « بين ذلك » ، كناية عن الفارض والبكر ، فلا يجوز أن يكون متقدّماً عليهما ، ومنه قول الأخطل :

وَمَا بِمَكَّةَ مِنْ شُمْطٍ مُحَفَّلَةٍ وَمَا بِيَثْرِبَ مِنْ عُونٍ وأبْكارِ (١)

٢٧٢/١ وجمعها « عُون » . يقال : « امرأة عَوَانٌ » ، من نسوة عُون » . ومنه قول تميم بن مقبل :

ومَأْتَمٍ كالدُّمَى حُورٍ مَدَامِعُهَا لَمْ تَبْأَسِ العَيْشَ أبْكاراً ولاَ عُونَا (٢)

وبقرة « عَوَانٌ » ، وبقر عُونٌ » . قال : وربما قالت العرب : « بقر عُونٌ » مثل « رُسُلٌ » ، يطلبون بذلك الفرق بين جمع « عَوَان » من البقر ، وجمع « عَانَة » من الحُمُر . ويقال : « هذه حرب عَوَان » ، إذا كانت حرباً قد قوتل فيها مرة بعد مرة . يُمثَّلُ ذلك بالمرأة التى ولدت بَطناً بعد بطن . وكذلك يُقال : « حَاجة عَوَانٌ » ، إذا كانت قد قُضيت مرة بعد مرة .

---

(١) ديوانه : ١١٩ ، وهو يخالف ما رواه الطبرى ، وقبله :

إنِّى حَلَفْتُ برَبِّ الرَّاقصَاتِ وماَ أضْحَى بمكَّةَ مِنْ حُجْبٍ وأسْتَارِ
وبالهَدِىِّ — اذا احْمَرَّتْ مَذَارِعُها فى يوم نُسْكٍ وتشريقٍ وتَنْحَارِ
وَمَا بزَمْزَمَ من شُمْطٍ مُحَلِّقَةٍ وَمَا بيَثْرِبَ مِنْ عُونٍ وأبكارِ

يعنى : حلقوا رؤوسهم ، وقد تحللوا من إحرامهم وقضوا حجتهم ، والشمط جمع أشمط : وهو الذى خالط سواد شعره بياض الشيب . فإن صحت رواية الطبرى « شمط محفلة » ، فكأنها من الحفيل والاحتفال : وهو الجد والاجتهاد ، يقال منه : رجل ذو حفيل ، وذو حفل وحفلة : له جد واجتهاد ومبالغة فيما أخذ فيه من الأمور . فكأنه عنى : مجتهدون فى العبادة والنساك .

(٢) جمهرة أشعار العرب : ١٦٢ ، من جيد شعر تميم بن أبى بن مقبل . والمأتم عند العرب : جماعة النساء — أو الرجال — فى خير أو شر . قالوا : والعامة تغلط فتظن أن « المأتم » النوح والنياحة . والدمى جمع دمية : الصورة أو التمثال ، يتنوق فى صنعتها ويبالغ فى تحسينها ، والعرب تكثر من تشبيه النساء بالدمى . والحور جمع حوراء . والحور أن يشتد بياض بياض العين ، وسواد سوادها ، وتستدير حدقتها ، وترق جفونها ، ويبيض ما حولها . وقوله : « لم تبأس » أى لم يلحقها بؤس عيش ، أو لم تشك بؤس عيش . بئس يبأس بؤساً ، فهو بائس وبئيس ، افتقر واشتد عليه البؤس . وفى الأصل المطبوع ، وفى اللسان (أتم) : « لم تيأس » بالياء المثناة ، وهو خطأ .

١٢٠٥ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب ، أنّ ابن زيد أنشده :

قُعُودٌ لَدَى الأَبْوَابِ طُلَّابُ حاجَةٍ عَوَانٍ مِنَ الحاجَاتِ أَوْ حاجَةً بِكْرَا (١)

قال أبو جعفر : والبيتُ للفرزدق .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك تأوّله أهلُ التأويل * ذكر من قال ذلك :

١٢٠٦ – حدثنا على بن سعيد الكندى، حدثنا عبد السلام بن حرب ، عن خصيف ، عن مجاهد : «عَوَانٌ بين ذلك » ، وَسَطٌ ، قد ولدَت بَطناً أو بطنين .(٢)

١٢٠٧ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: « عوان »، قال: « العوان »، العانِسُ النَّصَف .

١٢٠٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « العوان »، النَّصَف .

١٢٠٩ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن عطية قال ، حدثنا شريك ، عن خصيف ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس – أو عكرمة ، شك شريك – « عَوَان » ، قال : بين ذلك .

١٢١٠ – حدثت عن المنجاب قال ، حدثنا بشر ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « عوان »، قال : بين الصغيرة والكبيرة ، وهى أقوى

---

(١) ديوان الفرزدق : ٢٢٧ ، وطبقات فحول الشعراء : ٢٥٦ ، وتاريخ الطبرى : ١٣٨ ، وغيرها . وسيأتى فى ٧ : ١٨٨ (بولاق)، والشعر فى زياد ، وقبله :

دَعَانى زِيادٌ لِلعطَاءِ ولَمْ أَكُنْ لأَقْرَبَهُ ما سَاقَ ذُو حَسَبٍ وَفْرَا
وعِندَ زِيادٍ ، لَوْ يُرِيدُ عَطَاءَهُمْ، رجالٌ كثيرٌ قدْ يَرَى بِهِمُ فقْرَا

ويروى: « قعوداً »، ورواية ابن سلام « طالب حاجة » ، ونصب « أو حاجة بكرا » ، عطفاً على محل « حاجة عوان » ، فمحلها نصب بقوله: « طلاب » .

(٢) الخبر : ١٠٢٦ – « على بن سعيد الكندى » : ترجمنا له فى : ١١٨٤ ، وفى الأصول هنا « سعد » بدل « سعيد » ، وهو خطأ .

ما تكون من البقر والدواب ، وأحسنُ ما تكون .

١٢١١ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسن قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس : « عوان » ، قال : النَّصَف .

١٢١٢ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية : « عوان » ، نَصَف .

١٢١٣ ــ وحدثت عن عمار ، عن ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، مثله .

١٢١٤ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة : « العوان » ، نَصَف بين ذلك .

١٢١٤ ــ حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال ، حدثنا شريك ، عن خصيف ، عن مجاهد : « عوان » ، التى تُنتج شيئاً بشرط أن تكون التى قد نُتِجت بَكْرة أو بَكْرتين .

١٢١٥ ــ حدثنا موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « العوان » ، النصف التى بين ذلك ، التى قد وَلَدت وولد وَلَدُها .

١٢١٦ ــ حدثنى يونس ، قال أخبرنا ابن وهب ، قال قال ابن زيد : « العوان » ، بين ذلك ، ليست ببكر ولا كبيرة .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله « بين ذلك » بين البكر والهرمة ، كما : ــ

١٢١٧ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية : « بين ذلك » ، أى بين البكر والهرمة .

* * *

فإن قال قائل : قد علمت أن « بين » لا تصلح إلا أن تكون مع شيئين

فصاعداً ، فكيف قيل : « بين ذلك » ، و « ذلك » واحد فى اللفظ ؟

قيل : إنما صَلحت مع كونها واحدة ، لأن « ذلك » بمعنى اثنين ، والعرب تجمع فى « ذلك » و « ذاك » شيئين ومعنيين من الأفعال ، كما يقول القائل : « أظن أخاك قائماً ، وكان عمرٌو أباك » ،[1] ثم يقول : « قد كانَ ذاك ، وأظنّ ذلك » . فيجمع بـ « ذلك » و « ذاك » الاسمَ والخبرَ ، الذى كان لابد لـ « ظنّ » و « كان » منهما .[2]

* * *

فمعنى الكلام : قال إنه يقول إنها بقرة لا مسنة هرِمة ، ولا صغيرةٌ لم تلد ، ولكنها بقرة نَصَفٌ قد ولدتَ بطناً بعد بطن ، بين الهرَم والشباب . فجمع « ذلك » ٢٧٣/١ معنى الهرم والشباب لما وصفنا . ولو كان مكان الفارض والبكر اسما شخصين ، لم يجمع مع « بين » « ذلك » . وذلك أن « ذلك » لا يؤدّى عن اسم شخصين . وغيرُ جائز لمنْ قال : « كنت بين زيد وعمرو » ، أن يقول : « كنت بين ذلك » ، وإنما يكونُ ذلك مع أسماء الأفعال دون أسماء الأشخاص .[3]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴾ (٦٨)

قال أبو جعفر : يقول الله لهم جل ثناؤه : افعلوا ما آمركم به ، تُدْرِكوا حاجاتكم وطلباتكم عندى ، واذبحوا البقرة التى أمرتكم بذبحها ، تَصلوا — بانتهائكم إلى طاعتى بذبحها — إلى العلم بقاتل قتيلكم .

* * *

(١) عبارة الفراء هنا أوضح قال : « فلا بد لـ « كان » من شيئين » ، ولا بد لـ « أظن » من شيئين ، ثم يجوز أن تقول : « قد كان ذاك ، وأظن ذلك » . معانى القرآن ١ : ٤٥ .

(٢) كان فى المطبوعة : « الذى كان لا بد للظن وكان منهما » ، وهو كلام يضطرب .

(٣) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٥ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ ﴾

قال أبو جعفر : ومعنى ذلك : قال قومُ موسى لموسى : ادْعُ لنا ربك يُبين لنا ما لونها ؟ أى لون البقرة التى أمرتنا بذبحها . وهذا أيضاً تعنُّت آخرُ منهم بعد الأول ، وتكلُّف طلب ما قد كانوا كُفُوه فى المرة الثانية والمسألة الآخرة . وذلك أنهم لم يكونوا حُصِروا فى المرة الثانية — إذ قيل لهم بعد مسألتهم عن حلية البقرة التى كانوا أمروا بذبحها ، فأبوا إلا تكلف ما قد كُفُوه من المسألة عن صفتها ، فحُصِروا على نوع دون سائر الأنواع ، عقوبةً من الله لهم على مَسألتهم التى سألوها نبيَّهم صلى الله عليه وسلم ، تعنُّتاً منهم له . ثم لم يحصُرهم على لون منها دون لون ، فأبوْا إلا تكلف ما كانوا عن تكلُّفه أغنياء ، فقالوا — تعنُّتاً منهم لنبيهم صلى الله عليه وسلم ، كما ذكر ابن عباس — : « ادعُ لنا ربك يبين لنا ما لونها » ، فقيل لهم عقوبةً لهم : « إنها بقرةٌ صفراءُ فاقعٌ لونُها تسر الناظرين » . فحُصِروا على لون منها دون لون . ومعنى ذلك : أنّ البقرة التى أمرتكم بذبحها صفراءُ فاقعٌ لونها .

* * *

قال أبو جعفر : ومعنى قوله : « يبيّن لنا ما لونُها » ، أىُّ شىء لونُها ؟ فلذلك كان اللون مرفوعاً ، لأنه مُرافع « ما » . وإنّما لم ينصب « ما » بقوله : « يبين لنا » ، لأن أصل « أى » ، و « ما » ، جمعُ متفرق الاستفهام . يقول القائل[1] : بَيِّن لنا أسوداءُ هذه البقرةُ أم صفراءُ ؟ فلما لم يكن لقوله : « بين لنا » أن يقع على الاستفهام متفرّقاً ، لم يكن له أن يقعَ على « أىّ » ، لأنه جَمعُ ذلك المتفرق .[2] وكذلك كل ما كان من نظائره فالعمل فيه واحد ، فى « ما » و « أىٌّ » .

---

(١) فى الأصل المطبوعة « كقول القائل » ، ، وهو فساد .

(٢) كانت هذه الجملة فى المطبوعة : « فلما لم يكن كقوله : بين لنا ، ارتفع على الاستفهام منصرفاً ، لم يكن له ارتفع على أى . . . » ، وهو كلام ضرب عليه التصحيف ضرباً . وانظر ما جاء فى معانى الفراء ١ : ٤٦ — ٤٨ ، ففيه بيان شاف كاف .

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله : « صفراء » . فقال بعضهم : معنى ذلك: سوداء شديدةُ السواد . ذكر من قال ذلك منهم :

١٢١٨ – حدثنى أبو مسعود إسمعيل بن مسعود الجحدرى قال ، حدثنا نوح ابن قيس ، عن محمد بن سيف ، عن الحسن : « صَفراء فاقعٌ لوُنها » ، قال : سوداء شديدة السواد .(١)

١٢١٩ – حدثنى أبو زائدة زكريا بن يحيى بن أبى زائدة . والمثنى بن إبراهيم . قالا ، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال ، حدثنا نوح بن قيس ، عن محمد بن سيف أبى رجاء ، عن الحسن مثله .(٢)

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : صفراء القَرْن والظِّلف . ذكر من قال ذلك :

١٢٢٠ – حدثنى هشام بن يُونس النهشلى قال ، حدثنا حفص بن غياث ، عن أشعث ، عن الحسن فى قوله : « صفراء فاقعٌ لونها » ، قال : صفراء القَرن والظِّلف .(٣)

١٢٢١ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنى هشيم قال ، أخبرنا جويبر ، عن كثير بن زياد ، عن الحسن فى قوله : «صفراء فاقع لَوْنُها» ، قال : كانت وَحشيَّة .(٤)

---

(١) الخبر : ١٢١٨ – أبو مسعود إسمعيل بن مسعود الجحدرى البصرى : ثقة ، روى عنه أيضاً النسائى وأبو حاتم . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ١/١/٢٠٠ . مات سنة ٢٤٨ . نوح بن قيس بن رباح الأزدى الحدانى : ، ثقة ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/١/١١١ – ١١٢ ، وابن أبى حاتم ٤/١/٤٨٣ .

(٢) الخبر : ١٢١٩ – أبو زائدة زكريا بن يحيى بن أبى زائدة : ثقة ، روى عنه أبو حاتم وغيره ، وذكر بعضهم أن البخارى روى عنه . وهو مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ١/٢/٦٠١ – ٦٠٢ . مسلم بن إبرهيم : هو الأزدى الفراهيدى الحافظ . محمد بن سيف : ترجمنا له فيما مضى : ١٣٥ ، وكنيته « أبو رجاء » ، ووقع هنا فى المطبوعة « محمد بن سيف عن أبى رجاء » . وهو خطأ ، صوابه حذف « عن » .

(٣) الخبر : ١٢٢٠ – هشام بن يونس بن وابل النهشلى اللؤلؤى : ثقة ، روى عنه الترمذى ، وسمع منه أبو حاتم . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٤/٢/٧٢ .

(٤) الخبر : ١٢٢١ – كثير بن زياد أبو سهل البرسانى – بضم الموحدة وسكون الراء – الأزدى العتكى : ثقة من أكابر أصحاب الحسن . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/١/٢١٥ ، وابن أبى حاتم ٣/٢/١٥١ . والإسناد ضعيف ، من أجل « جويبر بن سعيد » ، كما ذكرنا ضعفه فى : ٢٨٤ . وسيأتى قريباً برقم : ١٢٥٤ .

١٢٢٢ – حدثني يعقوب قال، حدثنا مروان بن معاوية ، عن إبراهيم ، عن أبي حفص ، عن مَغْراء – أو عن رجل – ، عن سعيد بن جبير : « بقرةٌ صَفراء فاقعٌ لونُها »، قال : صفراء القرن والظلف .(١) ٢٧٤/١

١٢٢٣ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد : هي صَفراء .

١٢٢٤ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا الضحاك بن مخلد ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد : « إنها بَقرة صَفراءُ فاقعٌ لونُها » ، قال : لو أخذوا بقرة صَفراءَ لأجزأت عنهم .

* * *

قال أبو جعفر : وأحسب أن الذي قال في قوله: « صفراء »، يعني به سوداء ، ذهب إلى قولهم في نعت الإبل السود :(٢) « هذه إبل صُفر ، وهذه ناقة صفراء » ، يُعنَى بها سوداء . وإنما قيل ذلك في الإبل ، لأن سوادها يَضرب إلى الصُّفرة ، ومنه قول الشاعر :(٣)

تِلْكَ خَيْلِي مِنْهُ وَتِلْكَ رِكَابِي، هُنَّ صُفْرٌ ، أَوْلاَدُهَا كالزَّبِيبِ(٤)

---

(١) الخبر : ١٢٢٢ – مروان بن معاوية : هو الفزاري الكوفي الحافظ ، من شيوخ أحمد وإسحق والأئمة . مغراء ، بفتح الميم وسكون الغين المعجمة : تابعي روى عن ابن عمر ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وترجمه البخاري في الكبير ٤/٢/٦٥ ، وابن أبي حاتم ٤/١/٤٢٩ ، فلم يذكرا فيه جرحاً . ولكن هذا الإسناد ضعيف ، لتردد الراوي : أنه عن مغراء ، أو عن رجل ، فتردد بين ثقة وبين مبهم .

(٢) في المطبوعة : « ذهب إلى قوله »، وليس بشيء .

(٣) هو الأعشى الكبير .

(٤) ديوانه : ٢١٩ ، والأضداد : ١٣٨ ، واللسان (صفر) ، وغيرها . من قصيدة يمدح بها أبا الأشعث قيس بن معد يكرب الكندي . وكان في الأصل : « تلك خيل منها » وهو خطأ ، فسياق الشعر :

إنَّ قَيْساً، قيسَ الفَعَالِ أبا الأشْـ ـعَثِ أمْسَتْ أمْدَاؤُهُ لِشُعُوبِ

كُلُّ عَامٍ يُمِدُّنِي بِجَمُومٍ عِنْدَ وَضْعِ العِنَانِ أوْ بِنَجِيبِ

... ...

تلك خيلي منه ... ...

وما أظن الطبري يخطيء في رواية هذا الشعر ، والركاب : الإبل التي يسار عليها ، لا واحد لها من لفظها ، واحدتها راحلة . والزبيب: ذاوي العنب ، وأسوده أجوده ، ولكنه ليس خالص السواد . يقول : كل ما أملك من خيل ، ومن إبل قد ولدت لي خير ما تلد الإبل ، فهو من جود أبي الأشعث .

يعنى بقوله : « هُنّ صُفر » ، هن سُود وذلك إن وُصِفت الإبل به ، فليس مما توصف به البقر . مع أنّ العرب لا تصف السواد بالفقوع ، وإنّما تصف السواد — إذا وصفته بالشدة — بالحلوكة ونحوها ، فتقول : « هو أسود حالكٌ وحَانك وحُلكوك ، وأسود غِرْبيبٌ ودَجوجى » — ولا تقول : هو أسودُ فاقع . وإنما تقول : « هو أصفر فاقعٌ » . فوصفه إياه بـ « الفقوع » ، من الدليل البين على خلاف التأويل الذى تأوّل قوله : « إنّها بَقرَة صَفراء فَاقعٌ » المتأوِّلُ ، بأن مَعناه سَوداء شديدة السواد .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى : خالِص لونُها . و « الفقوع » فى الصفرة ، نظير « النُّصُوع » فى البياض ، وهو شدته وصفاؤه ، كما : —

١٢٢٥ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، قال قال قتادة : « فاقعٌ لونُها » ، هى الصافى لونها .

١٢٢٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية : « فاقعٌ لونُها » ، أى صاف لونها .

١٢٢٧ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بمثله .

١٢٢٨ — حدثنا موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فاقعٌ » ، قال : نَقِىٌّ لونها .

١٢٢٩ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « فاقعٌ لونها » ، شديدةُ الصفرة ، تكاد

---

(١) مجرى العبارة : الذى تأول المتأول بأن معناه . « المتأول » فاعل مرفوع .

من صُفرتها تبيّض . وقال أبو جعفر : أُرَاه أبيض ! (١)

١٢٣٠ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « فاقع لونُها »، قال : شديدة صُفرتها .

يقال منه : « فَقع لونه يفقَعُ ويفقُعُ فَقعاً وفُقوعاً، فهو فاقعٌ »، كما قال الشاعر :

حَمَلْتُ عليهِ الوَرْدَ حَتَّى تَرَكْتُه ذَلِيلاً يَسُفُّ التُّرْبُ واللَّوْنُ فَاقِعُ (٢)

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴾ (٦٩)

قال أبو جعفر : يعني بقوله « تسر الناظرين »، تُعجب هذه البقرة – في حُسن خَلقها ومَنظرها وَهيئتها – الناظرَ إليها ، كما : –

١٢٣١ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « تَسر الناظرين »، أي تعجب الناظرين .

١٢٣٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا إسمعيل بن عبد الكريم . قال ، حدثني عبد الصمد بن معقل ، أنه سمع وهباً : « تسر الناظرين »، إذا نظرت إليها يُخيَّل إليك أن شُعاع الشمس يخرج من جلدها .

١٢٣٣ – حدثنا موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « تسرّ الناظرين »، قال : تعجب الناظرين .

* * *

---

(١) كأن أبا جعفر أراد أن يعترض على قوله : « تكاد من صفرتها تبيض » ، فقال ما معناه : لو صح ذلك لكان قوله : « فاقع لونها » ، أي أبيض ، والصفرة تشتد ، فإذا خفت ابيضت . هذا هو معنى ما قاله فيما أرجح .

(٢) لم أعرف قائله . والورد : فرسه .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ (٧٠)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « قالوا » ، قال قوم مُوسى — الذين أمِروا بذبح البقرة — لموسى. فترك ذكرَ مُوسى، وذكر عائد ذكره، اكتفاءً بما دل عليه ظاهرُ الكلام. وذلك أن معنى الكلام: قالوا له: ادعُ رَبك. فلم يذكر «له» لما وصفنا . ٢٧٥/١

وقوله : « يبيّن لنا ما هى »، خبرٌ من الله عن القوم بجَهْلةٍ منهم ثالثة . وذلك أنهم لو كانوا، إذْ أمروا بذبح البقرة، ذبحوا أيَّتها تيسرتْ مما يقع عليه اسمُ بقرة، كانت عنهم مجزئة ، ولم يكن عليهم غيرُها، لأنهم لم يكونوا كلِّفوها بصفة دون صفة . فلما سألوا بيانها بأىّ صفة هى ، بيّن لهم أنها بسنّ من الأسنان دون سِنّ سائر الأسنان،(١) فقيل لهم : هى عوان بين الفارض والبكر والضرع.(٢) فكانوا — إذ بيِّنت لهم سنّها — لو ذبحوا أدنى بَقرَة بالسنّ التى بُيِّنت لهم ، كانت عنهم مُجزئة ، لأنهم لم يكونوا كُلِّفوها بغير السن التى حُدِّتْ لهم ، ولا كانوا حُصِروا على لون منها دون لون . فلما أبوا إلا أن تكون معرَّفَة لهم بنعوتها، مبينةً بحدودها التى تفرِّق بينها وبين سائر بهائم الأرض، فشدَّدوا على أنفسهم — شدَّد الله عليهم بكثرة سُؤالهم نبيَّهم واختلافِهم عليه .

ولذلك قال نبينا صلى الله عليه وسلم لأمته : —

١٢٣٤ — « ذرُونى ما تركتُكم ، فإنما أُهلِك من كان قبلكم بكثرة سُؤالهم واختلافهم على أنبيائهم . فإذا أمرتكم بشىء فأتوه ، وإذا نهيتكم عن شىء فانتهوا عنه ما استطعتم » . (٣)

---

(١) فى المطبوعة : « فبين لهم أنها بسن . . . » ، والفاء لا مكان لها هنا .

(٢) الضرع : الضعيف الضاوى الجسم .

(٣) الحديث : ١٢٣٤ — رواه هنا دون إسناد . وهو من حديث أبى هريرة . ووقع فى آخره خطأ ، قلب معناه . واللفظ الصحيح ، بالمعنى الصحيح ؛ « فإذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم». هذا لفظ البخارى . وقد أفاض الحافظ فى شرحه ، فى الفتح ١٣ : ٢١٩—

قال أبو جعفر : ولكنّ القوم لما زادوا نبيَّهم موسى صلى الله عليه وسلم أذًى وتعنتاً ، زادهم الله عقوبةً وتشديداً ، كما : —

١٢٣٥ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثام بن على ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لو أخذُوا أدنى بقرة اكتفوا بها، لكنهم شدّدوا فشدّد الله عليهم .

١٢٣٦ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا المعتمر قال ، سمعت أيوب ، عن محمد بن سيرين ، عن عَبيدة قال: لو أنهم أخذوا أدنَى بقرة لأجزأت عنهم . (١)

١٢٣٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أيوب —

١٢٣٨ — وحدثني المثنى قال: حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن هشام بن حسان — جميعاً، عن ابن سيرين، عن عبيدة السلماني قال : سألوا وشدّدوا فشُدّد عليهم .

١٢٣٩ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة قال : لو أخذ بنو إسرائيل بقرةً

---

٢٢٦ . ورواه أيضاً أحمد : ٧٣٦١ ، بنحو معناه . وأشرنا هناك إلى كثير من طرقه فى المسند وغيره . وكذلك رواه مسلم ٢ : ٢٢١ ، بنحوه ، من طرق . وكذلك رواه ابن حبان فى صحيحه ، من طرق : ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ (بتحقيقنا) وفى رواية ابن حبان : ١٧ ، « قال ابن عجلان : فحدثت به أبان بن صالح ، فقال لى : ما أجود هذه الكلمة ، قوله : فأتوا منه ما استطعتم » . وهو الحديث التاسع من الأربعين النووية ، وقد شرحه ابن رجب ، فى جامع العلوم والحكم ، شرحاً ممتعاً . ولعل الخطأ الذى وقع هنا خطأ من الناسخين . فما أظن الطبرى يخفى عليه ما فى هذا اللفظ من تهافت .

(١) الخبر : ١٢٣٦ — جاء شيخ الطبرى هنا باسم « عمرو بن عبد الأعلى » ! وما وجدت راوياً يسمى بهذا . وإنما هو « محمد بن عبد الأعلى الصنعانى » ، من شيوخ مسلم وأبى داود وغيرهما ، كما مضى مثل هذا الإسناد على الصواب : ١١٧٢ . ومحمد بن عبد الأعلى : بصرى ثقة، مات سنة ٢٤٥، مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ١/١/١٧٤ ، وابن أبى حاتم ٤/١/١٦ .

لأجزأت عنهم . ولولا قولهم : « وإنا إن شاء اللهُ لمهتدون » ، لما وجدُوها .

١٢٤٠ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « وإذ قالَ مُوسى لقومه إنّ الله يأمرُكم أن تذبحوا بقرة »، لو أخذُوا بقرةً ما كانت ، لأجزأت عنهم . « قالوا ادْعُ لنا ربَك يبين لنا ما هيَ قال إنه يقول إنها بقرةٌ لا فارض ولا بكرٌ »، قال: لو أخذوا بقرةً من هذا الوصف لأجزأت عنهم . « قالوا ادْع لنا ربّك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراءُ فاقعٌ لونُها تسر الناظرين » ، قال : لو أخذوا بقرة صفراء لأجزأت عنهم. « قالوا ادعُ لنا ربَك يبين لنا ما هي »، « قال إنّه يقول إنها بقرةٌ لا ذلُولٌ تُثيرُ الأرْضَ ولا تسقي الحرث » الآية .

١٢٤١ – حدثني المثنى بن إبراهيم قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بنحوه – وزاد فيه : ولكنهم شدّدوا فشُدد عليهم .

١٢٤٢ – حدثني القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج قال ، مجاهد : « لو أخذوا بقرة مّا ، كانتْ أجزأت عنهم . قال ابن جريج ، قال لي عطاء: لو أخذوا أدنىَ بقرة كفتْهم . قال ابن جريج ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما أمرُوا بأدْنى بقرة ، ولكنهم لما شدّدوا على أنفسهم شدد الله عليهم ؛ وايْمُ الله لو أنهم لم يستثنوا لما بُيِّنت لهم آخرَ الأبد .[1]

١٢٤٣ – حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية قال : لو أن القوم حين أمروا أن يذبحوا بقرة ، استعرضوا ٢٧٦/١

(١) الخبر : ١٢٤٢ – جاء في آخره حديث مرفوع ، ذكره ابن جريج . وهو مرسل لا تقوم به حجة . وسيأتي أيضاً : ١٢٤٤ ، عن قتادة مرسلا . وذكر معناه ابن كثير ١ : ٢٠٣ ، من تفسيري ابن أبي حاتم وابن مردويه ، بإسناديهما ، من رواية الحسن ، عن أبي رافع ، عن أبي هريرة ، مرفوعاً ، بنحوه . قال ابن كثير : « وهذا حديث غريب من هذا الوجه . وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة كما تقدم مثله عن السدي » .

بقرةً فذبحوها ، لكانت إيّاها ، ولكنهم شدّدوا على أنفسهم فشدّد الله عليهم . ولولا أن القوم استثنوا فقالوا : « وإنّا إن شاء الله لمهتدون » ، لما هُدُوا إليها أبداً .

١٢٤٤ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذُكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : إنما أُمِر القوم بأدنى بقرة ، ولكنهم لما شددوا على أنفسهم شُدد عليهم . والذى نفس محمد بيده ، لو لم يستثنوا لما بُيِّنت لهم آخرَ الأبد .

١٢٤٥ — حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : فى خبر ذكره ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح . عن ابن عباس قال : لو اعترضُوا بقرة فذبحوُها لأجزأت عنهم ، ولكنهم شددوا وتعنّتوا موسى فشدد الله عليهم .

١٢٤٦ — حدثنا أبو كريب قال : قال أبو بكر بن عياش ، قال ابن عباس : لو أن القوم نظروا أدنى بقرة — يعنى بنى إسرائيل — لأجزأت عنهم ، ولكن شدّدوا فشدّد عليهم ، فاشتروها بملء جلدها دنانير .(١)

١٢٤٧ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : لو أخذوا بقرة كما أمرهم الله كفاهم ذلك ، ولكنّ البلاء فى هذه المسائل ، فقالوا ادعُ لنا ربّك يبين لنا ما هى ، فشدّد عليهم ، فقال : « إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بينَ ذلك » ، فقالوا : « ادع لنا ربك يبين لنا ما لونُها ، قال إنه يقول إنّها بقرة صفراءُ فاقعٌ لونها تسر الناظرين » ، قال : وشدد عليهم أشدّ من الأوّل ، فقرأ حتى بلغ : « مسلّمة لاشيَة فيها » ، فأبوا أيضاً فقالوا : « ادع لنا ربك يبين لنا ما هى إنّ البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون » فشدد عليهم ، فقال : « إنه يقولُ إنّها بقرة لا ذلول تثير الأرضَ ولا تسقى الحرثَ مُسلّمة لاشيَة فيها » ،

(١) الخبر : ١٢٤٦ — هذا الإسناد منقطع بين أبى بكر بن عياش وابن عباس ، كما هو ظاهر . لأن أبا بكر إنما يروى عن التابعين ، ومولده بعد موت ابن عباس بدهر . وهذا الخبر ذكره السيوطى ١ : ٧٧ ، ونسبه لابن جرير ، وابن أبى حاتم « من طرق » .

قال : فاضطروا إلى بقرة لا يُعلم على صفتها غيرُها ، وهى صفراءُ ليس فيها سواد ولا بياضٌ . (١)

* * *

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال التى ذكرناها عمن ذكرناها عنه — من الصحابة والتابعين والخالفين بعدهم ، من قولهم إنّ بنى إسرائيل لو كانوا أخذُوا أدنى بقرة فذبحوها أجزأت عنهم ، ولكنهم شددوا فشدّد الله عليهم — من أوضح الدلالة على أن القوم كانوا يرون أنّ حكم الله ، فيما أمر ونهى فى كتابه وعلى لسان رَسُوله صلى الله عليه وسلم ، على العموم الظاهر ، دون الخصوص الباطن ، (٢) إلا أن يخص بعضَ ما عمَّه ظاهرُ التنزيل ، كتابٌ من الله أو رسولُ الله ؛ وأن التنزيل أو الرسول ، إن خصّ بعض ما عمَّه ظاهرُ التنزيل بحكمٍ خلافِ ما دلّ عليه الظاهر ، فالمخصوص من ذلك خارجٌ من حكم الآية التى عمَّت ذلك الجنس خاصة ، وسائرُ حُكم الآية على العموم ؛ على نحو ما قد بيناه فى كتابنا ﴿ كتاب الرسالة ﴾ من ﴿ لطيف القول فى البيان عن أصول الأحكام ﴾ — فى قولنا فى العموم والخصوص ، وموافقةِ قولهم فى ذلك قولَنا ومذهبِهم مذهبَنا ، وتخطئتهم قولَ القائلين بالخصوص فى الأحكام ، وشهادتهم على فساد قول من قال : حُكمُ الآية الجائية مجىء العموم على العموم ، ما لم يُختصّ منها بعض ما عمّته الآية . فإن خُص منها بعضٌ ، فحكم الآية حينئذ على الخصوص فيما خُصّ منها ، وسائر ذلك على العموم .

وذلك أن جميع مَنْ ذكرنا قوله آنفاً — ممن عابَ على بنى إسرائيل مسألتَهم نبيَّهم صلى الله عليه وسلم عن صِفة البقرة التى أمروا بذبحها وسِنِّها وحِليتها — رأوا أنهم كانوا فى مسألتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مُوسى ذلك مخطئين ، وأنهم لو كانوا استعرَضوا أدْنى بقرة من البقر — إذْ أمِروا بذبحها بقوله : « إن الله يأمركم أن تذْبحوا بقرة » ، فذبَحوها — كانوا للواجب عليهم من أمر الله فى ذلك ٢٧٧/١

(١) الأثر : ١٢٤٧ — سيأتى تمامه فى رقم : ١٢٧٣ .

(٢) انظر ما مضى فى تفسير « الظاهر ، والباطن » : ٢ : ١٥ والمراجع

مؤدِّين، وللحق مُطيعين، إذ لم يكن القوم حُصروا على نوع من البقر دون نوع، وسنّ دون سنّ.

ورأوا مع ذلك أنّهم — إذْ سألوا موسى عن سنها فأخبرهم عنها، وحصرهم منها على سنّ دون سنّ ونوع دون نوع، وخصّ من جميع أنواع البقر نوعاً منها — كانوا فى مسألتهم إيّاه فى المسألة الثانية، بعد الذى خصّ لهم من أنواع البقر، من الخطأ على مثل الذى كانوا عليه من الخطأ فى مسألتهم إيّاه المسألةَ الأولى.

وكذلك رأوا أنهم فى المسألة الثالثة على مثل الذى كانوا عليه من ذلك فى الأولى والثانية، وأن اللازمَ كان لهم فى الحالة الأولى، استعمالُ ظاهر الأمر، وذبح أىِّ بهيمة شاؤُوا مما وقع عليها اسم بقرة.

وكذلك رأوا أنّ اللازم كان لهم فى الحال الثانية، استعمالُ ظاهر الأمر وذبح أىّ بهيمة شاؤوا مما وقع عليها اسم بقرة عوَان لا فارض ولا بكر، ولم يَرَوا أنّ حكمهم — إذْ خُصّ لهم بعض البقر دون البعض فى الحالة الثانية — انتقل عن اللازم الذى كان لهم فى الحالة الأولى، من استعمال ظاهر الأمر إلى الخصوص.

ففى إجماع جميعهم على ما روينا عنهم من ذلك — مع الرواية التى رويناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموافقة لقولهم — دليلٌ واضح على صحّة قولنا فى العموم والخصوص، وأنّ أحكام الله جل ثناؤه فى آى كتابه — فيما أمر ونهى — على العموم، ما لم يَخصّ ذلك ما يجبُ التسليم له. وأنه إذا خُصّ منه شىء، فالمخصوص منه خارجٌ حكمه من حكم الآية العامّة الظاهرِ، وسائر حُكم الآية على ظاهرها العام — ومؤيدٌ حقيقةَ ما قلنا فى ذلك،[1] وشاهدٌ عدلٌ على فساد قول من خالف قولنا فيه.

---

(١) فى المطبوعة: «ويؤيد حقيقة ما قلنا . . .»، وهو خطأ، وقوله «ومؤيد حقيقة ما قلنا» معطوف على قوله آنفاً: «فى إجماع جميعهم . . . دليل واضح . . . ومؤيد حقيقة ما قلنا . . . وشاهد عدل . . .»

وقد زعم بعض من عظمت جهالته ، واشتدت حيرُته ، أنّ القوم إنما سألوا مُوسى ما سألوا بعد أمر الله إياهم بذبح بقرة من البقر ، لأنّهم ظنوا أنهم أمِروا بذبح بقرة بعينها خُصَّت بذلك ، كما خُصَّت عصا موسى فى معناها ، فسألوه أن يحلّيها لهم ليعرُفوها .

ولو كان الجاهلُ تدبَّر قولَه هذا ، لسهل عليه ما استصعب من القول . وذلك أنه استعظمَ من القوم مسألتهم نبيَّهم ما سألوه تشدداً منهم فى دينهم ، ثم أضافَ إليهم من الأمر ما هو أعظم مما استنكرهُ أن يكونَ كانَ منهم . فزعم أنّهم كانوا يرون أنه جائز أن يفرضَ الله عليهم فرضاً ، ويتعبَّدهم بعبادة ، ثم لا يبيّن لهم ما يفرض عليهم ويتعبَّدهم به ، حتى يسألوا بيانَ ذلك لهم ! فأضاف إلى الله تعالى ذكرُه ما لا يجوز إضافته إليه ، ونسب القومَ من الجهل إلى مالا يُنسَب المجانين إليه ! فزعم أنهم كانوا يسألون ربهم أن يفرض عليهم الفرائض ، فنعوذ بالله من الحَيْرة ، ونسأله التوفيق والهداية .

* * *

وأما قوله : « إنّ البقر تشابه علينا » ، فإن « البقر » جماع بَقرة .

وقد قرأ بعضهم : « إنّ الباقِر » ، وذلك — وإن كانَ فى الكلام جائزاً ، لمجيئه فى كلام العرب وأشعارها ، كما قال ميمون بن قيس : (١)

وَما ذَنْبُهُ أَنْ عافَتِ الماءَ باقِرٌ ... وَمَا إِنْ تَعافُ الماءَ إِلاَّ لِيُضْرَبَا (٢)

---

(١) يعنى الأعشى الكبير .

(٢) ديوانه : ٩٠ ، والحيوان ١ : ١٩ (وانظر أيضاً ١ : ٣٠١ ، ٦ : ١٧٤) ، واللسان (ثور) وغيرها . من قصيدة يقولها لبنى قيس بن سعد ، وما كان بينه وبينهم من قطيعة بعد مواصلة ومودة ، وقبل البيت :

وإنِّى وما كلّفتمونى — وربِّكُمْ ... لَيُعْلَمُ مَنْ أَمْسى أَعَقَّ وَأَحْرَبَا

لَكالثَّوْرِ ، والجِنِّىُّ يَضْرِبُ ظَهْرَهُ ... وَمَا ذَنْبُهُ إِنْ عافَتِ الماءَ مَشْرَبَا

قال الجاحظ : « كانوا إذا أوردوا البقر فلم تشرب ، إما لكدر الماء أو لقلة العطش ، ضربوا الثور ليقتحم الماء ، لأن البقر تتبعه كما تتبع الشول الفحل ، وكما تتبع أتن الوحش الحمار . . . وكانوا يزعمون

وكما قال أمية :(١)

وَيَسُوقُون باقِرَ السَّهْلِ لِلطَّـ ـوْدِ مَهَازِيلَ خَشْيَةً أنْ تَبُورَا (٢)

— فغير جائزةٍ القراءةُ به، لمخالفته القراءة الجائية مجيء الحجّة، بنقل مَنْ لا يجوز عليه — فيما نقلوه مجمعين عليه — الخطأ والسهو والكذب .

* * *

وأما تأويل قوله : « تَشابَهَ علينا » ، فإنه يعنى به : التَبَس علينا. والقرّأةُ مختلفة ٢٧٨/١ فى تلاوته .(٣) فبعضهم كانوا يتلونه : « تَشَابَهَ علينا » ، بتخفيف الشين ونصب الهاء ، على مثال « تَفاعل » ، ويذكّر الفعلَ ، وإن كان « البقر » جماعاً . لأن من شأن العرب تذكيرُ كلّ فعلٍ جمع كانت وِحْدَانُهُ بالهاء، وجمعه بطرح الهاء — وتأنيثُه ،(٤) كما قال الله تعالى فى نظيره فى التذكير : ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾ [سورة القمر : ٢٠] ، فذكّر « المنقعر » وهو من صفة النخل ، لتذكير لفظ « النخل » — وقال فى موضع آخر : ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ [سورة الحاقة : ٧] ، فأنّث « الخاوية » — وهى من صفة « النخل » — بمعنى النخل.(٥) لأنها وإنْ كانت فى لفظ الواحد المذكر — على ما وصفنا قبل — فهى جماع « نخلة » .

أن الجن هى التى تصد الثيران عن الماء ، حتى تمسك البقر عن الشرب ، حتى تهلك . . . كأنه قال : إذا كان يضرب أبداً لأنها عافت الماء، فكأنها إنما عافت الماء ليضرب » .

(١) يعنى : أمية بن أبى الصلت .

(٢) ديوانه : ٣٥ ، والحيوان ٤ : ٤٦٧ ، والأزمنة والأمكنة ٢ : ١٢٤ ، وغيرها . وفى الأصل المطبوع : « باقر الطود للسهل » ، وفى الديوان والحيوان « باقراً يطرد السهل » ، وصواب الرواية ما أثبته من الأزمنة . قال الجاحظ فى ذكر نيران العرب : « ونار أخرى : وهى النار التى كانوا يستمطرون بها فى الجاهلية الأولى . فإنهم كانوا إذا تتابعت عليهم الأزمات ، وركد عليهم البلاء ، واشتد الجدب ، واحتاجوا إلى الاستمطار ، اجتمعوا وجمعوا ما قدروا عليه من البقر ، ثم عقدوا فى أذنابها وبين عراقيبها السلع والعشر ، ثم صعدوا بها فى جبل وعر ، وأشعلوا فيها النيران ، وضجوا بالدعاء والتضرع ، فكانوا يرون أن ذلك من أسباب السقيا » ، وقال ابن الكلبى : « كانوا يضرمون تفاؤلا للبرق » والمهازيل جمع مهزول ، مثل هزيل وجمعه هزلى : وهى التى ضعفت ضعفاً شديداً وذهب سمنها . وتبور : تهلك .

(٣) فى المطبوعة : « والقراء » ، ورددتها إلى ما جرى عليه لفظ الطبرى ، كما سلف مراراً .

(٤) وحدان جمع واحد : ويعنى أفراده . وقوله « وتأنيثه » معطوف على قوله « تذكير كل فعل »

(٥) السياق : « فأنث (الخاوية) . . . بمعنى النخل » ، يعنى أنثها من أجل معناه وهو جمع مؤنث ، ولم يذكره من أجل لفظه ، وهو مذكر .

* * *

وكان بعضهم يتلوه : « إنّ البقرَ تَشَّابهُ عَلينا » ، بتشديد الشين وضم الهاء ، فيؤنث الفعل بمعنى تأنيث « البقر » ، كما قال : « أعجازُ نَخل خاوية » ، ويدخل فى أول « تَشَابه » « تاء » تدل على تأنيثها ، ثم تُدغم التاء الثانية فى « شين » « تشابه » لتقارب مخرجها ومخرج « الشين » ، فتصير « شيناً » مشدّدة ، وتُرْفع « الهاء » بالاستقبال والسلامةِ من الجوازم والنواصب .

* * *

وكان بعضهم يتلوه : « إنّ البقرَ يَشَّابهُ عَلينا » ، فيخرج « يَشَّابه » مُخرج الخبر عن الذّكَر ، لما ذكرنا من العلة فى قراءة من قرأ ذلك « تَشَابه » بالتخفيف ونصْب « الهاء » ، غير أنه كان يرفعه بـ « الياء » التى يحدثها فى أول « تَشابه » التى تأتى بمعنى الاستقبال ، وتدغم « التاء » فى « الشين » كما فعله القارئ فى « تَشَّابه » بـ « التاء » والتشديد .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب فى ذلك من القراءة عندنا : « إنّ البقرَ تَشَابهَ علينا » ، بتخفيف « شين » « تَشابه » ونصب « هائه » ، بمعنى « تفاعل » ، لإجماع الحجة من القراء على تصويب ذلك ، ودفعِهم ما سواه من القراآت .[1] ولا يُعترض على الحجّة بقول مَنْ يجوز عليه فيما نَقل السهوُ والغفلة والخطأ .

* * *

وأما قوله « وإنّا إن شاءَ الله لَمهتدونَ » ، فإنهم عنوا : وإنّا إن شاء اللهُ لمبيَّنٌ لنا ما التبسَ علينا وتَشابه من أمر البقرة التى أمرنا بذبحها . ومعنى « اهتدائهم » فى هذا الموضع معنى : « تبيُّنهم » أىُّ ذلك الذى لزمهم ذبْحه مما سواه من أجناس البقر .[2]

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « ورفعهم » ، والصواب ما أثبته .

(٢) يعنى أن ذلك من قولهم : هداه ، أى بين له ، ومنه قوله تعالى : « وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ » ، أى بينا لهم طريق الهدى .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلاَ تَسْقِي الحَرْثَ ﴾

قال أبو جعفر : وتأويل ذلك : قال موسى : إن الله يقول إنّ البقرةَ التى أمرتكم بذبحها بقرَة لا ذلولٌ . ويعنى بقوله : « لا ذلولٌ » ، أى لم يُذلّلها العمل . فمعنى الآية : إنها بقرة لم تُذلّلها إثارة الأرض بأظلافها ، ولا سُنِيَ عليها الماءُ فيُسقى عليها الزرع .[1] كما يقال للدابة التى قد ذلّلها الركوب أو العمل : « دابة ذلول بينةُ الذُّل » بكسر الذال .[2] ويقال فى مثله من بنى آدم : « رجل ذليل بين الذُّلّ والذِّلة » .

١٢٤٨ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إنها بقرَة لا ذلولٌ » ، يقول : صَعبة لم يُذلِها عملٌ ، « تثير الأرض ، ولا تَسقى الحرْث » .

١٢٤٩ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « إنّها بقرَة لا ذلولٌ تُثير الأرض » ، يقول : بقرة ليست بِذَلول يُزْرع عليها ، وليست تَسقى الحرث .

١٢٥٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية : « إنّها بقرَةٌ لا ذلول » ، أى لم يذللها العمل . « تُثير الأرض » يعنى : ليست بذلول فتثير الأرض . « ولا تَسقى الحرث » ، يقول : ولا تعمل فى الحرث .

١٢٥١ — حُدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن

---

(١) سنت الناقة تسنو ، وسنا الرجل يسنو سنواً وسناية : إذا سقى الأرض . والسانية : هى الناضحة ، وهى الناقة أو غيرها مما يسقى عليها الزرع ، والجمع : السوانى .

(٢) الذل : اللين ، ضد الصعوبة .

الربيع : « إنّها بقرة لا ذلول » ، يقول : لم يذلّها العملُ ، « تثير الأرض » ، يقول : تثير الأرض بأظلافها ،[1] « ولا تسقى الحرث » ، يقول : لا تعمل فى الحرث .

١٢٥٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال الأعرج ، قال مجاهد ، قوله : « لا ذلول تُثير الأرْض ولا تسقى الحَرْث » ، يقول : ليست بذلول فتفعل ذلك .

١٢٥٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة : ليست بذَلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث . ٢٧٩/١

* * *

قال أبو جعفر : ويعنى بقوله « تُثير الأرض » ، تقلبُ الأرض للحرث . يقال منه : « أثرت الأرض أثيرها إثارة » ، إذا قلبتها للزرع . وإنما وصفها جل ثناؤه بهذه الصفة ، لأنها كانت — فيما قيل — وَحْشِيّة .

١٢٥٤ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا جويبر ، عن كثير بن زياد ، عن الحسن قال : كانت وَحْشِيّة .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ مُسَلَّمَةٌ ﴾

قال أبو جعفر : ومعنى « مُسلَّمة » « مفعَّلة » من « السَّلامة » . يقال منه : « سُلِّمتْ تُسلَّم فهى مُسلَّمة » .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى سُلِّمت منه ، فوصفها الله بالسلامة منه . فقال مجاهد بما : —

١٢٥٥ — حدثنا به محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « مسلَّمة » ، يقول : مسلمة من الشِّيَة ، و« لا شِيَة فيها » ،

(١) فى المطبوعة : « تبين الأرض » ، وهو تصحيف .
(٢) الأثر : ١٢٥٤ — سلف قريباً برقم : ١٢٢١ .

لا بياضَ فيها ولا سواد .

١٢٥٦ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

١٢٥٧ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال مجاهد : « مسلمة » ، قال : مسلَّمة من الشيَة ، « لاشِيَةَ فيها » ، لا بياضَ فيها ولا سواد .

* * *

وقال آخرون : مسلَّمة من العيوب . ذكر من قال ذلك :

١٢٥٨ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « مسلَّمة لاشِيَة فيها » ، أي مسلَّمة من العيوب .

١٢٥٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « مسلَّمة » ، يقول : لا عيب فيها .

١٢٦٠ – حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : « مسلَّمة » ، يعني : مسلمة من العيوب .

١٢٦١ – حُدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بمثله .

١٢٦٢ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال ابن عباس قوله : « مسلمة » ، لا عَوارَ فيها .[1]

* * *

قال أبو جعفر : والذي قاله ابن عباس وأبو العالية ومن قال بمثل قولهما في تأويل ذلك ، أولى بتأويل الآية مما قاله مجاهد . لأن سَلامَتها لو كانت من سائر أنواع الألوان سِوَى لون جلدها ، لكان في قوله : « مسلَّمة » مُكتفًى عن قوله : « لاشِيَةَ فيها » . وفي قوله « لاشِيَة فيها » ، ما يوضح عن أنّ معنى قوله : « مسلَّمة » ، غيرُ معنى قوله : « لاشية فيها » . وإذْ كان ذلك كذلك ، فمعنى الكلام : إنه

(١) العوار (بفتح العين ، وتضم) : العيب .

يقول إنها بقرة لم تُذلَّلها إثارة الأرض وقلبُها للحراثة، ولا السُّنُوُّ عليها للمزارع ،[١] وهى مع ذلك صحيحةٌ مسلَّمة من العيوب .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ لَاشِيَةَ فِيهَا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « لاشية فيها » ، لا لونَ فيها يخالف لونَ جلدها . وأصله من « وَشْيِ الثَّوب » ، وهو تحسين عيوبه التى تكون فيه ، بضروب مختلفة من ألوان سَداه ولُحمته .[٢] يقال منه : « وَشيب الثوب فأنا أشيه شيةً ووَشْياً » ، ومنه قيل للساعى بالرجل إلى السلطان أو غيره : « وَاشٍ » ، لكذبه عليه عنده ، وتحسينه كذَبه بالأباطيل . يقال منه : « وَشَيْتُ به إلى السلطان وِشايةً » ، ومنه قول كعب بن زهير :

تَسْعَى الْوُشَاةُ جَنَابَيْهَا، وقَوْلُهُمُ : إنَّكَ يَا ابْنَ أَبِي سُلْمَى لَمَقْتُولُ[٣]

و « الوُشاة جمع واش » ، يعنى أنهم يتقوّلون بالأباطيل ، ويخبرونه أنه إن لحق بالنبى صلى الله عليه وسلم قتَله .

وقد زعم بعض أهل العربية أن « الوشْىَ » ، العلامة . وذلك لا معنى له ، إلا أن يكون أراد بذلك تحسينَ الثَّوب بالأعلام . لأنه معلوم أن القائل : « وشَيْت بفلان إلى فلان » ، غيرُ جائز أن يُتوَهم عليه أنه أراد : جعلت له عنده علامة .

---

(١) انظر ما سلف فى هذا الجزء : ٢١١ تعليق : ١

(٢) السدى : الأسفل من الثوب ، واللحمة : الأعلى منه يداخل السدى .

(٣) ديوانه : ١٩ ، وسيرة ابن هشام ٤ : ١٥٣ ، والروض الأنف ٢ : ٣١٤ ، والفائق (قحل) ، ورواية الديوان « بجنبيها » ورواية ابن هشام : « تسعى الغواة » . وقوله : « جنابيها » . والجناب : الناحية ، ويريد ناحية الجنب . يقال : «جنبيه ، وجانبيه ، وجنابيه » . والضمير فى قوله : « جنابيها » لناقته التى ذكرها قبل . وقوله : « وقولهم : إنك ... » ، حال ، أى : وهم يقولون ، والمعنى يكثرون القول عليه : إنك يا ابن أبى سلمى لمقتول ، كأنهم لا يقولون غير ذلك ، ترهيباً له وتخويفاً .

وإنما قيل : « لاشِيةَ فيها » وهي من « وَشَيت » ، لأن «الواو» لما أسقِطت من أوّلها أبدلتْ مكانَها «الهاءُ» في آخرها . كما قيل : «وَزنته زِنة» و « وسِن سِنة »[1] و « وَعدته عِدة » و « ودَيْتهُ دِية » . ٢٨٠/١

* * *

وبمثل الذي قلنا في معنى قوله : « لاشيةَ فيها » ، قال أهل التأويل :

١٢٦٣ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « لاشية فيها » ، أي لا بياض فيها .

١٢٦٤ – حدثنا الحسن قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة مثله .

١٢٦٥ – حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : « لا شِيَة فيها » ، يقول : لا بياض فيها .

١٢٦٦ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « لا شية فيها » ، أي لا بياض فيها ولاسواد .

١٢٦٧ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

١٢٦٨ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية : « لا شية فيها » ، قال : لونها واحد ، ليس فيها سِوَى لونها .

١٢٦٩ – حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « لا شية فيها » ، من بياض ولا سَواد ولا حمرة .

١٢٧٠ – حدثني يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « لا شية فيها » ، هي صفراء ، ليس فيها بياض ولا سواد .

١٢٧١ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « لا شية فيها » ، يقول : لا بياض فيها .

* * *

(١) في المطبوعة : « ووسيته سية » ، وهو كلام لا أصل له ، وكأنه مصحف ما أثبت .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قَالُوا ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « قالوا الآن جئتَ بالحق ». فقال بعضهم : معنى ذلك : الآن بيَّنت لنا الحق، فتبيَّناه، وعرَفنا أيَّة بقرة عنَيتَ.[1] وممن قال ذلك، قتادة :

١٢٧٢ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « قالوا الآنَ جئتَ بالحق »، أى الآن بيَّنتَ لنا .

* * *

وقال بعضهم : ذلك خبر من الله جل ثناؤه عن القوْم أنهم نَسبوا نبى الله موسى صلواتُ الله عليه ، إلى أنه لم يكن يأتيهم بالحق فى أمر البقرة قبل ذلك . وممن روى عنه معنى هذا القول ، عبدُالرحمن بن زيد :

١٢٧٣ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : اضطُرُّوا إلى بقرة لا يَعلمون على صفتها غيرَها ، وهى صفراء ليس فيها سواد ولا بياض، فقالوا: هذه بقرةُ فلان: « الآن جئت بالحق»، وقبل ذلك والله قد جاءَهم بالحق .[2]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين عندنا بقوله: « قالُوا الآنَ جِئتَ بالحق»، قولُ قتادة . وهو أن تأويله : الآن بيَّنت لنا الحق فى أمر البقر ، فعرفنا أيُّها الواجبُ علينا ذَبحها منها.[3] لأن الله جل ثناؤه قد أخبر عنهم أنهم قد أطاعوه فذَبحوها، بعد

(١) فى المطبوعة : « فتبيناه وعرفناه أنه بقرة عينت » ، تصحيف وتحريف ، وهو فاسد جداً . مضى فى ص : ٢٠٩ نقض الطبرى لقول من زعم أنهم ظنوا أنهم أمروا بذبح بقرة بعينها . فسألوه أن يصفها لهم ليعرفوها ، وسمى قائل ذلك : جاهلا ، وشنى فى بيان جهله ، فلو كان الله تعالى « عينها » لهم ، لبين لهم ما عين ، إذا أمر بذبحها .

(٢) الأثر : ١٢٧٣ — بعض الأثر : ١٢٤٧ ، وهنا زيادة عليه من تمامه .

(٣) فى المطبوعة : « الآن بينت لنا الحق فى أمر البقرة ، فعرفنا أنها الواجب علينا ذبحها منها » ، و « البقرة » و « أنها » تصحيف وتحريف ، يفسد معنى ما قال الطبرى آنفاً ص : ٢٠٩ ، وما سيأتى بعد هذه الجملة . وانظر التعليق السالف رقم : ١

قيلهم هذا . مع غلظ مؤونة ذبحها عليهم ، وثقل أمرها ، فقال : « فذبحوها وما كادوا يفعلون » ، وإن كانوا قد قالوا – بقولهم : الآن بيّنت لنا الحق – هراءً من القول ، وأتوا خطأً وجهلاً من الأمر . وذلك أن نبيّ الله موسى صلى الله عليه وسلم كان مبيّناً لهم – فى كل مسألة سألوها إياه ، وردّ رادّوه فى أمر البقر –[1] الحقّ . وإنما يقال : « الآن بينت لنا الحق » ، لمن لم يكن مبيّناً قبل ذلك ، فأما من كان كُلّ قيله – فيما أبان عن الله تعالى ذكره – حقًّا وبياناً ، فغير جائز أن يقال له = فى بعض ما أبان عن الله فى أمره ونهيه ، وأدّى عنه إلى عباده من فرائضه التى أوجبها عليهم = : « الآن جئت بالحق » ، كأنه لم يكن جاءهم بالحق قبل ذلك !

* * *

وقد كان بعض من سلف يزعم أن القوم ارتدّوا عن دينهم وكفروا بقولهم لموسى : « الآن جئت بالحق » ، ويزعم أنهم نفوا أن يكون موسى أتاهم بالحق فى أمر البقرة قبل ذلك ، وأن ذلك من فعلهم وقيلهم كفر .

وليس الذى قال من ذلك عندنا كما قال ، لأنهم أذعنوا بالطاعة بذبحها ، وإن كان قيلهم الذى قالوه لموسى جهلة منهم ، وهفوة من هفواتهم . ٢٨١/١

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « فذبحوها » ، فذبح قوم موسى البقرة ، التى وصفها الله لهم وأمرهم بذبحها .

ويعنى بقوله : « وما كادوا يفعلون » ، أى : قاربوا أن يدعوا ذبحها ، ويتركوا فرض الله عليهم فى ذلك .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله كادوا أن يضيعوا فرض الله عليهم ، فى ذبح ما أمرهم بذبحه من ذلك . فقال بعضهم : ذلك السببُ كان

(١) السياق : « كان مبيناً لهم . . . الحق » ، ما بينهما فصل ، كعادته فى الفصل .

غلاءَ ثمن البقرة التي أمِروا بذبحها ، وبُيِّنت لهم صفتها . ذكر من قال ذلك :

١٢٧٤ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا أبو معشر المدنى ، عن محمد بن كعب القُرَظيّ فى قوله : «فذَبحوها وما كادُوا يَفعلون» قال : لغلاء ثمنها .

١٢٧٥ – حدثنا محمد بن عبد الله بن عبيد الهلالى قال ، حدثنا عبد العزيز ابن الخطاب قال ، حدثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرَظى : « فذَبحوها وما كادُوا يَفعلون » ، قال : من كثرة قيمتها .(١)

١٢٧٦ – حدثنا القاسم قال ، أخبرنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد – وحجاج ، عن أبى معشر ، عن محمد بن كعب القُرظى ومحمد بن قيس – فى حديث فيه طول ، ذكر أن حديث بعضهم دخل فى حديث بعض – قوله : « فذبحوها وما كادُوا يَفعلون » ، لكثرة الثمن ، أخذوها بملء مَسْكها ذهباً من مال المقتول ،(٢) فكان سواءً ، لم يكن فيه فَضْل ، فذبحوها .

١٢٧٧ – حدثت عن المنجاب قال ، حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « فذبحوها وَما كادُوا يفعلون » ، يقول : كادُوا لا يفعلون ، ولم يكن الذى أرادوا ، لأنهم أرادوا أن لا يذبحوها : وكل شىء فى القرآن « كاد » أو « كادوا » أو « لو » ، فإنه لا يكون . وهو مثل قوله : ﴿ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ [سورة طه : ٢٠]

* * *

وقال آخرون : لم يكادوا أن يفعلوا ذلك خوف الفضيحة ، إن أطلع الله على

---

(١) الخبر : ١٢٧٥ – محمد بن عبد الله بن عبيد بن عقيل الهلالى ، شيخ الطبرى : ثقة ، روى عنه أيضاً أبو داود والنسائى وابن ماجة وغيرهم . مترجم فى التهذيب ، ولم أجد له ترجمة فى غيره . عبد العزيز ابن الخطاب الكوفى أبو الحسن : ثقة ، روى عنه أبو زرعة وأبو حاتم وغيرهما ، مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٢/٢/٣٨١ . أبو معشر : هو نجيح – بفتح النون – بن عبد الرحمن السندى – بكسر السين – المدنى ، وهو ضعيف . البخارى فى الكبير ٤/٢/١١٤ ، وقال : « منكر الحديث » . وابن أبى حاتم ٤/١/٤٩٥ . محمد بن كعب القرظى : تابعى ثقة معروف .

(٢) المسك (بفتح فسكون) : جلد البقرة وغيرها من الحيوان .

قاتل القتيل الذى اختصموا فيه إلى موسى .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من التأويل عندنا : أن القوم لم يكادوا يفعلون ما أمرَهم الله به من ذبح البقرة ، للخلّتين كلتيهما : إحداهما : غلاء ثمنها، مع ما ما ذُكر لنا من صِغَر خطرها وقلة قيمتها؛ والأخرى : خوفُ عظيم الفضيحة على أنفسهم ، بإظهار الله نبيَّه موسى صلوات الله عليه وأتباعَه — على قاتله .

* * *

فأما غلاءُ ثمنها ، فإنه قد رُوى لنا فيه ضروب من الروايات :

١٢٧٨ — فحدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى . قال : اشتروها بوزنها عشر مرات ذهباً ، فباعهم صاحبها إيّاها وأخذ ثمنها .

١٢٧٩ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال: حدثنا المعتمر بن سليمان قال ، سمعت أيوب، عن محمد بن سيرين، عن عَبيدة قال: اشتروها بملء جلدها دنانير.

١٢٨٠ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد قال : كانت البقرة لرجل يَبَرُّ أمَّه ، فرزقه الله أن جعل تلك البقرة له ، فباعها بملء جلدها ذهباً .

١٢٨١ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل قال، حدثنى خالد بن يزيد، عن مجاهد قال: أعطوا صاحبَها ملء مَسْكها ذهباً فباعها منهم.

١٢٨٢ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا إسمعيل بن عبد الكريم قال ، حدثنى عبد الصمد بن معقل ، أنه سمع وهباً يقول : اشتروها منه على أن يملأوا له جلدها دنانير ، ثم ذبَحوها فعمدوا إلى جلد البقرة فملأوه دنانير ، ثم دفعوها إليه.

١٢٨٣ — حدثنى محمد بن سعد قال حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى[1]

---

(١) فى المطبوعة : « محمد بن سعيد قال حدثنى أبى ، قال حدثنى يحيى » ، وهذا ، خطأ ، والصواب ما أثبته . وقد مضى الكلام على هذا الإسناد وفى ١ : ٢٦٣ — ٢٦٤ ، وهو كثير الدوران فى تفسير الطبرى» ، وسيأتى بعد فى رقم : ١٢٩٠ على الصواب .

قال ، حدثني أبي ، عن أبيه، عن ابن عباس قال : وجدُوها عند رجل يزعُم أنه ليس بائعَها بمالٍ أبداً، ؛ فلم يزالوا به حتى جعلوا له أن يسلُخوا له مَسْكها ١/٢٨٢ فيملأوه له دنانير ، فرَضي به ، فأعطاهم إياها .

١٢٨٤ – حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ،عن أبي العالية قال: لم يجدُوها إلا عند عجوز ، وإنها سألتهم أضعاف ثمنها ، فقال لهم موسى : أعطوها رضَاها وحُكمها . ففعلوا ، واشتروها فذبحوها .

١٢٨٥ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر قال ، قال أيوب ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة قال: لم يجدوا هذه البقرةَ إلا عند رجل واحد ، فباعها بوزنها ذهباً – أو ملء مَسْكِها ذهباً – فذبحوها .

١٢٨٦ – حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال، حدثنا أبو جعفر ، عن هشام ابن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة السلماني ، قال : وجدوا البقرة عند رجل،فقال: إني لا أبيعها إلا بملء جلدها ذهباً: فاشتروها بملْءِ جلدها ذهباً.

١٢٨٧ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : جعلوا يزيدون صاحبَها حتى ملأوا له مَسْكَها – وهو جلدها – ذهباً .

* * *

وأما صِغر خطَرها وقلة قيمتها، فإن الحسن بن يحيى :–

١٢٨٨ – حدثنا قال، حدثنا عبد الرزاق قال،أخبرنا ابن عيينة قال، حدثني محمد بن سوقة ، عن عكرمة قال : ما كان ثمنها إلا ثلاثة دنانير .

* * *

وأما ما قُلنا من خوفهم الفضيحة على أنفسهم،فإن وهب بن منبه كان يقول: إن القوم إذْ أُمروا بذبح البقرة، إنما قالوا لموسى : «أتتخذنا هُزُوا »، لعلمهم بأنهم سيفتضحون إذا ذُبحت ، فحادُوا عن ذبحها .

١٢٨٩ – حدثت بذلك عن إسمعيل بن عبد الكريم ، عن عبد الصمد بن معقل ، عن وهب بن منبه .

وكان ابن عباس يقول : إن القومَ ، بعد أنْ أحيا الله الميِّت فأخبرهم بقاتله،

أنكرت قَتَلَتُه قتله، فقالوا: والله ما قتلناهُ، بعد أن رأوا الآية والحق .

١٢٩٠ — حدثني بذلك محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا ﴾

قال أبو جعفر : يعني بقوله جل ثناؤه : « وإذْ قَتلتم نفساً » ، واذكروا يا بني إسرائيل إذ قتلتم نفساً . « والنفسُ » التي قتلوها ، هي النفس التي ذكرنا قصتها في تأويل قوله : « وإذْ قال مُوسى لقومه إن الله يأمركم أنْ تذبحوا بقرة » .

* * *

وقوله : « فادّارأتُم فيها » ، يعني : فاختلفتم وتنازعتم . وإنما هو « فتدارأتم فيها » على مثال « تفاعلتم » ، من الدَّرء . و « الدَّرْء » العوَج ، ومنه قول أبي النَّجم العِجلي :

خَشْيَةَ ضَغَامٍ إِذَا هَمَّ جَسَرْ يَأْكُلُ ذَا الدَّرْءِ وَيُقْصِي مَنْ حَقَرْ (١)

يعني : ذا العِوج والعُسْر . ومنه قول رُؤبة بن العجّاج :

أَدْرَكْتُهَا قُدَّامَ كُلِّ مِدْرَهِ بِالدَّفْعِ عَنِّي دَرْءَ كُلِّ عُنْجُهِ (٢)

---

(١) لم أجد البيت في مكان ، وكان في المطبوعة :

* خشية ظغام إذا هم حسر *

وهو كلام مختل . والضغام من الضغم : وهو أن يملأ فمه مما أهوى إليه . وجسر يجسر جسوراً وجسارة : مضى ونفذ من شدة إقدامه .

(٢) ديوانه : ١٦٦ من قصيدة يصف بها نفسه. والضمير في قوله : « أدركتها » إلى ما سبق في رجزه.

* وَحَقَّةٍ لَيْسَتْ بِقَوْلِ التُّرَّهِ *

وقوله : «حقة» ، يعني خصومة أو منافرة أو مفاخرة ، أو ما أشبه ذلك . والمدره : هو المدافع الذي يقدم عند الخصومة ، بلسان أو يد . والعنجه والعنجهي : ذو الكبر والعظمة حتى كاد يبلغ الجهل والحمق . ومنه العنجهية .

ومنه الخبر الذى : —

١٢٩١ — حدثنا به أبو كريب قال، حدثنا مصعب بن المقدام، عن إسرائيل، عن إبراهيم بن المهاجر، عن مجاهد، عن السائب قال : جاءنى عُثمانُ وزُهير ابنا أمية، فأستأذنا لى على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا أعلم به منكما، ألم تكن شريكى فى الجاهلية ؟ قلت : نعم، بأبى أنت وأمى، فنِعْمَ الشريكُ كنتَ لا تُمارِى ولا تُدارِى .(١)

---

(١) الحديث : ١٢٩١ — فى هذا الإسناد ضعف، وفى الحديث نفسه اضطراب، كما سيأتى :

أبو كريب : هو محمد بن العلاء بن كريب الحافظ، ثقة كبير، من شيوخ أصحاب الكتب الستة، روى عنه الطبرى كثيراً . مات سنة ٢٤٨ . مصعب بن المقدام الخثعمى : ثقة، وضعفه بعضهم، وأخرج له مسلم فى صحيحه، مترجم فى التهذيب، والكبير للبخارى ٤/١/٣٥٤، وابن أبى حاتم ٤/١/٣٠٨ إسرائيل : هو ابن يونس بن أبى إسحق السبيعى، وهو ثقة حافظ معروف . إبرهيم بن المهاجر بن جابر البجلى : ثقة، تكلم فيه بغير حجة، وأخرج له مسلم . مترجم فى التهذيب، والكبير للبخارى ١/١/٣٢٨، وصرح بأنه سمع مجاهداً، وابن أبى حاتم ١/١/١٣٢ — ١٣٣ . السائب : صحابى — كما هو ظاهر من هذا الحديث وغيره، واختلف فيه كثيراً، فقيل : « السائب بن أبى السائب صيفى بن عائذ . . . »، وقيل : « السائب بن عبد الله المخزومى »، بل قيل أيضاً : « قيس بن السائب » ! والذى جزم به البخارى فى الكبير ٢/٢/١٥٢ واقتصر عليه : « السائب بن أبى السائب القرشى المكى، له صحبة » . وكذلك صنع بن أبى حاتم ٢/١/٢٤٢، وقال : « منهم من يقول : له صحبة، ومنهم من يقول : لأبيه صحبة . روى عنه مجاهد . يقال : إنه مولى مجاهد من فوق » . وفى الإصابة ٣ : ٦٠ نقلا عن ابن أبى شيبة، أنه روى من طريق يونس بن خباب عن مجاهد : « كنت أقود السائب، فيقول لى : يا مجاهد . . . » . ولو صح هذا لثبت اتصال الإسناد، لكن يونس بن خباب ضعيف .

والحديث روى أحمد فى المسند : ١٥٥٦٦ (٣ : ٤٢٥ حلبى) نحو معناه، بزيادة ونقص، عن أسود بن عامر، عن إسرائيل، عن إبرهيم بن مهاجر، عن مجاهد، « عن السائب بن عبد الله »، ثم روى بعده مثله، بمعناه، مطولا ومختصراً، من طرق، وفى بعضها « عن مجاهد، عن قائد السائب، عن السائب » .

وروى أبو داود : ٤٨٣٦، نحوه، من طريق الثورى، عن إبرهيم بن المهاجر، عن مجاهد، عن قائد السائب، عن السائب . وقال المنذرى فى تهذيب السنن : ٤٦٦٩ « وأخرجه النسائى وابن ماجة . . . وهذا الحديث قد اختلف فى إسناده اختلافاً كثيراً . وذكر أبو عمر يوسف بن عبد البر النمرى : أن هذا الحديث مضطرب جداً . . . وهذا الاضطراب لا تقوم به حجة » .

وقد وقع فى متن الحديث هنا خطأ، لا ندرى : أهو من الرواية، أم من الناسخين . وذلك قوله « جاءنى عثمان وزهير ابنا أمية » . فلا يوجد فى الصحابة من يسمى بهذا ولا بذاك . والصواب ما فى رواية المسند : ١٥٥٦٦ « جاء بى عثمان بن عفان، وزهير » . وزهير : هو ابن أبى أمية، أخو أم سلمة، أم المؤمنين، وهى بنت أبى أمية . كما بين ذلك فى الإصابة ٣ : ١٣ — ١٤، إذ قال : « وروى ابن مندة من طريق

يعنى بقوله « لا تُدَارى » ، لا تخالف رفيقك وشريكك ولا تنازعه ولا تُشارُّه .

* * *

وإنما أصل «فادّارأتم» ، فتدارأتم ، ولكن التاء قريبة من مخرج الدال — وذلك أن مخرج التاء من طرف اللسان وأصول الشفتين ، ومخرج الدال من طرف اللسان وأطراف الثنيّتين — فأدغمت التاء فى الدال ، فجعلت دالاً مُشدّدة كما قال الشاعر :

٢٨٣/١ تُولِى الضَّجِيعَ إِذَا مَا اسْتَافَهَا خَصِراً ، عَذْبَ المَذَاقِ ، إِذَا مَا أُتَّابِعَ القُبَلُ(١)

يريد : إذا ما تتابع القُبَل ، فأدغم إحدى التاءين فى الأخرى . فلما أدغمت التاء فى الدّال فجعلت دالاً مثلها ، سكنت ، فجلبوا ألفاً ليصلوا إلى الكلام بها ، وذلك إذ كان قبله شىء ، لأن الإدغام لا يكون إلاّ وقبله شىء ، ومنه قول الله جل ثناؤه : ﴿ حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيها جَمِيعاً ﴾ [سورة الأعراف : ٣٨] ، إنما هو « تدَاركوا » ، ولكن التاء منها أدغمت فى الدال ، فصارت دالاً مشدّدة ، وجعلت فيها ألف — إذ وُصِلت بكلام — قبلها ليسلم الإدغام . وإذا لم يكن قبل ذلك ما يُواصله وابتدئ به ، قيل : تدَاركوا ، وتثاقلوا ، فأظهروا الإدغام . وقد قيل يقال : « ادّاركوا ، وادّارأوا » .

وقد قيل إن معنى قوله : «فادّارأتم فيها» ، فتدافعتم فيها . من قول القائل : «درأت هذا الأمر عنى» ، ومن قول الله ﴿ وَيَدْرَأُ عَنْهَا العَذَابَ ﴾ [سورة النور : ٨] ، بمعنى

مجاهد ، عن السائب شريك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ذهب بى عثمان ، وزهير بن أبى أمية . . . »

وانظر نسب قريش للمصعب ، ص : ٣٣٣ . حيث جزم بأن « السائب بن أبى السائب صيفى » قتل يوم بدر كافراً ؛ وانظر أيضاً الإشارة إلى أصل القصة فى الإصابة ٣ : ١٣ — ١٤ ، ٦٠ ، و ٤ : ٧٤ ، و ٥ : ٢٥٣ — ٢٥٤ . والموضوع لا يزال محتاجاً إلى تحقيق وبحث .

(١) لم أعرف قائله ، وسيأتى فى ١٠ : ٩٤ (بولاق) ، وفى المطبوعة هنا « اشتاقها » وهو خطأ والصحيح ما أثبته من هناك . وساف الشىء يسوفه سوفاً واستافه : دنا منه وشمه . واستعاره للقبلة ، كما استعاروا الشم للقبلة ، لأن دنو الأنف يسبق ما أراد المريد . قال الراعى يصف ما يصف من القبلة :

يَثْنِى مُسَاوِفُها غُضْرُوفَ أَرْنَبَةٍ شَمَّاءَ ، مِن رَخْصَةٍ فِى جيدِها غَيَدُ

قال الزمخشرى : « ساوفتها » ضاجعتها ، ولكنه فى البيت : الذى يقبل .

يدفع عنها العذابَ وهذا قولٌ قريبُ المعنى من القول الأول لأن القوم إنما تدافعوا قَتْلَ قتيل، فانتفَى كل فريق منهم أن يكون قاتِلَه، كما قد بينا قبلُ فيما مضى من كتابنا هذا .[1] وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله : « فادّارَأتم فيها » قال أهل التأويل :

١٢٩٢ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنى عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله: « فادّارَأتم فيها »، قال : اختلفتم فيها .

١٢٩٣ – حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

١٢٩٤ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج . «وإذْ قَتلتمُ نفساً فادّارأتم فيها »، قال بعضُهم: أنتم قتلتموه . وقال الآخرون : أنتم قتلتموه

١٢٩٥ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله « فادّارأتم فيها » ، قال: اختلفتم. وهو التنازع . تنازعوا فيه قال : قال هؤلاء: أنتم قتلتموه وقال هؤلاء لا .

* * *

وكان تدارُؤهم فى النفس التى قتلوها كما : –

١٢٩٦ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : صاحب البقرة رجلٌ من بنى إسرائيل ، قتله رجلٌ فألقاه على باب ناس آخرين ، فجاء أولياءُ المقتول فادّعوا دَمَه عندهم، فانتفوا – أو « انتفلوا » – منه . شكّ أبو عاصم .[2]

١٢٩٧ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن

(١) انظر ما سلف رقم : ١١٧٢ ، ١١٨٠ .

(٢) انتفى من الشيء : انتفى من وتبرأ ، وأنكر أن يكون فعله أو عرفه وفى حديث ابن عمر : « إن فلاناً انتفل من ولده » أى تبرأ منه .

ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بمثله سواء — إلا أنه قال : فادّعوا دَمه عندهم فانتفَوْا — ولم يشك — منه .(١)

١٢٩٨ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : قتيلٌ كان فى بنى إسرائيل . فقذَف كل سبط منهم [سبطاً به] ،(٢) حتى تفاقم بينهم الشرُّ ، حتى ترافعوا فى ذلك إلى نبى الله صلى الله عليه وسلم . فأوحى الله إلى موسى : أن اذبحْ بقرة فاضربه ببعضها . فذُكر لنا أنّ وليه الذى كان يطلب بدَمه هو الذى قتله ، من أجل ميراث كان بينهم .

١٢٩٩ — حدثنى ابن سعد قال حدثنى عمى قال حدثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى شأن البقرة. وذلك أن شيخاً من بنى إسرائيل على عهد موسى كان مكثراً من المال وكان بنو أخيه فقراء لا مال لهم، وكان الشيخ لا ولد له ، وكان بَنُو أخيه ورَثتَه . فقالوا ليتَ عمّنا قدْ مات فورِثنا ماله ! وأنه لما تطاول عليهم أن لا يموت عمُّهم، أتاهم الشيطانُ فقال : هلْ لكم إلى أنْ تقتلوا عمكم ، فترثوا ماله، وتُغرِموا أهل المدينة التى لستم بها ديتَه ؟ — وذلك أنهما كانتا مدينتين ، كانوا فى إحداهما ، فكان القتيل إذا قُتل وطُرح بين المدينتين ، قيس ما بين القتيل وبين المدينتين ، فأيهما كانت أقرب إليه غرِمت الديةَ — وأنهم لما سوّل لهم الشيطان ذلك ، وتطاول عليهم أن لا يموتَ عمهم ، عَمدوا إليه فقتلوه، ثم عَمدوا فطرحوه على باب المدينة التى ليسوا فيها . فلما أصبح أهل المدينة ، جاء بنو أخى الشيخ ٢٨٤/١
فقالوا: عمُّنا، قُتل على باب مدينتكم، فوَالله لتغرَمُن لنا دية عمِّنا. قال أهل المدينة: نقسم بالله ما قتلنا ولا علمنا قاتلاً ، ولا فتحنا بابَ مدينتنا منذ أغلق حتى أصبحنا . وأنهم عَمدوا إلى موسى ، فلما أتوا قال بنو أخى الشيخ : عمُّنا وجدناهُ مقتولا على باب مدينتهم . وقال أهل المدينة : نقسم بالله ما قتلناه ، ولا فتحنا بابَ المدينة من حين أغلقناهُ حتى أصبحنا . وأن جبريل جاء بأمر ربِّنا السميع العليم إلى موسَى ،

(١) فى المطبوعة : « ولم يشك فيه » ، وهو خطأ وتصحيف . « لم يشك » فاصلة بين الفعل وحرفه .
(٢) الزيادة بين القوسين ، لا بد منها ليستقيم معناه ، وأخشى أن يكون كان فى الأصول تحريف لم أعثر على صوابه .

فقال : قل لهم : إن الله يأمرُكم أن تذبَحوا بقرة فتضربوه ببعضها .

١٣٠٠ – حدثنا القاسم قال، حدثنا حسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد – وحجاج، عن أبى معشر عن محمد بن كعب القرظى ومحمد بن قيس – دخل حديث بعضهم فى حديث بعض ، قالوا : إن سِبْطاً من بنى إسرائيل، لمّا رأوا كثرةَ شرور الناس ، بنوا مدينة فاعتزلوا شرورَ الناس ، فكانوا إذا أمسوْا لم يتركوا أحد منهم خارجاً إلا أدخلوه، وإذا أصبحوا قام رئيسُهم فنظر وتَشرَّف ،[1] فإذا لم ير شيئاً فتح المدينة، فكانوا مع الناس حتى يُمسوا . وكان رجل من بنى إسرائيل له مال كثير ، ولم يكن له وارثٌ غيرُ ابن أخيه ، فطالَ عليه حياته ، فقتَله ليرثه ، ثم حمله فوضعه على باب المدينة ، ثم كَمَن فى مَكان هو وأصحابه . قال : فتشرَّف رئيس المدينة على باب المدينة ، فنظر فلم ير شيئاً . ففتح الباب ، فلما رَأى القتيلَ ردَّ الباب : فناداه ابن أخى المقتول وأصحابه : هيهات ! قتلتموه ثم تردُّون البابَ ؟ وكان موسى لما رأى القَتْل كثيراً فى أصحابه بنى إسرائيل ،[2] كان إذا رأى القتيلَ بين ظَهرَىْ القوم . أخذَهم . فكاد يكون بين أخى المقتول وبين أهل المدينة قتال ، حتى لَبس الفريقان السلاح ، ثم كفَّ بعضهم عن بعض . فأتوا موسى فذكروا له شأنهم ، فقالوا : يا رسول الله ، إن هؤلاء قتلوا قتيلاً ثم ردُّوا الباب . وقال أهل المدينة : يا رسول الله ، قد عرفتَ اعتزالنا الشرورَ ، وبَنيْنا مدينة – كما رأيتَ – نعتزلُ شرورَ الناس، ما قتَلْنا ولا علِمنا قاتلاً . فأوحى الله تعالى ذكره إليه : أنْ يذبحوا بقرةً ، فقال لهم موسى : إن الله يأمرُكم أن تذبَحوا بقرة .

١٣٠١ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة قال : كان فى بَنى إسرائيل رجل عَقيمٌ وله مال كثير ، فقتله ابن أخ له ، فجرّه فألقاه على باب ناس آخرين .

(١) تشرف الشىء واستشرفه : وضع يده على حاجبه كالذى يستظلّ من الشمس ، حتى يبصره ويستبينه.
(٢) لعل الصواب : « كثر فى أصحابه » .

ثم أصبحوا ، فادّعاه عليهم ، حتى تسلّح هؤلاء وهؤلاء ، فأرادوا أن يقتتلوا ، فقال ، ذوو النهى منهم : أتقتتلون وفيكم نبي الله ؟ فأمسكوا حتى أتوا موسى ، فقصّوا عليه القصة ، فأمرهم أن يذبحوا بقرة فيضربوه ببعضها ، فقالوا : أتتخذنا هُزُوًا؟ قال : أعُوذ بالله أن أكون من الجاهلين .

١٣٠٢ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : قَتيلٌ من بني إسرائيل ، طُرح في سِبط من الأسباط ، فأتى أهل ذلك السبط إلى ذلك السبط فقالوا : أنتم والله قتلتم صاحبنا . فقالوا : لا والله . فأتوا إلى موسى فقالوا : هذا قتيلنا بين أظهُرِهم ، وهم والله قتلوه . فقالوا : لا والله يا نبي الله ، طُرِح علينا . فقال لهم موسى صلى الله عليه وسلم : إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة .

* * *

قال أبو جعفر : فكان اختلافُهم وتنازُعهم وخصامُهم بينهم – في أمر القتيل الذي ذكرنا أمره ، على ما روينا عن علمائنا من أهل التأويل – هو « الدَّرْء » الذي قال الله جل ثناؤه لذرِّيتهم وبقايا أولادهم : «فادّارأتم فيها والله مُخرجٌ ما كنتم تكتمون» .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (٧٢)

قال أبو جعفر : يعني بقوله : « والله مُخرج ما كنتم تكتمون » ، والله معلن ما كنتم تُسِرُّونه من قتل القتيل الذي قتلتم ، ثم ادارأتم فيه . ٢٨٥/١

* * *

ومعنى « الإخراج » – في هذا الموضع – الإظهارُ والإعلان لِمَنْ خفي ذلك عنه ، وإطلاعُهم عليه ، كما قال الله تعالى ذكره : ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [سورة النمل : ٢٧] ، يعني بذلك : يُظهره ويطلِعُه من مَخبئه بعد خفائه .

* * *

والذي كانوا يكتمونه فأخرجه ، هو قتلُ القاتلِ القتيلَ . لما كتم ذلك ،

القاتلُ ومَن عَلمه ممن شايعه على ذلك ،[1] حتى أظهره الله وأخرَجه ، فأعلن أمرَه لمن لا يعلم أمره .

* * *

وعنى جل، ذكره بقوله: « تكتمون »، تُسِرُّون وتُغيِّبون، كما : —

١٣٠٣ — حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « والله مُخرجٌ ما كنتم تكتمون »، قال : تغيِّبُون .

١٣٠٤ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ما كنتم تكتمون » ، ما كنتم تُغيِّبون .

* * *

القول في تاويل قوله تعالى ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ﴾

قال أبو جعفر : يعني جل ذكره بقوله : « فقلنا » ، فقلنا لقوم موسى الذين ادّارؤا في القتيل[2] — الذي قد تقدم وصفُنا أمره — : اضربوا القتيلَ . و « الهاء » التي في قوله : « اضربوه »، من ذكر القتيل؛ « ببعضها » أي : ببعض البقرة التي أمرَهم الله بذبحها فذبَحوها .

* * *

ثم اختلف العلماءُ في البعض الذي ضُرب به القتيل من البقرة ، وأي عضو كان ذلك منها . فقال بعضهم : ضُرب بفخذ البقرة القتيلُ . ذكر من قال ذلك :

١٣٠٥ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : ضُرب بفخذ البقرة فقام حيًّا ، فقال : قتلني فلانٌ . ثم عاد في ميتته .

---

(١) « ذلك » في قوله : « لما كتم ذلك » مفعول ، هو كناية عن قوله : « هو قتل القاتل القتيل »

(٢) في المطبوعة : « . . . بقوله فقلنا لقوم موسى » ، والصواب زيادة لفظ الآية ، كما فعلت .

١٣٠٦ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : ضُرب بفخذ البقرة ، ثم ذكر مثله .

١٣٠٧ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا جابر بن نوح ، عن النضر بن عربي ، عن عكرمة : « فقلنا اضربوه بَبعضها »، قال : بفخذها ، فلما ضُرب بها عَاش ، وقال : قَتلني فلان . ثم عاد إلى حاله .(١)

١٣٠٨ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن خالد بن يزيد ، عن مجاهد قال : ضُرب بفخذها الرجلُ ، فقام حيًّا فقال : قتلني فلان . ثم عاد في ميتَته .

١٣٠٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر قال ، قال أيوب ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة : ضَربوا المقتول ببعض لحمها – وقال معمر ، عن قتادة – : ضرَبوه بلحْم الفخذ فعاش ، فقال : قتلني فلان .

١٣١٠ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذُكر لنا أنهم ضربوه بفخذها ، فأحياه الله فأنبأ بقاتله الذي قتله ، وتكلَّم ثم مات .

* * *

وقال آخرون: الذي ضُرب به منها، هو البَضْعةُ التي بين الكتفين .(٢)

* ذكر من قال ذلك :

١٣١١ – حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي : « فقلنا اضربوه ببعضها » ، فضربوه بالبَضْعة التي بين الكتفين فعاش ، فسألوه : من قتلك ؟ فقال لهم : ابن أخي .

---

(١) الخبر : ١٣٠٧ – النضر بن عربي الباهلي : ثقة من أتباع التابعين ، وثقه ابن معين وغيره ، مات سنة ١٦٨ ، مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري ٤/٢/٨٩ ، وابن أبي حاتم ٤/١/٤٧٥ .

(٢) البضعة : القطعة من اللحم ، من قولهم : بضع اللحم : قطعه .

وقال آخرون: الذى أمروا أن يضربُوه به منها ، عَظْمٌ من عظامها.

• ذكر من قال ذلك:

١٣١٢ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية قال : أمرهم موسى أن يأخذوا عَظْماً منها فيضربوا به القتيل . ففعلوا ، فرجع إليه رُوحه ، فسمَّى لهم قاتله ، ثم عاد ميتاً كما كان . فأخِذ قاتله ، وهو الذى أتى موسى فشكا إليه ، فقتله الله على أسْوإ عمله .

* * *

وقال آخرون بما : –

١٣١٣ – حدثنى به يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : ضَرَبوا الميّت ببعض آرابها فإذا هو قاعد –[1] قالوا: من قتلك ؟ قال : ابن أخى . قال : وكان قتله وطرحه على ذلك السِّبط ، أرَاد أن يأخذ دِيَته .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول عندنا فى تأويل قوله : « فقلنا اضربوه ببعضها » ، أنْ يقال : أمرهم الله جل ثناؤه أن يضربُوا القتيلَ ببعض البقرة ليحيا ٢٨٦/١ المضروبُ . ولا دلالةَ فى الآية ، ولا [فى] خبر تقوم به حجة ،[2] على أىّ أبعاضِها التى أمر القوم أن يضربُوا القتيل به . وجائز أن يكونَ الذى أمِروا أن يضربوه به هو الفخذ ، وجائزٌ أن يكون ذلك الذَّنبُ وُغضروفُ الكتف ، وغيرُ ذلك من أبعاضها . ولا يضرّ الجهل بأىٍّ ذلك ضربوا القتيل ، ولا ينفع العلم به ، مع الإقرار بأن القوم قد ضربوا القتيل ببعض البقرة بعد ذبحها فأحياه الله .

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : وما كان معنى الأمر بضرب القتيل ببعضها ؟

قيل : ليحيا فينبئَ نبىَّ الله موسى صلى الله عليه وسلم والذين ادارؤا فيه – مَنْ قاتلُه .

---

(١) آراب جمع إرب (بكسر فسكون) : وهو العضو ، يقال : قطعه إرباً إرباً ، أى عضواً عضواً .

(٢) الزيادة بين القوسين ، أولى من حذفها .

فإن قال : وأين الخبر عن أنّ الله جل ثناؤه أمرَهم بذلك لذلك ؟

قيل : تُرك ذلك اكتفاءً بدلالة ما ذكر من الكلام الدالّ عليه — نحوَ الذى ذكرنا من نظائر ذلك فيما مضى . ومعنى الكلام : فقلنا اضربوه ببعضها ليحيا ، فضربوه فحيي — : كما قال جل ثناؤه : ﴿ أَنِ اضْرِب بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ ﴾ [سورة الشعراء : ٦٣] ، والمعنى : فضرَب فانفلق — دلّ على ذلك قوله :[1] « كذلك يُحيي الله الموتى ويُريكم آياته لَعلكم تَعقلون »

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ ﴾

قال أبو جعفر : وقوله : « كذَلك يُحيي الله الموتى » ، مخاطبةٌ من الله عبادَه المؤمنين ، واحتجاجٌ منه على المشركين المكذبين بالبعث ، وأمرُهم بالاعتبار بما كان منه جل ثناؤه من إحياء قتيل بنى إسرائيل بعد مماته فى الدنيا . فقال لهم تعالى ذكره : أيها المكذبون بالبعث بعدَ الممات ، اعتبروا بإحيائى هذا القتيل بعد مماته ، فإنى كما أحييته فى الدنيا ، فكذلك أحيي الموتىَ بعد مماتهم ، فأبعثهم يوم البعث .

وإنما احتج جل ذكره بذلك على مشركى العرب ،[2] وهم قومٌ أمّيّون لا كتاب لهم ، لأن الذين كانوا يعلمون عِلم ذلك من بنى إسرائيل كانوا بين أظهُرِهم ، وفيهم نزلت هذه الآياتُ . فأخبرهم جل ذكره بذلك ، ليتعرفوا عِلم مَنْ قِبَلهم .

* * *

(١) فى المطبوعة : « يدل على ذلك قوله . . . » ، وليست بشىء .

(٢) فى المطبوعة : « فإنما احتج . . . » ، والفاء ليست بشىء هنا .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٧٣)

قال أبو جعفر : يعنى جل ذكره : ويريكم الله أيها الكافرون المكذّبون بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وبما جاء به من عند الله — من آياته = وآياته : أعلامُه وحججه الدالةَ على نبوّته =[1] لتعقلوا وتفهموا أنه مُحِق صادق ، فتؤمنوا به وتتّبعوه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك كفار بنى إسرائيل ، وهم — فيما ذكر — بنو أخى المقتول ، فقال لهم : « ثم قَستْ قُلوبكم » ، أى جَفَّت وغلظت وعَسَتْ ، كما قال الراجز :

* وَقَدْ قَسَوْتُ وَقَسَا لِدَاتِى *[2]

يقال « قسا » و « عسا » و « عتا » بمعنى واحد ، وذلك إذا جَفا وغلظ وصلُب. يقال : منه : « قَسا قلبه يَقسُو قَسْواً وقَسْوَة وقَسَاوةً وقَسَاءً » .[3]

* * *

ويعنى بقوله : « من بَعد ذلك » ، من بعد أن أحيا المقتولَ لهم — الذى ادارأوا

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٥٥٢ ، وهذا الجزء ٢ : ١٣٩

(٢) لم أعرف قائله ، وسيأتى فى ٦ : ٩٩ (بولاق) ، وكان فى الأصل هنا « وقسا لدنى » ، وهو خطأ . ولداتى جمع لدة ، ولدة الرجل : تربه ، ولد معه . وقسا هنا بمعنى : أسن وكبر وولى شبابه ، وجف عوده . ولم ترد بذلك المعنى فى المعاجم .

(٣) أنا فى شك فى ضبطه المصدر الأول من هذه المصادر الأربعة وهو « قسوا » ، وتبعت فى ضبطه القاموس المحيط ، وإن كان قد ضبط بالقلم ، وأخشى أن يكون مصدراً على « فعول » مثل دنا يدنو دنواً ، وسما يسمو سمواً .

فى قتله ، فأخبرَهم بقاتله ، وبالسبب الذى من أجله قتله ،[1] كما قد وصفنا قبل على ما جاءت الآثار والأخبار – وفصل الله تعالى ذكره بخبره بين المحق منهم والمبطل . وكانت قساوة قلوبهم التى وصفهم الله بها ، أنهم – فيما بلغنا – أنكروا أن يكونوا هُم قتلوا القتيلَ الذى أحياه الله، فأخبر بنى إسرائيل بأنهم كانوا قَتَلَته، بعد إخباره إياهم بذلك ، وبعد مِيتته الثانية ، كما : –

١٣١٤ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : لما ضُرب المقتول ببعضها – يعنى ببعض البقرة – جلس حيًّا ، فقيل له: من قتلك ؟ فقال : بنو أخى قتلونى . ثم قُبض فقال بنو أخيه حين قُبض : والله ما قتلناه ! فكذَّبوا بالحقّ بعد إذ رأوه ، فقال الله : « ثم قَستْ قلوبكم من بَعد ذلك » – يعنى بنى أخى الشيخ – « فهى كالحجارة أو أشد قَسوةً » .

٢٨٧/١ ١٣١٥ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد، عن سعيد ، عن قتادة : « ثم قَست قُلوبكم من بَعد ذلك »، يقول: من بعد ما أراهم الله من إحياء الموتى، وبعدَ ما أراهم من أمر القتيل – ما أراهم ، « فهى كالحجارة أو أشدُّ قسوة » .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله: « فهى »: « قلوبكم » . يقول : ثم صلبت قلوبكم – بعد إذ رأيتم الحق فتبيَّنتموه وعرفتموه – عن الخضوع له ، والإذعان لواجب حق الله عليكم، فقلوبكم كالحجارة صَلابة و يُبْساً وغِلَظاً وشِدَّة، « أو أشدّ قسوةً » ،

---

(١) فى المطبوعة : « وما السبب » وليست بشىء .

(٢) سياق العبارة بلا فصل « من بعد أن أحيى المقتول لهم . . . وفصل بخبره بين المحق منهم والمبطل » .

يعنى : قلوبُهم — عن الإذعان لواجب حق الله عليهم ، والإقرار له باللازم من حقوقه لهم — أشدّ صلابةً من الحجارة .(١)

* * *

فإن سأل سائل فقال: وما وجه قوله : « فهى كالحجارة أو أشدُّ قسوة »، و « أو » عند أهل العربية ، إنما تأتى فى الكلام لمعنى الشك ، والله تعالى جل ذكره غيرُ جائزٍ فى خبره الشك ؟

قيل : إن ذلك على غير الوجه الذى توهَّمته، من أنه شك من الله جل ذكره فيما أخبر عنه ، ولكنه خبرٌ منه عن قلوبهم القاسية ، أنها — عند عباده الذين هُم أصحابها ، الذين كذبوا بالحق بعد ما رأوا العظيم من آيات الله — كالحجارة قسوةً أو أشد من الحجارة ، عندهم وعند من عرف شأنهم

* * *

وقد قال فى ذلك جماعة من أهل العربية أقوالاً . فقال بعضهم : إنما أراد الله جل ثناؤه بقوله « فهى كالحجارة أو أشدُّ قسوةً »، وما أشبه ذلك من الأخبار التى تأتى بـ «أو» كقوله ﴿وأَرْسَلْنَاهُ إلى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُون﴾ [سورة الصافات: ١٤٧] ، وكقول الله جل ذكره ﴿ وإنَّا أَوْ إيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِى ضَلَالٍ مُبِين ﴾ [سورة سبأ: ٢٤] — [الإبهامَ على من خاطبه]،(٢) فهو عالمٌ أىُّ ذلك كان . قالوا : ونظير ذلك قول القائل : « أكلتُ بُسرة أو رُطَبة » ، وهو عالمٌ أىَّ ذلك أكل ، ولكنه أبهم على المخاطب ، كما قال أبو الأسْود الدُّؤلىّ :

أُحِبُّ مُحَمَّدًا حُبًّا شَدِيدًا وَعَبَّاسًا وَحَمْزَةَ وَالوَصِيَّا (٣)

---

(١) كانت هذه الجملة فى المطبوعة هكذا : « كالحجارة صلابة ويبساً وغلظاً وشدة ، أو أشد صلابة، يعنى قلوبكم عن الإذعان لواجب حق الله عليهم، والإقرار له باللازم من حقوقه لهم من الحجارة ». وكأنها سهو من الناسخ ، فرددته إلى أصله بحمد الله .

(٢) ما بين القوسين زيادة لابد منها حتى يستقيم الكلام ، استظهرته من قوله بعد : « ولكنه أبهم على المخاطب » ، ومن تفسير ابن كثير ١ : ٢٠٩ ، ٢١٠ .

(٣) ديوانه : ٣٢ (من نفائس المخطوطات)، والأغانى ١١ : ١١٣ ، وإنباه الرواة ١ : ١٧ ، وسيأتى البيت الثانى وحده فى ٢٢ : ٦٥ (بولاق) ورواية الديوان : « وفيهم أسوة إن كان خيا » .

فإنْ يَكُ حُبُّهُمْ رَشَدًا أُصِبْه وَلَسْتُ بِمُخْطِىءٍ إنْ كَانَ غَيًّا

قالوا: ولاشك أن أبا الأسود لم يكن شاكًّا فى أن حُبَّ من سمَّى — رَشَدٌ، ولكنه أبهم على من خاطبه به . وقد ذُكر عن أبى الأسود أنه لما قال هذه الأبيات قيل له: شككت! فقال: كلا والله! ثم انتزع بقول الله عز وجل: « وإنا أو إياكم لعلى هُدًى أوْ فى ضَلال مُبين »، فقال: أو كان شاكًّا — من أخبرَ بهذا — فى الهادى من الضلال .(١)

• • •

وقال بعضهم : ذلك كقول القائل : « ما أطعمتك إلا حُلواً أو حامضاً »، وقد أطعمه النوعين جميعاً . فقالوا: فقائل ذلك لم يكن شاكًّا أنه قد أطعم صاحبَه الحلوَ والحامضَ كليهما ، ولكنه أراد الخبر عمَّا أطْعمه إياه أنه لم يخرج عن هذين النوعين. قالوا: فكذلك قوله: « فهى كالحجارة أو أشد قسوة »، إنّما معناه: فقلوبهم لا تخرج من أحد هذين المثلين، إما أن تكون مِثْلا للحجارة فى القسوة ، وإما أن تكون أشدّ منها قسوة . ومعنى ذلك على هذا التأويل : فبعضُها كالحجارة قسوةً ، وبعضُها أشدُّ قسوة من الحجارة .

• • •

وقال بعضهم: « أو » فى قوله: « أو أشدّ قسوة » ، بمعنى ، وأشد قسوة ، كما قال تبارك . وتعالى : ﴿ ولاَ تُطِعْ مِنْهُم آثِماً أوْ كَفُوراً ﴾ [سورة الإنسان : ٢٤] بمعنى : وكفُوراً، وكما قال جرير بن عطية :

نَالَ الخِلاَفَةَ أوْ كَانَتْ لَهُ قَدَرًا كَمَا أتَى رَبَّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرِ(٢)

يعنى : نال الخلافة ، وكانت له قدراً، وكما قال النابغة :

٢٨٨ قَالَتْ :ألاَ لَيْتَمَا هَذَا الحَمَامُ لَنَا إلَى حَمَامَتِنَا، أوْ نِصْفُهُ فَقَدِ(٣)

(١) قوله « فى الهادى من الضلال » يعنى نبيه صلى الله عليه وسلم . وعبارة الأغانى : « أفترى الله عز وجل شك فى نبيه » .

(٢) سلف هذا البيت وتخريجه فى ١ : ٣٣٧ .

(٣) ديوانه : ٣٢ ، وروايته هناك « ونصفه» . وهو من قصيدته المشهورة التى يعتذر فيها

يريد . ونصفُه .

* * *

وقال آخرون، « أو » فى هذا الموضع بمعنى « بل » ، فكأن تأويله عندهم : فهى كالحجارة بل أشد قسوة ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وأرْسَلناه إلى مِئَة ألفٍ أو يَزِيدُون ﴾ [سورة الصافات : ١٤٧] ، بمعنى : بل يزيدون .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك فهى كالحجارة ، أو أشد قسوَةً عندكم .

* * *

قال أبو جعفر : ولكلٍّ مما قيل من هذه الأقوال التى حكينا وجهٌ ومَخرج فى كلام العرب. غيرَ أن أعجبَ الأقوال إلىّ فى ذلك ما قلناهُ أوّلاً ، ثم القولُ الذى ذكرناه عمن وجّه ذلك إلى أنه بمعنى : فهى أوجُهٌ فى القسوة : إما أن تكون كالحجارة ، أو أشدّ ، [1] على تأويل أن منها كالحجارة ، ومنها أشدّ قسوةً . لأن « أو » ، وإن استُعملت فى أماكنَ من أماكن « الواو » حتى يلتبس معناها ومعنى « الواو » ، لتقارب معنييهما فى بعض تلك الأماكن — [2] فإنّ أصلها أن تأتى بمعنى أحد الاثنين . فتوجيهها إلى أصلها — ما وَجدْنا إلى ذلك سبيلاً — [3] أعجبُ إلىّ من إخراجها عن أصلها ، ومعناها المعروف لها .

* * *

قال أبو جعفر : وأما الرفع فى قوله : « أو أشد قسوة » ، فمن وجهين :

أحدهما : أن يكون عطفاً على معنى « الكاف » فى قوله : « كالحجارة » ، لأن معناها الرفع . وذلك أن معناها معنى « مثل » ، [فيكون تأويله] [4] : فهى مثل الحجارة أو أشد قسوة من الحجارة .

إلى النعمان . والضمير فى قوله : « قالت » إلى «فتاة الحى » ، المذكورة فى شعر قبله ، وهى زرقاء اليمامة. وهو خبر مشهور ، لا نطيل بذكره .

(١) فى المطبوعة : « فهى أوجه فى القسوة من أن تكون كالحجارة أو أشد » ، واستظهرت تصويبه مما مضى آنفاً ، ومن تأويله بعد ، فوضعت « إما » مكان « من » .

(٢) انظر ما سلف فى ١ : ٣٢٧ — ٣٢٨ .

(٣) فى المطبوعة : « من وجد إلى ذلك سبيلا » . وهو خطأ .

(٤) زدت ما بين القوسين ، ليستقيم الكلام .

والوجه الآخر : أن يكون مرفوعاً ، على معنى تكرير « هى » عليه . فيكون تأويل ذلك: فهى كالحجارة ، أو هى أشد قسوة من الحجارة .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ذكره « وإن من الحجارة لما يتفجَّر منه الأنهار » : وإن من الحجارة حجارةً يتفجر منها الماءُ الذى تكون منه الأنهار ، فاستغنى بذكر الأنهار عن ذكر الماء.(١) وإنما ذكّر فقال « منه »، للفظ « ما ».(٢)

* * *

« والتفجُّر » «التفعُّل» من « تفجُّر الماء »،(٣) وذلك إذا تنزّل خارجاً من مَنبعه. وكل سائل شَخَص خارجاً من موضعه ومكانه ، فقد « انفجر » ، ماءً كان ذلك أو دماً أو صَديداً أو غير ذلك ، ومنه قول عمر بن لجأ :

وَلَمَّا أَنْ قُرِنتُ إِلَى جَرِيرٍ أَبَى ذُو بَطْنِهِ إِلاَّ انْفِجَارَا(٤)

يعنى : إلا خروجاً وَسيَلاناً .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « وَإِنَّ منها لما يَشَّقَّق » ،

---

(١) فى المطبوعة : « بذكر الماء عن ذكر الأنهار » ، وهو خطأ بين .

(٢) فى المطبوعة : « وإنما ذكر فقيل . . . » ، وهو لا شىء .

(٣) فى المطبوعة : « من : فجر الماء » ، وهو خطأ يدل السياق على خلافه ، وهو ما أثبت .

(٤) طبقات فحول الشعراء : ٣٦٩ ، والأغانى ٨ : ٧٢ ، وروايتهما « إلا انحداراً » ، ورواية الطبرى أعرق فى الشعر . وفى المطبوعة « قربت » ، وهو خطأ محض . قاله عمر بن لجأ حين أخذهما أبو بكر ابن حزم — بأمر الوليد بن عبد الملك — فقرنهما ، وأقامهما على البلس يشهر بهما ، فكان التيمى ينشد هذا البيت فى هجاء جرير . وقوله : « ذو بطنه » ، كناية جيدة عما يشمأز من ذكره .

وإنّ منَ الحجارة لحجارةٌ يَشَّقَّق . وتشقُّقها : تصدّعها . [١] وإنما هى : لَما يتشقّق ، ولكن التاء أدغمت فى الشين فصارت شيناً مشددة .

وقوله : « فيخرُجُ منهُ الماء » ، فيكون عيناً نابعةً وأنهاراً جاريةً .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وإن من الحجارة لما يَهبط — أى يتردّى منَ رأس الجبل إلى الأرض والسفح — [٢] من خوف الله وَخشيته . وقد دللنا على معنى « الهبوط » فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . [٣]

* * *

قال أبو جعفر : وأدخلت هذه « اللامات » اللواتى فى « ما » ، توكيداً للخبر .

* * *

وإنما وصف الله تعالى ذكره الحجارةَ بما وصفها به — منْ أنّ منها المتفجرَ منه الأنهار ، وأنّ منها المتشققَ بالماء ، وأنّ منها الهابطَ من خشية الله ، بعد الذى جَعل منها لقلوب الذين أخبر عن قسوة قلوبهم من بنى إسرائيل ، [٤] مثلا — معذرةً منه جل ثناؤه لها ، [٥] دون الذين أخبر عن قسوة قلوبهم من بنى إسرائيل ، إذْ كانوا بالصفة التى وصفهم الله بها من التكذيب لرُسله ، والجحود لآياته ، بعد الذى أراهم من الآيات والعبر ، وعاينوا من عجائب الأدلة والحجج ، مع ما أعطاهم تعالى ذكره من صحّة العقول ، ومنّ به عليهم من سَلامة النفوس التى لم يعطها الحجر

---

(١) أسقط ذكر الآية فى المطبوعة ، كأنه استطال التكرار ؛ وأقمنا الكلام على نهج أبى جعفر . وفى المطبوعة : « لحجارة تشقق » ، ورددتها إلى الصواب أيضاً .

(٢) تردى من الجبل ترديا : طاح وسقط .

(٣) انظر ما سلف ١ : ٥٣٤ ، وهذا الجزء ٢ : ١٣٢

(٤) سياق هذه العبارة : جعل منها مثلا لقلوب الذين . . . .

(٥) وسياق هذه الجملة : وإنما وصف الله الحجارة بما وصفها به ... معذرة منه لها » أى الحجارة ، وما بين ذلك فصل كدأب أبى جعفر رحمه الله .

٢٨٩/١ والمدَر ، ثم هو مع ذلك منهُ ما يتفجّر بالأنهار ، ومنهُ ما يتشقّق بالماء، ومنه ما يهبط من خشية الله ، فأخبر تعالى ذكره أنّ منَ الحجارة ما هو ألينُ من قُلوبهم لما يُدعَوْن إليه من الحق ، كما : —

٢٣١٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك ، قال أهل التأويل . ذكر من قال ذلك :

١٣١٧ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله جل ثناؤه : «ثم قَسَتْ قُلوبكم منْ بعد ذَلك فَهى كالحجارة أو أشدُّ قَسوةً وإنَّ منَ الحجارة لما يَتفجَّر منه الأنهارُ وإنَّ منها لَما يَشَّقَّقُ فيخرجُ منه الماءُ وإنَّ منها لَما يَهبطُ من خَشية الله »، قال : كل حجر يتفجّر منه الماء ، أو يتشقّق عن ماء، أو يتردّى من رأس جبل ، فهو من خشية الله عز وجل . نَزَل بذلك القرآن .

١٣١٨ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

١٣١٩ — حدثنى بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فهى كالحجارة أو أشدُّ قَسوةً »، ثم عَذَر الحجارة ولم يعذِرْ شقىّ ابن آدم . فقال: « وإن من الحجارة لما يَتفجَّرُ منهُ الأنهار ، وإنّ منها لما يَشَّقَّقُ فيخرجُ منه الماءُ وإنّ منها لَما يَهبِط من خَشية الله » .

١٣٢٠ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن قتادة مثله .

١٣٢١ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال: ثم عَذَر الله الحجارة فقال: « وإن من الحجارة لما يَتفجّر منه الأنهار وإنّ منها لما يشَّقّق فيخرج منهُ الماء » .

١٣٢٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنا حجاج ، عن ابن

جريج أنه قال فيها : كل حجر انفجر منه ماء ، أو تشقق عن ماء ، أو تردّى من جبل ، فمن خشية الله . نزل به القرآن .

* * *

قال أبو جعفر : ثم اختلف أهل التأويل فى معنى هُبُوط ما هبط من الحجارة من خشية الله .

فقال بعضهم : إن هبوطَ ما هبط منها من خشية الله تفيُّؤ ظلاله .(١)

وقال آخرون : ذلك الجبلُ الذى صارَ دكًّا إذْ تجلّى له ربه .(٢)

وقال بعضهم : ذلك كان منه ويكون ، بأن الله جل ذكره أعطى بعض الحجارة المعرفةَ والفهم ، فعقل طاعةَ الله فأطاعه .

١٣٢٤ — كالذى رُوى عن الجذع الذى كان يستند إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب ، فلما تحوّل عنه حنّ .(٣)

١٣٢٥ — وكالذى رُوى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن حجراً كان يُسلّم علىّ فى الجاهلية إنّى لأعرفه الآن » .(٤)

---

(١) يريد قوله تعالى فى سورة النحل : ٤٨ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ . وانظر تفسير الآية من تفسير الطبرى ١٤ : ٧٨، ٧٩ (بولاق) .

(٢) يريد قوله تعالى فى سورة الأعراف : ١٤٣ : ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾

(٣) الحديث : ١٣٢٤ — قصة حنين الجذع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، متواترة صحيحة ، لا يشك فى صحتها إلا من لا يريد أن يؤمن . وقد عقد الحافظ ابن كثير فى التاريخ باباً لذلك ٦ : ١٢٥ — ١٣٢ ، قال فى أوله : « باب حنين الجذع شوقاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشفقاً من فراقه . وقد ورد من حديث جماعة من الصحابة ، بطرق متعددة ، تفيد القطع عند أئمة هذا الشأن ، وفرسان هذا الميدان » ، ثم ساق من الأحاديث الصحاح من دواوين السنة . وانظر منها فى المسند : ٢٢٣٦، ٣٤٣٠، من حديث ابن عباس . و ٢٢٣٧، ٣٤٣١، من حديث أنس . و ٣٤٣٢ من حديث ابن عباس وأنس . وصحيح البخارى ٦ : ٤٤٣ (من الفتح) .

(٤) الحديث : ١٣٢٥ — روى مسلم فى صحيحه ٢ : ٢٠٣ — ٢٠٤ ، عن جابر بن سمرة ، قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى لأعرف حجراً بمكة ، كان يسلم على قبل أن أبعث ، إنى لأعرفه الآن » . وذكره ابن كثير فى التاريخ ٦ : ١٣٤ ، من مسند أحمد ، ثم نسبه لصحيح مسلم ، ومسند الطيالسى .

وقال آخرون: : بل قوله: « يهبط من خشية الله » كقوله: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ﴾ [سورة الكهف : ٧٧] ،ولا إرادة له . قالوا وإنما أريد بذلك أنه من عظم أمر الله، يُرى كأنه هابط خاشعٌ، من ذُلّ خشية الله، كما قال زيد الخيل:

بِجَمْعٍ تَضِلُّ البُلْقُ فِي حَجَرَاتِهِ تَرَى الأُكْمَ مِنْهُ سُجَّداً لِلحَوَافِرِ(١)

وكما قال سُوَيد بن أبي كاهل، يصف عدوًّا له :

سَاجِدَ المَنْخِرِ لا يَرْفَعُهُ خَاشِعَ الطَّرْفِ أَصَمَّ المُسْتَمَعْ(٢)

يريد أنه ذليل .(٣)

وكما قال جرير بن عطية :

لَمَّا أتى خبرُ الرسول تَضَعْضَعَتْ سُورُ المَدِينةِ والجبَالُ الخُشَّعُ(٤)

* * *

وقال آخرون: معنى قوله: «يهبط من خشية الله»، أى : يُوجب الخشية لغيره ، بدلالته على صانعه ، كما قيل : « نَاقة تَاجرة » ، إذا كانت من نَجابتها وفَرَاهتها تَدْعو الناس إلى الرغبة فيها ، كما قال جرير بن عطية :

---

(١) مضى هذا البيت فى هذا الجزء : ٢ : ١٠٤ ، وورد هنا « ترى الأكم فيها » والصواب ما أثبته ، كما مضى آنفاً ، وفى الأضداد لابن الأنبارى «منها » مكان « فيها » .

(٢) المفضليات : ٤٠٧ ، والأضداد لابن الأنبارى: ٢٥٧ . من قصيدته المحكمة . و « ساجد » منصوب إذ قبله ، فى ذكر عدوه هذا :

ثُمَّ وَلَّى وَهْوَ لاَ يَحْمِي أَسْتَهُ طَائِرُ الإِتْرَافِ عَنْه قَدْ وَقَعْ

وفى الأصل المطبوع : « إذ يرفعه » ، وهو خلل فى الكلام . وأثبت ما فى المفضليات ، ورواية ابن الأنبارى: « ما يرفعه » . يقول أذله فطأطأ رأسه خزياً ، وألزم الأرض بصره ، وصار كأنه أصم لا يسمع ما يقال له ، فهو لا حراك به ، مات وهو حى قائم ، لا يحير جواباً . ولذلك قال بعده :

فَرَّ مِنِّى هَارِباً شَيْطَانُهُ حَيْثُ لاَ يُعْطِى ، وَلاَ شَيْئاً مَنَعْ

(٣) هذه الجملة كانت قبل البيت ، فرددتها إلى حيث ينبغى أن ترد .

(٤) سلف هذا البيت وتخرجه فى هذا الجزء ٢ : ١٧ ، وروايته هناك « خبر الزبير » ، وهى أصح وأجود .

وأغْوَرُ من نَبْهَانَ ، أمَّا نَهَارُه فَأعْمَى ، وأمَّا ليلُه فَبَصِيرُ (١)

فجعل الصِّفة لليل والنهار ، وهو يُريد بذلك صاحبَه النبهانيّ الذى يهجوه ، ١/٢٩٠ من أجل أنه فيهما كان ما وصفه به .

* * *

وهذه الأقوال ، وإن كانت غير بعيداتٍ المعنى مما تحتمله الآية من التأويل ، فإن تأويلَ أهل التأويل من علماء سلف الأمة بخلافها ، فلذلك لم نستجز صَرْف تأويل الآية إلى معنى منها .(٢)

* * *

وقد دللنا فيما مضى على معنى « الخشية » ، وأنها الرهبة والمخافة ، فكرهنا إعادة ذلك فى هذا الموضع .(٣)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٧٤)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « وما الله بغافل عما تعملون » ، وما الله بغافل — يا معشر المكذّبين بآياته ، والجاحدين نبوّة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، والمتقوّلين عليه الأباطيلَ من بنى إسرائيل وأحبارِ اليهود — عما تعملون من أعمالكم الخبيثة ، وأفعالكم الرديئة ، ولكنه مُحصيها عليكم ، فمجازيكم بها فى الآخرة ، أو مُعاقبكم بها فى الدنيا .(٤)

---

(١) سلف هذا البيت وتخريجه فى ١ : ٣١٧ من طبعتنا هذه ، وأغفلت هناك أن أرده إلى هذا الموضع من التفسير ، فقيده .

(٢) ليت من تهور من أهل زماننا ، فاجترأ على جعل كتاب ربه منبعاً يستقى منه ما يشاء لأهوائه وأهواء أصحاب السلطان — سمع ما يقول أبو جعفر ، فيما تجيزه لغة العرب ، فكيف بما هو تهجم على كلام ربه بغير علم ولا هدى ولا حجة ؟ اللهم إنا نبرأ إليك منهم ، ونستعيذ بك أن نضل على آثارهم .

(٣) انظر ما سلف ١ : ٥٥٩—٥٦٠ ، وهو من تفسير « فارهبون » ، ولم ترد مادة (خشى) فى القرآن قبل هذا الموضع ، فلذلك قطعت بأنه أحال على هذه الآية .

(٤) كانت فى المطبوعة « يحصيها ، . . . فيجازيكم . . . أو يعاقبكم » بالياء فى أولها جميعاً ، واستجزت أن أردها إلى الاسمية ، لأن الطبرى هكذا يقول ، وقد سلف مثل ذلك مراراً ، ورأيت النساخ تصرفوا فيه كما بيناه فى موضعه . فاستأنست بنهجه فى بيانه ، وهو أبلغ وأقوم .

وأصل « الغَفْلة » عن الشيء ، تركه على وجه السهوِ عنه ، والنسيان له .

* * *

فأخبرهم تعالى ذكره أنه غير غافل عن أفعالهم الخبيثة ، ولا ساه عنها ، بل هو لها مُحصٍ ، ولها حافظٌ .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « أفتطمعون » يا أصحاب محمد ، أى : أفترْجُون يا معشر المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم ، والمصدّقين ما جاءكم به من عند الله ، أن يؤمن لكم يهودُ بنى إسرائيل ؟

* * *

ويعنى بقوله : « أنْ يُؤمنوا لكم » ، أن يُصدقوكم بما جاءكم به نبيكم صلى الله عليه وسلم محمد من عند ربكم ، كما : —

١٣٢٦ — حدثت عن عمار بن الحسن ، عن ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « أفتطمعون أن يؤمنوا لكم » ، يعنى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، « أن يُؤمنوا لكم » ، يقول : أفتطمعون أن يؤمنَ لكم اليهود ؟

١٣٢٧ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « أفتطمعون أن يؤمنوا لكم » الآية ، قال : هم اليهود ؟

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ ﴾

قال أبو جعفر : أما « الفريق » فجمع ، كالطائفة ، لا واحد له من لفظه . وهو « فعيل » من « التفرق » ، سمّى به الجِماع ، كما سميت الجماعة بـ « الحزب » ، من « التحزُّب » ، وما أشبه ذلك . ومنه قول أعشى بنى ثعلبة :

أَجَدُّوا ، فَلَمَّا خِفتُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا فَرِيقَيْنِ ، مِنْهُمْ مُصْعِدٌ وَمُصوِّبُ (١)

* * *

يعنى بقوله : « منهم »، من بنى إسرائيل. وإنما جعل الله الذين كانوا على عهد موسى ومن بعدهم من بنى إسرائيل ، من اليهود الذين قال الله لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم : «أفتطمعون أن يؤمنوا لكم» — لأنهم كانوا آباءهم وأسلافهم ، فجعلهم منهم ، إذ كانوا عشائرهم وفرطهم وأسلافهم ، كما يذكر الرَّجلُ اليوم الرَّجلَ ، وقد مضى على منهاج الذاكر وطريقته . وكان من قومه وعشيرته ، فيقول : « كان منا فلان »، (٢) يعنى أنه كان من أهل طريقته ومذهبه، أو من قومه وعشيرته . فكذلك قوله : « وقد كان فريقٌ منهم » .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٧٥)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى الذين عنى الله بقوله : « وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرِّفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون». فقال بعضهم بما : —

١٣٢٨ — حدثنى به محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريقٌ منهم يسمعون كلام الله ثم يحرِّفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون »،

---

(١) ديوانه : ١٣٧ ، وفى المطبوعة : « أخذوا » خطأ . أجد السير : انكش فيه وأسرع . مصعد : مبتدىء فى صعوده إلى نجد والحجاز . ومصوب منحدر فى رجوعه إلى العراق والشام وأشباه ذلك . وبعد البيت من تمامه :

طَلَبْتُهُمُ ، تَطْوِى بِىَ البيدَ جَسْرَةٌ شُوَيْقِئَةُ النَّابَيْنِ وَجْنَاءُ ذِعْلِبُ

(٢) انظر ما سلف فى هذا الجزء ٢ : ٣٨، ٣٩

فالذين يُحرِّفونه، والذين يكتمونه ، هم العلماءُ منهم .

١٣٢٩ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بنحوه . ٢٩١/١

١٣٣٠ ــ حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « أفتطمعون أنْ يُؤمنوا لكم وقد كان فريقٌ منهم يَسمعون كلامَ الله ثم يُحرِّفونه من بَعد ما عَقلوه »، قال : هى التوراة، حرَّفوها .

١٣٣١ ــ حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « يَسمعون كلامَ الله ثم يحرِّفونه » ، قال : التوراة التى أنزلها عليهم ، يُحرِّفونها ، يَجعلونَ الحلالَ فيها حراماً ، والحرامَ فيها حلالاً ، والحق فيها باطلاً ، والباطلَ فيها حقًّا ، إذا جاءهم المحِقّ برِشوة أخرجُوا له كتابَ الله، وإذا جاءهم المبطِل برشوة أخرجوا له ذلك الكتاب،[1] فهو فيه محقّ. وإن جاء أحدٌ يسألهم شيئاً ليس فيه حقٌّ ولا رِشوة ولاشيء، أمروه بالحق. فقال لهم : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [سورة البقرة : ٤٤].

* * *

وقال آخرون فى ذلك بما : ــ

١٣٣٢ ــ حدثت عن عمار بن الحسن قال ، أخبرنا ابن أبى جعفر : عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « وقد كان فريق منهم يسمعون كلامَ الله ثم يُحرِّفونه من بَعد ما عَقلوه وهم يعلمون » ، فكانوا يسمعون من ذلك كما يسمع أهل النبوّة ، ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون .

١٣٣٣ ــ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق فى قوله : « وقد كان فريقٌ منهم يَسمعون كلام الله » الآية ، قال : ليس قوله : « يَسمعون كلامَ الله »، يسمعون التوراةَ. كلُّهم قَدْ سمعها ، ولكنهم الذين سألوا موسى رؤية ربِّهم فأخذتهم الصاعقة فيها .

(١) يعنى : « ذلك الكتاب » المحرف ، لا « كتاب الله » الصادق .

١٣٣٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق قال : بلغني عن بعض أهل العلم أنهم قالوا لموسى : يا موسى ، قد حيل بيننا وبين رؤية الله عز وجل، فأسمعنا كلامه حين يكلمك . فطلب ذلك موسى إلى ربه فقال : نعم، فمُرْهم فليتطهّرُوا ، وليطهّروا ثيابهم ، ويصوموا . ففعلوا . ثم خرج بهم حتى أتى الطُّور ، فلما غشيهم الغَمام أمرهم موسى عليه السلام [أن يسجدوا] فوقعوا سجوداً ،(١) وكلّمه ربه فسمعوا كلامَه، يأمرهم وَينهاهم ، حتى عَقَلوا ما سمعوا . ثم انصَرَف بهم إلى بنى إسرائيل . فلما جاؤهم حرَّف فريقٌ منهم ما أمرهم به ، وقالوا حين قال موسى لبنى إسرائيل : إن الله قد أمركم بكذا وكذا ، قال ذلك الفريق الذين ذكرهم الله: إنّما قال كذا وكذا – خلافاً لما قال الله عز وجل لهم. فهم الذين عَنى الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين اللذين ذكرت بالآية ، وأشبههما بما دَلّ عليه ظاهرُ التلاوة، ما قاله الربيع بن أنس، والذى حكاه ابن إسحق عن بعض أهل العلم : من أن الله تعالى ذكره إنّما عَنىَ بذلك من سَمع كلامَه من بنى إسرائيل ، سماعَ موسى إيّاه منه ، ثم حرّف ذلك وبدّل، من بعد سماعه وعلمه به وفهمه إياه . وَذلك أن الله جل ثناؤه إنما أخبرَ أن التحريف كان من فريق منهم كانوا يسمعون كلام الله عزّ وجل ، استعظاماً من الله لما كانوا يأتون من البهتان ، بعد توكيد الحجة عليهم والبرهان، وإيذاناً منه تعالى ذكره عبادَه المؤمنين، قطعَ أطماعهم من إيمان بَقايا نسلهم بما أتاهم به محمد من الحق والنور والهدى،(٢) فقال لهم: كيف تطمعون فى تصديق هؤلاء اليهود إيّاكم، وإنما تخبرونهم – بالذى تُخبرونهم من الأنباء عن الله عز وجل – عن غيب لم يشاهدوه ولم يعاينوه، وقد كان بعضُهم يسمع من الله كلامَه وأمرَه ونهيه ، ثم يبدّله ويحرّفه ويجحده ؟ فهؤلاء الذين بين

(١) ما بين القوسين زيادة من ابن كثير ١ : ٢١٢ .

(٢) فى المطبوعة « وإيذاناً منه . . . وقطع أطماعهم » بالعطف بالواو ، وليس يستقيم . وآذنه الأمر وآذنه به يذاناً : أعلمه . فقوله: « قطع » منصوب مفعول ثان للمصدر « إيذاناً » .

أظهُرِكم من بقايا نَسلهم ، أحرى أن يجحدوا ما أتيتموهم به من الحق ، وهم
٢٩٢/١ لا يسمعونه من الله ، وإنما يسمعونه منكم — [١] وأقربُ إلى أن يحرفوا ما فى كتبهم
من صفة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ويبدّلوه ، وهم به عالمون ، فيجحدوه
ويكذّبوا — [٢] من أوائلهم الذين بَاشروا كلام الله من الله جل ثناؤه ، ثم حرفوه من
بعد ما عقلوه وَعلموه ، متعمّدين التحريف .

ولو كان تأويل الآية على ما قاله الذين زَعموا أنه عنى بقوله : « يسمعُون كلام
الله » ، يسمعون التوراة ، لم يكنْ لذكر قوله : « يسمعون كلامَ الله » معنى
مفهوم. لأن ذلك قد سمعه المحرّف منهم وغير المحرّف ، فخصوص المحرّف منهم بأنه
كان يسمع كلام الله — إن كان التأويل على ما قاله الذين ذكرنا قولهم — دون
غيرهم ، ممن كان يسمع ذلك سماعَهم ، لا معنى له [٣] .

فإن ظَنّ ظانٌّ [أنه] إنما صَلَح أن يقال ذلك لقوله : « يُحرّفونه » ، فقد أغفل
وجه الصواب فى ذلك [٤] . وذلك أن ذلك لو كان كذلك لقيل : أفتطمعون أن
يُؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يحرفونَ كلام الله من بعد مَا عَقلوه وهم يعلمون .
ولكنه جل ثناؤه أخبر عن خاصٍّ من اليهود ، كانوا أعطوا — من مباشرتهم سَماعَ
كلام الله — ما لم يُعطه أحدٌ غيرُ الأنبياء والرسل ، ثم بدلوا وحرفوا ما سمعوا من
ذلك . فلذلك وصفهم بما وصفهم به ، للخصوص الذى كان خَصّ به هؤلاء الفريق
الذى ذكرهم فى كتابه تعالى ذكره .

* * *

ويعنى بقوله : « ثم يُحرّفونه » ، ثم يبدلون معناهُ وتأويله ويغيّرونه. وأصله من
« انحراف الشيء عن جهته » ، وهو ميله عنها إلى غيرها . فكذلك قوله : « يحرّفونه »

---

(١) قوله : « وأقرب » ، معطوف على قوله : « أحرى . . . »

(٢) قوله : « من أوائلهم . . » متعلق بقوله آنفاً : « أحرى أن يجحدوا . . . وأقرب إلى أن يحرفوا . . . »

(٣) سياق العبارة : فخصوص المحرف بأنه . . . لا معنى له » .

(٤) الزيادة بين القوسين لا بد منها .

أى يُميلونه عن وجهه ومعناهُ الذى هو معناه ، إلى غيره . فأخبر الله جل ثناؤه أنهم فعلوا ما فعلوا من ذلك ، على علم منهم بتأويل ما حرّفوا ، وأنّه بخلاف ما حرّفوه إليه . فقال : « يحرّفونه من بعد ما عَقلوه » ، يعنى : من بعد ما عقلوا تأويله ، « وهم يعلمون » ، أى : يعلمون أنّهم فى تحريفهم ما حرفوا من ذلك مبطلون كاذبون .

وذلك إخبارٌ من الله جل ثناؤه عن إقدامهم على البَهْتِ ، ومناصبتهم العداوةَ له ولرسوله موسى صلى الله عليه وسلم ، وأنّ بقاياهم — من مُناصبتهم العداوةَ لله ولرسوله محمد صلى الله عليه وسلم بَغياً وَحسداً — على مِثل الذى كان عليه أوائلهم من ذلك فى عَصر موسى عليه الصلاة والسلام .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالَى ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا ﴾

قال أبو جعفر : أما قوله : « وَإذا لَقوا الذينَ آمَنوا قالوا آمَنا » ، فإنه خبر من الله جل ذكره عَن الذين أيِسَ أصحابَ محمد صلى الله عليه وسلم من إيمانهم — من يهود بنى إسرائيل ، الذين كان فريقٌ منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عَقلوه وهم يعلمون — وهُم الذين إذا لقوا الذين آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم قالوا : آمنا . يعنى بذلك : أنهم إذا لقوا الذين صدّقوا بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاءَ به من عند الله ، قالوا : آمنا — أى صدقنا بمحمد وبما صدّقتم به ، وأقررنا بذلك . أخبرَ الله عزّ وجل عنهم أنهم تخلّقوا بأخلاق المنافقين ، وسلكوا منهاجَهم ، كما : —

١٣٣٥ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن جده ، عن ابن عباس قوله : « وإذا لَقوا الذينَ آمَنوا قالوا آمنّا وَإذا خَلا بَعضهم إلى بعض قالوا أتُحدثونهم بما فَتحَ الله عَليكم » ، وذلك أن نَفراً من اليهود كانوا إذا لقوا محمداً صلى الله عليه وسلم قالوا :

آمنّا ، وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا : أتحدثونهم بما فتح الله عليكم .

١٣٣٦ ــ حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « وإذا لَقُوا الذين آمنوا قالوا آمنا » ، يعني المنافقين من اليهود ، كانوا إذا لقوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا : آمنا .

* * *

٢٩٣/١ وقد روى عن ابن عباس في تأويل ذلك قول آخر ، وهو ما : ــ

١٣٣٧ ــ حدثنا به ابن حميد قال ، حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحق عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وإذا لَقوا الذين آمنوا قالوا آمنّا » ، أي : بصاحبكم رسول الله صلى الله وسلم ، ولكنه إليكم خاصة .

١٣٣٨ ــ حدثنا موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وإذا لَقوا الذين آمَنوا قالوا آمنّا » الآية ، قال : هؤلاء ناس من اليهود ، آمنوا ثم نافقوا .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٧٦)

قال أبو جعفر : يعني بقوله : « وإذا خَلا بعضُهم إلى بَعض » أي : إذا خلا بعضُ هؤلاء اليهود ــ الذين وصف الله صفتهم ــ إلى بعض منهم ، فصاروا في خَلاءٍ من الناس غيرِهم ، وذلك هو الموضع الذي ليس فيه غيرهم ــ « قالوا » يعني : قال بعضُهم لبعض : « أتُحدِّثونهم بما فَتحَ الله عليكم » .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : « بما فَتحَ الله عليكم » فقال بعضهم بما : ــ

١٣٣٩ ــ حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن

عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك عن ابن عباس : « وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم »، يعني : بما أمركم الله به . فيقول الآخرون : إنما نستهزئ بهم ونضحك .

* * *

وقال آخرون بما : —

١٣٤٠ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس « وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا»، أي : بصاحبكم رسول الله، ولكنه إليكم خاصة، وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا : لا تحدثوا العرب بهذا ، فإنكم قد كنتم تستفتحون به عليهم ، فكان منهم[1]. فأنزل الله : « وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم »، أي : تقرون بأنه نبي ،وقد علمتم أنه قد أخذ له الميثاق عليكم باتباعه،وهو يخبرهم أنه النبي الذي كنا ننتظر ونجده في كتابنا ؟ اجحدوه ولا تقروا لهم به: يقول الله : « أو لا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون» .

١٣٤١ — حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال : حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية في قوله : « أتحدثونهم بما فتح الله عليكم»، أي بما أنزل الله عليكم في كتابكم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم .

١٣٤٢ — حدثنا بشر بن معاذ قال،حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة : « قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم »، أي : بما من الله عليكم في كتابكم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم ، فإنكم إذا فعلتم ذلك احتجوا به عليكم، « أفلا تعقلون » .

---

(١) قوله : « فكان منهم » ، أي كان منهم النبي الذي كانوا يستفتحون به على مشركي العرب وتستنصرون ، ويرجون أن يكون منهم، فكان من العرب . وسيأتي خبر استفتاحهم بعد في تفسير الآية : ٨٩ من سورة البقرة في هذا الجزء .

١٣٤٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « أتحدِّثونهم بما فتح الله عليكم » ، ليحتجُّوا به عليكم .

١٣٤٤ – حدثني المثنى قال ، حدثني آدم قال ، حدثنا أبو جعفر قال ، قال قتادة : « أتحدِّثُونهم بما فتح الله عليكم » ، يعني : بما أنزل الله عليكم من أمرْ محمد صلى الله عليه وسلم ونَعْتِه .

* * *

وقال آخرون في ذلك بما : –

١٣٤٥ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « بما فَتحَ الله عليكم ليُحاجُّوكم به عندَ ربِّكم » قال : قولُ يهود بني قريظة ،[1] حين سبّهم النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم إخوةُ القرَدة والخنازير ، قالوا : من حَدَّثك ؟ – هذا – حين أرسل إليهم عليًّا فآذوا محمداً ، فقال : يا إخوةَ القرَدة والخنازير[2] .

١٣٤٦ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله – إلا أنه قال : هذا ، حينَ أرسل إليهم عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه وآذوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال : اخسأوا يا إخوة القرَدَة والخنازير . ٢٩٤/١

١٣٤٧ – حدثنا القاسم قال ، حدثني الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، أخبرني القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد في قوله : « أتحدِّثُونهم بما فَتحَ الله عليكم » ، قال : قام النبي صلى الله عليه وسلم يَوْمَ قُريظة تحتَ حُصونهم فقال : يا إخوانَ القرَدةَ ، ويا إخوانَ الخنازير ، ويا عَبَدة الطاغوت . فقالوا : من أخبرَ هذا محمداً ؟ ما خرج هذا إلا منكم ! « أتُحدِّثُونهم بما فتح

(١) في المطبوعة : « يهود من قريظة » ، ليست بشيء .

(٢) من أول قوله : « قالوا من حدثك ؟ . . . » إلى آخر العبارة ، تفسير للقصة قبله . وقوله « فقال : يا إخوة القردة والخنازير » من كلام رسول الله صلى الله عليهم وسلم ، لا كلام علي رضي الله عنه . وسيظهر ذلك في الخبرين بعده .

الله عليكم»! بما حكم الله، للفتح، ليكون لهم حجة عليكم . قال ابن جريج ، عن مجاهد : هذا حين أرسل إليهم علياً فآذوا محمداً صلى الله عليه وسلم[١] .

* * *

وقال آخرون بما : —

١٣٤٨ — حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « قالوا أتُحدِّثونهم بما فتحَ الله عليكم » — من العذاب — « ليحاجُّوكم به عند ربكم » : هؤلاء ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا ، فكانوا يحدِّثون المؤمنين من العرب بما عُذِّبوا به . فقال بعضهم لبعض: أتحدِّثونهم بما فَتحَ الله عليكم من العذاب، ليقولوا نحن أحبُّ إلى الله منكم ، وأكرمُ على الله منكم ؟

* * *

وقال آخرون بما : —

١٣٤٩ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « وإذا خَلا بعضُهم إلى بعض قالوا أتحدِّثونهم بما فَتح الله عليكم ليُحاجُّوكم به عندَ ربكم » ، قال : كانوا إذا سئلوا عن الشيء قالوا : أما تعلمون فى التوراة كذا وكذا ؟ قالوا : بلى! — قال: وهم يهود — فيقول لهم رؤساؤهم الذين يرجعون إليهم : ما لكم تُخبرونهم بالذى أنزَل الله عليكم فيحاجُّوكم به عندَ ربكم ؟ أفلا تعقلون ؟ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يدخُلَنَّ علينا قَصبة المدينة إلا مؤمن[٢] . فقال رؤساؤهم من أهل الكفر والنفاق: اذهبوا فقولوا : آمنّا، واكفروا إذا رجعتم . قال : فكانوا يأتون المدينة بالبُكَر ، ويرجعون إليهم بعد العصر[٣]. وقرأ قول الله : ﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [سورة آل عمران : ٧٢] . وكانوا يقولون إذا دخلوا المدينة : نحن مسلمون . ليعلموا خَبرَ رسول الله صلى الله

(١) الأثر : ١٣٤٧ — فى ابن كثير ١ : ٢١٤ وفيه : « من أخبر بهذا الأمر محمداً ؟ ما خرج هذا القول إلا منكم » .

(٢) قصبة القرية : وسطها وجوفها . وقصبة البلاد : مدينتها ، لأنها تكون فى أوسطها .

(٣) البكر جمع بكرة (بضم فسكون) : وهى الغدوة ، أول النهار .

عليه وسلم وأمرَه ، فإذا رجعوا رَجعوا إلى الكفر . فلما أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بهم قَطَعَ ذلك عنهم فلمْ يكونوا يدخلون . وكان المؤمنون الذين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يظنُّون أنّهم مؤمنون ، فيقولون لهم : أليسَ قد قال الله لكم كذا وكذا؟ فيقولون : بلى ! فإذا رجعوا إلى قومهم [يعنى الرؤساء] — قالوا : أتُحدِّثونهم بما فتح الله عليكم »، الآية[1]

* * *

وأصل « الفتح » فى كلام العرب : النصرُ، والقضَاءُ، والحكْم. يقال منه : « اللهمّ افتحْ بينى وبين فلان »، أى احكم بينى وبينه ، ومنه قول الشاعر :

أَلاَ أَبْلِغْ بَنِى عُصْمٍ رَسُولاً بِأَنِّى عَنْ فُتَاحَتِكُمْ غَنِىُّ

قال أبو جعفر : ويقال للقاضى : « الفتَّاح » . ومنه قول الله عز وجلّ ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ [سورة الأعراف : ٨٩] أى : احكمْ بيننا وبينهم .

* * *

فإذا كان معنى الفتح ما وصفنا ، تبين أنّ معنى قوله : « قالوا أتُحدِّثونهم بما فَتحَ الله عليكم ليحاجّوكم به عند ربكم » ، إنما هو : أتحدثونهم بما حَكم الله به عليكم ، وقَضَاه فيكم ؟ ومن حُكمه جل ثناؤه عليهم ما أخذ به ميثاقهم من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم، وبما جاء به فى التوراة . ومن قَضَائه فيهم أنْ جعل منهم القِرَدَة والخنازير ، وغير ذلك من أحكامه وقضائه فيهم . وكل ذلك كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين به ، حُجةً على المكذبين به من اليهود ٢٩٥/١

---

(١) الأثر : ١٣٤٩ فى ابن كثير ١ : ٢١٣ — ٢١٤ ، والزيادة بين القوسين منه .

(٢) ينسب للأسمر الجعفى ، ومحمد بن حمران بن أبى حمران . انظر تعليق الراجكوتى فى سمط اللآلىء : ٩٢٧ .

(٣) أمالى القالى ٢ : ٢٨١ واللسان (فتح) (رسل) ، وغيرهما ، وبنو عصم، هم رهط عمرو ابن معديكرب الزبيدى . وقد اختلفت روايات البيت اختلافاً شديداً ، ليس هذا مكان تحقيقها ، لطولها .

المقرِّين بحكم التوراة ، وغير ذلك [من أحكامه وقضائه] .(١)

فإذْ كان ذلك كذلك .(٢) فالذى هو أولى عندى بتأويل الآية قولُ من قال : معنى ذلك : أتحدّثونهم بما فتح الله عليكم من بَعْثِ محمد صلى الله عليه وسلم إلى خلقه ؟ لأنّ الله جل ثناؤه إنما قصّ فى أوّل هذه الآية الخبرَ عن قولهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأصحابه : آمنا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فالذى هو أولى بآخرِها أن يكون نظيرَ الخبر عما ابتُدئ به أولها .

وإذا كان ذلك كذلك ، فالواجب أن يكون تلاوُمهم ، كان فيما بينهم ، فيما كانوا أظهروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأصحابه من قولهم لهم : آمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به . وكان قيلهم ذلك ، من أجل أنّهم يجدون ذلك فى كتُبهم ، وكانوا يخبرُون أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك . فكان تلاوُمُهم — فيما بينهم إذا خَلوا — على ما كانوا يُخبرونهم بما هو حُجّة للمسلمين عليهم عند ربهم . وذلك أنهم كانوا يخبرونهم عن وُجود نعت محمد صلى الله عليه وسلم فى كتبهم ، ويكفرون به . وكان فتحُ الله الذى فتحه للمسلمين على اليهود ، وحُكمه عليهم لهم فى كتابهم ، أنْ يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم إذا بُعث . فلما بُعث كفرَوا به ، مع علمهم بنبوته .

* * *

قال أبو جعفر : وقوله : «أفلا تعقلون» ، خبرٌ من الله تعالى ذكره — عن اليهود اللائمين إخوانَهم على ما أخبرُوا أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بما فتحَ الله لهم عليهم — أنهم قالوا لهم : أفلا تفقهون أيها القوم وتعقلون ، أن إخباركم أصحابَ النبي صلى الله عليه وسلم بما فى كتبكم أنه نبيٌّ مبعوث ، حجّةٌ لهم عليكم عند ربكم ، يحتجون بها عليكم؟ أى : فلا تفعلوا ذلك ، ولا تقولوا لهمْ مثلَ ما قلتم ، ولا تخبروهم

---

(١) ما بين القوسين ، زيادة استظهرتها من سابق بيانه ، ليستقيم الكلام .

(٢) فى المطبوعة : « فإن كان كذلك » ، والزيادة ماضية على نهج أبى جعفر .

بمثل ما أخبرتموهم به من ذلك . فقال جل ثناؤه : « أوَ لا يَعلمونَ أنّ الله يَعلم مَا يُسِرُّون وَمَا يُعلنون » .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ (٧٧)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « أوَ لا يَعلمونَ أنّ الله يعلمُ مَا يسِرُّون وما يُعلنون » ، أوَ لا يَعلم — هؤلاء اللائمون من اليهود إخوانَهم من أهل ملّتهم ، على كونهم إذا لقوا الذين آمنوا قالوا : آمنا ، وعلى إخبارهم المؤمنين بما فى كتبهم من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومبعثه ، القائلون لهم : أتحدّثونهم بما فتحَ الله عليكم ليحاجُّوكم به عندَ ربّكم — أنّ الله عالمٌ بما يُسِرُّون ، فيخفونَه عن المؤمنين فى خَلائهم = من كفرهم ، وتلاوُمهم بينهم على إظهارهم ما أظهرُوا لرسول الله وللمؤمنين به من الإقرار بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى قيلهم لهم : آمنا ، ونَهى بعضهم بعضاً أن يخبروا المؤمنين بما فتحَ الله للمؤمنين عليهم ، وقضى لهم عليهم فى كتبهم ، من حقيقة نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم ونَعته ومبعثه = وما يُعلنون ، فيظهرونه لمحمد صلى الله عليه وسلم ولأصحابه المؤمنين به إذا لقوُهم ، من قيلهم لهم : آمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به ، نفاقاً وخِداعاً لله ولرسوله وللمؤمنين ؟ كما : —

١٣٥٠ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد . قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « أوَ لا يعلمون أنّ الله يعلمَ ما يُسرون » ، من كفرهم وتكذيبهم محمداً صلى الله عليه وسلم إذا خَلا بعضهم إلى بعض ، « وما يُعلنون » إذا لقوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا : آمنا . ليرضوهم بذلك .

١٣٥١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن

الربيع ، عن أبي العالية : « أوَ لا يعلمون أن الله يعلم ما يُسِرُّون وما يُعلنون » ، يعني : ما أسرُّوا من كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وتكذيبهم به وهم يجدونه مكتوباً عندهم ، « وَما يُعلنون » ، يعني : ما أعلنوا حين قالوا للمؤمنين : آمنَّا . ٢٤٣/١

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ ﴾

قال أبو جعفر : يعني بقوله جل ثناؤه : « ومنهم أمِّيُّون » ، وَمن هؤلاء اليهود – الذين قصّ الله قَصَصهم في هذه الآيات ، وأيأسَ أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم منْ إيمانهم فقال لهم : أفتطمعون أن يُؤمنوا لكم وقد كان فريقٌ منهم يَسمعون كلام الله ، ثم يحرِّفونه من بعد ما عَقلوه ، وهم إذا لقوكم قالوا : آمنا ، كما : –

١٣٥٢ – حدثنا المثنى قال، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : « ومنهم أميون » ، يعني : من اليهود .

١٣٥٣ – وحدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

١٣٥٤ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج، عن مجاهد : « ومنهم أميُّون »، قال : أناسٌ من يَهود .

* * *

قال أبو جعفر : يعني بـ « الأميين » ، الذين لا يكتبون ولا يقرأون .

١٣٥٥ – ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : «إنَّا أمة أميَّة لا نكتب ولا نحسب».(١)

يقال منه : « رجلٌ أمّيٌّ بيّن الأميّة »،(٢) كما : –

١٣٥٦ – حدثني المثنى قال ، حدثني سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن

(١) الحديث : ١٣٥٥ – هو حديث صحيح . رواه البخاري ٤ : ١٠٨ – ١٠٩ (من الفتح)، ورواه أيضاً مسلم وأبو داود والنسائي ، كما في الجامع الصغير للسيوطي ، رقم : ٢٥٢١ .

(٢) كان في المطبوعة : « أي بين الأمية » ، فحذفت « أي » ، فليس ذلك مما يقال .

المبارك ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم : « ومنهم أميُّون لا يعلمون الكتاب » ، قال : منهم من لا يحسن أن يكتب.(١)

١٣٥٧ ــ حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « ومنهم أميُّون » ، قال : أميون لا يقرأون الكتاب من اليهود .

* * *

وروى عن ابن عباس قول خلافَ هذا القول ، وهو ما :ــ

١٣٥٨ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن عمارة ، عن أبي روق، عن الضحاك ، عن ابن عباس: « ومنهم أمِّيُّون » ، قال : الأميُّون قوم لم يصدّقوا رسولاً أرسله الله، ولا كتاباً أنزله الله، فكتبوا كتاباً بأيديهم ،

---

(١) قوله « لا يحسن أن يكتب » نفى لمعرفة الكتابة ، لا لجودة معرفة الكتابة ،كما يسبق إلى الوهم . وقديماً قام بعض أساتذتنا يدعى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يعرف الكتابة ، ولكنه لا يحسنها ، لخبر استدل به هو ــ أو اتبع فيه من استدل به من أعاجم المستشرقين ــ وهو ما جاء في تاريخ الطبرى ٣ : ٨٠ في شرح قصة الحديبية ، حين جاء سهيل بن عمرو ، لكتابة الصلح . روى الطبرى عن البراء بن عازب قال : « . . . فلما كتب الكتاب ، كتب : « هذا ما تقاضى عليه محمد رسول الله » ، فقالوا لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك ، ولكن أنت محمد بن عبد الله . قال : أنا رسول الله ، وأنا محمد بن عبد الله . قال لعلى : امح « رسول الله » . قال : لا والله لا أمحاك أبداً . فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ وليس يحسن يكتب . . . فكتب مكان رسول الله » « محمد » ، فكتب : هذا ما قاضى عليه محمد » .

فظن أولا أن ضمير الفاعل في قوله : « فكتب مكان رسول الله ــ محمد » ، هو رسول الله صلى الله عليه . وليس كذلك بل هو : على بن أبي طالب الكاتب . وفي الكلام اختصار ، فإنه لما أمر علياً أن يمحو الكتاب فأبى ، أخذه رسول الله ، وليس يحسن يكتب ، فمحاه . وتفسير ذلك قد أتى في حديث البخارى عن البراء بن عازب أيضاً ٣ : ١٨٤ : « فقال لعلى : امحه . فقال على : ما أنا بالذى أمحاه فمحاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده » .

وأخرى أنه أخطأ في معنى « يحسن » ، فإنها هنا بمعنى « يعلم » ، وهو أدب حسن في العبارة ، حتى لا ينفى عنه العلم ، وقد جاء في تفسير الطبرى ٢١ : ٦ في تفسير قوله تعالى : « أحسن كل شيء خلقه » ، ما نصه : « معنى ذلك : أعلم كل شيء خلقه . كأنهم وجهوا تأويل الكلام إلى أنه ألهم كل خلقه ما يحتاجون إليه . وأنه قوله : « أحسن » ، إنما هو من قول القائل : « فلا يحسن كذا » ، إذا كان يعلمه » .

هذا ، والعرب تتأدب بمثل هذا ، فتضع اللفظ مكان اللفظ ؛ وتبطل بعض معناه ، ليكون تنزيهاً للسان ، أو تكرمة للذى تخبر عنه . فمعنى قوله : « ليس يحسن يكتب » ، أى ليس يعرف يكتب . وقد أطال السهيلى في الروض الأنف ١ : ٢٣٠ بكلام ليس يغنى في تفسير هذا الكلمة .

ثم قالوا لقوم سِفْلة جُهّال: هذا من عند الله . وقال : قد أخبر أنهم يكتبون بأيديهم ، ثم سماهم أمّيّين ، لجحودهم كتب الله ورسله.(١)

وهذا التأويل تأويلٌ على خلاف ما يعرف من كلام العرب المستفيض بينهم . وذلك أن « الأمى » عند العرب : هو الذى لا يكتب .

* * *

قال أبو جعفر : وأرى أنه قيل للأمى « أمى » ؛ نسبة له بأنه لا يكتب إلى «أمّه» ، لأن الكتاب كان فى الرجال دون النساء ، فنُسِب من لا يكتب ولا يخُطّ من الرجال — إلى أمّه — فى جهله بالكتابة ، دون أبيه ، كما ذكرنا عن النبى صلى الله عليه وسلم من قوله : « إنّا أمّة أميّة لا نكتب ولا نحسب » ، وكما قال : ﴿ هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [سورة الجمعة : ٢] .(٢)

فإذا كان معنى « الأمى » فى كلام العرب ما وصفنا ، فالذى هو أولى بتأويل الآية ما قاله النخعىّ ، من أن معنى قوله : « ومنهم أمّيون » : ومنهم من لا يُحسن أن يكتب .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « لا يَعلمون الكتاب » ، لا يعلمون ما فى الكتاب الذى أنزله الله ، ولا يدرون ما أودعه الله من حدوده وأحكامه وفرائضه ، كهيئة البهائم ، كالذى : —

١٣٥٩ — حدثنى الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا

---

(١) قال ابن كثير فى تفسيره ١ : ٢١٥ ، وساق الخبر وكلام الطبرى ، ثم قال : « قلت : فى صحة هذا عن ابن عباس — بهذا الإسناد — نظر ، والله أعلم » .

(٢) اقتصر فى المطبوعة على قوله : « رسولا منهم » ، وأتممت الآية ، لأنه يستدل بها على أنه جاء يعلم الأميين « الكتاب » .

معمر ، عن قتادة فى قوله : « ومنهم أمّيّون لا يَعلمون الكتابَ إلا أمَانى » : إنما هم أمثال البهائم ، لا يعلمون شيئاً .

١٣٦٠ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « لا يعلمون الكتاب » ، يقول : لا يعلمون الكتاب ولا يدرون ما فيه .

١٣٦١ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية : « لا يَعلمون الكتاب » ، لا يدرون ما فيه .

١٣٦٢ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن أبى محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « لا يَعلمون الكتاب » ، قال : لا يدرون بما فيه .

٢٩٧/١ ١٣٦٣ – حدثنا يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « لا يَعلمون الكتاب » ، لا يعلمون شيئاً ، لا يقرأون التوراةَ . ليست تستظهر ، إنما تقرأ هكذا . فإذا لم يكتب أحدهم ، لم يستطع أن يقرأ .(١)

١٣٦٤ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس فى قوله : « لا يعلمون الكتاب » ، قال : لا يعرفون الكتاب الذى أنزله الله .

* * *

قال أبو جعفر : وإنّما عنى بـ « الكتاب » التوراةَ ، ولذلك أدخلت فيه « الألف واللام » ، لأنه قصد به كتاب معروف بعينه .

ومعناه : ومنهم فريقٌ لا يكتبون ، ولا يدرُون ما فى الكتاب الذى عرفتموه الذى هو عندهم – وهم ينتحلونه ويدّعون الإقرار به – من أحكام الله وفرائضه ، وما فيه من حدوده التى بينها فيه .

* * *

[واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله](٢) : « إلاّ أمَانى » فقال : بعضهم بما :–

(١) الأثر : ١٣٦٣ – كان فى المطبوعة : « حدثنا بشر قال أخبرنا ابن وهب . . . » ، وهو سهو من الناسخ ، والإسناد كثير الدوران فى التفسير ، أقربه رقم : ١٣٥٧ .

(٢) ما بين القوسين زيادة يقتضيها الكلام . وكأن الناسخ سها فأغفلها .

١٣٦٥ – حدثنا به أبو كريب قال، حدثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن عمارة، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس: « إلاّ أمانيّ »، يقول : إلا قولاً يقولونه بأفواههم كذباً .

١٣٦٦ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « لا يعلمون الكتاب إلاّ أمانيّ » : إلاّ كذباً .

١٣٦٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

وقال آخرون بما : –

١٣٦٨ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « إلا أمانيّ »، يقول: يتمنون على الله ما ليس لهم .

١٣٦٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة: « إلاّ أماني »، يقول : يتمنون على الله الباطل وما ليس لهم .

١٣٧٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح، [عن معاوية بن صالح]، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: « لا يعلمون الكتابَ إلاّ أمانيّ »، يقول: إلا أحاديث .

١٣٧١ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج، عن مجاهد : « ومنهم أمّيّون لا يعلمونَ الكتابَ إلاّ أمانيّ »، قال : أناس من يهود ، لم يكونوا يعلمون من الكتاب شيئاً، وكانوا يتكلمون بالظنّ بغير ما في كتاب الله ، يقولون: هو من الكتاب . أمانيُّ يتمنّونها .

١٣٧٢ – حدثنا المثنى قال، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية: « إلاّ أمانيّ »، يتمنون على الله ما ليس لهم .

١٣٧٣ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: « إلا أمانيّ »، قال : تمنوا فقالوا: نحن من أهل الكتاب . وليسُوا منهم .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى ما روينا فى تأويل قوله « إلا أمانى » ، بالحق ، وأشبهه بالصواب ، الذى قاله ابن عباس — الذى رواه عنه الضحاك —، وقول مجاهد : إن « الأميّين » الذين وصفهم الله بما وصفهم به فى هذه الآية ، أنهم لا يفقهون من الكتاب الذى أنزله الله على موسى شيئاً ،(١) ولكنهم يتخرّصون الكذب ويتقوّلون الأباطيل كذبا وزوراً .

* * *

و « التمنى » فى هذا الموضع ، هو تخلّق الكذب وتخرّصه وافتعالُه . يقال منه : « تمنّيت كذا » ، إذا افتعلته وتخرّصته . ومنه الخبر الذى رُوى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه : « ما تغنّيت ولا تمنّيت » ،(٢) يعنى بقوله : «ما تمنّيت» ، ما تخرّصت الباطل ، ولا اختلقت الكذب والإفك .

* * *

والذى يدل على صحة ما قلنا فى ذلك — وأنه أولى بتأويل قوله : « إلاّ أمانىّ » من غيره من الأقوال — قول الله جل ثناؤه : « وإنْ هُم إلاّ يظُنُّون » . فأخبر عنهم جلّ ثناؤه أنّهم يتمنّون ما يتمنّون من الأكاذيب ، ظنًّا منهم لا يقيناً . ولوْ ٢٩٨/١
كان معنى ذلك أنهم « يَتلُونه » ، لم يكونوا ظانّين ، وكذلك لو كان معناه « يَشتهونه » . لأن الذى يتلوه ، إذا تدبّره علمه . ولا يستحق — الذى يتلو كتاباً قرأه ، وإن لم يتدبّره — بتركه التدبّر أن يقال : هو ظانٌّ لما يتلو ، إلا أن يكون شاكًّا فى نفس ما يتلوه ، لا يدرى أحق هو أم باطل . ولم يكن القوم — الذين كانوا يتلون التوراةَ على عصر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود — فيما بلغنا —

---

(١) فى المطبوعة : « « وأنهم لا يفقهون » بزيادة الواو ، وهو خطأ لا يستقيم ، والصواب ما أثبته من ابن كثير ١ : ٢١٦ .

(٢) فى الفائق ١ : ١٦٣ عن عثمان رضى الله عنه : « قد اختبأت عند الله خصالا : إنى لرابع الإسلام ، وزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته ثم ابنته ، وبايعته بيدى هذه اليمنى فما مسست بها ذكرى ، وما تغنيت ولا تمنيت ، ولا شربت خمراً فى جاهلية ولا إسلام » . وروى الطبرى فى تاريخه فى خبر مقتله رضى الله عنه ٥ : ١٣٠ ، أن الرجل الذى انتدب لقتله دخل عليه فقال له : « اخلعها وندعك . فقال : ويحك ! ما كشفت امرأة فى جاهلية ولا إسلام ، ولا تغنيت ولا تمنيت ، ولا وضعت يمينى على عورتى منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولست خالعاً قميصاً كسانيه الله عز وجل » .

شاكّين فى التوراة أنها من عند الله . وكذلك « المتمنى » الذى هو فى معنى « المتشهى » غير جائز أن يقال : هو ظان فى تمنّيه . لأن التمنّى من المتمنّى ، إذا تمنّى ما قد وجد عينَه . فغير جائز أن يقال : هو شاكّ ، فيما هو به عالم . لأن العلم والشكّ معنيان ينفى كل واحد منهما صاحبه ، لا يجوز اجتماعهما فى حيّز واحد . والمتمنى فى حال تمنّيه ، موجودٌ تمنّيه ، فغيرُ جائز أن يقال : هو يظنّ تمنيه.(١)

* * *

وإنما قيل : « لا يعلمونَ الكتابَ إلاّ أمانى » ، و « الأمانى » من غير نوع « الكتاب » ، كما قال ربنا جل ثناؤه : ﴿ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِن عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ ﴾ [سورة النساء: ١٥٧] ، و « الظن » من «العلم» بمعزل . وكما قال : ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴾ [سورة الليل : ١٩ ، ٢٠] ، وكما قال الشاعر :(٢)

لَيْسَ بَيْنِى وَبَيْنَ قَيْسٍ عِتابٌ غَيْرَ طَعْنِ الْكُلَى وَضَرْبِ الرِّقابِ (٣)

وكما قال نابغة بنى ذبيان :

حَلَفْتُ يَميناً غَيْرَ ذِى مَثْنَوِيَّةٍ ، وَلاَ عِلْمَ ، إلاَّ حُسْنَ ظَنٍّ بصَاحِبِ (٤)

---

(١) فى المطبوعة : « غير جائز » ، والصواب إثبات الفاء .

(٢) هو عمرو بن الأيهم التغلبى النصرانى ، وقيل اسمه : عمير ، وقيل هو أعشى تغلب . روى عن الأخطل أنه قيل له وهو يموت : على من تخلف قومك ؟ قال : على العمير ين . يعنى القطامى عمير ابن أشيم ، وعمير بن الأهتم .

(٣) سيبويه ١ : ٣٦٥ ، والوحشيات رقم : ٥٥ ، ومعجم الشعراء : ٢٤٢ ، وحماسة البحترى : ٣٢ ، وانظر تحقيق الراجكوتى فى سمط اللآلىء : ١٨٤ . والشعر يقوله فى هجاء قيس عيلان يقول فيها :

قاتل اللهُ قيسَ عَيْلانَ طُرًّا مَا لَهُمْ دُون غَدْرَةٍ من حِجَابِ

ثم إن سيبويه أنشد البيت برفع « غير » ، على البدل من « عقاب » ، اتساعاً ومجازاً .

(٤) ديوانه : ٤٢ ، وسيبويه ١ : ٣٦٥ ، وغيرهما ، وروايتهم جميعاً : « بصاحب » ، وكان فى الأصل المطبوع « بغائب » ، وأظن أن ما كان فى الطبرى خطأ من النساخ ، لأنه لايتفق مع الشعر . فالنابغة يمدح بهذه الأبيات عمرو بن الحارث الأعرج الغسانى ، فيقول قبله :

عَلَىَّ لِعَمْرٍو نِعْمَةٌ بَعْدَ نِعْمَةٍ لِوَالِدِهِ ، لَيْسَتْ بِذَاتِ عَقَارِبِ

فى نظائرَ لما ذكرنا يطولُ بإحصائها الكتاب .(١)

ويخرُج بـ « إلاّ » ما بعدها من معنى ما قبلها ومن صفته ، وإن كان كل واحد منهما من غير شكل الآخر ومن غير نوعه . ويسمّى ذلك بعضُ أهل العربية « استثناء منقطعاً » ، لانقطاع الكلام الذى يأتى بعد « إلا » عن معنى ما قبلها . وإنما يكون ذلك كذلك، فى كل موضع حَسُن أن يوضع فيه مكانَ « إلا » « لكن » ؛ فيعلم حينئذ انقطاع معنى الثانى عن معنى الأول . ألا ترى أنك إذا قلت : « ومنهم أميون لا يَعلمون الكتابَ إلاّ أمانىّ» ، ثم أردت وضع « لكن » مكان « إلا » وحذف « إلا» ، وجدتَ الكلام صحيحاً معناه ، صحّتَه وفيه « إلا » ؟ وذلك إذا قلت : ومنهم أمّيون لا يعلمون الكتاب لكن أمانىّ. يعنى : لكنهم يتمنون . وكذلك قوله: « ما لهمْ به من علم إلا اتّباعَ الظن »، لكن اتباع الظن، بمعنى : لكنهم يتّبعون الظن . وكذلك جميع هذا النوع من الكلام على ما وصفنا .

* * *

وقد ذُكر عن بعض القرّأة أنه قرأ(٢) : « إلا أمانى » مخففة . ومن خفّف ذلك وجّهه إلى نحو جمعهم « المفتاح » « مفاتح » و « القرقور » « قراقر »،(٣) وأنّ

حلفت يميناً . . . . . .

لَئِنْ كَانَ لِلقَبْرَيْنِ : قَبْرٍ بِجِلَّقٍ وَقَبْرٍ بِصَيداءَ الَّذِى عِنْدَ حَارِبِ

وَلِلحَارِثِ الجَفْنَىِّ سَيِّدِ قَوْمِهِ — لَيَلْتَمِسَنْ بِالجَيْشِ دَارَ المُحَارِبِ

قوله : « مثنوية » أى استثناء . فهو يقول لعمرو : حلفت يميناً لئن كان من هو — من ولد هؤلاء الملوك من آبائه ، الذين عدد قبورهم ومآثرهم — ليغزون من حاربه فى عقر داره وليهزمنه ، ولم أقل هذا عن علم إلا ما عندى فى صاحبى من حسن الظن . فرواية الطبرى لا تستقيم ، إن صحت عنه .

(١) انظر سيبويه ١ : ٣٦٣ — ٣٦٦ « هذا باب يختار فيه النصب ، لأن الآخر ليس من نوع الأول » . ثم الباب الذى يليه : « هذا باب ما لا يكون إلا على معنى : ولكن » .

(٢) فى المطبوعة : « بعض القراء » و « لإجماع القراء » ، ورددته إلى ما جرى عليه الطبرى آنفاً .

(٣) انظر معانى القرآن للفراء : ١ : ٤٩ .

ياء الجمع لما حُذفت خففت الياء الأصلية – أعنى من « الأمانى » – كما جمعوا « الأثْفِيَّة » « أثافى » مخففة ، كما قال زهير بن أبى سلمى :

أَثَافِيَ سُفْعاً فِى مُعَرَّسِ مِرْجَلٍ وَنُؤْيًا كَجِذْمِ الحَوْضِ لَمْ يَتَثَلَّمِ (١)

وأمّا من ثقّل « أمانىّ » فشدد ياءها ، فإنه وجّه ذلك إلى نحو جمعهم « المفتاح مفاتيح ، والقُرقور قراقير ، والزنبور زنابير » ، فاجتمعت ياء « فعاليل » ولامها ، وهما جميعاً يا آن ، فأدغمت إحداهما فى الأخرى ، فصارتا ياء واحدةً مشددة .

* * *

فأما القراءة التى لا يجوز غيرُها عندى لقارئ فى ذلك ، فتشديدُ ياء « الأمانى » ، لإجماع القرّأة على أنها القراءة التى مضى على القراءة بها السلف – مستفيض ذلك بينهم ، غيرُ مدفوعة صحته – وشُذوذ القارئ بتخفيفها عما عليه الحجة مجمعة فى ذلك .(٢) وكفى دليلاً على خطأ قارئ ذلك بتخفيفها(٣) إجماعُها على تخطئته. ٢٩٩/١

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ ﴾ (٧٨)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « وإنْ هم إلا يظنون » ، وما هم ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾ [سورة إبراهيم ١١] ، يعنى بذلك : ما نحن إلا بشر مثلكم .

* * *

ومعنى قوله : « إلا يظنُّون » : إلا يشكون ، ولا يعلمون حقيقتَه وصحته .

و « الظن » – فى هذا الموضع – الشك .

---

(١) ديوانه : ٧ المرجل : قدر يطبخ فيها ، ومعرس المرجل : حيث يقام فيه ، من التعريس : وهو النزول والإقامة . وسفع جمع أسفع ، والسفعة : سواد تخالطه حمرة ، من أثر النار ودخانها . والنؤى : ما يقام من الحجارة حول الخباء حتى لا يدخله ماء المطر . وجذم الحوض : حرفه وأصله . يعنى : النؤى قد ذهب أعلاه وبقى أصله لم يتحطم ، كبقايا الحوض . يقول : عرفت الدار بهذه الآثار ، قبله : « فلأيا عرفت الدار بعد توهم » ، ونصب « أثافى » بقوله : « توهم » .

(٢) سياق العبارة : لإجماع القرأة على أنها القراءة . . . وعلى شذوذ القارىء بتخفيفها » على العطف .

(٣) فى المطبوعة : « وكفى خطأ على قارىء ذلك » ، وهو ليس بكلام صحيح ، والصواب ما أثبته ، استظهاراً من عبارة الطبرى ، فيما سلف من أشباه ذلك .

فمعنى الآية : ومنهم من لا يكتب ولايخُطّ ولا يعلم كتاب الله ولا يدرى ما فيه، إلاّ تخرّصاً وتقوّلاً على الله الباطل، ظنًّا منه أنه محقٌّ فى تخرُّصه وتقوّله الباطلَ .

* * *

وإنما وصفهم الله تعالى ذكرُه بأنهم فى تخرُّصهم على ظنٍّ أنهم محقون وهم مُبطلون ، لأنهم كانوا قد سمعوا من رؤسائهم وأحبارهم أمورًا حَسِبوها من كتاب الله ، ولم تكن من كتاب الله ، فوصفهم جل ثناؤه بأنهم يتركون التصديق بالذى يُوقِنون به أنه من عند الله مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، ويتّبعون ما هم فيه شاكُّون ، وفى حقيقته مرتابون ، مما أخبرهم به كبراؤهم ورؤساؤهم وأحبارُهم ، عناداً منهم لله ولرسوله ، ومخالفةً منهم لأمر الله ، واغترارًا منهم بإمهال الله إياهم . وبنحو ما قلنا فى تأويل قوله : « وإن هُم إلاّ يَظُنون » ، قال فيه المتأولون من السلف :

١٣٧٤ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وَإنْ هُم إلا يَظُنون » ، إلا يكذبون .

١٣٧٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

١٣٧٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله .

١٣٧٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال ، حدثنى محمد بن أبى محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « لا يعلمون الكتاب إلاّ أمانىّ وإن هُمْ إلاّ يَظُنون » ، أى لا يعلمون ولا يدرون ما فيه ، وهم يجحدون نبوّتك بالظنّ .

١٣٧٨ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وإنْ هُم إلاّ يظنون » ، قال : يظنون الظنون بغير الحق .

١٣٧٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن

الربيع ، عن أبي العالية قال : يظنون الظنون بغير الحق .

١٣٨٠ ــ حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَوَيْلٌ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : «فَوَيلٌ» . فقال بعضهم بما : ــ

١٣٨١ ــ حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « فوَيْلٌ » ، يقول : فالعذاب عليهم .(١)

* * *

وقال آخرون بما : ــ

١٣٨٢ ــ حدثنا به ابن بشار . قال ، حدثنا ابن مهدى . قال ، حدثنا سفيان ، عن زياد بن فيّاض ، قال : سمعت أبا عياض يقول : الوَيْلُ : ما يسيل من صديدٍ فى أصْل جهنم .(٢)

١٣٨٣ ــ حدثنا بشر بن أبان الحطّاب قال ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن زياد بن فياض ، عن أبي عياضٍ فى قوله : «فويل» ، قال : صهريج فى أصل جهنم ، يسيل فيه صديدهم .(٣)

---

(١) فى المطبوعة : « فويل لهم » . والصواب حذف « لهم » ، ليست من الآية هنا .

(٢) الخبر : ١٣٨٢ ــ سفيان : هو الثورى . زياد بن فياض الخزاعى : ثقة ، مات سنة ١٢٩ . مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ٣٣٤/١/٢ ، وابن أبي حاتم ٥٤٢/٢/١ . أبو عياض : هو عمرو بن الأسود العنسى ، تابعى ثقة ، كان من عباد أهل الشأم وزهادهم . مترجم فى التهذيب ، وابن أبي حاتم ٢٢٠/١/٣ ــ ٢٢١ .

(٣) الخبر : ١٣٨٣ ــ بشر بن أبان الحطاب ، شيخ الطبرى : لم أجد له ترجمة ولا ذكراً فيما بين يدى من المراجع .

١٣٨٤ – حدثنا على بن سهل الرملى قال ، حدثنا زيد بن أبى الزرقاء قال ، حدثنا سفيان ، عن زياد بن فياض ، عن أبى عياض قال : الويل ، وادٍ من صديد فى جهنم .(١)

١٣٨٥ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا مهران ، عن شقيق قال : « ويل »، ما يسيل من صديد فى أصل جهنم .

* * *

وقال آخرون بما : –

١٣٨٦ – حدثنا به المثنى قال ، حدثنا إبراهيم بن عبد السلام بن صالح التسترى . قال ، حدثنا على بن جرير ، عن حماد بن سلمة ، عن عبد الحميد ابن جعفر ، عن كنانة العدوى ، عن عثمان بن عفان ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الويل جبلٌ فى النار .(٢)

---

(١) الخبر : ١٣٨٤ – على بن سهل الرملى ، شيخ الطبرى : ثقة ، مات سنة ٢٦١ . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣ /١/ ١٨٩ . زيد بن أبى الزرقاء الموصلى ، نزيل الرملة : ثقة ، مات سنة ١٩٤ . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/١/٣٦١ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٥٧٥ . سفيان هو الثورى . « عن زياد بن فياض » ، كالإسنادين اللذين قبله . وفى المطبوعة : « سفيان بن زياد بن فياض » ، وهو تحريف .

(٢) الحديث : ١٣٨٦ – هذا الإسناد مشكل . ووقع فيه هنا خطأ . من الناسخ أو الطابع ، صححناه من الرواية الآتية : ١٣٩٥ فقد كان فيه « حماد بن سلمة بن عبد الحميد بن جعفر » ؛ وصوابه « عن عبد الحميد بن جعفر » ، كما هو بديهى .

وأما ما أشكل علينا فيه : فراويان لم نجد لهما ذكراً ولا ترجمة .

أحدهما : « إبرهيم بن عبد السلام بن صالح التسترى » . وسيأتى فى الإسناد الآخر « إبرهيم بن عبد السلام » فقط . ولم أستطع أن أعرف من هو ؟ وقد نقل ابن كثير ١ : ٢١٧ الحديث الآتى : ١٣٩٥ ، وأكمل نسب هذا الشيخ ، ولكنه وقع فيه هكذا « إبرهيم بن عبد السلام، حدثنا صالح القشيرى » ! وأنا لست على ثقة من دقة التصحيح فى طبعة تفسير ابن كثير ، وأرى أن ما فى نسخة الطبرى أقرب إلى الصحة .

والراوى الآخر : « على بن جرير » . وقد أتعبنى أن أعرف من هو ؟ مع البحث فى كل المراجع ، وتقليبه على كل الاحتمالات .

وأما عبد الحميد بن جعفر : فإنه الأنصارى الأوسى المدنى ، وهو ثقة ، وثقه أحمد وابن سعد وغيرهما ، مات سنة ١٥٣ ، مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣/١/١٠ . و « كنانة العدوى » : هو كنانة ابن نعيم ، وهو تابعى ثقة ، مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ٤/١/٢٣٦ ، وابن أبى حاتم ٣/٢/

١٣٨٧ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثني عمرو بن ٣٠٠/١ الحارث ، عن درّاج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « ويل » وادٍ في جهنم ، يهوى فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ إلى قعره .(١)

* * *

قال أبو جعفر : فمعنى الآية – على ما روى عمن ذكرت قوله في تأويل « ويل » –: فالعذاب= الذي هو شُرب صديد أهل جهنّم في أسفل الجحيم = لليهود الذين يكتبون الباطل بأيديهم ، ثم يقولون : هذا من عند الله .

* * *

---

١٦٩ . ولكني أخشى أن لا يكون أدرك عثمان بن عفان ، فإنهم لم يذكروا له رواية إلا عن أبي برزة الأسلمي وقصيبة بن المخارق ، وهما متأخران كثيراً عن عثمان .

وأيا ما كان ، فهذا الحديث لا أظنه مما يقوم إسناده . وهو مختصر من الحديث الآتي : ١٣٩٥ . والحافظ ابن كثير حين ذكره عن الطبري ، وصفه بأنه « غريب جداً » . وقد ذكره السيوطي أيضاً ١ : ٨٢ ، ولم ينسباه لغير الطبري . فالله أعلم .

(١) الحديث : ١٣٨٧ – إسناده صحيح . عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصاري المصري : ثقة حافظ متقن ، مترجم في التهذيب ، وابن سعد ٧/٢/٢٠٣ وابن أبي حاتم ٣/١/٢٢٥ . دراج ، بفتح الدال وتشديد الراء : هو ابن سمعان ، أبو السمح ، المصري القاص ، وهو ثقة ، فيه خلاف كثير . والراجح عندنا أنه ثقة ، كما بينا ذلك في شرح المسند : ٦٦٣٤ ، وفي تعليقنا على تهذيب السنن : ٢٣٨٨. أبو الهيثم : هو سليمان بن عمرو العتواري المصري ، كان يتيما لأبي سعيد الخدري ، وكان في حجره . وهو تابعي ثقة ، مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري ٢/٢/٢٨–٢٩ ، وابن أبي حاتم ٢/١/١٣١–١٣٢

والحديث رواه ابن أبي حاتم – كما نقل عنه ابن كثير ١ : ٢١٧ – عن يونس بن عبد الأعلى ، شيخ الطبري هنا ، بهذا الإسناد .

ورواه الحاكم في المستدرك ٤ : ٥٩٦ ، من طريق بحر بن نصر . عن ابن وهب ، بهذا الإسناد ، بزيادة في آخره . وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبي .

ورواه أحمد في المسند : ١١٧٣٥ (ج ٣ ص ٧٥ حلبي) ، عن حسن بن موسى ، عن ابن لهيعة ، عن دراج ، به ، بزيادة في آخره . وقال ابن كثير – عقب رواية ابن أبي حاتم : « ورواه الترمذي عن عبد بن حميد ، عن الحسن بن موسى ... وقال : هذا حديث غريب ، لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة . قلت [القائل ابن كثير] : لم ينفرد به ابن لهيعة كما ترى . ولكن الآفة ممن بعده ! وهذا الحديث بهذا الإسناد مرفوعاً – منكر » !

أقول : وابن كثير يريد بذلك جرح دراج أبي السمح ، وجعله علة الحديث . والصحيح ما ذهبنا إليه . وقد رواه ابن حبان في صحيحه أيضاً . كما في الدر المنثور ١ : ٨٢ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك الذين حرّفوا كتاب الله من يهود بنى إسرائيل، وكتبوا كتاباً على ما تأوّلوه من تأويلاتهم ، مخالفاً لما أنزل الله على نبيه موسى صلى الله عليه وسلم ، ثم باعوه من قوم لاعلم لهم بها ، ولا بما فى التوراة ، جُهّال بما فى كتب الله — لطلب عَرَضٍ من الدنيا خسيس ، فقال الله لهم : « فويلٌ لهم مما كتبتْ أيديهم وَويلٌ لهم مما يَكسبون » ، كما : —

١٣٨٨ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فويلٌ للذين يكتبون الكتابَ بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً » ، قال: كان ناس من اليهود كتبوا كتاباً من عندهم ، يبيعونه من العرَب ، ويحدّثونهم أنّه من عند الله ، ليأخذوا به ثمناً قليلاً .

١٣٨٩ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد قال، حدثنا بشر ابن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : : الأمّيّون قوم لم يصدّقوا رسولاً أرسله الله، ولا كتاباً أنزله الله ، فكتبوا كتاباً بأيديهم ، ثم قالوا لقوم سِفْلة جُهّال: هذا من عند الله، « ليشتروا به ثمناً قليلاً » . قال : عَرَضاً من عَرَض الدنيا .

١٣٩٠ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : «للذين يَكتبون الكتاب بأيديهم ثُم يقولون هذا من عند الله »، قال : هؤلاء الذين عَرفوا أنّه من عند الله ، يحرّفونه .

١٣٩١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله — إلا أنه قال: ثم يحرّفونه .

١٣٩٢ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد ، عن قتادة : « فويلٌ للذين يَكتبون الكتاب بأيديهم » الآية ، وهم اليهود .

١٣٩٣ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « فويلٌ للذين يكتبون الكتابَ بأيديهم ثم يَقولون هذا من عند الله » ، قال: كان ناس من بنى إسرائيل كتبوا كتاباً بأيديهم ، ليتأكّلوا الناس ، فقالوا : هذا من عند الله ، وما هو من عند الله .(١)

١٣٩٤ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية قوله : « فويلٌ للذين يكتبون الكتابَ بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله لِيشتروا به ثمناً قليلاً » ، قال : عَمدوا إلى ما أنزل الله فى كتابهم من نَعْت محمد صلى الله عليه وسلم فحرّفوه عن مواضعه ، يبتغون بذلك عَرَضاً من عرض الدنيا ، فقال : « فويلٌ لهم مما كتبت أيديهم وويل لهُم مما يكسِبون ».

١٣٩٥ ــ حدثنى المثنى بن إبراهيم قال، حدثنا إبراهيم بن عبد السلام قال ، حدثنا على بن جرير ، عن حماد بن سلمة ، عن عبد الحميد بن جعفر ، عن كنانة العدَوىّ ، عن عثمان بن عفان رضى الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فويل لهم مما كتبتْ أيديهم وويلٌ لهم مما يكسبون » ، الويل جبل فى النار ، وهو الذى أنزل فى اليهود ، لأنهم حرّفوا التوراة ، وزادوا فيها ما يحبون ، ومَحوْا منها ما يكرهون ، ومحوْا اسم محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة . فلذلك غَضب الله ١/٣٠١ عليهم ، فرفع بعض التوراة، فقال : « فويل لهم مما كتبت أيْديهم وَوَيْلٌ لهم مما يَكسبون » .(٢)

١٣٩٦ ــ حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنى سعيد بن أبى

---

(١) يقال فلان يستأكل الضعفاء : يأخذ أموالهم ويأكلها . أما قوله: « ليتأكلوا »، فلم أجد فى المعاجم « يتأكل » ، فإن صح نص الطبرى ، وإلا فهى عربية معرقة ، صح أو لم يصح .

(٢) الحديث : ١٣٩٥ ــ مضى الكلام فيه مفصلا : ١٣٨٦ .

أيوب ، عن محمد بن عجلان ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار . قال : وَيلٌ ، واد فى جهنم ، لو سُيرت فيه الجبال لانماعَت من شدة حرِّه .(١)

* * *

قال أبو جعفر : إن قال لنا قائل : وما وجه قوله :(٢) « فَويلٌ للذين يَكتبون الكتاب بأيديهم » ؟ وهل تكون الكتابة بغير اليد ، حتى احتاج المخاطَبون بهذه المخاطبة ، إلى أن يُخبَروا عن هؤلاء القوم — الذين قصَّ قصَّهم — أنهم كانوا يكتبون الكتاب بأيديهم ؟

قيل له : إن الكتابَ من بنى آدمَ ، وإن كان منهم باليد ، فإنه قد يضاف الكتاب إلى غير كاتبه وغير المتولّى رسم خطّه فيقال : « كتب فلان إلى فلان بكذا » ، وإن كان المتولّى كتابته بيده ، غيرُ المضاف إليه الكتاب ، إذا كان الكاتبُ كتبه بأمر المضاف إليه الكتاب . فأعلم ربُّنا بقوله : « فويلٌ للذين يكتبون الكتابَ بأيديهم » عبادَه المؤمنين ، أنّ أحبارَ اليهود تَلى كتابةَ الكذب والفِرْية على الله بأيديهم ، على علم منهم وعمد للكذب على الله ، ثم تَنْحَله إلى أنه من عند الله وفى كتاب الله ،(٣) تكذّباً على الله وافتراءً عليه . فنفىَ جل ثناؤه بقوله : « يكتبون الكتابَ بأيديهم » ، أن يكون وَلى كتابةَ ذلك بعض جُهالهم بأمر علمائهم وأحبارهم . وذلك نظيرُ قول القائل : « باعنى فلانٌ عينَه كذا وكذا ، فاشترى فلانٌ نفسَه كذا » ، يراد بإدخال « النفس والعين » فى ذلك ، نفىُ اللَّبس عن سامعه ، أنْ يكون المتولّى بيعَ ذلك أو شراءَه ، غيرُ الموصوف له أمره ،(٤) ويُوجب حقيقةَ الفعل للمُخبَّر

---

(١) سيرت : أدخلت ودفعت لتسير . وانماع الملح فى الماء : ذاب . وفى اللسان روى تفسير عطاء ، وفيه : « لماعت » ، أى ذابت وسالت .

(٢) فى المطبوعة : « فما وجه فويل للذين . . . » ، كأنه سقط حرف من ناسخ أو طابع .

(٣) يقال : نحل فلان فلاناً شعراً : نسبه إليه باطلا . وكره الطبرى أن يقول ما لا يجوز لأحد فى ذكر ربه سبحانه وتعالى ، فانتهج طريقاً فى أساليب العربية ، فقال : « فنحله إلى أنه من عند الله » أى نسبه باطلا إلى أنه من عند الله . ولم يعد الفعل إلى مفعوليه .

(٤) كان فى المطبوعة : « أن يكون المتولى بيع ذلك وشراءه ، غير الموصوف به بأمره » وهو كلام غير واضح ولا مفهوم ، فآثرت أن أصححه ما استطعت .

عنه . فكذلك قوله : « فويلٌ للذين يَكتبون الكتابَ بأيديهم » .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ (٧٩)

قال أبو جعفر: يعنى جل ثناؤه بقوله: «فويلٌ لهم مما كتبت أيديهم»، أى: فالعذابُ — فى الوادى السائل من صديد أهل النار فى أسفل جهنم — لهم ، يعنى : للذين يكتبون الكتابَ ، الذى وصفنا أمره، من يهود بنى إسرائيل محرِّفاً، ثم قالوا : هذا من عند الله ، ابتغاءَ عَرَضٍ من الدنيا به قليل ممن يبتاعه منهم .

* * *

وقوله : « مما كتبت أيديهم »، يقول : من الذى كتبت أيديهم من ذلك ، وويل لهم أيضاً «مما يَكسِبون» ، يعنى : مما يعملون من الخطايا، ويجترحون من الآثام ، ويكسِبون من الحرام ، بكتابهم الذى يكتبونه بأيديهم بخلاف ما أنزل الله ، ثم يأكلون ثمنه ، وقد باعوه ممن باعوه منهم على أنه من كتاب الله ، كما : —

١٣٩٧ — حدثنى المثنى قال، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية : « وويل لهم مما يَكسبون »، يعنى : من الخطيئة .

١٣٩٨ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « فويل لهم »، يقول : فالعذاب عليهم . قال : يقول : من الذى كتبوا بأيديهم من ذلك الكذب ، « وويل لهمْ مما يَكسبون »، يقول : مما يأكلون به من السُّفْلة وغيرهم .

* * *

قال أبو جعفر : وأصل «الكسْب»: العمل . فكل عامل عملاً ، بمباشرة منه منه لما عمل، ومُعاناةٍ باحتراف ، فهو كاسبٌ لما عمل ، كما قال لبيد بن ربيعة :

لِمُعَفَّرٍ قَهْدٍ تَنَازَعَ شِلْوَهُ غُبْسٌ كَوَاسِبُ ، لا يَمُنُّ طَعَامُهَا (١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَقَالُواْ لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾

٣٠٢/١ قال أبو جعفر : يعنى بقوله : «وقالوا» ، اليهودَ . يقول : وقالت اليهود : « لن تمسنا النارُ » ، يعنى : لن تُلاقِى أجسامنا النارُ ولن ندخلها ، «إلا أياماً معدودة». وإنما قيل « معدودة » ، وإن لم يكن مبيناً عددها فى التنزيل ، لأن الله جل ثناؤه أخبر عنهم بذلك ، وهم عارفون عَدَدَ الأيام التى يُوقِّتُونها لمكثهم فى النار . فلذلك تَرَكَ ذكرَ تسمية عددَ تلك الأيام ، وسَمَّاها «معدودةً» ، لما وصفنا .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى مبلغ الأيام المعدودة التى عيَّنها اليهود ، القائلون ما أخبر الله عنهم من ذلك . فقال بعضهم بما : —

١٣٩٩ — حدثنا به أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « وَقالوا لنْ تَمسَّنا النارُ إلاّ أياماً معدودة » ، قال ذلك أعداءُ الله اليهود ، قالوا : لن يدخلنا الله النار إلاّ

---

(١) من معلقته النبيلة . واللام فى قوله « لمعفر » ، ترده إلى البيت قبله :

خَنْسَاءُ ضيَّعتِ الفَرِيرَ ، فلم يَرِمْ عُرْضَ الشَّقائِقِ طَوْفُها وبُغَامُها

والخنساء : البقرة الوحشية ، والفرير : ولدها . والشقائق : أرض غليظة بين رملتين ، أودعت هناك فيه ولدها . وطوفها : طوافها حائرة . بغامها : صوتها صائحة باكية . ظلت تطوف وتنادى ولدها . وقوله : « لمفعر » ، أى طوفها وبغامها من أجل « معفر » . والمعفر : الذى ألقى فى العفر ، وهو التراب ، صادت ولدها الذئاب . قهد : هو ولد البقر ، لطيف الجسم أبيض اللون . والشلو : العضو من اللحم ، أو الجسد كله . وغبس : غبر ، وهى الذئاب . لا يمن طعامها : تكسب طعامها بنفسها ، فلا يمن عليها أحد .

تحلّة القسم ، الأيامَ التى أصبنا فيها العجلَ : أربعين يوماً ، فإذا انقضت عنّا تلك الأيام ، انقطع عنا العذابُ والقسَم .

١٤٠٠ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « لن تمسّنا النار إلاّ أياماً معدودةً » ، قالوا : أياماً معدودة بما أصبْنا فى العجل .

١٤٠١ — حدثنا موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وقالوا لن تَمسّنا النارُ إلا أياماً معدودةً » ، قال : قالت اليهود : إن الله يُدْخلنا النار فنمكث فيها أربعين ليلة ، حتى إذا أكلت النارُ خطايانا واستنقتنا ،[1] نادى منادٍ : أخرجوا كُلَّ مختون من ولد بنى إسرائيل . فلذلك أمِرنا أن نَختتن . قالوا : فلا يدَعون منا فى النار أحداً إلاّ أخرجوه .

١٤٠٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية قال : قالت اليهود : إن ربنا عَتب علينا فى أمرنا ، فأقسم ليعذبنّا أرْبعين ليلة ، ثم يخرجنا . فأكذبهم الله .

١٤٠٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن قتادة قال : قالت اليهود : لن ندخل النار إلا تَحِلّة القسم ، عدَد الأيام التى عبَدْنا فيها العجل .

١٤٠٤ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « لنْ تمسنا النارُ إلا أياماً معدودة » الآية ، قال ابن عباس : ذُكر أن اليهود وجدوا فى التوراة مكتوباً ، أنّ ما بين طَرَفى جهنّم مسيرة أربعين سنة ، إلى أن ينتهوا إلى شجرة الزقُّوم نابتةً فى أصل الجحيم — وكان ابن عباس يقول : إنّ الجحيم سَقر ، وفيها شجرة الزقوم — فزعم أعداء الله ،

---

(١) نقيت الثوب (بتشديد القاف) وأنقيته نقاء فهو نقى : نظيف . و« استنقيته » ليست فى المعاجم ، ولكنها صحيحة البناء والمعنى .

أنه إذا خلا العدد الذى وجدوا فى كتابهم أياماً معدودة – وإنما يعنى بذلك المسير الذى ينتهى إلى أصل الجحيم – فقالوا : إذا خلا العدد انتهى الأجل . فلا عذاب ، وتذهب جهنم وتهلك .[1] فذلك قوله : « لن تمسنا النارُ إلا أياماً معدودة » ، يعنون بذلك الأجل . فقال ابن عباس : لما اقتحموا من باب جهنم ، ساروا فى العذاب حتى انتهوا إلى شجرة الزقوم آخر يوم من الأيام المعدودة ، قال لهم خزّان سقر : زعمتم أنكم لن تمسكم النارُ إلا أياماً معدودة ! فقد خلا العدُد ، وأنتم فى الأبد ! فأخذ بهم فى الصَّعود فى جهنم يُرْهقون .[2]

١٤٠٥ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة » ، إلا أربعين ليلةً .

١٤٠٦ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا حفص بن عمر ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة قال : خاصمت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : لن ندخل النارَ إلا أربعين ليلة ، وسيخلفنا فيها قوم آخرون – يعنون محمداً وأصحابه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على رؤسهم[3] : بل
٣٠٣/١ أنتم فيها خالدون ، لا يخلُفكم فيها أحد . فأنزل الله جل ثناؤه : « وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة » .

١٤٠٧ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال ، أخبرنى الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، قال : اجتمعت يهودُ يوماً تُخاصم النبيَّ صلى الله عليه وسلم . فقالوا : « لن تمسنا النارُ إلا أياما معدودة » ،

---

(١) خلا يخلو : مضى وذهب وانقضى .

(٢) الصعود : مشقة العذاب ، ولكنه أراد هنا ما قالوا : جبل فى جهنم من جمرة واحدة ، يكلف الكافر ارتقاءه ، ويضرب بالمقامع ، فكلما وضع عليه رجله ذابت إلى أسفل دركه ، ثم تعود مكانها صحيحة ، والله أعلم .

(٣) قال بيده : أشار . وقد مضى مثل ذلك مراراً .

– وسمّوا أربعين يوماً – ثم يخلُفنا ، أو يلحقنا ، فيها أناس . فأشاروا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كذبتم ، بل أنتم فيها خالدون مخلَّدون ، لا نلحقكُم ولا نخلُفكم فيها إن شاء الله أبداً.(١)

١٤٠٨ – حدثني يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا على بن معبد ، عن أبي معاوية ، عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « لن تمسنا النارُ إلا أياماً معدودة »، قال: قالت اليهود : لا نعذّب فى النار يوم القيامة إلا أربعين يوماً ، مقدارَ ما عبدنا العجل .

١٤٠٩ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد ، حدثني أبي أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم: أنشُدُكم بالله وبالتوراة التى أنزلها الله على موسى يوم طُورسيناء، مَنْ أهلُ النار الذين أنزلهم الله فى التوراة ؟ وقالوا: إن ربَّهم غضب عليهم غضبة ، فنمكث فى النار أربعين ليلة ، ثم نخرج فتخلفوننا فيها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كذبتم والله ، لا نخلفكم فيها أبداً. فنزل القرآن تصديقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم وتكذيباً لهم : « وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودةً قُلْ أتخذتم عند الله عهداً » إلى قوله : « هم فيها خالدون ».(٢)

* * *

وقال آخرون فى ذلك بما : –

١٤١٠ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنا ابن إسحق قال : حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال ، حدثني سعيد ابن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : كانت يهودُ يقولون : إنما مدّة الدنيا سبعة آلاف سنة ، وإنما يعذّب الله الناسَ يوم القيامة بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوماً واحداً من أيام الآخرة ، وإنها سبعة أيام . فأنزل الله فى ذلك من

---

(١) الحديثان : ١٤٠٦ ، ١٤٠٧ – هما حديث واحد بإسنادين . ونسبه السيوطى أيضاً ١ : ٨٤ ، لعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . وهو حديث مرسل ، لا تقوم به حجة .

(٢) الحديث : ١٤٠٩ – هو حديث مرسل أيضاً .

قولهم : « وقالوا لنْ تَمسنا النارُ إلا أياماً معدودةً » الآية .

١٤١١ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحق قال ، حدثني محمد بن أبي محمد ، عن سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ ، ويهودُ تقول : إنما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة ، وإنّما يُعذَّب الناس في النار بكل ألف سنة من أيام الدنيا ، يوماً واحداً في النار من أيام الآخرة ، فإنما هي سبعة أيام ، ثم ينقطعُ العذاب . فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهم : « لن تمسّنا النار » الآية .

١٤١٢ ــ حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودةً » ، قال : كانتْ تقول : إنما الدنيا سبعة آلاف سنة ، وإنما نعذَّب مكانَ كل ألف سنة يوماً .

١٤١٣ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله ــ إلاّ أنه قال : كانت اليهود تقول : إنما الدنيا ، وسائر الحديث مثله .

١٤١٤ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال مجاهد : وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة من الدهر . وسمّوا عِدّة سبعة آلاف سنة ، من كل ألف سنة يوماً . يهودُ تقوله .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٨٠)

قال أبو جعفر : لما قالت اليهود ما قالت من قولها : « لن تمسنا النارُ إلا أياماً

معدودة » — على ما قد بينا من تأويل ذلك — قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قلْ يا محمد ، لمعشر اليهود : « أتخذتمْ عند الله عهداً » : أأخذتم بما تقولون ٣٠٤/١ من ذلك من الله ميثاقاً ، فالله لا يَنقُض ميثاقه ، ولا يُبدِّلُ وعدَه وعقده ، أم تقولون على الله الباطلَ جهلاً وجرَاءةً عليه ؟ كما : —

١٤١٥ — حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد: « قُل أتَّخذتم عند الله عَهداً »، أى: مَوْثِقاً من الله بذلك أنّه كما تقولون .

١٤١٦ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

١٤١٧ — حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن قتادة قال : قالت اليهود : لن ندخل النار إلاّ تَحِلَّة القسم ، عدَّةَ الأيام التى عبدنا فيها العجل ، فقال الله : « أتَّخذتمُ عندْ الله عهداً » ، بهذا الذى تقولونه ؟ ألكم بهذا حُجَّة وبرهان ؟ فلن يُخلف الله عهده، فهاتوا حُجتكم وبرهانكم ، أم تقولون على الله مالا تعلمون ؟

١٤١٨ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : لما قالت اليهود ما قالت ، قال الله جل ثناؤه لمحمد، قل: « أتَّخذتُم عند الله عَهداً »، يقول : أدَّخرتمُ عند الله عهداً ؟ يقول : أقلتم لا إله إلا الله ، لم تشركوا ولم تكفروا به ؟ فإن كنتم قُلتموها فارجوا بها ، وإن كنتمُ لم تقولوها ، فلمَ تقولون على الله ما لا تعلمون؟ يقولون : لو كنتم قلتم لا إله إلا الله ولم تشركوا به شيئاً ، ثم متُّم على ذلك ، لكان لكم ذُخراً عندى ، ولم أخلفْ وعدى لكم : أنى أجازيكم بها .

١٤١٩ — حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ، عن السدّى قال : لما قالت اليهود ما قالت ، قال الله عز وجل : « قل أتَّخذتُم

عند الله عهداً فلن يُخلف الله عهده» — وقال في مكان آخر: ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [سورة آل عمران : ٢٤] ، ثم أخبر الخبرَ فقال : « بلى مَنْ كسب سيئة ».

* * *

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال التي رويناها عن ابن عباس ومجاهد وقتادة ، بنحو ما قلنا في تأويل قوله : قُل أتخذتم عند الله عهداً . لأن مما أعطاهُ الله عبادَه من ميثاقه : أنّ من آمن به وأطاع أمره ، نجّاه من ناره يوم القيامة . ومن الإيمان به ، الإقرارُ بأنْ لا إله إلا الله . وكذلك منْ ميثاقه الذي واثقهم به : أنّ من أتى الله يوم القيامة بحجة تكون له نجاةً من النار ، فيُنجيه منها . وكل ذلك ، وإن اختلفت ألفاظ قائليه ، فمتّفق المعاني ، على ما قلنا فيه . والله تعالى أعلم .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾

قال أبو جعفر : وقوله : « بلى من كسب سيئة » ، تكذيبٌ من الله القائلين من اليهود : «لن تمسنا النارُ إلا أياماً معدودة» ، وإخبارٌ منه لهم أنه معذِّبٌ من أشرك ومن كفر به وبرسله ، وأحاطت به ذنوبه ، فخلّده في النار ،(١) فإن الجنة لا يسكنها إلا أهلُ الإيمان به وبرسوله ، وأهلُ الطاعة له ، والقائمون بحدوده ، كما : —

١٤٢٠ — حدثنا محمد بن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثني محمد بن إسحق قال ، حدثني محمد بن أبي محمد ، عن سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس : « بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته » ، أي : من عمل مثل أعمالكم ، وكفر بمثل ما كفرتم به ، حتى يحيط كُفره بما لهُ من حسنةٍ ، فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون .

* * *

قال أبو جعفر : وأمّا « بلى » ، فإنها إقرار في كل كلام في أوله جحْد ، كما

(١) في المطبوعة : « أنه يعذب . . . فخلد في النار » ، والصواب ما أثبته .

« نعم » إقرار فى الاستفهام الذى لا جحد فيه . وأصلها « بل » التى هى رجوع عن الجحد المحض فى قولك: «ما قام عمرو بَلْ زيد» . فزيدت فيها « الياء » ليصلح عليها الوقوف ، إذ كانت « بل » لا يصلح عليها الوقوف ، إذ كانت عطفاً ورجوعاً عن الجحد . ولتكون — أعنى « بلى » — رجوعاً عن الجحد فقط ، وإقراراً بالفعل الذى بعد الجحد ، فدلّت « الياء » منها على معنى الإقرار والإنعام .[1] ودل لفظ ٣٠٥/١
« بل » على الرجوع عن الجحد .[2]

* * *

قال أبو جعفر : وأما «السيئة» التى ذكرَ اللهُ فى هذا المكان ، فإنها الشرك بالله ، كما : —

١٤٢١ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن سفيان قال ، حدثنى عاصم ، عن أبى وائل: « بَلَى مَنْ كسب سَيِّئَةً » ، قال : الشرك بالله .

١٤٢٢ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « بَلَى من كسب سَيئة » : شِركاً .

١٤٢٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

١٤٢٤ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع ، قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : « بَلَى مَنْ كسب سَيئة » ، قال : أما السيئة فالشِّرك .

١٤٢٥ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة مثله .

١٤٢٦ — حدثنى موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن

---

(١) الإنعام : التصديق . يقال : أنعم : أجاب بقوله : نعم . وهو تصديق .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٥٢ — ٥٣ ، وقد عد الطبرى الحرف الآخر من « بلى » « ياء » ، وعدها الفراء « ألفاً » .

السدى : « بلى من كسب سيئة » ، أما السيئة ، فهى الذنوب التى وَعدَ عليها النار .

١٤٢٧ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قلت لعطاء : « بلى من كسب سيئة » ، قال : الشرك – قال ابن جريج قال ، قال مجاهد : « سيّئةً » ، شركاً .

١٤٢٨ – حدثت عن عمار بن الحسن قال : حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « بَلَى من كسب سيئة » ، يعنى : الشركَ .

* * *

قال أبو جعفر : وإنما قلنا إنّ « السيئة » – التى ذكر الله جل ثناؤه أنّ من كسبها وأحاطت به خطيئته ، فهو من أهل النار المخلدين فيها – فى هذا الموضع ، إنما عنى الله بها بعض السيئات دون بعض ، وإن كان ظاهرُها فى التلاوة عامًّا ،(١) لأن الله قَضَى على أهلها بالخلود فى النار . والخلود فى النار لأهل الكفر بالله دون أهل الإيمان به ، لتظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنّ أهل الإيمان لا يخلَّدون فيها ، وأن الخلودَ فى النار لأهل الكفر بالله دون أهل الإيمان . فإن الله جل ثناؤه قد قَرَن بقوله : « بَلَى مَنْ كسب سَيئة وأحَاطَتْ به خَطيئته فأولئك أصحابُ النار هُم فيها خالدون » – قولَهُ – « والذين آمنوا وعَملوا الصالحات أولئكَ أصْحابُ الجنة هُم فيها خالدون » . فكان معلوماً بذلك أن الذين لهم الخلود فى النار من أهل السيئات ، غيرُ الذين لهم الخلود فى الجنة من أهل الإيمان .

* * *

فإن ظن ظان أن الذين لهم الخلود فى الجنة من الذين آمنوا ، هم الذين عملوا الصالحات ، دون الذين عملوا السيئات ، فإنّ فى إخبار الله = أنه مكفِّرٌ – باجتنابنا كبائرَ ما نُنهى عنه – سيئاتِنا ، ومدخلُنا المدْخلَ الكريم = ما ينبىء عن صحة ما قلنا فى تأويل قوله : « بلى من كسب سَيئة » ، بأن ذلك على خاص من السيئات دون عامِّها .

* * *

فإن قال لنا قائل : فإن الله جل ثناؤه إنّما ضَمِن لنا تكفيرَ سيئاتنا باجتنابنا

(١) انظر تفسير « الظاهر » فيما سلف : ٢ : ١٥ والمراجع

كبائرَ ما نُهى عنه ، فما الدلالة على أن الكبائر غيرُ داخلة فى قوله : « بلى مَن كسب سيئة » ؟

قيل : لما صَحَّ أن الصغائر غير داخلة فيه ، وأن المعنىَّ بالآية خاصٌّ دون عامٍّ ، ثَبت وصحَّ أن القضاء والحُكْم بها غيرُ جائز لأحد على أحد ، إلا على من وَقفه الله عليه بدلالة من خبر قاطعٍ عُذرَ من بَلَغه. وقد ثَبت وصَحَّ أن الله تعالى ذكره قد عنى بذلك أهلَ الشرك والكفر به ، بشهادة جميع الأمة . فوَجب بذلك القضاءُ على أن أهل الشرك والكفر ممن عَناه الله بالآية . فأما أهل الكبائر ، فإن الأخبار القاطعةَ عُذْرَ من بَلَغته ، قد تظاهرت عندنا بأنهم غيرُ معنيِّين بها . فمن أنكر ذلك — ممنْ دافع حُجَّة الأخبار المستفيضة والأنباء المتظاهرة — فاللازم له تركُ قطع الشهادة على أهل الكبائر بالخلود فى النار ، بهذه الآية ونَظائرها ٣٠٦/١
التى جاءت بعمومهم فى الوعيد . إذْ كان تأويلُ القرآن غيرَ مدْرَك إلا ببيانِ مَنْ جعل الله إليه بَيانَ القرآن ، وكانت الآية يأتى عامًّا فى صنفٍ ظاهرُها ، وهى خاصٌّ فى ذلك الصنف باطنها.(١)

* * *

ويُسأل مُدافعو الخبر بأنَّ أهل الكبائر من أهل الاستثناء ، سُؤالَنا مُنكرَ رَجْم الزانى المحْصن ، وزوال فَرْض الصلاة عن الحائض فى حال الحيض . فإن السؤالَ عليهم ، نظيرُ السؤال على هؤلاء ، سَواءٌ .(٢)

* * *

(١) انظر تفسير « الظاهر والباطن » آنفاً : ٢ : ١٥ والمراجع

(٢) هذا رد على المعتزلة ، فى إيجابهم خلود أهل الكبائر من أهل الإيمان فى النار . ورجم الزانى المحصن ، وزوال فرض الصلاة عن الحائض فى حال الحيض ، مما جاء فى الأخبار ، ولم يأت به نص قرآن .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « وأحاطَتْ به خَطيئته » ، اجتمعتْ عليه فمات عليها، قبل الإنابة والتوبة منها .

* * *

وأصلُ « الإحاطة بالشيء »، الإحداق به، بمنزلة «الحائط» الذى تُحاط به الدار فتُحدِق به . ومنه قول الله جل ثناؤه : ﴿ نارًا أحاط بهِمْ سُرَادِقُها ﴾ [سورة الكهف : ٢٩]

* * *

فتأويل الآية إذاً : مَنْ أشرك بالله ، واقترفَ ذنوباً جمة فمات عليها قبل الإنابة والتوبة ، فأولئك أصحاب النار هم فيها مخلَّدون أبداً . وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال المتأولون . ذكر من قال ذلك :

١٤٢٩ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن الأعمش عن أبى روق ، عن الضحاك : « وأحاطَتْ به خَطيئته »، قال: مات بذنبه .

١٤٣٠ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا جابر بن نوح قال ، حدثنا الأعمش ، عن أبى رزين ، عن الربيع بن خُثَيم : « وأحاطَت به خطيئته »، قال : مات عليها .(١)

١٤٣١ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، أخبرنى ابن إسحق قال ، حدثنى محمد بن أبى محمد ، عن سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس : « وأحاطت به خَطيئته » ، قال : يُحيط كفرُه بما لهُ من حسنة .

١٤٣٢ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنى عيسى ،

---

(١) الخبر : ١٤٣٠ – الربيع بن خثيم الثورى الكوفى : من كبار التابعين وخيارهم ، ثقة لا يسأل عن مثله . مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ٢/١/٢٤٦ وابن أبى حاتم ١/٢/٤٥٩ . وأبوه « خثيم » بضم الخاء المعجمة مصغر ، كما ضبطه ابن دريد فى الاشتقاق : ١١٢ – ١١٣ ، والحافظ فى التقريب ، ووقع فى المطبوعة « خيثم » بتقديم الياء على الثاء ، وبذلك ضبطه صاحب الخلاصة . وهو خطأ صرف .

عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وأحاطتْ به خَطيئته » ، قال : ما أوْجب الله فيه النارَ .

١٤٣٣ ــ حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة « وأحاطت به خَطيئته » ، قال : أما الخطيئة فالكبيرةُ الموجبة .

١٤٣٤ ــ حدثنا الحسن قال ، أخبرنا عبد الرزاق [قال ، أخبرنا معمر] ، عن قتادة : « وأحاطت به خطيئته » ، قال : الخطيئة الكبائر .

١٤٣٥ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا وكيع ويحيى بن آدم ، عن سلاّم بن مسكين قال : سأل رجل الحسن عن قوله : «وأحاطَت به خطيئته» ، فقال : ما نَدْرى ما الخطيئة ، يا بُنيّ اتْلُ القرآنَ ، فكل آية وعدَ الله عليها النارَ ، فهى الخطيئة .

١٤٣٦ ــ حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازى قال ، حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد فى قوله : « بلى مَنْ كسب سيئة وأحاطت به خطيئته » ، قال : كل ذنب مُحيط ، فهو ما وعد الله عليه النار .

١٤٣٧ ــ حدثنا أحمد ابن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى رزين : «وأحاطتْ به خَطيئته» ، قال : مات بخطيئته .

١٤٣٨ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا الأعمش قال ، حدثنا مسعود أبو رزين ، عن الربيع بن خُثَيْم فى قوله : « وأحاطت به خطيئته » ، قال : هو الذى يموت على خَطيئته قبل أن يتوب .

١٤٣٩ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، قال وكيع : سمعت الأعمش يقول فى قوله : « وأحاطت به خطيئته » ، مات بذنوبه .

١٤٤٠ ــ حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « وأحاطت به خطيئته » ، الكبيرة المُوجبة .

١٤٤١ – حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « أحاطتْ به خطيئته » ، فمات ، ولم يَتُبْ .

١٤٤٢ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حسان ، عن ابن جريج قال ، قلت لعطاء : « وأحاطت به خطيئته » ، قال : الشِّرك ، ثم تلا ﴿ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ ﴾ [سورة النمل : ٩٠]. (١) ٣٠٧/١

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٨١)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : «فأولئك أصحابُ النار هُمْ فيها خالدون » ، فأولئك الذين كسبوا السيئات وأحاطت بهم خطيئاتهم ، أصحابُ النار هم فيها خالدون .

* * *

ويعنى بقوله جل ثناؤه : « أصحابُ النار » ، أهل النار. وإنما جعلهم لها أصحاباً لإيثارهم – فى حياتهم الدنيا ما يُورِدُ هُموها ويوردهم سعيرَها – على الأعمال التى توردهم الجنة فجعلهم جل ذكره = بإيثارهم أسبابَها على أسباب الجنة = لها أصحاباً ، كصاحب الرجل الذى يُصاحبه مُؤثراً صحبته على صحبة غيره ، حتى يعرف به

* * *

« هُم فيها » ، يعنى : هم فى النار خالدون. ويعنى بقوله : «خالدون» مقيمون ، كما :

١٤٤٣ – حدثني محمد بن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثني محمد بن أبي محمد ، عن سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس : « هم فيها خالدون» ، أى خالدون أبداً .

١٤٤٤ – حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ،

(١) انظر ما مضى فى كلامه عن « الخطيئة » فى هذا الجزء ٢ : ١١٠

عن السدى : « هم فيها خالدُون »، لا يخرجون منها أبداً .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (٨٢)

قال أبو جعفر : ويعنى بقوله : « والذين آمنوا » ، أى صدقوا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم. ويعنى بقوله: « وعملوا الصالحات» ، أطاعوا الله فأقاموا حُدودَه، وأدَّوا فرائضه، واجتنبوا محارِمَه . ويعنى بقوله: «فأولئك » ، فالذين هم كذلك « أصحابُ الجنة هُم فيها خالدون» ، يعنى :أهلُها الذين هم أهلُها، هُم فيها « خالدون » ، مقيمون أبداً .

* * *

وإنما هذه الآية والتى قبلها إخبارٌ من الله عبادَه عن بَقاء النار وبقاء أهلها فيها ، [وبقاء الجنة وبقاء أهلها فيها]،(١) ودوام ما أعدَّ فى كل واحدة منهما لأهلها ، تكذيباً من الله جل ثناؤه القائلين من يهود بنى إسرائيل : إنَّ النار لَنْ تمسَّهم إلا أياماً معدودةً ، وأنهم صائرون بعد ذلك إلى الجنة . فأخبرهم بخلود كفارهم فى النار ، وخُلودُ مؤمنيهم فى الجنة ، كما : —

١٤٤٥ — حدثنى ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثنا ابن إسحق قال ، حدثنى محمد بن أبى محمد ، عن سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس : « والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحابُ الجنةِ هُمْ فيها خالدون »، أى مَنْ آمن بما كفرتم به ، وعمل بما تركتم من دينه ، فلهم الجنة خالدين فيها . يخبرهم أنَّ الثواب بالخير والشرِّ مقيم على أهله أبداً ، لا انقطاع له أبداً .

١٤٤٦ — حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال

---

(١) ما بين القوسين زيادة لا بد منها ، لسياقة الكلام .

ابن زيد ، « والذين آمنوا وعملوا الصالحات » ، محمدٌ صلى الله عليه وسلم وأصحابه — « أولئك أصحابُ الجنة هُمْ فيها خالدون » .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآءِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهَ ﴾

قال أبو جعفر : قد دللنا — فيما مضى من كتابنا هذا — على أن « الميثاق » «مِفْعال» من « التوثّق باليمين » ونحوها من الأمور التى تؤكد القول.[1] فمعنى الكلام إذاً : واذكروا أيضاً يا معشرَ بنى إسرائيل ، إذْ أخذنا ميثاقكم لا تعبدون إلا الله ، كما : —

١٤٤٧ — حدثنى به ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثنى ابن إسحق قال ، حدثنى محمد بن أبى محمد ، عن سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس : « وَإذْ أخَذْنا ميثاقَ بنى إسرائيل » — أى ميثاقكم — « لا تَعبدون إلاّ اللهَ » .

* * *

٣٠٨/١ قال أبو جعفر : والقرأةُ مختلفة فى قراءة قوله[2] : « لا تعبدون » . فبعضهم يقرؤها بالتاء ، وبعضهم يقرؤها بالياء ، والمعنى فى ذلك واحد . وإنما جازت القراءة بالياء والتاء ، وأن يقال « لا تعبدون » و « لا يعبدون » وهم غَيَبٌ ،[3] لأن أخْذ الميثاق ، بمعنى الاستحلاف . فكما تقول : « استحلفتُ أخاك ليقومَنّ » — فتخبر عنه خبرَك عن الغائب لغيبته عنك . وتقول : « استحلفته لتقومَنّ » ، فتخبرُ عنه خبرَك عن المخاطَب ، لأنك قد كنتَ خاطبته بذلك — فيكون ذلك صحيحاً جائزاً .

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٤١٤ ، وهذا الجزء ٢ : ١٥٦

(٢) فى المطبوعة : « والقراء مختلفة » ، ورددتها إلى ما جرى عليه الطبرى فى كل ما سلف .

(٣) غيب (بفتح الغين والياء) جمع غائب ، مثل خادم وخدم .

فكذلك قوله : « وإذ أخذنا ميثاقَ بنى إسرائيلَ لا تعبدون إلا الله » و « لا يَعبدون ». من قرأ ذلك « بالتاء » فمعنى الخطاب ، إذ كان الخطاب قد كان بذلك . ومن قرأ « بالياء » ، فلأنهم مَا كانوا مخاطَبين بذلك فى وقت الخبر عنهم .

* * *

وأما رفعُ « لا تعبدون » ، فبالتاء التى فى « تعبدون » ، ولا ينصب بـ « أن » التى كانت تصلح أن تدخل مع « لا تعبدون إلا الله » . لأنها إذا صلح دخولها على فعل فحذفت ولم تدخل ، كان وُجه الكلام فيه الرفع ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّى أَعْبُدُ أَيُّها الجَاهِلُونَ ﴾ [سورة الزمر : ٦٤] ، فرفع « أعبُدُ » — إذ لم تدخل فيها «أنْ» — بالألف الدّالة على معنى الاستقبال ، وكما قال الشاعر : (١)

ألا أيُّهذَا الزّاجِرِى أحْضُرُ الوَغَى وأنْ أشْهَدَ اللَّذَّاتِ هَلْ أنْتَ مُخْلِدِى (٢)

فرفع «أحضرُ» — وإن كان يَصلح دخول « أن» فيها — إذ حُذفت ، بالألف التى تأتى بمعنى الاستقبال .

وإنما صلح حذف « أن » من قوله : « وإذْ أخذنا ميثاقَ بنى إسرائيل لا تَعبدون » ، لدلالة ما ظهرَ من الكلام عليها ، فاكتفى — بدلالة الظاهر عليها — منهـــا . (٣)

* * *

وقد كان بعض نحويى البصرة يقول : معنى قوله : « وإذ أخذْنا ميثاقَ بنى إسرائيل لا تعبدون إلاّ الله » ، حكاية ، كأنك قلت : استحلفناهم : لا تعبدون ، أى قلنا لهم : والله لا تعبدون — وقالوا : والله لا يعبدون . والذى قال من ذلك ، قريب معناه من مَعنى القول الذى قلنا فى ذلك .

---

(١) هو طرفة بن العبد .

(٢) ديوانه : ٣١٧ (أشعار الستة الجاهليين) ، من معلقته النفيسة وسيأتى فى ٢١ : ٢٢ / ٣٠ : ١٣٠ (بولاق) ، وسيبويه ١ : ٤٥٢ .

(٣) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٥٣ — ٥٤ .

وبنحو الذى قلنا فى قوله : « وإذا أخذنا ميثاقَ بَنى إسرائيلَ لا تعبدون إلا الله » ، تأوّله أهل التأويل . ذكر من قال ذلك :

١٤٤٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية : أخذَ مواثيقهم أن يُخلصوا لهَ ، وأن لا يعبدوا غيرَه .

١٤٤٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، أخبرنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « وإذْ أخذنا ميثاق بَنى إسرائيلَ لا تَعبدون إلاّ الله » ، قال : أخذنا ميثاقهم أن يُخلصوا لله ولا يعبدُوا غيره .

١٤٥٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « وإذا أخذنا ميثاقَ بَنى إسرائيل لاتعبدون إلاّ الله » ، قال : الميثاق الذى أخذ عليهم فى المائدة .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

قال أبو جعفر : وقوله جل ثناؤه : « وبالوالدين إحساناً » ، عطفٌ على موضع « أنْ » المحذوفة فى « لاَ تعبدون إلاّ الله » . فكان معنى الكلام : وإذ أخذنا ميثاقَ بنى إسرائيل بأن لا تعبدوا إلا الله ، وبالوالدين إحساناً ، فرفع « لا تعبدون » لمّا حذف « أن » ، ثم عطف « بالوالدين » على موضعها ، كما قال الشاعر :(٢)

مُعاوِيَ إنّنا بَشَرٌ فَأَسْجِحْ فَلَسْنَا بالجِبالِ وَلا الحدِيدَا (٣)

---

(١) قوله تعالى فى سورة المائدة : ١٢ : ﴿ ولقد أخَذَ الله مِيثَاقَ بنى إسرائيل و بَعَثْنَا مَعَهُم اثْنَى عَشَرَ نقيباً ﴾ إلى آخر الآية .

(٢) عقيبة بن هبيرة الأسدى ، جاهلى إسلامى .

(٣) سيبويه ١ : ٣٤ ، ٣٧٥ ، ٤٤٨ ، والخزانة ١ : ٣٤٣ ، وسمط اللآلىء : ١٤٩ وفيه تحقيق جيد . وهذا البيت مما أخطأ فيه سيبويه ، وكان عقيبة وفد على معاوية ، ودفع إليه رقعة فيها هذه الأبيات :

فنصب « الحديد » على العطف به على موضع « الجبال » ، لأنها لو لم تكن فيها « باء » خافضة كانت نصباً . فعطف بـ « الحديد » على معنى « الجبال » ، لا على لفظها . فكذلك ما وصفت من قوله : « وبالوالدين إحساناً »

* * *

وأما « الإحسان » فمنصوب بفعل مُضمر يؤدى معناه قوله : « وبالوالدين » ، إذ كان مفهوماً معناهُ . فكان معنى الكلام — لو أظهر المحذوف — : وإذْ أخذنا ٣٠٩/١ ميثاقَ بنى إسرائيل، بأنْ لا تَعبدوا إلا الله، وبأن تُحسِنوا إلى الوالديْن إحساناً. فاكتفى بقوله: « وَبالوالدين » من أن يقال: وبأن تُحسنوا إلى الوالدين إحساناً ، إذ كان مفهوماً أن ذلك معناه بما ظَهرَ من الكلام .

* * *

وقد زعم بعض أهل العربية فى ذلك أن معناه : وبالوالدين فأحسنوا إحساناً ، فجعل « الباء » التى فى « الوالدين » من صلة الإحسان ، مقدَّمة عليه .

* * *

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنْ لا تَعبدوا إلاّ الله، وأحْسنوا بالوالدين إحساناً . فزعموا أن « الباء » التى فى « الوالدين » من صلة المحذوف — أعنى أحسنوا — فجعلوا ذلك من كلامين . وإنما يُصرف الكلام إلى ما ادَّعوْا من ذلك ، إذا لم يوجد لاتساق الكلام على كلام واحد وَجْهٌ . فأما وللكلام وجهٌ مفهومٌ على اتساقه على كلام واحد ، فلا وجه لصرْفه إلى كلامين . وأخرى ، أنّ القوْلَ فى ذلك لو كان على ما قالوا ، لَقيل : وإلى الوالدين إحساناً ، لأنه إنما يقال : « أحسن

مُعَاوِيَ إنَّنا بَشَرٌ فَأَسْجِحْ فَلَسْنَا بالجبالِ وَلاَ الحديدِ
فَهَبْها أمَّةً ذَهَبَتْ ضَيَاعاً يَزِيدُ أَمِيرُها وأَبُو يَزِيدِ
أَكَلْتُمْ أَرْضَنَا فَجَرَدْتُمُوهَا فَهَلْ مِنْ قَائِمٍ أَوْ مِنْ حَصِيدِ؟
ذَرُوا خَوْنَ الخلافَةِ وَاسْتَقِيمُوا وَتَأْمِيرَ الأَرَاذِلِ وَالعَبِيدِ
وَأَعْطُونا السِّوِيَّةَ ، لا تَزُرْكُمْ جُنودٌ مُرْدَفاتٌ بالجُنُودِ

فدعاه معاوية فقال له : ما أجرأك على ؟ قال : نصحتك إذ غششك ، وصدقتك إذ كذبوك . فقال معاوية : ما أظنك إلا صادقاً .

فلان إلى وَالديه » ولا يقال : أحسن بوالديه ، إلا على استكراهٍ للكلام .

ولكن القولُ فيه ما قلنا ، وهو : وإذْ أخذنا ميثاقَ بنى إسرائيل بكذا ، وبالوالدين إحساناً — على ما بيّنا قبل. فيكون الإحسان حينئذ مصدَّراً من الكلام لا من لفظه ، كما بينا فيما مَضى من نَظائره .(١)

* * *

فإن قال قائل : وَما ذَلك « الإحسانُ » الذى أخذ عليهم بالوالدين الميثاقَ ؟

قيل : نظيرُ ما فَرض الله على أمّتنا لهما من فعل المعروف لهما ، والقول الجميل ، وخفض جَناح الذّلّ رحمةً بهما ، والتحنُّن عليهما ، والرأفة بهما ، والدعاءِ بالخير لهما ، وما أشبه ذلك من الأفعال التى ندب الله عبادَه أن يفعلوا بهما .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَذِى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَـٰمَىٰ وَالْمَسَـٰكِينِ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله « وذى القُرْبى » ، وبذى القربى أن يَصلوا قرابته منهم ورَحمه .

* * *

و « القُرْبى » مصدر على تقدير « فُعْلى » ، من قولك : « قَرُبت منى رحم فلان قَرابةً وقُرْبى وقُرْباً » ، بمعنى واحد .

* * *

وأما « اليتامى » . فهم جمع « يَتيم » ، مثل « أسير وأسارى » . ويدخل فى اليتامى الذكور منهم والإناث .

* * *

ومعنى ذلك : وإذ أخذنا ميثاقَ بنى إسرائيل لا تَعبدون إلاّ الله وحدَه دون من سواه من الأنداد ، وبالوالدين إحساناً ، وبذى القربى : أنْ تَصلوا رَحمه ، وتعرفوا حقه ، وباليتامى : أن تَتعطّفوا عليهم بالرحمة والرأفة ، وبالمساكين : أنْ تُؤتوهم حقوقهم التى ألزمها الله أموالكم .

* * *

(١) انظر ما سلف ١ : ١٣٨

و « المسكين » ، هو المتخشّع المتذلّل من الفاقة والحاجة ، وهو « مِفْعيل » من « المسْكنة» . و « المسْكنة » هي ذلّ الحاجة والفاقة .[١]

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾

قال أبو جعفر : إن قال قائل: كيف قيل: « وقُولوا للناس حُسْناً » ، فأخرج الكلام أمرًا ولـمّا يتقدمه أمر ، بل الكلام جارٍ من أول الآية مجرى الخبر ؟

قيل : إنّ الكلامَ ، وإن كان قد جرى في أوّل الآية مجرى الخبر ، فإنه مما يحسن في مَوْضعه الخطاب بالأمر والنهي . فلو كان مكان : « لا تعبدون إلا الله » ، لا تعبدوا إلاّ الله — على وجه النهي من الله لهم عن عبادة غيره — كان حسناً صواباً . وقد ذُكر أن ذلك كذلك في قراءة أبيّ بن كعب . وإنما حَسُن ذلك وجاز — لو كانَ مقروءًا به — لأنّ أخذ الميثاق قولٌ .

فكان معنى الكلام — لو كان مقروءًا كذلك —: وإذ قلنا لبني إسرائيل: لا تعبدوا إلا الله ، كما قال جل ثناؤه في موضع آخر : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ﴾ [سورة البقرة: ٦٣] . فلما كان حسناً وضعُ الأمر والنهي في موضع : « لا تعبدون إلاّ الله » ، عطف بقوله : «وقُولُوا للناس حُسْناً » ، على موضع « لا تعبدون » ، وإن كان مخالفاً كل واحد منهما معناه معنى مافيه ،[٢] لما وصفنا من جواز وضع الخطاب بالأمر والنهي موضع « لاتعبدون » . ٣١٠/١
فكأنه قيل : وإذ أخذنا ميثاقَ بني إسرائيل لا تعبدوا إلا الله ، وقولوا للناس حُسناً. وهو نظير ما قدّمنا البيان عنه: من أنّ العرب تَبتدئ الكلام أحياناً على وجه الخبر عن الغائب في موضع الحكاية لما أخبرت عنه ،[٣] ثم تعود إلى الخبر على

---

(١) انظر ما سلف في هذا الجزء : ٢ : ١٣٧

(٢) في المطبوعة : « ومعناه » بزيادة الواو ، والصواب حذفها .

(٣) في المطبوعة : « في موضع الحكايات كما أخبرت عنه » ، والصواب ما أثبته .

وجه الخطاب ؛ وتبتدئ أحياناً على وجه الخطاب ، ثم تعود إلى الإخبار على وجه الخبر عن الغائب ، لما فى الحكاية من المعنيين ،[١] كما قال الشاعر :[٢]

أَسِيئِي بِنا أَوْ أَحْسِنِي لا مَلُومَةً لَدَيْنا ولا مَقْلِيَّةً إِنْ تَقَلَّتِ[٣]

يعنى : تقلَّيْت .

* * *

وأما « الحسن » فإن القَرَأة اختلفت فى قراءته .[٤] فقرأته عامة قَرَأة الكوفة غير عاصم : « وقولوا للناس حَسَناً » بفتح الحاء والسين . وقرأته عامة قراء المدينة : « حُسْناً » بضم الحاء وتسكين السين . وقد رُوى عن بعض القرأةِ أنه كان يقرأ : « وقولوا للناس « حُسْنَى » على مثال « فُعْلى » .

* * *

واختلف أهل العربية فى فرق ما بين معنى قوله : « حُسْناً » و « حَسَناً » . فقال بعض البصريين : هو على أحد وجهين : إما أن يكون يراد بـ « الحَسن » « الحُسن » وكلاهما لغة ، كما يقال : « البُخْل والبَخَل » ، وإما أن يكون جعل « الحُسن » هو « الحَسن » فى التشبيه . وذلك أن الحُسن « مصدر » و « الحَسن » ، هو الشىء الحسن . ويكون ذلك حينئذ كقولك : « إنما أنت أكْلٌ وشُرب » ، وكما قال الشاعر[٥]

وخَيْلٍ قَدْ دَلَفْتُ لَهَا بِخَيْلٍ تَحِيَّةُ بَيْنِهِم ضَرْبٌ وَجِيعُ[٦]

---

(١) انظر ما سلف ١ : ١٥٣ – ١٥٤ ، وسيأتى فى هذا الجزء ٢ : ٣٥٧

(٢) هو كثير عزة .

(٣) ديوانه ١ : ٥٣ من قصيدته المشهورة . قلاه يقليه قلى فهو مقلى : كرهه وأبغضه . وتقلى تبغض ، أى استعمل من الفعل أو القول ما يدعو إلى بغضه .

(٤) فى المطبوعة : « فإن القراء » ، ورددته إلى ما مضى عليه أبو جعفر فى عبارته ، كما سلف مراراً .

(٥) يقال هو : عمرو بن معد يكرب الزبيدى . (الخزانة ٤ : ٥٦) ، وليس فى قصيدته التى على هذا الوزن فى الأصمعيات : ٤٣ ، ولكنه أتى فى نوادر أبى زيد : ١٤٩ – ١٥٠ أنه لعمرو بن معد يكرب . فكأنه له ، وكأنه سقط من رواية الأصمعى ، وهو فى رواية غيره .

(٦) نوادر أبى زيد : ١٥٠ ، وسيبويه ١ : ٣٦٥ ، ٤٢٩ ، والخزانة ٤ : ٥٣ . وغيرها .

فجعل « التحية » ضرباً .

وقال آخر : بل « الحُسْن » هو الاسم العام الجامع جميع معانى الحسن . و « الحَسَن » هو البعض من معانى « الحُسن » . قال : ولذلك قال جل ثناؤه ، إذ أوصى بالوالدين : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً ﴾ [سورة العنكبوت : ٨] ، يعنى بذلك أنه وصاه فيهما بجميع معانى الحُسن ، وأمر فى سائر الناس ببعض الذى أمره به فى والديه ، فقال : « وقولوا للناس حَسَناً » ، يعنى بذلك بعضَ معانى الحُسن

* * *

قال أبو جعفر : والذى قاله هذا القائل فى معنى « الحسن » بضم الحاء وسكون السين ، غيرُ بعيد من الصواب ، وأنه اسم لنوعه الذى سُمِّى به . وأما « الحَسَن » فإنه صفة وقعت لما وصف به ، وذلك يقع بخاصٍّ . وإذا كان الأمر كذلك ، فالصواب من القراءة فى قوله : « وقُولُوا للناس حَسَناً » ، لأن القوم إنما أمِروا فى هذا العهد الذى قيل لهم : « وقولوا للناس » باستعمال الحَسَن من القول ، دون سائر معانى الحسن الذى يكون بغير القول . وذلك نعتٌ لخاص من معانى الحُسن ، وهو القول . فلذلك اخترت قراءته بفتح الحاء والسين ، على قراءته بضم الحاء وسكون السين .

* * *

وأما الذى قرأ ذلك : « وقُولُوا للناس حُسْنَى » ، فإنه خالف بقراءته إياه كذلك ، قراءةَ أهل الإسلام . وكفى شاهداً على خطأ القراءة بها كذلك ، خروجُها من قراءة أهل الإسلام ، لو لم يكن على خطئها شاهدٌ غيره . فكيف وهى مع ذلك خارجةٌ من المعروف من كلام العرب ؟ وذلك أن العرب لا تكاد أن تتكلم بـ « فُعلى » « وأفعل » إلاّ بالألف واللام أو بالإضافة . لا يقال : « جاءنى أحْسَنُ » ، حتى يقولوا : « الأحسن » . ولا يقال : « أجمل » ، حتى يقولوا ، « الأجمل » . وذلك أن « الأفعل والفُعلى » ، لا يكادان يوجدان صفة إلا لمعهود معروف ، كما تقول : « بَلْ أخوك الأحسن — وبل أختك الحسنى » . وغير جائز أن يقال : امرأة حُسنى ، ورجل أحْسن .

* * *

وأما تأويل القول الحسن الذى أمرَ الله به الذين وصف أمرَهم من بنى إسرائيل

فى هذه الآية ، أن يقولوه للناس ،[1] فهو ما : —

١٤٥١ — حدثنا به أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد، عن بشر بن
٣١١/١ عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس فى قوله : « وقولوا للناس حسناً » ،أمرهم أيضاً بعد هذا الخلُق: أن يقولوا للناس حسناً، أن يأمروا بـ « لا إله إلا الله » من لم يقُلها ورَغب عنها ، حتى يقولوها كما قالوها ، فإن ذلك قُرْبةٌ من الله جل ثناؤه . وقال: الحسن أيضاً ، ليِّن القول،من الأدب الحسن الجميل والخلُق الكريم، وهو مما ارتضاه الله وأحبه .

١٤٥٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية : « وقولوا للناس حسناً » ، قال ، قولوا للناس معروفاً .

١٤٥٣ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج : « وقولوا للناس حسناً »، قال : صدقاً فى شأن محمد صلى الله عليه وسلم .

١٤٥٤ — وحدثت عن يزيد بن هرون قال: سمعت سفيان الثورى يقول فى قوله : « وقولوا للناس حسناً » ،قال : مُرُوهم بالمعروف وانهوْهم عن المنكر[2]

١٤٥٥ — حدثنى هرون بن إدريس الأصم قال ،حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى قال ، حدثنا عبد الملك بن أبى سليمان قال ، سألت عطاء بن أبى رباح عن قول الله جل ثناؤه: « وقولوا للناس حسناً »، قال: من لقيتَ من الناس فقل له حسناً من القول . قال : وسألت أبا جعفر ، فقال مثل ذلك[3]

١٤٥٦ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا القاسم قال، أخبرنا عبد الملك ،

---

(١) فى المطبوعة : « لأن يقولوه للناس » بزيادة اللام ، فاسدة .

(٢) الأثر : ١٤٥٤ — أخشى أن يكون سقط من إسناده شىء .

(٣) الخبر : ١٤٥٥ — هرون بن إدريس الأصم ، شيخ الطبرى : لم أجد له ترجمة ، ولا وجدته فى مكان ، إلا فى رواية الطبرى عنه فى التاريخ أيضاً ١ : ٢٥٣ ، و ٢ : ١٢٦ . روى عنه ، عن المحاربى . عبد الملك بن أبى سليمان : هو العرزمى ، أحد الأئمة الثقات الحفاظ . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٢/٢/٣٦٦ — ٣٦٨ .

عن أبي جعفر وعطاء بن أبي رباح في قوله: « وقولوا للناس حسناً »، قال : للناس كلهم .

١٤٥٧ ــ حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عبد الملك ، عن عطاء مثله .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾

قال أبو جعفر : يعني بقوله: « وأقيموا الصلاة »، أدُّوها بحقوقها الواجبة عليكم فيها ، كما : ــ

١٤٥٨ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثمان بن سعيد، عن بشر بن عمارة، عن أبي روق ، عن الضحاك، عن ابن مسعود قال : « وأقيموا الصلاة » ، هذه . و « إقامة الصلاة » تمامُ الركوع والسجود والتلاوة والخشوع ، والإقبال عليها فيها .[1]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾

قال أبو جعفر : قد بينا فيما مضى قبلُ، معنى « الزكاة » وما أصلها[2]

* * *

وأما الزكاة التي كان الله أمر بها بني إسرائيل الذين ذكر أمرهم في هذه الآية، فهي ما : ــ

١٤٥٩ ــ حدثنا به أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد، عن بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس: « وآتوا الزكاة »، قال : إيتاء الزكاة ، ما كان الله فرض عليهم في أموالهم من الزكاة ، وهي سُنّة كانت لهم غير سُنّة محمد صلى الله عليه وسلم . كانت زكاة أموالهم قربانًا تهبط إليه نار

(١) انظر ما سلف ١ : ٢٤١ ، ٥٧٣ .
(٢) انظر ما سلف ١ : ٥٧٣ - ٥٧٤ .

فتحملها ، فكان ذلك تقبُّله . ومن لم تفعل النار به ذلك كان غير متقبَّل ، وكان الذى قرّب ، من مكسب لا يَحلُّ : من ظُلم أو غَشْم ، أو أخْذٍ بغير ما أمره الله به وبيّنه له .

١٤٦٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح ، قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « وآتوا الزكاة » ، يعنى « بالزكاة » : طاعةَ الله والإخلاص .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ (٨٣)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن يهود بنى إسرائيل ، أنّهم نكثوا عهدَه ونقضوا ميثاقه ، بعد ما أخذ الله ميثاقهم على الوفاء له ، بأن لا يعبُدوا غيره ، وأن يُحسنوا إلى الآباء والأمهات ، ويصِلوا الأرْحام ، ويتعطّفوا على الأيتام ، ويؤدُّوا حُقوق أهل المسكنة إليهم ، ويأمرُوا عبادَ الله بما أمرهم الله به ويَحثُّوهم على طاعته ، ويُقيموا الصلاة بحدودها وفرائضها ، ويؤتوا زكاة أموالهم — فخالفوا أمرَه فى ذلك كله ، وتولَّوا عنه معرضين ، إلا من عَصَمه الله منهم ، فوَفى لله بعهده وميثاقه ، كما : —

٣١٢/١ ١٤٦١ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : لما فرضَ الله جل وعزّ عليهم — يعنى : على هؤلاء الذين وصف الله أمرهم فى كتابه من بنى إسرائيل — هذا الذى ذكَر أنه أخذ ميثاقهم به ، أعرضوا عنه استثقالاً له وكراهية ، وطلبوا ما خفّ عليهم ، إلاّ قليلاً منهم ، وهم الذين استثنى الله فقال : « ثم تَولَّيتم » ، يقول : أعرضتم عن طاعتى ، « إلاّ قليلاً منكم » ، قال : القليل الذين اخترتُهم

لطاعتى ، وسيحل عقابى عن تولىّ وأعرَض عنها يقول : تركها استخفافاً بها[١]

١٤٦٢ ــ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثنا ابن إسحق قال ، حدثنى محمد بن أبى محمد ، عن سعيد بن جبير ، أو عن عكرمة ، عن ابن عباس : « ثُم تَولَيتم إلاّ قليلاً منكم وأنتم مُعرضون » ، أى تركتم ذلك كله .

* * *

وقال بعضهم : عنى الله جل ثناؤه بقوله : « وأنتم مُعرضون » ، اليهودَ الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعنى بسائر الآية أسْلافَهم . كأنه ذهب إلى أن معنى الكلام : « ثم توليتم إلا قليلاً منكم » : ثم تولى سَلفكم إلا قليلاً منهم ، ولكنه جُعل خطاباً لبقايا نَسْلهم ــ على ما ذكرناه فيما مضى قبل ــ[٢] ثم قال : وأنتم يا معشر بقاياهم معرضوُن أيضاً عن الميثاق الذى أخذ عليكم بذلك ، وتاركوه تركَ أوائلكم .

* * *

وقال آخرون : بل قوله : « ثم توليتم إلاّ قليلاً منكمْ وأنتم مُعرضون » ، خطابٌ لمن كان بين ظهرانىْ مُهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من يهود بنى إسرائيل ، وَذمٌّ لهم بنقضهم الميثاقَ الذى أخذ عليهم فى التوراة ، وتبديلهم أمرَ الله ، وركوبهم معاصيه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : قوله : « وإذْ أخذْنا ميثاقكمْ لا تَسفكون دَماءَكم » فى المعنى والإعراب نظيرُ قوله : « وإذْ أخذْنا ميثاق بَنى إسرَائيل لا تَعبدون إلا الله » .

---

(١) انظر معنى « تولى » فيما سلف من هذا الجزء ٢ : ١٦٢

(٢) انظر ما سلف فى هذا الجزء ٢ : ٣٨ ، ٣٩ ثم : ١٦٤ ، ثم : ٢٤٥ ، ثم : ٣٠٢

* * *

وأما « سفك الدم »، فإنه صَبُّه وإراقته .

* * *

فإن قال قائل: وما معنى قوله: « لا تَسفكون دماءكم ولا تُخرجُون أنفسكم من دياركم »؟ وقال: أوَ كان القوم يقتلون أنفسهم ويخرجونها من ديارها، فنُهُوا عن ذلك؟

قيل: ليس الأمر فى ذلك على ما ظننت، ولكنهم نُهوا عن أن يقتل بعضهم بعضاً. فكان فى قتل الرجل منهم الرجلَ قتلُ نفسه، إذ كانت ملّتهما [واحدة، فهما] بمنزلة رجل واحد.(١) كما قال عليه السلام:

١٤٦٣ — « إنما المؤمنونُ فى تراحُمهم وتَعاطُفهم بَينهم بمنزلة الجسد الواحد، إذا اشتكى بعضُه تَداعى له سَائر الجسد بالحمَّى والسهرَ ».(٢)

* * *

وقد يجوز أن يكون معنى قوله: « لا تَسفكون دماءكم »، أى: لا يقتل الرجلُ منكم الرجلَ منكم، فيقادَ به قِصاصاً، فيكون بذلك قاتلاً نفسَه، لأنه كان الذى سبَّب لنفسه ما استحقَّت به القتل. فأضيف بذلك إليه، قتلُ ولىّ المقتول إياه قِصاصاً بوليّه. كما يقال للرجل يركبُ فعلاً من الأفعال يستحق به العقوبة، فيعاقب العقوبة: « أنت جنيتَ هذا على نفسك ».

* * *

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

١٤٦٤ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: « وإذ أخذنا ميثاقكم لا تَسفكون دماءكم »، أى: لا يقتُلْ بعضكم بعضاً، « ولا تخرجُون أنفسكم من دياركم »، ونفسُك يا ابن آدم أهلُ ملّتك.

---

(١) الزيادة بين القوسين لا بد منها، وإلا فسد الكلام.

(٢) الحديث: ١٤٦٣ — هكذا رواه الطبرى معلقاً. والظاهر أنه رواه بالمعنى أيضاً. ولفظه فى صحيح مسلم ٢ : ٢٨٤، من حديث النعمان بن بشير: « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ». وكذلك رواه أحمد فى المسند (٤ : ٢٧٠ حلبى). ورواه البخارى بنحو معناه ١٠ : ٣٦٧ (من الفتح).

١٤٦٥ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع عن أبي العالية في قوله : « وإذ أخذْنا ميثاقكم لا تَسفكون دماءكم » ، يقول : لا يقتل بعضكم بعضاً ، « ولا تخرجون أنفسكم من دياركم » ، يقول : لا يخرج بعضكم بعضاً من الدِّيار .

١٤٦٦ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن قتادة في قوله : « لا تسفِكون دماءكم » ، يقول : لا يقتل بعضكم بعضاً بغير حق ، « ولا تخرجون أنفسكم من دياركم » ، فتسفك يا ابن آدم دماء أهل ملَّتك وَدعوتك . ٣١٣/١

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعني بقوله : « ثم أقررتم » ، ثم أقررتم بالميثاق الذي أخذنا عليكم : لا تسفكون دماءكم ولا تُخرجون أنفسكم من دياركم ، كما : ــ

١٤٦٧ ــ حدثنا المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : « ثم أقررتم » ، يقول : أقررتم بهذا الميثاق .

١٤٦٨ ــ وحُدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ (٨٤)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فيمن خُوطب بقوله : « وأنتم تَشهدُون » . فقال بعضهم : ذلك خطابٌ من الله تعالى ذكره لليهود الذين كانوا بين ظهرانَيْ مُهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام هجرته إليه ، مؤنِّباً لهم على تضييع أحكام ما في أيديهم من التوراة التي كانوا يقرّون بحكمها ، فقال الله تعالى لهم : « ثم أقررتم » ،

يعنى بذلك ، إقرارَ أوائلكم وَسلفكم ، « وأنتم تشهدُون » على إقرارهم بأخذ الميثاق عليهم ، بأن لا يسفكوا دماءَهم ، ولا يخرجوا أنفسهم من ديارهم ، وتصدِّقون بأن ذلك حق من ميثاق عليهم . وممن حُكى معنى هذا القول عنه ، ابنُ عباس .

١٤٦٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثنى ابن إسحق قال ، حدثنى محمد بن أبى محمد ، عن سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : « وإذ أخذْنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررْتم وأنتم تشهدون » أن هذا حق من ميثاق عليكم .

* * *

وقال آخرون : بل ذلك خبرٌ من الله جل ثناؤه عن أوائلهم ، ولكنه تعالى ذكره أخرج الخبرَ بذلك عنهم مُخرج المخاطبة ، على النحو الذى وصفنا فى سائر الآيات التى هى نظائرها ، التى قد بينا تأويلها فيما مضى .(١)

* * *

وتأوّلوا قوله : « وأنتم تشهدُون » ، على معنى : وأنتم شُهود . ذكر من قال ذلك :

١٤٧٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية قوله : « وأنتم تشهدون » ، يقول : وأنتم شهود .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى تأويل ذلك بالصواب عندى : أنْ يكون قوله : « وأنتم تشهدون » خبراً عن أسلافهم ، وداخلاً فيه المخاطبون منهم ، الذين أدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما كان قوله : « وإذ أخذنا ميثاقكم » خبراً عن أسلافهم ، وإنْ كان خطاباً للذين أدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم .(٢) لأن الله تعالى أخذَ ميثاق الذين كانوا على عهد رسول الله مُوسى صلى الله عليه وسلم من بنى إسرائيل — على سبيل ما قد بيّنه لنا فى كتابه — فألزم جميعَ مَنْ بعدهم من ذريتهم من حكم التوراة ، مثلَ الذى ألزم منه من كان على عهد موسى منهم ثم أنّب الذين خاطبهم بهذه الآيات على نقضهم ونقض سلفهم

(١) انظر ما سلف : ٢ : ٢٩٨ ، تعليق : ٢ ، والمراجع .

(٢) فى المطبوعة : « بأن كان خطاباً . . . » ، وهو لا يستقيم .

ذلك الميثاق، وتكذيبهم ما وَكَّدوا على أنفسهم له بالوَفاء من العهود،[1] بقوله : « ثم أقررتم وأنتم تَشهدون » . فإذ كان خارجاً على وجه الخطاب للذين كانوا على عهد نبيِّنا صلى الله عليه وسلم منهم،[2] فإنه معنيٌّ به كل من وَاثق بالميثاق منهم على عهد موسى ومن بَعده ، وكُلٌّ من شهد منهم بتصديق ما فى التوراة . لأن الله جل ثناؤه لم يخصص بقوله : «ثم أقررتم وأنتم تشهدون» — وما أشبه ذلك من الآى — بعضَهم دون بعض . والآية محتملةٌ أن يكون أريد بها جميعهم . فإذ كان ذلك كذلك ،[3] فليس لأحد أن يدّعى أنه أريد بها بعضٌ منهم دون بعض . وكذلك حُكم الآية التى بعدها، أعنى قوله: « ثم أنتم هؤلاء تَقتلونَ أنفسكم » الآية. لأنه ٣١٤/١
قد ذكر لنا أن أوائلهم قد كانوا يفعلون من ذلك مَا كان يفعله أواخرُهم، الذين أدركوا عصرَ نبيِّنا محمد صلى الله عليه وسلم .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾

قال أبو جعفر : ويتّجه فى قوله : « ثم أنتمُ هؤلاء » وجهان . أحدهما أن يكون أريد به : ثم أنتم يا هؤلاء ،فترك « يا » استغناءً بدلالة الكلام عليه ، كما قال ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ﴾ [سورة يوسف : ٢٩] ،وتأويله : يا يوسف أعرض عن هذا . فيكونُ معنى الكلام حينئذ : ثم أنتم يا معشر يهود بنى إسرائيل — بعد إقراركم بالميثاق الذى أخذته عليكم : لا تسفكون دماءكم ، ولا تخرجون أنفسكم

(١) سياق العبارة: « وتكذيبهم ما وكدوا من العهود على أنفسهم بالوفاء له ... » ، فقدم وأخر .
(٢) فى المطبوعة : « فإن كان خارجاً . . . » وهو تصحيف لا يستقيم .
(٣) فى المطبوعة : « فإن كان ذلك كذلك » ، وهو تصحيف لا يستقيم أيضاً .

من دياركم ، ثم أقررتم = بعدَ شهادتكم على أنفسكم =[١] بأن ذلك حقٌّ لى عليكم ، لازمٌ لكم الوفاءُ لى به — تقتلون أنفسكم ، وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم ، متعاونين عليهم ، فى إخراجكم إياهم ، بالإثم والعدوان .[٢]

* * *

والتعاون هو « التظاهر » . وإنما قيل للتعاون « التظاهر » ،[٣] لتقوية بعضهم ظهرَ بعض. فهو «تفاعل» من « الظهر » ، وهو مساندة بعضهم ظهرَه إلى ظهر بعض.

* * *

والوجه الآخر : أنْ يكون معناه : ثم أنتم قومٌ تقتلون أنفسكم . فيرجعُ إلى الخبر عن « أنتم » . وقد اعتُرِض بينهم وبين الخبرِ عنهم « بهؤلاء » ، كما تقول العرب : «أنَا ذا أقُوم، وأنَا هذا أجلس». وإذ قيل: « أنا هذا أجلس» ،[٤] كان صحيحاً جائزاً كذلك: « أنت ذاك تقوم » .

* * *

وقد زعم بعض البصريين أن قوله: «هؤلاء» فى قوله: « ثم أنتم هؤلاء »، تنبيه وتوكيد لـ « أنتم » . وزعم أن « أنتم » وإن كانت كناية أسماء جماع المخاطبين ، فإنما جاز أن يؤكَّدوا بـ « هؤلاء » و « أولاء » ،[٥] لأنها كناية عن المخاطبين ، كما قال خُفاف بن ندبة:

أَقُولُ لَهُ ، والرمْحُ يَأْطِرُ مَتْنَه : تَبَيَّنْ خُفَافًا ، إنَّنِى أنَا ذٰلِكَا[٦]

يريد : أنا هذا، وكما قال جل ثناؤه: ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِى الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ

---

(١) فى المطبوعة : « ثم أقررتم وبعد شهادتكم . . . » والواو لا مكان لها هنا .

(٢) فى المطبوعة « متعاونين عليه فى إخراجكم . . . » ، وهذا سهو .

(٣) فى المطبوعة : « وإنما قيل التعاون التظاهر . . . » وهذا لا شىء .

(٤) فى المطبوعة : « « ولو قيل . أنا هذا أجلس » . والصواب ما أثبت .

(٥) فى المطبوعة : « وأولى » ، وهو خطأ . ويعنى قوله تعالى فى سورة آل عمران : ١١٩ : « هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ » ، وقوله تعالى فى سورة طه : ٨٤ : « قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِى »

(٦) مضى تخريجه فيما سلف ١ : ٢٢٧ .

بِهِمْ ﴾ [سورة يونس : ٢٢]

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فيمن عُنى بهذه الآية ، نحو اختلافهم فيمن عنى بقوله : « وأنتم تشهدون » . ذكر اختلاف المختلفين فى ذلك :

١٤٧١ – حدثنا محمد بن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثنى محمد بن إسحق قال ، حدثنى محمد بن أبى محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : « ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتُخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان » إلى أهل الشرك ،(١) حتى تسفكوا دماءهم معهم ، وتخرجوهم من ديارهم معهم.(٢) قال : أنبّهم الله [على ذلك] من فعلهم ،(٣) وقد حرّم عليهم فى التوراة سفك دمائهم ، وافترض عليهم فيها فداء أسراهم ، فكانوا فريقين : طائفة منهم من بنى قينُقاع حلفاء الخزرج ، والنّضيرُ وقُريظة حلفاء الأوس . فكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حربٌ خرجت بنو قينُقاع مع الخزرج ، وخرجت النّضير وقُريظة مع الأوس ، يُظاهر كل من الفريقين حلفاءه على إخوانه ، حتى يتسافكوا دماءهم بينهم ، وبأيديهم التوراةُ يعرفون منها ما عليهم وما لهم . والأوس والخزرجُ أهل شرك يعبدون الأوثان ،(٤) لا يعرفون جنة ولا ناراً ، ولا بعثاً ولا قيامة ، ولا كتاباً ، ولا حراماً ولا حلالاً ، فإذا وضعت الحرب أوزارها ، افتَدوْا أسْراهم ، تصديقاً لما فى التوراة ، وأخذاً به ، بعضُهم من بعض . يفتدى بنو قينقاع ما كان من أسْراهم فى أيدى الأوس ،

---

(١) فى تفسير ابن كثير ١ : ٢٢٣ ، والدر المنثور ١ : ٨٦ : « أى أهل الشرك » ، والصواب ما فى الطبرى ، وقوله : « إلى أهل الشرك » ، أى تخرجون فريقاً منكم – إلى أهل الشرك .

(٢) فى المطبوعة : « فقال أنبهم » ، والأجود حذفها .

(٣) ما بين القوسين زيادة لابد منها . وأما ابن كثير فى تفسيره ١ : ٢٢٣ فكتب : « أنبأهم الله بذلك من فعلهم » ، وهو تحريف .

(٤) فى المطبوعة : « أهل الشرك » ، والصواب فى سيرة ابن هشام ٢ : ١٨٨ ، وابن كثير ١ : ٢٢٤ .

وتفتدى النضير وقريظة ما كان فى أيدى الخزرج منهم ، ويُطِلّون ما أصابوا من الدماء ،[١] وقتلى من قُتلوا منهم فيما بينهم ،[٢] مظاهرةً لأهل الشرك عليهم . يقول الله تعالى ذكره، حين أنبّهم بذلك :[٣] «أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض»، أى : تُفادونه بحكم التوراة ، وتقتلونه — وفى حكم التوراة أن لا يُقتل ، ولا يخرج من داره ،[٤] ولا يُظاهَر عليه مَنْ يشرك بالله ويَعبُد الأوثان من دونه — ابتغاءَ عَرَض من عَرَض الدنيا . ٣١٥/١

فى ذلك من فعلهم مع الأوس والخزرج — فيما بلغنى — نزلت هذه القصة .[٥]

١٤٧٢ — وحدثنى موسى بن هرون قال، حدثنى عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإذْ أخَذنا ميثاقكم لا تَسفكون دماءكم ولا تُخرجون أنفسكم من دِيَاركم ثُم أقررْتم وأنتم تَشهدُون » . قال : إن الله أخذ على بنى إسرائيل فى التوراة : أنْ لا يقتلَ بعضهم بعضاً، وأيُّما عبد أو أمةٍ وجدتُموه من بنى إسرائيل فاشتروه بما قام ثمنه، فأعتقوه .[٦] فكانت قُرَيظة حلفاء الأوس ، والنضير حلفاء الخزرج، فكانوا يقتتلون فى حرب سُميْر.[٧] فيقاتل بنو قُرَيظة مع حُلفائها ، النضيرَ وحلفاءَها . وكانت النضيرُ تقاتل قريظةَ وحلفاءَها ، فيغلبونهم ، فيُخربون بيوتهم ، ويخرجونهم منها . فإذا أسِر الرجل من الفريقين كليهما ، جمعوا له حتى

---

(١) طل دمه وأطله : أهدره وأبطله .

(٢) فى المطبوعة : « وقتلوا من قتلوا . . . »، والصواب من ابن هشام ٢ : ١٨٩ .

(٣) فى المطبوعة : « أنبأهم بذلك » ، والصواب ما أثبت من سيرة ابن هشام ٢ : ١٨٩ ، وسترى ذلك فى تفسير الآية نفسها بعد .

(٤) فى المطبوعة : « من ذلك » ، وهو محض خطأ .

(٥) هذه الجملة الأخيرة من كلام ابن إسحاق ، لا من كلام ابن عباس .

(٦) فى المطبوعة : « بما قدم يمينه فأعتقوه » . وهو كلام من السقم بمكان . يقال : قامت الأمة مئة دينار ، أى بلغت قيمتها مئة دينار . ويقال : كم قامت أمتك ؟ أى كم بلغت ؟ ووجدتها فى تفسير البغوى على الصواب : « بما قام من ثمنه » ١ : ٢٢٤ (بهامش تفسير ابن كثير) .

(٧) حرب سمير ، كانت فى الجاهلية بين الأوس والخزرج . وسمير رجل من بنى عمرو بن عوف . وانظر خبر هذه الحرب فى الأغانى ٣ : ١٨ : ٢٦ .

يفدوه . فتعيّرهم العربُ بذلك، ويقولون : كيف تقاتلونهم وتفدونهم ؟ قالوا : إنا أمِرنا أن نفديهم، وحُرّم علينا قتالهم . قالوا : فلم تقاتلونهم ؟ قالوا : إنا نستحيي أن تُستذَلّ حلفاؤنا . فذلك حين عيّرهم جل وعز فقال : « ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرُجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان » .

١٤٧٣ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد : كانت قُريظة والنضيرُ أخوين ، وكانوا بهذه المثابة ،[1] وكان الكتاب بأيديهم . وكانت الأوس والخزرج أخوَين فافترقا ، وافترقت قُرَيظة والنضير . فكانت النَّضير مع الخزرج ، وكانت قُرَيظة مع الأوس ، فاقتتلوا . وكان بعضهم يقتل بعضاً ، فقال الله جل ثناؤه: « ثُم أنتمُ هؤلاء تَقتلُون أنفسكم وتُخرِجُون فريقاً منكم من ديارهم » الآية .

* * *

وقال آخرون بما : —

١٤٧٤ — حدثني به المثنى قال، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ،عن أبي العالية قال: كان في بني إسرائيل: إذا استضعفوا قوماً أخرجوهم من ديارهم . وقد أخِذ عليهم الميثاق أن لا يسفكوا دماءهم ،ولا يخرجوا أنفسهم من ديارهم.

* * *

قال أبو جعفر : وأما « العدوان » فهو « الفُعلان » من « التعدِّي » يقال منه: «عَدَا فلان في كذا عَدْواً وعُدْواناً، واعتَدَى يَعتدي اعتداء »، وذلك إذا جاوز حدَّه ظُلماً وبَغياً .

* * *

وقد اختلف القرّأة في قراءة « تظاهرون ».[2] فقرأها بعضهم: « تَظاهَرُون » على مثال « تَفاعلون » فحذف التاء الزائدة ، وهي التاء الآخرة . وقرأها آخرون :

---

(١) المثابة : يعني المدينة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم .والمثابة المنزل ، لأن أهله يتصرفون في أمورهم ثم يثوبون إليه، يرجعون إليه. وقال الله تعالى: «وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا»

(٢) في المطبوعة : « وقد اختلف القراء » ، ورددتها إلى منهج الطبري .

« تَظَّاهرُون » فشدَّد ، بتأويل : تَتظاهرن ، غير أنهم أدغَموا التاء الثانية فى الظاء ، لتقارب مخرجيهما ، فصيروهما ظاء مشددة . وهاتان القراءتان ، وإن اختلفت ألفاظهما ، فإنهما مُتفقتا المعنى . فسواءٌ بأىِّ ذلك قرأ القارئ ، لأنهما جميعاً لُغتان معروفتان ، وقراءتان مستفيضتان فى أمصار الإسلام بمعنى واحد ، ليس فى إحداهما معنى تستحقُّ به اختيارَها على الأخرى ، إلا أن يختار مُختارٌ « تَظَّاهرُون » المشدَّدةَ ، طلباً منه تتمةَ الكلمة .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « وإنْ يأتوكم أسارَى تُفادوهم » ، اليهودَ . يوبخهم بذلك ، ويعرِّفهم به قبيح أفعالهم التى كانوا يفعلونها ، فقال لهم : ثم أنتم — بعد إقراركم بالميثاق الذى أخذتُه عليكم : أنْ لا تسفكوا دماءَكم ، ولا تخرجوا أنفسكم من دياركم — تقتلون أنفسكم = يعنى به : يقتل بعضكم بعضاً = وأنتم ، مع قتلكم من تَقتلون منكم ، إذا وجدتم الأسير منكم فى أيدى غيركم من أعدائكم ، تَفْدونه ،[1] ويخرج بعضكم بعضاً من دياره . وقتلكمُ إياهم وإخراجُكموهم من ديارهم ، حرامٌ عليكم ، وتركهم أسرى فى أيدى عدوكم [حرام عليكم] ،[2] فكيف تستجيزون قتلهم ، ولا تستجيزون ترك فدائهم من عدوهم ؟ أم كيف لا تستجيزون ترك فدائهم ، وتستجيزون قتلهم ؟ وهما جميعاً — فى اللازم لكم من الحكم فيهم — سواءٌ .[3] لأن الذى حرّمتُ عليكم

٣١٦

(١) فى المطبوعة : « تفدوهم » ، خطأ .
(٢) الزيادة بين القوسين لا معدى عنها لاستقامة الكلام .
(٣) فى المطبوعة : « وهم جميعاً » ، والصواب ما أثبت .

من قتلهم وإخراجهم من دورهم ، نظيرُ الذى حرمت عليكم من تركهم أسْرى فى أيدى عدوهم ، أفتؤمنون ببعض الكتاب — الذى فرضت عليكمُ فيه فرائضى ، وبيّنت لكم فيه حدودى ، وأخذت عليكم بالعمل بما فيه ميثاقى — فتصدّقون به ، فتفادون أسراكم من أيدى عدوكم وتكفرون ببعضه ، فتجحدونه ، فتقتلون من حرّمت عليكم قتلَه من أهل دينكم ومن قومكم ، وتخرجونهم من ديارهم ، وقد علمتم أن الكفر منكم ببعضه نقضٌ منكم عهدى وميثاقى ؟ كما :—

١٤٧٥ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع ، قال حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهَرون عليهم بالإثم والعدْوان وإنْ يأتوكم أسارى تُفادوهم وَهوَ مُحرمٌ عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتَكفرُون ببعض » ، [أفتؤمنون ببعض الكتاب فادين ، وتكفرون ببعضٍ — قاتلين ومخرجين] ؟[1] والله إن فِداءهم لإيمان ، وإن إخراجهم لكفر . فكانوا يُخرجونهم من ديارهم ، وإذا رأوهم أسارى فى أيدى عدوّهم افتكُّوهم .

١٤٧٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثنى ابن إسحق قال ، حدثنى محمد بن أبى محمد ، عن سعيد بن جبير ، أو عن عكرمة ، عن ابن عباس : « وإنْ يأتوكم أسارى تَفدُوهم » ، قد علمتم أن ذلكم عليكم فى دينكم ، « وهو محرَّم عليكم » فى كتابكم « إخراجهم ، أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض » ، أتفادونهم مؤمنين بذلك ، وتخرجونهم كفراً بذلك .

١٤٧٧ — حدثنى محمد بن عمرو ، قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وإن يأتوكم أسارى تَفدُوهم » يقول : إن وَجدْتَه فى يَد غيرك فديته ، وأنتَ تقتله بيدك ؟

---

(١) كان فى المطبوعة : « . . . وتكفرون ببعض فادين والله إن فداء لإيمان » ، وهو كلام مضطرب فزدت ما بين القوسين استظهاراً ، حتى يستقيم الكلام .

١٤٧٨ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر قال ، قال أبو جعفر : كان قتادة يقول في قوله : « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض » ، فكان إخراجهم كفراً ، وفداؤهم إيماناً .

١٤٧٩ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية في قوله : « ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم » الآية ، قال : كان في بني إسرائيل : إذا استضعفوا قوماً أخرجوهم من ديارهم ، وقد أخذ عليهم الميثاق : أن لا يَسفِكوا دماءهم ولا يخرجُوا أنفسهم من ديارهم ، وأخذ عليهم الميثاق : إنْ أسر بعضُهم أن يُفادوهم . فأخرجوهم من ديارهم ، ثم فَادوهم ، فآمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض . آمنوا بالفداء ففدَوْا ، وكفروا بالإخراج من الديار فأخرجوا .

١٤٨٠ – حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر قال ، حدثنا الربيع بن أنس قال : أخبرني أبو العالية : أن عَبد الله بن سَلام مرَّ على رأس الجالوتِ بالكوفة وهو يُفادى من النساء من لم يَقع عليه العرب ، ولا يُفادى من وقعَ عليه العرب ، فقال له عبد الله بن سَلام : أما إنه مكتوب عندك في كتابك : أنْ فَادُوهنّ كلّهن . ٣١٧/١

١٤٨١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « أفتؤمنُون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض » ، قال ، كفرهم القتلُ والإخراج ، وإيمانهم الفداء . قال ابن جريج : يقول : إذا كانوا عندكم تقتلونهم وتخرجُونهم من ديارهم ، وأما إذا أسِروا تفدونهم ؟[1] وبلغني أن عمر بن الخطاب قال في قصّة بني إسرائيل : إنّ بني إسرائيل قد مضوا ، وإنكم أنتم تُعنَوْنَ بهذا الحديث .

* * *

قال أبو جعفر : واختلف القرَأةُ[2] في قراءة قوله : « إنْ يَأتوكم أسارى تفدوهم » .

---

(١) في المطبوعة : « تفدوهم » ، خطأ .

(٢) في المطبوعة : « واختلف القراء » ، ورددته إلى نهج أبي جعفر .

فقرأه بعضهم : « أسرى تَفْدُوهم » ، وبعضهم : « أسَارى تُفادُوهم » ، وبعضهم « أسَارى تَفدُوهم »، وبعضهم « أسْرى تُفادوهم » .

* * *

قال أبو جعفر : فمن قرأ ذلك : « وإنْ يَأتوكم أسْرَى » ، فإنه أراد جمع « الأسير » ، إذ كان على « فعيل » ، على مثال جَمْع أسماء ذوى العاهات التى يأتى واحدُها على تقدير «فعيل»، إذ كان « الأسر » شبيهَ المعنى — فى الأذى والمكروه الداخل على الأسير — ببعض معانى العاهات ، وألحق جَمْع المستلحَق به بجمع ما وصفنا ، فقيل : « أسير وأسْرى »، كما قيل : « مريض ومَرْضى ، وكسير وكَسرى ، وجَريح وجَرْحى»

* * *

وقال أبو جعفر : وأما الذين قرأوا ذلك « أسَارى » ، فإنهم أخرجوه على مخرج جمع « فَعلان » ، إذ كان جمع « فَعلان » الذى له « فَعْلى » قد يشارك جمع « فعيل » كما قالوا : «سَكارى وسَكرَى ، وكَسالى وكَسلى»، فشبهوا « أسيراً » — وجمعوه مرة « أسَارى »، وأخرى « أسْرى » — بذلك .

* * *

وكان بعضهم يزعم أن معنى « الأسرى» مخالف معنى « الأسارى » ، ويزعم أن معنى « الأسرى» : استئسار القوم بغير أسر من المستأسِر لهم ، وأن معنى « الأسارى » معنى مصير القوم المأسورين فى أيدى الآسرين بأسرهم وأخْذهم قهرًا وَغلبةً .

قال أبو جعفر : وذلك ما لا وجه له يفهم فى لغة أحد من العرب . ولكن ذلك على ما وصفتُ من جمع « الأسير » مرة على « فَعْلى » لما بينت من العلة ، ومرة على « فَعَالى » ، لما ذكرت : من تشبيههم جمعه بجمع « سكران وكسلان » وما أشبه ذلك .

* * *

وأولى بالصواب فى ذلك قراءةُ من قرأ « وإنْ يَأتوكم أسْرى » ، لأن « فعالى » فى جمع « فعيل » غيرُ مستفيض فى كلام العرب ، فإذْ كان ذلك غير مستفيض فى كلامهم ، وكان مستفيضاً فاشياً فيهم جمعُ ما كان من الصفات — التى بمعنى

الآلام والزمانة — وواحدُه على تقدير « فعيل » ، على « فعلى » ، كالذى وصفنا قبل ، وكانَ أحد ذلك « الأسير » ، كان الواجب أن يُلحق بنظائره وأشكاله ، فيجمع جمعَها دون غيرها ممن خالفها .

* * *

وأما من قرأ « تُفادُوهم » ، فإنه أراد : إنكم تفدُونهم من أسْرهم ، ويفدِى منكم — الذين أسروهم ففادوكم بهم — أسرَاكم منهم .

* * *

وأما من قرأ ذلك « تَفدوهم » ، فإنه أراد : إنكم يا معشرَ اليهود ، إن أتاكم الذين أخرجتموهم منكم من ديارهم أسرى فدَيْتموهم فاستنقذتموهم .

وهذه القراءةُ أعجب إلىّ من الأولى — أعنى : «أسرى تُفادُوهم» —[1] لأن الذى على اليهود فى دينهم فداء أسراهم بكل حال ، فدَى الآسرون أسْراهم منهم أم لم يفدوهم .

* * *

وأما قوله : « وَهو مُحرَّمٌ عليكم إخراجهم » ، فإن فى قوله : « وهو » وجهين من التأويل . أحدهما : أن يكون كناية عن الإخراج الذى تقدم ذكره . كأنه قال : وتُخرجون فريقاً منكم من ديارهم ، وإخراجهم محرم عليكم . ثم كرر «الإخراج» الذى بعد « وهو محرم عليكم » ، تكريراً على « هو » ، لمّا حال بين « الإخراج » و « هو » كلام .

والتأويل الثانى ، أن يكون عمادًا ، لمّا كانت « الواو » التى مع « هو » تقتضى اسماً يليها دون الفعل .[2] فلما قدّم الفعلَ قبل الاسم — الذى تقتضيه « الواو »
١ ٣١٨ أن يليَها — أوليتَ « هو » ، لأنه اسم ، كما تقول : « أتيتُك وهو قائم أبوك » بمعنى : « وأبوك قائم » ، إذْ كانت « الواو » تقتضى اسماً ، فعُمدت بـ « هو » ، إذ سبق الفعلُ الاسمَ ، ليصلحُ الكلام .[3] كما قال الشاعر :

---

(١) فى المطبوعة : « أسرى تفدوهم » ، وهو غير الصواب ، فيما اختاره أبو جعفر من القراءة .

(٢) العماد ، هو ما اصطلح عليه البصريون بقولهم : « ضمير الفصل » ، ويسمى أيضاً : « دعامة » و « صفة » . وأراد بقوله : « الفعل » هنا : المشتق الذى يعمل فيما بعده عمل الفعل . وسيتبين مراده فى العبارات الآتية .

(٣) قد استوفى هذا كله الفراء فى معانى القرآن ١ : ٥٠ — ٥٢ .

فأبلغْ أبا يحيَى إذا ما لقيتَهُ عَلَى العِيسِ فِى آباطِهَا عَرَقٌ يَبْسُ (١)
بأنَّ السُّلاَمِىَّ الَّذِى بِضَرِيَّةٍ أميرَ الحِمَى، قَدْ باعَ حَقِّى بَنِى عَبْسِ (٢)
بِثَوْبٍ وَدِينَارٍ وَشَاةٍ وَدِرْهَمٍ، فَهَلْ هُو مَرْفُوعٌ بِمَا هٰهُنَا رَأْسُ (٣)

فأوليتَ « هل » « هو »، لطلبها الاسمَ العِمادَ. (٤)

* * *

(١) سيأتى الشطر الثانى من البيت الأخير فى ١١ : ٣٤ ، ١٧ : ٧٣ ولم أجد الشعر فى غير معانى القرآن للفراء ١ : ٥٢ ، ولم أعرف قائله . والعيس : إبل بيض يخالطها شقرة يسيرة، وهى من كرائم الإبل . ويبس : يابس . قد يبس العرق فى آباطها من طول الرحلة .

(٢) السلامى : يعنى رجلا كان — فيما أرجح — مصدقاً وعاملا على الزكاة ، وأميراً على حمى ضرية ، ولست أعرف نسبته ، أهى إلى قبيلة أم إلى بلد . وحمى ضرية : فى نجد ، على طريق البصرة إلى مكة ، وهى إلى مكة أقرب ، وهى أرض طيبة مذكورة فى شعرهم . وفى البيت إقواء .

(٣) سيأتى الشطر الثانى بعد قليل : ٣٧٤ قوله : « بثوب » ، متعلق بقوله آنفاً « باع » . يقول : أخذ هذه الرشى التى عددها من بنى عبس ، فأسلم إليهم حقى . وقوله : « فهل هو مرفوع بما ههنا رأس » يقوله لأبى يحيى الذى ذكره ، ويقول : فهل نجد ناصراً ينصرنا ويأخذ لنا حقنا ، فنرفع رؤوسنا بعد ما نزل بنا من الضيم . وهذه كلمة يقولونها فى مثل ذلك . قال الراعى (طبقات فحول الشعراء : ٤٤٢) :

فَإِنْ رَفَعْتَ بِهِمْ رَأْساً نَعَشْتَهُمُ وَإِنْ لَقُوا مِثْلَهَا فى قَابِلٍ فَسَدُوا

وقال أعرابى :

فتًى مِثْلُ ضَوْءِ الشَّمْسِ، لَيْسَ بباخلٍ بخَيْرٍ، وَلاَ مُهْدٍ مَلاماً لباخِلِ
وَلاَ ناطِقٍ عَوْرَاءَ تُؤْذِى جَلِيسَهُ وَلاَ رَافِعٍ رَأْساً بعَوْرَاءَ قائِلِ

وجاءت هذه الكلمة فى (باب فضل من علم وعلم) من حديث أبى موسى الأشعرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (البخارى ١ : ٢٣) : « فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه ما بعثنى الله به ، فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به » .

(٤) فى المطبوعة : « فأوليت هل لطلبها » ، وزيادة « هو » لابد منها .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْىٌ فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « فما جزاء من يفعل ذلك منكم » : فليسَ لمن قتلَ منكم قتيلاً = فكفر بقتله إيّاه ، بنقض عهد الله الذى حكم به عليه فى التوراة — وأخرج منكم فريقاً من ديارهم مُظاهراً عليهم أعداءهم من أهل الشرك ظُلماً وعُدواناً وخلافاً لما أمره الله به فى كتابه الذى أنزله إلى موسى = جَزاءٌ — يعنى « بالجزاء » : الثواب ، وهو العوَض مما فَعل من ذلك والأجر عليه —[1] إلاّ خزىٌ فى الحياة الدنيا . « والخِزى » : الذُّلّ والصغار ، يقال منه : « خزِى الرجل يَخزَى خِزياً » ، « فى الحياة الدنيا » ، يعنى : فى عاجل الدنيا قبل الآخرة .

* * *

ثم اختلف فى الخِزى الذى أخزاهم الله بما سلف من معصيتهم إياه . فقال بعضهم : ذلك هو حُكم الله الذى أنزله إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : من أخذ القاتل بمن قَتل ، والقَوَد به قصاصاً ، والانتقام للمظلوم من الظالم .

* * *

وقال آخرون : بل ذلك ، هو أخذ الجزية منهم ما أقاموا على دينهم ، ذلّةً لهم وصَغارا .

* * *

وقال آخرون : بل ذلك الخزى الذى جُوزُوا به فى الدنيا : إخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم النضيرَ من ديارهم لأوّل الحشر ، وقتل مقاتلة قُرَيظة وَسبى ذراريهم ، فكان ذلك خِزياً فى الدنيا ، ولهُم فى الآخرة عذابٌ عظيمٌ .

* * *

---

(١) انظر ما سلف ٢ : ٢٧ — ٢٨ من هذا الجزء

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « ويومَ القيامة يُرَدُّون إلى أشدِّ العذاب » : ويوم تَقوم الساعة يُردُّ من يفعل ذلك منكم – بعد الخِزى الذى يَحلّ به فى الدنيا جزاءً على معصية الله – إلى أشدِّ العذاب الذى أعدّ الله لأعدائه .

* * *

وقد قال بعضهم : معنىَ ذلك : ويوم القيامة يردُّون إلى أشدّ من عذاب الدنيا .(١)

ولا معنى لقول قائل ذلك .(٢) ذلك بأن الله جل ثناؤه إنّما أخبر أنّهم يردُّون إلى أشد معانى العذاب ، ولذلك أدخل فيه « الألف واللام » ، لأنه عنى به جنسَ العذاب كله ، دون نوع منه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٨٥)

قال أبو جعفر : اختلف القَرَأة فى قراءة ذلك . فقرأه بعضهم : « وما الله بغافل عمَّا يَعملون » بـ « الياء » ، على وجه الإخبار عنهم . فكأنهم نَحوْا بقراءتهم معنى : « فما جَزَاء من يَفعلُ ذلك منكم إلا خِزْى فى الحياة الدنيا ويومَ القيامة يُردُّون إلى أشدّ العذاب وما الله بغافل عما يَعملون » ، يعنى : عما يعمله الذين أخبرَ الله عنهم أنه ليس لهم جزاءٌ على فعلهم إلاّ الخزى فى الحياة الدنيا ، ومرجعهم فى الآخرة إلى أشد العذاب .

* * *

وقرأه آخرون : « وما الله بغافل عمَّا تَعملون » بـ « التاء » على وجه المخاطبة .

---

(١) فى المطبوعة : « إلى أشد العذاب من عذاب الدنيا » ، والصواب حذف « العذاب » .

(٢) فى المطبوعة : « ولا معنى لقول قائل ذلك بأن . . . » والصواب زيادة « ذلك » .

قال : فكأنهم نحوْا بقراءتهم : « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرُون ببعض » . وما الله بغافل ، يَا معشر اليهود ، عما تعملون أنتم .

* * *

وأعجب القراءتين إلىّ قراءة من قرأ بـ «الياء» ، إتباعاً لقوله : «فما جزاء من يفعل ذلك منكم» ، ولقوله : « ويوم القيامة يردُّون» . لأن قوله : « وما الله بغافلٍ عما يعلمون » إلى ذلك ، أقربُ منه إلى قوله : « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض » ، فإتباعه الأقربَ إليه ، أولى من إلحاقه بالأبعد منه . والوجه الآخر غيرُ بعيدٍ من الصواب . ٣١٩/١

* * *

وتأويل قوله : « وما الله بغافل عما يَعلمون » ،(١) وما الله بساهٍ عن أعمالهم الخبيثة ، بلْ هو مُحصٍ لها ، وحافظُها عليهم حتى يجازيهم بها فى الآخرة ، ويخزيَهم فى الدنيا ، فيذلّهم ويفضحهم .(٢)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ (٨٦)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه أولئك الذين أخبرَ عنهم أنهم يؤمنون ببعض الكتاب ، فيفادُون أسْراهم من اليهود ، ويكفرون ببعض ، فيقتلون من حرّم الله عليهم قتله من أهل مِلّتهم ، ويخرجون من داره من حرم الله عليهم إخراجه من داره ، نقضاً لعهد الله وميثاقه فى التوراة إليهم . فأخبر جل ثناؤه أنّ هؤلاء [هم] الذين اشتروا رِيَاسة الحياة الدنيا على الضعفاء وأهل الجهل والغباء من أهل ملتهم ،(٣) وابتاعوا المآكلَ الخسيسةَ الرديئة فيها بالإيمان ، الذى كان يكون لهم به فى الآخرة — لو كانوا أتَوْا به مكانَ الكفر — الخلودُ فى الجنان . وإنما وصفهم الله جل ثناؤه

---

(١) فى المطبوعة : « وتأويل قوله : وما الله بساه » ، لم يذكر الآية ، والصواب إثباتها .

(٢) مضى تفسير معنى « الغفلة » فيما سلف من هذا الجزء ٢ : ٢٤٤

(٣) ما بين القوسين زيادة ، لا يستقيم الكلام بطرحها .

بأنهم اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ، لأنهم رضُوا بالدنيا بكفرهم بالله فيها ، عوضاً من نعيم الآخرة الذى أعده الله للمؤمنين . فجعل حُظوظهم من نعيم الآخرة بكفرهم بالله ، ثمناً لما ابتاعوه به من خسيس الدنيا ،[1] كما : —

١٤٨٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « أولئك الذين اشتروا الحياةَ الدنيا بالآخرة » ، استحبُّوا قليلَ الدنيا على كثير الآخرة .[2]

* * *

قال أبو جعفر : ثم أخبر الله جل ثناؤه أنهم إذْ باعوا حُظوظهم من نعيم الآخرة — بتركهم طاعتَه ، وإيثارهم الكفرَ به والخسيسَ من الدنيا عليه — لاحظّ لهم فى نعيم الآخرة ، وأنّ الذى لهم فى الآخرة العذابُ ، غيرَ مخفّف عنهم فيها العذاب . لأن الذى يخفَّف عنه فيها من العذاب ، هو الذى له حظّ فى نعيمها ، ولاحظّ لهؤلاء ، لاشترائهم — بالذى كان فى الدنيا — دنياهم بآخرتهم .[3]

* * *

وأما قوله : « ولا هم يُنصرون » فإنه أخبر عنهم أنه لا ينصُرهم فى الآخرة أحد ، فيدفعُ عنهم بُنصرته عذابَ الله — لا بقوّته ولا بشفاعته ولا غيرهما .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « آتينا مُوسَى الكتاب » : أنزلناه إليه . وقد بيّنا أن معنى « الإيتاء » الإعطاء ، فيما مضى قبل .[4]

---

(١) انظر ما مضى ١ : ٣١٢ : — ٣١٥ فى معنى « الاشتراء » .

(٢) الأثر : ١٤٨٢ — كان فى المطبوعة : « حدثنا يزيد . . . » بإسقاط : « حدثنا بشر قال » ، وهذا إسناده إلى قتادة ، كثير الدوران ، وأقر به فيما مضى رقم : ١٤٧٥ .

(٣) فى المطبوعة : « لاشترائهم الذى كان فى الدنيا ودنياهم بآخرتهم » ، وهو كلام سقيم ، ولعل الصواب ما أثبت .

(٤) انظر ما سلف ١ : ٥٧٤ .

* * *

و « الكتاب » الذى آتاه الله مُوسى عليه السلام ، هو التوراةُ .

* * *

وأما قوله : «وَقفَّيْنا» ، فإنه يعنى : وأرْدَفنا ، وأتبعنا بعضهم خلف بعض ، كما يقفو الرجل الرجل : إذا سار فى أثره من ورائه . وأصله من « القفا » ، يقال منه : «قفوْتُ فلاناً» : إذا صرتَ خلفَ قفاه ، كما يقال : «دَبرتَه» : إذا صرْت فى دُبُره .

* * *

ويعنى بقوله : « من بعده » ، من بعد موسى .

* * *

ويعنى بـ «الرسل» : الأنبياء ، وهم جمع « رسول » . يقال : هو « رَسول وهم رُسُل » ، كما يقال : «هو صبور وهُم قوم صُبُر ، وهو رجل شكور وهم قوم شُكُر» .

* * *

وإنما يعنى جل ثناؤه بقوله : «وقفَّينا من بَعده بالرسل » ، أى أتبعنا بعضهم بعضاً على منهاج واحدٍ وشريعة واحدة . لأن كلّ من بعثه الله نبيًّا بعدَ موسى صلى الله عليه وسلم إلى زمان عيسى بن مريم ، فإنما بَعثه بأمر بنى إسرائيل بإقامة التوراة ، والعمل بما فيها ، والدعاء إلى ما فيها . فلذلك قيل : « وَقفَّيْنا من بعده الرسل » ، يعنى على منهاجه وشريعتِه ، والعمل بما كان يعمل به .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَىٰ بْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾

٣٢٠/١ قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « وآتينا عيسَى بنَ مَرْيَمَ البيِّنات » ، أعطينا عيسى بن مريم .

* * *

ويعنى بـ « البينات » التى آتاه الله إياها : ما أظهر على يديه من الحجج والدلالة على نبوته : من إحياء الموتى ، وإبراء الأكمه ، ونحو ذلك من الآيات ، التى أبانت منزلته من الله ، ودلت على صدقه وصحة نبوّته ، كما : —

١٤٨٣ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثنى محمد بن إسحق قال ، حدثنا محمد بن أبى محمد ، عن سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن

عباس : « وآتينا عيسَى بنَ مَرْيَمَ البينات » : أى الآيات التى وَضع على يَدَيه : من إحياء الموتى ، وخلقه من الطين كهيئة الطير ، ثم ينفخ فيه فيكون طائراً بإذْن الله ، وإبراء الأسقام ، والخبرِ بكثير من الغيوب ممّا يدّخرون فى بيوتهم ، وما ردَّ عليهم من التوراة ، مَعَ الإنجيل الذى أحدَث الله إليه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾

قال أبو جعفر : أما معنى قوله : « وأيَّدْناه » ، فإنه قَوّيناه فأعنّاه ، كما : —

١٤٨٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك : « وأيَّدْناه » ، يقول : نصرناه . يقال منه : « أيّدَك الله » ، أى قوّاك ، « وهو رَجُل ذو أيْدٍ ، وذُو آدٍ » ، يراد : ذو قوة . ومنه قول العجّاج :

* مِنْ أَنْ تَبَدَّلْتُ بِآدِى آدَا(١) *

يعنى : بشبابى قوةَ المشيب ، ومنه قول الآخر :(٢)

إنّ القِدَاحَ إذَا اجْتَمَعْنَ فَرَامَهَا بِالكَسْرِ ذُو جَلَدٍ وبطْشٍ أَيِّدِ(٣)

---

(١) زيادة ديوانه : ٧٦ ، واللسان (أود) (أيد) ومجاز القرآن : ٤٦ ، وأمالى الزجاجى : ٣٩ فى خبر ، ورواه :

فإن تبدّلتُ بآدِى آدَا لَمْ يَكُ يَنْآدُ فأمسَى أُنآدَا
فَقَدْ أَرَانى أَصِلُ القُعَّادا

والقعاد : القواعد من النساء ، جمع على جمع المذكر ، كما قال القطامى :

أَبْصارهُنَّ إِلَى الشُّبَّانِ مَائِلَةٌ وَقَدْ أَرَاهُنَّ عَنّى غَيْرَ صُدَّادِ

يعنى : غير صواد .

(٢) ينسب البيت — من أبيات — لعبد الملك بن مروان ، والصواب أنه لعبد الله بن عبد الأعلى ابن أبى عمرة الشيبانى . مولى بنى شيبان (تاريخ الطبرى ٤ : ٢٢ / وسمط اللآلىء : ٩٦٣ ترجمته) .

(٣) البيت من أبيات جياد رواها أبو العباس المبرد فى التعازى والمراثى ورقة : ١٠٥ ، ١٠٦ ، والمسعودى فى مروج الذهب ٣ : ١٠٤ ، ولباب الآداب : ٣١ ، وجاء بيت الشاهد فى تاريخ الإسلام

يعنى : بالأيِّد : القوىّ .

* * *

ثم اختلف فى تأويل قوله : « بروح القدس » . فقال بعضهم : « روح القدس » الذى أخبر الله تعالى ذكره أنه أيد عيسى به ، هو جبريل عليه السلام . ذكر من قال ذلك :

١٤٨٥ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « وأيّدناه برُوح القدسُ » ، قال : هو جبريل .

١٤٨٦ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « وأيّدناه برُوح القدس » ، قال : هو جبريل عليه السلام .

١٤٨٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « وأيّدناه برُوح القدس » ، قال : روح القدس ، جبريلُ .

١٤٨٨ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « وأيّدناه برُوح القدس » ، قال : أيد عيسى بجبريل ، وهو روح القدس .

١٤٨٩ — وقال ابن حميد ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال ، حدثنى عبد الله ابن عبد الرحمن بن أبى الحُسَين المكى ، عن شهر بن حوشب الأشعرى : أن نفراً من اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : أخبرنا عن الروح . قال : أنشدكم بالله وبأيامه عند بنى إسرائيل ، هل تعلمون أنه جبريل ؟ وهو [الذى]

للذهبى ٣ : ٢٨٠ ، وتاريخ ابن كثير ٩ : ٦٧ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطى : ١٤٧ ، واختلفت رواية البيت الشاهد . وقد أوصى عبد الملك بن مروان بنيه وصية جليلة ، ثم قال لهم احفظوا عنى هذه الأبيات — يعنى شعر عبد الله بن عبد الأعلى — أمرهم أن يجتمعوا ولا يتفرقوا فتذهب ريحهم . وبعد البيت :

عَزَّتْ وَلَمْ تُكْسَرْ ، وَإِنْ هِيَ بُدِّدَتْ فَالوَهْنُ والتَكْسِيرُ للمُتَبَدِّدِ

يأتيني؟ قالوا : نعم.(١)

* * *

وقال آخرون : « الروح » الذى أيّد الله به عيسى ، هو الإنجيل * ذكر من قال ذلك :

١٤٩٠ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وأيّدناه برُوح القدس » ، قال : أيد الله عيسى بالإنجيل رُوحاً ، كما جعل القرآن رُوحاً ، كلاهما رُوحُ الله ، كما قال الله : ﴿ وكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا ﴾ [سورة الشورى : ٥٢]

* * *

وقال آخرون : هو الاسم الذى كان عيسى يُحيي به الموتَى * ذكر من قال ذلك :

١٤٩١ – حدثت عن المنجاب قال ، حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « وأيّدناه برُوح القدس » ، قال : هو الاسم الذى كان يُحيي عيسى به الموتى .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلات فى ذلك بالصواب قولُ من قال : « الروح » – فى هذا الموضع – جبريل . لأن الله جل ثناؤه أخبر أنه أيّد عيسى به ، كما أخبر فى قوله : ﴿ إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى ٣٢١/١
وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ

(١) الحديث : ١٤٨٩ – وقع فى المطبوعة « حدثنا سلمة ، عن إسحق » . وهو خطأ ، صوابه « عن ابن إسحق » . عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى الحسين المكى : ثقة فقيه ، من شيوخ الليث ومالك . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٩٧/٢/٢ . شهر بن حوشب الأشعرى : تابعى ثقة ، ومن تكلم فيه فلا حجة له . وقد فصلنا القول فى توثيقه ، فى شرح المسند : ٥٠٠٧ . وهو مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى . ٦٥٩/٢/٢ – ٢٦٠ ، وابن سعد ١٥٨/٢/٧ ، وابن أبى حاتم ٣٨٢/١/٢ – ٣٨٣ . ولكن هذا الحديث مرسل ، فإن شهراً تابعى كما قلنا . ومعناه – فى تفسير « الروح » بأنه جبريل – ثابت فى أحاديث صحاح متكاثرة . ذكر منها ابن كثير ١ : ٢٢٧ حديث ابن مسعود ، فى صحيح ابن حبان ، مرفوعاً : « إن روح القدس نفث فى روعى : أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها ، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب » . وقد ذكرنا فى شرحنا رسالة الشافعى . رقم : ٣٠٦ كثيراً من هذا المعنى . وهذا الحديث جزء من حديث مطول ، سيأتى بهذا الإسناد رقم : ١٦٠٦

الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ والتَّوْرَاةَ والإنْجِيلَ ﴾ [سورة المائدة : ١١٠] ، فلو كان الرُّوح الذى أيّده الله به هو الإنجيل ، لكان قوله : « إذ أيّدتُك برُوح القدُس » ، و « إذ علّمتك الكتاب والحكمةَ والتوراةَ والإنجيل » ، تكرير قول لا معنى له . وذلك أنه على تأويل قول من قال : معنى « إذ أيدتك برُوح القدس » ، إنما هو : إذ أيدتك بالإنجيل — وإذْ علمتك الإنجيل . وهو لا يكون به مُؤيَّداً إلا وهو معلّمه ، فذلك تكرير كلام واحد ، من غير زيادة معنى فى أحدهما على الآخر . وذلك خَلفٌ من الكلام ،[1] والله تعالى ذكره يتعالى عن أن يخاطب عباده بما لا يفيدُهم به فائدة . وإذْ كان ذلك كذلك ، فبيِّن فسادُ قول من زعم أن « الروح » فى هذا الموضع ، الإنجيلُ ، وإن كان جميع كتب الله التى أوحاها إلى رُسله رُوحاً منه ، لأنها تحيا بها القلوب الميِّتة ، وتنتعش بها النفوس المولِّية ، وتهتدى بها الأحلام الضَّالة .

* * *

وإنما سمى الله تعالى جبريل « رُوحاً » وأضافه إلى « القدس » ، لأنه كان بتكوين الله له رُوحاً من عنده ، من غير وِلادة والد ولدَه ، فسماه بذلك « رُوحاً » ، وأضافه إلى « القدس » — و « القدس » ، هو الطهر — كما سَمى عيسى بن مريمَ « روحاً » لله ، من أجل تكوينه له رُوحاً من عنده من غير ولادة والد وَلدَه .

* * *

وقد بيّنا فيما مضى من كتابنا هذا ، أنّ معنى « التقديس » : التطهير ، و « القدس » : الطهر ، من ذلك . وقد اختلف أهل التأويل فى معناه فى هذا الموضع نحو اختلافهم فى الموضع الذى ذكرناه .[2]

١٤٩٢ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : القدس ، البركة .

١٤٩٣ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه قال : القدس ، وهو الرب تعالى ذكره .

---

(١) الخلف : الردىء الفاسد من القول . يقال فى المثل : « سكت ألفاً ونطق خلفاً » ، للرجل يطيل الصمت ، فإذا تكلم تكلم بالخطأ والخطل .

(٢) انظر ما سلف ١ : ٤٧٥ — ٤٧٦ .

١٤٩٤ – حدثني يونس قال ،أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : «وأيّدناه برُوح القدس» ، قال: الله ، القُدُس . وأيّد عيسى بروحه ، قال : نَعتُ الله، القُدُس. وقرأ قول الله جل ثناؤه: ﴿ هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ ﴾[سورة الحشر : ٢٣] ، قال: القدس والقدُّوس، واحدٌ .

١٤٩٥ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلال ، [عن هلال] بن أسامة، عن عطاء بن يسار قال ، قال كعب : الله، القُدُس .(١)

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ ﴾ (٨٧)

قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بقوله : « أفكلما جاءكم رسولٌ بما لا تهوى أنفسُكم »، اليهودَ من بني إسرائيل .

١٤٩٦ – حدثني بذلك محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد .

* * *

قال أبو جعفر : يقول الله جل ثناؤه لهم : يا معشرَ يهودِ بني إسرائيل ، لقد آتينا موسى التوراة ، وتابعنا من بعده بالرسل إليكم ، وآتينا عيسى بن مريم

---

(١) الخبر : ١٤٩٥ – هو كلمة من كلام كعب الأحبار . أما الإسناد إليه ففيه إشكال . ولعله خطأ من الناسخين . فليس في الرواة – فيما علمنا – من يسمى « سعيد بن أبي هلال بن أسامة » ! كما كان في المطبوعة . وإنما صوابه ما رجحنا إثباته ، بزياد [عن هلال] .

فسعيد بن أبي هلال الليثي المدني المصري : ثقة من أتباع التابعين ، يروى عنه عمرو بن الحارث (الذي سبقت ترجمته في ١٣٨٧) . وسعيد مترجم في التهذيب ، وفي الكبير للبخاري ٢/١/٤٧٥ ، وابن أبي حاتم ٢/١/٧١ . وهلال بن أسامة : هو : «هلال بن علي بن أسامة المدني» ، و بعضهم نسبه إلى جده ، فقال : ابن أسامة » ، كما في التهذيب ، وهو ثقة . مترجم أيضاً في الكبير للبخاري ٤/٢/٢٠٤ – ٢٠٥ ، وابن أبي حاتم ٤/٢/٧٦ . وقد فصلنا القول في ترجمته ، في شرح المسند : ٧٣٤٦ .

البيّنات والحجج ، إذ بعثناهُ إليكم، وقوّيناه بروح القدس ، وأنتم كلما جاءكم رسُول من رُسلى بغير الذى تهواه نُفوسُكم استكبرتم عليهم — تجبُّراً وبغياً — استكبارَ إمامكم إبليس ، فكذبتم بعضاً منهم وقتلتم بعضاً . فهذا فعلكم أبداً برُسلى .

* * *

وقوله : « أفكلّما » ، وإن كان خرج مَخرج التقرير فى الخطاب ، فهو بمعنى الخبر .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾

٣٢٢/١ قال أبو جعفر : اختلفت القرّأة فى قراءة ذلك . فقرأه بعضهم : « وقالوا قُلوبنا غُلْف » مخففة اللام ساكنة . وهى قراءة عامة الأمصار فى جميع الأقطار . وقرأه بعضهم : « وقالوا قُلوبنا غُلُف » مثقلة اللام مضمومة .

* * *

فأما الذين قرأوها بسكون اللام وتخفيفها، فإنهم تأوّلوها ، أنهم قالوا: قلوبنا فى أكِنَّة وأغطية وغُلْف. و«الغُلُف» — على قراءة هؤلاء — جمع « أغْلف»، وهو الذى فى غلاف وغطاء ، كما يقال للرجل الذى لم يُختتن « أغلف » ، والمرأة « غلفاء». وكما يقال للسيف إذا كان فى غلافه : « سيف أغْلف ، وقوسٌ غلفاء » وجمعها «غُلُف» . وكذلك جمع ما كان من النعوت ذكرُه على « أفعل» وأنثاه على «فعلاء» ، يجمع على «فُعُل» مضمومة الأول ساكنة الثانى ، مثل: «أحمر وحُمر ، وأصفر وصُفر» ، فيكون ذلك جماعاً للتأنيث والتذكير . ولا يجوز تثقيل عين « فُعْل » منه ، إلا فى ضرورة شعر ، كما قال طَرَفة بن العبد : (١)

أيُّهَا الفِتْيَانُ فِى مَجْلِسِنَا جَرِّدُوا مِنْهَا وِرَادًا وَشُقُرْ (٢)

---

(١) ديوانه (أشعار السته الجاهليين) : ٣٣١ ، من قصيدة نفيسة .

(٢) جردوا : قدموا للغارة . وتجرد الفرس : تقدم الحلبة فخرج منها . وتجرد فى الأمر : جد فيه . وراد جمع ورد (بفتح فسكون) وهو من الخيل ، بين الكميت والأشقر . والأشقر : الأحمر حمرة صافية ، يحمر منها السبيب والمعرفة والناصية . والعرب تقول : أكرم الخيل وذوات الخير منها شقرها .

يريد: شُقْراً ، إلاّ أن الشعر اضطرّه إلى تحريك ثانية فحركه . ومنه الخبر الذى : —

١٤٩٧ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا الحكم بن بشير بن سلمان قال ، حدثنا عمرو بن قيس الملائى ، عن عمرو بن مُرة الجَملى ، عن أبى البختَرى ، عن حُذَيفة قال : القلوبُ أربعة — ثم ذكرها — فقال فيما ذكر : وقلب أغلف مَعصوبٌ عليه ، فذلك قَلب الكافر .(١)

* * *

* ذكر من قال ذلك — يعنى : أنها فى أغطية — :

١٤٩٨ — حدثنا ابن حميد : قال، حدثنا سلمة قال ، حدثنى ابن إسحق

---

(١) الخبر : ١٤٩٧ — هذا موقوف على حذيفة، وإسناده جيد، إلا أنه منقطع ، كما سنبين ، إن شاء الله .

الحكم بن بشير بن سلمان النهدى الكوفى : ثقة ، مترجم فى التهذيب ، ووقع هناك خطأ مطبعى فى اسمى أبيه وجده . وله ترجمة عند البخارى فى الكبير ٢/١/٣٤٠ ، وابن أبى حاتم ١/٢/١١٤ .

« عمرو بن قيس الملائى » : مضت ترجمته : ٨٨٦ . و « عمرو بن مرة الجملى » و « أبو البختَرى » واسمه « سعيد بن فيروز » مضيا فى : ١٧٥ .

وانقطاع الإسناد ، هو بين أبى البختَرى ، المتوفى سنة ٨٣ ، وبين حذيفة بن اليمان ، المتوفى أوائل سنة ٣٦ بعد مقتل عثمان بأربعين يوماً . ونص فى التهذيب على أن أبا البختَرى لم يدرك حذيفة .

وهذا الخبر ذكره الطبرى مختصراً — كما ترى — وجاء به السيوطى كاملا ١ : ٨٧ ، ونسبه لابن أبى شيبة وابن أبى الدنيا فى كتاب الإخلاص ، وابن جرير ، فذكر نحوه ، موقوفاً على حذيفة .

وقد ورد معناه مرفوعاً : فروى أحمد فى المسند : ١١١٤٦ (ج ٣ ص ١٧ حلبى) ، عن أبى النضر ، عن أبى معاوية ، وهو شيبان بن عبد الرحمن النحوى ، عن ليث ، وهو ابن أبى سليم ، عن عمرو بن مرة ، عن أبى البختَرى ، عن أبى سعيد الخدرى . وهذا إسناد صحيح . ويظهر منه أن أبا البختَرى كان عنده هذا الحديث ، عن أبى سعيد مرفوعاً متصلا ، وعن حذيفة بن اليمان موقوفاً منقطعاً . ومثل هذا كثير ، ولا نجعل إحدى الروايتين علة للأخرى .

وحديث أبى سعيد هذا : ذكره السيوطى ١ : ٨٧ ، ونسبه لأحمد « بسند جيد » . وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ١ : ٦٣ ، وقال : « رواه أحمد ، والطبرانى فى الصغير ، وفى إسناده ليث بن أبى سليم » . كأنه يريد إعلاله بضعف ليث . وليث بن أبى سليم : ليس بضعيف بمرة ، ولكن فى حفظه شىء ، وحديثه عندنا صحيح ، إلا ما ظهر خطؤه فيه ، كما بينا فى شرح المسند : ١١٩٩ ، وقد ترجمه البخارى فى الكبير ٤/١/٢٤٦ ، فلم يذكر فيه جرحاً .

قال ، حدثني محمد بن أبي محمد ، عن سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس : « وَقالوا قُلوبنا غلف » ، أي في أكنة .

١٤٩٩ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنا معاوية بن صالح ، عن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « قلوبنا غُلف » ، أي في غطاء .

١٥٠٠ ــ حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وقالوا قلوبنا غُلف» ، فهي القلوب المطبُوع عليها .

١٥٠١ ــ حدثني عباس بن محمد قال، حدثنا حجاج قال، قال ابن جريج : أخبرني عبد الله بن كثير ، عن مجاهد قوله : « وقالوا قلوبنا غُلف » ، عليها غشاوة .

١٥٠٢ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل قال ، أخبرني عبد الله بن كثير ، عن مجاهد : « وقالوا قُلوبنا غُلف » ، عليها غشاوة .

١٥٠٣ ــ حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازي قال، حدثنا أبو أحمد الزبيري قال ، حدثنا شريك ، عن الأعمش قوله : « قلوبنا غلف» ، قال : هي في غُلُف .

١٥٠٤ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وقالوا قلوبنا غُلف » ، أي لا تفقه .

١٥٠٥ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « وقالوا قلوبنا غُلف » قال : هو كقوله : ﴿ قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ ﴾ [سورة فصلت : ٥]

١٥٠٦ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة في قوله : « قلوبنا غُلْفٌ » قال : عليها طَابَعٌ ، قال : هو كقوله : « قلوبنا في أكنة » .

١٥٠٧ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : « قلوبنا غلف » ، أي لا تفقه .

١٥٠٨ ــ حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وقالوا قُلوبنا غُلف » ، قال : يقولون : عليها غلافٌ ، وهو الغطاء .

١٥٠٩ ــ حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « قلوبنا غُلف » ، قال يقول : قلبي فى غلاف فلا يَخلُص إليه مما تقول شيء ،[1] وقرأ ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مما تَدْعُونَا إليه ﴾ [سورة فصلت : ٦] . ٣٢٣/١

* * *

قال أبو جعفر : وأما الذين قرأوها « غُلُف » بتحريك اللام وضمها ، فإنهم تأوّلوها أنهم قالوا : قُلوبنا غُلُفٌ للعلم ، بمعنى أنها أوعية .

قال : و« الغلف » على تأويل هؤلاء جمع « غلاف » . كما يجمع « الكتاب كتُب ، والحجاب حُجُب ، والشهاب شُهُب » . فمعنى الكلام على تأويل قراءة من قرأ « غُلُف » بتحريك اللام وضمها ، وقالت اليهود : قلوبنا غُلُف للعلم وأوعيةٌ له ولغيره . ذكر من قال ذلك :

١٥١٠ ــ حدثني عبيد بن أسباط بن محمد قال ، حدثنا أبي ، عن فضيل ابن مرزوق ، عن عطية : «وقالوا قُلوبنا غُلُف» ، قال : أوعية للذكر .

١٥١١ ــ حدثني محمد بن عمارة الأسدى قال ، حدثنا عبيد الله بن موسى قال ، أخبرنا فضيل ، عن عطية فى قوله : قُلوبنا غُلُف » ، قال : أوعية للعلم .[2]

١٥١٢ ــ حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازى قال : حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا فضيل ، عن عطية مثله .

١٥١٣ ــ حدثت عن المنجاب قال ، حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس فى قوله : « وقالوا قلوبنا غُلُف » ، قال : مملوءة علماً ، لا تحتاج إلى محمد صلى الله عليه وسلم ولا غيره .

* * *

والقراءة التى لا يجوز غيرها فى قوله : « قلوبنا غُلف » ، هى قراءة من قرأ «غلْف»

---

(١) فى المطبوعة : « شيء » ساقطة ، واستدركتها من ابن كثير ١ : ٢٢٩ .

(٢) الخبر : ١٥١١ ــ محمد بن عمارة الأسدى ، شيخ الطبرى : لم أجد له ترجمة ولا ذكراً ، إلا فى رواية الطبرى عنه فى التاريخ أيضاً مراراً .

بتسكين اللام — بمعنى أنها فى أغشية وأغطية ، لاجتماع الحجة من القرأة وأهل التأويل على صحتها ، وشذوذ من شذّ عنهم بما خالفه ، من قراءة ذلك بضم «اللام» .

وقد دللنا على أن ما جاءت به الحجة متفقة عليه ، حجةٌ على من بلغه . وما جاء به المنفردُ ، فغير جائز الاعتراضُ به على ما جاءت به الجماعة التى تقوم بها الحجة نقلا وقولاً وعملاً ، فى غير هذا الموضع ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا المكان .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : «بل لعنهم الله» ، بل أقصاهم الله وأبعدهم وطردهم وأخزاهم وأهلكهم بكفرهم ، وجحودهم آيات الله وبيّناته ، وما ابتعث به رسله ، وتكذيبهم أنبياءه . فأخبر تعالى ذكره أنه أبعدهم منه ومن رحمته بما كانوا يفعلون من ذلك .

* * *

وأصل « اللعن » الطرد والإبعاد والإقصاء يقال : «لعن الله فلاناً يلعنه لعناً ، وهو ملعون » . ثم يُصرف «مفعول» : فيقال : هو «لَعين» . ومنه قول الشماخ بن ضرار :

ذَعَرْتُ بِهِ القَطَا وَنَفَيْتُ عَنْهُ مَكَانَ الذِّئْبِ كَالرَّجُلِ اللَّعِينِ(٢)

* * *

قال أبو جعفر : فى قول الله تعالى ذكره « بل لعنهم الله بكفرهم » تكذيبٌ منه للقائلين من اليهود : « قلوبنا غلف» . لأن قوله : «بل» دلالة على جحده جل

---

(١) انظر ما سلف فى هذا الجزء ٢ : ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢٦٥ ، ٢٩٥

(٢) ديوانه : ٩٢ ، ومجاز القرآن ٤٦١ ، وسيأتى فى ٢ : ٣٣ (بولاق) ، وروايته هناك وفى ديوانه ، « مقام الذئب » والضمير فى « به » إلى « ماء » فى قوله قبله :

وَمَاء قَدْ وردْت لوَصْلِ أَرْوَى عَلَيْه الطَّيْر كالوَرَقِ اللَّجِينِ

وأراد فى البيت : مقام الذئب الطريد اللعين كالرجل . والرجل اللعين المطرود لا يزال منتبذاً عن الناس ، شبه الذئب به ، يعنى فى ذله وشدة مخافته وذعره .

ذكره وإنكاره ما ادعوا من ذلك ، إذ كانت « بل » لا تدخل فى الكلام إلا نقضاً لجحود . فإذْ كان ذلك كذلك ، فبيِّنٌ أن معنى الآية : وقالت اليهود : قُلوبنا أكنة مما تدعونا إليه يا محمد . فقال الله تعالى ذكره : ما ذلك كما زعموا ، ولكن الله أقصَى اليهود وأبعدَهم من رَحمته ، وطردهم عنها ، وأخزاهم بجحودهم له ولرسله ، فقليلاً ما يؤمنون .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٨٨)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « فَقليلاً ما يُؤمنون » . فقال بعضهم ، معناه فقليلٌ منهم من يؤمن ، أى لا يؤمن منهم إلا قَليلٌ * ذكر من قال ذلك :

١٥١٤ ــ حدثنا بشر من معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « بل لعنهم الله بكفرهم فقليلاً ما يؤمنون » ، فلعمرى لمن رَجع من أهل الشرك أكثر ممن رجع من أهل الكتاب ، إنّما آمن من أهل الكتاب رَهْطٌ يسير .

١٥١٥ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « فقليلاً ما يؤمنون » ، قال : لا يؤمن منهم إلاّ قليلٌ . ٣٢٤/١

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فلا يؤمنون إلا بقليل مما فى أيديهم * ذكر من قال ذلك :

١٥١٦ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة « فقليلاً ما يؤمنون » ، قال : لا يؤمن منهم إلاّ قليل . قال معمر : وقال غيره : لا يؤمنون إلا بقليل مما فى أيديهم .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلات فى قوله : « فقليلاً ما يُؤمنون » بالصواب ،

ما نحن مُتقنوه إن شاء الله . وهو أن الله جل ثناؤه أخبرَ أنه لَعن الذين وَصف صفتهم فى هذه الآية ، ثم أخبر عنهم أنهم قليلو الإيمان بما أنزل الله إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم . ولذلك نصب قوله : « فقليلاً » ، لأنه نعت للمصدر المتروك ذكره . ومعناه : بل لعنهم الله بكفرهم ، فإيماناً قليلاً ما يؤمنون . فقد تبين إذاً بما بيّنا فسادُ القول الذى رُوى عن قتادة فى ذلك . لأن معنى ذلك ، لو كان على ما روى من أنه يعنى به : فلا يؤمن منهم إلاّ قليل ، أو فقليل منهم من يؤمن ، لكان « القليل » مرفوعاً لا منصوباً . لأنه إذا كان ذلك تأويله ، كان « القليل » حينئذ مرافعاً « ما » . فإذ نصب «القليل» — و « ما » فى معنى « مَنْ » أو « الذى » — [فقد] بقيت « ما » لا مُرافع لها.(١) وذلك غير جائز فى لغة أحد من العرب .

* * *

فأما أهل العربية فإنهم اختلفوا فى معنى « ما » التى فى قوله : «فقليلا ما يؤمنون». فقال بعضهم : هى زائدة لا معنى لها ، وإنما تأويل الكلام : فقليلاً يُؤمنون ، كما قال جل ذكره ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ ﴾ [سورة آل عمران : ١٥٩] وما أشبه ذلك ، فزعم أن « ما » فى ذلك زائدة ، وأن معنى الكلام : فبرحمة من الله لِنت لهم ، وأنشدَ فى ذلك — محتجاً لقوله ذلك — بيتَ مهلهل :

لَوْ بِأَبَانَيْنِ جَاءَ يَخْطُبُهَا خُضِّبَ مَا أَنْفُ خَاطِبٍ بِدَمِ(٢)

وزَعم أنه يعنى : خُضِّب أنفُ خاطب بدم ، وأن « ما » زائدة .

* * *

وأنكر آخرون ما قاله قائل هذا القول فى « ما » ، فى الآية وفى البيت الذى

---

(١) فى المطبوعة : « وإن نصب القليل » ، وكأن الأجود ما أثبته . والزيادة بين القوسين واجبة .

(٢) الكامل ٢ : ٦٨ ، ومعجم ما استعجم : ٩٦ ، وشرح شواهد المغنى : ٢٤٧ وغيرها ، قال أبو العباس : « أبان جبل : وهما أبانان : أبان الأسود ، وأبان الأبيض ، قال مهلهل ، وكان نزل فى آخر حربهم — حرب البسوس — فى جنب بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك ، وهو مذحج ، وجنب حى من أحيائهم وضيع ، وخطبت ابنته ومهرت أدماً فزوجها وقال قبله :

أَنْكَحَهَا فَقْدُهَا الأَرَاقِمَ فى جَنْبٍ وَكَانَ الحِبَاءُ من أَدَمِ

أنشده ، وقالوا : إنما ذلك من المتكلم على ابتداء الكلام بالخبر عن عموم جميع الأشياء ، إذ كانت « ما » كلمة تجمع كل الأشياء ، ثم تخص وتعم ما عمته بما تذكره بعدها .

* * *

وهذا القول عندنا أولى بالصواب . لأن زيادة ما لا يفيد من الكلام معنى في الكلام ، غير جائز إضافته إلى الله جل ثناؤه .

* * *

ولعل قائلاً أن يقول : هل كان للذين أخبر الله عنهم أنهم قليلاً ما يؤمنون — من الإيمان قليل أو كثير ، فيقال فيهم : « فقليلاً ما يومنون » ؟

قيل : إن معنى « الإيمان » هو التصديق . وقد كانت اليهود التي أخبر الله عنها هذا الخبر تصدق بوحدانية الله ، وبالبعث والثواب والعقاب ، وتكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ونبوته ، وكل ذلك كان فرضاً عليهم الإيمان به ، لأنه في كتبهم ، ومما جاءهم به موسى ، فصدقوا ببعض — وذلك هو القليل من إيمانهم — وكذبوا ببعض ، فذلك هو الكثير الذي أخبر الله عنهم أنهم يكفرون به .

* * *

وقد قال بعضهم : إنهم كانوا غير مؤمنين بشيء ، وإنما قيل : « فقليلاً ما يؤمنون » ، وهم بالجميع كافرون ، كما تقول العرب : « قلما رأيتُ مثلَ هذا قط » . وقد روى عنها سماعاً منها : « مررت ببلاد قلما تُنبت إلا الكرّاث والبصل » يعني : ما تنبت غير الكرّاث والبصل ، وما أشبه ذلك من الكلام الذي يُنطق به بوصف الشيء بـ « القلة » ، والمعنى فيه نفي جميعه .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بقوله : « ولما جاءهم كتابٌ من عند الله ١/٣٢٥

(١) انظر ما سلف ١ : ٥٥٤ ، تعليق : ١ ، وانظر معاني القرآن للفراء ١ : ٥٩ — ٦٠

مُصدّق لما مَعهم » ، ولما جاء اليهودَ من بنى إسرائيل الذين وصف جل ثناؤه صفتهم — « كتابٌ من عند الله » = يعنى بـ « الكتاب » القرآن الذى أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم = « مصدق لما معهم » ، يعنى مصدّق للذى معهم من الكتب التى أنزلها الله من قبل القرآن ، كما :—

١٥١٧ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ولما جاءَهُم كتابٌ من عند الله مصدِّقٌ لما معهم » ، وهو القرآن الذى أنزلَ على محمد ، مصدقٌ لما معهم من التوراة والإنجيل .

١٥١٨ — حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله: « ولما جاءهم كتابٌ من عند الله مصدق لما معهم »، وهو القرآن الذى أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، مصدق لما معهم من التوراة والإنجيل .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « وكانوا من قَبلُ يَستفتحون على الذين كفروا »، أى : وكان هؤلاء اليهود — الذين لما جاءهم كتابٌ من عند الله مصدّق لما مَعهم، من الكتب التى أنزلها الله قبل الفُرْقان ، كفروا به — يَستفتحون بمحمد صلى الله عليه وسلم = ومعنى « الاستفتاح » ، الاستنصار =[1] يستنصرون الله به على مُشركى العرب من قبل مبعثه ، أى من قبل أن يبعث ، كما : —

١٥١٩ — حدثنى ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثنى ابن إسحق، عن

(١) انظر ما سلف فى هذا الجزء ٢ : ٢٥٤

عاصم بن عمر بن قتادة الأنصارى ، عن أشياخ منهم قالوا : فينا والله وفيهم — يعنى فى الأنصار ، وفى اليهود = الذين كانوا جيرانهم — نزلت هذه القصة = يعنى : « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبلُ يستفتحون على الذين كفروا » = قالوا : كنا قد علوناهم دهراً فى الجاهلية —[1] ونحن أهل الشرك، وهم أهل الكتاب —[2] فكانوا يقولون: إن نبيًّا الآن مبعثُه قد أظلّ زمانه ، يقتلكم قتل عادٍ وإرم .[3] فلما بعثَ الله تعالى ذكره رسوله من قريش واتبعناه، كفروا به . يقول الله : « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به» .[4]

١٥٢٠ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال ، حدثنى ابن إسحق قال ، حدثنى محمد بن أبى محمد مولى آل زيد ثابت ، عن سعيد بن جبير ، أو عكرمة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس : « أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه . فلما بعثه الله من العرب كفروا به ، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه. فقال لهم مُعاذ بن جبل وبشر بن البَرَاء بن معرور أخو بنى سلِمة : يا معشر يهود ، اتقوا الله وأسلِموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحن أهلُ شرْك، وتخبروننا أنه مبعوث، وتصفونه لنا بصفته! فقال سلام بن مِشْكم أخو بنى النضير : ما جاءنا بشىء نعرفه ، وما هو بالذى كنا نذكر لكم ! فأنزل الله جل ثناؤه فى ذلك من قولهم : « ولما جاءهم

---

(١) فى سيرة ابن هشام ٢ : ١٩٠ « علوناهم ظهراً » .

(٢) فى سيرة ابن هشام ٢ : ١٩٠ « ونحن أهل شرك ، وهم أهل كتاب » .

(٣) فى سيرة ابن هشام ٢ : ١٩٠ « نقتلكم معه . . . » ، وكذلك هو فى ابن كثير ١ : ٢٣٠ ، وكأنه الصواب .

(٤) الخبر : ١٥١٩ — هذا له حكم الحديث المرفوع ، لأنه حكاية عن وقائع فى عهد النبوة ، كانت سبباً لنزول الآية ، تشير الآية إليها . الراجح أن يكون موصولا . لأن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصارى الظفرى المدنى : تابعى ثقة ، وهو يحكى عن « أشياخ منهم » ، فهم آله من الأنصار . وعن هذا رجحنا اتصاله . وقد نقل السيوطى ١ : ٨٧ هذا الخبر ، ونسبه لابن إسحق ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وأبى نعيم ، والبيهقى ، كلاهما فى الدلائل .

كتابٌ من عند الله مصدق لما مَعهم وكانوا من قَبلُ يَستفتحون على الذين كفروا فلما جاءَهم ما عرفُوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » .(١)

١٥٢١ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنا ابن إسحق قال ، حدثنى محمد بن أبى محمد مولى آل زيد بن ثابت قال ، حدثنى سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس مثله .

١٥٢٢ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وكانوا من قبلُ يَستفتحون على الذين كفروا » ، يقول : يستنصرُون بخروج محمد صلى الله عليه وسلم على مشركى العرب — يعنى بذلك أهلَ الكتاب — فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم ورأوه من غيرهم ، كفروا به وحَسدوه . ٣٢٦/١

١٥٢٣ — حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنى عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن على الأزدى فى قول الله : « وكانوا من قَبلُ يَستفتحون على الذين كفروا » ، قال : اليهودُ ، كانوا يقولون : اللهم ابعث لنا هذا النبى يحكم بيننا وبين الناس ، يَستفتحون — يَستنصرون — به على الناس .

١٥٢٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن على الأزدى — وهو البارق — فى قول الله جل ثناؤه : « وكانوا من قَبلُ يَستفتحون » ، فذكر مثله(٢)

١٥٢٥ — حدثنا بشر بن معاذ قال : حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وكانوا من قَبلُ يَستفتحون على الذين كفروا » ، كانت اليهود

---

(١) الخبر : ١٥٢٠ — فى سيرة ابن هشام ٢ : ١٩٦ .

(٢) الأثر : ١٥٢٣ ، ١٥٢٤ — على الأزدى البارق ، هو على بن عبد الله أبو عبد الله بن أبى الوليد البارق ، روى عن ابن عمر ، وابن عباس ، وأبى هريرة ، وعبيد بن عمير ، وأرسل عن زيد بن حارثة. وعنه مجاهد بن جبر ، وهو من أقرانه . قال ابن عدى : ليس عنده كثير حديث ، وهو عندى لابأس به (تهذيب التهذيب ٧ : ٣٥٨ ، ٣٥٩) .

تستفتح بمحمد صلى الله عليه وسلم على كفار العرب من قبلُ ، وقالوا : اللهم ابعثْ هذا النبيَّ الذى نجدُه فى التوراة يعذبهم ويَقتلهم ! فلما بَعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم فرأوا أنه بُعث من غيرهم ، كفروا به حسداً للعرب ، وهم يعلمون أنه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة : « فلما جَاءَهم ما عَرَفوا كفروا به » .

١٥٢٦ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية قال : كانت اليهودُ تستنصر بمحمد صلى الله عليه وسلم على مُشركى العرب ، يقولون : اللهم ابعث هذا النبى الذى نجده مكتوباً عندنا حتى يعذِّب المشركين ويقتلهم ! فلما بعث الله محمداً ، ورأوا أنه من غيرهم ، كفروا به حسداً للعرب ، وهم يعلمون أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال الله : « فلما جَاءَهم ما عَرَفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » .

١٥٢٧ ــ حدثنى موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولما جاءَهم كتابٌ من عند الله مُصدّقٌ لما معهم وكانوا من قَبل يستفتحون عَلى الذين كفروا فَلما جاءهم مَا عَرَفوا كفروا به ». قال: كانت العرب تَمُرّ باليهود فيؤذونهم ، وكانوا يجدون محمداً صلى الله عليه وسلم فى التوراة ، ويسألون الله أن يبعثه فيقاتلوا معه العربَ . فلما جاءهم محمد كفروا به ، حين لم يكن من بنى إسرائيل .

١٥٢٨ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : قلت لعطاء قوله : « وكانوا منْ قَبلُ يَستفتحون على الذين كفروا »، قال : كانوا يستفتحون على كفار العرب بخروج النبى صلى الله عليه وسلم ويرجُون أن يكون منهم . فلما خرج ورأوه ليس منهم ، كفروا وقد عرفوا أنه الحق ، وأنه النبيّ . قال : « فلما جَاءهم مَا عَرَفوا كفروا به فَلعنة الله على الكافرين ».

١٥٢٩ ــ قال حدثنا ابن جريج، وقال مجاهد: يستفتحون بمحمد صلى الله

عليه وسلم تقول : إنه – يخرج . «فلما جاءهم ما عرفوا» – وكان من غيرهم – كفروا به[١] .

١٥٣٠ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال : حدثني حجاج قال : قال ابن جريج – وقال ابن عباس : كانوا يستفتحون على كفار العرب .

١٥٣١ – حدثني المثنى قال ، حدثنا الحماني قال ، حدثني شريك ، عن أبي الجحاف ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير قوله : « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به » ، قال : هم اليهود ، عرفوا محمداً أنه نبيٌّ وكفروا به .

١٥٣٢ – حدثت عن المنجاب قال ، حدثنا بشر ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس في قوله : « وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا » ، قال : كانوا يستظهرون ، يقولون : نحن نعين محمداً عليهم . وليسوا كذلك ، يكذبون . ٣٢٧/١

١٥٣٣ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، سألت ابن زيد عن قول الله عز وجل : « وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به » . قال : كانت يهودُ يستفتحون على كفار العرب ، يقولون : أما والله لو قد جاء النبيُّ الذي بشَّر به موسى وعيسى ، أحمدُ ، لكان لنا عليكم ! وكانوا يظنون أنه منهم ، والعربُ حولهم ، وكانوا يستفتحون عليهم به ، ويستنصرون به . فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وحسدوه ، وقرأ قول الله جل ثناؤه : ﴿ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ [سورة البقرة : ١٠٩] . قال : قد تبين لهم أنه رسول ، فمن هنالك نفع الله الأوسَ والخزرج بما كانوا يسمعون منهم أن نبيًّا خارج .

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال لنا قائل : فأين جوابُ قوله : «ولما جاءهم كتاب من عند الله مُصدِّقٌ لما معهم» ؟

قيل : قد اختلف أهل العربية في جوابه . فقال بعضهم : هو مما تُرك جوابُه ، استغناءً بمعرفة المخاطبين به بمعناه ، وبما قد ذكر من أمثاله في سائر القرآن .[٢]

---

(١) الأثر : ١٥٢٩ – هذا إسناد قد سقط صدره ، فما أدري ما هو . وهو مضطرب اللفظ أيضاً .

(٢) أنا في شك من هذه الجملة الأخيرة ، أن يكون فيها تحريف .

وقد تفعل العرب ذلك إذا طال الكلام ، فتأتى بأشياء لها أجوبة ، فتحذف أجوبتها ، لاستغناء سامعيها — بمعرفتهم بمعناها — عن ذكر الأجوبة ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الجِبَالُ أَو قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعاً ﴾ [سورة الرعد : ٣١] ، فترك جوابه . والمعنى : ولو أن قرآنا سوى هذا القرآن سُيِّرت به الجبال ، لسيِّرت بهذا القرآن — استغناءً بعلم السامعين بمعناه . قالوا : فكذلك قوله : « ولما جاءَهم كتابٌ منْ عند الله مصدقٌ لما معهم » .

* * *

وقال آخرون : جواب قوله : « ولما جاءَهم كتابٌ من عند الله » فى « الفاء » التى فى قوله : « فلما جاءَهم ما عرَفوا كفروا به » ، وجواب الجزاءَيْن فى « كفروا به » ، كقولك : « لما قمتَ ، فلما جئتنا أحسنتَ » ، بمعنى : لما جئتنا إذ قمتَ أحسنتَ[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (٨٩)

قال أبو جعفر : قد دللنا فيما مضى على معنى : « اللعنة » ، وعلى معنى « الكفر » ، بما فيه الكفاية .[2]

* * *

فمعنى الآية : فخِزْىُ الله وإبعاده على الجاحدين ما قد عرَفوا من الحق عليهم لله ولأنبيائه ، المنكرين لما قد ثبت عندهم صحته من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم . ففى إخبار الله عز وجل عن اليهود — بما أخبر الله عنهمْ بقوله : « فلما جاءَهم ما عرفوا كفروا به » — البيانُ الواضح أنهم تعمدوا الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ، بعد قيام الحجة بنبوته عليهم ، وقَطْع الله عُذرَهم بأنه رَسوله إليهم .

* * *

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٥٩ .

(٢) انظر ما سلف (الكفر) ١ : ٢٥٥ ، ٣٨٢ ، ٥٥٢ ، وهذا الجزء (اللعنة) ٢ : ٣٢٨

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ بَغْيًا ﴾

قال أبو جعفر ومعنى قوله جل ثناؤه : « بئس ما اشتروا به أنفسهم » : ساء ما اشتروا به أنفسهم .

* * *

وأصل «بِئْسَ» «بَئِسَ» من «البؤس»، سُكِّنت همزتها ، ثم نقلت حركتها إلى «الباء» ، كما قيل فى « ظَلِلت » «ظِلْت» ، وكما قيل « للكَبِد»، «كِبْد» — فنقلت حركة « الباء » إلى « الكاف »، لما سُكِّنت « الباء » .

وقد يحتمل أن تكون « بئس»، وإن كان أصلها « بَئِس»، من لغة الذين ينقلون حركة العين من « فَعِل » إلى الفاء ، إذا كانت عين الفعل أحد حروف الحلق الستة ، كما قالوا من «لَعِبَ» « لِعْبَ » ومن « سَئِمَ » « سِئْمَ » ، وذلك — فيما يقال — لُغة فاشية فى تميم .

ثم جُعلت دالة على الذم والتوبيخ، ووُصلت بـ « ما » .

* * *

واختلف أهل العربية فى معنى « ما » التى مع « بئسما » . فقال بعض نحويى البصرة : هى وحدها اسم ، و « أن يكفروا » تفسير له ،[1] نحو : « نعم رجلاً زيدٌ »، و « أن يُنزل الله » بدل من « أنزل الله » .

* * *

٣٢٨/١ وقال بعض نحويى الكوفة : معنى ذلك : بئس الشىء اشتروا به أنفسهم أن يكفروا. فـ « ما » اسم « بئس »، و « أن يكفروا » الاسم الثانى. وزعم أن : « أن يكفروا » إن شئت جعلت « أن » فى موضع رفع ، وإن شئت فى موضع خفض .[2] أمّا الرفع : فبئس الشىء هذا أن يفعلوه . وأمّا الخفض : فبئس

---

(١) « التفسير » هو ما اصطلح البصريون على تسميته « التمييز »، ويقال له التبيين أيضاً، (همع الهوامع ١ : ٢٥٠) .

(٢) فى المطبوعة : « وزعم أن أن ينزل من فضله إن شئت جعلت . . . » ، وهو سهو من النساخ ، وصوابه ما أثبته من معانى القرآن للفراء ١ : ٥٦ .

الشيء اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا . قال : وقوله ﴿ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ ﴾ [سورة المائدة : ٨٠] كمثل ذلك. والعرب تجعل « ما » وحدها فى هذا الباب ، بمنزلة الاسم التام ، كقوله : ﴿ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾ [سورة البقرة : ٢٧١] ، و « بئسما أنت » ، واستشهد لقوله ذلك برجز بعض الرجاز :

لاَ تَعْجَلاَ فِى السَّيْرِ وَادْلُوهَا لَبِئْسَمَا بُطْءٌ وَلاَ نَرْعَاهَا[1]

قال أبو جعفر : والعربُ تقول « لبئسما تزويجٌ ولا مهرٌ » ، فيجعلون « ما » وحدها اسماً بغير صلة . وقائل هذه المقالة لا يجيز أن يكون الذى يلى « بئس » معرفة مُوَقَّتة ، وخبره معرفة مُوَقَّتة . وقد زعم أن « بئسما » بمنزلة : بئس الشيء اشتروا به أنفسهم . فقد صارت « ما » بصلتها اسماً مُوَقَّتاً ، لأن « اشتروا » فعل ماض من صلة « ما » ، فى قول قائل هذه المقالة . وإذا وصلت بماض من الفعل ، كانت معرفة مُوَقَّتة معلومة ، فيصير تأويل الكلام حينئذ : بئس شراؤهم كفرهم . وذلك عنده غير جائز : فقد تبين فسادُ هذا القول .[2]

* * *

وكان آخر منهم يزعم أنّ « أنْ » فى موضع خفض إن شئت ، ورفع إن شئت . فأمّا الخفض : فأنْ تردّه على « الهاء » التى فى ، « به » ، على التكرير على كلامين . كأنك قلت : اشتروا أنفسهم بالكفر . وأمّا الرفع : فأن يكون مكروراً على موضع « ما » التى تلى « بئس » .[3] قال : ولا يجوز أن يكون رفعاً على قولك : « بئس الرجلُ عبدُ الله »[4]

* * *

وقال بعضهم : « بئسما » شيء واحد يرافع ما بعده .[5] كما حكى عن العرب :

---

(١) لم أعرف الراجز ، والبيتان فى اللسان (دلو) . دلوت الناقة دلواً : سقتها سوقاً رفيقاً رويداً . ورعى الماشية وأرعاها : أطلقها فى المرعى .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٥٦ — ٥٧ ، كأنه قول الكسائى . والمعرفة المؤقتة : وهى المعرفة المحددة . وانظر شرح ذلك فيما سلف ١ : ١٨١ ، تعليق : ١ .

(٣) فى المطبوعة : « مكرراً » ، والصواب من معانى القرآن للفراء ١ : ٥٦ .

(٤) هذه الفقرة هى نص كلام الفراء فى معانى القرآن ١ : ٥٦ .

(٥) فى المطبوعة : « يعرف ما بعده » ، والصواب ما أثبت .

« بشسما تزويجٌ ولا مهرٌ » . فرافع « تزويج » « بشسما » ،[١] كما يقال : « بشسما زيد، وبئس ما عمرو» ، فيكون « بشسما » رفعاً ، بما عاد عليها من « الهاء » . كأنك قلت : بئس شيء الشيء اشتروا به أنفسهم ، وتكون « أن » مترجمة عن « بشسما ».[٢]

* * *

وأولى هذه الأقوال بالصواب ، قول من جعل « بشسما » مرفوعاً بالراجع من « الهاء » فى قوله : « اشتروا به »، كما رفعوا ذلك بـ « عبدالله » إذ قالوا : « بشسما عبدُ الله » ، وجعل « أن يكفروا » مترجمة عن « بشسما ».[٢] فيكون معنى الكلام حينئذ : بئس الشيء باع اليهود به أنفسَهم ، كفرُهم بما أنزل الله بغياً وَحسَداً أن ينزل الله من فضله . وتكون « أن » التى فى قوله : « أن ينزل الله »، فى موضع نصب . لأنه يعنى به « أن يكفروا بما أنزل الله »: من أجل أن ينزل الله من فَضله عَلى من يَشاءُ من عباده . موضع « أن » جَزاءٌ.[٣] وكان بعض أهل العربية من الكوفيين يزعم أن « أن » فى موضع خفض بنية « الباء » . وإنما اخترنا فيها النصب لتمام الخبر قبلها، ولا خافض معها يخفضها . والحرف الخافض لا يخفضُ مضمراً .

* * *

وأما قوله : « اشتروا به أنفسهم »، فإنه يعنى به : باعُوا أنفسهم . كما : —

١٥٣٤ — حدثنى موسى بن هرون قال ،حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « بشسما اشتروا به أنفسهم »، يقول : باعوا أنفسهم « أن يكفروا بما أنزل الله بَغياً » .

١٥٣٥ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسن قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال، قال مجاهد : « بشسما اشتروْا به أنفسهم »، يهودُ، شَرَوُا الحقَّ

---

(١) فى المطبوعة : « فرفع » ، والصواب ما أثبت .

(٢) الترجمة : هو ما يسميه البصريون : « عطف البيان » و «البدل» ، فقوله « مترجماً عن بشسما »، أى عطف بيان .

(٣) الجزاء : المفعول لأجله هنا ، وفى المطبوعة : « جر »، وهو خطأ ، وصوابه فى معانى القرآن للفراء ١ : ٥٨ .

بالباطل ، وكتمانَ ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بأن يبيّنوه .[١]

* * *

قال أبو جعفر والعرب تقول : « شَريته » ، بمعنى بعته . و « اشتروا » ، فى هذا الموضع ، « افتعلوا » من « شَرَيت » . وكلام العرب — فيما بلغنا — أن يقولوا : « شَرَيت » بمعنى : بعت ، و « اشتريت » بمعنى : ابتعت . وقيل : إنما سُمى « الشارى » ، ٣٢٩/١ «شارياً» ، لأنه باع نفسه ودُنياه بآخرته .[٢] ومن ذلك قول يزيد بن مُفرِّغ الحميرى :

وَشَرَيتُ بُرْداً ، لَيْتَنِي مِنْ قَبْلِ بُرْدٍ كُنْتُ هَامَهْ[٣]

ومنه قول المسيَّب بن عَلَس :

يُعْطَى بِها ثَمَناً فَيَمْنَعُها وَيقُولُ صَاحِبُها: أَلاَ تَشْرِى؟[٤]

---

(١) فى المطبوعة : « بأن يبينوه » ، وهو خطأ ، والصواب من تفسير ابن كثير ١ : ٢٣١ . والمعنى : اشتروا الكتمان بالبيان .

(٢) الشارى واحد الشراة (بضم الشين) ، وهم الخوارج ، وقال قطرى بن الفجاءة الخارجى فى معنى ذلك ، ويذكر أم حكيم ، وذلك فى يوم دولاب :

فلو شَهِدْتَنَا يَوْمَ ذاكَ ، وخَيْلُنَا تُبِيحُ من الكُفّارِ كُلَّ حَرِيمِ
رأتْ فِتْيَةً بَاعُوا الإلٰهَ نُفُوسَهُمْ بِجَنَّاتِ عَدْنٍ عِنْدَهُ ونَعِيمِ

وقال الخوارج : نحن الشراة ، لقول الله عز وجل : « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله » أى يبيعها ويبذلها فى الجهاد ، وثمنها الجنة ، وقيل : سموا بذلك لقولهم : « إنا شرينا أنفسنا فى طاعة الله حين فارقنا الأئمة الجائرة » ، أى : بعناها بالجنة .

(٣) طبقات فحول الشعراء : ٥٥٥ من قصيدة له ، فى هجاء عباد بن زياد ، حين باع عباد ما له فى دين كان عليه ، وقضى الغرماء ، وكان فيما باع غلام لابن مفرغ ، يقال له « برد » ، وجارية يقال لها « أراكة » . وقوله : « كنت هامه » أى هالكاً . يقال : فلان هامة اليوم أو غد ، أى قريب هلاكه ، فإذا هو « هامة » ، وذلك زعم أبطله الله بالإسلام كان فى الجاهلية : أن عظم الميت أو روحه تصير هامة (وهو طير كالبومة) فتطير . ورواية غيره : « من بعد برد » .

(٤) ديوانه : ٣٥٢ (من ملحق ديوان الأعشى — والمسيب خال الأعشى ، والأعشى راويته) ، ورواية الديوان «ويقول صاحبه » ، وهى الصواب . والبيت من أبيات آية فى الجودة ، يصف الغواص الفقير ، قد ظفر بدرة لا شبيه لها ، فضن بها على البيع ، وقد أعطى فيها ما يغنى من الثمن ، فأبى ، وصاحبه يحضضه على بيعها ، وبعده :

وَتَرَى الصَّرَارِى يَسْجُدُونَ لَهَا وَيَضُمُّها بِيَدَيْهِ لِلنَّحْرِ

والصرارى : الملاحون ، من أصحاب الغواصين .

يعنى به : بعت بُرْداً . وربما استعمل « اشتريت » بمعنى : بعت ، و « شريت » فى معنى : ابتعت . والكلام المستفيض فيهم هو ما وصفتُ .

* * *

وأما معنى قوله : « بغياً » ، فإنه يعنى به : تعدِّياً وَحسداً ، كما : —

١٥٣٦ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد ، قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة « بغياً » ، قال : أى حسداً ، وهم اليهود .

١٥٣٧ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو ، قال ، حدثنا أسباط ، عن عن السدى : « بَغياً » ، قال : بَغَوْا على محمد صلى الله عليه وسلم وَحسدوه ، وقالوا : إنما كانت الرسل من بنى إسرائيل ، فما بال هذا من بنى إسمعيل ؟ فحسدوه أن يُنزِّل اللهُ من فَضْله على من يشاءُ من عباده .

١٥٣٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية : « بغياً » ، يعنى : حَسداً أن ينزّل الله من فضله على من يَشاء من عباده ، وهم اليهودُ ، كفروا بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم .

١٥٣٩ — حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

* * *

قال أبو جعفر : فمعنى الآية : بئسَ الشىء باعوا به أنفسهم ، الكفرُ بالذى أنزل الله فى كتابه على موسى — من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، والأمر بتصديقه واتباعه — من أجل أن أنزل الله من فَضْله = وفضله : حكمته وآياته ونبوته = على من يشاء من عباده — يعنى به : على محمد صلى الله عليه وسلم — بغياً وحسداً لمحمد صلى الله عليه وسلم ، من أجل أنه كان من ولد إسمعيل ، ولم يكن من بنى إسرائيل .

* * *

فإن قال قائل : وكيف باعت اليهود أنفسها بالكفر ، فقيل : « بئسَ ما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله » ؟ وهل يُشترَى بالكفر شىء ؟

قيل : إن معنى : « الشراء » و « البيع » عند العرب ، هو إزالة مالكٍ مِلكَه

إلى غيره ، بعوض يعتاضه منه . ثم تستعمل العربُ ذلك فى كل معتاضٍ من عمله عِوَضاً، شرًّا أو خيراً . فتقول: « نعم ما باع به فلانٌ نفسه » و « بئسَ ما باع به فلان نفسه »، بمعنى : نعم الكسب أكسبها ، وبئس الكسب أكسبها — إذا أورثها بسَعْيه عليها خيراً أو شرًّا . فكذلك معنى قوله جل ثناؤه : « بئس ما اشتروا به أنفسهم » — لما أوْبَقوا أنفسهم بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فأهلكوها ، خاطبهم الله والعربَ بالذى يعرفونه فى كلامهم ، فقال : « بئس ما اشتروْا به أنفسهم »، يعنى بذلك: بئس ما أكسبوا أنفسهم بسعيهم، وبئس العوض اعتاضوا، من كفرهم بالله فى تكذيبهم محمداً ، إذ كانوا قد رَضُوا عوضاً من ثواب الله وما أعدَّ لهم — لو كانوا آمنوا بالله وما أنزل على أنبيائه — بالنار وما أعد لهم بكفرهم بذلك .

* * *

وهذه الآية — وما أخبر الله فيها عن حَسد اليهود محمداً صلى الله عليه وسلم وقومَه من العرب ، من أجل أنّ الله جعل النبوّة والحكمة فيهم دون اليهود من بنى إسرائيل ، حتى دعاهم ذلك إلى الكفر به ، مع علمهم بصدقه ، وأنه لله نبيٌّ مبعوثٌ ورسولٌ مُرْسل —[1] نظيرةُ الآية الأخرى فى سورة النساء ، وذلك قوله :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاَءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً ۞ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً ۞ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لاَ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً ۞ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً ﴾ [سورة النساء: ٥١-٥٤] ٣٣٠/١

* * *

(١) قوله « — نظيرة الآية . . . » خبر قوله فى صدر هذه الفقرة : « وهذه الآية — »

القول فى تأويل قوله ﴿ أَنْ يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾

قال أبو جعفر : قد ذكرنا تأويل ذلك وبينّا معناه ، ولكنا نذكر الرِّواية بتصحيح ما قلنا فيه : —

١٥٤٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثنى ابن إسحق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصارى ، عن أشياخ منهم ، قوله : « بغياً أن يُنزِّل الله من فَضْله على مَن يَشاء من عباده » ، أى أن الله تعالى جَعله فى غيرهم .(١)

١٥٤١ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : هُمُ اليهود . ولما بعث الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم فرأوا أنه بُعِث من غيرهم ، كفروا به — حسداً للعرب — وهم يعلمون أنّه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة .

١٥٤٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية مثله .

١٥٤٣ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

١٥٤٤ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : قالوا : إنما كانت الرسُل من بنى إسرائيل ، فما بال هذا من بنى إسمعيل ؟

١٥٤٥ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن علىّ الأزدى . قال : نزلتْ فى اليهود .(٢)

* * *

(١) الأثر : ١٥٤٠ — سيرة ابن هشام ٢ : ١٩٠ .
(٢) الأثر : ١٥٤٥ — انظر التعليق على رقم : ١٥٢٣ ، ١٥٢٤ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ﴾

قال أبوجعفر: يعنى بقوله: « فباؤوا بغضَب عَلى غضَب » ،[1] فرَجعت اليهودُ من بنى إسرائيل – بعد الذى كانوا عليه منَ الاستنصار بمحمد صلى الله عليه وسلم والاستفتاح به ، وبعد الذى كانوا يُخبرون به الناسَ من قَبل مبعثه أنّه نبيٌّ مبعوث– مرتدّين على أعقابهم حين بعثه الله نبيًّا مُرسَلاً ، فباؤوا بغضب من الله = استحقُّوه منه بكفرهم بمحمد حين بُعث ، وجُحودهم نبوته ، وإنكارهم إياه أن يكون هو الذى يجدون صفته فى كتابهم ، عناداً منهم له وبغياً، وحسداً له وللعرب = على غضب سالف ، كان من الله عليهم قبل ذلك، سابقٍ غضبَه الثانى، لكفرهم الذى كان قبلَ عيسى بن مريم ، أو لعبادتهم العِجل ، أو لغير ذلك من ذنوب كانت لهم سَلفت ، يستحقون بها الغضب من الله ، كما : –

١٥٤٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة بن الفضل : قال ، حدثنى ابن إسحق ، عن محمد بن أبى محمد ، فيما روى عن سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس : « فباؤوا بغضَب على غَضَب» ، فالغضَب على الغضب ، غضبُه عليهم فيما كانوا ضيّعوا من التوراة وهى معهم ، وغضبٌ بكفرهم بهذا النبى الذى أحدثَ الله إليهم .[2]

١٥٤٧ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن قالا ، حدثنا سفيان ، عن أبى بكير ، عن عكرمة : « فباؤوا بغضَب على غَضَب» قال : كُفرٌ بعيسى ، وكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم .[3]

١٥٤٨ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يحيى بن يمان قال ، حدثنا سفيان

---

(١) انظر تفسير . « باء » فيما سلف من هذا الجزء ٢ : ١٣٨

(٢) الأثر : ١٥٤٦ – سيره ابن هشام ٢ : ١٩٠ .

(٣) الأثر : ١٥٤٧ – فى الدر المنثور : « كفرهم » فى الموضعين ، وهما سواء .

عن أبي بكير ، عن عكرمة : « فباؤوا بغضَب على غضَب » ، قال : كفرهم بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم .

١٥٤٩ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري ، عن أبي بكير ، عن عكرمة مثله .

١٥٥٠ ــ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشَّعبي قال : الناس يوم القيامة على أرْبعة مَنازل : رجل كان مؤمناً بعيسى وآمن بمحمد صلى الله عليهما ، فله أجْران . ورجل كان كافراً بعيسى فآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فله أجْر . ورجل كان كافراً بعيسى ، فكفر بمحمد ، فباءَ بغضب على غضَب . ورجل كان كافراً بعيسى من مُشركي العرب ، فمات بكفره قبل محمد صلى الله عليه وسلم ، فباءَ بغضب . ٣٢١/٨

١٥٥١ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فباؤوا بغضِب على غضب » ، غَضِب الله عليهم بكفرهم بالإنجيل وبعيسى ، وغَضِب عليهم بكفرهم بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم .

١٥٥٢ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « فباؤوا بغضَب » ، اليهودُ ، بما كان من تبديلهم التوراة قبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم ، « على غضَبٍ » ، جحودُهم النبي صلى الله عليه وسلم ، وكفرُهم بما جاء به .

١٥٥٣ ــ حدثنا المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : « فباؤوا بغضَب على غضب » ، يقول : غضَب الله عليهم بكفرهم بالإنجيل وعيسى ، ثم غضَبه عليهم بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن .

١٥٥٤ ــ حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « فباؤوا بغضَب على غضَب » ، أما الغضب الأول فهو حين غضب الله عليهم في العِجل ، وأما الغضَب الثاني فغضِب عليهم حين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم .

١٥٥٥ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج وعطاء وعبيد بن عمير قوله : « فباؤوا بغضب على غضَب » ، قال : غَضِب الله عليهم فيما كانوا فيه من قبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم ــ من تبديلهم وكفرهم ــ ، ثم غضِب عليهم في محمد صلى الله عليه وسلم ــ إذ خَرَج ، فكفروا به .

* * *

قال أبو جعفر : وقد بينا معنى « الغضب » من الله على من غضب عليه من خلقه ــ واختلاف المختلفين في صفته ــ فيما مضى من كتابنا هذا ، بما أغنى عن إعادته.(١)

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ (٩٠)

قال أبو جعفر : يعني بقوله جل ثناؤه : « وللكافرين عذابٌ مُهين » ، وللجاحدين نبوّةَ محمد صلى الله عليه وسلم من الناس كلهم ، عذابٌ من الله ، إمّا في الآخرة ، وإمّا في الدنيا والآخرة ، « مهين » هو المذِلّ صاحبه ، المُخزي ، المُلبسُه هَواناً وذِلة .

* * *

فإن قال قائل : وأي عذاب هُو غيرُ مُهين صاحبَه ، فيكون للكافرين المهين منه ؟

قيل : إن المهين هو الذي قد بيّنا أنّه المورِث صاحبه ذلة وهواناً ، الذي يخلُد فيه صاحبه ، لا ينتقل من هوانه إلى عز وكرامة أبداً . وهو الذي خَصّ الله به أهلَ الكفر به وبرسله . وأما الذي هو غير مهين صاحبَه ، فهو ما كان تمحيصاً لصاحبه . وذلك هو كالسارق من أهل الإسلام ، يسرق ما يجب عليه به القطعُ فتقطعُ يده ، والزاني منهم يزني فيقام عليه الحدّ ، وما أشبه ذلك من العذاب والنّكال الذي جعله الله كفاراتٍ للذنوب التي عُذِّب بها أهلها ، وكأهل الكبار من أهل

(١) انظر ما سلف ١ : ١٨٨ ــ ١٨٩ ، وما مضى في هذا الجزء ٢ : ١٣٨ هذا وقد كان في المطبوعة بعد قوله : « عن إعادته » ما نصه : « والله تعالى أعلم » ، وليس لها مكان هنا ، وهي بلا شك زيادة بعض النساخ ، فلذلك تركتها .

الإسلام الذين يعذَّبون فى الآخرة بمقادير أجرامهم التى ارتكبوها ، ليمحَّصوا من ذنوبهم، ثم يدخلون الجنة. فإنّ كل ذلك، وإن كان عذاباً، فغيرُ مهين من عُذِّب به. إذ كان تعذيب الله إياه به ليمحِّصه من آثامه ، ثم يورده مَعدِن العزّ والكرامة، ويخلِّده فى نعيم الجنان .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « وإذا قيلَ لهم » ، وإذا قيل لليهود من بنى إسرائيل — الذين كانوا بين ظَهْرانى مُهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم — : « آمنوا » ، أى صدقوا ، « بما أنزل الله » ، يعنى بما أنزل الله من القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم ، « قالوا : نؤمن » ، أى نصدِّق « بما أنزِل علينا » ، يعنى : بالتوراة التى أنزلها الله على موسى .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « ويَكفرون بما وَراءه » ، ويجحدون، « بما وراءه » ، يعنى : بما وراء التوراة .

* * *

٣٣٢/١ قال أبو جعفر : وتأويل « وَراءه » فى هذا الموضع : « سوى » . كما يقال للرجل للرجل المتكلم بالحسن : « ما وراء هذا الكلام شىء » يراد به : ليس عند المتكلم به شىء سِوَى ذلك الكلام . فكذلك معنى قوله : « ويكفرون بما وَراءه » ، أى

بما سوى التوراة، وبما بَعده من كُتب الله التى أنزلها إلى رسله ،[1] كما : —

١٥٥٦ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ويكفرون بما وَراءه » ،يقول : بما بعده .

١٥٥٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية : « ويكفرون بما وَراءه »، أى بما بعدَه — يعنى : بما بعد التوراة .

١٥٥٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « ويكفرون بما وَراءه »، يقول : بما بعده .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « وهُوَ الحق مُصَدقاً » ، أى : ما وراء الكتاب — الذى أنزل عليهم من الكتب التى أنزلها الله إلى أنبيائه — الحقُّ . وإنما يعنى بذلك تعالى ذكرُه القرآنَ الذى أنزله إلى محمد صلى الله عليه سلم ، كما : —

١٥٥٩ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وَإذا قيل لهمْ آمنوا بما أنزلَ الله قالوا نؤمنُ بما أنزِلَ علينا ويكفرون بما وَراءه » ، وهو القرآن . يقول الله جل ثناؤه : « وَهُو الحقُّ مصدِّقاً لما معهم » . وإنما قال جل ثناؤه « مصدِّقاً لما معهم »، لأن كتب الله يصدّق بعضها بعضاً . فى الإنجيل والقرآنِ من الأمر باتّباع محمد صلى الله عليه وسلم، والإيمان به وبما جاء به ، مثلُ الذى من ذلك فى توراة موسى عليه السلام . فلذلك قال جل ثناؤه لليهود — إذ أخبرهم عمّا وَراء كتابهم الذى أنزله على موسى صلوات الله عليه ، من الكتب

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٦٠ .

التى أنزلها إلى أنبيائه — : إنه الحقّ مصدّقاً للكتاب الذى معهم ، يعنى : أنه له موافق فيما اليهود به مُكذِّبون .

قال : وذلك خبرٌ من الله أنهم من التكذيب بالتوراة ، على مثل الذى هم عليه من التكذيب بالإنجيل والفُرقان ، عناداً لله ، وخلافاً لأمره ، وبَغياً على رُسله صلوات الله عليهم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَآءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِن كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (٩١)

قال أبو جعفر : يعنى جل ذكره بقوله : « قُلْ فلمَ تقتلون أنبياءَ الله » ، قل يا محمد ، ليهود بنى إسرائيل — الذين إذا قلت : لهم آمنوا بما أنزَل الله قالوا : نؤمن بما أنزل علينا — : لم تقتلون = إن كنتم يامعشر اليهود مؤمنين بما أنزل الله عليكم = أنبياءَه ، وقد حرم الله فى الكتاب الذى أنزَل عليكم قتلَهم ، بل أمركم فيه باتباعهم وطاعتهم وتصديقهم ؟ وذلك من الله جل ثناؤه تكذيبٌ لهم فى قوله : « نُؤمنُ بما أنزِل عَلينا » ، وتعييرٌ لهم ، كما : —

١٥٦٠ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : قال الله تعالى ذكره — وهو يعيرهم — يعنى اليهود : « فلِمَ تقتلون أنبياءَ الله من قَبلُ إن كنتم مُؤمنين » ؟

* * *

فإن قال قائل : وكيف قيل لهم : « فلم تقتلون أنبياءَ الله من قَبلُ » ، فابتدأ الخبر على لفظ المستقبل ، ثم أخبر أنه قد مضى ؟

قيل : إن أهل العربية مختلفون فى تأويل ذلك. فقال بعض البصريين : معنى

ذلك : فلم قتلتم أنبياء الله من قبل ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ ﴾ [سورة البقرة : ١٠٢] ، أى : ما تلت ،[١] وكما قال الشاعر :[٢]

وَلَقَدْ أَمُرُّ عَلَى اللَّئِيمِ يَسُبُّنِي فَمَضَيْتُ عَنْهُ ، وَقُلْتُ : لاَ يَعْنِينِي[٣]

يريد بقوله : « ولقد أمرُّ » ولقد مررت . واستدلّ على أنّ ذلك كذلك ، بقوله : « فمضيت عنه » ، ولم يقل : فأمضى عنه . وزعم أن « فعل » و « يفعل » قد تشترك فى معنى واحد ، واستشهد على ذلك بقول الشاعر :[٤] ٣٣٣/١

وَإِنِّى لاَ تِيكُمْ تَشَكُّرَ مَا مَضَى مِنَ الأَمْرِ ، وَاسْتِيجَابَ مَا كَانَ فِى غَدِ[٥]

يعنى بذلك : ما يكون فى غد ، وبقول الحطيئة :

شَهِدَ الحُطَيْئَةُ يَوْمَ يَلْقَى رَبَّهُ أَنَّ الوَلِيدَ أَحَقُّ بِالعُذْرِ[٦]

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٦٠ — ٦١ .

(٢) هو رجل من بنى سلول .

(٣) سيبويه ١ : ٤١٦ ، الخزانة ١ : ١٧٣ ، وشرح شواهد المغنى : ١٠٧ وغيرها كثير . وروايتهم جميعاً « ثمت قلت » . وبعده بيت آخر :

غَضْبَانَ مُمْتَلِئاً عَلَىَّ إِهَابُهُ إِنِّى وَرَبِّكَ سُخْطُهُ يُرْضِينِى

(٤) هو الطرماح بن حكيم الطائى .

(٥) ديوانه : ١٤٦ ، وسيأتى فى ٤ : ٩٧ (بولاق) ، وحماسة البحترى : ١٠٩ ، واللسان (كين). وقد كان فى هذا الموضع « بشكرى » ، وهو خطأ ، سيأتى من رواية الطبرى على الصواب . وروى اللسان : « واستنجاز ما كان » . وصواب الرواية : « فإنى لآتيكم » فإن قبله :

مَنْ كَانَ لاَ يَأْتِيكَ إِلاَّ لِحَاجَةٍ يَرُوحُ بِهَا فِيمَا يَرُوحُ وَيَغْتَدِى
فَإِنِّى لآتيكم . . . . . .

(٦) ديوانه : ٨٥ ، ونسب قريش : ١٣٨ ، والاستيعاب : ٦٠٤ ، وأنساب الأشراف ٥ : ٣٢ ، وسمط اللآلىء : ٦٧٤ . قالها الحطيئة فى الوليد بن عقبة بن أبى معيط ، وكان من رجالات قريش همة وسخاء . استعمله أبو بكر وعمر وعثمان ، فلما كان زمان عثمان ، رفعوا عليه أنه شرب الخمر ، فعزله عثمان وجلده الحد ، وكان لهذا شأن كبير ، فقال الحطيئة يعذره ويمدحه ، ويذكر عزله :

يعني : يَشهد ، وكما قال الآخر :

فَمَا أُضْحِي وَلاَ أَمْسَيْتُ إلاَّ أَرَانِي مِنْكُمُ فِي كَوَّفَانِ (١)

فقال : « أضحى » ، ثم قال : « ولا أمْسيتُ »

* * *

وقال بعض نحويي الكوفيين : إنما قيل « فَلِمَ تقتلون أنبياء الله من قَبلُ » ، فخاطبهم بالمستقبل من الفعل ومعناه الماضي ، كما يعنِّف الرجلُ الرجلَ على ما سَلف منه من فعل فيقول له : ويحك ، لمَ تكذب؟ ولم تُبغِّض نفسك إلى الناس ؟ كما قال الشاعر :

شهد الحطيئةُ حينَ يَلقَى ربَّه أنَّ الوَليدَ أحقُّ بالعُذْرِ
خَلَعُوا عِنَانَكَ إذ جَرَيْتَ ، وَلَوْ تَرَكُوا عِنَانَكَ لم تَزَلْ تَجْرِي
ورَأَوا شَمَائِلَ مَاجِدٍ أَنِفٍ يُعْطِي على المَيسُورِ والعُسْرِ
فنَزَعْتَ ، مكذُوباً عليكَ ، وَلَمْ تُرْدَدْ إلى عَـوَزٍ ولا فَقْرِ

قال مصعب بن عبد الله الزبيري في نسب قريش : « فزادوا فيها من غير قول الحطيئة :

نادَى وقد تَمَّتْ صَلاَتُهُمُ أَ أَزيدكُمْ ؟ ثَمِلاً ولا يَدْرِي
ليزيدهُمْ خَمْساً ، ولو فعلُوا مرَّتْ صلاتُهُمُ على العَشْرِ »

وقد أكثر الناس فيما كان من خبر الوليد ، وما كان من شعر الحطيئة فيه . وهذا نص من أعلم قريش بأمر قريش ، على أن البيتين قد نحلهما الحطيئة ، متكذب على الوليد ، لما كان له من الشأن في أمر عثمان رضي الله عنه . ولقد جلد الوليد بن عقبة مكذوباً عليه كما قال الحطيئة ، فاعتزل الناس . وروى أبو العباس المبرد في التعازي والمراثي (ورقة : ١٩٦) قال : : « قال الوليد بن عقبة عند الموت ، وهو بالبليخ من أرض الجزيرة : « اللهم إن كان أهل الكوفة صدقوا علي ، فلا تلق روحي منك روحاً ولا ريحاناً ، وإن كانوا كذبوا علي فلا ترضهم بأمير ولا ترض أميراً عنهم . انتقم لي منهم ، واجعله كفارة لما لا يعلمون من ذنوبي » . فليت أهل الشر كفوا ألسنتهم عن رجل من عقلاء الرجال وأشرافهم .

(١) لم أعرف قائله ، وهو في اللسان (كوف) والصاحبي : ١٨٧ . والكوفان (بتشديد الواو) : الاختلاط والشدة والعناء . يقال : أنا منه في كوفان ، أي في عنت وشقاء ودوران واختلاط .

إذا مَا انتَسَبْنَا ، لَمْ تَلِدْنِى لَئِيمَةٌ وَلَمْ تَجِدِى مِنْ أَنْ تُقِرِّى بِهِ بُدًّا[١]

فالجزاءَ للمستقبل ، والولادة كلها قد مضت . وذلك أن المعنى معروف ، فجاز ذلك. قال : ومثله فى الكلام : «إذا نظرتَ فى سيرة عُمر ،لم تجدْهُ يسىء » .[٢] المعنى : لم تجده أساء . فلما كان أمر عمر لا يشك فى مُضيِّه ، لم يقع فى الوهم أنه مستقبل. فلذلك صلحت « من قبلُ » مع قوله : « فلم تَقتلون أنبياء الله من قَبلُ » . قال : وليس الذين خوطبوا بالقتل هم القتَلة ، إنما قتل الأنبياءَ أسلافُهم الذين مَضَوْا ، فتولَّوهم على ذلك ورضوا به ، فنسب القتل إليهم .[٣]

* * *

قال أبو جعفر : والصواب فيه من القول عندنا ، أن الله خاطب الذين أدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من يهود بنى إسرائيل — بما خاطبهم فى سورة البقرة وغيرها من سائر السور — بما سلف من إحسانه إلى أسلافهم ، وبما سلف من كفران أسلافهم نعمَه ، وارتكابهم مَعاصِيه ، واجترائهم عليه وعلى أنبيائه ، وأضاف ذلك إلى المخاطَبين به ، نظيرَ قول العرب بعضُها لبعض : فعلنا بكم يوم كذا كذا وكذا ، وفعلتم بنا يوم كذا كذا وكذا — على نحو ما قد بيناه فى غير موضع من كتابنا هذا — ،[٤] يعنون بذلك : أن أسلافنا فَعلوا ذلك بأسلافكم ، وأن أوائلنا فعلوا ذلك بأوائلكم . فكذلك ذلك فى قوله : « فلم تقتُلون أنبياءَ الله من قَبلُ » ، إذ كان قد خرج على لفظ الخبَر عن المخاطَبين به ، خبراً من الله تعالى ذكره عن فعل

---

(١) سلف تخريجه فى هذا الجزء ٢ : ١٦٥

(٢) فى معانى القرآن للفراء : « لم يسىء » ، بحذف « تجده » .

(٣) فى المطبوعة : « فتلوهم على ذلك ورضوا . فنسب . . . » ، والصواب ما أثبته من معانى القرآن للفراء ١ : ٦٠ — ٦١ ، وهذا الذى نقله الطبرى هو نص كلامه .

(٤) انظر ما سلف فى هذا الجزء ٢ : ٣٠٢ تعليق : ١ والمراجع

السالفين منهم —[١] على نحو الذى بينّا — جاز أن يقال « من قبل » ، إذ كان معناه : قل : فلم يقتلُ أسلافُكم أنبياءَ الله من قبل ؟ وكان معلوماً بأن قوله : « فلم تَقتلون أنبياء الله من قبل » ، إنما هو خبر عن فعل سَلفهم .

* * *

وتأويل قوله « من قبل » ، أى : من قبل اليوم .

* * *

وأما قوله : « إن كنتمْ مُؤمنين » ، فإنه يعنى : إن كنتم مؤمنين بما نزّل الله عليكم كما زعمتم . وإنما عنى بذلك اليهودَ الذين أدركوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأسلافَهم — إن كانوا وكنتم ، كما تزعمون أيها اليهود ، مؤمنين . وإنّما عيرهم جل ثناؤه بقتل أوائلهم أنبياءَه ، عند قولهم حين قيل لهم : آمنوا بما أنزل الله . قالوا : نؤمن بما أُنْزِل علينا . لأنهم كانوا لأوائلهم — الذين تولّوا قتل أنبياء الله ، مع قيلهم : نؤمنُ بما أنْزِل علينا — متولّين ، وبفعلهم راضين . فقال لهم : إن كنتم كما تزعمون مُؤمنين بما أنْزِل عليكم ، فلم تتولّون قتلة أنبياءِ الله؟ أى : تَرضَوْن أفعالهم .[٢]

* * *

٣٣٤/١ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ (٩٢)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « ولقد جاءكمْ مُوسَى بالبينات » ، أى جاءكم بالبيّنات الدالة على صدقه وصحة نبوّته ،[٣] كالعصا التى تحوّلت ثعباناً مُبيناً ، ويده التى

---

(١) فى المطبوعة : « وإن كان قد خرج على لفظ الخبر . . . » ، والصواب : « إذ . . . » كما أثبته .

(٢) فى المطبوعة : « أى وترضون . . . » بزيادة واو لا خير فيها .

(٣) فى المطبوعة : « وحقية نبوته » ، وليست مما يقوله أبو جعفر ، وقد مضى آنفاً مثل هذا التبديل من النساخ ، وكان فى المخطوطة العتيقة ، على مثل الذى أثبته ، وانظر ما سلف ٢ : ٣١٨

أخرجها بيضاءَ للناظرين . وفلْقِ البحر ومصير أرضه له طريقاً يَبَساً ، والجراد والقُمَّل والضفادع ، وسائر الآيات التى بيّنت صدقه وصحة نبوّته .(١)

وإنما سماها الله « بينات » ، لتبينها للناظرين إليها أنها معجزة لا يقدر على أن يأتى بها بَشرٌ ، إلا بتسخير الله ذلك له. وإنما هى جمع « بيّنة » ، مثل : « طيبة وطَيبات » .(٢)

* * *

قال أبو جعفر : ومعنى الكلام : ولقد جاءكم – يا معشرَ يهود بنى إسرائيل – موسَى بالآيات البينات على أمره وصدقه وصحة نبوته .(١)

* * *

وقوله : « ثم اتخذتمُ العجلَ من بَعده وأنتم ظالمون » ، يقول جل ثناؤه لهم : ثم اتخذتم العجل من بعد مُوسى إلهاً . فـ « الهاء » التى فى قوله : « من بعده » ، من ذكر موسى . وإنما قال : من بعد موسى ، لأنهم اتخذوا العجل من بَعد أن فارقهم موسى ماضياً إلى ربه لموعده – على ما قد بيّنا فيما مضى من كتابنا هذا .(٣)

وقد يجوز أن تكون « الهاء » التى فى « بعده » إلى ذكر المجىء . فيكون تأويل الكلام حينئذ : ولقد جاءكم موسى بالبينات ، ثم اتخذتم العجل من بعد مجىء البينات وأنتم ظالمون . كما تقول : « جئتنى فكرهتُه » ، يعنى : كرهت مجيئك .

* * *

وأما قوله : « وأنتم ظالمون » ، فإنه يعنى بذلك : أنكم فعلتم ما فعلتم من عبادة العجل وليس ذلك لكم ، وعبدتم غير الذى كان ينبغى لكم أن تعبدوه . لأن العبادة لا تنبغى لغير الله . وهذا توبيخ من الله لليهود ، وتعيير منه لهم ، وإخبار منه لهم أنهم إذا كانوا فعلوا ما فعلوا – من اتخاذ العجل إلهاً وهو لا يملك لهم ضرًّا ولا نفعاً ، بعد الذى علموا أنّ ربّهم هو الرّب الذى يفعل من الأعاجيب وبدائع الأفعال

(١) انظر ما سلف فى هذا الجزء ٢ : ٣١٨ ، ٣٥٤
(٢) انظر ما سلف فى هذا الجزء ٢ : ٣١٨ ، ٣١٩
(٣) انظر ما سلف فى هذا الجزء ٢ : ٦٠ – ٦٩

ما أجراه على يدى موسى صلوات الله عليه ، من الأمور التى لا يقدر عليها أحد من خلق الله ، ولم يقدر عليها فرعونُ وجُنده مع بطشه وكثرة أتباعه ، وقرب عهدهم بما عاينوا من عجائب حِكم الله — فهم إلى تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وجحودِ ما فى كتبهم = التى زعموا أنّهم بها مؤمنون = من صفته ونعته ، مع بُعد ما بينهم وبين عهد موسى من المدة — أسْرَع [1] ، وإلى التكذيب بما جاءهم به موسى من ذلك أقرب .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « وإذ أخذْنا ميثاقكم » ، واذكروا إذ أخذْنا عُهودكم ، بأنْ خُذوا ما آتيناكم من التوراة — التى أنزلتها إليكم أنْ تعملوا بما فيها من أمرى ، وتنتهوا عما نهيتكم فيها — بجدّ منكم فى ذلك ونشاط ، فأعطيتم على العمل بذلك ميثاقكم ، إذ رفعنا فوقكم الجبل . [2]

وأما قوله : « واسمعوا » ، فإن معناه : واسمعوا ما أمرتكم به وتقبّلوه بالطاعة ، كقول الرجل للرجل يأمره بالأمر : « سمعتُ وأطعت » ، يعنى بذلك : سمعت قولك ، وأطعت أمرك ، كما قال الراجز :

السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ والتَّسْلِيمْ خَيْرٌ وَأَعْفَى لِبَنِى تَمِيمْ . [3]

---

(١) سياق هذه الجملة المفصلة : . . . « وإخبار منه لهم أنهم إذا كانوا فعلوا ما فعلوا . . . فهم إلى تكذيب محمد . . . أسرع » ، وكل ما بين ذلك فصول متتابعة كدأبه .

(٢) سلف شرحه لألفاظ هذه الآية : « ميثاق » ، « الطور » ، « الإيتاء » ، « قوة » ، فاطلبه فى المواضع الآتية ٢ : ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦٠ والمراجع

(٣) قائله رجل من ضبة ، من بنى ضرار يدعى جبير بن الضحاك ، ومن خبره أن عبد الله بن عمرو بن غيلان الثقفى والى البصرة فى سنة ٥٥ ، خطب على منبرها فحصبه جبير هذا ، فأمر به عبد الله بن عمرو فقطعت يده . فقال الرجز . ورفعوا الأمر إلى معاوية فعزله (تاريخ الطبرى ٦ : ١٦٨) .

يعنى بقوله : « السمع » ، قبول ما يَسمع ، و « الطاعة » لما يؤمر . فكذلك معنى قوله : « واسمعوا » ، اقبلوا ما سمعتم واعملوا به .

* * *

قال أبو جعفر : فمعنى الآية : وإذ أخذنا ميثاقكم أنْ خُذوا ما آتيناكم بقوة ، واعملوا بما سمعتم ، وأطيعوا الله ، ورفعنا فوقكم الطور من أجل ذلك .

* * *

وأما قوله : « قالوا سَمعنا » ، فإن الكلام خرج مخرَج الخبر عن الغائب بعد أن كان الابتداء بالخطاب ، فإن ذلك كما وصفنا ،[1] من أنّ ابتداء الكلام ، إذا كان حكايةً ، فالعرب تُخاطب فيه ثم تَعود فيه إلى الخبرَ عن الغائب ، وتخبر ٣٣٥/١ عن الغائب ثم تخاطب ، كما بينا ذلك فيما مضى قبل .[2] فكذلك ذلك فى هذه الآية ، لأن قوله : « وإذ أخذنا ميثاقكم » ، بمعنى : قلنا لكم ، فأجبتمونا .

* * *

وأما قوله : « قالوا سَمعنا » ، فإنه خبر من الله — عن اليهود الذين أخذ ميثاقهم أن يعملوا بما فى التوراة ، وأن يطيعوا الله فيما يسمعون منها — أنهم قالوا حين قيل لهم ذلك : سمعنا قولك ، وعصينا أمرك .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَأُشْرِبُوا فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك . فقال بعضهم : وأشربوا فى قلوبهم حبَّ العجل . ذكر من قال ذلك :

١٥٦١ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، حدثنا معمر ، عن قتادة : « وأشربوا فى قلوبهم العجل » ، قال : أشربوا حُبَّه ، حتى خَلَص ذلك إلى قلوبهم .

---

(١) فى المطبوعة : « مما وصفنا » ، ليست شيئاً .

(٢) انظر ما سلف ١ : ١٥٣ — ١٥٤ ، وهذا الجزء ٢ : ٢٩٣ ، ٢٩٤

١٥٦٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : « وأشربُوا في قلوبهم العجلَ »، قال : أشربوا حُبَّ العجل بكفرهم .

١٥٦٣ – حدثني المثنى قال حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « وأشربُوا في قلوبهم العجلَ »، قال : أشربوا حُبَّ العجل في قلوبهم .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك أنهم سُقوا الماءَ الذي ذُرِّيَ فيه سُحالة العجل .(١)

* ذكر من قال ذلك :

١٥٦٤ – حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : لما رجع موسى إلى قومه ، أخذ العجل الذي وجدَهم عاكفين عليه فذبحه ، ثم حَرَقه بالمبرد،(٢) ثم ذَرَّاه في اليم، فلم يبق بَحر يومئذ يجري إلاّ وقع فيه شيء منه . ثم قال لهم موسى : اشربُوا منه . فشَربوا ، فمن كان يحبه خَرَج على شاربه الذهب. فذلك حين يقول الله عز وجل: « وأُشْرِبُوا في قُلوبهم العجلَ بكفْرهم ».(٣)

١٥٦٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : لما سُحِل فألقي في اليم ، استقبلوا جِرْية الماء، فشربوا حتى ملأوا بطونهم ، فأورث ذلك مَنْ فعَله منهم جُبناً .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين اللذين ذكرت بقول الله جل ثناؤه : « وأشربوا

---

(١) السحالة : ماسقط من الذهب والفضة ونحوهما إذا سحلا ، أي بردا بالمبرد .

(٢) حرقه : برده بالمبرد ، وانظر ما سلف من هذا الجزء ٢ : ٧٤

(٣) الأثر : ١٥٦٤ – سلف برقم : ٩٣٧ .

فى قلوبهم العجل » تأويلُ من قال: وأشربوا فى قلوبهم حُب العجل . لأن الماءَ لا يقال منه : أشْرِب فلانٌ فى قلبه، وإنما يقال ذلك فى حب الشيء، فيقال منه: «أشْرِب قلبُ فلان حُب كذا »، بمعنى : سُقى ذلك حتى غلب عليه وخالط قلبه ، كما قال زُهير :

فَصَحَوْتُ عَنْهَا بَعْدَ حُبٍّ دَاخِلٍ وَالحُبُّ يُشْرَبُهُ فُؤَادُكَ دَاءُ(١)

قال أبو جعفر : ولكنه ترك ذكر « الحب» اكتفاءً بفهم السامع لمعنى الكلام . إذ كان معلوماً أن العجلَ لا يُشْرِبُ القلبَ، وأنّ الذى يُشرب القلبَ منه حُبُّه، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عن القَرْيَةِ الّتِى كَانَتْ حاضِرَةَ البَحْرِ ﴾ [سورة الأعراف :١٦٣] ، ﴿ وَاسْأَلِ القَرْيَةَ الَّتى كُنَّا فِيها والعِيرَ الَّتِى أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ [سورة يوسف : ٨٢]، وكما قال الشاعر :(٢)

أَلاَ إِنَّنِى سُقِّيتُ أَسْوَدَ حَالِكاً أَلاَ بَجَلِى مِنَ الشَّرَابِ أَلاَ بَجَلْ !(٣)

---

(١) ديوانه : ٣٣٩ ، وهو هناك « تشربه » بضم التاء وسكون الشين وكسر الراء، ونصب « فؤادك»، وشرحه فيه دليل على ذلك، فإنه قال : « تدخله » وقال: « تشربه » تلزمه ولكن استدلال الطبرى ، كما ترى يدل على ضبطه مبنياً للمجهول ، ورفع « فؤادك ». وحب داخل، وداء داخل : قد خالط الجوف فأدخل الفساد على العقل والبدن .

(٢) هو طرفة بن العبد .

(٣) ديوانه : ٣٤٣ (أشعار الستة الجاهليين) ، ونوادر أبى زيد : ٨٣ ، واللسان (سود) . واختلف فيما أراد بقوله: « أسود ». قيل: الماء، وقيل : المنية والموت . قال أبو زيد فى نوادره : « يقال ما سقانى فلان من سويد قطرة، (سويد : بالتصغير) هو الماء ، يدعى الأسود ». واستدل بالبيت . والصواب فى ذلك أن يقال كما قال الطبرى، ويعنى به: سوء ما لقى من هم وشقاء حالك فى حب صاحبته الحنظلية، التى ذكرها فى شعره هذا فقال لها قبل البيت :

فَقُلْ لِخَيَالِ الحَنْظَلِيَّةِ يَنْقَلِبْ إِلَيْها، فَإِنِّى وَاصِلٌ حَبْلَ مَنْ وَصَلْ
أَلاَ إِنَّمَا أَبْكِى لِيَوْمٍ لَقِيتُهُ بِجُرْثُمَ قَاسٍ، كُلُّ مابَعْدَهُ جَلَلْ
إِذَا جاءَ مَا لاَ بُدَّ مِنْه فَمَرْحَباً بِه حِينَ يَأْتِى — لاَ كِذَابٌ وَلاَ عِلَلْ
أَلاَ إِنَّنِى . . . . . .

يعنى بذلك: سَمًّا أسود، فاكتفى بذكر « أسود » عن ذكر « السمّ »، لمعرفة السامع معنى ما أراد بقوله : « سقيت أسود ». ويروى :

« أَلاَ إِنَّنِي سُقِّيتُ أَسْوَدَ سَالِخًا[1] »

وقد تقول العرب : « إذا سرك أن تنظر إلى السَّخاء فانظر إلى هَرِم ، أو إلى حاتم » ،[2] فتجتزئ بذكر الاسم من ذكر فعله ، إذا كان معروفاً بشجاعة أو سخاء أو ما أشبه ذلك من الصفات ، ومنه قول الشاعر :

يَقُولُونَ : جَاهِدْ يَا جَمِيلُ بِغَزْوَةٍ! وَإِنَّ جِهَادًا طَيِّئٌ وَقِتَالُهَا[3]

* * *

٣٣٦/١ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (٩٣)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : قل ، يا محمد ليهود بنى إسرائيل : بئس الشيء يأمركم به إيمانكم ؛ إن كان يَأمركم بقتل أنبياء الله ورُسُله ،

ويروى : « ألا بجل من الحياة » ، وهى أجود . . . ورواية الديوان واللسان : (ألا إننى شربت) ، والتى هنا أجود . وقوله : « بجل » ، أى حسبى ما سقيت منك ومن الحياة .

(١) السالخ من الحيات : الأسود الشديد السواد ، وهو أقتل ما يكون إذا سلخ جلده فى إبانه من كل عام .

(٢) هرم بن سنان ، صاحب زهير بن أبى سلمى ، وحاتم : هو الطائى الذى لا يخفى له ذكر . وأكثر هذا فى معانى القرآن للفراء ١ : ٦١ — ٦٢ .

(٣) معانى القرآن للفراء ١ : ٦٢ ، ومجالس ثعلب : ٧٦ ، واللسان (غزا) ، ونسبه لجميل ، ولا أظنه إلا أخطأ ، لذكر جميل فى البيت ، ولمشابهته لقول جميل :

يَقُولُونَ : جَاهِدْ يَاجَمِيلُ بِغَزْوَةٍ! وَأَىَّ جِهَادٍ غَيْرَهُنَّ أُرِيدُ ؟

ولكن البيت من شعر آخر ، لم أهتد إليه بعد البحث ، ويريد الأول : وإن الجهاد جهاد طيىء وقتالها ، فحذف واجتزأ .

والتكذيب بكتبه، وجحودِ ما جاء من عنده . ومعنى « إيمانهم »: تصديقهم الذى زعموا أنهم به مصدقون من كتاب الله، إذ قيل لهم : آمنوا بما أنزل الله . فقالوا : نؤمن بما أنزل علينا. وقوله: « إنْ كنتم مُؤمنين »، أى : إن كنتم مصدِّقين كما زعمتم بما أنزل الله عليكم ،(١) وإنما كذبهم الله بذلك — لأن التوراة تنهى عن ذلك كله ، وتأمر بخلافه . فأخبرهم أنّ تصديقهم بالتوراة ، إن كان يأمرهم بذلك ، فبئس الأمر تأمر به . وإنما ذلكَ نَفْىٌ من الله تعالى ذكره عن التوراة ، أنْ تكون تأمر بشىء مما يكرهه الله من أفعالهم ، وأن يكون التصديقُ بها يدلّ على شىء من مخالفة أمرِ الله ؛ وإعلامٌ منه جل ثناؤه أن الذى يأمرهم بذلك أهواؤهم ، والذى يحملهم عليه البغىُ والعدوان .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (٩٤)

قال أبو جعفر : وهذه الآية مما احتج الله بها لنبيّه محمد صلى الله عليه وسلم على اليهود الذين كانوا بين ظَهْرَانى مُهاجره ، وفَضَح بها أحبارهم وعلماءهم . وذلك أن الله جل ثناؤه أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعُوَهم إلى قضية عادلة بينه وبينهم ، فيما كان بينه وبينهم من الخلاف . كما أمره الله أن يدعوَ الفريقَ الآخر من النصارَى — إذ خالفوه فى عيسى صلوات الله عليه وجادَلوا فيه — إلى فاصلة بينه وبينهم من المباهَلة .(٢) وقال لفريق اليهود: إن كنتم محقّين فتمنّوا الموت ، فإن ذلك غير ضارّكم، إن كنتم محقين فيما تدّعون من الإيمان وقرب المنزلة

(١) انظر ما سلف فى معنى « الإيمان » ١ : ٢٣٥ ، ٢ : ١٤٣ وغيرهما .

(٢) وذلك ما جاء فى سورة آل عمران : ٦١ ، وانظر خبره فى التفسير والسير .

من الله . بل إنْ أعطيتم أمنيَّتكم من الموت إذا تمنيتم ، فإنما تصيرون إلى الراحة من تعب الدنيا ونصَبها وكدَر عيشها ، والفوز بجوار الله فى جنانه ، إن كان الأمر كما تزعمون : من أنّ الدار الآخرة لكم خالصةٌ دُوننا . وإن لم تُعطوها علِم الناس أنكم المبطلون ونحن المحقّون فى دَعوانا ، وانكشف أمرُنا وأمركم لهم . فامتنعت اليهود من إجابة النبى صلى الله عليه وسلم إلى ذلك ، لعلمها أنها إن تمنَّت الموت هلكَتْ ، فذهبت دُنياها ، وصارت إلى خِزْى الأبد فى آخرتها . كما امتنع فريق النصارى — الذين جادَلوا النبى صلى الله عليه وسلم فى عيسى ، إذ دُعوا إلى المباهلة — من المباهلة .

فبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ، ولرَأوا مقاعدهم من النار . ولَو خَرج الذين يُباهِلون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لرَجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً .

١٥٦٦ — حدثنا بذلك أبو كريب قال ، حدثنا زكريا بن عدىّ قال ، حدثنا عبيد الله بن عمرو ، عن عبد الكريم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .[1]

---

(١) الحديث : ١٥٦٦ — إسناده صحيح . أبو كريب : هو محمد بن العلاء . زكريا بن عدى ابن زريق التيمى الكوفى : ثقة جليل ورع ، قال ابن سعد : « كان رجلا صالحاً صدوقاً » . وهو مترجم فى التهذيب ، وفى الكبير للبخارى ٢/١/٣٨٧ — ٣٨٨ ، والصغير : ٢٣٢ ، وابن سعد ٦ : ٢٨٤ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٦٠٠ ، ووقع هنا فى المطبوعة « أبو زكريا » ! وزيادة « أبو » خطأ من ناسخ أو طابع ، عبيد الله بن عمرو : هو أبو وهب الجزرى الرقى ، ثقة معروف أخرج له أصحاب الكتب الستة ، وترجمته فى التهذيب ، وابن سعد ٧/٢/١٨٢ ، والصغير للبخارى : ٢٠٣ ، وابن أبى حاتم ٢/٢/ ٣٢٨ — ٣٢٩ . عبد الكريم : هو ابن مالك الجزرى الحرانى ، وهو ثقة ثبت صاحب سنة ، من شيوخ ابن جريج ومالك والثورى وأضرابهم . ترجمته فى التهذيب ، والصغير للبخارى : ١٤٨ ، وابن أبى حاتم ٣/١/٥٨ — ٥٩ .

والحديث رواه أحمد فى المسند : ٢٢٢٦ ، عن أحمد بن عبد الملك الحرانى ، عن عبيد الله ، وهو ابن عمرو ، بهذا الإسناد ، ولكن لم يذكر لفظه ، أحاله على الرواية قبله : ٢٢٢٥ ، من طريق فرات بن سلمان الخضرمى ، عن عبد الكريم ، به ، بزيادة فى أوله . وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٨ : ٢٢٨ ، عن الرواية المطولة ، وقال : « فى الصحيح طرف من أوله » ، ثم قال : « رواه أحمد ، وأبو يعلى ، ورجال

١٥٦٧ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثام بن على ، عن الأعمش ، عن ابن عباس فى قوله : « فتمنوا الموتَ إنْ كنتم صَادقين » ، قال : لو تمنوا الموت لشرق أحدُهم بريقه [١] .

١٥٦٨ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن عبد الكريم الجزرى ، عن عكرمة فى قوله : « فتمنوا الموتَ إن كنتم صَادقين » ، قال ابن عباس : لو تمنى اليهود الموتَ لماتوا .[٢]

١٥٦٩ ــ حدثنى موسى قال ، أخبرنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى ، عن ابن عباس مثله .

١٥٧٠ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال ، حدثنى ابن إسحق قال ، حدثنى محمد بن أبى محمد ــ قال أبو جعفر : فيما أروى : أنبأنا ــ عن سعيد ، أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : لو تمنوه يوم قال ذلك لهم ، ما بقى على ظَهر الأرض يهودى إلاّ مات .[٣] ٣٣٧/١

* * *

قال أبو جعفر : فانكشف ــ لمنْ كان مشكلاً عليه أمرُ اليهود يومئذ ــ كذبُهم وبَهتهم وبغيهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وظهرت حجة رسول الله وحجة أصحابه عليهم ، ولم تزل والحمد لله ظاهرةً عليهم وعلى غيرهم من سائر أهل الملل .

أبى يعلى رجال الصحيح » . أقول : ورجال أحمد فى الإسناد : ٢٢٢٦ ــ رجال الصحيح أيضاً . وذكر السيوطى ١ : ٨٩ بعضه ، ونسبه أيضاً إلى الشيخين ، والترمذى ، والنسائى ، وابن مردويه ، وأبى نعيم .

(١) الخبر : ١٥٦٧ ــ هو موقوف على ابن عباس ، فى معنى الحديث قبله . ولكن إسناده هذا منقطع . الأعمش : لم يدرك ابن عباس .

(٢) الخبر : ١٥٦٨ ــ هو بعض الحديث السابق : ١٥٦٦ ، وإسناده صحيح . وظاهره هنا أنه موقوف على ابن عباس ، ولكنه مرفوع بالروايات الأخر .

(٣) الأثر : ١٥٧٠ ــ فى ابن هشام ٢ : ١٩١ .

وإنما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم : « تمنوا الموت إن كنتم صادقين » ، لأنهم — فيما ذكر لنا — قالوا : ﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ [سورة المائدة : ١٨] ، وقالوا : ﴿ لَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ إلاَّ من كَانَ هُوداً أو نَصَارَى ﴾ [سورة البقرة : ١١١] . فقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهم : إن كنتم صادقين فيما تزعمون ، فتمنَّوا الموت . فأبان الله كذبهم بامتناعهم من تمنى ذلك ، وأفلجَ حجةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله أمرَ الله نبيَّه صلى الله عليه وسلم أنْ يدعو اليهود أن يتمنوا الموت ، وعلى أىّ وجه أمروا أن يتمنَّوه . فقال بعضهم : أمِروا أن يتمنوه على وجه الدعاء على الفريق الكاذب منهما . ذكر من قال ذلك :

١٥٧١ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثنى ابن إسحق قال ، حدثنى محمد بن أبى محمد ، عن سعيد ، أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم : « قل إن كانت لكم الدارُ الآخرةُ عند الله خالصةً من دُون الناس فتمنَّوا الموتَ إنْ كنتم صادقين » ، أى : ادعوا بالموت على أىّ الفريقين أكذبُ .(١)

* * *

وقال آخرون بما : —

١٥٧٢ — حدثنى بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « قُل إنْ كانتْ لكم الدارُ الآخرةُ عندَ الله خالصةً من دون الناس » ، وذلك أنهم قالوا : ﴿ لَنْ يدخُلَ الجنةَ إلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى ﴾ [سورة البقرة : ١١١] ، وقالوا ﴿ نحن أبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ [سورة المائدة : ١٨] فقيل لهم : « فتمنَّوا الموتَ إن كنتم صادقين » .

١٥٧٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن

(١) الأثر : ١٥٧١ — فى سيرة ابن هشام ٢ : ١٩١ ، وفيها : « أكذب عند الله » ، وانظر رقم : ١٥٧٨ .

الربيع ، عن أبي العالية قال : قالت اليهود : « لن يَدخُلَ الجنة إلاّ من كان هُوداً أو نَصارَى » ، وقالوا : « نَحنُ أبناء الله وأحباؤه » فقال الله : « قل إن كانت لكمُ الدار الآخرةُ عندَ الله خالصةً من دُون الناس فتمنَّوا الموتَ إنْ كنتم صادقين » ، فلم يفعلوا .

١٥٧٤ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثني ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « قل إن كانت لكم الدار الآخرةُ عند الله خالصةً » الآية ، وذلك بأنهم قالوا : « لن يَدْخُلَ الجنة إلا من كان هودًا أو نَصارَى » ، وقالوا : « نَحنُ أبناء الله وأحباؤه » .(١)

* * *

وأما تأويل قوله : « قُلْ إن كانتْ لكمُ الدارُ الآخرةُ عندَ الله خالصةً » ، فإنه يقول : قُلْ يا محمد : إن كان نعيمُ الدار الآخرة ولذاتها لكم يا معشرَ اليهود عند الله . فاكتفى بذكر «الدار» ، من ذكر نعيمها ، لمعرفة المخاطبين بالآية معناها . وقد بينا معنى «الدار الآخرة» فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .(٢)

* * *

وأما تأويل قوله : «خالصَة» ، فإنه يعني به : صَافيةً . كما يقال : « خَلَص لي فلان » ، بمعنى صار لي وحدي وصفا لي . يقال منه : « خَلص لي هذا الشيء فهو يَخلُصُ خُلوصاً وخالصَة » ، « والخالصة » مصدر مثل « العافية » . ويقال للرجل : « هذا خُلْصَاني » ، يعني : خالصتي من دون أصحابي .

* * *

وقد روى عن ابن عباس أنه كان يتأول قوله : « خالصة » : خاصةً . وذلك تأويل قريب من معنى التأويل الذي قلناه في ذلك .

١٥٧٥ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثمان بن سعيد قال ، حدثنا بشر ابن عمارة، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « قل إن كانت لكم

---

(١) الأثر : ١٥٧٤ ــ في المطبوعة « . . . حدثنا إسحق قال حدثني أبو جعفر عن الربيع » وهذا إسناد فاسد ، وهو كثير الدوران في التفسير ، وأقرب ذلك رقم : ١٥٦٣ .

(٢) انظر ما سلف ١ : ٢٤٥

٣٣٨/١ الدار الآخرة »، قال: « قل » يا محمد لهم — يعنى اليهود — : « إن كانت لكمُ الدار الآخرةُ » — يعنى : الجنة[1] — « عندَ الله خالصَةً » ، يقول : خاصة لكم .

* * *

وأما قوله : « من دُون الناس » ، فإن الذى يدل عليه ظاهرُ التنزيل أنهم قالوا : لنا الدارُ الآخرةُ عند الله خالصة من دون جميع الناس . ويبين أن ذلك كان قولَهم — من غير استثناءٍ منهم من ذلك أحداً من بنى آدم — إخبارُ الله عنهم أنهم قالوا : « لنْ يدخل الجنة إلا من كان هُوداً أو نَصارى » ، إلا أنه روى عن ابن عباس قول غير ذلك :

١٥٧٦ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثمان بن سعيد قال ، حدثنا بشر ابن عمارة، عن أبى روق ، عن الضحاك، عن ابن عباس : « من دُون الناس »، يقول: من دون محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين استهزأتم بهم، وزعمتم أن الحق فى أيديكم ، وأن الدار الآخرة لكم دونهم .

* * *

وأما قوله: « فتمنَّوا الموتَ » فإن تأويله: تَشهَّوه وأريدوه . وقد روى عن ابن عباس أنه قال فى تأويله: فسلوا الموت. ولا يعرف « التمنى » بمعنى « المسألة » فى كلام العرب. ولكن أحسب أنّ ابن عباس وجَّه معنى « الأمنيَّة » — إذ كانت محبةَ النفس وشهوتَها — إلى معنى الرغبة والمسألة ، إذْ كانت المسألة ، هى رغبة السائل إلى الله فيما سأله .

١٥٧٧ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثمان بن سعيد قال ، حدثنا بشر ابن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « فتمنَّوا الموت » ، فَسلوا الموتَ، « إن كنتم صادقين »

* * *

(١) فى المطبوعة : « يعنى الخير » ، وهو تصحيف وتحريف ، صوابه ما أثبت .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (٩٥)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن اليهود وكراهتهم الموت ، وامتناعهم عن الإجابة إلى ما دُعوا إليه من تمنّى الموت ، لعلمهم بأنهم إنْ فعلوا ذلك فالوعيد بهم نازلٌ ، والموت بهم حالٌّ ؛ ولمعرفتهم بمحمد صلى الله عليه وسلم أنه رسول من الله إليهم مرسلٌ ، وهم به مكذبون ، وأنه لم يخبرهم خبراً إلا كان حقًّا كما أخبرَ. فهم يحذَرُون أن يَتمنوا الموت ، خوفاً أن يحلَّ بهم عقاب الله بما كسبت أيديهم من الذنوب ، كالذى : —

١٥٧٨ — حدثنى محمد بن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثنى محمد بن إسحق قال ، حدثنى محمد بن أبى محمد — فيما يروى أبو جعفر — عن سعيد بن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس : « قُل إن كانتْ لكمُ الدار الآخرة » الآية ، أى : ادعوا بالموت على أىّ الفريقين أكذب. فأبوْا ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم. يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « ولَن يَتمنَّوْه أبَداً بما قدَّمَتْ أيديهم » ، أى : بعلمهم بما عندهم من العلم بك ، والكفر بذلك .(١)

١٥٧٩ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد قال ، حدثنا بشر ابن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « ولن يتمنَّوه أبداً » ، يقول : يا محمد ، ولن يتمنوه أبداً ، لأنهم يعلمون أنهم كاذبون . ولو كانوا صادقين لتمنَّوه ورَغبوا فى التعجيل إلى كرامتى ، فليسَ يتمنَّونه أبداً بما قدمت أيديهم .

١٥٨٠ — حدثنى القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن

---

(١) الأثر : ١٥٧٨ — مضى فى رقم : ١٥٧١ ، وهنا تمامه . وفى سيرة ابن هشام ١ : ١٩١ « أكذب عند الله » . وفى المطبوعة : « وقالوا ذلك على رسول الله . . . » ، وهو خطأ ، صوابه ما فى سيرة ابن هشام . وفى المطبوعة : « أى لعلمهم بما عندهم . . . » . والذى أثبته هو نص ابن هشام .

ابن جريج قوله : « فتمنَّوا الموتَ إن كنتم صادقين »، وكانت اليهودُ أشدَّ فراراً من الموت، ولم يكونوا ليتمنَّوه أبداً .

* * *

وأما قوله : « بما قدَّمتْ أيديهم »، فإنه يعنى به : بما أسلفته أيديهم . وإنما ذلكَ مَثَلٌ، على نحو ما تتمثل به العرب فى كلامها . فتقول للرجل يُؤخذ بجريرة جرَّها أو جنايةٍ جناها فيعاقبُ عليها : « نالَك هذا بما جَنتْ يَداك ، وبما كسبت يداك ، وبما قَدَّمت يَداك »، فتضيف ذلك إلى « اليد» . ولعلّ الجناية التى جَناها فاستحق عليها العقوبةَ ، كانت باللسان أو بالفرج أو بغير ذلك من أعضاء جسده سِوَى اليد .

قال أبو جعفر : وإنما قيل ذلك بإضافته إلى « اليد » ، لأن عُظْمَ جنايات الناس بأيديهم ، فجرى الكلام باستعمال إضافة الجنايات التى يَجنيها الناس إلى « أيديهم »، حتى أضيفَ كل ما عوقب عليه الإنسان مما جناه بسائر أعضاء جسده، إلى أنها عقوبة على ما جنته يده . ٣٣٩/١

فلذلك قال جل ثناؤه للعرب : « ولن يَتمنَّوه أبداً بما قَدمت أيديهم »، يعنى به : ولن يتمنى اليهود الموتَ بما قدموا أمامهم فى حياتهم من كفرهم بالله ، فى مخالفتهم أمرَه وطاعته فى اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله ، وهم يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة ، ويعلمون أنّه نبى مبعوث . فأضاف جل ثناؤه ما انطوَت عليه قُلوبهم ، وأضمرته أنفسهم ، ونطقت به ألسنتهم — من حسد محمد صلى الله عليه وسلم ، والبغى عليه ، وتكذيبه وجحود رسالته — إلى أيديهم، وأنه مما قدمته أيديهم ، لعلم العرب معنى ذلك فى منطقها وكلامها . إذ كان جل ثناؤه إنما أنزل القرآن بلسانها وبلغتها . وروى عن ابن عباس فى ذلك ما : —

١٥٨١ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثمان بن سعيد قال ، حدثنا بشر ابن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « بما قدَّمت أيديهم » ، يقول : بما أسلفت أيديهم .

١٥٨٢ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « بما قدّمت أيديهم » ، قال : إنهم عرفوا أن محمداً صلى الله عليه وسلم نبيٌّ ، فكتموه .

* * *

وأما قوله : « والله عليمٌ بالظالمين » ، فإنّه يعني جل ثناؤه : والله ذو علم بظَلَمة بني آدم – يهودها ونَصَارَاها وسائر أهل الملل غيرها – وما يعملون .

وظلم اليهود : كفرهم بالله في خلافهم أمرَه وطاعته في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، بعد أن كانوا يستفتحون به وبمبعثه ، وجحودهم نبوّته وهم عالمون أنه نبي الله ورسوله إليهم.

وقد دللنا على معنى « الظلم » فيما مضى بما أغنى عن إعادته .(١)

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾

قال أبو جعفر : يعني بقوله جل ثناؤه « ولتجدنهم أحرَصَ الناس على حياة » – اليهودَ – . يقول : يا محمد ، لتجدنّ أشد الناس حرصاً على الحياة في الدنيا ، وأشدهم كراهةً للموت ، اليهود ، كما : –

١٥٨٣ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال ، حدثني محمد بن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد – فيما يروى أبو جعفر – عن سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس : « ولتجدنّهم أحرَص الناس على حياة » ، يعني اليهود .

١٥٨٤ – حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، حدثنا الربيع ، عن أبي العالية : « ولتجدنهم أحرص الناس على حياة » ، يعني اليهود .(٢)

١٥٨٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٥٢٣ – ٥٢٤ .

(٢) الأثر : ١٥٨٤ – في المطبوعة : « حدثنا أبو جعفر عن أبي العالية » ، سقط منه « حدثنا الربيع » ؛ وهو إسناد دائر ، وأقر به في رقم : ١٥٧٣ .

أبيه ، عن الربيع مثله .[١]

١٥٨٦ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله

* * *

وإنما كراهتهم الموت ، لعلمهم بما لهم في الآخرة من الخزي والهوان الطويل .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾

قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بقوله : « ومنَ الذينَ أشْركوا » ، وأحرصَ من الذين أشركوا على الحياة ، كما يقال : « هو أشجع الناس ومِنْ عنترة » بمعنى : هو أشجع من الناس ومن عنترة. فكذلك قوله : « ومنَ الذين أشركوا » . لأن معنى الكلام : ولتجدن – يا محمد – اليهودَ من بني إسرائيل ، أحرصَ [من] الناس على حياة ومن الذين أشركوا .[٢] فلما أضيف « أحرص » إلى « الناس » وفيه تأويل « من » ، أظهرت بعد حرف العطف ، ردًّا – على التأويل الذي ذكرنا .

وإنما وصف الله جل ثناؤه اليهودَ بأنهم أحرصُ الناس على الحياة ، لعلمهم بما قد أعدَّ لهم في الآخرة على كفرهم بما لا يقرُّ به أهل الشرك ،[٣] فهم للموت أكرهُ من أهل الشرك الذين لا يؤمنون بالبعث ، لأنهم يؤمنون بالبعث ، ويعلمون ما لهم هنالك من العذاب . والمشركون لا يصدقون بالبعث ولا العقاب ،[٤] فاليهود أحرص ٣٤٠/١

---

(١) الأثر : ١٥٨٥ – في المطبوعة : « حدثني المثنى قال حدثنا ابن أبي جعفر » سقط منه « حدثنا إسحق » ، وهو إسناد دائر ، وأقربه رقم : ١٥٧٤ .

(٢) الزيادة بين القوسين ، لابد منها ، يدل عليها سياقه .

(٣) في المطبوعة : « مما لا يقر به » ، والصواب ما أثبته .

(٤) في المطبوعة : « وإن المشركين لا يصدقون . . . » ، و « إن » لا مكان لها هنا .

منهم على الحياة وأكره للموت .

* * *

وقيل : إنّ الذين أشركوا – الذين أخبر الله تعالى ذكره أن اليهود أحرصُ منهم في هذه الآية على الحياة – هم المجوس الذين لا يصدِّقون بالبعث . ذكر من قالَ : هُم المجوس :

١٥٨٧ – حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية « ومن الذين أشرَكوا يود أحدُهم لو يُعمَّر ألفَ سنة » ، يعني المجوس .

١٥٨٨ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « ومن الذين أشرَكوا يودّ أحدهم لو يعمَّر ألفَ سنة » ، قال : المجوس .

١٥٨٩ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب ، قال قال ابن زيد : « ومن الذين أشركوا » ، قال : يهُود ، أحرصُ من هؤلاء على الحياة .

* * *

ذكر من قال : هم الذين ينكرون البعث :

١٥٩٠ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثنا ابن إسحق قال ، حدثني محمد بن أبي محمد – فيما يروى أبو جعفر – عن سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس : « ولتجدنَّهم أحرَصَ الناس على حَياة ومنَ الذين أشرَكوا » ، وذلك أن المشرك لا يرجو بعثاً بعدَ الموت ، فهو يحب طولَ الحياة ؛ وأنّ اليهوديَّ قد عرف مالَه في الآخرة من الخِزي ، بما ضيع مما عنده من العلم .(١)

* * *

(١) الأثر : ١٥٩٠ – سيرة ابن هشام ٢ : ١٩١ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾

قال أبو جعفر : هذا خبر من الله جل ثناؤه عن الذين أشركوا[1] — الذين أخبر أن اليهودَ أحرصُ منهم على الحياة . يقول جل ثناؤه : يودّ أحد هؤلاء الذين أشركوا — الآيِسُ ، بفناء دنياه وانقضاء أيام حياته ،[2] أن يكون له بعد ذلك نشور أو محيا أو فرح أو سرور — لَو يعمَّر ألف سنة ، حتى جَعل بعضهم تحيَّة بعض : « عَشرة آلاف عام » ، حرصاً منهم على الحياة ، كما : —

١٥٩١ — حدثنا محمد بن على بن الحسن بن شقيق قال ، سمعت أبى عليًّا ، أخبرنا أبو حمزة ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس فى قوله : « يودُّ أحدُهم لو يعمر ألْفَ سَنة » ، قال : هو قول الأعاجم : « سال زه نوروز مهرجان حر » .[3]

---

(١) فى المطبوعة : « هذا خبر من الله جل ثناؤه بقوله عن الذين أشركوا » والصواب حذف « بقوله » ، والنسخة المطبوعة ومخطوطاتها مضطربة فى هذا الموضع من الكتاب اضطراباً شديداً .

(٢) فى المطبوعة : « يود أحد هؤلاء الذين أشركوا إلا ما ... بفناء دنياه وانقضاء أيام حياته » ، بياض فيها وفى الأصول . واستظهرت قراءتها كما أثبت ، فإنه هو المعنى الذى يدور عليه تفسير أبى جعفر : أن هذا المشرك قد يئس أن يكون له بعد فناء الدنيا وانقضاء الحياة نشور أو محيا أو فرح أو سرور ، فهو يود لو يعمر ألف سنة .

(٣) الأثر : ١٥٩١ — محمد بن على بن الحسن بن شقيق ، وأبوه : ثقتان ، ترجمنا لهما فى شرح المسند : ٧٤٣٧ . أبو حمزة : هو السكرى ، محمد بن ميمون ، ثقة إمام . وهذا الإسناد صحيح متصل . وانظر الإسناد الآتى .

فى تفسير ابن كثير ١ : ٢٣٨ ، ونص الكلام الفارسى فيه : « هزار سال نوروز مهرجان » . وقد سألت أحد أصحابنا ممن يعرف الفارسية فقال : إن هذا النص لا ينطبق على قواعد الفارسية ، وأنه يظن أن صوابها : « زه در مهرجان نو وروز هزار سال » ومعنى « زه » : عش ، و « در » ظرف بمعنى « فى » ، ومهرجان هو عيد لهم . ونيروز : عيد آخر فى أول السنة . و « هزار » ألف ، و « سال » : سنة . فكأن « حر » التى فى آخر الكلام فى نص الطبرى هى : در » مصحفة . وباقى النصوص الفارسية صحيح ، ومعناه : عش ألف سنة .

وفى المستدرك للحاكم ٢ : ٢٦٤ « هزار سال سرور مهرجان بخور » ، وقال مصححه : يعنى « تمتع ألف سنة كمثل عيد مهرجان . وهو عيد لهم » ، وكأن هذا هو الصواب .

١٥٩٢ – وحدثت عن نعيم النحوى، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد ابن جبير : «يودّ أحدُهم لو يعمَّر ألفَ سنة »، قال: هو قول أهل الشرك بعضُهم لبعض إذا عطس : « زه هزار سال » .

١٥٩٣ – حدثنا إبراهيم بن سعيد ويعقوب بن إبراهيم قالا : حدثنا إسمعيل ابن علية ، عن ابن أبى نجيح ، عن قتادة فى قوله « يودّ أحدُهم لو يعمَّر ألفَ سنة »، قال : حبَّبت إليهم الخطيئةُ طولَ العمر.

١٥٩٤ – حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال، حدثنى على بن معبد ، عن ابن علية ، عن ابن أبى نجيح فى قوله : « يودّ أحدُهم »، فذكر مثله .

١٥٩٥ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « ولتجدنَّهم أحرصَ الناسَ على حياة » حتى بلغ « لو يُعمَّر ألفَ سنة »، يهودُ ، أحرص من هؤلاء على الحياة . وقد ودّ هؤلاء لو يعمّر أحدهم ألف سنة .

١٥٩٦ – وحدثت عن أبى معاوية ، عن الأعمش ، عن سعيد ، عن ابن عباس فى قوله : « يودّ أحدهم لو يعمر ألف سنة » ، قال : هو قول أحدهم إذا عطس : « زه هزار سال »، يقول: عشرة آلاف سنة .[1]

* * *

(١) الخبر : ١٥٩٦ – ذكره الطبرى هكذا مجهل الإسناد ، بقوله : « حدثت عن أبى معاوية » ، إلخ . والعلة فى ذلك – فيما أرى – أن الأعمش لم يسمعه من سعيد بن جبير ، وإن كان أدركه وروى عنه .

فقد روى الحاكم هذا الخبر ، فى المستدرك ٢ : ٢٦٣ – ٢٦٤ ، من طريق إسحق بن إبرهيم « حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس » – بنحوه . ثم قال الحاكم : « رواه قيس بن الربيع ، عن الأعمش ، عن جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس » . ثم رواه بإسناده إلى محمد بن يوسف ، حدثنا قيس بن الربيع ، عن الأعمش ، عن جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . . . » . وهذا إسناد صحيح متصل ، دل على انقطاع الإسناد : « الأعمش عن سعيد بن جبير » .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « وما هو بمزحزحه من العذاب أن يُعمَّر »، وما التعمير — وهو طول البقاء — بمزحزحِه من عذاب الله .

* * *

وقوله « هو » عِمادٌ، لطلب « ما » الاسمَ أكثر من طلبها الفعل،[1] كما قال الشاعر :

* فهل هو مَرفوع بما هَهنا رَأسُ *[2]

« وأنْ » التى فى « أن يعمَّر »، رَفْعٌ ، بـ « مزحزحه »، و « هو » الذى مع « ما » تكرير، عمادٌ للفعل ، لاستقباح العرب النكرة قبل المعرفة . ٣٤١/١

* * *

وقد قال بعضهم : إن « هو » الذى مع « ما » كناية ذكر العُمْر . كأنه قال : يودّ أحدهم لو يعمَّر ألف سنة ، وما ذلك العُمْر بمزحزحه من العذاب . وجعل « أن يعمر » مترجماً عن « هو » ، يريد ما هو بمزحزحه التعمير .[3]

* * *

وقال بعضهم : قوله : « وما هُو بمُزحزحه من العذاب أن يُعمَّر »، نظير قولك : ما زيد بمزحزحه أن يعمر .

* * *

قال أبو جعفر : وأقرب هذه الأقوال عندنا إلى الصواب ما قلنا ، وهو أنْ يكون « هو » عماداً ، نظيرَ قولك : « ما هو قائم عمرو »

* * *

---

(١) انظر ما سلف فى هذا الجزء ٢ : ٣١٢ فى معنى « الاسم » و « الفعل » ، و « العماد »، تعليق رقم : ٢ ، وانظر معانى الفراء ١ : ٥٠ — ٥٢

(٢) هذا شطر بيت مضى من أبيات ثلاثة ، فى هذا الجزء ٢ : ٣١٣

(٣) انظر ما سلف فى هذا الجزء ٢ : ٣٤٠ معنى « الترجمة » .

وقد قال قوم من أهل التأويل إن « أنْ » التي في قوله : « إن يعمر » بمعنى : وإنْ عُمِّر . وذلك قولٌ لمعاني كلام العرب المعروف مخالفٌ ذكر من قال ذلك :

١٥٩٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : « وما هو بمزحزحه من العذاب أنْ يُعمَّر »، يقول : وإن عُمِّر .

١٥٩٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

١٥٩٩ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « أن يُعمَّر » – ولو عُمِّر

* * *

وأما تأويل قوله : « بمزحزحه » ، فإنه بمُبعده ومُنحيِّه ، كما قال الحطيئة :

وَقَالُوا : تَزَحْزَحْ مَا بِنَا فَضْلُ حَاجَةٍ إِلَيْكَ ، وَمَا مِنَّا لِوَهْيِكَ رَاقِعُ[1]

يعني بقوله : « تزحزح »، تباعد، يقال منه : « زحزحه يزحزحه زَحرحة وزَحزاحاً »، « وهو عنك مُتزحزح »، أي : متباعد .

* * *

فتأويل الآية – وما طولُ العمر بمبعدِه من عذاب الله ، ولا منحيِّه منه ، لأنه لا بد للعمر من الفناء ، ومصيره إلى الله ، كما : –

---

(١) البيت ليس للحطيئة ، وإنما هو لقيس بن الحدادية ، من قصيدة له نفيسة طويلة رواها أبو الفرج في أغانيه ١٣ : ٦ . يقول قبل البيت ، يذكر مجيئه إلى صاحبته أم مالك :

وَما رَاعَنِي إلاّ المُنَادِي : ألاَ اظعَنُوا وَإلاّ الرَّوَاغِي غُدْوَةً والقَعَاقِعُ
فَجِئْتُ كَأَنِّي مُسْتَضِيفٌ وَسَائِلٌ لأخْبَرَهَا كُلَّ الذي أنَا صَانِعُ
فَقَالَتْ: تَزَحْزَحْ! ما بِنَا كُبْرُ حَاجَةٍ إليكَ ، وَلا منّا لِفَقْرِكَ راقِعُ
فَأَزِلتُ تَحتَ السِّتْرِ حتّى كأنّني مِنَ الحرِّ ذو طِمْرَيْنِ فِي البَحْرِ كارِعُ

١٦٠٠ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثني ابن إسحق قال ، حدثني محمد بن أبي محمد – فيما أروى –[1] عن سعيد بن جبير ، أو عن عكرمة ، عن ابن عباس : « وما هو بمزحزحه من العذاب أن يُعمَّر » ، أي : ما هو بمنحيِّه من العذاب.

١٦٠١ – حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : « وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمَّر » ، يقول : وإنْ عمَّر ، فما ذاك بمُغنيه من العذاب ولا منجيه .

١٦٠٢ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

١٦٠٣ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « يودّ أحدُهم لو يعمَّر ألفَ سنة وما يُزحزحه من العذَاب » ، فهم الذين عادَوْا جبريل عليه السلام .

١٦٠٤ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد : « يودّ أحدُهم لو يعمر ألفَ سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمَّر » ، ويهود أحرصُ على الحياة من هؤلاء . وقد ودّ هؤلاء لو يعمَّر أحدهم ألف سنة ، وليس ذلك بمزحزحه من العذاب ، لو عُمِّر كما عمّر إبليس لم ينفعه ذلك ، إذ كان كافراً ، ولم يزحزحه ذلك عن العذَاب .

* * *

القول في تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (٩٦)

قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بقوله : « والله بصير بما يعملون » ، والله ذو إبصار بما يعملون ، لا يخفَى عليه شيء من أعمالهم ، بل هو بجميعها مُحيط ، ولها حافظ ذاكر ، حتى يُذيقهم بها العقابَ جزاءَها .

* * *

(١) في المطبوعة : « فيما أرى » ، خطأ ، والصواب ما أثبتت . وانظر الإسناد رقم : ١٥٩٠ .

وأصل « بصير » « مبصر » — من قول القائل : « أبصرَت فأنا مُبصر » ، ولكن صُرف إلى « فعيل » ، كما صرف « مُسمع » إلى « سميع » ، و « عذاب مؤلم » إلى « أليم » ، و « مُبدع السموات » إلى « بديع » ، وما أشبه ذلك[1] .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾

قال أبو جعفر : أجمع أهل العلم بالتأويل جميعاً على أن هذه الآية نزلت جواباً لليهود من بنى إسرائيل ، إذ زعموا أن جبريلَ عدوٌّ لهم ، وأنّ ميكائيل ولىّ لهم . ثم اختلفوا فى السبب الذى من أجله قالوا ذلك . فقال بعضهم : إنما كان سببُ قيلهم ذلك ، من أجل مناظرة جَرَت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمر نبوّته . ذكر من قال ذلك : ٣٤٢/١

١٦٠٥ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يونس بن بكير ،[2] عن عبد الحميد ابن بَهرام ، عن شَهر بن حَوْشب ، عن ابن عباس أنه قال : حَضرت عصابة من اليهود رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا أبا القاسم ، حدثنا عن خِلال نسألك عنهن ، لا يعلمهن إلا نبىّ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سلوا عمّا شئتم ، ولكن اجعلوا لى ذمّة الله ، وما أخذ يعقوبُ على بَنيه ، لئن أنا حدّثتكم شيئاً فعرفتموه ، لتُتابعُنّى على الإسلام . فقالوا : ذلك لك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سلونى عما شئتم . فقالوا : أخبرنا عن أربع خِلالٍ نسألك عنهن : أخبرنا ، أى الطعام حَرّم إسرائيل على نَفسه من قبل أن تُنزل التوراة ؟ وأخبرنا

(١) انظر ما سلف ١ : ٢٨٣ ، وهذا الجزء ٢ : ١٤٠

(٢) فى المطبوعة : « يونس عن بكير » ، وهو خطأ محض .

كيف ماءُ المرأة وماء الرجل ؟ وكيف يكون الذكر منه والأنثى ؟ وأخبرنا بهذا النبيّ الأميّ في النوم ومَنْ وليُّه من الملائكة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عليكم عهدُ الله لئن أنا أنبأتكم لتتابعُنّي ! فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق . فقال : نشدتُكم بالذي أنزل التوراة على مُوسى ، هل تعلمون أنّ إسرائيل مرض مرَضاً شديداً فطال سُقمه منه ، فنذر نذراً لئن عافاه الله من سُقمه ليحرّمنّ أحبّ الطعام والشراب إليه ، وكان أحبّ الطعام إليه لحمُ الإبل — قال : أبو جعفر فيما أروى —[1] وأحب الشراب إليه ألبانها ؟ فقالوا : اللهم نعم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشهد الله عليكم وأنشدُكم بالله الذي لا إله إلا هو ، الذي أنزل التوراة على مُوسى ، هل تعلمون أن ماء الرجل أبيضُ غليظٌ ، وأن ماء المرأة أصفر رقيقٌ ، فأيهما علا كان له الوَلدُ والشَّبه بإذن الله ، فإذا علا ماءُ الرجل ماءَ المرأة كان الولدُ ذكراً بإذن الله ، وإذا علا ماءُ المرأة ماءَ الرجل كان الولد أنثى بإذن الله ؟ قالوا : اللهم نعم . قال : اللهمّ اشهد ! قال : وأنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى ، هل تعلمون أنّ هذا النبيّ الأميّ تنامُ عيناه ولا ينامُ قلبه ؟ قالوا : اللهم نعم ! قال : اللهم اشهد ! قالوا : أنت الآن تحدّثنا مَنْ وليُّك من الملائكة ،[2] فعندها نتابعك أو نفارقك . قال : فإن وليّ جبريل ، ولم يبعث الله نبيًّا قطّ إلا وهو وليُّه . قالوا : فعندها نفارقك ، لو كان وليّك سواهُ من الملائكة ، تابعناك وصدّقناك . قال : فما يمنعكم أن تصدّقوه ؟ قالوا : إنه عدوّنا ! فأنزل الله عز وجل : « من كان عدوًّا لجبريل فإنه نزّله على قلبك بإذْن الله » إلى قوله « كأنهم لا يعلمون » ، فعندها باؤوا بغضب على غضب .[3]

---

(١) في المطبوعة : « فيما أرى » — وانظر ما سلف قريباً : ٣٧٦

(٢) في تفسير ابن كثير ١ : ٢٣٩ « أنت الآن فحدثنا . . . » ، وهي جيدة .

(٣) الأثر : ١٦٠٥ — إسناده صحيح . يونس بن بكير بن واصل الشيباني : ثقة ، من تكلم فيه فلا حجة له ، وأخرج له مسلم في صحيحه . وترجمته في التهذيب ، والكبير للبخاري ٤/٢/٤١١ ، وابن سعد ٦ : ٢٧٩ ، وابن أبي حاتم ٤/٢/٢٣٦ . ووقع في المطبوعة هنا « يونس عن بكير » ! وهو خطأ واضح . عبد الحميد بن بهرام — بفتح الباء وسكون الهاء — الفزاري : ثقة ، وثقه أحمد وابن معين

١٦٠٦ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال ، حدثني محمد بن إسحق قال ، حدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي الحسين ــ يعني المكي ــ ، عن شهر ابن حوشب الأشعري : أن نفراً من اليهود جاءوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا محمد ،أخبرنا عن أربع نسألُكَ عنهن، فإن فعلت اتَّبعناك وصدَّقناك وآمنَّا بك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عليكم بذلك عهدُ الله وميثاقه، لئن أنا أخبرتكم بذلك لتصدِّقُنِّي؟ قالوا: نعم. قال: فاسألوا عمّا بدَا لكم . فقالوا: أخبرنا كيف يشبه الولدُ أمَّه، وإنما النُّطفة من الرَّجُل ؟ فقال رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم : أنشدُكم بالله وبأيّامه عند بني إسرائيل ، هل تعلمون أن نطفة الرجل بيضاء غليظةٌ ، ونطفةَ المرأة صفراءُ رقيقة ، فأيتُهما علَت صاحبتَها كان لها الشبه ؟[1] قالوا : نعم . قالوا : فأخبرنا كيف نومك ؟ قال: أنشدكم بالله وبأيّامه عند بني إسرائيل ، هل تعلمون أنّ هذا النبي الأميَّ تنام عيناه ولا ينام قلبه ؟ [2] ٣٤٣/١

وغيرهما . وتكلم فيه بعضهم من أجل روايته عن شهر بن حوشب ، وهو راويته ، ولكن شهر ثقة أيضاً ، كما أشرنا في : ١٤٨٩ .

والحديث رواه أحمد في المسند ، مطولا : ٢٥١٤ ، وابن سعد في الطبقات ١/١/١١٥ – ١١٦ ، كلاهما من هاشم بن القاسم ، عن عبد الحميد بن بهرام ، بهذا الإسناد . ثم رواه أحمد : ٢٥١٥ ، عن محمد بن بكار ، عن عبد الحميد بن بهرام ، به ، ولم يذكر لفظه ، إحالة على ما قبله .

ورواه أحمد أيضاً : ٢٤٧١ ، مختصراً ، عن حسين ، وهو ابن محمد المروزي ، عن عبد الحميد ابن بهرام .

ورواه أيضاً : ٢٤٨٣ ، من وجه آخر ، أطول قليلا . وكذلك رواه أبو نعيم في الحلية ٤ : ٣٠٤ – ٣٠٥ من هذا الوجه .

وذكر الهيثمي الرواية : ٢٤٨٣ ، وأشار إلى ما في الرواية : ٢٥١٤ من الزيادة ، في مجمع الزوائد ٨ : ٢٤١ – ٢٤٢ ، وقال : « رواه أحمد والطبراني ، ورجالهما ثقات » .

ونقل ابن كثير في التفسير ١ : ٢٣٨ – ٢٣٩ رواية الطبري التي هنا ، ثم أشار إلى رواية المسند : ٢٥١٤ . ثم نقل رواية المسند: ٢٤٨٣ فيه ١ : ٢٤٠ ، ونقل روايتي المسند أيضاً ٢ : ١٨٦ – ١٨٧ .

(١) في المطبوعة : « فأيهما غلبت صاحبتها » ، والصواب من نص سيرة ابن هشام ٢ : ١٩١ – ١٩٢

(٢) نص ابن إسحق في رواية ابن هشام ٢ : ١٩٢: « هلْ تعلَمونَ أنّ نوم الذي تَزعمونَ أني لستُ به ، تنام عيناهُ وقلبُهُ يقظان؟ فقالوا : اللهم نعم . قال :فكذلك

قالوا : اللهم نعم . قال : اللهم اشهد ! قالوا أخبرنا أى الطعام حرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزّل التوراة ؟ قال : هل تعلمون أنه كانَ أحبَّ الطعام والشراب إليه ألبانُ الإبل ولحومها ، وأنه اشتكى شكوَى فعافاه الله منها ، فحرّم أحب الطعام والشراب إليه شكراً لله ، فحرّم على نفسه لحومَ الإبل وألبانها ؟ قالوا : اللهم نَعم . قالوا : فأخبرنا عن الروح . قال : أنشدكم بالله وبأيامه عند بنى إسرائيل ، هل تعلمون أنه جبريل ، [1] وهو الذى يأتينى ؟ قالوا : نعم ، ولكنه لنا عدوّ ، وهو مَلك إنما يأتى بالشدة وَسفك الدماء ، فلولا ذلك اتبعناك . فأنزل الله فيهم : « قل مَنْ كان عدوًّا لجبريل فإنه نزّله على قلبك » إلى قوله « كأنهم لا يعلمون » . [2]

١٦٠٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، حدثنى القاسم بن أبى بزة : أنّ يهودَ سألوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم : مَنْ صاحبه الذى ينزل عليه بالوحى ؟ فقال : جبريل . قالوا : فإنه لنا عدوٌّ ، ولا يأتى إلا بالحرب والشدة والقتال ! فنزل : «من كان عدوًّا لجبريل » الآية . قال ابن جريج : وقال مجاهد : قالت يهود : يا محمد ، ما ينزل جبريل إلا بشدة وحرب ! وقالوا : إنه لنا عدوٌّ ! [3] فنزل : « من كان عدوًّا لجبريل » الآية . [4]

* * *

وقال آخرون : بل كان سبب قيلهم ذلك ، من أجل مناظرة جَرَت بين

نومى ، تنام عينى وقلبى يقظان . قالوا : فأخبرنا عما حرّم إسرائيل على نفسه ؟ »

وبعد ذلك اختلاف أيضاً فى رواية ابن جرير عن ابن إسحق .

(١) فى سيرة ابن هشام : « هل تعلمونه » ، وهو أشبه بالصواب .

(٢) الأثر : ١٦٠٦ — هو حديث مرسل ، مضى جزء منه ، بهذا الإسناد : ١٤٨٩ . وأشار إليه ابن كثير ١ : ٢٣٩ — ٢٤٠ ، عقب حديث ابن عباس الذى قبله ، وصرح أيضاً بأنه رواه محمد بن إسحق مرسلا .

وفى سيرة ابن هشام ٢ : ١٩١ — ١٩٢ ، وفيه اختلاف فى بعض اللفظ . وقد ساق ابن كثير هذين الأثرين (١٦٠٥ ، ١٦٠٦) ، وخرجهما ، واستوفى الكلام فى هذه القصة فى تفسيره ١ : ٢٣٨ — ٢٤٥ .

(٣) فى تفسير ابن كثير ١ : ٢٤٠ : « إلا بشدة وحرب وقتال فإنه لنا عدو » .

(٤) الأثر : ١٦٠٧ — وهذا منقطع ، وقد ذكره ابن كثير ١ : ٢٤٠ ، عن هذا الموضع . و « القاسم بن أبى بزة » : سبق فى : ٦٣١ ، وهو يروى عن التابعين .

عُمر بن الخطاب رضى الله عنه وبينهم ، فى أمر النبى صلى الله عليه وسلم . ذكر من قال ذلك :

١٦٠٨ – حدثنى محمد بن المثنى قال، حدثنا رِبْعى بن عُلَيّة، عن داود ابن أبى هند، عن الشعبى ، قال : نزل عُمر الرَّوْحاء ، فرأى رجالا يبتدرونَ أحجاراً يصلُّون إليها، فقال: ما هؤلاء ؟ قالوا : يزعمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلَّى ههنا . فكره ذلك وقال: أيْما؟ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أدْرَكته الصلاةُ بوادٍ ، فصلى ، ثم ارتحل فتركه ![1] ثم أنشأ يحدثهم فقال : كنت أشهدُ اليهود يوم مِدْرَاسهم فأعجبُ من التوراة كيف تصدّق الفرقان ، ومن الفرقان كيف يصدّق التوراة ! فبينما أنا عندهم ذات يوم قالوا: يا ابنَ الخطاب، ما من أصحابك أحدٌ أحبّ إلينا منك . قلت : ولم ذلك ؟ قالوا : إنك تغشانا وتأتينا . قال قلت : إنى آتيكم فأعجبُ من الفرقان كيف يصدِّق التوراة، ومن التوراة كيف تصدّق الفرقان ! قال : ومرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا ابن الخطاب ، ذاك صاحبكم فالحقْ به . قال : فقلت لهم عند ذلك : أنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو ، وما استرعاكم من حَقّه واستودَعَكم من كتابه ، أتعلمون أنه رسول الله ؟ قال : فسكتوا ، قال : فقال عالمهُم وكبيرُهم: إنّه قد عظّم عليكم فأجيبوه .[2] قالوا : أنت عالمنا وسيدنا، فأجبه أنت. قال: أمَّا إذ نشدتنا به ، فإنا نعلم أنه رسول الله . قال: قلت ويحكم! إذاً هلكتم ![3] قالوا: إنا لم نهلك . قال : قلت : كيف ذاك ، وأنتم تعلمون أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم لا تتبعونه ولا تصدقونه ؟

---

(١) فى المطبوعة : « وقال : إنما رسول الله صلى الله عليه وسلم أدركته الصلاة » ، وهى عبارة ركيكة . وأثبت ما جاء فى تفسير ابن كثير عن الطبرى ١ : ٢٤٠ . وقوله « أيما » استفهام وتعجب ، وأكثر ما تكتب : « أيم » (بفتح فسكون ففتح) ، وبحذف الألف . تقول : أيم تقول ؟ أى : أى شىء تقول ؟ وانظر اللسان (أيم) . يتعجب عمر من فعلهم .

(٢) فى تفسير ابن كثير ١ : ٢٤٢ : « قد غلظ عليكم » .

(٣) فى المطبوعة : « أى هلكتم » ، والصواب فى تفسير ابن كثير .

قالوا : إن لنا عدوًّا من الملائكة وسِلْماً من الملائكة، وإنّه قُرِن به عدوّنا من الملائكة .[١] قال : قلت : ومن عدوّكم؟ ومن سِلْمكم ؟ قالوا : عدوّنا جبريل ، وسِلْمنا ميكائيل . قال : قلت : وفيم عاديتم جبريل ؟ وفيم سالمتم ميكائيل ؟ قالوا : إن جبريل مَلك الفظاظة والغِلظة والإعسار والتشديد والعذاب ونحو هذا ، وإنّ ميكائيل مَلك الرأفة والرحمة والتخفيف ونحو هذا . قال : قلت : وما منزلتهما من ربهما ؟ قالوا : أحدهما عن يمينه ، والآخر عن يساره . قال : قلت : فوالله الذى لا إله إلا هو ، إنهما والذى بينهما لعدوٌّ لمن عاداهما، وسِلْم لمن سالمهما ، ما ينبغى لجبريل أن يُسالم عدوَّ ميكائيل ، ولا لميكائيل أن يسالم عدوَّ جبريل ! قال : ثم قمتُ فاتبعت النبى صلى الله عليه وسلم ، فلحقته وهو خارج من مخْرفة لبنى فلان،[٢] فقال لى : يا ابن الخطاب ، ألا أقرئك آيات نزَلن ؟ فقرأ علىّ : « قُلْ مَن كان عدوًّا لجبريلَ فإنه نزَّله على قلبك بإذنِ الله مصدِّقاً لما بين يديه » حتى قرأ الآيات . قال : قلت : بأبى وأمّى أنت يا رسول الله،[٣] والذى بعثك بالحق لقد جئتُ وأنا أُريد أن أخبرك الخبر ، فأسمع اللطيف الخبير قد سبقنى إليك بالخبر ![٤]

١/٣٤٤

---

(١) السلم : المسالم . تقول : أنا سلم لمن سالمنى . رجل سلم ، وقوم سلم ، وامرأة سلم .

(٢) فى المطبوعة : « خرفة » ، وفى تفسير ابن كثير « خوخة » والصواب « مخرفة » كما أثبتها . والمخرفة : البستان ، أو سكة بين صفين من نخل . خرف النخل والثمر : اجتناه ، واجتناء الثمر هو « الخرفة » (بضم فسكون) .

(٣) فى المطبوعة : « بأبى وأمى يا رسول الله » بإسقاط « أنت » ، وأثبت ما فى تفسير ابن كثير .

(٤) الحديث : ١٦٠٨ – وهذا مرسل أيضاً . ذكره ابن كثير ١ : ٢٤١ – ٢٤٣ ، عن هذا الموضع ، ثم عن تفسير ابن أبى حاتم ، من رواية مجالد عن عامر – وهو الشعبى – وسيأتى نحوها أيضاً من رواية مجالد رقم : ١٦١٤ . ثم قال ابن كثير : « وهذان الإسنادان يدلان على أن الشعبى حدث به عن عمر . ولكن فيه انقطاع بينه وبين عمر ، فإنه لم يدرك زمانه » . وقال السيوطى فى الدر المنثور ١ : ٩٠ « صحيح الإسناد ولكن الشعبى لم يدرك عمر »

ربعى ، بكسر الراء والعين المهملة ، بينهما باء موحدة ساكنة ، وآخره ياء تحتية مشددة : هو « ربعى بن إبرهيم بن مقسم الأسدى » عرف « بابن علية » ، كأخيه « إسمعيل بن علية » . وربعى : ثقة مأمون ، من شيوخ أحمد وأبى خيثمة وغيرهما . وقال عبد الرحمن بن مهدى : « كنا نعد ربعى بن علية من بقايا شيوخنا » . وفى المسند : ٧٤٤٤ أن أحمد بن حنبل قال : « كان يفضل على أخيه » . وهو

١٦٠٩ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن داود ، عن الشعبي قال ، قال عمر : كنت رجلا أغشى اليهود في يوم مِدْراسهم ، ثم ذكر نحو حديث ربعي .(١)

١٦١٠ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذكر لنا أن عمر بن الخطاب انطلقَ ذاتَ يوم إلى اليهود ، فلما أبصرُوه رحّبوا به . فقال لهم عمر : أمَا والله ما جئتُ لحبِّكم ولا للرغبة فيكم ، ولكن جئت لأسمع منكم . فسألهم وسألوه ، فقالوا : من صاحِبُ صاحبكم ؟ فقال لهم : جبريلُ . فقالوا : ذاك عدوُّنا من أهل السماء ، يُطلع محمدًا على سرِّنا ، وإذا جاء جاء بالحرب والسَّنَة(٢) ، ولكن صاحبُ صاحبنا ميكائيل ، وكان إذا جاء جاء بالخِصْب وبالسَّلم . فقال لهم عمر : أفتعرفون جبريل وتنكرون محمداً ؟ ففارقهم عمر عند ذلك ، وتوجه نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحدِّثه حديثهم ، فوجده قد أنزل عليه هذه الآية : « قُلْ من كان عدوًّا لجبريل فإنه نَزَّله على قلبك بإذن الله » .

١٦١١ – حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن قتادة قال : بلغنا أن عمر بن الخطاب أقبل على اليهود يوماً ، فذكر نحوه .

١٦١٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « مَن كان عدوًّا لجبريل » ، قال : قالت اليهود :

مترجم في التهذيب ، والكبير ٢/١/٢٩٩ ، وابن أبي حاتم ١/٢/٥٠٩ – ٥١٠ .

داود بن أبي هند : ثقة ، جيد الإسناد ، رفع ، من حفاظ البصريين . ترجمته في التهذيب ، والكبير ٢/١/٢١١ – ٢١٢ ، والصغير : ١٦٠ ، وابن أبي حاتم ١/٢/٤١١ – ٤١٢ .

الشعبي : هو عامر بن شراحيل الهمداني ، إمام جليل الشأن ، من كبار التابعين . ولكنه لم يدرك عمر ، كما قال ابن كثير . فإنه ولد سنة ١٩ ، أو سنة ٢٠ .

(١) الأثر : ١٦٠٩ – في المطبوعة : « حدثني يعقوب قال حدثنا إبراهيم قال حدثنا ابن علية » والصواب ما أثبته ، يعقوب بن إبراهيم الدورقي ، وقد سلف مراراً بهذا الإسناد ، وروايته عن ابن علية .

(٢) السنة : الجدب والقحط .

إن جبريل هو عدوُّنا، لأنه ينزل بالشدة والحرب والسَّنة، وإن ميكائيل ينزل بالرخاء والعافية والخِصْب، فجبريل عدوُّنا . فقال الله جل ثناؤه: « من كان عدوًّا لجبريل » .

١٦١٣ — حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « قل من كان عدوًّا لجبريل فإنه نزَّله على قلبك بإذن الله مُصدِّقاً لما بين يَديه »، قال : كان لعمر بن الخطاب أرْض بأعلى المدينة ، فكانَ يأتيها ، وكان ممرُّه على طَريق مِدْراس اليهود ، وكان كلما دَخل عليهم سمع منهم . وإنه دخل عليهم ذات يوم فقالوا: يا عُمر ، ما فى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أحدٌ أحبّ إلينا منك، إنهم يمرون بنا فيؤذوننا، وتمر بنا فلا تؤذينا ، وإنا لنطمع فيك . فقال لهم عمر : أىُّ يمين فيكم أعظم ؟ قالوا : الرحمن الذى أنزل التوراة على موسى بطُورسَيناء . فقال لهم عمر : فأنشدكم بالرحمن الذى أنزل التوراة على موسى بطورسيناء ، أتجدون محمداً صلى الله عليه وسلم عندكم ؟ فأسكتُوا .(١) فقال : تكلموا ، ما شأنكم ؟ فوالله ما سألتكم وأنا شاكٌّ فى شىء من دينى . فنظر بعضهم إلى بعض، فقام رجل منهم فقال : أخبرُوا الرجل، لتخبرُنَّه أو لأخبرنّه. قالوا : نعم ، إنا نجدُه مكتوباً عندنا ، ولكن صاحبه من الملائكة الذى يأتيه بالوحى هو جبريل ، وجبريل عدوُّنا ، وهو صاحب كل عذاب أو قتال أو خسْف، ولو أنه كان وليّه ميكائيلُ، إذاً لآمنّا به ، فإنّ ميكائيل صاحب كلّ رحمة وكل غيث . فقال لهم عمر : فأنشُدكم بالرحمن الذى أنزل التوراة على مُوسى بطورسيناء ، أين مكان جبريل من الله ؟ قالوا : جبريل عن يمينه ، وميكائيل عن
٣٤٥/١ يساره . قال عمر : فأشهدكم أن الذى هو عدوّ للذى عن يمينه ، عدوٌّ للذى هو عن يساره ؛ والذى هو عدوٌّ للذى هو عن يساره ، عدوّ للذى هو عن يمينه ؛ وأنه من كان عدوَّهما ، فإنه عدوٌّ لله . ثم رجع عمر ليخبر النبىّ صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) سكت الرجل : صمت . وأسكت الرجل (غير متعد) : انقطع كلامه فلم يتكلم، وأطرق من فكرة انتابته وقطعته .

فوجد جبريل قد سبقه بالوحى ، فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقرأه عليه . فقال عمر : والذى بَعثكَ بالحق ، لقد جئتُك وما أريد إلا أن أخبرك ! (١)

١٦١٤ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق بن الحجاج الرازى قال ، حدثنا عبد الرحمن بن مغراء أبو زهير ، عن مجالد ، عن الشعبي قال : انطلق عمر إلى يهودَ فقال : إنى أنشدكم بالذى أنزل التوراة على موسى ، هل تجدون محمداً فى كتابكم ؟ قالوا نعم . قال : فما يمنعكم أن تتبعوه ؟ قالوا : إن الله لم يبعث رسولاً إلا كان له كِفْلٌ من الملائكة ، وإن جبريل هو الذى يتكفّل لمحمد ، وهو عدونا من الملائكة ، وميكائيل سِلْمنا ، فلو كان هو الذى يأتيه اتّبعناه . قال : فإنى أنشُدكم بالذى أنزل التوراة على موسى ، ما منزلتهما من رب العالمين ؟ قالوا جبريل عن يمينه ، وميكائيل عن جانبه الآخر . فقال : إنى أشهدُ ما يقولان إلا بإذن الله ، (٢) وما كان لميكائيل أن يُعادى سِلْمَ جبريل ، وما كان جبريل ليسالم عدوَّ ميكائيل . [فبينما هو عندهم] ، إذ مر نبى الله صلى الله عليه وسلم ، (٣) فقالوا : هذا صاحبُك يا ابنَ الخطاب . فقام إليه ، فأتاه وقد أنزل عليه : « من كان عدوًّا لجبريل فإنه نَزَّله على قلبك بإذنِ الله » إلى قوله « فإن الله عدوٌّ للكافرين » . (٤)

---

(١) الأثر : ١٦١٣ – فى الدر المنثور ١ : ٩٠ – ٩١ مع اختلاف يسير فى اللفظ ، واختصار فى روايته .

(٢) فى تفسير ابن كثير ١ : ٢٤٣ : « ما ينزلان إلا بإذن الله » ، وكأنه هو الصواب .

(٣) ما بين القوسين زيادة لابد منها ، زدتها من تفسير ابن كثير ١ : ٢٤٢ ، من رواية ابن أبى حاتم فى تفسيره .

(٤) الحديث : ١٦١٤ – وهذا إسناد مرسل أيضاً ، ووقع فيه فى المطبوعة خطأ فى موضعين . أثبتنا الصواب لليقين به . وكان فى المطبوعة « حدثنا عبد الرحمن بن مغراء قال ثنا زهير عن مجاهد عن الشعبى » . فلا يوجد فى شيوخ ابن مغراء ، ولا فى الرواة عن «مجاهد» أو « مجالد » من يسمى « زهيراً » . و « مجاهد عن الشعبى » خطأ أيضاً ، وكلاهما من كبار التابعين ، من طبقة واحدة ، ومجاهد أقدم قليلا . وعبد الرحمن بن مغراء لا يدرك أن يروى عن مجاهد ، ولا عن الشعبى .

مجالد : هو ابن سعيد الهمدانى ، وهو ثقة ، ضعفه بعض الأئمة وروى عنه من الأئمة : شعبة والسفيانان وابن المبارك ، ورجحنا تصحيح حديث القدماء عنه ، فى شرح المسند ٣٧٨١ ، لأن أعدل كلمة فيه قول عبد الرحمن بن مهدى « حديث مجالد عند الأحداث . يحيى بن سعيد وأبى أسامة ، ليس

١٦١٥ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حصين ابن عبد الرحمن ، عن ابن أبي ليلى في قوله : « من كان عدوًّا لجبريل ». قال : قالت اليهود للمسلمين : لو أن ميكائيل كان الذي ينزل عليكم لتبعناكم ، فإنه ينزل بالزحمة والغيث ، وإن جبريل ينزل بالعذاب والنقمة ، وهو لنا عدوّ . قال : فنزلت هذه الآية : « من كان عدوًّا لجبريل » .(١)

١٦١٦ – حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عبد الملك ، عن عطاء بنحو ذلك .

* * *

قال أبو جعفر : وأما تأويل الآية – أعني قوله : « قُلْ من كان عدوًّا لجبريل فإنه نَزَّله على قلبك بإذن الله » – فهو : أن الله يقول لنبيه : قل يا محمد – لمعاشر اليهود من بني إسرائيل ، الذين زعموا أن جبريل لهم عدوّ ، من أجل أنه صاحب سَطَوات وعذابٍ وعُقوبات ، لا صاحب وحْي وتنزيل ورحمة ، فأبوا اتباعك ، وجحدوا نبوّتك ، وأنكروا ما جئتَهم به من آياتي وبينات حُكمي ، من أجل أن جبريل وليُّك وصاحب وحْيي إليك ، وزعموا أنه عدوٌّ لهم – : من يكن من الناس

بشيء ، ولكن حديث شعبة وحماد بن زيد وهشيم وهؤلاء القدماء ، » . قال ابن أبي حاتم : « يعني أنه تغير حفظه في آخر عمره » . وذكر ابن سعد في ترجمته ٦ : ٢٤٣ جرح يحيى القطان إياه ، ثم قال : « وقد روى عنه يحيى بن سعيد القطان مع هذا ، وروى عنه سفيان الثوري ، وشعبة ، وغيرهم » . وترجمته في التهذيب ، والكبير للبخاري ٤/٢/٩ ، والصغير : ١٦٨ ، ١٦٩ ، وابن أبي حاتم ٤/١/٣٦١ – ٣٦٢ .

إسحق بن الحجاج الرازي : هو الطاحوني المقرىء ، ترجمنا له فيما مضى : ٢٣٠ . وعبد الرحمن بن مغراء بن عياض الدوسي ، أبو زهير : ثقة ، تكلم بعضهم في روايته عن الأعمش ، وهو مترجم في التهذيب وابن أبي حاتم ٢/٢/٢٩٠ – ٢٩١ .

وهذا الحديث نقله ابن كثير ١ : ٢٤٢ – ٢٤٣ ، من تفسير ابن أبي حاتم . « حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة ، عن مجالد ، عن عامر . . . » – وهو الشعبي ، فذكر نحوه . ثم بين ابن كثير أنه منقطع ، كما أشرنا آنفاً .

والراجح عندي أن عبد الرحمن بن مغراء ممن روى عن مجالد بعد تغيره .

(١) الأثر : ١٦١٥ – في تفسير ابن كثير ١ : ٢٤٣ مع اختلاف يسير في لفظه .

لجبريل عدوًّا ، ومنكراً أن يكون صاحبَ وحى الله إلى أنبيائه ، وصاحب رحمته ، فإنى لَهُ ولىٌّ وخليلٌ ، ومقرٌّ بأنه صاحب وَحى إلى أنبيائه ورسله ، وأنه هو الذى ينزل وَحْىَ الله على قلبى من عند ربى ، بإذن ربى له بذلك ، يربط به على قلبى ، ويشُدُّ فؤادى ، كما : —

١٦١٧ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد قال ، حدثنا بشر ابن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس فى قوله : « قل من كان عدوًّا لجبريل » ، قال : وذلك أن اليهود قالت — حين سألتْ محمداً صلى الله عليه وسلم عن أشياء كثيرة فأخبرهم بها على ما هى عندهم — : « إلاّ جبريل » ، فإن جبريل كان عند اليهود صاحب عذاب وسطوةٍ ، ولم يكن عندهم صاحب وحْى — يعنى : تنزيل من الله على رسله — ولا صاحب رحمة ، فأخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما سألُوه عنه : أن جبريل صاحب وَحى الله ، وصاحب نقمته ، وصاحب رحمته ، فقالوا : ليس بصاحب وَحْى ولا رحمة ، هو لنا عدوّ ! فأنزل الله عز وجل إكذاباً لهم : « قل » يا محمد : « من كان عدوًّا لجبريل فإنه نزّله على قلبك » ، يقول : فإن جبريل نزّله — يقول : نزل القرآن — بأمر الله يشد به فؤادك ، ويربط ٣٤٦/١ به على قلبك — يعنى : بوحينا الذى نزّل به جبريل عليك من عند الله — وكذلك يفعل بالمرسلين والأنبياء من قبلك .

١٦١٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « قل من كان عدُوًّا لجبريل فإنه نزّله على قلبك بإذن الله » ، يقول : أنزل الكتابَ على قلبك بإذن الله .

١٦١٩ — وحدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « فإنه نزّله على قلبك » ، يقول : نزل الكتاب على قلبك جبريل .

* * *

قال أبو جعفر : وإنما قال جل ثناؤه : « فإنه نزّله على قلبك » — وهو يعنى

بذلك قلب محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد أمرَ محمداً فى أول الآية أن يُخبر اليهود بذلك عَنْ نفسه — ولم يقل : فإنه نزّله على قلبى = ولو قيل : « على قلبى » كان صواباً من القول = لأن من شأن العرب إذا أمرت رجلاً أن يُحكى ما قيل له عن نفسه ، أن تخرج فعلَ المأمور مرةً مضافاً إلى كناية نفس المخبر عن نفسه ، إذ كانَ المخبِرَ عن نفسه ؛ ومرةً مضافاً إلى اسمه ، كهيئة كناية اسم المخاطب ، لأنه به مخاطب . فتقول فى نظير ذلك : « قل للقوم إنّ الخير عندى كثير » — فتخرج كناية اسم المخبر عن نفسِه ، لأنه المأمور أن يخبر بذلك عن نفسه — : و « قل للقوم إنّ الخير عندك كثير » — فتخرج كناية اسمه كهيئة كناية اسم المخاطب ، لأنه وإنْ كان مأموراً بقيل ذلك ، فهو مخاطب مأمور بحكاية ما قيل له . وكذلك « لا تقل للقوم إنّى قائم » و «لاتقل لهم إنّك قائم » ، و « الياء » من « إنى » اسم المأمور بقول ذلك ، على ما وصفنا . ومن ذلك قول الله عز وجل : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَيُغْلَبُونَ ﴾ و ﴿ تُغْلَبُونَ ﴾ [سورة آل عمران : ١٢] ، بالياء والتاء .(١)

* * *

وأما « جبريل » فإن للعرب فيه لغات : فأما أهل الحجاز فإنهم يقولون : « جِبْريل ، وميكال » بغير همز ، بكسر الجيم والراء من «جبريل» وبالتخفيف . وعلى القراءة بذلك عامة قرأة أهل المدينة والبصرة .

أما تميمٌ وقيس وبعضُ نجد فيقولون : « جَبْرَئيل وميكائيل » على مثال « جبرعيل وميكاعيل » ، بفتح الجيم والراء ، وبهمزٍ ، وزيادة ياء بعد الهمزة . وعلى القراءة بذلك عامة قرأة أهل الكوفة ، كما قال جرير بن عطية :

عَبَدُوا الصَّلِيبَ وَكَذَّبُوا بِمُحَمَّدٍ وَبِجَبْرَئِيلَ وَكَذَّبُوا مِيكالاَ(٢)

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٦٣ .

(٢) ديوانه : ٤٥٠ ، ونقائض جرير والأخطل : ٨٧ ، من قصيدته الدامغة فى هجاء الأخطل ، والضمير إلى تغلب ، رهط الأخطل ، وقبله :

قَبَّحَ الإلهُ وُجُوهَ تَغْلِبَ ، كُلَّمَا شَبَحَ الحَجِيجُ وَكَبَّرُوا إهْلاَلاَ

وقد ذُكر عن الحسن البصرى وعبد الله بن كثير أنهما كانا يقرآن : « جَبْرِيل » بفتح الجيم وترك الهمز .

قال أبو جعفر : وهى قراءة غيرُ جائزةٍ القراءةُ بها ، لأن « فَعْلِيل » فى كلام العرب غير موجود . [1] وقد اختار ذلك بعضهم ، وزعم أنه اسم أعجمى ، كما يقال : « سَمْوِيل » ، وأنشد فى ذلك : [2]

بِحَيْثُ لَوْ وُزِنَتْ لَخْمٌ بِأَجْمَعِهَا مَا وَزَانَتْ رِيشَةً مِنْ رِيشِ سَمْوِيلاَ [3]

وأما بنو أسد فإنها تقول : « جِبْرِين » بالنون . وقد حكى عن بعض العرب أنها تزيد فى « جِبرِيل» « ألفاً » فتقول : « جِبرائيل ومِيكائيل» .

وقد حكى عن يحيى ابن يعمر أنه كان يقرأ : « جَبَرْئِيلَ » بفتح الجيم ، والهمز ، وترك المد ، وتشديد اللام .

فأما « جَبْر » و « مِيك» ، فإنهما الاسمان اللذان أحدهما بمعنى : «عبْد» ، والآخر بمعنى : « عُبَيْد »

* * *

(١) فى المطبوعة : « فعيل » ، وهو خطأ .

(٢) هو الربيع بن زياد العبسى ، أحد الكلة من بنى فاطمة بنت الخرشب الأنمارية .

(٣) الأغانى ١٤ : ٩٢ ، ١٦ : ٢٢ ، واللسان (سمل) ، من أبيات أرسلها الربيع إلى النعمان ابن المنذر فى خبر طويل ، حين قال لبيد فى رجزه :

* مَهْلاً ، أَبَيْتَ اللَّعْنَ ، لا تأْكُلْ مَعَهْ *

وزعم أنه أبرص الخبيثة ، وذكر من فعله قبيحاً كريهاً ، فرحل الربيع عن النعمان ، وكان له نديماً ، وأرسل إليه أبياته :

لئن رَحَلْتُ جِمَالِى لا إِلَى سَعَةٍ مَا مِثْلُها سَعَةٌ عرضاً ولا طُولاَ
بِحَيْثُ لَوْ وُزِنَتْ لَخْمٌ بِأَجْمَعِهَا لَمْ يَعْدِلُوا رِيشَةً مِنْ رِيشِ سَمْوِيلاَ
تَرْعَى الرَّوَائِمُ أَحْرَارَ البُقُولِ بها لا مِثْلَ رِعْيِكُمُ مِلْحاً وغِسْوِيلاَ
فاثْبُتْ بأرضِكَ بَعْدِى ، وَاُخْلُ مُتَّكِئاً مَعَ النِّطَاسِىِّ طَوراً وَابْنِ تَوْفِيلاَ

ولخم : هم رهط آل المنذر ملوك الحيرة .

وأما « إيل » فهو الله تعالى ذكره ، كما : —

١٦٢٠ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا جابر بن نوح الحمانى ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير قال ، قال ابن عباس : « جبريل » و « ميكائيل » ، كقولك : عبد الله .

١٦٢١ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا الحسين ابن واقد ، عن يزيد النحوى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : « جبريل » عبد الله ؛ و « ميكائيل » ، عُبيد الله . وكل اسم « إيل » ، فهو : الله . ٣٤٧/١

١٦٢٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن إسمعيل ابن رجاء ، عن عمير مولى ابن عباس : أن « إسرائيل ، وميكائيل وجبريل ، وإسرافيل » كقولك : عبد الله .

١٦٢٣ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن المنهال ابن عمرو ، عن عبد الله بن الحارث قال : « إيل » ، الله ، بالعبرانية .

١٦٢٤ — حدثنا الحسين بن يزيد الضحاك قال ، حدثنا إسحق بن منصور قال ، حدثنا قيس ، عن عاصم ، عن عكرمة ، قال : « جبريل » اسمه : عبد الله ؛ و « ميكائيل » اسمه : عبيد الله . « إيل » : الله .

١٦٢٥ — حدثنى الحسين بن عمرو بن محمد العَنْقَزِىّ قال ، حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال ، حدثنا سفيان ، عن محمد بن عمرو بن عطاء ، عن على بن حسين قال : اسم « جبريل » عبد الله ، واسم « ميكائيل » عبيد الله ، واسم « إسرافيل » : عبد الرحمن . وكلُّ معبَّد « إيل » ، فهو : عبد الله .(١)

١٦٢٦ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا قبيصة بن عقبة قال ، حدثنا سفيان ، عن

---

(١) الخبر : ١٦٢٥ — الحسين بن عمرو بن محمد العنقزى : ضعيف ، قال أبو زرعة : « لا يصدق » . وهو مترجم فى لسان الميزان ، وابن أبى حاتم ١/٢/٦١ — ٦٢ ، والأنساب ، فى الورقة : ٤٠١ . و « العنقزى » : بفتح العين المهملة والقاف بينهما نون ساكنة وبالزاى . ووقع فى المطبوعة « العبقرى » ، وهو تصحيف . وكذلك سيأتى فى رقم : ١٦٥٥ ، بالتصحيف ، وصححناه هناك .

محمد المدنى — قال المثنى : قال قبيصة : أراه محمد بن إسحق — عن محمد بن عمرو ابن عطاء ، عن على بن حسين قال : ما تعدّون « جبريل » فى أسمائكم ؟ قال : « جبريل » عبد الله ، و « ميكائيل » عبيد الله . وكل اسم فيه « إيل » ، فهو معبَّدٌ لله .

١٦٢٧ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن عمرو بن عطاء ، عن على بن حسين قال : قال لى: هل تدرى ما اسم «جبريل» من أسمائكم ؟ قال : قلت : لا . قال: عبد الله . قال : فهل تدرى ما اسم « ميكائيل» من أسمائكم ؟ قلت : لا.[1] قال: عُبَيْد الله. وقد سمى لى « إسرائيل » باسم نحو ذلك فنسيته ، إلا أنه قد قال لى : أرأيتَ ، كل اسم يرجع إلى « إيل » فهو معبَّدٌ له .

١٦٢٨ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان، عن خصيف، عن عكرمة فى قوله : « جبريل » قال : « جبر » عبد ، « إيل » الله ، و « ميكا» قال : عبد . « إيل »: الله .[2]

* * *

قال أبو جعفر : فهذا تأويل من قرأ «جَبْرَئيل» بالفتح، والهمز، والمد . وهو — إن شاء الله — معنى من قرأ بالكسر ، وترك الهمز.

وأما تأويل من قرأ ذلك بالهمز ، وترك المد ، وتشديد اللام ، فإنه قصد بقوله ذلك كذلك ، إلى إضافة « جبر » و « ميكا » إلى اسم الله الذى يُسمَّى به بلسان العرب دون السريانىّ والعبرانىّ . وذلك أن « الإلّ » بلسان العرب : الله ، كما قال : ﴿ لا يَرْقُبُون فِى مُؤْمِنٍ إلاًّ وَلاَ ذِمَّةً ﴾ [سورة التوبة : ١٠] . فقال جماعة من أهل العلم : « الإلُّ » هو : الله . ومنه قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه — لوفد بنى حَنِيفة ، حين سألهم عمّا كان مسيلمة يقولُ ، فأخبروه — فقال لهم : وَيحكُم

(١) فى المطبوعة : « قال : لا » ، والصواب ما أثبت .
(٢) لعله « وميكا » . قال : « عبيد » بالتصغير ، كما سلف آنفاً .

« أين ذُهِبَ بكم؟ والله إن هذا الكلام مَا خرج من إلٍّ ولا بِرٍّ » . يعنى « من إلٍّ » : من الله . وقد : —

١٦٢٩ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن سليمان التيمى ، عن أبى مجلز فى قوله : « لا يَرْقُبون فى مُؤمن إلاًّ ولا ذِمَّةً » قال : قول « جبريل » و « ميكائيل » و « إسرافيل » .

كأنه يَقول : حين يضيف « جبر » و « ميكا » و « إسرا » إلى « إيل » يقول : عبد الله .[1] « لا يرقبون فى مؤمن إلاًّ » ، كأنه يقول : لا يرقُبونَ الله عز وجل .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « مصدّقاً لما بين يديه » ، القرآنَ . ونَصَب « مُصَدّقاً » على القطع من « الهاء » التى فى قوله : « نَزَّله على قلبك » .[2]

فمعنى الكلام : فإن جبريلَ نزّل القرآن على قلبك ، يا محمد ، مُصَدِّقاً لما بين يَدَىِ القرآن . يعنى بذلك : مصدِّقاً لما سلف من كتب الله أمامه ، ونزلت على رسله الذين كانوا قبل محمد صلى الله عليه وسلم . وتصديقُه إيّاها ، موافقة معانيه معانيها فى الأمر باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله ، وهى تصدِّقه ،[3] كما : —

٣٤٨/١ ١٦٣٠ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد قال ، حدثنا بشر ابن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « مصدِّقاً لما بين

---

(١) لعل الصواب أن يقول : « إسراف » ، مكان « إسرا » ، أو تكون الأولى « إسرائيل » مكان « إسرافيل » .

(٢) القطع : الحال هنا . وانظر ما سلف ١ : ٢٣٠ — ٢٣٢ ، ٣٣٠ ، ٥٦١ .

(٣) فى المطبوعة : « وهى تصديقه » والصواب ما أثبت ، يريد : وهى توافقه . كما فسر قبل .

يديه» ، يقول لما قبله من الكتُب التي أنزلها الله ، والآيات ، والرُّسل الذين بعثهم الله بالآيات ، نحو مُوسى ونُوح وهُود وشُعَيب وصَالح ، وأشباههم من الرسل صلى الله عليهم .

١٦٣١ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة : « مصدِّقاً لما بين يديه »، من التوراة والإنجيل .

١٦٣٢ – حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٩٧)

قال أبو جعفر : يعني بقوله جل ثناؤه : « وهُدًى » ودليل وبرهان . وإنما سمّاه الله جل ثناؤه « هُدًى »، لاهتداء المؤمن به . و « اهتداؤه به » اتخاذه إيّاه هادياً يتبعه ، وقائداً ينقاد لأمره ونهيه وحلاله وحرامه . و « الهادى » من كل شيء: ما تقدم أمامه. ومن ذلك قيل لأوائل الخيل: «هواديها»، وهو ما تقدم أمامها. وكذلك قيل للعنق: « الهادى »، لتقدمها أمام سائر الجسد .(١)

* * *

وأما « البُشْرى» فإنها البشارة . أخبر الله عبادَه المؤمنين جل ثناؤه، أنّ القرآن لهم بُشرَى منه ، لأنه أعلمهم بما أعدّ لهم من الكرامة عنده في جناته ، وما هم إليه صائرون في معادهم من ثوابه، وذلك هو «البُشرى» التي بشر الله بها المؤمنين في كتابه .

لأن « البشارة » في كلام العرب ، هي : إعلامُ الرجل بما لم يكُنْ به عالماً مما يَسُرّه من الخبر ، قبل أن يسمعه من غيره ، أو يعلمه من قبل غيره .(٢)

وقد روى في ذلك عن قتادة قول قريب المعنى مما قلناه :

---

(١) انظر ما سلف ١ : ١٦٦ – ١٧٠ ، ٢٣٠ ، ٢٤٩ ثم ٥٤٩ – ٥٥١ .

(٢) انظر ما سلف ١ : ٣٨٣ .

١٦٣٣ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : «هُدى وبُشرى للمؤمنين»، لأن المؤمن إذا سمع القرآن حفظه ووعاه ، وانتفع به واطمأن إليه ، وصدّق بموعود الله الذى وَعد فيه ، وكان على يقين من ذلك .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ذكره ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَـٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴾ (٩٨)

قال أبو جعفر : وهذا خبرٌ من الله جل ثناؤه من كانَ عدوًّا لله ، مَنْ عاداه وَعادَى جميع مَلائكته ورُسله ؛[1] وإعلامٌ منه أن من عادى جبريلَ فقد عاداه وعادى ميكائيل، وعادى جميع ملائكته ورسله . لأن الذين سماهم الله فى هذه الآية هم أولياءُ الله وأهلُ طاعته، ومن عادَى لله وَليًّا فقد عادى الله وبارزه بالمحاربة ، ومن عادَى الله فقد عادى جميع أهل طاعته ووَلايته . لأن العدوَّ لله عدوٌّ لأوليائه ، والعدوُّ لأولياء الله عدوّ له . فكذلك قال لليهود ــ الذين قالوا : إن جبريل عدوّنا من الملائكة، وميكائيل وليُّنا منهم ــ : « من كانَ عدوًّا لله وَملائكته ورُسُله وجبريلَ وميكال فإن الله عدوٌّ للكافرين » ، من أجل أن عدوَّ جبريل عدوُّ كل ولىّ لله . فأخبرهم جل ثناؤه أن من كان عدوًّا لجبريل ، فهو لكل من ذكره ــ من ملائكته ورُسُله وميكال ــ عدوٌّ ، وكذلك عدوُّ بعضِ رُسل الله، عدو لله ولكل ولىّ . وقد : ــ

١٦٣٤ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا عبيد الله ــ يَعنى العَتَكى ــ، عن رجل من قريش قال: سأل النبي صلى الله عليه وسلم اليهودَ

---

(١) هكذا فى المطبوعة : « من كان عدواً لله » ، وهو لا يستقيم ، وكأن الصواب « أن من كان عدواً لله ، عاداه وعادى جميع ملائكته ورسله » بإسقاط « من » من « من عاداه » .

فقال : أسألكم بكتابكم الذى تقرأون، هل تجدون به قد بشّر بى عيسى بن مريم أن يأتيكم رسولٌ اسمُه أحمد ؟ فقالوا: اللهم وَجدنـاك فى كتابنا ، ولكنا كرِهْناك لأنك تستحلُّ الأموال وتُهـَريق الدّماء. فأنزل الله : «من كان عدوًّا لله وملائكته» الآية .(١)

١٦٣٥ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن حصين بن عبد الرحمن ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال : إن يَهوديًّا لقى عُمرَ فقال له : إن جبريلَ الذى يذكره صاحبك ، هو عدوٌّ لنا . فقال له عمر : من كان عدوًّا لله وملائكته ورُسله وجبريل وميكال فإن الله عدوّ للكافرين . قال: فنزلت على لسان عُمَر . ٣٤٩/١

* * *

وهذا الخبر يدلّ على أن الله أنزل هذه الآية توبيخاً لليهود فى كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وإخباراً منه لهم أنّ من كان عدوًّا لمحمد فالله له عدوّ ، وأن عدوَّ محمدٍ من الناس كلهم ، لمن الكافرين بالله ، الجاحدين آياته .

* * *

فإن قال قائل : أو ليس جبريل وميكائيل من الملائكة ؟

قيل : بلى .

فإن قال : فما معنى تكرير ذكرهما بأسمائهما ، وقد مضى ذكرهما فى الآية فى جُملة أسماء الملائكة ؟

قيل : معنى إفراد ذكرهما بأسمائهما ، أنّ اليهود لما قالت: « جبريل عدوُّنا ، وميكائيل وَليُّنا » – وزعمت أنها كفرت بمحمد صلى الله عليه وسلم، من أجل أنّ

(١) الحديث: ١٦٣٤ – عبيد الله العتكى : هو عبيد الله بن عبد الله، أبو المنيب العتكى ، وهو ثقة، وثقه ابن معين وغيره. وذكره البخارى فى كتاب الضعفاء، ص : ٢٢ ، وقال : « عنده مناكير » . وقال ابن أبى حاتم ٣٢٢/٢/٢ ، فى ترجمته : « سمعت أبى يقول : هو صالح الحديث . وأنكر على البخارى إدخاله فى كتاب الضعفاء . وقال : « يحول » . ولكن هذا الحديث منقطع ضعيف الإسناد ، لأن أبا المنيب إنما يروى عن التابعين .

والخبر رواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٢٦٥ ، من طريق إسحق بن إبرهيم ، عن جرير ، به . وصححه الذهبى فى مختصره . ونقله ابن كثير ١ : ٢٤٨ – ٢٤٩ ، عن الطبرى ، ثم أشار إلى رواية الحاكم .

جبريل صاحب محمد صلى الله عليه وسلم — أعلمهم الله أن من كان لجبريل عدوًّا ، فإنّ الله له عدوٌّ، وأنه من الكافرين . فنصّ عليه باسمه وعلى ميكائيل باسمه ، لئلا يقول منهم قائل : إنما قال الله : من كان عدوًّا لله وملائكته ورسله ، ولسنا لله ولا لملائكته ورسله أعداءً . لأن الملائكة اسم عام محتمل خاصًّا ، وجبريل وميكائيل غير داخلين فيه. وكذلك قوله : « ورسله » ، فلست يا محمد داخلاً فيهم . فنص الله تعالى على أسماء من زعموا أنهم أعداؤه بأعيانهم ، ليقطع بذلك تلبيسهم على أهل الضعف منهم ، ويحسم تمويههم أمورَهم على المنافقين .

* * *

وأما إظهار اسم الله فى قوله : « فإن اللهَ عدُوٌّ للكافرين » ، وتكريره فيه — وقد ابتدأ أوّلَ الخبر بذكره فقال : « من كانَ عدوًّا لله وملائكته » — فلئلا يلتبس لو ظهر ذلك بكناية ، فقيل : « فإنه عدوٌّ للكافرين » ، على سامعه ، مَن المعنىّ بـ « الهاء » التى فى « فإنه » : أ الله ، أم رسل الله جل ثناؤه ، أم جبريل ، أم ميكائيل ؟ إذ لو جاء ذلك بكناية على ما وصفت ، فإنه يلتبس معنى ذلك على من لم يُوقَّف على المعنىّ بذلك ، لاحتمال الكلام ما وصفت . وقد كان بعض أهل العربية يوجّه ذلك إلى نحو قول الشاعر :(١)

لَيْتَ الغُرَابَ غَدَاةَ يَنْعَبُ دَائِمًا كَانَ الغُرَابُ مُقَطَّعَ الأَوْدَاجِ(٢)

وأنّه إظهار الاسم الذى حظّه الكنايةُ عنه . والأمر فى ذلك بخلاف ما قال . وذلك أن « الغراب » الثانى لو كان مُكَنًّى عنه ، لما التبس على أحد يعقل كلام العرب أنه كناية اسم «الغراب» الأول ، إذ كان لا شىء قبله يحتمل الكلامُ أن يوجّه إليه

(١) هو جرير .

(٢) ديوانه ٨٩ ، وأمالى ابن الشجرى ١ : ٢٤٣ ، وغيرهما . ورواية ديوانه « ينعب بالنوى » ، وهو الجيد ، فإن قبله :

إنّ الغُرَابَ ، بِمَا كَرِهْتَ ، لَمُولَعٌ بِنَوَى الأَحِبَّةِ دَائِمُ التَّشْحَاجِ

والأوداج جمع ودج : وهو عرق من عروق تكتنف الحلقوم .

غيرُ كناية اسم « الغراب » الأول — وأن قبل قوله : « فإنّ الله عدوٌّ للكافرين » أسماءٌ ، لو جاء اسم الله تعالى ذكره مكنيًّا عنه ، [1] لم يعلم مَنِ المقصودُ إليه بكناية الاسم ، إلا بتوقيف من حُجّة . فلذلك اختلف أمرَاهما .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « ولقد أنزلنا إليك آيات » ، أى أنزلنا إليك يا محمد علاماتٍ واضحاتٍ دالاّتٍ على نُبوّتك : وتلك الآيات هى ما حَوَاه كتابُ الله الذى أنزله إلى محمد صلى الله عليه وسلم من خَفايا علوم اليهود ومَكنون سَرائر أخبارهم وأخبار أوائلهم من بنى إسرائيل ، والنبأ عما تضمنته كتبهم التى لم يكن يعلمها إلا أحبارُهم وعلماؤهم — وما حرفه أوائلهم وأواخرهم وبدّلوه ، من أحكامهم التى كانت فى التوراة . فأطلعها الله فى كتابه الذى أنزله على نبيه ٣٥٠/١
محمد صلى الله عليه وسلم .[2] فكان ، فى ذلك من أمره ، الآياتُ البينات لمن أنصف نفسه ، ولم يدْعُه إلى إهلاكها الحسدُ والبغى . إذ كان فى فطرة كل ذى فِطرة صحيحة ، تصديقُ من أتى بمثل الذى أتى به محمد صلى الله عليه وسلم من الآيات البينات التى وصفتُ ، من غير تَعلُّم تعلّمه من بشر ، ولا أخذ شىء منه عن آدمىّ . وبنحو الذى قلنا فى ذلك روى الخبر عن ابن عباس .

١٦٣٦ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد قال ، حدثنا بشر ابن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « ولقد أنزلنا إليك

---

(١) فى المطبوعة : « وإن قيل قوله فإن الله عدو للكافرين » اسما لو جاء . . . » والصواب ما أثبت . وقد رجم مصححو المطبوعة رجماً لا خير فيه فى تصحيح كلام الطبرى .

(٢) فى المطبوعة : « فأطلع الله فى كتابه . . . » وهو كلام لا يستقيم ، والصواب ما أثبت . يعنى فأظهر الله هذه الخفايا ، وتلك الأخبار ، وما حرفوه من الأحكام فى توراتهم .

آيات بيّنات » يقول : فأنت تتلوه عليهم ، وتخبرُهم به غُدوةً وعشيةً وبين ذلك ، وأنتَ عندهم أميّ لم تقرأ كتاباً ، وأنت تخبرهم بما فى أيديهم على وَجهه . يقول الله : فنى ذلك لهم عبرة وَبيان ، وعليهم حجة لو كانوا يعملون .

١٦٣٧ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال ، حدثنا ابن إسحق قال ، حدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، وعن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال ابن صُوريا الفِطْيُونى لرسول الله صلى الله عليه وسلم :[1] يا محمد ما جئتنا بشىء نعرفه ، وما أنزل الله عليك من آية بَينة فنتبعك بها ![2] فأنزل الله عز وجل : « ولقد أنزَلنا إليك آيات بَيِّنات وَمَا يَكفُرُ بها إلا الفاسقون » ![3]

١٦٣٨ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنا محمد بن إسحق قال ، حدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال، حدثنى سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال ابن صُوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر مثله.[3]

* * *

(١) فى المطبوعة « القطيونى » بالقاف ، وهو خطأ ، وهو من بنى ثعلبة بن الفطيون (بكسر الفاء وسكون الطاء ، وضم الياء) . قال السهيلى : « الفطيون : كلمة عبرانية تطلق على كل من ولى أمر اليهود وملكهم » . ورواية ابن جرير : « ابن صوريا » ، والذى فى سيرة ابن هشام ٢ : ١٩٦ « ابن صلوبا الفطيونى » . وقد ذكر ابن هشام فيما روى من سيرة ابن إسحق ١ : ١٦٠ — ١٦١ « الأعداء من يهود » ، فعد فى بنى ثعلبة بن الفطيون : « عبد الله بن صوريا الأعور ، ولم يكن فى زمانه أحد أعلم بالتوراة منه ، وابن صلوبا ، ومخيريق . وكان حبرهم ، أسلم » ، ولم أستطع أن أرجح أهو : ابن صوريا ، أو — ابن صلوبا — الذى كان من أمره ما كان . ولعلهما روايتان مختلفتان عن ابن إسحق . وانظر أيضاً الأثر : ١٦٣٨ .

(٢) فى ابن هشام : «من آية فنتبعك لها ، فأنزل الله تعالى فى ذلك من قوله : « ولقد أنزلنا إليك... »

(٣) الأثران : ١٦٣٧ — ١٦٣٨ — فى سيرة ابن هشام ٢ : ١٩٦ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلاَّ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « وما يكفر بها إلاّ الفاسقون » ، وما يجحد بها . وقد دللنا فيما مضى من كتابنا هذا على أن معنى « الكفر » الجحود ، بما أغنى عن إعادته هنا.(١) وكذلك بينا معنى « الفِسْق » ، وأنه الخروج عن الشىء إلى غيره .(٢)

* * *

فتأويل الآية : ولقد أنزلنا إليك، فيما أوحينا إليك من الكتاب، علاماتٍ واضحاتٍ تبين لعلماء بنى إسرائيل وأحبارهم — الجاحدين نبوّتَك ، والمكذبين رِسَالتك — أنك لى رسولٌ إليهم ، ونبىٌّ مبعوث ، وما يجحدُ تلك الآيات= الدالاّت على صدقك ونبوتك ، التى أنزلتها إليك فى كتابى فيكذب بها منهم = إلا الخارجُ منهم من دينه ، التارك منهم فرائضى عليه فى الكتاب الذى يَدين بتصديقه . فأما المتمسّك منهم بدينه ، والمتّبع منهم حكم كتابه ، فإنه بالذى أنزلت إليك من آياتى مصدِّق وهم الذين كانوا آمنوا بالله وصدّقوا رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم من يهود بنى إسرائيل .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ذكره ﴿ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٠٠)

قال أبو جعفر : اختلف أهل العربية فى حكم « الواو » التى فى قوله : « أوَ كلما عاهَدوا عهداً » . فقال بعض نحويّى البصريين : هى « واو » تجعل مع حروف الاستفهام ، وهى مثل « الفاء » فى قوله : ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ [سورة البقرة ٨٧] ، قال : وهما زائدتان فى هذا الوجه ،

(١) انظر ما سلف ١ : ٢٥٥ ، ٣٨٢ ، ٥٥٢ ، وهذا الجزء ٢ : ١٤٠ ، ٣٣٧

(٢) انظر ما سلف ١ : ٤٠٩ — ٤١٠ ، وهذا الجزء ٢ : ١١٨

وهى مثل «الفاء» التى فى قوله «فاللهَ لتصنعن كذا وكذا»[1]، وكقولك للرجل : «أفلا تقوم؟» . وإن شئت جعلت «الفاء» «والواو» هاهنا حرفَ عَطْفٍ .

وقال بعض نحويى الكوفيين : هى حرف عطف أدخل عليها حرف الاستفهام.

* * *

والصواب فى ذلك عندى من القول أنّها «واو» عطف ، أدخلت عليها «ألف» الاستفهام ، كأنه قال جل ثناؤه : وإذ أخذنا ميثاقكم ورَفعنا فوقكم الطور ، خذوا ما آتيناكم بقوة وَاسمعوا ، قالوا : سمعنا وعصينا ، وكلما عَاهدُوا عهداً نَبذه فريق منهم . ثم أدخل «ألف» الاستفهام على «وكلّما» فقال : قالوا سمعنا وعصينا ، أوَكُلّما عاهدوا عهداً نَبذه فريقٌ منهم . ٣٥١/١

وقد بيّنا فيما مضى أنه غيرُ جائز أن يكون فى كتاب الله حَرف لا معنى له،[2] فأغنى ذلك عن إعادة البيان على فساد قول من زعم أن «الواو» و«الفاء» من قوله: «أوكلما» و «أفكلما» زائدتان لا معنى لهما .

* * *

وأما «العهد» ، فإنه الميثاق الذى أعطته بنو إسرائيل ربَّهم ليعمَلُنّ بما فى التوراة مرة بعد أخرى، ثم نقض بعضهم ذلك مرّة بعد أخرى. فوبّخهم جل ذكره بما كان منهم من ذلك ، وعيّر به أبناءَهم، إذ سلكوا منهاجَهم فى بعض ما كان جل ذكره أخذَ عليهم بالإيمان به من أمر محمد صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق ، فكفروا وجحدوا ما فى التوراة من نعته وصفته ، فقال تعالى ذكره : أوَكلما عاهد اليهودُ من بنى إسرائيل ربَّهم عهداً ، وأوثقوه ميثاقاً ، نَبذه فريق منهم، فتركه ونَقضه ؟ كما : —

١٦٣٩ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنا ابن إسحق قال ، حدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال ، حدثنى سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال مالك بن الصيف — حين بعث

(١) لم أعلم ماذا أراد الطبرى بهذا .

(٢) انظر ما سلف ١ : ٤٣٩ — ٤٤١ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر ما أخذ عليهم من الميثاق ، وما عهد الله إليهم فيه — : والله ما عهد إلينا فى محمد صلى الله عليه وسلم ، وَما أخذ له علينا ميثاقاً! فأنزل الله جل ثناؤه : « أوَكلما عَاهَدوا عَهداً نَبذه فريقٌ منهم بلْ أكثرهم لا يؤمنون » .[1]

١٦٤٠ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال ، حدثنا محمد بن إسحق قال ،حدثنى محمد بن أبى محمد مولى آل زيد بن ثابت ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس مثله .

* * *

قال أبو جعفر وأما « النَّبْذ » فإن أصله — فى كلام العرب — الطَّرْح ، ولذلك قيل للملقوط : « المنبُوذ »،[2] لأنه مطروح مرمىٌّ به . ومنه سمى النبيذ « نبيذاً »، لأنه زبيب أو تَمْر يُطرح فى وعاء ، ثم يعالج بالماء . وأصله « مفعول » صرف إلى «فعيل» ، أعنى أن « النبيذ » أصله « منبوذ » ثم صرف إلى «فعيل» فقيل : « نبيذ »، كما قيل : «كف خَضيب، ولحية دَهِين» — يعنى : مخضوبة ومدهونة .[3] يقال منه : « نبذته أنبِذُه نَبْذاً » ، كما قال أبو الأسود الدّئلى :

نَظَرْتَ إلى عُنْوانِهِ ، فَنَبَذْتَهُ كَنَبْذِكَ نَعْلاً أخْلَقَتْ مِنْ نِعَالِكَا[4]

* * *

فمعنى قوله جل ذكره : «نَبَذه فريقٌ منهم »، طرحه فريق منهم ، فتركه ورفَضه ونَقضه ، كما : —

---

(١) الأثر : ١٦٣٩ — فى سيرة ابن هشام ٢ : ١٩٦ ، مع اختلاف يسير فى اللفظ . وقد ذكر ابن هشام فى ٢ : ١٦١ « مالك بن الصيف » وقال : « و يقال : ابن ضيف » .

(٢) فى تفسير ابن كثير ١ : ٢٤٧ : « وسمى اللقيط . . . » ، واللقيط أجود من الملقوط .

(٣) انظر ما سلف ١ : ١١٢ .

(٤) ديوانه : ٢١ (فى نفائس المخطوطات : ٢) ، وسيأتى فى ٢٠ : ٤٩ — ٥٠ (بولاق) ، ومجاز القرآن : ٤٨ ، من أبيات كتب بها إلى صديقه الحصين بن الحر ، وهو وال على ميسان ، وكان كتب إليه فى أمر يهمه ، فشغل عنه ؛ وقبل البيت :

وَخَبَّرنى مَنْ كُنتُ أرسلتُ أنَّما أخذتَ كِتابى مُعْرِضاً بِشِمَالِكَا

١٦٤١ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « نبذَه فريقٌ منهم » يقول : نَقضَه فريق منهم .

١٦٤٢ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قوله : « نَبذَهُ فريقٌ منهم »، قال: لم يكن فى الأرض عَهدٌ يُعاهِدون عليه إلا نَقَضوه، ويعاهدون اليَوم وينقضون غداً . قال : وفى قراءة عبد الله : « نقضه فريق منهم » .

* * *

و « الهاء » التى فى قوله: « نبذه »، من ذكر العهد. فمعناه أوَكلما عاهدوا عهداً نبذ ذلك العهدَ فريق منهم .

* * *

و « الفريق » : الجماعة، لا واحدَ له من لفظه، بمنزلة « الجيش » و « الرهط » الذى لا واحد له من لفظه .(١)

* * *

و « الهاء والميم » اللتان فى قوله : « فريق منهم »، من ذكر اليهود من بنى إسرائيل .

* * *

وأما قوله : « بل أكثرُهم لا يؤمنون » فإنه يعنى جل ثناؤه : بل أكثر هؤلاء — الذين كلما عاهدُوا الله عهداً ووَاثقوه مَوثِقاً ، نقضه فريق منهم — لا يؤمنون .

* * *

ولذلك وَجهان من التأويل : أحدهما : أن يكون الكلام دلالةً على الزيادة والتكثير فى عدد المكذّبين الناقضين عهد الله ، على عَدَد الفريق . فيكون الكلام حينئذ معناه : أوكلما عاهدتِ اليهود من بنى إسرائيل رَبَّها عَهداً نقضَ فريق منهم ذلك العهد ؟ لا — مَا ينقض ذلك فريقٌ منهم ، ولكن الذى ينقض ذلك فيكفرُ بالله ، أكثرهم ، لا القليل منهم . فهذا أحدُ وجهيه . ١ /٣٥٢

والوجه الآخر : أن يكون معناه : أوَكلّما عاهدت اليهود ربَّها عهداً، نبذ ذلك

(١) انظر ما سلف فى هذا الجزء ٢ : ٢٤٤ ، ٢٤٥

العهد فريقٌ منهم ؟ لا – ما ينبذ ذلك العهد فريق منهم فينقضُه = على الإيمان منهم بأنّ ذلكَ غير جائز لهم = ولكن أكثرهم لا يصدّقون بالله ورُسله ، ولا وعده ووعيده . وقد دللنا فيما مضى من كتابنا هذا معنى « الإيمان » ، وأنه التصديق .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله جل ذكره ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ كِتَٰبَ اللهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١٠١)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « ولما جاءهم » ، أحبارَ اليهود وعلماءَها من بنى إسرائيل – « رسول » ، يعنى بالرسول : محمداً صلى الله عليه وسلم كما : –

١٦٤٣ – حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى فى قوله : « ولما جاءَهم رَسُول » ، قال : لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم .

* * *

وأما قوله : « مصدق لما معهم » ، فإنه يعنى به أن محمداً صلى الله عليه وسلم يُصدِّق التوراة والتوراة تصدقه ، فى أنه لله نبىٌّ مبعوث إلى خلقه .

* * *

وأما تأويل قوله : « ولما جاءَهم رسول من عند الله مصدق لما معهم » ، فإنه للذى هو مع اليهود ، وهو التوراة . فأخبر الله جل ثناؤه أن اليهودَ لما جاءهم رسول الله صلى الله عليه سلم من الله بتصديق ما فى أيديهم من التوراة ، أنّ محمداً صلى الله عليه وسلم نبى لله ، « نبذ فريق » ، يَعنى بذلك : أنهم جحدوه ورفضوه بعد أن كانوا به مقرّين ، حسداً منهم له وبغياً عليه . وقوله : « من الذين أوتوا الكتاب » . وهم علماء اليهود الذين أعطاهم الله العلم بالتوراة وما فيها . ويعنى بقوله : « كتاب الله » ، التوراةَ .

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٢٣٤ – ٢٣٥ ، ٢٧١ ، ٥٦٠ ، وهذا الجزء ٢ : ١٤٣ ، ٣٤٨

وقوله : « وَرَاء ظُهورهم » ، [١] جعلوه وراء ظهورهم . وهذا مثل ، يقال لكل رافضٍ أمراً كان منه على بَال : « قد جَعل فلان هذا الأمرَ منه بظَهْر ، وجعله وراء ظهره » ، يعنى به : أعرض عنه وَصدّ وانصرف ، كما : —

١٦٤٤ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولما جاءهم رَسول من عند الله مصدقٌ لما معهم نَبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وَرَاء ظهورهم » ، قال : لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم عارضوه بالتوراة فخاصموه بها ، فاتفقت التوراة والقرآن ، فنبذوا التوراة وأخذوا بكتاب آصف ، وسحر هاروت وماروت . [٢] فذلك قول الله : « كأنهم لا يعلمون » .

* * *

ومعنى قوله : « كأنهم لا يعلمون » ، كأن هؤلاء الذين نبذوا كتاب الله من علماء اليهود — فنقضوا عهد الله بتركهم العمل بما وَاثقوا الله على أنفسهم العملَ بما فيه — لا يعلمون ما فى التوراة من الأمر باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وتصديقه . وهذا من الله جل ثناؤه إخبارٌ عنهم أنهم جحدوا الحق على علم منهم به ومعرفة ، وأنهم عاندوا أمر الله فخالفوا على علم منهم بوجوبه عليهم ، كما : —

١٦٤٥ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب » ، يقول : نقض فريقٌ من الذين أوتوا الكتاب « كتابَ الله وَرَاء ظهورهم ، كأنهم لا يعلمون » : أى أن القوم كانوا يعلمون ، ولكنهم أفسدوا علمهم ، وَجحدوا وكفروا وكتموا .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « وقوله فنبذوه وراء ظهورهم » ، فحذفت « نبذوه » ، لأن الطبرى ساق الآية بتمامها ، وهذا لفظ مقحم فيها .

(٢) فى تفسير ابن كثير ١ : ٢٤٧ زيادة ، بعد قوله : « وماروت ، فلم يرافق القرآن ، فذلك قول الله » . وآصف : كان كاتب سليمان . وكان يعلم الاسم الأعظم ، وكان يكتب كل شىء بأمر سليمان . ويدفنه تحت كرسيه ، فلما مات سليمان أخرجته الشياطين ، فكتبوا بين كل سطرين سحراً وكفراً (ابن كثير ١ : ٢٤٨) .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله « واتبعوا ما تتلو الشياطين »، الفريقَ من أحبار اليهود وعلمائها ، الذين وصفهم جل ثناؤه بأنهم نبذوا كتابه الذى أنزله على موسى ، ٣٥٣/١ وراء ظهورهم ، تجاهلاً منهم وكفراً بما هم به عالمون ، كأنهم لا يعلمون . فأخبر عنهم أنهم رفضوا كتابه الذى يعلمون أنه منزّل من عنده على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ونقضوا عهدَه الذى أخذه عليهم فى العمل بما فيه ، وآثروا السحرَ الذى تلته الشياطين فى ملك سليمان بن داود فاتبعوه ، وذلك هو الخسار والضلال المبين .

* * *

واختلف أهل التأويل فى الذين عنوا بقوله : « واتَّبَعوا ما تتلو الشياطين على مُلك سُليمان » . فقال بعضهم : عنى الله بذلك اليهودَ الذين كانوا بين ظهرانى مُهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنهم خاصموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوراة ، فوجدوا التوراةَ للقرآن موافقةً ، تأمر من تباع محمد صلى الله عليه وسلم وتصديقه ، بمثل الذى يأمر به القرآن . فخاصموا بالكتب التى كانَ الناس اكتتبوها من الكهنة على عهد سليمان . ذكر من قال ذلك :

١٦٤٦ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « واتبعوا ما تتلوا الشياطين على مُلك سليمان » — على عهد سليمان — قال : كانت الشياطين تصعد إلى السماء ، فتقعد منها مقاعد للسمع ، فيستمعون من كلام الملائكة فيما يكون فى الأرض من موت أو غيث أو أمر ،[1] فيأتون الكهنة فيخبرونهم ، فتحدّث الكهنة الناس ، فيجدونه كما قالوا . حتى إذا أمنتهم الكهنة كذبوا لهم فأدخلوا فيه غيره ، فزادوا مع كل كلمة سبعين كلمة . فاكتتب

(١) فى تفسير ابن كثير ١ : ٢٤٩ : « ما يكون فى الأرض . . . أو غيب »

الناس ذلك الحديث فى الكتب ، وفشا فى بنى إسرائيل أن الجن تعلم الغيب . فبعث سليمان فى الناس فجمع تلك الكتب ، فجعلها فى صندوق ، ثم دفنها تحت كرسيه . ولم يكن أحد من الشياطين يستطيع أن يدنو من الكرسىّ إلاّ احترق ، وقال : لا أسمع أحداً يذكر أنّ الشياطين تعلم الغيب إلا ضربت عنقه ! فلما مات سليمان وذهبت العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمان ، وخلف بعد ذلك خَلْفٌ ، تمثل الشيطان فى صورة إنسان ، ثم أتى نَفراً من بنى إسرائيل فقال : هل أدلكم على كنزٍ لا تأكلونه أبداً ؟[1] قالوا : نعم . قال : فاحفروا تحت الكرسىّ . وذهب معهم فأراهم المكان، وقام ناحية.[2] فقالوا له : فادْن ! قال : لا، ولكننى ها هنا فى أيديكم ، فإن لم تجدوه فاقتلونى ! فحفروا فوجدوا تلك الكتب . فلما أخرجوها قال الشيطان : إن سليمان إنما كان يضبط الإنس والشياطين والطير بهذا السحر . ثم طار فذهب. وفشا فى الناس أن سليمان كان ساحراً ، واتخذت بنو إسرائيل تلك الكتب ، فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم خاصموه بها ، فذلك حين يقول : « وَما كفرَ سُليمان ولكن الشياطين كفروا يُعلّمونَ الناس السحر ».[3]

١٦٤٧ — حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبى جعفر، عن أبيه، عن الربيع فى قوله : « واتبعوا ما تتلوا الشياطينُ على مُلك سُليمان »، قالوا : إنّ اليهودَ سألوا محمداً صلى الله عليه وسلم زماناً عن أمور من التوراة ، لا يسألونه عن شىء من ذلك إلا أنزل الله عليه ما سألوا عنه ، فيخصِمهم .[4] فلما رأوا ذلك قالوا : هذا أعلم بما أنزل إلينا منّا ! وأنّهم سألوه عن السحر وخاصموه به، فأنزل الله جل وعز : « واتبعوا ما تتلوا الشياطين على مُلك سُليمان وما كفر سُليمان ولكنّ الشياطين كفروا يُعلّمون الناسَ السحر » . وإن الشياطين عمدوا إلى كتاب فكتبوا فيه السحر

---

(١) لا تأكلونه : أى لا تنفدونه أبداً . يقال : أكل فلان عمره : إذا أفناه .
(٢) فى المطبوعة : « فقام » ، والصواب ما أثبته من تفسير ابن كثير .
(٣) الأثر : ١٦٤٦ — فى تفسير ابن كثير ١ : ٢٤٩ .
(٤) خاصمنى فخصمته أخصمه : غلبته بالحجة فى خصومتى .

والكهانة وما شاء الله من ذلك، فدفنوه تحت مجلس سليمان —[١] وكان سليمان لا يعلم الغيب . فلما فارق سليمان الدنيا استخرجوا ذلك السحر وخدعوا به الناس ، وقالوا : هذا علمٌ كان سليمان يكتمه ويحسُد الناس عليه! فأخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم ٣٥٤/١ بهذا الحديث ، فرجعوا من عنده وقد حَزِنوا ، وأدحض الله حجتهم .[٢]

١٦٤٨ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : «واتبعوا مَا تتلوا الشياطينُ على مُلك سليمان » ، قال : لما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدِّقاً لما معهم ، « نَبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب» الآية ، قال : اتَّبعوا السحر ، وهم أهل الكتاب . فقرأ حتى بلغ « ولكن الشياطين كفروا يعلِّمون الناسَ السحر » .

* * *

وقال آخرون : بل عنى الله بذلك اليهودَ الذين كانوا على عَهد سليمان .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٤٩ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج : تلت الشياطين السِّحر على اليهود على ملك سليمان ، فاتبعته اليهود على ملكه ، يعني : اتبعوا السحر على ملك سليمان .

١٦٥٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدّثني ابن إسحق قال : عمدت الشياطين حين عرفت موتَ سليمان بن داود عليه السلام ، فكتبوا أصنافَ السحر : «مَنْ كان يحبّ أن يبلغ كذا وكذا فليفعل كذا وكذا» . حتى إذا صنعوا أصناف السحر ،[٣] جعلوه في كتاب ثم ختموا عليه بخاتم على نقش خاتم سليمان ، وكتبوا في عنوانه : « هذا ما كتب آصف بن برخيا الصديق للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم » ، ثم دفنوه تحت كرسيه . فاستخرجته بعد ذلك بقايا بني إسرائيل حين أحدثوا ما أحدثوا ، فلما عثروا عليه قالوا: ما كان سليمان

(١) في تفسير ابن كثير : « تحت كرسي مجلس سليمان » .
(٢) الأثر : ١٦٤٧ — في تفسير ابن كثير ١ : ٢٤٩ — ٢٥٠ .
(٣) في تفسير ابن كثير : « صنفوا أصناف السحر » . وهي أجود .

ابن داود إلا بهذا ! فأفشوا السحر فى الناس وتعلموه وعلموه، فليس فى أحد أكثر منه فى يهود . فلما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما نزل عليه من الله، سليمانَ بن داود وعدَّه فيمن عدَّه من المرسلين ، قال من كان بالمدينة من يَهود : ألا تعجبون لمحمد ! [1] يزعم أن سليمان بن داود كان نبيًّا ! والله ما كان إلا ساحراً ! فأنزل الله فى ذلك من قولهم على محمد صلى الله عليه وسلم : « واتَّبعوا ما تتلوا الشياطين عَلى مُلك سُليمان وما كفرَ سُليمانُ ولكن الشياطين كفروا . [2]

قال : كان حينَ ذهب مُلكُ سُليمان ، ارتدَّ فِئامٌ من الجن والإنس واتبعوا الشهوات ، [3] فلما رَجع اللهُ إلى سليمانَ ملكه، قام الناس على الدين كما كانوا . وأن سليمان ظَهر على كتبهم فدفنها تحت كرسيه، وتوفى سليمان حِدْثانَ ذلك، [4] فظهرت الجن والإنس على الكتب بعد وفاة سليمان ، وقالوا : هذا كتاب من الله نَزل على سليمان أخفاه منا ! فأخذوا به فجعلوه به ديناً . فأنزل الله: « ولما جاءَهم رَسولٌ من عند الله مصدق لما مَعهم نَبذَ فَريقٌ من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وَرَاء ظُهورهم كأنهم لا يعلمون ، واتبعوا ما تَتلوا الشياطين » ، وهى المعازف واللعِب ، وكل شىء يصدّ عن ذكر الله

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى تأويل قوله : « واتبعوا ما تتلو الشياطين على مُلك سُليمان »، أن ذلك توبيخ من الله لأحبار اليهود الذين أدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجحدوا نبوته ، وهم يعلمون أنه لله رسولٌ مرسلٌ ؛ وتأنيب منهُ لهم فى رفضهم تنزيله ، وهجرهم العملَ به ، وهو فى أيديهم يعلمونه ويعرِفون

---

(١) فى المطبوعة : « لمحمد صلى الله عليه وسلم » ، والذى أثبته مقتضى سياق كلامهم .

(٢) إلى هنا انتهى ما نقله ابن كثير فى تفسيره عن أبى جعفر ١ : ٢٥٠ ، أما سائر الخبر ، فإنه رواه فى ١ : ٢٤٧ ، وصدره بقوله : « وقال العوفى فى تفسيره عن ابن عباس فى قوله تعالى : «واتبعوا ما تتلو الشياطين » الآية — وكان حين ذهب ملك سليمان . . . » ، وساق الخبر بنصه هذا . فلست أدرى أفى نسخ الطبرى سقط ، أم هذه جزء من رواية الطبرى عن ابن إسحق من حديث ابن عباس .

(٣) الفئام : الجماعة من الناس ، لا واحد له من لفظه .

(*) حدثان الشىء (بكسر فسكون) : أوله وابتداؤه وقرب العهد به . وهو منصوب على الظرفية .

أنه كتابُ الله ، واتباعِهم واتباعِ أوائلهم وأسلافهم ما تلته الشياطين فى عهد سليمان . وقد بينا وجْه جَوَاز إضافة أفعال أسلافِهم إليهم فيما مضى ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع .(١)

* * *

وإنما اخترنا هذا التأويل ، لأن المتَّبعةَ ما تَلته الشياطين ، فى عهد سليمان وبَعده إلى أن بعث الله نبيه بالحق ، وأمْر السحر لم يَزل فى اليهود . ولا دلالة فى الآية أنّ الله تعالى أراد بقوله : « واتبعوا » بعضاً منهم دون بعض . إذْ كان جائزاً ٣٥٥/١ فصيحاً فى كلام العرب إضافة ما وَصفنا — من اتباع أسلافِ المخبر عنهم بقوله : « واتبعوا ما تتلوا الشياطين » — إلى أخلافهم بعدهم ، ولم يكن بخصوص ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أثرٌ منقول ، ولا حجة تدلُّ عليه . فكان الواجب من القول فى ذلك أن يقال : كل متبع ما تَلتْه الشياطين على عهد سليمان من اليهود ، داخلٌ فى معنى الآية ، على النحو الذى قلنا .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ مَا تَتْلُواْ الشَّيَٰطِينُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « ما تتلو الشياطين » ، الذى تَتلو . فتأويل الكلام إذاً : اتبعوا الذى تتلو الشياطين .

* * *

واختُلف فى تأويل قوله : «تتلو» . فقال بعضهم : يعنى بقوله : «تَتلو» ، تُحدِّث وتَروى ، وتتكلم به وتخبر . نحو « تِلاوة » الرجل للقرآن ، وهى قراءته . ووجّه قائلو هذا القول تأويلهم ذلك ، إلى أن الشياطين هى التى علّمت الناس السحر ورَوته لهم . ذكر من قال ذلك :

١٦٥١ — حدثنى المثنى بن إبراهيم قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن عمرو ، عن مجاهد فى قول الله : « واتبعوا ما تَتلو الشياطين على مُلك سُليمان » ، قال : كانت الشياطين تسمعَ الوحى ، فما سَمعوا من كلمة زادوا فيها

(١) انظر ما سلف فى هذا الجزء ٢ : ٣٨ — ٣٩

مثنين مثلها . فأرسَل سليمانُ إلى ما كتبوا من ذلك فجمعه . فلما تُوفّى سليمان وجدته الشياطين ، فعلّمته الناس ، وهو السحر.(١)

١٦٥٢ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « واتبعوا ما تتلو الشياطين على مُلك سليمان » من الكهانة والسحر . وذُكر لنا، والله أعلم، أن الشياطين ابتدعت كتاباً فيه سحر وأمرٌ عظيم، ثم أفشوْه فى الناس وعلّموهم إيّاه .

١٦٥٣ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج، عن ابن جريج قال، قال عطاء: قوله: «واتبعوا ما تتلو الشياطين»، قال : نراه: ما تُحدِّث.

١٦٥٤ – حدثنى سَلْم بن جُنادة السُّوائى قال : حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : انطلقت الشياطين فى الأيام التى ابتُلى فيها سليمان ، فكتبت فيها كتباً فيها سحرٌ وكفر ، ثم دفنوها تحت كرسىّ سليمان ، ثم أخرجوها فقرأوها على الناس .(٢)

* * *

وقال آخرون : معنى قوله: «ما تتلو»، ما تتبعه وترويه وتعمل به . ذكر من قال ذلك :

١٦٥٥ – حدثنا الحسن بن عمرو العنقزىّ، قال، حدثنى أبى ، عن أسباط ، عن السدى ، عن أبى مالك ، عن ابن عباس : « تتلو » ،قال : تتبع .(٣)

١٦٥٦ – حدثنى نصر بن عبد الرحمن الأزدى قال ، حدثنا يحى بن إبراهيم ، عن سفيان الثورى ، عن منصور ، عن أبى رزين ، مثله .(٤)

* * *

(١) الأثر : ١٦٥١ – فى تفسير ابن كثير ١ : ٢٥٠ .

(٢) الأثر : ١٦٥٤ – كان فى المطبوعة : « سالم بن جنادة » ، وهو خطأ ، وانظر التعليق على الأثر رقم : ٤٨ فى الجزء الأول . وهو جزء من خبر سيأتى برقم : ١٦٦٠ .

(٣) الأثر : ١٦٥٥ – فى المطبوعة « العبقرى» ، وهو خطأ ، وانظر التعليق على الأثر رقم : ١٦٢٥ .

(٤) الأثر : ١٦٥٦ – فى المطبوعة « نصر بن عبد الرحمن الأودى » ، وهو خطأ وانظر التعليق على الأثر : ٤٢٣ فى الجزء الأول .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله عز وجل أخبر عن الذين أخبر عنهم أنهم اتَّبعوا ما تَتلو الشياطين على عهد سليمان ، باتباعهم ما تلَته الشياطين .

* * *

ولقول القائل : « هو يتلو كذا » فى كلام العرب مَعنيان . أحدهما : الاتّباع ، كما يقال : «تَلوتُ فلاناً » إذا مشيتَ خلفه وتبعتَ أثره ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ هُنَالِكَ تَتْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ ﴾ [سورة يونس : ٣٠] ،[1] يعنى بذلك تتَّبع .

والآخر : القراءةُ والدراسة ، كما تقول : « فلان يَتلو القرآن » ، بمعنى : أنه يقرؤه ويدرسه ، كما قال حسان بن ثابت :

نَبِيٌّ يَرَى مَالاَ يَرَى النَّاسُ حَوْلَهُ وَيَتْلُو كِتَابَ اللهِ فِى كُلِّ مَشْهَدِ[2]

ولم يخبرنا الله جلَّ ثناؤه — بأىّ معنى « التلاوة » كانت تلاوة الشياطين الذين تَلوْا ما تَلوه من السحر على عهد سليمان — بخبرٍ يقطعُ العذر . وقد يجوز أن تكون الشياطين تلت ذلك دراسة ورواية وعملاً ، فتكون كانت متَّبعتَه بالعمل ، ودارستَه بالرواية . فاتبعت اليهود منهاجَها فى ذلك ، وعملت به ، ورَوَته .[3] ٣٥٦/١

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : «على مُلك سليمان » ، فى ملك سليمان . وذلك أن العرب تضع « فى » موضع « على » ، و« على » فى موضع «فى» .[4] من ذلك

---

(١) « هنالك تتلو » إحدى القراءتين ، والأخرى « هنالك تبلو » ، وهى التى فى مصاحفنا اليوم . وقال أبو جعفر فى تفسيره ١١ : ٧٩ « إنهما قراءتان مشهورتان ، قد قرأ بكل منهما أئمة من القراء » .

(٢) ديوانه : ٨٨ ، من أبيات قالها حسان فى خبر أم معبد ، حين خرج رسول الله مهاجراً إلى المدينة . ورواية الديوان : « فى كل مسجد » ، ورواية الطبرى أمثل .

(٣) كان ينبغى أن يكون فى هذا المكان تفسير قوله « ما تتلو » الذى سيأتى فى : ٤١٨

(٤) انظر ما سلف ١ : ٢٩٩ .

قول الله جل ثناؤه : ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ [سورة طه : ٧١] يعني به : على جذوع النخل ، وكما قالوا : « فعلت كذا في عهد كذا ، وعلى عهد كذا » ، بمعنى واحد .[1] وبما قلنا من ذلك كان ابن جريج وابن إسحق ، يقولان في تأويله :

١٦٥٧ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج : « على مُلك سليمان » ، يقول : في ملك سليمان .

١٦٥٨ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، قال ابن إسحق في قوله : « على مُلك سُليمان » ، أي : في ملك سليمان .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾

قال أبو جعفر : إنْ قال لنا قائل : وما هذا الكلام ، من قوله : « واتبعوا ما تَتلو الشياطينُ على مُلك سُليمان » ،[2] ولا خبرَ معنا قبلُ عن أحد أنه أضافَ الكفرَ إلى سليمان ، بل إنما ذكر اتباع من اتبع من اليهود ما تَلته الشياطين ؟ فما وجه نفي الكفر عن سليمان ، بعقِب الخبر عن اتباع من اتبعت الشياطينَ في العمل بالسحر وروايته من اليهود ؟

قيل : وجهُ ذلك ، أن الذين أضاف الله جل ثناؤه إليهم اتباعَ ما تلته الشياطين على عهد سليمان من السحر والكفر من اليهود ، نسبوا ما أضافه الله تعالى ذكره إلى

---

(١) في المطبوعة : « وكما قال : فعلت كذا . . . » ، ولا يستقيم إلا على تمريض .

(٢) قوله : « وما هذا الكلام » الإشارة فيه إلى الآية التي يؤولها : « وما كفر سليمان » يقولون : ما مكان هذا الكلام – من هذا الكلام وهو قوله : « واتبعوا ما تتلو الشياطين » .

الشياطين من ذلك ، إلى سليمان بن داود . وزعموا أن ذلك كان من علمه وروايته ، وأنه إنما كان يستعبد من يستعبد من الإنس والجن والشياطين وسائر خلق الله بالسحر . فحسّنوا بذلك — من ركوبهم ما حرّم الله عليهم من السحر — أنفسَهم ،(١) عند من كان جاهلاً بأمر الله ونهيه ، وعند من كان لا علم له بما أنزل الله فى ذلك من التوراة . وتبرّأ بإضافة ذلك إلى سليمان — من سليمان ، وهو نبى الله صلى الله عليه وسلم — منهم بشرٌ ،(٢) وأنكروا أن يكون كان لله رسولاً ، وقالوا : بل كان ساحراً ! فبرّأ الله سليمان بن داود من السحر والكفر عند من كان منهم ينسُبه إلى السحر والكفر = لأسباب ادّعوها عليه قد ذكرنا بعضها ، وسنذكر باقى ما حضرنا ذكرُه منها= ، وأكذبَ الآخرين الذين كانوا يعملون بالسحر متزيّنين عند أهل الجهل فى عملهم ذلك ، بأن سليمان كان يعمله . فنفى الله عن سليمان عليه السلام أن يكون كان ساحراً أو كافراً ، وأعلمهم أنهم إنّما اتبعوا — فى عملهم بالسحر — ما تلته الشياطين فى عهد سليمان ، دون ما كان سليمان يأمرُهم من طاعة الله ، واتباع ما أمرهم به فى كتابه الذى أنزله على مُوسى صلوات الله عليه .

* * *

ذكر الدلائل على صحة ما قلناه من الأخبار والآثار :

* * *

١٦٥٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يعقوب القمى ، عن جعفر بن أبى المغيرة ، عن سعيد بن جبير قال : كان سليمان يتتبع ما فى أيدى الشياطين من السحر ، فيأخذه فيدفنه تحت كرسيه فى بيت خزانته . فلم تقدر الشياطين أن يصلوا إليه ، فدنت إلى الإنس فقالوا لهم : أتريدون العلم الذى كان سليمان يسخّر به الشياطين والرياح وغير ذلك ؟ قالوا : نعم . قالوا : فإنه فى بيت خزانته وتحت كرسيه . فاستثارته الإنس فاستخرجوه فعملوا به . فقال أهل الحجاز : كان سليمان

---

(١) فى المطبوعة « لأنفسهم » ، والصواب إسقاط هذه اللام ، كما يدل عليه السياق .

(٢) سياق العبارة : « وتبرأ . . . من سليمان . . . منهم بشر » . ولعل « بشر » هذه « نفر » ، أى جماعة . يقول : تبرأت جماعة أخرى من سليمان ، إذ نسب إلى السحر ، وكفروه .

يعمل بهذا ، وهذا سحر ! فأنزل الله جل ثناؤه على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بَراءةَ سليمان . فقال : « واتَّبعوا مَا تَتلو الشياطين عَلى مُلك سليمانَ » الآية ، فأنزل الله براءة سليمان على لسان نبيه عليهما السلام .(١) ٣٥٧/١

١٦٦٠ – حدثني أبو السائب السوائى قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان الذى أصاب سليمان ابن داود ، فى سَبَب أناس من أهل امرأة يقال لها جَرَادة ، وكانت من أكرم نسائه عليه . قال : فكان هَوى سليمان أن يكون الحق لأهل الجرَادة فيقضى لهم ، فعُوقب حين لم يكن هَواهُ فيهم واحداً . قال : وكان سليمان بن داود إذا أراد أن يدُخل الخلاء ، أو يأتى شيئاً من نسائه ، أعطى الجرادة خاتمه . فلما أراد الله أن يبتلى سليمان بالذى ابتلاه به ، أعطى الجرادةَ ذات يوم خاتمه ، فجاء الشيطان فى صورة سليمان فقال لها : هاتى خاتمى ! فأخذه فلبسه . فلما لبسه دانت له الشياطين والجن والإنس . قال : فجاءها سليمان فقال : هاتى خاتمى ! فقالت : كذبتَ ، لست بسليمان ! قال : فعرف سليمان أنه بلاء ابتلى به . قال : فانطلقت الشياطين فكتبت فى تلك الأيام كتباً فيها سحر وكفر ، ثم دفنوها تحت كرسىّ سليمان ، ثم أخرجوها فقرأوها على الناس وقالوا : إنما كان سليمان يغلب الناس بهذه الكتب ! قال : فبرئ الناس من سليمان وأكفروه ، حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم ، فأنزل جل ثناؤه : « واتبعوا ما تَتلو الشياطينُ على ملك سُليمان » – يعنى الذى كتب الشياطين من السحر والكفر – « وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا » ، فأنزل الله جل وعز عُذرَه .(٢)

١٦٦١ – حدثني محمد بن عبد الأعلى الصنعانى قال ، حدثنا المعتمر بن سليمان قال ، سمعت عمران بن حُدَير ، عن أبى مجلز قال : أخذ سليمان من كل

---

(١) الأثر : ١٦٥٩ – فى تفسير ابن كثير ١ : ٢٥٠ .

(٢) الأثر : ١٦٦٠ – انظر الأثر السالف : ١٦٥٤ والتعليق عليه .

دابة عهداً، فإذا أصيبَ رجلٌ فسأل بذلك العهد ، خُلِّى عنه . فرأى الناس السَّجع والسحر ، وقالوا : هذا كان يعمل به سليمان ! فقال الله جل ثناؤه : « وما كفرَ سُليمان ولكنّ الشياطين كفروا يعلِّمون الناس السحر » . (١)

١٦٦٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن حصين بن عبد الرحمن، عن عمران بن الحارث قال: بينا نحن عند ابن عباس، إذ جاءه رجل فقال له ابن عباس : مِنْ أين جئت ؟ قال : من العراق . قال : من أيِّه ؟ قال : من الكوفة . قال : فما الخبر ؟ قال : تركتهم يتحدثون أنّ عليًّا خارجٌ إليهم ! ففزع فقال: ما تقول ؟ لا أبالك! لو شعرنا ما نكحنا نساءه ، ولاقسمنا ميراثه! أما إنى أحدِّثكم؛ من ذلك: إنه كانت الشياطين يَستَرِقون السمعَ من السماء، فيأتى أحدهم بكلمة حق قد سمعها ، فإذا حدَثٌ منه صدَق، (٢) كذب معها سبعين كذبة. قال: فتُشرَبها قلوبُ الناس . فأطلع الله عليها سليمان ، فدفنها تحت كرسيه ، فلما توفى سليمان ابن داود قام شيطانٌ بالطريق فقال: ألا أدلكم على كنزه الممنَّع الذى لا كنز مثله؟ تحت الكرسى ! فأخرجوه ، فقالوا : هذا سحر ! فتناسخها الأمم – حتى بقاياهم ما يتحدث به أهلُ العراق –. (٣) فأنزل الله عُذر سليمان: « واتبعوا ما تتلو الشياطين على مُلك سليمان وما كفر سُليمان ولكنّ الشياطين كفروا يعلمون الناسَ السحر ». (٤)

١٦٦٣ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذُكر لنا ، والله أعلم ، أن الشياطين ابتدعت كتاباً فيه سحرٌ وأمر عظيم، ثم أفشوه فى الناس وعلَّمُوهم إياه . (٥) فلما سمع بذلك سليمان نبى الله صلى

(١) الأثر : ١٦٦١ – فى تفسير ابن كثير ١ : ٢٥١ ، وفيه « فزاد الناس »... مكان « فرأى » والصواب ما فى الطبرى .

(٢) فى تفسير ابن كثير : « فإذا جرت منه وصدق » ، ولعلها تصحيف .

(٣) فى تفسير ابن كثير : « حتى بقاياها » .

(٤) الأثر : ١٦٦٢ – فى تفسير ابن كثير ١ : ٢٤٨ – ٢٤٩ ، مع اختلاف فى بعض اللفظ غير الذى أثبته .

(٥) فى المطبوعة : « وأعلموهم إياه »، وقد مضى فى رقم : ١٦٥٢ ، « وعلموهم »، وكذلك أثبتها هنا .

الله عليه وسلم ، تتبع تلك الكتب فأتى بها فدفنها تحت كرسيه ،[١] كراهيةَ أن يتعلمها الناس . فلما قبض الله نبيّه سليمان ، عمدت الشياطين فاستخرجوها من مكانها الذى كانت فيه ، فعلّموها الناس ، فأخبروهم أنّ هذا علم كان يكتمه سليمان ويستأثر به . فعذر الله نبيه سليمان وبرّأه من ذلك، فقال جل ثناؤه : « وما كفرَ سُليمان ولكن الشياطين كفروا » . ٣٥٨/١

١٦٦٤ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : كتبت الشياطين كتباً فيها سحر وشِرْك، ثم دفنت تلك الكتب تحت كرسىّ سليمان . فلما مات سليمان استخرجَ الناس تلك الكتب ، فقالوا : هذا علم كتمناهُ سليمان ! فقال الله جل وعز : « واتبعوا ما تَتلو الشياطين على مُلك سليمان وما كفرَ سليمان ولكنّ الشياطين كفروا يُعلّمون الناسَ السِّحر » .

١٦٦٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « واتبعوا ما تَتلو الشياطين عَلى مُلك سليمان »، قال : كانت الشياطين تستمع الوحىَ من السماء ، فما سمعوا من كلمة زَادوا فيها مثلَها ، وإن سُليمان أخذ ما كتبوا من ذلك فدفنه تحت كرسيه ، فلما توفى وَجدته الشياطين فعلّمته الناسَ .[٢]

١٦٦٦ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن أبى بكر ، عن شَهر بن حَوْشب قال : لما سُلِب سليمان مُلكه ، كانت الشياطين تكتُب السحرَ فى غيبة سليمان . فكتبت : « من أراد أن يأتى كذا وكذا ، فليستقبل الشمس وليقل كذا وكذا ، ومن أراد أن يفعل كذا وكذا ، فليستدبر الشمس وليقل كذا وكذا » . فكتبتْه وجعلت عنوانه : « هذا ما كتب آصف بن برخيا للملك سليمان

---

(١) فى المطبوعة : « فتتبع تلك الكتب » بزيادة الفاء ، ولا موضع لها .

(٢) الأثر : ١٦٦٥ – كان فى المطبوعة : « حدثنا القاسم قال حدثنا حجاج » أسقط منه « قال حدثنا الحسين » ، وهو إسناد دائر فى الطبرى ، أقربه إلينا رقم : ١٦٥٧ ، وسيأتى فى الذى يلى .

ابن داود من ذخائر كنوز العلم » ، ثم دفنته تحت كرسيه . فلما مات سليمان ، قام إبليس خطيباً فقال : يا أيها الناس، إنّ سليمان لم يكن نبيًّا ، وإنما كان ساحراً، فالتمسوا سحره فى متاعه وبيوته . ثم دلّهم على المكان الذى دُفن فيه . فقالوا : والله لقد كان سليمان ساحراً ! هذا سحره ! بهذا تعبّدنا، وبهذا قهرنا ! فقال المؤمنون : بل كان نبيًّا مؤمناً ! فلما بعث الله النبى محمداً صلى الله عليه وسلم ،جعل يَذكر الأنبياء، حتى ذكر داود وسليمان ، فقالت اليهود: انظروا إلى محمد ! يخلط الحق بالباطل ! يَذكرُ سليمان مع الأنبياء ، وإنما كان ساحراً يركب الريح ! فأنزل الله عُذر سليمان : « واتّبعوا ما تتلو الشياطين على مُلك سليمان » الآية .(١)

١٦٦٧ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال ، حدثنى ابن إسحق : « وما كفرَ سُليمان ولكنّ الشياطينَ كفروا يعلّمون الناسَ السحر » . وذلك أن رسول الله عليه وسلم – فيما بلغنى – لما ذكر سُليمانَ بن داود فى المرسلين ، قال بعض أحبار اليهود : ألا تعجبون من محمد ! يزعم أن ابن داودَ كان نبيًّا ! والله ما كان إلا ساحراً ! فأنزل الله فى ذلك من قولهم : « وما كفر سُليمان ولكنّ الشياطين كفروا » ، – أى : باتباعهم السحرَ وعملهم به – « وَما أنزل عَلى الملَكَين ببابلَ هاروتَ وماروتَ » .(٢)

* * *

قال أبو جعفر : فإذْ كان الأمر فى ذلك على وصفنا = وتأويلُ قوله : « واتبعوا ما تَتلو الشياطين على مُلك سليمان وما كفر سليمانُ ولكن الشياطينَ كفرُوا » ما ذكرنا = فَبيِّنٌ أن فى الكلام متروكاً،(٣) ترك ذكره اكتفاءً بما ذكر منه، وأن معنى الكلام : واتبعوا ما تتلو الشياطين من السحر على ملك سليمان ، فتُضيفه إلى سليمان ، وما كفر سليمان ، فيعمل بالسحر ، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس

(١) الأثر : ١٦٦٦ – فى تفسير ابن كثير ١ : ٢٥١ .
(٢) الأثر : ١٦٦٧ – سيرة ابن هشام ٢ : ١٩٢ – ١٩٣
(٣) فى المطبوعة : « فتبين » وما أثبت أشبه بعبارة الطبرى .

السحر . وقد كان قتادة يتأول قوله : « وما كفر سُليمان ولكن الشياطينَ كفروا » على ما قلنا .

١٦٦٨ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وما كفر سُليمان ولكن الشياطينَ كفروا » ، يقول : ما كان عن مشورته ولا عن رضا منه ، ولكنه شيء افتعلته الشياطين دُونه .

* * *

وقد دللنا فيما مضى على اختلافِ المختلفين فى معنى « تتلو » ،[1] وتوجيه من وجّه ذلك إلى أن « تتلو » بمعنى « تلَت » ، إذ كان الذى قبله خبراً ماضياً ، وهو قوله : « واتبعوا » ، وتوجيهَ الذين وَجهوا ذلك إلى خلاف ذلك . وبيّنا فيه وفى نظيره الصوابَ من القول ،[2] فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع . ٣٥٩/١

* * *

وأما معنى قوله : « مَا تتلو » ، فإنه بمعنى : الذى تتلو ، وهو السحر .[3]

١٦٦٩ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : و« اتّبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان » ، أى السحر .[4]

* * *

قال أبو جعفر : ولعلّ قائلاً أن يقول : أوَما كان السحر إلاّ أيام سليمان ؟

قيل له : بلى ، قد كان ذلك قبل ذلك ، وقد أخبر الله عن سَحَرة فرعون ما أخبر عنهم ، وقد كانوا قبل سُليمان ، وأخبر عن قوم نوح أنهم قالوا لنوح إنه ساحر .

[فإن] قال : فكيف أخبرَ عن اليهود أنّهم اتبعوا ما تَلَتْه الشياطين على عهد سليمان؟

---

(١) انظر ما سلف قريباً : ٤١١

(٢) قوله : « وتوجيه من وجه ذلك أن : تتلو – بمعنى : تلت » لم يأت هنا فى تفسير الآية ، بل جاء فى تفسير آية مضت من سورة البقرة : ٩١ ، ص ٣٥٠ – ٣٥٢

(٣) هذه الفقرة ، والأخرى التى قبلها ، والأثر الآتى رقم : ١٦٦٩ ، كان أولى أن تكون فى آخر تفسير قوله : « ما تتلو الشياطين » فيما مضى : ٤١١

(٤) الأثر : ١٦٦٩ – سيرة ابن هشام ٢ : ١٩٢ .

قيل : لأنهم أضافوا ذلك إلى سليمان، على ما قد قدمنا البيان عنه . فأراد الله تعالى ذكره تبرئه سليمان مما نحلوه وأضافوا إليه، مما كانوا وجدوه ، إمّا فى خزائنه ، وإما تحت كرسيه ، على ما جاءت به الآثار التى قد ذكرناها من ذلك . فحصرَ الخبر عما كانت اليهود اتبعته ، فيما تلته الشياطين أيام سليمان دون غيره لذلك السبب ، وإن كانت الشياطين قد كانت تالية للسحر والكفر قبل ذلك .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل العلم فى تأويل « ما » التى فى قوله : « وما أنزل على الملكين » . فقال بعضهم : معناه الجحد ، وهى بمعنى « لم » . ذكرُ من قال ذلك :

١٦٧٠ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وَما أنزل على الملكين ببابل هارُوت وَمارُوت » ، فإنه يقول : لم ينزل الله السحر .

١٦٧١ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنى حكّام ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ابن أنس : « وما أنزِل على الملكين » ، قال : ما أنزل الله عليهما السحر .

* * *

فتأويل الآية — على هذا المعنى الذى ذكرناه عن ابن عباس والربيع ، من توجيههما معنى قوله : « وما أنزِل على الملكين » إلى : ولم ينزل على الملكين — : واتّبعوا الذى تتلو الشياطين على ملك سليمان من السحر ، وما كفر سليمان ، ولا أنزل الله السحر على الملكين = ولكنّ الشياطين كفروا يعلّمون الناس السحر = « ببابل، هارُوت ومارُوت» . فيكون حينئذ قوله : « ببابلَ هارُوت ومارُوتَ » ، من المؤخَّر الذى معناه التقديم .

* * *

فإن قال قائل : وكيف – وجه تقديم ذلك ؟

قيل : وجه تقديمه أن يقال : واتّبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سُليمان [من السحر] ، وَما أنزل [الله السحر] على الملكين ، ولكنّ الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل ، هاروت وماروتَ – فيكون معنيًّا بـ « الملكين » : جبريل وميكائيل ، لأن سَحَرَة اليهود ، فيما ذُكر ، كانت تزعم أن الله أنزل السحر على لسان جبريل وميكائيل إلى سليمان بن داود ، فأكذبها الله بذلك ، وأخبر نبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم أن جبريل وميكائيل لم ينزلا بسحر قط ، وبرّأ سليمان مما نحلوه من السحر ، وأخبرهم أن السحر من عَمَل الشياطين ، وأنها تُعلِّم الناس [ذلك] ببابل ، وأن اللذين يعلّمانهم ذلك رجلان :(١) اسم أحدهما هاروت ، واسم الآخر ماروت. فيكون «هاروت وماروت» ، على هذا التأويل ، ترجمةً على «الناس» وردًّا عليهم.(٢)

* * *

وقال آخرون : بل تأويل « ما » التي في قوله : « وما أنزل على الملكين » – « الذي » . ذكر من قال ذلك :

١٦٧٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، قال معمر ، قال قتادة والزهري ، عن عبدالله : «وما أنزل على الملكين ببابلَ هارُوت وماروتَ » ، كانا مَلَكين من الملائكة ، فأهبِطا ليحكما بين الناس . وذلك أن الملائكة سَخِروا من أحكام بني آدم . قال : فحاكمت إليهما امرأةٌ ، فحافا لها ،(٣) ثم ذهبا يَصعدان ، فحيل بينهما وبين ذلك ، وخُيِّرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، فاختارا عذابَ الدنيا . قال معمر ، قال قتادة : فكانا يعلّمان الناس السحر ، فأخِذ عليهما أن لا يعلّما أحداً حتى يقولا : « إنما نحن فِتنة فلا تكفُر » .

١/٣٦٠

(١) في المطبوعة وابن كثير : « وأن الذين يعلمونهم » ، وما أثبت هو الصواب .

(٢) «الترجمة» عند الكوفيين هي «البدل» ، وانظر ما سلف ٢ : ٣٤٠ وانظر ما سيأتي : ٤٢٣ . والزيادات التي بين الأقواس في هذه الفقرة ، من تفسير ابن كثير ١ : ٢٥٢ ، وقد نقل كلام الطبري بنصه .

(٣) حاف له يحيف حيفاً : مال معه فجار وظلم غيره . وحاف عليه : ظلمه وجار عليه .

١٦٧٣ – حدثني موسى قال، حدثنا عمرو ، قال حدثنا أسباط ، عن السدى ، أما قوله : « وَما أنْزِلَ عَلى الملَكين ببابلَ هارُوت ومَاروت » ، فهذا سحر آخرَ خاصَموُه به أيضاً . يقول : خاصموه بما أنزِل على الملكين ، وأن كلام الملائكة فيما بينهم ، إذا علمته الإنس فصُنع وعُمل به ، كان سحراً . (١)

١٦٧٤ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : «يعلمون الناسَ السحرَ وما أنزِل على الملكين ببابلَ هارُوت ومارُوت». فالسحر سحِران : سحر تعلّمه الشياطين ، وسحر يعلِّمه هاروت وماروت .

١٦٧٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ابن صالح، عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وما أنزل على الملكين ببابل هارُوت ومَارُوت »، قال : التفريق بين المرء وزوجه .

١٦٧٦ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « ولكن الشياطين كفروا يعلّمون الناسَ السحر وما أنزِل على الملكين »، فقرأ حتى بلغ « فلا تكفُر »، قال : الشياطين والملَكان ، يعلّمون الناس السحر .

* * *

قال أبو جعفر : فمعنى الآية – على تأويل هذا القول الذى ذكرناه عمن ذكرنا عنه – : واتبعت اليهود الذى تلتِ الشياطينُ فى ملك سليمان ، والذى أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت . وهما ملكان من ملائكة الله ، سنذكر ما روى من الأخبار فى شأنهما إن شاء الله تعالى .

* * *

قال أبو جعفر (٢) : إن قال لنا قائل : وهل يجوز أن ينزِّل الله السحر ، أم

---

(١) الأثر : ١٦٧٣ – هو من تتمة الأثر السالف : ١٦٤٦ ، ويرجع الضمير فى قوله : « وخاصموه به أيضاً – إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم اليهود، كما تتبين ذلك من مراجعة الأثر هناك .

(٢) كان فى المطبوعة هنا : « وقالوا : إن قال لنا قائل . . . » . والضمير فى « قالوا » ، لا يعود إلى مذكورين قبل. وكأن الناسخ تعاظمه أن يكون الرد الآتى من كلام أبى جعفر ،فحذف ما جرى عليه فى تفسيره من قوله : « قال أبو جعفر » ، وأقحم « وقالوا » مكانها ، ثم زاد فحشا هذه الفقرات الآتية بكلمته « وقالوا » ، كما سنبينه فى مواضعه من التعليق . وهذا أسلوب لم يطرقه أبو جعفر قط فى تفسيره كله .

هل يجوز لملائكته أن تعلّمه الناس؟

قلنا له : إن الله عز وجلّ قد أنزل الخير والشر كلّه ، وبيّن جميعَ ذلك لعباده ، فأوحاه إلى رسله ، وأمرَهم بتعليم خلقه وتعريفهم ما يحلّ لهم مما يحرم عليهم . وذلك كالزّنا والسرقة وسائر المعاصى التى عرّفَهموها ، ونهاهم عن ركوبها . فالسحر أحدُ تلك المعاصى التى أخبرهم بها ، ونهاهم عن العمل بها .

(١) وليس فى العلم بالسحر إثم ، كما لا إثم فى العلم بصنعة الخمر ونحت الأصنام والطّنابير والملاعب . وإنما الإثم فى عمله وتسويته . (٢) وكذلك لا إثم فى العلم بالسحر ، وإنما الإثم فى العمل به ، وأن يُضَرّ به من لا يحلّ ضَرُّه به .

(٣) فليس فى إنزال الله إياه على الملكين ، ولا فى تعليم الملكين من علّماه من الناس ، إثم ، إذ كان تعليمها من علّماه ذلك ، بإذن الله لهما بتعليمه ، بعد أن يخبراه بأنهما فتنةٌ ، وينهياه عن السحر والعمل به والكفر . وإنما الإثمُ على من يتعلمه منهما ويعمل به ، إذ كان الله تعالى ذكره قد نهاهُ عن تعلّمه والعمل به . (٤) ولو كان الله أباحَ لبنى آدم أن يتعلموا ذلك ، لم يكن مَنْ تعلمه حرِجاً ، كما لم يكونا حرِجَيْن لعلمهما

والذى استبشعه بعض النساخ — فيما نرجح — سيأتى بعد قليل فى ص ٤٢٣–٤٢٦ بأوضح مما قاله هنا. وقد عد ابن كثير قول أبى جعفر مسلكاً غريباً ، فقال فى تفسيره ١ : ٢٥٣ ، وذكر ما ذكره أبو جعفر من قول من قال « ما » بمعنى « لم » فقال : « ثم شرع ابن جرير فى رد هذا القول ، وأن « ما » بمعنى « الذى » ، وأطال القول فى ذلك ، وادعى أن هاروت وماروت ملكان أنزلهما الله إلى الأرض ، وأذن لهما فى تعليم السحر ، اختباراً لعباده وامتحاناً ، بعد أن بين لعباده أن ذلك مما ينهى عنه على ألسنة الرسل ، وادعى أن هاروت وماروت مطيعان فى تعليم ذلك ، لأنهما امتثلا ما أمرا به . وهذا الذى سلكه غريب جداً » .

ولست أستنكر ما قاله أبو جعفر ، كما استنكره ابن كثير ، ولو أنت أنصفت وتتبعت كلام أبى جعفر ، لرأيت فيه حجة بينة ساطعة على صواب مذهبه الذى ذهب إليه ، ولرأيت دقة ولطفاً فى تناول المعانى ، وتدبير الألفاظ ، لا تكاد تجدهما فى غير هذا التفسير الجليل القدر .

(١) كان فى المطبوعة هنا : « (قالوا) ليس فى العلم . . . » . انظر ماسلف .

(٢) كان فى المطبوعة هنا : « (قالوا) وكذلك لا إثم . . . » . انظر ما سلف .

(٣) كان فى المطبوعة هنا : « (قالوا) فليس فى إنزال الله . . . » . انظر ما سلف .

(٤) كان فى المطبوعة هنا : « (قالوا) ولو كان الله أباح . . . » . انظر ما سلف .

به .[١] إذْ كان علمهما بذلك عن تنزيل الله إليهما .[٢]

* * *

وقال آخرون : معنى : « ما » معنى « الذى » ، وهى عطف على « ما » الأولى . غير أن الأولى فى معنى السحر ، والآخرة فى معنى التفريق بين المرء وزوجه. فتأويل الآية على هذا القول : واتّبعوا السحر الذى تتلو الشياطين فى ملك سليمان، والتفريقَ الذى بين المرء وزوجه ، الذى أنزِل على الملكين ببابل هاروت وماروت .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وما أنزِل على الملكين ببابلَ هَارُوت ومارُوت » ، وهما يعلمان ما يفرّقون به بين المرء وزوجه . وذلك قول الله جل ثناؤه: « وما كفرَ سليمانُ ولكنّ الشياطين كفروا» . وكان يقول : أما السحر ، فإنما يعلّمه الشياطين ، وأما الذى يعلم الملكان ، فالتفريق بين المرء وزوجه ، كما قال الله تعالى . ٣٦١/١

* * *

وقال آخرون جائز أن تكون « ما » بمعنى « الذى » ، وجائز أن تكون « ما » بمعنى « لم » * ذكر من قال ذلك :

١٦٧٨ — حدثنى يونس بن عبد الأعلى، قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثنى الليث بن سعد ، عن يحيى بن سعيد ، عن القاسم بن محمد — وسأله رجلٌ عن قول الله : «يعلمون الناس السحر وما أنزِل على الملكين ببابل هاروتَ وماروت» فقال الرجل: يعلّمان الناس ما أنزل عليهما، أم يعلّمان الناس ما لم يَنزل عليهما ؟ قال القاسم : ما أبالى أيّتهما كانت .

١٦٧٩ — حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال ، حدثنا أنس بن عياض، عن

---

(١) استعمل أبو جعفر : هو « حرج » — على وزن : هو « فرح » — بمعنى : آثم . وأهل اللغة ينكرون ذلك . لا يقال للآثم إلا « الحارج » على النسب . لأن « الحرج » بمعنى الإثم ، لا فعل له . ولعل الناسخ أخطأ فكتب «حرجاً ... وحرجين» مكان «حارجاً ... وحارجين » ، بمعنى : آثم، وآثمين، ولكنى تركتها هنا على حالها مخافة أن تكون من كلام أبى جعفر خطأ اجتهاد ، أو صواباً علمه هو لم يبلغنا .

(٢) سيأتى بيان قوله هذا كله بأوفى من هذا وأتم فى ص : ٤٢٣ — ٤٢٦

بعض أصحابه ، أن القاسم بن محمد سُئل عن قول الله تعالى ذكره : « وما أنزل على الملَكين »، فقيل له : أأنزل أو لم يُنزل ؟ فقال : لاأبالى أيّ ذلك كان ، إلاّ أنى آمنتُ به .(١)

• • •

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى ، قولُ من وجّه « ما » التى فى قوله : « وَما أنزِل على الملكين » إلى معنى « الذى » ، دون معنى « ما » التى هى بمعنى الجحد .

وإنما اخترت ذلك، من أجل أن « ما »، إن وجّهت إلى معنى الجحد، تنفى عن « الملكين » أن يكونا مُنْزلاً إليهما ،(٢) ولم يخل الاسمان اللذان بعدهما — أعنى « هاروت وماروت » — من أن يكونا بدلاً منهما وترجمةً عنهما(٣) أو بدلاً من « الناس » فى قوله : « يعلمون الناس السحر »، وترجمة عنهما.(٤)

فإن جعلا بدلاً من « الملكين » وترجمة عنهما، بطل معنى قوله : « وما يُعلّمان من أحد حتى يَقولا إنّما نحن فتنة فلاتكفُر فيتعلمون منهما ما يفرّقون به بين المرء وَزوجه ». لأنهما إذا لم يكونا عالمين بما يُفرّق به بين المرء وزوجه، فما الذى يَتعلّم منهما من يفرق بين المرء وزوجه ؟(٥)

---

(١) الخبر : ١٦٧٩ — يونس بن عبد الأعلى الصدفى المصرى : إمام معروف ، يروى عنه الطبرى كثيراً ، وروى عنه أبو حاتم وأبو زرعة . وقال ابن أبى حاتم ٤ /٢/٢٤٣ : « كتبت عنه ، وأقمت عليه سبعة أشهر » . وقال : « سمعت أبى يوثق يونس بن عبد الأعلى ، ويرفع من شأنه » . ولد سنة ١٧٠ ، ومات سنة ٢٦٤ .

وأما شيخه هنا فهو : « أنس بن عياض بن ضمرة » : وهو ثقة ، خرج له أصحاب الكتب الستة . وهو مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ١/٢/٣٤ ، وابن أبى حاتم ١/١/٢٨٩ .

وكتب فى المطبوعة « بشر » بدل « أنس » . وهو تحريف واضح . صوابه فى ابن كثير ١ : ٢٥٣ ، نقلا عن هذا الموضع من الطبرى . ولم نجد فى الرواة من يسمى « بشر بن عياض » أبداً .

(٢) فى المطبوعة : « فتنفى . . . » بزيادة فاء لا خير فيها .

(٣) انظر معنى « الترجمة » آنفاً : ٤٢٠ تعليق : ٢

(٤) فى المطبوعة : « « يعلمان الناس السحر » ، وهو خطأ . وانظر ما سلف : ٤٢٠

(٥) فى المطبوعة : « ما يفرق » ، والصواب ما أثبت .

وبعد ، فإن « ما » التي في قوله : « وَما أنزِل على الملكين » ، إن كانت في معنى الجحد عطفاً على قوله : « وَما كفرَ سُليمان » ، فإن الله جل ثناؤه نفى بقوله : « وَما كفر سليمان » ، عن سليمان أن يكون السحر من عمله أو من علمه أو تعليمه . فإن كان الذى نفى عن الملكين من ذلك، نظيرَ الذى نفى عن سليمان منه — وهاروت وماروت هما الملكان — فمن المتعلَّم منهُ إذاً ما يفرَّق به بين المرء وزوجه؟ وعمَّن الخبر الذى أخبر عنه بقوله : « وما يعلِّمان من أحد حتى يقولان إنما نحن فتنة فلا تكفر » ؟ إنّ خطأ هذا القول لواضحٌ بيّن .

وإن كان قوله : « هَارُوتَ وَمَارُوتَ » ترجمة عن « الناس » الذين فى قوله : « ولكنّ الشياطين كفروا يعلِّمون الناس السحر » ، فقد وَجب أن تكونَ الشياطين هى التى تعلّم هاروت وماروت السحر ، وتكونَ السحرةُ إنما تعلمت السحر من « هاروتَ وماروتَ » عن تعليم الشياطين إياهما . فإن يكن ذلك كذلك ، فلن يخلو « هاروت وماروت » — عند قائل هذه المقالة — من أحد أمرين :

إمّا أن يكونا ملكين ، فإن كانا عندَه ملكين ، فقد أوجبَ لهما من الكفر بالله والمعصية لَهُ — بنسبته إياهما إلى أنهما يتعلّمان من الشياطين السحر ويعلِّمانه الناس ، وإصرارهما على ذلك ومُقامهما عليه — أعظمَ مما ذكر عنهما أنهما أتياه من المعصية التى استحقّا عليها العقاب . وفى خبر الله عز وجل عنهما — أنهما لا يعلمان أحداً ما يتعلم منهما حتى يقولا : « إنما نحن فتنة فلا تكفر » — ما يغنى عن الإكثار فى الدلالة على خطأ هذا القول .

أو أن يكونا رجلين من بنى آدم . فإن يكن ذلك كذلك ، فقد كان يجبُ أن يكونا بهلاكهما قد ارتفع السحرُ والعلمُ به والعمل — من بنى آدم .[1] لأنه إذا كان علمُ ذلك من قِبَلهما يُؤخذ ومنهما يُتعلَّم ، فالواجب أن يكون بهلاكهما وعدم وجودهما ، عدمُ السبيل إلى الوصول إلى المعنى الذى كان لا يوصل إليه إلاّ بهما .

---

(١) يقول فى سياقه : قد ارتفع من بنى آدم — السحر ، والعلم به والعمل .

٣٦٢/١ وفى وجود السحر فى كل زمان ووقت ، أبينُ الدلالة على فساد هذا القول . وقد يزعمُ قائلُ ذلك أنهما رجلان من بنى آدم ، لم يُعْدَما من الأرض منذ خلقت ، ولا يُعدَمان بعدَما وُجد السحر فى الناس ، فيدّعى ما لا يَخفى بُطوله(١)

* * *

فإذْ فسدت هذه الوجوه التى دللنا على فسادها ، فبيِّنٌ أنّ معنى « ما » التى فى قوله : « وما أنزِل على الملكين» بمعنى «الذى» ، وأن « هاروتَ وماروتَ » ، مترجمٌ بهما عن الملكين ، ولذلك فتحت أواخر أسمائهما ، لأنهما فى موضع خفض على الرَّد على « الملكين » . ولكنهما لما كانا لا يُجرَّان ، فتحت أواخر أسمائهما .

* * *

فإن التبَسَ على ذى غباء ما قُلنا فقال : وكيف يجوز لملائكة الله أن تُعلِّم الناسَ التفريقَ بين المرء وزوجه ؟ أم كيف يجوز أن يُضاف إلى الله تبارك وتعالى إنزالُ ذلك على الملائكة ؟

قيل له : إن الله جل ثناؤه عرَّف عباده جميعَ ما أمرَهم به وجميعَ ما نهاهم عنه ، ثم أمرهم ونهاهم بعد العِلم منهم بما يؤمرون به ويُنهون عنه . ولو كان الأمر على غير ذلك ، لما كان للأمر والنهى معنى مفهوم . فالسحر مما قد نهى عبادَه من بنى آدم عنه ، فغير منكر أن يكون جلّ ثناؤه علَّمه الملكين اللذين سماهما فى تنزيله ، وجعلهما فتنة لعباده من بنى آدم — كما أخبرَ عنهما أنهما يقولان لمن يتعلّم ذلك منهما : « إنما نحنُ فتنة فلا تكفُر » — ليختبر بهما عباده الذين نهاهم عن التفريق بين المرء وزوجه ، وعن السحر ، فيمحّصَ المؤمن بتركه التعلُّم منهما ، ويُخزىَ الكافرَ بتعلُّمه السحرَ والكفرَ منهما . ويكون الملكان — فى تعليمهما من علَّما ذلك — لله مطيعين ، إذْ كانا = عن إذْن الله لهما بتعليم ذلك مَنْ علَّماه = يعلمان . وقد عُبد من دُون الله جماعةٌ من أولياء الله ، فلم يكن ذلك لهم ضائراً ،

(١) بطل الشىء يبطل بطلا و بطولا و بطلاناً . وهذا باطل بين البطول والبطلان .

إذ لم يكن ذلك بأمرهم إياهم به، بل عُبد بعضُهم والمعبود عنه نَاهٍ.[1] فكذلك الملكان، غيرُ ضائرهما سحرُ من سَحَر ممن تعلَّم ذلك منهما، بعد نهيهما إياه عنه، وعظَتهما له بقولهما: «إنّما نحن فتنة فلا تكفُر»، إذ كانا قد أدّيا ما أُمِرا به بقيلهما ذلك، كما:—

١٦٨٠ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا يحيى بن سعيد، عن عوف، عن الحسن فى قوله: «وما أُنْزِل على الملَكين ببابلَ هارُوتَ ومَارُوتَ» إلى قوله: «فلا تكفُر»، أخذ عليهما ذلك.

* * *

* ذكر بعض الأخبار التى فى بيان الملكين، ومن قال إنّ هاروت وماروت هما الملكان اللذان ذكر الله جل ثناؤه فى قوله: «ببابل»:

* * *

١٦٨١ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا معاذ بن هشام. قال، حدثنى أبى، عن قتادة قال، حدثنا أبو شعبة العدوى فى جنازة يُونس بن جبير أبى غَلاَّب، عن ابن عباس قال: إنّ الله أفرجَ السماء لملائكته ينظرون إلى أعمال بنى آدم، فلما أبصروهم يعملون الخطايا قالوا: يارب، هؤلاء بنو آدم الذى خلقتَه بيدك، وأسجدت له ملائكتَك، وعلمته أسماء كل شىء يعملون بالخطايا! قال: أمَا إنكم لو كنتم مكانهم لعملتم مثل أعمالهم. قالوا: سبحانك ما كان ينبغى لنا! قال: فأمِروا أن يختاروا من يهبط إلى الأرض، قال: فاختاروا هاروت وماروت. فأهبِطا إلى الأرض، وأحلّ لهما ما فيها من شىء، غيرَ أنْ لا يشركا بالله شيئاً، ولا يسرقَا، ولا يزنيا، ولا يشربَا الخمر، ولا يقتلا النفس التى حرّم الله إلا بالحق. قال: فما استمرّا حتى عرَض لهما امرأة قد قُسِم لها نصفُ الحسن، يقال لها «بيذخت» فلما أبصرَاها أرادا بها زناً، فقالت: لا، إلا أن تشركا بالله، وتشربا الخمر، وتقتلا النفس، وتسجدا لهذا الصنم! فقالا: ما كنا لنشرك بالله شيئاً! فقال أحدهما

(١) هذه حجة رجل يبصر دقيق المعانى، ولا يغفل عن مواضع السقط فى كلام من يتكلم وهو لا يضبط ما يقتضيه كلامه. وقد استخف به ابن كثير، لأنه لم يضبط ما ضبطه هذا الإمام المتمكن من عقله وفهمه.

للآخر : ارجع إليها . فقالت : لا ، إلاّ أنْ تشربَا الخمر . فشربا حتى ثملا ، ودخل عليهما سائل فقتلاه ، فلما وَقعا فيما وقعا فيه من الشر ، أفرج الله السماء لملائكته ، فقالوا : سبحانك ! كنت أعلم ! قال : فأوحى الله إلى سليمان بن داود ٣٦٣/١ أن يُخيِّرهما بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارَا عذابَ الدنيا، فكبَّلا من أكعبهما إلى أعناقهما بمثل أعناق البُخْت ، وجعلا ببابل.(١)

١٦٨٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا حماد، عن على بن زيد، عن أبي عثمان النهدى، عن ابن مسعود وابن عباس أنهما قالا : لما كثر بنو آدم وعصوا ، دعت الملائكة عليهم والأرض والسماء والجبالُ : ربنا ألا تهلكهم !(٢) فأوحى الله إلى الملائكة : إنى لو أنزلت الشهوة والشيطان من قلوبكم ونزلتم لفعلتم أيضاً!(٣) قال : فحدّثوا أنفسهم أنْ لو ابتُلوا اعتصموا، فأوحى الله إليهم : أن اختاروا ملكين من أفضلكم . فاختاروا هاروت وماروت ، فأهبطا إلى الأرض، وأنزِلت الزُّهَرة إليهما فى صُورة امرأة من أهل فارس ، وكان أهل فارس يسمونها « بيذخت » . قال : فوقعا بالخطيئة ، فكانت الملائكة يستغفرون للذين آمنوا :(٤) ربنا وسعت كل شىء رحمةً وعلماً فاغفِر للذين تابوا . فلما وقعا بالخطيئة ، استغفروا لمن فى الأرض ، ألا إن الله هو الغفور الرحيم . فخيَّرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، فاختارا عذابَ الدنيا .(٥)

---

(١) الخبر : ١٦٨١ – أبو شعبة العدوى ، هذا الذى يروى هنا عن ابن عباس : لم أعرف من هو ؟ ولا وجدت له ذكراً فى شىء من المراجع . والراجح عندى أن اسمه محرف عن شىء لا أعرفه .

(٢) فى تفسير ابن كثير ١ : ٢٥٦ ، والدر المنثور ١ : ٩٩ : « وربنا ، لا تمهلهم » ، وكأنها هى الصواب ، وإن كانت الأولى صحيحة المعنى .

(٣) هذه العبارة صحيحة المعنى ، ولكنها جاءت فى تفسير ابن كثير : « إنى أزلت الشهوة والشيطان من قلوبكم ، وأنزلت الشهوة والشيطان فى قلوبهم ، ولو نزلتم لفعلتم أيضاً » . وجاءت فى الدر المنثور : « إنى أزلت الشهوة والشيطان من قلوبكم ، ولو نزلتم لفعلتم أيضاً » . مختصراً .

(٤) فى المطبوعة : « وكانت الملائكة » بالواو ، والصواب من ابن كثير والدر المنثور .

(٥) الخبر : ١٦٨٢ – الحجاج بن المنهال الأنماطى : ثقة فاضل ، أخرج له الجماعة . شيخه « حماد » : الراجح عندنا أنه « حماد بن سلمة » ، وإن كان فى التهذيب أنه يروى عن « الحمادين » ، يعنى حماد بن زيد وحماد بن سلمة . ولكن اقتصر البخارى فى ترجمته فى الكبير ١/٢/٣٧٦ على ذكر

١٦٨٣ – حدثني المثنى قال، حدثني الحجاج قال ،حدثنا حماد، عن خالد الحذاء ، عن عمير بن سعيد قال ، سمعت علياً يقول : كانت الزُّهَرة امرأة جميلة من أهل فارس، وأنها خاصمت إلى الملكين هاروت وماروت، فرواداها عن نفسها، فأبت إلا أنْ يعلماها الكلامَ الذى إذا تكلَّم به يُعرَجُ به إلى السماء . فعلَّماها ، فتكلمت به ، فعرَجت إلى السماء ، فمُسخت كوكباً. (١)

١٦٨٤ – حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ، حدثنا مؤمل بن إسمعيل – وحدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق – جميعاً ، عن الثورى ، عن موسى بن عقبة ، عن سالم ، عن ابن عمر ، عن كعب قال : ذكرت الملائكة أعمال بنى آدم وَما يأتون من الذنوب ، فقيل لهم : اختاروا منكم اثنين – وقال الحسن بن يحيى فى حديثه : اختاروا ملكين – فاختاروا هاروت وماروت ، فقيل لهما : إنى أرسل إلى بنى آدم رُسُلاً ، وليس بينى وبينكم رَسول ، انزلا : لا تُشركا بى شيئاً ، ولا تزنيا ، ولا تشربا الخمر . قال كعب : فوالله ما أمْسيا من يَوْمهما الذى أهبِطا فيه إلى الأرض حتى استكملا جميع ما نُهيا عنه – وقال الحسن ابن يحيى فى حديثه : فما استكملا يومهما الذى أنزِلا فيه حتى عَملا ما حرَّم الله عليهما. (٢)

« حماد بن سلمة » ، وكذلك صنع ابن أبى حاتم ١٦٧/٢/١ . فصنيعهما يدل على أنه عرف بالرواية عنه أكثر – ووقع فى المطبوعة هنا « حجاج » بدل « حماد » . والتصحيح من ابن كثير ١ : ٢٥٦ ، إذ نقل هذا الخبر عن الطبرى .

(١) الخبر : ١٦٨٣ – خالد الحذاء : هو « خالد بن مهران » ، ثقة كثير الحديث . مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ١٥٩/٢/٢ ، وابن أبى حاتم ٣٥٢/٢/١ – ٣٥٣ .

عمير بن سعيد النخعى : تابعى ثقة . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣٧٦/١/٣ . ووقع فى المطبوعة هنا « عمرو » بدل « عمير » . وهو خطأ ، صوابه فى ابن كثير ١ : ٢٥٥ عن رواية الطبرى هذه .

والخبر رواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٢٦٥ – ٢٦٦ ، مطولا ، من طريق إسمعيل بن أبى خالد ، « عن عمير بن سعيد النخعى ، قال : سمعت علياً . . . » ، فذكره بطوله .

(٢) الخبر : ١٦٨٤ – رواه البخارى بإسنادين : من طريق مؤمل بن إسمعيل ، ومن طريق عبد الرازق ، كلاهما عن الثورى . موسى بن عقبة بن أبى عياش الأسدى : هو صاحب المغازى ، كان ثقة ثبتاً .

١٦٨٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا معلّى بن أسد قال ، حدثنا عبد العزيز ابن المختار ، عن موسى بن عقبة قال ، حدثني سالم ، أنه سمع عبد الله يحدّث ، عن كعب الأحبار أنه حدث : أنّ الملائكة أنكروا أعمالَ بني آدم وما يأتون في الأرض من المعاصي ، فقال الله لهم : إنكم لو كنتم مكانهم أتيتم ما يأتون من الذنوب ، فاختاروا منكم ملكين . فاختاروا هاروت وماروت ، فقال الله لهما : إني أرسل رسلي إلى الناس ، وليس بيني وبينكما رسولٌ ، انزلا إلى الأرض ، ولا تُشركا بي شيئاً ، ولا تزنيا . فقال كعب : والذي نفس كعب بيده ، ما استكملا يومَهما الذي نزلا فيه حتى أتيا ما حرم الله عليهما.(١)

وكان مالك يقول : « عليكم بمغازي موسى بن عقبة ، فإنه ثقة » . وهو مترجم في الكبير للبخاري ٤/١/٢٩٢ وابن أبي حاتم ٤/١/١٥٤ – ١٥٥ .

والذي أثبتنا هو الصواب ، وكان في المطبوعة « محمد بن عقبة » ، بدل « موسى » . و « محمد ابن عقبة » : هو أخو موسى بن عقبة . وهو ثقة أيضاً ، مترجم في التهذيب ، والكبير ١/١/١٩٨ – ١٩٩ ، وابن أبي حاتم ٤/١/٣٥ .

وكان من المحتمل أن يكون ما في المطبوعة صحيحاً ، لأن سفيان الثوري يروي عن محمد بن عقبة ، كما يروي عن أخيه موسى . لولا الدلائل والقرائن ، التي جزمنا معها بخطأ ذلك :

فأولا : إن محمد بن عقبة لم يذكر في ترجمته بالرواية عن سالم بن عبد الله بن عمر .

وثانياً : أن ابن كثير نقل هذا الخبر عن تفسير عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن موسى بن عقبة ١ : ٢٥٥ ، ثم ذكر أن الطبري رواه من طريق عبد الرزاق .

وثالثاً : الخبر ثابت في تفسير عبد الرزاق ، في نسخة مصورة عندي ، عن مخطوطة دار الكتب المصرية ، المكتوبة سنة ٧٢٤ . وفيها « عن موسى بن عقبة » .

فاتفق على هذا الكتابان : الكتاب الذي نقل عنه الطبري ، والكتاب الذي نقل عن الطبري .

ورابعاً : أن ابن كثير قال أيضاً : « رواه ابن أبي حاتم ، عن أحمد بن عصام ، عن مؤمل ، عن سفيان الثوري ، به » .

والطبري هنا رواه – كما ذكرنا – عن مؤمل بن إسمعيل ، عن الثوري . فاتفقت روايته مع رواية ابن أبي حاتم .

وليس بعد هذا ثبت ويقين .

(١) الخبر : ١٦٨٥ – هو تكرار للخبر قبله ، من رواية عبد العزيز بن المختار ، عن موسى ابن عقبة .

وعبد العزيز بن المختار الدباغ : ثقة ، روى له الجماعة . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٢/٢/٣٩٣ – ٣٩٤ .

١٦٨٦ – حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أنه كان من أمر هاروت وماروت أنهما طعنا على أهل الأرض فى أحكامهم ، فقيل لهما : إنى أعطيت ابن آدم عشراً من الشهوات ، فبها يعصوننى . قال هاروت وماروت : ربنا ، لو أعطيتنا تلك الشهوات ثم نزلنا لحكمنا بالعدل . فقال لهما : انزلا ، فقد أعطيتكما تلك الشهوات العشر ، فاحكما بين الناس . فنزلا ببابل دُنْباوَنْد ، فكانا يحكمان، حتى إذا أمسيا عَرَجا فإذا أصبحا هَبطا . فلم يزالا كذلك حتى أتتهما امرأةٌ تخاصم زوجها ، فأعجبهما حُسنها – واسمها بالعربية، « الزُّهَرة »، وبالنَّبطية « بيذَخْت»، واسمها بالفارسية « أناهيذ » – فقال أحدهما لصاحبه: إنها لتعجبُنى ! فقال الآخر : قد أردت أن أذكر لك فأستحييت منك ! فقال : الآخر : هل لك أن أذكرَها لنفسها ؟ قال: نعم ، ولكن كيف لنا بعذاب الله ؟ قال الآخر : إنا نرجو رحمة الله ! فلما جاءت تخاصم زوجها ذكرَا إليها نفسها ، فقالت : لا ، حتى تقضيا لى على زوجى . فقضيا لها على زوجها . ثم واعدتهما خَرِبة من الخَرِب يأتيانها فيها ،فأتياها لذلك . فلما أراد الذى يواقعها، قالت : ما أنا بالذى أفعل حتى تخبرانى بأىّ كلام تصعدان إلى السماء ، وبأى كلام تنزلان منها ؟ فأخبراها ، فتكلمت فصعدت ، فأنساها الله ما تنزل به ، فبقيت مكانها،[1] وجعلها الله كوكباً – فكان عبد الله بن عمر كلما رآها لعنها وقال: هذه التى فتنت هاروت وماروت ! – فلما كان الليلُ أرادا أن يصعدَا فلم يستطيعا، فعرفا الهُلْك ،[2] فخيِّرا بين عذاب الدنيا والآخرة ، فاختارا عذاب الدنيا من عذاب الآخرة ، فعلّقا ببابل ، فجعلا يكلمان الناس كلاَمهما ، وهو السحر . ٣٦٤/١

١٦٨٧ – حدثني المثنى بن إبراهيم قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال: لما وقع الناس من بعد آدم فيما وقعوا فيه من

---

(١) فى ابن كثير ١ : ٢٥٩ : « فثبتت مكانها » .
(٢) فى ابن كثير ١ : ٢٥٩ : « الهلكة » ، وهما سواء .

المعاصى والكفر بالله ، قالت الملائكة فى السماء : أىّ ربّ ، هذا العالم إنما خلقتهم لعبادتك وطاعتك ، وقد ركبوا الكفرَ وقتلَ النفس الحرام وأكلَ المال الحرام والسرقةَ والزنا وشربَ الخمر ! فجعلوا يدعون عليهم ولا يعذِرونهم ، فقيل لهم : إنهم فى غَيْب .[1] فلم يعذروهم ، فقيل لهم : اختاروا منكم ملكين آمرُهما بأمرى وأنهاهما عن معصيتى . فاختاروا هاروت وماروت ، فأهبطا إلى الأرض ، وجُعل بهما شهوات بنى آدم ،[2] وأمِرا أن يُعبدا الله ولا يُشركا به شيئاً ، ونهيا عن قتل النفس الحرام ، وأكل المال الحرام ، والسرقة ، والزنا ، وشرب الخمر . فلبثا على ذلك فى الأرض زماناً يحكمان بين الناس بالحق — وذلك فى زمان إدريس . وفى ذلك الزمان امرأة حُسنها فى سائر الناس كحُسن الزُّهَرة فى سائر الكواكب ، وأنها أتت عليهما[3] ، فخضعا لها بالقول ، وأرَاداها على نفسها ، وأنها أبت إلا أن يكونا على أمرها ودينها ، وأنهما سألاها عن دينها التى هى عليه ، فأخرجت لهما صنماً وقالت : هذا أعبد . فقالا : لا حاجة لنا فى عبادة هذا ! فذهبا فغبرا ما شاء الله ،[4] ثم أتيا عليها فخضعا لها بالقول وأراداها على نفسها ، فقالت : لا ، إلا أن تكونا على ما أنا عليه . فقالا : لا حاجة لنا فى عبادة هذا ! فلما رأت أنهما أبَيا أن يعبدا الصنم ، قالت لهما : اختارا إحدى الخِلال الثلاث : إما أن تعبدا الصنم ، أو تقتلا النفْس ، أو تشربا الخمر . فقالا : كل هذا لا ينبغى ، وأهونُ الثلاثة شُرب الخمر . فسقتهما الخمر ، حتى إذا أخذت الخمر فيهما وَقعا بها . فمر بهما إنسان ، وهما فى ذلك ، فخشيا أن يُفشِى عليهما فقتلاه . فلما أن ذهب عنهما السكر ، عرفا ما وقعا فيه من الخطيئة ، وأرادا أن يصعدا إلى السماء ، فلم يستطيعا ،

---

(١) ما أدرى ما يعنى بقوله : « إنهم فى غيب » ، إلا أن يكون أراد الغيب : وهو ما غيبك من الأرض ، لبعده وانقطاعه ، وهبوطه عما حوله . كأنه يقول : إنهم فى مكان غيبهم عما تشهدون أنتم — أيتها الملائكة — من آيات ربكم . وانظر ص : ٤٣٣

(٢) فى تفسير ابن كثير ١ : ٢٥٧ : « فجعل لهما . . . »

(٣) فى تفسير ابن كثير : « أتيا عليها » .

(٤) فى المطبوعة : « فصبرا ما شاء الله » ، وفى ابن كثير : « فعبرا » . وغبر : مكث وبقى .

فحيل بينهما وبين ذلك . وكشف الغطاء بينهما وبين أهل السماء ، فنظرت الملائكة إلى ما وقعا فيه من الذنب ، فعجبوا كل العجب ، وعلموا أنّ من كان فى غَيْب فهو أقل خشية[1] ، فجعلوا بعد ذلك يستغفرون لمن فى الأرض — وأنهما لما وقعا فيما وقعا فيه من الخطيئة قيل لهما : اختارا عذاب الدنيا أو عذابَ الآخرة ! فقالا : أمّا عذاب الدنيا فإنه ينقطع ، وأما عذاب الآخرة فلا انقطاع له . فاختارا عذاب الدنيا ، فجُعلا ببابل ، فهما يعذبان .[2]

١٦٨٨ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا فرج بن فضالة ، عن معاوية بن صالح ، عن نافع قال : سافرت مع ابن عمر ، فلما كان من آخر ٣٦٥/١ الليل قال : يا نافع انظر ، طلعت الحمراء ؟ قلت : لا — مرتين أو ثلاثاً —[3] ثم قلت : قد طلعت ! قال : لا مَرْحباً ولا أهلاً ! قلت : سبحان الله ، نجمٌ مسخَّر سامعٌ مُطيع ! قال : ما قلت لك إلا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ،[4] وقال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الملائكة قالتْ : يارب ، كيف صبرك على بنى آدم فى الخطايا والذنوب ؟ قال : إنّى ابتليتُهم وعافيتكم . قالوا : لو كنا مكانَهم ما عصيناك ! قال : فاختاروا ملكين منكم . قال : فلم يألوا أن يختاروا ، فاختارُوا هاروت وماروت[5]

---

(١) انظر ص : ٤٣٢ تعليق : ١

(٢) الأثر : ١٦٨٧ — فى تفسير ابن كثير ١ : ٢٥٧ — ٢٥٨ عن أبى حاتم قال : « أخبرنا عصام بن رواد ، أخبرنا آدم ، أخبرنا أبو جعفر ، حدثنا الربيع بن أنس ، عن قيس بن عباد ، عن ابن عباس رضى الله عنهما » ، وهو غير إسناد ابن جرير ، وكلاهما من طريق أبى جعفر عن الربيع بن أنس ، ولكن ابن جرير لم يرفعه إلى ابن عباس . ونصهما واحد إلا بعض خلاف يسير فى بعض اللفظ .

(٣) فى المطبوعة : « قالها مرتين أو ثلاثاً » ، والصواب من ابن كثير فى تفسيره ١ : ٢٥٥ ، والدر المنثور ١ : ٩٧ .

(٤) فى ابن كثير : « أو قال — قال لى رسول الله . . . »

(٥) الحديث : ١٦٨٨ — هذا إسناد ضعيف . الحسين : هو ابن داود ، ولقبه « سنيد » ، وقد ترجمنا له فى : ١٤٤ ، ونزيد هنا أنه ترجم له الخطيب فى تاريخ بغداد ٨ : ٤٢ — ٤٤ ، وقوى أمره . وهو كما قال .

الفرج بن فضالة التنوخى القضاعى : ضعيف ، قال البخارى : « منكر الحديث » ، وهو مترجم

١٦٨٩ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : "وأمّا شأن هاروت وماروت ، فإن الملائكة عجبت من ظلم بني آدم ، وقد جاءتهم الرسل والكتب والبينات . فقال لهم ربهم : اختاروا منكم ملكين أنزلهما يحكمان في الأرض بين بني آدم . فاختاروا هاروت وماروت . فقال لهما حين أنزلهما : عجبتما من بني آدم ومن ظلمهم ومعصيتهم ، وإنما تأتيهم الرسل والكتب من وراءَ وراءَ ،[1] وأنتما ليس بيني وبينكما رسول ، فافعلا كذا وكذا ، ودعا كذا وكذا . فأمرهما بأمر ونهاهما .[2] ثم نزلا على ذلك ، ليس أحد لله أطوع منهما . فحكما

في التهذيب ، والكبير ٤/١/١٣٤ ، والصغير : ١٩٢ ، ١٩٩ ، والضعفاء للبخاري : ٢٩ ، والنسائي : ٢٥ ، وابن أبي حاتم ٣/٢/٨٥ – ٨٦ .

وهذا الحديث هنا مختصر . وقد رواه الخطيب في ترجمة سنيد ، مطولا ، من طريق عبد الكريم بن الهيثم ، عن سنيد ، بهذا الإسناد .

وهذه الأخبار ، في قصة هاروت وماروت ، وقصة الزهرة ، وأنها كانت امرأة فمسخت كوكباً – أخبار أعلها أهل العلم بالحديث . وقد جاء هذا المعنى في حديث مرفوع ، رواه أحمد في المسند : ٦١٧٨ ، من طريق موسى بن جبير ، عن نافع ، عن ابن عمر . وقد فصلت القول في تعليله في شرح المسند ، ونقلت قول ابن كثير في التفسير ١ : ٢٥٥ « وأقرب ما يكون في هذا أنه من رواية عبد الله بن عمر عن كعب الأحبار ، لا عن النبي صلى الله عليه وسلم » . واستدل بروايتي الطبري السالفتين : ١٦٨٤ ، ١٦٨٥ عن سالم عن ابن عمر عن كعب الأحبار .

وقد أشار ابن كثير أيضاً في التاريخ ١ : ٣٧ – ٣٨ ، قال : « فهذا أظنه من وضع الإسرائيليين ، وإن كان قد أخرجه كعب الأحبار ، وتلقاه عنه طائفة من السلف ، فذكروه على سبيل الحكاية والتحدث عن بني إسرائيل» . وقال أيضاً ، بعد الإشارة إلى أسانيد أخر : « وإذا أحسنا الظن قلنا : هذا من أخبار بني إسرائيل ، كما تقدم من رواية ابن عمر عن كعب الأحبار . ويكون من خرافاتهم التي لا يعول عليها » .

وقال في التفسير أيضاً ١ : ٢٦٠ ، بعد ذكر كثير من الروايات التي في الطبري وغيره : « وقد روى في قصة هاروت وماروت ، عن جماعة من التابعين ، كمجاهد ، والسدي والحسن البصري ، وقتادة ، وأبي العالية ، والزهري ، والربيع بن أنس ، ومقاتل بن حيان ، وغيرهم ، وقصها خلق من المفسرين ، من المتقدمين والمتأخرين . وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل ، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى . وظاهر سياق القرآن إجمال القصة ، من غير بسط ولا إطناب فيها . فنحن نؤمن بما ورد في القرآن ، على ما أراده الله تعالى . والله أعلم بحقيقة الحال » .

وهذا هو الحق ، وفيه القول الفصل . والحمد لله .

(١) في ابن كثير ١ : ٢٥٩ : « أعجبتم من بني آدم . . . وإنكما ليس بيني وبينكما رسول »

(٢) في ابن كثير : « فأمرهما بأمور ونهاهما » .

فعدلا . فكان يحكمان النهارَ بين بنى آدم ، فإذا أمسا عَرَجا وكانا مع الملائكة ، وينزلان حين يصبحان فيحكمان فيعدلان، حتى أنزلت عليهما الزُّهرة — فى أحسن صورة امرأة — تخاصم ، فقضيا عليها . فلما قامت ، وجد كل واحد منهما فى نفسه ، فقال أحدهما لصاحبه: وجدتَ مثل ما وجدتُ ؟ قال: نعم . فبعثا إليها: أنْ ائتينا نَقْضِ لك . فلما رجعت، قالا لها — وقضيا لها — : ائتينا ! فأتتهما ،[1] فكشفا لها عن عورتهما ، وإنما كانت شهوتهما فى أنفسهما ، ولم يكونا كبنى آدم فى شهوة النساء ولذتها. فلما بلغا ذلك واستحلاّه وافتُتِنا ، طارت الزُّهَرة فرجعت حيث كانت . فلما أمسيا عَرَجا فرُدّا ولم يؤذن لهما ،[2] ولم تحملهما أجنحتهما ، فاستغاثا برجل من بنى آدم ، فأتياه فقالا : ادعُ لنا ربك ! فقال : كيف يشفع أهل الأرض لأهل السماء ؟ قالا : سمعنا ربك يذكرك بخير فى السماء ! فوعدهما يوماً ، وغدا يدعو لهما، فدعا لهما فاستُجيب له ، فخيِّرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة . فنظر أحدهما لصاحبه فقالا : نعلم أنّ أنواعَ عذاب الله فى الآخرة كذا وكذا فى الخلد ، ومع الدنيا سبع مرات مثلها .[3] فأمِرا أن ينزلا ببابل، فَشَمّ عذابهما . وزعم أنهما معلّقان فى الحديد مَطويّان ، يصفّقان بأجنحتهما[4]

* * *

قال أبو جعفر : وحكى عن بعض القرّاء أنه كان يقرأ : « وما أنْزِل على المَلِكَيْن» ،يعنى به رجلين من بنى آدم. وقد دللنا على خطأ القراءة بذلك من جهة الاستدلال ،[5] فأما من جهة النقل ، فإجماع الحجة — على خطأ القراءة بها — من

---

(١) فى ابن كثير : « قالا وقضيا لها فأتتهما » ، وليس بصواب .

(٢) فى ابن كثير : « فزجرا ولم يؤذن لهما » ، وهما سواء .

(٣) فى ابن كثير : « فقال : ألا تعلم أن أفواج عذاب الله . . . وفى الدنيا تسع مرات مثلها » . وفى الدر المنثور : « فقالا : نعلم أن أفواج عذاب الله . . . نعم ، ومع الدنيا سبع مرات . . . » وقوله « ومع الدنيا . . . » أى إذا قيس بعذاب الدنيا ، كان سبعة أمثال عذابها .

(٤) الأثر: ١٦٨٩ — فى تفسير ابن كثير ١ : ٢٥٩ — ٢٦٠ ، وفى الدر المنثور ١ : ١٠٢

(٥) انظر ما سلف ص : ٤٢٥ — ٤٢٦

الصحابة والتابعين وقُرّاء الأمصار . وكفى بذلك شاهداً على خطئها .

* * *

وأما قوله « ببابِل » ، فإنه اسم قرية أو موضع من مَواضع الأرض . وقد اختلف أهل التأويل فيها . فقال بعضهم : إنها « بابل دُنْباوَنْد » :

١٦٩٠ — حدثني بذلك موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى[1]

* * *

وقال بعضهم : بل ذلك « بابل العراق » . ذكر من قال ذلك :

١٦٩١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة — في قصّة ذكرتْها عن امرأة قدمت المدينة ، فذكرت أنها صارت في العراق ببابل ، فأتت بها هاروت وماروت ، فتعلّمت منهما السحر[2]

* * *

٣٦٦/١ قال أبو جعفر : واختُلف في معنى « السحر » . فقال بعضهم : هو خُدَع وَمخاريقُ وَمعانٍ يفعلها الساحر ، حتى يُخيّل إلى المسحور الشيءُ أنه بخلاف ما هو به ، نظيرَ الذي يرَى السَّراب من بعيد فيخيَّل إليه أنه ماءٌ ، ويرى الشيء من بعيد فيُثبته بخلاف ما هو على حقيقته . وكراكب السفينة السائرة سيراً حثيثاً ، يخيّل إليه أنّ ما عاين من الأشجار والجبال سائرٌ معه . قالوا : فكذلك المسحور ذلك صفته : يحسب بعدَ الذي وصَل إليه من سحر الساحر ، أنّ الذي يراه أو يفعله بخلاف الذي هو به على حقيقته ، كالذي : —

---

(١) الأثر : ١٦٩٠ — هو الأثر السابق ١٦٨٦ .

(٢) الأثر : ١٦٩١ الحسين : هو سنيد ، كما مضى مراراً .

حجاج : هو ابن محمد المصيصي الأعور ، وهو ثقة رفيع الشأن ، من شيوخ أحمد وابن معين . مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري ٣٧٦/٢/١ ، وابن أبي حاتم ١٦٦/٢/١ ، وتاريخ بغداد ٨ : ٢٣٦ — ٢٣٩ .

وهذا الخبر قطعة من خبر مطول ، سيأتي : ١٦٩٥ ، من طريق ابن أبي الزناد أيضاً .

١٦٩٢ – حدثني أحمد بن الوليد وسفيان بن وكيع ، قالا ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة : أنّ النبي صلى الله عليه وسلم لما سُحر ، كان يخيَّل إليه أنه يفعل الشيء ولم يفعله .(١)

١٦٩٣ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن نمير ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : سَحر رسول الله صلى الله عليه وسلم يهوديٌّ من يهود بني زُرَيق يقال له لبيد بن الأعصم ، حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُخيَّل إليه أنه يفعلُ الشيء وَما يفعله.(٢)

---

(١) الحديث : ١٦٩٢ – أحمد بن الوليد ، شيخ الطبري : لم أعرف من هو ؟ وسفيان بن وكيع بن الجراح : ضعيف ، قال البخاري في التاريخ الصغير ، ص : ٢٤٦ «يتكلمون فيه لأشياء» لقنوه». وقال النسائي في الضعفاء ، ص : ١٦ « ليس بشيء » . بل اتهمه أبو زرعة بالكذب . ودفع عنه أبو حاتم هذه السبة ، وإنما جاءه ذلك من وراقه ، أفسد عليه حديثه . وهو مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٢/١/٢٣١ – ٢٣٢ ، والمجروحين لابن حبان (مخطوط مصور) ، رقم : ٤٧٠ . وليس ضعفه بسبب لضعف هذا الحديث فقد جاء بأسانيد صحاح ، سنشير إليها في الحديث التالي .

يحيى بن سعيد : هو القطان الإمام الحافظ .

(٢) الحديث : ١٦٩٣ – هو تكرار للحديث السابق بإسناد آخر ، رواه سفيان بن وكيع ، عن ابن نمير .

ابن نمير : هو عبد الله بن نمير الهمداني : ثقة صاحب سنة ، روى عنه الأئمة ، أحمد ، وابن المديني . مترجم في التهذيب ، وابن سعد ٦ : ٢٧٤ – ٢٧٥ . وابن أبي حاتم ٢/٢/١٨٦ .

وهذا الحديث – بطريقيه – مختصر من حديث مطول : أما من رواية ابن نمير ، فقد رواه أحمد في المسند ٦ : ٥٧ (حلبي) عن ابن نمير . ورواه مسلم في صحيحه ٢ : ١٨٠ ، عن أبي كريب . ورواه ابن ماجة : ٣٥٤٥ ، عن أبي بكر بن شيبة – كلاهما عن ابن نمير ، به مطولا .

وقد رواه كثير من الثقات الأثبات عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة :

فرواه أحمد في المسند ٦ : ٦٣ ، من طريق معمر . ورواه أحمد أيضاً ٦ : ٦٣ ، من طريق أبي أسامة حماد بن أسامة ، وكذلك رواه البخاري ١٠ : ٢٠١ ، ومسلم ٢ : ١٨٠ – كلاهما من طريق أبي أسامة . ورواه أحمد أيضاً ٦ : ٩٦ ، وابن سعد ٢/٢/٤ – كلاهما من طريق وهيب . ورواه البخاري ١٠ : ١٩٢ – ١٩٧ ، من طريق عيسى بن يونس . و ١٠ : ١٩٩ – ٢٠١ ، من طريق ابن عيينة . و ١٠ : ٤٠٠ ، من طريق سفيان ، وهو ابن عيينة . و ١١ : ١٦٣ ، من طريق أنس ابن عياض أبي ضمرة . ورواه أيضاً ٦ : ٢٣٩ ، معلقاً من رواية الليث بن سعد ، – كل هؤلاء رووه عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة . وقال البخاري ١٠ : ١٩٧ ، عقب رواية عيسى بن يونس : « تابعه أبو أسامة ، وأبو ضمرة ، وابن أبي الزناد – عن هشام » . وفي رواية ابن عيينة ١٠ : ١٩٩ أنه سمعه قبل ذلك من ابن جريج « يقول : حدثني آل عروة عن عروة » . ، وأنه – أي ابن عيينة – سأل هشاماً عنه ، فحدثه به عن أبيه عن عائشة .

١٦٩٤ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب قال ، كان عُروة بن الزبير وسعيد بن المسيب يحدّثان : أن يهود بني زُرَيْق عقدوا عُقَدَ سِحْر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعلوها في بئر حزم ، حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينكر بصره. ودلّه الله على ما صنعوا، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بئر حزم التي فيها العُقد فانتزعها . فكان

وذكر ابن كثير بعض طرقه ، في تفسير سورة الفلق ٩ : ٣٥٣ – ٣٥٤ . وإنما فصلنا القول في طرقه هنا ، لأن الطبري لم يذكره هناك في موضعه .

وقد ثبت مثل هذه القصة من حديث زيد بن أرقم :

فرواه أحمد في المسند ٤ : ٣٦٧ (حلبي) ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن يزيد بن حيان ، عن يزيد بن أرقم ، به . وهذا إسناد صحيح . يزيد بن حيان أبو حيان التيمي : تابعي ثقة ، مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري ٤/٢/٣٢٤ – ٣٢٥ ، وابن أبي حاتم ٤/٢/٢٥٥ – ٢٥٦ .

ورواه أيضاً ابن سعد ٢/٢/٦ ، عن موسى بن مسعود ، عن سفيان الثوري ، عن الأعمش ، عن ثمامة المحلمي ، عن زيد بن أرقم . وهذا إسناد صحيح أيضاً . موسى بن مسعود النهدي : سبق توثيقه : ٢٨٠ . و « ثمامة بن عقبة المحلمي » : ثقة . مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري ١/٢/١٧٦ ، والجرح ١/١/٤٦٥ – ٤٦٦ . و « المحلمي » : بضم الميم وفتح الحاء المهملة وكسر اللام المشددة بعدها ميم ، نسبة إلى « محلم بن تميم » .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٦ : ٢٨١ ، بروايتين ، وقال : « رواه النسائي باختصار » ، ثم قال : « رواه الطبراني بأسانيد ، ورجال أحدها رجال الصحيح » .

وذكره الحافظ في الفتح ١٠ : ١٩٤ أنه « صححه الحاكم وعبد بن حميد » .

وقصة السحر هذه عرض لها كثير من أهل عصرنا بالإنكار ؛ وهم في إنكارهم مقلدون ، ويزعمون أنهم بعقلهم يهتدون . وقد سبقهم إلى ذلك غيرهم ، ورد عليهم العلماء :

فقال الحافظ في الفتح ١٠ : ١٩٢ « قال المازري : أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث ، وزعموا أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها ! قالوا : وكل ما أدى إلى ذلك فهو باطل . وزعموا أن تجويز هذا يعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع ؛ إذ يحتمل على هذا أنه يخيل إليه أنه يرى جبريل وليس هو ثم ! وأنه يوحى إليه بشيء ولم يوح إليه بشيء ! ! قال المازري : وهذا كله مردود . لأن الدليل قد قام على صدق النبي صلى الله عليه وسلم فيما يبلغه عن الله تعالى، وعلى عصمته في التبليغ ، والمعجزات شاهدات بتصديقه . فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل . وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها ، ولا كانت الرسالة من أجلها – فهو في ذلك عرضة لما يعترض البشر ، كالأمراض . فغير بعيد أن يخيل إليه في أمر من أمور الدنيا ما لا حقيقة له ، مع عصمته عن مثل ذلك من أمور الدين » . ثم أفاض الحافظ في هذا البحث الدقيق ، بقوته المعروفة ، في جمع الروايات وتفسيرها ، بما لا يدع شكاً عند من ينصف .

وعقد القاضي عياض فصلا جيداً في هذا البحث ، في كتاب الشفاء . انظره في شرح العلامة علي القاري ٢ : ١٩٠ – ١٩٣ من طبعة بولاق سنة ١٢٥٧ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : سحرتني يهود بني زُرَيق .(١)

* * *

وأنكر قائلو هذه المقالة أن يكون الساحر يقدر بسحره على قلب شيء عن حقيقته، واستسخار شيء من خلق الله – إلا نظيرَ الذى يقدر عليه من ذلك سائر بنى آدم – أو إنشاء شيء من الأجسام سوَى المخاريق والخُدَع المتخيَّلة لأبصار الناظرين بخلاف حقائقها التى وصفنا . وقالوا : لو كان فى وسع السحرة إنشاءُ الأجسام وقلب حقائق الأعيان عما هى به من الهيئات ، لم يكن بين الحق والباطل فصْل ،(٢) ولجاز أن تكون جميع المحسوسات مما سحرته السحرة فقلبت أعيانها . قالوا : وفى وصف الله جل وعز سحرةَ فرعون بقوله : ﴿ فإذَا حِبَالُهُم وعِصِيُّهم يُخَيَّل إليهِ منْ سِحْرِهِم أنَّهَا تَسْعَى ﴾ [سورة طه : ٦٦] ، وفى خبر عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذْ سحر يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله ، أوضح الدلالة على بُطولِ دعوى المدعين = : أن الساحر يُنشيء أعيان الأشياء بسحره، ويستسخر ما يتعذر استسخاره على غيره من بنى آدم ، كالموات والجماد والحيوان = وصحةِ ما قلنا .(٣)

* * *

وقال آخرون : قد يقدر الساحر بسحره أن يحوّل الإنسان حماراً ، وأن يسحر الإنسان والحمار ، وينشيء أعياناً وأجساماً ، واعتلوا فى ذلك بما : –

١٦٩٥ – حدثنا به الربيع بن سليمان قال ، حدثنا ابن وهب قال ، أخبرنا ابن أبى الزناد قال ، حدثنى هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة زوج

---

(١) الحديث : ١٦٩٤ – هذا فى معنى الحديثين قبله . ولكن هذا مرسل . وقد روى ابن سعد ٢/٢/٥ ، نحوه مختصراً ، عن الزهرى ، « عن ابن المسيب وعروة بن الزبير ، قالا : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : سحرتنى يهود بنى زريق » . وقد أشار الحافظ فى الفتح ١٠ : ١٩٣ إلى أن مرسل سعيد بن المسيب رواه عبد الرزاق ، وذكر من بعض ألفاظه ما يدل على أنه أطول مما هنا . وقوله : « بئر حزم » ، لا يعرف . والذى فى الروايات جميعا : « بئر ذروان »

(٢) فى المطبوعة : « فضل » ، وهو خطأ .

(٣) سياق العبارة : « أوضح الدلالة على بطول دعوى المدعين . . . وصحة ما قلنا » معطوفاً .

النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت : قدمت عليّ امرأة من أهل دُومَة الجندل ، جاءت تبتغي رَسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته حَدَاثةَ ذلك ،(١) تسأله عن شيء دَخلت فيه من أمر السحر ولم تعمل به . قالت عائشة لعروة : يا ابن أختي ، فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيَشفيها !(٢) كانت تبكي حتى إنيّ لأرحمها ! وتقول : إني لأخاف أن أكونَ قد هلكت ! كان لي زوج فغاب عني ، فدخلتْ عليّ عجوز فشكوت ذلك إليها ، فقالت : إن فعلتِ ما آمرك به ، فأجعله يأتيك ! فلما كان الليل جاءتني بكلبين أسودين ، فركبت ٣٦٧/١ أحدهما وركبت الآخر ، فلم يكن كشيء حتى وقفنا ببابل ،(٣) فإذا برجلين معلَّقين بأرجلهما ، فقالا : ما جاء بك ؟ فقلت : أتعلّم السحر ! فقالا : إنما نحن فتنةٌ ، فلا تكفري وَارْجعي . فأبيت وقلت : لا . قالا : فَاذهبي إلى ذلك التنُّور فبولي فيه .(٤) فذهبت ففزعت فلم أفعل ، فرجعت إليهما ، فقالا : أفعلت ؟ قلت : نعم . فقالا : فهل رأيت شيئاً ؟ قلت : لم أر شيئاً ! فقالا لي : لم تفعلي ، ارجعي إلى بلادك ولا تكفري فأربيتُ وأبيتُ ،(٥) فقالا : اذهبي إلى ذلك التنوّر فبولي فيه . فذهبت فاقشعرَرْت ، ثم رجعت إليهما فقلت : قد فعلت . فقالا : فما رأيت ؟

---

(١) يقال : «كان ذلك في حدثان كذا وكذا» (بكسر فسكون) ، و «في حداثته» : أي على قرب عهد به .

(٢) يشفيها : أي يجيبها بما يبلغ بها سكينة القلب فتبرأ من حيرتها . ومنه : « شفاء العي السؤال » . والجهل والحيرة مرض يسقم القلوب والنفوس .

(٣) في ابن كثير ١ : ٢٦٠ : « فلم يكن شيء » ، والصواب ما هنا وفي الدر المنثور ١ : ١٠١ وقولها : « فلم يكن كشيء » عبارة جيدة ، بمعنى : لم يكن ما مضى كشيء يعد ، بل أقل من القليل . والعرب تقول : تأخرت عنك شيئاً ، أي قليلا . ومنه قول عمر بن أبي ربيعة .

وَقَالَتْ لَهُنَّ : أَرْبَعْنَ شَيْئاً ، لعلّنِي وَإِنْ لاَمَتِي فِيمَا ارتأَيْتُ مُلِيمُ

أي قفن قليلا . ويقولون في مثل ذلك أيضاً : « لم يكن إلا كلا ولا » ، كل ذلك بمعنى السرعة الخاطفة .

(٤) في المطبوعة : « فقالا ، اذهبي . . . » ، وأثبت ما في الدر المنثور وابن كثير ، فهي أجود .

(٥) في المطبوعة : « فأبيت » بحذف « فأربيت » . وأرب بالمكان لزمه ولم يبرحه . والزيادة من ابن كثير في الموضعين .

فقلت: لم أر شيئاً . فقالا: كذبت لم تفعلى، ارجعى إلى بلادك ولا تكفرى ، فإنك على رأس أمرك ! [١] فأربيتُ وأبيتُ ، فقالا : اذهبى إلى ذلك التنور فبولى فيه . فذهبت إليه فبلت فيه ، فرأيت فارساً مُتقنّعاً بحديد خرج منى حتى ذَهَب فى السماء ، وغاب عنى حتى ما أراه . فجئتهما فقلت : قد فعلت ! فقالا : ما رأيت ؟ فقلت: فارساً متقنّعاً خرجَ منّى فذهب فى السماء حتى ما أراه . [٢] فقالا : صدقت، ذلك إيمانك خرج منك ، اذهبى . فقلت للمرأة: والله ما أعلم شيئاً ! وما قالا لى شيئاً ! فقالت : بلى ، لن تريدى شيئاً إلا كان ! خذى هذا القمح فابذرى . فبذرت ، وقلت : أطلعى ! فأطلعت ، وقلت : أحقلى ! فأحقلت ، ثم قلت : أفرِكى ! فأفركت، ثم قلت: أيبِسى ! فأيبستْ، ثم قلت: أطحِنى ! فأطحنت، ثم قلت : أخبِزى، فأخبزت . [٣] فلما رأيت أنىّ لا أريد شيئاً إلا كان ، سُقط فى يدى وندمتُ والله يا أم المؤمنين ! والله ما فَعلتُ شيئاً قط ولا أفعله أبداً ! [٤]

* * *

---

(١) يقال : أنت على رأس أمرك ، وعلى رئاس أمرك : أى فى أوله وعلى شرف منه . وزعم الجوهرى أن قولهم : « على رأس أمرك » من كلام العامة ، وهذا الخبر ينقض ما قال .

(٢) فى تفسير ابن كثير والدر المنثور : « فرأيت فارساً » ، وما هنا صواب جيد .

(٣) فى هذه الفقرة كلمات لم تثبتها كتب اللغة ، سأذكرها فى مدرج شرحها . « أطلعى فأطلعت » أى أخرجى شطأك ، من قولهم : أطلع الزرع ، إذا بدا أول نباته من الأرض . « أحقلى فأحقلت » . أى أخرجى حقلك . والحقل : الزرع اذا استجمع خروج نباته . أحقل الزرع : تشعب ورقه من قبل أن تغلظ سوقه . « أفركى فأفركت » ، أى كرفى فريكاً . وهو حب السنبلة إذا اشتد وصلح أن يفرك . أفرك السنبل: صار فريكاً، وهو حين يصلح أن يفرك فيؤكل . و « أيبس فأيبست » أى كرفى حباً يابساً ، أيبس البقل : يبس وجف . « أطحنى فأطحنت » . أى كرفى طحيناً . ولم يرد فى كتب اللغة : « أطحن » ، ولكنها أتبعت هذا الحرف ما مضى من أخواته ، وهى عربية سليمة ماضية على سنن اللغة فى هذا الموضع . « أخبزى فأخبزت » ، أى كرفى خبزاً يؤكل ، وهذه أيضاً لم ترد فى كتب اللغة ، ولكنها عريقة كأختها السالفة . وقد قال ابن كثير أن إسناد هذا الحديث جيد إلى عائشة ، وأن الحاكم صححه ، فإن كان ذلك كما قالا ، فلا شك فى عربية هذه الألفاظ من طريق الرواية أيضاً .

(٤) الخبر : ١٦٩٥ — مضت قطعة منه ، بإسناد آخر إلى ابن أبى الزناد : ١٦٩١ .

وهذا الخبر نقله ابن كثير ١ : ٢٦٠ — ٢٦١ ، بطوله ، عن الطبرى . وقدم له بكلمة ، قال : « وقد ورد فى ذلك أثر غريب ، وسياق عجيب فى ذلك . أحببنا أن ننبه عليه » . ثم قال بعد نقله :

قال أهل هذه المقالة بما وصفنا ، واعتلُّوا بما ذكرنا ، وقالوا : لولا أن الساحر يقدرُ على فعل ما ادَّعى أنه يقدر على فعله ، ما قدر أن يُفرِّق بين المرء وزوجه . قالوا : وقد أخبر الله تعالى ذكره عنهم أنهم يَتعلَّمون من الملكين ما يفرِّقون به بين المرء وزوجه . وذلك لو كان على غير الحقيقة ، وكان على وجه التخييل والحُسبان ، لم يكن تفريقاً على صحة ، وقد أخبر الله تعالى ذكره عنهم أنهم يفرقون على صحة .

* * *

وقال آخرون : بل « السحر » أخذٌ بالعين .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾

قال أبو جعفر : وتأويل ذلك : وما يعلّم الملكان أحداً من الناس الذى أنزل عليهما من التَّفريق بين المرء وزوجه ، حتى يقولا له : إنّما نحن بَلاءٌ وفتنة لبنى آدم ، فلا تكفر بربك . كما : —

١٦٩٦ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن

« فهذا إسناد جيد إلى عائشة رضى الله عنها » . وذكر أنه رواه ابن أبى حاتم عن الربيع بن سليمان ، بأطول منه .

وذكره السيوطى ١ : ١٠١ ، ونسبه أيضاً للحاكم وصححه . والبيهقى فى سننه .

وهى قصة عجيبة ، لا ندرى أصدقت تلك المرأة فيما أخبرت به عائشة ؟ أما عائشة فقد صدقت فى أن المرأة أخبرتها . والإسناد إلى عائشة جيد ، بل صحيح .

الربيع بن سليمان : هو المرادى المصرى المؤذن ، صاحب الشافعى وراوية كتبه ، وهو ثقة . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ١/٢/٤٦٤ . ابن أبى الزناد : هو «عبد الرحمن بن أبى الزناد عبد الله بن ذكوان » ، وهو ثقة ، تكلم فيه بعض الأئمة ، فى روايته عن أبيه ، وفى رواية البغداديين عنه . والحق أنه ثقة ، وخاصة فى حديث هشام بن عروة . فقد قال ابن معين — فيما رواه أبو داود عنه عند الخطيب وغيره — « أثبت الناس فى هشام بن عروة : عبد الرحمن بن أبى الزناد » . وقد وثقه الترمذى وصحح عدة من أحاديثه ، بل قال فى السنن ٣ : ٥٩ ، فى حديث له صححه ، وفيه حرف لم يروه غيره ، فقال : « وإنما ذكره عبد الرحمن بن أبى الزناد ، وهو ثقة حافظ » .

السدى قال : إذا أتاهما – يعنى هاروت وماروت – إنسان يريد السحر ، وَعظاه وقالا له : لا تكفر ، إنما نحن فتنة ! فإن أبى ، قالا له : ائت هذا الرماد فبُلْ عليه . فإذا بال عليه خرج ، منه نور يَسطعَ حتى يدخل السماء – وذلك الإيمان – وأقبل شيء أسوَدُ كهيئة الدخان حتى يدخل فى مَسامعه وكل شيء منه ،(١) فذلك غضب الله . فإذا أخبرهما بذلك علماه السحر . فذلك قول الله : « وما يُعلّمان من أحد حتى يقولا إنما نحنُ فتنةٌ فلا تكفر » الآية .

١٦٩٧ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة والحسن : « حتى يَقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر » ،قال: أخِذ عليهما الميثاق أن لا يعلّما أحداً حتى يقولا : « إنما نحنُ فتنة فلا تكفر » .(٢)

١٦٩٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر قال ، قال قتادة : كانا يعلّمان الناس السحر ، فأخِذ عليهما أن لا يعلما أحدًا حتى يقولا : « إنما نحنُ فتنةٌ فلا تكفر » .

١٦٩٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو سفيان ، عن معمر قال ، قال غير قتادة : أخِذ عليهما أن لا يعلّما أحداً حتى يَتقدّما ٣٦٨/١ إليه فيقولا : « إنما نَحنُ فتنة فلا تكفر » .

١٧٠٠ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن عوف ، عن الحسن قال: أخِذ عليهما أن يقولا ذلك .

١٧٠١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال: أُخذ الميثاق عليهما أن لا يعلّما أحداً حتى يقولا : « إنما نحن فتنة فلا تكفر » . لا يجترئ على السحر إلاّ كافر.

* * *

(١) فى المطبوعة : « وقيل شيء أسود ... » كلام بلا معنى . والتصحيح من ابن كثير ١ : ٢٦٢

(٢) فى المطبوعة : « أخذ عليها أن لا يعلما » والزيادة من ابن كثير ١ : ٢٦٢

وأما « الفتنة » فى هذا الموضع ، فإن معناها : الاختبارُ والابتلاء ، من ذلك قول الشاعر :(١)

وَقَدْ فُتِنَ النَّاسُ فِى دِينِهِمْ وَخَلَّى ابنُ عَفَّانَ شَرًّا طَوِيلاَ(٢)

ومنه قوله : « فتنت الذَّهبَ فى النار » ، إذا امتحنتها لتعرفَ جَوْدَتهما من رَدَاءتها ، « أفتنها فِتنة وفُتوناً » ، كما : —

١٧٠٢ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « إنما نَحنُ فتنةٌ » ، أى بلاء .

* * *

---

(١) نسبه الطبرى فى تاريخه ١ : ١٥١ — ١٥٢ للحتات بن يزيد المجاشعى عم الفرزدق . ونسبه البلاذرى فى أنساب الأشراف ٥ : ١٠٤ إلى : على بن الغدير بن المضرس الغنوى ، وإلى : إهاب بن همام بن صعصعة بن ناجية بن عقال المجاشعى ، وإلى : ابن الغريرة النهشلى ، وهو كثير بن عبد الله بن مالك النهشلى ، وهو مخضرم ، وإليه أيضاً فى معجم الشعراء : ٣٤٩ ، وفى الكامل للمبرد ٢ : ٣٤ ، وقال أبو الحسن الأخفش : « ابن الغريرة الضبى » ، وهو خطأ محض ، إنما هو النهشلى .

(٢) أول هذه القصيدة :

نَأَتْكَ أُمَامَةُ نَأْياً طَوِيلاَ وَحَمَّلَكَ الحُبُّ عِبْئاً ثَقِيلاَ

ثم قال :

لَعَمْرُ أَبِيكِ فَلاَ تَجْزَعِى لَقَدْ ذَهَبَ الخَيْرُ إِلاَّ قَلِيلاَ
لَقَدْ فُتِنَ النَّاسُ فِى دِينِهِمْ وَخَلَّى ابنُ عَفَّانَ شَرًّا طَوِيلاَ
أَعَاذِلَ كُلُّ امْرِئٍ هَالِكٌ فَسِيرِى إِلَى اللهِ سَيْراً جَمِيلاَ
فَإِنَّ الزَّمَانَ لَهُ لَذَّةٌ وَلاَ بُدَّ لَذَّتُهُ أَنْ تَزُولاَ

وروى الطبرى صدر البيت الذى استشهد به هنا فى تاريخه :

« لَقَدْ سَفِهَ النَّاسُ فى دِينِهِمْ »

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾

قال أبو جعفر : وقوله جل ثناؤه : «فيتعلّمون منهما» ، خبرٌ مبتدأٌ عن المتعلّمين من الملكين ما أنزِل عليهما ، وليس بجواب لقوله : « وما يعلّمان من أحدٍ » ، بل هو خبرٌ مُستأنفٌ ، ولذلك رُفع فقيل : « فيتعلّمون » . فمعنى الكلام إذاً : وما يعلّمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة ، فيأبَوْن قَبُول ذلك منهما ، فيتعلّمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه .[1]

وقد قيل إنّ قوله : «فيتعلمون» ، خبرٌ عن اليهود معطوفٌ على قوله : « ولكنّ الشياطين كفروا يُعلّمون الناس السحرَ وما أُنْزِل على الملكين ببابلَ هاروتَ وماروتَ » ، «فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه » . وجعلوا ذلك من المؤخر الذى معناه التقديم .

* * *

والذى قلنا أشبه بتأويل الآية . لأن إلحاق ذلك بالذى يليه من الكلام ، ما كان للتأويل وجه صحيح ،[2] أولى من إلحاقه بما قد حيل بينه وبينه من معترض الكلام .

* * *

و « الهاء » و « الميم » و « الألف » من قوله : « منهما » ، من ذكر الملكين . ومعنى ذلك : فيتعلّم الناس من الملكين الذى يفرّقون به بين المرء وزجه .

* * *

و « ما » التى مع « يفرّقون » بمعنى « الذى » . وقيل : معنى ذلك : السحرُ الذى يفرقون به . وقيل : هو معنى غير السحر . وقد ذكرنا اختلافهم فى ذلك فيما مضى قبل .[3]

---

(١) يعنى الطبرى أن فى الكلام حذف اجتزأ بفهم سامعه عن ذكره ، وهو قوله : « فيأبون قبول ذلك منهما » .

(٢) قوله : « ما كان للتأويل . . . » ، هى ما يقولونه فى العربية الركيكة « ما دام للتأويل . . . »

(٣) انظر ما سلف : ٤٢٣ – ٤٢٤

* * *

وأما « المرء » ، فإنه بمعنى : رجل من أسماء بنى آدم ، والأنثى منه « المرأة » . يوحّد ويثنّى ولا تُجمع ثلاثته على صورته ،[1] يقال منه : «هذا امرؤ صالح ، وهذان امرآن صالحان » . ولا يقال : هؤلاء امرؤو صدق ، ولكن يقال : «هؤلاء رجالُ صِدق وَقوْم صِدق» . وكذلك المرأة توحد وتثنى ولا تُجمع على صورتها . يقال : «هذه امرأة ، وهاتان امرأتان » . ولا يقال : هؤلاء امرآت ، ولكن : « هؤلاء نسوة » .

* * *

وأمّا « الزوج » ، فإنّ أهل الحجاز يقولون لامرأة الرجل : « هى زوجه » بمنزلة الزوج الذكر ، ومن ذلك قول الله تعالى ذكره ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾ [سورة الأحزاب : ٣٧] ، وتميمٌ وكثير من قيسٍ وأهل نجد يقولون : «هى زوجته » .[2] كما قال الشاعر :[3]

وَإِنَّ الَّذِى يَمْشِى يُحَرِّشُ زَوْجَتِى كَمَاشٍ إِلَى أُسْدِ الشَّرَى يَسْتَبِيلُهَا[4]

* * *

فإن قال قائل : وكيف يفرّق الساحرُ بين المرء وزوجه ؟

قيل قد دللنا فيما مضى على أنّ معنى « السحر » : تخييل الشىء إلى المرء بخلاف ما هو به فى عينه وحقيقته ، بما فيه الكفاية لمن وفق لفهمه .[5] فإذ كان

(١) فى المطبوعة : « ولا يجمع ثلاثيه » خطأ محض .

(٢) انظر ما سلف ١ : ٥١٤ ، ففيه زيادة عما هنا .

(٣) هو الفرزدق .

(٤) ديوانه : ٦٠٥ ، والأغانى ٩ : ٣٢٦ ، و ١٩ : ٨ (ساسى) ، فى قصته مع النوار ، ويقول هذا الشعر لبنى أم النسير (طبقات فحول الشعراء : ٢٨١ ، والأغانى) ، وكانت خرجت مع رجل يقال له زهير بن ثعلبة ومع بنى أم النسير ، فقال هذا الشعر ، وبعد البيت :

وَمِنْ دُونِ أَبْوَالِ الأُسُودِ بَسَالَةٌ وَصَوْلَةُ أَيْدٍ يمنعُ الضَّيْمَ طُولُهَا

ورواية الديوان وغيره :

* وَإِنَّ امْرَءًا يَسْعَى يُخَبِّبُ زَوْجَتِى *

وقوله : « يخبب » ، أى يفسدها على . ويحرش : يحرض ويغرى بينى وبينها . و « يستبلها » : أى يطلب أن تبول فى يده .

(٥) انظر ما سلف : ٤٣٥ وما بعدها .

ذلك صحيحاً بالذى استشهدنا عليه ،[1] فتفريقه بين المرء وزوجه : تخييله بسحره إلى كلّ واحد منهما شخصَ الآخر على خلاف ما هو به فى حقيقته، من حسن وجمال ، حتى يقبّحه عنده ، فينصرف بوجهه ويعرض عنه ، حتى يُحدِث الزوجُ ٣٦٩/١ لامرأته فراقاً . فيكون الساحر مفرِّقاً بينهما بإحداثه السبب الذى كان منه فُرْقَة ما بينهما . وقد دلّلنا ، فى غير موضع من كتابنا هذا ، على أنّ العرب تضيفُ الشيء إلى مُسبِّبه من أجل تسبّبه، وإن لم يكن باشَر ما حدَث عن السَّبب — بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[2] فكذلك تفريق الساحر بسحره بين المرء وزوجه . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قاله عدد من أهل التأويل . ذكر من قال ذلك:

١٧٠٣ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة: «فيتعلّمون منهما ما يفرقون به بَين المرء وزَوْجه »، وتفريقُهما: أن يُؤَخِّذ كلّ واحد منهما عن صاحبه،[3] ويُبغِّض كلّ واحد منها إلى صاحبه .

* * *

وأما الذين أبوْا أن يكونَ الملكان يعلّمان الناسَ التفريقَ بين المرء وزوجه، فإنهم وجّهوا تأويل قوله: «فيتعلّمون منهما » إلى: فيتعلمون مكانَ ما عَلّماهم مَا يُفرّقون به بين المرء وزوجه ، كقول القائل: « ليت لَنا كذا من كذا »، أى مكانَ كذا ، كما قال الشاعر :

جَمَعَتْ مِنَ الخَيْرَاتِ وَطْباً وَعُلْبَةً وَصَرًّا لأَخْلَافِ المَزَنَّمَةِ البُزْلِ[4]

---

(١) فى المطبوعة : « فإن كان ذلك صحيحاً » ، والأجود ما أثبت .

(٢) انظر ما سلف ١ : ١٩٦ .

(٣) أخذه تأخيذاً . والتأخيذ: حبس السواحر أزواج النساء عن غيرهن من النساء، ويقال لهذه الحيلة : الأخذة (بضم فسكون) .

(٤) لم أعرف قائلهما ، ولم أجدهما إلا فى أمالى الشريف المرتضى ١ : ٤٢١ ، وكأنه نقلهما من الطبرى ، لأنهما جاءا فى تفسير هذه الآية ، على هذا المعنى . والوطب : سقاء اللبن خاصة . والعلبة : جلدة تؤخذ من جنب البعير ، فتسوى مستديرة ، ثم تملأ رملا سهلا ، ثم تضم أطرافها بخلال حتى تجف وتيبس ، ثم يقطع رأسها وقد قامت قائمة لجفافها تشبه قصعة مدورة ، فكأنها نحتت نحتاً ، ويعلقها

وَمِنْ كُلِّ أَخْلَاقِ الكِرَامِ نَمِيمَةً ، وَسَعْياً عَلَى الجَارِ المُجَاوِرِ بِالنَّجْلِ (١)

يريد بقوله : « جمعت من الخيرات » ، مكانَ خيراتِ الدنيا هذه الأخلاقَ الرديئة والأفعالَ الدنيئة ، ومنه قول الآخر :

صَلَدَتْ صَفَاتُكَ أَنْ تَلِينَ حُيُودُهَا وَوَرِثْتَ مِنْ سَلَفِ الكِرَامِ عُقُوقَا (٢)

يعنى : ورثت مكان سَلف الكرام، عُقوقاً من والديك .

* * *

الراعى ويشرب بها ، وله فيها رفق وخفة لأنها لا تنكسر إذا حركها البعير أو طاحت إلى الأرض . والصر : شد ضرع النوق الحلوبات إذا أرسلوها للمرعى سارحة ، ويسمون ذلك الرباط : صراراً . والأخلاف جمع خلف (بكسر فسكون) ، وهو ضرع الناقة . والبزل جمع بازل ، يقال بعير بازل وناقة بازل : وهى الناقة أو البعير إذا استكمل الثامنة وطعن فى التاسعة ، وبزل نابه ، أى انشق عن اللحم . وهو أقصى سنه وتمام قرته . وفى المطبوعة هنا « المذممة » ، وفى أمالى الشريف : « المزمعة » ، وفى نسخة أخرى منها « المزهمة » ، وقد علق أحد أصحاب الحواشى على الأمالى فقال : « المزمعة : التى علق عليها الزمام » . واخترت أن تكون « المزنمة » ، فهى أشبه بهذا الشعر . يقال ناقة مزنمة : وهى التى عليها سمة التزنيم ، وهو أن يقطع طرف أذنه ويترك له زنمة مشرفة . وإنما يفعل ذلك بالكرام من الإبل .

وهذا هجاء يقول له : إنما أنت راع خسيس، ترعى على السادة الكرام كرام إبلهم ، ولا تجمع من خيرات ما يتمتع به سادتك ، إلا وطباً وعلبة وعلاجاً لإبلهم التى ترعاها عليهم .

(١) الجار : الذى قرب منزله من منزلك ، ووصفه بقوله : « المجاور » للدلالة على شدة قربه ، وهو الجار الجنب ، فهو أشد حرمة لنزوله فى جواره ومنعته ، وركونه إلى أمان عهده . والنجل : تمزيق عرضه بالغيبة والمعابة والسب بظهر الغيب. وفى الحديث : « من نجل الناس نجلوه» أى سبهم وقطع أعراضهم بالشتم كما يقطع بالمنجل ، جازوه بمثل فعله .

(٢) لم أعرف قائله . صلدت : صلبت وقست . والصفاة : الحجر الصلد الأملس الضخم الذى لا ينبت شيئاً . والحيود جمع حيد : وهو النتوء فى الجبل أو القرن أو غيرهما . وهذا مثل : يقول له أنت غليظ جاف لا يصلحك شىء ، ولا خير فيك ، كالصفاة الملساء ذات النتوء ، لا يصلحها شىء ولا تأتى بخير . والسلف : سلف الإنسان : من تقدمه من آبائه وذوى قرابته ممن هم فوقه فى السن والفضل . يقول : ورثت من والديك مكان مآثر الأسلاف الكرام ، عقوقاً ، فأنت تعقهم ، كما عقوا هم آباءهم . فأنتم خلف يلعن سلفاً لئيما عاقاً ، يلعن أسلافه . فأنتم معرقون فى العقوق ، وهو شر أخلاق الناس .

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ وَمَا هُمْ بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « وما هُمْ بضَارِّين به من أحَدٍ إلا بإذن الله » ، وما المتعلِّمون من الملكين هاروت وماروت مَا يُفرِّقون به بين المرء وزوجه ، بضارِّين — بالذى تعلموه منهما ، من المعنى الذى يفرِّقون به بين المرء وزوجه — منْ أحد من الناس إلاّ من قد قَضى الله عليه أنّ ذلك يضرّه . فأما من دَفع الله عنه ضَرَّه ، وَحفظه من مكرُوه السحر والنفث والرُّقى ، فإنّ ذلك غَيرُ ضارِّه ، ولا ناثلِه أذَاه .

* * *

ولِـ « الإذن » فى كلام العرب أوجه . منها : الأمر على غير وَجه الإلزام . وغيرُ جائز أن يكون منه قوله : « وما هُمْ بضَارِّين به منْ أحد إلا بإذن الله » ، لأن الله جل ثناؤه قد حرَّم التفريق بين المرء وَحليلته بغير سحر — فكيف به على وجه السحر ؟ — على لسان الأمة .(١)

ومنها : التخلية بين المأذون له ، والمخلَّى بينه وبينه .

ومنها العلم بالشىء ، يقال منه : « قد أذِنْت بهذا الأمر » إذا علمت به « آذن به إذْناً » ، ومنه قول الحطيئة :

أَلاَّ يَا هِنْدُ ، إنْ جَدَّدْتِ وَصْلاً ، وَإِلَّا فَأْذِنِينِى بِانْصِرَامِ(٢)

يعنى : فأعلمينى . ومنه قوله جل ثناؤه : ﴿ فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ ﴾ [سورة البقرة : ٢٧٩] ، وهذا هو معنى الآية ، كأنه قال جل ثناؤه : وما هُمْ بضارين ،

(١) كأنه يريد : حرم التفريق على لسان الأمة : أن تنطق به وتأمر بفعله .

(٢) لم أجد البيت فى ديوان الحطيئة المطبوع . وقوله « فأذنينى » ، يدل على أن الفعل متعد : « أذنه بالشىء يأذنه إذناً » أعلمه به ، مثل « آذنه به » . ولم يرد ذلك فى شىء من كتب اللغة ، والبيت شاهد عليه ، وشرح الطبرى بعد دال أيضاً على مراده .

بالذى تعلموا من الملكين ، من أحد إلا بعلم الله . يعنى : بالذى سبقَ له فى علم الله أنه يضره ، كما : —

١٧٠٤ — حدثنى المثنى بن إبراهيم قال ، حدثنا سُويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك، عن سفيان فى قوله : « وما هم بضارِّين به من أحد إلاّ بإذن الله »، قال : بقضاء الله .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : [1] و « يتعلّمون »، الناسَ الذين يتعلمون من الملكين ما أنزل عليهما من المعنى الذى يفرقون به بين المرء وزوجه ، يتعلمون مهما السحرَ الذى يضرهم فى دينهم ، ولا ينفعهم فى معادهم . فأما فى العاجل فى الدنيا ، فإنهم قد كانوا يكسبون به ويُصيبون به معاشاً . ١/ ٣٧٠

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَالَهُ فِى الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : «ولَقد عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاه مَالهُ فى الآخرَةِ منْ خَلاقٍ » ، الفريقَ الذين لما جاءهم رسولٌ من عند الله مصدقٌ لما معهم ، نَبذوا كتاب الله وراءَ ظهورهم كأنهم لا يعلمون ، واتّبعوا مَا تَتلوا الشياطينُ على مُلك سليمان ، فقال جل ثناؤه : لقد عَلم النابذون — من يهود بنى

---

(١) فى المطبوعة : « يعنى بذلك جل ثناؤه . ويتعلمون أى الناس الذين يتعلمون . . . » وهو كلام غير مستقيم ، كأنه تصرف من بعض النساخ .

إسرائيل – كتابي وراءَ ظهورهم تجاهلاً منهم= التاركون العملَ بما فيه من اتباعك يا محمد واتباع ما جئتَ به ، بعدَ إنزالي إليك كتابي مصدقاً لما معهم ، وبعد إرسالك إليهم بالإقرار بما معهم وما في أيديهم ، المؤثرون عليه اتّباعَ السحر الذي تلته الشياطين على عَهد سليمان ، والذي أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت = لِمَنِ اشترى السحرَ بكتابي الذي أنزلته عَلى رسولي فآثرَه عليه، مَالَه في الآخرة من خَلاقٍ . كما : –

١٧٠٥ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة: « وَلَقدْ عَلموا لمَن اشتراه ما لَهُ في الآخرة من خَلاقٍ » ، يقول : قد علم ذلك أهل الكتاب في عَهد الله إليهم : أنّ الساحرَ لا خَلاقَ له عند الله يَوْم القيامة .

١٧٠٦ – حدثنا موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « ولقد علموا لمَن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق » ، يعني اليهود . يقول : لقد علمت اليهودُ أنّ من تعلمه أو اختاره ، ما له في الآخرة من خلاق.

١٧٠٧ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ولقد علموا لمَن اشتراه ما له في الآخرة من خَلاقٍ »، لمن اشترَى ما يفرق به بين المرء وزوجه .

١٧٠٨ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « ولقد علموا لمَن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق » ، قال : قد علمت يهودُ أنّ في كتاب الله في التوراة : أنّ من اشترى السحر وترك دين الله ، ما له في الآخرة من خلاق . فالنار مَثواه ومَأواه .

* * *

قال أبو جعفر : أما قوله : « لمَن اشتراه »، فإن « من » في موضع رفع ، وليس

قوله : « ولقد علموا » بعامل فيها . لأن قوله : « ولقد علموا »،[1] بمعنى اليمين ، فلذلك كانت فى موضع رفع . لأن الكلام بمعنى : والله لمن اشترى السحر ماله فى الآخرة من خلاق . وليكون قوله : « قد علموا » بمعنى اليمين ، حُقِّقت بـ « لام اليمين »، فقيل : « لَمَن اشتراه »، كما يُقال : «أقسم لَمَنْ قام خير ممن قعد » . وكما يقال : « قَدْ علمت ، لعمرٌو خيرٌ من أبيك » .

* * *

وأمّا « مَنْ » فهو حرف جَزَاء . وإنما قيل : « اشتراه » ولم يُقل : « يشتروه »، لدخول « لام القسم » على « مَنْ » . ومن شأن العرب — إذا أحدثت على حَرْف الجزاء لام القسم — أن لا ينطقوا فى الفعل معه إلاّ بـ « فَعَل » دون بـ « فَعل »، إلاّ قليلاً ، كراهيةَ أن يُحدثوا على الجزاء حادثاً وهو مجزوم ، كما قال الله جل ثناؤه : ﴿ لَئِنْ أُخْرِجُوا لاَ يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ ﴾ [سورة الحشر : ١٢] ، وقد يجوز إظهار فعله بعده على « يفعل » مجزوماً ،[2] كما قال الشاعر :

لَئِنْ تَكُ قَدْ ضَاقَتْ عَلَيْكُمْ بُيُوتُكُمْ ... لَيَعْلَمُ رَبِّى أَنَّ بَيْتِىَ وَاسِعُ[3]

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « ما له فى الآخرة من خَلاقٍ » . فقال بعضهم : « الخلاق » فى هذا الموضع : النصيبُ . ذكر من قال ذلك :

١٧٠٩ — حدثنى المثنى بن إبراهيم قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ماله فى الآخرة من خلاق » ، يقول : من نَصيب .

---

(١) فى المطبوعة : « لأن قوله : علموا ، بمعنى اليمين » ، وآثرت إثبات « ولقد » ، لأن الجملة كلها بمعنى اليمين .

(٢) هذا كله فى معانى الفراء ١ : ٦٥ — ٦٩ ، مع تصرف فى اللفظ .

(٣) رواه الفراء فى معانى الفراء ١ : ٦٦ غير منسوب ، ولكن صاحب الخزانة ٤ : ٢٢٠ نسبه لكميت بن معروف ، ولكنى لم أجده منسوباً إليه فى كتاب آخر ، وأخشى أن يكون صاحب الخزانة قد وهم . هذا ، والبيت وما قبله جميعاً فى معانى الفراء ١ : ٦٥ — ٦٦ .

١٧١٠ – حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى: « ما لهُ فى الآخرة من خَلاق » ، من نصيب . ٣٧١/١

١٧١١ – حدثني المثنى قال، حدثنى إسحق قال، حدثنا وكيع ، قال سفيان: سمعنا فى : « وَما له فى الآخرة من خلاق »، أنه ما له فى الآخرة من نصيب .

* * *

وقال بعضهم : « الخلاق » ههنا الحُجَّة . ذكر من قال ذلك :

١٧١٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « وما له فى الآخرة من خَلاق » ، قال : ليس له فى الآخرة حُجَّة .

* * *

وقال آخرون: « الخلاق » : الدِّين . ذكر من قال ذلك:

١٧١٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر قال ، قال الحسن : « ما له فى الآخرة من خَلاق »، قال : ليس له دين .

* * *

وقال آخرون : « الخلاق » ههنا القِوَام . ذكر من قال ذلك :

١٧١٤ – حدثنا القاسم قال،حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال ابن عباس : « ما له فى الآخرة من خلاق » ، قال قِوَام .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب قولُ من قال : : معنى « الخلاق » فى هذا الموضع : النصيب . وذلك أنّ ذلك معناه فى كلام العرب .

ومنه قول النبىّ صلى الله عليه وسلم :

١٧١٥ — « ليؤيِّدَنَّ اللهُ هذا الدِّين بأقوامٍ لا خَلاق لهم ».(١)

يعنى لا نصيبَ لهم ولا حظ فى الإسلام والدين . ومنه قول أمية ابن أبى الصلت :

يَدْعُونَ بالوَيْلِ فِيهَا لاَخَلاقَ لهمْ إلاَّ سَرَابِيلُ مِنْ قِطْرٍ وَأَغْلاَلُ(٢)

يعنى بذلك: لا نصيب لهم ولا حظ ، إلا السرابيلُ والأغلال .

• • •

فكذلك قوله: «ما له فى الآخرة من خَلاق»: ماله فى الدار الآخرة حظٌّ من الجنة ، من أجل أنه لم يكن له إيمان ولا دينٌ ولا عملٌ صالح يجازَى به فى الجنة ويثاب عليه ، فيكون له حظٌّ ونصيب من الجنة. وإنما قال جل ثناؤه: «ما له فى الآخرة من خَلاق» ، فوصفه بأنه لا نصيب له فى الآخرة ، وهو يعنى به : لا نصيب لَه من جزاءٍ وثواب وجنة دون نصيبه من النار ، إذْ كان قد دل ذمُّه جل ثناؤه أفعالَهم — التى نفى من أجلها أن يكون لهم فى الآخرة نصيبٌ — على مُراده من الخبر ، وأنه إنما يعنى بذلك أنه لا نصيب لهم فيها من الخيرات ، وأما من الشرور فإن لهم فيها نصيباً .

• • •

(١) الحديث : ١٧١٥ — هكذا علق الطبرى هذا الحديث ، بدون إسناد . وقد رواه أحمد فى المسند ٥ : ٤٥ (حلبى) ، من حديث أبى بكرة ، بلفظ : « إن الله سيؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم » . وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٥ : ٣٠٢ ، ثم قال : « رواه أحمد والطبرانى ، ورجالهما ثقات » . وذكره أيضاً بعده ، من حديث أنس ، وقال : « رواه البزار والطبرانى فى الأوسط ، وأحد أسانيد البزار ثقات الرجال » . (كذا بالأصل) . وذكره السيوطى فى الجامع الصغير : ١٨٣٨ ، ونسبه للنسائى وابن حبان من حديث أنس ، ولأحمد والطبرانى من حديث أبى بكرة . ونقل شارحه المناوى أن الحافظ العراقى قال : « إسناده جيد » . وحديث أنس رواه أيضاً أبو نعيم فى الحلية ٦ : ٢٦٢ . ورواه قبل ذلك ٣ : ١٣ ، من حديث الحسن مرسلا . ثم أشار إلى حديث أنس .

(٢) ديوانه : ٤٧ بيت مفرد . وقوله « فيها » ، أظنه يعنى النار . والقطر : النحاس الذائب .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ - أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (١٠٢)

قال أبو جعفر : قد دللنا فيما مضى قبل على أن معنى « شروا » : « باعوا » .[1] فمعنى الكلام إذاً : ولبئس ما باع به نفسه مَنْ تعلَّم السحر ، لو كان يعلم سُوء عاقبته ، كما :

١٧١٦ - حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولبئسَ مَا شَرَوْا به أنفسهم » ، يقول : بئس ما باعوا به أنفسهم .

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال لنا قائل : وكيف قال جل ثناؤه « ولبئس ما شَرَوْا به أنفسهم لو كانوا يَعلمون» ؟ وقد قال قبل : « ولقدْ علموا لَمَنِ اشتراه ما لَهُ فى الآخرة من خلاق » ، فكيف يكونون عالمين بأن مَنْ تعلم السحر فلا خلاق لَهم ، وهم يجهلون أنهم بئس مَا شَروا بالسحر أنفسهم ؟

قيل : إن معنى ذلك على غير الوجه الذى توهمته ، من أنهم موصوفون بالجهل بما هم موصوفون بالعلم به . ولكن ذلك من المؤخر الذى معناه التقديم . وإنما معنى الكلام : وما هم ضارُّون به من أحد إلا بإذن الله ، ويتعلمون ما يَضرهم ولا ينفعهم ، ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ، ولقد علموا لمَن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق . فقوله : « لبئسَ ما شَرَوْا به أنفسهم لو كانوا يَعملون » ، ذمٌّ من الله تعالى ذكره فعلَ المتعلِّمين من الملَكين التفريقَ بين المرء وزوجه ، وخبرٌ منه جل ثناؤه عنهم أنهم بئس ما شَروا به أنفسهم ، برضاهم بالسحر عوَضاً عن دينهم الذى به نجاةُ أنفسهم من الهلكة ، جهلاً منهم بسوء عاقبة فعلهم ، وخسارة صَفقة بَيْعهم . إذ كان قد يتعلَّم ذلك منهما من لا يعرف الله ، ولا يعرف حلاله وحرامه ، ٣٧٢/١

(١) انظر ما سلف فى هذا الجزء ٢ : ٣٤٠ - ٣٤٢

وأمره ونهيه . ثم عاد إلى الفريق — الذين أخبر الله عنهم أنهم نَبذوا كتابه وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون، واتَّبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما أنزل على الملكين — فأخبر عنهم أنهم قد عَلموا أنّ من اشترى السحر ، ما له فى الآخرة من خلاق ؛ ووصفهم بأنهم يركبون معاصيَ الله على علم منهم بها ، ويكفرون بالله ورسله ، ويؤثرون اتباعَ الشياطين والعملَ بما أحدثته من السحر ، على العمل بكتابه وَوحْيه وتنزيله ، عناداً منهم ، وبغياً على رسله ، وتعدّياً منهم لحدوده ، على معرفة منهم بما لِمَنْ فعل ذلك عند الله من العقاب والعذاب . فذلك تأويل قوله .

* * *

وقد زعم بعض الزاعمين أن قوله : « ولَقد عَلموا لمَنِ اشتراه مَا لَه فى الآخرة من خلاق » ، يعنى به الشياطين ، وأن قوله : « لو كانوا يَعلمون » ، يعنى به الناس .

وذلك قول لجميع أهل التأويل مخالف . وذلك أنهم مجمعون على أن قوله : « ولقد عَلِموا لمن اشتراه » ، معنىٌّ به اليهود دون الشياطين : ثم هو — مع ذلك — خلافُ ما دَلّ عليه التنزيل. لأن الآيات قبل قوله : «ولقد علموا لمَنَ اشتراه» وبعد قوله : « لو كانوا يعلمون» ، جاءت من الله بذمّ اليهود وتوبيخهم على ضلالهم ، وذمًّا لهم على نبذهم وَحْيَ الله وآيات كتابه وراء ظهورهم ، مع علمهم بخطأ فعلهم . فقوله : « ولقد علِموا لمَن اشتراه ما له فى الآخرة من خَلاق» ، أحد تلك الأخبار عنهم.

* * *

وقال بعضهم : إن الذين وصف الله جل ثناؤه بقوله : « ولبئس ما شروْا به أنفسهم لو كانوا يعلمون » ، فنفى عنهم العلم ، هم الذين وصفهم الله بقوله : « ولقد علموا لمن اشتراه ما له فى الآخرة من خلاق » . وإنما نَفى عنهم جل ثناؤه العلم بقوله : « لو كانوا يعلمون » — بعد وصفه إياهم بأنهم قد علموا بقوله : « ولقد علموا » — من أجل أنهم لم يعملوا بما علموا. وإنما العالم العامِل بعلمه ، وأما إذا خالف عملُه علمَهُ ، فهو فى معانى الجهال . قال : وقد يقال للفاعل الفعلَ بخلاف ما ينبغى أنْ يفعل ، وإن كان بفعله عالماً : « لو عَلمت لأقصَرْت » ، كما قال كعب بن زهير المزنى ، وهو

يصف ذئباً وغراباً تبعاه لينالا من طعامه وزاده :

إِذَ حَضَرانِي قُلْتُ : لَوْ تَعْلَمَا به ! أَلَمْ تَعْلَمَا أَنِّي مِنَ الزَّادِ مُرْمِلُ ؟(١)

فأخبر أنه قال لهما : «لو تعلمانه» ، فنفى عنهما العلم ، ثم استخبرهما فقال : «ألم تعلما ؟» . قالوا : فكذلك قوله : «ولقد علموا لمن اشتراه» و «لو كانوا يعلمون»

وهذا تأويل وإن كان له مخرجٌ وَوَجْهٌ ، فإنه خلافُ الظاهر المفهوم بنفس الخطاب ، أعنى بقوله : «ولقد علموا» وقوله : «لو كانوا يعلمون» ، وإنما هو استخراج . وتأويل القرآن على المفهوم الظاهر من الخطاب = دون الخفى الباطن منه ، حتى تأتى دلالةٌ — من الوجه الذى يجب التسليم له — بمعنىً خلافَ دليله الظاهر المتعارف فى أهل اللسان الذين بلسانهم نزل القرآن = أَوْلى .(٢)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (١٠٣)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : «ولو أنهم آمنوا واتقوا» ، لو أن الذين يَتعلَّمون من الملكين ما يفرِّقون به بين المرء وزوجه ، «آمنوا» فصدّقوا الله ورسوله وما جاءهم به من عند ربهم ، «واتقوا» ربَّهم فخافوه فخافوا عقابه فأطاعوه بأداء فرائضه وتجنَّبوا معاصيَه — لكان جزاءُ الله إياهم ، وثوابُه لهم على إيمانهم به وتقواهم إياه ، خيراً لهم من السحر وما اكتسبوا به ، «لو كانوا يعلمون» أن ثواب الله إياهم على ذلك

(١) ديوانه : ٥١ ، وأمالى الشريف المرتضى ١ : ٤٢٤ ، وكأنه كان ينقل كلام الطبرى فى تفسير هذه الآية ، مع التصرف . والمرمل : الذى نفد زاده . أرمل الرجل فهو مرمل ، كأنه لصق بالرمل لما أنفض .

(٢) يقول : «وتأويل القرآن على المفهوم الظاهر من الخطاب . . . أولى» وفصل فأطال .

خيرٌ لهم من السحر ومما اكتسبوا به . وإنما نفى بقوله : « لو كونوا يعلمون » العلمَ عنهم : أن يكونوا عالمين بمبلغ ثواب الله ، وقدر جزائه على طاعته .

* * *

٣٧٣/١ و « المثوبة » فى كلام العرب ، مصدر من قول القائل : « أَثَبْتُك إثابة وَثَوَاباً وَمَثُوبة » . فأصل ذلك من : «ثاب إليك الشىء » بمعنى : رجع . ثم يقال : « أثبته إليك » : أى ، رجعته إليك ورددته . فكان معنى : « إثابة الرجل الرجلَ على الهدية وغيرها» : إرجاعُه إليه منها بدلاً ،[1] وردّه عليه منها عوضاً . ثم جعل كل معوَّض غيرَه من عمله أو هديته أو يدٍ له سَلفت منه إليه : مُثيباً له . ومنه « ثواب » الله عز وجل عبادَه على أعمالهم ، بمعنى : إعطائه إياهم العِوَض والجزاءَ عليه ، حتى يرجع إليهم بَدَلٌ من عملهم الذى عملوا له

* * *

وقد زعم بعض نحوى البصرة أن قوله : « ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خيرٌ » ، مما اكتُفى — بدلالة الكلام على معناه — عن ذكر جوابه . وأن معناه : ولو أنهم آمنوا واتقوا لأثيبوا ، ولكنه استغنى — بدلالة الخبر عن المثوبة — عن قوله : لأثيبوا .

* * *

وكان بعض نحوى أهل البصرة ينكر ذلك ، ويرى أنّ جواب قوله : « ولو أنهم آمنوا واتقوا » ، « لمثوبة » ، وأن «لو» إنما أجيبت «بالمثوبة» ، وإن كانت أخبِر عنها بالماضى من الفعل ، لتقارُب معناها من معنى « لئن » فى أنهما جزا آن ، فإنهما جوابان للإيمان . فأدخل جواب كل واحدة منهما على صاحبتها — فأجيبت « لو » بجواب « لئن » ، و « لئن» بجواب « لو » ، لذلك ، وإن اختلفت أجوبتهما ، فكانت « لو » من حكمها وحظها أن تجاب بالماضى من الفعل ، وكانت « لئن » من حكمها وحظها أن تجاب بالمستقبل من الفعل — لما وصفنا من تقاربهما . فكان يتأول معنى قوله : « ولو أنهم آمنوا وَاتقوْا » : ولئن آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير .

---

(١) فى المطبوعة : « إرجاعه إليها » سهو من ناسخ .

* * *

وبما قلنا فى تأويل « المثوبة » قال أهل التأويل . ذكر من قال ذلك :

١٧١٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « لمثوبة من عند الله » ، يقول : ثوابٌ من عند الله .

١٧١٨ — حدثنى يونس قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثُوبة من عند الله » ، أما « المثوبة » ، فهو الثواب .

١٧١٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير » ، يقول : لثوابٌ من عند الله .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « لا تقولوا رَاعنا » . فقال بعضهم : تأويله : لا تقولوا خِلافاً . ذكر من قال ذلك :

١٧٢٠ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء فى قوله : « لا تقولوا رَاعنا » ، قال : لا تقولوا خلافاً .

١٧٢١ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « لا تقولوا رَاعنا » ، لا تقولوا خلافاً .

١٧٢٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

١٧٢٣ — حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازى قال ، حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال ، حدثنا سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد مثله .

١٧٢٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن مجاهد مثله .

* * *

وقال آخرون : تأويله : أرْعِنا سمعك . أى : اسمع منا ونسمع منك . ذكر من قال ذلك :

١٧٢٥ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال ، حدثنى ابن إسحق ، عن محمد بن أبى محمد ، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قوله : « رَاعنا »، أى : أرْعنا سمعك .

١٧٢٦ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ،حدثنا عيسى ، عن أبى نجيح ،عن مجاهد فى قول الله جل وعز : « يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا رَاعِنا»، لا تقولوا : اسمعْ منا ونَسمع منك .

١٧٢٧ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « راعنا » ، قال : كان الرجل من المشركين يقول : أرْعِنى سمعك . ٣٧٤/١

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله نهى الله المؤمنين أن يقولوا : « راعنا » . فقال بعضهم : هى كلمة كانت اليهود تقولها على وجه الاستهزاء والمسبّة ، فنهى الله تعالى ذكرُه المؤمنين أن يقولوا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم . ذكر من قال ذلك :

١٧٢٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا رَاعنا »، قول كانت تقوله اليهود استهزاء ، فزجر الله المؤمنين أن يقولوا كقولهم .

١٧٢٩ — حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد الزبيرى ، عن فضيل ابن مرزوق ، عن عطية: « لاتقولوا راعنا » ،قال : كان أناس من اليهود يقولون : أرعنا سمعك ! حتى قالها أناس من المسلمين : فكره الله لهم ما قالت اليهود فقال : « يا أيها الذين آمنوا لا تَقولوا رَاعنا » ، كما قالت اليهود والنصارى .

١٧٣٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « لا تقولوا رَاعنا وقُولوا انظُرْنا » ، قال : كانوا يقولون : راعنا سمعك ! فكان اليهودُ يأتون فيقولون مثل ذلك مستهزئين ، فقال الله : « لا تقولوا رَاعنا وقولوا انظرْنا »

١٧٣١ – حدثت عن المنجاب قال: حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس فى قوله : « لا تقولوا رَاعنا »، قال : كانوا يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم : راعنا سمعك! وإنما « راعنا » ، كقولك ، : عَاطِنا .

١٧٣٢ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا رَاعنا وقولوا انظُرنا » قال : « راعِنا » القولُ الذى قاله القوم ، قالوا: ﴿ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى الدِّينِ ﴾ [سورة النساء : ٤٦] ، قال : « قال : هذا الراعن » – والراعنُ : الخطّاء – قال : فقال للمؤمنين : لا تقولوا : خطّاء ، كما قال القوم ، وقولوا : انظُرْنا واسمعوا . قال : كانوا ينظرون إلى النبى صلى الله عليه وسلم ويكلّمونه ، ويسمع منهم ، ويسألونه ويجيبهم .(١)

* * *

وقال آخرون : بل هى كلمة كانت الأنصار فى الجاهلية تقولها ، فنهاهم الله فى الإسلام أن يقولوها لنبيه صلى الله عليه وسلم . ذكر من قال ذلك :

١٧٣٣ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنى هشيم قال ، أخبرنا عبد الرزاق، عن عطاء فى قوله: « لا تقولوا رَاعنا »، قال : كانت لُغةً فى الأنصار فى الجاهلية ، فنزلت هذه الآية : « لا تقولوا رَاعنا ولكن قُولُوا انظُرْنا » إلى آخر الآية .

---

(١) قوله « الراعن : الخطاء » لم أجده فى غيره بعد . والذى فى كتب التفسير واللغة . وربما كانت « الخطأ» . وقد قالوا : « راعنا : الهجر من القول » . وقالوا اشتقوه من الرعونة : وهى الحمق والجهل والاسترخاء .

١٧٣٤ – حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن عطاء قال : « لا تقولوا راعنا » ، قال : كانت لغة فى الأنصار .

١٧٣٥ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن عبد الملك ، عن عطاء مثله .

١٧٣٦ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق ، عن ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبى العالية فى قوله : « لا تقولوا رَاعنا » ، قال : إن مشركى العرب كانوا إذا حدّث بعضهم بعضاً يقول أحدهم لصاحبه : أرْعِنى سمعك ! فنهوا عن ذلك .

١٧٣٧ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج : « راعنا » ، قولُ الساخر . فنهاهم أن يَسخروا من قول محمد صلى الله عليه وسلم .

* * *

وقال بعضهم : بل كان ذلك كلامَ يهوديّ من اليهود بعينه ، يقال له : رفاعة ابن زيد . كان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم به على وجه السبّ له ، وكان المسلمون أخذوا ذلك عنه ، فنهى الله المؤمنين عن قِيله للنبي صلى الله عليه وسلم . ذكر من قال ذلك :

١٧٣٨ – حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا رَاعِنا وقُولُوا انْظُرنا » ، كان رجل من اليهود – من قبيلة من اليهود يقال لهم بَنو قَينُقاع – كان يدعى رفاعة بن زَيْد بن السائب – قال أبو جعفر : هذا خطأ ، إنما هو : ابن التابوت ، ليس ابن السائب – كان يأتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا لقيه فكلمه قال :[1] أرعنى سمعك ، واسمع غير مُسْمَع = فكان المسلمون يَحسبون أن الأنبياء كانت تفخّم بهذا ، فكان ٣٧٥/١

(١) فى المطبوعة : « فقال » ، والفاء لا مكان لها .

ناس منهم يقولون: « اسمع غيرَ مُسمَع »، كقولك: اسمع غيرَ صَاغر = وهى التى فى النساء ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ﴾ [سورة النساء : ٤٦] ، يقول : إنما يريد بقوله طعناً فى الدين . ثم تقدم إلى المؤمنين فقال: « لا تقولوا رَاعنا ».(١)

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى نهى الله جل ثناؤه والمؤمنينَ أن يقولوا لنبيه : «رَاعنا » أن يقال : إنّها كلمة كرهها الله لهم أن يقولوها لنبيه صلى الله عليه وسلم، نظيرَ الذى ذُكر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

١٧٣٩ — « لا تقولوا للعنب الكرم ، ولكن قُولُوا: الحبَلة ».(٢)

١٧٤٠ — و « لا تقولوا : عبْدى، ولكن قولوا: فتاى ».(٣)

وما أشبه ذلك ، من الكلمتين اللتين تكونان مستعملتين بمعنى واحد فى كلام العرب ، فتأتى الكراهة أو النهى باستعمال إحداهما ، واختيار الأخرى عليها فى المخاطبات .

* * *

فإن قال لنا قائل : فإنا قد علمنا معنى نهى النبى صلى الله عليه وسلم فى « العنب » أن يقال له « كرم » ، وفى « العبد » أن يقال له « عبد »، فما المعنى الذى فى قوله : « راعنا » حينئذٍ ، الذى من أجله كان النهىُ من الله جل ثناؤه للمؤمنين

---

(١) تقدم إليه : أمره .

(٢) الحديث : ١٧٣٩ — ذكره الطبرى معلقاً دون إسناد . وقد رواه أحمد فى المسند : ٧٥٠٩ ، من حديث أبى هريرة ، مرفوعاً : « ولا تسموا العنب الكرم » . ورواه الشيخان وغيرهما ، كما بينا هناك . ورواه أيضاً قبل ذلك إشارة موجزاً : ٧٢٥٦ .

وروى مسلم ٢ : ١٩٧ ، من حديث علقمة بن وائل ، عن أبيه ، مرفوعاً : « لا تقولوا الكرم ، ولكن قولوا : الحبلة ، يعنى العنب » .

(٣) الحديث : ١٧٤٠ — وهذا معلق أيضاً . وهو جزء من حديث طويل . رواه البخارى ومسلم وغيرهما ، من حديث أبى هريرة ، مرفوعاً : « . . .ولا يقل أحدكم عبدى ، أمتى ، وليقل : فتاى ، فتاتى ، غلامى » . انظر البخارى ٥ : ١٢٨ — ١٣١ (فتح) ، ومسلم ٢ : ١٩٧

عَنْ أن يقولوه ، حتى أمرهم أن يؤثروا قوله : « انْظُرْنا » ؟

قيل : الذى فيه من ذلك ، نظيرُ الذى فى قول القائل : « الكرم » للعنب ، و « العبد » للمملوك . وذلك أن قول القائل : « عبدى » لجميع عباد الله ، فكره النبى صلى الله عليه وسلم أن يضاف بعض عباد الله — بمعنى العبُودية — إلى غير الله ، وأمر أن يضاف ذلك إلى غيره ، بغير المعنى الذى يضاف إلى الله عز وجل ، فيقال : « فَتَاى » . وكذلك وجه نهيه فى « العنب » أن يقال : « كرم » ، خوفاً من توهُّم وصفه بالكَرَم ، وإن كانت مُسكَّنة ، فإن العرب قد تسكِّن بعض الحركات إذا تتابعت على نوع واحد . فكره أن يتصف بذلك العنب . فكذلك نهى الله عز وجل المؤمنين أن يقولوا : « راعنا » ، لما كان قول القائل : « راعنا » محتملاً أن يكون بمعنى احفظنا ونحفظك ، وارقُبْنا ونرقبك . من قول العرب بعضهم لبعض : « رعاك الله » : بمعنى حفظك الله وكلأك — ومحتملاً أن يكون بمعنى : أرعنا سمعك ، من قولهم : « أَرعيت سَمعى إرعاءً — أو — رَاعيته سَمْعى رِعَاء أو مُرَاعاة » بمعنى : فرّغته لسماع كلامه ، كما قال الأعشى ميمون بن قيس :

يُرْعِى إلَى قَوْلِ سَادَاتِ الرِّجالِ إذَا أَبْدَوْا لَهُ الحَزْمَ ، أَوْ مَا شَاءَه ابْتَدَعَا(١)

يعنى بقوله : « يُرْعى » ، يصغى بسمعه إليه مفرِّغَه لذلك .

وكان الله جل ثناؤه قد أمرَ المؤمنين بتوقير نبيّه صلى الله عليه وسلم وتعظيمه ، حتى نهاهم جل ذكره فيما نهاهم عنه عَنْ رفع أصواتهم فوق صَوته ، وأن يجهروا له بالقول كجهرْ بعضهم لبعض ، وخوفهم على ذلك حُبوطَ أعمالهم .(٢) فتقدمَ

---

(١) ديوانه : ٨٦ ، وسيأتى فى هذا الجزء ٢ : ٥٤٠ وقد سلف تخريج أبيات من هذه القصيدة فى ١ : ١٠٦ ، ٢ : ٩٤ ، وهى فى هوذة بن على كما سلف . يقول قبله :

يَا هَوْذَ ، يا خَيرَ منْ يَمْشِى عَلَى قَدَمٍ بَحْرَ المَوَاهِبِ للوُرَّادِ والشُّرَعَا

وابتدع : أحدث ما شاء .

(٢) اقرأ قول الله تعالى فى صدر « سورة الحجرات » .

إليهم بالزجر لهم عن أن يقولوا له من القول ما فيه جفاء ، وأمرهم أن يتخيروا لخطابه من الألفاظ أحسنها ، ومن المعانى أرقها . فكان من ذلك قولهم : « راعنا » لما فيه من احتمال معنى : ارعنا نرعاك ، إذ كانت المفاعلة لا تكون إلا من اثنين ، كما يقول القائل : «عاطِنا ، وحادثنا ، وجالسنا» ، بمعنى : افعل بنا نفعل بك — (١) ومعنى : أرْعنا سمعك ، حتى نفهمك وتفهم عنا . فنهى الله تعالى ذكره أصحاب محمد أن يقولوا ذلك كذلك ، وأن يفردوا مسألته بانتظارهم وإمهالهم ، ليعقلوا عنه ، ٣٧٦/١ بتبجيل منهم له وتعظيم ، وأن لا يسألوه ما سألوه من ذلك على وجه الجفاء والتجهم منهم له ، ولا بالفظاظة والغلظة ، تشبهاً منهم باليهود فى خطابهم نبى الله صلى الله عليه وسلم ، بقولهم له : « اسْمَعْ غَيرَ مُسمع وراعنا » .

يدل على صحة ما قلنا فى ذلك قوله : « ما يَوَدُّ الذين كفرُوا منْ أهْل الكتاب ولا المشركينَ أنْ يُنزَّلَ عَليكم منْ خَير منْ ربِّكم » ، (٢) فدلّ بذلك أنّ الذى عاتبهم عليه ، مما يسرُّ اليهودَ والمشركين .

* * *

فأما التأويل الذى حُكى عن مجاهد فى قوله : « راعنا » أنه بمعنى : خِلافاً ، فمما لا يُعقل فى كلام العرب . لأن « راعيت » فى كلام العرب إنما هو على أحد وجهين : أحدهما بمعنى « فاعلت » ، من «الرِّعْية» وهى الرِّقبةُ والكلاءةُ . والآخر بمعنى إفراغ السمع ، بمعنى : « أرعيته سمعى » . وأما « راعيت » بمعنى خالفت ، فلا وجه له مفهوم فى كلام العرب . إلاّ أن يكون قرأ ذلك بالتنوين ، ثم وجهه إلى معنى الرعونة والجهل والخطأ ، على النحو الذى قال فى ذلك عبد الرحمن بن زيد ، فيكون لذلك — وإن كان مخالفاً قراءة القراء — معنى مفهوم حينئذ .

* * *

وأما القول الآخر الذى حكى عن عطية ومن حُكى ذلك عنه : أن قوله : « راعنا »

---

(١) قوله : « ومعنى » معطوف على قوله آنفاً : « لما فيه من احتمال معنى : ارعنا نرعاك . . . »

(٢) وهى الآية التى تلى الآية التى يفسرها .

كانت كلمة لليهود بمعنى السبّ والسخرية ، فاستعملها المؤمنون أخذاً منهم ذلك عنهم ، فإن ذلك غيرُ جائز فى صفة المؤمنين : أنْ يأخذوا من كلام أهل الشرك كلاماً لا يعرفون معناه ، ثم يستعملونه بينهم وفى خطاب نبيِّهم صلى الله عليه وسلم . ولكنه جائز أن يكون ذلك مما روى عن قتادة ، أنها كانت كلمة صحيحةً مفهومة من كلام العرب ، وافقت كلمة من كلام اليهود بغير اللسان العربى ، هى عند اليهود سبٌّ ، وهى عند العرب : أرعنى سمعك وفرغه لتفهم عنّى . فعلم الله جل ثناؤه معنى اليهود فى قيلهم ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ، وأن معناها منهم خلافُ معناها فى كلام العرب ، فنهى الله عز وجل المؤمنين عن قيلها للنبى صلى الله عليه وسلم ، لئلا يجترئ من كان معناه فى ذلك غير معنى المؤمنين فيه ، أن يخاطِب رسول الله صلى الله عليه وسلم به . وهذا تأويل لم يأت الخبرُ بأنه كذلك ، من الوجه الذى تقوم به الحجة . وإذ كان ذلك كذلك ، فالذى هو أولى بتأويل الآية ما وصفنا ، إذ كان ذلك هو الظاهر المفهوم بالآية دون غيره .

* * *

وقد حكى عن الحسن البصرى أنه كان يقرؤه : « لا تقولوا راعناً » بالتنوين ، بمعنى : لا تقولوا قولاً « رَاعناً » ، من « الرعونة » هى الحمق والجهل .

وهذه قراءة لقراءة المسلمين مخالفة ، فغير جائز لأحد القراءةُ بها لشذوذها وخروجها من قراءة المتقدمين والمتأخرين ، وخلافِها ما جاءت به الحُجَّة من المسلمين .

ومن نوّن «راعناً» نوّنه بقوله : « لاتقولوا » ، لأنه حينئذ عامل فيه . ومن لم ينونه فإنه تَرَكَ تنوينه لأنه أمرٌ محكىٌّ . لأن القوم كأنهم كانوا يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم : « راعنا » ، بمعنى مسألته : إمّا أن يرعيهم سمعه ، وإما أن يرعاهم ويرقبهم — على ما قد بينت فيما قد مضى — فقيل لهم : لا تقولوا فى مسألتكم إياه « راعنا » . فتكون الدلالة على معنى الأمر فى « راعنا » حينئذ سقوط الياء التى كانت

تكون فى « يراعيه » ويدلّ عليها — أعنى على « الياء » الساقطة — كسرة « العين » من « راعِنا » .

* * *

وقد ذُكر أن قراءة ابن مسعود : « لا تقولوا راعونا » ، بمعنى حكاية أمرٍ صالحةٍ لجماعةٍ بمراعاتهم . فإن كان ذلك من قراءته صحيحاً ، وجّه أنْ يكون القوم كأنهم نهوا عن استعمال ذلك بينهم فى خطاب بعضهم بعضاً ، كان خطابهم للنبى صلى الله عليه وسلم أو لغيره . ولا نعلم ذلك صحيحاً من الوَجه الذى تصحّ منه الأخبار .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَقُولُوا ٱنظُرْنَا ﴾ ٣٧٧/١

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « وقولوا انْظُرنا » ، وقولوا أيها المؤمنون لنبيّكم صلى الله عليه وسلم : انْظرْنا وارقبنا ، نفهم ونتبين ما تقول لنا ، وتُعلّمنا ، كما :

١٧٤١ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وقولوا انظُرنا » ، فهِّمنا ، بيّن لنا يا محمد .

١٧٤٢ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وقُولُوا انظرنا » ، فهّمنا ، بيّن لنا يا محمد .

١٧٤٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله .

* * *

يقال منه « نظرت الرجلَ أنظُرُه نَظِرَةً » بمعنى انتظرته ورَقبْته ، ومنه قول الحطيئة :

وَقَدْ نَظَرْتُكُمُ أَعْشَاءَ صَادِرَةٍ لِلْخِمْسِ، طَالَ بِهَا حَوْزِي وَتَنْسَاسِي (١)

ومنه قول الله عز وجل : ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ ﴾ [سورة الحديد : ١٣] ، يعنى به : انتظرونا.

* * *

وقد قرئ : « أنظِرْنا » و« أنظِرُونا » بقطع « الألف » فى الموضعين جميعاً (٢) فمن قرأ ذلك كذلك أراد: أخِّرنا ، كما قال الله جل ثناؤه : ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [سورة ص : ٧٩] ، أى أخِّرنى. ولا وَجه لقراءة ذلك كذلك فى هذا الموضع . لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أمروا بالدنوّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والاستماع منه، وإلطاف الخطاب له، وَخفْضِ الجناح — لا بالتأخر عنه ، ولا بمسألته تأخيرَهم عنه . فالصواب — إذ كان ذلك كذلك — (٣) من القراءة، قراءةُ من وصل الألف من قوله : « انظُرْنا » ولم يقطعها بمعنى : انتظرنا .

* * *

وقد قيل إنّ معنى « أنظِرنا » بقطع « الألف» بمعنى : أمْهلنا. حكى عن بعض

(١) ديوانه : ٥٣ ، واللسان (نظر) (حوز) (نسس) (عشا) . من قصيدة يهجو بها الزبرقان ابن بدر ، ويمدح بغيض بن عامر من شماس. والأعشاء جمع عشى (بكسر فسكون) : وهو ما تعشاه الإبل . والصادرة : الإبل التى تصدر عن الماء . والخمس : من أظماء الإبل ، وهو أن تظل فى المرعى بعد يوم ورودها ثلاثة أيام ، ثم ترد فى الرابع . والحوز : السوق اللين ، حاز الإبل : ساقها سوقاً رويداً . والتنساس والنس ، مصدر قولك : نس الإبل ينسها : ساقها سوقاً شديداً لورود الماء . ويروى « إيناء صادرة » . والإيناء مصدر آنيت الشىء : إذا أخرته . يقول الزبرقان ، حين نزل بداره ، ثم تحول عنها إلى دار بغيض (انظر خبرهما فى طبقات فحول الشعراء : ٩٦ — ٩٨) : انتظرت خيركم انتظار الإبل الخوامس لعشائها . وذلك أن الإبل إذا صدرت تعشت طويلا ، وفى بطنها ماء كثير ، فهى تحتاج إلى بقل كثير . يصف طول انتظاره حين لا صبرله على طول الانتظار . وقد شكاه الزبرقان إلى عمر لهذه القصيدة ، ولقوله فيها :

دَعِ الْمَكَارِمَ لا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا وَاقْعُدْ ، فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي !

(٢) زدت قول الله تعالى : « أنظرونا » ، من أجل اختلاف الحرفين .

(٣) فى المطبوعة : « إن كان ذلك . . . » ، ليست بشىء .

العرب سماعاً : « أنظرْنى أكلمك » . وذكر سامع ذلك من بعضهم أنه استثبته فى معناه ، فأخبره أنه أراد : أمهلنى . فإن يكن ذلك صحيحاً عنهم « فانظُرنا » و«أنظرنا » — بقطع « الألف » ووصلها — متقاربَا المعنى . غيرَ أنّ الأمر وإن كان كذلك ، فإن القراءة التى لا أستجيز غيرَها ، قراءةُ من قرأ : « وقولوا انظُرْنا » ، بوصل « الألف » بمعنى : انتظرنا ، لإجماع الحجة على تصويبها ، ورفضهم غيرَها من القراآت .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ وَاسْمَعُوا وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١٠٤)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « واسمعوا » ، واسمعوا ما يقال لكم ويُتلى عليكم من كتاب ربكم ، وعُوه وافهموه ، كما : —

١٧٤٤ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « واسْمعوا » ، اسمعوا ما يقال لكم .

* * *

فمعنى الآية إذاً : يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا لنبيكم : رَاعنا سمعك وفرّغه لنا نفهمك وتفهمْ عنا ما نقول . ولكن قولوا : انتظرنا وترقّبنا حتى نفهمَ عنك ما تعلّمنا وتبيّنُه لنا . واسمعوا منه ما يقولُ لكم ، فعُوه وأحفظوه وافهموه . ثم أخبرهم جل ثناؤه أن لمن جحدَ منهم ومن غيرهم آياته ، وخالف أمره ونهيه ، وكذّب رسوله ، العذابُ الموُجع فى الآخرة ، فقال : وللكافرين بى وبرسولى عَذابٌ أليم . يعنى بقوله : «الأليم » ، الموجع . وقد ذكرنا الدلالة على ذلك فيما مضى قبل ، وما فيه من الآثار .(١)

* * *

(١) انظر ما سلف ١ : ٢٨٣ ، ثم هذا الجزء ٢ : ١٤٠ ، ٣٧٧

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله « ما يود » ، ما يحب ، أى : ليس يُحب كثيرٌ من أهل الكتاب . يقال منه : « ودّ فلان كذا يَوَدُّه وُدًّا ووِدًّا ومَوَدَّة » .

* * *

وأمّا « المشركين » ، [1] فإنهم فى موضع خفض بالعطف على « أهل الكتاب » .

ومعنى الكلام : ما يحب الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أنْ ينزَّل عليكم من خير من ربكم .

* * *

وأما « أنْ » فى قوله : « أن يُنزَّل » فنصب بقوله : « يودّ » . وقد دللنا على وجه دخول « مِنْ » فى قوله : « من خير » وما أشبه ذلك من الكلام الذى يكون فى أوله جحد ، فيما مضى ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع . [2]

* * *

٣٧٨/١ فتأويل الكلام : ما يحبُّ الكافرون من أهل الكتاب ولا المشركين بالله من عبدة الأوثان ، أنْ ينزَّل عليكم من الخير الذى كان عند الله فنزّله عليكم . [3] فتمنَّى المشركون وكفرةُ أهل الكتاب أن لا ينزّل الله عليكم الفرقانَ ، وما أوحاه إلى محمد صلى الله عليه وسلم من حكمه وآياته ، وإنما أحبت اليهود وأتباعُهم من المشركين ذلك ، حسدًا وبغياً منهم على المؤمنين .

وفى هذه الآية دلالة بينة على أن الله تبارك وتعالى نهى المؤمنين عن الرُّكون إلى أعدائهم من أهل الكتاب والمشركين ، والاستماع من قولهم ، وقبول شىء مما يأتونهم به على وجه النصيحة لهم منهم ، بإطلاعه جل ثناؤه إياهم على ما يستبطنه لهم أهل الكتاب والمشركون من الضَّغن والحسد ، وإن أظهروا بألسنتهم خلاف ما هم مُستبطنون .

* * *

(١) فى المطبوعة : « وأما المشركون » ، والصواب ما أثبت .

(٢) انظر ما سلف فى هذا الجزء ٢ : ١٢٦ ، ١٢٧ ، وكان ينبغى أن يذكره فى تفسير الآية : ١٠٢ أو يحيل كما أحال هنا .

(٣) كان فى المطبوعة : « الذى كان عند الله ينزله عليهم » ، ولا يستقيم الكلام إلا كما أثبتنا .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ (١٠٥)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « والله يختص برحْمَته منْ يَشاء » : والله يختص منْ يشاء بنبوته ورسالته ، فيرسله إلى من يشاء من خلقه ، فيتفضلُ بالإيمان على من أحبَّ فيهديه له. و« اختصاصُه » إياهم بها ، إفرادهم بها دون غيرهم من خلقه . وإنما جعل الله رسالته إلى من أرْسل إليه من خلقه ، وهدايتَه من هدى من عباده ، رحمةً منه له ، ليصيِّره بها إلى رضاه ومحبته وفوزه بها بالجنة ، واستحقاقه بها ثناءَه . وكل ذلك رحمة من الله له.

* * *

وأما قوله : « والله ذو الفضل العظيم » . فإنه خبرٌ من الله جل ثناؤه عن أن كل خير ناله عبادُه فى دينهم ودُنياهم ، فإنه من عنده ابتداءً وتفضُّلاً منه عليهم ، من غير استحقاق منهم ذلك عليه .

* * *

وفى قوله : « والله يختص برحْمَته مَنْ يَشاء وَالله ذُو الفضْل العظيم » ، تعريضٌ من الله تعالى ذكره بأهل الكتاب : أن الذى آتى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به من الهداية ، تفضُّلٌ منه ،[1] وأنّ نعمه لا تدرك بالأمانىّ ، ولكنها مَواهبُ منه يختص بها من يشاء من خلقه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « ما نَنسخْ منْ آية » : ما ننقلْ من حُكْم آية ، إلى غيره فنبدّله ونغيره .[2] وذلك أن يحوّل الحلالَ حراماً ، والحرام

(١) فى المطبوعة : « تفضلا منه » ، وهو خطأ ، بل هذا خبر « أن » .

(٢) كان فى المطبوعة : « مانسخ من آية إلى غيره فنبدله » ، والزيادة من تفسير ابن كثير ١ : ٢٧٣.

حلالاً ، والمباح محظوراً ، والمحظور مباحاً . ولا يكون ذلك إلاّ فى الأمر والنهى ، والحظر والإطلاق ، والمنع والإباحة . فأما الأخبار ، فلا يكون فيها ناسخ ولا منسوخ .

* * *

وأصل « النسخ » من « نسخ الكتاب » ، وهو نقله من نُسخة إلى أخرى غيرها . فكذلك معنى « نسخ » الحكم إلى غيره ، إنما هو تحويله ونقل عبارته عنه إلى غيرها. (١) فإذا كان ذلك معنى نسخ الآية ، فسواءٌ — إذا نُسخ حُكمها فغُيِّر وبُدِّل فرضها ، ونُقل فرضُ العباد عن اللازم كان لهم بها — أُقِرَّ خطُّها فترك ، أو مُحِي أثرُها فعُفِّى ونُسى ، (٢) إذْ هى حينئذ فى كلتا حالتيها منسوخة ، والحكم الحادث ، المبدَّل به الحكم الأول ، والمنقول إليه فرضُ العبادِ ، هو الناسخ . يقال منه : « نسخ الله آية كذا وكذا يَنسخها نَسخاً » و « النُّسخة » الاسم . وبمثل الذى قلنا فى ذلك كان الحسن البصرى يقول :

١٧٤٥ — حدثنا سوار بن عبد الله العنبرى قال ، حدثنا خالد بن الحارث قال ، حدثنا عوف ، عن الحسن أنه قال فى قوله : « ما نَنسخ منْ آية أو نُنسها نأت بخير منها » ، قال : إن نبيكم صلى الله عليه وسلم أقرئَ قرآناً ، ثم نسيه فلم يكن شيئاً ، (٣) ومن القرآن ما قد نُسخ وأنتم تقرأونه .

* * *

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى قوله : « ما ننسخ » . فقال بعضهم بما :—

(١) فى المطبوعة : « عنه إلى غيره » ، وفى تفسير ابن كثير : « ونقل عبارة إلى غيرها » . والصواب ما أثبت .

(٢) فى المطبوعة : « أوفر حظها فترك ، أو محى أثرها فعفى أو نسى » ، وهى جملة حشيت تصحيفاً وخلطاً . ومراد الطبرى أن النسخ ، وهو تغير الحكم ، قد يكون مع إقرار الخط كما هو ، والإتيان بحكم آخر فى عبارة أخرى — أو رفع الخط ، ونسيان الناس ما حفظوه عند التنزيل . وقوله « عفى » ، من قولهم : عفا الأثر يعفو : درس وذهب . وعفاه يعفيه (بالتشديد) : طمسه وأذهبه .

هذا والجملة التالية : « إذ هى فى كلتا حالتيها منسوخة » ، وحديث الحسن الآتى ، يدل على صواب ما أثبته فى قراءة نص الطبرى .

(٣) فى المطبوعة : « قال أقرىء قرآنا » ، سقط منه ما أثبته ، وسيأتى على الصواب فى الأثر برقم : ١٧٥٤ ، ومنه زدت هذه الزيادة .

١٧٤٦ – حدثني به موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدى : « ما نَنسخ من آية »، أمّا نَسخها، فقبضُها .

* * *

وقال آخرون بما : –

١٧٤٧ – حدثني به المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية بن صالح، عن على بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله : « ما نَنسخ من آية »، يقول : ما نبدِّل من آية .

* * *

وقال آخرون بما : –

١٧٤٨ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن أصحاب عبد الله بن مسعود أنهم قالوا : « ما نَنسخْ من آية »، نثبت خَطَّها، ونبدِّل حكمها . ٣٧٩/١

١٧٤٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: « ما ننسخ من آية »، نثبت خطها، ونبدِّل حكمها . حدِّثت به عن أصحاب ابن مسعود .

١٧٥٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثني بكر بن شوذب، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن أصحاب ابن مسعود: « ما ننسخ من آية » نثبت خطها، [ونبدِّل حكمها]. (١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾

قال أبو جعفر : اختلفت القرّاة في قوله ذلك . فقرأها أهل المدينة والكوفة : « أوْ نُنْسِها » . ولقراءة من قرأ ذلك وجهان من التأويل .

---

(١) الأثر : ١٧٥٠ – الزيادة بين القوسين من تفسير ابن كثير ١ : ٢٧٣ ثم ٢٧٤ .

أحدهما، أن يكون تأويلُه: ما ننسخ يا محمد من آية فنغيِّر حكمها أو نُنسها. وقد ذكر أنها في مصحف عبد الله: «ما نُنسكَ من آية أو نَنْسخها نجيء بمثلها»، فذلك تأويل: «النسيان». وبهذا التأويل قال جماعة من أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

١٧٥١ - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: «ما ننسخ من آية أو ننسها نَأت بخير منها أو مثلها»، كان ينسخ الآية بالآية بعدها، ويقرأ نبي الله صلى الله عليه وسلم الآية أو أكثر من ذلك، ثم تُنسى وتُرفع.

١٧٥٢ - حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: «ما ننسخْ من آية أو ننسها»، قال: كان الله تعالى ذكره يُنسي نبيه صلى الله عليه وسلم ما شاء، وينسخ ما شاء.

١٧٥٣ - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: كان عُبَيد بن عُمَير يقول: «نُنسها»، نرفعها من عندكم.

١٧٥٤ - حدثنا سوار بن عبد الله قال، حدثنا خالد بن الحارث قال، حدثنا عوف، عن الحسن أنه قال: في قوله: «أو نُنسها»، قال: إن نبيكم صلى الله عليه وسلم أقرئ قرآنا ثم نسيه.(١)

* * *

وكذلك كان سعد بن أبي وقّاص يتأول الآية، إلاّ أنه كان يقرؤها: «أوتَنسها» بمعنى الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، كأنه عَنى: أو تَنسها أنتَ يا محمد. ذكر الأخبار بذلك:

١٧٥٥ - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا يَعلى

---

(١) الأثر: ١٧٥٤ - انظر الأثر السالف: ١٧٤٥ والتعليق عليه.

ابن عطاء ، عن القاسم [بن ربيعة] قال ، سمعت سعد بن أبي وقاص يقول : « مَا نَنسخْ منْ آية أو نَنسها »، قلت له : فإن سعيد بن المسيَّب يقرؤها : « أو تُنسَها »، (١) قال : فقال سعد : إن القرآن لم ينزل على المسيَّب ولا على آل المسيب ! قال الله : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنْسَى ﴾ [سورة الأعلى : ٦] ﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ (٢) [سورة الكهف : ٢٤]

١٧٥٦ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا هشيم قال ، حدثنا يعلى بن عطاء قال ، حدثنا القاسم بن ربيعة بن قانف الثقفي قال ، سمعت ابن أبي وقاص يذكر نحوه . (٣)

١٧٥٧ — حدثنا محمد بن المثنى وآدم العسقلاني قالا جميعاً ، عن شعبة ، عن يعلى بن عطاء قال ، سمعت القاسم بن ربيعة الثقفي يقول : قُلت لسعد بن أبي وقاص : إنيّ سمعت ابن المسيّب يقرأ : « ما نَنسخ من آية أو تُنسها » فقال سعد : إن الله لم ينزل القرآن على المسيب ولا على ابنه ! إنما هي : « ما نَنسخ من آية أو نَنْسها » يا محمد . ثم قرأ : « سنُقرئك فلا تَنسى » و « اذكر ربَّكَ إذا نَسيت » (٤)

١٧٥٨ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن

---

(١) في المطبوعة : « أو ننسها » . والصواب ما أثبت ، وفي ابن كثير ١ : ٢٧٥ « أو ننساها » ، ولكن أبا حيان نص في البحر المحيط ١ : ٣٣٤ على أن قراءة سعيد « أو تنساها » بغير همزة بضم التاء ، وأما ابن خالويه فقد نص في شواذ القراآت : ٩ قال : « أو تنسها » كذلك ، إلا أنه لم يسم فاعله . سعيد بن المسيب » . فأثبت هذا ، لأنها هي رسم ما في نص الطبري. وانظر الآثار الآتية : ١٧٥٦ ، ١٧٥٧ ، والمستدرك للحاكم ٢ : ٢٤٢ .

(٢) الأثر : ١٧٥٥ — الزيادة بين القوسين من تفسير ابن كثير ١ : ٢٧٥ . والقاسم بن ربيعة ، هو القاسم بن عبد الله بن ربيعة بن قانف الثقفي ، وربما نسب إلى جده . وهو ابن ابن أخي ليلى بنت قانف الصحابية. روى عن سعد بن أبي وقاص في قوله : « ما ننسخ من آية » ، وعنه يعلى بن عطاء العامري . ذكره ابن حبان في الثقات . قال ابن حجر : قرأت بخط الذهبي : ما حدث عنه سوى يعلى (تهذيب التهذيب ٨ : ٣٢٠) . وانظر رقم : ١٧٥٦ ، ١٧٥٧ .

(٣) الأثر : ١٧٥٦ — في المطبوعة : « بن قائف » وهو « قانف » بقاف ثم نون ثم فاء . هكذا نص عليه في الإصابة في ترجمة : « ليلى بنت قانف » .

(٤) الأثر ١٧٥٧ — انظر الأثرين السالفين . وقال الحاكم في المستدرك ٢ : ٢٤٢ : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » .

أبيه، عن الربيع فى قوله : « ما ننسخ من آية أو نُنسها »، يقول : « نُنسها » نرفعها . وكان الله تبارك وتعالى أنزل أموراً من القرآن ثم رَفعها .

* * *

والوجه الآخر منهما، أن يكون بمعنى « الترك » من قول الله جل ثناؤه : ﴿ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [سورة التوبة : ٦٧] ، يعنى به : تركوا الله فتركهم . فيكون تأويل الآية حينئذ على هذا التأويل : ما ننسخ من آية فنغيّر حكمها ونبدّل فرضها ، نأت بخير من التى نَسخناها أو مثلها . وعلى هذا التأويل تأوّله جماعة من أهل التأويل . ذكر من قال ذلك : ٣٨٠/١

١٧٥٩ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنى معاوية، عن على بن أبى طلحة، عن ابن عباس فى قوله : « أو نَنْسها »، يقول : أو نتركها لا نبدّلها .(١)

١٧٦٠ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « أو ننسها » ، نتركها لا ننسخها .

١٧٦١ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « ما ننسخْ من آية أو نُنسها »، قال : الناسخ والمنسوخ .

* * *

قال أبو جعفر : وكان عبد الرحمن بن زيد يقول فى ذلك ما : —

١٧٦٢ — حدثنى به يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « نُنْسها » ، نمحُها .

* * *

وقرأ ذلك آخرون : « أو نَنسأها » بفتح النون وهمزة بعد السين ، بمعنى : نؤخرها ، من قولك : «نسأت هذا الأمر أنسَؤُه نَسأ ونَساءً»، إذا أخرته. وهو من قولهم : « بعته

(١) الأثر : ١٧٥٩ — فى تفسير ابن كثير : « أو ننساها » . والصواب ما فى الطبرى ، بفتح النون .

بِنَسَاءٍ »، يعنى بتأخير ، ومن ذلك قول طَرَفة بن العَبْد :

لَعَمْرُكَ إنَّ المَوْتَ مَا أَنْسَأَ الفَتَى لَكَالطِّوَلِ المُرْخَى وَثِنْيَاهُ بِاليَدِ (١)

يعنى بقوله : « أنسأ »، أخّر.

وممن قرأ ذلك جماعةٌ من الصحابة والتابعين ، وقرأه جماعة من قُراء الكوفيين والبصريين ، وتأوّله كذلك جماعة من أهل التأويل . ذكر من قال ذلك :

١٧٦٣ — حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم قالا ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عبد الملك، عن عطاء فى قوله: « ما ننسخ من آية أو نَنْسأها »، قال: نُؤخرها.

١٧٦٤ — حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى قال ، سمعت ابن أبى نجيح يقول فى قول الله: « أو نَنسأها »، قال : نُرْجئها .

١٧٦٥ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد: « أو نَنسأها »، نرجئها ونؤخرها .

١٧٦٦ — حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازى قال،حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال ، حدثنا فضيل ، عن عطية: « أو ننسأها »، قال : نؤخرها فلا ننسخها .

١٧٦٧ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : أخبرنى عبد الله بن كثير ، عن عبيد الأزدى ، عن عبيد ابن عُمير : « أو نَنسأها »، إرجاؤها وتأخيرها .

هكذا حدثنا القاسم، عن عبد الله بن كثير ، « عن عبيد الأزدى »، وإنما هو عن « عَلى الأزدى » .

١٧٦٨ — حدثنى أحمد بن يوسف قال، حدثنا القاسم بن سلام قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن على الأزدى ، عن عبيد

---

(١) ديوانه : ٣١٨ (من أشعار الستة الجاهليين) من معلقته المشهورة . وروايتهم : « ما أخطأ الفتى » . والطول : حبل يطول للدابة لترعى وهى مشدودة فيه. وثنياه : طرفاه . أى إنه لايفلت من حبال المنية ، وإن أخر فى أجله . وما أصدق ما قال ! ولكننا ننسى !

ابن عمير أنه قرأها : « ننسأها » .(١)

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل من قرأ ذلك كذلك : ما نبدلْ مَن آية أنزلناها إليك يا محمد ، فنبطل حكمها ونثبت خطها ، أو نؤخرها فنرجئها ونقرّها فلا نغيرها ولا نبطل حكمها ، نأت بخير منها أو مثلها .

* * *

وقد قرأ بعضهم ذلك : « ما ننسخ من آية أو نُنسِّها » . وتأويل هذه القراءة نظيرُ تأويل قراءة من قرأ : « أو نُنسِها » ، إلاّ أن معنى « أو تُنْسِّها » ، أنت يا محمد.

* * *

وقد قرأ بعضهم : « ما نُنسِخ من آية » ، بضم النون وكسر السين ، بمعنى : ما ننسخك يا محمد نحن من آية — من « أنْسختُكَ فأنا أنسخك » . وذلك خطأ من القراءة عندنا ، لخروجه عما جاءت به الحجة من القَرَأة بالنقل المستفيض . وكذلك قراءة من قرأ « تُنْسِها » أو « تَنْسَها » ، لشذوذها وخروجها عن القراءة التى جاءت بها الحجة من قراء الأمة .

وأولى القراآت فى قوله : « أو ننسها » بالصواب ، من قرأ « أو نُنْسِها » بمعنى : نتركها . لأن الله جل ثناؤه أخبرَ نبيه صلى الله عليه وسلم أنّه مهما بدّل حكماً أو غيّره ، أو لم يبدله ولم يغيره ، فهو آتيه بخيرٍ منه أو بمثله . فالذى هو أولى بالآية ، إذ كان ذلك معناها ، أن يكون — إذْ قدّم الخبرَ ٣٨١/١

(١) الخبران : ١٧٦٧ ، ١٧٦٨ — أبان الطبرى فى الإسناد الأول أن شيخه القاسم قال فى الإسناد : « عبد الله بن كثير ، عن عبيد الأزدى » ، وبين أن صوابه « عن على الأذرى » . ثم ساق الإسناد الثانى على الصواب . وهو كما قال .

عبد الله بن كثير الدارى المكى : هو القارىء ، أحد القراء السبعة . وهو ثقة . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٢/٢/١٤٤ .

على الأزدى : هو على بن عبد الله الأزدى البارقى ، وهو تابعى ثقة ، مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣/١/١٩٣ .

عبيد بن عمير — بالتصغير فيهما — : هو الليثى الجندعى المكى ، ثقة من كبار التابعين ، بل ذكره بعضهم فى الصحابة ، وأثنى عليه الناس خيراً فى مجلس ابن عمر ، فى المسند : ٥٣٥٩ . مترجم فى التهذيب ، والإصابة ٥ : ٧٩ ، وابن سعد ٥ : ٣٤١ — ٣٤٢ ، وابن أبى حاتم ٢/٢/٤٠٩ .

عما هو صانع إذا هو غيّر وبدل حكم آية — أن يُعقّب ذلك بالخبر عما هو صانع إذ هو لم يبدّل ذلك ولم يغيّر. فالخبر الذى يجب أن يكون عقيب قوله: « ما ننسخ من آية » . قوله : أو نترك نسخها، إذ كان ذلك المعروف الجارى فى كلام الناس . مع أن ذلك إذا قُرئ كذلك بالمعنى الذى وصفت، فهو يشتمل على معنى « الإنساء » الذى هو بمعنى الترك ،[1] ومعنى « النّساء » الذى هو بمعنى التأخير . إذ كان كل متروك فمؤخّرٌ على حالِ ما هو متروكٌ .

* * *

وقد أنكر قوم قراءة من قرأ : « أو تَنْسها »، إذا عنى به النسيان، وقالوا : غير جائز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم نسى من القرآن شيئاً مما لم يُنسخ ، إلا أن يكون نسىَ منه شيئاً ، ثم ذكره .قالوا: وبعد ، فإنه لو نسى منه شيئاً لم يكن الذين قرأوه وحفظوه من أصحابه، يجائز على جميعهم أن ينسوه . قالوا : وفى قول الله جل ثناؤه : ﴿ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ [سورة الإسراء : ٨٦]، ما ينبئ عن أن الله تعالى ذكره لم يُنس نبيَّه شيئاً مما آتاه من العلم .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا قولٌ يشهد على بُطوله وفساده ، الأخبارُ المتظاهرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بنحو الذى قلنا :

١٧٦٩ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال ، حدثنا أنس بن مالك : أن أولئك السبعين من الأنصار الذين قُتلوا ببئر معونة، قرأنا بهم وفيهم كتاباً: « بلّغوا عنا قومنا أنّا لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا » — ثم إنّ ذلك رُفع .[2]

---

(١) قد رد أهل اللغة أن يكون الإنساء بمعنى الترك ، وقالوا : إنما يقال نسيت : إذا تركت ، لا يقال : أنسيت ، تركت . وانظر ما جاء فى ذلك فى اللسان (نسى) ، وسائر كتب التفسير .

(٢) الحديث : ١٧٦٩ — يزيد بن زريع — بضم الزاى — العيشى : ثقة حافظ حجة ، روى عنه شعبة والثورى وغيرهما من الكبار . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/٢/٣٣٥ ، وابن سعد ٧/٢/٤٤ وابن أبى حاتم ٤/٢/٢٦٣ — ٢٦٥ . وسعيد : هو ابن أبى عروبة .

وهذا الحديث مختصر من حديث لأنس ، فى قصة القراء الذين قتلوا فى بئر معونة . ورواه الأئمة عن أنس ، من أوجه مختلفة .

١٧٧٠ – والذى ذكرنا عن أبى موسى الأشعرى أنهم كانوا يقرأون : « لو أنّ لابن آدم واديين من مَال لابتغى لهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدمَ إلا التراب ويَتوب الله على من تاب » . ثم رفع .(١)

وما أشبه ذلك من الأخبار التى يطول بإحصائها الكتاب .

وغير مستحيل فى فطرة ذى عقل صحيح ، ولا بحجة خبرٍ ، أنْ يُنسِي الله نبيَّه صلى الله عليه وسلم بعض ما قد كان أنزله إليه . فإذْ كان ذلك غير مستحيل من أحد هذين الوجهين ، فغير جائز لقائلٍ أن يقول : ذلك غير جائز .

وأما قوله : « ولئنْ شئنا لنَذهبَنَّ بالذى أوْحينا إليك » ، فإنه جل ثناؤه لم يخبر أنه لا يذهبُ بشىء منه ، وإنما أخبر أنه لو شاء لذهب بجميعه ، فلم يذهب به والحمد لله ، بل إنما ذهب بما لا حاجة بهم إليه منه . وذلك أنّ ما نسخ منه فلا حاجة بالعباد إليه . وقد قال الله تعالى ذكره : ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنْسَى * إلاَّ مَا شَاءَ الله﴾ [سورة الأعلى : ٦ – ٧] ، فأخبر أنه ينسى نبيَّه منه ما شاء . فالذى ذهب منه ، الذى استثناه الله .

فأما نحن ، فإنما اخترنا ما اخترنا من التأويل طلبَ اتّساق الكلام على نظام فى المعنى ، لا إنكارَ أنْ يكون الله تعالى ذكره قد كان أنسَى نبيه بعضَ ما نَسخَ من وحيه إليه وتنزيله .(٢)

* * *

فمن ذلك : أنه رواه البخارى ٧ : ٢٩٧ (فتح البارى) ، عن عبد الأعلى بن حماد ، عن يزيد بن زريع ، بهذا الإسناد . وفى آخره : « قال أنس : فقرأنا فيهم قرآنا ، ثم إن ذلك رفع : بلغوا عنا قومنا ، أنا قد لقينا ربنا ، فرضى عنا وأرضانا » .

وروى مسلم ١ : ١٨٧–١٨٨ ، من رواية مالك ، عن إسحق بن عبد الله بن أبى طلحة ، عن أنس . وانظر تفصيل ذلك فى تاريخ ابن كثير ٤ : ٧١ – ٧٤ .

(١) الحديث : ١٧٧٠ – ذكره الطبرى تعليقاً . وهو جزء من حديث طويل ، رواه مسلم ١ : ٢٨٦ ، من حديث أبى موسى الأشعرى . وذكره السيوطى فى الدر المنثور ١ : ١٠٥ ، ونسبه أيضاً لابن مردويه ، وأبى نعيم فى الحلية ، والبيهقى فى الدلائل .

وقد أفاض السيوطى فى الإتقان ٢ : ٢٩ – ٣٢ (طبعة المطبعة الموسوية بمصر سنة ١٢٨٧) – فى هذا البحث ، ونقل روايات كثيرة فيه .

(٢) فى المطبوعة : « قد كان آتى نبيه بعض ما نسخ » ، والصواب ما أثبت .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « نَأتِ بخيرٍ منها أو مثلها » . فقال بعضهم بما : —

١٧٧١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « نأتِ بخيرٍ منها أو مثلها » ، يقول : خير لكم فى المنفعة ، وأرفق بكم .

* * *

وقال آخرون بما : —

١٧٧٢ — حدثنى به الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « نأت بخيرٍ منها أو مثلها » ، يقول : آية فيها تخفيف ، فيها رحمة ،[1] فيها أمر ، فيها نهى . ٣٨٢/١

* * *

وقال آخرون : نأتِ بخيرٍ من التى نسخناها ، أو بخير من التى تركناها فلم ننسخها . ذكر من قال ذلك :

١٧٧٣ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو ، قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « نأت بخيرٍ منها » ، يقول : نأت بخير من التى نسخناها ، أو مثلها ، أو مثل التى تركناها .

* * *

« فالهاء والألف » اللتان فى قوله : « منها » ، عائدتان — على هذه المقالة — على « الآية » فى قوله : « ما ننسخ من آية » . و « الهاء والألف » اللتان فى قوله : « أو مثلها » ، عائدتان على « الهاء والألف » اللتين فى قوله : « أو ننسها » .

* * *

وقال آخرون بما : —

١٧٧٤ — حدثنى به المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن

(١) فى تفسير ابن كثير : ١ : ٢٧٥ « فيها رخصة » مكان : « فيها رحمة » .

ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : كان عبيد بن عمير يقول : « نُنسِها » : نرفعها من عندكم ، نأت بمثلها أو خير منها .(١)

١٧٧٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « أو نُنسِها »، نرفعها ، نأت بخير منها أو بمثلها .(٢)

١٧٧٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا بكر بن شوذب ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن أصحاب ابن مسعود مثله .

* * *

والصواب من القول في معنى ذلك عندنا : ما نبدّل من حكم آية فنغيره ، أو نترك تبديله فنقرّه بحاله، نأتِ بخيرٍ منها لكم – من حكم الآية التي نسخنا فغيّرنا حكمها – إمّا في العاجل، لخفّته عليكم، من أجل أنه وَضْع فرض كان عليكم، فأسقط ثِقْله عنكم ، وذلك كالذي كان على المؤمنين من فرض قيام الليل ، ثم نسخ ذلك فوضع عنهم، فكان ذلك خيراً لهم في عاجلهم ، لسقوط عبء ذلك وثِقْل حمله عنهم= وإمّا في الآجل، لعظَم ثوابه، من أجل مَشقّة حمله وثِقَل عبئه على الأبدان. كالذي كان عليهم من صيام أيام معدودات في السنة ، فنسخ وفرض عليهم مكانه صوم شهر كامل في كل حَوْل . فكان فرضُ صوم شهر كامل كل سنة ، أثقلَ على الأبدان من صيام أيام معدودات . غيرَ أن ذلك وإن كان كذلك ، فالثواب عليه أجزل، والأجر عليه أكثر ، لفضل مشقته على مكلّفيه من صوم أيام معدوداتٍ. فذلك وإن كان على الأبدان أشقّ ، فهو خير من الأول في الآجل لفضل ثوابه وعظم أجره ، الذي لم يكن مثلُه لصوم الأيام المعدودات . فذلك معنى قوله : « نأت بخير منها » . لأنه إمّا بخير منها في العاجل لخفته على من كُلّفه ، أو في الآجل لعظم ثوابه وكثرة أجره .

أو يكون مثلها في المشقة على البَدن واستواء الأجر والثواب عليه، نظيرَ نسخ الله تعالى ذكره فرضَ الصلاة شطْر بيت المقدس، إلى فرضها شطْرَ المسجد الحرام .

(١) الأثر : ١٧٧٤ – مضى شطره برقم : ١٧٥٣ .
(٢) الأثر : ١٧٧٥ – مضى شطره برقم : ١٧٥٨ .

فالتوجّه شطر بيت المقدس، وإن خالف التوجُّه شطرَ المسجد، فكُلْفة التوجُّه — شطرَ أيِّهما توجّه شطرَه — واحدة. لأن الذى على المتوجه شطر البيت المقدس من مؤُونة توجُّهه شطره، نظيرُ الذى على بدنه من مؤونة توجّهه شطر الكعبة، سواء. فذلك هو معنى « المثل » الذى قال جل ثناؤه : « أو مثلها »

* * *

وإنما عَنى جل ثناؤه بقوله : « ما نَنسخ من آية أو نُنسها » : ما ننسخ من حُكم آية أو نُنسِه. غير أن المخاطبين بالآية لما كان مفهوماً عندهم معناها، اكتفى بدلالة ذكر « الآية » من ذكر « حكمها ». وذلك نظير سائر ما ذكرنا من نظائره فيما مضى من كتابنا هذا، كقوله : ﴿ وأُشْرِبُوا فِى قُلُوبِهِمُ العِجْلَ ﴾ [سورة البقرة : ٩٣]، بمعنى حب العجل، ونحو ذلك.(١)

* * *

فتأويل الآية إذاً : ما نغيرْ من حكم آية فنُبدّله، أو نتركه فلا نبدله، نأت بخير لكم — أيها المؤمنون — حُكماً منها، أو مثل حكمها فى الخفّة والثّقل والأجر والثواب.

* * *

فإن قال قائل : فإنا قد علمنا أن العجل لا يُشرَب فى القلوب، وأنه لا يلتبس على من سَمع قوله : « وأشْرِبوا فى قُلوبهم العجل »، أن معناه : وأشربوا فى قلوبهم حُبَّ العجل، فما الذى يدلّ على أنّ قوله : « ما نَنسخْ من آية أو نُنسها نأت بخير منها » — لذلك نظيرٌ ؟ ٣٨٣/١

قيل : الذى دلّ على أن ذلك كذلك قوله : « نأتِ بخيرٍ منها أو مثلها »، وغيرِ جائز أن يكون من القرآن شىء خيرٌ من شىء، لأن جميعه كلام الله، ولا يجوز فى صفات الله تعالى ذكره أن يُقال : بعضها أفضلُ من بعض، وبعضُها خيرٌ من بعض(٢)

* * *

(١) انظر ما سلف من هذا الجزء ٢ : ٣٥٧ — ٣٦٠

(٢) من شاء أن يرى كيف كان أبو جعفر رضى الله عنه يبصر معنى كل حرف، متحرياً للحق والصواب حريصاً على دلالة كل كلمة، فليقرأ أمثال هذا القول فيما مضى وفيما يستقبل.

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١٠٦)

قال أبو جعفر: يعنى جل ثناؤه بقوله: « ألم تَعْلَمْ أن الله على كل شىء قدير »، ألم تعلم يا محمد أنّى قادر على تعويضك مما نسختُ من أحكامى، وغيّرته من فرائضى التى كنت افترضتها عليك، ما أشاءُ مما هو خير لك ولعبادى المؤمنين معك، وأنفعُ لك ولهم، إمّا عاجلاً فى الدنيا، وإما آجلاً فى الآخرة — أو بأن أبدّل لك ولهم مكانه مثله فى النفع لهم = عاجلاً فى الدنيا وآجلاً فى الآخرة = وشبيهَه فى الخفة عليك وعليهم؟ فاعلم يا محمد أنّى على ذلك وعلى كل شىء قديرٌ.

* * *

ومعنى قوله: « قدير » فى هذا الموضع: قوىّ. يقال منه: « قد قَدَرت على كذا وكذا »، إذا قَوِيتَ عليه، « أقدِرُ عليه وأقدُرُ عليه قُدْرة وقِدْرَاناً ومَقْدِرَة »، وبنو مُرّة من غَطفان تقول: « قَدِرْت عليه » بكسر الدال.(١)

فأما من « التقدير » من قول القائل: « قَدَرْتُ الشىءَ »، فإنه يقال منه « قدَرْته أقدِره قَدْراً وقَدَراً ».

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (١٠٧)

قال أبو جعفر: إن قال لنا قائل: أوَلم يكن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يعلم أنّ الله على كل شىء قدير، وأنهُ له ملك السموات والأرض، حتى قيل له ذلك؟

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٣٦١.

قيل : بلى ! فقد كان بعضهم يقول : إنما ذلك من الله جل ثناؤه خبر عن أن محمداً قد عَلم ذلك ، ولكنه قد أخرج الكلام مُخرج التقرير ، كما تفعل مثله العرب فى خطاب بعضها بعضاً ، فيقول أحدهم لصاحبه : « ألم أكرمك ؟ ألم أتفضل عليك ؟» بمعنى إخباره أنه قد أكرمه وتفضَّل عليه ، يريد : أليس قد أكرمتك ؟ أليس قد تفضلت عليك ؟ بمعنى : قد علمت ذلك .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا لاوجه لَهُ عندنا . وذلك أن قوله جل ثناؤه : « ألم تعلم » ، إنما معناه : أمَا علمت . وهو حرف جَحد أدْخل عليه حرف استفهام ، وحروف الاستفهام إنما تدخل فى الكلام إمّا بمعنى الاستثبات ، وإما بمعنى النفى ، فأما بمعنى الإثبات ، فذلك غير معروف فى كلام العرب ، ولاسيما إذا دخلت على حروف الجحد . ولكن ذلك عندى ، وإن كان ظهر ظهورَ الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ، فإنما هو معنىٌّ به أصحابه الذين قال لهم الله جل ثناؤه : «لا تقولوا رَاعِنا وقُولوا انْظُرنا وَاسْمَعوا » . والذى يدل على أن ذلك كذلك ، قوله جل ثناؤه : « وَما لكم مِنْ دُون الله من وَلىٍّ ولا نَصير » ، فعاد بالخطاب فى آخر الآية إلى جميعهم ، وقد ابتدأ أولها بخطاب النبى صلى الله عليه وسلم بقوله : « ألم تعلم أن الله لهُ مُلك السموات والأرض » . لأن المراد بذلك الذين وصفتُ أمرَهم من أصحابه . وذلك من كلام العرب مستفيض بينهم فصيحٌ : أنْ يُخرج المتكلم كلامَه على وجه الخطاب منه لبعض الناس وهو قاصدٌ به غيره ، وعلى وجه الخطاب لواحدٍ وهو يقصد به جماعةً غيره ، أو جماعة والمخاطبُ به أحدُهم — وعلى وجه الخطاب للجماعة ، والمقصودُ به أحدهم . من ذلك قول الله جل ثناؤه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلاَ تُطِعِ الكَافِرِينَ وَالمُنَافِقِينَ ﴾ ثم قال ﴿ واتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [سورة الأحزاب : ١ - ٢] ، فرجع إلى خطاب الجماعة ، وقد ابتدأ الكلام بخطاب النبى صلى الله عليه وسلم . ونظير ذلك قول الكميت بن زيد فى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إِلَى السِّرَاجِ الْمُنِيرِ أَحْمَدَ ، لاَ يَعْدِلُنِي رَغْبَةٌ وَلاَ رَهَبُ(١)
عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ ، وَلَوْ رَفَعَ النَّاسُ إِلَيَّ الْعُيُونَ وَارْتَقَبُوا(٢)
وَقِيلَ : أَفْرَطْتَ! بل قَصَدتُ ، ولَوْ عَنَّفَنِي الْقَائِلُونَ أَوْ ثَلَبُوا(٣)
لَجَّ بِتَفْضِيلِكَ اللِّسَانُ ، وَلَو أَكْثَرَ فِيكَ الضَّجَاجُ وَاللَّجَبُ(٤)
أَنْتَ الْمُصَفَّى الْمَحْضُ الْمُهَذَّبُ فِي النِّسْبَةِ ، إِنْ نَصَّ قَوْمَكَ النَّسَبُ(٥)

فأخرج كلامه على وجه الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، وهو قاصد بذلك أهلَ بيته ، فكنى عنْ وَصْفهم ومدْحِهم ، بذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، وعن بني أميَّة ، بالقائلين المعنِّفين . لأنه معلوم أنه لا أحدٌ يوصف بتعنيف مادحِ النبي صلى الله عليه وسلم وتفضيله ، ولا بإكثار الضَّجاج واللجب فى إطناب القيل بفضله .(٦)

---

(١) الهاشميات : ٣٤ ، والحيوان للجاحظ ٥ : ١٧٠ — ١٧١ .

(٢) « عنه إلى غيره » متعلق بقوله : لا يعدلنى . . . » ، فى البيت قبله .

(٣) أفرطت : أى جاوزت الحد . و « قصدت » من القصد : وهو العدل بين الإفراط والتقصير . والثلب : العيب والذم .

(٤) قوله « فيك » أى بسببك ومن أجلك . والضجاج مصدر : ضاجه يضاجه (بتشديد الجيم) مضاجة وضجاجاً : وهو المشاغبة مع الصياح والضجيج . واللجب : ارتفاع الأصوات واختلاطها طلباً للغلبة .

(٥) هذب الشيء : نقاه وخلصه وطهره من كل ما يعيبه . وقوله « المهذب فى النسبة » ، أى المهذب النسبة ، وأدخل « فى » للتوكيد ، بمعنى الزيادة . ونص الشيء : رفعه وأظهره وأبانه . يعنى أبان فضلهم على غيرهم .

(٦) من شاء أن يعرف فضل ما بين عقلين من عقول أهل الذكاء والفطنة ، فلينظر إلى ما بين قول أبى جعفر فى حسن تأتيه ، وبين قول الجاحظ فى استطالته بذكائه حيث يقول فى كتابه الحيوان ٥ : ١٦٩ — ١٧١ .

« ومن المديح الخطأ ، الذى لم أر قط أعجب منه قول الكميت بن زيد ، وهو يمدح النبى صلى الله عليه وسلم : فلو كان مديحه لبنى أمية لجاز أن يعيبهم بذلك بعض بنى هاشم ، أو لو مدح به بعض بنى هاشم ، لجاز أن يعترض عليه بعض بنى أمية ، أو لو مدح أبا بلال الخارجى لجاز أن تعيبه العامة ، أو لو مدح عمرو بن عبيد لجاز أن يعيبه المخالف ، أو لو مدح المهلب ، لجاز أن يعيبه أصحاب الأحنف ، فأما مديح النبى صلى الله عليه وسلم . فمن هذا الذى يسوءه ذلك؟ » ثم أنشد الأبيات السالفة ، وقال : « ولو كان لم يقل فيه عليه السلام إلا مثل قوله :

وكما قال جميل بن معمر :

أَلاَ إِنَّ جِيرَانِي العَشِيَّةَ رَائِحُ دَعَتْهُمْ دَوَاعٍ مِنْ هَوًى وَمَنَادِحُ(١)

فقال : « ألا إنّ جيرانى العشيّة »، فابتدأ الخبر عن جماعة جيرانه ، ثم قال : « رائحُ »، لأن قصْدَه — فى ابتدائه ما ابتدأ به من كلامه — الخبرُ عن واحد منهم دون جماعتهم ، وكما قال جميل أيضاً فى كلمته الأخرى :

خَلِيلَيَّ فِيمَا عِشْتُمَا ، هَلْ رَأَيْتُمَا قَتِيلاً بَكَى مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِي؟(٢)

وهو يريد قاتلته ، لأنه إنما يصف امرأة ، فكنّى باسم الرجل عنها ، وهو يعنيها .

فكذلك قوله : « ألم تعلم أن الله على كل شىء قدير . ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض » ، وإن كان ظاهر الكلام على وَجْه الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ، فإنه مقصودٌ به قَصْد أصحابه . وذلك بيِّنٌ بدلالة قوله : « وما لكم من دُون الله من وَلىٍّ ولا نصير . أم تريدون أنْ تسألوا رَسولكم كما سُئل مُوسى

وَبُورِكَ قَبْرٌ أَنْتَ فِيهِ وَبُورِكَتْ بِهِ وَلَهُ أَهْلٌ بِذَلِكَ يَثْرِبُ
لَقَدْ غَيَّبُوا بِرًّا وَحَزْماً وَنَائِلاً عَشِيَّةَ وَارَاكَ الصَّفِيحُ المنصَّبُ

فلو كان لم يمدحه عليه السلام إلا بهذه الأشعار التى لا تصلح فى عامة العرب ، لما كان ذلك بالمحمود ، فكيف مع الذى حكينا قبل هذا ؟ » .

والجاحظ تأخذ قلمه أحياناً مثل الحكة ، لا تهدأ من ثورانها عليه حتى يشتفى منها ببعض القول ، وببعض الاستطالة ، وبفرط العقل ! ومع ذلك ، فإن النقاد يتبعون الجاحظ ثقة بفضله وعقله ، فربما هجروا من القول ما هو أولى ، فتنة بما يقول .

(١) لم أجد البيت فيما طبع من شعر جميل ، ولا فيما جمعته منه . والمنادح : البلاد الواسعة البعيدة . كأنهما جمع مندوحة ، حذفت ياؤه . وقال تميم بن أبى بن مقبل :

وَإِنِّي إِذَا مَلَّتْ رِكَابِي مُنَاخَهَا رَكِبْتُ ، وَلَمْ تَعْجَزْ عَلَيَّ المَنَادِحُ

وربما حسن أن يقال إنه جمع لا واحد له من لفظه ، كحاسن مشابه ، والواحد من ذلك ندح وجمعه أنداح : وهو ما اتسع من الأرض .

(٢) الأمالى ٢ : ٧٤ ، والأغانى ١ : ١١٧ ، ٧ : ١٤٠ ، وهى قصيدة من جيد شعر جميل .

من قبلُ » الآيات الثلاث بعدها — على أن ذلك كذلك.(١)

* * *

أما قوله : « له مُلكُ السموات والأرض » ولم يقل : ملك السموات ، فإنه عنى بذلك « مُلك » السلطان والمملكة دون « المِلْك » . والعرب إذا أرادت الخبر عن «المملكة» التى هى مملكة سلطان، قالت : « ملَكَ الله الخلق مُلكاً ». وإذا أرادت الخبر عن «المِلك» قالت : «مَلَكَ فلان هذا الشيء فهو يَملكه مِلكاً ومَملَكة ومَلْكاً ».

* * *

فتأويل الآية إذاً : ألم تعلم يا محمد أن لى مُلك السموات والأرض وسُلطانهما دون غيرى ، أحكمُ فيهما وفيما فيهما ما أشاء ، وآمُر فيهما وفيما فيهما بما أشاء، وأنهى عمّا أشاء، وأنسخ وأبدّل وأغيّر من أحكامى التى أحكُم بها فى عبادى ما أشاء إذا أشاء ، وأقِرّ منهما ما أشاء ؟

* * *

وهذا الخبر وإن كان من الله عز وجل خطاباً لنبيّه محمد صلى الله عليه وسلم على وجْه الخبر عن عظمته ، فإنه منه جل ثناؤه تكذيبٌ لليهود الذين أنكروا نَسْخ أحكام التوراة ، وجَحدوا نبوّة عيسى ، وأنكروا محمداً صلى الله عليه وسلم ، لمجيئهما بما جاءا به من عند الله بتغيير ما غيّر الله من حكم التوراة . فأخبرهم الله أن له مُلك السموات والأرض وسلطانهما ، فإن الخلْق أهل مَملكته وطاعته ، عليهم السَّمع له والطاعةُ لأمره ونهيه، وأنّ له أمرَهم بما شاء، ونهيهم عمّا شاء ، ونسخَ ما شاء، وإقرارَ ما شاء، وإنساءَ ما شاء من أحكامه وأمره ونهيه . ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين معه : انقادوا لأمرى، وانتهوا إلى طاعتى فيما أنسخ، وفيما أترك فلا أنسخ، من أحكامى وحدودى وفرائضى ، ولا يَهُولنكم خلافُ مخالفٍ لكم فى أمرى ونهيى وناسخى ومنسوخى ، فإنه لا قيّم بأمركم سواى ، ولا ناصر لكم غيرى ، وأنا المنفرد بولايتكم ، والدفاع عنكم ، والمتوحّدُ بنصرتكم بعزّى وسلطانى وقوّتى على من ناوأكم وحادّكم ، ونَصب حَرب العداوة بينه وبينكم ، حتى أُعلى حجتكم ، ٣٨٥/١

(١) انظر ما سيأتى بعد قليل : ٤٩٩ — ٥٠٠ .

وأجبناها عليهم لكم .

* * *

و « الولى » معناه «فعيل» من قول القائل : « وَلِيتُ أمرَ فلان »، إذا صرتَ قيِّماً به، « فأنا أليه، فهو وَليُّه » وقيِّمه. ومن ذلك قيل: «فلان وَلىّ عهد المسلمين»، يعنى به : القائم بما عهد إليه من أمر المسلمين .

* * *

وأما « النصير » فإنه « فعيل » من قولك : « نَصرتُك أنصُرك ، فأنا ناصرك ونصيرك » ، وهو المؤيِّد والمقوِّى .

* * *

وأما معنى قوله : « من دون الله » ، فإنه سوَى الله ، وبعد الله ، ومنه قول أمية بن أبى الصلْت :

يَا نَفْسُ مَالَكِ دُونَ اللهِ مِنْ وَاقِ وَمَا عَلَى حَدَثَانِ الدَّهْرِ مِنْ بَاقِ(١)

يريد : ما لك سِوَى الله وَبعد الله مَنْ يَقيك المكاره .

* * *

فمعنى الكلام إذاً: وليس لكم، أيها المؤمنون ، بعدَ الله من قيِّم بأمركم، ولا نَصير فيؤيّدكم ويقوِّيكم ، فيعينكم على أعدائكم .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله أنزلت هذه الآية . فقال بعضهم بما : —

١٧٧٧ — حدثنا به أبو كريب قال، حدثنى يونس بن بكير — وحدثنا

(١) ديوانه : ٤٣ . ومثله قول ابن أحمر :

إِنْ نَحْنُ إِلاَّ أُنَاسٌ أَهْلُ سَائِمَةٍ وَمَا لَهُمْ دُونَهَا حَرْثٌ ولاَ غُرَرُ

يريد : ليس لنا مال سوى السائمة ، فليس لنا زرع ولا خيل .

ابن حميد قال ، حدثنا سلمة بن الفضل—[1] قالا ، حدثنا ابن إسحق قال ، حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال ، حدثني سعيد بن جبير ، أو عكرمة عن ابن عباس : قال رافع بن حُرَيْملة ووهب بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ائتنا بكتاب تنزّله علينا من السماء نقرؤه ، وفجّر لنا أنهاراً ، نتّبعك ونصدقك ! فأنزل الله في ذلك من قولهما : [2] « أمْ تُريدون أنْ تَسألوا رَسولكم كما سُئلَ مُوسَى منْ قَبْل » ، الآية . [3]

* * *

وقال آخرون بما : —

١٧٧٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « أم تُريدون أن تَسألوا رَسولكم كما سُئل موسى من قبل » ، وكان موسى يُسأل ، فقيل له : « أرِنا الله جَهرةً » .

١٧٧٩ — حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « أم تُريدون أن تَسألوا رَسولكم كما سُئل موسى من قبل » ، أن يريهم الله جهرة . فسألت العربُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيَهم بالله فيرَوْه جهرةً .

* * *

وقال آخرون بما : —

١٧٨٠ — حدثني به محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « أم تُريدون أن تَسألوا رسولكم كما سُئل موسى من قبل » ، أنْ يريهم الله جهرة . فسألت قريش محمداً صلى الله عليه وسلم أن يجعل الله لهمُ الصَّفا ذهباً ، قال : نعم ! وهو لكم كمائدة بني إسرائيل إنْ كفرتم ! فأبَوْا ورجعوا .

١٧٨١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن

---

(١) في المطبوعة : « قال حدثنا إسحق » ، والصواب ما أثبت .

(٢) في المطبوعة : « من قولهم » ، والصواب ما أثبت من سيرة ابن هشام .

(٣) الأثر ١٧٧٧ — في سيرة ابن هشام ٢ : ١٩٧ .

ابن جريج ، عن مجاهد قال : سألت قريش محمداً أن يجعل لهم الصَّفا ذهباً ، فقال: نعم! وهو لكم كالمائدة لبنى إسرائيل إن كفرتم! فأبوا ورجعوا، فأنزل الله: « أم تُريدون أن تسألوا رَسولكم كما سُئل موسى من قَبل » ،أنْ يُريهم الله جَهرةً .

١٧٨٢ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

وقال آخرون بما : –

١٧٨٣ – حدثنى به المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبى العالية قال: قال رَجُلٌ : يا رسول الله ، لو كانت كفَّاراتُنا كفَّاراتِ بنى إسرائيل! فقال النبى صلى الله عليه وسلم : اللهم لا نبغيها ! ما أعطاكم الله خيرٌ مما أعطى بنى إسرائيل ، كانت بنو إسرائيل إذا فعل أحدُهم الخطيئة وجدَها مكتوبةً على بابه وكفَّارتَها، فإن كفَّرها كانت له خِزياً فى الدنيا، ٣٨٦/١
وإن لم يكفرها كانتْ له خِزياً فى الآخرة ، وقد أعطاكم الله خيراً مما أعطى بنى إسرائيل ، قال : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ [سورة النساء : ١١٠] . قال : وقال : الصلوات الخمسُ ، والجمُعةُ إلى الجمعة ، كفَّاراتٌ لما بينهن .

وقال : مَنْ هَمَّ بحسنة فلمْ يعملها كتِبت له حسنة ، فإن عملها كتِبت له عشر أمثالها ، ولا يَهلكُ على الله إلا هالكٌ » .

فأنزل الله: « أم تُريدون أن تسألوا رُسولكم كما سُئل لكم مُوسى من قبل » .(١)

* * *

(١) الحديث : ١٧٨٣ – هذا حديث مرسل ، من مراسيل أبى العالية . وقد نقله ابن كثير ١ : ٢٧٩ ، عن الطبرى . ونقله السيوطى ١ : ١٠٧ ، ونسبه للطبرى وابن أبى حاتم .

وأبو العالية الرياحى : ثقة من كبار التابعين ، كما قلنا فى : ١٨٤ . ونزيد هنا أنه مترجم فى التهذيب والكبير ٢/١/٢٩٨ ، والصغير : ١٠٩ ، وابن سعد ٧/١/٨١ – ٨٥ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٥١٠ والإصابة ٢ : ٢٢١ . ولكن الاحتجاج بحديثه – كغيره من التابعين فمن بعدهم – هو فى الإسناد المتصل ، أما المرسل والمنقطع ، فلا حجة فيهما .

واختلف أهل العربية فى معنى « أم » التى فى قوله : « أم تُريدون » . فقال بعض البصريين : هى بمعنى الاستفهام. وتأويل الكلام : أتريدون أن تسألوا رسُولكم ؟

* * *

وقال آخرون منهم : هى بمعنى استفهام مُستقبَل مُنقطع من الكلام ، كأنك تميل بها إلى أوّله ، كقول العرب : « إنها لإبلٌ ياقوم أمْ شاء » و « لقد كان كذا وكذا أمْ حَدْسُ نفسى ؟ » قال : وليس قوله : « أم تريدون » على الشك ، ولكنه قاله ليقبِّح له صنيعهم . واستشهد لقوله ذلك ببيت الأخطل :

كَذَبَتْكَ عَيْنُكَ ، أَمْ رَأَيتَ بِوَاسِطٍ غَلَسَ الظَّلَامِ مِنَ الرَّبَابِ خَيَالاَ[1]

* * *

وقال بعض نحويى الكوفيين : إن شئت جعلت قوله : « أم تريدون » استفهاماً على كلام قد سبقه ، كما قال جل ثناؤه ﴿ الَم * تَنْزِيلُ الكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ﴾ [سورة السجدة : ١ - ٣] ، فجاءت « أم » وليس قبلها استفهام ، فكان ذلك عنده دليلاً على أنه استفهامٌ مُبتدأٌ على كلام سبقه . وقال قائل هذه المقالة : « أم » فى المعنى تكون ردًّا على الاستفهام على جهتين : إحداهما أن تفرِّق معنى « أىّ » ،[2] والأخرى : أن يستفهم بها فتكون على جهة النسق ، والذى يُنوى بها الابتداءُ ، إلا أنه ابتداء متصلٌ بكلام .[3] فلو ابتدأت كلاماً ليس قبله كلام ثم استفهمت ، لم يكن إلاّ بـ « الألف » أو بـ « هل » .[4]

---

(١) ديوانه : ٤١ ، ونقائض جرير والأخطل : ٧٠ . وواسط : قرية غربى الفرات مقابل الرقة من أعمال الجزيرة ، وهى من منازل بنى تغلب ، وهى غير واسط التى بناها الحجاج بين البصرة والكوفة . الغلس : ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بتباشير الصباح ، فهى سواد مختلط ببياض وحمرة .

(٢) فى المطبوعة : « تعرف معنى أى » ، وفى لسان العرب (أم ١٤ : ٣٠٠) : « أن تفارق معنى أم » وكلتاهما خطأ صرف . والصواب فى معانى القرآن للفراء ١ : ٧١ . وذلك أن قولك : « أزيد عندك أم عمرو » ، معناه : أيهما عندك . وبين أن « أم » تفرق الاستفهام ، وأن « أى » تجمع متفرق الاستفهام . وقد قال الطبرى فيما سلف فى هذا الجزء ٢ : ١٩٨ : « إن أصل « أى » و « ما » جمع متفرق الاستفهام » .

(٣) فى المطبوعة : « وتكون على جهة النسق ، والذى ينوى به الابتداء » ، والصواب من معانى القرآن للفراء .

(٤) هذا نص كلام الفراء فى معانى القرآن ١ : ٧١ .

قال : وإن شئت قلت فى قوله : « أم تريدون »، قبله استفهامٌ فرُدَّ عليه . وهو فى قوله : « ألَمْ تعلم أنّ الله على كل شىء قدير ».(١)

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى، على ما جاءت به الآثار التى ذكرناها عن أهل التأويل: أنّه استفهامٌ مبتدأٌ، بمعنى : أتريدون أيُّها القوم أن تسألوا رَسُولكم ؟ وإنما جاز ، أن يستفهم القوم بـ « أم » ، وإن كانت « أم » أحد شروطها أن تكون نَسقاً فى الاستفهام لتقدُّم ما تقدمها من الكلام ، لأنها تكون استفهاماً مُبتدأ إذا تقدمها سابقٌ من الكلام . ولم يُسمع من العرب استفهام بها ولم يتقدمها كلام . ونظيره قوله جل ثناؤه : ﴿ ألَم * تَنْزِيلُ الكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ * أمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ﴾ [سورة السجدة : ١ - ٣] .

وقد تكون « أم » بمعنى « بل » ، إذا سبقها استفهام لا يصلح فيه « أىّ » ، فيقولون : « هل لك قِبَلنا حقٌّ، أم أنت رجل معروف بالظلم ؟ »(٢) وقال الشاعر :

فَوَاللهِ مَا أدْرِى! أسَلمى تَغَوَّلَتْ، أمِ النَّوْمُ، أمْ كلٌّ إلىَّ حَبِيبُ(٣)؟

يعنى : بَل كلٌّ إلىَّ حبيب.

وقد كان بعضهم يقول — منكراً قولَ من زعم أن « أم » فى قوله : « أم تريدون »

---

(١) وهذا أيضاً بعض نص الفراء فى معانى القرآن .

(٢) هذا أيضاً ذكره الفراء . ثم قال بعده : « يريدون : بل أنت رجل معروف بالظلم » .

(٣) لم أعرف قائله . وسيأتى فى تفسيره ٢٠ : ٦ (بولاق) على الصواب ، وفى معانى القرآن للفراء ١ : ٧٢ ، واللسان (أم) ، والصاحبى : ٩٨ . وفى المطبوعة هنا : « تقولت . . . أم القوم » ، وهو خطأ محض . وقوله : « تغولت » ، أى تصورت فى صورة امرأة أحسبها وأراها . من تغول الغول : وهى أن تتلون وتتخيل فى صور شتى . يعنى أنها بعيدة لا شك فى بعدها ، ولكنه يخال أنه يراها أمامه ماثلة قائمة . وقال الأخطل :

وَتَعَرَّضَتْ لَكَ بِالأَبَاطِحِ بَعْدَ مَا قَطَعَتْ بِأبْرَقَ خُلَّةً وَوِصَالَا
وَتَغَوَّلَتْ لِتَرُوعَنَا جِنِّيَّةٌ وَالغَانِيَاتُ يُرِينَكَ الأَهْوَالَا

ثم يقول : « أم النوم » أى : أم هو حلم . بل كلاهما حبيب إلى ، يعنى أى ذلك كان ، فهو حبيب إلى .

استفهامٌ مستقبَلٌ منقطع من الكلام ، يميل بها إلى أوّله — : إنّ الأول خبر ، والثانى استفهام ، والاستفهام لا يكون فى الخبر ، والخبر لا يكون فى الاستفهام ، ولكن أدركه الشك — بزعمه — بعد مُضىّ الخبر ، فاستفهم .

* * *

قال أبو جعفر : فإذ كان معنى « أم » ما وصفنا ، فتأويل الكلام : أتريدون أيها القوم أن تسألوا رسولكم من الأشياء نظيرَ ما سأل قوم موسى من قبلكم ، فتكفروا — إن مُنِعتموه — فى مسألتكم ما لا يجوز فى حكمة الله إعطاؤكموه ، أو أن تهلكوا إن كان مما يجوز فى حكمته عطاؤكموه ،[1] فأعطاكموه ، ثم كفرتم من
٣٨٧/١ من بعد ذلك ، كما هلك من كان قبلكم من الأمم التى سألت أنبياءَها ما لم يكن لها مسألتُها إياهم ، فلما أعطيت كفرت ، فعوجلت بالعقوبات لكفرها ، بعد إعطاء الله إيّاها سُؤْلها .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « وَمَنْ يَتبدّل » ، ومن يستبدل «الكفر» ،[2] ويعنى بـ «الكفر» الجحودَ بالله وبآياته ،[3] «بالإيمان» ، يعنى بالتصديق بالله وبآياته والإقرارِ به .[4]

وقد قيل : عَنى بـ « الكفر » فى هذا الموضع : الشدّة ، وبـ « الإيمان » الرخاء . ولا أعرف الشدة فى معانى « الكفر » ، ولا الرخاء فى معنى « الإيمان » ، إلا أن يكون قائلُ ذلك أرَاد بتأويله « الكفر » بمعنى الشدة فى هذا الموضع ، وبتأويله « الإيمان » فى معنى الرخاء — : ما أعدّ الله للكفار فى الآخرة من الشدائد ، وما أعدّ الله لأهل

---

(١) فى المطبوعة : « أو أتهلكوا » خطأ .
(٢) انظر ما سلف فى هذا الجزء ٢ : ١٣٠
(٣) انظر ما سلف ١ : ٢٥٥ ، ٣٨٢ ، ٥٥٢ وغيرها بعدها .
(٤) انظر ما سلف ١ : ٢٣٤ — ٢٣٥ ، ٢٧١ ، ٥٦٠ وغيرها بعدها .

الإيمان فيها من النعيم ، فيكون ذلك وجهاً ، وإن كان بعيداً من المفهوم بظاهر الخطاب . ذكر من قال ذلك :

١٧٨٤ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن أبي العالية : « ومن يتبدّلِ الكفرَ بالإيمان » ، يقول : يتبدل الشدة بالرخاء .

١٧٨٥ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسن قال ، حدثني حجاج ، عن ابن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية بمثله .

* * *

وفي قوله : « ومن يتبدّل الكفرَ بالإيمان فقدْ ضَلّ سَواء السبيل » ، دليلٌ واضح على ما قلنا :[1] من أن هذه الآيات من قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا رَاعِنا » ، خطابٌ من الله جل ثناؤه المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،[2] وعتاب منهُ لهم على أمر سلف منهم ، مما سُرّ به اليهود ، وكرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ، فكرهه الله لهم ، فعاتبهم على ذلك ، وأعلمهم أن اليهود أهل غِشٍّ لهم وحسدٍ وبغي ، وأنهم يتمنّون لهم المكارهَ ، ويبغونهم الغوائل ، ونهاهم أن ينتصحوهم ، وأخبرهم أنّ من ارتدّ منهم عن دينه فاستبدل بإيمانه كفراً ، فقد أخطأ قَصْدَ السبيل .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ السَّبِيلِ ﴾ (١٠٨)

قال أبو جعفر : أما قوله : « فقد ضل » ، فإنه يعني به : ذهب وحادَ . وأصل « الضلال عن الشيء » ، الذهاب عنه والحيْد ،[3] ثم يستعمل في الشيء الهالك ،

---

(١) انظر ما سلف قريباً : ٤٦٢–٤٦٦ ، ٤٨٤–٤٨٨ ، وانظر ما سيأتي قريباً : ٤٩٨ ، ٤٩٩

(٢) في المطبوعة : « المؤمنين به من أصحاب رسول الله . . . » ، وزيادة « به » خطأ .

(٣) انظر ما سلف ١ : ١٩٥ .

والشيء الذى لا يُؤْبَه له ، كقولهم للرجل الخامل الذى لا ذِكر له ولا نَباهة : « ضُلُّ بن ضُلّ » و « قُلُّ بنَ قُلّ » ، وكقول الأخطل ، فى الشيء الهالك :

كُنْتَ القَذَى فِى مَوْجِ أكدَرَ مُزْبِدٍ قَذَفَ الأَتِيُّ بِهِ فَصَلَّ ضَلالَا(١)

يعنى : هلك فذهب

* * *

والذى عنى الله تعالى ذكره بقوله : « فقد ضَلّ سَواءَ السبيل » ، فقد ذهب عن سواء السبيل وحاد عنه .

* * *

وأما تأويل قوله « سَواء السبيل » ، فإنه يعنى بـ « السواء » ، القصدَ والمنهج . وأصْل « السواء » الوسط . ذُكر عن عيسى بن عمر النحوىّ أنه قال : ما زلت أكتبُ حتى انقطع سَوائى » ، يعنى : وسطى . وقال حسان بن ثابت :

يَا وَيْحَ أَنْصَارِ النَّبِىِّ وَنَسْلِهِ بَعْدَ المُغَيَّبِ فِى سَوَاءِ المُلْحَدِ(٢)

---

(١) ديوانه : ٥٠ ، ونقائض جرير والأخطل : ٨٣ وسيأتى فى تفسير الطبرى ٣ : ٢١٩/٢١ : ٦١ (بولاق) . وقوله : « كنت » ، يعنى جريراً ، وهو جواب « إذا » ، فقبل البيت :

وَإِذَا سَمَا لِلْمَجْدِ فَرْعَا وَائِلٍ وَاسْتَجْمَعَ الوَادِى عَلَيْكَ فَسَالَا

« فرعا وائل » يعنى بكراً وتغلب رهط الأخطل . والقذى : ما يكون فوق الماء من تبن وورق وأعواد . وفى المطبوعة هنا : « أكبر » مكان « أكدر » ، وهو تصحيف ، وأتى على صوابه فى الموضعين الآخرين من التفسير . وقوله « أكدر » يعنى بحراً متلاطما ، فكدر بعد صفاء . ومزبد : بحر هائج مائج يقذف بالزبد . والأتى : السيل الذى يأتى من مكان بعيد . وقوله : « قذف الأتى به » ، صفة للقذى . يقول : كنت عندئذ كالقذى رمى به السيل فى بحر مزبد لا يهدأ موجه ، فهلك هلاكاً . ورواية الديوان : « فى لج أكدر » .

(٢) ديوانه : ٩٨ ، وسيأتى فى تفسير الطبرى ١٠ : ٢٠ (بولاق) ، وهكذا جاءت الرواية هنا « نسله » ، وأظنها خطأ من ناسخ ، أو خطأ فى رواية . ورواية الديوان وما سيأتى فى الطبرى ، وغيرهما « ورهطه » . وهو من رثاء حسان رسول الله بأبى هو وأمى صلى الله عليه وسلم . وعنى بقوله : « ورهطه » المهاجرين رضى الله عنهم . والمغيب مصدر غيبه فى الأرض : واراه . و « الملحد » بضم الميم وفتح الحاء بينهما لام ساكنة : هو اللحد ، والقبر .

يعنى بالسَّواء : الوسط . والعرب تقول : « هو فى سَواء السبيل »، يعنى فى مستوى السَّبيل، و « سواء الأرض »: مستواها، عندهم .

وأما «السَّبيل»، فإنها الطريقُ المسبول، صُرف من «مَسبولٌ» إلى « سبيل ». (١)

* * *

فتأويل الكلام إذاً : ومن يستبدل بالإيمان بالله وبرسوله الكفرَ ، فيرتدَّ عن دينه ، فقد حاد عن مَنهج الطريق ووَسطه الواضح المسبول . (١)

وهذا القول ظاهرُه الخبرُ عن زَوال المستبدِلِ بالإيمان الكفرَ عن الطريق، والمعنىُّ به الخبرُ عنه أنه تَرك دين الله الذى ارتضاه لعباده ، وجعله لهم طريقاً ٣٨٨/١ يسلُكونه إلى رضاه ، وسبيلاً يركبونها إلى محبته والفوز بجناته . فجعل جل ثناؤه الطريق — الذى إذا ركبَ محجَّته السائرُ فيه ، ولزم وَسَطه المجتازُ فيه ، نجا وبلغ حاجته ، وأدرك طلبته — لدينه الذى دعا إليه عباده ، مثلاً ، لإدراكهم بلزومه واتباعه ، طلباتهم فى آخرتهم، (٢) كالذى يُدرك اللازم محجَّة السبيل = بلزومه إياها = طلبتَه من النجاة منها ، والوصول إلى الموضع الذى أمَّه وقصده . وجعل مثل الحائد عن دينه، الجائر عن اتّباع ما دَعاه إليه من عبادته — (٣) فى إخطائه ما رجا أن يدركه بعمله فى آخرته وينال به فى معاده ، (٤) وذهابه عما أمّل من ثواب عمله ، وبُعده به من ربّه — مثلَ الحائد عن منهج الطريق وقصد السبيل ، الذى لا يزدادُ وُغولاً فى الوجه الذى سَلكه ، (٥) إلاّ ازداد من موضع حاجته بعداً ،

(١) لم أجد لقوله: « مسبول » فعلا ، وكأنه أراد أن يؤوب به إلى الأصل، فإن « فعيلا » لابد له من فعل ثلاثى دو « سبل» وإن لم يستعماوه ، وهو مصروف عن « مفعول » . فقال الطبرى : « مسبول » . ويهون ذلك أنهم قالوا : « السابلة » وهو « فاعلة » من فعل ثلاثى . ولكنهم لم يستعماوه ، ومعناه : « السالكة الطريق من الناس » . وقالوا سبيل سابلة: أى مساوكة ، فهذه أيضاً « فاعلة » بمعنى « مفعولة » . فعنى بقوله « المسبول » فى الموضعين : المسلوك .

(٢) فى المطبوعة : « لإدراكهم بلزومه واتباعه إدراكهم طاباتهم . . . » وقوله : « إدراكهم » زائدة من ناسخ .

(٣) فى المطبوعة : « والحائد عن اتباع ما دعاه . . . » ، وأظن الصواب ما أثبت .

(٤) فى المطبوعة : « فى حياته ما رجا أن يدركه . . . » ، وهى مصحفة ولا شك ، وأثبت ما أدانى إليه اجتهادى فى قراءته . لأنهم يقول أخطأ الطريق ، وأخطأ ما ابتغى ، إلى أشباه ذلك .

(٥) الوغول ، مصدر « وغل يغل وغولا ، وأوغل »، إذا ذهب فأبعد المذهب .

وعن المكان الذى أمَّه وأراده نَأْياً .

وهذه السبيلُ التى أخبر الله عنها ، أن من يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضلَّ سَواءَها ، هى « الصِّراط المستقيم » ، الذى أمرنا بمسألته الهدايةَ له بقوله : « اهْدنا الصراط المستقيم ، صراطَ الذين أنْعمتَ عليهم » .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً ﴾

قال أبو جعفر : وَقدْ صَرَّح هذا القول من قول الله جل ثناؤه ، بأن خطابه بجميع هذه الآيات من قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا رَاعِنا » — وإن صَرَف فى نَفسه الكلامَ إلى خطاب النبي صلى الله عليه وسلم — إنما هو خطابٌ منه للمؤمنين من أصحابه ، [1] وعتابٌ منه لهم ، ونهىٌ عن انتصاح اليهود ونَظرائهم من أهل الشرك وَقبولِ آرائهم فى شىء من أمور دينهم — ودليلٌ على أنهم كانوا استعملوا أو من استعمل منهم فى خطابه ومسألته رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الجفاءَ ، وما لم يكن له استعماله معه ، [2] تأسِّياً باليهود فى ذلك أو ببعضهم . فقال لهم ربهم ناهياً لهم عن استعمال ذلك : [3] لا تقولوا لنبيّكم صلى الله عليه وسلم كما تقول له اليهود : « رَاعنا » ، تأسياً منكم بهم ، ولكن قولوا : « انْظُرنا واسمعوا » ، فإن أذَى رسول الله صلى الله عليه وسلم كفرٌ بى ، وجحودٌ لحقّى الواجب لى عليكم فى تعظيمه وتوقيره ، ولمن كفر بى عذاب أليم ؛ فإن اليهودَ والمشركين ما يودُّون أن ينزَّل عليكم

---

(١) فى المطبوعة : « للمؤمنين وأصحابه » ، وكان الصواب ما أثبت .

(٢) سياق العبارة : أو من استعمل . . . الجفاء ، واستعمل ما لم يكن له استعماله معه ، تأسياً باليهود .

(٣) فى المطبوعة : « قال لهم ربهم » ، والصواب زيادة الفاء .

من خيرٍ من ربكم، ولكنّ كثيراً منهم وَدُّوا أنهم يَرُدُّونكم من بعد إيمانكم كفاراً، حسداً من عند أنفسهم لكم ولنبيكم محمد صلى الله عليه وسلم، من بعد ما تَبيّن لهم الحق فى أمر محمد، وأنه نبى إليهم وإلى خلق كافة .

* * *

وقد قيل إن الله جل ثناؤه عنى بقوله : « ودّ كثيرٌ من أهل الكتاب »، كعبَ ابن الأشرف .

١٧٨٦ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهرى فى قوله : « ودّ كثير من أهل الكتاب »، هو كعب بن الأشرف .

١٧٨٧ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا أبو سفيان المعمرى، عن معمر ، عن الزهرى وقتادة : « ودّ كثير من أهل الكتاب »، قال : كعب بن الأشرف . (١)

وقال بعضهم بما : —

١٧٨٨ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال ، حدثنى ابن إسحق — وحدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنا محمد بن إسحق — قال : حدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال ، حدثنى سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان حُيَىّ بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب من أشد يهودَ للعرب حسداً ، إذْ خصّهم الله برسوله صلى الله عليه وسلم . وكانا جاهدَيْن فى ردّ الناس عن الإسلام بما استطاعا ، فأنزل الله فيهما : « ودّ كثيرٌ منْ أهل الكتاب لوْ يَرُدُّونكم » الآية . (٢) ٣٨٩/١

* * *

قال أبو جعفر : وليس لقول القائل عنَى بقوله : « ودّ كثيرٌ من أهل الكتاب »

(١) الأثر : ١٧٨٧ — فى المطبوعة : « أبو سفيان المعمرى » . وهو محمد بن حميد اليشكرى المعمرى البصرى نزيل بغداد ، قيل له المعمرى » لأنه رحل إلى معمر بن راشد الأزدى . وهو ثقة صدوق ، وذكره ابن حبان فى الثقات . وذكره العقيلى فى الضعفاء ، وقال : « فى حديثه نظر » مات سنة ١٨٢ (تهذيب التهذيب ٩ : ١٣٢)

(٢) الأثر : ١٧٨٨ — فى سيرة ابن هشام ٢ : ١٩٧ .

كعبَ بن الأشرف ، معنى مفهوم . لأن كعب بن الأشرف واحد ، وقد أخبر الله جل ثناؤه أن كثيراً منهم يودُّون لو يردُّون المؤمنين كفاراً بعد إيمانهم ، والواحد لا يقال له « كثير » ، بمعنى الكثرة فى العدد ، إلاّ أن يكون قائل ذلك أراد بوجه الكثرة التى وصفَ الله بها من وصفه بها فى هذه الآية ، الكثرةَ فى العزّ ورفعة المنزلة فى قومه وعشيرته ، كما يقال : « فُلان فى الناس كثير » ، يراد به كثرة المنزلة والقدْر . فإن كان أراد ذلك فقد أخطأ ، لأن الله جل ثناؤه قد وصفهم بصفة الجماعة فقال : « لَوْ يَردُّونكم من بعد إيمانكم كفاراً حَسداً » ، فذلك دليل على أنه عنى الكثرة فى العدد = أو يكون ظنّ أنه من الكلام الذى يخرج مَخرج الخبر عن الجماعة ، والمقصود بالخبر عنه الواحدُ ، نظيرَ ما قلنا آنفاً فى بيت جميل ، [1] فيكون ذلك أيضاً خطأ . وذلك أن الكلام إذا كان بذلك المعنى ، فلا بد من دلالة فيه تدل على أن ذلك معناه ، ولا دلالة تدل فى قوله : « ودّ كثيرٌ من أهل الكتاب » أنّ المراد به واحد دون جماعة كثيرة ، فيجوز صرف تأويل الآية إلى ذلك ، وإحالة دليل ظاهره إلى غير الغالب فى الاستعمال .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾

قال أبو جعفر : ويعنى بقوله جل ثناؤه : « حَسَداً من عند أنفسهم » ، أن كثيراً من أهل الكتاب يَودُّون للمؤمنين ما أخبر الله جل ثناؤه عنهم أنهم يودونه لهم ، من الردّة عن إيمانهم إلى الكفر ، حسداً منهم وبغياً عليهم .

* * *

و « الحسد » إذاً مَنصوبٌ على غير النعت « للكفار » ، ولكن على وجه المصدر الذى يأتى خارجاً من معنى الكلام الذى يُخالف لفظه لفظ المصدر ، كقول القائل لغيره : « تمنَّيت لك ما تمنَّيتُ من السوء حسداً منى لك » ، فيكون « الحسد » مصدراً

---

(١) انظر ما سلف قريباً : ٤٨٧ قوله : « ألا إن جيرانى العشية رائح » .

من معنى قوله : « تمنيت من السوء » . لأن فى قوله : تمنيت لك ذلك ، معنى : حسدتك على ذلك. فعلى هذا نُصب « الحسد »، لأن فى قوله : « ودّ كثيرٌ من أهل الكتاب لو يَرُدُّونكم من بَعد إيمانكم كفاراً »، معنى : حسدكم أهلُ الكتاب على ما أعطاكم الله من التوفيق ، ووهب لكم من الرشاد لدينه والإيمان برسوله ، وخصّكم به من أن جعل رسوله إليكم رجلاً منكم رؤوفاً بكم رحيماً ، ولم يجعله منهم فتكونوا لهم تبعاً . فكان قوله : « حَسداً »، مصدراً من ذلك المعنى .

* * *

وأما قوله : «من عند أنفُسِهم »، فإنه يعنى بذلك : من قِبَل أنفسهم، كما يقول القائل : « لى عِندك كذا وكذا »، بمعنى : لى قِبَلك ، وكما :

١٧٨٩ – حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، قوله : « مِنْ عِند أنفُسِهم » ، قال : من قبلَ أنفسهم[1]

وإنما أخبر الله جل ثناؤه عنهم المؤمنين أنّهم ودُّوا ذلك للمؤمنين، من عند أنفسهم ، إعلاماً منه لهم بأنهم لم يؤمروا بذلك فى كتابهم ، وأنهم يأتون ما يأتون من ذلك على علم منهم بنهى الله إياهم عنه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « من بَعد ما تبينَ لهمُ الحقُّ »، أى من بعد ما تبين لهؤلاء الكثيرِ من أهل الكتاب – الذين يودُّون أنّهم يردُّونكم كفاراً من بعد إيمانكم – الحقُّ فى أمر محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وما جاء به من عند ربه، والملة التى دعا إليها فأضاء لهم : أنّ ذلك الحق الذى لا يمترون فيه، كما :–

(١) الأثر : ١٧٨٩ – كان هذا الإسناد مبتوراً ، فأتممته استظهاراً من الإسناد الدائر فى التفسير فى مئات المواضع السالفة، أقربها رقم : ١٦٤٧ وسيأتى أيضاً رقم : ١٧٩٢ ، وكان الأثر نفسه مبتوراً فأتممته من تفسير ابن كثير ١ : ٢٨٠ ، والدر المنثور ١ : ١٠٧ .

١٧٩٠ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة: « من بعد ما تَبين لَهمُ الحقُّ »، من بعد ما تبين لهم أنّ محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والإسلامَ دين الله . ٣٩٠/١

١٧٩١ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ،عن أبي العالية : « من بَعد ما تبين لهم الحق »، يقول : تبين لهم أن محمداً رسولُ الله ، يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل .

١٧٩٢ ــ حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، مثله ــ وزاد فيه : فكفروا به حسداً وبغياً ، إذْ كان من غيرهم .

١٧٩٣ ــ حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي: « منْ بعد ما تَبين لهم الحق »، قال: الحقُّ هو محمد صلى الله عليه وسلم، فتبيّن لهم أنّه هو الرسول .

١٧٩٤ ــ حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « من بعد ما تبين لهم الحق »، قال : قد تبين لهم أنه رسول الله .

* * *

قال أبو جعفر : فدلّ بقوله ذلك : أن كفرَ الذين قصّ قصّتهم في هذه الآية بالله وبرسوله ، عنادٌ ، وعلى علم منهم ومعرفةٍ بأنهم على الله مفترون ، كما : ــ

١٧٩٥ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثمان بن سعيد قال ، حدثنا بشر ابن عمارة، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « منْ بعد ما تبين لهم الحق »، يقول الله تعالى ذكره: من بعد ما أضاء لَهم الحقُّ، لم يجهلوا منه شيئاً، ولكن الحسدَ حملهم على الجحد . فعيّرهم الله ولاَمهم وَوَبّخهم أشدّ الملامة .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ﴾

قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بقوله : « فاعفوا » ، فتجاوزوا عما كان منهم من إساءة وخطأ فى رأى أشاروا به عليكم فى دينكم ، إرادة صدّكم عنه ، ومحاولة ارتدادكم بعد إيمانكم — وعمّا سلف منهم من قبلهم لنبيّكم صلى الله عليه وسلم : ﴿ ٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ﴾ [سورة النساء : ٤٦] ، واصفحوا عما كان منهم من جهل فى ذلك — حتى يأتى الله بأمره ، فيحدث لكم من أمره فيكم ما يشاء ، ويقضى فيهم ما يريد . فقضى فيهم تعالى ذكره وأتى بأمره ، فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين به : ﴿ قَاتِلُوا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [سورة التوبة : ٢٩] . فنسخ الله جل ثناؤه العفو عنهم والصفح ، بفرض قتالهم على المؤمنين ، حتى تصير كلمتهم وكلمة المؤمنين واحدة ، أو يؤدّوا الجزية عن يدٍ صَغارًا ، كما : —

١٧٩٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره إن الله على كل شىء قدير » ، ونسخ ذلك قوله : ﴿ فَٱقْتُلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ [سورة التوبة : ٥]

١٧٩٧ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره » ؛ فأتى الله بأمره فقال : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر » حتى بلغ « وهم صاغرون » أى : صغاراً

ونقمةً لهم. فنَسخت هذه الآية ما كان قبلها : «فاعفوا واصفحوا حتّى يأتي الله بأمره ».

١٧٩٨ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : « فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره »، قال : اعفُوا عن أهل الكتاب حتى يُحدث الله أمرًا . فأحدث الله بعد فقال : « قاتِلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر » إلى « وهُم صاغرون ».

١٧٩٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره » قال : نسختها : « اقتلوا المشركين حيث وجدتُموهم »

١٨٠٠ – حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « فاعفوا واصفحوا حتى يأتيَ الله بأمره » قال : هذا منسوخ ، نسخه : « قاتِلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر » إلى قوله « وهُم صاغرون » . ٣٩١/١

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١٠٩)

قال أبو جعفر : قد دللنا فيما مضى على معنى « القدير » ، وأنه القوي .[1]

* * *

فمعنى الآية ههنا : إن الله – على كل ما يشاء بالذين وصفت لكم أمرهم من أهل الكتاب وغيرهم – قديرٌ، إن شاء انتقم منهم بعنادهم ربَّهم ،[2] وإن شاء هداهم لما هداكم الله له من الإيمان ، لا يتعذّر عليه شيء أراده، ولا يتعذّر عليه أمرٌ شاء قضاءه ، لأن له الخلق والأمرُ .

* * *

(١) انظر ما سلف قريباً : ٤٨٤ رقم ١ : ٣٦١ .

(٢) في المطبوعة : « إن شاء الانتقام منهم » ، والسياق يقتضي ما أثبت .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ ﴾

قال أبو جعفر : قد دللنا فيما مضى على معنى « إقامة الصلاة » ، وأنها أداؤها بحدودها وفروضها ، وعلى تأويل « الصلاة » وما أصلها ، وعلى معنى « إيتاء الزكاة » ، وأنه إعطاؤها بطيب نفس على ما فُرضت ووَجبت ، وعلى معنى « الزكاة » واختلاف المختلفين فيها ، والشواهد الدالة على صحة القول الذى اخترنا فى ذلك ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .(١)

* * *

وأما قوله : « وَمَا تُقدِّموا لأنفسكمْ مِنْ خير تجدوهُ عندَ الله » ، فإنه يعنى جل ثناؤه بذلك : ومهما تعملوا من عمل صالح فى أيام حياتكم ، فتقدّموه قبل وفاتكم ذُخراً لأنفسكم فى معادكم ، تجدوا ثوابه عند ربكم يوم القيامة ، فيجازيكم به .

* * *

و« الخير » هو العمل الذى يرضاه الله . وإنما قال : «تجدوه» ، والمعنى : تجدوا ثوابه ، كما : —

١٨٠١ — حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « تجدوه » ، يعنى : تجدوا ثوابه عند الله .

قال أبو جعفر : لاستغناء سامعى ذلك بدليل ظاهرٍ على معنى المراد منه ، كما قال عُمر بن لجأ :(٢)

وَسبَّحَتِ المَدِينَةُ ، لاَ تَلُمْهَا رَأَتْ قَمَرًا بِسُوقِهِمُ نَهَارَا(٣)

وإنّما أراد : وَسبّح أهلُ المدينة .

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٢٤١ — ٢٤٢ ، ثم ١ : ٥٧٣ — ٥٧٤ .

(٢) فى المطبوعة : « عمرو بن لجأ » ، وهو خطأ .

(٣) سلف هذا البيت وتخريجه فى ١ : ٢٧٩ .

وإنما أمرَهم جل ثناؤه فى هذا الموضع بما أمرهم به ، من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وتقديم الخيرات لأنفسهم ، ليطهِّروا بذلك من الخطأ الذى سلف منهم فى استنصاحهم اليهود ، ورُكونِ من كان رَكن منهم إليهم ، وجفاءِ من كان جَفا منهم فى خطابه رَسولَ الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « رَاعِنا » ، إذ كانت إقامة الصلوات كفارةً للذنوب ، وإيتاءُ الزكاة تطهيراً للنفوسِ والأبدان من أدْناس الآثام ، وفى تَقديم الخيرات إدراكُ الفوْز برضوان الله .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (١١٠)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله جل ثناؤه للذين خاطبهم بهذه الآيات من المؤمنين ، أنهم مَهما فعلوا من خيرٍ وشرّ سرًّا وعلانيةً ، فهو به بصير لا يخفى عليه منه شىء ، فيجزيهم بالإحسان خيراً ، وبالإساءة مثلها .(١)

* * *

وهذا الكلام ، وإن كان خرج مخرج الخبر ، فإن فيه وعداً ووعيداً وأمرًا وزجراً . وذلك أنه أعلم القوم أنه بصيرٌ بجميع أعمالهم ، ليجدُّوا فى طاعته ، إذ كان ذلك مذخوراً لهم عنده حتى يُثيبهم عليه ، كما قال : « وما تقدِّموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله » ؛ وليحذروا معصيته ، إذ كان مطّلعاً على راكبها ، بعد تقدُّمه إليه فيها بالوعيد عليها ، وما أوْعدَ عليه ربُّنا جل ثناؤه فمنهيٌّ عنه ، وما وَعَد عليه فمأمور به .

* * *

أما قوله : « بَصير » ، فإنه « مُبصر » صُرِف إلى « بصير » ، كما صرف « مُبدع » إلى « بديع » و « مؤلم » إلى « أليم » .(٢)

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « جزاءه » والصواب من تفسير ابن كثير ١ : ٢٨١ .

(٢) انظر ما سلف ١ : ٢٨٣ ، وهذا الجزء ٢ : ١٤٠ ، ٣٧٧

القول فى تأويل قوله تعالى جلّ ذكره ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ ٢/١

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « وقالوا » ، وقالت اليهودُ والنصارى « لن يدُخل الجنة » .

* * *

فإن قال قائل : وكيف جمع اليهود والنصارى فى هذا الخبر ، مع اختلاف مقالة الفريقين ؛ واليهود تدفَع النصارى عن أنْ يكون لها فى ثواب الله نصيبٌ ، والنصارَى تدفع اليهودَ عن مثل ذلك ؟

قيل : إن معنى ذلك بخلاف الذى ذهبت إليه . وإنما عنى به : وقالت اليهود : لن يدخلَ الجنةَ إلا من كان هودًا ؛ وقالت النصارى : لن يدخل الجنة إلا النصارى . ولكن معنى الكلام لمَّا كان مفهوماً عند المخاطبين به معناه ، جُمع الفريقان فى الخبر عنهما ، فقيل : « قالوا لنْ يَدْخُل الجنة إلامن كان هُودًا أو نَصَارَى » الآية — أى قالت اليهود : لن يدخل الجنة إلاّ من كان يهوديًّا ، وقالت النصارى : لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيًّا .

* * *

وأما قوله : « مَن كان هُوداً » ، فإن فى « الهود » قولين : أحدهما أن يكون جمع « هائد » كما جاء « عُوط » جمع « عائط » و « عوذ » جمع « عائذ » و « حول » جمع « حائل » ، فيكون جمعاً للمذكر والمؤنث بلفظ واحد . و « الهائد » . التائبُ الراجع إلى الحق .[1]

والآخر : أن يكون مَصدراً عن الجميع ، كما يقال : « رجل صَوْم ، وقوم

---

(١) انظر ما سلف فى هذا الجزء ٢ : ١٤٣

صَوْم » ، و « رجل فطر وقوم فِطْرٌ ، ونسوة فِطْرٌ » .(١)

وقد قيل : إنّ قوله : « إلا من كان هُوداً » ، إنما هو قوله ، إلاّ من كان يَهوداً ، ولكنه حذف الياء الزائدة ، ورَجع إلى الفعل من اليهودية . وقيل : إنه فى قراءة أبىّ : « إلا من كان يَهوديًّا أو نَصرانيًّا » .(٢)

* * *

وقد بينا فيما مضى معنى « النصارى » ، ولم سميت بذلك ، وجُمعت كذلك ، بما أغنى عن إعادته .(٣)

* * *

وأما قوله : « تلك أمانيُّهم » ، فإنه خبر من الله تعالى ذكره عن قول الذين قالوا : « لن يدخُل الجنة إلاّ من كان هُودًا أو نَصارَى » ، أنه أمانىّ منهم يتمنَّونها على الله بغير حق ولا حجة ولا برهان ، ولا يقين علم بصحة ما يدعون ، ولكن بادّعاء الأباطيل وأمانىّ النفوس الكاذبة ، كما : —

١٨٠٢ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « تلك أمانيُّهم » ، أمانى يتمنَّونها على الله كاذبة .

١٨٠٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر : ، عن أبيه ، عن الربيع : « تلك أمانيهم » ، قال : أمانى : تمنوا على الله بغير الحق .

* * *

---

(١) أخشى أن يكون أبو جعفر قد زل زلة العجلان . فإنه ذكر آنفاً (٢ : : ١٤٣) مصدر الفعل : « هاد » وهو « هودا » بفتح فسكون ، وعلى ذلك إجماع أهل اللغة ، ولم يأت منه مصدر مضموم الهاء ، حتى يشبه بقولهم « صوم » ، وفطر » ، فهما مصدران . ولا يستقيم كلام أبى جعفر حتى يكون مصدر « هاد يهود هوداً » بضم الهاء ، ولم يقله هو ولا قاله غيره . فسقط هذا الوجه ، حتى تقيمه حجة من رواية صادقة .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٧٣ .

(٣) انظر ما سلف فى هذا الجزء ٢ : ١٤٣—١٤٥

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ (١١١)

قال أبو جعفر : وهذا أمر من الله جل ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم بدُعاء الذين قالوا: « لن يدُخل الجنة إلا مَنْ كان هُوداً أو نَصارَى » — إلى أمرٍ عدلٍ بين جميع الفرق: مسلمِها، ويَهودها، ونَصارَاها، وهو إقامة الحجة على دَعواهم التى ادّعوا : من أنّ الجنة لا يدخلها إلا من كان هوداً أو نصارى . يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، قل للزاعمين أن الجنةَ لا يدُخلها إلا من كان هوداً أو نصارى ، دُون غيرهم من سَائر البشر : « هاتوا بُرهانكم » على ما تزعمون من ذلك ، فنسلّم لكم دَعْواكم إن كنتم فى دَعواكم — من أنّ الجنة لا يدخلها إلاّ من كان هوداً أو نصارى — محقّين .

* * *

و« البرهان »، هو البيان والحجة والبيِّنة، كما : —

١٨٠٤ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة: « هاتوا برهانكم » ، هاتوا بَيِّنتكم .

١٨٠٥ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ، عن السدى: « هاتوا بُرهانكم » ، هاتوا حجَّتكم .

١٨٠٦ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد: « قل هاتوا بُرْهانكم »، قال : حُجَّتكم .(١)

١٨٠٧ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « قل هاتوا برهانكم »، أى حُجَّتكم .

* * *

قال أبو جعفر وهذا الكلام، وإن كان ظاهره ظاهر دُعاء القائلين: «لن يدُخلَ الجنة ١/٣٩٣

(١) الأثر : ١٨٠٦ — كان فى المطبوعة « حدثنا الحسن » ، وهو خطأ ، إسناد دائر ، والحسين هو الحسين بن داود المصيصى ، ولقبه « سنيد » عرف به .

إلا من كان هُوداً أو نصارَى» – إلى إحضار حجةٍ على دعواهم ما ادّعوا من ذلك، فإنه بمعنى تكذيبٍ من الله لهم فى دعواهم وقيلهم ، لأنهم لم يكونوا قادرين على إحضار برهانٍ على دعواهم تلك أبداً . وقد أبان قوله : « بَلى مَنْ أَسلمَ وَجْهَهُ لله وهُوَ مُحسن» ، عن أن الذى ذكرنا من الكلام ،[1] بمعنى التكذيب لليهود والنصارى فى دعواهُم وما ذكر الله عنهم .

* * *

وأما تأويل قوله : « قل هاتوا بُرْهانكم » ، فإنه : أحضروا وَأتوا به .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « بَلى مَنْ أسلم » ، أنه ليس كما قال الزاعمون : « لن يدخل الجنة إلاّ مَنْ كان هُوداً أو نصارى» ، ولكن من أسلم وجهه لله وهو محسن ، فهو الذى يدخلها وينعم فيها ، كما : –

١٨٠٩ – حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : أخبرهم أنّ من يدخل الجنة هو من أسلم وجهه لله ، الآية .

* * *

وقد بينا معنى « بلى » فيما مضى قبلُ .[2]

* * *

وأما قوله : «من أسلم وجهه لله» ، فإنه يعنى بـ « إسلام الوجه » : التذلل لطاعته ، والإذعان لأمره. وأصل «الإسلام » الاستسلام، لأنه من « استسلمت لأمره » ، وهو الخضوع لأمره . وإنما سمى « المسلم » مسلماً ، بخضوع جوارحه لطاعة ربه، كما : –

١٨١٠ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « بلى من أسلم وَجهه لله » ، يقول : أخلص لله .

(١) فى المطبوعة : « على أن الذى ذكرنا » ، وهو تحريف .

(٢) انظر ما سلف فى هذا الجزء ٢ : ٢٨٠، ٢٨١

وكما قال زيد بن عمرو بن نُفيل :

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ لَهُ الْمُزْنُ تَحْمِلُ عَذْباً زُلاَلاَ(١)

يعنى بذلك : استسلمتُ لطاعة من استسلم لطاعته المزْن وانقادتْ له .

* * *

وخصّ الله جل ثناؤه بالخبر عمن أخبر عنه بقوله : « بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجهه لله » ، بإسلام « وجهه » له دون سائر جوارحه ، لأنّ أكرم أعضاء ابن آدم وجوارحه وَجهه ، وهو أعظمها عليه حُرْمَة وحقًّا . فإذا خضَع لشىء وجهه الذى هو أكرم أجزاء جسده عليه ، فغيره من أجزاء جسده أحرَى أن يكون أخضع له . ولذلك تذكر العرب فى منطقها الخبر عن الشىء فتضيفه إلى « وجهه » ، وهى تعنى بذلك نَفسَ الشىء وَعينَه ، كقول الأعشى :

أُؤَوِّلُ الحُكْمَ عَلَى وجْهِهِ ، لَيْسَ قَضَائِي بِالهَوَى الجَائِرِ(٢)

يعنى بقوله : « على وَجهه » ، على ما هو به من صحته وصوابه ، وكما قال ذو الرُّمَّة :

فَطَاوَعْتُ هَمِّى ، وَانْجَلَى وَجْهُ بَازِلٍ مِنَ الأَمْرِ ، لَمْ يَتْرُكْ خِلاَجاً بُزُولُهَا(٣)

---

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٢٤٦ وغيره .

(٢) ديوانه : ١٠٦ من قصيدته المشهورة . فى منافرة علقمة بن علاثة ، وعامر بن الطفيل ، فهجا الأعشى علقمة لأمر كان بينهما . وفضل عليه عامراً . (انظر الأغانى ١٥ : ٥٠ — ٥٦) . وأول الحكم : قدره ودبره ورده إلى صوابه وأصابه . والجائر : المائل عن سبيل الحق . جار : ظلم ومال . وقبل البيت :

عَلْقَمَ ، لاَ تَسْفَه ، وَلاَ تَجْعَلَنْ عِرْضَكَ للوَارِدِ والصَّادِرِ

وبعده :

قَدْ قُلْتُ قَوْلاً فَقَضَى بينَكُمْ وَاعْتَرَفَ المَنْفُورُ للنَّافِرِ

(٣) ديوانه : ٥٦٠ يمدح عبيد الله بن عمر بن عبيد الله بن معمر التيمى ، فى آخر القصيدة ، فقال بعد البيت :

فَقَالَتْ : عُبَيْدَ الله مِنْ آلِ مَعْمَرٍ إِلَيْهِ أُرْحَلِ الأَنْقَاضَ يَرْشَدْ رَحِيلُهَا

يريد : وانجلى البازلُ من الأمر فتبيَّن — وما أشبه ذلك ، إذْ كان حُسن كلّ شيء وقُبحه فى وجهه ، وكان فى وَصفها من الشيء وجهه بما تَصفه به ،(١) إبانَةٌ عن عين الشيء ونفسه . فكذلك معنى قوله جل ثناؤه : «بَلى من أسلم وَجهه لله» ، إنما يعنى : بلى من أسلم لله بَدنه ، فخضع له بالطاعة جسدُه ، وهو محسن فى إسلامه له جَسدَه ، فله أجره عند ربه. فاكتفى بذكر «الوَجه» من ذكر «جَسده» ، لدلالة الكلام على المعنى الذى أريد به بذكر «الوجه» .

* * *

وأما قوله : «وهو محسن» ، فإنه يعنى به : فى حال إحسانه . وتأويل الكلام : بلى من أخلص طاعته لله وعبادته له ، محسناً فى فعله ذلك .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١١٢)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : «فله أجرُه عندَ ربه» ، فللمسلم وجْهَه لله محسناً ، جزاؤُه وثوابه على إسلامه وطاعته ربه ، عندَ الله فى معاده . ٣٩٤/١

* * *

ويعنى بقوله : «ولا خوف عليهم» — على المسلمين وَجوههم لله وهم محسنون ،

وقوله : «طاوعت همى» ، ما هم به فى نفسه . يقول : طاوعت ما همت به نفسى . وقوله : «بازل من الأمر» يعنى خطة يركبها . هذا مثل . يقال : بزل ناب البعير بزولا ، أى طلع وانشق وظهر . ومنه قيل : بزل الأمر والرأى : قطعه . وخطة بزلاء : تفصل بين الحق والباطل . فقوله «بازل من الأمر» صفة لما أضمره من قوله «خطة» ، وأتى بها على التذكير ، كما أتوا بها على التذكير فى قولهم : «ناقة بازل» . والخلاج : الشك والتردد والتنازع . يقول : طاوعت ما جال فى نفسى ، فانجلى عن خطة ظاهرة انشقت وظهرت ، فلم تدع للنفس مذهباً فى الشك والتردد ، إذ قالت : اقصد عبيد الله بن عمر بن عبيد الله بن معمر .

(١) الضمير فى قوله ، «وصفها» إلى العرب ، فيما سلف .

المخلصين له الدين فى الآخرة — من عقابه وعذاب جحيمه ، وَما قدموا عليه من أعمالهم .

* * *

ويعنى بقوله : « ولا هُمْ يحزنون » ، ولا هم يحزنون على ما خلّفوا وراءهم فى الدنيا ، ولا أن يُمنعوا ما قدِموا عليه من نعيم ما أعدّ الله لأهل طاعته .

* * *

وإنما قال جل ثناؤه : « ولا خوف عليهم ولا هُم يَحزنون » ، وقد قال قبل : « فلهُ أجرهُ عند ربّه » ، لأن « مَنْ » التى فى قوله : « بَلى مَنْ أسلم وجهه لله » فى لفظٍ واحدٍ ومعنًى جميعٍ ، فالتوحيد فى قوله : « فله أجره » للفظ ، والجمع فى قوله : « ولا خَوفٌ عليهم » للمعنى .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾

قال أبو جعفر : ذُكر أن هذه الآية نزلت فى قَوْم من أهل الكتابين ، تنازعوا عندَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لبعض . ذكر من قال ذلك :

١٨١١ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة — وحدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يونس بن بكير قالا ، جميعاً — حدثنا محمد بن إسحق قال ، حدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال ، حدثنى سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما قدِم أهل نَجران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أتتهم أحبارُ يهود ، فتنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رافع بن حُرَيْملة :

ما أنتم على شيء ! وكفر بعيسى بن مريم وبالإنجيل. فقال رجل من أهل نجران من النصارى : ما أنتم على شيء ! وجحد نبوّة موسى وكفرَ بالتوراة ، فأنزل الله عز وجل فى ذلك من قولهما : « وَقالت اليهود ليست النصارَى عَلى شيء وَقالت النصارى لَيسَت اليهودُ على شيء » إلى قوله « فيما كانوا فيه يَختلفونَ » .(١)

١٨١٢ – حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « وقالت اليهود ليست النصارى عَلى شيء وَقالت النصارَى ليست اليهودُ على شيء »، قال : هؤلاء أهل الكتاب الذين كانوا على عهد النبى صلى الله عليه وسلم .

* * *

قال أبو جعفر : وأمّا تأويل الآية فإنه : قالت اليهود : ليست النصارى فى دينها على صواب ! وقالت النصارى : ليست اليهود فى دينها على صواب ! وإنما أخبر الله عنهم بقيلهم ذلك للمؤمنين ، إعلاماً منه لهم بتضييع كل فريق منهم حُكم الكتاب الذى يُظهر الإقرارَ بصحته ، وأنه من عند الله ، وجحودِهم مع ذلك ما أنزل الله فيه من فروضه . لأن الإنجيل الذى تدين بصحته وحقّيته النصارى ، يحقق ما فى التوراة من نبوّة موسى عليه السلام ، وما فرض الله على بنى إسرائيل فيها من الفرائض ، وأن التوراة التى تدين بصحتها وحقيتها اليهود ، تحقق نبوّة عيسى عليه السلام ، وما جاء به من عند الله من الأحكام والفرائض .

ثم قال كل فريق منهم للفريق الآخر ما أخبر الله عنهم فى قوله : « وقالت اليهود لَيسَت النصارى عَلى شيء ، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء »، مع تلاوة كل واحد من الفريقين كتابَه الذى يشهد على كذبه فى قيله ذلك . فأخبر جل ثناؤه أن كل فريق منهم قال ما قال من ذلك، على علم منهم أنّهم فيما قالوه مبطلون؛ وأتوا ما أتَوْا من كفرهم بما كفروا به، على معرفة منهم بأنهم فيه ملحدون .

---

(١) الأثر : ١٨١١ – فى سيرة ابن هشام ٢ : ١٩٧ – ١٩٨ .

* * *

فإن قال لنا قائل : أوَ كانت اليهود والنصارى بعد أن بَعث الله رسوله على شيء، فيكون الفريق القائل منهم ذلك للفريق الآخر، مبطلاً فى قيله ما قال من ذلك ؟

قيل : قد روينا الخبر الذى ذكرناه عن ابن عباس قَبلُ، من أنّ إنكار كل فريق منهم ، إنما كان إنكاراً لنبوّة النبيّ الذى ينتحل التصديق به وبما جاء به الفريق الآخر ، لا دفعاً منهم أن يكون الفريق الآخر — فى الحال التى بعث الله فيها نبينا صلى الله عليه وسلم — على شيء من دينه، بسبب جحوده نبوّة نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم . وكيف يجوز أن يكون معنى ذلك إنكارُ كل فريق منهم أن يكون الفريق الآخر على شيء بعد بعثه نبينا صلى الله عليه وسلم ، وكلا الفريقين كان جاحداً نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فى الحال التى أنزل الله فيها هذه الآية ؟ ولكن معنى ذلك : وقالت اليهود : ليست النصارى على شيء من دينها مُنذُ دانت دينها ! وقالت النصارى : ليست اليهود على شيء مُنذ دانت دينها ! وذلك هو معنى الخبر الذى رويناه عن ابن عباس آنفاً ، فكذّب الله الفريقين فى قيلهما ما قالا ، كما : — ٣٩٥/١

١٨١٣ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وقالت اليهودُ ليست النصارى على شيء » ، قال : بلى ! قد كانت أوائل النصارى على شيء ، ولكنهم ابتدعوا وتفرّقوا ، وقالت النصارى : « ليست اليهود على شيء » ، ولكن القوم ابتدعوا وتفرّقوا .

١٨١٤ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « وقالت اليهودُ ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء » ، قال ، قال مجاهد : قد كانت أوائل اليهود والنصارى على شيء .

* * *

وأما قوله : « وهُم يَتلونَ الكتابَ » ، فإنه يعنى به كتاب الله التوراةَ والإنجيلَ ،

وهما شاهدان على فريقى اليهود والنصارى بالكفر ، وخلافهم أمرَ الله الذى أمرهم به فيه ، كما : —

١٨١٥ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يونس بن بكير — وحدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة بن الفضل — قالا جميعاً ، حدثنا ابن إسحق قال ، حدثنى محمد ابن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال ، حدثنى سعد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس فى قوله : « وهم يَتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يَعلمون مثل قولهم »، أى كلٌّ يتلو فى كتابه تصديق ما كفر به ، أى يكفر اليهود بعيسى وعندهم التوراة فيها ما أخذ الله عليهم من الميثاق على لسان موسى بالتصديق بعيسى عليه السلام ، وفى الإنجيل مما جاء به عيسى تصديقُ موسى وما جاء به من التوراة من عند الله ، وكلٌّ يكفر بما فى يد صاحبه .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى الذين عنى الله بقوله : « كذلك قال الذين لا يعلمون » . فقال بعضهم بما : —

١٨١٦ — حدثنى به المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه، عن الربيع : « قال الذين لا يَعلمون مثل قولهم »، قال : وقالت النصارى مثلَ قول اليهود قبلهم .

١٨١٧ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « قال الذين لا يَعلمون مثلَ قولهم »، قال : قالت النصارى مثل قول اليهود قبلهم .

* * *

وقال آخرون بما : —

(١) الأثر : ١٨١٥ — فى سيرة ابن هشام ٢ : ١٩٨

١٨١٨ – حدثنا به القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج : قلت لعطاء : من هؤلاء الذين لا يعلمون ؟ قال : أمم كانت قبل اليهود والنصارَى ، وقبل التوراة والإنجيل .

* * *

وقال بعضهم : عنى بذلك مُشركى العرب ، لأنهم لم يكونوا أهل كتاب ، فنُسِبوا إلى الجهل ، ونُفى عنهم من أجل ذلك العلم . ذكر من قال ذلك :

١٨١٩ – حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « كذلك قال الذين لا يَعلمون مثل قولهم » ، فهم العرب ، قالوا : ليس محمد صلى الله عليه وسلم على شيء .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يُقال : إن الله تبارك ٣٩٦/١ وتعالى أخبر عن قوم – وصفهم بالجهل ، ونَفى عنهم العلم بما كانت اليهود والنصارى به عالمين – أنهم قالوا بجهلهم نظيرَ ما قال اليهود والنصارى بعضُها لبعضٍ ، مما أخبر عنهم أنهم قالوه فى قوله : « وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء » . وجائزٌ أن يكونوا هم المشركين من العرب ، وجائز أن يكونوا أمَّة كانت قبل اليهود والنصارى ، ولا أمَّة أولى أن يقال هى التى عُنيت بذلك من أخرى ، إذ لم يكن فى الآية دلالة على أىٍّ من أىٍّ ، ولا خبرَ بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتت حُجته من جهة نقل الواحد العدل ، ولا من جهة النقل المستفيض .

وإنما قصد الله جل ثناؤه بقوله : « كذلك قال الذين لا يعلمون مثلَ قولهم » ، إعلامَ المؤمنين أن اليهود والنصارى قد أتوا – من قِيل الباطل ، وافتراءِ الكذب على الله ، وجحودِ نبوة الأنبياء والرسل ، وهم أهل كتابٍ يعلمون أنهم فيما يقولون مُبطلون ، وبجحودهم ما يجحدون من ملتهم خارجون ، وعلى الله مُفترون – مثل الذى قاله أهل الجهلِ بالله وكتبه ورسله ، الذين لم يبعث الله لهم رسولاً ولا أوحى إليهم كتاباً .

وهذه الآية تنبىء عن أنّ من أتى شيئًا من معاصى الله على علم منه بنهى الله عنها، فمصيبته فى دينه أعظم من مصيبة من أتى ذلك جاهلاً به. لأن الله تعالى ذكره عظّم توبيخَ اليهود والنصارى بما وبخهم به — فى قيلهم ما أخبر عنهم بقوله: « وقالت اليهود ليست النصارى على شىء وقالت النصارى ليست اليهود على شىء » — من أجل أنهم أهل كتاب ، قالوا ما قالوا من ذلك على علم منهم أنهم مُبطلون .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (١١٣)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جلّ ثناؤه : فالله يَقضى فيفصل بين هؤلاء المختلفين ، = القائلِ بعضهم لبعض: لستم على شىء من دينكم — يومَ قيام الخلق لربّهم من قبورهم — فيتبيّن المحق منهم من المبطل ، بإثابته المحقَّ ما وَعدَ أهل طاعته على أعماله الصالحة ، ومجازاته المبطلَ منهم بما أوعد أهل الكفر به على كفرهم به = فيما كانوا فيه يختلفون من أديانهم ومللهم فى دار الدنيا .

* * *

وأما « القيامة » فهى مصدر من قول القائل : «قمت قيامًا وقيامةً»، كما يقال: « عُدتُ فلانًا عيادة » و« صنت هذا الأمر صيانة » .

* * *

وإنما عنى « بالقيامة » قيامَ الخلق من قبورهم لربهم . فمعنى « يوم القيامة » : يوم قيام الخلائق من قُبورهم لمحشرهم .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ﴾

قال أبو جعفر : قد دللنا فيما مضى قبلُ ، على أن تأويل « الظلم » ، وضع الشيء فى غير موضعه .(١) وتأويل قوله : « ومنْ أظلم » ، وأيُّ امرئ أشد تعدّياً وَجراءة على الله وخلافاً لأمره ، من امرئ منع مساجدَ الله أن يُعبد الله فيها ؟

* * *

و « المساجد » جمع « مسجد » : وهو كل موضع عُبِد الله فيه . وقد بينا معنى « السجود » فيما مضى .(٢) فمعنى « المسجد » : الموضع الذى يُسجد لله فيه ، كما يقال للموضع الذى يُجلس فيه : « المجلس » ، وللموضع الذى ينزل فيه « منزل » ثم يجمع : « منازل ومجالس » ، نظيرَ مَسجد ومساجد. وقد حكى سماعاً من بعض العرب « مساجد » ، فى واحد المساجد ، وذلك كالخطأ من قائله .

* * *

وأما قوله : « أنْ يُذكر فيها اسمه » ، فإن فيه وجهين من التأويل . أحدهما : أن يكون معناه : ومن أظلم ممن مَنع مساجد الله منْ أن يذكر فيها اسمه ، فتكون « أن » حينئذ نصباً ، من قول بعض أهل العربية بفَقْد الخافض ، وتعلُّق الفعل بها .

والوجه الآخر : أن يكون معناه : ومن أظلم مِمَّن مَنع أن يذكر اسمُ الله فى مساجده ، فتكون « أن » حينئذ فى موضع نصب ، تكريراً على موضع المساجد وردًّا عليه .(٣) ٣٩٧/١

* * *

وأما قوله : « وسعى فى خرابها » فإن معناه : ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٥٢٣ – ٥٢٤ ، وهذا الجزء ٢ : ١٠١ – ١٠٢ ، ٣٦٩

(٢) انظر ما سلف فى هذا الجزء ٢ : ١٠٤ – ١٠٥

(١) قوله : « تكريراً » ، أى بدل اشتمال .

يذكر فيها اسمه ، وممن سَعى فى خراب مساجد الله . فـ « سعى » إذاً ، عطفٌ على « منع » .

* * *

فإن قال قائل : وَمن الذى عنى بقوله : « ومنْ أظلمُ ممن مَنع مَساجد الله أنْ يُذكر فيها اسْمُه وَسعى فى خرابها » ؟ وأىُّ المساجد هى ؟

قيل : إن أهل التأويل فى ذلك مختلفون ، فقال بعضهم : الذين منعوا مساجد الله أن يذكر فيها اسمه هم النصارى، والمسجدُ بيت المقدس . ذكر من قال ذلك :

١٨٢٠ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ومن أظلمُ ممن مَنع مساجدَ الله أن يُذْكر فيها اسمه » ، إنهم النصارى .

١٨٢١ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « وَمنْ أظلمُ ممن مَنع مساجدَ الله أن يذكر فيها اسمه وَسعى فى خرابها » ، النصارى ، كانوا يطرحون فى بيت المقدس الأذى ، ويمنعون الناس أن يُصَلُّوا فيه .

١٨٢٢ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

وقال آخرون: وهو بُخْتَنَصَّر وجُنده ومن أعانهم من النصارى ، والمسجدُ مسجد بيت المقدس . ذكر من قال ذلك :

١٨٢٣ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة قوله : « ومن أظلم ممن مَنع مَساجدَ الله أن يُذكر فيها اسْمه » ، الآية ، أولئك أعداء الله النصارى، حملهم بُغض اليهود على أنْ أعانوا بُخْتَنَصَّر البابلىَّ المجوسى على تخريب بيت المقدس .

١٨٢٤ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا

معمر ، عن قتادة فى قوله : « وَمَنْ أظلم ممن مَنعَ مساجدَ الله أن يُذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها » ، قال : هو بختنصَّر وأصحابه ، خرَّب بيت المقدس ، وأعانه على ذلك النصارى .

١٨٢٥ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ومنْ أظلم ممن منَع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها » ، قال : الرُّوم ، كانوا ظاهَروا بختنصَّر على خراب بيت المقدس حتى خرّبه ، وأمر به أن تُطرح فيه الجيف ، وإنما أعانه الروم على خرابه ، من أجل أن بنى إسرائيل قَتلوا يحيى بن زكريا .

* * *

وقال آخرون : بل عنى الله عز وجلّ بهذه الآية ، مشركى قُريش ، إذ منعوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام . ذكر من قال ذلك :

١٨٢٦ — حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال ، حدثنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ومن أظلمُ ممن منعَ مَساجدَ الله أن يُذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها » ، قال : هؤلاء المشركون ، حين حَالوا بَينْ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وبين أن يدخل مكة ، حتى نحر هديه بذى طُوًى وهادنهم ، وقال لهم : ما كان أحد يُردُّ عن هذا البيت ، وقد كان الرجل يَلقى قاتل أبيه أو أخيه فيه فما يصدُّه ! وقالوا : لا يدخل علينا مَنْ قَتل آباءنا يوم بَدر وفينا باقٍ !

وفى قوله : « وَسعى فى خَرَابها » قال : إذْ قطعوا من يعمُرها بذكره ،[1] ويأتيها للحجّ والعمرة .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلات التى ذكرتها بتأويل الآية ، قول من قال : عنى الله عز وجل بقوله : « ومنْ أظلمُ ممن منع مساجدَ الله أن يذكر فيها اسمه » ، النصارى . وذلك أنهم هُم الذين سعوا فى خراب بيت المقدس ، وأعانوا بختنصَّر

(١) فى المطبوعة : « قالوا إذا قطعوا » ، والصواب من تفسير ابن كثير ١ : ٢٨٥ فهذا جزء من من الأثر ، والقائل هو : ابن زيد .

على ذلك ، ومَنعوا مُؤمنى بنى إسرائيل من الصلاة فيه بعد مُنصرَف بختنصّر عنهم
٣٩٨/١ إلى بلاده .

والدليل على صحة ما قلنا فى ذلك ، قيامُ الحجة بأنْ لا قولَ فى معنى هذه الآية إلاّ أحدُ الأقوال الثلاثة التى ذكرناها ، وأن لا مسجدَ عنى الله عز وجلّ بقوله : « وَسعىَ فى خَرابها » إلاّ أحد المسجدين : إمّا مسجد بيت المقدس ، وإمّا المسجد الحرام . وإذ كان ذلك كذلك = وكان معلوماً أن مشركى قريش لم يسعَوْا قطُّ فى تخريب المسجد الحرام ، وإن كانوا قد مَنعوا فى بعض الأوقات رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الصلاة فيه = صحّ وثبت أن الذين وصَفهم الله عز وجل بالسعى فى خراب مساجده ، غيرُ الذين وصفهم الله بعمارتها . إذ كان مشركو قريش بَنَوا المسجد الحرامَ فى الجاهلية ، وبعِمارته كان افتخارهم ، وإن كان بعضُ أفعالهم فيه ، كان منهم على غير الوجه الذى يرضاه الله منهم .

وأخرَى ، أن الآية التى قبل قوله : « ومن أظلمُ ممن مَنع مساجدَ الله أن يُذكر فيها اسمُه » ، مضَت بالخبر عن اليهود والنصارى وذمّ أفعالهم ، والتى بعدَها نبّهت بذمّ النصارى والخبر عن افترائهم على ربهم ، ولم يجرِ لقريش ولا لمشركى العرب ذكرٌ ، ولا للمسجد الحرام قبلها ، فيوجّه الخبرُ — بقول الله عز وجل : « ومن أظلمُ ممن مَنعَ مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه » — إليهم وإلى المسجد الحرام .

وإذ كان ذلك كذلك ، فالذى هو أولى بالآية أن يوجّه تأويلها إليه ، وهو ما كان نظيرَ قصّة الآية قبلها والآية بعدَها ، إذ كان خبرُها لخبرهما نظيراً وشكلاً ، إلاّ أن تقوم حُجةٌ يجب التسليم لها بخلاف ذلك ، وإن اتفقت قصصها فاشتبهت.(١)

فإن ظنّ ظانّ أن ما قلنا فى ذلك ليس كذلك — إذ كان المسلمون لم يَلزمهم

(١) أراد ابن كثير أن يرد ما ذهب إليه الطبرى فى تفسير الآية ، فى تفسيره ١ : ٢٨٥ — ٢٨٧ وقال : « اختار ابن جرير القول الأول ، واحتج — بأن قريشاً لم تسع فى خراب الكعبة ، وأما الروم فسعت فى تخريب بيت المقدس ، قال ابن كثير : والذى يظهر والله أعلم ، القول الثانى ، كما قاله ابن زيد . . . » ثم قال : « وأما اعتماده على أن قريشاً لم تسع فى خراب الكعبة ، فأى خراب أعظم مما فعلوا ؟ أخرجوا منها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، واستحوذوا عليها بأصنامهم وأندادهم وشركهم . . . »

قطُّ فرضُ الصلاة فى المسجد [المقدس، فمنعوا من الصلاة فيه فيلجئون] توجيه قوله(١) : « ومَنْ أظلمُ ممن مَنع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه» ، إلى أنه معنىٌّ به مسجد بيت المقدس — فقد أخطأ فيما ظن من ذلك . وذلك أن الله جل ذكره إنما ذكر ظُلم من مَنع مَنْ كان فرضَه الصلاةُ فى بيت المقدس من مؤمنى بنى إسرائيل،

ثم استدل بآيات من كتاب الله وقال : « ليس المراد بعمارتها ، زخرفتها وإقامة صورتها ، فقط ، إنما عمارتها بذكر الله وإقامة شرعه فيها » إلى آخر ما قاله .

وهذا الاعتراض من ابن كثير على أبى جعفر رحمهما الله ، ليس يقوم فى وجه حجة الطبرى على صواب ما ذهب إليه فى تأويل الآية. والطبرى لم يغفل عن مثل اعتراض ابن كثير ، ولكن ابن كثير غفل عن سياق تأويل الطبرى . وصحيح أن ما كان من أمر أهل الشرك فى الجاهلية فى البيت الحرام يدخل فى عموم معنى قوله : « وسعى فى خرابها » ، ولكن سياق الآيات السابقة ، ثم التى تليها ، توجب — كما ذهب إليه الطبرى — أن يكون معنياً بها من كانت الآيات نازلة فى خبره وقصته .

والآيات السالفة جميعاً خبر عن بنى إسرائيل الذين كانوا على عهد موسى ، وتأنيب لبنى إسرائيل الذين كانوا بين ظهرانى مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ما كان منهم لأهل الإيمان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم عتاب بعض أهل الإيمان على ما جرى على ألسنتهم من ألفاظ اليهود فى خطاب نبيهم صلى الله عليه وسلم ، ثم تحذير لهم من أهل الكتاب جميعاً ، يهوديهم ونصرانيهم ،وذكر لافتراء الفريقين بعضهم على بعض ، وادعاء كل فريق أنه هو الفريق الناجى يوم القيامة . ثم أفرد بعد ذلك أحبار النصارى ، كما أفرد من قبل أحبار بنى إسرائيل ، فعدد سوء فعالهم فى منعهم مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ، ثم كذبهم على ربهم أنه اتخذ ولداً ، ثم قول بعضهم : « لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية »، وأن ذلك شبيه بقول اليهود : « أرنا الله جهرة »، ثم أخبر أنه أرسل رسوله محمداً بشيراً ونذيراً، وأمره أن يعرض عن أهل الجحيم من هؤلاء وهؤلاء ، ثم أعلمه أن اليهود والنصارى جميعاً . لن يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم وطريقتهم ، فى الافتراء على رب العالمين .

فالسياق كما ترى ، بمعزل عن المشركين من العرب ، ولكن ابن كثير وغيره من أئمتنا رضوان الله عليهم ، تختلط عليهم المعانى حين تتقارب ، ولكن أبا جعفر صابر على كتاب ربه ، مطيق لحمله ، لا يعجله شىء عن شىء ما استطاع . فهو يخلص معانى كتاب ربه تخليصاً لم أجده قط لأحد بعده ، ممن قرأ كتابه . وأكثرهم يعترض عليه ، ولو صبر على دقة هذا الإمام . لكان ذلك أولى به ، وأشبه بخلق أهل العلم ، وهم له أهل ، غفر الله لنا ولهم .

(١) الذى بين القوسين ، هكذا جاء فى النسخ المطبوعة والمخطوطة السقيمة . ولم أجد نقلا عن أبى جعفر يهدينى إلى تصويب هذا الخلط . فاجتهدت أن استظهر سياق كلامه . فأقرب ما انتهيت إليه أن يكون فيه سقطاً وتحريفاً ، وأن يكون سياقه كما يلى :

[إذ كان المسلمون هم المخاطَبون بالآيات التى سبقت هذه الآية ، وكان المسلمون لم يلزَمْهُمْ قطُّ فرضُ الصلاةِ فى مسجد بيت المقدس ، فمنعوا من الصلاة فيه ، وكان النصارى واليهود لم يمنعوهم قط من الصلاة فيه، فيجوزُ توجيه قوله — : « ومنْ

وإياهم قصدَ بالخبر عنهم بالظلم والسعى فى خراب المسجد . وإن كان قد دلّ بعموم قوله : « ومَنْ أظلمُ ممن منع مساجدَ الله أنْ يُذكر فيها اسمه » ، أن كل مانع مُصلّياً فى مسجدٍ لله،[1] — فرضاً كانتْ صلاته فيه أو تطوُّعاً — وكل ساع فى إخرابه ، فهو من المعتدين الظالمين .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ذكره ﴿ أُوْلَـٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ﴾

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله عز وجل عمّن منع مساجدَ الله أن يذكر فيها اسمه ، أنه قد حرّم عليهم دخول المساجد التى سعوا فى تخريبها ، ومنعوا عباد الله المؤمنين من ذكر الله عز وجل فيها ، ما داموا على مُناصبة الحرب ، إلاّ على خوف وَوجل من العقوبة على دخولهموها ، كالذى : —

١٨٢٧ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ما كان لهم أن يدْخلوها إلاّ خائفين » ، وهم اليوم كذلك ، لا يوجدُ نصرانىٌّ فى بيت المقدس إلا نُهك ضرباً ، وأُبْلغ إليه فى العقوبة .

١٨٢٨ — حدثنا الحسن قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قال الله عز وجل : « ما كان لهم أن يدخلوها إلاّ خائفين » ، وهم النصارى ، فلا يدخلون المسجد إلاّ مُسارقةً ، إنْ قُدِر عليهم عوقبوا .

١٨٢٩ — حدثنا موسى قال ، حدثنا عمرو ، قال حدثنا أسباط ، عن السدى : « أولئكَ ما كان لهم أن يدْخلوها إلاّ خائفين » ، فليس فى الأرض رومىٌّ يدخلها

أظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ الله أن يُذْكَرَ فيها اسْمُهُ » — إلى أنه معنىٌّ بِهَ مَسْجِدُ بيت المقدس] . هذا اجتهادى فى قراءة هذا النص المختلط ، والله أعلم .

(١) فى المطبوعة : « فى مسجد الله » ، والصواب ما أثبت .

اليوم إلاوهو خائف أن تُضرب عنقه ، أو قد أخيف بأداء الجزية ، فهو يؤدّيها .

١٨٣٠ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « أولئكَ ما كان لهمْ أن يدخلوها إلاّ خائفين»، قال: نادَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لا يَحُجُّ بعدَ العام مُشرك، ولا يطوف بالبيت عُرْيان. قال: فجعل المشركون يقولون : اللهم إنا منعنا أن نَنْزِل ! ٣٩٩/١

* * *

وإنما قيل : « أولئك ما كان لهم أن يَدخلوها إلاّ خائفين»، فأخرج على وجه الخبرِ عن الجميع ، وهو خبر عن « من مَنع مَساجد الله أن يذكر فيها اسمه » ، لأن « مَنْ » فى معنى الجميع ، وإن كان لفظه واحداً .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١١٤)

قال أبوجعفر : أمّا قوله عز وجلّ : «لهم»، فإنّه يعنى : الذين أخبر عنهم أنهم منعوا مساجدالله أن يذكر فيها اسمُه. أما قوله : « لهم فى الدنيا خزىٌ»، فإنه يعنى بـ «الخزى» : العارَ والشر والذلة(٢)، إمّا القتلُ والسِّباء، وإمّا الذِّلة والصَّغار بأداء الجزية، كما :–

١٨٣١ – حدثنا الحسن قال، حدثنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « لهم فى الدنيا خزى »، قال : يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون .

١٨٣٢ – حدثنا موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « لهم فى الدنيا خزى»، أما خِزْيهم فى الدنيا، فإنهم إذا قام المهدىُّ وفُتِحت القسطنطينية قتلهم . فذلك الخزى . وأما العذاب العظيم ، فإنه عذابُ جهنم الذى لا يخفّف عن أهله ، ولا يقضى عليهم فيها فيموتوا . وتأويل الآية : لهم فى الدنيا الذّلة والهوانُ والقتل والسَّبْى– على منعهم مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسَعيهم

(١) انظر ما سلف فى هذا الجزء ٢ : ٥١٣

(٢) انظر ما سلف فى هذا الجزء ٢ : ٣١٤

فى خرابها ، ولهم = على معصيتهم وكفرهم بربهم وسعيهم فى الأرض فساداً = عذابُ جهنم ، وهو العذاب العظيم .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « ولله المشرق والمغرب » ، لله مِلكُهما وتدبيرُهما ، كما يقال : «لفلان هذه الدار» . يعنى بها : أنها له ، مِلْكاً. فذلك قوله : « ولله المشرق والمغرب » ، يعنى أنهما له ، ملكاً وخلقاً .

* * *

و « المشرق » هو موضع شروق الشمس ، وهو موضع طلوعها ، كما يقال لموضع طُلوعها منه : « مَطلع » ، بكسر اللام ، وكما بينا فى معنى « المساجد » آنفاً .(١)

* * *

فإن قال قائل : أوَ ما كان لله إلا مشرق واحدٌ ومغرب واحدٌ ، حتى قيل : « ولله المشرق والمغرب » ؟

قيل : إن معنى ذلك غير الذى ذهبت إليه . وإنما معنى ذلك : ولله المشرق الذى تشرق منه الشمس كل يوم ، والمغرب الذى تغرب فيه كل يوم . فتأويله ، إذْ كان ذلك معناه : ولله ما بين قُطْرى المشرق وما بين قُطْرى المغرب ، إذ كان شرُوق الشمس كل يوم من موضع منه لا تعود لشروقها منه إلى الحوْل الذى بعده ، وكذلك غروبها كل يوم .

فإن قال : أوَ ليس وإن كان تأويل ذلك ما ذكرت ، فلله كل ما دونه ؟(٢) الخلقُ خلقُه !

---

(١) انظر ما سلف قريباً : ٥١٩

(٢) قوله : « فلله كل ما دونه » ، أى كل ما سواه من شىء .

قيل : بَلى !

فإن قال : فكيف خص المشارق والمغارب بالخبر عنها أنها له فى هذا الموضع ، دون سائر الأشياء غيرها ؟

قيل : قد اختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله خصّ الله ذكرَ ذلك بما خصّه به فى هذا الموضع . ونحن مُبيِّنو الذى هو أولى بتأويل الآية ، بعد ذكرنا أقوالهم فى ذلك . فقال بعضهم : خصّ الله جل ثناؤه ذلك بالخبر ، من أجل أن اليهود كانت توجّه فى صلاتها وُجوَهها قِبَل ببيت المقدس، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك مدة، ثم حُوِّلوا إلى الكعبة . فاستنكرت اليهود ذلك من فعل النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا : ما وَلاّهم عن قبلتهم التى كانوا عليها ؟ فقال الله تبارك وتعالى لهم : المشارقُ والمغاربُ كلها لى، أصْرِف وجوَه عبادى كيف أشاء منها ، فحيثما تُوَلوا فثَمّ وجه الله . ذكر من قال ذلك :

١٨٣٣ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على، عن ابن عباس قال: كان أول ما نُسخَ من القرآن ، القبلةُ . وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة ، وكان أكثرَ أهلها ١/٤٠٠ اليهودُ ، أمره الله عز وجلّ أن يستقبل بيت المقدس . ففرحت اليهود . فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر شهراً ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحبّ قبلة إبراهيم عليه السلام ، فكان يدعو وينظر إلى السماء، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى السَّمَاءِ ﴾ إلى قوله ﴿فوَلُّوا وَجُوهَكُمْ شَطْرَه ﴾ [سورة البقرة : ١٤٤] ، فارتابَ من ذلك اليهود وقالوا : ﴿ مَا وَلَّاهم عن قِبْلَتِهم الَّتِى كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ فأنزل الله عز وجل : ﴿ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ﴾، وقال: ﴿ أَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾(١) [سورة البقرة : ١٤٢]

---

(١) الحديث : ١٨٣٣ – على : هو ابن أبى طلحة الهاشمى : ثقة ، تكلموا فيه . والراجح أن كلامهم فيه من أجل تشيعه . ولكن لم يسمع من ابن عباس ، فروى ابن أبى حاتم فى المراسيل، ص: ٥٢،

١٨٣٤ – حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى نحوه .

* * *

وقال آخرون : بل أنزل الله هذه الآية قبل أن يَفرض على نبيه صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين به ، التوجُّهَ شطرَ المسجد الحرام ، وإنما أنزلها عليه مُعْلِماً نبيَّه عليه الصلاة والسلام بذلك وأصحابَه أنّ لهم التوجّه بوجوههم للصلاة حيث شاؤوا من نواحى المشرق والمغرب ، لأنهم لا يوجِّهون وجوههم وجهاً من ذلك وناحيةً ، إلا كان جل ثناؤه فى ذلك الوجه وتلك الناحية ، لأن له المشارق والمغارب ، وأنه لا يخلو منه مكان ،(١) كما قال جل وعزّ : ﴿ وَلاَ أَدْنَى مِنْ ذَٰلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا ﴾ [سورة المجادلة : ٧] ، قالوا : ثم نُسخ ذلك بالفرض الذى

عن دحيم ، قال : « إن على بن أبى طلحة لم يسمع من ابن عباس التفسير » . وروى عن أبيه أبى حاتم مثل ذلك . وفى التهذيب أنه ذكره ابن حبان فى الثقات ، وقال : « روى عن ابن عباس ، ولم يره » . فهذا إسناد ضعيف ، لانقطاعه .

ولكن معناه ثابت عن ابن عباس ، من وجه صحيح .

فرواه أبو عبيد القاسم بن سلام ، فى كتاب الناسخ والمنسوخ – فيما نقل ابن كثير ١ : ٢٨٨ – « أخبرنا حجاج بن محمد ، أخبرنا ابن جريج ، وعثمان بن عطاء ، عن عطاء ، عن ابن عباس . . . » فذكر نحوه . وهذا إسناد صحيح ، من جهة رواية ابن جريج عن عطاء ، وهو ابن أبى رباح . وأما « عثمان ابن عطاء » ، فإنه « الخراسانى » . وهو ضعيف . وحجاج بن محمد : سمعه منهما ، من ثقة ومن ضعيف ، فلا بأس .

ورواه الحاكم ٢ : ٢٦٧ – ٢٦٨ ، من طريق ابن جريج ، ، عن عطاء ، عن ابن عباس . وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه بهذه السياقة » . ووافقه الذهبى . وهو كما قالا . وذكره السيوطى ١ : ١٠٨ ، ونسبه لأبى عبيد ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والحاكم وصححه ، والبيهقى فى سننه .

(١) قال ابن كثير فى تفسيره ١ : ٢٨٩ تعليقاً على كلمة أبى جعفر رحمه الله : « فى قوله : وأنه تعالى لا يخلو منه مكان – إن أراد علمه تعالى ، فصحيح . فإن علمه تعالى محيط بجميع المعلومات ، وأما ذاته تعالى فلا تكون محصورة فى شىء من خلقه ، تعالى الله على ذلك علواً كبيراً » . قلت : الذى قاله ابن كثير هو عقيدة أبى جعفر رحمه الله ، وقد بين ذلك فى تفسير سورة المجادلة من تفسيره ٢٨ : ١٠ ، فلا معنى لتشككك ابن كثير فى كلام إمام ضابط من أئمة أهل الحق ، وعبارته صحيحة اللفظ ، ولكن أهل الأهواء جعلوا الناس يفهمون من عربية الفصحاء معنى غير المعنى الذى تدل عليه .

فرض عليهم، فى التوجُّه شطرَ المسجد الحرام . ذكر من قال ذلك :

١٨٣٥ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة: قوله جل وعز : « ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثمَّ وجْه الله »، ثم نسخ ذلك بعد ذلك، فقال الله : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ [سورة البقرة : ١٤٩، ١٥٠]

١٨٣٦ – حدثنا الحسن قال[1] ، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « فأينما تُولوا فثمَّ وَجْهُ الله »، قال: هى القبلة ، ثم نسختها القبلة إلى المسجد الحرام .

١٨٣٧ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا همام قال ، حدثنا يحيى قال، سمعت قتادة فى قول الله: « فأينما تولوا فثمَّ وجه الله »، قال : كانوا يصلون نحو بيت المقدس ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة، وبعدَ ما هاجرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى نحو بيت المقدس ستَّة عشر شهراً ، ثم وُجِّه بعد ذلك نحو الكعبة البيت الحرام. فنسخها الله فى آية أخرى: ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾ إلى ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ [سورة البقرة : ١٤٤] ، قال : فنسخت هذه الآية ما كان قبلها من أمر القبلة .

١٨٣٨ – حدثنا يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، سمعته – يعنى زيد – يقول: قال عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم : « فأينما تُولوا فثمَّ وجهُ الله إن الله واسعٌ عليمٌ »، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هؤلاء قومُ يهود يستقبلون بيتاً من بيوت الله ، لو أنّا استقبلناه ! فاستقبله النبى صلى الله عليه وسلم ستة عشر شهراً ، فبلغه أنّ يهود تقول : والله ما دَرَى محمدٌ وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم ! فكره ذلك النبى صلى الله عليه وسلم، ورفع وجهه إلى السماء ، فقال الله عز وجل:

---

(١) فى المطبوعة : « حدثت عن الحسن » ، والصواب ما أثبت ، وهو إسناد دائر فى تفسيره أقربه رقم : ١٧٣١ .

﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ الآية[سورة البقرة : ١٤٤].

* * *

وقال آخرون : نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم ، إذْناً من الله عز وجل له أن يصلي التطوعَ حيث توجّه وجهُه من شرق أو غرب ، في مسيره في سفره، وفي حال المُسايفة، وفي شدة الخوف والتقاء الزحوف في الفرائض . وأعلمه أنه حيث وجّه وجهَه فهو هنالك، بقوله : « ولله المشرق والمغرب فأينما تُولوا فثم وجهُ الله » . ذكر من قال ذلك :

١٨٣٩ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس قال، حدثنا عبدالملك، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عمر : أنه كان يصلي حيث توجّهت به راحلته ، ويذكر أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك ، ويتأوّل هذه الآية : « أينما تُولوا فثمّ وجهُ الله » .(١) ٤٠١/١

١٨٤٠ – حدثني أبو السائب قال ، حدثنا ابن فضيل ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عمر أنه قال : إنّما نزلت هذه الآية « أينما تُولوا فثمّ وَجهُ الله » : أن تصلي حَيثما تَوجهت بك راحلتك في السفر تطوُّعاً، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رجع من مكة يصلّي على راحلته تطوُّعاً. يُومئ برأسه نحو المدينة(٢) .

* * *

(١) الحديث : ١٨٣٩ – ابن إدريس : هو عبد الله بن إدريس الأودي ، سبق توثيقه : ٤٣٨ . عبد الملك : هو ابن أبي سليمان ، كما سيأتي في الإسناد التالي لهذا ، وقد سبق توثيقه : ١٤٥٥ .
والحديث رواه أحمد في المسند : ٥٠٠١ ، عن عبد الله بن إدريس ، بهذا الإسناد . وسيأتي تمام تخريجه في الذي بعده .

(٢) الحديث : ١٨٤٠ – ابن فضيل : هو محمد بن فضيل بن غزوان الضبي ، وهو ثقة ، من شيوخ أحمد وإسحق وغيرهما . بل روى عنه الثوري ، وهو أكبر منه . مترجم في التهذيب ، والكبير ١/١/٢٠٧ – ٢٠٨ ، وابن أبي حاتم ٤/١/٥٧ – ٥٨ .
والحديث رواه أحمد أيضاً : ٤٧١٤ ، عن يحيى القطان ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، بنحوه . ورواه مسلم ١ : ١٩٥ ، من طريق يحيى ، وآخرين . وكذلك رواه البيهقي في السنن الكبرى ٢ : ٤ ، بأسانيد من طريق عبد الملك .
وقد رجحنا في شرح المسند الرواية السابقة ، بأن هذه الآية لم تنزل في ذلك ، بل هي في معنى أعم ، وإنما تصلح شاهداً ودليلا ، كما يتبين ذلك من فقه تفسيرها في سياقها .

وقال آخرون بل نزلت هذه الآية فى قوم عُمِّيت عليهم القبلة فلم يعرفوا شَطْرها، فصلَّوا على أنحاءٍ مختلفة، فقال الله عز وجل لهم : لى المشارق والمغارب فأنَّى وليتم وجوهكم فهنالك وجهى،[1] وهو قبلتكم- معلِّمَهم بذلك أن صلاتهم ماضية ، • ذكر من قال ذلك :

١٨٤١ - حدثنا أحمد قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا أبو الربيع السمان ، عن عاصم بن عبيد الله ، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، عن أبيه قال : كنا مَع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليلة سوداء مُظلمة ، فنزلنا منزلاً . فجعل الرجُل يأخذ الأحجار فيعملُ مسجداً يصلِّى فيه. فلمَّا أصبحنا إذا نحن قد صلَّينا على غير القبلة . فقلنا : يا رسول الله ، لقد صلَّينا لَيلتنا هذه لغير القبلة ! فأنزل الله عز وجل: «ولله المشرق والمغربُ فأينما تُولّوا فثَمَّ وَجهُ الله إن اللهَ واسعٌ عليم».[2]

---

(١) فى المطبوعة : « فإن وليتم وجوهكم » . والصواب ما أثبت .

(٢) الحديث : ١٨٤١ - أحمد ، شيخ الطبرى : هو أحمد بن إسحق بن عيسى الأهوازى ، كما سبق نسبه كاملا فى : ١٥٩ ، وهو صدوق ، من شيوخ أبى داود ، مترجم فى التهذيب ، وأبو أحمد : هو الزبيرى . واسمه : محمد بن عبد الله بن الزبير بن عمر بن درهم ، وهو ثقة حافظ ، من شيوخ الإمام أحمد . مترجم فى التهذيب . والكبير ١٣٣/١/١ - ١٣٤ ، وابن سعد ٦ : ٢٨١ ، وابن أبى حاتم ٢٩٧/٢/٣ .

أبو الربيع السمان : هو أشعث بن سعيد ، سبق فى : ٢٤ أنه ضعيف جداً .

عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب : هو ضعيف ، وقد بينا ضعفه فى شرح المسند : ٥٢٢٩ .

عبد الله بن عامر بن ربيعة : ثقة من كبار التابعين . وأبوه صحابى معروف ، من المهاجرين الأولين ، هاجر الهجرتين ، وشهد بدراً والمشاهد كلها .

والحديث ذكره ابن كثير ١ : ٢٨٩ - ٢٩٠ ، عن هذا الموضع . ووقع فيه خطأ فى اسم شيخ الطبرى ، كتب « محمد بن إسحق » ، بدل « أحمد » . وهو خطأ ناسخ أو طابع . ثم أشار ابن كثير إلى روايته الآتية : ١٨٤٣ . ثم ذكر أنه رواه أيضاً الترمذى ، وابن ماجة ، وابن أبى حاتم . ثم نقل كلام الترمذى ، قال : « هذا حديث ليس إسناده بذاك ، لا نعرفه إلا من حديث أشعث السمان ، وأشعث بن سعيد أبو الربيع السمان : يضعف فى الحديث » . قال ابن كثير : « قلت : وشيخه عاصم أيضاً ضعيف. قال البخارى : منكر الحديث . وقال ابن معين : ضعيف لا يحتج به . وقال ابن حبان : متروك » .

وقد ذهبت فى شرحى للترمذى ، رقم : ٣٤٥ ، إلى تحسين إسناده . ولكنى أستدرك الآن ، وأرى أنه حديث ضعيف .

ونقله السيوطى ١ : ١٠٩ ، مع تخريجه وبيان ضعفه .

١٨٤٢ – حدثني المثنى قال ، حدثني الحجاج قال ، حدثنا حماد قال ، قلت للنَّخَعي : إني كنت استَيْقظت – أو قال : أيْقظت ، شكّ الطبري –[1] فكان في السماء سحابٌ ، فصليت لغير القبلة . قال : مضت صَلاتُك ، يقول الله عز وجل : « فأينما تولوا فثَمَّ وَجه الله » .

١٨٤٣ – حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن أشعث السمان ، عن عاصم بن عبيد الله ، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، عن أبيه قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمةٍ في سفرٍ، فلم ندر أين القبلة ، فصلَّينا، فصلَّى كل واحد منا على حياله،[2] ثم أصبحنا فذكرنا للنبي صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله عز وجلّ : « فأينما تُوَلوا فثَمَّ وَجهُ الله » .[3]

* * *

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية في سبب النَّجَاشيّ ، لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تنازعوا في أمره، من أجل أنه مات قبل أن يُصلَّى إلى القبلة، فقال الله عز وجل : المشارق والمغارب كلها لي ، فمن وجَّه وجهَه نحو شيء منها يريدني به ويبتغي به طاعتي ، وجدني هنالك . يعني بذلك أن النجاشيّ وإن لم يكن صلَّى إلى القبلة، فإنه قد كان يوجِّه إلى بعض وجوه المشارق والمغارب وَجهه، يبتغي بذلك رضا الله عز وجل في صلاته . ذكر من قال ذلك :

١٨٤٤ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا هشام بن معاذ قال ، حدثني أبي ، عن قتادة : أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن أخاكم النجاشي قد مَات فصلوا عليه . قالوا : نصلِّي على رجل ليس بمسلم ! قال فنزلت ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ﴾ [سورة

---

(١) لم يرد في كتب اللغة : « أيقظت » لازماً ، وأخشى أن يكون الطبري يصححها ، وأشباهها في العربية كثير .

(٢) في لسان العرب «فصلى كل منا حياله»، أي تلقاء وجهه، وزيادة «على» لا تضر المعنى .

(٣) الحديث : ١٨٤٣ – هو مكرر الحديث : ١٨٤١ .

آل عمران : ١٩٩]، قال: قتادة ، فقالوا: إنه كانَ لا يصلى إلى القبلة! فأنزل الله عز وجل : « ولله المشرقُ والمغربُ فأينما تولوا فثم وجهُ الله » .(١)

* * *

قال أبو جعفر: والصواب من القول فى ذلك : أنّ الله تعالى ذكره إنّما خص الخبرَ عن المشرق والمغرب فى هذه الآية بأنهما له مِلْكاً — وإن كان لا شىء إلاّ وهو له مِلك — إعلاماً منه عبادَه المؤمنين أنّ له مِلكهما ومِلك ما بينهما من الخلق، وأن على جميعهم = إذ كان له ملكهم = طاعتُه فيما أمرهم ونهاهم ، وفيما فرض عليهم من الفرائض ، والتوجُّهِ نحو الوجه الذى وُجِّهوا إليه ، إذ كان من حُكم المماليك طاعةُ مالكهم . فأخرج الخبر عن « المشرق والمغرب » والمراد به : مَنْ بينهما من الخلق ، على النحو الذى قد بيَّنتُ، من الاكتفاء بالخبر عن سَبب الشىء ، من ذكره والخبر عنه ، كما قيل : « وأشرِبوا فى قلوبهم العجل »، وما أشبه ذلك .(٢)

ومعنى الآية إذاً : ولله مِلْك الخلق الذى بين المشرق والمغرب، يتعبَّدهم بما شاء ، ويحكم فيهم ما يريد، عليهم طاعته ، فولُّوا وجوَهكم — أيها المؤمنون — نحو وجهى، فإنكم أينما تُوَلوا وجوَهكم فهنالك وجهى .

* * *

فأما القول فى هذه الآية ناسخةٌ أم منسوخةٌ، أم لا هى ناسخة ولا منسوخة؟ فالصواب فيه من القول أن يقال: إنها جاءت مجىء العُموم، والمرادُ الخاصُّ . وذلك أن قوله: ٤٠٢/١ « فأينما تُوَلوا فثَمَّ وجْهُ الله » مُحتمِل: أينما تُوَلوا — فى حال سيْركم فى أسفاركم فى صلاتكم التطوعَ، وفى حال مُسايفتكم عدوَّكم فى تطوعكم ومكتوبتكم — فثَمَّ وجه الله ، كما قال ابن عمر والنخعىّ، ومن قال ذلك ممن ذكرنا عنه آنفاً .

---

(١) الحديث : ١٨٤٤ — هو حديث ضعيف ، لإنه مرسل . وقد نقله السيوطى ١ : ١٠٩ ، ونسبه لابن جرير : وابن المنذر . ونقله ابن كثير ١ : ٢٩١ ، عن هذا الموضع . ثم قال : « هذا غريب » . وأقول : وسياقته تدل على ضعفه ونكارته .

(٢) انظر ما سلف فى هذا الجزء ٢ : ٣٥٧—٣٦٠، ٤٨٣

= ومحتمل: « فأينما تولوا – من أرض الله فتكونوا بها – فثَمَّ قبلةُ الله التى توجّهون وُجوهكم إليها ، لأن الكعبة ممكن لكم التوجُّه إليها منها ، كما قال : –

١٨٤٥ – أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن أبى سنان ، عن الضحاك ، والنضر بن عربى ، عن مجاهد فى قول الله عز وجل: « فأينما تُولوا فَثَمَّ وجه الله »، قال : قبلةُ الله ، فأينما كنتَ من شرق أو غرب فاستقبلها .

١٨٤٦ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال أخبرنى إبراهيم ، عن ابن أبى بكر ، عن مجاهد قال : حيثما كنتم فلكم قبلةٌ تستقبلونها . قال : الكعبة .

= ومُحتمل : فأينما تولوا وجوهكم فى دُعائكم فهنالك وجهى ، أستجيب لكم دعاءكم، كما : –

١٨٤٧ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال : مجاهد : لما نزلت ﴿ ٱدْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [سورة غافر : ٦٠] ، قالوا : إلى أين ؟ فنزلت: « فأينما تولوا فثَمَّ وَجْهُ الله » .

* * *

فإذْ كان قوله عز وجل: «فأينما تولوا فثَمَّ وجه الله »، محتملاً ما ذكرنا من الأوجه، لم يكن لأحد أن يزعم أنها ناسخةٌ أو منسوخةٌ، إلاّ بحجة يجب التسليم لها .

لأن الناسخ لا يكون إلاّ بمنسوخ ، ولم تقم حجة يجبُ التسليم لها بأنّ قوله : « فأينما تولوا فثم وجه الله» معنىٌّ به: فأينما توَجّهوا وجوهكم فى صلاتكم فثَمَّ قبلتكم؛ ولا أنها نزلت بعد صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه نحو بيت المقدس ، أمراً من الله عز وجل لهم بها أن يتوجهوا نحو الكعبة ، فيجوز أن يقال : هى ناسخةٌ الصلاةَ نحو بيت المقدس ، إذْ كان من أهل العلم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأئمة التابعين مَنْ ينكر أن تكون نزلت فى ذلك المعنى ، ولا خبرَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابتٌ بأنها نزلت فيه ، وكانَ الاختلاف فى أمرها موجوداً على ما وصفت .

= ولا هى – إذ لم تكن ناسخةً لما وصفنا – قامت حجتها بأنها منسوخة ، إذ كانت محتملةً ما وصفنا : بأن تكون جاءت بعموم ، ومعناها : فى حال دون حال –[1] إن كان عُنى بها التوجه فى الصلاة – وفى كل حال ، إن كان عُنى بها الدعاء وغير ذلك من المعانى التى ذكرنا .

وقد دللنا فى كتابنا ﴿ كتاب البيان عن أصول الأحكام ﴾ على أن لا ناسخَ من آى القرآن وأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلاّ ما نَفى حكماً ثابتاً ، وأُلزم العبادُ فرضَه ، غير محتمل بظاهره وباطنه غيرَ ذلك.[2] فأما إذا ما احتمل غيرَ ذلك – من أن يكون بمعنى الاستثناء ، أو الخصوص والعموم ، أو المجمل ، أو المفسَّر – فمن الناسخ والمنسوخ بمعزل . بما أغنى عن تكريره فى هذا الموضع ، ولا منسوخ إلاّ المنفىّ الذى قد كان ثبت حُكمه وفرضه .

ولم يصحَّ واحد من هذين المعنيين لقوله : « فأينما تُولوا فثَمَّ وجه الله» ، بحجة يجب التسليم لها ، فيقال فيه : هو ناسخ أو منسوخ .

* * *

وأما قوله : « فأينما » ، فإن معناه : حيثما .

* * *

وأما قوله : « تُوَلّوا » ، فإن الذى هو أولى بتأويله أن يكون : تولون نحوه وإليه ، كما يقول القائل : « ولَّيتُهُ وجهى وَولَّيته إليه» ،[3] بمعنى قابلته وواجهته. وإنما قُلنا ذلك أولى بتأويل الآية ، لإجماع الحجة على أنّ ذلك تأويلُه ، وشذوذٍ من تأوّله بمعنى : تولُّون عنه فتستدبرونه ، فالذى تتوجهون إليه وَجه الله ، بمعنى قبلة الله .

* * *

وأما قوله : « فثَم » ، فإنه بمعنى : هنالك .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « أو معناها فى حال دون حال » ، وهو فاسد . ومراده أن الآية جاء عامة ، وتحتمل أحد معنيين : إما فى حال دون حال – وإما فى كل حال ، كما فصل بعد .

(٢) فى المطبوعة : « لظاهره » ، وانظر ما سلف فى معنى « الظاهر والباطن » ٢ : ١٥ والمراجع

(٣) فى المطبوعة : « وليت وجهى » ، والصواب ما أثبت .

واختلف فى تأويل قوله: « فَثَمَّ وَجه الله » .[1] فقال بعضهم: تأويل ذلك: فثم قبلة الله ، يعنى بذلك وَجْهَه الذى وجَّههم إليه . ذكر من قال ذلك :

١٨٤٨ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع ، عن النضر بن عربىّ ، عن مجاهد : « فثَمَّ وَجْه الله »، قال : قبلةُ الله .

١٨٤٩ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، أخبرنى إبراهيم ، عن مجاهد قال : حيثما كنتم فلكم قبلة تستقبلونها .

* * *

وقال آخرون: معنى قول الله عز وجل: « فثَمَّ وَجهُ اللهِ »، فثم الله تبارك وتعالى .

* * *

وقال آخرون : معنى قوله: «فثَمَّ وجْهُ الله »، فثَمَّ تدركون بالتوجُّه إليه رضا الله الذى له الوَجْهُ الكريم .

* * *

وقال آخرون : عنى بـ « الوجه » ذا الوَجْه . وقال قائلو هذه المقالة : وجهُ الله صفةٌ له . ٤٠٣/١

* * *

فإن قال قائل : وما هذه الآية من التى قبلها ؟

قيل : هى لها مُواصلة . وإنما معنى ذلك : ومن أظلمُ من النصارى الذين مَنعوا عبادَ الله مساجدَه أن يذكر فيها اسمه ، وَسعوْا فى خرابها ، ولله المشرق والمغرب ، فأينما توجَّهوا وجوهكم فاذكروه، فإن وَجْهه هنالك ، يَسعُكم فضْله وأرضُه وبلادُه ، ويعلم ما تعملون ، ولا يمنعُكم تخريب من خرَّب مسجدَ بيت المقدس، ومَنْعُهم من مَنعوا من ذكر الله فيه ــ أن تذكروا الله حيث كنتم من أرض الله، تبتغون به وجهه .

---

(١) فى المطبوعة : « فثم ، فقال بعضهم » ، والصواب إثبات « وجه الله » .

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١١٥)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « واسعٌ »، يسع خلقه كلهم بالكفاية والإفضال والجود والتدبير .

وأما قوله : « عليم » فإنه يعنى : أنه عليم بأفعالهم ، لا يغيب عنه منها شىء ولا يعزب عن علمه ، بل هو بجميعها عليمٌ .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « وقالوا اتخذَ اللهُ وَلداً »، الذين مَنعوا مساجدَ الله أن يُذكر فيها اسمه. و « قالوا » : معطوف على قوله : « وسعى فى خرابها »

* * *

وتأويل الآية : ومن أظلمُ ممن مَنع مساجدَ الله أنْ يُذكر فيها اسمه وَسعَى فى خَرابها، وقالوا اتخذَ الله ولداً؛ وهم النصارى الذين زعموا أن عيسى ابنُ الله، فقال الله جل ثناؤه — مكذّباً قيلهم ما قالوا من ذلك، ومُنتفياً مما نَحلوه وأضافوا إليه بكذبهم وفرْيهم[1] — : « سبحانه »، يعنى بها : تنزيهاً، وتَبريئاً من أن يكون له ولد، وعلوًّا وارتفاعاً عن ذلك . وقد دللنا فيما مَضى على معنى قول القائل : « سبحان الله »، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع[2] .

* * *

ثم أخبر جل ثناؤه أن له ما فى السموات والأرض مِلكاً وَخلقاً . ومعنى ذلك :

---

(١) فى المطبوعة : « ومنفياً ما نحلوه » . وانتفى من الشىء : تبرأ منه . ونحله الشىء : نسبه إليه . والفرية : الكذب المختلق .

(٢) انظر ما سلف ١ : ٤٧٤ ، ٤٩٥ .

وكيف يكون المسيحُ لله ولدًا، وهو لا يخلو: إمّا أن يكون فى بعض هذه الأماكن، إمّا فى السموات، وإما فى الأرض، ولله مِلك ما فيهما. ولو كان المسيح ابناً كما زعمتم، لم يكن كسائر ما فى السموات والأرض من خلقه وعبيده، فى ظهور آيات الصنعة فيه.

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ كُلٌّ لَّهُ قَـٰنِتُونَ ﴾ (١١٦)

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك. فقال بعضهم: معنى ذلك: مُطيعون. ذكر من قال ذلك:

١٨٥٠ - حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة فى قوله: «كلٌّ له قانِتون»، مطيعون.

١٨٥١ - حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد فى قول الله عز وجل: «كل له قانتون»، قال: مُطيعون. قال: طاعة الكافر فى سُجود ظلّه.

١٨٥٢ - حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، بمثله - إلاّ أنه زاد: بسجود ظله وهو كارهٌ.

١٨٥٣ - حدثنا موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدى: «كل له قانتون»، يقول: كل له مطيعون يوم القيامة.

١٨٥٤ - حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنى يحيى بن سعيد، عمن ذكره، عن عكرمة: «كل له قانتون»، قال: الطاعة.

١٨٥٥ - حدثت عن المنجاب بن الحارث قال، حدثنا بشر بن عمارة، عن أبى روق، عن الضحاك، عن ابن عباس: «قانتون»، مطيعون.

• • •

وقال آخرون : معنى ذلك : كل له مقرُّون بالعبودية . ذكر من قال ذلك :

١٨٥٦ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا الحسين ابن واقد ، عن يزيد النحوى ، عن عكرمة : « كل له قانتون » ، كل مقرٌّ له بالعبودية .

* * *

وقال آخرون بما : -

١٨٥٧ - حدثني به المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « كل له قانتون » ، قال : كل له قائمٌ يوم القيامة .

* * *

ولـ « القنوت » فى كلام العرب معانٍ . أحدها : الطاعة ، والآخر : القيام ، والثالث : الكف عن الكلام والإمساك عنه .

* * *

وأولى معانى « القنوت » فى قوله : « كلٌّ له قانتون » ، الطاعةُ والإقرارُ لله عز وجل بالعبودية ، بشهادة أجسامهم ، بما فيها من آثار الصنعة والدلالة على وحدانية الله عز وجل ، وأن الله تعالى ذكره بارئها وخالقها . وذلك أن الله جل ثناؤه أكذب الذين زعموا أنّ لله ولدًا بقوله : « بل لـهُ ما فى السموات والأرض » مِلكاً وخلقاً . ثم أخبر عن جميع ما فى السموات والأرض أنها مُقِرَّة بدلالتها على ربِّها وخالقها ، وأن الله تعالى بارئها وصانعها . وإن جحد ذلك بعضهم ، فألسنتهم مُذعِنة له بالطاعة ، بشهادتها له بآثار الصنعة التى فيها بذلك ، وأن المسيح أحدُهم ، فأنّى يكون لله ولدًا وهذه صفته ؟ ٤٠٤/١

* * *

وقد زعم بعض من قصرت معرفته عن توجيه الكلام وجْهته ، أن قوله : « كلٌّ له قانتون » ، خاصّةٌ لأهل الطاعة وليست بعامة . وغير جائز ادعاء خصوص فى آيةٍ عامٍّ ظاهرُها ، إلاّ بحجة يجب التسليم لها ، لما قد بيّنا فى كتابنا ﴿ كتاب البيان عن أصول الأحكام ﴾ .

* * *

وهذا خبر من الله جل وعزّ عن أنّ المسيح - الذى زعمت النصارى أنه ابن الله -

مكذِّبُهم هو والسموات والأرض وما فيها، إمّا باللسان، وإمّا بالدّلالة . وذلك أن الله جل ثناؤه أخبرَ عن جميعهم ، بطاعتهم إيّاه ، وإقرارهم له بالعبودية ، عَقيب قوله : « وقالوا اتخذ الله ولدًا » ، فدلّ ذلك على صحة ما قلنا .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ بَدِيعُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « بَديع السموات والأرض » ، مُبدِعها .

* * *

وإنما هو « مُفعِل » صُرف إلى « فعيل » كما صرف «المؤلم» إلى « أليم » و« المسمع إلى « سميع » .[1] ومعنى « المُبدع » : المنشىء والمحدِثُ ما لم يسبقه إلى إنشاء مثله وإحداثه أحدٌ . ولذلك سمى المبتدع فى الدين « مبتدعاً » ، لإحداثه فيه ما لم يسبقه إليه غيره . وكذلك كل محدث فعلاً أو قولاً لم يتقدمه فيه متقدم ، فإن العرب تسميه « مبتدعاً » ، ومن ذلك قول الأعشى أعشى بنى ثعلبة ،[2] فى مدح هَوْذَة بن علىّ الحنفى :

يُرْعِى إلَى قَوْلِ سَادَاتِ الرِّجالِ إذَا أبْدَوْا لَهُ الحَزْمَ، أوْ مَا شَاءَه ابْتَدَعَا[3]

أى يحدث ما شاء ، ومنه قول رؤبة بن العجاج :

فَأَيُّهَا الغَاشِى القِذَافَ الأَتْيَمَا إنْ كُنْتَ لله التُّقَى الأَطْوَعَا

فَلَيْسَ وَجْهُ الحَقِّ أنْ تَبَدَّعَا[4]

يعنى : أن تحدث فى الدين ما لم يكن فيه .

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٢٥١ ، وهذا الجزء ٢ : ١٤٠، ٣٧٧، ٥٠٦

(٢) فى المطبوعة : « الأعشى بن ثعلبة » ، وهو خطأ محض .

(٣) سلف تخريجه فى هذا الجزء : ٢ : ٤٦٤

(٤) ديوانه : ٨٧ ، واللسان (بدع) من رجز طويل يفخر فيه برهطه بنى تميم . ورواية الديوان « القذاف الأتيما » ، وليس لها معنى يدرك ، ورواية الطبرى لها مخرج فى العربية . « الغاشى » من قولهم : غشى الشىء : أى قصده وباشره أو نزل به . والقذاف : سرعة السير والإبعاد فيه ، أو كأنه أراد الناحية

* * *

فمعنى الكلام : سبحان الله أنّى يكون له ولد وهو مالك ما فى السموات والأرض، تشهد له جميعاً بدلالتها عليه بالوَحْدانية ، وتقرُّ له بالطاعة ، وهو بارئها وخالقها ومُوجدها من غير أصْل ولا مثال احتذاها عليه ؟

* * *

وهذا إعلام من الله جل ثناؤه عبادَه أن مما يشهد له بذلك : المسيحُ ، الذى أضافوا إلى الله جل ثناؤه بُنُوَّته ؛ وإخبارٌ منه لهم أنّ الذى ابتدع السموات والأرض من غير أصْل وعلى غير مثال، هو الذى ابتدع المسيح من غير والد بقدرته.(١) وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل . ذكر من قال ذلك :

١٨٥٨ — حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « بَديعُ السموات والأرض » ، يقول : ابتدع خلقها ، ولم يشركه فى خلقها أحد

١٨٥٩ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « بديع السموات والأرض » ، يقول: ابتدعها، فخلقها، ولم يُخْلَق قبلها شىءٌ فيَتمثَّل به .(٢)

* * *

البعيدة ، وإن لم أجده فى كتب العربية . والأتيع : لم أجده فى شىء، ولعله أخذه من قولهم : تتايع القوم فى الأرض : إذا تباعدوا فيها على عمى وشدة . يقول : يا أيها الذاهب فى المسالك البعيدة عن سنن الطريق — يعنى به : من ابتدع من الأمور ما لا عهد للناس به، فسلك فى ابتداعه المسالك الغريبة .

(١) نقل ابن كثير فى تفسيره ١ : ٢٩٤ ، عبارة الطبرى ثم قال: « وهذا من ابن جرير رحمه الله كلام جيد ، وعبارة صحيحة» ، فاستحسن ابن كثير ما خف محمله ، ولكن ما ثقل عليه آنفاً (انظر ص : ٥٢٢ تعليق : ١) كان مثاراً لاعتراضه ، مع أنه أعلى وأجود وأدق وألطف ، وأصح عبارة ، وأعمق غوراً . وهذا عجب من العجب فيما ناله ابن جرير من قلة معرفة الناس بسلامة فهمه، ولطف إدراكه.

(٢) الأثر : ١٨٥٩ — كان فى المطبوعة : « ولم يخلق مثلها شيئاً فتتمثل به » ، وهو كلام فاسد . والصواب فى الدر المنثور ١ : ١١٠ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (١١٧)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « وإذا قَضى أمراً » ، وإذا أحكم أمراً وَحتَمه .(١)

* * *

وأصل كل « قضاء أمرٍ » : الإحكام ، والفراغُ منه .(٢) ومن ذلك قيل للحاكم بين الناس : « القاضى » بينهم ، لفصله القضاء بين الخصوم ، وقطعه الحكم بينهم ، وفراغه منه به .(٣) ومنه قيل للميت : «قد قضى» ، يراد به : قد فرغ من الدنيا وفصَل منها . ومنه قيل : « ما يَنقضى عجبى من فلان » ، يراد : ما ينقطع . ومنه قيل : « تَقضَّى النهار » ، إذا انصرم ، ومنه قول الله عز وجل : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [سورة الإسراء : ٢٣] ، أى : فَصَل الحكم فيه بين عباده ، بأمره إيّاهم بذلك ، وكذلك قوله : ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [سورة الإسراء : ٤١] ، أى أعلمناهم بذلك وأخبرناهم به ، ففرَغنا إليهم منه . ومنه قول أبى ذؤيب :

وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ ، قَضَاهُمَا دَاوُدُ أَوْ صَنَعَ السَّوَابِغِ تُبَّعُ(٤)

---

(١) حتم الأمر : قضاه قضاء لازماً .

(٢) كان فى المطبوعة : « قضاء الإحكام » ، والصواب ما أثبت .

(٣) فى المطبوعة « فراغه » وزيادة « منه » واجبة .

(٤) ديوانه : ١٩ ، والمفضليات : ٨٨١ وتأويل مشكل القرآن : ٣٤٢ ، وسيأتى فى تفسير الطبرى ١١ : ٦٥ ، ٢٢ : ٤٧ (بولاق) ، من قصيدته التى فاقت كل شعر ، يرثى أولاده حين ماتوا بالطاعون . والضمير فى قوله : « وعليهما » إلى بطلين وصفهما فى شعره قبل ، كل قد أعد عدته :

فَتَنَادَيَا فَتَوَاقَفَتْ خَيْلاهُمَا وَكِلاهُمَا بَطَلُ اللِّقَاءِ مُخَدَّعُ

مُتَحَامِيَيْنِ المجدَ ، كُلٌّ وَاثِقٌ بِبَلَائِهِ ، واليَوْمُ يومٌ أَشْنَعُ

ويروى :

* وَتعاوَرا مَسرودَتَينْ قَضَاهُما[١] *

ويعنى بقوله : « قضاهما » ، أحكمهما . ومنه قول الآخر فى مَدْح عمرَ بن الخطاب رضى الله عنه :[٢]

قَضَيْتَ أُموراً ثُمَّ غَادَرْتَ بَعْدَهَا بَوَائِقَ فِى أَكْمَامِهَا لَمْ تَفَتَّقِ[٣]

ويروى : « بوائج » .[٤]

وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ . . . . . .

« مسرودتان » ، يعنى درعين ، من السرد ، وهو الخرز أو النسج ، قد نسجت حلقهما نسجاً محكماً . وداود : هو نبى الله صلى الله عليه وسلم . وتبع : اسم لكل ملك من ملوك حمير (انظر ما سلف ٢ : ٢٣٧) . قال ابن الأنبارى : « سمع بأن الحديد سخر لداود عليه السلام ، وسمع بالدروع التبعية ، فظن أن تبعاً عملها . وكان تبع أعظم من أن يصنع شيئاً بيده ، وإنما صنعت فى عهده وفى ملكه » . والصنع : الحاذق بعمله ، والمرأة : صناع . ويروى : « وعليهما ماذيتين » ، يعنى درعين . والماذية : الدرع الخالصة الحديد ، اللينة السهلة .

(١) « تعاورا » ، يعنى — كما قالوا : تعاورا بالطعن ، مسرودتين . من قولهم : تعاورنا فلاناً بالضرب : إذا ضربته أنت ثم صاحبك . ورأيى أنها رواية مرفوضة ، لا تساوق الشعر فإنه يقول بعده :

وَكِلاَهُمَا فِى كَفِّهِ يَزَنِيَّةٌ فِيهَا سِنَانٌ ، كَالمَنَارَةِ أَصْلَعُ
وَكِلاَهُمَا مُتَوَشِّحٌ ذَا رَوْنَقٍ عَضْباً ، إِذَا مَسَّ الضَّرِيبَةَ يَقْطَعُ
فَتَخَالَسَا نَفْسَيْهِمَا بِنَوَافِذٍ كَنَوَافِذِ العُبُطِ الَّتِى لا تُرْقَعُ

فهو يصف ، ثم يخبر أنهما قد تضاربا ضرباً مهلكاً ، ولا معنى لتقديم الطعن ثم العود إلى صفة السلاح ، إلا على بعد واستكراه .

(٢) هو جزء بن ضرار ، أخو الشماخ بن ضرار . وقد اختلف فى نسبتها . نسبت للشماخ ، ولغيره ، حتى نسبوها إلى الجن (انظر طبقات فحول الشعراء : ١١١ ، وحماسة أبى تمام ٣ : ٦٥ ، وابن سعد ٣ : ٢٤١ ، والأغانى ٩ : ١٥٩ ، ونهج البلاغة ٣ : ١٤٧ ، والبيان والتبيين ٣ : ٣٦٤ ، وتأويل مشكل القرآن : ٣٤٣ ، وغيرها كثير) . هذا والصواب أن يقول : « فى رثاء عمر بن الخطاب » .

(٣) البوائق جمع بائقة : وهى الداهية المنكرة التى فتحت ثغرة لا تسد . والأكمام جمع كم (بضم الكاف وكسرها) . وهو غلاف الثمرة قبل أن ينشق عنه . وقوله : « لم تفتق » ، أصلها : تتفتق ، حذف إحدى التاءين . وتفتق الكم عن زهرته : انشق وانفطر . ورحم الله عمر من إمام جمع أمور الناس حياته ، حتى إذا قضى انتشرت أمورهم !

(٤) بوائج جمع بائجة : وهى الداهية التى تنفتق انفتاقاً منكراً فتعم الناس ، وتتابع عليهم شرورها . من قولهم : باج البرق وانباج وتبوج : إذا لمع وتكشف وعم السحاب ، وانتشر ضوؤه .

* * *

وأما قوله : « فإنما يَقول له كنْ فيكونُ » ، فإنه يعنى بذلك : وإذا أحكم أمرًا فحتَمَه ، فإنما يقول لذلك الأمر : « كن » ، فيكون ذلك الأمر على ما أمرَه الله أن يكونَ ، وأراده .

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال لنا قائل : وما معنى قَوله : « وإذا قَضى أمرًا فإنما يَقول له كنْ فيكون » ؟ وفى أىّ حال يقول للأمر الذى يقيضه : « كن » ؟ أفى حال عدمه — وتلك حال لا يجوز فيها أمره ،[1] إذ كان مُحالاً أن يأمر إلا المأمورَ ، فإذا لم يكن المأمورُ استحال الأمر ، وكما محالٌ الأمرُ من غير آمر ، فكذلك محالٌ الأمر من آمر إلاّ لمأمور —[2] أم يقول له ذلك فى حال وجوده ؟ = وتلك حالٌ لا يجوز أمره فيها بالحدوث ، لأنه حادِث موجودٌ . ولا يقال للموجود : « كن موجودًا » ، إلا بغير معنى الأمر بحدوث عَينه ؟

قيل : قد تنازع المتأوِّلون فى معنى ذلك . ونحن مخبرون بما قالوا فيه ، والعللِ التى اعتلّ بها كل فريق منهم لقوله فى ذلك :[3]

* * *

قال بعضهم : ذلك خبرٌ من الله جَلّ ثناؤه عن أمره المحتوم — على وجه القضاء لمن قَضى عليه قضاءً من خلقه الموجودين — أنه إذا أمره بأمر نفذَ فيه

---

(١) فى المطبوعة : « وتلك حال لا يجوز أمره » ، بإسقاط « فيها » ، وهى واجبة ، واستظهرتها من السياق ومن الشطر الآتى من السؤال .

(٢) فى المطبوعة : « كما محال الأمر » ، بإسقاط الواو ، وهى واجب إثباتها . ويعنى بقوله : « المأمور » ، أى الموجود المأمور .

(٣) أحب أن أنبه قارىء هذا التفسير ، أن يلقى باله إلى سياق الطبرى أقوال القائلين ، وكيف يخلص هو المعانى بعضها من بعض ، وكيف يصيب الحجة بعقل ولطف إدراك ، وصحة بيان عن معانى الكلام ، وعن تأويل آيات كتاب ربنا سبحانه وتعالى ثم لينظر بعد ذلك أقوال المفسرين ، وكيف تجنبوا الإيغال فيما توغل هو فيه ، ثقة بعون الله له ، ثم اتباعاً لأهدى السبل فى طلب المقاصد .

قضاؤه ، ومَضى فيه أمرُه . نظيرُ أمره مَنْ أمر مِنْ بنى إسرائيل بأن يكونوا قِرَدة خاسئين ، وهم موجودون فى حال أمره إيّاهم بذلك ، وحتْمِ قضائه عليهم بما قضى فيهم. وكالذى خسف به وبداره الأرضَ ، وما أشبه ذلك من أمره وقضائه — فيمن كان موجوداً من خلقه ، فى حال أمره المحتوم عليه .

فوجّه قائلو هذا القول قوله : « وإذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون » ، إلى الخصوص دون العموم

* * *

وقال آخرون : بل الآية عامٌّ ظاهرها ، فليس لأحد أن يُحيلها إلى باطن بغير حجة يجب التسليم لها .[1] وقال : إن الله عالم بكل ما هو كائن قبل كونه . فلما كان ذلك كذلك ، كانت الأشياء التى لم تكن — وهى كائنة ، لعلمه بها قبل كونها — نظائرَ التى هى موجودة ، فجاز أن يقول لها : « كونى » ، ويأمرَها بالخروج من حال العدم إلى حال الوجود ، لتصوُّر جميعها له ، ولعلمه بها فى حال العدم .

* * *

وقال آخرون : بل الآية ، وإن كان ظاهرُها ظاهرَ عمومٍ ، فتأ يلها الخصوصُ . لأن الأمر غير جائز إلا لمأمور ، على ما وصفتُ قبلُ . قالوا : وإذْ كان ذلك كذلك ، فالآية تأويلها : وإذا قضى أمراً : من إحياء ميّت ، أو إماتة حى ، ونحو ذلك ، فإنما يقول لحىٍّ : « كن ميّتاً ، أو لميت : كن حيًّا » ، وما أشبه ذلك من الأمر .

* * *

وقال آخرون : بل ذلك من الله عز وجل خبرٌ عن جميع ما ينشئه ويكوِّنه ، أنه إذا قضاه وخلقه وأنشأه ، كان ووُجد — ولا قولَ هنالك عند قائلى هذه المقالة ، إلاّ وُجود المخلوق وحدوث المقضىّ — . وقالوا : إنما قول الله عز وجل : « وإذا

(١) انظر معنى : « الظاهر ، والباطن » فيما سلف : ٢ : ١٥ والمراجع .

قضى أمرًا فإنّما يقول له كن فيكون »، نظيرُ قول القائل: « قالَ فلان برأسه »، و « قالَ بيده »، إذا حرك رأسه، أو أومأ بيده، ولم يقل شيئاً، وكما قال أبو النجم :

وَقَالَتِ الأَنْسَاعُ لِلبَطْنِ الْحَقِ قِدْماً، فَاضَتْ كَالفَنِيقِ المُحْنِقِ (١)

ولا قول هنالك، وإنما عنى أنّ الظهر قد لحق بالبطن، وكما قال عمرو ابن حُممةَ الدَّوْسيّ : (٢)

فأَصْبَحْتُ مِثْلَ النَّسْرِ طَارَتْ فِرَاخُه إِذَا رَامَ تَطْيَاراً يُقَالُ لَهُ : قَعِ (٣)

ولا قول هناك، وإنما معناه : إذا رَام طيرانًا وقع، وكما قال الآخر :

أَمْتَلأَ الحَوْضُ وَقَالَ : قَطْنِي ! سَلاًّ رُوَيْدًا، قَدْ مَلأْتُ بَطْنِي (٤) !

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب فى قوله : « وإذا قَضَى أمرًا فإنما يقول

---

(١) لم أجد الرجز كاملا، والبيتان فى اللسان (حنق) . يصف ناقة أنضاها السير . والأنساع جمع نسع (بكسر فسكون) ، وهو سير يضفر عريضاً تشد به الرحال . ولحق البطن يلحق لحوقاً : ضمر . أى قالت سيور التصدير لبطن الناقة : كن ضامراً . يعنى بذلك ما أضناها من السير . وقدماً : أى منذ القدم ، قال بشامة بن الغدير .

لاَ تَظْلِمُونَا، وَلاتَنْسَوْا قَرَابَتَنَا إِطُّوا إِلَيْنَا، فَقِدْماً تَعْطِفُ الرَّحِمُ

ويعنى أبو النجم : أن الضمور قد طال بها، فإن الأنساع قالت ذلك منذ زمن بعيد . وآض : صار ورجع . والفنيق الجمل الفحل المودع للفحلة، لا يركب ولا يهان لكرامته عليهم، فهو ضخم شديد التركيب . والمحنق : الضامر القليل اللحم . والإحناق : لزوق البطن بالصلب .

(٢) يقال له أيضاً : كعب بن حممة، وهو أحد المعمرين، زعموا عاش أربعمئة سنة غير عشر سنين . وهو أحد حكام العرب، ويقال إنه هو « ذو الحلم » الذى قرعت له العصا، فضرب به المثل .

(٣) كتاب المعمرين: ٢٢، وحماسة البحترى: ٢٠٥، ومعجم الشعراء : ٢٠٩، وهى أبيات .

(٤) أمالى ابن الشجرى ١ : ٣١٣، ٢ : ١٤٠، واللسان (قطط) . وفى المطبوعة : « سيلا »، والصواب فى اللسان وأمالى ابن الشجرى، والرواية المشهورة « مهلا رويداً » . وقطنى : حسبى وكفانى، وللنحاة كلام كثير فى « قطنى » . وقوله « سلا » : كأنه من قولهم : انسل السيل : وذلك أول ما يبتدىء حين يسيل، قبل أن يشتد . كأنه يقول : صباً رويداً .

له كنْ فيكون » أن يقال: هو عامٌّ فى كل ما قضاه الله وبرّأه . لأن ظاهرَ ذلك ظاهرُ عمومٍ ، وغير جائزة إحالة الظاهر إلى الباطن من التأويل ، بغير برهان ، لما قد بينا فى كتابنا ﴿ كتاب البيان عن أصول الأحكام ﴾ . وإذ كان ذلك كذلك ، فأمر الله جل وعز لشىء إذا أراد تكوينه موجوداً بقوله: « كن » فى حال إرادته إيّاه مكوّناً ، لا يتقدم وُجودَ الذى أراد إيجادَه وتكوينه ،[1] إرادته إياه ولا أمرَه بالكون والوجود — ولا يتأخّر عنه .[2] فغير جائز أن يكون الشىء مأموراً بالوجود مُراداً كذلك ، إلاّ وهو موجود ؛ ولا أن يكون موجوداً ، إلا وهو مأمور بالوجود مراد كذلك .

ونظيرُ قوله : « وإذا قضَى أمراً فإنما يقول له كنْ فيكون » قولُه : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ [سورة الروم : ٢٥] ، فإن خروج القوم من قبورهم ، لا يتقدّمُ دُعاء الله ولا يتأخر عنه . ٤٠٦/١

* * *

ويُسأل من زعم أنّ قوله: « وإذا قضَى أمرًا فإنما يقولُ له كنْ فيكون » ، خاصٌّ فى التأويل ، اعتلالاً بأن أمرَ غير الموجود غيرُ جائز —[3] عن دعوة أهل القبور ، قبل خُروجهم من قبورهم ، أم بعده ، أم هى فى خاص من الخلق ؟ فلن يقول فى ذلك قولاً إلاّ أُلزم فى الآخر مثلَه .

ويسألُ الذين زعموا أنّ معنى قوله جل ثناؤه : « فإنما يقول له كن فيكون » ، نظيرُ قول القائل: « قال فلانٌ برأسه أو بيده » ، إذا حرّكه وأومأ ، ونظير قول الشاعر :[4]

---

(١) فى المطبوعة : « وجوده » الذى أراد إيجاده » وزيادة الهاء فى « وجوده » لا مكان لها .

(٢) يقول : إن وجود الشىء ، لا يتقدم إرادة الله وأمره ، ولا يتأخر عنهما .

(٣) يقول : « يسأل من زعم . . . عن دعوة أهل القبور » .

(٤) هو المثقب العبدى .

تَقُولُ إِذَا دَرَأْتُ لَهَا وَضِينِي : أَهٰذَا دِينُه أَبَدًا وَدِينِي[1] !

وما أشبه ذلك — : فإنهم لا صوابَ اللغة أصابوا ، ولا كتابَ الله وما دلّت على صحته الأدلّة اتّبعوا — فيقال لقائلى ذلك : إن الله تعالى ذكرُه أخبر عن نفسه أنّه إذا قضى أمرًا قال له : « كن » ، أفتنكرون أن يكون قائلاً ذلك ؟ فإن أنكروه كذّبوا بالقرآن وخرجوا من الملة .

وإن قالوا : بل نقرُّ به ، ولكنا نزعم أنّ ذلك نظيرُ قول القائل : « قال الحائط فمال » ، ولا قول هنالك ، وإنما ذلك خبرٌ عن ميل الحائط .

قيل لهم : أفتجيزون للمخبر عن الحائط بالميل أن يقول : إنما قَول الحائط إذا أرادَ أن يميل ، أن يقول هكذا فيميل ؟

فإن أجازوا ذلك خرجوا من معروف كلام العرب ، وخالفوا منطقها وما يعرف فى لسانها .

وإن قالوا : ذلك غير جائز .

قيل لهم : إن الله تعالى ذكره أخبرَهم عن نفسه أن قوله للشىء إذا أراده أن يقول له : « كن فيكون » . فأعلم عبادَه قوله الذى يكونُ به الشىء ، ووصَفه ووكّده . وذلك عندكم غير جائز فى العبارة عما لا كلام له ولا بيان فى مثل قول القائل : « قال الحائط فمال » ، فكيفَ لم يعلموا بذلك فرْق ما بين معنى قول الله : « وإذا قَضَى أمرًا فإنما يقول له كنْ فيكون » ، وقول القائل : « قال الحائط فمال » ؟

---

(١) المفضليات : ٥٨٦ ، والكامل ١ : ١٩٣ وطبقات فحول الشعراء : ٢٣١ ، وسيأتى فى تفسيره ٤ : ١١٢ (بولاق) من قصيدة جيدة ، يقول قبله فى ناقته :

إِذَا مَا قُمْتُ أَرْحَلُهَا بِلَيْلٍ تَأَوَّهُ آهَةَ الرَّجُلِ الحَزِينِ

ودرأ الوضين لناقته : بسطه على الأرض ، ثم أبركها عليه ليشد عليها رحلها . والوضين : حزام عريض من جلد منسوج يشد به رحل البعير . والدين : الدأب والعادة .

وللبيان عن فساد هذه المقالة موضعٌ غير هذا ، نأتى فيه على القول بما فيه الكفاية إن شاء الله .

* * *

وإذ كان الأمر فى قوله جل ثناؤه : « وإذَا قَضَى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون »، هو ما وصفنا، من أنّ حالَ أمره الشيءَ بالوجود حالُ وجود المأمور بالوجود، فبيَّنٌ بذلك أنّ الذى هو أولى بقوله« فيكون »[1] ، الرفعُ على العطف على قوله[2] : « يقول » . لأن « القول » و « الكون » حالهما واحد . وهو نظير قول القائل : « تاب فلان فاهتدى» و « اهتدى فلان فتاب»، لأنه لا يكون تائباً إلا وهو مهتدٍ ، ولا مهتدياً إلاّ وهو تائبٌ . فكذلك لا يكون أن يكون الله آمرًا شيئاً بالوجود إلا وهو موجود ، ولا موجوداً إلا وهو آمرُه بالوجود .

ولذلك استجاز من استجازَ نصْب« فيكونَ » مَنْ قرأ ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونَ ﴾[سورة النحل : ٤٠] ، بالمعنى الذى وصفنا ، على معنى : أن نقولَ فيكونَ .

وأمّا رفْع من رفَع ذلك ،[3] فإنه رأى أن الخبر قد تمّ عند قوله : « إذَا أرَدناهُ أنْ نقولَ له كن» . إذْ كان معلوماً أن الله إذا حَتَم قضاءَه على شيء ، كان المحتومُ عليه موجوداً . ثم ابتدأ بقوله : « فيكون » ، كما قال جل ثناؤه ﴿ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ ﴾ [سورة الحج : ٥] ،وكما قال ابن أحمر :

يُعَالِجُ عَاقِرًا أَعْيَتْ عَلَيْهِ لِيُلْقِحَهَا فَيَنْتِجُهَا حُوَارَا[4]

---

(١) فى المطبوعة : « فتبين » ، والصواب ما أثبت .

(٢) فى المطبوعة : « فيكون على العطف » سقط من الناسخ قوله : « الرفع » .

(٣) وهذه هى قراءة مصحفنا اليوم .

(٤) المعانى الكبير : ٨٤٦ ، ١١٣٤ ، وسيبويه ١ : ٤٣١ ، من أبيات يذكر صديقاً كان له ، يقول :

أَرَانَا لا يَزَالُ لَنَا حَمِيمٌ كَدَاءِ البَطْنِ سِلاًّ أو صُفَارَا

يريد : فإذا هو ينتجها حواراً .

* * *

فمعنى الآية إذاً : وقالوا اتخذ الله ولداً ، سبحانه أن يكون له ولد ، بل هو مالك السموات والأرض وما فيهما ، كل ذلك مقرّ له بالعبودية بدلالته على وحدانيته . وأنّى يكون له ولد ! وهو الذى ابتدع السموات والأرض من غير أصل ، كالذى ابتدع المسيح من غير والد بمقدرته وسلطانه ، الذى لا يتعذر عليه به شيء أراده ، بل إنما يقول له إذا قضاه فأراد تكوينه : « كن » ، فيكون موجوداً كما أراده وشاءه . فكذلك كان ابتداعه المسيح وإنشاؤه ، إذ أراد خلقه من غير والد .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهلُ التأويل فيمن عنى الله بقوله : « وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله » . فقال بعضهم : عنى بذلك النصارى . ذكر من قال ذلك : ٤٠٧/١

١٨٦٠ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا

يُعَالِجُ عَاقِراً أعيَتْ عَلَيهِ ... لِيُلقِحَهَا ، فَيَنْتِجُهَا حُوَارَا
وَيَزْعُمُ أنّه نازٍ عَلَيْنَا ... بِشِرّتِهِ فَتَارِكُنَا تَبَارَا

جعل هذا الصديق كداء البطن لا يدرى من أين يهج ولا كيف يتأتى له . وهو يعالج من الشر ما لا يقدر عليه ، فكأنه يطلب الولد من عاقر . جعل ذلك مثلا . والحوار : ولد البقرة . والشرة : حدة الشر ، والتبار : الهلاك .

عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله جل وعز : « وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية » ، قال : النصارى تقولُه .

١٨٦١ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله – وزاد فيه : « وقال الذين لا يعلمون »، النصارى.

* * *

وقال آخرون : بل عنى الله بذلك اليهودَ الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم . ذكر من قال ذلك :

١٨٦٢ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يونس بن بكير – وحدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة بن الفضل – قالا جميعاً، حدثنا محمد بن إسحق قال، حدثني محمد بن أبي محمد قال ، حدثني سعيد بن جبير ، أو عكرمة، عن ابن عباس قال : قال رافع بن حُرَيْملة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إنْ كنت رسولاً من عند الله كما تقول ، فقل لله عز وجلّ فليكلّمْنا حتى نسمع كلامه ! فأنزل الله عز وجل في ذلك من قوله : « وقال الذين لا يَعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية » الآية كلها . (١)

* * *

وقال آخرون: بل عنى بذلك مشركي العرب . ذكر من قال ذلك:

١٨٦٣ – حدثنا بشر بن معاذ : قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية » ، وهم كفار العرب .

١٨٦٤ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « وقال الذين لا يَعلمون لولا يكلّمنا الله » ، قال : هم كفار العرب .

١٨٦٥ – حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن

---

(١) الأثر : ١٨٦٢ – سيرة ابن هشام ٢ : ١٩٨ .

السدى : « وقال الذين لا يعلمون كولا يكلّمنا الله » ، أما « الذين لا يعلمون » ، فهم العرب .

* * *

وأولى هذه الأقوال بالصحة والصواب قولُ القائل : إن الله تعالى عنى بقوله : « وقال الذين لا يعلمون » النصارى . دون غيرهم . لأن ذلك فى سياق خبر الله عنهم ، وعن افترائهم عليه ، وادّعائهم له ولداً ، فقال جل ثناؤه مخبراً عنهم فيما أخبر عنهم من ضلالتهم : أنهم مع افترائهم على الله الكذب بقولهم : « اتخذ الله ولداً » ، تمنّوا على الله الأباطيل ، فقالوا جهلاً منهم بالله . وبمنزلتهم عنده ، وهم بالله مشركون : « لولا يكلمنا الله » كما يكلّم رسله وأنبياءه ، أو تأتينا آية كما أتتهم ؟ ولا ينبغى لله أن يكلم إلا أولياءه ، ولا يؤتى آية معجزةً على دعوى مدّعٍ إلاّ لمن كان محقًّا فى دعواه وداعياً إلى الله وتوحيده ؛ فأما من كان كاذباً فى دعواه وداعياً إلى الفرية عليه ، وادعاءِ البنين والبنات له ، فغير جائز أن يكلمه الله جل ثناؤه ، أو يؤتيه آية معجزة تكون مؤيّدة كذبه وفريته عليه .

وأمّا الزاعمُ أن الله عنى بقوله[1] : « وقال الذين لا يعلمون » ، العربَ ، فإنه قائلٌ قولاً لا خبرَ بصحته ، ولا برهانَ على حقيقته فى ظاهر الكتاب . والقول إذا صارَ إلى ذلك ، كان واضحاً خطؤه ، لأنه ادّعى ما لا برهان على صحته . وادعاء مثل ذلك لن يتعذر على أحد .

* * *

وأما معنى قوله : « لولا يكلّمنا الله » فإنه بمعنى : هلاّ يكلمنا الله ، كما قال الأشهب بن رُمَيْلة[2]

---

(١) فى المطبوعة : « وقال الزاعم . . . » والصواب ما أثبت ، كما استدركه مصحح المطبوعة .

(٢) ليس للأشهب ، بل هو لجرير ، وقد تابعه ابن الشجرى فى أماليه ٢ : ٢١٠ ، كأنه نقله عنه كعادته .

تَعُدُّونَ عَقْرَ النِّيبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ بَنِي ضَوْطَرَى، لولاَ الكَمِيَّ المُقَنَّعا![1]

بمعنى : فهلاَّ تعدونَ الكمى المقنع ! كما :

١٨٦٦ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « لولا يكلّمنا الله »، قال : فهلاَّ يكلمنا الله !

• • •

قال أبو جعفر : فأما « الآية »، فقد ثبت فيما قبلُ معنى «الآية»، أنها العلامة .[2] وإنما أخبر الله عنهم أنهم قالوا : هلا تأتينا آية على ما نريد ونسأل[3] ، كما

---

(١) ديوان جرير : ٣٣٨ ، النقائض : ٨٣٣ ، وسيأتى فى التفسير ٧ : ١١٩ (بولاق) غير منسوب ، ومجاز القرآن : ٥٢ ، وأمالى ابن الشجرى ١ : ٢٧٩ ، ٢/٣٣٤ : ٢١٠ ، والخزانة ١ : ٤٦١. ورواية الديوان والنقائض : « أفضل سميكم » . والبيت من قصيدة طويلة فى مناقضة جرير والفرزدق . وقوله : « عقر النيب » . عقر الناقة أو الفرس : ضرب قوائمها فقطعها ، وكانوا إذا أرادوا نحر البعير عقروه ، ثم نحروه ، وإنما يفعلون به ذلك كيلا يشرد عند النحر . وكان العرب يتكارمون بالمعاقرة . وهى أن يعقر هذا ناقة ، فيعقر الآخر ، يتباريان فى الجود والسخاء ، ويلحان فى ذلك حتى يغلب أحدهما صاحبه . والنيب جمع ناب : وهى الناقة المسنة ، أسموها بذلك لطول نابها . ويشير جرير بذلك إلى ما كان يفخر به الفرزدق من معاقرة أبيه غالب بن صعصعة ، سحيم بن وثيل الرياحى بمكان يقال له « صوأر » ، فعقر سحيم خمساً ثم بدا له ، وعقر غالب مئة ، أو مئتين . وهذا أمر من أمور الجاهلية ، قال ابن عباس : « لا تأكلوا من تعاقر الأعراب ، فإنى لا آمن أن يكون مما أهل لغير الله به » ، وقال على رضى الله عنه : « يا أيها الناس ، لا تحل لكم ، فإنها أهل بها لغير الله » . (انظر خبر المعاقرة فى النقائض : ٦٢٥ – ٦٢٦) .

وقوله : « بنى ضوطرى » ، يعنى : يا بنى الحمق . هكذا قيل ، وأخشى أن لا يكون كذلك ، فإن : « ضوطرى » نبز لرجل من بنى مجاشع بن دارم – لم يعينوه – فقال جرير للفرزدق :

إنّ ابن شِعْرةَ، والقَرِينَ، وضَوْطَرَي بِئْسَ الفَوارِسُ لَيْلَةَ الحَدَثانِ

فهذا دليل على أنه شخص بعينه ، أرجو أن أحققه فى غير هذا المكان . وقد أراد ذمه بأسلافه على كل . والكمى : الشجاع الذى لا يرهب ، فلا يحيد عن قرنه ، كان عليه سلاح أو لم يكن .

وقوله : « تعدون » أى تحسبون وتجعلون ، فعدى الفعل « عد » إلى مفعولين ، تضميناً لمعنى « جعل وحسب »، كما قال ذو الرمة :

أَشَمُّ أَغَرُّ أَزْهَرُ هِبْرِزِيٌّ يَعُدُّ القَاصِدِينَ لَهُ عِيالاَ

(٢) انظر ما سلف ١ : ١٠٦ .

(٣) فى المطبوعة : « عما نريده ونسأل » ، والصواب ما أثبت .

تت الأنبياء والرسل ! فقال عز وجل : « كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم » .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فيمن عنى الله بقوله : « كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم » . فقال بعضهم فى ذلك بما : —

١٨٦٧ — حدثنى به محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم » ، هم اليهود .

١٨٦٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « قال الذين من قبلهم » ، اليهود .

* * *

وقال آخرون : هم اليهود والنصارى ، لأن « الذين لا يعلمون » ، هم العرب .(١)

* ذكر من قال ذلك :

٤٠٨/١ ١٨٦٩ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة قال : « الذين من قبلهم » ، يعنى اليهود والنصارى وغيرهم .

١٨٧٠ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : قالوا : — يعنى العرب — كما قالت اليهود والنصارى من قبلهم .

١٨٧١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ،

---

(١) فى المطبوعة : « هم اليهود » ، والصواب ما أثبت ، كما استظهره مصحح المطبوعة ، ودليل ذلك أنه سيروى بعد عن قتادة ، وقد مضى فى رقم ١٧٦٣ بإسناده هذا عن قتادة : أن « الذين لا يعلمون » ، هم كفار العرب ، والأثر التالى تتمة هذا الأثر السالف

عن أبيه ، عن الربيع : « كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم » ، يعنى اليهود والنصارى .

* * *

قال أبو جعفر : قد دللنا على أنّ الذين عنى الله تعالى ذكره بقوله : « وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله » ، هم النصارى ، والذين قالوا مثل قولهم هم اليهود[1] : سألتْ موسى صلى الله عليه وسلم أن يريهم ربهم جهرة ،[2] وأن يسمعهم كلام ربهم — كما قد بينا فيما مضى من كتابنا هذا —[3] وسألوا من الآيات ما ليس لهم مسألته تحكماً منهم على ربهم . وكذلك تمنت النصارى على ربها تحكماً منها عليه ، أن يسمعهم كلامه ، ويريهم ما أرادوا من الآيات. فأخبر الله جل ثناؤه عنهم أنهم قالوا من القول فى ذلك ، مثل الذى قالته اليهود ، وتمنّت على ربها مثل أمانيّها ، وأنّ قولهم الذى قالوه من ذلك ، إنما يشابه قول اليهود ، من أجل تشابه قلوبهم فى الضلالة والكفر بالله . فهم وإن اختلفت مذاهبهم فى كذبهم على الله وافترائهم عليه ، فقلوبهم متشابهة فى الكفر بربهم والفرية عليه ، وتحكمهم على أنبياء الله ورسله عليهم السلام . وبنحو ما قلنا فى ذلك قال مجاهد :

١٨٧٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « تشابهت قُلوبهم » ، قلوب النصارى واليهود .

* * *

وقال غيره :[4] معنى ذلك : تشابهت قلوبُ كفار العرب واليهود والنصارى وغيرهم . ذكر من قال ذلك :

١٨٧٣ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن

---

(١) فى المطبوعة : « والذين قالت » . والضمير فى قوله « والذين قالوا » إلى النصارى يعود . وانظر دليله فيما سلف قريباً : ٥٥٠

(٢) فى المطبوعة : « وسألت موسى » ، وحذف الواو أولى . وكان أحب أن تكون « سألوا » مكان « سألت » .

(٣) انظر ما سلف فى تفسير الآية : ٥٥ ، والأثر : ٩٥٩

(٤) فى المطبوعة : « وقال غيرهم » ، والصواب ما أثبت ، فإنه روى قول مجاهد وحده .

قتادة : « تشابهت قلوبهم » ، يعنى العرب واليهود والنصارى وغيرهم .

١٨٧٤ – حدثنى المثنى ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « تشابهت قلوبهم » ، يعنى العربَ واليهود والنصارى وغيرهم .

* * *

قال أبو جعفر : وغير جائز فى قوله ، « تَشابَهت » التثقيل . لأن « التاء » التى فى أولها زائدة ، أدخلتِ فِى قوله : « تفاعل » ، وإن ثقلت صارت تاءين . ولا يجوز إدخال تاءين زائدتين علامة لمعنى واحد . وإنّما يجوز ذلك فى الاستقبال ، لاختلاف معنى دخولهما ، لأن إحداهما تدخل علماً للاستقبال ، والأخرى منهما التى فى « تفاعل » ، ثم تدغم إحداهما فى الأخرى فتثقّل ، فيقال : تشّابه بعدَ اليوم قلوبُنا[1] .

* * *

فمعنى الآية : وقالت النصارى ، الجهالُ بالله وبعظمته : هلاّ يكلمنا الله ربنا ، كما كلم أنبياءه ورسلَه ، أو تجيئنا علامةٌ من الله نعرف بها صدق ما نحن عليه على ما نسأل ونريد؟ قال الله جل ثناؤه : فكما قال هؤلاء الجهال من النصارى وتمنّوا على ربهم ، قال مَنْ قبلهم من اليهود ، فسألوا ربهم أن يريهم الله نفسه جهرة ، ويؤتيهم آيةً ، واحتكموا عليه وعلى رُسله ، وتَمنّوا الأمانى . فاشتبهت قلوبُ اليهود والنصارى فى تمرُّدهم على الله ، وقلة معرفتهم بعظمته ، وجرأتهم على أنبيائه ورسله ، كما اشتبهت أقوالهم التى قالوها .

* * *

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٧٥ ، وعبارة الطبرى هنا تصحح الخطأ الذى هناك .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (١١٨)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « قد بيّنّا الآيات لقوم يُوقنون »، قد بيّنا العلامات التى من أجلها غضب الله على اليهود ، وجعل منهم القردة والخنازير ، وأعد لهم العذاب المهين فى معادهم ؛ والتى من أجلها أخزَى الله النصارَى فى الدنيا ، وأعدّ لهم الخزى والعذاب الأليم فى الآخرة ؛ والتى منْ أجلها جعل سكان الجنانِ ، الذين أسلموا وجوههم لله وهُم مُحسنون — فى هذه السورة وغيرها. فأُعْلِموا الأسباب التى من أجلها استحقّ كل فريق منهم من الله ما فعل به من ذلك ، وخصّ الله بذلك القوم الذين يُوقنون ، لأنهم أهل التثبت فى الأمور ، والطالبون معرفةَ حقائق الأشياء على يقين وصحة . فأخبر الله جل ثناؤه أنه بيّن لمن كانت هذه الصفةُ صفتَه ما بيّن من ذلك، ليزول شكّه ويعلم حقيقة الأمر ، إذْ كان ذلك خبراً من الله جل ثناؤه، وخبرُ الله الخبرُ الذى لا يُعذَر سامعه بالشكّ فيه . وقد يحتمل غيرُه من الأخبار ما يحتمل من الأسباب العارضة فيه من السهو والغلط والكذب ، وذلك منفىٌّ عن خبرِ الله عز وجل . ٤٠٩/١

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾

قال أبو جعفر : ومعنى قوله جل ثناؤه : « إنّا أرْسلناك بالحق بَشيراً ونَذيراً » : إنا أرسلناك يا محمد بالإسلام الذى لا أقبل من أحد غيرَه من الأديان ، وهو الحق ؛ مبشّراً من اتبعك فأطاعك، وقَبِل منك ما دَعوته إليه من الحق— بالنصر فى الدنيا، والظفر بالثواب فى الآخرة ، والنعيم المقيم فيها — ومنذراً من عصاك فخالفك ، وردّ

عليك ما دعوته إليه من الحق – بالخزى فى الدنيا ، والذل فيها ، والعذاب المهين فى الآخرة .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ (١١٩)

قال أبو جعفر : قرأت عامة القرأة : « ولا تُسئلُ عَنْ أصحاب الجحيم » ، بضم «التاء» من « تسئل » ورفع «اللام» منها ، على الخبر . بمعنى : يا مُحمد إنا أرسلناك بالحقّ بشيرًا ونذيراً ، فبلغتَ ما أُرسلت به ، وإنما عليك البلاغ والإنذار ، ولست مسئولاً عمن كفر بما أتيته به من الحق ، وكان من أهل الجحيم .

وقرأ ذلك بعضُ أهل المدينة : « وَلا تَسألْ » جزماً . بمعنى النهى ، مفتوح «التاء» من « تَسأل » وجزم «اللام» منها . ومعنى ذلك على قراءة هؤلاء : إنا أرسلناك بالحق بشيرًا ونذيرًا لتبلّغ ما أرْسلت به ، لا لتسألَ عن أصحاب الجحيم ، فلا تسألْ عن حالهم . وتأوّل الذين قرأوا هذه القراءة ما :–

١٨٧٥ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليت شِعرى ما فعل أبواى ؟ فنزلت : « ولا تَسألْ عن أصحاب الجحيم » .

١٨٧٦ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليت شِعرى مَا فَعل أبواى : ليت شِعرى ما فعل أبواى ؟ ليتَ شعرى ما فعل أبواى ؟ ثلاثاً ، فنزلت : « إنا أرْسلناك بالحقّ بشيراً ونَذيراً ولا تسألْ عن أصحاب الجحيم » ، فما ذكرهما حتى توفاه الله[1] .

---

(١) الحديثان : ١٨٧٥ ، ١٨٧٦ – هما حديثان مرسلان . فإن محمد بن كعب بن سليم القرظى : تابعى . والمرسل لا تقوم به حجة ، ثم هما إسنادان ضعيفان أيضاً ، بضعف راويهما :

١٨٧٧ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قال ، أخبرنى داود بن أبى عاصم : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم : ليت شعرى أين أبواى ؟ فنزلت : « إنا أرسلناك بالحق بشيرًا ونذيرًا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم » (١)

* * *

قال أبو جعفر : والصواب عندى من القراءة فى ذلك قراءة من قرأ بالرفع ، على الخبر . لأن الله جل ثناؤه قص قصص أقوام من اليهود والنصارى ، وذكر ضلالتهم وكفرهم بالله وجراءتهم على أنبيائه ، ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : « إنا أرسلناك » يا محمد « بالحق بشيرًا » من آمن بك واتبعك ، ممن قصصت عليك أنباءه ومن لم أقصص عليك أنباءه « ونذيرًا » من كفر بك وخالفك . فبلغ رسالتى ، فليس عليك من أعمال من كفر بك – بعد إبلاغك إياه رسالتى – تبعة ، ولا أنت مسئول عما فعل بعد ذلك . ولم يجر – لمسألة رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه عن أصحاب الجحيم – ذكر ، فيكون لقوله : « ولا تسأل عن

موسى بن عبيدة بن نشيط الربذى : ضعيف جداً ، مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ٤/١/٢٩١ ، والصغير : ١٧٢ – ١٧٣ ، وابن أبى حاتم ٤/١/١٥١ – ١٥٢ ، فقال البخارى : « منكر الحديث ، قاله أحمد بن حنبل . وقال على بن المدينى ، عن القطان : كنا نتقيه تلك الأيام » . وروى ابن أبى حاتم عن الجوجزانى ، قال : « سمعت أحمد بن حنبل يقول : لا تحل الرواية عندى عن موسى بن عبيدة ، قلنا : يا أبا عبد الله ، لا يحل ؟ قال : عندى ، قلت : فإن سفيان وشعبة قد رويا عنه ؟ قال : لو بان لشعبة ما بان لغيره ما روى عنه » . وقال ابن معين : « لا يحتج بحديثه » . وقال أبو حاتم : « منكر الحديث » . وأبوه « عبيدة » ، بالتصغير ، ووقع فى المطبوعة فى الإسنادين « عبدة » . وهو خطأ .

(١) الحديث : ١٨٧٧ – وهذا مرسل أيضاً ، لا تقوم به حجة .

داود بن أبى عاصم بن عروة بن مسعود الثقفى : تابعى ثقة ، ويروى عن بعض التابعين أيضاً . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/١/٢١٠ – ٢١١ . والجرح ١/٢/٤٢١ . ووقع فى المطبوعة « داود عن أبى عاصم » . وهو تحريف ، صححناه من ابن كثير ١ : ٢٩٧ .

ونقل ابن كثير ١ : ٢٩٦ عن القرطبى أنه قال : « وقد ذكرنا فى التذكرة أن الله أحيا أبويه حتى آمنا به ، وأجبنا عن قوله : إن أبى وأباك فى النار » . ثم علق عليه ابن كثير ، فقال : « الحديث المروى فى حياة أبويه عليه السلام – ليس فى شىء من الكتب الستة ولا غيرها ، وإسناده ضعيف » .

وأنا أرى أن الإفاضة فى مثل هذا غير مجدية ، وما أمرنا أن نتكلف القول فيه .

أصحاب الجحيم » وجه يوجّه إليه . وإنما الكلام موجّه معناه إلى ما دلّ عليه ظاهرُه المفهوم ، حتى تأتى دلالة بينة تقوم بها الحجة ، على أن المراد به غيرَ ما دلّ عليه ظاهرُه، فيكون حينئذ مسلّماً للحجة الثابتة بذلك . ولا خبر تقومُ به الحجة على أن النبي صلى الله عليه وسلم نُهى عن أن يَسأل — فى هذه الآية — عن أصحاب الجحيم ، ولا دلالة تدلّ على أن ذلك كذلك فى ظاهر التنزيل . والواجب أن يكون تأويل ذلك الخبر على ما مضى ذكره قبلَ هذه الآية ، وعمّن ذُكر بعدها من اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الكفر ، دون النهى عن المسألة عنهم .(١)

* * *

فإن ظنّ ظانٌّ أن الخبر الذى رُوى عن محمد بن كعب صحيحٌ، فإن فى استحالة الشكّ من الرسول عليه السلام — فى أنّ أهل الشرك من أهل الجحيم ، وأنّ أبويه كانا منهم — ما يدفع صحّة ما قاله محمد بن كعب ، إن كان الخبر عنه صحيحاً . مع أنّ فى ابتداء الخبر بعد قوله : « إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً» بـ « الواو» — بقوله : « ولا تسئل عن أصحاب الجحيم »، وتركه وَصْل ذلك بأوّله بـ «الفاء»، وأن يكون « إنا أرْسلناك بالحقّ بشيراً ونذيراً فلاتسأل عن أصحاب الجحيم » —(٢) أوضح الدلالة
٤١٠/١ على أن الخبر بقوله :(٣) « ولا تسئل »، أوْلى من النهى ، والرفعُ به أوْلى من الجزم .

وقد ذكر أنّها فى قراءة أُبىّ: « وَما تُسأل » ، وفى قراءة ابن مسعود: « ولنْ تُسألَ » ، وكلتا هاتين القراءتين تشهد بالرفع والخبر فيه ، دون النهى(٤) .

* * *

(١) حجة قوية لا ترد ، وبصر بسياق معانى القرآن وتتابعها . ولكن كثيراً من الناس يغفلون عن مواطن الحق فى موضع بعينه ، لاختلاط الأمر عليهم لمشابهته لموطن آخر فى موضع غيره، كما سترى فى التعليق التالى رقم : ٤ .

(٢) كان فى المطبوعة : « بالواو يقول : فلا تسئل عن أصحاب الجحيم ... بشيراً ونذيراً ولا تسئل عن أصحاب الجحيم » ، وهو خطأ ، كما استدركه مصحح المطبوعة فى تعليقه .

(٣) فى المطبوعة : « أوضح الدلائل » بالجمع ، والإفراد هو الصواب ، وكأنه سبق قلم من ناسخ .

(٤) قال ابن كثير فى تفسيره ١ : ٢٩٧ « وقد رد ابن جرير هذا القول المروى عن محمد بن ابن كعب وغيره ، فى ذلك لاستحالة الشك من الرسول صلى الله عليه وسلم فى أمر أبويه ، واختار القراءة الأولى . وهذا الذى سلكه ههنا فيه نظر ، لاحتمال أن هذا كان فى حال استغفاره لأبويه ، قبل أن يعلم

وقد كان بعض نحويي البصرة يوجه قوله: « ولا تُسأل عن أصحاب الجحيم » إلى الحال ، كأنه كان يرى أن معناه : إنّا أرْسلناك بالحق بشيرًا ونَذيرًا غيرَ مسئولٍ عن أصحاب الجحيم . وذلك إذا ضَمّ « التاء » ، وقرأه على معنى الخبر ، وكان يجيز على ذلك قراءته : « ولا تَسأَلُ » بفتح « التاء » وَضم « اللام » على وجه الخبر ، بمعنى : إنا أرسلناك بالحقّ بشيراً ونذيرًا غيرَ سائل عن أصحاب الجحيم . وقد بينا الصواب عندنا فى ذلك .

وهذان القولان اللذان ذكرتهما عن البصرى فى ذلك ، يدفعهما ما روى عن ابن

أمرها ، فلما علم ذلك تبرأ منهما ، وأخبر عنهما أنهما من أهل النار ، كما ثبت هذا فى الصحيح . ولهذا أشباه كثيرة ونظائر ، ولا يلزم ما ذكره ابن جرير والله أعلم » .

ينسى ابن كثير غفر الله له ، ما أعاد الطبرى وأبدأ من ذكر سياق الآيات المتتابعة ، والسياق كما قال هو فى ذكر اليهود والنصارى وقصصهم ، وتشابه قلوبهم فى الكفر بالله ، وقلة معرفتهم بعظمة ربهم ، وجرأتهم على رسل الله وأنبيائه ، وكل ذلك موجب عذاب الجحيم ، فما الذى أدخل كفار العرب فى هذا السياق ؟ نعم إنهم يدخلون فى معنى أنهم من أصحاب الجحيم ، كما يدخل فيه كل مشرك من العرب وغيرهم . وقد بينا آنفاً ص : ٥٢١ تعليق : ١ أن هذه الآيات السالفة والتى تليها ، دالة أوضح الدلالة على أن قصتها كلها فى اليهود والنصارى ، ولا شأن لمشركى العرب بها . وإن دخل هؤلاء المشركون فى معنى أنهم من أصحاب الجحيم ، وإذن فسياق الآيات يوجب أن تكون فى اليهود والنصارى ، فتخصيص شطر من آية بأنه نزل فى أمر بعض مشركى الجاهلية . تحكم بلا خبر ولا بينة . (وانظر ص : ٥٦٥)

ثم إن ابن كثير غفل عن معنى الطبرى ، فإن الطبرى أراد أن يدل على شيئين : أن خبر محمد بن كعب لا يصح ، وأنه إن صح عنه من وجه ، فإن نزول الآية لم يكن لهذا الذى روى عنه . وبيان ذلك :

أن الخبر لا يصح ، لأنه جاء على صيغة التشكك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى أمر بعض أهل الجاهلية : ما فعل به ، فى جنة أو نار ! وهذا مما يتنزه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفرق كبير بين أن يستغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبويه الذين كانا من أهل الجاهلية ، وعلى مثل أمرها من الشرك ، وبين أن يتشكك فى أمرهما فيقول : « ليت شعرى ما فعل أبواى ؟ » . وإنما يصح كلام ابن كثير ، إذا كان بين هذا التشكك ، وبين الاستغفار رابط يوجب أن يكون أحدهما ملازماً للآخر ، أو بسبب منه .

ثم يرد الخبر أيضاً ، لأن سياق الآيات يدل ظاهرها البين على أنها فى اليهود والنصارى نزلت ، فلا يمكن تخصيص شطر من آية من هذه الآيات المتتابعة ، على خبر لا يصح ، لعلة موهنة له . فلست أدرى لم أقحم ابن كثير الاستغفار والتبرؤ فى هذا الموضع ، مع وضوح حجة الطبرى فى الفقرة السالفة . من جهة السياق ، وفى هذه الفقرة من جهة العربية ؟

إن بعض المشكلات التى يدور عليها جدال الناس ، ربما أغفلت مثل ابن كثير عن مواطن الدقة والصواب والتحرى ، وهم يفسرون كتاب الله الذى لا يخالف بعضه بعضاً ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . اللهم إنا نسألك العصمة من الزلل ، ونستهديك فى البيان عن معانى كتابك .

مسعود وأُبيٌّ من القراءة، [1] لأن إدخالَهما ما أدخلا من ذلك من «ما» و«لن»، يدل على انقطاع الكلام عن أوله، وابتداء قوله: «ولا تسألُ». وإذا كان ابتداءً لم يكن حالاً.

* * *

وأما «أصحاب الجحيم»، فـ «الجحيم»، هي النار بعينها إذا شُبَّت وقودُها، ومنه قول أمية بن أبي الصلت:

إِذَا شُبَّتْ جَهَنَّمُ ثُمَّ دَارَتْ ... وَأَعْرَضَ عَنْ قَوَابِسِهَا الجَحِيمُ [2]

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ﴾

قال أبو جعفر: يعني بقوله جل ثناؤه: «ولن تَرْضَى عنك اليهودُ ولا النصارَى حتى تتبع ملتهم»، وليست اليهودُ، يا محمد، ولا النصارى براضية عنك أبداً، فدع طلب ما يُرضيهم ويُوافقهم، وأقبلْ على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق، فإن الذي تدعوهم إليه من ذلك لهو السبيل إلى الاجتماع فيه معك على الألفة والدين القيِّم، ولا سبيل لك إلى إرضائهم باتباع ملتهم، لأن اليهودية ضِدٌّ النصرانية، والنصرانية ضدٌّ اليهودية، ولا تجتمع النصرانية واليهودية

---

(١) في المطبوعة: «يرفعهما ما روى . . .» والصواب ما أثبت.

(٢) ديوانه: ٥٣، وروايته: «ثم فارت»، وكأنها هي الصواب، وأخشى أن يكون البيت محرفاً. لم أعرف معنى «قوابسها» هنا، وأظنه «قدامسها» جمع قدموس، وهي الحجارة الضخمة الصلبة، كقوله تعالى: «وقودها الناس والحجارة»، وأعرض الشيء اتسع وعرض، وقوله «عن» أي بسبب قذف هذه الحجارة فيها. هذا أقرب ما اهتديت إليه من معناه، ويرجح ذلك البيت الذي يليه، وفيه جواب «إذا»:

تُحَشُّ بِصَنْدَلٍ صُمٍّ صِلَابٍ ... كَأَنَّ الضَّاحِيَاتِ لَهَا قَضِيمُ

وكأنه يعني بالضاحيات: النخيل. وشعر أمية مشكل على كل حال.

فى شخص واحد ، فى حال واحدة . واليهود والنصارى لا تجتمع على الرِّضا بك ، إلا أن تكون يهوديًّا نصرانيًّا ، وذلك مما لا يكون منك أبداً، لأنك شخص واحد، ولن يجتمع فيك دينان متضادّان فى حال واحدة . وإذا لم يكن إلى اجتماعهما فيك فى وقت واحد سبيل ، لم يكن لك إلى إرضاء الفريقين سبيل . وإذا لم يكن لك إلى ذلك سبيل ، فالزَم هُدَى الله الذى لجميع الخلق إلى الألفة عليه سبيل .

* * *

وأما « الملة » فإنها الدين ، وجمعها المِلَل .

* * *

ثم قال جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد — لهؤلاء النصارى واليهود الذين قالوا : « لنْ يَدْخلَ الجنة إلاّ مَنْ كان هُوداً أوْ نصارَى » — : « إن هدى الله هو الهدى » . يعنى : إن بيان الله هو البيان المقنع ، والقضاء الفاصل بيننا ، فهلمُّوا إلى كتاب الله وبيانه — الذى بيّن فيه لعباده ما اختلفوا فيه، وهو التوراة التى تقرُّون جميعاً بأنها من عند الله — يتضحْ لكم فيها المحقّ منّا من المبطل، وأيُّنا أهل الجنة وأيُّنا أهل النار ، وأيُّنا على الصواب وأيُّنا على الخطأ .

وإنما أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعوهم إلى هدى الله وبيانه ، لأن فيه تكذيبَ اليهودِ والنصارى فيما قالوا : من أن الجنة لن يدخلها إلا من كان هوداً أو نصارى، وبيانَ أمر محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن المكذَّب به من أهل النار دون المصدِّق به .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (١٢٠)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : «ولئن اتبعت» ، يا محمد ، هَوَى هؤلاء اليهود والنصارى — فيما يرضيهم عنك — من تهوُّدٍ وتنصُّرٍ ، فصرت من ذلك

إلى إرضائهم ، ووافقت فيه محبتهم — من بعد الذى جاءك من العلم بضلالتهم وكفرهم بربهم ، ومن بعد الذى اقتصصتُ عليك من نبئهم فى هذه السورة — مالك من الله من ولىّ = يعنى بذلك : ليس لك يا محمد من ولى يلى أمرك ، وقيم يقوم به = ولا نصير ، ينصرك من الله فيدفعُ عنك ما ينزل بكَ من عقوبته ، ويمنعُك من ذلك ، إنْ أحلّ بك ذلك ربك . وقد بينا معنى « الولى » و « النصير » فيما مضى قبل .(١)

وقد قيل : إن الله تعالى ذكره أنزل هذه الآية على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن اليهود والنصارى دعته إلى أديانها ، وقال كلّ حزب منهم : إن الهدى هو ما نحن عليه ، دون ما عليه غيرنا من سائر الملل . فوعظه الله أن يفعل ذلك ، وعلّمه الحجةَ الفاصلة بينهم فيما ادّعى كل فريق منهم .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ ٤١١/١

قال أبو جعفر : اختلف أهلُ التأويل فى الذين عناهم الله جل ثناؤه بقوله : « الذينَ آتيناهم الكتاب » . فقال : بعضهم : هم المؤمنون برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به ، من أصحابه . ذكر من قال ذلك :

١٨٧٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة قوله : « الذين آتيناهم الكتابَ » ، هؤلاء أصحاب نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، آمنوا بكتاب الله وصدقوا به .

* * *

وقال آخرون : بل عنى الله بذلك علماءَ بنى إسرائيل ، الذين آمنوا بالله وصدّقوا رُسله ، فأقروا بحكم التوراة . فعملوا بما أمر الله فيها من اتباع محمد صلى

---

(١) انظر ما سلف فى هذا الجزء ٢ : ٤٨٨ ، ٤٨٩ .

الله عليه وسلم ، والإيمان به ، والتصديق بما جاء به من عند الله ، ذكر من قال ذلك :

١٨٧٩ — حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « الذين آتيناهم الكتاب يتلونَه حق تِلاوَتِه أولئكَ يُؤمنونَ به وَمَنْ يَكفُر به فأولئك هُمُ الخاسرون » ، قال : من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم من يهود ، فأولئك هم الخاسرون .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا القول أولى بالصواب من القول الذي قاله قتادة . لأن الآيات قبلها مضت بأخبار أهل الكتابين ، وتبديل من بدّل منهم كتاب الله ، وتأوُّلهم إيّاه على غير تأويله ، وادّعائهم على الله الأباطيل ، ولم يجر لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في الآية التي قبلها ذكر ، فيكون قوله : « الذين آتيناهم الكتابَ » ، موجَّهاً إلى الخبر عنهم ، ولا لهم بعدَها ذكرٌ في الآية التي تَتلوها ، فيكون موجَّهاً ذلك إلى أنه خبرٌ مُبتدأٌ عن قَصَص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعد انقضاء قصص غيرهم ؛ ولا جاء بأنّ ذلك خبرٌ عنهم أثرٌ يجب التسليم له .(١)

فإذْ كان ذلك كذلك ، فالذي هو أولى بمعنى الآية ، أن يكون موجَّهاً إلى أنه خبر عمّن قصّ الله جل ثناؤه [قَصصهم] في الآية قبلها والآية بعدها ،(٢) وهم أهل الكتابين التوراة والإنجيل . وإذْ كان ذلك كذلك ، فتأويل الآية : الذين آتيناهم الكتابَ الذي قد عرفته يا محمد — وهو التوراة — فقرأوه واتبعوا ما فيه ، فصدّقوك وآمنوا بك وبما جئت به من عندي ، أولئك يتلُونه حق تلاوته .

* * *

(١) رحم الله أبا جعفر ، فهو لا يدع الاحتجاج الصحيح عند كل آية ، ولكن بعض هل التفسير يتجاوزون ويتساهلون ، فليتهم نهجوا نهجه في الضبط والحفظ والاستدلال .

(٢) ما بين القوسين زيادة لا بد منها .

وإنما أدخلت « الألف واللام » فى « الكتاب » ، لأنه معرفة . وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عرفوا أيَّ الكتب عَنَى به .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله عز وجل : « يتلونه حق تلاوته » . فقال بعضهم : معنى ذلك : يتبعونه حقَّ اتّباعه . ذكر من قال ذلك :

١٨٨٠ — حدثني محمد بن المثنى قال ، حدثنى ابن أبى عدى وعبد الأعلى — وحدثنا عمرو بن على قال ، حدثنا ابن أبى عدى — جميعاً ، عن داود ، عن عكرمة عن ابن عباس : « يتلونه حق تلاوته » ، يتّبعونه حقَّ اتباعه .

١٨٨١ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا داود ، عن عكرمة ، بمثله .

١٨٨٢ — حدثنا عمرو بن على قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا داود بن أبى هند ، عن عكرمة ، بمثله .

١٨٨٣ — حدثني الحسين بن عمرو العنقزىّ قال ، حدثنى أبى ، عن أسباط ، عن السدى ، عن أبى مالك ، عن ابن عباس فى قول الله عز وجل : « يتلُونَه حَقَّ تلاوَته » ، قال : يحلون حلاله ويحرمون حرامه ، ولا يحرِّفونه .(١)

١٨٨٤ — حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال ، قال أبو مالك : إنّ ابن عباس قال فى : « يتلونه حَق تلاوته » ، فذكر مثله — إلا أنه قال : ولا يحرِّفونه عن مواضعه .

١٨٨٥ — حدثنا عمرو بن على قال ، حدثنا المؤمل قال ، حدثنا سفيان قال ،

---

(١) الأثر : ١٨٨٣ — فى المطبوعة : « الحسن بن عمرو العبقرى » ، وانظر التعليق على الأثر رقم : ١٦٢٥ وكذلك مضى فى الأثر : ١٦٥٥ « الحسن » ، وهو خطأ ، نصححه .

حدثنا يزيد ، عن مرة ، عن عبد الله فى قول الله عز وجل : « يتلونه حق تلاوته » : قال : يتبعونه حق اتباعه .

١٨٨٦ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبى العالية . قال ، قال عبد الله بن مسعود : والذى نفسى بيده ، إن حق تلاوته : أن يحل حلاله ويحرم حرامه ، ويقرأه كما أنزله الله ، ولا يحرف الكلم عن مواضعه ، ولا يتأول منه شيئاً على غير تأويله .

١٨٨٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة ، ومنصور بن المعتمر ، عن ابن مسعود فى قوله : « يتلونه حق تلاوته » ، أن يحل حلاله ويحرم حرامه ، ولا يحرفه عن مواضعه .

١٨٨٨ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا [أبو أحمد] الزبيرى قال ، حدثنا عباد بن العوام ، عمن ذكره ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « يتلونه حق تلاوته » ، يتبعونه حق اتباعه .

١٨٨٩ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا عباد ابن العوام ، عن الحجاج ، عن عطاء بمثله . ٤١٢/١

١٨٩٠ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن أبى رزين فى قوله : « يتلونه حق تلاوته » ، قال : يتبعونه حق اتباعه .

١٨٩١ — حدثنا عمرو بن على قال ، حدثنا مؤمل قال حدثنا سفيان — وحدثنى المثنى قال ، حدثنى أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان — وحدثنى نصر بن عبد الرحمن الأزدى قال ، حدثنا يحيى بن إبراهيم ، عن سفيان — قالوا جميعاً ، عن منصور ، عن أبى رزين مثله .

١٨٩٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن مجاهد : « يتلونه حق تلاوته » ، قال : عملاً به[1] .

---

(١) الأثر ١٨٩٢ — فى المطبوعة : « أبو حميد » ، والصواب ما أثبت ، وهو محمد بن حميد ، وهو كثير ذكره فيما سلف

١٨٩٣ – حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم، قال أخبرنا عبد الملك ، عن قيس بن سعد : « يتلونه حقّ تلاوته »، قال : يتبعونه حق اتباعه ، ألم تر إلى قوله : ﴿ وَالقَمَرِ إِذَا تَلاَهَا ﴾ [سورة الشمس : ٢] ، يعني الشمسَ إذا تبعها القمر .

١٨٩٤ – حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال، أخبرنا ابن المبارك، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء وقيس بن سعد ، عن مجاهد في قوله : « يتلونه حقّ تلاوته » ، قال : يعملون به حقّ عمله .

١٨٩٥ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال، أخبرنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن قيس بن سعد ، عن مجاهد ، قال : يتبعونه حقّ اتباعه .

١٨٩٦ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٨٩٧ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « يتلونه حق تلاوته » ، يعملون به حقّ عمله .

١٨٩٨ – حدثنا عمرو بن علي قال ، حدثنا مؤمل بن إسمعيل قال ، حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن مجاهد في قوله : « يتلونه حق تلاوته » ، قال : يتبعونه حق اتباعه .

١٨٩٩ – حدثني عمرو قال ، حدثنا أبو قتيبة قال ، حدثنا الحسن بن أبي جعفر ، عن أيوب ، عن أبي الخليل ، عن مجاهد : « يتلونه حق تلاوته » قال : يتبعونه حق اتباعه .(١)

---

(١) الخبر : ١٨٩٩ – أبو قتيبة : هو سلم بن قتيبة الشعيري – بفتح الشين المعجمة – الخراساني ، وهو ثقة مأمون ، أخرج له البخاري وأصحاب السنن . مترجم في التهذيب ، والكبير ٢/٢/١٦٠ ، وابن أبي حاتم ٢/١/٢٦٦ .

الحسن بن أبي جعفر الجفري : حسن الحديث ، تكلموا فيه ، ورجحنا تحسين أحاديثه مفصلا في شرح المسند : ٥٨١٨ . مترجم في التهذيب ، والكبير ١/٢/٢٨٦ ، وابن أبي حاتم ١/٢/٢٩ . و « الجفري » : بضم الجيم وسكون الفاء ، نسبة إلى «جفرة خالد» بالبصرة . كما في الأنساب واللباب والمشتبه.

أيوب : هو السختياني ، وفي المطبوعة « عن أبي أيوب » . وهو خطأ . استقينا تصويبه من التراجم .

أبو الخليل : هو صالح بن أبي مريم الضبعي ، وهو ثقة . مترجم في التهذيب ، والكبير ٢/٢/٢٩٠ وابن أبي حاتم ٢/١/٤١٥ – ٤١٦ .

١٩٠٠ ــ حدثنا عمرو قال ، حدثنا يحيى القطان ، عن عبد الملك ، عطاء قوله : « يتلونه حقّ تلاوته » ، قال : يتبعونه حق اتباعه ، يعملون به حق عمله .

١٩٠١ ــ حدثنا سفيان بن وكيع قال ، حدثني أبي ، عن المبارك ، عن الحسن : « يتلونه حق تلاوته » ، قال : يعملون بمُحكمه ، ويؤمنون بمتشابهه ، ويكِلون ما أشكل عليهم إلى عالمه .(١)

١٩٠٢ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « يتلونه حق تلاوته » ، قال : أحلوا حلاله وحرّموا حرامه ، وعملوا بما فيه . ذُكر لنا أنّ ابن مسعود كان يقول : إن حقّ تلاوته : أن يُحل حلاله ويحرم حرامَه ، وأن يقرأه كما أنزله الله عز وجل ، ولا يحرّفه عن مواضعه .

١٩٠٣ ــ حدثنا عمرو قال ، حدثنا أبو داود قال ، حدثنا الحكم بن عطية ، سمعت قتادة يقول : « يتلونه حق تلاوته » ، قال : يتبعونه حق اتباعه . قال : اتّباعُه : يحلون حلاله ويحرّمون حرامه ، ويقرأونه كما أنزل .

١٩٠٤ ــ حدثنا المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن داود ، عن عكرمة في قوله : « يتلونه حق تلاوته » ، قال : يتبعونه حق اتباعه ، أمَا سمعت الله عز وجل : ﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴾ [سورة الشمس : ٢] ، قال : إذا تَبعها .

* * *

وقال آخرون : : « يتلونه حقّ تلاوته » ، يقرأونه حق قراءته .(٢)

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في تأويل ذلك أنه بمعنى : يتبعونه حقّ اتّباعه ، من قول القائل : « ما زلت أتْلو أثره » ، إذا اتّبع أثره ،(٣) لإجماع الحجة من أهل التأويل على أنّ ذلك تأويله .

---

(١) الخبر : ١٩٠١ ــ مبارك : هو ابن فضالة . وهو من أخص الناس بالحسن البصري . كما قلنا في : ٦١١ .

(٢) انظر ما سلف في هذا الجزء ٢ : ٤١١

(٣) انظر ما سلف في هذا الجزء ٢ : ٤١١

وإذْ كان ذلك تأويله ، فمعنى الكلام : الذين آتيناهم الكتاب ، يا محمد من أهل التوراة الذين آمنوا بك وبما جئتهم به من الحق من عندى ، يتبعون كتابى الذى أنزلتُه على رسولى موسى صلوات الله عليه ، فيؤمنون به ويقرُّون بما فيه من نعتك وصفتك ، وأنك رسولى ، فرضٌ عليهم طاعتى فى الإيمان بك والتصديق بما جئتهم به من عندى ، ويَعملون بما أحللت لهم ، ويجتنبون ما حرّمت عليهم فيه ، ولا يحرّفونه عن مواضعه ، ولا يبدلونه ولا يغيرونه — كما أنزلته عليهم — بتأويل ولا غيره .

* * *

أما قوله : « حقّ تِلاوته » ، فبالغة فى صفة اتباعهم الكتاب ولزومهم العمل به ، كما يقال : «إنّ فلاناً لعالم حقُّ عالم » ، وكما يقال : « إن فلاناً لفاضل كلّ فاضل »[1]

* * *

وقد اختلف أهل العربية فى إضافة « حق » إلى المعرفة . فقال بعض نحويى الكوفة غير جائزة إضافته إلى معرفة ، لأنه بمعنى « أىّ » ، وبمعنى قولك : « أفضلُ رجلٍ فلان » ، وأفعل لا يضاف إلى واحد معرفةٍ ، لأنه مبعّض ، ولا يكون الواحدُ المبعَّض معرفة . فأحالوا أن يقال : « مررت بالرجل حقّ الرجل » « ومررت بالرجل جِدّ الرجل » ، كما أحالوا : « مررت بالرجل أىّ الرجل » . وأجازوا ذلك فى « كل الرجل » و « عين الرجل » و « نفس الرجل » .[2] وقالوا : إنما أجزْنا ذلك ، لأن هذه الحروف كانت فى الأصل توكيداً ، فلما صِرْن مُدُوحاً ، تركن مُدُوحاً على أصُولهنّ فى المعرفة . ٤١٣/١

وزعموا أن قوله : « يتلُونه حقّ تلاوته » إنما جازت إضافته إلى التلاوة ، وهى مضافة إلى معرفة ، لأن العرب تعتد بـ « الهاء » — إذا عادت إلى نكرة — بالنكرة ، فيقولون : « مررت برجل واحدٍ أمّه ، ونسيج وحدِه ، وسيّد قومه » ، قالوا فكذلك قوله « حقّ تلاوته » ، إنما جازت إضافة « حق » إلى « التلاوة » وهى مضافة إلى

(١) انظر سيبويه ١ : ٢٢٣ — ٢٢٤ .

(٢) فى المطبوعة « غير الرجل » .

« الهاء » لاعتداد العرب بـ « الهاء » التي في نظائرها في عداد النكرات . قالوا ولو كان ذلك « حق التلاوة » ، لوجب أن يكون جائزاً ، « مررت بالرجل حق الرجل » .

فعلى هذا القول تأويلُ الكلام : الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حَقَّ تلاوَةٍ .

* * *

وقال بعض نحويي البصرة : جائزةٌ إضافة « حق » إلى النكرات مع النكرات ، ومع المعارف إلى المعارف ، وإنما ذلك نظيرُ قول القائل : « مررت بالرجل غلام الرجل » و « برجل غلام رجل »

فتأويل الآية على قول هؤلاء : الذين آتيناهم الكتابَ يتلونه حق تلاوته[1]

* * *

وأولى ذلك بالصواب عندَنا القولُ الأول ، لأن معنى قوله : « حَقَّ تلاوته » أيَّ تلاوَةٍ ، بمعنى مدح التلاوة التي تَلوْها وتفضيلها . و « أيَّ » غير جائزة إضافتها إلى واحدٍ معرفةٍ عند جميعهم. وكذلك «حق » غير جائزة إضافتُها إلى واحد معرفة . وإنما أضيف في « حق تلاوته » إلى ما فيه « الهاء » ، لما وصفت من العلة التي تقدم بيانها .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾

قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بقوله : « أولئك » ، هؤلاء الذين أخبرَ عنهم أنهم يتلون ما آتاهم من الكتاب حق تلاوته ، وأما قوله : « يُؤمنون به » ، فإنه يعني : يصدِّقُون به . و « الهاء » التي في قوله : « به » عائدة على « الهاء » التي في « تلاوته » ، وهما جميعاً من ذكر الكتاب الذي قال الله : « الذين آتيناهم الكتاب » .

فأخبر الله جل ثناؤه أن المؤمن بالتوراة ، هو المتبعُ ما فيها من حلالها وحرامها ، والعاملُ بما فيها من فرائض الله التي فَرَضها فيها على أهلها ، وأنَّ أهلها الذين هُم أهلُها مَن كان ذلك صفتَه ، دون من كان محرِّفاً لها ، مبدِّلا تأويلها ، مغيِّراً

(١) الصواب أنه يقوله : « حق تلاوة الكتاب » ، ولعل الناسخ أخطأ .

سُنَنها ، تاركاً ما فرض الله فيها عليه .

* * *

وإنما وصَف جل ثناؤه من وَصَف بما وُصف به من متبعى التوراة ، وأثنى عليهم بما أثنى به عليهم ، لأنّ فى اتباعها اتّباعَ محمد نبى الله صلى الله عليه وسلم وتصديقه ، لأن التوراة تأمر أهلها بذلك ، وتخبرهم عن الله تعالى ذكره بنبوته ، وفرض طاعته على جميع خلق الله من بنى آدم ، وأنّ فى التكذيب بمحمد التكذيبَ لها . فأخبر جل ثناؤه أن متّبعى التوراة هم المؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وهم العاملون بما فيها ، كما : —

١٩٠٥ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « أولئك يؤمنون به » ، قال : من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى إسرائيل وبالتوراة ، وإن الكافر بمحمد صلى الله عليه وسلم هو الكافر بها الخاسر ، كما قال جل ثناؤه : « ومن يكفُر به فأولئك همُ الخاسرون » .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ (١٢١)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « ومن يَكفُرْ به » ، ومن يكفر بالكتاب الذى أخبرَ أنه يتلوه — مَن آتاه من المؤمنين — حقّ تلاوته . ويعنى بقوله جل ثناؤه : « يكفر » ، يجحد ما فيه من فرائض الله ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم وتصديقه ، ويبدّله فيحرف تأويله ، أولئك هم الذين خسروا عِلمهم وعَملهم ، فبخسوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله ، واستبدلوا بها سَخَط الله وغضَبه . وقال ابن زيد فى قوله ، بمـــا : —

١٩٠٦ — حدثنى يونس به قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد:

---

(١) انظر ما سلف فى معنى « الخاسر » ١ : ٤١٧ ثم هذا الجزء ٢ : ١٦٦ .

« ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون »، قال: من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم من يهود ، « فأولئك هُم الخاسرون »

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١٢٢)

٤١٤/١ قال أبو جعفر : وهذه الآية عظةٌ من الله تعالى ذكره لليهود الذين كانوا بين ظهرانى مهاجَر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتذكيرٌ منه لهم ما سَلف من أياديه إليهم فى صُنعه بأوائلهم، استعطافاً منه لهم على دينه وتصديق رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، فقال: يا بنى إسرائيل اذكروا أيادى لدَيكم ، وصنائعى عندكم، واستنقاذى إياكم من أيدى عدوّكم فرعون وقومه، وإنزالى عليكم المنَّ والسلوى فى تِيهكم، وتمكينى لكم فى البلاد بعد أنْ كنتم مذلَّلين مقهورين، واختصاصى الرسلَ منكم ، وتفضيلى إيّاكم على عالم مَنْ كنتم بين ظهرانيه ، أيامَ أنتم فى طاعتى —[1] باتباع رسولى إليكم ، وتصديقه وتصديق ما جاءكم به من عندى ، ودَعوا التمادى فى الضلال والغيّ .

وقد ذكرنا فيما مضى النِّعم التى أنعم الله بها على بنى إسرائيل ، والمعانى التى ذكّرهم جل ثناؤه من آلائه عندَهم، والعالَم الذى فُضّلوا عليه — فيما مضى قبلُ بالروايات والشواهد ، فكرهنا تطويل الكتاب بإعادته ، إذ كان المعنى فى ذلك فى هذا الموضع وهنالك واحداً .[2]

* * *

---

(١) إن لم يكن قد سقط هنا قوله : « وأعظكم باتباع رسولى . . . » ، فإن قوله « باتباع رسولى » متعلق بقوله فى صدر الخطاب : « اذكروا أيادى لديكم . . . »

(٢) انظر ما سلف فى هذا الجزء ٢ : ٢٣ — ٢٦

القول فى تأويل قوله ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (١٢٣)

قال أبو جعفر : وهذه الآية ترهيبٌ من الله جل ثناؤه للذين سلفت عظته إياهم بما وعظهم به فى الآية قبلها . يقول الله لهم : واتقوا – يا معشر بنى إسرائيل ، المبدِّلين كتابى وتنزيلى ، المحرِّفين تأويله عن وجهه ، المكذِّبين برسولى محمد صلى الله عليه وسلم – عذابَ يوم لا تقضى فيه نفس عن نفس شيئاً ، ولا تغنى عنها غناءً أنْ تهلكوا على ما أنتم عليه من كفركم بى ، وتكذيبكم رسولى ، فتموتوا عليه ، فإنه يوم لا يُقبل من نفس فيما لزمها فديةٌ ، ولا يَشفع فيما وَجب عليها من حق لها شافع ، ولا هم يَنصرها ناصرٌ من الله إذا انتقم منها بمعصيتها إيّاه .(١)

* * *

وقد مضى البيان عن كل معانى هذه الآية فى نظيرتها قبل ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع .(٢)

تم الجزء الثانى من تفسير الطبرى

ويليه الجزء الثالث وأوّله

القولُ فى تأويل قوله تعالى

﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ ﴾

---

(١) فى المطبوعة : « ولا هم ينصرهم » ، وهو خطأ ، صوابه ما أثبت .

(٢) انظر ما سلف فى هذا الجزء ٢ : ٢٦ – ٣٦ .

الفهارس

فهرس الآيات التى استدل بها فى غير موضعها من التفسير

السورة/الآية	الصفحة
آيات سورة البقرة	
٤٤	٢٤٦
٦٠	٩٨
٦٣	٢٩٣
٨٣—٨٥	١٥٦، ١٥٧
٨٧	٣٩٩
٩٣	٧٤، ٤٨٣
١٠٢	٣٥١
١٠٩	٣٣٦
١١١	٣٦٤
١٤٢	٥٢٧
١٤٤	٥٢٧، ٥٢٩، ٥٣٠
١٤٩، ١٥٠	٥٢٩
٢١٠	٩١
٢٧١	١٢٧، ٣٣٩
٢٧٩	٤٤٩
* * *	
آيات سورة آل عمران	
١٢	٣٨٨
٢٤	٢٨٠
٧٢	٢٥٣
٨٥	١٥٥
١١٠	٢٤
١٥٩	٣٣٠
١٨٥	٢٠
١٩٩	٥٣٢

السورة/الآية	الصفحة
آيات سورة النساء	
٤٦	٤٦١، ٤٦٣، ٥٠٣
٥١—٥٤	٣٤٣
١١٠	٤٩١
١٥٣	١٧٣
١٥٧	٢٦٣
* * *	
آيات سورة المائدة	
١٨	٣٦٤
٢١	١٣٣
٢١—٢٤	١٣٤
٢٢	١٤٥
٢٤	١٧٣
٢٩	١٣٨
٧٨	١٧٢
٨٠	٣٣٩
١١٠	٣٢١، ٣٢٢
* * *	
آية سورة الأنعام	
٧٠	٣٥
* * *	
آيات سورة الأعراف	
٣٨	٢٢٤
٨٩	٢٥٤
١٤٣	٨٤، ٢٤١
١٥٥—١٥٦	٨٨

السورة/الآية	الصفحة
آيات سورة الأعراف	
١٥٦	١٤٣
١٦٣	١٦٨، ١٧٠، ١٧١، ٣٥٩
١٦٤	١٠٨، ١٧٠، ١٧٢
١٦٦	١٧٢
١٦٨	٤٩
١٧١	١٥٩
١٨٣	٨٣
* * *	
آيات سورة الأنفال	
٧	٥٩
٤١	٧١
٦٠	١٦٧
* * *	
آيات سورة التوبة	
٥	٥٠٣
١٠	٣٩١
٢٩	١٣٦، ١٣٧، ٥٠٣
٦٧	٩
٧٥	١٦٢، ١٦٣
٧٦	١٦٢
* * *	
آيات سورة يونس	
٣٠	٤١١
٤٢، ٤٣	١٤٩
٩٠	٥٢

السورة/الآية	الصفحة
آية سورة هود	
١١٦	١٧٠
* * *	
آيات سورة يوسف	
٢٣	١٠٩
٢٩	٣٠٣
٧٩	١٠٩
٨٢	٦١، ٣٥٩
* * *	
آية سورة الرعد	
٣١	٣٣٧
* * *	
آيات سورة إبراهيم	
١١	٢٦٥
٢٢	٥٩
* * *	
آيات سورة الحجر	
٥٧، ٥٨	١٨٣
* * *	
آيات سورة النحل	
٤٠	٥٤٩
٤٨	٢٤١
* * *	
آيات سورة الإسراء	
٢٣	٥٤٢
٤١	٥٤٢
٨٦	٤٧٩

السورة/الآية	الصفحة
آيات سورة الكهف	
٢٤	٤٧٥
٢٩	٢٨٤
٥٣	١٩
٧٧	٢٤٢
* * *	
آيات سورة طه	
٢٠	٢١٩
٦٦	٤٣٩
٧١	٤١٢
٧٧	٥٢، ٥٧
٨٤–٨٦	٦٨
٨٦–٨٧	٧٤
٨٨–٩١	٦٦، ٦٨
٨٩–٩١	٦٧
٩٤–٩٧	٧٤
٩٦	٦٤
١٣٠	١٤
* * *	
آيات سورة الأنبياء	
٣٥	٢٠، ٤٩
٤٧	٣٢
* * *	
آية سورة الحج	
٥	٥٤٩
* * *	
آية سورة النور	
٨	٢٢٤

السورة/الآية	الصفحة
آية سورة الفرقان	
٤٥	٥٨
* * *	
آيات سورة الشعراء	
٥٣، ٥٤	٥٥
٥٤–٥٦	٥٣
٥٧–٥٩	١٣٥
٦٠	٥٥
٦١، ٦٢	٥١
٦٣	٥٣، ٢٣٢
٦٤	٥٦
* * *	
آيات سورة النمل	
٢٧	٢٢٨
٩٠	٢٨٦
* * *	
آية سورة القصص	
٤	٤٤
* * *	
آيات سورة العنكبوت	
٨	٢٩٥
٥٧	٢٠
* * *	
آية سورة الروم	
٢٥	٥٤٧
* * *	
آيات سورة السجدة	
١–٣	٤٩٢، ٤٩٣

السورة/الآية	الصفحة
آيات سورة الأحزاب	
١، ٢	٤٨٥
٣٧	٤٤٦
٤٥.	١٦
• • •	
آية سورة سبأ	
٢٤	٢٣٥
• • •	
آيات سورة الصافات	
٢٤—٢٦	٣٦
١٤٧	٢٣٥، ٢٣٧
• • •	
آية سورة ص	
٧٩	٤٦٨
• • •	
آية سورة غافر	
٦٠	٥٣٤
آية سورة فصلت	
٥	٣٢٦، ٣٢٧
• • •	
آية سورة الشورى	
٥٢	٣٢١
• • •	
آيات سورة الدخان	
٢٤	٥٧
٢٥—٢٨	١٣٥
٣٢	٢٤
٣٣	٧٨

السورة/الآية	الصفحة
آية سورة الجاثية	
١٦	٢٥
• • •	
آيات سورة الذاريات	
٣١، ٣٢	١٨٣
• • •	
آيات سورة القمر	
٢٠	٢١٠
٢٧	٢٠
• • •	
آية سورة الحديد	
١٣	٤٦٨
• • •	
آية سورة المجادلة	
٧	٥٢٨
• • •	
آيات سورة الحشر	
١٢	٤٥٢
٢٣	٣٢٣
• • •	
آية سورة الصف	
١٤	١٤٥
• • •	
آية سورة الجمعة	
٢	٢٥٩
• • •	
آيات سورة الحاقة	
٧	٢١٠
٢٠	١٩

السورة/الآية	الصفحة
آية سورة نوح	
١	١٦٠
• • •	
آيات سورة الإنسان	
١٥، ١٦	١٣٣
٢٤	٢٣٦
• • •	
آية سورة النبأ	
٩	١٧٤

السورة/الآية	الصفحة
آيات سورة الأعلى	
٦	٤٧٥
٦، ٧	٤٨٠
• • •	
آية سورة الشمس	
٢	٥٦٨، ٥٦٩
• • •	
آيات سورة الليل	
١٩، ٢٠	٢٦٣

فهرس اللغة

هذا الفهرس مرتب على ترتيب معاجم اللغة ، على أصل الاشتقاق، وعلى آخر الأصل باباً ، وأوله فصلاً .

(برأ) بارئكم، البريّة : ٧٨ـ ٧٩

(بوأ) باء ، يبوء : ١٣٨، ٣٤٥

(خسأ) خسأ ، خاسئ : ١٧٤ ، ١٧٥

(خطأ) خطيئة ، خطايا ، خطىء الرجل: ١١٠، ٢٨٤ـ٢٨٦

(درأ) درأ ، دَرْء ، دارأ ، ادّارأ : ٢٢٢ـ٢٢٨

(سوأ) سيئة : ٢٨١ ، ٢٨٢

(صبأ) صبأ ، الصابئ : ١٤٥ ـ ١٤٧

(قثأ) قِثّاء : ١٢٧

(مرأ) المَرء ، المرأة : ٤٤٦

(نبأ) نبي ، أنبياء : ١٤٠ ـ ١٤٢

(نسأ) نسأ نسأً، ننسأها : ٤٧٦ ـ ٤٧٨

(هزأ) هزئ ، هزؤًا : ٨٢

* * *

(بوب) الباب : ١٠٣ ـ ١٠٤

(توب) التوبة، التّواب ، توبوا : ٧٢ ، ٧٨ ، ٧٩

(ثوب) أثابَ ، إثابة ، مثوبة : ٤٥٨ ، ٤٥٩

(حجب) حجاب وحجب : ٣٢٧

(حزب) حزب ، تحزب : ٢٤٤

(خضب) خضيب : ٤٠١

(ذعلب) ذعلبة : ٨٥

(شرب) مشرب ، أشربَ حبَّ كذا : ١٢١ ، ٣٥٧ ـ ٣٦٠

(شهب) شهاب، شهُب : ٣٢٧

(صحب) أصحاب : ٢٨٦ ، ٢٨٧

(ضرب) ضرب : ١٣٦

(طيب) طيبات : ١٠١ ، ٣٥٥

(عنب) عنب : ٤٦٣

(غضب) غضب : ١٣٨ ، ٣٤٥ ـ ٣٤٧

(قرب) قرب ، قرابة ، ، قربى ٢٩٢

(كتب) الكتاب : ٩ ، ١٠ ، ٧٠

٧١ ، ٢٦٠ ، ٣١٨ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٤٠٣
كتاب وكُتُب : ٣٢٧
(كسب) كسب ، يكسب : ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٨٠
(لعب) لِعْبَ ، لعب : ٣٣٨
* * *
(سبت) السبت : ١٦٧ — ١٧٣ ، ١٧٤
سبات ، مسبوت : ١٧٤
(قنت) قنوت، قانت : ٥٣٨ ، ٥٣٩
(مرت) ماروت : ٤١٩—٤٣٦
(هرت) هاروت : ٤١٩ — ٤٣٦
(هيت) هاتوا : ٥١٠
* * *
(أثث) أثاثيّ : ١٣٠
(بعث) بعثه ، البعث ، يوم البعث : ٨٤ ، ٨٥
(عيث) عاث يعيث : ١٢٤
* * *
(خرج) أخرج ، الإخراج : ٢٢٨
(زوج) زوج ، زوجة : ٤٤٦
* * *
(جرح) جريح ، جرحى : ٣١١
(زحح) زحزح ، تزحزح : ٣٧٤ — ٣٧٦
(سبح) سبحان : ٥٣٧
(فتح) فتح ، فتحا ، استفتح : ٢٥١ — ٢٥٤ ، ٣٣٢ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦
(وقح) وَقاح : ٨٥
* * *
(نسخ) نسخ ينسخ نسخاً ، نسخة ، النسخ : ٤٧١ — ٣٧٣، ٤٧٨ ، ٤٨٢ ، ٥٣٣ — ٥٣٥
(صرخ) صارخ : ١٨
* * *
(أيد) أيّده، آدٌ، أيْد، أيِّد : ٣١٩ ، ٣٢٠
(حدد) حِدّة : ١٠٥
(حسد) حَسَد : ٥٠٠، ٥٠١
(خلد) خالد : ٢٨٦ ، ٢٨٧
(ردد) رِدّة : ١٠٥
(رغد) رغَد : ١٠٣
(رود) أراد ، يريد : ٢٤٢
(سجد) أسجد، السجود ، سُجّد، مسجد : ١٠٤ — ١٠٥ ، ١١٣، ١٤٤، ٢٤٢، ٥٢٦
(شهد) شهد ، يشهد : ٣٠١ — ٣٠٣
(طود) طَوْد : ٥٣ ، ٥٦
(عبد) عَبْد : ٤٦٣
(عدد) معدودة : ٢٧٤—٢٧٨
(عند) عِنْدَ : ٥٠١
(عهد) عهد : ٢٧٨، ٢٧٩، ٤٠٠
(عود) عاد عِيادة : ٥١٨

(قعد) قِعْدَة : ١٣٦
(كبد) كَبِد ، كَبْد : ٣٣٨
(كيد) كاد ، يكاد : ٢١٨ ، ٢١٩
(مدد) مِدّة : ١٠٥
(هود) هاد يهود ، يهود ، هائد هود : ١٤٣ ، ٥٠٧
(ودد) ودّ يودّ مودة : ٤٧٠
(وعد) واعد ، مواعدة ، وعد ، وعيد : ٥٨ — ٦٠
عدة : ٢١٦

* * *

(أخذ) اتخذ : ٢٧٨ ، ٢٧٩
(عوذ) معاذ الله : ١٠٩
عائذ ، عوذ : ٥٠٧
(نبذ) نبذ ، نبيذ : ٤٠١—٤٠٣

* * *

(أجر) أجرْ : ١٤٨ ، ٥١٢
(أخر) اليوم الآخر ، الدار الآخرة : ١٤٨ ، ٣٦٥
(أسر) أسير ، أسارى ، أسرى ٢٩٢ ، ٣١١ ، ٣١٢
(برر) البر : ٧ — ٩
(بشر) بشر ، بشرى ، بشارة : ٣٩٣ ، ٣٩٤
بشير : ٥٥٧
(بصر) بصير : ١٤٠ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٥٠٦
(بقر) بقر ، باقر : ٢٠٩ ، ٢١٠
(بكر) بكرْ : ١٨٤ ، ١٨٦ ، ١٩٢ — ١٩٣
(تجر) ناقة تاجرة : ٢٤٢
(ثمر) مثمور : ١٥
(ثور) أثار إثارة : ٢١٣
(جهر) جهر الركية ، جاهر ، جهرة : ٨٠ — ٨١
(حمر) أحمر حُمْر : ٣٢٤
(خسر) الخسار ، خاسر : ١٦٦ ، ٥٧٢
(خير) الخير : ٥٠٥
(ذكر) ذكر ، يذكر : ١٦٢
(زبر) زنبور ، زنابير : ٢٦٥
(سحر) السحر : ٤١٢ — ٤١٨ ، ٤٣٦ — ٤٤٢ ، ٤٤٦ — ٤٤٧
(سرر) سرّه يسره : ١٨٤ ، ١٨٦ ، ٢٠٢
أسرّ يسرّ : ٢٥٦
(سكر) سكران ، سكارى ، سكرى : ٣١١
(شقر) أشقر شُقْر : ٣٢٤
(شكر) شكور شُكُر : ٣١٨
(صبر) الصبر ، شهر الصبر ، صبره فهو مصبور : ١١ ، ١٢٤
صبور ، صُبُر : ٣١٨
(صفر) صِفْرة : ١٣٦
(صفر) صفراء ، الصفرة : ١٩٨ — ٢٠١
أصفر ، صُفْر : ٣٢٤

(طور) الطور : ١٥٧ — ١٥٩
طوريّ : ١٢٠
(ظهر) تظاهر : ٣٠٤ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨
وراء ظهورهم ، جعله بظهر : ٤٠٤
(عمر) عمر ، التعمير : ٣٧٤ ، ٣٧٥
(غثر) مغاثير : ١٣٠
(غفر) غفر ، الغفر ، مغفر ، غفرة الثوب : ١٠٩ ، ١١٠
مغافير : ١٣٠
(فجر) تفجرّ ، انفجر ، الفجر: ٣٢٨
(فطر) رجل فِطْر : ٥٠٨
(قدر) قدر ، مقدرة ، قدّر تقديرا : ٤٨٤
قدير : ٤٨٤ ، ٥٠٤
(قرر) قرقور ، قراقير : ٢٦٥
(قصر) قيصر : ٣٨
(كبر) كبيرة : ١٥
(كثر) فلان فى الناس كثير : ٥٠٠
(كسر) كسير ، كسرى : ٣١١
كسرى : ٣٨
(كفر) الكفر : ١٤٠ ، ٣٣٧ ، ٣٤٧ ، ٣٩٩ ، ٤٩٤ ، ٥٧٢
(مصر) مصر : ١٣٢ — ١٣٦
(نذر) نذير : ٥٥٧
(نصر) نصر ينصر ، تناصر : ٣٥ — ٣٦
نصير : ٤٨٩ ، ٥٦٤
نصران ، نصارى ، أنصار : ١٤٣ — ١٤٥ ، ٥٠٨
(نظر) ينظر : ٥٨
نظر نظرة ، أنظر : ٤٦٧ — ٤٦٩

* * *

(رجز) الرِّجز ، الرُّجز : ١١٦ — ١١٨

* * *

(أنس) أناس ، إنسان أناسى : ١١٩
(بأس) بئس ، بئسما : ٣٣٨ — ٣٤٠ ، ٣٦٠ ، ٤٥٥
(عدس) عدس : ١٣٧
(قدس) روح القدس : ٣٢٠ — ٣٢٣
التقديس : ٣٢٢
(مسس) مسّ ، يمسّ : ٢٧٤
(موس) موسى : ٦٠
(نفس) نَفْس الشيء : ٢٧٢ ، ٥٧٠

* * *

(جيش) الجيش : ٤٠٢

* * *

(حرص) أحرص الناس : ٣٦٩
(خلص) خالص ، خالصة ، خُلْصان : ٣٦٥
* * *
(فرض) فارض : ١٨٤ ، ١٨٦ ١٩٠ — ١٩٢
(مرض) مريض ، مرضى : ٣١١
* * *
(حطط) حطة : ١٠٥ — ١٠٨ ، ١١٢ — ١١٥
(حوط) أحاط إحاطة : ٢٨٤
(رهط) رهط : ٤٠٢
(سبط) سبط أسباط : ١٢١
(عيط) عائط ، عُوط : ٥٠٧
(هبط) الهبوط : ١٣٢ ، ٢٣٩
* * *
(وعظ) وعظ ، موعظة : ١٨٠ ، ١٨١
* * *
(بدع) أبدع ، مبدع ، ابتدع ، تبدَّع : ٥٤٠
بديع : ٥٤٠
(بيع) البيع : ٣٤٢ ، ٣٤٣
(تبع) اتَّابع : ٢٢٤
تُبَّع : ٣٨
(خشع) خاشع ، خشوع : ١٦ — ١٧ ، ٢٤٢
(رجع) راجع : ٢٢ ، ٢٣
(ركع) راكع : ١٠٥
(سمع) سمعاً وطاعة : ١٠٩ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧
سميع : ١٤٠ ، ٣٧٧ ، ٥٤٠
(شفع) شفع ، شفاعة ، شفيع ، شفع : ٣١ ، ٣٢
(طلع) مطلع : ٥٢٦
(طمع) طمع يطمع : ٢٤٤
(فقع) فقع فقوعاً ، فاقع : ١٨٤ ، ٢٠١ ، ٢٠٢
(وسع) واسع : ٥٣٧
* * *
(حرف) حرّف ، انحرف : ٢٤٨
(خلف) خلفها : ١٧٧ — ١٨٠
(رجف) الرجفة : ٨٧
(سدف) السدْفة : ١٨
(غلف) أغلف ، غلفاء ، غُلْف غلاف غُلُف : ٣٢٤ — ٣٢٨
(نطف) ناطف : ٩٥
* * *
(حقق) حقّ تلاوته : ٥٧٠ ، ٥٧١
(خلق) خلّاق : ٤٥٢ — ٤٥٤
(شرق) مشرق : ٥٢٦
(شقق) تشقق : ٢٣٨ ، ٢٣٩
(صعق) صعق : ٨٣ ، ٨٩
صاعقة : ٨٣
(فرق) فرق البحر : ٥٠

فريق : ٢٤٤ ، ٤٠٢
الفرقان : ٧٠ ، ٧١
(فسق) فسق يفسق: ١١٨، ١١٩
فاسق : ٣٩٩
(وثق) ميثاق : ١٥٦ ، ١٥٧
٢٨٨ ، ٣٥٦
* * *
(درك) ادّارك : ٢٢٤
(سفك) سفك الدم : ٣٠٠
(لأك) ملك ، ملائكة : ٧٨
(ملك) على مُلْك: ٤٠٥–٤٠٩
المُلك ، المِلك: ٤٨٨
* * *
(ألل) الإلّ : ٣٩١ ، ٣٩٢
(أهل) أهْل : ٣٧
(أول) آل : ٣٧
(بيل) بابل : ٤٣٦
(بخل) بُخْل بَخَل : ٢٩٤
(بدل) بدّل : ١١٢
استبدال : ١٣٠
تبدّل : ٤٩٤
(بصل) بصل : ١٢٧
(بقل) بقل : ١٢٧
(جبريل) جبريل : ٣٨٨ – ٣٩٢
(جهل) الجاهل : ١٨٣
(حبل) الحبلة : ٤٦٣
(حول) حائل ، حُول: ٥٠٧
(ذلل) ذل ذلة : ١٣٦
ذلول: ١٨٤، ٢١٢، ٢١٣
(رسل) رسول ، رُسل : ٣١٨
(سبل) سبيل ، مسبول : ٤٩٧، ٤٩٨
(ضلل) ضلّ يضلّ: ٤٩٥، ٤٩٦
ضُل بن ضُلّ : ٤٩٦
(ظلل) ظلّ ، ظِلْتُ : ٣٣٨
(عدل) عَدْل، عِدْل: ٣٤ ، ٣٥
(عقل) عقل، يعقل: ١٠، ٢٣٣
(غفل) غفلة ، غافل : ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٣١٦
(فضل) فضل : ١٦٤ ، ٤٧١
(فكل) أفكل : ٥٤
(قلل) قل ، قلة ، قليل ، قلما: ٣٢٩ – ٣٣١
قلّ بن قلّ : ٤٩٦
(قول) قال برأسه وبيده : ٥٤٦ – ٥٤٨
(ملل) ملّة ، ملل: ٥٦٣
(نخل) نَخْل : ٢١٠
(نكل) نكل، نكال: ١٧٦، ١٧٧
(هرقل) هرقل : ٣٨
(ويل) ويل: ٢٦٧–٢٧٢، ٢٧٣
* * *
(ألم) أليم : ١٤٠ ، ٣٧٧ ، ٤٦٩ ، ٥٤٠
(أمم) أمّى ، أميون : ٢٥٧ – ٢٥٩
(ثمم) ثَمَّ : ٥٣٥
(جحم) جحيم : ٥٦٢

(رحم) الرحمة : ١٦٦
رحيم : ٧٩
(سأم) سَئِم ، سِئْم : ٣٣٨
(سلم) مسلّمة : ١٨٤، ٢١٣ — ٢١٥
أسلم ، مسلم : ٥١٠ ، ٥١١
(سوم) سام يسوم : ٤٠
(صوم) رجل صَوْم: ٥٠٧، ٥٠٨
(ظلم) ظلم ، الظلم ، ظالم : ٦٩ ، ٧٢ ، ١٠٢، ١١٦، ٣٥٥ ، ٣٦٩
(علم) علم : ١٦٦ ، ١٦٧ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧
عليم : ٥٣٧
العالمون : ٢٣ — ٢٦
(غمم) غمام، مغموم: ٩٠، ٩١
(فوم) فوم : ١٢٧ — ١٣٠
(قدم) قدّم : ٥٠٥
قدمت أيديهم : ٣٦٨
(قوم) أقام، إقامة: ٢٩٧، ٥٠٥
يوم القيامة : ٣١٥، ٥١٨
(كتم) كتم يكتم : ٢٢٩
(كرم) الكرْم : ٤٦٣
(نعم) نِعْم: ٢٣٨
(يتم) يتيم ، يتامى : ٢٩٢

* * *

(أذن) أذن آذن ، إذْن : ٤٤٩ ٤٥٠
(أمن) الإيمان ، آمن ، يؤمن : ٨٠ ، ٨١ ، ١٤٣، ١٤٨، ٢٤٩ ، ٢٨٧ ، ٣٤٨، ٣٦١ ، ٤٥٧ ، ٤٩٤، ٥٧١
(برهن) برْهان : ٥٠٩
(بين) البينات : ٣١٨ ، ٣١٩ ٣٥٤ ، ٣٥٥
بينات : ٣٩٧
(ثمن) ثمن : ٢٧٠
(حسن) الإحسان : ٢٩٠ —٢٩٢
حُسْن، حَسَن: ٢٩٤، ٢٩٨
(دهن) دهين : ٤٠١
(دون) دون : ٤٨٩
(رعن) الرَّعِنُ : ٨٥
رأعنٌ : ٤٦١، ٤٦٥، ٤٦٦
(سكن) مسكنة ، مسكين : ١٣٧ ، ٢٩٣
(سمن) السمانى : ٩٦
(صون) صان صيانة : ٥١٨
(ظنن) ظن يظنّ ، الظن : ١٧—٢٠، ٢٦٥—٢٦٧
(عون) عوَان ، عُون : ١٨٤، ١٨٦ ، ١٩٣ — ١٩٦
عانة ، عُوُن: ١٩٤
(عين) عين الشيء : ٢٧٢، ٥٧٠
(فتن) فتنة ، فتن الذهب : ٤٤٢ — ٤٤٤

(فرعن) فرعون : ٣٨
(كون) كان : ١٧٤
(لعن) لعن ، اللعن ، اللعين : ٣٢٨ ، ٣٣٧
(منن) المنّ : ٩١ — ٩٤ ، ٩٨
(هون) مُهين : ٣٤٧
(وسن) وسن سنة : ٢١٦

* * *

(تيه) التيه : ٩٩
(شبه) تشابه : ٢١١، ٥٥٥، ٥٥٦
(وجه) وجه : ٥١١، ٥١٢، ٥٣٦

* * *

(أتى) آتى ، إيتاء : ١٦٠ ، ٢٩٧ ، ٣١٧ ، ٥٠٥
(أيا) آية ، آيات : ٣٩٧، ٥٥٣
أيّ : ٥٧٠ ، ٥٧١
(برى) البرَى : ٧٩
البريّة : ٧٩
(بغى) البغى : ٣٤٢
(بقى) استبقاء : ٤٧
(بلا) بلاه ، أبلاه ، بلاء : ٤٨ ، ٤٩
(تلا) تلا يتلو تلاوة : ٤٠٩— ٤١١ ، ٤١٨ ، ٥٦٦ — ٥٧١
(ثفا) أثافيّ : ١٣٠
(جزى) جزى ، يجزى ، أجزى ، الجزاء : ٢٦—٣١، ٣١٤
(حيي) استحيي ، استحياء : ٤١ — ٤٨
(خزى) خزْى : ٣١٤ ، ٥٢٥
(خشى) خشية : ٢٣٩ ، ٢٤٣
(خلا) خلا ، خلاء : ٢٥٠
(دعا) دعيّ ، أدعياء : ١٤١
(دنا) أدْنى ، دنيّ ، دانىء : ١٣٠ — ١٣٢
(رعا) راعنا ، أرعِي ، إرعاء ، رعى ، راعَى ، رِعْية : ٤٥٩ — ٤٦٧
(رها) رَهو : ٥٥ ، ٥٧
(زكا) الزكاة : ٢٩٧ ، ٢٩٨ ٥٠٥
(سقى) استسقاء : ٤٧ ، ١١٩
(سلا) السلوى : ٩٦—٩٨، ١٠٠
(سوى) سوَاء : ٤٩٦ ، ٤٩٧
(شرى) اشترى : ٣١٦ ، ٣١٧ ٣٤١ ، ٤٥٠ — ٤٥٢
شرى يشرى : ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٤٥٥
الشراء : ٣٤٢ ، ٣٤٣
الشارى والشراة : ٤٣١
(صلا) الصلاة : ١١ — ١٥ ، ٢٩٧ ، ٥٠٥
(عتا) عتا : ٢٣٣
(عثا) عثا يعثو عثاً : ١٢٣—١٢٤
(عدا) عدا ، عدوان ، اعتدى اعتداءً : ١٤٢ ، ١٦٧، ٣٠٧

(عسا) عسا : ٢٣٣
(عفا) عفا يعفو : ٥٠٣
عافية : ٣٦٥
(علا) علا يعلو : ٤٤
(فتا) فتىً : ٤٦٣
(قرى) القرية : ١٠٢ ، ١٠٣
(قسا) قسا ، قسوة : ٢٣٣ ، ٢٣٥
(قضى) قضى ، قضاء ، تقضّى : ٥٤٢ ، ٥٤٣
(قفا) قفّى يقفّى : ٣١٨
(قلا) تقلّت : ٢٩٤
(قوى) قوّة : ١٦٠ ، ١٦١ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧
(لقى) لاقى ، ملاقى : ٢٠
(منى) أمانىّ ، تمنى ، التمنى : ٢٦٠ — ٢٦٥ ، ٣٦٦
(نبا) نبوة : ١٤١ ، ١٤٢
نبىّ : ١٤١ ، ١٤٢
(نجا) نجوة : ١٤١
(نسى) نسى ، ينسى ، نسيان، ٩ ، ٦٦ ، ٤٧٣
ننسها : ٤٧٣ — ٤٨٠
(هدى) هدًى ، الهادى ، الهوادى : ٣٩٣
(ودى) ودى يدى دية : ٢١٦
(ورى) وراء : ٣٤٨ ، ٣٤٩، ٤٠٤
(وشى) شية ، وشى ، واش ، وشاة ، وشى : ١٨٤ ، ١٨٦، ٢١٥ ، ٢١٦
(وصى) وصىّ ، أوصياء : ١٤٠
(وقى) المتقى ، اتقى : ١٨١ ، ٤٥٧
(ولى) ولّى، تولّى : ١٦٢—١٦٣، ٢٩٨
ولّى يولّى : ٥٣٥
ولىّ ، أولياء : ١٤٠ ، ٤٨٩ ، ٥٦٤
(يدى) بين يديها : ١٧٧—١٨٠
بأيديهم : ٢٧٢
قدمت أيديهم : ٣٦٨

أعلام المترجمين فى التعليق

[الأرقام فى هذا الفهرست هى أرقام الآثار ، لا الصفحات]

إبراهيم بن بشار الرمادي : ٨٩٢
إبراهيم بن عبد السلام بن صالح التسترى : ١٣٨٦
إبراهيم بن عبد الله بن محمد (أبو شيبة ابن أبي بكر بن أبي شيبة) : ١٠٣٧
إبراهيم بن المهاجر بن جابر البجلى : ١٢٩١
أحمد بن إسحق بن عيسى الأهوازى : ١٨٤١
أحمد بن محمد بن أبي بكر (أبو عثمان المقدمى) : ٨٧٦
أحمد بن الوليد ؟ ؟ : ١٦٩٢
أبو أحمد الزبيرى (محمد بن عبد الله ابن الزبير)
ابن إدريس (عبد الله بن إدريس الأودى)
إسحق بن الحجاج الرازى الطاحونى : ١٦١٤
إسحق بن راهويه : ٨٦٣ ، ٩٩٥
إسحق بن محمد بن أبي فروة (الفروى) : ٨٧٦
أبو إسحق الشيبانى (سليمان بن أبي سليمان)
إسرائيل بن يونس بن أبي إسحق السبيعى : ١٢٩١
إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم الأسدى (إسماعيل بن علية) : ١٦٠٨
إسماعيل بن عبد الكريم بن معقل الصنعانى : ٩٩٥
إسماعيل بن علية (إسماعيل بن إبراهيم)
إسماعيل بن مسعود الجحدرى (أبو مسعود) : ١٢١٨
إسماعيل بن موسى الفزارى : ٨٤٩
أشعث بن سعيد (أبو الربيع السمان) : ١٨٤١
الأصبغ بن زيد بن على الجهنى : ٨٩١
أنس بن عياض بن ضمرة : ١٦٧٩
أيوب السختيانى : ١٨٩٩

* * *

أبو البخترى (سعيد بن فيروز)
بشر بن أبان الحطاب (صوابه : مشرف بن أبان) : ١٣٨٣
بشر بن عياض (أنس بن عياض)
أبو بكر الباهلى (محمد بن عمرو)
أبو بكر بن عياش : ١٢٤٦

بهز بن حكيم بن معاوية القشيرى : ٨٧٣

* * *

تميم بن المنتصر بن تميم الواسطى : ٨٩١

* * *

جابر بن يزيد الجعفى : ٨٥٨
ابن جريج : ٨٤٩
الجفرىّ (الحسن بن أبى جعفر)
جويبر بن سعيد : ١٢٢١

* * *

الحارث بن مسلم : ٨٧٩
حجاج بن محمد المصيصى الأعور : ١٦٩١
الحجاج بن المنهال الأنماطى : ١٦٨٢
حجاج بن نصير الفساطيطى : ٨٨٠
حذيفة بن اليمان : ١٤٩٧
الحسن بن أبى جعفر الجفرى : ١٨٩٩
الحسين بن داود المصيصى (سنيد) : ٨٥٤ ، ١٦٨٨
الحسين بن رتاق الهمدانى : ٨٤٩
الحسين بن زياد : ٨٤٩
الحسين بن عمرو بن محمد العنقزىّ ١٦٢٥ ، ١٨٨٣
الحفرى (عمر بن سعد بن عبيد) :
حفص بن غياث : ١٠٣٧
الحكم بن بشير بن سلمان النهدى : ١٤٩٧
حكيم بن معاوية بن حيدة القشيرى : ٨٧٣
حماد بن زيد : ٨٥٦ ، ١٦٨٢
حماد بن سلمة : ١٣٨٦ ، ١٦٨٢
أبو حمزة (محمد بن ميمون السكرى)
حميد بن عبد الرحمن بن حميد الرؤاسى : ٨٨٦

* * *

أبو خالد الدالانى (يزيد بن عبدالرحمن)
خالد بن مهران : ١٦٨٣
خلف بن الوليد العتكى (أبو الوليد) : ٨٥٠
أبو الخليل (صالح بن أبى مريم الضبعى)
خثيم (أبو الربيع بن خيثم) : ١٤٣٠

* * *

داود بن أبى عاصم بن عروة الثقفى : ١٨٧٧
داود بن أبى هند : ١٦٠٨
أبو داود الحفرى (عمر بن سعد ابن عبيد)
الدالانى (يزيد بن عبد الرحمن)
درّاج بن سمعان (أبو السمح) : ١٣٨٧
أبو الدرداء : ٨٤٦

* * *

ذوّاد بن علبة الحارثى : ٨٥٠

* * *

ربعيّ بن إبراهيم بن مقسم الأسدى (ابن علية) : ١٦٠٨
الربيع بن خثيم الثورى : ١٤٣٠
الربيع بن سليمان المرادى : ١٦٩٥
أبو الربيع السمان (أشعث بن سعيد)
أبو رجاء (محمد بن سيف) : ١٢١٩
رشدين بن كريب : ١٠٧٥
رياح بن عبيدة البصرى : ١٠٣٧
رياح بن عبيدة السلمى الكوفى : ١٠٣٧

* * *

أبو زائدة (زكريا بن يحيي)
ابن أبي زائدة (يحيي بن زكريا)
ابن زريع (يزيد بن زريع)
زكريا بن عدى بن زريق التيمى : ١٥٦٦
زكريا بن يحيي بن أبي زائدة (أبو زائدة) : ١٢١٩
ابن أبي الزناد (عبد الرحمن بن عبد الله ابن ذكوان)
زهير ابن أبي أمية : ١٢٩١
أبو زهير (عبد الرحمن بن مغراء)
زياد بن فياض الخزاعى : ١٣٨٢ ، ١٣٨٤
زيد ابن أبي الزرقاء : ١٣٨٤

* * *

السائب بن أبي السائب (قيس بن السائب) : ١٢٩١
أبو سعيد (عبد الكريم بن مالك الجزرى)
سعيد بن أبي عروبة : ١٧٦٩
سعيد بن فيروز (أبو البختّرى) : ١٤٩٧
سعيد بن أبي هلال الليثى : ١٤٩٥
سعيد بن أبي هلال بن أسامة : ١٤٩٥
سفيان الثورى : ٨٥٨ ، ١٣٨٢
أبو سفيان المعمرى (محمد بن حميد اليشكرى)
سفيان بن وكيع بن الجراح : ١٦٩٢
سلم بن قادم : ٨٧٩
سلم بن قتيبة الشعيرى (أبو قتيبة) : ١٨٩٩
سلمان الفارسى : ١١١٢
سليمان بن أبي سليمان (أبو إسحق الشيبانى) : ١٠٣٧
سليمان بن عمرو العتوارى (أبو الهيثم) : ١٣٨٧
أبو السمح (درّاج بن سمعان)
سنيد (الحسين بن داود)
أبو سهل (كثير بن زياد) : ١٢٢١

* * *

الشعبي (عامر بن شراحيل)
شهر بن حوشب : ١٤٨٩
الشيبانى (سليمان بن أبي سليمان)
أبو شيبة بن أبي بكر بن أبي شيبة

(إبراهيم بن عبد الله بن محمد)

• • •

صالح القشيرى ؟؟ (انظر : إبراهيم ابن عبد السلام) : ١٣٨٦
صالح بن كيسان المدنى : ١٠٢٠
صالح بن أبى مريم الضبعى (أبو الخليل) : ١٨٩٩
صالح مولى التوأمة (صالح بن نبهان)
صالح بن نبهان (مولى التوأمة) : ١٠٢٠

• • •

الضحاك بن مخلد (أبو عاصم النبيل) : ٨٥٨

• • •

أبو عاصم النبيل (الضحاك بن مخلد)
عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر ابن الخطاب : ١٨٤١
عاصم بن عمر بن قتادة الأنصارى : ١٥١٩
أبو العالية الرياحى : ١٧٨٣
عامر بن شراحيل الهمدانى (الشعبى) : ١٦٠٨
عباس بن جعفر بن الزبرقان (عباس بن أبى طالب) : ٨٨٠
عباس بن أبى طالب (عباس بن جعفر بن الزبرقان)
العباس بن الوليد بن مزيد الآملى : ٨٩١
عبد الحميد بن بهرام الفزارى : ١٦٠٥
عبد الحميد بن جعفر : ١٣٨٦
عبد الرحمن بن جوشن الغطفانى : ٨٥٢
عبد الرحمن بن حميد الرؤاسى : ٨٨٦
عبد الرحمن بن أبى الزناد (عبدالرحمن ابن عبد الله)
عبد الرحمن بن عبد الله بن ذكوان (ابن أبى الزناد) : ١٦٩٥
عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم المصرى : ١٠٧٦
عبد الرحمن بن محمد المحاربى : ٨٧٥
عبد الرحمن بن مغراء (أبو زهير) : ١٦١٤
عبدالسلام بن حرب الملائى : ١١٨٤
عبد الصمد بن معقل بن منبه : ٩٩٥
عبد العزيز (أخو حذيفة) (ابن أخى حذيفة) (عبد العزيز بن اليمان)
عبد العزيز بن الخطاب الكوفى : ١٢٧٥
عبد العزيز بن المختار الدباغ : ١٦٨٥
عبدالعزيز بن منصور اليحصبى : ١٠٧٦
عبد العزيز بن اليمان (عبد العزيز ابن أخى حذيفة) : ٨٥٠
عبد الكريم بن مالك الجزرى (أبو سعيد) : ٨٩٢ ، ١٥٦٦
عبد الكريم بن الهيثم بن زياد القطان : ٨٩٢
عبد الله بن إدريس الأودى (ابن

إدريس) : ١٨٣٩
عبد الله بن زيد الجرمى (أبو قلابة) : ٨٤٦
عبد الله بن سعيد بن أبى سعيد المقبرى : ٨٧٧
عبد الله بن سعيد بن أبى هند : ٨٧٧
عبد الله بن عامر بن ربيعة : ١٨٤١
عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى الحسين المكى : ١٤٨٩
عبد الله بن كثير الدارى : ١٧٦٧ ، ١٧٦٨
عبد الله بن نمير الهمدانى (ابن نمير) : ١٦٩٣
عبد الملك بن أبى سليمان العزرمى : ١٤٥٥ ، ١٨٣٩
عبيد بن عمير الليثى : ١٧٦٧ ، ١٧٦٨
عبيد الله بن عبد الله (أبو المنيب العتكى) : ١٦٣٤
عبيد الله العتكى (عبيد الله بن عبد الله العتكى)
عبيد الله بن عمرو الجزرى (أبووهب) : ١٥٦٦
عبيدة السلمانى : ١١٧٢
أبو عثمان المقدمى (أحمد بن محمد بن أبى بكر)
العزرمى (عبد الملك بن أبى سليمان)
عكرمة بن عمار العجلى : ٨٤٩
على الأزدى (على بن عبد الله الأزدى البارقى) : ١٧٦٧ ، ١٧٦٨
على بن جرير ؟؟ : ١٣٨٦
على بن حكيم الأودى : ٨٨٦
على بن الحسن بن شقيق : ١٥٩١
على بن سعيد بن مسروق الكندى : ١١٨٤
على بن سهل الرملى : ١٣٨٤
على بن أبى طلحة : ١٨٣٣
على بن عبد الله بن أبى الوليد (على الأزدى البارقى) : ١٥٢٣ ، ١٥٢٤ ، ١٧٦٧ ، ١٧٦٨
ابن علية (ربعى بن إبراهيم بن مقسم الأسدى) (إسماعيل بن علية)
عمار بن معاوية الدهنىّ : ٩٠٩
عمر بن حفص بن غياث : ١٠٣٧
عمر بن سعد بن عبيد (أبو داود الحفرى) : ٨٦٣
عمرو بن الأسود العنسى (أبو عياض) : ١٣٨٢
عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصارى : ١٣٨٧
عمرو بن قيس الملائى : ٨٨٦ ، ١٤٩٧
عمرو بن مرة الجملى : ١٤٩٧
عمير بن سعيد النخعى : ١٦٨٣
العوام بن مراجم : ٨٨٠
أبو عياض (عمرو بن الأسود العنسى)
عيينة بن عبد الرحمن بن جوشن : ٨٥٢

* * *

الفرج بن فضالة التنوخى : ١٦٨٨
الفرْوىّ (إسحق بن محمد بن أبى فروة)
ابن فضيل (محمد بن فضيل بن غزوان)

* * *

القاسم بن أبى أيوب الأسدى : ٨٩١
القاسم بن أبى بزة : ١٦٠٧
القاسم بن ربيعة (القاسم بن عبد الله ابن ربيعة)
القاسم بن عبد الله بن ربيعة بن قانف : ١٧٥٥
أبو قتيبة (مسلم بن قتيبة الشعيرى)
قثم بن العباس بن عبد المطلب : ٨٥٢
أبو قدامة (محمد بن عبيد) (محمد ابن عبد الله الدؤلى)
أبو قلابة (عبد الله بن زيد الجرمى)
قيس بن السائب (السائب بن أبى السائب) : ١٢٩١

* * *

كثير بن زياد (أبو سهل) : ١٢٢١
كريب بن أبى مسلم : ١٠٧٥
أبو كريب (محمد بن العلاء)
كنانة بن نعيم العدوى : ١٣٨٦

* * *

ليث بن أبى سليم : ١٤٩٧
ليلى بنت قانف : ١٧٥٥

* * *

مبارك بن فضالة : ١٩٠١
مجالد بن سعيد الهمدانى : ١٦١٤
المحاربى (عبد الرحمن بن محمد)
محمد بن بشار : ٨٥٨
محمد بن حميد اليشكرى (أبو سفيان المعمرى) : ١٧٨٧
محمد بن الزبرقان (أبو همام الأهوازى) ٨٧٧
محمد بن سيف (أبو رجاء) : ١٢١٩
محمد بن عبد الأعلى الصنعانى : ١٢٣٦
محمد بن عبد الله الدؤلى (محمد بن عبيد) (أبو قدامة)
محمد بن عبد الله بن الزبير (أبو أحمد الزبيرى) : ١٨٤١
محمد بن عبد الله بن عبيد الهلالى : ١٢٧٥
محمد بن عبيد (محمد بن عبد الله الدؤلى) (أبو قدامة) : ٨٥٠
محمد بن عقبة : ١٦٨٤
محمد بن العلاء (أبو كريب) : ١٢٩١ ، ١٥٦٦
محمد بن على بن الحسن بن شقيق : ١٥٩١
محمد بن عمارة الأسدى : ١٤٩٧
محمد بن عمرو الباهلى (أبو بكر الباهلى) : ٨٥٨
محمد بن فضيل بن غزوان الضبى (ابن فضيل) : ١٨٤٠

محمد بن كعب القرظى : : ١٢٧٥ ، ١٨٧٥ ، ١٨٧٦
محمد بن ميمون السكرى (أبو حمزة) : ١٥٩١
مخلد بن الحسين : ٨٤٦
مروان بن معاوية : ١٢٢٢
أبو مسعود الجحدرى (إسماعيل بن مسعود)
مسلم بن إبراهيم الأزدى الفراهيدى : ١٢١٩
مسلم الجرمى : ٨٤٦ ، ١٠٧٥
مشرف بن أبان الحطاب (بشر . . . / خطأ) : ١٣٨٣
مصعب بن المقدام الخثعمى : ١٢٩١
معاوية بن حيدة القشيرى : ٨٧٣
أبو معاوية (هاشم بن عيسى)
أبو معشر (نجيح بن عبد الرحمن السندى)
معمر بن راشد الأزدى : ١٧٨٧
المعمرى (أبو سفيان) (محمد بن حميد اليشكرى)
مغراء : ١٢٢٢
المقدمى (أحمد بن محمد بن أبى بكر)
أبو المنيب (عبيد الله بن عبد الله العتكى)
موسى بن عبيدة بن نشيط الربذى : ١٨٧٥ ، ١٨٧٦
موسى بن عقبة : ١٦٨٤

* * *

نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم : ١٠٧٦
نجيح بن إبراهيم : ٨٨٦
نجيح بن إبراهيم بن محمد الكرمانى : ٨٨٦
نجيح بن عبد الرحمن السندى (أبو معشر) : ١٢٧٥
نصر بن عبد الرحمن الأزدى : ٨٧٥
النصر بن محمد الجريشى اليمامى : ٨٥٠
النضر بن عربى الباهلى : ١٣٠٧
ابن نمير (عبد الله بن نمير)
نوح بن قيس بن رباح الأزدى : ١٢١٨

* * *

هارون بن إدريس الأصم : ١٤٥٥
هاشم بن عيسى (أبو معاوية) (هاشم بن أبى هريرة) : ٨٧٩
هاشم بن أبى هريرة (هاشم بن عيسى)
هشام بن يونس النهشلى : ١٢٢٠
هلال بن أسامة (هلال بن على بن أسامة)
هلال بن على بن أسامة المدنى (هلال ابن أسامة) : ١٤٩٥
أبو همام الأهوازى (محمد بن الزبرقان)
أبو الهيثم (سليمان بن عمرو العتوارى)

* * *

أبو الوليد العتكى (خلف بن الوليد)

وهب بن منبه : ٩٩٥
أبو وهب (عبيد الله بن عمرو الجزرى)

* * *

يحيى بن زكريا (ابن أبى زائدة) : ٨٥٠
يحيى بن سعيد القطان : ١٦٩٢
يحيى بن أبى طالب : ٨٥٦
يزيد بن زريع العيشى : ١٧٦٩
يزيد بن عبد الرحمن (أبو خالد الدالانى) : ٨٧٥
يزيد بن هارون : ٨٥٦
يونس بن بكير بن واصل الشيبانى : ١٦٠٥
يونس بن عبد الأعلى الصدفى المصرى : ١٦٧٩

المصطلحات

الاستثبات : ٤٨٥
الاسم : ٣١٢
الإقرار : ٢٨٠ ، ٢٨١
الانتزاع (الاستشهاد) : ٢٣٦
الإنعام : ٢٨١

* * *

الباطن : ١٥ ، ١٨٠ ، ٢٨٣ ، ٥٤٥ ، ٥٤٧

* * *

الترجمة (ترجم ، مترجم) : ٣٤٠ ، ٣٧٤ ، ٤٢٠ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦
التصدير (المصدّر ــ المفعول المطلق) ٢٩٢ ، ٥٠٠
التقرير فى الخطاب : ٣٢٤ ، ٤٨٥
التكرير : ٢٣٨ ، ٣١٢ ، ٣٩٩، ٥١٩

* * *

الجزاء (الشرط) : ٣٣٦ ، ٣٣٧
الجزاء (المفعول لأجله) : ٣٤٠

* * *

الردّ : ٣٣٩ ، ٣٧٠ ، ٤٢٠ ، ٤٢٦ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٥١٩

* * *

الضمير (الإضحار ، المضمر) : ١٠٧

* * *

الظاهر : ١٥ ، ٣١ ، ٥٠ ، ٦١، ٨٥ ، ١٠١ ، ١٠٧ ، ١٧٣ ، ٢٨٣ ، ٥٤٥ ، ٥٤٧ وغيرها

* * *

العماد (ضمير الفصل) : ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣٧٤

* * *

الفعل : ٣١٢
فقد الخافض : ٥١٩

* * *

القطع (الحال) : ٣٩٢

* * *

المصدّر (التصدير) : ٢٩٢ ، ٥٠٠
المعرفة المؤقتة : ٣٣٩
المكرور : ٣٣٩

* * *

النسق : ٤٩٢ ، ٤٩٣

* * *

الواقع (الوقوع ، فعل واقع) (متعد) : ١٠٨ ، ١٩٨

الرد على الفرق

• ردّ على المعتزلة فى إيجابهم خلود أهل الكبائر فى النار : ٢٨٣

مباحث العربية والنحو وغيرهما

- « آل » لا ينطقونها إلاّ مع الأسماء المشهورة ، يقال : « آل النبي » ، ولا يقال « آل الرجل » ، ولا يقال « آل البصرة » : ٣٧
- « حق » إضافتها إلى المعرفة كقولك : « مررت بالرجل حق الرجل » واختلافهم في ذلك : ٥٧٠
- « عين » ، « نفس » إضافتهما إلى المعرفة نحو « عين الرجل » : ٥٧٠
- « عين » « نفس » « كل » ، « حق » ، هي في الأصل توكيد ، ثم تصير مدحاً : ٥٧٠
- « عين » و « نفس » إدخالهما في الكلام لنفي اللبس عن سامعه ، ولإيجاب حقيقة الفعل للمخبر عنه نحو قولك: « باعني فلان عينه كذا وكذا » : ٢٧٢، ٢٧٣
- « قال » استعمال القول في معان مختلفة ، ولا قول هناك : ٥٤٦ — ٥٤٨
- « قلما » للنفي مثل : « قلما رأيتُ مثل هذا قط » و « مررت ببلاد قلما تنبت إلا الكرّاث والبصل » : ٣٣١
- « مساجد » بمعنى « مسجد » حكي ، وهو كالخطأ من قائله : ٥١٩
- « وجه » العرب تذكر في منطقها الخبر عن الشيء فتضيفه إلى « وجهه » وهي تعني « نفس الشيء وعينه » ٥١١
- « وراء » بمعنى « سوى » : ٣٤٨

• • •

- « الباء » بمعنى : من أجل ، كقوله : « ذلك بأنهم كانوا يكفرون » : ١٣٩

• إدغام « التاء » فى « الدال » لتقارب مخرجهما : ٢٢٤

• مخرج « التاء » من طرف اللسان وأصول الشفتين
ومخرج « الدال » من طرف اللسان وأطراف الثنيتين : ٢٢٤

• إبدال « الفاء » ، « ثاء » والعكس ، لتقارب مخرجهما : ١٣٠

• إسقاط « الفاء » من جواب « إذ » : ١٨٣

• لا يجوز إسقاط « الفاء » من قولك « قمتُ فعلت كذا » ، لأنها عطف ، لا استفهام يوقف عليه : ١٨٣

• « لام » اليمين نحو قوله : « ولقد علموا » : ٤٥٢

• « الواو » ، « الفاء » جعلهما مع الاستفهام ، نحو « أوَ كلّما عاهدوا » « أفكلّما جاءكم » : ٣٩٩ ، ٤٠٠

• « الهاء » فى قوله : «حق تلاوته» وفى نظائرها ، تعدها العرب فى عداد النكرات ٥٧١

• « الهاء » وتعتد بها إذا عادت إلى نكرة بالنكرة ، كقولهم : مررت برجل واحد أمه ، ونسيج وحده » : ٥٧٠

* * *

• « إلاّ » يخرج بها ما بعدها من معنى ما قبلها ومن صفته ، وإن كان كل واحد منهما من غير شكل الآخر ومن نوعه ، وهو « الاستثناء المنقطع » : ٢٦٤

• « إلاّ » كل موضع حسُن فيه مكانها « لكن » ، فهو استثناء منقطع ، لانقطاع معنى الثانى عن معنى الأول : ٢٦٤

• « أم » بمعنى الاستفهام / بمعنى استفهام مستقبل منقطع من الكلام ، كأنك تميل به إلى أوله ، كقولهم : « إنها لإبل أم شاء » : ٤٩٢

• « أم » إذا ابتدأت كلاماً ليس قبله كلام ثم استفهمت ، لم يكن إلا بالألف أو بهل : ٤٩٢

• « أم » أحد شروطها أن تكون نسقاً فى الاستفهام لتقدم ما تقدمها من الكلام، لأنها تكون استفهاماً مبتدأ إذا تقدمها سابق من الكلام : ٤٩٣

• « أم » لم يسمع من العرب استفهام بها ، ولم يتقدمها كلام : ٤٩٣

• « أم » بمعنى « بل » ٤٩٣

• « أن » إذا صلح دخولها على فعل ، فحذفت ولم تدخل ، كان وجه الكلام رفع الفعل ، مثل : « ألا أيهذا الزاجرى أحضرُ الوغى » : ٢٨٩

• « أنْ » كل كلام بمعنى القول ينبغى أن تكون معه « أن » مثل : « إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أنْ أنذر قومك » : ١٦٠

• « أو » تأتى فى الكلام لمعنى الشك — وإتيانها لمعنى الإبهام — ولمعنى التخيير ، وبمعنى « الواو » ، وبمعنى « بل » : ٢٣٥ — ٢٣٧

• « أو » يلتبس معناها ومعنى « الواو » لتقارب معنيهما فى بعض الكلام ، ولكن أصلها بمعنى : أحد اثنين ، وتوجيههما إلى أصلها أجود، ما كان إليه سبيل : ٢٣٧

• « أينما » بمعنى « حيثما » : ٥٣٥

• « أىّ » و « ما » أصلهما جمع متفرّق الاستفهام : ١٩٨ ، ٤٩٢

• « أىّ » إضافتها إلى المعرفة ، ورفض من رفض ذلك عند جميعهم : ٥٧٠ ، ٥٧١

• « بل » معناها عطف ورجوع عن الجحد المحض : ٢٨١

• « بل » لا تدخل الكلام إلاّ نقضاً لمجحود : ٣٢٩

• « بلى » رجوع عن الجحد ، وإقرار فى كل كلام أوله جحد : ٢٨٠ ، ٥١٠

• « بلى » أصلها « بل » التى هى رجوع عن الجحد المحض، زيدت فيها « الياء » ليصلح الوقوف عليها : ٢٨١

• « بين » لا تصلح إلاّ أن تكون مع شيئين فصاعداً : ١٩٦ — ١٩٧

- « ثَمَّ » بمعنى : « هنالك » : ٥٣٥
- « دون » بمعنى « سوى » « وبعد » ، كقوله : « من دون الله » : ٤٨٩
- « ذلك » يشمل المعانى الكثيرة إذا أشير به إليها : ١٣٩ ، ١٦٤ ، ١٩٧
- « على » بمعنى « فى » مثل : « على ملك سليمان » : فى عهد سليمان : ٤١١
- « فى » بمعنى « على » ، كقوله : « لأصلبنكم فى جذوع النخل » أى على جذوع النخل : ٤١٢
- « لئن » حكمها وحظها أن تجاب بالمستقبل من الفعل : ٤٥٨
- « لئن » ، « لا » تقارب معنيهما فى أنهما جزاءان : ٤٥٨
- « لئن » « لو » يجاب أحدهما بجواب الآخر لتداخل معنيهما : ٤٥٨
- « لعلّ » بمعنى « كى » : ٦٩ ، ٧٢ ، ٨٥
- « لو » حكمها وحظها أن تجاب بالماضى من الفعل : ٤٥٨
- « لولا » بمعنى « هلا » : ٥٥٢ ، ٥٥٣
- « ما » بمعنى : « لم » فى قوله : « وما أنزل على الملكين » : ٤٢٣
- « ما » زائدة فى الكلام كقوله : « فقليلا ما يؤمنون » : ٣٣٠
- « ما » كلمة تجمع كل الأشياء ، ثم تخص وتعم ما عمته بما تذكره بعدها : ٣٣١
- « ما » العرب تجعلها اسماً تاماً لا صلة لها فى نحو قولهم : « لبئسما تزويجٌ ولا مهر » ، وقوله تعالى : « فنعمَّا هى » : ٣٣٩
- « ما » تطلب الاسم أكثر من طلبها الفعل : ٣٧٤
- « ما » و « أىّ » أصلهما جمع متفرّق الاستفهام : ١٩٨
- « مِنْ » بمعنى التبعيض : ١٢٦
- « مِنْ » زائدة ملغاة ، وإنكار من أنكر ذلك : ١٢٦ ، ١٢٧

• « مِنْ » دخولها فى النفى ، كقولك : « ما رأيت من أحد » ١٢٦ ، ١٢٧ ، ٤٤٢ ، ٤٧٠

• « مِنْ » بمعنى : مكان ، أى معنى البدل : ٣١ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨

• حذف « مِنْ » فى قوله : « أحرص الناس » أى أحرص من الناس : ٣٧٠

• « مَنْ » فى الواحد والاثنين والجمع على صورة واحدة ، فيجىء فعله موحداً ، وإن كان فى معنى جمع ، ويجمع من الفعل لمعناه : ١٤٩ ، ١٥٠ ، ٥١٣ ، ٥٢٥

• « يا » حذفها لدلالة الكلام عليها : « يوسف أعرض عن هذا » : ٣٠٣

* * *

• المصادر التى على وزن « فِعْلة » : كالردّة والحدّة : ١٠٥ ، ١٣٦

• « فاعلة » مصادر على زنتها مثل : خالصة ، وعافية : ٣٦٥

• « فِعالة » مصدر ، نحو قمت قيامة وعدت عيادة : ٥١٨

• « فعيل » بمعنى « مفعول » ، مثل لعين بمعنى ملعون : ٣٢٨ ، ٤٠١

• « فعيل » بمعنى « مفعل » ، مثل « سميع » و « بصير » ، و « نبىّ » : ١٤٠ ، ٣٧٧ ، ٥٠٦ ، ٥٤٠

• « فعيلة » بمعنى « مفعولة » : ٧٨ ، ٧٩

• « أفعل » وأنثاه « فعلاء » من النعوت ، يجمع على « فعل » بسكون العين مثل أحمر وحمر ، ولا تثقل عينه إلا فى ضرورة شعر : ٣٢٤

• « فعيل » فى ذوى العاهات يجمع على «فعلى» مثل : مريض ومرضى : ٣١١ ، ٣١٢

• « فِعال » وجمعه « فُعُل » بضمتين مثل كتاب وكتب : ٣٢٧

• كل نعت على « فعلان » فجمعه على « فَعالى » مثل «سكران » و « سكارى» : ١٤٣

• جمع « فعيل » على « فُعَلاء » : ١٤١

• جمع « فعيل » ، غير مهموز الآخر على « أفعلاء » مثل « نبي » و « أنبياء » : ١٤٠

• « فعلان » الذى له « فعلى » قد يشارك جمع « فعيل » ، مثل سكران وسكرى — شارك « مريض ومرضى » : ٣١١

• « مَفْعِيل » اسم موضع ، مثل مسجِد ومشرِق : ٥١٩ ، ٥٢٦

• « فَعْلِيل » غير موجود فى كلام العرب : ٣٨٩

• • •

• جميعٌ لاواحد له من لفظه ، مثل فريق ، جيش ، رهط : ٢٤٤ ، ٤٠٢

• جموع لا وحد لها من لفظها مثل « أناس » ، ونسوة : ١١٩ ، ٤٤٦

• المفرد الذى يأتى جمعه من غير لفظ مثل « مرء » ، و « رجال أو قوم » ، وامرأة « نساء ، نسوة » : ٤٤٦

• من شأن العرب تذكير كلّ فعل أو صفة لجمعٍ كانت وحدانه بالهاء ، وجمعه بطرحه الهاء ، وتأنيثه أيضاً ، مثل « نخل منقعر » ، « ونخل خاوية » : ٢١٠

• العرب تفرّق بين الجموع إذا اختلف معنى واحدها ، كقولهم فى جمع امرأة « عوان » ، « عُون » ، ثم يضمُّون الواو « عُوُن » ليفرقوا بينه وبين جمع « عانة » على « عون » : ١٩٤

• إلحاق جمع بجمع ، لاشتراكه فى التقدير أو فى المعنى ، مثل « نبيّ وأنبياء » كأنه مثل « ولىّ وأولياء » — وكإلحاق « أسير وأسرى » بجمع ذوى العاهات مثل « مريض ومرضى » : ١٤٠ ، ٣١١
وإلحاق « أسير وأسارى » بمثل « سكران وسكارى » : ٣١١

• حذف « الياء » من « مفاعيل » و « فعاليل » فى نحو « مفاتح » و « قراقر » : ٢٦٤ ، ٢٦٥

• • •

• قولهم : « أفالله لتصنعن كذا وكذا » : ٤٠٠
[جاء فى الأصل «فالله» ، وعلقت عليها بأنى لم أعرف ما أراد بها ، ثم عرفتها بعد وعرفت صوابها ، وانظر سيبويه ١ : ١٤٥] .

• حروف الاستفهام إنما تدخل فى الكلام إما بمعنى الأستثبات ، وإما بمعنى النفى. فأما بمعنى « الإثبات » فذلك غير معروف فى كلام العرب ، ولا سيما إذا دخلت على حروف الجحد : ٤٨٥

• إعادة الضمير على ما لم يجر له فى الكلام ذكر : ١٥

• الأضدادُ فى اللغة كتسمية اليقين « ظنًّا » ، والشك « ظنًّا » : ١٧ ، ١٨

• بنو تميم ينقلون حركة العين من « فعل» إلى الفاء ، إذا كانت عين الفعل أحد حروف الحلق الستة : ٣٣٨

• قوله فى « لَعِبَ » ، « لِعْبَ » وما أشبهها لغة فاشية فى بنى تميم : ٣٣٨

• الاعتراض بين المبتدأ والخبر ، بالضمير والإشارة نحو قولهم : « أنا ذا أقوم » ، و « أنا هذا أجلس » : ٣٠٤

• الإتيان بلفظ الجميع ، والمراد فعلٌ من اثنين نحو قوله: « لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم » : أى لا يسفك بعضكم دماء بعض ، ولا يخرج بعضكم بعضاً من ديارهم : ٣٠٠

• من شأن العرب استعارة الكلمة ، ووضعها مكان نظيرها : ١٦٣

• الواحد المبعض لا يكون معرفة : ٥٧٠

• الاستفهام لا يكون فى الخبر : ٤٩٤

• الخبر لا يكون فى الاستفهام : ٤٩٤

• من كلام العرب المستفيض بينهم : أن يخرج المتكلم كلامه على وجه الخطاب لبعض الناس ، وهو قاصد به غيره — وعلى وجه الخطاب لواحد وهو يقصد به جماعة غيره ، أو جماعةً المخاطبُ به أحدهم — وعلى وجه الخطاب لجماعة ،

والمقصود به أحدهم . وتبدأ خطاب الواحد ، وترجع إلى خطاب الجماعة ، وتبدأ بالجماعة وتعود إلى الواحد : ٤٨٥ — ٤٨٧ ، ٥٠٠

• الكلمتان تكونان مستعملتين بمعنى واحد ، فتأتى الكراهة أو النهى باستعمال إحداهما واختيار الأخرى عليها : ٤٦٣

• العرب تكرهُ أن تحدث على الجزاء حادثاً : ٢٥٤

• العلم والشك ، معنيان ينفى كل واحد منهما صاحبه ، لا يجوز اجتماعهما فى حيز واحد : ٢٦٣

• وصف الشىء بصفة ، هى لصاحبه صفةٌ : ٢٤٢ ، ٢٤٣

• من شأن العرب إذا أمرت رجلاً أن يحكى ما قيل له عن نفسه أن تخرج فعل المأمور مرةً مضافاً إلى كناية نفس المخبر عن نفسه ، ومرة مضافاً إلى اسم كهيئة كناية اسم المخاطب ، لأنه به مخاطب ، فتقول : « قل للقوم إن الخير عندى كثير » ، و « قل للقوم إن الخير عندك كثير » : ٣٨٨

• الخبرُ ، الذى يحسنُ أن يأتى فى موضعه أمر أو نهى : ٢٩٣

• العرب تبتدئ الكلام أحياناً على وجه الخبر عن الغائب فى موضع الحكاية لما أخبرت عنه ، ثم تعود إلى الخبر على وجه الخطاب . وتبتدئ أحياناً على وجه الخطاب ، ثم تعود إلى الإخبار على وجه الخبر عن الغائب ، لما فى الحكاية من المعنيين : ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٣٥٧

• استواء التقديم والتأخير فى الكلام ، نحو قولهم : « تاب فلان فاهتدى » أو « اهتدى فلان فتاب » : ٥٤٩

• المؤخر الذى معناه التقديم : ٨٥ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٤٥

• حذف المضاف ، اكتفاء بفهم السامع لمعنى الكلام كقوله : « واسأل القرية » ، و « وأشربوا فى قلوبهم العجلَ » : ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٤٨٣ ، ٥٠٥ ، ٥٣٣

• العرب تجتزئ بذكر الاسم من ذكر فعله ، إذا كان معروفاً بشجاعة أو سخاء وما أشبهه من الصفات : ٣٦٠

• • •

• « أفعل » — مثل « أفضل رجل فلان » — لا يضاف إلى معرفة ، لأنه مبعّض ، ولا يكون الواحد المبعض معرفة : ٥٧٠

• « أفعل » ، و « فعلى » ، لا تكاد تتكلم بها العرب إلاّ بالألف واللام ، أو بالإضافة ، لا يقال : « جاءنى أجمل » ، بل « الأجمل » : ٢٩٥

• « أفعل » و « فعلى » لا يكادان يوجدان صفةً إلا لمعهود معروف : ٢٩٥

• إسقاط الحرف الأول من المثال ، وإبدال تاء فى آخره مكان الحرف الساقط مثل « وزنته زنة » : ٢١٦

• « فعل » و « يفعل » ، الماضى والمضارع ، يشتركان فى معنى واحد ، فيوضع مكانه ، كقوله : « ولقد أمر على اللئيم يسبنى » ، أى ولقد مررتُ : ٣٥١، ٣٥٢

• من شأن العرب إذا أحدثت على حرف الجزاء لام القسم ، أن لا ينطقوا فى الفعل معه إلا بالماضى دون المضارع ، إلاّ قليلاً نحو : « ولقد علموا لمن اشتراه ...» : ٤٥٢ والقليل نحو قوله : « لئن تك قد ضاقت عليكم بيوتكم » : ٤٥٢

• إتيان المصدر من غير فعله مفعولا مطلقاً : ٢٩٢ ، ٥٠٠ ، ٥٠١

• النصب بالأفعال المضمرة : ٢٩١

• « الاستثناء المنقطع » سمى كذلك لانقطاع الكلام الذى يأتى بعد « إلاّ » عن معنى ما قبلها : ٢٦٤

• النعت بالمصدر ، مثل رجل صوم ، ورجال صوم : ٥٠٧

• ردّ المصغّر إلى أصله عند التصغير ، كما قالوا فى « ماء » ، « مويه » ، وفى « آل» « أهيل » : ٣٧

- من شأن العرب إذا وضعوا المصادر مواضع الأفعال، وحذفوا الأفعال أن ينصبوا المصادر ، كقولهم : سمعاً وطاعة : ١٠٩
- ترك الهمز فى مشتق من فعل مهموز ، كقولهم : « البريّة » ، وهى من « برأ » ، و « ملك » ، وهو من « لأك » و « نبيّ » من « أنبأ » : ٧٨ ، ١٤٠
- ترك الهمز فى « خطيئة » ، وجمعها على « خطايا » : ١١٠
- ذكر ما يقتضى فعلاً مستقبلاً ، والإخبار عنه بفعل ماض ، نحو قوله : « إذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة » : ١٦٥
- استعمال المصدر فى التشبيه كقولهم : « إنما أنت أكل وشرْب » : ٢٩٤
- تأكيد ضمير المخاطبين ، كقوله « ثم أنتم هؤلاء » ، هؤلاء تنبيه وتوكيد لقوله : « أنتم » : ٣٠٤
- تأكيد ضمير المتكلم كقوله : « إننى أنا ذلك » ، أى أنا هذا : ٣٠٤
- المخاطبة بالفعل المستقبل ومعناه الماضى : ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٤١٨
- الحرف الخافض لا يخفضْ مضمراً : ٣٤٠
- العطف على الموضع ، كعطف منصوب على مجرور : ٢١ ، ٢٩٠ ، ٢٩١
- حذف النون ، أو التنوين من المضاف استثقالاً : ٢٠ ، ٢١
- من كلام العرب ترك الإضافة وإثبات النون فى اسم الفاعل إذا كان بمعنى « يفعل» أى بمعنى الذى، وإثبات النون وترك الإضافة ٢٠، ٢١
- من كلام العرب ترك الإضافة وإثبات النون ، إذا كان اسم الفاعل بمعنى « يفعل ، وفاعل » ، أى بمعنى المستقبل الذى لم ينقض . وإسقاط النون والإضافة إذا كان بمعنى « فعل » ، أى بمعنى الماضى : ٢٠ ، ٢١
- قول الكوفيون فى إجازة ترك الإضافة وإثبات النون فى جميع ذلك . وإذا أثبت النون وتركت الإضافة ، فى الآخر فهو بمعنى « يفعل » ، فالإضافة فيه للفظ ، وترك الإضافة للمعنى : ٢١

* * *

* كل شيء فى القرآن « كاد » ، أو « كادوا » أو « لو » فإنه لا يكون : ٢١٩

* إذا كان للكلام وجهٌ مفهومٌ على اتساقه على كلام واحد ، فلا وجه لصرفه إلى كلامين : ٢٩١

* أخذ الميثاق : استحلافٌ : ٢٨٨

* إظهارُ الاسم الذى حقّه الكناية فى الكلام : ٣٩٦

* استقباح العرب النكرة قبل المعرفة : ٣٧٤

* خروج الكلام مخرج التقرير فى الخطاب ، وهو بمعنى الخبر : ٣٢٤ ، ٤٨٥

* خروج الكلام مخرج الخبر ، وهو وعد أو وعيد أو أمر أو زجر : ٥٠٦

* كل كلام نُطق به ، مفهوم به معنى ما أريد ، ففيه الكفاية من غيره : ١٦٠

* زيادة ما لا يفيد من الكلام معنى فى الكلام ، غير جائز إضافته إلى الله جل ثناؤه : ٣٣١ ، ٤٠٠

* ما ترك جوابه ، استغناء بمعرفة المخاطبين بمعناه : ٣٣٦

* العرب إذا طال الكلام تأتى بأشياء لها أجوبة ، فتحذف أجوبتها ، لاستغناء سامعيها عن ذكر الأجوبة ، لمعرفتهم بمعناها ، نحو : « ولو أنّ قرآناً سُيّرت به الجبال » : ٣٣٧

* إتباع الكلام بالأقرب إليه ، أولى من إلحاقه بالأبعد منه : ٣١٦

* إلحاق الكلام بالذى يليه ، أولى من إلحاقه بما حيل بينه وبينه بكلام معترض : ٤٤٥

* إخراج الكلام مخرج العموم ، ويراد به الخصوص : ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٣ ، ٢٠٧ ، ٥٣٣ ، ٥٤٠

* * *

- غير جائز ادعاء خصوص فى آية عامّ ظاهرها إلا بحجة يجب التسليم لها : ٢٠٧ ، ٥٣٩

- إضافة أفعال الأسلاف إلى الأبناء ، وخطاب الأبناء وإضافة الفعل إليهم وهو لآبائهم : ٣٨ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ٢٤٥ ، ٢٩٩ ، ٣٠٢ ، ٣٥٣ ، ٤٠٩

- الاجتراء بالظاهر من الكلام ، الدالّ على المحذوف منه : ٢٦ — ٢٧ ، ٧٩ ، ١٠١ ، ١١٩ ، ٢٣٢ ، ٢٨٩ ، ٤١٧ ، ٤٥٨

- كفى بخروج القراءة على قراءة أهل الإسلام ، شاهداً على خطئها : ٢٦٥ ، ٢٩٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٩ ، ٤٧٨

- إجماع الحجة التى لا يجوز عليها الخطأ والكذب فيما نقله دليل كاف على فساد قول من عارضه : ١٣٦ ، ١٧٣ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٦٦ .

- لا يعترض على الحجة بقول من يجوز عليه فيما نقل السهو والخطأ والغفلة : ٢١٠ ، ٢١١ ، ٣٢٨

- غير جائز ترك الظاهر المفهوم من الكلام ، إلى باطن لا دلالة على صحته : ١٥ ، ٦١ ، ١٨٠ ، ٥٤٥ ، ٥٦٠

- تأويل القرآن على المفهوم الظاهر من الخطاب ، أولى من تأويله على خفى باطن ، حتى تأتى دلالة يجب التسليم لها بمعنى خلاف دليله الظاهر : ٤٥٧

- تأويل القرآن لا يدرك إلا ببيان من جعل الله إليه بيان القرآن ، وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم : ٢٨٣

- الآية يأتى عاماً فى صنف ظاهرها ، وهى خاص فى ذلك الصنف باطنها : ٢٨٣

- غير جائز ادعاء خصوص فى آية عام ظاهرها ، إلا بحجة يجب التسليم لها : ٥٣٩

فهرس التفسير

تصدير الجزء الثانى

٧ تفسير « أتأمرون الناس بالبرّ » ، آية البقرة : ٤٤

٧ كل طاعة لله فهى برّ .

١٠ مقالة اليهود أن الرسول مبعوث إلى غيرهم .

١١ معنى الاستعانة بالصلاة على طاعة الله وترك معاصيه .

١٢ حديث : « كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة » .

١٣ لفظة فارسية فى حديث « اشكنب درد » ، وتحقيق ذلك .

١٧ « الظن » بمعنى اليقين ، والأضداد فى اللغة .

٢٨ قضاء الحقوق يوم القيامة من الحسنات والسيئات ، والخبر عن ذلك .

٣٢ القصاص يوم القيامة ، والخبر عن ذلك .

٣٣ حديث : « شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى » / وحديث : « ليس من نبى إلا وقد أعطى دعوة ، وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى ، وإنها نائلة إن شاء الله منهم من لا يشرك بالله شيئاً » ، وتظاهر الأخبار بمعنييهما .

٤٢ الأخبار فى ذبح آل فرعون بنى إسرائيل ، وإختلاف المتأولين فى ذلك .

٥٠ فرق البحر لبنى إسرائيل ، وغرق فرعون ، والآثار فى ذلك .

٥٨ اختلاف القراء فى قراءة : « وإذ واعدنا »

٦٠ تفسير اسم « موسى » فى اللغة القبطية ، ثم ذكر نسبه .

٦٣ اتخاذ بنى إسرائيل العجل ، وسبب ذلك ، والأخبار عنه .

٧٢ قتل بنى إسرائيل أنفسهم ، وكيف كان ذلك ، والأخبار فيه.

٨٢ اتباع اليهود على عهد رسول الله ، سنن أسلافهم فى ارتدادهم عن دينهم .

٨٦ سبب قولهم لموسى : « لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة » ، والأخبار عن ذلك .

٩٧ الأخبار فى سبب تظليل الغمام وإنزال المن والسلوى .

١٠٥ اختلاف المتأولين فى معنى « حطة » .

١١٢ الأخبار فى تبديل اليهود ما قيل لهم .

١١٦ الآثار الدالة على معنى « الرجز » .

١١٩ الآثار فى ذكر استسقاء موسى لقومه .

١٣٢ اختلاف المتأولين فى « مصر » وما عنى بها .

١٣٦ اجتماع مصاحف المسلمين على إثبات الألف فى « مصرا »

١٤٥ اختلاف المتأولين فى معنى « الصابئين »

١٥٠ خبر إسلام سلمان الفارسىّ .

١٦٧ خبر اليهود فى « السبت » ، والآثار الدالة على بيانه .

١٨٣ خبر الأمر بذبح البقرة .

٢٠٧ القول فى العموم والخصوص ، وهو تفصيل جيد .

٢١٨ ذبح البقرة وما قيل فيه وما ورد من الآثار فى بيانه .

٢٢٥ خبر التدارئ فى القتيل الذى قتلته يهود ، والآثار الجائية فيه .

٢٤٥ خبر سماع بعض بنى إسرائيل كلام الله ، وما حرفوه منه ، والآثار فى ذلك .

٢٤٩ الآثار فى أخبار اليهود على زمان رسول الله ، وتكذيبهم ، وتخلقهم بأخلاق المنافقين .

٢٧٠ الآثار فى يهود الذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون : هذا من عند الله .

٢٧٤ معنى زعم اليهود أن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودة .

٢٨٢ القول فى أهل الكبائر ، وأنهم غير مخلدين فى النار .

٢٨٧ بقاء الجنة والنار ، وخلود من فيهما .

٢٨٨ أخذ الميثاق : استحلاف .

٣٠٥ أخبار حروب يهود جزيرة العرب ، وقتلهم أنفسهم ، والأخبار فى ذلك .
٣١٩ القول فى بيان معنى : « روح القدس » .
٣٣٢ أخبار استفتاح اليهود على العرب .
٣٦١ الأخبار فى أمر اليهود أن يتمنوا الموت إن كانوا صادقين .
٣٧٧ ما زعم اليهود من عداوتهم لجبريل .
٣٨٨ تفسير معنى « جبريل » ، وما جاء فيه من القرآآت .
٤٠٥ أخبار الشياطين وما تلته على ملك سليمان .
٤١٣ دعوى اليهود على سليمان أنه كان يعمل بالسحر .
٤٢١ كلام أبى جعفر فى جواز تنزيل الله السحر ، وفيه بحث جيد .
٤٢٧ أخبار هاروت وماروت .
٤٣٦ معنى « السحر » .
٤٣٧ الآثار فى سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم .
٤٣٩ عود إلى الكلام فى معنى « السحر » .
٤٤٣ لا يجترئ على السحر إلا كافرٌ .
٤٤٦ عود إلى معنى « السحر »
٤٥٩ الاختلاف فى تفسير « راعنا » ، والآثار الدالة على ذلك .
٤٦٣ نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استعمال بعض الألفاظ ، وتفسير ذلك
٤٧١ معنى النسخ .
٤٧٩ ذكر ما رفع من القرآن .
٤٨٢ عود إلى بيان معنى النسخ وكيف هو .
٤٨٣ غير جائز أن يكون من القرآن شىء خير من شىء ، لأن جميعه كلام الله ، ولا يجوز فى صفات الله تعالى أن يقال : بعضها أفضل من بعض ، وبعضها خير من بعض .

٥١٣ الأخبار فى تنازع اليهود والنصارى فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٥١٨ الدليل على من أتى شيئاً من معاصى الله على علم منه بنهى الله عنها ، فمصيبته فى دينه أعظم من مصيبة من أتى ذلك جاهلاً به .

٥٢٠ أى المساجد هى التى سعى فى خرابها ، واختلاف المتأولين فى ذلك

٥٢٢ الردّ على من خطّأ الطبرى فى أن المعنى بخراب المساجد هم النصارى .

٥٢٦ « لله المشرق والمغرب » ، وتحويل القبلة ، والاختلاف فى معنى الآية .

٥٣٠ الآثار فى الإذن بالتوجه فى التطوع إلى شرق أو غرب .

٥٣٢ خبر النجاشى وصلاته .

٥٣٣ « لله المشرق والمغرب »، القول فى نسخها .

٥٣٤ بيان الناسخ والمنسوخ كيف يكون ، وما شرطه .

٥٤٤ بيان معنى الأمر فى قوله : « كن فيكون » ، وهو بحث جيد .

٥٥٠ بيان المقصود بالذين وصفهم الله تعالى بأنهم « لا يعلمون » .

٥٥٨ الآثار فى ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه .

٥٦٠ ردّ الطبرى لهذه الآثار ، لاستحالة الشك من رسول الله فى أن أهل الشرك من أهل الجحيم .

* * *

٥٧٧ فهرس الآيات التى استدل بها فى غير موضعها من التفسير

٥٨٢ فهرس اللغة

٥٩١ فهرس أعلام المترجمين فى التعليق

٥٩٩ فهرس المصطلحات

٥٩٩ فهرس الردّ على الفرق

٦٠٠ فهرس مباحث العربية والنحو وغيرها

٦١٢ فهرس التفسير

تراث الإسلام

تفسير الطبري

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ - ٣١٠ هـ

٣

حققه وعلق حواشيه
محمود محمد شاكر

راجعه وخرج أحاديثه
أحمد محمد شاكر

الناشر
مكتبة ابن تيمية
القاهرة ت ٨٦٤٢٤٠

تفسير الطبري

الجزء الثالث

فيه

تفسير سورة البقرة

من ١٢٤ — ١٩٥

والآثار من ١٩٠٧ — ٣١٨٤

بسم الله الرحمن الرحيم

« هُوَ اللهُ الَّذِى لاَ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ ۝ هُوَ اللهُ الَّذِى لاَ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلَامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ هُوَ اللهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِى السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ » .

أحمدُهُ حَمْدَ لا غافلٍ عن سبوغِ نعمه وتتابُعِ آلائه ، وأذكُرُه ذكرَ لا ساهٍ عن عِزّة سلطانِه ولطيف رحمته ، وأستغفره استغفارَ لا ناسٍ لفداحة ذنبه وعظيم زلّاته . وأصلّى وأسلِّم على محمد النبيّ الأميّ الذى اصطفاه من خلقه لبلاغ رسالته إلى عباده ، وأكرمه بالشفاعة يومَ لا ينفع مالٌ ولا بنون إلّا من أتى الله بقلبٍ سليم . وأسألُه سبحانَه أن يجعلنا من الذين يستمعون القولَ فيتبعون أحسنَه ، ومن الذين لا يخافونَ فى مرضاته لومة لائم . وأضرعُ إليه أن يبعثنا يومَ القيامة ثابتين على ما وهبَ لنا من الإقرار بتوحيده ، لننجو من عقابه وعذابِه ، فهو أرحمُ بنا مِنَّا ، وألطفُ بنا من أُمَّهاتنا وآبائنا . اللَّهُمَّ لا ملجأ منك إلاّ إليك ، فاغفر لنا وارحمنا وتب علينا وتوفّنَا مسلمين .

* * *

وبعد ، فهذا الجزء الثالث من تفسير أبى جعفر الطبرىّ ، قد أعان الله على إتمام تحقيقه وتمحيصه وطبعه ، قد تحرّيتُ فى مراجعته وضبطه

ما بلغه جهدى من التثبُّت . وقد كنت أشرتُ فى مقدّمة الجزء الأوّل أن النسخة المخطوطة قد فُقِد منها الجزء الثانى والثالث ، فوقَع هذا الجزء فى المفقود من المخطوطة ، فكان ذلكَ مدعاةً لإطالة المراجعة ، حتى شقَّ علىّ الأمرُ فى بعض المواطن ، ولكنّى بذلتُ ما وسعنى . وممّا يؤسفُ لَهُ أنى ظننتُ فى مقدمة الجزء الأول ، أن ابن كثير وغيره يكثرون النَّقل عن ابن جرير ، فتبيَّنَ لى بعد التوغُّل فى تفسير الطبرى أنَّهم لما أوغلوا فى تفسيرهم ، قلَّ نقلهم عَنْه ، فصارَ فقدان المخطوطة ، وقلة نقلِهم عنه سببًا فى تلمُّسِ المعانى تلمُّسًا فى المصادر المختلفة ، حتى أستطيع أنْ أقيم النصوصَ على وجهها المرضىّ ، وأرجو أن أكون قد وُفِّقت فى ذلك بعضَ التوفيق بتيسير الله وعونِه .

وأسأل الله أن يعين على التمام ، وأنْ يسدّد خطواتنا إلى الصواب ، وأن يتغمَّدَ ما نحنُ له أهلٌ من السَّهْو والخطأ ، وهو ولىّ التوفيق ؟

محمود محمد شاكر

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « وإذ ابتلى »، وإذ اختبر .

* * *

يقال منه : «ابتليتُ فلاناً أبتليه ابتلاء»، ومنه قول الله عز وجل : ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [سورة النساء: ٦] ، يعنى به : اختبروهم .(١)

* * *

وكان اختبار الله تعالى ذكره إبراهيم، اختباراً بفرائضَ فرضها عليه، وأمرٍ أمره به . وذلك هو « الكلمات » التى أوْحاهنّ إليه، وكلفه العمل بهن، امتحاناً منه له واختباراً.

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى صفة « الكلمات » التى ابتلى الله بها إبراهيم نبيَّه وخليله صلوات الله عليه .

* * *

فقال بعضهم : هى شرائع الإسلام ، وهى ثلاثون سهما .(٢)

* ذكر من قال ذلك :

١٩٠٧ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا داود ، عن عكرمة ،عن ابن عباس فى قوله : « وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات» ، قال :

---

(١) انظر ما سلف فى الجزء ٢ : ٤٨ ، ٤٩

(٢) السهم فى الأصل واحد السهام التى يضرب بها فى الميسر ، وهى القداح . ثم سمى ما يفوز به الفالج سهماً ، ثم كثر حتى سمى كل نصيب سهماً . وقوله هنا يدل على أنهم استعملوه فى كل جزء من شىء يتجزأ وهو جملة واحدة . فقوله : « سهما » هنا ، أى خصلة وشعبة . وسيأتى شاهدها فى الأخبار الآتية .

قال ابن عباس : لم يُبتلَ أحد بهذا الدين فأقامه إلاّ إبراهيم ، ابتلاه الله بكلمات ، فأتمّهن. قال : فكتب الله له البراءة فقال: ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ [سورة النجم : ٣٧] . قال : عَشْر منها فى «الأحزاب » ، وعشر منها فى « براءة» ، وعشر منها فى « المؤمنين » و « سأل سائل » ، وقال : إنّ هذا الإسلام ثلاثون سهما .(١)

١٩٠٨ — حدثنا إسحق بن شاهين قال ، حدثنا خالد الطحان ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : ما ابتُلى أحدٌ بهذا الدِّين فقام به كلّه غيرُ إبراهيم ، ابتلى بالإسلام فأتمه ، فكتب الله له البراءة فقال : « وإبراهيم الذى وَفَّى » ، فذكر عشراً فى « براءة » [١١٢] فقال : ﴿ التَّائِبُونَ العَابِدُونَ الحَامِدُونَ ﴾ إلى آخر الآية ،(٢) وعشراً فى « الأحزاب » [٣٥] ، ﴿ إِنَّ المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ ﴾ ، وعشرًا فى « سورة المؤمنين » [١—٩] إلى قوله ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ ، وعشرًا فى « سأل سائل » [٢٢ — ٣٤] ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ على صَلاتِهِمْ يُحافِظُون ﴾ .

١٩٠٩ — حدثنا عبد الله بن أحمد بن شبّويه قال ، حدثنا على بن الحسن قال ، حدثنا خارجة بن مصعَب ، عن داود بن أبى هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : الإسلام ثلاثون سهماً ، وما ابتُلى بهذا الدين أحَدٌ فأقامه إلاّ إبراهيم ، قال الله : ﴿ وإبْراهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ ، فكتب الله له براءَةً من النار .(٣)

---

(١) سيأتى بيانها فى الأثر التالى .

(٢) فى المطبوعة : « الآيات » ، والصواب ما أثبت .

(٣) الخبر ١٩٠٩ — عبد الله بن أحمد بن شبويه : هو عبد الله بن أحمد بن محمد بن ثابت بن مسعود بن يزيد ، أبو عبد الرحمن ، عرف بابن شبويه ، وهو من أئمة الحديث ، كما قال الخطيب . مترجم فى تاريخ بغداد ٩ : ٣٧١ ، وله ترجمة موجزة فى ابن أبى حاتم . ووقع فى المطبوعة هنا « عبيد الله بن أحمد ابن شبرمة » . وهو تحريف وخطأ . صححناه من التاريخ ، وبما سيأتى فى التفسير .

على بن الحسن بن شقيق بن ديناد : ثقة ، من شيوخ أحمد ، والبخارى ، وغيرهما . مترجم فى التهذيب ، وفى شرح المسند : ٧٤٣٧ .

وهذا الخبر سيأتى بهذا الإسناد ، فى التفسير : ٢٧ : ٤٣ (بولاق) . وكذلك رواه أبو جعفر بهذا الإسناد ، فى التاريخ ١ : ١٤٤ .

وذكره ابن كثير ١ : ٣٠٢ ، ونسبه أيضاً لابن أبى حاتم ، والحاكم . وذكره السيوطى ١ : ١١١ — ١١٢ ، وزاد نسبته لابن أبى شيبة ، وابن مردويه ، وابن عساكر . وهذا الإسناد صحيح .

* * *

وقال آخرون : هي خصال عشر من سُنن الإسلام .

* ذكر من قال ذلك :

١٩١٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وإذ ابتلَى إبراهيمَ ربُّه بكلمات » ، قال : ابتلاه الله بالطهارة ، خمسٌ في الرأس ، وخمس في الجسد . في الرأس : قصُّ الشارب ، والمضمضة ، والاستنشاق ، والسِّواك ، وفَرْق الرأس . وفي الجسد : تقليم الأظفار ، وحلق العانة ، والخِتان ، ونَتْفُ الإبط ، وغسل أثر الغائط والبول بالماء . (١) ٤١٥/١

١٩١١ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الحكم بن أبان ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن ابن عباس ، بمثله – ولم يذكر أثر البول .

١٩١٢ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا سليمان قال ، حدثنا أبو هلال قال ، حدثنا قتادة في قوله : « وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات » ، قال : ابتلاه بالختان ، وحلق العانة ، وغسل القُبُل والدُّبُر ، والسواك ، وقصّ الشارب ، وتقليم الأظافر ، ونَتْف الإبط . قال أبو هلال : ونسيت خَصْلةً .

١٩١٣ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن مطر ، عن أبي الجلد قال : ابتُلي إبراهيم بعشرة أشياءَ ، هن في الإنسان ، سُنَّة :

---

(١) الخبر : ١٩١٠ – وهذا الإسناد صحيح أيضاً .

وهو في تفسير عبد الرزاق (مخطوطة دار الكتب المصورة) ، بهذا الإسناد .

وكذلك رواه أبو جعفر في التاريخ ١ : ١٤٤ ، من تفسير عبد الرزاق . بهذا الإسناد .

وكذلك رواه الحاكم ٢ : ٢٦٦ ، من طريق ابن طاوس عن أبيه ، به . وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبي .

وذكره ابن كثير ١ : ٣٠١ . وكذلك ذكره السيوطي ١ : ١١١ وزاد نسبته إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في سننه .

الاستنشاق ، وقصّ الشارب ، والسِّواك ، ونتْف الإبط ، وَقلْم الأظفار ، وغسل البراجم ، والختان ، وَحلْق العانة ، وغسل الدبر والفَرْج [١] .

* * *

وقال بعضهم : بل « الكلمات » التى ابتُلى بهنّ عشرُ خِلال ، بعضُهنّ فى تطهير الجسد ، وبعضهن فى مناسك الحجّ .

* ذكر من قال ذلك :

١٩١٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا محمد بن حرب قال ، حدثنا ابن لَهيعة ، عن ابن هبيرة ، عن حنش ، عن ابن عباس فى قوله : « وإذ ابتلىَ إبراهيمَ ربُّه بكلمات فأتمهن » ، قال : ستة فى الإنسان ، وأربعة فى المشاعر . فالتى فى الإنسان : حلق العانة ، والختان ، ونَتف الإبط ، وتقليم الأظفار ، وقص الشارب ، والغُسل يوم الجمعة . وأربعة فى المشاعر : الطواف ، والسَّعى بين الصفا والمروة ، ورمى الجمار ، والإفاضة . [٢]

* * *

وقال آخرون : بل ذلك : « إنى جاعلك للناس إماماً » ، فى مناسك الحج .

* ذكر من قال ذلك :

١٩١٥ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال ، سمعت إسمعيل ابن أبى خالد ، عن أبى صالح فى قوله : « وإذ ابتلَى إبراهيمَ ربُّه بكلمات فأتمهن » ، فمنهنّ : « إنى جَاعلك للناس إماماً » ، وآيات النسك . [٣]

١٩١٦ — حدثنا أبو السائب قال ، حدثنا ابن إدريس قال ، سمعت إسمعيل

---

(١) الخبر : ١٩١٣ — مطر : هو ابن طهمان الوراق . وأبو الجلد : بفتح الجيم وسكون اللام ، سبق بيانه : ٤٣٤ . وفى المطبوعة « أبو الخلد » بالخاء المعجمة بدل الجيم ، وهو تصحيف تكرر فيها كثيراً .
البراجم جمع برجمة (بضم الباء وسكون الراء وضم الجيم) : وهى ظهور القصب من مفاصل الأصابع .

(٢) الخبر : ١٩١٤ — ابن هبيرة : هو عبد الله بن هبيرة السبائى المصرى ، وهو ثقة ، وثقه أحمد وغيره ، وخرج له مسلم فى الصحيح . حنش ، بفتحتين وبالشين المعجمة : هو ابن عبد الله السبائى الصنعانى ، من صنعاء دمشق — وهى قرية بالغوطة من دمشق — وهو تابعى ثقة .
وهذا الخبر رواه أيضاً ابن أبى حاتم ، عن يونس بن عبد الأعلى . عن ابن وهب ، عن ابن لهيعة ، بهذا الإسناد — كما فى ابن كثير ١ : ٣٠٢ . وهو إسناد صحيح .

(٣) يأتى بيان آيات النسك فى الخبرين التاليين .

ابن أبي خالد، عن أبي صالح مولى أم هانئ في قوله: « وإذ ابتلى إبراهيم ربُّه بكلمات »، قال : منهنّ « إني جاعلك للناس إماماً » ، ومنهن آيات النُّسك ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ﴾ [سورة البقرة : ١٢٧ – ١٢٨] .

١٩١٧ – حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلماتٍ فأتمهن »، قال الله لإبراهيم : إني مُبتليك بأمرٍ فما هو؟ قال: تجعلني للناس إماماً! قال : نعم . قال : ومن ذُرِّيتي . قال : لا ينال عَهدي الظالمين . قال : تجعل البيتَ مثابة للناس. قال : نَعم. [قال] : وأمْناً . قال: نعم. [قال]: وتجعلنا مسلمين لك ومن ذُرِّيتنا أمَّةً مُسلمةً لك . قال: نعم.[قال]: وتُرينا مناسكنا وتتوب عَلينا . قال: نعم . قال : وتجعل هذا البلد آمناً . قال: نعم . قال: وتَرْزُق أهله من الثمراتِ من آمن منهم . قال : نعم .

١٩١٨ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٩١٩ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، أخبره به عن عكرمة ، فعرضته على مجاهدٍ فلم يُنكره .

١٩٢٠ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد بنحوه . قال ابن جريج: فاجتمع على هذا القول مجاهد وعكرمة جميعاً .

١٩٢١ – حدثنا سفيان قال ، حدثني أبي ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وإذ ابتلى إبراهيمَ ربه بكلمات فأتمهن »، قال : ابتلى بالآيات التي بعدَها : « إنّي جَاعلكَ للناس إمَاماً قَالَ ومنْ ذُرِّيتي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهدي الظالمين » .

١٩٢٢ – حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن

الربيع فى قوله : « وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات فأتمهن »، فالكلمات : « إنّى جاعلك للناس إمَاماً » ، وقوله : « وإذ جعلنا البيتَ مَثابةً للناس »، وقوله : « واتخذوا من مَقام إبراهيم مُصَلًّى » ، وقوله : « وعهدنا إلى إبراهيم وإسمعيل » الآية ،وقوله : « وإذْ يرفع إبراهيم القواعدَ من البيت» الآية.قال : فذلك كله من الكلمات التى ابتُلى بهنّ إبراهيم .(١)

١٩٢٣ – حدثنى محمد ابن سعد(٢) قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ،عن ابن عباس قوله: « وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات فأتمَّهن » ، فمنهن : « إنّى جاعلك للناس إمَاماً » ، ومنهن : « وإذ يرفع إبراهيمُ القواعدَ منَ البيت » ، ومنهنّ الآيات فى شأن النسك والمقام الذى جعل لإبراهيم ، والرِّزق الذى رُزق ساكنو البيت، ومحمد صلى الله عليه وسلم فى ذريتهما عليهما السلام. ٤١٦/١

* * *

وقال آخرون : بل ذلك مناسكُ الحجّ خاصة .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٢٤ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا سلم بن قتيبة قال ، حدثنا عُمر بن نبهان ، عن قتادة ، عن ابن عباس فى قوله : « وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات »، قال : مناسك الحج .(٣)

١٩٢٥ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كان ابن عباس يقول فى قوله : « وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات » ، قال : المناسك .

---

(١) فى المطبوعة : « فذلك كلمة من الكلمات » ، والصواب من ابن كثير ١ : ٣٠٣ .

(٢) فى المطبوعة : « محمد بن سعيد » ، وهو خطأ، وهو إسناد دائر فى الطبرى. وانظر رقم : ٣٠٥.

(٣) الخبر : ١٩٢٤ – هذا الإسناد ضعيف من ناحيتين . أما سلم – بفتح السين وسكون اللام – ابن قتيبة أبو قتيبة : فإنه ثقة ، خرج له البخارى فى صحيحه . وأما الضعف ، فلأن « عمر بن نبهان الغبرى » بضم الغين المعجمة وفتح الباء الموحدة : ضعيف جداً ، ذمه الإمام أحمد ، وقال ابن معين : ليس بشىء . وهو مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣/١/١٣٨ . والوجه الآخر من الضعف : أنه منقطع ، لأن قتادة لم يدرك ابن عباس .

١٩٢٦ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قال ، قال ابن عباس : ابتلاه بالمناسك .

١٩٢٧ – حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه، قال : بلغنا عن ابن عباس أنه قال : إن الكلمات التي ابتُلى بها إبراهيمُ، المناسكُ .

١٩٢٨ – حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد الزبيري قال ، حدثنا شريك، عن أبي إسحق، عن التيمي، عن ابن عباس قوله: « وإذ ابتلى إبراهيم ربُّه بكلماتٍ »، قال : مناسك الحج .

١٩٢٩ – حدثني المثنى قال ، حدثنا الحماني قال ، حدثنا شريك ، عن أبي إسحق ، عن التيمي ، عن ابن عباس في قوله : « وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات »، قال : منهن مناسك الحج . (١)

* * *

وقال آخرون : هي أمور ، منهنّ الختان .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٣٠ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا سلم بن قتيبة، عن يونس بن أبي إسحق ، عن الشعبي : « وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات »، قال : منهن الختان .

١٩٣١ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا يونس ابن أبي إسحق، قال: سمعت الشعبي يقول، فذكر مثله .

١٩٣٢ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا يونس ابن أبي إسحق قال ، سمعت الشعبي – وسأله أبو إسحق عن قوله الله : « وإذ ابتلى

---

(١) الخبران : ١٩٢٨ ، ١٩٢٩ – أبو إسحق: هو السبيعي ، عمرو بن عبد الله الهمداني ، الإمام التابعي الثقة ، التيمي : هو « أربدة » بسكون الراء وكسر الباء الموحدة . ويقال « أربد » بدون هاء . وهو تابعي ثقة ، مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري ١/٢/٦٤ ، وابن أبي حاتم ١/١/٣٤٥ ، وقد عرف بأنه راوي التفسير عن ابن عباس . وفي المسند : ٢٤٠٥ – في حديث آخر « عن أبي إسحق ، عن التيمي الذي يحدث التفسير » . لم يرو عنه غير أبي إسحق السبيعي .

إبراهيمَ ربّه بكلمات »ـ، قال : منهن الختان ، يا أبا إسحق.

* * *

وقال آخرون : بل ذلك الخلال الستّ : الكوكب ، والقمر ، والشمس ، والنار ، والهجرة ، والختان ، التي ابتلى بهن فصبر عليهن .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٣٣ ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية، عن أبي رجاء قال : قلت للحسن: « وإذ ابتلَى إبراهيم ربُّه بكلمات فأتمهن ».قال : ابتلاه بالكوكب ، فرضي عنه؛ وابتلاه بالقمر ، فرَضي عنه ؛ وابتلاه بالشمس ، فرضي عنه ؛ وابتلاه بالنار ، فرضي عنه؛ وابتلاه بالهجرة ، وابتلاه بالختان .

١٩٣٤ ـ حدثنا بشر بن معاذ قال ،حدثنا يزيد بن زريع قال : حدثنا سعيد، عن قتادة قال : كان الحسن يقول : إي والله، ابتلاه بأمرٍ فصَبرَ عليه : ابتلاه بالكوكب والشمس والقمر، فأحسنَ في ذلك، وَعرف أن ربَّه دائم لا يزول، فوجَّه وجهَه للذي فَطر السموات والأرض حَنيفاً وما كان من المشركين ؛ ثم ابتلاه بالهجرة، فخرج من بلاده وقومه حتى لحق بالشام مهاجراً إلى الله ؛ ثم ابتلاه بالنار قبل الهجرة ، فصبر على ذلك ؛ فابتلاه الله بذبح ابنه وبالختان ، فصبر على ذلك .

١٩٣٥ ـ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عمن سمع الحسن يقول في قوله : « وإذ ابتلَى إبراهيمَ ربه بكلمات »، قال : ابتلاه الله بذبح وَلده ، وبالنار ، وبالكوكب ، والشمس ، والقمر .

١٩٣٦ ـ حدثنا ابن بشار قال ،حدثنا سلم بن قتيبة قال، حدثنا أبو هلال، عن الحسن : « وإذا ابتلى إبراهيمَ رَبه بكلمات »، قال : ابتلاه بالكوكب ، وبالشمس والقمر ، فوجده صابراً .

* * *

وقال آخرون بما :

١٩٣٧ ـ حدثنا به موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا

أسباط ، عن السدى : الكلمات التى ابتلى بهنّ إبراهيمَ ربُّه : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ • رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ • رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ ﴾ [سورة البقرة: ١٢٧-١٢٩]

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا أنْ يقال : إنّ الله عز وجل أخبر عباده أنه اختبر إبراهيم خليله بكلماتٍ أوحاهن إليه ، وأمره أن يعمل بهن فأتمهن ، كما أخبر الله جل ثناؤه عنه أنه فعل .(١) وجائز أن تكون تلك الكلمات جميع ما ذكره من ذكرنا قوله فى تأويل « الكلمات » ، وجائز أن تكون بعضَه . لأن إبراهيم صلواتُ الله عليه قد كان امتُحن فيما بلغنا بكل ذلك ، فعمل ٤١٧/١ به ، وقام فيه بطاعة الله وأمره الواجب عليه فيه . وإذ كان ذلك كذلك ، فغير جائز لأحد أن يقول : عنَى الله بالكلمات التى ابتلىَ بهنّ إبراهيم شيئاً من ذلك بعينه دون شىء ، ولا عنى به كل ذلك ، إلا بحجة يجب التسليم لها : من خبرٍ عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو إجماع من الحُجة . ولم يصحّ فى شىء من ذلك خبرٌ عن الرسول بنقل الواحد ، ولا بنقل الجماعة التى يجب التسليم لما نقلته .

غيرَ أنه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى نَظير معنى ذلك خبَران ، لو ثبتا ، أو أحدُهما ، كان القول به فى تأويل ذلك هو الصواب . أحدهما ، ما : —

١٩٣٨ — حدثنا به أبو كريب قال ، حدثنا رشدين بن سعد قال ، حدثنى زبّان بن فائد ، عن سهل بن معاذ بن أنس ، عن أبيه ، قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يَقول : ألا أخبركم لم سمَّى اللهُ إبراهيمَ خليله : ﴿ الَّذِى وَفَّى ﴾ ؟ [سورة النجم : ٣٧] لأنّه كان يقول كلما أصبح وكلما أمسى : ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ [سورة الروم : ١٧ ، ١٨] حتى يختم الآية .(٢)

---

(١) فى المطبوعة : « وأتمهن » بالواو ، والأجود ما أثبت .

(٢) الحديث : ١٩٣٩ — إسناده منهار لاتقوم له قائمة . وقد ضعفه الطبرى نفسه ، هو والحديث الذى بعده . وقال ابن كثير ١ : ٣٠٤ — بعد إشارته إلى ذلك : « وهو كما قال ، فإنه لا يجوز روايتهما إلا ببيان ضعفهما ، وضعفهما من وجوه عديدة ، فإن كلا من السندين مشتمل على غير واحد من الضعفاء ،

والآخر مهما ما : —

١٩٣٩ — حدثنا به أبوكريب قال ، حدثنا الحسن بن عطية قال ، حدثنا إسرائيل ، عن جعفر بن الزبير ، عن القاسم ، عن أبى أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وإبراهيم الذى وَفّى » ، قال : أتدرون ما « وفّى » ؟ قالوا : اللهُ ورسوله أعلم . قال : وفّى عمل يومه ، أربعَ ركَعاتٍ فى النهار.(١)

مع ما فى متن الحديث مما يدل على ضعفه » .

رشدين بن سعد : ضعيف جداً ، وقد فصلنا القول فيه فى شرح المسند : ٥٧٤٨ ، و « رشدين » : بكسر الراء وسكون الشين المعجمة وكسر الدال وبعد الياء نون ، ووقع فى المطبوعة وفى ابن كثير « راشد » وهو تصحيف .

زبان بن فائد المصرى الحمراوى : ضعيف أيضاً . قال أحمد : « أحاديثه مناكير » ، وضعفه ابن معين مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/١/٤٠٥ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٦١٦ . وقال ابن حبان فى كتاب المجروحين (ص : ٢١٠ مخطوط مصور عندى) : « منكر الحديث جداً ، يتفرد عن سهل بن معاذ بنسخة كأنها موضوعة » . و « زبان » : بالزاى المعجمة وتشديد الباء الموحدة . ووقع فى المطبوعة « ريان » بالراء والتحتية ، وهو تصحيف .

سهل بن معاذ بن أنس الجهنى : ضعيف أيضاً ، ضعفه ابن معين . وقال ابن حبان فى كتاب المجروحين (ص : ٢٣٢) : « روى عنه زبان بن فائد ، منكر الحديث جداً . فلست أدرى أوقع التخليط فى حديثه منه أو من زبان بن فائد ؟ فإن كان من أحدهما فالأخبار التى رواها أحدهما ساقطة » .

وهذا الحديث — على ما فيه من ضعف شديد — رواه أحمد فى المسند : ١٥٦٨٨ (ج ٣ ص ٤٣٩ حلبى) . بل إنه روى هذه النسخة ، التى كاد ابن حبان أن يجزم بأنها موضوعة .

(١) الحديث : ١٩٣٩ — ضعفه أيضاً الطبرى ووافقه ابن كثير ، كما قلنا فى الذى قبله .

الحسن بن عطية بن نجيح الكوفى : ثقة ، روى عنه البخارى فى الكبير ٢/١/٢٩٩ ، ولم يذكر فيه جرحاً ، وروى عنه أبو حاتم وأبو زرعة ، وقال أبو حاتم . « صدوق » . وهو مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ١/٢/٢٧ . وهو غير « الحسن بن عطية بن سعد العوفى ، السابق ترجمته فى : ٣٠٥ .

إسرائيل : هو ابن يونس بن إسحق السبيعى ، وهو ثقة ، مضى فى : ١٢٩١ .

جعفر بن الزبير الحنفى ، أو الباهلى ، الدمشقى ثم البصرى : ضعيف جداً . مترجم فى التهذيب ، وفى الكبير البخارى ١/٢/١٩١ ، وفى الضعفاء له ، ص : ٧ ، وقال : « متروك الحديث ، تركوه » ، وفى ابن أبى حاتم ١/١/٤٧٩ . وقال ابن حبان فى كتاب المجروحين (ص : ١٤٢) : « روى عن القاسم مولى معاوية وغيره ، أشياء كأنها موضوعة » . وقال أبو حاتم : « روى جعفر بن الزبير ، عن القاسم ، عن أبى أمامة ، نسخة موضوعة ، أكثر من مئة حديث » .

وأما القاسم : فهو ابن عبد الرحمن الشامى ، وكنيته أبو عبد الرحمن ، وقد اختلف فيه ، والراجح أنه ثقة ، وأن ما أنكر عليه إنما جاء من الرواة عنه الضعفاء . وقد بينا ذلك فى شرح المسند : ٥٩٨ ، وما علقنا به على تهذيب السنن للمنذرى : ٢٣٧٦ .

* * *

قال أبو جعفر : فلو كان خبر سَهل بن معاذ عن أبيه صحيحاً سَندُه ، كان بيِّناً أن الكلمات التى ابتُلى بهن إبراهيم فقام بهنّ ، هو قوله كلما أصبح وأمسى : « فسبحانَ الله حينَ تُمسونَ وَحينَ تُصبحون ، وَله الحمدُ فى السموات وَالأرض وَعشيًّا وَحينَ تُظهِرون» — أو كان خبر أبى أمامةَ عدولاً نَقَلَتُه، كان معلوماً أن الكلمات التى أوحِينَ إلى إبراهيم فابتُلى بالعمل بهنّ : أن يصلِّىَ كل يوم أربعَ ركعات . غير أنهما خبرَان فى أسانيدهما نظرٌ .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى معنى « الكلمات » التى أخبر الله أنّه ابتلى بهنّ إبراهيم ، ما بيَّنا آنفاً . ولو قال قائل فى ذلك : إن الذى قاله مجاهدٌ وأبو صالح والربيع بن أنس ، أولى بالصواب من القول الذى قاله غيرهم ، كان مذهباً . لأنّ قوله : « إنى جَاعلك للناس إماماً » ، وقوله : « وَعهدنا إلى إبراهيم وإسمعيل أن طَهِّرا بيتِيَ للطائفين » وسائر الآيات التى هى نظيرُ ذلك ، كالبيان عن الكلمات التى ذكر الله أنه ابتَلى بهن إبراهيم .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « فأتمهن » ، فأتم إبراهيمُ الكلمات . و«إتمامه إيَّاهن» ، إكماله إيّاهن ، بالقيام لله بما أوجب عليه فيهن ، وهو الوفاء الذى

والحديث ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٦ : ١٢٩ ، ونسبه أيضاً لسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن أبى حاتم ، وابن مردويه ، وغيرهم ، وقال : « بسند ضعيف » .

(١) وقد نقل ابن كثير فى تفسيره ١ : ٣٠٤ هذه الفقرة من أول قوله « ولو قال قائل » ثم عقب عليه بقوله : « قلت : والذى قاله أولا : من أن الكلمات تشمل جميع ما ذكر ، أقوى من هذا الذى جوزه من قول مجاهد ومن قال مثله . لأن السياق يعطى غير ما قالوه ، والله أعلم » . لم يأت ابن كثير بشىء ، فإن قول الطبرى بين ، وهو قاض بأن الصواب هو القول الأول ، وأن هذا الثانى لو قيل كان مذهباً . وهذه كلمة تضعيف لا كلمة تقوية .

قال الله جل ثناؤه : ﴿ وإبْرَاهِيمَ الَّذِى وفَّى ﴾ [سورة النجم : ٣٧] ، يعنى وفَّى بما عهد إليه ، « بالكلمات » ، بما أمره به من فرائضه ومحنته فيها ،[1] كما : —

١٩٤٠ — حدثنى محمد بن المثنى قال، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « فأتمهن » ، أى فأدَّاهن .

١٩٤١ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فأتمهن » ، أى عمل بهن فأتمهن .

١٩٤٢ — حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « فأتمهن » ، أى عمل بهن فأتمهن .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « إنّى جاعلك للناس إماماً » ، فقال الله : يا إبراهيم ، إنّى مصيِّرك للناس إماماً ، يُؤتمّ به ويُقتدى به ، كما : —

١٩٤٣ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « إنى جاعلك للناس إماماً » ، ليؤتم به ويقتدى به .

يقال منه : « أممتُ القومَ فأنا أؤُمُّهم أمًّا وإمامة » ، إذا كنت إمامهم .

* * *

وإنما أراد جل ثناؤه بقوله لإبراهيم : « إنّى جاعلك للناس إماماً » ، إنّى مصيّرك تَؤُم مَنْ بعدك مَن أهل الإيمان بى وبرسلى ، تتقدمهم أنت ،[2] ويتّبعون هَدْيك ، ويستنّون بسُنتك التى تعمل بها ، بأمرى إيّاك ووحيى إليك .

---

(١) فى المطبوعة : « يعنى : وفى بما عهد إليه بالكتاب فأمره به من فرائضه ومحنه فيها » ، وهى عبارة مضطربة لا تستقيم ، وكأن الصواب ما أثبته .

(٢) فى المطبوعة : « فتقدمهم أنت » ، ليست بشىء .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بذلك : قال إبراهيم – لمّا رفع الله منزلته وكرّمه، فأعلمه ما هو صانع به ، من تصييره إماماً فى الخيرات لمن فى عصره ، ولمن جاء بعدَه من ذريته وسائر الناس غيرهم ، يهتدَى بهَديه ، ويقتدَى بأفعاله وأخلاقه –: يا رب ، ومن ذُريتى فاجعل أئمة يُقتدى بهم ، كالذى جعلتنى إماماً يُؤتم بى ويقتدى بى . مسألةٌ من إبراهيم ربَّه سأله إيَّاها ، كما : – ٤١٨/١

١٩٤٤ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : قال إبراهيم : « ومن ذُريتى » ، يقول : فاجعل من ذريتى من يُؤتم به ، ويقتدى به .

* * *

وقد زعم بعض الناس أنّ قولَ إبراهيم : « ومن ذرِّيتى » ، مسألةمنه ربَّه لعقبه أن يكونوا على عَهده ودينه ، كما قال : ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ [سورة إبراهيم : ٣٥] ، فأخبر الله جل ثناؤه أنّ فى عَقبه الظالم المخالف له فى دينه ، بقوله : « لا يَنال عَهدى الظالمين » .

* * *

والظاهرُ من التنزيل يدلّ على غير الذى قاله صاحب هذه المقالة . لأن قول إبراهيم صلوات الله عليه : « ومن ذُريتى » ، فى إثر قول الله جل ثناؤه : « إنّى جاعلك للناس إماماً » . فمعلوم أن الذى سأله إبراهيم لذرِّيته ، لو كان غيرَ الذى أخبرَ ربُّه أنه أعطاه إياه ، لكان مُبيَّناً .(١) ولكن المسألة لما كانت مما جرَى ذكرُه ، اكتفى بالذكْر الذى قد مضى ، مِنْ تكريره وإعادته ، فقال : « ومن ذريتى » ، بمعنى : ومن ذريتى فاجعل مثلَ الذى جعلتنى به ، من الإمامة للناس .

---

(١) قوله : « لكان مبيناً » ، أى بجاء ما سأل إبراهيم ربه مبيناً فى الآية .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (١٢٤)

قال أبو جعفر : هذا خبرٌ من الله جل ثناؤه عن أنّ الظالم لا يكون إماماً يَقتدى به أهلُ الخير . وهو من الله جل ثناؤه جوابٌ لما يُتَوَهم فى مسألته إياه[1] : أن يجعل من ذريته أئمة مثله . فأخبر أنه فاعل ذلك ، إلا بمن كان من أهل الظلم منهم ، فإنّه غير مصيِّره كذلك ، ولا جاعِله فى محل أوليائه عنده ، بالتكرمة بالإمامة . لأن الإمامة إنما هى لأوليائه وأهل طاعته ، دون أعدائه والكافرين به .

* * *

واختلف أهل التأويل فى العهد الذى حرّم الله جل ثناؤه الظالمين أن ينالوه .

فقال بعضهم : ذلك « العهد » ، هو النبوة .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٤٥ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « قال لا يَنالُ عَهدى الظالمين » ، يقول : عهدى ، نبوّتى .

فمعنى قائل هذا القول فى تأويل الآية : لا ينال النبوّة أهلُ الظلم والشرك .

* * *

وقال آخرون : معنى « العهد » : عهد الإمامة .

فتأويل الآية على قولهم : لا أجعل من كان من ذريتك بأسرهم ظالماً ، إماماً لعبادى يُقتدى به .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٤٦ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « قال لا يَنالُ عهدى الظالمين » ، قال : لا يكون إمامٌ ظالماً .

---

(١) فى المطبوعة : « لما توهم » ، وهى خطأ ، والصواب ما أثبته ، بالبناء للمجهول .

١٩٤٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : قال الله : « لا ينالُ عَهدى الظالمين »، قال: لا يكون إمامٌ ظالماً .

١٩٤٨ – حدثنا المثنى قال،حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن عكرمة بمثله .

١٩٤٩ –حدثنا ابن بشار قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور، عن مجاهد في قوله: « قال لا ينالُ عهدى الظالمين »، قال: لا يكون إمامٌ ظالم يقتدى به .

١٩٥٠ – حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازى قال، حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد مثله .

١٩٥١ – حدثنا مشرَّف بن أبان الحطاب قال، حدثنا وكيع ، عن سفيان: عن خصيف، عن مجاهد في قوله :«لاينال عهدى الظالمين »، قال: لا أجعل إماماً ظالماً يقتدى به .(١)

١٩٥٢ – حدثنا محمد بن عبيد المحاربى قال، حدثنا مسلم بن خالد الزّنجى، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « لا ينال عَهدى الظالمين »، قال : لا أجعلُ إماماً ظالماً يقتدى به .

١٩٥٣ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن

---

(١) الخبر : ١٩٥١ – مشرف بن أبان أبو ثابت الحطاب ، شيخ الطبرى : ترجم له الخطيب في تاريخ بغداد ١٣ : ٢٢٤ ، وذكر أنه يروى عن ابن عيينة ، وغيره . مات ببغداد سنة ٢٤٣ . ولم أجد له ترجمة ولا ذكراً غير ذلك ، و « مشرف » : بوزن « محمد » ، كما نص على أنه الجادة في المشتبه للذهبى ، ص : ٤٨٤ ، والتبصير للحافظ ابن حجر (مخطوط مصور) .

ووقع في المطبوعة « مسروق » ، وهو خطأ بين، وقد مضى في : ١٣٨٣ باسم «بشر بن أبان الحطاب » . وهو خطأ أيضاً . ثم هو سيأتى على الصواب : « مشرف » – في : ٢٣٨٢ .

وأما « الحطاب » ، فهكذا هو الثابت هنا بالحاء المهملة ، وفي تاريخ بغداد « الخطاب » بالمعجمة . ولم أستطع الترجيح بينهما .

ابن جريج ، عن مجاهد : « لا ينال عهدى الظالمين » : قال : لا يكون إماماً ظالم . قال ابن جريج : وأما عطاء فإنه قال : « إنى جاعلك للناس إماماً قال وَمن ذريتى » ، فأبى أن يجعل من ذريته ظالماً إماماً . قلت لعطاء : ما عهده ؟ قال : أمرُه .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : أنه لا عهدَ عليك لظالم أن تطيعه فى ظُلمه .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٥٤ ــ حدثنا محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « لا ينال عهدى الظالمين » ، يعنى : لا عهدَ لظالم عليكَ فى ظلمه ، أن تطيعه فيه .

١٩٥٥ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله ، عن إسرائيل ، عن مسلم الأعور ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : « قال لا ينالُ عهدى الظالمين » ، قال : ليس للظالمين عهدٌ ، وإن عاهدتهُ فانقُضْه .

١٩٥٦ ــ حدثنى القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن سفيان ، عن هرون بن عنترة ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : ليس لظالم عهدٌ . ٤١٩/١

* * *

وقال آخرون : معنى « العهد » فى هذا الموضع : الأمان .

* فتأويل الكلام على معنى قولهم : قال الله لا ينال أمانى أعْدائى ، وأهل الظلم لعبادى . أى : لا أؤمنهم من عذابى فى الآخرة .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٥٧ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « قال لا ينال عَهدى الظالمين » ، ذلكم عند الله يوم القيامة ، لا ينال عَهده ظالم ، فأما فى الدنيا ، فقد نالوا عهد الله ، فوارثوا به المسلمين وَغازَوْهم وناكحوهم به .[1] فلما كان يوم القيامة قَصَّر الله عهدَه وكرامته على أوليائه .

(١) فى المطبوعة : « وعادوهم » ، والصواب من الدر المنثور ١ : ١١٨ ، وقوله : « غازوهم » أى كانوا معهم فى الغزو وشاركوهم فى الغنائم .

١٩٥٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « لا ينال عهدى الظالمين » ، قال : لا ينال عهد الله فى الآخرة الظالمون ، فأما فى الدنيا فقد ناله الظالم ، وأكل به وعاش .

١٩٥٩ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن ، عن إسرائيل ، عن منصور ، عن إبراهيم : « قال لا ينالُ عهدى الظالمين » ، قال : لا ينال عهد الله فى الآخرة الظالمون . فأما فى الدنيا فقد ناله الظالم فأمِن به ، وأكل وأبصر وعاش .

* * *

وقال آخرون : بل «العهد» الذى ذكره الله فى هذا الموضع : دين الله .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٦٠ – حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : قال الله لإبراهيم : « لا ينالُ عهدى الظالمين»، فقال : فعهد الله الذى عهد إلى عباده، دينُه . يقول : لا ينال دينُه الظالمين . ألا ترى أنه قال : ﴿ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحٰقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾ [سورة الصافات : ١١٣] ، يقول : ليس كل ذريتك يا إبراهيم على الحق .

١٩٦١ – حدثنى يحيى بن جعفر قال ، أخبرنا يزيد قال، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « لا ينال عهدى الظالمين»، قال: لا ينال عهدى عدوٌّ لى يعصينى ، ولا أنحلُها إلا وليًّا لى يطيعنى . (١)

* * *

قال أبو جعفر : وهذا الكلام، وإن كان ظاهرُه ظاهرَ خبرٍ = عن أنه لا ينال من ولد إبراهيم صلوات الله عليه عهدُ الله – الذى هو النبوة والإمامة لأهل الخير ،

---

(١) الأثر : ١٩٦١ – يحيى بن جعفر ، هو يحيى بن أبى طالب ، وانظر الأثر رقم : ٢٨٤ .

بمعنى الاقتداء به فى الدنيا ، والعهد الذى بالوفاء به ينجو فى الآخرة مَن وَفَى لله به فى الدنيا[١] — من كان منهم ظالماً متعدِّياً جائراً عن قَصْد سبيل الحق[٢] = فهو إعلامٌ من الله تعالى ذكره لإبراهيم : أن من ولده من يُشرك به ، ويجورُ عن قصد السبيل ، ويظلمُ نفسه وعبادَه ، كالذى : —

١٩٦٢ — حدثنى إسحق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال ، حدثنا عتّاب ابن بشير ، عن خصيف ، عن مجاهد فى قوله : « لا ينال عهدى الظالمين » قال : إنه سيكون فى ذرِّيتك ظالمون[٣]

* * *

وأما نصب « الظالمين » ، فلأنّ العهدَ هو الذى لا ينال الظالمين .

وذُكِر أنه فى قراءة ابن مسعود : « لا ينالُ عهدى الظالمون » ، بمعنى : أن الظالمين هم الذين لا ينالُون عهدَ الله .

* * *

وإنما جاز الرفع فى « الظالمين » والنصب ، وكذلك فى « العهد » ، لأن كل ما نالَ المرءَ فقد نالَه المرءُ ، كما يقال : « نالنى خيرُ فلان ، ونلت خيرَه » ، فيوجِّه الفعل مرة إلى الخير ، ومرة إلى نفسه .

* * *

وقد بينا معنى « الظلم » فيما مضى ، فكرهنا إعادته .[٤]

* * *

---

(١) سياق هذه الجملة المعترضة : « . . . لا ينال من ولد إبراهيم عهد الله . . . من كان منهم ظالما . . . »

(٢) وسياق هذه الجملة التى اعترضتها الجملة الطويلة السالفة : « وإن كان ظاهره ظاهر خبر . . فهو إعلام من الله . . . » ، وهكذا دأب أبى جعفر رضى الله عنه .

(٣) الأثر : ١٩٦٢ — فى المطبوعة « عتاب بن بشر » ، وهو خطأ . هو عتاب بن بشير الجزرى أبو الحسن ويقال أبو سهل الحرانى (تهذيب التهذيب) والتاريخ الكبير للبخارى ٤/١/٥٦ .

(٤) انظر ما سلف ١ : ٥٢٣ — ٥٢٤ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾

قال أبو جعفر : أما قوله : « وإذ جعلنا البيت مَثابة » ، فإنه عطف بـ « إذ » على قوله : « وإذ ابتلَى إبراهيمَ ربُّه بكلمات » . وقوله : « وإذ ابتلى إبراهيم » معطوف على قوله : « يا بَنى إسرائيلَ اذكروا نعمتى » ، واذكروا « إذِ ابتلى إبراهيمَ ربُّه » ، « وإذْ جعلنا البيتَ مَثابة » .

* * *

و « البيت » الذى جعله الله مثابةً للناس ، هو البيت الحرام .

* * *

وأما «المثابة» ، فإن أهل العربية مختلفون فى معناها ، والسبب الذى من أجله أنِّثت .

فقال بعض نحويى البصرة : ألحقتْ الهاء فى « المثابة » ، لمّا كثُر من يثوب إليه ، كما يقال : « سَيَّارة » لمن يكثر ذلك ، « ونسّابة » .

وقال بعض نحويى الكوفة : بل « المثاب » و « المثابة » بمعنى واحد ، نظيرةُ « المقام » و «المقامة»[1] . و « المقام » ، ذكِّر — على قوله — لأنه يريد الموضع الذى يُقام فيه ، وأنثت « المقامة » ، لأنه أريد بها البقعة . وأنكر هؤلاء أن تكون « المثابة » كـ « السيارة ، والنسابة » . وقالوا : إنما أدخلت الهاء فى « السَّيارة والنَّسَّابة» تشبيهاً لها بـ « الداعية » .

* * *

و « المثابة » « مفعلة » من « ثاب القوم إلى الموضع » ، إذا رجعوا إليه ، « فهم يثوبون إليه مَثاباً ومَثابةً وثواباً » .[2]

---

(١) فى المطبوعة : « نظيره » والأرجح ما أثبت .

(٢) لم تذكر هذه المصادر فى كتب اللغة ، « المثاب ، والمثابة » مصدران ميميان قياسيان ، فإغفالها فى كتب اللغة غير غريب ، وأما قوله « وثواباً » ، فهذا إن صح عن الطبرى ، فهو جائز فى العربية أيضاً ، ولكنهم نصوا على أن مصدر « ثاب » هو « ثوباناً ، وثوباً ، وثؤوباً » فأخشى أن تكون محرفة عن إحداها . وأما « الثواب » فى المعروف من كتب العربية فهو الاسم من « أثابه يثيبه إثابة ، وهو الثواب » ، وهو المجازاة على الصنيع .

فمعنى قوله : « وإذ جعلنا البيتَ مَثابة للناس» : وإذ جعلنا البيت مرجِعاً
٤٢٠/١ للناس ومعاذاً ، يأتونه كلّ عام وَ يرجعون إليه ، فلا يقضُون منه وطراً . ومن
« المثاب » ، قول وَرَقة بن نوفل فى صفة الحَرَم :

مَثَابٌ لأَفْنَاءِ القَبَائِلِ كُلِّهَا تَخُبُّ إِلَيْهِ اليَعْمَلَاتُ الطَّلَائِحُ(١)

ومنه قيل : « ثابَ إليه عقله » ، إذا رجع إليه بعد عُزُوبه عنه .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل *

* ذكر من قال ذلك :

١٩٦٣ ــ حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا [أبو عاصم قال، حدثنا]
عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « وإذ جَعلنا البيت مَثابة

---

(١) من أبيات طويلة لورقة بن نوفل فى البداية والنهاية لابن كثير ٢ : ٢٩٧ ، والبيت فى تفسير أبى حيان ١ : ٣٨٠ ، بهذه الرواية ، وقبل البيت فى ذكر أبينا إبراهيم عليه السلام :

فتبعٌ دينَ الَّذِى أَسَّسَ البنَا وكَانَ لَهُ فَضْلٌ عَلَى الناسِ رَاجِحُ
وأَسَّسَ بنْيانًا بِمَكَّةَ ثَابتًا تَلَألأُ فِيه بِالظَّلَامِ المَصَابِحُ
مَثَابًا لأَفْنَاء . . . . . .

بنصب « مثاباً » بيد أن الشافعى روى هذا البيت فى الأم ٢ : ١٢٠ لورقة بن نوفل ، وعجزه .

* تَخُبُّ إليه اليَعْمَلَاتُ الذَّوَامِلُ *

وكذلك جاء فى القرطبى ٢ : ١٠٠ ، وعدها أبو حيان رواية فى البيت ، وبهذه الرواية ذكره صاحب اللسان فى (ثوب) منسوباً لأبى طالب ، وفى (ذمل) غير منسوب . والظاهر أن الشافعى رحمه الله أخطأ فى رواية البيت . وأخطأ صاحب اللسان فى نسبته ، اشتبه عليه بشعر أبى طالب فى قصيدته المشهورة .

وأفناء القبائل : أخلاطهم ونزاعهم من ههنا وههنا . وخبت الدابة تخب خبباً : وهو ضرب سريع من العدو . واليعملات جمع يعملة وهى الناقة السريعة المطبوعة على العمل ، اشتق اسمها من العمل ، والعمل الإسراع والعجلة . والطلائح جمع طليح . ناقة طليح أسفار : جهدها السير وهزلها ، فهى ضامرة هزلا . يعنى الإبل أنضاها أصحابها فى إسراعهم إلى حج البيت . وأما « الذوامل » فى الرواية الأخرى ، فهو جمع ذاملة . ناقة ذمول وذاملة : وهى التى تسير سيراً ليناً سريعاً .

للناس»، قال : لا يقضُون منه وَطراً .(١)

١٩٦٤ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله .

١٩٦٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد : « وإذ جَعلنا البيتَ مَثابةً للناس »، قال : يثوبون إليه، لا يقضون منه وَطراً .

١٩٦٦ – حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدى : « وإذ جَعلنا البيتَ مَثابةً للناس »، قال : أما المثابة، فهو الذى يَثوبون إليه كل سنة، لا يدعه الإنسان إذا أتاهُ مرَّةً أن يعوَد إليه .

١٩٦٧ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمى، قال حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله : « وإذ جَعلنا البيتَ مَثابة للناس»، قال : لا يقضُون منه وَطراً، يأتونه، ثم يرجعون إلى أهليهم، ثم يعودون إليه .

١٩٦٨ – حدثني عبد الكريم بن أبي عمير قال، حدثني الوليد بن مسلم قال، قال أبو عمرو : حدثني عبدة بن أبي لبابة فى قوله : « وإذ جَعلنا البيتَ مَثابةً للناس »، قال: لا ينصرِف عنه منصرفٌ وهو يرى أنه قد قضى منه وَطراً .

١٩٦٩ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا عبدالملك، عن عطاء فى قوله : « وإذ جَعلنا البيتَ مَثابة للناس »، قال : يثوبون إليه من كل مكان، ولا يقضون منه وطراً .

١٩٧٠ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن عبد الملك، عن عطاء مثله .

١٩٧١ – حدثني محمد بن عمارة الأسدى قال، حدثنا سهل بن عامر قال،

---

(١) الأثر : ١٩٦٣ – ما بين القوسين ساقط من الأصول . وهذا إسناد دائر، أقربه إلينا رقم : ١٩٤٦، فأتممته على الصواب .

حدثنا مالك بن مغول، عن عطية فى قوله: « وإذْ جَعلنا البيتَ مَثابة للناس »، قال: لا يقضُون منه وَطراً .(١)

١٩٧٢ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن : قال ، حدثنا سفيان ، عن أبى الهذيل قال ، سمعت سعيد بن جبير يقول : « وإذْ جَعلنا البيتَ مَثابةً للناس »، قال : يحجّون ويثُوبون .

١٩٧٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق ، قال أخبرنا الثورى ، عن أبى الهذيل ، عن سعيد بن جبير فى قوله: « مثابةً للناس »، قال : يحجُّون ثمّ يحجّون ، ولا يقضون منه وطراً . (٢)

١٩٧٤ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا ابن بكير قال، حدثنا مسعر ، عن غالب ، عن سعيد بن جبير : « مَثابةً للناس »، قال : يثوبون إليه .(٣)

١٩٧٥ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : « وإذْ جَعلنا البيتَ مَثابة للناس وأمْناً » ، قال : مَجمعاً .

١٩٧٦ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « مَثابةً للناس » ، قال : يثوبون إليه .

---

(١) الخبر : ١٩٧١ – شيخ الطبرى « محمد بن عمارة الأسدى» ، كما مضى فى : ٦٤٥ ، ١٥١١ ، وكما ذكرنا أنه يروى عنه فى التاريخ كثيراً . وفى المطبوعة « محمد بن عمار » .

سهل بن عامر : هو البجلى ، وهو ضعيف جداً ، ترجمه البخارى فى الصغير ، ص : ٢٣٤ ، وقال: « منكر الحديث ، لا يكتب حديثه » . وترجمه ابن أبى حاتم ٢/١/٢٠٢ وروى عن أبيه قال : « هو ضعيف الحديث ، روى أحاديث بواطيل ! أدركته بالكوفة ، وكان يفتعل الحديث » . وترجم فى لسان الميزان٣ : ١١٩ – ١٢٠ ، ووقع اسم أبيه فى التاريخ الصغير « عمار » ، وهو خطأ ناسخ أو طابع .

(٢) الخبران : ١٩٧٢ – ١٩٧٣ – أبو الهذيل : هو غالب بن الهذيل الأودى ، يروى عن أنس ، وسعيد بن جبير ، وغيرهما ، وهو ثقة ، وثقه ابن معين . مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ٤/١/٩٩ ، وابن أبى حاتم ٣/٢/٤٧ . وسيأتى باسمه فى الخبر بعدهما .

(٣) الخبر : ١٩٧٤ – غالب : هو أبو الهذيل فى الخبرين قبله . مسعر ، بكسر الميم وسكون السين وفتح العين : هو ابن كدام – بكسر الكاف وتخفيف الدال – وهو أحد الأعلام . الثقات .

١٩٧٧ – حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « مثابةً للناس » ، قال : يثوبون إليه .

١٩٧٨ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله : « وإذْ جعَلنا البيت مثابةً للناس » ، قال : يثوبون إليه من البلدان كلِّها ويأتونه .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَأَمْنًا ﴾

قال أبو جعفر : و « الأمن » مصدرٌ من قول القائل : « أمِنَ يأمَنُ أمْناً » .

* * *

وإنما سماه الله « أمْناً » ، لأنه كانَ في الجاهلية مَعاذاً لمن استعاذ به . وكان الرجل منهم لو لقي به قاتلَ أبيه أو أخيه، لم يَهجْهُ ولم يعرض له حتى يخرج منه، وكان كما قال الله جل ثناؤه : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [سورة العنكبوت : ٦٧]

١٩٧٩ – حدثني يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وأمْناً » ، قال : من أمَّ إليه فهو آمن، كان الرجل يلقَى قاتل أبيه أو أخيه فلا يعرِضُ له .

٤٢١/١

١٩٨٠ – حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ، عن السدي : أمّا « أمْناً » ، فمن دخله كانَ آمناً .

١٩٨١ – حدثني محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله : « وأمناً » ، قال : تَحْريمُه، لا يخافُ فيه من دخله .

١٩٨٢ – حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « وأمْناً » ، يقول : أمناً من العدوّ أنْ يَحمل فيه السلاح ، وقد كان في الجاهلية يُتخطف الناسُ من حولهم وهم آمنون لا يُسبَوْن .

١٩٨٣ – حدثت عن المنجاب قال ، أخبرنا بشر ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس في قوله : « وأمْناً » ، قال : أمناً للناس .

١٩٨٤ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج ، عن مجاهد في قوله : « وأمناً » ، قال : تحريمُه ، لا يخاف فيه من دخله .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَٱتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِيمَ مُصَلًّى ﴾

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة في قراءة ذلك :

فقرأه بعضهم : « وَاتخِذُوا من مَقام إبراهيمَ مُصَلَّى » بكسر « الخاء » ، على وجه الأمر باتخاذه مصلًّى . وهي قراءة عامة المصرَيْن الكوفة والبصرة، وقراءة عامة قَرأة أهل مكة وبعض قرأة أهل المدينة .[1] وَذهبَ إليه الذين قرأوه كذلك ، من الخبر الذي : –

١٩٨٥ – حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم قالا، حدثنا هشيم قال، أخبرنا حميد ، عن أنس بن مالك قال ، قال عمر بن الخطاب : قلت : يا رسول الله ، لو اتخذتَ المقامَ مُصلى ! فأنزل الله : « واتخذوا من مَقام إبراهيم مُصَلى » .

١٩٨٦ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا ابن أبي عدي– وحدثني يعقوب قال ، حدثنا ابن علية – جميعاً ، عن حميد ، عن أنس ، عن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مثله .

---

(١) كان في المطبوعة : « قراء » في هذه المواضع ، فرددتها إلى ما جرى عليه الطبري في الأجزاء السالفة .

١٩٨٧ – حدثنا عمرو بن على قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا حميد، عن أنس قال: قال عمر بن الخطاب: قلت : يا رسول الله، فذكر مثله .(١)

* * *

قالوا : فإنما أنزل الله تعالى ذكره هذه الآية ، أمرًا منه نبيَّه صلى الله عليه وسلم باتخاذ مَقام إبراهيم مصلًّى. فغيرُ جائز قراءتها – وهى أمرٌ – على وجه الخبر .

* * *

وقد زعم بعض نحويي البصرة أن قوله : « واتخِذُوا من مَقام إبراهيم مُصَلًّى »، معطوفٌ على قوله: « يا بَنى إسرائيل اذكروا نعمتى » و « اتخذوا من مَقام إبراهيم مُصَلًّى ». فكان الأمر بهذه الآية ، وباتخاذ المصلى من مقام إبراهيم – على قول هذا القائل – لليهود من بنى إسرائيل الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، . . . . . كما حُدِّثنا [عن] الربيع بن أنس .(٢) بما : –

١٩٨٨ – حدثت [به] عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه قال : من الكلمات التى ابتُلى بهن إبراهيم قوله: « واتخِذوا من مَقام إبراهيم مُصَلًّى »، فأمرهم أن يتخذوا من مَقام إبراهيم مصلًّى ، فهم يصلون خلف المقام .(٣)

* * *

---

(١) الأحاديث : ١٩٨٥ – ١٩٨٧ ، هى حديث واحد بأربعة أسانيد صحاح. وهو مختصر من حديث مطول ، رواه أحمد فى المسند : ١٥٧ ، ١٦٠ ، ٢٥٠ ، عن هشيم ، وعن ابن أبى عدى ، وعن يحيى – ثلاثتهم ، عن حميد ، عن أنس . ورواه البخارى أيضاً ، عن مسدد ، عن يحيى . كما ذكره ابن كثير ١ : ٣٠٩ – ٣١٠ ، من رواية البخارى وأحمد ، ثم ذكر أنه رواه أيضاً الترمذى ، والنسائى ، وابن ماجة ، وقال الترمذى : « حسن صحيح » .

(٢) كان فى المطبوعة : « كما حدثنا الربيع بن أنس » ، وهو خطأ ، فزدت « عن » بين القوسين ، فبين أبى جعفر الطبرى والربيع بن أنس دهر طويل . وانظر التعليق التالى .

(٣) الأثر : ١٩٨٨ – هو جزء من الأثر السالف رقم : ١٩٢٢ وهو «عن ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس » ، فزدت ما بين الأقواس ، ليستقيم الكلام . وسيأتى أيضاً برقم : ٢٠٠١ ولكنى وضعت هذه النقط فى الموضع السالف ، لأنى أخشى أن يكون فى الكلام سقط . وذلك أنه بدأ فقال : إن الأمر بهذه الآية على قول هذا البصرى – اليهود من بنى إسرائيل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم عقب عليه بقوله : «فأمرهم أن يتخذوا مقام إبراهيم مصلى ، فهم يصلون خلف المقام » . ولست أعلم أن اليهود الذى كانوا على

فتأويل قائل هذا القول : وإذ ابتلَى إبراهيمَ ربه بكلمات فأتمهن ، قال : إنى جاعلك للناس إماماً ، وقال : اتخِذوا من مقام إبراهيم مصلى .

* * *

قال أبو جعفر : والخبر الذى ذكرناه عن عمر بن الخطاب ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلُ ، يدلّ على خلاف الذى قاله هؤلاء ، وأنه أمرٌ من الله تعالى ذكره بذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، والمؤمنين به ، وجميعَ الخلق المكلفين .

* * *

وقرأه بعضُ قرأة أهل المدينة والشامُ : ﴿ وَاتَّخَذُوا ﴾ بفتح «الخاء» ، على وجه الخبر .

* * *

ثم اختلف فى الذى عطف عليه بقوله : « واتخَذوا » إذ قرئ كذلك ، على وجه الخبر .

فقال بعض نحويى البصرة : تأويله ، إذا قُرئ كذلك : وإذْ جعلنا البيتَ مثابةً للناس وأمناً ، [وإذِ] اتخَذوا من مقام إبراهيم مصلى .[1]

وقال بعض نحويى الكوفة : بل ذلك معطوفٌ على قوله : « جعلنا » ، فكان معنى الكلام على قوله : وإذْ جعلنا البيت مثابةً للناس ، واتخذوه مصلى[2]

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول والقراءة فى ذلك عندنا : « واتخِذوا »

عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانوا يصلون فى البيت الحرام خلف المقام ، فلذلك وضعت هذه النقط ، لأنى أرجح أنه قد سقط من كلام الطبرى فى هذا الموضع ما يستقيم به هذا الكلام . ولم أجد فى الكتب التى تنقل عن تفسير الطبرى ما يهدى إلى صواب هذه العبارة .

والذى أستظهره أن يكون سقط من هذا الموضع ، توجيه الأمر فى هذه الآية إلى إبراهيم وذريته من ولد إسماعيل ، فيكون الضمير فى قوله : «فأمرهم أن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ، فهم يصلون خلف المقام » إلى ذرية إبراهيم من ولد إسماعيل ، وهم العرب من أهل دين إسماعيل ، وبقاياهم من أهل الجاهلية ، الذين جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليقيمهم على الحنيفية ملة إبراهيم ، وهى الإسلام .

(١) الزيادة التى بين القوسين ، لا بد منها ، وإلا لم يكن بين هذا القول والذى يليه فرق . ويعنى البصرى فى هذا التأويل أن العطف على جملة « وإذ جعلنا » ، فتكون « إذ » مضمرة فى قوله تعالى : « واتخذوا » .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٧٧ وهو تأويله .

بكسر « الخاء » ، على تأويل الأمر باتخاذ مقام إبراهيم مصلى ، للخبر الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ذكرناه آنفاً ، وأنّ :

١٩٨٩ – عمرو بن على حدثنا قال ، حدثنا يحيى بن سعيد قال ، حدثنا جعفر بن محمد قال ، حدثنى أبى ، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ : « واتخِذوا من مَقام إبراهيم مُصَلًّى » . (١)

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « واتخِذوا من مَقام إبراهيم مُصَلًّى » ، وفى « مقام إبراهيم » . فقال بعضهم : « مقام إبراهيم » ، هو الحج كله .

٤٢٢/١

* ذكر من قال ذلك :

١٩٩٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس فى قوله : « مقام إبراهيم » ، قال الحج كله مقامُ إبراهيم .

١٩٩١ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « واتخذوا من مَقام إبراهيم مصلًّى » ، قال : الحج كله .

١٩٩٢ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، قال : الحج كله « مقام إبراهيم » .

* * *

وقال آخرون : « مقام إبراهيم » ، عَرَفة والمزدلفة والجمارُ .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٩٣ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن عطاء بن أبى رباح : « واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى » ، قال : لأنّى قد جعلته إماماً ، فمقامُه : عَرَفة والمزدلِفة والجِمارُ .

---

(١) الحديث : ١٩٨٩ – عمرو بن على : هو الفلاس ، من كبار الحفاظ الثقات ، روى عنه أصحاب الكتب الستة وغيرهم . وشيخه يحيى بن سعيد : هو القطان الإمام .

والحديث جزء من حديث جابر – الطويل – فى الحج كما سنذكر فى : ٢٠٠٣ ، إن شاء الله .

١٩٩٤ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « واتخِذُوا من مَقام إبراهيم مصلّى» ، قال : مَقامه : جَمعٌ وعَرَفة ومِنىً – لا أعلمه إلاّ وقد ذكر مكة .

١٩٩٥ – حدثنا عمرو بن علي قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن عطاء ، عن ابن عباس في قوله : « واتخذوا من مقام إبراهيم مصلّى» ، قال : مقامه ، عَرَفة .

١٩٩٦ – حدثنا عمرو بن علي قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا داود ، عن الشعبي قال : نزلت عليه وهو واقف بعرفةَ ، مقام إبراهيم : ﴿ اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [سورة المائدة : ٣] ، الآية .

١٩٩٧ – حدثنا عمرو قال ، حدثنا بشر بن المفضل ، قال : حدثنا داود ، عن الشعبي مثله

* * *

وقال آخرون : « مقام إبراهيم » ، الحرَم .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٩٨ – حدثت عن حماد بن زيد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « واتخذُوا من مقام إبراهيم مصلى » ، قال : الحرم كُله « مقام إبراهيم » .

* * *

وقال آخرون : « مقام إبراهيم » الحجر الذي قام عليه إبراهيم حين ارتَفَع بناؤُه ، وضَعُف عن رَفع الحجارة .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٩٩ – حدثنا ابن سنان القزاز قال ، حدثنا عبيدالله بن عبد المجيد الحنفي قال ، حدثنا إبراهيم بن نافع قال ، سمعت كثير بن كثير يحدّث ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : جعل إبراهيم يبنيه ، وإسمعيل يناوله الحجارة ، ويقولان : « رَبَّنا تَقبَّل منا إنك أنتَ السميع العليم » . فلما ارتفع البنيان ، وضعُف الشيخ عن

رفع الحجارة ، قام على حجر ، فهو « مقام إبراهيم » [١]

* * *

وقال آخرون : بل « مقام إبراهيم » ، هو مقامه الذى هو فى المسجد الحرام .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٠٠ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « واتخذوا من مَقام إبراهيمُ مصلّى » ، إنما أمرُوا أن يصلّوا عنده ، ولم يُؤمروا بمسحه . ولقد تكلّفت هذه الأمة شيئاً ما تكلفته الأمم قبلها .[٢] ولقد ذكر لنا بعضُ من رأى أثرَ عقبِه وأصابعه فيه ، فما زالت هذه الأمة يمسحونه حتى اخلولق وانمحى . [٣]

٢٠٠١ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « واتخذوا من مَقام إبراهيم مصلى » ، فهُم يُصلون خلفَ المقام . [٤]

٢٠٠٢ – حدثنى موسى [٥] قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « واتخِذُوا من مقام إبراهيم مصلى » ، وهو الصلاة عند مَقامه فى الحج . و « المقام » هو الحجر الذى كانت زَوجَةُ إسمعيل وضعته تحت قَدَم إبراهيم حين غَسلت رأسه ، فوضع إبراهيم رجله عليه وهو راكبٌ ، فغسلتْ شِقَّه ، ثم رفعته من تحته وقد غابت رجله فى الحجر ، فوضعته تحت الشقّ الآخر ، فغسلته فغابت رجله

---

(١) الحديث : ١٩٩٩ – هو قطعة من الحديث الآتى : ٢٠٥٦ . وسنخرجه هناك ، إن شاء الله . وشيخ الطبرى هنا « ابن سنان القزاز » : هو « محمد بن سنان » ، مضت ترجمته فى : ١٥٧ . وفى المطبوعة « سنان » بحذف « ابن » ، وهو خطأ .

(٢) فى المطبوعة : « مما تكلفته » ، والصواب من تفسير ابن كثير ١ : ٣١١ .

(٣) فى المطبوعة : « أصابعه فيها » ، والصواب من تفسير ابن كثير . خلق الشىء وأخلق واخلولق : بلى .

(٤) الأثر : ٢٠٠١ – هو الأثر السالف : ١٩٨٨ ، وانظر التعليق عليه .

(٥) كان فى المطبوعة « حدثنى يونس » ، وهو خطأ محض بل هو إسناده الدائر فى التفسير – إلى السدى ، وأقربه رقم : ١٩٨٠ .

أيضاً فيه ، فجعلها الله من شعائره فقال : « واتخِذُوا من مقام إبراهيمَ مُصَلًى » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب عندنا ، ما قاله القائلون : إنّ « مقام إبراهيم » ، هو المقام المعروف بهذا الاسم ، الذى هو فى المسجد الحرام ، لما روينا آنفاً عن عمر بن الخطاب ،[1] ولما : —

٢٠٠٣ — حدثنا يوسف بن سلمان قال ، حدثنا حاتم بن إسمعيل قال ، حدثنا جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر قال : استلمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الرُّكن ، فرَمَلَ ثلاثاً ، ومشى أربعاً ، ثم تقدّم إلى مقام إبراهيم فقرأ : « واتخِذوا من مقام إبرَاهيمَ مُصَلًى » . فجعل المقامَ بينه وبين البيت ، فصلى ركعتين .[2]

* * *

فهذان الخبران يُنْبئان أن الله تعالى ذكره إنما عَنى بـ «مقام إبراهيم» الذى أمرنا الله باتخاذه مصلًّى — هو الذى وصفنا .

ولو لم يكن على صحة ما اخترنا فى تأويل ذلك خبرٌ عن رسول الله صلى الله عليه

---

(١) انظر ما سلف رقم : ١٩٨٥ — ١٩٨٧ .

(٢) الحديث : ٢٠٠٣ — يوسف بن سلمان ، شيخ الطبرى : هو أبو عمر الباهلى البصرى ، ثقة ، مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٤/٢/٢٢٣ — ٢٢٤ . وفى المطبوعة « سليمان » بدل « سلمان » ، وهو خطأ .

حاتم بن إسمعيل المدنى : ثقة مأمون كثير الحديث ، أخرج له الجماعة . مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ٢/١/٧٢ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٢٥٨ — ٢٥٩ ، وابن سعد ٥ : ٣١٤ .

جعفر بن محمد : هو جعفر الصادق ، بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب . وهو ثقة صادق مأمون ، من سادات أهل البيت فقهاً وعلماً وفضلا . وإنما يكذب عليه الشيعة الروافض . أما رواية الثقات عنه فصحيحة .

وهذا الحديث قطعة من حديث جابر — الطويل — فى صفة حجة الوداع . وقد مضت قطعة منه : ١٩٨٩ ، من رواية يحيى بن سعيد القطان ، عن جعفر الصادق .

وستأتى قطعة منه ، بهذا الإسناد : ٢٣٦٥ .

والحديث بطوله — رواه الإمام أحمد فى المسند : ١٤٤٩٢ (ج ٣ ص ٣٢٠ — ٣٢١ حلبى) عن يحيى القطان ، عن جعفر .

ورواه مسلم فى صحيحه ١ : ٣٤٦ — ٣٤٧ ، عن أبى بكر بن أبى شيبة وإسحق بن راهويه — كلاهما عن حاتم بن إسمعيل ، عن جعفر الصادق ، به .

وسلم ، لكان الواجب فيه من القول ما قلنا . وذلك أنّ الكلام محمول معناه على ظاهره المعروف ، دون باطنه المجهول ، [١] حتى يأتى ما يدلّ على خلاف ذلك ، مما يجب التسليمُ له . ولا شك أن المعروف فى الناس بـ «مقام إبراهيم» ، هو المصلّى الذى قال الله تعالى ذكره : « واتخِذُوا من مَقام إبراهيم مُصَلًّى» ١/٤٢٣

* * *

[قال أبو جعفر : وأما قوله تعالى: « مُصلًّى »]، فإن أهل التأويل مختلفون فى معناه .[٢] فقال بعضهم : هو المدَّعَى .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٠٤ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « واتخذوا من مقام إبراهيم مُصَلًّى» ، قال : مصلى إبراهيم ، مُدَّعَى .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك: اتخذوا مصلًّى تصلُّون عنده .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٠٥ ــ حدثنى بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : أمِروا أن يصلُّوا عنده .

٢٠٠٦ ــ حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : هو الصلاة عنده .

* * *

قال أبو جعفر : فكأن الذين قالوا : تأويل : « المُصلى » ههنا ، المدَّعَى ، وَجَّهوا « المصَلَّى» إلى أنه «مُفعَّل » ، من قول القائل: « صلَّيت » بمعنى دعوت.[٣]

---

(١) انظر تفسير « الظاهر والباطن » فيما سلف ٢ : ١٥ ، واطلبه فى الفهارس .

(٢) الزيادة بين القوسين لا بد منها .

(٣) انظر ما سلف ١ : ٢٤٢ – ٢٤٣ .

وقائلو هذه المقالة، هم الذين قالوا : إن مقامَ إبراهيم هو الحج كله .

* * *

فكان معناهُ فى تأويل هذه الآية : واتخذُوا عَرَفة والمزدلفة والمشعرَ والجمار ، وسائر أماكن الحج التى كان إبراهيم يقوم بها، مدَاعِىَ تدعونى عندها ، وتأتمُّون بإبراهيم خليلى عليه السلام فيها، فإنى قد جعلته لمن بعده — من أوليائى وأهل طاعتى — إماماً يقتدون به وبآثاره ، فاقتدوا به .

* * *

وأما تأويل القائلين القولَ الآخر ، فإنه : اتخذوا أيها الناس من مقام إبراهيم مصلًّى تصلون عنده ، عبادةً منكم ، وتكرمةً منى لإبراهيم .

* * *

وهذا القول هو أولى بالصواب ، لما ذكرنا من الخبر عن عمر بن الخطاب وجابر بن عبد الله ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِىَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وَعهدنا »؛ وأمرنا ، كما : —

٢٠٠٧ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : قلت لعطاء : ما عَهده ؟ قال : أمرُه

٢٠٠٨ — حدثنى يونس قال ، أخبرنى ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « وَعهدنا إلى إبراهيم »، قال : أمرناه .

* * *

فمعنى الآية : وأمرنا إبراهيم وإسمعيل بتطهير بيتى للطائفين .. « والتطهير » الذى أمرهما الله به فى البيت، هو تطهيرُه من الأصنام، وعبادة الأوثان فيه ، ومن الشرك بالله .

* * *

فإن قال قائل : وما معنى قوله : « وَعهِدنا إلى إبراهيمَ وإسمعيل أن طَهرا بَيتِيَ للطائفين » ؟ وهل كان أيامَ إبراهيم — قبل بنائه البيتَ — بيتٌ يطهَّر من الشرك وعبادة الأوثان فى الحرم ، فيجوز أن يكونا أمِرا بتطهيره ؟

قيل : لذلك وجهان من التأويل ، قد قال بكل واحد من الوجهين جماعة من أهل التأويل .[1]

أحدهما : أن يكون معناه : وعهدنا إلى إبراهيم وإسمعيل أن ابنيا بيتى مطهَّراً من الشِّرك والرِّيْب[2] ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ ﴾ [سورة التوبة : ١٠٩] ، فكذلك قوله : « وَعهدنا إلى إبراهيمَ وإسمعيل أن طهِّرا بيتى » ، أى : ابنيا بَيتى على طُهر من الشرك بى والرِّيْب ، كما : —

٢٠٠٩ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وَعهدنا إلى إبراهيم وإسمعيل أنَ طهِّرَا بيتى » ، يقول : ابنيا بيتى [للطائفين] .[3]

فهذا أحدُ وجهيه .

والوجه الآخر منهما : أن يكونَا أمِرا بأن يطهرامكانَ البيت قبل بُنيانه ، والبيتَ بعد بنيانه ، مما كان أهلُ الشرك بالله يجعلونه فيه — على عَهد نوح ومَن قبله — من الأوثان ، ليكون ذلك سنّة لمن بعدَهما ، إذ كان الله تعالى ذكره قد جعل إبراهيم إماماً يقتدى به مَن بعده ، كما : —

٢٠١٠ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله :

---

(١) فى المطبوعة : « قد كان لكل واحد من الوجهين » ، وهو كلام هالك .

(٢) الريب هنا : الشر والخوف من قولهم : رابنى أمره ، أى أدخل على شراً وخوفاً ، وكأن ذلك مردود إلى قوله تعالى : « مثابة للناس وأمنا » .

(٣) هذه الزيادة ، من تفسير ابن كثير ١ : ٣١٥ .

« أنْ طهِّرا »، قال : من الأصنام التي يعبُدُون، التي كان المشركون يعظمونها.(١)

٢٠١١ – حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال، حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن عطاء ، عن عبيد بن عمير : « أنْ طهِّرا بيتيَ للطائفين » ، قال : من الأوثان والرِّيَب .

٢٠١٢ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن عبيد بن عمير ، مثله .

٤٢٤/١ ٢٠١٣ – حدثني أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد قال : من الشرك

٢٠١٤ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا أبو إسرائيل، عن أبي حصين ، عن مجاهد : « طهِّرا بيتي للطائفين »، قال : من الأوثان .

٢٠١٥ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « طهِّرا بيتي للطائفين » ، قال : من الشرك وعبادة الأوثان .

٢٠١٦ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، بمثله – وزاد فيه : وقول الزُّور .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ لِلطَّآئِفِينَ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في معنى « الطائفين » في هذا الموضع .

فقال بعضهم : هُمُ الغرباء الذين يأتون البيت الحرامَ من غَرْبةٍ .(٢)

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) قال ابن كثير في تفسيره ١ : ٣١٤ – ٣١٥ ، بعد أن ساق هذا الوجه ، وهذا الأثر : « قلت : وهذا الجواب مفرع على أنه كان يعبد عنده أصنام قبل إبراهيم عليه السلام ، ويحتاج إثبات هذا إلى دليل عن المعصوم محمد صلى الله عليه وسلم » .

(٢) الغربة والغرب (بفتح فسكون) : النزوح والبعد . يعني من أتاه من مكان بعيد .

٢٠١٧ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو بكر بن عياش قال ، حدثنا أبو حصين ، عن سعيد بن جبير فى قوله : « للطائفين»، قال: من أتاه من غَرْبة .

وقال آخرون : بل « الطائفون » هُمُ الذين يطوفون به ، غرباء كانوا أو من أهله .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠١٨ – حدثنا محمد بن العلاء قال، حدثنا وكيع ، عن أبى بكر الهذلى ، عن عطاء : « للطائفين »، قال : إذا كان طائفاً بالبيت فهو من « الطائفين » .

* * *

وأولى التأويلين بالآية ما قاله عطاء . لأن « الطائف » هو الذى يطوف بالشىء دون غيره . والطارئ من غَرْبة لا يستحق اسم « طائف بالبيت» ، إن لم يطُف به .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَٱلْعَـٰكِفِينَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « والعاكفين »، والمقيمين به . « والعاكف على الشىء » ، هو المقيم عليه ، كما قال نابغة بنى ذبيان :

عُكُوفًا لَدَى أَبْيَاتِهِمْ يَثْمِدُونَهُمْ رَمَى اللهُ فِى تلكَ الأَكُفِّ الكَوَانِعِ (١)

(١) ديوانه : ٦٣ من أبيات قالها لزرعة بن عامر العامرى . حين بعثت بنو عامر إلى حصن بن حذيفة وابنه عيينة بن حصن : أن اقطعوا حلف ما بينكم وبين بنى أسد ، وألحقوهم ببنى كنانة ، ونحالفكم ونحن بنو أبيكم . وكان عيينة هم بذلك ، فقالت بنو ذبيان : أخرجوا من فيكم من الحلفاء ، ونخرج من فينا ! فأبوا ، فقال النابغة :

لِيَهْنِ بنِى ذبيانَ أنّ بلادَهُمْ خَلَتْ لهُمُ من كُلّ مولًى وتابِعِ
سِوَى أَسَدٍ، يَحْمُونَها كُلّ شارقٍ بأَلْفَىْ كمِيٍّ، ذِى سلاحٍ، ودَارِعِ

ثم مدح بنى أسد، وذم بنى عبس ، وتنقص بنى سهم ومالك من غطفان وعبد بن سعد بن ذبيان، وهجاهم بهذا البيت الذى استشهد به الطبرى ، ورواية الديوان « قعوداً » ، و « يثمدونها » ، والضمير للأبيات .

وإنما قيل للمعتكف « معتكف » ، من أجل مقامه فى الموضع الذى حبسَ فيه نفسه لله تعالى .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فيمن عنى الله بقوله : « والعاكفين » .

فقال بعضهم : عَنى به الجالسَ فى البيت الحرام بغير طَوَافٍ ولا صَلاةٍ .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠١٩ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع، عن أبى بكر الهذلى ، عن عطاء قال : إذا كان طائفاً بالبيت فهو من الطائفين ، وإذا كان جَالساً فهو من العاكفين .

* * *

وقال بعضهم : « العاكفون » ، هم المعتكفون المجاورُون .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٢٠ ــ حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال، حدثنا شريك ، عن جابر ، عن مجاهد وعكرمة : « طهّرا بَيتى للطائفين والعاكفين »، قال : المجاورُون

* * *

وقال بعضهم : « العاكفون »، هم أهل البلد الحرام .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٢١ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو بكر بن عياش قال ، حدثنا

وقوله : « يشمدونهم » أصله من قولهم : « ثمد الماء يثمده ثمداً»، نبث عنه التراب ليخرج. وماء مثمود : كثر عليه الناس حتى فنى ونفد إلا أقله . وأخذوا منه : « رجل مثمود » ، إذا ألح الناس عليه فى السؤال ، فأعطى حتى نفد ما عنده . يقول : يظل بنو سعد ومالك لدى أبيات عبد بن سعد يستنزفون أموالهم . يصفهم بالخسة وسقوط الهمة. ومن روى: « يثمدونها » وأعاد الضمير إلى « أبياتهم » ، فهو مثله ، فى أنهم يلازمون بيوتهم ويستنزفونها ، يهزأ بهم .

والكوانع جمع كانع : وهو الخاضع الذى تدانى وتصاغر وتقارب بعضه من بعض ، كأنه يتقبض من ذلته . يصفهم بالخسة والضع والسؤال الذليل . وقوله : « رمى الله » يعنى أصابها بما يستأصلها ، ورواية الديوان : « فى تلك الأنوف » ، فمعناه : رمى فيها بالجدع ، وهو دعاء عليهم ، واشمئزاز من حقارتهم .

أبو حصين ، عن سعيد بن جبير فى قوله : « والعاكفين » ، قال : أهل البلد .

٢٠٢٢ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « والعاكفين » ، قال : العاكفون ، أهلُه .

* * *

وقال آخرون : « العاكفون » ، هم المصلُّون .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٢٣ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : قال ابن عباس فى قوله : « طهّرا بيتى للطائفين والعاكفين » ، قال : العاكفون ، المصلُّون .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه التأويلات بالصواب ما قاله عطاء ، وهو أن « العاكف » فى هذا الموضع ، المقيمُ فى البيت مجاوراً فيه بغير طَوافٍ ولا صلاة . لأن صفة « العكوف » ما وصفنا : من الإقامة بالمكان . والمقيمُ بالمكان قد يكون مقيماً به وهو جالسٌ ومصلٍّ وطائفٌ وقائمٌ ، وعلى غير ذلك من الأحوال. فلما كان تعالى ذكره قد ذكر – فى قوله : « أنْ طَهرا بَيتى للطائفين والعاكفينَ والرُّكَّع السجود » – المصلِّين والطائفين ، علم بذلك أن الحال التى عَنى الله تعالى ذكره من « العاكف » ، غير حال المصلى والطائف ، وأن التى عنى من أحواله ، هو العكوف بالبيت ، على سبيل الجوار فيه ، وإن لم يكن مصلِّياً فيه ولا راكعاً ولا ساجداً .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ (١٢٥)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « والركَّع » ، جماعةَ القوم الراكعين فيه له ، واحدهم « راكع » . وكذلك « السجود » هم جماعة القوم الساجدين فيه له ،

واحدهم « ساجد » — كما يقال : « رجل قاعد ورجال قعود » و « رجل جالس ورجال جلوس » ، فكذلك « رجل ساجد ورجال سجود » .(١)

* * *

وقيل : بل عنى « بالركّع السجود » ، المصلّين .

* ذكر من قال ذلك :

٤٢٥/١ ٢٠٢٤ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع ، عن أبي بكر الهذلي ، عن عطاء: « والركّع السجود »، قال: إذا كان يُصلّي فهو من « الركّع السُّجود » .

٢٠٢٥ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « والركّع السجود »، أهل الصلاة .

* * *

وقد بينا فيما مضى بيَان معنى « الركوع » و « السجود » ، فأغنى ذلك عن إعادته ههنا .(٢)

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا ﴾

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بقوله : « وإذْ قَالَ إبراهيمُ رَب اجعلْ هذا بلدًا آمنًا »، واذكروا إذْ قال إبراهيم : رَبّ اجعل هذا البلد بلداً آمناً .

* * *

قال أبو جعفر : يعني بقوله « آمناً »، آمناً من الجبابرة وغيرهم، أن يسلّطوا

---

(١) مما استظهرته من أمر هذا الجمع، جمع فاعل على فعول: أن كل فعل ثلاثي جاء مصدره على « فعول » بضم الفاء ، فجمع « فاعل » منه على « فعول» ، كهذه الأمثلة التي ذكرت هنا، وكل ما سواها مما قيدته كتب اللغة ، ومما هو منثور في الشعر .

(٢) انظر ما سلف ١ : ٥٧٤ — ٥٧٥ ، ثم ٢ : ١٠٣ — ١٠٥ ، ٥١٩

عليه ، ومن عقوبة الله أن تناله كما تنالُ سائر البلدانِ ، من خسف وائتفاكٍ وغرق ،[1] وغير ذلك من سخط الله ومَثُلاته التى تصيبُ سائر البلاد غيرَه ، كما :

٢٠٢٦ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذكر لنا أن الحرَمَ حُرِّم بحِياله إلى العرش. وذكر لنا أن البيتَ هبط مع آدم حين هبطَ . قال الله له : اهبِط معك بَيتى يُطاف حوله كما يُطاف حول عرشى . فطاف حوله آدم ومن كان بعده من المؤمنين ، حتى إذا كان زمان الطُّوفان — حين أغرق الله قوم نوح — رفعه وطهَّره، ولم تصبه عقوبة أهل الأرض . فتتبَّع منه إبراهيم أثرًا، فبناه على أساس قديم كان قبله .

* * *

فإن قال لنا قائل : أوما كان الحرم آمناً إلاّ بعد أن سأل إبراهيمُ ربَّه له الأمان ؟

قيل له : لقد اختُلِف فى ذلك . فقال بعضهم : لم يزل الحرم آمناً من عقوبة الله وعقوبة جبابرة خلقه ، منذ خلقت السموات والأرض . واعتلُّوا فى ذلك بما : —

٢٠٢٧ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحق قال ، حدثنى سعيد بن أبى سعيد المقبرى، قال سمعت أبا شُرَيح الخزاعى يقول : لما افتتحت مكة قتلت خُزَاعة رجلاً من هُذيل ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً فقال : « يا أيها الناس، إن الله حرَّم مكة يوم خلق السموات والأرضَ ، فهى حَرَامٌ بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يحلُّ لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يَسفك بها دماً أو يَعضِدَ بها شجرًا . ألا وإنها لا تحلّ لأحد بعدى،

---

(١) فى المطبوعة : « وانتقال » مكان « وائتفاك» ، وذاك لفظ بلا معنى هنا وبلا دلالة . والائتفاك الانقلاب ، وهو عذاب الله الشديد الذى أنزله بقوم لوط ، فقال سبحانه فى سورة هود : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا ﴾ ، وهذا هو الائتفاك، ائتفكت بهم الأرض: أى انقلبت فصار عاليها سافلها ، فسمى الله هذه القرى، قرى لوط ﴿ الْمُؤْتَفِكَاتِ ﴾ فى سورة التوبة : ٧٠، وفى سورة الحاقة: ٩ ، وقال فى سورة النجم : ٥٢ — ٥٣ ﴿ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى . فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى ﴾

ولم تُحلَّ لى إلا هذه الساعة، غضباً على أهلها. ألا فهى قد رَجعت على حالها بالأمس. ألا ليبلِّغ الشاهدُ الغائبَ. فمن قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل بها! فقولوا: إن الله قد أحلها لرسوله ولم يُحلّها لك». (١)

٢٠٢٨ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عبد الرحيم بن سليمان – وحدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا، حدثنا جرير – جميعاً، عن يزيد بن أبى زياد، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، لمكة حين افتتحها: هذه حَرَمٌ، حرّمها الله يوم خلقَ السموات والأرض، وخلقَ الشمس والقمر، ووَضع هذين الأخشَبَيْن، لم تحلّ لأحد قبلى، ولا تحلُّ لأحد بعدى، أحلّت لى ساعةً من نهار. (٢)

* * *

(١) الحديث: ٢٠٢٧ – هذا مختصر من حديث صحيح مطول:

فرواه أحمد فى المسند: ١٦٤٤٨ (ج ٤ ص ٣٢ حلبى)، عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن محمد بن إسحق، بهذا الإسناد.

ورواية ابن إسحق ثابتة أيضاً – مطولة – فى سيرة ابن هشام ٤: ٥٧ – ٥٨ (حلبى)، و ٨٢٣ – ٨٢٤ أوربة، ٢: ٢٧٧ – ٢٧٨ (من الروض الأنف).

ورواه أيضاً، بنحوه، أحمد: ١٦٤٤٤ (ج ٤ ص ٣١)، والبخارى ١: ١٧٦ – ١٧٧، و ٤: ٣٥ – ٣٩ (فتح)، ومسلم ١: ٣٨٣ – ٣٨٤ كلهم من طريق الليث بن سعد، عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى، عن أبى شريح.

وقوله فى الحديث: «أو يعضد بها شجراً»، أى يقطعه، يقال «عضد الشجر»، من باب «ضرب» قطعه.

وقوله: «غضباً على أهلها»: هذا هو الصحيح الثابت فى رواية ابن إسحق، فى المسند، وسيرة ابن هشام، وفى المطبوعة: «عصى على أهلها». وهو تصحيف.

(٢) الحديث: ٢٠٢٨ – هذا الحديث رواه الطبرى بإسنادين، عن ثلاثة شيوخ: فرواه عن أبى كريب محمد بن العلاء، عن عبد الرحيم بن سليمان الرازى. ثم رواه عن ابن حميد – وهو محمد بن حميد الرازى، وعن ابن وكيع – وهو سفيان بن وكيع، كلاهما: أعنى ابن حميد وابن وكيع، عن جرير بن عبد الحميد الضبى. ثم يجتمع الإسنادان: فيرويه عبد الرحيم بن سليمان وجرير بن عبد الحميد «جميعاً عن يزيد بن أبى زياد».

وهذه الأسانيد ظاهرها الصحة، وإن كان سفيان بن وكيع ضعيفاً، كما بينا فى: ١٦٩٢ – فإن الطبرى لم يفرده بالرواية عنه، بل قرن به محمد بن حميد الرازى، وهو ثقة – إلا أن فى الحديث انقطاعاً، بين مجاهد وابن عباس. وقد سمع مجاهد من ابن عباس حديثاً كثيراً، ولكن هذا الحديث بعينه رواه «عن طاوس عن ابن عباس».

قالوا : فمكة ، منذ خُلقت ، حَرَمٌ آمن من عقوبة الله وعقوبة الجبابرة .

قالوا : وقد أخبرت عن صحة ما قلنا من ذلك الرواية الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التى ذكرناها . قالوا : ولم يسأل إبراهيمُ ربَّه أن يؤمنه من عقوبته وعقوبة الجبابرة ، ولكنه سأله أن يؤمن أهله من الجدُوب والقُحوط ، وأنْ يرزق ساكنَه من الثمرات ، كما أخبر ربه عنه أنه سأله بقوله : « وإذْ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدًا آمناً وارْزق أهله من الثمرَات مَنْ آمن منهم بالله واليوم الآخر» . قالوا : وإنما سأل ربه ذلك لأنه أسكن فيه ذريته ، وهو غيرُ ذى زرع ولا ضَرْع ، فاستعاذ ربَّه من أن يهلكهم بها جوعاً وعطشاً ، فسأله أن يؤمنهم مما حَذِر عليهم منه .

قالوا : وكيف يجوزُ أن يكون إبراهيمُ سأل ربه تحريم الحرَم ، وأن يُؤمنه من عقوبته وعقوبة جَبابرة خلقه ، وهو القائل — حين حلّه ونزَله بأهله وولده : ﴿ رَبَّنَا إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ [سورة إبراهيم : ٣٧] ؟ قالوا : فلو كان إبراهيم هو الذى حرَّم الحرَم، أو سأل ربه

و« يزيد بن أبى زياد الكوفى مولى بنى هاشم » : صدوق ، فى حفظه شىء بعد ما كبر ، قال ابن سعد ٦ : ٢٣٧ « كان ثقة فى نفسه ، إلا أنه اختلط فى آخر عمره ، فجاء بالعجائب » . وقال يعقوب ابن سفيان : « ويزيد — وإن كانوا يتكلمون فيه لتغيره — فهو على العدالة والثقة ، وإن لم يكن مثل الحكم ومنصور » . وهو مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/٢/٣٣٤ ، وابن أبى حاتم ٤/٢/٢٦٥ . فلعله وهم فى حذف « طاوس » بين مجاهد وابن عباس .

والحديث فى ذاته صحيح .

فرواه أحمد بنحوه مطولا : ٢٣٥٣ ، ٢٨٩٨ ، من طريق منصور بن المعتمر ، عن مجاهد ، عن طاوس ، عن ابن عباس .

وكذلك رواه البخارى ٤ : ٤٠ — ٤٢ ، ومسلم ١ : ٣٨٣ ، من طريق منصور .

ومنصور بن المعتمر : سبق توثيقه ، ١٧٧ . وهو أثبت حفظاً من مئة مثل يزيد بن أبى زياد . بل قال يحيى القطان : « ما أحد أثبت عن مجاهد وإبراهيم — من منصور» . وقدمه الأئمة — فى الحفظ — على الأعمش والحكم .

بل إن هذا الحديث نفسه : ذكر الحافظ فى الفتح أنه رواه الأعمش عن مجاهد عن النبى صلى الله عليه وسلم — مرسلا ، يعنى بحذف طاوس وابن عباس ، ثم قال : « ومنصور ثقة حافظ ، فالحكم لوصله » . أى أن هذه الزيادة زيادة ثقة ، يجب قبولها والحكم لها بالترجيح .

وقوله فى هذه الرواية : «ووضع هذين الأخشبين» . هذه الزيادة لم أجدها فى شىء من الروايات الأخر . و« الأخشبان » ، بلفظ التثنية : هما جبلا مكة المطيفان بها . انظر النهاية لابن الأثير ، ومعجم البلدان لياقوت .

تحريمه، لما قال: « عند بيتك المحرَّم» عند نزوله به، ولكنه حُرِّم قبله، وحرِّم بعدَه .

* * *

وقال آخرون : كان الحرمُ حلالاً قبل دعوة إبراهيم كسائر البلاد غيره . وإنما صار حَرَاماً بتحريم إبراهيم إياه ، كما كانت مدينة رَسول الله صلى الله عليه وسلم حلالاً قبل تحريم رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها . قالوا : والدليل على ما قلنا من ذلك ، ما : — ٤٢٦/١

٢٠٢٩ — حدثنا به ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال، حدثنا سفيان ، عن أبى الزبير ، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنّ إبراهيم حرَّم بيتَ الله وأمَّنه، وإنى حَرَّمتُ المدينة ما بين لابَتَيْها، لا يُصاد صيدها ، ولا تقطع عِضاهُها .(١)

٢٠٣٠ — حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ، [حدثنا ابن إدريس — وأخبرنا أبو كريب قال] ، حدثنا عبد الرحيم الرازى ، [قالا جميعاً] : سمعنا أشعث ، عن نافع ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنّ إبراهيم كان عبدَ الله وخليلَه ، وإنّى عبدُ الله ورسولُه ، وإن إبراهيمَ حرَّم مكة، وإنى حرَّمت المدينة ما بين لابتيها، عِضاهَها وصيدَها ، ولا يُحْمل فيها سلاح لقتال ، ولا يقطع منها شجرٌ إلا لعلَف بعير .(٢)

---

(١) الحديث : ٢٠٢٩ — إسناده صحيح . عبد الرحمن بن مهدى : هو الإمام الحافظ العلم . سفيان : هو الثورى .

أبو الزبير : هو المكى ، محمد بن مسلم بن تدرس ، تابعى ثقة . أخرج له الجماعة . جابر : هو ابن عبد الله ، الصحابى المشهور .

والحديث رواه مسلم ١ : ٣٨٥ ، بنحوه ، من طريق محمد بن عبد الله الأسدى ، عن سفيان ، بهذا الإسناد . بلفظ « إن إبراهيم حرم مكة » إلخ .

ونقله ابن كثير ١ : ٣١٦ ، وقال : « وهكذا رواه النسائى ، عن محمد بن بشار بندار ، به » . و « بندار » : لقب محمد بن بشار .

اللابتان : هما الحرتان بجانبى المدينة ، وهى الأرض ذات الحجارة السود التى قد ألبستها لكثرتها .

العضاه ، بكسر العين وتخفيف الضاد المعجمة وآخره هاء : كل شجر عظيم له شوك .

(٢) الحديث : ٢٠٣٠ — أبو السائب : هو مسلم بن جنادة ، مضت ترجمته : ٤٨ .

ابن إدريس : هو عبد الله بن إدريس الأودى . سبقت ترجمته فى : ٤٣٨ .

٢٠٣١ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا قتيبة بن سعيد قال، حدثنا بكر ابن مضر ، عن ابن الهاد ، عن أبي بكر بن محمد ، عن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، عن رافع بن خديج قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّ إبراهيم حرّم مكة ، وإني أحرّم المدينة ما بين لابَتَيْها .(١)

عبد الرحيم الرازى : هو عبد الرحيم بن سليمان الرازى الأشل الكنانى – الذى مضت له رواية فى الحديث ٢٠٢٨ – وهو ثقة كثير الحديث . مترجم فى التهذيب ، وابن أبي حاتم ٣٣٩/٢/٢ .

أشعث : هو ابن سوار الكندى ، ضعفه بعضهم ، ووثقه آخرون . وقد رجحنا توثيقه فى شرح المسند : ٦٦١ . مترجم فى التهذيب، والكبير للبخارى ٤٣٠/٢/١ ، وابن أبي حاتم ٢٧١/١/١ – ٢٧٢ .

نافع : هو مولى ابن عمر ، الثقة الثبت الحجة .

وقد كان هذا الإسناد : مغلوطاً فى المطبوعة هكذا : « حدثنا أبو كريب وأبو السائب ، قالا حدثنا عبد الرحيم الرازى : سمعت أشعث . . . » نقص منه « ابن إدريس » . فكان ظاهره أن أبا كريب وأبا السائب روياه عن عبد الرحيم الرازى عن أشعث . والصواب ما أثبتناه ، نقلا عن ابن كثير ١ : ٣١٦ ، عن هذا الموضع من الطبرى .

فصحة الإسناد : أنه يرويه الطبرى عن أبي كريب وأبي السائب . كلاهما عن عبد الله بن إدريس ، ثم يرويه الطبرى عن أبي كريب وحده ، عن عبد الرحيم الرازى – وأن عبد الله بن إدريس وعبد الرحيم الرازى سمعاه جميعاً من أشعث .

وهذا الحديث من هذا الوجه ، قال فيه ابن كثير : « وهذه الطريق غريبة ، ليست فى شيء من الكتب الستة » . وأزيد عليه : أنى لم أجدها فى المسند أيضاً ، ولا فى غيره مما استطعت الرجوع إليه من المراجع .

ثم أشار ابن كثير إلى أن أصل معناه ثابت عن أبي هريرة ، من وجه آخر ، فى صحيح مسلم . وهو حديث مالك فى الموطأ ، ص : ٨٨٥ ، عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة : « كان الناس إذا رأوا أول الثمر جاؤا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا أخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : اللهم بارك لنا فى ثمرنا وبارك لنا فى مدينتنا ، وبارك لنا فى صاعنا ، وبارك لنا فى مدنا . اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك ، وإنى عبدك ونبيك ، وإنه دعاك لمكة ، وإنى أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك به لمكة ، ومثله معه » . وهو فى صحيح مسلم ١ : ٣٨٧ ، عن قتيبة ، عن مالك .

(١) الحديث : ٢٠٣١ – بكر بن مضر بن محمد بن حكيم المصرى : ثقة ، أخرج له الشيخان وغيرهما . مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ٩٥/٢/١ ، وابن أبي حاتم ٣٩٢/١/١ – ٣٩٣ ، وتذكرة الحفاظ ، وقال : « الإمام المحدث الصادق العابد » .

ابن الهاد : هو يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد الليثى المدنى . وهو ثقة كثير الحديث ، أخرج له أصحاب الكتب الستة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٣٤٤/٢/٤ ، وابن أبي حاتم ٢٧٥/٢/٤ .

أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى : تابعى ثقة حجة ، لا يسأل عن مثله .

عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان : تابعى ثقة ، وكان شريفاً جواداً ممدحاً . جده لأمه : عبد الله ابن عمر بن الخطاب .

وما أشبه ذلك من الأخبار التى يطول باستعيابها الكتاب .

* * *

قالوا : « وقد أخبر الله تعالى ذكره فى كتابه أن إبراهيم قال : « ربِّ اجعل هذا بلدًا آمنًا » ، ولم يخبر عنه أنه سأل أن يجعله آمنًا من بعض الأشياء دون بعض . فليس لأحد أن يدّعى أن الذى سأله من ذلك ، الأمانُ له من بعض الأشياء دون بعض ، إلا بحجة يجب التسليم لها . قالوا : وأما خبرُ أبى شُريح وابن عباس ، فخبران لا تثبت بهما حُجة ، لما فى أسانيدهما من الأسباب التى لا يَجبُ التسليمُ فيها من أجلها .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا : أنّ الله تعالى ذكره جعل مكة حرَمًا حين خَلقها وأنشأها ، كما أخبر النبى صلى الله عليه وسلم ، « أنه حرَّمها يومَ خلق السموات والأرض » ، بغير تحريم منه لها على لسان أحد من أنبيائه ورسله ، ولكن بمنعه من أرادَها بسوء ، وبدفعه عنها من الآفات والعقوبات وعن ساكنيها ، ما أحلّ بغيرها وغير ساكنيها من النقمات . فلم يزل ذلك أمرها حتى بوّأها الله إبراهيمَ خليلَه ، وأسكن بها أهله هاجرَ وولده إسمعيل . فسأل حينئذ إبراهيم ربَّه إيجابَ فرضِ تحريمها على عباده على لسانه ، ليكون ذلك سُنة لمن بعده من خلقه يستنُّون به فيها ، إذ كان تعالى ذكره قد اتخذه خليلاً ، وأخبره أنه جاعله للناس إماماً يقتدى به . فأجابه ربه إلى ما سأله ، وألزم عبادَه حينئذ فرضَ تحريمه على لسانه .

فصارَت مكة — بعد أنْ كانت ممنوعة بمنع الله إياها ، بغير إيجاب الله فرضَ الامتناع منها على عباده ، ومحرَّمة بدفع الله عنها ، بغير تحريمه إياها على لسان أحد من رسله —[1] فرضٌ تحريمها على خلقه على لسان خليله إبراهيم عليه السلام ، وواجبٌ على عباده الامتناعُ من استحلالها ، واستحلال صيدها وعِضَاهها لها بإيجابه الامتناعَ من ذلك ، ببلاغ إبراهيمَ رسالةَ الله إليه بذلك إليهم .

والحديث رواه مسلم فى صحيحه ١ : ٣٨٥ ، عن قتيبة بن سعيد ، بهذا الإسناد . ونقله ابن كثير ١ : ٣١٦ ، وقال : « انفرد بإخراجه مسلم » . يعنى دون البخارى .

(١) سياق هذه الجملة المعترضة : « بعد أن كانت ممنوعة . . . ، ومحرمة . . . » ، وسياق الجملة التى دخلها الاعتراض : « فصارت مكة . . . فرض تحريمها . . . وواجب على عباده . . . »

فلذلك أضيفَ تحريمها إلى إبراهيم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنّ الله حَرّم مكة » . لأن فرضَ تحريمها الذى ألزمَ اللهُ عبادَه على وجه العبادة له به — دون التحريم الذى لم يَزَل متعبَّداً لها به على وجه الكِلاءة والحفظ لها قبلَ ذلك —[1] كان عن مسألة إبراهيمَ ربَّه إيجاب فرض ذلك على لسانه ، [وهو الذى] لزم العبادَ فرضُه دون غيره .[2]

فقد تبين إذاً بما قُلنا صحّةُ معنى الخبرَيْن — أعنى خبر أبى شريح وابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله حرّم مكة يوم خلق الشمسَ والقمر » — وخبرُ جابر وأبى هريرة ورافع بن خديج وغيرهم : أنّ النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم إنّ إبراهيم حرَّم مكة » ؛ وأنْ ليس أحدُهما دافعاً صحة معنى الآخر ، كما ظنه بعض الجهال .

وغيرُ جائز فى أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون بعضُها دافعاً بعضًا ، إذا ثبت صحّتُها . وقد جاء الخبران اللذان رُويا فى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مجيئاً ظاهرًا مستفيضًا يقطعُ عُذرَ من بَلغه

وأمّا قولُ إبراهيم عليه السلام[3] : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ [سورة إبراهيم : ٣٧] ، فإنه ، إن يكن قاله قبل إيجاب الله فَرْض تحريمه على لسانه على خلقه ،[4] فإنما عَنى بذلك تحريم الله إياه الذى حرَّمه بحِياطته إياه وكلاءَته ،[5] من غير تحريمه إياه على خلقه على وجه التعبُّد لهم بذلك — وإن يكن قال ذلك بعد تحريم الله إياه على لسانه على خلقه على وجه التعبُّد ، فلا مسألة لأحد علينا فى ذلك . ٤٢٧/١

---

(١) كلأه الله يكلؤه كلاء (بفتح فسكون) وكلأ (بكسر فسكون) وكلاءة (بكسر الكاف) : حرسه وحفظه . وكان فى المطبوعة « الكلاء » بهمزة مفردة مع المد ، وليس صواباً . هذا ، وسياق العبارة : « لأن فرض تحريمها ... كان عن مسألة إبراهيم ربه » .

(٢) ما بين القوسين زيادة لا بد منها حتى يستقيم الكلام .

(٣) فى الأصول : « وقول إبراهيم » ، والصواب زيادة « أما » كما يدل عليه السياق .

(٤) وفيها : « إن يكن قال قبل إيجاب الله » . والصواب ما أثبت .

(٥) وفيها : « وكلائه » ، والصواب ما أثبت ، وانظر التعليق السالف رقم : ١

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَٱرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ ٱلثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ﴾

* * *

قال أبو جعفر: وهذه مسألةٌ من إبراهيم ربَّه: أنْ يرزقَ مؤمنى أهل مكة من الثمرات، دون كافريهم. وخصّ بمسألة ذلك للمؤمنين دون الكافرين، لمَّا أعلمه الله — عند مسألته إيّاه أن يجعلَ من ذريته أئمة يقتدَى بهم — أنَّ منهم الكافرَ الذى لا ينال عهدَه، والظالمَ الذى لا يُدرك وِلايته. فلمَّا أنْ علم أن من ذريته الظالمَ والكافرَ، خصّ بمسألته ربَّه أنْ يرزق من الثمرات من سُكان مكة، المؤمنَ منهم دون الكافر. وقال الله له: إنّى قد أجبت دعاءك، وسأرزق مع مؤمنى أهل هذا البلد كافرَهم، فأمتّعه به قليلاً.

* * *

وأمّا «مَنْ» من قوله: «مَنْ آمن منهم بالله واليوم الآخر»، فإنه نصبٌ على الترجمة والبيان عن «الأهل»، [1] كما قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ [سورة البقرة: ٢١٧]، بمعنى: يسئلونك عن قتالٍ فى الشهر الحرام، وكما قال تعالى ذكره: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ [سورة آل عمران: ٩٧]: بمعنى: ولله حج البيت على من استطاع إليه سبيلا.

* * *

وإنما سأل إبراهيمُ ربه ما سأل من ذلك، لأنه حلّ بوادٍ غير ذى زَرع ولا ماء ولا أهل، فسألَ أن يرزق أهله ثمرًا، وأن يجعلَ أفئدةً من الناس تَهوى إليهم. فذُكِر أنّ إبراهيم لما سَأل ذلك ربَّه، نقل الله الطائفَ من فلسطين.

٢٠٣٢ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق بن الحجاج قال، حدثنا هشام قال، قرأت على محمد بن مسلم: أن إبراهيمَ لما دعا للحرم: «وارزق أهلَه من الثمرات»، نقل الله الطائفَ من فلسطين.

---

(١) الترجمة: هى عطف البيان أو البدل عند الكوفيين، كما سلف ٢: ٣٤٠، ٤٢٠

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهلُ التأويل فى قائل هذا القول ، وفى وَجْه قراءته . فقال بعضهم : قائل هذا القول ربُّنا تعالى ذكره . وتأويله على قولهم : قَال : وَمَنْ كفرَ فأمتِّعه قليلاً برزقى من الثمرات فى الدنيا ، إلى أن يأتيه أجله . وقرأ قائل هذه المقالة ذلك : « فأمتِّعُه قليلاً » ، بتشديد « التاء » ورفع « العين » .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٣٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه عن الربيع ، قال ، حدثنى أبو العالية ، عن أبىّ بن كعب فى قوله : « ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم أضطره إلى عذاب النار » ، قال هو قول الرب تعالى ذكره .

٢٠٣٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، قال ابن إسحق : لما قال إبراهيم : « ربِّ اجعلْ هذا بلدًا آمنا وارزق أهله من الثمرات مَنْ آمن منهم بالله واليوم الآخر » ، وَعدَل الدَّعوة عمن أبى اللهُ أن يجعل له الولاية ، = انقطاعاً إلى الله ،[1] ومحبَّةً وفراقاً لمن خالف أمره ، وإن كانوا من ذريته ، حين عرف أنه كائنٌ منهم ظالم لا ينالُ عهده ، بخبره عن ذلك حين أخبره[2] = قال الله : ومن كفر — فإنى أرزق البرّ والفاجر — فأمتِّعه قليلاً .[3]

* * *

وقال آخرون : بل قال ذلك إبراهيمُ خليل الرحمن ، على وجه المسألة منه ربَّه أن

---

(١) يعنى أن إبراهيم قال ذلك ، وصرف الدعوة : « انقطاعاً إلى الله . . . »

(٢) فى المطبوعة : « أنه كان منهم ظالم . . . » والصواب ما أثبت من تفسير ابن كثير . قوله : « بخبره عن ذلك . . . » سياقه ، أنه : عدل الدعوة عمن أبى . . . بخبر الله عن ذلك حين أخبره . وفى المطبوعة : « فقال الله . . . » ، والفاء مفسدة للسياق ، فإنه : « لما قال إبراهيم . . . وعدل الدعوة ... قال الله . . . »

(٣) الأثر : ٢٠٣٤ — فى تفسير ابن كثير ١ : ٣١٩ ، وفيه اختلاف فى بعض اللفظ ، ولم أجده فى سيرة ابن هشام .

يرزق الكافرَ أيضاً من الثمرات بالبلد الحرام ، مثلَ الذى يرزقُ به المؤمنَ ويُمتعه بذلك قليلاً ، « ثم اضطرُّه إلى عَذاب النار » — بتخفيف « التاء » وجزم « العين » ، وفتح « الراء » من « اضطرَّه » ، وفصْل « ثم اضطرهُ » بغير قطع ألفها [1] — على وجه الدعاء من إبراهيم ربه لهم والمسألة .

* ذكرُ من قال ذلك :

٢٠٣٥ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه عن الربيع قال ، قال أبو العالية : كان ابنُ عباس يقول : ذلك قولُ إبراهيم ، يسأل ربَّه أنْ من كفر فأمتِعْه قليلاً .

* * *

٢٠٣٦ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن ليث ، عن مجاهد : « ومن كفرَ فأمتّعُهُ قليلاً » ، يقول : ومن كفر فأرزقه أيضاً ، ثم أضْطرُّهُ إلى عذاب النار . [2]

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك عندنا والتأويلِ ، ما قاله أبي ابن كعب وقراءتُه ، لقيام الحجة بالنقل المستفيض دراية بتصويب ذلك ، وشذوذِ ما خالفه من القراءة . وغير جائز الاعتراضُ بمن كان جائزاً عليه فى نقله الخطأ والسهوُ ، على من كان ذلك غير جائز عليه فى نقله . وإذْ كان ذلك كذلك ، فتأويل الآية : قال الله : يا إبراهيم ، قد أجبتُ دَعوتك ، ورزقتُ مُؤمنى أهل هذا البلد من الثمرات وكفارهم ، متاعاً لهم إلى بُلوغ آجالهم ، ثم أضْطر كفارَهم بعد ذلك إلى النار .

* * *

وأما قوله : « فأمتّعهُ قليلاً » يعنى : فأجعل ما أرزقه من ذلك فى حياته

---

(١) هذا رسم القراءة ﴿ فَأَمْتِعْهُ قَلِيلاً ثُمَّ اُضْطَرَّهُ ﴾ ، على أنهما فعلا أمر ، يراد بهما الدعاء والسؤال .

(٢) الأثر : ٢٠٣٦ — كان ينبغى أن يقدم هذا الأثر على ذكر هذه القراءة التى سوف يردها

متاعاً يتمتع به إلى وقت مماته .(١)

وإنما قلنا إن ذلك كذلك ، لأن الله تعالى ذكره إنّما قال ذلك لإبراهيم ، ٤٢٨/١ جواباً لمسألته ما سأل من رزق الثمرات لمؤمنى أهل مكة . فكان معلوماً بذلك أن الجوابَ إنما هو فيما سألهُ إبراهيم لا فى غيره . وبالذى قلنا فى ذلك قال مجاهد ، وقد ذكرنا الرواية بذلك عنه .(٢)

وقال بعضهم : تأويله : فأمتّعه بالبقاء فى الدنيا .

وقال غيره : فأمتّعه قليلاً فى كفره ما أقامَ بمكة ، حتى أبعث محمداً صلى الله عليه وسلم فيقتُله ، إن أقام على كفره، أو يُجْليه عنها . وذلك وإن كان وجهاً يحتمله الكلامُ ، فإن دليلَ ظاهر الكلام على خلافه ، لما وصفنا .(٣)

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « ثم أضطرُّه إلى عذاب النار » ، ثم أدفعه إلى عذاب النار وأسوقه إليها ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ

الطبرى . وبين من نقل ابن كثير عن الطبرى أن موقعه قبل الأثر رقم : ٢٠٣٤ ، وسيأتى فى كلام الطبرى بعد قليل ما يقطع بأن هذا الخبر عن مجاهد ، بمعزل عن هذه القراءة . فأخشى أن يكون الناسخ قد أسقط الخبر عند النسخ ، ثم عاد فوضعه هنا حين انتبه إلى أنه قد أسقطه . وكدت أرده إلى مكانه ، ولكنى آثرت تركه على حاله مع التنبيه على الخطأ ، وفصلته عن الذى قبله بالنجوم الفاصلة .

(١) انظر تفسير « المتاع » فيما سلف ١ : ٥٣٩ - ٥٤١ .

(٢) انظر الأثر : رقم : ٢٠٣٦ ، والتعليق عليه .

(٣) ما أحسن ما قال أبو جعفر فإن أكثر الكلام ، يحتمل وجوهاً ، ولكن سياق المعانى وترابطها يوجب معنى واحداً مما يحتمله الكلام . وهذا ما يعنيه بقوله : « دليل ظاهر الكلام» . وانظر تفسير « الظاهر » فيما سلف ٢ : ١٥ والمراجع قبله وبعده .

جَهَنَّمَ دَعًّا ﴾ [سورة الطور : ١٣] .(١)

* * *

ومعنى « الاضطرار » ، الإكراه . يقال : « اضطررت فلاناً إلى هذا الأمر » ، إذا ألجأته إليه وحملته عليه .

فذلك معنى قوله : « ثم أضْطرُّه إلى عذاب النار » ، أدفعه إليها وأسوقه ، سحبًا وجرًّا على وجهه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (١٢٦)

قال أبو جعفر : قد دللنا على أن « بئس » أصله « بئِس » من « البُؤس » سُكِّن ثانيه ، ونقلت حركة ثانيه إلى أوله ، كما قيل للكَبِد كبِد ، وما أشبه ذلك.(٢)

* * *

ومعنى الكلام : وساءَ المصيرُ عذابُ النار ، بعد الذى كانوا فيه من متاع الدنيا الذى متَّعتهم فيها .

* * *

وأما « المصير » ، فإنه « مَفْعِل » من قول القائل : « صرْتَ مَصيراً صالحاً » ، وهو الموضع الذى يَصير إليه الكافرُ بالله من عذاب النار .(٣)

* * *

---

(١) قال أبو جعفر فى تفسير هذه الآية (٢٧ : ١٣ – ١٤ ، بولاق) : « يدفعون بإرهاق وإزعاج . يقال منه . دععت فى قفاه : إذا دفعت فيه » .

(٢) انظر ما سلف ٢ : ٣٣٨ – ٣٤٠ .

(٣) يريد الطبرى أنه المنزل الذى ينتهى إليه ، من قولهم : « أين مصيركم ؟ » ، أى منزلكم . والمصير : العاقبة وما يصير إليه الشىء .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وإذْ يَرْفعُ إبراهيمُ القواعدَ منَ البيت » ، واذكروا إذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت .

• • •

و « القواعد » جمع « قاعدة » ، يقال للواحدة من « قواعد البيت » « قاعدة » ، وللواحدة من « قواعد النساء » وعجائزهن « قاعد » ، فتلغى هاء التأنيث ، لأنها « فاعل » من قول القائل : « قعدت عن الحيض » ، ولاحظَ فيه للذكورة ، كما يقال : « امرأة طَاهر وطَامثٌ » ، لأنه لاحظَ فى ذلك للذكور ، ولو عنى به « القعود » الذى هو خلاف « القيام » ، لقيل : « قاعدة » ، ولم يجز حينئذ إسقاط هاء التأنيث . و« قواعد البيت » إساسه .(١)

• • •

ثم اختلف أهل التأويل فى « القواعد » التى رفعها إبراهيم وإسمعيل من البيت . أهما أحدثا ذلك ، أم هى قواعد كانت لهُ قبلهما ؟

فقال قوم : هى قواعد بيتٍ كان بناه آدم أبو البشر بأمر الله إياه بذلك ، ثم دَرس مكانُه وتعفَّى أثرُه بعده ، حتى بوَّأه الله إبراهيمَ عليه السلام ، فَبناه .

• ذكر من قال ذلك :

٢٠٣٧ – حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن جريج ، عن عطاء قال : قال آدم : يا رب ، إنى لا أسمع أصوات الملائكة ! قال : بخطيئتك ، ولكن اهبط إلى الأرض ، وابن لى بيتاً ، ثم احفُفْ به كما رأيتَ

---

(١) الإساس (بكسر الهمزة) جمع أس (بضم الهمزة) ، وجمع الأساس ، أسس (بضمتين) وجمع الأسس (بفتحتين) آساس (بالمد) ، وكلها بمعنى واحد .

الملائكة تحُفّ ببيتي الذى فى السماء . فيزعم الناس أنه بَناه من خمسة أجبُل : من « حِرَاء » و« طُورزَيْتا » ، و « طورسَيْنا » ، و« جبل لبنان » و« الجودى » ، وكان رَبضُهُ من حِراء . فكان هذا بناءَ آدم ، حتى بناه إبراهيمُ بعد .(١)

٢٠٣٨ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وإذ يرفعُ إبراهيمُ القواعدَ من البيت» ، قال : القواعدُ التى كانت قواعدَ البيت قبل ذلك .

* * *

وقال آخرون : بل هى قواعدُ بيت كان الله أهبطه لآدم من السماء إلى الأرض ، يطوفُ به كما كان يطوفُ بعرشه فى السماء ، ثم رَفعَه إلى السماء أيامَ الطوفان ، فرفع إبراهيمُ قواعد ذلك البيت .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٣٩ ــ حدثنى محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا أيوب ، عن أبى قلابة ، عن عبد الله بن عمرو قال : لما أهبطَ الله آدمَ من الجنة قال : إنّى مهبط معك ــ أو منزِلٌ معك ــ بيتاً يُطاف حوله كما يطاف حَولَ عرشى ، ويُصلَّى عنده كما يصلَّى عند عرشى . فلما كان زمنُ الطوفان ، رُفع ، فكانت الأنبياء يحجونه ولا يعلمون مكانه ، حتى بوّأه الله إبراهيم ، وأعلمه مكانه ، فبناه من خمسة أجبُل : من « حراء » و « ثبير » و « لبنان » و « جبل الطور » و « جبل الخمر» .(٢)

---

(١) الأثر : ٢٠٣٧ ــ فى تفسير ابن كثير ١ : ٣٢٥ ، وقال : « وهذا صحيح إلى عطاء ، ولكن فى بعضه نكارة والله أعلم » . وربض البناء (بفتحتين) وربضه (بضم فسكون) : هو وسطه الذى يربض عليه ، أى يستقر ويثبت .

(٢) الخبر : ٢٠٣٩ ــ عبد الوهاب : هو ابن عبد المجيد الثقفى ، وهو ثقة ، من شيوخ الشافعى وأحمد وأضرابهما . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣/١/٧١ ، وابن سعد ٧ /٢/٤٤ .

أيوب : هو ابن أبى تميمة السختيانى ، وهو ثقة حجة . قال شعبة : « كان سيد الفقهاء » . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/١/٤٠٩ ــ ٤١٠ ، وابن سعد ٧/٢/١٤ ــ ١٧ ، وابن أبى حاتم

أبو قلابة ، بكسر القاف وتخفيف اللام : هو عبد الله بن زيد الجرمى . وهو تابعى ثقة مشهور . مترجم فى التهذيب ، وابن سعد ٧/١/١٣٣ ــ ١٣٥ ، وابن أبى حاتم ٢/٢/٥٧ ــ ٥٨ .

٢٠٤٠ ــ حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا إسمعيل بن علية قال ، حدثنا أيوب ، عن أبي قلابة قال : لما أهبط آدم ، ثم ذكر نحوه .

٢٠٤١ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا هشام ابن حسان ، عن سوار [ختن عطاء] ، عن عطاء بن أبي رَباح قال : لما أهبطَ ٤٢٩/١ الله آدمَ من الجنة ، كان رجلاه في الأرض ورأسه في السماء ، يسمع كلام أهل السماء ودعاءهم ، يأنس إليهم . فهابته الملائكة ، حتى شكت إلى الله في دعائها وفي صَلاتها ، فخفضه إلى الأرض . فلما فقد ما كان يسمع منهم ، استوحَشَ حتى شكا ذلك إلى الله في دعائه وفي صلاته . فوُجِّه إلى مكة ، فكان موضعُ قدمه قريةً ، وخطوُه مفازةً ، حتى انتهى إلى مكة . وأنزل الله ياقوتة من ياقوت الجنة ، فكانت على موضع البيت الآن . فلم يزل يطوف به حتى أنزل الله الطوفان ، فرفعت تلك الياقوتة ، حتى بعث الله إبراهيم فبناه . فذلك قول الله : « وإذْ بوَّأنا لإبراهيمَ مكان البيت » .(١)

٢٠٤٢ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرازق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : وضع الله البيتَ مع آدم ، حين أهبط الله آدم إلى الأرض ، وكان مهبِطُه بأرض الهند . وكان رأسهُ في السماء ، ورجلاه في الأرض ، فكانت الملائكة تهابه ، فنُقِص إلى ستين ذراعاً : فحزن آدم إذ فقد أصوات الملائكة وتسبيحهم ، فشكا ذلك إلى الله تعالى ، فقال الله : يا آدم ، إني قد أهبطت إليك بيتاً تَطُوف به كما يُطاف حَوْل عرشي ، وتصلّي عنده كما يصلّى عند عرشي .

وهذا الخبر ذكره السيوطي ١ : ١٢٧ ، ونسبه الطبري وابن أبي حاتم ، والطبراني ، عن « عبد الله ابن عمرو بن العاص » .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٣ : ٢٨٨ ، وقال : « رواه الطبراني في الكبير ، موقوفاً ، ورجاله رجال الصحيح » . وهو كما قال . ولكن ليس فيه حجة ، ولعله مما كان يسمع عبد الله بن عمرو من أخبار أهل الكتاب .

جبل الخمر : هو جبل بيت المقدس ، سمي بذلك لكثرة كرومه (ياقوت) .

(١) الأثر : ٢٠٤١ ــ في تاريخ الطبري ١ : ٦١ ، والزيادة بين القوسين منه . وفي تفسير

فانطلق إليه آدم . فخرج ، ومُد له فى خطوه ، فكان بين كل خطوتين مَفازَة . فلم تزَل تلك المفاوز بعد ذلك . فأتى آدمُ البيتَ وطافَ به ، ومَنْ بعدَه من الأنبياء .

٢٠٤٣ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أبان : أن البيت أهبِطَ ياقوتةً واحدةً ــ أو دُرَّة واحدةً ــ حتى إذا أغرق الله قوم نوح رفعه ، وبقى أساسه فبوَّأه الله لإبراهيم ، فبناه بعد ذلك .

* * *

وقال آخرون : بل كان موضع البيت رَبوة حمراءَ كهيئة القبة . وذلك أن الله لما أراد خلق الأرض علا الماءَ زَبَدةٌ حمراءُ أو بيضاء ،[1] وذلك فى موضع البيت الحرام . ثم دَحا الأرض من تحتها ، فلم يزل ذلك كذلك حتى بوأه الله إبراهيم ، فبناه على أساسه . وقالوا : أساُسه على أركانٍ أربعةٍ فى الأرض السابعة .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٤٤ ــ حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال جرير بن حازم ، حدثنى حميد بن قيس ، عن مجاهد قال : كان موضع البيت على الماء ، قبل أن يخلق الله السموات والأرض ، مثلَ الزَّبَدة البيضاء ، ومن تحته دُحِيت الأرض .

٢٠٤٥ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن جريج قال ، قال عطاء وعمرو بن دينار : بعث الله رياحاً فصفَّقت الماء ، فأبرزَتْ فى موضع البيت عنْ حَشَفة كأنها القبة ، فهذا البيت منها . فلذلك هى « أم القُرى » . قال ابن جريج ، قال عطاء : ثم وتَدها بالجبال كى لا تُكفأ بمَيْد ، فكان أوّل جبل « أبو قيس » .[2]

ابن كثير ١ : ٣٢٥ ، وقال « هذا صحيح إلى عطاء ، ولكن فى بعضه نكارة ، والله أعلم » ، ومعه أيضاً الأثر الذى سلف رقم : ٢٠٣٧ .

(١) الزبد (بفتحتين) : هو ما يطفو على الماء من رغوته البيضاء . والطائفة من الزبد ، زبدة (بفتح فسكون) .

(٢) صفقت الريح الماء (بفتح الفاء ، وبتشديدها مع الفتح) : ضربته وقلبته يميناً وشمالا .

٢٠٤٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يعقوب القُمّى، عن حفص بن حميد، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: وُضع البيت على أركان الماء، على أربعة أركان، قبل أن تُخلق الدنيا بألفى عام، ثم دُحيت الأرض من تحت البيت[1].

٢٠٤٧ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يعقوب، عن هرون بن عنترة، عن عطاء بن أبى رباح قال: وَجدوا بمكة حَجراً مكتوباً عليه: إنىّ أنا الله ذو بَكّة، بنيتُه يومَ صَنعت الشمس والقمر، وحفَفتُه بسبعة أملاكٍ حُنفاء[2].

٢٠٤٨ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال، حدثنى عبد الله بن أبى نجيح، عن مجاهد وغيره من أهل العلم: أن الله لما بوّأ إبراهيمَ مَكان البيتِ خرجَ إليه من الشام، وخرجَ معه بإسمعيلَ وأمّه هاجر، وإسمعيل طفل صغير يرضع. وحُمِلوا – فيما حدثنى – على البُرَاق، ومعه جبريل يدلُّه على

والحشفة: صخرة رخوة فى سهل الأرض. ويقال للجزيرة فى البحر لا يعلوها الماء: «حشفة»، وجمعها حشاف (بكسر الحاء)، إذا كانت صغيرة مستديرة. وكفأ الشىء يكفؤه: قلبه. وماد الشىء يميد ميداً: تحرك ومال.

(١) قال مصحح النسخة المطبوعة: «قوله: وضع البيت على أركان الماء... هكذا فى الأصل وعبارة الدر المنثور: كان البيت على أربعة أركان فى الماء» وهذا تعليق غريب جداً، فإن نص الدر المنثور ١: ١٢٧، هو نفس نص الطبرى، وهو نفس ما نقله ابن كثير فى تفسيره عن الطبرى ١: ٣٢٦. وعبارة الطبرى صحيحة.

(٢) الأثر: ٢٠٤٧ – لم أجده من طريق عطاء بن أبى رباح، ولكنه مروى عن ابن عباس، ومجاهد فى أخبار مكة للأزرقى ١: ٣٧ – ٣٨، بألفاظ مختلفة، فى خبر طويل تام اختصره أبو جعفر. ونص خبر مجاهد: «وجد فى بعض الزبور: أنا الله ذو بكة، جعلتها بين هذين الجبلين، وصفتها يوم صفت الشمس والقمر، وحففتها بسبعة أملاك حنفاء...». وأما ابن إسحق فقال (سيرة ابن هشام ١: ٢٠٨)؛ «حدثت أن قريشاً وجدوا فى الركن كتاباً بالسريانية، فلم يدروا ما هو، حتى قرأه لهم رجل من يهود، فإذا هو: أنا الله ذو بكة، خلقتها يوم خلقت السموات والأرض، وصورت الشمس والقمر، وحففتها بسبعة أملاك حنفاء، لا يزول أخشباها، مبارك لأهلها فى الماء واللبن». قال ابن هشام: أخشباها: جبلاها».

أما قوله: «حنفاء» فجمع حنيف، وهو المسلم الذى قال لا إله إلا الله ثم استقام على الطريق. ووصف الملائكة بأنهم حنفاء، لطاعتهم واستقامتهم فى عبادة ربهم، وصبرهم أنفسهم على ما أمروا به من حفظ هذا البيت المطهر.. وانظر تفسير «حنفاء» فى الآثار رقم: ٢٠٩٦، ٢٠٩٨، ٢٠٩٩.

هذا وقد كان فى المطبوعة: «حففته بسبعة أملاك حفاء»، وهو خطأ صوابه ما أثبت من المراجع، أخبار مكة للأزرقى ١: ٣٧ – ٣٨، وسيرة ابن هشام ١: ٢٠٨، والسهيلى فى الروض الأنف ١: ١٣١.

مَوْضع البيت ومَعالم الحرَم . فخرج وخرج معه جبريل ، فقال : كان لا يمرّ بقرية إلا قال : أبهذه أمرت يا جبريل ؟ فيقول جبريل : امْضِهْ ! حتى قدم به مكة ، وهي إذْ ذاك عِضَاه سَلم وسَمُر ، وبها أناس يقال لهم « العماليق » خارج مكة وما حولها ،[1] والبيت يومئذ رَبوة حمراءُ مَدرَة . فقال إبراهيم لجبريل : أههنا أمرتَ أن أضعهما ؟ قال : نعم . فعمدَ بهما إلى موضع الحِجْرُ فأنزلهما فيه ، وأمر هاجرَ أم إسمعيل أن تتخذ فيه عَريشاً ، فقال : ﴿ رَبِّ إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ إلى قوله : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [سورة إبراهيم : ٣٧] .

قال ابن حميد : قال، سلمة قال ، ابن إسحق: ويزعمون — والله أعلم — أن مَلَكاً من الملائكة أتَى هاجر أم إسمعيل — حين أنزلهما إبراهيمُ مكة، قبل أن يَرْفع إبراهيمُ وإسمعيلُ القواعد من البيت — فأشار لها إلى البيت، وهو ربوة حمراء مَدرَة، ٤٣٠/١ فقال لها :[2] هذا أول بيت وُضع فى الأرض ، وهو بَيتُ الله العتيق ، واعلمى أنّ إبراهيم وإسمعيل هُما يَرْفعانه للناس.[3]

٢٠٤٩ — حدثنى الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا هشام بن حسان قال، أخبرنى حميد ،عن مجاهد قال: خلقَ الله موضعَ هذا

---

(١) فى المطبوعة : « يربها أناس يقال لهم . . . » ، وهى صحيحة المعنى : أى يملكها العماليق وهم سادتها وأصحابها . من ذلك حديث صفوان بن أمية حين قال لأبى سفيان : «لأن يربنى رجل من قريش أحب إلى من أن يربنى رجل من هوازن » . أى يكون رباً فوق وسيداً يملكنى . ولكنى أثبت ما فى تاريخ الطبرى ، وما نقله عنه ابن كثير ، وأخبار مكة للأزرقى .

(٢) فى المطبوعة : « فأشار لهما ... فقال لها . . . » على التثنية، وهو خطأ محض ، فإن الخطاب لهاجر وحدها ، كما يدل عليه السياق قبل وبعد ، والصواب فى أخبار مكة للأزرقى .

(٣) الأثر : ٢٠٤٨ — الفقرة الأولى من هذا الأثر فى تاريخ الطبرى ١ : ١٣٠ مع بعض الاختلاف فى اللفظ فى صدر الخبر ، وفى أخبار مكة للأزرقى ١ : ١٩ ، وفى تفسير ابن كثير ١ : ٣٢٦. وأما الفقرة الأخيرة منه فهى فى أخبار مكة للأزرقى ١ : ٢٠ — ٢١ ، وقد كان مكان قوله فى آخرها « يرفعانه للناس » ، « يرفعانه والله أعلم » ، وهى زيادة من ناسخ فى أغلب الظن . وأثبت نص ما جاء فى أخبار مكة .

والعضاه : كل شجر يعظم وله شوك شديد . والسلم والسمر : ضربان من شجر العضاه . وقوله : « مدرة » ، أى طين يابس لزج ، لا رمل فيه ، وهو الطين الحر .

البيت قبلَ أن يخلق شيئاً من الأرض بألفي سنة ، وأركانه في الأرض السابعة .

٢٠٥٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة قال ، أخبرني بشر بن عاصم ، عن ابن المسيَّب قال ، حدثنا كعب : إنّ البيت كان غُثاءَةً على الماءَ قبل أن يخلُق الله الأرض بأربعين سنة ، ومنه دُحِيَت الأرضُ . قال [سعيد] : وحُدِّثنا عن علي بن أبي طالب : أنّ إبراهيم أقبلَ من أرمينية معه السكينة تدلُّه على تَبوُّئ البيت ، كما تَتبوأ العنكبوتُ بيتها ، قال : فرَفعت عن أحجار تطيقه – أو لا تطيقه – ثلاثونَ رجلاً ، قال : قلت : يا أبا محمد فإنَ الله يقول : « وإذ يرفع إبرَاهيمُ القواعدَ من البيت » ، قال : كان ذاك بعد . (١)

---

(١) الخبر : ٢٠٥٠ – بشر بن عاصم بن سفيان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث الطائفي : ثقة ، يروى عن سعيد بن المسيب . مترجم في التهذيب ، والكبير ١/٢/٧٧ – ٧٨ ، وابن سعد ٥ : ٣٨٠ ، وابن أبي حاتم ١/١/٣٦٠ .

وهذا الخبر خبران : أولهما عن كعب الأحبار . ولا قيمة له . والثاني عن علي بن أبي طالب . والظاهر أنه مما كان يتحدث به الصحابة من أخبار أهل الكتاب .

وقد روى القسمين ابن أبي حاتم ، فيما نقل ابن كثير ١ : ٣٢٤ – ٣٢٥ ، عن محمد بن عبد الله ابن يزيد المقرىء ، عن سفيان ، وهو ابن عيينة ، بهذا الإسناد .

وروى الحاكم في المستدرك ٢ : ٢٦٧ – خبر علي وحده – من طريق زكريا بن إسحق ، عن بشر ابن عاصم ، به . وزكريا بن إسحق المكي : ثقة .

وكذلك روى خبر علي وحده – الأزرقي ، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد ، في تاريخ مكة ١ : ٢٥ (طبعة مكة سنة ١٣٥٢) – عن جده ، عن سفيان بن عيينة ، عن بشر بن عاصم ، عن سعيد بن المسيب ، « قال : أخبرني علي بن أبي طالب » .

وفي المطبوعة هنا – أول خبر علي : « قال : وحدثنا عن علي بن أبي طالب » . فالذي يقول هذا : هو سعيد بن المسيب . وما أدري أوقعت الرواية للطبري هكذا ، أم هو تحريف من الناسخين . فالذي في رواية ابن أبي حاتم : « قال سعيد : وحدثنا علي بن أبي طالب » . ويؤيده رواية الحاكم : « عن بشر بن عاصم ، عن سعيد بن المسيب قال : حدثنا علي بن أبي طالب » . وكذلك رواية الأزرقي . وهذا هو الصواب فيما أرى .

وخبر علي : نقله أيضاً السيوطي ١ : ١٢٦ ، ونسبه فوق هذا لسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

الغثاءة واحدة الغثاء ، وهو ما يحمله السيل والماء من الزبد والهالك البالي من الشجر وغيره ، يخالط الزبد . وفي ابن كثير : « فكشفت عن أحجار لا يطيق الحجر إلا ثلاثون رجلا » . والضمير في قوله : « تطيقه » إلى حجر من الأحجار المذكورة ، إن لم يكن في الأصول تحريف أو سقط .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبرَ عن إبراهيم خليله أنه وابنه إسمعيل ، رفعا القواعد من البيت الحرام . وجائزٌ أن يكون ذلك قواعدَ بيتٍ كان أهبطه مع آدم، فجعله مكان البيت الحرَام الذى بمكة . وجائزٌ أن يكون ذلك كان القُبة التى ذكرَها عطاء ، مما أنشأه الله من زَبَد الماء . وجائزٌ أن يكون كان ياقوتة أو دُرّة أهبِطا من السماء . وجائزٌ أن يكون كان آدم بناه ثم انهدم ، حتى رفع قواعده إبراهيم وإسمعيل . ولا علمَ عندنا بأىٍّ ذلك كان من أىٍّ ،(١) لأن حقيقة ذلك لا تدرك إلا بخبر عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم ، بالنقل المستفيض . ولا خبرَ بذلك تقومُ به الحجةُ فيجب التسليم لها ، ولا هو — إذ لم يكن به خبرٌ ، على ما وصفنا — مما يُدرَكُ عليه بالاستدلال والمقاييس ، فيمثل بغيره ، ويستنبط علمهُ من جهة الاجتهاد . فلا قولَ فى ذلك هو أولى بالصواب مما قُلنا . والله تعالى أعلم .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : وإذْ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسمعيل يَقولان رَبنا تَقبَّل منا. وذكر أنّ ذلك كذلك فى قراءة ابن مسعود. وهو قولُ جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٥١ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال: يَبنيان وهمَا يدعوَان، الكلماتُ التى ابتلَى بها إبراهيم رَبُّه قال: « ربَّنا تَقبل منا إنك أنت السميع العليم . رَبنا وَاجعلنا مُسلمينْ لكَ ومن ذريتنا

(١) مضى مثل هذا التعبير فى ١ : ٥٢٠ س ١٦ ، ثم ٢ : ٥١٧ س ١٥

أمةً مسلمةً لك ربّنا وابعث فيهم رسولاً منهم » .

٢٠٥٢ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، أخبرنى ابن كثير قال ، حدثنا سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وإذْ يرفعُ إبراهيمُ القواعدَ من البيت وإسمعيل » ، قال : هما يرفعان القواعد من البيت ويقولان : « ربّنا تقبل منا إنك أنتَ السميع العليم »، قال : وإسمعيل يحمل الحجارة على رقبته ، والشيخ يبنى .

* * *

فتأويل الآية على هذا القول : وإذْ يرفع إبراهيمُ القواعدَ من البيت وإسمعيلُ قائلين : ربّنا تقبل منا .

* * *

وقال آخرون : بل قائل ذلك كان إسمعيل . فتأويل الآية على هذا القول : وإذْ يرفع إبراهيمُ القواعد من البيت ، وإذ يقول ربّنا تقبل منا . فيصيرُ حينئذٍ « إسمعيل » مرفوعاً بالجملة التى بعده . و « يقولُ » حينئذ، خبر لهُ دون إبراهيم .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى الذى رفع القواعد ، بعدَ إجماعهم على أنّ إبراهيم كان ممن رفعها .

فقال بعضهم : رفعها إبراهيمُ وإسمعيل جميعاً .

• ذكر من قال ذلك :

٢٠٥٣ – حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ،عن السدى : « وعهدْنا إلى إبراهيمَ وإسمعيلَ أن طهرا بيتىَ للطائفين ».(١)

---

(١) صدر هذا الخبر فى تفسير ابن كثير : « وقال السدى : إن الله عز وجل أمر إبراهيم أن يبنى البيت هو وإسماعيل : ابنيا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود . فانطلق إبراهيم . . . » وفى تاريخ الطبرى ١ : ١٢٩ : « قال: لما عهد الله إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين ، انطلق إبراهيم . . . »

قال : فانطلق إبراهيم حتى أتى مكة ، فقام هو وإسمعيل وأخذا المعاول ، لا يدريان
١/٣١٤ أين البيت . فبعث الله ريحاً يقال لها ريح الخَجُوج ، لها جناحان ورأسٌ فى صورة حية ، فكنست لهما ما حول الكعبة عَنْ أساس البيت الأول ،(١) واتَّبعاها بالمعاول يحفران ، حتى وضعا الأساس . فذلك حين يقول : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴾ [سورة الحج : ٢٦] . فلما بنيا القواعدَ فبلغا مكانَ الركن ، قال إبراهيم لإسمعيل : يا بنى ، اطلب لى حجراً حسناً أضعه ههنا . قال : يا أبت ، إنى كسلان تعب . قال : علىّ بذلك . فانطلق فطلب له حجراً ، فجاءه بحجر فلم يرضه ، فقال : ائتنى بحجر أحسن من هذا . فانطلق يطلبُ له حجراً ، وجاءه جبريل بالحجرَ الأسود من الهند ، وكان أبيض ، ياقوتةً بيضاءَ مثل الثَّغامة .(٢) وكان آدمُ هبطَ به من الجنة فاسودَّ من خطايا الناس . فجاءه إسمعيل بحجر فوجده عند الركن ، فقال : يا أبت ، من جاءك بهذا ؟ فقال : من هو أنشطُ منك ! فبنياه .(٣)

٢٠٥٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن عمر ابن عبد الله بن عروة ، عن عُبيد بن عمير الليثى قال : بلغنى أنَّ إبراهيم وإسمعيل هُما رَفعا قواعد البيت .(٤)

* * *

(١) فى المطبوعة : « وعن أساس البيت » بزيادة الواو ، ولا خير فى زيادتها ، وأثبت ما فى التاريخ ، وابن كثير . وفى ابن كثير : « فكشفت لهما » مكان « فكنست » . والريح الخجوج : الشديدة المر ، التى تلتوى فى هبوبها ، وتشق شقاً بشدة عصفها .

(٢) الثغامة : نبات ذو ساق جماحته مثل هامة الشيخ ، أبيض الثمر والزهر ، يشبه به بياض الشيب . وفى الحديث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بأبى قحافة يوم الفتح ، وكأن رأسة ثغامة ، فأمرهم أن يغيروه .

(٣) الأثر : ٢٠٥٢ — فى تاريخ الطبرى ١ : ١٢٩ صدره إلى قوله : « وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت » ، وهو بتمامه فى تفسير ابن كثير ١ : ٣٢٥ . وقد مضى شطر من صدره بالرقم : ٢٠٠٩ .

(٤) الخبر : ٢٠٥٤ — عمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير بن العوام : من ثقات أتباع التابعين يروى أيضاً عن جده عروة بن الزبير ، وأخرج له الشيخان فى الصحيحين . مترجم فى التهذيب .

وقال آخرون : بل رفع قواعدَ البيت إبراهيم، وكان إسمعيل يُناوله الحجارة .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٥٥ ــ حدثنا أحمد بن ثابت الرازى قال، حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أيوب وكثير بن كثير بن المطّلب بن أبى وَداعة ــ يزيد أحدُهما على الآخر ــ ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : جاء إبراهيمُ ، وإسمعيل يَبرى نَبلاً قريباً من زمزم ، فلما رآه قام إليه ، فصنعا كما يصنع الوالد بالوَلد والوَلد بالوالد ، ثم قال : يا إسمعيل، إنّ الله أمرَنى بأمْرٍ . قال : فاصنع ما أمرك ربك . قال : وتعينُنى ؟ قال : وأعينك . قال : فإن الله أمرَنى أن أبنى ههنا بيتاً ! وأشار إلى الكعبة ، والكعبة مرتفعةٌ على ما حولها ، قال : فعند ذلك رفعا القواعد من البيت . قال : فجعل إسمعيل يأتى بالحجارة ، وإبراهيم يَبنى ، حتى إذا ارتفع البناءُ ، جاء بهذا الحجر فوضَعه له، فقام عليه وهو يَبنى ، وإسمعيل يُناوله الحجارة وهما يقولان : « ربنا تقبَّل منا إنك أنتَ السميع العليم » ، حتى دوَّر حولَ البيت . (١)

وابن أبى حاتم ٣/١/١١٧ ، وكتاب الجمع بين رجال الصحيحين ، ص : ٣٤١ .

ووقع فى المطبوعة « عمرو بن عبد الله بن عتبة » ، وهو خطأ كبير ، فلا يوجد فى الرواة من يسمى بهذا.

ثم هذا الخبر نفسه كلمات قلائل ، من خبر مطول فى قصة ، رواه الطبرى فى التاريخ ١ : ١٣٤ . بهذا الإسناد « عن عمر بن عبد الله بن عروة : أن عبد الله بن الزبير قال لعبيد بن عمير الليثى : كيف بلغك أن إبراهيم دعا إلى الحج ؟ . . . » .

عبيد بن عمير الليثى : مضت ترجمته : ١٧٦٨ .

(١) الحديث : ٢٠٥٥ ــ أحمد بن ثابت بن عتاب الرازى، المعروف بفرخويه، شيخ الطبرى : ترجمه ابن أبى حاتم ١/١/٤٤ ، ولسان الميزان ١ : ١٤٣. وروى ابن أبى حاتم عن أبى العباس الطهرانى، قال : « كانوا لا يشكون أن فرخويه كذاب » .

وقد يصدق الكذوب ! فالحديث فى ذاته صحيح :

رواه البخارى ــ مطولا جداً ــ عن عبد الله بن محمد ، عن عبد الرزاق ، بهذا الإسناد ٦ : ٢٨٣ ــ ٢٨٩ (فتح) . والذى هنا قطعة منه .

وقد ذكر ابن كثير ١ : ٣٢٠ ــ ٣٢٢ ، رواية البخارى بطولها ، ثم أشار إلى رواية الطبرى هذه .

٢٠٥٦ – حدثنا ابن سنان القزاز قال، حدثنا عبيد الله بن عبد المجيد أبو على الحنفى قال ، حدثنا إبراهيم بن نافع قال ، سمعت كثير بن كثير يحدث ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : جاء – يعنى إبراهيم – فوجد إسمعيل يصلح نَبْلاً من ورَاء زمزم . قال إبراهيم : يا إسمعيل، إن الله ربَّك قَدْ أمرنى أن أبنى لهُ بيتاً . فقال له إسمعيل : فأطع ربَّك فيما أمرك . فقال له إبراهيم : قد أمرَك أن تُعيننى عليه . قال : إذاً أفعلُ . قال : فقام معه ، فجعل إبراهيم يَبنيه ، وإسمعيل يناوله الحجارة ويقولان: « ربَّنا تَقبَّل منا إنك أنتَ السميع العليمُ » . فلما ارتفع البُنيان ، وضعف الشيخُ عن رَفع الحجارة ، قام على حجر ، فهو مقام إبراهيم ، فجعل يناوله ويقولان : « رَبنا تقبل منا إنك أنتَ السميع العليم » .(١)

* * *

وقال آخرون : بل الذى رفع قواعدَ البيت إبراهيمُ وحده ، وإسمعيل يومئذ طفلٌ صغير .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٥٧ – حدثنا محمدبن بشار ومحمد بن المثنى قالا، حدثنا مؤمل قال، حدثنا سفيان، عن أبى إسحق، عن حارثة بن مضرب، عن علىّ قال: لما أمِر إبراهيم ببناء البيت ، خرج معه إسمعيل وَهاجر . قال : فلما قدم مكة رَأى على رأسه فى مَوضع البيت مثلَ الغمامة ، فيه مثلُ الرأس ، فكلَّمه فقال : يا إبراهيم ، ابْنِ على

---

(١) الحديث : ٢٠٥٦ – ابن سنان القزاز : هو محمد بن سنان . وقد مضت ترجمته فى : ١٥٧. ووقع فى المطبوعة هنا « ابن بشار » ! وهو تصحيف .

وهذا الحديث أيضاً جزء من حديث مطول ، رواه البخارى ٦ : ٢٩٠ (فتح) ، عن عبد الله بن محمد ، عن أبى عامر العقدى عبد الملك بن عمرو ، عن إبراهيم بن نافع ، بهذا الإسناد .

ونقله ابن كثير أيضاً ١ : ٣٢٢ – ٣٢٣ ، عن رواية البخارى .

ورواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٥٥١ – ٥٥٢ ، مختصراً ، عن أبى العباس الأصم محمد بن يعقوب ، عن محمد بن سنان القزاز – شيخ الطبرى هنا – بهذا الإسناد . وصححه على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبى ، فلم ينبه إلى خطأ الحاكم فى استدراكه ، إذ رواه البخارى . وقد نبه على ذلك ابن كثير ، واستعجب أن يستدركه الحاكم ، وهو فى صحيح البخارى !

ظلى – أو على قدْرى – ولا تزد ولا تنقص. فلما بَنىَ [خرج] وخلَّف إسمعيل وهاجر ،[١] فقالت هاجر : يا إبراهيم ، إلى مَنْ تكلنا ؟ قال : إلى الله . قالت : انطلقْ ، فإنه لا يُضيعنا . قال : فعطش إسمعيل عطشاً شديداً ، قال : فصعدت هاجرُ الصَّفا ، فنظرت فلم تر شيئاً . ثم أتت المروة ، فنظرت فلم تر شيئاً . ثم رجعت إلى الصَّفا ، فنظرت ، فلم تر شيئاً . حتى فعلت ذلك سبعَ مرات . فقالت : يا إسمعيل ، مُت حيث لا أراك . فأتته وهو يفحص برجله من العطش.[٢] فناداها جبريل فقال لها : من أنت ؟ فقالت: أنا هاجر ، أم وَلد إبراهيم . قال: إلى مَنْ وكلكما ؟ قالت : وكلنا إلى الله . قال: وكلكما إلى كافٍ! قال: ففحص [الغلام] الأرض بإصبعه ،[٣] فنبعت زمزم ، فجعلت تحبسُ الماءَ، فقال: دَعيه ، فإنها رَواءٌ .[٤]

٢٠٥٨ – حدثنا هناد بن السَّرى قال، حدثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن خالد بن عُرْعرة : أن رجلاً قامَ إلى علىّ فقال : ألا تخبرنى عن البيت ؟

---

(١) الزيادة بين القوسين من تاريخ الطبرى ١ : ١٢٩ ، وتفسير ابن كثير ١ : ٣٢٤ .

(٢) فحصت الدجاجة وغيرها برجلها فى التراب: بحثته وأزالت التراب عن حفرة .

(٣) الزيادة بين القوسين من تاريخ الطبرى ١ : ١٢٩ ، وليست فى ابن كثير .

(٤) الحديث : ٢٠٥٧ – مؤيل – بوزن : محمد – : هو ابن إسمعيل العدوى ، وهو ثقة . بينا توثيقه فى شرح المسند : ٢١٧٣ .

سفيان : هو الثورى . وأبو إسحق : هو السبيعى.

حارثة ابن مضرب العبدى : تابعى ثقة . مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ٢/١/٨٧ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٢٥٥ .

و « مضرب » : بضم الميم وفتح الضاد المعجمة وكسر الراء المشددة وآخره باء موحدة . ووقع فى المطبوعة « مصرف » ، وهو تصحيف .

والخبر رواه الطبرى فى التاريخ أيضاً ١ : ١٢٩ ، بهذا الإسناد .

ونقله ابن كثير فى التفسير ١ : ٣٢٤ ، عن الطبرى . ثم قال : « فى هذا السياق أنه بنى البيت قبل أن يفارقهما . وقد يحتمل – إن كان محفوظاً – أن يكون أولا وضع له حوطاً وتجميراً ، لا أنه بناه إلى أعلاه . حتى كبر إسمعيل ، فبنياه معاً ، كما قال الله تعالى » .

وقوله : « فإنها رواء » (بفتح الراء والواو) . يقال ماء روى (بفتح الراء وكسر الواو وتشديد الياء) وروى (بكسر ففتح) ورواء : كثير عذب مرو لا ينقطع .

٤٣٢/١ أهو أولُ بيتٍ وُضع فى الأرض ؟ فقال : لا ، ولكن هو أول بيت وُضعَ فيه البركة ،(١) مَقامُ إبراهيم ، ومن دخله كان آمناً ، وإن شئت أنبأتك كيف بُنى : إنّ الله أوْحَى إلى إبراهيم أن ابن لى بيتاً فى الأرض. قال : فضاق إبراهيم بذلك ذَرعاً ، فأرسل الله السكينة — وهى ريح خَجوجٌ ، ولها رأسان(٢) — فأتبع أحدُهما صاحبه حَتى انتهت إلى مكة ، فتطوّت على موضع البيت كتطوّى الحَجَفَة ،(٣) وأمرَ إبراهيمَ أن يبنى حيث تستقر السكينة . فبنى إبراهيمُ وبَنى حجرٌ ، فذَهبَ الغلامُ يَبغى شيئاً ، فقال إبراهيم : لا ! ابغنى حجراً كما آمرُك .(٤) قال : فانطلق الغلام يلتمس له حجراً ، فأتاه فوجدَه قد ركّب الحجرَ الأسود فى مكانه ، فقال : يا أبت ، من أتاكَ بهذا الحجر ؟ قال : أتانى به من لم يَتّكل على بنائك ، جاء به جبريل من السماء . فأتمّاه .(٥)

---

(١) فى المطبوعة وفى التاريخ ، وابن كثير : « وضع فى البركة » . وفى المستدرك للحاكم ١ : ٢٩٣ ، والدر المنثور ، « وضع للناس فيه البركة والهدى » ، فصححتها من هناك .

(٢) انظر ما سلف قريباً : ٦٦ تعليق رقم : ١

(٣) تطوت : استدارت . تطوته الحية : تحوت والتف بعضها على بعض واستدارت كالطوق . والحجفة : الترس من الجلود يطارق بعضه على بعض ، ليس فيه خشب . وفى رواية الطبرى فى التاريخ « كتطوى الحية » ، وكذلك فى المستدرك « كتطوق الحية » ، وجاء فى ابن كثير « الجحفة » وهو خطأ .

(٤) فى التاريخ : « لا أبغى حجراً . . » ، وهو خطأ ، وفى ابن كثير : « فقال إبراهيم : ابغنى حجراً كما آمرك » ، وهو خطأ أيضاً . يقال : ابغنى كذا وكذا ، وابغ لى كذا وكذا : أى اطلبه لى والتمسه . بغى فلان فلاناً شيئاً : التمسه له .

(٥) الأخبار : ٢٠٥٨ — ٢٠٦٠ ، هى خبر واحد بثلاثة أسانيد .

وشيخ الطبرى فى الإسناد الأول « هناد » : هو ابن السرى بن مصعب الدارمى التميمى ، وهو ثقة . من شيوخ البخارى ومسلم وغيرهما . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢٤٨/٢/٤ ، والصغير : ٢٤٥ ، وابن أبى حاتم ١١٩/٢/٤ — ١٢٠ .

وقع فى المطبوعة « عباد » ، وهو تحريف ، تصويبه ، من التاريخ للطبرى ١ : ١٢٨ — ١٢٩ ، حيث روى هذا الخبر بهذا الإسناد الأول « حدثنا هناد بن السرى » . وكذلك نقله ابن كثير ١ : ٢٢٤ ، عن الطبرى .

أبو الأحوص : هو سلام بن سليم الحنفى الحافظ الثقة .

سماك — بكسر السين وتخفيف الميم : هو ابن حرب بن أوس البكرى ، وهو تابعى ثقة ، روى له مسلم ووثقه أحمد وابن معين وغيرهما . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١٧٤/٢/٢ ، وابن أبى حاتم ٢٧٩/١/٢ — ٢٨٠ .

٢٠٥٩ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا سعيد ، عن سماك قال : سمعت خالد بن عُرْعرة يحدث، عن على بنحوه.

٢٠٦٠ – حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو داود قال ، حدثنا شعبة وحماد بن سلمة وأبو الأحوص كلهم ، عن سماك، عن خالد بن عرعرة ، عن على ، بنحوه.

* * *

قال أبو جعفر : فمن قال : رفع القواعدَ إبراهيمُ وإسمعيلُ ، أو قال : رفعها إبراهيمُ وكان إسمعيل يُناوله الحجارة ، فالصوابُ فى قوله أنْ يكونَ المضمرُ من القول لإبراهيم وإسمعيل . ويكونَ الكلامُ حينئذ: « وإذ يرفع إبراهيمُ القواعدَ من البيت وإسمعيل» يقولان ربَّنا تقبَّل منا . وقد كان يحتمل، على هذا التأويل ، أن يكون المضمرُ من القول لإسمعيل خاصةً دون إبراهيم ، ولإبراهيم خاصة دون إسمعيل، لولا ما عليه عامة أهل التأويل من أن المضمرَ من القول لإبراهيم وإسمعيل جميعاً .

وأما على التأويل الذى رُوى عن علىّ : – أنّ إبراهيم هو الذى رَفعَ القواعدَ دون إسمعيل – فلا يجوز أن يكون المضمر من القول عندَ ذلك إلاّ لإسمعيل خاصة .

* * *

والصواب من القول عندنا فى ذلك : أنّ المضمر من القول لإبراهيم وإسمعيل ، وأنّ قواعدَ البيت رفعها إبراهيمُ وإسمعيلُ جميعاً . وذلك أنّ إبراهيمَ وإسمعيل ، إن كانا هما بنياها ورَفعاها ، فهو ما قلنا . وإن كان إبراهيمُ تفرد ببنائها ، وكان

خالد بن عرعرة التيمى: تابعى ثقة، ترجمه البخارى فى الكبير ٢/١/١٤٩، وقال : « سمع علياً » . وابن أبى حاتم ١/٢/٣٤٣ ، ولم يذكرا فيه جرحاً ، وذكره ابن حبان فى الثقات .

و « سعيد » – فى الإسناد الثانى – : أنا أرجح أنه محرف عن « شعبة » ، فهو الذى يروى عن سماك ابن حرب، وهو الذى يطلقه « محمد بن جعفر غندر »، إذ هو شيخه الذى لزمه وجالسه نحواً من عشرين سنة.

و « أبو داود » فى الإسناد الثالث : هو الطيالسى .

والخبر رواه أيضاً الأزرقى فى تاريخ مكة ١ : ٢٤ – ٢٥ ، من طريق عبد الرحمن بن عبد الله ، مولى بنى هاشم ، عن حماد – وهو ابن سلمة – عن سماك بن حرب ، عن خالد بن عرعرة .

ورواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٢٩٢ – ٢٩٣، من طريق إسرائيل، عن خالد بن حرب ، عن خالد بن عرعرة . قال : « صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبى .

وذكره السيوطى ١ : ١٢٦ ، ونسبه لهؤلاء ولغيرهم .

إسمعيل يناوله ، فهما أيضاً رفعاها ، لأنّ رفعها كان بهما : منْ أحدهما البناء ، ومن الآخر نقلُ الحجارة إليها ، ومعونةُ وضع الأحجار مواضعها . ولا تمتنع العرب من نسبة البناء إلى من كان بسببه البناء ومَعونته .

وإنما قُلنا ما قلنا من ذلك ، لإجماع جميع أهل التأويل على أنّ إسمعيل معنىٌّ بالخبر الذى أخبر الله عنه وعن أبيه ، أنهما كانا يقولانه ، وذلك قولهما : « ربَّنا تَقبَّل منا إنك أنتَ السميعُ العليم » . فمعلوم أن إسمعيل لم يكن ليقول ذلك، إلاّ وهو : إمّا رُجل كامل ، وإمّا غلام قد فهم مواضع الضَّر من النفع ، ولزمته فرائضُ الله وأحكامه . وإذا كان — فى حال بناء أبيه ما أمَرَه الله ببنائه ورَفعِه قواعدَ بيت الله [1] — كذلك ، فمعلومٌ أنه لم يكن تاركاً معونة أبيه : إمّا على البناء ، وإمّا على نقل الحجارة . وأىُّ ذلك كان منه ، فقد دخل فى مَعنى مَنْ رَفع قواعدَ البيت ، وثبَت أن القول المضمرَ خبرٌ عنه وعن والده إبراهيم عليهما السلام .

* * *

فتأويل الكلام : وإذ يرفع إبراهيمُ القواعدَ من البيت وإسمعيل يَقولان : ربَّنا تَقبلْ منا عملنا، وطاعتنا إياك ، وعبادتَنا لك، فى انتهائنا إلى أمرك الذى أمرتنا به ، فى بناء بيتك الذى أمرتَنا ببنائه ، إنك أنت السميع العليم .

* * *

وفى إخبار الله تعالى ذكره أنهما رَفعا القواعدَ من البيت وهما يقولان: ربَّنا تقبَّل منا إنك أنت السميع العليم — دليلٌ واضحٌ على أن بناءهما ذلك لم يكن مَسكناً يسكنانه ، ولا منزلاً ينزلانه ، بل هو دليل على أنهما بنياه ورفعا قواعده لكل من أراد أن يعبد الله، تقرُّباً منهما إلى الله بذلك. ولذلك قالا : « ربَّنا تَقبل منا » . ولو كانا بَنياه مسكناً لأنفسهم ، لم يكن لقولهما : « تقبَّل منا » وجهٌ مفهوم . لأنه

(١) سياق العبارة : « وإذا كان . . . كذلك » وما بينهما فصل . ويعنى بقوله « كذلك » أنه كان قد فهم الضر والنفع ، ولزمته فرائض الله وأحكامه .

كانا يكونان – لو كان الأمر كذلك – سائلين أن يَتقبَّل منهما ما لا قُربة فيه إليه . وليس موضعهما مَسألة الله قبولَ ما لا قربةَ إليه فيه.[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (١٢٧)

قال أبو جعفر : وتأويل قوله : « إنك أنتَ السميع العليم » ، إنك أنت السميعُ دُعاءنا ومسألتنا إياك قبولَ ما سألناك قبوله منا ، منْ طاعتك فى بناء بَيتك الذى أمرتنا ببنائه – العليمُ بما فى ضمائر نُفوسنا من الإذْعان لك فى الطاعة ، والمصير إلى ما فيه لك الرضا والمحبة ، وما نُبدى ونخفى من أعمالنا ،[2] كما : –

٢٠٦١ – حدثنى القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج ، أخبرنى أبو كثير قال ، حدثنا سعيد بن جبير ، عن ابن عباس: « تَقبَّل منا إنك أنت السميع العليم » ، يقول : تقبَّل منا إنك سميعُ الدُّعاء. ٤٣٣/١

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾

قال أبو جعفر : وهذا أيضاً خبر من الله تعالى ذكره عن إبراهيمَ وإسمعيل : أنهما كانا يرفعان القواعدَ من البيت وهما يقولان: « رَبنا وَاجعلنا مُسلميْن لك » ، يعنيان بذلك : واجعلنا مستسلميْن لأمرك ، خاضعيْن لطاعتك، لا نُشرك معك

(١) يقول : هما من العلم والنبوة بمنزلة وموضع ، فلا يسألان الله قبول عمل ليس من القربات إلى إلى الله .

(٢) قوله : « وما نبدى . . . » معطوف على قوله : « العليم بما فى ضمائر نفوسنا » .

فى الطاعة أحداً سواك ، ولا فى العبادة غيرَك .

* * *

وقد دللنا فيما مضى على أن معنى « الإسلام » : الخضوع لله بالطاعة.[١]

* * *

وأما قوله : « ومِنْ ذُريتنا أمَّة مسلمة لك » ، فإنهما خصَّا بذلك بعضَ الذرية ، لأن الله تعالى ذكره قد كانَ أعلم إبراهيمَ خليلَه صلى الله عليه وسلم قبل مسألته هذه ، أن من ذريته من لا ينال عهده لظلمه وفجوره . فخصَّا بالدّعوة بعضَ ذُريّتهما .

* * *

وقد قيل : إنهما عَنيا بذلك العربَ .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٦٢ — حدثنا موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ومن ذريتنا أمَّة مسلمة لك » ، يعنيان العربَ .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا قول يدلّ ظاهرُ الكتاب على خلافه . لأن ظاهرَه يدلّ على أنهما دَعَوا الله أن يجعلَ من ذرّيّتهما أهل طاعته وَولايته ، والمستجيبين لأمره . وقد كان فى ولد إبراهيم العربُ وغيرُ العرب ، والمستجيبُ لأمر الله والخاضع له بالطاعة ، من الفريقين . فلا وجه لقول من قال : عنى إبراهيمُ بدعائه ذلك فريقاً من ولده بأعيانهم دون غيرهم ، إلاّ التحكم الذى لا يعجز عنه أحدٌ .

* * *

وأما « الأمَّة » فى هذا الموضع ، فإنه يعنى بها الجماعة من الناس ،[٢] من قول الله : ﴿ ومِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالحَقِّ ﴾ [سورة الأعراف : ١٥٩] .[٣]

---

(١) انظر ما سلف ٢ : ٥١٠، ٥١١

(٢) انظر ما سلف ١ : ٢٢١ س : ١٤ .

(٣) جاء فى تفسير ابن كثير ١ : ٣٣٢ ما نصه :

قال ابن جرير : والصواب أنَّه يعمُّ العرب وغيرهم، لأن من ذرية إبراهيم بنى

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة ذلك .[1] فقرأه بعضهم : « وأرنا مناسكنا » ، بمعنى رؤية العين ، أى أظهرها لأعيننا حتى نراها . وذلك قراءةُ عامة أهل الحجاز والكوفة .

إسرائيل، وقد قال الله تعالى : ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾

وهو كما ترى ليس فى أصل الطبرى . فلا أدرى أهو تصرف من ابن كثير ، أم فى أصول الطبرى خرم فى هذا الموضع ، وكلاهما جائز ، ولا أقطع بشىء .

هذا وقد أراد ابن كثير أن يرد ما ذهب إليه الطبرى ، فزعم أن تخصيص السدى أنهم العرب لا ينفى من عداهم ثم قال : « والسياق إنما هو فى العرب ، ولهذا قال بعده : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ الآية ، والمراد بذلك محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد بعث فيهم » .

واعتراض ابن كثير هذا لا يقوم ، واحتجاجه بالسياق هنا لا ينهض . فالدعاء دعاء إبراهيم وإسماعيل معاً ، ولكل منهما ذرية يشملها الدعاء . والسياق هنا سياق الآيات المتتابعة لا سياق آية واحدة . ففى الآيات التى تلى هذه الآية ذكر ملة إبراهيم ، وبيانها : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ . وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ . أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾

وهى آيات متتابعة ، فالتخصيص فيها غير جائز ، مع وضوح الدلالة على أن ذرية إبراهيم من غير إسماعيل ، كانوا على ملة إبراهيم وإسماعيل وإسحق، وهم له مسلمون وهذا دليل على ما ذهبت إليه فى مقدمة الجزء الأول ، من اختصار الطبرى فى تفسيره هذا ، فإنه لو شاء لأفاض واحتج بما احتججت به . وهو دليل أيضاً على أن قراءة الطبرى تحتاج إلى متابعة آية بعد آية ، وأن قراءته مفرقاً توقع فى خطأ فى فهم مراده وحجته . ودليل على أن الطبرى شديد العناية بسياق الآيات وترابطها ، ولكنه ربما أغفل ذكر هذا الترابط مفصلا وحجته فيه ، لأنه قد استوفى ذلك فى مواضع سبقت ، فاختصر المواضع الأخرى ثقة بتتبع قارئه لما أراد . ودليل آخر على أن هذا التفسير لا يزال مجهول المكانة ، على علو مكانته عند أسلافنا غفر الله لنا ولهم .

(١) فى المطبوعة : « القراء » و « قراء » ، ورددتها إلى ما درج عليه الطبرى فى عبارته . والقرأة جمع قارىء ، مثل حافظ وحفظة ، كما سلف مراراً .

وكان بعضُ من يوجّه تأويل ذلك إلى هذا التأويل، يسكّن الراء من « أرْنا »، غيرَ أنه يُشِمُّها كسرة .

• • •

واختلف قائلُ هذه المقالة وقرّأةُ هذه القراءة فى تأويل قوله : « مناسكنا »

فقال بعضهم : هى مَناسك الحج ومَعالمه .

• ذكر من قال ذلك :

٢٠٦٣ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله: « وأرِنا مَناسكنا » فأرَاهما الله مناسكهما : الطوافَ بالبيت ، والسعىَ بين الصفا والمروَة ، والإفاضةَ من عرفات ، والإفاضة من جَمعٍ ، ورَمىَ الجمار ، حتى أكمل الله الدين ــ أو : دينَه .

٢٠٦٤ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « وأرنا مناسكنا »، قال : أرنا نُسكنا وحجَّنا .

٢٠٦٥ ــ حدثنا موسى قال ،حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : لما فرغ إبراهيمُ وإسمعيل من بُنيان البيتِ ، أمرَه الله أن ينادى فقال : ﴿ وأَذِّنْ فِى النَّاسِ بِالحجِّ ﴾ [سورة الحج : ٢٧]، فنادى بين أخشبى مكة :(١) يا أيها الناس ! إن الله يأمركم أن تحجُّوا بيته . قال : فوقرَت فى قلب كل مؤمن ، فأجابه كل منْ سمعه من جَبل أو شجر أو دابة: «لبَّيك لبَّيك» . فأجابوه بالتلبية «لبَّيك اللهم لبَّيك»، وأتاه من أتاه. فأمره الله أن يخرج إلى عرفات، ونعتها [له]،(٢) فخرج . فلما بلغ الشجرة عند العقبة ، استقبله الشيطان ، فرماه بسبع حصَيات

(١) أخشبا مكة : هما الجبلان المطيفان بها ، وهما : « أبو قبيس » و « الأحمر » ، وهو مشرف وجهه على قعيقعان ، والأخشب : كل جبل خشن غليظ ، وفى الحديث : « لا تزول مكة حتى يزول أخشباها » .

(٢) الزيادة بين القوسين ، أظنها أحرى بالصواب .

يكبِّر مع كل حصاة، فطار فوَقع على الجمرة الثانية أيضاً ، فصدَّه ، فرَماه وكبَّر ، فطار فوقع على الجمرة الثالثة، فرماه وكبَّر. فلما رأى أنه لا يُطيقه، ولم يدر إبراهيمُ أينَ يذهب، انطلق حتى أتى « ذا المجاز » ، فلما نظر إليه فلم يعرفه جاز ، فلذلك سُمي : « ذا المجاز » . ثم انطلق حتى وقع بعرفات ، فلما نَظر إليها عَرَف النَّعت. قال : قَدْ عَرَفتُ ! فسمّيت : « عرفات » . فوقف إبراهيم بعرفات ، حتى إذا أمسى ازْدلفَ إلى جَمع ،[1] فسميت « المزدَلفة » ، فوقف بجمع . ثم أقبل حتى أتى الشيطانَ حيثُ لقيه أول مرّة ، فرماه بسبع حَصَيات سبع مرات، ثم أقام بمنى حتى فرغ من الحج وأمره . وذلك قوله : « وأرنا مناسكنا » .[2]

* * *

وقال آخرون — ممن قرأ هذه القراءة — « المناسك » : المذابحُ . فكان تأويل هذه الآية ، على قول من قال ذلك : وأرنا كيف نَنسُك لك يارَبنا نَسائكنا ، فنذبحها لك .[3]

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٦٦ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء : « وأرنا مَناسكنا » ، قال : ذَبْحنا . ٤٣٤/١

٢٠٦٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري ، عن ابن جريج ، عن عطاء قال : مَذابحنا .

٢٠٦٧ م — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٢٠٦٧ م — حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

---

(١) ازدلف إلى الشيء : تقرب إليه ودنا منه . و جمع (بفتح الجيم وسكون الميم) هي «مزدلفة» .
(٢) الأثر : ٢٠٦٥ سيأتي بعضه برقم : ٣٧٩٢ في هذا الجزء .
(٣) نسك ينسك (بضم السين) نسكاً (بسكون السين) ذبح . والنسيكة : الذبيحة .

٢٠٦٧ م – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال عطاء : سمعت عُبيد بن عمير يقول : « وأرنا مَناسكنا » ، قال : أرنا مَذابحنا

• • •

وقرأ آخرون : « وأرْنا مَناسَكنا » بتسكين « الراء » ،[1] وزعموا أن معنى ذلك : وعلِّمنا ، ودُلَّنا عليها – لا أنّ معناه : أرِنَاها بالأبصار . وزعموا أنّ ذلك نظير قول حُطائط بن يَعفر ، أخي الأسود بن يَعفر :[2]

أَرِينِي جَوَاداً مَاتَ هَزْلاً ، لَأَنَّنِي أَرَى مَا تَرَيْنَ ، أَوْ بَخِيلاً مُخَلَّدَا[3]

يعني بقوله : « أرينى » ، دُلَّيني عليه وعرِّفيني مكانه ، ولم يعن به رُؤية العين .

---

(١) كان في المطبوعة : « وقال آخرون » ، واستظهرت من السياق أنها « وقرأ آخرون » ، فلذلك أثبت ما استظهرت ، فسيقول بعد : « وهذه قراءة رويت . . . »

(٢) هما أخوان من بني نهشل بن دارم ، جاهليان ، أمهما رهم بنت العباب .

(٣) الشعر والشعراء : ٢٠١ – ٢٠٢ ، ٢١١ وفيه تحقيق عن اختلاف قديم في نسبته ، ومجاز القرآن : ٥٥ ، والخزانة ١ : ١٩٥ – ١٩٦ وفيهما مراجع كثيرة . روى البيت لحاتم الطائي ، ولمعن بن أوس ، وفي اللسان (أنن) و (علل) عن ابن برى وقال : « حطائط بن يعفر ، ويقال هو لدريد » ، وسيأتي في تفسير الطبري منسوباً لدريد بن الصمة (٧ : ٢١٣ بولاق) مع اختلاف في رواية صدره :

• ذَرِينِي أُطَوِّفْ فِي البِلَادِ لَأَنَّنِي •

ولم أجد هذه الرواية في الكتب التي بين يدي ، وأخشى أن يكون الطبري أو من أنشده البيت – قد وهم . فقول حطائط قبله أو بعده .

ذَرِينِي أَكُنْ لِلْمَالِ رَبًّا ، وَلَا يَكُنْ لِيَ المَالُ رَبًّا ، تَحْمَدِي غِبَّهُ غَدَا
ذَرِينِي فَلَا أَعْيَا بِمَا حَلَّ سَاحَتِي أَسُودُ فَأَكْفِي ، أَوْ أُطِيعُ المُسَوَّدَا

وهو يخاطب بهذه الأبيات أمه رهم بنت العباب ، وكانت تلومه على جوده وإتلافه المال . والهزل (بفتح وسكون) والهزال (بضم فسكون) والهزال : هو نقيض السمن ، مع الضعف والاسترخاء . وقوله : « لأنني » بفتح الهمزة بمعنى : « لعلني » . من قولهم : « أن » بمعنى « عل » ، و « لأن » بمعنى « لعل » ، وأرى أن الهمزة منقلبة عن العين ، والنون منقلبة عن اللام . وهما لغتان من لغات العرب . واجتمعتا في هذا اللفظ .

وهذه قراءة رُويت عن بعض المتقدمين.(١)

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٦٨ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال عطاء : « أرنا مناسكنا » ، أخرجها لنا ، علمناها .

٢٠٦٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن جريج قال ، قال ابن المسيّب ، قال علىّ بن أبى طالب : لما فرغ إبراهيم من بناء البيت قال : « فعلتُ أى ربّ ، فأرِنا مَناسكنا » – أبرزها لنا ، علّمناها – فبعث الله جبريل ، فحجّ به .

* * *

قال أبو جعفر : والقول واحدٌ . فمن كسر « الراء » جعل علامة الجزم سقوط « الياء » التى فى قول القائل : «أرينه» «أرِنه» ،(٢) وأقرّ الراء مكسورة كما كانت قبل الجزم . ومن سكن « الراء » من « أرْنا » ، توهم أنّ إعراب الحرف فى « الراء » ، فسكنها فى الجزم ، كما فعلوا ذلك فى « لم يكُن » و « لم يكُ » .(٣)

وسواء كان ذلك من رُؤية العين أو من رؤية القلب . ولا معنى لفرق من فَرّق بين رؤية العين فى ذلك ورؤية القلب .

* * *

وأمّا « المناسك » فإنها جمع « مَنْسِك » ، وهو الموضع الذى يُنسك لله فيه ، ويتقرّب إليه فيه بما يرضيه من عمل صالح : إمّا بذبْح ذبيحة له ، وإما بصَلاةٍ أو طواف أو سعى ، وغير ذلك من الأعمال الصالحة . ولذلك قيل لمشاعر الحج

---

(١) كان الأجود أن تكون هذه الجملة بعد قوله : « وقرأ آخرون : « وأرنا مناسكنا» بتسكين الراء » . ولكن هكذا وقع فى النسخ .

(٢) هكذا جاء فى المطبوعة « أرينه» ، وأظن صواب هذا الحرف « يرينيه » ، مضارعاً مرفوعاً ، ليستقيم مع قوله : « وأقر الراء مكسورة كما كانت قبل الجزم » .

(٣) ظاهر كلام الطبرى هنا يدل على أن قوله : « لم يك » بتسكين الكاف ، على توهم أن إعراب هذه الكلمة فى الكاف ، فسكنها لما دخل عليها الجازم . ولم أجد هذا القول فى كتاب مما بين يدى من الكتب ، وأخشى أن يكون فى نص الطبرى فى هذا المكان سقط لم أتبينه .

« مناسكه »، لأنها أمارات وعلاماتٌ يعتادها الناس ويتردَّدون إليها.

* * *

وأصل « المَنْسِك » فى كلام العرب : الموضع المعتاد الذى يَعتاده الرجل ويألفه ، يقال : « لفلان مَنْسِك »، وذلك إذا كان له موضع يعتاده لخير أو شر . ولذلك سميت « المناسكُ » « مناسكَ » ، لأنها تُعتاد ، ويُتردد إليها بالحج والعمرة ، وبالأعمال التى يُتقرَّب بها إلى الله .

* * *

وقد قيل إن معنى « النُّسك » : عبادة الله . وأن « الناسك » إنما سمى « ناسكاً » بعبادة ربه .

فتأوَّل قائلو هذه المقالة . قولَه : « وأرنا مناسكنا »، وعلمنا عبادتك، كيف نعبُدك ؟ وأين نَعبدك ؟ وما يرضيك عنا فنفعله ؟

وهذا القول، وإن كان مذهباً يحتمله الكلام، فإن الغالب على معنى « المناسك» ما وصفنا قبل ، من أنها « مناسك الحج » التى ذكرنا معناها .

* * *

وخرج هذا الكلام من قول إبراهيم وإسمعيل على وجه المسألة منهما ربَّهما لأنفسهما. وإنما ذلك منهما مسألةُ ربِّهما لأنفسهما وذرِّيتهما المسلمين . فلما ضمَّا ذريتهما المسلمين إلى أنفسهما، صارا كالمخبرين عن أنفسهما بذلك .[1] وإنما قلنا إنّ ذلك كذلك ، لتقدم الدعاء منهما للمسلمين من ذريتهما قبلُ فى أول الآية ، وتأخره بعدُ فى الآية الأخرى. فأما الذى فى أول الآية فقولهما : « ربنا واجعلنا مُسلمين لك ومن ذُريتنا أمةً مسلمةً لك» ، ثم جمعا أنفسهما والأمةَ المسلمةَ من ذُريتهما، فى مسألتهما ربَّهما أن يُريهم مَناسكهُم فقالا : « وأرِنا مناسكنا » . وأما التى فى الآية التى بعدها : « ربَّنا وابعثْ فيهمْ رَسولاً منهم » ، فجعلا المسألة لذريتهما خاصة .

---

(١) فى المطبوعة : « عن أنفسهم بذلك » ، والصواب ما أثبت .

وقد ذُكر أنها فى قراءة ابن مسعود : « وأرِهِمْ مناسكهُم » ، يعنى بذلك وأرِ ذريتنا المسلمةَ مَناسكهم .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (١٢٨)

قال أبو جعفر : أمّا « التوبة » ، فأصلها الأوْبة من مكروه إلى محبوب . ٤٣٥/١ فتوبةُ العبد إلى ربه ، أوبته مما يكرهه الله منه ، بالندم عليه ، والإقلاع عنه ، والعزم على ترك العوْد فيه . وتوبة الرب على عبده : عودُه عليه بالعفو له عن جُرمه ، والصفح له عن عُقوبة ذنبه ، مغفرةً له منه ، وتفضلا عليه .(١)

* * *

فإن قال لنا قائل : وهلْ كان لهما ذُنوبٌ فاحتاجا إلى مسألة ربهما التوبة ؟

قيل : إنه ليس أحدٌ من خلق الله ، إلاّ وله من العمل — فيما بينه وبين ربه — ما يجب عليه الإنابةُ منه والتوبةُ . فجائزٌ أن يكون ما كان من قِيلهما ما قالا من ذلك ، إنما خَصّا به الحال التى كانا عليها ،(٢) من رفع قواعد البيت . لأنّ ذلك كان أحرى الأماكن أن يستجيبَ الله فيها دُعاءهما ، وليجعلا مَا فعلا من ذلك سُنة يُقتدى بها بعدهما ، وتتخذ الناسُ تلك البقعة بعدهما موضع تَنصُّل من الذنوب إلى الله . وجائز أن يكونا عَنَيا بقولهما : « وتُبْ علينا » ، وتُبْ على الظلمة من أولادنا وذريتنا — الذين أعلمتنا أمرهم — من ظُلمهم وشركهم ، حتى يُنيبوا إلى طاعتك . فيكون ظاهرُ الكلام على الدعاء لأنفسهما ، والمعنىُّ به ذريتهما . كما

---

(١) انظر معنى « التوبة » فيما سلف ١ : ٢/٥٤٧ : ٧٢ — ٧٣ .

(٢) فى المطبوعة : « ما كان من قبلهما ما قالا من ذلك ، وإنما خصا . . » ، وهو كلام فاسد والصواب ما أثبت . بجعل « قبلهما » « قيلهما » ، أى قولها . وبحذف الواو من : « وإنما » .

يقال : « أكرمني فلان في ولدي وأهلي ، وبرّني فلان » ، إذا برّ ولده .

* * *

وأما قوله : « إنك أنتَ التوّاب الرحيم » ، فإنه يعني به : إنك أنت العائد على عبادك بالفضل ، والمتفضل عليهم بالعفو والغفران — الرحيمُ بهم ، المستنقذُ من تشاء منهم برحمتك من هَلكته ، المنجي من تريد نَجاته منهم برأفتك من سَخَطك .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ ﴾

قال أبو جعفر : وهذه دعوة إبراهيم وإسمعيل لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم خاصة ، وهي الدعوة التي كان نبينا صلى الله عليه وسلم يَقول : أنا دَعوَة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى : —

٢٠٧٠ — حدثنا بذلك ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن ثور بن يزيد ، عن خالد بن مَعدان الكلاعيّ : أن نفرًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : يا رسولَ الله ، أخبرنا عن نفسك . قال : نعم ، أنا دعوةُ أبي إبراهيم ، وبُشرى عيسى ، صلى الله عليهم وسلم .[1]

---

(١) الحديث : ٢٠٧٠ — ثور بن يزيد الكلاعي الحمصي . ثقة من أثبت الرواة . مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري ١/٢/١٨٠ — ١٨١ ، وابن أبي حاتم ١/١/٤٦٨ — ٤٦٩ .

خالد بن معدان الكلاعي الحمصي : تابعي ثقة ثبت ، مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري ٢/١/ ١٦١ — ١٦٢ ، وابن سعد ٧/٢/١٦٢ ، وابن أبي حاتم ١/٢/٣٥١ .

وهذا الإسناد مرسل ، لأن خالد بن معدان لم يذكر أنه عن أحد من الصحابة . وكذلك هو في سيرة ابن هشام ، (ص ١٠٦ — ١٠٧ طبعة أوربة ، ١ : ١٧٥ طبعة الحلبي) . في قصة مطولة . وكذلك رواه الطبري في التاريخ ٢ : ١٣٠ ، بهذا الإسناد ، مطولا أيضاً ، مرسلا .

ولكنه ثبت موصولا ، من رواية ابن إسحق أيضاً : فرواه الحاكم في المستدرك ٢ : ٦٠٠ ، من طريق يونس بن بكير ، عن ابن إسحق ، قال : « حدثني ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان ، عن

٢٠٧١ – حدثني عمران بن بكار الكلاعي قال، حدثنا أبو اليمان قال، حدثنا أبو كريب، عن ابن أبي مَرْيم، عن سعيد بن سُويد، عن العِرْباض بن سَارية السلمي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنّي عند الله في أمّ الكتاب، خاتم النبيين، وإنّ آدم لمنجدلٌ في طينته. وسوفَ أنبئكم بتأويل ذلك: أنا دعوةَ أبي إبراهيم، وبشارةُ عيسى قومَه، ورؤيا أمّي.(١)

٢٠٧٢ – حدثني يونس بن عبد الأعلى قال، حدثنا ابن وهب قال، أخبرني معاوية –، وحدثني عبيد بن آدم بن أبي إياس العسقلاني قال، حدثني أبي قال، حدثنا

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنهم قالوا: يا رسول الله أخبرنا عن نفسك؟» . . . فذكر الحديث مختصراً، بنحو مما هنا. ثم قال الحاكم: «خالد بن معدان: من خيار التابعين، صحب معاذ بن جبل، فمن بعده من الصحابة. فإذا أسند حديثا إلى الصحابة، فإنه صحيح الإسناد، وإن لم يخرجاه». ووافقه الذهبي على تصحيحه.

(١) الحديث: ٢٠٧١ – عمران بن بكار الكلاعي: ثقة، من شيوخ النسائي، ووثقه هو وغيره. مترجم في التهذيب، وابن أبي حاتم ٣/١/٢٩٤، وذكر أنه سمع منه. وقد مضت رواية الطبري عنه: ١٤٩ ولم نترجمه هناك. ووقع في التهذيب أنه مات «سنة إحدى وسبعين ومئة»! وهو خطأ ناسخ أو طابع، لا يعقل ذلك وأن يسمع منه النسائي والطبري وهذه الطبقة. وصحته: سنة ٢٧١.

أبو اليمان: هو الحكم بن نافع الحمصي، وهو ثقة من شيوخ أحمد بن حنبل والبخاري. مترجم في التهذيب، والكبير ١/٢/٣٤٢، وابن أبي حاتم ١/٢/١٢٩، وقال: «وهو نبيل ثقة صدوق».

أما قوله «حدثنا أبو كريب» – هنا: فإنه خطأ يقيناً من الناسخين. فإن «أبا كريب محمد بن العلاء» – وقد مضت ترجمته: ١٢٩١ – متأخر عن أبي اليمان. هذه واحدة، وأخرى، أن أبا اليمان روى هذا الحديث عن ابن أبي مريم، كما سيأتي. فإما أنه ذكر خطأ من الناسخ، وإما أن يكون صوابه «وأبو كريب، قالا: حدثنا». فيكون عمران بن بكار رواه عن شيخين.

ابن أبي مريم: هو «أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني الشامي»، وهو ضعيف، من قبل سوء حفظه وتغيره، كما بينا في شرح المسند: ١٤٦٤، ٦١٦٥. ووقع هنا في المطبوعة «عن أبي مريم» بحذف «ابن». وهو خطأ واضح. ثم إن ضعف «ابن أبي مريم» من قبل حفظه، قد جبر في هذا الحديث، بأن رواه غيره. ولكنه أخطأ فيه بحذف التابعي من إسناده.

سعيد بن سويد الكلبي الشامي: وهو تابعي ثقة، سمع من بعض الصحابة ولقيهم. ولكن ابن حبان ذكره في الثقات (ص: ٤٧٥) في أتباع التابعين. ترجمه الحافظ في التعجيل: ١٥٢، وأشار إلى هذا الحديث، ونقل أن البخاري قال: «لم يصح حديثه». وما أدري أين قاله البخاري، فإنه لم يترجمه في الصغير، ولم يذكره في الضعفاء. وترجمه في الكبير ٢/١/٤٣٦، ولم يذكر فيه جرحاً. وكذلك ترجمه ابن أبي حاتم ٢/١/٢٩، ولم يذكر فيه جرحاً أيضاً. وإنما اختلف عنه الراويان – في هذا الإسناد والإسنادين بعده: أهو «عن العرباض»، أم بينهما تابعي آخر؟ فأخطأ ابن أبي مريم في حذف التابعي بين سعيد والعرباض. كما سيأتي، إن شاء الله.

الليث بن سعد ، عن معاوية بن صالح – قالا جميعاً ، عن سعيد بن سويد ، عن عبد الله بن هلال السلمى ، عن عِرْباض بن سَارية السلمى ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه .(١)

٢٠٧٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنا معاوية ، عن سعيد بن سويد، عن عبد الأعلى بن هلال السلمى ، عن عرْباض بن سارية: أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، فذكر نحوه .(٢)

* * *

---

(١) الحديث : ٢٠٧٢ – وهذا إسناد آخر للحديث قبله ، بل إسنادان : فرواه الطبرى عن يونس ابن عبد الأعلى، عن ابن وهب ، ثم رواه عن عبيد بن آدم العسقلانى ، عن أبيه ، عن الليث بن سعد – وابن وهب والليث روياه عن معاوية بن صالح .

وأولها واضح . و « عبيد بن آدم بن أبي إياس العسقلانى » – فى ثانيهما : ثقة ، روى عنه أيضاً أبو زرعة وأبو حاتم ، والنسائى ، وغيرهم . مترجم فى التهذيب ، وابن أبي حاتم ٤٠٢/٢/٢ . وأبوه « آدم بن أبي إياس » . مضت ترجمته: ١٨٧ . والليث بن سعد : إمام معروف . ومعاوية بن صالح : مضت ترجمته : ١٨٧ أيضاً .

(٢) الحديث : ٢٠٧٣ – وهذا إسناد آخر للحديث السابق . و « أبو صالح » : هو عبد الله بن صالح ، كاتب الليث بن سعد . مضت ترجمته : ١٨٦ . عبد الأعلى بن هلال السلمى : هكذا اختلف فى اسمه على معاوية بن صالح ، فى الإسناد السابق وهذا الإسناد : فهنالك « عبد الله بن هلال » ، وهنا « عبد الأعلى بن هلال » . وأنا أرجح أنه « عبد الأعلى » لما سيأتى من الدلائل ، إن شاء الله .

وهذا التابعى قصر الحافظ فلم يترجم له فى التعجيل فى واحد من الاسمين ، مع أنه من رجال مسند أحمد ، ومع أن سلفه الحافظ الحسينى ترجم له فى الإكمال، ص : ٦٤، قال : « عبد الله بن هلال السلمى، ويقال : عبد الأعلى ، شامى . روى عن العرباض بن سارية ، وأبي أمامة الباهلى . وعنه سويد بن سعيد الكلبى . مجهول » ! وما كان الرجل مجهولا قط ! وهو مترجم عند ابن أبي حاتم ٢٥/١/٣ باسم « عبد الأعلى »، وكذلك ذكره ابن حبان فى الثقات، ص: ٢٦٧، وذكر له هذا الحديث ، عن العرباض ابن سارية . وكذلك ذكره البخارى فى الكبير ، فى ترجمة « سعيد بن سويد » باسم « عبد الأعلى بن هلال » . وكذلك صنع ابن أبي حاتم وابن حبان .

وأيضاً فإن الرواة عن الليث بن سعد اختلفوا عليه كذلك . ففى روايتى أحمد وابن سعد ، من طريق الليث : « عبد الأعلى بن هلال » ، كما سنذكر .

بل إن عبد الأعلى هذا له ذكر فى حديث آخر فى المسند (٥ : ٢٦١ حلبى) فى مسند أبي أمامة الباهلى ، فروى الإمام أحمد بإسناده إلى خالد بن معدان ، قال : « حضرنا صنيعاً لعبد الأعلى بن هلال ، فلما فرغنا من الطعام قام أبو أمامة فقال : . . . » ، إلخ .

وبالذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٧٤ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم » ، ففعل الله ذلك ، فبعث فيهم رسولاً من أنفسهم يَعرفون وجهه ونَسبه ، يخرجهم من الظلمات إلى النور ، ويهديهم إلى صراط العزيز الحميد .

وأياً ما كان فهذه الأسانيد صحاح ، على الرغم من هذا الاختلاف . وكثيراً ما يكون مثل هذا ، ولا أثر له فى صحة الحديث .

والحديث – من رواية أبى بكر بن أبى مريم : ٢٠٧١ – رواه أيضاً أحمد فى المسند : ١٧٢٣٠ (ج ٤ ص ١٢٨ حلبى) ، عن أبى اليمان الحكم بن نافع ، عن أبى بكر ، عن سعيد بن سويد ، عن العرباض ، بنحوه . وآخره عنده : « ورؤيا أمى التى رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام ، وكذلك ترى أمهات النبيين ، صلوات الله عليهم » .

وبنحو ذلك – وشىء من الاختصار – رواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٦٠٠ ، من طريق أبى اليمان ، عن ابن أبى مريم . وصححه هو والذهبى .

ورواه أيضاً الإمام أحمد : ١٧٢١٧ (ج ٤ ص ١٢٧ حلبى) ، عن عبد الرحمن بن مهدى ، عن معاوية بن صالح ، عن سعيد بن سويد ، عن « عبد الله بن هلال السلمى » ، عن عرباض بن سارية ، نحوه . فعبد الرحمن بن مهدى ، سمى التابعى « عبد الله » – كما صنع ابن وهب وآدم بن أبى إياس ، هنا فى روايتهما عن الليث .

ورواه أيضاً الإمام أحمد : ١٧٢١٨ ، وابن سعد فى الطبقات ١/١/٩٥ – ٩٦ ، كلاهما عن أبى العلاء الحسن بن سوار الخراسانى ، عن الليث بن سعد ، عن معاوية بن صالح ، عن سعيد بن سويد ، عن « عبد الأعلى بن هلال السلمى » ، عن العرباض .

وقد ذكر الهيثمى هذا الحديث فى مجمع الزوائد ٨ : ٢٢٣ ، بألفاظ عن العرباض . ثم قال : « رواه أحمد بأسانيد ، والبزار ، والطبرانى بنحوه . . . وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح ، غير سعيد بن سويد ، وقد وثقه ابن حبان » .

وهو أيضاً عند السيوطى ١ : ١٣٩ ، ونسبه – زيادة على ما ذكرنا – لابن أبى حاتم ، وابن مردويه ، والبيهقى فى الدلائل .

وبعد : فإن للحديث شاهداً آخر ، يصلح للاستشهاد ، مع ضعف فى إسناده :

فروى أبو داود الطيالسى فى مسنده : ١١٤٠ ، عن الفرج بن فضالة ، عن لقمان بن عامر ، عن أبى أمامة الباهلى ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، نحو هذا الحديث .

وكذلك رواه الإمام أحمد فى المسند (٥ : ٢٦٢ حلبى) ، عن أبى النضر هاشم بن القاسم ، عن الفرج بن فضالة . بهذا الإسناد . والفرج بن فضالة : ضعيف ، كما قلنا فى : ١٦٨٨ .

وذكره السيوطى ١ : ١٣٩ ، ونسبه أيضا للطبرانى ، وابن مردويه ، والبيهقى .

٢٠٧٥ ــ حدثنا موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « رَبّنا وابعثْ فيهم رسولاً منهم » ، هو محمد صلى الله عليه وسلم .

٢٠٧٦ ــ حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « ربنا وابعثْ فيهم رسولاً منهم » ، هو محمد صلى الله عليه وسلم ، فقيل له : قد استُجيب ذلك ، وهو فى آخر الزمان .

* * *

قال أبو جعفر : ويعنى تعالى ذكره بقوله : « يتلو عليهم آياتك » : يقرأ عليهم كتابك الذى تُوحيه إليه .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾

قال أبو جعفر : ويعنى بـ « الكتاب » : القرآن .

وقد بينت فيما مضى لم سُمّى القرآن « كتاباً » ، وما تأويله .(٢) وهو قول جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٤٣٦/١ ٢٠٧٧ ــ حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « ويُعلمهم الكتاب » ، القرآن .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى معنى « الحكمة » التى ذكرها الله فى هذا الموضع .

فقال بعضهم : هى السُّنة .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) انظر معانى « تلا » فيما سلف ٢ : ٤٠٩ ــ ٤١١ ، ٥٦٩

(٢) انظر ما سلف ١ : ٩٧ ، ٩٩ .

٢٠٧٨ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « والحكمة » ، أى السُّنة .

* * *

وقال بعضهم : « الحكمة » ، هى المعرفة بالدين والفقه فيه .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٧٩ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال : قلت لمالك : ما الحكمة ؟ قال : المعرفةُ بالدين ، والفقهُ فى الدين ، والاتِّباعُ له .

٢٠٨٠ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « والحكمة » ، قال : « الحكمة » ، الدين الذى لا يعرفونه إلا به صلى الله عليه وسلم ، يعلمهم إيّاها . قال : و « الحكمة » ، العقلُ فى الدّين وقرأ ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيراً ﴾ [سورة البقرة : ٢٦٩] ، وقال لعيسى ، ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ ﴾ [سورة آل عمران : ٤٨] ، قال : وقرأ ابن زيد : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا ﴾ [سورة الأعراف : ١٧٥] ، قال : لم ينتفع بالآيات ، حيث لم تكن معها حكمةٌ . قال : « والحكمة » شىء يجعله الله فى القلب ، ينوِّر له به .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول عندنا فى « الحكمة » أنها العلمُ بأحكام الله التى لا يُدرك علمها إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم ، والمعرفة بها ، ومادلّ عليه ذلك من نظائره . وهو عندى مأخوذ من « الحُكْم » الذى بمعنى الفصْل بين الحق والباطل ، بمنزلة « الجِلسة والقِعدة » من « الجلوس والقعود » ، يقال منه : « إنّ فلاناً لحكيمٌ يبيِّنُ الحكمة » ، يعنى به : إنه لبيِّن الإصابة فى القول والفعل .

وإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الآية : ربّنا وابعثْ فيهم رسولاً منهم يَتلو

عليهم آياتك ، ويعلمهم كتابك الذى تنزّله عليهم ، وفصْلَ قضائك وأحكامك التى تُعلّمه إياها .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾

قال أبو جعفر : قد دللنا فيما مضى قبل على أن معنى « التزكية » : التطهير ، وأن معنى « الزكاة » ، النماء والزيادة .(١)

فمعنى قوله : « ويُزكيهم » فى هذا الموضع : ويطهرهم من الشرك بالله وعبادة الأوثان ، ويُنمّيهم ويكثرهم بطاعة الله ، كما : —

٢٠٨١ — حدثنى المثنى بن إبراهيم قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « يتلو عليهم آياتك ويزكيهم » ، قال : يعنى بالزكاة ، طاعةَ الله والإخلاص .

٢٠٨٢ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج قال ، قال ابن جريج قوله : « ويزكيهم »، قال : يطهّرهم من الشرك، ويخلّصهم منه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (١٢٩)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : إنك يارَبّ أنت «العزيز» القوىّ الذى لا يُعجزه شىء أراده، فافعل بنا وبذريتنا ما سألناه وطلبناه منك؛ و «الحكيم» الذى لا يدخل تدبيره خَللٌ ولا زَللٌ ، فأعطنا ما ينفعنا وينفعُ ذريتنا، ولا ينقُصك ولا ينقُص خزائنك .

* * *

(١) انظر ما سلف ١ : ٥٧٣ — ٥٧٤ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِيمَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وَمَنْ يرغبُ عَنْ ملة إبراهيم » ، وأىُّ الناس يَزهد فى ملة إبراهيم ، ويَتركها رغبةً عنها إلى غيرها ؟[1]

* * *

وإنما عنى الله بذلك اليهودَ والنصارى ، لاختيارهم ما اختاروا من اليهودية والنصرانية على الإسلام . لأن « ملة إبراهيم » هى الحنيفية المسلمة ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ﴾ [سورة آل عمران : ٦٧]، فقال تعالى ذكره لهم : وَمَنْ يَزْهدُ عن ملة إبراهيمَ الحنيفيةِ المسلمةِ إلاّ مَن سَفه نفسه ، كما : —

٢٠٨٣ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وَمَنْ يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سَفه نفسه » ، رغب عن ملته اليهودُ والنصارى ، واتخذوا اليهودية والنصرانية ، بدعةً ليست من الله ، وتركوا ملة إبراهيم — يعنى الإسلام — حنيفاً ؛ كذلك بعثَ الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بملة إبراهيم .

٢٠٨٤ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « ومن يَرغبُ عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه » ، قال : رغبت اليهودُ والنصارى عن ملة إبراهيم ، وابتدعوا اليهودية والنصرانية ، وليستْ من الله ، وتركوا ملة إبراهيم : الإسلامَ .

* * *

---

(١) سيأتى تفسير « الملة » بعد صفحات ص : ١٠٤

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ إلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « إلاّ مَن سفه نفسه » ، إلا من سَفِهتْ نفسُه . وقد بينا فيما مضى أنّ معنى « السفه » ، الجهل .(١)

فمعنى الكلام : وَما يرغبُ عن مَلة إبراهيم الحنيفية ، إلاّ سفيهٌ جاهلٌ بموضع حَظّ نفسه فيما ينفعها ، ويضرها فى معادها ، كما : — ٤٣٧/١

٢٠٨٥ — حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : «إلا من سفه نفسه » ، قال : إلا من أخطأ حظَّه .

* * *

وإنما نَصَب « النفس » على معنى المفسِّر . وذلك أنّ « السفه » فى الأصل للنفس ، فلما نقل إلى «مَنْ » ، نُصبت «النفس» ، بمعنى التفسير .(٢) كما يقال : « هو أوسعكم داراً » ، فتدخل « الدار » فى الكلام على أن السعة فيها ، لا فى الرجل . فكذلك « النفس » أدخلت لأن السفه للنفس ، لا لـ « مَنْ » . ولذلك لم يجز أن يقال : سفه أخوك . وإنما جاز أن يفسر بالنفس ، وهى مضافة إلى معرفة ، لأنها فى تأويل نكرة .(٣)

* * *

وقال بعض نحويى البصرة : إنّ قوله : « سفه نفسه » جرت مجرى « سَفِه » إذا كان الفعل غير متعدّ ، وإنما عدّاه إلى « نفسه » و « رأيه » وأشباه ذلك مما هو فى المعنى نحو « سفه » ، إذاهو لم يتعد . فأما « غَبِن » و « خسِر » فقد يتعدى إلى غيره ، يقال : « غَبِنَ خَمسين ، وَخسِرَ خَمسين » .

* * *

(١) انظر ما سلف ١ : ٢٩٣ — ٢٩٥

(٢) التفسير والمفسر : يعنى التمييز ، ويقال له أيضاً « التبيين » .

(٣) انظر بيان ذلك فى معانى القرآن للفراء ١ : ٧٩ ، واللسان (سفه) .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وَلقد اصطفيناه فى الدنيا »، ولقد اصطفينا إبراهيمَ . و « الهاء » التى فى قوله : « اصطفيناه »، من ذكر إبراهيم .

* * *

و « الاصطفاء » « الافتعال » من « الصفوة »، وكذلك « اصطفينا » « افتعلنا » منه ، صُيِّرت تاؤها طاءً لقرب مخرجها من مخرج الصاد .

ويعنى بقوله : « اصطفيناه »: اخترناه واجتبيناه للخُلَّة،[1] ونصيِّره فى الدنيا لمنْ بَعدَه إماماً .

* * *

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن أنّ مَنْ خالف إبراهيم فيما سَنّ لمن بعده ، فهو لله مخالفٌ ، وإعلامٌ منه خلقَه أنّ من خالف ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، فهو لإبراهيم مخالفٌ . وذلك أن الله تعالى ذكره أخبرَ أنه اصطفاه لخُلّته ، وَجعله للناس إماماً، وأخبر أنّ دينه كانَ الحنيفيّة المسلمة . فى ذلك أوضحُ البيان من الله تعالى ذكره عن أنّ من خالفه فهو لله عدوّ ، لمخالفته الإمامَ الذى نَصَبه الله لعباده .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (١٣٠)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وإنه فى الآخرة لمنَ الصالحين » ، وإن إبراهيم فى الدار الآخرة لمن الصالحين .

* * *

و « الصالح » من بنى آدم: هو المؤدى حقوق الله عليه .

---

(١) الخلة (بضم فتشديد) : الصداقة والمحبة . والخليل : الصديق الحبيب . وهى هنا منزلة من منازل محبة الله لبعض عباده الذين اصطفاهم وأحبهم .

فأخبر تعالى ذكره عنْ إبراهيمَ خليله ، أنه فى الدنيا صَفِىٌّ ، وفى الآخرة ولِىّ ، وأنه واردٌ موارِدَ أوليائه الموفِّين بعهده .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١٣١)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « إذ قال له ربه أسلم » ، إذ قال له ربه : أخلصْ لى العبادةَ ،واخضع لى بالطاعة . وقد دللنا فيما مضى على معنى « الإسلام » فى كلام العرب ، فأغنى عن إعادته .(١)

* * *

وأما معنى قوله : « قالَ أسلمتُ لربِّ العالمين » ، فإنه يعنى تعالى ذكره ، قال إبراهيمُ مجيباً لربه : خضعتُ بالطاعة ، وأخلصت العبادة ، لمالك جميع الخلائق ومدبِّرها دون غيره .

* * *

فإن قال قائل : قد علمتَ أنّ « إذْ » وقتٌ ، فما الذى وُقِّت به ؟ وما الذى هو له صلة .(٢)

قيل : هو صلة لقوله : « ولقد اصطفيناهُ فى الدنيا » . وتأويل الكلام : ولقد اصطفيناهُ فى الدنيا ، حين قال له ربه : أسلم . قال : أسلمتُ لرب العالمين . وإنما معنى الكلام : ولقد اصطفيناه فى الدنيا حين قلنا له : أسلم . قال : أسلمت لرب العالمين . فأظهر اسم « الله » فى قوله : « إذ قال له ربه أسلم » ، على وجه الخبر

---

(١) انظر ما سلف ٢ : ٥١٠ ، ٥١١ ، وهذا الجزء ٣ : ٧٤

(٢) فى المطبوعة : « وما الذى صلته » . والصواب ما أثبت .

عن غائب ، وقد جرى ذكرُه قبلُ على وجه الخبر عن نفسه ، كما قال خُفاف ابن ندبة :

أَقُولُ لَهُ — والرُّمْحُ يَأْطِرُ مَتْنَهُ : تَأَمَّلْ خُفَافًا إِنَّنِي أَنَا ذَٰلِكَا[1]

* * *

فإن قال لنا قائل : وهل دعا الله إبراهيمَ إلى الإسلام ؟

قيل له : نعم ، قد دعاه إليه .

فإن قال : وفى أى حال دعاه إليه ؟

قيل حين قال : ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ۝ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة الأنعام : ٧٨، ٧٩]، وذلك هو الوقتُ الذى قال له ربه : أسلمْ — من بعد ما امتحنه بالكواكب والقمر والشمس .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « ووصَّى بها » ، ووصى بهذه الكلمة . عَنى بـ «الكلمة» قولَه[3] : « أسلمتُ لربِّ العالمين » ، وهى « الإسلام » ٤٣٨/١

(١) سلف تخريج هذا البيت فى ١ : ٢٢٧/ ٢ : ٣٠٤ .
(٢) قرأ الآيات من سورة الأنعام : ٧٤ — ٧٨ .
(٣) فى المطبوعة : « أعنى بالكلمة » ، وهو خطأ محض .

الذى أمر به نبيه صلى الله عليه وسلم، وهو إخلاص العبادة والتوحيد لله ، وخضوع القلب والجوارح له .[1]

* * *

ويعنى بقوله : « ووصى بها إبراهيمُ بَنيه » ، عهد إليهم بذلك وأمرهم به .

* * *

وأما قوله : « ويعقوب » ، فإنه يعنى : ووصى بذلك أيضاً يعقوبُ بَنيه ، كما :—

٢٠٨٦ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله :«ووصى بها إبراهيمُ بنيه ويعقوبُ » ، يقول : ووصى بها يعقوبُ بنيه بعد إبراهيم .

٢٠٨٧ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « ووصى بها إبراهيم بَنيه »، وصّاهم بالإسلام ، ووصّى يعقوبُ بمثل ذلك .

* * *

قال أبو جعفر : وقال بعضهم قوله : « ووصى بها إبراهيمُ بَنيه » ، خبرٌ مُنقضٍ . وقوله : « ويعقوب»خبرٌ مبتدأ . فإنه قال : « ووصى بها إبراهيم بَنيه » . بأن يقولوا : أسلمنا لربّ العالمين — ووصى يعقوب بنيه : أنْ « يا بنى إنّ اللهَ اصطفَى لكمُ الدين فلا تموتُن إلاّ وأنتم مسلمون » .

ولا معنى لقول من قال ذلك . لأن الذى أوصَى به يعقوب بنيه ، نظيرُ الذى أوصَى به إبراهيم بَنيه : من الحثّ على طاعة الله ، والخضوع له ، والإسلام .

* * *

فإن قال قائل : فإن كان الأمرُ على ما وصفتَ : من أنّ معناه : ووصّى بها إبراهيم بنيه ويعقوبُ : أنْ «يا بنى » — فما بالُ « أن » محذوفةً من الكلام ؟

قيل : لأن الوصية قولٌ ، فحملت على معناها . وذلك أنّ ذلك لو جاء بلفظ

---

(١) انظر تفسير « الإسلام » قبل ٢ : ٥١٠، ٥١١، وهذا الجزء ٣ : ٧٤ ، ٩٢

القول، لم تحسن معه « أنْ » ، وإنما كان يقال : وقال إبراهيم لبنيه ويعقوبُ : «يا بَنِى» . فلما كانت الوَصية قولاً ، حملت على مَعناها دون لفظها ،[1] فحذفت « أنْ » التى تحسنُ معها ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ يُوصِيكُمُ اللهُ فِى أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ ﴾ [سورة النساء : ١١] ، وكما قال الشاعر :

إنِّى سَأُبْدِى لَكَ فِيمَا أُبْدِى لِى شَجَنَانِ شَجَنٌ بِنَجْدِ
وَشَجَنٌ لِى بِبِلَادِ السِّنْدِ[2]

فحذفت « أنْ » ، إذ كان الإبداءُ باللسان فى المعنى قولاً ، فحمله على معناه دون لفظه .[3]

* * *

وقد قال بعض أهل العربية إنما حذفت « أنْ » من قوله : « ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوبُ » ، اكتفاءً بالنداء — يعنى بالنداء قوله : « يابنى » وزعم أنّ عِلّته فى ذلك أنّ من شأن العرب الاكتفاءُ بالأدوات عن « أن » ، كقولهم : « ناديتُ هل قمت؟ — وناديتُ أين زيد ؟ » . قال : وربما أدخلوها مع الأدوات . فقالوا : « ناديت ، أنْ هلْ قُمت ؟ » .

* * *

(١) فى المطبوعة : « على معناها دون قولها » ، وهو خطأ صوابه ما أثبت .

(٢) معانى القرآن للفراء ١ : ٨٠ ، ١٨٠ ، ولسان العرب (شجن) . وقوله « شجن » الشجن : هوى النفس ، والحاجة . وهو مجاز من « الشجن » الذى هو الحزن والهم . وكنوا به عن المرأة المحبوبة التى تشغل القلب بالهم والحزن ، من فراق أو دلال أو تجن ، يقول مسلم بن الوليد الأنصارى :

وسِرْبٍ من الأَشْجانِ يُطْوَى لَهُ الحشَا عَلَى شَرَقٍ ، مَنْ يَلْقَهُ يَتَبَلَّدِ

يعنى نساء ، وقال أيضاً :

أَطَالَ عُمْرِى ، أَمْ مُدَّ فى أَجَلِى ، أَمْ لَيْسَ فِى الظَّاعِنِينَ لِى شَجَنُ ؟

أى امرأة أحبها ، وهوى يحزننى فراقه وبعده ؟

(٣) انظر تفصيل هذا فى معانى القرآن للفراء ١ : ٨٠ - ٨١ .

وقد قرأ جماعة من القرأة : « وأوْصى بها إبراهيم » ، بمعنى : عَهِد.

وأما من قرأ « ووصَّى » مشددة ، فإنه يعنى بذلك أنه عهدَ إليهم عهداً بعد عهد ، وأوصى وصيةً بعد وَصية .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « إنّ الله اصطفى لكم الدين » ، إنّ الله اختارَ لكم هذا الدين الذى عَهد إليكم فيه ، واجتباه لكم . (١)

* * *

وإنما أدخل « الألف واللام » فى «الدين » ، لأن الذين خوطبوا من ولدهما وبنيهما بذلك ، كانوا قد عرفوه بوصيَّتهما إياهم به ، وَعهدهما إليهم فيه ، ثم قالا لهم — بعد أن عرّفاهموه — : إنّ الله اصطفىَ لكم هذا الدين الذى قد عَهِد إليكم فيه ، فاتقوا الله أنْ تموتوا إلاّ وأنتم عليه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (١٣٢)

قال أبو جعفر : إن قال لنا قائل: أوَ إلىَ بنى آدمَ الموتُ والحياةُ ، فيُنهى أحدُهم أن يموت إلاّ على حالة دون حالة ؟

قيل له : إن معنى ذلك على غير الوجه الذى ظننتَ . وإنما معنى (٢) : «فلاَ تموتن إلاّ وأنتم مسلمون » ، أى : فلا تفارقوا هذا الدين — وهو الإسلام — أيام حياتكم . وذلك أنّ أحداً لا يدرى مَتى تأتيه منيَّتُه ، فلذلك قالا لهم : « فلا تموتُن إلاّ وأنتم

---

(١) انظر معنى « الاصطفاء » فيما سلف قريباً : ٩١

(٢) فى المطبوعة : « وإنما معناه » ، والصواب ما أثبت .

مسلمون » ، لأنكم لا تدرون متى تأتيكم مَناياكم من ليل أو نهار ، فلا تفارقوا الإسلام ، فتأتيكم منايَاكم وأنتم على غير الدين الذى اصطفاه لكم ربّكم ، فتموتوا وربُّكم ساخط عليكم ، فتهلكوا .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « أمْ كنتم شُهداء » ، أكنتم . ولكنه استفهم بـ « أم » ، إذ كان استفهاماً مستأنَفاً على كلام قد سبقه ، كما قيل : ﴿ أَلٓمٓ • تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ • أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ [سورة السجدة : ١ – ٣] ، وكذلك تفعل العرب فى كل استفهام ابتدأته بعد كلام قد سبقه ، تستفهم فيه بـ « أم » .(١)

* * *

« والشهداء جمع « شهيد » ، كما « الشركاء » جمع « شريك » و « الخصماء » جمع « خَصيم » .(٢) ١/٤٣٩

* * *

قال أبو جعفر وتأويل الكلام : أكنتم – يا معشرَ اليهود والنصارى ، المكذّبين بمحمد صلى الله عليه وسلم ، الجاحدين نبوّته – حُضورَ يعقوبَ وشهودَه إذ حضره الموتُ . أى إنكم لم تحضروا ذلك ، فلا تدّعوا على أنبيائى ورسلى الأباطيل ، وتَنحلوهم اليهوديةَ والنصرانية ، فإنى ابتعثتُ خليلى إبراهيم – وولدَه إسحق وإسمعيل وذريتهم – بالحنيفية المسلمة ، وبذلك وصَّوْا بَنيهم ، وبه عهدوا إلى أولادهم من بَعدهم . فلو حضرتموهم

(١) استوفى الطبرى حديث « أم » فيما سلف ٢ : ٤٩٢–٤٩٤ وانظر مجاز القرآن لأبى عبيدة : ٥٦ .
(٢) مضى تفسير « الشهداء » فى ١ : ٣٧٦ – ٣٧٨ .

فسمعتم منهم ، علمتم أنهم على غير ما نحلتموهم من الأديان والملل من بعدهم[1] .

* * *

وهذه آياتٌ نزلتْ، تكذيباً من الله تعالى لليهود والنصارى فى دعواهم فى إبراهيم وولده يعقوب : أنهم كانوا على ملتهم ، فقال لهم فى هذه الآية : « أمْ كنتم شُهداء إذْ حضرَ يعقوبَ الموت» ، فتعلموا ما قال لولده وقال له ولَده ؟ ثم أعلمهم ما قال لهم وما قالوا له . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكرُ من قال ذلك :

٢٠٨٨ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « أمْ كنتم شهداء » ، يعنى أهل الكتاب .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٣٣)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله « إذْ قال لبنيه» ، إذ قال يعقوبُ لبنيه».

* * *

و « إذْ » هذه مكرّرة إبدالاً من « إذْ » الأولى ، بمعنى : أم كنتم شُهداءَ يعقوبَ ، إذ قال يعقوب لبنيه حين حضور موته .

* * *

ويعنى بقوله : « ما تعبُدُون من بعدى» — أىَّ شىء تعبدون ، « من بعدى »؟ أى من بعد وَفاتى؟ قالوا : « نعبدُ إلهك » ، يعنى به : قال بنوه له : نعبد معبودَك الذى تعبده ، ومعبودَ آبائك إبراهيم وإسمعيل وإسحق ، « إلهاً واحداً » أى :

(١) فى المطبوعة : « على غير ما تنحلوهم » ، والصواب ما أثبت

نُخلص له العبادة، ونوحِّد له الربوبية، فلا نُشرك به شيئاً، ولا نتخذ دونه رباً.

* * *

ويعنى بقوله: «ونحن له مسلمون»، ونحن له خاضعون بالعبودية والطاعة.

ويحتمل قوله: «ونحن له مسلمون»، أن تكون بمعنى الحال، كأنهم قالوا: نعبد إلهك مُسلمين له بطاعتنا وعبادتنا إياه. ويحتمل أن يكون خبراً مستأنفاً، فيكون بمعنى: نعبد إلهك بعدَك، ونحن له الآن وفى كل حال مسلمون.

* * *

وأحسن هذين الوجهين — فى تأويل ذلك — أن يكون بمعنى الحال، وأن يكون بمعنى: نعبدُ إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسمعيل وإسحق، مسلمين لعبادته.

* * *

وقيل: إنما قدم ذكر إسمعيل على إسحق، لأن إسمعيل كان أسنَّ من إسحق.

* ذكر من قال ذلك:

٢٠٨٩ — حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله: «قالوا نَعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسمعيل وإسحق»، قال: يقال: بدأ بإسمعيل، لأنه أكبر.

* * *

وقرأ بعض المتقدمين: «وَإله أبيكَ إبراهيم»، ظنًّا منه أنَّ إسمعيل، إذ كان عمًّا ليعقوبَ، فلا يجوزُ أن يكون فيمن تُرْجم به عن الآباء، وداخلاً فى عِدادهم. وذلك من قارئه كذلك، قلة علم منه بمجارى كلام العرب. والعرب لا تمتنع من أن تجعل الأعمام بمعنى الآباء، والأخوال بمعنى الأمهات.[1] فلذلك دخل إسمعيل فيمن تُرجم به عن الآباء. وإبراهيم وإسمعيل وإسحق، ترجمةٌ عن الآباء فى موضع جر، ولكنهم نُصبوا بأنهم لا يجرّون[2].

* * *

(١) وانظر مجاز القرآن لأبى عبيدة: ٥٧، وقوله: «والعرب تجعل العم والخال أباً».

(٢) «الترجمة» وما اشتق منها: هى «البدل»، كما سلف آنفاً ٢: ٣٤٠، ٤٢٠، وهذا الجزء ٣: ٥٢ وقوله: «ولكنهم نصبوا بأنهم لا يجرون»، بمعنى أنها أسماء ممنوعة من الصرف، كما هو بين، ولكنه تعبير مليح.

والصواب من القراءة عندنا فى ذلك : « وإله آبائك » ، لإجماع القراء على تصويب ذلك ، وشذوذ من خالفه من القرّاء ممن قرأ خلاف ذلك .

* * *

ونصب قوله : « إلهاً » ، على الحال من قوله : « إلهك » .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٣٤)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره . بقوله : « تلكَ أمّة قد خلتْ » ، إبراهيمَ وإسمعيلَ وإسحقَ ويعقوبَ وولدَهم .

يقول لليهود والنصارى : يا معشرَ اليهود والنصارى ، دعُوا ذكر إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوبَ والمسلمين من أولادهم بغير ما هم أهلُه ، ولا تنحلوهم كفرَ اليهودية والنصرانية ، فتضيفونها إليهم ، فإنهم أمّة — ويعنى : بـ « الأمة » فى هذا الموضع : الجماعةَ والقرنَ من الناس[1] — قد خلتْ : مضتْ لسبيلها .

* * *

وإنما قيل للذى قد مات فذهب : « قد خلا » ، لتخلّيه من الدنيا وانفراده ، عما كان من الأنس بأهله وقرنائه فى دُنياه .[2]

وأصله من قولهم : « خلا الرجل » ، إذ صارَ بالمكان الذى لا أنيسَ له فيه ، وانفردَ من الناس . فاستعمل ذلك فى الذى يموت ، على ذلك الوجه . ١/٤٤٠

* * *

ثم قال تعالى ذكره لليهود والنصارى : إنّ لمن نحلتموه — ضلالكم وكفركمُ الذى أنتم عليه[3] — من أنبيائى ورُسلى ، ما كسب[4] .

---

(١) انظر ما سلف فى معنى « أمة » ١ : ٢٢١ ، وهذا الجزء ٣ : ٧٤

(٢) فى المطبوعة : « بما كان من الأنس » ، والصواب ما أثبت : أى : تخليه عما كان من الأنس بأهله . . .

(٣) فى المطبوعة : « بضلالكم وكفركم » بزيادة الباء ، وسياق الطبرى يقتضى حذف هذه الباء .

(٤) فى المطبوعة : « كسبت » ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبت .

« والهاء والألف » فى قوله : « لها » ، عائدة إن شئت على « تلك » ، وإن شئت على « الأمة » .

* * *

ويعنى بقوله : « لها ما كسبت » ، أى ما عملت من خير ، [1] ولكم يا معشر اليهود والنصارى مثلَ ذلك مَا عملتم ، ولا تؤاخَذون أنتم — أيها الناحلوهم ما نحلتموهم من الملل — فتسألوا عما كان إبراهيمُ وإسمعيلُ وإسحقُ ويعقوبُ وَوَلدهم يعملون . فيكسِبون من خير وشر ، لأن لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت . فدَعُوا انتحالهم وانتحالَ مللهم ، فإن الدعاوَى غيرُ مُغنيتكم عند الله ، وإنما يُغنى عنكم عنده ما سلف لكم من صالح أعمالكم ، إن كنتم عملتموها وقدَّمتموها .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وقالوا كونُوا هوداً أو نصارى تَهتدوا » ، وقالت اليهودُ لمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المؤمنين : كونوا هُودًا تَهتدوا ؛ وقالت النصارى لهم : كونوا نصارى تَهتدوا .

* * *

تعنى بقولها : « تَهتدوا » ، أى : تصيبوا طَريقَ الحق ، [2] كما : —

٢٠٩٠ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يونس بن بكير — وحدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة — جميعاً ، عن ابن إسحق قال ، حدثنى محمد بن أبى محمد مولى

---

(١) انظر معنى « الكسب » فيما سلف ٢ : ٢٧٣ — ٢٧٤ .

(٢) انظر معانى « الهدى » فيما سلف ١ : ١٦٦ — ١٧٠ ، ٢٣٠ ، ٢٤٩ ، ٥٤٩ — ٥٥١ / ٢ : ٣٩٣

زيد بن ثابت قال ، حدثني سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال عبدُ الله بن صُوريا الأعورُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الهُدى إلاّ ما نحن عليه! فاتَّبعنا يا محمد تَهتدِ ! وقالت النصارى مثل ذلك . فأنزل الله عز وجل فيهم : « وقالوا كونوا هوداً أو نَصارَى تَهتدوا قُلْ بَل ملة إبراهيمَ حَنيفاً وَما كانَ من المشركين ».(١)

* * *

قال أبو جعفر : احتج الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أبلغَ حجة وأوجزَها وأكملها ، وعلَّمها محمداً نبيه صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد، قل — للقائلين لك من اليهود والنصارى ولأصحابك : « كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا » — : بل تعالوا نتَّبع ملة إبراهيم التي يُجمعُ جميعنا على الشهادة لها بأنها دينُ الله الذى ارتضاه واجتباه(٢) وأمر به — فإنّ دينه كان الحنيفيةَ المسلمة — وندعْ سائر الملل التي نختلف فيها ، فينكرها بعضنا، ويقرُّ بها بعضُنا . فإن ذلك — على اختلافه — لا سبيل لنا على الاجتماع عليه ، كما لنا السبيلُ إلى الاجتماع على ملة إبراهيم .

* * *

وفى نصب قوله : « بلْ ملة إبراهيم » أوجه ثلاثة . أحدهما : أن يوجّه معنى قوله : « وقالوا كونوا هوداً أو نصارى»، إلى معنى : وقالوا اتبعوا اليهودية والنصرانية . لأنهم إذ قالوا : « كونوا هوداً أو نَصارى»، إلى اليهودية والنصرانية دَعوْهمْ، ثم يُعطف على ذلك المعنى بالملة . فيكون معنى الكلام حينئذ : قل يا محمد ، لا نتبع اليهودية والنصرانية ، ولا نَتخذُها مِلةً ، بل نتبع ملة إبراهيم حنيفاً ، ثم يحذف « نتبع » الثانية ، ويعطف بـ « الملة» على إعراب اليهودية والنصرانية .

والآخر : أن يكون نصبه بفعل مضمر بمعنى « نتبع »

والثالث : أن يكون أريد : بل نَكونَ أصحابَ ملة إبراهيم ، أو أهلَ ملة

---

(١) الأثر : ٢٠٩٠ — سيرة ابن هشام ٢ : ١٩٨ .

(٢) فى المطبوعة : « تجمع جميعنا » ، وهى خطأ ، والصواب « يجمع »، من الإجماع .

إبراهيم . ثم حذف « الأهل » و « الأصحاب » ، وأقيمت « الملة » مقامهم ، إذ كانت مؤدية عن معنى الكلام،(١) كما قال الشاعر :(٢)

حَسِبْتَ بُغَامَ رَاحِلَتِي عَنَاقاً ! وَمَا هِيَ ، وَيْبَ غَيْرِكَ ، بِالعَنَاقِ(٣)

يعني : صوت عناق، فتكون « الملة » حينئذ منصوبةً ،عطفاً في الإعراب على « اليهود والنصارى » .

* * *

وقد يجوز أن يكون منصوباً على وجه الإغراء باتّباع ملة إبراهيم .(٤)

* * *

وقرأ بعض القرّاء ذلك رفعاً . فتأويله — على قراءة من قرأ رفعاً : بل الهُدى ملة إبراهيم .

* * *

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٨٢ ، ويريد في هذا القول الأخير ، أن النصب بقوله « نكون » ، التي هي من معنى قولهم : « كونوا هوداً . . . » ، ثم حذفت « نكون » .

(٢) هو ذو الخرق الطهوي ، وانظر الاختلاف في اسمه ، ومن سمي باسمه في المؤتلف والمختلف : ١١٩ ، والخزانة ١ : ٢٠ ، ٢١ .

(٣) سيأتي في التفسير ٢ : ٥٦ منسوباً / ثم ٤ : ٦٠/١٥ : ١٤ (بولاق) ، ونوادر أبي زيد : ١١٦ ،ومعاني القرآن للفراء ١ : ٦١ — ٦٢ ،واللسان (ويب) (عنق) (عقا) (بغم) وغيرها. وهو من أبيات يقولها لذئب تبعه في طريقه ، وهي أبيات ساخرة جياد .

أَلَمْ تَعْجَبْ لِذِئْبٍ باتَ يَسْرِي لِيُؤْذِنَ صَاحِباً لَهُ بِاللِّحَاقِ
حَسِبْتَ بُغَامَ رَاحِلَتِي عَنَاقاً ! وَمَا هِيَ، وَيْبَ غيرِكَ ، بِالعَنَاقِ
وَلَوْ أَنِّي دَعَوْتُكَ مِنْ قَرِيبٍ لَعَاقَكَ عَنْ دُعَاءِ الذِّئْبِ عَاقِ
وَلَكِنِّي رَمَيْتُكَ مِنْ بَعِيدٍ فَلَمْ أُفْلِلْ ، وَقَدْ أَوْهَتْ بِسَاقِي
عَلَيْكَ الشَّاءُ ، شَاءُ بني تَمِيمٍ ، فعافِقْهُ ، فإنك ذُو عِفَاقِ

وقوله « عناق » في البيت : هي أنثى المعز ، وقوله : « ويب » أي ويل . والبغام : صوت الظبية أو الناقة، واستعاره هنا للمعز . وقوله في البيت الثالث « عاق » ، أي عائق ، فقلب ، والعقاق : السرعة في الذهاب بالشيء . عافقه: عالجه وخادعه ثم ذهب به خطفة واحدة .

(٤) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة : ٥٧ ، وقوله : « عليكم ملة إبراهيم » .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٣٥)

قال أبو جعفر : و« الملة »، الدين

* * *

وأما « الحنيف »، فإنه المستقيم من كل شيء . وقد قيل : إنّ الرجل الذى تُقبل إحدى قدميه على الأخرى، إنما قيل له: « أحنف »، نظراً له إلى السلامة، كما قيل للمهلكة من البلاد « المفازة »، بمعنى الفوز بالنجاة منها والسلامة، وكما قيل للّديغ « السليم »، تفاؤلاً له بالسلامة من الهلاك، وما أشبه ذلك .

* * *

فمعنى الكلام إذاً : قُلْ يا محمد، بل نتبع ملة إبراهيم مستقيماً .

فيكون « الحنيف » حينئذ حالاً من « إبراهيم »

* * *

وأما أهل التأويل فإنهم اختلفوا فى تأويل ذلك . فقال بعضهم : « الحنيف » الحاجُّ . وقيل : إنّما سُمى دين إبراهيم الإسلام « الحنيفية »، لأنه أول إمام لزم العبادَ — الذين كانوا فى عصره، والذين جاؤا بعده إلى يوم القيامة — اتّباعُه فى مَناسك الحج، والائتمام به فيه . قالوا: فكل من حَجّ البيت فنسك مَناسكَ إبراهيم على ملته، فهو « حنيف »، مسلم على دين إبراهيم . ٤٤١/١

* ذكر من قال ذلك

٢٠٩١ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال، حدثنا القاسم بن الفضل، عن كثير أبى سهل، قال: سألت الحسن عن « الحنيفية »، قال : حج البيت .

٢٠٩٢ — حدثنى محمد بن عَبادة الأسدى قال، حدثنا عبيد الله بن موسى

قال، أخبرنا فضيل، عن عطية في قوله : « حنيفاً » ، قال : الحنيف: الحاجّ .[1]

٢٠٩٣ – حدثني الحسين بن علي الصُّدائي قال، حدثنا أبي، عن الفضيل، عن عطية مثله .[2]

---

(١) الخبر : ٢٠٩٢ – محمد بن عبادة الأسدي ، شيخ الطبري : هذا الشيخ مضى مراراً في المطبوعة على أوجه . منها : ٦٤٥ ، ١٥١١ باسم « محمد بن عمارة الأسدي » ، وذكرنا في ثانيهما أننا لم نجد له ترجمة ولا ذكراً ، إلا في رواية الطبري عنه مراراً في التاريخ . ولم نجده في فهارس التاريخ إلا كذلك . ومنها : ١٩٧١ ، باسم « محمد بن عمار » ، وصححناه فيه على ما رأينا من قبل « محمد بن عمارة» . ولكنه جاء هنا –كما ترى – باسم « محمد بن عبادة» . والراجح عندي الآن أنه هو الصواب . فإن يكن ذلك تكن نسخ الطبري في التفسير وفي التاريخ محرفه في كل موضع ذكر فيه على غير هذا النحو

وهذا الشيخ « محمد بن عبادة بن البختري الأسدي الواسطي » : ثقة صدوق ، كان صاحب نحو وأدب . وهو من شيوخ البخاري ، وأبي حاتم ، وأبي داود ، وغيرهم . وهو مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٤/١/١٧ . روى عنه البخاري في الصحيح حديثين،(٨ : ٢٦ ، و ٩ : ٩٣ من الطبعة السلطانية) – (١٠ : ٤٢٩ ، و ١٣ : ٢١٤ من الفتح) – (٩ : ٥٣ ، و ١٠ : ٢٤٦ من القسطلاني طبعة بولاق الأولى) . ونص بهامش السلطانية على أن « عبادة » – في الموضعين : بفتح العين . وكذلك ضبطه الشارحان . قال الحافظ (١٣ : ٢١٤) : « بفتح المهملة وتخفيف الموحدة ، واسم جده : البختري ، بفتح الموحدة وسكون المعجمة وفتح المثناة من فوق ، ثقة واسطي ، يكنى : أبا جعفر . ما له في البخاري إلا هذا الحديث ، وآخر تقدم في كتاب الأدب » ، يعني الذي مضى في الفتح (٨ : ٢٦) .

وكذلك ضبط اسم أبيه ، في المشتبه للذهبي : ٣٣٣ ، والحافظ في تحرير المشتبه (مخطوط) .

وإنما رجحت – هنا – أنه « محمد بن عبادة» : لأن « محمد بن عمارة الأسدي » مفقود ذكره في كتب التراجم والرواية . فيما وصل إليه علمي ، ولأن كثيراً من رواياته في التاريخ والتفسير – عن « عبيد الله ابن موسى » ، كما في التفسير : ١٥١١ ، والتاريخ ١ : ٥٧ ، و ٢ : ٢٦٦ ، و ٣ : ٧٦ ، ٧٨ . نعم : يمكن أن يكون هناك شيخ آخر – لم يصل إلينا علمه – باسم « محمد بن عمارة » يتفق مع هذا في شيوخه وفي الرواة عنه . ولكني أرى أن ما ذكرت هو الأرجح .

و « عبيد الله بن موسى » : هو العبسي الحافظ الثقة . وهو مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٣٣٤/٢/٢ – ٣٣٥ ، وتذكرة الحفاظ ١ : ٣٢٢ – ٣٢٣ ، ووقع اسمه في المطبوعة هنا « عبد الله » وهو تحريف واضح .

فضيل : هو ابن مرزوق الرقاشي : وهو ثقة ، رجحنا توثيقه في شرح المسند : ١٢٥١ ، لأن من تكلم فيه ، إنما تكلم من أجل أحاديث يرويها عن عطية العوفي – الذي يروي عنه هنا ، وعطية ضعيف ، كما مضى في : ٣٠٥ .

(٢) الخبر : ٢٠٩٣ – الحسين بن علي الصدائي – بضم الصاد وتخفيف الدال المهملتين– الأكفاني: ثقة عدل من الصالحين ، روى عنه الترمذي والنسائي وغيرهما . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٢/١/ ٥٦ ، وتاريخ بغداد ٨ : ٦٧ – ٦٨ .

أبوه « علي بن يزيد بن سليم الصدائي » : ثقة أيضاً ، تكلم فيه بعضهم . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٢٠٩/١/٣ .

٢٠٩٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام بن سَلم ،[١] عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد قال: الحنيف الحاجُّ .

٢٠٩٥ – حدثني الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن التيمي ، عن كثير بن زياد قال ، سألت الحسن عن « الحنيفية » ، قال : هو حجُّ هذا البيت .

= قال ابن التيمي : وأخبرني جويبر ، عن الضحاك بن مزاحم ، مثله .[٢]

٢٠٩٦ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا ابن مهدي قال، حدثنا سفيان ، عن السدي، عن مجاهد : « حُنَفاء » ، قال: حجّاجاً .[٣]

٢٠٩٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ابن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « حنيفاً »، قال : حاجًّا .

٢٠٩٨ – حدثت عن وكيع ، عن فُضَيل بن غزوان ، عن عبد الله بن القاسم قال : كان الناسُ من مُضر يحجُّون البيت في الجاهلية يُسمّون « حنفاء »، فأنزل الله تعالى ذكره ﴿ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ﴾ [سورة الحج : ٣١]

* * *

وقال آخرون : « الحنيف» ، المتَّبِع ، كما وصفنا قبل، من قول الذين قالوا: إنّ معناه : الاستقامة .

• ذكر من قال ذلك :

٢٠٩٩ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان ،

---

(١) في المطبوعة « حكام بن سالم » ، خطأ . وقد مضى كثيراً في إسناد الطبري .

(٢) الخبر : ٢٠٩٥ – ابن التيمي : لم أجد نصاً يعين من هو ؟ ونسبة « التيمي » فيها سعة . وأنا أرجح أن يكون « معتمر بن سليمان بن طرخان التيمي » . فإنه من هذه الطبقة ، ويروي عنه عبد الرزاق. ولعل عبد الرزاق ذكره بهذه النسبة ، لئلا يشتبه باسم معمر . وهو ابن راشد ، إذ يكثر عبد الرزاق الرواية عن معمر . فخشي التصحيف لو قال هنا « معتمر » . فخرج منه بقوله « ابن التيمي » .

(٣) انظر ما سيأتي في رقم : ٢٠٩٨ ، فهذا من تفسير آية سورة الحج المذكورة ثم .

عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « حنفاء » ، قال : متّبعين .

وقال آخرون : إنما سُمّى دين إبراهيم « الحنيفية » ، لأنه أول إمام سنّ للعباد الختانَ ، فاتبعه مَنْ بعده عليه . قالوا : فكل من اختتن على سبيل اختتان إبراهيم ، فهو على ما كان عليه إبراهيم من الإسلام ، فهو « حنيف » على ملة إبراهيم .[1]

* * *

وقال آخرون : « بل ملة إبراهيم حنيفاً » ، بل ملة إبراهيم مُخلصًا . « فالحنيف » على قولهم : المخلصُ دينَه لله وحده .

* ذكر من قال ذلك :

٢١٠٠ ــ حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « واتّبع ملةَ إبراهيم حنيفاً » ، يقول : مخلصاً .

* * *

وقال آخرون : بل « الحنيفية » ، الإسلام . فكل من ائتمّ بإبراهيم فى ملّته فاستقام عليها ، فهو « حَنيف » .

* * *

قال أبو جعفر : « الحنَف » عندى ، هو الاستقامة على دين إبراهيم ، واتّباعه على ملته .[2] وذلك أن « الحنيفية » لو كانت حج البيت ، لوجب أن يكونَ الذين كانوا يحجُّونه فى الجاهلية من أهل الشرك كانوا حُنفاء . وقد نفى الله أن يكون ذلك تحنُّفاً بقوله : ﴿ وَلَـٰكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة آل عمران : ٦٧]

فكذلك القول فى الختان . لأن « الحنيفية » لو كانت هى الختان ، لوجب أن يكون اليهود حُنفاء . وقد أخرجهم الله من ذلك بقوله : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَـٰكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا ﴾ [سورة آل عمران : ٦٧] .

---

(١) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة : ٥٨ .

(٢) فى المطبوعة : « الحنيف عندى هو الاستقامة » ، وهو كلام مختلف ، صوابه ما أثبت .

فقد صحّ إذاً أن « الحنيفية » ليست الختانَ وحدَه ، ولا حجَّ البيت وحده ، ولكنه هو ما وصفنا : من الاستقامة على ملة إبراهيم ، واتباعه عليها ، والائتمام به فيها .

* * *

فإن قال قائل : أوَ ما كان مَنْ كان من قبل إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، من الأنبياء وأتباعهم ، مستقيمين على ما أمروا به من طاعة الله استقامةَ إبراهيم وأتباعه ؟

قيل : بَلى .

فإن قال : فكيف أضيف «الحنيفية» إلى إبراهيم وأتباعه على ملته خاصة ، دون سائر الأنبياء قبله وأتباعهم ؟

قيل : إنّ كل من كان قبل إبراهيم من الأنبياء كان حنيفاً متّبعاً طاعة الله ، ولكن الله تعالى ذكره لم يجعل أحداً منهم إماماً لمن بعده من عباده إلى قيام الساعة ، كالذى فعل من ذلك بإبراهيم ، فجعله إماماً فيما بيّنه من مناسك الحجّ والختان ، وغير ذلك من شرائع الإسلام ، تعبُّداً به أبداً إلى قيام الساعة . وجعل ما سنّ من ذلك عَلَماً مميّزاً بين مؤمنى عباده وكفارهم ، والمطيعِ منهم له والعاصى . فسمّى الحنيفُ من الناس « حنيفاً » باتباعه ملته ، واستقامته على هديه ومنهاجه ، وسُمّى
٤٤٢/١ الضالُّ عن ملته بسائر أسماء الملل ، فقيل : « يهودى ، ونصرانىّ ، ومجوسىّ » ، وغير ذلك من صنوف الملل .

* * *

وأما قوله : و « ما كانَ مِنَ المشركين » ، يقول : إنه لم يكن ممن يدين بعبادة الأوثان والأصنام ، ولا كان من اليهود ولا النصارى ، بل كانَ حنيفاً مُسلماً .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٣٦)

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بذلك : « قولوا » — أيها المؤمنون ، لهؤلاء اليهودِ والنصارَى ، الذين قالوا لكم : « كونوا هُوداً أو نصارى تهتدوا » — : « آمنا » ، أي صدّقنا « بالله » .

وقد دللنا فيما مضى أنّ معنى « الإيمان » ، التصديقُ ، بما أغنى عن إعادته .(١)

* * *

« و ما أنزل إلينا » ، يقول أيضاً : صدّقنا بالكتاب الذي أنزل الله إلى نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم . فأضاف الخطاب بالتنزيل إليهم ، إذ كانوا متّبعيه ، ومأمورين منهيين به . فكان — وإنْ كان تنزيلاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم — بمعنى التنزيل إليهم ، للذي لهم فيه من المعاني التي وصفتُ

* * *

ويعني بقوله : « وَما أنزل إلى إبراهيم » ، صدّقنا أيضاً وآمنا بما أنزل إلى إبراهيم « وإسمعيل وإسحق ويعقوبَ والأسباط » ، وهم الأنبياء من ولد يعقوب .

* * *

وقوله : « وَما أوتي مُوسى وعيسى » ، يعني : وآمنا أيضاً بالتوراة التي آتاها الله موسى ، وبالإنجيل الذي آتاه الله عيسى ، والكتب التي آتى النبيين كلهم ، وأقررنا وصدّقنا أن ذلك كله حق وهُدى ونور من عند الله ، وأن جميع من ذكر الله من أنبيائه كانوا على حق وهدى ، يُصدّق بعضهم بعضاً ، على منهاج واحد في الدعاء إلى توحيد الله ، والعمل بطاعته ، « لا نُفرّق بينَ أحد منهم » ، يقول :

(١) انظر ما سلف ١ : ٢٣٥ — ٢٣٦ ، ثم ٢ : ١٤٣ ، ٣٤٨ . . . ومواضع أخرى غيرها.

لا نؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعض، ونتبرأ من بعضٍ ونتولى بعضاً ، كما تبرأت اليهودُ من عيسى ومحمد عليهما السلام وأقرّت بغيرهما من الأنبياء ، وكما تبرأت النصارَى من محمد صلى الله عليه وسلم وأقرّت بغيره من الأنبياء ، بل نشهد لجميعهم أنهم كانوا رسلَ الله وأنبياءَه ، بعثوا بالحق والهدى .

* * *

وأما قوله : « ونحنُ لَهُ مُسلمون » ، فإنه يعنى تعالى ذكره : ونحنُ له خاضعون بالطاعة ،مذعنون له بالعبودية .[1]

* * *

فذُكر أنّ نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك لليهود،فكفروا بعيسى وبمن يؤمن به ، كما : —

٢١٠١ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنا محمد ابن إسحق قال، حدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال ، حدثنى سعيد ابن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نَفرٌ من يهود ، فيهم أبو ياسر بن أخطب ،[2] ورافع بن أبى رافع ، وعازر ، وخالد ، وزيد ، وأزار بن أبى أزار ، وأشيَع ، فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال : أومن بالله وَما أنزلَ إلينا وما أنزلَ إلى إبراهيمَ وإسمعيل وإسحقَ ويعقوب والأسباط وَما أوتى مُوسى وعيسى وَما أوتى النبيون من رَبهم لا نُفرّق بين أحد منهم ونحن له مُسلمون . فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته ، وقالوا : لا نؤمن بعيسى ، ولا نؤمن بمن آمن به . فأنزل الله فيهم : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴾[3] [سورة المائدة : ٥٩]

---

(١) انظر « الإسلام » فيما سلف : ٥١٠ ، ٥١١ / وهذا الجزء ٣ ، ٧٤ ، ٩٢ ، ٩٤

(٢) فى سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٦ « منهم : أبو ياسر » .

(٣) الأثر : ٢١٠١ — سيأتى فى تفسير سورة المائدة : ٥٩ (٦ : ١٨٨ — ١٨٩ بولاق) بإسناده عن هناد بن السرى عن يونس بن بكير ،وهو فى سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٦ مع اختلاف يسير فى بعض لفظه . وانظر الأثر التالى .

٢١٠٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال ، حدثنا محمد بن إسحق قال ، حدثني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه – إلا أنه قال : « ونافع بن أبي نافع » مكانَ « رافع بن أبي رافع »[1] .

* * *

وقال قتادة : أنزلتْ هذه الآية ، أمرًا من الله تعالى ذكره للمؤمنين بتصديق رُسله كلهم .

٢١٠٣ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « قُولُوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم » إلى قوله : « ونَحنُ له مسلمون » ، أمر الله المؤمنين أن يؤمنوا ويصدقوا بأنبيائه ورسله كلهم ، ولا يفرِّقوا بين أحد منهم .

* * *

وأما « الأسباط » الذين ذكرهم ، فهم اثنا عشر رَجلاً من ولد يعقوب بن إسحق ابن إبراهيم . وَلد كل رجل منهم أمّة من الناس ، فسموا « أسباطاً » ،[2] كما : –

٢١٠٤ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : الأسباط ، يوسفُ وإخوته ، بنو يَعقوب . ولد اثنى عشر رجلاً ، فولد كل رجل منهم أمّة من الناس ، فسموا : « أسباطاً » .

٢١٠٥ – حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : أما الأسباط ، فهم بنو يعقوب : يوسُف ، وبنيامين ، ورُوبيل ، ١/٤٤٣

---

(١) الأثر : ٢١٠٢ – هكذا جاء في سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٦ ، وانظر سيرة ابن هشام أيضاً ١ : ١٦١ ، ١٦٢ « رافع بن أبي رافع » ، و « نافع بن أبي نافع » ، والخلط في أسماء يهود ذلك العهد كثير في كتب السير .

(٢) انظر تفسير « الأسباط » فيما سلف أيضاً ٢ : ١٢١ .

ويهوذا ، وشمعون ، ولاوِى ، ودان ، وقهاث. [١]

٢١٠٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : « الأسباط » يوسف وإخوته بنو يعقوب ، اثنا عشر رجلاً ، فولد لكل رجل منهم أمّة من الناس ، فسمُّوا : « الأسباط » .

٢١٠٧ – حدثنا ابن حميدٍ قال، حدثنا سلمة قال ، حدثني محمد بن إسحق قال[٢] : نكح يَعقوب بن إسحق – وهو إسرائيل – ابنة خاله «ليا » ابنة « ليان بن توبيل بن الياس » ،[٣] فولدت له « روبيل بن يعقوب» ،[٤] وكان أكبر ولده ، و« شمعون بن يعقوب » و« لاوى بن يعقوب » و « يهوذا بن يعقوب » و « ريالون بن يعقوب» ،[٥] و« يشجر بن يعقوب » ،[٦] و « دينة بنت يعقوب » ، ثم توفيت « ليا بنت ليان » .[٣] فخلف يعقوب على أختها « راحيل بنت ليان بن توبيل بن الياس »[٣] فولدت له : «يوسف بن يعقوب » و« بنيامين » – وهو بالعربية أسد – وولد له من سُرِّ يتين له : اسم إحداهما « زلفة » واسم الأخرى « بلهية »،[٧] أربعة

---

(١) الأثر : ٢١٠٥ – فى الدر المنثور ١ : ١٤٠ . ولم أجد فى ولد يعقوب « قهاث » وفى الدر المنثور « وتهان » ، والظاهر أنهما جميعاً محرفان عن « نفتالى » أخو « دان » من أمهما « بلهية » جارية « راحيل » ، كما سيأتى فى الأثر التالى : ٢١٠٧ ، وكما هو فى كتاب بنى إسرائيل الذى بين أيدينا . هذا ، وقد اقتصر الطبرى هنا على ثمانية نفر من الأسباط . وزاد السيوطى فى الدر المنثور تاسعاً – فى روايته عن الطبرى – قال « وكونوا – بالنون » ، وليس فى ولد يعقوب هذا الاسم ، إلا أن يكون تصحيفاً صوابه « زبلون » كما هو فى كتب القوم . انظر التعليق على الأثر التالى : ٢١٠٧ .

(٢) الأثر : ٢١٠٧ – لم أصحح هذه الأسماء ، مع الاختلاف فيها ، ولكنى سأذكر مواضع الاختلاف على رسمها فى كتاب بنى إسرائيل الذى بين أيدينا ، فى التعليقات الآتية .

(٣) « ليئَة ابنة لابَان بن بَتُوئيل » « وراحيل بنت لابان . . »

(٤) ﴿ رأُو بين بن يعقُوبُ ﴾

(٥) ﴿ زَبُولُون بن يعقوب ﴾

(٦) ﴿ يَسَّاكر بن يعقوب ﴾

(٧) ﴿ بِلْهة ﴾

نفر : « دان بن يعقوب » و « نَفثالى بن يعقوب » و « جَاد بن يعقوب » و « إشرب بن يعقوب »[1] ، فكان بنو يعقوب اثنى عشرَ رجلاً ، نَشر الله منهم اثنَى عشر سبطاً، لا يُحصى عددَهم ولا يعلم أنسابَهم إلا الله ، يقول الله تعالى : ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾ [سورة الأعراف : ١٦٠]

* * *

القول فى تأويل قوله جل ذكره ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به » ، فإن صَدّق اليهودُ والنصارَى بالله ، وَما أنزل إليكم ، وما أنزل إلى إبراهيمَ وإسمعيل وإسحقَ ويعقوبَ والأسباطِ وَما أوتى مُوسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم ، وأقروا بذلك، مثلَ ما صدّقتم أنتم به أيها المؤمنون وأقررتم، فقد وُفِّقوا ورَشِدوا ، ولزموا طريق الحق ، واهتدوا ، وهم حينئذ منكم وأنتم منهم ، بدخولهم فى ملتكم بإقرارهم بذلك .

فدلّ تعالى ذكره بهذه الآية، على أنه لم يقبل من أحد عَملاً إلاّ بالإيمان بهذه المعانى التى عدّها قبلها ، كما : —

٢١٠٨ — حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنا معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا » ونحو هذا ، قال : أخبر الله سبحانه أنّ الإيمان هو العروة الوثقى ، وأنه لا يقبل عملاً إلا به ، ولا تحرُم الجنة إلاّ على مَن تركه .

* * *

(١) ﴿ أَشِير بن يَعْقُوب ﴾ وراجع فى الجميع سفر التكوين إصحاح : ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٥ .

وقد روى عن ابن عباس فى ذلك قراءةٌ ، جاءت مصاحفُ المسلمين بخلافها ، وأجمعت قَرَأة القرآن على تركها . وذلك ما : —

٢١٠٩ — حدثنا به محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبى حمزة قال ، قال ابن عباس : لا تقولوا « فإن آمنوا بمثل مَا آمنتم به فقد اهتدوا » — فإنه ليس لله مثل — ولكن قولوا : «فإن آمنوا بالذى آمنتم به فقد اهتدوا» — أو قال : « فإن آمنوا بما آمنتم به» .

* * *

فكأن ابن عباس — فى هذه الرواية إن كانت صحيحة عنه — يوجِّه تأويل قراءة من قرأ : « فإن آمنوا بمثل مَا آمنتم به » ، فإن آمنوا بمثل الله ، وبمثل ما أنزِل على إبراهيم وإسمعيل . وذلك ، إذا صرف إلى هذه الوجه ، شِركٌ لاشكَّ بالله العظيم . لأنه لا مثل لله تعالى ذكرُه ، فنؤمن أو نكفر به .

* * *

ولكن تأويل ذلك على غير المعنى الذى وَجّه إليه تأويله . وإنما معناه ما وصفنا ، وهو : فإن صدّقوا مثل تصديقكم بما صدقتم به — من جميع ما عددنا عليكم من كتُب الله وأنبيائه — فقد اهتدوا . فالتشبيه إنما وقع بين التصديقين والإقرارين اللذين هما إيمان هؤلاء وإيمان هؤلاء . كقول القائل : « مرّ عمرو بأخيك مثلَ ما مررتُ به » ، يعنى بذلك : مرّ عمرو بأخيك مثل مُرورى به . والتمثيل إنما دخل تمثيلاً بين المرورين ، لا بين عمرو وبين المتكلم . فكذلك قوله : « فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به » ، إنما وقع التمثيل بين الإيمانين ، لا بين المؤمَن به .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وإن تَولَّوْا »، وإن تولى — هؤلاء الذين قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه : « كونوا هوداً أو نصارَى » — فأعرضوا ،[1] = فلم يؤمنوا بمثل إيمانكم أيّها المؤمنون بالله ، وبما جاءت به الأنبياءُ وابتُعِثت به الرسل، وفرّقوا بين رُسل الله وبين الله ورسله، فصدّقوا ببعضٍ وكفروا ببعضٍ = فاعلموا ، أيها المؤمنون ، أنهم إنما هُمْ فى عصيان وفِرَاق وَحربٍ لله ولرسوله ولكم ، كما : — ٤٤٤/١

٢١١٠ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد، عن سعيد ، عن قتادة : « وإنما هُم فى شقاق » ، أى : فى فراق [2]

٢١١١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « فإنما هُمْ فى شقاق » ، يعنى فراق .

٢١١٢ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « وإن تولّوا فإنما هم فى شقاق » ، قال : الشقاق : الفراقُ والمحاربة. إذا شَاقَّ فقد حارب، وإذا حارَب فقد شاقَّ ، وهما واحدٌ فى كلام العرب ، وقرأ : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ ﴾ [سورة النساء : ١١٥] .

* * *

قال أبو جعفر : وأصل « الشقاق » عندنا، والله أعلم، مأخوذٌ من قول القائل : « شَقَّ عليه هذا الأمر »، إذا كرَبه وآذاه . ثم قيل : « شاقَّ فلانٌ فلاناً »، بمعنى : نال

---

(١) انظر معنى « تولى » فيما سلف ، ٢ : ١٦٢ ، ١٦٣ / ثم ٢٩٨ ، ٢٩٩ .

(٢) الأثر : ٢١١٠ — سقط من المطبوعة فى إسناده : « عن سعيد » ، وهو إسناد دائر فى التفسير ، أقربه فيما سلف : ٢١٠٤ .

كل واحد منهما من صاحبه ما كرّبه وآذاه ، وأثقلته مَساءَته . ومنه قول الله تعالى ذكره : ﴿ وإنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا ﴾ [سورة النساء : ٣٥] بمعنى : فراقَ بينهما.

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (١٣٧)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « فسيكفيكهمُ الله » ، فسيكفيكَ الله يا محمد، هؤلاء الذين قالوا لكَ ولأصحابك : « كونوا هودًا أو نصارَى تهتدوا » ، من اليهود والنصارى ، إنْ هم تولوْا عن أن يؤمنوا بمثل إيمان أصحابك بالله، وبما أنزل إليك، وما أنزل إلى إبراهيم وإسمعيل وإسحق وسائر الأنبياء غيرهم ، وفرّقوا بين الله ورُسُله — إما بقتل السيف ، وإما بجلاء عن جوارك ، وغير ذلك من العقوبات ؛ فإن الله هو «السميع» لما يقولون لك بألسنتهم ، ويبدون لك بأفواههم ، من الجهل والدعاء إلى الكفر والملل الضّالة — «العليمُ» بما يُبطنون لك ولأصحابك المؤمنين فى أنفسهم من الحسد والبغضاء .

ففعل الله بهم ذلك عاجلاً ، وأنجزَ وَعْده، فكفى نبيّه صلى الله عليه وسلم بتسليطه إيّاه عليهم ، حتى قتل بعضهم ، وأجلَى بعضاً ، وأذلّ بعضًا وأخزاه بالجزية والصّغار .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَٰبِدُونَ﴾ (١٣٨)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بـ « الصبغة » ، صبغةَ الإسلام . وذلك أنّ النصارى إذا أرادت أن تنصّر أطفالهم ، جعلتهم فى ماء لهم تزعم أن ذلك لها تقديس ، بمنزلة غُسل الجنابة لأهل الإسلام ، وأنه صبغة لهم فى النصرانية .(١)

فقال الله تعالى ذكره — إذ قالوا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه المؤمنين به : « كونوا هوداً أو نَصارَى تَهتدوا » — : قل لهم يا محمد : أيها اليهود والنصارى ، بل اتبعوا ملة إبراهيمَ ، صبغةَ الله التى هى أحسن الصِّبَغ ، فإنها هى الحنيفية المسلمة ، ودعوا الشركَ بالله ، والضلالَ عن محجّة هُداه .

* * *

ونصب « الصبغة » من قرأها نصباً ، على الردّ على « الملة » . وكذلك رَفع « الصبغة » من رَفع « الملة » ، على ردّها عليها .

وقد يجوز رفعها على غير هذا الوجه . وذلك على الابتداء ، بمعنى : هى صبغةُ الله .

وقد يجوز نصبها على غير وجه الرّد على « الملة » ، ولكن على قوله : « قولوا آمنا بالله » إلى قوله « ونحنُ له مسلمون » ، « صبغةَ الله » ، بمعنى : آمنا هذا الإيمان ، فيكون الإيمان حينئذ هو صبغةُ الله .(١)

* * *

وبمثل الذى قلنا فى تأويل « الصبغة » قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢١١٣ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٨٢ — ٨٣

قوله : « صبغةَ الله ومن أحسن من الله صبغة » ، إنّ اليهود تصبغ أبناءها يهودَ ، والنصارى تَصبغ أبناءَها نصارَى ، وأن صبغة الله الإسلامُ . فلا صبغة أحسنُ من الإسلام ، ولا أطهر ، وهو دين الله الذى بعث به نُوحاً والأنبياء بعده .

٢١١٤ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال عطاء : « صبغةَ الله »، صبغت اليهودُ أبناءَهم ، خالفوا الفِطْرة .

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « صبغة الله» . فقال بعضهم : دينُ الله .

* ذكر من قال ذلك :

٢١١٥ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « صبغة الله » ، قال : دينَ الله .

٢١١٦ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية فى قوله : « صبغةَ الله »، قال : دينَ الله ، « ومن أحسن من الله صِبغةً » ، ومن أحسنُ من الله ديناً .

٢١١٧ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر عن أبيه ، عن الربيع مثله . ٤٤٥/١

٢١١٨ ــ حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازى قال، حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال ، حدثنا سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد مثله .

٢١١٩ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن مجاهد مثله .

٢١٢٠ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٢١٢١ ــ حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا فُضَيل ابن مرزوق، عن عطية قوله : « صبغةَ الله » ، قال : دينَ الله .

٢١٢٢ – حدثنا موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « صبغةَ الله ومن أحسنُ من الله صبغة » ، يقول : دينَ الله، ومن أحسن من الله ديناً .

٢١٢٣ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « صبغةَ الله » ، قال : دينَ الله .

٢١٢٤ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قول الله : « صبغةَ الله» ، قال : دين الله .

٢١٢٥ – حدثنى ابن البرقى قال، حدثنا عمرو بن أبى سلمة قال ، سألت ابن زيد عن قول الله : « صبغةَ الله » ، فذكر مثله

* * *

وقال آخرون : « صبغة الله » ، فطرَة الله . (١)

* ذكر من قال ذلك :

٢١٢٦ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد فى قول الله : « صبغة الله » ، قال : فطرةَ الله التى فطر الناسَ عليها .

٢١٢٧ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا محمد بن حرب قال ، حدثنا ابن لهيعة ، عن جعفر بن ربيعة ، عن مجاهد : « ومن أحسنُ من الله صبغة » ، قال : الصبغة ، الفطرةُ .

٢١٢٨ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : « صبغةَ الله » ، الإسلام ، فطرةَ الله التى فطر الناس عليها . قال ابن جريج : قال لى عبد الله بن كثير : « صبغةَ الله » ، قال : دين الله ، ومن أحسنُ من الله ديناً . قال : هى فطرة الله .

---

(١) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة : ٥٩

* * *

ومن قال هذا القول ، فوجَّه « الصبغة » إلى الفطرة ، فمعناه : بل نتبع فطرة الله وملَّته التى خلق عليها خلقه ، وذلك الدين القيم . من قول الله تعالى ذكره : ﴿ فَاطِرِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [سورة الأنعام : ١٤] . بمعنى خالق السموات والأرض[1] .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَنَحْنُ لَهُ عَٰبِدُونَ ﴾ (١٣٨)

قال أبو جعفر : وقوله تعالى ذكره : « ونحنُ له عابدون » ، أمرٌ من الله تعالى ذكره نبيَّه صلى الله عليه وسلم أن يقوله لليهود والنصارى ، الذين قالوا له ولمن تبعه من أصحابه : « كونوا هوداً أو نصارَى » . فقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قُلْ : بل نتبعُ ملة إبراهيم حنيفاً ، صبغةَ الله ، ونحنُ له عابدون . يعنى : ملة الخاضعين لله ، المستكينين له ، فى اتّباعنا ملة إبراهيم ، ودِينُونتنا له بذلك ، غير مستكبرين فى اتباع أمره ، والإقرار برسالته رسلَه ، كما استكبرت اليهودُ والنصارَى ، فكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم استكباراً وبغياً وحسداً .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴾ (١٣٩)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « قُلْ أتُحاجُّونَنا فى الله » ، قل يا محمد = لمعاشر اليهود والنصارى ، الذين قالوا لك ولأصحابك : « كونوا هُوداً

---

(١) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة : ٥٩

أو نَصارَى تَهتدوا » ، وزعموا أن دينهم خيرٌ من دينكم ، وكتابهم خير من كتابكم ، لأنه كان قبلَ كتابكم ، وزعموا أنهم من أجل ذلك أولى بالله منكم = : « أتحاجوننا فى الله وهو رَبنا وربكم » ، بيده الخيرات ، وإليه الثواب والعقابُ ، والجزاءُ على الأعمال — الحسنات منها والسيئات ، فتزعمون أنكم بالله أوْلى منا ، من أجل أن نبيكم قبل نبينا ، وكتابكم قبل كتابنا ، وربّكم وربّنا واحدٌ ، وأنّ لكلّ فريق منا ما عمل واكتسب من صالح الأعمال وسيئها ، يجازى [عليها] فيثابُ أو يعاقبُ ،(١) — لا على الأنساب وقدَم الدِّين والكتاب .

* * *

ويعنى بقوله : « قُلْ أتحاجوننا » ، قل : أتخاصموننا وتجادلوننا ؟ كما —

٢١٢٩ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « قل أتحاجوننا فى الله » ، قل : أتخاصموننا ؟

٢١٣٠ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « قل أتحاجُّونَنا » : أتخاصموننا ؟

٢١٣١ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « أتحاجوننا » ، أتجادلوننا ؟

* * *

فأما قوله : « ونحن له مُخلصون » ، فإنه يعنى : ونحن لله مخلصو العبادةِ والطاعة ، ٤٤٦/١
لا نشرك به شيئاً ، ولا نعبد غيره أحدًا ، كما عبد أهل الأوثان معه الأوثانَ ، وأصحاب العِجل معه العجلَ .

* * *

وهذا من الله تعالى ذكره توبيخٌ لليهود ، واحتجاج لأهل الإيمان ، بقوله تعالى ذكره للمؤمنين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم : قولوا — أيها المؤمنون ، لليهود

---

(١) فى المطبوعة : « ويجازى فيثاب أو يعاقب » . وكأن الصواب يقتضى حذف « الواو » ، وزيادة : « عليها » . وقوله : « لا على الأنساب » معطوف على قوله : « والجزاء على الأعمال » .

والنصارى الذين قالوا لكم : « كونوا هوداً أو نصارى تَهتدوا » — : «أتحاجوننا فى الله »؟ يعنى بقوله : « فى الله » ، فى دين الله الذى أَمرَنا أن نَدينه به ، وربنا وربكم واحدٌ عَدلٌ لا يجور ، وإنما يجازى العبادَ عَلى ما اكتسبوا . وتزعمون أنكم أولى بالله منا ، لقدم دينكم وكتابكم ونبيكم ، ونحنُ مُخلصون له العبادةَ ، لم نشرك به شيئاً ، وقد أشركتم فى عبادتكم إياه ، فعبد بعضكم العجلَ ، وبعضكم المسيحَ ، فأنّى تكونون خيراً منا ، وأولى بالله منا ؟ (١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾

قال أبو جعفر : فى قراءة ذلك وجهان . أحدهما : « أمْ تَقولون » بـ « التاء » . فمن قرأ كذلك ، فتأويله : قل يا محمد — للقائلين لك من اليهود والنصارى : « كونوا هوداً أو نصارى تَهتدوا» — : أتجادلوننا فى الله ، أم تقولون إن إبراهيم؟ فيكون ذلك معطوفاً على قوله : « أتحاجوننا فى الله » .

والوجه الآخر منهما : « أم يَقولون » بـ « الياء » . ومن قرأ ذلك كذلك وجّه قوله : « أم يقولون » إلى أنه استفهام مُستأنَف ، كقوله : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ [سورة السجدة : ٣] ، وكما يقال : « إنها لإبل أم شَاءٌ » .(٢) وإنما جعله استفهاماً مستأنَفاً ، لمجيء خبر مستأنف ، كما يقال : « أتقوم أم يقوم أخوك؟» فيصير قوله : «أم يقوم أخوك» خبراً مستأنفاً لجملة ليست من الأول ، واستفهاماً

(١) فى المطبوعة : « وأنى تكونوا خيراً منا » ، والصواب ما أثبت . « أنى » استفهام بمعنى : كيف .

(٢) انظر ما سلف فى خبر « أم » ٢ : ٤٩٢ — ٤٩٤ ، وهذا الجزء ٣ : ٩٧

مبتدأ . ولو كان نَسقاً على الاستفهام الأول ، لكان خبراً عن الأول فقيل : « أتقوم أم تقعد ؟ »

وقد زعم بعض أهل العربية أنّ ذلك ، إذا قرئ كذلك بـ « الياء » ، فإن كان الذى بعد « أم » جملة تامة ، فهو عطفٌ على الاستفهام الأول . لأن معنى الكلام : قيل : أىّ هذين الأمرين كائنٌ ؟ هذا أم هذا ؟

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القرَاءة عندنا فى ذلك : « أم تقولون » « بالتاء » دون « الياء » ، عطفاً على قوله : « قل أتحاجُّوننا » ، بمعنى : أىّ هذين الأمرين تفعلون ؟ أتجادلوننا فى دين الله ، فتزعمون أنكم أولى منا وأهدى منا سبيلا — وأمرنا وأمركم ما وصفنا ، على ما قد بيناه آنفاً[1] — أمْ تزعمون أنّ إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوبَ ، ومن سَمَّى الله ، كانوا هُوداً أو نصارَى على ملتكم ، فيصحّ للناس بَهتكم وكذبكم ،[2] لأن اليهودية والنصرانية حدثت بعد هؤلاء الذين سماهم الله من أنبيائه .

وغير جائزة قراءة ذلك بـ « الياء » ، لشذوذها عن قراءة القراء .

* * *

وهذه الآية أيضاً احتجاجٌ من الله تعالى ذكره لنبيّه صلى الله عليه وسلم على اليهود والنصارى ، الذين ذكر الله قَصَصهم . يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قُلْ يا محمد — لهؤلاء اليهود والنصارى — : أتحاجُّوننا فى الله ، وتزعمون أن دينكم أفضلُ من ديننا ، وأنكم على هدى ونحنُ على ضَلالة ، ببرهان من الله تعالى ذكره ، فتدعوننا إلى دينكم ؟ فهاتوا برهانكم على ذلك فنتبعكم عليه ، أم تقولون : إن إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوبَ والأسباط كانوا هوداً أو نَصارَى على دينكم ؟ فهاتوُا — على دعواكم ما ادّعيتم من ذلك — برهاناً ، فنصدّقكم ، فإن الله قد جَعلهم أئمة يقتدى بهم .

---

(١) فى المطبوعة : « أيضاً » ، والصواب ما أثبت .

(٢) أخشى أن يكون الصواب « فيتضح للناس » ، والذى فى الأصل لا بأس به .

ثم قال تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : قُل لهم يا محمد — إن ادَّعوا أن إبراهيمَ وإسمعيل وإسحق ويعقوبَ والأسباطَ كانوا هوداً أو نصارَى : أأنتم أعلم بهم وبما كانوا عليه من الأديان ، أم الله ؟

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى : فإنْ زَعمتْ يا محمد اليهودُ والنصارى — الذين قالوا لك ولأصحابك : « كونوا هوداً أو نصارى » ، أن إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى ، فمن أظلمُ منهم ؟ يقول : وأىُّ امرئ أظلم منهم ؟ وقد كتموا شهادةً عندهم من الله بأن إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوبَ والأسباطَ كانوا مسلمين ، فكتموا ذلك ، ونحلُوهم اليهوديةَ والنصرانية .

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك :

٤٤٧/١ ٢١٣٢ — فحدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « ومن أظلمُ ممن كتم شهادةً عندهُ من الله » ، قال : فى قول يهود لإبراهيم وإسمعيل ومن ذكر معهما ، إنهم كانوا يهودَ أو نصارَى . فيقول الله : لا تكتموا منىّ شهادةً إن كانت عندكم فيهم . وقد علم أنهم كاذبون .

٢١٣٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ومن أظلمُ ممن كتم شهادةً عنده من الله » ، فى قول اليهود لإبراهيم وإسمعيل ومن ذكر معهما : إنهم كانوا يهود أو نصارَى . فقال الله لهم : لا تكتموا منى الشهادة فيهم ، إن كانت عندكم فيهم . وقد علم الله أنهم كانوا كاذبين .

٢١٣٤ ــ حدثنا القاسم قال ،حدثنا الحسين قال ، حدثنى إسحق ، عن أبى الأشهب ، عن الحسن أنه تلا هذه الآية : « أم تقولون إنّ إبراهيم وإسمعيل » إلى قوله : « قل أ أنتم أعلمُ أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله » ، قال الحسن : والله لقد كان عند القوم من الله شهادةٌ أنّ أنبياءَه بُرَآء من اليهودية والنصرانية ، كما أن عند القوم من الله شهادة أن أموالكم ودماءكم بينكم حرام ، فبم استحلُّوها ؟

٢١٣٥ ــ حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « ومن أظلمُ ممن كتم شهادةَ عنده من الله » ، أهلُ الكتاب ، كتموا الإسلام وهم يعلمون أنه دينُ الله ، وهم يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل : أنّهم لم يكونوا يهودَ ولا نصارَى ، وكانت اليهودية والنصرانية بعد هؤلاء بزمان .

* * *

وإنما عنى تعالى ذكره بذلك أن اليهود والنصارَى ،[1] إن ادّعوْا أنّ إبراهيم ومن سمّى معه فى هذه الآية ، كانوا هوداً أو نصارى ، تبيّن لأهل الشرك الذين هم نصراؤهم ،[2] كذبُهم وادّعاؤهم على أنبياء الله الباطلَ = لأن اليهودية والنصرانية حدثت بعدهم = وإن هم نفوْا عنهم اليهودية والنصرانية ،[3] قيل لهم : فهلموا إلى ما كانوا عليه من الدين ، فإنا وأنتم مقرُّون جميعاً بأنهم كانوا على حق ، ونحن مختلفون فيما خالف الدّين الذى كانوا عليه .

* * *

وقال آخرون : بل عَنى تعالى ذكره بقوله : « ومَنْ أظلم ممن كتم شهادةً عنده من الله » ، اليهودَ فى كتمانهم أمرَ محمد صلى الله عليه وسلم ونبوّتَه ، وهم يعلمون ذلك ويجدونه فى كتبهم .

---

(١) فى المطبوعة : « وأنه عنى تعالى ذكره . . . » والسياق مختل ، فاستظهرت إصلاحه كما سترى فى التعليق الآتى :

(٢) فى المطبوعة « بين لأهل الشرك » . والسياق يوجب ما أثبت .

(٣) سياق هذه الجملة من أول الفقرة : « وإنما عنى تعالى ذكره أن اليهود والنصارى ، إن ادعوا أن إبراهيم . . . تبين لأهل الشرك . . . وإن نفوا عنهم اليهودية قيل لهم : . . . » ، وبذلك يتبين أن الذى أثبتنا أحق بسياق الكلام .

* ذكر من قال ذلك :

٢١٣٦ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « أم تقولون إنّ إبراهيم وإسمعيل وإسحقَ ويعقوبَ والأسباطَ كانوا هوداً أو نصارَى » ، أولئك أهل الكتاب كتموا الإسلام وهم يعلمون أنه دينُ الله ، واتخذوا اليهودية والنصرانيةَ ، وكتموا محمداً صلى الله عليه وسلم ، وهم يعلمون أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل .

٢١٣٧ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، ، عن قتادة قوله : « ومَنْ أظلمُ ممن كتم شهادة عنده من الله » ، قال : الشهادةُ ، النبيُّ صلى الله عليه وسلم، مكتوبٌ عندهم ، وهو الذى كتموا .

٢١٣٨ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنى ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، نحو حديث بشر بن معاذ ، عن يزيد .(١)

٢١٣٩ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « ومن أظلمُ ممن كتم شهادةً عنده منَ الله »، قال: هم يهودُ ، يُسألون عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن صفته فى كتاب الله عندهم ، فيكتمون الصفة .

* * *

قال أبو جعفر : وإنما اخترنا القولَ الذى قلناه فى تأويل ذلك ، لأن قوله تعالى ذكره : « ومن أظلمُ ممن كتم شهادةً عنده من الله » ، فى إثر قصة من سمّى الله من أنبيائه ، وأمامَ قصته لهم . فأوْلى بالذى هو بَين ذلك أن يكون من قَصصهم دون غَيره .

* * *

فإن قال قائل : وأية شهادة عندَ اليهود والنصارى من الله فى أمر إبراهيم وإسمعيل وإسحقَ ويعقوبَ والأسباطَ ؟

---

(١) الأثر : ٢١٣٨ – كان فى المطبوعة « حدثنى المثنى قال حدثنى ابن أبى جعفر » ، أسقط من الإسناد « حدثنا إسحق » ، وهو إسناد دائر فى التفسير ، أقربه رقم : ١١٧ .

قيل : الشهادةُ التى عندهم من الله فى أمرهم ، ما أنزل الله إليهم فى التوراة والإنجيل ، وأمرُهم فيهما بالاستنان بسُنَّتهم واتباع ملتهم ، وأنهم كانوا حُنفاء مسلمين . وهى الشهادةُ التى عندهم من الله التى كتموها ، حين دعاهم نبى الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، فقالوا له : ﴿ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى ﴾ [سورة البقرة : ١١١] ، وقالوا له ولأصحابه : « كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا » ، فأنزلَ الله فيهم هذه الآيات ، فى تكذيبهم ، وكتمانهم الحق ، وافترائهم على أنبياء الله الباطلَ والزُّورَ .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٤٠) ١/٤٤٨

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : وقل — لهؤلاء اليهود والنصارَى ، الذين يحاجُّونك يا محمد — : « وما اللهُ بغافل عما تعملون » ، من كتمانكم الحق فيما ألزَمكم فى كتابه بيانَه للناس من أمر إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوبَ والأسباطِ فى أمر الإسلام ، وأنهم كانوا مُسلمين ، وأنّ الحنيفية المسلمة دينُ الله الذى على جميع الخلق الدينُونةُ به ، دون اليهودية والنصرانية وغيرهما من الملل — ولا هُوَساهٍ عن عقابكم على فعلكم ذلك ،[1] بل هو مُحْصٍ عليكم حتى يُجازيكم به من الجزاء ما أنتم له أهلٌ فى عاجل الدنيا وآجل الآخرة . فجازاهم عاجلاً فى الدنيا ، بقتل بعضهم ، وإجلائه عن وطنه وداره ، وهو مُجازيهم فى الآخرة العذابَ المهين .

* * *

(١) انظر تفسير « غافل » فيما سلف ٢ : ٢٤٣-٢٤٤ / ثم : ٣١٦

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (١٤١)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « تلك أمة » ، إبراهيمَ وإسمعيلَ وإسحقَ ويعقوبَ والأسباطَ ، كما : —

٢١٤٠ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة قوله تعالى : « تلك أمة قد خلت » ، يعنى : إبراهيمَ وإسمعيل وإسحقَ ويعقوبَ والأسباطَ .

٢١٤١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بمثله .

* * *

قال أبو جعفر : وقد بينا فيما مضى أن « الأمة » ، الجماعة [١].

* * *

فمعنى الآية إذاً : قلْ يا محمد = لهؤلاء الذين يُجادلونك فى الله من اليهود والنصارى ، إن كتموا ما عندَهم من الشهادة فى أمر إبراهيم ومن سَمَّينا معه ، وأنهم كانوا مسلمين ، وزعموا أنهم كانوا هوداً أو نصارى ، فكذبوا = : إنّ إبراهيم وإسمعيل وإسحقَ ويعقوبَ والأسباطَ أمّةٌ قد خلتْ — أى : مضت لسبيلها[١] — فصارت إلى ربها ، وخلتْ بأعمالها وآمالها، لها عند الله ما كسبت من خير فى أيام حياتها ، وعليها ما اكتسبت من شر ، لا ينفعها غيرُ صالح أعمالها ، ولا يضرها إلاّ سيئها. فاعلموا أيها اليهود والنصارى ذلك، فإنكم، إنْ كان هؤلاء — [٢] وهم الذين

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٢٢١ ثم هذا الجزء ٣ : ٧٤، ١٠٠/ ثم انظر « خلا » و « كسب » فى هذا الجزء ٣ : ١٠١ والمراجع هناك .

(٢) فى المطبوعة : « هم الذين بهم . . . » ، والصواب « وهم . . . »

بهم تفتخرون، وتزعمون أنّ بهم ترجُون النجاةَ من عذاب ربكم، مع سيئاتكم وعظيم خطيئاتكم — لا ينفعهم عند الله غيرُ ما قدّموا من صالح الأعمال، ولا يضرهم غير سيئها، فأنتم كذلك أحرَى أنْ لا ينفعكم عند الله غير ما قدمتم من صالح الأعمال،[1] ولا يضرّكم غيرُ سيئها. فاحذروا على أنفسكم، وبادروا خروجَها بالتوبة والإنابة إلى الله مما أنتم عليه من الكفر والضلالة والفِرية على الله وعلى أنبيائه ورُسُله، ودَعوا الاتكالَ على فضائل الآباء والأجداد، فإنما لكم ما كسبتم، وعليكم ما اكتسبتم، ولا تُسألون عما كان إبراهيم وإسمعيلُ وإسحقُ ويعقوبُ والأسباط يعملون من الأعمال، لأن كل نفس قدِمت على الله يوم القيامة، فإنما تُسأل عما كسبت وأسلفت، دون ما أسلفَ غيرُها.

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ ٢/٢

قال أبو جعفر: يعنى بقوله جل ثناؤه: « سيقول السفهاء »، سيقول الجهال « من الناس »، وهم اليهود وأهل النفاق.

وإنما سماهم الله عز وجل « سُفهاء »، لأنهم سَفِهوا الحق.[2] فتجاهلت أحبارُ اليهود، وتعاظمت جهالهم وأهل الغباء منهم، عن اتّباع محمد صلى الله عليه وسلم، إذ كان من العرب ولم يكن من بنى إسرائيل، وتحيّر المنافقون فتبلّدوا.

* * *

وبما قلنا فى « السفهاء » — أنهم هم اليهود وأهلُ النفاق — قال أهل التأويل.

* ذكر من قال: هم اليهود:

---

(١) سياق هذه العبارة: « إن كان هؤلاء ... لا ينفعهم عند الله غير ما قدموا ... فأنتم كذلك أحرى أن لا ينفعكم غير صالح الأعمال ... ».

(٢) سفه الحق: جهله. وانظر ما سلف فى معنى « السفه » ١ : ٢٩٣ — ٢٩٤ / ثم هذا الجزء ٣ : ٩٠

٢١٤٢ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : « سيقول السفهاء من الناس مَا وَلاَّهم عن قِبلتهم » ، قال : اليهود تقوله، حين تَرَكَ بيتَ المقدس .

٢١٤٣ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله .

٢١٤٤ – حدثت عن أحمد بن يونس، عن زهير ، عن أبي إسحق ، عن البَراء : « سيقول السفهاء من الناس » ، قال : اليهود .[1]

٢١٤٥ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن البراء : « سيقول السفهاء من الناس » ، قال : اليهود .

٢١٤٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا الحماني قال ، حدثنا شريك ، عن أبي إسحق ، عن البراء في قوله : « سيقول السفهاء من الناس » ، قال : أهل الكتاب .

٢١٤٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قال : اليهودُ .

* * *

وقال آخرون : « السفهاء » ، المنافقون .

* ذكر من قال ذلك :

٢١٤٨ – حدثنا موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ، عن السدي قال : نزلت : « سَيقول السفهاء من الناس »، في المنافقين .

* * *

---

(١) الأثر : ٢١٤٤ – هذا إسناد ليس بذاك، فإن الطبري رواه عن شخص مبهم، عن أحمد بن يونس، وهو أحمد بن عبد الله بن يونس التميمي . وهو ثقة ، أخرج له الجماعة ، وقد ينسب إلى جده . ولد سنة ١٣٣ ، أو ١٣٤ ، ومات سنة ٢٢٧ . مترجم في التهذيب ، والكبير ٦/٢/١ ، والصغير ، ص : ٢٣٩ ، وابن أبي حاتم ٥٧/١/١ . وابن سعد ٦ : ٢٨٣ . زهير : هو ابن معاوية أبو خيثمة الكوفي . ثقة ثبت معروف . أبو إسحق : هو السبيعي ، عمرو بن عبد الله . التابعي الكبير المشهور ، البراء : هو ابن عازب الصحابي .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « ما ولاّهم » : أىُّ شىء صَرَفهم عن قبلتهم؟ وهو من قول القائل : «ولاّنى فلان دُبرُه »، إذا حوّل وجهه عنه واستدبره، فكذلك قوله : « ما ولاّهم » ؟ أىّ شىء حَوّل وُجُوههم؟ (١)

* * *

وأما قوله : « عن قبلتهم »، فإن « قبلة » كل شىء ما قابلَ وجهه. وإنما هى « فِعْلة » بمنزلة « الجلسة والقِعْدة »، (٢) من قول القائل. «قابلت فلاناً»، إذا صرتُ قُبالته أقابله ، فهو لى « قبلة » وأنا له « قبلة » ، إذا قابل كلّ واحد منهما بوجهه وجهَ صاحبه .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام إذاً — إذْ كان ذلك معناه(٣) — : سيقول ٢/٣ السفهاء من الناس لكم ، أيها المؤمنون بالله ورسوله، — إذا حوّلتم وجوهكم عن قبلة اليهود التى كانتْ لكم قبلةً ، قبلَ أمرى إياكم بتحويل وجوهكم عنها شطْر المسجد الحرام — : أىّ شىء حوّل وُجوه هؤلاء، فصرفها عن الموضع الذى كانوا يستقبلونه بوجوههم فى صلاتهم ؟

فأعلم الله جل ثناؤه نبيَّه صلى الله عليه وسلم، ما اليهودُ والمنافقون قائلون من القول عند تحويل قبلته وقبلة أصحابه عن الشأم إلى المسجد الحرام ، وعلّمه ما ينبغى أن يكون من ردّه عليهم من الجواب . فقال له : إذا قالوا ذلك لك يا محمد ، فقل لهم : « لله المشرقُ والمغرب يَهدى مَنْ يَشاء إلى صراط مستقيم » .

---

(١) انظر ما سلف فى معنى « ولى » ٢ : ١٦٢ ، وهذا الجزء ٣ : ١١٥

(٢) انظر ما قال من ذلك فى « الحكمة » فى هذا الجزء ٣ : ٨٧

(٣) فى المطبوعة : « إذ كان معناه » بإسقاط « ذلك » ، ولا يقوم الكلام إلا بها .

* * *

وكان سببُ ذلك أنّ النبي صلى الله عليه وسلم صلّى نحو بيت المقدس مُدة سنذكر مبلغها فيما بعد إن شاء الله تعالى، ثم أراد الله تعالى صَرْف قبلة نبيّه صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الحرام . فأخبره عما اليهود قائلوه من القول عند صرفه وجهَه ووجهَ أصحابه شطرَه ، وما الذى ينبغى أن يكون من ردّه عليهم من الجواب .

* * *

* ذكر المدة التى صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه نحو بيت المقدس، وما كان سببُ صلاته نحوه ؟ وما الذى دعا اليهودَ والمنافقين إلى قِيلِ ما قالوا عند تحويل الله قبلةَ المؤمنين عن بيت المقدس إلى الكعبة ؟

* * *

اختلف أهل العلم فى المدة التى صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس بعد الهجرة . فقال بعضهم بما : —

٢١٤٩ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يونس بن بكير — وحدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة — قالا جميعاً، حدثنا محمد بن إسحق قال، حدثنى محمد ابن أبى محمد قال ، أخبرنى سعيد بن جبير ، أو عكرمة — شكّ محمد — ، عن ابن عباس قال : لما صُرفت القبلةُ عن الشأم إلى الكعبة — وصُرِفت فى رَجب ، على رأس سبعة عشر شهراً من مَقدَم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ — أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رفاعةُ بنُ قيس ، وقَرْدَم بن عمرو ، وكعبُ بن الأشرف ، ونافعُ بن أبى نافع — هكذا قال ابن حميد ، وقال أبو كريب : ورَافع ابن أبى رافع[1] — والحجاج بن عمرو = حليفُ كعب بن الأشرف = والربيعُ ابن الربيعُ بن [أبى] الحقيق ، وكنانةُ بن أبى الحقيق،[2] فقالوا : يا محمد ، ما ولاّك عن قبلتك التى كنت عليها ، وأنتَ تزعمُ أنك على ملة إبراهيم ودينه ؟ ارجع إلى قبلتك التى كنت عليها نتبعْك ونصدقك ! وإنما يريدون فتنته عن دينه. فأنزل

(١) انظر ما سلف فى هذا الجزء ٣ : ١١١ تعليق : ١

(٢) الزيادة بين القوسين من سيرة ابن هشام . وفيها : « وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق » .

الله فيهم : « سيقول السفهاءُ من الناس مَا وَلاَّهم عنْ قبلتهم التى كانوا عليها » إلى قوله : « إلا لنعلمَ مَنْ يَتَّبع الرسول ممن يَنقلبُ عَلى عَقبَيْه » . (١)

٢١٥٠ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو بكر بن عياش، قال البراء : صلّى رسول الله صلى عليه وسلم نحو بيت المقدس سَبعةَ عشر شهراً ، وكان يشتهى أن يُصرف إلى الكعبة . قال: فبينا نحن نُصلى ذاتَ يوم ، فمر بنا مارٌّ فقال : ألاَ هلْ علمتم أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قد صُرف إلى الكعبة ؟ قال : وقد صلينا ركعتين إلى ههنا ، وصلينا ركعتين إلى ههنا – قال أبو كريب : فقيل له : فيه أبو إسحق ؟ فسكت . (٢)

٢١٥١ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يحيى بن آدم، عن أبى بكر بن عياش ، عن أبى إسحق ، عن البراء قال : صلينا بعد قدوم النبى صلى الله عليه وسلم المدينةَ سبعة عشر شهراً إلى بيت المقدس . (٣)

٢١٥٢ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا يحيى ، عن سفيان قال، حدثنا أبو إسحق ، عن البراء بن عازب قال : صليت مع النبى صلى الله عليه وسلم نحو

---

(١) الأثر : ٢١٤٩ – نص ما فى سيرة ابن هشام ٢ : ١٩٨ – ١٩٩ .

(٢) الحديث : ٢١٥٠ – أبو بكر بن عياش : ثقة معروف ، إلا أنهم أخذوا عليه بعض الأخطاء ، لأنه لما كبر ساء حفظه وتغير . وهو هنا يروى الحديث – منقطعاً – عن البراء ، لأنه لم يدركه . وقد سأله بعض سامعيه ، كما حكى أبو كريب فى آخر الحديث : « فيه : أبو إسحق » ؟ يريد السائل أن يستوثق منه : أسمعه من أبى إسحق السبيعى عن البراء ؟ فسكت ولم يجبه . ولو كان هذا وحده كان الحديث ضعيفاً . ولكنه ثابت من رواية أبى إسحق السبيعى عن البراء ، فى الأسانيد الثلاثة التالية – وأولها من رواية ابن عياش نفسه – ومن مصادر الحديث الأخر ، كما سيأتى .

(٣) الحديث : ٢١٥١ – هذا إسناد ضعيف، لضعف سفيان بن وكيع – شيخ الطبرى . ولكنه يتقوى بالروايات الآتية وغيرها .

وقد رواه ابن ماجة : ١٠١٠ ، عن علقمة بن عمرو الدارى ، عن أبى بكر بن عياش ، عن أبى إسحق ، عن البراء ، مطولا . وذكر فيه أن صلاتهم إلى بيت المقدس كانت « ثمانية عشر شهراً » . وعلقمة بن عمرو الدارى : ثقة . وقال البوصيرى فى زوائد ابن ماجة : « حديث البراء صحيح ، ورجاله ثقات » .

بيت المقدس ستةَ عشر شهراً ، أو سبعةَ عشر شهراً – شك سفيان – ثم صُرفنا إلى الكعبة .(١)

٢١٥٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا النُّفيلي قال ، حدثنا زهير قال ، حدثنا أبو إسحق ، عن البراء : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أوّلَ ما قدم المدينة، نزلَ على أجداده – أو أخواله – من الأنصار ، وأنه صلّى قِبَل بيت المقدس ستة عشر شهراً ، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبَلَ البيت ، وأنه صلى صلاة العصر ومعه قومٌ ، فخرج رجل ممن صلى معه ، فمرّ على أهل المسجد وهم رُكوع فقال : أشهدُ لقد صلّيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلَ مكة. فداروا كما هم قِبَل البيت . وكانَ يُعجبه أن يحوّل قبَل البيت ، وكان اليهودُ أعجبهم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يُصلّي قبَل بيت المقدس وأهلُ الكتاب ، فلما ولّى وجْهه قبَل البيت أنكروا ذلك .(٢)

٢١٥٤ – حدثني عمران بن موسى قال ، حدثنا عبد الوارث قال ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن ابن المسيب قال : صلى رسولُ الله عليه وسلم نحو بيت المقدس بَعْد أن قدِم المدينةَ ستة عشر شهراً، ثم وُجِّه نحو الكعبة قَبل بَدْرٍ بشهرين .(٣) ٢/٤

---

(١) الحديث : ٢١٥٢ – هذا إسناد صحيح جداً . يحيى : هو ابن سعيد القطان . سفيان : هو الثوري . والحديث مختصر . وهكذا رواه البخاري ٨ : ١٣٢ (فتح الباري) ومسلم ١ : ١٤٨ – كلاهما من طريق يحيى ، عن سفيان ، به ، مختصراً .

(٢) الحديث : ٢١٥٣ – وهذه رواية مفصلة. والإسناد صحيح جداً. رواه الإمام أحمد في المسند ٤ : ٢٨٣ (حلبي) ، عن حسن بن موسى ، عن زهير وهو ابن معاوية. بهذا الإسناد نحوه . بأطول منه. ورواه ابن سعد في الطبقات ١/٢/٥ ، عن الحسن بن موسى ، بهذا الإسناد . وكذلك رواه البخاري ١ : ٨٩ – ٩٠ ، عن عمرو بن خالد ، عن زهير ، به . ورواه أيضاً ٨ : ١٣٠ ، عن أبي نعيم ، عن زهير ، مختصراً قليلا .

ورواه أيضا البخاري ١ : ٤٢١ – ٤٢٢ ، و ١٣ : ٢٠٢ . ومسلم ١ : ١٤٨ ، من أوجه ، عن البراء بن عازب .

وسيأتي باقيه بهذا الإسناد : ٢٢٢٢ .

(٣) الحديث : ٢١٥٤ – عمران بن موسى بن حيان القزاز الليثي ، شيخ الطبري : ثقة .

* * *

وقال آخرون بما : —

٢١٥٥ — حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عثمان ابن سعد الكاتب قال ، حدثنا أنس بن مالك قال : صلى نبى الله صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس تسعةَ أشهر أو عشرةَ أشهر . فبينما هو قائمٌ يصلى الظهر بالمدينة ، وقد صلى ركعتين نحو بيت المقدس، انصرف بوَجْهه إلى الكعبة ، فقال السفهاء : « ما وَلاَّهمُ عن قبلتهم التى كانوا عليها » . (١)

* * *

مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣ / ١ / ٣٠٥ — ٣٠٦ .

عبد الوارث : هو ابن سعيد بن ذكوان ، أحد الأعلام ، يحيى بن سعيد : هو الأنصارى البخارى ثقة حجة ، من شيوخ الزهرى ومالك والثورى وغيرهم .

ابن المسيب : هو سعيد بن المسيب الإمام التابعى الكبير ، ووقع فى المطبوعة « المسيب » ، بحذف « ابن » ! وهو خطأ واضح من الناسخين .

وهذا الحديث مرسل ، كما هو مبين ، وكذلك رواه مالك فى الموطأ، ص ١٩٦ ، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب مرسلا . وكذلك رواه الشافعى عن مالك، فى الرسالة ، بتحقيقنا ، رقم ٣٦٦ . وكذلك رواه ابن سعد فى الطبقات ١ / ٢ / ٤ ، عن يزيد بن هرون ، عن يحيى بن سعيد .

وقد وصله العطاردى . من حديث سعد بن أبى وقاص : فرواه البيهقى فى السنن الكبرى ٢ : ٣ ، من طريق أحمد بن عبد الجبار العطاردى : « حدثنا محمد بن الفضيل ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، قال : سمعت سعداً يقول . . . » . فذكر الحديث . ثم قال البيهقى : « هكذا رواه العطاردى عن ابن فضيل . ورواه مالك ، والثورى ، وحماد بن زيد — عن يحيى بن سعيد ، عن ابن المسيب ، مرسلا دون ذكر سعد » .

وهذا إسناد جيد ، يصلح متابعة جيدة للرواية المرسلة . فإن « أحمد بن عبد الجبار العطاردى » : قد مضى فى : ٦٦ أن أبا حاتم قال فيه : « ليس بقوى » . ولكن المتأمل فى ترجمته فى التهذيب ١ : ٥١ — ٥٢ ، وتاريخ بغداد ٤ : ٢٦٢ — ٢٦٥ — يرى أن توثيقه أرجح ، وأن الكلام فيه لم يكن عن بينة . ولذلك قال الخطيب : « كان أبو كريب من الشيوخ الكبار ، الصادقين الأبرار وأبو عبيدة السرى ابن يحيى شيخ جليل أيضاً ثقة ، من طبقة العطاردى . وقد شهد له أحدهما بالسماع ، والآخر بالعدالة . وذلك يفيد حسن حالته ، وجواز روايته . إذ لم يثبت لغيرهما قول يوجب إسقاط حديثه ، واطراح خبره » .

وهذا كاف فى قبول زيادته فى هذا الحديث ، بوصله من رواية سعيد بن المسيب عن سعد بن أبى وقاص.

(١) الحديث : ٢١٥٥ — عمرو بن على : هو الفلاس ، مضت ترجمته : ١٩٨٩ .

أبو عاصم : هو النبيل ، واسمه « الضحاك بن مخلد » ، وهو فقيه ثقة حافظ ، من شيوخ أحمد وإسحق وابن المدينى وغيرهم من الأئمة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢ / ٢ / ٣٣٧ ، والصغير : ٢٣١ ،

وقال آخرون بما : —

٢١٥٦ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا أبو داود قال، حدثنا المسعودى، عن عمرو بن مرة، عن ابن أبى ليلى، عن معاذ بن جبل : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ثلاثة عشر شهراً .(١)

وابن سعد ٤٩/٢/٧ ، وابن أبى حاتم ٤٦٣/١/٢ ، والجمع بين رجال الصحيحين ٢٢٨ — ٢٢٩ . وكان نبيلا حقاً ، صفة ولقباً . قال البخارى فى الكبير : « سمعت أبا عاصم يقول : ما اغتبت أحداً منذ علمت أن الغيبة تضر أهلها » . ولد سنة ١٢٢ ، ومات سنة ٢١٢ وهو ابن ٩٠ سنة و ٤ أشهر ولدته أمه وعمرها ١٢ سنة . رحمهما الله .

عثمان بن سعد التميمى الكاتب المعلم: ثقة ،وثقه أبو نعيم ، والحاكم وغيرهما ، وتكلم فيه بعضهم بغير حجة ، ونقل بعضهم عن النسائى أنه قال : « ليس بثقة » ، ونقل الحافظ أنه رأى بخط ابن عبد الهادى : « الصواب فى قول النسائى : أنه ليس بالقوى » . وهذا هو الصواب عن النسائى ، وهو الذى فى كتاب الضعفاء له ، ص : ٢٢ . وترجمه ابن أبى حاتم ١٥٣/١/٣، وقال : « سمع أنس ابن مالك » . وسماعه من أنس ثابت عندنا فى حديث آخر فى المسند : ١٣٢٠١ .

فهذا الإسناد — عندنا — صحيح . والحديث ذكره السيوطى فى الدر المنثور ١ : ١٤٣ ، ونسبه للبزار وابن جرير . وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢ : ١٣ ، وقال : « رواه البزار ، وفيه عثمان بن سعد ، ضعفه يحيى القطان وابن معين وأبو زرعة ، ووثقه أبو نعيم الحافظ ، وقال أبو حاتم : شيخ » . وقال الهيثمى أيضاً : « حديث أنس فى الصحيح ، إلا أنه جعل ذلك فى صلاة الصبح ، وهنا : الظهر » . يشير بذلك إلى أن أصله فى الصحيح ، وهو الحديث فى صحيح مسلم ١ : ١٤٨٠ ، من رواية حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس ، بنحوه ، وفيه : « فمر رجل من بنى سلمة ، وهم ركوع فى صلاة الفجر ، فنادى : ألا إن القبلة قد حولت ! فمالوا كما هم نحو القبلة » . وكذلك رواه ابن سعد ٤/٢/١ ، من طريق حماد بن سلمة . ومن الواضح أن هذه قصة غير التى رواها الطبرى هنا . فإن الذى هنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى انصرف بوجهه إلى الكعبة . فهذا أول تحويل القبلة . وأما رواية مسلم فتلك بشأن جماعة آخرين، فى مسجد قباء ، جاءهم مخبر فأخبرهم وهم فى الصلاة بتحويل القبلة، فاستداروا إليها. كما ثبت فى الصحيحين وغيرهما، من حديث عبد الله بن عمر . وهو فى المسند : ٤٦٤٢ ، ٤٧٩٤ ، ٥٩٣٤ ، ٥٨٢٧ .

(١) الحديث : ٢١٥٦ — أبو داود : هو الطيالسى الإمام الحافظ ، واسمه : « سليمان بن داود ابن الجارود » . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١١/٢/٢ ، وابن سعد ٥١/٢/٧ ، وابن أبى حاتم ١١١/١/٢ — ١١٣ ، مات سنة ٢٠٣ عن ٩٢ سنة لم يستكملها ، كما قال ابن سعد .

المسعودى : هو عبد الرحمن ابن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود ، وهو ثقة ، تغير حفظه فى آخر عمره . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٢٥٠/٢/٢ — ٢٥٢ . وترجمنا له فى شرح المسند مراراً ، آخرها فى الحديث : ٧١٠٥ .

ابن أبى ليلى : هو عبد الرحمن ، التابعى المشهور . ولكنه لم يسمع من معاذ بن جبل ، كما جزم بذلك على بن المدينى والترمذى وابن خزيمة ، لأنه ولد سنة وفاة معاذ أو قبلها أو بعدها بقليل .

فهذا الإسناد منقطع .

٢١٥٧ – حدثنا أحمد بن المقدام العجلي قال، حدثنا المعتمر بن سليمان قال، سمعت أبي قال، حدثنا قتادة، عن سعيد بن المسيب : أنّ الأنصار صلّت القبلةَ الأولى، قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث حجج، وأن النبي صلى الله عليه وسلم صلّى القبلةَ الأولى بعد قُدومه المدينة ستة عشر شهراً، أو كما قال. وكلا الحديثين يحدِّث قتادة عن سعيد.

° ذكر السبب الذى كان من أجله يُصلِّى رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس، قبل أن يُفرض عليه التوجُّه شطرَ الكعبة.

° ° °

اختلف أهلُ العلم فى ذلك.

فقال بعضهم : كان ذلك باختيار من النبي صلى الله عليه وسلم.

° ذكرُ من قال ذلك :

والحديث بهذا الإسناد، مختصراً، رواه أبو داود الطيالسى فى مسنده، : ٥٦٦، بلفظ : «أن النبى صلى الله عليه وسلم قدم المدينة، فصلى سبعة عشر شهراً نحو بيت المقدس، ثم نزلت عليه هذه الآية : «قد نرى تقلب وجهك فى السماء»، إلى آخر الآية، قال : فوجهه الله إلى الكعبة».

وهو جزء من حديث طويل، رواه أبو داود السجستانى فى سننه : ٥٠٧، بإسنادين : عن محمد ابن المثنى – شيخ الطبرى هنا – عن أبى داود، وهو الطيالسى – ثم رواه عن نصر بن المهاجر، عن يزيد ابن هرون، كلاهما عن المسعودى. ولكن بين أبو داود أن رواية محمد بن المثنى مختصرة، كالرواية التى فى مسند الطيالسى، ولكن ذكر أن صلاتهم نحو بيت المقدس كانت «ثلاثة عشر شهراً»، كرواية الطبرى هنا عن ابن المثنى. وأنا أرجح أن تكون رواية ابن المثنى عن الطيالسى أرجح من الرواية التى فى مسند الطيالسى، إذ أنه ليس من جمعه، بل هو من جمع أحد الرواة عنه.

ثم إن حديث معاذ – بطوله – رواه أحمد فى المسند ٥ : ٢٤٦ – ٢٤٧، عن أبى النضر هاشم بن القاسم، عن يزيد بن هرون – كلاهما عن المسعودى، بهذا الإسناد. ولكن فيه «سبعة عشر شهراً»، كرواية مسند الطيالسى.

وقد أشار الحافظ فى الفتح ١ : ٨٩ – ٩٠ إلى كثير من الروايات فى ذلك، وحاول الجمع بينها أو الترجيح. وعندى أن مثل هذا لا يستطاع ضبطه إلا أن يكتبوه فى حينه، أو تتجه هممهم إلى العناية بحفظه.

وقال الحافظ ابن كثير ١ : ٣٤٥ – ٣٤٦ : «والمقصود أن التوجه إلى بيت المقدس، بعد مقدمه صلى الله عليه وسلم المدينة. واستمر الأمر على ذلك بضعة عشر شهراً، وكان يكثر الدعاء والابتهال أن أن يوجه إلى الكعبة. التى هى قبلة إبراهيم عليه السلام. فأجيب إلى ذلك، وأمر بالتوجه إلى البيت العتيق».

وانظر أيضاً تاريخ ابن كثير ٣ : ٢٥٢ – ٢٥٤.

٢١٥٨ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح أبو تَميلة قال، حدثنا الحسين بن واقد، عن عكرمة – وعن يزيد النحوىّ ، عن عكرمة – والحسن البصرى قالا : أوَّلُ ما نُسخ من القرآن القبلةُ . وذلك أنّ النبى صلى الله عليه وسلم كان يستقبل صَخرَة بيت المقدس ، وهى قبلة اليهودِ . فاستقبلها النبىّ صلى الله عليه وسلم سبعةَ عشر شهرًا ليؤمنوا به ويتبعوه ، ويدعو بذلك الأميين من العرب . فقال الله عز وجل : ﴿ وِلِلّهِ المَشْرِقُ والمغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة : ١١٥] .

٢١٥٩ – حدثنى المثنى بن إبراهيم قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « سيقولُ السفهاء من الناس مَاوَلاَّهم عَن قبلتهم التى كانوا عليها » ، يعنون بيتَ المقدس . قال الربيع ، قال أبو العالية : إنّ نبىّ الله صلى الله عليه وسلم خُيِّر أن يوجِّه وجهه حيث شاء ، فاختار بيت المقدس لكى يتألَّف أهلَ الكتاب ، فكانت قبلتَهُ ستة عشر شهراً ، وهو فى ذلك يقلِّب وَجهه فى السماء ، ثم وَجَّهه الله إلى البيت الحرام .

* * *

وقال آخرون : بل كان فعلُ ذلك – من النبىّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه – بفرض الله عز ذكره عليهم .

* ذكر من قال ذلك :

٢١٦٠ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنا معاوية ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قال : لما هاجرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وكان [أكثرَ] أهلها اليهودُ ، أمرَه الله أن يستقبل بيتَ المقدس . ففرحت اليهود . فاستقبلها رَسُول الله صلى الله عليه وسلم بضْعة عَشر شهراً ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحبّ قبلةَ إبراهيم عليه السلام ، وكان يدعو وينظر إلى السماء . فأنزل الله عز وجل : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وجْهِكَ فى

السَّماء ﴾ [سورة البقرة: ١٤٤] الآية . فارتاب من ذلك اليهود وقالوا: « ما ولاَّهم عن قبلتهم التى كانوا عليها » ؟ فأنزل الله عز وجل : « قُلْ لله المشرق والمغرب » .(١)

٢١٦١ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أوَّلَ ما صلى إلى الكعبة ، ثم صُرف إلى بَيت المقدس . فصلَّت الأنصارُ نحو بيت المقدس قبلَ قُدومه ثلاث حِجَجٍ ، وصلّى بعد قُدومه ستة عشر شهراً، ثم ولاَّه الله جل ثناؤه إلى الكعبة .

* * *

* ذكر السبب الذى من أجله قال من قال : « ما ولاَّهم من قبلتهم التى كانوا عليها » ؟

* * *

اختلف أهل التأويل فى ذلك . فرُوِى عن ابن عباس فيه قولان . أحدهما ما : –

٢١٦٢ – حدثنا به ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال ، حدثنا ابن إسحق قال ، حدثنى محمد بن أبى محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال ذلك قومٌ من اليهود للنبى صلى الله عليه وسلم، فقالوا له : ارجِعْ إلى قبلتك التى كنت عليها نتَّبعك ونصدّقك ! يريدون فتنتَهُ عن دينه .(٢)

والقول الآخر : ما ذكرتُ من حَديث على بن أبى طلحة عنه الذى مضى قبل .(٣)

* * *

٢١٦٣ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة قوله : « سيقول السفهاءُ من الناس ما وَلاَّهم عن قبلتهم التى كانوا عَليها » ؟ قال : صلَّت الأنصار نحو بيت المقدس حَولين قَبْل قُدوم النبى صلى الله عليه وسلم المدينةَ ، وصلى نبى الله صلى الله عليه وسلم بعدَ قدومه المدينة مهاجراً، نحو بيت

(١) الأثر: ٢١٦٠ – مضى برقم: ١٨٣٣ ويأتى برقم: ٢٢٣٦، والزيادة بين القوسين من الموضعين.
(٢) الأثر : ٢١٦٢ – هو بعض الأثر السالف رقم : ٢١٤٩ .
(٣) يعنى الأثر رقم : ٢١٦٠ .

٢/٥ المقدس ، ستة عشر شهراً ، ثم وجّهه اللهُ بعد ذلك إلى الكعبة البيتِ الحرام . فقال فى ذلك قائلون من الناس : « ما ولاّهم عن قبلتهم التى كانوا عليها » ؟ لقد اشتاق الرَّجُل إلى مَوْلده ! فقال الله عز وجل : « قلْ لله المشرقُ والمغربُ يهدى مَنْ يَشاءُ إلى صراط مُستقيم » .

* * *

وقيل : قائلُ هذه المقالة المنافقون . وإنما قالوا ذلك ، استهزاءً بالإسلام .

* ذكر من قال ذلك :

٢١٦٤ — حدثنى موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ،عن السدى قال : لما وُجِّه النبيُّ صلى الله عليه وسلم قِبَلَ المسجد الحرام ، اختلفَ الناس فيها فكانوا أصنافاً . فقال المنافقون: ما بالُهم كانوا على قبلة زماناً، ثم تركوها وتوجّهوا إلى غيرها ؟ فأنزل الله فى المنافقين : «سيقول السفهاءُ من الناس » ، الآية كلها .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (١٤٢)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك عز وجل : قُلْ يا محمد — لهؤلاء الذين قالوا لك ولأصحابك: ما ولاّكم عن قبلتكم من بيت المقدس ، التى كنتم على التوجُّه إليها إلى التوجُّه إلى شطر المسجد الحرام؟ — : لله مُلك المشرق والمغرب = يعنى بذلك : ملكُ ما بين قُطرَىْ مشرق الشمس وقُطرَىْ مغربها ، وما بينهما من العالم[1]= يهدى من يشاء من خلقه، [2] فيُسدده ويوفّقه إلى الطريق القويم، وهو « الصراط

(١) انظر تفسير « المشرق والمغرب » فيما سلف ٢ : ٥٢٦ — ٥٣٠

(٢) انظر تفسير « هدى » فيما سلف ١ : ١٦٦ — ١٦٩ ، وفى فهرس اللغة فى الجزء الأول والثانى

المستقيم »[١] — ويعنى بذلك : إلى قبلة إبراهيمَ الذى جعله للناس إماماً — ويخذُل من يشاء منهم ، فيضلُّه عن سبيل الحق .

* * *

وإنّما عنى جل ثناؤه بقوله : « يَهدى من يَشاء إلى صراط مُستقيم » ، قُلْ يا محمد : إنّ الله هَدانا بالتوجُّه شطرَ المسجد الحرام لقبلة إبراهيم ، وأضلّكم — أيها اليهودُ والمنافقون وجماعةُ الشرك بالله — فخذلكم عما هدانا لهُ من ذلك .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « وكذلك جَعلناكم أمة وسطاً » ، كما هدينا كم أيّها المؤمنون بمحمد عليه السلام وبما جاءكم به من عند الله ، فخصصناكم بالتوفيق لقِبلة إبراهيم وملته ، وفضلناكم بذلك على من سواكم من أهل الملل ، كذلك خصصناكم ففضّلناكم على غيركم من أهل الأديان ، بأن جعلناكم أمة وسطاً .

* * *

وقد بينا أن « الأمة » ، هى القرن من الناس والصِّنف منهم وَغيرهم .[٢]

* * *

وأما « الوسَط » ، فإنه فى كلام العرب الخيارُ . يقال منه : «فلان وَسَطُ الحسب فى قومه» ،[٣] أى متوسط الحسب ، إذا أرادوا بذلك الرفع فى حسبه ، و«هو وَسَطٌ فى قومه ، وواسطٌ» ،[٤] كما يقال : « شاة يابِسةُ اللبن ويَبَسةُ اللبن » ، وكما قال جل ثناؤه

(١) انظر تفسير « الصراط المستقيم » فيما سلف ١ : ١٧٠ — ١٧٧ .
(٢) انظر ما سلف ١ : ٢٢١ / ثم هذا الجزء ٣ : ٧٤ ، ١٠٠ ، ١٢٨
(٣) يقولون أيضاً : « هو وسيط الحسب فى قومه » ، إذا كان أوسطهم نسباً ، وأرفعهم مجداً .
(٤) شاهد قولهم « واسط » من شعرهم ، قول جابر بن ثعلب الطائى :

وَمَنْ يَفْتَقِرْ فِى قَوْمِهِ يَحْمَدِ الغِنَى وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ وَاسِطَ العَمِّ مُخْوِلاَ

﴿ فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا ﴾ [سورة طه : ٧٧]، وقال زُهير بن أبي سُلمى فى « الوسط » :

هُمُ وَسَطٌ تَرْضَى الأنامُ بِحُكْمِهِمْ إذَا نَزَلَتْ إحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَمِ (١)

* * *

قال أبو جعفر : وأنا أرى أن « الوسَط » فى هذا الموضع ، هو « الوسط » الذى بمعنى : الجزءُ الذى هو بين الطرفين ، مثل « وَسط الدار » محرَّك الوَسط مثقَّله ، غيرَ جائز فى « سينه » التخفيف .

وأرى أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم « وَسط » ، لتوسطهم فى الدين ، فلا هُم أهل غُلوٍّ فيه ، غلوَّ النصارى الذين غلوا بالترهب ، وقيلهم فى عيسى ما قالوا فيه — ولا هُم أهلُ تقصير فيه ، تقصيرَ اليهود الذين بدَّلوا كتابَ الله ، وقتلوا أنبياءَهم ، وكذبوا على ربهم ، وكفروا به ؛ ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه . فوصفهم الله بذلك ، إذ كان أحبَّ الأمور إلى الله أوْسطُها .

* * *

وأما التأويل ، فإنه جاء بأن « الوسط » العدلُ . وذلك معنى الخيار ، لأن الخيارَ من الناس عُدولهم .

* ذكر من قال : « الوسطُ » ، العدلُ .

٢١٦٥ — حدثنا سَلْم بن جُنادة ويعقوب بن إبراهيم قالا ، حدثنا حفص ابن غياث ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله

---

(١) كأنه من قصيدته المعلقة ، ديوانه ٢ : ٢٧ ، ولكن رواية صدر البيت فى الديوان :

* لِحَيٍّ حِلَالٍ يَعْصِمُ النَّاسَ أَمْرُهُمْ *

ولم أجد هذه الرواية فيما طبع من روايات ديوانه . ولكن البيت بهذه الرواية أنشده الجاحظ فى البيان ٣ : ٢٢٥ غير منسوب . وهو منسوب إلى زهير فى أساس البلاغة « وسط » . ورواية الديوان ، والجاحظ : « إذا طرقت إحدى الليالى » . وهما سواء .

عليه وسلم فى قوله : « وكذلك جَعلناكم أمة وَسطاً » ، قال : عُدولاً . (١)

٢١٦٦ – حدثنا مجاهد بن موسى ومحمد بن بشار قالا ، حدثنا جعفر بن عون ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى سعيد ، عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله .

٢١٦٧ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى سعيد الخدرى : « وكذلك جَعلناكم أمَّة وَسطاً » ، قال : عدولاً .

٢١٦٨ – حدثنى على بن عيسى قال ، حدثنا سعيد بن سليمان ، عن حفص ابن غياث ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله : « جعلناكم أمَّة وسطاً » ، قال : عدولاً . (٢)

---

(١) الحديث : ٢١٦٥ – سلم بن جنادة ، شيخ الطبرى ، مضت ترجمته فى : ٤٨ ، وكثرت رواية الطبرى عنه ، وهو أبو السائب . وفى المطبوعة هنا « سالم » ، وهو خطأ تكرر فيها . ولا حاجة بنا إلى التنبيه عليه بعد ذلك .

يعقوب بن إبراهيم : هو الدورقى الحافظ ، مضى : ٢٣٧ .

وهذا الإسناد والإسنادان بعده ، لحديث واحد ، مختصر من حديث سيأتى : ٢١٧٩ .

ورواه مختصراً أيضاً ، أحمد فى المسند : ١١٠٨٤ ، عن أبى معاوية ، عن الأعمش ، به . ورواه بنحوه أيضاً : ١١٢٩١ ، عن وكيع ، عن الأعمش . (المسند ٣ : ٩ ، ٣٢ حلبى) . ونقله ابن كثير ١ : ٣٤٨ ، عن المسند . وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٦ : ٣١٦ ، وقال : « رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح » .

وقد وهم صاحب الزوائد فى إدخاله فيها ، لأنه مختصر من الحديث المطول الآتى ، وقد أخرجه البخارى وغيره ، فليس من الزوائد .

وهذه الروايات المختصرة عند الطبرى – أشار إليها الحافظ فى الفتح ٨ : ١٣١ ، أثناء شرحه الرواية المطولة .

وكل الروايات التى رأينا ، فيها « عدلا » بدل « عدولا » . ولعل ما هنا من تحريف الناسخين ، لأن الأجود صيغة الإفراد . على الوصف بالمصدر ، يستوى فيه المذكر والمؤنث والمثنى والجمع . وفى اللسان : « فإن رأيته مجموعاً أو مثنى أو مؤنثاً – فعلى أنه قد أجرى مجرى الوصف الذى ليس بمصدر » . والذى نقله الحافظ فى الفتح ، والسيوطى فى الدر المنثور ١ : ١٤٤ – بلفظ « عدلا » أيضاً بل عبارة أبى جعفر نفسه ، قبل هذا الحديث تدل على ذلك ، إذ قال : « ذكر من قال : الوسط العدل » .

(٢) الحديث : ٢١٦٨ – على بن عيسى بن يزيد البغدادى الكراجكى : ثقة ، من شيوخ الترمذى وابن خزيمة ، مترجم فى التهذيب ، بغداد ١٢ : ١٢–١٣ . قال الخطيب : « وما علمت من حاله إلا خيراً » . مات سنة ٢٤٧ .

٢١٦٩ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد : « وكذلك جعلناكم أمة وَسطاً » ، قال : عدولاً .

* * *

٢١٧٠ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : « وكذلك جعلناكم أمة وَسطاً » ، قال : عدولاً

٢١٧١ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٢١٧٢ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن
٦/٢ قتادة قوله : « أمة وَسطاً » ، قال : عُدولاً .

٢١٧٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « أمة وَسطاً » ، قال : عدولاً

٢١٧٤ – حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : « أمة وَسطاً » ، قال : عدولاً .

سعيد بن سليمان : هو أبو عثمان الواسطي البزاز ، لقبه « سعدويه » ، سبق توثيقه في شرح : ٦١١ . مترجم في التهذيب ، والكبير ٢/١/٤٤٠ وابن سعد ٧/٢/٨١ ، وابن أبي حاتم ٢/١/٢٦ ، وتاريخ بغداد ٩ : ٨٤ – ٨٧ . مات سنة ٢٢٥ ، وله ١٠٠ سنة .

حفص بن غياث : مضى في : ١٠٣٧ ، ولكن روايته هنا عن أبي صالح ذكوان السمان ، منقطعة يقيناً ، فإن أبا صالح مات سنة ١٠١ ، وحفص ولد سنة ١١٧ . وإنما يروى عن الأعمش وطبقته ، عن أبي صالح ، كما في الإسناد الماضي : ٢١٦٥ .

ولعله سقط من نسخة الطبري في هذا الموضع بينهما : « عن الأعمش » – فيستقيم الإسناد ، ويكون صحيحاً . ولم أستطع الجزم بشيء في ذلك ، لأني لم أجد حديث أبي هريرة هذا في كتاب آخر ذي إسناد . وإنما ذكره السيوطي في الدر المنثور ١ : ١٤٤ ، ونسبه للطبري وحده .

وقد يرجح سقوط « الأعمش » من الإسناد في هذا الموضع : أن الحافظ حين أشار في الفتح ٨ : ١٣١ – إلى روايات الطبري المختصرة لحديث أبي سعيد ، السابق ، ذكر منها أن الطبري رواه « من طريق وكيع عن الأعمش ، بلفظ : والوسط العدل ، مختصر مرفوعا . ومن طريق أبي معاوية عن الأعمش ، مثله » . فهذان إسنادان لحديث أبي سعيد ، نقلهما الحافظ ابن حجر – وهو من هو ، دقة وتحرياً – عن هذا الموضع من الطبري ، وليسا في النسخة بين أيدينا . فلا يبعد أن يكون في هذا الإسناد أيضاً نقص قوله « عن الأعمش » بين حفص بن غياث وأبي صالح .

٢١٧٥ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وكذلك جعلناكم أمة وَسطاً» ، يقول : جعلكم أمةً عُدولاً .

٢١٧٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك، عن رِشْدين بن سعد قال ، أخبرنا ابن أنعم المعافري ، عن حبان بن أبي جبلة، يسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وكذلك جعلناكم أمةً وَسَطاً » ، قال : الوسطُ العدل .(١)

٢١٧٧ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء ومجاهد وعبد الله بن كثير : « أمة وَسَطاً » ، قالوا : عُدولاً . قال مجاهد : عَدْلاً .(٢)

٢١٧٨ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً » ، قال : هم وَسَطٌ بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين الأمم .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ لِتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾

قال أبو جعفر : « والشهداء » جمع « شَهيد » .(٣)

* * *

فمعنى ذلك : وكذلك جعلناكم أمَّة وَسطاً عُدولاً ، [لتكونوا]

(١) الحديث : ٢١٧٦ – هو قطعة من حديث مطول ، سيأتي : ٢١٩٥ . و « رشدين بن سعد » ثبت في المطبوعة هنا « راشد بن سعد » . وهو خطأ ، كما سنبين هناك إن شاء الله .

(٢) في المطبوعة : « وقال مجاهد : عدولا » ، وكأن الصواب ما أثبت ، وإلا كان كلاماً زائداً ، لا معنى له .

(٣) انظر تفسير « الشهداء » فيما سلف ١ : ٣٧٦ – ٣٧٨ / وهذا الجزء ٣ : ٩٧

شُهداءَ لأنبيائى ورُسلى على أممها بالبلاغ ،[١] أنها قد بلغت ما أُمرَت ببلاغه من رسالاتى إلى أممها ، ويكونَ رسولى محمدٌ صلى الله عليه وسلم شهيداً عليكم ، بإيمانكم به وبما جاءكم به من عندى ، كما : —

٢١٧٩ — حدثنى أبو السائب قال، حدثنا حفص ، عن الأعمش ، عن أبى صالح، عن أبى سعيد قال ،قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يُدعى بنوح عليه السلام يوم القيامة فيقال له: هل بلَّغتَ ما أرسِلت به ؟ فيقول : نعم . فيقال لقومه : هل بلغكم ؟ فيقولون : ما جاءنا من نذير ! فيقال له : من يعلم ذاك ؟ فيقول : محمد وأمته . فهو قوله : « وكذلك جعلناكم أمَّةً وَسطاً لتكونوا شُهداء على الناس ويكونَ الرسولُ عليكم شهيداً ».[٢]

٢١٨٠ — حدثنا مجاهد بن موسى قال حدثنا جعفر بن عون قال ، حدثنا الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى سعيد ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، بنحوه — إلا أنه زاد فيه : فيُدعون وَيشهدون أنه قد بلَّغ .

٢١٨١ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى سعيد : « وكذلك جعلناكم أمة وسَطاً لتكونوا شُهداءَ على الناس » — بأن الرسل قد بلَّغوا — « ويكونَ الرسول عليكم

---

(١) ما بين القوسين زيادة لا بد منها ، بدلالة الآية ، ودلالة ما سيأتى من قوله : « ويكون رسولى » .

(٢) الحديث : ٢١٧٩ — هو والإسنادان بعده ، لحديث واحد ، مضى بعضه بهذه الأسانيد : ٢١٦٥ — ٢١٦٧ ، إلا أن هناك زيادة شيخين للطبرى فى الإسنادين الأولين منها .

والحديث رواه الإمام أحمد فى المسند ، بنحوه : ١١٣٠ ، عن وكيع عن الأعمش ، و ١١٥٧٩ ، عن أبى معاوية عن الأعمش . (٣ : ٣٢ ، ٥٨ حلبى) .

ورواه البخارى ٦ : ٢٦٤ ، من طريق عبد الواحد بن زياد ، و ٨ : ١٣٠ — ١٣١ ، من طريق جرير وأبى أسامة ، و ١٣ : ٢٦٦ ، من طريق أبى أسامة وجعفر بن عون — كلهم عن الأعمش ، بهذا الإسناد نحوه .

ونقله ابن كثير فى التفسير ١ : ٣٤٧ — ٣٤٨ ، من روايتى الإمام أحمد ، وقال : « رواه البخارى والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجة ، من طرق ، عن الأعمش » .

ونسبه السيوطى ١ : ١٤٤ لهؤلاء ولغيرهم .

شهيداً » . بما عملتم ، أو فعلتم .

٢١٨٢ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن فضيل ، عن أبي مالك الأشجعي ، عن المغيرة بن عتيبة بن النهاس : أن مُكاتباً لهم حدّثهم عن جابر بن عبد الله : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إني وأمتي لعلى كَوْمٍ يومَ القيامة ، مُشرفين على الخلائق . ما أحدٌ من الأمم إلاّ ودّ أنه منها أيّتُها الأمة ،[1] وَما من نبيّ كذّبه قومُه إلا نحن شُهداؤه يومَ القيامة أنه قد بلّغ رسالات ربه ونصحَ لهُم . قال : « ويكونَ الرسول عليكم شهيداً » .[2]

---

(١) في حديث كعب بن مالك : « « فتخلفنا أيتها الثلاثة » – يريد تخلفهم عن غزوة تبوك ، وتأخر توبتهم . وهذه اللفظة تقال في الاختصاص ، وتختص بالمخبر عن نفسه والمخاطب . تقول : « ما أنا فأفعل كذا أيها الرجل » ، يعني نفسه . فمعنى قول كعب : « أيتها الثلاثة » ، أي المخصوصين بالتخلف . (لسان العرب ، مادة : أيا) .

(٢) الحديث : ٢١٨٢ – هذا إسناد ضعيف ، لجهالة التابعي الذي رواه عن جابر ، وفي اسم الراوي عن التابعي بحث يحتاج إلى تحقيق .

ابن فضيل : هو محمد بن فضيل بن غزوان ، مضى : ١٨٤٠ . أبو مالك الأشجعي : هو سعد بن طارق بن أشيم ، تابعي ثقة . مترجم في التهذيب . والكبير ٢/٢/٥٩ ، . وابن أبي حاتم ٢/١/٨٦ – ٨٧ .

المغيرة بن عتيبة بن النهاس : ثبت في الطبري هنا « عيينة » ، بدل « عتيبة » . ولم يترجم في التهذيب ولا ذيوله . وترجمه ابن أبي حاتم ٤/١/٢٢٧ هكذا : « مغيرة بن عتيبة بن نهاس العجلي . وكان قاضياً لأهل الكوفة . روى عن سعيد بن جبير ، وموسى بن طلحة ، وعن مكتب عن جابر » ، إلخ ، وترجمه البخاري في الكبير ٤/١/٣٢٢ – ٣٢٣ هكذا : « مغيرة بن عيينة بن عابس . قال ابن المبارك : ابن النحاس ، عن . . . وعن مكتب بن جابر . . . » .

وحقق العلامة الشيخ عبد الرحمن بن يحيى اليماني ، مصحح الكتابين – ترجيح ما في كتاب ابن أبي حاتم ، لموافقته ما ثبت في الثقات لابن حبان ، والإكمال لابن ماكولا . وهو الصحيح . وللمغيرة هذا روايات كثيرة في تاريخ الطبري ، وثبت اسم أبيه في كثير منها على الصواب ، وذكر اسمه ونسبه كاملا هناك ٤ : ٨١ « المغيرة بن عتيبة بن النهاس العجلي » .

وأما قوله هنا « أن مكاتباً لهم حدثهم عن جابر » – فيفهم منه أن التابعي المبهم الراوي عن جابر ، هو من موالي آل المغيرة الراوي عنه ، وأنه مكاتب لهم . ولكن الذي في كتابي البخاري وابن أبي حاتم – كما ترى : « وعن مكتب عن جابر » . فقال العلامة عبد الرحمن في تعليقه على ابن أبي حاتم : « أراه سعيد بن زياد المكتب » ولكنه قبل ذلك في تعليقه على التاريخ الكبير ، ذكر ذلك احتمالا فقط ، بل كاد يرده بأن « سعيد بن زياد المكتب مولى زياد المكتب مولى بني زهرة » ترجمه البخاري – يعني في ٢/١/٤٣٣ « ولكن لم يذكر روايته عن جابر ولا غيره من الصحابة » . وهو كما قال ، وكذلك ترجمه في التهذيب وغيره . فلذلك أنا أستبعد جداً أن يكون هو المراد بقول البخاري وابن أبي حاتم في شيوخ المغيرة « عن مكتب عن

٢١٨٣ – حدثني عصام بن روّاد بن الجرّاح العسقلاني قال ، حدثنا أبي قال ، حدثنا الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن عبد الله بن أبي الفضل ، عن أبي هريرة قال : خرجتُ مع النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة ، فلما صلى على الميت قال الناس : نِعم الرجل ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : وَجبت ! ثم خرجت مَعه في جنازة أخرى ، فلما صلوا على الميت قال الناس : بئس الرجل ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : وَجبت . فقام إليه أبيّ بن كعب فقال : يا رسولَ الله ، ما قولك وجبت؟ قال : قول الله عز وجل : « لتكونوا شُهداءَ على الناس » .(١)

٢١٨٤ – حدثني عليّ بن سَهل الرملي قال ، حدثنا الوليد بن مسلم قال ،

جابر » . بل أكاد أرجح ما هنا في الطبري : أنه عن « مكاتب » ، وأن يكون ذكر في بعض الروايات هكذا ، ولعل بعض الناسخين القدماء نقلها حين نسخها محذوفة الألف .

ولم أجد هذا الحديث في كتاب آخر ذي إسناد ، حتى أستطيع أن أتجاوز هذا الحد في التحقيق . ولكن ذكره السيوطي ١ : ١١٤ – دون إسناد طبعاً – ونسبه لابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، فقط .

وذكره ابن كثير ١ : ٣٤٨ ، نقلا عن ابن مردويه وابن أبي حاتم ، من طريق عبد الواحد بن زياد ، عن أبي مالك الأشجعي ، بهذا الإسناد . وفيه « عن مغيرة بن عتيبة بن نباس » ! وهو غلط واضح .

(١) ٢١٨٣ – عصام بن رواد بن الجراح العسقلاني : ثقة ، ترجمه ابن أبي حاتم ٣/٢/٢٦ ، وقال : « روى عنه أبي ، وكتبت أنا عنه » ، ثم قال : « سئل أبي عنه ؟ فقال : صدوق » . وفي لسان الميزان : « لينه الحاكم أبو أحمد . وذكره ابن حبان في الثقات » .

أبوه « رواد بن الجراح » : مضت ترجمته : ١٢٦ . ونزيد هنا : مترجم أيضاً في ميزان الاعتدال . ومجموع الكلام فيه يؤيد ضعفه . وقد روى له الطبري – فيما يأتي (٢٢ : ٧٢ – ٧٣) حديثاً مكذوباً لا أصل له . وروى ما يدل على أن هذا الشيخ أدخل عليه ذلك الحديث ، فلئن كان ذاك إن فيه لغفلة شديدة ما يجوز معها أن يقبل شيء من روايته . أما هذا الحديث – الذي هنا – فإنه لم ينفرد بروايته ، كما سيجيء في الإسناد التالي لهذا .

وقد وقع في المطبوعة هنا « عصام بن وراد » بتقديم الواو على الراء ؛ وهو خطأ ظاهر .

عبد الله بن أبي الفضل المديني : ترجمه ابن أبي حاتم ٢/٢/١٣٧ ، وروى عن أبيه قال : « لم يرو عنه غير يحيى بن أبي كثير ، ولا نعرفه » . وعن ذلك قال الذهبي في الميزان : « مجهول » . وقال الحافظ في لسان الميزان : « ذكره ابن حبان في الثقات » . وهذا – عندنا كاف في الاحتجاج بحديثه ، إذ هو تابعي عرف شخصه ، ووثقه ابن حبان . والتابعون – عندنا – على القبول ، حتى يثبت في أحدهم جرح مقبول .

ووقع هنا في المطبوعة « عبد الله بن الفضل » بحذف كلمة « أبي » ، وهو خطأ . وثبت على الصواب في الإسناد بعده .

حدثني أبو عمرو ، عن يحيى قال ، حدثني عبد الله بن أبي الفضل المديني قال ، حدثني أبو هريرة قال: أُتي رَسول الله صلى الله عليه وسلم بجنازة ، فقال الناس : نعم الرجل ! ثم ذكر نحو حديث عصَام عن أبيه . (١)

٢١٨٥ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا زيد بن حباب قال ، حدثنا عكرمة ابن عمار قال، حدثني إياس بن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فمُرَّ عليه بجنازة ، فأثنِيَ عليها بثناء حَسن، فقال : وجبت ! ومُرَّ عليه بجنازة أخرى ، فأثنِيَ عليها دون ذلك، فقال : وجبت ! قالوا : يارسول الله، ما وجبت؟ قال: الملائكة شُهداء الله في السماء ، وأنتم شهداء الله في الأرض، فما شهدتم عليه وجب . ثم قرأ ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ الآية [سورة التوبة: ١٠٥]. (٢)

* * *

(١) الحديث: ٢١٨٤ – هو إسناد آخر للحديث السابق . علي بن سهيل الرملي : مضى : ١٣٨٤ .
الوليد بن مسلم الدمشقي ، عالم الشأم : ثقة متقن صحيح العلم صحيح الحديث ، من شيوخ أحمد وإسحق وغيرهما ، مات سنة ١٩٥ . مترجم في التهذيب، والكبير ٤/٢/١٥٢–١٥٣، وابن سعد ٧/٢/١٧٣ ، وابن أبي حاتم ٤/٢/١٦–١٧، وروى عن مروان بن محمد، قال: «كان الوليد بن مسلم عالماً بحديث الأوزاعي».
وشيخه في هذا الإسناد «أبو عمرو» – : هو الأوزاعي .
والحديث – من هذا الوجه – صحيح ، وذكره السيوطي ١ : ١٤٥ ، ونسبه للطبري وابن أبي حاتم .
وأصله ثابت من حديث أبي هريرة . رواه أحمد في المسند : ٧٥٤٣ . ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجة ، كما بينا هنا . ولكن لم يذكر فيه سؤال أبي بن كعب ، ولا الاستشهاد بالآية . وفي مجمع الزوائد ٣ : ٤ رواية أخرى له مطولة ، وفيها أن السائل هو عمر . وذكر أنه «رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح» .

(٢) الحديث : ٢١٨٥ – وهذا إسناد صحيح ، على شرط مسلم .
زيد بن الحباب – بضم الحاء المهملة وتخفيف الموحدة – العكلي : ثقة من شيوخ أحمد وابن المديني وغيرهما من الأئمة، وهو مترجم في التهذيب، والكبير للبخاري ٢/١/٣٥٨، وابن سعد ٦ : ٢٨١، وابن أبي حاتم ١/٢/٥٦١ – ٥٦٢ .
عكرمة بن عمار العجلي : ثقة ، روى عنه شعبة والثوري ووكيع وغيرهم . وهو مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري ٤/١/٥٠، وابن سعد ٥ : ٤٠٤ ، وابن أبي حاتم ٣/٢/١٠ – ١١ .
إياس بن سلمة بن الأكوع : تابعي ثقة كثير الحديث ، أخرج له أصحاب الكتب الستة ، وهو قد سمع من أبيه الصحابي ، وروى له الشيخان وغيرهما أحاديث من روايته عنه . وهو مترجم في التهذيب ،

٢١٨٦ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « لتكونوا شهداء على الناس » ، تكونوا شهداء لمحمد عليه السلام على الأمم ، اليهود والنصارى والمجوس .

٢١٨٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبوحذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٢١٨٨ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا [أبو] عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح قال : يأتي النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة نَادِيَهُ ليس معه أحد ، فتشهد له أمة محمد صلى الله عليه وسلم أنه قد بلغهم .(١)

٢١٨٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبوحذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن أبيه ، أنه سمع عبيد بن عمير مثله .

٢١٩٠ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قال ، حدثني ابن أبي نجيح ، عن أبيه قال ، يأتي النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ، فذكر مثله ، ولم يذكر عبيد بن عمير ؛ مثله .

٢١٩١ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن

والكبير للبخاري ١/١/٤٣٩ ، وابن سعد ٥ : ١٨٤ ، وابن أبي حاتم ١/١/٢٧٩ – ٢٨٠ . ورجال الصحيحين ، ص : ٤٧ .

والحديث ذكره السيوطي ١ : ١٤٥ ، باختصار في آخره . ونسبه لابن أبي شيبة ، وهناد ، وابن جرير والطبراني . ونقله الهيثمي في مجمع الزوائد ٣ : ٤ – ٥ ، عن إسنادين للطبراني في الكبير ، في كل منهما رجل ضعيف . فيستفاد تصحيح الحديث بهذا الإسناد الصحيح عند ابن جرير . وفي المطبوعة : « فما شهدتم عليه وجبت » ، والصواب ما أثبت .

(١) الأثر : ٢١٨٨ – كان في المطبوعة « حدثنا عاصم » ، والصواب ما أثبت ، وهو إسناد دائر في التفسير ، أقربه : ٢١٨٦ . أما قوله : « ناديه » فهكذا جاءت في المطبوعة ، وفي مطبوعات أخرى ، وفي المخطوطات ، وفي الدر المنثور ١ : ١٤٦ : « بإذنه » ، وهذه الأخيرة لا معنى لها . أما قوله : «ناديه» ، فكأنه أراد موقفه يوم القيامة . والنادي : مجتمع القوم وأهل المجلس . ولكني أرجح أن اللفظ محرف عن كلمة معناها « وحده – أو منفرداً » ، فإن سياقه يقتضي ذلك . وقوله : « يأتي النبي صلى الله عليه وسلم ناديه » أرجح أن قوله : « صلى الله عليه وسلم » زيادة ناسخ ، والسياق يقتضي أن يكون : « يأتي النبي يوم القيامة ناديه ليس معه أحد » .

قتادة « لتكونوا شُهداء على الناس » ، أى أنّ رسلهم قد بلغت قومَها عن ربّها ، « ويكون الرسول عليكم شَهيداً » ، على أنه قد بلغ رسالات ربِّه إلى أمته .

٢١٩٢ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن زيد بن أسلم : أنّ قوم نوح يَقولونَ يوم القيامة : لم يبلِّغنا نوحٌ ! فيدعَى نوح عليه السلام فيسأل : هل بلغتهم؟ فيقول : نعم . فيقال : من شُهودك ؟ فيقول : أحمد صلى الله عليه وسلم وأمته . فتدعون فتُسألون فتقولون : نعم ، قد بلّغهم . فتقول قوم نوح عليه السلام : كيف تشهدون علينا ولم تدركونا ؟ قالوا : قد جاء نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم فأخبرنا أنه قد بلغكم ، وأنزل عليه أنه قد بلغكم ، فصدّقناه . قال : فيصدّق نوح عليه السلام ، ويكذبونهم . قال : « لتكونوا شُهداء على الناس ويَكونَ الرسول عليكم شهيداً »

٢١٩٣ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « لتكونوا شُهداء على الناس » ، لتكون هذه الأمة شُهداء على الناس أنّ الرسل قد بلّغتهم ، ويكون الرسول على هذه الأمة شهيداً أن قد بلّغ ما أرسل به .

٢١٩٤ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن زيد بن أسلم : أنّ الأمم يقولُون يوم القيامة : والله لقد كادت هذه الأمّة أن تكون أنبياءَ كلهم ! لما يرون الله أعطاهم .

٢١٩٥ ــ حدثنا المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، حدثنا ابن المبارك ، عن رِشْدين بن سعد ، قال أخبرنى ابن أنعم المعافرى ، عن حبان بن أبى جبلة يُسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا جمع الله عباده يوم القيامة ، كان أوّلَ من يدعى إسرافيلُ ، فيقول له ربه : ما فعلتَ فى عهدى ؟ هل بلغت عهدى ؟ فيقول : نعم رَبّ ، قد بلغته جبريل عليهما السلام . فيدعى جبريل ، فيقال له :

هل بَلغك إسرافيلُ عهدى ![1] فيقول : نعم ربّ ، قد بلغنى . فيخلّى عن إسرافيلُ ، ويقال لجبريل : هل بلغت عهدى؟ فيقول : نعم ، قد بلغتُ الرسل . فتُدعى الرسل ، فيقال لهم : هل بلّغكم جبريلُ عهدى ؟ فيقولون : نعم ربّنا . فيخلّى عن جبريل ، ثم يقال للرسل : ما فعلتم بعهدى؟ فيقولون : بلّغنا أممنا . فتدعى الأمم ، فيقال : هل بلغكم الرسل عهدى ؟ فمنهم المكذّب ومنهم المصدّق ، فتقول الرسل : إن لنا عليهم شهوداً يَشهدون أنْ قد بلّغنا مع شهادتك . فيقول : من يشهد لكم؟ فيقولون : أمّة محمد . فتدعى أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فيقول : أتشهدون أنّ رُسلى هؤلاء قد بلّغوا عهدى إلى من أرسلوا إليه؟ فيقولون : نعم ربّنا ، شهدنا أنْ قد بلّغوا . فتقول تلك الأمم : كيف يشهد علينا من لم يُدركنا ؟ فيقول لهم الرب تباركَ وتعالى : كيف تشهدون على من لم تدركوا ؟ فيقولون : ربنا بعثت إلينا رسولاً ، وأنزلت إلينا عهدك وكتابك ، وقصصت علينا أنّهم قد بلّغوا ، فشهدنا بما عهدْتَ إلينا . فيقول الرب : صدقوا . فذلك قوله : « وكذلك جعلناكم أمة وَسطاً » — والوسطُ العَدْل — « لتكونوا شُهداء على الناس ويكونَ الرسولُ عليكم شهيداً » . قال ابن أنعم : فبلغنى أنه يشهد يومئذ أمّةُ محمد صلى الله عليه وسلم ، إلاّ من كان فى قلبه حِنَةٌ على أخيه .[2]

---

(١) فى المطبوعة : « هل بلغت إسرافيل » ، وهو خطأ ، وصوابه ما أثبت .

(٢) الحديث : ٢١٩٥ — هذا حديث ضعيف ، من ناحيتين : من ناحية أنه مرسل ، رواه تابعى لم يسنده عن صحابى . ومن ناحية ضعف « رشدين بن سعد » ، كما سيأتى .

وقد مضت قطعة منه بهذا الإسناد : ٢١٧٦ . وأحلنا تخريجها على هذا الموضع .

رشدين بن سعد : ضعيف جداً ، سبق بيانه فى : ١٩٣٨ . ووقع فى المطبوعة هنا ، وفى : ٢١٧٦ : « راشد » ، كما كان ذلك فى : ١٩٣٨ . وهو خطأ .

ابن أنعم المعافرى : هو عبد الرحمن بن زياد بن أنعم — بفتح الهمزة وسكون النون وضم العين المهملة — المعافرى الإفريقى القاضى . وهو ثقة ، تكلم فيه كثير من العلماء بغير حجة ، سمع من أجلة التابعين ، وكان شجاعاً فى الحق . وكان أحمد بن صالح يقول : هو ثقة ، وينكر على من تكلم فيه . قاله أبو بكر المالكى فى رياض النفوس : « كان من جلة المحدثين ، منسوباً إلى الزهد والورع ، صلباً فى دينه ، متفنناً فى علوم شتى » . وغلا فيه ابن حبان غلواً فاحشاً ، فقال فى كتاب المجروحين ، ص : ٢٨٣ — ٢٨٤ :

٢١٩٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك في قوله : « لتكونوا شُهداء على الناس » ، يعني بذلك . الذين استقاموا على الهُدى ، فهم الذين يكونون شهداء على الناس يوم القيامة ، لتكذيبهم رُسلَ الله وكفرهم بآيات الله .

« كان يروى الموضوعات عن الثقات ، ويأتي عن الأثبات ماليس من أحاديثهم ، وكان يدلس عن محمد ابن سعيد بن أبي قيس المطلوب » . ثم روى حديثاً من طريقه يستدل به على ما قال . وهو حديث موضوع ، ولكن ابن أنعم بريء من عهدته ، فإن الحمل فيه على أحد الكذابين ، وهو يوسف بن زياد البصري . وقد تعقب الدارقطني على ابن حبان ذلك ، فيما ثبت بهامش مخطوطة المجروحين .

والمشارقة أخطأوا معرفة ابن أنعم ، فمن ذلك جاء ما جاء من جرحه ، بل أخطأوا تاريخ وفاته ، فأرخوه سنة ١٥٦ . و المغاربة أعرف به ، وأرخوه سنة ١٦١ .

وله تراجم وافية : في التهذيب ٦ : ١٧٣ – ١٧٦ ، والصغير للبخاري ، ص : ١٨٠ ، وابن أبي حاتم ٢/٢/٣٣٤ – ٣٣٥ . والمجروحين لابن حبان : ٢٨٣ – ٢٨٤ ، والميزان للذهبي ٢ : ١٠٤ – ١٠٥ ، وطبقات علماء إفريقية لأبي العرب : ٢٧ – ٣٢ . ورياض النفوس لأبي بكر المالكي ١ : ٩٦ – ١٠٣ ، وتاريخ بغداد ١٠ : ٢١٤ – ٢١٨ .

حبان – بكسر المهملة وتشديد الموحدة – بن أبي جبلة المصري : تابعي ثقة . وهو أحد العشرة الذين أرسلهم عمر بن عبد العزيز ، ليفقهوا أهل إفريقية ويعلموهم أمر دينهم . مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري ٢/١/٨٣ ، وابن أبي حاتم ١/٢/٢٦٩ .

وهذا الحديث مرسل ، إذ حكى راويه عن التابعي أنه « يسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، لم يذكر من حدثه به .

وقوله « يسنده » – كتب في المطبوعة هنا وفي : ٢١٧٦ « بسنده » بالباء الموحدة . وهو تصحيف .

والحديث ذكره السيوطي ١ : ١٤٥ ، ولم ينسبه لغير الطبري وابن المبارك في الزهد .

وكان في المطبوعة « حقد على أخيه » . وفي الدر المنثور ١ : ١٤٦ « إحنة » ، والذي أثبته من القرطبي ، وبعض المخطوطات . والحنة : الحقد ، من « وحن يحن حنة » مثل : « وعد يعد عدة » (بكسر الحاء وفتح النون) . وقال الأزهري : ليست من كلام العرب ، إنما هي إحنة : أي حقد . وأنكر الأصمعي « حنة » ، وحكى عنه أبو نصر أنه قال : « كنا نظن الطرماح شيئاً حتى قال :

وَأَكْرَهُ أَنْ يَعِيبَ عَلَيَّ قَوْمِي هِجَائِي الأَرْذَلِينَ ذَوِي الحِنَاتِ

لأنها إحنة وإحن ، ولا يقال حنات » (ديوان الطرماح : ١٣٤) . وقال الزمخشري في الفائق (أحن) : « أما ما حكى عن الأصمعي . . . فاسترذال منه لـ « وحن » ، وقضاء على الهمزة بالأصالة ، أو برفض الواو في الاستعمال » .

٢١٩٧ ــ حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « لتكونوا شهداء على الناس »، يقول: لتكونوا شهداء على الأمم الذين خلَوا من قبلكم ، بما جاءتهم رسلهم ، وبما كذّبوهم، فقالوا يوم القيامة وعجِبوا : إنّ أمة لم يكونوا في زماننا ، فآمنوا بما جاءتْ به رسلنا، وكذبنا نحن بما جاءوا به! فعجبوا كل العجب. قوله: « ويكونَ الرسولُ عليكم شهيداً »، يعني : بإيمانهم به، وبما أنزِل عليه . ٨/٢

٢١٩٨ ــ حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه، عن ابن عباس: « لتكونوا شُهداء على الناس» ، يعني : أنهم شهدوا على القرون بما سمّى الله عز وجل لهم .

٢١٩٩ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج : قلت لعطاء : ما قوله: « لتكونوا شهداء على الناس »؟ قال : أمة محمد ، شهدوا على من ترك الحق حين جاءه الإيمانُ والهدى ، ممن كان قبلنا . قالها عبد الله بن كثير . قال : وقال عطاء : شهداء على مَنْ ترك الحق ممن تركه من الناس أجمين، جاء ذلك أمّةَ محمد صلى الله عليه وسلم في كتابهم ، « ويكون الرسولُ عليكمْ شهيداً »، على أنهم قد آمنوا بالحق حين جاءهم ، وصدّقوا به .

٢٢٠٠ ــ حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد في قوله : « لتكونوا شُهداء على الناس ويكونَ الرسولُ عليكم شهيداً » ، قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم شاهدٌ على أمّته ، وهم شهداء على الأمم ، وهم أحد الأشهاد الذين قال الله عز وجل : ﴿ وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾ [سورة غافر : ٥١]، الأربعة : الملائكة الذين يُحصُون أعمالنا، لنا وعلينا، وقرأ قوله : ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ [سورة ق : ٢١] ، وقال: هذا يوم القيامة. قال: والنبيون شُهداء على أممهم . قال : وأمة محمد صلى الله عليه وسلم شُهداء على الأمم . قال :

[والأطوار] الأجسادُ والجلود . (١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « وما جَعلنا القبلة التى كنت عليها » ، ولم نجعل صَرْفك عَن القبلة التى كنت على التوجه إليها يا محمد ، فصرْفناك عنها ، إلا لنعلم مَن يَتَّبعك ممن لا يتَّبعك ، ممن يَنقلبُ على عقبيه .

* * *

والقبلة التى كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليها ، التى عناها الله بقوله : « وما جعلنا القبلة التى كنت عليها » ، هى القبلة التى كنت تتوجَّه إليها قبل أن يصرفك إلى الكعبة ، كما : —

٢٢٠١ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وما جَعلنا القبلة التى كنت عليها » ، يعنى : بيت المقدس .

٢٢٠٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن

---

(١) الأثر : ٢٢٠٠ — ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٥ : ٣٥٢ فى تفسير [سورة غافر الآية : ٥١] ، بغير هذا اللفظ ، ونسبه لابن جرير وابن أبى حاتم فى تفسيريهما . ونصه :

« عن زيد بن أسلم : الأشهاد أربعة : الملائكة الذين يحصون علينا أعمالنا ، وقرأ : « وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد » ، والنبيون ، شهداء على أممهم ، وقرأ : « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد » ، وأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، شهداء على الأمم ، وقرأ : « لتكونوا شهداء على الناس » ، والأجساد والجلود ، وقرأ : « وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الذى أنطق كل شىء » .

أما ما جاء فى نص الطبرى ، ووضعته بين قوسين ، فهو خطأ لا شك فيه ، وأخشى أن يكون صوابه « الأطراف والأجساد والجلود » ، ويعنى بالأطراف ، الجوارح ، يريد بذلك الأيدى والأرجل ، فى قوله تعالى فى [سورة يس : ٦٥] :

﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾

ابن جريج قال : قلت لعطاء : « وما جعلنا القِبلة التى كنتَ عليها » . قال : القِبلة بيتُ المقدس .

* * *

قال أبو جعفر : وإنما ترك ذكر « الصرف عنها » ، اكتفاء بدلالة ما قد ذكر من الكلام على معناه ، كسائر ما قد ذكرنا فيما مضى من نظائره .(١)

وإنما قُلنا : ذلك معناه ، لأن محنةَ الله أصحابَ رسوله فى القِبلة ، إنما كانت – فيما تظاهرت به الأخبار – عند التحويل من بيت المقدس إلى الكعبة ، حتى ارتدَّ – فيما ذكر – رجالٌ ممن كان قد أسلمَ واتَّبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأظهرَ كثيرٌ من المنافقين = من أجل ذلك = نفاقَهم ، وقالوا : ما بالُ محمد يحوّلنا مرة إلى ههنا ومرة إلى ههنا ! وقال المسلمون ، فيمن مضى من إخوانهم المسلمين وهم يصلون نحو بيت المقدس : بطلت أعمالُنا وأعمالُهم وضاعت ! وقال المشركون : تحيَّر محمد [صلى الله عليه وسلم] فى دينه ! فكان ذلك فتنةً للناس ، وتمحيصاً للمؤمنين .

فلذلك قال جل ثناؤه : « وَما جعلنا القِبلةَ التى كنت عليها إلا لنعلمَ من يتَّبع الرسول ممن ينقلب على عَقبيه » ، أى : وَما جعلنا صرْفك عن القبلة التى كنتَ عليها ، وتحويلك إلى غيرها ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾ [سورة الإسراء : ٦٠] ، بمعنى : وما جعلنا خبرَك عن الرؤيا التى أريناك . وذلك أنه لو لم يكن أخبرَ القوم بما كان أُرِى ، لم يكن فيه على أحد فتنةٌ . وكذلك القبلة الأولى التى كانت نحو بيت المقدس ، لو لم يكن صرفٌ عنها إلى الكعبة ، لم يكن فيها على أحد فتنةٌ ولا محْنة .

* * *

* ذكر الأخبار التى رُويت فى ذلك بمعنى ما قلنا :

---

(١) انظر ما سلف ١ : ١٣٩ – ١٤١ ، ١٧٩ ، وغيرها كثير ، اطلبه فى الفهارس .

٢٢٠٣ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة قال : كانت القبلةُ فيها بلاءٌ وتمحيصٌ . صلَّت الأنصار نحو بيت المقدس حوْلين قبل قدوم نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ، وصلى نبي الله صلى الله عليه وسلم بعدَ قُدومه المدينةَ مهاجراً نحو بيت المقدس سبعةَ عشر شهراً ، ثم وجهه الله بعد ذلك إلى الكعبة البيتِ الحرام ، فقال فى ذلك قائلون من الناس : « ما وَلاّهم عن قبلتهم التى كانوا عليها » ؟ لقد اشتاق الرُجل إلى مولده ! قال الله عز وجل : « قُلْ لله المشرقُ والمغربُ يَهدى مَنْ يَشاءُ إلى صراط مُستقيم » . فقال أناسٌ – لما صُرفت القبلة نحو البيت الحرام – : كيف بأعمالنا التى كنا نعمل فى قبلتنا الأولى ؟ فأنزل الله عز وجل : « وَما كانَ الله ليُضيعَ إيمانكم » . وقد يَبتلى الله العبادَ بما شاءَ من أمره ، الأمرَ بعدَ الأمر ، ليعلم مَنْ يطيعه ممن يَعصيه ، وكل ذلك مقبول ، إذْ كان فى [ذلك] إيمان بالله ، وإخلاصٌ له ، وتسليم لقضائه .(١) ٩/٢

٢٢٠٤ – حدثنى موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يُصلى قِبَل بيت المقدس ، فنسختها الكعبة . فلما وُجِّه قبل المسجد الحرام ،(٢) اختلف الناس فيها فكانوا أصنافاً ، فقال المنافقون : ما بالهم كانوا على قبلة زماناً ، ثم تركوها وتوجهوا إلى غيرها ؟ وقال المسلمون : ليت شعرَنا عن إخواننا الذين ماتوا وهم يصلُّون قبلَ بيت المقدس ! هل تقبَّل الله منا ومنهم، أوْ لا ؟ وقالت اليهود : إنّ محمداً اشتاق إلى بلد أبيه ومولده ، ولو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن يكون هو صاحبنا الذى ننتظر ! وقال

---

(١) الأثر : ٢٢٠٣ – فى الدر المنثور ١ : ١٤٣ ، وقد مضى شطره فى رقم : ٢١٦٣ . وكان فى المطبوعة : « وكل ذلك مقبول ، وإذا كان فى إيمان بالله . . . » ، عبارة ركيكة ، فجعلت « إذا » ، « إذ » وزدت « ذلك » : لتستقيم العبارة . أما فى الدر المنثور فعبارته أشد سقماً ونصها : « وكل ذلك مقبول ، فى درجات فى الإيمان بالله ، والإخلاص ، والتسليم لقضاء الله » .

(٢) فى المطبوعة : « فلما توجه قبل المسجد » ، والصواب من رقم : ٢١٦٤ ، والدر المنثور .

المشركون من أهلُ مكة : تحيَّر على محمد دينُهُ ، فتوجه بقبلته إليكم ، وعلم أنكم كنتم أهدى منه ، ويوشك أنْ يدخل فى دينكم ! فأنزل الله جل ثناؤه فى المنافقين : « سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها » إلى قوله : « وإنْ كانتْ لكبيرةً إلاّ على الذين هدى الله » ، وأنزل فى الآخرين الآيات بعدها . (١)

٢٢٠٥ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قال : قلت لعطاء : « إلاّ لنعلمَ من يتّبع الرسول ممن ينقلبُ على عقبيه » ؟ فقال عطاء : يبتليهم ، ليعلم من يُسلم لأمره . قال ابن جريج : بلغنى أنّ ناساً ممن أسلم رجعوا فقالوا : مرة ههنا ومرة ههنا !

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال لنا قائل : أوَ ما كان الله عالماً بمن يتّبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ، إلاّ بعد اتباع المتّبع ، وانقلاب المنقلب على عقبيه ، حتى قال : ما فعلنا الذى فعلنا من تحويل القبلة إلا لنعلم المتّبعَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من المنقلب على عقبيه ؟

قيل : إن الله جل ثناؤه هو العالم بالأشياء كلها قبل كونها ، وليس قوله : « وما جعلنا القبلةَ التى كنتَ عليها إلا لنعلمَ من يتّبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه » ، بخبر [عن] أنه لم يعلم ذلك إلاّ بعد وُجوده . (٢)

فإن قال : فما معنى ذلك ؟

قيل له : أما معناه عندنا ، فإنه : وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلاّ ليعلم رسولى وحزبى وأوليائى مَنْ يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ، فقال جل ثناؤه : « إلا لنعلم » ، ومعناه ليعلمَ رسولى وأوليائى . إذْ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) الأثر : ٢٢٠٤ – مضى بعضه فى رقم : ٢١٦٤ ، وهو فى الدر المنثور ١ : ١٤٢ – ١٤٣ .

(٢) فى المطبوعة : « يخبر أنه لم يعلم ذلك . . . » ، والصواب ما أثبت ، مع الزيادة بين القوسين .

وأولياؤهُ من حزبه ، وكان من شأن العرب إضافة ما فعلته أتباعُ الرئيس إلى الرئيس ، وما فعل بهم إليه ، نحو قولهم : « فتح عُمر بن الخطاب سوادَ العراق وجبى خراجها » ، وإنما فعل ذلك أصحابه ، عن سببٍ كان منه فى ذلك ، وكالذى رُوى فى نظيره عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : يقول الله جل ثناؤه : مرضْتُ فلم يعدنى عبدى ، واستقرضته فلم يقرضنى ، وشتمنى ولم ينبغِ له أن يُشتمنى .

٢٢٠٦ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا خالد ، عن محمد بن جعفر ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قالَ الله : استقرضتُ عبدى فلم يُقرضنى ، وشتمنى ولم ينبغ له أن يشتُمنى ! يقول : وادهراه ! وأنا الدهر ، أنا الدهر .

٢٢٠٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن العلاء ابن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه .(١)

* * *

فأضاف تعالى ذكره الاستقراض والعيادة إلى نفسه ، وقد كان ذلك بغيره ، إذ كان ذلك عن سببه .

وقد حكى عن العرب سماعاً : « أجوع فى غيْر بطنى ، وأعرى فى غير

---

(١) الحديثان : ٢٢٠٦ ، ٢٢٠٧ — هما حديث واحد بإسنادين صحيحين .

خالد — فى أولها : هو خالد بن مخلد القطوانى ، بفتح القاف والطاء . وهو ثقة من شيوخ البخارى ، أخرج له هو ومسلم فى الصحيحين ، تكلم فيه من جهة إفراطه فى التشيع ، ولكنه صدوق فى الرواية . مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ٢/١/١٦٠ ، وابن سعد ٦ : ٢٨٣ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٣٥٤ .

وشيخه محمد بن جعفر بن أبى كثير الأنصارى الزرقى : ثقة معروف ، أخرج له أصحاب الكتب الستة .

والحديث رواه الحاكم فى المستدرك ١ : ٤١٨ ، من طريق يزيد بن هرون ، عن محمد بن إسحق ، بالإسناد الثانى ، بنحوه . وقال : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبى .

والنهى عن سب الدهر ، فى الحديث القدسى ، من حديث أبى هريرة — : ثابت من أوجه ، فى الصحيحين وغيرهما . فانظر المسند : ٧٢٤٤ ، ٧٥٠٩ . والبخارى ٨ : ٤٤١ ، و ١٠ : ٤٦٥ ، و ١٣ : ٣٨٩ . وصحيح مسلم ٢ : ١٩٦ — ١٩٧ .

ظهْرى »، بمعنى : جُوعَ أهله وعياله وعُرْىَ ظهورهم .

فكذلك قوله : « إلاّ لنعلم » ، بمعنى : يعلم أوليائى وحزبى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٢٠٨ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « وما جَعلنا القبلةَ التى كنت عليها إلا لنعلم من يتّبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه » ، قال ابن عباس : لنميّز أهلَ اليقين من أهل الشرك والريبة .

* * *

وقال بعضهم : إنما قيل ذلك ، من أجل أن العرَب تَضع « العلم » مكان « الرؤية »، و« الرؤية » مكان « العلم »، كما قال جلّ ذكره ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الفِيلِ ﴾ [سورة الفيل : ١] ، فزعم أن معنى « ألم تر » : ألم تعلم ؟ وزعم أن معنى قوله : « إلا لنعلم »، بمعنى : إلا لنرى من يتبع الرسول . وزعم أنّ قول القائل : « رأيتُ ، وَعلمت ، وَشهدت » ، حروفٌ تتعاقب ، فيوضَع بعضها موضع بعض ، كما قال جرير بن عطية

كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ لَقِيطاً وَحَاجِباً وَعَمْرَو بن عَمْرٍو إِذْ دَعَا يَالَ دَارِمِ (١)

بمعنى : كأنك لم تعلم لَقيطاً ، لأنّ بين هُلْك لَقيط وحاجب وزمان جرير ، ما لا يخفى بُعده من المدة. وذلك أنّ الذين ذكرهم هلكوا فى الجاهلية ، وجريرٌ كان بعد بُرْهة مَضَت من مجىء الإسلام .

* * *

(١) ديوانه : ٥٦٣ ، والنقائض : ٤٠٩ ، من قصيدته الفالقة ، فى نقض قصيدة الفرزدق . وقد عدد فيها أيام قومه . والخطاب فى قوله : « كأنك » للفرزدق ، ويذكر « يوم جبلة » ، وهو من أعظم أيامهم ، وكان قبل الإسلام بأربعين سنة ، عام ولد النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو لعامر وعبس ، على ذبيان وتميم . وقتل يومئذ لقيط بن زرارة ، وأسر حاجب بن زرارة ، وأسر عمرو بن عمرو بن عدس ، وهم من بنى عبد الله بن دارم ، وهم عمومة الفرزدق ، وهو من بنى مجاشع بن دارم .

ورواية الديوان والنقائض : « إذ دعوا » ، وكلتاهما صحيحة المعنى .

قال أبو جعفر : وهذا تأويل بعيدٌ . من أجل أنّ « الرؤية » ، وإن استعملت ٢/١٠ فى موضع « العلم » ، من أجل أنه مستحيلٌ أن يرى أحدٌ شيئاً فلا توجب رؤيته إياه علماً بأنه قد رآه ، إذا كان صحيح الفطرة . فجاز من الوجه الذى أثبته رؤيةً ، أن يُضَاف إليه إثباتُهُ إياه علماً ،(١) وصحّ أن يدلّ بذكر « الرؤية » على معنى «العلم» من أجل ذلك . فليس ذلك ، وإن كان [جائزاً] فى الرؤية — لما وصفنا — بجائز فى العلم ،(٢) فيدلّ بذكر الخبر عن « العلم » على «الرؤية» . لأن المرء قد يعلم أشياء كثيرة لم يرها ولا يراها ، ويستحيل أن يَرَى شيئاً إلا علمه ، كما قد قدمنا البيان [عنه] .(٣) مع أنه غير موجود فى شىء من كلام العرب أن يقال : « علمت كذا» ، بمعنى رأيته .

وإنما يجوز توجيه معانى ما فى كتاب الله الذى أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم منَ الكلام ، إلى ما كان موجوداً مثله فى كلام العرب ، دون ما لم يكن موجوداً فى كلامها . فوجود فى كلامها « رأيت » بمعنى : علمت ، وغير موجود فى كلامهما « علمت» بمعنى : رأيت ، فيجوز توجيه : « إلا لنعلم » إلى معنى : إلا لنرى .

* * *

وقال آخرون : إنما قيل : « إلاّ لنعلم » ، من أجل أنّ المنافقين واليهودَ وأهلَ الكفر بالله ، أنكروا أن يكون الله تعالى ذكره يَعلم الشىءَ قبل كونه . وقالوا — إذ قيل لهم : إن قوماً من أهل القبلة سيرتدُّون على أعقابهم ، إذا حُوِّلت قبلة محمد صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة — : ذلك غير كائن! أو قالوا: ذلك باطل! فلما فَعل الله ذلك ، وحوّل القبلة ، وكفر من أجل ذلك من كفر ، قال الله جل

---

(١) أثبت الشىء : عرفه حق المعرفة .

(٢) الزيادة بين القوسين ، لابد للسياق منها ، وإلا اختل الكلام .

(٣) زيادة يقتضيها سياقه .

ثناؤه : ما فعلتُ إلاّ لنعلم ما علمه غيركم — أيها المشركون المنكرون علمى بما هو كائن من الأشياء قبل كونه — : أنىّ عالم بما هو كائن مما لم يكن بعد .(١)

فكأن معنى قائلى هذا القول فى تأويل قوله : « إلا لنعلم » : إلا لنبيّن لكم أنّا نعلمُ من يتّبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه . وهذا وإن كان وجهاً له مخرج ، فبعيدٌ من المفهوم .

* * *

وقال آخرون : إنما قيل : « إلا لنعلم » ، وهو بذلك عالم قبل كونه وفى كل حال ، على وجه الترفّق بعباده واستمالتهم إلى طاعته ،(٢) كما قال جل ثناؤه : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللهُ وإنَّا أَوْ إيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾(٣) [سورة سبأ : ٢٤] ، وقد علم أنه على هدى ، وأنهم على ضلال مبين . ولكنه رفق بهم فى الخطاب ، فلم يقلْ : إنّا على هدى وأنتم على ضلال. فكذلك قوله : « إلا لنعلم »، معناه عندهم : إلاّ لتعلموا أنتم، إذ كنتم جُهّالاً به قبل أن يكونَ . فأضاف العلم إلى نفسه، رفقاً بخطابهم .

* * *

وقد بيّنا القول الذى هو أوْلى فى ذلك بالحقّ .

* * *

وأما قوله : « مَنْ يتّبع الرسول » . فإنه يعنى : الذى يتبع محمداً صلى الله عليه وسلم فيما يأمره الله به ، فيوجّه نحو الوَجه الذى يتوجّه نحوه محمد صلى الله عليه وسلم .

* * *

---

(١) كان فى المطبوعة : « إلا لنعلم ما عندكم . . . » وهذا يجعل الجملة غير مستقيمة ، غير مفهومة المعنى . ورأيت أن سياق الكلام قبله يدل على أن ذلك كما أثبت ، فإن المؤمنين علموا أن قوماً سيرتدون إذا حولت القبلة ، وأنكر اليهود والمنافقون أن يكون ذلك كائناً . فاقتضى السياق أن يكون التأويل جامعاً لهذا العلم من هؤلاء، وذلك الإنكار من أولئك. ثم جاء الطبرى بعبارة تصحح ما ذهبت إليه فى قوله : « إلا لنبين لكم أننا نعلم » . فكأن معنى الآية عند قائل هذا القول : ما جعلنا القبلة التى كنت عليها ، إلا للعلم بأننا نعلم من يتبع الرسول . . .

(٢) فى المطبوعة : « على وجه الترفيق بعباده » ، وهو خطأ .

(٣) كان فى الأصل : « قل الله » أول الآية المستشهد بها ، فآثرت إتمامها .

وأما قوله : « ممن يَنقلب على عَقبيه » ، فإنه يعنى : من الذى يرتدُّ عن دينه ، فينافق ، أو يكفر ، أو يخالف محمداً صلى الله عليه وسلم فى ذلك، ممن يظهر اتِّباعه ، كما : —

٢٢٠٩ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله: « وما جَعلنا القبلةَ التى كنتَ عليها إلاّ لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه »، قال : مَنْ إذا دخلتْه شُبهة رجع عن الله ، وانقلب كافراً على عَقبيه .

* * *

وأصل « المرتد على عقبيه »، هو : « المنقلب على عقبيه » ، الراجع مستدبراً فى الطريق الذى قد كان قطعه، منصرفاً عنه. فقيل ذلك لكل راجع عن أمر كان فيه ، من دين أو خير . ومن ذلك قوله : ﴿ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾[سورة الكهف : ٦٤]، بمعنى : رَجعا فى الطريق الذى كانا سَلكاه ، وإنما قيل للمرتد : « مرتد » ، لرجوعه عن دينه وملته التى كان عليها .

وإنما قيل : « رجع على عَقبيه »، لرجوعه دُبراً على عَقبه ، إلى الوجه الذى كان فيه بدء سيره قبل مَرْجعه عنه . فيجعل ذلك مثلاً لكل تارك أمرًا وآخذٍ آخرَ غيره ، إذا انصرف عما كان فيه ، إلى الذى كان له تاركاً فأخذه . فقيل : « ارتد فلان على عَقبِه، وانقلب على عَقبيه » .

* * *

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهلُ التأويل فى التى وصفها الله جل وعز بأنها كانت « كبيرة إلاّ على الذين هَدى الله » .

فقال بعضهم : عنى جل ثناؤه بـ « الكبيرة » ، التوليةُ من بيت المقدس شطرَ المسجد الحرام والتحويلُ . وإنما أنَّث « الكبيرة » ، لتأنيث « التولية » .

* ذكر من قال ذلك :

٢٢١٠ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح ، عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قال الله : « وإن كانت لكبيرةً إلا على الذين هدى الله » ، يعني : تحويلَها .

٢٢١١ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ابن ميمون ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : « وإن كانت لكبيرةً إلاَّ على الذين هدى الله » ، قال : ما أمِروا به من التحوُّل إلى الكعبة من بيت المقدس .

٢٢١٢ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٢٢١٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « لكبيرة إلا على الذين هَدى الله » ، قال : كبيرة ، حين حُولت القبلة إلى المسجد الحرام ، فكانت كبيرةً إلا على الذين هدى الله . ١١/٢

* * *

وقال آخرون : بل « الكبيرة » ، هي القبلة بعينها التي كان صلى الله عليه وسلم يتوجَّه إليها من بيت المقدس قبلَ التحويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٢١٤ – حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبي العالية : « وإن كانت لكبيرة » ، أي : قبلةُ بيت المقدس – « إلا على الذين هدى الله » .[1]

---

(١) في المطبوعة : « عن أبيه عن أبي العالية » ، بإسقاط « عن الربيع » ، وهو إسناد دائر في الطبري ، أقربه رقم : ١٨٨٦

وقال بعضهم: بل « الكبيرة » هي الصلاة التي كانوا يصلّونها إلى القبلة الأولى .

* ذكر من قال ذلك :

٢٢١٥ – حدثني يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « وإن كانت لكبيرة إلاّ على الذين هدى الله »، قال: صلاتكم حتى يهديكم اللهُ عز وجل القِبلةَ .(١)

٢٢١٦ – وقد حدثني به يونس مرة أخرى قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد : « وإن كانت لَكبيرة » ، قال : صلاتك ههنا – يعني : إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً – وانحرافُك ههنا .

* * *

وقال بعض نحويي البصرة : أنّثت « الكبيرة » لتأنيث القبلة ، وإياها عنى جل ثناؤه بقوله : « وإن كانت لكبيرة » .

وقال بعض نحويي الكوفة : بل أنثت « الكبيرة » لتأنيث التولية والتحويلة .

فتأويل الكلام على ما تأوله قائلو هذه المقالة : وما جعلنا تحويلتنا إياك عن القبلة التي كنتَ عليها وتوليتُناك عنها ، إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ، وإن كانت تحويلتُنا إياك عنها وتوليتُناكَ « لكبيرة إلاّ على الذين هدى الله».

* * *

وهذا التأويل أولى التأويلات عندي بالصواب . لأن القوم إنما كبُر عليهم تحويل النبي صلى الله عليه وسلم وَجْهه عن القبلة الأولى إلى الأخرى ، لا عين القبلة ، ولا الصلاة . لأن القبلة الأولى والصلاة ، قد كانت وهي غير كبيرة عليهم . إلا أن يوجّه موجّه تأنيث « الكبيرة » إلى « القبلة » ، ويقول : اجتُزئ بذكر « القبلة » من ذكر « التولية والتحويلة » ، لدلالة الكلام على معنى ذلك ، كما قد وصفنا لك في نظائره .(٢) فيكون ذلك وجهاً صحيحاً ، ومذهباً مفهوماً .

* * *

(١) الأثر : ٢٢١٥ – سيأتي تاماً برقم : ٢٢١٧ ، وفيه « يهديكم إلى القبلة » ، وهما صواب .
(٢) انظر ما سلف في فهارس الأجزاء الماضية

ومعنى قوله : « كبيرة » ، عظيمة ،[١] كما : —

٢٢١٧ — حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « وإن كانت لكبيرة إلاّ على الذين هدى الله » ، قال : كبيرة فى صدور الناس ، فيما يدخل الشيطانُ به ابنَ آدم قال : ما لهم صلُّوا إلى ههنا ستة عشر شهراً ثم انحرفوا ! فكبُر ذلك فى صدور من لا يعرف ولا يعقل والمنافقين ، فقالوا : أىّ شىء هذا الدين ؟ وأما الذين آمنوا ، فثبّت الله جل ثناؤه ذلك فى قلوبهم ، وقرأ قول الله : « وإن كانت لكبيرةً إلاّ على الذين هدى الله »، قال : صلاتكم حتى يهديكم إلى القبلة .[٢]

* * *

قال أبو جعفر : وأما قوله : « إلاّ على الذين هدى الله » ، فإنه يعنى به : وإن كان تقليبتُناك عن القبلة التى كنتَ عليها، لعظيمة إلا على من وفّقه الله جل ثناؤه ، فهداهُ لتصديقك والإيمان بك وبذلك، واتباعك فيه ، وفيما أنزل الله تعالى ذكره عليك ، كما : —

٢٢١٨ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله » ، يقول : إلا على الخاشعين ، يعنى : المصدّقين بما أنزل الله تبارك وتعالى .[٣]

* * *

---

(١) انظر تفسير « كبيرة » فيما سلف ٢ : ١٥ .

(٢) الأثر : ٢٢١٧ — انظر ما سلف رقم : ٢١١٥ ، والتعليق عليه .

(٣) الأثر ٢٢١٨ — أخشى أن يكون هذا الأثر ، هو نفس الأثر السالف برقم : ٨٥٦ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : قيل : عنى بـ « الإيمان »، فى هذا الموضع : الصلاةَ .

* * *

* ذكر الأخبار التى رُويت بذلك ، وذكر قول من قاله :

٢٢١٩ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع وعبيد الله ــ وحدثنا سفيان ابن وكيع قال حدثنا عبيد الله بن موسى ــ جميعاً، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما وُجِّه رَسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة قالوا : كيف بمن ماتَ من إخواننا قبل ذلك ، وهم يصلون نحو بيت المقدس ؟ فأنزل الله جل ثناؤه : « وما كانَ الله ليضيعَ إيمانكم » .(١)

٢٢٢٠ ــ حدثنى إسمعيل بن موسى قال، أخبرنا شريك ، عن أبى إسحق ، عن البراء فى قول الله عز وجل: « وما كان الله ليضيع إيمانكم »، قال : صلاتكم نحوَ بيت المقدس .

٢٢٢١ ــ حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازى قال، حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال ، حدثنا شريك ، عن أبى إسحق ، عن البراء نحوه .(٢)

٢٢٢٢ ــ وحدثنى المثنى قال، حدثنا عبدالله بن محمد بن نفيل الحرّانى قال، حدثنا زهير قال، حدثنا أبو إسحق، عن البراء قال: مات على القبلة قبلَ أن تحوّل إلى البيت

---

(١) الحديث : ٢٢١٩ ــ هو بإسنادين معاً : أولهما صحيح ، وهو رواية أبى كريب ، عن وكيع وعبيد الله بن موسى . وثانيهما ضعيف ، وهو رواية سفيان بن وكيع عن عبيد الله بن موسى .

وعبيد الله بن موسى العبسى : مضى فى ٢٠٩٢ .

والحديث رواه أحمد فى المسند : ٣٢٤٩ ، عن وكيع ، عن إسرائيل ، بهذا الإسناد ، نحوه . ورواه أيضاً مطولا ومختصراً ، من طرق عن إسرائيل : ٢٦٩١ ، ٢٧٧٦ ، ٢٩٦٦ . وخرجناه هناك فى : ٢٦٩١ .

(٢) الحديثان : ٢٢٢٠ ــ ٢٢٢١ ــ هما حديث واحد بإسنادين .

وذكره السيوطى ١ : ١٤٦ ، ونسبه أيضاً لسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن أبى حاتم .

رجالٌ وقُتلوا ، فلم ندر ما نَقول فيهم . فأنزل الله تعالى ذكره : و« ما كان الله ليُضيع إيمانكم » .(١)

٢٢٢٣ – حدثنا بشر بن معاذ العقدى قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : قال أناسٌ من الناس – لما صرفت القبلة نحو البيت الحرام – : كيف بأعمالنا التى كنا نَعملُ فى قبلتنا ؟ فأنزل الله جل ثناؤه : « وما كان الله ليضيع إيمانكم » .

١٢/٢ ٢٢٢٤ – حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنى عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : لما وُجِّه رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم قبَل المسجد الحرام ،(٢) قال المسلمون: ليتَ شِعْرنا عن إخواننا الذين مَاتوا وهم يصلون قبل بيت المقدس ! هل تقبَّل الله منا ومنهم أم لا ؟ فأنزل الله جل ثناؤه فيهم : « وما كان الله ليضيع إيمانكم» ، قال: صلاتكم قبَلَ بيت المقدس: يقول : إنّ تلك طاعة وهذه طاعة .(٣)

٢٢٢٥ – حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : قال ناسٌ – لما صرفت القبلة إلى البيت الحرام – : كيف بأعمالنا التى كنا نعملُ فى قبلتنا الأولى ؟ فأنزل الله تعالى ذكره : « وما كانَ الله ليضيع إيمانكم » الآية .

٢٢٢٦ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج ، أخبرنى داود بن أبى عاصم قال : لما صُرف رسولُ الله صلى الله

---

(١) الحديث : ٢٢٢٢ – عبد الله بن محمد بن نفيل : هو عبد الله بن محمد بن على بن نفيل ، أبو جعفر النفيلى الحرانى ، الثقة المأمون الحافظ . مترجم فى التهذيب . وابن أبى حاتم ٢/٢/١٥٩ .
زهير : هو ابن معاوية الجعفى أبو خيثمة . مضى : ٢١٤٤ . وأبو إسحق : هو السبيعى الهمدانى .
والحديث هو باقى الحديث الماضى بهذا الإسناد : ٢١٥٣ . وقد بينا تخريجه هناك .

(٢) فى المطبوعة : « لما توجه . . . » ، وانظر ما سلف رقم : ٢٢٠٤ ، والتعليق عليه .

(٣) الأثر : ٢٢٢٤ – مضى برقم : ٢١٦٤ ، ثم : ٢٢٠٤ ، وفيه هنا زيادة .

عليه وسلم إلى الكعبة، قال المسلمون : هلك أصحابنا الذين كانوا يصلون إلى بيت المقدس! فنزلت : « وما كان الله ليضيع إيمانكم » .

٢٢٢٧ – حدثنا محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس في قوله : « وما كان الله ليضيع إيمانكم » ، يقول : صلاتكم التي صليتموها من قبل أن تكون القبلة . فكان المؤمنون قد أشفقوا على من صلى منهم أن لا تُقبل صلاتهم .

٢٢٢٨ – حدثني يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « وما كان الله ليضيع إيمانكم » ، صلاتكم .

٢٢٢٩ – حدثنا محمد بن إسمعيل الفزاري قال، أخبرنا المؤمل قال ، حدثنا سفيان ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب في هذه الآية : « وما كان الله ليضيع إيمانكم » ، قال : صلاتكم نحو بيت المقدس .

* * *

قال أبو جعفر : قد دللنا فيما مضى على أن « الإيمان » ، التصديق . وأن التصديق قد يكون بالقول وحده ، وبالفعل وحده ، وبهما جميعاً . (١)

فمعنى قوله : « وما كان الله ليُضيع إيمانكم » – على ما تظاهرت به الرواية من أنه الصلاة – : وما كان الله ليُضيع تصديق رسوله عليه السلام ، بصلاتكم التي صليتموها نحو بيت المقدس عن أمره ، لأن ذلك كان منكم تصديقاً لرسولي ، واتباعاً لأمري ، وطاعة منكم لي .

* * *

قال : « وإضاعته إياه» جل ثناؤه – لو أضاعه –: تركُ إثابة أصحابه وعامليه عليه ، فيذهب ضياعاً ، ويصير باطلاً ، كهيئة « إضاعة الرجل ماله » ، وذلك إهلاكه إياه فيما لا يعتاض منه عوضاً في عاجل ولا آجل .

* * *

(١) انظر ما سلف ١ : ٢٣٤ – ٢٣٥ ، وغيره ، فالتمسه في فهرس اللغة .

فأخبر الله جل ثناؤه أنه لم يكن يُبطل تحمل عاملٍ عمل له عملاً وهو له طاعة، فلا يُثيبه عليه ، وإن نُسخ ذلك الفرضُ بعد عمل العامل إياه على ما كلفه من عمله .

* * *

فإن قال قائل : وكيفَ قال الله جل ثناؤه : « وما كان الله ليُضيع إيمانكم » ، فأضاف الإيمان إلى الأحياء المخاطبين ، والقومُ المخاطبون بذلك إنما كانوا أشفقوا على إخوانهم الذين كانوا ماتوا وهم يصلون نحو بيت المقدس ، وفى ذلك من أمرهم أنزلت هذه الآية ؟

قيل : إن القوم وإن كانوا أشفقوا من ذلك ، فإنهم أيضاً قد كانوا مشفقين من حُبُوط ثواب صلاتهم التى صلوها إلى بيت المقدس قبل التحويل إلى الكعبة ، وظنوّا أنّ عملهم ذلك قد بطلَ وذهب ضياعاً ؟ فأنزل الله جل ثناؤه هذه الآية حينئذ ، فوجّه الخطابَ بها إلى الأحياء ودخل فيهم الموتى منهم . لأن من شأن العرب — إذا اجتمع فى الخبر المخاطبُ والغائبُ — أن يغلبوا المخاطب فيدخل الغائب فى الخطاب . فيقولوا لرجل خاطبوه على وجه الخبر عنه وعن آخر غائب غير حاضر : « فعلنا بكما وصنعنا بكما » ، كهيئة خطابهم لهما وهما حاضران ، ولا يستجيزون أن يقولوا : « فعلنا بهما » ، وهم يخاطبون أحدهما ، فيردّوا المخاطب إلى عِدَاد الغَيَب .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٤٣)

قال أبو جعفر : ويعنى بقوله جل ثناؤه : « إنّ الله بالناس لرَؤوفٌ رَحيمٌ » : أن الله بجميع عباده ذو رأفة

* * *

(١) الغيب (بفتحتين) جمع غائب ، مثل خادم وخدم .

و « الرأفة » ، أعلى معانى الرحمة ، وهى عامة لجميع الخلق فى الدنيا ، ولبعضهم فى الآخرة .

* * *

وأما « الرحيم » : فإنه ذو الرحمة للمؤمنين فى الدنيا والآخرة ، على ما قد بينا فيما مضى قبل .(١)

* * *

وإنما أراد جل ثناؤه بذلك أن الله عز وجل أرحمُ بعباده من أن يُضيع لهم طاعة أطاعوه بها فلا يثيبهم عليها ، وأرأفُ بهم من أن يُؤاخذهم بترك ما لم يفرضه عليهم — أىْ : ولا تأسوا على موتاكم الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس —، فإنى لهم = على طاعتهم إياى بصلاتهم التى صلوها كذلك = مثيبٌ ، لأنى أرحم بهم من أن أضيع لهم عملاً عملوه لى ؛ ولا تحزنوا عليهم ، فإنى غيرُ مؤاخذهم بتركهم الصلاة إلى الكعبة ، لأنى لم أكن فرضت ذلك عليهم ، وأنا أرأف بخلقى من أن أعاقبهم على تركهم ما لم آمرهم بعمله .

* * *

وفى « الرؤوف » لغات . إحداها « رَؤُف » على مثال « فَعُل » ، كما قال الوليد ابن عقبة :

وَشرُّ الطالِبِينَ — وَلاَ تَكُنْهُ — بقَاتِلِ عَمِّه ، الرَّؤُفُ الرَّحِيمُ(٢) ١٣/٢

(١) انظر ما سلف ١ : ١٢٦ — ١٣٤ .

(٢) كان فى المطبوعة : « الرؤف الرحيما » . وجاء على الصواب فى القرطبى ٢ : ١٤٥ ، وأبى حيان ١ : ٤٢٧ ، وفيهما خطأ آخر ، الأول فيه « يقاتل » ، والثانى « يقابل » ، وكأن هذا البيت من شعر الوليد بن عقبة ، الذى كتب به إلى معاوية يحض معاوية على قتال على رضى الله عنهما . وهى فى أنساب الأشراف : ١٤٠ ، وتاريخ الطبرى ٥ : ٢٣٦ — ٢٣٧ ، وحماسة البحترى : ٣٠ ، واللسان (حلم) وغيرها ، وليس فيها هذا البيت ، وكأنه قبل البيت الذى يقول فيه :

لَكَ الْوَيْلاتُ ! أَقْحِمْهَا عَلَيْهِمْ فخيرُ الطَّالبى التِّرَةِ الغَشُومُ

وقوله : « لا تكنه » ، دعاء له ، واستنكار أن يكون كهذا الطالب الثائر الذى يطالب بدم عمه ، وهو رؤوف رحيم بعدوه وقاتل عمه ، وهو شر طالب ثأر .

وهى قراءة عامة قراء أهل الكوفة . والأخرى « رَؤوف » على مثال « فعول » ، وهى قراءة عامة قراء المدينة ، و « رَئِف » ، وهى لغة غطفان ، على مثال « فَعِل » مثل حَذِر . و « رَأْف » على مثال « فَعْل » بجزم العين ، وهى لغة لبنى أسد .

والقراءة على أحد الوجهين الأوّلين .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : قد نرى يا محمد نحنُ تقلُّبَ وجهك فى السماء .

* * *

ويعنى : بـ « التقلب » ، التحوُّل والتصرُّف .

ويعنى بقوله : « فى السماء » ، نحو السماء وقِبَلها .

* * *

وإنما قيل له ذلك صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنا — لأنه كان = قَبل تحويل قبلته من بيت المقدس إلى الكعبة = يرفع بصره إلى السماءِ ينتظر من الله جل ثناؤه أمرَه بالتحويل نحو الكعبة ، كما : —

٢٢٣٠ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « قدْ نَرى تَقلُّبَ وجهك فى السماء » ، قال : كان صلى الله عليه وسلم يقلّب وجهه فى السماء ، يحبّ أن يصرفه الله عز وجل إلى الكعبة ، حتى صرَفه الله إليها .

٢٢٣١ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « قد نَرَى تَقلُّب وجهك فى السماء » ، فكان نبى الله صلى الله عليه وسلم يُصلّى نحو بيتَ المقدس ، يَهوَى ويَشتهى القبلةَ نحو البيت الحرام ، فوجّهه الله جل ثناؤه لقبلة كان يهواها ويَشتهيها .

٢٢٣٢ – حدثنا المثنى قال، حدثنى إسحق قال ، حدثنى ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « قد نرى تقلُّب وَجهك فى السماء » ، يقول : نَظرَك فى السماء . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقلِّب وجهه فى الصلاة وهو يصلى نحو بيت المقدس ، وكان يهوى قبلةَ البيت الحرام، فولاَّه الله قبلةً كان يهواها .

٢٢٣٣ – حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : كان الناس يصلون قبلَ بيت المقدس ، فلما قَدِم النبي صلى الله عليه وسلم المدينةَ على رأس ثمانية عشر شهراً من مُهاجره ، كان إذا صلى رفع رأسه إلى السماء يَنظُر ما يُؤمر . وكان يصلّى قبَل بيت المقدس، فنسختها الكعبةُ . فكان النبي صلى الله عليه وسلم يُحب أن يصلى قبَل الكعبة ، فأنزل الله جل ثناؤه : « قد نَرَى تقلب وَجهك فى السماء » الآية .

* * *

ثم اختلف فى السبب الذى من أجله كان صلى الله عليه وسلم يهوى قبلة الكعبة .

قال بعضهم : كره قبلةَ بيت المقدس، من أجل أن اليهودَ قالوا: يتّبع قبلتنا ويُخالفنا فى ديننا !

* ذكر من قال ذلك :

٢٢٣٤ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : قالت اليهود : يخالفنا محمد ويتّبع قبلتنا ! فكان يدعو الله جلّ ثناؤه ويَستفرض القبلةَ ،[1] فنزلت : «قد نَرَى تقلُّب وَجهك فى السماء فلنولينك قبلة تَرْضَاها فول وجهك شَطرَ المسجد الحَرَام »،– وانقطع قول يهود :

(١) فى المطبوعة : « يستعرض القبلة » ، وأثبت ما فى الدر المنثور ١ : ١٤٧ وقوله : « يستفرض » أى يطلب فرضها عليه وعلى المؤمنين . وهذا ما لم تثبته كتب اللغة ، ولكنه صحيح العربية . أما قوله : « يستعرض القبلة » ، فليست بشىء .

يخالفنا ويتبع قبلتنا ! — في صلاة الظهر ،[١] فجعل الرجالَ مكانَ النساء ، والنساءَ مكانَ الرجال .

٢٢٣٥ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، سمعته — يعني ابن زيد — يقول : قال الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « فأينما تولوا فثمَّ وجهُ الله » . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هؤلاءِ قومُ يهودَ يستقبلون بيتاً من بيوت الله — لبيت المقدس — لو أنَّا استقبلناه ! فاستقبله النبي صلى الله عليه وسلم ستة عشر شهراً ، فبلغه أن يهودَ تقول : والله ما دَرَى محمد وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم ![٢] فكره ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، ورفع وجهه إلى السماء ، فقال الله جل ثناؤه : « قد نَرَى تقلُّبَ وجهك في السماء فلنوَلِّينَّك قبلةً ترضَاها فولِّ وجهك شطرَ المسجد الحرام » الآية .[٣]

* * *

وقال آخرون : بل كان يهوى ذلك ، من أجل أنه كان قبلةَ أبيه إبراهيم عليه السلام

* ذكر من قال ذلك :

٢٢٣٦ — حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنا معاوية ابن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة ، وكان أكثرَ أهلها اليهودُ ، أمره الله عز وجل أن يستقبل بيتَ المقدس . ففرحت اليهودُ . فاستقبلها رسول الله عليه وسلم ستة عشر شهراً ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحب قبلةَ إبراهيم ، فكان يدعو وينظر إلى السماء ، فأنزل الله عز وجل : « قد نرى تقلُّبَ وجهك في السماء » الآية .[٤]

* * *

---

(١) سياق عبارته : « فنزلت . . . في صلاة الظهر » .

(٢) في المطبوعة : « ما درى محمد صلى الله عليه وسلم » ، ولا تقوله يهود ، فرفعته . وكذلك جاء في رقم : ١٨٣٨

(٣) الأثر : ٢٢٣٥ — مضى برقم : ١٨٣٨

(٤) الأثر : ٢٢٣٦ — مضى برقم : ١٨٣٣ ، ورقم : ٢١٦٠ .

فأما قوله: « فلنولّينّك قبلة ترضاها » ، فإنه يعنى : فلنصرفنّك عن بيت المقدس ، إلى قبلة «ترضاها» : تهواها وتُحبها .(١)

* * *

وأما قوله : « فولّ وجهك » ، يعنى : اصرف وجهك وحوّله .

* * *

وقوله : « شطرَ المسجد الحرام » ، يعنى : بـ « الشطر » ، النحوَ والقصدَ والتّلقاء ، كما قال الهذلى :(٢)

إنّ العَسِيرَ بِهَا دَاءٌ مُخَامِرُهَا فَشَطْرَهَا نَظَرُ العَيْنَيْنِ مَحْسُورُ(٣) ١٤/٢

يعنى بقوله : « شطرَها » ، نحوها ، وكما قال ابن أحمر :

تَعْدُو بِنَا شَطْرَ جَمْعٍ وهْىَ عَاقِدَةٌ ، قَدْ كَارَبَ العَقْدُ مِنْ إِيفَادِهَا الحَقَبَا(٤)

* * *

---

(١) انظر معانى « ولى » فيما سلف ٢ : ١٦٢ ، ٥٣٥ ، وهذا الجزء ٣ : ١٣١

(٢) هو قيس بن العيزارة الهذلى . والعيزارة أمه ، واسمه قيس بن خويلد بن كاهل .

(٣) ديوانه فى أشعار الهذليين للسكرى : ٢٦١ (أوربة) ، ورسالة الشافعى : ٣٥ ، ٤٨٧ ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٠ ، والكامل ١ : ١٢ ، ٢ : ٣ ومجاز القرآن لأبى عبيدة : ٦٠ ، واللسان (شطر) (حسر) ، وغيرها . ورواية الشافعى فى الرسالة : « إن العسيب » بالباء فى آخره ، ورواية ديوانه وابن هشام : « إن النعوس » . والعسير : التى تعسر بذنبها إذا حملت ، من شراستها . والنعوس : التى تغمض عينيها عند الحلب . والعسيب : جريد النخل إذا كشط عنه خوصه . وأرى أنه لم يرد صفة الناقة بأحد هذه الألفاظ الثلاثة ، وإنما هو اسم ناقته . وكلها صالح أن يكون اسما للناقة . وقد قال ابن هشام : « النعوس : ناقته ، وكان بها داء فنظر إليها نظر حسير ، من قوله : « وهو حسير » . ويروى : « داء يخامرها فنحوها . . . » ، ورواية ديوانه « مخزور » . ومحسور ، هو الحسير : الذى قد أعيى وكل . ومخزور : من قولهم : « خزر بصره » ، : إذا دانى بين جفنيه ونظر بلحاظه . وهو يصف ناقته ، ويذكر حزنه وحبه لها ، فهو من الداء الذى خامرها مشفق عليها ، يطيل النظر إليها حتى تحسر عيناه ويكل .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ١٩٩ ، والروض الأنف ٢ : ٣٨ ، والخزانة ٣ : ٣٨ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة : ٦٠ . وفى المطبوعة : « من إنفادها » ، وهو خطأ . وقال : قبله :

أَنْشَأْتُ أَسْأَلُه عَنْ حَالِ رُفْقَتِهِ فقال : حَىٌّ ، فَإِنّ الرَّكْبَ قَدْ نَصَبَا

حى : اعجل . ونصب : جد فى السير : وقوله : « جمع » ، هى مزدلفة ، يريد الحج . وقوله : عاقدة ، أى : قد عطفت ذنبها بين فخذيها . وقوله : كارب ، أى أوشك وكاد وقارب ودنا . وأوفدت الناقة

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٢٣٧ ــ حدثنا سفيان بن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن داود بن أبى هند ، عن أبى العالية : «شَطْرَ المسجد الحَرَام» ، يعنى : تلقاءَه .

٢٢٣٨ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « شطر المسجد الحرام » ، نحوَه .

٢٢٣٩ ــ حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله : « فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام » ، نحوَه .

٢٢٤٠ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

٢٢٤١ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة : « فولِّ وجهك شطرَ المسجد الحرام » ، أى : تلقاءَ المسجد الحرام .

٢٢٤٢ ــ حدثنا الحسين بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « فولِّ وجهك شطرَ المسجد الحرام » ، قال : نحو المسجد الحرام .

إيفاداً : أسرعت . والحقب : الحزام يشد به الرحل فى بطن البعير مما يلى ثيله لئلا يؤذيه التصدير . يقول : قد أسرعوا إسراعاً إلى مزدلفة ، فجعلت تعطف ذنبها تسد به فرجها حتى كاد عقد ذنبها يبلغ الحقب . والناقة تسد فرجها بذنبها فى إسراعها ، يقول المخبل السعدى :

وإذَ رَفَعْتُ السَّوْطَ ، أفْزَعَهَا تَحْتَ الضُّلُوعِ مُرَوَّعٌ شَهْمُ
وتَسُدُّ حَاذَيْهَا بِذِى خُصَلٍ عُقِمَتْ فناعَمَ ، نَبْتَهُ العُقْمُ

ويقول المثقب العبدى ، يصف ناقته مسرعة :

تَسُدُّ بِدَائِمِ الخَطَرَانِ جَثْلٍ خَوَايَةَ فَرْجِ مِقْلَاتٍ دَهِينِ

٢٢٤٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع : « فولِّ وجهك شطرَ المسجد الحرام »، أي : تلقاءَه .

٢٢٤٤ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال، قال ابن جريج، أخبرني عمرو بن دينار، عن ابن عباس أنه قال : « شطرَه »، نحوَه .

٢٢٤٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا الحماني قال، حدثنا شريك، عن أبي إسحق، عن البراء : « فولوا وُجوهكم شَطره »، قال: قِبَله .

٢٢٤٦ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد : « شَطْره »، ناحيته، جانبه . قال : وجوانبه « شُطوره » . (١)

* * *

ثم اختلفوا في المكان الذي أمر الله نبيّه صلى الله عليه وسلم أن يولِّيَ وجهه إليه من المسجد الحرام .

فقال بعضهم : القبلةُ التي حُوِّل إليها النبي صلى الله عليه وسلم، وعناها الله تعالى ذكره بقوله : « فلنولينَّك قبلة تَرْضاها »، حيالَ ميزاب الكعبة .

* ذكر من قال ذلك :

٢٢٤٧ – حدثني عبد الله بن أبي زياد قال، حدثنا عثمان قال، أخبرنا شعبة عن يعلى بن عطاء، عن يحيى بن قمطة، عن عبد الله بن عمرو : « فلنولينَّك قبلة ترضاها »، حيالَ ميزاب الكعبة . (٢)

---

(١) الخبر : ٢٢٤٦ – هو وما قبله من الأخبار، في تفسير (شطره) بأنه : قبله، أو : نحوه . وانظر مؤيداً ذلك، ما قاله الشافعي في الرسالة، بتحقيقنا : ١٠٥ – ١١١، ١٣٧٨ – ١٣٨١ .

(٢) الحديث : ٢٢٤٧ – عبد الله بن أبي زياد، شيخ الطبري : نسب إلى جده . وهو « عبد الله ابن الحكم بن أبي زياد القطواني »، واسم « أبي زياد » : « سليمان » . وعبد الله هذا : ثقة، روى عنه أبو زرعة، وأبو حاتم، وابن خزيمة، وغيرهم . مترجم في التهذيب . وابن أبي حاتم ٣٨/٢/٢ .

وشيخه « عثمان » : ما أدري من هو ؟ وأغلب الظن أنه محرف، وصوابه « عفان » .

يحيى بن قمطة : تابعي ثقة، ترجمه البخاري في الكبير ٢٩٩/٢/٤، وابن أبي حاتم ١٨١/٢/٤،

٢٢٤٨ – وحدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، حدثنا هشيم ، عن يعلى بن عطاء ، عن يحيى بن قمطة قال : رأيت عبد الله بن عمرو جالساً فى المسجد الحرام بإزاء الميزاب ، وتلا هذه الآية : «فلنولينك قِبلة ترضاها »، قال : هذه القبلة ، هى هذه القبلة .

٢٢٤٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا هشيم – بإسناده عن عبد الله بن عمرو ، نحوه – إلاّ أنه قال : استقبل الميزاب فقال : هذه القبلة التى قال الله لنبيه : « فلنولينك قبلةً ترضاها ».(١)

* * *

وقال آخرون: بل ذلك البيت كله قبلةٌ، وقبلةُ البيت الباب .

* ذكر من قال ذلك:

وذكر أنه حجازى ، ولم يذكرا فيه جرحاً . وذكر البخارى أنه يروى « عن ابن عمر » . وذكر ابن أبى حاتم أنه يروى « عن عبد الله بن عمرو » . وذكره ابن حبان فى الثقات ، ص : ٣٧١ ، وقال : « يروى عن ابن عمر ، وعبد الله بن عمرو » . روى عنه يعلى بن عطاء .

واسم أبيه : « قمطة » بالقاف ثم الميم ثم الطاء المهملة . ولم أجد ما يدل على ضبط هذه الحروف . لكنه ثبت هكذا فى الطبرى وتفسير عبد الرزاق ومراجع الترجمة . ووقع فى ابن كثير والمستدرك « قطة » بدون الميم . وهو خطأ ، لمخالفته ما ذكرنا عن المراجع .

والحديث رواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٢٦٩ ، من طريق مسلم بن إبرهيم ، عن شعبة ، بهذا الإسناد ، مطولا بنحو الرواية التى بعد هذه . وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبى .

(١) الحديثان : ٢٢٤٨ ، ٢٢٤٩ – وهذان إسنادان آخران للحديث قبلهما . وأولهما من رواية عبد الرزاق ، عن هشيم ، عن يعلى بن عطاء .

وهشيم – بالتصغير : هو ابن بشير ، بفتح الموحدة وكسر الشين المعجمة . وهو أبو معاوية بن أبى خازم ، وهو حافظ ثقة ثبت . مترجم فى التهذيب . والكبير ٢٤٢/٢/٤ ، وابن سعد ٦١/٢/٧ ، ٧٠ . وابن أبى حاتم ١١٥/٢/٤ – ١١٦ . وتذكرة الحفاظ ١ : ٢٢٩ – ٢٣٠ .

والحديث فى تفسير عبد الرزاق، ص : ١٣ ، بهذا الإسناد . وليس فيه كلمة «هى» المزادة هنا بعد قوله: « هذه القبلة » . وأخشى أن تكون زيادتها غير جيدة ولا ثابتة .

وذكر ابن كثير ١ : ٣٥٢ ، أنه رواه أيضاً ابن أبى حاتم « عن الحسن بن عرفة ، عن هشيم ، عن يعلى بن عطاء » . ووقع اسم « هشيم » فيه محرفاً ، فيصحح من هذا الموضع .

والحديث فى الدر المنثور أيضاً ١ : ١٤٧ ، وزاد نسبته إلى ابن أبى شيبة ، وسعيد بن منصور ، وأحمد بن منيع فى مسنده ، وابن المنذر ، والطبرانى فى الكبير . وهو فى مجمع الزوائد ٦ : ٣١٦ ، وقال : « رواه الطبرانى من طريقين ، ورجال إحداهما ثقات » .

٢٢٥٠ – حدثني يعقوب قال ، حدثنا ابن علية ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : البيت كله قبلةٌ ، وهذه قبلةُ البيت – يعني التي فيها الباب . (١)

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي ما قال الله جل ثناؤه : « فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام » ، فالمولِّي وجهه شطرَ المسجد الحرام ، هو المصيبُ القبلةَ . وإنما عَلى من توجه إليه النيةُ بقلبه أنه إليه متوجهٌ ، كما أن على من ائتمَّ بإمام فإنما عليه الائتمام به ، وإن لم يكن مُحاذياً بدنُه بدنَه ، وإن كان في طَرَف الصَّفّ والإمام في طرف آخر ، عن يمينه أو عن يساره ، بعد أن يكون من خلفه مُؤتمًّا به ، مصلياً إلى الوجه الذي يصلِّي إليه الإمام . فكذلك حكمُ القبلة ، وإنْ لم يكن يحاذيها كل مصلٍّ ومتوجِّه إليها ببدنه ، غير أنه متوجهٌ إليها . فإن كان عن يمينها أو عن يسارها مقابلَها ، فهو مستقبلها ، بعُد ما بينه وبينها أو قَرُب ، من عن يمينها أو عن يسارها ، بعد أن يكون غيرَ مستدبرها ولا منحرفٍ عنها ببدنه ووَجهه ، كما :

٢٢٥١ – حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازي قال ، حدثنا أبو أحمد الزبيري قال ، أخبرنا إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن عميرة بن زياد الكندي ، عن علي : « فول وجهك شطر المسجد الحرام » ، قال : شطرُه ، قبله . (٢)

* * *

---

(١) الخبر : ٢٢٥٠ – نقله السيوطي ١ : ١٤٧ ، عن الطبري وحده ، بلفظ : « البيت كله قبلة ، وقبلة البيت الباب » .

(٢) الحديث : ٢٢٥١ – أبو إسحق : هو السبيعي الهمداني .

عميرة – بفتح العين – بن زياد الكندي : تابعي ثقة ، ترجمه ابن سعد في الطبقات ٦ : ١٤١ ، وقال : « روى عن عبد الله » . أراد بذلك عبد الله بن مسعود . وترجمه البخاري في الكبير ٤/١/٦٩ . وابن أبي حاتم ٣/٢/٢٤ . ولم يذكرا فيه جرحاً ، ولا رواية عن غير ابن مسعود . وذكرا أن الراوي عنه أبو إسحق .

والحديث رواه الحاكم في المستدرك ٢ : ٢٦٩ ، من طريق محمد بن كثير ، عن سفيان – وهو الثوري – عن أبي إسحق بهذا الإسناد . وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبي .

قال أبو جعفر : وقبلةُ البيت بابه ، كما : —

٢٢٥٢ — حدثني يعقوب بن إبراهيم والفضل بن الصَّبَّاح قالا ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عبد الملك ، عن عطاء قال ، قال أسامة بن زيد : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجَ من البيت أقبلَ بوجهه إلى الباب ، فقال : هذه القبلةُ ، هذه القبلة .(١)

٢٢٥٣ — حدثنا ابن حميد وسفيان بن وكيع قالا ، حدثنا جرير ، عن عبد الملك ابن أبي سليمان ، عن عطاء قال ، حدثني أسامة بن زيد قال : خرج النبي صلى

وكذلك رواه البيهقي في السنن الكبرى ج ٢ ص ٣ ، عن الحاكم .

وذكره السيوطي ١ : ١٤٧ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والدينوري في المجالسة .

وذكره ابن كثير ١ : ٢٦٨ ، نقلا عن الحاكم .

ولفظه عندهم جميعاً : « قال : شطره قبله » ، كما أثبتنا . ووقع في المطبوعة هنا : « قال : شطره فينا قبلة » ! ! وهو خطأ مخيف ، من ناسخ أو طابع .

ووقع في الإسناد في ابن كثير « محمد بن إسحق » بدل « أبي إسحق » . وهو خطأ يخالف ما ثبت هنا ، وما ثبت في سائر المراجع .

ووقع فيه في ابن كثير والمستدرك ومختصره للذهبي — المطبوع والمخطوط — « محمد بن زياد » . وهو خطأ أيضاً . وثبت على الصواب في رواية البيهقي عن الحاكم .

(١) الحديث : ٢٢٥٢ — الفضل بن الصباح البغدادي : ثقة ، وثقه ابن معين . وقال أبو القاسم البغوي : « كان من خيار عباد الله » . مترجم في التهذيب . وابن أبي حاتم ٣/٢/٦٣ .

عبد الملك : هو ابن أبي سليمان العرزمي ، مضى في : ١٤٥٥ .

عطاء : هو ابن أبي رباح ، التابعي الكبير ، الإمام الحجة ، القدوة العلم ، مفتي أهل مكة ومحدثهم . مترجم في التهذيب . وابن أبي حاتم ٣/١/٣٣٠ — ٣٣١ . وتذكرة الحفاظ ١ : ٩٢ : ٩٣ ، وتاريخ الإسلام ٤ : ٢٧٨ — ٢٨٠ ، وابن سعد ٢/٢/١٣٣ — ١٣٤ ، و ٥ : ٣٤٤ — ٣٤٦ .

أسامة بن زيد بن حارثة : هو حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن حبه .

وقد زعم أبو حاتم — فيما حكاه عنه ابنه في المراسيل : ص : ٥٧ — أن عطاء لم يسمع من أسامة . ولكن الرواية التالية لهذه ، فيها تصريح عطاء بالسماع منه . ثم المعاصرة كافية في ثبوت الاتصال ، كما هو الراجح عند أهل العلم بالحديث .

وعطاء ولد سنة ٢٧ ومات سنة ١١٤ . بل ذكر الذهبي أنه مات عن ٩٠ سنة . وأسامة بن زيد مات سنة ٥٤ . بل أرخ مصعب الزبيري وفاته في آخر خلافة معاوية سنة ٥٨ أو ٥٩ .

وهذا الحديث رواه أحمد في المسند (٥ : ٢٠٩)، عن هشيم ، بهذا الإسناد واللفظ . ثم رواه عقبه ، بالإسناد نفسه مطولا ، بنحوه .

الله عليه وسلم من البيت فصلى ركعتين مستقبلاً بوجهه الكعبة ، فقال : هذه ١٥/٢
القبلةُ ، مرتين .(١)

٢٢٥٤ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عبد الرحيم بن سليمان ، عن عبد الملك ، عن عطاء ، عن أسامة بن زيد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه .(٢)

٢٢٥٥ – حدثنا سعيد بن يحيى الأموى قال ، حدثنا أبى قال ، حدثنا ابن جريج قال، قلت لعطاء : سمعت ابن عباس يقول: إنما أمرتم بالطَّوَاف ولم تؤمروا بدخوله . قال :قال: لم يكن ينهَى عن دخوله، ولكنى سمعته يقول: أخبرنى أسامة ابن زيد أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل البيتَ دعا فى نواحيه كلها ، ولم يصلِّ حتى خرج، فلما خرج ركع فى قِبَل القبلة ركعتين، وقال: هذه القبلة .(٣)

* * *

(١) الحديث : ٢٢٥٣ – ابن حميد : هو محمد بن حميد بن حيان الرازى الحافظ . سبقت رواية الطبرى عنه مراراً كثيرة، ووثقناه فى ٢٠٢٨ . ونزيد هنا أنه وثقه ابن معين وغيره . وأنكروا عليه أحاديث، وأجاب عنه ابن معين بأن « هذه الأحاديث التى يحدث بها ، ليس هو من قبله ، إنما هو من قبل الشيوخ الذى يحدث به عنهم » . وقال الخليلى : « كان حافظاً عالماً بهذا الشأن ، رضيه أحمد ويحيى » . وعرض عبد الله بن أحمد على أبيه ما كتبه عنه ، فقال : أما حديثه عن ابن المبارك وجرير ، فصحيح ، وأما حديثه عن أهل الرى ، فهو أعلم » . مترجم فى التهذيب، والكبير ١/١/٦٩ – ٧٠ ، وابن أبى حاتم ٣/٢/٢٣٢ – ٢٣٣ ، والخطيب ٢ : ٢٥٩ – ٢٦٤، وتذكرة الحفاظ ٢ : ٦٧ – ٦٩ .

جرير : هو ابن عبد الحميد بن قرط الضبى الرازى ، وهو ثقة حجة . مترجم فى التهذيب، والكبير للبخارى ١/٢/٢١٤ ، وابن سعد ٧/٢/١١٠. وابن أبى حاتم ١/١/٥٠٥ – ٥٠٧ ، والخطيب ٧ : ٢٥٣ – ٢٦١ ، وتذكرة الحفاظ ١ : ٢٥٠ .

فهذا إسناد صحيح ، صرح فيه عطاء بالسماع من أسامة بن زيد ، كما أشرنا فى الإسناد السابق .

والحديث رواه أحمد فى المسند (٥ : ٢١٠ ح) ، ضمن قصة ، عن يحيى – وهو القطان – عن عبد الملك « حدثنا عطاء ، عن أسامة بن زيد » .

(٢) الحديث : ٢٢٥٤ – عبد الرحيم بن سليمان: هو المروزى الأشل، مضت ترجمته : ٢٠٣٠ . والحديث تكرار لسابقه ، لكن لم يصرح فى هذا الإسناد بسماع عطاء من أسامة .

(٣) الحديث ٢٢٥٥ – سعيد بن يحيى بن سعيد ، الأموى : ثقة ثبت ، بل قال على بن المدينى : « جماعة من الأولاد أثبت عندنا من آبائهم . . . وهذا سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى : أثبت من أبيه » . وهو من شيوخ البخارى ومسلم وأبى زرعة وأبى حاتم ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/١/٤٧٧ ، وابن أبى حاتم ٢/١/٧٤ ، والخطيب ٩ : ٩٠ – ٩١ .

قال أبو جعفر : فأخبر صلى الله عليه وسلم أنّ البيت هو القبلة ، وأن قبلة البيت بابه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بذلك : فأينما كنتم من الأرض أيها المؤمنون فحوّلوا وُجوهكم فى صلاتكم نحو المسجد الحرام وتلقاءَه .

و « الهاء » التى فى « شطرَه » ، عائدة إلى المسجد الحرام .

فأوجب جل ثناؤه بهذه الآية على المؤمنين ، فرضَ التوجُّه نحو المسجد الحرام

أبوه ، يحيى بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاص : حافظ ثقة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/٢/٢٧٧ ، وابن سعد ٦ : ٢٧٧ – ٢٧٨ ، و ٧/٢/٨٠ – ٨١ . وابن أبى حاتم ٤/٢/١٥١ – ١٥٢ ، والخطيب ١٤ : ١٣٢ – ١٣٥ ، وتذكرة الحفاظ ١ : ٢٩٨ .

والحديث رواه أحمد فى المسند (٥ : ٢٠٨ ح) ، عن عبد الرزاق ، وروح – كلاهما عن ابن جريج ، بهذا الإسناد نحوه .

رواه قبل ذلك (ص : ٢٠١ ح) عن عبد الرزاق وحده ، مختصراً ، طوى القصة فلم يذكرها .

وليس فى هذا الحديث ما ينفى أن يكون عطاء سمع الحديث من أسامة بن زيد ، لأنه – هنا – إنما يجيب السائل عن قول ابن عباس ، وينفى أن يكون ابن عباس ينهى عن دخول البيت . فهو يذكر رواية ابن عباس عن أسامة ، من أجل هذا . ولا يمنع هذا أن يكون الحديث عند عطاء عن أسامة مباشرة .

والحديث رواه أيضاً مسلم ١ : ٣٧٦ – ٣٧٧ ، من طريق محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، بهذا الإسناد ، نحو هذه القصة ، أطول منها قليلا .

ورواه البخارى ١ : ٤٢٠ – ٤٢١ (فتح البارى) ، من طريق عبد الرزاق ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، مختصراً . لم يذكر القصة ، ولم يذكر أنه عن أسامة ، جعله من حديث ابن عباس . وذكر الحافظ أنه رواه الإسماعيلى وأبو نعيم ، فى مستخرجيهما ، من طريق إسحق بن راهويه ، عن عبد الرزاق ، بإسناده هذا : « فجعله من رواية ابن عباس عن أسامة بن زيد » . قال الحافظ : « وهو الأرجح .

والخلاف فى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فى الكعبة أو لم يصل – مذكور فى الدواوين . والراجح صلاته فيها . المثبت مقدم على النافى . وانظر نصب الراية ٢ : ٣١٩ – ٣٢٢ .

فى صلاتهم حيث كانوا من أرض الله تبارك وتعالى .

وأدخلت « الفاء » فى قوله : « فولوا » ، جواباً للجزاء . وذلك أن قوله : « حيثما كنتم » جزاء ، ومعناه : حيثما تكونوا فولوا وجوهكم شطره .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « وإنّ الذين أوتُوا الكتاب »، أحبارَ اليهود وعلماء النصارى .

* * *

وقد قيل : إنما عنى بذلك اليهودَ خاصةً .

* ذكر من قال ذلك :

٢٢٥٦ — حدثنا موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال : حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإنّ الذين أوتوا الكتاب » ، أنزل ذلك فى اليهود .

* * *

وقوله : « ليعلمون أنه الحق من ربهم »، يعنى هؤلاء الأحبارَ والعلماءَ من أهل الكتاب ، يعلمون أن التوجُّهَ نحو المسجد، الحقُّ الذى فرضه الله عز وجل على إبراهيم وذريته وسائر عباده بعده .

* * *

ويعنى بقوله : « من رَبِّهم » أنه الفرضُ الواجب على عباد الله تعالى ذكره ، وهو الحقُّ من عند ربهم، فَرَضَه عليهم .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (١٤٤)

قال أبو جعفر: يعنى بذلك تبارك وتعالى: وليس الله بغافل عما تعملون أيها المؤمنون، فى اتباعكم أمرَه، وانتهائكم إلى طاعته، فيما ألزمكم من فرائضه، وإيمانكم به فى صَلاتكم نحو بيت المقدس، ثم صلاتكم من بعد ذلك شطرَ المسجد الحرام، ولا هو ساه عنه،[1] ولكنه جَل ثناؤه يُحصيه لكم ويدّخره لكم عنده، حتى يجازيَكم به أحسن جزاء، ويثيبكم عليه أفضلَ ثواب.

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾

قال أبو جعفر: يعنى بذلك تبارك اسمه: ولئن جئتَ، يا محمد، اليهودَ والنصارَى، بكل برهان وحُجة — وهى «الآية» —[2] بأن الحق هو ماجئتهم به، من فرض التحوُّل من قبلة بيت المقدس فى الصلاة، إلى قبلة المسجد الحرام، ما صدّقوا به، ولا اتّبعوا — مع قيام الحجة عليهم بذلك — قبلتَك التى حوّلتُك إليها، وهى التوجُّه شطرَ المسجد الحرام.

* * *

قال أبو جعفر: وأجيبت «لئن» بالماضى من الفعل، وحكمها الجوابُ بالمستقبل، تشبيهاً لها بـ «لو»، فأجيبت بما تجاب به «لو»، لتقارب معنييهما.

---

(١) انظر تفسير «غافل» فيما سلف ٢ : ٢٤٣ — ٢٤٤، ٣١٥، وهذا الجزء ٣ : ١٢٧

(٢) انظر تفسير «آية» فيما سلف ١ : ١٠٦ / ٢ : ٥٥٣

وقد مضى البيان عن نظير ذلك فيما مضى .[١] وأجيبت «لو» بجواب الأيمان. ولا تفعل العربُ ذلك إلا فى الجزاء خاصة، لأن الجزاء مُشابه اليمين : فى أن كل واحد منهما لا يتم أوّله إلا بآخره، ولا يتمُّ وحده، ولا يصحّ إلا بما يؤكّده بعدَه. فلما بدأ باليمين فأدخلت على الجزاء ، صارَت « اللام » الأولى بمنزلة يَمين ، والثانية بمنزلة جواب لها ، كما قيل : « لعمرك لتقومَنّ » إذ كثرت « اللام » من « لعمرك » ، حتى صارت كحرف من حروفه ، فأجيب بما يجاب به الأيمان ، إذ كانت « اللام » تنوب فى الأيمان عن الأيمان ، دون سائر الحروف ، غير التى هى أحقُّ به الأيمان . فتدلّ على الأيمان ، وتعمل عمل الأجوبة ، ولا تدلّ سائر أجوبة الأيمان لنا على الأيمان .[٢] فشبهت « اللام » التى فى جواب الأيمان بالأيمان ، لما وصفنا ، فأجيبت بأجوبتها .

* * *

فكانَ معنى الكلام — إذ كان الأمر على ما وصفنا —: لو أتيتَ الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك .

* * *

وأما قوله: « وما أنتَ بتابع قِبلتهم » ، يقول: وما لك من سبيل يا محمد إلى اتّباع قبلتهم . وذلك أن اليهود تستقبل بيت المقدس بصلاتها ، وأن النصارى تستقبل المشرقَ ، فأنّى يكون لك السبيل إلى اتباع قِبلتهم ، مع اختلاف وجوهها ؟ يقول : فالزم قبلتَك التى أمِرت بالتوجه إليها ، ودعْ عنك ما تقولُه اليهود والنصارى وتدعُوك إليه من قبلتهم واستقبالها . ١٦/٢

* * *

وأما قوله : « وما بعضهم بتابع قبلة بعض » ، فإنه يعنى بقوله : وما اليهود بتابعةٍ قبلةَ النصارى ، ولا النصارى بتابعةٍ قبلة اليهود فتوجّهةٌ نحوها ، كما : —

٢٢٥٧ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وما بعضهم بتابع قبلة بعض » ، يقول : ما اليهود بتابعى

(١) انظر ما سلف ٢ : ٤٥٨ ، وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٨٤ .

(٢) قوله : « أجوبة الأيمان لنا على الأيمان » هذا عبارة غامضة ، لم أظفر لها بوجه أرتضيه ، وأنا لا أشك فى تحريفها أو نقصها .

قبلةِ النصارى ، ولا النصارى بتابعى قبلةِ اليهود . قال : وإنما أنزلت هذه الآية من أجل أن النبي صلى الله عليه وسلم لما حُوِّل إلى الكعبة، قالت اليهود: إن محمداً اشتاقَ إلى بلد أبيه ومولده ! ولو ثبت على قبلتنا لكنُا نرجو أن يكون هو صاحبَنا الذى ننتظر ! فأنزل الله عز وجل فيهم : « وإنّ الذين أوتوا الكتابَ ليعلمون أنه الحق من ربهم » إلى قوله : « ليكتمون الحق وهم يعلمون » .(١)

٢٢٥٨ — حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « وما بعضهم بتابع قبلةَ بعض » ، مثل ذلك .

* * *

وإنما يعنى جل ثناؤه بذلك: أن اليهود والنصارى لا تجتمع على قبلة واحدة ، مع إقامة كل حزب منهم على مِلّتهم . فقال تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، لا تُشعر نفسك رضَا هؤلاء اليهود والنصارى ، فإنه أمر لا سبيل إليه . لأنهم مع اختلاف مللهم لا سبيل لكَ إلى إرضاء كل حزب منهم . من أجل أنك إن اتبعت قبلةَ اليهود أسخطتَ النصارى ، وإن اتّبعت قبلة النصارى أسخطت اليهود ، فدع ما لا سبيل إليه، وادعُهم إلى ما لهم السبيل إليه، من الاجتماع على مِلّتك الحنيفيّة المسلمة، وقبلتِك قبلةِ إبراهيم والأنبياء من بعده .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (١٤٥)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « ولئن اتبعت أهواءهم » ، ولئن التمست يا محمد رضَا هؤلاء اليهود والنصارى ، الذين قالوا لك ولأصحابك : « كونوا هُوداً أو نصارى تهتدوا » ، فاتبعتَ قبلتهم — يعنى : فرجعت إلى قبلتهم .

(١) الأثر : ٢٢٥٧ — انظر ما مضى رقم : ٢٢٠٤ .

ويعنى بقوله : « من بعد ما جاءك من العلم » ، من بعد ما وصل إليك من العلم ، بإعلامى إياك أنهم مقيمون على باطل ، وعلى عنادٍ منهم للحق ، ومعرفةٍ منهم أنّ القبلة التى وجهتُك إليها هى القبلةُ التى فرضتُ على أبياك إبراهيم عليه السلام وسائر ولده من بعده من الرسل — التوجُّهَ نحوها ، « إنك إذاً لمن الظالمين » ، يعنى : إنك إذا فعلت ذلك ، من عبادى الظَّلمةِ أنفسَهم ، المخالفين أمرى ، والتاركين طاعتى ، وأحدُهم ، وفى عِدادِهم .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه » ، أحبارَ اليهود وعلماء النصارى : يقول : يعرف هؤلاء الأحبارُ من اليهود ، والعلماءُ من النصارى : أن البيتَ الحرام قبلتُهم وقبلة إبراهيم وقبلةُ الأنبياء قبلك ، كما يعرفون أبناءَهم ، كما : —

٢٢٥٩ — حدثنا بشر بن معاذ : قال ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة قوله : « الذين آتيناهم الكتاب يَعرفونه كما يَعرفون أبناءهم » ، يقول : يعرفون أن البيت الحرام هو القبلةُ .

٢٢٦٠ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قول الله عز وجل : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونهُ كما يعرفونَ أبناءهم » ، يعنى : القبلةَ .

---

(١) السياق : من عبادى الظلمة . . . وأحدهم ، وفى عدادهم » .

٢٢٦١ – حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » ، عرفوا أن قِبلة البيت الحرام هي قبلتُهم التي أمِروا بها ، كما عرفوا أبناءهم .

٢٢٦٢ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفونَ أبناءهم » ، يعني بذلك : الكعبةَ البيتَ الحرام .

٢٢٦٣ – حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » ، يعرفون الكعبة هي قبلة الأنبياء ، كما يعرفون أبناءهم .(١)

٢٢٦٤ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : «الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم» ، قال : اليهود يعرفون أنها هي القبلة ، مكة .

٢٢٦٥ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج في قوله : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » ، قال : القبلةُ والبيتُ .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١٤٦)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : وإنّ طائفةً من الذين أوتوا الكتاب – وهمُ اليهود والنصارى . وكان مجاهد يقول : هم أهل الكتاب .

٢٢٦٦ – حدثني محمد بن عمرو – يعني الباهلي – قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بذلك .

---

(١) في المطبوعة : « يعرفون الكعبة من قبلة الأنبياء » .

٢٢٦٧ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج مثله .

٢٢٦٨ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، مثله .

* * *

قال أبو جعفر : وقوله : « ليكتمون الحق »، – وذلك الحقّ هو القبلة = التي ١٧/٢ وجّه الله عز وجل إليها نبيّه محمداً صلى الله عليه وسلم. يقول : فَوَلِّ وجهك شطرَ المسجد الحرام = التي كانت الأنبياء من قبل محمدٍ صلى الله عليه وسلم يتوجّهون إليها ، فكتمتها اليهودُ والنصارى ، فوجّه بعضُهم شرقاً ، وبعضُهم بيتَ المقدس ، ورفضُوا ما أمرهم الله به ، وكتموا مَعَ ذلك أمرَ محمد صلى الله عليه وسلم وهم يجدونَه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل . فأطلع الله عز وجل نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم وأمّتَه على خيانتهم اللهَ تبارك وتعالى، وخيانتهم عبادَه ، وكتمانهم ذلك ، وأخبر أنهم يفعلون ما يَفعلون من ذلك على علم منهم بأن الحق غيرُه ، وأن الواجب عليهم من الله جل ثناؤه خلافُه ، فقال : « ليكتمونَ الحق وهم يعلمون » ، أنْ ليس لهم كتمانه ، فيتعمّدون معصية الله تبارك وتعالى ، كما : –[1]

٢٢٦٩ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وإنّ فريقاً منهم ليكتمون الحق وُهمْ يعلمون » ، فكتموا محمداً صلى الله عليه وسلم .

٢٢٧٠ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ليكتمون الحق وَهمْ يعلمون » ، قال : يكتمون محمداً صلى الله عليه وسلم ، وهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل .

---

(١) من أول قوله : « كما حدثنا بشر بن معاذ » ، إلى حيث نذكر في ص ٢٠٧ تعليق : ٢ موجود في ست عشرة صفحة بقيت من القسم المفقود من النسخة العتيقة .

٢٢٧١ – حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحق بن الحجاج قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « وإنّ فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » ، يعني القبلةَ

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ (١٤٧)

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره[1]: اعلم يا محمد أنّ الحق ما أعلمك ربك وأتاك من عنده ، لا ما يقول لكَ اليهود والنصارى .

وهذا خبرٌ من الله تعالى ذكره لنبيه عليه السلام :[2] عن أن القبلة التي وجهه نحوها ، هي القبلةُ الحقُّ التي كان عليها إبراهيم خليل الرحمن ومَنْ بعده من أنبياء الله عز وجل

يقول تعالى ذكره له : فاعمل بالحقّ الذي أتاك من ربّك يا محمد، ولا تكونن من الممترين .

• • •

يعني بقوله : « فلا تكونن من الممترين » ، أي : فلا تكونن من الشاكّين في أن القبلة التي وجّهتك نحوها قبلةُ إبراهيم خليلي عليه السلام وقبلة الأنبياء غيره، كما :

٢٢٧٢ – حدثني المثنى قال، حدثني إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : قال الله تعالى ذكره لنبيه عليه السلام : « الحقُّ من ربك فلا تكونن من الممترين » ، يقول : لا تكنْ في شك ، فإنها قبلتُك وقبلةُ الأنبياء من قبلك .[3]

---

(١) في المطبوعة : « يقول الله جل ثناؤه » ، وأثبت نص المخطوطة .

(٢) في المطبوعة « وهذا من الله تعالى ذكره خبر » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٣) في المطبوعة : « فلا تكن في شك أنها » ، بإسقاط الفاء من « فإنها » .

٢٢٧٣– حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « فلا تكونن من الممترين » ، قال : من الشاكين ، قال : لا تشكنّ في ذلك .

* * *

قال أبو جعفر : وإنما « الممترى »[1] « مفتعل » ، من « المرْية » . و« المِرْية » هي الشك ، ومنه قول الأعشى :

تَدِرُّ عَلَى أَسْوُقِ المُمْتَرِيـــنَ رَكْضًا، إِذَا مَا السَّرَابُ أُرْجَحَنّ[2]

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال لنا قائل : أوَ كان النبي صلى الله عليه وسلم شاكًّا في أنّ الحق من ربّه ، أو في أن القبلة التي وجّهه الله إليها حق من الله تعالى ذكره ، حتى نُهي عن الشك في ذلك ، فقيل له : « فلا تكونن من الممترين » ؟

قيل : ذلك من الكلام الذي تُخرجه العرب مُخرَج الأمر أو النهي للمخاطب به ، والمراد به غيره ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلاَ تُطِعِ الكَافِرِينَ وَالمُنَافِقِينَ ﴾ [سورة الأحزاب : ١] ، ثم قال : ﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ

---

(١) في المطبوعة : « والمترى » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) ديوانه : ٢٠ واللسان (رجحن) من قصيدة سلف بيت منها في ١ : ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، يصف خيلا مغاوير لقيس بن معديكرب الكندي ، أغارت على قوم مسرعة حثيثة ، فبينا القوم يتمارون فيها إذا بها :–

تُبَارِي الزِّجَاجَ مَغَاوِيرُهَا شَمَاطِيطَ في رَهَجٍ كَالدِّخَنْ
تَدِرُّ عَلَى أَسْوُقٍ . . . . . .

در الفرس يدر دريراً ودرة : عدا عدواً شديداً . لا يثنيه شيء . والأسوق جمع ساق ، ويجمع أيضاً على سوق وسيقان . يقول : بينا هم يتمارون إذ غشيتهم الخيل فصرعتهم ، فوطئتهم وطئاً شديداً ، ومرت على سيقانهم عدواً . وارجحن السراب : ارتفع واتسع واهتز ، وذلك في وقت ارتفاع الشمس .

مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٢] . فخرج الكلام مخرج الأمرِ للنبي صلى الله عليه وسلم والنهيِ له ، والمراد به أصحابه المؤمنون به . وقد بينا نظيرَ ذلك فيما مضى قبل بما أغنىَ من إعادته.(١)

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله تعالى ذكره : « ولكلّ » ، ولكل أهل ملة ،(٢) فحذف « أهلُ الملة » ، واكتفى بدلالة الكلام عليه ، كما : —

٢٢٧٤ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله عز وجل : « ولكلٍّ وِجْهة » ، قال : لكل صاحب ملة .

٢٢٧٥ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، : « ولكلٍّ وجهة هو موليها » ، فلليهودىّ وجهة هو موليها ، وللنصرانى وجهة هو موليها ، وهداكم الله عز وجل أنتم أيها الأمّة للقِبلة التى هى قبلة .(٣)

٢٢٧٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال ، قلت لعطاء قوله : « ولكل وجهة هو موليها » ، قال : لكل أهل دين ، اليهودَ والنصارَى . قال ابن جريج ، قال مجاهد : لكل صاحب مِلة .

٢٢٧٧ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ولكل وجهة هومولِيها » ، قال : لليهود قبلة ، وللنصارى قبلة ، ولكم قبلة ، يريد المسلمين .

٢٢٧٨ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ،

---

(١) انظر ما سلف ٢ : ٤٨٤ — ٤٨٨ .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « . . . تعالى ذكره ولكل أهل ملة » ، والصواب ما أثبت .

(٣) فى المطبوعة : « فلليهود وجهة هو موليها » ، و « وللنصارى قبلة هو موليها » ، والصواب من المخطوطة . وفيها أيضاً : « التى هى قبلته » وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو جيد .

حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ولكلٍّ وجهةٌ هو موليّها » ، يعني ١٨/٢ بذلك أهلَ الأديان : يقول : لكلٍّ قبلةٌ يرضَونها ، ووجهُ الله تبارك وتعالى اسمه حيثُ تَوَجَّه المؤمنون . وذلك أن الله تعالى ذكره قال : ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة : ١١٥]

٢٢٧٩ – حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولكلٍّ وجْهة هو موليها » ، يقول : لكل قوم قبلة قد ولَّوْها .

* * *

فتأويل أهل هذه المقالة فى هذه الآية : ولكل أهل ملة قبلةٌ هو مستقبلها ، ومولٍّ وجهه إليها .

* * *

* وقال آخرون بما : –

٢٢٨٠ – حدثنا به الحسن بن يحيى قال ، حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « ولكل وجهة هو موليها » ، قال : هى صلاتهم إلى بيت المقدس ، وصلاتهم إلى الكعبة .

* * *

وتأويل قائل هذه المقالة : ولكلٍّ ناحية وجَّهك إليها ربّك يا محمد قبلة ، اللهُ عز وجل مُولِّيها عبادَه .

* * *

وأما « الوِجهة » ، فإنها مصدر مثل « القِعدة » و« المِشية » ، من « التوجّه » . وتأويلها : مُتوَجَّهٌ ، يتوجَّه إليه بوَجهه فى صلاته ،[1] كما : –

٢٢٨١ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وجهة » ، قبلةٌ .

(١) فى المطبوعة : « يتوجه إليها » ، وأثبت ما فى المخطوطة . وانظر معانى القرآن للفراء : ٩٠ « وجهة » .

٢٢٨٢ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٢٢٨٣ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « ولكل وجهة » ، قال : وَجْه .

٢٢٨٤ ــ حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « وِجْهه » ، قِبلة .

٢٢٨٥ ــ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير قال، قلت لمنصور : « ولكل وجْهة هو مولّيها » ، قال: نحن نقرؤها ، ولكلٍّ جعلنا قِبلة يرضَوْنها.(١)

* * *

وأما قوله : « هو مُولّيها » ، فإنه يعني هو مولٍّ وجهه إليها ومستقبلها ،(٢) كما : ــ

٢٢٨٦ ــ حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « هو موليها » ، قال : هو مستقبلها .

٢٢٨٧ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

ومعنى « التوْلية » ههنا الإقبال ، كما يقول القائل لغيره : « انصرِف إليّ » بمعنى : أقبل إليّ . « والانصراف » المستعمل، إنما هو الانصراف عن الشيء، ثم يقال : « انصرفَ إلى الشيء» ، بمعنى : أقبل إليه منصرفاً عن غيره . وكذلك يقال «ولّيت عنه» ، إذا أدبرت عنه . ثم يقال : «ولّيت إليه» ، بمعنى أقبلت إليه مولّياً عن غيره .(٣)

* * *

(١) قوله : « نقرؤها » ، لا يعني أنها قراءة في قراآت القرآن ، وإنما يعني دراستها والتفقه في معانيها .

(٢) في المطبوعة : « مستقبلها » بحذف الواو ، وهي جيدة .

(٣) انظر معنى « التولية» فيما سلف ٢ : ٥٣٥ ، وهذا الجزء ٣ : ١٧٥ وانظر أيضاً ٢ : ١٦٢ ، ثم هذا الجزء ٣ : ١١٥ ، وانظر معاني القرآن للفراء ١ : ٨٥ .

والفعل — أعنى « التولية » — فى قوله : « هو موليها » لا « كل » . و « هو » التى مع « موليها » ، هو « الكل » ، وُحِّدت للفظ « الكل » .

* * *

فمعنى الكلام إذاً : ولكل أهل مِلة وجهة ، الكلُّ منهم مولُّوها وُجوهَهم .[1]

* * *

وقد روى عن ابن عباس وغيره أنهم قرأوها : « هو مُولاَّها » ، بمعنى أنه مُوجَّهٌ نحوها . ويكون « الكل » حينئذ غير مسمًّى فاعله ،[2] ولو سُمى فاعله ، لكان الكلام : ولكلّ ذى ملة وجهةٌ ، اللهُ مولِّيه إياها ، بمعنى : موجِّهه إليها .

* * *

وقد ذُكر عن بعضهم أنه قرأ ذلك : « ولكُلٍّ وِجهةٍ » بترك التنوين والإضافة . وذلك لحنٌ ، ولا تجوز القراءةُ به . لأن ذلك — إذا قرئ كذلك — كان الخبرُ غير تامٍّ وكان كلاماً لا معنى له . وذلك غير جائز أن يكون من الله جل ثناؤه .

* * *

والصواب عندنا من القراءة فى ذلك : « ولكلٍّ وِجهةٌ هُوَ مُولِّيها » ، بمعنى : ولكلِّ وجهةٌ وقبلةٌ ، ذلك الكُلّ مُولٍّ وجهه نحوها . لإجماع الحجة من القرّاء على قراءة ذلك كذلك ، وتصويبها إياها ، وشذوذ من خالف ذلك إلى غيره . وما جاءَ به النقلُ مستفيضاً فحُجة ، وما انفرد به من كان جائزاً عليه السهو والغلط ،[3] فغيرُ جائز الاعتراضُ به على الحجة .

* * *

(١) فى المطبوعة : « لكل منهم مولوها » ، وهو كلام مختل ، والصواب من المخطوطة .
(٢) فى المطبوعة : « ويكون الكلام حينئذ » ، والصواب من المخطوطة .
(٣) فى المطبوعة : « السهو والخطأ » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « فاستبقوا » ، فبادروا وسارعوا ، من « الاستباق » ، وهو المبادرة والإسراع ، كما : —

٢٢٨٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « فاستبقوا الخيرات » ، يقول : فسارعوا فى الخيرات.[١]

• • •

وإنما يعنى بقوله : « فاستبقوا الخيرات » ، أى : قد بيّنت لكم أيها المؤمنون الحقّ ، وهديتكم للقِبلة التى ضلّت عنها اليهود والنصارى وسائرُ أهل الملل غيركم ، فبادروا بالأعمال الصالحة ، شكراً لربكم ، وتزوّدوا فى دنياكم لآخرتكم ،[٢] فإنى قد بيّنت لكم سبُل النجاة ،[٣] فلا عذر لكم فى التفريط ، وحافظوا على قبلتكم ، فلا تضيّعوها كما ضيّعتها الأمم قبلكم ،[٤] فتضلّوا كما ضلت ؛ كالذى : —

٢٢٨٩ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فاستبقوا الخيرات » ، يقول : لا تُغلَبُنّ على قبلتكم .

٢٢٩٠ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « فاستبقوا الخيرات » ، قال : الأعمال الصالحة .

• • •

---

(١) فى المطبوعة : « يعنى : فسارعوا » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « لأخراكم » ، وهما سواء فى المعنى .

(٣) فى المطبوعة : « سبيل النجاة » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٤) فى المطبوعة : « ولا تضيعوها كما ضيعها » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهى أجود .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٤٨)

قال أبو جعفر: ومعنى قوله: «أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً»، فى أىّ مكان وبقعة تهلكون فيه،[1] يأت بكم الله جميعاً يوم القيامة، إن الله على كل شىء قدير، كما:—

٢٢٩١ — حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبى جعفر، عن أبيه، عن الربيع: «أينما تكونوا يَأت بكمُ الله جميعاً»، يقول: أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً يوم القيامة. ١٩/٢

٢٢٩١ م — حدثنا موسى قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدى: «أينما تكونوا يَأت بكم الله جميعاً»، يعنى: يومَ القيامة.

* * *

قال أبو جعفر: وإنما حضّ الله عز وجل المؤمنين بهذه الآية على طاعته، والتزوُّدِ فى الدنيا للآخرة، فقال جل ثناؤه لهم: فاستبقوا أيها المؤمنون إلى العمل بطاعة ربكم، ولزوم ما هداكم له من قبلة إبراهيم خليله وشرائع دينه، فإن الله تعالى ذكره يأتى بكم وبمن خالفَ قبلتكم ودينكم وشريعتكم جميعاً يوم القيامة، من حيث كنتُم من بقاع الأرض، حتى يوفّىَ المحسنَ منكم جزاءه بإحسانه،[2] والمسىء عقابه بإساءته، أو يتفضّل فيصفح.

* * *

وأما قوله: «إنّ الله على كل شىء قدير»، فإنه تعالى ذكره يعنى: إنّ الله تعالى على جَمْعكم — بعد مماتكم — من قبوركم إليه، من حيث كنتم وكانت قبوركم، وعلى غير ذلك مما يشاء، قديرٌ.[3] فبادروا خروجَ أنفسكم بالصالحات من الأعمال قبل مماتكم، ليومَ بَعثكم وحشركم.

(١) انظر القول فى تفسير «أينما» فى معانى القرآن للفراء ١ : ٨٥ — ٨٩.
(٢) فى المخطوطة: «حتى يوفى المحسن منكم جزاءه»، ولا بأس بها.
(٣) فى المطبوعة: «من قبوركم من حيث كنتم وعلى غير ذلك»، أسقط منها الناسخ.

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٤٩)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « ومن حيث خرجت » ، ومن أىّ موضع خرَجْت إلى أى موضع وجَّهتَ، فولِّ يا محمد وَجهك — يقول : حوِّل وَجْهك . وقد دللنا على أن « التولية » فى هذا الموضع شطر المسجد الحرام، إنما هى : الإقبالُ بالوجه نحوه . وقد بينا معنى « الشطر » فيما مضى . (١)

* * *

وأما قوله : « وإنه للحق من ربك » ، فإنه يعنى به تعالى ذكره : وإنّ التوجه شطرَه للحق الذى لا شكّ فيه من عند ربك ، فحافظوا عليه ، وأطيعوا الله فى توجهكم قِبَله .

* * *

وأما قوله : « وَما الله بغافل عما تعملون » ، فإنه يقول : فإن الله تعالى ذكره ليس بساهٍ عن أعمالكم ، ولا بغافل عنها ، ولكنه محصيها لكم ، حتى يجازيكم بها يوم القيامة . (٢)

* * *

---

(١) انظر ما سلف فى « التولية » فى هذا الجزء ٣ : ١٩٤ تعليق : ٣ ، وما سلف فى تفسير : « شطر » فى هذا الجزء ٣ : ١٧٥

(٢) انظر معنى « غافل » فيما سلف من هذا الجزء ٣ : ١٨٤ تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله تعالى ذكره : « ومن حيثُ خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام » ، من أىّ مكان وبُقعة شخصتَ فخرجت يا محمد ، فولِّ وجهك تلقاء المسجد الحرام ، وهو شطره .

ويعنى بقوله : « وحيث كنتم فولُّوا وجوهكم » ، وأينما كنتم أيها المؤمنون من أرض الله، فولُّوا وجوهكم فى صلاتكم تُجاهه وقِبَله وقَصْدَه .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى ﴾

قال أبو جعفر : فقال جماعة من أهل التأويل : عنى الله تعالى بـ « الناس » فى قوله : « لئلا يكون للناس » ، أهلَ الكتاب

* ذكر من قال ذلك :

٢٢٩٢ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : «لئلا يكون للناس عليكم حجة » ، يعنى بذلك أهلَ الكتاب . قالوا — حين صُرف نبىُّ الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة البيت الحرام — : اشتاق الرجل إلى بيت أبيه ودين قومه !

٢٢٩٣ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ،

---

(١) فى المخطوطة : « فولوا فى صلاتكم » ، أسقط « وجوهكم » .

عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « لئلا يكونَ للناس عليكم حجة » ، يعنى بذلك أهلَ الكتاب ، قالوا — حين صُرف نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة —: اشتاق الرجل إلى بيت أبيه ودين قومه !

* * *

فإن قال قائل: فأيّة حُجة كانت لأهل الكتاب بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه نحوَ بيت المقدس ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ؟

قيل: قد ذكرنا فيما مضى ما روى فى ذلك. قيل: إنهم كانوا يقولون: ما درَى مُحمد وأصحابهُ أين قبلتهم حتى هديناهم نحن ! وقولهم : يُخالفنا مُحمد فى ديننا ويتبع قبلتنا ![1] فهى الحجة التى كانوا يحتجُّون بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، على وجه الخصومة منهم لهم ، والتمويه منهم بها على الجهالّ وأهل الغباء من المشركين .[2]

وقد بينا فيما مضى أن معنى حِجاج القوم إيّاه ، الذى ذكره الله تعالى ذكره فى كتابه ، إنّما هى الخصومات والجدال . فقطع الله جل ثناؤه ذلك من حجتهم وَحسمه ، بتحويل قبلة نبيّه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به ، من قبلة اليهود إلى قبلة خليله إبراهيم عليه السلام . وذلك وهو معنى قول الله جل ثناؤه : « لئلا يكون للناس عليكم حجة » ، يعنى : بـ « الناس » ، الذين كانوا يحتجون عليهم بما وصفت .

* * *

وأما قوله : « إلا الذين ظَلموا منهم » ، فإنهم مُشركو العرب من قريش ، فيما تأوّله أهلُ التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٢٩٤ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد: «إلا الذينَ ظلموا منهم » ، قومُ محمد صلى الله عليه وسلم .

---

(١) انظر ما سلف فى هذا الجزء رقم : ٢٢٣٤ ، ٢٢٣٥ .

(٢) فى المطبوعة : « وأهل العناد من المشركين » ، والصواب من المخطوطة .

٢٢٩٥ ــ حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى ، قال : هم المشركون من أهل مكة . ٢٠/٢

٢٢٩٦ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « إلا الذين ظلموا منهم » ، يعني مشركى قريش

٢٢٩٧ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة وابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « إلا الذين ظلموا منهم »، قال : هم مشركو العرب .

٢٢٩٨ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة قوله : « إلاّ الذين ظلموا منهم » ، و « الذين ظلموا » : مشركو قريش .

٢٢٩٩ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : قال عطاء : هم مشركو قريش ــ قال ابن جريج : وأخبرني عبد الله بن كثير أنه سمع مجاهداً يقولُ مثل قول عطاء .

* * *

فإن قال قائل : وأيّة حُجة كانت لمشركى قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فى توجههم فى صلاتهم إلى الكعبة ؟ وهل يجوز أن يكون للمشركين على المؤمنين ــ فيما أمرهم الله به أو نهاهم عنه ــ حُجة ؟[1]

قيل : إن معنى ذلك بخلاف ما توهمتَ وذهبتَ إليه . وإنما « الحجة » فى هذا الموضع ، الخصومة والجدال .[2] ومعنى الكلام : لئلا يكون لأحد من الناس عليكم خُصُومةٌ ودعوى باطلٌ ، غيرَ مشركى قريش ، فإن لهم عليكم دعوى باطلاً وخصومةً بغير حق ،[3] بقيلهم لكم : «رَجَعَ محمداً إلى قبلتنا ، وسيرجع إلى

---

(١) فى المطبوعة : « ... على المؤمنين حجة فيما أمرهم الله تعالى ذكره به، أو نهاهم عنه » ، قدم « حجة » وزاد الثناء على الله .

(٢) انظر ما سلف فى تفسير : « أتحاجوننا » ، فى هذا الجزء ٣ : ١٢١

(٣) فى المطبوعة : « دعوى باطلة » فى الموضعين ، ولا بأس بها . يقال : « دعوى باطل وباطلة »

دينا» . فذلك من قولهم وأمانيّهم الباطلة، هي « الحجة » التي كانت لقريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه . ومن أجل ذلك استثنى الله تعالى ذكره « الذين ظلموا » من قريش من سائر الناس غيرهم، إذ نفى أن يكون لأحد منهم في قبلتهم التي وجّههم إليها حُجة .

وبمثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٣٠٠ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تعالى ذكره : « لئلا يكون للناس عليكم حُجة إلاّ الذين ظلموا منهم » ، قومُ محمد صلى الله عليه وسلم . قال مجاهد : يقول : حُجتهم ، قولهم : قد راجعتَ قبلتنا !

٢٣٠١ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله — إلا أنه قال : قولهم : قد رَجعت إلى قبلتنا !

٢٣٠٢ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، حدثنا معمر ، عن قتادة وابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم »، قالا : هم مشركو العرب ، قالوا حين صرفت القبلة إلى الكعبة : قد رجع إلى قبلتكم ، فيوشك أن يرجع إلى دينكم ! قال الله عز وجل : « فلا تَخشوْهم واخشوْني » .

٢٣٠٣ — حدثنا بشر بن معاذ قال ،حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة قوله : « إلا الذين ظلموا منهم »، و« الذين ظلموا »: مشركوُ قريش. يقول : إنهم سيحتجون عليكم بذلك، فكانت حجتهم على نبيّ الله صلى الله عليه وسلم= انصرافَهُ إلى البيت الحرام= [1] أنهم قالوا : سيرجع إلى ديننا كما رجع إلى قبلتنا ! فأنزل الله

(١) في المطبوعة والدر المنثور ١ : ١٤٨ « بانصرافه » وأثبت ما في المخطوطة وابن كثير ١ : ٣٥٨ ، وقوله : « انصرافه » منصوب على الظرفية أي عند انصرافه .

تعالى ذكره فى ذلك كله . (١)

٢٣٠٤ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله

٢٣٠٥ – حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى فيما يذكر ، عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس – وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : لما صُرف نبىّ الله صلى الله عليه وسلم نحوَ الكعبة ، بعد صلاته إلى بيت المقدس ، قال المشركون من أهل مكة : تحيّر على محمد دينه ! فتوجّه بقبلته إليكم ، وعلم أنكم كنتم أهدى منه سبيلاً ، ويُوشك أن يدخل فى دينكم ! فأنزل الله جل ثناؤه فيهم : « لئلا يَكونَ للناس عليكم حجةٌ إلاّ الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشونى » . (٢)

٢٣٠٦ – حدثنا القاسم قال ، حدثنى الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قلت لعطاء : قوله : « لئلا يَكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم » ، قال : قالت قريش – لما رَجع إلى الكعبة وأمِر بها : – ما كان يستغنى عنا ! قد استقبل قبلتنا ! فهى حُجتهم ، وهم « الذين ظلموا » – قال ابن جريج : وأخبرنى عبد الله بن كثير أنه سمع مجاهداً يقول مثل قول عطاء ، فقال مجاهد : حُجتهم ، قولهم : رجعت إلى قبلتنا !

* * *

(١) الأثر : ٢٣٠٣ – فى تفسير ابن كثير ١ : ٣٥٨ ، والدر المنثور ١ : ١٤٨ . والذى فى المخطوطة والمطبوعة سواء « فأنزل الله فى ذلك كله » . أما فى الدر المنثور : « فأنزل الله فى ذلك كله : « يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين » . والذى فى الطبرى يكاد لا يستقيم ، والذى فى الدر المنثور لا يستقيم ، وكأن صواب العبارة : « فأنزل الله فى ذلك ، ذلك كله إلى قوله : « يأيها الذين آمنوا . . . » .

(٢) الأثر : ٢٣٠٥ – انظر الأثر السالف : ٢٢٠٤ .

فقد أبان تأويلُ من ذكرنا تأويلَه من أهل التأويل قوله: « إلاّ الذين ظلموا منهم » ، عن صحّة ما قلنا فى تأويله ، وأنه استثناءٌ على مَعنى الاستثناء المعروف ، الذى ثبتَ فيهم لما بعدَ حرف الاستثناء ما كان منفيًّا عما قبله .[1] كما قولُ القائل[2] : « ما سَارَ من الناس أحدٌ إلا أخوك » ، إثباتٌ للأخ من السير ما هو مَنفىٌّ عن كل أحد من الناس . فكذلك قوله : « لئلا يكونَ للناس عليكم حُجة إلا الذين ظلموا منهم» ، نَفى عن أن يكون لأحد خُصومةٌ وجدلٌ قِبَلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوى باطلٍ ، عليه وَعلى أصحابه ، بسبب توجُّههم فى صلاتهم قبل الكعبة — إلاّ الذين ظلموا أنفسهم من قريش ، فإن لهم قبلهم خصومةً ودعوى باطلاً بأن يقولوا :[3] إنما توجهتم إلينا وإلى قبلتنا ، لأنا كنا أهدى منكم سبيلاً ، وأنكم كنتم بتوجهكم نحو بيت المقدس على ضلال وباطل . ٢١/٢

وإذ كان ذلك معنى الآية بإجماع الحجة من أهل التأويل ، فبيِّنٌ خطأُ قول من زعم أن معنى قوله : « إلا الذين ظلموا منهم » : ولا الذين ظلموا منهم ، وأن «إلا» بمعنى «الواو» .[4] لأن ذلك لو كان معناه ، لكان النفىُ الأول عن جميع الناس — أنْ يكون لهم حُجة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى تحوُّلهم نحو الكعبة بوجوههم — مبيَّناً عن المعنى المراد ، ولم يكن فى ذكر قوله بعد ذلك : « إلا الذين ظلموا منهم » إلا التلبيس الذى يتعالى عن أن يُضافَ إليه أو يوصف به .[5]

هذا مع خروج معنى الكلام = إذا وجّهت « إلا » إلى معنى « الواو » ، ومعنى

---

(١) فى المطبوعة : « الذى يثبت فيهم لما بعد حرف الاستثناء ما كان منفياً عما قبلهم » ، وهو خطأ صرف ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « كما أن قول القائل » ، زادوا « أن » لتكون دارجة على نهجهم ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « ودعوى باطلة» فى الموضعين . وانظر ما سلف : ٢٠١ تعليق : ٣

(٤) زاعم هذا القول هو أبو عبيدة فى مجاز القرآن : ٦٠ — ٦١ ، وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٨٩ — ٩٠

(٥) رد الطبرى على أبى عبيدة أمثل من رد الفراء وأقوم .

العطف= من كلام العرب . وذلك أنه غيرُ موجودة « إلا » فى شىء من كلامها بمعنى « الواو » ، إلا مع استثناء سابق قد تقدمها . كقول القائل : « سار القوم إلاّ عمراً إلا أخاك » ، بمعنى : إلاّ عمراً وأخاك ، فتكون « إلا » حينئذ مؤدّية عما تؤدى عنه « الواو » ، لتعلق « إلا » الثانية بـ « إلا » الأولى .[1] ويجمع فيها أيضاً بين « إلا » و « الواو » فيقال : « سار القوم إلاّ عمرًا وإلاّ أخاك » ، فتحذف إحداهما ، فتنوب الأخرى عنها، فيقال :[2] « سار القوم إلا عمرًا وأخاك — أو إلاّ عمرًا إلاّ أخاك » ، لما وصفنا قبل .

وإذ كان ذلك كذلك، فغير جائز لمدّعٍ من الناس أن يدّعى أنّ « إلاّ » فى هذا الموضع بمعنى « الواو » التى تأتى بمعنى العطف .

* * *

وواضحٌ فسادُ قول من زعم أن معنى ذلك : إلا الذين ظلموا منهم ، فإنهم لا حجة لهم ، فلاتخشوْهم. كقول القائل فى الكلام :[3] « الناس كلهم لك حامدون إلا الظالم [لك] المعتدى عليك » ، فإن ذلك لا يعتدّ بُعدْوانه ولا بتركه الحمد،[4] لموضع العداوة . وكذلك الظالم لا حجة له ، وقد سُمى ظالماً =[5] لإجماع أهل التأويل على تخطئة ما ادّعى من التأويل فى ذلك . وكفى شاهداً على خطأ مقالته إجماعُهم على تخطئتها .

* * *

وظاهر بُطُول قول من زَعم :[6] أنّ « الذين ظلموا » ههنا، ناسٌ من العرب

---

(١) فى المخطوطة : « إلى الأولى » ، وكأنه غير صواب .

(٢) فى المخطوطة : « ويجمع أيضاً فيها إلا والواو فيها فيقول : » ولم أستبن ما يقول ، والذى فى المطبوعة سياق صحيح .

(٣) فى المطبوعة: « فى كلام » ، والصواب من المخطوطة، ومعانى القرآن للفراء، فهو نص كلامه .

(٤) فى المطبوعة ، وفى معانى القرآن للفراء : « بعداوته » ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٥) السياق : « وواضح فساد قول من زعم . . . لإجماع جميع أهل التأويل » .

(٦) فى المطبوعة: « بطلان » صحيحة المعنى ، وفى المخطوطة : « دخول » تصحيف وتحريف لما أثبت . والبطول والبطلان مصدران من الباطل . وهما سواء فى المعنى ، وقد سلف أن استعملها الطبرى مراراً . انظر ما سلف ٢ : ٤٢٦ ، تعليق : ١/٤٣٩ س : ١١/٤٧٩ س: ١٣ .

كانوا يهوداً ونصارى ، فكانوا يحتجون على النبي صلى الله عليه وسلم ، فأما سائرُ العرب، فلم تكن لهم حجة ، وكانت حُجة من يحتجُّ منكسرة . لأنك تقول لمن تريد أن تكسِر عليه حجته : « إنّ لك عليّ حجة ولكنها منكسرة ، وإنك لتحتج بلا حجة ، وحجتك ضعيفة ». ووجَّه معنى « إلاّ الذين ظلموا منهم» إلى معنى : إلا الذين ظلموا منهم ، من أهل الكتاب ، فإنّ لهم عليكم حُجة واهية أو حجة ضعيفة.

* * *

ووَهْيُ قولِ من قال : « إلا » فى هذا الموضع بمعنى « لكن » .

وضَعْفُ قولِ من زعم أنه ابتداء بمعنى : إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم .[1]

لأن تأويل أهل التأويل جاء فى ذلك بأنّ ذلك من الله عز وجل خبرٌ عن الذين ظلموا منهم : أنهم يحتجون على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بما قد ذكرنا، ولم يقصِد فى ذلك إلى الخبر عن صفة حُجتهم بالضعف ولا بالقوة — وإن كانت ضعيفةً لأنها باطلة — وإنما قصد فيه الإثباتَ للذين ظلموا، ما قد نَفى عن الذين قبل حرف الاستثناء من الصفة .

٢٣٠٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه قال ، قال الربيع : إنّ يهوديًّا خاصَم أبا العالية فقال: إن مُوسى عليه السلام كان يصلىّ إلى صخرة بيت المقدس . فقال أبو العالية : كان يصلىّ عند الصخرة إلى البيت الحرام . قال: قال: فبينى وبينك مسجدُ صالح، فإنه تحته من الجبل . قال أبو العالية : قدصلّيت فيه وقِبلتُه إلى البيت الحرام . قال الربيع : وأخبرنى أبو العالية أنه مرّ على مسجد ذى القرنين، وقِبلتُه إلى الكعبة .

* * *

وأما قوله : «فلا تخشوْهم واخشوْنى »، يعنى : فلا تخشوا هؤلاء الذين وصفت لكم أمرهم من الظَّلمة فى حجتهم وجدالهم وقولهم ما يقولون[2] : فى أنّ محمداً صلى

---

(١) قوله « ووهى قول ... » ، و « وضعف قول ... » معطوف على قوله آنفاً : « وظاهر بطول قول من زعم ... » .

(٢) فى المطبوعة : « من الظلم فى حجتهم » ، والصواب من المخطوطة . ثم فيها : « وقولهم ما يقولون من أن محمداً » ، وصوابه من المخطوطة .

الله عليه وسلم قد رجع إلى قبلتنا، وسيرجع إلى ديننا ! — أو أن يَقدروا لكم على ضرّ فى دينكم ، أو صدّكم عما هداكم الله تعالى ذكره له من الحق ، ولكن اخشونى فخافوا عقابى ، فى خلافكم أمرى إن خالفتموه .

وذلك من الله جل ثناؤه تقدُّمٌ إلى عباده المؤمنين ، [1] بالحضّ على لزوم قبلتهم والصلاة إليها، وبالنهى عن التوجُّه إلى غيرها . يقول جل ثناؤه : واخشوْنى أيها المؤمنون ، فى ترك طاعتى فيما أمرتكم به من الصلاة شطرَ المسجد الحرام .

وقد حكى عن السدى فى ذلك ما : —

٢٣٠٨ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فلا تخشوْهم واخشوْنى » ، يقول : لا تخشوا أن أردّكم فى دينهم[2] .

* * *

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ٢٢/٢

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « ولأتمّ نعمتى عليكم » ، ومن حيث خرجتَ من البلاد والأرض ، وإلى أىّ بقعة شخصت [3] ، فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام، وحيثُ كنت، يا محمد والمؤمنون، فولُّوا وجوهكم فى صلاتكم شطرَه ،

---

(١) تقدم إليه بكذا : أمره به .

(٢) إلى هنا انتهى ما عثرنا عليه من الأوراق التى ذكرناها فى ص : ١٨٩ تعليق : ١ ، وفى آخره ما نصه :

« تمّ الجلد الثانى بعون الله تعالى ، والصلاة على نبيّه محمد وآله وصحبه وسلم . يتلوهُ فى الثالث إن شاء الله تعالى ، القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ إن شاء الله تعالى ، وهو بقية الجزء السادس والعشرون ؟ ؟ »

(٣) فى المطبوعة : « إلى أى بقعة » ، بحذف الواو ، والصواب ما أثبت .

واتخذوه قبلة لكم ، كيلا يكون لأحد من الناس – سوى مشركى قريش – حجةٌ ، ولأتمّ بذلك = من هدايتى لكم إلى قبلة خليلى إبراهيم عليه السلام ، الذى جعلته إماماً للناس = نعمتى ، فأكمل لكم به فضلى عليكم ، وأتمم به شرائع ملتكم الحنيفية المسلمة التى وصيتُ بها نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى وسائر الأنبياء غيرهم . وذلك هو نعمته التى أخبر جل ثناؤه أنه متمُّها على رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به من أصحابه

* * *

وقوله : و« لعلكم تهتدون » ، يعنى : وكى ترشدوا للصواب من القبلة .(١) و « لعلكم » عطف على قوله : « ولأتم نعمتى عليكم » ، « ولأتم نعمتى عليكم » عطف على قوله : « لئلا يكون » .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١٥١)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « كما أرسلنا فيكم رسولا » ، ولأتمّ نعمتى عليكم ببيان شرائع ملتكم الحنيفية ، وأهديكم لدين خليلى إبراهيم عليه السلام ، فأجعل لكم دعوتَه التى دعانى بها ومسألتَه التى سألنيها فقال : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [سورة البقرة : ١٢٨] ، كما جعلت لكمُ دعوته التى دعانى بها ، ومسألته التى سألنيها فقال : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو

(١) انظر ما سلف فى معنى « لعل » بمعنى « كى » ١ : ٣٦٤ / ثم ٢ : ٦٩ ، ٧٢ ، ١٦١ .

عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ [سورة البقرة : ١٢٩] ، فابتعثت منكم رَسولى الذى سألنى إبراهيمُ خليلى وابنُهُ إسمعيل ، أنْ أبعثه من ذرّيتهما .

فـ « كما » — إذ كان ذلك معنى الكلام — صلةٌ لقول الله عز وجل : « ولأتم نعمتى عليكم » . ولا يكون قوله : « كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم » ، متعلقاً بقوله : « فاذكرونى أذكركم » .

* * *

وقد قال قوم : إنّ معنى ذلك : فاذكرُونى كما أرسلنا فيكم رسولا منكم أذكركم . وزعموا أن ذلك من المقدم الذى معناه التأخير ، [1] فأغرقوا النَّزْع ، [2] وبعدوا من الإصابة ، وحملوا الكلام على غير معناه المعروف ، وسوّى وجهه المفهوم .

وذلك أنّ الجارىَ من الكلام على ألسن العرب ، المفهومَ فى خطابهم بينهم — إذا قال بعضهم لبعض : « كما أحسنت إليك يا فلان فأحسن » — أن لا يَشترطوا للآخر ، لأن « الكاف » فى « كما » شرطٌ ، معناه : افعل كما فعلت . ففى مجىء جواب « اذكرونى » بعده ، وهو قوله : « أذكركم » ، أوضحُ دليل على أن قوله : « كما أرسلنا » من صلة الفعل الذى قبله ، وأن قوله : « اذكرونى أذكركم » خبرٌ مبتدأ منقطعٌ عن الأول ، وأنه = من سبب قوله : « كما أرْسلنا فيكم » = بمعزل .

* * *

وقد زعم بعض النحويين أن قوله : « فاذكرونى » — إذا جُعل قوله : « كما أرسلنا فيكم » جواباً له ، مع قوله : « أذكركم » — نظيرُ الجزاء الذى يجاب بجوابين ، كقول القائل : « إذا أتاك فلانٌ فأته تَرْضَه » ، فيصير قوله : « فأته » و « ترضه » جوابين لقوله : « إذا أتاك » ، وكقوله : « إن تأتنى أحسِن إليك أكرمك » . [3]

(١) هو الفراء ، انظر معانى القرآن ١ : ٩٢ .

(٢) أغرق النازع فى القوس : إذا شدها ، وجاوز الحد فى مد القوس ، وبلغ النصل كبد القوس ، فربما قطع يد الرامى . ونزع الرامى فى قوسه نزعاً : جذب السهم بالوتر . وقولهم : « أغرق فى النزع » ، مثل فى الغلو والإفراط .

(٣) هو من قول الفراء أيضاً ، انظر معانى القرآن ١ : ٩٢ .

وهذا القولُ وإن كان مذهباً من المذاهب ، فليس بالأسهل الأفصح فى كلام العرب . والذى هو أولى بكتاب الله عز وجل أن يوجَّه إليه من اللغات ، الأفصح الأعرفُ من كلام العرب ، دون الأنكر الأجهل من منطقها . هذا ، مع بعد وجهه من المفهوم فى التأويل

* * *

* ذكر من قال : إنّ قوله : « كما أرسلنا » ، جوابُ قوله : « فاذكرونى » .

٢٣٠٩ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى قال ، سمعت ابن أبى نجيح يقول فى قول الله عز وجل : « كما أرسلنا فيكم رسولا منكم » ، كما فعلتُ فاذكرونى .

٢٣١٠ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

وقوله : « كما أرسلنا فيكم رَسولاً منكم » ، فإنه يعنى بذلك العرب ، قال لهم جل ثناؤه : الزموا أيها العربُ طاعتى ، وتوجهوا إلى القبلة التى أمرتكم بالتوجُّه إليها ، لتنقطع حُجة اليهود عنكم ، فلا تكون لهم عليكم حجةٌ ، ولأتم نعمتى عليكم ، وتهتدوا ، كما ابتدأتكم بنعمتى ، فأرسلت فيكم رسولاً منكم . وذلك الرسول الذى أرسلهَ إليهم منهم : محمد صلى الله عليه وسلم ، كما : —

٢٣١١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « كما أرْسلنا فيكم رسولاً منكم » ، يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم .

* * *

وأمّا قوله : « يتلو عليكم آياتنا » ، فإنه يعنى آيات القرآن ، وبقوله : « ويزكيكم » ويطهّركم من دَنَس الذنوب ، و « يعلمكم الكتاب » وهو الفرقان ، يعنى : أنه

يعلمهم أحكامه . ويعنى : بـ « الحكمة » السننَ والفقهَ فى الدين . وقد بينا جميع ذلك فيما مضى قبل بشواهده .(١)

* * *

وأما قوله : « ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون » ، فإنه يعنى : ويعلمكم من أخبار ٢/٢٣
الأنبياء وقَصَص الأمم الخالية ، والخبر عما هو حادثٌ وكائن من الأمور التى لم تكن العرب تعلمها ، فعلِموها من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأخبرهم جل ثناؤه أنّ ذلك كله إنما يدركونه برَسوله صلى الله عليه وسلم .

* * *

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : فاذكرونى أيها المؤمنون بطاعتكم إياى فيما آمركم به وفيما أنهاكم عنه ، أذكرْكم برحمتى إياكم ومغفرَتى لكم ، كما : —

٢٣١٢ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا ابن المبارك ، عن ابن لهيعة ، عن عطاء بن دينار ، عن سعيد بن جبير : « اذكرونى أذكركم » ، قال : اذكرونى بطاعتى ، أذكركم بمغفرتى .

* * *

وقد كان بعضهم يتأوّل ذلك أنه من الذكر بالثناء والمدح .

* ذكر من قال ذلك :

١٣١٣ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون » ، إن الله ذاكرُ من ذكره، وزَائدُ من شكره ، ومعذِّبُ من كفَره .

---

(١) انظر ما سلف فى هذا الجزء ٣ : ٨٦-٨٨ والمراجع .

٢٣١٤ – حدثني موسى قال ، حدثني عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « اذكرونى أذكركم » ، قال : ليس من عبد يذكر الله إلا ذكره الله . لا يذكره مؤمن إلا ذكره برحمة ، ولا يذكره كافر إلا ذكره بعذاب .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ (١٥٢)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : اشكروا لى أيها المؤمنون فيما أنعمت عليكم من الإسلام ، والهداية للدين الذى شرعته لأنبيائى وأصفيائى ، « ولا تكفرون » ، يقول : ولا تجحدوا إحسانى إليكم ، فأسلبكم نعمتى التى أنعمت عليكم ، ولكن اشكروا لى عليها ، وأزيدكم فأتمم نعمتى عليكم ، وأهديكم لما هديت له من رضيت عنه من عبادى ، فإنى وعدت خلقى أن من شكر لى زدته ، ومن كفرنى حرمته وسلبته ما أعطيتُه .

* * *

والعرب تقول : « نصحتُ لك ، وشكرتُ لك » ، ولا تكاد تقول : « نصحتك » ، وربما قالت : « شكرتك ونصحتك » ، من ذلك قول الشاعر : (١)

هُمُ جَمَعُوا بُؤْسَى ونُعْمَى عَلَيْكُمُ فَهَلَّا شَكَرْتَ القَوْمَ إذْ لَمْ تُقَاتِلِ (٢)

وقال النابغة فى « نصحتك » :

نَصَحْتُ بَنِى عَوْفٍ فَلَمْ يَتَقَبَّلُوا رَسُولِى ولَمْ تَنْجَحْ لَدَيْهِمْ وَسَائِلِى (٣)

* * *

---

(١) نسبه أبو حيان فى تفسيره ١ : ٤٤٧ لعمر بن لجأ ، ولم أجد الشعر فى مكان .

(٢) معانى القرآن للفراء ١ : ٩٢ . وكان فى المطبوعة : « إن لم تقاتل » ، وأثبت ما فى الفراء. والبؤس والبأساء : البؤس . والنعمى والنعماء : النعمة .

(٣) ديوانه : ٨٩ ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٩٢ ، وأمالى ابن الشجرى ١ : ٣٦٢ ، وهى فى غزو عمرو بن الحارث الأصغر لبنى مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان . ورواية ديوانه : « فلم يتقبلوا وصاتى » . الوصاة : الوصية . وقوله : « رسول » . الرسول : الرسالة . والوسائل جمع وسيلة : وهى ما يتقرب به المرء إلى غيره من حرمة أو آصرة . .

وقد دللنا على أن معنى « الشكر » ، الثناء على الرجل بأفعاله المحمودة ، وأن معنى « الكفر » تغطية الشيء ، فيما مضى قبل ، فأغنى ذلك عن إعادته ههنا .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ (١٥٣)

قال أبو جعفر : وهذه الآية حضٌّ من الله تعالى ذكره على طاعته ، واحتمال مكروهها على الأبدان والأموال ، فقال : « يا أيها الذينَ آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة » على القيام بطاعتى ، وأداء فرائضى فى ناسخ أحكامى ، والانصراف عما أنسخه منها إلى الذى أحدثه لكم من فرائضى ، وأنقلكم إليه من أحكامى ، والتسليم لأمرى فيما آمركم به فى حين إلزامكم حكمه ، والتحول عنه بعد تحويلى إياكم عنه — وإن لحقكم فى ذلك مكروهٌ من مقالة أعدائكم من الكفار بقذفهم لكم الباطل ، أو مشقةٌ على أبدانكم فى قيامكم به ، أو نقصٌ فى أموالكم —(٢) وعلى جهاد أعدائكم وحربهم فى سبيلى ، بالصبر منكم لى على مكروه ذلك ومَشقته عليكم ، واحتمال عنائه وثقله ، ثم بالفزع منكم فيما يَنوبكم من مُفظِعات الأمور إلى الصلاة لى . فإنكم بالصبر على المكاره تُدركون مرضاتى ، وبالصلاة لى تستنجحون طلباتكم قِبَلى ، وتدركون حاجاتكم عندى ، فإنى مع الصابرين على القيام بأداء فرائضى وترك معاصىّ ، أنصرُهم وأرعاهم وأكلؤُهم ، حتى يظفروا بما طلبوا وأمَّلوا قِبَلى .

* * *

(١) معنى « الشكر » ١ : ١٣٥–١٣٨ وتفسير معنى « الكفر » فيما سلف ١ : ٢٥٥ ، ٣٨٢ ، ٥٢٢ ، ومواضع كثيرة . اطلبها فى فهرس اللغة .

(٢) هذه جمل متداخلة ، والعطف سياقه فى هذه الجملة : استعينوا بالصبر والصلاة على القيام بطاعتى ، وأداء فرائضى . . . والانصراف عما أنسخه . . . والتسليم لأمرى . . . والتحول عنه . . . وعلى جهاد أعدائكم . . . بالصبر . . . »

وقد بينت معنى « الصبر » و« الصلاة » فيما مضى قبل، فكرهنا إعادته،[1] كما :

٢٣١٥ – حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية في قوله : « واستعينوا بالصبر والصلاة » ، يقول : استعينوا بالصبر والصلاة على مرضاة الله ، واعلموا أنهما من طاعة الله .

٢٣١٦ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة » ، اعلموا أنهما عونٌ على طاعة الله .

* * *

وأما قوله : « إن الله مع الصابرين » ، فإن تأويله : فإن الله ناصرُه وظهيرُه وراضٍ بفعله ، كقول القائل : « افعل يا فلان كذا وأنا معك »، يعني : إني ناصرُك على فعلك ذلك ومُعينك عليه .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ (١٥٤)

٢/٢٤

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره : يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر على طاعتي في جهاد عدوّكم ، وترك معاصيّ ، وأداء سائر فرائضي عليكم ، ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله : هو ميت ، فإن الميت من خلق من سلبته حياته وأعدمته حواسّه ، فلا يلتذّ لذة ولا يُدرك نعيما ، فإنّ من قُتل منكم ومن سائر خلقي في سبيلي ، أحياءٌ عندي ، في حياة ونعيم ، وعيش هنيّ ، ورزق سنيّ ، فرحين

(١) انظر فيما سلف تفسير « الصلاة » ١ : ٢٤٢ – ٢٤٣ / ثم ٢ : ١١ . وتفسير « الصبر » في ٢ : ١١ ، ١٢٤ ، وانظر فهرس اللغة .

بما آتيتهم من فضلى ، وحبوتهم به من كرامتى ، كما : —

٢٣١٧ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « بل أحياء » عند ربهم ، يرزقون من ثمر الجنة ، ويجدون ريحها ، وليسوا فيها .

٢٣١٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٢٣١٩ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أمواتٌ بل أحياءٌ ولكن لا تشعرون » ، كنّا نُحدَّث[1] : أن أرواح الشهداء تعارف فى طير بيض يأكلن من ثمار الجنة ، وأن مساكنهم سدرة المنتهى ، وأن للمجاهد فى سبيل الله ثلاثُ خصال من الخير : مَن قُتل فى سبيل الله منهم صار حيًّا مرزوقاً ، ومن غُلب آتاه الله أجراً عظيماً ، ومن مات رَزَقه الله رزقاً حسناً .

٢٣٢٠ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « ولا تقولوا لمن يُقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء » ، قال : أرواحُ الشهداء فى صُوَر طير بيضٍ .

٢٣٢١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « ولا تقولوا لمن يُقتل فى سبيل الله أمواتٌ بل أحياء » ، فى صُوَر طير خضر يطيرون فى الجنة حيث شاؤا منها ، يأكلون من حيث شاؤا .

٢٣٢٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا عثمان ابن غياث . قال ، سمعت عكرمة يقول فى قوله : « ولا تقولوا لمن يُقتل فى سبيل الله أمواتٌ بل أحياءٌ ولكن لا تشعرون » ، قال : أرواح الشهداء فى طير خُضر فى الجنة .

* * *

(١) فى المطبوعة : « كما يحدث » ، والصواب ما أثبت .

قال أبو جعفر : فإن قال لنا قائل : وما فى قوله : « ولا تقولوا لمن يُقتل فى سبيل الله أمواتٌ بل أحياء » ، من خصوصية الخبر عن المقتول فى سبيل الله الذى لم يعمَّ به غيره ؟ وقد علمت تظاهُر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه وصف حال المؤمنين والكافرين بعد وفاتهم ، فأخبر عن المؤمنين أنهم يفتح لهم من قبورهم أبوابٌ إلى الجنة يَشمون منها رَوْحها ، ويستعجلون الله قيام الساعة ، ليصيروا إلى مساكنهم منها ، ويجمع بينهم وبين أهاليهم وأولادهم فيها = وعن الكافرين أنهم يُفتح لهم من قبورهم أبوابٌ إلى النار يَنظرون إليها ، ويصيبهم من نَتنها ومكروهها ، ويُسلط عليهم فيها إلى قيام الساعة من يَقمَعُهم فيها ، ويسألون الله فيها تأخيرَ قيام الساعة ، حِذاراً من المصير إلى ما أعد الله لهم فيها ، مع أشباه ذلك من الأخبار . وإذا كانت الأخبار بذلك متظاهرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما الذى خُصَّ به القتيل فى سبيل الله ، مما لم يعم به سائر البشر غيره من الحياة ، وسائرُ الكفار والمؤمنين غيرُه أحياءٌ فى البرزخ ، أما الكفار فمعذبون فيه بالمعيشة الضنك ، وأما المؤمنون فمنعَّمون بالروح والريحان ونَسيم الجنان ؟

قيل : إنّ الذى خصّ الله به الشهداء فى ذلك ، وأفادَ المؤمنين بخبره عنهم تعالى ذكره ، إعلامه إياهم أنهم مرزوقون من مآكل الجنة ومطاعمها فى بَرْزَخِهم قبل بعثهم ، ومنعَّمون بالذى ينعم به داخلوها بعد البعث من سائر البشر ، من لذيذ مطاعمها الذى لم يُطعمها الله أحداً غيرَهم فى برزخه قبل بعثه . فذلك هو الفضيلة التى فضَّلهم بها وخصهم بها من غيرهم ، والفائدة التى أفادَ المؤمنين بالخبر عنهم ، فقال تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [سورة آل عمران : ١٦٩ - ١٧٠] ، وبمثل الذى قُلنا جاء الخبرُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢٣٢٣ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عبد الرحيم بن سليمان وعَبدة

ابن سليمان ، عن محمد بن إسحق ، عن الحارث بن فضيل ، عن محمود بن لبيد ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشهداءُ على بَارق ، نهر بباب الجنة ، فى قبة خضراء — وقال عبدة : فى روضة خضراء — يخرُج عليهم رزقهم من الجنة بُكرة وَعشيًّا .(١)

٢٣٢٤ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا جابر بن نوح عن الإفريقى ، عن ابن بشار السلمى — أو : أبى بشار ، شكّ أبو جعفر — قال : أرواح الشهداء فى

---

(١) الحديث : ٢٣٢٣ — عبدة بن سليمان الكلابى الكوفى : ثقة من شيوخ أحمد وإسحق . مترجم فى التهذيب ، وابن سعد ٦ : ٢٧٢ ، وابن أبى حاتم ٣/١/٨٩ .

الحارث بن فضيل الأنصارى المدنى : ثقة ، وثقه ابن معين والنسائى وغيرهما . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/٢/٢٧٧ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٨٦ .

محمود بن لبيد بن عقبة بن رافع الأشهل ، الأوسى ، الأنصارى : صحابى على الراجح الذى جزم به البخارى ، مات سنة ٩٦ أو ٩٧ . قال الواقدى : مات وهو ابن ٩٩ سنة . قال الحافظ فى التهذيب : « على مقتضى قول الواقدى فى سنه ، يكون له يوم مات النبى صلى الله عليه وسلم ١٣ سنة . وهذا يقوى قول من أثبت الصحبة » . وروى البخارى فى الكبير ٤/١/٤٠٢ بإسناد صحيح : « عن محمود بن لبيد ، قال : أسرع النبى صلى الله عليه وسلم حتى تقطعت نعالنا ، يوم مات سعد بن معاذ » . وهذا حجة كافية فى إثبات صحبته . فقال ابن أبى حاتم ٤/١/٢٨٩ — ٢٩٠ : « قال البخارى : له صحبة . فخط أبى عليه ، وقال لا يعرف له صحبة » ! وهو نفى دون دليل ، لا يقوم أمام إثبات عن دليل صحيح . ولذلك قال ابن عبد البر — كما فى التهذيب : « قول البخارى أولى » . وهو مترجم أيضاً فى ابن سعد ٥ : ٥٥ — ٥٦ . والإصابة ٦ : ٦٦ — ٦٧ .

والحديث رواه أحمد فى المسند : ٢٣٩٠ ، عن يعقوب بن إبرهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن ابن إسحق ، بهذا الإسناد .

وكذلك رواه ابن حبان فى صحيحه ٧ : ٦٩ (من مخطوطة الإحسان) ، من طريق يعقوب ، به . ورواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٧٤ ، من طريق يزيد بن هرون ، عن ابن إسحق . وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبى .

وذكره ابن كثير فى التفسير ٢ : ٢٩٢ ، عن رواية المسند . قال : « تفرد به أحمد » . ثم أشار إلى رواية الطبرى هذه ، وقال : « وهو إسناد جيد » . وهو فى مجمع الزوائد ٥ : ٢٩٨ ، ونسبه لأحمد والطبرانى ، وقال : « ورجال أحمد ثقات » .

وذكره السيوطى ٢ : ٩٦ . وزاد نسبته لابن أبى شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن أبى حاتم ، وابن المنذر والبيهقى فى البعث .

وقوله : « وقال عبدة . . . » ، يريد أن «عبدة بن سليمان » قال : « فى روضة » بدل « فى قبة » . ووقع فى المطبوعة « أو قال عبدة » . ووضع « أو » هنا بدل واو العطف — خطأ غير مستساغ . ونرجح أنه من ناسخ أو طابع .

قباب بيض من قباب الجنة ، فى كل قبة زوجتان ، رزقهم فى كل يوم طلعت فيه الشمس ثورٌ وحوت. فأما الثور ، ففيه طعم كلّ ثمرةٍ فى الجنة ، وأما الحوت ففيه طعمُ كل شراب فى الجنة .(١)

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : فإنّ الخبر عما ذكرت أن الله تعالى ذكرُه أفاد المؤمنين بخبره عن الشهداء من النعمة التى خصّهم بها فى البرزخ ، غيرُ موجود فى قوله : « ولا تقولوا لمنْ يُقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء » ، وإنما فيه الخبرُ عن حالهم ، أمواتٌ هم أم أحياءٌ . ٢٥/٢

قيل : إنّ المقصود بذكر الخبر عن حياتهم ، إنما هو الخبر عمّا هم فيه من النِّعمة ، ولكنه تعالى ذكره لما كان قد أنبأ عبادَه عما خصّ به الشهداء فى قوله : ﴿ ولاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [سورة آل عمران : ١٦٩] ، وعلموا حالهم بخبره ذلك ، ثم كان المراد من الله تعالى ذكره فى قوله : « ولا تقولوا لمنْ يُقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء » ، نَهْىُ خلقه عن أن يقولوا للشهداء أنهم موتى(٢) = تَرَكَ إعادة ذكر ما قد بين لهم من خبرهم .

* * *

وأما قوله : « ولكنْ لا تَشعرُون » ، فإنه يعنى به : ولكنكم لا ترونهم فتعلموا أنهم أحياءٌ ، وإنما تعلمون ذلك بخبرى إياكم به .

* * *

وإنما رفع قوله : « أمواتٌ » بإضمار مكنىّ عن أسماء « من يُقتل فى سبيل الله » ، ومعنى ذلك: ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله هم أموات . ولا يجوز النصب فى

---

(١) الخبر : ٢٣٢٤ – هذا خبر لا أدرى ما هو ؟! ورأسه «ابن بشار السامى ؛ أو أبو بشار » –الذى شك فيه ابن جرير : لم أهتد إلى شىء يدل عليه . وقد ذكره السيوطى ٢ : ٩٦ ، عن هذا الموضع من الطبرى ، ثم لم يصنع شيئاً !

(٢) سياق الكلام : ولكنه تعالى ذكره لما كان قد أنبأ عباده . . . ترك إعادة ذكر . . . »

« الأموات » ، لأن القول لا يعمل فيهم ، وكذلك قوله : « بل أحياء » ، رفعٌ ، بمعنى : هُمْ أحياء.(١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ (١٥٥)

قال أبو جعفر : وهذا إخبار من الله تعالى ذكره أتباعَ رَسوله صلى الله عليه وسلم ، أنه مبتليهم وممتحنهم بشدائد من الأمور ، ليعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ، كما ابتلاهم فامتحنهم بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ، وكما امتحن أصفياءَه قبلهم . ووَعدهم ذلك فى آية أخرى فقال لهم : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [سورة البقرة : ٢١٤] ، وبنحو الذى قلنا فى ذلك كان ابن عباس وغيرُه يقول .

٢٣٢٥ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع » ، ونحو هذا، قال : أخبر الله المؤمنين أن الدنيا دارُ بلاء ، وأنه مبتليهم فيها ، وأمرَهم بالصبر ، وبَشّرهم فقال : « وبشر الصابرين » ، ثم أخبرهم أنه فعل هكذا بأنبيائه وصَفوته ، لتطيب أنفسهم فقال : ﴿ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا ﴾ .

* * *

(١) فى المطبوعة : « إنهم أحياء » ، والسياق يقتضى ما أثبت . وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٩٣ — ٩٤ ، فقد استوفى ما اختصره الطبرى .

ومعنى قوله : « ولَنبلونكم » ، ولنختبرنكم . وقد أتينا على البيان عن أن معنى « الابتلاء » ، الاختبار ، فيما مضى قبل .[١]

* * *

وقوله : « بشيء من الخوف » ، يعنى من الخوف من العدو ، وبالجوع — وهو القحط — يقول : لنختبرنكم بشيء من خوف ينالكم من عدوكم ، وبسَنة تُصيبكم ينالكم فيها مجاعة وشدة ، وتتعذر المطالب عليكم ،[٢] فتنقص لذلك أموالكم ؛ وحروبٌ تكون بينكم وبين أعدائكم من الكفار ، فينقص لها عددكم ؛ وموتُ ذراريكم وأولادكم ، وجُدوب تحدُث فتنقص لها ثماركم . كل ذلك امتحان منى لكم ، واختبار منى لكم ، فيتبين صادقوكم فى إيمانهم من كاذبيكم فيه ، ويُعرف أهل البصائر فى دينهم منكم ، من أهل النفاق فيه والشك والارتياب .

كل ذلك خطابٌ منه لأتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، كما :

٢٣٢٦ — حدثنى هرون بن إدريس الكوفىّ الأصم قال ، حدثنا عبد الرحمن ابن محمد المحاربى ، عن عبد الملك ، عن عطاء فى قوله : « ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع » ، قال : هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .[٣]

* * *

وإنما قال تعالى ذكره : « بشىء من الخوف » ولم يقل : بأشياء ، لاختلاف أنواع ما أعلم عبادَه أنه مُمتحنهم به . فلما كان ذلك مختلفاً — وكانت « مِن » تدلّ على أنّ كل نوع منها مُضمر « شىء » ، فإنّ معنى ذلك : ولنبلونكم بشىء من الخوف ، وبشىء من الجوع ، وبشىء من نقص الأموال — اكتفى بدلالة ذكر « الشىء » فى أوله ، من إعادته مع كل نوع منها .

ففعل تعالى ذكره كل ذلك بهم ، وامتحنهم بضروب المحَن ، كما : —

٢٣٢٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ،

---

(١) انظر ما سلف ٢ : ٤٨ ، ٤٩ ، ثم هذا الجزء ٣ : ٧

(٢) فى المطبوعة : « وتعذر المطالب » والصواب ما أثبت .

(٣) الخبر : ٢٣٢٦ — سبق هذا الإسناد : ١٤٥٥ ، ولما نعرف شيخ الطبرى فيه .

عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات »، قال : قد كان ذلك، وسيكونُ ما هو أشد من ذلك .

قال الله عند ذلك : « وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مُصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون. أولئك عليهم صلواتٌ من ربهم ورحمة وأولئك هُمُ المهتدون» .

* * *

ثم قال تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، بشّر الصابرين على امتحانى بما أمتحنهم به ،[1] والحافظين أنفسهم عن التقدم على نَهْيى عما أنهاهم عنه ، والآخذين أنفسهم بأداء ما أكلفهم من فرائضى ، مع ابتلائى إياهم بما أبتليهم به،[2] القائلين إذا أصابتهم مصيبة: « إنا لله وإنا إليه راجعون » . فأمره الله تعالى ذكره بأن يخصّ — بالبشارة على ما يمتحنهم به من الشدائد — أهلَ الصبر ، الذين وصف الله صفتهم . ٢٦/٢

* * *

وأصل « التبشير » : إخبار الرجل الرجلَ الخبرَ ، يَسرّه أو يسوءه ، لم يسبقه به إلى غيره[3]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾ (١٥٦)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره : وبشّر ، يا محمد ، الصابرين الذين يعلمون أن جميع ما بهم من نعمة فمنّى ، فيُقرون بعبوديتى ، ويوحّدوننى بالربوبية ،

---

(١) فى المطبوعة : « بما امتحنتهم » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

(٢) فى المطبوعة : « بما ابتليتهم » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

(٣) انظر ما سلف ١ : ٢/٣٨٣ : ٣٩٣

ويصدقون بالمعاد والرجوع إلىّ ، فيستسلمون لقضائى ، ويرجون ثوابى ، ويخافون عقابى ، ويقولون — عند امتحانى إياهم ببعض محنى ، وابتلائى إياهم بما وعدتهم أنْ أبتليهم به من الخوف والجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات وغير ذلك من المصائب التى أنا مُمتحنهم بها — : إنا مماليك ربنا ومعبودنا أحياءً ، ونحن عبيده وإنا إليه بعد مماتنا صائرون = تسليماً لقضائى ورضاً بأحكامى

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أُوْلَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (١٥٧)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « أولئك » ، هؤلاء الصابرون ، الذين وصفهم ونعتهم — « عليهم »، يعنى : لهم ، « صلوات »، يعنى : مغفرة . « وصلوات الله » على عباده ، غفرانه لعباده ، كالذى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

٢٣٢٨ — « اللهم صلِّ على آل أبى أوْفى » .(١)

يعنى : اغفر لهم . وقد بينا « الصلاة » وما أصلها فى غير هذا الموضع .(٢)

* * *

وقوله : « ورحمة » ، يعنى : ولهم مع المغفرة ، التى بها صفح عن ذنوبهم وتغمدها ، رحمة من الله ورأفة .

---

(١) الحديث : ٢٣٢٨ — هو جزء من حديث صحيح . رواه البخارى ٣ : ٢٨٦ (من الفتح) . ومسلم ١ : ٢٩٧ — كلاهما من طريق شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن أبى أوفى ، قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتاه قوم بصدقتهم قال : اللهم صل عليهم ، فأتاه أبى أبو أوفى بصدقته ، فقال : اللهم صل على آل أبى أوفى » .

قال الحافظ : « يريد أبا أوفى نفسه ، لأن الآل يطلق على ذات الشىء . . . وقيل : لا يقال ذلك إلا فى حق الرجل الجليل القدر » .

وهذه فائدة نفيسة ، من الحافظ ابن حجر ، رحمه الله .

(٢) انظر ما سلف ١ : ٢٤٢ / ثم ٢ : ٥٠٥ / ثم ٣ : ٣٧، ٢١٣، ٢١٤

ثم أخبر تعالى ذكره – مع الذى ذكر أنه مُعطيهم على اصطبارهم على محنه ، تسليماً منهم لقضائه ، من المغفرة والرحمة – أنهم هم المهتدون ، المصيبون طريق الحقّ ، والقائلون مَا يُرْضى عنهم ، والفاعلون ما استوجبوا به من الله الجزيل من الثواب .

وقد بينا معنى « الاهتداء » ، فيما مضى ، فإنه بمعنى الرشد للصواب .(١)

* * *

وبمعنى ما قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٣٢٩ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس فى قوله : « الذين إذا أصابتهم مُصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه رَاجعون . أولئكَ عليهم صَلوات من ربهم وَرحمة وأولئك هم المهتدون » ، قال : أخبر الله أنّ المؤمن إذا سَلّم الأمرَ إلى الله ، ورَجع واسترْجع عند المصيبة ، كتب له ثلاث خصال من الخير : الصلاةُ من الله ، والرحمة ، وتحقيق سَبيل الهدى . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَن استرْجع عند المصيبة ، جبر الله مُصيبته ، وأحسن عُقباه ، وَجعل له خَلفاً صالحاً يرضاه .(٢)

٢٣٣٠ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ،

---

(١) انظر ما سلف ١ : ١٦٦– ١٧٠ ، ٢٣٠ ، ٢٤٩، ٥٤٩ – ٥٥١/ثم ٢ : ٢١١/ ثم هذا الجزء ٣ : ١٠١، ١٤٠، ١٤١

(٢) الحديث : ٢٣٢٩ – ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢ : ٣٣٠ – ٣٣١ ، وقال : « رواه الطبرانى فى الكبير ، وفيه على بن أبى طلحة ، وهو ضعيف » .

وذكره السيوطى فى الدر المنثور ١ : ١٥٦ ، وزاد نسبته لابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والبيهقى فى شعب الإيمان .

وعلى بن أبى طلحة : سبق فى : ١٨٣٣ أنه ثقة ، وأن علة هذا الإسناد – وهو كثير الدوران فى تفسير الطبرى – : انقطاعه ، لأن ابن أبى طلحة لم يسمع من ابن عباس ، ولم يره .

عن أبيه ، عن الربيع في قوله : « أولئك عليهم صلواتٌ من ربّهم ورحمة » ، يقول : الصلوات والرحمة على الذين صبروا واسترجعوا .

٢٣٣١ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن سفيان العُصفُريّ ، عن سعيد بن جبير قال : مَا أعطِيَ أحدٌ ما أعطيت هذه الأمة : « الذينَ إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا راجعون . أولئك عليهم صَلواتٌ من رَبهم وَرحمة » ، ولو أعطيها أحدٌ لأعطيها يعقوب عليه السلام ، ألم تسمعْ إلى قوله : ﴿ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ ﴾ [سورة يوسف : ٨٤].(١)

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَآئِرِ اللَّهِ ﴾

قال أبو جعفر : « والصفا » جمع « صَفاة » ، وهي الصخرة الملساء ، ومنه قول الطرمّاح :

أَبَى لِي ذُو القُوَى وَالطَّوْلِ ألاَّ يُؤَبِّسَ حَافِرٌ أَبَدًا صَفَاتِي(٢)

---

(١) الخبر : ٢٣٣١ – سفيان العصفري : هو سفيان بن زياد العصفري ، وهو ثقة ، وثقه ابن معين ، وأبو حاتم ، وأبو زرعة . مترجم في التهذيب ٤ : ١١١ ، برقم : ١٩٨ . وابن أبي حاتم ٢/١/٢٢١ ، برقم : ٩٦٦ . والكبير للبخاري ٢/٢/٩٣ ، برقم : ٢٠٧٦ ، لكن لم يذكر نسبته « العصفري » . وهو يشتبه على كثير من العلماء بآخر ، هو « سفيان بن دينار ، أبو الورقاء الأحمري » . فقد ترجمه ابن أبي حاتم ٢/١/٢٢٠ – ٢٢١ ، برقم : ٦٩٥ ، وثبت في بعض نسخه زيادة « العصفري » في نسبته . والبخاري ترجم « الأحمري » ٢/٢/٩٢ ، برقم : ٢٠٧٣ . ولم يذكر فيه « العصفري » أيضاً . وترجم في التهذيب ٤ : ١٠٩ ، برقم : ١٩٣ – مع شيء من التخليط في الترجمتين ، يظهر بالتأمل . ومع هذا التخليط فقد رجح الحافظ أنهما اثنان ، وقال في ترجمة « سفيان بن دينار » – : « والتحقيق فيه : أن سفيان بن دينار التمار هذا ، يقال له : العصفري ، أيضاً ، وأن سفيان بن زياد العصفري : آخر ، بينه الباجي » . وقال في ترجمة الآخر : « والصحيح أنهما اثنان ، كما قال ابن معين وغيره » . وأيا ما كان فالاثنان ثقتان .

(٢) ديوانه : ١٣٤ ، وكان في المطبوعة : « يوئس حافر أبدى » ، وهو خطأ ، والطول : القدرة

وقد قالوا إن « الصفا » واحد ، وأنه يثنى « صَفَوان » ، ويجمع « أصفاء » و « صُفِيًّا ، وصِفِيًّا » ، واستشهدوا على ذلك بقول الراجز (١)

كأنَّ مَتْنَيْهِ مِنَ النَّفِيِّ مَوَاقِعُ الطَّيْرِ عَلَى الصُّفِيِّ (٢)

وقالوا: هو نظير « عَصَا وعُصِيّ [وعِصِيّ ، وأَعْصاء] ، ورَحا ورُحِيّ [ورِحِيّ] وأرْحاء » . (٣)

* * *

وأما « المروة » ، فإنها الحصاةُ الصغيرة ، (٤) يجمع قليلها « مَرَوات » ، وكثيرها « المرْو » ، مثل « تمرة وتمَرات وتمر » ، قال الأعشى ميمون بن قيس :

والنفى . وهو ذو الطول والقوة ، هو الله سبحانه . وأبس الشيء يؤبسه : ذلله ولينه ، أو كسره ، ومثله قول عباس بن مرداس :

إنْ تَكُ جُلْمُودَ صَخْرٍ لاَ أُؤَبِّسُهُ أُوقِدْ عَلَيْهِ ، فأَحْمِيهِ ، فينصَدِعُ
السِّلْمُ تأخُذُ مِنْهَا مَا رَضِيتَ بِهِ وَالحَرْبُ يَكْفِيكَ مِنْ أنْفَاسِهَا جُرَعُ

(١) هو الأخيل الطائى .

(٢) سيأتى فى التفسير ٦ : ١٤٢ والجمهرة ٣ : ١٣٥ ، والمخصص ١٠ : ٩٠ ، ومجالس ثعلب : ٢٤٩ ، والحيوان ٢ : ٣٣٩ ، والقالى ٢ : ٨ ، واللسان (صفا) و (نفا) وكلهم رواه « متنيه » إلا ابن دريد فإنه أنشده :

كأنَّ مَتْنَىَّ من النَّفِيِّ مِنْ طُولِ إشْرَافِى على الطَّوِىِّ

والنفى : ما تطاير من دلو المستقى . ومن روى « متنى » فكأنه عنى أن الأخيل يصف نفسه . وأما من روى « متنيه » ، فإنه عنى غيره . وهو الأصح فيما أرجح ، وقد قال الأزهرى : « هذا ساق كان أسود الجلدة ، استقى من بئر ملح ، فكان يبيض نفى الماء على ظهره إذا ترشش . لأنه كان ملحاً » . فإذا صح ذلك ، كانت رواية البيت الذى يليه « من طول إشراف » بغير ياء الإضافة ، ومعنى الشعر أشبه بما قال الأزهرى ، لتشبيهه فى البيت الثالث . و « الطوى » البئر المطوية بالحجارة .

(٣) الزيادة بين الأقواس لابد منها ، ليستقيم تمثيل المتمثل بهذه الجموع ، على نظيرها . وهو قوله آنفاً : صفا وأصفاء وصفى وصفى .

(٤) بيان الطبرى عن معنى « المرو » ليس بجيد ، والأجود ما قاله أصحاب اللغة : المرو ، حجارة بيض براقة ، تكون فيها النار ، وتقدح منها النار ، ويتخذ أداة كالسكين يذبح بها ، وهى صلبة .

وَتَرَى بِالأَرْضِ خُفًّا زَائِلاً فَإِذَا مَا صَادَفَ المَرْوَ رَضَحْ(١)

يعنى بـ « المرو » : الصخرَ الصغار ، ومن ذلك قول أبى ذؤيب الهذلى :

حَتَّى كَأَنِّى لِلْحَوَادِثِ مَرْوَةٌ بِصَفَا المُشَرَّقِ، كُلَّ يَوْمٍ تُقْرَعُ(٢)

ويقال : « المشقَّر » .

* * *

وإنما عنى الله تعالى ذكره بقوله : « إنّ الصفا والمروة » ، فى هذا الموضع
٢/٢٧ الجبلين المسمَّيَين بهذين الاسمين اللذين فى حَرَمه ، دون سائر الصفا والمرو . ولذلك أدخل فيهما « الألف واللام » ، ليعلم عباده أنه عنى بذلك الجبلين المعروفين بهذين الاسمين ، دون سائر الأصفاء والمرْوِ .

* * *

وأما قوله : « منْ شعائر الله » ، فإنه يعنى : من معالم الله التى جعلها تعالى ذكره لعباده مَعلماً ومَشعَراً يعبدونه عندها ، إما بالدعاء ، وإما بالذكر ، وإما بأداء ما فرض عليهم من العمل عندها . ومنه قول الكميت :

نُقَتِّلُهُمْ جِيلاً فَجِيلاً ، تَرَاهُمُ شَعَائِرَ قُرْبَانٍ بِهِمْ يُتَقَرَّبُ(٣)

---

(١) ديوانه : ١٦١ ، وفى الشطر الأول تصحيف لم أتبين صوابه ، ورواية الديوان :

* وَتُوَلِّى الأَرْضَ خُفًّا مُجْمَرًا *

وهو يصف ناقته وشدتها ونشاطها ، والخف المجمر : هو الوقاح الصلب الشديد المجتمع ، نكبته الحجارة فصلب . رضح الحصا والنوى رضحاً : دقه فكسره . يعنى من شدة الخف وصلابته ، وذلك محمود فى الإبل .

(٢) ديوانه : ٣ ، والمفضليات : ٥٨٧ ، من قصيدة البارعة فى رثاء أولاده ، يقول إن المصائب المتتابعة تركته كهذه الصخرة التى وصف . والمشرق : المصل بمنى . قال ابن الأنبارى : « وإنما خص المشرق ، لكثرة مرور الناس به » . ثم قال : « ورواها أبو عبيدة : « المشقر » : يعنى سوق الطائف . يقول : كأنى مروة فى السوق يمر الناس بها ، يقرعها واحد بعد واحد » .

(٣) الهاشميات : ٢١ ، واللسان (شعر) ، وغيرهما . والضمير فى قوله : «نقتلهم» ، إلى الخوارج الذين عدد أسماءهم فى بيتين قبل :

وكان مجاهد يقول فى الشعائر بما : —

٢٣٣٢ — حدثنى به محمد بن عمرو قال، ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ،عن مجاهد : « إنّ الصفا والمروةمن شعائر الله »، قال : من الخبر الذى أخبركم عنه . (١)

٢٣٣٣ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد مثله .

* * *

فكأن مجاهداً كان يرى أن الشعائر ،إنما هوجمع « شعيرة »، من إشعار الله عباده أمرَ الصفا والمروة ، وما عليهم فى الطواف بهما . فمعناه : إعلامُهم ذلك .

وذلك تأويل من المفهوم بعيد . وإنما أعلم الله تعالى ذكره بقوله: « إن الصفا والمروة مِنْ شعائر الله » عبادَه المؤمنين أن السعى بينهما من مشاعر الحج التى سنّها لهم ، وأمرَ بها خليله إبراهيمَ صلى الله عليه وسلم ، إذ سأله أن يُريه مناسك الحج . وذلك وإن كان مخرجُه مخرجَ الخبر ، ، فإنه مرادٌ به الأمر . لأن الله تعالى ذكره قد أمر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم باتباع ملة إبراهيم عليه السلام ، فقال له : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً ﴾ [سورة النحل: ١٢٣]، وجعل تعالى ذكره إبراهيمَ إماماً لمنْ بعده . فإذْ كان صحيحاً أن الطوافَ والسعىَ بين الصفا والمروة من شعائر الله ومن مناسك الحج ، فمعلوم أن إبراهيم صلى الله

عَلاَمَ إِذَا زُرْنَا الزُّبَيْرَ وَنَافِعاً بغارتنا ، بَعْدَ المَقَانِبِ مِقْنَبُ
وَشَاطَ عَلَى أَرْمَاحِنَا بِدِمَائِهَا وَتَحْوِيلهَا عَنْكُمْ شَبِيبٌ وَقَعْنَبُ

والجيل : الأمة ، أو الصنف من الناس . وفى المطبوعة واللسان : « تراهم » بالتاء ، وهو خطأ . والشعائر هنا جمع شعيرة : وهى البدنة المهداة إلى البيت ، وسميت بذلك لأنه يؤثر فيها بالعلامات . وإشعار البدن : إدماؤها بطعن أو رمى أو حديدة حتى تدمى .

(١) فى المطبوعة : « من الخير» بالياء المثناة التحتية ، وليس يستقيم ، والصواب ما أثبت ، وكلام الطبرى فى تعليقه على قول مجاهد ، دال على الصواب من ذلك أنها من الإشعار ، وهو الإخبار .

عليه وسلم قد عمل به وسنه لمن بعده، وقد أُمرَ نبينا صلى الله عليه وسلم وأمته باتباعه، فعليهم العمل بذلك، على ما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

القولُ فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « فمن حج البيت » ، فمن أتاه عائداً إليه بَعدَ بدء . وكذلك كل من أكثر الاختلاف إلى شىء فهو « حَاجٌّ إليه » ، ومنه قول الشاعر : (١)

وأشْهَدَ مِنْ عَوْفٍ حُلُولاً كَثِيرَةً يَحُجُّونَ سِبَّ الزِّبْرِقَانِ المُزَعْفَرَا(٢)

---

(١) هو المخبل السعدى ، وهو مخضرم .

(٢) المعانى الكبير : ٤٧٨ ، والاشتقاق لابن دريد : ٧٧ ، ١٥٦ ، وتهذيب الألفاظ : ٥٦٣ ، وإصلاح المنطق : ٤١١ ، والبيان والتبيين ٣ : ٩٧ ، وشرح أدب الكاتب للجواليقى : ٣١٣ ، وللبطليوسى : ٤٠٥ ، واللسان (سبب) (حجج) ، (قهر) (زبرق) ، والجمهرة لابن دريد ١ : ٣١ ، ٣/٤٩ : ٤٣٤ ، وسمط اللآلى : ١٩١ ، والخزانة ٣ : ٤٢٧ . وفى المطبوعة : « بيت الزبرقان » والصواب ما أثبت.

وقد ذهب الطبرى فى تفسير البيت ، كما ذهب ابن دريد وابن قتيبة والجاحظ وغيرهم إلى أن « السب » ههنا العمامة ، وأن سادات العرب كانوا يصبغون عمائمهم بالزعفران ، ومنهم حصين بن بدر ، وهو الزبرقان ، وسمى بذلك لصفرة عمامته وسيادته . وذهب أبو عبيدة وقطرب إلى أنه « السب » هنا هى الاست ، وكان مقروفاً ، وزعموا أن قول قطرب قول شاذ ، والصواب عندى أن أبا عبيدة وقطرب قد أصابا ، وأنهم أخطأوا فى ردهم ما قالا . فقد كان المخبل بذىء اللسان ، حتى نسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنما هو عذاب يصبه الله على من يشاء من عباده » (النقائض : ١٠٤٨) قال أبو عبيدة فى النقائض : « كان المخبل القريعى أهجى العرب . . . ثم كان بعده حسان بن ثابت ، ثم الحطيئة ، والفرزدق ، وجرير ، والأخطل . هؤلاء الستة الغاية فى الهجاء وغيره ، ولم يكن فى الجاهلية ولا فى الإسلام لهم نظير » . هذا وقد كان من أمر المخبل والزبرقان بن بدر ما كان فى ضيافة الحطيئة (انظر طبقات فحول الشعراء : ٩٦ — ١٠٠) ، وهجاؤه له ، ثم ما استشرى من هجاء المخبل له ، لما خطب إليه أخته خليدة ، فأبى الزبرقان أن يزوجها له ، وذمه . فهجاه وهجا أخته هجاء مقذعاً ، وحط منه حتى قال له :

يَا زِبْرِقَانُ أَخَا بَنِى خَلَفٍ مَا أَنْتَ وَيبَ أَبِيكَ والفَخْرُ
مَا أَنْتَ إلاّ فِى بَنِى خَلَفٍ كالإسْكَتَيْنِ عَلاَهُمَا البَظْرُ

يعنى بقوله : « يحجون » ، يكثرون التردد إليه لسُودده ورياسته . وإنما قيل للحاج « حاجّ » ، لأنه يأتى البيت قبل التعريف ، ثم يعود إليه لطواف يوم النحر بعد التعريف ، ثم ينصرف عنه إلى منى ، ثم يعود إليه لطواف الصَّدَر . (١) فلتكراره العودَ إليه مرّة بعد أخرى قيل له : « حاجٌّ » .

* * *

وأما « المعتمر » ، فإنما قيل له : « معتمر » ، لأنه إذا طاف به انصرف عنه بعد زيارته إياه . وإنما يعنى تعالى ذكره بقوله : « أو اعتمر » ، أو اعتمرَ البيت ، ويعنى بـ « الاعتمار » الزيارة . فكل قاصد لشىء فهو له « معتمر » ، ومنه قول العجاج :

لَقَدْ سَمَا ابْنُ مَعْمَرٍ حِينَ اعْتَمَرْ مَغْزًى بَعِيداً من بَعِيدٍ وَضَبَرْ (٢)

يعنى بقوله : « حين اعتمر » ، حين قصده وأمّه .

* * *

وكل شعره فى الزبرقان وأخته مقذع . وهذا البيت الذى استشهد به الطبرى من قذعه . وقبل البيت :

أَلَمْ تَعْلَمِى يَا أُمَّ عَمْرَةَ أَنَّنِى تَخَاطَأَنِى رَيْبُ الزَّمَانِ لأَكْبَرَا
لأَشْهَدَ مِنْ عَوْفٍ حُلُولاً كَثِيرَةً يَحُجُّونَ سِبَّ الزِّبْرِقَانِ الْمُزَعْفَرَا
تَمَنَّى حُصَيْنٌ أن يَسُودَ جِذَاعَهُ فَأَمْسَى حُصَيْنٌ قد أُذِلَّ وأُقْهِرَا

وفى سيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٥ — ٢٧٦ قول عتبة بن ربيعة فى أبى جهل : « سيعلم مصفراسته من انتفخ سحره ، أنا أم هو ! » فرماه بمثل ذلك من القبيح ، الذى قاله المخبل السعدى . ومن زعم أن المخبل يقول إنه : « كره أن يعيش ويعمر حتى يرى الزبرقان من الجلالة والعظمة بحيث يحج بنو عوف عصابته » ، فقد أخطأ ، وقد نقض عليه البيت الثالث ما زعم ، فإنه يصفه بأنه تمنى السيادة ، ولكن ذلك لم يزده إلا ذلا وقهراً ، فكيف يتأتى أن يقول ما زعم هذا أنه أراده ؟ بل أراد المخبل أن يسخر به ويتهكم ، كما فعل فى سائر هجائه له .

وقوله : « وأشهد » منصوب ، عطفاً على قوله : « لأكبرا » .

(١) عرف يعرف تعريفاً : وقف بعرفات . و « طواف الصدر » من قولهم : صدر الناس من حجهم ، أى رجعوا بعد أن يقضوا نسكهم .

(٢) ديوانه : ١٩ من قصيدة مدح بها عمر بن عبيد الله بن معمر التيمى ، مضى منها فى ١ : ١٩٠ ، ٢ : ١٥٧ . وقوله « مغزى » ، أى غزواً . وضبر : جمع قوائمه ليثب ثم وثب . وهو يصف بعده جيش عمر بن عبيد الله ، وكان فتح الفتوح الكثيرة ، وعظم أمره فى قتال الخوارج .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره : «بقوله فلا جناح عليه أن يطوّف بهما»، يقول : فلا حَرَج عليه ولا مَأثم فى طَوافه بهما .

* * *

فإن قال قائل : وما وجه هذا الكلام ، وقد قلت لنا ، إن قوله : « إنّ الصفا والمروة من شعائر الله »، وإن كان ظاهرُه ظاهرَ الخبر ، فإنه فى معنى الأمر بالطواف بهما ؟ فكيف يكون أمرًا بالطواف ، ثم يقال : لا جُناح على من حج البيت أو اعتمر فى الطواف بهما ؟ وإنما يوضع الجُناح عمن أتى ما عليه بإتيانه الجناحُ والحرجُ ؟ والأمر بالطواف بهما ، والترخيصُ فى الطواف بهما ، غيرُ جائز اجتماعهما فى حال واحدة ؟

قيل : إنّ ذلك بخلاف ما إليه ذهبتَ .(١) وإنما معنى ذلك عند أقوام : أنّ النبى صلى الله عليه وسلم لما اعتمر عُمرة القضيّة ، تخوّف أقوامٌ كانوا يطوفون بهما فى الجاهلية قبل الإسلام لصنمين كانا عليهما تعظيماً منهم لهما ، فقالوا : وكيف نطوف بهما ، وقد علمنا أنّ تعظيم الأصنام وجميع ما كان يُعبد من ذلك من دون الله ، شركٌ ؟ فنى طوافنا بهذين الحجرين أحرَجُ ذلك ،(٢) لأن الطواف بهما فى الجاهلية إنما كان للصنمين اللذين كانا عليهما ، وقد جاء الله بالإسلام اليومَ ، ولا سبيل إلى تعظيم شىء مع الله بمعنى العبادة له !

فأنزل الله تعالى ذكره فى ذلك من أمرهم : « إنّ الصفا والمروة من شعائر الله »،

---

(١) فى المطبوعة : « إليه ذهب » ، والصواب ما أثبت ، لأن الطبرى ساق قول القائل، على أنه خطاب له إذ قال الطبرى : « وقد قلت لنا » . فالصواب أن يصرف الرد عليه خطاباً له كما خاطبه .

(٢) فى المطبوعة : «أحد ذلك»، ولا معنى له، وفيه تحريف لا شك فيه . فإنهم لم يذكروا متعدداً من الآثام حتى يجعلوا له « أحداً » . وإنما أرادوا : أكبر الإثم والشرك . و«ذلك»، إشارة إلى الشرك . ولو قرئت أيضاً : « أخوف ذلك » لكانت صواباً ، لأنه سيذكر أنهم كانوا يتخوفون الطواف بهما . ويعنى : أخوف الشرك .

يعنى : إن الطوافَ بهما ، فترك ذكر « الطواف بهما » ، اكتفاء بذكرهما عنه .
وإذْ كان معلوماً عند المخاطبين به أن معناه : من معالم الله ، التى جعلها علَماً
لعباده يعبدونه عندهما بالطواف بينهما ، ويذكرونه عليهما وعندهما بما هو له أهل ٢٨/٢
من الذكر ، « فمن حَجّ البيتَ أو اعتمر » فلا يتخوَّفنَّ الطواف بهما ، من أجل
ما كانَ أهل الجاهلية يطوفون بهما من أجل الصنمين اللذين كانا عليهما ، فإن
أهل الشرك كانوا يطوفون بهما كفرًا ، وأنتم تَطوفون بهما إيماناً ، وتصديقاً لرسولى ،
وطاعةً لأمرى ، فلا جُناح عليكم فى الطواف بهما .

* * *

و « الجناح » ، الإثم ، كما : —

٢٣٣٤ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن
السدى : « فلا جُناح عليه أن يطوّف بهما » ، يقول : ليس عليه إثم ، ولكن له أجر .

* * *

وبمثل الذى قلنا فى ذلك تظاهرت الرواية عن السلف من الصحابة والتابعين .

• ذكر الأخبار التى رويت بذلك :

٢٣٣٥ — حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب قال ، حدثنا يزيد بن
زريع قال ، حدثنا داود ، عن الشعبى : أن وَثَناً كان فى الجاهلية على الصفا
يسمى « إساقاً » ،[1] ووثناً على المرْوة يسمى « نائلة » ، فكان أهل الجاهلية إذا طافوا
بالبيت مَسحوا الوَثنين . فلما جاء الإسلام وكُسرت الأوثان ، قال المسلمون :
إنّ الصفا والمرْوة إنما كانَ يُطاف بهما من أجل الوَثنين ، وليس الطواف بهما
من الشعائر ! قال : فأنزل الله : إنهما من الشعائر ، « فمن حَجّ البيتَ أو اعتمر
فلا جُناحَ عليه أن يطوّف بهما » .

٢٣٣٦ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا داود ،
عن عامر قال : كان صنم بالصفا يدعى « إساقاً » ،[1] ووَثن بالمروة يدعى « نائلة » ،

(١) فى المطبوعة : « إساف » ، والصواب ما أثبت ، فهو غير ممنوع من الصرف .

ثم ذكر نحو حديث ابن أبي الشوارب – وزاد فيه ، قال : فذكَّر الصفا من أجل الوثن الذى كان عليه، وأنَّث المروة من أجل الوثن الذى كان عليه مؤنثاً .(١)

٢٣٣٧ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، وذكر نحو حديث ابن أبي الشوارب عن يزيد ، وزاد فيه – قال : فجعله الله تطوُّعَ خير .

٢٣٣٨ – حدثني يعقوب قال ، حدثنا ابن أبي زائدة قال ، أخبرني عاصم الأحول قال ، قلت لأنس بن مالك : أكنتم تكرهون الطواف بين الصفا والمرْوة حتى نزلت هذه الآية ؟ فقال : نعم كنا نكره الطواف بينهما لأنهما من شعائر الجاهلية ، حتى نزلت هذه الآية : « إنّ الصفا والمروة من شعائر الله » .(٢)

٢٣٣٩ – حدثني على بن سهل الرملي قال ، حدثنا مؤمل بن إسمعيل قال ، حدثنا سفيان ، عن عاصم قال ، سألت أنساً عن الصفا والمروة ، فقال : كانتا من مشاعر الجاهلية ، فلما كان الإسلام أمسكوا عنهما ، فنزلت : « إن الصفا والمرْوَة من شعائر الله » .(٣)

---

(١) الأثر : ٢٣٣٦ – هكذا جاء هذا الأثر فى الدر المنثور ١ : ١٦٠ ، وصواب عبارته فيما أرجح ، أن يحذف « مؤنثاً » ، أو أن يقال : « من أجل أن الوثن الذى كان عليه كان مذكراً ، وأنث المروة من أجل أن الوثن الذى كان عليه كان مؤنثاً » .

(٢) الحديث : ٢٣٣٨ – يعقوب : هو ابن إبرهيم الدورقى . ابن أبي زائدة : هو يحيى بن زكريا ابن أبي زائدة الهمدانى الوادعى ، وهو حافظ ثقة ، يقرن بابن المبارك . يقولون : إنه أول من صنف الكتب بالكوفة ، مات سنة ١٨٣ . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/٢/٢٧٣ – ٢٧٤ . والصغير ، ص : ٢٠٦ ، وابن سعد ٦ : ٢٧٤ ، وابن أبي حاتم ٤/٢/١٤٤ – ١٤٥ ، وتذكرة الحفاظ ١ : ٢٢٦ – ٢٤٧.

عاصم : هو ابن سليمان الأحول ، مضى فى : ١٨٤ ، وهو من صغار التابعين . وعده سفيان الثورى أحفظ ثلاثة فى البصرة. مترجم فى التهذيب ، وابن سعد ٧/٢/٢٠ – ٦٥ ، وابن أبي حاتم ٣/١/٣٤٣– ٣٤٤ .

والحديث رواه البخارى ٣ : ٤٠٢ (فتح) ، من طريق عبد الله ، وهو ابن المبارك ، عن عاصم الأحول ، بنحوه . ورواه أيضاً مسلم ، والترمذى ، والنسائى . كما فى القسطلانى ٣ : ١٥٣ – ١٥٤ .

(٣) الحديث : ٢٣٣٩ – سفيان : هو الثورى . والحديث مختصر ما قبله . ورواه البخارى مختصراً ٨ : ١٣٢ (فتح) ، عن محمد بن يوسف ، عن سفيان . ورواه الحاكم ٢ : ٢٧٠ ، من طريق حسين بن حفص ، عن سفيان . وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » . ووافقه

٢٣٤٠ – حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث قال ، حدثني الحسين المعلم قال ، حدثنا شيبان أبو معاوية ، عن جابر الجعفي ، عن عمرو ابن حبشي قال ، قلت لابن عمر : « إنّ الصفا والمروة من شعائر الله فمن حَجّ البيتَ أو اعتمر فلا جُناحَ عليه أنْ يَطّوّف بهما » ، قال : انطلق إلى ابن عباس فاسأله ، فإنه أعلم من بقي بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم. فأتيته فسألته ، فقال : إنه كان عندهما أصنامٌ ، فلما حُرِّمْن أمسكوا عن الطواف بينهما ، حتى أنزلت : « إنّ الصفا والمروة من شعائر الله فمن حَجّ البيت أو اعتمرَ فلا جُناح عليه أنْ يَطّوّفَ بهما »[1].

الذهبي . وأخطأ الحاكم في استدراكه ، فقد رواه البخاري . كما ذكرنا قبل .

وسيأتي بعض معناه مختصراً : ٢٣٤٦ ، ٢٣٤٧ ، من رواية جرير ، عن عاصم ، عن أنس .

(١) الحديث : ٢٣٤٠ – عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث بن سعيد العنبري : ثقة ، من شيوخ مسلم والترمذي والنسائي وأبي حاتم وغيرهم. مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٣/١/٧٦ .

حسين المعلم : هو حسين بن محمد بن بهرام التميمي المروذي ، المؤدب ، كما لقب بذلك في التهذيب ، وهو « المعلم » أيضاً ، كما لقبه بذلك البخاري وابن أبي حاتم ، وهو ثقة من شيوخ أحمد ويحيى والأئمة . مترجم في التهذيب ، والكبير ١/٢/٣٨٦ – ٣٨٧ ، وابن سعد ٧/٢/٧٩ ، وابن أبي حاتم ١/٢/٦٤ . وتاريخ بغداد ٨ : ٨٨ – ٩٠ ، وكان معروفاً برواية « تفسير شيبان النحوي » . فروى ابن أبي حاتم عن أبيه ، قال : « أتيته مراراً بعد فراغه من تفسير شيبان ، وسألته أن يعيد على بعض المجلس ، فقال : بكر ، بكر . ولم أسمع منه شيئاً » .

ومما يوقع في الوهم ، الاشتباه بين « عبد الوارث بن عبد الصمد » . وشيخه « حسين المعلم » هذا – وبين « عبد الوارث بن سعيد » ، وشيخه « حسين المعلم » أيضاً .

فـ « عبد الوارث » – شيخ الطبري – هو الذي ترجمنا له هنا . وشيخه « حسين بن محمد المروذي » . و « عبد الوارث بن سعيد » – هو جد « عبد الوارث » هذا . و « حسين المعلم » هو « حسين بن ذكوان المعلم » ، وهو قديم ، يروي عن التابعين .

شيبان أبو معاوية : « هو شيبان بن عبد الرحمن التميمي النحوي ؛ وهو إمام حجة حافظ ، حدث عنه أبو حنيفة ، وهو من أقرانه . وروى عنه الأئمة : الطيالسي ، وابن مهدي ، وغيرهما. مترجم في التهذيب . والكبير ٢/٢/٢٥٥ ، وابن سعد ٦ : ٢٦٢ ، و ٧/٢/٦٧ – ٦٨ وابن أبي حاتم ٢/١/٣٥٥ – ٣٥٦ ، وتاريخ بغداد ٩ : ٢٧١ – ٢٧٤ ، وتذكرة الحفاظ ١ : ٢٠٢ – ٢٠٣ .

ووقع في المطبوعة غلط في اسمه واسم الراوي عنه : فذكر « أبو الحسين المعلم » ! وهو تخليط ، وذكر « سنان أبو معاوية » ! وهو فوق ذلك تصحيف .

٢٣٤١ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ابن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: « إنّ الصّفا والمروة من شعائر الله » ، وذلك أنّ ناساً كانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة ، فأخبر الله أنهما من شعائره ، والطواف بينهما أحبُّ إليه ، فمضت السُّنة بالطَّواف بينهما.

٢٣٤٢ – حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « إنّ الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جُناح عليه أن يطوّف بهما » ، قال : زعم أبو مالك ، عن ابن عباس : أنه كانَ في الجاهلية شياطين تعزِفُ الليل أجمعَ بين الصفا والمروة ، وكانت بينهما آلهة ، فلما جاء الإسلام وظهر ، قال المسلمون : يا رسولَ الله، لا نطوف بين الصفا والمروة، فإنه شركٌ كنا نفعله في الجاهلية ! فأنزل الله: «فلا جُناح عليه أن يطوّف بهما». (١)

جابر الجعفي ، بضم الجيم وسكون العين المهملة : وهو جابر بن يزيد بن الحارث ، وهو ضعيف جداً، رمى بالكذب. مترجم في التهذيب ، والكبير ١/٢/٢١٠ ، والضعفاء للبخاري ، ص : ٧ . والنسائي ، ص : ٧ ، وابن أبي حاتم ١/١/٤٩٧ – ٤٩٨ ، والمجروحين لابن حبان، رقم : ١٧٥ ، ص ١٤٠ – ١٤١ . والميزان ١ : ١٧٦ – ١٧٨ .

عمرو بن حبشي ، بضم الحاء المهملة وسكون الباء الموحدة وكسر الشين المعجمة : تابعي ثقة ، مترجم في التهذيب . وابن أبي حاتم ٣/١/٢٢٦ .

وهذا الحديث – الضعيف الإسناد – لم أجده إلا في هذا الموضع . وذكره السيوطي ١ : ١٥٩ ، ولم ينسبه إلا إلى الطبري .

(١) الحديث : ٢٣٤٢ – هذا الإسناد ، هو من أسانيد تفسير السدى الثلاثة ، وقد فصلنا القول فيها ، في : ١٦٨ .

والحديث رواه أبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف ، ص : ١٠٠ – ١٠١ ، عن الحسين ابن علي ابن مهران ، عن عامر بن الفرات ، عن أسباط ، بهذا الإسناد ، نحوه .

وفي إسناد ابن أبي داود فائدة جديدة : أن هناك راوياً لتفسير السدى ، غير « عمرو بن طلحة القناد » راويه عن أسباط بن نصر . فها هو ذا عامر بن الفرات يروى شيئاً منه عن أسباط أيضاً . و « عامر بن الفرات » : لم أجد له ترجمة أصلا . ومن عجب أن يذكره ابن أبي حاتم ، في ترجمة « الحسين بن علي بن مهران » ١/٢/٥٦ – شيخاً له ، ثم لا يترجم له في بابه !

ورواه أيضاً الحاكم ٢ : ٢٧١ ، من طريق عمرو بن طلحة القناد ، عن أسباط . بهذا الإسناد نحوه . وزاد في آخره : « يقول : عليه إثم ولكن له أجر » . وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبي .

٢٣٤٣ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « إنّ الصفا والمروة من شعائر الله » ، قال : قالت الأنصار : إنّ السّعي بين هذين الحجرين من أمر الجاهلية ! فأنزل الله تعالى ذكره : « إنّ الصفا والمروة من شعائر الله »

٢٣٤٤ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد نحوه .

٢٣٤٥ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله : « فلا جُناح عليه أن يطّوّف بهما » ، قال : كان أهل الجاهلية قد وَضَعوا على كل واحد منهما صنماً يعظمونهما ، فلما أسلم المسلمون كرِهوا الطواف بالصفا والمروة لمكان الصنمين ، فقال الله تعالى : « إنّ الصفا والمروةَ من شعائر الله فمن حج البيتَ أو اعتمر فلا جُناح عليه أن يطّوّف بهما» ، وقرأ: ﴿ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى القُلُوبِ ﴾ [سورة الحج : ٣٢] ، وسن رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بهما . ٢٩/٢

٢٣٤٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن عاصم قال ، قلت لأنس : الصفا والمروة ، أكنتم تكرَهون أن تطوفوا بهما مع الأصنام التي نُهيتم عنها ؟ قال : نعم ، حتى نزلت: « إنّ الصفا والمروة من شعائر الله » .

٢٣٤٧ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير قال ، أخبرنا عاصم قال ، سمعت أنس بن مالك يقول : إنّ الصفا والمروة من مَشاعر قُريش في الجاهلية ،

ولنا على الحاكم والذهبي في هذا استدراك ، هو : أن أبا مالك – التابعي راويه عن ابن عباس – وهو « غزوان الغفاري» : لم يرو له مسلم في صحيحه أصلا. فلا يكون الحديث على شرط مسلم، في اصطلاح الحاكم!

وفي رواية الحاكم – هذه – فائدة أيضاً : أنا ظننا عند الكلام على أسانيد تفسير السدي الثلاثة ، أن الحاكم اختار منها إسنادين فقط ، ولكن أظهرنا هذا الإسناد على أنه صحح الثلاثة الأسانيد .

والحديث ذكره السيوطي ١ : ١٥٩ ، وزاد نسبته لابن أبي حاتم أيضاً .

فلما كان الإسلام تركناهما .(١)

* * *

وقال آخرون : بل أنزل الله تعالى ذكره هذه الآية ، فى سبب قوم كانوا فى الجاهلية لا يسعون بينهما ، فلما جاء الإسلام تخوفوا السعى بينهما كما كانوا يتخوفونه فى الجاهلية.

* ذكر من قال ذلك :

٢٣٤٨ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد، عن سعيد، عن قتادة، قوله: « إن الصفا والمروة من شعائر الله » الآية، فكان حى من تهامة فى الجاهلية لا يسعون بينهما ، فأخبرهم الله أن الصفا والمروة من شعائر الله . وكان من سنة إبراهيم وإسمعيل الطواف بينهما .

٢٣٤٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة قال : كان ناس من أهل تهامة لا يطوفون بين الصفا والمروة ، فأنزل الله : « إن الصفا والمروة من شعائر الله » .

٢٣٥٠ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى الليث قال ، حدثنى عقيل ، عن ابن شهاب قال ، حدثنى عروة بن الزبير قال ، سألت عائشة فقلت لها : أرأيت قول الله : « إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما » ؟ وقلت لعائشة : والله ما على أحد جناح أن لا يطوف بالصفا والمروة ؟ فقالت عائشة : بئس ما قلت يا ابن أختى ! إن هذه الآية لو كانت كما أولتها كانت : لا جناح عليه أن لا يطوف بهما، ولكنها إنما أنزلت فى الأنصار : كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة، الطاغية التى كانوا يعبدون بالمشلل ، وكان من أهل لها يتحرج أن يطوف بين

(١) الحديثان : ٢٣٤٦ – ٢٣٤٧ – جرير : هو ابن عبد الحميد الضبى ، وهو ثقة حجة حافظ . مترجم فى التهذيب، والكبير ١/٢/٢١٤، وابن سعد ٧/٢/١١٠، وابن أبى حاتم ١/١/٥٠٥ – ٥٠٧ . وتاريخ بغداد ٧ : ٢٥٣ – ٢٦١ ، وتذكرة الحفاظ ١ : ٢٥٠ .

والحديثان مضى معناهما ، من رواية عاصم عن أنس : ٢٣٣٨ ، ٢٣٣٩ .

الصفا والمروة ، فلما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك – فقالوا : يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نَطُوف بين الصفا والمروة – أنزل الله تعالى ذكره : « إنّ الصفا والمروَة من شعائر الله فمن حَجّ البيتَ أو اعتمرَ فلا جُناح عليه أن يطّوّفَ بهما ». قالت عائشة : ثم قد سَن رَسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بينهما ، فليس لأحد أن يَترك الطواف بينهما .(١)

---

(١) الحديث : ٢٣٥٠ – عقيل – بضم العين : هو ابن خالد الأيلى ، وهو ثقة ثبت حجة ، قال ابن معين : « أثبت من روى عن الزهرى : مالك ، ثم معمر ، ثم عقيل » . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/١/٩٤ ، وابن أبى حاتم ٣/٢/٤٣ .

عروة بن الزبير بن العوام : تابعى ثقة فقيه عالم ثبت مأمون ، قال أبو الزناد : « كان فقهاء أهل المدينة أربعة : سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وقبيصة بن ذؤيب ، وعبد الملك بن مروان » . وأمه أسماء ذات النطاقين بنت أبى بكر الصديق ، وعائشة أم المؤمنين خالته ، رضى الله عنهم . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/١/٣١ – ٣٢ ، وابن سعد ٢/٢/١٣٤ – ١٣٥ ، و ٥ : ١٣٢ – ١٣٥ ، وابن أبى حاتم ٣/١/٣٩٥ – ٣٩٦ ، وتذكرة الحفاظ ١ : ٥٨ – ٥٩ ، وتاريخ الإسلام ٣ : ٣١ – ٣٤.

والحديث – من هذا الوجه – رواه مسلم ١ : ٣٦٢ ، من طريق عقيل ، عن ابن شهاب ، وهو الزهرى ولم يذكر لفظه كله ، إحالة على روايات قبله .

ورواه البخارى ٣ : ٣٩٧ – ٤٠١ ، مطولا ، من طريق شعيب ، عن الزهرى ، باللفظ الذى هنا ، إلا خلافاً فى أحرف يسيرة : « فلما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالوا ... أنزل الله . . . » ففى البخارى : « فلما أسلموا سألوا . . . قالوا . . فأنزل الله . . . » . ولكن زاد البخارى فى آخره قول الزهرى أنه ذكر ذلك لأبى بكر بن عبد الرحمن – الذى سيأتى فى الرواية التالية لهذه ، بنحو معناه .

وثبت من أوجه كثيرة ، عن الزهرى ، عن عروة ، مطولا ومختصراً :

فرواه مالك فى الموطأ ، ص : ٣٧٣ ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه . ورواه البخارى ٨ : ١٣٢ . وابن أبى داود فى المصاحف ، ص ١٠٠ – ولم يذكر لفظه – كلاهما من طريق مالك .

ورواه أحمد فى المسند ٦ : ١٤٤ ، ٢٢٧ (حلبى) ، من طريق إبرهيم بن سعد ، عن الزهرى . وكذلك رواه ابن أبى داود ، ص : ١٠٠ – ولم يذكر لفظه – من طريق إبرهيم بن سعد .

ورواه مسلم مطولا ١ : ٣٦١ – ٣٦٢ ، من طريق سفيان بن عيينة ، عن الزهرى . وكذلك رواه البخارى ٨ : ٤٧٢ ، من طريق سفيان . ولكنه اختصره جداً .

ورواه مسلم وابن أبى داود – قبل ذلك وبعده : من أوجه كثيرة .

وذكره السيوطى ١ : ١٥٩ ، وزاد نسبته إلى أبى داود ، والنسائى ، وابن ماجة ، وابن الأنبارى فى المصاحف ، وابن أبى حاتم ، والبيهقى فى السنن .

وانظر الحديث التالى لهذا .

قوله « يهلون لمناة » : أى يحجون . ومناة ، بفتح الميم والنون الخفيفة : صنم كان فى الجاهلية .

٢٣٥١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة قالت : كان رجالٌ من الأنصار ممَّن يُهلُّ لمناةَ فى الجاهلية – و « مناةُ » صنمٌ بين مكة والمدينة – قالوا : يا نبيَّ الله ، إنا كنا لا نطوفُ بين الصفا والمروة تعظيماً لمناة ، فهل علينا من حَرَج أن نَطوف بهما ؟ فأنزل الله تعالى ذكره : « إنَّ الصفا والمروةَ من شعائر الله فمن حج البيتَ أو اعتمرَ فلا جناح عليه أن يطوف بهما » . قال عروة : فقلت لعائشة : ما أبالى أن لا أطوف بين الصفا والمروة ! قال الله : « فلاَ جُناح عليه » . قالت : يا ابن أختى ، ألا ترى أنه يقول : « إن الصفا والمروة من شَعائر الله » ! قال : الزهرى : فذكرت ذلك لأبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقال : هذا العلم ! قال أبو بكر : ولقد سمعتُ رجالاً من أهل العلم يقولون : لما أنزل الله الطوافَ بالبيت ولم يُنزل الطواف بين الصفا والمروة ، قيل للنبى صلى الله عليه وسلم : إنا كنا نطوفُ فى الجاهلية بين الصفا والمروة ، وإنَّ الله قد ذكر الطواف بالبيت ولم يذكر الطوافَ بين الصفا والمروةَ ، فهل علينا من حرج أن لاَ نطوفَ بهما ؟ فأنزل الله تعالى ذكره : « إنَّ الصفا والمروةَ من شعائر الله » الآية كلها ، قال أبو بكر : فأسمعُ أن هذه الآية نَزَلت فى الفريقين كليهما ، فيمن طَافَ وفيمن لم يَطُف.(١)

وقال ابن الكلبى : كانت صخرة نصبها عمرو بن لحى لهذيل ، وكانوا يعبدونها . والطاغية : صفة لها إسلامية . قاله الحافظ فى الفتح .

« المشلل » : بضم الميم وفتح الشين المعجمة ولامين ، الأولى مفتوحة مثقلة ، هى الثنية المشرفة على قديد ، وقديد ، بضم القاف ودالين مهملتين ، مصغراً : قرية جامعة بين مكة والمدينة ، كثيرة المياه . عن الفتح .

(١) الحديث : ٢٣٥١ – هو تكرار للحديث السابق بمعناه ، من وجه آخر صحيح ، عن الزهرى. وفيه زيادة قول الزهرى أنه ذكر ذلك لأبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، إلخ . وهذه الزيادة ذكرها البخارى ، فى روايته من طريق شعيب عن الزهرى ، كما قلنا آنفاً .

ورواية معمر عن الزهرى – هذه : ذكر البخارى بعضها تعليقاً ٨ : ٤٧٢ ، فقال : « قال معمر عن الزهرى . . . » . وقال الحافظ : « وصله الطبرى ، عن الحسن بن يحيى ، عن عبد الرزاق ، مطولا » . فهذه إشارة إلى الرواية التى هنا ، وأشار إليها فى الفتح ٣ : ٣٩٩ ، وذكر أنه وصلها أحمد وغيره .

٢٣٥٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة قال : كانَ ناسٌ من أهل تهامة لا يَطوفون بين الصفا والمروة ، فأنزل الله : « إنّ الصفا والمرْوَة من شعائر الله » . (١)

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال : إنّ الله تعالى ذكره قد جعل الطواف بين الصفا والمروة من شعائر الله ، كما جعل الطواف بالبيت من شعائره .

فأما قوله : « فلا جناحَ عليه أن يطّوّف بهما » ، فجائزٌ أن يكون قيل لكلا الفريقين اللذين تخوّف بعضهم الطواف بهما من أجل الصنمين اللذين ذكرهما الشعبي ، وبَعضُهم من أجل ما كان من كراهتهم الطواف بهما فى الجاهلية ، على ما رُوى عن عائشة .

وقد رواها أيضاً ابن أبي داود فى المصاحف ، ص : ١٠٠ ، عن « خشيش بن أصرم ، والحسن بن أبي الربيع ، أن عبد الرزاق أخبرهم عن معمر . . . » . ولم يسق لفظ الحديث ، إحالة على ما قبله . و « خشيش » : بضم الخاء وفتح الشين وآخره شين ، معجمات كلها . و « الحسن بن أبي الربيع » : هو « الحسن بن يحيى » شيخ الطبرى ، كنية أبيه « أبو الربيع » . وخلط المستشرق طابع كتاب المصاحف : فكتب « حشيش » بالحاء المهملة ! وكتب « الحسن بن أبي الربيع بن عبد الرزاق » ! !

و « أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام » المخزومى القرشى المدنى : من كبار التابعين الأئمة ، ومن سادات قريش . وهو أحد الفقهاء السبعة . مترجم فى التهذيب ، والكنى للبخارى ، رقم : ٥١ ، وابن سعد ٢/٢/١٣٣ ، و ٥ : ١٥٣ – ١٥٤ ، وتذكرة الحفاظ ١ : ٥٩ – ٦٠ ، وتاريخ الإسلام ٤ : ٧٢ – ٧٣ .

وقول أبي بكر بن عبد الرحمن « فأسمع أن هذه الآية نزلت . . . » – إلخ : هو فى رواية البخارى أيضاً ٣ . ٤٠١ ، وقال الحافظ : « كذا فى معظم الروايات ، بإثبات الهمزة وضم العين ، بصيغة المضارعة للمتكلم . وضبطه الدمياطى فى نسخته [يعنى من صحيح البخارى] بالوصل وسكون العين . بصيغة الأمر ، والأول أصوب ، فقد وقع فى رواية سفيان المذكورة : فأراها نزلت . وهو بضم الهمزة ، أى أظنها » .

وانظر كثيراً من طرق هذا الحديث أيضاً ، فى السنن الكبرى للبيهقى ٥ : ٩٦ – ٩٧ .

(١) الأثر : ٢٣٥٢ – كان فى المطبوعة : « حدثنا الحسن بن يحيى ، قال أخبرنا معمر » بإسقاط « أخبرنا عبد الرزاق قال » ، وهو إسناد دائر فى التفسير ، وهو مكرر رقم : ٢٣٤٩ بنصه ، وأخشى أن يكون زيادة ناسخ سها .

وأيُّ الأمرين كان من ذلك ، فليس فى قول الله تعالى ذكره : « فلا جُناح عليه أن يطَّوَّف بهما » ، الآية ، دلالةٌ على أنه عَنى به وَضَع الحرَج عَمن طاف بهما ، من أجل أن الطواف بهما كان غير جائزٍ بحظر الله ذلك ، ثم جُعل الطواف بهما رُخصة ، لإجماع الجميع على أن الله تعالى ذكره لم يحظُر ذلك فى وقت ، ثم رخص فيه بقوله : « فلا جناح عليه أن يطَّوَّف بهما » .

* * *

٣٠/٢ وإنما الاختلافُ فى ذلك بين أهل العلم على أوجُهٍ . فرأى بعضُهم أن تارك الطواف بينهما تاركٌ من مَناسك حجه ما لا يُجزيه منه غيرُ قَضَائه بعينه ، كما لا يُجزى تارك الطواف — الذى هو طَواف الإفاضة — إلا قضَاؤه بعينه . وقالوا : هما طَوافانَ : أمرَ الله بأحدهما بالبيت ، والآخرُ بينَ الصفا والمروة .

* * *

ورأى بعضهم أن تارك الطواف بهما يُجزيه من تَركه فِدية ، ورأوا أن حُكم الطواف بهما حُكمُ رَمى بعض الجمرات والوقوف بالمشعر وَطواف الصَّدر وما أشبه ذلك ، مما يُجزى تاركه من تَرْكه فِديةٌ ، ولا يلزمه العَوْد لقضَائه بعينه .

* * *

ورأى آخرون أنّ الطواف بهما تطوع ، إن فعله صاحبه كان مُحسناً ، وإن تَركه تاركٌ لم يلزمه بتَرْكه شىء .(١)

* * *

* ذكر من قال إن السعى بين الصفا والمروة واجبٌ ، ولا يُجزى منه فدية ، ومن تركه فعليه العَوْد .(٢)

٢٣٥٣ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : لَعمرى ما حَجَّ من لم يَسع بين الصفا والمروة ، لأن الله قال : « إن الصفا والمروة من شعائر الله » .

---

(١) فى المطبوعة : « لم يلزمه بتركه شئ والله تعالى أعلم » ، وهذه لا شك زيادة من ناسخ .

(٢) فى المطبوعة : « فعليه العودة » ، والأجود ما أثبت ، وهو أشبه بعبارة الطبرى وأقرانه من فقهاء عصره . وسيأتى كذلك بعد مرات فى عبارته الآتية ، وكأن هذه من تصرف ناسخ أو طابع .

٢٣٥٣ م – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال مالك بن أنس : مَنْ نسي السعي بين الصفا والمروة حتى يستبعد من مكة ، فليرجع فليسْعَ ، وإن كان قد أصاب النساء فعليه العمرَة والهدى . (١)

* * *

وكان الشافعي يقول : عَلى مَنْ تَرَكَ السعي بين الصفا والمروةَ حتى رجع إلى بلده ، العود إلى مكة حتى يَطوف بينهما ، لا يجزيه غير ذلك . (٢)

٢٣٥٤ – حدثنا بذلك عنه الربيع

* * *

* ذكر من قال : يُجزى منه دم ، وليس عليه عودٌ لقضائه .

قال الثوري بما : –

٢٣٥٥ – حدثني به علي بن سهل، عن زيد بن أبي الزرقاء ، عنه = ،

= وأبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد: إن عَاد تاركُ الطوافَ بينهما لقضائه فحسن، وإن لم يعُدْ فعليه دمٌ .

* * *

* ذكر من قال : الطوافُ بينهما تطوّعٌ ، ولا شيء على من تركه ، ومنْ كان يقرأ : ﴿ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لاَ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾

٢٣٥٦ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا ابن جريج قال ، قال عطاء : لو أن حاجاً أفاضَ بعد ما رمى جمرة العقبة ، فطاف بالبيت ولم يَسع ، فأصابها – يعني : امرأته – لم يكن عليه شيء ، لا حجٌّ ولا عمرة، من أجل قول الله في مصحف ابن مسعود : « فمنْ حج البيتَ أو اعتمر فلا جُناح عليه أن لا يَطَّوَّفَ بهما » . فعاودته بعد ذلك فقلت : إنه قد ترك سُنة النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ألا تسمعه يقول: « فمن تطوّع خيراً »، فأبى أن يجعل عليه شيئاً ؟

٢٣٥٧ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا عبد الملك،

(١) انظر لفظ مالك في الموطأ : ٣٧٤ – ٣٧٥ .

(٢) انظر لفظ الشافعي في الأم ٢ : ١٧٨ .

عن عطاء ، عن ابن عباس أنه كان يقرأ : « إن الصفا والمروَة منْ شعائر الله » الآية « فلا جُناح عليه أنْ لا يَطَّوَّف بهما » .

٢٣٥٨ – حدثني على بن سهل قال ، حدثنا مؤمل قال، حدثنا سفيان ، عن عاصم قال : سمعت أنساً يقول : الطواف بينهما تطوع .

٢٣٥٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا حجاج قال ، حدثنا حماد قال ، أخبرنا عاصم الأحول قال ، قال أنس بن مالك : هما تطوُّع .

٢٣٦٠ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد نحوه .

٢٣٦١ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « إن الصفا والمروة من شعائر الله فمنْ حَجّ البيتَ أو اعتمر فلا جناح عليه أن يَطَّوفَ بهما »، قال: فلم يُحرِّج من لم يَطُفْ بهما .

٢٣٦٢ – حدثنا المثنى قال، حدثنا حجاج قال ، حدثنا أحمد ، عن عيسى ابن قيس ، عن عطاء ، عن عبد الله بن الزبير قال : هما تطوع . (١)

---

(١) الخبر : ٢٣٦٢ – عيسى بن قيس ، الراوى عن عطاء: لم أستطع اليقين به . ففى ابن أبى حاتم ٣/١/٢٨٤ ترجمتان : « عيسى بن قيس »، روى عن سعيد بن المسيب ، وروى عنه الليث . و « عيسى ابن قيس السلمى»، روى عنه هشيم . ولم يذكر عنهما شيئاً آخر . إلا أن الأول مجهول . فن المحتمل أن يكون الراوى هنا أحدهما . فإن عطاء بن أبى رباح مات سنة ١١٤ ، فالراوى عن سعيد بن المسيب – المتوفى سنة ٧٣ – محتمل جداً أن يروى عن عطاء . والليث وهشيم متقاربا الطبقة ، مات الليث سنة ١٧٥ ، وهشيم سنة ١٨٣ . وأما « أحمد » الراوى هنا عن « عيسى بن قيس » – فلم أستطع معرفته .

ثم ترجح عندى أن « حجاجاً » – فى هذا الإسناد : هو « حجاج بن الشاعر » . وهو : حجاج بن يوسف بن حجاج الثقفى البغدادى ، عرف بابن الشاعر ، لأن أباه يوسف كان شاعراً صحب أبا نواس ، وحجاج هذا : ثقة ، من شيوخ مسلم وأبى داود وغيرهما، قال ابن أبى حاتم : « كان من الحفاظ، ممن يحسن الحديث ويحفظه . مترجم فى التهذيب، وابن أبى حاتم ١/٢/١٦٨ ، وتاريخ بغداد ٨ : ٢٤٠ – ٢٤١ ، وتذكرة الحفاظ ٢ : ١١٧ – ١١٨ .

وأن شيخه « أحمد » : هو أحمد بن عبد الله بن يونس ، وهو ثقة متقن حافظ ، من شيوخ البخارى ومسلم ، سماه الإمام أحمد « شيخ الإسلام » . وقد مضت الإشارة إليه : ٢١٤٤ .

فإن يكن الإسناد هكذا ، على ما رجحنا ، يكن « عيسى بن قيس » محرفاً ، صوابه « عمر بن قيس » ،

٢٣٦٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن عاصم قال : قلت لأنس بن مالك : السعى بين الصفا والمروة تطوُّع ؟ قال : تطوعٌ .

* * *

والصواب من القول فى ذلك عندنا أنّ الطواف بهما فرض واجب ، وأن على من تركه العوْد لقضائه ، ناسياً كان ، أو عامداً . لأنه لا يُجزيه غير ذلك ، لتظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه حج بالناس ، فكان مما علمهم من مناسك حجّهم الطوافُ بهما .

* * *

• ذكر الرواية عنه بذلك :

٢٣٦٥ – حدثنى يوسف بن سلمان قال ، حدثنا حاتم بن إسمعيل قال ، حدثنا جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر قال : لما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصفا فى حجه قال : « إنّ الصفا والمروةَ من شعائر الله » ، ابدؤوا بما بدأ الله بذكره . فبدأ بالصفا فرَقِيَ عليه .(١)

٢٣٦٦ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا محمود بن ميمون أبو الحسن، عن أبى بكر بن عياش ، عن ابن عطاء ، عن أبيه ، عن ابن عباس : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إنّ الصفا والمروةَ من شعائر الله » ، فأتى الصفا فبدأ بها ، فقام عليها ، ثم أتى المروة فقام عليها ، وطاف وسَعى .(٢)

* * *

وهو المكى المعروف بـ « سندل » – بفتح السين والدال المهملتين بينهما نون ساكنة . وهو ضعيف جداً ، منكر الحديث كما قال البخارى . وقال ابن عدى : « هو ضعيف بإجماع ، لم يشك أحد فيه ، وقد كذبه مالك » . وهو مترجم فى التهذيب . والصغير للبخارى، ص : ١٩٠ ، والضعفاء له ، ص : ٢٥ ، والنسائى ص : ٢٤ ، وابن سعد ٥ : ٣٥٨ ، وابن أبى حاتم ٣/١/١٢٩ – ١٣٠ .

وأنا أرجح أن يكون هذا الإسناد على هذا النحو ، ولكنى لا أستطيع الجزم بذلك ، ولا تغيير اسم « عيسى بن قيس » – حتى أستبين بدليل آخر .

(١) الحديث : ٢٣٦٥ – هو قطعة من حديث جابر – الطويل ، فى صفة حجة الوداع . وقد مضت قطعة منه ، بهذا الإسناد : ٢٠٠٣ . وأخرى من رواية يحيى القطان ، عن جعفر الصادق: ١٩٨٩.

(٢) الحديث : ٢٣٦٦ – محمود بن ميمون أبو الحسن : لا أدرى من هو ، ولا ما شأنه . لم أجد له ترجمة ولا ذكراً .

فإذ كان صحيحاً بإجماع الجميع من الأمة — أنّ الطواف بهما على تعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمّته فى مناسكهم ، وعمله فى حجّه وعُمرته = وكان بيانه صلى الله عليه وسلم لأمّته جُمَل ما نصّ الله فى كتابه ، وفرَضه فى تنزيله ، وأمرَ به مما لم يُدْرَك علمه إلا ببيانه ، لازماً العمل به أمته ، كما قد بينا فى كتابنا ﴿ كتاب البيان عن أصول الأحكام ﴾ — إذا اختلفت الأمة فى وُجوبه ،(١) ثم كان مُختلفاً فى الطواف بينهما : هل هو واجبٌ أو غير واجب = كان بيناً وُجوب فرضه على مَنْ حجّ أو اعتمر ،(٢) لما وصفنا . ٣١/٢

وكذلك وُجوب العوْد لقضاء الطواف بين الصفا والمروة — لما كان مختلَفاً فيما على مَنْ تركه ، مع إجماع جميعهم على أنّ ذلك مما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلّمه أمته فى حجهم وعمرتهم إذ علّمهم مناسك حجهم — كما طاف بالبيت وعلّمه أمته فى حجهم وعمرتهم ، إذ علمهم مناسك حجهم وعُمرتهم — وأجمع الجميع على أن الطواف بالبيت لا تُجْزى منه فديةٌ ولا بدلٌ ، ولا يجزى تاركه إلاّ العوُد لقضائه = كان نظيراً له الطوافُ بالصفا والمروة ، ولا تجزى منه فديةَ ولا جزاءٌ ، ولا يجزى تاركَه إلا العودُ لقضائه ، إذ كانا كلاهما طوافين : أحدهما بالبيت ، والآخرُ بالصفا والمروة .

ابن عطاء ، عن أبيه : هو يعقوب بن عطاء بن أبى رباح ، وهو ثقة ، بينا ذلك فى المسند : ١٨٠٩ . مترجم فى التهذيب والكبير ٤/٢/٣٩٨ ، وابن أبى حاتم ٤/٢/٢١١ .

وهذا الحديث لم أجده فى شىء من المراجع . وإن كان لابن عباس أحاديث أخر فى شأن الصفا والمروة والسعى بينهما . من ذلك الحديث الماضى : ٢٣٤٢ . وحديث فى المستدرك ٢ : ٢٧٠ — ٢٧١ ، وصححه الحاكم والذهبى .

(١) كان فى المطبوعة : « لما قد بينا » ، وهو خطأ يختل به الكلام . وقوله : « وكان بيانه . . . » إلى قوله : « إذا اختلفت الأمة فى وجوبه» جملة فاصلة معطوفة على التى قبلها وسياقها وسياق معناها : وكان بيانه لأمته جمل ما نص الله فى كتابه . . — مما لا يدرك علمه إلا ببيانه — لازماً العمل به أمته . . . إذا اختلفت الأمة فى وجوبه » .

(٢) وهذه الجملة من تمام قوله ومن سياقها : « وإذا كان صحيحاً بإجماع الأمة . . . كان بيناً وجوب فرضه على من حج أو اعتمر » .

ومن فرّق بين حكمهما عُكس عليه القولُ فيه ، ثم سئل البرهان على التفرقة بينهما .

فإن اعتل بقراءة من قرأ : « فلا جُناح عليه أنْ لا يطّوّف بهما » .

قيل : ذلك خلافُ ما فى مصاحف المسلمين ، غيرُ جائز لأحد أن يزيد فى مصاحفهم ما ليس فيها . وسواء قرأ ذلك كذلك قارئ، أو قرأ قارئ: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [سورة الحج : ٢٩] ، « فلا جناح عليهم أنْ لا يطّوّفوا به » .[1] فإن جازت إحدى الزيادتين اللتين ليستا فى المصحف ،[2] كانت الأخرى نظيرتها ، وإلا كان مُجيزُ إحداهما — إذا منع الأخرى — مُتحكماً . والتحكم لا يعجِزُ عنه أحدٌ .

وقد رُوى إنكار هذه القراءة ، وأن يكون التنزيل بها ، عن عائشة .

٢٣٦٧ — حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنى مالك بن أنس ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : قلت لعائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، وأنا يومئذ حديث السِّن : أرأيت قول الله عز وجل : « إنّ الصفا والمروةَ من شعائر الله فمنْ حجّ البيتَ أو اعتمر فلا جُناح عليه أن يطّوّف بهما » ، فما نرى على أحد شيئاً أنْ لا يطّوّف بهما ! فقالت عائشة : كلا ! لو كانت كما تقول ، كانت : « فلا جُناح عليه أن لا يطّوّف بهما » ، إنما أنزلت هذه الآية فى الأنصار ، كانوا يُهلّون لمناة — وكانت مناة حذو قديد — ، وكانوا يتحرّجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة . فلما جاء الإسلام ، سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فأنزل الله : « إنّ الصفا والمرْوةَ من شعائر الله فمن حجّ

---

(١) كان فى المطبوعة : « فلا جناح عليه » ، وهو خطأ بين . ويعنى : أن يجعل القارئ قوله : «فلا جناح عليهم أن لا يطوفوا بهما» من تمام آية سورة الحج السالفة ، فيزيد فى القرآن ما ليس فيه .

(٢) فى المطبوعة : « فإن جاءت إحدى الزيادتين » تصحيف ، والصواب ما أثبت .

(٣) الحديث : ٢٣٦٧ — هو أحد روايات حديث عائشة ، الذى مضى بإسنادين آخرين : ٢٣٥٠ ، ٢٣٥١ . وهذه الرواية هنا ، من طريق مالك . وقد خرجناها هناك ، وهى فى الموطأ ، ص : ٣٧٣ .

البيت أو اعتمر فلا جُناحَ عليه أن يطوف بهما » .

* * *

قال أبو جعفر : وقد يحتمل قراءة من قرأ : « فلا جُناحَ عليه أنْ لا يطَّوَّف بهما » ، أن تكون « لا » التي مع « أن » ، صلةً في الكلام ،[1] إذْ كان قد تقدَّمها جَحْدٌ في الكلام قبلها ، وهو قوله : ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ ، فيكون نظير قول الله تعالى ذكره : ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَنْ لَا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [سورة الأعراف : ١٢] ، بمعنى ما منعك أن تسجدَ ، وكما قال الشاعر :[2]

مَا كَانَ يَرْضَى رَسُولُ اللهِ فِعْلَهُمَا والطَّيِّبَانِ أَبُو بَكْرٍ وَلاَ عُمَرُ[3]

ولو كان رسمُ المصُحف كذلك ، لم يكن فيه لمحتجٍّ حجة ، مع احتمال الكلام ما وصفنا . لما بيَّنا أن ذلك مما عَلِم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمَّته في مناسكهم ، على ما ذكرنا ، ولدلالة القياس على صحته ، فكيف وهو خلافُ رُسوم مصاحف المسلمين ، ومما لو قرَأه اليوم قارئ كان مستحقًّا العقوبةَ ، لزيادته في كتاب الله عز وجل ما ليس منه ؟

* * *

(١) قوله : « صلة » ، أي زيادة ملغاة ، وانظر ما سلف ١ : ١٩٠ ، ٤٠٥ وفهرس المصطلحات ، وانظر أيضاً معاني القرآن للفراء ١ : ٩٥ ، فقد ذكر هذا الوجه .

(٢) هو جرير .

(٣) سلف تخريجه في ١ : ١٩١ – ١٩٢ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ (١٥٨)

قال أبو جعفر : اختلف القرّأة فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قُراء أهل المدينة والبصرة : « ومن تَطوَّع خيراً » على لفظ المضىّ بـ « التاء » وفتح « العين » . وقرأته عامة قراء الكوفيين : « وَمَنْ يَطَّوَّعْ خيراً » بـ « الياء » وجزم « العين » وتشديد « الطاء » ، بمعنى : ومن يَتطوع . وذُكر أنها فى قراءة عبد الله : « وَمَنْ يَتطوَّعْ » ، فقرأ ذلك قُرّاء أهل الكوفة ، على ما وصفنا ، اعتباراً بالذى ذكرنا من قراءة عبد الله — سوى عاصم ، فإنه وافق المدنيين — فشددوا «الطاء» طلباً لإدغام « التاء » فى « الطاء » . وكلتا القراءتين معروفة صحيحة ، متفقٌ معنياهما غيرُ مختلفين — لأن الماضى من الفعل مع حروف الجزاء بمعنى المستقبل . فبأىّ القراءتين قرأ ذلك قارىءٌ فمصيبٌ .

* * *

(١) [والصواب عندنا فى ذلك ، أن] معنى ذلك : ومن تطوع بالحج والعمرة بعد قضاء حجته الواجبة عليه ، فإن الله شاكرٌ له على تطوعه له بما تطوع به من ذلك ابتغاء وجهه ، فمجازيه به ، عليمٌ بما قصد وأراد بتطوُّعه بما تطوع به .

وإنما قُلنا إنّ الصوابَ فى معنى قوله : « فمن تطوَّع خيراً » هو ما وصفنا ، دون قول من زعم أنه معنىٌّ به : فمن تطوع بالسعى والطواف بين الصفا والمروة ، لأن الساعى بينهما لا يكون متطوعاً بالسعى بينهما ، إلاّ فى حج تطوع أو عُمرة تطوع ، لما وصفنا قبل . وإذ كان ذلك كذلك كان معلوماً أنه إنما عنى بالتطوع ٣٢/٢ بذلك ، التطوُّعَ بما يعملُ ذلك فيه من حجّ أو عمرة .

---

(١) زدت ما بين القوسين ، استظهاراً من قوله بعد : « وإنما قلنا إن الصواب فى معنى قوله . . . » والظاهر أنها مما سقط من ناسخ .

* * *

وأما الذين زعموا أنّ الطواف بهما تطوّع لا واجب ، فإنّ الصواب أن يكون تأويل ذلك على قولهم : فمن تطوّع بالطواف بهما ، فإنّ الله شاكر = لأن للحاج والمعتمِر على قولهم الطوافَ بهما إن شاء ، وتركَ الطواف . فيكون معنى الكلام على تأويلهم : فمن تطوع بالطواف بالصفا والمروة ، فإنّ الله شاكرٌ تطوُّعَه ذلك = عليمٌ بما أراد ونَوَى الطائف بهما كذلك ، كما : —

٢٣٦٨ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ومن تطوّع خيراً فإن الله شاكرٌ عليمٌ » ، قال : من تطوع خيراً فهو خيرٌ له ، تطوّع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت من السنن .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : ومن تطوع خيراً فاعتمر .

* ذكر من قال ذلك :

٢٣٦٩ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « ومن تطوّع خيراً فإن الله شاكر عليم » ، من تطوع خيراً فاعتمر فإن الله شاكر عليمٌ . قال : فالحج فريضةٌ ، والعمرةُ تطوع ، ليست العمرة واجبةً على أحد من الناس .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله :[1] « إنّ الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات »، علماءَ اليهود وأحبارَها ، وعلماءَ النصارى ، لكتمانهم الناسَ أمرَ محمد صلى الله عليه وسلم ، وتركهم اتباعه وهم يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل .

* * *

و « البينات » التى أنزلها الله :[2] ما بيّن من أمر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومبعثه وصفته ، فى الكتابين اللذين أخبر الله تعالى ذكره أنّ أهلهما يجدون صفته فيهما .

* * *

ويعنى تعالى ذكره بـ « الهدى » ما أوضح لهم من أمره فى الكتب التى أنزلها على أنبيائهم ، فقال تعالى ذكره : إنّ الذين يكتمون الناسَ الذى أنزلنا فى كتبهم من البيان عن أمر محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته ، وصحة الملة التى أرسلته بها وحقيّتها ، فلا يخبرونهم به ، ولا يعلنونه من بعد تبيينى ذلك للناس وإيضاحيه لهم ،[3] فى الكتاب الذى أنزلته إلى أنبيائهم ، « أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلاّ الذين تابوا » الآية . كما :—

٢٣٧٠ — حدثنا أبو كريب قال ، وحدثنا يونس بن بكير — وحدثنا ابن

---

(١) فى المطبوعة : يقول : « إن الذين يكتمون . . . » ، وهو خطأ ناسخ ، صوابه ما أثبت .

(٢) فى المطبوعة : « من البينات » ، كأنه متصل بالكلام قبله ، وهو لا يستقيم ، وكأن الصواب ما أثبت .

(٣) كان فى المطبوعة « ولا يعلمون من تبيين ذلك للناس وإيضاحى لهم » ، وهى عبارة لا تستقيم وسياق معنى الآية يقتضى ما أثبت ، من جعل « يعلمون » « يعلنونه » ، وزيادة « بعد » ، وجعل « إيضاحى » « إيضاحيه » .

حميد قال ، حدثنا سلمة — قالا جميعاً ، حدثنا محمد بن إسحق قال ، حدثني محمد ابن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال ، حدثني سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : سأل مُعاذ بن جبل أخو بني سَلِمة ، وسعد بن مُعاذ أخو بني عبد الأشهل ، وخارجة بن زيد أخو بني الحارث بن الخزرج ، نفراً من أحبار يَهود — قال أبو كريب : عما في التوراة ، وقال ابن حميد : عن بَعض مَا في التوراة — فكتموهم إياه ، وأبوْا أن يُخبروهم عنه ، فأنزل الله تعالى ذكره فيهم : « إنّ الذين يَكتمون مَا أنزَلنا من البينات والهدى من بعد ما بيّنّاه للناس في الكتاب أولئك يَلعنهم الله وَيَلعنهم اللاعنون » . (١)

٢٣٧١ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « إنّ الذين يَكتمون مَا أنزَلنا من البينات والهدى » ، قال : هم أهل الكتاب .

٢٣٧٢ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٢٣٧٣ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه عن الربيع في قوله : « إنّ الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى » ، قال : كتموا محمداً صلى الله عليه وسلم ، وهم يجدونه مكتوباً عندهم ، فكتموه حسدًا وبغياً .

٢٣٧٤ — حدثنا بشر بن معاذ : قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « إنّ الذين يَكتمون مَا أنزلنا من البينات والهدى من بَعد مَا بيّنّاه للناس في الكتاب » ، أولئكَ أهلُ الكتاب ، كتموا الإسلام وهو دين الله ، وكتموا محمداً صلى الله عليه وسلم وهم يَجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل .

---

(١) الأثر رقم : ٢٣٧٠ — في سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٠ كما في رواية ابن حميد .

٢٣٧٤ م – حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « إنّ الذين يَكتمونَ ما أنزلنا من البينات والهدى من بَعد ما بيّناه للناس في الكتاب » ، زعموا أن رجلاً من اليهود كان له صديقٌ من الأنصار يُقال له ثَعلبة بن غَنَمة ،(١) قال له : هل تجدون محمداً عندكم ؟ قال : لا ! = قال : مُحمد : « البينات » .(٢)

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ ﴾

[قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بقوله : « من بعد ما بيناه للناس »] ،(٣) بعضَ الناس ، لأن العلم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ومَبعثه لم يكن إلاّ عند أهل الكتاب دون غيرهم ، وإياهم عَنى تعالى ذكره بقوله : « للناس في الكتاب » ، ويعني بذلك : التوراة والإنجيل .

* * *

وهذه الآية وإن كانت نَزلت في خاصٍّ من الناس ، فإنها معنيٌّ بها كل كاتمٍ علماً فرضَ الله تعالى بيانه للناس . وذلك نظير الخبر الذى رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

---

(١) في سيرة ابن هشام ، وغيرها بالغين المعجمة غير مضبوط باللفظ ، ولكن ابن حجر ضبطه في الإصابة ، وقال : « بفتح المهملة والنون » ، ولم يذكر شكاً ولا اختلافاً في ضبطه بالغين المعجمة .

(٢) قوله : « قال : محمد البينات » من تفسير السدى ، ليس من الخطاب بين ثعلبة بن غنمة واليهودى . ويعني أن البينات التي يكتمونها هي محمد صلى الله عليه وسلم ، أي صفته ونعته في كتابهم .

(٣) الزيادة بين القوسين لابد منها ، وقد استظهرتها من نهج أبي جعفر في جميع تفسيره . وهذا سقط من الناسخ بلا ريب .

٢/٣٣ ٢٣٧٥ – من سُئل عن علم يعلمهُ فكتمه، ألجِمَ يوم القيامة بلجام من نار . (١)

* * *

وكان أبو هريرة يقول ما : –

٢٣٧٦ – حدثنا به نصر بن علي الجهضمي قال ، حدثنا حاتم بن وردان قال ، حدثنا أيوب السختياني ، عن أبي هريرة قال : لولا آيةٌ من كتاب الله ما حدَّثتكم ! وتلا : « إنَّ الذين يكتمونَ ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيَّناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم اللهُ ويلعنهم اللاعنون » . (٢)

٢٣٧٧ – حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ، حدثنا أبو زرعة وَهْب الله بن راشد ، عن يونس قال، قال ابن شهاب ، قال ابن المسيب : قال أبو هريرة : لولا آيتان أنزلهما الله في كتابه ما حدَّثت شيئاً : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ ﴾ إلى آخر الآية، والآية الأخرى : ﴿ وإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ ﴾ إلى آخر الآية [سورة آل عمران : ١٧٨]. (٣)

* * *

---

(١) الحديث : ٢٣٧٥ – هذا حديث صحيح . ذكره الطبري هنا معلقاً دون إسناد . وقد رواه أحمد في المسند : ٧٥٦١ ، من حديث أبي هريرة . وخرجناه في شرح المسند ، وفي صحيح ابن حبان بتحقيقنا ، رقم : ٩٥ .

(٢) الحديث : ٢٣٧٦ – نصر بن علي بن نصر بن علي الجهضمي : ثقة ، من شيوخ أصحاب الكتب الستة . مترجم في التهذيب ، والكبير ٤/٢/١٠٦ ، وابن أبي حاتم ٤/١/٤٧١ .

حاتم بن وردان السعدي : ثقة ، روى له الشيخان . مترجم في التهذيب ، والكبير ٢/١/٧٢ ، وابن أبي حاتم ١/٢/٢٦٠ .

أيوب السختياني : مضى في : ٢٠٣٩ . ولكن روايته هنا عن أبي هريرة منقطعة ، فإنه ولد سنة ٦٦ ، وأبو هريرة مات سنة ٥٩ أو نحوها . ومعنى الحديث صحيح ثابت عن أبي هريرة ، بروايات أخر متصلة ، كما سنذكر في الحديث بعده .

(٣) الحديث : ٢٣٧٧ – محمد بن عبد الله بن عبد الحكم : الإمام الحافظ المصري ، فقيه عصره ، قال ابن خزيمة : « ما رأيت في فقهاء الإسلام أعرف بأقاويل الصحابة والتابعين – منه» . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٣/٢/٣٠٠ – ٣٠١ ، وتذكرة الحفاظ ٢ : ١١٥ – ١١٦ .

القول فى تأويل قوله ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ (١٥٩)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « أولئك يلعنهم الله » ، هؤلاء الذين يكتمون ما أنزلهُ الله من أمر محمد صلى الله عليه وسلم وصفتَه وأمر دينه ، أنه

أبو زرعة وهب الله بن راشد المصرى ، مؤذن الفسطاط : ثقة ، قال أبو حاتم : « محله الصدق» . ترجمه ابن أبى حاتم ٤/٢/٢٧ ، وقال : « روى عنه عبد الرحمن ، ومحمد ، وسعد ، بنو عبد الله بن عبد الحكم » . وترجم أيضاً فى لسان الميزان ٦ : ٢٣٥ ، ونقل عن ابن يونس ، أنه مات فى ربيع الأول سنة ٢١١ « وكانت القضاة تقبله » ، وروى عنه عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم . فى فتوح مصر مراراً ، منها فى ص : ١٨٢ س ٣ — ٤ : « حدثنا وهب الله بن راشد ، أخبرنا يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب . . . » . وهذا الإسناد ثابت فى تاريخ ولاة مصر للكندى ، ص ٣٣ ، عن على بن قديد ، عن عبد الرحمن : « حدثنا أبو زرعة وهب الله بن راشد » . وذكره الدولابى فى الكنى والأسماء ١ : ١٨٢ ، وروى : « حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، والربيع بن سليمان الجيزى ، قالا : حدثنا أبو زرعة وهب الله بن راشد ، إلخ » . ورواية الربيع الجيزى عنه ، ثابتة فى كتاب الولاة ، ص ٣١٣ ، أيضاً .

وهذا الاسم « وهب الله » : من نادر الأسماء ، لم أره — فيما رأيت — إلا لهذا الشيخ ، ولم يذكره أصحاب المشتبه ، بل لم يذكره الزبيدى فى شرح القاموس ، على سعة اطلاعه . واشتبه أمره على ناسخى الطبرى أو طابعيه ، فثبت فى المطبوعة هكذا : « ثنا أبو زرعة وعبد الله بن راشد » ؛ فحرفوا « وهب الله » إلى « وعبد الله » — فجعلوه راويين !

يونس : هو ابن يزيد الأيلى ، وهو ثقة ، عرف بالراوية عن الزهرى وملازمته . قال أحمد بن صالح : « نحن لا نقدم فى الزهرى أحداً على يونس » ، وقال : « كان الزهرى إذا قدم أيلة نزل على يونس ، وإذا سار إلى المدينة زامله يونس» . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/٢/٤٠٦ ، وابن أبى حاتم ٤/٢/٢٤٧ — ٢٤٩ ، وابن سعد ٧/٢/٢٠٦ .

وهذا الحديث جزء من حديث مطول ، رواه مسلم ٢ : ٢٦١ — ٢٦٢ ، من طريق ابن وهب ، عن يونس ، عن ابن شهاب — فذكر حديثاً عن عائشة — ثم : « قال ابن شهاب : وقال ابن المسيب : إن أبا هريرة قال . . . » .

ورواه عبد الرزاق فى تفسيره ، ص ١٤ — ١٥ ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة ، بنحوه مطولا . ورواه أحمد فى المسند : ٧٦٩١ ، عن عبد الرزاق .

ورواه البخارى ٥ : ٢١ (فتح) ، بنحوه ، من رواية إبرهيم بن سعد ، عن الزهرى ، عن الأعرج . ورواه البخارى أيضاً ١ : ١٩٠ — ١٩١ (فتح) من رواية مالك ، عن الزهرى ، عن الأعرج وكذلك رواه ابن سعد ٢/٢/١١٨ ، وأحمد فى المسند : ٧٢٧٤ — كلاهما من طريق مالك .

وروى الحاكم فى المستدرك ٢ : ٢٧١ ، نحوه مختصراً ، من طريق أبى أسامة ، عن طلحة بن عمرو ، عن عطاء بن أبى رباح ، عن أبى هريرة ، وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبى .

الحق — من بعد ما بيّنه الله لهم فى كتبهم — يلعنهم بكتمانهم ذلك ، وتركهم تبيينه للناس .

* * *

و « اللعنة » « الفَعْلة » ، من « لعنه الله » بمعنى أقصاه وأبعده وأسحقه . وأصل « اللعن » : الطرْد ،[1] كما قال الشماخ بن ضرار ، وذكر ماءً ورَد عليه :

ذَعَرْتُ بِهِ القَطَا وَنَفَيْتُ عَنْهُ مَقَامَ الذِّئْبِ كَالرَّجُلِ اللَّعِينِ[2]

يعنى : مقامَ الذئب الطريد . و « اللعين » من نعت « الذئب » ، وإنما أراد : مقام الذئب الطريد اللعين كالرَّجل .[3]

* * *

فمعنى الآية إذاً : أولئك يُبعدهم الله منه ومن رحمته ، ويسألُ ربَّهم اللاعنون أنْ يلعنهم ، لأن لعنةَ بنى آدم وسائر خلق الله ما لَعنوا أن يقولوا : « اللهم العنه » إذْ كان معنى « اللعن » هو ما وصفنا من الإقصاء والإبعاد .

وإنما قلنا : إن لعنة اللاعنين هى ما وصفنا : من مسألتهم ربَّهم أن يلعنهم ، وقولهم : « لعنه الله » أو « عليه لعنة الله » ، لأن : —

٢٣٧٨ — محمد بن خالد بن خِداش ويعقوب بن إبراهيم حدثانى قالا ، حدثنا إسمعيل بن علية ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون » ، البهائم ، قال : إذا أسنَتَتِ السَّنة ،[4] قالت البهائم : هذا من أجل عُصاة بنى آدم ، لعنَ الله عُصاة بنى آدم !

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فيمن عنى الله تعالى ذكره بـ « اللاعنين » . فقال بعضهم : عنى بذلك دوابَّ الأرض وهوامَّها .

---

(١) انظر ما سلف ٢ : ٣٢٨ .

(٢) سلف تخريجه وشرحه فى ٢ : ٣٢٨ . وفى التعليق هناك خطأ صوابه « مجاز القرآن : ٤٦ » .

(٣) كان فى المطبوعة : « الطريد واللعين » ، والصواب طرح الواو .

(٤) أسنتت الأرض والسنة : أجدبت ، وعام مسنت مجدب . والسنة : القحط والجدب . وكان فى المطبوعة : « أسنت » ، والصواب ما أثبت . وفى الدر المنثور ١ : ١٦٢ : « إذا اشتدت السنة » .

• ذكر من قال ذلك :

٢٣٧٩ – حدثنا محمد بن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد قال : تلعنهم دوابُّ الأرض ، وما شاءَ الله من الخنافس والعقارب تقول : نُمْنَعَ القطرَ بذنوبهم .

٢٣٨٠ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد: « أولئك يَلعنهم الله ويَلعنهم اللاعنون » ، قال : دواب الأرض ، العقاربُ والخنافس ، يقولون : مُنِعنا القطرَ بخطايا بنى آدم .

٢٣٨١ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد : « ويلعنهم اللاعنون » ، قال : تلعنهم الهوامّ ودواب الأرض ، تقول : أمسك القطرُ عنا بخطايا بنى آدم .

٢٣٨٢ – حدثنا مُشرف بن أبان الخطاب البغدادى قال ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن عكرمة فى قوله : « أولئك يَلعنهم اللهُ ويَلعنهم اللاعنون » ، قال : يلعنهم كل شىء حتى الخنافس والعقاربُ ، يقولون : مُنعنا القطرَ بذنوب بنى آدم .(١)

٢٣٨٣ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ويلعنهم اللاعنون » ، قال : اللاعنون : البهائم .

٢٣٨٣ م – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد فى قوله: « ويلعنهم اللاعنون» ، البهائمُ ، تلعن عُصاةَ بنى آدم حين أمسك الله عنهم بذنوب بنى آدم المطر ، فتخرج البهائم فتلعنهم .

٢٣٨٤ – حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا بن وهب قال ، أخبرنى مسلم بن خالد ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « أولئك يَلعنهم الله

---

(١) الخبر : ٢٣٨٢ – مشرف بن أبان الخطاب البغدادى : ثبت هنا على الصواب ، كما ظهر فى : ١٩٥١ . وقد مضى قبل ذلك مغلوطاً « بشر بن أبان » : ١٣٨٣ .

وَيلعنهم اللاعنون » ، البهائم : الإبل والبقرُ والغنم ، فتلعن عُصاةَ بنى آدم إذا أجدبت الأرض .

* * *

فإن قال لنا قائل: وَما وَجهُ الذين وجَّهوا تأويلَ قوله : « ويلعنهم اللاعنون» ، إلى أن اللاعنين هم الخنافسُ والعقارب ونحوَ ذلك من هَوامِّ الأرض، وقد علمتَ أنها إذا جمعتْ مَا كان من نوع البهائم وغير بنى آدم ،[1] فإنما تجمعه بغير « الياء والنون » وغير « الواو والنون » ، وإنما تجمعه بـ « التاء » وما خالفَ ما ذكرنا ، فتقول : « اللاعنات » ونحو ذلك ؟

قيل : الأمر وإن كان كذلك ، فإنّ من شأن العرَب إذا وصفت شيئاً من البهائم أو غيرها — مما حُكمْ جمعه أن يكون بـ « التاء » وبغير صورة جمع ذُكْرَانِ بنى آدم — بما هُو منْ صفة الآدميين ، أن يجمعوه جمع ذكورهم ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ وقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ﴾ [سورة فصلت : ٢١] ، فأخرج خطابهم على مثال خطاب بنى آدم، إذ كلَّمتهم وكلَّموها، وكما قال :﴿ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾ [سورة النمل: ١٨]، وكما قال: ﴿ والشَّمْسَ والقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ [سورة يوسف : ٤] . ٣٤/٢

* * *

وقال آخرون : عنى الله تعالى ذكره بقوله : « وَيلعنهم اللاعنون » ، الملائكة والمؤمنين .

* ذكر من قال ذلك :

٢٣٨٥ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وَيلعنهم اللاعنون » ، قال ، يَقول : اللاعنون من ملائكة الله ومن المؤمنين .[2]

---

(١) الضمير فى قوله : « أنها إذا جمعت » ، للعرب ، وإن لم يجر لها ذكر فى الكلام .

(٢) فى المطبوعة : « يزيد بن زريع عن قتادة » بإسقاط «قال حدثنا سعيد » ، والصواب ما أثبته ، وهو إسناد دائر فى التفسير أقربه رقم : ٢٣٧٤ .

٢٣٨٦ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : «ويلعنهم اللاعنون» ، الملائكة .

٢٣٨٧ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس قال : «اللاعنون» ، من ملائكة الله والمؤمنين .

* * *

وقال آخرون : يعنى بـ «اللاعنين» ، كل ما عدا بنى آدم والجنّ .

* ذكر من قال ذلك :

٢٣٨٨ – حدثنى موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ، عن السدى: «ويلعنهم اللاعنون»، قال : قال البراء من عازب : إنّ الكافر إذا وُضع فى قبره أتته دابة كأن عينيها قِدْران من نُحاس، معها عمود من حديد ، فتضربه ضربة بين كتفيه ، فيصيح ، فلا يسمع أحد صوته إلاّ لعنه ، ولا يبقى شىء إلاّ سمع صوته ، إلا الثقلين الجن والإنس .

٢٣٨٩ – حدثنا المثنى قال ،حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله : «أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون» ، قال : الكافر إذا وضع فى حفرته، ضُرب ضربة بمطرق[1]، فيصيح صيحةً، يسمع صَوْته كل شىء إلا الثقلين الجن والإنس ، فلا يسمع صيحته شىء إلاّ لعنه .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال : «اللاعنون»، الملائكةُ والمؤمنون. لأن الله تعالى ذكره قد وصف الكفار بأن اللعنة التى تحلّ بهم إنما هى من الله والملائكة والناس أجمعين ،فقال تعالى ذكره : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ،[2] فكذلك

(١) المطرق والمطرقة : وهى أداة الحداد التى يضرب بها الحديد .

(٢) هى الآية رقم : ١٦١ ، تأتى بعد قليل .

اللعنة التي أخبر الله تعالى ذكره أنها حالّة بالفريق الآخر : الذين يكتمونَ ما أنزل الله من البينات والهدى من بعدما بينه للناس ، [١] هي لعنة الله ، ولعنة الذين أخبر أن لعنتهم حالّة بالذين كفروا وماتوا وهم كفار ، [٢] وهم «اللاعنون» ، لأن الفريقين جميعاً أهلُ كفر .

* * *

وأما قول من قال إن « اللاعنين » هم الخنافس والعقارب وما أشبه ذلك من دبيب الأرض وَهوامِّها ، [٣] فإنه قول لا تدركُ حقيقته إلا بخبر عن الله أن ذلك من فعلها تَقوم به الحجة . ولا خبرَ بذلك عن نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فيجوز أن يقال إنّ ذلك كذلك .

وإذْ كان ذلك كذلك ، فالصواب من القول فيما قالوه أن يقال : إن الدليل من ظاهر كتاب الله موجودٌ بخلاف [قول] أهل التأويل ، [٤] وهو ما وصفنا . فإنْ كان جائزاً أن تكون البهائم وسائرُ خلق الله ، تَلعن الذين يَكتمون ما أنزل الله في كتابه من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ونبوّته ، بعد علمهم به ، وتلعن معهم جميع الظَّلمة — فغير جائز قطعُ الشهادة في أن الله عنى بـ « اللاعنين » البهائمَ والهوامَّ وَدبيب الأرض ، إلا بخبر للعذر قاطع . ولا خبرَ بذلك ، وظاهر كتاب الله الذي ذكرناه دالٌّ على خلافه . [٥]

* * *

(١) في المطبوعة : « من بعد ما بيناه للناس » ، وهو سهو ناسخ .

(٢) في المطبوعة : « هي لعنة الله التي أخبر أن لعنتهم حالة . . . » ، والصواب ما أثبت .

(٣) كل ماش على وجه الأرض يقال له : دابة ودبيب .

(٤) ما بين القوسين زيادة ، أخشى أن تكون سقطت من ناسخ .

(٥) في المطبوعة : « وكتاب الله الذي ذكرناه » ، وهو كلام لا يقال . والصواب ما أثبت . والذي ذكره آنفاً : « إن الدليل من ظاهر كتاب الله . . . »

هذا ، ورد قول هؤلاء القائلين بما قالوه ، مبين لك عن نهج الطبري وتفسيره ، وكاشف لك عن طريقته في رد الأخبار التي رواها عن التابعين ، في كل ما يحتاج إلى خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاطع بالبيان عما ذكروه . والطبري قد يذكر مثل هذه الأخبار ، ثم لا يذكر حجته في ردها ، لأنه كره إعادة القول وتريده فيما جعله أصلا في التفسير ، كما بين ذلك في « رسالة التفسير » ، ثم في تفسيره بعد ، ورد أشباهه في مواضع متفرقة منه . أما إذا كان في شيء من ذلك خبر قاطع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه لا يدع ذكره ، فإذ لم يذكر — فيما أشبه ذلك — خبراً عن رسول الله ، فاعلم أنه يدع لقارىء كتابه علم الوجه الذي يرد به هذا القول .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (١٦٠)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : أن الله واللاعنين يلعنون الكاتمين الناس ما علموا من أمر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ونعته فى الكتاب الذى أنزله الله وبيّنه للناس، إلا من أناب من كتمانه ذلك منهم ؛ وراجع التوبة بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم،والإقرار به وبنبوّته وتصديقه فيما جاء به من عند الله، وبيان ما أنزل الله فى كتبه التى أنزل إلى أنبيائه ، من الأمر باتباعه ؛ وأصلح حال نفسه بالتقرب إلى الله من صالح الأعمال بما يُرضيه عنه ؛ وبيّن الذى علم من وحى الله الذى أنزله إلى أنبيائه وعهد إليهم فى كتبه فلم يكتمه،وأظهره فلم يُخفِه = « فأولئك » ، يعنى : هؤلاء الذين فعلوا هذا الذى وصفت منهم ، هم الذين أتوب عليهم ، فأجعلهم من أهل الإياب إلى طاعتى ، والإنابة إلى مرضاتى .

ثم قال تعالى ذكره : « وأنا التواب الرحيم » ، يقول : وأنا الذى أرجع بقلوب عبيدى المنصرفة عنى إلىّ ، والرادُّها بعد إدبارها عن طاعتى إلى طلب محبتى ، والرحيم بالمقبلين بعد إقبالهم إلىّ ، أتغمدهم منى بعفو ، وأصفح عن عظيم ما كانوا اجترموا فيما بينى وبينهم ، بفضل رحمتى لهم .

* * *

فإن قال قائل : وكيف يُتاب على من تاب ؟ وما وجه قوله : « إلا الذين تابوا فأولئك أتوب عليهم » ؟ وهل يكون تائبٌ إلا وهو متُوب عليه ، أو متوب عليه إلا وهو تائب ؟

قيل : ذلك مما لا يكون أحدُهما إلا والآخر معه ، فسواء قيل : إلا الذين تيبَ عليهم فتابوا — أو قيل : إلا الذين تابوا فإنى أتوب عليهم . وقد بيّنا وجه ذلك

٢/٣٥ فيما جاء من الكلام هذا المجيء ، فى نظيره فيما مضى من كتابنا هذا ، فكرهنا إعادته فى هذا الموضع .(١)

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٣٩٠ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة فى قوله : « إلاّ الذين تابوا وأصلحوا وَبيّنوا » ، يقول : أصلحوا فيما بينهم وبين الله ، وبيّنوا الذى جاءهم من الله فلم يكتموه ولم يجحدوا به ، أولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم .

٢٣٩١ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « إلاّ الذين تابوا وأصلحوا وَبينوا » ، قال : بيّنوا ما فى كتاب الله للمؤمنين ، وما سألوهم عنه من أمر النبى صلى الله عليه وسلم . وهذا كله فى يهود .

* * *

قال أبو جعفر : وقد زعم بعضهم أن معنى قوله : « وبيّنوا » ، إنما هو : وبينوا التوبة بإخلاص العمل . ودليل ظاهر الكتاب والتنزيل بخلافه . لأن القوم إنما عوتبوا قبل هذه الآية ،(٢) على كتمانهم ما أنزلَ الله تعالى ذكره وبينه فى كتابه ، فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم ودينه ، ثم استثنى منهم تعالى ذكره الذين يبينون أمرَ محمد صلى الله عليه وسلم ودينه ، فيتوبون مما كانوا عليه من الجحود والكتمان ، فأخرجهم من عِداد مَنْ يَلعنه الله ويَلعنه اللاعنون(٣) = ولم يكن العتاب على تركهم تبيين التوبة بإخلاص العمل .

والذين استثنى اللهُ من الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى من بعد

---

(١) انظر ما سلف ٢ : ٥٤٩ .

(٢) فى المطبوعة : « فى مثل هذه الآية » ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبت .

(٣) فى المطبوعة : « فأخرجهم من عذاب من يلعنه الله » ، وهو تصحيف ، صوابه ما أثبت .

ما بيَّنه للناس فى الكتاب، [١] عبدُ الله بن سلام وَذووه من أهل الكتاب، [٢] الذين أسلموا فحسن إسلامهم، واتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (١٦١)

قال أبو جعفر: يعنى تعالى ذكره بقوله: «إنّ الذين كفروا»، إن الذين جَحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وكذبوا به = من اليهود والنصارى وسائر أهل الملل، والمشركين من عَبدة الأوثان = «وماتوا وهم كفار»، يعنى: وماتوا وهم على جُحودهم ذلك وتكذيبهم محمداً صلى الله عليه وسلم، «أولئك عَليهم لَعنةُ الله والملائكة»، يعنى: فأولئك الذين كفروا وماتوا وهم كفار عليهم لعنة الله، يقول: أبعدهم الله وأسحقهم من رحمته، «والملائكة»، يعنى: وَلعنهم الملائكةُ والناس أجمعون. ولعنة الملائكة والناس إياهم قولهم: «عليهم لعنة الله».

* * *

وقد بينا معنى «اللعنة» فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته. [٣]

* * *

فإن قال قائل: وكيف تَكُون على الذى يموت كافراً بمحمد صلى الله عليه وسلم [لعنةُ الناس أجمعين] من أصناف الأمم، [٤] وأكثرهم ممن لا يؤمن به ويصدقه؟

---

(١) فى المطبوعة: «من بعد ما بيناه للناس»، وهو خطأ وسهو.

(٢) قوله: «وذووه»، أى أصحابه وأهل ملته، بإضافة «ذو» إلى الضمير، وللنحاة فيه قول كثير، وزعموا أن ذلك يكون فى ضرورة الشعر، وليس كذلك، بل هو آت فى النثر قديماً، بمثل ما استعمله الطبرى.

(٣) انظر ما سلف فى هذا الجزء ٣: ٢٥٤، والتعليق: ١، ومراجعه.

(٤) الزيادة التى بين القوسين لا بد منها، وإلا اختل الكلام والسؤال، ولم يكن لها معنى محدود مفهوم، واستظهرت الزيادة من جواب هذا السؤال.

قيل : إن معنى ذلك على خلاف ما ذهبتَ إليه . وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك . فقال بعضهم : عنى الله بقوله : « والناس أجمعين »، أهلَ الإيمان به وبرسوله خاصة ، دون سائر البشر .

* ذكر من قال ذلك :

٢٣٩٢ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « والناس أجمعين » ، يعني : بـ « الناس أجمعين »، المؤمنين .

٢٣٩٣ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « والناس أجمعين » ، يعني بـ « الناس أجمعين » ، المؤمنين .

* * *

وقال آخرون : بل ذلك يومَ القيامة ، يُوقَفُ على رؤوس الأشهاد الكافرُ فيلعنه الناس كلهم .

* ذكر من قال ذلك :

٢٣٩٤ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبي العالية : إن الكافر يُوقَف يوم القيامة فيلعنه الله ، ثم تلعنه الملائكة ، ثم يلعنه الناس أجمعون .

* * *

وقال آخرون : بل ذلك قول القائل كائناً من كان : « لعنَ الله الظالم » ، فيلحق ذلك كل كافر ، لأنه من الظَّلمة .

* ذكر من قال ذلك :

٢٣٩٥ – حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قوله : « أولئك عليهم لَعنة الله والملائكة والناس أجمعين »، فإنه لا يتلاعن اثنان مُؤمنان ولا كافران فيقول أحدهما : « لعن الله الظالم »، إلاّ وجبت تلك اللعنة على الكافر ، لأنه ظالم ، فكل أحد من الخلق يلعنه .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب عندنا قولُ من قال : عنى الله بذلك جميعَ الناس ، بمعنى لعنهم إياهم بقولهم : « لعن الله الظالم – أو الظالمين » . فإنّ كلّ أحد من بنى آدم لا يمتنع من قيل ذلك كائناً من كان،[1] ومن أى أهل ملة كان ، فيدخل بذلك فى لعنته كلّ كافرٍ كائناً من كان . وذلك بمعنى ما قاله أبو العالية . لأن الله تعالى ذكره أخبر عمن شهدهم يوم القيامة أنهم يلعنونهم فقال : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [سورة هود : ١٨]

وأما ما قاله قتادة ، من أنه عنى به بعضَ الناس ، فقولٌ ظاهرُ التنزيل بخلافه ، ولا برهان على حقيقته من خبر ولا نظر . فإن كان ظن أن المعنىّ به المؤمنون ، من أجل أن الكفار لا يلعنون أنفسهم ولا أولياءهم ، فإن الله تعالى ذكره قد أخبر أنهم يلعنونهم فى الآخرة . ومعلومٌ منهم أنهم يلعنون الظّلمة ، وداخلٌ ٣٦/٢ فى الظّلمة كل كافر ، بظلمه نفسه ، وجحوده نعمةَ ربه ، ومخالفته أمرَه

* * *

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَهُمْ يُنْظَرُونَ﴾ (١٦٢)

* * *

قال أبو جعفر : إن قال لنا قائل : ما الذى نصب « خالدين فيها » ؟

قيل : نُصب على الحال من « الهاء والميم » اللتين فى « عليهم » . وذلك أنّ معنى قوله : « أولئك عليهم لعنة الله » : أولئك يلعنهم الله والملائكةُ والناس أجمعون خالدين فيها . ولذلك قرأ ذلك : « أولئك عليهم لعنة الله والملائكةُ والناس أجمعون »

(١) فى المطبوعة « لا يمنع من قيل ذلك » ، والصواب ما أثبت .

مَنْ قرأَهُ كذلك ، (١) توجيهاً منه إلى المعنى الذى وصفتُ . وذلك وإن كان جائزاً فى العربية ، فغيرُ جائزةٍ القراءةُ به ، لأنه خلافٌ لمصاحف المسلمين ، وما جاء به المسلمون من القراءة مستفيضاً فيهم . فغير جائز الاعتراضُ بالشاذّ من القول ، على ما قد ثبتت حُجته بالنقل المستفيض .

* * *

وأما « الهاء والألف » اللتان فى قوله : « فيها » ، فإنهما عائدتان على « اللعنة » ، والمرادُ بالكلام : ما صار إليه الكافر باللعنة من الله ومن ملائكته ومن الناس . والذى صار إليه بها ، نارُ جهنم . وأجرى الكلام على « اللعنة » ، والمراد بها ما صار إليه الكافر ، كما قد بينا من نظائر ذلك فيما مضى قبل ، كما : —

٢٣٩٦ — حدثت عن عمار قال : حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبى العالية « خالدين فيها » ، يقول : خالدين فى جهنم ، فى اللعنة .

* * *

وأما قوله : « لا يخفّف عنهم العذاب » ، فإنه خبرٌ من الله تعالى ذكره عن دوام العذاب أبداً من غير توقيت ولا تخفيف ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لاَ يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا ﴾ [سورة فاطر : ٣٦] ، وكما قال : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا ﴾ [سورة النساء : ٥٦]

* * *

وأما قوله : « ولا هم يُنظرون » ، فإنه يعنى : ولا هُم يُنظرون بمعذرة يعتذرون ، كما : —

٢٣٩٧ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبى العالية : « ولا هم ينظرون » ، يقول : لا يُنظرون فيعتذرون ،

(١) فى المطبوعة : « والناس أجمين » ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبت ، برفع « الملائكة والناس أجمعون » ، وهى قراءة الحسن . وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٩٦ — ٩٧ ، وتفسير هذه الآية فى سائر كتب التفسير .

كقوله : ﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ .

[المرسلات : ٣٥ – ٣٦ سورة]

* * *

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ (١٦٣)

قال أبو جعفر : قد بينا فيما مضى معنى « الألوهية »، وأنها اعتباد الخلق.[١]

فمعنى قوله : « وإلهكم إلهٌ واحدٌ لا إلهَ إلا هو الرحمن الرحيم » : والذى يستحق عليكم أيها الناس الطاعةَ له ، ويستوجب منكم العبادة ، معبودٌ واحدٌ وربٌّ واحد ، فلا تعبدوا غيرَه ، ولا تشركوا معه سواه ، فإنّ من تُشركونه معه فى عبادتكم إياه ، هو خلقٌ من خلق إلهكم مثلكم ، وإلهكم إله واحد، لا مثلَ لهُ ولا نظير .

* * *

واختُلِف فى معنى وَحدانيته تعالى ذكره .

فقال بعضهم : معنى وحدانية الله ، معنى نَفى الأشباه والأمثال عنه ، كما يقال : « فلان واحدُ الناس – وهو واحد قومه » ، يعنى بذلك أنه ليسَ له فى الناس مثل ، ولا له فى قومه شبيه ولا نظيرٌ . فكذلك معنى قول « اللهُ واحد » ، يعنى به : الله لا مثل له ولا نظير .

فزعموا أن الذى دلّهم على صحة تأويلهم ذلك، أنّ قول القائل: « واحد » يفهم لمعان أربعة . أحدها : أن تكون « واحداً » من جنس، كالإنسان « الواحد » من الإنس . والآخر: أن يكون غيرَ متفرّق، كالجزء الذى لا ينقسم .[٢] والثالث :

---

(١) انظر ما سلف ١ : ١٢٢ – ١٢٦ .

(٢) فى المطبوعة : « غير متصرف » ، وهو تصحيف ، والصواب ما أثبت .

أن يكون معنيًّا به : المِثلُ والاتفاق، كقول القائل : « هذان الشيآن واحد » ، يراد بذلك : أنهما متشابهان ، حتى صارا لاشتباههما فى المعانى كالشىء الواحد .

والرابع : أن يكون مرادًا به نفى النظير عنه والشبيه .

قالوا : فلما كانت المعانى الثلاثةُ من معانى « الواحد » منتفيةً عنه ، صح المعنى الرابع الذى وَصَفناه .

* * *

وقال آخرون: معنى « وحدانيته » تعالى ذكره، معنى انفراده من الأشياء ، وانفرادالأشياء منه . قالوا : وإنما كان متفرداً وحده ، لأنه غير داخل فى شىء ولا داخلٌ فيه شىء . قالوا : ولا صحة لقول القائل : « واحد »، من جميع الأشياء إلا ذلك . وأنكر قائلو هذه المقالة المعانى الأربعةَ التى قالها الآخرون .

* * *

وأما قوله : « لا إله إلا هو » ، فإنه خبرٌ منه تعالى ذكره أنه لا رب للعالمين غيرُه ،ولا يستوجبُ على العبادِ العبادةَ سواه ،وأنَّ كلَّ ماسواه فهُم خَلقه ،والواجبُ على جميعهم طاعته والانقيادُ لأمره ، وتركُ عبادة ما سواه من الأنداد والآلهة ، وهجْر الأوثان والأصنام . لأنَّ جميع ذلك خلقُه ، وعلى جميعهم الدينونة له بالوحدانية والألوهة ، ولا تَنبغى الألوهة إلاَّ له ، إذ كان ما بهم من نعمة فى الدنيا فمنه ، دون ما يعبدونه من الأوثان ويشركون معه من الأشراك ؛[1] وما يصيرون إليه من نعمة فى الآخرة فمنه ، وأن ما أشركوا معه من الأشراك لا يضر ولا ينفعُ فى عاجل ولا فى آجل ، ولا فى دنيا ولا فى آخرة .

وهذا تنبيه من الله تعالى ذكره أهلَ الشرك به على ضلالهم ، ودعاءٌ منه لهم إلى الأوبة من كفرهم ، والإنابة من شركهم .

---

(١) الأشراك جمع شريك ، كما يقال : شريف وأشراف ، ونصير وأنصار . ويجمع أيضاً على « شركاء » .

ثم عرّفهم تعالى ذكره بالآية التى تتلوها ، موضعَ استدلال ذوى الألباب منهم على حقيقة ما نبّههم عليه من توحيده وحُججه الواضحة القاطعة عُذرَهم ، فقال ٢/٣٧
تعالى ذكره : أيها المشركون ، إن جهلتم أو شككتم فى حقيقة ما أخبرتكم من الخبر : من أنّ إلهكم إله واحد ، دونَ ما تدّعون ألوهيته من الأنداد والأوثان ، فتدبروا حُججى وفكروا فيها ، فإن من حُججى خَلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، والفلكُ التى تجرى فى البحر بما يَنفعُ الناس ، وما أنزلت من السماء من ماء فأحييت به الأرض بعد موتها ، وما بثثتُ فيها من كل دابة ، والسحاب الذى سخرته بين السماء والأرض . فإن كان ما تعبدونه من الأوثان والآلهة والأنداد وسائر ما تشركون به ، إذا اجتمع جميعه فتظاهرَ أو انفرد بعضُه دون بعض ، يقدر على أن يخلق نظيرَ شىء من خَلقى الذى سميتُ لكم ، فلكم بعبادتكم ما تعبدون من دونى حينئذ عذرٌ ، وإلاّ فلا عُذر لكم فى اتخاذ إله سواى ، ولا إله لكم ولما تعبدون غيرى .

فليتدبر أولو الألباب إيجازَ الله احتجاجَه على جميع أهل الكفر به والملحدين فى توحيده ، فى هذه الآية وفى التى بعدها ، بأوْجز كلام ، وأبلغ حجة ، وألطف معنى يشرف بهم على معرفة فضْل حكمة الله وبيانه .

* * *

القول فى المعنى الذى من أجله أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم قوله: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ الآية

* * *

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله أنزل الله تعالى ذكره هذه الآية على نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم .

* * *

فقال بعضهم : أنزلها عليه احتجاجاً له على أهل الشرك به من عبدة الأوثان . وذلك أن الله تعالى ذكره لما أنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « وإلهكم إله واحد لا إله إلاّ هُو الرحمنُ الرحيم » فتلا ذلك عَلى أصحابه ، وسمع به المشركون مِنْ عبدة الأوثان ، قال المشركون : وما الحجة والبرهان على أنّ ذلك كذلك ؟ ونحن نُنكر ذلك ، ونحن نزعم أنّ لنا آلهة كثيرة ؟ فأنزل الله عند ذلك : « إن فى خَلق السموات والأرض » ، احتجاجاً لنبيه صلى الله عليه وسلم على الذين قالوا مَا ذَكرنَا عَنهم .

* ذكر من قال ذلك :

٢٣٩٨ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن عطاء قال : نزل على النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة : « وإلهكم إله واحدٌ لا إله إلاّ هو الرحمن الرحيم » ، فقال كفار قريش بمكة : كيف يَسعُ الناسَ إله واحد ؟ فأنزل الله تعالى ذكره : « إنّ فى خَلق السموَات والأرْض واختلاف الليل والنهار » ، إلى قوله : « لآياتٍ لقوم يَعقلون » ، فبهذا تعلمونَ أنه إله واحدٌ ، وأنه إله كل شىء ، وخالق كل شىء .

* * *

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية على النبى صلى الله عليه وسلم ، من أجل أنّ أهلَ الشرك سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم [آية] ،(١) فأنزل الله هذه الآية ، يعلمهم فيها أنّ لهم فى خَلق السموات والأرض وسائر ما ذكر مع ذلك ، آيةً بينةً على وحدانية الله ، وأنه لا شريك له فى ملكه ، لمن عَقل وتدبّر ذلك بفهم صحيح .

* ذكر من قال ذلك :

٢٣٩٩ ــ حدثنا سفيان بن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن أبيه ،

---

(١) الزيادة بين القوسين لا يتم الكلام إلا بها ، ويدل عليها ما سيأتى فى الآثار بعد .

عن أبي الضحى قال : لما نزلت « وإلهكم إلهٌ واحدٌ لا إله إلا هو الرحمن الرحيم » ، قال المشركون : إن كان هذا هكذا فليأتنا بآية ! فأنزل الله تعالى ذكره : « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار »، الآية

٢٤٠٠ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق بن الحجاج قال حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، قال حدثني سعيد بن مسروق ، عن أبي الضحى قال : لما نزلت : « وإلهكم إله واحدٌ لا إله إلا هو الرحمن الرحيم »، قال المشركون : إن كان هذا هكذا فليأتنا بآية ، فأنزل الله تعالى ذكره : « إنّ في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار »، الآية .

٢٤٠١ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق بن الحجاج قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، قال ، حدثني سعيد بن مسروق ، عن أبي الضحى قال : لما نزلت هذه الآية ، جعل المشركون يعجبون ويقولون : تقول إلهكم إله واحدٌ ! فلتأتنا بآية إن كنتَ من الصادقين ! فأنزل الله : « إنّ في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار »، الآية .

٢٤٠٢ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا الحجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء بن أبي رباح أن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : أرِنا آية ! فنزلت هذه الآية : « إنّ في خلق السموات والأرض » .

٢٤٠٣ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يعقوب القمي، عن جعفر، عن سعيد قال: سألت قريش اليهودَ فقالوا : حدثونا عما جاءكم به موسى من الآيات! فحدثوهم بالعصا وبيده البيضاء للناظرين . وسألوا النصارى عما جاءهم به عيسى من الآيات ، فأخبروهم أنه كان يُبرئ الأكمهَ والأبرصَ ويُحيي الموتى بإذن الله . فقالت قريش عند ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم : ادعُ الله أن يجعل لنا الصفا ذهباً ، فنزداد يقيناً ، ونتقوّى به على عدوّنا . فسأل النبي صلى الله عليه وسلم ربه ، فأوحى إليه : ٢/٣٨

إنّى مُعطيهم ، فأجعلُ لهم الصفا ذهباً، ولكن إن كذّبوا عذّبتهم عذاباً لم أعذبه أحداً من العالمين . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ذَرنى وَقومى فأدعوهم يوماً بيوم . فأنزل الله عليه : « إنّ فى خَلق السموات والأرض » ، الآية : إن فى ذَلك لآية لهم ، إن كانوا إنما يريدون أن أجعل لهم الصفا ذهباً ، فخلق الله السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، أعظمُ من أن أجعل لهم الصفا ذهباً ليزدادوا يقيناً .

٢٤٠٤ — حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « إنّ فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار » ، قال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم :[1] غيّر لنا الصفا ذهباً إن كنت صادقاً أنه منه ! فقال الله : إنّ فى هذه الآيات لآياتٍ لقوم يعقلون . وقال : قد سأل الآيات قومٌ قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك، أنّ الله تعالى ذكره نَبّه عباده = على الدلالة على وَحدانيته وتفرده بالألوهية ، دون كل ما سواه من الأشياء = بهذه الآية . وجائزٌ أن تكون نزلت فيما قاله عطاء ، وجائزٌ أن تكون فيما قاله سعيد بن جبير وأبو الضحى ، ولا خبرَ عندنا بتصحيح قول أحد الفريقين يقطع العذرَ ، فيجوز أن يقضيَ أحدٌ لأحد الفريقين بصحة قولٍ على الآخر . وأيُّ القولين كان صحيحاً، فالمراد من الآية ما قلت .

* * *

(١) فى المطبوعة : « فقال المشركون للنبى . . . » ، والصواب طرح هذه الفاء .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : : « إنّ فى خَلق السموات والأرض »، إن فى إنشاء السموات والأرض وابتداعهما

* * *

ومعنى « خلق » الله الأشياء: ابتداعه وإيجاده إياها، بعد أن لم تكن موجودة.

وقد دللنا فيما مضى على المعنى الذى من أجله قيل : « الأرض » ، ولم تجمع كما جُمعت السموات ، فأغنى ذلك عن إعادته[1]

* * *

فإن قال لنا قائل : وهل للسموات والأرض خلقٌ هو غيرُها فيقال : « إنّ فى خلق السموات والأرض » ؟

قيل : قد اختلف فى ذلك . فقال بعض الناس : لها خَلقٌ هو غيرها. واعتلُّوا فى ذلك بهذه الآية ، وبالتى فى سورة الكهف : ﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ﴾ [سورة الكهف : ٥١] . وقالوا : لم يخلق الله شيئاً إلا والله له مريدٌ . قالوا : فالأشياء كانت بإرادة الله ، والإرادة خلق لها .

* * *

وقال آخرون : خلق الشىء صفة له ، لا هى هو ، ولا غيرُه . قالوا : لو كان غيرُه لوجب أن يكون مثله موصوفاً . قالوا : ولو جاز أن يكون خَلقُه غيرَه ، وأن يكون موصوفاً ، لوجب أن تكون له صفة هى له خَلق . ولو وجب ذلك كذلك، لم يكن لذلك نهاية . قالوا : فكان معلوماً بذلك أنه صفة للشىء . قالوا : فخلق السموات والأرض صفة لهما ، على ما وصفنا . واعتلُّوا أيضاً — بأن للشىء خلقاً ليس هو به — من كتاب الله بنحو الذى اعتلّ به الأولون .

* * *

(١) انظر ما سلف ١ : ٤٣١ — ٤٣٧ .

وقال آخرون: خلق السموات والأرض، وخلق كل مخلوق، هو ذلك الشيء بعينه لا غيره. فمعنى قوله: «إن في خلق السموات والأرض»، إنّ في السموات والأرض.(١)

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: «واختلاف الليل والنهار»، وتعاقب الليل والنهار عليكم أيها الناس.

* * *

وإنما «الاختلاف» في هذا الموضع «الافتعال»، من «خُلوف» كل واحد منهما الآخر،(٢) كما قال تعالى ذكره: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [سورة الفرقان: ٦٢].

بمعنى: أن كل واحد منهما يخلف مكان صاحبه، إذا ذهب الليل جاء النهارُ بعده، وإذا ذهب النهارُ جاء الليل خلفه. ومن ذلك قيل: «خلف فلانٌ فلاناً في أهله بسوء»، ومنه قول زهير:

بِهَا العِينُ وَالآرَامُ يَمْشِينَ خِلْفَةً وَأَطْلاَؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثَمِ(٣)

* * *

(١) لم يتبع أبو جعفر في هذا الموضع ما درج عليه من ترجيح القول الذي يختاره. وهذا مما يدل على ما ذهبنا إليه، أنه كان يختصر كلامه أحياناً، مخافة الإطالة. هذا إذا لم يكن في المخطوطات خرم أو اختصار من ناسخ أو كاتب.

(٢) «خلوف» مصدر «خلف»، ولم أجده في كتب اللغة، ولكنه عربي معرق في قياسه.

(٣) ديوانه: من معلقته العتيقة. والهاء في «بها» إلى «ديار أم أوفى» صاحبته. والعين جمع عيناء: وهي بقر الوحش، واسعة العيون جميلتها. والآرام جمع رئم: وهي الظباء الخوالص البياض، تسكن الرمل. «خلفة» إذا جاء منها فوج ذهب آخر يخلفه مكانه. يصف مجيئها وذهوبها في براح هذه الرملة. والأطلاء جمع طلا: وهو ولد البقرة والظبية الصغير. ويصف الصغار من أولاد البقر والظباء في هذه الرملة، وقد نهض هذا وذاك منها من موضع جثومه. يصف اختلاف الحركة في هذه القفرة المهجورة التي فارقتها أم أوفى، وقد وقف بها من بعد عشرين حجة ـ، كما ذكر.

وأما « الليل » . فإنه جَمْع « ليلة » ، نظيرُ « التمر » الذى هو جمع « تمرة » . وقد يجمع « ليالٍ » ، فيزيدون فى جَمعها ما لم يكن فى واحدتها . وزيادتهم « الياء » فى ذلك نظير زيادتهم إياها فى « رَباعية وثَمانية وكرَاهية » .

* * *

وأما « النهار » ، فإنّ العرب لا تكاد تجمعه ، لأنه بمنزلة الضوء . وقد سمع فى جَمعه « النُّهُر » ، قال الشاعر :

لَوْلاَ الثَّرِيدانِ هَلَكْنَا بِالضُّمُرْ ثَرِيدُ لَيْلٍ وثَرِيدٌ بِالنُّهُرْ.(١)

ولو قيل فى جمع قليله « أنهِرَة » كان قياساً .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ ٱلنَّاسَ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره : إنّ فى الفلك التى تجرى فى البحر .

* * *

و« الفلك » هو السُّفن ، واحدُه وجمعه بلفظ واحد ، ويذكَّر ويؤنث ، كما قال تعالى ذكره فى تذكيره فى آية أخرى : ﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ [سورة يس : ٤١] ، فذكَّره .

* * *

وقد قال فى هذه الآية : « والفلك التى تجرى فى البحر » ، وهى مُجْراة ، لأنها

---

(١) تهذيب الألفاظ : ٤٢٢ ، والمخصص ٩ : ٥١ ، واللسان (نهر) ، والأزمنة والأمكنة ١ : ٧٧ ، ١٥٥ وغيرها . ورواية اللسان والمخصص « لمتنا بالضمر » . والضمر (بضم الميم وسكونها) مثل العسر والعسر : الهزال ولحاق البطن من الجوع وغيره . والثريد : خبز يهشم ويبل بماء القدر ويغمس فيه حتى يلين .

٢/٣٩ إذا أجريت فهى « الجارية » ، فأضيف إليها من الصفة ما هو لها .[1]

* * *

وأما قوله : « بما ينفع الناس » ، فإن معناه : ينفعُ الناسَ فى البحر .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وما أنزل اللهُ من السماء من ماء » ، وفيما أنزلهُ الله من السماء من ماء ، وهو المطر الذى يُنزله الله من السماء .

وقوله : « فأحيا به الأرضَ بعدَ موتها » ، وإحياؤها عمارتُها ، وإخراج نباتها .

و « الهاء » التى فى « به » عائدة على « الماء » ، و « الهاء والألف » فى قوله : « بعد موتها » على الأرض .

و « موت الأرض » ، خرابها ، ودُثور عمارتها ، وانقطاعُ نباتها ، الذى هو للعباد أقواتٌ ، وللأنام أرزاقٌ .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وبث فيها من كلِّ دابة » ، وإن فيها بثّ فى الأرض من دابة .

* * *

(١) انظر ما سلف ١ : ١٩٦ .

ومعنى قوله : « وبَث فيها »، وفرَّقَ فيها ، من قول القائل : « بث الأميرُ سراياه » ، يعنى : فرَّق .

« والهاء والألف » فى قوله : « فيها » ، عائدتان على « الأرض » .

* * *

« والدابة » « الفاعلة » ، من قول القائل : « دبَّت الدابة تدبُّ دبيباً فهى دابة ».

« والدابة » ، اسم لكل ذى رُوح كان غير طائر بجناحيه ، لدبيبه على الأرض .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وتصريف الرياح » ، وفى تصريفه الرياح ، فأسقط ذكر الفاعل وأضاف الفعل إلى المفعول ، كما تقول :[1] « يعجبنى إكرام أخيك » ، تريد : إكرامُك أخاك .

* * *

« وتصريف » الله إياها ، أنْ يُرسلها مَرَّةً لواقحَ ، ومرة يجعلها عَقيما ، ويبعثها عذاباً تُدمِّر كل شىء بأمر ربها ، كما : —

٢٤٠٥ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وتصريف الرياح والسحاب المسخر » ، قال : قادرٌ والله ربُّنا على ذلك ، إذا شاء [جعلها رَحمةً لواقح للسحاب ونشراً بين يدى رحمته ، وإذا شاء] جعلها عذاباً ريحاً عقيماً لا تُلقح ، إنما هى عَذابٌ على من أرسِلتْ عليه .[2]

* * *

(١) فى المطبوعة : « كما قال : يعجبنى . . . يريد » ، والصواب ما أثبت .

(٢) الزيادة بين القوسين من نص الدر المنثور ١ : ١٦٤ ، من نص تفسير قتادة الذى أخرجه الطبرى .

وزعم بعض أهل العربية أنّ معنى قوله : « وتصريف الرياح »، أنها تأتى مَرّة جنوباً وشمالاً وقبولاً ودبوراً . ثم قال : وذلك تصريفها .[1] وهذه الصفة التى وَصَفَ الرياح بها ، صفة تصرُّفها لا صفة تصريفها ، لأن « تصريفها » تصريفُ الله لها ، « وتصرفها » اختلافُ هبوبها .

وقد يجوز أن يكون معنى قوله : « وتصريف الرياح »، تصريفُ الله تعالى ذكره هبوب الريح باختلاف مَهابّها .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (١٦٤)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « والسحاب المسخر »، وفى السحاب ، جمع « سحابة » . يدل على ذلك قوله تعالى ذكره : ﴿ وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴾ [سورة الرعد : ١٢] ، فوحّد المسخر وذكره، كما قالوا : « هذه تَمرة وهذا تمر كثير » . فى جمعه، « وهذه نخلة وهذا نخل » .[2]

وإنما قيل للسحاب « سحاب » إن شاء الله ، لجر بعضه بعضاً وسَحبه إياه ، من قول القائل : « مرّ فلان يَجر ذَيله » ، يعنى : « يسحبه » .

* * *

فأما معنى قوله : « لآيات »، فإنه عَلامات ودلالاتٌ على أن خالق ذلك كلّه ومنشئه ، إله واحدٌ .[3]

* * *

(١) هذه مقالة الفراء فى معانى القرآن ١ : ٩٧ .

(٢) فى المطبوعة : « كما قال : هذه ثمرة . . . » ، والصواب ما أثبته .

(٣) انظر معنى « آية » فيما سلف ١ : ١٠٦ ، وفهارس اللغة . وقد ترك الطبرى تفسيره « المسخر »، وكأن فى الأصول اختصاراً من ناسخ أو كاتب ، إن لم يكن من الطبرى نفسه ، كما أشرت إليه فيما مضى .

« لقوم يعقلون » ، لمن عقل مواضع الحجج ، وفهم عن الله أدلته على وحدانيته. فأعلم تعالى ذكره عباده ، بأن الأدلة والحجج إنما وُضعت مُعتبَرًا لذوى العقول والتمييز ، دون غيرهم من الخلق ، إذ كانوا هم المخصوصين بالأمر والنهى ، والمكلفين بالطاعة والعبادة ، ولهم الثواب ، وعليهم العقاب .

* * *

فإن قال قائل : وكيف احتج على أهل الكفر بقوله : « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار » الآية ، فى توحيد الله ؟ وقد علمت أن أصنافاً من أصناف الكفرة تدفع أن تكون السموات والأرض وسائر ما ذكر فى هذه الآية مخلوقة ؟

قيل : إن إنكار من أنكر ذلك غير دافع أن يكون جميعُ ما ذكر تعالى ذكره فى هذه الآية ، دليلاً على خالقه وصانعه ، وأن له مدبراً لا يشبهه [شىء] ، وبارئاً لا مِثْل له .(١) وذلك وإن كان كذلك ، فإن الله إنما حاجَّ بذلك قوماً كانوا مُقرِّين بأن الله خالقهم ، غير أنهم يُشركون فى عبادته عبادة الأصنام والأوثان .(٢) فحاجَّهم تعالى ذكره فقال — إذ أنكروا قوله : « وإلهكم إلهٌ واحد » ، وزعموا أن له شُركاء من الآلهة — : [إن إلهكم الذى خلق السموات وأجرى فيها الشمس والقمر لكم بأرزاقكم دائبين فى سيرهما . وذلك هو معنى اختلاف الليل والنهار فى الشمس والقمر](٣) ، وذلك هو معنى قوله : « والفلك التى تجرى فى البحر بما

---

(١) الزيادة بين القوسين لابد منها هنا .

(٢) انظر ما سلف فى ١ : ٣٧١ ، والرد على من ظن أن العرب كانت غير مقرة بالوحدانية .

(٣) هذه الجملة قد سقط منها شىء كثير ، فاختلت واضطربت ، وكأن صوابها ما يأتى :

[إنّ إلٰهكم الذى خلق لكم السَّموات والأرض ، فخلق الأرض وقدّر لكم فيها أرزاقكم وأقواتكم ، وخلق السَّموات وأجرى فيها الشمس والقمر دائبين فى سيرهما — وذلك هو معنى : ﴿ واختلاف الليل والنهار ﴾ — وخلق الرياح التى تسوق السفن التى تحملكم فتجريها فى البحر لتبتغوا من فضله] —

ينفع الناس » — وأنزل إليكم الغيثَ من السماء، فأخصب به جنابكم بعد جُدوبه ، وأمرعه بعد دُثوره، فنَعَشكم به بعد قُنوطكم[1] —، وذلك هو معنى قوله : « وَمَا أنزَلَ الله من السماء من مَاء فأحيا به الأرض بعد موتها » — وسخَّر لكم الأنعام فيها لكمْ مطاعمُ ومَآكل ، ومنها جمالٌ ومراكبُ ، ومنها أثاث وملابس — وذلك هو معنى قوله : « وبث فيها من كل دابة » — وأرْسل لكم الرياح لواقح لأشجار ثماركم وغذائكم وأقواتكم ، وسيَّر لكم السحاب الذى بَوَدْقه حياتكم وحياة نعمكم ومواشيكم — وذلك هو معنى قوله : « وتصريف الرياح والسحاب المسخَّر بين السماء والأرض » . ٢/٤٠

فأخبرهم أنّ إلههم هو الله الذى أنعمَ عليهم بهذه النعم ،وتفرَّد لهم بها. ثم قال : هل من شُركائكم مَن يفعل مِنْ ذلكم من شىء، فتشركوه فى عبادتكم إياى ، وتجعلوه لى نِدًّا وعِدلاً؟ فإن لم يكن من شُركائكم مَنْ يفعل مِنْ ذلكم مِن شىء، ففى الذى عددت عليكم من نعمتى ، وتفردت لكم بأيادىّ ، دلالاتٌ لكم إن كنتم تعقلون مواقعَ الحق والباطل ، والجور والإنصاف. وذلك أنىّ لكم بالإحسان إليكم متفرِّد دون غيرى ، وأنتم تجعلون لى فى عبادتكم إياى أنداداً. فهذا هو معنى الآية .

* * *

والذين ذُكِّروا بهذه الآية واحتج عليهم بها ، هم القوم الذين وصفتُ صفتهم ، دون المعطِّلة والدَّهْرية، وإن كان فى أصغر ما عدَّ الله فى هذه الآية ، من الحجج البالغة ، المَقْنَعُ لجميع الأنام، تركنا البيان عنه، كراهة إطالة الكتاب بذكره .

* * *

(١) أمرع الأرض : صيرها خصبة بعد الجدب . والدثور : الدروس ، يريد خرابها وانمحاء آثار عمارتها من النبات وغيره . وكان فى المطبوعة : « فينعشكم » ، والصواب ما أثبت . ونعشه الله ينعشه : رفعه وتداركه برحمته .

غُلامَك، «واستوفيتُ حَقى منه استيفاء حَقك »، بمعنى استيفاءك حقك، فتحذف من الثانى كناية اسم المخاطَب، اكتفاء بكنايته فى « الغلام » و « الحق » ، كما قال الشاعر :

فَلَسْتُ مُسَلِّمًا مَا دُمْتُ حَيًّا عَلَى زَيْدٍ بِتَسْلِيمِ الأَمِيرِ(١)

يعنى بذلك : كما يُسلَّم على الأمير .

* * *

فمعنى الكلام إذاً : ومنَ الناس من يتخذ ، أيها المؤمنون ، من دون الله أنداداً يحبونهم كحبكُم الله .(٢)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ (١٦٥)

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة ذلك . فقرأه عامة أهل المدينة والشأم : « ولوْ ترى الذين ظَلموا » بالتاء « إذ يَرون العذابَ » بالياء « أن القوة لله جميعاً وأن اللهشديدُ العذاب» بفتح« أنّ » و« أنّ »كلتيهما — بمعنى : ولو ترى يا محمد

---

(١) لم أعرف قائله . وسيأتى فى هذا الجزء ٣ : ٣١١ ، وهو من أبيات أربعة فى البيان والتبيين ٤ : ٥١ ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ١٠٠ ، وأمالى الشريف ١ : ٢١٥ . وبعد البيت :

أَمِيرٌ يأكُلُ الفَالُوذَ سِرًّا وَيُطْعِمُ ضيفَهُ خُبْزَ الشَّعِيرِ !
أتذكُرُ إذْ قَبَاؤُك جِلْدُ شاةٍ وَإِذْ نَعْلاكَ من جِلْدِ البَعِيرِ ؟
فسُبْحان الذى أعطاك مُلْكاً وعَلَّمك الجلوسَ على السَّرِيرِ !!

(٢) فى المطبوعة : « كحب الله » ، وليس هذا تفسيراً على سياق كلامه وتفسيره ، بل هو نص الآية ، والصواب ما أثبت .

الذين كفروا وَظلموا أنفسهم ، حينَ يَرون عذابَ الله ويعاينونه « أنّ القوة لله جميعاً وأن الله شديدُ العذاب » .

٢/٤١ ثم فى نصَبْ « أنّ » و « أنّ » فى هذه القراءة وجهان : أحدهما أن تُفتح بالمحذوف من الكلام الذى هو مطلوب فيه ، فيكون تأويل الكلام حينئذ : ولو ترى يَا محمد الذين ظلموا إذ يرون عذاب الله ، لأقروا — ومعنى ترى : تبصر — أن القوة لله جميعاً وأنّ الله شديد العذاب . ويكون الجواب حينئذ — إذا فتحت « أن » على هذا الوجه — متروكاً ، قد اكتفى بدلالة الكلام عليه ، ويكون المعنى ما وصفت . فهذا أحد وجهى فتح « أن » ، على قراءة من قرأ « ولو ترى » بـ « التاء » .

والوجهُ الآخر فى الفتح : أن يكون معناه : ولو ترى ، يا محمد ، إذ يَرى الذين ظلموا عذابَ الله ، لأن القوة لله جميعاً ، وأن الله شديد العذاب ، لعلمت مبلغ عذاب الله . ثم تحذف « اللام » ، فتفتح بذلك المعنى ، لدلالة الكلام عليها .

* * *

وقرأ ذلك آخرون من سَلف القراء : «ولو تَرى الذين ظَلموا إذ يرون العذاب إن القوة لله جميعاً وإن الله شديدُ العذاب » . بمعنى : ولو ترى ، يا محمد ، الذين ظلموا حين يعاينون عذابَ الله ، لعلمت الحال التى يصيرون إليها . ثم أخبر تعالى ذكره خبرًا مبتدأ عن قدرته وسلطانه ، بعد تمام الخبر الأول فقال : «إن القوة لله جميعاً » فى الدنيا والآخرة ، دون من سواه من الأنداد والآلهة ، « وإن الله شديد العذاب » لمن أشرك به ، وادعى معه شُركاء ، وجعل له نداً .

* * *

وقد يحتمل وجهاً آخر فى قراءة من كسر « إن » فى « ترى » بالتاء . وهو أن يكون معناه : ولو ترَى ، يا محمد ، الذين ظلموا إذ يرون العذاب يَقولون : إنّ القوة لله جميعاً وإنّ الله شديد العذاب . ثمّ تحذفُ « القول » وتَكتفى منه بالمقول .

* * *

وقرأ ذلك آخرون : « ولو يَرَى الذين ظلموا » بالياء « إذ يَرَون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديدُ العذاب » بفتح « الألف » من « أنّ » « وأنّ » ، بمعنى : ولو

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : أنّ من الناس من يتخذ من دون الله أنداداً له =

وقد بينا فيما مضى أن «الندّ» ، العدل ، بما يدل على ذلك من الشواهد ، فكرهنا إعادته .(١)

= وأن الذين اتخذوا هذه «الأنداد» من دُون الله ، يحبون أندادهم كحب المؤمنين الله . ثم أخبرَهم أن المؤمنين أشد حباً لله ، من متخذى هذه الأنداد لأندادهم .

* * *

واختلف أهل التأويل فى « الأنداد » التى كان القوم اتخذوها . وما هى ؟

* * *

فقال بعضهم : هى آلهتهم التى كانوا يعبدونها من دون الله .

* ذكر من قال ذلك :

٢٤٠٦ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة : قوله : « ومن الناس من يَتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله » ، من الكفار لأوثانهم .

٢٤٠٧ ــ حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله تعالى ذكره : « يحبونهم كحب الله » ، مباهاةً ومُضاهاةً للحقّ بالأنداد ، « والذين آمنوا أشد حباً لله » ، من الكفار لأوثانهم.

٢٤٠٨ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٣٦٨ ــ ٣٧٠ .

٢٤٠٩ – حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « ومن الناس من يتخذُ من دُون الله أنداداً يحبونهم كحب الله » ، قال : هي الآلهة التي تُعبد من دون الله ، يقول : يحبون أوثانهم كحب الله ، « والذين آمنوا أشد حباً لله » ، أي : من الكفار لأوثانهم .

٢٤١٠ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « ومنَ الناس من يَتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله »، قال : هؤلاء المشركون . أندادُهم : آلهتهم التي عَبدوا مع الله ، يحبونهم كما يحب الذين آمنوا الله ، والذين آمنوا أشد حباً لله من حبهم هم آلهتهُم .

* * *

وقال آخرون : بل « الأنداد » في هذا الموضع ، إنما هم سادتهم الذين كانوا يطيعونهم في معصية الله تعالى ذكره .

* ذكر من قال ذلك :

٢٤١١ – حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « ومنَ الناس من يَتخذ من دُون الله أنداداً يحبونهم كحب الله »، قال : الأنداد من الرجال، يطيعونهم كما يطيعون الله، إذا أمروهم أطاعوهم وعَصَوا الله .(١)

* * *

فإن قال قائل : وكيف قيل : « كحب الله » ؟ وهل يحب الله الأنداد ؟ وهل كان مُتخذو الأنداد يحبون الله ، فيقال : « يُحبونهم كحب الله » ؟

قيل : إنّ معنى ذلك بخلاف ما ذهبتَ إليه، وإنما ذلك نظير قول القائل:(٢) « بعت غُلامي كبيع غلامِك » ، بمعنى : بعته كما بيع غلامك ، وكبيْعك

---

(١) الأثر : ٢٤١١ – في المطبوعة : « حدثني موسى قال حدثنا أسباط » ، أسقط منه « قال حدثنا عمرو » ، وهو إسناد دائر في التفسير ، أقربه رقم : ٢٤٠٤ . ثم انظر ص : ٢٨٨ س : ١١ فسيأتي تأويله وبيانه عن قول السدي .

(٢) في المطبوعة : « وإنما نظير ذلك » ، وأثبت أولى العبارتين بالسياق والمعنى .

يرى الذين ظلموا عذابَ الله الذى أعد لهم فى جهنم ، لعلموا حين يَرونه فيعاينونه أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب ، إذ يرون العذاب . فتكون « أن » الأولى منصوبة لتعلقها بجواب « لو » المحذوف ، ويكون الجواب متروكاً ، وتكون الثانية معطوفة على الأولى . وهذه قراءة عامة القرّاء الكوفيين والبصريين وأهل مكة

* * *

وقد زعم بعض نحويى البصرة أنّ تأويل قراءة من قرأ : « ولو يَرَى الذين ظلموا إذ يرون العذابَ أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب» بالياء فى « يرى » وفتح « الألفين » فى «أن» « وأن » — : ولو يعلمون،[1] لأنهم لم يكونوا علموا قدر ما يعاينون من العذاب . وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم عَلم ، فإذا قال : « ولو ترى » ، فإنما يخاطب النبى صلى الله عليه وسلم .

ولو كسر « إنّ » على الابتداء، إذا قال : « ولو يرى » جاز ، لأن « لو يرى»، لو يعلم .

وقد تكون « لو » فى معنى لا يَحتاج معها إلى شىء .[2] تقول للرجل : « أمَا وَالله لو يعلم ، ولو تعلم »[3]، كما قال الشاعر :[4]

إنْ يكُنْ طِبُّكِ الدّلاَلُ ، فلَوْ فِى سَالِفِ الدَّهْرِ والسِّنِينَ الخوَالِى![5]

---

(١) يريد أن « يرى » بمعنى : يعلم . وقاله أبو عبيدة فى مجاز القرآن : ٦٢ .

(٢) فى المطبوعة : « وقد تكون « لو يعلم » فى معنى لا يحتاج . . . » ، والصواب حذف « يعلم » فإنه أراد « لو » وحدها ، وذلك ظاهر فى استدلاله بعد .

(٣) فى المطبوعة: « لو يعلم» فى الموضعين ، والصواب جعل أحداهما بالياء . والأخرى بالتاء .

(٤) هو عبيد بن الأبرص .

(٥) ديوانه : ٣٧ ، من قصيدة جيدة يعاتب امرأته وقد عزمت على فراقه ، وقبله :

تلكَ عِرْسِى تَرُومُ قِدْماً زِيَالِى أَلِبَيْنٍ تُرِيد أَمْ لِدَلاَلِ ؟

والزيال : المفارقة . وقوله : « طبك » ، أى شهوتك وإرادتك وبغيتك . يقول لها : إن كنت الدلال على تبغين وترومين ، فقد مضى حين ذلك، أيام كنا شباباً فى سالف دهرنا ولياليننا الخوالى ! إذ — :

أنْت بَيْضَاء كالمهاة ، وإذْ آ تِيكِ نَشْوَانَ مُرْخِيًا أَذْيَالِى

هذا ليس له جواب إلا فى المعنى ، وقال الشاعر[١] :

وَبِحَظِّ مِمَّا نَعِيشُ ، وَلاَ تَذْ هَبْ بِكَ التُّرَّهَاتُ فِى الْأَهْوَالِ[٢]

فأضمر : فعيشى.[٣]

قال : وقرأ بعضهم : « ولو ترى » ، وفتح « أن » على « ترى » . وليس بذلك ،[٤] لأن النبى صلى الله عليه وسلم يعلم ، ولكن أراد أن يعلم ذلك الناسُ ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ﴾ [سورة السجدة : ٢] ، ليخبر الناس عن جهلهم ، وكما قال : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [سورة البقرة : ١٠٧] .[٥]

* * *

قال أبو جعفر : وأنكر قوم أن تكون « أنّ » عاملاً فيها قوله : « ولو يرى » . وقالوا : إنّ الذين ظلموا قد علموا حين يرون العذاب أن القوة لله جميعاً ، فلا وجه لمن تأوّل ذلك : ولو يرى الذين ظلموا أنّ القوة لله . وقالوا : إنما عمل فى « أن » جواب « لو » الذى هو بمعنى « العلم » ، لتقدم « العلم » الأول .[٦]

* * *

وقال بعض نحويى الكوفة : مَنْ نصب « أن القوة لله وأن الله شديد العذاب »

---

(١) هو عبيد بن الأبرص أيضاً من قصيدته السالفة .

(٢) ديوانه : ٣٧ ، وسيأتى فى التفسير ٧ : ١١٧ ، وهو فى الموضعين مصحف . كان هنا « وبحظ ما تعيش » . قال لها ذلك بعد أن ذكر أنها زعمت أنه كبر وقل ماله ، وضن عنه إخوانه وأنصاره . ثم أمرها أن ترفض مقالة العاذلين ، ويعظها أن تعيش معه بما يعيش به . والترهات جمع ترهة : وهى أباطيل الأمور . والأهوال جمع هول : وهو الأمر المخيف . ثم ذكر لها أمر أهلها إذا فارقته إليهم وما تلقاه من أهوال ، فقال :

مِنْهُمُ مُمْسِكٌ ، وَمِنْهُم عَدِيمٌ ، وَبَخِيلٌ عَلَيْكِ فِى بُخَّالِ

(٣) فى المطبوعة : « فأضمر : عش » ، والصواب ما أثبت ، وستأتى على الصواب فى الجزء السابع .

(٤) قوله : « ليس بذلك » ، أى قول ضعيف ليس بذلك القوى .

(٥) انظر ما سلف ٢ : ٤٨٤ — ٤٨٨ .

(٦) يعنى بالعلم الأول « لو يرى » بمعنى « لو يعلم » ، والآخر الجواب المحذوف : « لعلموا » .

ممن قرأ: « ولو يَرَى » بالياء، فإنما نصبها بإعمال «الرؤية» فيها، وجعل « الرؤية » واقعةً عليها . وأما مَنْ نصبها ممن قرأ : « ولو ترى » بالتاء ، فإنه نَصَبها على تأويل: لأنّ القوة لله جميعاً، ولأن الله شديد العذاب. قال: ومن كسرهما ممن قرأ بالتاء ، فإنه يكسرهما على الخبر .

* * *

وقال آخرون منهم: فتح « أنّ » فى قراءة من قرأ : « ولو يَرَى الذين ظلموا » بالياء ، بإعمال « يرى » ، وجوابُ الكلام حينئذ متروك ، كما ترك جواب : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ ﴾ [سورة الرعد: ٣١]، لأن معنى الجنة والنار مكررٌ معروف.(١) وقالوا : جائز كسر « إن »، فى قراءة من قرأ بـ «الياء » وإيقاع « الرؤية» على« إذ» فى المعنى ، وأجازوا نصب «أن» على قراءة من قرأ ذلك بـ « التاء »، لمعنى نية فعل آخر، وأن يكون تأويل الكلام: « ولو ترى الذين ظَلموا إذ يرون العذاب »، [يَرَون] أنّ القوة لله جميعاً،(٢) وزعموا أن كسر « إنّ » الوجهُ ، إذا قرئت « ولو تَرَى » بـ « التاء » على الاستئناف، لأن قوله : «ولو ترى » قد وَقع على « الذين ظلموا ».(٣) ٤٢/٢

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة عندنا فى ذلك : « ولو تَرَى الذين ظلموا» — بالتاء من « ترى » — « إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب» بمعنى : لرأيتَ أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب . فيكون قوله : « لرأيت » الثانية ، محذوفةً مستغنى بدلالة قوله : « ولو ترى الذين ظلموا »، عن ذكره، إذ كان

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٩٧ ، وفيه « معانى الجنة . . . » ، والصواب ما فى الطبرى وإحدى نسخ معانى القرآن .

(٢) الذى بين القوسين زيادة لا بد منها ، وإلا اختل الكلام ، واستدركتها من معانى القرآن للفراء ١ : ٩٨ .

(٣) هذا قول الفراء فى معانى القراء ١ : ٩٧ — ٩٨، مع بعض التصرف فى اللفظ . وقوله : « وقع » ، و « الوقوع » يعنى به تعدى الفعل إليه . وانظر فهرس المصطلحات .

كان جواباً لـ « لو » .[١]

ويكون الكلام ، وإن كان مخرجه مَخرجَ الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم – معنيًّا به غيره . لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان لاشك عالماً بأن القوة لله جميعاً ، وأن الله شديد العذاب . ويكون ذلك نظيرَ قوله : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [سورة البقرة: ١٠٧] . وقد بيناه فى موضعه .[٢]

وإنما اخترنا ذلك على قراءة «الياء» ، لأن القوم إذا رَأوا العذاب ، قد أيقنوا أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب ، فلا وجه أن يُقال : لو يرون أنّ القوة لله جميعاً – حينئذ . لأنه إنما يقال : « لو رأيت » ، لمن لم يرَ ، فأما من قد رآه ، فلا معنى لأن يقال له : « لو رأيت » .

* * *

ومعنى قوله : « إذ يَرون العذاب » ، إذ يُعاينون العذاب ، كما :–

٢٤١٢ – حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « ولو يرى الذين ظَلموا إذ يَرون العذابَ أن القوة لله جميعاً ، وأن الله شديد العذاب » ، يقول : لو عاينوا العذاب .

* * *

وإنما عنى تعالى ذكره بقوله : « ولو تَرَى الذين ظلموا » ، ولو ترى ، يا محمد ، الذين ظلموا أنفسهم ، فاتخذوا من دونى أنداداً يحبونهم كحبكم إياى ، حين يُعاينون عَذابى يومَ القيامة الذى أعددتُ لهم ، لعلمتم أن القوة كلها لى دُون الأنداد والآلهة ، وأنّ الأنداد والآلهة لا تغنى عنهم هنالك شيئاً ، ولا تدفع عنهم عذاباً أحللتُ بهم ، وأيقنتم أنّى شديدٌ عذابى لمن كفر بى ، وادّعى معى إلهاً غيرى .

* * *

(١) فى المطبوعة : « وإن كان جواباً . . . » ، والصواب ما أثبت .

(٢) انظر ما سلف ٢ : ٤٨٤ – ٤٨٨ .

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : «إذْ تبرّأ الذين اتُّبعوا منَ الذين اتبعوا ورَأوا العذاب » ، إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوهم.[1]

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى الذين عَنى الله تعالى ذكره بقوله : « إذ تَبرأ الذين اتُّبعوا من الذين اتَّبعوا » ، فقال بعضهم بما : —

٢٤١٣ — حدثنا به بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: «إذ تبرأ الذين اتُّبعوا»، وهم الجبابرة والقادةُ والرؤوس فى الشرك ، « من الذين اتَّبعوا » ، وهم الأتباع الضعفاء ، « ورأوا العذاب » .

٢٤١٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « إذ تَبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا » ، قال : تبرأت القادةُ من الأتباع يوم القيامة .

٢٤١٥ — حدثنى القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، ابن جريج : قلت لعطاء : « إذ تبرّأ الذين اتُّبعوا من الذين اتَّبعوا » ، قال : تبرأ رؤساؤهم وقادتهم وساداتهم من الذين اتبعوهم .

* * *

وقال آخرون بما : —

٢٤١٦ — حدثنى به موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا

---

(١) فى المطبوعة : «من الذين اتبعوا» مرة أخرى، والصواب « اتبعوهم » كما أثبت، وإلا لم يكن ذلك إلا تكراراً بلا معنى .

أسباط ، عن السدى : « إذ تبرأ الذين اتُّبعُوا من الذين اتُّبعوا » ، أما « الذين اتُّبعوا » ، فهم الشياطين تبرأوا من الإنس .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول عندى فى ذلك أنّ الله تعالى ذكره أخبرَ أنّ المتَّبَعين على الشرك بالله يتبرأون من أتباعهم حين يعاينون عذاب الله . ولم يخصص بذلك منهم بعضًا دون بعض ، بل عَمّ جميعهم . فداخلٌ فى ذلك كل متبوع على الكفر بالله والضلال أنه يتبرأ من أتباعه الذين كانوا يتَّبعونه على الضلال فى الدنيا ، إذا عاينوا عَذابَ الله فى الآخرة .

* * *

وأما دِلالة الآية فيمن عنى بقوله : « إذ تَبرأ الذين اتبعوا من الذين اتَّبعوا » ، فإنها إنما تدل على أنّ الأنداد الذين اتخذهم مِن دُون الله مَنْ وَصَف تعالى ذكره صفتَه بقوله : « ومنَ الناس مَن يَتخذُ من دُون الله أنداداً » ، هم الذين يتبرأون من أتباعهم .

وإذ كانت الآيةُ على ذلك دالّةً ، صحّ التأويل الذى تأوله السدى فى قوله : [1] « ومن الناس مَنْ يَتخذ من دون الله أنداداً » ، أن « الأنداد » فى هذا الموضع ، إنما أريد بها الأندادُ من الرجال الذين يُطيعونهم فيما أمرُوهم به من أمر ، ويَعصُون الله فى طاعتهم إياهم ، كما يُطيع اللهَ المؤمنون ويَعصون غيره = وفسد تأويل قول من قال : [2] « إذ تبرأ الذين اتُّبعوا من الذين اتَّبعوا » ، أنهم الشياطين تَبرأوا من أوليائهم من الإنس . لأن هذه الآية إنما هى فى سياق الخبر عن مُتخذى الأنداد .

* * *

---

(١) انظر الأثر رقم : ٢٤١١ .

(٢) قوله : « وفسد » معطوف على قوله : « صح » .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴾ (١٦٦)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : أن الله شديد العذاب ، إذ تبرأ الذين اتبعوا ، وإذ تقطعت بهم الأسباب .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى معنى « الأسباب » . فقال بعضهم بما : —

٢٤١٧ — حدثنى به يحيى بن طلحة اليربوعى قال ، حدثنا فضيل بن عياض — وحدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، — عن عبيد المكتب ، عن مجاهد : « وتقطعت بهمُ الأسباب » ، قال : الوصال الذى كان بينهم فى الدنيا .(١) ٤٣/٢

٢٤١٨ — حدثنا إسحق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال ، حدثنا يحيى ابن يمان ، عن سفيان ، عن عبيد المكتب ، عن مجاهد : « وتقطّعت بهم الأسباب » ، قال : تواصلهم فى الدنيا .(٢)

٢٤١٩ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن — وحدثنا أحمد بن إسحق الأهوازى قال ، حدثنا أبو أحمد — جميعاً قالا ، حدثنا سفيان ، عن عبيد المكتب ، عن مجاهد بمثله .

---

(١) الخبر : ٢٤١٧ — فضيل بن عياض بن مسعود التميمى الزاهد الخراسانى : ثقة ، قال ابن سعد : « كان ثقة ثبتاً فاضلا عابداً ورعاً كثير الحديث » . مات فى أول المحرم سنة ١٨٧ بمكة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/١/١٢٣ ، والصغير : ٢٠٩ ، وابن سعد ٥ : ٣٦٦ ، وابن أبى حاتم ٣/٢/٧٣ .

وهذا الخبر يرويه أبو جعفر بإسنادين : من طريق الفضيل بن عياض ، ثم من طريق جرير ، وهو ابن عبد الحميد الضبى — كلاهما عن عبيد المكتب . ثم سيرويه عقب ذلك ، بإسنادين آخرين : ٢٤١٨ ، ٢٤١٩ ، من رواية سفيان ، وهو الثورى ، عن عبيد المكتب .

و « عبيد المكتب » ، بضم الميم وسكون الكاف وكسر التاء المثناة ، من « الإكتاب » ، أى تعليم الكتابة : هو عبيد بن مهران الكوفى ، وهو ثقة ، أخرج له مسلم فى صحيحه . مترجم فى التهذيب ، وابن سعد ٦ : ٢٣٧ ، وابن أبى حاتم ٣/١/٢ .

(٢) الخبر : ٢٤١٨ — إسحق بن إبرهيم بن حبيب بن الشهيد ، شيخ الطبرى : ثقة مأمون . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ١/١/٢١١ ، وتاريخ بغداد ٦ : ٣٧٠ .

٢٤٢٠ ــ حدثني محمد بن عمرو قال : حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وتقطعت بهم الأسباب » ، قال : المودّة.

٢٤٢١ ــ حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٢٤٢٢ ــ حدثني القاسم قال، حدثني الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج، عن مجاهد قال : تواصلٌ كان بينهم بالمودة في الدنيا .

٢٤٢٣ ــ حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى قال ، أخبرني قيس بن سعد ، عن عطاء ، عن ابن عباس في قول الله تعالى ذكره : « وتقطّعت بهم الأسباب» ، قال : المودة .

٢٤٢٤ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة : « وتقطعت بهم الأسباب »، أسبابُ الندامة يوم القيامة، وأسباب المواصلة التي كانت بينهم في الدنيا يتواصلون بها ، ويتحابُّون بها ، فصارت عليهم عداوةً يوم القيامة ، ثم يوم القيامة يكفر بعضُكم ببعض ، ويلعن بعضُكم بعضاً ، ويتبرأ بعضُكم من بعض . وقال الله تعالى ذكره: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة الزخرف : ٦٧] ، فصارت كل خُلَّة عداوة على أهلها إلا خُلة المتقين .

٢٤٢٥ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « وتقطعت بهم الأسباب » ، قال : هو الوصْل الذي كان بينهم في الدنيا .

٢٤٢٦ ــ حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه ، عن الربيع : « وتقطعت بهم الأسباب » ، يقول : الأسبابُ ، الندامة .

* * *

وقال بعضهم : بل معنى « الأسباب » ، المنازل التي كانت لهم من أهل الدنيا .

* ذكر من قال ذلك :

٢٤٢٧ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وتقطعت بهم الأسباب »، يقول : تقطّعت بهم المنازلُ .

٢٤٢٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن بن سعد ، عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس : « وتقطعت بهم الأسباب »، قال : الأسباب المنازل .

* * *

وقال آخرون : « الأسباب » ، الأرحام .

* ذكر من قال ذلك :

٢٤٢٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسن قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال، قال ابن جريج، وقال ابن عباس: « وتقطّعت بهم الأسباب»، قال : الأرحام .

* * *

وقال آخرون : « الأسباب » ، الأعمال التي كانوا يعملونها في الدنيا .

* ذكر من قال ذلك :

٢٤٣٠ – حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : أمّا « وتقطعت بهم الأسباب » ، فالأعمال.

٢٤٣١ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وتقطعت بهم الأسباب »، قال : أسباب أعمالهم ، فأهل التقوى أعطوا أسبابَ أعمالهم وَثيقةً ، فيأخذون بها فينجُون ، والآخرون أعطوا أسبابَ أعمالهم الخبيثة ، فتقطّعُ بهم فيذهبون في النار .

* * *

قال أبو جعفر : [1] « والأسباب » ، الشيء يُتعلَّقُ به . قال : و « السبب » الحبل . « والأسباب » جمع « سَبب » ، وهو كل ما تسبب به الرجل إلى طَلِبته وحاجته . فيقال للحبل « سبب » ، لأنه يُتسبب بالتعلق به إلى الحاجة التي لا يوصل إليها إلا بالتعلق به . ويقال للطريق « سبب » ، للتسبب بركوبه إلى ما لا يدرك إلا بقطعه . وللمصاهرة « سبب » ، لأنها سَببٌ للحرمة . وللوسيلة « سَبب » ، للوصول بها إلى الحاجة ، وكذلك كل ما كان به إدراك الطلبة ، فهو « سبب » لإدراكها .

فإذْ كان ذلك كذلك ، فالصواب من القول في تأويل قوله : « وتقطعت بهم الأسباب » أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبرَ أن الذين ظلموا أنفسهم — من أهل الكفر الذين ماتوا وهم كفار — يتبرأ = عند معاينتهم عذابَ الله = المتبوعُ من التابع ، وتتقطع بهم الأسباب .

وقد أخبر تعالى ذكره في كتابه أن بَعضهم يلعنُ بعضاً ، وأخبر عن الشيطان أنه يقول لأوليائه : ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾ [سورة إبراهيم : ٢٢] ، وأخبر تعالى ذكره أنّ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ، وأن الكافرين لا ينصر يومئذ بعضهم بعضاً ، فقال تعالى ذكره : ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ۝ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ [سورة الصافات : ٢٤ — ٢٥] ؛ وأنّ الرجل منهم لا ينفعه نسيبه ولا ذو رحمه ، وإن كان نسيبه لله وليًّا ، فقال تعالى ذكره في ذلك : ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [سورة التوبة : ١١٤] ، وأخبر تعالى ذكره أنّ أعمالهم تَصيرُ عليهم حسرات . ٢/٤٤

وكل هذه المعاني أسباب يتسبب في الدنيا بها إلى مطالب ، فقطع الله منافعها في الآخرة عن الكافرين به ، لأنها كانت بخلاف طاعته ورضاه ، فهي منقطعة

---

(١) من أول هذه الفقرة ، كلام أبي جعفر ، وأخشى أن يكون سقط شيء قبله . وهذا الابتداء على كل حال ، جار على غير النهج الذي سار عليه كتابه من قبل ومن بعد .

بأهلها . فلا خِلالُ بعضهم بعضاً نَفعهم عند وُرودهم على ربهم ،(١) ولا عبادتُهم أندادهم ولا طاعتهم شياطينهم ؛ ولا دافعت عنهم أرحامٌ فنصرتهم من انتقام الله منهم ، ولا أغنتِ عنهم أعمالهم ، بل صارت عليهم حسرات . فكل أسباب الكفار منقطعة .

فلا معْنِيَّ أبلغُ — فى تأويل قوله : « وتقطعت بهم الأسباب » — من صفة الله [ذلك] ، وذلك ما بيناً من [تقطّع] جميع أسبابهم دون بعضها ،(٢) على ما قلنا فى ذلك . ومن ادعى أن المعنىَّ بذلك خاص من الأسباب ، سُئل عن البيان على دعواه من أصلٍ لا منازع فيه ، وعورض بقول مخالفه فيه . فلن يقول فى شىء من ذلك قولاً إلاّ ألزم فى الآخر مثله .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله تعالى ذكره : « وقال الذين اتّبعوا » ، وقال أتباع الرجال — الذين كانوا اتخذوهم أنداداً من دون الله ، يطيعونهم فى معصية الله ، ويعصُون ربَّهم فى طاعتهم ، إذ يرون عذابَ الله فى الآخرة — : « لو أن لنا كرة » .

* * *

يعنى « بالكرة » ، الرجعةَ إلى الدنيا ، من قول القائل : « كررت على القوم أكُرّ كرًّا » ، و « الكرّة » المرة الواحدة ، وذلك إذا حمل عليهم راجعاً عليهم بعد الانصراف عنهم ، كما قال الأخطل :

(١) فى المطبوعة : « ينفعهم » ، والصواب ما أثبت ، فالأفعال قبله وبعده كلها ماضية . والخلال مصدر خاله (بشديد اللام) يخاله مخالة وخلالا : وهى الصداقة والمودة ، يقول امرؤ القيس :

صَرَفتُ الهوَى عَنهُنَّ مِن خَشيَةِ الرَّدَى فَلَستُ بِمَقْلِيِّ الخِـلالِ وَلَا قَالِى

(٢) الزيادة التى بين الأقواس ، لا بد منها حتى يستقيم صدر الكلام وآخره ، فى الجملة التالية . ويعنى بقوله « صفة الله » : ما وصف الله سبحانه من تقطع أسباب الكافرين يوم القيامة ، كالذى عدده آنفاً فى الفقرة السالفة .

وَلَقَدْ عَطَفْنَ عَلَى فَزَارَةَ عَطْفَةً كَرَّ الْمَنِيحِ ، وَجُلْنَ مَمَّ مَجَالاً[1]

وكما : —

٢٤٣٢ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة : « وقال الذين اتَّبعوا لوأن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا » ، أى : لنا رجعةٌ إلى الدنيا .

٢٤٣٣ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « وقال الذين اتبعوا لو أنّ لنا كرة » ، قال : قالت الأتباع : لو أن لنا كرة إلى الدنيا فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا .

* * *

وقوله : « فنتبرأ منهم » ، منصوبٌ ، لأنه جواب للتمنى بـ « الفاء » . لأن القوم تمنوا رجعةً إلى الدنيا ليتبرأوا من الذين كانوا يطيعونهم فى معصية الله ، كما تبرأ منهم رؤساؤهم الذين كانوا فى الدنيا ، المتبوعون فيها على الكفر بالله ، إذْ عاينوا عظيم النازل بهم من عذاب الله ، [2] فقالوا : يا ليت لنا كرّة إلى الدنيا فنتبرأ منهم ، و ﴿ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الأنعام : ٢٧]

* * *

(١) ديوانه ٤٨ ، ونقائض جرير والأخطل : ٧٩ . وفى المطبوعة : « كر المشيح » ، وهو خطأ وفى الديوان « على قدارة » ، وهو خطأ . وفزارة بن ذبيان بن بغيض . والمنيح : قدح لاحظ له فى الميسر ، وأقداح الميسر سبعة ذوات أنصباء ، وأربعة لا نصيب لها مع السبعة ، ولكنها تعاد معها فى كل ضربة . وقوله : « عطفن » يعنى الخيل ، ذكرها فى بيت قبله . وقد مضى من هذه القصيدة أبيات فى ٢ : ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٩٢ ، ٤٩٦ .

(٢) فى المطبوعة : « إذا عاينوا » ، وهو خطأ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ﴾

قال أبو جعفر : ومعنى قوله : « كذلك يُريهمُ الله أعمالهم »، يقول : كما أراهم العذابَ الذى ذكره فى قوله : « ورأوا العذاب » ، الذى كانوا يكذبون به فى الدنيا ، فكذلك يُريهم أيضاً أعمالهم الخبيثة التى استحقوا بها العقوبة من الله « حسرات عليهم » ، يعنى : نَدامات .

* * *

« والحسرات » جمع « حَسْرة » . وكذلك كل اسم كان واحده على « فَعْلة » مفتوح الأول ساكن الثانى ، فإن جمعه على « فَعَلات » مثل « شَهوة وشَهوات » و« تَمرة » تجمع « تَمرات » مثقّلة الثوانى من حروفها . فأما إذا كان نعتاً فإنك تدع ثانيَه ساكناً مثل «ضخمة» ، تجمعها « ضخْمات» و « عَبْلة » تجمعها «عَبْلات» ، وربما سُكّن الثانى فى الأسماء ، كما قال الشاعر :(١)

عَلَّ صُرُوفَ الدَّهْرِ أَوْ دُولاَتِهَا يُدِلْنَنَا اللَّمَّةَ مِنْ لَمَّاتِهَا
فَتَسْتَرِيحَ النَّفْسُ مِنْ زَفْرَاتِهَا(٢)

فسكّن الثانى من « الزفرات » ، وهى اسم . وقيل : إن « الحسرة » أشد الندامة .

* * *

(١) لم أعرف قائله .

(٢) سيأتى فى التفسير ٢٤ : ٤٣ / ٣٠ : ٣٤ (بولاق) بزيادة بيت . والعينى ٤ : ٣٩٦ واللسان (لمم) (زفر) (علل) وغيرها . والدولة (بفتح فسكون) والدولة (بضم الدال) : العقبة فى المال والحرب وغيرهما ، وهو الانتقال من حال إلى حال ، هذا مرة وهذا مرة . ودالت الأيام : دارت بأصحابها . ويروى : « تديلنا » وأداله : جعل له العقبة فى الأمر الذى يطلبه أو يتمناه ، بتغيره وانتقاله عنه إلى حال أخرى . واللمة : النازلة من نوازل الدهر ، كالملمة . والبيت الرابع الذى زاده الطبرى :

* وَتَنقَعُ الغُلَّة من غُلاَّتِها *

والغلة : شدة العطش وحرارته . ونقع الغلة : سكنها وأطفأها وأذهب ظمأها .

فإن قال لنا قائل : فكيف يَرَون أعمالهم حسرات عليهم ، وإنما يتندم المتندم على ترك الخيرات وفوتها إياه ؟ وقد علمت أنّ الكفار لم يكن لهم من الأعمال ما يتندّمون على تركهم الازديادَ منه ، فيريهم الله قليلَه ! [1] بل كانت أعمالهم كلها معاصيَ لله ، ولا حسرةَ عليهم في ذلك ، وإنما الحسرة فيما لم يَعملوا من طاعة الله ؟

قيل : إن أهل التأويل في تأويل ذلك مختلفون ، فنذكر في ذلك ما قالوا ، ثم نخبر بالذي هو أولى بتأويله إن شاء الله .

فقال بعضهم : معنى ذلك : كذلك يريهم الله أعمالهم التي فرضها عليهم في الدنيا فضيّعوها ولم يعملوا بها ، حتى استوجب = ما كان الله أعدّ لهم ، لو كانوا عملوا بها في حياتهم ، من المساكن والنِّعم = غيرُهم بطاعته ربَّه . [2] فصار ما فاتهم من الثواب — الذي كان الله أعدّه لهم عنده لو كانوا أطاعوه في الدنيا ، إذ عاينوه [3] عند دخول النار أو قبل ذلك — أسًى وندامةً وحسرةً عليهم .

• ذكر من قال ذلك :

٢٤٣٤ — حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « كذلك يُريهم الله أعمالهم حسرات عليهم » ، زعم أنه يرفع لهم الجنة فينظرون إليها وإلى بيوتهم فيها ، لو أنهم أطاعوا الله ، فيقال لهم : تلك مساكنكم لو أطعتم الله ! ثم تُقسَّم بين المؤمنين ، فيرثونهم . فذلك حين يندمون . ٤٥/٢

٢٤٣٥ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ، حدثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل قال ، حدثنا أبو الزعراء ، عن عبد الله — في

---

(١) قوله : « فيريهم الله قليله » ، يعني به : فيريهم الله أنه قليل ، فيتمنون أن لو كانوا ازدادوا من فعله حتى يكثر .

(٢) سياق هذه الجملة : حتى استوجب غيرهم بطاعته ربه ، ما كان الله أعد لهم . . . » فقدم وأخر وفصل ، كعادته .

(٣) في المطبوعة : « إذا عاينوه » ، والصواب ما أثبت .

قصة ذكرها — فقال : فليس نَفْسٌ إلا وهى تنظر إلى بَيتٍ فى الجنة وبَيتٍ فى النار ، وهو يومُ الحسرة . قال : فيرى أهلُ النار الذين فى الجنة ، فيقال لهم : لو عملتم ! فتأخذهم الحسرة . قال : فيرى أهلُ الجنة البيتَ الذى فى النار ، فيقال : لولا أن منَّ الله عليكم ! (١)

* * *

فإن قال قائل : وكيف يكون مضافاً إليهم من العمل ما لم يَعملوه على هذا التأويل ؟

قيل : كما يُعرض على الرجل العملُ فيقال [له] قبل أن يعمله : (٢) هذا عملك . يعنى : هذا الذى يجب عليك أن تَعمله ، وكما يقال للرجل يَحضرُ

---

(١) الحديث : ٢٤٣٥ — سفيان : هو الثورى . سلمة بن كهيل الحضرمى . سبق توثيقه : ٤٣٩ ، ونزيدهنا أن الثورى قال : «كان ركناً من الأركان» . وقال أحمد : «سلمة متقن الحديث» . وقال أبو زرعة : «كوفى ثقة مأمون ذكى» . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/٢/٧٥ ، وابن سعد ٦ : ٢٢١ ، وابن أبى حاتم ٢/١/١٧٠ — ١٧١ ، وتاريخ الإسلام ٥ : ٨١ — ٨٢ .

أبو الزعراء — بفتح الزاى والراء بينهما عين مهملة ساكنة ؛ هو عبد الله بن هانىء أبو الزعراء الكبير ، وهو خال سلمة بن كهيل . وهو ثقة من كبار التابعين . مترجم فى التهذيب ، وابن سعد ٦ : ١١٩ ، وابن أبى حاتم ٢/٢/١٩٥ .

وهذا الحديث قطعة من حديث طويل — كما قال الطبرى هنا : «فى قصة ذكرها» وستأتى قطعة أخرى منه فى الطبرى ١٥ : ٩٧ (بولاق) . وهو حديث موقوف من كلام ابن مسعود ولكنه — عندنا — وإن كان موقوفاً لفظاً ، فإنه مرفوع حكماً ، لأنه فى صفة آخر الزمان ، وما يأتى من الفتن ، ثم فناء الدنيا ، ثم البعث والنشور والشفاعة ، وما إلى ذلك ، مما لا يعلم بالرأى .

وقد رواه — بطوله كاملا — الحاكم فى المستدرك ٤ : ٤٩٦ — ٤٩٨ ، من طريق الحسين بن حفص الإصبهانى ، عن سفيان ، بهذا الإسناد . وقال : «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه» . ووافقه الذهبى . وهو كما قالا .

وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٠ : ٣٢٨ — ٣٣٠ ، بطوله ، وقال : رواه الطبرانى وهو موقوف ، مخالف للحديث الصحيح وقول النبى صلى الله عليه وسلم : أنا أول شافع » ! هكذا قال الهيثمى ولم يذكر شيئاً عن إسناده . وليس هذا موضع التعقب على تعليله .

وروى أبو داود الطيالسى : ٣٨٩ — قطعة أخرى منه ، عن يحيى بن سلمة بن كهيل ، عن أبيه . و «يحيى بن سلمة» . ضعيف جداً . قال البخارى فى الصغير ، ص : ١٤٣ «منكر الحديث» ولا يضر ضعف الإسناد عند الطيالسى ، إذ جاء الحديث — كما ترى — بإسناد صحيح ، من رواية سفيان الثورى ، عن سلمة بن كهيل .

(٢) ما بين القوسين زيادة يستقيم بها الكلام .

غداؤه قبل أن يتغدى به :[١] هذا غداؤك اليوم . يعنى به : هذا ما تتغدى به اليوم . فكذلك قوله : « كذلك يُريهم الله أعمالهم حسرات عليهم » ، يعنى : كذلك يُريهم الله أعمالهم التى كان لازماً لهم العمل بها فى الدنيا ، حسرات عليهم.

* * *

وقال آخرون : كذلك يُريهم الله أعمالهم السيئة حسرات عليهم ، لم عملوها ؟ وهلاّ عملوا بغيرها مما يُرضى الله تعالى ذكره ؟

* ذكر من قال ذلك :

٢٤٣٦ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « كذلك يُريهم الله أعمالهم حسرات عليهم »، فصارت أعمالهم الخبيثة حسرةً عليهم يوم القيامة .

٢٤٣٧ ــ حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « أعمالهم حسرات عليهم » ، قال : أو ليس أعمالهم الخبيثةُ التى أدخلهم الله بها النار ؟ [فجعلها] حسرات عليهم .[٢] قال : وجعل أعمالَ أهل الجنة لهم ، وقرأ قول الله : ﴿ بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِى الأَيَّامِ الخَالِيَةِ ﴾ [سورة الحاقة : ٢٤] .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بالآية تأويل من قال : معنى قوله : « كذلك يُريهم الله أعمالهمْ حسرات عليهم » ، كذلك يُرِى الله الكافرين أعمالهم الخبيثة حسرات عليهم ، لم عملوا بها ؟ وهلاّ عملوا بغيرها ؟ فندموا على ما فرط منهم من أعمالهم الرديئة ، إذ رأوا جزاءها من الله وعقابها ،[٣] لأن الله أخبر أنه يريهم أعمالهم ندماً عليهم .

---

(١) فى المطبوعة : « كما يقال الرجل » ، وزيادة الواو لازمة .

(٢) الزيادة بين القوسين مما يستقيم به معنى الكلام ، ليطابق القول الذى قاله هؤلاء . ويوافق الشطر الثانى من هذا الخبر فى ذكر أعمال أهل الجنة .

(٣) فى المطبوعة : « إذا رأوا جزاءها » ، والصواب ما أثبت .

فالذى هو أولى بتأويل الآية ، ما دلّ عليه الظاهرُ دون ما احتمله الباطن الذى لا دلالة له على أنه المعنىُّ بها .[١] والذى قال السدى فى ذلك ، وإن كان مَذهباً تحتمله الآية ، فإنه مَنزع بعيد . ولا أثرَ — بأنّ ذلك كما ذكر — تقوم به حُجة فيسلم لها ،[٢] ولا دلالة فى ظاهر الآية أنه المراد بها . فإذْ كان الأمر كذلك ، لم يُحَلْ ظاهر التنزيل إلى باطن تأويل .[٣]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَمَا هُمْ بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ (١٦٧)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : وما هؤلاء الذين وَصفتهم من الكفار = وإنْ نَدموا بعد معاينتهم مَا عاينوا من عذاب الله ، فاشتدت ندامتهم على ما سلف منهم من أعمالهم الخبيثة ، وتمنَّوا إلى الدنيا كرةً ليُنيبوا فيها ، ويتبرأوا من مُضليهم وسادتهم الذين كانوا يطيعونهم فى معصية الله فيها = بخارجين من النار التى أصلاهُموها الله بكفرهم به فى الدنيا ، ولا ندمُهم فيها بمنجيهم من عذاب الله حينئذ ، ولكنهم فيها مخلدون .

* * *

وفى هذه الآية الدلالةُ على تكذيب الله الزاعمين أن عَذابَ الله أهلَ النار من أهل الكفر مُنقضٍ ، وأنه إلى نهاية ، ثم هو بعدَ ذلك فانٍ . لأن الله تعالى ذكره أخبرَ عن هؤلاء الذين وصف صفتهم فى هذه الآية ، ثم ختم الخبر عنهم بأنهم غيرُ خارجين من النار ، بغير استثناء منه وَقتاً دون وقت . فذلك إلى غير حدّ ولا نهاية .

* * *

---

(١) انظر تفسير معنى : « الظاهر ، والباطن » فيما سلف ٢ : ١٥ ، واطلبه فى فهرس المصطلحات.

(٢) فى المطبوعة : « تقوم له حجة » ، وهو خطأ ، صوابه ما أثبت .

(٣) فى المطبوعة : « فإذا كان الأمر . . . » ، والصواب ما أثبت . وقوله : « لم يحل » من أحال الشىء يحيله : إذا حوله من مكان إلى مكان ، أو من وجه إلى وجه .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (١٦٨)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : يا أيها الناسُ كلوا مما أحللت لكم من الأطعمة على لسان رسولى محمد صلى الله عليه وسلم ، فطيَّبْته لكم — مما تُحرِّمونه على أنفسكم من البحائر والسوائب والوصائل وما أشبه ذلك مما لم أحرِّمه عليكم = دون ما حرَّمته عليكم من المطاعم والمآكل فنجَّسته من ميتة ودم ولحم خنزير وما أهِلَّ به لغيرى . ودعوا خُطوات الشيطان — الذى يوبقكم فيهلككم ، ويوردكم موارد العطب ، ويحرِّم عليكم أموالكم — فلا تتبعوها ولا تعلموا بها ، إنه = يعنى بقوله : « إنه » إنَّ الشيطان ، و « الهاء » فى قوله : « إنه » عائدة على الشيطان = لكم أيها الناس « عدوٌ مبين » ، يعنى : أنه قد أبان لكم عداوته ، بإبائه عن السجود لأبيكم ، وغروره إياه حتى أخرجه من الجنة ، واستزله بالخطيئة ، وأكل من الشجرة .

يقول تعالى ذكره : فلا تنتصحوه ، أيها الناس ، مع إبانته لكم العداوة ، ودعوا ما يأمركم به ، والتزموا طاعتى فيما أمرتكم به ونهيتكم عنه مما أحللته لكم وحرَّمته عليكم ، دون ما حرمتموه أنتم على أنفسكم وحللتموه ، طاعة منكم للشيطان واتباعاً لأمره . ٤٦/٢

* * *

ومعنى قوله : « حلالاً » ، طِلْقاً .[1] وهو مصدر من قول القائل : « قد حلَّ لك هذا الشيء » ، أى صار لك مُطلقاً ،[2] « فهو يَحِلُّ لك حلالاً وحِلاًّ » ، ومن

---

(١) الطلق (بكسر فسكون) . الحلال . يقال : هو لك طلق ، أى حلال . وفى الحديث : « الخيل طلق » ، أى أن الرهان عليها حلال .

(٢) هكذا فى المطبوعة ، وأخشى أن يكون الصواب فيما كتب الطبرى « طلقاً » كما سلف ، وكما سيأتى فى عبارته .

كلام العرب : « هو لك حِلٌّ » ، أى : طِلْق.[1]

* * *

وأما قوله : « طيباً » ، فإنه يعنى به : طاهرًا غير نَجس ولا محرَّم .

* * *

وأما « الخطوات » فإنه جمع « خُطوة » ، و « الخطوة » بعد ما بين قدمى الماشى . و « الخطوة » بفتح « الخاء » « الفعلة » الواحدة من قول القائل : « خَطوت خَطوة واحدةً » . وقد تجمع « الخُطْوة » « خُطاً » و « والخَطْوة » تجمع « خَطوات » ، « وخِطاء » .

* * *

والمعنى فى النهى عن اتباع خُطواته ، النهى عن طريقه وأثره فيما دعا إليه ، مما هو خلاف طاعة الله تعالى ذكره .

* * *

واختلف أهل التأويل فى معنى « الخطوات » . فقال بعضهم : خُطُوات الشيطان : عمله .

* ذكر من قال ذلك .

٢٤٣٨ — حدثنى المثنى بن إبراهيم قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « خطوات الشيطان » ، يقول : عمله .

* * *

وقال بعضهم : « خطوات الشيطان » ، خَطاياه .

* ذكر من قال ذلك :

٢٤٣٩ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « خُطُوات الشيطان » ، قال : خطيئته .

٢٤٤٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : خَطاياه

(١) فى المطبوعة : « من كلام العرب . . . » ، وأثبت الواو ، وحذفها جيد أيضاً .

٢٤٤١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة فى قوله : « ولا تتّبعوا خُطُوات الشيطان » ، قال : خطاياه .

٢٤٤٢ – حدثنى يحيى بن أبى طالب قال، حدثنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك قوله : « خطوات الشيطان » ، قال : خطايا الشيطان التى يأمرُ بها .

* * *

وقال آخرون : « خطوات الشيطان » ، طاعته .

* ذكر من قال ذلك :

٢٤٤٣ – حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال : حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولا تتبعوا خطوات الشيطان » ، يقول : طاعته.

* * *

وقال آخرون : « خطوات الشيطان » ، النذورُ فى المعاصى.

* ذكر من قال ذلك .

٢٤٤٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن سليمان ، عن أبى مجلز فى قوله : « ولا تتّبعوا خُطوات الشيطان » ، قال : هى النذور فى المعاصى .

* * *

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال التى ذكرناها عمن ذكرناها عنه فى تأويل قوله : « خطوات الشيطان » ، قريبٌ معنى بعضها من بعض . لأن كل قائلٍ منهم قولاً فى ذلك ، فإنه أشار إلى نَهى اتباع الشيطان فى آثاره وأعماله . غيرَ أن حقيقة تأويل الكلمة هو ما بينت ، من أنها « بعد ما بين قَدميه » ، ثم تستعمل فى جميع آثاره وطُرقه ، على ما قد بينت .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١٦٩)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « إنما يأمرُكم » ، الشيطانَ ، « بالسوء والفحشاء وأن تَقولوا على الله ما لا تعلمون » .

* * *

« والسوء » الإثم ، مثل « الضُّرّ » ، من قول القائل : « ساءك هذا الأمر يَسوءك سُوءًا » ، وهو ما يَسوء الفاعل .

* * *

وأما « الفحشاء » ، فهى مصدر مثل « السراء والضراء » ،[1] وهى كل ما استُفحش ذكرُه ، وقَبُح مَسموعه .

وقيل : إن « السوء » الذى ذكره الله ، هو معاصى الله . فإن كان ذلك كذلك ، فإنما سَمّاها الله « سوءاً » لأنها تسوء صاحبها بسوء عاقبتها له عند الله . وقيل : إن « الفحشاء » ، الزنا : فإن كان ذلك كذلك ، فإنما يُسمى [كذلك] ،[2] لقبح مسموعه ، ومكروه ما يُذْكَر به فاعله .

* ذكر من قال ذلك :

٢٤٤٥ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « إنما يأمركم بالسوء والفحشاء » ، أمّا « السوء » ، فالمعصية ، وأما « الفحشاء » ، فالزنا .

* * *

وأما قوله : « وأنْ تَقولوا على الله مَا لا تعلمون » ، فهو ما كانوا يحرِّمون من البحائر والسوائب والوَصائل والحوامى ، ويزعمون أن الله حرَّم ذلك . فقال تعالى

---

(١) لعل الصواب ، « فهى اسم مصدر » .

(٢) ما بين القوسين زيادة يستقيم بها الكلام .

ذكره لهم : ﴿ مَا جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلاَ سَائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ ولاَ حَامٍ ولَـٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة المائدة : ١٠٣]

فأخبرهم تعالى ذكره فى هذه الآية،(١) أنّ قيلهم: « إنّ الله حرم هذا! » من الكذب الذى يأمرهم به الشيطان، وأنه قد أحلّه لهم وطيّبه، ولم يحرم أكله عليهم، ولكنهم يقولون على الله ما لا يعلمون حقيقته، طاعةً منهم للشيطان، واتباعاً منهم خطواته، واقتفاء منهم آثارَ أسلافهم الضُّلال وآبائهم الجهال، الذين كانوا بالله وبما أنزل على رسوله جُهالاً، وعن الحق ومنهاجه ضُلالاً — وإسرافاً منهم، كما أنزل الله فى كتابه على رسوله صلى الله عليه وسلم فقال تعالى ذكره : « وإذا قيلَ لهمُ اتبعوا ما أنزل اللهُ قالوا بلْ نتبع ما ألفينا عليه آبائنا » .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (١٧٠)

قال أبو جعفر : وفى هذه الآية وجهان من التأويل .

٤٨/٢ أحدهما : أن تكون « الهاء والميم » من قوله : « وإذا قيلَ لهم » عائدة على « من » فى قوله : « ومنَ الناس مَنْ يتخذُ من دون الله أنداداً » ، فيكون معنى الكلام : ومن الناس مَنْ يتخذُ من دون الله أنداداً ، وإذا قيل لهم : اتبعوا ما أنزل الله . قالوا : بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا .

والآخر : أن تكون « الهاء والميم » اللتان فى قوله : « وإذا قيل لهم » ، من ذكر « الناس » الذين فى قوله : « يا أيها الناسُ كلوا مما فى الأرض حلالاً طيباً » ، فيكون

(١) فى المطبوعة ، « وأخبرهم » بالواو ، والصواب الجيد ما أثبت .

ذلك انصرافاً من الخطاب إلى الخبر عن الغائب ، كما فى قوله تعالى ذكره : ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ [سورة يونس : ٢٢]

* * *

قال أبو جعفر : وأشبه عندى بالصواب وأولى بتأويل الآية [١] : أن تكون « الهاء والميم » فى قوله : «لهم » ، من ذكر « الناس » ، وأن يكون ذلك رجوعاً من الخطاب إلى الخبر عن الغائب . لأن ذلك عقيب قوله : « يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض » . فلأن يكون خبراً عنهم ، أولى من أن يكون خبراً عن الذين أخبر أن منهم « من يتخذ من دون الله أنداداً » ، مع ما بينهما من الآيات ، وانقطاع قصصهم بقصة مستأنفة غيرها = وأنها نزلت فى قوم من اليهود قالوا ذلك ، [٢] إذ دعوا إلى الإسلام ، كما : —

٢٤٤٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن أبى محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود من أهل الكتاب إلى الإسلام ورغّبهم فيه ، وحذرهم عقاب الله ونقمته ، فقال له رافع بن خارجة ، ومالك بن عوف : بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، فإنهم كانوا أعلم وخيراً منا ! فأنزل الله فى ذلك من قولهما [٣] : « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتّبع ما ألفينا عليه

(١) فى المطبوعة : « وأشبه عندى وأولى بالآية » ، وهو كلام مختل ، ورددته إلى عبارة الطبرى فى تأويل أكثر الآيات السالفة .

(٢) فى المطبوعة : «وإنما نزلت فى قوم من اليهود» ، وهو خطأ ناطق ، واضطراب مفسد للكلام . والصواب ما أثبت . يقول أبو جعفر إن أولى الأقوال بالصواب أن تكون الآية نزلت فى ذكر عرب الجاهلية الذين حرموا ما حرموا على أنفسهم ، كما ذكر فى تفسير الآيتين السالفتين (١٦٨ ، ١٦٩) ، ويستبعد أن يكون المعنى بها من ورد ذكرهم فى الآية (١٦٥) ، كما يستبعد قول من قال إنها نزلت فى اليهود ، فى الخبر الذى سيرويه بعد . فقوله : « وأنها نزلت » عطف على قوله « خبراً » فى قوله : « أولى من أن يكون خبراً عن الذين أخبر أن منهم من يتخذ . . . »

(٣) فى المطبوعة : « فأنزل الله من قولهم ذلك » . وهو خطأ محض ، ورددتها إلى نصها فى سيرة ابن هشام ، كما سيأتى مرجعه .

آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون » .(١)

٢٤٤٧ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنا محمد ابن إسحق قال ، حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال ، حدثني سعيد ابن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس مثله – إلا أنه قال : فقال له أبو رافع ابن خارجة ، ومالك بن عوف .(٢)

* * *

وأما تأويل قوله : « اتبعوا ما أنزل الله » ، فإنه : اعملوا بما أنزل الله في كتابه على رسوله ، فأحلوا حلاله ، وحرموا حرامه ، واجعلوه لكم إماماً تأتمون به ، وقائداً تتبعون أحكامه .

* * *

وقوله : « ألفينا عليه آباءنا » ، يعني : وجدنا ، كما قال الشاعر :(٣)

فَأَلْفَيْتُهُ غَيْرَ مُسْتَعْتِبٍ وَلَا ذَاكِرِ اللهَ إِلَّا قَلِيلَا(٤)

---

(١) الأثر رقم : ٢٤٤٦ – في سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٠ – ٢٠١ ، مع اختلاف يسير في لفظه

(٢) الأثر رقم : ٢٤٤٧ – انظر الأثر : ٢٤٤٦ .

(٣) هو أبو الأسود الدؤلي .

(٤) ديوانه : ٤٩ (نفائس المخطوطات) ، سيبويه ١ : ٨٥ ، والأغاني ١١ : ١٠٧ ، وأمالي ابن الشجري ١ : ٢٨٣ والصداقة والصديق : ١٥١ ، والخزانة ٤ : ٥٥٤ ، وشرح شواهد المغني : ٣١٦ ، واللسان (عتب) . وهو من أبيات قالها في امرأة كان يجلس إليها بالبصرة ، وكانت برزة جميلة ، فقالت له يوماً : يا أبا الأسود ، هل لك أن أتزوجك ؟ فإني امرأة صناع الكف ، حسنة التدبير ، قانعة بالميسور . قال : نعم . فجمعت أهلها وتزوجته . ثم إنه وجدها على خلاف ما قالت ، فأسرعت في ماله ، ومدت يدها في خيانته ، وأفشت عليه سره ، فغدا على من كان حضر تزويجه ، فسألهم أن يجتمعوا عنده ، ففعلوا . فقال لهم :

أَرَيْتَ أَمْرءاً كنتُ لَمْ أَبْلُهُ أَتَانِي ، فَقَالَ : اتَّخِذْنِي خليلاَ
فَخَالَلْتُهُ ، ثُمَّ صَافَيْتُه فَلَمْ أَسْتَفِدْ مِنْ لَدُنْهُ فتيلاَ
وَأَلْفَيْتُهُ حِينَ جَرَّبْتُه كَذُوبَ الحديثِ مَرُوقاً بَخِيلاَ

يعنى : وجدته ، وكما : —

٢٤٤٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا » ، أى : ما وجدنا عليه آباءنا .

٢٤٤٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

قال أبو جعفر : فمعنى الآية : وإذا قيل لهؤلاء الكفار : كلوا مما أحل الله لكم ، ودعوا خطوات الشيطان وطريقه ، واعملوا بما أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم فى كتابه — استكبروا عن الإذعان للحق وقالوا : بل نأتم بآبائنا فنتبع ما وجدناهم عليه ، من تحليل ما كانوا يحلّون ، وتحريم ما كانوا يحرّمون .

• • •

قال الله تعالى ذكره : « أو لو كان آباؤهم » — يعنى : آباء هؤلاء الكفار الذين مضوا على كفرهم بالله العظيم — « لا يعقلون شيئاً » من دين الله وفرائضه ، وأمره ونهيه ، فيتّبعون على ما سلكوا من الطريق ، ويؤتمّ بهم فى أفعالهم — « ولا يهتدون » لرشد ، فيهتدى بهم غيرهم ، ويقتدى بهم من طلب الدين ، وأراد الحق والصواب ؟ يقول تعالى ذكره لهؤلاء الكفار : فكيف أيها الناس تتّبعون ما وجدتم عليه

فَذَكَّرْتُه ، ثُمَّ عَاتَبْتُــــهُ عِتَابًا رَفِيقًا وَقَوْلاً جَمِيلاَ
فَأَلْفَيْتُهُ غَيْرَ مُسْتَعْتِبٍ وَلاَ ذَاكِرِ اللهَ إلاَّ قَلِيلاَ
أَلَسْتُ حَقِيقًا بِتَوْدِيعِهِ وَإِتْبَاعِ ذٰلِكَ صَرْمًا طَوِيلاَ ؟!

قالوا : بل والله يا أبا الأسود ! قال : تلك صاحبتكم ، وقد طلقتها ، وأنا أحب أن أستر ما أنكرت من أمرها . ثم صرفها معهم .

قال ابن الشجرى : « والذى حسن لقائل هذا البيت حذف التنوين لالتقاء الساكنين ، ونصب اسم الله تعالى ، واختيار ذلك على حذف التنوين للإضافة وجر اسم الله — أنه لو أضاف لتعرف بإضافته إلى المعرفة ، ولو فعل ذلك لم يوافق المعطوف المعطوف عليه فى التنكير ، فحذف التنوين لالتقاء الساكنين ، وأعمل اسم الفاعل » .

واستعتب الرجل : رجع عن الإساءة وطلب الرضا ، فهو مستعتب .

آباءكم فتتركون ما يأمركم به ربكم، وآباؤكم لا يعقلون من أمر الله شيئاً ، ولا هم مصيبون حقًّا ، ولا مدركون رشداً ؟ وإنما يَتّبع المتبعُ ذا المعرفة بالشيء المستعملَ له في نفسه، فأما الجاهل فلا يتبعه – فيما هو به جاهل – إلا من لا عقل له ولا تمييز.

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في معنى ذلك .

* * *

فقال بعضهم : معنى ذلك : مثل الكافر = في قلة فهمه عن الله ما يُتلى عليه في كتابه ، وسُوء قبوله لما يدعى إليه من توحيد الله ويوعظ به = مثلُ البهيمة التي تسمع الصوتَ إذا نُعق بها ، ولا تعقلُ ما يقال لها .

* ذكر من قال ذلك :

٢٤٥٠ – حدثنا هناد بن السرّي قال، حدثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة ، في قوله : « ومثلُ الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يَسمع إلا دعاء ونداءً »، قال: مَثلُ البعير أو مثل الحمار ، تدعوه فيسمع الصوت ولا يفقه ما تقول .

٢٤٥١ – حدثني محمد بن عبد الله بن زريع قال ، حدثنا يوسف بن خالد السمتي قال ، حدثنا نافع بن مالك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : « كمثل الذي يَنعق بما لا يَسمع »، قال : هو كمثل الشاة ونحو ذلك .(١)

---

(١) الخبر : ٢٤٥١ – هذا خبر منهار الإسناد . أما « محمد بن عبد الله بن زريع » شيخ الطبري فلم أجد ترجمته . والطبري يروي عن « محمد بن عبد الله بن بزيع » ، ولا أستطيع الترجيح بأنه هو ، لحرف اسم جده .

٢٤٥٢ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: «ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعِق بما لا يَسمع إلا دعاءً ونداءً»، كمثل البعير والحمار والشاة، إن قلت لبعضها: «كُلْ» – لا يعلم ما تقول، غير أنه يسمع صوتك. وكذلك الكافر، إن أمرته بخير أو نهيته عن شر أو وعظته، لم يعقل ما تقول، غير أنه يسمع صوتك. ٤٨/٢

٢٤٥٣ – حدثني القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قال، قال ابن عباس: مثل الدابة، تنادى فتسمعُ ولا تعقل ما يقال لها. كذلك الكافر، يسمع الصوت ولا يعقل.

٢٤٥٤ – حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنا أبي، عن سفيان، عن خصيف، عن مجاهد: «كمثل الذي ينعق بما لا يسمع»، قال: مثل الكافر مثل البهيمة، تسمع الصوت ولا تعقل.

٢٤٥٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: «كمثل الذي ينعِق»، مثلٌ ضربه الله للكافر يسمع ما يقال له ولا يعقل، كمثل البهيمة تسمع النعيق ولا تعقل.

٢٤٥٦ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: «ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً»، يقول: مثل الكافر كمثل البعير والشاة، يسمع الصوت ولا يعقل ولا يدرى ما عُني به.

وأما «يوسف بن خالد السمتي»: فهو ضعيف جداً، قال فيه ابن معين: «كذاب، زنديق، لا يكتب حديثه». ولا يشتغل بمثله. مترجم في التهذيب، والكبير ٣٨٨/٢/٤، وابن سعد ٤٧/٢/٧، وابن أبي حاتم ٢٢١/٢/٤ – ٢٢٢. و «السمتي»: بفتح السين وسكون الميم، نسبة إلى السمت والهيئة. قال ابن سعد: «وقيل له: السمتي – للحيته وهيئته وسمته»! !

نافع بن مالك: هو الأصبحي، أبو سهيل، وهو عم الإمام مالك بن أنس، وهو تابعي ثقة. مترجم في التهذيب، والكبير ٨٦/٢/٤، وابن أبي حاتم ٤٥٣/١/٤.

٢٤٥٧ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « كمثل الذى ينعقُ بما لا يسمع إلاّ دعاءً ونداءً » ، قال : هو مثل ضربه الله للكافر . يقول : مَثل هذا الكافر مثل هذه البهيمة التى تسمع الصوت ولا تدرى ما يقال لها . فكذلك الكافر لا ينتفع بما يقال له .

٢٤٥٨ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : هو مَثل الكافر ، يسمع الصوت ولا يعقل ما يقال له .

٢٤٥٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج : سألت عطاء ثم قلت له : يقال : لا تعقل – يعنى البهيمة – إلا أنها تسمع دُعاء الداعى حين ينعِقُ بها، فهم كذلك لا يَعقلون وهم يسمعون . فقال : كذلك . قال : وقال مجاهد : « الذى ينعِق » ، الراعى « بما لا يسمع » من البهائم .

٢٤٦٠ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « كمثل الذى ينعق » الراعى « بما لا يسمع » من البهائم .

٢٤٦١ – حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو ، قال حدثنا أسباط ، عن السدى : « كمثل الذى ينعِق بما لا يَسمع إلا دُعاء ونداءً » ، لا يعقل ما يقال له ، إلاّ أن تُدعى فتأتى ، أو ينادَى بها فتذهب . وأما « الذى ينعق » ، فهو الراعى الغنم ، كما ينعق الراعى بما لا يسمع ما يقال له ، إلا أن يُدعى أو ينادى . فكذلك محمد صلى الله عليه وسلم ، يدعو من لا يسمع إلا خرير الكلام ، يقول الله : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾ [سورة البقرة : ١٨]

* * *

قال أبو جعفر : ومعنى قائلى هذا القول – فى تأويلهم ما تأوّلوا، على ما حكيت عنهم – : ومثَلُ وَعْظِ الذين كفروا وواعظهم ، كمثل نَعْق الناعق بغنمه

ونعيقه بها . فأضيف « المثل » إلى الذين كفروا ، وترك ذكر « الوعظ والواعظ » ، لدلالة الكلام على ذلك . كما يقال : « إذا لقيت فلاناً فعظّمه تعظيمَ السلطان » ، يراد به : كما تعظم السلطانَ ، وكما قال الشاعر :

فَلَسْتُ مُسَلِّمًا مَا دُمْتُ حَيًّا عَلَى زَيْدٍ بِتَسْلِيمِ الأَمِيرِ(١)

يراد به : كما يُسلَّم على الأمير .

وقد يحتمل أن يكون المعنى — على هذا التأويل الذى تأوله هؤلاء — : ومثل الذين كفروا فى قلة فهمهم عن الله وعن رسوله ، كمثل المنعوق به من البهائم ، الذى لا يَفقه من الأمر والنهى غير الصوت. وذلك أنه لو قيل له: « اعتلف ، أورِدِ الماء »، لم يدر ما يقال له غير الصوت الذى يسمعه من قائله. فكذلك الكافر ، مَثله فى قلة فهمه لما يؤمر به وينهى عنه — بسوء تدبُّره إياه وقلة نظره وفكره فيه — مَثلُ هذا المنعوق به فيما أُمِر به ونُهِى عنه. فيكون المعنى للمنعوق به، والكلام خارجٌ على الناعق ، كما قال نابغة بنى ذبيان :

وَقَدْ خِفْتُ ، حَتَّى مَا تَزِيدُ مَخَافَتِى عَلَى وَعِلٍ فِى ذِى المَطَارَةِ عَاقِلِ(٢)

والمعنى : حتى مَا تزيدُ مخافة الوعل على مخافتى ، وكما قال الآخر :(٣)

---

(١) مضى تخريج هذا البيت فى هذا الجزء : ٢٨١ تعليق: ١ ، وهذا القول فى تفسير الآية ذكره الفراء فى معانى القرآن ١ : ١٠٠

(٢) ديوانه : ٩٠ ، وسيأتى فى التفسير ٣٠ : ١٤٦ (بولاق) ، ومجاز القرآن : ٦٥ ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٩٩، ومشكل القرآن: ١٥١، والإنصاف: ١٦٤، وأمالى ابن الشجرى ١ : ٥٢، ٣٢٤، وأمالى الشريف ١ : ٢٠٢ ، ٢١٦، ومعجم ما استعجم : ١٢٣٨ . وهو من قصيدة مضى منها تخريج بيت فى هذا الجزء : ٢١٣ . وقوله : « ذى المطارة » (بفتح الميم) ، وهو اسم جبل . وعاقل : قد عقل فى رأس الجبل ، لجأ إليه واعتصم به وامتنع . والوعل : تيس الجبل : يتحصن بوزره من الصياد . وقد ذكر البكرى أنه رأى لابن الأعرابى أنه يعنى بذى المطارة (بضم الميم) ناقته ، وأنها مطارة الفؤاد من النشاط والمرح . ويعنى بذلك : ما عليها من الرحل والأداة . يقول : كأنى على رحل هذه الناقة وعل عاقل من الخوف والفرق .

(٣) النابغة الجعدى .

كَانَتْ فَرِيضَةُ مَا تَقُولُ ، كَمَا كَانَ الزِّنَاءُ فَرِيضَةَ الرَّجْمِ (١)

والمعنى : كما كان الرجمُ فريضة الزنا ، فجعل الزنا فريضة الرجم ، لوضوح معنى الكلام عند سامعه ، وكما قال الآخر :

إنَّ سِرَاجاً لَكَرِيمٌ مَفْخَرُهْ تَحْلَى بِهِ العَيْنُ إذَا مَا تَجْهَرُهْ (٢)

والمعنى : يَحلى بالعين ، فجعله تحلى به العين .(٣) ونظائر ذلك من كلام العرب أكثرُ من أن تحصى ، مما تُوجِّهه العرب من خبر ما تخبر عنه إلى ما صاحبَه ، لظهور معنى ذلك عند سامعه ، فتقول : « اعرِض الحوضَ على الناقة » ، وإنما تعرض الناقة على الحوض ، وما أشبه ذلك من كلامها .(٤) ٤٩/٢

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : ومَثل الذين كفروا فى دُعائهم آلهتهم وأوثانهم التى لا تسمع ولا تعقل ، كمثل الذى يَنعق بما لا يسمع إلاّ دُعاءً ونداءً ، وذلك الصدى الذى يسمع صوته ولا يفهم به عنه الناعقُ شيئاً .

فتأويل الكلام على قول قائلى ذلك: ومثل الذين كفروا وآلهتهم — فى دعائهم إياها وهى لا تفقه ولا تعقل — كمثل الناعق بما لا يسمعه الناعقُ إلاّ دعاءً ونداءً ، أى : لا يسمع منه الناعق إلا دعاءَه .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) سيأتى فى التفسير ٢ : ١٩٨ ، ٣٢٧ (بولاق) ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٩٩ ، ١٣١ ، ومشكل القرآن : ١٥٣ ، والإنصاف : ١٦٥ ، وأمالى الشريف ١ : ٢١٦ ، والصاحبى : ١٧٢ ، وسمط اللآلى : ٣٦٨ ، واللسان (زنا). وقال الطبرى فى ٢ : ٣٢٧ : « يعنى : كما كان الرجم الواجب من حد الزناء.

(٢) سيأتى فى التفسير : (٢ : ١٩٨ بولاق) ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٩٩ ، ١٣١ ، وأمالى الشريف ١ : ٢١٦ ، واللسان (حلا) . يقال : « ما فى الحى أحد تجهره عينى » ، أى تأخذه عينى فيعجبنى . وفى حديث صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على : « لم يكن قصيراً ولا طويلا ، وهو إلى الطول أقرب . من رآه جهره » ، أى عظم فى عينه .

(٣) هذا الذى مضى أكثر من قول الفراء فى معانى القرآن ١ : ٩٩ .

(٤) هذا من نص كلام أبى عبيدة فى مجاز القرآن : ٦٣ — ٦٤ .

٢٤٦٢ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وَمثل الذين كفروا كمثل الذي يَنعِق بما لا يَسمعُ إلا دعاءً ونداءً » ، قال : الرجل الذي يصيح في جَوف الجبال فيجيبه فيها صوت يُراجعه يقال له « الصَّدى » . فمثل آلهة هؤلاء لهم ، كمثل الذي يُجيبه بهذا الصوت ، لا ينفعه ، لا يَسمع إلا دعاء ونداء . قال : والعرب تسمي ذلك الصدى .

* * *

وقد تحتمل الآية على هذا التأويل وجهاً آخر غير ذلك . وهو أن يكون معناها : ومثل الذين كفروا في دعائهم آلهتهم التي لا تفقه دعاءَهم ، كمثل الناعق بغنم لهُ من حيث لا تسمعُ صوتَه غنمُه ، فلا تنتفع من نَعقِه بشيء ، غير أنه في عناء من دعاء ونُداء . فكذلك الكافر في دعائه آلهته ، إنما هو في عناء من دعائه إياها وندائه لها ، ولا ينفعه شيء .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويل عندي بالآية ، التأويل الأول الذي قاله ابن عباس ومَن وافقه عليه . وهو أن معنى الآية : ومثل وَعظ الكافر وواعظه ، كمثل الناعق بغنمه ونَعيقه ، فإنه يسمع نَعقه ولا يعقل كلامه ، على ما قد بينا قبل .

فأما وَجه جَواز حذف « وعظ » اكتفاء بالمثل منه ، فقد أتينا على البيان عنه في قوله : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً ﴾ [سورة البقرة : ١٧] ، وفي غيره من نظائره من الآيات ، بما فيه الكفاية من إعادته.(١)

* * *

وإنما اخترنا هذا التأويل ، لأن هذه الآية نزلت في اليهود ، وإياهم عَنى الله تعالى ذكره بها ، ولم تكن اليهود أهل أوثان يَعبدونها ، ولا أهل أصنام يُعظمونها ويرجون نَفعها أو دَفع ضرها . ولا وجه – إذ كان ذلك كذلك – لتأويل من

(١) انظر ما سلف ١ : ٣١٨ – ٣٢٨ ، واطلب ذلك في فهرس العربية من الأجزاء السالفة .

تأوّل ذلك أنه بمعنى : مَثل الذين كفروا فى ندائهم الآلهة وُدعائهم إياها .

* * *

فإن قال قائل : وما دليلك على أنّ المقصود بهذه الآية اليهود ؟

قيل : دليلنا على ذلك مَا قبلها من الآيات وما بعدها ، فإنهم هم المعنيون به . فكان ما بينهما بأن يكون خبراً عنهم ، أحقّ وأولى من أن يكون خبراً عن غيرهم ، حتى تأتى الأدلة واضحةً بانصراف الخبر عنهم إلى غيرهم . هذا ، مع ما ذكرنا من الأخبار عمن ذكرنا عنه أنها فيهم نزلت ، والرواية التى روينا عن ابن عباس أنّ الآية التى قبل هذه الآية نزلت فيهم .[1] وبما قُلنا من أن هذه الآية معنىّ بها

---

(١) هذا موضع مشكل فى كلام أبى جعفر رضى الله عنه ، كان ينبغى أن يبينه فضل بيان . فإن صدر عبارته قاض بأن كل الآيات التى قبل هذه الآية نزلت فى يهود ، وليس كذلك . ثم عاد بعد قليل يقول : «هذا مع الرواية التى رويناها عن ابن عباس أن الآية التى قبل هذه الآية نزلت فيهم » — يعنى فى يهود . ولو كان الأمر كما يفهم من صدر عبارته ، لم يكن لنصه بعد ذلك على أن الآية التى « قبل هذه الآية » نزلت فيهم ، فيما روى عن ابن عباس — معنى مفهوم .

والظاهر أن أبا جعفر كان أراد أن يقول : إن الآيات السالفة نزلت فى اليهود — إلا الآيات الأخيرة من أول قوله : « إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار » إلى قوله : « وإلهكم إله واحد » (١٦٣ — ١٧٠) ، فهى قد نزلت فى كفار العرب ، وذكر ابن عباس أن الآية الأخيرة : (١٧٠) نزلت فى يهود أيضاً . ثم إن الآيات بعدها هى ولاشك فى يهود وأهل الكتاب ، فلذلك حمل معنى الآية هذه أنه مراد به اليهود . فكأنه جعل الآيات من (١٦٣ — ١٦٩) اعتراضاً فى سرد قصة واحدة ، هى قصة يهود .

فإن لم يكن ذلك كذلك ، فلست أدرى كيف يتسق كلامه . فهو منذ بدأ فى تفسير هذه الآيات من ١٦٣ — ١٦٩ لم يذكر إلا أهل الشرك وحدهم ، وبين أن المقصود بقوله تعالى : « يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيباً » — هم الذين حرموا على أنفسهم البحائر والسوائب والوصائل (ص ٣٠٠) ، ثم عاد فى تأويل قوله تعالى : « وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » فقال : فهو ما كانوا يحرمون من البحائر والسوائب والوصائل والحوامى (ص ٣٠٣) . واليهود ، كما أنهم لم يكونوا أهل أوثان يعبدونها ، أو أصنام يعظمونها كما قال أبو جعفر ، فهم أيضاً لم يحرموا بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة كما ذكر فى تفسير الآيات السالفة . فهذا تناقض منه رحمه الله — إلا إذا حمل كلامه على استثناء الآيات التى ذكرت أنه فسرها على أنه مراد بها مشركو العرب الذين حرموا على أنفسهم ما حرموا من البحائر والسوائب والوصائل .

والصواب من القول عندى ، أن هذه الآية تابعة للآيات السالفة ، وأن قصتها شبيهة بقصة ما قبلها فى ذكر المشركين الذى قال الله لهم : « يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيباً » ، وأن العود إلى قصة أهل الكتاب هو من أول قوله تعالى : « إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب » والآيات التى تليها . وانظر ما سيأتى : ٣١٧ ، فإنه قد عاد هناك ، فجعل الآية خاصة بالمشركين من أهل الجاهلية ، بذكره ما حرموا على أنفسهم من المطاعم ، وهو تناقض شديد .

اليهود، كان عطاء يقول :

٢٤٦٣ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال لى عطاء فى هذه الآية : هم اليهود الذين أنزل الله فيهم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ إلى قوله : ﴿ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾ [سورة البقرة : ١٧٤ – ١٧٥] .

* * *

وأما قوله: «يَنعِق» ،فإنه : يُصوِّت بالغنم، « النَّعيق، والنُّعاق » ، ومنه قول الأخطل :

فَانْعِقْ بِضَأْنِكَ يَا جَرِيرُ ، فَإِنَّمَا مَنَّتْكَ نَفْسُكَ فِى الْخَلَاءِ ضَلَالَا(١)

يعنى : صوِّت به .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (١٧١)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله: « صُمٌّ بُكمٌ عُميٌ » ، هؤلاء الكفارَ الذين مَثلهم كمثل الذى يَنعق بما لا يسمع إلا دُعاءً ونداءً « صُمٌّ » عن الحق فهم لا يسمعون – « بُكمٌ » يعنى : خُرسٌ عن قيل الحقّ والصواب ، والإقرار بما أمرهم الله أن يقرُّوا به ، وتبيين ما أمرهم الله تعالى ذكره أن يُبينوه من أمر محمد صلى الله عليه وسلم للناس ، فلا ينطقون به ولا يقولونه ، ولا يبينونه للناس – ، «عُميٌ»

(١) ديوانه : ٥٠ ، ونقائض جرير والأخطل : ٨١ ، وطبقات فحول الشعراء : ٤٢٩ ، ومجاز القرآن : ٦٤ ، واللسان (نعق) وقد مضت أبيات منها فى ٢ : ٣٨ : ٣٩ ، ٤٩٢ ، ٤٩٦ ، وهذا الجزء ٣ : ٢٩٤، وقد ذكر قبله حروب رهطه بنى تغلب ، ثم قال لجرير : إنما أنت راعى غنم ، فصوت بغنمك ، ودع الحروب وذكرها . فلا علم لك ولا لأسلافك بها . وكل ما تحدث به نفسك من ذلك ضلال وباطل .

عن الهدى وطريق الحق فلا يبصرونه ،[١] كما : —

٢٤٦٤ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة قوله : « صُمٌّ بكم عمى » ، يقول : صم عن الحق فلا يسمعونه ، ولا ينتفعون به ولا يعقلونه ؛ عُمى عن الحق والهدى فلا يبصرونه ؛ بُكم عن الحقّ فلا ينطقون به .

٢٤٦٥ — حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « صم بكم عمى » ، يقول : عن الحق .

٢٤٦٦ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « صم بكم عمى » ، يقول : لا يسمعون الهدى ولا يبصرونه ولا يعقلونه .

* * *

وأما الرفع فى قوله : « صم بكم عمى » ، فإنه أتاهُ من قبل الابتداء والاستئناف ، يدل على ذلك قوله : « فهم لا يعقلون » ، كما يقال فى الكلام : « هو أصم لا يسمع ، وهو أبكم لا يتكلم » .[٢]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِنْ طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (١٧٢) ٢/٥٠

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله « يا أيها الذين آمنوا » ، يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله ، وأقروا لله بالعبودية ، وأذعنوا له بالطاعة ، كما : —

٢٤٦٧ — حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن

---

(١) انظر تفسير : « صم » « بكم » « عمى » فيما سلف ١ : ٣٢٨ — ٣٣١ . وقد حمل أبو جعفر معنى الآية هنا على أنه عنى به اليهود وأهل الكتاب . انظر التعليق السالف ص : ٣١٤ ، رقم : ١ .

(٢) انظر إعرابه فى الآية الأخرى فيما سلف ١ : ٣٢٩ — ٣٣٠ .

جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « يا أيها الذين آمنوا » ، يقول : صدّقوا .

* * *

« كلوا من طيبات ما رَزَقناكم » ، يعنى : اطعَموا من حَلال الرزق الذى أحللناهُ لكم ، فطاب لكم بتحليلى إياه لكم ، مما كنتم تحرِّمونَ أنتم ، ولم أكن حرمته عليكم ، من المطاعم والمشارب . « واشكروا لله » ، يقول : وأثنوا على الله بما هو أهله منكم ، على النعم التى رزقكم وَطيَّبها لكم . « إن كنتم إياه تعبدون » ، يقول : إن كنتم منقادين لأمره سامعين مطيعين ، فكلوا مما أباح لكم أكله وحلله وطيَّبه لكم ، ودعوا فى تحريمه خطوات الشيطان .

وقد ذكرنا بعض ما كانوا فى جاهليتهم يحرِّمونه من المطاعم ، وهو الذى ندبهم إلى أكله ونهاهم عن اعتقاد تحريمه ، إذْ كان تحريمهم إياه فى الجاهلية طاعةً منهم للشيطان ، واتباعاً لأهل الكفر منهم بالله من الآباء والأسلاف . ثم بيّن لهم تعالى ذكره ما حرَّم عليهم ، وفصَّله لهم مُفسَّراً . (١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : لا تُحرموا على أنفسكم ما لم أحرمه عليكم أيها المؤمنون بالله وبرسوله منَ البحائر والسوائب ونحو ذلك ، بَل كلوا ذلك ، فإنى لم أحرم عليكم غير الميتة والدم ولحم الخنزير ، وَما أهلَّ به لغيرى.

* * *

ومعنى قوله : « إنما حَرَّم عليكم الميتة » ، ما حرَّم عليكم إلا الميتة .

---

(١) فى المطبوعة : « وفصل لهم » ، والصواب ما أثبت . وهذا الذى قاله هنا برهان آخر على أن أبا جعفر قد اضطرب فى قصة هذه الآيات ، فهو قد عاد وجعل بعض الآيات السالفة ، فى مشركى العرب فى جاهليتهم ، كما ترى ، وهو بين أيضاً فى تفسيره الآية التالية . انظر ص : ٣١٤ ، تعليق : ١ .

« وإنما » حرف واحدٌ، ولذلك نصبت « الميتة والدم »، وغير جائز فى « الميتة » إذا جعلت « إنما » حرفاً واحداً — إلا النصب. ولو كانت « إنما » حرفين ، وكانت منفصلة من « إنّ » ، لكانت « الميتة » مرفوعة وما بعدها . وكان تأويل الكلام حينئذ : إنّ الذى حرم الله عليكم من المطاعم الميتةُ والدمُ ولحمُ الخنزير ، لا غير ذلك .(١)

وقد ذُكر عن بعض القراء أنه قرأ ذلك كذلك، على هذا التأويل . ولست للقراءة به مستجيزاً = وإن كان له فى التأويل والعربية وَجه مفهومٌ = لاتفاق الحجة من القراء على خلافه . فغيرُ جائز لأحد الاعتراض عليهم فيما نقلوه مجمعين عليه .

* * *

ولو قرئ فى « حرّم » بضم الحاء من « حرّم » ، لكان فى « الميتة » وجهان من الرفع . أحدهما : من أن الفاعل غير مسمى ، « وإنما » حرفٌ واحد .

والآخر : « إن » و « ما » فى معنى حرفين ، و « حرّم » من صلة « ما » ، « والميتة » خبر « الذى » مرفوع على الخبر. ولست، وإن كان لذلك أيضاً وجه، مستجيزاً للقراءة به ، لما ذكرت .

* * *

وأما « الميتة » ، فإن القرأةَ مختلفة فى قراءتها. فقرأها بعضهم بالتخفيف ، ومعناه فيها التشديد، ولكنه يُخففها كما يخفف القائلون فى : « هو هيّن ليّن » « الهيْن الليْن » ،(٢) كما قال الشاعر :(٣)

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَاحَ بِمَيْتٍ إِنَّمَا المَيْتُ مَيِّتُ الأَحْيَاءِ(٤)

---

(١) انظر تفصيل هذا فى معانى القرآن للفراء ١ : ١٠٢ — ١٠٣ .

(٢) فى المطبوعة : « القائلون وهو هين لين . . . » ، وكأن الصواب ما أثبت .

(٣) هو عدى بن الرعلاء الغسانى ، والرعلاء أمه .

(٤) الأصمعيات : ٥ ، ومعجم الشعراء : ٢٥٢ ، وتهذيب الألفاظ : ٤٤٨ ، واللسان (موت) وحماسة ابن الشجرى : ٥١ ، والخزانة ٤ : ١٨٧ ، وشرح شواهد المغنى : ١٣٨ . من أبيات جيدة صادقة ، يقول بعده :

فجمع بين اللغتين فى بيت واحد ، فى معنى واحد .

وقرأها بعضهم بالتشديد، وحملوها على الأصل، وقالوا : إنما هو « مَيْوِت » « فيعل » ، من الموت . ولكن « الياء » الساكنة و« الواو» المتحركة لما اجتمعتا، « والياء» مع سكونها متقدمة، قلبت « الواو» « ياء » وشددت، فصارتا «ياء » مشددة ، كما فعلوا ذلك فى « سيد وجيد » . قالوا : ومن خففها ، فإنما طلب الخفة . والقراءةُ بها على أصلها الذى هو أصلها أولى .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى أن التخفيف والتشديد فى « ياء » « الميتة » لغتان معروفتان فى القراءة وفى كلام العرب ، فبأيهما قرأ ذلك القارئ فمصيب . لأنه لا اختلاف فى معنييهما .

* * *

وأما قوله : « وَمَا أهِلَّ به لغير الله » ، فإنه يعنى به : وما ذُبح للآلهة والأوثان يُسمى عليه بغير اسمه ، أو قُصد به غيرُه من الأصنام .

وإنما قيل: « وما أهِلَّ به » ، لأنهم كانوا إذا أرادوا ذبح ما قرَّبوه لآلهتهم، سموا اسم آلهتهم التى قربوا ذلك لها، وجهروا بذلك أصواتَهم ، فجرى ذلك من أمرهم على ذلك ، حتى قيل لكل ذابح، سمَّى أو لم يُسمِّ،(١) جهر بالتسمية أو لم يجهر — : « مُهِلٌّ». فرفعهم أصواتهم بذلك هو « الإهلال » الذى ذكره الله تعالى فقال: « وما أهِلَّ به لغير الله » . ومن ذلك قيل للملبِّى فى حجة أو عمرة « مُهِلّ »، لرفعه صوته بالتلبية . ومنه « استهلال » الصبى ، إذا صاح عند سقوطه من بطن أمه، « واستهلال » المطر ، وهو صوت وُقوعه على الأرض، كما قال عمرو بن قميئة :

إنَّمَا المَيْتُ مَنْ يَعِيشُ ذَلِيلاً كَاسِفًا بَالُهُ قَلِيلَ الرَّجَاء
فَأُنَاسٌ يُمَصِّصُونَ ثِمَادًا وَأُنَاسٌ حُلُوقُهُمْ فِى المَاء

الثماد الماء القليل يبقى فى الحفر . وما أصدق ما قال هذا الأبى الحر .

(١) فى المطبوعة : « يسمى بذلك أو لم يسم » ، والصواب ما أثبت ، فعل ماض كالذى يليه .

ظَلَّ البِطَاحَ لَهُ انْهِلَالُ حَرِيصَةٍ فَصَفَا النِّطَافُ لَهُ بُعَيْدَ المُقْلَعِ (١)

واختلف أهل التأويل فى ذلك . فقال بعضهم : يعنى بقوله : « وما أهِلَّ به لغير الله » ، ما ذبح لغير الله .

• ذكر من قال ذلك :

٢٤٦٨ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وما أهِلَّ به لغير الله » ، قال : ما ذبح لغير الله .

٥١/٢ ٢٤٦٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « وما أهلَّ به لغير الله » ، قال : ما ذبح لغير الله مما لم يُسم عليه .

٢٤٧٠ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وما أهلَّ به لغير الله » ، ما ذبح لغير الله

٢٤٧١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال ابن عباس فى قوله : « وما أهِلَّ به لغير الله » ، قال : ما أهِلَّ به للطواغيت .

٢٤٧٢ – حدثنا سفيان بن وكيع قال ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : « وما أُهلَّ به لغير الله » ، قال : ما أهل به للطواغيت .

٢٤٧٣ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « وما أهِلَّ به لغير الله » ، يعنى : ما أهِل للطواغيت كلّها . يعنى : ما ذبح لغير الله من أهل الكفر ، غير اليهودى والنصارى .

٢٤٧٤ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن عطاء فى قول الله : « وما أهِلَّ به لغير الله » ، قال : هو ما ذبح لغير الله .

* * *

(١) سلف تخريج هذا البيت فى ١ : ٥٢٣ – ٥٢٤ ، وأن صواب نسبته إلى الحادرة الذبيانى .

وقال آخرون : معنى ذلك : ما ذكر عليه غير اسم الله .

* ذكر من قال ذلك :

٢٤٧٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « وما أهلّ به لغير الله » ، يقول : ما ذكر عليه غير اسم الله .

٢٤٧٦ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد – وسألته عن قول الله : « وما أهلّ به لغير الله » – قال : ما يذبح لآلهتهم ، الأنصابُ التي يعبدونها ويسمُّون أسماءَها عليها . قال : يقولون : « باسم فلان » ، كما تقول أنت : « باسم الله » ، قال : فذلك قوله : « وما أهلّ به لغير الله » .

٢٤٧٧ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثنا حيوة ، عن عقبة بن مسلم التُّجيبي وقيس بن رافع الأشجعي أنهما قالا : أحِل لنا ما ذُبح لعيد الكنائس ، وما أهدى لها من خبز أو لحم ، فإنما هو طعام أهل الكتاب . قال حيوة ، قلت : أرأيتَ قول الله : « وما أهِلّ به لغير الله » ؟ قال : إنما ذلك المجوسُ وأهلُ الأوثان والمشركون .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بقوله : « فمن اضطر » ، فمن حَلَّت به ضرورة مجاعة إلى ما حرَّمت عليكم من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله – وهو بالصفة التي وصفنا – فلا إثم عليه في أكله إن أكله .

* * *

وقوله : فمن « اضطر » « افتعل » من « الضّرورة ».

• • •

و « غيرَ باغ » نُصِب على الحال مِن « مَن »، فكأنه . قيل: فمن اضطرّ لا باغياً ولا عادياً فأكله ، فهو له حلال .

• • •

وقد قيل إن معنى قوله : « فمن اضطر » ، فمن أكره على أكله فأكله ، فلا إثم عليه .

• ذكر من قال ذلك :

٢٤٧٨ – حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازى قال، حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال ، حدثنا إسرائيل ، عن سالم الأفطس ، عن مجاهد قوله : « فمن اضطر غيرَ باغ ولا عاد » ، قال : الرجل يأخذُه العدو فيدعونه إلى معصية الله .

• • •

وأما قوله : « غيرَ باغ ولا عاد » ، فإن أهل التأويل فى تأويله مختلفون .

فقال بعضهم : يعنى بقوله : « غير باغ » ، غيرَ خارج على الأئمة بسيفه باغياً عليهم بغير جور ، ولا عادياً عليهم بحرب وعدوان، فيفسدَ عليهم السبيلَ .

• ذكر من قال ذلك :

٢٤٧٩ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس قال ، سمعت ليثاً ، عن مجاهد : « فمن اضطر غيرَ باغٍ ولا عاد » ، قال : غيرَ قاطع سبيل ، ولا مفارق جماعة ، ولا خارج فى معصية الله ؛ فله الرخصة

٢٤٨٠ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فمن اضطر غيرَ باغ ولا عاد » ، يقول : لا قاطعاً للسبيل ، ولا مفارقاً للأئمة ، ولا خارجاً فى معصية الله ، فله الرخصة . ومن خرج باغياً أو عادياً فى معصية الله، فلا رخصة له وإن اضطُرّ إليه .

٢٤٨١ – حدثنا هناد بن السرى قال، حدثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد : « غير باغ ولا عاد » ، قال : هو الذى يقطع الطريق ، فليس له رخصة

إذا جاع أن يأكل الميتة ، وإذا عطش أن يشربَ الخمر .

٢٤٨٢ – حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال : أخبرنا ابن المبارك، عن شريك ، عن سالم – يعني الأفطس – عن سعيد في قوله : « فمن اضطُر غير باغ ولا عاد » ، قال : الباغي العادي الذي يقطع الطريق ، فلا رخصة له ولا كرامة .

٢٤٨٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا الحماني قال ، حدثنا شريك ، عن سالم، عن سعيد في قوله : « فمن اضطُر غير باغ ولا عاد » ، قال : إذا خرج في سبيل من سُبُل الله فاضطر إلى شرب الخمر شرب ، وإن اضطر إلى الميتة أكل . وإذا خرج يقطع الطريق ، فلا رخصة له .

٢٤٨٤ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حفص بن غياث، عن الحجاج ، عن القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد قال: « غيرَ باغ » على الأئمة، « ولا عاد » ، قال : قاطع السبيل .

٢٤٨٥ – حدثنا هناد قال، حدثنا ابن أبي زائدة ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد: « فمن اضطر غير باغ ولاعاد »، قال : غير قاطع السبيل، ولا مفارق الأئمة ، ، ولا خارج في معصية الله ، فله الرخصة .

٢٤٨٦ – حدثنا هناد قال، حدثنا أبو معاوية ، عن حجاج ، عن الحكم ، عن مجاهد : « فمن اضطُر غير باغ ولا عاد»، قال: غير باغ على الأئمة ، ولا عاد على ابن السبيل . ٥٢/٢

* * *

وقال آخرون في تأويل قوله : « غيرَ باغ ولا عاد » : غيرَ باغ الحرامَ في أكله ، ولا معتدٍ الذي أبيحَ له منه.

* ذكر من قال ذلك :

٢٤٨٧ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ،

عن قتادة قوله : « فمن اضطُرَّ غير باغ ولا عاد » ، قال : غير باغ فى أكله ، ولا عادٍ : أن يتعدى حلالاً إلى حرام ، وهو يجد عنه مَندوحة .

٢٤٨٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الحسن فى قوله : « فمن اضطر غيرَ باغ ولا عاد » ، قال : غير باغ فيها ولا معتدٍ فيها بأكلها ، وهو غنىٌّ عنها .

٢٤٨٩ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عمن سمع الحسن يقول ذلك .

٢٤٩٠ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال حدثنا أبو تميلة ،[1] عن أبى حمزة، عن جابر ، عن مجاهد وعكرمة قوله : « فمن اضطر غير باغ ولا عاد » ، « غير باغ » يَبتغيه، « ولا عادٍ » : يتعدى على ما يُمسك نفسه .

٢٤٩١ – حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه، عن الربيع : « فمن اضطر غير باغ ولا عاد » ، يقول: من غير أن يبتغى حراماً ويَتعداه، ألا ترى أنه يقول : ﴿ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ العَادُونَ ﴾ [سورة المؤمنون : ٧/سورة المعارج : ٣١]

٢٤٩٢ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « فمن اضطُرَّ غير باغٍ ولا عادٍ » ، قال : أن يأكل ذلك بَغياً وتعدياً عن الحلال إلى الحرام ، ويترك الحلال وهو عنده ، ويتعدى بأكل هذا الحرام . هذا التعدى . ينكر أن يكونا مختلفين ، ويقول : هذا وهذا واحد !

* * *

وقال آخرون تأويل ذلك : فمن اضطر غير باغ فى أكله شهوة ، ولا عاد فوق ما لا بُدَّ له منه .

* ذكر من قال ذلك :

٢٤٩٣ – حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا

(١) فى المطبوعة : « أبو نميلة » ، والصواب بالتاء . مضت ترجمته برقم : ٣٩٢ ، ٤٦١ .

أسباط ، عن السدى: « فمن اضطر غير باغ ولاعاد » . أمّا « باغ »، فيبغى فيه شهوته . وأما « العادى » ، فيتعدى فى أكله ، يأكل حتى يشبع ، ولكن يأكل منه قدر ما يُمسك به نفسه حتى يبلغ به حاجته .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال : فمن اضطر غير باغ بأكله ما حُرم عليه من أكله ، ولا عاد فى أكله ، وله عن ترك أكله — بوجود غيره مما أحله الله له — مندوحة وغنى .

وذلك أن الله تعالى ذكره لم يرخّص لأحد فى قتل نفسه بحال . وإذ كان ذلك كذلك، فلاشك أن الخارجَ على الإمام والقاطعَ الطريقَ ، وإن كانا قد أتيا ما حرّم الله عليهما = : من خروج هذا على من خرج عليه، وسَعى هذا بالإفساد فى الأرض، = فغيرُ مبيح لهما فعلهما ما فعلا مما حرّم الله عليهما — ما كان حرّم الله عليهما قبل إتيانهما ما أتيا من ذلك — من قتل أنفسهما. [ورَدُّهما إلى محارم الله عليهما بعد فعلهما ما فعلا ، وإن كان قد حرّمَ عليهما ما كان مُرَخَّصاً لهما قبل ذلك من فعلهما، وإن لم نرَ رَدَّهما إلى محارم الله عليهما تحريماً،[1] فغير مرخِّص لهما ما كان عليهما قبل ذلك حراماً] . فإذ كان ذلك كذلك ، فالواجبُ على قُطاع الطريق والبغاة على الأئمة العادلة، الأوبةُ إلى طاعة الله، والرجوعُ إلى ما ألزمهما الله الرجوع إليه ، والتوبةُ من معاصى الله — لا قتلُ أنفسهما بالمجاعة ، فيزدادان إلى إثمهما إثماً ، وإلى خلافهما أمرَ الله خلافاً .[2]

---

(١) فى المطبوعة : «وإن لم يؤدهما إلى محارم الله عليهما تحريماً» . وهو تصحيف مفسد قد آذى من أراد أن يفهم عن الطبرى ما يقول . و « المحارم » : كل ما حرم الله سبحانه علينا فهو من محارم الله . وانظر التعليق التالى .

(٢) هذه الفقرة رد على القول الأول ، قول من ذهب إلى أن « الباغى » هو الخارج على الأئمة ، وأن « العادى » هو قاطع الطريق ، وأنهما لفعلهما ذلك مستثنيان من حكم الآية فى الترخيص للمضطر أن يأكل مما حرم الله عليه . ولكن العبارة فى الأصل فاسدة ، لا يكاد يكون لها معنى . ولم أستجز أن أدعها فى الأصل على ما هى عليه . وهكذا كانت فى الأصل :

وأما الذى وجّه تأويل ذلك إلى أنه غيرُ باغ فى أكله شهوة ، فأكل ذلك شهوة ، لا لدفع الضرورة المخوف منها الهلاك — مما قد دخل فيما حرمه الله عليه — فهو بمعنى ما قلنا فى تأويله ، وإن كان للفظه مخالفاً .

فأما توجيه تأويل قوله : « ولا عاد » ، ولا آكل منه شبعة ، ولكن ما يمسك به نفسه ، فإن ذلك ، بعض معانى الاعتداء فى أكله . ولم يخصص الله من معانى الاعتداء فى أكله معنى ، فيقال عنى به بعض معانيه .

فإذ كان ذلك كذلك ، فالصواب من القول ما قلنا : من أنه الاعتداء فى كل معانيه المحرّمة .

* * *

وأما تأويل قوله : « فلا إثم عليه »، يقول : من أكل ذلك على الصفة التى وصفنا ، فلا تبعة عليه فى أكله ذلك كذلك ولا حرَج .

* * *

[بل ذلك من فعلهما ، وإن لم يؤدهما إلى محارم الله عليهما تحريماً ، فغير مرخص لهما ما كان عليهما قبل ذلك حراما] .

وهو كلام لا يستقيم ، وقد اجتهدت فرأيت أنه سقط من ناسخ كلامه سطر كامل فيما أرجح ، بين قوله: « من قتل أنفسهما» وقوله: «قبل ذلك من فعلهما» فبقيت «قبل» وحدها ، فجاء ناسخ آخر فلم يستبن معنى ما يكتب ، فجعل « قبل » « بل » ، ظناً منه أن ذلك يقيم المعنى على وجه من الوجوه . فاضطرب الكلام كما ترى اضطراباً لا يخلص إلى شىء مفهوم . وزاده فساداً واضطراباً تصحيف قوله : « وإن لم نردهما » بما كتب : « وإن لم يؤدهما » ، فخلص إلى كلام ضرب عليه التخليط ضرباً !

وقد ساق الطبرى فى هذه الفقرة حجتين لرد قول من قال إن الباغى هو الخارج على الإمام ، وإن العادى هو قاطع السبيل .

فالحجة الأولى : أن الباغى والعادى ، وإن كان كلاهما قد أتى فعلا محرماً ، فإن إتيان هذا الفعل المحرم ، لا يجعل قتل أنفسهما مباحاً لهما ، إذ هو محرم عليهما قبل إتيانهما ما أتيا من محارم الله عليهما .

والحجة الأخرى : أن الله قد رخص لكل مضطر أن يأكل مما حرم عليه ، فاستثناء الباغى والعادى من رخصة الله للمضطر . لا يعد عنده تحريماً ، بل هو رد إلى ما كان محرماً عليهما قبل البغى أو العدوان . ومع ذلك فإن هذا الرد إلى ما كان محرماً عليهما ، وإن كان قد حرم عليهما ما كان مرخصاً لهما ولكل مضطر قبل البغى والعدوان ، فإنه لا يرخص لهما قتل أنفسهما ، وهو حرام عليهما قبل البغى والعدوان .

وإذن ، فالواجب عليهما أن يتوبا ، لا أن يقتلا أنفسهما بالمجاعة ، فيزدادان إثماً إلى إثمهما ، وخلافاً إلى خلافهما بالبغى والعدوان أمر الله .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٧٣)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله تعالى ذكره : « إنّ الله غفور رحيم » ، « إنّ الله غفورٌ » = إن أطعتم الله فى إسلامكم ، فاجتنبتم أكل ما حرم عليكم ، وتركتم اتباعَ الشيطان فيما كنتم تحرمونه فى جاهليتكم — طاعةً منكم للشيطان واقتفاءً منكم خُطواته — مما لم أحرمه عليكم = لما سلف منكم ، فى كفركم وقبل إسلامكم ، فى ذلك من خطأ وذنب ومعصية ، فصافحٌ عنكم ، وتارك عقوبتكم عليه ، « رحيم » بكم إن أطعتموه .

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « إنّ الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب » ، أحبارَ اليهود الذين كتموا الناس أمرَ محمد صلى الله عليه وسلم ونبوّته ، وهم يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة ، برُشىً كانوا أُعطوها على ذلك ، كما : —

٢٤٩٤ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إنّ الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب » الآية كلها ، هم أهل الكتاب ، كتموا ما أنزل الله عليهم وبَين لهم من الحق والهدى ، من بعث محمد صلى الله عليه وسلم وأمره . ٥٣/٢

٢٤٩٥ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « إنّ الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون

به ثمناً قليلاً » ، قال : هم أهل الكتاب ، كتموا ما أنزل الله عليهم من الحق والإسلامَ وشأنَ محمد صلى الله عليه وسلم .

٢٤٩٦ – حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط ، عن السدى : « إن الذين يكتمون ما أنزل الله منَ الكتاب » ، فهؤلاء اليهود ، كتموا اسم محمد صلى الله عليه وسلم .

٢٤٩٧ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة قوله : « إنّ الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب »، والتي في « آل عمران » ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾ [سورة آل عمران: ٧٧] ، نزلتا جميعاً في يهود .

* * *

وأما تأويل قوله « ويشترون به ثمناً قليلاً » ، فإنه يعني : يبتاعون به . « والهاء » التي في « به » ، من ذكر « الكتمان » . فمعناه: ابتاعوا بكتمانهم ما كتموا الناس من أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأمر نبوّته ثمناً قليلاً . وذلك أنّ الذى كانوا يُعطَوْن = على تحريفهم كتابَ الله وتأويلهم إيّاه على غير وجهه، وكتمانهم الحق في ذلك = اليسيرَ من عرض الدنيا ، كما : –

٢٤٩٨ – حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ويشترون به ثمناً قليلاً » ، قال : كتموا اسم محمد صلى الله عليه وسلم ، وأخذوا عليه طمعاً قليلاً ، فهو الثمن القليل .

* * *

وقد بينت فيما مضى صفة « اشتراثهم » ذلك ، بما أغنى عن إعادته ههنا

* * *

(١) انظر ما سلف في معنى « الاشتراء » و « الثمن » ١ : ٣١١ – ٣١٥، ٥٦٥/ثم ٢ : ٣٤١ – ٣٤٢ .

القول فى تأويل قوله تعالى : (أُوْلَـٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (١٧٤)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « أولئك » ، — هؤلاء الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب فى شأن محمد صلى الله عليه وسلم بالخسيس من الرِّشوة يُعطَوْنها ، فيحرِّفون لذلك آيات الله ويغيِّرون معانيها = « ما يأكلون فى بطونهم » — بأكلهم ما أكلوا من الرِّشى على ذلك والجعالة ، (١) وما أخذوا عليه من الأجر = « إلا النار » — يعنى : إلا ما يوردهم النار ويُصْليهموها ، كما قال تعالى ذكره ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً ﴾ [سورة النساء : ١] ، معناه : ما يأكلون فى بطونهم إلا ما يوردهم النار بأكلهم ، فاستغنى بذكر « النار » وفهم السامعين معنى الكلام ، عن ذكر « ما يوردهم ، أو يدخلهم » . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك :

٢٤٩٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « أولئك ما يأكلون فى بُطونهم إلا النار » ، يقول : ما أخذوا عليه من الأجر

* * *

فإن قال قائل : فهل يكون الأكل فى غير البطن فيقال : « ما يأكلون فى بطونهم » ؟

قيل : قد تقول العرب : « جُعت فى غير بطنى ، وشَبعتُ فى غير بطنى » ، فقيل : فى بُطونهم لذلك ، كما يقال : « فعل فُلان هذا نفسُه » . وقد بينا ذلك فى غير هذا الموضع ، فيما مضى . (٢)

---

(١) الجعل (بضم فسكون) والجعالة (مثلثة الجيم) : أجر مشروط يجعل للقائل أو الفاعل شيئاً .

(٢) انظر ما سلف ٢ : ٢٧٢ ، وهذا الجزء ٣ : ١٥٩ — ١٦٠ .

وأما قوله : « ولا يُكلِّمهمُ الله يومَ القيامة » ، يقول : ولا يكلمهم بما يحبون ويشتهون ، فأما بما يسوءهم ويكرَهون ، فإنه سيكلمهم . لأنه قد أخبر تعالى ذكره أنه يقول لهم — إذا قالوا : ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ : قال ﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ الآيتين [سورة المؤمنون : ١٠٧، ١٠٨] .

• • •

وأما قوله : « ولا يُزكِّيهم » ، فإنه يعني : ولا يطهِّرهم من دَنس ذنوبهم وكفرهم ،[1] « ولهم عذاب أليم » ، يعني : مُوجع[2] .

• • •

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ﴾

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بقوله : « أولئك الذين اشترَوُا الضلالة بالهدى » ، أولئك الذين أخذوا الضلالة ، وتركوا الهدى ، وأخذوا ما يوجب لهم عذاب الله يوم القيامة ، وتركوا ما يُوجب لهم غفرانه ورضْوانه . فاستغنى بذكر « العذاب » و « المغفرة » ، من ذكر السبب الذي يُوجبهما ، لفهم سامعي ذلك لمعناه والمراد منه . وقد بينا نظائر ذلك فيما مضى .[3] وكذلك بينا وجه « اشتروا الضلالة بالهدى » باختلاف المختلفين ، والدلالة الشاهدة بما اخترنا من القول ، فيما مضى قبل ، فكرهنا إعادته .[4]

• • •

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٥٧٣ — ٥٧٤ ، وهذا الجزء ٣ : ٨٨ .

(٢) انظر ما سلف ١ : ٢٨٣ . ثم ٢ : ١٤٠ ، ٣٧٧ ، ٥٠٦، ٥٤٠ .

(٣) انظر ما سلف فهارس مباحث العربية .

(٤) انظر ما سلف ١ : ٣١١ — ٣١٥ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ (١٧٥)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك . فقال بعضهم معنى ذلك: فما أجرأهم على العمل الذى يقرِّبُهم إلى النار.

* ذكر من قال ذلك :

٢٥٠٠ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فما أصْبرَهم على النار » ، يقول : فما أجرأهم على العمل الذى يقربهم إلى النار .

٢٥٠١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « فما أصْبرَهم على النار » ، يقول : فما أجرأهم عليها . ٥٤/٢

٢٥٠٢ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، حدثنا هشيم ، عن بشر ، عن الحسن فى قوله : « فما أصْبرهم على النار » ، قال : والله ما لهم عليها من صبر ، ولكن ما أجرأهم على النار.

٢٥٠٣ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال، حدثنا مسعر = وحدثنى المثنى قال، حدثنا أبو بكير قال ،حدثنا مسعر = ، عن حماد ، عن مجاهد ، أو سعيد بن جبير ، أو بعض أصحابه : « فما أصبرهم على النار » ، ما أجرأهم .

٢٥٠٤ – حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « فما أصبرهم على النار » ، يقول : ما أجرأهم وأصبرهم على النار .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فما أعملهم بأعمال أهل النار .

* ذكر من قال ذلك :

٢٥٠٥ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله: « فما أصْبرهم على النار »، قال : ما أعملهم بالباطل .

٢٥٠٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

واختلفوا في تأويل « ما » التي في قوله : « فما أصبرهم على النار » . فقال بعضهم : هي بمعنى الاستفهام، وكأنه قال: فما الذي صبَّرهم؟ أيَّ شيء صبرهم؟ (١)

* ذكر من قال ذلك :

٢٥٠٧ – حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « فما أصبرَهم على النار » ، هذا على وجه الاستفهام . يقول : مَا الذي أصبرهم على النار ؟

٢٥٠٨ – حدثني عباس بن محمد قال، حدثنا حجاج الأعور قال ، أخبرنا ابن جريج قال ، قال لي عطاء : « فما أصبرهم على النار » ، قال : ما يُصبِّرهم على النار ، حين تَركوا الحق واتبعوا الباطل ؟

٢٥٠٩ – حدثنا أبو كريب قال: سُئل أبو بكر بن عياش : « فما أصبرهم على النار » ، قال : هذا استفهام ، ولو كانت من الصبر قال : « فما أصبرُهم »، رفعاً . قال : يقال للرجل : « ما أصبرك » ، ما الذي فعل بك هذا ؟

٢٥١٠ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: « فما أصبرهم على النار » ، قال : هذا استفهام . يقول ما هذا الذي صبَّرهم على النار حتى جَرأهم فعملوا بهذا ؟

* * *

(١) وذلك قول أبي عبيدة في مجاز القرآن : ٦٤ .

وقال آخرون : هو تعجُّب. يعنى : فما أشد جراءتهم على النار بعملهم أعمال أهل النار !

* ذكر من قال ذلك :

٢٥١١ – حدثنا سفيان بن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن ابن عيينة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فما أصبرهم على النار » ، قال : ما أعملهم بأعمال أهل النار !

وهو قول الحسن وقتادة ، وقد ذكرناه قبل.(١)

* * *

فمن قال : هو تعجُّب – وجَّه تأويلَ الكلام إلى : «أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذابَ بالمغفرة » ، فما أشد جراءتهم – بفعلهم ما فعلوا من ذلك – على ما يوجب لهم النار ! كما قال تعالى ذكره : ﴿ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾ [سورة عبس : ١٧] ، تعجباً من كفره بالذى خلقه وسوَّى خلقه .

* * *

فأما الذين وجهوا تأويله إلى الاستفهام ، فمعناه : هؤلاء الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة ، فما أصبرهم على النار – والنار لا صبر عليها لأحد – حتى استبدلوها بمغفرة الله فاعتاضوها منها بدلاً ؟

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال : ما أجرأهم على النار ، بمعنى : ما أجرأهم على عذاب النار وأعملهم بأعمال أهلها . وذلك أنه مسموع من العرب : « ما أصبرَ فلاناً على الله » ، بمعنى : ما أجرأ فلاناً على الله !(٢) وإنما يعجب الله خلقه بإظهار الخبر عن القوم الذين يكتمون ما أنزل الله تبارك وتعالى من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ونبوَّته ، واشترائهم بكتمان ذلك ثمناً قليلاً

---

(١) انظر ما سلف رقم : ٢٥٠١ ، ٢٥٠٢ .

(٢) انظر خبر ذلك فى معانى القرآن للفراء ١ : ١٠٣ .

من السحت والرشى التى أعطوها — على وَجه التعجب من تقدمهم على ذلك .(١) مع علمهم بأنَ ذلك موجبٌ لهم سَخط الله وأليم عقابه .

وإنما معنى ذلك : فما أجرأهم على عذاب النار ! ولكن اجترىء بذكر « النار » من ذكر « عذابها » ، كما يقال : « ما أشبه سخاءك بحاتم » ، بمعنى : ما أشبه سَخاءك بسخاء حاتم ، « وما أشبه شَجاعتك بعنترة» .(٢)

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾ (١٧٦)

قال أبو جعفر : أما قوله : « ذلك بأن الله نَزل الكتاب بالحق » ، فإنه اختلف فى المعنىّ بـ « ذلك » .

• • •

فقال بعضهم : معنىُّ « ذلك » ، فعلُهم هذا الذى يفعلون = من جراءتهم على عذاب النار ، فى مخالفتهم أمر الله ، وكتمانهم الناسَ ما أنزل الله فى كتابه ، وأمرَهم ببيانه لهم من أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأمر دينه = من أجل أن الله تبارك وتعالى « نَزّل الكتاب بالحق » ، وتنزيله الكتاب بالحق هو خبرُه عنهم فى قوله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ • خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [سورة البقرة : ٦، ٧] ، فهم — مع ما أخبر الله عنهم من أنهم لا يؤمنون — لا يكون منهم غيرُ اشتراء الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة .

---

(١) قدم ، وتقدم ، وأقدم ، واستقدم ، كلها بمعنى واحد ، إذا كان جريئاً فاقتحم .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ١٠٣ ، أيضاً .

وقال آخرون: معناه : « ذلك » معلومٌ لهم، بأن الله نزّل الكتاب بالحق، لأنّا قد أخبرنا فى الكتاب أنّ ذلك لهم ، والكتابُ حق . ٢/٥٥

كأن قائلى هذا القول كان تأويل الآية عندهم : ذلك العذاب = الذى قال الله تعالى ذكره ، فما أصبرهم عليه = معلومٌ أنه لهم . لأن الله قد أخبر فى مواضع من تنزيله أن النار للكافرين ، وتنزيله حق ، فالخبر عن « ذلك » عندهم مُضمر .

* * *

وقال آخرون: معنى « ذلك » ، أن الله وصف أهل النار ، فقال : « فما أصبرهم على النار » ، ثم قال: هذا العذاب بكفرهم . و « هذا » ههنا عندهم ، هى التى يجوز مكانها « ذلك »،[1] كأنه قال: فعلنا ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق فكفروا به . قال : فيكون «ذلك» — إذا كان ذلك معناه — نصباً ، ويكون رفعاً بالباء .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بتأويل الآية عندى : أن الله تعالى ذكره أشار بقوله : « ذلك »، إلى جميع ما حواه قوله : « إنّ الذين يكتمونَ ما أنزلَ الله من الكتاب »، إلى قوله : « ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق » ، من خبره عن أفعال أحبار اليهود ، وذكره ما أعد لهم تعالى ذكره من العقاب على ذلك ، فقال : هذا الذى فعلته هؤلاء الأحبارُ من اليهود = بكتمانهم الناسَ ما كتموا من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته مع علمهم به ، طلباً منهم لعرَض من الدنيا خسيس — وبخلافهم أمرى وطاعتى = وذلك — من تركى تطهيرَهم وتزكيتهم وتكليمهم ، وإعدادى لهم العذاب الأليم — بأنى أنزلت كتابى بالحق، فكفروا به واختلفوا فيه .

فيكون فى « ذلك » حينئذ وجهان من الإعراب: رفعٌ ونَصب . والرفع بـ « الباء »، والنصب بمعنى : فعلت ذلك بأنى أنزلت كتابى بالحق، فكفروا به واختلفوا فيه . وترك ذكر « فكفروا به واختلفوا » ، اجتزاءً بدلالة ما ذكر من الكلام عليه .

* * *

(١) انظر ما سلف ١ : ٢٢٥ — ٢٢٧ فى بيان « ذلك » ، و « هذا » .

وأما قوله : « وإنّ الذينَ اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد » ، يعنى بذلك اليهودَ والنصارى . اختلفوا فى كتاب الله ، فكفرت اليهودُ بما قصّ الله فيه من قَصَص عيسى بن مريم وأمه . وصَدقت النصارى ببعض ذلك ، وكفروا ببعضه ، وكفروا جميعاً بما أنزل الله فيه من الأمر بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم . فقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إن هؤلاء الذين اختلفوا فيما أنزلت إليك يا محمد لفى منازعة ومفارقة للحق بعيدة من الرشد والصواب ، كما قال الله تعالى ذكره : ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ﴾ [سورة البقرة : ١٣٧]

كما :

٢٥١٢ ــ حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإنّ الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد » ، يقول : هم اليهود والنصارى . يقول : هم فى عَداوة بعيدة . وقد بَينتُ معنى « الشقاق » ، فيما مضى .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله ذلك . فقال بعضهم : معنى ذلك : ليس البرّ الصلاةُ وحدها ، ولكن البرّ الخصال التى أبينها لكم .

٢٥١٣ ــ حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ليسَ البرّ أن تُولوا وُجُوهكم قِبَل

(١) انظر ما سلف فى هذا الجزء ٣ : ١١٥ ، ١١٦

المشرق والمغرب » ، يعنى : الصلاة . يقول : ليس البر أن تصلوا ولا تعملوا ، فهذا منذ تحوّل من مكة إلى المدينة ، ونزلت الفرائض ، وحدّ الحدود . فأمر الله بالفرائض والعمل بها .

٢٥١٤ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ليس البر أن تُولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب » ، ولكنّ البر ما ثبت فى القلوب من طاعة الله .

٢٥١٥ – حدثنى القاسم قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٢٥١٦ – حدثنى القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن ابن عباس قال : هذه الآية نزلت بالمدينة : « ليس البر أن تُولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب » ، يعنى : الصلاة . يقول : ليس البر أن تصلوا ولا تعملوا غيرَ ذلك . قال ابن جريج ، وقال مجاهد : « ليس البرّ أن تُولوا وجوهكم قبَل المشرق والمغرب » ، يعنى السجود ، ولكن البر ما ثبت فى القلب من طاعة الله .

٢٥١٧ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو تميلة ،[1] عن عبيد بن سليمان ، عن الضحاك بن مزاحم ، أنه قال فيها ، قال يقول : ليس البر أن تصلوا ولا تعملوا غير ذلك . وهذا حين تحوّل من مكة إلى المدينة ، فأنزل الله الفرائض وحدّ الحدود بالمدينة ، وأمر بالفرائض أن يؤخذ بها .

* * *

وقال آخرون : عنى الله بذلك اليهود والنصارى . وذلك أن اليهود تصلى فتوجّه قبل المغرب ، والنصارى تصلى فتوَجّه قبل المشرق ، فأنزل الله فيهم هذه الآية ، يخبرهم فيها أن البرّ غير العمل الذى يعملونه ، ولكنه ما بيناه فى هذه الآية .

* ذكر من قال ذلك

(١) فى المطبوعة : « أبو نميلة » بالنون ، والصواب ما أثبت . وانظر الأثر رقم : ٢٤٩٠ والتعليق عليه .

٢٥١٨ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : كانت اليهود تصلى قبَل المغرب والنصارى تصلى قبل المشرق ، فنزلت : « ليس البر أن تولوا وُجُوهكم قبل المشرق والمغرب » . ٥٦/٢

٢٥١٩ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ليس البر أن تُولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر » ، ذُكر لنا أن رَجلاً سأل نبى الله صلى الله عليه وسلم عن البر فأنزل الله هذه الآية . وذُكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم دعا الرجل فتلاها عليه . وقد كان الرجلُ قبل الفرائض إذا شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ثم مات على ذلك يُرْجى له ويطمع له فى خير ، فأنزل الله : « ليسَ البر أن تولوا وجوَهكم قبل المشرق والمغرب » . وكانت اليهود تَوجَّهت قبل المغرب ، والنصارى قبل المشرق ــ « ولكن البر من آمنَ بالله واليوم الآخر » الآية .

٢٥٢٠ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس قال : كانت اليهود تصلى قبل المغرب ، والنصارى قبل المشرق ، فنزلت : « ليس البر أن تُولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذين القولين بتأويل الآية ، القول الذى قاله قتادة والربيع بن أنس = : أن يكون عنى بقوله : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب » ، اليهودَ والنصارَى . لأن الآيات قبلها مضت بتوبيخهم ولَومهم ، والخبر عنهم وعما أُعدّ لهم من أليم العذاب . وهذا فى سياق ما قبلها ، إذْ كان الأمر كذلك ، ــ « ليس البر » ، ــ أيها اليهود والنصارى ، أنْ يولى بعضُكم وجهه قبل المشرق وبعضُكم قبل المغرب ، « ولكنّ البر َمنْ آمن بالله واليوم الآخر َوالملائكة والكتاب » الآية .

* * *

فإن قال قائل : فكيف قيل : « ولكن البر من آمن بالله » ، وقد علمت أن « البر » فعل، و « مَنْ » اسم، فكيف يكون الفعل هو الإنسان ؟

قيل : إن معنى ذلك غيرَ ما توهمته ، وإنما معناه : ولكنّ البرَّ برُّ من آمن بالله واليوم الآخر ،[1] فوضع « مَنْ » موضع الفعل، اكتفاءً بدلالته ، ودلالة صلته التى هى له صفةٌ ،مَنْ الفعل المحذوف، كما تفعله العرب ، فتضع الأسماء مواضع أفعالها التى هى بها مشهورة ، فتقول : « الجود حاتم ، والشجاعة عنترة »، و « إنما الجود حاتم والشجاعة عنترة »، ومعناها الجُود جود حاتم، فتستغنى بذكر « حاتم » إذ كان معروفاً بالجود ، من إعادة ذكر « الجود » بعد الذى قد ذكرته ، فتضعه موضع « جوده »، لدلالة الكلام على ما حذفته، استغناء بما ذكرته عما لم تذكره .[2] كما قيل ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾ [سورة يوسف : ٨٢] ، والمعنى : أهل القرية ، وكما قال الشاعر ، وهو ذو الخِرَق الطُّهَوى :

حَسِبْتَ بُغَامَ رَاحِلَتِي عَنَاقاً ! وَمَا هِى ، وَيْبَ غَيْرِكَ بِالْعَنَاقِ[3]

يريد: بُغامَ عَناق، أو صوتَ [عناق]،[4] كما يقال : «حسبتَ صياحى أخاك»، يعنى به : حسبتَ صياحى صياحَ أخيك .

* * *

وقد يجوز أن يكون معنى الكلام: ولكن البارَّ مَنْ آمن بالله ، فيكون « البر » مصدراً وُضع موضعَ الاسم .[5]

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « ولكن البر كمن آمن بالله » وهو خطأ محض ، صوابه ما أثبت .

(٢) انظر ما سلف : ٢ : ٦١، ٣٥٩ وهذا الجزء ٣ : ٣٣٤.

(٣) سلف تخريجه فى هذا الجزء ٣ : ١٠٣ تعليق : ٣

(٤) الزيادة بين القوسين لا بد منها

(٥) هذا قول أبى عبيدة فى مجاز القرآن : ٦٥ ، وذكره الفراء فى معانى القرآن ١ : ١٠٤ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وآتَى المالَ على حُبه » ، وأعطى ماله فى حين محبته إياه ، وضِنّه به ، وشُحّه عليه ،[1] كما : —

٢٥٢١ — حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا، حدثنا ابن إدريس قال ، سمعت ليثاً ، عن زبيد ، عن مرة بن شراحيل البكيلى ، عن عبد الله بن مسعود : «وآتَى المالَ على حُبه »، أى : يؤتيه وهو صحيحٌ شحيحٌ ، يأمل العيش ويخشى الفقر .[2]

٢٥٢٢ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن — وحدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق — قالا جميعاً ، عن سفيان ، عن زُبيد اليامىّ ،

---

(١) انظر معنى « الإيتاء » فيما سلف ١ : ٢/٥٧٤ : ١٦٠ ، ٣١٧ .

(٢) الخبر : ٢٥٢١ — ابن إدريس : هو عبد الله بن إدريس بن يزيد الأودى ، مضى فى : ٤٣٨ ، ٢٠٣٠ .

ليث : هو ابن أبى سليم ، مضى فى شرح : ١٤٩٧ .

زبيد — بالباء الموحدة مصغراً : هو ابن الحارث بن عبد الكريم اليامى ، وهو ثقة ثبت. مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/١/٤١١ ، وابن سعد ٦ : ٢١٦ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٦٢٣ .

مرة بن شراحيل : وهو الهمدانى الكوفى ، من كبار التابعين ، كما مضى توثيقه : ١٦٨ ، وهو مترجم فى التهذيب ١٠ : ٨٨ — ٨٩ ، والكبير ٤/٢/٥ ، وابن سعد ٦ : ٧٩ ، وابن أبى حاتم ٤/١/٣٦٦ . و « البكيلى » — بفتح الباء الموحدة وكسر الكاف : نسبه إلى « بكيل » ، وهم بطن من همدان . انظر الاشتقاق لابن دريد ، ص : ٢٥٠ ، ٢٥٦ ، ٣١٢ ، وجمهرة الأنساب لابن حزم ص : ٣٧٢ — ٣٧٣ . وكذلك نسب مرة إلى « بكيل» فى كتاب ابن أبى حاتم ، وهو الصواب . ووقع فى التهذيب بدلها « السكسكى » ؛ وهو تصحيف لا شك فيه ، فإن « السكسك » : هو ابن أشرس ابن كندة . وشتان بين همدان وكندة، إنما يجتمعان بعد بضعة جدود ، فى « زيد بن كهلان بن سبأ » . انظر جمهرة الأنساب ، ص : ٤٠٥ ، وما قبلها .

عن مرة ، عن عبد الله : « وآتى المالَ على حُبه » ، قال : وأنت صحيح ، تأمل العيش ، وتخشى الفقر .(١)

٢٥٢٣ – حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن زبيد اليامى ، عن عبد الله أنه قال فى هذه الآية : « وآتى المال على حبه » ، قال : وأنت حريصٌ شحيحٌ ، تأمل الغنى ، وتخشى الفقر .

٢٥٢٤ – حدثنا أحمد بن نعمة المصرى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنا الليث قال ، حدثنا إبراهيم بن أعين ، عن شعبة بن الحجاج ، عن زبيد اليامى ، عن مرة الهمدانى قال ، قال عبد الله بن مسعود فى قول الله : « وآتى المال على حبه ذوى القربى » ، قال : حريصاً شحيحاً ، يأمل الغنى ويَخشى الفقر .(٢)

---

(١) الخبر : ٢٥٢٢ – عبد الرحمن : هو ابن مهدى الإمام . وسفيان هو الثورى . فالطبرى يرويه من طريق ابن مهدى . ومن طريق عبد الرزاق – كلاهما عن سفيان .

والخبر فى تفسير عبد الرزاق ، ص : ١٥ ، وفيه : « وأنت صحيح شحيح » ، بزيادة « شحيح » .

(٢) الخبر : ٢٥٢٤ – شيخ الطبرى « أحمد بن نعمة المصرى » : لم أجد له ترجمة . أبو صالح : هو عبد الله بن صالح ، كاتب الليث . الليث : هو ابن سعد إمام أهل مصر .

إبرهيم بن أعين الشيبانى البصرى ، نزل مصر : ضعيف : قال البخارى : « فيه نظر فى إسناده » . وقال أبو حاتم : « هذا شيخ بصرى ، ضعيف الحديث ، منكر الحديث وقع إلى مصر » . مترجم فى التهذيب وفرق بينه وبين « إبرهيم بن أعين » آخر ثقة . وترجم ابن أبى حاتم ١/١/٨٧ ثلاث تراجم . والبخارى ١/١/٢٧٢ ترجمة واحدة .

وهذه الأسانيد الثلاثة : ٢٥٢١ – ٢٥٢٣ ، لخبر موقوف اللفظ على ابن مسعود . وهو فى الحقيقة مرفوع حكماً ، إذ مثل هذا لا يعرف بالرأى . وسيأتى معناه موقوفاً عليه أيضاً : ٢٥٢٩ ، ٢٥٣١ . وكذلك رواه الحاكم ٢ : ٢٧٢ ، من رواية منصور ، عن زبيد ، عن مرة ، عن ابن مسعود ، موقوفاً . وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبى . ونسبه السيوطى ١ : ١٧٠ – ١٧١ لابن المبارك ، ووكيع ، وغيرهما . ثم ذكر أنه رواه الحاكم أيضاً « عن ابن مسعود ، مرفوعاً » . وكذلك نقل ابن كثير ١ : ٣٨٨ أن الحاكم رواه مرفوعاً . ولم أجده مرفوعاً فى المستدرك . ثم ذكر ابن كثير الرواية الموقوفة ، وزعم أنها أصح .

وهذا المعنى ثابت أيضاً فى حديث مرفوع صحيح ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم – وقد سئل : أى الصدقة أعظم أجراً ؟ – فقال : « أن تصدق وأنت صحيح شحيح ، تخشى الفقر وتأمل البقاء ، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت : لفلان كذا ، وقد كان لفلان » . رواه أحمد فى المسند : ٧١٥٩ ، ٧٤٠١ . ورواه البخارى ومسلم وأبو داود ، كما بينا هناك .

٢٥٢٥ – حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم قالا، حدثنا هشيم قال، أخبرنا إسمعيل بن سالم، عن الشعبي، سمعته يُسأل : هل على الرجل حق فى ماله سوى الزكاة ؟ قال : نعم ! وتلا هذه الآية : « وآتى المالَ على حُبه ذوى القربى واليتامى والمساكينَ وابنَ السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة » .

٢٥٢٦ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا سُويد بن عمرو الكلبي قال، حدثنا حمّاد بن سلمة قال، أخبرنا أبو حمزة قال، قلت للشعبي : إذا زكّى الرجلُ ماله، أيطيبُ له ماله ؟ فقرأ هذه الآية : « ليس البر أنْ تُولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب » إلى « وآتى المال على حُبه » إلى آخرها، ثم قال : حدثتنى فاطمة بنت قيس أنها قالت : يا رسول الله، إنّ لى سبعين مثقالاً من ذهب. فقال : اجعليها فى قرابتك . (١) ٥٧/٢

٢٥٢٧ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يحيى بن آدم، عن شريك قال، حدثنا أبو حمزة، فيما أعلم – عن عامر، عن فاطمة بنت قيس أنها سمعته يقول : إنّ فى المال لحقًّا سوى الزكاة . (٢)

٢٥٢٨ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية، عن أبى حيان

---

(١) الحديث : ٢٥٢٦ – سويد بن عمرو الكلبي : ثقة من شيوخ أحمد مترجم فى التهذيب، والكبير ٢/٢/١٤٩، وابن أبى حاتم ٢/١/٢٣٩

أبو حمزة : هو ميمون الأعور القصاب، وهو ضعيف جداً مترجم فى التهذيب، والكبير ٤/١/٣٤٣، وابن أبى حاتم ٤/١/٢٣٥ – ٢٣٦ .

وهذا الحديث بهذا السياق لم أجده فى موضع آخر . وقد روى قريب من معناه، بإسناد آخر أشد ضعفاً . فروى الدارقطنى فى سننه، ص : ٢٠٥، من طريق أبى بكر الهذلى، عن شعيب بن الحبحاب، عن الشعبى،، عن فاطمة بنت قيس . قالت : « أتيت النبى صلى الله عليه وسلم بطوق فيه سبعون مثقالا من ذهب، فقلت : يا رسول الله، خذ منه الفريضة، فأخذ منه مثقالا وثلاثة أرباع مثقال » . وقال الدراقطنى : « أبو بكر الهذلى : متروك، ولم يأت به غيره » . وقد مضى بيان ضعف الهذلى هذا : ٥٩٧ .

(٢) الحديث : ٢٥٢٧ – شريك : هو ابن عبد الله بن أبى شريك، النخعى القاضى، وهو ثقة . مترجم فى التهذيب، والكبير ٢/٢/٢٣٨، وابن أبى حاتم ٢/١/٣٦٥ – ٣٦٧ .

وقوله : « عن فاطمة بنت قيس : أنها سمعت » : يعنى النبى صلى الله عليه وسلم . كما هو ظاهر من سياق القول، ومن الروايات الأخر . وسيأتى الحديث أيضاً : ٢٥٣٠ – وتخريجه هناك، إن شاء الله .

قال : حدثني مزاحم بن زفر قال : كنت جالساً عند عطاء فأتاه أعرابي فقال له : إن لي إبلاً ، فهل عليّ فيها حقٌّ بعد الصدقة ؟ قال : نعم ! قال : ماذا ؟ قال : عَاريَّة الدلو ، وطُروق الفحل ، والحلَب (١)

٢٥٢٩ – حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى ، ذكره عن مرة الهمدانى فى : « وآتى المالَ على حُبه » قال : قال عبد الله بن مسعود : تُعطيه وأنت صحيحٌ شحيحٌ ، تطيل الأمل ، وتخاف الفقر . وذكر أيضاً عن السدى أن هذا شيء واجبٌ فى المال ، حق على صاحب المال أن يفعله ، سوى الذى عليه من الزكاة .

٢٥٣٠ – حدثنا الربيع عن سليمان قال ، حدثنا أسد قال ، حدثنا سويد بن عبد الله ، عن أبي حمزة ، عن عامر ، عن فاطمة بنت قيس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : فى المال حق سوى الزكاة ، وتلا هذه الآية « ليس البر » إلى آخر الآية . (٢)

---

(١) فى المطبوعة : « عارية الذلول » ، وهو خطأ . فى حديث عبد الله مسعود : « كنا نعد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : عارية الدلو والقدر » ، وفى حديث أبي هريرة أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « فما حق الإبل ؟ قال : تعطى الكريمة ، وتمنح الغزيرة ، وتفقر الظهر ، وتطرق الفحل ، وتسقى اللبن » . وفى حديث عبيد بن عمير قال قال رجل : يا رسول الله ، ما حق الإبل – فذكر نحوه – زاد : « وإعارة دلوها » . (سنن أبي داود ٢ : ١٦٧ ، ١٦٨ باب حقوق المال)

وطرق الفحل الناقة يطرقها طرقاً وطروقاً : قعا عليها وضربها . وإطراق الفحل : إعارته للضراب . والحلب (بفتحتين) : اللبن المحلوب ، سمى بمصدره من : حلب الناقة يحلبها وحلباً وحلاباً .

(٢) الحديث : ٢٥٣٠ – أسد : هو ابن موسى ، الذى يقال له « أسد السنة » . مضى فى : ٢٣ . سويد بن عبد الله هكذا ثبت فى المطبوعة . وعندى أنه خطأ ، صواب « شريك بن عبد الله » ، الذى مضى فى الإسناد السابق : ٢٥٢٧ . فإن الحديث معروف أنه من رواية شريك . ثم ليس فى الرواة – الذين رأينا تراجمهم – من يسمى « سويد بن عبد الله » إلا رجلا له شأن لا بهذا الإسناد ، لم يعرف إلا بخبر آخر منكر ، وهو مترجم فى لسان الميزان .

وهذا الحديث تكرار للحديث : ٢٥٢٧ بأطول منه قليلا . ورواه أيضاً الدارمى ١ : ٣٨٥ ، عن محمد بن الطفيل . والترمذى ٢ : ٢٢ ، من طريق الأسود بن عامر ، وعن الدارمى عن محمد بن الطفيل . وابن ماجة : ١٧٨٩ ، من طريق يحيى بن آدم . والبيهقى فى السنن الكبرى ٤ : ٨٤ ، من طريق شاذان –

٢٥٣١ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن زبيد اليامى ، عن مرة بن شراحيل ، عن عبد الله فى قوله : « وآتى المالَ على حُبه » ، قال : أن يعطى الرجلُ وهو صحيح شحيحٌ به ، يأمل العيش ويخاف الفقر .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الآية : وأعطى المال – وهو له محب ، حريصٌ على جمعه ، شحيح به – ذَوىَ قرابته ، فوصل به أرحامهم.

وإنما قلت عنى بقوله : « ذوى القربى » ، ذوى قرابة مؤدَّى المال على حُبه، للخبر الذى رَوَى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمره فاطمةُ بنت قيس =

٢٥٣٢ – وقوله صلى الله عليه وسلم حين سئل : أىُّ الصَّدقة أفضَل ؟ قال : جُهْد المُقِلّ على ذى القَرَابة الكاشح .(١)

* * *

كلهم عن شريك ، بهذا الإسناد ، مطولا ومختصراً .

قال الترمذى : « هذا حديث ليس إسناده بذاك . أبو ميمون الأعور يضعف » .

وقال البيهقى : « فهذا حديث يعرف بأبى حمزة ميمون الأعور ، كوفى ، وقد جرحه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين ، فمن بعدهما من حفاظ الحديث » .

ونقل ابن كثير ١ : ٣٨٩ – ٣٩٠ أنه رواه أيضاً ابن أبى حاتم ، عن يحيى بن عبد الحميد . ورواه ابن مردويه ، من حديث آدم بن أبى إياس ، ويحيى بن عبد الحميد – كلاهما عن شريك ، ثم ذكر أنه أخرجه ابن ماجة ، والترمذى .

ووقع لفظ الحديث فى ابن ماجة مغلوطاً ، بنقيض معناه . بلفظ : « ليس فى المال حق سوى الزكاة » !

وهذا خطأ قديم فى بعض نسخ ابن ماجة . وحاول بعض العلماء الاستدلال على صحة هذا اللفظ عند ابن ماجة ، كما فى التلخيص الحبير للحافظ ابن حجر ، ص ١٧٧ ، وشرح الجامع الصغير للمناوى : ٧٦٤١ .

ولكن رواية الطبرى الماضية : ٢٥٢٧ – وهى من طريق يحيى بن آدم ، التى رواه منها ابن ماجة : تدل على أن اللفظ الصحيح هو ما فى سائر الروايات .

ويؤيد ذلك أن ابن كثير نسب الحديث للترمذى وابن ماجة ، معاً ، ولم يفرق بين روايتهما ، وكذلك صنع النابلسى فى ذخائر المواريث : ١١٦٩٩ ، إذ نسبه إليهما حديثاً واحداً .

ويؤيد أيضاً أن البيهقى ، بعد أن رواه قال : « والذى يرويه أصحابنا فى التعاليق : ليس فى المال حق سوى الزكاة – فلست أحفظ فيه إسناداً . والذى رويت فى معناه ما قدمت ذكره » . ولو كان فى ابن ماجة على هذا اللفظ ، لما قال ذلك ، إن شاء الله .

(١) الحديث : ٢٥٣٢ – معناه ثابت من حديث أبى هريرة . رواه أحمد فى المسند : ٨٦٨٧

وأما « اليتامى » « والمساكين » ، فقد بينا معانيهما فيما مضى . (١)

* * *

وأما « ابن السبيل » ، فإنه المجتاز بالرَّجل . ثم اختلف أهل العلم فى صفته . فقال بعضهم : هو الضيفُ من ذلك .

* ذكر من قال ذلك :

٢٥٣٣ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وابن السبيل » قال ، هو الضيف قال : قد ذُكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت. قال : وكان يَقول : حَق الضيافة ثلاثُ ليال، فكل شيء أضافه بَعد ذلك صدقة . (٢)

* * *

(٢ : ٣٥٨ حلبى) : « عن أبى هريرة : أنه قال : يا رسول الله ؟ أى الصدقة أفضل ؟ قال : جهد المقل ، وابدأ بمن تعول » .

وذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب ٢ : ٢٨ ، وقال : « رواه أبو داود ، وابن خزيمة فى صحيحه ، والحاكم ، وقال : صحيح على شرط مسلم » .

وروى الحاكم فى المستدرك ١ : ٤٠٦ ، عن أم كلثوم بنت عقبة ، قالت : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفضل الصدقة على ذى الرحم الكاشح » . وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى .

وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٣ : ١١٦ ، وقال : « رواه الطبرانى فى الكبير ، ورجاله رجال الصحيح » ، وذكر قبله أحاديث أخر بنحوه .

والكاشح : المبغض : قال ابن الأثير : « العدو الذى يضمر عداوته، ويطوى عليها كشحه، أى باطنه » .

والكاشح الذى يضمر لك العداوة ، كأنه يطويها فى كشحه . وهو ما بين الخاصرة إلى الضلع ، أو يعرض عنك بوجهه ويوليك كشحه .

(١) انظر ما سلف فى معنى « مسكين » ٢ : ١٣٧ ، ٢٩٣ ، ومعنى : « ذى القربى » ، و « اليتامى » ٢ : ٢٩٢ .

(٢) الحديث : ٢٥٣٣ — هو حديث مرسل ، يقول قتادة — وهو تابعى — : « قد ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول . . . » ، فذكره .

و« سعيد » الذى يروى عن قتادة : هو سعيد بن أبى عروبة . و « يزيد » الراوى عنه : هو يزيد ابن زريع .

وقال بعضهم : هو المسافر يمر عليك.

* ذكر من قال ذلك :

٢٥٣٤ – حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن جابر ، عن أبي جعفر : « وابن السبيل » ، قال : المجتاز من أرض إلى أرض .

٢٥٣٥ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد وقتادة في قوله : « وابن السبيل » ، قال : الذي يمر عليك وهو مسافر .

٢٥٣٦ – حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال، أخبرنا ابن المبارك، عمن ذكره ، عن ابن جريج عن مجاهد وقتادة مثله .

* * *

وإنما قيل للمسافر « ابن السبيل » ، لملازمته الطريق – والطريق هو « السبيل »– فقيل لملازمته إياه في سفره : « ابنه » ، كما يقال لطير الماء « ابن الماء » ، لملازمته إياه ، وللرجل الذي أتت عليه الدهور « ابن الأيام والليالي والأزمنة » ، ومنه قول ذي الرمة :

وَرَدْتُ اعْتِسَافًا ، وَالثُّرَيَّا كَأَنَّهَا عَلَى قِمَّةِ الرَّأْسِ ابْنُ مَاءٍ مُحَلِّقُ(١)

* * *

والحديث ثبت معناه ضمن حديث رواه مسلم ٢ : ٤٥ ، من حديث أبي شريح العدوي الخزاعي : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته ، قالوا : وما جائزته يا رسول الله ؟ قال : يومه وليلته ، والضيافة ثلاثة أيام ، فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » . ورواه أيضاً أحمد ، وسائر أصحاب الكتب الستة ، كما في الفتح الكبير ٣ : ٢٣١ .

(١) ديوانه : ٤٠١ ، وهو متعلق ببيت قبله :

وَمَاءٍ قَدِيمِ العَهْدِ بالناسِ آجِنٍ كَأَنَّ الدَّبَى مَاءَ الغَضَا فِيهِ يَبْصُقُ

الآجن المتغير . والدبى : صغار الجراد . والغضى : شجر . كأن الجراد رعته ، فبصقت فيه رعيها فهو أصفر أسود . والاعتساف : الاقتحام والسير على غير هدى . والمحلق : العالي المرتفع . وابن

وأما قوله : « والسائلين » ، فإنه يعنى به : المستطعمين الطالبين ، كما : —

٢٥٣٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن إدريس ، عن حصين ، عن عكرمة فى قوله : « والسائلين » ، قال : الذى يسألك .

* * *

وأما قوله : « وفى الرقاب » ، فإنه يعنى بذلك : وفى فك الرقاب من العبودة ، وهم المكاتبون الذين يسعون فى فك رقابهم من العبودة ،(١) بأداء كتاباتهم التى فارقوا عليها سادَاتهم .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَأَقَامَ ٱلصَّلَاةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَاةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : و « أقامَ الصلاة » ، أدام العمل بها بحدودها . وبقوله « وآتى الزكاة » ، أعطاها على مَا فرَضها الله عليه .(٢)

* * *

الماء : هو طير الغرانيق ، يعرف بالكركى ، والإوز العراق ، وهو أبيض الصدر ، أحمر المنقار ، أصفر العين . يقول الأقيشر ، يصف مجلس شراب :

كَأَنَّهُنَّ وأَيْدِى الشَّرْبِ مُعْمَلَةٌ ... إِذَا تَلَأْلَأْنَ فِى أَيْدِى الغَرَانِيقِ

بَنَاتُ ماء ، تُرى بيضاً جَآجِئُها ... حُمْراً مَنَاقِرُهَا ، صُفْرَ الحَمَالِيقِ

والثريا : نجوم كثيرة مجتمعة ، سميت بالمفرد . جعلها « على قمة » ، وذلك فى جوف الليل ، ترى بيضاء زاهرة .

(١) العبودة والعبودية واحد ، ولا فعل له عند أبى عبيد . وقال اللحيانى فعله « عبد » على زنة « كرم » .

(٢) انظر معنى « إقامة الصلاة » و « إيتاء الزكاة » فيما سلف ١ : ٥٧٢ — ٥٧٤ ، ومواضع أخرى ، اطلبها فى فهرس اللغة .

فإن قال قائل : وهل من حقٍّ يجب فى مال إيتاؤه فرضاً غير الزكاة ؟

قيل : قد اختلف أهل التأويل فى ذلك :

فقال بعضهم : فيه حقوقٌ تجبُ سوى الزكاة = واعتلُّوا لقولهم ذلك بهذه الآية، وقالوا : لما قال الله تبارك وتعالى : « وآتَى المالَ على حُبه ذَوى القربى »، ومن سمى الله معهم ، ثم قال بعد : « وأقامَ الصلاةَ وآتى الزكاة » ، علمنا أن المالَ — الذى وَصَف المؤمنين به أنهم يُؤتونه ذَوى القربى ومن سمَّى معهم — غيرُ الزكاة التى ذكر أنهم يؤتونها . لأن ذلك لو كان مالاً واحداً لم يكن لتكريره معنى مفهوم . قالوا : فلما كان غيرَ جائز أن يقول تعالى ذكره قولاً لا معنى له، علمنا أنّ حكم المال الأول غيرُ الزكاة ، وأن الزكاة التى ذكرها بعد غيره . قالوا : وبعد، فقد أبان تأويل أهل التأويل صحة ما قلنا فى ذلك . ٥٨/٢

وقال آخرون: بل المال الأول هو الزكاة، ولكن الله وصَف إيتاء المؤمنين مَنْ آتوه ذلك ، فى أول الآية . فعرَّف عباده — بوصفه ما وصف من أمرهم — المواضعَ التى يجب عليهم أن يضَعوا فيها زكواتهم ، ثم دلّهم بقوله بعد ذلك : « وآتى الزكاة »، أن المال الذى آتاه القومُ هو الزكاة المفروضةُ = كانت = عليهم ، إذ كان أهلُ سُهمانها هم الذين أخبرَ فى أول الآية أن القوم آتوهم أموالهم .

• • •

وأما قوله : « والموفون بعهدهم إذا عاهدوا »، فإنه يعنى تعالى ذكره : والذين لا ينقضون عَهد الله بعد المعاهدة ، ولكن يوفُون به ويتمسَّكون على ما عاهدوا عليه من عاهدوه عليه ، كما : —

٢٥٣٨ — حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبى جعفر، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس فى قوله : « والموفون بعهدهم إذا عاهدوا » ، قال : فمن أعطى عهدَ الله ثم نقضه ، فالله ينتقم منه . ومن أعطى ذمة النبى صلى الله عليه

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٤١٠ — ٤١٥ ، ٥٥٧ / ثم هذا الجزء ٣ : . . .

وسلم ثم غدر بها ، فالنبي صلى الله عليه وسلم خصمه يوم القيامة .

* * *

وقد بينت « العهد » فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته ههنا .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾

قال أبو جعفر : وقد بينا تأويل « الصبر » فيما مضى قبل .(٢)

فمعنى الكلام : والمانعين أنفسهم — فى البأساء والضراء وحين البأس — مما يكرهه الله لهم ، الحابسيها على ما أمرهم به من طاعته. ثم قال أهل التأويل فى معنى « البأساء والضراء » بما : —

٢٥٣٩ — حدثني به الحسين بن عمرو بن محمد العنقزى(٣) قال ، حدثني أبي — وحدثني موسى قال ، حدثنا عمرو بن حماد — قالا جميعاً ، حدثنا أسباط عن السدى ، عن مرة الهمدانى ، عن ابن مسعود أنه قال : أما البأساءُ فالفقر ، وأما الضراء فالسقم .

٢٥٤٠ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي — وحدثني المثنى قال ، حدثنا الحمانى — قالا جميعاً ، حدثنا شريك ، عن السدى ، عن مرة ، عن عبد الله فى قوله : « والصابرين فى البأساء والضراء » ، قال : البأساء الجوع ، والضراء المرضُ .

٢٥٤١ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا شريك ، عن السدى ، عن مرة ، عن عبدالله قال : البأساء الحاجة ، والضراءُ المرضُ .

٢٥٤٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد ، عن قتادة قال :

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٤١٠ — ٤١٥ ، ٥٥٧ / ثم هذا الجزء ٣ : ٢٠

(٢) انظر ما سلف ٢ : ١٠ — ١١ ، ١٢٤ / ثم هذا الجزء ٣ : ٢١٤

(٣) فى المطبوعة « العبقرى » ، والصواب ما أثبته ، وقد ترجم له فيما سلف رقم : ١٦٢٥ .

كنا نُحدَّث أن البأساء البؤس والفقر ، وأن الضراء السُّقم . وقد قال النبي أيوب صلى الله عليه وسلم ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [سورة الأنبياء: ٨٣] .

٢٥٤٣ ـ حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : « والصابرين في البأساء والضراء » ، قال : البؤس : الفاقة والفقر ، والضراء : في النفس ، من وَجع أو مرَض يصيبه في جسده .

٢٥٤٤ ـ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « البأساء والضراء » ، قال : البأساء : البؤس ، والضراء : الزمانة في الجسد .

٢٥٤٥ ـ حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا عبيد ، عن الضحاك قال : « البأساء والضراء » ، المرض .(١)

٢٥٤٦ ـ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « والصابرين في البأساء والضراء » ، قال : البأساء : البؤس والفقر ، والضراء : السقم والوجع .

٢٥٤٧ ـ حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا عبيد ابن الطفيل قال : سمعت الضحاك بن مزاحم يقول في هذه الآية : « والصابرين في البأساء والضراء » ، أما البأساء : الفقر ، والضراء : المرض .(٢)

• • •

قال أبو جعفر : وأما أهل العربية فإنهم اختلفوا في ذلك . فقال بعضهم :

---

(١) الأثر : ٢٥٤٥ ـ أخشى أن يكون قد سقط من هذا الأثر شيء . وهو تفسير « البأساء » ، وذكر « الضراء » قبل قوله : « المرض » ، وسياق على الصواب في الأثر الذي يليه .

(٢) الخبر : ٢٥٤٧ ـ عبيد بن الطفيل : كنيته : « أبو سيدان » ، بكسر السين المهملة وسكون الياء التحتية ثم دال مهملة ، كما سيأتي باسمه وكنيته : ٢٥٥٥ . وهو الغطفاني ، يروى عنه أيضاً وكيع ، وأبونعيم الفضل بن دكين ، قال أبو حاتم : « صالح ، لا بأس به » . وهو مترجم في التقريب ، والخلاصة وابن أبي حاتم ٢/٢/٤٠٩ .

« البأساء والضراء » ، مصدر جاء على « فعلاء » ليس له « أفعل » لأنه اسم ، كما قد جاء « أفعل » فى الأسماء ليس له « فعلاء » ، نحو « أحمد » . وقد قالوا فى الصفة « أفعل » ، ولم يجىء له « فعلاء » ، فقالوا : « أنت من ذلك أوْجل » ، ولم يقولوا : « وجلاء » .

وقال بعضهم : هو اسم للفعل . فإن « البأساء » ، البؤس ، « والضراء » الضر . وهو اسم يقع إن شئت لمؤنث ، وإن شئت لمذكر ، كما قال زهير :

فَتُنْتَجْ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْأَمَ ، كُلُّهُمْ كَأَحْمَرِ عَادٍ ، ثُمَّ تُرْضِعْ فَتَفْطِمِ (١)

يعنى : فتنتج لكم غلمان شؤم .

وقال بعضهم : لو كان ذلك اسماً يجوز صرفه إلى مذكر ومؤنث ، لجازَ إجراء « أفعل » فى النكرة ، ولكنه اسم قام مقام المصدر . والدليل على ذلك قوله : « لئن طلبتُ نصرتهم لتجدنَّهم غير أبعدَ » ، (٢) بغير إجراء . وقال : إنما كان اسما للمصدر ، لأنه إذا ذُكر علم أنه يُراد به المصدر .

وقال غيره : لو كان ذلك مصدراً فوقع بتأنيث ، لم يقع بتذكير ، ولو وَقَع ٢/٥٩

---

(١) ديوانه : ٢٠ ، من معلقته الفريدة . وهى من أبياته فى صفة الحرب ، التى قال فى بدئها ، قبل هذا البيت :

وَمَا الحَرْبُ إِلاَّ مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمُ وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالحَدِيثِ المُرَجَّمِ
مَتَى تَبْعَثُوهَا ، تَبْعَثُوهَا ذَمِيمَةً ، وتَضْرَ ، إذا ضَرَّيْتُمُوهَا فَتَضْرَمِ
فَتَعْرُكْكُمْ عَرْكَ الرَّحَا بِثِفَالِهَا وَتَلْقَحْ كِشافاً ، ثم تُنْتَجْ فَتُتْئِمِ

يقول : إن الحرب تلقح كما تلقح الناقة ، فتأتى بتوأمين فى بطن . وقوله : « أحمر عاد » يعنى أحمر ثمود ، فأخطأ ولم يبال أيهما قال . وأحمر ثمود ، هو قدار ، عاقر ناقة الله فأهلكهم ربهم بما فعلوا . يقول : إن الحرب ترضع مشائيمها وتقوم عليهم حتى تفطمهم بعد أن يبلغوا السعى لأنفسهم فى الشر .

(٢) يقال « فلان غير أبعد » ، أى لا خير فيه . ويقال : « ما عند فلان أبعد » أى لا طائل عنده . قال رجل لابنه : « إن غدوت على المربد ربحت عنا ، أو رجعت بغير أبعد » ، أى بغير منفعة .

بتذكير ، لم يقع بتأنيث . لأن من سُمى بـ « أفعل » لم يصرف إلى « فُعلى » ، ومن سُمى بـ « فُعلى » لم يصرف إلى « أفعل » ، لأن كل اسم يبقى بهيئته لا يصرف إلى غيره ، ولكنهما لغتان . فإذا وقع بالتذكير ، كان بأمر « أشأم » ، وإذا وقع « البأساء والضراء » ، [1] وقع : الخلة البأساء ، والخلة الضراء . وإن كان لم يُبن على « الضراء » ، « الأضر » ، ولا على « الأشأم » ، « الشأماء » . لأنه لم يُرِدْ من تأنيثه التذكير ، ولا من تذكيره التأنيث ، كما قالوا « امرأة حسناء » ، ولم يقولوا : « رجل أحسن » . وقالوا : « رجل أمرد » ، ولم يقولوا : « امرأة مرداء » . فإذا قيل : « الخصلة الضراء » و « الأمر الأشأم » ، دل على المصدر ، ولم يحتج إلى أن يكون اسماً ، وإن كان قد كَفَى من المصدر .

وهذا قول مخالفٌ تأويلَ من ذكرنا تأويله من أهل العلم فى تأويل « البأساء والضراء » ، وإن كان صحيحاً على مذهب العربية . وذلك أن أهل التأويل تأولوا « البأساء » بمعنى : البؤس ، « والضراء » بمعنى : الضر فى الجسد . وذلك من تأويلهم مبنى على أنهم وجّهوا « البأساءَ والضراء » إلى أسماء الأفعال ، دون صفات الأسماء ونعوتها . فالذى هو أولى بـ « البأساء والضراء » ، على قول أهل التأويل ، أن تكون « البأساء والضراء » أسماء أفعال ، فتكون « البأساء » اسماً « للبؤس » ، و « الضراء » اسماً « للضر » .

* * *

وأما « الصابرين » فنصبٌ ، وهو من نعت « مَن » على وجه المدح . [2] لأن من شأن العرب — إذا تطاولت صفةُ الواحد — الاعتراضُ بالمدح والذم بالنصب أحياناً ، وبالرفع أحياناً ، [3] كما قال الشاعر : [4]

---

(١) يعنى : إذا وقع بالتأنيث : وقع بمعنى : الخلة البأساء والخلة الضراء .

(٢) يريد « من » فى قوله تعالى : « ولكن البر من آمن . . . » .

(٣) انظر ما سلف ١ : ٣٢٩ .

(٤) لم أعرف قائله .

إِلَى المَلِكِ القَرْمِ وَابْنِ الهُمَامِ وَلَيْثَ الكَتِيبَةِ فِي المُزْدَحَمْ.(١)
وَذَا الرَّأْيَ حِينَ تُغَمُّ الأُمُورُ بِذَاتِ الصَّلِيلِ وذَاتِ اللُّجُمْ.(٢)

فنصب « ليث الكتيبة » ، وذا « الرأى » على المدح ، والاسم قبلهما مخفُوضٌ لأنه من صفة واحد ، ومنه قول الآخر :(٣)

فَلَيْتَ الَّتِي فِيهَا النُّجُومُ تَوَاضَعَت عَلَى كُلِّ غَثٍّ مِنْهُمُ وَسَمِينِ(٤)
غُيُوثَ الوَرَى فِي كُلِّ مَحْلٍ وَأَزْمَةٍ أُسُودَ الشَّرَى يَحْمِينَ كُلَّ عَرِينِ(٥)

* * *

وقد زعم بعضهم أن قوله :(٦) « والصابرين فى البأساء » ، نصبٌ عطفاً على « السائلين » .

---

(١) معانى القرآن للفراء ١ : ١٠٥ ، والإنصاف : ١٩٥ ، وأمالى الشريف ١ : ٢٠٥ ، وخزانة الأدب ١ : ٢١٦ . والقرم . السيد المعظم المقدم فى المعرفة وتجارب الأمور . والمزدحم : حومة القتال حيث يزدحم الكماة . يمدحه بالجرأة فى القتال .

(٢) وغم الأمر يغم (بالبناء للمجهول) : استعجم وأظلم ، وصار المرء منه فى لبس لا يهتدى لصوابه . والصليل : صوت الحديد . يعنى بذات الصليل كتيبة من الرجالة يصل حديد بيضها وشكتها وسلاحها . وذات اللجم : كتيبة من الفرسان. يذكر ثباته واجتماع نفسه ورأيه حين تطيش العقول فى صليل السيوف وكر الخيول فى معركة الموت . فقوله : « بذات الصليل » متعلق بقوله : « تغم الأمور » .

(٣) لم أعرف قائلهما .

(٤) معانى القرآن للفراء ١ : ١٠٦ ، وأمالى الشريف ١ : ٢٠٦ . وقوله : « تواضعت » ، هو عندى « تفاعل » من قولهم : وضع البانى الحجر توضيعاً : نضد بعضه على بعض . ومنه التوضيع : وهو خياطة الجبة بعد وضع القطن . ومنه أيضاً : وضعت النعامة بيضها : إذا رثدته ووضعت بعضه فوق بعض ، وهو بيض موضع : منضود بعضه على بعض . يقول : ليت السماء قد انضمت على جميعهم ، فكانوا من نجومها . وقوله : « غث منهم وسمين » ، مدح ، يعنى : ليس فيهم غث ، ففيهم حقيق بأن يكون من أهل العلاء .

(٥) المحل : الجدب والقحط . ورواية الفراء والشريف : « ولزبة » . والأزمة والأزبة واللزبة ، بمعنى واحد : وهى شدة السنة والقحط . وروايتهما أيضاً : « غيوث الحيا » . والحيا : الخصب ، ويسمى المطر حيا ، لأنه سبب الخصب . والشرى : موضع تأوى إليه الأسود .

(٦) هذا القول ذكره الفراء فى معانى القرآن ١ : ١٠٨ ، ورده.

كأن معنى الكلام كان عنده : وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين ، وابنَ السبيل والسائلينَ والصابرين فى البأساء والضراء . وظاهرُ كتاب الله يدلّ على خطأ هذا القول . وذلك أنّ « الصابرين فى البأساء والضراء » ، هم أهل الزمانة فى الأبدان ، وأهلُ الإقتار فى الأموال . وقد مضى وصف القوم بإيتاء — مَنْ كان ذلك صفته — المالَ فى قوله : « والمساكينَ وابنَ السبيل والسائلين » . وأهل الفاقة والفقر ، هم أهل « البأساء والضراء » ، لأن من لم يكن من أهل الضراء ذا بأساء ، لم يكن ممن له قبولُ الصدقة ، وإنما له قبولها إذا كان جامعاً إلى ضرائه بأساء ، وإذا جمع إليها بأساء ، كان من أهل المسكنة الذين قد دخلوا فى جملة « المساكين » الذين قد مضى ذكرهم قبل قوله : « والصابرين فى البأساء » . وإذا كان كذلك ، ثم نصب « الصابرين فى البأساء » بقوله « وآتى المال على حبه » ، كان الكلام تكريراً بغير فائدة معنى . كأنه قيل : وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكينَ والمساكينَ . والله يتعالى عن أن يكون ذلك فى خطابه عبادَه . ولكن معنى ذلك : ولكنّ البرّ مَن آمن بالله واليوم الآخر ، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء . « والموفون » رفعٌ ، لأنه من صفة « مَنْ » ، و« مَنْ » رفعٌ ، فهو معرب بإعرابه . « والصابرين » نصب — وإن كان من صفته — على وجه المدح الذى وصفنا قبل .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وحين البأس » ، والصابرين فى وقت البأس ، وذلك وقت شدة القتال فى الحرب ، كما : —

٢٥٤٨ — حدثنى الحسين بن عمرو بن محمد العنقزىّ قال ، حدثنا أبى قال ،

حدثنا أسباط ، عن السدى ، عن مرة ، عن عبد الله فى قول الله : « وحين البأس » ، قال : حين القتال .[١]

٢٥٤٩ ــ حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى ، عن مرة ، عن عبد الله مثله .

٢٥٥٠ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وحين البأس » ، القتال .

٢٥٥١ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة قوله : « وحين البأس » ، أى عندَ مواطن القتال .

٢٥٥٢ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « وحين البأس » ، القتال .

٢٥٥٣ ــ حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، « وحين البأس » ، عند لقاء العدو .

٢٥٥٤ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا عبيدة ، عن الضحاك : « وحين البأس » ، القتال ٦٠/٢

٢٥٥٥ ــ حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا عبيد ابن الطفيل أبو سيدان قال ، سمعت الضحاك بن مزاحم يقول فى قوله : « وحين البأس » ، قال : القتال .[٢]

* * *

---

(١) الأثر : ٢٥٤٨ ــ فى المطبوعة : « العبقرى » ، وقد مضى مراراً خطأ ، وصححناه . وانظر ترجمته فى رقم : ١٦٢٥ .

(٢) الخبران : ٢٥٥٤ ــ ٢٥٥٥ ــ أبو نعيم فى أولهما ؛ هو الفضل بن دكين . وأبو أحمد فى ثانيهما : هو الزبيرى ، محمد بن عبد الله بن الزبير . وباقى الإسناد ، مضى فى : ٢٥٤٧ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ (١٧٧)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « أولئك الذين صدقوا » ، من آمن بالله واليوم الآخر ، ونعتهم النعتَ الذى نعتهم به فى هذه الآية . يقول : فمن فعل هذه الأشياء ، فهم الذين صدقوا الله فى إيمانهم ، وحققوا قولهم بأفعالهم — لا مَنْ ولّى وجهه قبل المشرق والمغرب وهو يخالف الله فى أمره ، وينقض عهده وميثاقه ، ويكتم الناسَ بيانَ ما أمره الله ببيانه ، ويكذِّب رسله .

* * *

وأما قوله : « وأولئك هُم المتقون » ، فإنه يعنى : وأولئك الذين اتقوا عقابَ الله ، فتجنَّبوا عصيانه ، وحَذِروا وعده ، فلم يتعدَّوا حدوده . وخافوه ، فقاموا بأداء فرائضه .

* * *

وبمثل الذى قلنا فى قوله : « أولئك الذين صَدقوا » ، كان الربيع بن أنس يقول :

٢٥٥٦ — حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « أولئك الذين صدقوا » ، قال : فتكلموا بكلام الإيمان ، فكانت حقيقتُه العمل ، صَدقوا الله . قال : وكان الحسن يقول : هذا كلام الإيمان ، وحقيقتُه العمل ، فإن لم يكن مع القول عملٌ فلا شىء .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « كتب عليكم القصاص فى القتلى » ، فُرض عليكم .

* * *

فإن قال قائل : أفرضٌ على ولىّ القتيل القصاصُ من قاتل وليّه ؟

قيل : لا ، ولكنه مباح له ذلك ، والعفو ، وأخذُ الدية .

فإن قال قائل : وكيف قال : « كتب عليكم القصاص » ؟

قيل : إن معنى ذلك على خلاف ما ذهبتَ إليه ، وإنما معناه : يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم القصاص فى القتلى الحرّ بالحرّ والعبدُ بالعبد والأنثى بالأنثى ، أي : أن الحر إذا قتل الحرَّ ، فدم القاتل كفءٌ لدم القتيل ، والقصاصُ منه دون غيره من الناس ، فلا تجاوزوا بالقتل إلى غيره ممن لم يقتل ، فإنه حرام عليكم أن تقتلوا بقتيلكم غيرَ قاتله .

والفرض الذى فرضَ الله علينا فى القصاص ، هو ما وصفتُ من ترك المجاوزة بالقصاص قتلَ القاتل بقتيله إلى غيره ، لا أنه وجب علينا القصاص فرضاً وُجوب فرضِ الصلاة والصيام ، حتى لا يكون لنا تركه . ولو كان ذلك فرضاً لا يجوز لنا تركه ، لم يكن لقوله : « فمن عُفى لهُ من أخيه شىء » ، معنى مفهوم . لأنه لا عفو بعد القصاص فيقال : « فمن عفى له من أخيه شىء » .

* * *

وقد قيل إن معنى القصاص فى هذه الآية ، مقاصَّة ديات بعض القتلى بديات بعض . وذلك أن الآية عندهم نزلت فى حيّين تحاربوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقتل بعضهم بعضاً ، فأُمِر النبيُّ صلى الله عليه وسلم أن يُصلح بينهم بأن تسقط ديات نساء أحد الحزبين بديات نساء الآخرين ، وديات رجالهم

بديات رجالهم ، وديات عبيدهم بديات عبيدهم ، قصاصاً . فذلك عندهم معنى « القصاص » فى هذه الآية .

* * *

فإن قال قائل: فإنه تعالى ذكره قال: « كُتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحرّ والعبدُ بالعبد والأنثى بالأنثى »، فما لنا أن نقتص للحر إلا من الحر ، ولا للأنثى إلا من الأنثى ؟

قيل: بل لنا أن نقتص للحر من العبد ، وللأنثى من الذكر بقول الله تعالى ذكره : ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا ﴾ [سورة الإسراء : ٣٣]، وبالنقل المستفيض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

٢٥٥٧ – المسلمون تتكافأ دماؤهم .(١)

* * *

فإن قال : فإذ كان ذلك ، فما وجه تأويل هذه الآية ؟

قيل : اختلف أهلُ التأويل فى ذلك . فقال بعضهم : نزلت هذه الآية فى قوم كانوا إذا قتل الرجل منهم عبد قوم آخرين ، لم يرضوا من قتيلهم بدم قاتله ، من أجل أنه عبد ، حتى يقتلوا به سيّده . وإذا قتلت المرأة من غيرهم رجلاً ، لم يرضوا من دم صاحبهم بالمرأة القاتلة ، حتى يقتلوا رجلا من رهط المرأة وعشيرتها . فأنزل الله هذه الآية ، فأعلمهم أن الذى فرُض لهم من القصاص أن يقتلوا بالرجل الرجلَ القاتل دون غيره ، وبالأنثى الأنثى القاتلةَ دون غيرها من الرجال ، وبالعبد العبدَ القاتلَ دون غيره من الأحرار. فنهاهم أن يتعدّوا القاتل إلى غيره فى القصاص .

* ذكر من قال ذلك :

٢٥٥٨ – حدثنى محمد بن المثنى قال، حدثنا أبو الوليد – وحدثنى المثنى

(١) الحديث : ٢٥٥٧ – رواه الطبرى هنا معلقاً، دون إسناد . وقد رواه أحمد فى المسند: ٦٧٩٧ ، من حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده – وهو عبد الله بن عمرو بن العاص : « المسلمون تكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم » . ورواه بنحوه أيضاً ابن ماجة: ٢٦٨٥. ورواه أحمد ، بألفاظ مختلفة ، مطولا ومختصراً: ٦٦٩٢ ، ٦٩٧٠ ، ٧٠١٢ .

قال ، حدثنا الحجاج ـ قالا ، حدثنا حماد ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي في قوله : « الحر بالحرّ والعبدُ بالعبد والأنثى بالأنثى » ، قال : نزلت في قبيلتين من قبائل العرب اقتتلتا قتال عُمِّيَّة ، فقالوا : نقتل بعبدنا فلانَ بن فلان، وبفلانة فلانَ بن فلان ، فأنزل الله : « الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى » . (١)

٢٥٥٩ ـ حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « كتب عليكم القصَاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى »، قال : كان أهل الجاهلية فيهم بَغْيٌ وطاعة للشيطان ، فكان الحيّ إذا كان فيهم عُدة ومَنعة، فقتل عبدُ قوم آخرين عبداً لهم ،قالوا: لانقتل به إلا حرًّا! تعززاً، لفضلهم على غيرهم في أنفسهم . وإذا قُتلت لهم إمرأة قتلتها امرأةُ قوم آخرين قالوا : لا نقتل بها إلا رجلاً ! فأنزل الله هذه الآية يخبرهم أنّ العبدَ بالعبد والأنثى بالأنثى ، فنهاهم عن البغي . ثم أنزل الله تعالى ذكره في سورة المائدة بعد ذلك فقال: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالعَيْنَ بِالعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾ [سورة المائدة : ٤٥].

٦١/٢

٢٥٦٠ ـ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : «كتب عليكم القصاص في القتلى » ، قال : لم يكن لمن قبلنا دية، إنما هوُ القتل ، أو العفوُ إلى أهله. فنزلت هذه الآية في قوم كانوا أكثر من غيرهم ، فكانوا إذا قتل من الحيّ الكثير عبدٌ قالوا: لا نقتل به إلا حُراً . وإذا قتلت منهم امرأة قالوا : لا نقتل بها إلا رجلاً . فأنزل الله : « الحرّ بالحرّ والعبدُ بالعبد والأنثى بالأنثى ».

---

(١) العمية (بضم العين أو كسرها ، وتشديد الميم وتشديد الياء) : الغواية والكبر واللجاجة في الباطل والفتنة والضلالة . وفي الحديث : « من قاتل تحت راية عمية ،يغضب لعصبة،أو ينصر عصبة ، أو يدعو لعصبة ، فقتل ، قتل قتلة جاهلية » . وقال أحمد بن حنبل : هو الأمر الأعمى للعصبية ، لا تستبين ما وجهه .

٢٥٦١ ــ حدثني محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا المعتمر قال ، سمعت داود ، عن عامر في هذه الآية : « كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحرّ والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى »، قال : إنما ذلك في قتال عُمية،[1] إذا أصيب من هؤلاء عبدٌ ومن هؤلاء عبدٌ ، تكافآ ، وفي المرأتين كذلك ، وفي الحرّين كذلك . هذا معناه إن شاء الله .

٢٥٦٢ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : دخل في قول الله تعالى ذكره: « الحر بالحر » ، الرجل بالمرأة، والمرأةُ بالرجل . وقال عطاء : ليس بينهما فضل .

* * *

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية في فريقين كان بينهم قتالٌ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقتل من كلا الفريقين جماعةٌ من الرجال والنساء ، فأُمِر النبي صلى الله عليه وسلم أن يُصلح بينهم ، بأن يجعل ديات النساء من كل واحد من الفريقين قصاصاً بديات النساء من الفريق الآخر ، وديات الرجال بالرجال ، وديات العبيد بالعبيد ، فذلك معنى قوله : « كتب عليكم القصاص في القتلى » .

* ذكر من قال ذلك :

٢٥٦٣ ــ حدثنا موسى بن هرون قال: حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط ، عن السدي قوله : « كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبدُ بالعبد والأنثى بالأنثى »، قال : اقتتل أهل ملتين من العرب ، أحدهما مسلم والآخر معاهد ، في بعض ما يكون بين العرب من الأمر ، فأصلح بينهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم ــ وقد كانوا قتلوا الأحرار والعبيد والنساء ــ على أن يؤدّي الحرُّ ديةَ الحر ، والعبد دية العبد ، والأنثى دية الأنثى ، فقاصَّهم بعضَهم من بعض .

٢٥٦٤ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا عبد الله

(١) سلف شرح « عمية » في ص : ٣٥٩ ، تعليق : ١ .

ابن المبارك ، عن سفيان ، عن السدى ، عن أبى مالك قال : كان بين حيين من الأنصار قتالٌ ، كان لأحدهما على الآخر الطَّوْل ،[1] فكأنهم طلبوا الفضْل . فجاء النبى صلى الله عليه وسلم ليصلح بينهم ، فنزلت هذه الآية : « الحرُّ بالحرِّ والعبدُ بالعبد والأنثى بالأنثى » ، فجعل النبى صلى الله عليه وسلم الحر بالحر ، والعبد بالعبد ، والأنثى بالأنثى .

٢٥٦٦ ــ حدثنا المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن شعبة ، عن أبى بشر قال : سمعت الشعبى يقول فى هذه الآية : « كتب عليكم القصاص فى القتلى » ، قال : نزلت فى قتال عُمية . قال شعبة : كأنه فى صلح . قال : اصطلحوا على هذا .

٢٥٦٧ ــ حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة عن أبى بشر قال : سمعت الشعبى يقول فى هذه الآية : « كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى » ، قال : نزلت فى قتال عُمية »،[2] قال : كان على عهد النبى صلى الله عليه وسلم .

* * *

وقال آخرون : بل ذلك أمرٌ من الله تعالى ذكره بمقاصَّة دية الحرّ ودية العبد ، ودية الذكر ودية الأنثى ، فى قتل العمد ــ إن اقتُصّ للقتيل من القاتل ، والتراجع بالفضل والزيادة بين ديتى القتيل والمقتص منه .

* ذكر من قال ذلك :

٢٥٦٨ ــ حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبدُ بالعبد والأنثى بالأنثى » ، قال : حُدِّثنا عن على بن أبى طالب أنه

---

(١) الطول : الفضل والعلو .

(٢) سلف شرح « عمية » فى ص : ٣٥٩ ، تعليق : ١ .

كان يقول : أيما حُرّ قتل عبداً فهو قَوَدٌ به ، فإن شاء موالى العبد أن يقتلوا الحر قتلوه وقاصُّوهم بثمن العبد من دية الحرّ ، وأدّوا إلى أولياء الحرّ بقية ديته . وإن عبدٌ قتل حرًّا فهو به قَودٌ ، فإن شاء أولياء الحرّ قتلوا العبد وقاصُّوهم بثمن العبد ، وأخذوا بقية دية الحرّ ، وإن شاؤا أخذوا الدية كلها واستحيَوُا العبد . وأىُّ حُرّ قتل امرأة فهو بها قَوَدٌ ، فإن شاء أولياء المرأة قتلوه وأدّوا نصفَ الدية إلى أولياء الحرّ . وإن امرأة قتلتْ حُرًّا فهى به قَوَدٌ ، فإن شاء أولياء الحر قتلوها وأخذوا نصف الدية ، وإن شاؤوا أخذوا الدية كلها واستحيوها ، وإن شاؤوا عفوْا . ٦٢/٢

٢٥٦٩ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا هشام بن عبد الملك قال ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن قتادة ، عن الحسن : أن عليًّا قال فى رجل قتل امرأته ، قال : إن شاؤوا قتلوه وغرِموا نصف الدية .

٢٥٧٠ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا يحيى ، عن سعيد ، عن عوف ، عن الحسن قال : لا يُقتل الرجل بالمرأة ، حتى يُعطوا نصف الدية .

٢٥٧١ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن سماك ، عن الشعبى ، قال ، فى رجل قتل امرأته عمداً ، فأتوا به عليًّا فقال : إن شئتم فاقتلوه ، ورُدُّوا فضل دية الرجل على دية المرأة .

* * *

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية فى حال ما نزلت ، والقومُ لا يقتلون الرجل بالمرأة ، ولكنهم كانوا يقتلون الرجل بالرجل ، والمرأة بالمرأة ، حتى سوّى الله بين حكم جميعهم بقوله : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾ [سورة المائدة : ٤٥] ، فجعل جميعهم قَوَدَ بعضهم ببعض .

* ذكر من قال ذلك :

٢٥٧٢ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « والأنثى بالأنثى » ،

وذلك أنهم كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة ، ولكن يقتلون الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة ، فأنزل الله تعالى : « النفس بالنفس » ، فجعل الأحرار فى القصاص سَواءً فيما بينهم ، فى العمد رجالهم ونساؤُهم ، فى النفس وما دون النفس . وجعل العبيد مستوين فيما بينهم فى العمد ، فى النفس وما دون النفس ، رجالهم ونساؤُهم .

* * *

قال أبو جعفر :[1] فإذ كان مُختلَفاً الاختلافُ الذى وصفتُ ، فيما نزلت فيه هذه الآية ، فالواجب علينا استعمالها ، فيما دلت عليه من الحُكم ، بالخبر القاطع العذرَ . وقد تظاهرت الأخبار عن رَسول الله صلى الله عليه وسلم بالنقل العامّ : أن نفس الرجل الحر قَوَدٌ قصَاصاً بنفس المرأة الحرة . فإذ كان ذلك كذلك ، وكانت الأمّة مختلفة فى التراجع بفضل مَا بين دية الرجل والمرأة — على ما قد بَيّنّا من قول علىّ وغيره — كان واضحاً[2] فسادُ قول من قال بالقصاص فى ذلك والتراجع بفضل ما بين الديتين ، بإجماع جميع أهل الإسلام : على أن حراماً على الرجل أن يتلف من جَسده عضواً بعوض يأخذه على إتلافه ، فدعْ جميعَه = وعلى أن حراماً على غيره إتلاف شىء منه — مثل الذى حُرِّم من ذلك — بعوَض يُعطيه عليه .[3] فالواجب أن تكون نفسُ الرجل الحر بنفس المرأة الحرة قَوَداً .

وإذ كان ذلك كذلك ، كان بيّناً بذلك أنه لم يرد بقوله تعالى ذكره : « الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى » أن لا يقادَ العبدُ بالحرّ ، وأن لا تُقتل الأنثى بالذكر ولا الذكر بالأنثى . وإذْ كان ذلك كذلك ، كان بيّناً أن الآية معنىٌّ بها أحد المعنيين الآخرين . إمّا قولنا : من أنْ لا يُتَعدَّى بالقصاص إلى غير القاتل والجانى ، فيؤخذ بالأنثى الذكر وبالعبد الحر . وإمّا القول الآخر : وهو أن تكون

---

(١) قوله : « فإذ كان مختلف » هو تمام قوله فى رد السؤال فى ص : ٣٥٨ س : ١١ . : « قيل : اختلف أهل التأويل فى ذلك . . . »

(٢) فى المطبوعة : « وكان واضحاً » ، والصواب حذف الواو .

(٣) سياق العبارة : « كان واضحاً فساد من قال بالقصاص . . . بإجماع جميع أهل الإسلام على أن حراماً على الرجل . . . وعلى أن حراماً على غيره . . . » .

الآية نزلت فى قوم بأعيانهم خاصة أمرَ النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل ديات قتلاهم قصاصاً بعضها من بعض ، كما قاله السدى ومن ذكرنا قوله .

وقد أجمع الجميع — لا خلاف بينهم — على أن المقاصَّة فى الحقوق غير واجبة ، وأجمعوا على أن الله لم يقض فى ذلك قضاء ثم نسخه . وإذ كان كذلك ، وكان قوله تعالى ذكره : « كُتب عليكم القصاص » ينبىء عن أنه فرضٌ ، كان معلوماً أن القول خلافُ ما قاله قائل هذه المقالة . لأن ما كان فرضًا على أهل الحقوق أن يفعلوه ، فلا خيارَ لهم فيه . والجميع مجمعون على أنّ لأهل الحقوق الخيارَ فى مقاصَّتهم حقوقهم بعضَها من بعض . فإذْ تبيَّنَ فسادُ هذا الوجه الذى ذكرنا ، فالصحيح من القول فى ذلك هو ما قلنا.

* * *

فإن قال قائل : = إذْ ذكرتَ أن معنى قوله : « كتب عليكم القصاص » — بمعنى : فُرض عليكم القصاص = : لا يعرف[1] لقول القائل : « كتب » معنىً إلا معنى : خط ذلك، فرسم خطًّا وكتاباً، فما برهانك على أن معنى قوله : « كتب » فُرِض ؟

قيل : إن ذلك فى كلام العرب موجودٌ ، وفى أشعارهم مستفيض ، ومنه قول الشاعر :[2]

كُتِبَ القَتْلُ وَالقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى المُحْصَنَاتِ جَرُّ الذُّيُولِ[3]

---

(١) فى المطبوعة : « ولا يعرف . . . » والصواب حذف الواو . والسياق : فإن قال قائل . . — لا يعرف » وما بينهما فصل . والذى ذكره فى معنى « كتب » قد سلف فى ص : ٣٥٧ .

(٢) هو عمر بن أبى ربيعة ، أو عبد الله بن الزبير الأسدى .

(٣) ديوان عمر : ٤٢١ ، والبيان والتبيين ٢ : ٢٣٦ ، والكامل ٢ : ١٥٤ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ١٥٨ ، وأنساب الأشراف ٥ : ٢٦٤ ، والأغانى ٩ : ٢٢٩ . ولهذا الشعر خبر . وذلك أن مصعب بن الزبير ، لما خرج إلى المختار بن أبى عبيد الثقفى المتنبئ فظفر به وقتله ، كان نيمن أخذ امرأته عمرة بنت النعمان ابن بشير ، فلما سألها عنه قالت : رحمة الله عليه ، إن كان عبداً من عباد الله الصالحين : فكتب مصعب إلى أخيه عبد الله إنها تزعم أنه نبى ! فأمر بقتلها . وقتلها الذى تولى قتلها قتلا فظيعاً ، فاستنكره الناس ، وقالوا فيه ، ومن قال عمر :

وقولُ نابغةَ بنى جعدة :

يَا بِنْتَ عَمِّى ، كِتَابُ اللهِ أَخْرَجَنِي عَنْكُم ، فَهَلْ أَمْنَعَنَّ اللهَ مَا فَعَلاَ![1]

٢/٦٣ وذلك أكثر فى أشعارهم وكلامهم من أن يحصى . غير أن ذلك ، وإن كان بمعنى : فُرض ، فإنه عندى مأخوذ من « الكتاب » الذى هو رسمٌ وَخط . وذلك أن الله تعالى ذكره قد كتب جميعَ ما فرَض على عباده وماهم عاملوه فى اللوح المحفوظ ، فقال تعالى ذكره فى القرآن : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ۝ فِى لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾ [سورة البروج : ٢١ : ٢٢] ، وقال : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۝ فِى كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴾ [سورة الواقعة : ٧٧ – ٧٨] . فقد تبين بذلك أن كل ما فرضه علينا ، فى اللوح المحفوظ مكتوبٌ .

فمعنى قوله : – إذ كان ذلك كذلك – « كُتب عليكم القصاص » ، كتب عليكم فى اللوح المحفوظ القصَاصُ فى القتلى ، فرَضًا ، أن لا تقتلوا بالمقتول غير قاتله .

* * *

وأما « القصاص » فإنه من قول القائل : « قاصصتُ فلاناً حقّى قِبَلَهُ من حَقه قبلى ، قصاصاً ومُقاصَّة » . فقتل القاتل بالذى قتله «قصاص » ، لأنه مفعول به مثلُ الذى فعَل بمن قتله ، وإن كان أحد الفعلين عُدواناً والآخر حَقًّا . فهما وإن اختلفا من هذا الوجه ، فهما متفقان فى أن كل واحد قد فعَل بصاحبه مثل

إنَّ مِنْ أَعْجَبِ العَجَائِبِ عِنْدِى قَتْلُ بيضاء حُرَّةٍ عُطْبُولِ
قُتِلَتْ هكذا عَلَى غَيْرِ جُرْمٍ إنَّ لِلهِ دَرَّهَا من قَتِيلِ
كُتِبَ القتلُ . . . . . .

(١) اللسان (كتب) وأساس البلاغة (كتب) ، والمقاييس ٥ : ١٥٩ ، ويروى « يا ابنة عمى » ، وفى الأساس : « أخرنى » ، فأخشى أن تكون خطأ من ناسخ .

الذى فعل صاحبه به . وجعل فعل وَلىّ القتيل الأوّل إذا قتل قاتل وليه — قصاصاً ، إذ كان بسبب قتله استحق قتلَ من قتله ، فكأن وليّه المقتول هو الذى وَلى قتل قاتله ، فاقتص منه .

• • •

وأما « القتلى » فإنها جمع « قتيل » كما « الصرعى » جمع « صريع » ، والجرحى جمع « جريح » . وإنما يجمع « الفعيل » على « الفعلى » إذا كان صفة للموصوف به ، بمعنى الزمانة والضرر الذى لايقدر معه صاحبه على البراح من موضعه ومصرعه ،[1] نحو القتلى فى معاركهم ، والصرعى فى مواضعهم ، والجرحى ، وما أشبه ذلك .

• • •

فتأويل الكلام إذاً : فُرض عليكم ، أيها المؤمنون ، القصاصُ فى القتلى : أن يُقتص الحر بالحرّ ، والعبد بالعبد ، والأنثى بالأنثى . ثم ترك ذكر « أن يقتص » اكتفاءً بدلالة قوله : « كُتب عليكم القصاص » = عليه .

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : تأويله : فمن تُرك له من القتل ظلماً ، من الواجب كان لأخيه عليه من القصَاص — وهو الشىء الذى قال الله : « فمن عُفى له من أخيه شىء » — فاتباعٌ من العافى للقاتل بالواجب له قبَله من الدية ، وأداءٌ من المعفوّ عنه ذلك إليه بإحسان .

• ذكر من قال ذلك :

---

(١) انظر ما سلف فى تفسير « أسرى » ٢ : ٣١١ .

٢٥٧٣ – حدثنا أبو كريب وأحمد بن حماد الدولابي قالا ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : « فمن عفى له من أخيه شيء » ، فالعفو : أن يقبل الدية في العمد . واتباع بالمعروف : أن يطلب هذا بمعروف ، ويؤدّي هذا بإحسان .

٢٥٧٤ – حدثني المثنى قال ، حدثنا حجاج بن المنهال قال ، حدثنا حماد ابن سلمة قال ، حدثنا عمرو بن دينار ، عن جابر بن زيد ، عن ابن عباس أنه قال في قوله : « فمن عُفي له من أخيه شيءٌ فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان » ، فقال : هو العمد ، يرضى أهله بالدية ، واتباع بالمعروف : أُمر به الطالب = وأداء إليه بإحسان من المطلوب .

٢٥٧٥ – حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق قال ، حدثنا أبي – – وحدثني المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر – قالا جميعاً ، أخبرنا ابن المبارك ، عن محمد بن مسلم ، عن عمرو بن دينار ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : الذي يقبل الدية ، ذلك منه عفوٌ واتباعٌ بالمعروف ، ويؤدّي إليه الذي عُفي له من أخيه بإحسان .[1]

٢٥٧٦ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « فمن عُفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداءٌ إليه بإحسان » ، وهي الدية : أن يحسن الطالبُ الطلبَ = وأداء إليه بإحسان : وهو أن يحسن المطلوبُ الأداءَ .

٢٥٧٧ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « فمن عُفي له من أخيه شيء فاتباع المعروف

---

(١) الخبر : ٢٥٧٥ – محمد بن علي بن الحسن بن شقيق ، شيخ الطبري ، مضت الرواية عنه أيضاً : ١٥٩١ . وسيأتي أيضاً : ٢٥٩٤ . ووقع في المطبوعة هنا « سفيان » بدل « شقيق » . وهو خطأ وتصحيف . فلا يوجد في الرواة من يسمى « محمد بن علي بن الحسن بن سفيان » ، ولا باسم أبيه .

وأداء إليه بإحسان » ، والعَفُوُّ : الذى يعفو عن الدم ويأخذ الدية .

٢٥٧٨ ــ حدثنا سفيان قال، حدثنا أبى، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فمن عُفى له من أخيه شىء » ، قال : الدية .

٢٥٧٩ ــ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن يزيد ، عن إبراهيم ، عن الحسن : « وأداء إليه بإحسان »، قال: على هذا الطالب أن يطلبَ بالمعروف، وعلى هذا المطلوب أن يؤدى بإحسان .

٢٥٨٠ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فمن عُفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف » ، والعفوُّ: الذى يعفو عن الدم ، ويأخذ الدية .

٢٥٨١ ــ حدثنى محمد بن المثنى قال، حدثنا أبو الوليد قال ، حدثنا حماد ، عن داود بن أبى هند، عن الشعبى فى قوله : « فمن عُفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان » ، قال : هو العمد ، يرضى أهله بالدية .

٢٥٨٢ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا الحجاج قال ، حدثنا حماد، عن داود، عن الشعبى مثله .

٢٥٨٣ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله: « فمن عُفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان »، ٦٤/٢
يقول : قُتل عمداً فعُفى عنه ، وقبلت منه الدية . يقول : « فاتباع بالمعروف » ، فأمر المتبع أن يتبع بالمعروف ، وأمرَ المؤدَّى أن يؤدى بإحسان ، والعمد قَوَدٌ إليه قصاص لا عَقل فيه،[1] إلا أن يرضَوا بالدية. فإن رضوا بالدية، فثمة خَلِفَة.[2] فإن قالوا : لا نرضى إلا بكذا وكذا . فذاك لهم .

---

(١) العقل : الدية ، سميت عقلا ، لأن الدية كانت عند العرب فى الجاهلية إبلا ، لأنها كانت أموالهم . فكان القاتل يسوق الدية إلى فناء ورثة المقتول ، فيعقلها بالعقل ويسلمها إلى أوليائه .

(٢) الخلفة (بفتح الخاء وكسر اللام) : الحامل من النوق . وليس لها جمع من لفظها ، بل يقال هى « مخاض » ، كما يقال : امرأة ونساء .

٢٥٨٤ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « فاتباعٌ بالمعروف وأداء إليه بإحسان » ، قال : يتبع به الطالبُ بالمعروف ، ويؤدى المطلوب بإحسان .

٢٥٨٥ ــ حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، فى قوله : « فمن عُفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان » ، يقول : فمن قتل عمداً فعفى عنه ، وأخذت منه الدية ، يقول : « فاتباع بالمعروف » ، أمِر صاحبُ الدية التى يأخذها أن يتبع بالمعروف ، وأمِر المؤدِّى أن يؤدى بإحسان .

٢٥٨٦ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : قلت لعطاء : قوله : « فمن عُفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان » ، قال : ذلك إذا أخذ الدية ، فهو عفوٌ .

٢٥٨٧ ــ حدثنا الحسن قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، أخبرنى القاسم بن أبى بزة ، عن مجاهد قال : إذا قبل الدية فقد عفا عن القصاص ، فذلك قوله : « فمن عُفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان » ، قال ابن جريج : وأخبرنى الأعرج ، عن مجاهد مثل ذلك ، وزاد فيه : ــ فإذا قبل الدية ، فإن عليه أن يتبع بالمعروف ، وعلى الذى عُفى عنه أن يُؤدى بإحسان .

٢٥٨٨ ــ حدثنا المثنى قال ، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال ، حدثنا أبو عقيل قال ، قال الحسن : أخذ الدية عفوٌ حسن .

٢٥٨٩ ــ حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « وأداء إليه بإحسان » ، قال : أنتَ أيها المعفوُّ عنه .

٢٥٩٠ ــ حدثنى محمد بن سعد ، قال حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع

بالمعروف وأداء إليه بإحسان» ، وهو الدية ، أن يحسن الطالب= وأداء إليه بإحسان : هو أن يُحسن المطلوب الأداء .

* * *

وقال آخرون معنى قوله : « فمن عُفى » ، فمن فَضَل له فضل ، وبقيتْ له بقية . وقالوا : معنى قوله : « من أخيه شيء » : من دية أخيه شيء، أو من أرْش جراحته ،[1] فاتباع منه القاتلَ أو الجارحَ الذى بَقِى ذلك قبله — بمعروف ، وأداء = من القاتل أو الجارح = إليه ما بقى قبله له من ذلك بإحسان .

وهذا قول من زعم أن الآية نزلت— أعنى قوله : « يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم القصاص فى القتلى » — فى الذين تحاربوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأُمِر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُصلح بينهم، فيقاصَّ ديات بعضهم من بعض ، ويُردَّ بعضُهم على بعض بفضل إن بَقِى لهم قبل الآخرين . وأحسب أن قائلى هذا القول وَجَّهوا تأويل « العفو » — فى هذا الموضع — إلى : الكثرة من قول الله تعالى ذكره: ﴿ حَتَّىٰ عَفَوْا ﴾ [سورة الأعراف : ٩٥] . فكأنَّ معنى الكلام عندهم : فمن كثر له قبَل أخيه القاتل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٥٩١ — حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد ، قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فمنْ عُفى له من أخيه شيء»، يقول : بقى له من دية أخيه شيءٌ أو من أرش جراحته، فليتبع بمعروف، وليؤدِّ الآخرُ إليه بإحسان .

* * *

والواجب على تأويل القول الذى روينا عن على والحسن — فى قوله : « كُتب عليكم القصاص » أنه بمعنى : مُقاصّة دية النفس الذكَر من دية نفس الأنثى ، والعبد من الحر ، والتراجع بفضل ما بين دَيَتى أنفسهما — أن يكون معنى قوله :

---

(١) الأرش : دية الجنايات والجراحات كالشجة ونحوها .

« فمنْ عُفى له من أخيه شيء » ، فمن عُفى له من الواجب لأخيه عليه — من قصاص دية أحدهما بدية نفس الآخر ، إلى الرِّضى بدية نفس المقتول ، فاتباع من الولىّ بالمعروف ، وأداء من القاتل إليه ذلك بإحسان .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال عندى بالصواب فى قوله : « فمن عُفى له من أخيه شيء » : فمن صُفِح له — من الواجب كان لأخيه عليه من القود — عن شيء من الواجب ، على دية يأخذها منه ، فاتباعٌ بالمعروف = من العافى عن الدم ، الراضى بالدية من دم وليه = وأداء إليه — من القاتل — ذلك بإحسان . لما قد بينا من العلل فيما مضى قبل : من أنّ معنى قول الله تعالى ذكره : « كُتب عليكم القصاص » ، إنما هو القصاص من النفوس القاتلة أو الجارحة أو الشاجّة عمداً . كذلك « العفو » أيضاً عن ذلك .

* * *

وأما معنى قوله : « فاتباع بالمعروف » ، فإنه يعنى : فاتباع على ما أوجبه الله لهُ من الحقّ قبَل قاتل وليه ، من غير أن يزداد عليه ما ليس له عليه — فى أسنان الفرائض أو غير ذلك[1] — أو يكلفه ما لم يوجبه الله له عليه ، كما : —

٢٥٩٢ — حدثنى بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : بلغنا عن نبى الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : من زاد أو ازداد بعيراً — يعنى فى إبل الديات وفرائضها — فمن أمر الجاهلية .[2] ٦٥/٢

* * *

وأما إحسان الآخر فى الأداء ، فهو أداءُ ما لَزِمه بقتله لولى القتيل ، على

---

(١) الفرائض جمع فريضة : وهو البعير المأخوذ فى الزكاة ، سمى فريضة لأنه فرض واجب على رب المال ، ثم اتسع فيه حتى سمى البعير فريضة فى غير الزكاة .

(٢) الحديث : ٢٥٩٢ — هذا حديث مرسل ، إذ يرويه « قتادة » ، وهو تابعى . ولم أجده فى مكان آخر ولا ذكره السيوطى .

ما ألزمه الله وأوجبه عليه ، من غير أن يبخسه حقًّا له قبله بسبب ذلك ، أو يحوجه إلى اقتضاءٍ ومطالبة .

* * *

فإن قال لنا قائل : وكيف قيل : « فاتباعٌ بالمعروف وأداء إليه بإحسان » ، ولم يَقل فاتباعاً بالمعروف وأداءً إليه بإحسان ، كما قال : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾ [سورة محمد : ٤] ؟

قيل : لو كان التنزيل جاء بالنصب ، وكان : فاتباعاً بالمعروف وأداءً إليه بإحسان — كان جائزاً فى العربية صحيحاً ، على وجْه الأمر ، كما يقال : « ضرباً ضرباً = وإذا لقيت فلاناً فتبجيلاً وتعظيماً » ، غير أنه جاءَ رفعاً ، وهو أفصح فى كلام العرب من نصبه . وكذلك ذلك فى كل ما كان نظيراً له ، مما يكون فرضاً عامًّا — فيمن قد فعل ، وفيمن لم يفعل إذا فعل — لا ندباً وحثًّا . ورفعه على معنى : فمن عفى له من أخيه شىء ، فالأمر فيه : اتباعٌ بالمعروف وأداءٌ إليه بإحسان ، أو فالقضاء والحكم فيه : اتباع بالمعروف .

وقد قال بعض أهل العربية : رفع ذلك على معنى : فمن عفى له من أخيه شىء ، فعليه اتباعٌ بالمعروف . وهذا مذهب ، والأول الذى قلناه هو وجه الكلام . وكذلك كلّ ما كان من نظائر ذلك فى القرآن ، فإن رفعَه على الوجه الذى قُلناه . وذلك مثل قوله : ﴿ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ﴾ [سورة المائدة : ٩٥] ، وقوله : ﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ [سورة البقرة : ٢٢٩] . وأما قوله : ﴿ فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾ ، فإن الصواب فيه النصب ، وهو وجه الكلام ، لأنه على وجه الحثّ من الله تعالى ذكره عبادَه على القتل عند لقاء العدو ، كما يقال : « إذا لقيتم العدو فتكبيراً وتهليلاً » ، على وجه الحضّ على التكبير ، لا على وجه الإيجاب والإلزام . (١)

* * *

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ١٠٩ — ١١٠ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « ذلك » ، هذا[1] الذى حكمت به وسننته لكم ، من إباحتى لكم – أيتها الأمة – العفوَ عن القصاص من قاتل قتيلكم ، على دية تأخذونها فتملكونها ملككم سائر أموالكم التى كنت مَنعتها مَن قبلكم من الأمم السالفة = « تخفيف من ربكم » ، يقول : تخفيف منى لكم مما كنت ثقّلته على غيركم ، بتحريم ذلك عليهم = « ورحمة » ، منى لكم ، كما :–

٢٥٩٣ – حدثنا أبو كريب وأحمد بن حماد الدولابى قالا ، حدثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : كان فى بنى إسرائيل القصاصُ ولم تكن فيهم الدية ، فقال الله فى هذه الآية : « كُتب عليكم القصاصُ فى القتلى الحر بالحر » إلى قوله « فمنْ عُفى له من أخيه شىء » ، فالعفو : أن يقبل الدية فى العمد = « ذلك تخفيف من ربكم » . يقول : خفف عنكم ما كان على على مَنْ كان قبلكم : أن يطلب هذا بمعروف ، ويؤدى هذا بإحسان .[2]

---

(١) انظر « ذلك » بمعنى « هذا » ١ : ٢٣٥ – ٢٣٧ / ثم هذا الجزء ٣ : ٣٣٥

(٢) الحديث : ٢٥٩٣ – أحمد بن حماد بن سعيد بن مسلم الأنصارى الرازى الدولابى : هو والد « أبى بشر محمد بن أحمد الدولابى » صاحب كتاب الكنى والأسماء . وقد رفعنا نسبه نقلا عن تذكرة الحفاظ ٢ : ٢٩١ فى ترجمة ابنه الحافظ . وأحمد بن حماد هذا : ثقة ، ترجمه ابن أبى حاتم ١/١/٤٩ ، فلم يذكر فيه جرحاً ، وذكر أن أباه أبا حاتم سمع منه .

سفيان : هو ابن عيينة .

والحديث رواه عبد الرزاق فى تفسيره ، ص : ١٦ ، بنحوه . بإسنادين : عن معمر ، عن أبى نجيح ، عن مجاهد . وعن ابن عيينة – كالإسناد هنا إلى مجاهد – عن ابن عباس .

ورواه البخارى ١٢ : ١٨٣ (فتح) ، عن قتيبة بن سعيد ، عن سفيان . بهذا الإسناد .

وذكره السيوطى ١ : ١٧٣ ، وزاد نسبته لسعيد بن منصور ، وابن أبى شيبة ، والنسائى ، وابن أبى حاتم ، وابن حبان ، وغيرهم .

وذكره ابن كثير ١ : ٣٩٤ ، من رواية سعيد بن منصور ، عن سفيان . ثم قال : « وقد رواه غير واحد عن عمرو . وأخرجه ابن حبان فى صحيحه عن عمرو بن دينار » . فقد سها – رحمه الله – عن أن البخارى رواه فى صحيحه ، فنسبه لصحيح ابن حبان ، ولم يذكر البخارى .

٢٥٩٤ ــ حدثنا محمد بن على بن الحسن بن شقيق قال، حدثنا أبى قال ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، عن محمد بن مسلم ، عن عمرو بن دينار ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : كان مَنْ قبلكم يقتلون القاتل بالقتيل ، لا تقبل منهم الدّية ، فأنزل الله : « ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر» إلى آخر الآية ، « ذلك تخفيفٌ من ربكم » ، يقول : خفف عنكم، وكان على مَنْ قبلكم أنّ الدية لم تكن تقبل ، فالذى يَقبل الدية ذلك منه عَفوٌ .

٢٥٩٥ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا حماد ابن سلمة قال ، أخبرنا عمرو بن دينار ، عن جابر بن زيد ، عن ابن عباس : « ذلك تخفيف من ربكم ورحمة » ــ مما كان على بنى إسرائيل ، يعنى : من تحريم الدية عليهم .

٢٥٩٦ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : كان على بنى إسرائيل قصاص فى القتل ، ليس بينهم دية فى نَفس ولا جَرْح، وذلك قول الله: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالعَيْنَ بِالعَيْنِ ﴾ الآية كلها [سورة المائدة : ٤٥]، وخفف الله عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فقبل منهم الدية فى النفس وفى الجراحة ، وذلك قوله تعالى : « ذلك تخفيفٌ من ربكم » بينكم.

٢٥٩٧ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ذلك تخفيف من ربكم ورحمة » ، وإنما هى رحمة رَحم الله بها هذه الأمة ،أطعمهم الدية وأحلّها لهم، ولم تحلّ لأحد قبلهم. فكان أهل التوراة إنما هو القصاص أو العفو، وليس بينهما أرْش ، وكان أهل الإنجيل إنما هو عفوٌ، أمروا به . فجعل الله لهذه الأمة القوَد والعفو والدية إن شاؤوا ، أحلها لهم ، ولم تكن لأمة قبلهم .

٢٥٩٨ ــ حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن

أبيه ، عن الربيع بمثله سواء، غير أنه قال : ليس بينهما شيء .

٢٥٩٩ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : «كتب عليكم القصاص فى القتلى»، قال : لم يكن لمن قبلنا دية ، إنما هو القتل ، أو العفو إلى أهله . فنزلت هذه الآية فى قوم كانوا أكثرَ من غيرهم . ٦٦/٢

٢٦٠٠ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، وأخبرنى عمرو بن دينار ، عن ابن عباس قال : إنّ بنى إسرائيل كان كتب عليهم القصاص ، وخفف عن هذه الأمة ــ وتلا عمرو بن دينار : «ذلك تخفيف من ربّكم ورحمة» .

* * *

وأما على قول من قال: القصاص فى هذه الآية معناه: قصاصُ الديات بعضِها من بعض ، على ما قاله السدى ، فإنه ينبغى أن يكون تأويله : هذا الذى فعلتُ بكم أيها المؤمنون = من قصاص ديات قتلى بعضكم بديات بعض، وترك إيجاب القوَد على الباقين منكم بقتيله الذى قتله وأخذه بديته = تخفيفٌ منّى عنكم ثِقْلَ ما كان عليكُم من حكمى عليكم بالقوَد أو الدية ، ورحمة منى لكم .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١٧٨)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : «فمن اعتدى بعد ذلك» ، فمن تجاوز ما جَعله الله له بعدَ أخذه الدّية ، اعتداءً وظلماً إلى ما لم يُجعل له من قتل قاتِل وليه وسفك دمه، فله بفعله ذلك وتعدّيه إلى ما قد حرمته عليه، عذابٌ أليم .

وقد بينت معنى « الاعتداء » فيما مضى بما أغنى عن إعادته .[١] وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٦٠١ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فمن اعتدى بعد ذلك » ، فقتل ، « فله عذابٌ أليم » .

٢٦٠٢ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فمن اعتدى » ، بعد أخذ الدية ، « فله عذاب أليم » .

٢٦٠٣ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة قوله : « فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم » ، يقول : فمن اعتدى بعد أخذه الدية فقتل ، فله عذاب أليم . قال : وذُكِر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : لا أعافى رجلاً قَتل بعد أخذه الدية .[٢]

---

(١) انظر ما سلف ٢ : ٣٠٧ .

(٢) الحديث : ٢٦٠٣ – وهذا رواه أيضاً قتادة – التابعى – مرفوعاً ، فهو مرسل . وكذلك ذكره السيوطى ١ : ١٧٣ ، عن قتادة ، ونسبه للطبرى وابن المنذر فقط .

وقد روى المرفوع منه – عبد الرزاق فى تفسيره ، ص : ١٦ ، عن معمر ، عن قتادة مرسلا أيضاً .

ثم ذكر السيوطى اللفظ المرفوع ، ونسبه لسمويه فى فوائده ، عن سمره . وقد قصر فيه جداً ، كما قصر فى الجامع الصغير : ٩٧٠١ ، إذ ذكره أيضاً ، ونسبه للطيالسى – فقط – عن جابر ، يعنى جابر ابن عبد الله .

وحديث الطيالسى – عن جابر – : هو فى مسنده : ١٧٦٣ ، عن حماد بن سلمة ، عن مطر الوراق ، عن رجل ، عن جابر ، فذكره مرفوعاً .

وقد رواه أحمد فى المسند : ١٤٩٦٨ ، عن عفان ، عن حماد بن سلمة : « أخبرنا مطر ، عن رجل ، أحسبه الحسن ، عن جابر بن عبد الله » . وكذلك رواه أبو داود فى السنن : ٤٥٠٧ ، عن موسى بن إسماعيل ، عن حماد بن سلمة ، به .

فتقصير السيوطى : أن نسبه للطيالسى وحده ، وهو فى أحد الكتب الستة ومسند أحمد .

وعلى كل حال ، فحديث جابر ضعيف ، لأن إسناده رجلا مبهماً ، أو رجل شك فيه مطر الوراق .

وحديث الحسن عن سمرة ، ذكره أيضاً ابن كثير ١ : ٣٩٥ ، قال : « وقال سعيد بن أبى عروبة ،

٢٦٠٤ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « فمن اعتدى بعد ذلك » ، قال : هو القتل بعد أخذ الدية . يقول : من قتل بعد أنْ يأخذ الدية فعليه القتلُ ، لا تُقبلُ منه الدية .(١)

٢٦٠٥ ــ حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم » ، يقول : فمن اعتدى بعد أخذه الديةَ ، فله عذاب أليم .

٢٦٠٦ ــ حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنى أبى ، عن يزيد بن إبراهيم، عن الحسن قال : كان الرجل إذا قتل قتيلاً فى الجاهلية فرَّ إلى قومه ، فيجىء قومه فيصالحون عنه بالدية ، قال: فيخرج الفارُّ وقد أمن على نفسه ، قال : فيُقتل ثم يُرْمى إليه بالدية، فذلك « الاعتداء » .

٢٦٠٧ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال ، حدثنا أبو عقيل ، قال : سمعت الحسن فى هذه الآية : « فمن عُفى لهُ من أخيه شىء » ، قال : القاتلُ إذا طُلب فلم يُقدر عليه، وأُخِذ من أوليائه الدية، ثم أمن، فأخِذ فقُتِل . قال الحسن : ما أكل عُدوانٌ .

٢٦٠٨ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا مسلم قال ، حدثنا القاسم قال ، حدثنا هرون بن سليمان قال ، قلت لعكرمة: من قتل بعد أخذه الدية ؟ قال : إذاً يُقتل! أما سمعت الله يقول : « فمن اعتدى بعدَ ذلك فله عذابٌ أليم » ؟

٢٦٠٩ ــ حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ،

عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة . . . » ، فذكره مرفوعاً .

فهذا إسناد يمكن أن يكون صحيحاً ، لو علمنا إسناده إلى سعيد بن أبى عروبة ، ومن الذى رواه من طريقه ؟ إذ لم أجده بعد طول البحث . ولو وجدناه لكان وصلا لهذا المرسل الذى رواه الطبرى من طريق سعيد ابن أبى عروبة عن قتادة .

(١) الخبر : ٢٦٠٤ ــ رواه الطبرى من طريق عبد الرزاق . وهو فى تفسيره ، ص ١٦ ، بهذا الإسناد .

عن السدى : « فمن اعتدى بعد ذلك » ، بعد ما يأخذ الدية ، فيقتل « فله عذابٌ أليم » .

٢٦١٠ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « فمن اعتدى بعد ذلك » ، يقول : فمن اعتدى بعد أخذه الدية ، فله عذاب أليم .

٢٦١١ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « فمن اعتدى بعد ذلك فله عذابٌ أليم » ، قال : أخذ العَقْل ، ثم قَتل بعد أخذ العقل قاتلَ قتيله ، فله عذاب أليم .

* * *

واختلفوا فى معنى « العذاب الأليم » الذى جعله الله لمن اعتدى بعد أخذه الدية من قاتل وليِّه .

فقال بعضهم : ذلك « العذابُ » هو القتلُ بمن قتله بعد أخذ الدية منه ، وعفوه عن القصاص منه بدم وليِّه .

* ذكر من قال ذلك :

٢٦١٢ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم الدورقى قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم » ، قال : يقتل ، وهو العذاب الأليم = يقول : العذاب الموُجع .

٢٦١٣ – حدثنى يعقوب قال ، حدثنى هشيم قال ، حدثنا أبو إسحق ، عن سعيد بن جبير أنه قال ذلك .

٢٦١٤ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال ، حدثنا القاسم قال ، حدثنا هرون بن سليمان ، عن عكرمة : « فمن اعتدى بعد ذلك فله عذابٌ أليم » ، قال : القتلُ .

* * *

وقال بعضهم : ذلك « العذابُ » عقوبة يعاقبه بها السلطان على قدر ما يَرَى من عقوبته .

• ذكر من قال ذلك :

٢٦١٥ ــ حدثني القاسم بن الحسن قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال، قال ابن جريج، أخبرني إسمعيل بن أمية، عن الليث= غير أنه لم ينسبه، وقال: ثقة =: أن النبي صلى الله عليه وسلم أوجبَ بقسَمٍ أو غيره أن لا يُعفى عن رَجل عَفا عن الدم وأخذ الدية، ثم عَدا فقتل، قال ابن جريج، وأخبرني عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال: في كتاب لعمرَ عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: و«الاعتداء» الذي ذكر الله: أنّ الرجل يأخذ العقلَ أو يقتصّ أو يقضي السلطان فيما بين الجراح، ثم يعتدي بعضُهم من بعد أن يستوعبَ حقه. فمن فعل ذلك فقد اعتدى، والحكم فيه إلى السلطان بالذي يرى فيه من العقوبة قال: ولو عفا عنه، لم يكن لأحد من طلبة الحق أن [يعفو][1]، لأن هذا من الأمر الذي أنزل الله فيه قوله: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [سورة النساء: ٥٩].[2]

٦٧/٢

٢٦١٦ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا عبد الواحد بن زياد، عن يونس،

---

(١) الذي بين القوسين، هكذا في الأصل. وصوابه فيما أرجح «أن يقتله». ولم أجد الخبر، ولا كتاب عمر الذي ذكره.

(٢) الحديث: ٢٦١٥ ــ هو في الحقيقة حديثان، رواهما ابن جريج، ولم أجدهما في مكان آخر. ولكني لا أسيغ لفظهما أن يكون من ألفاظ النبوة، ولا عليه شيء من نورها. وهو بألفاظ الفقهاء أشبه!

فأولهما: رواه ابن جريج، عن إسمعيل بن أمية، عن رجل اسمه «الليث»: «غير أنه لم ينسبه» ــ فلا أعرف من «الليث» هذا؟ وأما إسماعيل بن أمية: فإنه ثقة، يروى عن التابعين. مترجم في التهذيب. والكبير ١/٥١/٣٤، وابن أبي حاتم ١/١/١٥٩، ونسب قريش: ١٨٢، وجمهرة الأنساب لابن حزم: ٧٤.

وثانيهما: رواه ابن جريج، عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، عن «كتاب لعمر عن النبي صلى الله عليه وسلم». والظاهر أنه يريد كتاباً لعمر بن عبد العزيز. ومن المحتمل أن يكون كتاباً لعمر بن الخطاب.

وعبد العزيز بن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز: ثقة، وثقه ابن معين وغيره. مترجم في التهذيب. وابن أبي حاتم ٢/٢/٣٨٩.

عن الحسن : فى رجل قُتل فأخذت منه الدية، ثم إن وليَّه قتل به القاتل . قال الحسن : تؤخذ منه الدية التى أخذ ، ولا يُقتل به .(١)

• • •

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بقوله : « فمن اعتدى بعد ذلك فله عذابٌ أليم» ، تأويلُ من قال: فمن اعتدى بعد أخذه الدية فقتلَ قاتلَ وليه، فله عذاب أليم فى عاجل الدنيا، وهو القتل. لأن الله تعالى جعل لكل ولىٍّ قتيلٍ قُتل ظلماً، سلطاناً على قاتل وليه ، فقال تعالى ذكره ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ ﴾ [سورة الإسراء : ٣٣] . فإذ كان ذلك كذلك : وكان الجميع من أهل العلم مجمعين على أن من قتل قاتلَ وليه بعد عفوه عنه وأخذِه منه دية قتيله ، أنه بقتله إياه له ظالم فى قتله — كان بيِّناً أن لا يولَّى من قتله ظُلماً كذلك، السلطانَ عليه فى القصاص والعفو وأخذ الدية، أىَّ ذلك شاء .(٢) وإذ كان ذلك كذلك، كان معلوماً أن ذلك عذابُه . لأن من أقيم عليه حدُّه فى الدنيا ، كان ذلك عقوبته من ذنبه، ولم يكن به متَّبَعاً فى الآخرة، على ما قد ثبت به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .(٣)

---

(١) الخبر : ٢٦١٦ — بشر بن معاذ ، شيخ الطبرى ، مضى فى : ٣٥٢ . ونزيد هنا أنه ثقة معروف ، مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣٦٨/١/١ ، وذكر أن أباه كتب عنه ، وأنه سئل عنه ، فقال : « صالح الحديث صدوق » . وهو يروى عن قدماء الشيوخ ، مثل « حماد بن زيد » المتوفى سنة ١٧٩ ، وعبد الواحد بن زياد ، شيخه هنا ، المتوفى تلك السنة .

عبد الواحد بن زياد العبدى البصرى : أحد الأعلام الثقات . مترجم فى التهذيب ، والصغير للبخارى : ٢٠٢ ، وذكر أنه مات سنة ١٧٩ ، وابن أبى حاتم ٣/١/٢٠ — ٢١ ، وابن سعد ٤٤/٢/٧ .

يونس : هو ابن عبيد بن دينار العبدى ، وهو ثقة ، من أوثق أصحاب الحسن وأثبتهم . مترجم فى التهذيب . والكبير ٤٠٢/٢/٤ ، والصغير : ١٦٠ ، وابن سعد ٢٣/٢/٧ — ٢٤ ، وابن أبى حاتم ٢٤٢/٢/٤ .

(٢) فى هذه العبارة غموض ، وأخشى أن يكون قد سقط من الكلام شىء ، ولكن المعنى العام ظاهر .

(٣) كالذى رواه البخارى من حديث عبادة بن الصامت قال : « بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رهط فقال : أبايعكم على أن لا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تسرقوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا

وأما ما قاله ابن جريج : من أن حكم من قتل قاتل وليه بعد عفوه عنه ، وأخذه دية وليه المقتول — إلى الامام دون أولياء المقتول، فقول خلاف لما دل عليه ظاهر كتاب الله ، وأجمع عليه علماء الأمة . وذلك أن الله جعل لولى كل مقتول ظلماً السلطان دون غيره ، من غير أن يخص من ذلك قتيلاً دون قتيل . فسواء كان ذلك قتيل ولى من قتله أو غيره . ومن خص من ذلك شيئاً سئل البرهان عليه من أصل أو نظير ، وعكس عليه القول فيه ، ثم لن يقول فى شىء من ذلك قولاً إلا ألزم فى الآخر مثله . ثم فى إجماع الحجة على خلاف ما قاله فى ذلك، مكتفى فى الاستشهاد على فساده بغيره .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب » ، ولكم يا أولى العقول ، فيما فرضت عليكم وأوجبت لبعضكم على بعض ، من القصاص فى النفوس والجراح والشجاج ، ما منع به بعضكم من قتل بعض ، وقدع بعضكم عن بعض، فحييتم بذلك، فكان لكم فى حكمى بينكم بذلك حياة.[1]

* * *

واختلف أهل التأويل فى معنى ذلك.

فقال بعضهم فى ذلك نحو الذى قلنا فيه .

* ذكر من قال ذلك :

ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصونى فى معروف . فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فأخذ به فى الدنيا ، فهو كفارة له وطهور ، ومن ستره الله فذلك إلى الله ، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له » (البخارى : كتاب الحدود ٨ : ١٦٢) .

(١) قدعه يقدعه قدعاً : كفه . ومنه : « اقدعوا هذه الأنفس فإنها طلعة » ، أى كفوها عما تشتهى وتريد .

٢٦١٧ ــ حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « ولكم في القصاص حياةٌ يا أولي الألباب »، قال : نكالٌ ، تناهٍ .

٢٦١٨ ــ حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن أبي زائدة ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « ولكم في القصاص حياة»، قال : نكالٌ ، تناهٍ .

٢٦١٩ ــ حدثني المثنى قال : حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٢٦٢٠ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد، عن سعيد ، عن قتادة : « ولكم في القصاص حياة » ، جعل الله هذا القصاص حياة ، ونكالاً ، وعظةً لأهل السفه والجهل من الناس . وكم من رجل قد هَمّ بداهية ، لولا مخافة القصاص لوقع بها ، ولكن الله حَجز بالقصاص بعضهم عن بعض ؛ وما أمر الله بأمر قط إلاّ وهو أمر صلاح في الدنيا والآخرة ، ولا نهى الله عن أمر قط إلاّ وهو أمر فساد في الدنيا والدين ، والله أعلم بالذي يُصلح خَلقه .

٢٦٢١ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب » ، قال : قد جعل الله في القصاص حياة ، إذا ذكره الظالم المتعدي كفّ عن القتل .

٢٦٢٢ ــ حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « ولكم في القصاص حياة » الآية ، يقول : جعل الله هذا القصاص حياة وعبرة لكم . كم من رجل قد هَمّ بداهية فمنعه مخافة القصاص أن يقع بها ! وإن الله قد حَجز عباده بعضهم عن بعض بالقصاص .

٢٦٢٣ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « ولكم في القصاص حياة » ، قال : نكالٌ ، تناهٍ . قال ابن جريج : حَياةٌ . مَنعةٌ . ٦٨/٢

٢٦٢٤ ــ حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله : « ولكم في القصاص حياة »، قال: حياةٌ، بقية .[1] إذا خاف هذا أن يُقتل بي كفّ عني ، لعله يكون عدوًّا لي يريد قتلي، فيذكر أن يُقْتَل في القصاص، فيخشى أن يقتل بي ، فيكفّ بالقصاص الذي خافَ أن يقتل ، لولا ذلك قتل هذا .

٢٦٢٥ ــ حدثت عن يعلى بن عبيد قال، حدثنا إسمعيل ، عن أبي صالح في قوله : « ولكم في القصاص حياة » ، قال : بقاء .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : ولكم في القصاص من القاتل بقاء لغيره ، لأنه لا يقتل بالمقتول غيرُ قاتله في حكم الله . وكانوا في الجاهلية يقتلون بالأنثى الذكر وبالعبد الحرّ .

* ذكر من قال ذلك :

٢٦٢٦ ــ حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « ولكم في القصاص حياة »، يقول : بقاء ، لا يقتل إلاّ القاتل بجنايته .

* * *

وأما تأويل قوله: « يا أولي الألباب »، فإنه: يا أولي العقول. « والألباب » جمع « اللب »، و « اللب » العقل .

* * *

وخص الله تعالى ذكره بالخطاب أهلَ العقول ، لأنهم هم الذين يعقلون عن الله أمره ونهيه ، ويتدبّرون آياته وحججه دونَ غيرهم .

* * *

(١) بقية : أي إبقاء . وأخشى أن تكون « تقية » بالتاء ، أي اتقاء ، كما يدل عليه سائر الأثر . وكلتاهما صحيحة المعنى .

القول فى تأويل قوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٧٩)

قال أبو جعفر : وتأويل قوله : « لعلكم تتقون » ، أى تتقون القصاص ، فتنتهون عن القتل ، كما : —

٢٦٩ — حدثنى به يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « لعلكم تتقون »، قال : لعلك تتقى أن تقتله ، فتقتل به .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ذكره ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ (١٨٠)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله تعالى ذكره: « كُتب عليكم »، فُرض عليكم ، أيها المؤمنون ، الوصية = إذا حضر أحدكم الموتُ إن تَرَكَ خيراً — والخير : المال = للوالدين والأقربين الذين لا يرثونه ، بالمعروف : وهو ما أذن الله فيه وأجازه فى الوصية مما لم يجاوز الثلث ، ولم يتعمّد الموصى ظُلم وَرَثته = حقًّا على المتقين = يعنى بذلك : فرض عليكم هذا وأوجبه، وجعله حقًّا واجباً على من اتقى الله فأطاعه أن يعمل به .

* * *

فإن قال قائل : أوَ فرضٌ على الرجل ذى المال أن يُوصى لوالديه وأقربيه الذين لا يرثونه ؟

قيل : نعم .

فإن قال : فإن هو فرّط فى ذلك فلم يوص لهم ، أيكون مضيّعاً فرضاً يَحْرَج بتضييعه ؟

قيل : نعم .

فإن قال : وما الدلالة على ذلك ؟

قيل : قول الله تعالى ذكره : « كُتِبَ عليكم إذا حضر أحدكم الموتُ إن تَرَكَ خيراً الوصيّةُ للوالدين والأقربين » ، فأعلم أنه قد كتبه علينا وفرَضه ، كما قال : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ [سورة البقرة : ١٨٣] ، ولا خلاف بين الجميع أن تارك الصيام وهو عليه قادر ، مضيع بتركه فرضاً لله عليه . فكذلك هو بترك الوصية لوالديه وأقربيه وله ما يوصى لهم فيه ، مُضيعٌ فَرْضَ الله عز وجل .

فإن قال : فإنك قد علمت أن جماعة من أهل العلم قالوا : الوصيةُ للوالدين والأقربين منسوخةٌ بآية الميراث ؟

قيل له : وخالفهم جماعةٌ غيرهم فقالوا : هى محكمةٌ غيرُ منسوخة . وإذا كان فى نسخ ذلك تنازع بين أهل العلم ، لم يكن لنا القضاءُ عليه بأنه منسوخٌ إلا بحجة يجب التسليم لها ، إذ كان غير مستحيل اجتماعُ حكمُ هذه الآية وحكمُ آية المواريث فى حال واحدةٍ على صحة ، بغير مدافعةِ حكم إحداهما حُكمَ الأخرى — وكان الناسخ والمنسوخ هما المعنيان اللذان لا يجوز اجتماع حكمهما على صحة فى حالة واحدة ، لنفى أحدهما صاحبه .

وبما قلنا فى ذلك قال جماعة من المتقدمين والمتأخرين .

* ذكر من قال ذلك :

٢٦٢٨ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك أنه كان يقول : من مات ولم يوُص لذوى قرابته . فقد ختم عمله بمعصية .

٢٦٢٩ — حدثنى سَلم بن جنادة .[1] قال ، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش ،

(١) فى المطبوعة : « سالم بن جنادة » . وهو خطأ . وقد مضى مراراً ، وانظر ترجمته فى رقم : ٤٨ .

عن مسلم ، عن مسروق : أنه حضر رجلاً فوصَّى بأشياء لا تنبغى ، فقال له مسروق : إنّ الله قد قسم بينكم فأحسن القَسْم ، وإنه من يرغب برأيه عن رأى الله يُضِلّه ، أوصِ لذى قرابتك ممن لا يرثك ، ثم دع المال على ما قسمه الله عليه .

٢٦٣٠ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا أبو تميلة يحيى بن واضح قال ، حدثنا عبيد ، عن الضحاك قال : لا تجوز وصية لوارث ، ولا يُوصى إلا لذى قرابة ، فإن أوصى لغير ذى قرابة فقد عمل بمعصية ؛ إلا أن لا يكون قرابة، فيوصى لفقراء المسلمين .

٢٦٣١ — حدثنا ابن حميد قال ،حدثنا جرير ، عن مغيرة قال : العجبُ لأبى العالية ، أعتقته امرأة من بنى رياح ، وأوصى بما له لبنى هاشم !

٢٦٣٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن رجل ، عن الشعبى قال : لم يكن له [موال] ، ولا كرامة .(١)

٢٦٣٣ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا

---

(١) فى المطبوعة : « لم يكن له حال ولا كرامة » . وهو خطأ بلا شك عندى . فإن هذا الخبر تعليق على الخبر السالف الذى تعجب فيه المغيرة من فعل أبى العالية : أعتقته امرأة من بنى رياح ، وأوصى بماله لبنى هاشم ! فرد الشعبى تعجب المغيرة فقال : إن أبا العالية لا موالى له ، ولا كرامة لأحد .

وخبر ذلك أن أبا العالية اشترته امرأة ، ثم ذهبت به إلى المسجد ، فقبضت على يده . فقالت : اللهم اذخره عندك ذخيرة ، اشهدوا يا أهل المسجد أنه سائبة لله ، ليس لأحد عليه سبيل إلا سبيل معروف . قال أبو العالية : والسائبة يضع نفسه حيث شاء . (ابن سعد ٧/١/٨١) .

والسائبة : العبد يعتق على أن لا ولاء له . واختلف الفقهاء فى ميراث السائبة ، إذا ترك ميراثاً : أيرثه معتقه، أم لا يحل له أن يرزأ من ماله شيئاً ؟ قيل: لما هلك أبو العالية أتى مولاه بميراثه ، فقال : هو سائبة ! وأبى أن يأخذه . وفى حديث عمر : « السائبة والصدقة ليومهما » قال أبو عبيدة : أى ليوم القيامة ، واليوم الذى كان أعتق سائبته وتصدق بصدقة فيه . يقول : فلا يرجع إلى الانتفاع بشىء منها بعد ذلك فى الدنيا . وانظر ترجمة سالم مولى أبى حذيفة (ابن سعد ٣/١/٦٠) فقد كان سائبة، وقتل يوم اليمامة فى عهد أبى بكر ، فأرسل أبو بكر ماله لمولاته فأبت أن تقبله ، فجعله عمر فى بيت المال .

فهذا ما أراد الشعبى أن يقول : إن أبا العالية سائبة ، فهو لا موالى له ، وماله يضعه حيث شاء ، ولا كرامة فى ذلك لأحد من الموالى ، لأن ذلك هو حكم السائبة .

هذا ما رأيت فى تصحيح هذه الجملة ، ولم أجدها فى مكان آخر ، فأسأل الله أن أكون قد بلغت التوفيق ، وجنبت الزلل .

أيوب ، عن محمد قال : قال عبد الله بن معمر فى الوصية : من سمَّى ، جعلناها حيثُ سمَّى — ومن قال : حيثُ أمرَ الله ، جعلناها فى قرابته .

٢٦٣٤ — حدثنى محمد بن عبد الأعلى الصنعانى قال ، حدثنا المعتمر قال ، حدثنا عمران بن حُدير[1] قال : قلت لأبى مجلز : الوصية على كل مسلم واجبة؟ قال : على من ترك خيراً . ٦٩/٢

٢٦٣٥ — حدثنا سوّار بن عبد الله قال ، حدثنا عبد الملك بن الصباح قال ، حدثنا عمران بن حدير[1] قال : قلت للاحق بن حُميد : الوصية حق على كل مسلم ؟ قال : هى حق على من ترك خيراً .

* * *

واختلف أهل العلم فى حكم هذه الآية .

فقال بعضهم : لم ينسخ الله شيئاً من حكمها ، وإنما هى آية ظاهرُها ظاهرُ عموم فى كل والد ووالدة والقريب ، والمرادُ بها فى الحكم البعضُ منهم دون الجميع ، وهو من لا يرث منهم الميت دون من يرث . وذلك قول من ذكرت قوله ، وقول جماعة آخرين غيرهم معهم .

* ذكر قول من لم يُذكر قولُه منهم فى ذلك :

٢٦٣٦ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا معاذ بن هشام قال ، حدثنى أبى ، عن قتادة ، عن جابر بن زيد : فى رجل أوصى لغير ذى قرابة وله قرابةٌ محتاجون ، قال : يُردّ ثلثا الثلث عليهم ، وثلث الثلث لمن أوصى له به .

٢٦٣٧ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا معاذ قال ، حدثنا أبى ، عن قتادة ، عن الحسن وجابر بن زيد وعبد الملك بن يعلى أنهم قالوا — فى الرجل يُوصى لغير ذى

---

(١) فى المطبوعة : « عمران بن جرير » ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبت . وهو عمران بن حدير السدوسى أبو عبيده البصرى ، صلى على جنازة خلف أنس . روى عن أبى مجلز ، وأبى قلابة وغيرهما وعنه معتمر بن سليمان وغيره . قال البخارى : مات سنة ١٩٤ . (تهذيب التهذيب)

وأبو مجلز ، هو لاحق بن حميد ، المذكور فى الإسناد التالى .

قرابته وله قرابة ممن لا يرثه ، قال : كانوا يجعلون ثُلثي الثلث لذوى القرابة ، وثلث الثلث لمن أوصى له به .

٢٦٣٨ ــ حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حميد ، عن الحسن أنه كان يقول : إذا أوصى الرجل لغير ذى قرابته بثُلثه ، فلهم ثلث الثلث ، وثلثا الثلث لقرابته .

٢٦٣٩ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه قال: من أوصى لقوم وسماهم، وترك ذوى قرابته محتاجين، انتُزِعتْ منهم وَرُدَّتْ إلى ذوى قرابته .

* * *

وقال آخرون : بل هى آية قد كان الحكم بها واجباً وعُمل به بُرهة ، ثم نَسخ الله منها بآية المواريث الوصيةَ لوالدى الموُصِي وأقربائه الذين يرثونه ، وأقرّ فرضَ الوصية لمن كان منهم لا يرثه .

* ذكر من قال ذلك :

٢٦٤٠ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة فى قوله : « كُتب عليكم إذا حَضر أحدكم الموت إن تَرك خيراً الوصيةُ للوالدين والأقربين » ، فجعلت الوصية للوالدين والأقربين ، ثم نُسخ ذلك بعد ذلك ، فجعل لهما نصيبٌ مفروضٌ ، فصارت الوصية لذوى القرابة الذين لا يرثون، وُجعل للوالدين نصيبٌ معلوم ، ولا تجوز وصية لوارث .

٢٦٤١ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « إن تَركَ خيراً الوصية للوالدين والأقربين » ، قال : نسخ الوالدان منها ، وترك الأقربون ممن لا يرث .

٢٦٤٢ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قوله : « إن تَركَ خيراً الوصية للوالدين

والأقربين » ، قال : نسخ من يرث ، ولم ينسخ الأقربين الذين لا يرثون .

٢٦٤٣ ــ حدثنا يحيى بن نصر قال ، حدثنا يحيى بن حسان قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن طاوس ، عن أبيه قال : كانت الوصية قبل الميراث للوالدين والأقربين ، فلما نزل الميراث ، نسخ الميراثُ من يرث ، وبقى من لا يرث . فمن أوصى لذى قرابته لم تجز وصيتُه . (١)

٢٦٤٤ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا سُويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن إسمعيل المكى ، عن الحسن فى قوله : « إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين » ، قال : نسخ الوالدين ، وأثبتَ الأقربين الذين يُحرَمون فلا يرثون .

٢٦٤٥ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن مبارك بن فضالة ، عن الحسن فى هذه الآية : « الوصية للوالدين والأقربين » ، قال : للوالدين منسوخة ، والوصيةُ للقرابة وإن كانوا أغنياءَ .

٢٦٤٦ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « إن تركَ خيراً الوصية للوالدين والأقربين » ، فكان لا يرث مع الوالدين غيرُهم ، إلا وصية إن كانت للأقربين ،

---

(١) الخبر : ٢٦٤٣ – يحيى بن نصر ، شيخ الطبرى : لم أعرف من هو ؟ ولم أجد فى الرواة من يدعى بهذا ، إلا رجلا قديماً لم يدركه الطبرى ، وهو « يحيى بن نصر بن حاجب القرشى » ، مات سنة ٢١٥ قبل أن يولد أبو جعفر . وهو مترجم فى ابن أبى حاتم ٤/٢/١٩٣ ، وتاريخ بغداد ١٤ : ١٥٩ – ١٦٠ ، ولسان الميزان ٦ : ٢٧٨ – ٢٧٩ .

وفى تاريخ بغداد ١٤ : ٢٢٥ – ٢٢٦ ترجمة « يحيى بن أبى نصر ، أبو سعد الهروى » ، واسم أبيه منصور بن الحسن » . وهذا توفى سنة ٢٨٧ . ولكن يبعد أن يسمع من « يحيى بن حسان » المتوفى سنة ٢٠٨ .

وفى التهذيب ١١ : ٢٩٢ – ٢٩٣ ترجمة ثالثة : «يحيى بن النضر بن عبد الله الأصبهانى الدقاق » ، يروى عن أبى داود الطيالسى ، ويروى عنه أبو بكر بن أبى داود السجستانى . وهو مترجم أيضاً فى تاريخ إصبهان ٢ : ٣٥٧ – ٣٥٨ . فهذا من هذه الطبقة . ومن المحتمل جداً أن يكون هو الذى روى عنه الطبرى هنا .

وأما شيخه « يحيى بن حسان» : فهو التنيسى البكرى ، وهو ثقة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/٢/٢٦٩ ، والصغير : ٢٢٩ ، وابن أبى حاتم ٤/٢/١٣٥ .

فأنزل الله بعد هذا : ﴿ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ﴾ [سورة النساء: ١١] ، فبين الله سبحانه ميراث الوالدين ، وأقرّ وصية الأقربين فى ثلث مال الميت .

٢٦٤٧ ــ حدثنى على بن داود قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : : « إن ترك خيراً الوصيةُ للوالدين والأقربين » ، فنسخ من الوصية الوالدين ، وأثبت الوصية للأقربين الذين لا يرثون .

٢٦٤٨ ــ حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموتُ إنْ ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف » ، قال : كان هذا من قبل أن تُنزَّل «سورة النساء» ، فلما نزلت آية الميراث نسخَ شأنَ الوالدين ، فألحقهما بأهل الميراث ، وصارت الوصية لأهل القرابة الذين لا يرثون .

٧٠/٢ ٢٦٤٩ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا حماد ابن سلمة قال ، أخبرنا عطاء بن أبى ميمونة قال : سألت مسلم بن يَسار والعلاء ابن زياد عن قول الله تبارك وتعالى : « إن ترك خيراً الوصيةُ للوالدين والأقربين » ، قالا : فى القرابة .

٢٦٥٠ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحجاج قال ، حدثنا حماد ، عن إياس ابن معاوية قال : فى القرابة .

* * *

وقال آخرون : بل نسخ الله ذلك كله وفرضَ الفرائض والمواريث ، فلا وصية تجب لأحد على أحد قريبٍ ولا بعيدٍ .

* ذكر من قال ذلك :

٢٦٥١ ــ حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله :

« إن تَرَكَ خيراً الوصية للوَالدين والأقربين » الآية ، قال : فنسخ الله ذلك كله وفرضَ الفرائض .

٢٦٥٢ ــ حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية ، عن يونس ، عن ابن سيرين ، عن ابن عباس : أنه قام فخطب الناس ههنا ، فقرأ عليهم «سورة البقرة » ليبين لهم منها ، فأتى على هذه الآية : « إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين » ، قال : نُسخت هذه .

٢٦٥٣ ــ حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين » ، نسخت الفرائضُ التي للوالدين والأقربين الوصيةَ .

٢٦٥٤ ــ حدثني محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال، حدثنا سفيان ، عن جهضم ، عن عبد الله بن بدر قال ، سمعت ابن عمر يقول في قوله : « إن تَرَكَ خيراً الوصيةُ للوالدين والأقربين» ، قال : نسختها آيةُ الميراث . قال ابن بشار : قال عبد الرحمن : فسألت جهضماً عنه فلم يحفظه .

٢٦٥٥ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا الحسين ابن واقد ،عن يزيد النحوى، عن عكرمة والحسن البصرى قالا : « إن تَرَكَ خيراً الوصية للوالدين والأقربين » ، فكانت الوصية كذلك حتى نسختها آية الميراث .

٢٦٥٦ ــ حدثني أحمد بن المقدام قال، حدثنا المعتمر قال ، سمعت أبي قال، زعم قتادة، عن شريح في هذه الآية : « إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين» ، قال : كان الرجل يُوصى بماله كله ، حتى نزلت آية الميراث .

٢٦٥٧ ــ حدثنا أحمد بن المقدام قال، حدثنا المعتمر قال ، سمعت أبي قال ، زعم قتادة: أنه نسختْ آيتا المواريث في «سُورة النساء»، الآيةَ في «سُورة البقرة » في شأن الوصية .

٢٦٥٨ ــ حدثني محمد بن عمرو قال: حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى ،

عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: «إن تركَ خيراً الوصيةُ للوالدين والأقربين»، قال: كان الميراث للوَلد، والوصية للوالدين والأقربين، وهي منسوخة.

٢٦٥٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: كان الميراث للولد، والوصية للوالدين والأقربين، وهي منسوخة، نسختها آيةٌ في «سورة النساء»: ﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ﴾ [سورة النساء: ١١]

٢٦٦٠ – حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي: «كُتب عليكم إذا حَضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصيةُ للوالدين والأقربين»، أما الوالدان والأقربون، فيوم نزلت هذه الآية كان الناس ليس لهم ميراث معلومٌ، إنما يُوصي الرجل لوالده ولأهله فيقسم بينهم، حتى نسختها «النساء»، فقال: ﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ﴾.

٢٦٦١ – حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية قال، حدثنا أيوب، عن نافع: أن ابن عمر لم يُوصِ، وقال: أمّا مالي، فالله أعلمُ ما كنت أصنع فيه في الحياة، وأما رِباعي فما أحب أن يَشْرَك ولدي فيها أحد.

٢٦٦٢ – حدثني محمد بن خلف العسقلاني قال، حدثنا محمد بن يوسف قال، حدثنا سفيان، عن نسير بن ذعلوق قال، قال عروة – يعني ابن ثابت – لربيع ابن خُثَيم:[1] أوْصِ لي بمصحفك. قال: فنظر إلى أبيه فقال: ﴿وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ﴾ [سورة الأنفال: ٧٥].

٢٦٦٣ – حدثنا علي بن سهل قال، حدثنا يزيد، عن سفيان، عن الحسن ابن عبد الله، عن إبراهيم قال: ذكرنا له أن زيداً وطلحة كانا يشدّدان في الوصية، فقال: ما كان عليهما أن يفعلا، مات النبي صلى الله عليه وسلم ولم يُوصِ، وأوصَى أبو بكر، أيَّ ذلك فعلتَ فحسنٌ.

---

(١) في المطبوعة: «بن خيثم»، وأثبت ما في التهذيب، وانظر ترجمته.

٢٦٦٤ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن الحسن بن عبد الله ، عن إبراهيم قال : ذكر عنده طلحة وزيد فذكر مثله .

* * *

وأما «الخير» الذى إذا تركه تاركٌ وجب عليه الوصية فيه لوالديه وأقربيه الذين لا يرثون ، فهو : المال ، كما : ــ

٢٦٦٥ ــ حدثنى المثنى بن إبراهيم قال ، حدثنا عبد الله بن صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « إن ترك خيراً » ، يعنى مالاً .

٢٦٦٦ ــ حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « إن ترك خيراً » ، مالاً .

٢٦٦٧ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة[1] قال ، حدثنا شبل ، عن أبى نجيح ، عن مجاهد : « إن تَرَكَ خيراً » ، كان يقول : الخير فى القرآن كله : المال ، ﴿ لِحُبِّ الخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ [سورة العاديات : ٨] ، الخير : المال ــ ﴿ وَأَحْبَبْتُ حُبَّ الخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّى ﴾ [سورة ص : ٣٢] ، المال ــ ﴿ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً ﴾ [سورة النور : ٣٣] ، المال = و ﴿ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الوَصِيَّةُ ﴾ ، المالُ . ٧١/٢

٢٦٦٨ ــ حدثنا بشر بن مَعاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « إن ترك خيراً الوصية » ، أى : مالاً .[2]

٢٦٦٩ ــ حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا

---

(١) فى المطبوعة : « أبو جعفر » والصواب « أبو حذيفة » ، وهو إسناد دائر فى التفسير أقربه آنفاً رقم : ٢٦٥٩ .

(٢) الأثر : ٢٦٦٨ ــ فى المطبوعة : « حدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا سعيد » أسقط « حدثنا يزيد » ، وهو إسناد دائر فى التفسير أقربه آنفاً رقم : ٢٦٤٠ .

أسباط ، عن السدى : « إن تَرك خيراً الوصية » ، أما « خيراً » ، فالمالُ .

٢٦٧٠ ــ حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « إن ترك خيراً » ، قال : إن ترك مالاً .

٢٦٧١ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قوله : « إن ترك خيراً » ، قال : الخيرُ المال .

٢٦٧٢ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن الحسن بن يحيى ، عن الضحاك فى قوله : « إن ترك خيراً الوصية » ، قال : المال . ألا ترى أنه يقول : قال شعيب لقومه : ﴿ إِنِّى أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ ﴾ [سورة هود : ٨٤] ، يعنى الغنى .

٢٦٧٣ ــ حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنا محمد بن عمرو اليافعى ، عن ابن جريج ، عن عطاء بن أبى رباح ، تلا : « كُتب عليكم إذا حَضر أحدكم الموتُ إن ترك خيراً » ، قال عطاء : الخير فيما يُرى المال .

* * *

ثم اختلفوا فى مبلغ المال الذى إذا تركه الرجل كان ممن لزمه حكم هذه الآية .

فقال بعضهم : ذلك ألف درهم .

* ذكر من قال ذلك :

٢٦٧٤ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا همام ابن يحيى ، عن قتادة فى هذه الآية « إن تَرَك خيراً الوصية » ، قال : الخيرُ ألف فما فوقه .

٢٦٧٥ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحجاج قال ، حدثنا حماد قال ، أخبرنا هشام بن عروة ، عن عروة : أن على بن أبى طالب دخل على ابن عم لهُ يعوده ، فقال : إنّى أريد أن أوصى . فقال على : لا توص ، فإنك لم تترك خيراً فتوصى . قال : وكان ترك من السبعمئة إلى التسعمئة .

٢٦٧٦ – حدثني يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال، حدثني عثمان بن الحكم الجزامي[1] وابن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن علي بن أبي طالب : أنه دخل على رجل مريض فذكر لهُ الوصية ، فقال : لا تُوص ، إنما قال الله : « إن تَرك خيراً »، وأنت لم تترك خيراً . قال ابن أبي الزناد فيه : فدع مَالك لبنيك .

٢٦٧٧ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان ، عن منصور بن صفية، عن عبد الله بن عبينة – أو : عتبة، الشك مني – : أنّ رجلاً أراد أن يوصي وله ولد كثير ، وترك أربعمئة دينار ، فقالت عائشة : ما أرى فيه فضلاً .

٢٦٧٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : دخل عليّ علَى مولى لهم في الموت وله سبعمئة درهم، أو ستمئة درهم ، فقال : ألا أوصي؟ فقال : لا! إنما قال الله: « إن ترك خيراً »، وليس لك كثير مال .

* * *

وقال بعضهم ذلك ما بين الخمسمئة درهم إلى الألف .

* ذكر من قال ذلك :

٢٦٧٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن قتادة، عن أبان بن إبراهيم النخعيّ في قوله: « إن ترك خيراً »، قال : ألف درهم إلى خمسمئة .

* * *

وقال بعضهم : الوصية واجبة من قليل المال وكثيره .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) ضبطه في الخلاصة « بكسر المهملة » وفي التهذيب والميزان « الجذامي » بجيم مضمومة ، ثم ذال معجمة .

٢٦٨٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهرى قال : جعل الله الوصية حقًّا ، مما قل منه أو كثر .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب فى تأويل قوله : « كُتِبَ عليكم إذا حَضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية » ما قال الزهرى . لأن قليلَ المال وكثيره يقع عليه «خيرٌ» ، ولم يحدّ الله ذلك بحدٍّ ، ولا خص منه شيئاً فيجوز أن يحال ظاهر إلى باطن . فكلّ من حضرته منيّته وعنده مالٌ قلّ ذلك أو كثر ، فواجبٌ عليه أن يوصى منه لمن لا يرثه من آبائه وأمهاته وأقربائه الذين لا يرثونه بمعروف ، كما قال الله جل ذكره وأمرَ به .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَمَن بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ – ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك: فمن غيّر ما أوصَى به الموصِى – من وصيته بالمعروف لوالديه أو أقربيه الذين لا يرثونه – بعد ما سمع الوصية ، فإنما إثم التبديل على من بَدّل وصيته .

* * *

فإن قال لنا قائل: وعلامَ عادت « الهاء » التى فى قوله : « فمن بدّله » ؟

قيل: على محذوف من الكلام يدل عليه الظاهر. وذلك هو أمر الميت، وإيصاؤه إلى من أوصَى إليه، بما أوصَى به ، لمن أوْصَى له .

ومعنى الكلام : « كُتب عليكم إذا حَضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقًّا على المتقين»، فأوصوا لهم، فمن بدل ما أوصيتم به لهم بعد ما سمعكم توصون لهم، فإنما إثم ما فعل من ذلك عليه دونكم .

وإنما قلنا إن « الهاء » فى قوله : « فمن بدله » عائدة على محذوف من الكلام يدل عليه الظاهرُ ، لأن قوله : « كُتب عليكم إذا حَضر أحدكم الموتُ إن ترك خيرًا الوصية » من قول الله ، وأنّ تبديل المبدَّل إنما يكون لوصية الموصِي . فأما أمرُ الله بالوصية فلا يقدر هو ولا غيره أن يبدِّله ، فيجوز أن تكون « الهاء » فى قوله : « فمن بدله » عائدة على « الوصية » . ٧٢/٢

وأما « الهاء » فى قوله : « بعد ما سمعه » ، فعائدة على « الهاء » الأولى فى قوله : « فمن بَدَّله » .

وأما « الهاء » التى فى قوله : « فإنما إثمه » ، فإنها مكنىٌّ « التبديل » ، كأنه قال : فإنما إثم ما بدَّل من ذلك على الذين يبدلونه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك

٢٦٨١ ــ حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فمن بدَّله بَعد ماسمعه » ، قال : الوصية .

٢٦٨٢ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٢٦٨٣ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس فى قوله : « فمن بدَّله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدِّلونه » ، وقد وقعَ أجر الموصى على الله وَبرئَ من إثمه ، وإن كان أوصى فى ضِرَارٍ لم تجز وصيته ، كما قال الله : ﴿ غَيْرَ مُضَارٍّ ﴾ [سورة النساء : ١٢]

٢٦٨٤ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « فمن بدَّله بعد ما سمعه » ، قال : من بدَّل الوصية بعد ما سمعها ، فإثم ما بدَّل عليه .

٢٦٨٥ – حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا : عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فمن بدّله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه »، فمن بدّل الوصية التى أوصَى بها ، وكانت بمعروف ، فإنما إثمها على من بدّلها . إنه قد ظلم .

٢٦٨٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا حجاج بن المنهال قال ، حدثنا حماد، عن قتادة: أن عطاء بن أبى رباح قال فى قوله : « فمن بدّله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدّلونه » ،قال : يُمضىَ كما قال .

٢٦٨٧ – حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن يزيد بن إبراهيم ، عن الحسن : « فمن بدّله بعد ما سمعه » ، قال : من بدل وصية بعد ما سمعها .

٢٦٨٨ – حدثني المثنى قال،حدثنا حجاج قال ، حدثنا يزيد بن إبراهيم ، عن الحسن فى هذه الآية: « فمن بدّله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدّلونه »، قال : هذا فى الوصية ، من بدّلها من بعد ما سمعها ،فإنما إثمه على من بَدّله .

٢٦٨٩ – حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا، حدثنا معاذ بن هشام قال ، حدثنى أبى ، عن قتادة ، عن عطاء وسالم بن عبد الله وسليمان بن يسار أنهم قالوا : تُمضى الوصية لمن أوصَى له به = إلى ههنا انتهى حديث ابن المثنى ، وزاد ابن بشار فى حديثه = قال قتادة : وقال عبد الله بن معمر : أعجبُ إلىّ لو أوْصى لذوى قرابته ، وما يعجبنى أن أنزعه ممن أوصَى له به . قال قتادة : وأعجبه إلىّ لمن أوصى له به ، قال الله عز وجل : « فمن بدّله بعدَ ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدّلونه » .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١٨١)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : «إن الله سميع» = لوصيتكم التى أمرتكم أن توُصوا بها لآبائكم وأمهاتكم وأقربائكم حين توصون بها ، أتعدلون فيها على ما أذِنت لكم من فعل ذلك بالمعروف، أم تَحيفون فتميلون عن الحق وتجورون عن القصد ؟ = «عليمٌ» بما تخفيه صدوركم من الميل إلى الحق، والعدل، أم الجور والحيْف .

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٨٢)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل هذه الآية .

فقال بعضهم : تأويلها : فمن حضر مريضاً وهو يوصى عند إشرافه على الموت، فخاف أن يخطىء فى وصيته فيفعل ما ليس له ، أو أن يعمد جورًا فيها فيأمر بما ليس له الأمر به ، فلا حرج على من حَضره فسمع ذلك منه أنْ يصلح بينه وبين وَرَثته ، بأن يأمره بالعدل فى وصيته ، وأن ينهاهم عن مَنعه مما أذن الله له فيه وأباحه له .

• ذكر من قال ذلك :

٢٦٩٠ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : «فمن خَافَ من مُوص جَنفاً أو إثماً فأصلح بينهم فلا إثم عليه» ، قال : هذا حين يُحْضَر الرجلُ وهو يموت ، فإذا

أسرف أمروه بالعدل ، وإذا قصَّر قالوا : افعل كذا ، أعطِ فلاناً كذا .

٢٦٩١ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : « فمن خافَ من مُوص جَنفا أو إثما » ، قال : هذا حين يُحْضَر الرجلُ وهو في الموت ، فإذا أشرف على الجور أمروه بالعدل ،[1] وإذا قصر عن حق قالوا : افعل كذا ، أعط فلاناً كذا .

* * *

وقال آخرون: بل معنى ذلك : فمن خافَ – من أولياء ميت ،[2] أو وَالٍ أمر المسلمين – من مُوص جنفا في وصيته التي أوصى بها الميت ، فأصلح بين وَرَثته وبين الموصى لهم بما أوصَى لهم به ، فرد الوصية إلى العدل والحقّ ، فلا حرج ولا إثم .

* ذكر من قال ذلك :

٢٦٩٢ – حدثني المثنى ، حدثنا أبو صالح كاتب الليث ، حدثني معاوية ابن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : « فمن خاف من مُوص جَنفاً » – يعني : إثْماً – يقول : إذا أخطأ الميت في وصيته أو حاف فيها ، فليس على الأولياء حرجٌ أن يردوا خطأه إلى الصواب . ٧٣/٢

٢٦٩٣ – حدثنا الحسن بن يحيى ،[3] حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « فمن خافَ من مُوص جَنفاً أو إثماً » ، قال : هو الرجل يوصي

---

(١) في المطبوعة : « فإذا أشرف على الموت أمروه بالعدل » ، وهو لا يستقيم مع سياق الخبر ، ولا مع الخبر الذي قبله عن مجاهد أيضاً . ورجحت أن يكون الناسخ صحف « الجور » فجعلها « الموت » أو سها أو سبق قلمه . أو لعله أخطأ وصحف وزاد ، وأن أصل عبارته كالسياق قبله : « فإذا أسرف أمروه بالعدل » . وكلاهما جائز وصواب في المعنى .

(٢) في المطبوعة : « أوصياء ميت » ، وهما سواء .

(٣) في المطبوعة : « الحسن بن عيسى » وهو خطأ صرف ، وهو إسناد دائر في التفسير أقربه إلينا رقم : ٢٦٨٤ .

فيحيف فى وصيته ، فيردها الولىّ إلى الحقّ والعدل. (١)

٢٦٩٤ ــ حدثنا بشر بن معاذ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة قوله : « فمن خاف من مُوص َجنفاً أو إثماً » ، وكان قتادة يقول : من أوصى بجورٍ أو حيْف فى وصيته فردها َولىّ المتوفى أو إمام من أئمة المسلمين ، إلى كتاب الله وإلى العدل ، فذاك له .

٢٦٩٥ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن بن سعد وابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « فمن َخافَ من مُوص َجنفاً أو إثماً » ، فمن أوصى بوصية بجور ، فردّه الوصىُّ إلى الحق بعد موته ، فلا إثم عليه ــ قال عبد الرحمن فى حديثه : « فأصلح بينهم » ، يقول : رده الوصىّ إلى الحق بعد موته ، فلا إثم عليه .

٢٦٩٦ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن إبراهيم : « فمن خافَ من مُوص َجنفاً أو إثماً فأصْلح بينهم » ، قال : رده إلى الحق .

٢٦٩٧ ــ حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال ، حدثنا إسرائيل ، عن سعيد بن مسروق ، عن إبراهيم قال : سألته عن رجل أوصى بأكثر من الثلث ؟ قال : اردُدها . ثم قرأ : « فمن خاف من مُوص َجنفاً أو إثماً » .

٢٦٩٨ ــ حدثنا عمرو بن على قال ، حدثنا خالد بن زيد صاحب اللؤلؤ قال ، حدثنا أبو جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس : « فمن خاف من مُوص َجنفاً أو إثماً فأصلح بينهم فلا إثم عليه » ، قال : رده الوصى إلى الحق بعد موته ، فلا إثم على الوصى .

* * *

وقال بعضهم : بل معنى ذلك : فمن خاف من موص جنفاً أو إثماً فى عطيته

(١) فى المطبوعة : « الوالى » ، والصواب ما أثبت ، أى ولى الميت .

عند حضور أجله بعضَ ورثته دون بعض، فلا إثم على من أصلح بينهم=يعني : بين الورثة.

* ذكر من قال ذلك :

٢٦٩٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : قلت لعطاء قوله : « فمن خاف من موص جَنفاً أو إثماً » ، قال : الرجل يحيف أو يأثم عند موته، فيعطي ورثته بعضَهم دون بعض، يقول الله: فلا إثم على المصلح بينهم . فقلت لعطاء : أله أن يُعطي وارثه عند الموت ، إنما هي وصية، ولا وصية لوارث ؟ قال : ذلك فيما يَقسم بينهم.

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : فمن خاف من مُوص جنفاً أو إثماً في وصيته لمن لا يرثه ، بما يرجع نفعه على من يَرثه، فأصلح بينَ وَرَثته ، فلا إثم عليه .

* ذكر من قال ذلك :

٢٧٠٠ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، أخبرني ابن طاوس، عن أبيه أنه كان يَقول : جَنفُه وإثمه، أنْ يوصي الرجل لبني ابنه ليكونَ المالُ لأبيهم ، وتوصي المرأة لزوج ابنتها ليكون المال لابنتها؛ وذو الوارث الكثير والمالُ قليل ، فيوصي بثلث ماله كله ، فيصلح بينهم الموصَى إليه أو الأمير . قلت : أفي حياته أم بعد موته ؟ قال : ما سمعنا أحداً يقول إلاّ بعد موته ، وإنه ليوعظ عند ذلك .

٢٧٠١ – حدثني الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن ابن طاوس ، عن أبيه في قوله : « فمن خافَ من موص جَنفاً أو إثماً فأصلح بينهم » ، قال : هو الرجل يوصي لولد ابنته .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك: فمن خاف من موص لآبائه وأقربائه جَنفاً على بعضهم لبعض . فأصلح بين الآباء والأقرباء . فلا إثم عليه .

* ذكر من قال ذلك

٢٧٠٢ – حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فمن خافَ من مُوص َجنفاً أو إثماً فأصلح بينهم فلا إثم عليه» . أما « َجنفاً » : فخطأ فى وصيته ،وأما « إثماً» : فعمداً يَعمد فى وصيته الظلم . فإن هذا أعظمُ لأجره أن لا يُنفذها ، ولكن يصلح بينهم على ما يرى أنه الحق ، ينقص بعضاً ويزيد بعضاً . قال : ونزلت هذه الآية فى الوالدين والأقربين .

٢٧٠٣ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « فمن خافَ من مُوص َجنفاً أو إثماً فأصلح بينهم فلا إثم عليه »،قال : « الجنَف » أن يحيف لبعضهم على بعض فى الوصية ، « والإثم » أن يكون قد أثم فى أبويه بعضهم على بعض، «فأصلح بينهم» الموصَى إليه بين الوالدين والأقربين – الابن والبنون هُم «الأقربون» – فلا إثم عليه. فهذا الموصَى الذى أوْصى إليه بذلك، وجعل إليه، فرأى هذا قد أجنفَ لهذا على هذا ، فأصلح بينهم فلا إثم عليه ، فيعجز الموصِى أن يوصى كما أمره الله تعالى ، وعجز الموصَى إليه أن يصلح ، فانتزع الله تعالى ذكره ذلك منهم ، ففرَضَ الفرائض .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى تأويل الآية أن يكون تأويلها : فمن خاف من مُوصٍ َجنفاً أو إثماً = وهو أن يميل إلى غير الحق خطأ منه ، أو يتعمد إثماً فى وصيته ، بأن يوصى لوالديه وأقربيه الذين لا يرثونه بأكثر مما يجوز له أن يوصى لهم به من ماله، وغير ما أذن الله له به مما جاوز الثلث أو بالثلث كله، وفى المال قلة ، وفى الوَرَثة كثرةٌ = فلا بأس على من حضره أن يصلح بين الذين يُوصَى لهم ، ٧٤/٢
وبين ورثة الميت ، وبين الميت، بأن يأمرَ الميت فى ذلك بالمعروف ويعرِّفه ما أباح الله له فى ذلك وأذن له فيه من الوصية فى ماله ، وينهاه أن يجاوز فى وصيته المعروف الذى قال الله تعالى ذكره فى كتابه : « كُتب عليكم إذا حضر أحدكم الموتُ إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف » ، وذلك هو « الإصلاح » الذى

قال الله تعالى ذكره : « فأصلح بينهم فلا إثم عليه » . وكذلك لمن كان فى المال فَضْل وكثرةٌ وفى الورثة قِلة ، فأراد أن يقتصر فى وصيته لوالديه وأقربيه عن ثلثه، فأصلح من حَضرَه بينه وبين ورثته وبين والديه وأقربيه الذين يريد أن يوصى لهم ، بأن يأمر المريض أن يزيد فى وصيته لهم ، ويبلغ بها ما رَخّص الله فيه من الثلث . فذلك أيضاً هو من الإصلاح بينهم بالمعروف .

وإنما اخترنا هذا القول ، لأن الله تعالى ذكره قال : « فمنْ خاف من موص جَنفاً أو إثماً »، يعنى بذلك: فمن خاف من موص أن يَجْنَف أو يَأثم . فخوفُ الجنف والإثم من الموصى ، إنما هو كائن قبل وقوع الجنف والإثم ، فأما بعد وجوده منه ، فلا وجه للخوف منه بأن يَجنف أو يأثم ، بل تلك حال مَنْ قد جَنفَ أو أثم. ولوْ كان ذلك معناه لقيل : فمن تبيّن من مُوص جَنفاً أو إثماً — — أو أيقن أو علم — ولم يقل : فمنْ خافَ منه جَنفاً .

* * *

فإن أشكل ما قلنا من ذلك على بعض الناس فقال : فما وجه الإصلاح حينئذ، والإصلاح إنما يكون بين المختلفين فى الشىء ؟

قيل : إنّ ذلك وإن كان من معانى الإصلاح ، فمن الإصلاح الإصلاحُ بين الفريقين ،[1] فيما كان مخوفاً حدوثُ الاختلاف بينهم فيه ، بما يؤمن معه حُدوث الإختلاف . لأن « الإصلاح » ، إنما هو الفعل الذى يكون معه إصلاحُ ذات البين ، فسواء كان ذلك الفعل الذى يكون معه إصلاح ذات البين — قبلَ وقوع الاختلاف أو بعد وقوعه .

فإن قال قائل : فكيف قيل : « فأصلح بينهم » ، ولم يجر للورثة ولا للمختلفين ، أو المخوف اختلافهم ، ذكرٌ ؟

---

(١) فى المطبوعة : « فمن الإصلاح بين الفريقين ... » ، والصواب زيادة ، « الإصلاح » ، كما يدل عليه السياق .

قيل : بل قد جرى ذكر الذين أمر الله تعالى ذكره بالوصية لهم ، وهم والدا الموُصى وأقربوه ، والذين أمروا بالوصية فى قوله : « كُتب عليكم إذا حَضر أحدكم الموتُ إن تَركَ خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف » ، ثم قال تعالى ذكره : « فمن خافَ من مُوص » — لمن أمرته بالوصية له — « جَنفاً أو إثماً فأصلح بينهم » — وبين من أمرته بالوصية له — « فلا إثم عليه » . والإصلاح بينه وبينهم ، هو إصلاح بينهم وبين ورثة الموصى .

* * *

قال أبو جعفر : وقد قرئ قوله : « فمنْ خَافَ منْ مُوص » بالتخفيف فى « الصاد » والتسكين فى « الواو » — وبتحريك « الواو » وتشديد « الصاد » .

فمن قرأ ذلك بتخفيف « الصاد » وتسكين « الواو » ، فإنما قرأه بلغة من قال : « أوصيتُ فلاناً بكذا » .

ومن قرأ بتحريك « الواو » وتشديد « الصاد » ، قرأه بلغة من يقول : « وصَّيت فلاناً بكذا » . وهما لغتان للعرب مشهورتان : « وصَّيتك ، وأوصيتك »[1]

* * *

وأما « الجنف » ، فهو الجورُ والعدول عن الحق فى كلام العرب ، ومنه قول الشاعر : [2]

هُمُ المَوْلَى وَإنْ جَنَفُوا عَلَيْنَا وَإنَّا مِنْ لِقَائِهِمُ لَزُورُ[3]

يقال منه : « جَنف الرجل على صاحبه يَجنَف » — إذا مال عليه وجَار — « جَنفاً » .

* * *

(١) انظر تفسير (وصى) فيما سلف من هذا الجزء ٣ : ٩٣ — ٩٦

(٢) هو عامر الخصفى ، من بنى خصفة بن قيس عيلان .

(٣) مجاز القرآن لأبى عبيدة : ٦٦ ، ٦٧ ، ومشكل القرآن : ٢١٩ ، واللسان (جنف) (ولى) . والمولى : ابن العم ، وأقام المفرد مقام الجمع ، وأراد « المولى » ، قال أبو عبيدة هو كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ﴾ وزور جمع أزور : وهو المائل عن الشىء . يقول : هم أبناء عمنا ، ونحن نكره أن نلاقيهم فنقاتلهم ، لما لهم من حق الرحم .

فمعنى الكلام من خاف من موص جَنفاً له بموضع الوصية ، وميلاً عن الصواب فيها ، وجوراً عن القصد أو إثماً بتعمده ذلك على علم منه بخطأ ما يأتى من ذلك ، فأصلح بينهم ، فلا إثم عليه .

* * *

وبمثل الذى قلنا فى معنى « الجنف » « والإثم » ، قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٧٠٤ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس فى قوله : « فمن خاف من موص جَنفاً » ، يعنى : بالجنف الخطأ .

٢٧٠٥ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا جابر بن نوح ، عن عبد الملك ، عن عطاء : « فمن خاف من موص جَنفاً » ، قال : ميلاً .

٢٧٠٦ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عبدالملك ، عن عطاء مثله .

٢٧٠٧ — حدثنا عمرو بن على قال ، حدثنا خالد بن الحارث ويزيد بن ابن هرون قالا ، حدثنا عبد الملك ، عن عطاء مثله .

٢٧٠٨ — حدثنى يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك قال : الجنفُ الخطأ ، والإثم العمد .

٢٧٠٩ — حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازى قال ، حدثنا [أبو أحمد] الزبيرى قال ، حدثنا هشيم ، عن جويبر ، عن عطاء مثله .

٢٧١٠ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فمن خاف من مُوص جَنفاً أو إثماً » ، أما « جَنفاً » فخطأ فى وصيته ، وأما « إثماً » فعمداً ، يعمد فى وصيته الظلم .[1]

٢٧١١ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ،

(١) الأثر : ٢٧١٠ — مضى رقم : ٢٧٠٢ مطولا .

عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « فمن خاف من موص جنفاً أو إثماً » ، قال : خطأً أو عمداً .(١)

٢٧١٢ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن بن سعد وابن أبي جعفر ، عن أبي جعفر ، عن الربيع : « فمن خاف من موص جنفاً أو إثماً » ، قال : الجنف الخطأ ، والإثم العمد . ٧٥/٢

٢٧١٣ – حدثنا عمرو بن علي قال ، حدثنا خالد بن يزيد صاحب اللؤلؤ قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع بن أنس مثله .

٢٧١٤ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن إبراهيم : « فمن خاف من موص جنفاً أو إثماً » ، قال : الجنف الخطأ ، والإثم العمد .

٢٧١٥ – حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا فضيل ابن مرزوق ، عن عطية : « فمن خاف من موص جنفاً » ، قال : خطأ ، « أو إثماً » متعمداً .

٢٧١٦ – حدثني المثنى قال : حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرزاق ، عن ابن عيينة ، عن ابن طاوس ، عن أبيه : « فمن خاف من موص جنفاً » ، قال : ميلاً .

٢٧١٧ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « جنفاً » حيفاً ، « والإثم » ميله لبعض على بعض . وكلّه يصير إلى واحد ، كما يكون « عفواً غفوراً » و « غفوراً رحيماً » .

٢٧١٨ – حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن

---

(١) الأثر : ٢٧١١ – كان في المطبوعة : « فمن خاف من موص جنفاً » قال : جنفاً إثما » ، وهي عبارة مضطربة فاسدة ، فلم أستجز تركها على فسادها ونقلت قول مجاهد الذي أخرجه سفيان بن عيينة وعبد بن حميد فيما نقله السيوطي في الدر المنثور ١ : ١٧٥ .

جريج قال ، قال ابن عباس : الجنف » الخطأ ، والإثم العمد .

٢٧١٩ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، حدثنا الفضل بن خالد قال ، حدثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك قال : الجنف الخطأ ، والإثم العمد .(١)

* * *

وأما قوله : « إنّ الله غفورٌ رحيم » ، فإنه يعني : والله غفورٌ للموصي(٢) = فيما كان حدّث به نفسه من الجنف والإثم ، إذا ترك أن يأثم ويجنف في وصيته ، فتجاوزَ له عما كان حدّث به نفسه من الجور ، إذ لم يُمْضِ ذلك فيُغْفِل أن يؤاخذه به(٣) = « رحيمٌ » بالمصلح بينَ المُوصي وبين من أراد أن يَحيف عليه لغيره ، أو يَأثَم فيه له .

* * *

---

(١) الخبر : ٢٧١٩ – الحسين بن الفرج الخياط البغدادي : شيخ لا يعبأ بروايته ، قال فيه ابن معين : « كذاب ، صاحب سكر ، شاطر » ؛ مترجم في ابن أبي حاتم ١/٢/٦٢–٦٣ ، وتاريخ إصبهان ١ : ٢٦٦ – ٢٦٧ ، وتاريخ بغداد ٨ : ٨٤ – ٨٦ ، ولسان الميزان ٢ : ٣٠٧ . والطبري يروي عنه في التفسير كثيراً بإسناد مجهل ، يقول : « حدثت عن الحسين بن الفرج » . ولعل ذلك من أجل ضعف حديثه ، فلا يصل الإسناد إليه . وصرح في بعض مرات في التاريخ باسم من حدثه عنه ، انظر التاريخ ١ : ٣٠ ، ٤٢ .

ويقع اسمه في المطبوعة على الصواب ، كما في ٢٨٩٨ . وكثيراً ما يقع خطأ مصحفاً : « الحسن بن الفرج » ، كما في هذا الموضع ، وكما في : ٢٧٥٠ . ومن ذلك ما مضى : ٦٩١ ، وقلت هناك : « لم أعرف من هو ؟ » . فيصحح في ذاك الموضع ، وحيثما جاء في التفسير .

الفضل بن خالد : مضت ترجمته : ٦٩١ .

(٢) كان في المطبوعة : « غفور رحيم للموصي . . . » ، وليس صواباً ، وسياق عبارته دال على صواب ما أثبتنا .

(٣) في المطبوعة : « فيفعل أن يؤاخذه به » ، ولعل الصواب ما أثبت .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١٨٣)

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بقوله : « يا أيها الذين آمنوا »، يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله وصدقوا بهما وأقرُّوا . (١)

ويعني بقوله : « كتب عليكم الصيام » ، فرض عليكم الصيام. (٢)

* * *

و « الصيام » مصدر ،من قول القائل : « صُمت عن كذا وكذا » — يعني : كففت عنه — « أصوم عنه صوْماً وصياماً » . ومعنى « الصيام » ، الكف عما أمر الله بالكف عنه . ومن ذلك قيل : « صَامت الخيل » ، إذا كفت عن السير ، ومنه قول نابغة بني ذبيان :

خَيْلٌ صِيَامٌ ، وخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ تَحْتَ العَجَاجِ ، وأُخْرَى تَعْلُكُ اللُّجُمَا(٦)

ومنه قول الله تعالى ذكره : ﴿ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَـٰنِ صَوْمًا ﴾ [سورة مريم : ٢٦] يعني : صمتاً عن الكلام .

* * *

وقوله : « كما كُتب على الذين من قبلكم »، يعني فرض عليكم مثل الذي فرض على الذين منْ قبلكم .

---

(١) انظر تفسير « الإيمان » فيما سلف ١ : ٢٣٤ — ٢٣٥ ، والمراجع في فهرس اللغة .

(٢) انظر تفسير « كتب » فيما سلف في هذا الجزء ٣ : ٣٥٧ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥

(٣) ديوانه : ١٠٦ (زيادات) واللسان (علك) (صام) ، ولكنه من قصيدته التي أولها :

« بَانَتْ سُعَادُ وَأَمْسَى حَبْلُهَا أَنْجَذَمَا »

وقد فسر « صامت الخيل » بأنها الإمساك عن السير ، وعبارة اللغة ، « صام الفرس » إذا قام في آريه لا يعتلف، أو قام ساكناً لا يطعم شيئاً . وقال أبو عبيدة : كل ممسك عن طعام أو كلام أو سير ، فهو صائم . والعجاج : الغبار الذي يثور ، يعني أنها في المعركة لا تقر . وعلك الفرس لجامه : لاكه وحركه في فيه .

* * *

قال أبو جعفر : ثم اختلف أهل التأويل فى الذين عنى الله بقوله « كما كُتِبَ على الذين من قبلكم »، وفى المعنى الذى وَقعَ فيه التشبيه بين فرضِ صومنا وصوم الذين من قبلنا .

فقال بعضهم : الذين أخبرنا الله عن الصوم الذى فرضه علينا ، أنه كمثل الذى كان عليهم ، هم النصارى . وقالوا : التشبيه الذى شَبه من أجله أحدَهما بصاحبه ، هو اتفاقهما فى الوقت والمقدار الذى هو لازم لنا اليوم فرضُه .

* ذكر من قال ذلك :

٢٧٢٠ — حدثت عن يحيى بن زياد، عن محمد بن أبان [القرشى]، عن أبى أمية الطنافسى ، عن الشعبى أنه قال : لو صُمت السنة كلها لأفطرت اليوم الذى يشك فيه فيقال من شعبان ، ويقال : من رمضان . وذلك أن النصارى فُرض عليهم شهر رَمضان كما فرض علينا فحوّلوه إلى الفصل . وذلك أنهم كانوا ربما صاموه فى القيظ يعدون ثلاثين يوماً .(١) ثم جاء بعدهم قرن فأخذوا بالثقة من أنفسهم، فصاموا قبل الثلاثين يوماً وبعدها يوماً . ثم لم يزل الآخرُ يستن سنّة القرن الذى قبله حَتى صارت إلى خمسين.(٢) فذلك قوله : « كتبَ عليكم الصيام كما كتبَ عَلى الذين من قَبلكم ».(٣)

* * *

(١) فى معانى القرآن للفراء : « فعدوه ثلاثين يوماً » .

(٢) فى معانى القرآن : « يستن سنة الأول حتى صارت . . . » .

(٣) الخبر : ٢٧٢٠ — يحيى بن زياد أبو زكرياء : هو الفراء الإمام النحوى ، وهو ثقة معروف مترجم فى التهذيب . وتاريخ بغداد ١٤ : ١٤٩ — ١٥٥ . وفى دواوين كثيرة .

محمد بن أبان : نقل أخى السيد محمود محمد شاكر أن هذا الخبر مذكور فى كتاب « معانى القرآن » للفراء رواه عن « محمد بن أبان القرشى » . ومحمد بن أبان القرشى : هو « محمد بن أبان بن صالح بن عمير » ، مولى لقريش . ترجمه البخارى فى الكبير ١/١/٣٤ ، برقم ٥٠ وقال « يتكلمون فى حفظه » وذكر فى الصغير مرتين ، ص ١٨٨ ، ٢١٤ وقال فى أولاهما « يتكلمون فى حفظ محمد بن أبان ، لا يعتمد عليه » وقال فى الضعفاء ، ص ٣٠ « ليس بالقوى »

وقال آخرون : بل التشبيه إنما هو من أجل أنّ صومهم كان من العشاء الآخرة إلى العشاء الآخرة . وذلك كان فرضُ الله جَل ثناؤه على المؤمنين فى أول ما افترض عليهم الصوم . ووافق قائلو هذا القول القائلى القولَ الأوّلَ : أن الذين عَنى الله جل ثناؤه بقوله : « كما كُتبَ على الذين من قبلكم » ، النصارى .

* ذكر من قال ذلك :

٢٧٢١ - حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم » ، أما الذين من قبلنا : فالنصارى ، كتب عليهم رمضان ، وكتب عليهم أن لا يأكلوا ولا يشربوا بعد النوم ، ولا ينكحوا النساءَ شهر رمضان . فاشتد على النصارى صيامُ رَمضان ، وجعل يُقلَّبُ عليهم فى الشتاء والصيف . فلما رأوا ذلك اجتمعوا فجعلوا صياماً فى الفصل بين الشتاء والصيف ، وقالوا : نزيد عشرين يوماً نكفّر بها ما صنعنا ! فجعلوا صيامهم خمسين . فلم يزل المسلمون على ذلك يَصنعون كما تصنع النصارى ، حتى كان من أمر أبى قيس بن صرمة وعمر بن الخطاب ، ما كان ، (١) فأحل الله لهم الأكل والشرب والجماعَ إلى طُلوع الفجر . ٧٦/٢

وكذلك ترجمه ابن أبى حاتم ٣/٢/١٩٩ ، برقم : ١١١٩ ، وروى تضعيفه عن يحيى بن معين .

والراجح عندى أنه هو الذى روى عنه الفراء ، فإن ابن أبى حاتم ذكر من الرواة عن القرشى هذا — أبا داود الطيالسى ، وهو من طبقة الفراء .

وأما ترجمته فى التهذيب ٩ : ٢ — ٣ فإنها مختلة مضطربة ، خلط فيها بين هذا وبين « محمد بن أبان الواسطى » ، وشتان بينهما . والواسطى مترجم عند البخارى ، برقم : ٤٨ ، وعنه ابن أبى حاتم ، برقم : ١١٢١ . وكلاهما لم يذكر فيه جرحاً .

« عن أبى أمية الطنافسى » : كذا ثبت هنا . وليس لأبى أمية الطنافسى ترجمة ولا ذكر ، فيما رأينا من المراجع . وإنما المترجم ابنه « عبيد بن أبى أمية » . وهو الذى يروى عن الشعبى . وهو مترجم فى التهذيب وابن أبى حاتم ٢/٢/٤٠١ .

وهذا الخبر فى معانى القرآن للفراء ١ : ١١١ ، ونقله السيوطى ١ : ١٧٦ ، ولم ينسبه لغير الطبرى . ولكنه اختصره جداً . كأنه تلخيص لا نقل .

(١) سيأتى خبر أبى صرمة وعمر فى الآثار رقم : ٢٩٣٥ — ٢٩٥٢ .

٢٧٢٢ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « كتب عليكم الصيامُ كما كتب على الذين من قبلكم » ، قال : كتب عليهم الصوم من العتمة إلى العتمة .

* * *

وقال آخرون : الذين عَنى الله جل ثناؤه بقوله : « كما كتب على الذين من قبلكم » ، أهل الكتاب .

* ذكر من قال ذلك :

٢٧٢٣ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم » ، أهل الكتاب .

* * *

وقال بعضهم : بل ذلك كان على الناس كلهم .

* ذكر من قال ذلك :

٢٧٢٤ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « كتب عليكم الصيامُ كما كتب على الذين من قبلكم » ، قال : كتب شهرُ رمضان على الناس ، كما كُتب على الذين من قبلهم . قال : وقد كتب الله على الناس قبل أن ينزل رمضانُ صَوْمَ ثلاثة أيام من كل شهر .

٢٧٢٥ ــ حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم » ، رمضانُ ، كتبه الله على من كان قبلهم .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال : معنى الآية : يا أيها الذين آمنوا فُرض عليكم الصيام كما فرض على الذين من قبلكم من أهل الكتاب ، « أياماً معدودات » ، وهي شهر رمضان كله . لأن مَن بعدَ إبراهيم

صلى الله عليه وسلم كان مأموراً باتباع إبراهيم ، وذلك أن الله جل ثناؤه كان جعله للناس إماماً ، وقد أخبرنا الله عز وجل أن دينه كان الحنيفيةَ المسلمةَ ، فأمر نبينا صلى الله عليه وسلم بمثل الذى أمر به مَنْ قبله من الأنبياء .

وأما التشبيه ، فإنما وقع على الوقت . وذلك أن مَنْ كان قبلنا إنما كان فرِض عليهم شهر رمضان ، مثل الذى فُرض علينا سواء .

* * *

وأما تأويل قوله : « لعلكم تتقون » ، فإنه يعنى به : لتتقوا أكل الطعام وشرب الشراب وجماع النساء فيه. (١) يقول : فرضت عليكم الصوم والكفّ عما تكونون بترك الكف عنه مفطرين ، لتتقوا ما يُفطركم فى وقت صومكم .

* * *

وبمثل الذى قُلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل :

* ذكر من قال ذلك :

٢٧٢٦ – حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أما قوله : « لعلكم تتقون » ، يقول : فتتقون من الطعامِ والشرابِ والنساءِ مثل ما اتقوا – يعنى : مثل الذى اتقى النصارى قبلكم .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَٰتٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره ، كتب عليكم أيها الذين آمنوا – الصيامُ أياماً معدودات .

ونصبَ « أياماً » بمضمر من الفعل ، كأنه قيل : كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ، أن تصوموا أياماً معدودات ، كما يقال : « أعجبنى الضربُ ، زيداً » .

* * *

(١) انظر تفسير « لعل » بمعنى « لكى » ١ : ٣٦٤ ، ٣٦٥ / ثم ٢ : ٦٩ ، ١٦١ ، واطلبه فى الفهرس أيضاً .

وقوله : « كما كتب على الذين من قبلكم » من الصيام ، كأنه قيل : كتب عليكم الذى هو مثل الذى كتب على الذين من قبلكم : أن تصوموا أياماً معدودات .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فيما عَنى الله جل وعز بقوله : « أياماً معدودات » .

فقال بعضهم : « الأيام المعدودات » ، صومُ ثلاثة أيام من كل شهر . قال : وكان ذلك الذى فُرض على الناس من الصيام قبل أن يُفرض عليهم شهرُ رمضان .

* ذكر من قال ذلك :

٢٧٢٧ — حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن عطاء قال : كان عليهم الصيامُ ثلاثة أيام من كل شهر ، ولم يُسمِّ الشهرَ أياماً معدودات . قال : وكان هذا صيام الناس قبل ، ثم فرض الله عز وجل على الناس شهرَ رمضان .

٢٧٢٨ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون »، وكان ثلاثةَ أيام من كل شهر ،ثم نسخ ذلك بالذىأنزل من صيام رمضان . فهذا الصوم الأول، من العتمة.

٢٧٢٩ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن معاذ بن جبل : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فصامَ يومَ عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر ، ثم أنزل الله جل وعزّ فرضَ شهر رمضان ، فأنزل الله : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم » حتى بلغ « وعلى الذين يُطيقونه فدية طعامُ مِسكين » .[1]

---

(١) الحديث : ٢٧٢٩ — يونس بن بكير : مضت ترجمته ، فى : ١٦٠٥ . ووقع فى المطبوعة هنا « بشر بن بكير » ، وهو خطأ واضح . وسيأتى هذا الحديث بهذا الإسناد — بأطول مما هنا — على الصواب ، برقم : ٢٧٣٣ .

٢٧٣٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : قد كتب الله تعالى ذكره على الناس ، قبل أن ينزل رمضان ، صومَ ثلاثة أيام من كل شهر .

* * *

٧٧/٢ وقال آخرون : بل الأيام الثلاثةُ التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومُها قبل أن يفرض رمضان ، كان تطوعاً صومُهنّ . وإنما عنى الله جل وعز بقوله : « كتب عليكم الصيامُ كما كتب على الذين من قبلكم أياماً معدودات » ، أيامَ شهر رمضان ، لا الأيامَ التى كان يصومهن قبل وُجوب فرض صَوم شهر رمضان .

* ذكر من قال ذلك :

٢٧٣١ – حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن عمرو بن مرة ، قال ، حدثنا أصحابنا : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم عليهم أمرَهم بصيام ثلاثة أيام من كل شهر تطوعاً لا فريضةً . قال : ثم نزل صيام رمضان – قال أبو موسى : قوله : « قال عمرو بن مرة : حدثنا أصحابنا »

عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة : هو المسعودى ، وهو ثقة ، تكلموا فيه بأنه تغير فى آخر حياته قبل موته بسنة أو سنتين . مات سنة ١٦٠ . مترجم فى التهذيب . وابن سعد ٦ : ٢٥٤ ، وابن أبى حاتم ٢/٢/٢٥٠ – ٢٥٢ .

وهذا الحديث قطعة من حديث مطول ، فى أحوال الصلاة ، وفى أحوال الصيام . مضت قطعة صغيرة منه ، فى شأن الصلاة إلى بيت المقدس : ٢١٥٦ ، من طريق أبى داود الطيالسى ، عن المسعودى .

ورواه أحمد فى المسند بطوله ٥ : ٢٤٦ – ٢٤٧ (حلبى) ، عن أبى النضر ، يزيد بن هرون – كلاهما عن المسعودى . وكذلك رواه أبو داود السجستانى : ٥٠٧ ، من طريق أبى داود الطيالسى ، ويزيد بن هرون .

وروى الحاكم فى المستدرك ٢ : ٢٧٤ ، شطره الذى فى أحوال الصيام ، من طريق أبى النضر ، عن المسعودى . وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبى .

ونقله ابن كثير ١ : ٤٠٢ – ٤٠٤ ، كاملا ، عن رواية المسند بإسنادها . وذكره السيوطى ، كاملا أيضاً ١ : ١٧٥ – ١٧٦ ، وزاد نسبته لابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والبيهقى فى سننه .

يريد ابن أبي ليلى ، كأنّ ابنَ أبي ليلى القائلُ : « حدثنا أصحابنا » . (١)

٢٧٣٢ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا أبو داود قال، حدثنا شعبة قال ، سمعت عمرو بن مرة قال ، سمعت ابن أبي ليلى ، فذكر نحوه .

* * *

(١) الحديث : ٢٧٣١ – وهذه قطعة من الحديث السابق ، الطويل ، الذى أشرنا إليه فى : ٢٧٢٩ ، ولكنه هنا مروى من طريق آخر ، طريق شعبة عن عمرو بن مرة . ويقول هنا عمرو بن مرة « حدثنا أصحابنا : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، إلخ . فلو أخذ هذا على ظاهره ، لكان مرسلا . فلذلك فسره أبو موسى – وهو محمد بن المثنى شيخ الطبرى – بأن الذى قال هذا هو عبد الرحمن بن أبي ليلى . ثم تلاه المثنى بالرواية بعده : ٢٧٣٢ ، عن أبي داود – وهو الطيالسى – عن شعبة « قال : سمعت عمرو ابن مرة، قال : سمعت ابن أبي ليلى » . وهذا هو الإسناد الذى أشرنا آنفاً إلى رواية الطبرى قطعة أخرى من الحديث ، به ، فى : ٢١٥٦ .

والظاهر أن ابن المثنى سمع الحديث من محمد بن جعفر مرتين أو أكثر ، إحداها على هذا الوجه الذى هنا ، وبعضها على الوجه الواضح الصريح ، بذكر ابن أبي ليلى .

فقد روى الحديث – كله – أبو داود السجستانى فى السنن : ٥٠٦ ، بإسنادين ، أحدهما إسناد الطبرى هذا ، أعنى عن محمد بن المثنى . فقال أبو داود : « حدثنا عمرو بن مرزوق ، أخبرنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، قال : سمعت ابن أبي ليلى – ح – وحدثنا ابن المثنى ، حدثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن عمرو بن مرة ، سمعت ابن أبي ليلى ، قال : أحيلت الصلاة ثلاثة أحوال ، وحدثنا أصحابنا : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . . . » .

فأعاد فى الإسناد الثانى – فى طريق شعبة – قول عمرو بن مرة : « سمعت ابن أبي ليلى » . ولعله أراد بهذه الإعادة ، التى فيها التصريح باسم ابن أبي ليلى ، رفع التوهم أن يظن أن تلك الرواية التى لم يصرح فيها محمد بن جعفر باسم « ابن أبي ليلى » تعلل هذه الرواية الصريحة .

اويؤيد هذا قول الطبرى – عقب الحديث – : « قال أبو موسى : قوله « قال عمرو بن مرة حدثنا أصحابنا » – يريد ابن أبي ليلى ، كأن ابن أبي ليلى القائل : حدثنا أصحابنا » . وأبو موسى : هو محمد ابن المثنى نفسه، شيخ الطبرى وأبي داود. فحين حدث بالرواية المبهمة – التى فى الطبرى هنا – فسرها بالرواية الأخرى الموضحة ، وصرح فى تفسيره بأن القائل « حدثنا أصحابنا » هو ابن أبي ليلى ، لا عمرو بنَ مرة . تحرزاً من إيهام أن الإسناد يكون مرسلا إذا كان القائل ذلك هو عمرو بن مرة .

وقد عقب الطبرى على ذلك ، بالإسناد من طريق أبي داود الطيالسى ، الذى فيه التصريح بسماع عمرو ابن مرة ذلك من ابن أبي ليلى : ٢٧٣٢ .

وقول ابن أبي ليلى « حدثنا أصحابنا » – يريد به الصحابة ، مثل معاذ وغيره . وابن أبي ليلى من كبار التابعين . ويؤيد هذا رواية البخارى ٤ : ١٦٤ (فتح) ، قطعة من الحديث نفسه المطول ، رواية معلقة بصيغة الجزم . فقال : « وقال ابن نمير : حدثنا الأعمش ، حدثنا عمرو بن مرة ، حدثنا ابن أبي ليلى حدثنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم » . وقال الحافظ : « وصله أبو نعيم فى المستخرج ، والبيهقى من طريقه . . . وهذا الحديث أخرجه أبو داود ، من طريق شعبة والمسعودى ، عن الأعمش مطولا ، فى الأذان ، والقبلة ، والصيام . واختلف فى إسناده اختلافاً كثيراً . وطريق ابن نمير هذه أرجحها » .

قال أبو جعفر : وقد ذكرنا قول من قال : عنى بقوله : « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم » ، شهرَ رمضان .

* * *

وأولى ذلك بالصواب عندى قولُ من قال : عنى الله جل ثناؤه بقوله : « أياماً معدودات » ، أيامَ شهر رمضان . وذلك أنه لم يأت خبرٌ تقوم به حُجة ، بأنّ صوماً فُرِض على أهل الإسلام غيرَ صوم شهر رمضان، ثم نسخ بصوم شهر رمضان، وأن الله تعالى قد بيّن فى سياق الآية، (١) أنّ الصيامَ الذى أوجبه جل ثناؤه علينا هو صيام شهر رمضان دون غيره من الأوقات ، بإبانته عن الأيام التى أخبر أنه كتب علينا صومَها بقوله : « شهرُ رَمضان الذى أنزلَ فيه القرآن » . فمن ادعى أن صوماً كان قد لزم المسلمين فرضُه غير صوم شهر رمضان الذى هم مجمعون على وجوب فرض صومه — ثم نسخ ذلك — سئل البرهانَ على ذلك من خبر تقوم به حُجة ، إذ كان لا يعلم ذلك إلا بخبر يقطع العذرَ .

وإذ كان الأمر فى ذلك على ما وصفنا للذى بينا، فتأويل الآية : كتب عليكم أيها المؤمنون الصيامُ كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، أياماً معدودات هى شهر رمضان . وجائز أيضاً أن يكون معناه : « كتب عليكم الصيام »، كتب عليكم شهر رمضان .

* * *

وأما « المعدودات » ، فهى التى تعدّ مبالغها وساعاتُ أوقاتها . ويعنى بقوله : « معدودات » ، مُحْصَيَاتٍ .

* * *

(٢) فى المطبوعة : « وبأن الله تعالى . . . » ، وهو خطأ . ليس معطوفاً على قوله : « بأن صوماً..» بل هو عطف على قوله : « وذلك أنه لم يأت خبر . . . . »

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « فمن كان منكم مريضاً » ،(١) من كان منكم مريضاً، ممن كلّف صَومه ، أو كان صحيحاً غير مريض وكان على سَفر ، « فعدة من أيام أخر » ، يقول : فعليه صوم عدة الأيام التى أفطرها فى مرضه أو فى سفره، « من أيام أخر »، يعنى : من أيام أخر غير أيام مرضه أو سفره .

* * *

والرفع فى قوله : « فعدةٌ منْ أيام أخر » ، نظير الرفع فى قوله : « فاتباع بالمعروف » . وقد مضى بيان ذلك هنالك بما أغنى عن إعادته .(٢)

* * *

وأما قوله : « وَعلى الذين يُطيقونه فديةٌ طَعامُ مسكين » ، فإنّ قراءة كافة المسلمين : « وعلى الذين يُطيقونه » ، وعلى ذلك خطوط مصاحفهم . وهى القراءة التى لا يجوز لأحد من أهل الإسلام خلافُها ، لنقل جميعهم تصويبَ ذلك قرناً عن قرن .

وكان ابن عباس يقرؤها فيما روى عنه : « وعلى الذين يُطوّقونه » .(٣)

* * *

ثم اختلف قُرّاء ذلك : « وَعلى الذين يُطيقونه » فى معناه .

فقال بعضهم : كان ذلك فى أول ما فرض الصوم ، وكان من أطاقه من المقيمين صامَه إن شاء، وإن شاء أفطره وافتدى، فأطعم لكل يوم أفطره مسكيناً، حتى نُسخ ذلك .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) نص هذا الجزء من الآية لم يكن فى المطبوعة ، وأثبته على نهجه فى التفسير .

(٢) انظر ما سلف فى هذا الجزء ٣ : ٣٧٣

(٣) انظر رفض هذه القراءة فيما سيأتى : ٤٣٨

٢٧٣٣ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن معاذ بن جبل قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فصامَ يوم عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر . ثم إنّ الله جل وعز فرض شهر رَمضان، فأنزل الله تعالى ذكره : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام » حتى بلغ « وعلى الذين يطيقونه فديةٌ طعام مسكين » ، فكان من شاء صامَ ومن شاء أفطر وأطعمَ مسكيناً . ثم إن الله عز وجل أوجب الصيام على الصحيح المقيم ، وثبت الإطعام للكبير الذى لا يستطيع الصوم ، فأنزل الله عز وجل : « فمن شَهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو عَلى سفر » إلى آخر الآية. (١)

٢٧٣٤ ــ حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن عمرو بن مرة ، قال حَدثنا أصحابنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم عليهم أمرهم بصيام ثلاثة أيام من كل شهر تطوعاً غيرَ فريضة . قال: ثم نزل صيام رمضان . قال : وكانوا قوماً لم يتعودوا الصيام . قال : وكان يشتد عليهم الصوم . قال : فكان من لم يصم أطعمَ مسكيناً ، ثم نزلت هذه الآية : « فمن شهد منكم فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر » ، فكانت الرخصة للمريض والمسافر ، وأمرنا بالصيام . قال محمد بن المثنى قوله : « قال عمرو : حدثنا أصحابنا » ، يريد ابنَ أبي ليلى . كأن ابن أبي ليلى القائل: « حدثنا أصحابنا ». ٧٨/٢

٢٧٣٥ ــ حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا أبو داود قال، حدثنا شعبة قال ، سمعت عمرو بن مرة قال ، سمعت ابن أبي ليلى فذكر نحوه . (٢) .

---

(١) الحديث : ٢٧٣٣ ــ هو قطعة من الحديث الذى خرجناه فى : ٢٧٢٩ ــ أطول من الرواية الماضية .

(٢) الحديثان : ٢٧٣٤ ، ٢٧٣٥ ــ وهذان أيضاً قطعتان من الحديث الذى أشرنا إليه فى : ٢٧٣١ ، ٢٧٣٢ ، وقد صرح الطبرى فى أولها ــ هنا ــ باسم « محمد بن المثنى » ، الذى ذكره هناك بكنيته « قال أبو موسى » .

٢٧٣٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة في قوله : « وَعلى الذين يُطيقونه فديةٌ طعامُ مسكين »، قال : كان من شاء صام، ومن شاء أفطر وأطعم نصف صاع مسكيناً، فنسخها : « شهرُ رَمضَان » إلى قوله : « فمن شَهد منكم الشهر فليصمه ».

٢٧٣٧ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم، بنحوه – وزاد فيه، قال : فنسختها هذه الآية، وصارت الآية الأولى للشيخ الذى لا يستطيع الصوم، يتصدق مكانَ كل يوم على مسكين نصفَ صاع.

٢٧٣٨ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح أبو تميلة قال، حدثنا الحسين، عن يزيد النحوى، عن عكرمة والحسن البصرى قوله : « وَعلى الذين يُطيقونه فديةٌ طعامُ مسكين »، فكان من شاء منهم أن يصومَ صَام، ومن شاء منهم أن يَفتدى بطعام مسكين افتدى وَتمَّ له صومه. ثم قال : « فمن شَهد منكم الشهرَ فليصمه »، ثم استثنى من ذلك فقال : « ومنْ كان مريضاً أوْ عَلى سفر فعدةٌ من أيام أخر ».

٢٧٣٩ – حدثنا أبو هشام الرفاعى قال، حدثنا ابن إدريس قال، سألت الأعمش عن قوله : « وعلى الذين يُطيقونه فديةٌ طعامُ مسكين »، فحدثنا عن إبراهيم، عن علقمة. قال : نسختها : « فمن شَهد منكم الشهر فليصمه ». (١)

٢٧٤٠ – حدثنا عمر بن المثنى قال، حدثنا عبد الوهاب قال، حدثنا عبد الله، عن نافع، عن ابن عمر قال : نَسَخت هذه الآيةَ – يعنى : « وَعلى الذين يُطيقونه فديةٌ طعامُ مسكين » – التى بَعدها : « فمن شَهد منكم الشهرَ فليصمه ومن كان

---

(١) الأثر : ٢٧٣٩ – أبو هشام الرفاعى محمد بن يزيد بن محمد بن كثير بن رفاعة العجل، قاضى بغداد، روى عن عبد الله بن إدريس وحفص بن غياث، روى عنه مسلم والترمذى وابن ماجة وغيرهم. ذكره ابن حبان فى الثقات، وقال : يخطئ ويخالف. وقال ابن أبى حاتم. سألت أبى عنه فقال : ضعيف يتكلمون فيه، وله كتاب فى القرآت، مات سنة ٢٤٨.

مريضاً أو على سَفر فعدة من أيام أخر » . (١)

٢٧٤١ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس قال، سمعت الأعمش، عن إبراهيم ، عن علقمة فى قوله : « وعلى الذين يطيقونه فدية طعامُ مسكين » ، قال : نسختها : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه ».

٢٧٤٢ – حدثنا الوليد بن شجاع أبو همام قال،حدثنا على بن مُسهر ، عن عاصم ، عن الشعبي قال : نزلت هذه الآية : « وعلى الذين يُطيقونه فديةٌ طعامُ مسكين » ، كان الرجل يُفطر فيتصدق عن كل يوم على مسكين طعاماً ، ثم نزلت هذه الآية : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدةٌ من أيام أخر »، فلم تنزل الرّخصةُ إلاّ للمريض والمسافر .

٢٧٤٣ – حدثنا هناد بن السرى قال ، حدثنا على بن مسهر ، عن عاصم ،

---

(١) الحديث : ٢٧٤٠ – عمر بن المثنى : هكذا فى المطبوعة ، وأنا أرجح أن يكون صوابه « محمد ابن المثنى » شيخ الطبرى الذى يروى عنه كثيراً . ولم أجد من يسمى « عمر بن المثنى » إلا رجلا واحداً ، ذكر فى التهذيب ولسان الميزان على أنه من التابعين . ثم لم أجترىء على تصحيحه هنا ، لاحتمال أن يكون من شيوخ الطبرى الذين لم نجد تراجمهم .

عبد الوهاب : هو ابن عبد المجيد الثقفى ، مضت ترجمته فى : ٢٠٢٩ .

عبد الله : هو ابن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، عرف بلقب « العمرى » ، وهو ثقة ، مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٢/٢/١٠٩ – ١١٠ .

ومن المحتمل أن يكون فى المطبوعة خطأ ، وأن يكون صوابه « عبيد الله » بالتصغير ، وهو أخو عبد الله أكبر منه وأوثق عند أئمة الجرح والتعديل ، وهو أحد الفقهاء السبعة . مترجم فى التهذيب . وابن أبى حاتم ٢/٢/٣٢٦ – ٣٢٧ . وهو وأخوه يشتركان فى كثير من الشيوخ ، منهم « نافع مولى ابن عمر » وإنما ظننت هذا الاحتمال، لأن الحديث مروى من حديث « عبيد الله » ، كما سنذكر ، إن شاء الله :

فرواه البيهقى فى السنن الكبرى ٤ : ٢٠٠ ، من طريق عبد الوهاب الثقفى ، « عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر » .

ورواه البخارى مختصراً ٤ : ١٦٤ ، و ٨ : ١٣٦ ، من طريق عبد الأعلى ، وهو ابن عبد الأعلى عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر .

ورواه البيهقى أيضاً من أحد طريق البخارى .

والحديث صحيح بكل حال . وذكره السيوطى ١ : ١٧٨ ، وزاد نسبته إلى وكيع ، وسعيد بن منصور وابن أبى شيبة فى المصنف ، وابن المنذر .

عن الشعبي قال : نزلت هذه الآية للناس عامة : « وعلى الذين يُطيقونه فديةٌ طعامُ مسكين » ، وكان الرجل يفطر ويتصدق بطعامه على مسكين ، ثم نزلت هذه الآية : « ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر »، قال : فلم تنزل الرخصة إلا للمريض والمسافر .

٢٧٤٤ ــ حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع، عن ابن أبي ليلى قال : دخلت على عطاء وهو يأكل في شهر رمضان ، فقال : إني شيخ كبيرٌ ، إن الصومَ نَزَل، فكان من شاء صام ، ومن شاء أفطر وأطعم مسكيناً ، حتى نزلت هذه الآية : « فمن شَهد منكم الشهر فليصمه ومَنْ كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر » ، فوجب الصوم على كل أحد ، إلاّ مريض أو مسافر أو شيخ كبير مثلي ، يَفتدي .

٢٧٤٥ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني الليث قال ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب قال : قال الله : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيامُ كما كتب عَلى الذين منْ قبلكم » ، قال ابن شهاب : كتب الله الصيام علينا ، فكان من شاء افتدى ممن يطيق الصيامَ من صحيح أو مريض أو مسافر ، ولم يكن عليه غير ذلك . فلما أوجب الله على من شهد الشهرَ الصيامَ ، فمن كان صحيحاً يُطيقه وضع عنه الفدية ، وكان من كان على سفر أو كان مريضاً فعدة من أيام أخر. قال : وبقيت الفديةُ التي كانت تُقبل قبل ذلك للكبير الذي لا يُطيق الصيام ، والذي يعرض له العطشُ أو العلة التي لا يستطيع معها الصيام.

٢٧٤٦ ــ حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : جعل الله في الصوم الأوّل فدية طعام مسكين، فمن شاء من مسافر أو مقيم أن يُطعم مسكيناً ويفطر، كان ذلك رخصةً له . فأنزل الله في الصوم الآخر : « فعدة من أيام أخر »، ولم يذكر الله في الصوم الآخر فدية طعام مسكين ، فنُسِخت الفدية، وثبت في الصوم الآخر :

« يُريد الله بكم اليسرَ ولا يُريد بكم العسر » ، وهو الإفطار فى السفر ، وجعله عدةً من أيام أخرَ .

٢٧٤٧ – حدثنى أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال ، أخبرنى عمى عبد الله ابن وهب قال ، أخبرنى عمرو بن الحارث قال ، بكَيْر بن عبد الله ، عن يزيد مولى سلمة بن الأكوع ، عن سلمة بن الأكوع أنه قال : كنا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من شاء صام ، ومن شاء أفطر وافتدى بطعام مسكين ، حتى أنزلت : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » .(١) ٧٩/٢

٢٧٤٨ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن عاصم الأحول ، عن الشعبى فى قوله : « وعلى الذين يُطيقونه فدية طعامُ مسكين » ،

---

(١) الحديث : ٢٧٤٧ – أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، المصرى ، ابن أخى عبد الله بن وهب ثقة من شيوخ مسلم وابن خزيمة . تكلم فيه بعضهم فلم ينصفه . وأهل بلده أعرف به . فقال ابن أبى حاتم : « سألت محمد بن عبد الحكم عنه ؟ فقال : ثقة ، ما رأينا إلا خيراً ، قلت : سمع من عمه ؟ قال : إى والله » . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ١/١/٥٩ – ٦٠ .

« بكير بن عبد الله بن الأشج » المدنى نزيل مصر : تابعى ثقة ، قال ابن وهب : « ما ذكر مالك ابن أنس بكير بن الأشج إلا قال : كان من العلماء » . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/٢/١١٣ ، وابن أبى حاتم ١/١/٤٠٣ – ٤٠٤ .

« بكير » : بالتصغير . ووقع فى المطبوعة « بكر » بغير الياء ، وهو خطأ . فليس لبكر بن عبد الله المزنى رواية فى هذا الحديث . والحديث حديث « بكير بن عبد الله » .

يزيد مولى سلمة بن الأكوع : هو يزيد بن أبى عبيد الحجازى ، وهو تابعى ثقة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/٢/٣٤٨ – ٣٤٩ ، وابن أبى حاتم ٤/٢/٢٨٠ .

وقال البخارى فى الصحيح – بعد روايته هذا الحديث – : « مات بكير قبل يزيد » . وهو كما قال ، فإن بكير بن عبد الله مات سنة ١٢٧ ، وقيل غير ذلك ، إلى سنة ١٢٧ . وأما يزيد مولى سلمة فإنه مات سنة ١٤٦ أو ١٤٧ . فسمع عمرو بن الحارث هذا الحديث من بكير عن يزيد – فى حياة يزيد .

والحديث رواه مسلم ١ : ٣١٥ ، عن عمرو بن سواد العامرى ، عن ابن وهب ، بهذا الإسناد . وكذلك رواه البيهقى ٤ : ٢٠٠ ، من طريق بحر بن نصر ، عن ابن وهب .

ورواه البخارى ٨ : ١٣٦ ، ومسلم ١ : ٣١٥ ، والبيهقى ٤ : ٢٠٠ – كلهم من حديث قتيبة بن سعيد ، عن بكر بن مضر ، عن عمرو بن الحارث ، عن بكير .

وذكره السيوطى ١ : ١٧٧ – ١٧٨ ، وزاد نسبته للدارمى ، وابن خزيمة ، وابن حبان ، والحاكم ، وغيرهم .

قال : كانت للناس كلهم : فلما نزلت : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » ، أمِروا بالصوم والقضاء ، فقال : « ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر » .

٢٧٤٩ – حدثنا هناد قال، حدثنا على بن مسهر ، عن الأعمش ، عن إبراهيم فى قوله : « وعلى الذين يُطيقونه فديةٌ طعامُ مسكين » ، قال : نسختها الآية التى بعدها ، وأن تصوموا خيرٌ لكم إنْ كنتم تعلمون » .

٢٧٥٠ – حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع ، عن محمد بن سليمان ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة : « وَعلى الذين يُطيقونه فديةٌ طعامُ مسكين » ، قال : نسختها الآية التى تليها : « فمن شَهد منكم الشهر فليصمه » .

٢٧٤١ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، حدثنا الفضل بن خالد قال ، حدثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك قوله : « كتب عليكم الصيام » الآية ، فرُض الصوم من العتمة إلى مثلها من القابلة ، فإذا صلى الرجل العتمة حَرُم عليه الطعام والجماع إلى مثلها من القابلة . ثم نزل الصوم الآخِر بإحلال الطعام والجماع بالليل كله، وهو قوله : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ ﴾ إلى قوله : ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ ، وأحل الجماع أيضاً فقال : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ ، وكان فى الصوم الأول الفدية ، فمن شاء من مسافر أو مقيم أن يُطعم مسكيناً ويفطرَ فعل ذلك ، ولم يذكر الله تعالى ذكره فى الصوم الآخِر الفديةَ ، وقال : « فعدةٌ من أيام أخر » ، فنسخ هذا الصومُ الآخِرُ الفديةَ . (١)

* * *

وقال آخرون : بل كان قوله : « وَعلى الذينَ يُطيقونه فدية طعامُ مسكين » ، حُكماً خاصًّا للشيخ الكبير والعجوز اللذين يُطيقان الصوم ، كان مرخصاً لهما

---

(١) الخبر : ٢٧٥١ – « الحسين بن الفرج » : ثبت فى المطبوعة هنا « الحسن » . وهو خطأ ، كما بينا فى : ٢٧١٩ .

أن يَفديا صومهما بإطعام مسكين ويفطرا ، ثم نسخ ذلك بقوله : « فمن شَهد منكم الشهرَ فليصمه »، فلزمهما من الصوم مثل الذى لزم الشاب إلاّ أن يعجزا عن الصوم ، فيكون ذلك الحكم الذى كان لهما قبلَ النسخ ثابتاً لهما حينئذ بحاله .

* ذكر من قال ذلك :

٢٧٥٢ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن عَزْرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان الشيخُ الكبير والعجوزُ الكبيرةُ وهما يطيقان الصوم ، رُخص لهما أن يفطرَا إن شاءا ويطعما لكلّ يوم مسكيناً . ثم نَسخَ ذلك بعد ذلك : « فمن شَهد منكم الشهر فليصمه ومَنْ كان مريضاً أو عَلى سفر فعدةٌ من أيام أخر » ، وثبت للشيخ الكبير والعجوز الكبيرة ، إذا كانا لا يطيقان الصوم ، وللحبلى والمرضع إذا خافتا .

٢٧٥٣ – حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن عروة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وَعلى الذين يُطيقونه » ، قال : الشيخ الكبير ، والعجوز الكبيرة ، ثم ذكر مثل حديث بشر، عن يزيد . (١)

---

(١) الحديثان : ٢٧٥٢ – ٢٧٥٣ – سعيد : هو ابن أبى عروبة .

عزرة – بفتح العين والراء بينهما زاى ساكنة : هو ابن عبد الرحمن بن زرارة الخزاعى ، وهو ثقة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/١/٦٥ ، وابن أبى حاتم ٣/٢/٢١ – ٢٢ .

ووقع فى المطبوعة هنا ، وفى سنن أبى داود المطبوعة « عروة » بدل « عزرة » ، وهو تصحيف . والتصويب من السنن مخطوطة الشيخ عابد السندى ، ومن السنن الكبرى للبيهقى .

والحديث رواه أبو داود : ٢٣١٨ (٢ : ٢٦٦ عون المعبود) ، من طريق ابن أبى عدى، عن سعيد، عن قتادة ، بهذا الإسناد ، نحوه .

ورواه البيهقى فى السنن الكبرى ٤ : ٢٣٠ ، من طريق روح بن عبادة ، ومن طريق مكى بن إبرهيم – كلاهما عن سعيد بن أبى عروبة ، به .

ثم رواه من طريق أبى داود فى السنن ، قال : « عن سعيد ، فذكره » . يعنى بهذا الإسناد . فلو كانت

٢٧٥٤ ــ حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا معاذ بن هشام قال ، حدثني أبي ، عن قتادة ، عن عكرمة قال : كان الشيخ والعجوز لهما الرخصة أن يفطرا ويُطعما بقوله : « وعلى الذين يطيقونه فديةٌ طعامُ مسكين ». قال : فكانت لهم الرخصة ، ثم نسخت بهذه الآية : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » ، فنسخت الرخصة عن الشيخ والعجوز إذا كانا يطيقان الصوم ، وبقيت الحاملُ والمرضعُ أن يفطرَا ويُطعما .

٢٧٥٥ ــ حدثنا المثنى قال، حدثنا حجاج بن المنهال قال ، حدثنا همام ابن يحيى قال ، سمعت قتادة يقول في قوله : « وعلى الذين يطيقونه فديةٌ طعامُ مسكين » ، قال : كان فيها رخصة للشيخ الكبير والعجوز الكبيرة وهما يطيقان الصومَ أن يطعما مكانَ كل يوم مسكيناً ويفطرا، ثم نسخ ذلك بالآية التي بعدها فقال: « شهرُ رَمضانَ » إلى قوله : « فعدةٌ من أيام أخر »، فنسختها هذه الآية . فكان أهل العلم يُرَوْن ويرجُون الرخصةَ تثبت للشيخ الكبير والعجوز الكبيرة إذا لم يطيقا الصومَ أن يفطرا ويُطعما عن كل يوم مسكيناً، وللحبلى إذا خشيت على ما في بطنها ، وللمرضع إذا ما خشيت على ولدها .

٢٧٥٦ ــ حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : « وَعلى الذين يطيقونه فدية طعامُ مسكين » ، فكان الشيخ والعجوز يطيقان صوم رمضان، فأحل الله لهما أن يفطراه إن أرادا ذلك، وعليهما الفدية لكل يَوم يفطرانه طعامُ مسكين ، فأنزل الله بعد ذلك : « شهرُ

رواية أبي داود من طريق « عروة » لذكر ذلك ، ولم يحل إسناد أبي داود على إسناده السابق الذي فيه « عن عزرة » .

وذكره السيوطي ١ : ١٧٧ ــ وزاد نسبته لسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

وروى البخاري ٨ : ١٣٥ ، نحو معناه ، من طريق عمرو بن دينار، عن عطاء، عن ابن عباس وكذلك رواه النسائي ١ : ٣١٨ ــ ٣١٩ ، من طريق عمرو بن دينار .

رَمضانَ الذى أنزل فيه القرآن »، إلى قوله: « فعدةٌ من أيام أخر » .

* * *

وقال آخرون ممن قرأ ذلك: « وَعلى الذين يُطيقونه »، لم ينسخ ذلك ولا شىء منه ، وهو حكم مثبتٌ من لَدُنْ نزلت هذه الآية إلى قيام الساعة ، وقالوا : إنما تأويل ذلك : وعلى الذين يطيقونه — فى حال شبابهم وَحداثتهم ، وفى حال صحتهم وقوتهم — إذا مَرضوا وكبروا فعجزوا من الكبر عن الصوم ، فدية طعام مسكين = لا أنَّ القوم كان رُخِّص لهم فى الإفطار — وهم على الصوم قادرون — إذا افتدوا . ٨٠/٢

* ذكر من قال ذلك :

٢٧٥٧ — حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وَعلى الذين يطيقونه فديةٌ طعامُ مسكين »، قال : أما الذين يطيقونه ، فالرجل كان يطيقه وقد صام قَبل ذلك ، ثم يعرض له الوَجع أو العطش أو المرض الطويل ، أو المرأة المرضعُ لا تستطيع أن تصوم ، فإن أولئك عليهم مكانَ كل يوم إطعام مسكين، فإن أطعم مسكيناً فهو خيرٌ له، ومن تكلف الصيام فصامه فهو خيرٌ له .

٢٧٥٨ — حدثنا هناد قال، حدثنا عبدة ، عن سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة ، عن عَزْرَة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : إذا خافت الحاملُ على نفسها ، والمرضع على ولدها فى رمضان ، قال : يفطران ويطعمان مكانَ كل يوم مسكيناً ، ولا يقضيان صوماً . (١)

---

(١) الخبر : ٢٧٥٨ — هناد : هو ابن السرى ، مضت ترجمته : ٢٠٥٨ . وعبدة : هو ابن سليمان الكلابى ، مضت ترجمته : ٢٣٢٣ . وهذا الخبر فى معنى الحديثين الماضيين : ٢٧٥١ ، ٢٧٥٢ ، من رواية سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة ، عن عزرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . وذانك حديثان، لأنهما إخبار من ابن عباس عن نسخ الفدية وجواز الإفطار عامة، وإثباتهما فى حق الشيخ الكبير ومن ذكر معه هناك . وأما هذا فإنه فتوى من ابن عباس .

ووقع هنا فى المطبوعة « عروة » بدل « عزرة » ، كما كان فى ذينك الحديثين . فأثبتنا الصواب هنا كما أثبتناه هناك .

٢٧٥٩ – حدثنا هناد قال، حدثنا عبدة ،... ...، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أنه رأى أمَّ ولدٍ له حاملاً أو مُرضعاً، فقال : أنت بمنزلة الذى لا يُطيقه ، عليك أن تطعمى مكانَ كل يوم مسكيناً ، ولا قضاء عليك. (١)

٢٧٦٠ – حدثنا هناد قال، حدثنا عبدة ، عن سعيد ، عن على بن ثابت ، عن نافع ، عن ابن عمر ، مثل قول ابن عباس فى الحامل والمرضع. (٢)

---

(١) الخبر : ٢٧٥٩ – وهذا الخبر كسابقه ، فتوى أخرى من ابن عباس لأم ولده ، بمعنى التى قبلها . ولكن وقع هنا فى المطبوعة سقط فى الإسناد ، بين « عبدة » و « سعيد بن جبير » نرجح أن صوابه كالإسناد السابق . ولكن لم نستجز أن نثبته عن غير ثبت ، فوضعنا أصفاراً موضع السقط .

ويدل على صحة هذا السقط : أن الدارقطنى روى هذا الخبر ، فى سننه ، ص : ٢٥٠ ، من طريق روح ، وهو ابن عبادة : « حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن عزرة ، عن سعيد بن جبير : أن ابن عباس قال لأم ولد له . . . » . ثم قال الدارقطنى عقبه : « إسناد صحيح » .

وذكره السيوطى ١ : ١٧٩ ، وزاد نسبته لعبد بن حميد .

(٢) الخبر : ٢٧٦٠ – وهذا إسناد صحيح ، موقوف على ابن عمر .

على بن ثابت بن عمرو بن أخطب البصرى الأنصارى : ثقة ، ترجمه ابن أبى حاتم ١٧٧/١/٣ ، ولم أجد ترجمته فى موضع آخر . وملخص ما قال : روى عن نافع ، ومحمد بن يزيد ، ومحمد بن زياد . روى عنه سعيد بن أبى عروبة ، وعمران القطان ، وحماد بن سلمة ، وسويد بن إبرهيم . ثم روى عن أحمد بن حنبل ، قال : « على بن ثابت بن أبى زيد الأنصارى : ثقة ، حدث عنه سعيد بن أبى عروبة ، وحماد زيد ، وأخوه عزرة بن ثابت ، وأخوه محمد بن ثابت ، » . ثم ذكر ابن أبى حاتم ، أنه سأل أباه « عن على بن ثابت ، أخى عزرة ومحمد ابنى ثابت ؟ فقال : لا بأس به » .

ووجدت البخارى ذكره فى الكبير ٥٠/١/١ ، والصغير ، ص : ١٧١ ، فى ترجمة أخيه محمد بن ثابت » .

وجدهم « عمرو بن أخطب الأنصارى » ، كنيته : أبوزيد ، وقد اشتهر بكنيته . ترجمه ابن سعد ١٧/٧ – ١٨ ، قال : « وله مسجد ينسب إليه بالبصرة » .

وبقية الإسناد – قبل على بن ثابت وبعده – ثقات معروفون ، كما هو ظاهر .

ولم يذكر الطبرى لفظ خبر ابن عمر :

وذكره السيوطى ١ : ١٧٩ ، عن نافع : « قال : أرسلت إحدى بنات ابن عمر تسأله عن صوم رمضان وهى حامل ؟ قال : تفطر وتطعم كل يوم مسكيناً » ، ونسبه لعبد بن حميد، وابن أبى حاتم ، والدارقطنى .

والدارقطنى رواه ص : ٢٥٠ ، بإسنادين : من طريق حماد، عن أيوب، عن نافع عن ابن عمر : « أن امرأته سألته وهى حبلى ؟ فقال : أفطرى وأطعمى عن كل يوم مسكيناً ، ولا تقضى » .

ثم رواه من طريق أبى أسامة ، عن عبيد الله ، عن نافع ، قال: « كانت بنت لابن عمر تحت رجل من قريش، وكانت حاملا ، فأصابها عطش فى رمضان، فأمرها ابن عمر أن تفطر وتطعم عن كل يوم مسكيناً » .

٢٧٦١ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة قال : ذُكر لنا أن ابن عباس قال ، لأم ولد له حبلى أو مرضع : أنتِ بمنزلة الذين لا يطيقونه ، عليك الفداءُ ولا صومَ عليك . هذا إذا خافت على نفسها .

٢٧٦٢ ــ حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وَعلى الذين يطيقونه فدية طعامُ مسكين » ، هو الشيخ الكبير كان يُطيق صومَ شهر رمضان وهو شاب ، فكبر وهو لا يستطيع صومَه ، فليتصدق على مسكين واحد لكل يوم أفطرَه ، حين يُفطر وحينَ يَتسحَّر .

٢٧٦٣ ــ حدثنا هناد قال ، حدثنا عبدة، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ابن عباس نحوه ــ غير أنه لم يقل : حين يُفطر وحين يَتسحر .

٢٧٦٤ ــ حدثنا هناد قال، حدثنا حاتم بن إسمعيل ، عن عبد الرحمن بن حرملة ، عن سعيد بن المسيب أنه قال في قول الله تعالى ذكره: « فديةٌ طعامُ مسكين » ، قال : هو الكبير الذي كان يصوم فكبر وعجز عنه ، وهي الحامل التي ليس عليها الصيام ، فعلى كل واحد منهما طعامُ مسكين : مُدٌّ من حنطة لكلِّ يوم حتى يمضيَ رَمضان .

* * *

وقرأ ذلك آخرون: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطَوَّقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾، وقالوا : إنه الشيخ الكبير والمرأة العجوز اللذان قد كبرا عن الصوم ، فهما يكلفان الصوم ولا يطيقانه ، فلهما أن يفطرا ويطعما مكانَ كلِّ يوم أفطراه مسكيناً . وقالوا : الآية ثابتة الحكم منذ أنزلت ، لم تنسخ ، وأنكروا قول من قال : إنها منسوخة .

* ذكر من قال ذلك :

٢٧٦٥ ــ حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، حدثنا ابن جريج ،

عن عطاء، عن ابن عباس أنه كان يقرؤها : « يُطوَّقونه » .

٢٧٦٦ ــ حدثنا هناد قال، حدثنا على بن مسهر ، عن عاصم ، عن عكرمة، عن ابن عباس أنه كان يقرأ : « وَعلى الذين يُطوقونه فديةٌ طعامُ مسكين »، قال : فكان يقول : هى للناس اليوم قائمة .

٢٧٦٧ ــ حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ابن عباس أنه كان يقرؤها : « وَعلى الذين يُطوَّقونه فديةٌ طعامُ مسكين » ، قال : وكان يقول : هى للناس اليوم قائمة .

٢٧٦٨ ــ حدثنا هناد قال، حدثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد، عن ابن عباس أنه كان يقرؤها : « وَعلى الذين يُطوَّقونه »، ويقول: هو الشيخ الكبير يُفطر ويُطعِم عنه .

٢٧٦٩ ــ حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا أيوب ، عن عكرمة أنه قال فى هذه الآية : « وعلى الذين يُطوَّقونه » ، ــ وكذلك كان يقرؤها ــ : إنها ليست منسوخة، كلِّف الشيخُ الكبير أن يُفطر ويطعم مكان كل يوم مسكيناً .

٢٧٧٠ ــ حدثنا ابن بشار قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير أنه قرأ : « وعلى الذين يُطوَّقونه » .

٢٧٧١ ــ حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع ، عن عمران بن حدَير ،عن عكرمة قال : « الذين يُطيقونه » يصومونه ، ولكن الذين « يُطوَّقونه » ، يعجزون عنه .

٢٧٧٢ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا ابن جريج قال ، حدثنى محمد بن عباد بن جعفر ، عن أبى عمرو مولى عائشة ، أن عائشة كانت تقرأ : « يُطوَّقونه » .

٢٧٧٣ ــ حدثنا الحسن قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا ابن جريج ، عن عطاء أنه كان يقرؤها« يطوَّقونه ».قال ابن جريج : وكان مجاهد يقرؤها كذلك.

٢٧٧٤ – حدثنا حميد بن مسعدة قال حدثنابشر بن المفضل قال : حدثنا خالد، عن عكرمة : « وعلى الذين يُطيقونه » قال، قال ابن عباس: هو الشيخُ الكبير . (١) ٨١/٢

٢٧٧٥ – حدثنا إسمعيل بن موسى السدىّ قال ، أخبرنا شريك، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ،عن ابن عباس : « وعلى الذين يُطوّقونه » قال : يَتجشمونه، يَتكلفونه . (٢)

٢٧٧٦ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس ، عن مسلم الملائى ، عن مجاهد ، عن ابن عباس فى قوله : « وعلى الذين يُطيقونه فدية طعامُ مسكين »، قال : الشيخ الكبير الذى لا يُطيق فيفطر ويُطعم كل يوم مسكيناً .

٢٧٧٧ – حدثنى محمد بن عمرو قال،حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد وعطاء ، عن ابن عباس فى قول الله : « وَعلى الذين يُطيقونه » ، قال : يُكلّفونه ، فديةٌ طعامُ مسكين واحد . قال : فهذه آية منسوخةٌ لا يرخص فيها إلاّ للكبير الذى لا يُطيق الصيام ، أو مريض يعلم أنه لا يُشفى .

٢٧٧٨ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن عمرو بن دينار ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : « الذين يطيقونه » ، يتكلّفونه ، فديةٌ طعام مسكين واحد ، ولم يُرخّص هذا إلا للشيخ الذى لا يُطيق الصوم ، أو المريض الذى يعلم أنه لا يشفى – هذا عن مجاهد .

٢٧٧٩ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن

---

(١) الأثر : ٢٧٧٤ – أخشى أن يكون الصواب هنا : « يطوقونه » .

(٢) الأثر : ٢٧٧٥ – إسماعيل بن موسى السدى الفزارى ، قيل : هو ابن بنت السدى الكبير إسماعل بن عبد الرحمن ، مات سنة ٢٤٥ .

ابن أبي نجيح ، عن مجاهد، عن ابن عباس أنه كان يقول : ليست بمنسوخة.

٢٧٨٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : « وَعلى الذين يُطيقونه فديةٌ طعامُ مسكين » ، يقول : من لم يطق الصوم إلا على جَهد ، فله أن يفطر ويطعم كل يوم مسكيناً ، والحاملُ والمرضعُ والشيخُ الكبيرُ والذي به سُقمٌ دائم .

٢٧٨١ – حدثنا هناد قال ، حدثنا عبيدة،عن منصور ، عن مجاهد ، عن ابن عباس في قول الله تعالى ذكره : « وعلى الذين يطيقونه فديةٌ طعامُ مسكين » ، قال : هو الشيخ الكبير ، والمرء الذي كان يصومُ في شبابه فلما كبر عجز عن الصوم قبل أن يموتَ ، فهو يطعم كل يوم مسكيناً – قال هناد : قال عبيدة : قيل لمنصور : الذي يطعم كل يوم نصف صاعٍ ؟ قال : نعم .[1]

٢٧٨٢ – حدثنا هناد قال،حدثنا مروان بن معاوية ، عن عثمان بن الأسود قال : سألتُ مجاهداً عن امرأة لي وافقَ تاسعها شهرَ رَمضان ، ووافق حرًّا شديداً ، فأمرني أن تُفطر وتُطعم . قال : وقال مجاهد : وتلك الرخصة أيضاً في المسافر والمريض ، فإن الله يقول : « وعلى الذين يُطيقونه فديةٌ طعامُ مسكين » .

٢٧٨٣ – حدثنا هناد قال،حدثنا أبو معاوية ، عن عاصم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : الحاملُ والمرضعُ والشيخُ الكبير الذي لا يستطيع الصوم ، يفطرون في رمضان ، ويطعمون عن كل يوم مسكيناً ، ثم قرأ : « وعلى الذينَ

---

(١) الخبر : ٢٧٨١ – عبيدة ، بفتح العين : هو ابن حميد ، بضم الحاء ، بن صهيب الحذاء ، وهو ثقة ، وثقه ابن معين وغيره ، وأخرج له البخاري في الصحيح . مترجم في التهذيب ، والصغير للبخاري ، ص : ٢١٢، وابن سعد ٧/٢/٧٢ – ٧٣، وابن أبي حاتم ٣/١/٩٢ – ٩٣ ، وتاريخ بغداد ١١ : ١٢٠ – ١٢٣ .

يُطيقونه فديةٌ طعامُ مسكين » .(١)

٢٧٨٤ – حدثنا على بن سَعيد الكندى قال، حدثنا حفص ، عن حجاج ، عن أبى إسحق ، عن الحارث ، عن على فى قوله : « وعلى الذين يُطيقونه فديةٌ طعام مسكين » ، قال : الشيخ الكبير الذى لا يستطيع الصومَ ، يُفطر ويطعم مكانَ كل يوم مسكيناً .(٢)

٢٧٨٥ – حدثنى المثنى قال، حدثنا الحجاج قال ، حدثنا حماد ، عن عمرو ابن دينار ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : « وعلى الذين يُطيقونه فديةٌ طعامُ مسكين» ، قال : هم الذين يتكلفونه ولا يطيقونه ، الشيخُ والشيخة .

٢٧٨٦ – حدثنى المثنى قال، حدثنا الحجاج قال، حدثنا حَماد، عن الحجاج، عن أبى إسحق ، عن الحارث ، عن على قال : هو الشيخُ والشيخة .

٢٧٨٧ – حدثنى المثنى قال، حدثنا حجاج قال ، حدثنا حماد ، عن عمران ابن حُدير ، عن عكرمة أنه كان يقرؤها : « وَعلى الذين يُطيقونه » فأفطروا .

٢٧٨٨ – حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن عاصم ، عمن حدثه ، عن ابن عباس قال : هى مُثبتةٌ للكبير والمرضع والحامل ، وعلى الذين يُطيقونَ الصيام .

٢٧٨٩ – حدثنا المثنى قال، حدثنا سويد قال ، حدثنا ابن المبارك ، عن ابن جريج قال : قلت لعطاء : ما قوله : « وعلى الذين يطيقونه » ؟ قال : بلغنا أن الكبير إذا لم يستطع الصوم يفتدى من كل يوم بمسكين . قلت : الكبيرُ الذى

---

(١) الأثر ٢٧٨٣ – أبو معاوية الضرير محمد بن خازم التميمى السعدى . قال ابن سعد : « كان ثقة كثير الحديث ، يدلس ، كان مرجئاً . مات سنة ١٩٣ .

(٢) الأثر ٢٧٨٤ – فى المطبوعة : « على بن سعد » . على بن سعيد بن مسروق الكندى أبو الحسن الكوفى روى عن حفص بن غياث وابن المبارك وغيرهما . وروى عنه الترمذى والنسائى وأبو حاتم ، قال أبو حاتم : صدوق ، وذكره ابن حبان فى الثقات ، توفى سنة ٢٤٩ .

لا يستطيعُ الصوم ، أوالذى لا يستطيعه إلا بالجهد ؟ قال : بل الكبير الذى لا يستطيعه بجهد ولا بشيء ، فأما مَن استطاع بجهد فليصمه ، ولا عذر له فى تركه .

٢٧٩٠ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : أخبرنى عبد الله بن أبى يزيد : « وَعلى الذين يُطيقونه » الآية ، كأنه يعنى الشيخَ الكبير – قال ابن جريج : وأخبرنى ابن طاوس ، عن أبيه أنه كان يقول : نزلت فى الكبير الذى لا يَستطيع صيامَ رمضان ، فيفتدى من كل يوم بطعام مسكين . قلت له : كم طعامه ؟ قال : لا أدرى ، غير أنه قال : طعام يوم .

٢٧٩١ – حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن الحسن بن يحيى ، عن الضحاك فى قوله : « فديةٌ طعامُ مسكين » ، قال : الشيخ الكبير الذى لا يطيق الصومَ ، يفطر ويطعم كل يوم مسكيناً .

* * *

٨٢/٢ قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال : « وَعلى الذين يُطيقونه فديةٌ طعامُ مسكين » ، منسوخٌ بقول الله تعالى ذكره : « فمن شَهد منكم الشهرَ فليصمه » .

لأن « الهاء » التى فى قوله : « وَعلى الذين يُطيقونه » ، من ذكر « الصيام » ومعناه : وعلى الذين يطيقون الصيام فدية طعامُ مسكين . فإذْ كان ذلك كذلك ، وكان الجميعُ من أهل الإسلام مجمعينَ على أن من كان مُطيقاً من الرجال الأصحاء المقيمين غير المسافرين صَوْمَ شهر رمضان ، فغير جائز له الإفطار فيه والافتداء منه بطعام مسكين – كان معلوماً أنّ الآية منسوخةٌ .

هذا ، مع ما يؤيد هذا القول من الأخبار التى ذكرناها آنفاً عن مُعاذ بن جبل ، وابن عمر ، وسلمة بن الأكوع : من أنهم كانوا – بعد نُزول هذه الآية على عَهد رسول الله صلى الله عليه وسلم – فى صوم شهر رمضان بالخيار بين صومه

وسُقوط الفدية عنهم ، وبين الإفطار والافتداء من إفطاره بإطعام مسكين لكل يوم ؛ وأنهم كانوا يفعلون ذلك حتى نزلت : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » ، فألزموا فرضَ صومه ، وبطل الخيار والفديةُ .

* * *

فإن قال قائل : وكيف تدّعى إجماعاً من أهل الإسلام = على أنّ من أطاق صومه وهو بالصفة التى وصفت ، فغير جائز له إلاّ صومُه = وقد علمت قول من قال : الحامل والمرضعُ إذا خافتا على أولادهما ، لهما الإفطار ، وإن أطاقتا الصوم بأبدانهما ، مع الخبر الذى رُوى فى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى :

٢٧٩٢ — حدثنا به هناد بن السرى قال ، حدثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن أيوب ، عن أبى قلابة ، عن أنس قال : أتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو يَتغدّى ، فقال : تعالَ أحدّثك ، إن الله وَضع عن المسافر والحامل والمرضع الصومَ وَشطرَ الصلاة » ؟ (١)

---

(١) الحديث : ٢٧٩٢ — قبيصة : هو ابن عقبة السوائى ، مضت ترجمته : ٤٨٩ ، وأشرنا هناك إلى الكلام فى روايته عن سفيان الثورى ، وأنه غير مقبول ، ونزيد هنا أن الشيخين أخرجا له فى الصحيحين من روايته عن الثورى ، كما فى كتاب رجال الصحيحين ، ص : ٤٢٢ .

أبو قلابة — بكسر القاف وتخفيف اللام : هو عبد الله بن زيد الجرمى — بفتح الجيم وسكون الراء — احد الأعلام الحفاظ من التابعين . مترجم فى التهذيب ، وابن سعد ٧/١/١٣٣ — ١٣٥ . وابن أبى حاتم ٢/٢/٥٧ — ٥٨ ، ورجال الصحيحين : ٢٥١ ، وتذكرة الحفاظ ١ : ٨٨ — ٨٩ .

أنس — فى هذا الحديث فقط : هو أنس بن مالك الكعبى ، من بنى كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن . وهو صحابى ليس له رواية عن النبى صلى الله عليه وسلم إلا هذا الحديث الواحد . وبعضهم يذكر فى نسبته « القشيرى » . يذهبون إلى أن « قشيراً » هو ابن كعب بن ربيعة . وهذا هو الثابت فى بعض كتب الأنساب ، مثل الاشتقاق لابن دريد ، ص : ١٨١ ، وجمهرة الأنساب لابن حزم ، ص : ٢٧١ ، ٢٧٢ ، وقلدهم الحافظ فى التهذيب . ولكن البخارى قال فى ترجمته فى التاريخ الكبير ١/٢/٣٠ : « وكعب إخوة قشير » . وقال ابن أبى حاتم فى ترجمته ١/٢/٢٨٦ : « من بنى عبد الله بن كعب ، وكعب أخو قشير » . وفى رواية أبى داود لهذا الحديث — كما سيأتى فى التخريج إن شاء الله — : « عن أنس بن مالك ، رجل من بنى عبد الله بن كعب ، إخوة بنى قشير » . وقال الحافظ فى الإصابة ١ : ٧٣ « وهذا هو الصواب ، وبذلك جزم البخارى فى ترجمته . وعلى هذا فهو كعبى ، لاقشيرى ولأن قشيراً هو ابن كعب ، ولكعب ابن اسمه عبد الله . فهو من إخوة قشير ، لا من قشير نفسه » .

و « أنس بن مالك » — فى الرواة ، خمسة نفر : « أنس بن مالك » بن النضر الأنصارى خادم رسول

قيل : إنّا لم ندّع إجماعاً فى الحامل والمرضع ، وإنما ادعينا فى الرجال الذين

الله صلى الله عليه وسلم . وهو المراد فى أكثر الأحاديث عند إطلاق اسم « أنس » . ثم « أنس بن مالك الكعبى » — هذا الذى هنا . وهذان صحابيان . و « أنس بن مالك بن أبى عامر الأصبحى » ، والد الإمام « مالك بن أنس » ، وهو تابعى . ثم « أنس بن مالك الصيرفى » ، شيخ خلاد بن يحيى . و « أنس بن مالك» شيخ لأبى داود الطيالسى . وهذان متأخران ، يرويان عن التابعين . وقد ترجم ابن أبى حاتم لهؤلاء الخمسة . وترجم البخارى فى الكبير الثلاثة الأول فقط . وذكرهم كلهم ابن الجوزى فى تلقيح فهوم أهل الأثر ، ص : ٣٢٠ . وقال فى شأن « الكعبى » هذا ، وأشار إلى حديثه الذى هنا — : روى هذا الحديث الثورى ، عن أيوب ، عن أبى قلابة ، عن أنس [يعنى الكعبى] . وعند الثورى بهذا الإسناد عن أنس الأنصارى أحاديث » .

وهذا حق . ولذلك كان إطلاق اسم « أنس » هنا غير مستساغ ممن أطلقه ، سواء أكان الطبرى أم أحد شيوخ الإسناد ، لما فيه من الإيهام .

والحديث رواه البخارى فى الكبير ١/٢/٣٠ ، عن قبيصة — شيخ هناد فى هذا الإسناد — وعن محمد ابن يوسف ، كلاهما عن الثورى ، به . موجزاً كعادته . وصرح فى الإسناد بأنه « عن أنس بن مالك الكعبى »

ورواه النسائى ١ : ٣١٥ — ٣١٦ ، عن عمر بن محمد بن الحسن — هو ابن التل — عن أبيه ، عن الثورى ، به ، بلفظ : « إن الله وضع عن المسافر ، يعنى نصف الصلاة ، والصوم ، وعن الحامل والمرضع » .

ورواه أحمد فى المسند ٥ : ٢٩ (حلبى) عن ابن علية ، عن أيوب ، قال : « كان أبو قلابة حدثنى بهذا الحديث ، ثم قال لى : هل لك فى الذى حدثنيه ؟ قال : فدلنى عليه ، فأتيته ، فقال : حدثنى قريب لى يقال له أنس بن مالك . . . » . فذكره بقصة فى أوله .

ففى هذه الرواية أن بين أبى قلابة وأنس الكعبى رجلا مبهماً هو الذى حدثه به عنه .

وكذلك ذكر البخارى أن بينهما رجلا : فرواه عقب ذاك ، عن يحيى بن موسى ، عن عبد الرزاق عن معمر ، عن أيوب ، عن أبى قلابة « عن رجل من بنى عامر : أن رجلا يقال له أنس حدثه : أنه قدم المدينة — نحوه » .

وأنا أرى ترجيح رواية قبيصة ومحمد بن يوسف ، التى ليس فيها الرجل المبهم ، وقد تابعهما عليها محمد ابن الحسن التل. فإن الثورى أحفظ من معمر ومن ابن علية معاً ، وهو المقدم على من خالفه فى الحفظ والإتقان.

وللحديث إسناد آخر ، من وجه آخر . رواه أبو هلال محمد بن سليم الراسبى ، عن عبد الله بن سوادة ، عن أنس الكعبى ، وهو إسناد جيد ، بل صحيح ، وأبو هلال الراسبى : ثقة لا بأس به . وعبد الله بن سوادة ابن حنظلة القشيرى : ثقة أيضاً .

فرواه أحمد فى المسند ٤ : ٣٤٧ (حلبى) ، عن وكيع ، وعن عفان. ورواه عقبة ابنه عبد الله عن شيبان. ورواه أحمد أيضاً ٥ : ٢٩ (حلبى) ، عن عبد الصمد . ورواه ابن سعد فى الطبقات ٧/١/٣٠ ، عن وكيع وعفان . ورواه أبو داود : ٢٤٠٨ ، عن شيبان بن فروخ . ورواه الترمذى ٢ : ٤٢ ، عن أبى كريب ويوسف بن عيسى ، عن وكيع . ورواه ابن ماجة : ١٦٦٧ ، عن أبى بكر بن أبى شيبة وعلى ابن محمد ، عن وكيع . ورواه البيهقى ٤ : ٢٣١ ، من طريق عبيد الله بن موسى ، وأبى نعيم . كل هؤلاء

وصفنا صفتهم. فأما الحامل والمرضع، فإنما علمنا أنهنّ غير معنيات بقوله : « وعلى الذين يُطيقونه » ، وخلا الرجال أن يكونوا معنيين به ،[1] لأنهن لو كن معنيات بذلك دون غيرهن من الرجال ، لقيل : وعلى اللواتى يُطقنه فدية طعامُ مسكين ، لأن ذلك كلام العرب ، إذا أفرد الكلامُ بالخبر عنهنّ دون الرجال . فلما قيل : « وعلى الذين يُطيقونه »، كان معلوماً أنّ المعنىّ به الرجالُ دون النساء ، أو الرجالُ والنساء . فلما صحّ بإجماع الجميع — على أنّ من أطاق من الرجال المقيمين الأصحاء صومُ شهر رمضان ، فغيرُ مرخص له فى الإفطار والافتداء ، فخرج الرجال من أن يكونوا معنيين بالآية، وعُلم أن النساء لم يُردن بها لما وصفنا : من أن الخبر عن النساء إذا انفرد الكلامُ بالخبر عنهن : « وعلى اللواتى يطقنه » ، والتنزيل بغير ذلك.

وأما الخبر الذى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فإنه إن كان صحيحاً ، فإنما معناه : أنه وضع عن الحامل والمرضع الصوم ما دامتا عاجزتين عنه ، حتى تُطيقا فتقضيا ، كما وُضع عن المسافر فى سفره ، حتى يقيم فيقضيه — لا أنهما أُمِرتا بالفدية والإفطار بغير وجوب قضاء ، ولو كان فى قول النبى صلى الله عليه وسلم : « إن الله وضع عن المسافر والمرضع والحامل الصوم »، دلالةٌ على أنه صلى الله عليه وسلم إنما عنى أن الله تعالى ذكره وضع عنهم بقوله : « وعلى الذين يُطيقونه

وكيع ، وعفان ، وشيبان ، وعبد الصمد ، وعبيد الله بن موسى ، وأبو نعيم — رووه عن أبى هلال الراسبى ، عن عبد الله بن سوادة ، عن أنس الكعبى ، به مطولا ، فى قصة .

وهذا إسناد متصل بالسماع، لأن ابن سعد قال عقب روايته : « قال عفان فى الحديث كله : حدثنا، قال : حدثنا ، إلى آخره » . فهذا نص على سماع كل شيخ ممن قبله إلى الصحابى .

وقال الترمذى : « حديث أنس بن مالك الكعبى : حديث حسن . ولا نعرف لأنس بن مالك هذا ، عن النبى صلى الله عليه وسلم — غير هذا الحديث الواحد ». ونقل الحافظ فى التهذيب ١ : ٣٧٩ ، عن الترمذى أنه « صححه » . ولكن الذى فى أيدينا من نسخ الترمذى قوله « حديث حسن » فقط . فتستفاد زيادة تصحيحه من نقل الحافظ .

(١) « خلا الرجال » أى خرجوا. من قولهم : «أنا منك خلاء ، وخلى » ، أى برىء منك . ويقال : « هو خلو من هذا الأمر » أى خارج ، أو خال منه .

فدية طعامُ مسكين » ، لوجب أن لا يكون على المسافر إذا أفطر فى سفره قضاء ، وأن لا يلزمه بإفطاره ذلك إلا الفدية ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد جمع بين حُكمه وبين حكم الحامل والمرضع . وذلك قولٌ ، إن قاله قائلٌ ، خلافٌ لظاهر كتاب الله ، ولما أجمع عليه جميع أهل الإسلام .

* * *

وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة أنّ معنى قوله : « وعلى الذين يطيقونه » ، وعلى الذين يطيقون الطعام . وذلك لتأويل أهل العلم مخالفٌ .

* * *

وأما قراءة من قرأ ذلك : « وعلى الذين يُطوّقونه » فقراءة لمصاحف أهل الإسلام خلافٌ ، وغير جائز لأحد من أهل الاسلام الاعتراض بالرأى على ما نقله المسلمون وِرَاثة عن نبيهم صلى الله عليه وسلم نقلاً ظاهراً قاطعاً للعذر . لأن ما جاءت به الحجة من الدين ، هو الحق الذى لاشك فيه أنه من عند الله . ولا يُعترض على ما قد ثبت وقامت به حُجة أنه من عند الله ، بالآراء والظنون والأقوال الشاذة .

* * *

وأما معنى « الفدية » فإنه : الجزاء ، من قولك : « فديت هذا بهذا » ، أى جزيته به ، وأعطيته بدلاً منه .

* * *

ومعنى الكلام : وعلى الذين يُطيقون الصيام جزاءُ طعام مسكين ، لكلّ يوم أفطرَه من أيام صيامه الذى كتب عليه .

* * *

وأما قوله : « فدية طعامُ مسكين » ، فإنّ القرأة مختلفةٌ فى قراءته . فبعضٌ يقرأ بإضافة « الفدية » إلى « الطعام » ، وخفض « الطعام » — وذلك قراءة عُظْم قراء أهل المدينة (٢) — بمعنى : وعلى الذين يطيقونه أن يفدوه طعامَ مسكين.

---

(١) انظر ما سلف فى صدر تفسير هذه الآية : . . .

(٢) فى المطبوعة : « معظم قراء » ، وصواب لفظ الطبرى ما أثبت ، كما مضى مراراً ، وكما سيأتى بعد قليل على الصواب . ومعنى الحرفين سواء ، على كل حال .

فلما جعل مكان « أن يفديه» « الفدية »، أضيف إلى « الطعام » ، كما يقال « لزمنى غرامةُ درهم لك » ، بمعنى : لزمنى أن أغرَم لك درهماً .

٨٣/٢ وآخرون يقرأونه بتنوين « الفدية » ، ورفع « الطعام » ، بمعنى الإبانة فى « الطعام » عن معنى « الفدية » الواجبة على من أفطر فى صومه الواجب ، كما يقال : « لزمنى غرامةٌ ، درهمٌ لك » ، فتبين « بالدرهم » عن معنى « الغرامة » ما هى ؟ وما حدُّها ؟ وذلك قراءة عُظْم قُراء أهل العراق .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بين الصواب قراءة من قرأ « فديةُ طعام » بإضافة « الفدية » إلى « الطعام »، لأن « الفدية » اسم للفعل ، وهى غير « الطعام » المفدىّ به الصوم .

وذلك أن « الفِدْية » مصدر من قول القائل : « فديت صَوم هذا اليوم بطعام مسكين أفديه فدية »، كما يقال : « جلست جِلْسة ، ومَشيتُ مِشْية » . « والفدية » فعل، و « الطعام » غيرها . فإذْ كان ذلك كذلك ، فبيِّنٌ أن أصَحّ القراءتين إضافة « الفدية » إلى « الطعام » ،[1] وواضحٌ خطأ قول من قال : إن ترك إضافة « الفدية » إلى الطعام، أصح فى المعنى ، من أجل أن « الطعام » عنده هو «الفدية» .

فيقال لقائل ذلك : قد علمنا أن « الفدية » مقتضية مفديًّا، ومفديًّا به ، وفدية. فإن كان « الطعام » هو « الفدية » « والصوم » هو المفدىّ به ، فأين اسم فعل المفتدى الذى هو « فدية » إنّ هذا القول خطأ بين غير مشكل .

* * *

وأما « الطعام » فإنه مضاف إلى « المسكين » . والقرأة فى قراءة ذلك مختلفون .

فقرأه بعضهم بتوحيد « المسكين »، بمعنى : وعلى الذين يطيقونه فدية طعام

---

(١) فى المطبوعة : « فتبين أن أصح القراءتين . . . » ، ومثل هذا التحريف كثير فيما مضى، والصواب ما أثبت ، وقوله بعد : « وواضح خطأ قول القائل ... » ، معطوف عليه . فهذا هو صواب [illegible] .

مسكين واحد لكل يوم أفطره ، كما : —

٢٧٩٣ — حدثني محمد بن يزيد الرفاعي قال، حدثنا حسين الجعفي ، عن أبي عمرو أنه قرأ: « فدية » — رفع منون — « طعام » — رفع بغير تنوين — «مسكين»، وقال : عن كل يوم مسكين . وعلى ذلك عُظْم قراء أهل العراق .

* * *

وقرأه آخرون بجمع « المساكين » ، « فدية طعام مَساكين » بمعنى : وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مساكين عن الشهر ، إذا أفطر الشهر كله ، كما :—

٢٧٩٤ — حدثنا أبو هشام محمد بن يزيد الرفاعي ، عن يعقوب ، عن بشار ، عن عمرو ، عن الحسن : « طعام مساكين » ، عن الشهر كله .

* * *

قال أبو جعفر : وأعجبُ القراءتين إليّ في ذلك قراءة من قرأ : « طعام مسكين » على الواحد ، بمعنى : وعلى الذين يطيقونه عن كل يوم أفطروه فدية طعام مسكين . لأن في إبانة حُكم المفطر يوماً واحداً ، وصُولاً إلى معرفة حُكم المفطر جميع الشهر — وليس في إبانة حكم المفطر جميعَ الشهر ، وصولٌ إلى إبانة حكم المفطر يوماً واحداً ، وأياماً هي أقل من أيام جميع الشهر — ، وأن كل « واحد » يُترجم عن « الجميع » ، وأن « الجميع » لا يترجم به عن « الواحد » . فلذلك اخترنا قراءة تلك بالتوحيد . (١)

* * *

واختلف أهل العلم في مبلغ الطعام الذي كانوا يطعمون في ذلك إذا أفطروا .

فقال بعضهم : كان الواجبُ من طعام المسكين لإفطار اليوم الواحد نصف صاع من قمح .

وقال بعضهم : كان الواجب من طعام المسكين لإفطار اليوم ، مدًّا من قمح ومن سائر أقواتهم .

---

(١) الترجمة : البدل ، كما سلف مراراً . انظر ٢ : ٣٤٠ ، وفهرس المصطلحات .

وقال بعضهم : كان ذلك نصف صاع من قمح ، أو صاعاً من تمر أو زبيب .

وقال بعضهم : ما كان المفطر يتقوّته يومَه الذى أفطرَه .

وقال بعضهم : كان ذلك سحوراً وَعشاءً ، يكون للمسكين إفطاراً .

وقد ذكرنا بعض هذه المقالات فيما مضى قبل ، فكرهنا إعادة ذكرها .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك . فقال بعضهم بما : —

٢٧٩٥ — حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد وعطاء ، عن ابن عباس : « فمن تطوع خيرًا »، فزاد طعامَ مسكين آخر ، « فهو خيرٌ له وأن تصومُوا خيرٌ لكم » .

٢٧٩٦ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن عمرو بن دينار ، عن عطاء ، عن ابن عباس مثله .

٢٧٩٧ — حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن مجاهد فى قوله : « فمن تطوع خيرًا » ، قال : من أطعم المسكين صاعاً .

٢٧٩٨ — حدثنى المثنى قال ،حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن ابن طاوس، عن أبيه : « فمن تطوّع خيرًا فهو خيرٌ له » ، قال : إطعامُ مَساكين عن كل يوم ، فهو خير له.

٢٧٩٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد قال، أخبرنا ابن المبارك ، عن حنظلة ، عن طاوس : « فمن تطوع خيرًا » ،قال : طعامُ مسكين .

٢٨٠٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثناسويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن

حنظلة ، عن طاوس نحوه .

٢٨٠١ – حدثنا محمد بن بشار قال ،حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن ليث ، عن طاوس : « فمن تطوع خيراً » ، قال : طعام مسكين .

٢٨٠٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا حجاج قال ، حدثنا حماد ، عن ليث عن طاوس مثله .

٢٨٠٣ – حدثنا أبو كريب قال،حدثنا عمرو بن هرون قال ، حدثنا ابن جريج ، عن عطاء أنه قرأ: « فمن تطوع » – بالتاء خفيفة [الطاء] – « خيراً » ، قال : زاد على مسكين .(١)

٢٨٠٤ – حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « فمن تَطوع خيراً فهو خيرٌ له » ، فإن أطعم مسكينين فهو خير له

٢٨٠٥ – حدثنا القاسم قال،حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، أخبرني ابن طاوس ، عن أبيه : « فمن تطوع خيراً فهو خير له » ، قال : من أطعم مسكيناً آخر . ٨٤/٢

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك ، فمن تطوع خيراً فصامَ مع الفدية .

* ذكر من قال ذلك :

٢٨٠٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني الليث قال ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب : « فمن تطوع خيراً فهو خيرٌ له » ، يريد أن من صامَ مع الفدية فهو خير له .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : فمن تطوع خيراً فزاد المسكين على قدر طعامه.

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) الزيادة بين القوسين لابد منها، وإلا فسد الكلام. والقراءة الأخرى في هذه الكلمة : « يَطَّوَّعْ » بياء الغيبة ، وفتح الياء ، وتشديد الطاء وفتحها ، وتشد الواو وفتحها ، وجزم العين .

٢٨٠٧ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج قال، مجاهد: « فمن تطوع خيرًا »، فزاد طعاماً، « فهو خير له » .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا أن الله تعالى ذكره عمم بقوله : « فمن تطوع خيرًا » ، فلم يخصص بعض معاني الخير دون بعض . فإنّ جمْع الصَوْم مع الفدية من تطوُّع الخير ، وزيادةُ مسكين على جزاء الفدية من تطوُّع الخير . وجائز أن يكون تعالى ذكره عنى بقوله : « فمن تطوع خيرًا »، أيَّ هذه المعاني تطوّع به المفتدى من صومه ، فهو خير له . لأن كل ذلك من تطوع الخير ، ونوافل الفضل .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١٨٤)

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بقوله : « وأنْ تصوموا » ، ما كتب عليكم من شهر رمضان، « فهو خير لكم » من أن تفطروه وتفتدوا ، كما : –

٢٨٠٨ – حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وأنْ تصوموا خيرٌ لكم » ، ومن تكلف الصيامَ فصامه فهو خيرٌ له .

٢٨٠٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني الليث قال ، حدثني يونس ، عن ابن شهاب: « وأن تصوُموا خيرٌ لكم »، أي: إن الصيامَ خير لكم من الفدية .

٢٨١٠ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ،

عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وأن تصومُوا خيرٌ لكم »... ... [1]

* * *

وأما قوله : « إن كنتم تعلمون » ، فإنه يعني : إن كنتم تعلمون خيرَ الأمرين لكم أيها الذين آمنوا ، من الإفطار والفدية ، أو الصوم على ما أمركم الله به .

* * *

القول في تأويل قوله جل ذكره ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾

قال أبو جعفر : « والشهر » ، فيما قيل ، أصله من « الشهرة » . يقال منه : « قد شَهر فلانٌ سَيْفه » — إذا أخرجه من غمده فاعترض به من أراد ضربه — « يشهرُه شهراً » . وكذلك « شَهر الشهر » ، إذا طلع هلاله ، « وأشهرْنا نحن » ، إذا دخلنا في الشهر .

* * *

وأما « رمضان » ، فإن بعض أهل المعرفة بلغة العرب كان يزعم أنه سمي بذلك لشدة الحرّ الذي كان يكون فيه ، حتى تَرْمَض فيه الفِصَال ،[1] كما يقال للشهر الذي يُحجّ فيه « ذو الحجة » ، والذي يُرتبع فيه « ربيع الأول ، وربيع الآخر » .

* * *

وأما مجاهد فإنه كان يكره أن يقال : « رمضان » ، ويقول : لعله اسمٌ من أسماء الله .

٢٨١١ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن

---

(١) الأثر : ٢٨١٠ — سقط آخره ، ولم أجده في المراجع . ولكن صوابه كالذي قبله : من الإفطار والفدية ، كما هو ظاهر .

(٢) الفصال جمع فصيل : وهو ولد الناقة إذا فصل عن أمه . ورمض الفصال : أن تحترق الرمضاء — وهو الرمل — فتبرك الفصال من شدة حرها ، وإحراقها أخفافها وفراسنها . ورمضت قدمه من الرمضاء : احترقت .

مجاهد : أنه كره أن يقال : « رمضان » ، ويقول : لعله اسم من أسماء الله . لكن نقول كما قال الله : « شهر رمضان » .

* * *

وقد بينت فيما مضى أن « شهر » مرفوع على قوله : « أياماً معدودات » ، هن شهر رمضان . [1] وجائز أن يكون رفعه بمعنى : ذلك شهر رمضان ، وبمعنى : كتب عليكم شهرُ رمضان.

وقد قرأه بعض القراء « شهرَ رَمضان » نصباً ، بمعنى : كتب عليكم الصيام أن تصوموا شهرَ رمضان . وقرأه بعضهم نصباً بمعنى : أن تصوموا شهرَ رمضان خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون . وقد يجوز أيضاً نصبه على وجه الأمر بصومه ، كأنه قيل : شهرَ رمضان فصوُموه . وجائز نصبه على الوقت ، كأنه قيل : كتب عليكم الصيام فى شهر رمضان .

* * *

وأما قوله : « الذى أنزل فيه القرآن » ، فإنه ذكر أنه نَزَل فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا ، فى ليلة القدر من شهر رمضان . ثم أنزِل إلى محمد صلى الله عليه وسلم على ما أراد الله إنزاله إليه ، كما : —

٢٨١٢ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن الأعمش ، عن حسان بن أبى الأشرَس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : أنزل القرآن جملةً من الذكر فى ليلة أربع وعشرين من رمضان ، فُجعل فى بيت العزَّة — قال أبو كريب : حدثنا أبو بكر ، وقال ذلك السدى .

٢٨١٣ — حدثنى عيسى بن عثمان قال ، حدثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن حسان ، عن سعيد بن جبير قال : نزل القرآن جملة واحدةً فى ليلة القدر فى شهر رمضان ، فجعل فى سماء الدنيا . [2]

---

(١) انظر ما سلف آنفاً : ٤١٥، ٤١٧

(٢) الأثر : ٢٨١٣ — فى المطبوعة : « يحيى عن عيسى » ، وهو خطأ . وانظر التعليق على الأثر رقم : ٣٠٠ .

٢٨١٤ – حدثنا أحمد بن منصور قال ، حدثنا عبد الله بن رجاء قال ، حدثنا عمران القطان ، عن قتادة ، عن أبي المليح ، عن واثلة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : نزلت صُحُف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان ، وأنزِلت التوراةُ لست مَضَين من رمضان ، وأنزل الإنجيل لثلاثَ عشرة خلت ، وأنزل القرآن لأربع وعشرين من رمضان . (١)

٢٨١٥ – حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « شهرُ رَمضان الذى أنزِل فيه القرآن » . أما « أنزل فيه القرآن » ، فإن ابن عباس قال : شهر رمضان ، والليلةُ المباركة ليلةُ القدر ، فإن ليلة القدر هى الليلة المباركة ، وهى فى رمضان ، نزل القرآن جملةً واحدة من الزُّبُر إلى البيت المعمور ، وهو « مواقع النجوم » فى السماء الدنيا حيث وقع القرآن ، ثم نزل على محمد صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فى الأمر والنهى وفى الحروب رَسَلاً رَسَلاً . (٢) ٨٥/٢

٢٨١٦ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : أنزل الله القرآن إلى السماء الدنيا فى ليلة القدر ، فكان الله إذا أراد أن يُوحِيَ منه شيئاً أوحاه ، فهو قوله : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ [سورة القدر : ١] .

---

(١) الحديث : ٢٨١٤ – عبد الله بن رجاء بن عمرو الغدانى : ثقة من شيوخ البخارى . و « الغدانى » : بضم الغين المعجمة وتخفيف الدال المهملة .

عمران القطان : هو عمران بن داور ، مضى فى : ١٢٦ . وكنيته « أبو العوام » .

أبو المليح : هو ابن أسامة الهذلى ، وهو تابعى ثقة ، أخرج له أصحاب الكتب الستة . ووقع فى المطبوعة « عن ابن أبى المليح » . وزيادة « ابن » خطأ واضح .

واثلة – بالثاء المثلثة : هو ابن الأسقع ، صحابى معروف . والحديث رواه أحمد فى المسند : ١٧٠٥١ (٤ : ١٠٧ حلبى) ، عن أبى سعيد مولى بنى هاشم ، عن عمران أبى العوام ، بهذا الإسناد ، وهو إسناد صحيح .

ونقله ابن كثير ١ : ٤٠٦ ، عن المسند . وكذلك السيوطى ١ : ١٨٩ ، وزاد نسبته إلى محمد بن نصر ، وابن أبى حاتم ، والطبرانى ، والبيهقى فى الشعب .

(٢) رسلا رسلا : أى قطعة قطعة ، وفرقة فرقة .

٢٨١٧ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا ابن أبي عدى ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فذكر نحوه – وزاد فيه : فكان من أوله وآخره عشرون سنة .

٢٨١٨ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : أنزِل القرآنُ كله جملةً واحدةً فى ليلة القدر فى رمضان، إلى السماء الدنيا ، فكان الله إذا أراد أن يحدث فى الأرض شيئاً أنزله منه ، حتى جمعه .

٢٨١٩ – حدثنى يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حصين ، عن حكيم بن جبير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : أنزل القرآن فى ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء جملة واحدة، ثم فرّق فى السنين بعدُ . قال : وتلا ابن عباس هذه الآية : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ [سورة الواقعة : ٧٥] ، قال : نزل مفرَّقاً .

٢٨٢٠ – حدثنا يعقوب قال، حدثنا ابن علية، عن داود ، عن الشعبى قال : بلغنا أن القرآن نزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا .

٢٨٢١ – حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك، قرأه ابن جريج فى قوله :(١) « شهرُ رَمضان الذى أنزل فيه القرآن » ، قال : قال ابن عباس : أنزل القرآن جملةً واحدة على جبريل فى ليلة القدر ، فكان لا ينزل منه إلا بأمر . قال ابن جريج : كان ينزَّل من القرآن فى ليلة القدر كلُّ شىء ينزل من القرآن فى تلك السنة . فنزل ذلك من السماء السابعة على جبريل فى السماء الدنيا ، فلا ينزِّل جبريلُ من ذلك على محمد إلاّ ما أمره به ربه . ومثل ذلك ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ و﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴾ [سورة الدخان : ٣] .

---

(١) هكذا فى المطبوعة ، ولم أدر ما هو ، وأخشى أن يكون صوابه « قرأ ابن جريج قوله. . . »

٢٨٢٢ — حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن السدى ، عن محمد بن أبي المجالد، عن مقسم ، عن ابن عباس، قال له رجل : إنه قد وقع فى قلبي الشك من قوله : « شهرُ رَمضان الذى أنزل فيه القرآن » ، وقوله : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴾ وقوله ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ ، وقد أنزل الله فى شوّال وذى القعدة وغيره! قال: إنما أنزل فى رمضان فى ليلة القدر وليلة مباركة جملة واحدةً ، ثم أنزل على مَواقع النجوم رَسلاً فى الشهور والأيام .

* * *

وأما قوله : « هُدى للناس » ، فإنه يعنى رَشاداً للناس إلى سبيل الحقّ وَقصْد المنهج .(١)

* * *

وأما قوله : « وَبيِّنات» ، فإنه يعنى : وواضحات « من الهدى » — يعنى : من البيان الدالّ على حدود الله وفرائضه وحلاله وحرامه .(٢)

* * *

وقوله : « والفرقان » يعنى : والفصل بين الحق والباطل ،(٣) كما : —

٢٨٢٣ — حدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أما « وبينات من الهدى والفرقان » ، فبينات من الحلال والحرام .

* * *

---

(١) انظر تفسير « هدى » فيما سلف فى فهرس اللغة .

(٢) انظر تفسير « بينات » فيما سلف فى فهرس اللغة .

(٣) انظر تفسير « فرقان » فيما سلف ١ : ٩٨ — ٩٩ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى معنى « شهود الشهر » .

فقال بعضهم : هو مُقام المقيم فى داره . قالوا : فمن دخل عليه شهرُ رمضان وهو مقيم فى داره ، فعليه صوم الشهر كله ، غابَ بعدُ فسافر ، أو أقام فلم يبرح .

* ذكر من قال ذلك :

٢٨٢٤ — حدثنا محمد بن حميد ومحمد بن عيسى الدامغانى قالا ، حدثنا ابن المبارك ، عن الحسن بن يحيى ، عن الضحاك ، عن ابن عباس فى قوله : « فمن شَهد منكم الشهر فليصمه » ، قال : هو إهلاله بالدار . يريد : إذا هلَّ وهو مُقيم .

٢٨٢٥ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حصين ، عمن حدثه ، عن ابن عباس أنه قال . فى قوله : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » ، فإذا شهده وهو مقيم فعليه الصوم ، أقام أو سافر . وإن شهده وهو فى سَفر ، فإن شاء صامَ وإن شاء أفطر .

٢٨٢٦ — حدثنى يعقوب قال ، حدثنا ابن علية ، عن أيوب ، عن محمد ، عن عبيدة — فى الرجل يُدركه رمضان ثم يُسافر — قال : إذا شهدتَ أوله فُصمْ آخره ، ألا تراه يقول : « فمن شَهدَ منكم الشهر فليصمه » ؟

٢٨٢٧ — حدثنى يعقوب قال ، حدثنا ابن علية ، عن هشام القردوسى ، عن محمد بن سيرين قال ، سألت عَبيدة : عن رجل أدركَ رمضان وهو مقيم ؟ قال : من صام أول الشهر فليصم آخره ، ألا تراه يقول : « فمنْ شَهد منكم الشهرَ فليصمه » .[1]

---

(١) الأثر : ٢٨٢٧ — فى المطبوعة : « الفردوسى » ، والصواب بالقاف المضمومة ، هشام بن حسان الأزدى القردوسى أبو عبد الله البصرى ، روى عن حميد بن هلال والحسن البصرى ومحمد وأنس وحفص بنى

٢٨٢٨ – حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أما « من شهد منكم الشهر فليصمه » ، فمن دخل عليه رمضان وهو مقيم فى أهله فليصُمه ، وإن خرج فيه فليصُمه ، فإنه دخل عليه وهو فى أهله.

٨٦/٢ ٢٨٢٩ – حدثني المثنى قال ، حدثنا حجاج قال ، حدثنا حماد قال ، أخبرنا قتادة ، عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة السلمانى ، عن على – فيما يحسب حماد – قال : من أدرك رمضان وهو مقيم لم يخرج ، فقد لزمه الصوم ، لأن الله يقول : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه» .

٢٨٣٠ – حدثنا هناد بن السرى قال ، حدثنا عبد الرحمن ، عن إسمعيل ابن مسلم ، عن محمد بن سيرين قال : سألت عبيدة السلمانى عن قول الله : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » ، قال : من كان مقيماً فليصُمه ، ومن أدركه ثم سافر فيه فليصمه .

٢٨٣١ – حدثنا هناد قال ، حدثنا وكيع ، عن ابن عون ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة ، قال : من شهد أول رمضان فليصم آخره.

٢٨٣٢ – حدثنا هناد قال ، حدثنا عبدة ، عن سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة أن علياً كان يقول : إذا أدركه رمضان وهو مقيمٌ ثم سافر ، فعليه الصوم .

٢٨٣٣ – حدثنا هناد ، قال ، حدثنا عبد الرحيم ، عن عُبيدة الضبى ، عن إبراهيم قال : كان يقول : إذا أدركك رمضانُ فلا تسافر فيه ، فإن صمت فيه يوماً أو اثنين ثم سافرت ، فلا تفطر ، صُمه .

٢٨٣٤ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبى البختَرى قال : كنا عند عُبيدة فقرأ هذه الآية :

سيرين وغيرهم ، وروى عنه عكرمة بن عمار وسعيد بن أبى عروبة وابن علية وغيرهم . يقال هو منسوب إلى درب بالبصرة يقال له «القراديس» ، وهو جمع قردوس ، وهو أبو حى من اليمن ، سمى بالدرب بهم. ويقال : هو مولى لهذا الحى . قال ابن سعد : كان ثقة إن شاء الله . ومات سنة ١٤٦ .

« فمن شهد منكم الشهر فليصمه » ، قال : من صام شيئاً منه فى المصر فليصم بقيته إذا خرج . قال : وكان ابن عباس يقول : إن شاء صام وإن شاء أفطر .

٢٨٣٥ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الوهاب — وحدثنى يعقوب ابن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية — قالا جميعاً ، حدثنا أيوب ، عن أبى يزيد ، عن أم ذرة ، قالت : أتيت عائشة فى رمضان ، قالت : من أين جئتِ ؟ قلت : من عند أخى حنين . قالت : ما شأنه ؟ قالت : ودّعته يُريد يرتحل . قالت : فأقرئيه السلام ومُريه فليُقم، فلو أدركنى رمضانُ وأنا ببعض الطريق لأقمت له .(١)

٢٨٣٦ — حدثنا هناد قال، حدثنا إسحق بن عيسى ، عن أفلح ، عن عبد الرحمن ، قال : جاء إبراهيم بن طلحة إلى عائشة يُسلّم عليها ، قالت : وأين تريد ؟ قال : أردتُ العمرة . قالت : فجلستَ حتى إذا دخل عليك الشهر خرجتَ فيه ! قال : قد خرج ثقلى! قالت : اجلس، حتى إذا أفطرت فاخرج — يعنى شهرَ رمضان .(٢)

* * *

---

(١) الخبر : ٢٨٣٥ — أبو يزيد : هو المدنى ، يعد فى أهل البصرة . وهو تابعى ثقة ، وثقه ابن معين . وترجمه البخارى فى الكنى ، رقم : ٧٨٤ ، وقال : « سمع ابن عمر » . وابن أبى حاتم ٤/٢/ ٤٥٨ — ٤٥٩ . وفى التهذيب عن الآجرى ، عن أبى داود : « سألت أحمد عنه ، فقال : تسأل عن رجل روى عنه أيوب ؟ »

أم ذرة — بفتح الذال المعجمة وتشديد الراء — مولاة عائشة : تابعية ثقة . مترجمة فى التهذيب . وابن سعد ٨ : ٣٥٧ ، وذكر لها روايتين أخريين عن عائشة ، روى أحدهما مطولا قبل ذلك فى ترجمة عائشة ٨ : ٤٦ .

أما أخوها « حنين » : فإنى لم أجد له ذكراً فى غير هذا الموضع .

والخبر ذكره السيوطى ١ : ١٩١ ، بنحو معناه ، ونسبه لعبد بن حميد فقط . ولم يسم فيه « حنين » أخو « أم ذرة » ، بل ذكر أنه أخوها فقط .

(٢) الخبر : ٢٨٣٦ — إسحق بن عيسى : هو ابن الطباع البغدادى ، ثقة من الرواة عن مالك وطبقته .

أفلح : هو ابن حميد بن نافع المدنى ، وهو ثقة معروف ، روى له الشيخان .

عبد الرحمن هو ابن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق ، ثقة إمام ، من خيار المسلمين . ولد فى حياة عائشة .

وقال آخرون : معنى ذلك : فمن شهد منكم الشهر فليصُمْ ما شهد منه

• ذكر من قال ذلك :

٢٨٣٧ – حدثنا هناد بن السرى قال، حدثنا شريك ، عن أبى إسحق : أن أبا مَيسرة خرج فى رمضان ، حتى إذا بلغ القنطرة دعا ماءً فشرب .

٢٨٣٨ – حدثنا هناد قال، حدثنا جرير ، عن مغيرة قال : خرج أبو ميسرة فى رمضان مسافراً ، فمرّ بالفرات وهو صائم ، فأخذ منه كفًّا فشربه وأفطر .

٢٨٣٩ – حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبى إسحق ، عن مرثد : أن أبا مَيسرة سافرَ فى رمضان ، فأفطر عند باب الجسر – هكذا قال هناد ، عن مرثد ، وإنما هو أبو مَرثد .

٢٨٤٠ – حدثنى محمد بن عمارة الأسدىّ قال، حدثنا عبيد الله بن موسى قال ، أخبرنا إسرائيل ، عن أبى إسحق ، عن مرثد : أنه خرج مع أبى ميسرة فى رمضان ، فلما انتهى إلى الجسر أفطر . (١)

إبرهيم بن طلحة : هو إبرهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله التيمى ، نسب هنا إلى جده . وهو تابعى ثقة رفيع الشأن .

وهذا الخبر نقله السيوطى ١ : ١٩١ ، ونسبه لعبد بن حميد فقط . وفيه أنه « عن عبد الرحمن بن القاسم : أن إبرهيم بن محمد جاء إلى عائشة . . . » ، فذكر نحو مما هنا ، بمعناه .

(١) الخبران : ٢٨٣٩ ، ٢٨٤٠ – هما من رواية أبى إسحق السبيعى ، عن « مرثد » ، عن « أبى ميسرة » .

وقال الطبرى فى أولها : « هكذا قال هناد : عن مرثد ، وإنما هو : عن أبى مرثد » ! يعنى أن شيخه فى أولها ، وهو « هناد » ، أخطأ فى ذلك ، ومن عجب أنه يرويه عقبه فى الرواية الثانية ، عن شيخ آخر ، بإسناد آخر إلى أبى إسحق – كرواية هناد ، التى زعم أنه أخطأ فيها !

وعندى أن أبا جعفر – رحمه الله – هو الذى وهم ، أصاب الصواب فأخطأه :

أما أولا : فلاتفاق راويين حافظين ثقتين ، هما سفيان الثورى فى الإسناد الأول ، وإسرائيل بن يونس بن أبى اسحق السبيعى فى الإسناد الثانى – كلاهما عن أبى إسحق أنه « عن مرثد » .

وأما ثانياً : فلأنا لانعرف فى الرواة من كنيته « أبو مرثد » ، إلا « أبا مرثد الغنوى كناز بن الحصين » ، وهو صحابى قديم الوفاة ، مات سنة ١٢ . إلا أن يكون الطبرى يعرف راوياً آخر بهذه الكنية لم يصل إلينا خبره . وما أظن .

وأبو ميسرة ، صاحب الخبر فى الروايتين : هو عمرو بن شرحبيل الهمدانى الكوفى ، وهو تابعى كبير

٢٨٤١ – حدثنا هناد وأبو هشام قالا ، حدثنا وكيع ، عن المسعودى ، عن الحسن بن سعد ، عن أبيه قال : كنت مع علىّ فى ضيعة له على ثلاث من المدينة ، فخرجنا نريد المدينة فى شهر رمضان ، وعلىٌّ راكبٌ وأنا ماشٍ ، قال : فصام – قال : هناد : وأفطرت – قال أبو هشام : وأمرنى فأفطرتُ .

٢٨٤٢ – حدثنا هناد قال ، حدثنا عبد الرحيم ، عن عبد الرحمن بن عتبة ، عن الحسن بن سعد ، عن أبيه قال : كنت مع علىّ بن أبى طالب وهو جاءٍ من أرض له ، فصام ، وأمرنى فأفطرت ، فدخل المدينة ليلاً ، وكان راكباً وأنا ماشٍ .

٢٨٤٣ – حدثنا هناد قال ، حدثنا وكيع – وحدثنا ابن بشار قال ، حدثنا ابن مهدى – قالا جميعاً ، حدثنا سفيان ، عن عيسى بن أبى عزة ، عن الشعبى : أنه سافر فى شهر رمضان فأفطر عند باب الجسر .

٢٨٤٤ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، قال لى سفيان : أحبُّ إلىّ أن تُتمه .

٢٨٤٥ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة قال : سألت الحكمَ وحماداً ، وأردت أن أسافر فى رمضان ، فقالا لى : اخرج . وقال حماد ، قال إبراهيم : أما إذا كان العَشر ، فأحبُّ إلىّ أن يقيم .

٢٨٤٦ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا أبو الوليد قال ، حدثنا حماد ، عن قتادة ، عن الحسن وسعيد بن المسيب قالا : من أدركه الصومُ وهو مقيم رمضان ثم سافر ، قالا : إن شاءَ أفطر .

* * *

ثقة ، من شيوخ أبى إسحق السبيعى . مات سنة ٦٣ ، وشهد السبيعى جنازته . ولو شاء أبو إسحق أن يروى هذا الخبر عنه دون واسطة ، لما دفع عن ذلك ، إذ عرف بالرواية عنه . ولكنه لم يشأ أن يدلس فى خبر لم يشهده بنفسه ، فرواه عن شهده . وهو « مرثد » .

والراجح عندى : أنه « مرثد بن عبد الله اليزنى » ، وهو تابعى أقدم قليلا من السبيعى . مات مرثد سنة ٩٠ . ومات السبيعى – وهو تابعى أيضاً – سنة ١٢٦ أو بعدها بقليل .

فمن هذا كله رجحت – بل استيقنت – أن أبا جعفر رحمه الله ، هو الذى وهم .

وقال آخرون: « فمَن شهد منكم الشهر فليصمه » ، يعنى : فمن شهده عاقلاً بالغاً مُكلفاً فليصمه.

وممن قال ذلك أبو حنيفة وأصحابه ، كانوا يقولون : من دخل عليه شهرُ رمضان وهو صحيحٌ عاقلٌ بالغٌ فعليه صومه ، فإن جُنّ بعد دُخوله عليه وهو بالصفة التى وصفنا ، ثم أفاقَ بعد انقضائه ، لزمه قضاءُ ما كان فيه من أيام الشهر مغلوباً على عقله ، لأنه كان ممن شهده ، وهو ممن عليه فُرض.

٨٧/٢ قالوا: وكذلك لو دخل عليه شهرُ رمضان وهو مجنونٌ ، إلاّ أنه ممن لو كان صحيحَ العقل كان عليه صَوْمه، فلن ينقضى الشهر حتى صَح وبَرأ، أو أفاق قبل انقضاء الشهر بيوم أو أكثر من ذلك ، فإنّ عليه قضاءُ صوْم الشهر كله ، سوى اليوم الذى صامه بَعد إفاقته ، لأنه ممن قد شَهد الشهر.

قالوا : ولو دَخل عليه شهرُ رمضان وهو مجنون، فلم يفق حتى انقضى الشهرُ كله، ثم أفاق ، لم يلزمه قضاء شىء منه، لأنه لم يكن ممن شَهده مكلَّفاً صَوْمَه.

* * *

قال أبو جعفر : وهذا تأويل لا معنى له . لأنّ الجنون إن كانَ يُسقط عمن كان به فَرْضَ الصومِ ، من أجل فقد صاحبه عَقله جميع الشهر ، فقد يجب أن يكونَ ذلك سبيلَ كل من فقد عقله جميع شهر الصوم . وقد أجمع الجميعُ على أن من فقد عقله جميع شَهر الصوم بإغماء أو برْسام،(١) ثم أفاق بعد انقضاء الشهر ، أن عليه قضاءُ الشهر كله . لم يخالف ذلك أحدٌ يجوزُ الاعتراضُ به على الأمة . وإذ كان إجماعاً ، فالواجب أن يكون سبيلُ كل من كان زائلَ العقل جميع شهر الصوم ، سبيلَ المغمى عليه . وإذ كان ذلك كذلك ، كان معلوماً أن تأويل الآية غير الذى تأوّلها قائلو هذه المقالة: من أنه شُهود الشهر أو بعضه مكلفاً صومَه . وإذا بطل ذلك ، فتأويل المتأوّل الذى زعم أن معناه: فمن شهد أوله مقيما حاضراً

(١) البرسام : علة يهذى فيها صاحبها . قالوا : هو ورم حار يعرض للحجاب الذى بين الكبد والأمعاء ، ثم يتصل إلى الدماغ .

فعليه صَوْم جميعه ، أبطلُ وأفسدُ ، لتظاهر الأخبار عن رَسول الله صلى الله عليه وسلم أنه خرجَ عام الفتح من المدينة فى شهر رمضان بعد ما صَام بعضه ، وأفطرَ وأمر أصحابه بالإفطار .

٢٨٤٧ ــ حدثنا هناد قال، حدثنا أبو الأحوص ، عن منصور ، عن مجاهد، عن ابن عباس قال : سافرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان من المدينة إلى مكة ، حتى إذا أتى عُسْفان نَزل به، فدعا بإناء فوضعه على يَده ليراه الناسُ ، ثم شربه .

٢٨٤٨ ــ حدثنا ابن حميد وسفيان بن وكيع قالا، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن طاوس ، عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه.

٢٨٤٩ ــ حدثنا هناد، حدثنا عبيدة ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن طاوس ، عن ابن عباس، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه. (١)

٢٨٥٠ ــ حدثنا هناد وأبو كريب قالا ، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنا ابن إسحق قال ، حدثنى الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس قال : مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره عام الفتح لعشر مضين من رمضان ، فصامَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وصامَ الناسُ معه ، حتى إذا أتى الكُدَيْد ــ ما بين عُسْفان وأَمَج ــ أفطر .

٢٨٥١ ــ حدثنا هناد وأبو كريب قالا ، حدثنا عبدة، عن محمد بن إسحق، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس قال خرج رسول الله

---

(١) الأحاديث : ٢٨٤٧ ــ ٢٨٤٩ ، هى ثلاثة أسانيد لحديث واحد .
فأولها فيه « عن مجاهد ، عن ابن عباس » ، وفى الآخرين بينهما « طاوس » .
والحديث رواه الإمام أحمد فى المسند ، بأطول مما هنا : ٢٣٥٠ ، عن عبيدة ، عن منصور ، بالإسناد الثانى هنا ، ورواه أيضاً : ٢٢٥١ ، عن حسين ، عن شيبان ، عن منصور .
ورواه أيضاً ــ مطولا ــ الشيخان ، كما فى المنتقى : ٢١٧٥ . فهو حديث صحيح متفق عليه .

صلى الله عليه وسلم لعشرٍ – أو لعشرين – مضت من رَمضان عام الفتح ، فصام حتى إذا كان بالكديد أفطر .(١)

٢٨٥٢ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا سالم بن نوح قال ، حدثنا عمر بن عامر ، عن قتادة ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدريّ قال : خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم لثمان عشرَةَ مضتْ من رمضان ، فمنا الصائم ومنا المفطر ، فلم يَعِبِ المفطرُ على الصائم ، ولا الصائم على المفطر .(٢)

* * *

فإذ كانا فاسدين هذان التأويلان،(٣) بما عليه دَللنا من فسادهما – فَبيِّنٌ أن الصحيح من التأويل هو الثالث ،(٤) وهو قول من قال : فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، جميعَ ما شهد منه مقيماً ، ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر .

* * *

---

(١) الحديثان : ٢٨٥٠ ، ٢٨٥١ – هما إسنادان آخران صحيحان ، للحديث السابق ، بلفظ أطول، ومن وجه آخر ، من رواية ابن اسحق، عن الزهري . وهو في سيرة ابن هشام ، (ص ٨١٠ أوربة – ٤ : ٤٢ طبعة الحلبي) ، بلفظ أطول مما هنا . وكذلك رواه أحمد في المسند : ٢٣٩٢ ، من طريق ابن إسحق .

ورواه أحمد أيضاً : ١٨٩٢ ، عن سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، مختصراً ، ورواه بأطول منه : ٣٠٨٩ ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري .

وانظر تاريخ ابن كثير ٤ : ٢٨٥ – ٢٨٧ .

(٢) الحديث : ٢٨٥٢ – سالم بن نوح ، أبو سعيد العطار : ثقة من شيوخ أحمد .

عمر بن عامر السلمي البصري القاضي : ثقة ثبت في الحديث ، كما قال أحمد .

والحديث رواه مسلم في صحيحه ١ : ٣٠٨ ، بأسانيد كثيرة ، منها إسناد عن محمد بن المثنى ، عن سالم بن نوح ، عن عمر بن عامر ، عن قتادة ، بهذا الإسناد .

ثم رواه بأسانيد أخر ١ : ٣٠٨ – ٣٠٩ ، عن أبي نضرة عن أبي سعيد .

ونسبه السيوطي ١ : ١٩٠ – ١٩١ أيضاً للترمذي والنسائي .

(٣) في المطبوعة : « فإذا كان فاسدين . . . » ، والصواب ما أثبته .

(٤) في المطبوعة : « فتبين » ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبته .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : وَمَنْ كان مريضاً أو عَلى سفر فى الشهرَ فأفطر ، فعليه صيامُ عدة الأيام التى أفطرها ، من أيام أخرَ غير أيام شهر رمضان .

* * *

ثم اختلف أهل العلم فى المرَض الذى أباح الله معه الإفطار ، وأوجب معه عدة من أيام أخر .

فقال بعضهم : هو المرض الذى لا يُطيق صاحبه معه القيام لصَلاته.

* ذكر من قال ذلك :

٢٨٥٣ — حدثنا معاذ بن شعبة البصري قال، حدثنا شريك ، عن مغيرة ، عن إبراهيم وإسماعيل بن مسلم ، عن الحسن أنه قال : إذا لم يستطع المريضُ أن يُصلّى قائماً أفطر .(١)

٢٨٥٤ — حدثنى يعقوب قال حدثنا هشيم ،عن مغيرة — أو عبيدة — عن إبراهيم، فى المريض إذا لم يستطع الصلاةَ قائماً فليفطر . يعنى : فى رمضان.

٢٨٥٥ — حدثنا هناد قال، حدثنا حفص بن غياث، عن إسمعيل قال : سألت الحسن : متى يُفطر الصائم ؟ قال : إذا جَهده الصوم . قال: إذا لم

---

(١) الخبر : ٢٨٥٣ — معاذ بن شعبة البصرى، شيخ الطبرى: ترجمه ابن أبى حاتم ٤/١/٢٥١، قال : « معاذ بن شعبة أبو سهل البصرى ، روى عن عباد بن العوام ، وعثمان بن مطر . روى عنه موسى بن إسحق الأنصارى » . ولم أجد له ترجمة غير ذلك . فهو شيخ قديم من شيوخ الطبرى ، لأنه يروى عن « عباد بن العوام » المتوفى سنة ١٨٥ ، و « شريك بن عبد الله النخعى » المتوفى سنة ١٨٨ . وتلميذه الذى ذكره ابن أبى حاتم ، وهو « موسى بن إسحق بن موسى الأنصارى الخطمى ، قاضى الرى » ، من شيوخ ابن أبى حاتم ، كما فى ترجمته عنده ٤/١/١٣٥ .

يستطع أن يُصلى الفرائض كما أمر.(١)

* * *

وقال بعضهم : هو كل مرض كان الأغلبُ من أمر صاحبه بالصوم الزيادةُ فى علته زيادة غير مُحتملة .(٢) وذلك هو قول محمد بن إدريس الشافعى ، حدثنا بذلك عنه الربيع .

* * *

وقال آخرون : هو [كلّ] مرض يسمى مرَضاً . (٣)

* ذكر من قال ذلك :

٨٨/٢ ٢٨٥٦ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا الحسن بن خالد الربعى قال ، حدثنا طريف بن شهاب العُطاردى : أنه دخل على محمد بن سيرين فى رَمضان وهو يأكل، فلم يسأله . فلما فرغ قال : إنه وَجعتْ إصبعى هذه .(٤)

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا أن «المرض» الذى أذن

---

(١) فى المطبوعة : « كما مر » ، وكأن الصواب ما أثبت .

(٢) فى المطبوعة : « زيادة غير المحتملة » وهو كلام ليس بعربى . ونص عبارة الشافعى فى الأم ١ : ٨٩ « وإن زاد مرض المريض زيادة بينة أفطر ، وإن كان زيادة محتملة لم يفطر » .

(٣) فى المطبوعة : « هو مرض يسمى مرضاً » ، والصواب زيادة [كل] .

(٤) الخبر : ٢٨٥٦ — الحسن بن خالد الربعى : ترجمه ابن أبى حاتم ١/٢/١٠ ، قال : « الحسن بن خالد بن باب القريعى . روى عن طريف بن شهاب العطاردى . روى عنه محمد بن المثنى » . فهو الشيخ الذى هنا ، ولم أجد له ترجمة غيرها . وقد علق العلامة المحقق الشيخ عبد الرحمن بن يحيى اليمانى — مصحح الكتاب — عند قوله « القريعى » ، بأن فى بعض النسخ « القرايعى » ، وأنه سيأتى فى باب « خالد » « خالد بن باب الربعى» ، وأنه «يمكن أن يكون هو والد الحسن هذا » . وهذا نظر دقيق منه — حفظه الله — يؤيده نسبته هنا فى الطبرى «الربعى» . و «خالدبن باب الربعى» : مترجم فى الكبير ٢/١/١٣٠ — ١٣١ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٣٢٢ ، ولسان الميزان ٢ : ٣٧٤ .

طريف بن شهاب العطاردى : ذكر فى المطبوعة اسم أبيه « تمام » ، وهو خطأ . وطريف هذا : هو أبو سفيان الأشل . وهو ضعيف . وقيل فى اسم أبيه « سعد » . والذى جود اسمه ونسبته هو البخارى فى ترجمته . وهو مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/٢/٣٥٨ ، وابن أبى حاتم ٢/١/٤٩٢ — ٤٩٣ ، والضعفاء للبخارى ، ص : ١٨ — ١٩ .

الله تعالى ذكره بالإفطار معه فى شهر رمضان، من كان الصومُ جاهدَه جهداً غير محتمل، فكل من كان كذلك فله الإفطار وقضاء عدة من أيام أخر . وذلك أنه إذا بلغ ذلك الأمرَ ، فإن لم يكن مأذوناً له فى الإفطار فقد كلِّف عُسراً، ومُنع يُسراً . وذلك غير الذى أخبر الله أنه أراده بخلقه بقوله : « يُريد اللهُ بكم اليسرَ ولا يُريد بكم العسر » . وأما من كان الصوم غيرُ جاهدِه ، فهو بمعنى الصحيح الذى يُطيق الصوم ، فعليه أداءُ فرضه .

* * *

وأما قوله : « فعدة من أيام أخر » ، فإنّ معناها : أياماً معدودة سوى هذه الأيام .

وأما « الأُخَر » ، فإنها جمع « أخرى » كجمعهم « الكبرى » على « الكُبَر » و« القُربى » على « القُرَب » .(١)

* * *

فإن قال قائل : أوَ ليست « الأخر » من صفة « الأيام » ؟

قيل : بلى .

فإن قال : أوَ ليس واحدُ « الأيام » « يوم » وهو مذكر؟

قيل : بلى .

فإن قال : فكيف يكون واحدُ « الأخر » « أخرى »، وهى صفة لـ « اليوم »، ولم يكن « آخر »؟

قيل : إن واحد « الأيام » وإن كان إذا نُعت بواحد «الأخر » فهو « آخر »، فإن « الأيام » فى الجمع تصير إلى التأنيث، فتصير نعوتها وصفاتها كهيئة صفات المؤنث ، كما يقال : « مضت الأيامُ جُمعَ »، ولا يقال : أجمعون، ولا : أيام آخرون .

* * *

فإن قال لنا قائل : فإن الله تعالى قال : « فمن كانَ منكم مريضاً أو عَلى

(١) فى المطبوعة : « بجمعهم الكبرى » ، وكأن الصواب ما أثبت .

سفر فعدةٌ من أيام أخر »، ومعنى ذلك عندك : فعليه عدةٌ من أيام أخر ، كما قد وصفت فيما مضى . فإن كان ذلك تأويله، فما قولك فيمن كان مريضاً أو على سفر فصام الشهر ، وهو ممن له الإفطار ، أيجزيه ذلك من صيام عدة من أيام أخر ،أو غيرُ مجزيه ذلك، وفرْضُ صوم عدة من أيام أخر ثابتٌ عليه بهيئته ، وإن صام الشهر كله ؟ وهل لمن كان مريضاً أو على سفر صيامُ شهر رمضان ، أم ذلك محظور عليه ، وغير جائز له صومه ، والواجب عليه الإفطار فيه ، حتى يقيم هذا ويبرأ هذا ؟

قيل: قد اختلف أهل العلم فى كل ذلك، ونحن ذاكرُو اختلافهم فى ذلك، ومخبرون بأولاه بالصواب إن شاء الله .

فقال بعضهم: : الإفطارُ فى المرض عزْمة من الله واجبةٌ ، وليس بترخيص.

* ذكر من قال ذلك :

٢٨٥٧ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا ابن أبى عدى — وحدثنى يعقوب ابن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية — جميعاً، عن سعيد ، عن قتادة ، عن جابر ابن زيد ، عن ابن عباس قال : الإفطارُ فى السفر عزْمة .

٢٨٥٨ — حدثنى محمد بن المثنى قال،حدثنا وهب بن جرير قال ، أخبرنا شعبة ، عن يعلى ، عن يوسف بن الحكم قال : سألتُ ابن عمر — أو : سئل — عن الصوم فى السفر فقال : أرأيت لو تصدقت على رجل بصدقة فردها عليك ، ألم تغضب ؟ فإنها صدقة من الله تصدق بها عليكم .(١)

---

(١) الخبر : ٢٨٥٨ — شعبة : هو ابن الحجاج ؛ إمام أهل الجرح والتعديل . وثبت فى المطبوعة « سعيد » . وهو خطأ ناسخ أو طابع فى هذا الإسناد ، كما يتبين مما سيأتى .

يعلى : هو ابن عطاء العامرى ، ثقة معروف .

يوسف بن الحكم أبو الحكم : تابعى ثقة . ذكره ابن حبان فى الثقات . وترجمه ابن أبى حاتم ٤/٢/ ٢٢٠ ، قال : « روى عن ابن عمر . روى عنه يعلى بن عطاء » . وترجمه البخارى فى الكبير ٤/٢/٣٧٦ باسم « يوسف أبو الحكم ، سمع ابن عمر . روى عنه يعلى بن عطاء». وثبت عقب ذلك فى بعض نسخ الكبير :

٢٨٥٩ – حدثنا نصر بن عبد الرحمن الأزدى قال، حدثنا المحاربى، عن عبد الملك بن حميد قال ، قال أبو جعفر : كان أبى لا يَصُوم فى السفر ، ويَنهى عنه.(١)

٢٨٦٠ – وحدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا عبيد ، عن الضحاك : أنه كره الصومَ فى السفر .

* * *

وقال أهل هذه المقالة : من صام فى السفر فعليه القضاءُ إذا أقام .

* ذكر من قال ذلك :

٢٨٦١ – حدثنا نصر بن على الجهضمىّ قال، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال، حدثنا ربيعة بن كلثوم ، عن أبيه ، عن رجل : أن عمرَ أمرَ الذى صام فى السفر أن يُعيد. (٢)

٢٨٦٢ – حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن أبى عدى، عن سعيد

« هذا هو الأول أظنه » . يريد المترجم قبله « يوسف بن مهران » . وهذا الظن من البخارى ليس فى موضعه ، ولعله ظن ذلك إذ لم يقع له منسوباً لأبيه ، بل وقع له باسم « يوسف » وكنية « أبى الحكم » .

والذى يقطع فى ذلك ، ويرفع كل شبهة : أن الدولابى روى هذا الخبر ، فى الكنى والأسماء ١ : ١٥٤ – ١٥٥ « حدثنا محمد بن بشار . قال : حدثنا محمد بن جعفر قال : حدثنا شعبة ، عن يعلى بن عطاء ، قال : سمعت يوسف بن الحكم أبا الحكم يقول : سمعت عبد الله بن عمر يسأل عن الصوم فى السفر . . . » فذكر نحواً مما هنا .

ووهب بن جرير يروى عن شعبة . ويعلى بن عطاء يروى عنه شعبة . فلا موضع فى هذا الإسناد لاسم « سعيد » . إلى ثبوت الخبر من رواية شعبة عند الدولابى ، كما ذكرنا .

وهذا الرأى لابن عمر – ثم لغيره من الصحابة – إنما هو فيمن أبى أن يقبل رخصة الله فى الإفطار فى السفر . قال ابن كثير ١ : ٤١٠ – ٤١١ « فأما إن رغب عن السنة ، ورأى أن الفطر مكروه – فهذا يتعين عليه الإفطار ، ويحرم عليه الصيام والحالة هذه . لما جاء فى مسند الإمام أحمد وغيره ، عن ابن عمر ، وجابر ، وغيرهما : من لم يقبل رخصة الله كان عليه من الإثم مثل جبال عرفة » . يشير ابن كثير فى ذلك إلى حديث ابن عمر فى المسند : ٥٣٩٢ . وانظر حديثين آخرين لابن عمر ، فى المسند : ٥٧٥٠ ، ٥٨٦٦

(١) الخبر : ٢٨٥٩ – نصر بن عبد الرحمن الأزدى . مضى فى : ٤٢٣ ، ٨٧٥ . ووقع فى المطبوعة هنا – كما وقع هناك : « الأودى » . وهو خطأ .

(٢) الخبر : ٢٨٦١ – نصر بن على بن نصر بن على الجهضمى : مضى فى : ٢٣٧٦ . ووقع

ابن عمرو بن دينار، عن رجل من بنى تميم ، عن أبيه قال: أمر عمر رجلاً صام فى السفر أن يعيدَ صَوْمه .

٢٨٦٣ – حدثنى ابن حميد الحمصى قال ، حدثنا على بن معبد ، عن عبيد الله ابن عمرو، عن عبد الكريم ، عن عطاء ، عن المحرَّر بن أبى هريرة قال : كنت مع أبى فى سفر فى رمضان ، فكنت أصوم وأُفطر . فقال لى أبى : أما إنك إذا أقمتَ قضيت.(١)

٢٨٦٤ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا سليمان بن داود قال ، حدثنا شعبة ، عن عاصم مولى قريبة ، قال : سمعت عروة يأمر رجلا صام فى السفر أن يَقضى .

٢٨٦٥ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا عبد الصمد قال ، حدثنا شعبة ، عن عاصم مولى قريبة: أن رجلا صامَ فى السفر ، فأمرَهُ عروة أن يَقضى .

٢٨٦٦ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن صبيح قال ، حدثنا ربيعة ابن كلثوم، عن أبيه كلثوم: أنّ قوماً قدموا على عُمرَ بن الخطاب وقد صاموا رمضانَ فى سفر ، فقال لهم : والله لكأنكم كنتم تصُومون ! فقالوا : والله يا أمير المؤمنين

فى المطبوعة هنا « الخثعمى » . وهو تصحيف واضح .

وشيخه « مسلم بن إبرهيم الأزدى الفراهيدى » : مضى فى : ١٢١٩ . وقد ثبت فى ترجمتيهما رواية نصر عن مسلم .

ربيعة بن كلثوم بن جبر البصرى : ثقة ، تكلم فيه بعضهم . مترجم فى التهذيب ، وابن سعد ٧/٢/٣٥ ، والكبير ٢/١/٢٦٦ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٤٧٧ – ٤٧٨ .

أبوه « كلثوم بن جبر » : ثقة من صغار التابعين ، لم يدرك عمر بن الخطاب . ولذلك روى عنه هنا بواسطة رجل مبهم . فالإسناد لذلك ضعيف . وانظر الخبر الآتى : ٢٨٦٦ .

(١) الخبر : ٢٨٦٣ – المحرر – براءين مع فتح الأولى مشددة : هو ابن أبى هريرة . وهو تابعى معروف ، يروى عن أبيه ، وعن ابن عمر . وله فى المسند أحاديث عن أبيه ، منها : ٢١٢ ، ٩٥٦٢ .

وهذا الخبر ذكر السيوطى ١ : ١٩١ ، نحو معناه . ونسبه لعبد بن حميد فقط . وثبت فيه اسم « المحرر » : « محرز » بالزاى فى آخره ، وهو تصحيف .

لقد صمنا ! قال: فأطقتموه ! قالو: نعم . قال : فاقضوه ، فاقضوه .(١)

* * *

وعلة مَنْ قال هذه المقالة: أن الله تعالى ذكره فرَضَ بقوله : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » صومَ شهر رمضان على من شهده مُقيماً غير مسافر ، وجعل على من كان مريضاً أو مسافراً صومَ عدة من أيام أخر غير أيام شهر رمضان بقوله: « وَمَنْ كان مريضاً أو على سَفر فعدة من أيام أخر ». قالوا : فكما غيرُ جائز للمقيم إفطارُ أيام شهر رمضان وَصَوم عدة أيام أخر مكانها — لأن الذى فرضَه الله عليه بشهوده الشهرَ صومُ الشهر دون غيره — فكذلك غير جائز لمن لم يشهده من المسافرين مقيماً ، صومُه. لأن الذى فرضه الله عليه عدة من أيام أخر. ٨٩/٢

واعتلوا أيضاً من الخبر بما : —

٢٨٦٧ — حدثنا به محمد بن عبد الله بن سعيد الواسطى قال ، حدثنا يعقوب ابن محمد الزهرى قال، حدثنا عبد الله بن موسى ، عن أسامة بن زيد ، عن الزهرى ، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ، عن عبد الرحمن بن عوف قال ، قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : الصائم فى السفر كالمفطر فى الحضر.(٢)

٢٨٦٨ — حدثنى محمد بن عبيد الله بن سعيد قال ، حدثنا يزيد بن عياض ،

---

(١) الخبر : ٢٨٦٦ — إسناده ضعيف ، لانقطاعه ، فإن كلثوم بن جبر لم يدرك عمر بن الخطاب ، كما بينا ذلك فى : ٢٨٦١ .

(٢) الحديث : ٢٨٦٧ — محمد بن عبد الله بن سعيد الواسطى — شيخ الطبرى : لم أجد له ترجمة . وسيأتى بهذا الاسم أيضاً فى : ٢٨٨٨ . ولكن سيأتى فى الإسناد الذى عقب هذا باسم « محمد بن عبيد الله بن سعيد » — بجعل أبيه « عبيد الله » بدل « عبد الله » . وأنا أرجح الذى فى إسنادين على الذى فى إسناد واحد ، ترجيحاً بدائياً غير محقق .

يعقوب بن محمد بن عيسى بن عبد الملك بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى : مختلف فيه ، والظاهر أنه ثقة ، وإنما أخذوا عليه الرواية عن رجال مجهولين غير معروفى العدالة — مترجم فى التهذيب ، والكبير ٣٩٨/٢/٤ ، وابن أبى حاتم ٢١٤/٢/٤ — ٢١٥ ، وتاريخ بغداد ١٤ : ٢٦٩ — ٢٧١ .

عبد الله بن موسى بن إبراهيم — من ولد طلحة بن عبيد الله التيمى : مختلف فيه . وضعف أحمد جداً . وقال ابن حبان : « يرفع الموقوف ، ويسند المرسل ، لا يجوز الاحتجاج به » . ووقع فى المطبوعة هنا « عبيد الله بن موسى » . وهو خطأ ، فإن الحديث معروف من رواية « عبد الله بن موسى التيمى » . ثم هو الذى يروى عن أسامة بن زيد .

عن الزهرى ، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الصائمُ فى السفر كالمفطر فى الحضر .(١)

* * *

وقال آخرون : إباحة الإفطار فى السفر رُخصة من الله تعالى ذكره ، رخصها لعباده ، والفرضُ الصوم . فمن صام فرضَه أدّى ، ومن أفطر فبرُخصة الله له أفطر . قالوا : وإن صام فى سفر فلا قضاءَ عليه إذا أقام .

* ذكر من قال ذلك :

أسامة بن زيد : هو الليثى المدنى ، مختلف فيه . وقد رجحنا توثيقه فى شرح المسند : ١٠٩٨ .

وهذا الحديث رواه ابن ماجة : ١٦٦٦ ، عن إبرهيم بن المنذر الحزامى ، عن عبد الله بن موسى ، التيمى بهذا الإسناد .

وقد أطال الحافظ الزيلعى فى نصب الرواية ٢ : ٤٦١ — ٤٦٣ فى تخريج رواياته . ورجح أنه موقوف من كلام عبد الرحمن بن عوف ، إلى انقطاع إسناده بين أبى سلمة بن عبد الرحمن وأبيه . فقد رجح الحفاظ أنه لم يسمع من أبيه شيئاً . وقد رجحنا فى شرح المسند : ١٦٦٠ أنه سمع ذاك الحديث من أبيه — وكان صغيراً حين مات عبد الرحمن . وليس معنى هذا أنه سمع منه كل ما يرويه عنه .

وذكر ابن أبى حاتم فى كتاب العلل ، رقم ٦٩٤ ، أنه سأل أباه عن هذا الحديث ، فقال أبو زرعة : « رواه أبو أحمد الزبيرى ، ومعن بن عيسى ، وحماد بن خالد الخياط ، عن ابن أبى ذئب ، عن الزهرى ، عن أبى سلمة ، عن أبيه ، قوله . ورواه عنبسة بن خالد ، عن يونس ، عن الزهرى ، عن أبى سلمة ، عن أبيه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم . ورواه ابن لهيعة ، عن يونس ، عن الزهرى ، عن أبى سلمة ، عن عائشة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم . ورواه بقية ، عن آخر ، عن الزهرى ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم . وقال أبو زرعة : الصحيح عن الزهرى ، عن أبى سلمة ، عن أبيه . موقوف » .

ونقل الحافظ ابن حجر فى التلخيص ، ص : ١٩٥ أن الدارقطنى فى العلل والبيهقى ، صححا أيضاً أنه موقوف . وانظر السنن الكبرى للبيهقى ٤ : ٢٤٤ ، وتعقيب ابن التركمانى عليه . والرواية الموقوفة على عبد الرحمن بن عوف رواها النسائى ١ : ٣١٦ ، بثلاثة أسانيد . هذا وسيأتى قول الطبرى فى ص : ٤٧٤ عن هذا الخبر والذى يليه وأشباههما ، أنها : « واهية الأسانيد ، لا يجوز الاحتجاج بها فى الدين » .

(١) الحديث : ٢٨٦٨ — هو إسناد آخر للحديث السابق .

وهذا إسناد مشكل :

فشيخ الطبرى ذكر هنا باسم « محمد عبيد الله بن سعيد » . وذكر فى الإسناد السابق باسم « محمد بن عبد الله » .

وثانياً : قوله « حدثنا يزيد بن عياض » — غير معقول . يجب أن يكون يكون بينهما راو على الأقل . فإن يزيد بن عياض بن يزيد بن جعدبة الليثى قديم الوفاة ، مات فى خلافة المهدى . وذكره البخارى فى

٢٨٦٩ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا أيوب قال ، حدثنا عروة وسالم : أنهما كانا عند عمر بن عبد العزيز إذ هو أميرٌ على المدينة ، فتذاكروا الصومَ في السفر ، قال سالم : كان ابن عمر لا يصُوم في السفر . وقال عروة . وكانت عائشة تصوم . فقال سالم : إنما أخذت عن ابن عمر . وقال عروة : إنما أخذتُ عن عائشة . حتى ارتفعت أصواتهما . فقال عمر ابن عبد العزيز : اللهم عفواً! إذا كان يُسراً فصوموا، وإذا كان عُسراً فأفطروا.

٢٨٧٠ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية ، عن أيوب قال، حدثني رجل قال : ذكر الصوم في السفر عند عمر بن عبد العزيز ، ثم ذكر نحو حديث ابن بشار .

٢٨٧١ – حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن محمد بن إسحق – وحدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس، حدثنا ابن إسحق – عن الزهري ، عن سالم بن عبد الله قال: خرج عمر بن الخطاب في بعض أسفاره في ليال بقيت من رمضان، فقال : إن الشهر قد تشعشع – قال أبو كريب في حديثه : أو : تسعسع ، ولم يشك يعقوب– فلو صمنا! فصام وصام الناس معه . ثم أقبل مرّة قافلاً ، حتى إذا كان بالروحاء أهلّ هلالُ شهر رمضان ، فقال : إنّ الله قد

التاريخ الصغير ، ص : ١٧٢ ، في فصل (من مات بين سنتي: ١٤٠ – ١٥٠) . فليس من المعقول أن يسمع منه أي شيخ الطبري المتوفى سنة ٣١٠ . وأنا أرجح أن يكون بينهما « يزيد بن هرون » ، لما سنذكر ، إن شاء الله .

ويزيد بن عياض هذا : ضعيف جداً . قال البخاري في الكبير ٤/٢/٣٥١ – ٣٥٢ ، والصغير : « منكر الحديث » . ورماه مالك وابن معين والنسائي وغيرهم بالكذب . و « جعدبة » بضم الجيم والدال المهملة بينهما عين مهملة ساكنة .

ونقل الزيلعي في نصب الراية ٢ : ٤٦٢ ، أن هذا الحديث « رواه ابن عدي في الكامل ، من حديث يزيد بن هرون : حدثنا يزيد بن عياض ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبيه ، مرفوعاً . قال ابن عدي : وهذا الحديث لا يرفعه عن الزهري – غير يزيد بن عياض ، وعقيل من رواية سلامة بن روح عنه ، ويونس بن يزيد من رواية القاسم بن مبرور عنه ، وأسامة بن زيد من رواية عبد الله بن موسى التيمي عنه . والباقون من أصحاب الزهري – رووه عنه ، عن أبي سلمة ، عن أبيه ، من قوله » .

قَضَى السفر ، فلو صمنا ولم نَثْلم شهرنا ! قال : فصام وصام الناس معه . (١)

٢٨٧٢ ــ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا الحكم بن بشير قال ، حدثني أبي ــ وحدثنا محمد بن بشار قال ، أخبرنا عبيد الله قال ، أخبرنا بشير بن سلمان ــ عن خيثمةَ قال : سألت أنس بن مالك عن الصوم في السفر ، قال : قد أمرتُ غلامي أن يَصوم فأبى . قلت : فأين هذه الآية : « ومن كان مريضاً أو عَلى سفر فعدة من أيام أخر » ؟ قال : نزلت ونحن يومئذ نرتحلُ جياعاً ، وننزل على غير شِبَع ، وإنا اليوم نرتحل شِباعاً وننزل على شِبَع . (٢)

٢٨٧٣ ــ حدثنا هناد قال ، حدثنا وكيع ، عن بشير بن سلمان ، عن خيثمة ، عن أنس نحوه .

٢٨٧٤ ــ حدثنا هناد وأبو السائب قالا ، حدثنا أبو معاوية ، عن عاصم ،

---

(١) تسمسع الشهر : أدبر وفنى إلا أقله من قولهم : « تسمسع الرجل » : إذا اضطرب من الكبر أو الهرم . وتشمشع الشهر : رق وتقضى وبقى أقله . ذهب به إلى رقة الشهر وقلة مابقى منه ، كما يشمشع اللبن بالماء أي يمزج ويخلط . وقوله « لم نثلم شهرنا » من ثلم الإناء أو السيف : كسر شفة الإناء أو حد السيف . أي لم ندخل الخلل على صومنا ونجرح شهرنا .

(٢) الخبر : ٢٨٧٢ ــ الحكم بن بشير بن سلمان : مضى في : ١٤٩٧ .

أبوه « بشير بن سليمان النهدي » : ثقة ، وثقه أحمد وابن معين وغيرهما . وأبوه : « سليمان » ، بفتح السين وسكون اللام . ووقع في كثير من المراجع المطبوعة « سليمان » . وهو خطأ مطبعي . وفي التهذيب وفروعه « الكندي » بدل « النهدي » . وهو خطأ ، صوابه في الكبير للبخاري ١/٢/٩٩ ، وابن أبي حاتم ١/١/٣٧٤ ، وابن سعد ٦ : ٢٥١ ، ورجال الصحيحين ، ص : ٥٥ .

خيثمة : هو ابن أبي خيثمة البصري ، وهو تابعي ثقة . وقال ابن معين : « ليس بشيء » . كما في ابن أبي حاتم ١/٢/٣٩٤ . ولكن ذكره ابن حبان في الثقات ، وترجمه البخاري في الكبير ٢/١/١٩٧ ، فلم يذكر فيه جرحاً ، وأشار إلى هذا الحديث من روايته ، كعادته في إشاراته الدقيقة ــ لله دره ــ فقال : « وقال أبو نعيم ، عن بشير بن سلمان ، عن خيثمة . قال : سألت أنس بن مالك عن الصوم في السفر » . ولم يذكره هو ولا النسائي في الضعفاء . وهذا كاف في توثيقه والاحتجاج بروايته ، دون الجرح المجمل من ابن معين .

وهذا الخبر ذكره السيوطي ١ : ١٩١ ، وزاد نسبته لعبد بن حميد ، والنسائي . ولم أجده في النسائي ، ولعله في السنن الكبرى .

عن أنس : أنه سئل عن الصوم فى السفر فقال : من أفطر فبرُخصة الله ، ومن صام فالصومُ أفضل .

٢٨٧٥ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو أسامة ، عن أشعث بن عبد الملك ، عن محمد بن عثمان بن أبى العاص قال : الفطر فى السفر رخصة ، والصوم أفضل .

٢٨٧٦ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الصمد قال، حدثنا شعبة ، قال، حدثنا أبو الفيض قال : كان علىّ علينا أميراً بالشام ، فنهانا عن الصوم فى السفر. فسألت أبا قِرْصافة – رجلاً من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم من بنى ليث ، قال عبد الصمد : سمعتُ رجلاً من قومه يَقول : إنه واثلة بن الأسقع – قال : لو صمتَ فى السفر ما قضيت .(١)

---

(١) الخبر : ٢٨٧٦ – أبو الفيض : هو موسى بن أيوب المهرى الحمصى ، ويقال : ابن أبى أيوب ، وهو شامى ثقة ، وثقه ابن معين، والعجلى .مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٤/١/١٣٤ .

أبو قرصافة ، بكسر القاف وسكون الراء بعدها صاد مهملة : هو « واثلة بن الأسقع » الصحابى ، من بنى ليث بن عبد مناة . يكنى « أبا الأسقع » ، ويقال « أبو قرصافة » ، كما فى ترجمته فى الإصابة والتهذيب وغيرهما . وهذا الخبر يؤيد هذه الكنية ، لأن عبد الصمد بن عبد الوارث يذكر فى أثنائه ، أنه سمع رجلا من قومه يقول « إنه واثلة بن الأسقع » .

وقد أوقعهم هذا الخبر – أو نحوه – فى وهم عجيب؛ لأن هناك رجلا آخر له صحبة، يكنى « أبا قرصافة اسمه جندرة بن خيشنة » كنابى له صحبة ، مترجم فى التهذيب ٢ : ١١٩ ، والكبير ١/٢/٢٤٩، وابن أبى حاتم ١/١/٥٤٥ ، وأسد الغابة ١ : ٣٠٧ . فانتقل نظر صاحب التهذيب ، فى ترجمة «أبى الفيض موسى بن أيوب » ١٠ : ٣٣٧ فذكر أنه يروى عن « أبى قرصافة جندرة بن خيشنة » . ثم ذكر صاحب أسد الغابة ، فى ترجمة « جندرة » هذا أنه « جعله ابن ماكولا ليثياً ، وليس بشىء! ! ». ولم يذكر صاحب التهذيب فى ترجمة « جندرة » أنه يروى عنه « أبو الفيض » ! !

فالظاهر عندى أن ابن ماكولا حين ذكر أن « أبا قرصافة» من بنى ليث، أراد به « واثلة بن الأسقع »، كما تدل عليه الرواية فى هذا الخبر . وأن صاحب التهذيب وهم حين ذكر أن أبا الفيض يروى عن « أبى قرصافة جندرة بن خيشنة » ، لأن روايته إنما هى عن « أبى قرصافة واثلة » ، وهو ليثى بلا خلاف فيه .

وأما قول أبى الفيض هنا : « كان على علينا أميراً بالشأم » – فلا أدرى ما هو ؟ وإنما اليقين أنه لا يريه به « على بن أبى طالب » ، إذ لم يكن ذلك قط . ولعله كان لهم أمير بالشأم يدعى « علياً » . ويحتمل أن يكون ما هنا فيه تحريف ، وأن يكون صوابه « كان علينا أمير بالشأم ، فنهانا . . . » إلخ .

ثم وجدت ما يؤيد ذلك : فى مجمع الزوائد ٣ : ١٦١ – ١٦٢ « عن أبى الفيض » قال : خطبنا

٢٨٧٧ ــ حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع، عن بسطام بن مسلم، عن عطاء قال : إن صمتم أجزأ عنكم، وإن أفطرتم فرُخصة .

٢٨٧٨ ــ حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع، عن كهمس قال : سألت سالم ابن عبد الله عن الصوم فى السفر قال: إن صمتم أجزأ عنكم، وإن أفطرتم فرُخصة.

٢٨٧٩ ــ حدثنا هناد قال، حدثنا عبد الرحيم، عن طلحة بن عمرو، عن عطاء قال : من صام فحقٌّ أدّاه، ومن أفطر فرُخصة أخذ بها .

٢٨٨٠ ــ حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع، عن سفيان، عن حماد، عن سعيد بن جبير قال : الفطر فى السفر رُخصة، والصومُ أفضل .

٢٨٨١ ــ حدثنا هناد قال، حدثنا أبو معاوية، عن حجاج، عن عطاء قال : هو تعليم وليس بعزم ــ يعنى قول الله: « ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر »، إن شاء صام وإن شاء لم يصم .

٢٨٨٢ ــ حدثنا هناد قال، حدثنا أبو أسامة، عن هشام، عن الحسن : فى الرجل يسافر فى رمضان، قال : إن شاء صام وإن شاء أفطر .

٢/٩٠ ٢٨٨٣ ــ حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا سفيان بن حبيب قال، حدثنا العوّام بن حوشب قال : قلت لمجاهد : الصوم فى السفر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم فيه ويفطر . قال : قلت : فأيهما أحب إليك ؟ قال : إنما هى رُخصة، وأن تصوم رمضان أحب إلىّ .

٢٨٨٤ ــ حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة،

مسلمة بن عبد الملك، فقال : لا تصوموا رمضان فى السفر، فمن صام فليقضه . قال أبو الفيض : فلقيت أبا قرصافة واثلة بن الأسقع، فسألته ؟ فقال : لو ما صمت ثم صمت ما قضيته . رواه الطبرانى فى الكبير، ورجاله ثقات » .

فهذه الرواية تماثل رواية الطبرى هنا، وتدل على أن الأمير الذى نهاهم هو « مسلمة بن عبد الملك » . فأكبر الرأى أن يكون الصواب فى رواية الطبرى « كان علينا أمير بالشأم »، كما ظننا من قبل .

ولفظ آخر الحديث ــ فى رواية الزوائد ــ أراه محرفاً، وأوضح منه وأصوب لفظ أبى جعفر .

و « جندرة » و « خيشنة » ــ كلاهما بفتح أوله وثالثه وسكون ثانيه .

عن حماد ، عن سعيد بن جبير وإبراهيم ومجاهد ، أنهم قالوا : الصومُ فى السفر ، إن شاء صَام وإن شاء أفطر ، والصوم أحب إليهم.

٢٨٨٥ — حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة، عن أبى إسحق قال ، قال لى مجاهد فى الصوم فى السفر — يعنى صوم رمضان — : والله ما منهما إلاّ حلال ، الصومُ والإفطار ، وما أراد الله بالإفطار إلا التيسير لعباده .

٢٨٨٦ — حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال : حدثنا شعبة، عن الأشعث بن سليم قال : صحبت أبى والأسود بن يزيد وعمرو بن ميمون وأبا وائل إلى مكة ، وكانوا يصومون رمضانَ وغيرَه فى السفر.

٢٨٨٧ — حدثنا على بن حسن الأزدى قال، حدثنا معافى بن عمران ، عن سفيان ، عن حماد ، عن سعيد بن جبير : الفطرُ فى السفر رُخصة ، والصوم أفضل .

٢٨٨٨ — حدثنى محمد بن عبد الله بن سعيد الواسطى قال ، حدثنا يعقوب الزهرى قال ، حدثنا صالح بن محمد بن صالح، عن أبيه قال : قلت للقاسم ابن محمد : إنا نسافر فى الشتاء فى رمضان، فإن صمتُ فيه كان أهونَ علىّ من أن أقضيه فى الحرّ! فقال : قال الله : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ ما كان أيسرَ عليك فافعل". (١)

* * *

(١) الخبر : ٢٨٨٨ — محمد بن عبد الله بن سعيد ، شيخ الطبرى : مضى فى : ٢٨٦٧ ، ٢٨٦٨ .

صالح بن محمد بن صالح بن دينار التمار المدنى : ترجمه البخارى فى الكبير ٢/٢/٢٩٢ ، ولم يذكر فيه جرحاً ، وذكر أنه يروى عن أبيه . ولم يترجم له ابن أبى حاتم ، ولا التهذيب ، ولا لسان الميزان ولكن ذكر فى التهذيب فى ترجمة أبيه ، أنه يروى عنه .

أبو محمد بن صالح بن دينار التمار : ثقة . مترجم فى التهذيب . والكبير ١/١/١١٧ ، وروى حديثاً آخر من رواية ابنه صالح ، عنه ، وابن أبى حاتم ٣/٢/٢٨٧ .

قال أبو جعفر : وهذا القول عندنا أولى بالصواب ، لإجماع الجميع على أن مريضاً لو صام شهرَ رمضان — وهو ممن له الإفطار لمرضه — أنّ صومه ذلك مجزئ عنه، ولا قضاء عليه إذا برأ من مرضه بعدة من أيام أخر. فكان معلوماً بذلك أن حكم المسافر حكمه فى أنْ لا قضاءَ عليه إن صامه فى سفره . لأن الذى جعل للمسافر من الإفطار وأمرَ به من قضاء عدة من أيام أخر ، مثلُ الذى جعل من ذلك للمريض وأمرَ به من القضاء . ثم فى دلالة الآية كفايةٌ مغنية عن استشهاد شاهد على صحّة ذلك بغيرها. وذلك قول الله تعالى ذكره: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ ، ولا عُسرَ أعظم من أن يُلزم من صامه فى سفره عدةً من أيام أخر ، وقد تكلف أداءَ فرضه فى أثقل الحالين عليه حتى قضاه وأدّاه .

فإن ظن ذو غباوة أنّ الذى صامه لم يكن فرضَهُ الواجبَ ، فإن فى قول الله تعالى ذكره : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيامُ » «شهرُ رَمضَان الذى أنزل فيه القرآن » ، ما ينبىء أن المكتوبَ صومُه من الشهور على كل مُؤمن ، هو شهرُ رمضان مسافرًا كان أو مقيماً ، لعموم الله تعالى ذكره المؤمنين بذلك بقوله : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكمُ الصيام » « شهر رمضان » = وأن قوله : « ومَنْ كان مريضاً أو على سفر فعدةٌ من أيام أخر » معناه : ومن كان مريضاً أو على سفر فأفطرَ برُخصة الله ، فعليه صوم عدة أيام أخر مكانَ الأيام التى أفطر فى سفره أو مرضه = ثم فى تظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله — إذْ سئل عن الصوم فى السفر : « إن شئتَ فصم ، وإن شئت فأفطر » — الكفايةُ الكافيةُ عن الاستدلال على صحة ما قُلنا فى ذلك بغيره .

٢٨٨٩ — حدثنا هناد قال، حدثنا عبد الرحيم ووكيع وعبدة ، عن هشام ابن عروة ، عن أبيه، عن عائشة : أن حَمزة سألَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصوم فى السفر — وكان يَسرُد الصوم — فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إن شئتَ فصُمْ ، وإن شئت فأفطر .(١)

٢٨٩٠ – حدثنا أبو كريب وعبيد بن إسمعيل الهبّارى قالا ، حدثنا ابن إدريس قال ، حدثنا هشام بن عروة ، عن أبيه أن حمزة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه .(٢)

---

(١) الحديث : ٢٨٨٩ – هو حديث صحيح . رواه الإمام أحمد ، وأصحاب الكتب الستة ، كما فى المنتقى : ٢١٧١ .

و « حمزة » هذا : هو حمزة بن عمرو الأسلمى ، صحابى معروف . مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ٢/١/٤٣ ، وابن سعد ٤/٢/٤٥ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٢١٢ ، والاستيعاب ، ص : ١٠٥ ، وأسد الغابة ٢ : ٥٠ – ٥١ ، وتاريخ الإسلام للذهبى ٣ : ١٤ .

ومن عجب بعد هذا كله : أن يسهو الحافظ ابن حجر عن ترجمته فى الإصابة ، فى حين أنه أشار إليه فى ترجمة « حمزة بن عمر » بضم العين وفتح الميم . وهى ترجمة أخطأ فيها بعض من سبقه ، وبين هو هذا الخطأ كما بينه ابن الأثير ! !

وانظر الإسنادين بعد هذا .

سرد الصوم يسرده سرداً : إذا والاه وتابعه بعضه فى إثر بعض .

(٢) الحديث : ٢٩٩٠ – عبيد بن إسمعيل الهبارى ، شيخ الطبرى : ثقة من شيوخ البخارى . ترجمه فى الصغير ، ص : ٢٤٧ ، وهو مترجم أيضاً فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٢/٢/٤٠٢ .

ابن إدريس : هو عبد الله بن إدريس الأودى ، مضى فى : ٤٣٨ ، ٢٠٣٠ . ووقع فى التهذيب ٧ : ٥٩ ، فى شيوخ « عبيد بن إسمعيل » – « وأبى إدريس » . وهو خطأ مطبعى .

وهذا الإسناد ظاهره أنه مرسل ، لأن عروة بن الزبير تابعى ، كما هو واضح .

والظاهر أن هشام بن عروة ، أو أباه عروة – كان أحدهما يصل هذا الحديث تارة ويرسله تارة . وعروة سمعه من خالته عائشة أم المؤمنين ، كما فى الإسناد السابق ، وسمعه أيضاً من أبى مراوح عن حمزة الأسلمى نفسه ، كما فى الإسناد التالى لهذا .

ومالك قد روى هذا الحديث فى الموطأ ، ص : ٢٩٥ ، « عن هشام بن عروة ، عن أبيه : أن حمزه بن عمرو الأسلمى . . . » – فذكره مرسلا ، كرواية ابن إدريس هنا ، عن هشام .

فقال ابن عبد البر فى التقصى ، رقم : ٦٤٣ « هكذا رواه يحيى ، لم يذكر عائشة . وخالفه أكثر رواة الموطأ ، فذكروا فيه عائشة » .

وقد رواه البخارى ٤ : ١٥٧ ، عن عبد الله بن يوسف ، عن مالك – موصولا . وكذلك رواه غيره من الأئمة .

والظاهر عندى أن الذى كان يرسله ويصله – هو هشام أو أبوه ، وأن مالكاً رواه عن هشام على الوجهين . بدلالة رواية عبد الله بن إدريس المرسلة – هنا – عن هشام .

ورواه البخارى أيضاً ٤ : ١٥٦ ، ومسلم ١ : ٣٠٩ – ٣١٠ ، بأسانيد ، موصولا ، من طريق هشام ، عن أبيه ، عن عائشة .

٢٨٩١ – حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ، حدثنا أبو زرعة وهب الله بن راشد قال ، أخبرنا حيوة بن شريح قال ، أخبرنا أبو الأسود : أنه سمع عروة بن الزبير يحدث عن أبي مراوح ، عن حمزة الأسلمي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : يا رسول الله ، إني أسرد الصوم ، فأصومُ في السفر ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما هي رُخْصة من الله لعباده ، فمن فعلها فحسنٌ جميل ، ومن تركها فلا جُناح عليه. فكان حمزة يصوم الدهر ، فيصوم في السفر والحضر . وكان عروة بن الزبير يصوم الدهر ، فيصوم في السفر والحضر ، حتى إنْ كان ليمرضُ فلا يُفطر . وكان أبو مُرَاوح يصوم الدهر ، فيصوم في السفر والحضر .(١)

* * *

ففي هذا ، مع نظائره من الأخبار التي يطول باستيعابها الكتاب ، الدلالة الدالة على صحة ما قلنا : من أن الإفطارَ رخصةٌ لا عزم ، والبيانُ الواضح على صحة ما قلنا في تأويل قوله : « وَمن كانَ مريضاً أو عَلى سَفر فعدةٌ من أيام أخر » .

* * *

---

(١) الحديث : ٢٨٩١ – أبو زرعة وهب الله بن راشد : مضى في : ٢٣٧٧ . ووقع في المطبوعة هنا – كما كان هناك : « أبو زرعة وعبد الله بن راشد قالا... » . وهو خطأ ، كما بينا آنفاً .

حيوة – بفتح الحاء المهملة والواو بينهما ياء تحتية ساكنة – بن شريح التجيبي ، أبو زرعة المصري : فقيه عالم ثقة ثقة .

أبو الأسود : هو « يتيم عروة » ، واسمه « محمد بن عبد الرحمن بن نوفل » ، وقيل له « يتيم عروة » لأن أباه كان أوصى إليه .

أبو مراوح الغفاري المدني : تابعي ثقة ، أخرج له الشيخان وغيرهما .

والحديث رواه مسلم ١ : ٣١٠ ، والنسائي ١ : ٢٤٣ – والبيهقي ٤ : ٤٣ ، ثلاثتهم من طريق ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن أبي الأسود ، بهذا الإسناد .

وقصر السيوطي جداً ، فذكره ١ : ١٩٠ ، ونسبه للدارقطني « وصححه » ، فقط . وهو في أحد الصحيحين وأحد السنن الأربعة .

فظهر من هذا الإسناد أن عروة بن الزبير له في هذا الحديث طريقان : فسمعه من خالته عائشة . وسمعه مطولا من أبي مراوح ، عن حمزة الأسلمي نفسه ، صاحب السؤال . فليس هذا اختلافاً على عروة ، إنما هو توكيد رواية صحيحة ، بأخرى مثلها .

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : إن الأخبار بما قلت، وإن كانت متظاهرةً، فقد تظاهرت أيضاً بقوله « ليس من البر الصيامُ في السفر » ؟ ٩٢/٢

قيل : إن ذلك إذا كان الصيامُ في مثل الحال التي جاء الأثرُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في ذلك لمن قال له .

٢٨٩٢ – حدثنا الحسين بن يزيد السبيعي قال، حدثنا ابن إدريس، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن محمد بن عمرو بن الحسن ، عن جابر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رُجلاً في سفره قد ظُلِّل عليه ، وعليه جماعة ، فقال : من هذا ؟ قالوا : صائم . قال : ليس من البر الصوم في السفر.

* * *

= قال أبو جعفر : أخشى أن يكون هذا الشيخ غلط ، وبين ابن إدريس ومحمد بن عبد الرحمن ، شعبة. (١)

* * *

٢٨٩٢ م – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة، عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الأنصاري، عن محمد بن عمرو بن الحسن بن علي، عن جابر بن عبد الله قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً قد اجتمع الناس عليه وقد ظُلِّل عليه ، فقالوا: هذا رجل صائم! فقال رسول الله صلى الله

---

(١) الحديث : ٢٨٩٢ – الحسين بن يزيد السبيعي ، شيخ الطبري : هكذا ثبت هنا . وأخشى أن يكون نسبته « السبيعي » سهواً أو خطأ من الناسخين . والذي في هذه الطبقة ، ويروى عن عبد الله بن إدريس – هو « الحسين بن يزيد بن يحيى الطحان الأنصاري » وهو مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٦٧/٢/١ . روى عنه أبو داود ، والترمذي ، وأبو زرعة ، وذكر الحافظ أنه روى عنه مسلم خارج الصحيح . والذي يرجح عندي هذا : أن الطبري روى خبراً آخر ، في التاريخ ١ : ١٣٥ – ١٣٦ : « حدثنا الحسين بن يزيد الطحان ، قال : حدثنا ابن إدريس . . . » . إلا أن يكون هذا شيخاً آخر للطبري ، لم تصل إلينا معرفته .

وقد نبه الطبري إلى غلط هذا الشيخ ، في إسقاط « شعبة » بين « ابن إدريس » و « محمد بن عبد الرحمن » ، وهو كما قال . فإن عبد الله بن إدريس لم يدرك أن يروي عن محمد بن عبد الرحمن .

وسيأتي تخريج هذا الحديث ، في الإسناد التالي له .

عليه وسلم : ليس من البر أن تصوموا فى السفر.[١]

* * *

فمن بلغ منه الصوم ما بَلغ من الذى قال له النبى صلى الله عليه وسلم ذلك ، فليس من البر صومه . لأن الله تعالى ذكره قد حرّم على كل أحد تعريضَ نفسه لما فيه هلاكها ، وله إلى نجاتها سبيل . وإنما يُطلب البر بما نَدب الله إليه وحَضّ عليه من الأعمال ، لا بما نهى عنه .

وأما الأخبار التى رويت عنه صلى الله عليه وسلم من قوله : « الصائم فى السفر كالمفطر فى الحضر » ،[٢] فقد يحتمل أن يكون قيل لمن بلغ منه الصوم ما بلغ من هذا الذى ظُلّل عليه ، إن كان قيل ذلك . وغيرُ جائز أن يُضاف إلى النبى صلى الله عليه وسلم قيلُ ذلك ، لأن الأخبار التى جاءت بذلك عن رسول الله صلى

---

(١) الحديث : ٢٨٩٢م – محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة : ثقة معروف ، أخرج له أصحاب الكتب الستة . وبعضهم ينسبه لجده لأمه ، فيقول : « محمد بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة » . و « سعد ابن زرارة » ، وأخوه « أسعد بن زرارة » – صحابيان معروفان ، أنصاريان ، من بنى النجار .

ووقع فى هذا الإسناد فى المطبوعة « شعبة عن عبد الرحمن بن سعد . . . » ، وهو خطأ واضح من الناسخين سقط منهم « محمد بن » قبل « عبد الرحمن » .

محمد بن عمرو بن الحسن بن على بن أبى طالب : تابعى ثقة ، أخرج له الشيخان وغيرهما .

والحديث رواه مسلم ١ : ٣٠٨ ، بأسانيد ، منها : عن محمد بن المثنى ، شيخ الطبرى هنا ، عن محمد بن جعفر ، بهذا الإسناد .

ورواه أحمد فى المسند : ١٤٢٤٢ (٣ : ٢٩٩ حلبى) ، عن محمد بن جعفر ، به .

ورواه أبو داود الطيالسى : ١٧٢١ ، عن شعبة ، به .

ورواه البخارى ٤ : ١٦١ – ١٦٢ (فتح) ، عن آدم ، عن شعبة . ورواه أيضاً – مختصراً – فى الكبير ١/١/١٨٩ – ١٩٠ ، عن آدم .

ورواه أبو نعيم فى الحلية ٧ : ١٥٩ ، بأسانيد من طريق شعبة ، ثم قال : « صحيح متفق عليه . واختلف فى محمد بن عبد الرحمن : فأخرجه سليمان فى ترجمة : شعبة عن أبى الرجال ، وغيره أخرجه فى ترجمة محمد بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة » .

وقد حقق الحافظ فى الفتح أن الصحيح ما ذكرنا . وهو الثابت فى صحيح مسلم ، وسنن أبى داود : ٢٤٠٧ ، وغيرهما .

وقصر السيوطى جداً ، إذ نسبه فى الدر المنثور ١ : ١٩١ لابن أبى شيبة ، وأبى داود ، والنسائى ، فقط ؛ وهو فى الصحيحين كما ترى .

(٢) انظر الأثرين رقم : ٢٨٦٧ ، ٢٨٦٨ ، والتعليق عليهما .

الله عليه وسلم واهية الأسانيد ، لا يجوز الاحتجاجُ بها فى الدين .

* * *

فإن قال قائل : وكيف عطف على « المريض » ، وهو اسم بقوله : « أوْ على سفر » و « على » صفة لا اسم . (١)

قيل : جاز أن ينسق بـ « على » على « المريض » ، لأنها فى معنى الفعل . وتأويل ذلك : أو مسافراً ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا ﴾ [سورة يونس : ١٢] ، فعطف بـ « القاعد ، والقائم » على « اللام » التى فى « لجنبه » ، لأن معناها الفعل ، كأنه قال : دعانا مضطجعاً أو قاعداً أو قائماً .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : يريد الله بكم ، أيها المؤمنون — بترخيصه لكم فى حال مرضكم وسفركم فى الإفطار ، وقضاء عدة من أيام أخر من الأيام التى أفطرتموها بعد إقامتكم وبعد بُرئكم من مرضكم — التخفيفَ عليكم ، والتسهيل عليكم ، لعلمه بمشقة ذلك عليكم فى هذه الأحوال(٢) = « ولا يُريد بكم العسر » ، يقول : ولا يريد بكم الشدة والمشقة عليكم ، فيكلفكم صوم الشهر فى هذه الأحوال ، مع علمه شدة ذلك عليكم ، وثقل حمله عليكم لو حمّلكم صومه ، كما :—

٢٨٩٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنا معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « يُريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » ، قال : اليسر الإفطار فى السفر ، والعسر الصيام فى السفر .

٢٨٩٤ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا

---

(١) قوله : « صفة » يعنى حرف جر . وحروف الصفات هى حروف الجر . وقد مضى بيان ذلك فى ١ : ٢٩٩ تعليق : ١ .

(٢) فى المطبوعة : « بشقة ذلك عليكم » ، والصواب ما أثبت .

شعبة ، عن أبي حمزة ، قال : سألت ابن عباس عن الصوم في السفر ، فقال : يُسرٌ وعُسرٌ . فخذ بيسر الله .

٢٨٩٥ — حدثني المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر . قال ، أخبرنا ابن المبارك، عن شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله : « يريد الله بكم اليسر » — قال : هو الإفطار في السفر ، وَجعل عدةً من أيام أخر — « ولا يريد بكم العسر » .

٢٨٩٦ — حدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : « يريد الله بكمُ اليسر ولا يُريدُ بكم العسر »، فأريدوا لأنفسكم الذي أراد الله لكم .

٢٨٩٧ — حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال، أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن عيينة ، عن عبد الكريم الجزري ، عن طاوس ، عن ابن عباس قال : لا تَعِبْ على من صام ولا على من أفطر — يعني في السفر في رمضان — « يريد الله بكم اليسر ولا يُريد بكم العسر» .

٢٨٩٨ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال، حدثنا الفضيل بن خالد قال ، حدثنا عبيد بن سليمانَ ، قال سمعت الضحاك بن مزاحم في قوله : « يريد الله بكمُ اليسر »— الإفطارُ في السفر — « ولا يريد بكم العسر »، الصيام في السفر .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بقوله :[1] « ولتكملوا العدة»، عدةَ ما أفطرتم، من أيام أخر ، أوجبت عليكم قضاءَ عدة من أيام أخر بعد برئكم من مرضكم ، أو إقامتكم من سفركم ، كما : —

(١) في المطبوعة : « بذلك » مكان « بقوله » ، وسياق الكلام يدل على صواب ما أثبت .

٢٨٩٩ – حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن جويبر ، عن الضحاك في قوله : « ولتكملوا العدة » ، قال : عدة ما أفطر المريض والمسافر .

٢٩٠٠ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « ولتكملوا العدة » ، قال : إكمالُ العدة أن يَصومَ ما أفطر من رمضان في سفر أو مرض [إلى] أنْ يُتمه ، فإذا أتمه فقد أكمل العدة .(١) ٩٢/٢

* * *

فإن قال قائل : ما الذي عليه = بهذه « الواو » التي في قوله : « ولتكملوا العدة » = عَطفَتْ ؟ (٢)

قيل : اختلف أهل العربية في ذلك .

فقال بعضهم : هي عاطفة على ما قبلها ، كأنه قيل : ويُريد لتكملوا العدة ولتكبروا الله .

وقال بعض نحويي الكوفة : وهذه « اللام » التي في قوله : « ولتكملوا » لام « كي » لو ألقيتْ كان صواباً . قال : والعرب تُدخلها في كلامها على إضمار فعل بعدها ، ولا تكون شرطاً للفعل الذي قبلها وفيها « الواو » ، ألا ترى أنك تقول : « جئتك لتحسن إلي » ، ولا تقول : « جئتك ولتحسن إلي » ، فإذا قلته فأنت تريد : ولتحسن جئتك . قال : وهذا في القرآن كثيرٌ ، منه قوله : ﴿ وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ ﴾ [سورة الأنعام : ١١٣] ، وقوله : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ [سورة الأنعام : ٧٥] ، لو لم تكن فيه « الواو » كان شرطاً على قولك : أريناه ملكوت السموات والأرض

---

(١) الزيادة بين القوسين لا غنى عنها هنا .

(٢) السياق : وما الذي عليه عطفت .

ليكون. فإذا كانت « الواو » فيها فلها فعل « مضمر » بعدها ، و « ليكون من الموقنين » ، أريناه .[١]

* * *

قال أبو جعفر : وهذا القول أولى بالصواب فى العربية . لأن قوله : « ولتكملوا العدة » ، ليس قبله « لام » بمعنى « اللام » التى فى قوله : « ولتكملوا العدة » فتعطف بقوله : « ولتكملوا العدة » عليها — وأن دخول « الواو » معها ، يؤذن بأنها شرط لفعل بعدها ، إذ كانت « الواو » لو حذفت كانت شرطاً لما قبلها من الفعل .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره : ولتعظِّموا الله بالذكر له بما أنعم عليكم به ، من الهداية التى خذل عنها غيركم من أهل الملل الذين كتب عليهم من صوم شهر رمضان مثلَ الذى كتب عليكم فيه ، فضلُّوا عنه بإضلال الله إياهم ، وخصَّكم بكرامته فهداكم له ، ووفقكم لأداء ما كتبَ الله عليكم من صومه ، وتشكروه على ذلك بالعبادة لهُ .

* * *

والذكر الذى حضهم الله على تعظيمه به ، « التكبير » يوم الفطر ، فيما تأوله جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٩٠١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن داود بن قيس ، قال : سمعت زيد بن أسلم يقول : « ولتكبروا الله على

---

(١) هذا قول الفراء ، وهو نص كلامه فى معانى القرآن ١ : ١١٣ .

ما هداكم » ، قال : إذا رأى الهلال ، فالتكبيرُ من حين يَرى الهلال حتى ينصرف الإمام ، فى الطريق والمسجد ، إلاّ أنه إذا حضر الإمامُ كفّ ، فلا يكبرّ إلا بتكبيره .

٢٩٠٢ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك قال : سمعت سفيان يقول : « ولتكبّروا الله على ما هداكم » ، قال : بلغنا أنه التكبير يوم الفطر .

٢٩٠٣ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : كان ابن عباس يقول : حقٌّ على المسلمين إذا نظروا إلى هلال شوال أن يكبرّوا الله حتى يفرغوا من عيدهم ، لأن الله تعالى ذكره يقول : « ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم » . قال ابن زيد : ينبغى لهم إذا غدوا إلى المصلّى كبروا ، فإذا جلسوا كبروا ، فإذا جاء الإمام صمتوا ، فإذا كبر الإمام كبروا ، ولا يكبرون إذا جاء الإمام إلا بتكبيره ، حتى إذا فرغ وانقضت الصلاة فقد انقضى العيد . قال يونس : قال ابن وهب : قال عبد الرحمن بن زيد : والجماعةُ عندنا على أن يغدوا بالتكبير إلى المصلّى .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١٨٥)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : ولتشكروا الله على ما أنعم به عليكم من الهداية والتوفيق ، وتيسير ما لو شاء عسّر عليكم .

و « لعل » فى هذا الموضع بمعنى « كى » ،[1] ولذلك عطف به على قوله : « ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون » .

* * *

(١) انظر ما سلف ١ : ٣٦٤ ، والمراجع فى فهرس مباحث العربية .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (١٨٦)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره: بذلك وإذا سألك يا محمد عبادى عنى : أين أنا ؟ فإنى قريبٌ منهم أسمع دُعاءهم ، وأجيب دعوة الداعى منهم .

* * *

وقد اختلف فيما أنزلت فيه هذه الآية .

فقال بعضهم : نزلت فى سائل سأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد، أقريبٌ ربنا فنناجيه ، أم بعيد فنناديه ؟ فأنزل الله : « وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريبٌ أجيبُ » الآية .

٢٩٠٤ / ـ حدثنا بذلك ابن حميد قال، حدثنا جرير ،عن عبدة السجستانى ، عن الصُّلب بن حكيم ، عن أبيه، عن جده .(١)

---

(١) الحديث : ٢٩٠٤ ـ جرير : هو ابن عبد الحميد الضبى ، مضى فى : ٢٠٢٨ ، ٢٣٤٦ .
عبدة السجستانى : هو عبدة بن أبى برزة ، ترجمه ابن أبى حاتم ٣/١/٩٠ ، ولم يذكر فيه جرحاً . ولم أجد له ترجمة عند غيره .

« السجستانى » : هذا هو الصحيح ، الثابت هنا ، وفى المصادر المعتمدة ، كما سيأتى . ووقع فى بعض المراجع « السختيانى » ، وهو خطأ مطبعى واضح .

الصلب بن حكيم : نص الحافظ عبد الغنى الأزدى المصرى ، فى كتاب المؤتلف والمختلف ، ص ٧٩ ، على أنه « صلب » : « بالياء معجمة من تحتها وضم الصاد » . وترجم له فقال : « صلب بن حكيم، عن أبيه ، عن جده . روى حديثه محمد بن حميد ، عن جرير ، عن عبدة بن أبى برزة السجستانى » .

وكذلك قال الذهبى فى المشتبه ، ص : ٣١٦ « وصلب بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده . يشتبه بالصلت بن حكيم » . وفى هامشه ، نقلا عن هامش إحدى مخطوطاته : « قال الخطيب : قيل إنه أخ لبهز ابن حكيم ، ولا يصح ذلك . ويشتبه أيضاً بالصلت بن حكيم، بضم الحاء . ويقال : الحكيم بن الصلت » وكذلك قال الحافظ ابن حجر ، فى « تبصير المنتبه » (مخطوط مصور عندى) ، ونص على أنه « قيل : إن الصلب بن حكيم ، المتقدم ذكره ـ أخو بهز بن حكيم ، ولا يصح » .

٢٩٠٥ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا جعفر بن سليمان ، عن عوف ، عن الحسن قال : سأل أصحابُ النبي صلى الله عليه وسلم النبيَّ صلى الله عليه وسلم : أين ربُّنا ؟ فأنزل الله تعالى ذكره : «وإذا سألك عبادى عنى فإنّى قريبٌ أجيب دعوة الداع إذا دعان » الآية . (١)

* * *

ولكنه – مع هذا – ترجم له فى لسان الميزان ٣ : ١٩٥ ، فى باب « الصلت » ، نقلا عن الميزان ، وذكر هذا الحديث له . وذكر رواية الذهبى إياه بإسناده إلى « محمد بن حميد » . ثم ذكر – نقلا عن الذهبى أيضاً – أنه رواه ابن أبى خثيمة ، فى جزء جمعه فيمن روى عن أبيه عن جده ، وأنه « أخرجه العلائى فى كتاب الوشى ، عن إبرهيم بن محمد . وقال : لم أر للصلت ذكراً فى كتب الرجال » . ثم عقب الحافظ على ذلك بقوله : « قلت : ذكره الدارقطنى فى المؤتلف ، وحكى الاختلاف : هل آخره بالموحدة ، أو بالمثناة؟ وقال إنه ابن حكيم بن معاوية بن حيدة ، فهو أخو بهز بن حكيم ، المحدث المشهور . وليس للصلت ولا لأبيه ولا لجده – ذكر فى كتب الرواة ، إلا ما قدمت من ذكر ابن أبى خيثمة ، ولم يزد فى التعريف به على ما ها هنا » .

وهذا اضطراب شديد من الحافظ ابن حجر . ثم إن هذه التى نقلها عن ميزان الاعتدال للذهبى لم تذكر فى النسخة المطبوعة منه . فالظاهر أنها سقطت من الأصول التى طبع عنها الميزان .

والراجح عندى ما ذهب إليه الذهبى وابن حجر وابن أبى خيثمة وعبد الغنى الأزدى : أنه « صلب » بضم الصاد وبالموحدة فى آخره . وأنه مجهول هو وأبوه وجده . أما « حكيم بن معاوية بن حيدة القشيرى – : فإنه تابعى معروف ، وأبوه صحابى معروف . وقد روى عن حكيم بن معاوية بن حيدة – أبناؤه : بهز ، وسعيد ومهران . فلا صلة للذى يسمى « الصلب » هذا – بهؤلاء .

وهذا الحديث ضعيف جداً ، منهار الإسناد بكل حال .

وقد وهم الحافظ ابن كثير ، حين ذكره ١ : ٤١٣ – ٤١٤ ، وجعله من حديث « معاوية بن حيدة القشيرى » .

وذكره السيوطى أيضاً ١ : ١٩٤ ، وأخطأ فيه خطأ آخر : فجعله « من طريق الصلت بن حكيم ، عن رجل من الأنصار ، عن أبيه ، عن جده » ! ! وقد تكون زيادة « عن رجل من الأنصار » خطأ من الناسخين ، لا من السيوطى .

(١) الحديث : ٢٩٠٥ – جعفر بن سليمان : هو الضبعى ، بضم الضاد المعجمة ، وفتح الباء الموحدة . وهو ثقة ، وثقه ابن معين وغيره .

عوف : هو ابن أبى جميلة الأعرابى ، وهو ثقة معروف ، أخرج له أصحاب الكتب الستة . وقد مضت له رواية فى : ٦٤٥ . وهو معروف بالرواية عن الحسن البصرى .

وهذا الإسناد صحيح إلى الحسن . ولكن الحديث ضعيف ، لأنه مرسل ، لم يسنده الحسن عن أحد من الصحابة .

وقد رواه أبو جعفر هنا ، من طريق عبد الرزاق ، ولم أجده فى تفسير عبد الرزاق . فلعله فى موضع آخر من كتبه .

وقال آخرون : بل نزلت جواباً لمسألة قومٍ سألوا النبي صلى الله عليه وسلم : أيّ ساعة يدعون الله فيها ؟

* ذكر من قال ذلك :

٢٩٠٦ – حدثنا سفيان ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء قال : لما نزلت : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [سورة غافر : ٦٠] قالوا : في أي ساعة ؟ قال : فنزلت : « وإذا سألك عبادي عني فإني قريب » إلى قوله : « لعلهم يرشدون » . ٩٣/٢

٢٩٠٧ – حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازي قال، حدثنا أبو أحمد الزبيري قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء في قوله : « أجيب دعوة الداع إذا دعان » ، قالوا : لو علمنا أيّ ساعة ندعو ! فنزلت : « وإذا سألك عبادي عني فإني قريب » الآية .

٢٩٠٨ – حدثني القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : زعم عطاء بن أبي رباح أنه بلغه : لما نزلت : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُم ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ، قال الناس : لو نعلم أي ساعة ندعو ! فنزلت : « وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون » .

٢٩٠٩ – حدثنا موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وإذا سألك عبادي عني فإني قريبٌ أجيب دعوة الداع إذا دعان » ، قال : ليس من عبد مؤمن يدعو الله إلا استجاب له ، فإن كان الذي يدعو به هو له رزق في الدنيا أعطاه الله، وإن لم يكن له رزقاً في الدنيا ذخره له إلى يوم القيامة ، ودفع عنه به مكروهاً .

٢٩١٠ – حدثني المثنى قال ، حدثنا الليث بن سعد ، عن ابن صالح ، عمن حدثه : أنه بلغه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما أعطى أحدٌ الدعاءَ

ومُنع الإجابة ، لأن الله يقول : ﴿ أُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ .

* * *

ومعنى متأوِّلى هذا التأويل : وإذا سألك عبادى عنى : أى ساعة يدعوننى ؟ فإنى منهم قريب فى كل وقت ، أجيب دعوة الداع إذا دعان .

* * *

وقال آخرون : بل نزلت جواباً لقول قوم قالوا — إذْ قالَ الله لهم : ﴿ أُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُم ﴾ — : إلى أين ندعوه !

* ذكر قال ذلك :

٢٩١١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال مجاهد : ﴿ أُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ، قالوا : إلى أين؟ فنزلت : ﴿ أَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[سورة البقرة : ١١٥].

* * *

وقال آخرون : بل نزلت جواباً لقوم قالوا : كيف ندعو ؟

* ذكر من قال ذلك :

٢٩١٢ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذُكر لنا أنه لما أنزل الله : « ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ » ، قال رجال : كيف ندعو يا نبي الله ؟ فأنزل الله : « وإذا سألك عبادى عنّى فإنّى قريبٌ » إلى قوله : « يرشدون » .

* * *

وأما قوله : « فليستجيبوا لى » ، فإنه يعنى : فليستجيبوا لى بالطاعة. يقال منه : « استجبت له ، واستجبته » ، بمعنى أجبته ، كما قال كعب بن سعد الغنوىّ :

وَدَاعٍ دَعَا : يَامَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى ؟ فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ[1]

(١) سلف هذا البيت فى ١ : ٣٢٠ ، ونسيت هناك أن أشير إليه أنه سيأتى فى هذا الموضع من التفسير ، ثم فى ٤ : ١٤٤ (بولاق) .

يريد : فلم يجبه .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال مجاهدٌ وجماعةٌ غيره .

٢٩١٣ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى الحجاج ، عن ابن جريج قال ، قال مجاهد قوله : « فليستجيبوا لى » ، قال : فليطيعوا لى . قال : « الاستجابة » ، الطاعة .

٢٩١٤ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا حبان بن موسى قال : سألت عبد الله ابن المبارك عن قوله : « فليستجيبوا لى » ، قال : طاعة الله .

* * *

وقال بعضهم : معنى « فليستجيبوا لى » : فليدعونى

* ذكر من قال ذلك :

٢٩١٥ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى منصور بن هرون ، عن أبى رجاء الخراسانى ، قال : « فليستجيبوا لى » ، فليدعونى .

* * *

وأما قوله : « وليؤمنوا بى » فإنه يعنى : وَليصدِّقوا . أى: وليؤمنوا بى، إذا همُ استجابوا لى بالطاعة ، أنى لهم من وَرَاء طاعتهم لى فى الثواب عليها ، وإجزالى الكرامةَ لهم عليها .

* * *

وأما الذى تأوّل قوله : « فليستجيبوا لى »، أنه بمعنى : فليدعونى ، فإنه كان يتأوّل قوله : « وليؤمنوا بى »، وليؤمنوا بى أنى أستجيب لهم .

* ذكر من قال ذلك :

٢٩١٦ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى منصور بن هرون ، عن أبى رجاء الخراسانى : « وليؤمنوا بى » ، يقول : أنى أستجيب لهم

* * *

وأما قوله : « لعلهم يَرشُدُون » فإنه يعنى : فليستجيبوا لى بالطاعة، وليؤمنوا بى

فيصدّقوا على طاعتهم إياى بالثواب منى لهم ، وليهتدوا بذلك من فعلهم فيرشدوا ، كما : —

٢٩١٧ — حدثنى به المثنى قال ، حدثنا إسحق ، قال حدثنا عبد الرحمن بن سعد قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع فى قوله : «لعلهم يَرشدون» ، يقول : لعلهم يهتدون .

* * *

فإن قال لنا قائل : وما معنى هذا القول من الله تعالى ذكره ؟ فأنت ترى كثيراً من البشر يدعون الله فلا يجابُ لهم دُعاء ، وقد قال : «أجيبُ دَعوة الداع إذا دَعان» ؟

قيل : إن لذلك وجهين من المعنى :

أحدهما : أن يكون معنيًّا «بالدعوة» ، العملُ بما نَدب الله إليه وأمر به . فيكون تأويل الكلام . وإذا سألك عبادى عَنى فإنى قريبٌ ممن أطاعنى وعَمل بما أمرته به ، أجيبه بالثواب على طاعته إياى إذا أطاعنى . فيكون معنى «الدعاء» : مسألة العبد ربَّه ما وعد أولياءه على طاعتهم بعملهم بطاعته ، ومعنى «الإجابة» من الله التى ضمنها له ، الوفاءُ له بما وعد العاملين له بما أمرهم به ، كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قوله : «إنّ الدعاء هو العبادة» .

٢٩١٨ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جويبر ، عن الأعمش ، عن ذر ، عن يُسَيْع الحضرمى ، عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّ الدعاءَ هوَ العبادة . ثم قرأ : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [سورة غافر : ٦٠] ٩٤/٢

* * *

(١) الحديث : ٢٩١٨ — أما الحديث فى ذاته — فإنه حديث صحيح . وأما هذا الإسناد بعينه ، فلا أدرى كيف يستقيم ؟ مع ضعفه !

فإن ابن حميد — شيخ الطبرى — هو : محمد بن حميد الرازى ، سبق توثيقه : ٢٠٢٨ ، ٢٢٥٣ .

فأخبر صلى الله عليه وسلم أنّ دعاء الله إنما هو عبادته ومسألته ، بالعمل له والطاعة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ذُكِر أن الحسن كان يقول :

٢٩١٩ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى منصور بن هرون ، عن عبد الله بن المبارك ، عن الربيع بن أنس ، عن الحسن أنه قال فيها : ﴿ أُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ، قال : اعملوا وأبشروا ، فإنه حقٌّ على الله أن يستجيب

ولكن من المحال أن يقول : « حدثنا جويبر » ، لأن ابن حميد مات سنة ٢٤٨ ، وجويبر بن سعيد الأزدى مات قبل ذلك بنحو مائة سنة ، فقد ذكره البخارى فى الصغير ، ص : ١٧٦ ، فيمن مات بين سنتى : ١٤٠ – ١٥٠ . فلا بد أن يكون قد سقط بينهما شيخ ، خطأ من الناسخين . ثم إن « جويبراً » هذا : ضعيف جداً ، كما بينا فى : ٢٨٤ .

الأعمش : هو سليمان بن مهران ، الإمام المعروف .

ذر ، بفتح الذال المعجمة وتشديد الراء : هو ابن عبد الله المرهبى ، بضم الميم وسكون الراء وكسر الهاء بعدها باء موحدة . وهو ثقة ، أخرج له أصحاب الكتب الستة .

إسيع – بضم الياء الأولى وسكون الثانية بينهما سين مهملة مفتوحة : هو ابن معدان الحضرمى ، ويقال « الكندى » ، وهو تابعى ثقة . ويقال فى اسمه « أسيع » بقلب الياء الأولى همزة مضمومة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/٢/٤٢٥ – ٤٢٦ ، وابن أبى حاتم ٤/٢/٣١٣ . ووقع هنا فى المطبوعة « سبيع » ! وهو تصحيف .

والحديث سيأتى فى الطبرى ٢٤ : ٥١ – ٥٢ (بولاق) ، بستة أسانيد . ووقع اسم « ذر » هناك مصحفاً إلى « زر » ، بالزاى بدل الذال .

وهو حديث صحيح . رواه أحمد فى المسند ٤ : ٢٧١ (حلبى) ، عن أبى معاوية ، عن الأعمش ، بهذا الإسناد . فليس فيه « جويبر » الضعيف المذكور هنا .

ونقله ابن كثير ٧ : ٣٠٩ ، عن ذلك الموضع من المسند ، وقال : وهكذا رواه أصحاب السنن : الترمذى ، والنسائى ، وابن ماجة ، وابن أبى حاتم ، وابن جرير – كلهم من حديث الأعمش ، به . وقال الترمذى : حسن صحيح . ورواه أبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، وابن جرير أيضاً ، من حديث شعبة ، عن منصور والأعمش – كلاهما عن ذر ، به » . ثم ذكر أنه رواه ابن حبان والحاكم أيضاً .

وهو عند الحاكم ١ : ٤٩٠ – ٤٩١ بأسانيد ، ثم قال : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبى .

وذكره السيوطى ٥ : ٣٥٥ ، وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور ، وابن أبى شيبة ، وعبد بن حميد ، والبخارى فى الأدب المفرد ، وابن المنذر ، والطبرانى ، وابن مردويه ، وأبى نعيم فى الحلية ، والبيهقى فى شعب الإيمان .

للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله .

* * *

والوجه الآخر : أن يكون معناه : أجيب دعوة الداع إذا دعان إن شئت . فيكون ذلك ، وإن كان عاماً مخرجه فى التلاوة ، خاصاً معناه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « أحل لكم » ، أطلق لكم وأبيح .(١)

* * *

ويعنى بقوله : « ليلة الصيام » ، فى ليلة الصيام .

* * *

فأما « الرفث » فإنه كناية عن الجماع فى هذا الموضع ، يقال : « هو الرفثُ والرُّفوث » .(٢)

* * *

وقد روى أنها فى قراءة عبد الله : « أحل لكم ليلة الصيام الرفوثُ إلى نسائكم » .

* * *

وبمثل الذى قلنا فى تأويل « الرفث » قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٩٢٠ – حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصرى قال ، حدثنا أيوب ابن سويد ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن بكر بن عبد الله المزنى ، عن ابن عباس قال : الرفث ، الجماعُ ، ولكن الله كريم ، يكنى .

---

(١) انظر تفسير « الحلال » فيما سلف من هذا الجزء ٣ : ٣٠٠ ، ٣٠١

(٢) انظر ما سيأتى فى معنى « الرفث » فى هذا الجزء (٢ : ١٥٣ – ١٥٥ بولاق)

٢٩٢١ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن عاصم ، عن بكر ، عن ابن عباس مثله .

٢٩٢٢ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : الرفث ، النكاح .

٢٩٢٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : الرفث ، غِشيانُ النساء .

٢٩٢٤ – حدثني محمد بن عمرو قال،حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « أحلّ لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم » ، قال : الجماع .

٢٩٢٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٢٩٢٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قال : الرفث هو النكاح .

٢٩٢٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الكبير البصري قال ، حدثنا الضحاك بن عثمان قال ، سألت سالم بن عبد الله عن قوله : « أحلّ لكم ليلةَ الصيام الرفثُ إلى نسائكم » ، قال : هو الجماع .

٢٩٢٨ – حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « أحِلّ لكم ليلةَ الصيام الرفثُ إلى نسائكم » ، يقول : الجماع .

* * *

« والرفث » في غير هذا الموضع ، الإفحاشُ في المنطق ، كما قال العجاج :

* عَنِ اللَّغَا وَرَفَثِ التَّكَلُّمِ (٣) *

* * *

---

(١) ديوانه : ٥٩ ، وسيأتي مع البيت قبله في التفسير ٢ : ٢٤٦ (بولاق) ، من رجز له طويل ، حمد فيه الله ومجده بقوله :

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : نساؤكم لباسٌ لكمُ وأنتم لباسٌ لهن .

* * *

فإن قال قائل : وكيف يكون نساؤنا لباساً لنا ، ونحن لهن لباساً ، و« اللباس » إنما هو ما لبس ؟

قيل : لذلك وجهان من المعانى :

أحدهما : أن يكون كل واحد منهما جُعل لصاحبه لباساً ، لتجرُّدهما عند النوم ،[1] واجتماعهما فى ثوب واحد ، وانضمام جسد كل واحد منهما لصاحبه ،

فَالحَمْد لِلّهِ العَلِيِّ الأَعْظَمِ ذِى الجَبَرُوتِ والجَلالِ الأَفْخَمِ
وَعَالِمِ الإِعْلانِ والمُكَتَّمِ وربَّ كُلِّ كَافِرٍ ومُسْلِمِ

ثم عطف على قوله : « ورب كل كافر ومسلم » عطوفاً كثيرة ، حتى انتهى إلى ما أنشده الطبرى :

وربَّ أَسْرَابِ حَجِيجٍ كُظَّمِ عن اللَّغَا وَرَفَثِ التَّكَلُّمِ

والأسراب جمع سرب : وهو القطيع أو الطائفة من القطاو الظباء والشاء والبقر والنساء ، وجعله هذا للحجاج . والحجيج : الحجاج . وكظم جمع كاظم : وهو الساكت الذى أمسك لسانه وأخبت ، من الكظم (بفتحتين) وهو مخرج النفس . واللغا واللغو : السقط ومالا يعتد به من كلام أو يمين ، ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع .

هذا ، ومما يدل على أن أبا جعفر كان يختصر القول اختصاراً فى بعض المواضع ، أنه لم يفسر تعدية « الرفث » بحرف الجر « إلى » ، ولولا الاختصار لقال فيه مقالا على ما سلف من نهجه . وقد عدى « الرفث » بـ « إلى » ، لأنه فى معنى الإفضاء . يقال : « أفضيت إلى امرأتى » ، فلما أراد هذا المعنى جاء بحرفه ليضمنه معناه ، إيذاناً بأن ذلك ما أراد بهذه الكناية .

(١) فى المطبوعة : « لتخرجهما عند النوم » ، وأخشى أن يكون تصحيفاً . جعل الجيم خاء ، وألصق الدال بالهاء ، فظنها الناسخ خاء ، لتشابههما . ولم أجد فى مادة « خرج » « خرج » بتشديد الراء

بمنزلة ما يلبسه على جسده من ثيابه، فقيل لكل واحد منهما : هو « لباس » لصاحبه، كما قال نابغة بنى جعدة :

إِذَا مَا الضَّجِيعُ ثَنَى عِطْفَهَا ، تَدَاعَتْ ، فَكَانَتْ عَلَيْهِ لِبَاسَا(١)

ويروى : « تثنت » ، فكنى عن اجتماعهما متجردين فى فراش واحد بـ « اللباس» ، كما يكنى بـ « الثياب » عن جسد الإنسان ، كما قالت ليلى ، وهى تصف إبلاً ركبها قومٌ :

رَمَوْهَا بِأَثْوَابٍ خِفَافٍ ، فَلَا تَرَى لَهَا شَبَهًا إِلَّا النَّعَامَ الْمُنَفَّرَا(٢)

يعنى : رموها بأنفسهم فركبوها ، وكما قال الهذلىّ : (٣)

تَبَرَّأْ مِنْ دَمِ الْقَتِيلِ وَوَتْرِهِ وَقَدْ عَلِقَتْ دَمَ الْقَتِيلِ إِزَارُهَا(٤)

بمعنى التجرد من الثياب ، وإن كانوا يقولون: « خرج فلان من ثيابه » ولكنه هنا لا يظهر معناه لسقوط ذكره اللباس فى عبارته . وإن كنت أظنها بعيدة، ولو ذكر معها اللباس . ورجح هذا التصحيح عندى قوله بعد البيت الآتى : « متجردين فى فراش واحد » .

(١) الشعر والشعراء : ٢٥٥ من أبيات جياد، ومجاز القرآن لأبى عبيدة : ٦٧، وتأويل مشكل القرآن ١٠٧ ، وغيرها ، وقبله

أَضَاءَتْ لَنَا النَّارُ وَجْهًا أَغَرَّ مُلْتَبِسًا بِالْفُؤَادِ الْتِبَاسَا
يُضِيءُ كَضَوْءِ سِرَاجِ السَّلِيطِ ، لَمْ يَجْعَلِ اللهُ فِيهِ نُحَاسَا
بِآنَسَةٍ غَيْرِ أُنْسِ الْقِرَافِ وَتَخْلِطُ بِالْأُنْسِ مِنْهَا شِمَاسَا

وهو شعر كما ترى :

(٢) المعانى الكبير ١ : ٤٨٦ ، وتأويل مشكل القرآن: ١٠٧ وغيرها . وقولها : « رموها بأثواب » قالوا : تعنى بأجسام خفاف (المعانى).والصواب فى ذلك أن يقال : أن هؤلاء الركب قد لوحتهم البيد وأضنتهم ، فلم يبق فيهم إلا عظام معروقة عليها الثياب، لا تكاد ترى إلا ثوباً يلوح على كل ضاو وضامر ، ولذلك شبهت الإبل عليها ركبها بالنعام المنفر . والمنفر : الذى ذعر فانطلق هارباً يخفق فى الأرض .

(٣) هو أبو ذؤيب الهذلى .

(٤) ديوانه : ٢٦ ، والمعانى الكبير : ٤٨٣ ، ومشكل القرآن : ١٠٨ وغيرها . من قصيدة له

يعني : بـ « إزارها » ، نفسها . وبذلك كان الربيع يقول :

٢٩٢٩ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن بن سعد قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع : « هُن لباسٌ لكم وأنتم لباس لهنّ » ، يقول : هنّ لحاف لكم وأنتم لحاف لهن . (١)

* * *

والوجه الآخر : أن يكون جعل كلّ واحد منهما لصاحبه « لباساً » ، لأنه سَكنٌ له ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ [سورة الفرقان : ٤٧] ، يعني بذلك سكناً تسكنون فيه . وكذلك زوجة الرجل سَكنه يسكن إليها ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [سورة الأعراف : ١٨٩] ، ٩٥/٢

عجيبة ، يرثي بها صديقه وحميمه نشيبة بن محرث ، استفتحها متغزلا مشبباً بصاحبته أم عمرو ، واسمها فطيمة ، وقال قبل هذا البيت ، يلوم نفسه على هجرها ويقول :

فَإِنَّكَ مِنْهَا وَالتَّعَذُّرَ ، بَعْدَ مَا لَجِجْتَ ، وشطَّتْ مِنْ فُطَيْمَةَ دَارُهَا
كَنَعْتِ الَّتِي ظَلَّت تُسَبِّع سُؤْرَهَا وَقَالَتْ : حَرَامٌ أَنْ يُرَجَّلَ جَارُهَا
تبرّأ مِنْ دَمِ القَتِيلِ . . . . . .

يقول أنت في انتفاكك من حبها بعد اللجاجة فيه ، كهذه المرأة التي قتلت قتيلا وحازت بزه ، أي سلاحه ، وأخفته . قال الأصمعي في خبر هذه المرأة : هذه امرأة نزل بها رجل فتحرجت أن تدهنه وترجل شعره ، ثم جاء كلب فولغ في إنائها فغسلته سبع مرات . وذلك بعين الرجل ، فتعجب منها ومن ورعها . فبينا هو كذلك ، أتاها قوم يطلبون عندها قتيلا ، فانتفلت من ذلك – أي أنكرت – وحلفت . ثم فتشوا منزلها ، فوجدوا القتيل وسلاحه في بيتها » .

يقول أنت كهذه المرأة ، تجحد حب صاحبتك ، وتظهر أنك قد كبرت وانتهيت عن الجهل والصبا ، ولو فتش قلبك . لرأوا حبك لها لا يزال يتأجج ويشتعل .

(١) الأثر : ٢٩٢٩ – في المطبوعة : « عبد الرحمن بن سعيد » ، وقد مضى برقم : ٢٩١٧ ، على الصواب كما أثبته . وعبد الرحمن بن سعد بن عمار بن سعد القرظ المؤذن ، روى عن أبيه وعمه محمد وبني أعمامه . وجماعة من أهله ، وأبي الزناد وصفوان بن سليم ، وروى عنه إسحق بن راهويه وإبراهيم بن ابن المنذر وغيرهما . ذكره ابن حبان في الثقات . وقال البخاري : فيه نظر . وقال الحاكم أبو أحمد : حديثه ليس بالقائم .

فيكون كل واحد منهما « لباساً » لصاحبه ، بمعنى سكونه إليه . وبذلك كان مجاهد وغيره يقولون فى ذلك .

وقد يقال لما سَتر الشيء وَوارَاه عن أبصار الناظرين إليه : « هو لباسه ، وغشاؤه » ، فجائز أن يكونَ قيل : « هنّ لباسٌ لكم وأنتم لباس لهن » ، بمعنى : أنّ كل واحد منكم ستر لصاحبه — فيما يكون بينكم من الجماع — عن أبصار سائر الناس .

وكان مجاهد وغيره يقولون فى ذلك بما : —

٢٩٣٠ — حدثنا به المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « هن لباس لكم وأنتم لباسٌ لهن » ، يقول : سكنٌ لهن.

٢٩٣١ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « هن لباسٌ لكم وأنتم لباسٌ لهن » ، قال قتادة : هُنّ سكنٌ لكم ، وأنتم سكنٌ لهنّ .

٢٩٣٢ — حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « هن لباسٌ لكم » ، يقول : سكن لكم ، « وأنتم لباس لهن » ، يقول : سكن لهن .

٢٩٣٣ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال عبد الرحمن بن زيد فى قوله : « هنّ لباسٌ لكم وأنتم لباسٌ لهن » ، قال : المواقعة .

٢٩٣٤ — حدثنى أحمد بن إسحق الأهوازى قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إبراهيم ، عن يزيد ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس قوله : « هن لباسٌ لكم وأنتم لباسٌ لهن » ، قال : هن سكنٌ لكم وأنتم سكنٌ لهن .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ذكره ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾

قال أبو جعفر : إن قال لنا قائل : وما هذه الخيانة التى كانَ القوم يختانونها أنفسهم ، التى تابَ الله منها عليهم فعفا عنهم ؟

قيل : كانت خيانتُهم أنفسَهم التى ذكرها الله فى شيئين، أحدهما : جماع النساء ، والآخر : المطعم والمشربُ فى الوقت الذى كان حَراماً ذلك عليهم ، كما :—

٢٩٣٥ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة قال ، حدثنا ابن أبى ليلى : أن الرجل كان إذا أفطرَ فنام لم يأتها ، وإذا نام لم يطعم ، حتى جاء عمر بن الخطاب يُريد امرأته ، فقالت امرأته : قد كنتَ نمتَ! فظنّ أنها تعتلُّ فوقع بها . قال : وجاء رجل من الأنصار فأراد أن يطعم ، فقالوا : نسخّن لك شيئاً ؟ . . . . . [1] قال : ثم أنزلت هذه الآية : « أحِلّ لكم ليلةَ الصيام الرفثُ إلى نسائكم » الآية .

---

(١) الأثر : ٢٩٣٥ — موضع هذه النقط خرم فى النسخ . وخبر عبد الرحمن بن أبى ليلى هذا أخرجه وكيع وعبد بن حميد عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، وهو فى الدر المنثور ١ : ١٩٨ ، بغير هذا اللفظ . ولو أريد إتمامه لكان :

[نسخّن لك شيئاً تفطِرُ عليه ؟ فغلبته عيناهُ فنام . فجاؤوا وقد نام ، فقالوا : كُلْ ! فقال : قد كنتُ نمتُ ! فترك الطعام وبات ليلته يتقلّبُ . فلما أصبح أتى النبى صلى الله عليه وسلم ، فذكر ذلك له . فقام عمر بن الخطاب فقال : يا رسول الله ، إنّى أردتُ أهلى البارحة على ما يريدُ الرجلُ أهله ، فقالت: إنّها قد نامت ! فظننتها تعتَلُّ ، فواقعتها ، فأخبرتنى أنّها كانت نامت] .

٢٩٣٦ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس قال ، حدثنا حصين ابن عبد الرحمن، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : كانوا يصومون ثلاثة أيام من كل شهر ، فلما دخل رَمضان كانوا يصومون ، فإذا لم يأكل الرجل عند فطره حتى ينام ، لم يأكل إلى مثلها ، وإن نام أو نامت امرأته لم يكن له أن يأتيها إلى مثلها . فجاء شيخٌ من الأنصار يقال له صرمة بن مالك، فقال لأهله : أطعموني. فقالت : حتى أجعل لك شيئاً سُخناً! قال: فغلبته عينه فنام . ثم جاء عمر فقالت له امرأته : إني قد نمت! فلم يعذرها ، وظن أنها تعتلّ ، فواقعها . فبات هذا وهذا يتقلبان ليلتهما ظهراً وبَطناً ، فأنزل الله في ذلك : « وكلوا واشرَبوا حتى يَتبين لكم الخيطُ الأبيضُ من الخيط الأسود من الفجر » ، وقال : « فالآن بَاشروهن » ، فعفا الله عن ذلك ، وكانت سُنَّةً .

٢٩٣٧ – حدثنا أبو كريب قال حدثنا يونس بن بكير قال، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن معاذ بن جبل قال : كانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساءَ ما لم يناموا ، فإذا ناموا تركوا الطعامَ والشرابَ وإتيانَ النساء . فكان رجل من الأنصار يدعى أبا صِرْمة يعمل في أرض له ، قال : فلما كان عند فطره نام ، فأصبح صائماً قد جُهد . فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال : مالي أرى بك جَهداً ! فأخبره بما كان من أمره . واختان رَجل نفسه في شأن النساء ، فأنزل الله : « أحِلّ لكم ليلة الصيام الرفثُ إلى نسائكم » ، إلى آخر الآية . (١)

هذا لفظ آخر، ولكنه دال على المعنى الذي ذكره عبد الرحمن بن أبي ليلى ، والذي استدل به الطبري . ثم انظر الآثار التالية ٢٩٣٦ – ٢٩٣٨ عن ابن أبي ليلى .

(١) الحديث : ٢٩٣٧ – هو قطعة من حديث طويل ، سبق بعضه بهذا الإسناد : ٢٧٢٩ ، ٢٧٣٣ . ووقع في المطبوعة هنا تحريف في الإسناد، هكذا : « حدثنا عبد الرحمن بن عبيد الله عن عتبة »! وصوابه : « عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة » ، وهو المسعودي ، كما بينا فيما مضى .

وقد أشرنا فيما مضى إلى أن أبا داود روى هذا الحديث المطول : ٥٠٧ ، من طريق يزيد بن هرون ،

٢٩٣٨ – حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثني أبي ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن البراء – نحو حديث ابن أبي ليلى الذى حدّث به عمرو بن مرة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى – قال : كانوا إذا صاموا ونام أحدهم ، لم يأكُل شيئاً حتى يكون من الغد . فجاء رجلٌ من الأنصار وقد عمل فى أرض له وقد أعيا وكلّ ، فغلبته عينه فنام ، وأصبح من الغد مجهوداً ، فنزلت هذه الآية : « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر » . (١)

٢٩٣٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن رجاء البصرى قال ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن البراء قال : كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم إذا كان الرجل صائماً فنام قبل أن يفطر ، لم يأكل إلى مثلها ، وإنّ قيس بن صرمة الأنصارى كان صائماً ، وكان توجّه ذلك اليوم فعمِل فى أرضه ، فلما حضر الإفطارُ أتى امرأته فقال : هل عندكم طعام ؟ قالت : لا ، ولكن أنطلق فأطلب لك . فغلبته عينه فنام ، وجاءت امرأته قالت : قد نمت ! فلم ينتصف النهارُ حتى غُشي عليه، فذُكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فنزلت فيه هذه الآية : « أحِلّ لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم » إلى « من الخيط الأسود » ففرحوا بها فرحاً شديداً. (٢) ٩٦/٢

عن المسعودى . ولكنه لم يذكر فيه القسم الذى هنا كاملا ، بل أشار إليه ، إحالة على الرواية قبله ، فقال : « وجاء صرمة وقد عمل يومه . وساق الحديث » .

والحديث مطول فى مسند أحمد ٥ : ٢٤٦ – ٢٤٧ ، من رواية أبي النضر ويزيد بن هرون – كلاهما عن المسعودى ، به . كما أشرنا إليه مفصلا ، فيما مضى : ٢١٥٦ . وفيه القسم الذى هنا . ولكن فيه أن الرجل الأنصارى « يقال له صرمة » ، كما فى رواية أبي داود .

وقد مضى فى الرواية السابقة : ٢٩٣٦ . أنه « صرمة بن مالك ». وفى هذه الرواية – هنا – : « يدعى أبا صرمة » .

والرواية السابقة مرسلة . وهذه الرواية منقطعة ، لأن عبد الرحمن بن أبي ليلى لم يدرك معاذ بن جبل . وسيأتى مزيد بيان عن اسم هذا الأنصارى ، فى الرواية الآتية : ٢٩٣٩ .

(١) الحديث : ٢٩٣٨ – هذا إسناد صحيح ، لولا ضعف سفيان بن وكيع – كما قلنا مراراً – ولكنه ثابت فى تفسير وكيع ، كما ذكره السيوطى .

والطبرى لم يذكر لفظه كاملا ، أحال على الروايات قبله . وسيذكره كاملا عقب هذا .

(٢) الحديث : ٢٩٣٩ – وهذا إسناد صحيح . عبد الله بن رجاء الغدانى : سبق توثيقه : ٢٨١٤ .

٢٩٤٠ – حدثني المثنى قال حدثنا أبو صالح قال، حدثنا معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قول الله تعالى ذكره: «أحِلّ لكم ليلة الصيام الرفثُ إلى نسائكم»، وذلك أن المسلمين كانوا في شهر رمضان إذا صلوا العشاء حُرِّم عليهم النساء والطعام إلى مثلها من القابلة. ثم إن ناساً من المسلمين أصابوا الطعام والنساء في رمضان بعد العشاء منهم عمر بن الخطاب، فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله: «علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتابَ عليكم وعَفا عنكم فالآن باشروهن» يعني: انكحوهن، «وكلوا واشربوا حتى يَتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر». (١)

٢٩٤١ – حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال، أخبرنا ابن المبارك، عن ابن لهيعة قال، حدثني موسى بن جبير مولى بني سلمة: أنه سمع عبدالله بن كعب ابن مالك يحدث عن أبيه قال: كان الناسُ في رمضان إذا صامَ الرجل فأمسَى فنام، حُرِّم عليه الطعام والشراب والنساءُ حتى يفطر من الغد. فرجع عمر بن

والحديث ثابت من حديث أبي إسحق السبيعي، عن البراء بن عازب الأنصاري:

فرواه أحمد في المسند ٤ : ٢٩٥ (حلبي)، عن أسود بن عامر، وأبي أحمد الزبيري. والبخاري ٤ : ١١١ – ١١٢ (فتح)، عن عبيد الله بن موسى. وأبو داود : ٢٣١٤، من طريق أبي أحمد. والترمذي ٤ : ٧١ – ٧٢، من طريق عبيد الله بن موسى – كلهم عن إسرائيل، عن جده أبي إسحق السبيعي. ورواه النسائي ١ : ٣٠٥، من طريق زهير، عن أبي إسحق. ورواه البخاري أيضاً ٨ : ١٣٦، مختصراً. عن عبيد الله بن موسى، وبإسناد آخر عن أبي إسحق.

وذكره السيوطي ١ : ١٩٧، وزاد نسبته إلى وكيع، وعبد بن حميد، والنحاس في ناسخه، وابن المنذر، والبيهقي في السنن.

وقد أطال الحافظ في الفتح ٤ : ١١١ – ١١٢، في بيان الاختلاف في اسم الأنصاري، والروايات في ذلك. ورجح أنه «أبو قيس صرمة بن أبي أنس قيس بن مالك بن عدي...». وأنه عن هذا جاء الاختلاف فيه: فبعضهم أخطأ اسمه وسماه بكنيته، وبعضهم نسبه لجده، وبعضهم قلب نسبه. وبعضهم صحفه «ضمرة بن أنس»، وأن صوابه «صرمة بن أبي أنس».

وكذلك صنع في الإصابة بأطول من ذلك ٣ : ٢٤١ – ٢٤٣، ٢٨٠.

«صرمة»: بكسر الصاد المهملة وسكون الراء وفتح الميم.

(١) الحديث : ٢٩٤٠ – ذكره ابن كثير ١ : ٤١٨ – ٤١٩، من غير تخريج. والسيوطي ١ : ١٩٧، ونسبه لابن جرير، وابن المنذر، فقط.

الخطاب من عند النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة وقد سَمَر عنده ، فوجد امرأته قد نامت، فأرادها فقالت : إني قد نمت ! فقال : ما نمت ! ثم وقع بها . وصنع كعب بن مالك مثل ذلك ، فغدا عمر بن الخطاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فأنزل الله تعالى ذكره : «علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتابَ عليكم وعفا عنكم فالآنَ باشرُوهن » الآية .(١)

٢٩٤٢ – حدثني المثنى قال ، حدثنا الحجاج قال ، حدثنا حماد بن سلمة قال ، حدثنا ثابت : أن عمر بن الخطاب واقَع أهله ليلةً في رمضان ، فاشتد ذلك عليه ، فأنزل الله : « أحِلّ لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم » . (٢)

٢٩٤٣ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال،

---

(١) الحديث : ٢٩٤١ – سويد : هو ابن نصر بن سويد المروزي ، وهو ثقة . مترجم في التهذيب ، ونص البخاري في الكبير ١٤٩/٢/٢ على أنه سمع ابن المبارك . وذكر أنه مات سنة ٢٤٠ عن ٩١ سنة .

ابن لهيعة – بفتح اللام وكسر الهاء : هو عبد الله ، الفقيه القاضي المصري . مختلف فيه كثيراً ، والتحقيق أنه ثقة صحيح الحديث . وقد فصلنا القول فيه في شرح المسند : ٨٧ ، ٦٦١٣ .

موسى بن جبير المدني الحذاء : ثقة ، يخطىء في بعض حديثه . مترجم في التهذيب ، والكبير ٤/١/ ٢٨١ ، وابن أبي حاتم ١٣٩/١/٤ ، ولم يذكرا فيه جرحاً . وهو مولى « بني سلمة »، بفتح السين وكسر اللام ، من الأنصار . انظر المشتبه للذهبي ، ص : ٢٧٠ .

عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري السلمي – بفتح اللام ، نسبة إلى « بني سلمة » بكسرها : تابعي ثقة ، كان قائد أبيه حين عمي ، أخرج له الشيخان وغيرهما .

والحديث رواه أحمد في المسند : ١٥٨٦٠ (٣ : ٤٦٠ حلبي) ، عن عتاب بن زياد ، عن عبد الله ابن المبارك ، بهذا الإسناد .

وذكره ابن كثير ١ : ٤٢٠ ، عن الطبري ، فقط .

وذكره السيوطي ١ : ١٩٧ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم « بسند حسن » . وإنما حسن إسناده ، من أجل ابن لهيعة – فيما أرجح – وعندي أنه إسناد صحيح .

(٢) الحديث : ٢٩٤٢ – ثابت : هو ابن أسلم البناني ، بضم الباء الموحدة وتخفيف النون الأولى . وهو تابعي ثقة ، ولكنه يروي عن صغار الصحابة ، كأنس ، وابن الزبير ، وابن عمر . لم يدرك أن يروي عن عمر بن الخطاب . فهذا إسناد منقطع ، ضعيف لذلك .

والحديث ذكره السيوطي ١ : ١٩٧ ، ولم ينسبه لغير ابن جرير .

حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « أحِلّ لكم ليلةَ الصيام الرفثُ إلى نسائكم هُنّ لباسٌ لكم وأنتم لباسٌ لهن » إلى « وعفا عنكم » . كان الناس أوّلَ ما أسلموا إذا صام أحدُهم يصوم يومه ، حتى إذا أمسى طعِم من الطعام فيما بينه وبين العتمة ، حتى إذا صُليت حُرّم عليهم الطعامُ حتى يمسى من الليلة القابلة . وإنّ عمر بن الخطاب بينما هو نائم إذ سوّلت له نفسه فأتى أهله لبعض حاجته ، فلما اغتسلَ أخذ يبكي ويلوم نفسه كأشد ما رأيتَ من الملامة ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسولَ الله، إني أعتذر إلى الله وإليك من نفسي هذه الخاطئة ، فإنها زيّنت لي فواقعتُ أهلي ! هل تجد لي من رخصة يا رسول الله ؟ قال : لم تكن حقيقاً بذلك يا عمر ! فلما بلغ بيته أرسل إليه فأنبأه بعُذره في آية من القرآن ، وأمر الله رسوله أن يَضَعها في المئة الوسطى من سورة البقرة فقال : « أحِلّ لكم ليلة الصيام الرفثُ إلى نسائكم » إلى« علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم » ، يعني بذلك : الذي فعل عمر بن الخطاب فأنزل الله عفوه . فقال: « فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن » إلى « من الخيط الأسود »، فأحل لهم المجامعة والأكل والشرب حتى يتبين لهم الصبح .(١)

---

(١) الحديث : ٢٩٤٣ – هذا الحديث بالإسناد المسلسل بالضعفاء ، الذي شرحناه مفصلا في : ٣٠٥ . وقد ذكره السيوطي ١ : ١٩٧ ، ونسبه الطبري وابن أبي حاتم .

ولم تكن بنا حاجة للكلام عليه هنا ، إلا أننا أردنا أن نمهد به لحديث لأبي هريرة في معناه . نقله السيوطي ١ : ١٩٧ ، ونسبه للطبري فقط ، قال : « وأخرج ابن جرير ، عن أبي هريرة . . . » .

وذكره ابن كثير ١ : ٤١٩ مع أواخر إسناده ، ولم يذكر من خرجه . والظاهر من تتبع صنيعه أنه نقله عن الطبري أيضاً .

ولم نجده في الطبري ، فإما سقط من الناسخين ، وإما هو في موضع آخر من الطبري لما تصل إلينا معرفته . فرأينا إثباته – تماماً للفائدة ، وحفظاً لما ينسب لهذا التفسير العظيم .

قال ابن كثير : « وقال سعيد بن أبي عروبة ، عن قيس بن سعد ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن أبي هريرة ، في قول الله تعالى ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ إلى قوله ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ ، قال : كان المسلمون

٢٩٤٤ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « أحِلّ لكم ليلة الصيام الرفثُ إلى نسائكم » . قال : كان الرجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يصوم الصيام بالنهار ، فإذا أمسى أكل وشرب وَجامع النساء ، فإذا رَقد حرّم ذلك كله عليه إلى مثلها من القابلة . وكان منهم رجال يَختانون أنفسهم فى ذلك ، فعفا الله عنهم ، وأحل [ذلك] لهم بعد الرقاد وَقبله فى الليل كله . (١)

قبل أن تنزل هذه الآية — إذا صلّوا العشاء الآخِرةَ حَرُمَ عليهم الطعامُ والشرابُ والنساء حتى يُفطروا. وإن عمر بن الخطاب أصاب أهلَه بعد صلاة العشاء ، وإن صِرْمَةَ بن قيس الأنصارى غَلَبَتْهُ عيناه بعد صلاة المغرب ، فنام ولم يشبع من الطعام ، ولم يستيقظ حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء، فقام فأكل وشرب، فلما أصبح أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فأخبره بذلك، فأنزل الله عند ذلك : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ ، يعنى بالرفث مجامعةَ النساء ، ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ، عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ ، يعنى: تجامعون النساء وتأكلون وتشربون بعد العشاء ، ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ ، فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ ﴾ ، يعنى : جامِعُوهُنّ ، ﴿ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ ﴾ ، يعنى: الولد ، ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ، ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ ، فكان ذلك عَفْواً من الله ورَحْمَةً » .

هذا لفظ رواية ابن كثير . والسيوطى اختصره قليلا .

فهذا إسناد صحيح من سعيد بن أبي عروبة إلى أبي هريرة . أما ما وراء سعيد بن أبي عروبة، فلا ندرى ما حاله ، حتى نعرف رواته .

وقيس بن سعد : هو المكى ، أبو عبد الملك ، وهو ثقة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/١/١٥٤ . وابن أبي حاتم ٣/٢/٩٩ ، وابن سعد ٥ : ٣٥٥ ، ولكن ذكر أن كنيته « أبو عبيد الله » . وقال : « كان قد خلف عطاء بن أبي رباح فى مجلسه » .

وكنية قيس عند البخارى « أبو عبد الله » . والظاهر أن هذا هو الصحيح ، لأن الدولابى ذكره فى الكنى ٢ : ٥٩ ، فى باب « أبو عبد الله » .

(١) الزيادة بين القوسين لابد منها ، استظهرتها من الأثر الذى يليه ومن السياق .

٢٩٤٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يصوم الصائم في رمضان ، فإذا أمسى – ثم ذكر نحو حديث محمد بن عمرو ، وزاد فيه : وكان منهم رجال يختانون أنفسهم ، وكان عمر بن الخطاب ممن اختانَ نفسه ، فعفا الله عنهم ، وأحل ذلك لهم بعد الرقاد وقبله وفي الليل كله .

٢٩٤٦ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر قال ، أخبرني إسمعيل بن شَرُوس ، عن عكرمة مولى ابن عباس : أن رجلاً – قد سَمَّاه [فنسيته] – من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار ، جاء ليلةً وهو صائم ، فقالت له امرأته : لا تَنَمْ حتى نصنعَ لك طعاماً ! فنام ، فجاءت فقالت : نمت والله ! فقال : لا والله ! قالت : بلى والله ! فلم يأكل تلك الليلة ، وأصبح صائماً فغُشي عليه ، فأنزلت الرخصة فيه . (١)

٢/٩٧

---

(١) الحديث : ٢٩٤٦ – إسمعيل بن شروس ، أبو المقدام الصنعاني : ذكره ابن حبان وابن شاهين في الثقات ، كما في لسان الميزان . وذكره ابن سعد في الطبقات ٥ : ٣٩٧ ، ولم يذكر فيه أكثر من قوله « قد روى عنه » . وترجمه ابن أبي حاتم ١/١/١٧٧ ، ولم يذكر فيه جرحاً ، والبخاري في الكبير ١/١/٣٥٩ – ٣٦٠ ، وذكر أنه يروى عن عكرمة ، من قوله – يعني غير متصل ، فهو إشارة إلى هذه الرواية ، لأنها من قول عكرمة ، مرسلة ، لم يسندها عن أحد من الصحابة ، ثم قال البخاري : « قال عبد الرزاق ، عن معمر : كان يشبج الحديث » . ونقل مصححه العلامة الشيخ عبد الرحمن اليماني ، عن هامش إحدى نسخ التاريخ الكبير : « أي لا يأتي به على الوجه » . وهذا هو الصواب في هذا الحرف ، أنه « يشبج » من « التشبيج » بالشاء المثلثة والجيم ، في شرح القاموس ٢ : ١٣ « يقال شبج الكتاب والكلام تشبيجاً : لم يبينه . وقيل : لم يأت به على وجهه . وقال الليث : التشبيج التخليط » . ونقلت هذه الكلمة في لسان الميزان ١ : ٤١١ محرفة إلى « يضع الحديث » ! وهو تحريف قبيح . فما رمى هذا الرجل بالوضع قط . ولم يذكره البخاري ولا النسائي في الضعفاء .

و« شروس » : من الأسماء النادرة ، ولم أجد نصاً على ضبطه ، إلا أنه ضبط بالقلم في تفسير عبد الرزاق بفتحة فوق الشين المعجمة وضمة فوق الراء وكسرتين تحت السين المهملة في آخره . ونقل الشيخ عبد الرحمن اليماني هذا الضبط أيضاً عن إحدى نسخ التاريخ الكبير ، وأن بهامشها نسخة أخرى مضبوطة بفتحة فوق الشين وأخرى فوق الواو مع سكون فوق الراء .

وهذا الحديث مرسل – كما ترى . وهو في تفسير عبد الرزاق ، ص : ١٨ . ولم أجده في غير هذين الموضعين .

٢٩٤٧ – حدثنا بشر قال ،حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « علم الله أنكم كُنتم تختانون أنفسكم » . وكان بدءُ الصيام أمِروا بثلاثة أيام من كل شهر ، وركعتين غدوة وركعتين عشية ، فأحلّ الله لهم فى صيامهم – فى ثلاثة أيام ، وفى أول ما افترض عليهم فى رمضان – إذا أفطروا ، وكان الطعام والشرابُ وغشيان النساء لهم حلالاً ما لم يرقدوا، فإذا رَقدوا حُرم عليهم ذلك إلى مثلها من القابلة . وكانت خيانة القوم أنهم كانوا يُصيبون أو ينالون من الطعام والشراب وغشيان النساء بعد الرقاد ، وكانت تلك خيانة القوم أنفسهم . ثم أحل الله لهم [بعد] ذلك الطعام والشراب وغشيانَ النساء إلى طلوع الفجر . (١)

٢٩٤٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « أحلّ لكم ليلة الصيام الرفثُ إلى نسائكم » ، قال : كان الناس قبل هذه الآية إذا رَقَد أحدُهم من الليل رَقْدةً ، لم يحلّ له طعامٌ ولا شرابٌ ولا أن يأتى امرأته إلى الليلة المقبلة ، فوقع بذلك بعض المسلمين ، فمنهم من أكل بعد هجعته أو شرب ، ومنهم من وقع على امرأته ، فرخص الله ذلك لهم .

٢٩٤٩ – حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : كُتب على النصارى رَمضان ، وكُتب عليهم أن لا

وقد زدنا كلمة [فنسيته] ، بعد كلمة « سماه » – من تفسير عبد الرزاق . وكان فى المطبوعة « وأنزلت الرخصة » ، بالواو بدل الفاء . وأثبتنا الفاء من تفسير عبد الرزاق ، إذ هى أجود هنا .

(١) الأثر : ٢٩٤٧ – الذى بين القوسين زيادة لابد منها . وسياق هذا الأثر فيه بعض الغرابة ، ولم أجده بنصه هذا فى مكان آخر . ولكن جاء فى الدر المنثور ١ : ١٩٨ أثر مثله ، قال فى صدره : « وأخرج عبد حميد وابن جرير عن قتادة » ، وساق أثراً يخالفه كل المخالفة فى أكثر لفظه ، وإن وافقه فى بعض المعنى : قال .

[كان هذا قبل صوم رمضان ، أمروا بصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، من كل عشرة أيام يوماً . وأمروا بركعتين غدوة وركعتين عشية . فكان هذا بدء الصلاة والصوم . فكانوا فى صومهم هذا ، وبعد ما فرض الله رمضان ، إذا رقدوا لم يمسوا النساء والطعام إلى مثلها من القابلة . وكان أناس من المسلمين يصيبون من النساء والطعام بعد رقادهم ، وكانت تلك خيانة القوم أنفسهم ، فأنزل الله فى ذلك من القرآن : « علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم » ، الآية] .

يأكلوا ولا يَشربوا بَعد النوم ، ولا ينكحوا النساء شهر رمضان. فكتب على المؤمنين كما كُتب عليهم . فلم يزل المسلمون على ذلك يَصنعون كما تصنع النصارى، حتى أقبل رجل من الأنصار يقال له أبو قيس بن صرمة ، وكان يَعمل فى حيطان المدينة بالأجر ،[1] فأتى أهله بتمر فقال لامرأته : استبدلى بهذا التمر طحيناً فاجعليه سَخينةً ، لعلىّ أن آكله ، فإن التمر قد أحرق جَوْفى ! فانطلقت فاستبدلت له ، ثم صنعتْ فأبطأتْ عليه ، فنام ، فأيقظته ، فكره أن يعصى الله ورسوله ، وأبى أن يأكل وأصبح صائماً . فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعشىّ . فقال : مالك يا أبا قيس ! أمسيتَ طليحاً ؟[2] فقص عليه القصة .

وكان عمر بن الخطاب وقع على جارية لهُ — فى ناس من المؤمنين لم يملكوا أنفسهم — فلما سمع عمر كلام أبى قيس ، رَهبَ أن ينزل فى أبى قيس شىء ، فتذكّر هُوَ ، فقام فاعتذر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إنى أعوذُ بالله ، إنىّ وقعتُ على جاريتى ولم أملك نفسى البارحة ! فلما تكلم عُمر ، تكلم أولئك الناس ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ما كنتَ جديراً بذلك يا ابن الخطاب ! فنُسِخ ذلك عنهم ، فقال : « أحِلّ لكم ليلةَ الصيام الرفث إلى نسائكم هُن لباسٌ لكم وأنتم لباس لهن عَلم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم » ، — يقول : إنكم تقعون عليهن خيانةً — « فتابَ عليكم وَعفا عنكم فالآنَ باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم » — يقول : جامعوهن ، ورجع إلى أبى قيس فقال — : « وكلوا واشربوا حتى يَتبين لكم الخيطُ الأبيض من الخيط الأسود من الفجر » .

٢٩٥٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قلت لعطاء : « أحِلّ لكم ليلةَ الصيام الرفثُ إلى نسائكم » ، قال :

---

(١) الحيطان جمع حائط : وهو البستان من النخيل إذا كان عليه حائط ، فإذا لم يكن عليه حائط فهو ضاحية ، وجمعه الضواحى .

(٢) الطليح : الساقط من الإعياء والجهد والهزال .

كانوا فى رمضان لا يمسُّون النساءَ ولا يطعمون ولا يشربون بعد أن يناموا حتى الليل من القابلة ، فإن مسُّوهن قبل أن يناموا لم يروا بذلك بأساً . فأصاب رجل من الأنصار امرأته بعد أن نام ، فقالَ : قد اختنت نفسى ! فنزل القرآن ، فأحل لهم النساء والطعام والشرابَ حتى يتبين لهم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر . قال : وقال مجاهد : كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يصوم الصائم مُنهم فى رمضان، فإذا أمسى أكل وشرب وَجامع النساء ، فإذا رَقد حرُم ذلك عليه كله حتى كمثلها من القابلة : وكان منهم رجال يختانون أنفسَهم فى ذلك، فعفا عنهم وأحلَّ لهم بعد الرقاد وَقبله فى الليل فقال : « أحِلَّ لكم ليلة الصيام الرفثُ إلى نسائكم » الآية .

٢٩٥١ — حدثنى القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة أنه قال فى هذه الآية : « أحِلَّ لكم ليلة الصيام الرفثُ إلى نسائكم » مثل قول مجاهد — وزاد فيه : أن عمر بن الخطاب قال لأمراته : لا ترقدى حتى أرْجع من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم . فرقدت قبل أن يرجع ، فقال لها : ما أنت براقدة ! ثم أصابها، حتى جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر ٩٨/٢
ذلك له ، فنزلت هذه الآية . قال عكرمة : نزلت : « وكلوا واشربوا » الآية فى أبى قيس بن صرْمة ، من بنى الخزرج، أكل بعد الرقاد .

١٩٥٢ — حدثنى المثنى قال، حدثنا الحجاج قال ، حدثنا حماد قال ، أخبرنا محمد بن إسحق ، عن محمد بن يحيى بن حبان ، أن صرمة بن أنس أتى أهله ذات ليلة وهو شيخٌ كبيرٌ ، وهو صائم فلم يُهيئوا له طعاماً ، فوضع رأسه فأغفى، وجاءته امرأته بطعامه فقالت له : كل . فقال : إنى قد نمتُ ! قالت : إنك لم تنم ! فأصبح جائعاً مجهوداً، فأنزل الله : « وكلوا واشربوا حتى يَتبين لكم الخيطُ الأبيضُ من الخيط الأسود من الفجر » .

* * *

فأما « المباشرة» فى كلام العرب ، فإنه مُلاقاة بَشَرة ببَشَرة . و « بشرة » الرجل جلدته الظاهرة .

* * *

وإنما كنى الله بقوله : « فالآن باشروهن » عن الجماع . يقول : فالآن إذ أحللتُ لكم الرفثَ إلى نسائكم ، فجامعوهن فى ليالى شهر رمضان حتى يطلع الفجر ، وهو تبيُّنُ الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر .

* * *

وبالذى قلنا فى « المباشرة » قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٩٥٣ ــ حدثنا محمد بن بشار قال : حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا سفيان = وحدثنا عبد الحميد بن سنان قال ، حدثنا إسحق ، عن سفيان = وحدثنى محمد ابن عبد الله بن عبد الحكم قال ، حدثنا أيوب بن سويد ، عن سفيان = ، عن عاصم ، عن بكر بن عبد الله المزنى ، عن ابن عباس قال : المباشرة الجماع ، ولكنّ الله كريمٌ ، يكنى .

٢٩٥٤ ــ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن عاصم ، عن بكر بن عبد الله المزنى ، عن ابن عباس نحوه .

٢٩٥٥ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا معاوية ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « فالآن باشرُوهن » ، انكحُوهنّ .

٢٩٥٦ ــ حدثنى محمد بن سعد قال حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : المباشرة النكاحُ .

٢٩٥٧ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : قلت لعطاء ، قوله : « فالآن باشرُوهن » ، قال : الجماع .

وكل شيء في القرآن من ذكر « المباشرة » فهو الجماع نفسه . وقالها عبد الله بن كثير مثل قول عطاء : في الطعام والشراب والنساء .

٢٩٥٨ – حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا يزيد بن زريع قال حدثنا شعبة = وحدثنا ابن بشار قال ،حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة =، عن أبي بشر ،عن سعيد بن جبير ،عن ابن عباس قال: المباشرة الجماع ،ولكن الله يكنى ما شاء بما شاء . (١)

٢٩٥٩ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم ، قال أبو بشر ، أخبرنا عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس مثله .

٢٩٦٠ – حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد ، قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فالآن باشروهن » ، يقول : جامعوهن .

٢٩٦١ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال : المباشرةُ الجماع .

٢٩٦٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال، أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن جريج ، عن عطاء مثله .

٢٩٦٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن الأوزاعي قال ، حدثني عبدة بن أبي لبابة قال: سمعت مجاهداً يقول : المباشرة، في كتاب الله، الجماع.

٢٩٦٤ – حدثنا ابن البرقي، حدثنا عمرو بن أبي سلمة، قال، قال الأوزاعي : حدثنا من سمع مجاهداً يقول : المباشرة، في كتاب الله، الجماع .

* * *

(١) الأثر : ٢٩٥٨ – في المطبوعة : « محمد بن مسعدة » ، والصواب ما أثبت ، وقد سلف في رقم ٢٧٧٤ ، ٢٨٨٣ ، وهو حميد بن مسعدة بن المبارك الباهلي البصري . ذكره ابن حبان في الثقات . وتوفي سنة ٢٤٤ .

واختلفوا فى تأويل قوله : « وابتغوا ما كتب الله لكم » . فقال بعضهم : الولد .

* ذكر من قال ذلك :

٢٩٦٥ – حدثنى عبدة بن عبد الله الصفّار البصرى قال، حدثنا إسماعيل بن زياد الكاتب ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد : « وابتغوا ما كتب الله لكم » قال : الولد . (١)

٢٩٦٦ – حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا سهل بن يوسف وأبو داود ، عن شعبة قال : سمعت الحكم : «وابتغوا ما كتب الله لكم»، قال: الولد

٢٩٦٧ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا أبو تميلة قال ، حدثنا عبيد الله ، عن عكرمة قوله : « وابتغوا ما كتب الله لكم »، قال : الولد .

٢٩٦٨ – حدثنى على بن سهل قال ، حدثنا مؤمل، حدثنا أبو مودود بحر بن موسى قال : سمعت الحسن بن أبى الحسن يقول فى هذه الآية : « وابتغوا ما كتب الله لكم » ، قال : الولد .

٦٩٦٩ حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وابتغوا ما كتب الله لكم » ،فهو الولد .

٢٩٧٠ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنا أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس: « وابتغوا ما كتب الله لكم »، يعنى : الولد

٢٩٧١ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنى

---

(١) الخبر : ٢٩٦٥ – عبدة بن عبد الله بن عبدة الصفار : ثقة من شيوخ البخارى . وهو من نوادر الشيوخ الذين روى عنهم فى صحيحه وهم أحياء . لأنه مات سنة ٢٥٨ ، أى بعد البخارى بسنتين . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣ / ١ / ٩٠ ، ورجال الصحيحين ، ص : ٣٣٦ .

إسمعيل بن زياد الكاتب : لم أعرف من هو يقينا ، وفى هذه الترجمة بضع شيوخ فى التهذيب ١ : ٢٩٨ – ٣٠١ ، ولسان الميزان ١ : ٤٠٥ – ٤٠٧ ، ولكنى أكاد أرجح أنه هو الذى روى له ابن ماجة حديثاً : ١٣١٤ ، عن ابن جريج ، باسم « إسمعيل بن زياد » دون لقب أو وصف .

عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وابتغوا ما كتب الله لكم »، قال : الولد ، فإنْ لم تلد هذه فهذه .

٢٩٧٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بنحوه .

٢٩٧٣ – حدثنا الحسن بن يحيى ، أخبرنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عمن سمع الحسن في قوله : « وابتغوا ما كتب الله لكم »، قال : هو الولد .

٢٩٧٤ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله : « وابتغوا ما كتب الله لكم »، قال : ما كتب لكم من الولد. ٢/٩٩

٢٩٧٥ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وابتغوا ما كتب الله لكم »، قال : الجماع .

٢٩٧٦ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، حدثنا الفضل بن خالد قال ، حدثنا عبيد بن سلمان قال ، سمعت الضحاك بن مزاحم، قوله : « وابتغوا ما كتب الله لكم »، قال : الولد .[1]

* * *

وقال بعضهم معنى ذلك : ليلة القدر .

* ذكر من قال ذلك :

٢٩٧٧ – حدثنا أبو هشام الرفاعي قال، حدثنا معاذ بن هشام قال ، حدثني أبي ، عن عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس : « وابتغوا ما كتب الله لكم » ، قال : ليلةُ القدر . قال أبو هشام . هكذا قرأها معاذ .

٢٩٧٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال ، حدثنا الحسن ابن أبي جعفر قال ، حدثنا عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن

---

(١) الخبر : ٢٩٧٦ – « الحسين بن الفرج » : ثبت هنا في المطبوعة « الحسن بن الفرج » ، وهو خطأ تكرر مراراً ، منها : ٢٧١٩ . ولا نرى داعياً لتكرار التنبيه عليه بعد .

عباس فى قوله : « وابتغوا ما كتب الله لكم » ، قال : ليلة القدر. (١)

* * *

وقال آخرون : بل معناه : ما أحله الله لكم ، ورَخَّصه لكم .

* ذكر من قال ذلك :

٢٩٧٩ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وابتغوا ما كتب الله لكم »، يقول : ما أحله الله لكم .

٢٩٨٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر قال ، قال قتادة فى ذلك : ابتغوا الرخصة التى كتبتُ لكم

* * *

وقرأ ذلك بعضهم : « وَاتَّبِعُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ » .

* ذكر من قال ذلك :

٢٩٨١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عطاء بن أبى رباح قال : قلت لابن عباس : كيف تقرأ هذه الآية . « وابتغوا » أو « اتبعوا » ؟ قال : أيتهما شئتَ! قال: عليك بالقراءةِ الأولى .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى تأويل ذلك عندى أن يقال : إن الله تعالى ذكره قال: « وابتغوا » – بمعنى : اطلبوا – « ما كتب الله لكم » – يعنى : الذى قَضَى الله تعالى لكم .

وإنما يريد الله تعالى ذكره : اطلبوا الذى كتبتُ لكم فى اللوح المحفوظ أنه يُباح فيطلقُ لكم . وطلب الولد إنْ طلبه الرجل بجماعه المرأةَ ، مما كتب الله له

(١) الخبران : ٢٩٧٧ – ٢٩٧٨ – عمرو بن مالك ، فى الإسنادين : هو النكرى ، بضم النون وسكون الكاف ، نسبة إلى « بنى نكرة » من عبد القيس . وهو ثقة .

أبو الجوزاء : هو أوس بن عبد الله الربعى ، وهو تابعى ثقة معروف ، أخرج له الشيخان ، وسائر أصحاب الكتب الستة . وقد بينا حاله وحال عمرو بن مالك الراوى عنه ، فى شرح المسند : ٢٦٢٣ .

« الربعى » : بفتح الراء والباء ، نسبة إلى « ربعة الأزد » ، كما فى اللباب لابن الأثير ١ : ٤٥٩ .

فى اللوح المحفوظ . وكذلك إن طلب ليلةَ القدر ، فهو مما كتب الله له . وكذلك إن طلب ما أحلَّ الله وأباحه ، فهو مما كتبه له فى اللوح المحفوظ .

وقد يدخل فى قوله : « وابتغوا ما كتب الله لكم » جميعُ معانى الخير المطلوبة ، غيرَ أن أشبه المعانى بظاهر الآية قول من قال : معناه وابتغوا ما كتب الله لكم من الولد ، لأنه عَقيبُ قوله : « فالآن باشرُوهن » ، بمعنى جامعوهنَّ ، فلأنْ يكون قوله : « وابتغوا ما كتب الله لكم » ، بمعنى : وابتغوا ما كتب الله فى مُباشرتكم إياهن من الولد والنسل ، أشبهُ بالآية من غيره من التأويلات التى ليس على صحتها دلالة من ظاهر التنزيل ، ولا خبرٌ عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

* * *

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « حتى يتبين لكم الخيطُ الأبيضُ من الخيطِ الأسود من الفجر » .

* * *

فقال بعضهم : يعنى بقوله : « الخيط الأبيض » ، ضوءَ النهار ، وبقوله : « الخيطِ الأسود » ، سوادَ الليل .

فتأويله على قول قائلى هذه المقالة : وكلوا بالليل فى شهر صَوْمكم واشربوا وَباشروا نساءكم مبتغين مَا كتب الله لكم من الولد ، من أول الليل ، إلى أن يقع لكم ضوءُ النهار بطلوع الفجر من ظلمة الليل وسواده .

• ذكر من قال ذلك :

٢٩٨٢ – حدثني الحسن بن عرفة قال، حدثنا روح بن عبادة قال ، حدثنا أشعث ، عن الحسن فى قوله الله تعالى ذكره : « حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر » ، قال : الليل من النهار .

٢٩٨٣ – حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر » ، قال : حتى يتبين لكم النهار من الليل ، « ثم أتموا الصيام إلى الليل » .

٢٩٨٤ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وكلوا واشرَبوا حين يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيامَ إلى الليل »، فهما عَلَمان وحدّان بيّنان، فلا يمنعكم أذانُ مُؤذّن مُراءٍ أو قليل العقل من سَحُوركم ، فإنهم يؤذنون بهجيع من الليل طويل . وقد يُرى بياضٌ ما على السحر يقال له : « الصبح الكاذب » كانت تسميه العرب ، فلا يمنعكم ذلك من سَحوركم ، فإن الصبح لا خفاء به : طريقةٌ مُعترِضة فى الأفق . وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الصبح ، فإذا رأيتم ذلك فأمسكوا . (١)

٢٩٨٥ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكمُ الخيطُ الأبيضُ من الخيط الأسود منَ الفجر » ، يعنى الليل من النهار ، فأحلّ لكم المجامعة والأكل والشربَ حتى يتبين لكم الصبح ، فإذا تبين الصبح حُرّم عليهم ١٠٠/

(١) الأثر : ٢٩٨٤ – الهجيع : الطائفة من الليل . يقال : مر هجيع – أو هزيع – من الليل، أى ساعة وطائفة منه . والسحر الثلث الآخر من الليل قبيل طلوع الفجر . والطريقة : الخط الممتد فى الشيء يكون ظاهراً باختلاف لون ، أو اختلاف ظاهر .

المجامعة والأكل والشربُ حتى يُتمُّوا الصيامَ إلى الليل . فأمر بصوم النهار إلى الليل ، وأمر بالإفطار بالليل .

٢٩٨٦ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو بكر بن عياش ، وقيل له : أرأيتَ قولَ الله تعالى : « الخيط الأبيضُ من الخيط الأسْود من الفجر » ؟ قال : إنك لعريض القفا ، قال : هذا ذهابُ الليل ومجيءُ النهار – قيل له : الشعبي عن عدى بن حاتم ؟ قال : نعم ، حدثنا حصين . (١)

* * *

وعلّة من قال هذه المقالة ، وتأوّل الآية هذا التأويل، ما : –

---

(١) الحديث : ٢٩٨٦ – حصين : هو ابن عبد الرحمن السلمى ، الثقة المأمون ، من كبار أئمة الحديث . مضت له رواية فى : ٥٧٩ .

وهذا الحديث اختصره أبو بكر بن عياش جداً ، وحذف إسناده حين حدث به ، ثم سئل عنه ، فبين أنه سمعه من حصين عن الشعبى عن عدى بن حاتم .

وسيأتى : ٢٩٨٧ ، ٢٩٨٩ مختصراً ، و ٢٩٨٨ مطولا ، ولكنه ثابت فى الصحيحين وغيرهما ، مطولا بسياق صحيح واضح :

فرواه أحمد فى المسند ٤ : ٣٧٧ (حلبى) عن هشيم : « أخبرنا حصين ، عن الشعبى ، أخبرنا عدى ابن حاتم، قال : لما نزلت هذه الآية (فكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود) ، قال : عمدت إلى عقالين ، أحدهما أسود ، والآخر أبيض ، فجعلتهما تحت وسادى ، قال : ثم جعلت أنظر إليهما ، فلا يتبين لى الأسود من الأبيض ، ولا الأبيض من الأسود ، فلما أصبحت غدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته بالذى صنعت ، فقال : إن كان وسادك إذاً لعريض ، إنما ذلك بياض النهار من سواد الليل » .

وقول عدى: « لما نزلت هذه الآية »، يريد : لما تليت عليه عند إسلامه ، لأن فرض الصوم كان فى أوائل الهجرة ، وعدى أسلم بعد ذلك بدهر ، فى السنة التاسعة أو العاشرة .

ورواه البخارى ٤ :١١٣ (فتح) ، من طريق هشيم ، ورواه مسلم ١ : ٣٠١ ، وأبو داود : ٢٣٤٩ – كلاهما من طريق عبد الله بن إدريس ، عن حصين . ورواه البخارى ٨ : ١٣٧ (فتح) مختصراً ، من طريق أبى عوانة ، عن حصين .

وذكره ابن كثير ١ : ٤٢١ ، من رواية أحمد ، ثم قال : « أخرجاه فى الصحيحين من غير وجه ، عن عدى » . وذكره السيوطى ١ : ١٩٩ ، وزاد نسبته لسفيان بن عيينة ، وسعيد بن منصور ، وابن أبى شيبة ، والترمذى ، وابن المنذر ، والبيهقى .

قوله : «عريض القفا » ، كناية عن السمن وطول النوم . وذلك دليل على الغفلة والركود .

٢٩٨٧ ــ حدثنا أبو كريب قال ، حدثناحفص بن غياث ، عن مجالد ابن سعيد ، عن الشعبي ، عن عدى بن حاتم قال : قلت : يا رسول الله ، قول الله : « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيطُ الأبيضُ من الخيط الأسود من الفجر »؟ قال : هو بياض النهار وسوادُ الليل . (١)

٢٩٨٨ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن نمير وعبدالرحيم بن سليمان ، عن مجالد بن سعيد ، عن عامر ، عن عدى بن حاتم قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلّمنى الإسلام ، ونَعت لىَ الصلوات كيفَ أصَلى كلَّ صلاة لوقتها ، ثم قال : إذا جاء رمضان فكل واشرب حتى يتبين لك الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ،ثم أتم الصيامَ إلى الليل . ولم أدر ما هو ، ففتلتُ خيطين من أبيض وأسود، فنظرت فيهما عند الفجر ، فرأيتهما سواءً . فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت :يا رسول الله ، كل شىء أوصيتنى قد حفظتُ ، غير « الخيط الأبيض من الخيط الأسود » ! قال : وما منعك يا ابن حاتم ؟ وتبسّم كأنه قد علم ما فعلت. قلتُ: فتلت خيطين من أبيض وأسود ، فنظرتُ فيهما من الليل فوجدتهما سواء! فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رُؤى نواجذُه، ثم قال : ألم أقلْ لك « من الفجر »؟ ،إنما هو ضوء النهار وظلمة الليل . (٢)

٢٩٨٩ ــ حدثنا أبو كريب قال ،حدثنا مالك بن إسمعيل قال، حدثنا داود وابن علية جميعاً ، عن مطرِّف ، عن الشعبي ، عن عدى بن حاتم قال : قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما « الخيطُ الأبيضُ من الخيط الأسود » أهما

---

(١) الحديث : ٢٩٨٧ ــ مجالد بن سعيد : مضت ترجمته فى : ١٦١٤ . والحديث تكرار للذى قبله فى معناه .

(٢) الحديث : ٢٩٨٨ ــ مجالد بن سعيد ، ثبت فى المطبوعة هنا محرفاً : « مجالد عن سعيد » ؛ وهذا السياق المطول ذكره السيوطى ١ : ١٩٩ ، ونسبه لابن جرير ، وابن أبى حاتم ، فقط .

ورواه أحمد فى المسند ٤ : ٣٧٧ (حلبى) ، عن يحيى ، وهو القطان ، عن مجالد ، عن عامر ، وهو الشعبى . ولكنه مختصر قليلا عما هنا .

خيطان أبيض وأسود ؟ فقال : إنك لعريضُ القفا ، إن أبصرْت الخيطين . ثم قال : لا ، ولكنه سوادُ الليل وبياضُ النهار .(١)

٢٩٩٠ ــ حدثني أحمد بن عبد الرحيم البرقي قال، حدثنا ابن أبي مريم قال ، حدثنا أبو غسان قال ، حدثنا أبو حازم ، عن سهل بن سعد قال : نزلت هذه الآية : « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيضُ من الخيط الأسود »، فلم ينزل « من الفجر » . قال : فكان رجال إذا أرادوا الصومَ ربط أحدهم في رجليه الخيطَ الأسود والخيط الأبيض، فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبيَّن له . فأنزل الله بعد ذلك : « من الفجر » ، فعلموا أنما يعني بذلك الليلَ والنهارَ .(٢)

* * *

وقال متأولو قول الله تعالى ذكره : « حتى يتبين لكم الخيطُ الأبيض من الخيط الأسود من الفجر » ، أنه بياض النهار وسواد الليل ــ : صفة ذلك البياض أن يكون

---

(١) الحديث : ٢٩٨٩ ــ مالك بن إسمعيل بن زياد بن درهم ، أبو غسان النهدي : حافظ ثقة . من شيوخ البخاري وغيره من الأئمة . مترجم في التهذيب، والكبير ٤/١/٣١٥، وابن سعد ٦ : ٢٨٢، وابن أبي حاتم ٤/١/٢٠٦ ــ ٢٠٧ .

داود ، شيخ مالك بن إسمعيل : لم أستطع معرفته ، ففي هذه الطبقة ممن يسمى « داود » كثرة . وأيا ما كان فالحديث صحيح ، من جهة رواية ابن علية معه عن مطرف .

مطرف : هو ابن طريف الحارثي ، مضت ترجمته في : ٢٢٤ .

والحديث مختصر ــ كما أشرنا آنفاً . وقد رواه البخاري ٨ : ١٣٧ ، عن قتيبة بن سعيد ، عن جرير ، وهو ابن عبد الحميد الضبي ، عن مطرف ، بهذا الإسناد ، نحوه .

(٢) الحديث : ٢٩٩٠ ــ أحمد بن عبد الرحيم البرقي : هو أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم ، مضى في : ٢٢ ، ١٦٠ .

ابن أبي مريم: هو سعيد بن الحكم، ثقة معروف، أخرج له أصحاب الكتب الستة ، مضى في : ٢٢.

أبو غسان : هو محمد بن مطرف ــ بكسر الراء المشددة ــ الليثي المدني ، أحد العلماء الأثبات ، روى له أصحاب الكتب الستة .

أبو حازم : هو سلمة بن دينار الأعرج التمار ، المدني ، تابعي ثقة ، لم يكن في زمانه مثله .

والحديث رواه البخاري ٤ : ١١٤ ــ ١١٥ ، و ٨ : ١٣٧ ، عن ابن أبي مريم ، بهذا الإسناد . ورواه مسلم ١ : ٣٠١ ، عن شيخين ، عن ابن أبي مريم .

ورواه أيضاً النسائي ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في سننه، كما في الدر المنثور ١ : ١٩٩.

منتشراً مستفيضاً فى السماء، يملأ بياضه وضوءُهُ الطرق. فأما الضوء الساطع فى السماء، فإن ذلك غير الذى عناه الله بقوله : « الخيط الأبيض من الخيط الأسود ».

* ذكر من قال ذلك :

٢٩٩١ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعانى قال، حدثنا معتمر بن سليمان قال : سمعت عمران بن حدير ، عن أبى مجلز : الضوء الساطعُ فى السماء ليس بالصبح ، ولكن ذاك « الصبح الكاذب »، إنما الصبح إذا انفضح الأفق.(١)

٢٩٩٢ – حدثنى سَلْم بن جنادة السوائى قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش،عن مسلم قال : لم يكونوا يعدُّون الفجر فجركم هذا ، كانوا يعدُّون الفجرَ الذى يملأ البيوتَ والطرُق.(٢)

٢٩٩٣ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثام ، عن الأعمش ، عن مسلم : ما كانوا يرون إلاّ أنّ الفجر الذى يَستفيض فى السماء.

٢٩٩٤ – حدثنا الحسن بن عرفة قال ، حدثنا روح بن عبادة قال : حدثنا ابن جريج قال ، أخبرنى عطاء أنه سمع ابن عباس يقول : هما فجران، فأما الذى يسطَع فى السماء فليس يُحِلّ ولا يُحرّم شيئاً ، ولكن الفجر الذى يستبين على رؤوس الجبال هو الذى يحرِّم الشرابَ.

٢٩٩٥ – حدثنا الحسن بن الزبرقان النخعى قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن محمد بن أبى ذئب ، عن الحارث بن عبد الرحمن ، عن محمد ابن عبد الرحمن بن ثوبان قال ، [قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم] : الفجر فجران ، فالذى كأنه ذنَب السِّرحان لا يحرّم شيئاً ، وأما

---

(١) فضحه الصبح : دهمته فضحة الصبح ، وهى بياضه فكشفه وبينه للأعين بضوئه . والأفضح : الأبيض ليس شديد البياض .

(٢) الأثر : ٢٩٩٢ – فى المطبوعة : « مسلم بن جنادة » والصواب ما أثبت ، وانظر ما سلف رقم : ٤٨ ، ومواضع أخرى كثيرة .

المستطير الذى يأخذ الأفق، فإنه يُحل الصلاة ويُحرّم الصوم .(١)

٢٩٩٦ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع وإسمعيل بن صبيح وأبو أسامة ، عن أبي هلال ، عن سَوادة بن حنظلة ، عن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يمنعكم من سَحُورَكم أذانُ بلال ، ولا الفجر المستطيل ، ولكن الفجرُ المستطيرُ فى الأفق .(٢)

---

(١) الخبر : ٢٩٩٥ – الحسن بن الزبرقان النخعى ، شيخ الطبرى : ترجمه ابن حاتم ١/٢/١٥، قال : « الحسن بن الزبرقان الكوفى ، سكن قزوين ، ويكنى بأبى الخزرج . روى عن مندل بن على ، وشريك ، وفضيل بن عياض ، والمطلب بن زياد ، ومحمد بن صبيح السماك . روى عنه أبى ، والفضل بن شاذان . سئل أبى عنه ، فقال : هو شيخ » . ولم أجد له ترجمة عند غيره .

أبو أسامة : هو حماد بن أسامة بن زيد الكوفى ، ثقة حافظ ثبت ، أخرج له أصحاب الكتب الستة .

محمد بن أبى ذئب : هو محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبى ذئب ، القرشى العامرى المدنى ، نسب إلى جده الأعلى ، وهو إمام ثقة حافظ ، يقرن بمالك أو يفضل عليه . وثبت فى المطبوعة هنا « محمد بن أبى ذؤيب » ؛ وهو خطأ بين .

الحارث بن عبد الرحمن القرشى العامرى – من أنفسهم – المدنى: ثقة ، وهو خال « ابن أبى ذئب » ، وهو أيضاً ابن عم أبيه ، كما فى نسب قريش ، ص : ٤٢٣ .

محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان القرشى العامرى – مولاهم – المدنى : تابعى ثقة معروف ، قال أبو حاتم « لا يسأل عن مثله » .

وقد زدنا بين قوسين ، عقب قوله « عن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان قال » – (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، لأنه هكذا نقله ابن كثير ١ : ٤٢٤ ، عن هذا الموضع من الطبرى ، بهذه الزيادة ، فيكون حديثاً مرسلا . وهكذا قال ابن كثير ، عقب نقله : « وهذا مرسل جيد » . يريد : جيد الإسناد إلى ابن ثوبان التابعى ، ولكنه لا يكون صحيحاً مرفوعاً، لأن المرسل لا تقوم به حجة .

وكذلك رواه البيهقى فى السنن الكبرى ٤ : ٢١٥ ، من طريق ابن وهب ، عن ابن أبى ذئب ، بهذا الإسناد . من رورواية ابن ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مرفوعاً ، مرسلا .

وكذلك ذكره السيوطى ١ : ٢٠٠ « عن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان : أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . . . » . ثم قال السيوطى : « وأخرجه الحاكم من طريقه، عن جابر ، موصولا » ، وكذلك ذكر البيهقى أنه « قد روى موصولا ، بذكر جابر بن عبد الله فيه » . وقد جهدت أن أجده فى المستدرك ، فخفى على موضعه .

ويكون ما وقع من الناسخين ، فى الطبرى هنا ، من حذف (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) – خطأ يقيناً . إذ يكون حينئذ موقوفاً على ابن ثوبان . وقد تضافرت الدلائل على أنه عن ابن ثوبان ، مرفوعاً مرسلا ، فى رواية الطبرى ورواية غيره .

والسرحان : الذئب . وذلك كناية عن استطالته وامتداده .

(٢) الحديث : ٢٩٩٦ – إسمعيل بن صبيح – بفتح الصاد المهملة وكسر الباء الموحدة – اليشكرى

٢٩٩٧ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا معاوية بن هشام الأسدى قال ، حدثنا شعبة ، عن سوادة قال : سمعت سمرة بن جندب يذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سمعه وهو يقول : لا يغرّنكم نداء بلال ، ولا هذا البياضُ ، حتى يبدوَ الفجرُ ويَنفجر .(١) ١٠١/٢

* * *

الكوفى : ثقة . مترجم فى التهذيب، وابن أبى حاتم ١/١/١٧٨ .

أبو هلال : هو الراسبى محمد بن سليم ، وهو ثقة .

سوادة بن حنظلة القشيرى البصرى : تابعى ثقة .

والحديث رواه أحمد فى المسند ٥ : ١٣ – ١٤ (حلبى) ، عن وكيع ، بهذا الإسناد ، نحوه . وكذلك رواه الترمذى ٢ : ٣٩ ، من طريق وكيع . .

وسيأتى مزيد تخريجه ، فى الحديث بعده .

(١) الحديث : ٢٩٩٧ – معاوية بن هشام الأسدى القصار : ثقة ، وثقه أبو داود وابن حبان . و « الأسدى » بفتح السين ، لأنه « مولى بنى أسد » ، كما فى ابن سعد ٦ : ٢٨٢ ، والتقريب ، وكذلك ثبت فى الصحيحين : ٩٢ . ووقع فى التهذيب والخلاصة « الأزدى » بالزاى ، هو خطأ .

وهذا الحديث فى معنى الذى قبله .

وقد رواه أبو داود الطيالسى : ٨٩٧ ، عن شعبة ، بهذا الإسناد ، نحوه . وكذلك رواه النسائى ١ : ٣٠٥ ، من طريق الطيالسى .

ورواه أحمد فى المسند ٥ : ٧ (حلبى) : « حدثنا محمد بن جعفر ، وروح ، قالا : حدثنا شعبة ، عن شيخ من بنى قشير ، قال روح : قال (يعنى شعبة) : سمعت سوادة القشيرى ، وكان إمامهم » فذكر الحديث .

ورواه مسلم ١ : ٣٠٢ ، من طريق معاذ ، وهو العنبرى ، ومن طريق أبى داود ، وهو الطيالسى – كلاهما عن شعبة .

وقد سقط فى هذا الموضع إسنادان آخران لهذا الحديث ، ذكرهما ابن كثير ١ : ٤٢٣ . فرأينا إثباتهما ، تماماً لنص أبى جعفر ما استطعنا :

قال ابن كثير : « وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن المثنّى ، حدثنا عبدالرحمن بن مهدى ، حدثنا شعبة ، عن شيخ من بنى قُشَيْر سمعت سَمُرة بن جندُب يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يَغُرَّنكم نداء بلال وهذا البياض ، حتى ينفجر الفجر ، أو يطلع الفجر » .

« ثم رواه من حديث شعبة وغيره ، عن سَوادَةَ بن حنظلة ، عن سمرة ، قال :

وقال آخرون : الخيطُ الأبيض : هو ضوءُ الشمس . والخيط الأسود : هو سودُ الليل.

* ذكر من قال ذلك:

٢٩٩٨ – حدثنا هنّاد بن السرى قال ، حدثنا عبيدة بن حميد، عن الأعمش،

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يمنعنّكم من سَحُوركم أذانُ بلال ، ولا الفجر المستطيل ، ولكن الفجر المستطيرُ فى الأفق » .

وهذا هذا هو لفظ الحديث : ٢٩٩٦ هنا ، ولكنه من غير طريق شعبة .

ثم قال ابن كثير ، نقلاً عن أبى جعفر : « قال : وحدثنى يعقوب بن إبرهيم ، [عن] ابن علية ، عن عبد الله بن سَوَادَةَ القُشَيْرِى ، عن أبيه ، عن سَمُرة بن جُنْدَب، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :لا يَغُرَّنّكم أذانُ بلال، ولا هذا البياض ، لِعَمُود الصبح ، حتى يَسْتَطِيرَ » .

فهذان الإسنادان اللذان لم يذكرا هنا ، ثابتان فى ابن كثير نقلا من ابن جرير.

والأول منهما يوافق رواية أحمد فى المسند – التى ذكرنا آنفاً – عن محمد بن جعفر عن شعبة ، التى أبهم فيها « شيخ من بنى قشير » .

والثانى منهما : وقع فيه خطأ مطبعى فى ابن كثير ، لأن الطبرى يرويه عن يعقوب بن إبرهيم ، وهو الدورقى الحافظ ، عن ابن علية ، عن عبد الله بن سوادة ، عن أبيه . فسقط فى مطبوعة ابن كثير حرف [عن] فزدناه ضرورة . لأن الحديث ثابت من رواية ابن علية ، وهو « إسمعيل بن إبرهيم » المعروف بابن علية .

والحديث ثابت من رواية ابن علية : فرواه مسلم ١ : ٣٠٢ ، عن زهير بن حرب ، « حدثنا إسمعيل ابن علية . . . » .

وكذلك رواه الحاكم فى المستدرك ١ : ٤٢٥ ، من طريق مسدد ، « حدثنا ابن علية » .

وعبد الله بن سوادة القشيرى – شيخ ابن علية فى هذا الإسناد – : ثقة ، كما بينا فى تخريج حديث آخر مضى ، برقم : ٢٧٩٢ .

والحديث رواه أيضاً أحمد فى المسند ٥ : ١٨ (حلبى) ، عن يزيد بن هرون ، عن شعبة .

ورواه الطيالسى أيضاً : ٨٩٨ ، عن محمد بن مسلم ، قال : « حدثنا سوادة بن حنظلة القشيرى . . . »

ورواه أيضاً مسلم ١ : ٣٠٢ ، وأبو داود : ٢٣٤٦ ، والبيهقى ٤ : ٢١٥ – ثلاثتهم من طريق حماد ابن زيد ، عن عبد الله بن سوادة ، عن أبيه .

عن إبراهيم التيمى قال : سافر أبى مع حُذيفة ، قال : فسار ، حتى إذا خشينا أن يفجأنا الفجرُ قال : هل منكم من أحد آكلٍ أو شاربٍ ؟ قال : قلت له : أمّا من يريد الصومَ فلا . قال : بلى ! قال : ثم سار ، حتى إذا استبطأنا الصلاة نزل فتسحَّر .(١)

٢٩٩٩ – حدثنا هناد وأبو السائب قالا ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم التيمى عن أبيه قال : خرجت مع حذيفة إلى المدائن فى رمضان ، فلما طلع الفجر قال : هل منكم من أحد آكل أو شارب ؟ قلنا : أمّا رجل يريدُ أن يصوم فلا . قال : لكنّى ! قال : ثم سرنا حتى استبطأنا الصلاة ، قال : هل منكم أحد يريد أن يتسحَّر ؟ قال : قلنا : أمّا من يريد الصومَ فلا . قال : لكنّى . ثم نَزَل فتسحَّر ثم صلى .(٢)

٣٠٠٠ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا أبو بكر قال : ربما شربت بعد قول المؤذن – يعنى فى رمضان – : « قد قامت الصلاة » . قال : وما رأيت أحداً كان أفعلَ له من الأعمش ، وذلك لما سمع قال : حدثنا إبراهيم التيمى ، عن أبيه قال : كنا مع حذيفة لسير ليلاً فقال : هل منكم متسحِّرٌ الساعة ؟ قال : ثم

---

(١) الخبر : ٢٩٩٨ – هذا موقوف على حذيفة بن اليمان ، وإسناده صحيح . إلا أنه وقع فى فى المطبوعة خطأ فى موضعين . وسيأتى عقب هذا موقوفاً بإسنادين آخرين . ثم يأتى معناه مرفوعاً ، من حديث حذيفة نفسه : ٣٠١١ – ٣٠١٤ .

هناد بن السرى – شيخ الطبرى فى هذا الإسناد : وقع فى المطبوعة « هشام بن السرى » ؛ وهو خطأ يقيناً ، ليس من راو بهذا الاسم – فيما علمنا – وإنما هو « هناد » . وقد ترجمنا له فى : ٢٠٥٨ .

عبيدة – بفتح العين – بن حميد ، بضم الحاء المهملة : مضى فى : ٢٧٨١ ، ووقع فى المطبوعة « عبادة بن حميد » ؛ وهو خطأ أيضاً .

إبرهيم التيمى : هو إبرهيم بن يزيد بن شريك ، وهو وأبوه تابعان ثقتان ، أخرج لهما أصحاب الكتب الستة .

وظاهر هذا الإسناد الانقطاع ، لأن إبرهيم التيمى لم يدرك حذيفة ، ولم يشهد سفر أبيه معه . ولكن تبين من الإسنادين بعده أنه روى ذلك عن أبيه ، فاتصل الإسناد .

(٢) الخبر : ٢٩٩٩ – إسناده صحيح متصل .

وقوله : « لكنى » ، اختصار قوله : لكنى أريد الصوم ، مثل ذلك كثير فى كلامهم .

سار ، ثم قال حذيفة : هل منكم متسحِّر الساعة ؟ قال : ثم سار حتى استبطأنا الصلاة ، قال : فنزل فتسحّر .(١)

٣٠٠١ – حدثنا هرون بن إسحق الهمدانى قال ، حدثنا مصعب بن المقدام قال ، حدثنا إسرائيل قال ، حدثنا أبو إسحق ، عن هبيرة ، عن على : أنه لما صلى الفجرَ قال : هذا حين يتبيّن الخيطُ الأبيض من الخيط الأسود من الفجر .(٢)

---

(١) الخبر : ٣٠٠٠ – هذا إسناد صحيح متصل أيضاً .

أبو بكر : هو ابن عياش ، وقد مضى مراراً ، منها : ٢١٥٠ . وهذا الإسناد صريح فى سماعه من الأعمش ، ورؤيته إياه يفعل ما حكى من تسحوره بعد الأذان .

وقال الحافظ فى الفتح ٤ : ١١٧ « وذهب جماعة من الصحابة ، وبه قال الأعمش من التابعين ، وصاحبه أبو بكر بن عياش – : إلى جواز السحور إلى أن يتضح الفجر » .

وقال أيضاً : « وقد روى ابن أبى شيبة وعبد الرزاق – ذلك عن حذيفة ، من طرق صحيحة » .

وانظر لهذه المسئلة – المحلى لابن حزم ، فى المسئلة : ٧٥٦ (ج ٧ ص ٢٢٩ – ٢٣٥) .

وسيأتى مزيد تخريج ، عند حديثه المرفوع : ٣٠١١ – ٣٠١٣ ، إن شاء الله .

(٢) الخبر : ٣٠٠١ – هرون بن إسحق الهمدانى ، شيخ الطبرى : كوفى حافظ ثقة ، من شيوخ البخارى فى غير الصحيح ، والترمذى ، والنسائى ، وغيرهم من الأئمة . مترجم فى التهذيب ، وابن سعد ٦ : ٢٨٩ ، وابن أبى حاتم ٤/٢/٨٧ – ٨٨ . وهو من الشيوخ الذين روى عنهم البخارى وهم أحياء ، مات سنة ٢٥٨ ، بعد البخارى بسنتين .

مصعب بن المقدام : مضت ترجمه : ١٢٩١ .

هبيرة – بضم الهاء : هو ابن يريم ، بفتح الياء التحتية وكسر الراء ، الشبامى ، بكسر الشين المعجمة وتخفيف الباء الموحدة وبعد الألف ميم ، نسبة إلى « شبام » ، وهو « عبد الله بن أسعد بن جشم بن حاشد » ، قال ابن سعد : « وسمى شبام ، بجبل لهم » .

ووقع فى التهذيب والتقريب والخلاصة « الشيبانى » ، وهو تصحيف . وهبيرة : تابعى ثقة ، تكلم فيه بعضهم ، لم يرو عنه غير أبى إسحق السبيعى ، وهو خال العالية امرأة أبى إسحق . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/٢/٢٤١ ، وابن سعد ٦ : ١١٨ ، وابن أبى حاتم ٤/٢/١٠٩ – ١١٠ .

وهذا الخبر سيأتى بإسناد آخر ، بنحوه : ٣٠١٠ .

وقد ذكره الحافظ فى الفتح ٤ : ١١٧ ، قال : « روى ابن المنذر بإسناد صحيح ، عن على : أنه صلى الصبح ثم قال : الآن حين تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود » . ولكن ذكره السيوطى ١ : ١٩٩ ، بنحوه ، بلفظ « أنه قال حين طلع الفجر . . . » ! ونسبه للفريابى ، وعبد بن حميد ، وابن جرير . وأنا أكاد أرجح أن قوله « طلع الفجر » تحريف من الناسخين ، لأن روايتى الطبرى ، هذه والآتية ، فيهما « صلى الفجر » ، وأيده ما نقله الحافظ من رواية ابن المنذر .

٣٠٠٢ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن الصلت قال ، حدثنا إسحق ابن حذيفة العطار ، عن أبيه ، عن البراء قال : تسحرت فى شهر رمضان ، ثم خرجت فأتيت ابن مسعود فقال : اشربْ . فقلت : إنىّ قد تسحَّرت ! فقال : اشرب ! فشربنا ، ثم خرجنا والناس فى الصلاة .(١)

٣٠٠٣ ــ حدثنا أبو كريب قال،حدثنا أبو معاوية ، عن الشيبانى ، عن جبلة بن سحيم ، عن عامر بن مطر قال : أتيت عبد الله بن مسعود فى داره ، فأخرج َفضلاً من سَحُوره فأكلنا معه ، ثم أقيمت الصلاة فخرجنا فصلينا .(٢)

٣٠٠٤ ــ حدثنا خلاد بن أسلم قال،حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبى

---

(١) الخبر : ٣٠٠٢ ــ هذا إسناد مشكل ، لا أدرى ما هو ؟

فابن الصلت : يدور بين اثنين فى هذه الطبقة ، « محمد بن الصلت بن الحجاج الأسدى » ، و « محمد بن الصلت التوزى » . فلا أدرى أيهما هو ؟ أم هو غيرهما .

وإسحق بن حذيفة العطار ، وأبوه : لم أجد لهما ترجمة ، ولا ذكراً ، فى شىء مما بين يدى من المراجع . وأخشى أن يكون فيهما معاً تحريف ، فلئن تركوا ترجمة « إسحق » ليبعدن أن يتركوا ترجمة أبيه ، وهو فى ظاهر هذا الإسناد تابعى ، يروى عن صحابى ، وهو البراء بن عازب .

وانظر الخبر الذى بعده .

(٢) الخبر : ٣٠٠٣ ــ أما هذا فإسناده صحيح .

الشيبانى : هو أبو إسحق سليمان بن أبى سليمان ، مضت ترجمته : ١٠٣٧ .

جبلة بن سحيم ــ بضم السين المهملة ، التيمى الشيبانى : تابعى ثقة ، ينسب إلى « تيم بن شيبان » ، فهو « تيمى » ، و « شيبانى » .

عامر بن مطر الشيبانى : تابعى ثقة . مترجم فى ابن سعد ٦ : ٨٢، وابن أبى حاتم ٣/١/٣٢٨ ، ولسان الميزان ٣ : ٢٢٥ . وروى ابن أبى حاتم عن عبد الرحمن بن الحكم بن بشير ، قال : « أبو مطر ، الذى يروى عنه جبلة بن سحيم : هو عامر بن مطر ، شيبانى ، رجل له شأن فى المسلمين » .

وهذا الخبر رواه ابن حزم فى المحلى ٧ : ٢٣٣ ، من طريق ابن أبى شيبة : « حدثنا أبو معاوية ، عن الشيبانى ــ هو أبو إسحق . . . » فذكره ، بهذا الإسناد ، نحوه .

وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٣ : ١٥٤ مختصراً ، هكذا : « وعن مطر الشيبانى ، قال : تسحرنا مع عبد الله ، ثم خرجنا فأقيمت الصلاة ، رواه الطبرانى فى الكبير ، ورجاله رجال الصحيح » .فسمى التابعى « مطر الشيبانى » . وهو تحريف ــ فيما أرجح ــ فليس فى الرواة من هذا اسمه . وما أدرى : التحريف من رواة الطبرانى ، أم من الهيثمى ، أم من ناسخ أو طابع ؟ ولكنه ــ عندى ــ تحريف على كل حال .

إسحق ، عن عبد الله بن معقل ، عن سالم مولى أبي حذيفة قال : كنت أنا وأبو بكر الصديق فوق سطح واحد في رمضان ، فأتيت ذات ليلة فقلت : ألا تأكل يا خليفةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فأومأ بيده : أنْ كُفَّ. ثم أتيته مرة أخرى فقلت له : ألا تأكلُ يا خليفة رسول الله ؟ فأومأ بيده : أنْ كُف. ثم أتيته مرة أخرى فقلت : ألا تأكل يا خليفةَ رسول الله ؟ فنظر إلى الفجر ثم أومأ بيده : أنْ كُفَّ . ثم أتيته فقلت : ألا تأكل يا خليفة رسول الله ؟ قال : هات غداءك ! قال : فأتيته به فأكل ، ثم صلى ركعتين ، ثم قام إلى الصلاة .(١)

---

(١) الخبر : ٣٠٠٤ – هذا إسناد ضعيف ، لانقطاعه .

خلاد بن أسلم ، أبو بكر الصفار ، شيخ الطبري : ثقة ، من شيوخ عبد الله بن أحمد ، والترمذي والنسائي ، مات في جمادى الآخرة سنة ٢٤٩ . مترجم في التهذيب ، والصغير للبخاري ص : ٢٣٧ ، وتاريخ بغداد ٨ : ٣٤٢ – ٣٤٣ .

عبد الله بن معقل – بفتح الميم وسكون العين المهملة وكسر القاف – بن مقرن – بضم الميم وفتح القاف وكسر الراء المشددة – المزني : تابعي ثقة ، يروى عن أبيه ، وهو صحابي ، وعن علي ، وابن مسعود ، وغيرهم . ولكنه لم يدرك أن يروى عن سالم مولى أبي حذيفة ، لأنه مات سنة ٨٨ ، وسالم قتل باليمامة سنة ١٢ في خلافة أبي بكر . ولذلك تعقب الحافظ ابن حجر في التهذيب ، ما ذكره أصله ، فقال : « وأطلق المؤلف روايته عن سالم مولى أبي حذيفة . والظاهر أنها مرسلة ، لأنه قتل باليمامة » . وابن معقل هذا مترجم في التهذيب . والصغير للبخاري ، ص : ٩٣ – ٩٤ ، وابن سعد ٦ : ١٢١ – ١٢٢ ، والإصابة ٥ : ١٤٤ . ووقع في المطبوعة هنا « عبيد الله » ، بالتصغير ، وهو خطأ .

سالم مولى أبي حذيفة : صحابي قديم الموت ، كما قلنا آنفاً . وهو الذي وردت في شأنه سنة إرضاع الكبير . وهو مولى ثبيتة بنت يعار الأنصارية زوج أبي حذيفة ، هي التي أعتقته ، فتولى أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة القرشي زوجها . قال ابن سعد : « فسالم يذكر في الأنصار في بني عبيد ، لعتق ثبيتة بنت يعار إياه ، ويذكر في المهاجرين ، لموالاته لأبي حذيفة » . وهو مترجم في الكبير ٢/٢/١٠٨ ، والصغير ، ص : ٢١ ، ٢٢ ، وابن سعد ٣/١/٦٠ – ٦٢ ، وابن أبي حاتم ٢/١/١٨٩ ، والإصابة ٣ : ٥٦ – ٥٧ . وقال ابن أبي حاتم : « لا أعلم روى عنه » . وتعقبه الحافظ في الإصابة ، فذكر له رواية حديثين مرفوعين ، ثم قال : « وفي السندين جميعاً ضعف وانقطاع . فيحصل كلام ابن أبي حاتم على أنه لم يصح عنه شيء » . ولم يذكر الحافظ رواية الطبري هذه ، وهي منقطعة أيضاً .

وهذا الخبر ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٤ : ١٥٤ ، مختصراً قليلا ، وقال : « رواه الطبراني في الكبير ، ورجاله رجال الصحيح » . هكذا قال ، فلم يشر إلى علته بالانقطاع ، إلا أن يكون إسناد الطبراني متصلا براو آخر فوق عبد الله بن معقل ، فلعل . ولكني لا أظن ذلك .

ثم ذكر الحافظ في الفتح ٤ : ١١٧ ، أن ابن المنذر « روى بإسناد صحيح ، عن سالم بن عبيد

٣٠٠٥ ــ حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ، حدثنا شعبة ، عن مغيرة ، عن إبراهيم قال : الوتر بالليل، والسَّحور بالنهار .

وقد رُوى عن إبراهيم غير ذلك :

٣٠٠٦ ــ حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر ، عن حماد ، عن إبراهيم قال : السحور بليل ، والوتر بليل.

٣٠٠٧ ــ حدثنا حكام، عن ابن أبى جعفر ، عن المغيرة ، عن إبراهيم قال : السحور والوتر ما بين التَّثْويب والإقامة.

٣٠٠٨ ــ حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ،

الأشجعى ، وله صحبة : أن أبا بكر قال له : اخرج فانظر هل طلع الفجر ؟ قال : فنظرت ثم أتيته ، فقلت : قد ابيض وسطع ، ثم قال : اخرج فانظر هل طلع ؟ فنظرت فقلت : قد اعترض ، فقال : الآن أبلغنى شرابى » . فهذا سالم بن عبيد صحابى معروف من أهل الصفة . والرواية عنه تأتى من وجه آخر غير رواية سالم مولى أبى حذيفة . فإن كان الإسناد إليه صحيحاً كما قال الحافظ ، فهو ذلك ، إلا أن يكون ذكر سالم بن عبيد » خطأ من بعض الرواة ، فليس عندى بيان آخر عن إسناد ابن المنذر .

وقد روى ابن حزم فى المحلى ٦ : ٢٣٢ ، نحو هذا المعنى ، بألفاظ أخر ، عن أبى بكر :

فقال ابن حزم : « روينا من طريق معمر ، عن أبان ، عن أنس ، عن أبى بكر الصديق ، أنه قال : إذا نظر الرجلان إلى الفجر ، فشك أحدهما ، فليلأكلا حتى يتبين لهما » .

« ومن طريق أبى أحمد الزبيرى ، عن سفيان الثورى ، عن منصور بن المعتمر ، عن هلال بن يساف ، عن سالم بن عبيد ، قال : كان أبوبكر الصديق يقول لى : قم بينى وبين الفجر حتى أتسحر » .

ومن طريق ابن أبى شيبة ، عن جرير بن عبد الحميد ، عن منصور بن المعتمر ، عن هلال بن يساف ، عن سالم بن عبيد الأشجعى ، قال : قم فاسترنى من الفجر ، ثم أكل » .

وهذا اللفظ الأخير مختصر ، يفهم مما قبله أنه حكاية عن أبى بكر أيضاً ، ولعله سقط منه شىء من ناسخى المحلى .

ثم قال ابن حزم : « سالم بن عبيد هذا : أشجعى كوفى ، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذه أصح طريق يمكن أن تكون » .

وأنا أرجح أن يكون طريق ابن المنذر ــ الذى نقله الحافظ فى الفتح ــ مثل هذين الطريقين الأخيرين ، اللذين نقلهما ابن حزم ، فيكون من رواية هلال بن يساف عن سالم بن عبيد . واستبعد جداً أن يكون طريق الطبرانى ، الذى ذكره الهيثمى ــ : من هذا الوجه .

ثم روى ابن حزم ٦ : ٢٣٣ ، نحو هذا المعنى ، من رواية أبى السفر ، ومن رواية أبى قلابة ــ كلاهما عن أبى بكر . وهما إسنادان منقطعان ، فإن أبا السفر وأبا قلابة لم يدركا أبا بكر يقيناً .

عن شبيب بن غرقدة ، عن عروة ، عن حبان قال : تسحرنا مع علىّ ، ثم خرجنا وقد أقيمت الصلاة ، فصلينا.(١)

٣٠٠٩ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا مؤمل قال، حدثنا سفيان ، عن

---

(١) الخبر : ٣٠٠٨ – شبيب بن غرقدة السلمى : تابعى ثقة ، وثقه أحمد وابن معين وغيرهما . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/٢/٢٣٢ ، وابن أبى حاتم ٢/١/٣٥٧ .

عروة : هو ابن أبى الجعد الأزدى البارق : صحابى معروف . قال البخارى : « وبارق : جبل ، نزله بعض الأزد » .

حبان – بكسر الحاء المهملة وتشديد الباء الموحدة : هو ابن الحارث ، أبو عقيل ، وهو تابعى ثقة . ترجمه البخارى فى الكبير ٢/١/٧٧، وابن أبى حاتم ١/٢/٢٦٩ ، والدولابى فى الكنى ٢ : ٣٣ .

وهكذا وقع فى الطبرى ، عن شيخه محمد بن المثنى – فى هذا الإسناد – زيادة « عروة البارق » بين « شبيب » و «حبان بن الحارث » . وسيأتى الخبر عقب هذا : ٣٠٠٩ ، من رواية سفيان بن عيينة ، عن شبيب ، عن حبان ، مباشرة دون واسطة ، وهو الثابت المحفوظ عن شبيب . فلعل ابن المثنى – شيخ الطبرى – وهم فى هذه الزيادة ، أو لعله كان من رواية شبيب ، عن عروة وعن حبان ، كلاهما عن على ، ثم اختلط فى الإسناد على الناسخين .

فإن البخارى روى هذا الخبر ، فى ترجمة « حبان » فى التاريخ الكبير ، موجزاً بالإشارة كعادته – على الصواب ، من الوجه الذى رواه الطبرى هنا :

فقال البخارى : « حدثنا محمد ، قال : حدثنا غندر ، قال : حدثنا شعبة ، عن شبيب ، عن حبان : تسحرنا مع على » .

فمحمد – شيخ البخارى : هو محمد بن بشار الحافظ . وغندر : هو محمد بن جعفر شيخ ابن المثنى فى إسناد الطبرى هذا . وهو قد رواه – كما ترى – دون واسطة بين شبيب وحبان .

وكذلك رواه البخارى بثلاثة أسانيد عن شبيب عن حبان ، فقال : « قال ابن محبوب ، عن عمر الأبار ، عن منصور ، عن شبيب ، عن حبان بن الحارث : تسحرنا مع على . وقال جرير ، عن منصور ، عن شبيب ، عن أبى عقيل . قال حسين ، عن زائدة ، عن شبيب ، عن طارق بن قرة ، وحبان بن الحارث ، بهذا ». وقد زاد فى الإسناد الأخير للبخارى : أن شبيباً رواه عن طارق بن طارق بن قرة ، عن على ، كمثل روايته إياه عن حبان، عن على. و « طارق بن قرة» : تابعى، لم يترجمه البخارى فى الكبير ، ولكن ترجمه ابن أبى حاتم ٢/١/٤٨٦ ، قال : « طارق بن قرة : روى عن على ، روى عنه شبيب بن غرقدة » . وبذلك ترجمه أيضاً ابن حبان فى الثقات ، ص : ٢٢٩ .

ورواية البخارى ، من طريق جرير عن منصور – رواها ابن حزم فى المحلى ٦ : ٢٣٣ مفصلة ، قال : « ومن طريق ابن أبى شيبة : حدثنا جرير ، هو ابن عبد الحميد ، عن منصور بن المعتمر ، عن شبيب بن غرقدة ، عن أبى عقيل ، قال : تسحرت مع على بن أبى طالب ، ثم أمر المؤذن أن يقيم الصلاة » .

فهذه أسانيد تدل على أن ذكر « عروة البارق » فى إسناد الطبرى هنا – إما سهو من ابن المثنى ، وإما إضافة فى الرواية مع حبان – لا رواية عنه – ثم حرفت من الناسخين .

شبيب ، عن حبان بن الحارث قال : مررت بعلىّ وهو فى دار أبى موسى وهو يتسحَّر ، فلما انتهيتُ إلى المسجد أقيمت الصلاة .(١)

٣٠١٠ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن أبى إسحق ، عن أبى السفر قال : صلى علىُّ بن أبى طالب الفجرَ ، ثم قال : هذا حين يتبيَّن الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر .(٢)

* * *

وعلة من قال هذا القول : أنّ الوقت إنما هو النهارُ دون الليل . قالوا : وأول النهار طلوعُ الشمس ، كما أنّ آخرَه غروبُها . قالوا : ولو كان أوله طلوعُ الفجر ، لوَجب أن يكون آخرَه غروبُ الشفق . قالوا : وفى إجماع الحجة على أنّ آخر النهار غروب الشمس ، دليلٌ واضح على أن أوله طلوعها . قالوا : وفى الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه تسحر بعد طُلوع الفجر ، أوضحُ الدليل على صحة قولنا .

* ذكر الأخبار التى رويت عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك :

٣٠١١ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا أبو بكر ، عن عاصم ، عن زر ، عن حذيفة ، قال ، قلت : تسحَّرتَ مع النبى صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم . قال : لو أشاءُ لأقولُ هو النهارُ إلاّ أنّ الشمس لم تطلع .(٣) ١٠٢/٢

---

(١) الخبر : ٣٠٠٩ – سفيان : هو ابن عيينة . والخبر تكرار فى معناه للخبر قبله . ورواه أيضاً ابن حزم فى المحلى ٦ : ٢٣٣ ، قال : « وعن سفيان بن عيينة ، عن شبيب بن غرقدة ، عن حبان ابن الحارث : أنه تسحر مع على بن أبى طالب ، وهما يريدان الصيام ، فلما فرغ قال للمؤذن : أقم الصلاة » .

(٢) الخبر : ٣٠١٠ – أبو السفر – بفتح الفاء – : هو سعيد بن يحمد ، بضم الياء التحتية وسكون الحاء المهملة وكسر الميم ، وهو تابعى ثقة ، يروى عن متوسطى الصحابة ، كابن عباس وابن عمر . وهذا الإسناد منقطع ، لأن أبا السفر لم يدرك أن يروى عن على بن أبى طالب . وقد مضى معناه عن على ، بإسناد آخر متصل : ٣٠٠١ .

(٣) الحديث : ٣٠١١ – عاصم : هو ابن بهدلة ، وهو ابن أبى النجود – بفتح النون – الكوفى المقرئ ، أحد القراء السبعة . وهو ثقة ، أخرج له أصحاب الكتب الستة . زر – بكسر الزاى وتشديد الراء : هو ابن حبيش ، التابعى الثقة . مضى فى : ٢٧٤ . حذيفة : هو ابن اليمان العبسى ، صحابى مشهور ، مناقبه كثيرة معروفة .

٣٠١٢ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو بكر قال : ما كذب عاصمٌ على زرّ ، ولا زرّ على حذيفة ، قال : قلتُ له : يا أبا عبد الله تسحرت مع النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، هو النهارُ إلا أن الشمس لم تطلع .(١)

٣٠١٣ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا سفيان ، عن عاصم ، عن زر ، عن حذيفة قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يتسحَّر وأنا أرى مواقعَ النَّبل . قال قلت : أبعدَ الصبح ؟ قال : هو الصبح ، إلاّ أنه لم تطلع الشمس .(٢)

٣٠١٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا الحكم بن بشير قال، حدثنا عمرو بن قيس وخلاد الصفار ، عن عاصم بن بهدلة، عن زر بن حبيش قال: أصبحت ذات يوم فغدوتُ إلى المسجد، فقلت : لو مررت على باب حذيفة ! ففتح لى فدخلتُ، فإذا هو يسخّن له طعامٌ ، فقال: اجلس حتى تطعمَ . فقلت : إنّى أريد الصوم . فقرّب طعامه فأكل وأكلت معه، ثم قام إلى لِقْحة فى الدار، فأخذ يحلُب من جانب وأحلُب أنا من جانب ، فناولنى فقلت : ألا ترى الصبح ؟ فقال : اشرب ! فشربتُ ، ثم جئتُ إلى باب المسجد فأقيمت الصلاة ، فقلت له : أخبرنى بآخر

وهذا الحديث رواه ابن ماجة : ١٦٩٥ ، عن على بن محمد ، هو الطنافسى ، عن أبى بكر بن عياش ، بهذا الإسناد نحوه ، مختصراً .

وسيأتى مزيد تخريج له فى الثلاثة بعده .

(١) الحديث : ٣٠١٢ – هو الحديث السابق بمعناه ، بالإسناد نفسه . ولكن هذا جاء بصيغة فى التوكيد موثقة ، قصد بها أبو بكر بن عياش رفع شبهة الخطأ أو التزيد فى الرواية .

(٢) الحديث : ٣٠١٣ – سفيان : هو الثورى .

والحديث فى معنى الحديثين قبله . وقد رواه أحمد فى المسند ٥ : ٤٠٠ (حلبى) ، عن وكيع ، عن سفيان ، بهذا الإسناد نحوه . وكذلك رواه النسائى ١ : ٣٠٣ ، وابن حزم فى المحلى ٦ : ٢٣٢ – كلاهما من طريق وكيع .

وفى الفتح ٤ : ١١٧ أنه رواه « سعيد بن منصور ، عن أبى الأحوص ، عن عاصم ، عن زر ، عن حذيفة ، قال : تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هو والله النهار ، غير أن الشمس لم تطلع »

سَحور تسحَّرته مع رَسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : هو الصبح ، إلا أنه لم تطلع الشمسُ . (١)

٣٠١٥ – حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازي قال ، حدثنا روح بن عبادة قال ، حدثنا حماد ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا سَمع أحدكم النداءَ والإناءُ على يده ، فلا يضعه حتى يقضيَ حاجته منه . (٢)

---

(١) الحديث : ٣٠١٤ – الحكم بن بشير النهدي : مضت ترجمته : ١٤٩٧ . وعمرو بن قيس هو الملائي ، مضت ترجمته : ٨٨٦ .

خلاد الصفار : هو خلاد بن عيسى العبدي ، ويقال : خلاد بن مسلم . وهو ثقة . مترجم في التهذيب والكبير ٢/١/١٧١ ، وابن أبي حاتم ١/٢/٣٦٧ .

وهذا الحديث تكرار للثلاثة قبله في معناها ، إلا أنه مطول في قصة .

وقد روى نحو هذه القصة – حماد بن سلمة ، عن عاصم ، عن زر ، عن حذيفة :

فرواها أحمد ٥ : ٣٩٦ (حلبي) ، عن عفان ، عن حماد بن سلمة .

وكذلك رواه الطحاوي في شرح معاني الآثار ١ : ٣٢٤ ، وابن حزم في المحلى ٦ : ٢٣١ : ٢٣٢ ، كلاهما من طريق روح بن عبادة ، عن حماد بن سلمة .

ورواه أحمد أيضاً ٥ : ٤٠٥ (حلبي) ، من طريق شريك بن عبد الله – هو النخعي القاضي – عن عاصم ، عن زر ، قال : « قلت ، يعني لحذيفة : يا أبا عبد الله ، تسحرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، قلت : أكان الرجل يبصر مواقع نبله ؟ قال : نعم ، هو النهار ، إلا أن الشمس لم تطلع » .

وقد ذكر ابن كثير ١ : ٤٢٢ رواية حماد بن سلمة عن عاصم – مختصرة ، ونسبها لأحمد ، والنسائي وابن ماجة ، وقال : « وهو حديث تفرد به عاصم بن أبي النجود ، قاله النسائي » . ولم أجده في النسائي من رواية حماد ، ولم أجد كلمة النسائي أيضاً . فلعل ذلك في السنن الكبرى .

وقال الحافظ في الفتح ٤ : ١١٧ ، بعد نقله رواية سعيد بن منصور وإشارته إلى رواية الطحاوي عن حذيفة : « روى ابن أبي شيبة وعبد الرزاق ذلك عن حذيفة ، من طرق صحيحة » .

« اللقحة » : الناقة القريبة العهد بالولادة ، فهي من ذوات الألبان .

(٢) الحديث : ٣٠١٥ – هذا إسناد صحيح .

روح بن عبادة القيسي ، من بني قيس بن ثعلبة : ثقة ، أخرج له أصحاب الكتب الستة ، ووثقه ابن معين وغيره . تكلم فيه بعضهم بغير حجة . مترجم في التهذيب ، والكبير ٢/١/٢٨٢ – ٢٨٣ ، وابن سعد ٧/٢/٥٠ ، وابن أبي حاتم ١/٢/٤٩٨ – ٤٩٩ ، وتاريخ بغداد ٨ : ٤٠١ – ٤٠٦ .

٣٠١٦ – حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا روح بن عبادة قال ، حدثنا حماد ، عن عمار بن أبي عمار ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله – وزاد فيه: وكان المؤذن يؤذن إذا بَزَغ الفجر .(١)

٣٠١٧ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا الحسين = وحدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق قال ، سمعت أبي قال ، أخبرنا الحسين ابن واقد = قالا جميعاً ، عن أبي غالب ، عن أبي أمامة قال : أقيمت الصلاة والإناءُ في يد عمر ، قال: أشرَبُها يا رسول الله ؟ قال : نعم ! فشربها .(٢)

« عبادة » : بضم العين المهملة وتخفيف الباء الموحدة . ووقع في المطبوعة ، في هذا الإسناد والذي بعده « روح بن جنادة » ! وهو تصحيف ، ولا يوجد راو بهذا الاسم .

حماد : هو ابن سلمة .

محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي : ثقة ، أخرج له الجماعة أيضاً .

أبو سلمة : هو ابن عبد الرحمن بن عوف .

والحديث رواه أحمد في المسند : ١٠٦٣٧ (٢ : ٥١٠ حلبي) ، عن روح بن عبادة ، بهذا الإسناد واللفظ .

ورواه أحمد أيضاً : ٩٤٦٨ (٢ : ٤٢٣ حلبي) ، عن غسان بن الربيع ، عن حماد بن سلمة ، بهذا الإسناد . وقرن إليه إسناداً آخر مرسلا ، عن يونس ، عن الحسن ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

ورواه أبو داود : ٢٣٥٠ ، عن عبد الأعلى بن حماد النرسي . عن حماد بن سلمة ، به . وكذلك رواه الحاكم في المستدرك ١ : ٤٢٦ ، من طريق عبد الأعلى ، وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبي .

وانظر تعليقنا على الحديث ، فيما كتبنا على مختصر السنن للمنذري : ٢٢٤٩ (٣ : ٢٣٣ ، ٢٣٤).

(١) الحديث : ٣٠١٦ – عمار بن أبي عمار مولى بني هاشم : تابعي ثقة ، أخرج له مسلم في صحيحه .

والحديث رواه أحمد في المسند : ١٠٦٣٨ ، عن روح بن عبادة ، بهذا الإسناد ، عقب الحديث السابق ، كما صنع الطبري تماماً .

وذكره ابن حزم في المحلى ٦ : ٢٣٢ ، من رواية حماد بن سلمة ، به ، وساق لفظه كاملا . وزاد في آخره : وقال حماد ، عن هشام بن عروة : كان أبي يفتي بهذا » .

(٢) الحديث : ٣٠١٧ – رواه الطبري بإسنادين : فرواه اعن بن حميد ، عن يحيى بن واضح ، عن الحسين بن واقد – ثم استأنف إسناداً آخر ، فرواه عن محمد بن علي بن الحسن ، عن أبيه ، عن الحسين بن واقد ، فاجتمع الطريقان في الحسين بن واقد ، عن أبي غالب ، إلخ .

ويحيى بن واضح : هو أبو تميلة ، مضت ترجمته : ٣٩٢ .

٣٠١٨ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال، حدثنا يونس، عن أبيه، عن عبد الله قال، قال بلال: «أتيتُ النبيّ صلى الله عليه وسلم أُوذِنه بالصلاة وهو يريد الصوم، فدعا بإناء فشرب، ثم ناولني فشربتُ، ثم خرج إلى الصلاة.» (١)

٣٠١٩ – حدثني محمد بن أحمد الطوسي قال، حدثنا عبيد الله بن موسى قال، أخبرنا إسرائيل، عن أبي إسحق، عن عبد الله بن معقل، عن بلال قال: أتيتُ النبي صلى الله عليه وسلم أوذنه بصلاة الفجر وهو يريد الصيام، فدعا بإناء فشرب، ثم ناولني فشربتُ، ثم خرجنا إلى الصلاة (٢)

* * *

أبو غالب: هو صاحب أبي أمامة، وقد اختلف في اسمه: فقيل: «حزور»، بفتح الحاء المهملة والزاي والواو المشددة وآخره راء. وقيل: «سعيد بن الحزور»، وهو الذي اقتصر عليه ابن سعد ٧/٢/٧. واختصر البخاري في الكبير ١٢٤/١/٢ على «حزور». وترجمه ابن أبي حاتم في الترجمتين ٣١٥/٢/١ – ٣١٦، ثم ١٣/١/٢، وقال في الموضع الثاني: «وحزور أصح». وهو ثقة، وتكلم فيه بعضهم. ووثقه الدارقطني، وحسن الترمذي بعض أحاديثه، وصحح بعضها. مترجم في التهذيب ١٢: ١٩٧ – ١٩٨.

أبو أمامة: هو الباهلي، واسمه: «صدى» بضم الصاد وفتح الدال المهملتين وتشديد الياء «بن عجلان». وهو صحابي معروف مات سنة ٨٦ وقد جاوز المئة، لأنه ثبت أنه كان ابن ٣٠ سنة أو ٣٣. ووقع في ابن سعد ١٣١/٢/٧ – ١٣٢ أنه مات وهو ابن ٦١ سنة! وهو خطأ فاحش.

وهذا الحديث صحيح الإسناد. ولم أجده في غير هذا الموضع من تفسير الطبري.

(١) الحديث: ٣٠١٨ – يونس: هو ابن أبي إسحق السبيعي، وهو ثقة، وثقه ابن معين وابن سعد وغيرهما. مترجم في التهذيب، والكبير ٤٠٨/٢/٤، وابن سعد ٦: ٢٥٢، وابن أبي حاتم ٢٤٣/٢/٤ – ٢٤٤.

عبد الله: هو ابن معقل بن مقرن المزني، مضت ترجمته: ٣٠٠٤.

بلال: هو ابن رباح، مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم، من المهاجرين الأولين، مات في طاعون عمواس، سنة: ١٧، أو ١٨. ولم يدركه عبد الله بن معقل المتوفى سنة: ٨٨. فالإسناد إليه ضعيف لانقطاعه.

وسيأتي تخريج الحديث في الإسناد التالي.

(٢) الحديث: ٣٠١٩ – محمد بن أحمد الطوسي، شيخ الطبري: لم أعرف من هو؟

«عبد الله بن معقل»: بفتح الميم وسكون العين المهملة وكسر القاف. وثبت في المطبوعة هنا «مغفل»، وهو تصحيف.

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بالآية ، التأويلُ الذى رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الخيط الأبيض » بياض النهار ، « والخيط الأسود » سوادُ الليل . وهو المعروف فى كلام العرب ، قال أبو دُؤاد الإيادىّ :

فَلَمَّا أَضَاءَتْ لَنَا سُدْفَةٌ وَلَاحَ مِنَ الصُّبْحِ خَيْطٌ أَنَارَا(١)

* * *

وأما الأخبارُ التى رويتْ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه شرب أو تسحَّر ، ثم خرج إلى الصلاة ، فإنه غير دافع صحةَ ما قلنا فى ذلك . لأنه غير مستنكر أن يكون صلى الله عليه وسلم شرب قبل الفجر ثم خرج إلى الصلاة ، إذ كانت الصلاةُ — صلاة الفجر — هى على عهده كانت تُصلى بعد ما يطلع الفجر ويتبيَّن طلوعه ، ويؤذَّن لها قبل طلوعه .

وأما الخبر الذى رُوى عن حذيفة : « أنّ النبى صلى الله عليه وسلم كان يتسحر وأنا أرى مَواقعَ النَّبل » ، فإنه قد استُثبتَ فيه فقيل له : أبعد الصبح ؟ فلم يجب

والحديث رواه أحمد فى المسند ٦ : ١٢ (حلبى) عن يحيى بن آدم ، وأبى أحمد الزبيرى — كلاهما عن إسرائيل ، بهذا الإسناد ، نحوه . ثم رواه ٦ : ١٣ ، عن حسين بن محمد ، عن إسرائيل ، به .

وهو حديث ضعيف ، لانقطاعه بين ابن معقل بن مقرن وبلال ، كما بينا .

وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٣ : ١٥٢ ، من رواية أحمد الأولى ، وقال : « رواه أحمد ، والطبرانى فى الكبير » . ثم ذكر رواية أحمد الثانية ، ثم قال : « ورجالها رجال الصحيح » . ففاته أن أن يعلمه بالانقطاع .

وروى أحمد أيضاً ٦ : ١٣ ، عن وكيع ، عن جعفر بن برقان ، عن شداد مولى عياض بن عامر ، عن بلال : « أنه جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم يؤذنه بالصلاة ، فوجده يتسحر فى مسجد بيته » . وهذا ذكره الهيثمى أيضاً عن المسند ، ثم قال : « وشداد مولى عياض : لم يدرك بلالا » . وهو كما قال .

(١) الأصمعيات : ٢٨ من أبيات . يصف فرساً خرج عليه للصيد ، واللسان (خيط) . وفى الأصمعيات : « خير أنارا » ولا معنى لها . والسدفة : ظلمة الليل فى لغة نجد ، والضوء فى لغة قيس ، وهى أيضاً : اختلاط الضوء والظلمة جميعاً ، كوقت ما بين صلاة الفجر إلى أول الإسفار . قال عمارة : ظلمة فيها ضوء من أول الليل وآخره ، ما بين الظلمة إلى الشفق ، وما بين الفجر إلى الصلاة . وأراد أبو دؤاد اختلاط الظلمة والضوء . ولاح : بدا وظهر من بعيد . والخيط : اللون هنا يكون ممتداً كالخيط .

فى ذلك بأنه كان بعد الصبح ، ولكنه قال : « هو الصبح » . وذلك من قوله يُحتمل أن يكون معناهُ : هو الصبح لقربه منه ، وإن لم يكن هو بعينه ، كما تقول العرب : « هذا فلان » ، شبهاً ، وهى تشير إلى غير الذى سمَّته فتقول : « هو هو » ، تشبيهاً منها له به . فكذلك قول حذيفة : « هو الصبح » ، معناه : هو الصبح شبهاً به وقرباً منه .

* * *

وقال ابن زيد فى معنى « الخيط الأبيض والأسود » ، ما : —

٣٠٢٠ — حدثنى به يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « حتى يتبيَّن لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر » ، قال : « الخيط الأبيض » الذى يكون من تحت الليل ، يكشف الليلَ — « والأسود » ما فوقه .

* * *

وأما قوله : « من الفجر » ، فإنه تعالى ذكره يعنى : حتى يتبين لكم الخيطُ الأبيضُ من الخيط الأسود الذى هو من الفجر ، وليس ذلك هو جميعَ الفجر ، ولكنه إذا تبيَّن لكم أيها المؤمنون من الفجر ذلك الخيط الأبيض الذى يكون من تحت الليل الذى فوقه سواد الليل ، فمن حينئذ فصُوموا ، ثم أتِمُّوا صيامكم من ذلك إلى الليل .

وبمثل ما قلنا فى ذلك كان ابن زيد يقول :

٣٠٢١ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « منَ الفجر » ، قال : ذلك الخيط الأبيضُ هو من الفجر نسبةً إليه ، وليس الفجر كله . فإذا جاء هذا الخيط ، وهو أوله ، فقد حلت الصلاةُ وحَرُم الطعام والشراب على الصائم . ١٠٣/٢

* * *

قال أبو جعفر : وفى قوله تعالى ذكره : « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيضُ من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيامَ إلى الليل » ، أوضحُ

الدلالة على خطأ قول من قال : حلالٌ الأكلُ والشربُ لمن أراد الصوم إلى طلوع الشمس . لأن الخيط الأبيض من الفجر ، يتبين عند ابتداء طلوع أوائل الفجر . وقد جعل الله تعالى ذكره ذلك حدًّا لمن لزمه الصوم فى الوقت الذى أباح إليه الأكل والشرب والمباشرة .

فمن زعم أنّ له أنْ يتجاوز ذلك الحدّ ، قيل له : أرأيتَ إن أجازَ له آخرُ ذلك ضحوةً أو نصف النهار ؟

فإن قال : إنّ قائلَ ذلك مخالف للأمة .

قيل له : وأنتَ لما دلّ عليه كتاب الله ونقلُ الأمة مخالفٌ ، فما الفرق بينك وبينه من أصْل أو قياس ؟

فإن قال : الفرق بينى وبينه أن الله أمرَ بصوم النهار دون الليل ، والنهارُ من طلوع الشمس .

قيل له : كذلك يقول مخالفوك ، والنهار عندهم أوّله طلوع الفجر ، وذلك هو ضوء الشمس وابتداءُ طلوعها دون أن يتتامّ طلوعها ، كما أن آخر النهار ابتداءُ غروبها دون أن يتتامّ غروبها .

ويقال لقائلى ذلك :[1] إن كان « النهار » عندكم كما وصفتم ، هو ارتفاع الشمس ، وتكامل طُلوعها ، وذهاب جميع سُدْفة الليل وغَبَس سواده — فكذلك عندكم « الليل » : هو تتامُّ غروب الشمس ، وذهاب ضيائها ، وتكامل سواد الليل وظلامه ؟

فإن قالوا : ذلك كذلك !

قيل لهم : فقد يجبُ أن يكون الصوم إلى مَغيب الشفق وذهاب ضوء الشمس وبياضها من أفق السماء !

---

(١) جمع القائلين ، بعد الإفراد .

فإن قالوا : ذلك كذلك! أوجبوا الصومَ إلى مغيب الشفق الذى هو بَياضٌ . وذلك قولٌ إنْ قالوه مدفوعٌ بنقل الحجة، التى لا يجوز فيما نقلته مُجمعةً عليه — الخطأُ والسهوُ ، [وكفى بذلك شاهداً] على تخطئته .(١)

وإن قالوا: « بل أول الليل » ابتداء سُدْفته وظلامه، ومَغيبُ عَين الشمس عنا .

قيل لهم: وكذلك « أول النهار » : طلوع أوّل ضياء الشمس، ومغيب أوَائل سُدفة الليل.

ثم يعكس عليه القول فى ذلك ،(٢) ويُسأل الفرقَ بين ذلك ، فلن يقول فى أحدهما قولاً إلا ألزم فى الآخر مثله .

* * *

وأما « الفجر » فإنه مصدر من قول القائل: « تفجَّر الماءُ يتفجَّرُ فجراً »،(٣) إذا انبعثَ وجرى. فقيل للطالع من تباشير ضياء الشمس من مطلع الشمس« فجر »، لانبعاث ضوئه عليهم، وتورُّده عليهم بطرُقهم ومحاجِّهم، تفجُّرَ الماء المتفجِّر من منبعه.

* * *

وأما قوله : « ثم أتموا الصيامَ إلى الليل»، فإنه تعالى ذكره حَدَّ الصوم بأن آخرَ وقته إقبالُ الليل — كما حدَّ الإفطارَ وإباحةَ الأكل والشرب والجماع وأوَّل الصوم، بمجيء أول النهار وأوَّل إدبار آخر الليل . فدلَّ بذلك على أن لا صومَ بالليل، كما لا فطر بالنهار فى أيام الصوم = وعلى أنَّ المواصل مجوِّعٌ نفسه فى غير طاعة ربه ، كما : —

---

(١) ما بين القوسين زيادة لابد منها لسياق الجملة .

(٢) عاد مرة أخرى فأفرد القائل بعد جمع القائلين . ولولا الضمائر الكثيرة التى تمنع ظن التحريف أو التصحيف فى جمل متتابعة . لغيرتها . ولعل أبا جعفر كان يسهو أحياناً عن مثل ذلك . لجوازه فى العربية .

(٣) هكذا جاء فى المطبوعة ، ولم أملك أن أغيره ، لأن كلامه دال على أنه يجعله مصدراً ، لقولهم : « تفجر » بالتاء وتشديد الجيم . وكأنه يحمله على أنه من المصادر التى جاءت على غير بناء أفعالها . كما مضى ذلك آنفاً فى ١ : ١١٦ — ١١٨ . وانظر تفسير « التفجر » فيما سلف ٢ : ٢٣٨ .

٣٠٢٢ – حدثنا هناد قال، حدثنا أبو معاوية ووكيع وعبدة، عن هشام ابن عروة، عن أبيه، عن عاصم بن عمر، عن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا أقبل الليل وأدبر النهارُ وغابت الشمس، فقد أفطر الصائم.(١)

٣٠٢٣ – حدثنا هناد قال، حدثنا أبو بكر بن عياش قال، حدثنا أبو إسحق الشيبانى = وحدثنا هناد بن السرى قال، حدثنا أبو عبيدة وأبو معاوية، عن الشيبانى = وحدثنا ابن المثنى قال حدثنا أبو معاوية = وحدثنى أبو السائب قال، حدثنا ابن إدريس، عن الشيبانى = قالوا جميعاً فى حديثهم، عن عبد الله بن أبى أوفى قال: كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى مسير وهو صائم، فلما غَرَبت الشمسُ قال لرجل: انزل فاجدَحْ لى. قالوا: لو أمسيتَ يا رسول الله! فقال: انزل فاجدح. فقال الرجل: يا رسول الله لو أمسيت! قال: انزل فاجدح لى. قال: يا رسول الله إنّ علينا نهاراً! فقال له الثالثة، فنزل فجدح له. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذ أقبل الليل من ههنا – وضرب بيده نحو المشرق – فقد أفطر الصائم.(٢)

---

(١) الحديث: ٣٠٢٢ – عبدة: هو ابن سليمان.

عاصم: هو ابن عمر بن الخطاب، وهو تابعى ثقة، ولد فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ووقع فى المطبوعة هنا «عاصم بن عمرو»، وهو خطأ.

والحديث رواه بنحوه، أحمد فى المسند: ١٩٢، ٣٨٣، عن وكيع، عن هشام، بهذا الإسناد.

ورواه أيضاً: ٢٣١، عن ابن نمير، و ٣٣٨، عن سفيان بن عيينة – كلاهما عن هشام.

ورواه البخارى ٤: ١٧١ (فتح)، من طريق ابن عيينة.

ورواه مسلم ١: ٣٠٣، من طريق أبى معاوية، وابن نمير، وأبى أسامة – ثلاثتهم عن هشام.

ورواه أبو داود: ٢٣٥١، عن أحمد بن حنبل، عن وكيع، وعن مسدد. عن عبد الله بن داود – كلاهما عن هشام بن عروة.

(٢) الحديث: ٣٠٢٣ – رواه الطبرى بأسانيد، تجتمع كلها فى أبى إسحق الشيبانى.

فرواه عن هناد بن السرى، عن ثلاثة شيوخ: عن أبى بكر بن عياش، وأبى عبيدة، وأبى معاوية. ورواه عن محمد بن المثنى، عن أبى معاوية. ورواه عن أبى السائب سلم بن جنادة، عن عبد الله بن إدريس الأودى – كلهم عن أبى إسحق الشيبانى، واسمه: سليمان بن أبى سليمان، عن عبد الله بن أبى أوفى.

٣٠٢٤ ــ حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا داود ، عن رفيع قال: فرض الله الصيام إلى الليل، فإذا جاء الليل فأنت مفطر ، إن شئت فكل، وإن شئت فلا تأكل.(١)

٣٠٢٥ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا داود ، عن أبي العالية : أنه سُئل عن الوصال في الصوم فقال : افترض الله على هذه الأمّة صومَ النهار، فإذا جاءَ الليل فإن شاء أكل ، وإن شاء لم يأكل.

٣٠٢٦ ــ حدثني يعقوب قال ، حدثني ابن علية ، عن داود بن أبي هند قال ، قال أبو العالية في الوصال في الصوم قال : قال الله: «ثم أتموا الصيام إلى الليل»، فإذا جاء الليل فهو مفطر ، فإن شاء أكل وإن شاء لم يأكل.

٣٠٢٧ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا ابن دكين ، عن مسعر ، عن قتادة قال: قالت عائشة : أتموا الصيامَ إلى الليل ــ يعني : أنها كرهت الوصال .

* * *

أبو عبيدة : هو عبد الواحد بن واصل الحداد ، وهو ثقة من شيوخ أحمد . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٣/١/٢٤، وتاريخ بغداد ١١ : ٣ ــ ٥ .

ووقع في المطبوعة في هذا الجزء من الإسناد : «حدثنا أبو عبيدة وأبو معاوية ، عن شيبان» . وهو خطأ واضح ، ليس لشيبان صلة بهذا الإسناد . صوابه : «عن الشيباني» ، كما أثبتناه .

والحديث رواه البخاري ٤ : ١٥٦ ، من طريق سفيان بن عيينة ، و ١٧١ ــ ١٧٢ ، من طريق خالد بن عبد الله الواسطي ، و ١٧٢ ، من طريق عبد الواحد بن زياد العبدي ، و ١٧٣ ، من طريق أبي بكر بن عياش . ورواه مسلم ١ : ٣٠٣ ، من طريق هشيم ، وعلي بن مسهر ، وعباد بن العوام ، وعبد الواحد بن زياد ، وسفيان ، وجرير ، وشعبة . ورواه أبو داود : ٢٣٥٢ ، من طريق عبد الواحد ابن زياد ــ كلهم عن أبي إسحق الشيباني ، به ، نحوه .

جَدح السويق في اللبن أو الماء : إذا خاضه وحركه حتى يختلط ويستوي . وقوله : «ضرب بيده» ، يعني أشار بيده ماداً يده كفعل الضارب . و «ضرب» فعل من الأفعال التي تقع على كثير من الأعمال إلا قليلا . يقال: «ضرب في الأرض»، و«ضرب بيده إلى الشيء»، أهوى إليه، و«ضرب على يده»، و«ضرب يده إلى عمل كذا» .

(١) الأثر : ٣٠٢٤ ــ رفيع ، هو رفيع بن مهران أبو العالية الرياحي ، ذكر مئات من المرات بكنيته . أدرك الجاهلية وأسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين . مات سنة ٩٠ . وداود هو ابن أبي هند . وانظر الإسنادين التاليين .

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : فما وجه وصال مَنْ واصَل؟ فقد علمت بما : —

٣٠٢٨ — حدثكم به أبو السائب قال، حدثنا حفص، عن هشام بن عروة ١٠٤/٢
قال : كان عبد الله بن الزبير يُواصل سبعة أيام، فلما كبِر جعلها خمساً، فلما كبِر جدًّا جعلها ثلاثاً.

٢٠٢٩ — حدثنا أبو السائب قال، حدثنا حفص ، عن عبد الملك قال : كان ابن أبي يعمر يفطر كل شهر مرة.

٣٠٣٠ — حدثنا ابن أبي بكر المقدّمي قال، حدثنا الفروي . قال سمعت مالكاً يقول : كان عامر بن عبد الله بن الزبير يواصل ليلةَ ستَّ عشرة وليلة سبعَ عشرة من رمضان ، لا يفطر بينهما ، فلقيته فقلت له : يا أبا الحارث ماذا تجدُه يقوِّيك في وصَالك ؟ قال : السمْن، أشرُبه أجده يُبلّ عروقي ، فأما الماء ، فإنه يخرج من جسدي .(١)

= وما أشبه ذلك ، ممن فعل ذلك، ممن يطولُ بذكرهم الكتاب ؟

قيل : وجه من فعل ذلك إن شاء الله تعالى على طلب الخموصة لنفسه والقوة،(٢) لا على طلب البرّ لله بفعله . وفعلهم ذلك نظيرُ ما كان عمر بن الخطاب يأمرهم به بقوله :

« اخشَوْشِنوا وتمعْدَدوا، وانزوا على الخيل نَزواً، واقطعوا الرُّكُب ، وامشوا حُفاة » .(٣)

---

(١) الخبر : ٣٠٣٠ — ابن أبي بكر المقدمي : هو أبو عثمان أحمد بن محمد بن أبي بكر المقدمي ، شيخ الطبري . و « الفروي » ، بفتح الفاء وسكون الراء : هو إسحق بن محمد بن أبي فروة ، وقد سبق مثل هذا الإسناد إلى مالك : ٨٧٦ . ولكن قال الطبري هناك : « حدثنا أبو عثمان المقدمي » . وهنا لم يذكر اسمه ولا كنيته ، بل نسبه إلى جده .

(٢) « الخموصة » مصدر خمص بطنه خمصاً (بسكون الميم وفتحها) وخماصة . ولم يذكروا « الخموصة » في كتب اللغة ، وهو عربي عريق كقولهم : الفسالة والفسولة ، والرذالة والرذولة ، وفارس بين الفراسة والفروسة ، ورجل جلد بين الجلادة والجلودة ، وبطل بين البطالة والبطولة ، وأشباه ذلك .

(٣) اخشوشن الرجل : لبس الخشن وتعوده ، وأكل الخشن ، وعاش عيشاً خشناً وبالغ في

يأمرهم فى ذلك بالتخشن فى عيشهم ، لئلا يتنعموا فيركنوا إلى خفض العيش ، ويميلوا إلى الدعة فيجبُنوا ويحتموا عن أعدائهم .

= وقد رَغِب – لمن واصل – عن الوصال كثيرٌ من أهل الفضل : .

٣٠٣٢ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ، حدثنا سفيان ، عن أبى إسحق : أنّ ابن أبى نُعم كان يواصل من الأيام ، حتى لا يستطيع أن يقومَ ، فقال عمرو بن ميمون : لو أدركَ هذا أصحابُ محمد صلى الله عليه وسلم رَجمُوه .(١)

= ثم فى الأخبار المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنهى عن الوصال ، التى يطول بإحصائها الكتاب ، تركنا ذكر أكثرها استغناءً بذكر بعضها ، إذ كان فى ذكر ما ذكرنا مُكتفًى عن الاستشهاد على كراهة الوصال بغيره .

٣٠٣٣ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن عبيد الله قال ، أخبرنى نافع ، عن ابن عمر : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم نَهى عن الوصال ، قالوا : إنك تواصلُ يا رَسول الله ! قال : إنى لست كأحدٍ منكم ، إنى أبيت أُطعَم وأسقَى .(٢)

وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم الإذنُ بالوصال من السحر إلى السَّحر .

٣٠٣٤ – حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصرى قال ، حدثنا

التخشن . وتمعدد الرجل : تشبه بعيش معد بن عدنان فى التشظف وترك التزيى بزى العجم . يعنى : اصبروا على عيش معد فى الحضر والسفر ، وتشبهوا بلباسه ، ودعوا زى الأعاجم . النزو : الوثب ، يأمرهم أن يثبوا على الخيل وثباً بلا استعانة بركاب . والركب جمع ركاب : وهو ما يكون فى سرج الفرس يضع الراكب فيه رجله ، فإذا كان مثله فى رحل البعير سمى « الغرز » .

(١) الأثر : ٣٠٣٢ – ابن أبى نعم ، هو « عبد الرحمن بن أبى نعم البجلى » الكوفى العابد . قال بكير بن عامر : لو قيل لعبد الرحمن : « قد توجه ملك الموت إليك يريد قبض روحك ! » ما كانت عنده زيادة على ما هو فيه . وكان صبوراً على الجوع الدائم ، وهو الذى دخل على الحجاج فى أيام الجماجم فوعظه . وأخذه الحجاج ليقتله ، وأدخله بيتاً مظلماً ، وسد الباب خمسة عشر يوماً ، ثم أمر بالباب ففتح ليخرج فيدفن . فدخلوا عليه فإذا هو قائم يصلى . فقال له الحجاج : سر حيث شئت .

(٢) الحديث : ٣٠٣٣ – يحيى بن سعيد : هو القطان .

شعيب ، عن الليث ، عن يزيد بن الهاد ، عن عبد الله بن خباب ، عن أبي سعيد الخدري : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تواصلوا ، فأيُّكم أراد أن يُواصل فليواصل حتى السَّحر . قالوا : يا رسول الله ، إنك تواصل ! قال : إني لست كهيئتكم ، إنّي أبيت لي مُطعم يُطعمني ، وَساقٍ يسقيني .(١)

٣٠٣٥ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا أبو إسرائيل

عبيد الله : هو ابن عمر بن حفص بن عاصم ، مضت ترجمته : ٢٧٤٠ . ووقع في المطبوعة هنا « عن عبد الله » – يعني بالتكبير . و « عبد الله » : هو العمري ، وهو أخو « عبيد الله » . وقد روى هذا الحديث من روايته أيضاً عن نافع ، كما سنذكر . ولكنا جزمنا بصحة « عبيد الله » – بالتصغير – في هذا الإسناد ، لأن القطان رواه عن « عبيد الله » ، ولأن القطان كان لا يحدث عن « عبد الله » ، كما روى ذلك عنه ابن أبي حاتم ٢/٢/١٠٩ في ترجمة « عبد الله » ، وكذلك نقل في التهذيب في ترجمته .

والحديث رواه أحمد في المسند : ٤٧٢١ ، عن يحيى القطان ، عن عبيد الله ، بهذا الإسناد .

ورواه أيضاً : ٥٧٩٥ ، عن محمد بن عبيد ، و ٦٢٩٩ ، عن ابن نمير – كلاهما عن عبيد الله . وكذلك رواه مسلم ١ : ٣٠٣ ، من طريق ابن نمير .

ورواه مالك في الموطأ ، ص : ٣٠٠ ، عن نافع ، عن ابن عمر . وكذلك رواه أحمد : ٥٩١٧ ، ٦١٢٥ . والبخاري ٤ : ١٧٧ – كلاهما من طريق مالك .

ورواه أحمد أيضاً : ٦٤١٦ ، ومسلم ١ : ٣٠٣ – كلاهما من طريق عبد الوارث ، عن أيوب ، عن نافع .

وأما رواية « عبد الله » العمري – فقد رواه أحمد : ٤٧٥٢ ، عن وكيع ، عن العمري ، عن نافع .

(١) الحديث : ٣٠٣٤ – شعيب : هو ابن الليث بن سعد الإمام ، وهو ثقة معروف ، أخرج له مسلم وغيره . ووقع في المطبوعة « أبو شعيب » ! وزيادة « أبو » خطأ ، لا معنى لها ولا موضع .

يزيد بن الهاد : هو يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد ، مضت ترجمته في : ٢٠٣١ .

عبد الله بن خباب – بفتح الخاء المعجمة وتشديد الباء الموحدة – مولى بني عدي بن النجار : تابعي ثقة ، وثقه أبو حاتم والنسائي ، وروى له أصحاب الكتب الستة .

والحديث رواه البخاري ٤ : ١٧٧ ، عن عبد الله بن يوسف ، عن الليث ، بهذا الإسناد .

ورواه أحمد في المسند : ١١٠٧٠ (٣ : ٨ حلبي) ، عن قتيبة بن سعيد ، عن بكر بن مضر ، عن ابن الهاد – وكذلك رواه أبو داود : ٢٣٦١ ، عن قتيبة .

ورواه أحمد أيضاً : ١١٨٤٥ (٣ : ٨٧ حلبي) ، عن أبي سعيد ، عن عبد الله بن جعفر ، عن ابن الهاد .

العبسى ، عن أبى بكر بن حفص ، عن أمّ ولد حاطب بن أبى بلتعة : أنها مرّت برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتسحّر ، فدعاها إلى الطعام فقالت : إنّى صائمة . قال : وكيف تصومين ؟ فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : أين أنت من وصال آل محمد صلى الله عليه وسلم ، من السّحر إلى السّحر .(١)

* * *

فتأويل الآية إذاً : ثم أتموا الكفّ عما أمركم الله بالكفّ عنه ، من حين يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، إلى الليل . ثم حلّ لكم ذلك بعده إلى مثل ذلك الوقت ، كما : —

٣٠٣٦ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ثم أتمّوا الصيامَ إلى الليل » ، قال : من هذه الحدود الأربعة ، فقرأ « أحِلّ لكم

ورواه البخارى أيضاً ٤ : ١٨١ ، من طريق ابن أبى حازم ، عن ابن الهاد .

وذكره السيوطى ١ : ٢٠٠ ، ونسبه للبخارى وأبى داود .

وذكره أيضاً ابن كثير ١ : ٤٢٦ ، وقال : « أخرجاه فى الصحيحين » فوهم وهماً شديداً ، رحمه الله ، فإن مسلماً لم يخرجه فى صحيحه . وقد نص الحافظ فى الفتح ٤ : ٢١٧ ، فى آخر كتاب الصيام ، على أنه من أفراد البخارى .

(١) الحديث : ٣٠٣٥ — أبو نعيم : هو الفضل بن دكين — بضم الدال المهملة وفتح الكاف — ثقة حافظ من شيوخ أحمد ، قال أحمد : « هو على قلة روايته أثبت من وكيع » ، وقال أيضاً : « كان يقظان فى الحديث ، عارفاً به » .

أبو إسرائيل العبسى : هو إسمعيل بن خليفة الملائى — بضم الميم وتخفيف اللام وهمزة بعد الألف . وهو ضعيف ، بينا ضعفه فى شرح المسند : ٩٧٤ .

أبو بكر بن حفص : هو عبد الله بن حفص بن عمر بن سعد بن أبى وقاص . وهو تابعى ثقة ، أخرج له أصحاب الكتب الستة .

أم ولد حاطب بن أبى بلتعة : لم أعرف من هى ، ولا وجدت لها ترجمة ولا ذكراً . ولو صح الإسناد إليها لم يكن بذلك بأس ، لأن جهالة الصحابى لا تضر . ولكن الإسناد ضعيف .

وهذا الحديث لم أجده عند أحد غير الطبرى . وقد نقله عنه ابن كثير ١ : ٤٢٦ ، بإسناده . ولم يزد شيئاً فى تخريجه . ولم يذكره السيوطى .

ليلةَ الصيام الرفثُ إلى نسائكم» فقرأ حتى بَلغ « ثم أتمُّوا الصيام إلى الليل ». وكان أبي وغيره من مَشيختِنا يقولون هذا ويتلونه علينا.[١]

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره – بقوله : « ولا تباشرُوهن » ، لا تجامعوا نساءكم.[٢]

* * *

= وبقوله : « وأنتم عاكفونَ فى المساجد » ، يقول : فى حال عُكوفكم فى المساجد ، وتلك حال حَبْسهم أنفسَهم على عبادة الله فى مساجدهم.

* * *

« والعكوف» أصله المقام، وحبسُ النفس على الشىء،[٣] كما قال الطِّرِمَّاح ابن حَكيم :

فَبَاتَ بَنَاتُ اللَّيْلِ حَوْلِىَ عُكَّفًا عُكُوفَ البَوَاكِى بَيْنَهُنَّ صَرِيعُ[٤]

---

(١) الأثر : ٣٠٣٦ – أبوه ، هو زيد بن أسلم العدوى أبو أسامة الفقيه مولى عمر . روى عن أبيه وابن عمر وأبى هريرة وعائشة وطائفة من أصحاب رسول الله ، كان ثقة من أهل الفقه والعلم ، وكان عالماً بتفسير القرآن . مات سنة ١٣٦ .

(٢) انظر تفسير « المباشرة » فيما سلف قريباً : ٥٠٣ – ٥٠٥ .

(٣) انظر تفسير « العكوف » فيما سلف من هذا الجزء ٣ : ٤١، ٤٢ .

(٤) ديوانه : ١٥٣ ، واللسان (بنو) غير منسوب عن ثعلب ، ورواه : « بينهن قتيل » . وقال الثعالبى فى المضاف والمنسوب : ٢١٩ : « بنات الليل » : الأحلام ، والنساء ، وأهوال الليل ، والمنى ، وبكلها جاء الشعر » . وأراد الطرماح : ما يعالج من ذكرى صاحبته ، وما يخالط ذلك من منى وهموم وشقاء يشقى به من حسرة وشوق ولهفة . وهو بيت جميل المعنى ، جيد التصوير . جعل ذكرياته قد استدارت حوله تبكى عليه ، وهو بينهن صريع قد قضى نحبه .

يعنى بقوله: « عكفاً »، مقيمة، وكما قال الفرزدق :

تَرَى حَوْلَهُنَّ المُعْتَفِينَ كَأَنَّهُمْ عَلَى صَنَمٍ فِى الجَاهِلِيَّةِ عُكَّفُ(١)

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فى معنى « المباشرة » التى عنى الله بقوله : « ولا تُباشروهن » .

١٠٥/٢ فقال بعضهم : معنى ذلك : الجماعُ دون غيره من معانى « المباشرة » .

* ذكر من قال ذلك :

٣٠٣٧ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس فى قوله : « ولا تُباشروهنّ وأنتم عاكفون فى المساجد » – فى رمضان أو فى غير رمضان، فحرَّم الله أن يَنكِح النساء ليلاً ونهاراً حتى يَقضى اعتكافه.

٣٠٣٨ – حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن جريج قال : قال لى عطاء : « ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد »، قال : الجماع .

---

(١) ديوانه : ٥٦١، والنقائض : ٥٦٣ ، من أبيات جياد يصف فيها قدور أهله الكرام، يقول قبله :

وَقَدْ عَلِمَ الأَقْوامُ أنّ قُدُورنَا ضَوَامِنُ للأرْزَاقِ والرِّيحُ زَفْزَفُ
نُعَجِّلُ للضَّيفَانِ فِى المَحْلِ بالقِرَى قُدُوراً بمَعْبُوطٍ ، تُمَدُّ وتُغْرَفُ
تُفَرَّغُ فِى شِيزَى كأنّ جِفَانَهَا حِيَاضُ جِبًى ، منها مِلاءٌ ونُصَّفُ

الشيزى : خشب منه القدور تصنع . حياض جبى : حياض يجمع فيها الماء فهى ملأى أبداً . والمعتفون : الذين جاءوا يطلبون الرزق . يصفهم جياعاً قد ثبتوا فى أماكنهم ينتظرون ، متلهفين وهم يكظمون أنفسهم، قد ماتت أصواتهم ، كأنهم عباد قد خشعوا وخضعوا وأملوا .

٣٠٣٩ ـ حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنا أبي، عن سفيان، عن علقمة ابن مرثد، عن الضحاك قال: كانوا يُجامعون وهم مُعتكفون، حتى نزلت: «ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد».

٣٠٤٠ ـ حدثنا المثنى قال، حدثنا سويد قال، أخبرنا ابن المبارك، عن سفيان، عن علقمة بن مرثد، عن الضحاك في قوله: «ولا تباشروهنّ وأنتم عاكفون في المساجد»، قال: كان الرجل إذا اعتكف فخرَج من المسجد جامع إن شاء، فقال الله: «ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد»، يقول: لا تقرَبوهن مادمتم عاكفين، في مسجد ولا غيره.

٣٠٤١ ـ حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال، أخبرنا ابن المبارك، عن جويبر، عن الضحاك نحوه.

٣٠٤٢ ـ حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قال: كان أناس يُصيبون نساءهم وهم عاكفون فيها، فنهاهم الله عن ذلك.

٣٠٤٣ ـ وحدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: «ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد»، قال: كان الرجل إذا خرج من المسجد وهو معتكف ولقي امرأته باشَرها إن شاء، فنهاهم الله عز وجل عن ذلك، وأخبرهم أنّ ذلك لا يصلح حتى يَقضيَ اعتكافه.

٣٠٤٤ ـ حدثنا موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي: «ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد»، يقول: من اعتكف فإنه يصوم، لا يَحل له النساء ما دام معتكفاً.

٣٠٤٥ ـ حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: «ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد»، قال: الجوارُ، فإذا خرج أحدكم من بيته إلى بيت الله فلا يقرب النساء.

٣٠٤٦ ــ حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : كان ابن عباس يقول : من خرج من بيته إلى بيت الله فلا يقرَب النساء.

٣٠٤٧ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد » ، قال : كان الناس إذا اعتكفوا يخرُج الرجل فيباشر أهله ثم يرجع إلى المسجد ، فنهاهم الله عن ذلك .

٣٠٤٨ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس ، كانوا إذا اعتكفوا فخرج الرجل إلى الغائط جامع امرأته ثم اغتسل ، ثم رجع إلى اعتكافه. فنُهوا عن ذلك = قال ابن جريج : قال مجاهد : نُهوا عن جماع النساء في المساجد، حيث كانت الأنصار تجامع ، فقال : «لا تباشروهن وأنتم عاكفون »، قال : « عاكفون »، الجوارُ = قال ابن جريج : فقلت لعطاء : الجماعُ المباشرة ؟ قال : الجماع نفسه ! فقلت له : فالقُبلة في المسجد والمسّة؟ فقال : أما ما حُرِّم فالجماع ، وأنا أكره كل شيء من ذلك في المسجد .

٣٠٤٩ ــ حدثت عن حسين بن الفرج قال، حدثنا الفضل بن خالد قال ، حدثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك : « ولا تباشروهن »، يعني الجماع .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك على جميع معاني «المباشرة»، من لَمْس وقُبلة وجماع .

* ذكر من قال ذلك :

٣٠٥٠ ــ حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال مالك بن أنس : لا يمس المعتكف امرأته، ولا يباشرُها، ولا يتلذذ منها بشيء ، قُبلةٍ ولا غيرها .[1]

---

(١) في الموطأ : ٣١٨ بنصه .

٣٠٥١ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله : « ولا تُباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد » ، قال : المباشرة الجماعُ وغيرُ الجماع ، كلُّه محرم عليه . قال : « المباشرة » بغير جماع ، إلصاقُ الجلد بالجلد.

* * *

قال أبو جعفر : وعلة من قال هذا القول : أن الله تعالى ذكره عمّ بالنهي عن المباشرة ، ولم يخصص منها شيئاً دون شيء . فذلك على ما عمّه ، حتى تأتي حُجة يجب التسليم لها بأنه عنى به مباشرةً دون مباشرةٍ .

* * *

وأولى القولين عندي بالصواب قول من قال : معنى ذلك : الجماعُ ، أو ما قام مقامَ الجماع ، مما أوجبَ غسلاً إيجابَه. وذلك أنه لا قول في ذلك إلا أحد قولين : إما جعل حكم الآية عامًّا ، أو جعل حكمها في خاصٍّ من معاني المباشرة . وقد تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن نساءه كنّ يُرجِّلنه وهو معتكف . فلمّا صح ذلك عنه ، عُلم أنّ الذي عني به من معاني المباشرة ، البعض دون الجميع

٣٠٥٢ – حدثنا علي بن شعيب قال، حدثنا معن بن عيسى القزاز قال ، أخبرنا مالك ، عن الزهري ، عن عروة وعن عمرة، عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اعتكف يُدني إليّ رأسه فأرجِّله.(١) ١٠٦/٢

---

(١) الحديث : ٣٠٥٢ – هكذا رواه مالك في الموطأ ، ص : ٣١٢ ، عن الزهري ، عن عروة بن الزبير ، عن عمرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة . فزاد في الإسناد « عمرة » بين عروة وعائشة .

وكذلك رواه مسلم ١ : ٩٥ ، وأبو داود : ٢٤٦٧ – كلاهما من طريق مالك . وكذلك رواه الترمذي ٢ : ٧٢ ، من طريقه ، مع خطأ من الناسخين . وقال أبو داود : « لم يتابع أحد مالكاً على « عروة عن عمرة » . ورواه معمر وزياد بن سعد وغيرهما : عن الزهري : عن عروة ، عن عائشة » . وقال الترمذي : « هكذا رواه غير واحد : عن مالك بن أنس ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عمرة ، عن عائشة . والصحيح : عن عروة وعمرة ، عن عائشة . هكذا روى الليث ، عن ابن شهاب ، عن عروة وعمرة ، عن عائشة » .

وقال الحافظ في الفتح ٤ : ٢٣٦ « واتفقوا على أن الصواب قول الليث ، وأن الباقين اختصروا منه ذكر عمرة ، وأن ذكر عمرة في رواية مالك – من المزيد في متصل الأسانيد » . وهذا

٣٠٥٣ ـ حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني يونس، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير ، وعمرة: أن عائشة قالت : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يدخل البيتَ إلا لحاجة الإنسان ، وكان يدخل عليّ رأسَه وهو في المسجد فأرجِّلُه.(١)

٣٠٥٤ ـ حدثنا سفيان بن وكيع قال: حدثنا أبي ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه، عن عائشة قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم يُدني إليّ رأسه وهو مُجاورٌ في المسجد ، وأنا في حجرتي ، وأنا حائض ، فأغسله وأرَجِّله.(٢)

٣٠٥٥ ـ حدثنا سفيان قال، حدثنا ابن فضيل ويعلى بن عبيد، عن الأعمش، عن تميم بن سلمة ، عن عروة، عن عائشة قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم

من الحافظ – عندي – تكلف لا داعي له . ومالك ، على إمامته وعلمه وحفظه . يخطىء كما يخطىء الناس ، فالظاهر أنه نسي في بعض أحيانه ، فجعل «عروة عن عمرة» بدل «عروة وعمرة» . وقد ثبت عن مالك أنه كان يرويه أحياناً على الصواب ، كما يظهر مما يأتي في : ٣٠٥٦ .

(١) الحديث : ٣٠٥٣ – يونس ، شيخ الطبري : هو ابن عبد الأعلى الصدفي – بفتح الصاد والدال المهملتين . مضت ترجمته : ١٦٧٩ .

ويونس – شيخ ابن وهب : هو ابن يزيد الأيلي . مضت ترجمته : ٢٣٧٧ .

وهذا الحديث تكرار للذي قبله . وقد رواه يونس عن الزهري ، عن عروة بن الزبير وعمرة بنت عبد الرحمن – معاً – عن عائشة ، على الصواب .

وقد تابعه على ذلك الليث بن سعد عن الزهري. فرواه البخاري ٤ : ٢٣٦ ، ومسلم ١ : ٩٥ – ٩٦ . وأبو داود : ٢٤٦٨ ، والترمذي ٢ : ٧٢ – كلهم من طريق الليث ، عن الزهري ، عن عروة وعمرة – معاً – عن عائشة .

(٢) الحديث : ٣٠٥٤ – سفيان بن وكيع : فيه ضعف ، كما قدمنا مراراً . ولكنه لم ينفرد بروايته من هذا الوجه ، كما سنذكر .

فقد رواه ابن ماجة : ١٧٧٨ ، عن علي بن محمد ، عن وكيع ، بهذا الإسناد .

وكذلك رواه البخاري ٤ : ٢٣٦ ، من طريق يحيى و ١٠ : ٣١٠ ، من طريق مالك . ورواه مسلم ١ : ٩٦ ، من طريق أبي خيثمة . ورواه أبو داود : ٢٤٦٩ . من طريق حماد بن زيد . والنسائي ١ : ٦٨ ، من طريق مالك أيضاً – كلهم عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة .

والحديث مكرر ما قبله .

يعتكفُ فيخرجُ إليَّ رأسه من المسجد وهو عاكفٌ ، فأغسِله وأنا حائض .(١)

٣٠٥٦ – حدثني محمد بن معمر قال ، حدثنا حماد بن مسعدة قال ، حدثنا مالك بن أنس ، عن الزهري وهشام بن عروة جميعاً ، عن عروة ، عن عائشة : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُخرج رَأسه فأرجِّله وهو معتكف .(٢)

* * *

فإذْ كان صحيحاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذكرنا من غسل عائشة

---

(١) الحديث : ٣٠٥٥ – سفيان : هو ابن وكيع . ابن فضيل : هو محمد .
تميم بن سلمة السلمي الكوفي : ثقة ، وثقه ابن معين وغيره .
والحديث رواه أيضاً النسائي ١ : ٦٨ ، من طريق الفضيل بن عياض ، عن الأعمش . بهذا الإسناد .
وهو مكرر ما قبله .

(٢) الحديث : ٣٠٥٦ – محمد بن معمر ، شيخ الطبري : مضت ترجمته : ٢٤١ .
حماد بن مسعدة البصري : ثقة من شيوخ أحمد وإسحق ، وثقه ابن سعد، وأبو حاتم . وغيرهما .
والحديث مكرر ما قبله .

وقد روى حماد بن مسعدة هذا الحديث عن مالك – على الصواب : أنه من رواية مالك عن الزهري عن عروة عن عائشة ، وعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ، دون وساطة « عمرة » بين عروة وخالته عائشة . خلافاً للرواية التي في الموطأ بإثبات الوساطة . والتي مضى مثلها : ٣٠٥٢ من رواية معن بن عيسى عن مالك . فكأن مالكاً سها في تلك الرواية ، حين جعل « عمرة » بين عروة وعائشة ، وكان يذكر الصواب أحياناً ، فيرويه من حديث عروة عن عائشة مباشرة . والحديث ثابت من رواية عروة عن عائشة ، ومن رواية عمرة عن عائشة ، سمعه الزهري كذلك من عروة ، ومن عمرة ، كما بينا في : ٣٠٥٣ . وسمعه هشام بن عروة من أبيه عن عائشة ، كما مضى في ٣٠٥٤ ، وفي طرقه التي خرجناها هناك .

وكذلك رواه البخاري من هذا الوجه ، ولكنه فرقه حديثين بإسناد واحد : فرواه ١٠ : ٣١٠ ، عن عبد الله بن يوسف : « أخبرنا مالك ، عن ابن شهاب ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة » – فذكره مختصراً . ثم قال : « حدثنا عبد الله بن يوسف ، أخبرنا مالك ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة – مثله » .

وقد تابعه على ذلك معمر – في الزهري . فرواه البخاري ٤ : ٢٤٦ ، من طريق هشام بن يوسف . ورواه النسائي ١ : ٦٨ ، من طريق عبد الأعلى – كلاهما عن معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة .

ويؤيده هذه الروايات – في أن عروة رواه عن عائشة مباشرة : رواية مسلم إياه ١ : ٩٦ ، من رواية عمرو بن الحارث ، عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل ، عن عروة ، عن عائشة، دون واسطة .

رأسه وهو معتكف ، فعلوم أن المراد بقوله : « ولاتباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد» ، غيرُ جميع ما لزمه اسم « المباشرة » = وأنه معنىٌّ به البعض من معانى المباشرة دون الجميع . فإذ كان ذلك كذلك ، وكان مجمَعاً على أنّ الجماع مما عُنى به ، كان واجباً تحريم الجماع على المعتكف وما أشبهه ، وذلك كلُّ ما قام فى الالتذاذ مقامه منَ المباشرة .

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : هذه الأشياء التى بيّنتها : من الأكل والشرب والجماع فى شهر رمضان نهاراً فى غير عذر ، وجماع النساء فى الاعتكاف فى المساجد ، يقول : هذه الأشياء حَدّدتها لكم ، وأمرْتكم أن تجتنبوها فى الأوقات التى أمرتكم أن تجتنبوها ، وحرّمتها فيها عليكم ، فلا تقرَبوها ، وابعُدوا منها أن تركبوها ، فتستحقُّوا بها من العقوبة ما يستحقه من تعدّى حُدودى ، وخالف أمرى ، وركب معاصىَّ .

• • •

وكان بعض أهل التأويل يقول : « حدود الله » : شروطه . وذلك معنى قريب من المعنى الذى قلنا ، غيرَ أن الذى قلنا فى ذلك أشبه بتأويل الكلمة .

وذلك أن « حد » كل شىء : ما حَصره من المعانى وميّز بينه وبين غيره . فقوله : « تلك حدود الله » من ذلك ، يعنى به المحارم التى ميّزها من الحلال المطلق ، فحدّدها بنعوتها وصفاتها ، وعرّفها عبادَه .

• • •

• ذكر من قال إنّ ذلك بمعنى الشُّروط :

٣٠٥٧ ــ حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد . قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : أما « حدود الله » ، فشروطه .

• • •

وقال بعضهم : « حدود الله » ، معاصيه .

• ذكر من قال ذلك :

٣٠٥٨ ــ حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت الفضل بن خالد قال ، حدثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك : « تلك حدود الله » ، يقول : معصية الله ــ يعنى المباشرةَ فى الاعتكاف

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (١٨٧)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : كما بينت لكم أيها الناس واجبَ فرائضى عليكم من الصوم ، وعرّفتكم حدودَه وأوقاته ، وما عليكم منه فى الحضر ، وما لكم فيه فى السفر والمرض ، وما اللازم لكم تجنُّبه فى حال اعتكافكم فى مساجدكم ، فأوضحت جميعَ ذلك لكم ــ فكذلك أبيِّن أحكامى ، وحلالى وحرامى ، وحدودى ، وأمرى ونهيى ، فى كتابى وتنزيلى ، وعلى لسان رسولى صلى الله عليه وسلم للناس .

• • •

ويعنى بقوله : « لعلهم يتقون » ، يقول : أبيِّن ذلك لهم ليتقوا محارمى ومعاصىَّ ، ويتجنَّبوا سَخطى وَغضبى ، بتركهم رُكوبَ ما أبيِّن لهم فى آياتى أنى قد حرَّمته عليهم ، وأمرتهم بهجره وتركه .

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١٨٨)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : ولا يأكل بعضُكم مالَ بعض بالباطل . فجعل تعالى ذكره بذلك آكلَ مال أخيه بالباطل ، كالآكل مالَ نفسه بالباطل .

ونظيرُ ذلك قولهُ تعالى : ﴿ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾ [سورة الحجرات : ١١] ، وقوله : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾ [سورة النساء : ٢٩] ، بمعنى : لا يلمزْ بعضكم بعضاً ، ولا يقتُلْ بعضكم بعضاً [١] لأن الله تعالى ذكره جعل المؤمنين إخوة ، فقاتل أخيه كقاتل نفسه ، ولامزُه كلامز نفسه . وكذلك تفعل العرب ، تكنى عن نفسها بأخواتها ، وعن أخواتها بأنفسها ، فتقول : « أخى وأخوك أيُّنا أبطش » . يعنى : أنا وأنت نصْطرع ، فننظر أيُّنا أشدّ [٢] — فيكنى المتكلم عن نفسه بأخيه ، لأن أخا الرجل عندها كنفسه ، ومن ذلك قول الشاعر : [٣]

١٠٧/٢ أَخِي وَأَخُوكَ بِبَطْنِ النُّسَيْرِ ، لَيْسَ بِهِ مِنْ مَعَدٍّ عَرِيبُ [٤]

• • •

(١) انظر ما سلف مثل ذلك فى ٢ : ٣٠٠ ، ثم الآية : ٨٥ من سورة البقرة ٢ : ٣٠٣ لم يذكر فيها شيئاً من ذلك . ولم يبين هذا البيان فيما سلف . وهذا دليل على أنه كان أحياناً يختصر الكلام اختصاراً ، اعتماداً على ما مضى من كلامه ، أو ما يستقبل منه . كما قلت فى مقدمة التفسير .

(٢) انظر تأويل مشكل القرآن : ١١٤ ، هذا بنصه .

(٣) هو ثعلبة بن عمرو (حزن) العبدى ، ابن أم حزنة . ويقال هو من بنى شيبان حليف فى عبد القيس . وكان من الفرسان (الاشتقاق لابن دريد : ١٩٧) . وانظر التعليق التالى .

(٤) المفضليات : ٥١٣ ، وتأويل مشكل القرآن : ١١٤ ، معجم ما استعجم : ١٠٣٨ . وفى المطبوعة : « ليس لنا » ، وأثبت ما فى المراجع ، وكأنها الصواب . ويقال : ليس بالدار عريب ،

فتأويل الكلام : ولا يأكلْ بعضكم أموال بعضٍ فيما بينكم بالباطل.

« وأكله بالباطل » : أكله من غير الوجه الذى أباحه الله لآكليه.

* * *

وأما قوله : « وتُدلوا بها إلى الحكام » ، فإنه يعنى : وتخاصموا بها — يعنى : بأموالكم — إلى الحكام «لتأكلوا فريقاً» = طائفة =[1] من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون.

أى ليس بها أحداً . و « النسير » ، تصغير « النسر » ، وهو مكان بديار بنى سليم . بيد أن ياقوت نقل عن الحازمى أنه بناحية نهاوند، واستشهد بهذا البيت. فإن يكن ذلك فابن أم حزنة هذا إسلامى: قال ياقوت ، قال سيف : «سار المسلمون من مرج القلعة نحو نهاوند ، حتى انتهوا إلى قلعة فيها قوم ، ففتحوها ، وخلفوا عليها النسير بن ثور فى عجل وحنيفة . وفتحها بعد فتح نهاوند ، ولم يشهد نهاوند عجلى ولا حنفى، لأنهم أقاموا مع النسير على القلعة ، فسميت به» (انظر تاريخ الطبرى ٤ : ٢٤٣ ، ٢٥١) .

فإن صح أن ابن أم حزنة كان فى بعث المسلمين ، كان هذا البيت مؤيداً لهذا القول . فإنه يقول له : أنا وأنت ببطن النسير ، ليس معنا فيه من أبناء معد (وهم العرب) أحد . وأما عن الحازمى إذا كان الموضع ببلاد العرب ، فهو يقول : ليس به أحد ، وقوله « من معد » فضول من القول . وقد ترجح عندى أنه شاعر إسلامى ، من بعض شعره فى المفضليات رقم ٧٤ ، وفى الوحشيات رقم : ٢١٧ ، (وانظر من نسب إلى أمه رقم : ٢٢ ، ٣٢) ، وله شعر فى حماسة البحترى : ٩٧ ، ١٠٣ .

وإن صحت رواية الطبرى : « ليس لنا من معد عريب » . فعريب، فى هذا البيت، هو صاحبه الذى ذكره فى أول الشعر فقال :

إنَّ عَرِيبًا وَإنْ سَاءنى أَحَبُّ حَبِيبٍ وَأَدْنَى قَرِيبْ

فيكون قوله : « معد » مصدر « عد يعد » . يقول : أنا وأنت ببطن النسير وحدنا ، لا يعد معنا أحد . يعنى أنهما خاليين بالمكان، ليس لك من ينصرك ولا لى من ينصرنى ، فهنالك يظهر صاحب البأس منهما، وقال بعد البيت :

فَأَقْسَمَ بِاللهِ لاَ يَأْتَلِى وَأَقْسَمْتُ إنْ نلتُهُ لَا يَؤُوبْ
فَأَقْبَلَ نَحْوِى عَلَى قُدْرَةٍ فَلَمَّا دَنَا صَدَقَتْهُ الكَذُوبْ

(١) انظر ما سلف فى تفسير «فريق» ٢ : ٢٢٤ ، ٤٠٢ .

ويعنى بقوله : « بالإثم » ، بالحرام الذى قد حرمه الله عليكم ،[1] « وأنتم تعلمون » ، أى : وأنتم تتعمّدون أكل ذلك بالإثم ، على قصدٍ منكم إلى ما حرّم الله عليكم منه ، ومعرفةٍ بأن فعلكم ذلك معصية لله وإثم ،[2] كما : —

٣٠٥٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتُدلوا بها إلى الحكام » ، فهذا فى الرجل يكون عليه مالٌ ، وليس عليه فيه بيِّنة ، فيجحد المال ، فيخاصمهم فيه إلى الحكام وهو يعرف أنّ الحق عليه ، وهو يعلم أنه آثم : آكلٌ حراماً .

٣٠٦٠ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « وتُدلوا بها إلى الحكام » ، قال : لا تخاصم وأنت ظالم .

٣٠٦١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٣٠٦٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام » ، وكان يقال : من مشى مع خصمه وهو له ظالم ، فهو آثم حتى يرجع إلى الحق . واعلم يا ابنَ آدم أن قضاء القاضى لا يُحلّ لك حراماً ولا يُحقّ لك باطلاً ، وإنما يقضى القاضى بنحو ما يرىَ ويشهدُ به الشهود ، والقاضى بَشر يخطئ ويصيب . واعلموا أنه من قد قُضى له بالباطل ، فإن خصومته لم تنقض حتّى يجمع الله بينهما يوم القيامة ، فيقضى على المُبطل للمحق ، بأجوَد مما قُضى به للمبطل على المحقّ فى الدنيا .[3]

---

(١) انظر ما سلف فى تفسير « الإثم » من هذا الجزء ٣ : ٣٩٩ — ٤٠٨ .

(٢) فى المطبوعة : « معصية الله » ، خطأ .

(٣) فى المطبوعة : « ويأخذ مما قضى به . . . » ، والصواب ما أثبت من تفسير ابن كثير ١ : ٤٣٠ .

٣٠٦٣ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « وتدلوا بها إلى الحكام » ، قال : لا تدلِ بمال أخيك إلى الحاكم وأنتَ تعلم أنك ظالم ، فإن قضاءه لا يُحلّ لك شيئاً كان حراماً عليك.

٣٠٦٤ ــ حدثنى موسى بن هرون قال،حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون »، أما « الباطل »، يقول: يظلم الرجل منكم صاحبَه ، ثم يخاصمه ليقطع ماله وهو يعلم أنه ظالم ، فذلك قوله : « وتدلوا بها إلى الحكام ».

٣٠٦٥ ــ حدثنا القاسم قال،حدثنا الحسين قال ، حدثنى خالد الواسطى ، عن داود بن أبى هند، عن عكرمة قوله : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل »، قال : هو الرجل يشترى السِّلعة فيردُّها ويردُّ معها دَراهم.

٣٠٦٦ ــ حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله: « ولا تأكلوا أموالكم بَينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام »، يقول: يكون أجدل منه وأعرَف بالحجة ، فيخاصمه فى ماله بالباطل ، ليأكل ماله بالباطل ، وقرأ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ ﴾ [سورة النساء : ٢٩]. قال: هذا القِمار الذى كان يَعمل به أهل الجاهلية .

* * *

وأصل « الإدلاء » : إرسال الرجل الدلو فى سَبب متعلقاً به فى البئر . [1] فقيل للمحتج لدعواه: « أدلى بحجة كيت وكيت »، إذا كان حجته التى يحتج بها سَبباً

(١) السبب : الحبل .

له ، هو به متعلقٌ فى خصومته ، كتعلّق المستقى من بئر بدَلو قد أرسلها فيها بسببها الذى الدلو به متعلقة. يقال فيهما جميعاً — أعنى من الاحتجاج ، ومن إرسال الدلو فى البئر بسبب : « أدلى فلان بحجته ، فهو يُدلى بها إدلاء = وأدلى دلوه فى البئر ، فهو يدليها إدلاء » .

• • •

فأما قوله : « وتدلوا بها إلى الحكام » ، فإن فيه وَجهين من الإعراب :

أحدهما : أن يكون قوله : « وتُدْلوا » جزماً عطفاً على قوله : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » ، أى : ولا تدلوا بها إلى الحكام. وقد ذُكر أن ذلك كذلك فى قراءة أبَىٍّ بتكرير حرف النهى : « ولا تَدلوا بها إلى الحكام » .

والآخر منهما : النصب على الصرْف ،[1] فيكون معناه حينئذ : لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وأنتم تدلون بها إلى الحكام ، كما قال الشاعر :

لاَ تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ ، عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ[2]

يعنى : لا تنه عن خلق وأنتَ تأتى مثله.

وهو أنْ يكون فى موضع جزم — على ما ذُكر فى قراءة أبىّ — أحسن منه أن يكون نَصباً .

• • •

(١) فى المطبوعة : « على الظرف » ، وهو محض خطأ . وقد مضى تفسير معنى « الصرف » فى ١ : ٥٦٩ — ٥٧٠ ، والتعليق : ١ .

(٢) سلف تخريج هذا البيت فى ١ : ٥٦٩ ، إلا أنى سهوت فلم أذكر أنه آت فى هذا الموضع من التفسير ، وفى ٩ : ١٤٦ (بولاق) ، فقيده . وانظر أيضاً معانى القرآن للفراء ١ : ١١٥ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾

قال أبو جعفر : ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل عن زيادة الأهلة ونقصانها واختلاف أحوالها ، فأنزل الله تعالى ذكره هذه الآية ، جواباً لهم فيما سألوا عنه . ١٠٨/٢

• ذكر الأخبار بذلك :

٣٠٦٧ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يَسألُونك عن الأهلة قُلْ هىَ مواقيت للناس » ، قال قتادة : سألوا نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك : لم جُعلت هذه الأهلة ؟ فأنزل الله فيها ما تسمعون : « هى مَواقيت للناس » ، فجعلها لصوم المسلمين ولإفطارهم ، ولمناسكهم وحجّهم ، ولعدة نسائهم ، ومَحلّ دينهم ، فى أشياء . والله أعلم بما يُصلح خلقه .

٣٠٦٨ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : ذكر لنا أنهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم : لم خُلقت الأهلة ؟ فأنزل الله تعالى : « يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيتُ للناس والحج » ، جعلها الله مواقيتَ لصوم المسلمين وإفطارهم ، ولحجهم ومناسكهم ، وعدّة نسائهم ، وَحلّ ديونهم[1]

٣٠٦٩ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا

---

(١) هكذا جاء فى هذه الآثار ٣٠٦٨ ، ٣٠٧٠ ، ٣٠٧٢ ، ٣٠٧٣ « حل ديونهم » . والذى فى كتب اللغة : « حل الدين يحل حلولا ومحلا (بكسر الحاء) » : أى وجب . وأستظهر أن يكون هذا المصدر « حلا » بفتح الحاء كنظائرها من اللغة كقولهم : « صد يصد صداً وصدوداً » ، ولو كسرت الحاء لكان وجهاً . وهذه الرواية قاضية على صحة هذا المصدر .

معمر ، عن قتادة فى قوله : « مواقيتُ للناس والحج »، قال : هى مواقيت للناس فى حجهم وصومهم وفطرهم ونُسكهم.

٣٠٧٠ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : قال الناس : لم خلقت الأهلة ؟ فنزلت: « يسألونك عن الأهلة قُل هى مواقيت للناس »، لصَومهم وإفطارهم وَحجهم وَمناسكم – قال : قال ابن عباس : ووقت حَجهم ، وعدة نسائهم ، وَحلّ دَينهم.

٣٠٧١ – حدثنى موسى بن هرون قال،حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يسألونك عن الأهلة قلْ هى مواقيت للناس » ، فهى مواقيتُ الطلاق والحيض والحج .

٣٠٧٢ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، حدثنا الفضل بن خالد قال ، حدثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك : « يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس » ، يعنى : حَلّ دينهم ، ووقت حجهم ، وعدة نسائهم.

٣٠٧٣ – حدثنى محمد بن سعد قال،حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : سأل الناسُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأهلة ، فنزلت هذه الآية : « يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس » ، يعلمون بها حَلّ دينهم ، وعدة نسائهم ، ووقت حجهم.

٣٠٧٤ – حدثنا أحمد بن إسحق قال،حدثنا أبو أحمد ، عن شريك ، عن جابر ، عن عبد الله بن يحيى ، عن على : أنه سئل عن قوله : « مواقيت للناس » ، قال : هى مواقيتُ الشهر : هكذا وهكذا وهكذا – وقبض إبهامه – فإذا رأيتموه فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا ، فإن غُمّ عليكم فأتموا ثلاثين.(١)

* * *

(١) الخبر : ٣٠٧٤ – جابر : هو ابن يزيد الجعفى ، بينا أنه ضعيف جداً ، فى : ٢٣٤٠ . وأما شيخه « عبد الله بن يحيى » : فما عرفت من هو ؟ وأكبر ظنى أن الاسم محرف ، لم أستطع الوصول إلى صحته .

قال أبو جعفر : فتأويل الآية – إذ كان الأمرُ على ما ذكرنا عمن ذكرنا عنهُ قوله فى ذلك – : يسألونك يا محمد عن الأهلة ومحاقها وسِرَارِها وتَمامها واستوائها، وتغير أحوالها بزيادة ونُقصان ومَحاق واستسرار ، وما المعنى الذى خالف بينه وبين الشمس التى هى دائمة أبدًا على حال واحدة لا تتغير بزيادة ولا نقصان ؟ – فقلْ يا محمد : خالف بين ذلك ربُّكم لتصييره الأهلة = التى سألتم عن أمرها ، ومخالفة ما بينها وبين غيرها فيما خالف بينها وبينه = مواقيتَ لكم ولغيركم من بنى آدم فى معايشهم ، ترقبون بزيادتها ونقصانها ومحاقِها واستسرارها وإهلالكم إياها، أوقات حَلّ ديونكم، وانقضاء مدة إجارة من استأجرتموه ، وتصرُّم عدة نسائكم ، ووقت صومكم وإفطاركم ، فجعلها مواقيت للناس.

* * *

وأما قوله « والحج » ، فإنه يعنى : وللحجِّ . يقول : جعلها أيضاً ميقاتاً لحجكم ، تعرفون بها وقت مناسككم وَحجكم

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١٨٩)

قال أبو جعفر : قيل: نزلت هذه الآية فى قوم كانوا لا يدخلون – إذا أحرموا – بيوتَهم من قبل أبوابها.

وهذا الخبر لم يذكره ابن كثير ، ولا السيوطى . وإنما أشار إليه ابن كثير إشارة ١ : ٤٣٠ .

وقد ورد معناه مرفوعاً ، فى حديث صحيح ، رواه الحاكم ١ : ٤٢٣ ، من حديث عبد الله ابن عمر . وصححه ووافقه الذهبى . وذكره ابن كثير ١ : ٤٣٠ ، من رواية عبد الرزاق ، ثم أشار إلى رواية الحاكم إياه . وذكره السيوطى ١ : ٢٠٣ – ٢٠٤ ، ونسبه أيضاً للبيهقى .

* ذكر من قال ذلك :

٣٠٧٥ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن أبي إسحق قال : سمعت البراء يقول : كانت الأنصار إذا حجوا ورجعوا لم يدخلوا البيوت إلا من ظهورها. قال : فجاء رجل من الأنصار فدخل من بابه ، فقيل له في ذلك، فنزلت هذه الآية : « وليس البرُّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها». (١)

٣٠٧٦ – حدثني سفيان بن وكيع قال، حدثني أبي ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن البراء قال : كانوا في الجاهلية إذا أحرموا، أتوا البيوت من ظهورها ولم يأتوا من أبوابها ، فنزلت : « وليس البر بأن تأتوا البيوتَ من ظهورها » الآية. (٢)

٣٠٧٧ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا المعتمر بن سليمان قال، سمعت داود ، عن قيس بن حبتر : أن ناساً كانوا إذا أحرموا لم يدخلوا حائطاً من بابه، ولا داراً من بابها أو بيتاً . فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه داراً، وكان رجل من الأنصار يقال له : « رفاعة بن تابوت » فجاء فتسوَّر الحائط ، ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما خرج من باب الدار – أو قال : من باب البيت – خرج معه رفاعة ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما حملك على ذلك؟ قال : يا رسول الله، رأيتُك خرجتَ منه فخرجت منه ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّي رجلٌ أحمس! فقال: إن تكن رجلاً أحمس، فإنّ ديننا واحد ! فأنزل الله تعالى ذكره : « وليسَ البر بأن تأتوا البيوتَ من ظهورها ولكن ١٠٩/٢

---

(١) الحديث : ٣٠٧٥ – رواه أبو داود الطيالسي : ٧١٧ ، عن شعبة ، بهذا الإسناد ، نحوه . ورواه البخاري مطولا ٣ : ٤٩٤ ، عن أبي الوليد ، عن شعبة ، بهذا الإسناد .
وذكره السيوطي ١ : ٢٠٤ ، وزاد نسبته لعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . وسيأتي معناه بإسناد آخر ، عقبه .

(٢) الحديث : ٣٠٧٦ – هو مكرر ما قبله . وهو في تفسير وكيع ، كما ذكر السيوطي ١ : ٢٠٤ .
ورواه البخاري ٨ : ١٣٧ ، عن عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، بهذا الإسناد .

البر من اتقى وأتوا البيوتَ من أبوابها ». (١)

٣٠٧٨ ــ حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تعالى ذكره : « وليس البرُّ بأن تأتوا البيوت من ظُهورها »، يقول : ليس البرّ بأن تأتوا البيوت من كُوَّات في ظهور البيوت، وأبواب في جنوبها، تجعلها أهل الجاهلية. فنُهوا أن يدخلوا منها، وأمِروا أن يدخلوا من أبوابها.

٣٠٧٩ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله.

٣٠٨٠ ــ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير، عن مغيرة ، عن إبراهيم

---

(١) الحديث : ٣٠٧٧ – داود : هو ابن أبي هند ، مضت ترجمته : ١٦٠٨ .

قيس بن حبتر النهشلي التميمي : تابعي ثقة ، وثقه أبو زرعة ، والنسائي ، وغيرهما .

« حبتر » : بفتح الحاء المهملة والتاء المثناة بينهما باء موحدة ساكنة . ووقع في المطبوعة هنا « جبير » ، وهو تصحيف . ووقع أيضاً هكذا مصحفاً في المواضع التي سنشير إليها من الفتح والإصابة والدر المنثور ، في هذا الحديث .

وهذا إسناد مرسل ، لأنه عن تابعي مرفوعاً ، فهو ضعيف .

والحديث ذكره السيوطي ١ : ٢٠٤ ، وزاد نسبته لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

وذكره الحافظ في الإصابة ٢ : ٢٠٩ ، من تفسير عبد بن حميد . وذكره أيضاً في الفتح ٣ : ٤٩٤ ، مختصراً ، ونسبه لعبد بن حميد ، وابن جرير . وصرح في الموضعين بأنه حديث مرسل .

الأحمس : هو المتشدد فيه دينه الصلب . ثم كانت الحمس (جمع أحمس) هم قريش . وخزاعة ، لنزولها مكة ومجاورتها قريشاً ، وكل من ولدت قريش من العرب وكنانة ، وجديلة قيس – وهم فهم وعدوان ابنا عمرو بن قيس عيلان ، وبنو عامر بن صعصعة ، وكل من نزل مكة من قبائل العرب . فكانت الحمس قد شددوا في دينهم على أنفسهم ، فكانوا إذا نسكوا لم يسلأوا سمناً ، ولم يطبخوا أقطاً ، ولم يدخروا لبناً ، ولم يحولوا بين مرضعة ورضاعها حتى يعافه ، ولم يحركوا شعراً ولا ظفرا ، ولا يبتنون في حجهم شعراً ولا وبراً ولا صوفاً ولا قطناً ، ولا يأكلون لحماً ، ولا يلبسون إلا جديداً ، ولا يطوفون بالبيت إلا في حذائهم وثيابهم ، ولا يمشون المسجد بأقدامهم تعظيما لبقعته ، ولا يدخلون البيوت من أبوابها ، ولا يخرجون إلى عرفات ، يقولون : « نحن أهل الله » ، ويلزمون مزدلفة حتى يقضوا نسكهم ، ويطوفون بالصفا والمروة إذا انصرفوا من مزدلفة ، ويسكنون في ظعنهم قباب الأدم الحمر (المحبر لابن حبيب : ١٧٨ – ١٨٠ ، ثم سيرة ابن هشام ١ : ٢١١ – ٢١٦ / والطبري في التفسير رقم : ٣٨٤٠) .

قال : كان ناسٌ من أهل الحجاز إذا أحرموا لم يدخلوا من أبواب بيوتهم ودخلوا من ظهورها ، فنزلت : « ولكن البر من اتقى » الآية.

٣٠٨١ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد فى قوله : « وليس البر بأن تأتوا البيوتَ من ظهورها ولكنّ البر من اتقى وأتوا البيوتَ من أبوابها » ، قال : كان المشركون إذا أحرم الرجل منهم نَقب كُوَّة فى ظهر بيته ، فجعل سُلَّماً ، فجعل يدخل منها . قال: فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ومعه رجل من المشركين ، قال : فأتى الباب ليدخل فدخل منه . قال : فانطلق الرجل ليدخل من الكوة . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما شأنك ؟ فقال : إنىّ أحمس ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأنا أحمس.

٣٠٨٢ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن الزهرى قال : كان ناسٌ من الأنصار إذا أهلُّوا بالعمرة لم يَحل بينهم وبين السماء شىء ، يتحرَّجون من ذلك . وكان الرجل يخرج مُهلاً بالعمرة ، فتبدو له الحاجة بعد ما يخرج من بيته ، فيرجع ولا يدخل من باب الحجرة من أجل سَقف الباب أن يحول بينه وبين السماء ، فيفتح الجدار من وَرائه ، ثم يقوم فى حجرته ، فيأمر بحاجته . فتخرج إليه من بيته ، حتى بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلَّ زمنَ الحديبية بالعمرة، فدخل حجرة، فدخل رجل على أثره ، من الأنصار من بنى سَلِمة، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : إنىّ أحمس! قال الزهرى : وكانت الحُمس لا يبالون ذلك ، فقال الأنصارى : وأنا أحمس ! يقول : وأنا على دينك ، فأنزل الله تعالى ذكره : « وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظُهورها » .

٣٠٨٤ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وليس البر بأن تأتوا البيوت » الآية كلها ، قال قتادة : كان هذا الحى من الأنصار فى الجاهلية ، إذا أهلَّ أحدُهم بحجّ أو عمرة لا يدخلُ داراً من بابها ، إلا أن يتسور حائطاً تسوُّرًا ، وأسلموا وهم كذلك، فأنزل الله تعالى ذكره

فى ذلك ما تسمعون ، ونهاهم عن صنيعهم ذلك ، وأخبرهم أنه ليس من البر صنيعهم ذلك ، وأمرهم أن يأتوا البيوت من أبوابها .

٣٠٨٥ – حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها » ، فإن ناساً من العرَب كانوا إذا حجُّوا لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها، كانوا يَنقبون فى أدبارِها . فلما حجّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حَجة الوداع ، أقبل يمشى ومعه رجل من أولئك وهو مسلم . فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم باب البيت ، احتبس الرجل خلفه وأبى أن يدخل، قال: يا رسول الله ، إنى أحمس! – يقول : إنىّ محرم – وكان أولئك الذين يفعلون ذلك يسمون « الحُمس »، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأنا أيضاً أحمس ! فادخل . فدخل الرجل ، فأنزل الله تعالى ذكره : « وأتوا البيوت من أبوابها » .

٣٠٨٦ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وليس البر بأن يأتوا البيوت من ظُهورها ولكنّ البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها » ، وأنّ رجالاً من أهل المدينة كانوا إذا خاف أحدُهم من عَدوٍّه شيئاً أحرم فأمِن . فإذا أحرم لم يلج من باب بيته ، واتخذ نَقباً من ظَهر بيته . فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، كان بها رجلٌ محرم كذلك – وأنّ أهل المدينة كانوا يُسمُّون البستان « الحُشّ » – وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم دَخل بُستاناً ، فدخله من بابه ، ودخل معه ذلك المحرم . فناداه رجلٌ من ورائه : يا فلان ، إنك محرم وقد دخلت ! فقال : أنا أحمس ! فقال : يا رسول الله ، إن كنت محرماً فأنا محرم ، وإن كنت أحمسَ فأنا أحمسُ ! فأنزل الله تعالى ذكره : « وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظُهورها » ، إلى آخر الآية ، فأحل الله للمؤمنين أن يدخلوا من أبوابها .

٣٠٨٧ – حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ،

٢/١١٠ عن أبيه ، عن الربيع قوله : « وليسَ البر بأنْ تأتوا البيوتَ من ظهورها ولكن البر مَن اتقى وأتوا البيوت من أبوابها » ، قال : كان أهل المدينة وغيرُهم إذا أحرمُوا لم يدخلوا البيوت إلاّ من ظهورها ، وذلك أن يتسوَّرُوها . فكان إذا أحرم أحدُهم لا يدخل البيت إلا أن يتسوّره من قِبَل ظهره . وأن النبي صلى الله عليه وسلم دخل ذات يوم بيتاً لبعض الأنصار ، فدخل رجلٌ على أثره ممن قد أحرم ، فأنكروا ذلك عليه ، وقالوا : هذا رجل فاجرٌ ! فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : لم دخلت من الباب وقد أحرمت؟ فقال : رأيتُك يا رسول الله دخلتَ فدخلتُ على أثرك! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنيّ أحمس ! — وقريش يومئذ تُدعى الحُمس — فلما أن قال ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، قال الأنصاري : إن ديني دينك ! فأنزل الله تعالى ذكره : « وليس البر بأن تأتوا البيوتَ من ظهورها » الآية .

٣٠٨٨ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج : قلت لعطاء قوله : « وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها » ، قال : كان أهل الجاهلية يأتون البيوت من ظهورها ويرَوْنه برًّا ، فقال : « البر » ، ثم نعت « البر » ، وأمر بأن يأتوا البيوت من أبوابها = قال ابن جريج : وأخبرني عبد الله ابن كثير : أنه سمع مجاهداً يقول : كانت هذه الآية في الأنصار ، يأتون البيوت من ظهورها ، يتبرَّرُون بذلك .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الآية إذاً : وليس البر أيها الناس بأن تأتوا البيوت في حال إحرامكم من ظهورها ، ولكن البر من اتقى الله ، فخافه وتجنب محارمه ، وأطاعه بأداء فرائضه التي أمره بها . فأما إتيانُ البيوت من ظهورها فلا برَّ لله فيه ، فأتوها من حيثُ شئتُم من أبوابها وغير أبوابها ، ما لم تعتقدوا تحريم إتيانها من أبوابها في حال من الأحوال ، فإن ذلك غيرُ جائزٍ لكم اعتقادُه ، لأنه مما لم أحرمه عليكم .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : واتقوا الله أيها الناس ، فاحذروه وارهبوه ، بطاعته فيما أمركم به من فرائضه ، واجتناب ما نهاكم عنه ، لتفلحوا فتنجحوا فى طلباتكم لديه، وتدركوا به البقاءَ فى جَنَّاته، والخلودَ فى نعيمه.

* * *

وقد بينا معنى « الفلاح » فيما مضى قبلُ بما يدل عليه.(١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ (١٩٠)

قال أبو جعفر : اختلف أهلُ التأويل فى تأويل هذه الآية.

فقال بعضهم : هذه الآية هى أول آية نَزَلت فى أمر المسلمين بقتال أهل الشرك . وقالوا : أمر فيها المسلمون بقتال من قاتلهم من المشركين ، والكف عمن كفَّ عنهم ، ثم نُسخت بـ « براءة ».

* ذكر من قال ذلك :

٣٠٨٩ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن بن سعد وابن أبى جعفر ، عن أبى جعفر ، عن الربيع فى قوله : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يُقاتلونكم ولا تَعتدوا إن الله لا يحبّ المعتدين » ، قال : هذه أوّل آية نزلت فى القتال

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٢٤٩ – ٢٥٠ .

بالمدينة . فلما نزلت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من يقاتله ، ويكفُّ عمن كفّ عنه ، حتى نزلت « براءة » — ولم يذكر عبد الرحمن : « المدينة » .

٣٠٩٠ — حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وقاتِلوا في سبيل الله الذين يُقاتلونكم » إلى آخر الآية ، قال : قد نسخ هذا ! وقرأ قول الله : ﴿ وَقَاتِلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾ [سورة التوبة : ٣٦] ، وهذه الناسخة ، وقرأ : ﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ ﴾ ، حتى بلغ ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَاقْتُلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ إلى ﴿ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة التوبة : ١ — ٥]

• • •

وقال آخرون : بل ذلك أمر من الله تعالى ذكره للمسلمين بقتال الكفار ، لم ينسخ . وإنما الاعتداءُ الذي نهاهم الله عنه ، هو نهيه عن قتل النساء والذرّاريّ . قالوا : والنهي عن قتلهم ثابتٌ حُكمه اليوم . قالوا : فلا شيء نُسخ من حكم هذه الآية .

• ذكر من قال ذلك :

٣٠٩١ — حدثنا سفيان بن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن صَدَقة الدمشقي ، عن يحيى بن يحيى الغساني قال : كتبتُ إلى عمر بن العزيز أسألهُ عن قوله : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يُقاتلونكم ولا تعتدوا إنّ الله لا يُحب المعتدين » ، قال : فكتب إليّ : « إنّ ذلك في النساء والذريّة ومن لم يَنصِبْ لك الحرْب منهم » .

٣٠٩٢ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تعالى ذكره : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يُقاتلونكم » ، لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، أمروا بقتال الكفار .

٣٠٩٣ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٣٠٩٤ ــ حدثني على بن داود قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثني معاوية، عن على، عن ابن عباس : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يُقاتلونكم ولا تعتدوا إنّ الله لا يحب المعتدين » ، يقول : لا تقتلوا النساء ، ولا الصِّبيان ، ولا الشيخ الكبير ، ١١١/٢
وَلا منْ ألقى إليكم السَّلَمَ وكفَّ يده . فإن فعلتم هذا فقد اعتديتم .

٣٠٩٥ ــ حدثني ابن البرقى قال، حدثنا عمرو بن أبى سلمة ، عن سعيد ابن عبد العزيز قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدىّ بن أرطاة : « إنى وَجدتُ آية فى كتاب الله: « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يُقاتلونكم ولا تعتدوا إنّ الله لايحب المعتدين »، أى : لا تقاتل من لا يقاتلك ، يعنى : النساء والصبيان والرُّهبان » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذين القولين بالصواب ، القولُ الذى قاله عمر بن عبد العزيز . لأن دعوى المدَّعى نَسْخَ آية يحتمل أن تكون غيرَ منسوخة، بغير دلالة على صحة دعواه ، تحكُّم . والتحكم لا يعجِز عنه أحد .

* * *

وقد دللنا على معنى « النسخ » ، والمعنى الذى من قبَله يثبت صحة النسخ ، بما قد أغنى عن إعادته فى هذا الموضع[1].

* * *

فتأويل الآية ــ إذا كان الأمر على ما وصفنا ــ: وقاتلوا أيها المؤمنون فى سبيل الله = وسبيلُه : طريقه الذى أوضحه ، ودينه الذى شرعه لعباده = يقول لهم تعالى ذكره : قاتلوا فى طاعتى وَعلى ما شرعت لكم من دينى ، وادعوا إليه من وَلَّى عنه واستكبر بالأيدى والألسن ، حتى يُنيبوا إلى طاعتى ، أو يعطوكم الجزية صَغاراً إن كانوا أهل كتاب. وأمرهم تعالى ذكره بقتال مَنْ كان منه قتال من مُقاتِلة أهل الكفر ، دون من لم يكن منه قتال ،[2] من نسائهم وذراريهم ، فإنهم أموال وَخولٌ لهم، إذا غُلب المقاتلون منهم فقُهروا . فذلك معنى قوله : « قاتلوا فى سبيل الله الذين

(١) انظر ما سلف ٢ : ٤٧١ ــ ٤٨٣ ، وهذا الجزء ٣ : ٣٨٥
(٢) فى المطبوعة فى الموضعين : « فيه قتال » ، وهو خطأ .

يقاتلونكم ». لأنه أباح الكف عمّن كف فلم يُقاتل من مشركى أهل الأوثان ، والكافّين عن قتال المسلمين من كفار أهل الكتاب على إعطاء الجزية صَغاراً.

فمعنى قوله : « ولا تعتدوا » : لا تقتلوا وليداً ولا امرأةً ، ولا من أعطاكم الجزية من أهل الكتابَين والمجوس، « إنّ الله لا يُحب المعتدين » ، الذين يجاوزون حدوده ، فيستحلُّون ما حرَّمه الله عليهم من قتل هؤلاء الذين حَرَّم قتلهم من نساء المشركين وذراريهم.[1]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : واقتلوا أيها المؤمنون الذين يقاتلونكم من المشركين حيث أصبتم مَقاتلهم وأمكنكم قتلهم . وذلك هو معنى قوله : « حيث ثقتموهم » .

* * *

ومعنى « الثَّقْفَة » بالأمر[2] : الحِذق به والبصر ، يقال : « إنه لثَقِف لَقِفٌ » ، إذا كان جيد الحَذر فى القتال ، بصيراً بمواقع القتل . وأما « التَّثْقيف » ، فمعنى غير هذا ، وهو التقويم.

* * *

فمعنى : « واقتلوهم حيث ثقفتموهم » ، اقتلوهم فى أى مكان تمكنتم من قتلهم ، وأبصرتم مقاتلهم.

* * *

(١) انظر تفسير « الاعتداء » فيما سلف ٢ : ٣٠٧ ، وهذا الجزء ٣ : ٣٧٦ ثم : ٥٧٣

(٢) هذا مصدر لم أجده فى كتب اللغة ، وكأنه كما ضبطته بكسر الثاء على وزن « حكمة ونشدة » . والذى ذكروه : « ثقف الشيء ثقفاً وثقافاً وثقوفة » .

وأما قوله : «وأخرجوهم من حيث أخرجوكم» ، فإنه يُعنى بذلك المهاجرين الذين أخرِجوا من ديارهم ومنازلهم بمكة ، فقال لهم تعالى ذكره : أخرجوا هؤلاء الذين يقاتلونكم — وقد أخرجوكم من دياركم — من مساكنهم وديارهم كما أخرجوكم منها .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « والفتنة أشد من القتل » ، والشرك بالله أشدُّ من القتل .

* * *

وقد بينت فيما مضى أن أصل « الفتنة »، الابتلاءُ والاختبار .(١)

* * *

فتأويل الكلام : وابتلاءُ المؤمن فى دينه حتى يرجعَ عنه فيصير مشركاً بالله من بعد إسلامه ، أشدُّ عليه وأضرُّ من أن يُقتل مقيماً على دينه، متمسكاً عليه ، مُحقًّا فيه ، كما :—

٣٠٩٦ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « والفتنة أشدُّ من القتل » ، قال : ارتداد المؤمن إلى الوثن أشدُّ عليه من القتل .

٣٠٩٧ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٣٠٩٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « والفتنة أشدُّ من القتل » ، يقول : الشرك أشدُّ من القتل .

---

(١) انظر ما سلف ٢ : ٤٤٤ .

٣٠٩٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة مثله .

٣١٠٠ – حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « والفتنة أشدُّ من القتل »، يقول : الشرك أشدُّ من القتل .

٣١٠١ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك : « والفتنة أشدُّ من القتل » ، قال : الشرك .

٣١٠٢ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، أخبرني عبد الله بن كثير ، عن مجاهد في قوله : « والفتنة أشدُّ من القتل » ، قال : الفتنة الشركُ .

٣١٠٣ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت الفضل بن خالد قال ، حدثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك: « والفتنة أشدُّ من القتل» ، قال: الشرك أشدُّ من القتل .

٣١٠٤ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله جل ذكره : « والفتنة أشدُّ من القتل » ، قال : فتنة الكفر.

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (١٩١)

١١٢/٢

قال أبو جعفر : والقرَأةُ مختلفة في قراءة ذلك .

فقرأته عامَّة قراء المدينة ومكة : « ولا تُقاتلوهم عندَ المسجد الحرام حتى يُقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم » ، بمعنى : ولا تبتدئوا – أيها المؤمنون –

المشركين بالقتال عند المسجد الحرام ، حتى يبدأوكم به ، فإن بدأوكم به هناك عند المسجد الحرام فى الحرم ، فاقتلوهم ، فإن الله جعل ثواب الكافرين على كفرهم وأعمالهم السيئة ، القتلُ فى الدنيا ، والخزى الطويل فى الآخرة ، كما :-

٣١٠٥ - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولا تقاتلوهم عندَ المسجد الحرام حتى يُقاتلوكم فيه »، كانوا لا يُقاتلون فيه حتى يُبدأوا بالقتال، ثم نسخ بعدُ ذلك فقال: « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة » = حتى لا يكون شركٌ = « ويكون الدين لله » = أن يقال : لا إله إلا الله ، عليها قاتل نبيُّ الله ، وإليها دعا .

٣١٠٦ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا همام ، عن قتادة : « ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم »، فأمر الله نبيَّه صلى الله عليه وسلم أن لا يقاتلهم عند المسجد الحرام إلا أن يبدأوا فيه بقتال. ثم نسخ الله ذلك بقوله: ﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ [سورة التوبة : ٥] ، فأمر الله نبيَّه إذا انقضى الأجل أن يقاتلهم فى الحِلِّ والحرَم وعند البيت، حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسولُ الله .

٣١٠٧ - حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله: « ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه » ، فكانوا لا يقاتلونهم فيه ، ثم نسخ ذلك بعدُ فقال : « قاتلوهم حتى لا تكون فتنة » .

* * *

وقال بعضُهم : هذه آيةٌ محكمة غيرُ منسوخة .

* ذكر من قال ذلك :

٣١٠٨ - حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد: « فإن قاتلوكم »، فى الحرم فاقتلوهم كذلك جزاءُ الكافرين،

لا تقاتل أحداً فيه ، فمن عَدا عليك فقاتلك ، فقاتِله كما يقاتلك .

* * *

وقرأ ذلك عُظْم قراء الكوفيين : « ولا تَقْتلوهم عند المسجد الحرام حَتى يَقْتلوكم فيه فإن قَتلوكم فاقتلوهم » ، بمعنى : ولا تبدأوهم بقتل حتى يبدأوكم به .

* ذكر من قال ذلك :

٣١٠٩ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي حماد ، عن أبي حماد ، عن حمزة الزيات قال : قلت للأعمش : أرأيت قراءتك : « ولا تَقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يَقتلوكم فيه فإن قَتلوكم فاقتلوهم كذلك جَزاءُ الكافرين * فإن انتهوا فإن الله غفورٌ رَحيم » ، إذا قَتلوهم كيف يقتلونهم ؟ قال : إن العرب إذا قُتل منهم رجل ، قالوا : « قُتلنا » ، وإذا ضُرب منهم رجل قالوا : « ضربنا » . (١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هاتين القراءتين بالصواب ، قراءةُ من قرأ : « ولا تُقاتلوهم عند المسجد الحرام حَتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم » . لأن الله تعالى ذكره لم يأمر نبيَّه صلى الله عليه وسلم وأصحابه في حال – إذا قاتلهم المشركون – بالاستسلام لهم حتى يَقتلوا منهم قتيلاً ، بعد ما أذن له ولهم بقتالهم ، فتكونَ القراءة بالإذن بقتلهم بعد أن يَقتلوا منهم ، أولى من القراءة بما اخترنا . وإذ كان ذلك كذلك ، فمعلومٌ أنه قد كان تعالى ذكره أذِن لهم بقتالهم ، إذا كان ابتداء القتال من المشركين ، قبل أن يقتلوا منهم قتيلاً وبعد أن يقتلوا منهم قتيلاً .

وقد نسخ الله تعالى ذكره هذه الآية بقوله : « وقاتلوهم حَتى لا تكون فتنة » ،

---

(١) الخبر : ٣١٠٩ – عبد الرحمن بن أبي حماد سكين الكوفي : ترجمه ابن الجزري في طبقات القراء ١ : ٣٦٩ – ٣٧٠ ، وذكر أنه أخذ القراءة عن حمزة الزيات ، « وهو أحد الذين خلفوه في القيام بالقراءة » .

وأما شيخه – في هذا الإسناد – « أبو حماد » : فلا ندري من هو ؟ والظن أنه زيادة خطأ من الناسخين . وهكذا ظن أخي السيد محمود ، أيضاً .

وقوله : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾[سورة التوبة : ٥] ونحو ذلك من الآيات.

* * *

وقد ذكرنا بعضَ قول من قال هي منسوخة ، وسنذكر قول من حضرنا ذكرُه ممن لم يُذكر .

٣١١٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « ولا تُقاتلوهم عندَ المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه » ، قال : نسخها قوله: ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾

٣١١١ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يُقاتلوكم فيه » ، قال : حتى يبدأوكم ، كان هذا قد حُرِّم فأحل الله ذلك له ، فلم يزل ثابتاً حتى أمره الله بقتالهم بعدُ .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٩٢)

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بذلك : فإن انتهى الكافرون الذين يقاتلونكم عن قتالكم وكفرهم بالله ، فتركوا ذلك وتابوا ، « فإن الله غفورٌ » لذنوب من آمن منهم وتاب من شركه ،وأناب إلى الله من معاصيه التي سلفت منه ،وأيامه التي مَضت =«رحيم» به في آخرته ، بفضله عليه ، وإعطائه ما يعطي أهل طاعته من الثواب ، بإنابته إلى محبته من مَعصيته ، كما : —

٣١١٢ – حدثنا المثنى قال ،حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « فإن انتهوا » = فإن تابوا = « فإن الله غفورٌ رَحيم » .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ ١١٣/٢

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وقاتلوا المشركين الذين يقاتلونكم حتى لا تكون فتنة = يعنى : حتى لا يكون شركٌ بالله ، وحتى لا يُعبد دونه أحدٌ ، وتضمحلَّ عبادة الأوثان والآلهة والأنداد، وتكونَ العبادة والطاعة لله وحده دون غيره من الأصنام والأوثان ، كما قال قتادة فيما : —

٣١١٣ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة » ، قال : حتى لا يكون شرك .

٣١١٤ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة » ، قال : حتى لا يكون شرك .

٣١١٥ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة » ، قال : الشرك ، « ويكون الدِّين لله » .

٣١١٦ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٣١١٧ — حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة » ، قال : أما الفتنة فالشرك .

٣١١٨ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وقاتلوهم حتى لا تكونَ فتنة » ، يقول : قاتلوا حتى لا يكون شرك .

٣١١٩ – حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « وقاتلوهم حتى لا تكونَ فتنة »، أي شركٌ

٣١٢٠ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة » ، قال : حتى لا يكون كفر ، وقرأ﴿ تقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ﴾ [سورة الفتح : ١٦].

٣١٢١ – حدثني علي بن داود قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة » ، يقول : شركٌ .

* * *

وأما « الدين »، الذي ذكره الله في هذا الموضع ، [1] فهو العبادة والطاعة لله في أمره ونهيه ، من ذلك قول الأعشى :

هُوَ دَانَ الرِّبَابَ ، إِذْ كَرِهُوا الدِّيـ ـنَ ، دِرَاكاً بِغَزْوَةٍ وَصِيَالِ [2]

يعني بقوله : « إذ كرهوا الدين »، إذ كرهوا الطاعة وأبوْها .

* * *

(١) انظر معنى « الدين » فيما سلف ١ : ١٥٥ ، ٢٢١ .

(٢) ديوانه : ١٢ وسيأتي في التفسير ٣ : ١٤١ (بولاق) ، قالها في مدح الأسود بن المنذر اللخمي ، أخي النعمان بن المنذر لأمه ، وأم الأسود من تيم الرباب . هذا قول أبي عبيدة ، والصواب ما قال غيره: أنه قالها في مدح المنذر بن الأسود ، وكان غزا الحليفين أسداً وذبيان ، ثم أغار على الطف ، فأصاب نعماً وأسرى وسبياً من رهط الأعشى بني سعد بن ضبيعة بن ثعلبة ، والأعشى غائب . فلما قدم وجد الحي مباحاً . فأتاه فأنشده ، وسأله أن يهب له الأسرى ويحملهم ، ففعل .

والرباب (بكسر الراء) هم بنو عبد مناة بن أد : تيم وعدي وعوف وثور ، اجتمعوا فتحالفوا مع بني عمهم ضبة بن أد ، على بني عمهم تميم بن أد . فجاؤوا برب (تمر مطبوخ) فغمسوا فيه أيديهم ، فسموا « الرباب »، ثم خرجت ضبة عنهم ، واكتفت بعددها .

وقوله : « دان الرباب » أي أذلهم واستعبدهم وحملهم على الطاعة . وقوله : « دراكاً » ، متتابعاً يدرك بعضه بعضاً . والصيال : السطوة . صال على عدوه : وثب عليه وسطا . يقول تابع غزوهم والسطو عليهم حتى دانوا بالطاعة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٣١٢٢ – حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه، عن الربيع : « ويكونَ الدِّينُ لله » ، يقول : حتى لا يُعبد إلا الله ، وذلك « لا إله إلا الله » ، عليه قاتل النبيُّ صلى الله عليه وسلم وإليه دعا ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « إنّى أمرتُ أن أقاتِل الناسَ حتى يَقولوا لا إله إلاالله، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك فقد عَصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقِّها ، وحسابهم على الله » .

٣١٢٣ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة: « ويكون الدِّينُ لله » = أن يقال: « لا إله إلا الله »، ذُكِر لنا أن نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « إنّ الله أمرَنى أنْ أقاتِل الناسَ حتى يقولوا لا إله إلاّ الله »، ثم ذكر مثل حديث الربيع .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (١٩٣)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « فإن انتهوا »، فإن انتهى الذين يقاتلونكم من الكفار عن قتالكم ، ودَخلوا فى ملّتكم ، وأقرُّوا بما ألزمكم الله من فرائضه ، وتركوا ما هم عليه من عبادة الأوثان ، فدعوا الاعتداءَ عليهم وقتالَهم وجهادَهم ، فإنه لا ينبغى أن يُعتدى إلا على الظالمين – وهم المشركون بالله ، والذين تركوا عبادته وعبدوا غيرَ خالقهم .

* * *

فإن قال قائل : وهل يجوز الاعتداء على الظالم فيقال : « فلا عُدوان إلاّ على الظالمين » ؟ (١)

قيل : إن المعنى فى ذلك على غير الوجه الذى إليه ذهبتَ . وإنما ذلك على وجه المجازاة ، لما كان من المشركين من الاعتداء . يقول : افعلوا بهم مثل الذى فعلوا بكم ، كما يقال : « إن تعاطيتَ منّى ظلماً تعاطيته منك » ، والثانى ليس بظلم ، كما قال عمرو بن شأس الأسدىّ :

جَزَيْنَا ذَوِى العُدْوَانِ بِالأَمْسِ قَرْضَهُمْ قِصَاصاً، سَواءً حَذْوَكَ النَّعْلَ بِالنَّعْلِ (٢)

وإنما كان ذلك نظير قوله : ﴿ اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ [سورة البقرة : ١٥] ، وَ﴿ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ ﴾ [سورة التوبة : ٧٩] ، وقد بينا وجه ذلك ونظائره فيما مَضى قبلُ (٣) .

* * *

وبالذى قلنا فى ذلك من التأويل قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٣١٢٤ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فلا عُدوان إلا على الظالمين » ، والظالم الذى أبى أن يقول : « لا إله إلا الله » .

٣١٢٥ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « فلا عُدوان إلاّ على الظالمين » ، قال : هم المشركون . ١١٤/٢

٣١٢٦ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا عثمان بن غياث قال ، سمعت عكرمة فى هذه الآية : « فلا عدوان إلاّ على الظالمين » ،

(١) انظر معنى « العدوان » فيما سلف ٢ : ٣٠٧ ، وهذا الجزء ٣ : ٣٧٦ ، ٥٦٤

(٢) لم أجد البيت ، وشعر عمرو بن شأس على كثرته وجودته ، قد ضاع أكثره .

(٣) انظر ما سلف ١ : ٣٠١ ــ ٣٠٦ .

قال: هُم من أبى أن يقول : « لا إله إلاّ الله » .

* * *

وقال آخرون معنى قوله : « فلا عدوان إلاّ على الظالمين » ، فلا تقاتل إلا من قاتل .

* ذكر من قال ذلك :

٣١٢٧ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فإن انتهوا فلا عُدوان إلاّ على الظالمين » ، يقول : لا تقاتلوا إلاّ من قاتلكم .

٣١٢٨ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٣١٢٩ – حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : « فإن انتهوا فلا عُدوان إلاّ على الظالمين » ، فإنّ الله لا يحب العُدوان على الظالمين ولا على غيرهم، ولكن يقول : اعتدُوا عليهم بمثل ما اعتدوْا عليكم .

* * *

قال أبو جعفر : فكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول فى قوله : « فإن انتهوْا فلا عُدوان إلا على الظالمين » ، لا يجوز أن يقول : « فإن انتهوا » إلاّ وقد علم أنهم لا يَنتهون إلاّ بعضهم ، فكأنه قال : فإن انتهى بعضُهم ، فلا عُدوان إلاّ على الظالمين منهم . فأضمر ، كما قال : ﴿ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾ [سورة البقرة: ١٩٦] ، يريد: فعليه ما استيسر من الهدى ، وكما يقول : « إلى مَن تقصد أقصد » ، يعنى : إليه .

وكان بعضهم ينكر الإضمار فى ذلك ، ويتأوله : فإن انتهوا فإن الله غفورٌ رحيم لمن انتهى ، ولا عُدوان إلاّ على الظالمين الذين لا ينتهون .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « الشهر الحرام بالشهر الحرام » ، ذا القعدة ، وهو الشهر الذى كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم اعتمر فيه عُمرة الحديبية ، فصدّه مشركو أهل مكة عن البيت ودخول مكة ، سنة ست من هجرته . وصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين فى تلك السنة ، على أن يعود من العام المقبل فيدخل مكة ويقيم ثلاثاً . فلما كان العامُ المقبل ، وذلك سنة سبع من هجرته ، خرج معتمراً وأصحابه فى ذى القَعدة — وهو الشهر الذى كان المشركون صدُّوه عن البيت فيه فى سنة ست — وأخلى له أهل مكة البلد حتى دخلها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقضى حاجته منها ، وأتم عمرته ، وأقام بها ثلاثاً — ثم خرج منها منصرفاً إلى المدينة. فقال الله جل ثناؤه لنبيه صلى الله عيله وسلم وللمسلمين مَعه «الشهرُ الحرام» = يعنى ذا القَعدة ، الذى أوصَلكم الله فيه إلى حَرَمه وبيته ، على كراهة مشركى قُريش ذلك ، حتى قضيتم منه وَطركم = « بالشهر الحرام » ، الذى صدكم مشركو قريش العامَ الماضىَ قَبله فيه حتى انصرفتم عن كره منكم عن الحرم ، فلم تدخلوه ، ولم تصلوا إلى بيت الله ، فأقصّكم الله أيها المؤمنون من المشركين بإدخالكم الحرم فى الشهر الحرام على كره منهم لذلك ، بما كان منهم إليكم فى الشهر الحرام من الصدّ والمنْع من الوصول إلى البيت ، كما : —

٣١٣٠ — حدثنى محمد بن عبد الله بن بزيع قال ، حدثنا يوسف — يعنى : ابن خالد السَّمْتىّ — قال ، حدثنا نافع بن مالك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قوله : « والحرمات قصاص » ، قال : هم المشركون ، حبسوا محمداً صلى الله عليه وسلم

فى ذى القَعدة ، فرَجَعه الله فى ذى القَعدة فأدخله البيتَ الحرام ، فاقتص له منهم .(١)

٣١٣١ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله جل ثناؤه : « الشهرُ الحرامُ بالشهر الحرام والحرُماتُ قِصَاص » ، قال : فخرت قريش بردِّها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يوم الحُديبية محرِماً فى ذى القَعدة عن البلد الحرام ، فأدخله الله مكة فى العام المقبل من ذى القَعدة ، فقضى عُمرته ، وأقصَّه بما حيل بينه وبينها يوم الحديبية .

٣١٣٢ – حدثنى المثنى قال ، حدثنى أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٣١٣٣ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « الشهرُ الحرامُ بالشهر الحرام والحرُمات قِصَاص » ، أقبل نبىّ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فاعتمروا فى ذى القَعدة ومعهم الهدى ، حتى إذا كانوا بالحديبية صدّهم المشركون . فصالحهم نبىُّ الله صلى الله عليه وسلم على أن يرجع من عامه ذلك ، حتى يرجع من العام المقبل فيكون بمكة ثلاثة أيام ولا يدخلها إلا بسلاح راكب ويخرج ، ولا يخرج بأحدٍ من أهل مكة ، فنحروا الهدْى بالحديبية ، وحلَّقوا وَقصَّروا . حتى إذا كان من العام المقبل ، أقبل نبىُّ الله وأصحابه حتى دخلوا مكة ، فاعتمروا فى ذى القَعدة ، فأقاموا بها ثلاث ليال . فكان المشركون قد فخروا عليه حين ردُّوه يوم الحديبية ، فأقصَّه الله منهم ، فأدخله مكة فى ذلك الشهر الذى كانوا ردُّوه فيه فى ذى القَعدة . فقال الله : « الشهرُ الحرامُ بالشهر الحرام والحرُمات قصَاص » .

١١

(١) الخبر : ٣١٣٠ – محمد بن عبد الله بن بزيع – بفتح الباء الموحدة وكسر الزاى – شيخ الطبرى : ثقة ، وثقه أبو حاتم وغيره ، وروى عنه مسلم فى صحيحه . وقد مضى مثل هذا الإسناد ، ولكن حرف فيه اسم جده إلى « زريع » ، وذكرنا أنه غير معروف ، واحتمال أن يكون صوابه « بن بزيع » فى : ٢٤٥١ – فقد تبين الصواب هنا .

يوسف بن خالد السمتى : ضعيف جداً كذاب ، كما ذكرنا فى ذاك الإسناد ، ووقع فى المطبوعة هنا « السهمى » ، بدل « السمتى » . وهو خطأ .

٣١٣٤ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة وعن عثمان ، عن مقسم فى قوله : « الشهرُ الحرام بالشهر الحرام والحرُمات قصَاص ». قالا : كان هذا فى سَفر الحديبية، صدَّ المشركون النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن البيت فى الشهر الحرام، فقاضوا المشركين يومئذ قضيّة :(١) أنّ لكم أن تعتمروا فى العام المقبل ــ فى هذا الشهر الذى صدُّوهم فيه . فجعل الله تعالى ذكره لهم شهراً حراماً يعتمرون فيه، مكانَ شهرهم الذى صُدُّوا، فلذلك قال: « والحرُمات قصَاص » .

٣١٣٥ ــ حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « الشهرُ الحرام بالشهر الحرام والحرمات قِصَاص »، قال : لما اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عُمرة الحديبية فى ذى القعدة سنة ستٍّ من مُهاجَره، صدَّه المشركون وأبوا أن يتركوه . ثم إنهم صالحوه فى صُلحهم على أن يُخلّوا له مكة من عام قابل ثلاثةَ أيام، يخرجون ويتركونه فيها. فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح خَيْبر من السنة السابعة، فخلَّوْا له مكة ثلاثة أيام، فنكح فى عُمرته تلك مَيمونة بنت الحارث الهلالية .

٣١٣٦ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر، عن الضحاك فى قوله : « الشهرُ الحرَام بالشهر والحرماتُ قِصاص »، أحصَرُوا النبى صلى الله عليه وسلم فى ذى القَعدة عن البيت الحرام ،(٢) فأدخله الله البيت الحرامَ العامَ المقبلَ ، واقتصَّ له منهم ، فقال : « الشهرُ الحرامُ بالشهر الحرام والحرُمات قصاص » .

٣١٣٧ ــ حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ،

---

(١) قاضى الرجل يقاضيه قضاء وقضية . حاكمه فى مخاصمة ، وانتهى معه إلى قضاء فصل وحكم يتراضيانه . وفى صدر صلح الحديبية : « هذا ما قاضى عليه محمد » أى صالح . وبذلك سميت عمرة الحديبية هذه « عمرة القضية » ، و « عمرة الصلح » .

(٢) أحصره المرض وغيره : منعه وحبسه .

عن أبيه ، عن الربيع قال : أقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فأحرَموا بالعمرة فى ذى القَعدة ، ومعهم الهدْى ، حتى إذا كانوا بالحديبية صدهم المشركون ، فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرجع ذلك العامَ حتى يرجع العامَ المقبل ، فيقيم بمكة ثلاثة أيام ولا يخرج معه بأحد من أهل مكة . فنحروا الهدىَ بالحديبية وحلَّقوا وقصَّروا . حتى إذا كانوا من العام المقبل ، أقبل النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى دخلوا مكة ؛ فاعتمروا فى ذى القَعدة ، وأقاموا بها ثلاثة أيام . وكان المشركون قد فخروا عليه حين ردُّوه يوم الحديبية ، فقاصَّ الله له منهم ، وأدخله مكة فى ذلك الشهر الذى كانوا ردُّوه فيه فى ذى القعدة . قال الله جل ثناؤه : « الشهرُ الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصَاص » .

٣١٣٨ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « والحرُمات قصاص » ، فهم المشركون ، كانوا حبسوا محمداً صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة عن البيت ، ففخروا عليه بذلك ، فرجعه الله فى ذى القعدة ، فأدخله الله البيت الحرام ، واقتصَّ له منهم .

٣١٣٩ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « الشهرُ الحرامُ بالشهر الحرام » ، حتى فرغ من الآية ، قال : هذا كله قد نُسخ ، أمرَه أن يجاهد المشركين ، وقرأ : ﴿ قَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾ [سورة التوبة : ٣٦] ، وقرأ : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ ﴾ [سورة التوبة : ١٢٣] ، العرب . فلما فرغ منهم قال الله جل ثناؤه : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ ﴾ حتى بلغ قوله : ﴿ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [سورة التوبة : ٢٩] ، قال : وهم الروم . قال فوَجَّه إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٣١٤٠ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الوهاب الثقفى قال ، حدثنا أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى هذه الآية : « الشهرُ الحرامُ بالشهر الحرام

والحرماتُ قصاص »، قال: أمركم الله بالقصاص ، [ويأخذ] منكم العدوانَ. (١)

٣١٤١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قال، قلت لعطاء، وسألته عن قوله: «الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرُمات قصاص » ، قال : نزلت فى الحديبية ، مُنعوا فى الشهر الحرام فنزلت : « الشهر الحرام بالشهر الحرام » : عمرة فى شهر حرام، بعمرة فى شهر حرام .

* * *

قال أبو جعفر : وإنما سمى الله جل ثناؤه ذا القَعدة « الشهرَ الحرام » ، لأن العرب فى الجاهلية كانت تحرِّم فيه القتال والقتل ، وتضع فيه السلاح ، ولا يقتل فيه أحدٌ أحداً، ولو لقى الرجل فيه قاتل أبيه أو ابنه. وإنما كانوا سموه « ذا القَعدة» لقعودهم فيه عن المغازى والحروب، فسماه الله بالاسم الذى كانت العرب تُسمِّيه به.

* * *

وأما « الحرمات» فإنها جمع « حُرْمة »، «كالظلمات» جمع «ظلمة » « والحجرات» جمع « حُجرة » ، وإنما قال جل ثناؤه : « والحرمات قصاص » فجمع ، لأنه أراد : الشهرَ الحرام ، والبلد الحرام ، وحُرمة الإحرام .

* * *

فقال جل ثناؤه لنبيه محمد والمؤمنين معه : دخولكم الحرَم ، بإحرامكم هذا ، فى شهركم هذا الحرام ، قصاصٌ مما مُنعتم من مثله عامَكم الماضى . وذلك هو « الحرمات » التى جعلها الله قصَاصاً .

* * *

وقد بينا أن « القصاص » هو المجازاة من جهة الفعل أو القول أو البَدن ، وهو فى هذا الموضع من جهة الفعل. (٢) ١١٦/٢

* * *

(١) ما بين القوسين هكذا فى الأصل . ولم أجد الخبر فى مكان . وهو خطأ لا شك فيه ، أو بين الكلامين خرم لم أتبينه . والمعنى على كل حال : أمركم الله بالقصاص ، وكره منكم العدوان ، أى أمرهم أن يقتصوا ولا يعتدوا . هذا ما أرجحه إن شاء الله .

(٢) انظر ما سلف فى هذا الجزء ٣ : ٣٥٧ – ٣٦٦ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فيما نزل فيه قوله : « فمن اعتدَى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدَى عليكم » .

فقال بعضهم : بما : —

٣١٤٢ — حدثنى به المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » ، فهذا ونحوه نَزل بمكة والمسلمون يومئذ قليل ، وليس لهم سلطانٌ يقهرُ المشركين . وكان المشركون يتعاطونهم بالشتم والأذى ، فأمر الله المسلمين ، مَنْ يجازى منهم أن يجازِىَ بمثل ما أُتى إليه ، أو يصبر ، أو يعفوَ فهو أمثل . فلما هاجرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وأعزّ الله سلطانه ، أمرَ المسلمين أن ينتهوا فى مظالمهم إلى سُلطانهم ، وأن لا يعدوَ بعضهم على بعض كأهل الجاهلية .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فمن قاتلكم أيها المؤمنون من المشركين ، فقاتلوهم كما قاتلوكم . وقالوا : أنزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وبعد عُمرة القضيَّة .

* ذكر من قال ذلك :

٣١٤٣ — حدثنى القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال مجاهد : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم »، فقاتلوهم فيه كما قاتلوكم .

* * *

قال أبو جعفر : وأشبه التأويلين بما دلّ عليه ظاهر الآية ، الذى حُكى عن

مجاهد . لأن الآيات قبلها إنما هى أمرٌ من الله للمؤمنين بجهاد عدوهم على صفة ، وذلك قوله : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يُقاتلونكم » والآيات بعدها . وقوله : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه » ، إنما هو فى سياق الآيات التى فيها الأمرُ بالقتال والجهاد . واللهُ جل ثناؤه إنما فرض القتال على المؤمنين بعد الهجرة .

فمعلوم بذلك أن قوله : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » مدنىّ لا مكىّ ، إذ كان فرضُ قتال المشركين لم يكن وَجب على المؤمنين بمكة ، وأنّ قوله : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » ، نظيرُ قوله : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم » ، وأن معناه : فمن اعتدى عليكم فى الحرَم فقاتلكم فاعتدوا عليه بالقتال نحو اعتدائه عليكم بقتاله إياكم ، لأنى قد جعلتُ الحرُمات قصاصاً ، فمن استحلّ منكم أيها المؤمنون من المشركين حُرْمةً فى حَرَمى ، فاستحلوا منه مثله فيه .

وهذه الآية منسوخة بإذن الله لنبيه بقتال أهل الحرَم ابتداءً فى الحرم وقوله : ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً ﴾ [سورة التوبة : ٣٦] . . . .

* * *

. . . .[1] على نحو ما ذكرنا ، من أنه بمعنى : المجازاة ، وإتباع لفظٍ لفظاً ، وإن

---

(١) وضعت هذه النقط ، وفصلت بين قوله : « وقاتلوا المشركين كافة » وقوله : « على نحو ما ذكرنا » لوجود خرم لا شك فيه . فإنه سيقول بعد أسطر : « والآخر : أن يكون بمعنى العدو » . فهو بصدد تفسير قوله : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » ، من جهة اللغة . ولا صلة بين كلامه فى الآية أهى منسوخة أم غير منسوخة . وقوله : « والآخر » دليل على أنه يذكر وجهين من تفسير « اعتدى » أهى من « العدوان » ، أم من « العدو » . وكأن كلام الطبرى فى موضع هذا الخرم كان :

[وأما قوله : ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾ . ففى « الاعتداء » وجهان من التأويل :

أحدهما : أن يكون « الاعتداء » من « العُدْوَان » ، وَهوَ مجاوزة الحدّ ظُلْماً وَ بغياً . ويكون معنى الآية : فمن جاوز حدّه ظُلْماً وَ بغيًا ، فقاتلكم فى الشهر الحرام فكافِئُوه بمثل ما فعل بكم ، على نحو ما ذكرنا من أنه . . .]

اختلف معنياهما ، كما قال : ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ ﴾ [سورة آل عمران : ٥٤] ، وقد قال : ﴿ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ ﴾ [سورة التوبة : ٧٩] ، وما أشبه ذلك مما أتبع لفظٌ لفظاً واختلف المعنيان(١)

* * *

والآخر : أن يكون بمعنى « العدو » الذى هو شدٌّ ووثوب . من قول القائل : «عدا الأسد على فَريسته » . فيكون معنى الكلام : فمن عَدا عليكم — أى فمن شد عليكم وَوثب — بظلم ، فاعدوا عليه — أى فشُدُّوا عليه وثبُوا نحوَه — قصاصاً لما فعل بكم لا ظلماً . ثم تُدخل «التاء» «فى عدا» فتقال : «افتعل» مكان «فعل» ، كما يقال : « اقترب هذا الأمر » بمعنى « قرب » ، و « اجتلب كذلك » بمعنى « جَلب » وما أشبه ذلك .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (١٩٤)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بذلك : واتقوا أيها المؤمنون فى حُرُماته وحدوده أن تعتَدُوا فيها ، فتتجاوزوا فيها ما بيَّنه وحدَّه لكم ، واعلموا أن الله يُحب المتقين ، الذين يتقونه بأداء فَرائضه وتجنب محارمه .

* * *

هذا ما استظهرته من تفسير الطبرى فيما سلف ٢ : ٣٠٧ ، وهذا الجزء ٣ : ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٥٦٤ ، ٥٧٣ ثم يبقى خرم قبل ذلك فى كلامه عن الآية ، منسوخة هى أم غير منسوخة .

(١) انظر ما سلف ٢ : ٣٠٧ ، وهذا الجزء ٣ : ٣ : ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٥٦٤ ، ٥٧٣ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٩٥)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل هذه الآية ، ومن عنى بقوله : « ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة » .

فقال بعضهم : عنى بذلك : « وأنفقوا فى سبيل الله » — و « سبيل الله » :[1] طريقه الذى أمر أن يُسلك فيه إلى عدوّه من المشركين لجهادهم وحربهم = « ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة » — يقول : ولا تتركوا النفقة فى سبيل الله ، فإن الله يُعوّضكم منها أجراً ويرزقكم عاجلاً .[2]

* ذكر من قال ذلك :

٣١٤٤ — حدثنى أبو السائب سلم بن جُنادة والحسن بن عرفة قالا ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن سفيان ، عن حذيفة : « ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ، قال : يعنى فى ترك النفقة .

٣١٤٥ — حدثنى محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا شعبة = وحدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا ابن أبى عدى ، عن شعبة ، عن الأعمش ، عن أبى وائل ، عن حذيفة = وحدثنى محمد بن خلف العسقلانى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا أبو جعفر الرازى ، عن الأعمش = وحدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن عاصم = جميعاً ، عن شقيق ، عن حذيفة قال : هو ترك النفقة فى سبيل الله . ١١٧/٢

---

(١) انظر تفسير « سبيل الله » فيما سلف ٢ : ٤٩٧ ، وهذا الجزء ٣ : ٥٦٤

(٢) هكذا فى المطبوعة : « أجراً » وأخشى أن تكون محرفة عن « آجلا » ، ليكون السياق مطرداً على وجهه ، وذلك أحب إلى .

٣١٤٦ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن منصور ، عن أبي صالح ، عن عبد الله بن عباس أنه قال في هذه الآية : « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ، قال : تنفق في سبيل الله ، وإن لم يكن لك إلاّ مِشْقَصٌ – أو : سَهمٌ – شعبة الذي يشك في ذلك . (١)

٣١٤٧ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا ابن أبي عديّ ، عن شعبة ، عن منصور ، عن أبي صالح الذي كان يحدث عنه الكلبي ، عن ابن عباس قال : إن لم يكن لكَ إلاّ سهم أو مشقصٌ أنفقته .

٣١٤٨ – حدثني ابن بشار قال ، حدثنا يحيى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس : « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ، قال : في النفقة .

٣١٤٩ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عمرو بن أبي قيس ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ، قال : ليس التهلكة أن يُقتل الرجل في سبيل الله ، ولكن الإمساك عن النفقة في سبيل الله .

٣١٥٠ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا إسمعيل ابن أبي خالد ، عن عكرمة قال : نزلت في النفقات في سبيل الله ، يعني قوله : « ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة » .

٣١٥١ – حدثنا يونس بن عبد الأعلى قال ، حدثنا ابن وهب قال ، أخبرني أبو صخر ، عن محمد بن كعب القرظي أنه كان يقول في هذه الآية : « ولا تلقوا بأيديكم إلى التَّهلكة » ، قال : كان القوم في سبيل الله ، فيتزوَّد الرجل ، فكان أفضل زاداً من الآخر . أنفقَ البائس من زاده حتى لا يبقى من زاده شيء ، أحبَّ أن

---

(١) المشقص : نصل السهم ، إذا كان طويلا غير عريض .

يواسيَ صاحبه . فأنزل الله : « وأنفقوا فى سبيل الله ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة » .

٣١٥٢ — حدثنى محمد بن خلف العسقلانى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا شيبان ، عن منصور بن المعتمر ، عن أبى صالح مولى أم هانئ ، عن ابن عباس فى قوله : « ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ، قال : لا يقولنّ أحدكم إنىّ لا أجد شيئاً ، إن لم يجد إلاّ مشقصاً فليتجهّز به فى سبيل الله .

٣١٥٣ — حدثنا ابن عبد الأعلى الصنعانى قال ، حدثنا المعتمر قال ، سمعت داود — يعنى : ابنَ أبى هند — عن عامر : أن الأنصارَ كان احتبس عليهم بعضُ الرزق ، وكانوا قد أنفقوا نَفقاتٍ . قال : فَساءَ ظنُّهم ،[1] وأمسكوا . قال : فأنزل الله : « وأنفقوا فى سَبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ، قال : وكانت التهلكة سوء ظنهم وإمساكهم .

٣١٥٤ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى = وحدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل = عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ، قال : تمنعكم نَفقةً فى حقٍّ خيفةُ العَيْلة .[2]

٣١٥٥ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وأنفقوا فى سبيل الله ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة » — قال : وكان قتادة يحدّث أن الحسن حَدّثه — : أنهم كانوا يُسافرون ويَغزُون ولا ينفقون من أموالهم = أو قال : ولا ينفقون فى ذلك = فأمرهم الله أن يُنفقوا فى مَغازيهم فى سبيل الله .

---

(١) قوله : « ساء ظنهم » ، أى خامرتهم الظنون السيئة القبيحة ، وشكوا . والعرب تستعمل « ساء ظنه » فى مواضع كثيرة للدلالة على معانى مختلفة ، وقد بينت ذلك فى مجلة الرسالة ، العدد : ٩١٠ (٢٠ صفر سنة ١٣٧٠ ، ديسمبر ١٩٥٠) وفى طبقات فحول الشعراء : ٥١٠ ، تعليق : ١ .

(٢) عال الرجل يعيل عيلا وعيلة : افتقر . وفى كتاب الله : ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى ﴾ العائل : الفقير المحتاج .

٣١٥٦ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن قتادة قوله: « ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة »، يقول: لا تمسكوا بأيديكم عن النفقة فى سبيل الله .

٣١٥٧ ــ حدثنى موسى بن هرون قال ،حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وأنفقوا فى سبيل الله » = أنفق فى سبيل الله ولو عقالاً = « ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ــ تقول : ليس عندى شىء . (١)

٣١٥٨ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو غسان قال ، حدثنا زهير قال ، حدثنا خصيف ، عن عكرمة فى قوله : « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » قال : لما أمر الله بالنفقة ، فكانوا ــ أو بعضهم ــ يقولون : ننفق فيذهبُ مالنا ولا يبقى لنا شىء ! قال : فقال : أنفقوا ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة . قال : أنفقوا وأنا أرزقكم .

٣١٥٩ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، حدثنا هشيم ، عن يونس، عن الحسن قال : نزلت فى النفقة .

٣١٦٠ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، أخبرنا ابن همام الأهوازى قال ، أخبرنا يونس ، عن الحسن فى « التهلكة » ، قال : أمرهم الله بالنفقة فى سبيل الله ، وأخبرهم أن ترك النفقة فى سبيل الله التهلكة .

٣١٦١ ــ حدثنا القاسم قال ،حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : سألت عطاء عن قوله : « وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ، قال : يقول : أنفقوا فى سبيل الله ما قل وكثر ــ قال : وقال لى عبد الله بن كثير : نزلت فى النفقة فى سبيل الله .

٣١٦٢ ــ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن أبى

---

(١) العقال : الحبل الذى يعقل به البعير ، أى يشد به وظيفه مع ذراعه ، حتى لا يقدر على الحركة .

صالح ، عن ابن عباس قال : لا يقولنّ الرجل لا أجد شيئاً ! قد هلكتُ ! فليتجهّز ولو بمشقص .

٣١٦٣ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وأنفقوا في سبيل الله ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ، يقول : أنفقوا ما كان من قليل أو كثير ، ولا تستسلموا ١١٨/٢ ولا تنفقوا شيئاً فتهلكوا .

٣١٦٤ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : « التهلكة » : أن يمسك الرجل نفسه وماله عن النفقة في الجهاد في سبيل الله .

٣١٦٥ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، عن يونس ، عن الحسن في قوله : « ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ، فتدعوا النفقة في سبيل الله .

* * *

وقال آخرون ، ممن وجّهوا تأويل ذلك إلى أنه معنيّة به النفقة : معنى ذلك : وأنفقوا في سبيل الله ، ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ، فتخرجوا في سبيل الله بغير نفقة ولا قوة .

* ذكر من قال ذلك :

٣١٦٦ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وأنفقوا في سبيل الله ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ، قال : إذا لم يكن عندك ما تنفق ، فلا تخرج بنفسك بغير نفقة ولا قوة : فتلقي بيديك إلى التهلكة .

* * *

وقال آخرون : بل معناه : أنفقوا في سبيل الله ، ولا تلقوا بأيديكم – فيما أصبتم من الآثام – إلى التهلكة ، فتيأسوا من رحمة الله ، ولكن ارجوا رحمته واعملوا الخيرات .

* ذكر من قال ذلك :

٣١٦٧ ــ حدثني محمد بن عبيد المحاربي قال، حدثنا أبو الأحوص ، عن أبي إسحق ، عن البراء بن عازب في قوله : « ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ، قال : هو الرجل يُصيبُ الذنوبَ فيُلقي بيده إلى التهلكة ، يقول : لا توبة لي .

٣١٦٨ ــ حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا أبو بكر بن عياش قال ، حدثنا أبو إسحق ، عن البراء قال : سأله رجل : أحمل على المشركين وَحدي فيقتلوني ، أكنت ألقيتُ بيدي إلى التهلكة ؟ فقال : لا ، إنما التهلكة في النفقة . بعثَ الله رسوله فقال : ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ﴾ [سورة النساء : ٨٤].

٣١٦٩ ــ حدثنا الحسن بن عرفة وابن وكيع قالا، حدثنا وكيع بن الجراح، عن سفيان الثوري ، عن أبي إسحق السبيعي ، عن البراء بن عازب في قوله الله : « ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ، قال : هو الرجل يُذنب الذنبَ فيقول : لا يغفر الله لهُ .

٣١٧٠ ــ حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحق قال : سمعت البراء = وسأله رجل فقال : يا أبا عُمارة ، أرأيتَ قول الله : « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ، أهو الرجل يتقدم فيقاتل حَتى يُقتل ؟= قال : لا ، ولكنه الرجل يعمل بالمعاصي ، ثم يلقي بيده ولا يتوب .

٣١٧١ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيي بن واضح قال، حدثنا الحسين ، عن أبي إسحق قال : سمعت البراء ، وسأله رَجل فقال : الرجلُ يحمل على كتيبةٍ وحده فيقاتل ، أهو ممن ألقى بيده إلى التهلكة ؟ فقال : لا ، ولكن التهلكة أن يُذنب الذنبَ فيلقي بيده فيقول: لا تقبل لي توبة .

٣١٧٢ ــ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن الجراح ، عن أبي إسحق قال : قلت لبراء بن عازب : يا أبا عمارة، الرجل يَلقى ألفاً من العدو فيحمل عليهم ، وإنما هو وحده ، أيكون ممن قال : « ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ؟

فقال : لا ، ليقاتل حتى يُقتل ! قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لاَ تُكَلَّفُ إلا نَفْسَكَ ﴾ .

٣١٧٣ ــ حدثنا مجاهد بن موسى قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا هشام = وحدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن هشام = ، عن محمد قال: وسألت عَبيدة عن قول الله : « وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » الآية، فقال عبيدة : كان الرجل يذنب الذنبَ ــ قال : حسبْته قال : العظيم ــ فيلقى بيده فيستهلك = زاد يعقوب فى حديثه : فنُهوا عن ذلك، فقيل : « أنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » .

٣١٧٤ ــ حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا هشام ، عن ابن سيرين قال : سألت عَبيدة السلمانى عن ذلك فقال : هو الرجل يذنب الذنبَ فيستسلم ، ويلقى بيده إلى التهلكة ، ويقول : لا توبة له ! ــ يعنى قوله : « ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة » .

٣١٧٥ ــ حدثني يعقوب قال ، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا أيوب ، عن محمد، عن عبيدة فى قوله : « ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ، قال : كان الرجل يصيب الذنب فيلقى بيده .

٣١٧٦ ــ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن ابن عون ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة : « ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ، قال : القُنوط .

٣١٧٧ ــ حدثنا المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال، أخبرنا هشيم ، عن يونس وهشام ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة السلمانى قال : هو الرجل يذنب الذنب فيستسلم ، يقول : لا توبة لى ! فيلقى بيده .

٣١٧٨ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر قال ، حدثني أيوب ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة أنه قال : هى فى الرجل يصيبُ الذنبَ العظيم فيلقى بيده ، ويَرى أنه قد هلك .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وأنفقوا فى سبيل الله ، ولا تتركوا الجهاد فى سبيله .

* ذكر من قال ذلك :

٣١٧٩ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنى حَيْوَة ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن أسلم أبى عمران قال : غزونا المدينة ، يريد بالقسطنطينية ، وعلى أهل مصر عُقبة بن عامر ، وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، قال : فصففنا صفَّين لم أرصَفين قط أعرضَ ولا أطولَ منهما ، والروم مُلصقون ظهورهم بحائط المدينة . قال : فحمل رجل منا على العدو ، فقال الناس : مَهْ ! لا إله إلا الله ، يلقى بيده إلى التهلكة ! قال أبو أيوب الأنصارى : إنما تتأوّلونَ هذه الآية هكذا ، أنْ حَمل رجلٌ يُقاتل يلتمس الشهادة ، أو يُبلى من نفسه ! إنما نزلت هذه الآية فينا مَعشرَ الأنصار ! إنا لما نَصرَ الله نبيه وأظهرَ الإسلام ، قُلنا بَيننا معشرَ الأنصار خفيًّا من رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا قد كنا تركنا أهلنا وأموالنا أن نقيمَ فيها ونصلحها حتى نصر الله نبيه ، هلم نقيم فى أموالنا ونصلحها ! فأنزل الله الخبرَ من السماء : « وأنفقوا فى سبيل الله ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة » الآية ، فالإلقاء بالأيدى إلى التهلكة : أن نُقيم فى أموالنا ونُصلحها ، وندعُ الجهاد . قال أبو عمران : فلم يزل أبو أيوب يُجاهدُ فى سبيل الله حتى دُفن بالقسطنطينية . (١)

١١٩/٢

٣١٨٠ – حدثنى محمد بن عمارة الأسدى وعبد الله بن أبى زياد قالا حدثنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد قال ، أخبرنى حيوة وابن لهيعة قالا ، حدثنا يزيد بن أبى حبيب قال ، حدثنى أسلم أبو عمران مولى تُجيب قال : كنا بالقسطنطينية ، وعلى أهل مصر عقبة بن عامر الجهنى صاحب رسول الله صلى الله

---

(١) الحديث : ٣١٧٩ – حيوة : هو ابن شريح . أسلم أبو عمران : نسبه التهذيب بأنه « أسلم بن يزيد » وهو تابعى ثقة ، كان وجيها بمصر . وهو مولى تجيب . وسيأتى تخريج الحديث ، فى الرواية التالية .

عليه وسلم ، وعلى أهل الشام فضالة بن عبيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج من المدينة صفٌّ عظيم من الروم ، قال : وصففنا صفاً عظيماً من المسلمين ، فحمل رجل من المسلمين على صَفّ الروم حتى دخل فيهم ، ثم خرج إلينا مقبلاً ، فصاح الناس وقالوا : سبحان الله ! ألقى بيده إلى التهلكة ! فقام أبو أيوب الانصارى صاحبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أيها الناس إنكم تتأوّلون هذه الآية على هذا التأويل ! وإنما أنزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار ! إنا لما أعزّ الله دينه وكثّر ناصريه، قلنا فيما بيننا بعضُنا لبعض سرًّا من رسول الله : إن أموالنا قد ضاعت، فلو أنا أقمنا فيها ، فأصلحنا ما ضاع منها ! فأنزل الله فى كتابه يرُدُّ علينا ما هممنا به، فقال: « وأنفقوا فى سبيل الله ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة »، بالإقامة التى أردنا أن نقيم فى الأموال ونصلحها، فأمرنا بالغزو . فما زال أبو أيوب غازياً فى سبيل الله حتى قبضَه الله . (١)

* * *

(١) الحديث : ٣١٨٠ – أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المقرئ : ثقة معروف، من شيوخ أحمد والبخارى ، وكان إماماً فى الحديث ، مشهوراً فى القراءات ، أقرأ القرآن بالبصرة ٣٦ سنة ، ثم بمكة ٣٥ سنة . وهو مولى آل عمر بن الخطاب . ووهم ابن حزم فيه وهماً عجيباً ، فأخطأ خطأ طريفاً : جعله عربياً حميرياً ، ثم من « بنى سبيع » ! ثم نسبه إلى حى زعم أن اسمه « مقر » ، بضم الميم وسكون القاف ! فقال فى جمهرة الأنساب ، ص : ٤٠٩ « ومن ولد سبيع المذكور : مقر ، حى ضخم ، إليه ينسب عبد الله بن يزيد المقرى (يعنى بدون همزة) ، ولم يكن مقرئاً للقراءات ، وإنما كان محدثاً » !! وأخطأ ابن حزم وشبه له ، فأتى بقبيلة لم يذكرها أحد قط – فيما نعلم . وإنما انتقل نظره إلى شىء آخر بعيد ، إلى « عبد الرحمن بن عبد القارى » بتشديد الياء دون همزة ، من ولد « القارة بن الديش » . وهو تابعى ، ولم يك مقرئاً . فإلى هذا ذهب وهمه . ثم لا ندرى كيف وضع القبيل الذى اخترعه ، فى « بنى سبيع » !!

ووقع فى المطبوعة هنا « ثنا أبو عبد الرحمن عن عبد الله بن يزيد » . وهو خطأ فى زيادة « عن » . و « أبو عبد الرحمن » كنية « عبد الله بن يزيد » ، ليس راوياً آخر .

والحديث رواه أبو داود الطيالسى فى مسنده : ٥٩٩ ، عن عبد الله بن المبارك ، عن حيوة .

ورواه أبو داود السجستانى : ٢٥١٢ ، من طريق ابن وهب ، عن حيوة وابن لهيعة .

ورواه الترمذى ٤ : ٧٢ – ٧٣ ، من طريق أبى عاصم النبيل ، عن حيوة . وقال : « حديث حسن غريب صحيح » .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى أنْ يُقال : إنّ الله جل ثناؤه أمرَ بالإنفاق فى سبيله بقوله : « وأنفقوا فى سبيل الله » — وسبيلُه : طريقه الذى شرّعه لعباده وأوضحه لهم . ومعنى ذلك : وأنفقوا فى إعزاز دينى الذى شرعتُه لكم ، بجهاد عدوّكم الناصبين لكم الحربَ على الكفر بى ، ونَهاهم أن يلقوا بأيديهم إلى التّهلكة فقال : « ولا تُلقوا بأيديكم إلى التّهلكة » .

* * *

وذلك مثلٌ ، والعرب تقول للمستسلم للأمر : « أعطَى فلان بيديه » ، وكذلك

ورواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٢٧٥ ، من طريق عبد الله بن يزيد المقرىء ، عن حيوة ، وحده . وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبى .

ورواه ابن عبد الحكم فى فتوح مصر : ٢٦٩ — ٢٧٠ ، بإسنادين : رواه عن عبد الله ابن صالح ، عن الليث بن سعد . ورواه عن عبد الله بن يزيد المقرىء ، عن حيوة بن شريح — كلاهما عن يزيد بن أبى حبيب ، به .

وقوله فى الرواية الماضية « غزونا المدينة ، يريد القسطنطينية » — هكذا ثبت فى المطبوعة هنا . ولفظ أبى داود السجستانى : « غزونا من المدينة ، نريد القسطنطينية » . ولعل ما هنا أجود وأصح ، فإن أسلم أبا عمران مصرى . والظاهر من السياق أن الجيش كان من مصر والشام .

وقوله فى تلك الرواية : « وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد » يدل على أن هذه الغزوة كانت فى سنة ٤٦ أو قبلها ، لأن عبد الرحمن مات تلك السنة . وهذه الغزوة غير الغزوة المشهورة التى مات فيها أبو أيوب الأنصارى . وقد غزاها يزيد بن معاوية بعد ذلك سنة ٤٩ ، ومعه جماعات من سادات الصحابة . ثم غزاها يزيد سنة ٥٢ ، وهى التى مات فيها أبو أيوب رضى الله عنه ، وأوصى إلى يزيد أن يحملوه إذا مات ، ويدخلوه أرض العدو ، ويدفنوه تحت أقدامهم حيث يلقون العدو . ففعل يزيد ما أوصى به أبو أيوب . وقبره هناك إلى الآن معروف . انظر طبقات ابن سعد ٣/٢/٤٩ — ٥٠ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ١٢٨ ، ١٣٠ ، وتاريخ ابن كثير ٨ : ٣٠ — ٣١ ، ٣٢ ، ٥٨ — ٥٩ . وتاريخ الإسلام للذهبى ٢ : ٢٣١ ، ٣٢٧ — ٣٢٨ .

وقوله فى هذه الرواية الثانية « وعلى أهل الشام فضالة بن عبيد » — هذا هو الصواب الثابت فى رواية الطيالسى ، وابن عبد الحكم ، والحاكم . ووقع فى رواية الترمذى « وعلى الجماعة فضالة بن عبيد » . وهو وهم ، لعله من الترمذى أو من شيخه عبد بن حميد .

والحديث ذكره ابن كثير ١ : ٤٣٧ — ٤٣٨ ، من رواية الليث بن سعد ، ولم ينسبها . ثم خرجه من أبى داود ، والترمذى ، والنسائى ، وعبد بن حميد فى تفسيره ، وابن أبى حاتم ، وابن جرير ، وابن مردويه ، وأبى يعلى ، وابن حبان ، والحاكم . ثم ذكر رواية منه ، على أنها لفظ أبى داود — ولا توافق لفظه ، وفيها تحريف كثير .

وذكره السيوطى ١ : ٢٠٧ — ٢٠٨ ، وزاد نسبته للطبرانى ، والبيهقى فى سننه .

يقال للممكن من نفسه مما أريد به : « أعطى بيديه » .

* * *

فمعنى قوله : « ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ، ولا تستسلموا للهلكة ، فتُعطوها أزمّتكم فتهلكوا .

والتارك النفقةَ فى سبيل الله عند وجوب ذلك عليه ، مستسلم للهلكة بتركه أداءَ فرضِ الله عليه فى ماله . وذلك أن الله جل ثناؤه جعل أحد سِهام الصدقات المفروضات الثمانية « فى سبيله» ، فقال: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِينِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَفِى سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ [سورة التوبة : ٦٠]. فمن ترك إنفاق ما لزمه من ذلك فى سبيل الله على ما لزمه، كان للهلكة مستسلماً، وبيديه للتهلكة ملقياً.

وكذلك الآئسُ من رحمة الله لذنب سلف منه ، مُلق بيديه إلى التهلكة . لأن الله قد نهى عن ذلك فقال : ﴿ وَلاَ تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلاَّ القَوْمُ الكَافِرُونَ ﴾ [سورة يوسف : ٨٧].

وكذلك التارك غزوَ المشركين وجهادَهم ، فى حال وجوب ذلك عليه ، فى حال حاجة المسلمين إليه ، مُضيعٌ فرضاً ، مُلقٍ بيده إلى التهلكة .

فإذ كانت هذه المعانى كلها يحتملها قوله : « ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة »، ولم يكن الله عز وجلّ خصّ منها شيئاً دون شىء ، فالصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله نهى عن الإلقاء بأيدينا لما فيه هلاكنا ، والاستسلام للهلكة — وهى العذاب — بترك ما لزمنا من فرائضه . فغيرُ جائز لأحد منا الدخول فى شىء يكرهه الله منا ، ممّا نستوجب بدخولنا فيه عذابَه .

غير أن الأمر وإن كان كذلك، فإن الأغلب من تأويل الآية: وأنفقوا، أيها المؤمنون، فى سبيل الله ، ولا تتركوا النفقة فيها ، ، فتهلكوا باستحقاقكم — بتركم ذلك — عذابى ، كما : —

٣١٨١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنا معاوية ، عن

على بن أبى طلحة، عن ابن عباس قوله: « ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ، قال : التهلكة عذابُ الله.

* * *

١٢٠/٢ قال أبو جعفر : فيكون ذلك إعلاماً منه لهم — بعد أمره إياهم بالنفقة — ما لمن ترك النفقة المفروضة عليه فى سبيله ، منَ العقوبة فى المعاد.

* * *

فإنْ قال قائل: فما وجه إدخال « الباء » فى قوله : « ولا تلقوا بأيديكم »، وقد علمت أن المعروف من كلام العرب : « ألقيت إلى فلان درهماً » دون « ألقيتُ إلى فلان بدرهم » ؟

قيل : قد قيل إنها زيدت نحو زيادة القائل « الباء » فى قوله : « جذبتُ بالثوب ، وجذبت الثوب » « وتعلَّقتُ به وتعلَّقته » ، و﴿ تَنْبُتُ بالدُّهْنِ ﴾ [سورة المؤمنون : ٢٠] ، وإنما هو : تُنبت الدهنَ .(١)

* * *

وقال آخرون: « الباء » فى قوله: « ولا تُلقوا بأيديكم »، أصلٌ للكنية.(٢) لأن كل فعل وَاقع كُنِى عنه، فهو مضطرٌ إليها .(٣) نحو قولك فى رجل « كلَّمته » فأردت الكناية عن فعله، فإذا أردت ذلك قلت : « فعلت به » ، قالوا: فلما كان « الباء » هى الأصل، جاز إدخال « الباء » وإخراجها فى كل «فعلٍ» سبيلُه سبيلُ كُنْيته .(٤)

* * *

وأما « التهلكة »، فإنها « التفعُلة» من « الهلاك ».

* * *

(١) انظر الإنصاف لابن الأنبارى : ١٢٨ .

(٢) فى المطبوعة : « أصل للكلمة » ، وهو تحريف ، وانظر التعليقات الآتية .

(٣) الفعل الواقع : هو الفعل المتعدى، ضريع الفعل اللازم . ويقال له أيضاً « الفعل المجاوز» (انظر بغية الوعاة ٢ : ٨١) .

(٤) فى المطبوعة : « سبيل كلمته » ، وهو تحريف كأخيه السالف . وأراد الطبرى بالكناية عن الفعل : أن تستبدل به لفظ « فعل » . و « الفعل » : كناية عن كل عمل . تقول : « ضربت الرجل » ثم تريد الكناية عن الفعل فتقول : « فعلت به » ، وهذا الذى تقوله هو « الكنية » .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَأَحْسِنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « وأحسنوا » ، أحسنوا أيها المؤمنون فى أداء ما ألزمتكم من فرائضى ، وتجنُّب ما أمرتكم بتجنبه من معاصىَّ ، ومن الإنفاق فى سبيلى ، وَعوْدِ القوى منكم على الضعيف ذى الخَلَّة ،(١) فإنّى أحبّ المحسنين فى ذلك ، (٢) كما :-

٣١٨٢ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا زيد بن الحباب قال ، أخبرنا سفيان ، عن أبى إسحق ، عن رجل من الصحابة فى قوله : « وأحسنوا إنّ الله يُحب المحسنين » ، قال : أداء الفرائض .

* * *

وقال بعضهم : معناه : أحسنوا الظن بالله .

* ذكر من قال ذلك :

٣١٨٣ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا حفص بن عمر ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة « وأحسنوا إنّ الله يُحب المحسنين » ، قال : أحسنوا الظن بالله ، يبرّكم .

* * *

وقال آخرون : أحسنوا بالعَوْد على المحتاج .

* ذكر من قال ذلك :

٣١٨٤ - حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وأحسنوا إنّ الله يحب المحسنين » ، عودوا على من ليس فى يده شىء .

* * *

(١) ذو الخلة : المحتاج والفقير ، والمختل الحال بفساد أو وهن .
(٢) انظر ما سلف فى معنى « الإحسان » ٢ : ٢٩٢ .

تم الجزء الثالث من تفسير الطبرى

ويليه الجزء الرابع وأوّله

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ وَأَتِمُّوا ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾

الفهارس

فهرس الآيات التى استدل بها فى غير موضعها من التفسير

السورة/الآية	الصفحة
آيات سورة البقرة	
٦، ٧	٣٣٤
١٥	٥٧٣
١٧	٣١٣
١٨	٣١٠
١٠٧	٢٨٤، ٢٨٦
١١١	١٢٧
١١٥	١٣٨، ١٩٣، ٤٨٣
١٢٧—١٢٩	١١، ١٥
١٢٨، ١٢٩	٢٠٨، ٢٠٩
١٣٧	٣٣٦
١٤٤	١٣٨، ١٣٩
١٦١	٢٥٧
١٧٤، ١٧٥	٣١٥
١٨٣	٣٨٥
١٩٦	٥٧٤
٢١٤	٢١٩
٢١٧	٥٢
٢٢٩	٣٧٢
٢٣٩	٨٧
* * *	
آيات سورة آل عمران	
٤٨	٨٧
٥٤	٥٨٢
٦٧	٨٩، ١٠٧
٧٧	٣٢٨
آيات سورة آل عمران	
٩٧	٥٢
١٦٩، ١٧٠	٢١٦، ٢١٨
١٧٥	٨٧
١٧٨	٢٥٢
* * *	
آيات سورة النساء	
١	٣٢٩
٦	٧
١١	٩٥، ٣٩٠، ٣٩٢
١٢	٣٩٧
٢٩	٥٤٨، ٥٥١
٣٥	١١٦
٥٦	٢٦٤
٥٩	٣٧٩
٨٤	٥٨٨، ٥٨٩
١١٥	١١٥
* * *	
آيات سورة المائدة	
٣	٣٤
٤٥	٣٥٩، ٣٦٢، ٣٧٤
٥٩	١١٠
٩٥	٣٧٢
* * *	

السورة/الآية	الصفحة
آيات سورة الأنعام	
١٤	١٢٠
٢٧	٢٩٤
٧٥	٤٧٧
٧٨، ٧٩	٩٣
١١٣	٤٧٧
* * *	
آيات سورة الأعراف	
١٢	٢٤٦
٩٥	٣٧٠
١٥٩	٧٤
١٦٠	١١٣
١٨٩	٤٩١
* * *	
آية سورة الأنفال	
٧٥	٣٩٢
* * *	
آيات سورة التوبة	
١ — ٥	٥٦٢
٥	٥٦٧، ٥٦٩
٢٩	٥٧٨
٣٦	٥٦٢، ٥٧٨، ٥٨١
٦٠	٥٩٣
٧٠	٤٥
٧٩	٥٧٣، ٥٨٢
١٠٥	١٤٩
١٠٩	٣٩
١١٢	٨
١١٤	٢٩٢
١٢٣	٥٧٨

السورة/الآية	الصفحة
آيات سورة يونس	
١٢	٤٧٥
٢٢	٣٠٥
* * *	
آيات سورة هود	
١٨	٢٦٣
٨٤	٣٩٤
* * *	
آيات سورة يوسف	
٤	٢٥٦
٨٢	٣٣٩
٨٤	٢٢٤
٨٧	٥٩٣
* * *	
آيات سورة الرعد	
١٢	٢٧٦
٣١	٢٨٥
* * *	
آيات سورة إبراهيم	
٢٢	١٩٢
٣٥	١٩
٣٧	٤٧، ٥١، ٦٢
* * * *	
آية سورة النحل	
١٢٣	٢٢٧
* * *	
آيات سورة الإسراء	
٣٣	٣٥٨، ٣٨٠
٦٠	١٥٦

السورة /الآية	الصفحة
آيات سورة الكهف	
٥١	٢٧١
٦٤	١٦٣
* * *	
آية سورة مريم	
٢٦	٤٠٩
* * *	
آية سورة طه	
٧٧	١٤٢
* * *	
آية سورة الأنبياء	٣٥٠
٨٣	
* * *	
آيات سورة الحج	
٢٦	٦٦
٢٧	٧٦
٢٩	٢٤٥
٣١	١٠٦
٣٢	٢٣٥
* * *	
آيات سورة المؤمنون	
١—٩	٨
٧	٣٢٤
٢٠	٥٩٤
١٠٧، ١٠٨	٣٣٠
* * *	
آية سورة النور	
٣٣	٣٩٣
* * *	
آيات سورة الفرقان	
٤٧	٤٩١
٦٢	٢٧٢

السورة/الآية	الصفحة
آية سورة النمل	
١٨	٢٥٦
* * *	
آية سورة العنكبوت	
٦٧	٢٩
* * *	
آيات سورة الروم	
١٧، ١٨	١٥
* * *	
آيات سورة السجدة	
١—٣	٩٧
٢	٢٨٤
٣	١٢٢
* * *	
آيات سورة الأحزاب	
١، ٢	١٩١، ١٩٢
٣٥	٨
* * *	
آية سورة سبأ	
٢٤	١٦٢
* * *	
آية سورة فاطر	
٣٦	٢٦٤
* * *	
آية سورة يس	
٤١	٢٧٣
* * *	
آيات سورة الصافات	
٢٤، ٢٥	٢٩٢
١١٣	٢٣

السورة/الآية	الصفحة
آية سورة ص	
٣٢	٣٩٣
* * *	
آيات سورة غافر	
٥١	١٥٤
٦٠	٤٨٥
* * *	
آية سورة فصلت	
٢١	٢٥٦
* * *	
آية سورة الزخرف	
٦٧	٢٩٠
* * *	
آية سورة الدخان	
٣	٤٤٧، ٤٤٨
* * *	
آية سورة محمد	
٤	٣٧٢
* * *	
آية سورة الفتح	
١٦	٥٧١
* * *	
آية سورة الحجرات	
١١	٥٤٨
* * *	
آية سورة ق	
٢١	١٥٤
* * *	
آية سورة الطور	
١٣	٥٥، ٥٦

السورة/الآية	الصفحة
آيات سورة النجم	
٣٧	٨، ١٥، ١٦، ١٨
٥٢، ٥٣	٤٥
* * *	
آيات سورة الواقعة	
٧٥	٤٤٧
٧٧، ٧٨	٣٦٥
* * *	
آيات سورة الحاقة	
٩	٤٥
٢٤	٢٩٨
* * *	
آيات سورة المعارج	
٢٢—٣٤	٨
٣١	٣٢٤
* * *	
آيات سورة المرسلات	
٣٥، ٣٦	٢٦٥
* * *	
آية سورة عبس	
١٧	٣٣٣
* * *	
آيات سورة البروج	
٢١، ٢٢	٣٦٥
* * *	
آية سورة القلم	
١	٤٤٦—٤٤٨
* * *	
آية سورة العاديات	
٨	٣٩٣
* * *	
آية سورة الفيل	
١	١٦٠

فهرس اللغـــة

هذا الفهرس مرتب على ترتيب معاجم اللغة ، على أصل الاشتقاق ، وعلى آخر الأصل باباً ، وأوله فصلا .

(جيأ) جاءه : ١٨٧
(سوأ) السُّوء : ٣٠٣

* * *

(توب) التوبة : ٨١
التّوّاب : ٢٥٩
(ثوب) ثاب يثوب : ٢٥ ، ٢٦
مَثابٌ، مثابة : ٢٥–٢٩
(جلب) جلبَ ، اجتلب : ٥٨٢
(جوب) أجاب ، استجاب : ٤٨٣ – ٤٨٥
(حبب) على حُبّه : ٣٤٠
(دبب) دبّ دبيباً ، دابّة : ٢٧٥
(رغب) رغب عن كذا : ٨٩
(رقب) فى الرقاب : ٣٤٧
(سبب) سبب، أسباب٢٨٩–٢٩٣
(سحب) سحب ذيله : ٢٧٦
سحابٌ : ٢٧٦
(طيب) طيّبٌ :٣٠١
طيبات : ٣١٧
(غرب) المعرب : ١٤٠
(قرب) قرب ، اقترب : ٥٨٢
(قلب) انقلب على عقبيه : ١٦٣
تقلّب : ١٧٢

(كتب) كُتِبَ عليكم : ٣٥٧، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٨٤ ، ٤٠٩
كَتَبَ الله لكم : ٥٠٦ – ٥٠٨
الكتاب : ٨٦ ، ٢١٠ ، ٢٥١
(كسب) كسب : ١٠١ ، ١٢٨
(لبب) لُبّ ، ألباب : ٣٨٣
(نسب) نسّابة : ٢٥

* * *

(موت) مات : ٩٦
موت الأرض : ٢٧٤
المَيْتة : ٣١٨، ٣١٩
ميّت ، مَيْت : ٣١٨

* * *

(بثث) بثّ : ٢٧٥
(رفث) الرفث : ٤٨٧ ، ٤٨٨
(طمث) امرأة طامث : ٥٧

* * *

(حجج) حاجّه يحاجّه : ١٢١
الحجّة : ٢٠١
حجّ ، الحجّ : ٢٢٨ ، ٢٢٩

(خجج) الريح الخجوج : ٦٦، ٧٠

* * *

(جرح) جريح، جَرْحَى : ٣٦٦
(جنح) جُنَاح : ٢٣٠ ، ٢٣١
(صلح) الصالح : ٩١
(فلح) أفلح يفلح ، فلاح : ٥٦١
(نصح) نصحه، نصح له : ٢١٢

* * *

(جود) جيّد : ٣١٩
(حدد) الحدّ ، حدود الله : ٥٤٦، ٥٤٧
(ردد) ارتدّ ، مرتدّ : ١٦٣
(سجد) ساجد ، سجود : ٤٤
(سود) سيّد : ٣١٩
(شهد) شهد الشهر : ٤٤٩
شهيد ، شهداء : ٩٧ ، ١٤٥ — ١٥٥
الشهادة : ١٢٤ — ١٢٧
(عبد) عابد : ١٢٠
يعبد : ٣١٧
(عدد) معدودات : ٤١٣—٤١٧
عدّة : ٤٥٩، ٤٧٦
(عهد) العَهْد : ٢٠—٢٤، ٣٤٩
عَهِد يعهد : ٣٨
(قعد) قعدت عن الحيض ، فهي قاعد ، وقواعد : ٥٧
قعْدة : ٨٧ ، ١٣١
قاعد ، قعود : ٤٤
قاعدة ، قواعد : ٥٧
(كبد) كَبِد ، كِبْد : ٥٦

(مرد) أمرد : ٣٥٢
(ندد) ندّ ، أنداد : ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٨
(وحد) واحد ، الوحدانيّة : ٢٦٥، ٢٦٦

* * *

(أخر) أخرى ، أخَر : ٤٥٩
(برر) البرّ : ٣٣٦ — ٣٣٩ ، ٥٥٥
(بشر) التبشير : ٢٢١
المباشرة ، باشرها : ٥٠٤— ٥٣٩ ، ٥٤٠ — ٥٤٦
(تمر) تمرة ، تمرات : ٢٢٥ ، ٢٩٥
تمرة ، تمر : ٢٧٣ ، ٢٧٦
(جرر) جرّ ذيله : ٢٧٦
(حجر) حُجْرة ، حُجُرات : ٥٧٩
(حسر) حسرة ، حسرات : ٢٩٥
(خسر) خسر : ٩٠
(خير) الخير : ٣٩٣ — ٣٩٥
الخيرات : ١٩٦
(زفر) زفرة ، زفرات : ٢٩٥
(سير) سيّارة : ٢٥
(شطر) شَطْر : ١٧٥ — ١٧٩ ، ١٩٨ ، ١٩٩
(شعر) شعر يشعر : ٢١٨
شعيرة ، شعائر : ٢٢٦— ٢٢٨
(شكر) شكره ، شكر له : ٢١٢
الشكر : ٢١٣
(شهر) الشهر : ٤٤٤

الشهر الحرام : ٥٧٥
(صبر) الصبر : ٢١٤ ، ٣٤٩
ما أصبرهم : ٣٣١–٣٣٣
(صير) المصير : ٥٦
(ضرر) الضرّ : ٣٠٣
الضراء : ٣٤٩ – ٣٥٤
اضطرّه ، اضطراراً : ٥٦ ، ٣٢٢
(طهر) طهّر ، التطهير : ٣٩ ، ٤٠
امرأة طاهر : ٥٧
(عسر) العسر : ٤٧٦
(عمر) اعتمر : ٢٢٩
(غفر) غفور : ٣٢٧ ، ٣٩٩ ، ٥٦٩
(فجر) الفَجْر : ٥٣٢
تفجّر الماء : ٥٣٢
(فطر) فَطَر ، الفِطْرة : ١٢٠
(كبر) كبيرة : ١٦٦
كبّر ، التكبير : ٤٧٨
(كرر) كرّة : ٢٩٣ ، ٢٩٤
(كفر) الكُفْر : ٢١٣ ، ٢٦١
(نهر) نَهار ، نُهُر ، أنهرة : ٢٧٣
(يسر) اليسر : ٤٧٥

* * *

(جوز) ذو المجاز : ٧٧
(عزز) العزيز : ٨٩

* * *

(بأس) البأس : ٣٥٤ – ٣٥٥
البأساء : ٣٤٩ – ٣٥٤
بِئس : ٥٦
(جلس) جالس ، جلوس : ٤٤
جِلْسَة : ٨٧ ، ١٣١
(حمس) أحْمَس ، حُمْس : ٥٥٧ – ٥٦٠
(لبس) لباسٌ : ٤٨٩ – ٤٩٢
(يبس) يَبَسَةٌ ، يابسةٌ : ١٤١

* * *

(فحش) الفحشاء : ٣٠٣

* * *

(خلص) مُخلِص : ١٢١
(قصص) القصاص ، قاصّه : ٣٦٥ ، ٣٨١ ، ٥٧٩

* * *

(أرض) الأرض : ٢٧١
(رمض) رَمَضُ الفِصَال : ٤٤٤
شهر رمضان : ٤٤٤
(مرض) المرض : ٤٥٧ – ٤٥٩

* * *

(خيط) الخيط الأبيض ٥٠٩–٥٢٩
الخيط الأسود ٥٢٩–٥٣٢
(سبط) سِبْط ، أسباط : ١١١–١١٣
(صرط) الصراط : ١٤٠ ، ١٤١
(وسط) وَسَط ، واسط : ١٤١ – ١٤٥

* * *

(تبع) اتّبع : ٣٠٦
(جوع) الجوع : ٢٢٠
(خشع) خاشع : ١٦٦
(ربع) رَباعِية : ٢٧٣
(ركع) راكع ، رُكَّع : ٤٣ ، ٤٤
(سمع) سميع : ٣٩٩

(صرع) صريع ، صَرْعى : ٣٦٦
(ضيع) يضيع : ١٦٩
(متع) متّع ، أمْتَع : ٥٤ ، ٥٥

* * *

(صَبغ) صِبْغة : ١١٧ — ١٢٠

* * *

(ثقف) ثقف ، الثّقفة ، التثقيف : ٥٦٤
(جنف) الجنَف : ٣٩٩ — ٤٠٨
(حنف) الحنيف ، الحنيفية : ١٠٤ — ١٠٨
الحَنَف : ١٠٧
(خلف) خلوف ، اختلاف ، خلفة : ٢٧٢
(خوف) الخوف : ٢٢٠
(رأف) الرأفة ، رؤوف : ١٧١ ، ١٧٢
(زلف) مزدلفة : ٧٧
(صرف) تصريف الرياح : ٢٧٥ ، ٢٧٦
(طوف) الطائف : ٤٠ — ٤١
(عرف) المعروف : ٣٦٦ ، ٣٨٤
عرفات : ٧٧
(عكف) العاكف : ٤١ — ٤٣ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠

* * *

(حقق) الحقّ : ١٨٩ ، ١٩٠
(خلق) خلق : ٢٧١
(سبق) استبق الشيء : ١٩٦
(شرق) المشرق : ١٤٠
(شقق) شاقّه يشاقه : ١١٥ — ١١٦
شقاق : ١١٥ — ١١٦ ، ٣٣٦
(صدق) صَدَق : ٣٥٦
(طوق) يطيقونه ، يطوّقونه : ٤١٨ — ٤٣٨
(فرق) فُرْقان : ٤٤٨
(نعق) نَعْق ، نعيق ، نُعاق : ٣١٥

* * *

(شرك) شريك ، شركاء : ٩٧
(فلك) الفُلْك : ٢٧٣
(نسك) المنسك ، النسك : ٨٠
مناسك : ٧٦ — ٧٩
(هلك) التهلكة : ٥٨٣ — ٥٩٢ ، ٥٩٤

* * *

(أكل) أكل المال بالباطل : ٥٤٨
(بدل) بدّل : ٣٩٦
(جعل) جاعل : ١٨
(حلل) حل ، يحل ، حلال ، حِلّ : ٣٠٠ ، ٣٠١
أحِلّ لكم : ٤٨٧
(خول) الأخوال : ٩٩
(سأل) السائل ، السائلون : ٣٤٧
(سبل) سبيل الله : ٥٨٣ ، ٥٩٢
ابن السبيل : ٣٤٥ ، ٣٤٦
(عبل) عَبْلة ، عَبْلات : ٢٩٥
(غفل) غافل : ١٢٧ ، ١٨٤ ، ١٩٨
(قبل) قبلة : ١٣١ — ١٤٩
قابل فلاناً : ١٣١

(قتل) قتيل، قتلى : ٣٦٦
(كل) كُلٌّ : ١٩٥
(كمل) أكمل : ٤٧٦ ، ٤٧٧
(ليل) الليل ، ليلة، ليالٍ : ٢٧٣
(ملل) ملّة : ١٠٤
(نخل) نَخلة ، نخلٍ : ٢٧٦
(هلل) أهلّ، مُهلّ، استهلال : ٣١٩

* * *

(أثم) إثم : ٣٢٦ ، ٣٨٤ ، ٣٩٩
(ألم) أليم : ٣٣٠
(أمم) أمّ ، يؤمّ ، إمام : ١٨
أمّة : ٧٤، ١٠٠ ، ١٤١
(بكم) بُكْم :٣١٥
(تمم) أتمّ يتمّ : ١٧
(حرم) الشهر الحرام : ٥٧٥ — ٥٧٩
حرمة ، الحُرُمات : ٥٧٩
(حكم) الحكمة : ٨٦ — ٨٨ ، ٢١١
الحُكْم : ٨٧
الحكيم : ٨٨
(خصم) خصيم ، خصماء : ٩٧
(رحم) رحمة : ٢٢٢
رحيم : ١٧١ ، ٣٢٧ ، ٣٩٩ ، ٥٦٩
(سلم) مسلم، الإسلام: ٧٣، ٧٤، ٩٢ ، ١١٠
(شأم) أشأم : ٣٥٢
(صمم) صُمّ : ٣١٥
(صوم) الصيام ، صام : ٤٠٩
(ضخم) ضخْمَة، ضخمات: ٢٩٥
(ظلم) الظالم : ٢٤ ، ١٨٧
ظُلْمة ، ظلمات : ٥٧٩
(علم) يعلم : ١٦٠ ، ١٦١
عليم : ٣٩٩
(عمم) الأعمام : ٩٩
(قوم) أقام الصلاة : ٣٤٧
مقامة : ٢٥
مقام إبراهيم : ٣٣—٣٧
مستقيم : ١٤١
(كلم) الكلمات : ٧ — ١٧
(يتم) اليتامى : ٣٤٥

* * *

(أمن) أمن يأمنُ أمْناً : ٢٩
آمن ، الإيمان : ١٠٩ ، ١١٣ ، ١٦٧ — ١٧٠ ، ٣١٦
(بطن) بطون : ٣٢٩
جعتُ فى غير بَطْنى : ١٥٩ ، ٣٢٩
(بين) البينات : ٢٤٩ ، ٤٤٨
(ثمن) ثَمَنٌ : ٣٢٨
ثمانية : ٢٧٣
(خون) اختان نفسه : ٤٩٣
(دين) الدِّين: ٥٧١ ، ٥٧٢
(سكن) المساكين : ٣٤٥
(غبن) غبن نفسه : ٩٠
(فتن) الفتنة : ٥٦٥ ، ٥٧٠
(لعن) لعن يلعن لعنة ، اللاعن ، اللعين : ٢٥٤—٢٥٨، ٢٦١

(لين) لَيِّنٌ : ٣١٨
(هون) هَيِّن : ٣١٨

• • •

(أله) إله ، الألوهية : ٢٦٥
(سفه) سفه نفسه : ٩٠ — ١٢٩
السفه : ٩٠
السُّفهاء: ١٢٩ ، ١٣٠
(كره) كراهية : ٢٧٣
(وجه) وِجْهَة : ١٩٢ — ١٩٤

• • •

(أبا) الآباء : ٩٩
(أتى) آتى : ٣٤٠ ، ٣٤٧
(أخو) « أخي وأخوك أينا أبطش » : ٥٤٨
(أيا) آية ، آيات : ١٨٤ ، ٢٧٦
(بغى) باغ : ٣٢٢ — ٣٢٦
ابتغى : ٥٠٨
(بلا) بلاه يبلوه : ٢١٩ ، ٢٢٠
ابتلى ، ابتلاء : ٧ ، ٢٢٠
(بنا) ابن الماء ، ابن السبيل : ٣٢٦
(تلا) يتلو : ٨٦ ، ٢١٠
(حى) إحياء الأرض : ٢٧٤
(خطا) خطوة ، خطوات ، خُطَى : ٣٠١ ، ٣٠٢
(خلا) خلا يخلو : ١٠٠ ، ١٢٨
(دعا) دعاء : ٣١٢ ، ٤٨٥
داعية : ٢٥
الدعوة : ٤٨٥
(دلا) أدلى ، يدلى : ٥٤٩ — ٥٥٢
(رأى) رأى ، رؤية العين : ٧٥ ، ٧٨ ، ٧٩
رأى ، (علم) : ٧٨ ، ٧٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ٢٨٣ — ٢٨٦
(رحا) رحًى رُحِيَّ : ٢٢٥
(رضى) رضى ، يرضى : ١٧٥
(زكا) زكّى ، يزكّى : ٨٨ ، ٢١٠ ، ٣٣٠
الزكاة : ٣٤٧
(سما) السموات : ٢٧١
(شرى) اشترى ، اشتراء : ٣٢٨
(شها) شهوة ، شهوات : ٢٩٥
(صدى) الصدى : ٣١٢ ، ٣١٣
(صفا) الصّفا ، صفاةٌ ، صفا : ٢٢٤ ، ٢٢٥
اصطفى : ٩١ ، ٩٦
(صلا) صليت : ٣٧
صلى عليه ، صلوات : ٢٢٢
الصلاة : ٢١٤ ، ٢٢٢ ، ٣٤٧
مصلى : ٣٧ — ٣٨
(عدا) عدوان : ٥٧٣
عاد : ٣٢٢ — ٣٢٦
اعتدى : ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٥٦٤ ، ٥٨٠ — ٥٨٢
(عصا) عَصًى ، عِصِيّ : ٢٢٥
(عطى) أعطى بيده ٥٩٢ ، ٥٩٣

(عفا) عُفي له : ٣٦٦ ـ ٣٧٢
(عمى) عُمّي : ٣١٥ ، ٣١٦
(فدى) فدية : ٤٣٨ ، ٤٣٩
(لفى) ألفى : ٣٠٦ ، ٣٠٧
(لقى) ألقى بيده : ٥٩٢ ـ ٥٩٤
(مرى) امترى ، المرية : ١٩٠ ، ١٩١
المروة ، المرو : ٢٢٥ ، ٢٢٦
(ندا) نداء : ٣١٢
(نهى) انتهى : ٥٦٩ ، ٥٧٢
(هدى) الهُدَى : ٢٤٩ ، ٤٤٨
هداه : ١٤٠ ، ١٦٦
اهتدى ، الاهتداء : ١٠١ ، ٢٠٨ ، ٢٢٣ ، ٣٠٧
(وصى) أوصى ، وصّى : ٩٦ ، ٤٠٥
الوصية : ٣٨٤
(وفى) أوفى ، الموفون : ٣٤٨
(ولى) ولاّه عن الشيء : ١٣١
ولّى : ١٧٥ ، ١٩٤ ، ١٩٨
تولّى : ١١٥

أعلام المترجمين فى التعليق

[الأرقام فى هذا الفهرست هى أرقام الآثار ، لا الصفحات]

آدم بن أبى إياس : ٢٠٧٢
إبراهيم بن أعين الشيبانى : ٢٥٢٤
إبراهيم التيمى (إبراهيم بن يزيد بن شريك)
إبراهيم بن طلحة (إبراهيم بن محمد ابن طلحة)
إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيدالله التيمى (إبراهيم بن طلحة) ٢٨٣٦
إبراهيم بن يزيد بن شريك (إبراهيم التيمى) : ٢٩٩٨
أحمد ؟؟(أحمد بن عبدالله بن يونس) : ٢٣٦٢
أبو أحمد الزبيرى (محمد بن عبد الله ابن الزبير)
أحمد بن ثابت بن عتاب الرازى (فرخويه) : ٢٠٥٥
أحمد بن حماد بن سعيد الدولابى : ٢٥٩٣
أحمد بن عبد الجبار العطاردى : ٢١٥٤
أحمد بن عبد الرحمن بن وهب المصرى (ابن أخى عبد الله بن وهب) : ٢٧٤٧
أحمد بن عبد الرحيم البرقى (أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم)
أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم البرقى (أحمد بن عبد الرحيم) : ٢٩٩٠
أحمد بن عبد الله بن يونس التميمى (أحمد بن يونس) : ٢١٤٤ ، ٢٣٦٢
أحمد بن محمد بن أبى بكر المقدمى (ابن أبى بكر المقدمى) (أبو عثمان المقدمى) : ٣٠٣٠
أحمد بن نعمة المصرى : ٢٥٢٤
أحمد بن يونس (أحمد بن عبد الله يونس)
الأحمرى (سفيان بن دينار)
أبو الأحوص (سلام بن سليم الحنفى)
ابن إدريس (عبد الله بن إدريس ابن يزيد الأودى)
أربدة (التميمى) : ١٩٢٨
أبو أسامة (حماد بن أسامة بن زيد الكوفى)
أبو أسامة (زيد بن أسلم) : ٣٠٣٦
أسامة بن زيد الليثى : ٢٨٦٧
أبو إسحق السبيعى (عمرو بن عبد الله) : ٢٠٥٧ ، ٢١٤٤ ، ٢٢٢٢
أبو إسحاق الشيبانى (الشيبانى) (سليمان بن أبى سليمان)
إسحق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ٢٤١٨
إسحاق بن حذيفة العطار : ٣٠٠٢
إسحق بن عيسى (ابن الطباع) : ٢٨٣٦

إسحق بن محمد بن أبي فروة (الفروى) ٣٠٣٠
أسد السنة (أسد بن موسى)
أسد بن موسى (أسد السنة) : ٢٥٣٠
أبو إسرائيل العبسى (إسماعيل بن خليفة الملائى)
إسرائيل بن يونس بن إسحق السبيعى : ١٩٣٩
أسلم أبو عمران (أسلم بن يزيد)
أسلم بن يزيد (أسلم أبو عمران) : ٣١٧٩
إسماعيل بن إبراهيم (ابن علية) : ٢٩٩٧
إسماعيل بن أمية : ٢٦١٥
إسماعيل بن خليفة الملائى (أبو إسرائيل العبسى) : ٣٠٣٥
إسماعيل بن زياد الكاتب : ٢٩٦٥
إسماعيل بن شروس (أبو المقدام) : ٢٩٤٦
إسماعيل بن صبيح اليشكرى : ٢٩٩٦
أبو الأسود (يتيم عروة) (محمد بن عبد الرحمن بن نوفل)
أشعث بن سوار الكندى : ٢٠٣٠
الأعمش (سليمان بن مهران)
أفلح بن حميد بن نافع : ٢٨٣٦
أبو أماعة الباهلى (صدى بن عجلان)
أبو أمية الطنافسى : ٢٧٢٠
أنس بن مالك (شيخ أبى داود الطيالسى) : ٢٧٩٢
أنس بن مالك الأصبحى : ٢٧٩٢
أنس بن مالك الأنصارى : ٢٧٩٢
أنس بن مالك الصيرفى : ٢٧٩٢
أنس بن مالك الكعبى : ٢٧٩٢
ابن أنعم المعافرى (عبد الرحمن بن زياد بن أنعم)
الأوزاعى (أبو عمرو) : ٢١٨٤
أوس بن عبد الله الربعى (أبو الجوزاء) ٢٩٧٧ ، ٢٩٧٨
إياس بن سلمة بن الأكوع : ٢١٨٥
أيوب بن أبى تميمة السختيانى : ٢٠٣٩ ، ٢٣٧٦

* * *

البراء بن عازب : ٢٩٣٩
ابن بزيع (محمد بن عبد الله بن بزيع)
بشر بن أبان الحطاب (مشرف بن أبان الحطاب)
بشر بن عاصم بن سفيان الطائفى : ٢٠٥٠
بشر بن معاذ : ٢٦١٦
بشير بن سلمان النهدى : ٢٨٧٢
أبو بكر (ابن عياش) : ٢١٥٠ ، ٣٠٠٠
ابن أبى بكر المقدمى (أحمد بن محمد بن أبى بكر)
أبو بكر بن حفص (عبد الله بن حفص بن عمر)
أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام: ٢٣٥١

أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم : ٢٠٣١
بكر بن مضر المصرى : ٢٠٣١
بكير بن عبد الله بن الأشج : ٢٧٤٧
بلال بن رباح : ٣٠١٨ ، ٣٠١٩
بهز بن حكيم : ٢٩٠٤

* * *

أبو تميلة (يحيى بن واضح)
تميم بن سلمة السلمى : ٣٠٥٥
التيمى (أربدة)
ابن التيمى !! (معتمر بن سليمان ابن طرخان التيمى) : ٢٠٩٥

* * *

ثابت بن أسلم البنانى : ٢٩٤٢
ثبيتة بنت يعار الأنصارية : ٣٠٠٤
ثور بن يزيد الكلاعى : ٢٠٧٠

* * *

جابر الجعفى (جابر بن يزيد بن الحارث)
جابر بن عبد الله : ٢٠٢٩
جابر بن يزيد بن الحارث (جابر الجعفى) : ٢٣٤٠ ، ٣٠٧٤
جبلة بن سحيم الشيبانى : ٣٠٠٣
جرير بن عبد الحميد بن قرط الضبى : ٢٢٥٣ ، ٢٣٤٦ ، ٢٤١٧ ، ٢٩٠٤ ، ٢٩٨٩
جعفر الصادق (جعفر بن محمد)
أبو جعفر النفيلى (عبد الله بن محمد ابن نفيل)
جعفر بن الزبير الحنفى (الباهلى) : ١٩٣٩
جعفر بن سليمان الضلعى : ٢٩٠٥
جعفر بن محمد (جعفر الصادق) : ٢٠٠٣
أبو الجلد : ١٩١٣
جندرة بن خيشنة (أبو قرصافة) : ٢٨٧٦
أبو الجوزاء (أوس بن عبد الله الربعى)

* * *

حاتم بن إسماعيل المدنى : ٢٠٠٣
حاتم بن وردان السعدى : ٢٣٧٦
الحارث بن عبدالرحمن القرشى : ٢٩٩٥
الحارث بن فضيل الأنصارى : ٢٣٢٣
حارثة بن مضرب العبدى : ٢٠٥٧
أبو حازم (سلمة بن دينار)
أم ولد حاطب بن أبى بلتعة : ٣٠٣٥
حبان بن أبى جبلة المصرى : ٢١٩٥
حبان بن الحارث : ٣٠٠٨
حجاج بن الشاعر (حجاج بن يوسف بن حجاج) ٢٣٦٢
حجاج بن يوسف بن حجاج الثقفى (حجاج بن الشاعر) : ٢٣٦٢
حذيفة العطار : ٣٠٠٢
حذيفة بن اليمان : ٣٠١١
حزور (سعيد بن الحزور) (أبو غالب) : ٣٠١٧
الحسن بن خالد بن باب الربعى : ٢٨٥٦
الحسن بن الزبرقان النخعى : ٢٩٩٥
الحسن بن عطية بن نجيح الكوفى :

١٩٣٩
الحسن بن يحيي (أبو الربيع) : ٢٣٥١
حسين المعلم (حسين بن محمد بن بهرام)
الحسين علي بن الصدائي : ٢٠٩٣
الحسين بن علي بن مهران : ٢٣٤٢
الحسين بن الفرج الخياط البغدادي : ٢٧١٩
حسين بن محمد بن بهرام التميمي المروزي (حسين المعلم) : ٢٣٤٠
الحسين بن يزيد السبيعي : ٢٨٩٢
الحسين بن يزيد بن يحيي الطحان : ٢٨٩٢
حصين بن عبد الرحمن السلمي : ٢٩٨٦
حفص بن غياث : ٢١٦٨
الحكم بن بشير بن سلمان النهدي : : ٢٨٧٢ ، ٣٠١٤
الحكم بن نافع (أبو اليمان) : ٢٠٧١
أبو حماد (؟؟) : ٣١٠٩
حماد بن أسامة بن زيد الكوفي (أبو أسامة) : ٢٩٩٥
حماد بن سلمة : ٣٠١٥
حماد بن مسعدة البصري : ٣٠٥٦
أبو حمزة (ميمون الأعور القصاب)
حمزة بن عمرو الأسلمي : ٢٨٨٩
ابن حميد (محمد بن حميد)
حميد بن مسعدة بن المبارك الباهلي : ٢٩٥٨
حنش بن عبدالله السبائي : ١٩١٤
حنين (أخو أم ذرة) : ٢٨٣٥
حيوة بن شريح : ٢٨٩١ ، ٣١٧٩

* * *

خالد بن باب الربعي : ٢٨٥٦
خالد بن عرعرة : ٢٠٥٨ — ٢٠٦٠
خالد بن مخلد القطواني : ٢٢٠٦
خالد بن معدان الكلاعي : ٢٠٧٠
خشيش بن أصرم : ٢٣٥١
خلاد الصفار (خلاد بن عيسى العبدي) (خلاد بن مسلم العبدي)
خلاد بن أسلم : ٣٠٠٤
خلاد بن عيسى العبدي (خلاد بن مسلم) (خلاد الصفار) : ٣٠١٤
خلاد بن مسلم العبدي (خلاد بن عيسى) (خلاد الصفار) : ٣٠١٤
أبو خيثمة (زهير بن معاوية)
خيثمة بن أبي خيثمة البصري : ٢٨٧٢

* * *

داود (؟؟) : ٢٩٨٩
أبو داود الطيالسي (سليمان بن داود ابن الجارود) : ٢٠٦٠ ، ٢١٥٦
داود بن أبي هند : ٣٠٢٤ ، ٣٠٧٧

* * *

ابن أبي ذئب (محمد بن أبي ذئب)
ذر بن عبد الله المرهبي : ٢٩١٨
أم ذرة : ٢٨٣٥
راشد بن سعد (صوابه : رشدين)
أبو الربيع (الحسن بن يحيي)
ربيعة بن كلثوم بن جبر : ٢٨٦١
رشدين بن سعد : ١٩٣٨ ، ٢١٧٦ ، ٢١٩٥

رفيع بن مهران الرياحى (أبو العالية) ٣٠٢٤
روّاد بن الجراح العسقلانى : ٢١٨٣
روح بن جنادة (الصواب : روح بن عبادة) : ٣٠١٥
روح بن عبادة القيسى (روح بن جنادة : خطأ) : ٣٠١٥

* * *

زبان بن فائد المصرى : ١٩٣٨
زبيد بن الحارث بن عبد الكريم اليامى : ٢٥٢١
أبو الزبير (محمد بن مسلم بن تدرس)
زرّ بن حبيش : ٣٠١١
أبو زرعة (وهب الله بن راشد) (عبد الله بن راشد)
أبو الزعراء (عبد الله بن هانئ)
زهير بن معاوية الجعفى (أبو خيثمة) : ٢١٤٤ ، ٢٢٢٢
أبو زيد (عمرو بن أخطب)
زيد بن أسلم (أبو أسامة) : ٣٠٣٦
زيد بن الحباب : ٢١٨٥

* * *

أبو السائب (سلم بن جنادة)
سالم مولى أبى حذيفة : ٢٦٣٢ ، ٣٠٠٤
سالم بن عبيد الأشجعى : ٣٠٠٤
سالم بن نوح (أبو سعيد العطار) : ٢٨٥٢
السرى بن يحيى (أبو عبيدة) : ٢١٥٤
سعدويه (سعيد بن سليمان)
سعيد (شعبة) : ٢٠٥٩
سعيد (؟؟) (شعبة بن الحجاج) : ٢٨٥٨
أبو سعيد العطار (سالم بن نوح)
سعيد بن الحزور (حزور) (أبو غالب) : ٣٠١٧
سعيد بن الحكم (ابن أبى مريم) : ٢٩٩٠
سعيد بن زياد المكتب : ٢١٨٢
سعيد بن سليمان أبو عثمان الواسطى (سعدويه) : ٢١٦٨
سعيد بن أبى عروبة : ٢٥٣٣
سعيد بن سويد الكلبى : ٢٠٧١
سعيد بن المسيب : ٢١٥٤
سعيد بن يحمد (أبو السفر) : ٣٠٠٩
سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى : ٢٢٥٥
أبو السفر (سعيد بن يحمد)
سفيان الثورى : ٢٠٢٩ ، ٢٠٥٧ ، ٢١٥٢ ، ٢٣٣٩ ، ٢٤٣٥ ، ٢٥٢٢
أبو سفيان الأشل (طريف بن شهاب)
سفيان بن دينار (أبو الورقاء الأحمرى) ٢٣٣١
سفيان بن زياد العصفرى : ٢٣٣١
سفيان بن عيينة : ٢٥٩٣ ، ٣٠٠٩
سفيان بن وكيع : ٢٠٢٨ ، ٢١٥١ ، ٣٠٥٤ ، ٣٠٥٥
سلام بن سليم الحنفى (أبو الأحوص) :

٢٠٥٨
سلم بن جنادة (أبو السائب) : ٢١٦٥
سلم بن قتيبة (أبو قتيبة) : ١٩٢٤
سلمة بن دينار (أبو حازم) : ٢٩٩٠
أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف : ٣٠١٥
سلمة بن كهيل الحضرمى : ٢٤٣٥
سليمان بن أبى سليمان (الشيبانى) (أبو إسحق الشيبانى) : ٣٠٠٣ ، ٣٠٢٣
سليمان بن داود بن الجارود (أبو داود الطيالسى) : ٢١٥٦
سليمان بن مهران (الأعمش) : ٢٩١٨
سماك بن حرب : ٢٠٥٨
ابن سنان القزاز (محمد بن سنان)
سندل (عمر بن قيس)
سهل بن عامر البجلى : ١٩٧١
سهل بن معاذ بن أنس الجهنى : ١٩٣٨
أبو سهيل (نافع بن مالك الأصبحى) ٢٤٥١
سوادة بن حنظلة القشيرى : ٢٩٩٦ ، ٢٩٩٧
سويد بن عبد الله (شريك بن عبد الله) : ٢٥٣٠
سويد بن عمرو الكلبى : ٢٥٢٦
سويد بن نصر بن سويد المروزى : ٢٩٤١
أبو سيدان (عبيد الله بن الطفيل)

* * *

ابن شبويه (عبد الله بن أحمد بن شبويه)
شبيب بن غرقدة السلمى : ٣٠٠٨
شريك بن عبد الله بن أبى شريك النخعى (سويد بن عبد الله) : ٢٥٢٧ ، ٢٥٣٠ ، ٢٨٥٣
شعبة (سعيد) : ٢٠٥٩ ، ٢٠٦٠
شعبة بن الحجاج (سعيد) : ٢٨٥٨
شعيب بن الليث بن سعد : ٣٠٣٤
شيبان أبو معاوية (شيبان بن عبد الرحمن التميمى)
شيبان بن عبد الرحمن التميمى (شيبان أبو معاوية) : ٢٣٤٠
الشيبانى (أبو إسحق الشيبانى) (سليمان بن أبى سليمان)

* * *

أبو صالح (عبد الله بن صالح)
صالح بن محمد بن صالح بن دينار التمار : ٢٨٨٨
صدىّ بن عجلان (أبو أمامة الباهلى) : ٣٠١٧
أبو صرمة (صرمة بن مالك)
صرمة بن مالك (أبو صرمة) : ٢٩٣٧
الصلب بن حكيم : ٢٩٠٤

ابن الصلت (محمد بن الصلت بن الحجاج الأسدى) (محمد بن الصلت التوزى)

* * *

الضحاك بن مخلد (أبو عاصم النبيل) : ٢١٥٥

* * *

ابن الطباع (إسحق بن عيسى)
طريف بن شهاب العطاردى (أبو سفيان الأشل) : ٢٨٥٦

* * *

أبو عاصم النبيل (الضحاك بن مخلد)
عاصم بن بهدلة (ابن أبى النجود) : ٣٠١١
عاصم بن سليمان الأحول : ٢٣٣٨
عاصم بن عمر بن الخطاب : ٣٠٢٢
أبو العالية (رفيع بن مهران الرياحى) : ٢٦٣٢
عامر بن الفرات : ٢٣٤٢
عامر بن مطر الشيبانى : ٣٠٠٣
عباد بن العوام : ٢٨٥٣
عبادة بن حميد (الصواب : عبيدة ابن حميد) : ٢٩٩٨
عبدالأعلى بن هلال السلمى (عبد الله ابن هلال) : ٢٠٧٣
أبو عبد الرحمن (عبد الله بن يزيد)
عبد الرحمن بن أبى حماد سكين الكوفى : ٣١٠٩
عبد الرحمن بن خالد بن الوليد : ٣١٨٠
عبد الرحمن بن زياد بن أنعم (ابن أنعم المعافرى) : ٢١٩٥
عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود (المسعودى) : ٢١٥٦ ، ٢٧٢٩ ، ٢٩٣٧
عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر : ٢٨٣٦
عبد الرحمن بن أبى ليلى : ٢١٥٦ ، ٢٩٣٧
عبد الرحمن بن مهدى (ابن مهدى) : ٢٠٢٩ ، ٢٥٢٢
عبد الرحمن بن أبى نعم البجلى (ابن أبى نعم) : ٣٠٣٢
عبدالرحيم الرازى (عبدالرحيم بن سليمان)
عبد الرحيم بن سليمان الرازى الأشل : ٢٠٣٠ ، ٢٢٥٤
عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز : ٢٦١٥
عبد الله بن أحمد بن شبويه : ١٩٠٩
عبد الله بن إدريس بن يزيد الأودى (ابن إدريس) : ٢٠٣٠ ، ٢٥٢١ ، ٢٨٨٩
عبد الله بن حفص بن عمر بن سعد ابن أبى وقاص (أبو بكر بن حفص) : ٣٠٣٥
عبد الله بن الحكم بن أبى زياد القطوانى (عبد الله بن أبى زياد) ٢٢٤٧
عبد الله بن خباب ٣٠٣٤
عبد الله بن راشد (أبو زرعة وهب الله ابن راشد)
عبد الله بن رجاء بن عمرو الغدانى : ٢٨١٤ ، ٢٩٣٩

عبد الله بن أبي زياد (عبدالله بن الحكم بن أبي زياد القسطواني)
عبد الله بن زيد الجرمي (أبو قلابة) : ٢٠٣٩ ، ٢٧٩٢
عبد الله بن سوادة القشيري : ٢٩٩٧
عبد الله بن صالح (أبو صالح) : ٢٠٧٣ ، ٢٥٢٤
عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم ابن عمر بن الخطاب : ٢٧٤٠ ، ٣٠٣٣
عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان : ٢٠٣١
عبدالله بن أبي الفضل المديني : ٢١٨٣
عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري ٢٩٤١
عبد الله بن لهيعة (ابن لهيعة) : ٢٩٤١
عبد الله بن محمد بن نفيل (أبو جعفر النفيلي) : ٢٢٢٢
عبد الله بن معقل بن مقرن : ٣٠٠٤ ، ٣٠١٨
عبد الله بن موسى بن إبراهيم التيمي : ٢٨٦٧
عبد الله بن هانئ (أبو الزعراء) : ٢٤٣٥
عبد الله بن هبيرة السبائي (ابن هبيرة) : ١٩١٤
عبد الله بن هلال (عبد الأعلى بن هلال) : ٢٠٧٣
ابن أخي عبد الله بن وهب (أحمد ابن عبد الرحمن بن وهب) : ٢٧٤٧
عبد الله بن يحيى (؟؟) : ٣٠٧٤
عبد الله بن يزيد (أبو عبد الرحمن المقرئ) : ٣١٨٠
عبد الواحد بن زياد العبدي : ٢٦١٦
عبد الواحد بن واصل الحداد (أبو عبيدة) : ٣٠٢٣
عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان : ٢١٥٤
عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث العنبري : ٢٣٤٠
عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي : ٢٠٣٩ ، ٢٧٤٠
عبدة السجستاني : ٢٩٠٤
عبدة بن سليمان الكلابي : ٢٣٢٣ ، ٢٧٥٨ ، ٣٠٢٢
عبدة بن عبد الله بن عبدة الصفار : ٢٩٦٥
عبيد المكتب (عبيد بن مهران الكوفي)
عبيد بن آدم بن أبي إياس : ٢٠٧٢
عبيد بن إسماعيل الهباري : ٢٨٨٩
عبيد بن أبي أمية الطنافسي : ٢٧٢٠
عبيد بن الطفيل (أبو سيدان) : ٢٥٤٧
عبيد بن عمير الليثي : ٢٠٥٤
عبيد بن مهران الكوفي (عبيد المكتب) : ٢٤١٧
عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم ابن عمر بن الخطاب : ٢٧٤٠ ، ٣٠٣٣
عبيد الله بن موسى العبسي : ٢٠٩٢ ، ٢١١٩

أبو عبيدة (السرى بن يحيى) :
أبو عبيدة (عبد الواحد بن واصل الحداد) : ٣٠٢٣
عبيدة بن حميد بن صهيب (عبيدة) (عبادة : خطأ) : ٢٧٨١ ، ٢٩٩٨
عتاب بن بشير الجزرى : ١٩٦٢
عثمان . . ؟ ؟ : ٢٢٢٧
أبو عثمان المقدمى (أحمد بن محمد بن أبى بكر)
أبو عثمان الواسطى (سعيد بن سليمان)
عثمان بن سعد التميمى : ٢١٥٥
عرودة بن أبى الجعد الأزدى البارقى : ٣٠٠٨
عروة بن الزبير بن العوام : ٢٣٥٠ ، ٢٨٨٩ ، ٣٠٥٢
عزرة بن عبد الرحمن بن زرارة الخزاعى : ٢٧٥٢
عصام بن رواد بن الجراح : ٢١٨٣
العصفرى (سفيان بن زياد)
ابن عطاء (يعقوب بن عطاء)
عطاء بن أبى رباح : ٢٩٤٣
عطية العوفى : ٢٠٩٢
عقيل بن خالد الأيلى : ٢٣٥٠
عكرمة بن عمار العجلى : ٢١٨٥
على بن ثابت بن عمرو بن أخطب الأنصارى : ٢٧٦٠
على بن الحسن بن دينار : ١٩٠٩
على بن سعيد بن مسروق الكندى : ٢٧٨٤
على بن سهل الرملى : ٢١٨٤
على بن أبى طلحة : ٢٣٢٩
على بن عيسى بن يزيد البغدادى : ٢١٦٨
على بن يزيد بن سليم الصدائى : ٢٠٩٣
ابن علية (إسماعيل بن إبراهيم)
عمار بن أبى عمار : ٣٠١٥
أبو عمر الباهلى (يوسف بن سلمان)
عمر بن عامر السلمى : ٢٨٥٢
عمر بن عبد العزيز : ٢٦١٥
عمر بن عبد الله بن عروة : ٢٠٥٤
عمر بن قيس (عيسى بن قيس) (سندل) : ٢٣٦٢
عمر بن المثنى (محمد بن المثنى) : ٢٧٤٠
عمر بن نبهان الغبرى : ١٩٢٤
أبو عمرو (الأوزاعى) : ٢١٨٤
عمرو بن أخطب (أبو زيد) : ٢٧٦٠
عمرو بن حبشى : ٢٣٤٠
عمرو بن شرحبيل الهمدانى (أبو ميسرة) ٢٨٣٩ ، ٢٨٤٠
عمرو بن عبد الله الهمدانى (أبو إسحق السبيعى) : ١٩٢٨
عمرو بن عبد الله بن عتبة (خطأ صوابه : عمرو بن عبد الله بن عروة)
عمرو بن على الفلاس : ١٩٨٩ ، ٢١٥٥
عمرو بن مالك النكرى : ٢٩٧٧ ، ٢٩٧٨

عمران القطان (عمران بن داور) (أبو العوام)
أبو عمران (أسلم أبو عمران) (أسلم بن يزيد)
عمران بن بكار الكلاعى : ٢٠٧١
عمران بن حدير : ٢٦٣٤
عمران بن داور (عمران القطان) (أبو العوام) : ٢٨١٤
عمران بن موسى بن حيان القزاز : ٢١٥٤
عمرة بنت عبد الرحمن : ٣٠٥٢
عميرة بن زياد الكندى : ٢٢٥١
أبو العوام (عمران بن داور) (عمران القطان)
عوف بن أبى جميلة الأعرابى ٢٩٠٥
ابن عياش (أبو بكر) : ٣٠٠٠
عيسى بن قيس (عمر بن قيس) : ٢٣٦٢
عيسى بن قيس السلمى : ٢٣٦٢

* * *

أبو غالب (حزور) (سعيد بن الحزور)
غالب بن الهذيل الأودى (أبو الهذيل) : ١٩٧٢ ، ١٩٧٣
أبو غسان النهدى (مالك بن إسماعيل ابن زياد)
أبو غسان (محمد بن مطرّف)

* * *

فاطمة بنت قيس : ٢٥٢٧
الفراء (يحيى بن زياد)
فرخويه (أحمد بن ثابت بن عتاب الرازى)
الفروى (إسحق بن محمد بن أبى فروة) : ٣٠٣٠
فضالة بن عبيد : ٣١٨٠
الفضل بن دكين (أبو نعيم) : ٢٥٥٤ ، ٣٠٣٥
ابن فضيل (محمد بن فضيل بن غزوان)
فضيل بن عياض بن مسعود التميمى : ٢٤١٧
فضيل بن مرزوق الرقاشى : ٢٠٩٢
الفلاس (عمرو بن على)
أبو الفيض (موسى بن أيوب المهرى)

* * *

القاسم بن عبد الرحمن الشامى : ١٩٣٩
قبيصة بن عقبة السوائى : ٢٧٩٢
أبو قتيبة (سلم بن قتيبة)
أبو قرصافة (جندرة بن خيشنة)
أبو قرصافة (واثلة بن الأسقع) : ٢٨٧٦
أبو قلابة (عبد الله بن زيد الجرمى)
قيس بن حبتر النهشلى : ٢٠٧٧
قيس بن سعد : ٢٩٤٣

* * *

أبو كريب : ٢١٥٤
كلثوم بن جبر : ٢٨٦١ ، ٢٨٦٦

* * *

لاحق بن حميد (أبو مجلز) : ٢٦٣٤
ابن لهيعة (عبد الله بن لهيعة)
الليث ؟ ؟ : ٢٦١٥
الليث بن سعد : ٢٠٧٢ ، ٢٥٢٤
ليث بن أبى سليم : ٢٥٢١

ابن أبي ليلى (عبد الرحمن بن أبي ليلى)

* * *

مالك بن إسماعيل بن زياد بن درهم (أبو غسان النهدى) : ٢٩٨٩
مؤمل بن إسماعيل العدوى : ٢٠٥٧
مجالد بن سعيد : ٢٩٨٧ ، ٢٩٨٨
أبو مجلز (لاحق بن حميد)
المحرّر بن أبي هريرة : ٢٨٦٣
محمد بن أبان الواسطى : ٢٧٢٠
محمد بن أبان بن صالح القرشى : ٢٧٢٠
محمد بن أحمد الطوسى : ٣٠١٩
محمد بن جعفر بن أبي كثير الأنصارى : ٢٢٠٦
محمد بن حميد الرازى : ٢٢٥٣ ، ٢٩١٨
محمد بن خازم (أبو معاوية الضرير) : ٢٧٨٣
محمد بن أبي ذئب (ابن أبي ذئب) : ٢٩٩٥
محمد بن سليم (أبو هلال الراسبى) : ٢٩٩٦
محمد بن سنان القزاز : ١٩٩٩ ، ٢٠٥٦
محمد بن صالح بن دينار التمار : ٢٨٨٨
محمد بن الصلت التوزى : ٣٠٠٢
محمد الصلت بن الحجاج الأسدى : ٣٠٠٢
محمد بن عبادة الأسدى (محمد بن عمارة الأسدى) : ٢٠٩٢
محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان : ٢٩٩٥
محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة : ٢٨٩٢ م
محمد بن عبد الرحمن بن نوفل (أبو الأسود) (يتيم عروة) : ٢٨٩١
محمد بن عبد الله بن بزيع : ٢٤٥١ ، ٣١٣١
محمد بن عبد الله بن عبد الحكم : ٢٣٧٧
محمد بن عبد الله بن الزبير (أبو أحمد الزبيرى) : ٢٥٥٥
محمد بن عبد الله بن زريع (؟؟) : ٢٤٥١
محمد بن عبد الله بن سعيد الواسطى (محمد بن عبيد الله) : ٢٨٦٧ ، ٢٨٦٨ ، ٢٨٨٨
محمد بن عبيد الله بن سعيد الواسطى (محمد بن عبد الله) : ٢٨٦٧ ، ٢٨٦٨
محمد بن على بن الحسن بن شقيق : ٢٥٧٥
محمد بن عمارة الأسدى (محمد بن عبادة) ١٩٧١ ، ٢٠٩٢
محمد بن عمرو بن الحسن بن على بن أبي طالب : ٢٨٩٢ م
محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثى : ٣٠١٥
محمد بن فضيل بن غزوان (ابن فضيل) : ٢١٨٢ ، ٣٠٥٥
محمد بن المثنى (أبو موسى) (عمر ابن المثنى) : ٢٧٣٤ ، ٢٧٣٥ ، ٢٧٤٠

محمد بن مسعدة (الصواب : حميد ابن مسعدة) : ٢٩٥٨
محمد بن مسلم بن تدرس (أبو الزبير) : ٢٠٢٩
محمد بن مطرف (أبو غسان) : ٢٩٩٠
محمد بن معمر : ٣٠٥٦
محمد بن يزيد بن محمد بن كثير العجلى (أبو هشام الرفاعى) : ٢٧٣٩
محمود بن لبيد بن عقبة الأشهلى : ٢٣٢٣
محمود بن ميمون أبو الحسن : ٢٣٦٦
أبو مراوح الغفارى : ٢٨٩١
مرة بن شراحيل الهمدانى البكيلى : ٢٥٢١
مرثد : ٢٨٣٩ ، ٢٨٤٠
أبو مرثد : ٢٨٣٩ ، ٢٨٤٠
أبو مرثد الغنوى : ٢٨٣٩ ، ٢٨٤٠
مرثد بن عبد الله اليزنى : ٢٨٣٩ ، ٢٨٤٠
ابن أبى مريم (سعيد بن الحكم)
ابن أبى مريم (أبو بكر بن عبد الله بن أبى مريم) : ٢٠٧١
مسروق بن أبان الحطاب (مشرف بن أبان الحطاب)
مسعر بن كدام : ١٩٧٤
المسعودى (عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة)
مسلم بن إبراهيم الأزدى الفراهيدى : ٢٨٦١
مسلم بن جنادة (أبو السائب) : ٢٠٣٠
ابن المسيب (سعيد بن المسيب)
مشرف بن أبان الحطاب (مسروق بن أبان !) (بشر بن أبان !) : ١٩٥١
مصعب بن المقدام : ٣٠٠١
مطر بن طهمان الوراق : ١٩١٣
مطرف بن طريف الحارثى : ٢٩٨٩
معاذ بن شعبة البصرى : ٢٨٥٣
أبو معاوية (شيبان بن عبد الرحمن التيمى)
أبو معاوية (الضرير : محمد بن خازم)
أبو معاوية بن أبى خازم (هشيم بن بشر)
معاوية بن صالح : ٢٠٧٢
معاوية بن هشام القصار : ٢٩٩٧
معتمر بن سليمان بن طرخان التيمى : ٢٠٩٥
معمر بن راشد : ٢٠٩٥
المغيرة بن عتيبة بن النهاس : ٢١٨٢
أبو المقدام (إسماعيل بن شروس) المكتب (سعيد بن زياد)
أبو المليح بن أسامة الهذلى : ٢٨١٤
منصور بن المعتمر : ٢٠٢٨
ابن مهدى (عبد الرحمن بن مهدى)
أبو موسى (محمد بن المثنى)
موسى بن إسحق بن موسى الأنصارى : ٢٨٥٣
موسى بن أيوب المهرى (أبو الفيض) : ٢٨٧٦

موسى بن جبير المدنى الحذاء : ٢٩٤١
أبو ميسرة (عمرو بن شرحبيل)
ميمون الأعور القصاب (أبو حمزة) : ٢٥٢٦ ، ٢٥٣٠

* * *

نافع (مولى ابن عمر) : ٢٠٣٠
نافع بن مالك الأصبحى (أبو سهيل) : ٢٤٥١
ابن أبى النجود (عاصم بن بهدلة)
نصر بن عبد الرحمن الأزدى : ٢٨٥٩
نصر بن على بن نصر بن على الجهضمى : ٢٨٦١ ، ٢٣٧٦
ابن أبى نعم (عبد الرحمن بن أبى نعم العجلى)
أبو نعيم (الفضل بن دكين)

* * *

ابن الهاد (يزيد بن عبد الله . . .) (يزيد بن الهاد)
هارون بن إسحاق الهمدانى : ٣٠٠١
ابن هبيرة (عبد الله بن هبيرة السبائى)
هبيرة بن يريم الشبامى : ٣٠٠١
أبو الهذيل (غالب بن الهذيل الأودى)
أبو هشام الرفاعى (محمد بن يزيد ابن محمد بن كثير)
هشام بن حسان القردوسى ٢٨٢٧ :
هشام بن عروة بن الزبير : ٢٨٨٩
هشيم بن بشير (أبو معاوية بن أبى خازم) : ٢٢٤٨
أبو هلال الراسبىّ (محمد بن سليم)
هناد بن السرى : ٢٠٥٨ ، ٢٧٥٨ ، ٢٩٩٨
ابن أبى هند (داود)

* * *

واثلة بن الأسقع (أبو قرصافة) : ٢٨١٤ ، ٢٨٧٦
الوليد بن مسلم الدمشقى : ٢١٨٤
وهب بن جرير : ٢٨٥٨
وهب الله بن راشد (أبو زرعة) (عبد الله بن راشد) : ٢٣٧٧ ، ٢٨٩١

* * *

يتيم عروة (أبو الأسود) (محمد بن بن عبد الرحمن بن نوفل)
يحيى بن جعفر (يحيى بن أبى طالب) ١٩٦١
يحيى بن حسان التنيسىّ : ٢٦٤٣
يحيى بن زياد (الفراء) : ٢٧٢٠
يحيى بن سعيد الأنصارى : ٢١٥٤
يحيى بن سعيد القطان : ١٩٨٩ ، ٢١٥٢ ، ٣٠٣٣
يحيى بن سعيد بن أبان الأموى : ٢٢٥٥
يحيى بن سلمة بن كهيل : ٢٤٣٥
يحيى بن أبى طالب (يحيى بن جعفر)
يحيى بن قمطة : ٢٢٤٧
يحيى بن أبى نصر الهروى : ٢٦٤٣
يحيى بن نصر (لعله : على بن نصر الجهضمى) : ٢٦٤٣
يحيى بن نصر بن حاجب القرشى : ٢٦٤٣
يحيى بن النضر بن عبد الله الأصبهانى : ٢٦٤٣

يحيى بن واضح (أبو تميلة) : ٣٠١٧
يزيد مولى سلمة بن الأكوع (يزيد ابن أبي عبيد)
أبو يزيد المدنى : ٢٨٣٥
يزيد بن زريع : ٢٥٣٣
يزيد بن أبي زياد الكوفى : ٢٠٢٨
يزيد بن شريك التيمى : ٢٩٩٨
يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد (يزيد بن الهاد) : ٢٠٣١ ، ٣٠٣٤
يزيد بن أبي عبيد (يزيد مولى سلمة ابن الأكوع) : ٢٧٤٧
يزيد بن عياض بن يزيد الليثى : ٢٨٦٨
يزيد بن الهاد (يزيد بن عبد الله ابن أسامة بن الهاد)
يسيع بن معدان الحضرمى : ٢٩١٨
يعقوب بن إبراهيم الدورقى : ٢١٦٥ ، ٢٣٣٨ ، ٢٩٩٧
يعقوب بن عطاء بن أبي رباح : ٢٣٦٦
يعقوب بن محمد بن عيسى الزهرى : ٢٨٦٧
يعلى بن عطاء العامرى : ٢٨٥٨
أبو اليمان (الحكم بن نافع)
يوسف بن حجاج الثقفى الشاعر : ٢٣٦٢
يوسف بن الحكم ، أبو الحكم : ٢٨٥٨
يوسف بن خالد السمتى : ٢٤٥١ ، ٣١٣٠
يوسف بن سلمان (أبو عمر الباهلى) : ٢٠٠٣
يوسف بن مهران : ٢٨٥٨
يونس بن أبي إسحق السبيعى : ٣٠١٨
يونس بن بكير : ٢٧٢٩
يونس بن عبد الأعلى الصدفى : ٣٠٥٣
يونس بن عبيد بن دينار العبدى : ٢٦١٦
يونس بن يزيد الأيلى : ٢٣٧٧ ، ٣٠٥٣

فهرس المصطلحات

الباطن : ٣٧

الترجمة : ٥٢ ، ٩٩ ، ٤٤٠

التفسير : ٩٠

الردّ : ١١٧

الصرف : ٥٥٢

الظاهر : ٣٧ ، ٥٥

الكنية : ٥٩٤

المفسر : ٩٠

مباحث العربية والنحو وغيرها

- « إذ » تكرارها فى الكلام : ٩٨
- « إذ » للوقت ، وصلتها فى الكلام : ٩٢
- « إلا » قول من قال إنها بمعنى « واو » العطف ، وأن ذلك ليس بموجود فى كلام العرب : ٢٠٥
- « إلا » بمعنى « لكن » وضعف هذا القول فى هذا الموضع : ٢٠٦
- الاستفهام بـ « أم » : ٩٧ ، ١٢٢ ، ١٢٣
- « أم » الاستفهام بها . والعرب تستفهم بأم فى كل استفهام ابتدأته ، بعد كلام قد سبقه : ٩٧
- « أم » الاستفهام بها فى كلام مستأنف مثل قولهم : « إنها لإبل أم شاء » : ١٢٢ ، ١٢٣
- « أن » حذفها ، والاكتفاء بالأدوات عنها ، وربما أدخلوها مع الأدوات نحو : « ناديت أنْ هل قمت ؟ » : ٩٥
- « أن » حذفها ، ومتى يكون هذا الحذف ، فى مثل قوله : « ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب ، يا بنى » — أى : أن يا بنى : ٩٤ — ٩٥
- « إنما » حرفٌ واحد : ٣١٨
- « الباء » أصل للكناية عن « الفعل » فى مثل قولك : « كلمته » ، فتكنى عن ذلك فتقول : « فعلت به » : ٥٩٤

* « الباء » زيادتها فى مثل قولك « جذبت الثوب ، وجذبت به » : ٥٩٤

* « التاء » التى تلحق الصفات مثل قولهم : « سيارة ، ونسابة » ، « والداعية » و « مثابة » لتدل على الكثرة والمبالغة : ٢٥

* « حيث » معناها ، ومعنى « من حيث » : ١٩٩

* « حين » بمعنى « عند » : ٣٥٥

* « ذلك » التى تكون مكان « هذا » : ٣٣٥

* « كما » صلة لما قبلها : ٢٠٩

* « كما » « الكاف » فى « كما » شرط : ٢٠٩

* « اللام » وقوعها فى الكلام تنوب فى الأيمان عن الأيمان ، دون سائر الحروف : ١٨٥

* « اللام » ، « لا م » « كى » تدخلها العرب فى كلامها على إضمار فعل بعدها ، وتكون شرطاً للفعل قبلها مثل : « جئتك لتحسن إلىّ » ، فإذا دخلت « الواو » لا تكون شرطاً : « جئتك ولتحسن إلىّ » أى : ولتحسن إلىّ جئتك : ٤٧٧ ، ٤٧٨

* « لام كى » معناها معنى الشرط فى مثل قولك : « جئتك لتحسن إلىّ » : ٤٧٧ ، ٤٧٨

* « لئن » جوابها بالماضى من الفعل ، وحكمها الجواب بالمستقبل ، تشبيهاً لها بـ « لو » ، فأجيبت بما تجاب به « لو » : ١٨٤

* « لئن » و « لو » : تقارب معنييهما : ١٨٤

* « لعل » بمعنى « كى » : ٢٠٨ ، ٤١٣

* « لو » و « لئن » تقارب معنييهما : ١٨٤

* « لو » جواب « لو » بالماضى من الفعل : ١٨٤

* « لو » تأتى فى الكلام لا يحتاج معها إلى شىء مثل قولهم : « أما والله لو يعلم »، وقول الشاعر : « فلو فى سالف الدهر والليالى الخوالى » : ليس له جواب إلا فى المغنى : ٢٨٣ — ٢٨٦

* « ما » بمعنى الاستفهام أو التعجب فى قوله : « فما أصبرهم على النار »: ٣٢٢ ، ٣٢٣

* « مع » فى قول القائل : « افعل كذا وأنا معك » ، أى : ناصرك على فعلك ذلك ، ومعينك عليه : ٢١٤

* « من » فى مثل قوله : « بشىء من الخوف » ومعناها : ٢٢٠

* « الواو » التى تدخل بعد « لام كى » ، تدخلها العرب فى كلامها على إضمار فعل بعدها ، ولا تكون حينئذ شرطاً نحو : « جئتك ولتحسن إلىّ » أى : ولتحسن إلىّ جئتك : ٤٧٧

* « هذا » التى يجوز مكانها « ذلك » : ٣٣٥

* « الياء » زيادتها فى بعض الحروف نحو : « رباعية ، ثمانية ، كراهية » ٢٧٣

* * *

* « أفعل » و « فعلاء » فى التذكير والتأنيث : ٣٥٢

* جمع « فاعل » على « فعول » مثل ، قاعد وقعود : ٤٤

* إلغاء هاء التأنيث من « فاعل » ، وجمعه على « فواعل » ، لأنه لاحظ فيه للذكورة ، مثل : امرأة طاهر وطامث وقاعد : ٥٧

* جمع « فاعلة » ، على « فواعل » مثل : قاعدة وقواعد : ٥٧

* « فعلاء » مصدر ، كالبأساء والضراء = أو اسم للفعل : ٣٥١ ، ٣٥٢

* « فِعلة »ما يجيء علىوزنها مثل حِكْمة ووِجْهه وقِعْده وجِلْسهوقِبْلَه: ٨٧، ١٣١ ، ١٩٣

* « فَعْلة » جمعها على « فعلات » و « فِعال» مثل خطوة وخطوات وخِطَاء: ٣٠١

* « فَعْلة » جمعها على «فَعْل» و « فَعَلات » (بفتح العين)، مثل: تمرة ، تَمَرْ ، تَمَرات : ٢٢٥

* « فعلة » تجمع على « فَعَلات » (بفتح العين) إذا كانت اسماً مثل « تمرة وتمرات » و « حسرة وحسرات »
وتجمع على « فَعْلات » (بسكون العين) إذا كانت صفةمثل« ضخمة وضخْمات » . وربما سكن الثانى فى الأسماء مثل « فتستريح النفس من زَفْراتها »: ٢٩٥

* « فُعْلة » جمعها على « فُعَل » ، مثل خطوة وخطى : ٣٠١

* « فُعْلى » جمعها على « فُعل » مثل قُربى وقُرَب ، وأخْرى وأخَر : ٤٥٩

* « فعيل » جمعه على « فَعْلى » مثل جريح وجرحى : ٣٦٦

* « فعيل » وجمعه على « فعلاء » ، مثل « شهيد » و « شهداء » : ٩٧ ، ١٤٥

* « فَيْعِل » وتخفيفه مثل ميِّت ومَيْت : ٣١٨ ، ٣١٩

* * *

* الأفعال التى توجه مرة إلى الفعل ، ومرة إلى الفاعل ، مثل قولهم : « نالنى خير فلان ، ونلت خيره » : ٢٤

* العرب لا تمتنع من أن تجعل « الأعمام » بمعنى « الآباء » و « الأخوال » بمعنى « الأمهات » : ٩٩

* حذف النون من « لم يكن » ، « لم يك » : ٧٩

* حذف فعل « القول » من الكلام : ٦٥

* تمييز المضاف إلى معرفة ، لأنه فى تأويل نكرة ، مثل قوله « سفه نفسه » : ٩٠

* حذف المضاف ، وإقامة المضاف إليه مقامه نحو : « حسبتُ بُغَام راحلتى عَنَاقاً » ، أى صوت عناق : ١٠٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٩

* قولهم « مر عمرو بأخيك مثل ما مررت به » ، أى : مثل مرورى به ، فالتمثيل بين المرورين ، لا بين عمرو والمتكلم : ١١٤

* إضافة الشىء إلى الشىء إذا كان بسببه مثل « أجوع فى غير بطنى » يعنى جوع أهله وعياله : ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٣٢٩

* الجزاء مشابه اليمين ، فى أن كل واحد منهما لا يتم أوّله إلاّ بآخره ، ولا يتم وحده ، ولا يصحّ إلا بما يؤكد به بعده : ١٨٥

* الأمر وخروجه إلى شخص بعينه ، والمراد به أصحابه : ١٩٢

* الاستثناء : يثبت فيه لما بعد حرف الاستثناء ما كان منفياً عما قبله ، مثل : « ما سار من الناس أحدٌ إلاّ أخوك » : ٢٠٤

* الجزاء الذى يجاب بجوابين ، كقول القائل : « إذا أتاك فلانٌ فأته ترضه » : ٢٠٩

* جمع « صفا » على « أصفاء ، وصُفىّ ، وصفى » مثل : « عصا » على « أعصاء ، وعُصِىّ ، وعِصِىّ » : ٢٢٥

* الفعل الماضى مع الجزاء بمعنى المستقبل : ٢٤٧

* من شأن العرب إذا وصفت شيئاً من البهائم أو غيرها — مما حكم جمعه أن يكون بالتاء ، وبغير صورة جمع ذكور بنى آدم — بما هو من صفة الآدميين ، أن يجمعوه جمع ذكورهم ، كما قال : « وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا » ، و « الشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين » : ٢٥٦

* « الأرض » ، لم تجمع كما جمعت « السموات » : ٢٧١

* الجمع والمفرد بلفظ واحد ، مثل : الفُلْك : ٢٧٣

* حذف الفاعل ، وإضافة الفعل إلى المفعول مثل : « يعجبنى إكرام أخيك » تريد : إكرامك أخاك : ٢٧٥

* التذكير فى مثل قولهم « هذه تمرة » و « هذا تمرٌ كثير » : ٢٧٦

* حذف ضمير المخاطب ، اكتفاء بضمير آخر مثل : « بعت غلامى كبيع غلامك » بمعنى : « كبيعك غلامك » : ٢٨٠
ومثل قولهم
ولست مسلماً ما دمت حيًّا على زيد بتسليم الأمير
٢٨١ ، ٣١١

* الإشارة إلى غير حاضر مثل قولهم : « هذا عملك » أى : الذى يجب عليك أن تعمله — و « هذا غداؤك اليوم » ، أى : هذا ما تتغدى به اليوم : ٢٧٩، ٢٩٨

* الانصراف من الخطاب إلى الخبر عن الغائب : ٣٠٤ ، ٣٠٥

* القلب ، فى مثل قوله
وقد خفتُ ، حتى ما تزيد مخافتى على وعلٍ فى ذى المطارة عاقل
أى : حتى ما تزيدُ مخافة الوعل على مخافتى
وقوله : « اعرض الحوض على الناقة » : ٣١١ ، ٣١٢

* المصدر ووضعه مكان الاسم مثل « البرّ » بمعنى البارّ : ٣٣٩

* الرفع والنصب ، وفرق ما بينهما فى مثل قوله « فاتباع بالمعروف » وقوله « فضربَ الرقاب : ٣٧٢ ، ٤١٨

* النصب بفعل مضمر فى مثل قوله : « أياماً معدودات » ، وقوله : « أعجبنى الضرب ، زيداً » : ٤١٣

* الواحد يكون بدلاً من الجميع ، والجميع لا يكون بدلاً من الواحد : ٤٤٠

* العطف ، عطف المختلفين مثل قوله : « ممن كان منكم مريضاً ، أو على سفر » : ٤٧٥

* * *

* الاكتفاء بذكر شيء ، من تكريره وإعادته : ١٩

* يحمل الكلام على ظاهره المعروف ، دون باطنه المجهول ، حتى يأتى ما يدل على خلاف ذلك ، مما يجبُ التسليم له : ٣٧

* إخراج الكلام خبراً عن النَفْس ، وهو يضُمّ غيرها : ٨٠

* إجراء الكلام على ذكر الغائب ، وقد جرى قبله على ذكر المتكلم : ٩٢ — ٩٣

* الاكتفاء فى الكلام بدلالة ما ذكر منه : ١٥٦ ، ١٦٥ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٣ ، ٣٣٥

* من شأن العرب — إذا اجتمع فى الخبر المخاطبُ والغائب — أن يغلّبوا المخاطب ، فيدخل الغائب فى الخطاب .
يقولون لرجل خاطبوه على وجه الخبر ، وعن آخر غائب : « فعلنا بكما » ولا يستجيزون أن يقولوا : « فعلنا بهما » ، وهم يخاطبون أحدهما : ١٧٠

* المقدم الذى معناه التأخير : ٢٠٩

* خروج الكلام مخرج الخبر ، والمراد به الأمر : ٢٢٧

* من شأن العرب إذا تطاولت صفة الواحد ، الاعتراض بالمدح والذمّ بالنصب أحياناً وبالرفع أحياناً : ٣٥٢ ، ٣٥٣

* العرب تكنى عن نفسها بإخوتها ، وعن إخوتها بأنفسها كقولهم : « أخى وأخوك أينا أبطش » : ٥٤٨

* العام الذى يكون معناه الخاص : ٤٨٧ ، ٥٤٣

* * *

* غير جائز فى أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون بعضها دافعاً بعضاً ، إذا ثبتت صحتها : ٥١

* غير جائز الاعتراضُ بمَن كان جائزاً عليه فى نقله الخطأ والسهوُ، على من كان ذلك غير جائزٍ عليه فى نقله : ٥٤

* الحقائق التى لا تدرك إلا بخبرٍ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بالنقل المستفيض : ٦٤

* المعانى التى لا يدلّ عليها بالاستدلال والمقاييس ، فتمثل بغيرها ويستنبط علمها من جهة الاجتهاد : ٦٤

* إنما يجوز توجيه معانى كتاب الله ، إلى ما كان موجوداً مثله فى كلام العرب ، دون ما لم يكن فى كلامها : ١٦١

* ما جاء به النقلُ مستفيضاً فهو حجة ، وما انفرد به من كان جائزاً عليه السهو والغلط ، فغير جائزٍ الاعتراض به على الحجة : ١٩٥ ، ٢٦٤

* تأويل كتاب الله بالأفصح الأعرف من كلام العرب ، دون الأنكر الأجهل من منطقها : ٢١٠

* غير جائز لأحد أن يزيد فى مصاحف المسلمين ما ليس فيها، واستحقاق من يقرأ كذلك العقوبة : ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

فهرس التفسير

٣ تصدير الجزء الثالث

٧ تفسير « وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات » ، آية البقرة : ١٢٤

٧ تفسير « الكلمات » ، وشرائع الإسلام ، والأخبار فى ذلك

٣٣ مقام إبراهيم ، والاختلاف فيه ما هو ؟

٤٥ تحريم مكة ، والأخبار فى ذلك

٥٧ قواعد البيت الحرام ، وبناء البيت ، وخبر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام

٧٦ بيان المناسك

٨٢ حديث : « أنا دعوة أبى إبراهيم »

١٠٤ الحنيف ، والحنيفية

١١٧ الصبغة وبيانها

١٢٤ الشهادة التى عند أهل الكتاب ، وكتمانها

١٣١ تحويل القبلة والآثار فى ذلك

١٣٧ السبب الذى كان من أجله يصلى رسول الله نحو بيت المقدس

١٤٦ الأخبار فى شهادة المسلمين على الناس يوم القيامة

١٥٥ بقية الآثار فى القبلة

١٧٢ تحويل القبلة ، ومكان القبلة

٢١٥ الشهداء ، وما جاء فيهم من الآثار

٢٣٠ الطواف بالصفا والمروة ، وما كانا عليه فى الجاهلية

٢٤٣ الطواف بالصفا والمروة عند الطبرى فرضٌ واجبٌ

٢٤٥ القراءة بما فيه خلافٌ لمصاحف المسلمين

٢٦٥ الواحد ، والوحدانية

٢٧٧ خطاب الكفار بأدلة التوحيد ، وهم ينكرونها

٣٢١ الاختلاف فى تفسير الباغى والعادى

٣٥٧ القصاص ، وبيان معناه ، واختلاف المختلفين

٣٦٣ فصل الطبرى بين أقوال المختلفين فى القصاص

٣٨٤ الوصية ، وتحقيق القول فيها

٣٨٥ النسخ ، وشروطه

٤٠٩ الصيام ، وفرضه

٤١٠ صيام الأمم التى كانت قبلنا

٤١٧ لم يأت خبر تقوم به الحجة عن فرض صوم غير صوم شهر رمضان

٤١٩ الأخبار فى الصوم من ٢٧٣٣ — ٢٧٦٠

٤٣٥ تمام حجج الطبرى فى الصيام وفرضه

٤٤٥ نزول القرآن فى شهر رمضان ، والأخبار فى ذلك

٤٤٩ تفسير شهود الشهر

٤٥٤ ردّ أبى جعفر على أبى حنيفة وأصحابه فى شهود الشهر

٤٦١ الصيام فى السفر ، وما فيه من الآثار ، وعلل المختلفين فى ذلك
٤٧٠ اختيار أبى جعفر فى الصيام فى السفر ، وحجته فى أن الإفطار رخصة لاعزم
٤٩٣ ما كان من اختيان المسلمين أنفسهم فى شهر رمضان ، والآثار فى ذلك
٥٠٩ الخيط الأبيض والخيط الأسود ، والأخبار فيهما ، واختلاف المختلفين
٥٥٦ ما كان من إحرام أهل الجاهلية ، والآثار فى ذلك
٥٥٧ « الحُمْس » وتفسير أمرهم ، والآثار فى ذلك
٥٦٣ النسخ وشروطه
٥٧٥ خبر عمرة القضيّة ، وصدّ المشركين رسول الله عن البيت ، والآثار فى ذلك
٥٩٠ خبران فى غزو القسطنطينية

* * *

٥٩٩ فهرس الآيات التى استدل بها فى غير موضعها من التفسير
٦٠٣ فهرس اللغة
٦١٠ فهرس أعلام المترجمين فى التعليق
٦٢٤ فهرس المصطلحات
٦٢٥ فهرس مباحث العربية والنحو وغيرها
٦٣٣ فهرس التفسير

تراث الإسلام

تفسير الطبري

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ - ٣١٠ هـ

٤

حققه وعلق حواشيه
محمود محمد شاكر

راجعه وخرج أحاديثه
أحمد محمد شاكر

الطبعة الثانية

الناشر
مكتبة ابن تيمية
القاهرة ت ٨٦٤٢٤٠

تفسير الطبري

الجزء الرابع

فيه

تفسير سورة البقرة

من ١٩٦ — ٢٣٠

والآثار من ٣١٨٥ — ٤٩٠٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذى أرسل رسولَه بالهُدَى ودينِ الحقِّ ، وأنزلَ معه الكتابَ والميزان ليقوم الناسُ بالقِسْط ، وأشهدُ أن لا إلٰه إلاَّ الله وحده لا شريكَ له ، وأن محمدًا عبدُه ورسولُه ، بَلَّغَ رسالةَ ربِّه ، ودعا إلى الحقِّ بإذنِه ، وكان رحمةً مُهْداةً للعالمين ، صَلَّى الله عليه وسَلَّم ، وعلى الطيبين الطَّاهرين من آله وصحبه .

* * *

ثم أحمدُه حمدًا لا يشوبُه زهْوٌ ، عَلى ما مَنَّ به من تمام الجزء الرابع من تفسير أبي جعفر الطبرى ، وعلى ما فَتحَ لى فيهِ من أبوابِ الصَّوَابِ ، وأستَقِيلُه سبحانَه من عَثَرَاتِ الأَوهام فيما أخطأْتُ فيه .

وبعد ، فقد تبيَّنَ لى فى مراجعةِ هذا الجزء على المخطوطة ، أن ناسخَها قد طَالَ عَليه ما نَسَخ ، وعجِل فى نَسْخ الْكتاب عَجلةً أدخلت على خطِّه كثيرًا من التصحيف والتحريفِ والسقط والبياضِ ، كما بيَّنتُ فى تعليقاتى على ذلك فى مواضعه . فاجتمع هذا وقلة نقل الناقلين عن أبى جعفر ، كما قلت فى تصدير الجزء الثالث ، فازدادَت المشقَّة ، ولم ينفعنا إلاَّ توفيقُ الله إلى الصواب فيما غمض والتبس .

هذا ، وقد شاركت أخى أيَّده الله فى بيان حال بعض رجال أسانيد الآثار دون الأَحاديث ، والفرقُ بين ما كتبته وبين ما يكتبُه لا يحتاجُ إلى إشارة

وتوضيح ، فهو فرقُ ما بين الذى يكتبه المتمكِّن الراسخ ، وما يكتبه الشادِى المشارك فيما لا قَدَمَ له فيه . فأَغنى ذلك عن النصِّ على ما كتبتُ . وأسأَل الله أن يغفر لى زلَّتِى ، وأن يمهّد لى طريق الصوابِ . وأن يعيننى بحوله وقوّته ، فقد برئت إليه سبحانه من كُلّ حولٍ وقوةٍ ، وهو وحده المستعانُ ، وله الحمدُ والمنَّة ، ومنه الجزاءُ والثوابُ ، وإليه المرجع والمآب .

محمود محمد شاكر

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك :

فقال بعضهم : معنى ذلك : أتِمّوا الحج بمناسكه وسُننِه ، وأتموا العُمْرة بحدودها وسُننِها .

• ذكر من قال ذلك :

٣١٨٥ ــ حدثنى عبيد بن إسمعيل الهَبّارى قال، حدثنا عبد الله بن نمير ، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة : « وأتِمّوا الحجّ والعمرة لله »، قال: هو فى قراءة عبد الله: «وَأَقِيمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ إِلَى الْبَيْتِ»، قال: لاتجاوزُوا بالعمرة البيتَ = قال إبراهيم: فذكرت ذلك لسعيد بن جبير فقال: كذلك قال ابن عباس .

٣١٨٦ ــ حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم أنه قرأ : « وأقيموا الحج والعمرة إلى البيت » .

٣١٨٧ ــ حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة أنه قرأ: « وأقِيموا الحجَّ والعمرة إلى البيتِ » .

٣١٨٨ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال، حدثنا معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس: « وأتِمّوا الحج والعمرةَ لله »، يقول: من أحرَم بحجّ أو بعُمْرة ، فليس له أن يَحِلّ حتى يُتمّها. تَمامُ الحجِّ يوم النَّحر، إذا رَمَى جَمرةَ العَقبة وزار البيت فقد حَلّ من إحرامه كُلّه. وتمامُ العمرة، إذا طاف بالبيت وبالصَّفا والمروة ، فقد حَلّ .

٣١٨٩ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى = وحدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل = جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « وأتِمّوا الحجَّ والعمرةَ لله » ، قال : ما أمِروا فيهما .

٣١٩٠ – حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « وأتموا الحَجّ والعمرة لله »، قال: قال إبراهيم، عن علقمة ابن قيس ، قال : « الحجُّ » مناسك الحج، و « العمرة » لا يجاوز بها البيت .

٣١٩١ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم : « وأتِموا الحجّ والعمرة لله » ، قال قال : تَقْضي مناسكَ الحجّ : عرفة والمزدلفة ومَواطنَها. والعمرةُ للبيت ، أنْ يطوف بالبيت وبين الصَّفا والمروة ، ثم يَحِلُّ .

* * *

وقال آخرون : تمامُها أن تُحرِم بهما مفردين من دُوَيْرة أهلِك .(١)

* ذكر من قال ذلك :

٣١٩٣ – حدثنا محمد بن المثنى قال: حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن سلمة، عن علي أنه قال: جاء رَجُل إلى عليّ فقال له في هذه الآية : « وأتِمّوا الحجَّ والعمرة لله »، أن تحرم من دُوَيْرة أهلِك .

٣١٩٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا هرون بن المغيرة، عن عنبسة ، عن شعبة ، عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن سلمة قال : جاء رجل إلى عليّ رضوان الله عليه فقال : أرأيتَ قَول الله عز وجل: « وأتِمّوا الحجَّ والعمرة لله » ؟ قال : أن تحرم من دُوَيْرة أهلك .

٣١٩٥ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن محمد ابن سوقة ، عن سعيد بن جبير قال : من تَمام العُمرة أن تحرم من دُوَيرة أهلك.

(١) الدويرة تصغير « الدار » : وهو كل موضع حل به قوم ، فهو دارهم . هذا ، وقد سقط من الترقيم هنا رقم : ٣١٩٢ ، فلم أستطع أن أغير الترقيم كله ، فتركته على حاله .

٣١٩٦ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ،عن ثور بن يزيد ، عن سليمان بن موسى ، عن طاوس قال : تمامُهما إفرادهما مُؤْتَنَفتين من أهلك . (١) ١٢١/٢

٣١٩٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا سفيان ، عن ثور ، عن سليمان بن موسى ، عن طاوس : «وأتموا الحج والعمرة لله»، قال: تفردهما مؤقتتين من أهلك، فذلك تمامهما .(٢)

* * *

وقال آخرون : تمام العمرة أن تعمل فى غير أشهر الحج ،(٣) وتمامُ الحج أن يُؤتى بمناسكه كلِّها ، حتى لا يلزم عَامِلَه دمٌ بسبب قِران ولا مُتعة .

• ذكر من قال ذلك :

٣١٩٨ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وأتِمُّوا الحجَّ والعمرة لله»، قال: وتمام العمرة ما كان فى غير أشهر الحج . ومن كان فى أشهر الحج ثم أقام حتى يَحُجّ ،(٤) فهى مُتعة. عليه فيها الهَدْى إن وُجد، وإلا صَام ثلاثة أيام فى الحج وسبعةً إذا رَجع .

٣١٩٩ – حدثنا ابن بشار قال،حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : « وأتموا الحج والعمرة لله »، قال : ما كان فى غير أشهر الحج فهى عمرة تامة ، وما كان فى أشهر الحج فهى مُتعة ، وعليه الهدى .

٣٢٠٠ – حدثني يعقوب قال،حدثنا هشيم، عن ابن عون قال : سمعت القاسم بن محمد يقول : إنّ العمرة فى أشهر الحج ليست بتامة . قال : فقيل له :

---

(١) ائتنف الشيء ائتنافاً : أخذه من أوله وابتدأه . ويعنى :أفرادهما منذ ابتداء دخوله فيهما. وانظر الأثر الذى يليه والتعليق عليه .

(٢) هكذا جاء فى هذا الأثر « موقتتين » من التوقيت ، وهو التحديد ، والميقات : وهو الوقت المضروب للفعل ، أو الموضع . يقال : هذا ميقات أهل الشام أو مصر ، للموضع الذى يحرمون منه . ويعنى أن ميقاتها من عند دويرة أهله .

(٣) هكذا فى الأصل : « أن تعمل » ولعل الصواب « أن تعتمر » .

(٤) فى المطبوعة : « وما كان فى أشهر الحج » ، والصواب ما أثبت .

العمرة فى المحرَّم ؟ قال : كانوا يَرَوْنها تامَّة .

* * *

وقال آخرون : إتمامهما أن تخرج من أهلك لا تريد غيرَهما .

* ذكر من قال ذلك :

٣٢٠١ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى رجل ، عن سفيان قال : هو – يعنى تمامهما – أن تخرُج من أهلك لا تريد إلا الحج والعمرة ، وتُهلّ من الميقات . ليس أن تخرُج لتجارةٍ ولا لحاجةٍ ، حتى إذا كنت قريباً من مكة قلت : لو حججت أو اعتمرت ! وذلك يجزىء ، ولكن التمَّام أن تخرُج له ، لا تخرُج لغيره .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أتموا الحجَّ والعمرةَ لله إذا دخلتم فيهما .

* ذكر من قال ذلك :

٣٢٠٢ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد : ليست العمرة واجبة على أحد من الناس . قال فقلت له : قولُ الله تعالى: « وأتموا الحجَّ والعمرةَ لله » ؟ قال : ليس من الخلقِ أحدٌ ينبغى له إذا دخَل فى أمر إلا أن يتمَّه، فإذا دخل فيها لم يَنْبَغ له أن يهلّ يوماً أو يومين ثم يرجع ، كما لو صام يوماً ، لم ينبغ له أن يفطر فى نصف النهار .

* * *

* وكان الشعبي يقرأ ذلك رفعاً .

٣٢٠٣ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن شعبة قال ، حدثنى سعيد بن أبى بردة : أن الشعبي وأبا بردة تذاكرَا العمرة، قال : فقال الشعبي : تطوَّع ، « وأتموا الحجّ والعمرةُ لله » . وقال أبو بردة : هى واجبة : « وأتموا الحج والعمرةَ لله » .

٣٢٠٤ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا ابن

عون ، عن الشعبي أنه كان يقرأ : « وأتمُّوا الحجَّ والعمرةُ لله » .

* * *

وقد روى عن الشعبي خلاف هذا القول ، وإن كان المشهور عنه من القول هو هذا ، وذلك ما : —

٣٢٠٥ — حدثني به المثنى قال، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا أبو عوانة ، عن المغيرة ، عن الشعبي قال : العمرةُ واجبةٌ .

* * *

فقراءة من قال: العمرة واجبة — نصبُها ، بمعنى : أقيموا فرضَ الحجّ والعمرةَ ، كما : —

٣٢٠٦ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، أخبرنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة قال : سمعت أبا إسحق يقول : سمعت مسروقاً يقول : أُمرتم في كتاب الله بأربع : بإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، والعمرة . قال : ثم تلا هذه الآية : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾ [سورة آل عمران : ٩٧] ، «وأتموا الحجَّ والعُمْرةَ لله إلى البيت » .

٣٢٠٧ — حدثني أبو السائب قال، حدثنا ابن إدريس قال : سمعت ليثاً يروى ، عن الحسن ، عن مسروق قال : أمرنا بإقامة أربعةٍ : الصلاةِ والزكاةِ ، والعمرةِ والحجّ ، فنُزِّلت العُمْرة من الحج منزلةَ الزكاة من الصلاة .

٣٢٠٨ — حدثنا ابن بشار قال ،أنبأنا محمد بن بكر قال ، حدثنا ابن جريج قال ، قال على بن حسين وسعيد بن جبير — وسُئلا : أواجبةٌ العمرة على الناس ؟ فكلاهما قال : ما نعلمها إلاّ واجبة ، كما قال الله : « وأتِمّوا الحجَّ والعمرة لله» .

٣٢٠٩ — حدثنا سَوّار بن عبد الله قال ،حدثنا يحيى بن سعيد القطان ، عن عبد الملك بن أبي سليمان قال : سأل رجل سعيد بن جبير عن العمرة : فريضَةٌ هي أم تطوعٌ ؟ قال: فريضةٌ . قال: فإن الشعبي يقول : هي تطوع ! قال: كَذَب

الشعبي ، وقرأ : « وأتموا الحجَّ والعمرةَ لله » .(١)

٣٢١٠ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة، عمن سمع عطاء يقول فى قوله: « وأتمُّوا الحجَّ والعمرةَ لله »، قال : هما وَاجبان ، الحج والعمرة .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل هؤلاء فى قوله تبارك وتعالى : « وأتمُّوا الحجَّ والعمرةَ لله» أنهما فرضَان واجبان أمرَ الله تبارك وتعالى بإقامتهما ،(٢) كما أمر بإقامة الصلاة ، وأنهما فريضتان، وأوجب العمرة وجوبَ الحج . وهم عدد كثير من الصحابة والتّابعين ومن بعدهم من الخالفين ،(٣) كرهنا تطويل الكتاب بذكرهم وذكر الرويات عنهم . وقالوا : معنى قوله : « وأتموا الحج والعمرة لله » ، وأقيموا الحج والعمرة .

* ذكر بعض من قال ذلك :

٣٢١١ ــ حدثنا موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله: « وأتموا الحج والعمرةَ لله »، يقول : أقيموا الحج والعمرة . ١٢٢/١

٣٢١٢ ــ حدثنا أحمد بن حازم قال،حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا إسرائيل ، عن ثُوير، عن أبيه، عن على : « وأقيموا الحج والعمرة للبيت »، ثم هى واجبةٌ مثل الحج .(٤)

---

(١) قوله : «كذب الشعبي» ،أى أخطأ . وهو كثير جداً فى الأخبار والأحاديث وأشعار العرب ، بمعنى الخطأ ، لا بمعنى الكذب الذى هو نقيض الصدق . ويعنى : أخطأ الشعبى فى اجتهاده .

(٢) فى المطبوعة : «فى أنهما» بزيادة «فى» وهو خطأ ، ثم فيها «فرضان واجبان من الله» ، والصواب ما أثبت .

(٣) يقال : خلف قوم بعد قوم ، وسلطان بعد سلطان ، يخلفون خلفاً . فهم خالفون . تقول : أنا خالفه وخالفته : أى جئت بعده .

(٤) الخبر : ٣٢١٢ ــ أحمد بن حازم بن محمد بن يونس بن قيس بن أبى غرزة الغفارى ، شيخ الطبرى : مضت الرواية عنه فى : ٤٤ ، ١٦٤ . ترجمه ابن أبى حاتم ١ / ١ / ٤٨ ، وذكر أنه كتب إليه .

ثوير بن أبى فاختة : ضعيف جداً ، روى البخارى فى الكبير ١ / ٢ / ١٨٣ ، والصغير : ١٢٨ ، عن الثورى ، قال : « كان ثوير من أركان الكذب » ، وهو بضم الثاء المثلثة مصغراً .

٣٢١٣ ــ حدثنا أحمد بن حازم قال، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا إسرائيل قال، حدثنا ثوير ، عن أبيه ، عن عبد الله : « وأقيمُوا الحجَّ والعمرةَ إلى البيت » ، ثم قال عبد الله : والله لولا التحرُّجُ ، وأنّى لم أسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها شيئاً لقلت : إنّ العمرة واجبة مثل الحج . (١)

* * *

قال أبو جعفر : وكأنهم عنَوا بقولهم : « أقيمُوا الحج والعمرة » : ائتوا بهما ، بحدودهما وأحكامِهما ، على ما فُرِض عليكم

* * *

وقال آخرون ممن قرأ قراءة هؤلاء بنصب « العُمْرة » : العمرة تطوعٌ = ورأوا أنه لا دلالة على وجوبها فى نَصْبهم « العمرة » فى القراءة ، إذ كان من الأعمال ما قد يلزم العبدَ عمله وإتمامُه بدخوله فيه ، ولم يكن ابتداءُ الدخول فيه فرضاً عليه . وذلك كالحج التطوُّع ، لا خلاف بين الجميع فيه أنه إذا أحرم به أنّ عليه المضىُّ فيه وإتمامه ، ولم يكن فرضاً عليه ابتداء الدخولُ فيه . قالوا : فكذلك العمرة غيرُ فرضٍ واجب الدخولُ فيها ابتداءً ، غير أن على من دخل فيها وأوجبَها على نفسه إتمامَها بعد الدخول فيها . قالوا : فليس فى أمر الله بإتمام الحج والعمرة ، دلالةٌ على وجوب فرضها . قالوا : وإنما أوجبنا فرضَ الحجّ بقوله عز وجل : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ [سورة آل عمران : ٩٧] .

وممن قال ذلك جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين .

* ذكر بعض من قال ذلك :

أبوه ، أبو فاختة : اسمه سعيد بن علاقة ، وهو مولى أم هانئ بنت أبى طالب . وهو تابعى ثقة ، يروى عن على ، وعن ابن مسعود ، وغيرهما .

(١) الخبر : ٣٢١٣ ــ هو فى معنى الذى قبله ، بالإسناد نفسه . وزاد فى هذا نسبة القراءة لابن مسعود . وهى من القراءات الشاذة المخالفة لرسم المصحف .

ورواه البيهقى فى السنن الكبرى ٤ : ٣٥١ ، من طريق عبد الله بن رجاء ، عن إسرائيل ، به . والإسناد فى الخبرين ضعيف ، كما بينا آنفاً .

٣٢١٤ ــ حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا، حدثنا ابن إدريس قال، سمعت سعيد بن أبي عروبة، عن أبي معشر، عن إبراهيم قال : قال عبد الله: الحجُّ فريضة، والعمرةُ تطوُّع .

٣٢١٥ ــ حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية، عن ابن أبي عروبة، عن أبي معشر، عن النخعي، عن ابن مسعود مثله .

٣٢١٦ ــ وحدثنا ابن بشار قال، حدثنا ابن عثمة قال، حدثنا سعيد بن بشير، عن قتادة، عن سعيد بن جبير قال : العمرة ليست بواجبة .

٣٢١٧ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن مغيرة، عن سماك قال : سألت إبراهيم عن العمرة فقال : سنة حسنة .

٣٢١٨ ــ حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم، عن مغيرة، عن إبراهيم مثله .

٣٢١٩ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا حجاج قال، حدثنا أبو عوانة، عن المغيرة، عن إبراهيم مثله .

٣٢٢٠ ــ حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان، عن المغيرة، عن إبراهيم مثله .

٣٢٢١ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا الحجاج قال، حدثنا حماد، قال، حدثنا عبد الله بن عون، عن الشعبي قال : العمرة تطوع .

* * *

قال أبو جعفر : فأما الذين قرأوا ذلك برفع « العمرة »، فإنهم قالوا : لا وجهَ لنَصْبها . فالعمرة إنما هي زيارة البيت، ولا يكون مستحقًّا اسم معتمرٍ إلا وهو له زائر. قالوا : وإذا كان لا يستحق اسم معتمر إلا بزيارته = وهو متَى بلغه فطاف به وبالصفا والمروة، فلا عمل يَبقَى بعده يؤمَر بإتمامه بعد ذلك، كما يؤمر بإتمامه الحاجُّ بعد بلوغِه والطوافِ به وبالصفا والمروة، بإتيان عَرَفة والمزدلفة والوقوفِ بالمواضع التي أمر بالوقوف بها، وعملِ سائرِ أعمال الحج الذي هو من تمامه بعد إتيان البيت

=[١] لم يكن لقول القائل للمعتمر : « أتمَّ عمرتك » وجهٌ مفهوم . وإذا لم يكن له وجهٌ مفهوم ، فالصواب من القراءة فى « العمرة » الرفعُ ، على أنه من أعمال البرّ لله ، فتكون مرفوعة بخبرها الذى بعدها ، وهو قوله : « لله » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك عندنا ، قراءة من قرأ بنصب « العمرة » ، على العطف بها على « الحجّ » ، بمعنى الأمر بإتمامهما له . ولا معنى لاعتلال من اعتلّ فى رفعها بأن «العمرة» زيارة البيت . فإن المعتمر متى بلغه ، فلا عمل بقى عليه يؤمر بإتمامه . وذلك أنه إذا بلغ البيت فقد انقضت زيارته ، وبقى عليه تمامُ العمل الذى أمره الله به فى اعتماره وزيارته البيت ، وذلك هو الطواف بالبيت ، والسعى بين الصفا والمروة ، وتجنبُ ما أمر الله بتجنبه إلى إتمامه ذلك . وذلك عملٌ — وإن كان مما لزمه بإيجاب الزيارة على نفسه — غيرُ الزيارة . هذا ، مع إجماع الحجة على قراءة « العمرة » بالنصب ، ومخالفة جميع قرأة الأمصار قراءةَ من قرأ ذلك رفعاً . فى ذلك مستغنى عن الاستشهاد على خطأ من قرأ ذلك رفعاً .[٢]

* * *

وأما أولى القولين اللذين ذكرنا بالصواب فى تأويل قوله : « والعمرةَ لله » ، على قراءة من قرأ ذلك نصباً ، فقولُ عبد الله بن مسعود ومن قال بقوله ، من أنّ معنى ذلك : وأتمّوا الحج والعمرة لله إلى البيت ، بعد إيجابكم إياهما = لا أنّ ذلك أمرٌ من الله عز وجل — بابتداء عملهما والدخول فيهما ، وأداء عملهما بتمامه — بهذه الآية .[٣] وذلك أن الآية محتملة للمعنيين اللذين وَصفْنا : من أن يكون أمرًا من الله عز وجل بإقامتهما ابتداءً وإيجاباً منه على العبادِ فرضَهما ، وأن يكون أمراً منه بإتمامهما بعد

---

(١) سياق العبارة : « وإذا كان لا يستحق اسم معتمر إلا بزيارته ... لم يكن لقول القائل ... » ، وما بينهما فصل طويل .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ١١٧ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة : ٦٨ ، ٦٩ .

(٣) سياق العبارة : « لا أن ذلك أمر من الله عز وجل . . . بهذه الآية » .

١٢٢/٣ الدخول فيهما ، وبعد إيجابِ موجبِهما على نفسه . فإذ كانت الآية محتملة للمعنيين اللذين وصفنا ، فلا حجة فيها لأحد الفريقين على الآخر ، إلاّ وللآخر عليه فيها مثلها . وإذ كان كذلك — ولم يكن بإيجاب فرضِ العمرة خبرٌ عن الحجة للعذرِ قاطعاً ، وكانت الأمة فى وجوبها متنازعة — لم يكن لقول قائلٍ : «هى فرضٌ» ، بغير برهان دالٍّ على صحة قوله ، معنى .[1] إذ كانت الفرُوض لا تلزم العبادَ إلا بدلالةٍ على لزومها إياهم واضحةٍ .

* * *

فإن ظن ظانٌّ أنها واجبة وجوبَ الحج ، وأنّ تأويلَ من تأوّلَ قوله : « وأتمّوا الحج والعمرةَ لله » ، بمعنى : أقيموا حدُودَهما وفروضهما ، أوْلى من تأويلنا ،[2] بما : —

٣٢٢٢ — حدثنى به حاتم بن بكير الضبى قال : حدثنا أشهل بن حاتم الأرطبانى قال ، حدثنا ابن عون ، عن محمد بن جحادة ، عن رجل ، عن زميل له ، عن أبيه — وكان أبوه يكنى أبا المُنْتَفِق — قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم بعرفة ، فدنوتُ منه حتّى اختلفتْ عُنق راحلتى وعُنُق راحلته ، فقلت : يا رسول الله ، أنبئنى بعمل يُنجينى من عذاب الله ويُدخلُنى جنتَه . قال : اعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وأقم الصلاة المكتوبة ، وأدّ الزكاة المفروضة ، وحُجّ واعتَمِر = قال أشهل : وأظنه قال : وصُمْ رمضان = وانظر ماذا تحبُّ من الناس أن يأتوه إليك فافعله بهم ، وما تكرهُ من الناس أن يأتوه إليك فذَرْهم منه .[3]

---

(١) السياق : « لم يكن لقول قائل . . . معنى » .

(٢) سياق المعنى ... « وأن تأويل من تأول .... أولى من تأويلنا » .

(٣) الحديث : ٣٢٢٢ — هذا إسناد ضعيف ، لإبهام بعض رواته الذين لم يسموا .

حاتم بن بكير الضبى ، شيخ الطبرى : هو أيضاً من شيوخ ابن ماجة وابن خزيمة . مترجم فى التهذيب والخلاصة ، دون بيان حاله ، وفى التقريب : « مقبول » . وثبت اسم أبيه « بكير » بالتصغير — هنا وفى الخلاصة . وثبت بالتكبير : « بكر » — فى التهذيب والخلاصة . ولم أجده فى مصدر آخر حتى أستطيع الترجيح بينهما .

أشهل — بالشين المعجمة — بن حاتم ، أبو حاتم البصرى الجمحى : مختلف فيه ، فضعفه ابن معين . وقال أبو زرعة : « محله الصدق ، وليس بالقوى ، رأيته يسند عن ابن عون حديثاً ، الناس يوقفونه » .

وما : —

٣٢٢٣ — حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ومحمد بن أبي عدى ، عن شعبة ، عن النعمان بن سالم ، عن عمرو بن أوس، عن أبي رزين العقيلي ، رجل من بني عامر ، قال : قلت : يا رسول الله ، إنّ أبي شيخٌ كبير لا يستطيع الحجّ ولا العمرة ولا الظَّعْن ، وقد أدركه

وترجمه البخارى فى الكبير ١ / ٢ / ٦٩ فلم يذكر فيه جرحاً . ثم هو قد روى له فى الصحيح حديثاً متصلا وآخر معلقاً . انظر مقدمة الفتح ، ص : ٣٨٩ .

وأما نسبته هنا « الأرطبانى » — فلا أدرى ما هى؟ ولا أعرف لها توجيهاً . إلا أن يكون من أكثر الرواية عن شيخه « ابن عون » — وهو « عبد الله بن عون بن أرطبان » بالنون فى آخره — فنسب إلى « أرطبان » لذلك ، ثم حرفت « الأرطبانى » إلى «الأرطبانى» . وما وجدت ما يدل على ذلك ، ولا ما يشير إلى أنه يكثر الرواية عن ابن عون — وإنما هو ظن ظننته.

محمد بن جحادة : مضت ترجمته : ٣٤ .

أبو المنتفق — ويقال ابن المنتفق — : ترجمه ابن الأثير فى أسد الغابة ٥ : ٣٠٦ — وروى هذا الحديث ، بإسناده إلى معاذ بن معاذ ، عن ابن عون ، بهذا الإسناد . ووقع فيه « ابن عوف » ، وهو خطأ مطبعى ظاهر .

وترجمه الحافظ فى الإصابة ٧ : ١٨١ ، وذكر له هذا الحديث من رواية الطبرانى ، ولكن فيه « محمد بن جحادة » ، عن زميل له — بحذف « عن رجل » من بينهما .

وترجمه ابن أبي حاتم ٣٢٧/٢/٤ ، باسم « ابن المنتفق » ، هكذا : « أنه وصف صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، فيما روى محمد بن جحادة ، عن المغيرة بن عبد الله اليشكرى ، عن أبيه ، عنه » .

والحديث ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ١ : ٤٣ — ٤٤ ، من غير هذا الوجه ، قال : « وعن حجير ، عن أبيه ، وكان يكنى أبا المنتفق » ، فذكر نحوه ، وفيه — كما هنا — « وحج واعتمر » . وذكره قبل ذلك ١ : ٤٣ ، من وجهين آخرين ، ليس فيهما هذا اللفظ .

وقال الحافظ فى الإصابة — بعد أن أشار إلى رواية الطبرانى من طريق ابن عون : « قال الطبرانى : اضطرب ابن عون فى إسناده ، ولم يضبطه عن محمد بن جحادة ، وضبطه همام . ثم أخرجه من طريق همام، عن محمد بن جحادة، عن المغيرة بن عبد الله اليشكرى ، عن أبيه ، قال : قدمت الكوفة ، فدخلت المسجد فإذا رجل من قيس ، يقال له ابن المنتفق ، فسمعته يقول » . . . وهذه الرواية هى التى ذكرها صاحب الزوائد أولا .

وطرق الحديث من أوجه ، منها رواية همام ، التى ذكرها الحافظ — : فى المسند : ١٥٩٤٨—١٥٩٥٠ (٣ : ٤٧٢ — ٤٧٣ حلبى) ، و : ١٦٧٧٤ (٤ : ٧٦ — ٧٧ حلبى) ، و (٥ : ٣٧٢ — ٣٧٣ ، و ٦ : ٣٨٣ — ٣٨٤ حلبى) . ولم أجد فى روايات المسند هذه ، ذكراً للعمرة .

الإسلام ، أفأحج عنه ؟ قال : حُج عن أبيك واعتمر .(١)

= وما : —

٣٢٢٤ — حدثني به يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن أيوب ، عن أبي قلابة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال : اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة ، وحُجُّوا واعتمروا، واستقيموا يستقم لكم .(٢)

* * *

=وما أشبه ذلك من الأخبار، فإن هذه أخبار لا يثبت بمثلها في الدين حجة لِوَهْي أسانيدها ، وأنها — مع وهْيِ أسانيدها — لها في الأخبار أشكالٌ تنبئ عن أنّ العمرة تطوعٌ لا فرض واجب ، وهو ما : —

---

(١) الحديث : ٣٢٢٣ — يعقوب بن إبراهيم : هو الدورقي الحافظ ، مضى في : ٢٣٧ ، ٣٣٥ . وهو يروي عن عبد الرحمن بن مهدي . ووقع في المطبوعة هنا بينهما زيادة « قال حدثنا ابن إبراهيم » ، وهي زيادة خطأ من ناسخ أو طابع ، لا معنى لها ، فحذفناها .

النعمان بن سالم الطائفي: ثقة ، وثقه ابن معين وغيره ، وأخرج له مسلم في الصحيح .

عمرو بن أوس بن أبي أوس الثقفي الطائفي : تابعي ثقة . أخرج له أصحاب الكتب الستة .

أبو رزين العقيلي : هو لقيط بن عامر بن المنتفق بن عامر ، وهو صحابي معروف ، وغلط من جعله و « لقيط بن صبرة بن عبد الله بن المنتفق » — واحداً . بل هما صحابيان، وقد فصل بينهما ابن سعد ٥ : ٣٧٩ ، ٣٤٠ .

وهذا الحديث صحيح ، خلافاً لما قاله الطبري فيما سيأتي بعد أسطر ، إذ ضعف هذه الأحاديث كلها ، وفيها هذا الحديث .

وقد رواه الطيالسي : ١٠٩١ ، عن شعبة . ورواه أحمد في المسند : ١٦٢٥٣ ، عن وكيع . و ١٦٢٥٩ ، عن عفان ، و ١٦٢٦٨ ، عن بهز وعفان ، و ١٦٢٧٢ ، عن يزيد بن هرون — كلهم عن شعبة ، بهذا الإسناد (ج ٤ ص ١٠ ، ١١ ، ١٢ حلبي) .

ورواه أبو داود : ١٨١٠ ، عن حفص بن عمر ومسلم بن إبراهيم —كلاهما عن شعبة . وقال المنذري : ١٧٣٦ ، « وأخرجه الترمذي ، والنسائي ، وابن ماجة . وقال الترمذي : حسن صحيح . وقال الإمام أحمد : لا أعلم في إيجاب العمرة حديثاً أجود من هذا ، ولا أصح منه » .

ورواه البيهقي ٤ : ٣٥٠ ، من طريق أبي داود . ثم روى كلمة أحمد بن حنبل في تصحيحه .

(٢) الحديث : ٣٢٢٤ — أبو قلابة — بكسر القاف وتخفيف اللام : هو عبد الله بن زيد الجرمي ، أحد الأعلام ، من التابعين .

فهذا الحديث مرسل ، لا تقوم به حجة . ولم أجده إلا هنا .

٣٢٢٥ – حدثنا به محمد بن حميد ومحمد بن عيسى الدامغانى قالا ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، عن الحجاج بن أرطأة ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر ابن عبد الله ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه سئل عن العمرة : أواجبة هى ؟ فقال : لا ، وأن تعتمروا خيرٌ لكم .(١)

٣٢٢٦ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير = وحدثنى يحيى بن طلحة اليربوعى قال ، حدثنا شريك =، عن معاوية بن إسحق، عن أبى صالح الحنفى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحجُّ جهادٌ ، والعمرة تطوع .(٢)

* * *

---

(١) الحديث : ٣٢٢٥ – محمد بن عيسى الدامغانى ، شيخ الطبرى : روى عنه أبو حاتم ، وقال : « يكتب حديثه » . وروى عنه أيضاً النسائى ، وابن خزيمة ، وغيرهم .

والحديث رواه أحمد : ١٤٤٤٩ (٣ : ٣١٦ حلبى) ، عن أبى معاوية، عن الحجاج بن أرطاة ، بهذا الإسناد ، نحوه .

ورواه أيضاً الترمذى ٢ : ١١٣ ، من طريق عمر بن على ، والبيهقى ٤ : ٣٤٩ ، من طريق عبد الواحد بن زياد – كلاهما عن الحجاج ، به ، نحوه .

وقال الترمذى : « هذا حديث حسن صحيح » . ورجح البيهقى أن المحفوظ روايته موقوفاً ، من كلام جابر ، وقد أطال الحافظ ابن حجر ، فى التلخيص ، ص : ٢٠٤ ، فى إعلال المرفوع وترجيح الموقوف .

(٢) الحديث : ٣٢٢٦ – شريك : هو ابن عبد الله النخعى، مضت ترجمته : ٢٥٢٧ .

معاوية بن إسحق بن طلحة بن عبيد الله التيمى : تابعى ثقة .

أبو صالح الحنفى : هو عبد الرحمن بن قيس الكوفى ، وهو تابعى ثقة . وأخطأ بعضهم فسماه « ماهان » ، والصواب أن كنية « ماهان » : « أبو سالم الحنفى » . انظر الترجمتين فى التهذيب . وعلى الرغم من أن الحافظ ابن حجر حقق ذلك فى الموضعين من التهذيب – فإنه سها فى التلخيص، ص : ٢٠٤، فقال : « وأبو صالح : ليس هو ذكوان السمان ، بل هو أبو صالح ماهان الحنفى » !

وهذا الحديث مرسل . ورواه الشافعى فى الأم ٢ : ١١٣ ، قال : « فاختلف الناس فى العمرة ، فقال بعض المشرقيين : العمرة تطوع . وقال سعيد بن سالم ، (هو القداح ، شيخ الشافعى) . واحتج بأن سفيان الثورى أخبره عن معاوية بن إسحق ، عن أبى صالح الحنفى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الحج جهاد ، والعمرة تطوع . فقلت له : أتثبت مثل هذا عن النبى صلى الله عليه وسلم؟ فقال : هو منقطع » . ثم ذهب الشافعى يقيم عليه الحجة – إلى أن قال : « والذى هو أشبه بظاهر القرآن ، وأولى بأهل العلم عندى – وأسأل الله التوفيق – أن تكون العمرة واجبة » . إلى آخر ما قال .

وقد روى البيهقى ٤ : ٣٤٨ هذا الحديث المرسل ، من طريق الشافعى . ثم نقل عنه بعض ما نقلنا .

قال أبو جعفر : وقد زعم بعض أهل الغباء أنه قد صحَّ عنده أن العمرة واجبةٌ ، بأنه لم يجد تطوعاً ، إلا وله إمامٌ من المكتوبة . فلما صح أنّ العمرة تطوُّع ، وجب أن يكون لها فَرْضٌ ، لأن الفرض إمام التطوع فى جميع الأعمال .

فيقال لقائل ذلك : فقد جُعِل الاعتكاف تطوُّعاً ، فما الفرض منه الذى هو إمامُ مُتطوَّعه ؟

ثم يسئل عن الاعتكاف : أواجب هو أم غير واجب ؟

فإن قال : « واجبٌ » ، خرج من قول جميع الأمة .

وإن قال : تطوع .

قيل : فما الذى أوجب أن يكون الاعتكاف تطوعاً والعمرةُ فرضاً ، من الوجه الذى يجب التسليم له ؟

فلن يقول فى أحدهما شيئاً إلا ألزم فى الآخر مثله .

* * *

= وبما استشهدنا من الأدلة ، فإن أولى القراءتين بالصواب فى « العمرة » قراءةُ من قرأها نصباً — وأنّ أولى التأويلين فى قوله : « وأتموا الحج والعمرة لله » ، تأويلُ ابن عباس الذى ذكرنا عنه من رواية على بن أبى طلحة عنه : من أنه أمرٌ من الله بإتمام أعمالهما بعد الدُّخول فيهما ، وإيجابهما ، على ما أمر به من حدودهما وسننِهما — وأنّ أولى القولين فى « العمرة » بالصواب ، قول من قال : «هى تطوّع لا فرض» — وأن معنى الآية : وأتموا أيها المؤمنون الحجّ والعمرة لله بعد دخولكم فيهما وإيجابكموهما على أنفسكم ، على ما أمركم الله من حدودهما .

* * *

وإنما أنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية على نبيه عليه السلام فى عمرة الحديبية التى صُدَّ فيها عن البيت ، معرِّفَهُ والمؤمنين فيها ما عليهم فى إحرامهم إن خُلِّى بينهم وبين البيت ، ومبيِّناً لهم فيها ما المُخْرِج لهم من إحرامهم إن أحرموا فصُدوا عن البيت .

ولذكر اللازم لهم من الأعمال فى عمرتهم التى اعتمروها عام الحديبية ،[1] وما يلزمهم فيها بعد ذلك فى عمرتهم وحجهم، افتتح بقوله: «يَسألونَك عن الأهِلّة قُل هىَ مَواقيتُ للناسِ والحج».

وقد دللنا فيما مضى على معنى «الحج» «والعمرة»، بشواهد ، فكرهنا تطويل الكتاب بإعادته .[2]

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى «الإحصار» الذى جعل الله على من ابتُلى به فى حجّه وعُمرته ، ما استيسرَ من الهدى . ١٢٤/٢

• • •

فقال بعضهم: هو كل مانع أو حابسٍ مَنع المحرم وَحبَسه عن العمل الذى فرضه الله عليه فى إحرامه ووُصوله إلى البيت الحرام .

• ذكر من قال ذلك :

٣٢٢٧ ــ حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد أنه كان يقول: «الحصر» الحبسُ كله . يقول : أيُّما رجل اعتُرِض له فى حَجّته أو عمرته، فإنه يبعث بهَدْيه من حيث يُحْبَس ــ قال: وقال مجاهد فى قوله: «فإن أحْصِرْتم»، فإن أحْصِرتم: يَمرض إنسانٌ، أو يُكْسر، أو يحبسه أمرٌ، فغلبه كائناً ما كان ، فليرسل بما استيسَر من الهَدْى ، ولا يحلِق رأسَه ، ولا يحل ، حتى يوم النحر .

---

(١) فى المطبوعة : «وبذكر اللازم . . .» ، وكأن الصواب ما أثبت حتى يستقيم الكلام .

(٢) انظر ما سلف ٣ : ٢٢٨ ــ ٢٢٩

٣٢٢٨ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٣٢٢٩ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو نعيم قال، حدثنا سفيان، عن ابن جريج ، عن عطاء قال : الإحصار كل شيء يحبسه .

٣٢٣٠ – وحدثنا محمد بن بشار قال،حدثنا محمد بن جعفر ، عن سعيد ، عن قتادة: أنه قال في المحصَر : هو الخوفُ والمرض والحابسُ . إذا أصابه ذلك بعَث بهَدْيه ، فإذا بلغ الهدى مَحِله حلّ .

٣٢٣١ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة قوله : « فإن أحصرتم فما استيسر من الهدْى» ، قال : هذا رجل أصابه خوف أو مرض أو حابس حبَسه عن البيت ، يبعث بهَديه ، فإذا بلغ مَحِله صار حلالاً .

٣٢٣٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا أبو معاوية ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : كل شيء حَبَس المحرم فهو إحصارٌ .

٣٢٣٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن إبراهيم = قال أبو جعفر : أحسبه عن شريك ، عن إبراهيم بن المهاجر ، عن إبراهيم = : « فإن أحصِرْتم »، قال : مرض أو كسر أو خَوفٌ .

٣٢٣٤ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « فإن أحصرُتم فما استيسر من الهدى»، يقول : من أحرم بحج أو بعمرة ، ثم حُبس عن البيت بمرض يُجْهده أو عذر يحبسه ، فعليه قَضاؤها .

* * *

قال أبو جعفر : وعلة من قال بهذه المقالة : أن « الإحصار » معناه في كلام العَرب: مَنْع العلة من المرض وأشباهه ، غيرِ القهرِ والغلبة من قاهر أو غالبٍ، إلا غلبة علة من مرض أو لدغ أو جراحة أو ذهاب نفقة أو كسر راحلة . فأما

منعُ العدوّ، وحبس حابس فى سجن ، وغلبة غالبٍ حائل بين المحرِم والوصول إلى البيت من سُلطان أو إنسان قاهرٍ مانع ، فإن ذلك إنما تسميه العرب « حصراً » لا « إحصارًا » .

قالوا : ومما يدل على ذلك قول الله جل ثناؤه : ﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً ﴾ [سورة الإسراء : ٨] ، يعنى به : حاصراً ، أى حابساً .

قالوا : ولو كان حبس القاهر الغالب من غير العلل التى وصفنا ، يسمى « إحصارًا » ، لوجب أن يقال : « قد أُحْصِرَ العدوُّ » .

قالوا : وفى اجتماع لغات العرب على «حُوصر العدو ، والعدوّ محاصر» دون «أحصر العدو وهم مُحْصَرون» ، و «أحْصِر الرجل» بالعلة من المرض والخوف — أكبر الدلالة على أنّ الله جل ثناؤه إنما عنى بقوله : «فإنْ أحْصِرْتم» ، بمرض أو خوف أو علة مانعة .

قالوا : وإنما جعلنا حبسَ العدو ومَنعه المحرمَ من الوصول إلى البيت بمعنى « حَصْرَ المرض » ، قياساً على ما جعل الله جل ثناؤه من ذلك للمريض الذى مَنَعه المرض من الوصول إلى البيت ، لا بدلالة ظاهرِ قوله : « فإن أحصرتم فما استَيْسرَ من الهدى » ، إذ كان حبس العدوّ والسلطان والقاهر ، علّة مانعةً ، نظيرةَ العلة المانعة من المرض والكسر .

* * *

وقال آخرون معنى قوله : « فإن أحصرتم فما استَيْسر من الهَدى » ، فإن حبسكم عدوٌّ عن الوصول إلى البيت ، أو حابسٌ قاهر من بنى آدم . قالوا : فأما العِلل العارضة فى الأبدان كالمرض والجراح وما أشبهها ، فإن ذلك غير داخل فى قوله : « فإن أحْصِرْتم » .

* ذكر من قال ذلك

٣٢٣٥ — حدثنا محمد بن عمرو قال : حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد وعطاء ، عن ابن عباس أنه قال : « الحصْرُ »

حصرُ العدو ، فيبعثُ الرجل بهديَتِه. فإن كان لا يستطيع أن يَصِل إلى البيت من العدو ، فإن وجدَ من يبلغها عنه إلى مكة، فإنه يبعث بها ويُحْرِم = قال محمد ابن عمرو ، قال أبو عاصم: لا ندرى قال : يُحرِم، أو : يَحِل= من يومٍ يواعد فيه صاحبَ الهدْى إذا اشترى . فإذا أمن، فعليه أن يحجَّ أو يعتمر . فإذا أصابه مَرَض يحبسه وليس معه هدْى ، فإنه يَحِل حيث يُحبَس . فإن كان معه هدْى، فلا يحل حتى يَبلغ الهدى مَحله . فإذا بعث به ، فليس عليه أن يحج قابلاً ولا يعتمر ، إلاَّ أن يشاء .

٣٢٣٦ ــ حدثت عن أبي عبيد القاسم بن سلام قال ، حدثني يحيى بن سعيد ، عن ابن جريج ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : لا حصر إلا من حَبْس عدوّ .

٣٢٣٧ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد وعطاء ، عن ابن عباس ، مثل حديث محمد بن عمرو عن أبي عاصم = إلا أنه قال : فإنه يبعث بها ويحرم من يوم واعَد فيه صاحبَ الهدية إذا اشترى . ثم ذكر سائر الحديث مثل حديث محمد بن عمرو، عن أبي عاصم . ١٢٥/٢

* * *

وقال مالك بن أنس : بلغني أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حَلَّ وأصحابه بالحديبية، فنحروا الهدى وحلقوا رؤوسهم ، وحَلّوا من كل شيء قبل أن يطوفوا بالبيت ، وقبل أن يَصِل إليه الهدى . ثم لم نَعْلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرَ أحداً من أصحابه ، ولا ممن كان معه ، أن يقضوا شيئاً ، ولا أن يعودوا لشيء .(١)

---

(١) نص كلام مالك في الموطأ : ٣٦٠ ، وسيأتي برقم ٣٢٨٧

٣٢٣٨ – حدثني بذلك يونس قال أخبرنا ابن وهب عنه = قال : وسئل مالك عمن أحصر بعدوّ وحيل بينه وبين البيت، فقال : يَحلّ من كل شيء ، ويَنْحر هَدْيه ، ويحلق رأسه حيث يحبس ، وليس عليه قضاء ،(١) إلا أن يكون لم يحج قط ، فعليه أن يحج حجة الإسلام .

قال : والأمر عندنا فيمن أحصِر بغير عدو ، بمرض أو ما أشبهه أنْ يتداوَى بما لا بد منه ، ويَفتدى ،(٢) ثم يجعلها عُمرة ، ويحج عاماً قابلاً ويُهدِى .

* * *

قال أبو جعفر : وعلة من قال هذه المقالة – أعنى : من قال قولَ مالك – أنّ هذه الآية نزلت فى حصْرِ المشركين رَسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن البيت ، فأمر الله نبيّه ومن معه بنحْر هَداياهم والإحلال .

قالوا: فإنما أنزل الله هذه الآية فى حَصْر العدو ، فلا يجوز أن يصرف حكمها إلى غير المعنى الذى نزلتْ فيه .

قالوا : وأما المريض، فإنه إذا لم يُطِق لمرضه السَّير حتى فاتته عرفة، فإنما هو رجلٌ فاته الحج، عليه الخروج من إحرامه بما يخرُج به من فَاته الحج – وليس من معنى « المحصر » الذى نَزلت هذه الآية فى شأنه .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بالصواب فى قوله : : « فإن أحْصرتم » ، تأويل من تأوله بمعنى : فإن أحْصَركم خوفُ عَدوٍّ أو مرضٌ أو علةٌ عن الوصول إلى البيت أى : صيَّركم خوفكم أو مرضكم تَحصُرون أنفسكم فتحبسونها عن النفوذ لما أوجبتُموه على أنفسكم من عمل الحج والعمرة . فلذا قيل : «أحصرتم» ، لمَّا أسقط ذِكر الخوف والمرض . يقال منه : « أحصرنى خوفى من فلان عن لقائك ،

(١) إلى هنا نص ما فى الموطأ: ٣٦٠ ، وما بعده زيادة ليست هناك . وسيأتى فى آخر رقم : ٣٢٨٨

(٢) فى المطبوعة : « أن يبدأ بما لابد منه » ، والصواب ما أثبته ، عن الموطأ : ٣٦٢ ، فراجعه هناك . وانظر أيضاً ما سيأتى رقم : ٣٢٨٩ .

وَمرَضى عن فلان » ، يراد به : جعلنى أحبس نفسى عن ذلك ، فأما إذا كان الحابس الرجلُ والإنسانُ ، قيل : « حصرَنى فلان عن لقائك » ، بمعنى : حبسنى عنه.

فلو كان معنى الآية ما ظنه المتأوِّل من قوله : « فإن أحصِرْتم » ، فإن حبسكم حابس من العدوّ عن الوصول إلى البيت — لوجب أن يكون : فإن حُصِرْتم .

ومما يُبيِّن صحةَ ما قلناه ، من أن تأويل الآية مرادٌ بها إحصارُ غير العدوّ ، وأنه إنما يراد بها الخوف من العدو ، قولُه : « فإذا أمنتم فمن تمتع بالعُمْرة إلى الحج » . و« الأمنُ » إنما يكون بزوال الخوف . وإذ كان ذلك كذلك ، فمعلوم أن الإحصار الذى عنى الله فى هذه الآية ، هو الخوف الذى يكون بزوالِه الأمنُ وإذ كان ذلك كذلك ، لم يكن حَبسُ الحابس الذى ليس مع حَبْسه خوف على النفس من حبسه ، داخلاً فى حكم الآية بظاهرها المتلوّ ، وإن كان قد يُلحق حكمه عندنا بحكمه من وجه القياس . من أجل أن حَبْس من لا خوف على النفس من حبسه ، كالسلطان غير المخوفة عقوبته ، والوالدِ ، وزوج المرأة ،[1] إن كان منهم أو من بعضِهم حبس ومنعٌ عن الشخوص لعمل الحج أو الوصول إلى البيت بعد إيجابِ الممنوع الإحرامَ ،[2] غيرُ داخل فى ظاهر قوله : « فإن أحصرتم » ، لما وصفنا من أن معناه : فإن أحصركم خوفُ عدوّ — بدلالة قوله : « فإذا أمنتم فمن تمتَّع بالعمرة إلى الحج » . وقد بيَّن الخبر الذى ذكرنا آنفاً عن ابن عباس أنه قال : الحصْرُ حَصْر العدوّ .

وإذ كان ذلك أولى التأويلين بالآية لما وصفنا ، وكان ذلك منعاً من الوصول إلى البيت ، فكل مانع عَرض للمحرم فصدَّه عن الوصول إلى البيت ، فهو له نظير فى الحكم.

* * *

قال أبو جعفر : ثم اختلف أهل العلم فى تأويل قوله : « فما استَيسرَ من الهدى » .

---

(١) فى المطبوعة : « وإن كان . . . » والصواب حذف الواو .

(٢) قوله : « غير داخل » خبر قوله : « من أجل أن حبس من لا خوف على النفس من حبسه » .

فقال بعضهم : هو شاةٌ .

* ذكر من قال ذلك :

٣٢٣٩ ــ حدثنا عبد الحميد بن بيان القناد قال، أخبرنا إسحق الأزرق، عن يونس بن أبي إسحق السبيعي، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : « ما استيسر من الهدى» ، شاةٌ .

٣٢٤٠ ــ حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن=وحدثنا عبد الحميد قال ، أخبرنا إسحق= قال ، حدثنا سفيان ، عن حبيب، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : « ما استيسر من الهدى » ، شاةٌ

٣٢٤١ ــ حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة، عن يزيد بن أبي زياد ، عن مجاهد ، عن ابن عباس مثله .

٣٢٤٢ ــ حدثني ابن المثنى قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحق، عن النعمان بن مالك قال : تمتَّعت فسألت ابن عباس فقال : « ما استيسر من الهدى » . قال قلت : شاة ؟ قال : شاة .

٣٢٤٣ ــ حدثنا عبد الحميد بن بيان قال، حدثنا إسحق ، عن شريك ، عن أبي إسحق، عن النعمان بن مالك قال: سألت ابن عباس عن «ما استَيسر من الهدى » ، قال : من الأزواج الثمانية : من الإبل والبقر والمعز والضأن . ٣٢٦/٢

٣٢٤٤ ــ حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم قالا، حدثنا هشيم قال ، الزهري أخبرنا ــ وسئل عن قول الله جل ثناؤه : « فما استيسر من الهدى » ــ قال : كان ابن عباس يقول : من الغنم .

٣٢٤٥ ــ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا يونس ابن أبي إسحق، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : « ما استيسر من الهدى »، من الأزواج الثمانية .

٣٢٤٦ ــ حدثنا ابن عبد الأعلى قال، حدثنا خالد ، قال : قيل للأشعث : ما قول الحسن : « فما استيسر من الهدى » ؟ قال : شاة .

٣٢٤٧ ــ حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة، عن قتادة : « فما استيسر من الهدى »، قال : أعلاه بدنة، وأوسطه بقرة، وأخسُّه شاة .

٣٢٤٨ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة مثله = إلا أنه كان يقال: أعلاه بدنة، وذكر سائر الحديث مثله .

٣٢٤٩ ــ حدثنا ابن بشار قال، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال ، حدثنا همام ، عن قتادة ، عن زرارة ، عن ابن عباس قال : « فما استيسر من الهدى »، شاة .

٣٢٥٠ ــ حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا أيوب ، عن أبي جمرة ، عن ابن عباس مثله .

٣٢٥١ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن يمان ، عن ابن جريج، عن عطاء : « فما استيسر من الهدى » ، شاة .

٣٢٥٢ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن يمان قال ، حدثنا محمد بن نفيع ، عن عطاء مثله .

٣٢٥٣ ــ حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : المحصر يبعثُ بهدي ، شاةً فما فوقها .

٣٢٥٤ ــ حدثني عبيد بن إسمعيل الهبّارى قال ، حدثنا ابن نمير، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة قال : إذا أهلّ الرجل بالحج فأحصر ، بعث بما استيسر من الهدى ، شاة . قال : فذكرت ذلك لسعيد بن جبير فقال : كذلك قال ابن عباس .

٣٢٥٥ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية

ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة، عن ابن عباس: « ما استيسر من الهدى»، شاةٌ فما فوقها .

٣٢٥٦ – حدثنا ابن بشار قال،حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة = وحدثنا المثنى قال، حدثنا آدم العسقلانى،عن شعبة = قال، حدثنا أبو جمرة، عن ابن عباس قال : « ما استيسر من الهدى » ، جَزورأو بقرة أو شاة ، أو شِرْكٌ فى دم .

٣٢٥٧ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الوهاب قال ، سمعت يحيى بن سعيد قال : سمعت القاسم بن محمد يقول : إن ابن عباس كان يرى أنّ الشاة ، « ما استيسر من الهدى » .

٣٢٥٨ – حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الوهاب ، عن خالد الحذاء ، عن عكرمة، عن ابن عباس أنه قال : « ما استيسر من الهدى»، شاةٌ .

٣٢٥٩ – حدثنا يعقوب قال،حدثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم قال : « ما استيسر من الهدى »، شاة .

٣٢٦٠ – حدثنا ابن بشار قال،حدثنا سهل بن يوسف قال ، حدثنا حميد ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال : قال ابن عباس : الهدى شاةٌ . فقيل له : أيكون دُون بَقرة ؟ قال : فأنا أقرأ عليكم من كتاب الله ما تدرُون به أن الهدىَ شاة . ما فى الظّبى؟ قالوا : شاةٌ . قال: ﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ [سورة المائدة : ٩٠].

٣٢٦١ – حدثنى المثنى قال : حدثنا الحجاج قال، حدثنا حماد ، عن قيس بن سعد ، عن عطاء بن أبى رباح ، عن ابن عباس قال : شاة .

٣٢٦٢ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع ، عن دلهم بن صالح قال : سألت أبا جعفر عن قوله : « ما استيسر من الهدى » ، فقال : شاة .

٣٢٦٣ – حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب : أن مالك

ابن أنس حدّثه، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه : أن على بن أبى طالب رضى الله عنه كان يقول : « ما استيسر من الهدى » ، شاة .[١]

٣٢٦٤ ــ حدثنا المثنى قال، حدثنا مطرّف بن عبد الله قال ، حدثنا مالك عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن على رضى الله عنه مثله .

٣٢٦٥ ــ حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب ، قال، أخبرنى مالك: أنه بلغه أن عبد الله بن عباس كان يقول : « ما استيسر من الهدى » ، شاة .[٢]

٣٢٦٦ ــ حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب، قال مالك: وذلك أحب إلىّ .[٣]

٣٢٦٧ ــ حدثنى محمد بن سعد قال حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : « فما استيسر من الهدْى »، قال: عليه ــ يعنى المُحصَرَ ــ هدىٌ . إن كان موسراً فمن الإبل ، وإلا فمن البقر ، وإلا فمن الغنم .

٣٢٦٨ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا آدم العسقلانى قال ، حدثنا ابن أبى ذئب ، عن شعبة مولى ابن عباس، عن ابن عباس قال : « ما استيسر من الهدى»، شاة ، وما عظّمتَ شعائرَ الله فهو أفضل .

٣٢٦٩ ــ حدثنى يونس قال: أخبرنا أشهب قال، أخبرنا ابن لهيعة: أن عطاء ابن أبى رباح حدثه: أنّ « ما استيسر من الهدى » ، شاةٌ .

* * *

وقال آخرون : «ما استيسر من الهدى »، من الإبل والبقر، سِنّ دون سِنٍّ .

* ذكر من قال ذلك :

٣٢٧٠ ــ حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا معتمر قال ، سمعت

---

(١) الأثر : ٣٢٦٣ الموطأ : ٣٨٥ .

(٢) الأثر : ٣٢٦٥ ــ الموطأ : ٣٨٥ .

(٣) الأثر : ٣٢٦٦ ــ الموطأ : ٣٨٥ ونصه : «وذلك أحب ما سمعت إلى فى ذلك» ، ثم استدل بآية المائدة التى استدل بها ابن عباس فى الأثر : ٣٢٦٠ .

عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : « ما استيسر من الهدى »، البقرةُ ٢/ ١٢٧ دون البقرة ، والبعير دون البعير .

٣٢٧١ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا محمد بن بكر قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة ، عن أبي مجلز قال : سأل رجل ابنَ عمر : « ما استيسر من الهدى » ؟ قال : أترضَى شاةً ؟= كأنه لا يرضاه .

٣٢٧٢ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا أيوب ، عن القاسم بن محمد ونافع ،عن ابن عمر قال : « ما استيسر من الهدى »، ناقةٌ أو بقرةٌ. فقيل له : « ما استيسر من الهدى »؟ قال : الناقة دون الناقة ،والبقرة دون البقرة .

٣٢٧٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة عن يزيد بن أبي زياد ، عن مجاهد، عن ابن عمر أنه قال: « فما استيسر من الهدى »، قال : جَزورٌ أو بقرةٌ .

٣٢٧٤ – حدثنا أبو كريب ويعقوب قالا ،حدثنا هشيم قال ، الزهري أخبرنا – وسئل عن قول الله: « فما استيسر من الهَدْى » – قال: قال ابن عمر ، من الإبل والبقر.

٣٢٧٥ – حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر في قوله جل ثناؤه : « فما استيسر من الهدى » ، قال : الناقة دون الناقة ، والبقرة دون البقَرة .

٣٢٧٦ – حدثني يعقوب قال : حدثنا ابن علية،عن أيوب ، عن القاسم ، عن ابن عمر في قوله : « فما استيسر من الهدى » ، قال : الإبل والبقر .

٣٢٧٧ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الوهاب قال: سمعت يحيى بن سعيد قال : سمعت القاسم بن محمد يقول : كان عبد الله بن عمر وعائشة يقولان : « ما استيسر من الهدى » ، من الإبل والبقر .

٣٢٧٨ ــ حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا الوليد بن أبي هشام، عن زياد بن جبير، عن أخيه عبد الله أو عبيد الله بن جبير قال: سألت ابن عمر عن المتعة في الهدى فقال : ناقة . قلت : ما تقول في الشاة ؟ قال : أكلكم شاة ؟ أكلكم شاة ؟ (١)

٣٢٧٩ ــ حدثني يعقوب قال ، حدثنا ابن علية، عن ليث ، عن مجاهد وطاوس قالا : « ما استيسر من الهدى»، بقرة .

٣٢٨٠ ــ حدثني المثنى قال،حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية ابن صالح ، عن علي بن أبي طلحة : « فما استيسر من الهدى» ، قال : في قول ابن عمر : بقرة فما فوقها .

٣٢٨١ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال، حدثني أبو معشر عن نافع ، عن ابن عمر قال : « ما استيسر من الهدى » ، قال : بدنة أو بقرة ، فأما شاةٌ فإنما هي نُسُك .

٣٢٨٢ ــ حدثنا المثنى قال ، حدثنا الحجاج قال ، حدثنا حماد ، عن هشام ابن عروة ، عن أبيه قال : البدنة دُون البدنة ، والبقرة دون البقرة، وإنما الشاة نُسُك . قال : تكون البقرة بأربعين وبخمسين .

٣٢٨٣ ــ حدثنا الربيع قال، حدثنا ابن وهب قال ، حدثني أسامة ، عن نافع ، عن ابن عمر كان يقول : « ما استَيْسر من الهدى » ، بقرة .

٣٢٨٤ ــ وحدثنا الربيع قال ، حدثنا ابن وهب قال، حدثني أسامة بن زيد: أن سعيداً حدثه قال: رأيت ابن عمر وأهل اليمن يأتونه فيسألونه عن «ما استيسر

---

(١) الخبر : ٣٢٧٨ــ الوليد بن أبي هشام زياد ، مولى عثمان : ثقة جداً ، كما قال الإمام أحمد . زياد بن جبير بن حية بن مسعود الثقفي : تابعي ثقة. مترجم في التهذيب . والكبير ٢ / ١ / ٣٢١٧ . وابن أبي حاتم ١ / ٢ / ٥٢٦ – ٥٢٧ . وله أخوان تابعيان ثقتان : عبد الله ، وعبيد الله . مترجمان عند ابن أبي حاتم ٢ / ٢ / ٢٧ ، ٣١٠ . وقال : « عبيد الله بن جبير بن حية ، أخو زياد وعبيد الله ابني جبير بن حية الثقفي . وكانوا إخوة ثلاثة» .

من الهدى » ويقولون : الشاة! الشاة ! قال : فيرد عليهم : « الشاةَ ! الشاةَ ! » يحضّهم — إلا أن الجَزور دون الجزور ، والبقرةَ دون البقرة ، ولكن ما « استيسر من الهدى »، بقرة .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين بالصواب قول من قال : « ما استيسر من الهدى » شاة . لأن الله جل ثناؤه إنما أوجب ما استيسر من الهدى . وذلك على كل ما تيسَّر للمهدِي أن يهديَه، كائناً ما كان ذلك الذى يُهدِى، إلا أن يكون الله جل ثناؤه خصَّ من ذلك شيئاً ، فيكون ما خصَّ من ذلك خارجاً من جملة ما احتمله ظاهرُ التنزيل، ويكون سائر الأشياء غيرُه مجزئاً إذا أهداه المهدى ، بعد أن يستحق اسم « هدْى » .

* * *

فإن قال قائل : فإنّ الذين أبوا أن تكون الشاة مما استيسر من الهدى ، بأنه لا يستحق اسم « هَدْى »، كما أنه لو أهدى دجاجة أو بيضة، لم يكن مُهدياً هَدْيًا مُجزئاً .

قيل : لو كان فى المهدِى الدجاجةَ والبيضة من الاختلاف، نحو الذى فى المُهْدِى الشاة، لكان سبيلهما واحدة: فى أن كلّ واحدمنهما قد أدّى ما عليه بظاهر التنزيل ، إذ لم يكن أحد الهديين مُخرجه من أن يكون مؤدياً[1]— بإهدائه ما أهدى من ذلك— مما أوجبه اللهُ عليه فى إحصاره . ولكن لما أُخرج المهدى ما دون الجَذَع من الضأن، والثَّنْى من المعز والإبل والبقر فصاعداً من الأسنان— من أن يكون مهدياً ما أوجبه الله عليه فى إحصاره أو متعته— بالحجة القاطعة العذرَ نقلاً عن نبيّنا صلى الله عليه وسلم وراثةً، كان ذلك خارجاً من أن يكون مراداً بقوله : « فما استيسر من الهدْى » ، وإن كان مما استيسر لنا من الهدايا .

(١) فى المطبوعة « إذا لم يكن أحد المهديين يخرجه . . . » ، والصواب ما أثبت .

ولما اختُلِف فى الجذع من الضّأن والثّنى من المعز، كان مجزئاً ذلك عن مُهديه، لظاهر التنزيل، لأنه مما استيسر من الهدْى.

* * *

فإن قال قائل: فما محلّ «ما» التى فى قوله جل وعز: «فما استيسر من الهدْى»؟

قيل: رفعٌ.

فإن قال: بماذا؟

قيل: بمتروك. وذلك «فعَلَيْه». لأن تأويل الكلام: وأتموا الحج والعمرة، أيها المؤمنون، لله، فإن حبسكم عن إتمام ذلك حابسٌ من مرَض أو كسرٍ أو خوف عدوٍّ، فعليكم — لإحلالكم، إن أردتم الإحلال من إحرامكم — ما استيسر من الهدى. وإنما اخترنا الرفع فى ذلك، لأن أكثر القرآن جاء برفع نظائره، وذلك كقوله: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ﴾ وكقوله: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾، وما أشبه ذلك، مما يطول بإحصائه الكتاب، تركنا ذكره استغناء بما ذكرنا عنه. ٢ / ١٢٨

ولو قيل: موضع «ما» نصبٌ، بمعنى: فإن أحصرتم فأهدُوا ما استيسر من الهدى، لكان غير مخطئ قائلُه.(١)

* * *

وأما «الهدى»، فإنه جمع، واحدها «هديّة»، على تقدير «جديّة السرج» والجمع «الجَدْى» مخفف.(٢)

٣٢٨٥ — حدثت عن أبى عبيدة معمر بن المثنى، عن يونس قال: كان أبو عمرو بن العلاء يقول: لا أعلمُ فى الكلام حرفاً يشبهه.(٣)

* * *

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ١١٨.

(٢) «هدية» و «جدية» بتشديد الياء، وقد ضبطها ناشر مجاز القرآن لأبى عبيدة بفتح فسكون، وهو خطأ. والجدية: قطعة من الكساء، محشوة تكون تحت دفتى السرج وظلفة الرحل، وهما جديتان.

(٣) مجاز القرآن لأبى عبيدة: ٦٩.

وبتخفيف « الياء » وتسكين « الدال » من « الهدى » قرأه القرّاء فى كل مصر ، إلا ما ذُكر عن الأعرج ، فإنّ :—

٣٢٨٦ — أبا هشام الرفاعى حدثنا قال ، حدثنا يعقوب ، عن بشار ، عن أسد ، عن الأعرج أنه قرأ : ﴿هَدِيًّا بَالِغَ الكَعْبَةِ﴾ [سورة المائدة : ٩٥] بكسر « الدال » مثقّلاً ، وقرأ « حتى يبلُغ الهدِىُّ محلَّه » ، بكسر « الدال » مثقلة . واختلف فى ذلك عن عاصم ، فروى عنه موافقةُ الأعرج ، ومخالفته إلى قراءة سائر القرأة .

* * *

و «الهدى» عندى إنما سمى « هدياً » لأنه تقرّب به إلى الله جل وعز مُهديه ، بمنزلة الهدية يُهديها الرجل إلى غيره متقرباً بها إليه . يقال منه : «أهديتُ الهدى إلى بيت الله ، فأنا أهديه إهداء » . كما يقال فى الهدية يُهْديها الرجل إلى غيره : « أهديتُ إلى فلان هَديّةً وأنا أهديها . » ، ويقال للبدَنة «هدية» ، ومنه قول زهير ابن أبى سلمى ، يذكر رجلا أسر ، يشبِّهه فى حُرمته بالبدنة التى تُهْدى :

فَلَمْ أَرَ مَعْشَرًا أَسَرُوا هَدِيًّا وَلَمْ أَرَ جَارَ بَيْتٍ يُسْتَبَاءُ ![1]

* * *

(١) ديوانه : ٧٩ ، من قصيدة كريمة ، قالها فى ذم بنى عليم بن جناب من كلب . وكان رجل من بنى عبد الله بن غطفان قد أتاهم فأكرموه وأحسنوا جواره ، بيد أنه كان مولعاً بالقمار فنهوه عنه ، فأبى إلا المقامرة . فقمر مرة فردوا عليه ، ثم قمر أخرى فردوا عليه ، ثم قمر الثالثة فلم يردوا عليه ، وأخذت منه امرأته فى قماره . والهدى : الرجل ذو الحرمة المستجير بالقوم ، فسموه كما قال الطبرى بما يهدى إلى البيت ، فهو لا يرد عن البيت ولا يصاب ، وقوله : « فستباء » أى تؤخذ امرأته وتنكح ، ثم قال لهم بعد البيت :

وَجَارُ البَيْتِ وَالرَّجُلُ المُنَادِى أَمَامَ الحَىِّ ، عَهْدُهُمَا سَوَاءُ

والمنادى : المجالس فى النادى أمام بيوت الحى .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُ ﴾

قال أبوجعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : فإن أحصرتم ، فأردتم الإحلال من إحرامكم ، فعليكم ما استيسر من الهدى. ولا تُحلوا من إحرامكم إذا أحصرتم حتى يَبلُغَ الهدى= الذى أوجبتُه عليكم لإحلالكم من إحرامكم الذى أحصرتم فيه ، قبل تمامِه وانقضاء مشاعره ومناسِكه=مَحِلّه.[1] وذلك أنّ حلْق الرأس إحلالٌ من الإحرام الذى كان المحرِم قد أوجبه على نفسه . فنهاه الله عن الإحلال من إحرامه بحِلاقه،[2] حتى يبلغ الهدى— الذى أباحَ الله جل ثناؤه له الإحلال بإهدائه— محلَّه.

* * *

ثم اختلف أهل العلم فى «مَحِلّ» الهدى الذى عناه الله جل اسمه، الذى متى بلغه كان للمحصر الإحلالُ من إحرامه الذى أحصر فيه .

فقال بعضهم : محلّ هدى المحصر الذى يَحلّ به ويجوز له ببلوغه إياه حلقُ رأسه = إذا كان إحصارُه من خوف عدوّ منعه ذَبْحَه، إنْ كان مما يُذْبَح، أو نحرَه إن كان مما يُنْحَر، فى الحل ذبح أو نحر أو فى الحرم= [حيث حبس] .[3]

---

(١) قال ابن كثير فى تفسيره ١ : ٤٤٦ «وقوله: «ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله» معطوف على قوله : «وأتموا الحج والعمرة لله»، وليس معطوفاً على قوله : «فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى» كما زعمه ابن جرير رحمه الله. لأن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه عام الحديبية ، لما حصرهم كفار قريش عن الدخول إلى الحرم، حلقوا وذبحوا هديهم خارج الحرم . فأما فى حال الأمن والوصول إلى الحرم ، فلا يجوز الحلق «حتى يبلغ الهدى محله»، ويفرغ الناسك من أفعال الحج والعمرة — وإن كان قارناً — أو من فعل أحدهما، إن كان مفرداً أو متمتعاً ، كما ثبت فى الصحيحين عن حفصة أنها قالت : يا رسول الله ، ما شأن الناس ؟ حلوا من العمرة ولم تحل أنت من عمرتك! فقال : إنى لبدت رأسى وقلدت هدىى، فلا أحل حتى أنحر» .

وفى تخطئة ابن كثير لأبى جعفر ، نظر وتفصيل ليس هذا موضعه لأنه يطول .

(٢) الحلاق مصدر كالحلق والتحلاق ، يقال : رأس جيد الحلاق (بكسر الحاء)، وقد أكثر مالك من استعمال هذا المصدر فى الموطأ (انظر : ٣٩٥ ، ٣٩٦) .

(١) الزيادة بين القوسين لا بد منها حتى يستقيم الكلام .

وإن كان من غير خوف عدوّ ، فلا يَحلّ حتى يَطوفَ بالبيت ويسعى بين الصّفا والمروة . وهذا قول من قال : الإحصار إحصارُ العدوّ دون غيره .

* ذكر من قال ذلك

٣٢٨٧ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني مالك بن أنس: أنه بلغه أن رَسولَ اللهصلى الله عليه وسلم حَلّ هو وأصحابُه بالحديبية، فنحروا الهدْيَ وحلقوا رؤوسهموَحلّوا من كل شيء قبل أن يطوفوا بالبيت ، وقبل أن يَصِل إليه الهدى . ثم لم تعلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أحداً من أصحابه ولا ممن كان معه ، أن يقضُوا شيئاً ولا أن يَعودوا لشيء .(١)

٣٢٨٨ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني مالك ، عن نافع : أن عبد الله بن عمر خرج إلى مكة مُعتمراً في الفتنة فقال : إن صُددت عن البيت صَنعنا كما صَنعْنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأهلّ بعمرة من أجل أن النبيّ كان أهَلّ بعمرة عامَ الحديبية . ثم إن عبد الله بن عمر نظر في أمره فقال : ما أمرهما إلا واحد . قال : فالتفت إلى أصحابه فقال: ما أمرهما إلا واحد ، أشهدكم أني قد أوجبتُ الحج مع العمرة . قال : ثم طافَ طوافاً واحداً ، ورأى أنّ ذلك مجزٍ عنه وأهدى= قال يونس قال ، ابن وهب قال ، مالك : وعلى هذا الأمرُ عندنا فيمن أحصر بعدوّ ، كما أحصر نبي الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه . فأما من أحْصر بغير عدو ، فإنه لا يحل دون البيت .

قال : وسئل مالك عمن أحصر بعدوّ وحيل بينه وبين البيت ، فقال : يَحِل من كل شيء وينحر هدْيه ويحلق رأسه حيث حُبس، وليس عليه قضاء ، إلا أن يكون لم يحجّ قط ، فعليه أن يحجّ حجة الإسلام .(٢)

---

(١) الأثر : ٣٢٨٧ – مضى في ص : ٢٤ ، بغير إسناد .

(٢) الأثر : ٣٢٨٨ – في الموطأ : ٣٦٠ – ٣٦١ ، مع خلاف يسير في بعض لفظه. ومن أول قوله : « قال : وسئل مالك » ، في آخر هذا الأثر ، قد مضى برقم : ٣٢٣٨ ، وهو في الموطأ : ٣٦٠ ، قبل النص السالف .

٣٢٨٩ ــ حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنا مالك قال ، حدثنى يحيى بن سعيد ، عن سليمان بن يسار : أن عبد الله بن عمر ومَروان بن الحكم وعبدالله بن الزبير أفتَوا ابن حُزَابة المخزومى،[1] وصُرع فى الحج ببعض الطريق : أن يَتَداوَى بما لا بد منه،[2] ويفتدى ، ثم يجعلَها عمرة ويحج عاماً قابلاً ، ويُهدِى . ١٢٩/٢

قال يونس قال : ابن وهب قال ، مالك : وذلك الأمر عندنا فيمن أحصر بغير عدوّ .[3]

قال : وقال مالك : وكل مَنْ حُبس عَن الحجّ بعد ما يُحرِم ، إما بمرض، أو خطأ فى العَدد ، أو خفى عليه الهلال ، فهو مُحصَرٌ ، عليه ما على المحصر ــ يعنى : من المُقَام على إحرامه حتى يطوف أو يسعى، ثم الحجّ من قابلٍ ، والهدى.

٣٢٩٠ ــ حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الوهاب قال ، سمعت يحيى بن سعيد يقول ، أخبرنى أيوب بن موسى : أنّ داود بن أبى عاصم أخبره : أنه حج مرة فاشتكى ، فرجع إلى الطائف ولم يطف بين الصفا والمروة . فكتب إلى عَطاء ابن أبى رباح يسأله عن ذلك ، وأن عطاء كتب إليه : أنْ أهْرِقْ دَماً .

* * *

وعلة من قال بقول مالك : فى أنّ مَحلّ الهدى فى الإحصار بالعدو ، نحره حيثُ حُبس صاحبه ، ما : ــ

٣٢٩١ ــ حدثنا به أبو كريب ومحمد بن عمارة الأسدى قالا ، حدثنا عبيد الله ابن موسى قال ، أخبرنا موسى بن عبيدة قال ، أخبرنى أبو مُرّة مولى أم هانئ ، عن ابن عمر قال : لما كان الهدى دُون الجبال التى تطلع على وَادى الثَّنِية ،

---

(١) فى الموطأ : « سعيد بن حزابة المخزومى » .

(٢) فى المطبوعة : « أن يبدأ بما لا بد منه » ، والصواب من الموطأ ، وقد مضى ذلك كذلك أيضاً فى ص : ٢٥ ، وانظر تعليق رقم : ٢ .

(٣) الموطأ : ٣٦٢ ، ومضى بعض ذلك فى ص : ٢٥ .

عرض له المشركون فردّوا وجهه، قال: فنحر النبي صلى الله عليه وسلم الهدىَ حيث حبسوه – وهى الحديبية – وحلق، وتأسّى به أناس فحلقوا حين رأوه حَلق، وتربّص آخرون فقالوا : لعلنا نَطوف بالبيت ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رَحم الله المحلِّقين ! قيل : والمقصرين ! قال: رحم الله المحلِّقين ! قيل: والمقَصِّرين ! قال : والمقصِّرين ![1]

٣٢٩٢ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا يحيى بن سعيد القطان قال ، حدثنا عبد الله بن المبارك قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن المسور بن مخرمة ومروان ابن الحكم قالا : لما كتبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم القضية بينه وبين مُشركى قريش – وذلك بالحديبية ، عامَ الحديبية – قال لأصحابه : قوموا فانحروا واحلِقوا . قال: فوالله ما قام منهم رجل، حتى قالَ ذلك ثلاث مرات. فلما لم يقم منهم أحد، قام فدخل على أمِّ سلمة فذكر ذلك لها ، فقالت أم سلمة : يا نبيَّ الله، اخرُج ، ثم لاتكلمْ أحداً منهم بكلمة حتى تنحر بَدَنك، وتدعو حلاَّقك فتَحلِق . فقام، فخرج، فلم يكلم منهم أحداً حتى فعل ذلك . فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضاً ، حتى كاد بعضُهم يقتُل بعضاً غَمًّا[2] .

* * *

(١) الحديث : ٣٢٩١ – إسناده ضعيف جداً ، من أجل « موسى بن عبيدة » . وقد مضى بيان حاله : ١٨٧٥ ، ١٨٧٦ .

أبو مرة مولى أم هانئ : اسمه « يزيد » ، ويقال له أيضاً « مولى عقيل بن أبي طالب » ، واشتهر بكنيته . وهو تابعى ثقة معروف ، أخرج له أصحاب الكتب الستة .

ومعنى الحديث ثابت معروف من أوجه كثيرة ، فى دواوين الحديث وكتب السيرة . بل إن نحو هذا المعنى ثابت عن ابن عمر بإسناد صحيح ، فى المسند : ٦٠٦٧ ، والبخارى ٥ : ٢٢٤ ، و ٧ : ٣٩١ (من الفتح) . والدعاء للمحلقين والمقصرين ثابت من حديثه أيضاً ، صحيح ، فى المسند : ٤٦٥٧ ، والموطأ والصحيحين ، كما بينا هناك .

(٢) الحديث : ٣٢٩٢ – هو جزء من حديث طويل ، فى شأن صلح الحديبية ، وهو معروف مشهور .

قالوا: فنحر النبي صلى الله عليه وسلم هديه حين صده المشركون عن البيت بالحديبية، وحلّ هو وأصحابه . قالوا : والحديبية ليست من الحرَم. قالوا: ففي مثل ذلك دليل واضح على أن معنى قوله: «حتى يبلغ الهدى محِله»، حتى يبلغ بالذبح أو النحر محِل أكله والانتفاع به في محل ذبحه ونحره .

٣٢٩٣ – كما روى عن نبي الله عليه السلام في نظيره ، إذ أتى بلحم – أتته بريرةُ – من صدقة كان تُصُدّق به عليها ، فقال : قرّبوه ، فقد بلغ محله .(١)

* * *

يعني فقد بلغ محلّ طيبه وحلاله له بالهدية إليه ، بعد أن كان صدقة على بريرة .

* * *

رواه أحمد في المسند ٤ : ٣٢٨ – ٢٣١ (حلبي) ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، بهذا الإسناد . ثم رواه عقب ذلك ، عن يحيى بن سعيد القطان ، عن عبد الله بن المبارك. عن معمر ، ولم يذكر لفظه ، إحالة على الرواية قبله . وقد رواه الطبري هنا، من طريق يحيى القطان .

ورواه البخاري ٥ : ٢٤١–٢٦٠ (فتح الباري) ، عن عبد الله بن محمد ، عن عبد الرزاق ، كرواية المسند . وروى منه قطعة موجزة ٣ : ٤٣٣ ، من طريق عبد الله بن المبارك ، عن معمر .

(١) الحديث : ٣٢٩٣ – هذه إشارة من الطبري إلى حديث مشهور معروف . وهو قصة « بريرة » التي اشترتها عائشة من مواليها الذين كاتبوها ، وأعتقتها فكانت مولاتها ، وهي في الصحيحين وغيرهما .واللفظ الثابت في الصحيحين ، في شأن اللحم الذي تصدق به على بريرة ، وأهدته هي لعائشة ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم أكل منه –: أنه قال : « هو لها صدقة ، ولنا هدية » ، أو نحو هذا ، من حديث عائشة ، ومن حديث أنس . ولم أجد لفظ « فقد بلغ محله» ، الذي حكاه الطبري في قصة بريرة . ولعله وقع إليه من رواية خفيت علينا .

نعم ، جاء نحو هذا اللفظ ، في قصتين أخريين في هذا المعنى :

إحداهما : من حديث أم عطية الأنصارية ، أنها بعثت إلى عائشة من لحم جاءها من الصدقة ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأل عن طعام ، فأخبروه بذلك – لأن الصدقة لا تحل له – فقال صلى الله عليه وسلم : « إنها قد بلغت محلها » . رواه أحمد في المسند ٦ : ٤٠٧ – ٤٠٨ (حلبي) ؛ والبخاري ٣ : ٢٤٥ ، ٢٨١ – ٢٨٢ ، و ٥ : ١٤٩ – ١٥٠ (فتح) ، ومسلم ١ : ٢٩٧ .

والأخرى : من حديث جويرية بنت الحارث أم المؤمنين ، قالت : « دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، فقال : هل من طعام ؟ قلت : لا ، إلا أعظماً أعطيته مولاة لنا من الصدقة . قال صلى الله عليه وسلم : فقربيه، فقد بلغت محلها » . رواه أحمد في المسند ٦ : ٤٢٩ (حلبي) . ومسلم ١ : ٢٩٦ .

وقال بعضهم : مَحِلُّ هدى المحصر الحرمُ ، لا محلَّ له غيره .

* ذكر من قال ذلك

٣٢٩٤ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم ، عن الأعمش ، عن عمارة بن عمير ، عن عبد الرحمن بن يزيد: أن عمرو بن سعيد النخعي أهلَّ بعمرة ، فلما بلغ ذات الشُّقوق لُدِغَ بها ، فخرج أصحابه إلى الطريق يتشوَّفون الناس ، فإذا هم بابن مسعود ، فذكروا ذلك له فقال : ليبعث بهديٍ ، واجعلوا بينكم يوم أمارةٍ ، فإذا ذبح الهدى فليَحِلَّ ، وعليه قضاء عمرته .(١)

٣٢٩٥ – حدثنا تميم بن المنتصر قال، حدثنا إسحق ، عن شريك ، عن سليمان بن مهران ، عن عمارة بن عمير وإبراهيم ، عن عبد الرحمن بن يزيد أنه قال : خرجنا مُهلّين بعمرة ، فينا الأسود بن يزيد ، حتى نزلنا ذات الشُّقوق ، فلدغ صاحب لنا ، فشقَّ ذلك عليه مشقة شديدة ، فلم ندر كيف نصنع به ! فخرج بعضنا إلى الطريق ، فإذا نحن بركْب فيه عبد الله بن مسعود ، فقلنا له : يا أبا عبد الرحمن ، رجل منا لُدِغ ، فكيف نصنع به؟ قال: يبعث معكم بثمن هديٍ، فتجعلون بينكم وبينه يوماً أمارة، فإذا نُحر الهديُ فليحلَّ ، وعليه عمرة في قابل.(٢)

٣٢٩٦ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا سفيان ، عن

---

(١) الخبر : ٣٢٩٤ – عمارة بن عمير التيمي : ثقة ، أخرج له أصحاب الكتب الستة .

عبد الرحمن بن يزيد بن قيس بن عبد الله بن مالك النخعي : تابعي ثقة كثير الحديث .

عمرو بن سعيد النخعي : لم أجد له ذكراً ، وليس له شأن في رواية الخبر ، بل هو المتحدث عنه ، والذي أفتى ابن مسعود في شأنه . وسيأتي اسمه مرة أخرى في الخبر : ٣٢٩٩ .وانظر التعليق على الأثر : ٣٢٩٧

وقد روى الطبري هذا الخبر مكرراً بأسانيد ، كما ترى وانظر التعليق على الأثر : ٣٢٩٧ .

ذات الشقوق : منزل بطريق مكة ، من الكوفة . وتشوف الشيء : تطاول ينظر إليه .

(٢) الخبر : ٣٢٩٥ – سليمان بن مهران : هو الأعمش . وهو هنا يروي الخبر عن عمارة بن عمير ، كالرواية السابقة ، وعن إبرهيم: وهو ابن يزيد بن الأسود بن عمرو النخعي ، وهو الفقيه المعروف الثقة . وهو ابن أخت « عبد الرحمن بن يزيد بن قيس ». فالأعمش يرويه عنهما عن عبد الرحمن ابن يزيد .

وسيأتي الخبر من روايته وحده أيضاً ، عن خاله عبد الرحمن : ٣٢٩٧ .

الأعمش ، عن عمارة بن عمير ، عن عبد الرحمن بن يزيد قال ، بينا نحن بذات الشقوق ، فلبَّى رجل منا بعمرة ، فلُدغ ، فمر علينا عبد الله فسألناه فقال : اجعلوا بينكم وبينه يوم أمارٍ ، فيبعث بثمن الهدى ، فإذا نُحر حَلّ ، وعليه العمرة .(١)

٣٢٩٧ – حدثني محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن الحكم قال : سمعت إبراهيم النخعيّ يحدث ، عن عبد الرحمن بن يزيد قال : أهلّ رجل منا بعمرة ، فلُدغ ، فطلع ركبٌ فيهم عبد الله بن مسعود ، فسألوه فقال : يبعث بهدىٍ ، واجعلوا بينكم وبينه يوماً أمارًا ، فإذا كان ذلك اليوم فليحلّ = وقال عمارة بن عمير : فكان حسبك به ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله = وعليه العمرةُ من قابل .(٢) ١٣٠/٢

٣٢٩٨ – حدثني أبو السائب قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمارة ، عن عبد الرحمن بن يزيد قال : خرجنا عُمَّارًا ، فلما كنا بذات الشقوق. لدغ صاحب لنا . فاعترضْنا للطريق نَسأل عما نصنعُ به ، فإذا عبد الله بن مسعود فى ركبٍ ، فقلنا له : لدغ صاحب لنا ؟ فقال : اجعلوا بينكم وبين صاحبكم يوماً ، وليرسل بالهدى ، فإذا نُحر الهدى فليحلِلْ ، ثم عليه العمرة .

٣٢٩٩ – حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم ، عن الحجاج قال ، حدثني عبد الرحمن بن الأسود ، عن أبيه ، عن ابن مسعود : أن عمرو بن سعيد النخعى

---

(١) الأمار والأمارة : العلامة والوقت .

(٢) الخبر : ٣٢٩٧ – الحكم : هو ابن عتيبة – بضم العين وفتح التاء المثناة من فوق ، وبعد التحتية باء موحدة . وهو تابعى ثقة حجة فقيه مشهور . وجعله أحمد بن حنبل أثبت الناس فى الرواية عن إبرهيم النخعى .

وهذا الخبر رواه الطحاوى فى شرح معانى الآثار ١ : ٤٣٢ ، من طريق بشر بن عمر ، عن شعبة ، بهذا الإسناد ، نحوه . وقد سمى فيه الرجل الذى لدغ ، فقال : « أهل رجل من النخع بعمرة ، يقال له : عمير بن سعيد » – إلخ . فإن يكن هذا صواباً يكن هو « عمير بن سعيد النخعى » التابعى ، وقد مضت ترجمته : ١٦٨٣ . فيكون الاسم « عمرو بن سعيد » فى الخبرين : ٣٢٩٤ ، ٣٢٩٩ – محرفاً عن هذا . ويرجحه أنه وقع اسمه أيضاً محرفاً إلى « عمرو بن سعيد » فى المطبوعة ، هناك فى : ١٦٨٣ .

أهلّ ، بعمرة ، فلما بلغ ذات الشُّقوق لدغ بها ، فخرج أصحابه إلى الطريق يتشوّفون الناسَ ، فإذا هم بابن مسعود ، فذكروا ذلك له فقال : ليبعث بهدي ، واجعلوا بينكم وبينه يَوم أمارٍ ، فإذا ذُبح الهدى فليحل ، وعليه قضاء عمرته .(١)

٣٣٠٠ ــ حدثني المثنى قال حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « فإن أحصِرتم فما استيسر من الهدى » ، يقول : من أحْرم بحجّ أو عمرة ، ثم حبس عن البيت بمرض يجهده أو عذر يَحبسه ، فعليه ذبْح ما استيسر من الهدى ، شاة فما فوقها يُذبح عنه . فإن كانت حجة الإسلام ، فعليه قَضاؤها ، وإن كانت حَجة بعد حجة الفريضة أو عمرة ، فلا قضاء عليه . ثم قال : « ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله » ، فإن كان أحرم بالحج فمحِلّه يوم النحر ، وإن كان أحرم بعُمْرة فمحِل هديه إذا أتى البيت .

٣٣٠١ ــ حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى » ، فهو الرجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كان يُحبَس عن البيت ، فيهدى إلى البيت ويمكثُ على إحرامه حتى يبلغ الهدى مَحِله . فإذا بلغ الهدى مَحِله حلَق رأسه ، فأتم الله له حجّته . والإحصارُ أيضاً أن يحال بينه وبين الحجّ ، فعليه هديٌ : إن كان موسراً من الإبل ، وإلا فمن البقر ، وإلا فمن الغنم ، ويجعل حجه عمرة ، ويبعث بِهَدْيه إلى البيت . فإذا نُحر الهدى فقد حلّ ، وعليه الحج من قابل .

٣٣٠٢ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا بشر بن السرى ،

---

(٢) الخبر : ٣٢٩٩ ــ الحجاج : هو ابن أرطاة بن ثور بن هبيرة النخعي ، وهو ثقة على الراجح عندنا . ثم انظر التعليق على الأثر : ٣٢٩٧ .

عبد الرحمن بن الأسود بن يزيد بن قيس النخعي : تابعي ثقة . أبوه ، الأسود بن يزيد النخعي : هو أخو « عبد الرحمن بن يزيد النخعي » الماضي في الروايات السابقة ، وهو تابعي كبير ، ثقة من أهل الخير ، كما قال أحمد .

عن شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن سلمة قال : سئل على رضى الله عنه عن قول الله عز وجل: « فإن أحصرتم فما استيسرَ من الهدى »، فإذا أحْصِرَ الحاج بعث بالهدى ، فإذا نُحر عنه حَل ، ولا يَحِلّ حتى يُنحر هديه .

٣٣٠٣ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح قال: سمعت عطاء يقول: من حُبِس فى عمرته فبعث بهديّة فاعتُرِض لها، فإنه يتصدق بشىء أو يصوم . ومن اعترض لهديّته وهو حاج، فإن مَحِل الهدى والإحرام يوم النحر ، وليس عليه شىء .

٣٣٠٤ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن عطاء مثله .

٣٣٠٥ – حدثنى موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله: « فإن أحصرتم فما استَيْسر مِن الهدْى وَلا تَحلقوا رؤسكم حتى يَبلغ الهدىُ مَحِله»، الرجلُ يحرم ثم يخرُج فيحصَرُ ، إما بلدغ أو مرض، فلا يطيق السير ، وإما تنكسر راحلته، فإنه يقيم ، ثم يبعث بهدىٍ، شاةً فما فوقها . فإن هو صحّ فسار ، فأدرك ، فليس عليه هدى . وإن فاته الحج ، فإنها تكون عمرة ، وعليه من قابل حَجّة . وإن هو رَجع لم يزل مُحرِماً حتى يُنحرَ عنه يومَ النحر . فإن هو بلغه أن صاحبه لم يَنحر عنه عاد مُحرِماً ، وبعث بهدىٍ آخر ، فواعد صاحبه يوم يَنحر عنه بمكة ، فتنحر عنه بمكة ، ويَحِل، وعليه من قابل حَجة وعمرة – ومن الناس مَن يقول : عمرتان . وإن كان أحرم بعمرة ، ثم رجع ، وبَعثَ بهديه، فعليه من قابل عُمرتان . وأناسٌ يقولون: لا، بل ثلاثُ عُمَر ، نحواً مما صَنعوا فى الحج حين صَنعوا ، عليه حجة وعمرتان .

٣٣٠٦ – حدثنا عبد الحميد بن بيان القَنّاد قال ، أخبرنا إسحق الأزرق، عن أبى بشر ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد وعطاء ، عن ابن عباس قال : إذا أحصر الرجل بعث بهديه، إذا كان لا يستطيع أن يَصل إلى البيت من العدو .

فإن وجد من يُبلِّغها عنه إلى مكة، فإنه يبعث بها مكانه، ويُواعد صاحبَ الهدى. فإذا أمن فعليه أن يحج ويعتمر. فإن أصابه مرض يَحبِسه وليس معه هدى، فإنه يَحلُّ حيث يُحبس. وإن كان معه هدى، فلا يحلّ حتى يبلغ الهدى مَحِله إذا بعث به، وليس عليه أن يحجّ قابلاً ولا يعتمرُ، إلا أن يشاء.

* * *

قال أبو جعفر: وعلة من قال هذه المقالة=: أنّ محلّ الهدايا والبُدْن الحرمُ= أن الله عز وجل ذكر البدن والهدايا فقال: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ * لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [سورة الحج: ٣٢، ٣٣]، فجعل مَحِلها الحرَم، ولا مَحِل للهدى دونه.

قالوا: وأما ما ادّعاه المحتجون بنحر النبي صلى الله عليه وسلم هداياه بالحديبية حين صُدّ عن البيت، فليس ذلك بالقول المجتمع عليه. وذلك أنّ: — ١٣١/٢

٣٣٠٧ — الفضل بن سهل حدثني قال، حدثنا مُخوَّل بن إبراهيم قال، حدثنا إسرائيل، عن مَجزأة بن زاهر الأسلمي، عن أبيه، عن ناجية بن جُندب الأسلمي قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم حين صُد عن الهدْى، فقلت: يا رسول الله، أبعثْ معي بالهدى فلننحره في الحرم! قال: كيف تصنع به؟ قلت: آخذ به أوديةً فلا يقدرون عليه! فانطلقتُ به حتى نحرته بالحرم.(١)

---

(١) الحديث: ٣٣٠٧ — الفضل بن سهل بن إبرهيم الأعرج، شيخ الطبرى: أحد الثقات الحفاظ، روى عنه الشيخان فى الصحيحين. وهو مترجم فى التهذيب، وابن أبى حاتم ٣ / ١ / ٦٣، وتاريخ بغداد ١٢: ٣٦٤ — ٣٦٥. وتذكرة الحفاظ ٢: ١٢٠.

مخول — بالخاء المعجمة بوزن «محمد» — بن إبرهيم بن مخول بن راشد، النهدى الحناط؛ قال الذهبى فى الميزان: «رافضى بغيض، صدوق فى نفسه». وقال ابن أبى حاتم ٤ / ١ / ٣٩٩: «سئل أبى عنه، فقال: «هو صدوق». وذكره ابن حبان فى الثقات.

إسرائيل: هو ابن يونس بن أبى إسحق السبيعى. و«مخول» أكثر روايته عن إسرائيل، وقد روى عنه ما لم يرو غيره»، كما قال ابن عدى.

مجزأة بن زاهر: تابعى ثقة، أخرج له الشيخان وغيرهما.

* * *

قالوا : فقد بيَّن هذا الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم نحر هداياه فى الحرم ، فلا حجة لمحتَجٍ بنحره بالحديبية فى غير الحرم .

* * *

وقال آخرون : معنى هذه الآية وتأويلها على غير هذين الوجهين اللذين وصفنا ، من قول الفريقين اللذين ذكرنا اختلافهم على ما ذكرنا . وقالوا : إنما معنى ذلك : فإن أحصرتم أيها المؤمنون عن حَجكم — فمنعتم من المضىّ لإحرامه لعائق مرض أو خوف عدو — وأداءِ اللازم لكم وحجكم ، حتى فاتكم الوقوفُ بعرفة ، فإن عليكم ما استيسر من الهدى ، لما فاتكم من حجكم ، مع قضاء الحج الذى فاتكم . فقال أهل هذه المقالة : ليس للمحصر فى الحج — بالمرَض والعِلل غيره — الإحلالُ إلا بالطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة ، إن فاته الحجّ . قالوا : فأما إن أطاق شهود المشاهد ، فإنه غيرُ محصر . قالوا : وأما العمرة فلا إحصارَ فيها ، لأن وقتها موجودٌ أبداً . قالوا : والمعتمر لا يحل إلاّ بعملِ آخر ما يَلزمه فى إحرامه .

أبوه ، زاهر بن أسود بن حجاج بن قيس الأسلمى : صحابى معروف ، كان ممن بايع تحت الشجرة .
ناجية بن جندب الأسلمى : صحابى معروف ، وكان صاحب بدن رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وهناك أيضاً « ناجية بن كعب الخزاعى» ، كان صاحب بدن رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً .
وقد خلط بينهما بعض الرواة . وحقق الحافظ فى التهذيب والإصابة أن هذا غير ذاك .

والحديث رواه الطحاوى فى شرح معانى الآثار ١ : ٤٢٧ ، عن إبرهيم بن أبى داود ، عن مخول ابن إبراهيم ، بهذا الإسناد ، إلا أنه جعله « عن مجزأة عن ناجية» مباشرة ، ليس بينهما « عن أبيه » . و « مجزأة » يروى عن ناجية . لكن هذا الحديث بعينه ذكره الحافظ فى الإصابة فى ترجمة ناجية ٦ : ٢٢٢ — ٢٢٣ أنه رواه ابن مندة « من طريق مجزأه بن زاهر ، عن أبيه ، عن ناجية بن جندب » ، ثم ذكر أنه « أخرجه الطحاوى من طريق مخول » . فلا أدرى : أسقط قوله « عن أبيه » من نسخة الطحاوى ؟ أم هو اختلاف رواية ؟

وقال الحافظ بعد ذكره رواية ابن مندة : « قال ابن مندة : تفرد به مخول بن إبرهيم عن إسرائيل ، عنه (يعنى عن مجزأة) . ورواه عنه (يعنى عن مخول) أبو حاتم الرازى وغيره كذا قال ، وقد أخرجه النسائى ، من طريق عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، مثله » . ولم أجده فى النسائى فالظاهر أنه فى السنن الكبرى

قالوا : ولم يدخل المعتمر فى هذه الآية ، وإنما عُنِى بها الحاجّ .

• • •

ثم اختلف أهل هذه المقالة . فقال بعضهم : لا إحصار اليومَ بعدوٍّ ، كما لا إحصار بمرض يجوّز لمن فاته أن يحِلّ من إحرامه قبل الطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة .

• ذكر من قال ذلك :

٣٣٠٨ ــ حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن طاوس قال : قال ابن عباس : لا إحصار اليوم .

٣٣٠٩ ــ حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الوهاب قال ، سمعت يحيى ابن سعيد يقول : أخبرنى عبد الرحمن بن القاسم: أن عائشة قالت : لا أعلَم المحرم يَحِلّ بشىء دون البيت .

٣٣١٠ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : لا حصْرَ إلا من حَبَسه عدو ، فيحلّ بعمرة ، وليس عليه حج ولا عمرة .

• • •

وقال آخرون منهم : حصارُ العدو ثابت اليومَ وبعدَ اليوم، على نحو ما ذكرنا من أقوالهم الثلاثة التى حكينا عنهم .

• ذكر من قال ذلك ، وقال معنى الآية : فإن أحصرتم عن الحج حتى فاتكم ، فعليكم ما استيسر من الهدى لفَوته إياكم :

٣٣١١ ــ حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب ، عن سالم قال : كان عبد الله بن عمر ينكر الاشتراطَ فى الحج ، ويقول أليس حَسبَكم سُنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ إن حبس أحدُكم عن الحج طاف بالبيت والصفا والمروة ، ثم حَل من كل شىء حتى يَحُج عاماً

قابلاً ، ويُهدِى ، أو يصوم ، إن لم يجد هَدياً .

٣٣١٢ – حدثنى محمد بن المثنى قال، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا عبيد الله بن عمر، عن نافع ، عن ابن عمر قال : المحصر لا يَحِل من شىء حتى يبلغ البيت ، ويقيمُ على إحرامه كما هو ، إلا أن تصيبه جراحةٌ – أو جرح – فيتداوى بما يُصلحه ويفتدى . فإذا وصل إلى البيت ، فإن كانت عمرة قضاها ، وإن كانت حجة فسخها بعمرة، وعليه الحج من قابلٍ والهدى . فإن لم يجد، فصيامُ ثلاثة أيام فى الحج وسبعةٍ إذا رجع .

٣٣١٣ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا يحيى بن سعيد، عن عبيد الله قال ، أخبرنى نافع : أن ابن عمر مرَّ على ابن حُزابة وهو بالسقيا ، فرأى به كسرًا ، فاستفتاه ، فأمره أن يقف كما هو لا يَحل من شىء حتى يأتى البيت ، إلا أن يصيبه أذًى فيتداوى، وعليه ما استيسر من الهدى . وكانَ أهلَّ بالحج .(١)

٣٣١٤ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى الليث قال، حدثنى عقيل، عن ابن شهاب قال : أخبرنى سالم بن عبد الله: أن عبد الله بن عمر قال : من أحصر بعد أن يُهلَّ بحج، فحبسه خوف أو مرض أو خلأ له ظهر يَحْمله،(٢) أو شىء من الأمور كلها، فإنه يتعالج لحبسه ذلك بكل شىء لابد له منه ، غير أنه لا يحل من النساء والطيب، ويفتدى بالفدية التى أمرَ الله بها: صيامٌ أو صدقةٌ أو نُسُك . فإن فاته الحج وهو بمحبسه ذلك، أو فاته أن يقف فى مواقِف عرفة قبل الفجر من ليلة المزدلِفة ، فقد فاته الحج، وصارت حجَّته عمرة : يقدم مكة فيطوفُ بالبيت وبالصفا والمروة ، فإن كان معه هديٌ نحره بمكة قريباً من

---

(١) انظر ما سلف رقم : ٣٢٨٩ .

(٢) خلأت الناقة تخلأ خلاء (بكسر الخاء) فهى خالئٌ: إذا بركت وأبت أن تقوم وأبت أن تقوم . وفى الحديث « أن ناقة النبى صلى الله عليه وسلم خلأت به يوم الحديبيه . فقالوا خلأت القصواء ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما خلأت ! وما هو لها بخلق ! ولكن حبسها حابس الفيل » والظهر : الإبل التى يحمل عليها ويركب عليها

المسجد الحرام ، ثم حلق رأسه أو قصَّرَ، ثم حَلَّ من النساء والطيب وغير ذلك ، ثم عليه أن يحج قابلاً ، ويُهدى ما تيسر من الهدى .

٣٣١٥ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثني مالك بن أنس، عن ابن شهاب، عن سالم بن عبد الله ، عن عبد الله بن عمر أنه قال : المحصر لا يَحِل حتى يطوف بالبيت وبين الصفا والمروة . وإن اضطر إلى شيء من لُبس الثياب التي لا بد له منها ، أو الدواء ، صنع ذلك وافتدى. (١) ١٣٢/٢

* * *

فهذا ما روى عن ابن عمر في الإحصار بالمرض وما أشبهه . وأما في المحصر بالعدو، فإنه كان يقول فيه بنحو القول الذي ذكرناه قبلُ عن مالك بن أنس أنه كان يقوله . (٢)

٣٣١٦ – حدثني تميم بن المنتصر قال، حدثنا عبدالله بن نمير قال ، أخبرنا عبيد الله ، عن نافع : أنّ ابن عمر أراد الحج حين نزل الحجاج بابن الزبير ، فكلمه ابناه سالم وعُبيد الله فقالا: لا يضرك أن لا تَحجَّ العام ، إنا نخاف أن يكون بين الناس قتالٌ فيحال بَينك وبين البيت! قال : إن حيل بيني وبين البيت فعلتُ كما فعلنا مع رَسول الله صلى الله عليه وسلم حين حال كفار قريش بينه وبين البيت ، فحلق ورجع .

* * *

وأما ما ذكره عنهم في العمرة من قولهم: «إنه لا إحصارَ فيها ولا حصْرَ» ، فإنه: –

٣٣١٧ – حدثني به يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثني هشيم ، عن أبي بشر ، عن يزيد بن عبد الله بن الشخِّير : أنه أهلّ بعمرة فأحْصِر، قال: فكتب إلى ابن عباس وابن عمر ، فكتبا إليه : أن يبعث بالهدْى، ثم يقيم حتى يَحِل من عمرته. قال : فأقام ستة أشهر أو سبعة أشهر .

---

(١) الموطأ : ٣٦١ ، مع خلاف يسير في لفظه ، وفيه : «المحصر بمرض لا يحل . . . »

(٢) انظر ما سلف رقم : ٣٢٣٨ ، ٣٢٨٧ ، ٣٢٨٨ .

٣٣١٨ – حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا يعقوب ، عن أبي العلاء بن الشخير قال: خرجت معتمراً، فصُرِعت عن بَعيري، فكسرت رجلي، فأرسلنا إلى ابن عباس وابن عمر نسألهما، فقالا: إن العمرة ليس لها وقت كوقتِ الحج، لا تَحلَّ حتى تطوفَ بالبيت. قال : فأقمت بالدَّثينَةِ أو قريباً منه سبعةَ أشهر أو ثمانية أشهر.(١)

٣٣١٩ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثني مالك ، عن أيوب بن أبي تميمة السَّختياني ، عن رجل من أهل البصرة كان قديماً أنه قال : خرجت إلى مكة ، حتى إذا كنت ببعض الطريق كُسِرَت فخذي ، فأرسلت إلى مكة إلى عبد الله بن عباس ، وبها عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر والناسُ ، فلم يرخِّص لي أحد أن أحِلَّ ، فأقمت على ذلك إلى سبعة أشهرٍ ، حتى أحللت بعمرة.(٢)

٣٣٢٠ – حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن ابن شهاب : في رجل أصابه كَسرٌ وهو معتمر ، قال : يمكث على إحرامه حتى يأتي البيت ويطوفَ به وبالصفا والمروة ، ويحلِق أو يقصِّر ، وليس عليه شيء.

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل هذه الآية، قولُ من

---

(١) الدثينة (بفتح أوله وكسر ثانيه) : منزل لبني سليم في طريق البصرة إلى مكة، وكانت تسمى « الدفينة » أيضاً . وقال البكري في معجم ما استعجم : « الدثينة » بفتح أوله وثانيه ، بعده نون وياء مشددة . ثم نقل عن أبي علي القالي : «الدفينة والدثينة : منزل لبني سليم، نقلته من كتاب يعقوب في الإبدال » ، والصواب ما ذكره ياقوت في ضبطها ، لقول النابغة الذبياني :

وَعَلَى الرُّمَيْثَةِ مِنْ سُكَيْنٍ حَاضِرٌ وَعَلَى الدَّثِينَةِ مِنْ بَنِي سَيَّارِ

(٢) الموطأ : ٣٦١، وفي بعض لفظه خلاف يسير ، وفيه أيضاً : « فأقمت على ذلك الماء سبعة أشهر »، وكأنها الصواب .

قال : إن الله عز وجل عنى بقوله= : « فإن أحصرتم فما استيسر من الهدْى ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله » = كلّ محصر فى إحرام، بعمرة كان إحرامُ المحصر أو بحج . وجعل محل هديه الموضعَ الذى أحصِر فيه ، وجعل له الإحلال من إحرامه ببلوغ هديه محلَّه —(١) وتأوّل بـ « المحلّ » المنحرَ أو المذبح ، وذلك حين حلّ نحرُه أو ذبحُه ، فى حرم كان أو فى حل ، وألزمه قضاءَ ماحل منه من إحرامه قبل إتمامه إذا وجدَ إليه سبيلاً ، وذلك لتواتر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صُدّ عام الحديبية عن البيت وهو محرمٌ وأصحابه بعمرة ، فنحر هو وأصحابُه بأمره الهدىَ ، وحلّوا من إحرامهم قبل وصولهم إلى البيت ، ثم قضَوا إحرامهم الذى حلّوا منه فى العام الذى بعده . ولم يدّع أحدٌ من أهل العلم بالسِّير ولا غيرهم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحداً من أصحابه أقام على إحرامه انتظاراً للوصول إلى البيت ، والإحلال بالطواف به وبالسعى بين الصفا والمروة ، ولا تحفّى وصولَ هديه إلى الحرم .(٢)

فأولى الأفعال أن يُقْتَدَى به فعلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ لم يأت بحظره خبرٌ ، ولم تقم بالمنْع منه حُجة . فإذ كان ذلك كذلك ، وكان أهل العلم مُختلفين فيما اخترنا من القول فى ذلك = فمن متأوِّل معنى الآية تأويلَنا ، ومن مخالف ذلك ، ثم كان ثابتاً بما قلنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم النَّقلُ = كان الذى نُقل عنه أولى الأمور بتأويل الآية ، إذْ كانت هذه الآية لا يَتدافع أهل العلم أنها يومئذ نزلت ، وفى حُكم صدّ المشركين إياه عن البيت أوحِيتْ .(٣)

---

(١) قوله : « وتأول . . » معطوف على قوله : « . . . قول من قال . . . »

(٢) فى المطبوعة : « ولا يخفى وصول هديه إلى الحرم » ، وهو لا معنى له . وتحفى : استقصى وبالغ وعنى فى معرفة الشىء . من قولهم : « هو به حفى » ، أى معنى شديد الاهتمام . هذا ما استظهرته من قراءة هذه الكلمة . والله المسدد للصواب .

(٣) فى المطبوعة : « أنها يومئذ نزلت فى حكم صد المشركين . . . » ، وزيادة الواو لابد منها حتى يستقيم الكلام ويعتدل جانباه .

وقد روى بنحو الذى قلنا فى ذلك خبرٌ :

٣٣٢١ – حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية قال ، حدثنى الحجاج بن أبى عثمان قال ، حدثنى يحيى بن أبى كثير : أن عكرمة مولى بن عباس حدثه قال : حدثنى الحجاج بن عمرو الأنصارى : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يَقول : مَن كُسِر أو عَرِج فقد حَل، وعليه حجة أخرى. قال : فحدثت ابن عباس وأبا هريرة بذلك، فقالا : صَدق .(١)

٣٣٢٢ – حدثني يعقوب قال : حدثنا مروان قال، حدثنا حجاج الصواف = وحدثنا حميد بن مسعدة قال ، حدثنا سفيان بن حبيب ، عن الحجاج الصواف = عن يحيى بن أبى كثير ، عن عكرمة ، عن الحجاج ابن عمرو ، عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه ، وعن ابن عباس وأبى هريرة .(٢)

* * *

١٣٣/٢ ومعنى هذا الخبر ، الأمر بقضاء الحجة التى حَلّ منها ، نظيرَ فعل النبىّ عليه السلام وأصحابه فى قضائهم عمرتهم التى حَلّوا منها عام الحديبية من القابل ، فى عام عُمرة القضيّة .

* * *

---

(١) الحديث : ٣٣٢١ – حجاج بن أبى عثمان الصواف : ثقة حافظ ، أخرج له أصحاب الكتب الستة .

والحديث رواه أحمد فى المسند : ١٥٧٩٦ (٣ : ٤٥٠ حلبى) ، عن يحيى القطان ، وعن ابن علية كلاهما عن حجاج الصواف ، بهذا الإسناد .

ورواه أبو داود : ١٨٦٢ ، من طريق يحيى ، عن حجاج . قال المنذرى : « وأخرجه الترمذى ، والنسائى ، وابن ماجة » . وسيأتى عقب هذا بإسناد ثان .

(٢) الحديث : ٣٣٢٢ – مروان : هو ابن معاوية الفزارى، مضت ترجمته : ١٢٢٢ .

والحديث مكرر ما قبله . وقد رواه الحاكم فى المستدرك ١ : ٤٧٠ ، من طريق مروان بن معاوية الفزارى ، بهذا الإسناد. وقال : « هذا حديث صحيح على شرط البخارى ، ولم يخرجاه ». ووافقه الذهبى .

ووقع فى نسخة المستدرك المطبوعة « مروان ثنا معاوية الفزارى » ! وهو خطأ مطبعى ، ينبغى تصحيحه .

ويقالُ لمن زَعم أنّ الذى حصره عدوّ، إذا حَل من إحرامه التطوّع فلا قضاء عليه ، وأن المحصر بالعلل عليه القضاء : ما العلة التى أوجبتْ على أحدهما القضاء، وأسقطت عن الآخر ، وكلاهما قد حلّ من إحرام كان عليه إتمامه ، لولا العلة العائقة ؟

فإن قال : لأن الآية إنما نزلت فى الذى حصره العدو ، فلا يجوز لنا نقْل حكمها إلى غير ما نزلت فيه .

قيل له : قد دافعك عن ذلك جماعة من أهل العلم ، غير أنا نُسلم لك ما قلت فى ذلك ، فهلاّ كان حُكم المنع بالمرض والإحصار ، له حكم المنع بالعدو ، إذ هما متّفقان فى المنع من الوصول إلى البيت وإتمامِ عمل إحرامهما ، وإن اختلفت أسبابُ منعهما ، فكان أحدهما ممنوعاً بعلة فى بدنه ، والآخر بمنع مانع ؟ ثم يسئل الفرق بين ذلك من أصلٍ أو قياس ، فلن يقول فى أحدهما شيئاً إلا ألزم فى الآخر مثله.

* * *

وأما الذين قالوا : لا إحصار فى العمرة، فإنه يقال لهم : قد علمتم أن النبى صلى الله عليه وسلم إنما صُدّ عن البيت وهو محرمٌ بالعمرة ، فحلّ من إحرامه ، فما برهانكم على عدم الإحصارِ فيها ؟ أوَ رأيتم إن قال قائل : لا إحصار فى حج ، وإنما فيه فوتٌ ، وعلى الفائت الحج المقامُ على إحرامه حتى يطوف بالبيت ويسعى بين الصفا والمروة ، لأنه لم يصح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سَن فى الإحصار فى الحج سُنة ؟ فقد قال ذلك جماعة من أئمة الدين ، فأما العمرة ، فإن النبى صلى الله عليه وسلم سَنّ فيها ما سَن، وأنزل الله تبارك وتعالى فى حكمها ما بَيّن من الإحلال والقضاء الذى فعله صلى الله عليه وسلم ، ففيها الإحصارُ دون الحج ، هل بينها وبينه فرق ؟ ثم يعكس عليه القول فى ذلك ، فلن يقول فى أحدهما شيئاً إلا ألزِم فى الآخر مثله .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى ، ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يَبلغ الهدى مَحِله ،(١) إلا أن يُضطر إلى حلقه منكم مضطرٌّ ، إما لمرض ، وإما لأذى برأسه من هوامّ أو غيرها ، فيحلق هنالك للضرورة النازلة به ، وإن لم يبلغ الهدى محِله ، فيلزمه بحِلاق رأسه وهو كذلك ، فديةٌ من صيام أو صدقة أو نُسُك .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٣٣٢٣ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا ابن جريج قال : قلت لعطاء : ما « أذًى من رأسه » ؟ قال : القمل وغيره ، والصداع ، وما كان فى رأسه .

* * *

وقال آخرون : لا يحلِقُ إن أراد أن يفتدى الحجَّ بالنسك ، أو الإطعام ، إلا بعد التكفير . وإن أراد أن يفتدى بالصوم ، حلَق ثم صام .

* ذكر من قال ذلك :

. . . . . .

٣٣٢٤ – حدثنا عبيدالله بن معاذ ، عن أبيه ، عن أشعث ، عن الحسن قال : إذا كان بالمحرم أذًى من رأسه ، فإنه يحلق حين يَبْعث بالشاة ، أو يطعم المساكين

---

(١) انظر ما سلف ص : ٣٦ ، والتعليق رقم : ١

وإن كان صوم ، حلق ثم صام بعد ذلك.(١)

. . . . . .

* * *

* ذكر من قال ذلك :

٣٣٢٥ – حدثني عُبيد بن إسمعيل الهبارى قال، حدثنا عبد الله بن نمير ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة قال : إذا أهل الرجل بالحج فأحصر ، بعث بما استيسر من الهدْى ، شاةً فإن عَجِل قبل أن يبلغ الهدى مَحِله، فحلق رأسه أو مَس طيباً أو تداوى ، كان عليه فدية من صيام أو صدقة أو نسُك . قال إبراهيم: فذكرت ذلك لسعيد بن جبير فقال : كذلك قال ابن عباس .

٣٣٢٦ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى »، قال : من أحصرَ بمرض أو كسر فليُرْسل بما استيسر من الهدى، ولا يحلقْ رأسَه ولا يحلّ حتى يوم النحر . فمن كان مريضاً أو اكتحل أو ادّهن ، أو تداوى ، أو كان به أذى من رأسه ، فحلق ، ففدية من صيام أو صدقة أو نسك .

---

(١) الخبر : ٣٣٢٤ – عبيد الله بن معاذ بن معاذ العنبرى الحافظ : ثقة ، أخرج له الشيخان وغيرهما ، مات سنة ٢٣٧ . وهو بصرى ، وابن جرير ولد سنة ٢٢٤ ، فكانت سنه حين وفاة عبيد الله ١٣ سنة ، ولا يبعد سماعه منه ، إلا أنه لم يرحل فى طلب الحديث فى هذه السن . ولم أجد ما يؤيد ظاهر هذا الإسناد : أنه سمع عبيد الله . وسيأتى هذا الإسناد فى خبر آخر : ٣٣٧٤ ، بواسطة بين الطبرى وعبيد الله . وليس يمتنع أن يروى الراوى عن شيخ مباشرة تارة ، وبواسطة تارة أخرى . ولكنى أشك فى صحة مطبوعة الطبرى فى هذا الموضع ، خشية أن يكون سقط اسم شيخ بينهما .

وقد وضعت قبل هذا الأثر نقطاً وبعده نقطاً أخرى ، ليقينى أن فى هذا الموضع خرم وخلط لم أستطع أن أهتدى إليه . ومع ذلك فأنا فى شك من نص هذا الأثر ، وأخشى أن يكون من كلام الطبرى ، لا من كلام الحسن ، وسيأتى قول الحسن بهذا الإسناد فى رقم : ٣٣٧٤ .

هذا والإسناد هناك ، « حدثنا ابن أبى عمران قال حدثنا عبيد الله بن معاذ عن أبيه . . . » ، وكذلك نقله ابن كثير فى تفسيره ١ : ٤٤٨ . فلا شك أن فى هذا الإسناد نقصاً أيضاً ، وصوابه « حدثنا ابن أبى عمران قال حدثنا عبيد الله بن معاذ . . . » .

٣٣٢٧ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٣٣٢٨ ــ حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولا تَحلِقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محلَّه فمن كان منكم مريضاً أو به أذًى من رَأسه ففديةٌ من صيام أو صَدقةٍ أو نسُك» ، هذا إذا كان قد بعث بِهَدْيه، ثم احتاج إلى حَلْق رأسه من مرض ، وإلى طِيب ، وإلى ثوب يلبسه ، قميص أو غير ذلك : فعليه الفدية . ١٣٤/٢

٣٣٢٩ ــ وحدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح كاتب الليث قال ، حدثني الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب قال : من أحصِر عن الحج ، فأصابه في حبسه ذلك مَرَضٌ أو أذًى برأسه، فحلق رأسه في مَحْبِسه ذلك ، فعليه فدية من صيام أو صَدقةٍ أو نُسُك .

٣٣٣٠ ــ حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنا الليث قال ، حدثنا عقيل ، عن ابن شهاب قال : أخبرني سالم بن عبد الله : أن عبد الله بن عمر قال : من أحْصِر بعد أن يُهلَّ بحجٍّ ، فحبسه مرضٌ أو خوف ، فإنه يتعالج في حبسه ذلك بكل شيء لا بد له منه ، غير أنه لا يَحِلّ له النساءُ والطيب ، ويفتدي بالفدية التي أمرَ الله بها : صيامٍ أو صَدقةٍ أو نسك .

٣٣٣١ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثني بشر بن السري ، عن شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن سلمة قال : سئل علي رضي الله عنه عن قول الله جل ثناؤه : « فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صَدقة أو نسك» ، قال : هذا قبل أن ينحرَ الهدْي ، إن أصابه شيء فعليه الكفارة .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رَأسه ،

فعليه فدية من صيام أو صدقة أو نسك ، قبل الحِلاق إذا أراد حلاقه .

* ذكر من قال ذلك .

٣٣٣٢ ــ حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه، عن ابن عباس قوله : « فمن كان منكم مريضاً أو به أذًى من رأسه ففديةٌ من صيامٍ أو صَدقةٍ أو نسك »، فمن اشتد مرضه، أو آذاه رأسُه وهو محرم، فعليه صيامٌ، أو إطعامٌ، أو نسك . ولا يحلق رأسه حتى يُقدِّم فديته قبل ذلك .

* * *

وعلة من قال هذه المقالة ما : ــ

٣٣٣٣ ــ حدثنا به المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن يعقوب قال : سألت عطاء عن قوله : « فمن كان منكم مريضاً أو به أذًى من رأسه ففدية من صيام أو صَدقة أو نسك »، فقال: إنّ كعب بن عُجْرة مرّ بالنبي صلى الله عليه وسلم وبرأسه من الصِّئْبان والقمل كثيرٌ ، فقال له النبي عليه السلام : هل عندك شاة ؟ فقال كعب : ما أجدُها ! فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : إن شئتَ فأطعم ستة مساكين ، وإن شئت فصم ثلاثة أيام ، ثم احلق رأسك.(١)

* * *

(١) الحديث : ٣٣٣٣ ــ هذا الحديث إلى الحديث : ٣٣٥٨ ثم الحديث : ٣٣٦٤ كلها طرق لحديث كعب بن عجرة ، من أوجه مختلفة ، بألفاظ وسياقات ، ثم الحديث ٣٣٥٩ ، في قصة كعب أيضاً . فهي ٢٨ حديثاً ، وجدت تخريج أكثرها . ومنها ١٠ أسانيد لم يقع إلى تخريجها ، فتستفاد من هذا التفسير العظيم ، ولعل بعضها موجود في مراجعنا ولكن لم أصل إليه .

وأرقام الأسانيد التي لم أجد تخريجها هي : ٣٣٣٣ ، ٣٣٣٩ ، ٣٣٤٣ ، ٣٣٤٤ ، ٣٣٤٩ ، ٣٣٥٠ ، ٣٣٥٥ ، ٣٣٥٧ ، ٣٣٥٨ ، ٣٣٥٩ .

وهذا الإسناد : ٣٣٣٣ ــ أولها ، ولم أجده في موضع آخر

وعطاء ، في هذا الإسناد : الظاهر أنه عطاء بن أبي رباح . ويحتمل أن يكون « عطاء بن عبد الله الخراساني » ، لأن الحديث سيأتي من روايته : ٣٣٥٣ ، عن شيخ مبهم ، عن كعب بن عجرة .

وأيا ما كان ، فهذا الإسناد ضعيف لإرساله ، لأن عطاء يحكي قصة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يدركها ، ثم لم يذكر من حدثه بها .

قال أبو جعفر : فأما « المرض » الذى أبيحَ معه العلاجُ بالطِّيب وَحلقُ الرأس، فكلّ مرَض كان صلاحه بحلقه ، كالبِرْسام الذى يكون من صَلاح صاحبه حَلْق رأسه وما أشبه ذلك ،[1] والجراحات التى تكون بجسد الإنسان التى يحتاج معها إلى العلاج بالدواء الذى فيه الطيب ، ونحو ذلك من القرُوح والعلل العارضة للأبدان .

وأما « الأذى» الذى يكون إذا كان برأس الإنسان خاصة له حَلْقه ، فنحو الصداع والشَّقيقة وما أشبه ذلك،[2] وأن يكثُر صِئْبان الرأس ، وكل ما كان للرأس مؤذياً مما فى حلقه صلاحُه ودفع المضرّة الحالّة به، فيكون ذلك بعموم قول الله جل وعز : « أو به أذى من رَأسه » .

* * *

وقد تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هذه الآية نزلت عليه بسبب كعب بن عُجْرَة ،إذ شكا كثرة أذى برأسه من صئبانه ،وذلك عام بالحديبية .

* ذكر الأخبار التى رويت فى ذلك :

٣٣٣٤ – حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب وحميد بن مَسعدة قالا ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا داود ، عن الشعبى ، عن كعب بن عجرة قال : مرّ بى رَسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية ، ولى وَفْرَة فيها هَوامُّ ما بين أصْل كلّ شَعرة إلى فرعها : قَملٌ وصئبان . فقال : إنّ هذا لَأذًى ! قلت : أجل يا رسول الله ، شديدٌ ! قال : أمعك دم ؟ قلت : لا ! قال : فإن شئتَ

وسيأتى الحديث مرة أخرى ٣٣٥٧ ، من رواية ابن جريج ، عن عطاء ، مرسلا أيضاً .

ومعناه ثابت صحيح من الروايات الموصولة الصحيحة الآتية ، وفيها كثرة ، والحمد لله .

الصئبان جمع صؤاب (بضم بفتح) جمع صؤابة : وهو بيض القمل .

(٢) البرسام : ورم حار يعرض للحجاب الذى بين الكبد والأمعاء . ثم يتصل إلى الدماغ ، حتى يهذى صاحبه فى علته هذه .

(٣) الشقيقة : صداع يأخذ فى نصف الرأس والوجه ، يداوى بالاحتجام .

فصمْ ثلاثة أيام، وإن شئت فتصدق بثلاثة آصُعٍ من تمر على ستة مساكين . على كل مسكين نصف صاع .(١)

٣٣٣٥ – حدثني إسحق بن شاهين الواسطيّ قال ، حدثنا خالد الطحان ، عن داود ، عن عامر ، عن كعب بن عجرة ، عن النبي بنحوه .

٣٣٣٦ – حدثنا محمد بن عبيد المحاربي قال ، حدثنا أسد بن عمرو ، عن أشعث ، عن عامر ، عن عبد الله بن معقل ، عن كعب بن عجرة قال : خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية ، ولي وفْرَة من شَعْر قد قَمِلَت وأكلني الصِّئبان ، فرآني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : احلِق ! ففعلت ، فقال : هل لك هَدْي؟ فقلت : ما أجد! فقال : إنه ما استيسر من الهدْي ! فقلت : ما أجد ! فقال : صمْ ثلاثة أيام ، أو أطعم ستة مساكين ، كل مسكين نصفَ صاع . قال : فيّ نزلت هذه الآية : « فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صَدقة أو نسك » ، إلى آخر الآية(٢)

---

(١) الحديثان : ٣٣٣٤ ، ٣٣٣٥ – داود : هو ابن أبي هند .

والحديث رواه أحمد في المسند ٤ : ٣٤٣ ، وأبو داود : ١٨٥٨ – كلاهما من طريق داود ، عن الشعبي .

الوفرة : أعظم من الجمة ، وهي ما جاوز شحمة الأذنين من الشعر ، ثم اللمة ، وهي ما ألم بالمنكبين . والهوام ، واحدها هامة : وهي الحيات وأشباهها مما يهم ، أي يدب . والهميم الدبيب . وكنوا عن القمل بأنها هوام ، لأنها تهم في الرأس ، أي تدب فيه وتؤذي . وآصع جمع صاع ، وأصلها « أصؤع » بالهمزة مضمومة (مثل جبل وأجبل) قلبت الهمزة مكان الصاد ، كما قالوا في دار أدؤر وآدر ، (المغرب ، عن أبي علي الفارسي ومعيار اللغة للشيرازي) ، والصاع مكيال لأهل المدينة ، وللفقهاء اختلاف كثير في تقديره ، وسيأتي (آصع) في رقم : ٣٣٤٦

(٢) الحديث : ٣٣٣٦ – أسد بن عمرو البجلي القاضي : فقيه من أصحاب أبي حنيفة ، وروى عنه الإمام أحمد ، وقال : « كان صدوقاً » . ووثقه ابن سعد ٧ / ٢ / ٧٤ . وترجمته في التعجيل . وهو مختلف فيه جداً ، بين التوثيق والتكذيب . والعدل ما قال أحمد . أشعث : هو ابن سوار الكندي . وهو ثقة . عامر : هو الشعبي .

عبد الله بن معقل بن مقرن المزني : تابعي ثقة من خيار التابعين . و « معقل » : بفتح الميم وسكون العين المهملة وكسر القاف . و « مقرن » : بضم الميم وفتح القاف وتشديد الراء المكسورة وآخره نون .

والحديث رواه أحمد ٤ : ٢٤٣ (حلبي) ، عن هشيم ، عن أشعث ، بهذا الإسناد . وسيأتي : ٣٣٦٤ ، من طريق هشيم .

قال أبو جعفر · وهذا الخبر ينبئ عن أن الصحيح من القول أنّ الفدية إنما تجب على الحالق بعد الحلق ، وفساد قول من قال : يفتدى ثم يحلق . لأن كعباً يخبر أنّ النبي صلى الله عليه وسلم أمرَه بالفدية ، بعد ما أمره بالحلق فحلَق .

* * *

٣٣٣٧ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا مؤمل قال، حدثنا سفيان ، عن عبد الرحمن بن الأصبهانى ، عن عبدالله بن معقل ، عن كعب بن عجرة: أنه قال: أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصيام ثلاثة أيام ، أو فَرَقٍ من طعام بين ستة مساكين.(١) ١٣٥/٢

٣٣٣٨ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن عبد الرحمن بن الأصبهانى ، عن عبد الله بن معقل قال : قعدت إلى كعب وهو فى المسجد ، فسألته عن هذه الآية :«ففديةٌ من صيام أو صَدَقةٍ أو نسك »، فقال كعب : نزلت فىّ ، كان بى أذى من رأسى ، فحملت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقَمْل يتناثر على وجهى ، فقال: ما كنت أرَى أن الجهْد بلغ منك ما أرى ! أتجد شاة ؟ فقلت : لا ! فنزلت هذه الآية :« ففدية من صيام أو صدقة أو نسك » ، قال : فنزلت فىّ خاصة ، وهى لكم عامة.(٢)

---

(١) الحديث : ٣٣٣٧ – مؤمل : هو ابن إسمعيل . سفيان : هو الثورى .

عبد الرحمن بن الأصبهانى : هو عبدالرحمن بن عبد الله بن الأصبهانى . وهو ثقة ، أخرج له أصحاب الكتب الستة .

والحديث رواه أحمد فى المسند ٤ : ٢٤٢ – ٢٤٣ (حلبى) ، عن مؤمل بن إسمعيل ، بهذا الإسناد ، بلفظ أطول مما هنا .

الفرق (بفتح الراء وسكونها) : مكيال لأهل المدينة يسع ستةعشر رطلا . وفى تقديره أيضاً اختلاف كاختلافهم فى الصاع . وانظر ما سيأتى رقم : ٣٣٤٦ .

(٢) الحديث : ٣٣٣٨ – رواه الطيالسى فى مسنده : ١٠٦٢ ، عن شعبة ، بهذا الإسناد . ورواه أحمد فى المسند ٤ : ٢٤٢ (حلبى) ، عن محمد بن جعفر ، وعن عفان ، وعن بهز – ثلاثتهم عن شعبة .

وكذلك رواه البخارى ٤ : ١٤ (فتح) ، ومسلم ١ : ٣٣٦ – ٣٣٧ ، وابن ماجة : ٣٠٧٩ – كلهم من طريق شعبة .

٣٣٣٩ – حدثني تميم قال، أخبرنا إسحق الأزرق ، عن شريك ، عن عبدالرحمن بن الأصبهاني قال : سمعت عبد الله بن معقل المزني يقول : سمعت كعب ابن عجرة يقول: حججتُ مع النبي صلى الله عليه وسلم فقَمِل رأسي ولحيتي وشاربي وَحاجبي ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إليّ فقال : ما كنت أرى هذا أصابك ؟ ثم قال : ادعوا لي حلاقاً! فدعوه ، فحلقني ، ثم قال : أعندك شيء تَنسُكه عَنك ؟ قال: قلت : لا! قال : فصم ثلاثةَ أيام، أو أطعم ستة مساكين، كلَّ مسكين نصفَ صاع من طعام . قال كعب : فنزلت هذه الآية فيّ خاصة : « فمن كان منكم مريضاً أو به أذًى من رَأسه ففديةٌ من صيامٍ أو صدقةٍ أو نسك » ، ثم كانت للناس عامة.(١)

٣٣٤٠ – حدثني نصر بن علي الجهضمي قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثني أيوب ، عن مجاهد ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن كعب بن عجرة قال: مر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أوقد تحتَ قِدر ، والقملُ يتناثر على وجهي ، فقال : أتؤذيك هَوامُّ رأسك ؟ قال : قلت : نعم! قال : احلقه ، وصم ثلاثة أيام ، أوطعم ستة مساكين ، أو اذبح شاة.(٢)

---

(١) الحديث : ٣٣٣٩ – تميم : هو ابن المنتصر الواسطي ، شيخ الطبري . مضت ترجمته : ٨٩١ .

إسحق الأزرق : هو إسحق بن يوسف بن مرداس المخزومي الواسطي . ثقة معروف ، من شيوخ أحمد وابن معين ، وأخرج له أصحاب الكتب الستة . وشيخه شريك : هو ابن عبد الله النخعي .

عبد الله بن معقل المزني ، كما بينا من قبل . ووقع هنا في المطبوعة « المري » ، وهو تصحيف .

وهذا الإسناد مما لم أجده – من طريق شريك – في موضع آخر .

نسك ينسك (بضم السين) نسكا : ذبح ، والمنسك الموضع الذي تذبح فيه النسك . والنسيكة الذبيحة .

(٢) الحديث : ٣٣٤٠ – رواه أحمد ٤ : ٢٤٤ (حلبي) ، من طريق معمر . ورواه البخاري ٧ : ٣٥١ ، و مسلم ١ : ٣٣٦ ، من طريق حماد بن زيد – كلاهما عن أيوب ، بهذا الإسناد . وسيأتي عقب هذا ، من رواية ابن علية ، عن أيوب . وسيأتي : ٣٣٤٦ ، من رواية ابن عيينة ، عن ابن أبي نجيح وأيوب .

٣٣٤١ – حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا أيوب بإسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله = إلا أنه قال : والقمل يتناثر عليّ – أو قال : على حاجبي . وقال أيضاً : أو انسُكْ نَسيكةً . قال أيوب : لا أدرى بأيَّتهن بَدأ .(١)

٣٣٤٢ – حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا عبد الله بن عون ، عن مجاهد ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب قال : فيّ أنزلت هذه الآية – قال : فقال لى : ادنُهْ . فدنوت ، فقال : أيؤذيك هوامُّك؟ قال : أظنه قال : نعم ! قال : فأمرنى بصيام أو صَدَقة أو نسك، ما تيَسَّر.(٢)

٣٣٤٣ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا محمد بن بكر قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن صالح أبي الخليل ، عن مجاهد ، عن كعب بن عجرة: أن النبي صلى الله عليه وسلم أتَى عليه زمنَ الحديبية وهو يُوقِد تحتَ قِدر له ، وهوامُّ رأسه تتناثر على وجهه، فقال: أتؤذيك هوامُّك ؟ قال: نعم! قال : احلق رأسَك ، وعليك فدية من صيام أو صدقة أو نسكٍ ، تذبح ذبيحة ، أو تصوم ثلاثة أيام ، أو تطعمُ ستة مساكين.(٣)

---

(١) الحديث : ٣٣٤١ – رواه أحمد فى المسند ٤ : ٢٤١ (حلبى) ، عن إسمعيل – وهو ابن علية – بهذا الإسناد .

ورواه مسلم ١ : ٣٣٦ ، عن يعقوب بن إبرهيم – شيخ الطبرى هنا – وعن على بن حجر وزهير ابن حرب ، ثلاثتهم عن ابن علية .

(٢) الحديث : ٣٣٤٢ – رواه مسلم ١ : ٣٣٦ ، من طريق ابن أبي عدى ، عن ابن عون ، بهذا الإسناد .

(٣) الحديثان : ٣٣٤٣ ، ٣٣٤٤ – سعيد ، فى الإسنادين : هو ابن أبي عروبة .

صالح أبو الخليل – وفى الإسناد الثانى « عن أبي الخليل – : هو صالح بن أبي مريم ، وكنيته « أبو الخليل » . مضت ترجمته : ١٨٩٩ . ووقع فى المطبوعة هنا فى أولهما « عن صالح بن أبي الخليل » ، وفى ثانيهما « عن ابن أبي الخليل » . وهو خطأ ناسخ أو طابع فى زيادة كلمة « بن » .

وهذان الإسنادان ، من طريق صالح بن أبي مريم عن مجاهد – مما لم أجده فى موضع آخر .

٣٣٤٤ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة عن أبي الخليل ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى على كعب ابن عُجْرة زمنَ الحديبية ، ثم ذكر نحوه .

٣٣٤٥ – حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال ، حدثنا زيد بن الحباب قال ، وأخبرني سيف ، عن مجاهد ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن كعب ابن عجرة قال : مرّ بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا بالحديبية ، ورأسي يتهافتُ قملاً ، فقال : أيؤذيك هوامُّك ؟ قال : قلت : نعم ! قال : فاحلِق . قال : فيّ نزلت هذه الآية : « ففديةٌ من صيام أو صَدقة أو نسك ».(١)

٣٣٤٦ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يحيى بن آدم قال ، حدثنا ابن عيينة ، عن ابن أبي نجيح وأيوب السختياني ، عن مجاهد ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن كعب بن عجرة قال : مرّ بي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وأنا أوقد تحتَ قِدْر ، والقمل يتهافتُ عليّ ، فقال : أتؤذيك هوامُّك ؟ قال : قلت : نعم ! قال : فاحلق وانسُك نسيكةً ، أو صُم ثلاثة أيام ، أو أطعم فَرَقاً بين ستة مساكين = قال أيوب : انسُك نَسيكةً . وقال ابن أبي نجيح : اذبح شاة = قال سفيان : والفرق ، ثلاثة آصُعٍ .(٢)

---

(١) الحديث : ٣٣٤٥ – موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، شيخ الطبري : مضت ترجمته في : ١٧٤ .

سيف : هو ابن سليمان – ويقال : ابن أبي سليمان – المخزومي المكي . وهو ثقة من شيوخ الثوري والقطان ووكيع ، وأخرج له الشيخان وغيرهما .

والحديث رواه أحمد في المسند ٤ : ٢٤٣ (حلبي) ، عن يحيى القطان ، عن سيف ، بهذا الإسناد . وكذلك رواه البخاري ٤ : ١٣ – ١٤ ، ومسلم ١ : ٢٣٦ ، كلاهما من طريق سيف ، به .

(٢) الحديث : ٣٣٤٦ – رواه أحمد في المسند ٤ : ٢٤٣ (حلبي) ، عن سفيان ، وهو ابن عيينة ، عن ابن أبي نجيح – وحده – عن مجاهد ، بهذا الإسناد ، مختصراً . ورواه أيضاً ٤ : ٢٤٢ عن عبد الرازق ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مطولا . وقد مضى في تخريج الحديثين : ٣٣٤٠ ، ٣٣٤١ ، رواية أحمد إياه من طريق أيوب . وأشرنا إلى هذا هناك .

ورواه مسلم ١ : ٣٣٦ ، والترمذي ٢ : ١٢٠ – ١٢١ كلاهما عن ابن أبي عمر ، عن سفيان

٣٣٤٧ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثني عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال ، حدثني عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عُجْرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رآه وقَمْله يسقط على وجهه ، فقال : أيؤذيك هوامُّك ؟ قال : نعم ! فأمره أن يحلق وهو بالحديبية ، لم يتبيَّن لهم أنهم يَحِلون بها ، وهم على طمع أن يدخلوا مكة ، فأنزل الله الفدية ، فأمره رسول الله أن يُطعِم فَرَقاً بين ستة مساكين ، أو يهدي شاةً ، أو يصوم ثلاثة أيام.(١)

٣٣٤٨ – حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن مجاهد ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن كعب بن عُجْرة قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية ، ونحن مُحرمون ، وقد حَصرنا المشركون ، قال : وكانت لي وفرةٌ ، فجعلت الهوامُّ تساقط على وجهي ، فمرّ بي النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أيؤذيك هوامّ رأسك ؟ قال : قلت : نعم ! قال : ونزلت هذه الآية : « فمن كان منكم مريضاً أو به أذًى من رأسه ففدية من صيام أو صَدَقةٍ أو نسك » .(٢) ١٣٦/٢

ابن عيينة ، عن أيوب ، وابن أبي نجيح ، وحميد الأعرج ، وعبد الكريم ، الأربعة عن مجاهد . وقال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح » .

(١) الحديث : ٣٣٤٧ – أبو عاصم : هو النبيل ، الضحاك بن مخلد . عيسى : هو ابن ميمون المكي ، مضت ترجمته في : ٢٧٨ .

والحديث رواه البخاري ٤ : ١٦ (فتح) ، من طريق شبل ، عن ابن أبي نجيح ، ثم من طريق ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، به .

ورواه البخاري أيضاً ٧ : ٣٤٣ ، من طريق ورقاء ، عن ابن أبي نجيح .

وقد مضى في الذي قبله أسانيد أخر عن ابن أبي نجيح .

(٢) الحديث : ٣٣٤٨ – يعقوب : هو ابن إبرهيم الدورقي الحافظ . هشيم : هو ابن بشير ابن القاسم ، أبو معاوية الواسطي .

أبو بشر : هو جعفر بن إياس ، وهو ابن أبي وحشية اليشكري الواسطي ، ثقة معروف ، أخرج له أصحاب الكتب الستة .

والحديث رواه أحمد في المسند ٤ : ٢٤١ (حلبي) ، عن هشيم ، بهذا الإسناد . ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده : ١٠٦٥ ، عن هشيم وأبي عوانة ، كلاهما عن أبي بشر ، به .

٣٣٤٩ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن مجاهد ، عن كعب بن عجرة قال : لَفِيَّ نزلت ، وإياى عَنَى بها : «فمن كان منكم مريضاً أو به أذًى من رأسه ففديةٌ من صيام أو صَدقة أو نسك» ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم = وهو بالحديبية ، وهو عندالشجرة ، وأنا محْرم = : أيؤذيك هوامُّه؟ قلت : نعم ! – أو كلمة لاأحفظها عنى بها ذاك – فأنزل الله جل وعز : « فمن كان منكم مريضاً أو به أذًى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك » ، والنسك شاة.(١)

٣٣٥٠ – حدثني يعقوب قال : حدثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن مجاهد قال ، قال كعب بن عجرة ، والذى نَفسى بيده ، لفيَّ نزلت هذه الآية ، وإياى عَنَى بها ، ثم ذكر نحوه قال : وأمرَه أن يحلق رأسه .

٣٣٥١ – حدثني يونس بن عبدالأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنى مالك ابن أنس ، عن عبد الكريم بن مالك الجزرى ، عن مجاهد ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن كعب بن عجرة : أنه كان مَعَ رسول الله صلى الله علية وسلم فآذاه القمْل فى رأسه ، فأمره رَسول الله عليه الصلاة والسلام أن يحلقَ رأسه ، وقال : صم ثلاثة أيام ، أو أطعم ستة مساكين مُدَّين مُدَّين لكل إنسان ، أو انسك بشاة ، أىّ ذلك فعلت أجزأك .(٢)

---

(١) الحديثان : ٣٣٤٩ ، ٣٣٥٠ – جرير : هو ابن عبد الحميد الضبى .
مغيرة : هو ابن مقسم – بكسر الميم وسكون القاف وفتح السين – الضبى الفقيه ، ثقة ، أخرج له الستة .
وهذان الإسنادان ، مما لم أجده فى موضع آخر . ومن البين أن فيهما انقطاعاً بين مجاهد وكعب بن عجرة ، بينهما عبد الرحمن بن أبي ليلى ، كما يتبين من الأسانيد السابقة واللاحقة .

(٢) الحديث : ٣٣٥١ – هو فى الموطأ ، ص : ٤١٧ ، ولكن حذف فيه « عن مجاهد » – بين عبد الكريم الجزرى وابن أبي ليلى . وكذلك هو فى الموطأ رواية سويد بن سعيد ، ص : ١٨٥ (من مصورة عن مخطوطة عتيقة نفيسة منه ، عندى) . وقال ابن عبد البر فى التقصى ، رقم : ٣٣٢ « هكذا هذا الحديث فى الموطأ عند أكثر الرواة ، ليس فيه ذكر مجاهد . وسقوط مجاهد منه خطأ ، لأن عبد الكريم

٣٣٥٢ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب، أن مالك بن أنس حدثه، عن حميد بن قيس، عن مجاهد، [عن ابن أبي ليلى]، عن كعب بن عجرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: لعله آذاك هوامُّك؟ – يعني القمل – قال: فقلت: نعم يا رسول الله! فقال: رسول الله: احلق رأسك وصم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين، أو انسك بشاة.(١)

٣٣٥٣ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب: أن مالك بن أنس حدثه، عن عطاء بن عبد الله الخراساني أنه قال: أخبرني شيخ بسوق البرّم بالكوفة، عن كعب بن عجرة أنه قال: جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أنفخُ تحت قِدر لأصحابي، قد امتلأ رأسي ولحيتي قملاً، فأخذ بجبهتي ثم قال: احلق هذا، أو صمْ ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مَساكين! وقد كان رسول الله صلى الله

إنما رواه عن مجاهد عن ابن أبي ليلى: وقد رواه ابن وهب وابن القاسم في الموطأ – عن مالك، عن عبد الكريم، عن مجاهد، عن ابن أبي ليلى، عن كعب. وهو الصواب». وقد أشار الحافظ في الفتح ٤ : ١١ إلى رواية الموطأ هذه، وقال: «قال الدارقطني: رواه أصحاب الموطأ: عن مالك، عن عبد الكريم، عن عبد الرحمن، لم يذكروا مجاهداً، حتى قال الشافعي: إن مالكاً وهم فيه»، ثم أشار إلى روايات من رواه عن مالك على الصواب: ابن القاسم، عند النسائي. وابن وهب، عند الطبري – وهي هذه الرواية. وعبد الرحمن بن مهدي عند أحمد. ورواية ابن مهدي، في المسند ٤ : ٢٤١ (حلبي). ورواية ابن القاسم، في النسائي ٢ : ٢٨. وكلاهما على الصواب، كرواية الطبري – هذه – من طريق ابن وهب.

(١) الحديث: ٣٣٥٢ – حميد بن قيس المكي القارئ، قارئ أهل مكة: ثقة من شيوخ مالك والثوري، وأخرج له الستة.

وقد سقط من إسناد الحديث هنا «ابن أبي ليلى»، بين مجاهد وكعب بن عجرة. وليس هذا من خطأ الناسخ أو الطابع، بل هو من بعض رواة الموطأ.

فالحديث في الموطأ، ص: ٤١٧، على الصواب «مجاهد، عن ابن أبي ليلى، عن كعب» – في رواية يحيى بن يحيى المعروفة، وكذلك هو على الصواب في رواية سويد بن سعيد عن مالك، ص: ١٨٥.

وقال ابن عبد البر في التقصي، رقم: ٤٣ «هذا هو الصحيح في إسناد هذا الحديث. ومن أسقط من إسناده عن مالك «ابن أبي ليلى» – فقد أفسد إسناده. ومن رواه كما رواه يحيى مجوداً: القعنبي، والشافعي، وابن عبد الحكم، وأبو مصعب، وابن بكير، والزبيري. وسقط لابن القاسم وابن وهب وابن عفير «ابن أبي ليلى» من إسناد هذا الحديث». ونحو ذلك قال الحافظ في الفتح ٤ : ١١. وقد رواه البخاري ٤ : ١٠ – ١٢، عن عبد الله بن يوسف، عن مالك، على الصواب.

عليه وسلم علم أنه ليس عندى ما أنسك به.(١)

٣٣٥٤ ــ حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن نافع قال ، حدثنى أسامة بن زيد ، عن محمد بن كعب القرظى ، عن كعب بن عُجْرة، قال كعب : أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين آذانى القمل، أن أحلق رأسى، ثم أصوم ثلاثة أيام ، أو أطعم ستة مساكين . وقد علم أنه ليس عندى ما أنسك به.(٢)

٣٣٥٥ ــ حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهرى قال، حدثنا روح ، عن أسامة ابن زيد ، عن محمد بن كعب قال : سمعت كعب بن عجرة يقول : أمرنى ــ يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ أن أحلق وأفتدى بشاة.(٣)

٣٣٥٦ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا هرون بن المغيرة، عن عنبسة ، عن الزبير بن عدى، عن أبى وائل شقيق بن سلمة قال : لقيت كعب بن عجرة فى هذه السوق ، فسألته عن حلق رأسه ، فقال : أحرمت فآذانى القمل ، فبلغ ذلك

---

(١) الحديث : ٣٣٥٣ ــ عطاء بن عبد الله الخراسانى : هو عطاء بن أبى مسلم ، واسم أبى مسلم « عبد الله » ، وهو الراجح الثابت عند مالك ، والذى اقتصر عليه ابن أبى حاتم ٣ / ١ / ٣٣٤ ــ ٣٣٥ . وفى التهذيب قول آخر : أنه « ميسرة » . وعطاء هذا : ثقة ، تكلم فيه بعضهم بغير حجة .

والحديث فى الموطأ ، ص : ٤١٧ ــ ٤١٨ . وأشار إليه الحافظ فى الفتح ، ولم ينسبه لغير الموطأ . ونقل عن ابن عبد البر لبيان الشيخ المبهم فى الإسناد ، قال : « يحتمل أن يكون عبد الرحمن بن أبى ليلى ، أو عبد الله بن معقل » . أقول : ويحتمل أن يكون غيرهما . فالإسناد منقطع حتى نستيقن من هذا المبهم ؟

(٢) الحديث : ٣٣٥٤ ــ يونس : هو ابن عبد الأعلى . ابن نافع : هو عبد الله بن نافع بن أبى نافع الصائغ المدنى ، من أصحاب مالك ، وهو ثقة ، أخرج له مسلم ، وتكلم بعضهم فى حفظه . أسامة بن زيد الليثى المدنى : ثقة ، أخطأ فى بعض أحاديث ، ولكن ذلك لا يدفعه عن الاحتجاج بروايته .

محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظى : تابعى ثقة ، أخرج له أصحاب الكتب الستة .

والحديث رواه ابن ماجة : ٣٠٨٠ ، عن عبد الرحمن بن إبراهيم ، عن عبد الله بن نافع ، بهذا الإسناد .

(٣) الحديث : ٣٣٥٥ ــ إبراهيم بن سعيد الجوهرى الطبرى البغدادى الحافظ : ثقة ثبت ، روى عنه أصحاب الكتب الستة إلا البخارى ، مترجم فى التهذيب . وتاريخ بغداد ٦ : ٩٣ ــ ٩٥ . روح : هو ابن عبادة ، مضت ترجمته : ٣٠١٥ .

والحديث مختصر ما قبله ، من هذا الوجه .

النبيّ صلى الله عليه وسلم، فأتاني وأنا أطبخ قدرًا لأصحابي ، فحك بإصبعه رأسي ، فانتثر منه القمل ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : احلقه ، وأطعم ستة مساكين .(١)

٣٣٥٧ – حدثنا محمد بن بشار قال: حدثنا أبو عاصم قال ، أخبرنا ابن جريج قال ، أخبرني عطاء ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بالحديبية عام حُبِسوا بها، وقمِل رأس رجل من أصحابه يقال له كعب بن عُجرة، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أتؤذيك هذه الهوامّ ؟ قال : نعم . قال: فاحلق واجزُزْ ،ثم صم ثلاثة أيام ،أو أطعم ستة مساكين مُدَّين مُدَّين. قال : قلت : أسمىً النبي صلى الله عليه وسلم مُدَّين مدَّين ؟ قال : نعم. كذلك بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم سمى ذلك لكعب ، ولم يسمِّ النُّسُك، قال، وأخبرني أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر كعباً بذلك بالحديبية ، قبل أن يؤذن للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالحلق والنحر ، لا يدري عطاء كم بين الحلق والنحر .(٢)

٣٣٥٨ – حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال، حدثني عمي عبد الله ابن وهب قال ، حدثني الليث، عن ابن مسافر ، عن ابن شهاب ، عن فضالة ابن محمد الأنصاري: أنه أخبره عمن لا يتهم من قومه ، أن كعب بن عجرة أصابه أذى في رأسه ، فحلق قبل أن يبلغ الهدي مَحله ، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم بصيام ثلاثة أيام .(٣)

---

(١) الحديث : ٣٣٥٦ – هرون بن المغيرة بن حكيم البجلي : ثقة ، وثقه ابن معين وغيره . عنبسة : هو ابن سعيد بن الضريس – بضم الضاد المعجمة – الأسدي : ثقة ، وثقه ابن معين وأبو زرعة وغيرهما . الزبير بن عدي الهمداني اليامي : ثقة ، وثقه أحمد وابن معين وغيرهما ، وأخرج له أصحاب الكتب الستة .

والحديث رواه النسائي ٢ : ٢٨ ، من طريق عمرو بن أبي قيس ، عن الزبير بن عدي ، بهذا الإسناد .

(٢) الحديث : ٣٣٥٧ – عطاء : الظاهر أنه ابن أبي رباح . ويحتمل أن يكون « ابن عبد الله الخراساني » ، الماضي في الإسناد : ٣٣٥٣ ، كما بينا في : ٣٣٣٣ .

(٣) الحديث : ٣٣٥٨ – ابن مسافر : هو عبد الرحمن بن خالد بن مسافر الفهمي المصري ،

٣٣٥٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو الأسود قال ، أخبرنا ابن لهيعة ، عن مخرمة ، عن أبيه قال : سمعت عمرو بن شعيب يقول : سمعت شعيباً يحدّث ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكعب ابن عجرة: أيؤذيك دَوَابُّ رأسك ؟ قال : نعم! قال: فاحلقه،وافتدِ إمّا بصومٍ ثلاثة أيام ، وإمّا أن تطعم ستة مساكين، أو نسك شاة . ففعل.(١) ١٣٧/٢

* * *

كان والياً على مصر سنة ١١٨ ، وهو ثقة ثبت ، أخرج له الشيخان وغيرهما .

فضالة بن محمد الأنصاري : ثقة ، ترجمه البخاري في الكبير ٤ / ١ / ١٢٦ ، قال : « يعد في أهل المدينة . عمن حدثه عن كعب بن عجرة . روى عنه الزهري » . وبنحو ذلك ترجمه ابن أبي حاتم ٣ / ٢ / ٧٧ .

والحديث لم أجده في موضع آخر ، إلا إشارة البخاري وابن أبي حاتم إليه ، بما ذكرنا .

ولحديث كعب عجرة أسانيد أخر ، زيادة على الأسانيد الكثيرة التي هنا :

فمنها : رواية شعبة ، عن الحكم ، عن أبي ليلى ، عن كعب – عند أحمد في المسند ٤ : ٢٤١ – ٢٤٢ ، ٢٤٣ (حلبي) .

ومنها : رواية ابن جريج ، عن عمرو بن دينار ، عن يحيى بن جعدة ، عن كعب – في المسند ٤ : ٢٤٢ .

ومنها : رواية وهيب ، عن خالد ، عن أبي قلابة ، عن ابن أبي ليلى . في المسند ٤ : ٢٤٢ ، وصحيح مسلم ١ : ٣٣٦ .

ومنها : رواية سليمان بن قرم ، عن ابن الأصبهاني ، عن عبد الله بن معقل المزني – في المسند ٤ : ٢٤٣ .

ومنها : رواية الليث ، عن نافع ، عن رجل من الأنصار ، عن كعب – عند أبي داود : ١٨٥٩ .

ومنها : رواية أبان ، عن الحكم ، عن ابن أبي ليلى – عند أبي داود : ١٨٦٠ .

ومنها رواية ابن أبي زائدة ، عن ابن الأصبهاني ، عن ابن معقل – عند مسلم ١ : ٣٣٧ .

وانظر السنن الكبرى للبيهقي ٥ : ٥٤ – ٥٥ ، ١٦٩ – ١٧٠ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ، ٢١٤ ، ٢٤٢ . ومجمع الزوائد ٣ : ٢٣٤ – ٢٣٥ .

(١) الحديث : ٣٣٥٩ – هذا إسناد صحيح . مخرمة : هو ابن بكير بن عبد الله بن الأشج المدني : وهو ثقة ، تكلموا في سماعه من أبيه ، فجزم بعضهم بأنه لم يسمع منه ، وإنما يحدث عن كتاب أبيه . وحكى ابن أبي أويس أنه وجد في ظهر كتاب مالك : : أنه سأل مخرمة عن ذلك ، فحلف له أنه سمع من أبيه الأحاديث التي يحدث بها عنه . انظر ترجمته في التهذيب . والكبير ٤ / ٢ / ١٦ ؛ وابن أبي حاتم ٤ / ١ / ٣٦٣ – ٣٦٤ ، والمراسيل لابن أبي حاتم ، ص : ٨٠ .

وهذا الحديث مما لم أجده في موضع آخر . إلا أن الحافظ أشار إليه في الفتح ٤ : ١١ ، وذكر أنه رواه الطبري والطبراني . ولم أجده في مجمع الزوائد ، مع أنه من شرطه ، لروايته عند الطبراني

قال أبو جعفر: وقد بينا قبل معنى « الفِدية » ، وأنها بمعنى الجزاء والبدَل.(١)

* * *

قال أبو جعفر : واختلف أهل العلم فى مبلغ الصيام والطعام اللذين أوجبهما الله على من حَلق شعره من المحرمين فى حال مرضه ، أو من أذًى برأسه .

فقال بعضهم : الواجب عليه من الصيام ثلاثة أيام ، ومن الطعام ثلاثة آصُع بين ستة مساكين ، لكل مسكين نصف صاع ، واعتلُّوا بالأخبار التى ذكرناها قبل .

* ذكر من قال ذلك :

٣٣٦٠ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن السدى ، عن أبى مالك : « ففدية من صيام أو صَدَقة أو نُسُك » ، قال : الصيام ثلاثةُ أيام ، والطعامُ إطعامُ ستة مساكين ، والنسك شاةٌ .

٣٣٦١ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن يمان قال ، حدثنا عبد الملك ابن أبى سليمان ، عن عطاء مثله .

٣٣٦٢ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن يمان ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد مثله .

٣٣٦٣ – حدثنى يعقوب قال ، حدثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ومجاهد أنهما قالا فى قوله : « ففدية من صيام أو صَدَقة أو نسك » ، قالا : الصيام ثلاثة أيام ، والطعام إطعام ستة مساكين ، والنسك شاة فصاعدًا .

٣٣٦٤ – حدثنى يعقوب قال ، حدثنا هشيم ، عن أشعث ، عن الشعبى ، عن عبد الله بن معقل ، عن كعب بن عجرة أنه : قال فى قوله : « ففدية من صيام أو صدقة أو نسك » ، قال : الصيام ثلاثة أيام ، والطعام إطعامُ ستة مساكين ، والنسك شاةٌ فصاعدًا = إلا أنه قال فى إطعام المساكين : ثلاثة آصع من تمر بين ستة مساكين.(٢)

---

(١) انظر ما سلف ٣ : ٤٣٨ – ٤٣٩

(٢) الحديث : ٣٣٦٤ – مضى : ٣٣٣٦ ، من رواية أسد بن عمرو ، عن أشعث . وقد أشرنا هناك إلى أنه رواه أحمد فى المسند ٤ : ٢٤٣ ، عن هشيم . فهذه رواية هشيم .

٣٣٦٥ ــ حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صَدقة أو نُسُك » ، إن صنعَ واحداً فعليه فدية ، وإن صنعَ اثنين فعليه فديتان ، وهو مخير أن يصنع أيَّ الثلاثة شاء . أما الصيامُ فثلاثة أيام، وأما الصدقة فستة مساكين لكل مِسكين نصف صاع ، وأما النسك فشاةٌ فما فوقها . نزلت هذه الآية فى كعب بن عُجرة الأنصارى ، كان أحْصِر ، فقمِل رأسه ، فحلقه .

٣٣٦٦ ــ حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : فمن كان مريضاً ، أو اكتحل ، أو ادَّهن ، أو تداوَى ، أو كان به أذى من رأسه من قمل ، فحلق، ففدية من صيام ثلاثة أيام ، أو صَدقة فَرَق بين ستة مساكين ، أو نسك . والنسك شاة .

٣٣٦٧ ــ حدثت عن عمار بن الحسن ، عن عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : «ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى مَحِله ، قال : فإن عجل قبل أن يبلغ الهدى مَحِله فحلق ، ففدية من صيام أو صدقة أو نسك. قال : فالصيام ثلاثة أيام، والصدقة إطعام ستة مساكينَ بين كل مسكينين صاع ، والنسك شاةٌ .

٣٣٦٨ ــ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن عبدالكريم ، عن سعيد بن جبير قال : يصوم صاحبُ الفدية مكان كل مُدَّين يوماً قال : مُداً لطعامه ، ومداً لإدامه .

٣٣٦٩ ــ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا هرون ، عن عنبسة ، بإسناده مثله .

٣٣٧٠ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا بشر بن السرى ، عن شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن سلمة قال : سئل علىّ رضى الله عنه عن قول الله : « فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رَأسه ففديةٌ من صيام أو صدقة أو نسك» ، قال : الصيام ثلاثة أيام، والصدقة ثلاثة آصُعٍ على ستة مساكين ، والنسك شاةٌ .

٣٣٧١ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني الليث قال ، حدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن حرب بن قيس مولى يحيى بن أبي طلحة: أنه سمع محمد بن كعب وهو يذكر الرجل الذى نزل فيه : « فمن كان منكم مريضاً أو به أذًى من رأسه » ، قال : فأفتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما الصيام فثلاثة أيام ، وأما المساكين فستة ، وأما النسك فشاة .

٣٣٧٢ ــ حدثني عبيد بن إسمعيل الهبّارى قال، حدثنا عبد الله بن نمير ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة قال : إذا أهل الرجل بالحج فأحصر ، بعث بما استيسر من الهدى ،شاةً. فإن عجل قبل أن يبلغ الهدى محِله ــ حلق رأسه، أومسَّ طيباً، أو تداوى ــ كان عليه فديةٌ من صيامٍ أو صَدقة أو نُسك . والصيام ثلاثة أيام ، والصدقة ثلاثة آصُعٍ على ستة مساكين ، لكل مسكين نصف صاع ، والنسك شاة .

٣٣٧٣ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ، ومجاهد قوله : « ففدية من صيام أو صدقةٍ أو نسك » ، قالا : الصيام ثلاثة أيام، والصدقة ثلاثةُ آصُعٍ على ستة مساكين ، والنسك شاةٌ .

* * *

١٣٨/٢ وقال آخرون : الواجبُ عليه ، إذا حلق رأسه من أذى ، أو تطيَّب لعلةٍ من مرض، أو فعل ما لم يكن له فعله فى حال صحته وهو محرم ــ من الصوم : صيامُ عشرة أيام ، ومن الصدقة : إطعامُ عشرة مساكين .

* ذكر من قال ذلك :

٣٣٧٤ ــ حدثنا ابن أبي عمران قال،حدثنا عبيد الله بن معاذ ، عن أبيه ، عن أشعث، عن الحسن فى قوله : « ففدية من صيام أو صدقة أو نسُك » ، قال : إذا كان بالمحرم أذًى من رأسه ، حلق وافتدى بأىٍّ هذه الثلاثة شاء . فالصيام

عشرة أيام ، والصدَقة على عشر مساكين، كل مسكين مَكُّوكين : مكُّوكاً من تمر ومَكوكاً من بُرّ ، والنسك شاة .[1]

٣٣٧٥ – حدثني عبد الملك بن محمد الرقاشي قال ، حدثنا بشر بن عمر قال ، حدثنا شعبة، عن قتادة ، عن الحسن وعكرمة : « ففدية من صيام أو صَدَقة أو نسك » ، قال : إطعام عشرة مساكين .

* * *

وقاس قائلو هذا القول كلَّ صيام وجبَ على مُحْرِم ، أو صدقة جزاءً = مِنْ نَقْص دخل في إحرامه، أو فعل ما لم يكن له فعله = بدلاً من دَم، على ما أوجب الله على المتمتع من الصوم إذا لم يجد الهدْى. وقالوا: جعل الله على المتمتع صيامَ عَشرة أيام مكانَ الهدْى إذا لم يجده . قالوا: فكل صَوم وجب مَكان دم، فمثله . قالوا : فإذا لم يَصم، وأراد الإطعام ، فإن الله جل وعز أقامَ إطعام مسكينٍ مكانَ صوم يوم لمن عجز عن الصوم في رمضان . قالوا : فكل من جُعِل الإطعام له مكانَ صوم لزِمه ، فهو نظيره . فلذلك أوجبوا إطعامَ عشرة مساكين في فِدْية الحلق .

* * *

وقال آخرون : بل الواجب على الحالق النُّسُك، شاةٌ إن كانت عنده . فإن

---

(١) الخبر : ٣٣٧٤ – أشرنا إلى هذا الإسناد ، في الخبر : ٣٣٢٤ ، وذكرنا هناك أنا نشك في صحة ذلك الموضع ، لما فيه من رواية الطبري عن عبيد الله بن معاذ العنبري سماعاً دون واسطة .

وها هو ذا يروى عنه هنا بواسطة « ابن أبي عمران » . وابن أبي عمران هذا : لم نعرف من هو ، بعد طول البحث والتتبع . فعسى أن نجد في موضع آخر ما يدل على من هو « ابن أبي عمران » ، وما يكشف عن سماع الطبري من عبيد الله أو عدم سماعه منه .

والإسنادان يحتاجان إلى تحقيق .

انظر التعليق على رقم ٣٣٢٤ = ص ٥٥

المكوك (بفتح الميم وتشديد الكاف المضمومة) ، مكيال لأهل العراق قدره صاع ونصف صاع .

(٢) الأثر : ٣٣٧٥ – في المطبوعة : « بشر بن عمرو » ، والصواب ما أثبته ، وهو بشر بن عمر بن الحكم بن عقبة الزهراني أبو محمد البصري ، قال أبو حاتم : صدوق ، توفي بالبصرة سنة ٢٠٧ .

لم تكن عنده قُوِّمت الشاةُ دراهم، والدراهمُ طعاماً، فتصدّق به، وإلا صام لكل نصف صاع يوماً .

* ذكر من قال ذلك :

٣٣٧٦ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو بكر بن عياش قال ، ذكر الأعمش قال: سأل إبراهيمُ سعيدَ بن جبير عن هذه الآية : « ففديةٌ من صيام أو صدقة أو نسك »، فأجابه بقوله: يُحْكَم عليه إطعامٌ ، فإن كان عنده اشترى شاة ، فإن لم تكن قوِّمت الشاة دراهم، فجعل مكانه طعاماً فتصدّق ، وإلا صام لكل نصف صاع يوماً . فقال إبراهيم : كذلك سمعت علقمة يذكر . قال : لما قام قال لى سعيد بن جبير : هذا ، ما أظرفه ! قال : قلت هذا إبراهيمُ ! قال : ما أظرفه ! كان يجالسنا . قال : فذكرت ذلك لإبراهيم ، قال : فلما قلت : « يجالسنا » ، انتفض منها .

٣٣٧٧ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا هرون ، عن عنبسة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : يحكم على الرجل فى الصَّيد ، فإن لم يجد جزاءه قُوِّم طعاماً ، فإن لم يكن طعامٌ صام مكانَ كل مُدَّين يوماً ، وكذلك الفدية .

* * *

وقال آخرون : بل هو مخيَّر بين الخِلال الثلاث ، يفتدى بأيها شاء .

* ذكر من قال ذلك :

٣٣٧٨ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن سيف بن سليمان ، عن مجاهد قال : كل شىء فى القرآن « أو » « أو »، فهو بالخيار، مثل الجراب فيه الخيط الأبيضُ والأسود ، فأيهما خرج أخذته .

٣٣٧٩ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا ابن مهدى قال ، حدثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد قال: كل شىء فى القرآن « أو » « أو » فصاحبه بالخيار ، يأخذ الأُولى فالأُولى .

٣٣٨٠ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس قال : سمعت ليثاً ، عن مجاهد قال : كل ما كان فى القرآن: «كذا، فمن لم يجد فكذا» ، فالأول فالأول. وكل ما كان فى القرآن «أو كذا» «أو كذا»، فهو فيه بالخيار .

٣٣٨١ ــ حدثنى نصير بن عبد الرحمن الأودى قال ، حدثنا المحاربى عن يحيى بن أبى أنيسة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ــ وسئل عن قوله : «ففديةٌ من صيام أو صدقة أو نسك» ــ فقال: مجاهد : إذا قال الله تبارك وتعالى لشىء «أو» «أو» ، فإن شئت فخذ بالأول ، وإن شئت فخذ بالآخر .

٣٣٨٢ ــ حدثنا ابن بشار قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا ابن جريج قال ، قال لى عطاء وعمرو بن دينار ــ فى قوله : «فمن كان منكم مريضاً أو به أذًى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك» ــ قالا : له أيَّتَهُنَّ شاء .

٣٣٨٣ ــ حدثنا ابن بشار قال، حدثنا أبو عاصم قال ، أخبرنا ابن جريج قال، قال عطاء : كل شىء فى القرآن ، «أو» «أو»، فلصاحبه أن يختار أيَّه شاء. قال ابن جريج، قال لى عمرو بن دينار : كل شىء فى القرآن «أو» «أو»، فلصاحبه أن يأخذ بما شاء .

٣٣٨٤ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا ليث ، عن عطاء ومجاهد أنهما قالا : ما كان فى القرآن «أو كذا»، «أو كذا»، فصاحبه بالخيار، أىَّ ذلك شاءَ فعل .

٣٣٨٥ ــ حدثنا على بن سهل قال، حدثنا يزيد ، عن سفيان ، عن ليث ومجاهد، عن ابن عباس قال : كل شىء فى القرآن «أو» «أو»، فهو مخير فيه . فإن كان «فَمَنْ» «فَمَنْ»، فالأوّل فالأوّل. (١)

٣٣٨٦ ــ حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا أسباط بن محمد قال ، حدثنا داود ، عن عكرمة قال: كل شىء فى القرآن «أو» «أو»، فليتخير أىَّ الكفارات

(١) قوله: «فمن ، فمن» ، أى فمن لم يجد ، كما سلف فى الأثر : ٣٣٨٠ ، و ٣٣٨٦

شاء . فإذا كان : « فمن لم يجد » ، فالأوّلَ فالأوّلَ .

٣٣٨٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو النعمان عارم قال ، حدثنا حماد ابن زيد، عن أيوب قال قال: حدثت عن عطاء قال: كل شيء في القرآن «أو» «أو» فهو خيار .(١)

* * *

١٣٩/٢ قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا ما ثبت به الخبرُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتظاهرت به عنه الرواية: أنه أمر كعب بن عُجْرة بحلق رأسه من الأذى الذي كان برأسه ، ويفتدي إن شاء بنُسُك شاة، أو صيام ثلاثة أيام ، أو إطعام فَرَقٍ من طعام بين ستة مساكين، كل مسكين نصف صاع . وللمفتدي الخيارُ بين أيِّ ذلك شاء، لأن الله لم يَحْصُره على واحدة منهن بعينها، فلا يجوز له أن يعدُوها إلى غيرها ، بل جعل إليه فعلَ أيِّ الثلاثِ شاء .

ومن أبىَ ما قلنا من ذلك قيل له : ما قلتَ في المكفر عن يمينه ، أمخيَّر – إذا كان موسرًا – في أن يكفر بأيِّ الكفارات الثلاث شاء؟ فإن قال: «لا»، خرج من قول جميع الأمة . وإن قال: «بلى!»، سئل الفرقَ بينه وبين المفتدِي من حَلْق رأسه وهو محرم من أذى به . ثم لن يقول في أحدهما شيئاً إلا إذا ألزم في الآخر مثله .

على أنّ ما قلنا في ذلك إجماعٌ من الحجة، ففي ذلك مستغنًى عن الاستشهاد على صحته بغيره .

وأما الزاعمون أن كفارة الحلق قبلَ الحلق ، فإنه يقال لهم : أخبرونا عن الكفارة للمتمتع ، قبل التمتع أو بعده ؟ فإن زعموا أنها قبله ، قيل لهم : وكذلك الكفارة عن اليمين قبل اليمين! فإن زعموا أن ذلك كذلك ، خرجوا من قول الأمة . وإن قالوا: ذلك غير جائز . قيل: وما الوجه الذي من قِبَله وَجب أن تكون كفارة

(١) الأثر : ٣٣٨٧ : أبو النعمان عارم هو محمد بن الفضل السدوسي ، عارم لقب له .

الْحَلق قبلَ الحلق ، وهدىُ المتعة قبل التمتع ، ولم يجب أن تكون كفارة اليمين قبل اليمين ؟ وهل بينكم وبين من عكس عليكم الأمر فى ذلك — فأوجب كفارة اليمين ، وأبطل أن تكون كفارة الحلق كفارة له إلا بعد الحلق — فرقٌ من أصل أو نَظير؟ فلن يقول فى أحدهما شيئاً إلا ألزم فى الآخر مثله .

فإن اعتل فى كفَّارة اليمين قبلَ اليمين أنها غير مجزئة قبل الحلف بإجماع الأمة . قيل له : فردّ الأخرى قياساً عليها، إذ كان فيها اختلاف.(١)

وأما القائلون إنّ الواجب على الحالق رأسه من أذًى : من الصيام عَشرة أيام، ومن الإطعام عشرة مساكين ، فمخالفون نصّ الخبر الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فيقال لهم : أرأيتم مَن أصاب صيداً فاختار الإطعام أو الصِّيام ، أتسوُّون بين جميع ذلك بقتله الصيد صغيرَه وكبيره من الإطعام والصيام، أم تفرِّقون بين ذلك على قدر افتراق المقتول من الصيد فى الصِّغر والكبر ؟ فإن زعموا أنهم يسوُّون بين جميع ذلك ، سوَّوا بين ما يَجب على من قَتل بقرة وحشية ، وبين ما يجب على من قَتَل ولد ظبيةٍ — من الإطعام والصيام. وذلك قول إن قالوه لقول الأمة مخالف .

وإن قالوا : بل نخالف بين ذلك، فنوجب ذلك عليه على قدر قيمة المصاب من الطعام والصيام .

قيل : فكيف رَددتم الواجبَ على الحالق رأسه من أذى من الكفَّارة ، على الواجب على المتمتع من الصوم ، وقد علمتم أن المتمتع غير مخيرٌ بين الصيام والإطعام والهدْى ، ولا هو مُتلفٌ شيئاً وجبت عليه منه الكفارة ، وإنما هو تارك عملاً من الأعمال، وتركتم رَدّ الواجب عليه وهو متلف بحلق رأسه ما كان ممنوعاً من إتلافه ، ومخير بين الكفارات الثلاث، نظيرَ مُصيب الصيد الذى هو بإصابته إياه له مُتلف،

(١) فى المطبوعة : « إن كان فيها اختلاف » ، والصواب ما أثبت .

ومخيَّر فى تكفيره بين الكفارات الثلاث ؟ وهل بينكم وبين من خالفكم فى ذلك = وجعل الحالق قياساً لمصيب الصيد . وجمع بين حُكميهما لاتفاقهما فى المعانى التى وصفنا ، وَخالف بين حكمه وحكم المتمتع فى ذلك ، لاختلاف أمرهما فيما وصفنا = فرقٌ من أصل أو نظير ؟

فلن يقولوا فى ذلك قولاً إلا ألزموا فى الآخر مثله . مع أنّ اتفاق الحجة على تخطئة قائل هذا القول فى قوله هذا ، كفايةٌ عن الاستشهاد على فساده بغيره ، فكيف وهو مع ذلك خلافُ ما جاءت به الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقياس عليه بالفساد شاهدٌ ؟

* * *

واختلف أهلُ العلم فى الموضعَ الذى أمر الله أن يَنْسُك نُسْك الحلْق ويُطعم فديته .

فقال بعضهم : النسك والإطعام بمكة ، لا يُجزىء بغيرها من البلدان .

* ذكر من قال ذلك :

٣٣٨٨ – حدثنى يحيى بن طلحة قال، حدثنا فضيل بن عياض ، عن هشام ، عن الحسن قال : ما كان من دَم أو صدقة فبمكة ، وما سوى ذلك حيث شاء .

٣٣٨٩ – حدثنى يحيى بن طلحة ، حدثنا فضيل ، عن ليث ، عن طاوس قال : كل شىء من الحج فبمكة ، إلا الصوم .

٣٣٩٠ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا أبو عاصم قال ، أخبرنا ابن جريج قال : سألت عطاء عن النسك، قال : النسك بمكة لا بدّ .

٣٣٩١ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا هرون ، عن عنبسة، عن ابن أبى نجيح ، عن عطاء قال : الصدقة والنسك فى الفدية بمكة ، والصيامُ حيث شئتَ.

٣٣٩٢ – حدثنى يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، حدثنا ليث ، عن طاوس

أنه كان يقول : ما كان من دم أو إطعام فبمكة ، وما كان من صيام فحيثُ شاء .

٣٣٩٣ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا شبل ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : النسك بمكة أو بمنى . ١٤٠/٢

٣٣٩٤ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد: النسك بمكة أو بمنى ، والطعام بمكة .

* * *

وقال آخرون : النسُك في الحلق والإطعامُ والصومُ حيث شاء المفتدى .

* ذكر من قال ذلك :

٣٣٩٥ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا يحيى ابن سعيد ، عن يعقوب بن خالد قال ، أخبرني أبو أسماء مولى ابن جعفر قال: حج عثمان ومعه عليّ والحسين بن علي رضوان الله عليهم ، فارتحل عثمان = قال : أبو أسماء، وكنت مع ابن جعفر = قال : فإذا نحن برجل نائم وناقته عند رأسه، قال : فقلنا له : أيها النائم ! فاستيقظ ، فإذا الحسين بن علي . قال : فحمله ابن جعفر حتى أتى به السُّقْيَا . قال : فأرسل إلى علي، فجاء ومعه أسماء بنت عميس. قال : فمرّضناه نحواً من عشرين ليلة . قال: فقال علي للحسين : ما الذي تجد؟ قال: فأومأ إلى رأسه. قال : فأمر به عليٌّ فحلق رأسه، ثم دعا ببدنه فنحرَها.(١)

---

(١) الخبر : ٣٣٩٥ – يحيى بن سعيد : هو الأنصاري النجاري ، مضت ترجمته : ٢١٥٤ .
يعقوب بن خالد : ترجم في الكبير ٤ / ٢ / ٣٩٤ ، وابن أبي حاتم ٤ / ٢ / ٢٠٧ . والتعجيل ، ص : ٤٥٦ باسم « يعقوب بن خالد بن المسيب المخزومي » ، ولكن سيأتي في الإسناد التالي ، أنه : « يعقوب بن خالد بن عبد الله بن المسيب » ، فيستفاد منه رفع نسبه ، ويكون في تلك الكتب منسوباً لجده الأعلى . وهو ثقة ، لم يذكر فيه البخاري ولا ابن أبي حاتم جرحاً .
أبو أسماء مولى عبد الله بن جعفر : تابعي ثقة . مترجم في الكنى للبخاري ، رقم : ٢٢ ، وابن أبي حاتم ٤ / ٢ / ٣٣٣ ، والتعجيل .
وهذا الخبر نقله ابن كثير ١ : ٤٤٩ .

٣٣٩٦ – حدثنا مجاهد بن موسى قال، حدثنا يزيد قال ، أخبرنا يحيى بن سعيد ، عن يعقوب بن خالد بن عبد الله بن المسيَّب المخزومى: أخبره أنه سمع أبا أسماء مولى عبد الله بن جعفر يحدِّث ، أنه خرج مع عبد الله بن جعفر يريد مكة مع عثمان : حتى إذا كنا بين السُّقيا والعَرْج اشتكى الحسين بن على ، فأصبح فى مَقيله الذى قالَ فيه بالأمس . قال أبو أسماء : فصحبته أنا وعبد الله بن جعفر ، فإذا راحلةُ حُسين قائمةٌ وحسين مُضطجع ، فقال عبد الله بن جعفر : إنّ هذه لراحلة حُسَين ! فلما دنا منه قال له : أيها النائم ! وهو يظن أنه نائم ، فلما دنا منه وَجده يشتكى ، فحمله إلى السُّقيا ، ثم كتب إلى على ، فقدم إليه إلى السقيا فمرَّضه قريباً من أربعين ليلةً ، ثم إن علياً قيل له : هذا حُسين يشير إلى رأسه ! فدعا على بجزور فنحرها، ثم حلق رأسه.(١)

٣٣٩٧ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا محمد بن بكر قال ، حدثنا ابن جريج قال ،أخبرنى يحيى بن سعيد قال : أقبل حسين بن على مع عثمان حراماً = حسبت أنه اشتكى بالسُّقيا = فذكر ذلك لعلى : فجاء هو وأسماء بنت عميس ، فمرضوه عشرين ليلة ، فأشار حُسَين إلى رأسه ، فحلقه ونحر عنه جزوراً . قلت : فرجع به ؟ قال : لا أدرى .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا الخبر يحتمل أن يكون ما ذكر فيه من نحرِ علىّ عن الحسين الناقةَ قبل حلقه رأسَه ، ثم حلَقه رأسَه بعد النحر – إن كان على ما رواه مجاهد عن يزيد ، كان على وجه الإحلال من الحسين من إحرامه للإحصار عن

---

(١) الخبر : ٣٣٩٦ – مجاهد بن موسى بن فروخ ، شيخ الطبرى : مضت ترجمته : ٥١٠ . ووقع فى المطبوعة هنا « مجاهد بن يونس » . وهو خطأ يقيناً ، فليس فى التراجم من يسمى بهذا . وشيخه « يزيد » : هو يزيد بن هرون .

والخبر مكرر ما قبله ، بنحوه .

الحج بالمرض الذى أصابه – وإن كان على ما رواه يعقوب ، عن هشيم: من نحر علىّ عنه الناقةَ بعد حلقه رأسه: أن يكون على وجه الافتداء من الحلق، وأن يكون كان يَرى أن نُسُك الفدية يُجزِئ نحره دُون مَكة والحرَم .

* * *

٣٣٩٨ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد قال : الفدية حيث شئت .

٣٣٩٩ – حدثنى يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حجاج ، عن الحكم ، عن إبراهيم – فى الفدية ، فى الصدقة والصوم والدم – : حيث شاء .

* * *

٣٤٠٠ – حدثنى يعقوب قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا عبيدة، عن إبراهيم: أنه كان يقول ، فذكر مثله .

* * *

وقال آخرون : ما كان من دم نُسُكٍ فبمكة، وما كان من إطعام وصيامٍ فحيث شاء المفتدى .

* ذكر من قال ذلك :

٣٤٠١ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حجاج وعبد الملك ، وغيرهما ، عن عطاء أنه كان يقول : ما كان من دمٍ فبمكة ، وما كان من طعام وصيام فحيثُ شاء .

* * *

قال أبو جعفر : وعلة من قال: « الدمُ والإطعام بمكة»، القياسُ على هَدْى جزاء الصيد . وذلك أن الله شرَط فى هديه بلوغ الكعبة ، فقال : ﴿ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ ﴾[سورة المائدة : ٩٥] . قالوا: فكل هدى وَجب من جزاءٍ أو فديةٍ فى إحرام ، فسبيله سبيل جزاء الصيد فى وجوب بلوغه الكعبة . قالوا : وإذا كان ذلك حكم الهدى، كان حُكم الصدقة مثلَه، لأنها واجبة

لمن وَجب عليه الهدى . وذلك أن الإطعام فديةٌ وجزاء كالدم ، فحكمهما واحد .

وأما عِلّة من زعم أن للمفتدى أن يَنْسُك حيث شاءَ ويتصدق ويصوم ، أن الله لم يشترط على الحالق رأسَه من أذى هَدياً ، وإنما أوجبَ عليه نُسكاً أو إطعاماً أو صياماً ، وحيثما نَسك أو أطعم أو صَام ، فهو ناسك ومُطعمٌ وصائمٌ . وإذا دَخل فى عداد من يَستحق ذلك الاسم ، كان مؤدّياً ما كلّفه الله . لأن الله لو أراد من إلزام الحالق رأسه فى نُسُكه بلوغ الكعبة ، لشرط ذلك عليه ، كما شرط فى جزاء الصيد . وفى ترك اشتراط ذلك عليه ، دليلٌ واضح أنه حَيثُ نَسَك أو أطعَم أجزأ .

وأما عِلّة من قال : «النسك بمكة ، والصيام والإطعام حيث شاء» ، فالنُّسُك دم كدم الهدىِ ، فسبيله سبيلُ هدى قاتل الصيد . وأما الإطعام ، فلم يشترط الله فيه أن يُصْرَف إلى أهلِ مَسكنةِ مكانٍ ، كما شرط فى هدْى الجزاء بُلوغ الكعبة . ١٤١/٢
فليس لأحد أن يدّعى أنّ ذلك لأهل مكان دون مكان ، إذْ لم يكن الله شَرَط ذلك لأهل مكان بعينه ؛ كما ليس لأحد أن يدعى أنّ ما جعله الله من الهدىِ لساكِنى الحرم لغيرهم ، إذ كان الله قد خصّ أن ذلك لمن به من أهل المسكنة .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك : أنّ الله أوجبَ على حالق رأسِه من أذى من المحرِمين ، فديةً من صيام أو صدقة أو نسك ، ولم يشترط أن ذلك عليه بمكان دون مكان ، بل أبهم ذلك وأطلقه ، ففى أى مكان نَسَك أو أطعم أو صام ، فيجزى عن المفتدى . وذلك لقيام الحجة على أنّ الله إذْ حرّم أمهات نسائنا فلم يَحصرهن على أنهن أمهات النساء المدخول بهن ، لم يجب أن يكنّ مردوداتِ الأحكام على الربائب المحصورات على أنّ المحرمةَ منهن المدخولُ بأمها .

فكذلك كل مبهمة فى القرآن ، غيرُ جائز رد حكمهما على المفسَّرة قياساً .

ولكن الواجب أن يحكم لكل واحدة منهما بما احتمله ظاهرُ التنزيل ، إلاّ أن يأتى فى بعض ذلك خبرٌ عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، بإحالة حُكْمِ ظاهره إلى باطنه ، فيجب التسليم حينئذ لحكم الرسول ، إذ كان هو المبين عن مُراد الله .

* * *

وأجمعوا على أن الصيام مُجزِئٌ عن الحالق رأسه من أذى حيثُ صام من البلاد .

* * *

واختلفوا فيما يجب أن يفعل بنسُك الفدية من الحلق ، وهل يَجوز للمفتدى الأكل منه أم لا ؟

فقال بعضهم : ليس للمفتدى أن يأكلَ منه ، ولكن عليه أن يتصدق بجميعه .

* ذكر من قال ذلك :

٣٤٠٢ ــ حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال ، سمعت عبد الملك ، عن عطاء قال : ثلاث لا يؤكل منهن : جزاء الصيد ، وجزاء النسك ، ونذرُ المساكين .

٣٤٠٣ ــ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام وهرون ، عن عنبسة ، عن سالم ، عن عطاء قال : لا تأكل من فديةٍ ولا من جَزاءٍ ولا من نَذْر ، وكل من المتعة ومن الهدْى والتطوع .

٣٤٠٤ ــ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام وهرون ، عن عنبسة ، عن سالم ، عن مجاهد قال : جَزاء الصيد والفدية والنذر لا يأكل منها صاحبها ، ويأكل من التطوُّع والتمتع .

٣٤٠٥ ــ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا هرون ، عن عمرو ، عن الحجاج ، عن عطاء قال : لا تأكل من جَزاء ولا من فدية ، وتصدَّق به .

٣٤٠٦ ــ حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا ابن جريج قال ، قال عطاء : لا يأكلُ من بَدَنته الذى يُصيب أهله حراماً ، والكفاراتُ كذلك .

٣٤٠٧ – حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم قال، حدثنا عبد الملك والحجاج وغيرهما ، عن عطاء أنه كان يقول : لا يؤكل من جزَاء الصيد ولا من النذر ولا من الفدية ، ويؤكل مما سوى ذلك .

٣٤٠٨ – حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن ليث ، عن عطاء وطاوس ومجاهد أنهم قالوا : لا يؤكل من الفدية = وقال مرة : من هَدى الكفارة ولا من جَزاء الصيد .

* * *

وقال بعضهم : له أن يأكل منه .

* ذكر من قال ذلك :

٣٤٠٩ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا يحيى ، عن عبيد الله قال : أخبرني نافع ، عن ابن عمر قال: لا يؤكل من جَزاء الصيد والنَّذْر ، ويؤكل مما سوى ذلك .

٣٤١٠ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا هرون ، عن عنبسة ، عن ابن أبي ليلى ، قال : من الفِدْية وجزاءِ الصيد والنذْر. (١)

٣٤١١ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن حماد قال : الشاة بين ستة مساكين ، يأكل منه إن شاء ، ويتصدق على ستة مساكين .

٣٤١٢ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرني عبد الملك قال ، حدثني من سمع الحسن يقول: كُلْ من ذلك كله – يعني : من جَزاء الصيد والنذر والفدية .

٣٤١٣ – حدثني محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا خالد بن الحارث قال ، حدثنا الأشعث ، عن الحسن : أنه كان لا يرى بأساً بالأكل من جَزاء الصيد ونذر المساكين .

* * *

(١) يعني : يأكل من الفدية وجزاء الصيد والنذر ، كما سيأتي قول الحسن في رقم : ٣٤١٢ ، ٣٤١٣ .

قال أبو جعفر : وعلة من حظر على المفتدى الأكلَ من فدية حِلاَقه وفدية ما لزمته منه الفدية ، أنّ الله أوجبَ على الحالق والمتطيِّب ومن كان بمثل حالهم، فديةً من صيام أو صدقة أو نسُك، فلن يخلو ذلك الذى أوجبه عليه من الإطعام والنسُك من أحد أمرين : إما أن يكون أوجبه عليه لنفسه ، أو لغيره ، أو له ولغيره .

فإن كان أوجبه لغيره، فغيرُ جائز له أن يأكل منه ، لأنّ ما لَزِمه لغيره فلا يُجزيه فيه إلا الخروجُ إلى من وَجب له .

= أو يكون له وحده، وما وَجب له فليس عليه . لأنه غير مفهوم فى لغة أن يقال : « وجب على فلان لنفسه دينارٌ أو درهمٌ أو شاة » ، وإنما يجب له على غيره ، فأما على نفسه فغير مفهوم وجوبه . ١٤٢/٢

= أو يكون وجب عليه له ولغيره، فنصيبه الذى وَجب له من ذلك، غيرُ جائز أن يكون عليه ، لما وصفنا .

وإذ كان ذلك كذلك ، كان الواجب عليه ما هو لغيره، وما هو لغيره بعضُ النسك . وإذ كان ذلك كذلك ، فإنما وجب عليه بعضُ النسك لا النسك كله . قالوا : وفى إلزام الله إياه النسُك تامًّا ، ما يبين عن فساد هذا القول .

* * *

وعلة من قال : « له أن يأكل من ذلك» ، أن الله أوجبَ على المفتدى نسكاً ، والنسك فى معانى الأضاحى ، وذلك هو ذَبح ما يجزى فى الأضاحى من الأزواج الثمانية . قالوا : ولم يأمر الله بدفعه إلى المساكين . قالوا : فإذا ذبح فقد نَسَك وفعل ما أمرُه الله ، وله حينئذ الأكل منه، والصدقة منه بما شاء، وإطعام ما أحب منه مَن أحبَّ ، كما له ذلك فى أضحيته .

* * *

قال أبو جعفر : والذى نقول به فى ذلك : أنّ الله أوجبَ على المفتدى نُسكاً ، إن اختارَ التكفير بالنسك . ولن يخلو الواجبُ عليه فى ذلك من أن يكون ذَبحه

دون غيره، أو ذبحه والتصدق به . فإن كان الواجب عليه فى ذلك ذبحه، فالواجب أن يكون إذا ذبح نُسكاً فقد أدّى ماعليه ، وإن أكل جميعه ولم يطعم مسكيناً منه شيئاً . وذلك ما لا نعلم أحداً من أهل العلم قاله . أو يكون الواجبُ عليه ذبحه والصدقة به . فإن كان ذلك عليه ، فغير جائز له أكل ما عليه أن يتصدّق به، كما لو لزمته زكاةٌ فى ماله ، لم يكن له أن يأكل منها ، بل كان عليه أن يُعطيها أهلَها الذين جعلها الله لهم . فنى إجماعهم — على أن ما ألزمه الله من ذلك، فإنما ألزمه لغيره — دلالةٌ واضحة على حُكم ما اختلفوا فيه من غيره .

* * *

ومعنى «النسُكِ»، الذبح لله، فى لغة العرب، يقال: «نَسَكَ فلانٌ لله نسيكةً» = بمعنى : ذبح لله ذبيحة = «يَنسكها نَسكاً»، (١) كما : —

٣٤١٤ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : النسُك أن يذبح شاةً .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَإِذَآ أَمِنتُمْ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك .

فقال بعضهم : معناه: فإذا بَرَأتم من مرضكم الذى أحصَركم عن حَجّكم أو عُمرتكم .

• ذكر من قال ذلك :

٣٤١٥ — حدثنى عبيد بن إسمعيل الهبّارى قال، حدثنا عبد الله بن نمير، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة : « فإذا أمِنْتُم » ، فإذا بَرَأتم .

---

(١) وانظر أيضاً ما سلف فى الجزء ٣ : ٧٥ — ٨٠ ، فى معنى « المناسك » .

٣٤١٦ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه فى قوله : « فإذا أمنتم فمن تمتّع بالعمرة إلى الحج»، يقول : فإذا أمنت حين تُحصَر ،إذا أمنت من كسرك ، ومن وجعك ، فعليك أن تأتى البيتَ، فيكون لك متعة ، فلا تحل حتى تأتى البيت .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك ، فإذا أمنتم من خوفكم .[1]

* ذكر من قال ذلك :

٣٤١٧ ــ حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال،حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فإذا أمنتم » ، لتعلموا أنّ القوم كانوا خائفين يومئذ .

٣٤١٨ ــ حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « فإذا أمنتم » ، قال : إذا أمن من خوفه ، وبرأ من مرضه .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا القول أشبه بتأويل الآية . لأن « الأمن »هو خِلافُ « الخوف » لا خلاف « المرض »،[2] إلا أن يكون مَرَضاً مخوفاً منه الهلاك، فيقال : فإذا أمنتمُ الهلاكَ من خوف المرض وشدّته ، وذلك معنى بعيدٌ .

وإنما قلنا إنّ معناه: الخوف من العدوّ، لأن هذه الآيات نَزَلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الحديبية، وأصحابُه من العدوّ خائفون، فعرّفهم الله بها ما عليهم إذا أحصرهم خوفُ عدوّهم عَن الحج ، وما الذى عليهم إذا هم أمنوا من ذلك فزال عنهم خوفهم .

* * *

(١) فى المطبوعة : « فإذا أمنتم من وجع خوفكم » ولفظ « وجع » مقحمة ولا شك ، وهى تفسد الكلام والتقسيم معاً ، فلذلك طرحتها .

(٢) انظر ما سلف فى الجزء ٣ : ٢٩ ــ ٣٠ ، تفسير معنى « الأمن » .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : فإن أحصرتم أيها المؤمنون، فما استيسر من الهدْى ، فإذا أمنتم فزال عنكم خوفكم من عدوكم أو هلاككم من مرضكم ، فتمتعتم بعمرتكم إلى حجكم ، فعليكم ما استيسرَ من الهدْى .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى صفة « التمتُّع » الذى عنى الله بهذه الآية .

فقال بعضهم : هو أن يُحصره خوفُ العدو وهو محرم بالحج ، أو مرَضٌ ، أو عائق من العلل ، حتى يفوته الحج فيقدم مكة ، فيخرج من إحرامه بعَمَل عُمرة ، ثم يَحل فيستمتع بإحلاله من إحرامه ذلك إلى السنة المستقبلة ، ثم يحجّ ويهدى ، فيكون متمتعاً بالإحلال من لَدُنْ يَحِلّ من إحرامه الأول إلى إحرامه الثانى من القابل .

* ذكر من قال ذلك :

٣٤١٩ — حدثنا عمران بن موسى البصرى قال ، حدثنا عبد الوارث بن سعيد قال ، حدثنا إسحق بن سويد قال : سمعت ابن الزبير وهو يخطب وهو يقول : يا أيها الناس ، والله ما التمتُّع بالعمرة إلى الحج كما تصنعون ، إنما التمتّع أن يُهلّ الرجل بالحج فيحصُرَه عدو أو مرض أو كسر ، أو يحبسه أمر ، حتى تذهبَ أيام الحج ، فيقدَم ، فيجعلها عمرة ، فيتمتع بحله إلى العام القابل ، ثم يحج ويُهدى هدياً . فهذا التمتع بالعمرة إلى الحج .

١٤٣/٢ ٣٤٢٠ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن ابن أبى نجيح ، عن عطاء قال : كان ابن الزبير يقول : المتعة لمن أحصِر ، قال : وقال ابن عباس : هى لمن أحصر ومن خُلِّيت سبيلهُ .

٣٤٢١ ــ حدثني ابن البرقي قال، حدثنا ابن أبي مريم قال ، أخبرنا نافع ابن يزيد قال، أخبرني ابن جريج قال،قال عطاء : كان ابن الزبير يقول : إنما المتعة للمحصر ، وليستْ لمن خُلِّي سبيله .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فإن أحصرتم في حجّكم فما استيسر من الهدى ، فإذا أمنتم = وقد حللتم من إحرامكم ، ولم تقضوا عُمرة تخرجون بها من إحرامكم بحجّكم، ولكن حَللتم حين أحْصرتم بالهدى ، وأخّرتم العمرة إلى السّنة القابلة، فاعتمرتم في أشهر الحج ، ثم حللتم، فاستمعتم بإحلالكم إلى حجكم = فعليكم ما استيسر من الهدى.

* ذكر من قال ذلك :

٣٤٢٢ ــ حدثني عبيد بن إسمعيل الهبّاري قال ، حدثنا عبد الله بن نمير ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة[1] : « فإن أحصرتم » ، قال : إذا أهل الرجل بالحج فأحصِرَ، قال: يبعث بما استيسر من الهدى، شاة . قال: فإن عَجل قبل أن يبلغ الهدى محله وَحلق رأسه أو مَسّ طيباً أو تداوَى، كان عليه فدية من صيام أو صدقة أو نُسُكٍ =«فإذا أمِنتم»، فإذا برأ فمضىَ من وجهه ذلك حتى أتى البيتَ ، حل من حَجه بعمرة، وكان عليه الحجُّ من قابل . وإن هو رجع ولم يُتمّ إلى البيت من وجهه ذلك، فإنّ عليه حجةً وعمرة ودماً لتأخيره العمرة . فإن هو رجع مُتمتعاً في أشهر الحج ، فإن عليه ما استيسر من الهدى، شاة . فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وَسبعةٍ إذا رجع . قال إبراهيم : فذكرت ذلك لسعيد ابن جبير فقال : كذلك قال ابن عباس في ذلك كله .

٣٤٢٣ ــ حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى » ، قال : هذا رجل أصابه خوفٌ

---

(١) في المطبوعة : « عن إبراهيم بن علقمة » ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبت ، وانظر ما سلف قريباً رقم : ٣٤١٥ .

أو مرض أو حابس حبسه حتى يبعث بهديته ،(١) فإذا بلغت محلها صار حلالاً ، فإن أمن أو برأ أو وصل إلى البيت فهي له عمرة ، وأحل ، وعليه الحج عاماً قابلاً . وإن هو لم يصل إلى البيت حتى يرجع إلى أهله ، فعليه عمرة وحجة وهدي . قال قتادة : [وهي] المتعة التي لا يتعاجم الناس فيها أن أصلها كان هكذا .(٢)

٣٤٢٤ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم في قوله : « فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج » إلى « تلك عشرة كاملة » ، قال : هذا المحصر إذا أمن ، فعليه المتعة في الحج وهدي المتمتع ، فإن لم يجد فالصيام ، فإن عجل العمرة قبل أشهر الحج ، فعليه فيها هدي .

٣٤٢٥ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا بشر بن السري ، عن شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن سلمة ، عن علي : « فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج » ، فإن أخر العمرة حتى يجمعهما مع الحج ، فعليه الهدي .

* * *

وقال آخرون : عني بذلك المحصر وغير المحصر .

* ذكر من قال ذلك :

٣٤٢٦ – حدثني ابن البرقي قال ، حدثنا ابن أبي مريم قال ، أخبرنا نافع ابن يزيد قال ، أخبرني ابن جريج قال ، أخبرني عطاء : أن ابن عباس كان يقول :

---

(١) مضى برقم : ٣٢٣١ ، بهذا الإسناد ، وفي لفظة خلاف ، وهو مختصر هذا ، وفيه : « . . أو حابس حبسه عن البيت ، يبعث بهديه » .

(٢) الزيادة التي بين القوسين ، لابد منها . وقوله : « لا يتعاجم الناس . . . » ، أي لا يشك الناس ولا يتنازعون ولا يختلفون في بيانها . وفي حديث ابن مسعود : « ما كنا نتعاجم أن ملكاً ينطق على لسان عمر » ، أي كنا نفصح بذلك إفصاحاً ، فلا نكني ولا نورى ، وجاء في حديث علي ما يفسره وهو قوله : « كنا أصحاب محمد لا نشك أن السكينة تنطق على لسان عمر » . وأصل هذا الحرف من قولهم : « استعجم عليه الأمر » ، أي : استبهم والتبس ، فإذا التبس الأمر صار موضعاً للشك والتنازع .

المتعة لمن أحصِر ولمن خُلِّى سبيله . وكان ابن عباس يقول : أصابت هذه الآية المحصر ومن خُلِّيت سبيله .

* * *

وقال آخرون ، معنى ذلك : فمن فسخ حجه بعمرة ، فجعله عمرة ، واستمتع بعمرته إلى حجه ، فعليه ما استيسر من الهدى.

* ذكر من قال ذلك :

٣٤٢٧ – حدثني موسى بن هرون قال ،حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى » ، أما المتعة فالرجلُ يُحرم بحجة ثم يهدمها بعُمرة . وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسلمين حاجًّا ، حتى إذا أتوا مكة قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أحب منكم أن يحلّ فليُحل. قالوا: فما لك يا رسول الله! قال: أنا معى هدى .

* * *

وقال آخرون: بل ذلك : الرجلُ يقدم معتمرًا من أفق من الآفاق فى أشهر الحج ، فإذا قضى عمرته أقام حلالاً بمكة حتى ينشئ منها الحج ، فيحج من عامه ذلك ، فيكون مستمتعاً بإحلاله إلى إحرامه بالحج .

* ذكر من قال ذلك :

٣٤٢٨ – حدثني محمد بن عمرو قال ،حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ،عن مجاهد فى قول الله عز وجل: «فمن تمتع بالعمرة إلى الحجّ »، من يوم الفطر إلى يوم عرفة ، فعليه ما استيسرَ من الهدى .

٣٤٢٩ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٣٤٣٠ – حدثنا ابن بشار قال ،حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا أيوب = وحدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا أيوب = عن نافع قال : قدم ابن عمر مرة فى شوّال ، فأقمنا حتى حججنا، فقال : إنكم قد

استمعتم إلى حجكم بعمرة، فمن وَجدَ منكم أن يُهدى فليُهد، ومَنْ لا، فليصمْ ثلاثة أيام ، وسبعةً إذا رجع إلى أهله .

٣٤٣١ ــ حدثنا ابن بشار وعبد الحميد بن بَيان = قال ابن بشار : حدثنا ، وقال عبد الحميد : أخبرنا = يزيد قال ، أخبرنا يحيى بن سعيد ، عن نافع : أنه أخبره أنه خرج مع ابن عمر معتمرين فى شوال، فأدركهما الحج وهما بمكة ، فقال ابن عمر : من اعتمر معنا فى شوّال ثم حَج فهو متمتع ، عليه ما استيسر من الهدى ، فمن لم يجد فصيامُ ثلاثة أيام فى الحج وَسبعة إذا رجع . ١٤٤/٢

٣٤٣٢ ــ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا هرون، عن عنبسة ، عن ليث ، عن عطاء ، فى رجل اعتمر فى غير أشهر الحج فساقَ هَدياً تطوعاً، فقدم مكة فى أشهر الحج ، قال: إن لم يكن يُريد الحج فلينحر هَديه ، ثم ليرجع إن شاء . فإن هو نحر الهدى وَحل ، ثم بدا له أن يقيم حتى يحج ، فلينحر هدياً آخر لمتعته ، فإن لم يجد فليصم .

٣٤٣٣ ــ حدثنا ابن حميد، حدثنا هرون، عن عنبسة ، عن ابن أبى ليلى ، مثل ذلك .

٣٤٣٤ ــ حدثنا عبد الحميد بن بيان قال، حدثنا يزيد قال ، أخبرنا يحيى ابن سعيد ، عن سعيد بن المسيب أنه كان يقول : من اعتمر فى شوال أو فى ذى القعدة ، ثم أقام بمكة حتى يحج ، فهو متمتع ، عليه ما على المتمتع .

٣٤٣٥ ــ حدثنا يعقوب قال، حدثنا هشيم ، عن حجاج ، عن عطاء مثل ذلك .

٣٤٣٦ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن على، عن ابن عباس قوله : « فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى » ، يقول : من أحرم بالعمرة فى أشهر الحج ، فما استيسر من الهدى .

٣٤٣٧ ــ حدثنا ابن البرقى قال، حدثنا ابن أبى مريم قال: أخبرنا نافع قال ،

أخبرنى ابن جريج قال ، كان عطاء يقول : المتعة لخلق الله أجمعين ، الرجل والمرأة والحر والعبد . هى لكل إنسان اعتمر فى أشهر الحج ، ثم أقامَ ولم يبرَح حتى يحج ، ساق هدياً مقلَّداً أو لم يَسُقْ . إنما سميت « المتعة » ، من أجل أنه اعتمر فى شهور الحج ، فتمتع بعمرة إلى الحج . ولم تسم « المتعة » من أجل أنه يَحل بتمتع النساء .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال : عنى بها : فإن أحصرتم أيها المؤمنون فى ، حجكم فما استيسر من الهدى . فإذا أمنتم ، فمن تمتَّع ممن حَلّ من إحرامه بالحج — بسبب الإحصار ، بعُمرة اعتمرها لفوته الحج فى السنة القابلة فى أشهر الحج — إلى قضاء الحجة التى فاتته حين أحصر عنها ، ثم دخل فى عمرته فاستمتع بإحلاله من عمرته إلى أن يحج = فعليه ما استيسر من الهدى . وإن كان قد يكون مُتمتعاً من أنشأ عمرة فى أشهر الحج وقضاها ، ثم حَل من عمرته وأقام حلالاً حتى يحج من عامه . غير أن الذى هو أولى بالذى ذكره الله فى قوله : « فمن تمتع بالعمرة إلى الحج » ، هو ما وصفنا ، من أجل أن الله جل وعز ، أخبر عما على المحصَر عن الحج والعمرة من الأحكام فى إحصاره . فكان مما أخبر تعالى ذكره : أنه عليه — إذا أمن من إحصاره فتمتع بالعمرة إلى الحج — ما استيسر من الهدى ، فإن لم يجد فصيامُ ثلاثة أيام . وكان معلوماً[1] بذلك أنه معنىٌّ به اللازمُ له — عند أمنه من إحصاره — من العمل بسبب الإحلال الذى كان منه فى حجه الذى أحصِر فيه ، دون المتمتع الذى لم يَتقدم عمرته ولا حجه إحصارُ مرضٍ ولا خوف .

* * *

(١) فى المطبوعة : « كان معلوماً بذلك » ، وزيادة الواو واجبة .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : فما استيسر من الهدى ، فهديه جزاء لاستمتاعه بإحلاله من إحرامه الذى حَل منه حين عاد لقضاء حَجته التى أحصِر فيها ، وعمرته التى كانت لزمته بفوت حجته . فإن لم يجد هدياً ، فعليه صيامُ ثلاثة أيام فى الحج فى حجه ، وسبعة إذا رجع إلى أهله .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى الثلاثة أيام التى أوجبَ الله عليه صَومهن فى الحج : أى فى أيام الحج هُنّ .

فقال بعضهم : هن ثلاثة أيام من أيام حجه ، أىّ أيام شاء ، بعد أن لا يتجاوز بآخرهن يوم عَرَفة .

* ذكر من قال ذلك :

٣٤٣٨ — حدثنى الحسين بن محمد الذارع قال ، حدثنا حميد بن الأسود قال ، حدثنا جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن على رضى الله عنه : « فصيام ثلاثة أيام فى الحج » ، قال : قبل التروية يوماً ، ويومَ التروية ، ويوم عرفة .

٣٤٣٩ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا إبراهيم بن إسمعيل بن نصر ، عن ابن أبى حبيبة ، عن داود بن حصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال : الصيام للمتمتع ما بين إحرامه إلى يوم عرفة .(١)

---

(١) الخبر : ٣٤٣٩ — إبرهيم بن إسمعيل بن نصر : هو التبان . ترجمه ابن أبى حاتم ١ / ١ / ٨٥ ، وذكر أنه يروى عن إبرهيم بن إسمعيل بن أبى حبيبة . وستأتى رواية أخرى له ، بهذا الإسناد : ٣٤٨٤ . ورواية ثالثة : ٣٥٢١ ، وزاد فى نسبته هناك «السلمى» ، ولم تذكر هذه فى ابن أبى حاتم ، ولم أجد له ترجمة عند غيره .

٣٤٤٠ ــ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن نافع ، عن ابن عمر فى قوله : « فصيام ثلاثة أيام فى الحج »،قال : يوم قبل التروية ، ويوم التروية ، ويومُ عرفة . وإذا فاته صامها أيام منىً .

٣٤٤١ ــ حدثنا الحسين بن محمد الذارع قال ، حدثنا حميد بن الأسود ، عن هشام بن عروة ، عن عروة قال : المتمتع يصوم قبل التروية يوماً ، ويوم التروية ، ويوم عرفة .

٣٤٤٢ ــ حدثنا ابن بشار قال،حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة ، عن الحسن فى قوله : « فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج » ،قال: آخرُهنّ يوم عرفة .

٣٤٤٣ ــ حدثنا محمد بن المثنى قال،حدثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة قال: سألت الحكم عن صوم ثلاثة أيام فى الحج،قال: يصوم قبل التروية يوماً ، ويومَ التروية ، ويوم عرفة .

٣٤٤٤ ــ حدثنى عبيد بن إسمعيل الهبارى قال، حدثنا عبد الله بن نمير ، عن الأعمش ، عن إبراهيم :« فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام»، أنهقال : آخرها يوم عرفة .

٣٤٤٥ ــ حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا هشيم قال، حدثنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير أنه قال فى المتمتع : إذا لم يجد الهدى صامَ يوماً قبل يوم التروية ، ويومَ التروية ، ويوم عرفة . ١٤٥/٢

٣٤٤٦ ــ حدثنا ابن حميد قال،حدثنا حكام بن سلم وهرون ، عن عنبسة ، عن ابن أبى نجيح ، عن عطاء قال : يصوم المتمتع الثلاثة الأيام لمتعته،فى العشر

ابن أبى حبيبة : هو إبرهيم بن إسمعيل بن أبى حبيبة الأنصارى ، وهو ثقة ، تكلم فيه البخارى وغيره ، ووثقه أحمد وغيره . ورجحنا فى شرح المسند : ٢٧٢٧ أن حديثه حسن على الأقل .

إلى يوم عرفة . قال : وسمعت مجاهداً وطاوساً يقولان : إذا صامهنّ فى أشهر الحج أجزأه .

٣٤٤٧ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام وهرون، عن عنبسة، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال: صوم ثلاثة أيام للمتمتع ،إذا لم يجد ما يُهدى، يصوم فى العشر إلى يوم عرفة ، متى صامَ أجزأه . فإن صام الرجل فى شوّال أو ذى القعدة أجزأه .

٣٤٤٨ – حدثنى محمد بن عبد الله بن الحكم قال، حدثنا بشر بن بكر ، عن الأوزاعى قال، حدثنى يعقوب بن عطاء: أن عطاء بن أبى رباح كان يقول: من استطاع أن يصومهن فيما بين أوّل يوم من ذى الحجة إلى يوم عرفة، فليصم .

٣٤٤٩ – حدثنى يعقوب قال : حدثنا ابن علية ، عن يونس ، عن الحسن فى قوله : « فصيام ثلاثة أيام فى الحج » ، قال : آخرها يوم عرفة .

٣٤٥٠ – حدثنا يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن داود = وحدثنا محمد ابن المثنى قال ، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا داود = عن عامر فى هذه الآية : « فصيام ثلاثة أيام فى الحج »، قال : قبل يوم التروية يوماً، ويوم التروية، ويوم عرفة .

٣٤٥١ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد : « فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام »، آخرهن يوم عرفة من ذى الحجة .

٣٤٥٢ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد مثله .

٣٤٥٣ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج » ، قال : كان يقال : عرفةُ وما قبلها يومين ، من العشر .

٣٤٥٤ ــ حدثنا موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فمن لم يجد فصيامُ ثلاثة أيام فى الحج » ، قال : فآخرها يوم عرفة .

٣٤٥٥ ــ حدثنى أحمد بن إسحق الأهوازى قال، حدثنا أبو أحمد قال ، أخبرنا إسرائيل ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير : « فصيام ثلاثة أيام فى الحج » ، قال : آخرها يوم عرفة .

٣٤٥٦ ــ حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا فطر ، عن عطاء : « فصيام ثلاثة أيام فى الحج » ، قال : آخرها يوم عرفة .

٣٤٥٧ ــ حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « فصيام ثلاثة أيام فى الحج » ، قال : عرفةُ وما قبلها من العشر .

٣٤٥٨ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد وإبراهيم قالا : « صيام ثلاثة أيام فى الحج » ، فى العشر ، آخرُهن عَرَفة.

٣٤٥٩ ــ حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة ، عن يزيد بن خمير قال : سألت طاوساً عن صيام ثلاثة أيام فى الحج قال : آخرهن يوم عرفة.

٣٤٦٠ ــ حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال، حدثنى عمى قال، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « فمن تَمتع بالعمرة إلى الحج » إلى « وسبعة إذا رجعتم » ، وهذا على المتمتع بالعمرة . إذا لم يجد هَدياً ، فعليه صيام ثلاثة أيام فى الحج قبل يوم عرفة، فإن كان يوم عرفة الثالث فقد تم صومه ، وسبعة إذا رجع إلى أهله .

٣٤٦١ ــ حدثنى أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا زياد ابن المنذر ، عن أبى جعفر : « فصيام ثلاثة أيام فى الحج » ، قال : آخرها يوم عرفة.

* * *

وقال آخرون : بل آخرهن انقضاء أيام منى .

* ذكر من قال ذلك :

٣٤٦٢ – حدثني على بن سهل قال ، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا سفيان، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه : أن عليًّا كان يقول: من فاته صيامُ ثلاثة أيام فى الحج ، صامهن أيام التشريق .

٣٤٦٣ – حدثني أحمد بن عبد الرحمن، ابن أخي ابن وهب قال ،حدثني عمى عبد الله بن وهب قال ، حدثني يونس ، عن الزهرى ، عن عروة بن الزبير قال : قالت عائشة : يصومُ المتمتع الذى يفوته الصيام أيام مِنى .

٣٤٦٤ – حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا أيوب ، عن نافع قال ، قال ابن عمر : من فاته صيامُ الثلاثة الأيام فى الحج ، فليصم أيام التشريق ، فإنهن من الحج .

٣٤٦٥ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، أخبرنى عمر بن محمد : أن نافعاً حدثه : أنّ عبد الله بن عمر قال : من اعتمر فى أشهر الحج فلم يكن معه هدْى ولم يصم الثلاثة الأيام قبل أيام التشريق، فليصم أيام مِنًى .

٣٤٦٦ – حدثنا ابن المثنى قال،حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة قال :سمعت عبد الله بن عيسى بن أبي ليلى يحدث ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة = وعن سالم ، عن عبد الله بن عمر = أنهما قالا : لم يرخّص فى أيام التشريق أن يصوم، إلا لمن لم يَجد هدياً .

٣٤٦٧ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا هشام ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر قال: إذا لم يصم الثلاثة الأيام قبل النحر، صامَ أيام التشريق ، فإنها من أيام الحج . ١٤٦/٢

وذكر هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قال :

٣٤٦٨ – حدثنا المثنى قال،حدثنا حجاج، قال ، حدثنا حماد ، عن هشام

بن عروة ، عن أبيه فى هذه الآية : « فصيام ثلاثة أيام فى الحج » ، قال : هى أيام التشريق .

٣٤٦٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن يونس ، عن أبى إسحق ، عن مُبرة ، عن ابن عمر قال : يصوم يوماً قبل التروية ، ويوم التروية ، ويوم عرفة = . قال : وقال عُبيد بن عُمير : يصوم أيام التشريق .

* * *

قال أبو جعفر : وعلة من قال : « آخر الثلاثة الأيام التى أوجبَ الله صومهن فى الحج على مَن لم يجد الهدىَ من المتمتعين – يوم عرفة » ، أن الله جل ثناؤه أوجب صومهن فى الحجّ بقوله : « فصيامُ ثلاثة أيام فى الحجّ » . قالوا : وإذا انقضى يوم عرفة ، فقد انقضى الحج ، لأنّ يوم النحر يوم إحلال من الإحرام . قالوا : وقد أجمع الجميع أنه غير جائز له صومُ يوم النحر . قالوا : فإن يكن إجماعهم على أن ذلك له غير جائز ، من أجل أنه ليس من أيام الحج ، فأيام التشريق بعده أحرى أن لا تكون من أيام الحج ، لأن أيام الحج متى انقضت من سنة فلن تعودَ إلى سنة أخرى بعدها . أو يكون إجماعهم على أن ذلك له غير جائز ، من أجل أنه يوم عيد ، فأيام التشريق التى بعده فى معناه ، لأنها أيامُ عيد ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم قد نَهى عن صومهن ، كما نهى عن صَوم يوم النحر . قالوا : وإذا كان يَفوت صومُهنّ بمُضىّ يوم عرفة ، لم يكن إلى صيامهن فى الحجّ سبيل ، لأن الله شرط صومهن فى الحجّ ، فلم يُجز عنه إلاّ الهدى الذى فرضَه الله عليه لمتعته .

* * *

وعلة من قال : « آخر الأيام الثلاثة التى ذكرها الله فى كتابه ، انقضاءُ آخر أيام منى » ، أن الله أوجب على المتمتع ما استيسرَ من الهدى ، ثم الصيامَ إن لم يجد إلى الهدى سبيلا . قالوا : وإنما يجبُ عليه نحرُ هدى المتعة يوم النحر ، ولوْ كان له واجداً قبل ذلك . قالوا : فإذا كان ذلك كذلك ، فإنما رُخص له فى الصوم ، يوم يلزمه نحر الهدى فلا يجدُ إليه سبيلا . قالوا : والوقت الذى يلزمه

فيه نحرُ الهدى يوم النحر ، والأيام التى بعده من أيام النحر ، فأما قبل ذلك فلم يمكن نحره . قالوا : فإذا كان النحر لم يكن له لازماً قبل ذلك ، وإنما لزمه يوم النحر ، فإنما لزمه الصوم يوم النحر ، وذلك حين عَدمَ الهدى فلم يجده ، فوجب عليه الصوم . قالوا : وإذا كان ذلك كذلك ، فالصوم إنما يلزمه أوّله فى اليوم الذى يَلى يوم النحر . وذلك أن النحر إنما كان لزمه من بعد طلوع الفجر . ومن ذلك الوقت ، إذا لم يجده ، يكونُ له الصوم . قالوا : وإذا طلع فجر يومٍ لم يلزمه صومه قبل ذلك ، إذ كان الصوم لا يكون فى بعض نهار يوم فى واجب ، عُلم أن الواجب عليه الصوم من اليوم الذى يَليه إلى انقضاء الأيام الثلاثة بعد يوم النحر من أيام التشريق . قالوا : ولا معنى لقول القائل : إن أيام منى ليست من أيام الحج ، لأنهن يُنسك فيهن بالرمى والعكوف على عمل الحج ، كما ينسك غير ذلك من أعمال الحج فى الأيام قبلها . قالوا : هذا مع شهادة الخبر الذى : —

٣٤٧٠ — حدثنى به محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ، حدثنا يحيى بن سلام ، أن شعبة حدثه ، عن ابن أبى ليلى ، عن الزهرى ، عن سالم بن عبد الله بن عمر ، عن أبيه قال : رَخَّص رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتمتع إذا لم يجد الهدى ولم يَصم حتى فاتته أيام العشر ، أن يصوم أيام التشريق مكانها . (١)

---

(١) الحديث : ٣٤٧٠ — يحيى بن سلام البصرى ، نزيل مصر : ثقة ، قال ابن أبى حاتم ٤ / ٢ / ١٥٥ : « سألت أبى عنه ؟ فقال : كان شيخاً بصرياً ، وقع إلى مصر ، وهو صدوق » . وله ترجمة جيدة فى طبقات علماء إفريقية لأبى العرب ، ص : ٣٧ — ٣٩ ، وقال أبو العرب : « كان ثقة ثبتاً ، لقى غير واحد من التابعين ، وأكثر من لقى الرجال والحمل عنهم . وله مصنفات كثيرة فى فنون العلم ، وكان من الحفاظ » . وذكر أنه مات بمصر سنة ٢٠٠ . وفى لسان الميزان أنه ضعفه الدارقطنى . ولكن أهل المغرب أعلم بحال رواتهم ، وكانت مصر تعتبر من بلاد المغرب .

ابن أبى ليلى : هو عبد الله بن عيسى بن أبى ليلى ، وهو ثقة ثبت ، أخرج له أصحاب الكتب الستة .

والحديث رواه الطحاوى فى معانى الآثار ١ : ٤٢٧ ، بهذا الإسناد نفسه : عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، مع شىء من الاختصار فى اللفظ .

وأصل معناه ثابت فى البخارى ٤ : ٢١١ ، موقوفاً . فرواه عن محمد بن بشار ، عن غندر ، عن

= لصحة ما قلنا فى ذلك من القول ، وخطأ قول من خالف قولنا فيه :

٣٤٧١ – حدثنى يعقوب قال ،حدثنى هشيم ، عن سفيان بن حسين ، عن الزهرى قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن حُذافة بن قيس فنادى فى أيام التشريق فقال : إنّ هذه أيام أكل وشرب وذكرٍ لله ، إلا من كان عليه صَوم من هَدى . (١)

* * *

واختلف أهل العلم فى أول الوقت الذى يجب على المتمتع الابتداء فى صوم الأيام الثلاثة التى قال الله عز وجل : « فمن لم يجد فصيامُ ثلاثة أيام فى الحج » ، والوقت الذى يجوز له فيه صومهنّ ، وإن لم يكن واجباً عليه فيه صومهنّ .

فقال بعضهم : له أن يَصُومَهن من أول أشهر الحج .

* ذكر من قال ذلك :

٣٤٧٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام وهرون ، عن عنبسة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد وطاوس : أنهما كانا يقولان : إذا صامهن فى أشهر الحج أجزأه . قال : وقال مجاهد : إذا لم يجد المتمتع ما يُهدى ، فإنه يصوم فى العشر إلى يوم عرفة، متى ما صام أجزأه . فإن صام الرجل فى شوّال أو ذى القعدة أجزأه .

شعبة : « سمعت عبد الله بن عيسى ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة – وعن سالم ، عن ابن عمر ، قالا : لم يرخص فى أيام التشريق أن يصمن ،إلا لمن لم يجد الهدى » . وروى مالك فى الموطأ ، ص : ٤٢٦ نحو معناه ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة – وعن ابن شهاب ، عن سالم ، عن أبيه .

وقول عائشة وابن عمر « لم يرخص » : هو بضم الياء ، كما رواه الحفاظ من أصحاب شعبة –فيما ذكر الحافظ فى الفتح : وهو عندنا مرفوع حكماً ، إن لم يكن مرفوعاً لفظاً . لأن الصحابى إذا قال ذلك ، فإنما يريد به من له حق الترخيص والمنع ، وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد بحث الحافظ فى هذا الموضع بحثاً جيداً فى ذلك .

وذكر الحافظ رواية يحيى بن سلام هذه، نقلا عن الدارقطنى والطحاوى .

(١) الحديث : ٣٤٧١ – سفيان بن حسين الواسطى : ثقة ، تكلموا فى روايته عن الزهرى خاصة ، « فإن فيها تخاليط يجب أن يجانب ، وهو ثقة فى غير الزهرى » – كما قال ابن حبان .

هذا الحديث مرسل ، لم يذكر الزهرى من رواه عنه .

٣٤٧٣ – حدثني أحمد بن المغيرة قال: حدثنا يحيى بن سعيد القطان قال ، حدثنا محمد بن مسلم الطائفي ، عن عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : من صام يوماً في شوال ويوماً في ذي القعدة ويوماً في ذي الحجة ، أجزأه عنه من صَوْم التمتع .(١)

٣٤٧٤ – حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا شريك عن ليث ، عن مجاهد قال : إن شاء صام أوّل يوم من شوال . ١٤٧/٢

٣٤٧٥ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد في قول الله جل وعز : « فصيام ثلاثة أيام في الحج » ، قال : إن شاء صامها في العشر ، وإن شاء في ذي القعدة ، وإن شاء في شوّال .

* * *

وقال آخرون : يصومهن في عَشر ذي الحجة دون غيرها .

* ذكر من قال ذلك :

٣٤٧٦ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام وهرون ، عن عنبسة ، عن ابن أبي نجيح ، عن عطاء : يصوم الثلاثة الأيام للمتعة في العشر إلى يوم عرفة .

٣٤٧٧ – حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ، حدثنا بشر بن بكر ، عن الأوزاعي قال ، حدثني يعقوب : أن عطاء بن أبي رباح كان يقول : من استطاع أن يصومهن فيما بين أول يوم من ذي الحجة إلى يوم عرفة ، فليصم .

٣٤٧٨ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء قال : ولا بأس أن يَصوم المتمتع في العشر ، وهو حَلال .

٣٤٧٩ – حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا أبو شهاب ، عن الحجاج ، عن أبي جعفر قال : لا يصام إلا في العشر .

---

(١) الخبر : ٣٤٧٣ – أحمد بن المغيرة ، شيخ الطبري : لم أعرف من هو ، ولم أجد له ترجمة ولا ذكراً .

٣٤٨٠ ــ حدثني أحمد بن حازم قال، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا الربيع ، عن عطاء أنه كان يقول ، في صيام ثلاثة أيام في الحج ، قال : في تسع من ذي الحجة ، أيها شئت . فمن صام قبل ذلك في شوال وفي ذي القعدة، فهو بمنزلة من لم يصمْ .

* * *

وقال آخرون : له أن يصومهن قبل الإحرام بالحج .

* ذكر من قال ذلك :

٣٤٨١ ــ حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا أيوب ، عن عكرمة قال : إذا خشي أن لا يدرك الصوم بمكة صامَ بالطريق يوماً أو يومين.

٣٤٨٢ ــ حدثنا أحمد بن إسحقْ قال،حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء قال : لا بأس أن تصوم الثلاثة الأيام في المتعة وأنت حلال .

* * *

وقال آخرون : لا يجوز أن يصومهن إلا بعد ما يحرم بالحج .

* ذكر من قال ذلك :

٣٤٨٣ ــ حدثنا ابن بشار قال، حدثنا ابن مهدي قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : لا يصومهن إلا وهو حرام .

٣٤٨٤ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا إبراهيم بن إسمعيل بن نصر، عن ابن أبي حبيبة ، عن داود بن حصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال : الصيامُ للمتمتع ما بين إحرامه إلى يوم عرفة .(١)

٣٤٨٥ ــ حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : لا يجزيه صوم ثلاثة أيام وهو

---

(١) الأثر : ٣٤٨٤ : انظر التعليق على الأثر السالف رقم : ٣٤٣٩ .

متمتع إلا أن يحرم . وقال مجاهد : يُجزيه إذا صَام فى ذى القعدة .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى : أن للمتمتع أن يصوم الأيام الثلاثة التى أوجبَ الله عليه صَومهن لمتعته إذا لم يجد ما استيسر من الهدى ، من أول إحرامه بالحج بعد قضاء عمرته واستمتاعه بالإحلال إلى حجه ، إلى انقضاء آخر عمل حجه ، وذلك بعد انقضاء أيام مِنى سوى يوم النحر ، فإنه غير جائز له صومُه ، ابتدأ صومَهن قبله ، أو ترك صومَهنّ فأخره حتى انقضاء يوم عرفة .

وإنما قلنا : له صوم أيام التشريق ، لما ذكرنا من العلة لقائل ذلك قبل .(١) فإن صامهن قبل إحرامه بالحج ، فإنه غير مجزىء صومه ذلك ، من الواجب عليه من الصوم الذى فرضه الله عليه لمتعته . وذلك أن الله جل وعز إنما أوجب الصوم على من لم يجد هدياً ممن استمتع بعمرته إلى حجه ، فالمعتمر قبل إحلاله من عمرته ، وقبل دخوله فى حجه ، غيرُ مستحق اسم « مُتمتع » بعمرته إلى حجه . وإنما يقال له قبل إحرامه « معتمر » ، حتى يدخل بعد إحلاله فى الحج قبل شخوصه عن مكة . فإذا دخل فى الحجّ محرماً به — بعد قضاء عمرته فى أشهر الحج ، ومقامه بمكة بعد قضاء عُمرته حلالاً حتى حج من عامه — سُمى « متمتعاً » . فإذا استحق اسم « متمتع » لزمه الهدىُ . وحينئذ يكون له الصوم بعدَمه الهدىَ ، إن عدمه فلم يجده .

فأما إن صامه قبل دخوله فى الحج — وإن كان من نيته الحج — فإنما هو رجل صَام صوماً ينوى به قضاءً عما عسى أنْ يلزمه أولا يلزمه ، فسبيله سبيل رجل مُعسر صام ثلاثة أيام ينوى بصومهن كفارة يمين ، ليمين يريد أن يحلف بها ويَحنَث فيها . وذلك ما لا خلافَ بين الجميع أنه غير مجزىء من كفارة ، إن حلف بها بعد الصوم فحنِث.

---

(١) فى المطبوعة : « قيل » مكان « قبل » ، وهو خطأ وتصحيف بلا معنى .

فإن ظن ظان أن صومَ المعتمر — بعد إحلاله من عمرته ، أو قبله ، وقبل دخوله فى الحج — مجزىء عنه من الصوم الذى أوجبه الله عليه إن تمتع بعمرته إلى الحج ، نظيرَ ما أجزأ الحالفَ بيمين إذا كفَّر عنها قبل حِنْثه فيها بعد حلفه بها ، فقد ظنّ خطأ . لأن الله جل ثناؤه جعل لليمين تحليلاً هو غيرُ تكفير ، فالفاعل فيها قبل الحِنْث فيها ما يفعله المكفِّر بعد حِنْثه فيها ، محلِّل غير مكفِّر . والمتمتع إذا صام قبل تمتعه ، صائمٌ تكفيراً لما يظن أنه يلزمه ولَمَّا يلزمْه ، وهو كالمكفر عن قتل صيد يريد قتله وهو محرم قبل قتله ، وعن تَطيُّبٍ قبل تَطيُّبه .

ومن أبى ما قلنا فى ذلك ، ممن زعم أنّ للمعتمر الصومَ قبل إحرامه بالحج ، قيل له : ما قلت فيمن كفَّر من المحرمين عن الواجب على من ترك رَمْىَ الجمرات أيام منى يومَ عرفة ، وهو ينوى ترك الجمرات ، ثم أقام بمنى أيام منى حتى انقضت تاركاً رمىَ الجمرات ، هل يُجزيه تكفيرُه ذلك عن الواجب عليه فى ترك ما ترك من ذلك ؟ ١٤٨/٢

فإن زعم أنّ ذلك يجزيه ، سئل عن مثل ذلك فى جميع مناسك الحج التى أوجبَ الله فى تضييعه على المحرِم ، أو فى فعله ، كفارةً . فإن سوَّى بين جميع ذلك ، قاد قولَه ،[1] وسئل عن نظير ذلك فى العازم على أن يجامع فى شهر رمضان وهو مقيم صحيح ، إذا كفَّر قبل دخول الشهر ، ودخل الشهر ففعل ما كان عازماً عليه ، هل تجزيه كفارته التى كفر عن الواجب من وَطئه ذلك ؟ وكذلك يُسأل : عمن أراد أن يظاهر من امرأته ، فإن قاد قوله فى ذلك ،[1] خرج من قول جميع الأمَّة .

---

(١) فى المطبوعة فى الموضعين : «فاد قوله» بالفاء ، وهو تصحيف غث جداً ، وجاء بعض من علق على تفسير الطبرى فقال : «لعله يريد اضطرب قوله ، قال فى اللسان : فاد يفيد فيداً : تبختر ، وقيل : هو أن يحذر شيئاً فيعدل عنه جانباً» ! ! فصار معنى الكلام أعرق فى الغثاثة من تصحيف لفظه !

والصواب ما أثبت ، يقال : «قاد قوله» ، أى استقام به على نهجه الذى نهجه ، ولم يخالف منطقه فيه ولا سياقه . وذلك من قولهم : قاد الفرس قوداً . وهذا المجاز قد استعمله قدماء الفقهاء والمتكلمين والمناطقة ، يقولون : «هذا لا يستقيم على قود كلامك» ، أى : على سياقه ونهجه .

وإن أبى شيئاً من ذلك، سئل الفرق بينه وبين الصائم لمتعته قبل تمتعه وقبل إحرامه بالحج ، ثم عُكس عليه القول فى ذلك ، فلن يقول فى أحدهما شيئاً إلا ألزِم فى الآخر مثله .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بذلك: فمن لم يَجد ما استيسرَ من الهدى ، فعليه صيام ثلاثة أيام فى حجه، وصيام سبعة أيام إذا رجع إلى أهله ومِصره .

* * *

فإن قال لنا قائل : أوَ ما يجب عليه صوم السبعة الأيام، بعد الأيام الثلاثة التى يصومهن فى الحج ، إلا بعد رجوعه إلى مصره وأهله ؟

قيل : بلى ، قد أوجبَ الله عليه صوم الأيام العشرة بعدم ما استيسر من الهدى لمتعته ، ولكن الله تعالى ذكره رَأفةً منه بعباده رَخَّص لمن أوجبَ ذلك عليه ، كما رَخص للمسافر والمريض فى شهر رمضان الإفطارَ وقضاء عدة ما أفطرَ من الأيام من أيام أخر. ولو تَحمَّل المتمتع فصامَ الأيام السبعة فى سفره قبل رُجوعه إلى وطنه ، أو صامَهن بمكة ، كان مؤدِّياً ما عليه من فرض الصوم فى ذلك ، وكان بمنزله الصائم شهر رمضان فى سفره أو مَرَضه مختاراً للعسر على اليسر .

وبالذى قلنا فى ذلك قالت عُلماء الأمة .

* ذكر من قال ذلك :

٣٤٨٦ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا ابن مهدى قال ، حدثنا سفيان، عن منصور ، عن مجاهد : « وسبعة إذا رجعتم » ، قال : هى رخصة ، إن شاء صامها فى الطريق .

٣٤٨٧ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ،

عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد : « وسبعة إذا رجعتم » ، قال : هي رخصة، إن شاء صامها في الطريق ، وإن شاء صامها بعدَ ما يرجع إلى أهله .

٣٤٨٨ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد نحوه .

٣٤٨٩ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا سفيان، عن منصور : « وسبعة إذا رجعتم » ، قال : إن شاء صامها في الطريق ، وإنما هي رخصة .

٣٤٩٠ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا شريك ، عن منصور ، عن مجاهد قال : إن شئت صُم السبعة في الطريق ، وإن شئت إذا رجعت إلى أهلك .

٣٤٩١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن فطر ، عن عطاء قال : يصوم السبعة إذا رجع إلى أهله أحبُّ إليّ .

٣٤٩٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم : « وسبعة إذا رجعتم » ، قال : إن شئت في الطريق ، وإن شئت بَعد ما تقدَم إلى أهلك .

* * *

فإن قال : وما بُرهانك على أن معنى قوله : « وسبعة إذا رجعتم » : إذا رجعتم إلى أهليكم وأمصاركم = دون أن يكون معناه : إذا رجعتم من منى إلى مكة ؟

قيل : إجماع جميع أهل العلم على أن معناه ما قلنا دون غيره .

* ذكر بعض من قال ذلك :

٣٤٩٣ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا ابن مهدى قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن جريج، عن عطاء في قوله: « وسبعة إذا رجعتم» ، قال : إذا رجعت إلى أهلك .

١ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : «سبعة إذا رجعتم » ، إذا رجعتم إلى أمصاركم .

٣٤٩٦ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

٣٤٩٧ – حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير : « وسبعة إذا رجعتم » ، قال : إلى أهلك .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : « كاملة » .

فقال بعضهم : معنى ذلك : فصيام الثلاثة الأيام في الحج ، والسبعة الأيام بعد ما يرجع إلى أهله ، عشرةٌ كاملةٌ من الهدْي .

* ذكر من قال ذلك :

٣٤٩٨ – حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم ، عن عباد ، عن الحسن في قوله : « تلك عَشَرة كاملة » ، قال : كاملة من الهدْي .

٣٤٩٩ – حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد ، قال ، حدثنا هشيم ، عن عباد ، عن الحسن مثله

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : كملت لكم أجرَ من أقام على إحرامه ، ولم يحلّ ولم يتمتع تمتعكم بالعمرة إلى الحج .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : الأمر ، وإن كان مَخرجه مخرج الخبر . وإنما عنى ، بقوله : « تلك عشَرة كاملة » ، تلك عشرة أيام ، فأكملوا صومها ، لا تقصّروا عنها ، لأنه فرضٌ عليكم صومها . ١٤٩/٢

* * *

وقال آخرون : بل قوله «كاملة»، توكيد للكلام ، كما يقول القائل : « سمعته بأذنى ، ورأيته بعينى »، وكما قال : ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾[سورة النحل : ٢٦]، ولا يكون «الخرُّ» إلا من فوق، فأما من موضع آخر ، فإنما يجوز على سَعة الكلام.

* * *

وقال آخرون : إنما قال : « تلك عشرة كاملة » ، وقد ذكر «سبعة» و«ثلاثة» ، لأنه إنما أخبر أنها مُجزئة ، وليس يخبر عن عِدَّتها. وقالوا : ألا ترى أن قوله : « كاملة » ، إنما هو وافية ؟

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال عندى[بالصواب] قول من قال : معنى ذلك : تلك عشرة كاملة عليكم فرضنا إكمالها . وذلك أنه جل ثناؤه ، قال : فمن لم يجد الهدى فعليه صيام ثلاثة أيام فى الحجّ وَسبعة إذا رجع . ثم قال : تلك عشرة أيام عليكم إكمال صَومها لمتعتكم بالعمرة إلى الحج . فأخرجَ ذلك مخرج الخبر ، ومعناه الأمر بها .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جلّ ثناؤه بقوله : « ذلك»، أى : التمتع بالعمرة إلى الحج، لمن لم يكن أهله حاضر المسجد الحرام ، كما : —

٣٥٠٠ — حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام » ، يعنى المتعة، أنها لأهل الآفاق ، ولا تصلح لأهل مكة .

٣٥٠١ ــ حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أنّ هذا لأهل الأمصار ، ليكون عليهم أيسرَ من أن يحج أحدهم مرة ويعتمر أخرى ، فتجمع حجته وعمرته فى سنة واحدة .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فيمن عنى بقوله : « ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام » ، بعد إجماع جميعهم على أنّ أهل الحرم مَعنيون به ، وأنه لا مُتعة لهم .

فقال بعضهم : عنى بذلك أهل الحرم خاصة دون غيرهم .

* ذكر من قال ذلك :

٣٥٠٢ ــ حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان قال ، قال ابن عباس ومجاهد : أهلُ الحرم .

٣٥٠٣ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا الحمانى قال ، حدثنا شريك ، عن عبد الكريم ، عن مجاهد : « ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام » ، قال : أهل الحرم .

٣٥٠٤ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك، عن سفيان قال : بلغنا عن ابن عباس فى قوله : « حاضرى المسجد الحرام » ، قال : هم أهل الحرم ، والجماعةُ عليه .

٣٥٠٥ ــ حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام »، قال قتادة : ذكر لنا أن ابن عباس كان يقول : يا أهل مكة ، إنه لا متعة لكم، أحلت لأهل الآفاق وحُرِّمت عليكم، إنما يقطع أحدكم وادياً = أو قال : يجعل بينه وبين الحرم وادياً = ثم يهلُّ بعمرة .

٣٥٠٦ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال، حدثنا الليث قال ، حدثني يحيى بن سعيد الأنصارى : أن أهل مكة كانوا يغزون ويتجرون ، فيقدمون

فى أشهر الحج ثم يحجون ، ولا يكون عليهم الهدى ولا الصيام ، أرخص لهم فى ذلك ، لقول الله عز وجل : « ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام » .

٣٥٠٧ ــ حدثني أحمد بن حازم قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : أهل الحرم .

٣٥٠٨ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه قال : المتعة للناس ، إلاّ لأهل مكة ممن لم يكن أهله من الحرم ، وذلك قول الله عز وجل : « لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام » ، قال : وبلغنى عن ابن عباس مثل قول طاوس .(١)

* * *

وقال آخرون : عنى بذلك أهل الحرم ، ومن كان منزله دونَ المواقيت إلى مكة .

* ذكر من قال ذلك :

٣٥٠٩ ــ حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا عبد الله ابن المبارك ، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، عن مكحول : « ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام » ، قال : من كان دُون المواقيت .

٣٥١٠ ــ حدثنا المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك بإسناده ، مثله ــ إلا أنه قال : ما كان دون المواقيت إلى مكة .

٣٥١١ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن رجل ، عن عطاء قال : من كان أهله من دون المواقيت ، فهو كأهل مكة ، لا يتمتع .

* * *

---

(١) الأثر : ٣٥٠٨ ــ فى تفسير ابن كثير ١ : ٤٥٣ : « المتعة للناس لا لأهل مكة من لم يكن أهله من الحرم » ، وفى الدر المنثور ١ : ٢١٧ : « المتعة للناس ، إلا لأهل مكة ، هى لمن لم يكن أهله فى الحرم » . والصواب ما فى نص الطبرى .

وقال بعضهم : بل عنى بذلك أهل الحرم ومن قرب منزله منه .

* ذكر من قال ذلك :

٣٥١٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثني أبي ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء في قوله : « ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام » ، قال : عَرَفة ، ومَرّ ، وعُرَنة، وضَجْنَان ، والرجيع ، ونَخلتان .

٣٥١٣ – حدثنا أحمد بن حازم الغفاري والمثنى قالا ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء : « ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام » ، قال : عرفة ، ومَرّ ، وعُرَنة ، وضَجنان ، والرجيع .

٣٥١٤ – حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن الزهري في هذه الآية ، قال : اليوم واليومين .

١٥٠/٢ ٣٥١٥ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر قال : سمعت الزهري يقول : من كان أهله على يوم أو نحوه تمتع .

٣٥١٦ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن جريج ، عن عطاء : أنه جعل أهلَ عرفة من أهل مكة في قوله : « ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام » .

٣٥١٧ – حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام » ، قال : أهل مكة وفَجّ وذي طُوًى ، وما يلي ذلك فهو من مكة

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصحة عندنا قول من قال : إن حاضري المسجد الحرام ، من هو حوله ممن بينه وبينه من المسافة ما لا تُقصَر إليه الصلوات . لأن «حاضر الشيء» ، في كلام العرب، هو الشاهد له بنفسه . وإذ كان ذلك كذلك – وكان لا يستحق أن يسمى « غائباً » ، إلا من كان مُسافراً

شاخصاً عن وطنه ، وكان المسافر لا يكون مسافراً إلا بشخوصه عن وطنه إلى ما تقصر فى مثله الصلاة ، وكان من لم يكن كذلك لا يستحق اسم « غائب » عن وطنه ومنزله = كان كذلك من لم يكن من المسجد الحرام على ما تقصر إليه الصلاة ، غير مستحق أن يقال هو من غير حاضريه ، إذا كان الغائب عنه هو مَنْ وصفنا صفته .

وإنما لم تكن المتعة لمن كان من حاضرى المسجد الحرام ، من أجل أنّ «التمتع» إنما هو الاستمتاع بالإحلال من الإحرام بالعمرة إلى الحج ، مرتفقاً فى ترك العود إلى المنزل والوطن بالمقام بالحرم حتى ينشئ منه الإحرامَ بالحج . وكان المعتمر مَتى قضى عمرته فى أشهر الحجّ ، ثم انصرف إلى وطنه أوشخص عن الحرم إلى ما تقصر فيه الصلاة ، ثم حج من عامه ذلك ، بطل أن يكون مستمتعاً . لأنه لم يستمتع بالمرفق الذى جُعل للمستمتع ، من ترك العود إلى الميقات ، والرجوع إلى الوطن بالمقام فى الحرم . وكان المكىُّ من حاضرى المسجد الحرام لا يرتفق بذلك ، من أجل أنه متى قضى عُمرته أقام فى وطنه بالحرم ، فهو غير مرتفق بشىء مما يرتفق به من لم يكن أهله من حاضرى المسجد الحرام ، فيكون متمتعا بالإحلال من عُمرته إلى حجه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (١٩٦)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل اسمه : « واتقوا الله » ، بطاعته فيما ألزمكم من فرائضه وحدوده ، واحذروا أن تعتدوا فى ذلك وتتجاوزا فيما بيّن لكم من مناسككم ، فتستحلوا ما حرم فيها عليكم. « واعلموا » : تيقنوا أنه تعالى ذكره شديدٌ عقابه لمن عاقبه على من انتهك محارمه ، وركب من معاصيه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بذلك : وقتُ الحج أشهر معلومات .

* * *

و « الأشهر » مرفوعاتٌ بـ « الحج » ، وإن كان له وقتاً ، لا صفة ونعتاً ، إذ لم تكن محصورات بتعريف ، بإضافة إلى معرفة أو معهود ، فصار الرفع فيهن كالرفع فى قول العرب فى نظير ذلك من المحل : « المسلمون جانبٌ ، والكفار جانبٌ » ، برفع الجانب الذى لم يكن محصوراً على حدّ معروف . ولو قيل : « جانب أرضهم ، أو بلادهم » ، لكان النصبُ هو الكلام . (١)

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى قوله : « الحج أشهر معلومات » .

---

(١) انظر تفصيل ذلك فى معانى القرآن للفراء ١ : ١١٩ .

فقال بعضهم : يعنى بـ « الأشهر المعلومات »، شوّالاً وذا القَعدة ، وعشراً من ذى الحجة .

* ذكر من قال ذلك :

٣٥١٨ ــ حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا شريك ، عن أبى إسحق ، عن أبى الأحوص ، عن عبد الله قوله : «الحج أشهرٌ معلومات»، قال : شوال ، وذو القَعدة ، وعشر ذى الحجة .

٣٥١٩ ــ حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، وشريك ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس مثله .

٣٥٢٠ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن خصيف ، عن مقسم ، عن ابن عباس مثله .

٣٥٢١ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا إبراهيم بن إسمعيل بن نصر السلمى قال، حدثنا إبراهيم بن إسمعيل بن أبى حبيبة، عن داود بن حصين ،عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال: أشهرُ الحج شوال، وذو القعدة، وعشر من ذى الحجة .(١)

٣٥٢٣ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « الحج أشهرٌ معلومات »، وهن شوال ، وذو القعدة ، وعشر من ذى الحجة ، جعلهن الله سبحانه للحجّ ، وسائر الشهور للعمرة ، فلا يصلح أن يُحرم أحدٌ بالحج إلا فى أشهر الحجّ ، والعمرةُ يُحرم بها فى كل شهر .

٣٥٢٤ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا الحمانى قال ، حدثنا شريك ، عن أبى إسحق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس فى قوله : « الحج أشهر معلومات » ، قال : شوال ، وذو القعدة ، وعشر من ذى الحجة .

٣٥٢٥ ــ حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن وأبو عامر قالا :

---

(١) سقط من ترقيمنا رقم : ٣٥٢٢ .

حدثنا سفيان = وحدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق = قال ، أخبرنا الثورى ، عن المغيرة ، عن إبراهيم مثله .

١٥١/٢ ٣٥٢٦ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا أبو عوانة ، عن مغيرة ، عن إبراهيم والشعبي مثله .

٣٥٢٧ – حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان وإسرائيل ، عن مغيرة ، عن إبراهيم مثله .

٣٥٢٨ – حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر مثله .

٣٥٢٩ – حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى مثله .

٣٥٣٠ – حدثني المثنى قال : حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٣٥٣١ – حدثني القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا الحجاج ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس = وأخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم والشعبي = وأخبرنا يونس ، عن الحسن = وأخبرنا جويبر ، عن الضحاك = وأخبرنا حجاج ، عن عطاء ومجاهد مثله .(١)

٣٥٣٢ – حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا أبو الوليد قال ، حدثنا حماد ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : شوّال وذو القعدة وعشر ذى الحجة فى « الحج أشهر معلومات » .

٣٥٣٣ – حدثني أحمد بن حازم قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا ورقاء ،

---

(١) الأثر : ٣٥٣١ – القائل : « وأخبرنا مغيرة . . . = وأخبرنا جويبر . . . = إلخ » هو هشيم .

عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر قال : « الحج أشهرٌ معلومات » ، قال : شوال وذو القعدة وعشر ذى الحجة .

٣٥٣٤ ــ حدثنا أحمد بن حازم قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا حسين ابن عقيل ، عن الضحاك ، قال : شوال وذو القعدة وعشر من ذى الحجة .

٣٥٣٥ ــ حدثني الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا حسين بن عقيل الخراسانى قال ، سمعت الضحاك بن مزاحم يقول : فذكر مثله .

* * *

وقال آخرون : بل يعنى بذلك شوّالاً وذا القعدة وذا الحجة كله .

* ذكر من قال ذلك :

٣٥٣٦ ــ حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا يحيى بن سعيد قال ، حدثنا ابن جريج قال : قلت لنافع : أكان عبد الله يُسمى أشهر الحج ؟ قال : نعم ، شوّال وذو القعدة وذو الحجة .

٣٥٣٧ ــ حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا محمد بن بكر قال ، حدثنا ابن جريج قال : قلت لنافع : أسمعت ابن عمر يسمى أشهر الحج ؟ قال : نعم ، كان يسمى شوالا وذا القعدة وذا الحجة .

٣٥٣٨ ــ حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا شريك ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد ، عن ابن عمر قال : شوالٌ وذو القعدة وذو الحجة .

٣٥٣٩ ــ حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا محمد بن بكر قال ، أخبرنا ابن جريج قال ، قال عطاء : « الحجّ أشهر معلومات » ، قال ، عطاء : فهى شوالٌ وذو القعدة وذو الحجة .

٣٥٤٠ ــ حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

٣٥٤١ ــ حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة

قوله : « الحجّ أشهر معلومات » ، أشهر الحجّ شوالٌ وذو القعدة وذو الحجة = وربما قال : وعشر ذى الحجة .

٣٥٤٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « الحج أشهرٌ معلومات » ، قال : شوال وذو القعدة وذو الحجة .

٣٥٤٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه مثله .

٣٥٤٤ – حدثنى المثنى قال،حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى الليث قال ، حدثنى عقيل ، عن ابن شهاب قال : أشهرُ الحجّ شوالٌ وذو القعدة وذو الحجة .

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال لنا قائل : وما وجه قائلى هذه المقالة ، وقد علمت أنّ عمل الحجّ لا يعمل بعد تقضّى أيام مِنًى ؟

قيل : إن معنى ذلك غير الذى توهمته ، وإنما عنوا بقيلهم : الحجّ ثلاثة أشهر كوامل ، أنهن أشهر الحج لا أشهر العمرة ، وأن شهور العمرة سواهن من شهور السنة . ومما يدل على أنّ ذلك معناهم فى قيلهم ذلك ، ما : –

٣٥٤٥ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا أيوب، عن نافع قال ، قال ابن عمر : أن تفصِلوا بين أشهر الحج والعمرة، فتجعلوا العمرة فى غير أشهر الحج ، أتمُّ لحج أحدكم وأتمُّ لعمرته .

٣٥٤٦ – حدثنى نصر بن على الجهضمى قال، أخبرنى أبى قال ، حدثنا شعبة قال : ما لقينى أيوب – أو قال : ما لقيت أيوب – إلا سألنى عن حديث قَيس بن مُسلم ، عن طارق بن شهاب قال : قلت لعبد الله : امرأة منا قد حجت، أو هى تريد أن تحج ، أفتجعل مع حجها عمرة ؟ فقال : ما أرى هؤلاء إلا أشهر الحج . قال : فيقول لى أيوب ومن عنده مثل هذا الحديث ، حدثك قيس

ابن مسلم ، عن طارق بن شهاب ، أنه سأل عبد الله ؟ !

٣٥٤٧ ــ حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم، عن ابن عون قال : سمعت القاسم بن محمد يقول : إن العمرة فى أشهر الحجّ ليست بتامة . قال : فقيل له : العمرة فى المحرم ؟ فقال : كانوا يرونها "تامة" .

٣٥٤٨ ــ حدثنا عبد الحميد بن بيان قال، أخبرنا إسحق بن يوسف ، عن ابن عون قال : سألت القاسم بن محمد عن العمرة فى أشهر الحج قال : كانوا لا يرونها تامة .

٣٥٤٩ ــ حدثنا ابن بيان الواسطى قال، أخبرنا إسحق ، عن عبد الله بن عون ، عن ابن سيرين: أنه كان يستحب العمرة فى المحرَّم ، قال : تكون فى أشهر الحج ؟ قال : كانوا لا يرونها تامة .

٣٥٥٠ ــ حدثنا ابن بيان قال، حدثنا إسحق ، عن ابن عون ، عن محمد ابن سيرين قال ، قال ابن عمر للحكم بن الأعرج أو غيره : إن أطعتنى انتظرتَ ، حتى إذا أهلَّ المحرَّم خرجت إلى ذات عِرْق فأهللت منها بعمرة . ١٥٢/٢

٣٥٥١ ــ حدثنا ابن المثنى قال،حدثنا وهب بن جرير قال ، حدثنا شعبة ، عن أبى يعقوب قال : سمعت ابن عمر يقول : لأن أعتمر فى عَشر ذى الحجة ، أحبُّ إلىَّ من أن أعتمر فى العشرين .

٣٥٥٢ ــ حدثنا ابن بشار قال،حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب قال : سألت ابن مسعود عن امرأة منا أرادت أن تجمع مع حَجها عمرة ، فقال: أسمعُ الله يقول: « الحجّ أشهر معلومات »، ما أراها إلا أشهر الحج .

٣٥٥٣ ــ حدثنى أحمد بن المقدام قال، حدثنا حزام القطعى قال ، سمعت محمد بن سيرين يقول : ما أحد من أهل العلم شك أن عمرةً فى غَير أشهر الحجّ أفضلُ من عمرة فى أشهر الحج .

= ونظائر ذلك مما يطول باستيعاب ذكره الكتاب، مما يدل على أن معنى قيل من قال : وقت الحج ثلاثة أشهر كوامل ، أنهن من غير شهور العمرة ، وأنهن شهورٌ لعمل الحج دون عمل العمرة ، وإن كان عمل الحج إنما يُعمل فى بعضهن لا فى جميعهن .

* * *

وأما الذين قالوا : تأويل ذلك : شوّالٌ وذو القعدة وعشر ذى الحجة ، فإنهم قالوا : إنما قصد الله جل ثناؤه بقوله : « الحج أشهر معلومات » إلى تعريف خلقه ميقات حجهم ، لا الخبرَ عن وقت العمرة . قالوا : فأما العمرة ، فإن السنة كلها وقتٌ لها، لتظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه اعتمر فى بعض شهور الحج ، ثم لم يصح عنه بخلاف ذلك خبرٌ . قالوا: فإذ كان ذلك كذلك ، وكان عمل الحج ينقضى وقته بانقضاء العاشر من أيام ذى الحجة ، علم أن معنى قوله : « الحجّ أشهرٌ معلومات » ، إنما هو ميقات الحجّ، شهران وبعضُ الثالث .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا، قولُ من قال: إن معنى ذلك : الحج شهران وعشرٌ من الثالث. لأن ذلك من الله خبرٌ عن ميقات الحج، ولا عمل للحج يُعمل بعد انقضاء أيام منى . فمعلوم أنه لم يعن بذلك جميع الشهر الثالث . وإذا لم يكن معنياً به جميعه ، صح قول من قال : وعشر ذى الحجة .

* * *

فإن قال قائل : فكيف قيل: « الحج أشهر معلومات »، وهو شهران وبعض الثالث ؟

قيل : إن العرب لا تمتنع خاصة فى الأوقات من استعمال مثل ذلك ، فتقول : « لهُ اليومَ يومان منذ لم أره » ، وإنما تعنى بذلك : يوماً وبعضَ آخر ، وكما قال جل ثناؤه : ﴿ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ [سورة البقرة : ٢٠٣] وإنما يتعجل فى يوم ونصف . وقد يفعلُ الفاعل منهم الفعل فى الساعة ، ثم يخرجه

عامًّا على السنة والشهر فيقول: « زرته العام، وأتيته اليوم»، وهو لا يريد بذلك أنّ فعله أخذ من أول الوقت الذى ذكره إلى آخره ، ولكنه يعنى أنه فعله إذ ذاك ، وفى ذلك الحين . فكذلك «الحج أشهرٌ» ، والمراد منه: الحج شهران وبعض آخر.(١)

* * *

فمعنى الآية إذاً : ميقات حجكم أيها الناس شهران وبعض الثالث ، وهو شوال وذو القعدة وعشر ذى الحجة .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « فمن فرض فيهن الحج، »فمن أوجب الحج على نفسه وألزمها إياه فيهنّ — يعنى : فى الأشهر المعلومات التى بيّنها . وإيجابه إياه على نفسه ، العزمُ على عمل جميع ما أوجبَ الله على الحاج عمله ، وترك جميع ما أمرَه الله بتركه .

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى يكون به الرجل فارضاً الحجَّ ، بعد إجماع جميعهم على أن معنى « الفرض »: الإيجاب والإلزام .

فقال بعضهم : فرض الحج ، الإهلال .

* ذكر من قال ذلك :

٣٥٥٤ — حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا ورقاء، عن عبد الله المدنى ابن دينار ، عن ابن عمر قوله : « فمن فرض فيهن الحج » قال : من أهلّ بحجٍّ .

٣٥٥٥ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى — وحدثنا الحسن بن يحيى قال،

---

(١) انظر تفصيل ذلك فى معانى القرآن للفراء ١ : ١٥٢ .

أخبرنا عبد الرزاق = قال ، أخبرنا الثوري ، عن العلاء بن المسيب ، عن عطاء قال : التلبية .

٣٥٥٦ – حدثنا ابن حميد قال ،حدثنا مهران = وحدثنا علي قال ، حدثنا زيد = جميعاً ، عن سفيان الثوري : « فمن فرض فيهنّ الحجّ » ، قال : فالفريضة الإحرام ، والإحرامُ التلبية .

٣٥٥٧ – حدثني المثنى قال ، حدثنا الحماني قال ، حدثنا شريك ، عن إبراهيم – يعني : ابن مهاجر –، عن مجاهد « فمن فرض فيهن الحجّ »، قال : الفريضة ، التلبية .

٣٥٥٨ – حدثنا أحمد بن حازم قال ،حدثنا ورقاء ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر : « فمن فرض فيهن الحجّ » ، قال : أهلّ .

٣٥٥٩ – حدثني أحمد بن حازم قال ، حدثنا أبو نعيم قال ،حدثنا شريك ، عن مغيرة ، عن إبراهيم قال : الفرضُ التلبية ، ويرجع إن شاء ما لم يُحرم .

٣٥٦٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ،أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد: «فمن فرض فيهن الحج »، قال : الفرض الإهلال .

٣٥٦١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه : « فمن فرضَ فيهن الحجّ» ، قال : التلبية .

١٥٣/٢ ٣٥٦٢ – حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن مسلم قال ، حدثنا أبو عمر الضرير قال ، أخبرنا حماد بن سلمة ،عن جبر بن حبيب قال : سألت القاسم بن محمد ، عن : «من فرض فيهن الحج» ، قال : إذا اغتسلت ولبستَ ثوبك ولبّيْت ، فقد فرضت الحج.(١)

* * *

(١) الخبر : ٣٥٦٢ – إبراهيم بن عبد الله بن مسلم بن ماعز ، أبو مسلم الكجي الحافظ : ثقة نبيل ، مدحه البحتري . له كتاب في السنن . مات سنة ٢٩٢ وقد قارب المئة . مترجم في تذكرة الحفاظ ٢ : ١٧٦ – ١٧٧ ، وتاريخ بغداد ٦ : ١٢٠ – ١٢٤. « أبو عمر الضرير الأكبر » : هو

وقال آخرون : فرضُ الحج إحرامه .

* ذكر من قال ذلك :

٣٥٦٣ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : «فمن فرض فيهن الحج »، يقول: من أحرم بحج أو عمرة .

٣٥٦٤ ــ حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن = وحدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد = وحدثني المثنى قال ، حدثنا أبو نعيم = قالوا جميعاً ، حدثنا سفيان، عن مغيرة ، عن إبراهيم : « فمن فَرَضَ فيهن الحجّ»، قال: فمنْ أحرم ــ واللفظ لحديث ابن بشار .

٣٥٦٥ ــ حدثنا أحمد قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا شريك والحسن ابن صالح ، عن ليث ، عن عطاء قال: الفرض الإحرام .

٣٥٦٦ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال،حدثنا هشيم قال، أخبرنا الحجاج ، عن عطاء وبعض أشياخنا ، عن الحسن في قوله : « فمن فَرض فيهن الحجّ » ، قالا : فرضُ الحج الإحرام .

٣٥٦٧ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال،حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فمن فرض فيهن الحج »، فهذا عند الإحرام .

٣٥٦٨ ــ حدثنا أحمد بن حازم قال،حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا حسين ابن عقيل ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : الفرض الإحرام .

٣٥٦٩ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال: : أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا

حفص بن عمر البصري ، وهو ثقة ، كان غاية في السنة ، وكان من العلماء بالفرائض والحساب والشعر وأيام الناس والفقه . مات سنة ٢٢٠ ، عن بضع وسبعين سنة . ووقع في المطبوعة « أبو عمرو » . وهو خطأ . «جبر بن حبيب» : ثقة ، وكان إماماً في اللغة . مترجم في التهذيب ، والكبير ١/ ٢ / ٢٤٢، وابن أبي حاتم ١ / ١ / ٥٣٣ . ولم يذكروا له رواية إلا عن أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق . فيستفاد من هذا الموضع روايته أيضاً عن ابن أخيها : القاسم بن محمد بن أبي بكر .

حسين بن عقيل الخراساني قال، سمعت الضحاك بن مزاحم يقول ، فذكر مثله .

٣٥٧٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري قال ، أخبرنا المغيرة ، عن إبراهيم : « فمن فرض فيهن الحج » ، قال : من أحرم .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا القول الثاني يحتمل أن يكون بمعنى ما قلنا ، من أن يكون الإحرام – كان عند قائله – الإيجاب بالعزم ، ويحتمل أن يكون كان عنده بالعزم والتلبية ، كما قال القائلون القولَ الأول .

وإنما قُلنا إنّ فرضَ الحج الإحرام ، لإجماع الجميع على ذلك . وقلنا إنّ الإحرام هو إيجاب الرجل ما يلزم المحرمَ أن يوجبه على نفسه على ما وصفنا آنفاً ، لأنه لا يخلو القول في ذلك من أحد أمور ثلاثة :

إما أن يكون الرجل غيرَ محرم إلا بالتلبية ، وفعل جميع ما يجبُ على الموجب الإحرامَ على نفسه فعلُه ، فإن يكن ذلك كذلك ، فقد يجب أن لا يكون محرماً إلا بالتجرد للإحرام ، وأن يكون من لم يكن له متجرداً فغير محرم . وفي إجماع الجميع على أنه قد يكون محرماً وإن لم يكن متجرداً من ثيابه ، بإيجابه الإحرام = ما يدل على أنه قد يكون محرماً وإن لم يلبِّ ، إذْ كانت التلبية بعضَ مشاعر الإحرام ، كما التجرد له بعض مشاعره . وفي إجماعهم على أنه قد يكون محرماً بترك بعض مشاعر حجه ، ما يدل على أنّ حُكم غيره من مشاعره حكمُه .

أو يكون – إذْ فسد هذا القول – قد يكون محرماً وإن لم يلبِّ ولم يتجرد ولم يعزم العزمَ الذي وصفنا . وفي إجماع الجميع على أنه لا يكون محرماً من لم يعزم على الإحرام ويوجبه على نفسه ، إذا كان من أهل التكليف ، ما ينبئ عن فساد هذا القول .

وإذْ فسد هذان الوجهان ، فبيِّنَةٌ صحة الوجه الثالث : وهو أن الرجل قد يكون

محرماً بإيجابه الإحرام بعزمه ، على سبيل ما بيّنّا ، وإن لم يظهر ذلك بالتجرد والتلبية وصَنيع بعض ما عليه عمله من مَناسكه. وإذا صحّ ذلك، صحّ ما قلنا من أنّ فرضَ الحجّ ، هو ما قُرِن إيجابه بالعزم ، [1] على نحو ما بيّنا قبل .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَلاَ رَفَثَ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى معنى « الرفث » فى هذا الموضع. [2]

فقال بعضهم : هو الإفحاش للمرأة فى الكلام ، وذلك بأن يقول : «إذا حللنا فعلت بك كذا وكذا » ، لا يكنى عنه ، وما أشبه ذلك .

* ذكر من قال ذلك :

٣٥٧١ – حدثنا أحمد بن حماد الدولابىّ ويونس قالا ، حدثنا سفيان ، عن ابن طاوس ، عن أبيه قال : سألت ابن عباس عن الرفث فى قول الله : « فلا رَفَثَ ولا فُسوق » ، قال : هو التعريض بذكر الجماع ، وهى « العِرابة » من كلام العرب ، وهو أدنى الرفث . [3]

٣٥٧٢ – حدثنى يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن روح بن القاسم ،

---

(١) فى المطبوعة : « هو ما مر إيجابه بالعزم » ، وهو تحريف فاسد لا معنى له . والدليل على صحة ما ذهبت إليه فى قراءة هذا النص قوله فى أول تفسير هذه الكلمة من الآية : « وإيجابه إياه على نفسه ، العزم على عمل جميع ما أوجب الله على الحاج عمله . . . » ، ثم ما جاء بعد ذلك فى تفصيل معنى « الفرض ». فالسياق يقتضى ما أثبت من قراءتى للنص .

(٢) انظر ما سلف فى معنى : « الرفث » من الجزء ٣ : ٤٨٧ ، ٤٨٨

(٣) الخبر : ٣٥٧١ – أحمد بن حماد الدولابى : مضت ترجمته فى : ٢٥٩٣ .

والعرابة (بفتح العين وكسرها) والإعراب والتعريب والإعرابة : ما قبح من الكلام ، أو التصريح بالهجر من الكلام والفاحش منه . وأعرب الرجل وعرب : أفحش . والجيد هنا أن يقال إن « العرابة » هو التعريض بالنكاح . وانظر الآثار الآتية من رقم : ٣٥٨١ وما بعده .

عن ابن طاوس فى قوله : « فلا رَفث » ، قال : الرفث العرابة ، والتعريضُ للنساء بالجماع .

٣٥٧٣ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا ابن أبى عدى ، عن عون قال ، حدثنا زياد بن حصين قال ، حدثنى أبى حصين بن قيس قال : أصْعدت مع ابن عباس فى الحاجّ وكنت له خليلاً ، فلما كان بعد ما أحرمنا قال ابن عباس ، فأخذت بذنب بعيره، فجعل يَلويه وهو يرتجز ويقول :

وَهُنَّ يَمْشِينَ بِنَا هَمِيسَا إنْ تَصْدُقِ الطَّيْرُ نَنِكْ لَمِيسَا(١)

قال فقلت: أتَرفُث وأنتَ مُحرم ؟ قال: إنما الرفثُ ما قيل عند النساء .

١٥٤/٢ ٣٥٧٤ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن رجل ، عن أبى العالية الرياحى ، عن ابن عباس: أنه كان يحدو وهو محرم ويقول :

وَهُنَّ يَمْشِينَ بِنَا هَمِيسَا إنْ تَصْدُقِ الطَّيْرُ نَنِكْ لَمِيسَا(٢)

قال قلت : تتكلم بالرفث وأنت محرم؟! قال : إنما الرفث ما قيل عند النساء.

٣٥٧٥ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنى يونس : أن نافعاً أخبره أنّ عبد الله بن عمر كان يقول : الرفثُ إتيان النساء ، والتكلم بذلك للرجال والنساء ، إذا ذكروا ذلك بأفواههم .

٣٥٧٦ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى أبو صخر ، عن محمد بن كعب القرظى مثله .

---

(١) لم أعرف قائله، وسيأتى فى هذا الجزء ١٢٧، ١٣٠ – ثم فى ٥ : ٦٨/ثم ١٦ : ١٥٧ (بولاق) وهو رجز كثير الدوران فى الكتب . والهمس والهميس : الصوت الخفى الذى لا غور له فى الكلام والوطء والأكل وغيرها . وليس : اسم صاحبته . ويريد بقوله : « إن تصدق الطير » ، أنه زجر الطير ، فتيامن بمرها ودلته على قرب اجتماعه بأصحابه وأهله .

(٢) انظر التعليق السالف .

٣٥٧٧ ــ حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا أبو عاصم قال، أخبرنا ابن جريج قال ، قلت لعطاء : أيحل للمحرم أن يقول لامرأته : « إذا حللتُ أصبتك »؟ قال : لا ! ذاك الرفثُ . قال : وقال عطاء : الرفث ما دون الجماع .

٣٥٧٨ ــ حدثنا ابن بشار قال، حدثني محمد بن بكر قال ، أخبرنا ابن جريج قال ، قال عطاء : الرفث الجماعُ وما دونه من قول الفحش .

٣٥٧٩ ــ حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن أبي زائدة ، عن ابن جريج قال : قلت لعطاء : قول الرجل لامرأته : « إذا حللت أصبتك »، قال : ذاك الرفث !

٣٥٨٠ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن زياد ابن حصين، عن أبي العالية قال : كنت أمشي مع ابن عباس وهو مُحرم ، وهو يرتجز ويقول :

وَهُنَّ يَمْشِينَ بِنَا هَمِيسَا إنْ تَصْدُقِ الطَّيْرُ نَنِكْ لَمِيسَا(١)

قال قلت : أترفث يا ابن عباس وأنت محرم؟ قال : إنما الرفث ما روجع به النساء .

٣٥٨١ ــ حدثنا عمرو بن علي قال، حدثنا سفيان ويحيى بن سعيد ، عن ابن جريج قال ، أخبرنا ابن الزّبير السبائي وعطاء : أنه سمع طاوساً قال : سمعت ابن الزبير يقول : لا يحل للمحرم الإعرابة . فذكرته لابن عباس فقال : صدق ! قلتُ لابن عباس : وَما الإعراب ؟ قال : التعريضُ .(٢)

٣٥٨٢ ــ حدثنا عمرو بن علي قال، حدثنا يحيى قال ، أخبرنا ابن جريج قال ، أخبرني الحسن بن مسلم ، عن طاوس أنه كان يقول : لا يحل للمحرم

---

(١) انظر ما سلف : ١٢٦ تعليق : ١

(٢) الخبر : ٣٥٨١ ــ ابن الزبير السبائي : هكذا ثبت في المطبوعة ؛ ولا أدري ما هذا ؟ ولا من هو ؟ ولولا كلمة « السبائي » لظننا أنه « أبو الزبير محمد بن مسلم بن تدرس الأسدي المكي » التابعي المشهور ، فإنه من هذه الطبقة . وانظر تفسير « الإعرابة »، والإعراب» فيما سلف ص: ١٢٥ ، تعليق : ٣

الإعرابة . قال طاوس : والإعرابة أن يقول وهو محرم : « إذا حللتُ أصبتُك » .

٣٥٨٣ – حدثني أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا فِطر ، عن زياد بن حصين ، عن أبي العالية قال : لا يكون رَفَثٌ إلا ما واجهتَ به النساء . (١)

٣٥٨٤ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن علقمة بن مرثد ، عن عطاء قال : كانوا يكرهون الإعرابة – يعني : التعريض بذكر الجماع – وهو مُحرم .

٣٥٨٥ – حدثنا عمرو بن علي قال، حدثنا أبو عاصم ، عن ابن جريج ، عن ابن طاوس : أنه سمع أباه أنه كان يقول : لا تحل الإعرابة . « والإعرابة » التعريضُ .

٣٥٨٦ – حدثنا عمرو بن علي قال ،حدثنا سفيان بن عيينة ، عن ابن طاوس، عن أبيه قال: سألتُ ابن عباس عن قول الله تعالى : « فلا رَفَثَ» ، قال : الرفث الذي ذُكر ههنا ، ليس بالرفث الذي ذكر في ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ [سورة البقرة : ١٨٧] ، ومن « الرفث »، التعريض بذكر الجماع ، وهي الإعرابة بكلام العرب.(٢)

٣٥٨٧ – حدثنا عمرو بن علي قال، حدثنا أبو معاوية قال ، حدثنا ابن جريج ، عن عطاء : أنه كره التعريب للمحرم .

٣٥٨٨ – حدثنا عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن ابن جريج قال ،

---

(١) الأثر : ٣٥٨٣ – فطر ، هو فطر بن خليفة القرشي المخزومي مولاهم . وكان في المطبوعة « قطر » بالقاف ، ومضى مراراً ، وظننته تصحيفاً من الطابع ، ولكنه تكرر فنبهت هنا عليه ، وعلى تصويبه .

(٢) انظر ما سلف في الجزء ٣ : ٤٨٧

أخبرني ابن طاوس أنّ أباه كان يقول : الرفث الإعرابة مما وَرّاه من شأن النساء ، والإعرابة الإيضاح بالجماع .(١)

٣٥٨٩ ــ حدثنا عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن ابن جريج قال ، حدثنا الحسن بن مسلم ، أنه سمع طاوساً يقول : لا يحل للمحرم الإعرابة .

٣٥٩٠ ــ حدثني علي بن داود قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « فلا رَفث » ، قال : الرفثُ غشيان النساء والقُبَل والغمز ، وأن يُعرِّض لها بالفُحش من الكلام ، ونحو ذلك .

٣٥٩١ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري ، عن منصور ، عن مجاهد قال : كان ابن عمر يقول للحادي : لا تعرِّض بذكر النساء .

٣٥٩٢ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر وابن جريج ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : الرفثُ في «الصيام» الجماع ، والرفث في «الحج» الإعرابة . وكان يقول : الدخول والمسيس الجماع .

* * *

وقال آخرون : « الرفث » في هذا الموضع : الجماع نفسه .

* ذكر من قال ذلك :

٣٥٩٣ ــ حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن خصيف ، عن مقسم قال : الرفث الجماع .

٣٥٩٤ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري ، عن خصيف ، عن مقسم ، عن ابن عباس مثله .

---

(٦) في المطبوعة : « مما رواه من شأن النساء » ، والصواب ما أثبت ، ومعناه : مما كنى به من شأن النساء ، وما عرض به من ذكرهن .

٣٥٩٥ – حدثنا عبد الحميد بن بيان قال، أخبرنا إسحق، عن شريك، عن خصيف، عن مقسم، عن ابن عباس قال : الرفث إتيان النساء .

١٥٥/٢ ٣٥٩٦ – حدثنا عبد الحميد قال، أخبرنا إسحق، عن شريك، عن أبي إسحق، عن التيمي قال : سألت ابن عباس عن الرفث، فقال : الجماع .

٣٥٩٧ – حدثنا عبد الحميد قال، حدثنا إسحق، عن سفيان، عن عاصم الأحول، عن بكر بن عبد الله، عن ابن عباس قال : الرفث هو الجماع، ولكن الله كريم يكنى عما شاء .

٣٥٩٨ – حدثنا عبد الحميد قال، أخبرنا إسحق، عن شريك، عن الأعمش، عن زياد بن حصين، عن أبي العالية قال : سمعت ابن عباس يرتجز وهو محرم يقول :

خَرَجْنَ يَسْرِينَ بِنَا هَمِيسَا إنْ تَصْدُقِ الطَّيْرُ نَنِكْ لَمِيسَا[1]

= قال شريك : «ألا إنه لم يكن عن الجماع» – «لميسا»[2] . فقلت : أليس هذا الرفث ؟ قال : لا، إنما الرفث إتيان النساء والمجامعة .

٣٥٩٩ – حدثنا عبد الحميد قال، أخبرنا إسحق، عن عون، عن زياد بن حصين، عن أبي العالية، عن ابن عباس بنحوه – إلا أن عوناً صرّح به .

٣٦٠٠ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا سفيان، عن عاصم، عن بكر، عن ابن عباس قال : الرفثُ الجماع .

٣٦٠١ – حدثنا عبد الحميد قال، حدثنا إسحق، عن شريك، عن أبي إسحق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله قوله : « فلا رَفَث »، قال : الرفث إتيان النساء .

---

(١) انظر تخريجه فيما سلف : ١٢٦ تعليق : ١. وهذه رواية تخالف الماضية : «وهن يمشين» .

(٢) يريد أن شريكاً أنشد البيت : « إن تصدق الطير » ثم قطع الإنشاد وقال : « ألا إنه لم يكن الجماع »، ثم عاد للإنشاد فقال : « لميسا »، ولم ينطق الكلمة .

٣٦٠٢ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا حماد بن مسعدة قال، حدثنا عوف ، عن الحسن فى قوله : « فلا رَفث » ، قال : الرفث غِشيان النساء .

٣٦٠٣ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا محمد بن بكر قال، أخبرنا ابن جريج قال ، قال عمرو بن دينار : الرفث الجماع فما دونه من شأن النساء .

٣٦٠٤ – حدثنا عبد الحميد قال، أخبرنا إسحق، عن ابن جريج ، عن عمرو بن دينار بنحوه .

٣٦٠٥ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن أبى زائدة ، عن عبد الملك ابن أبى سليمان ، عن عطاء فى قوله : « فلا رفث » ، قال : الرفثُ الجماع .

٣٦٠٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن عمرو ، عن عبد العزيز ابن رُفيْع ، عن مجاهد : « فلا رفث »، قال : الرفث الجماع .

٣٦٠٧ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية ، عن سعيد ، عن قتادة فى قوله : « فلا رفث »، قال : كان قتادة يقول : الرفث غِشيان النساء.

٣٦٠٨ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد، عن سعيد ، عن قتادة مثله .

٣٦٠٩ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، أخبرنا إسرائيل ، عن أبى إسحق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : الرفث الجماع .

٣٦١٠ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، أخبرنا إسرائيل ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن أبى الضحى ، عن ابن عباس قال : الرفث الجماع .

٣٦١١ – حدثنا أحمد ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد قال : الرفث الجماع .

٣٦١٢ – حدثنا أحمد قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير قال : الرفث المجامعة .

٣٦١٣ – حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فلا رَفث »، فلا جماع .

٣٦١٤ – حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « فلا رفث » ، قال : الرفث الجماع .

٣٦١٥ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ،عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « فلا رفث » ، قال : جماع النساء .

٣٦١٦ – حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن المغيرة ، عن إبراهيم فى قوله : « فلا رفث »، قال : الرفث الجماع .

٣٦١٧ – حدثني المثنى قال ، حدثنا الحجاج بن المنهال قال، حدثنا حماد ، عن الحجاج ، عن عطاء بن أبي رباح قال : الرفث الجماع .

٣٦١٨ – حدثني المثنى قال ،حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن محمد بن إسحق ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : الرفثُ الجماع .

٣٦١٩ – حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد قال، أخبرنا ابن المبارك ، عن يحيي بن بشر ، عن عكرمة قال : الرفث الجماع .(١)

٣٦٢٠ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن النضر بن عربي ، عن عكرمة قال : الرفث الجماع .

٣٦٢١ – حدثنا ابن وكيع قال،حدثنا أبي ، عن حسين بن عقيل = وحدثني أحمد بن حازم قال ، حدثنا أبو نعيم = وحدثنا الحسن بن يحيي قال ، أخبرنا عبد الرزاق = قالا ، أخبرنا حسين بن عقيل، عن الضحاك، قال : الرفث الجماع .

٣٦٢٢ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال ،

---

(١) الأثر : ٣٦١٩– يحيي بن بشر الخراساني ترجم له البخاري في الكبير ٤ / ٢ / ٢٦٣، وذكر أنه سمع عكرمة عن ابن عباس .

أخبرنا حجاج ، عن عطاء ، عن ابن عباس مثله — قال : وأخبرنا عبد الملك ، عن عطاء مثله .

٣٦٢٣ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا يونس ، عن الحسن = وأخبرنا مغيرة عن إبراهيم = قالا مثل ذلك .

٣٦٢٤ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين — وأخبرنا مغيرة قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله .

٣٦٢٥ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ،عن أبيه ، عن ابن عباس قال : الرفث النكاح .

٣٦٢٦ — حدثنا أحمد بن حازم قال، حدثنا أبو نعيم قال، حدثنا إسرائيل ١٥٦/٢
قال ، حدثني ثُوَير قال : سمعت ابن عمر يقول : الرفث الجماع .

٣٦٢٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال،أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال: الرفث غِشيان النساء = قال معمر: وقال مثل ذلك الزهري ، عن قتادة .

٣٦٢٨ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: الرفث إتيان النساء، وقرأ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾[سورة البقرة: ١٨٧]

٣٦٢٩ — حدثنا ابن حميد قال،حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد في قوله : « فلا رَفث » ، قال : الرفث الجماع .

٣٦٣٠ — حدثنا ابن حميد، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم مثله .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي، أن الله جل ثناؤه نهى — مَنْ فرَض الحجّ في أشهر الحج — عن الرفث فقال: «فمن فَرَض فيهن الحج فلا رفث» . و« الرفث » في كلام العرب أصله: الإفحاشُ في المنطق، على ما قد

بيّنا فيما مضى، ثم تستعمله فى الكناية عن الجماع .[١] فإذ كان ذلك كذلك،[٢] وكان أهل العلم مختلفين فى تأويله ، وفى هذا النهى من الله : عن بَعض معانى « الرفث » أمْ عن جميع معانيه؟ — وَجب أن يكون على جميع معانيه، إذ لم يأت خبرٌ= بخصوص «الرفث» الذى هو بالمنطق عند النساء، من سائر معانى «الرفث» =[٣] يجبُ التسليم له . إذ كان غيرَ جائز نَقلُ حُكم ظاهر آية إلى تأويل بَاطن، إلا بحجة ثابتة .

* * *

فإن قال قائل: إن حُكمها من عموم ظاهرها إلى الباطن من تأويلها ،[٤] منقول بإجماع . وذلك أنّ الجميع لا خلاف بينهم فى أن « الرفث » عند غير النساء غيرُ محظور على مُحرم، فكان معلوماً بذلك أن الآية معنىٌّ بها بعض «الرفث» دون بعض . وإذ كان ذلك كذلك، وَجب أن لا يحرَّم من معانى « الرفث » على المحرِم شىء، إلا ما أُجمع على تحريمه عليه، أو قامت بتحريمه حجة يجب التسليم لها

قيل : إن ما خُص من الآية فأبيح ، خارجٌ من التحريم ، والحظر ثابت لجميع ما لم تخصصه الحجة من معنى « الرفث » بالآية ، كالذى كان عليه حكمه لو لم يُخصّ منه شىء ، لأن ما خص من ذلك وأخرج من عمومه ، إنما لزمنا إخراج حكمه من الحظر بأمر من لا يجوز خلافُ أمره، فكان حُكم ما شمله معنى الآية — بعد الذى خُصّ منها — على الحكم الذى كان يلزم العبادَ فرضُه بها، لو لم يخصص منها شىء ، لأن العلة فيما لم يخصص منها بعدَ الذى خُص منها ، نظيرُ العلة فيه قبل أن يُخص منها شىء .

* * *

---

(١) انظر ما سلف فى الجزء ٣ : ٤٨٧ ، ٤٨٨

(٢) فى المطبوعة : « فإن كان ذلك كذلك » ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبت .

(٣) السياق : « إذ لم يأت خبر يجب التسليم له » .

(٤) فى المطبوعة : « فإن قال قائل بأن حكمها . . . » ، والصواب ما أثبت وانظر مراجع « الظاهر ، والباطن » فى فهارس الأجزاء السالفة ، وهذا الجزء

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلاَ فُسُوقَ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى معنى « الفسوق » ، التى نهى الله عنها فى هذا الموضع .[1] فقال بعضهم : هى المعاصى كلها .

* ذكر من قال ذلك :

٣٦٣١ ــ حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن خصيف ، عن مقسم ، عن ابن عباس قال : الفسوق المعاصى .

٣٦٣٢ ــ حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن أبى زائدة ، عن عبد الملك ابن أبى سليمان ، عن عطاء : « ولا فسوق » ، قال : الفسوق المعاصى .

٣٦٣٣ ــ حدثنا ابن بشار قال ، حدثنى محمد بن بكر قال ، أخبرنا ابن جريج قال ، قال عطاء : الفسوق المعاصى كلها ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ﴾ [سورة البقرة : ٢٨٢] .

٣٦٣٤ ــ حدثنا عبد الحميد بن بيان قال ، حدثنا إسحق ، عن ابن جريج ، عن عطاء مثله .

٣٦٣٥ ــ حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا حماد بن مسعدة قال ، حدثنا عوف ، عن الحسن فى قوله : « ولا فُسوق » ، قال : الفسوق المعاصى .

٣٦٣٦ ــ حدثنا عبد الحميد بن بيان قال ، حدثنا إسحق ، عن ابن جريج ، عن ابن طاوس ، عن أبيه قال : الفسوق المعصية .

٣٦٣٧ ــ حدثنا عبد الحميد قال ، حدثنا إسحق ، عن أبى بشر ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : الفسوق المعاصى كلها .

٣٦٣٨ ــ حدثنى يعقوب قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن روح بن القاسم ،

---

(١) انظر ما سلف فى معنى « الفسق » ١ : ٤٠٩ ــ ٤١٠ / ٢ : ١١٨ ، ٣٩٩ .

عن ابن طاوس ، عن أبيه فى قوله : « ولا فسوق » ، قال : الفسوق المعاصى .

٣٦٣٩ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنى أبو صخر ، عن محمد بن كعب القرظىّ فى قوله: « ولا ُفسوق » ،قال: الفسوق المعاصى كلها.

٣٦٤٠ – حدثنى يعقوب قال، حدثنا ابن علية = وحدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد = جميعاً ، عن سعيد بن أبى عروبة، عن قتادة : « ولا فسوق »، قال : الفسوق المعاصى .

٣٦٤١ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد : « ولا ُفسوق » ، قال : المعاصى

٣٦٤٢ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد مثله .

٣٦٤٣ – حدثنا أحمد بن إسحق قال،حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير قال : الفسوق المعاصى= قال : وقال مجاهدٌ مثل قول سعيد .

٣٦٤٤ – حدثنا أحمد قال،حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد قال : الفسوق المعاصى.

٣٦٤٥ – حدثنى محمد بن سعد قال،حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ولا فسوق » ، قال : الفسوق عصيان الله . ١٥٧/٢

٣٦٤٦ – حدثنا محمد بن المثنى قال،حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن المغيرة ، عن إبراهيم فى قوله : « ولا ُفسوق » ، قال : الفسوق المعاصى.

٣٦٤٧ – حدثنى المثنى قال ،حدثنا الحجاج بن المنهال. قال ، حدثنا حماد ، عن الحجاج، عن عطاء بن أبى رباح قال : الفسوق المعاصى .

٣٦٤٨ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال،حدثنا عبد الرزاق قال ،

أخبرنا معمر ، عن الزهري وقتادة وابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٣٦٤٩ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا الحجاج ، عن عطاء ، عن ابن عباس : « ولا فُسوق » ، قال : المعاصي = قال وأخبرنا عبد الملك ، عن عطاء مثله .

٣٦٥٠ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

٣٦٥١ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن النضر بن عربي ، عن عكرمة مثله .

٣٦٥٢ – حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن يحيى بن بشر ، عن عكرمة قال : الفسوق معصية الله ، لا صغيرَ مِنْ معصية الله .

٣٦٥٣ – حدثني علي بن داود قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « ولا فسوق » ، قال : الفسوق معاصي الله كلها .

٣٦٥٤ – حدثني الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه = وعن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد = قال : الفسوق المعاصي . وقال مثل ذلك الزهري وقتادة .

* * *

وقال آخرون : بل « الفسوق » في هذا الموضع : ما عُصي الله به في الإحرام مما نهيَ عنه فيه ، من قتل صيد ، وأخذ شعر ، وقَلم ظُفر ، وما أشبه ذلك مما خص الله به الإحرام ، وأمر بالتجنب منه في خلال الإحرام .

* ذكر من قال ذلك :

٣٦٥٥ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني يونس : أن

نافعاً أخبره أن عبد الله بن عمر كان يقول : الفسوق إتيان معاصي الله في الحرَم .

٣٦٥٦ – حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن محمد بن إسحق ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : الفسوق ما أصيبَ من معاصي الله به ، صيدٍ أو غيره .(١)

* * *

وقال آخرون : بل « الفسوق » في هذا الموضع : السِّباب .

* ذكر من قال ذلك :

٣٦٥٧ – حدثنا عبد الحميد بن بيان قال ، أخبرنا إسحق ، عن شريك ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد ، عن ابن عمر قال : الفسوق السبابُ .

٣٦٥٨ – حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : الفسوق السباب .

٣٦٥٩ – حدثني أحمد بن حازم الغفاري قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا إسرائيل قال ، حدثنا ثُوَير قال : سمعت ابن عمر يقول : الفسوق السباب .

٣٦٦٠ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جكام ، عن عمرو ، عن عبد العزيز ابن رُفيع ، عن مجاهد : « ولا فسوق » ، قال : الفسوق السباب .

٣٦٦١ – حدثنا موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي في قوله : « ولا فُسوق » ، قال : أما الفسوق فهو السباب .

٣٦٦٢ – حدثني المثنى قال ، حدثنا معلَّى بن أسد قال ، حدثنا خالد ، عن المغيرة ، عن إبراهيم قال : الفسوق السِّباب .

٣٦٦٣ – حدثني المثنى قال ، حدثنا معلَّى قال ، حدثنا عبد العزيز ، عن موسى بن عقبة قال : سمعت عطاء بن يسار يحدث نحوه .

٣٦٦٤ – حدثنا القاسم قال ، حدثني الحسين قال ، حدثنا هشيم قال ،

---

(١) قوله : « من معاصي الله به » ، أي بالحرم .

أخبرنا يونس، عن الحسن = قال وأخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم = قالا : الفسوق السباب .

٣٦٦٥ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن خصيف، عن مقسم ، عن ابن عباس قال : الفسوق السباب .

٣٦٦٦ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد فى قوله : « ولا فُسوق » ، قال : الفسوق السباب .

٣٦٦٧ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم مثله .

* * *

وقال آخرون : « الفسوق » ، الذبحُ للأصنام .

* ذكر من قال ذلك :

٣٦٦٨ ــ حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى «الفسوق» : الذبحُ للأنصاب، وقرأ ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ﴾ [سورة الأنعام: ١٤٥] فقُطع ذلك أيضاً،(١) قُطع الذبح للأنصاب بالنبىّ صلى الله عليه وسلم ، حين حجّ فعلّم أمته المناسك .

* * *

وقال آخرون : «الفسوق» التنابز بالألقاب .

* ذكر من قال ذلك :

٣٦٦٩ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا حسين بن عقيل قال : سمعت الضحاك بن مزاحم يقول : فذكر مثله .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال التى ذكرنا بتأويل الآية فى ذلك، قولُ من

---

(١) قوله « فقطع ذلك أيضاً » ، يشير إلى ما قطع من الرفث وحرم .

قال : معنى قوله : « ولا فسوق » ، النهيُ عن معصية الله فى إصابة الصيد ، وفعل ما نهى الله المحرمَ عن فعله فى حال إحرامه .

١٥٨/٢ وذلك أن الله جل ثناؤه قال : « فمن فرضَ فيهن الحجَ فلا رَفَث ولا فُسوق » ، يعنى بذلك : فلا يَرفُثْ ولا يَفسُق ، أى لا يفعل ما نهاه الله عنْ فعله فى حال إحرامه ، ولا يخرُج عن طاعة الله فى إحرامه . وقد علمنا أن الله جل ثناؤه قد حرَّم معاصيه على كل أحد ، محرِماً كان أو غير محرِم ، وكذلك حرَّم التنابز بالألقاب فى حال الإحرام وغيرها بقوله : ﴿ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ ﴾ [سورة الحجرات : ١١] ، وحرَّم على المسلم سباب أخيه فى كل حال ، فرَض الحجّ أو لم يَفرضه .

فإذْ كان ذلك كذلك ، فلا شكّ أن الذى نهى الله عنه العبدَ من الفسوق فى حال إحرامه وفرضه الحجّ ، هو ما لم يكن فسوقاً فى حال إحلاله وقبل إحرامه بحجه ، كما أن «الرفث» الذى نهاهُ عنه فى حال فرْضه الحج ، هو الذى كان له مُطلقاً قبل إحرامه . لأنه لا معنى لأن يقال فيما قد حرَّم الله على خلقه فى كُلّ الأحوال : « لا يفعلن أحدُكم فى حال الإحرام ، ما هو حرَام عليه فعلُه فى كل حال» . لأن خصوصَ حال الإحرام به لا وجه له ، وقد عمّ به جميع الأحوال من الإحلال والإحرام .

فإذ كان ذلك كذلك ، فمعلومٌ أن الذى نهى عنه المحرمُ من « الفسوق » فخُصّ به حالُ إحرامه ، وقيل له : « إذا فرضت الحجّ فلا تفعله » ، هو الذى كان له مطلقاً قبل حال فرضه الحج ، وذلك هو ما وصفنا وذكرنا ، أن الله جل ثناؤه خصّ بالنهى عنه المحرمَ فى حال إحرامه مما نهاه عنه : من الطيب ، واللباس ، والحلق ، وقصّ الأظفار ، وقتل الصيد ، وسائر ما خص الله بالنهى عنه المحرِمَ فى حال إحرامه .

• • •

فتأويل الآية إذاً : فمن فرض الحج فى أشهر الحجّ فأحرم فيهن ، فلا يرفث عند النساء فيُصرِّح لهنّ بجماعهن ، ولا يُجامعهُن ، ولا يفسق بإتيان ما نهاه الله فى حال إحرامه بحجه : من قتل صيد ، وأخذ شَعر ، وقَلم ظُفر ، وغير ذلك مما حَرّم الله عليه فعلَه وهو مُحرم .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلاَ جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى ذلك .

فقال بعضهم : معنى ذلك : النهىُ عن أن يُجادل المحرم أحداً .

ثم اختلف قائلو هذا القول .

فقال بعضهم : نهى عن أن يجادل صاحبه حتى يغضبه .

* ذكر من قال ذلك :

٣٦٧٠ ــ حدثنا عبد الحميد بن بيان قال ، أخبرنا إسحق ، عن شريك ، عن أبى إسحق ، عن أبى الأحوص ، عن عبد الله : « ولا جِدال فى الحجّ » ، قال : أن تُمارى صاحبك حتى تغضبه .

٣٦٧١ ــ حدثنا عبد الحميد قال ، حدثنا إسحق ، عن شريك ، عن أبى إسحق ، عن التيمى قال : سألت ابن عباس عن « الجدال » ، فقال : أن تمارىَ صاحبك حتى تغضبه .

٣٦٧٢ ــ حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن عيينة ، عن خصيف ، عن مقسم ، عن ابن عباس قال : الجدال أن تمارى صاحبك حتى تغضبه .

٣٦٧٣ ــ حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن أبى زائدة ، عن عبد الملك ابن سليمان ، عن عطاء قال : الجدال أن يمارى الرجل أخاه حتى يغضبه .

٣٦٧٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير : « ولا جدال فى الحج » ، قال: أن تَمْحَنَ صاحبك حتى تغضبه .(١)

٣٦٧٥ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا هرون ، عن عمرو ، عن شعيب ابن خالد ، عن سلمة بن كهيل قال: سألت مجاهداً عن قوله : « ولا جدال فى الحج» ، قال : أن تمارى صاحبك حتى تغضبه .

٣٦٧٦ – حدثنا عبد الحميد بن بيان قال، حدثنا إسحق ، عن ابن جريج ، عن عمرو بن دينار قال : الجدال هو أن تمارى صاحبك حتى تغضبه .

٣٦٧٧ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا حماد بن مسعدة قال ، حدثنا عوف ، عن الحسن قال : الجدال المراء .

٣٦٧٨ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : الجدال أن تجادل صاحبك حتى تغضبه .

٣٦٧٩ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا إسرائيل، عن سالم ، عن سعيد بن جبير قال: الجدال أن تصخب [على] صاحبك .(٢)

٣٦٨٠ – حدثنا أحمد قال، حدثنا أبو أحمد ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد : « ولا جدال فى الحجّ » ، قال : المراء .

---

(١) أنا فى شك من هذه اللفظة : « تمحن » ، وإن كان لها وجه فى العربية ، من قولهم : محنت الفضة : إذا أذبتها بالنار لتختبرها ، ومحن الفرس بالعدو : جهده ، ومحنه بالسوط : ضربه . كل هذا صالح فى مجاز المماراة والمخاصمة . ولكنى أظن صوابها : « تمحك » من قولهم : محكه ، إذا نازعه فى الكلام وتمادى حتى يغضبه ، ومنه حديث على : « لا تضيق به الأمور ، ولا تمحكه الخصوم » . والمحك: المشارة والمنازعة فى الكلام ، واللجاج والتمادى عند المساومة والغضب وغيرها .

(٢) الزيادة بين القوسين لابد منها ، والصخب الصياح والجلبة ، صخب يصخب صخباً ، وهو فعل غير متعد . وسيأتى فى الآثار الآتية : أن الجدال هو الصخب والمراء .

٣٦٨١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق = وحدثني أحمد ابن حازم قال، حدثنا أبو نعيم = قالا : حدثنا حسين بن عقيل، عن الضحاك قال: الجدال أن تماري صاحبك حتى تغضبه .

٣٦٨٢ – حدثنا أحمد بن حازم قال، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا واقد الخلقاني ، عن عطاء قال : أما الجدال ، فتماري صاحبك حتى تغضبه .(١)

٣٦٨٣ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : الجدال المراء، أن تماري صاحبك حتى تغضبه .

٣٦٨٤ – حدثني المثنى قال، حدثنا المعلى بن أسد قال ، حدثنا خالد ، عن المغيرة ، عن إبراهيم قال : الجدالُ المراء .

٣٦٨٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا المعلى قال ، حدثنا عبد العزيز ، عن موسى بن عقبة ، قال : سمعت عطاء بن يسار يحدث نحوه .

٣٦٨٦ – حدثني ابن المثنى قال ، حدثنا محمد بن أبي جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن المغيرة ، عن إبراهيم بمثله . ١٥٩/٢

٣٦٨٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا حماد ، عن الحجاج ، عن عطاء بن أبي رباح قال : الجدال ، أن يماري بعضهم بعضاً حتى يغضبوا .

٣٦٨٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن

---

(١) الخبر : ٣٦٨٢ – واقد الخلقاني : هو « واقد بن عبد الله الخلقاني الكوفي الحنظلي » . ترجمه البخاري في الكبير ٤ / ٢ / ١٧٣ ، وقال : « سمع عطاء » . وترجمه ابن أبي حاتم ٤ / ٢ / ٣٣ ، وزاد أنه « بياع الغنم » ، وأنه « روى عنه وكيع ، ومروان الفزاري ، وأبو نعيم » ، وأنه سأل عنه أباه ، فقال : « شيخ محله الصدق » . وله رواية في المسند : ٥٣٩ « عن رأى عثمان بن عفان » ، ولكنه نسب فيه « التميمي » . و « الحنظلي » : تميمي أيضاً . وقد وهم فيه الحسيني ، وتعقبه الحافظ في التعجيل : ٤٣٥ – ٤٣٦ ، فأحسن بيانه . و « الخلقاني » ، قال ابن الأثير في اللباب : « بضم الخاء [يعني المعجمة] وسكون اللام وفتح القاف وفي آخرها نون : هذه النسبة إلى بيع الخلق من الثياب وغيرها » .

يحيى بن بشر ، عن عكرمة : « ولا جدال » ، الجدالُ الغضب ، أن تُغضب عليك مسلماً ، إلا أن تستعتبَ مملوكاً فتعظه من غير أن تغضبه ، ولا إثم عليك إن شاء الله تعالى فى ذلك .(١)

٣٦٨٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنى أبى ، عن النضر بن عربى ، عن عكرمة ، قال : الجدال أن تمارى صاحبك حتى يُغضبك أو تُغضبه .

٣٦٩٠ – حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهرى وقتادة قالا : الجدالُ هو الصخب والمراء وأنت مُحرم .

٣٦٩١ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا محمد بن بكر قال، أخبرنا ابن جريج قال ، قال عطاء : الجدال ما أغضب صاحبك، من الجدَل .

٣٦٩٢ – حدثنى على قال، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « ولا جدال فى الحج » ، قال : الجدال المراء والملاحاة حتى تغضب أخاك وصاحبك ، فنهى الله عن ذلك .

٣٦٩٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى، عن خصيف، عن مقسم، عن ابن عباس قال: الجدال أن تمارى صاحبك حتى تغضبه .

٣٦٩٤ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن منصور ، عن إبراهيم قال : الجدال المراء .

٣٦٩٥ – حدثنا الحسن قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن الزهرى وقتادة قالا : هو الصخَب والمراء وأنت محرم .

---

(١) الأثر : ٣٦٨٨ – فى تفسير ابن كثير ١ : ٤٦٠ ، وفيه « ولا بأس عليك إن شاء الله » . وفى المطبوعة هنا « ولا أمر عليك » ، ولعل الصواب ما أثبت . واستعتبه : رده عن الإساءة ، يعنى تأديبه .

٣٦٩٦ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم : « ولا جدال فى الحج »، كانوا يكرهون الجدال .

* * *

وقال آخرون منهم : « الجدال » فى هذا الموضع، معناه : السباب .

* ذكر من قال ذلك :

٣٦٩٧ ــ حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، أخبرنى يونس : أن نافعاً أخبره أن عبد الله بن عمر كان يقول: الجدال فى الحج : السباب والمراءُ والخصومات .

٣٦٩٨ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد قال، أخبرنا ابن المبارك، عن محمد بن إسحق، عن نافع، عن ابن عمر قال : الجدال السباب والمنازعة .

٣٦٩٩ ــ حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال، حدثنى عمى قال، حدثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس قال : الجدال السباب .

٣٧٠٠ ــ حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد = وحدثنى يعقوب قال، حدثنا ابن علية = جميعاً، عن سعيد، عن قتادة قال : الجدال السباب .

* * *

وقال آخرون منهم : بل عنى بذلك خاصًّا من الجدال والمراء، وإنما عنى الاختلافَ فيمن هو أتمُّ حجًّا من الحجّاج .

* ذكر من قال ذلك :

٣٧٠١ ــ حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، أخبرنى أبو صخر، عن محمد بن كعب القرظى قال : « الجدال »، كانت قريش إذا اجتمعت بمنى قال هؤلاء: «حجُّنا أتم من حَجكم!»، وقال هؤلاء : «حجنا أتم من حَجكم!».

* * *

وقال آخرون منهم : بل ذلك اختلافٌ كان يكون بينهم فى اليوم الذى فيه الحج ، فنهوا عن ذلك .

* ذكر من قال ذلك :

٣٧٠٢ – حدثنى المثنى قال، حدثنا الحجاج قال ، حدثنا حماد ، عن جبر ابن حبيب ، عن القاسم بن محمد أنه قال: الجدال فى الحج أن يقول بعضهم : « الحج اليوم ! » ، ويقول بعضهم : « الحجّ غداً ! » .

* * *

وقال آخرون : بل اختلافهم ذلك فى أمر مَوَاقف الحج أيُّهم المصيبُ مَوْقفَ إبراهيم.

* ذكر من قال ذلك :

٣٧٠٣ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله: « ولا جدال فى الحج » ، قال : كانوا يقفون مواقفَ مختلفة يتجادلون ، كلهم يدَّعى أن موقفه موقف إبراهيم، فقطعه الله حين أعلم نبيَّه صلى الله عليه وسلم بمناسكهم.

* * *

وقال آخرون: بل قوله جل ثناؤه : « ولا جدال فى الحجّ» ، خبرٌ من الله تعالى عن استقامة وقت الحج على ميقات واحد لا يتقدّمه ولا يتأخره ، وبُطول فعل النسىء . (١)

* ذكر من قال ذلك :

٣٧٠٤ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن مجاهد فى قوله : « ولا جدال فى الحج » ، قال : قد استقام الحج ولا جدالَ فيه .

---

(١) ستأتى صفة « النسىء » فى الأثر : ٣٧٠٥ ، وقوله : « بطول » مصدر بطل الشىء بطولا وبطلاناً . وقد أكثر الطبرى من استعماله، انظر ما سلف ٢ : ٤٢٦ ثم الجزء ٣ : ٢٠٥ ، تعليق : ٦ ، والتعليق فيهما .

٣٧٠٥ ــ حدثني محمد بن عمرو قال، أخبرنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد . « ولا جدالَ في الحج » ، قال : لا شهر يُنسأ ، ولا شك في الحج، قد بُيِّن . كانوا يُسقطون المحرَّم ثم يقولون : « صفران » لصفر وشهر ربيع الأول، ثم يقولون : « شهرَا ربيع » لشهر ربيع الآخر وجُمادى الأولى ، ثم يقولون : « جُمادَيان » لجمادى الآخرة ولرجب ، ثم يقولون لشعبان: « رجب »، ثم يقولون لرمضان: «شعبان»، ثم يقولون لشوال: « رمضان»، ويقولون لذى القعدة: « شوال » ، ثم يقولون لذى الحجة: « ذا القعدة » ، ثم يقولون للمحرَّم : « ذا الحجة » ، فيحجون في المحرم . ثم يأتنفون فيحسُبون على ذلك عِدَّةً مستقبلةً على وَجه ما ابتدأوا،[1] فيقولون: « المحرم وصَفر وشهرا ربيع » ، فيحجونَ في المحرَّم ليحجوا في كل سنة مرتين ، فيسقطون شهراً آخر فيعدُّون على العِدَّة الأولى، فيقولون : « صفران ، وشهرَا ربيع» نحو عدتهم في أول ما أسقطوا . ١٦٠/٢

٣٧٠٦ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد نحوه .

٣٧٠٧ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال: صاحب النسيء الذى ينسأ لهم أبو ثُمامة، رجل من بني كنانة .

٣٧٠٨ ــ حدثنا عبد الحميد بن بيان قال ، أخبرنا ابن إسحق ، عن أبي بشر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد: « ولا جدال في الحج »، قال : لا شبهة في الحج، قد بيَّن الله أمر الحج .

٣٧٠٩ ــ حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدى: « ولا جدال في الحج »، قال : قد استقام أمر الحج ، فلا تجادلوا فيه .

٣٧١٠ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن

---

(١) استأنف الشيء وائتنفه : أخذ أوله وابتدأه . من قولهم : أنف الشيء ، أي أوله .

ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ولا جدال فى الحج » ، قال : لا شهرَ يُنسأ ، ولا شك فى الحج ، قد بُيِّن .

٣٧١١ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن أبي زائدة ، عن العلاء بن عبد الكريم ، عن مجاهد : « ولا جدال فى الحج » ، قال : قد عُلم وَقت الحج ، فلا جدال فيه ولا شك .

٣٧١٢ – حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن عبد العزيز والعلاء ، عن مجاهد قال : هو شهر معلومٌ لا تنازُع فيه .

٣٧١٣ – حدثنا أحمد قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن سالم ، عن مجاهد : « ولا جدالَ فى الحج » ، قال : لا شك فى الحج .

٣٧١٤ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حجاج ، عن عطاء ، عن ابن عباس : « ولا جدال فى الحج » ، قال : المراء بالحج .

٣٧١٥ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، « ولا جدال فى الحج » ، فقد تبيَّن الحج . قال : كانوا يحجون فى ذى الحجة عامين ، وفى المحرَّم عامين ، ثم حجوا فى صفرَ عامين . وكانوا يحجون فى كل سنة فى كل شهر عامين ، ثم وافقت حَجةُ أبي بكر من العامين فى ذى القعدة قبل حَجة النبي صلى الله عليه وسلم بسنة ، ثم حَج النبي صلى الله عليه وسلم من قابل فى ذى الحجة ، فذلك حين يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الزمان قد استدارَ كهيئته يَوم خلق الله السموات والأرض » .

٣٧١٦ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد فى قوله : « ولا جدال فى الحج » ، قال : بيَّن الله أمر الحج ومعالمه ، فليس فيه كلام .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال فى قوله : « ولا جدال فى الحج » بالصواب ،

قولُ من قال : معنى ذلك : قد بطل الجدال فى الحج ووقته ، واستقام أمره ووقته على وقت واحد ، ومناسك متفقة غير مختلفة ، ولا تنازع فيه ولا مراء . وذلك أنّ الله تعالى ذكره أخبرَ أن وَقتَ الحج أشهرٌ معلوماتٌ ، ثم نَفى عن وَقته الاختلاف الذى كانت الجاهلية فى شركها تختلف فيه .

وإنما اخترنا هذا التأويل فى ذلك ، ورأيناه أولى بالصواب مما خالفه ، لما قد قدمنا من البيان آنفاً فى تأويل قوله : « ولا فسوق » ، أنه غير جائز أن يكون الذى خُصّ بالنهى عنه فى تلك الحال [إلا ما هو] مُطلقٌ مُباح فى الحال التى يُخالفها ،(١) وهى حال الإحلال . وذلك أن حُكم ما خُصّ به من ذلك حُكم حال الإحرام ، إن كان سواءً فيه حال الإحرام وحال الإحلال ، فلا وجه لخصوصه به حالاً دون حال ، وقد عمّ به جميع الأحوال . وإذ كان ذلك كذلك ، وكان لا معنى لقول القائل فى تأويل قوله : « ولا جدالَ فى الحجّ » ، أنّ تأويله : لا تمارِ صاحبك حتى تغضبه ، إلاّ أحد معنيين :

إما أن يكون أراد : لا تماره بباطل حتى تغضبه ، فذلك ما لا وجه له . لأن الله عز وجل قد نهى عن المراء بالباطل فى كلّ حال ، محرماً كان المارى أو مُحلاً . فلا وجهَ لخصوص حال الإحرام بالمنهى عنه ، لاستواء حال الإحرام والإحلال فى نهى الله عنه .

أو يكون أراد : لا تماره بالحقّ ، وذلك أيضاً ما لا وجه له . لأن المحرم لو رأى رجلاً يروم فاحشةً ، كان الواجب عليه مراءه فى دفعه عنها ، أو رآه يحاول ظلمه والذهابَ منه بحقّ له قد غصبَه عليه ، كان عليه مراؤه فيه وجداله حتى يتخلصه منه . والجدال والمراء لا يكون بين الناس إلا من أحد وجهين : إما من قِبَل ظُلم ، وإما من قبَل حق . فإذا كان من أحد وجهيه غير جائز فعله بحال ، ومن الوجه الآخر غير جائز تركه بحال ، فأىّ وجوهه التى خُصّ بالنهى عنه حالُ الإحرام ؟

(١) هذه الزيادة لابد منها حتى يستقيم الكلام . وكان فى الأصل أيضاً : « أنه غير جائز أن يكون الله خص . . » ، واستقامة الكلام تقتضى ما أثبت .

وكذلك لا وجه لقول من تأوّل ذلك أنه بمعنى السباب ، لأن الله تعالى ذكره قد نهى المؤمنين بعضهم عن سباب بعض ، على لسان رسوله عليه السلام فى كل حال ، فقال صلى الله عليه وسلم :

٣٧١٧ — « سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفرٌ » .(١)

= فإذا كان المسلم عن سبّ المسلم منهيًّا فى كل حال من أحواله ، محرماً كان أو غير محرم ، فلا وجه لأن يقال : لا تسبه فى حال الإحرام إذا أحرمت = وفيما رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخبر الذى :—

١٦١/٢ ٣٧١٨ — حدثنا به محمد ابن المثنى قال ، حدثنى وهب بن جرير قال ، حدثنا شعبة ، عن سيار ، عن أبى حازم ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق ، خرج مثل يوم ولدته أمه.

٣٧١٩ — حدثنى على بن سهل قال ، حدثنا حجاج قال ، حدثنا شعبة ، عن سيار ، عن أبى حازم ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من حجّ هذا البيت فلم يرفثْ ولم يفسق ، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه .(٢)

---

(١) الحديث : ٣٧١٧ — رواه الطبرى بغير إسناد . وهو حديث صحيح ثابت من روايات كثيرة . فرواه أحمد فى المسند : ٣٦٤٧ ، من حديث عبد الله بن مسعود . وكذلك رواه الشيخان ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجة . وانظر بقية أرقامه فى المسند ، فى الاستدراك : ٨٨٦ . وثبت أيضاً من رواية صحابة آخرين ، انظر الفتح الكبير ٢ : ١٥٠ — ١٥١ .

(٢) الحديث : ٣٧١٨ — ٣٧٢٠ « سيار » : بفتح السين وتشديد الياء : مضت ترجمته فى : ٣٩ .

أبو حازم : هو الأشجعى ، واسمه « سلمان » مولى عزة الأشجعية . وهو تابعى ثقة ، أخرج له أصحاب الكتب الستة . وليس « أبو حازم » هنا — « أبا حازم سلمة بن دينار صاحب سهل بن سعد » ، فإن سلمة لم يسمع من أبى هريرة ، كما نص عليه الحافظ فى الفتح ٣ : ٣٠٢ .

والحديث رواه أبو داود الطيالسى : ٢٥١٩ ، عن سيار ومنصور — كلاهما عن أبى حازم .

ورواه أحمد فى المسند : ٩٣٠٢ (٢ : ٤١٠ حلبى) ، والبخارى ٣ : ٣٠٢ — ٣٠٣ ، كلاهما من طريق شعبة ، عن سيار ، به .

وسيأتى مرة رابعة ، من طريق شعبة عن سيار : ٣٧٢٥ .

٣٧٢٠ – حدثنا أحمد بن الوليد قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن سيار، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مثل حديث ابن المثنى ، عن وهب بن جرير .

٣٧٢١ – حدثني ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة، عن منصور ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله أيضاً .

٣٧٢٢ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا أبو الوليد قال ، حدثنا شعبة قال ، أخبرني منصور قال ، سمعت أبا حازم يحدث ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، نحوه .(١)

٣٧٢٣ – حدثنا تميم بن المنتصر قال ، أخبرنا إسحق قال ، أخبرنا محمد بن عبيد الله ، عن الأعمش ، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من حجّ هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق ، خرج من ذنوبه كما ولدته أمه .(٢)

٣٧٢٤ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع وأبو أسامة ، عن سفيان ، عن منصور ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه

---

(١) الحديثان : ٣٧٢١ ، ٣٧٢٢ – منصور : هو ابن المعتمر . وقد سمع منصور هذا الحديث من أبي حازم ، كما صرح بذلك في الإسناد الثاني . فانتفت بذلك شبهة عدم سماعه هذا الحديث منه . كما سيأتي بيانه في : ٣٧٢٦ ، ٣٧٢٧ .

والحديث من هذا الوجه – رواه الطيالسي : ٢٥١٩ ، عن شعبة – كما أشرنا من قبل .

ورواه أيضاً أحمد في المسند : ٩٣٠٠ (٢ : ٤١٠ حلبي) ، والبخاري ٤ : ١٧ (فتح) – كلاهما من طريق شعبة ، عن منصور .

(٢) الحديث : ٣٧٢٣ – هو في معنى الأحاديث قبله وبعده . وقد رواه الدارقطني في سننه ، ص : ٢٨٢ ، من طريق حجاج بن أرطاة ، عن الأعمش ، بهذا الإسناد ، بلفظ : « من حج أو اعتمر ، فلم يرفث ولم يفسق ، يرجع كهيئته يوم ولدته أمه » . فزاد الحجاج بن أرطاة لفظ « أو اعتمر » .

وأشار الحافظ في الفتح ٣ : ٣٠٢ – إلى رواية الدارقطني هذه ، وقال : « لكن في الإسناد إلى الأعمش ضعف » .

وسلم ، فذكر مثله – إلا أنه قال : رَجع كما ولدته أمه .(١)

٣٧٢٥ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو أسامة ، عن شعبة ، عن سيار، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه – إلا أنه قال : رجع إلى أهله مثلَ يوم ولدته أمه .

٣٧٢٦ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا يحيى بن أبي بكير ، عن إبراهيم بن طهمان، عن منصور ، عن هلال بن يساف ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، فذكر نحوه – إلا أنه قال : رجع إلى أهله مثلَ يوم ولدته أمه .

٣٧٢٧ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا يحيى بن أبي بكير ، عن إبراهيم بن طهمان ، عن منصور، عن هلال بن يساف ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من حج هذا البيت – يعني الكعبة – فلم يرفث ولم يفسق ، رجع كيوم ولدته أمه .(٢)

---

(١) الحديث : ٣٧٢٤ – سفيان : هو الثوري . والحديث – من هذا الوجه – رواه أحمد في المسند : ١٠٢٧٩ (٢ : ٤٨٤ حلبي) ، عن وكيع وعبد الرحمن بن مهدي ، كلاهما عن سفيان . وكذلك رواه البخاري ٤ : ١٧ (فتح) ، عن محمد بن يوسف – وهو الفريابي – عن سفيان .

وقد رواه أحمد أيضاً : ٧٣٧٥ (٢ : ٢٤٨ حلبي) ، عن سفيان ، عن منصور . وسفيان هنا : هو ابن عيينة .

(٢) الحديثان : ٣٧٢٦ ، ٣٧٢٧ – هما إسناد واحد مكرر لحديث واحد . لم يذكر لفظه كاملا في أولهما ، وذكره في ثانيهما . ولا أدري سبب هذا ؟

يعقوب بن إبرهيم : هو الدورقي الحافظ ، مضى مراراً ، آخرها : ٣٢٢٣ . يحيى بن أبي بكير – بضم الباء الموحدة وفتح الكاف – الأسدي القيسي : ثقة معروف ، أخرج له أصحاب الكتب الستة ، مات سنة ٢٠٨ أو ٢٠٩ . ووقع في المطبوعة هنا « يحيى بن أبي كثير » . وهو خطأ ، فإن ابن أبي كثير قديم الوفاة مات سنة ١٢٩ أو ١٣٢ . ويعقوب الدورقي ولد سنة ١٦٦ ، فلا يعقل أن يروي عنه .

وإبرهيم بن طهمان الخراساني : ثقة صحيح الحديث ، أخرج له الأئمة الستة منصور : هو ابن المعتمر ، كما مضى في بعض الأسانيد السابقة .

هلال بن يساف – ويقال : إساف – الأشجعي الكوفي : تابعي ثقة كبير ، لعله أقدم من أبي حازم . و « يساف » : بكسر الياء التحتية وفتح السين المهملة مخففة . وكذلك « إساف » بالهمزة بدل الياء . ووقع في المطبوعة هنا في الإسنادين « هلال بن يسار » . وهو خطأ صرف .

٣٧٢٨ – حدثنا الفضل بن الصباح قال، حدثنا هشيم بن بشير ، عن سيار ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من حجّ لله فلم يرفث ولم يفسق ، رجع كهيئته يوم وَلدته أمه .(١)

* * *

(٢)= دلالةٌ واضحة على أن قوله: « ولا جدالَ في الحج »، بمعنى النفي عن الحج بأن يكون في وَقته جدال ومراء ، دون النهي عن جدال الناس بينهم فيما يعنيهم من الأمور أو لا يعنيهم .

وذلك أنه صلى الله عليه وسلم أخبر أنه من حج فلم يرفث ولم يفسق ، استحقّ من الله الكرامة ما وصف أنه استحقه بحجه ، تاركاً للرفث والفسوق اللذين نَهى الله الحاج عنهما في حجه ، من غير أن يَضم إليهما الجدال . فلو كان الجدالُ الذي ذكره الله في قوله: « ولا جدال في الحج »، مما نهاه الله عنه بهذه الآية – على نحو الذي تأوّل ذلك من تأوّله: مِنْ أنه المراء والخصومات أو السباب وما أشبه ذلك – لما كان صلى الله عليه وسلم ليخص باستحقاق الكرامة التي ذكر أنه يستحقها الحاج

والحديث – من هذا الوجه – رواه البيهقي في السنن الكبرى ٥ : ٢٦٢ ، من طريق محمد بن إسمعيل الصائغ ، عن يحيى بن أبي بكير ، بهذا الإسناد .

ومنصور قد سمع هذا الحديث من أبي حازم مباشرة ، كما صرح بذلك في الرواية الماضية : ٣٧٢٢ . فقال الحافظ في الفتح ٤ : ١٧ « فانتفى بذلك تعليل من أعله بالاختلاف على منصور . لأن البيهقي أورده من طريق إبرهيم بن طهمان ، عن منصور ، عن هلال بن يساف ، عن أبي حازم ، زاد فيه رجلا . فإن كان إبرهيم حفظه ، فلعله حمله منصور عن هلال ، ثم لقي أبا حازم فسمعه منه ، فحدث به على الوجهين » .

ونزيد هنا أن الحديث رواه أيضاً ، أحمد في المسند : ١٠٤١٤ (٢ : ٤٩٤ حلبي) ، عن جرير ، عن منصور ، عن أبي حازم . وكذلك رواه مسلم ١ : ٣٨٢ ، من طريق جرير .

ورواه مسلم أيضاً من طريق أبي عوانة ، وأبي الأحوص ، ومسعر ، والثوري ، وشعبة – كلهم عن منصور ، عن أبي حازم . وكذلك رواه النسائي ٢ : ٣ – ٤ ، من طريق الفضيل بن عياض ، عن منصور ، به .

(١) الحديث : ٣٧٢٨ – رواه أحمد في المسند : ٧١٣٦ ، عن هشيم ، بهذا الإسناد . وكذلك رواه مسلم ١ : ٣٨٢ – ٣٨٣ ، عن سعيد بن منصور ، عن هشيم ، به . وانظر ما سيأتي رقم : ٣٩٥٩

(٢) أول هذا الكلام في ص ١٥٠ ، قوله : « وفيما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخبر . . . دلالة » ، وفصلت بين الخبر والمبتدأ الأحاديث المتتابعة .

الذى وَصَفَ أمره، باجتناب خَلَّتين مما نهاه الله عنه فى حجه، دون الثالثة التى هى مقرونة بهما . ولكن لما كان معنى الثالثة مُخالفاً معنى صاحبتيها = فى أنها خبرٌ على المعنى الذى وصفنا، وأن الأخريين بمعنى النهى الذى أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أن مجتنبهما فى حجه مستوجب ما وصف من إكرام الله إياه، مما أخبر أنه مكرِمَه به — إذ كانتا بمعنى النهى —[1] وكان المنتهى عنهما لله مطيعاً بانتهائه عنهما = ترك ذكر الثالثة،[2] إذ لم تكن فى معناهما، وكانت مخالفةً سبيلُها سبيلَهما .

* * *

فإذ كان ذلك كذلك، فالذى هو أولى بالقراءة من القراءات، المخالَفةُ بين إعراب « الجدال » وإعراب « الرفث والفسوق »، ليعلم سامعُ ذلك — إذا كان من أهل الفهم باللغات — أن الذى من أجله خُولف بين إعرابيهما اختلافُ معنييهما . وإن كان صواباً قراءة جميع ذلك باتفاق إعرابه على اختلاف معانيه، إذ كانت العرب قد تُتبع بعضَ الكلام بعضاً بإعراب، مع اختلاف المعانى، وخاصة فى هذا النوع من الكلام .

فأعجبُ القراءات إلىّ فى ذلك — إذ كان الأمر على ما وصفت — قراءة من قرأ : « فلا رَفثٌ ولا فُسوقٌ ولا جدالَ فى الحج »، برفع « الرفث والفسوق » وتنوينهما، وفتح « الجدال » بغير تنوين . وذلك هو قراءة جماعة البصريين، وكثير من أهل مكة، منهم عبد الله بن كثير وأبو عمرو بن العلاء .[3]

* * *

١٦٢/٢ وأما قول من قال : معناهُ : النهى عن اختلاف المختلفين فى أتمهم حجًّا،

---

(١) فى المطبوعة : « إذا كانتا بمعنى النهى »، وهو خطأ، والصواب ما أثبت .

(٢) فى المطبوعة : « وترك ذكر الثالثة »، وهذه الواو مقحمة من النساخ بلا شك . وسياق هذه الجملة بطولها : « ولكن لما كان معنى الثالثة مخالفاً معنى صاحبتيها . . . . ، إذ كانتا بمعنى النهى، وكان المنتهى عنهما لله مطيعاً بانتهائه عنهما . . ترك ذكر الثالثة » وبهذا يتبين صواب التصحيح فى الموضعين السالفين .

(٣) انظر تفصيل ذلك مستوعباً فى معانى القرآن للفراء ١ : ١٢٠ — ١٢٢ .

والقائلين : معناهُ النهيُ عن قول القائل : « غداً الحج » مخالفاً به قول الآخر : « اليوم الحج » ، فقولٌ فى حكايته الكفاية عن الاستشهاد على وَهائه وضعفه .[١] وذلك أنه قول لا تدرك صحته إلا بخبر مستفيضٍ أو خبر صادق يوجب العلم أنّ ذلك كان كذلك ،[٢] فنزلت الآية بالنهى عنه ؛ أو أن معنى ذلك فى بعض معانى الجدال دون بعض ، ولا خبرَ بذلك بالصفة التى وصفنا .

* * *

وأما دلالتنا على قول ما قلنا من أنه نَفىٌ من الله جل وعز عن شهور الحجّ ، فالاختلافُ الذى كانت الجاهلية تختلفُ فيها بينها قبل كما وصفنا .[٣] وأما دلالتنا على أن الجاهلية كانت تفعل ذلك ، فالخبرُ المستفيض فى أهل الأخبار أن الجاهلية كانت تفعل ذلك ، مع دلالة قول الله تقدس اسمه : ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا﴾ [سورة التوبة : ٣٧]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : افعلوا أيها المؤمنون ما أمرتكم به فى حجكم ، من إتمام مناسككم فيه ، وأداء فرضكم الواجب عليكم فى إحرامكم ، وتجنُّب ما أمرتكم بتجنبه من الرفث والفسوق فى حجكم ، لتستوجبوا به الثواب

---

(١) هكذا فى الأصل « على وهائه » ، وهو خطأ قديم فى كلام الفقهاء . قال المطرزى فى المغرب ٢ : ٢٦٥ : « قوله : « فإن حاضت فى حال وهاء الملك » ، لا يعتد به . الوهاء بالمد خطأ ، وإنما الوهى (بفتح فسكون) مصدر : « وهى الحبل يهى وهيا » ، إذا ضعف » . وأخشى أن يكون ذلك من ناسخ التفسير ، لا من أبى جعفر ، وأن أصله « على وهيه وضعفه » ، فهو قد استعمل كلمة « الوهى » مراراً فيما سلف من عباراته ، ولكنى لم أستطع أن أجدها فى هذا البحر من الكلام ، ثم وجدتها بعد ذلك فى هذا الجزء ٤ : ١٨ ، س : ٧ .

(٢) فى المطبوعة : « وخبر صادق » بالواو ، وهو مخل بالكلام .

(٣) فى المطبوعة : « الاختلاف » بحذف الفاء ، والصواب إثباتها وإلا تخلع الكلام .

الجزيل، فإنكم مهما تفعلوا من ذلك وغيره من خير وعمل صالح ابتغاءَ مرضاتي وطلبَ ثوابي، فأنا به عالمٌ، وبجميعه مُحْصٍ، حتى أوفّيكم أجره، وأجازيكم عليه، فإني لا تخفى عليّ خافية، ولا ينكتم عنّي ما أردتم بأعمالكم، لأني مطّلع على سرائركم، وعالم بضمائر نفوسكم.

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ﴾

قال أبو جعفر: ذُكر أن هذه الآية نزلت في قوم كانوا يحجون بغير زاد، وكان بعضهم إذا أحرم رَمى بما معه من الزاد واستأنف غيرَه من الأزودة،[1] فأمر الله جل ثناؤه من لم يكن يتزود منهم بالتزود لسفره، ومن كان منهم ذا زاد أن يتحفظ بزاده فلا يرمى به.

* ذكر الأخبار التي رويت في ذلك:

٣٧٢٩ — حدثني الحسين بن علي الصُّدائي قال، حدثنا عمرو بن عبد الغفار قال، حدثنا محمد بن سوقة، عن نافع، عن ابن عمر قال: كانوا إذا أحرموا ومعهم أزودة رَموْا بها،[1] واستأنفوا زاداً آخر، فأنزل الله: «وتزودوا فإن خير الزاد التقوى»، فنهوا عن ذلك، وأمروا أن يتزودوا الكعك والدقيق والسويق.

٣٧٣٠ — حدثنا محمد بن عبد الله المخرّميّ قال، حدثنا شبابة قال، حدثنا ورقاء، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كانوا يحجون ولا يتزودون، فنزلت: «وتزودوا فإن خيرَ الزاد التقوى».[2]

---

(١) الأزودة: جمع زاد على غير قياس، وقياسه: أزواد.

(٢) الأثر: ٣٧٣٠ — محمد بن عبد الله بن المبارك القرشي المخرمي (بضم الميم وفتح الخاء، وراء مشددة مكسورة) أبو جعفر البغدادي المدائني الحافظ، قاضي حلوان. مات سنة ٢٥٤ ببغداد، كان أحد الثقات جليل القدر. وكان في المطبوعة: «المخزومي»، هو خطأ كما ترى.

٣٧٣١ ــ حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا سفيان ، عن ابن سوقة ، عن سعيد بن جبير فى قوله : « وتزودوا فإنّ خيرَ الزاد التقوى » ، قال : الكعك والزيت .

٣٧٣٢ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق ، عن ابن عيينة ، عن ابن سوقة ، عن سعيد بن جبير قال : هو الكعك والسويق .

٣٧٣٣ ــ وحدثنا عمرو قال، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة قال: كان أناس يحجون ولا يتزودوّن، فأنزل الله: «وتزودوا فإنّ خيرَ الزاد التقوى » .

٣٧٣٤ ــ حدثنا عمرو قال، حدثنا سفيان بن عيينة قال ، حدثنا عبد الملك ابن عطاء ، كوفى لنا =[1]

٣٧٣٥ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق ، عن ابن عيينة ، عن عبد الملك ، عن الشعبى فى قوله : « وتزودوا فإن خيرَ الزاد التقوى » ، قال : التمر والسويق .

٣٧٣٦ ــ حدثنا عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا حنظلة ، قال : سئل سالم عن زاد الحاج ، فقال : الخبز واللحم والتمر . قال عمرو : وسمعت أبا عاصم مرة يقول : حدثنا حنظلة: سئل سالم عن زاد الحاج فقال : الخبز والتمر .

٣٧٣٧ ــ حدثنا عمرو قال، حدثنا ابن أبى عدى، عن هشيم ، عن المغيرة ،

---

(١) الخبر : ٣٧٣٤ ــ عبد الملك بن عطاء : هو البكائى العامرى ، ختن الشعبى ، وهو ثقة ، وثقه ابن معين وغيره . و « البكائى » : بفتح الباء وتشديد الكاف وبعد الألف همزة ، نسبة إلى « البكاء » . وهو « ربيعة بن عامر » ، من بنى عامر بن صعصعة .

وقوله هنا « كوفى لنا » ــ لا أدرى ما وجهه ؟ ولعل أصله « كوفى جار لنا » أو نحو ذلك لأن سفيان ابن عيينة كوفى ، ثم سكن مكة . فإنى لم أجد لعبد الملك هذا ترجمة إلا عند ابن أبى حاتم ٢/٢/٣٦١ . وروى فيها بإسناده إلى ابن نمير ، قال : « عبد الملك بن عطاء ، كان شيخاً ثقة ، روى عنه شيوخنا ، وهو كوفى ، له حديث أو حديثين » .

عن إبراهيم قال: كان ناسٌ من الأعراب يحجون بغير زاد ، ويقولون : «نتوكل على الله !»، فأنزل الله جل ثناؤه: « وتزودوا فإن خير الزاد التقوى » .

٣٧٣٨ – حدثنا عبد الحميد بن بيان قال، أخبرنا إسحق ، عن عمر بن ذر ، عن مجاهد قال: كان الحاج منهم لا يتزوّد، فأنزل الله : « وتزودوا فإن خير الزاد التقوى » .

٣٧٣٩ – حدثنا عمرو قال، حدثنا يحيى ، عن عمر بن ذرّ = وحدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا عمر بن ذر = عن مجاهد قال : كانوا يسافرون ولا يتزوّدون ، فنزلت : « وتزوّدوا فإن خير الزاد التقوى ». وقال الحسن بن يحيى فى حديثه : كانوا يحجون ولا يتزودون .

٣٧٤٠ – حدثنى نصر بن عبد الرحمن الأودى قال، حدثنا المحاربى ، عن عمر بن ذر ، عن مجاهد نحوه .

٣٧٤١ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال، أخبرنا عمر ابن ذر قال: سمعت مجاهداً يحدث ، فذكر نحوه . ١٦٣/٢

٣٧٤٢ – حدثنا عبد الحميد بن بيان قال، أخبرنا إسحق، عن أبى بشر، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : كان أهل الآفاق يخرجون إلى الحج، يتوصلون بالناس بغير زاد، يقولون: «نحن مُتكلون». فأنزل الله : « وتزودوا فإنّ خيرَ الزاد التقوى» .

٣٧٤٣ – حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد فى قول الله عز وجلّ: « وتزودوا »، قال: كان أهل الآفاق يخرجون إلى الحج ، يتوصلون بالناس بغير زاد ، فأمروا أن يتزودوا .

٣٧٤٤ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وتزودوا فإن خيرَ الزاد التقوى»، قال: كان أهل اليمن يتوصلون بالناس، فأمروا أن يتزودوا ولا يستمتعوا . قال: وخيرُ الزاد التقوى .

٣٧٤٥ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ليث ،

عن مجاهد: « وتزودوا فإن خيرَ الزاد التقوى» ، قال: كانوا لا يتزودون، فأمروا بالزاد ، وخيرُ الزاد التقوى .

٣٧٤٦ ــ حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وتزودوا فإن خيرَ الزاد التقوى» ، فكان الحسن يقول : إن ناساً من أهل اليمن كانوا يحجون ويسافرون ولا يتزودون، فأمرهم الله بالنفقة والزاد فى سبيل الله ، ثم أنبأهم أن خيرَ الزاد التقوى .

٣٧٤٧ ــ حدثنى يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن سعيد بن أبى عروبة فى قوله : « وتزودوا فإن خيرَ الزاد التقوى » ، قال : قال قتادة : كان ناسٌ من أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ــ ثم ذكر نحو حديث بشر، عن يزيد .

٣٧٤٨ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة: « وتزودوا فإن خيرَ الزاد التقوى » ، قال: كان من ناس من أهل اليمن يخرجون بغير زاد إلى مكة ، فأمرهم الله أن يتزودوا ، وأخبرهم أن خيرَ الزاد التقوى .

٣٧٤٩ ــ حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس قوله : « وتزوَّدوا فإن خيرَ الزاد التقوى » ، قال : كان ناس يخرجون من أهليهم ليست معهم أزودة، يقولون :«نحج بيت الله ولا يُطعمنا !» . فقال الله: وتزودوا ما يكف وجوهكم عن الناس .

٣٧٥٠ ــ حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « وتزودوا فإن خيرَ الزاد التقوى » ، فكان ناس من أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ، فأمرهم الله أن يتزودوا ، وأنبأ أنّ خير الزاد التقوى .

٣٧٥١ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن محمد بن سوقة ، عن سعيد بن جبير : « وتزودوا »، قال: السويق والدقيق والكعك .

٣٧٥٢ ــ حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن محمد

ابن سوقة، عن سعيد بن جبير : « وتزودوا فإنّ خير الزاد التقوى »، قال: الخشكانج والسويق .(١)

٣٧٥٣ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع ، عن عبد الملك بن عطاء البكائى قال ، سمعت الشعبي يقول فى قوله: « وتزودوا فإن خيرَ الزاد التقوى »، قال: هو الطعام ، وكان يومئذ الطعام قليلاً . قال قلت : وما الطعامُ؟ قال : التمر والسويق .(٢)

٣٧٥٤ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك قوله : « وتزودوا فإن خير الزاد التقوى » ، وخير زاد الدنيا المنفعةُ من اللباس والطعام والشراب .

٣٧٥٥ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم : « وتزودوا فإنّ خيرَ الزاد التقوى » ، قال: كان الناس يتزودون إلى عُقْبة ، فإذا انتهوا إلى تلك العُقبة توكلوا ولم يتزودوا .(٣)

٣٧٥٦ – حدثنى نصر بن عبد الرحمن الأودى قال، حدثنا المحاربى قال ، قال سفيان فى قوله: « وتزوّدوا » ، قال : أمِروا بالسويق والكعك .

٣٧٥٧ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنى أبى: أنه سمع عكرمة يقول فى قوله : « وتزودوا » ، قال : هو السويق والدقيق .

٣٧٥٨ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى

---

(١) فى اللسان (كعك) وفى المغرب للجواليقى : ١٣٤ « الخشكنان » قد تكلمت به العرب ، قال الراجز :

يَا حَبَّذَا الكَعْكُ بلَحْمٍ مَتْرُودْ وَخُشْكَنَانٌ وَسَوِيقٌ مَقْنُودْ

والخشكنانج ، هو الخشكنان : وهو طعام من دقيق مصنوع .

(٢) الخبر : ٣٧٥٣ – مضت ترجمة « عبد الملك بن عطاء » ، فى : ٣٧٣٤ ، وأنه « البكائى » . ووقع فى المطبوعة هنا « البكالى » باللام بدل الهمزة ، وهو خطأ وتصحيف .

(٣) العقبة (بضم فسكون) قدر ما يسير السائر حتى ينزل .

قوله : « وتزودوا فإنّ خيرَ الزاد التقوى » ، قال : كانت قبائل من العرب يحرِّمون الزاد إذا خرجوا حُجاجاً وعُمَّاراً لأنْ يَتضيَّفوا الناسَ ، فقال الله تبارك وتعالى لهم : « وتزودوا فإنّ خير الزاد التقوى » .

٣٧٥٩ – حدثنا عمرو بن عبد الحميد الآملي قال، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن عكرمة قال : كان الناس يقدمون مكة بغير زاد ، فأنزل الله : « وتزودوا . فإن خير الزاد التقوى » .(١)

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الآية إذاً : فمن فَرَض في أشهر الحجِّ الحجَّ فأحرم فيهن، فلا يرفثنّ ولا يفسقنّ . فإن أمر الحج قد استقام لكم، وعرَّفكم ربكم ميقاته وحدوده ، فاتقوا الله فيما أمرَكم به ونهاكم عنه من أمر حجكم ومناسككم ، فإنكم مهما تفعلوا من خير أمركم به أو ندبكم إليه ، يعلمه . وتزودوا من أقواتكم ما فيه بلاغُكم إلى أداء فرض ربكم عليكم في حجكم ومناسككم، فإنه لا بِرَّ لله جل ثناؤه في تركِكم التزوُّد لأنفسكم ومسألتِكم الناس، ولا في تضييع أقواتكم وإفسادها، ولكن البرَّ في تقوى ربكم باجتناب ما نهاكم عنه في سفركم لحجكم ، وفعل ما أمركم به ، فإنه خيرُ التزود ، فمنه تزودوا . وبنحو الذي قلنا في ذلك رُوي الخبر عن الضحاك ابن مزاحم : ١٦٤/٢

٣٧٦٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك في قوله : « فإنّ خيرَ الزاد التقوى » ، قال : والتقوى عملٌ بطاعةِ لله .

وقد بينا معنى « التقوى » فيما مضى بما أغنى عن إعادته .(٢)

* * *

(١) الخبر : ٣٧٥٩ – عمرو بن عبد الحميد الآملي – شيخ الطبري : لم أعرف من هو ؟ ولم أجد له ترجمة . ولعله محرف عن شيء لا أعرفه .

(٢) انظر ما سلف ١ : ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٣٦٤ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ (١٩٧)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : واتقون يا أهل العقول والأفهام ، بأداء فرائضى عليكم التى أوجبتها عليكم فى حججكم ومناسككم ، وغير ذلك من دينى الذى شرعته لكم = وخافوا عقابى باجتناب مَحارمى التى حرمتها عليكم ، تنجوا بذلك مما تخافون من غَضبى عليكم وعقابى ، وتدركوا ما تطلبونَ من الفوز بجناتى .

* * *

وخصّ جل ذكره بالخطاب بذلك أولى الألباب ، لأنهم هم أهل التمييز بين الحق والباطل ، وأهلُ الفكر الصحيح والمعرفة بحقائق الأشياء التى بالعقول تدرك ، وبالألباب تُفهم . ولم يجعل لغيرهم من أهل الجهل فى الخطاب بذلك حَظاً ، إذ كانوا أشباحاً كالأنعام ، وصُوراً كالبهائم ، بل هُم منها أضلُّ سبيلا .

* * *

و « الألباب » جمع « لُبٍّ » ، وهو العقل.[1]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ذكره : ليس عليكم أيها المؤمنون جُناحٌ .

* * *

و « الجناح » ، الحرج ،[2] كما : —

٣٧٦١ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبدالله بن صالح قال، حدثنى معاوية، عن

---

(١) انظر ما سلف فى الجزء ٣ : ٣٨٣ .

(٢) انظر ما سلف فى تفسير « الجناح » من الجزء ٣ : ٢٣٠ ، ٢٣١ .

على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « ليس عليكم جناحٌ أن تبتغوا فضلا من ربكم » ، وهو لا حرج عليكم فى الشراء والبيع قبل الإحرام وبعده .

* * *

وقوله : «أن تبتغوا فضلا من ربكم» ، يعنى : أن تلتمسوا فضلا من عند ربكم .

* * *

يقال منه : « ابتغيت فضلاً من الله — ومن فضل الله — أبتغيه ابتغاءً » ، إذا طلبته والتمسته ، «وبغيته أبغيه بغياً » ،[1] قال عبدُ بنى الحسحاس :

بَغَاكَ ، وَمَا تَبْغِيهِ حَتَّى وَجَدْتَهُ كَأَنَّكَ قَدْ وَاعَدْتَهُ أَمْسِ مَوْعِدَا[2]

يعنى : طلبك والتمسك .

* * *

وقيل إن معنى « ابتغاء الفضل من الله » ، التماس رزق الله بالتجارة ، وأن هذه الآية نزلت فى قوم كانوا لا يرون أن يتجروا إذا أحرموا ، يلتمسون البر بذلك . فأعلمهم جلّ ثناؤه أن لا برّ فى ذلك ، وأنّ لهم التماس فضله بالبيع والشراء .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) انظر ما سلف فى تفسير : « ابتغى » من الجزء ٣ : ٥٠٨

(٢) ديوانه : ٤١ ، وسيأتى فى التفسير ٤ : ١٥ — ١٦ / ٥ : ٤٥ (بولاق) ، وهذا البيت متعلق بثلاثة أبيات قبله ، هو تمام معناها فى ذكر الموت :

رَأَيْتُ المَنَايَا لَمْ يَهَبْنَ مُحَمَّدًا وَلاَ أَحَدًا ، ولم يَدَعْنَ مُخَلَّدَا
أَلاَ لاَ أَرَى عَلَى المَنُونِ مُمَهَّلاً وَلاَ بَاقِيًا إِلاَّ لَهُ المَوْتُ مُرْصِدَا
سَيَلْقَاكَ قِرْنٌ لا تُرِيدُ قِتَالَهُ كَمِيٌّ إِذَا مَا هَمَّ بِالقِرْنِ أَقْصَدَا
بَغَاكَ ، وَمَا تبغيهِ . . . . . .

وقوله : « حتى وجدته » ، رواية الديوان « إلا وجدته » . ورواية الطبرى عزيزة ، فهى شاهد قل أن نظفر به على أن « حتى » تأتى بمعنى « إلا » فى الاستثناء ، وقد ذكر ذلك ابن هشام فى المغنى ١ : ١١١ قال بعد ذكر وجوه « حتى » : « وبمعنى إلا فى الاستثناء ، وهذا أقلها ، وقل من يذكره » .

٣٧٦٢ – حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودى قال، حدثنا المحاربى ، عن عمر بن ذر ، عن مجاهد قال : كانوا يحجون ولا يتَّجرون ، فأنزل الله : « ليسَ عليكم جناح أن تَبتغوا فضلاً من ربّكم »، قال : فى الموسم .

٣٧٦٣ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عمر ابن ذر قال ، سمعت مجاهداً يحدث قال : كان ناس لا يتَّجرون أيام الحج ، فنزلت فيهم : « ليس عليكم جُناحٌ أن تَبتغوا فضلاً من ربكم » .(١)

٣٧٦٤ – حدثني محمد بن عمارة الأسدى قال، حدثنا عبيد الله بن موسى قال ، أخبرنا أبو ليلى، عن بريدة فى قوله تبارك وتعالى: «ليس عليكم جُناح أن تبتغوا فضلا من ربكم » ، قال : إذا كنتم محرمين ، أن تبيعوا وتشتروا .

٣٧٦٥ – حدثنا طَليق بن محمد الواسطى قال ، أخبرنا أسباط قال ، أخبرنا الحسن بن عمرو ، عن أبى أمامة التيمى قال ، قلت لابن عمر : إنا قومٌ نُكرَى ، فهل لنا حج ؟ قال : أليس تَطوفون بالبيت ، وتأتون المعرَّف ، وتَرمون الجِمار ، وتحلقون رؤوسكم ؟ فقلنا : بلى ! قال : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله عن الذى سألتنى عنه ، فلم يدر ما يقول له ، حتى نَزل جبريل عليه السلام عليه بهذه الآية : « ليس عَليكم جُناح أن تبتغوا فَضلاً من ربّكم » إلى آخر الآية ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أنتم حُجاج .(٢)

---

(١) فى المطبوعة : « فنزلت فيهم : لا جناح عليكم أن تبتغوا . . . » ، وبين أنه خطأ وسهو .

(٢) الحديث : ٣٧٦٥ – طليق بن محمد بن السكن الواسطى ، شيخ الطبرى : ثقة ، قال ابن حبان فى الثقات : « مستقيم الحديث كالأثبات » . وهو من شيوخ النسائى وابن خزيمة وغيرهما . وهذا الباب ، باب « طليق » : نص الذهبى فى المشتبه على أنه بفتح الطاء ، وتبعه الحافظ ابن حجر فى تحرير المشتبه . ولم يذكرا غير هذا الضبط . ولكن الحافظ فى التقريب ضبط أول اسم فيه « بالتصغير » بالنص على ذلك . وأنا أرجح أنه وهم منه ، رحمه الله .

أسباط : هو ابن محمد بن عبد الرحمن بن خالد بن ميسرة ، وهو ثقة من شيوخ أحمد وابن راهويه وغيرهما . الحسن بن عمرو الفقيمى – بضم الفاء – التميمىّ الكوفى : ثقة ، أخرج له البخارى فى صحيحه أبو أمامة التيمى : تابعى ثقة . بينا ترجمته ومراجعها فى شرح المسند : ٦٤٣٤ .

٣٧٦٦ ــ حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الوهاب قال ، أخبرنا أيوب ، عن عكرمة قال : كانت تُقرأ هذه الآية : « ليسَ عليكم جُناحٌ أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مَوَاسم الحج » .

٣٧٦٧ ــ حدثنا عبد الحميد قال، أخبرنا إسحق ، عن شريك، عن منصور ابن المعتمر في قوله : « ليس عليكم جُناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم » ، قال : هو التجارة في البيع والشراء والاشتراء ، لا بأس به .

٣٧٦٨ ــ حدثت عن أبي هشام الرفاعي قال ، حدثنا وكيع ، عن طلحة ابن عمرو ، عن عطاء، عن ابن عباس: أنه كان يقرؤها: « ليس عليكم جُناح أن تَبتغوا فضلاً من رَبكم في مَوَاسم الحج » .

٣٧٦٩ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثمان بن سعيد ، عن علي بن مسهر ، عن ابن جريج، عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس قال : كان متَجَر الناس في الجاهلية عُكاظ وذو المجاز ، فلما جاء الإسلام كأنهم كرهوا ذلك ، حتى أنزل الله جل ثناؤه : « ليس عَليكم جُناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم » .

٣٧٧٠ ــ حدثنا الحسن بن عرفة قال، حدثنا شبابة بن سوار قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي أميمة قال : سمعت ابن عمر ــ وسئل عن الرجل يحجُّ ومعه تجارة ــ فقرأ ابن عمر : «ليس عليكم جُناحٌ أن تَبتغوا فضلاً من ربكم ».(١)

١٦٥/٢ ٣٧٧١ ــ حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم = وحدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا هشيم = قال ، أخبرنا يزيد بن أبي

والحديث رواه أحمد في المسند : ٦٤٣٤ ، عن أسباط بن محمد ، بهذا الإسناد . وقد فصلنا القول في تخريجه هناك . ونقله ابن كثير ١ : ٤٦٣ ، عن المسند . و ٤٦٤ ، عن هذا الموضع من الطبري ، وسيأتي بإسناد آخر : ٣٧٨٩ .

(١) الخبر : ٣٧٧٠ ــ أبو أميمة : الراجح الظاهر أنه « أبو أمامة التيمي » الماضي في الحديث : ٣٧٦٥ ، وأن هذا الخبر مختصر من ذاك الحديث ، ولكنه موقوف على ابن عمر .

وقد نقله ابن كثير ١ : ٤٦٣ ، عن هذا الموضع من الطبري ، وقال : « وهذا موقوف ، وهو قوي جيد » .

زياد ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال ، كانوا لا يتَّجرون في أيام الحج ، فنزلت : « ليس عليكم جُناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم » .

٣٧٧٢ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حجاج ، عن عطاء ، عن ابن عباس أنه قرأ :[1] « ليسَ عليكم جُناح أن تبتغوا فضلا من ربكم في مَواسم الحج » .

٣٧٧٣ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا طلحة ابن عمرو الحضرمي ، عن عطاء قوله : « ليس عليكم جُناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج » ، هكذا قرأها ابن عباس .

٣٧٧٤ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا ليث ، عن مجاهد في قوله : « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم » ، قال : التجارةَ في الدنيا ، والأجرَ في الآخرة .

٣٧٧٥ – حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تعالى : « ليسَ عليكم جُناحٌ أن تبتغوا فضلاً من ربكم » ، قال : التجارةُ ، أحِلت لهم في المواسم . قال : فكانوا لا يَبيعون أو يَبتاعون في الجاهلية بعَرَفة .

٣٧٧٦ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٣٧٧٧ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله . « ليس عليكم جُناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم » ، كان هذا الحي من العرَب لا يُعرجون على كسير ولا ضَالة ليلة النَّفْر ، وكانوا يُسمُّونها « ليلة الصَّدَر » ، ولا

---

(١) في المطبوعة : « قال » مكان « قرأ » ، وهو سهو من الناسخ ، وانظر الآثار السالف : ٣٧٦٦ ، ٣٧٦٨ ، والآثار التي تلي هذا الأثر .

يطلبون فيها تجارة ولا بيعاً، فأحلّ الله عز وجل ذلك كله للمؤمنين ، أن يعرّجوا على حوائجهم ، ويبتغوا من فضل ربهم .

٣٧٧٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن عبيد الله بن أبي يزيد قال : سمعت ابن الزبير يقرأ :[١] « ليس عليكم جُناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج » .[٢]

٣٧٧٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار قال، قال ابن عباس : كانت ذو المجاز وعُكاظ متجراً للناس في الجاهلية ، فلما جاء الإسلام تركوا ذلك ، حتى نزلت : « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج » .

٣٧٨٠ – حدثنا أحمد بن حازم والمثنى قالا ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن محمد بن سوقة . قال ، سمعت سعيد بن جبير يقول : كان بعض الحاجّ يُسمون «الداجّ»، فكانوا ينزلون في الشّق الأيسر مِن منى ، وكان الحاج ينزلون عند مسجد مِنى ، فكانوا لا يتّجرون ، حتى نزلت : « ليس عليكم جُناحٌ أن تبتغوا فضلاً من ربكم » ، فحجُّوا .[٣]

٣٧٨١ – حدثني أحمد بن حازم قال، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا عمر بن ذر ، عن مجاهد قال : كان ناس يُحجون ولا يتجرون ، حتى نزلت : « ليس عليكم جُناحٌ أن تبتغوا فضلا من ربكم »، فرخّص لهم في المتجر والركوب والزاد .

٣٧٨٢ – حدثنا موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا

---

(١) في المطبوعة: «سمعت ابن الزبير يقول»، والصواب من مخطوطة تفسير عبد الرازق ص : ٢١ .

(٢) الخبر : ٣٧٧٨ – أشار إليه الحافظ في الفتح ٣ : ٤٧٣ ، وذكر أنه رواه ابن عيينة وابن جريج ، عن عبيد الله بن أبي يزيد . ولم يذكر من خرجه . وقد عرفنا من رواية الطبري ، أنه خرجه عبد الرزاق ، عن ابن عيينة . وهو في تفسير عبد الرزاق ، ص : ٢١ ، بهذا الإسناد . وهو إسناد صحيح ، عبيد الله بن أبي يزيد المكي : تابعي ثقة .

(٣) الداج : هم الذين مع الحجاج من الأجراء والمكارين والأعوان والخدم ، وظاهر أنهم كانوا لا يحجون مع الناس .

أسباط ، عن السدى قوله : « ليس عليكم جُناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم » ، هى التجارة . قال : اتجروا فى المواسم .

٣٧٨٣ — حدثنا محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ليس عليكم جُناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم » ، قال : كان الناس إذا أحرموا لم يتبايعوا حتى يَقضوا حجهم ، فأحله الله لهم .

٣٧٨٤ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن يزيد بن أبى زياد ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : كانوا يتقون البيوع والتجارة أيام الموسم ، يقولون : «أيام ذكر !» فأنزل الله : « ليس عليكم جُناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم » ، فحجوا .

٣٧٨٥ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن طلحة بن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس أنه كان يقرؤها : « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فى مواسم الحج » .

٣٧٨٦ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا الحمانى قال ، حدثنا شريك ، عن منصور ، عن إبراهيم قال : لا بأس بالتجارة فى الحج ، ثم قرأ : « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم » .

٣٧٨٧ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس قوله : « ليس عليكم جُناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم » ، قال : كان هذا الحى من العرب لا يُعرِّجون على كسير ولا على ضالة ، ولا ينتظرون لحاجة ، وكانوا يسمونها « ليلةَ الصَّدَر » ، ولا يطلبون فيها تجارة . فأحلّ الله ذلك كله ، أن يُعرجوا على حاجتهم ، وأن يطلبوا فضلاً من ربهم .

٣٧٨٨ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا مَندل ، عن عبد الرحمن بن المهاجر ، عن أبى صالح مولى عمر قال : قلت لعمر : يا أمير

المؤمنين ، كنتم تتجرون فى الحجّ ؟ قال : وهل كانت معايشهم إلا فى الحجّ .

٣٧٨٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن العلاء بن المسيب ، عن رجل من بنى تيم الله ، قال : جاء رجل ١٦٦/٢ إلى عبد الله بن عمر فقال : يا أبا عبد الرحمن ، إنا قومٌ نُكرَى، فيزعمون أنه ليس لنا حج ! قال : ألستم تحرمون كما يُحرمون، وتطوفون كما يَطوفون، وترمون كما يرمون؟ قال : بلى! قال : فأنت حاج! جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله عما سألت عنه ، فنزلت هذه الآية : «ليسَ عليكم جُناحٌ أن تبتغوا فضلاً من ربكم».(١)

٣٧٩٠ – حدثنا الحسن قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : كانوا إذا أفاضوا من عرَفات لم يتجروا بتجارة، ولم يعرِّجوا على كسير ولا على ضالة ، فأحل الله ذلك فقال : « ليس عليكم جُناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم » إلى آخر الآية .

٣٧٩١ – حدثنى سعيد بن الربيع الرّازى قال، حدثنا سُفيان ، عن عمرو ابن دينار ، عن ابن عباس قال: كانت عكاظ ومَجنَّة وذو المجاز أسواقاً فى الجاهلية، فكانوا يتجرون فيها . فلما كان الإسلام كأنهم تأثَّموا منها ، فسألوا النبى صلى الله عليه وسلم فأنزل الله : « ليسَ عليكم جُناحٌ أن تبتغوا فضلاً من ربكم فى مَواسم الحج» .(٢)

* * *

---

(١) الحديث : ٣٧٨٩ – العلاء بن المسيب بن رافع الأسدى : ثقة مأمون ، كما قال ابن معين .
والحديث رواه أحمد فى المسند : ٦٤٣٥ ، عن عبد الله بن الوليد العدنى ، عن سفيان الثورى ، بهذا الإسناد . وقلنا فى شرحه : إن إسناده صحيح ، وأن إبهام الرجل من بنى تيم الله – لا يضر ، فقد عرف أنه « أبو أمامة التيمى » . كما مضى فى : ٣٧٦٥ . وقد خرجناه مفصلا فى المسند .

(٢) الحديث : ٣٧٩١ – سعيد بن الربيع الرازى – شيخ الطبرى : لم أجد له ترجمة . وقد ذكر فى فهارس تاريخ الطبرى بهذا الاسم ، فانتفت شبهة التحريف فيه . و « سفيان » – شيخه : هو ابن عيينة . ويشتبه « سعيد بن الربيع » براو آخر ، هو « سعيد بن الربيع الهروى الجرشى العامرى » ، المترجم فى التهذيب . ولكنه قديم الوفاة ، مات سنة ٢١١ قبل ولادة الطبرى . وهو من أقدم شيوخ البخارى .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « فإذا أفضتم » ، فإذا رَجعتم من حيثُ بدأتم .

* * *

ولذلك قيل للذى يَضرب القداح بين الأيسار : « مفيض » ، لجمعه القداح ، ثم إفاضته إياها بين الياسرين .[1] ومنه قول بشر بن أبى خازم الأسدى :[2]

فَقُلْتُ لَهَا : رُدِّى إِلَيْهِ جَنَانَهُ ! فَرَدَّتْ كَمَا رَدَّ الْمَنِيحَ مُفِيضُ[3]

* * *

ثم اختلف أهل العربية فى « عرفات » ، والعلة التى من أجلها صُرفت وهى

والحديث رواه البخارى ٤ : ٢٤٨ ، ٢٦٩ ، و ٨ : ١٣٩ (فتح) ، من طريق سفيان ابن عيينة ، بهذا الإسناد .

ورواه أيضاً ٣ : ٤٧٣ – ٤٧٤ ، من طريق ابن جريج ، عن عمرو بن دينار . وذكره ابن كثير ١ : ٤٦٢ ، من رواية البخارى .

وهذا الحديث من أفراد البخارى – دون مسلم – كما نص على ذلك الحافظ فى الفتح ٣ : ٤٧٥ . ولم أجده فى مسند أحمد . وهو من الأحاديث الصحاح القليلة ، التى فى أحد الصحيحين وليست فى المسند .

وقد مضى نحو معناه مختصراً : ٣٧٧٩ ، من رواية عبد الرزاق ، عن ابن عيينة . ومضى كذلك مختصراً : ٣٧٧١ ، ٣٧٨٤ ، من وجه آخر ، من رواية مجاهد ، عن ابن عباس . و ٣٧٧٢ ، ٣٧٨٥ ، من وجه ثالث ، من رواية عطاء ، عن ابن عباس .

(١) القداح جمع قدح (بكسر فسكون) : هو السهم قبل أن ينصل ويراش ، كانوا يستقسمون بها فى الميسر ، وهى الأزلام أيضاً . والأيسار جمع يسر (بفتحين) ، وهم المجتمعون على الميسر من أشراف الحى . وفى المطبوعة : « المياسرين » ، والصواب ما أثبت . والياسر : الضارب بالقداح ، والمتقامر على الجزور اللاعب بالقداح .

(٢) فى المطبوعة : « ابن أبى حازم » وهو خطأ .

(٣) لم أجد هذ البيت فى مكان ، ومن القصيدة ثلاثة أبيات فى الحيوان ٦ : ٣٤٣ من هذا الشعر ، وهى أبيات جياد . والمنيح : أحد القداح الأربعة التى ليس لها غرم ولا غنم فى قداح الميسر ، ولكن قد يمنح صاحبه شيئاً من الجزور . ولا أتبين معنى البيت حتى أعرف ما قبله ، وأعرف الضمائر فيه إلى من تعود .

معرفة ، وهل هى اسم لبقعة واحدة ، أم هى لجماعة بقاع ؟

فقال بعض نحويى البصريين : هى اسم كان لجماعه مثل « مسلمات ، ومؤمنات » ، سميت به بُقعة واحدة ، فصرف لما سميت به البقعة الواحدة ، إذ كان مصروفاً قبل أن تسمى به البقعة ، تركاً منهم له على أصله . لأن « التاء » فيه صارت بمنزلة « الياء والواو » فى « مسلمين ومسلمون » ، لأنه تذكيره ، وصار التنوين بمنزلة « النون » . فلما سُمى به تُرك على حاله ، كما يترك « المسلمون » إذا سُمى به على حاله .[1] قال : ومن العرب من لا يَصرفه إذا سمَّى به ، ويشبِّه « التاء » بهاء التأنيث ، وذلك قبيحٌ ضعيف ، واستشهدوا بقول الشاعر :[2]

تَنَوَّرْتُهَا مِنْ أَذْرِعَاتَ ، وَأَهْلُهَا بِيَثْرِبَ ، أَدْنَى دَارِهَا نَظَرٌ عَالِي[3]

ومنهم من لا ينون « أدرعات » وكذلك : « عانات » ، وهو مكان .

وقال : بعض نحويى الكوفيين : إنما انصرفت « عرفات » ، لأنهن على جماع مؤنث « بالتاء » . قال : وكذلك ما كان من جماع مؤنث « بالتاء » ، ثم سمَّيت به رجلاً أو مكاناً أو أرضاً أو امرأة ، انصرفت . قال : ولا تكاد العرب تُسمى شيئاً من الجماع إلاّ جماعاً ، ثم تجعله بعدَ ذلك واحداً .

---

(١) هو قول الأخفش (اللسان : عرف) . ومعجم البلدان (عرفات) ، وانظر سيبويه ٢ : ١٧ — ١٨ .

(٢) هو امرؤ القيس بن حجر .

(٣) ديوانه : ١٤٠ ، وسيبويه ٢ : ١٨ ، والخزانة ١ : ٢٦ ، وهو من قصيدته الرائعة المشهورة ، والضمير فى قوله : « تنورتها » للمرأة التى يذكرها (انظر طبقات فحول الشعراء : ٦٨ تعليق : ٣) . وتنور النار أبصرها من بعيد ، جعل المرأة تضىء له فيراها كالنار المشبوبة . وأذرعات : بلد بالشام . ويثرب : مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان هذا اسمها فى الجاهلية . يقول : لاح له نورها فى الظلماء ، وهو بالشام ، وأهلها بالمدينة . ثم يقول : أقرب ما يرى منها لا يرى إلا من مكان عال فى جو السماء . يصف بعد ما بينه وبينها ، ومع ذلك فقد لاحت له فى الليل من هذا المكان البعيد ، وأتم المعنى فى البيت التالى :

نَظَرْتُ إِلَيْهَا ، وَالنُّجُومُ كَأَنَّهَا مَصَابِيحُ رُهْبَانٍ تُشَبُّ لِقُفَّالِ

وقال آخرون منهم : ليست « عرفات » حكاية ، ولا هى اسم منقول ،[١] ولكن الموضع مسمى هو وجوانبه « بعرفات » ، ثم سُميت بها البقعة . اسمٌ للموضع ، ولا ينفرد واحدها . قال : وإنما يجوز هذا فى الأماكن والمواضع ، ولا يجوز ذلك فى غيرها من الأشياء . قال : ولذلك نَصَبت العرب « التاء » فى ذلك ، لأنه موضع . ولو كان محكياً ، لم يكن ذلك فيه جائزاً ، لأن من سمى رجلاً « مسلمات » أو « مسلمين » لم ينقله فى الإعراب عما كان عليه فى الأصل ، فلذلك خالف : « عانات ، وأذرعات » ، ما سُمى به من الأسماء على جهة الحكاية .

* * *

قال أبو جعفر واختلف أهل العلم فى المعنى الذى من أجله قيل لعرفات « عرفات » .

فقال بعضهم : قيل لها ذلك من أجل أنّ إبراهيمَ خليلَ الله صلوات الله عليه ، لما رآها عرّفها بنعتها الذى كان لها عنده ، فقال : « قد عرفت ! ! » ، فسميت « عرفات » بذلك .

وهذا القول من قائله يدل على أن « عرفات » اسم للبقعة ، وإنما سُميت بذلك لنفسها وما حولها ، كما يقال ، « ثوب أخلاق » ، و « أرض سَباسب » ، فتجمع بما حولها .[٢]

* ذكر من قال ذلك :

٣٧٩٢ – حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى قال : لما أذّن إبراهيمُ فى الناس بالحج فأجابوه بالتلبية ، وأتاه مَن أتاه ، أمرَهُ الله أن يخرج إلى عرفات ، ونعتها . فخرج ، فلما بلغ الشجرة عند العقبة ، استقبله الشيطانُ يُردّه ، فرماه بسبع حَصيات يُكبّر مع كل حَصاة ، فطار فوقع على الجمرة الثانية ، فصدّه أيضاً فرَماه وكبّر ، فطارَ فوقع على الجمرة الثالثة ، فرماه

---

(١) الحكاية : الإتيان باللفظ على ما كان عليه من قبل ، وسيظهر معناها فى الأسطر الآتية .

(٢) انظر ما سلف ١ : ٤٣٣ .

وكبَّر . فلما رأى أنه لا يطيقه، ولم يدر إبراهيم أينَ يذهب ،[١] انطلق حتى أتى ذا المجاز ،[٢] فلما نظر إليه فلم يعرفه ، جاز ، فلذلك سُمِّي : « ذا المجاز » . ثم انطلق حتى وَقع بعرفات ، فلما نظر إليها عَرف النعتَ ، قال : « قد عرفت ! » فسُمي : « عرفات » . فوقف إبراهيم بعرفات ، حتى إذا أمسى ازدلف إلى جَمْع ، فسميت : « المزدلفة » ، فوقف بجمع.[٣] ١٦٧/٢

٣٧٩٣ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن سليمان التيمي ، عن نعيم بن أبي هند قال : لما وَقف جبريلُ بإبراهيم عليهما السلام بعرفات ، قال : « عرفت ! » ، فسميت عَرفات لذلك .

٣٧٩٤ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال : أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن جريج قال ، قال ابن المسيب ، قالْ علي بن أبي طالب رضى الله عنه : بعث الله جبريل إلى إبراهيم فحج به، فلما أتى عرفة قال : «قد عرفتُ !»، وكان قد أتاها مرة قبل ذلك ، ولذلك سُميت « عَرَفة » .

* * *

وقال آخرون : بل سميت بذلك بنفسها وببقاع أُخَر سواها .

* ذكر من قال ذلك :

٣٧٩٥ ــ حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع بن مسلم القرشي ، عن أبي طهفة ، عن أبي الطفيل ، عن ابن عباس قال : إنما سُميت عرفات ، لأن جبريل عليه السلام كان يقول لإبراهيم : هذا موضع كذا ، هذا موضع كذا . فيقول : « قد عرفتُ ! »، فلذلك سُميت «عَرفات» .[٤]

---

(١) في المطبوعة : « فلما رأى أنه لا يطيعه ، فلم يدر إبراهيم»، والصواب ما أثبته عن نص الطبري آنفاً ، كما سيأتي في المراجع بعد .

(٢) في المطبوعة : « فانطلق » ، والصواب ما أثبت .

(٣) الأثر : ٣٧٩٢ ــ قد سلف تاماً برقم: ٢٠٦٥ ، والتصويب السالف منه .

(٤) الخبر : ٣٧٩٥ ــ هذا إسناد مشكل ، لا أدري ما وجه صوابه . أما « وكيع بن مسلم القرشي » : فما وجدت راوياً بهذا الاسم ولا ما يشبهه . والذي أكاد أجزم به أنه « وكيع بن الجراح »

٣٧٩٦ – حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء قال : إنما سميت عرفة ، أن جبريل كان يُرِي إبراهيم عليهما السلام المناسكَ ، فيقول : «عَرفتُ ، عرفتُ !» فسمي «عرفات» .

٣٧٩٧ – حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن زكريا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : قال ابن عباس : أصلُ الجبل الذي يلي عُرَنة وما وراءه مَوقفٌ ، حتى يأتي الجبل جبل عَرَفة . وقال ابن أبي نجيح : عَرَفات ، «النَّبعة» و«النُّبَيعة» و«ذات النابت» ، وذلك قول الله : «فإذا أفضتُم من عَرَفات» ، وهو الشِّعبُ الأوسط . وقال زكريا : ما سال من الجبل الذي يقف عليه الإمام إلى عرفة ، فهو من عَرَفة ، وما دبَر ذلك الجبل فليس من عَرَفة .

* * *

وهذا القول يدلّ على أنها سُميت بذلك ، نظيرَ ما يُسمى الواحد باسم الجماعة المختلفة الأشخاص .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب في ذلك عندي أن يقال : هو اسم لواحد سُمي بجِماع . فإذا صُرف ، ذُهب به مَذهب الجِماع الذي كان له أصلاً . وإذا ترك صرفُه ذُهب به إلى أنه اسم لبقعة واحدة معروفة ، فتُرك صرفه كما يُترك صرف أسماء الأمصار والقرى المعارف .

* * *

الإمام المعروف . وأن كلمة « بن » محرفة عن كلمة « عن » . ثم يزيد الإشكال أن لم أجد من اسمه « مسلم القرشي » . وإشكال ثالث ، أن « أبا طهفة » هذا لا ندري ما هو ؟

واليقين – عندي – أن الإسناد محرف غير مستقيم .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : فإذا أفضتم فكررتم راجعين من عرفة ، إلى حيث بدأتم الشخوص إليها منه ، «فاذكروا الله» ، يعنى بذلك : الصلاة والدعاء عند المشعر الحرام .

* * *

وقد بينا قبل أن « المشاعر » هى المعالم ، من قول القائل : « شعرت بهذا الأمر » ، أى علمت ، فـ « المشعر » ، هو المعلم.[1] سمى بذلك ، لأن الصلاة عنده والمقام والمبيت والدعاء ، من معالم الحج وفروضه التى أمر الله بها عباده . وقد : —

٣٧٩٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن زكريا ، عن ابن أبى نجيح قال : يستحبُّ للحاج أن يصلى فى منزله بالمزدلفة إن استطاع ، وذلك أن الله قال : « فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم » .

* * *

فأما « المشعر » : فإنه هو ما بين جبلى المزدلفة من مأزمى عرفة إلى مُحسِّر . وليس مأزما عرفة من « المشعر » .[2]

وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) انظر ما سلف فى الجزء ٣ : ٢٢٦ ، ٢٢٧ (بولاق) ، تفسير « شعائر » .

(٢) المأزم : كل طريق ضيق بين جبلين . ومأزما عرفة : مضيق بين جمع وعرفة .

٣٧٩٩ – حدثنا هناد بن السرى قال، حدثنا ابن أبى زائدة قال ، أخبرنا إسرائيل ، عن مغيرة ، عن إبراهيم قال : رأى ابن عمر الناس يزدحمون على الجُبيل بجمع ، فقال : أيها الناس إن جَمْعاً كلها مَشعَر .

٣٨٠٠ – حدثنى يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حجاج ، عن نافع ، عن ابن عمر : أنه سئل عن قوله : « فاذكروا الله عند المشعر الحرام » ، قال : هو الجبل وما حوله .

٣٨٠١ – حدثنا هناد قال، حدثنا ابن أبى زائدة قال،أخبرنا إسرائيل،عن حكيم بن جبير ، عن ابن عباس قال : ما بين الجبلين اللذين بجمع مَشعر .

٣٨٠٢ – حدثنا هناد قال،حدثنا ابن أبى زائدة قال ، أخبرنا الثورى ، عن السدى ، عن سعيد بن جبير مثله .

٣٨٠٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى = وحدثنى أحمد بن حازم قال ، حدثنا أبو نعيم قال، حدثنا سفيان = عن السدى ، عن سعيد بن جبير قال : سألته عن المشعر الحرام فقال : ما بين جَبلى المزدَلِفة .

٣٨٠٤ – حدثنا الحسن قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال،أخبرنا معمر ، عن الزهرى ، عن سالم ،عن ابن عمر قال : « المشعرُ الحرامُ» المزدلفةُ كلها = قال : معمر : وقاله قتادة .

٣٨٠٥ – حدثنا هنّاد قال،حدثنا وكيع قال ، أنبأنا الثورى ، عن السدى ، عن سعيد بن جبير : « فاذكروا الله عند المشعر الحرام » ، قال : ما بين جَبلى المزدلفة ، هو المشعرُ الحرام .

٣٨٠٦ – حدثنا هناد قال،حدثنا ابن أبى زائدة قال ، أخبرنا أبى ، عن أبى إسحق ، عن عمرو بن ميمون قال : سألت عبد الله بن عمر عن المشعر الحرام ١٦٨/٢

فقال : إذا انطلقتَ معى أعلمتكه . قال : فانطلقت معه فوقفنا ، حتى إذا أفاض الإمام سار وسرنا معه ، حتى إذا هبطتْ أيدى الرِّكاب ، وكنا فى أقصى الجبال مما يلى عَرَفات ، قال : أين السائل عن المشعر الحرام ؟ أخذتَ فيه ! قلت : ما أخذتُ فيه ! قال : كلها مشاعر إلى أقصى الحرم .

٣٨٠٧ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا إسرائيل = وحدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل = عن أبى إسحق ، عن عمرو بن ميمون الأودى قال : سألت عبد الله بن عمر عن المشعر الحرام قال : إنْ تلزمنى أُرِكَه . قال : فلما أفاض الناسُ من عَرفة وَهبطتْ أيدى الركاب فى أدنى الجبال ، قال : أين السائل عن المشعر الحرام ؟ قال : قلت : ها أنا ذاك ! قال : أخذت فيه ! قلت : ما أخذت فيه ! قال : حين هبطت أيدى الركاب فى أدنى الجبال ، فهو مَشعرٌ إلى مكة .

٣٨٠٨ ــ حدثنا هناد قال ، حدثنا وكيع ، عن عمارة بن زاذان ، عن مكحول الأزدى قال : سألت ابن عمر يوم عرفة عن المشعر الحرام فقال : الزمنى . فلما كان من الغد وأتينا المزدلفة ، قال : أين السائل عن المشعر الحرام ؟ هذا المشعر الحرام .

٣٨٠٩ ــ حدثنا هناد قال، حدثنا ابن أبى زائدة قال ، أخبرنا داود ، عن ابن جريج قال ، قال مجاهد : المشعرُ الحرام المزدلفة كلها .

٣٨١٠ ــ حدثنا هناد قال ، حدثنا ابن أبى زائدة قال، أخبرنا داود ، عن ابن جريج قال : قلت لعطاء : أين المزدلفة ؟ قال : إذا أفضتَ من مَأزِمى عَرَفة فذلك إلى مُحسِّر . قال : وليس المأزمان مَأزِما عَرَفة من المزدلفة، ولكن مُفاضَاهما . قال : قف بينهما إن شئت ، وأحبُّ إلى أن تقف دون قُزَح . هلم إلينا من أجل طريق الناس !

٣٨١١ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر ،

عن مغيرة ، عن إبراهيم قال : رآهم ابن عمر يزدحمون على قُزح ، فقال : علام يزدحم هؤلاء ؟ كل ما ههنا مشعر !

٣٨١٢ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : المشعر الحرام، المزدلفة كلها .

٣٨١٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٣٨١٤ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فإذا أفضتم من عَرَفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام » ، وذلك ليلة جَمْع . قال قتادة : كان ابن عباس يقول : ما بين الجبلين مَشعَر .

٣٨١٥ – حدثنا موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط، عن السدى قال : المشعر الحرام هو ما بين جبال المزدلفة = ويقال : هو قَرْن قُزح .(١)

٣٨١٦ – حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع « فاذكروا اللهَ عند المشعر الحرام » ، وهي المزدلفة ، وهي جمع .

* * *

* وذُكِر عن عبد الرحمن بن الأسود ما : –

٣٨١٧ – حدثنا به هناد قال ، حدثنا وكيع ، عن إسرائيل، عن جابر ، عن عبد الرحمن بن الأسود قال : لم أجد أحداً يُخبرني عن المشعر الحرام .

٣٨١٨ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن السدى قال : سمعت سعيد بن جبير يقول : المشعر الحرام ما بين جَبلي مزدلفة .

٣٨١٩ – حدثنا أحمد قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا قيس ، عن حكيم ابن جبير ، عن سعيد بن جبير قال : سألتُ ابن عمر عن المشعر الحرام فقال :

---

(١) القرن : الجبل الصغير المستطيل المنقطع عن الجبل الكبير

ما أدرى ؟ وسألت ابن عباس فقال : ما بين الجبلين .

٣٨٢٠ ــ حدثنا أحمد قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : الجبَيْل وما حوله مشاعر .

٣٨٢١ ــ حدثنا أحمد قال ، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا إسرائيل ، عن ثوير قال : وقفت مع مجاهد على الجبَيْل فقال : هذا المشعر الحرام .

٣٨٢٢ ــ حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا حسن بن عطية قال ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : الجبيْل وما حوله مَشاعر .

* * *

قال أبو جعفر : وإنما جعلنا أول حد المشعر مما يلى مِنى ، مُنقطع وادى مُحسِّر مما يلى المزدلفة ، لأن : ــ

٣٨٢٣ ــ المثنى حدثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن زيد بن أسلم ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : عَرَفة كلها مَوقفٌ إلاّ عُرنة ، وجَمع كلها مَوقفٌ إلا مُحسِّرًا .(١)

٣٨٢٤ ــ حدثنى يعقوب قال، حدثنى هشيم ، عن حجاج ، عن ابن أبى مليكة ، عن عبد الله بن الزبير أنه قال : كل مُزدلفة موقف إلا وادى مُحسِّر.

٣٨٢٥ ــ حدثنى يعقوب قال، حدثنا هشيم ، عن حجاج قال ، أخبرنى من سمع عروة بن الزبير يقول مثل ذلك .

---

(١) الحديث : ٣٨٢٣ ــ هذا حديث مرسل ، كما قال ابن كثير ١ : ٤٦٧ . وقد رواه مالك فى الموطأ ، ص : ٣٨٨ « أنه بلغه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » ــ دون إسناد . وذكره ابن عبد البر فى كتاب « التقصى » ، رقم : ٨٣٩ . وقال : « وهذا الحديث يتصل من حديث جابر بن عبد الله ، ومن حديث ابن عباس ، ومن حديث على بن أبى طالب » . وحديث جابر رواه مسلم ١ : ٣٤٨ ، ولكن ليس فيه استثناء « عرنة » و « محسر » . ورواه ابن ماجة : ٣٠١٢ ، من حديث جابر ، وفيه هذا الاستثناء . وإسناده ضعيف جداً .

وانظر السنن الكبرى للبيهقى ٥ : ١١٥ ، والتلخيص الحبير ، ص : ٢١٦ ، ونصب الراية ٣ : ٦٠ ــ ٦٢ .

٣٨٢٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك عن سفيان ، عن هشام بن عروة قال: قال عبد الله بن الزبير في خطبته: تعلَّمُنَّ أن عَرَفة كلها مَوقفٌ إلاّ بطن عُرنة ، تعلَّمُنَّ أن مزدلفة كلها موقفٌ إلاّ بطن مُحسِّر.(١)

* * *

قال أبو جعفر : غير أن ذلك وإن كان كذلك ، فإني أختار للحاجّ أن يَجعل وُقوفه لذكر الله من المشعر الحرام ، على قُزَح وما حَوله ، لأن : – ١٦٩/٢

٣٨٢٧ – أبا كريب حدثنا قال، حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن إبراهيم ابن إسمعيل بن مجمع ، عن عبد الرحمن بن الحارث المخزومي ، عن زيد بن علي ، عن عبيد الله بن أبي رافع ، عن علي ، قال : لما أصبح رَسُول الله صلى الله عليه وسلم بالمزدلفة ، غدا فوقف على قُزح ، وأردفَ الفضل ، ثم قال : هذا الموقف ، وكلّ مزدلفة موقفٌ.

٣٨٢٨ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يونس بن بكير قال ، أخبرنا إبراهيم ابن إسمعيل بن مجمع ، عن عبد الرحمن بن الحارث، عن زيد بن علي بن الحسين، عن عبيد الله بن أبي رافع ، عن أبي رافع ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه.(٢)

---

(١) الخبر : ٣٨٢٦ – رواه مالك في الموطأ ، ص ٣٨٨ ، بنحوه ، عن هشام بن عروة ، عن عبد الله بن الزبير .

(٢) الحديثان: ٣٨٢٧، ٣٨٢٨ – إبرهيم بن إسمعيل بن مجمع الأنصاري المدني: ضعيف ، قال ابن معين : « ليس بشيء » ، وقال البخاري : « كثير الوهم » . عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي : ثقة من أهل العلم . زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب : ثقة معروف ، لا يحتاج إلى تعريف . وهو الذي تنسب إليه الزيدية من الشيعة . وكان حرباً على الرافضة . وهو يروي عن عبيد الله بن أبي رافع مباشرة ، ولكنه روى هذا الحديث بعينه – كما سيأتي في التخريج – عن أبيه زين العابدين علي بن الحسين ، عن عبيد الله . عبيد الله بن أبي رافع المدني ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : تابعي ثقة . وكان كاتباً لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه .

٣٨٢٩ ــ حدثنا هناد وأحمد الدولابي قالا ، حدثنا سفيان ، عن ابن المنكدر ، عن سعيد بن عبد الرحمن بن يربوع ، عن ابن الحويرث قال: رأيت أبا بكر واقفاً على قُزح وهو يقول : أيها الناس ، أصبحوا ! أيها الناس ، أصبحوا ! ثم دفع.(١)

وهذا الحديث مختصر من حديث مطول . وقد أخطأ فيه إبراهيم بن إسمعيل بن مجمع : فحذف من الإسناد [عن أبيه] ، بين زيد بن على ، وعبيد الله بن أبي رافع . وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أردف الفضل » ــ فى هذا الحديث . وإنما « أردف أسامة بن زيد » . وإرداف الفضل بن عباس كان فى حادثة أخرى .

والحديث رواه أحمد فى المسند : ١٣٤٧ ، عن يحيى بن آدم ، عن سفيان ــ وهو الثورى ــ « عن عبد الرحمن بن عياش ، عن زيد بن على ، عن أبيه ، عن عبيد الله بن أبي رافع ، عن على ، قال : وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفة ، فقال : هذا الموقف ، وعرفة كلها موقف ، ثم أردف أسامة ، فجعل يعنق على ناقته ، والناس يضربون الإبل يميناً وشمالا ، لا يلتفت إليهم » . وهذا مختصر أيضاً . ورواه أبو داود : ١٩٢٢ ، عن أحمد بن حنبل ، بهذا الإسناد ، واختصره قليلا .

ورواه أحمد : ٥٦٢ ، عن أبي أحمد الزبيرى ، عن سفيان ، بهذا الإسناد ، مطولا . وفيه ــ بعد إرداف أسامة ــ « ثم أتى قزح ، فوقف على قزح ، فقال : هذا الموقف ، وجمع كلها موقف . . . » ــ إلى آخره مطولا .

ورواه عبد الله بن أحمد ، فى زيادات المسند : ٥٦٤ ، من طريق المغيرة بن عبد الرحمن المخزومى ، عن أبيه . و ٦١٣ ، من طريق مسلم بن خالد الزنجى ، عن عبد الرحمن المخزومى ــ بهذا الإسناد ، مطولا أيضاً .

ورواه الترمذى ٢ : ١٠٠ ــ ١٠١ ، مطولا ، من طريق أبي أحمد الزبيرى ، عن الثورى . وقال : « حديث حسن صحيح ، لا نعرفه من حديث على إلا من هذا الوجه ، من حديث عبد الرحمن بن الحارث ابن عياش . وقد رواه غير واحد عن الثورى ، مثل هذا » .

(١) الخبر : ٣٨٢٩ ــ سفيان : هو ابن عيينة . ابن المنكدر : هو محمد بن المنكدر التيمى : أحد الأئمة الأعلام من التابعين .

سعيد بن عبد الرحمن بن يربوع : ترجمه الحافظ فى التعجيل ، ص : ١٥٤ ، وذكر أنه مخزومى . وأشار إلى هذا الخبر من روايته . وقال : « وقع عند غيره : عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع » . ويريد : عند غير الشافعى ، لأن هذا الخبر رواه الشافعى ، كما سيأتى . وقد رمز لهذه الترجمة فى التعجيل بحرف الألف ، وهو رمز « أحمد » فى المسند . وهو خطأ مطبعى . وصحته « فع » رمز الشافعى . وعبد الرحمن ابن سعيد بن يربوع : مترجم فى التهذيب ٦ : ١٨٧ ، وابن سعد ٥ : ١١١ ، وابن أبي حاتم ٢ / ٢ / ٢٣٩ ، ولكن جميع روايات هذا الخبر فيها « سعيد بن عبد الرحمن بن يربوع » . وأنا أرجح ، بما يظهر لى من الترجمتين : أن الراوى هنا غير المترجم فى التهذيب ، ومن المحتمل أن راوى هذا الخبر ابن الذى فى التهذيب . خصوصاً وأن ابن أبي حاتم ذكره فى ترجمة « ابن الحويرث » راوياً عنه . وإن لم يترجم هو

٣٨٣٠ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا هرون ، عن عبد الله بن عثمان ، عن يوسف بن ماهك قال : حججت مع ابن عمر ، فلما أصبح بجمع صلى الصبح ، ثم غدا وغدونا معه حتى وقف مع الإمام على قُزح ، ثم دفع الإمام ، فدفع بدفعته .

* * *

وأما قول عبد الله بن عمر حين صارَ بالمزدلفة : « هذا كله مَشاعر إلى مكة » ، فإن معناه : أنها مَعالم من معالم الحج ، يُنسك فى كل بقعة منها بعضُ مَناسك الحج = لا أن كلَّ ذلك « المشعرُ الحرامُ » الذى يكون الواقفُ حيث وقف منه إلى بطن مكة ، قاضياً ما عليه من الوقوف بالمشعر الحرام من جَمع .

* * *

ولا البخارى فى الكبير ل « سعيد بن عبد الرحمن بن يربوع » .

ابن الحويرث : هو جبير بن الحويرث . ترجمه ابن أبى حاتم ١ / ١ / ٥١٢ ، وقال : « روى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه . روى عنه سعيد بن عبد الرحمن بن يربوع» . وكذلك ترجمه ابن عبد البر فى الاستيعاب ، رقم : ٣١٧ ، ثم قال : « فى صحبته نظر » . وترجمه ابن الأثير فى أسد الغابة ١ : ٢٧٠ ، وقال : « وقتل أبوه يوم فتح مكة ، قتله على . وهذا يدل على أن لابنه جبير صحبة أو رؤية » . وكذلك رجح صحبته – الحافظ فى الإصابة ١ : ٢٣٥ ، والتعجيل : ٦٦ – ٦٧ . وكلهم ذكر أباه باسم « الحويرث » ، إلا المصعب الزبيرى فى نسب قريش ، ص : ٢٥٧ ، فإنه ذكره باسم « الحارث » . و « الحويرث » هو الصواب ، الموافق لما فى سيرة ابن هشام ، ص : ٨١٩ (طبعة أوربة) ، وطبقات ابن سعد ١ /٢ / ٩٠ .

وهذا الخبر رواه الشافعى فى الأم ٢ : ١٨٠ ، عن سفيان بن عيينة ، بهذا الإسناد ، بزيادة فى آخره ، ولكن فيه : « عن أبى الحويرث » ، وكذلك ثبت فى مسنده بترتيب الشيخ عابد السندى ١ : ٣٥٦ . ووقع فى مسند الشافعى المطبوع بهامش الجزء ٦ من الأم : « عن جويبر بن حويرث » . وفى نسخة مخطوطة منه – عندى – غير موثقة التصحيح : « عن جويبر بن الحويرث » . وهذا الاضطراب يدل على تحريف الاسم فى بعض نسخ الأم ومسند الشافعى . خصوصاً وأن الحافظ ابن حجر ذكر اسمه فى التعجيل على الصواب ، ولم يذكر فيه خلافاً ، لو كان هذا اختلاف رواية ، مع أنه رمز له برمز الشافعى وحده . ولعل هذا الخطأ كان فى بعض نسخ الأم . ومسند الشافعى القديمة ، وأن هذا حمل البيهقى على أن يروى الخبر من غير طريق الشافعى ، خلافاً لعادته الغالبة .

فقد رواه البيهقى ٥ : ١٢٥ ، من طريق سعدان بن نصر ، عن سفيان ، وهو ابن عيينة – بهذا الإسناد . ورواه ابن حزم فى المحلى ٣ : ٢١٥ – ٢١٦ ، من طريق محمد بن المثنى ، عن سفيان ، به .

وأما قولُ عبد الرحمن بن الأسود: «لم أجد أحداً يُخبرني عن المشعر الحرام»، فلأنه يحتمل أن يكون أراد : لم أجد أحداً يخبرني عن حدّ أوّله ومُنتهى آخره على حقه وصدقه . لأن حدود ذلك على صحتها ، حتى لا يكون فيها زيادةٌ ولا نُقصان ، لا يحيط بها إلا القليل من أهل المعرفة بها . غير أن ذلك ، وإن لم يقف على حد أوله ومنتهى آخره وقوفاً لا زيادة فيه ولا نقصان إلاّ من ذكرتُ ، فموضع الحاجة للوقوف لا خفاء به على أحد من سكان تلك الناحية وكثير من غيرهم . وكذلك سائر مشاعر الحج ، والأماكن التي فَرَض الله عز وجل على عباده أن يَنسُكوا عندها كعرفات ومِنىً والحرَم .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ (١٩٨)

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : واذكروا الله أيها المؤمنون عند المشعر الحرام = بالثناء عليه والشكر له على أياديه عندكم ، وليكن ذكركم إياه بالخضوع لأمره ، والطاعة له ، والشكر على ما أنعم عليكم من التوفيق لما وفقكم له من سُنن إبراهيمَ خليله ، بعد الذي كنتم فيما كنتم فيه من الشرك والحيرة والعمى عن طريق الحق ، وبَعد الضلالة = كذكره إياكم بالهُدى حتى استنقذكم من النار به ، بعد أن كنتم على شفا حفرة منها ، فنجّاكم منها . وذلك هو معنى قوله : «كما هداكم» .

* * *

وأما قوله : «وإنْ كنتم منْ قبله لمن الضالين» ، فإنّ من أهل العربية من يوجه تأويل «إنْ» إلى تأويل «ما» ، وتأويل «اللام» التي في «لمن» إلى «إلاّ» .(١)

---

(١) هذا توجيه الكوفيين ، انظر المغني لابن هشام ١ : ١٩١ ، وغيره .

فتأويل الكلام على هذا المعنى : وما كنتم = من قبل هداية الله إياكم لما هداكم له من ملة خليله إبراهيم التى اصطفاها لمن رضى عنه من خلقه = إلا من الضالين .

* * *

ومنهم من يوجه تأويل « إن » إلى « قد » .

فمعناه، على قول قائل هذه المقالة : واذكروا الله أيها المؤمنون ، كما ذكركم بالهدى فهداكم لما رضيه من الأديان والملل ، وقد كنتم من قبل ذلك من الضالين .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، ومَن المعنىُّ بالأمر بالإفاضة من حيث أفاض الناس؟ ومَن «الناس» الذين أمروا بالإفاضة من مَوْضع إفاضتهم ؟

فقال بعضهم : المعنىّ بقوله : « ثم أفيضوا »، قريش ومن وَلدته قريش، الذين كانوا يُسمَّون فى الجاهلية «الحُمُس»، أمروا فى الإسلام أن يُفيضوا من عَرَفات ، وهى التى أفاض منها سائر الناس غير الحمُس . وذلك أن قريشاً ومَنْ ولدته قُريش كانوا يقولون : « لا نخرج من الحرم » ، فكانوا لا يشهدون مَوقف الناس بعرفة معهم ، فأمرهم الله بالوقوف معهم .

* ذكر من قال ذلك :

٣٨٣١ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن الطُّفاوى قال ، حدثنا هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : كانت

---

(١) انظر تفسير « الحمس » فيما سلف من الجزء ٣ : ٥٥٧ تعليق : ١

قريش ومن كان على دينها—وهم الحمُس— يقفون بالمزدلفة، يقولون: «نحن قَطين الله ! » ، وكان من سواهم يقفون بعرفة، فأنزل الله: «ثم أفيضوا من حَيثُ أفاضَ الناس » .(١)

٣٨٣٢ — حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث قال، حدثني أبي قال ، حدثنا أبان قال ، حدثنا هشام بن عروة ، عن عروة : أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان : « كتبتَ إليَّ في قول النبي صلى الله عليه وسلم لرجل من الأنصار : « إني أحمس» ،(٢) وإني لا أدري أقالها النبي أم لا ؟ غيرَ أني سمعتها تُحدِّث عنه . والحمس ملة قريش — وهم مشركون — ومن ولدت قُريش في خزاعة وبني كنانة ، كانوا لا يدفعون من عَرَفة ، إنما كانوا يدفعون من المزدلفة ، وهو المشعر الحرام . وكانت بنو عامر حُمساً ، وذلك أن قريشاً ولدتهم ، ولهم قيل: « ثم أفيضوا من حيثُ أفاض الناس » ، وأنَّ العرب كلها كانت تُفيض من عَرَفة إلاَّ الحمس، كانوا يَدفعون إذا أصبحوا من المزدلفة » .(٣) ١٧٠/٢

---

(١) الحديث : ٣٨٣١ — محمد بن عبد الرحمن الطفاوي ، بضم الطاء المهملة : ثقة ، من شيوخ أحمد وابن المديني وغيرهما .

والحديث رواه البخاري ٨ : ١٣٩ (فتح) ، عن ابن المديني ، عن محمد بن خازم ، عن هشام ، به ، مطولا قليلا . وكذلك رواه مسلم ١ : ٣٤٨ ، عن يحيى بن يحيى ، عن أبي معاوية ، وهو محمد بن خازم ، به .

القطين اسم جماعة ، واحدهم قاطن ، والجمع قطان : وهم سكان الدار المقيمون بها لا يبرحونها . وقولهم « نحن قطين الله » ، فيه محذوف أي : قطين بيت الله وحرمه . ولو حمل على قولهم : القطين هم الخدم ، لكان معناه : خدم الله والقائمون بأمر بيته ، بلا حاجة إلى تقدير محذوف . وهو جيد أيضاً .

(٢) انظر الآثار السالفة من رقم : ٣٠٧٧ — ٣٠٨٧ ، ففيها خبر الأنصاري ، ومقالة رسول الله له .

(٣) الحديث : ٣٨٣٢ — أبان : هو ابن يزيد العطار ، وهو ثقة ، وثقه ابن معين والنسائي وغيرهما .

وهذا الحديث ، بهذا السياق — لم أجده في موضع آخر . ومعناه ثابت في الحديث الذي قبله ، وفي حديث مطول آخر ، رواه البخاري ٣ : ٤١١ — ٤١٣ (فتح) . من طريق علي بن مسهر . ومسلم ١ : ٣٤٨ ، من طريق أبي أسامة — كلاهما عن هشام بن عروة ، عن أبيه .

وانظر أيضاً ما مضى في الطبري : ٣٠٧٧ — ٣٠٨٧ .

٣٨٣٣ – حدثني أحمد بن محمد الطوسي قال، حدثنا أبو توبة قال ، حدثنا أبو إسحق الفزاري ، عن سفيان ، عن حسين بن عبيد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كانت العرب تقف بعرفة، وكانت قريشٌ تقف دون ذلك بالمزدلفة، فأنزل الله : « ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس » ، فرفع النبي صلى الله عليه وسلم الموقف إلى موقف العرب بعرفة .(١)

٣٨٣٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن عبد الملك ، عن عطاء: « ثم أفيضوا من حيثُ أفاض الناس » ، من حيث تُفيضُ جماعة الناس .

٣٨٣٥ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا الحكم قال ، حدثنا عمرو بن قيس ، عن عبد الله بن أبي طلحة ، عن مجاهد قال : إذا كان يوم عرفة هبط الله إلى

وقول عروة – هنا – « غير أني سمعتها تحدث عنه » : يريد به خالته « عائشة أم المؤمنين » ، وأنها تحدث ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذا واضح من سياق القول ومن سائر الروايات الأخر . ولعله عبر عنهما بالضمير لسبق ذكرهما في سؤال عبد الملك بن مروان الذي يجيبه بهذا القول .

(١) الحديث : ٣٨٣٣ – أحمد بن محمد الطوسي ، شيخ الطبري : روى عنه في التاريخ ١ : ٨ ، ١٧ ، باسم « أحمد بن محمد بن حبيب » . ثم في ١ : ٦٧ ، باسم « أحمد بن محمد الطوسي » ، كما هنا . ثم في ١ : ٢٠٩ ، باسم « أحمد بن محمد بن حبيب الطوسي » . فتعين أنه هو . وهو مترجم التهذيب ، وتاريخ بغداد ٥ : ١٠٨ – ١٠٩ ، باسم « أحمد بن محمدبن نيزك بن حبيب، أبو جعفر ، يعرف بالطوسي » . وهو من شيوخ الترمذي ، وذكره ابن حبان في الثقات . و « نيزك » : بكسر النون وفتح الزاي بينهما ياء تحتية ، كما ضبط في التقريب والخلاصة .

• أبو توبة : هو الربيع بن نافع الحلبي ، سكن طرسوس ، وهو ثقة صدوق حجة ، كما قال أبو حاتم . وهو من شيوخه وشيوخ الإمام أحمد وأبي داود وغيرهم .

أبو إسحق الفزاري : هو الحافظ الحجة شيخ الإسلام ، إبرهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة بن حصن . وهو الثقة المأمون الإمام . شيخه سفيان : هو الثوري .

حسين بن عبيد الله : هو حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب . وهو ضعيف ، ضعفه ابن معين وابن المديني وأبو حاتم وغيرهم . ولعله نسب هنا إلى جده ، بل لعل الأصل « بن عبد الله » ، فحرفها الناسخون . وإنما جزمت بأنه هو : لأنه هو الذي يروي عن عكرمة ، ويروي عنه الثوري ، كما في ترجمته عند ابن أبي حاتم ١/٢/ ٥٧ . ثم ما في هذه الطبقة من الرواة من يسمى « حسين بن عبيد الله » . بل ليس في التهذيب ، ولا في الكبير ، ولا عند ابن أبي حاتم من يدعى ذلك . نعم ، هناك رواة بهذا الاسم في لسان الميزان ، وكلهم متأخرون عن هذه الطبقة .

وهذا الحديث لم أجده في غير الطبري ، ولم ينسبه السيوطي ١ : ٢٢٧ لغيره .

السماء الدنيا فى الملائكة ، فيقول : هَلم إلىّ عبادى ، آمَنوا بوعدى ، وصَدّقوا رُسلى ! فيقول : ما جزاؤهم ؟ فيقال : أن تغفر لهم . فذلك قوله : « ثم أفيضوا من حيث أفاضَ الناس واستغفروا الله إن الله غفور رَحيم » .

٣٨٣٦ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح = وحدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح = عن مجاهد : « ثم أفيضوا من حَيث أفاضَ الناسُ » ، قال : عرفة . قال : كانت قريش تقول نحن : « الحمُس أهلُ الحرم ، فلا نخلّف الحرم ، ونفيض عن المزدلفة » ، فأمروا أن يبلغوا عرفة .

٣٨٣٧ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ثم أفيضوا من حَيثُ أفاض الناسُ » ، قال قتادة : وكانت قريش وكل حليف لهم وبَنى أخت لهم ، لا يفيضون من عرفات ، إنما يفيضون من المُغَمَّس ، ويقولون : « إنما نحن أهل الله ، فلا نخرج من حَرمه » ، فأمرهم الله أن يفيضوا من حيثُ أفاض الناس من عرفات ، وأخبرهم أن سُنة إبراهيم وإسمعيل هكذا : الإفاضةُ من عرفات .

٣٨٣٨ – حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ثم أفيضوا من حَيثُ أفاضَ الناس » ، قال : كانت العرب تقف بعرفات ، فتُعظِمُ قريشٌ أن تقفَ معهم ، فتقف قريشٌ بالمزدلفة ، فأمرهم الله أن يفيضوا معَ الناس من عرفات .

٣٨٣٩ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس » ، قال : كانت قريش وكل من أخت وحليف لهم ، لا يفيضون مع الناس من عرفات ، يقفون فى الحرم ولا يخرجون منه ، يقولون : « إنما نحن أهلُ حرم الله ، فلا نخرج من حرمه » ؛

فأمرهم الله أن يفيضوا من حيث أفاض الناس ، وكانت سُنة إبراهيم وإسمع
الإفاضة من عرفات .

٣٨٤٠ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق، عن عبد
بن أبي نجيح قال : كانت قريش – لا أدرى قبل الفيل أم بعده – ابتدعت أم
الحمُس، رأياً رأوه بينهم،[١] قالوا: « نحن بنو إبراهيم ،وأهل الحرْمة ،وولاة البيت
وقاطنو مكة وساكنوها ،[٢] فليس لأحد من العرب مثلُ حقنا ولا مثلُ منزلنا ، و
تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا ، فلا تُعظِّموا شيئاً من الحل كما تُعظمون الحر
فإنكم إن فعلتم ذلك استخفَّت العرب بحرمكم » .[٣] وقالوا : قد عظَّموا من الحل
مثل ما عظَّموا من الحرم، فتركوا الوقوفَ على عرفة، والإفاضة منها ، وهم يعرفو
ويُقرُّون أنها من المشاعر والحج ودين إبراهيم ،ويرون لسائر الناس أن يقفوا عليها ،وأن
يُفيضوا منها ، إلا أنهم قالوا : « نحنُ أهلُ الحرم، فليس ينبغى لنا أن نخرج من
الحرمة ،ولا نعظِّمَ غيرها كما نُعظمها نحن الحمُس» – والحمُس أهل الحرم
ثم جعلوا لمنْ ولدوا من العرب من ساكنى الحل مثلَ الذى لهم بولادتهم إياهم ،
فيحل لهم ما يحلّ لهم ، ويحرّم عليهم ما يحرم عليهم . وكانت كنانة وخُزاعة قد
دخلوا معهم فى ذلك . ثم ابتدعوا فى ذلك أموراً لم تكن ، حتى قالوا: «لا ينبغى
للحمُس أن يأقطوا الأقِط ولا يسلأوا السَّمن وهم حُرم،[٤] ولا يدخلوا بيتاً من
شعَر ، ولا يستظلوا إن استظلوا إلا فى بيوت الأدَم ما كانوا حراماً » . ثم رفعوا فى
ذلك،[٥] فقالوا: «لا ينبغى لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحل

(١) فى سيرة ابن هشام : « رأيا رأوه وأداروه » .
(٢) فى سيرة ابن هشام : « وقطان مكة وساكنها » .
(٣) فى سيرة ابن هشام : « بحرمتكم » .
(٤) فى سيرة ابن هشام : « أن يأتقطوا » ، ائتقط الأقط : اتخذه ، والأقط : شيء يتخذ
من اللبن المخيض ، يطبخ ثم يترك حتى يمصل ، وهو من ألبان الإبل خاصة . وسلأ السمن : طبخه وعالجه
فأذاب زبده . والحرم (بضمتين) جمع حرام . رجل حرام : محرم .
(٥) رفعوا فى ذلك : زادوا وغالوا .

فى الحرم،[١] إذا جاؤا حجاجاً أو عُمَّاراً ، ولا يطوفوا بالبيت إذا قدموا أول طوافهم إلاّ فى ثياب الحُمس ، فإن لم يجدوا منها شيئاً طافوا بالبيت عُراةً». فحمَلوا على ذلك العربَ فدانت به ، وأخذوا بما شرعوا لهم من ذلك،[٢] فكانوا على ذلك حتى بعثَ الله محمداً صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله — حين أحكمَ له دينه وشرع له حجَّه[٣] : « ثم أفيضوا من حَيث أفاض الناس واستغفروا الله إنّ الله غفور رَحيم » — يعنى قريشاً ، و«الناس» العربُ — فرفعهم فى سنَّة الحجّ إلى عَرفات والوقوف عليها والإفاضة منها . فوضع الله أمر الحُمس — وما كانت قريش ابتدعت منه — عن الناس بالإسلام ، حين بَعث الله رسوله.[٤] ١٧١/٢

٣٨٤١ — حدثنا بحر بن نصر قال، حدثنا ابن وهب قال ، أخبرنى ابن أبى الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : كانت قريش تَقف بمُزدلفة ، وكان الناس يقفون بعرفة ، قال : فأنزل الله : « ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس» .

* * *

وقال آخرون : المخاطَبون بقوله : « ثم أفيضوا» ، المسلمون كلهم ، والمعنىُّ بقوله : « من حيثُ أفاض الناس » ، من جَمْع ، و بـ« الناس »، إبراهيم خليلُ الرحمن عليه السلام .

* ذكر من قال ذلك :

٣٨٤٢ — حدثت عن القاسم بن سلام قال، حدثنا هرون بن معاوية الفزارى، عن أبى بسطام ، عن الضحاك قال : هو إبراهيم .[٥]

---

(١) فى سيرة ابن هشام : « من الحل إلى الحرم » .

(٢) هذه الجملة غير موجودة بنصها فى سيرة ابن هشام .

(٣) فى المطبوعة : « حجته » ، وفى سيرة ابن هشام : « وشرع له سنن حجه » .

(٤) الأثر : ٣٨٤٠ — فى سيرة ابن هشام ١ : ٢١١ — ٢١٦ وفى السيرة زيادات ، وقد أثبتنا الاختلاف آنفاً .

(٥) الخبر : ٣٨٤٢ — القاسم بن سلام ، بتشديد اللام : هو أبو عبيد ، الإمام الحجة ، صاحب كتاب الأموال ، وغيره من المؤلفات .

قال أبو جعفر : والذى نراه صَواباً من تأويل هذه الآية: أنه عُنى بهذه الآية قريشٌ ومن كان متحمساً معها من سائر العرب، لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن ذلك تأويله .

وإذ كان ذلك كذلك ، فتأويل الآية : فمن فَرض فيهنّ الحج فلا رَفث ولا فسوقَ ولا جدال فى الحج ، ثم أفيضوا من حَيثُ أفاضَ الناس ،واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ، وما تَفعلوا من خَير يعلمه الله .

وهذا ، إذ كان ما وصفنا تأويلَه، فهو من المقدم الذى مَعناه التأخير ، والمؤخر الذى معناه التقديم ، على نحوما تقدم بياننا فى مثله.[1] ولولا إجماع من وصفتُ إجماعه على أن ذلك تأويله، لقلتُ: أولى التأويلين بتأويل الآية ما قاله الضحاك، من أنّ الله عنى بقوله: « من حيث أفاضَ الناس » ، من حيث أفاضَ إبراهيم . لأن الإفاضة من عرفات لاشك أنها قبل الإفاضة من جَمع ، وقبل وجوب الذكر عند المشعر الحرام . وإذ كان ذلك لا شك كذلك ، وكان الله عز وجل إنما أمر بالإفاضة من الموضع الذى أفاض منه الناس ، بَعد انقضاء ذكر الإفاضة من عرفات ، وبعد أمره بذكره عندالمشعر الحرام ، ثم قال بعد ذلك: « ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس»=كان معلوماً بذلك أنه لم يأمر بالإفاضة إلاّ من الموضع الذى لم يُفيضوا منه ، دون الموضع الذى قد أفاضوا منه، وكان الموضع الذى قد

مروان بن معاوية الفزارى : مضت ترجمته : ١٢٢٢ ، ٣٣٢٢ . ووقع فى المطبوعة هنا « هرون » « مروان » . وهو خطأ واضح . و « مروان الفزارى » من شيوخ القاسم بن سلام ، كما فى ترجمته الممتعة فى تاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٣ — ٤٠٦ .

أبو بسطام : هو مقاتل بن حيان النبطى البلخى ، وهو ثقة ، بينا ذلك فى المسند : ٣١٠٧ .

الضحاك : هو ابن مزاحم الهلالى الخراسانى ، وهو ثقة ، كما ذكرنا فى المسند : ٢٢٦٢ .

وهذا الخبر أشار إليه ابن كثير ١ : ٤٦٩ ، أنه « حكاه ابن جرير عن الضحاك بن مزاحم فقط » . ووهم السيوطى ١ : ٢٢٧ ، فذكره من رواية الطبرى عن ابن عباس ؟ ولعله سبق ذهنه لكثرة رواية الضحاك عن ابن عباس؟؟

(١) انظر فهرس المباحث العربية فى الجزءين السالفين .

أفاضوا منه فانقضى وَقتُ الإفاضة منه ، لا وَجه لأن يقال : « أفض منه » .

فإذْ كان لا وَجه لذلك ، وكان غير جائز أن يأمر الله جل وعز بأمر لا معنى له ، كانت بيِّنةً صحةُ ما قاله من التأويل فى ذلك ، وفسادُ ما خالفه ، لولا الإجماع الذى وصفناه ، وتظاهر الأخبار بالذى ذكرنا عمن حكينا قوله من أهل التأويل .

* * *

فإن قال لنا قائل : وكيف يجوز أن يكون ذلك معناه ، « والناس » جماعة ، « وإبراهيم » صلى الله عليه وسلم واحد ، والله تعالى ذكره يقول : « ثم أفيضوا من حيث أفاضَ الناس » ؟

قيل : إن العرب تفعل ذلك كثيراً ، فتدلّ بذكر الجماعة على الواحد ،[1] ومن ذلك قول الله عز وجل : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾ [سورة آل عمران : ١٧٣] ، والذى قال ذلك واحد ، وهو فيما تظاهرت به الرواية من أهل السير — نعيم بن مسعود الأشجعى .[2] ومنه قول الله عز وجلّ : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَٱعْمَلُوا صَالِحاً ﴾ [سورة المؤمنون : ٥١] ، قيل : عنى بذلك النبى صلى الله عليه وسلم = ونظائر ذلك فى كلام العرب أكثر من أن تحصى .[3]

* * *

(١) انظر فهرس المباحث العربية فى الجزءين السالفين .

(٢) انظر الاستيعاب : ٣٠١ ، وابن سعد ٢ / ١ / ٤٢ ، وتاريخ الطبرى ٣ : ٤١ — ٤٢ ، ولكن الطبرى لم يذهب هذا المذهب فى تفسير الآية من سورة آل عمران ٤ : ١١٨ — ١٢١ (بولاق)

(٣) سيعود الطبرى بعد أسطر فيذكر تتمة تفسير هذا الشطر من الآية .

القول فى تأويل قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٩٩)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه: فإذا أفضتم من عرفاتٍ مُنصرفين إلى مِنى ، فاذكروا الله عند المشعر الحرام ،وادعوه واعبدوه عنده ، كما ذكركم بهدايته فوفقكم لما ارتضى لخليله إبراهيم ، فهداه له من شريعة دينه، بعد أن كنتم ضُلاّلاً عنه .

* * *

وفى « ثم » فى قوله : « ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس » ، من التأويل وجهان :

أحدهما ما قاله الضحاك من أن معناه : ثم أفيضوا فانصرفوا راجعين إلى منى من حيث أفاض إبراهيم خليلى من المشعر الحرام، وسلونى المغفرة لذنوبكم، فإنى لها غفور ، وبكم رحيم ، كما : —

٣٨٤٣ — حدثنى إسمعيل بن سيف العجلى قال ، حدثنا عبد القاهر بن السرىّ السلمى قال ،حدثنا ابن كنانة — ويكنى أبا كنانة —، عن أبيه ،عن العباس ابن مرداس السلمى قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوتُ الله يوم عرفة أن يغفر لأمتى ذنوبها، فأجابنى أنْ قد غفرتُ، إلا ذنوبها بينها وبين خلقى. فأعدت الدعاء يومئذ ، فلم أجب بشىء ، فلما كان غداة المزدلفة قلت: يارب، إنك قادر أن تعوّض هذا المظلوم من ظُلامته ، وتغفر لهذا الظالم! فأجابنى أنْ قد غفرت . قال :فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فقلنا : يا رسول الله ، رأيناك تضحك فى يوم لم تكن تضحك فيه ! قال : ضحكت من عدو الله إبليس لما سمع بما سمع ،إذ هو يدعو بالويل والثبور، ويضع التراب على رأسه .(١) ١٧٢/٢

(١) الحديث : ٣٨٤٣ — إسمعيل بن سيف العجلى : لم أستطع التحقق من معرفته . فلم أجد فى كتب التراجم إلا « إسمعيل بن سيف أبو إسحق » — هكذا فى الجرح والتعديل لابن أبى حاتم ١ / ١/١٧٦ ،

٣٨٤٤ – حدثني مسلم بن حاتم الأنصاريّ قال، حدثنا بشار بن بكير الحنفي قالا ، حدثنا عبد العزيز بن أبي روّاد ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة فقال : أيها الناس، إنّ الله تطوّل عليكم في مقامكم هذا ، فقبل من مُحسنكم وأعطى محسنكم ما سأل ، ووهب

وأنه سأل أباه عنه ، فقال : « هو مجهول » . وله ترجمة في لسان الميزان ١ : ٤٠٩ – ٤١٠ ، بل ثنتان ، ورجح الحافظ أنهما لشخص واحد . وهو – فيما يظهر لي – من هذه الطبقة ، ولكني لا أجزم أنه هو شيخ الطبري هذا .

عبد القاهر بن السري السلمي البصري : قال ابن معين : « صالح » ، وذكره ابن شاهين في الثقات .

ابن كنانة : هو عبد الله بن كنانة بن عباس بن مرداس ، كما تبين اسمه من التخريج – فيما يأتي – وكما ذكر في التراجم . وهو مجهول ، كما في التقريب والخلاصة . والمراد أنه مجهول الحال . وفي التهذيب : « قال البخاري : لم يصح حديثه » . ولم يترجم له ابن أبي حاتم في العبادلة ، ولا في الأبناء ، مع أنه ذكره في ترجمة أبيه ، كما سيأتي ، ولم أجد كنيته « أبا كنانة » إلا في هذا الموضع ، فستفاد منه .

أبوه « كنانة بن العباس » : ترجمه البخاري في الكبير ٤ / ١ / ٢٣٦ ، قال : « كنانة بن عباس بن مرداس ، عن أبيه . روى عنه ابنه » . وبنحو ذلك ترجمه ابن أبي حاتم ٣ / ٢ / ١٦٩ . ولم يذكرا فيه جرحاً ، ولم يسميا ابنه . وبنحو هذا ذكره ابن حبان في الثقات ، ص : ٣١٧ ، ولم يسم ابنه أيضاً . ثم ذكره في كتاب المجروحين ، في الورقة : ١٩٢ ، قال : « كنانة بن العباس بن مرداس السلمي ، يروي عن أبيه ، روى عنه ابنه : منكر الحديث جداً ، فلا أدري : التخليط في حديثه منه ، أو من ابنه ؟ أو من أيهما كان فهو ساقط الاحتجاج بما روى ، لعظم ما أتى من المناكير عن المشاهير » ! ! هكذا قال ابن حبان ، مهولا في غير موضع التهويل ! فما ذكر العلماء الحفاظ لكنانة غير هذا الحديث الواحد . وما هو بمنكر المعنى وإن كان الإسناد إليه فيه ضعف ، بجهالة حال عبد الله ابن كنانة . وكنانة هذا قال فيه ابن مندة : « يقال إن لكنانة صحبة » . ولذلك ذكره الحافظ في الإصابة ٥ : ٣١٨ ، في القسم الثاني ، ممن لهم رؤية . وأشار إلى خطأ ابن حبان ، بأنه ذكره في الثقات « ثم غفل فذكره في الضعفاء » .

والحديث رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائد المسند : ١٦٢٧٦ (٤ : ١٤ – ١٥ حلبي) ، عن إبراهيم بن الحجاج الناجي . ورواه ابن ماجة : ٣٠١٣ ، عن أيوب بن محمد الهاشمي . ورواه البيهقي ٥ : ١١٨ ، من طريق أبي داود الطيالسي – ثلاثتهم عن عبد القاهر بن السري « حدثنا عبد الله ابن كنانة بن عباس بن مرداس السلمي » – إلخ ، كما في رواية ابن ماجة . وفي روايتي عبد الله بن أحمد والبيهقي : « حدثني ابن الكنانة بن العباس بن مرداس » . وكذلك روى أبو داود في السنن : ٥٢٣٤ – قطعة منه ، عن عيسى بن إبرهيم البركي ، وعن أبي الوليد الطيالسي ، كلاهما عن عبد القاهر بن السري . وذكره المنذري في الترغيب والترهيب ٢ : ١٢٧ – ١٢٨ ، من رواية ابن ماجة ، ثم من رواية البيهقي . ثم نقل عن البيهقي أنه قال : « وهذا الحديث له شواهد كثيرة ، وقد ذكرناها في كتاب البعث . فإن صح بشواهده ، ففيه الحجة . وإن لم يصح ، فقد قال الله تعالى : (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) . وظلم بعضهم بعضاً دون الشرك . انتهى » . وذكره السيوطي ١ : ٢٣٠ ، ونسبه أيضاً للطبراني . والضياء المقدسي في المختارة .

مُسيئكم لمحسنكم ، إلاّ التبعات فيما بينكم ، أفيضوا على اسم الله . فلما كان غداةَ جمع قال : أيها الناس ، إن الله قد تطوّل عليكم فى مَقامكم هذا ، فقبل من محسنكم ، ووهب مسيئكم لمحسنكم ، والتبعات بَينكم عَوّضها من عنده ، أفيضوا على اسم الله . فقال أصحابه : يا رسول الله ، أفضت بنا بالأمس كئيباً حزيناً ، وأفضت بنا اليوم فرحاً مسروراً ! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى سألت ربّى بالأمس شيئاً لم يجُد لى به ، سألته التَّبعات فأبى علىّ ، فلما كان اليوم أتانى جبريل قال : إن ربك يُقرئك السلام ويقول : التَّبعات ضَمنتُ عِوَضها من عندى.(١)

* * *

فقد بيّن هذان الخبران أنّ غفران الله التبعات التى بين خلقه فيما بينهم ، إنما هو غداة جَمع ، وذلك فى الوقت الذى قال جل ثناؤه : « ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله » ، لذنوبكم فإنه غفور لها حينئذ تفضلاً منه عليكم ، رحيمٌ بكم .

* * *

---

(١) الحديث : ٣٨٤٤ — مسلم بن حاتم أبو حاتم الأنصارى : ثقة ، من شيوخ أبى داود والترمذى ، وثقه الترمذى والطبرانى .

بشار بن بكير الحنفى : لم أجد له ترجمة ، بعد طول البحث والتتبع ، حتى لقد ظننته محرفاً ، لولا أن وجدته مذكوراً أيضاً فى إسناد هذا الحديث ، فى الحلية لأبى نعيم .

عبد العزيز بن أبى رواد المكى : ثقة معروف بالورع والصلاح والعبادة . ومن تكلم فيه من أجل رأيه فلا حجة له .

والحديث رواه أبو نعيم فى الحلية ٨ : ١٩٩ ، بإسنادين : من طريق أبى هشام عبد الرحيم بن هرون الغسانى ، ومن طريق بشار بن بكير الحنفى — كلاهما عن عبد العزيز بن أبى رواد . ثم قال : « السياق لبشار بن بكير ، وحديث أبى هاشم فيه اختصار . . . غريب ، تفرد به عبد العزيز ، عن نافع ، ولم يتابع عليه » .

وذكر المنذرى فى الترغيب والترهيب ٢ : ١٢٧ ، نحو معناه ، من حديث عبادة بن الصامت . ثم قال : « رواه الطبرانى فى الكبير ، ورواته محتج بهم فى الصحيح إلا أن فيهم رجلا لم يسم » . وكذلك ذكره الهيثمى فى الزوائد ٣ : ٢٥٦ — ٢٥٧ . ثم ذكر كلاهما بعده حديثاً بنحوه ، لأنس بن مالك . ونسباه لأبى يعلى . وقال الهيثمى : « وفيه صالح المرى ، وهو ضعيف » . وكذلك ذكرهما السيوطى ١ : ٢٣٠ ، دون بيان تعليلهما

والآخر منهما : « ثم أفيضوا » من عرفة إلى المشعر الحرام ، فإذا أفضتم إليه منها ، فاذكروا الله عنده كما هداكم .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : «فإذا قَضَيتم مَناسككم » ، فإذا فرَغتم من حَجكم فذبحتم نَسائككم ، فاذكروا الله .(١)

* * *

يقال منه : « نسك الرجل يَنسُك نُسكاً ونُسُكاً ونسيكة ومَنسَكاً » ، إذا ذبح نُسُكه . و«المنسِك» اسم مثل «المشرق والمغرب » ، فأما « النُّسْك » فى الدين ، فإنه يقال منه : « ما كان الرجل نَاسكاً ، ولقد نَسَك ونَسُك نُسكاً ونُسْكاً ونَساكة » ،(٢) وذلك إذا تقرَّأ .(٣)

* * *

وبمثل الذى قلنا فى معنى « المناسك » فى هذا الموضع قال مجاهد :

٣٨٤٥ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فإذا قَضَيتم مَناسككم » ، قال : إهراقة الدماء .(٤)

---

(١) انظر تفسير « قضى » فيما سلف ٢ : ٥٤٢ ، ٥٤٣

(٢) انظر تفسير « نسك » فيما سلف من ٣ : ٧٥ — ٨٠ / ثم هذا الجزء وفى النسك ، الذى هو الذبح . مصادر لم تذكر فى كتب اللغة .

(٣) تقرأ الرجل : تفقه وتنسك ، فهو قارئ ومتقرى وقراء (بضم القاف وتشديد الراء)

(٤) « إهراقة » مصدر هراق الدم يهريقه ، هراقة وإهراقة ، وهو سفحه وصبه .

٣٨٤٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

• • •

وأما قوله : « فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشدّ ذكراً » ، فإنّ أهل التأويل اختلفوا في صفة «ذكر القوم آباءهم»، الذين أمرَهم الله أن يجعلوا ذكرهم إياه كذكرهم آباءَهم أو أشد ذكراً .

فقال بعضهم : كان القوم في جاهليّتهم ، بعد فراغهم من حجهم ومناسكهم ، يجتمعون فيتفاخرون بمآثر آبائهم ، فأمرهم الله في الإسلام أن يكون ذكرُهم بالثناء والشكر والتعظيم لربهم دون غيره ، وأن يُلزموا أنفسهم من الإكثار من ذكره ، نظيرَ ما كانوا ألزموا أنفسهم في جاهليّتهم من ذكر آبائهم.

• ذكر من قال ذلك

٣٨٤٧ – حدثنا تميم بن المنتصر قال ، حدثنا إسحق بن يوسف ، عن القاسم ابن عثمان، عن أنس في هذه الآية قال: كانوا يذكرون آباءهم في الحج ، فيقول بعضهم : كان أبي يطعم الطعام ! ويقول بعضهم : كان أبي يضرب بالسيف ! ويقول بعضهم : كان أبي جزّ نواصي بني فلان !

٣٨٤٨ – حدثني محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ،حدثنا سفيان ، عن عبد العزيز ،عن مجاهد قال : كانوا يقولون : كان آباؤنا ينحرون الجُزُر ، ويفعلون كذا ! فنزلت هذه الآية : « اذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً » .

٣٨٤٩ – حدثنا ابن بشار قال،حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن عاصم ،عن أبي وائل: « فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً » ،قال : كان أهل الجاهلية يذكرون فَعَال آبائهم .

٣٨٥٠ – حدثنا أبو كريب قال، سمعت أبا بكر بن عياش قال : كان

أهل الجاهلية إذا فرغوا من الحج قاموا عندالبيت ، فيذكرون آباءهم وأيامهم : كان أبي يُطعم الطعام! وكان أبي يفعل ! فذلك قوله : « فاذكروا الله كذكركم آباءكم » = قال أبو كريب: قلت ليحيي بن آدم : عمن هو ؟ قال : حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم ، عن أبي وائل .

٣٨٥١ ــ حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ،حدثنا هشيم قال ،أخبرني حجاج ، عمن حدثه ، عن مجاهد في قوله : « اذكروا الله كذكركم آباءكم» ،قال: كانوا إذا قضوا مناسكهم وقفوا عند الجمرة فذكروا آباءهم ، وذكروا أيامهم في الجاهلية وفعال آبائهم ، فنزلت هذه الآية .

١٧٣/٢ ٣٨٥٢ ــ حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم ،عن عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد في قوله : « فاذكروا الله كذكركم آباءكم » ،قال : كانوا إذا قضوا مناسكهم وقفوا عند الجمرة ، وذكروا أيامهم في الجاهلية، وفعال آبائهم . قال: فنزلت هذه الآية .

٣٨٥٣ ــ حدثني محمد بن عمرو قال ،حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد: « فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم» ، قال : تفاخرت العرب بينها بفعل آبائها يوم النحر حين فرغوا ، فأمروا بذكر الله مكان ذلك .

٣٨٥٤ ــ حدثنا المثنى قال ،حدثنا أبوحذيفة قال، حدثنا شبل،عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه .

٣٨٥٥ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال،حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم » ، قال قتادة : كان أهل الجاهلية إذا قضوا مناسكهم بمنى، قعدوا حلقاً فذكروا صنيع آبائهم في الجاهلية وفعالهم، به يخطب خطيبهم ويُحدِّث محدثهم ، فأمر الله عز وجل المسلمين أن يذكروا الله كذكر أهل الجاهلية آباءهم أو أشد ذكراً .

٣٨٥٦ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً » ، قال : كانوا إذا قضوا مناسكهم اجتمعوا فافتخروا ، وذكروا آباءهم وأيامها ، فأمروا أن يجعلوا مكان ذلك ذكرَ الله ، يذكرونه كذكرهم آباءهم أو أشد ذكراً .

٣٨٥٧ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن سعيد بن جبير وعكرمة قالا : كانوا يذكرون فعل آبائهم فى الجاهلية إذا وَقفوا بعرفة ، فنزلت هذه الآية .

٣٨٥٨ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج : أخبرنى عبد الله بن كثير : أنه سمع مجاهداً يقول : ذلك يومَ النحر ، حين ينحرون . قال ، قال : « فاذكروا الله كذكركم آباءكم » ، قال : كانت العرب يوم النحر حين يفرُغون يَتفاخرون بفَعَال آبائها ، فأمروا بذكر الله عز وجل مكانَ ذلك :

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فاذكروا الله كذكر الأبناءِ والصِّبيانِ الآباءَ .

* ذكر من قال ذلك :

٣٨٥٩ – حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن عثمان بن أبى رواد ، عن عطاء : أنه قال فى هذه الآية : « كذكركم آباءَكم » . قال : هو قول الصبىّ : يا أباه !

٣٨٦٠ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك : « فاذكروا الله كذكركم آباءكم » ، يعنى بالذكر ، ذكر الأبناء الآباء .

٣٨٦١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : قال لى عطاء : « كذكركم آباءكم » ، أبَهْ ! أمَّهْ !

٣٨٦٢ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا صالح بن عمر ، عن عبد الملك ، عن عطاء قال : كالصبي يَلهج بأبيه وأمه .

٣٨٦٣ ــ حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشدّ ذكراً » ، يقول : كذكر الأبناء الآباءَ أو أشد ذكراً .

٣٨٦٤ ــ حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً » ، يقول : كما يذكر الأبناء الآباء .

٣٨٦٥ ــ حدثت عن الحسين قال : سمعت أبامعاذ يقول ، أخبرنا عُبيد قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « كذكركم آباءكم » ، يعني : ذكر الأبناء الآباء .

* * *

وقال آخرون: بل قيل لهم: « اذكروا الله كذكركم آباءكم » ، لأنهم كانوا إذا قضوا مناسكهم فدعوا ربَّهم ، لم يذكروا غير آبائهم ، فأمروا من ذكر الله بنظير ذكر آبائهم .

* ذكر من قال ذلك :

٣٨٦٦ ــ حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط ، عن السدي: «فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً » ، قال : كانت العرب إذا قضت مناسكها، وأقاموا بمنى ، يقومُ الرجل فيسأل الله ويقول : «اللهم إن أبي كان عظيم الجفنة ، عظيم القبة ، كثير المال ، فأعطني مثل ما أعطيتَ أبي ! !» ، ليس يذكر الله ، إنما يذكر آباءه ، ويسأل أن يُعطى في الدنيا .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول عندى فى تأويل ذلك أن يقال : إن الله جل ثناؤه أمرَ عباده المؤمنين بذكره بالطاعة له ، فى الخضوع لأمره ، والعبادة له ، بعد قضاء مَناسكهم. وذلك « الذكر » جائز أن يكون هو التكبير الذى أمرَ به جل ثناؤه بقوله: ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ﴾ [سورة البقرة : ٢٠٣] الذى أوجبه على من قضى نُسكه بعد قضائه نُسكه، فألزمه حينئذ مِنْ ذِكْره ما لم يكن له لازماً قبل ذلك ،وحثّ على المحافظة عليه مُحافظة الأبناء على ذكر الآباء فى الإكثار منه ، بالاستكانة له ،والتضرع إليه، بالرغبة منهم إليه فى حوائجهم، كتضرُّع الولد لوالده ، والصبى لأمه وأبيه ، أو أشد من ذلك، إذ كان ما كان بهم وبآبائهم من نعمة فمنه ، وهو وليه .

١٧٤/٢ وإنما قلنا : « الذكر » الذى أمر الله جل ثناؤه به الحاجّ بعد قضاء مَناسكه بقوله : « فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً» : «جائزٌ أن يكون هو التكبير الذى وَصفنا»، من أجل أنه لا ذكر لله أمرَ العباد به بعد قضاء مَناسكهم لم يكن عليهم من فرضه قبل قضائهم مناسكهم ، سوى التكبير الذى خصّ الله به أيام منى . فإذ كان ذلك كذلك ، وكان معلوماً أنه جل ثناؤه قد أوجبَ على خلقه بعد قضائهم مناسكهم من ذكره ما لم يكن واجباً عليهم قبل ذلك ، وكان لا شىء من ذكره خَصّ به ذلك الوقت سوى التكبير الذى ذكرناه- كانت بيّنةً صحةُ ما قلنا من تأويل ذلك على ما وصفنا .

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾ (٢٠٠)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : فإذا قضيتم مناسككم أيها المؤمنون ، فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً ، وارغبوا إليه فيما لديه من خير الدنيا والآخرة بابتهال وتمسكن ، واجعلوا أعمالكم لوجهه خالصاً ولطلب مرضاته ، وقولوا : « ربنا آتنا فى الدنيا حسنةً وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » ، ولا تكونوا كمن اشترى الحياةَ الدنيا بالآخرة ، فكانت أعمالهم للدنيا وزينتها ، فلا يسألون ربهم إلا متاعها ، ولا حظَّ لهم فى ثواب الله ، ولا نصيبَ لهم فى جناته وكريم ما أعدَّ لأوليائه ، كما قال فى ذلك أهل التأويل .

٣٨٦٧ ــ حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ، حدثنا سفيان ، عن عاصم ، عن أبى وائل : « فمن الناس من يقول ربَّنا آتنا فى الدنيا » ، هب لنا غنماً ! هب لنا إبلاً ! « وما له فى الآخرة من خلاق » .

٣٨٦٨ ــ حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن عاصم ، عن أبى وائل قال : كانوا فى الجاهلية يقولون : «هبْ لنا إبلاً !» ، ثم ذكر مثله .

٣٨٦٩ ــ حدثنا أبو كريب قال ، سمعت أبا بكر بن عياش فى قوله : « فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وما له فى الآخرة من خلاق » ، قال : كانوا = يعنى أهلَ الجاهلية = يقفون ــ يعنى بعد قضاء مناسكهم ــ فيقولون : «اللهم ارزقنا إبلاً ! اللهم ارزقنا غنماً !» ، فأنزل الله هذه الآية : « فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وما له فى الآخرة من خلاق » ــ قال أبو كريب : قلت ليحيى بن آدم : عمن هو؟ قال : حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم ، عن أبى وائل .

٣٨٧٠ – حدثنا تميم بن المنتصر قال، أخبرنا إسحق ، عن القاسم بن عثمان ، عن أنس : « فمن الناس من يقول رَبنا آتنا فى الدنيا وما له فى الآخرة من خلاق » ، قال : كانوا يطوفون بالبيت عُراة فيدعون فيقولون : « اللهم أسقنا المطر ، وأعطنا على عدونا الظفر ، ورُدَّنا صَالحين إلى صالحين ! » .

٣٨٧١ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله تبارك وتعالى : « فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا » نَصراً ورزقاً ، ولا يسألون لآخرتهم شيئاً .

٣٨٧٢ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٣٨٧٣ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة فى قول الله : « فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وماله فى الآخرة من خلاق » ، فهذا عبدٌ نَوَى الدنيا ، لها عملَ ، ولها نَصِب .

٣٨٧٤ – حدثنا موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى فى قوله : « فمن الناس من يقول رَبنا آتنا فى الدنيا وما له فى الآخرة من خلاق » ، قال: كانت العرب إذا قضت مناسكها وأقامت بمنى ، لا يذكر اللهَ الرجلُ منهم، إنما يذكر أباه، ويسأل أن يُعطَى فى الدنيا .

٣٨٧٥ – حدثنى يونس قال، حدثنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله: « فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً » ، قال : كانوا أصنافاً ثلاثة فى تلك المواطن يومئذ : رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأهلُ الكفر ، وأهلُ النفاق . فمن الناس من يقول : « ربنا آتنا فى الدنيا وما له فى الآخرة من خَلاق » إنما حجوا للدنيا والمسألة ، لا يريدون الآخرة ، ولا يؤمنون بها – ومنهم من يقول : « ربنا آتنا فى الدنيا حَسنة » ، الآية – قال : والصنف الثالث : « ومنَ الناس مَن يُعجبك قوله فى الحياة الدنيا » الآية .

وأما معنى « الخلاق » فقد بيناه فى غير هذا الموضع ، وذكرنا اختلافَ المختلفين فى تأويله ، والصحيحَ لدينا من معناه بالشواهد من الأدلة ، وأنه النصيب ، بما فيه كفاية عن إعادته فى هذا الموضع . (١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (٢٠١)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى معنى « الحسنة » التى ذكر الله فى هذا الموضع .

فقال بعضهم : يعنى بذلك ، ومن الناس مَن يقول ربَّنا أعطنا عافية فى الدنيا ، وعافية فى الآخرة .

* ذكر من قال ذلك :

٣٨٧٦ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « ربنا آتنا فى الدنيا حسنةً وفى الآخرة حسنة » ، قال : فى الدنيا عافيةً ، وفى الآخرة عافية . قال قتادة : وقال رجل : « اللهم ما كنتَ معاقبي به فى الآخرة فعجِّله لى فى الدنيا » ، فمرض مرضاً حتى أضنى على فراشه ، (٢) فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم شأنُه ، فأتاه النبي عليه السلام ، فقيل له : إنه دعا بكذا وكذا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنه لا طاقة لأحد بعقوبة الله ، ولكن قُل : « ربنا آتنا فى الدنيا حَسنة وفى الآخرة حَسنة وقنا عَذاب النار » . فقالها ، فما لبث إلا أياماً = أو : يسيرًا = حتى بَرَأ .

---

(١) انظر ما سلف ٢ : ٤٥٢ – ٤٥٤ .

(٢) أضنى الرجل : إذا لزم الفراش من الضنى ، وهو شدة المرض حتى ينحل الجسم .

٣٨٧٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا سعيد بن الحكم قال ، أخبرنا يحيى بن أيوب قال ، حدثني حميد قال ، سمعت أنس بن مالك يقول : عاد رَسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً قد صار مثل الفرْخ المنتوف ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل كنت تدعو الله بشيء ؟ – أو : تسأل الله شيئاً ؟ قال، قلت : «اللهم ما كنت مُعاقبي به في الآخرة فعاقبني به في الدنيا ! » . قال: سبحان الله ! هل يستطيع ذلك أحد أو يطيقه ؟ فهلا قلت: « اللهم آتنا في الدنيا حَسنة وفي الآخرة حَسنةً وقنا عذاب النار ؟»(١)

* * *

وقال آخرون: بل عَنى الله عز وجل بـ « الحسنة » – في هذا الموضع – في الدنيا ، العلمَ والعبادة ، وفي الآخرة الجنة .

---

(١) الحديث : ٣٨٧٧ – سعيد بن الحكم : هو «سعيد بن أبي مريم الجمحي» ، مضت الإشارة إليه في: ٢٢ . وهو ثقة حجة . «يحيى بن أيوب» : هو الغافقي أبو العباس المصري ، وهو ثقة حافظ ، أخرج له أصحاب الكتب الستة .

حميد : هو ابن أبي حميد الطويل ، وهو تابعي ثقة ، سمع من أنس بن مالك ، وسمع من ثابت البناني عن أنس . وزعم بعضهم أنه لم يسمع من أنس إلا أحاديث قليلة ، وأن سائرها إنما هو « عن ثابت عن أنس » . ورد الحافظ ذلك رداً شديداً ، وقال : « قد صرح حميد بسماعه من أنس بشيء كثير . وفي صحيح البخاري من ذلك جملة » .

وإنما فصلت هذا ، لأن رواية هذا الحديث هنا فيها تصريح حميد بسماعه من أنس . ولكنه رواه أحمد ومسلم ، من حديث حميد ، عن ثابت ، عن أنس . فلعله سمعه من أنس ، ومن ثابت عن أنس :

فرواه أحمد في المسند : ١٢٠٧٤ (٣ : ١٠٧ حلبي) ، عن ابن أبي عدي ، وعبد الله بن بكر السهمي –كلاهما عن حميد ، عن ثابت ، عن أنس . وكذلك رواه مسلم ٢ : ٣٠٩ ، من طريق ابن أبي عدي ، عن حميد ، ثم من طريق خالد بن الحارث، عن حميد .

وذكره ابن كثير ١ : ٤٧٢ – ٤٧٣ ، من رواية المسند . ثم قال : « انفرد بإخراجه مسلم » . يعني انفرد به عن البخاري .

وذكره السيوطي ١ : ٢٣٣ ، وزاد نسبته لعبد بن حميد ، وابن أبي شيبة ، والترمذي ، والنسائي ، وأبي يعلى ، وابن حبان، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في الشعب . ولكنه وهم فنسبه أيضاً للبخاري ، ولم أجده فيه ، مع جزم ابن كثير بانفراد مسلم بروايته

* ذكر من قال ذلك :

٣٨٧٨ ــ حدثنا القاسم قال ،حدثنا الحسين قال ، حدثنا عباد ، عن هشام ابن حسان ، عن الحسن : « ومنهم من يقول رَبنا آتنا فى الدنيا َحسنة وفى الآخرة َحسنة » ، قال : الحسنة فى الدنيا العلمُ والعبادةُ ، وفى الآخرة الجنة .

٣٨٧٩ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ،حدثنا هشيم ، عن سفيان بن حسين ، عن الحسن فى قوله : « ربنا آتنا فى الدنيا َحسنة وفى الآخرة َحسنةً وقنا عذابَ النار » ، قال : العبادة فى الدنيا ، والجنة فى الآخرة .

٣٨٨٠ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الرحمن بن واقد العطار قال ، حدثنا عباد بن العوام ، عن هشام ، عن الحسن فى قوله : « ربنا آتنا فى الدنيا َحسنة »، قال : الحسنة فى الدنيا الفهمُ فى كتاب الله والعلم .

٣٨٨١ ــ حدثنى يونس قال،أخبرنا ابن وهب قال ، سمعت سفيان الثورى يقول[فى]هذه الآية:«ربنا آتنا فى الدنيا َحسنة وفى الآخرة َحسنة»،قال :الحسنة فى الدنيا العلمُ والرزق الطيب ، وفى الآخرة َحسنة الجنة .

* * *

وقال آخرون : « الحسنة » فى الدنيا المال ، وفى الآخرة الجنة .

* ذكر من قال ذلك :

٣٨٨٢ ــ حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال،قال ابن زيد: « ومنهم َمنْ يقول رَبنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » ، قال : فهؤلاء النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنون .

٣٨٨٣ ــ حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ومنهم من َيقول رَبنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة َحسنة » ، هؤلاء المؤمنون، أما حسنة الدنيا فالمال ، وأما َحسنة الآخرة فالجنة .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : إن الله جل ثناؤه أخبر عن قوم من أهل الإيمان به وبرسوله ممن حجّ َبيته ، يسألون ربهم

الحسنة فى الدنيا والحسنة فى الآخرة، وأن يقيهم عذاب النار . وقد تجمع « الحسنةُ » من الله عز وجل العافيةَ فى الجسم والمعاش والرزق وغير ذلك، والعلم والعبادة . وأما فى الآخرة ، فلا شك أنها الجنة ، لأن من لم ينلها يومئذ فقد حُرم جميع الحسنات ، وفارق جميع معانى العافية .

وإنما قلنا إن ذلك أولى التأويلات بالآية ، لأن الله عز وجل لم يخصص بقوله — — مخبراً عن قائل ذلك — من معانى « الحسنة » شيئاً، ولا نصب على خصوصه دلالة دالّةً على أن المراد من ذلك بعض دون بعض . فالواجب من القول فيه ما قلنا : من أنه لا يجوز أن يُخصّ من معانى ذلك شىء ، وأن يحكم له بعمومه على ما عمّه الله .

* * *

وأما قوله « وقنا عذاب النار » ، فإنه يعنى بذلك : اصرف عنا عذابَ النار .

* * *

ويقال منه : « وقيته كذا أقيه وِقاية ووَقاية ووِقاء » ، ممدوداً ، وربما قالوا : « وقاك الله وَقْياً » ، إذا دفعت عنه أذى أو مكروهاً .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ (٢٠٢)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « أولئك » ، الذين يقولون بعد قضاء مناسكهم : « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقِنا عذاب النار » ، رغبةً منهم إلى الله جل ثناؤه فيما عنده ، وعلماً منهم بأن الخيرَ كله من عنده ، وأن الفضل بيده يؤتيه من يشاء . فأعلم جل ثناؤه أنّ لهم نصيباً وحظًّا من حجّهم ومناسكهم ، وثواباً جزيلا على عملهم الذى كسبوه وباشروا معاناته بأموالهم وأنفسهم ،

خاصًّا ذلك لهم دون الفريق الآخر ، الذين عانوا ما عانوا من نَصَب أعمالهم وتعبها ؛ وتكلّفوا ما تكلفوا من أسفارهم ، بغير رغبةٍ منهم فيما عند رَبهم من الأجر والثواب ، ولكن رَجاء خسيس من عَرض الدنيا ، وابتغاء عَاجل حُطامها ، كما : —

٣٨٨٤ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة فى قوله : « فمن الناسَ من يقول رَبنا آتنا فى الدنيا وما له فى الآخرة من خَلاق » ، قال : فهذا عبد نوى الدنيا ، لها عمل ولها نَصِب ، « ومنهم من يقول رَبنا آتنا فى الدنيا حَسنة وفى الآخرة حَسنة وقنا عذابَ النار . أولئك لَهم نصيب مما كسبوا » ، أى : حظٌّ من أعمالهم . ١٧٦/٢

٣٨٨٥ — وحدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى : « فمن الناس مَن يَقول رَبنا آتنا فى الدنيا وَماله فى الآخرة من خَلاق » ، إنما حَجُّوا للدنيا والمسألة ، لا يريدون الآخرة ولا يؤمنون بها . « ومنهم مَن يقول رَبنا آتنا فى الدنيا حسنةً وفى الآخرة حَسنةً وقنا عذاب النار » ، قال ، فهؤلاء النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنون = « أولئك لهم نصيبٌ مما كسبوا والله سريع الحساب » ، لهؤلاء الأجرُ بما عملوا فى الدنيا .

* * *

وأما قوله : « والله سريع الحساب » ، فإنه يعنى جل ثناؤه أنه محيط بعمل الفريقين كليهما اللذين من مسألة أحدهما : « رَبنا آتنا فى الدنيا » ، ومن مسألة الآخر: « ربنا آتنا فى الدنيا حَسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » ، فَمُحْصٍ له بأسرع الحساب ، (١) ثم إنه مجازٍ كلا الفريقين على عمله .

وإنما وصف جل ثناؤه نفسه بسرعة الحساب ، لأنه جل ذكره يُحصى ما يُحصى من أعمال عباده بغير عَقد أصابع ، ولا فكرٍ ولا رَوية ، فعلَ العَجَزة الضَّعَفة من الخلق ، ولكنه لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، ولا يَعزب عنه مثقال ذرة فيهما ، ثم هو مُجازٍ عبادَه على كل ذلك . فلذلك امتدح

(١) قوله : « فمحص » ، عطف على قوله : « أنه محيط . . . »

نفسه جل ذكره بسرعة الحساب،(١) وأخبر خلقه أنه ليس لهم بمِثْلٍ، فيحتاجَ في حسابه إلى عَقد كف أو وَعْي صَدر.

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعني جلّ ذكره : اذكروا الله بالتوحيد والتعظيم في أيام مُحصَيات ، وهي أيام رَمي الجمار . أمر عباده يومئذ بالتكبير أدبارَ الصلوات ، وعند الرمي مع كل حصاة من حَصى الجمار يرمي بها جَمرةً من الجمار .

وبمثل الذي قُلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٣٨٨٦ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : « واذكروا الله في أيام معدودات » ، قال : أيام التشريق

٣٨٨٧ – حدثني محمد بن نافع البصري قال ، حدثنا غندر : قال ، حدثنا شعبة ، عن هشيم ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس مثله .(٢)

٣٨٨٨ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « واذكروا الله في أيام معدودات » ، يعني بالأيام المعدودات ، أيامَ التشريق، وهي ثلاثة أيام بعد النحر .

---

(١) في المطبوعة : « فلذلك جل ذكره امتدح بسرعة الحساب » ، والذي أثبت أشبه بالصواب إن شاء الله

(٢) الأثر : ٣٨٨٧ – « محمد بن نافع البصري » ، هو محمد بن أحمد بن نافع العبدي القيسي ، أبو بكر بن نافع البصري ، مشهور بكنيته . مترجم في التهذيب . « غندر » هو محمد بن جعفر الهذلي مولاهم أبو عبد الله البصري . مترجم في التهذيب .

٣٨٨٩ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ابن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « واذكروا الله في أيام معدودات » ، يعني أيام التشريق .

٣٨٩٠ ــ حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس مثله .

٣٨٩١ ــ وحدثنا أبو كريب قال ، حدثنا مخلد ، عن ابن جريج ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس : سمعه يوم الصَّدَر يَقول ، بعد ماصدر يُكبر في المسجد ، ويتأول : « واذكروا الله في أيام مَعدودات » .

٣٨٩٢ ــ حدثنا علي بن داود قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ابن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « واذكروا الله في أيام معدودات » ، يعني أيام التشريق .

٣٨٩٣ ــ حدثنا عبد الحميد بن بيان السكري قال ، أخبرنا إسحق ، عن شريك ، عن أبي إسحق ، عن عطاء بن أبي رباح في قول الله عز وجل : « واذكروا الله في أيام معدودات » ، قال : هي أيام التشريق .

٣٨٩٤ ــ حدثنا ابن وكيع قال ، حدثني أبي ، عن طلحة بن عمرو ، عن عطاء مثله .

٣٨٩٥ ــ حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : « واذكروا الله في أيام معدودات » ، قال : أيام التشريق بمنى .

٣٨٩٦ ــ حدثنا محمد بن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ليث ، عن مجاهد وعطاء قالا : هي أيام التشريق .

٣٨٩٧ ــ حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٣٨٩٨ ــ حدثنا ابن حميد قال. حدثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد مثله.

٣٨٩٩ ــ حدثنا ابن بشار قال حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم قال: الأيام المعدودات، أيام التشريق.

٣٩٠٠ ــ حدثنا ابن بشار قال، حدثنا يحيى، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم مثله.

٣٩٠١ ــ حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية قال، أخبرنا يونس، عن الحسن قال: الأيام المعدودات، الأيام بعد النحر.

٣٩٠٢ ــ حدثنا ابن بشار قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة قال: سألت إسمعيل بن أبي خالد عن «الأيام المعدودات»، قال: أيام التشريق.

٣٩٠٣ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع فقال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: «واذكروا الله في أيام معدودات»، كنا نُحدَّث أنها أيام التشريق. ١٧٧/٢

٣٩٠٤ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: «واذكروا الله في أيام معدودات»، قال: هي أيام التشريق.

٣٩٠٥ ــ حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي: أما «الأيام المعدوداتُ» فهي أيام التشريق.

٣٩٠٦ ــ حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع مثله.

٣٩٠٧ ــ حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب، عن مالك قال: «الأيام المعدودات»، ثلاثة أيامٍ بعد النحر.

٣٩٠٨ ــ حدثت عن حسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ الفضل بن

خالد قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال، سمعت الضحاك يقول فى قوله: « فى أيام معدودات » ، قال : أيام التشريق الثلاثة .

٣٩١٠ ــ حدثنى ابن البرقى قال، حدثنا عمرو بن أبى سلمة قال ، سألت ابن زيد عن « الأيام المعدودات » و«الأيام المعلومات»، فقال: « الأيام المعدودات» أيام التشريق ، « والأيام المعلومات » ، يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق .

* * *

وإنما قلنا إنّ « الأيام المعدودات » ، هى أيام منى وأيام رمى الجمار ، لتظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول فيها: إنها أيام ذكر الله عز وجل .

* ذكر الأخبار التى رويت بذلك :

٣٩١١ ــ حدثنى يعقوب بن إبراهيم وخلاد بن أسلم قالا ،حدثنا هشيم، عن عمر بن أبى سلمة ، عن أبيه ، عن أبى هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أيام التشريق أيام طُعْمٍ وذِكْر .(١)

٣٩١٢ ــ حدثنا خلاد قال،حدثنا روح قال ، حدثنا صالح قال ، حدثنى ابن شهاب ،عن سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بَعثَ عبد الله بن حُذافة يطوف فى منى : « لا تصوموا هذه الأيام ، فإنها أيام أكل وشرب وذكر الله عز وجل ».(٢)

---

(١) الحديث : ٣٩١١ ــ عمر بن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف : ثقة ، وثقه أحمد وغيره . وتكلم فيه آخرون من قبل حفظه .

والحديث رواه أحمد فى المسند : ٧١٣٤ ، عن هشيم ، بهذا الإسناد . ورواه أيضاً : ٩٠٠٨ (٢ : ٣٨٧ حلبى) ، عن عفان ، عن أبى عوانة ، عن عمر بن أبى سلمة .

ورواه الطحاوى فى معانى الآثار ١ : ٤٢٨ ، من طريق سعيد بن منصور ، عن هشيم ، به .

ولم ينفرد عمر بن أبى سلمة بروايته . فرواه ابن ماجة : ١٧١٩ ، من طريق محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة . وقال البوصيرى فى زوائده : « إسناده صحيح على شرط الشيخين » .

وسيأتى عقب هذا من رواية سعيد بن المسيب عن أبى هريرة .

(٢) الحديث : ٣٩١٢ ــ روح : هو ابن عبادة . صالح : هو ابن أبى الأخضر اليمامى .

٣٩١٢م – وحدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا بشر بن المفضل = وحدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية = قالا جميعاً ، حدثنا خالد ، عن أبي قلابة ، عن أبي المليح ، عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن هذه الأيام أيام أكل وشرب وذكر الله .

٣٩١٣ – حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم ، عن ابن أبي ليلى ، عن عطاء ، عن عائشة قالت : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم أيام التشريق ، وقال : هي أيام أكل وشرب وذكر الله . (١)

٣٩١٤ – حدثني يعقوب قال، حدثني هشيم، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن عمرو بن دينار : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بَعث بشر بن سُحَيم فنادى في أيام التشريق فقال : إن هذه الأيام أيام أكل وشرب وذكر الله .(٢)

وهو ثقة ، تكلموا في روايته عن الزهري بما ليس بقادح . وهو كان خادماً للزهري ، فالظاهر أن يكون عرف عن الزهري ما لم يعرف غيره .

والحديث رواه أحمد في المسند : ١٠٦٧٤ ، ١٠٩٣٠ (٢ : ٥١٣ ، ٥٣٥ حلبي) ، عن روح ابن عبادة ، بهذا الإسناد . وكذلك رواه الطحاوي ١ : ٤٢٨ ، من طريق روح .

وذكره ابن كثير ١ : ٤٧٤ ، والسيوطي ١ : ٢٣٥ ، ونسباه للطبري فقط .

وانظر ما مضى : ٣٤٧١ ، وما يأتي : ٣٩١٦ .

(١) الحديث : ٣٩١٣ – خالد : هو ابن مهران الحذاء . أبو قلابة : هو الجرمي ، عبد الله ابن زيد . أبو المليح : هو ابن أسامة الهذلي . وهذا إسناد صحيح ليست له علة .

ويشهد له ما روى البخاري ٤ : ٢١١ (فتح) ، من طريق الزهري ، عن عروة ، عن عائشة – وعن سالم ، عن ابن عمر ، قالا : « لم يرخص في أيام التشريق أن يصمن ، إلا لمن لم يجد الهدي » ، وهو مرفوع حكماً – على الراجح – وإن كان لفظه لفظ الموقوف .

وقد مضى معناه مرفوعاً لفظاً ، من وجه آخر ، عن الزهري ، عن سالم ، عن ابن عمر .

وانظر الحديث التالي لهذا .

(٢) الحديث : ٣٩١٤ – ابن أبي ليلى : هو محمد بن عبد الرحمن . عطاء : هو ابن أبي رباح . وهذا إسناد حسن .

والحديث رواه الطحاوي ١ : ٤٢٨ ، من طريق سعيد بن منصور ، عن هشيم ، بهذا الإسناد . وذكره ابن كثير ١ : ٤٧٥ ، ولم يذكر تخريجه . وذكره السيوطي ١ : ٢٣٥ منسوباً للطبري فقط .

٣٩١٥ – حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم ، عن سفيان بن حسين ، عن الزهري قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن حذافة بن قيس فنادى في أيام التشريق فقال : إن هذه الأيام أيام أكل وشرب وذكر الله ، إلا من كان عليه صومٌ من هَدْي .(١)

٣٩١٦ – حدثني يعقوب قال ، حدثنا ابن علية ، عن محمد بن إسحق ، عن حكيم بن حكيم ، عن مسعود بن الحكم الزُّرَقي ، عن أمه قالت : لكأني أنظر إلى عليٍّ رضي الله عنه على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء ، حين وقف على شِعْب الأنصار وهو يقول : أيها الناس ، إنها ليست بأيام صيام ، إنما هي أيام أكل وشرب وذكر .(٢)

* * *

---

(١) الحديث : ٣٩١٥ – هذا إسناد مرسل ، لأن عمرو بن دينار تابعي . ولكن الحديث ورد من طريقه متصلا صحيحاً ، وكذلك من غير طريقه :

فرواه أحمد في المسند : ١٥٤٩٦ (٣ : ٤١٥ حلبي) ، عن محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن عمرو بن دينار ، « عن نافع بن جبير بن مطعم ، عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه بعث بشر بن سحيم ، فأمره أن ينادي : ألا إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمن ، وإنها أيام أكل وشرب ، يعني أيام التشريق » .

ورواه أحمد أيضاً بنحوه (٤ : ٢٣٥ حلبي) ، عن سريج ، عن حماد بن زيد ، عن عمرو بن دينار ، عن نافع بن جبير ، عن بشر بن سحيم . وكذلك رواه الطحاوي ١ : ٤٢٩ ، عن ابن خزيمة ، عن حجاج بن منهال ، عن حماد بن زيد ، به .

ورواه شعبة أيضاً ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن نافع بن جبير . وروايته ، في مسند الطيالسي : ١٢٩٩ ، ومسند أحمد : ١٥٤٩٧ (٣ : ٤١٥ حلبي) ، والطحاوي ١ : ٤٢٩ .

وكذلك رواه سفيان الثوري ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن نافع بن جبير . وروايته في المسند : ١٥٤٩٥ (٣ : ٤١٥ حلبي) ، وفيه أيضاً (٤ : ٢٣٥ حلبي) . وسنن ابن ماجة : ١٧٣٠ ، وقال البوصيري في زوائده : « رواه ابن خزيمة في صحيحه » . وكذلك رواه البيهقي ٤ : ٢٩٨ .

(٢) الحديث : ٣٩١٦ – مضى بهذا الإسناد : ٣٤٧١ .

حكيم بن حكيم ، بفتح الحاء فيهما ، بن عباد بن حنيف : ثقة ، وثقه ابن حبان والعجلي وغيرهما ، وصحح له الترمذي وابن خزيمة . وترجمه البخاري في الكبير ٢ / ١ / ١٧ ، وابن أبي حاتم ٢٠٢/٢/١ ، فلم يذكرا فيه جرحاً .

مسعود بن الحكم بن الربيع الزرقي الأنصاري المدني : تابعي ثقة ، يعد في جلة التابعين وكبارهم . وأمه صحابية معروفة

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : إن النبي صلى الله عليه وسلم إذ قال فى أيام منى : إنها أيام أكل وشرب وذكر الله ، لم يخبر أمته أنها « الأيام المعدودات » التى ذكرها الله فى كتابه ، فما تنكر أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم عنى بقوله : «وذكر الله» ، « الأيامَ المعلومات » ؟

قيل : غير جائز أن يكون عنى ذلك . لأن الله لم يكن يُوجب فى «الأيام المعلومات» من ذكره فيها ما أوجبَ فى «الأيام المعدودات» . وإنما وصف «المعلومات» جل ذكره ، بأنها أيام يذكر فيها اسم الله على بهائم الأنعام ، فقال : ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ ﴾ [سورة الحج : ٢٧] ، فلم يوجب فى « الأيام المعلومات» من ذكره كالذى أوجبه فى «الأيام المعدودات» من ذكره ، بل أخبر أنها أيام ذكره على بهائم الأنعام . فكان معلوماً = إذ قال صلى الله عليه وسلم لأيام التشريق : «إنها أيام أكل وشرب وذكر الله» فأخرج قوله : « وذكر الله » مطلقاً بغير شرط ، ولا إضافة إلى أنه الذكر على بهائم الأنعام = أنه عنى بذلك الذكر الذى ذكره الله فى كتابه ، فأوجبه على عباده مطلقاً بغير شرط ، ولا إضافة إلى معنى فى «الأيام المعدودات» ، وأنه لو كان أراد بذلك صلى الله عليه وسلم

والحديث رواه ابن سعد فى الطبقات ٢ / ١ / ١٣٤ ، عن إسمعيل بن إبرهيم – وهو ابن علية – بهذا الإسناد .

ورواه الحاكم فى المستدرك ١ : ٤٣٤ – ٤٣٥ ، من طريق أحمد بن حنبل ، عن عبد الأعلى بن عبد الأعلى ، عن محمد بن إسحق ، بهذا الإسناد . وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبي .

وهذا الإسناد – من طريق الإمام أحمد : ليس من طريق رواية المسند ، بل من طريق آخر عنه . ولم يذكر هذا الإسناد فى المسند . ولكنه رواه بإسناد آخر :

فرواه فى المسند : ٧٠٨ ، عن يعقوب بن إبرهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن ابن إسحق : « حدثنى عبد الله بن أبي سلمة ، عن مسعود بن الحكم الأنصارى ثم الزرقى ، عن أمه ، أنها حدثته . . . » ، فذكر الحديث . وهذا إسناد صحيح أيضاً . فلابن إسحق فيه شيخان سمعه منهما : حكيم بن حكيم ، وعبد الله بن أبي سلمة الماجشون – كلاهما عن مسعود بن الحكم .

وانظر أيضاً فى المسند : ٥٦٧ ، ٨٢١ ، ٨٢٤ .

وصف «الأيام المعلومات» به ، لوصل قوله : « وذكر » إلى أنه ذكر الله على ما رزقهم من بهائم الأنعام ، كالذى وصف الله به ذلك ، ولكنه أطلق ذلك باسم الذكر من غير وصله بشىء ، كالذى أطلقه تبارك وتعالى باسم الذكر فقال : «واذكروا الله فى أيام معدودات» . فكان ذلك من أوضح الدليل على أنه عنى بذلك ما ذكره الله فى كتابه ، وأوجبه فى « الأيام المعدودات » . ١٧٨/٢

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك :

فقال بعضهم : معناه : فمن تعجل فى يومين من أيام التشريق فنفر فى اليوم الثانى ، فلا إثم عليه فى نفره وتعجله فى النفر ، ومن تأخر عن النفر فى اليوم الثانى من أيام التشريق إلى اليوم الثالث حتى ينفر فى اليوم الثالث ، فلا إثم عليه فى تأخره .

* ذكر من قال ذلك :

٣٩١٧ ــ حدثنا أحمد قال ، حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال ، حدثنا هشيم ، عن عطاء قال : لا إثم عليه فى تعجيله ، ولا إثم عليه فى تأخيره .

٣٩١٨ ــ حدثنا أحمد قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا هشيم ، عن عوف ، عن الحسن مثله .

٣٩١٩ ــ حدثنا أحمد قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن عكرمة مثله .

٣٩٢٠ ــ حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ،

عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « فمن تعجَّل في يومين » ، يوم النَّفر ، « فلا إثم عليه » ، لا حرج عليه ، « ومن تأخر فلا إثم عليه ».

٣٩٢١ – حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : أما : « من تعجَّل في يومين فلا إثم عليه» ، يقول : من نَفَر في يومين فلا جُناح عليه ، ومن تأخر فنفر في الثالث فلا جناح عليه .

٣٩٢٢ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فمن تعجَّل في يومين » ، يقول : فمن تعجَّل في يومين – أي : من أيام التشريق= « فلا إثم عليه » ، ومن أدركه الليل بمنى من اليوم الثاني من قبل أن ينفر ، فلا نَفْر له حتى تزول الشمس من الغد= « ومن تأخر فلا إثم عليه »، يقول : من تأخر إلى اليوم الثالث من أيام التشريق فلا إثم عليه .

٣٩٢٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « فمن تعجَّل في يومين فلا إثم عليه » ، قال : رخَّص الله في أن ينفروا في يومين منها إن شاءوا، ومن تأخر في اليوم الثالث فلا إثم عليه.

٣٩٢٤ – حدثني محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن منصور، عن إبراهيم: أنه قال في هذه الآية : « فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه »، قال : في تعجيله .

٣٩٢٥ – حدثنا هناد بن السريّ قال ، حدثنا ابن أبي زائدة قال ، حدثنا إسرائيل ، عن منصور ، عن إبراهيم قال : « لا إثم عليه » ، لا إثم على من تعجل، ولا إثم على من تأخر .

٣٩٢٦ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا إسرائيل ، عن منصور ، عن إبراهيم قال : هذا في التعجيل .

٣٩٢٧ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا ، شريك وإسرائيل، عن زيد بن جبير قال: سمعت ابن عمر يقول: حلَّ النَّفر في يومين لمن اتقى.

٣٩٢٨ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع ، عن ابن أبي ليلى ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس : « فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه » فى تعجله ، « ومن تأخر فلا إثم عليه » فى تأخره .

٣٩٢٩ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال،أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن جريج قال ، قلت لعطاء : أللمكى أن ينفر فى النفْر الأول ؟ قال : نعم ، قال الله عز وجل : « فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه » ، فهى للناس أجمعين .

٣٩٣٠ ــ حدثنا أحمد قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم : « فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه »، قال : ليس عليه إثم .

٣٩٣١ ــ حدثنا المثنى قال،حدثنا أبو صالح قال، حدثنى معاوية،عن على، عن ابن عباس : « فمن تعجل فى يومين » بعد يوم النحر ، « فلا إثم عليه » ، يقول : من نَفرَ من منى فى يومين بعد النحر فلا إثم عليه ، « ومن تأخر فلا إثم عليه » فى تأخره ، فلا حرج عليه .[1]

٣٩٣٢ ــ حدثنا ابن حميد قال،حدثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم : « فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه » فى تعجله ، « ومن تأخر فلا إثم عليه » فى فى تأخره .

* * *

وقال آخرون : بل معناه : فمن تعجل فى يومين فهو مغفور له لا إثم عليه ، ومن تأخر كذلك .

* ذكر من قال ذلك :

٣٩٣٣ ــ حدثنا أحمد بن إسحق قال،حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ،

---

(١) الأثر : ٣٩٣١ ــ كان فى المطبوعة « حدثنا على قال ، حدثنا أبو صالح . . . » و « على » ، تصحيف « المثنى » ، وهو إسناد دائر فى الطبرى أقربه رقم : ٢٨٩٣ .

عن ثوير ، عن أبيه ، عن عبد الله : « فمن تعجّل فى يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه » ، قال : ليس عليه إثم .

٣٩٣٤ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن حماد ، عن إبراهيم ، عن عبد الله : « فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه » ، أى غفر له ، « ومن تأخر فلا إثم عليه » ، قال : غُفر له .

٣٩٣٥ – حدثنا أحمد بن حازم قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا مسعر ، عن حماد ، عن إبراهيم ، عن عبد الله : « فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه » ، أى غفر له .

٣٩٣٦ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا المحاربى = وحدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد = جميعاً ، عن سفيان ، عن حماد ، عن إبراهيم ، عن عبد الله فى قوله : « فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه » ، قال : قد غُفر له . ١٧٩/٢

٣٩٣٧ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن سفيان ، عن حماد ، عن إبراهيم فى قوله : « فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه » ، قد غفر له .

٣٩٣٨ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن حماد ، عن إبراهيم ، عن عبد الله قال فى هذه الآية : « فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه ومن تأخّر فلا إثم عليه » ، قال : برئ من الإثم .

٣٩٣٩ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن على بن زيد ، عن الحسن ، عن ابن عمر : « فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه » ، قال : رجع مغفوراً له .

٣٩٤٠ ــ حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن ليث ، عن مجاهد في قوله : « فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه»، قال : قد غفر له .

٣٩٤١ ــ حدثنا أحمد بن إسحق قال،حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن جابر ، عن أبي عبد الله ، عن ابن عباس : « فمن تعجل في يومين فلا إثم إثم عليه »،قال : قد غفر له، إنهم يتأولونها على غير تأويلها ، إن العمرة لتكفّر ما معها من الذنوب ، فكيف بالحج !

٣٩٤٢ ــ حدثنا أحمد قال،حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن إبراهيم وعامر : « فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه » ، قالا : غفر له .

٣٩٤٣ ــ حدثنا القاسم قال: حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، حدثني من أصدقه ، عن ابن مسعود قوله : « فلا إثم عليه »، قال : خرج من الإثم كله ، « ومن تأخر فلا إثم عليه » ، قال : بريء من الإثم كله ، وذلك في الصَّدَر عن الحج = قال ابن جريج : وسمعت رجلا يحدث عن عطاء بن أبي رباح ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : « فلا إثم عليه » ، قال : غفر له ، « ومن تأخر فلا إثم عليه » ، قال : غُفر له .

٣٩٤٤ ــ حدثني أحمد بن حازم قال، حدثنا أبو نعيم قال، حدثنا أسود ابن سوادة القطان قال ، سمعت معاوية بن قُرة قال : يَخرج من ذنوبه .(١)

* * *

(١) الأثر : ٣٩٤٤ ــ لم أجد « أسود بن سوادة القطان » ، ولعله « سوادة بن أبي الأسود القطان » ، وهو الذي يروي عنه أبو نعيم ، واسمه « عبد الله» ، ويقال مسلم بن مخارق القطان . ترجمه في التهذيب .

وقال آخرون : معنى ذلك : « فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه » ، فيما بينه وبين السنة التى بعدها .

* ذكر من قال ذلك :

٣٩٤٥ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسحق ابن يحيى بن طلحة قال : سألت مجاهداً عن قول الله عز وجل « فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه » ، قال : لمن فى الحج ، ليس عليه إثم حتى الحج من عام قابل .

* * *

وقال آخرون : بل معناه : فلا إثم عليه إن اتقى الله فيما بقى من عمره .

* ذكر من قال ذلك :

٣٩٤٦ – حدثنا أحمد قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا أبو جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية : « فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه » ، قال : ذهب إثمه كله إن اتقى فيما بقى .

٣٩٤٧ – حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن المغيرة ، عن إبراهيم مثله .

٣٩٤٨ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبى العالية مثله .

٣٩٤٩ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه »، قال: لمن اتقى، بشرط .

٣٩٥٠ – حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه » ، لا جُناح عليه = « ومن تأخر » إلى اليوم الثالث فلا جناح عليه لمن اتقى = وكان ابن عباس يقول : وددت أنى من هؤلاء ، ممن يُصيبه اسمُ التقوى .

٣٩٥١ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ،

قال ابن جريج : هي في مصحف عبدالله : « لِمَنِ اُتَّقَى اللهَ »

٣٩٥٢ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه » ، فلا حرج عليه ، يقول : لمن اتقى معاصيَ الله عز وجل .(١)

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : « فمن تعجل في يومين » من أيام التشريق « فلا إثم عليه » ، أي فلا حرج عليه في تعجيله النفْر ، إن هو اتقى قتْل الصيد حتى ينقضي اليوم الثالث ، ومن تأخر إلى اليوم الثالث فلم ينفر ، فلا حرج عليه .

* ذكر من قال ذلك :

٣٩٥٣ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا محمد بن أبي صالح : « لمن اتقى » أن يصيب شيئاً من الصيد حتى يمضي اليوم الثالث .

٣٩٥٤ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه » ، ولا يحل له أن يقتل صيداً حتى تخلو أيام التشريق .

* * *

وقال آخرون : بل معناه : « فمن تعجل في يومين » من أيام التشريق فنفر « فلا إثم عليه » ، أي مغفورٌ له – « ومن تأخر » فنفر في اليوم الثالث « فلا إثم عليه » ، أي مغفور له ، إن اتقى على حجه أن يصيبَ فيه شيئاً نهاه الله عنه .

* ذكر من قال ذلك :

٣٩٥٥ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة

---

(١) الأثر : ٣٩٥٢ – في المطبوعة : « حدثنا علي ، قال حدثنا عبد الله » . ، وقوله « علي » تصحيف ، والصواب ما أثبتنا ، وانظر الأثر السالف رقم : ٣٩٣١ ، والتعليق عليه .

قوله : « لمن اتقى » ، قال : يقول لمن اتقى على حجه = قال قتادة : ذكر لنا أن ابن مسعود كان يقول : من اتقى فى حجه غفر له ما تقدم من ذنبه — أو : ما سلف من ذنبه . ٢/١٨٠

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصحة قول من قال : تأويل ذلك : « فمن تعجلّ فى يومين » من أيام منى الثلاثة فنفر فى اليوم الثانى ، « فلا إثم عليه » ، لحطّ الله ذنوبَه إن كان قد اتقى الله فى حجه ، فاجتنب فيه ما أمره الله باجتنابه ، وفعل فيه ما أمره الله بفعله ، وأطاعه بأدائه على ما كلفه من حدوده = « ومن تأخر » إلى اليوم الثالث منهن ، فلم ينفر إلى النفر الثانى حتى نفر من غد النفر الأول ، « فلا إثم عليه » ، لتكفير الله له ما سلف من آثامه وأجرامه ، إن كان اتقى الله فى حجه بأدائه بحدوده .

وإنما قلنا إن ذلك أولى تأويلاته [بالصحة] ، لتظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من حجّ هذا البيت فلم يرفُثْ ولم يفسُقْ خرَج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » وأنه قال صلى الله عليه وسلم : « تابعوا بين الحجّ والعمرة ، فإنهما ينفيان الذنوب كما ينفى الكِيرُ خَبَثَ الحديد والذهب والفضة » .

٣٩٥٦ — حدثنا عبد الله بن سعيد الكندى قال : حدثنا أبو خالد الأحمر قال ، حدثنا عمرو بن قيس ، عن عاصم ، عن شقيق ، عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقرَ والذنوبَ كما ينفى الكِيرُ خَبَثَ الحديد والذهب والفضة ، وليس للحجة المبرورة ثوابٌ دون الجنة .(١)

---

(١) الحديث : ٣٩٥٦ — عبد الله بن سعيد الكندى أبو سعيد الأشج : ثقة حافظ ، من شيوخ أصحاب الكتب الستة . أبو خالد الأحمر : هو سليمان بن حيان — بالياء التحتية — الأزدى ، وهو ثقة من شيوخ أحمد وإسحق ، أخرج له الجماعة . عمرو بن قيس : هو الملائى . عاصم : هو ابن أبى النجود . شقيق : هو ابن سلمة ، أبو وائل الأسدى . عبد الله : هو ابن مسعود .

٣٩٥٧ ـ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا الحكم بن بشير ، عن عمرو بن قيس ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه .(١)

٣٩٥٨ ـ حدثنا الفضل بن الصباح قال، حدثنا ابن عيينة ، عن عاصم ابن عبيد الله ، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، عن أبيه ، عن عمر يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال : تابعوا بين الحج والعمرة ، فإنّ متابعة ما بينهما تنفي الفقرَ والذنوبَ كما ينفي الكيرُ الخبَثَ = أو : خبَثَ الحديد .(٢)

٣٩٥٩ ـ حدثنا إبراهيم بن سعيد قال ، حدثنا سعد بن عبد الحميد قال ، حدثنا ابن أبي الزناد ، عن موسى بن عقبة ، عن صالح مولى التوأمة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا قضيتَ حجَّك فأنت مثل ما ولدتك أمك .(٣)

* * *

والحديث رواه أحمد في المسند : ٣٦٦٩ ، عن أبي خالد الأحمر ، بهذا الإسناد ، ورواه الترمذي ٢ : ٧٨ ، والنسائي ٢ : ٤ ـ كلاهما من طريق أبي خالد الأحمر .

وذكره السيوطي ١ : ٢١١ ، وزاد نسبته لابن أبي شيبة ، وابن خزيمة ، وابن حبان .

الكير : زق أو جلد غليظ ذو حافات ، ينفخ فيه الحداد ، ليؤرث النار . وخبث الحديد وغيره : هو ما ينفيه الكير والنار من الحديد إذا أذيب ، وهو ما لا خير فيه منه .

(١) الحديث : ٣٩٥٧ ـ وهذا إسناد آخر صحيح لهذا الحديث ، لم أجده عند غير الطبري . وهو يدل على أن عاصم بن أبي النجود رواه عن شيخين ، هما أبو وائل ، وزر بن حبيش ـ : كلاهما عن ابن مسعود .

(٢) الحديث : ٣٩٥٨ ـ عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب : ضعيف ، وقد بينا ضعفه في شرح المسند : ١٢٨ ، ٥٢٢٩ .

والحديث رواه ابن ماجة : ٢٨٨٧ ، بإسنادين ، من طريق ابن عيينة ، ومن طريق عبيد الله بن عمر ـ كلاهما عن عاصم بن عبيد الله . وقال البوصيري في زوائده : « مدار الإسنادين على عاصم ابن عبيد الله ، وهو ضعيف . والمتن صحيح من حديث ابن مسعود ، رواه الترمذي والنسائي » ، يريد الحديثين السابقين .

وذكره السيوطي ١ : ٢١١ ، وزاد نسبته لابن أبي شيبة ، والبيهقي .

(٣) الحديث : ٣٩٥٩ ـ إبرهيم بن سعيد : هو الجوهري . مضى في : ٣٣٥٥ . سعد بن عبد الحميد بن جعفر بن عبد الله الأنصاري المدني : ضعفه ابن حبان جداً وقال ابن معين : « ليس به

= وما أشبه ذلك من الأخبار التى يطول بذكر جميعها الكتاب ، مما ينبئ عن أنّ من حجّ فقضاه بحدوده على ما أمره الله ، فهو خارج من ذنوبه كما قال جل ثناؤه : « فلا إثم عليه لمن اتقى» الله فى حجه . فكان فى ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يوضح عن أن معنى قوله جل وعزّ : «فلا إثم عليه» ، أنه خارجٌ من ذنوبه ، محطوطة عنه آثامه ، مغفورَةٌ له أجْرامه = وأنه لا معنى لقول من تأول قوله : « فلا إثم عليه » ، فلا حرج عليه فى نفره فى اليوم الثانى ، ولا حرج عليه فى مقامه إلى اليوم الثالث . لأن الحرَج إنما يوضع عن العامل فيما كان عليه ترْك عمله ، فيرخّص له فى عمله بوضع الحرَج عنه فى عمله ؛ أو فيما كان عليه عمله ، فيرخَّص له فى تركه بوضع الحرج عنه فى تركه . فأما ما على العامل عَمله ، فلا وَجه لوضع الحرَج عنه فيه إن هو عَمله ، وفرضُه عَملُه . لأنه محال أن يكون المؤدّى فرضاً عليه ، حرَجاً بأدائه ، (١) فيجوز أن يقال : قد وضعنا عنك فيه الحرَج .

وإذ كان ذلك كذلك = وكان الحاج لا يخلو عند من تأوّل قوله : « فلا إثم عليه» فلا حرج عليه ، — أو : فلا جناح عليه ، من أن يكون فرضه النفر فى اليوم الثانى من أيام التشريق ، فوضع عنه الحرَج فى المقام / أو أن يكون فرضَه المقام ،

بأس ». والذى أرجحه أنه ثقة ، فإن البخارى ترجمه فى الكبير ٢ / ٢ / ٦٢ ، فلم يذكر فيه جرحاً ، ولم يذكره هو ولا النسائى فى الضعفاء ، وترجمه ابن أبى حاتم ٢ / ١ / ٩٢ ، فلم يجرحه أيضاً .

صالح مولى التوأمة : هو صالح بن نبهان ، مضى فى ١٠٢٠ تصحيح رواية من سمع منه قديماً قبل تغير حفظه . وموسى بن عقبة سمع منه قديماً ، كما بينا فى شرح المسند : ٢٦٠٤ .

وهذا الحديث ، بهذا الإسناد — لم أجده فى موضع آخر من المراجع من حديث ابن عباس . ومعناه ثابت فى أحاديث أخر صحاح . انظر الترغيب والترهيب ٢ : ١٠٥ — ١١٣ ، ومجمع الزوائد ٣ : ٢٠٧ — ٢٠٩ ، ٢٧٤ — ٢٧٧ ، وانظر ما سلف من رقم : ٣٧١٨ — ٣٧٢٨ .

(١) قوله : « حرجاً » على وزن « فرح » ، بمعنى آثم ، وقد مضى فى الجزء ٢ : ٤٢٣ ، استعمال هذه الصيغة ، وعلقت عليه أن أهل اللغة ينكرون ذلك ، ويقولون بل هو « حارج » ، ولقد أعاد الطبرى استعمالها هنا مرة أخرى ، ورأيت أيضاً القاضى الباقلانى قد استعملها فى كتابه التمهيد ص : ٢٢١ ، فقال : « . . . لم يكن الإمام بذلك مأثوماً ولا حرجاً » ، وكأنى رأيت الشافعى قد استعملها أيضاً فى الأم ، ولكن ذهب عنى مكانها .

إلى اليوم الثالث ، فوضع عنه الحرج فى النفر فى اليوم الثانى ، فإن يكن فرضه فى اليوم الثانى من أيام التشريق المقام إلى اليوم الثالث منها ، فوضع عنه الحرج فى نفره فى اليوم الثانى منها — وذلك هو التعجُّل الذى قيل : « فمن تعجَّل فى يومين فلا إثم عليه » — فلا معنى لقوله على تأويل من تأوّل ذلك « فلا إثم عليه » ، فلا جناح عليه ، ومن تأخر فلا إثمَ عليه . لأن المتأخر إلى اليوم الثالث إنما هو متأخّرٌ عن أداء فرضٍ عليه ، تاركٌ قبولَ رُخصة النفر . فلا وجه لأن يقال : « لا حرج عليك فى مقامك على أداء الواجب عليك » ، لما وصفنا قبل — أو يكون فرضُه فى اليوم الثانى النفر ، فرُخِّص له فى المقام إلى اليوم الثالث ، فلا معنى أن يقال : « لا حرج عليك فى تعجُّلك النفر الذى هو فرضك وعليك فعله » ، للذى قدمنا من العلة .

وكذلك لا معنى لقول من قال : معناه : « فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه » ولا حرج عليه فى نفره ذلك ، إن اتقى قتل الصيد إلى انقضاء اليوم الثالث . لأن ذلك لو كان تأويلا مسلَّماً لقائله ، لكان فى قوله : « ومن تأخر فلا إثم عليه » ، ما يُبطل دعواه . لأنه لا خلاف بين الأمة فى أن الصيد للحاجّ بعد نفره من منى فى اليوم الثالث حلال ، فما الذى من أجله وَضَع عنه الحرج فى قوله : « ومن تأخر فلا إثم عليا » ، إذا هو تأخر إلى اليوم الثالث ثم نفر ؟ هذا ، مع إجماعِ الحجة على أن المحرم إذا رمى وذبح وحلق وطافَ بالبيت ، فقد حلّ له كل شىء ، وتصريحِ الرواية الموروثة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو ذلك ، [1] التى : — ١٨١/٢

٣٩٦٠ — حدثنا بها هناد بن السرى الحنظلى قال ، حدثنا عبد الرحيم بن سليمان ، عن حجاج ، عن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ؟ عن عمرة قالت : سألت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : متى يحلّ المحرم ؟ فقالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا رَميتم وذبحتم وحلقتم ، حلّ لكم كل شىء إلا النساء —

(١) فى المطبوعة : « الرواية المروية » وردتها إلى عبارة الطبرى التى يكثر استعمالها ، انظر ما سلف ٤ : ٣٣ ، س : ١٩ ، وفى مواضع كثيرة لم أستطع أن أجدها الآن .

= قال : وذكر الزهرى ، عن عمرة ، عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله .(١)

---

(١) الحديث : ٣٩٦٠ – هناد بن السرى الدارمى : مضت ترجمته : ٢٠٥٨ . وقد نسب هنا حنظلياً ، كما نسبه البخارى فى الكبير . وكلاهما صحيح ، فهو من بنى « دارم بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم » . انظر جمهرة ابن حزم ، ص : ٢١١ ، ٢١٧ .

حجاج : هو ابن أرطاة ، وهو ثقة على الراجح عندنا ، كما ذكرنا فى : ٣٢٩٩ .

وقد روى الحجاج هذا الحديث بإسنادين : فرواه عن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن عمرة ، وهى بنت عبد الرحمن – وهى خالة أبى بكر بن حزم – عن عائشة ، وذكر لفظ الحديث . ثم رواه عن الزهرى ، عن عمرة ، عن عائشة « مثله » . فلم يذكر لفظه . وهذا من تحرى الحجاج بن أرطاة ودقته ، كما سيبين مما يجىء .

فالحديث – من رواية أبى بكر بن حزم – رواه أحمد فى المسند ٦ : ١٤٣ (حلبى) ، عن يزيد ابن هرون ، عن الحجاج ، بهذا الإسناد ، نحوه . ولكن ليس فيه كلمة « وذبحتم » . وكذلك رواه البيهقى فى السنن الكبرى ٥ : ١٣٦ ، من طريق مالك بن يحيى ، عن يزيد بن هرون . ثم قال : « ورواه محمد بن أبى بكر ، عن يزيد بن هرون ، فزاد فيه : وذبحتم فقد حل لكم كل شىء ، الطيب والثياب ، إلا النساء » . ثم ذكر البيهقى إسناده به إلى محمد بن أبى بكر . ثم أعله البيهقى ، وسنذكر ما قال والجواب عنه ، إن شاء الله .

وقد سها السيوطى ، حين ذكر هذا الحديث فى زوائد الجامع الصغير (١ : ١١٧ من الفتح الكبير) ، فنسبه لصحيح مسلم – مع البيهقى – . وهذا خطأ يقيناً ، فإنه ليس فى صحيح مسلم .

وأما من رواية الحجاج عن الزهرى : فرواه أبو داود فى السنن : ١٩٧٨ ، عن مسدد ، عن عبد الواحد بن زياد ، عن الحجاج ، عن الزهرى عن عمرة ، عن عائشة ، مرفوعاً ، بلفظ : « إذا رمى أحدكم جمرة العقبة ، فقد حل له كل شىء إلا النساء » . ثم أعله أبو داود ، فقال : « هذا حديث ضعيف . والحجاج لم ير الزهرى ، ولم يسمع منه » . وهذا تعليل جيد من أبى داود ، فقد روى ابن أبى حاتم فى كتاب المراسيل ، ص : ١٨ ، بإسناده عن هشيم ، قال : « قال لى الحجاج بن أرطاة : سمعت من الزهرى ؟ قلت : نعم ، قال : لكنى لم أسمع منه شيئاً » .

وأما البيهقى فإنه أعل رواية الحجاج عن أبى بكر بن حزم تعليلا لا أراه مستقيما . قال عقب روايته : « وهذا من تخليطات الحجاج بن أرطاة ، وإنما الحديث عن عمرة ، عن عائشة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، كما رواه سائر الناس عن عائشة » . ثم ذكر حديثها ، قالت : « طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم لحرمه حين أحرم ، ولحله قبل أن يفيض – بأطيب ما وجدت من الطيب » . وهو حديث صحيح رواه مسلم .

وما نرى إعلال ذاك بهذا ، هذا حديث فعلى ، من حكاية عائشة ، وذاك حديث قولى من روايتها عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وكل منهما مؤيد لصحة الآخر ، فأنى يستقيم التعليل ؟

وقد ورد نحو هذا الحديث أيضاً ، من حديث ابن عباس مرفوعاً : « إذا رميتم الجمرة ، فقد حل لكم كل شىء إلا النساء » رواه أحمد فى المسند : ٢٠٩٠ ، ٣٢٠٤ ، ٣٤٩١ . ولكنه بإسناد منقطع ، لأنه من رواية الحسن العرنى ، عن ابن عباس . وهو لم يسمع من ابن عباس ، كما قال البخارى فى الصغير ، ص ١٣٦ . ولكنه يصلح على كل حال شاهداً لهذا الحديث .

وأما الذى تأوّل ذلك أنه بمعنى : «لا إثم عليه إلى عام قابل»، فلاوجه لتحديد ذلك بوقت، وإسقاطه الإثمَ عن الحاجّ سنة مستقبَلة دون آثامه السالفة. لأن الله جل ثناؤه لم يحصُر ذلك على نفى إثم وقت مستقبَل بظاهر التنزيل، ولا على لسان الرسول عليه السلام، بل دلالةُ ظاهر التنزيل تُبين عن أن المتعجّل فى اليومين والمتأخر لا إثم على كل واحد منهما فى حاله التى هو بها، دون غيرها من الأحوال. والخبرُ عن الرسول صلى الله عليه وسلم يصرِّح بأنه بانقضاء حجه على ما أمر به، خارجٌ من ذنوبه كيوم ولدته أمه. ففى ذلك= من دلالة ظاهر التنزيل، وصريح قول الرسول صلى الله عليه وسلم = دلالة واضحة على فساد قول من قال : معنى قوله : «فلا إثم عليه»، فلا إثم عليه من وقت انقضاء حجه إلى عام قابل.

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال لنا قائل : ما الجالب «اللام» فى قوله : «لمن اتقى»؟ وما معناها؟

قيل : الجالبُ لها معنى قوله : «فلا إثم عليه». لأن فى قوله : «فلا إثم عليه» معنى: حططنا ذنوبه وكفَّرنا آثامه، فكان فى ذلك معنى : جعلنا تكفيرَ الذنوب لمن اتقى الله فى حجه. فترك ذكر «جعلنا تكفير الذنوب»، اكتفاء بدلالة قوله : «فلا إثم عليه».

وقد زعم بعض نحويىّ البصرة أنه كأنه إذا ذكر هذه الرخصة، فقد أخبر عن أمر، فقال : «لمن اتقى» أى : هذا لمن اتقى. وأنكرَ بعضُهم ذلك من قوله، وزعم أن الصفة لابد لها من شىء تتعلق به،[1] لأنها لا تقوم بنفسها، ولكنها فيما زعم من صلة «قول» متروك. فكان معنى الكلام عنده : «قلنا»:[2] «ومن تأخر فلا

---

(١) الصفة : هى حرف الجر، وهى حروف الصفات، وانظر ما سلف ١ : ٢٩٩، تعليق : ١، ثم ٣ : ٤٧٥ تعليق : ١

(٢) فى المطبوعة : «فكان معنى الكلام عنده «ما قلنا» بزيادة «ما»، وهو خطأ بين يدل عليه سياق هذا التأويل.

إثم عليه لمن اتقى » ، وقام قوله : « ومن تأخر فلا إثم عليه » ، مقامَ « القول » .

وزعم بعضُ أهل العربية أنّ موضع طرْح الإثم فى المتعجِّل ، فجُعل فى المتأخر= وهو الذى أدّى ولم يقصر= مثل ما جُعل على المقصِّر ، كما يقال فى الكلام : « إن تصدقتَ سرًّا فحسنٌ ، وإن أظهرتَ فحسنٌ » ، وهما مختلفان. لأن المتصدق علانية إذا لم يقصد الرياء فحسن ، وإن كان الإسرار أحسن .

وليس فى وصف حالتى المتصدقين بالحُسن وصف إحداهما بالإثم . وقد أخبر الله عز وجل عن النافرين بنفى الإثم عنهما ، ومحال أن ينفى عنهما إلا ما كان فى تركه الإثم ، على ما تأوّله قائلو هذه المقالة. وفى إجماع الجميع على أنهما جميعاً لو تركا النفر وأقاما بمنًى لم يكونا آثمين ، ما يدل على فساد التأويل الذى تأوله من حكينا عنه هذا القول .

وقال أيضاً : فيه وجهٌ آخر : وهو معنى نهى الفريقين عن أن يُؤثِّم أحدُ الفريقين الآخر ، كأنه أراد بقوله : « فلا إثم عليه » ، لا يقل المتعجل للمتأخر : « أنت آثم » ، ولا المتأخر للمتعجل : « أنت آثم » ، بمعنى : فلا يؤثِّمنّ أحدهما الآخر .

وهذا أيضاً تأويل لقول جميع أهل التأويل مخالفٌ ، وكفى بذلك شاهداً على خطئه .

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (٢٠٣)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : واتقوا الله ، أيها المؤمنون ، فيما فَرَض عليكم من فرائضه ، فخافوه فى تضييعها والتفريط فيها ، وفيما نهاكم عنه فى حجكم ومناسككم أن ترتكبوه أو تأتوه ، وفيما كلفكم فى إحرامكم لحجكم أن تقصِّروا فى

أدائه والقيام به ، « واعلموا أنكم إليه تحشرون » ، فمجازيكم هو بأعمالكم - المحسن منكم بإحسانه ، والمسيء بإساءته - وموفٍّ كلَّ نفس منكم ما عملت وأنتم لا تظلمون .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾

قال أبو جعفر : وهذا نعت من الله تبارك وتعالى للمنافقين . يقول جل ثناؤه : ومن الناس من يعجبك يا محمد ظاهرُ قوله وعلانيته ، ويستشهد الله على ما فى قلبه ، وهو ألدُّ الخصام ، جَدِلٌ بالباطل .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فيمن نزلت فيه هذه الآية .

فقال بعضهم : نزلت فى الأخنس بن شريق ، قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فزعم أنه يريد الإسلام ، وحلف أنه ما قدم إلا لذلك ، ثم خرج فأفسد أموالا من أموال المسلمين .

* ذكر من قال ذلك :

٣٩٦١ - حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ومن الناس من يُعجبك قولُه فى الحياة الدنيا ويُشهد الله على ما فى قلبه وهو ألدُّ الخصام » ، قال : نزلت فى الأخنس بن شريق الثقفى - وهو حليفٌ لبنى زُهرة - وأقبل إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم بالمدينة فأظهر له الإسلام ، فأعجبَ النبىّ صلى الله عليه وسلم ذلك منه ، وقال : إنما جئت أريد الإسلام ، ١٨٢/٢
والله يعلم أنّى صادق ! - وذلك قوله : « ويشهد الله على ما فى قلبه » - ثم خرج من عند النبى صلى الله عليه وسلم فمرَّ بزرع لقوم من المسلمين وحُمُر ، فأحرق الزرع

وعقر الحُمُرُ ، فأنزل الله عز وجل : « وإذا تولى سعَى فى الأرض ليُفسد فيها ويُهلك الحرْثَ والنسل ». وأما « ألد الخصام » فأعوجُ الخصام ، وفيه نزلت : ﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ﴾ [سورة الهمزة : ١]، ونزلت فيه : ﴿ وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَهِينٍ ﴾ إلى ﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴾ [سورة القلم : ١٠ - ١٣].(١)

* * *

وقال آخرون: بل نزل ذلك فى قوم من أهل النفاق، تكلموا فى السرية التى أصيبت لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالرَّجيع .

* ذكر من قال ذلك :

٣٩٦٢ - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يونس بن بكير ، عن ابن إسحق قال ، حدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال ، حدثنى سعيد بن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس قال: لما أصيبت هذه السرية أصحاب خُبَيْب بالرجيع بين مكة والمدينة، فقال رجال من المنافقين : ياويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا! (٢) لا هم قعدوا فى بيوتهم، ولا هم أدَّوْا رسالة صاحبهم! فأنزل الله عزوجلّ فى ذلك من قول المنافقين ، وما أصاب أولئك النفر من الشهادة والخير من الله : « ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا » = أى : ما يُظهر بلسانه من الإسلام = « ويشهد الله على ما فى قلبه » - أى : من النفاق - (٣) « وهو ألد الخصام » أى : ذو جدال إذا كلمك وراجعك = « وإذا تولى » - أى : خرج من عندك = « سعىَ فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرثَ والنسل والله لا يحب الفساد » - أى :

---

(١) الأثر رقم : ٣٩٦١ - لم يذكر الطبرى فى تفسير « سورة الهمزة » و « سورة القلم » ، هذا الخبر من أن الآيتين نزلتا فى الأخنس بن شريق . وهذا دليل آخر على صدق ما أخبروا به عنه أنه قد اختصر هذا التفسير اختصاراً كبيراً ، كما جاء فى أخباره .

وسيأتى بعض هذا الأثر برقم : ٣٩٧٨ .

(٢) فى المطبوعة : « هؤلاء المقتولين » . والصواب من سيرة ابن هشام . وبعد هذا فى ابن هشام : « لا هم قعدوا فى أهليهم » .

(٣) مكان هذا التفسير فى نص ابن هشام : « وهو مخالف لما يقول بلسانه » .

لا يحبّ عمله ولا يرضاه = «وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسْبُه جهنم ولبئس المهاد * ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله» = الذين شروا أنفسهم لله بالجهاد فى سبيل الله والقيام بحقه ، حتى هلكوا على ذلك — يعنى هذه السرّية .

٣٩٦٣ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثنى محمد بن إسحق ، عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة مولى ابن عباس — أو : عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس — قال : لما أصيبت السرية التى كان فيها عاصم ومرْثد بالرَّجيع ، قال رجال من المنافقين : — ثم ذكر نحو حديث أبى كريب .(١)

* * *

وقال آخرون : بل عنى بذلك جميعَ المنافقين ، وعنى بقوله : « ومن الناس من يُعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويُشهد الله على ما فى قلبه» ، اختلافَ سريرته وعلانيته .

* ذكر من قال ذلك :

٣٩٦٤ — حدثنى محمد بن أبى معشر قال ، أخبرنى أبى أبو معشر نجيح قال ، سمعت سعيدًا المقبرى يذاكر محمد بن كعب ، فقال سعيد : إنّ فى بعض الكتب أن لله عباداً ألسنتهم أحلى من العسل ، وقلوبهم أمرُّ من الصَّبِر ، لبسوا للناس مسوكَ الضأن من اللين ،(٢) يجترُّون الدنيا بالدين ، قال الله تبارك وتعالى : أعلىّ يجترئون ، وبى يغترُّون ! ! وعزتى لأبعثنّ عليهم فتنة تترك الحليمَ منهم حيران ! ! فقال محمد بن كعب : هذا فى كتاب الله جل ثناؤه : فقال سعيد : وأين هو من من كتاب الله ؟ قال : قول الله عز وجل : « ومنَ الناس من يُعجبك قوله فى الحياة

---

(١) الأثر : ٣٩٦٢ ، ٣٩٦٣ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٨٣ — ١٨٤ ، وسيأتى بعضه برقم ٣٩٧٣ ، ثم رقم : ٣٩٨٠ .

(٢) الصبر (بفتح الصاد وكسر الباء) : عصارة شجر مر . والمسوك جمع مسك (بفتح فسكون) : الجلد ، جلد الغنم وغيرها .

الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام ، وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرثَ والنسل والله لا يحبَ الفساد » . فقال سعيد : قد عرفتَ فيمن أنزلت هذه الآية ! فقال محمد بن كعب : إن الآية تنزل فى الرجل ، ثم تكون عامة بعدُ .

٣٩٦٥ – حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنى الليث بن سعد ، عن خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبى هلال ، عن القرظى ، عن نَوْفٍ – وكان يقرأ الكتب – قال : إنى لأجد صفة ناس من هذه الأمة فى كتاب الله المنزل : « قومٌ يجتالون الدنيا بالدين ،[1] ألسنتهم أحلى من العسل ، وقلوبهم أمرُّ من الصَّبر ، يلبسون للناس لباسَ مُسوك الضأن ، وقلوبهم قلوب الذئاب ، فعلىّ يجترئون ! وبى يغترُّون ! حلفت بنفسى لأبعثنّ عليهم فتنةً تترك الحليم فيهم حيران» . قال القرظى : تدبرتها فى القرآن ، فإذا هم المنافقون ، فوجدتها : « ومن الناس ، من يُعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويُشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام » ، ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ﴾.[2]

[سورة الحج : ١١]

٣٩٦٦ – وحدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قوله : « ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويُشهد الله على ما فى قلبه » ، قال : هو المنافق .

٣٩٦٧ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ،

---

(١) فى الأصل : « يحتالون » ، والصواب ما أثبت . اجتال الرجل الشىء : إذا ذهب به وطرده وساقه . واجتال الجيش أموالهم : ذهب بها .

(٢) الأثر : ٣٩٦٥ – خالد بن يزيد الجمحى أبو عبد الرحيم المصرى ، كان فقيها مفتياً ثقة مات سنة ١٣٩ . مترجم فى التهذيب . و « نوف » ، هو نوف بن فضالة الحميرى البكالى ، كان ثقة راوية للقصص ، وهو ابن امرأة كعب الأحبار ، مات ما بين التسعين إلى المئة مترجم فى التهذيب .

عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ومن الناس من يُعجبك قوله » ، قال : علانيته في الدنيا ، ويُشهد الله في الخصومة ، إنما يريد الحق .

٣٩٦٨ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « ومن الناس من يُعجبك قوله في الحياة الدنيا ويُشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام » ، قال : هذا عبد كان حسن القول سيئ العمل ، يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحسن له القول ، « وإذا تولّى سَعَى في الأرض ليُفسد فيها » . ١٨٣/٢

٣٩٦٩ – وحدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قلت لعطاء : « ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه » ، قال : يقول قولاً في قلبه غيره ، والله يعلم ذلك .

* * *

وفي قوله : « ويُشهد الله على ما في قلبه » ، وجهان من القراءة : فقرأته عامة القرأة : « ويُشهد الله على ما في قلبه » ، بمعنى أن المنافق الذي يُعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم قولُه ، يستشهدُ الله على ما في قلبه أن قوله موافقٌ اعتقادَه ، وأنه مؤمن بالله ورسوله وهو كاذب ، كما : –

٣٩٧٠ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « ومن الناس من يُعجبك قوله في الحياة الدنيا » إلى « والله لا يحب الفساد » ، كان رجلٌ يأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيقول : أي رسول الله ! أشهد أنك جئت بالحق والصدق من عند الله ! قال : حتى يُعجب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ، ثم يقول : أما والله ، يا رسولَ الله ، إنّ الله ليعلم ما في قلبي مثلُ ما نطق به لساني ! فذلك قوله : « ويُشهد الله على ما في قلبه » ، قال : هؤلاء المنافقون ، وقرأ قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ حتى بلغ ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ [سورة المنافقون : ١] ، بما يشهدون أنك رسول الله .

* * *

وقال السدى : « ويُشهد الله على ما فى قلبه »، يقول : الله يعلم أنى صادق أنى أريد الإسلام .

٣٩٧١ ــ حدثنى بذلك موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد، عن أسباط .

* * *

وقال مجاهد : ويُشهد الله فى الخصومة أنما يريد الحق .

٣٩٧٢ ــ حدثنى بذلك محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عنه .

* * *

وقرأ ذلك آخرون : ﴿ وَيَشْهَدُ اللهُ عَلَى مَا فِى قَلْبِهِ ﴾، بمعنى : والله يشهد على الذى فى قلبه من النفاق ، وأنه مضمرٌ فى قلبه غير الذى يُبديه بلسانه ، وعلى كذبه فى قلبه. وهى قراءة ابن مُحَيْصن . وعلى ذلك المعنى تأوله ابن عباس ، وقد ذكرنا الرواية عنه بذلك فيما مضى فى حديث أبى كريب ، عن يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحق ، الذى ذكرناه آنفاً .(١)

* * *

والذى نختار فى ذلك من قول القرأة ، قراءة من قرأ : «ويشهد الله على ما فى قلبه »، بمعنى : يستشهد الله على ما فى قلبه ، لإجماع الحجة من القرأةِ عليه .

* * *

---

(١) انظر رقم : ٣٩٦٢ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾ (٢٠٤)

قال أبو جعفر : «الألد» من الرجال : الشديد الخصومة، يقال: فى « فعلت » منه: « قد لَدَدْتَ يا هذا، ولم تكن ألدَّ، فأنت تلُدُّ لَدَداً ولَدَداةً » .(١) فأما إذا غلب من خاصمه فإنما يقال فيه: « لدَدْت يا فلانُ فلاناً فأنت تَلُدُّه لَدًّا»، ومنه قول الشاعر :

ثُمَّ أُرَدِّى بِهِمُ من تُرْدِى تَلُدُّ أقْرَانَ الخُصُومِ اللُّدِّ(٢)

* * *

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : تأويله : أنه ذو جدال.

* ذكر من قال ذلك :

٣٩٧٣ ــ حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يونس بن بكير ، عن ابن إسحق قال ، حدثنى محمد بن أبى محمد قال ، حدثنى سعيد بن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس : « وهو ألد الخصام »، أى: ذو جدال ، إذا كلمك وراجعك.(٣)

٣٩٧٤ ــ حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وهو ألد الخصام »، يقول : شديد القسوة فى معصية الله، جَدِلٌ بالباطل،

---

(١) قوله : « لدادة » مصدر لم أجده فى كتب اللغة التى بين يدى .

(٢) لم أعرف قائله . والبيت الثانى فى اللسان (لدد) روايته « ألدأقران» . والبيتان جميعاً فى معانى القرآن للفراء ١ : ١٢٣ ، بتقديم البيت الثانى على الأول ، وروايته :

« اللُّدّ أقران الرجال اللُّدّ »

وكأنه تصحيف وخطأ ، وصوابه « ألد » كما فى اللسان . وكان فى الطبرى « ثم أردى وبهم . . » بزيادة واو ، والصواب ما فى معانى القرآن .

(٣) هو بعض الأثر السالف رقم : ٣٩٦٢ .

وإذا شئتَ رأيته عالم اللسان جاهلَ العمل ، يتكلم بالحكمة ، ويعمل بالخطيئة .

٣٩٧٥ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « وهو ألد الخصام » ، قال : جَدِلٌ بالباطل .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : أنه غير مستقيم الخصومة ، ولكنه معوَجُّها .

* ذكر من قال ذلك :

٣٩٧٦ ــ حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وهو ألد الخصام » ، قال : ظالم لا يستقيم.

٣٩٧٧ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قال ، أخبرنى عبد الله بن كثير ، عن مجاهد قال : « الألدُّ الخصام » ، الذى لا يستقيم على خصومة .

٣٩٧٨ ــ حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ألد الخصام » ، أعوجُ الخصام.(١)

* * *

قال أبو جعفر : وكلا هذين القولين متقاربُ المعنى . لأن الاعوجاجَ فى الخصومة من الجدال واللدد .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : وهو كاذبٌ فى قوله .

* ذكر من قال ذلك :

٣٩٧٩ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنا وكيع ، عن بعض أصحابه ، عن الحسن قال : « الألد الخصام » ، الكاذب القول .

* * *

وهذا القول يحتمل أن يكون معناه معنى القولين الأولين ، إن كان أراد به

---

(١) هو بعض الأثر السالف رقم : ٣٩٦١ .

قائله أنه يخاصم بالباطل من القول والكذب منه ، جدلا واعوجاجاً عن الحق .

* * *

وأما «الخصام» فهو مصدر من قول القائل : « خاصمت فلاناً خصاماً ومخاصمة » .

* * *

وهذا خبر من الله تبارك وتعالى عن المنافق الذى أخبر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أنه يُعجبه إذا تكلم قيلُه ومنطقه، ويستشهد الله على أنه محقّ فى قيله ذلك، لشدة خصومته وجداله بالباطل والزور من القول . ١٨٤/٢

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « وإذا تولى »، وإذا أدبر هذا المنافق من عندك يا محمد منصرفاً عنك ،(١) كما : —

٣٩٨٠ — حدثنا به ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثنى محمد بن إسحق قال ، حدثنى محمد بن أبى محمد قال ، حدثنى سعيد بن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس : « وإذا تولى » ، قال : يعنى : وإذا خرج من عندك ، « سعى ».(٢)

* * *

وقال بعضهم : وإذا غضب .

* ذكر من قال ذلك :

٣٩٨١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج قال ،

---

(١) انظر معنى « التولى » فيما سلف ٢ : ١٦٢ — ١٦٣ ، ٢٩٨، ٥٣٥ / ثم ٣ : ١١٥ ، ١٣١ .

(٢) الأثر : ٣٩٨٠ — هو بعض الأثر السالف رقم : ٣٩٦٢ .

قال ابن جريج فى قوله : « وإذا تولى » ، قال : إذا غضب .

* * *

فمعنى الآية : وإذا خرَج هذا المنافق من عندك يا محمد غضْبان ، عَمل فى الأرض بما حرَّم الله عليه، وحاول فيها معصيةَ الله وقطعَ الطريق وإفسادَ السبيل على عباد الله ، كما قد ذكرنا آنفاً من فعل الأخنس بن شريق الثقفى ، الذى ذكر السدى أن فيه نزلت هذه الآية، من إحراقه زرع المسلمين وقتله حُمرهم.(١)

* * *

و « السعى » فى كلام العرب : العمل ، يقال منه : « فلان يسعى على أهله »، يعنى به : يعمل فيما يعود عليهم نفعه ، ومنه قول الأعشى :

وَسَعَى لِكِنْدَةَ سَعْىَ غَيْرِ مُوَاكِلٍ قَيْسٌ ، فَضَرَّ عَدُوَّها وَبَنَى لَهَا(٢)

يعنى بذلك : عمل لهم فى المكارم .

* * *

وكالذى قلنا فى ذلك كان مجاهد يقول :

٣٩٨٢ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « وإذا تولى سعى » ، قال : عمل .

* * *

واختلف أهل التأويل فى معنى « الإفساد » الذى أضافه الله عز وجل إلى هذا المنافق .

فقال بعضهم : تأويله ما قلنا فيه : من قطعه الطريق وإخافته السبيل، كما قد ذكرنا قبل من فعل الأخنس بن شريق.(١)

* * *

---

(١) انظر الأثر رقم : ٣٩٦١ السالف .

(٢) ديوانه : ٢٥ ، وكان فى المطبوعة « ونبالها » ، وهو خطأ. وقيس هو قيس بن معديكرب الكندى ، كان يكثر مدحه والثناء عليه .

وقال بعضهم : بل معنى ذلك : قطع الرحم وسفك دماء المسلمين .

* ذكر من قال ذلك :

٣٩٨٣ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج في قوله : « سعَى في الأرض ليفسد فيها » ، قطع الرحم ، وسفك الدماء دماء المسلمين . فإذا قيل : لمَ تفعل كذا وكذا ! قال : أتقرب به إلى الله عز وجل .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك أن يقال : إنّ الله تبارك وتعالى وَصَف هذا المنافقَ بأنه إذا تولى مدبراً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عَمِل في أرض الله بالفساد . وقد يدخل في « الإفساد » جميع المعاصي .[1] وذلك أن العمل بالمعاصي إفسادٌ في الأرض ، فلم يخصص الله وصفه ببعض معاني « الإفساد » دون بعض . وجائزٌ أن يكون ذلك الإفساد منه كان بمعنى قطع الطريق ، وجائز أن يكون غير ذلك . وأيّ ذلك كان منه ، فقد كان إفساداً في الأرض ، لأن ذلك منه لله عز وجل معصية . غير أن الأشبه بظاهر التنزيل أن يكون كان يقطع الطريقَ ويُخيف السبيل . لأن الله تعالى ذكره وصَفه في سياق الآية بأنه « سعَى في الأرض ليفسد فيها ويُهلك الحرث والنسل » ، وذلك بفعل مخيف السبيل ، أشبهُ منه بفعل قَطّاع الرحم .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في وجه « إهلاك » هذا المنافق الذي الذي وصفه الله بما وصَفه به من صفة « إهلاك الحرث والنسل » .

---

(١) انظر معنى « الإفساد في الأرض » فيما سلف ١ : ٢٨٧ – ٢٩٠ ، ٤١٦ ، ثم معنى « الفساد » فيما سيأتي : ٢٤٣ ، ٢٤٤

فقال بعضهم : كان ذلك منه إحراقاً لزرع قوم من المسلمين ، وعقراً لحمُرهم .

٣٩٨٤ ـ حدثني بذلك موسى بن هرون قال ، حدثني عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى.(١)

* * *

وقال آخرون ، بما : ـ

٣٩٨٥ ـ حدثنا به أبو كريب قال ، حدثنا عثام قال ، حدثنا النضر بن عربي ، عن مجاهد : « وإذا تولى سعى فى الأرض ليُفسد فيها ويُهلك الحرث والنسل » الآية . قال : إذا تولى سعى فى الأرض بالعدوان والظلم ، فيحبس الله بذلك القطرَ ، فيُهلك الحرثَ والنسلَ والله لا يحب الفساد . قال : ثم قرأ مجاهد : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [سورة الروم ٤١] ، قال : ثم قال : أما والله ما هو بحركم هذا ، ولكن كل قرية على ماءٍ جارٍ فهو « بحر » .(٢)

* * *

والذى قاله مجاهد ، وإن كان مذهباً من التأويل تحتمله الآية ، فإن الذى هو أشبهُ بظاهر التنزيل من التأويل ، ما ذكرنا عن السدى ، فلذلك اخترناه .

* * *

وأما « الحرث » فإنه الزرع ، « والنسل » العقب والولد .

* * *

« وإهلاكه الزرع » إحراقه . وقد يجوز أن يكون كان كما قال مجاهد ، باحتباس القطر من أجل معصيته ربَّه وَسعيه بالإفساد فى الأرض . وقد يحتمل أن يكون كان بقتله القُوَّام به والمتعاهدين له حتى فسد فهلك . وكذلك جائز فى معنى : « إهلاكه النسل » : أن يكون كانَ بقتله أمهاته أو آباءه التى منها يكون النسل ، فيكون فى ١٨٥/٢

---

(١) يعنى الأثر السالف رقم ٣٩٦١

(٢) الأثر ٣٩٨٥ - سيأتى هذا الأثر و تفسير الآية من سورة الروم ج ٢١ : ٣٢ (بولاق)

قتله الآباء والأمهات انقطاع نسلهما. وجائزٌ أن يكون كما قال مجاهد، غير أن ذلك وإن كان تحتمله الآية ، فالذى هو أولى بظاهرها ما قاله السدى . غير أن السدى ذكر أن الذى نزلت فيه هذه الآية ، إنما نزلت فى قتله حُمُرَ القوم من المسلمين وإحراقه زرعاً لهم . وذلك وإن كان جائزاً أن يكون كذلك ، فغير فاسد أن تكون الآية نزلت فيه ، والمراد بها كلُّ من سلك سبيله فى قتل كل ما قَتَل من الحيوان الذى لا يحلّ قتله بحال ، والذى يحلّ قتله فى بعض الأحوال — إذا قتله بغير حق . بل ذلك كذلك عندى، لأن الله تبارك وتعالى لم يخصُص من ذلك شيئاً دون شيء ، بل عمَّه . وبالذى قلنا فى عموم ذلك قال جماعة من أهل التاويل .

* ذكر من قال ذلك :

٣٩٨٦ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا يحيي وعبد الرحمن قالا ، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحق، عن التميمى : أنه سأل ابن عباس : « ويهلك الحرث والنسل » ، قال : نسلَ كل دابة .

٣٩٨٧ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن عطية قال ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحق، عن التميمى أنه سأل ابن عباس قال : قلت : أرأيت قوله : « الحرث والنسل » ؟ قال : الحرث حرثكم ، والنسل نسل كل دابة .

٣٩٨٨ — حدثنا ابن حميد: قال ، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن أبي إسحق، عن التميمى قال: سألت ابن عباس عن « الحرث والنسل »، فقال : الحرثُ ما تحرثون ، والنسلُ نسل كلّ دابة .

٣٩٨٩ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن عمرو ، عن مطرِّف ، عن أبي إسحق ، عن رجل من تميم ، عن ابن عباس مثله.[1]

---

(١) الآثار : ٣٩٨٦ — ٣٩٨٩ . «التميمى» ، قد مضى ما كتبه أخى السيد أحمد فى التعليق على الأثر رقم : ٢٠٩٥ ، ولكن ظهر من الأثر رقم : ٣٩٨٩ ، أنه رجل من بنى تميم — مجهول الاسم فيما يظهر ، كان يسأل ابن عباس كما كان يسأله أصحاب المسائل من الأمة . وذلك بين فى مسند أبى داود الطيالسى رقم : ٢٧٣٩ ص ٣٥٨ .

٣٩٩٠ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس : « ويهلك الحرثَ والنسل »، فنسلَ كل دابة والناس أيضاً .

٣٩٩١ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثني عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد : « ويهلك الحرث »، قال : نبات الأرض، « والنسل » من كل دابة تمشي من الحيوان، من الناس والدواب .

٣٩٩٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله : « ويهلك الحرث »، قال : نبات الأرض، « والنسل » نسل كل شيء .

٣٩٩٣ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد الزبيري قال، حدثنا هشيم، عن جويبر، عن الضحاك قال : الحرثُ النبات، والنسل نسل كل دابة .

٣٩٩٤ – حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع : « ويهلك الحرث »، قال : « الحرث » الذي يحرثه الناس نباتُ الأرض، « والنسل » نسل كل دابة .

٣٩٩٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قال، قلت لعطاء : « ويهلكَ الحرثَ والنسل »، قال : الحرث الزرع، والنسل من الناس والأنعام. قال : يقتُل نسْل الناس والأنعام = قال وقال مجاهد : يبتغي في الأرض هلاك الحرث – نباتَ الأرض – والنسل من كل شيء من الحيوان .

٣٩٩٦ – حدثني يحيى بن أبي طالب قال، أخبرنا يزيد قال، أخبرنا جويبر، عن الضحاك في قوله : « ويهلك الحرثَ والنسل »، قال : الحرث الأصل، والنسل كل دابة والناس منهم .[1]

---

(١) قوله : « الحرث : الأصل »، معنى قلما تصيبه في كتب اللغة بيناً، ولكنه أتى فيها معترضاً كقولهم : « الحرث، أصل جردان الحمار »، وهذا تخصيص، وهذا الأثر دال على عموم معنى « الحرث » أنه : الأصل، وهو جيد في مجاز اللغة .

٣٩٩٧ ــ حدثني ابن عبد الرحيم البرقيّ قال، حدثنا عمرو بن أبي سلمة قال، [١] سئل سعيد بن عبد العزيز عن «فساد الحرث والنسل» وما هما : أيُّ حرث ، وأيُّ نسل ؟ قال سعيد : قال مكحول : الحرث ما تحرثون، وأما النسل فنسْل كل شيء.

* * *

قال أبو جعفر : وقد قرأ بعض القرأة : « ويهلكُ الحرث والنسل »، برفع « يهلك » ، = على معنى : ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ، ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام ، ويهلك الحرثَ والنسل ، وإذا تولى سعى فى الأرض لينُفسد فيها والله لا يحب الفساد= فيردُّ « ويُهلكُ » على « ويشهدُ الله » عطفاً به عليه .

وذلك قراءةٌ عندى غير جائزة، وإن كان لها مخرج فى العربية، لمخالفتها لما عليه الحجة مجمعةٌ من القراءة فى ذلك ، قراءةَ « ويهلكَ الحرثَ والنسل »، وأن ذلك فى قراءة أبيّ بن كعب ومصحفه ــ فيما ذكرلنا [٢] ــ « ليفسد فيها وليهلك الحرث والنسل » . وذلك من أدل الدليل على تصحيح قراءة من قرأ ذلك : « ويهلك » بالنصب ، عطفاً به على « ليفسدَ فيها » .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ (٢٠٥)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : والله لا يحب المعاصيَ ، وقطعَ السبيل، وإخافة الطريق .

* * *

و « الفساد » مصدر من قول القائل : «فسد الشيء يفسُد »، نظير قولهم :

---

(١) فى المطبوعة : « عمر بن أبي سلمة » والصواب ما أثبت .

(٢) فى المطبوعة : « فيما ذكرنا » ، وهو لا يستقيم .

« ذهب يذهب ذهاباً ». ومن العرب من يجعل مصدر « فسد » « فسوداً »، ومصدر « ذهب يذهب ذُهوباً » .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ (٢٠٦)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وإذا قيل = لهذا المنافق الذى نعتَ نعتَه لنبيه عليه السلام، وأخبره أنه يُعجبه قوله فى الحياة الدنيا= : اتق الله وخَفْهُ فى إفسادك فى أرْض الله ، وسعيكَ فيها بما حرَّم الله عليك من معاصيه، وإهلاكك حروث المسلمين ونسلهم —استكبر ودخلته عِزة وحَمية بما حرّم الله عليه ، وتمادى فى غيِّه وضلاله. قال الله جل ثناؤه : فكفاه عقوبة من غيه وضلاله، صِلِيُّ نارِ جهنم، ولبئس المهاد لصاليها . ١٨٦/٢

* * *

واختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية .

فقال بعضهم : عنى بها كل فاسق ومنافق .

* ذكر من قال ذلك :

٣٩٩٨ — حدثنى محمد بن عبد الله بن بزيع قال، حدثنا جعفر بن سليمان قال، حدثنا بسطام بن مسلم قال، حدثنا أبو رجاء العطاردىّ قال : سمعت عليًّا فى هذه الآية : « ومن الناس من يُعجبك قوله فى الحياة الدنيا » إلى « والله رؤوف بالعباد » ، قال على : « اقتتلا وربِّ الكعبة ».

---

(١) انظر معنى «الإفساد فى الأرض» ١ : ٢٨٧ — ٢٩٠ ، ٤١٦ ، وما سلف قريباً : ٢٣٩ . وانظر أيضاً معانى القرآن للفراء ١ : ١٢٤ .

٣٩٩٩ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم » إلى قوله : « والله رؤوف بالعباد » ، قال : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا صلى السُّبْحة وفرغ ، دخل مربداً له ، [1] فأرسل إلى فتيان قد قرأوا القرآن ، منهم ابن عباس وابن أخي عيينة ، [2] قال : فيأتون فيقرأون القرآن ويتدارسونه ، فإذا كانت القائلة انصرف . قال : فمرُّوا بهذه الآية : « وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم » ، « ومن الناس من يشري نفسه ابتغاءَ مرضَات الله والله رؤوفٌ بالعباد » = قال ابن زيد : وهؤلاء المجاهدون في سبيل الله = فقال ابن عباس لبعض من كان إلى جنبه : اقتتل الرجلان ؟ فسمع عمر ما قال ، فقال : وأيّ شيء قلت ؟ قال : لا شيء يا أمير المؤمنين ! قال : ماذا قلت؟ اقتتل الرجلان ؟ قال : فلما رأى ذلك ابن عباس قال : أرى ههنا مَنْ إذا أُمِر بتقوى الله أخذته العزة بالإثم ، وأرى من يَشري نفسه ابتغاءَ مرضاة الله ، يقوم هذا فيأمر هذا بتقوى الله ، فإذا لم يقبل وأخذته العزة بالإثم ، قال هذا : وأنا أشتري نفسي ! فقاتله ، فاقتتل الرجلان ! فقال ، عمر : لله بلادك يا ابن عباس . [3]

* * *

وقال آخرون : بل عنى به الأخنس بن شريق . وقد ذكرنا من قال ذلك فيما مضى . [4]

* * *

---

(١) السبحة : صلاة التطوع والنافلة وذكر الله ، تقول : « قضيت سبحتي » . والمربد : فضاء وراء البيوت يرتفق به ، كالحجرة في الدار ، وهو أيضاً موضع التمر يجفف فيه لينشف ، يسميه أهل المدينة مربداً ، وهو المراد هنا .

(٢) ابن أخي عيينة ، هو الحر بن قيس بن حصين الفزاري ، ويقال : الحارث بن قيس ، والأول أصح . وروى البخاري من طريق الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، قال : قدم عيينة بن حصن ، فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس ، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر — الحديث . ترجم في الإصابة وغيرها .

(٣) في المطبوعة : « لله تلادك » ، بالتاء في أوله ، ولا معنى له ، والصواب ما أثبت . وفي الدر المنثور ١ : ٢٤١ — « لله درك » . والعرب تقول : « لله در فلان ، ولله بلاده » .

(٤) انظر الأثر رقم : ٣٩٦١ .

وأما قوله : « ولبئس المهاد » ، فإنه يعنى : ولبئس الفراشُ والوِطاء جهنمُ التى أوعدَ بها جل ثناؤه هذا المنافق ، ووطَّأها لنفسه بنفاقه وفجوره وتمرُّده على ربه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه : ومن الناس من يبيع نفسه بما وعد الله المجاهدين فى سبيله وابتاع به أنفسهم بقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [سورة التوبة : ١١١] .

* * *

وقد دللنا على أن معنى « شرى » باع ، فى غير هذا الموضع بما أغنى عن إعادته.[1]

* * *

وأما قوله : « ابتغاءَ مرضات الله » ، فإنه يعنى أن هذا الشارى يشرى ، إذا اشترى طلبَ مرضاة الله .

ونصب « ابتغاء » بقوله : « يشرى » . فكأنه قال : ومن الناس من يَشرى [نفسَه] من أجل ابتغاء مرضاة الله ، ثم تُرك « من أجل » ، وعَمل فيه الفعل .

وقد زعم بعض أهل العربية أنه نصب ذلك على الفعل،[2] على « يشرى » ، كأنه قال : لابتغاء مرضاة الله، فلما نزع « اللام » عمل الفعل ، قال : ومثله : ﴿ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾ [سورة البقرة : ١٩] ، [3]وقال الشاعر ، وهو حاتم :

---

(١) انظر ما سلف ٢ : ٣٤١ – ٣٤٣ ، ٤٥٥ ، وفهارس اللغة .

(٢) قوله : « على الفعل » ، أى أنه مفعول لأجله ، وقد مضى مثله « على التفسير للفعل » ١ : ٣٥٤ تعليق : ٤ .

(٣) انظر القول فى إعراب هذه الكلمة فيما سلف ١ : ٣٥٤ – ٣٥٥ .

وَأَغْفِرُ عَوْرَاءَ الكَرِيمِ ادِّخَارَهُ وَأُعْرِضُ عَنْ قَوْلِ اللَّئِيمِ تَكَرُّمَا[1]

وقال : لما أذهب « اللام » أعمل فيه الفعل .

وقال بعضهم : أيّما مصدر وُضع موضعَ الشرط ،[2] وموضع « أن » ، فتحسن فيها « الباء » و « اللام » ، فتقول : « أتيتك من خوف الشرّ — ولخوف الشر — وبأن خفتُ الشرَّ » ، فالصفة غير معلومة ، فحذفت وأقيم المصدرُ مقامها.[3] قال : ولو كانت الصفة حرفاً واحداً بعينه ، لم يجز حذفها ، كما غير جائز لمن قال : « فعلت هذا لك ولفلان » أن يسقط « اللام » .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فيمن نزلت هذه الآية فيه ، ومن عنى بها .

فقال بعضهم : نزلت فى المهاجرين والأنصار ، وعنى بها المجاهدون فى سبيل الله .

* ذكر من قال ذلك :

٤٠٠٠ — حدثنا الحسين بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله » ، قال : المهاجرون والأنصار .

* * *

وقال بعضهم : نزلت فى رجال من المهاجرين بأعيانهم .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) ديوانه : ٢٤ ، من أبيات جياد كريمة ، وسيبويه ١ : ١٨٤ ، ٤٦٤ ، ونوادر أبى زيد : ١١٠ ، الخزانة ١ : ٤٩١ ، والعينى ٣ : ٧٥ ، وغيرها . وفى البيت اختلاف كثير فى الرواية ، والشاهد فيه نصب « ادخاره » على أنه مفعول له .

(٢) قوله : « الشرط » ، كأنه فيما أظن أراد به معنى العلة والعذر ، يعنى أنه علة وسبباً أو عذراً لوقوع الفعل .

(٣) « الصفة » هى حرف الجر . وانظر ما سلف آنفاً ١ : ٢٩٩ ، وفهرس المصطلحات فى الأجزاء السالفة .

٤٠٠١ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة : « ومن الناس مَنْ يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله » ، قال : نزلت في صُهيب بن سنان ، وأبي ذرّ الغفاري جُندب بن السَّكن. أخذ أهل أبي ذرّ أباذرّ ، فانفلت منهم ، فقدم على النبي صلى الله عليه وسلم . فلما رجع مهاجراً عرَضوا له ، وكانوا بمرّ الظهران ، فانفلت أيضاً حتى قدم على النبي عليه السلام . وأما صُهيب فأخذه أهله فافتدى منهم بماله ، ثم خرج مهاجراً فأدركه قُنفذ بن عُمير بن جُدعان ، فخرج له مما بقي من ماله وخلّى سبيله.(١)

١٨٧/٢ ٤٠٠٢ ــ حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله » الآية ، قال : كان رجل من أهل مكة أسلم فأراد أن يأتي النبي صلى الله عليه وسلم ويهاجر إلى المدينة ، فمنعوه وحبسوه . فقال لهم : أعطيكم داري ومالي وما كان لي من شيء ! فخلُّوا عني ، فألحق بهذا الرجل ! فأبوْا. ثم إنّ بعضهم قال لهم : خذوا منه ما كان له من شيء وخلُّوا عنه ! ففعلوا ، فأعطاهم داره وماله ، ثم خرج . فأنزل الله عز وجل على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة : « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله » ، الآية . فلما دنا من المدينة تلقاه عُمر في رجال ، فقال له عمر : رَبح البيعُ ! قال : وبيعك فلا يخسر ! قال : وما ذاك ؟ قال : أنزل فيك كذا وكذا .(٢)

* * *

وقال آخرون : بل عني بذلك كل شارٍ نفسَه في طاعة الله وجهادٍ في سبيله ، أو أمرٍ بمعروف .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) الأثر : ٤٠٠١ ــ في الدر المنثور ١ : ٢٤٠ ، في المطبوعة : « منقذ بن عمير » ، وهو خطأ ، وقد ذكر قنفد بن عمير ، أبو طالب في قصيدته المشهورة ، وذكر ابن هشام نسبه في سيرته (انظر ١ : ٢٩٥ ، ٣٠١) . وقد أسلم قنفد بن عمير ، وله صحبة ، وولاه عمر مكة ، ثم عزله .

(٢) الأثر : ٤٠٠٢ ــ في تفسير البغوي ١ : ٤٨١ ــ ٤٨٢ ، مع اختلاف في اللفظ .

٤٠٠٣ ـ حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا حسين بن الحسن أبو عبد الله قال ، حدثنا أبو عون ، عن محمد قال : حمل هشام بن عامر على الصف حتى خرقه، فقالوا: ألقى بيده! ! فقال أبو هريرة : « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله ». (١)

٤٠٠٤ ـ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا مصعب بن المقدام قال ، حدثنا إسرائيل ، عن طارق بن عبد الرحمن ، عن قيس بن أبي حازم ، عن المغيرة قال : بعث عمر جيشاً فحاصروا أهل حصن، وتقدم رجل من بجيلة فقاتل فقُتِل ، فأكثر الناس فيه يقولون : ألقى بيده إلى التهلكة ! قال : فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : كذبوا ! أليس الله عز وجل يقول : « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد » ؟

٤٠٠٥ ـ حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا أبو داود قال، حدثنا هشام، عن قتادة قال ، حَمل هشام بن عامر على الصّف حتى شقّه ، فقال أبو هريرة : « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله » .

٤٠٠٦ ـ حدثنا سوار بن عبد الله العنبرى قال، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ، حدثنا حزم بن أبي حزْم قال : سمعت الحسن قرأ : « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد » ، أتدرون فيم أنزلت ؟ نزلت فى أن المسلم لقى الكافرَ فقال له: قل: « لا إله إلاّ الله»، فإذا قلتها عصمتَ دمك

---

(١) الأثر : ٤٠٠٣ ـ حسين بن الحسن أبو عبد الله النصرى ، روى عن ابن عون وغيره ، وروى عنه أحمد ، والفلاس وبندار وغيرهم . كان من المعدودين من الثقات ، وكان يحفظ عن ابن عون . توفى سنة ١٨٨ ، مترجم فى التهذيب . و « أبو عون » كنية « ابن عون » ـ عبد الله بن عون المزنى مولاهم . « ومحمد » ، هو محمد بن سيرين . وهشام بن عامر بن أمية الأنصارى ، كان اسمه فى الجاهلية « شهاباً » فغيره رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان ذلك منه فى غزاة كابل ، انظر الإصابة وغيرها . وقوله : « ألقى بيده » أى : ألقى بيده إلى التهلكة ، كما هو مبين فى الروايات الأخرى ، وانظر ما سيأتى رقم : ٤٠٠٥ ، مختصراً .

ومالك إلا بحقهما ! فأبى أن يقولها ، فقال المسلم : والله لأشرِيَنّ نفسي لله ! فتقدم فقاتل حتى قتل. (١)

٤٠٠٧ – حدثني أحمد بن حازم قال ، حدثنا أبو نعيم قال، حدثنا زياد ابن أبي مسلم، عن أبي الخليل قال: سمع عُمر إنساناً قرأ هذه الآية: « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله » ، قال : استرجع عُمرَ فقال : إنا لله وإنا إليه رَاجعون ! قام رجلٌ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فقُتل. (٣)

* * *

قال أبو جعفر : والذى هو أولى بظاهر هذه الآية من التأويل ، ما روى عن عمر بن الخطاب وعن على بن أبي طالب وابن عباس رضى الله عنهم ، من أن يكون عُنى بها الآمرُ بالمعروف والناهى عن المنكر .

وذلك أن الله جل ثناؤه وصَف صفة فريقين : أحدهما منافقٌ يقول بلسانه خلافَ ما فى نفسه ، وإذا اقتدر على معصية الله ركبها ، وإذا لم يقتدر رَامَها، وإذا نُهى أخذته العزّة بالإثم بما هو به آثم . والآخر منهما بائعٌ نفسه، طالب من الله رضا الله . فكان الظاهر من التأويل أن الفريقَ الموصوف بأنه شرى نفسه لله وطلب رضاه ،إنما شراها للوُثوب بالفريق الفاجر طلبَ رضا الله . فهذا هو الأغلب الأظهر من تأويل الآية .

وأما ما رُوى من نزول الآية فى أمر صُهيب ، فإنّ ذلك غير مستنكرٍ، إذ كان غيرَ مدفوع جوازُ نزول آية من عند الله على رسوله صلى الله عليه وسلم بسبب من الأسباب ، والمعنىُّ بها كلُّ من شمله ظاهرها .

---

(١) الأثر : ٤٠٠٦ – « حزم بن أبي حزم » القطعى ، أبو عبد الله البصرى ، روى عن الحسن وغيره ، قال أبو حاتم : صدوق لا بأس به ، وهو من ثقات من بقى من أصحاب الحسن ، مات سنة ٧٥ . مترجم فى التهذيب . وكان فى المطبوعة : « حزام بن أبي حزم » ، وهو خطأ .

(٢) الأثر : ٤٠٠٧ – « زياد بن أبي مسلم » أبو عمر الفراء البصرى ، روى عن صالح أبي الخليل وأبي العالية والحسن . مترجم فى التهذيب . « وأبو الخليل » : صالح بن أبي مريم الضبعى مولاهم تابعى ، مترجم فى التهذيب .

فالصوب من القول فى ذلك أن يقال : إنّ الله عز ذكره وصف شارياً نفسَه ابتغاء مرضاته ، فكل من باعَ نفسه فى طاعته حتى قُتل فيها ، أو استقتل وإن لم يُقتل ، [1] فمعنيٌّ بقوله : « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله » — فى جهاد عدو المسلمين كان ذلك منه ، أو فى أمرٍ بمعروف أو نهى عن منكر .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ (٢٠٧)

قد دللنا فيما مضى على معنى « الرأفة » ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع ، وأنها رقة الرحمة . [2]

* * *

فمعنى ذلك : والله ذو رحمة واسعة بعبده الذى يشرى نفسه له فى جهاد من حادّه فى أمره من أهل الشرك والفُسوق ، وبغيره من عباده المؤمنين فى عاجلهم وآجل معادهم ، فينجز لهم الثواب على ما أبلوا فى طاعته فى الدنيا ، ويسكنهم جناته على ما عملوا فيها من مرضاته .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى معنى « السلم » فى هذا الموضع .

فقال بعضهم : معناه الإسلام .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) فى المطبوعة : « واستقتل » بواو العطف ، وهو فاسد ، والصواب ما أثبت .

(٢) انظر ما سلف ٣ : ١٧١ ، ١٧٢ .

٤٠٠٨ ـ حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ،عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : « ادخلوا في السِّلم » ، قال : ادخلوا في الإسلام . ١٨٨/٢

٤٠٠٩ ـ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن قتادة قوله : « ادخلوا في السلم » ، قال : ادخلوا في الإسلام .

٤٠١٠ ـ حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « ادخلوا في السلم كافة» ، قال : السلم الإسلام.

٤٠١١ ـ حدثني موسى بن هرون قال، أخبرنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي ، « ادخلوا في السلم » ، يقول : في الإسلام .

٤٠١٢ ـ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع ، عن النضر بن عربي ، عن مجاهد : ادخلوا في الإسلام

٤٠١٣ ـ حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله : « ادخلوا في السلم »، قال : السلم الإسلام .

٤٠١٤ ـ حدثت عن الحسين بن فرج قال، سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول : « ادخلوا في السلم» ، في الإسلام .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ادخلوا في الطاعة.

* ذكر من قال ذلك :

٤٠١٥ ـ حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « ادخلوا في السلم » ، يقول : ادخلوا في الطاعة .

* * *

وقد اختلفت القرأة في قراءة ذلك . فقرأته عامة قرأة أهل الحجاز ، « ادخلوا في السَّلم » بفتح « السين » ، وقرأته عامة قرأة الكوفيين بكسر «السين » .

فأما الذين فتحوا « السين » من « السلم »، فإنهم وجهوا تأويلها إلى المسالمة ، بمعنى : ادخلوا فى الصلح والمسالمة وترك الحرب وإعطاء الجزية .

وأما الذين قرأوا ذلك بالكسر من « السين » ، فإنهم مختلفون فى تأويله . فمنهم من يوجهه إلى الإسلام ، بمعنى : ادخلوا فى الإسلام كافة . ومنهم من يوجّهه إلى الصلح ، بمعنى : ادخلوا فى الصلح . ويستشهد على أن « السين » تكسر وهى بمعنى الصلح ، بقول زهير بن أبى سلمى :

وَقَدْ قُلْتُمَا إِنْ نُدْرِكِ السِّلْمَ وَاسِعاً بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الأَمْرِ نَسْلَمِ (١)

وأولى التأويلات بقوله : « ادخلوا فى السلم » ، قول من قال : معناه : ادخلوا فى الإسلام كافة .

وأمّا الذى هو أولى القراءتين بالصواب فى قراءة ذلك ، فقراءة من قرأ بكسر « السين » . لأن ذلك إذا قرىء كذلك — وإن كان قد يحتمل معنى الصلح — فإن معنى الإسلام ودوام الأمر الصالح عند العرب ، أغلبُ عليه من الصلح والمسالمة ، وينشد بيت أخى كندة .

دَعَوْتُ عَشِيرَتِي لِلسِّلْمِ لَمّا رَأَيْتُهُمُ تَوَلَّوْا مُدْبِرِينَا (٢)

---

(١) ديوانه : ١٦ من معلقته النبيلة . والضمير فى « قلتما » للساعيان فى الصلح ، وهما الحارث ابن عوف وهرم بن سنان ، وذلك فى حرب عبس وذبيان . وقوله : « واسعاً » ، أى : قد استقر الأمر ، واطمأنت النفوس ، فاتسع للناس فيه ما لا يتسع لهم فى زمن الحرب . وكان الحارث وهرم قد حملا الحمالة فى أموالهما ، ليصطلح الناس .

(٢) من أبيات لامرئ القيس بن عابس الكندى ، وتروى لغيره . المؤتلف والمختلف : ٩ ، والوحشيات : ٧٥ ، وغيرهما وكان امرؤ القيس قد وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يرتد فى أيام أبى بكر ، وأقام على الإسلام ، وكان له فى الردة غناء وبلاء ، وقد قال الأبيات فى زمن الردة ، وقبل البيت :

أَلاَ أَبْلِغْ أَبَا بَكْرٍ رَسُولاً وَأَبْلِغْهَا جَمِيعَ المُسْلِمِينَا
فَلَسْتُ مُجَاوِراً أَبَدًا قَبِيلاً بِمَا قَالَ الرَّسُولُ مُكَذِّبِينَا
دَعَوْتُ عَشِيرَتِي لِلسِّلْمِ حَتَّى رَأَيْتُهُمُ أَغَارُوا مُفْسِدِينَا

بكسر « السين » ، بمعنى : دعوتهم للإسلام لما ارتدُّوا ، وكان ذلك حين ارتدت كندة مع الأشعث ،[1] بعد وَفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد كان أبو عمرو بن العلاء يقرأ سائرَ ما فى القرآن من ذكر « السلم » بالفتح ، سوى هذه التى فى « سورة البقرة » ، فإنه كان يخصُّها بكسر سينها ، توجيهاً منه لمعناها إلى الإسلام دون ما سواها .

وإنما اخترنا ما اخترنا من التأويل فى قوله : « ادخلوا فى السلم » ، وصرفنا معناه إلى الإسلام ، لأن الآية مخاطب بها المؤمنون ، فلن يعدوَ الخطاب ، إذ كان خطاباً للمؤمنين ، من أحد أمرين :

إما أن يكون خطاباً للمؤمنين بمحمد المصدقين به وبما جاء به . فإن يكن ذلك كذلك ، فلامعنى أن يقال لهم وهم أهل الإيمان : « ادخلوا فى صلح المؤمنين ومسالمتهم » ، لأن المسالمة والمصالحة إنما يؤمر بها من كان حرباً بترك الحرب ، فأما الموالى فلا يجوز أن يقال له : « صَالح فلاناً » ، ولا حربَ بينهما ولا عداوة .

= أو يكون خطاباً لأهل الإيمان بمن قبل محمد صلى الله عليه وسلم من الأنبياء المصدِّقين بهم وبما جاءوا به من عند الله ، المنكرين محمداً ونبوته ، فقيل لهم : « ادخلوا فى السلم » ، يعنى به الإسلام ، لا الصُّلح . لأن الله عز وجل إنما أمر عباده بالإيمان به وبنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به ، وإلى ذلك دعاهم ، دون المسالمة والمصالحة . بل نهى نبيه صلى الله عليه وسلم فى بعض الأحوال عن دعاء أهل الكفر إلى الصلح[2] فقال : ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ

---

(١) هو الأشعث بن قيس الكندى ، وكان وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السنة العاشرة فى سبعين راكباً من كندة ، ثم ارتد فيمن ارتد من العرب . وقاتل فى الردة حتى هزم ، ثم استسلم وأسر ، وقدموا به على أبى بكر ، فقال له أبو بكر : ماذا ترانى أصنع بك ؟ فإنك قد فعلت ما علمت قال الأشعث : تمن على فتفكنى من الحديد ، وتزوجنى أختك ، فإنى قد راجعت وأسلمت . فقال أبو بكر : قد فعلت ! فزوجه أم فروة بنت أبى قحافة ، فكان بالمدينة حتى فتح العراق . ثم شهد الفتوح حتى مات سنة ٤٠ ، وله ثلاث وستون سنة .

(٢) فى المطبوعة : « . . عن دعاء أهل الكفر إلى الإسلام » ، وهو خطأ لاشك فيه ، سبق

مَعَكُم ﴾ [سورة محمد : ٣٥] ، وإنما أباحَ له صلى الله عليه وسلم فى بعض الأحوال ، إذا دعَوه إلى الصلح ، ابتداءَ المصالحة ، فقال له جل ثناؤه : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾ [سورة الأنفال : ٦١] . فأما دعاؤهم إلى الصُّلح ابتداءً ، فغير موجود فى القرآن ، فيجوزُ توجيه قوله : « ادخلوا فى السلم » إلى ذلك .

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال لنا قائل : فأىّ هذين الفريقين دعى إلى الإسلام كافة ؟

قيل : قد اختلف فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : دعى إليه المؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به .

* * *

وقال آخرون : قيل : دُعى إليه المؤمنون بمن قبل محمد صلى الله عليه وسلم من الأنبياء ، المكذبون بمحمد .

* * *

فإن قال : فما وجه دعاء المؤمن بمحمد وبما جاء به إلى الإسلام ؟

قيل : وجهُ دعائه إلى ذلك ، الأمرُ له بالعمل بجميع شرائعه ، وإقامة جميع أحكامه ١٨٩/٢ وحدوده ، دون تضييع بعضه والعمل ببعضه . وإذا كان ذلك معناه ، كان قوله : « كافة » من صفة « السلم » ، ويكون تأويله : ادخلوا فى العمل بجميع معانى السلم ، ولا تضيعوا شيئاً منه يا أهل الإيمان بمحمد وما جاء به .

وبنحو هذا المعنى كان يقول عكرمة فى تأويل ذلك :

٤٠١٦ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة قوله : « ادخلوا فى السلم كافة » ، قال : نزلت فى ثعلبة ، وعبد الله بن سلاَم ، وابن يامين ، وأسد وأسَيْد ابنى كعب ، وسَعْيَه بن عمرو ، (١)

قلم الكاتب فوضع « الإسلام » مكان « الصلح » ، ومحال أن ينهى الله نبيه عن دعاء أحد إلى الإسلام . والسياق دال على الصواب كما ترى .

(١) فى المطبوعة : « شعبة » ؛ وفى الدر المنثور : « سعيد » والذى فى أسماء يهود : « سمية » ، و« سعنة » وأكثر هذه الأسماء من أسماء يهود مما يصعب تحقيقها ويطول ، لكثرة الاختلاف فيها .

وقيس بن زيد – كلهم من يهود – قالوا : يا رسول الله ، يوم السبت يومٌ كنا نعظمه، فدعنا فلنُسبِت فيه! وإن التوراة كتاب الله ، فدعنا فلنقم بها بالليل ! فنزلت: « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان». (١)

* * *

فقد صرح عكرمة بمعنى ما قلنا فى ذلك ، من أن تأويل ذلك دعاء للمؤمنين إلى رَفض جميع المعانى التى ليست من حكم الإسلام، والعمل بجميع شرائع الإسلام، والنهى عن تضييع شىء من حدوده .

* * *

وقال آخرون : بل الفريق الذى دُعى إلى السلم فقيل لهم: «ادخلوا فيه»، بهذه الآية ، هم أهل الكتاب، أمِروا بالدخول فى الإسلام .

* ذكر من قال ذلك :

٤٠١٧ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس فى قوله : « ادخلوا فى السلم كافة » ، يعنى أهل الكتاب .

٤٠١٨ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد يقول ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قول الله عز وجل : « ادخلوا فى السلم كافة »، قال : يعنى أهل الكتاب .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : إن الله جل ثناؤه أمر الذين آمنوا بالدخول فى العمل بشرائع الإسلام كلها . وقد يدخل فى « الذين آمنوا » المصدِّقون بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به ، والمصدقون بمن قبله من الأنبياء والرسل وما جاءوا به . وقد دعا الله عز وجل كلا الفريقين إلى العمل بشرائع الإسلام وحدوده ، والمحافظة على فرائضه التى فرضها ، ونهاهم عن تضييع

---

(١) الأثر : ٤٠١٦ – فى الدر المنثور ١ : ٢٤١ .

شيء من ذلك . فالآية عامة لكل من شمله اسم « الإيمان » ، فلا وجه لخصوص بعض بها دون بعض .

وبمثل التأويل الذى قلنا فى ذلك كان مجاهد يقول :

٤٠١٩ ــ حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله عز وجل : « ادخلوا فى السلم كافة » ، قال : ادخلوا فى الإسلام كافة، ادخلوا فى الأعمال كافة .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ كَآفَّةً ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله[1] : « كافة »، عامة، جميعاً، كما :ــ

٤٠٢٠ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن قتادة قوله : « فى السلم كافة »، قال : جميعاً .

٤٠٢١ ــ حدثنا موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فى السلم كافة » ، قال : جميعاً .

٤٠٢٢ ــ حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « فى السلم كافة » ، قال : جميعاً = وعن أبيه، عن قتادة مثله .

٤٠٢٣ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع بن الجراح ، عن النضر ، عن مجاهد : ادخلوا فى الإسلام جميعاً .

٤٠٢٤ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال ابن عباس : « كافة »، جميعاً .

---

(١) فى المطبوعة : « جل ثناؤه : كافة » بإسقاط « بقوله » ، وهذا سياق الكلام .

٤٠٢٥ ــ حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: «كافة» جميعاً، وقرأ ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾ [سورة التوبة : ٣٦]، جميعاً.

٤٠٢٦ ــ حدثت عن الحسين قال، سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد قال، أخبرنا عبيد بن سليمان قال، سمعت الضحاك يقول في قوله: «ادخلوا في السلم كافة»، قال: جميعاً.

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (٢٠٨)

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بذلك: اعملوا، أيها المؤمنون، بشرائع الإسلام كلها، وادخلوا في التصديق به قولا وعملا، ودعوا طرائق الشيطان وآثاره أن تتبعوها، فإنه لكم عدو مبين لكم عدواته.(١) وطريقُ الشيطان الذي نهاهم أن يتبعوه، هو ما خالف حكم الإسلام وشرائعه، ومنه تسبيت السبت، وسائر سنن أهل الملل التي تخالف ملة الإسلام.

* * *

وقد بينت معنى «الخطوات» بالأدلة الشاهدة على صحته فيما مضى، فكرهت إعادته في هذا المكان.(٢)

* * *

---

(١) انظر تفسير «عدو مبين» فيما سلف ٣ : ٣٠٠.
(٢) انظر ما سلف ٣ : ٣٠١، ٣٠٢.

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢٠٩)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : فإن أخطأتم الحق، [1] فضللتم عنه، وخالفتم الإسلام وشرائعه، من بعد ما جاءتكم حُجَجى وبيِّنات هداى، واتضحت لكم صحة أمر الإسلام بالأدلة التى قطعت عذركم أيها المؤمنون = فاعلموا أن الله ذو عزة لا يمنعه من الانتقام منكم مانع ، ولا يدفعه عن عقوبتكم على مخالفتكم أمره ومعصيتكم إياه دافع = « حكيم» فيما يفعل بكم من عقوبته على معصيتكم إياه ، بعد ١٩٠/٢
إقامته الحجة عليكم، وفى غيره من أموره .

* * *

وقد قال عدد من أهل التأويل إن « البينات » هى محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن . [2] وذلك قريب من الذى قلنا فى تأويل ذلك . لأن محمداً صلى الله عليه وسلم والقرآن ، من حجج الله على الذين خوطبوا بهاتين الآيتين . غير أن الذى قلناه فى تأويل ذلك أولى بالحق ، لأن الله جل ثناؤه قد احتج على من خالف الإسلام من أحبار أهل الكتاب ، بما عهد إليهم فى التوراة والإنجيل، وتقدَّم إليهم على ألسن أنبيائهم بالوَصاةِ به . فذلك وغيرُه من حجج الله تبارك وتعالى عليهم ،مع ما لزمهم من الحجج بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن . فلذلك اخترنا ما اخترنا من التأويل فى ذلك . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* * *

* ذكر أقوال القائلين فى تأويل قوله : « فإن زللتم ». [1]

٤٠٢٧ — حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى فى قوله : « فإن زللتم » ، يقول : فإن ضللتم .

(١) انظر معنى « زل » فيما سلف ١ : ٥٢٤ — ٥٢٥ .
(٢) انظر ما سلف فى تفسير « البينات » ٢ : ٣١٨ ، ٣٥٤ / ثم ٣ : ٢٤٩ — ٢٥١ .

٤٠٢٨ ــ حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « فإن زللتم » ، قال : الزلل الشرك .

* * *

ذكر أقوال القائلين فى تأويل قوله : « من بعد ما جاءتكم البينات » . (١)

٤٠٢٩ ــ حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد ، قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « من بعد ما جاءتكم البينات » ، يقول : من بعد ما جاءكم محمد صلى الله عليه وسلم .

٤٠٣٠ ــ وحدثني القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج : « فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات » ، قال : الإسلام والقرآن .

* * *

٤٠٣١ ــ حدثت عن عمار قال . حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « فاعلموا أن الله عزيز حكيم » ، يقول : عزيز فى نقمته ، حكيم فى أمره . (٢)

* * *

القولُ فى تأويل قوله تعالى ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : هل ينظرُ المكذِّبون بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به ، إلا أن يأتيهم الله فى ظُلل من الغمام والملائكة ؟

* * *

ثم اختلفت القرأة فى قراءة قوله : « والملائكة » .

---

(١) انظر ما سلف فى تفسير « البينات » ٢ : ٣١٨، ٣٥٤ / ثم ٣ : ٢٤٩ – ٢٥١ .

(٢) انظر معنى « عزيز » و « حكيم » فى فهرس اللغة .

فقرأ بعضهم : « هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة » ، بالرفع ، عطفاً بـ « الملائكة » على اسم الله تبارك وتعالى ، على معنى : هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله والملائكةُ فى ظللٍ من الغمام .

* ذكر من قال ذلك :

٤٠٣٢ ــ حدثنى أحمد بن يوسف ، عن أبى عبيد القاسم بن سلام قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر الرازى ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية قال ــ فى قراءة أبىّ بن كعب : « هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله والملائكةُ فى ظلل من الغمام » ــ قال : تأتى الملائكة فى ظلل من الغمام ، ويأتى الله عزّ وجل فيما شاء .

٤٠٣٣ ــ وقد حدثت هذا الحديث عن عمار بن الحسن ، عن عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : هل «ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة » الآية ، وقال أبو جعفر الرازى : وهى فى بعض القراءة : «هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله والملائكة فى ظلل من الغمام» ، كقوله : ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلاً ﴾ [سورة الفرقان : ٢٥] .

* * *

وقرأ ذلك آخرون : « هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكةِ » بالخفض ، عطفاً بـ « الملائكة » على « الظلل » ، بمعنى : هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام وفى الملائكة .

* * *

وكذلك اختلفت القرأة فى قراءة «ظلل » : فقرأها بعضُهم : « فى ظُلَل » ، وبعضهم : « فى ظلال » .

فمن قرأها « فى ظُلل » ، فإنه وجهها إلى أنها جمع « ظُلَّة » ، و « الظُلَّة » ، تجمع « ظُلل وظِلال » ، كما تجمع « الحُلَّة » ، « حُلَل وحِلال » ، و « الجلَّة » ، جُلَل وجلال » .

وأما الذى قرأها « فى ظلال » ، فإنه جعلها جمع « ظُلَّة »، كما ذكرنا من جمعهم « الخلة » « خلال » .

وقد يحتمل أن يكون قارئه كذلك ، وجَّهه إلى أنّ ذلك جمع « ظِلّ » ، لأن « الظُّلة » و « الظِّل » قد يجمعان جميعاً « ظِلالا » .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك عندى : « هل ينظرون إلاّ أن يأتيهم الله فى ظُللٍ من الغمام »، لخبر روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن من الغمام طاقات يأتى الله فيها محفوفاً . [1] فدل بقوله « طاقات »، على أنها ظلل لا ظلال ، لأن واحد «الظلل» «ظلة»، وهى الطاق= واتباعاً لخط المصحف. [2]

وكذلك الواجبُ فى كل ما اتفقت معانيه واختلفتْ فى قراءته القرأة ، ولم يكن على إحدى القراءتين دلالة تنفصل بها من الأخرى غير اختلاف خطّ المصحف ، فالذى ينبغى أن تؤثر قراءته منها، ما وافق رَسم المصحف .

* * *

وأما الذى هو أولى القراءتين فى « والملائكة»، الصواب بالرفع ، عطفاً بها على اسم الله تبارك وتعالى ، على معنى : هل ينظرون إلاّ أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام ، وإلاّ أن تأتيهم الملائكة، على ما روى عن أبىّ بن كعب . لأن الله جل ثناؤه قد أخبر فى غير موضع من كتابه : أن الملائكة تأتيهم ، فقال جل ثناؤه : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [سورة الفجر : ٢٢]، وقال : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٨] ١٩١/٢

فإن أشكلَ على امرىء قولُ الله جل ثناؤه : ﴿وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ ، فظن أنه مخالفٌ معناه معنى قوله : « هل ينظرون إلاّ أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة »،

---

(١) سيأتى فى الأثر رقم : ٤٠٣٨ .

(٢) قوله : « واتباعاً . . . » معطوف على موضع قوله : « لخبر روى عن رسول الله . . . »

إذ كان قوله : « والملائكة » فى هذه الآية بلفظ جميع ، وفى الأخرى بلفظ الواحد ، فإن ذلك خطأ من الظن . وذلك أن « الملك » فى قوله : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ ﴾ بمعنى الجميع ومعنى «الملائكة» . والعرب تذكر الواحد بمعنى الجميع فتقول : « فلان كثير الدرهم والدينار » = يراد به : الدراهم والدنانير = و « هلك البعير والشاةُ » ، بمعنى جماعة الإبل والشاء . فكذلك قوله : والملك » بمعنى « الملائكة » .

* * *

قال أبو جعفر : ثم اختلف أهل التأويل فى قوله : « ظُلل الغمام » ، وهل هو من صلة فعل الله جل ثناؤه ، أو من صلة فعل « الملائكة » . ومن الذى يأتى فيها ؟

فقال بعضهم : هو من صلة فعل الله ، ومعناه : هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظل من الغمام ، وأن تأتيهم الملائكة .

* ذكر من قال ذلك :

٤٠٣٤ ــ حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله عز وجل : « هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام ، قال : هو غير السحاب ،[1] لم يكن إلا لبنى إسرائيل فى تيههم حين تاهوا ، وهو الذى يأتى الله فيه يوم القيامة .

٤٠٣٥ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : «هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام» ، قال : يأتيهم الله وتأتيهم الملائكة عند الموت .

٤٠٣٦ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال عكرمة فى قوله : « هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام » ، قال : طاقات من الغمام ، والملائكة حوله = قال ابن جريج ، وقال غيره : والملائكةُ بالموت .

* * *

(١) انظر تفسير « الغمام » فيما سلف ٢ : ٩٠ ، ٩١ ، وما سيأتى قريباً : ٢٦٦ .

وقول عكرمة هذا، وإن كان موافقاً قولَ من قال إنّ قوله: « فى ظُلل من الغمام » من صلة فعل الرب تبارك وتعالى الذى قد تقدم ذكرُناه ، فإنه له مخالف فى صفة الملائكة . وذلك أن الواجب من القراءة = على تأويل قول عكرمة هذا فى « الملائكة» = الخفضُ، لأنه تأول الآية : هل ينظرون إلاّ أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام وفى الملائكة . لأنه زعم أن الله تعالى يأتى فى ظلل من الغمام والملائكةُ حوله . هذا إن كان وجّه قوله: « والملائكة حوله » إلى أنهم حول الغمام ، وجعل « الهاء » فى « حوله » من ذكر « الغمام». وإن كان وجّه قوله: « والملائكة حوله » إلى أنهم حول الرب تبارك وتعالى ، وجعل « الهاء » فى « حوله » من ذكر الرب عز وجل ، فقوله نظيرُ قول الآخرين الذين قد ذكرنا قولهم ، غيرُ مخالفهم فى ذلك .

* * *

وقال آخرون : بل قوله : « فى ظلل من الغمام » من صلة فعل « الملائكة » ، وإنما تأتى الملائكة فيها . وأما الرب تعالى ذكره فإنه يأتى فيما شاء .

* ذكر من قال ذلك :

٤٠٣٧ ــ حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبى جعفر، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة » الآية ، قال : ذلك يوم القيامة ، تأتيهم الملائكة فى ظلل من الغمام . قال : الملائكة يجيئون فى ظلل من الغمام ، والرب تعالى يجىء فيما شاء .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بالصواب فى ذلك تأويل من وجّه قوله : « فى ظُلل من الغمام » إلى أنه من صلة فعل الرب عز وجل ، وأن معناه : هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام وتأتيهم الملائكة ، لما : ــ

٤٠٣٨ ــ حدثنا به محمد بن حميد قال، حدثنا إبراهيم بن المختار ، عن ابن جريج ، عن زمعة بن صالح ، عن سلمة بن وهرام، عن عكرمة ، عن ابن عباس: أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن من الغمام طاقات يأتى الله فيها محفوفاً ،

وذلك قوله : «هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة وقُضى الأمر» . (١)

* * *

وأما معنى قوله : «هل ينظرون» ، فإنه : ما ينظرون . وقد بيّنا ذلك بعلله فيما مضى من كتابنا هذا قبل . (٢)

* * *

ثم اختلف فى صفة إتيان الرب تبارك وتعالى الذى ذكره فى قوله : «هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله.»

فقال بعضهم : لا صفة لذلك غير الذى وصَف به نفسه عز وجل من المجيء والإتيان والنزول . وغيرُ جائز تكلُّف القول فى ذلك لأحدٍ إلا بخبر من الله جل جلاله أو من رسول مرسل . فأما القول فى صفات الله وأسمائه ، فغيرُ جائز لأحد من جهة الاستخراج إلا بما ذكرنا .

* * *

وقال آخرون : إتيانه عز وجل ، نظيرُ ما يعرف من مجيء الجائى من موضع إلى موضع ، وانتقاله من مكان إلى مكان .

* * *

وقال آخرون : معنى قوله : «هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله» ، يعنى به : هل ينظرون إلا أن يأتيهم أمرُ الله ، كما يقال : «قد خشينا أن يأتينا بنو أمية» ، يراد به : حُكمهم .

* * *

---

(١) الحديث : ٤٠٣٨ — زمعة بن صالح الجندى — بفتح الجيم والنون — اليمانى : ضعيف ، ضعفه أحمد وابن معين وغيرهما . وفصلنا ذلك فى شرح المسند : ٢٠٦١ .

سلمة بن وهرام — بفتح الواو وسكون الهاء — اليمانى : ثقة ، وإنما تكلموا فيه من أجل أحاديث رواها عنه زمعة بن صالح ، والحمل فيها على زمعة .

وهذا الحديث ضعيف ، كما ترى . وذكره السيوطى ١ : ٢٤١ — ٢٤٢ ، ونسبه لابن جرير ، والديلمى ، فقط .

ونقل قبله نحو معناه ، موقوفاً على ابن عباس ، ونسبه لعبد بن حميد ، وأبى يعلى ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم . ولعله موقوفاً أشبه بالصواب .

وانظر الحديث بعده : ٤٠٣٩ .

(٢) كأنه يريد ما سلف ٢ : ٤٨٥ ، من أن حروف الاستفهام تدخل بمعنى الجحد . ولم أجد موضعاً مما يشير إليه غير هذا . وانظر اللسان مادة (هلل) .

١٩٢/٢ وقال آخرون : بل معنى ذلك : هل ينظرون إلا أن يأتيهم ثوابه وحسابه وعذابه، كما قال: عز وجل ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [سورة سبأ : ٣٣] ، وكما يقال : « قطع الوالى اللص أو ضربه » ، وإنما قطعه أعوانُه .

* * *

وقد بينا معنى « الغمام » فيما مضى من كتابنا هذا قبل ، فأغنى ذلك عن تكريره .(١) لأن معناه ههنا ، هو معناه هنالك .

* * *

قال أبو جعفر : فمعنى الكلام إذاً : هل ينظر التاركون الدخول فى السلم كافة،(٢) والمتبعون خُطوات الشيطان ، إلاّ أن يأتيهم الله فى ظلل من الغَمام ، فيقضى فى أمرهم ما هو قاضٍ .

٤٩٣٩ ــ حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى ، عن إسمعيل بن رافع المدينى ، عن يزيد بن أبى زياد ، عن رجل من الأنصار ، عن محمد بن كعب القرظى ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : توقفون موقفاً واحداً يوم القيامة مقدار سبعين عاماً، لا يُنظر إليكم ولا يُقضى بينكم ، قد حُصر عليكم ، فتبكون حتى ينقطع الدمع ، ثم تدمعون دماً ، وتبكون حتى يبلغ ذلك منكم الأذقان، أو يلجمكم فتصيحون ثم تقولون : من يَشفع لنا إلى ربنا فيقضى بيننا؟ فيقولون: من أحقُّ بذلك من أبيكم آدم؟ جبل الله تُربته وخلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه، وكلّمه قِبَلاً !(٣) فيؤتى آدم، فيطلبَ ذلك إليه، فيأبى. ثم يستقرئون الأنبياء نبيًّا نبيًّا، كلما جاءوا نبياً أبى. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حتى يأتونى، فإذا جاءونى خرجت حتى آتى الفَحْص = قال أبو هريرة يا رسول الله، وما الفَحْص ؟ قال : قُدّام العرش= فأخرّ ساجداً، فلا أزال ساجداً

---

(١) انظر ما سلف ٢ : ٩٠ – ٩١ ، وما مضى قريباً : ٢٦٣ .

(٢) فى المطبوعة : « هل ينظرون التاركون . . » ، والصواب ما أثبت .

(٣) « كلمه قبلا » (بكسر القاف وفتح الباء) ، أى عياناً ومقابلة ، لا من وراء حجاب ، ومن غير أن يولى أمره أو كلامه أحداً من الملائكة .

حتى يبعث الله إلىّ ملكاً فيأخذ بعضدىّ فيرفعنى ، ثم يقول الله لى : يا محمد ! فأقول : نعم ! وهو أعلم . فيقول : ما شأنك ؟ فأقول : يارب وعدتنى الشفاعة فشفّعنى فى خلقك ، فاقضِ بينهم . فيقول : قد شفّعتك ، أنا آتيكم فأقضى بينكم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأنصرف حتى أقف مع الناس ، فبينا نحن وقوفٌ سمعنا حِسًّا من السماء شديداً ، فهالنا ، فنزل أهل السماء الدنيا بمثلَىْ من فى الأرض من الجن والإنس ، حتى إذا دنوا من الأرض أشرقَت الأرضُ بنورهم وأخذوا مَصافَّهم ، فقلنا لهم : أفيكم ربُّنا ؟ قالوا : لا ! وهو آتٍ . ثم نزل أهل السماء الثانية بمثْلىْ من نزل من الملائكة ، وبمثلى من فيها من الجنّ والإنس ، حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم ، وأخذوا مصافهم ، فقلنا لهم : أفيكم ربنا ؟ قالوا : لا ! وهو آتٍ . ثم نزل أهل السماء الثالثة بمثلى من نزل من الملائكة ، وبمثلى من فى الأرض من الجن والإنس ، حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم ، وأخذوا مَصافَّهم ، فقلنا لهم : أفيكم ربنا ؟ قالوا : لا ! وهو آتٍ . ثم نزل أهلُ السموات على عدد ذلك من التضعيف ، حتى نزل الجبار فى ظُلل من الغمام والملائكة ، ولهم زجَلٌ من تسبيحهم يقولون : «سبحان ذى الملك والملكوت ! سبحان ربّ العرش ذى الجبروت ! سبحان الحى الذى لا يموت ! سبحان الذى يُميت الخلائق ولا يموت ! سبوح قدوس رب الملائكة والروح ! قدّوس قدّوس ! سبحان ربنا الأعلى ! سبحان ذى السلطان والعظمة ! سبحانه أبداً أبداً» ! فينزل تبارك وتعالى ، يحملُ عرشه يومئذ ثمانية ، وهم اليوم أربعة ، أقدامهم على تُخوم الأرض السفلى ، والسموات إلى حُجَزهم ، والعرشُ على مناكبهم . فوضع الله عز وجل عرشه حيث شاء من الأرض ، ثم ينادى مناد نداءً يُسمع الخلائق ، فيقول : يا معشر الجن والإنس ، إنى قد أنصتُّ منذ يوم خلقتكم إلى يومكم هذا ، أسمع كلامكم ، وأبصر أعمالكم ، فأنصتوا إلىّ ، فإنما هى صُحُفكم وأعمالكم نقرأ عليكم ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه ! فيقضى الله عز وجل بين خلقه الجن والإنس والبهائم ،

فإنه ليقتصُّ يومئذ للجمَّاءِ من ذات القَرْن.(١)

* * *

قال أبو جعفر : وهذا الخبر يدلّ على خطأ قول قتادة فى تأويله قوله : « والملائكة» أنه يعنى به الملائكة تأتيهم عند الموت. لأنه صلى الله عليه وسلم ذكر أنهم يأتونهم بعد قيام الساعة فى موقف الحساب ، حين تشقّقُ السماء ، وبمثل ذلك روى الخبر

---

(١) الحديث : ٤٠٣٩ – هذا حديث ضعيف من جهتين : من جهة إسمعيل بن رافع ، ومن جهة الرجل المبهم من الأنصار . ثم هذا السياق فيه نكارة .

فإسماعيل بن رافع بن عويمر المدنى : ضعيف جداً ، ضعفه أحمد، وابن معين، وأبو حاتم ، وابن سعد ، وغيرهم ، وذكره ابن حبان فى كتاب المجروحين ، رقم : ٤٢ (مخطوط مصور) ، وقال : « كان رجلا صالحاً ، إلا أنه يقلب الأخبار ، حتى صار الغالب على حديثه المناكير ، التى يسبق إلى القلب أنه كالمتعمد لها » .

وهذا الحديث أشار إليه ابن كثير ١ : ٤٧٤ – ٤٧٥ ، وقال : « وهو حديث مشهور ، ساقه غير واحد من أصحاب المسانيد وغيرهم » ! وما وجدته فى شىء مما بين يدى من المراجع . فلا أدرى كيف كان هذا ؟ .

ولإسماعيل بن رافع هذا حديث آخر ، فى معنى هذا الحديث ، أطول منه جداً . ذكره ابن كثير فى التفسير ٣ : ٣٣٧ – ٣٤٢ ، من رواية الطبرانى فى كتابه (المطولات) ، بإسناده ، من طريق أبى عاصم النبيل ، عن إسمعيل بن رافع ، عن محمد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظى ، عن أبى هريرة مرفوعاً . ثم قال ابن كثير ، بعد سياقته بطوله : « هذا حديث مشهور ، وهو غريب جداً ، ولبعضه شواهد فى الأحاديث المتفرقة ، وفى بعض ألفاظه نكارة . تفرد به إسمعيل بن رافع قاص أهل المدينة ، وقد اختلف فيه : فمنهم من وثقه ، ومنهم من ضعفه . ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة ، كأحمد بن حنبل ، وأبى حاتم الرازى ، وعمرو بن على الفلاس . ومنهم من قال فيه : هو متروك وقال ابن عدى : أحاديثه كلها فيها نظر ، إلا أنه يكتب حديثه فى جملة الضعفاء . قلت : [القائل ابن كثير] : وقد اختلف عليه فى إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة ، وقد أفردتها فى جزء على حدة . وأما سياقه فغريب جداً ، ويقال أنه جمعه من أحاديث كثيرة ، وجعله سياقاً واحداً ، فأنكر عليه بسبب ذلك . وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزى يقول : إنه رأى للوليد بن مسلم مصنفاً قد جمعه كالشواهد لبعض مفردات هذا الحديث . فالله أعلم » .

ثم جاء صدر الدين بن أبى العز قاضى القضاة – تلميذ ابن كثير – فأشار إلى هذين الحديثين : حديث الطبرى الذى هنا ، وحديث الطبرانى الذى ذكره شيخه ابن كثير ، إشارة واحدة ، فى شرح شرح الطحاوية ، ص : ١٧١ – ١٧٢ بتحقيقنا ، كأنه اعتبرهما حديثاً واحداً ، فذكر بعض سياق الحديث المطول ، ثم قال : « رواه الأئمة : ابن جرير فى تفسيره ، والطبرانى ، وأبو يعلى الموصلى ، والبيهقى » ، فكان شأنه فى ذلك موضع نظر ، لأن رواية الطبرانى إنما هى فى كتاب آخر غير معاجمه الثلاثة ، كما نقل ابن كثير ، ثم لم أجده فى كتاب الأسماء والصفات للبيهقى. ثم لم يذكره صاحب الزوائد . ولو كان فى أحد معاجم الطبرانى ، أو فى مسند أبى يعلى الموصلى ، كما يوهمه إطلاق ابن أبى العز – لذكره صاحب الزوائد بما التزم من ذلك فى كتابه .

عن جماعة من الصحابة والتابعين ، كرهنا إطالة الكتاب بذكرهم وذكر ما قالوا فى ذلك ، = ويوضحُ أيضاً صحةما اخترنا فى قراءة قوله : « والملائكة » بالرفع ، على معنى : وتأتيهم الملائكة = ويُبينُ عن خطأ قراءة من قرأ ذلك بالخفض ، لأنه أخبر صلى الله عليه وسلم أن الملائكة تأتى أهل القيامة فى موقفهم حين تَفَطَّر السماء ، قبل أن يأتيهم ربُّهم ، فى ظلل من الغمام . إلاّ أن يكون قارىء ذلك ذهب إلى أنه عز وجل عنى بقوله ذلك : إلاّ أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام ، وفى الملائكة الذين يأتون أهلَ الموقف حين يأتيهم الله فى ظلل من الغمام ، فيكون ذلك وجهاً من التأويل ، وإن كان بعيداً من قول أهل العلم ، ودلالة الكتاب وآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم الثابتة .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ (٢١٠) ١٩٣/٢

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بذلك : وفُصِل القضاء بالعدل بين الخلق ، [١] على ما ذكرناه قبلُ عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم : من أخْذ الحق لكلّ مظلوم من كل ظالم ، حتى القصاص للجمّاء من القرناء من البهائم . [٢]

وأما قوله : « وإلى الله تُرجع الأمور » ، فإنه يعنى : وإلى الله يؤول القضاء بين خلقه يوم القيامة ، والحكم بينهم فى أمورهم التى جرت فى الدنيا ، من ظلم بعضهم بعضاً ، واعتداءِ المعتدى منهم حدودَ الله وخلافَ أمره ، وإحسانِ المحسن منهم وطاعته إياه فيما أمرَه به — فيفصلُ بين المتظالمين ، ويجازى أهل الإحسان بالإحسان ،

---

(١) انظر معنى « قضى » ، و « القضاء » فيما سلف ٢ : ٥٤٢ ، ٥٤٣ .

(٢) انظر الأثر السالف رقم : ٤٠٣٩ .

وأهل الإساءة بما رأى ، ويتفضل على من لم يكن منهم كافراً فيعفو . ولذلك قال جل ثناؤه : « وإلى الله تُرجع الأمور » ، وإن كانت أمور الدنيا كلها والآخرة ، من عنده مبدؤها ، وإليه مصيرها ، إذْ كان خلقُه فى الدنيا يتظالمون ، ويلى النظرَ بينهم أحياناً فى الدنيا بعضُ خلقه ، فيحكم بينهم بعضُ عبيده ، فيجورُ بعضٌ ويعدل بعضٌ ، ويصيبُ واحد ويخطىء واحد ، ويمكّن من تنفيذ الحكم على بعض ، ويتعذّر ذلك على بعض ، لمنعة جانبه وغلبته بالقوة . فأعلم عبادَه تعالى ذكره أن مرجع جميع ذلك إليه فى موقف القيامة ، فينصف كُلاًّ من كُلٍّ ، ويجازى حق الجزاء كُلاًّ حيثُ لا ظلمَ ولا مُسْتَنَعَ من نفوذ حكمه عليه ، وحيث يستوى الضعيف والقوىّ والفقير والغنى ، ويضمحل الظلم ، وينزلُ سلطان العدل .

* * *

وإنما أدخل جل وعزّ « الألف واللام » فى « الأمور » ، لأنه جل ثناؤه عنى بها جميع الأمور ، ولم يعن بها بعضاً دون بعض ، فكان ذلك بمعنى قول القائل : « يعجبنى العسل — والبغل أقوى من الحمار » ، فيدخل فيه « الألف واللام » ، لأنه لم يُقصد به قصد بعض دون بعض ، إنما يراد به العموم والجمع .

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَـٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : سل يا محمد بنى إسرائيل — الذين لا ينتظرون — بالإنابة إلى طاعتى ، والتوبة إلىّ بالإقرار بنبوتك وتصديقك ، فيما جئتهم به من عندى — إلا أن آتيهم فى ظلل من الغمام وملائكتى ، فأفصلُ القضاء بينك وبين من آمن بك وصدّقك بما أنزلت إليك من كتبى ، وفرضت

عليك وعليهم من شرائع ديني ، وبينهم = كم جئتهم به من قبلك من آية وعلامة على ما فرضتُ عليهم من فرائضي ، فأمرتهم به من طاعتي ، وتابعتُ عليهم من حججي على أيدي أنبيائي ورسلي من قبلك ، مؤيِّدةً لهم على صدقهم ، بيِّنةً أنها من عندي ، واضحةً أنها من أدلتي على صدق نُذُري ورُسلي فيما افترضت عليهم من تصديقهم وتصديقك ، فكفروا حُجَجي ، وكذَّبوا رسلي ، وغيَّروا نعمي قِبَلَهم ، وبدَّلوا عهدي ووصيتي إليهم .

* * *

وأما « الآية » ، فقد بينت تأويلها فيما مضى من كتابنا بما فيه الكفاية ، (١) وهي ههنا ما : —

٤٠٤٠ — حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : « سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة » ، ما ذكر الله في القرآن وما لم يذكر ، وهم اليهود .

٤٠٤١ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة » ، يقول : آتاهم الله آياتٍ بينات ، عصا موسى ، ويده ، وأقطعهم البحر ، وأغرق عدوَّهم وهم ينظرون ، وظلَّل عليهم الغمام ، وأنزل عليهم المنَّ والسلوى ، وذلك من آيات الله التي آتاها بني إسرائيل في آيات كثيرة غيرها ، خالفوا معها أمر الله ، فقتلوا أنبياء الله ورسله ، وبدلوا عهده ووصيته إليهم ، قال الله : « ومن يُبدِّل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب » .

* * *

قال أبو جعفر : وإنما أنبأ الله نبيه بهذه الآيات ، فأمره بالصبر على من كذَّبه واستكبر على ربه ، وأخبره أنَّ ذلك فعل من قبله من أسلاف الأمم قبلهم بأنبيائهم ،

(١) انظر ما سلف معنى « الآية » ١ : ١٠٦ / ثم ٢ : ٣٩٧ — ٣٩٨ ، ٥٥٣ / ثم ٣ : ١٨٤ . ومعنى « بينة » ، في ٢ : ٣١٨ ، ٣٩٧ / ثم ٣ : ٢٤٩ / وهذا الجزء ٤ : ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

مع مظاهرته عليهم الحجج ؛ وأنّ من هو بين أظهُرهم من اليهودُ إنما هم من بقايا من جرت عاداتهم [بذلك] ، ممن قص عليه قصصهم من بنى إسرائيل .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (٢١١)

قال أبو جعفر : يعنى « بالنعم » جل ثناؤه : الإسلام ، وما فرض من شرائع دينه .

ويعنى بقوله : « ومن يُبدّل نعمة الله » ، ومن يغير ما عاهد الله فى نعمته التى هى الإسلام ،(٢) من العمل والدخول فيه فيكفر به ، فإنه مُعاقبه بما أوْعد على الكفر به من العقوبة ، والله شديدٌ عقابه ، أليم عذابه .

* * *

فتأويل الآية إذاً : يا أيها الذين آمنوا بالتوراة فصدّقوا بها ، ادخلوا فى الإسلام جميعاً ، ودعوا الكفر وما دعاكم إليه الشيطان من ضلالته ، وقد جاءتكم البينات من عندى بمحمد وما أظهرت على يديه لكم من الحجج والعِبَرِ ، فلا تبدّلوا عهدى إليكم فيه وفيما جاءكم به من عندى فى كتابكم بأنه نبيى ورسولى ، فإنه من يبدّل ذلك منكم فيغيّره ، فإنى له معاقب بالأليم من العقوبة . ١٩٤/٢

وبمثل الذى قلنا فى قوله : « ومن يبدّل نعمة الله من بعد ما جاءته » ، قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) ما بين القوسين زيادة ، أخشى أن تكون لازمة حتى يستقيم الكلام .

(٢) انظر معنى « التبديل » فيما سلف ٣ : ٣٩٦ .

٤٠٤٢ ـ حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: «ومن يبدّل نعمة الله من بعد ما جاءته»، قال: يكفر بها.

٤٠٤٣ ـ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

٤٠٤٤ ـ حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي: «ومن يبدّل نعمة الله»، قال، يقول: من يبدّلها كفراً.

٤٠٤٥ ـ حدثت عن عمار، عن ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: «ومن يبدّل نعمة الله من بعد ما جاءته»، يقول: ومن يكفُر نعمتَه من بعد ما جاءته.

* * *

القول في تأويل قوله جلّ ذكره ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بذلك: زيّن للذين كفروا حبُّ الحياة الدنيا العاجلة اللذات، (١) فهم يبتغون فيها المكاثرة والمفاخرة، ويطلبون فيها الرياسات والمباهاة، ويستكبرون عن اتباعك يا محمد والإقرار بما جئت به من عندي، تعظُّماً منهم على من صدّقك واتبعك، ويسخرون بمن تبعك من أهل الإيمان والتصديق بك، في تركهم المكاثرة والمفاخرة بالدنيا وزينتها من الرياش والأموال

(١) في المطبوعة: «العاجلة في الذنب»، وهو كلام بلا معنى. وقد سمى الله الدنيا «العاجلة» لتعجيله للذين يحبونها ما يشاء من زينتها ولذتها، وهو يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً﴾ [سورة الإسراء: ١٨]

بطلب الرياسات ، وإقبالهم على طلبهم ما عندى برفض الدنيا وترك زينتها . والذين عملوا لى = وأقبلوا على طاعتى ، ورفضوا لذات الدنيا وشهواتها ، اتباعاً لك ، وطلباً لما عندى ، واتقاءً منهم بأداء فرائضى وتجنُّب معاصىَّ = فوق الذين كفروا يوم القيامة ، بإدخال المتقين الجنة ، وإدخال الذين كفروا النار .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك من التأويل قال جماعة منهم .

* ذكر من قال ذلك :

٤٠٤٦ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « زُيِّن للذين كفروا الحياة الدنيا »، قال : الكفار يبتغون الدنيا ويطلبونها = « ويسخرون من الذين آمنوا »، فى طلبهم الآخرة ــ قال ابن جريج : لا أحسبه إلا عن عكرمة ، قال : قالوا : لو كان محمد نبياً كما يقول ، لاتبعه أشرافنا وساداتنا ! والله ما اتبعه إلا أهل الحاجة مثل ابن مسعود !

٤٠٤٧ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله: « والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة »، قال : «فوقهم» ، فى الجنة .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٢١٢)

قال أبو جعفر : ويعنى بذلك : والله يعطى الذين اتقوا يوم القيامة من نعمه وكراماته وجزيل عطاياه ، بغير محاسبة منه لهم على ما منّ به عليهم من كرامته .

* * *

فإن قال لنا قائل : وما فى قوله : « يرزق من يشاء بغير حساب » من المدح ؟ قيل : المعنى الذى فيه من المدح ، الخبرُ عن أنه غير خائف نفادَ خزائنه ،

فيحتاج إلى حساب ما يخرج منها ، إذ كان الحساب من المعطى إنما يكون ليعلم قَدْر العطاء الذى يخرج من ملكه إلى غيره، لئلا يتجاوز فى عطاياه إلى ما يُجحف به. فربنا تبارك وتعالى غيرُ خائف نفادَ خزائنه، ولا انتقاصَ شيء من ملكه ، بعطائه ما يعطى عبادَه، فيحتاج إلى حساب ما يعطى وإحصاء ما يبقى. فذلك المعنى الذى فى قوله : « والله يرزق من يشاء بغير حساب » .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى معنى : « الأمة » : فى هذا الموضع ،[1] وفى « الناس » الذين وصفهم الله بأنهم : كانوا أمة واحدة .

فقال بعضهم : هم الذين كانوا بين آدم ونوح، وهم عشرة قرون، كلهم كانوا على شريعة من الحق ، فاختلفوا بعد ذلك .

* ذكر من قال ذلك :

٤٠٤٨ ــ حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا أبو داود قال، حدثنا همام بن منبه ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان بين نوح وآدم عشرة قرون ، كلهم على شريعة من الحق . فاختلفوا ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين . قال : وكذلك هى فى قراءة عبد الله : « كان الناس أمةً واحدةً فاختلفوا » .[2]

---

(١) انظر معنى (الأمة) فيما سلف ١ : ٢٢١ / ثم ٣ : ٧٤، ١٠٠، ١٢٨، ١٤١ .

(٢) الأثر : ٤٠٤٨ – رواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٥٤٦ – ٥٤٧ ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى .

٤٠٤٩ ـ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « كان الناس أمة واحدة »، قال: كانوا على الهدى جميعاً فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، فكان أوّلَ نبي بُعث نوحٌ .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل «الأمة »، على هذا القول الذى ذكرناه عن ابن عباس، « الدين » ، كما قال النابغة الذبيانى :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً وَهَلْ يَأْثَمَنْ ذُو أُمَّةٍ وَهْوَ طَائِعُ ؟(١)

يعنى : ذا الدين .

* * *

فكان تأويل الآية على معنى قول هؤلاء : كان الناس أمّة مجتمعة على ملة واحدة ودين واحد فاختلفوا ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين . ١٩٥/٢

* * *

وأصل « الأمة » ، الجماعة تجتمع على دين واحد ، ثم يُكتفى بالخبر عن « الأمة » ، من الخبر عن « الدين » ، لدلالتها عليه ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾[سورة المائدة : ٤٨ / سورة النحل : ٩٣]، يراد به: أهل دين واحد وملة واحدة . فوجه ابن عباس فى تأويله قوله: « كان الناس أمة واحدة » ، إلى أن الناس كانوا أهل دين واحد حتى اختلفوا .

* * *

وقال آخرون : بل تأويل ذلك : كان آدم على الحقّ ، إماماً لذريته ، فبعث الله النبيين فى ولده . ووجهوا معنى « الأمة » إلى الطاعة لله ، والدعاء إلى توحيده واتباع أمره ، من قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلهِ حَنِيفاً ﴾[سورة النحل : ١٢٠]، يعنى بقوله : «أمة»، إماماً فى الخير يُقتدى به ويُتّبع عليه .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) ديوانه : ٤٠ ، واللسان (أم) ، من قصيدته المشهورة فى اعتذاره للنعمان . يقول : أيتهجم على الإثم ذو دين ، وقد أطاع الله وأخبت له ، فيحلف لك كاذباً بيمين غموس كالتى حلفت بها ، لأنفى عن قلبك الريبة فى أمرى .

٤٠٥٠ ـ حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد: « كان الناس أمة واحدة »، قال : آدم.

٤٠٥١ ـ حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله .

٤٠٥٢ ـ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « كان الناس أمة واحدة »، قال : آدم . قال: كان بين آدم ونوح عشرة أنبياء ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين . قال مجاهد : آدم أمة وحدَه . (١)

* * *

وكأنّ من قال هذا القول، استجاز بتسمية الواحد باسم الجماعة ، لاجتماع أخلاق الخير الذى يكون فى الجماعة المفرَّقة فيمن سماه بـ « الأمة » ، كما يقال « فلان أمة وحده »، (١) يقوم مقام الأمة .

وقد يجوز أن يكون سماه بذلك، لأنه سبب لاجتماع الأشتات من الناس على ما دعاهم إليه من أخلاق الخير . (٢) فلما كان آدم صلى الله عليه وسلم سبباً لاجتماع من اجتمع على دينه من ولده إلى حال اختلافهم ، (٣) سماه بذلك « أمة » .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : كان الناس أمة واحدة على دين واحد ، يوم استخرَج ذرية آدمَ من صلبه فعرضهم على آدم .

* ذكر من قال ذلك :

٤٠٥٣ ـ حدثت عن عمار ، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع

---

(١) فى المطبوعة : « أمة واحدة » فى الموضعين، وهو خطأ، والصواب ما أثبت . وذلك ما جاء فى حديث قس بن ساعدة : « إنه يبعث يوم القيامة أمة وحده » ، ويقال أيضاً : « هو أمة على حدة » ، كالذى فى الحديث : « يبعث يوم القيامة زيد بن عمرو بن نفيل ، أمة على حدة » .

(٢) فى المطبوعة : « سبب لاجتماع الأسباب من الناس » ، وهو تصحيف . والأشتات : المتفرقون ، ومثله : شتّى .

(٣) قوله : « إلى حال اختلافهم » ، أى : إلى أن صارت حالهم إلى الاختلاف والتفرق .

قوله : « كان الناس أمة واحدة » ـ وعن أبيه ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب قال : كانوا أمة واحدة حيث عُرضوا على آدم ، ففطَرهم يومئذ على الإسلام ، وأقرُّوا له بالعبودية ، وكانوا أمة واحدة مسلمين كلهم ، ثم اختلفوا من بعد آدم = فكان أبيّ يقرأ : « كان الناسُ أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين » إلى « فيما اختلفوا فيه » . وإن الله إنما بعث الرسل وأنزل الكتب عند الاختلاف .

٤٠٥٤ ـ حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: «كان الناس أمة واحدة » ، قال: حين أخرجهم من ظهر آدم، لم يكونوا أمة واحدة قطُّ غيرَ ذلك اليوم = « فبعث الله النبيين » ، قال : هذا حين تفرقت الأمم .

* * *

وتأويل الآية على هذا القول ، نظيرُ تأويل قول من قال بقول ابن عباس : إن الناس كانوا على دين واحد فيما بين آدمَ ونوح ـ وقد بينا معناه هنالك، إلا أن الوقت الذي كان الناس فيه أمة واحدة ، مخالفٌ الوقتَ الذي وقَّته ابن عباس .

* * *

وقال آخرون بخلاف ذلك كله في ذلك ، وقالوا : إنما معنى قوله: «كان الناس أمة واحدة » ، على دين واحد ، فبعث الله النبيين .

* ذكر من قال ذلك :

٤٠٥٥ ـ حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : «كان الناس أمة واحدة »، يقول: كان ديناً واحداً ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلات في هذه الآية بالصواب أن يقال : إن الله عز وجل أخبر عباده أنّ الناس كانوا أمة واحدة على دين واحد وملة واحدة ، كما : ـ

٤٠٥٦ ــ حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « كان الناس أمة واحدة »، يقول: ديناً واحداً على دين آدم ، فاختلفوا ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين .

* * *

= وكان الدينُ الذى كانوا عليه دينَ الحق، كما قال أبى بن كعب ، وكما: ــ

٤٠٥٧ ــ حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : هى فى قراءة ابن مسعود : « اختلفوا عنه » ، عن الإسلام . (١)

* * *

= فاختلفوا فى دينهم ، (٢) فبعث الله عند اختلافهم فى دينهم النبيين مبشرين ومنذرين ، «وأنزل معهم الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه »، رحمة منه جل ذكره بخلقه ، واعتذاراً منه إليهم .

وقد يجوز أن يكون ذلك الوقت الذى كانوا فيه أمة واحدة من عهد آدم إلى عهد نوح عليهما السلام ، كما روى عكرمة عن ابن عباس ، وكما قاله قتادة . وجائزٌ أن يكون كان ذلك حين عَرض على آدم خلقه . وجائزٌ أن يكون كان ذلك فى وقت غير ذلك ــ ولا دلالة من كتاب الله ولا خبر يثبت به الحجة، على أىٍّ هذه الأوقات كان ذلك . فغيرُ جائز أن نقول فيه إلا ما قال الله عز وجل : من أن الناس كانوا أمة واحدة، فبعث الله فيهم، لما اختلفوا، الأنبياءَ والرسل . ولا يضرُّنا ١٩٦/٢

(١) الأثر : ٤٠٥٧ ــ سيأتى هذا الأثر برقم : ٤٠٦٣ وكان نصه هنا كنصه هناك ، ولكنه تصحيف نساخ فيما أظن ، كما سيأتى . كان فى المطبوعة « اختلفوا فيه ــ على الإسلام » .

(٢) فى المطبوعة : « واختلفوا فى دينهم » بالواو ، والصواب بالفاء ، وهو من كلام الطبرى ، لا من الأثر ، وهو من سياق قوله قبل: « وكان الدين الذى كانوا عليه دين الحق . . . فاختلفوا . . . »

الجهل بوقت ذلك ، كما لا ينفعُنَا العلمُ به ، إذا لم يكن العلم به لله طاعةً.(١)

غير أنه أى ذلك كان، فإن دليلَ القرآن واضحٌ على أن الذين أخبر الله عنهم أنهم كانوا أمة واحدة ، إنما كانوا أمة واحدة على الإيمان ودين الحق ، دون الكفر بالله والشرك به . وذلك أن الله جل وعز قال فى السورة التى يذكر فيها « يونس » : ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [سورة يونس : ١٩] . فتوعَّد جل ذكره على الاختلاف لا على الاجتماع ، ولا على كونهم أمة واحدة . ولو كان اجتماعُهم قبل الاختلاف كان على الكفر ، ثم كان الاختلاف بعد ذلك، لم يكن إلا بانتقال بعضهم إلى الإيمان. ولو كان ذلك كذلك ، لكان الوعد أولى بحكمته جل ثناؤه فى ذلك الحال من الوعيد ، لأنها حال إنابة بعضهم إلى طاعته . ومحالٌ أن يتوعد فى حال التوبة والإنابة ، ويترك ذلك فى حال اجتماع الجميع على الكفر والشرك .

* * *

قال أبو جعفر : وأما قوله : « فبعثَ الله النبيين مبشرين ومنذرين » ، فإنه يعنى أنه أرسل رسلا يبشرون من أطاع الله بجزيل الثواب وكريم المآب = ويعنى بقوله : « ومنذرين »، ينذرون من عصى الله فكفر به بشدّة العقاب وسوء الحساب والخلود فى النار = « وأنزل معهم الكتابَ بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه »، يعنى بذلك : ليحكم الكتاب — وهو التوراة — بين الناس فيما اختلف المختلفون فيه . فأضاف جل ثناؤه « الحكم» إلى « الكتاب »، وأنه الذى يحكم بين الناس دون النبيين والمرسلين ، إذْ كان مَنْ حكم من النبيين والمرسلين بحُكم، إنما يحكم بما دلَّهم عليه الكتاب الذى أنزل الله عز وجل . فكان الكتاب، بدلالته على ما دلَّ وصفه على صحته من الحكم، حاكماً بين الناس، وإن كان الذى يفصل القضاء بينهم غيرُه .

* * *

(١) هذه حجة رجل تقى ورع عاقل ، بصير بمواضع الزلل فى العقول ، و بمواطن الجرأة على الحق من أهل الجرأة الذين يتهجمون على العلم بغياً بالعلم . ولو عقل الناس لأمسكوا فضل ألسنتهم ، ولكنهم قلما يفعلون .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « وما اختلف فيه » ، وما اختلف فى الكتاب الذى أنزله ، وهو التوراة = «إلا الذين أوتوه »، يعنى بذلك اليهودَ من بنى إسرائيل، وهم الذين أوتوا التوراة والعلم بها = و «الهاء» فى قوله: « أوتوه » عائدة على « الكتاب » الذى أنزله الله = « من بعد ما جاءتهم البينات»، يعنى بذلك: من بعد ما جاءتهم حجج الله وأدلته أنّ الكتابَ الذى اختلفوا فيه وفى أحكامه من عند الله ، وأنه الحق الذى لا يسعهم الاختلاف فيه ولا العمل بخلاف ما فيه . فأخبر عز ذكره عن اليهود من بنى إسرائيل أنهم خالفوا الكتابَ التوراةَ ، واختلفوا فيه على علم منهم ما يأتون ، متعمِّدين الخلاف على الله فيما خالفوه فيه من أمره وحكم كتابه .

ثم أخبر جل ذكره أن تعمُّدهم الخطيئة التى أتوها ،[1] وركوبهم المعصية التى ركبوها ، من خلافهم أمرَه ، إنما كان منهم بغياً بينهم .

* * *

و « البغى » مصدر من قول القائل : « بغى فلانٌ على فلان بغياً »، إذا طغى واعتدى عليه فجاوز حدّه . ومن ذلك قيل للجرح إذا أمدّ ، وللبحر إذا كثر ماؤه ففاض ، وللسحاب إذا وقع بأرض فأخصبت ، « بَغَى » ، كل ذلك بمعنى واحد ، وهى زيادته وتجاوز حده .[2]

* * *

فمعنى قوله جل ثناؤه : « وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم » ، من ذلك . يقول : لم يكن اختلاف هؤلاء المختلفين من اليهود من بنى إسرائيل ، فى كتابى الذى أنزلته مع نبيٍّ ، عن جهل منهم به ، بل كان

---

(١) فى المطبوعة : « تعمدهم الخطيئة التى أنزلها » ، وهو تصحيف ، وكلام بلا معنى .

(٢) انظر معنى « البغى » فيما سلف ١ : ٣٤٢ .

اختلافهم فيه وخلافُ حكمه ، من بعد ما ثبتت حجته عليهم ، بغياً بينهم طلبَ الرياسة من بعضهم على بعض ، واستذلالاً من بعضهم لبعض ، كما : —

٤٠٥٨ — حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : ثم رجع إلى بني إسرائيل في قوله : « وما اختلف فيه إلاّ الذين أوتوه » ، يقول : إلاّ الذين أوتوا الكتابَ والعلم = « من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم » ، يقول : بغياً على الدنيا ، وطلبَ ملكها وزخرفها وزينتها ، أيُّهم يكون له الملك والمهابة في الناس ، فبغى بعضُهم على بعض ، وضرب بعضُهم رقاب بعض .

* * *

قال أبو جعفر : ثم اختلف أهل العربية في « مِنْ » التي في قوله : « من بعد ما جاءتهم البينات » ، ما حكمها ومعناها ؟ وما المعنى المنتسق في قوله : « وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم » ؟

فقال بعضهم : « من » ، ذلك للذين أوتوا الكتاب ، وما بعده صلة له . غيرَ أنه زعم أن معنى الكلام : وما اختلف فيه إلا للذين أوتوه ، بغياً بينهم ، من بعد ما جاءتهم البينات . وقد أنكر ذلك بعضهم فقال : لا معنى لما قال هذا القائل ، ولا لتقديم « البغي » قبل « من » ، لأن « من » إذا كان الجالب لها « البغي » ، فخطأ أن تتقدمه ، لأن « البغي » مصدر ، ولا تتقدم صلة المصدر عليه . وزعم المنكر ذلك أن « الذين » مستثنى ، وأنّ « من بعدما جاءتهم البينات » مستثنى باستثناء آخر ، ١٩٧/٢
وأن تأويل الكلام : وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه ، ما اختلفوا فيه إلا بغياً ، ما اختلفوا إلاّ من بعد ما جاءتهم البينات = فكأنه كرر الكلام توكيداً .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا القول الثاني أشبه بتأويل الآية . لأن القوم لم يختلفوا إلاّ من بعد قيام الحجة عليهم ومجيء البينات من عند الله ، وكذلك لم يختلفوا إلا بغياً . فذلك أشبه بتأويل الآية .

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٢١٣)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « فهدى الله »، فوفق [الله] الذين آمنوا، (١) وهم أهل الإيمان بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم، المصدّقين به وبما جاء به أنه من عند الله، لما اختلف الذين أوتوا الكتاب فيه . وكان اختلافهم الذى خذلهم الله فيه ، وهدى له الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فوفقهم لإصابته : « الجمُعة » ضلوا عنها ، وقد فُرضت عليهم كالذى فُرض علينا، فجعلوها « السبت »، فقال صلى الله عليه وسلم : « نحن الآخِرونَ السابقون ، بيدَ أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، وأوتيناه من بعدهم ، وهذا اليوم الذى اختلفوا فيه ، فهدانا الله له ، فلليهود غداً وللنصارى بعد غد » .

٤٠٥٩ ــ حدثنا بذلك محمد بن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن عياض بن دينار الليثى قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم ، فذكر الحديث . (٢)

٤٠٦٠ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الأعمش، عن أبى صالح، عن أبى هريرة: «فهدى الله الذين آمنوا لما

---

(١) انظر معنى « هدى » فيما سلف ١ : ١٦٦ — ١٧٠ ، ٢٣٠ ، ٢٤٩ ، ٥٤٩ — ٥٥١ ، وانظر فهارس اللغة فى الأجزاء السالفة ، فى معنى هذه الكلمة ، وفى معنى « الإيمان » .

(٢) الحديث : ٤٠٥٩ — محمد بن حميد الرازى ، شيخ الطبرى : معروف ، مضت الرواية عنه كثيراً . ووقع فى المطبوعة هنا « أحمد بن حميد » ؛ وهو غلط وتحريف .

عياض بن دينار الليثى : تابعى ثقة، سمع من أبى هريرة . وقد وثقه ابن إسحق فى حديث آخر . رواه عنه ، فى المسند : ٧٤٨١ ، وترجمه البخارى فى الكبير ٢٢/١/٤ ، وذكره ابن حبان فى ثقات التابعين ، ص : ٢٩٩ (من كتاب الثقات المخطوط المصور) .

وهذا حديث صحيح ، معروف مشهور ، من حديث أبى هريرة ، ثبت عنه من غير وجه . وانظر الحديث الذى عقبه .

اختلفوا فيه من الحق بإذنه » ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : نحن الآخرون الأوّلون يوم القيامة ، نحن أوّل الناس دخولاً الجنة ، بيد أنهم أوتوا الكتابَ من قبلنا ، وأوتيناه من بعدهم ، فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه . فهذا اليوم الذى هدانا الله له ، والناس لنا فيه تبع ، غداً لليهود ، وبعد غد للنصارى .(١)

* * *

* وكان مما اختلفوا فيه أيضاً ، ما قال ابن زيد ، وهو ما : —

٤٠٦١ — حدثني به يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « فهدى الله الذين آمنوا » للإسلام . واختلفوا فى الصلاة ، فنهم من يصلى إلى المشرق ، ومنهم من يصلى إلى بيت المقدس ، فهدانا للقبلة . واختلفوا فى الصيام ، فنهم من يصوم بعض يوم ، وبعضهم بعضَ ليلة ، وهدانا الله له . واختلفوا فى يوم الجمعة ، فأخذت اليهود السبت ، وأخذت النصارى الأحد ، فهدانا الله له . واختلفوا فى إبراهيم ، فقالت اليهود : كان يهودياً ! وقالت النصارى : كان نصرانياً ! فبرأه الله من ذلك ، وجعله حنيفاً مسلماً ، وما كان من المشركين للذين يدّعونه من أهل الشرك .(٢) واختلفوا فى عيسى ، فجعلته اليهود لِفِرْية ، وجعلته النصارى رباً ، فهدانا الله للحق فيه . فهذا الذى قال جل ثناؤه : «فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه » .

* * *

قال أبو جعفر :(٣) فكانت هداية الله جل ثناؤه الذين آمنوا بمحمد وبما

---

(١) الحديث : ٤٠٦٠ — هو فى تفسير عبد الرزاق ، ص ٢٣ ، بهذا الإسناد . وكذلك رواه أحمد فى المسند : ٧٦٩٢ ، عن عبد الرزاق .

ورواه الشيخان وغيرهما . فانظر المسند أيضاً : ٧٢١٣ ، ٧٣٠٨ ، ٧٣٩٣ ، ٧٣٩٥ ، ٧٦٩٣ ، وما أشرنا إليه هناك من التخريج فى مواضع متعددة .

(٢) فى المطبوعة : « « الذين يدعونه » ، والصواب ما أثبت .

(٣) فى المطبوعة : « قال : فكانت هداية الله جل ثناؤه . . . » ، يتوهم القارىء أن هذا الآتى إنما هو من الأثر السالف ، وليس ذلك كذلك ، بل هو من كلام أبى جعفر ، كما يدل عليه سياقه الآتى ، وكما يتبين من رواية هذا الأثر السالف فى تفسير ابن كثير ١ : ٤٨٩ : ٤٩٠ ، والدر المنثور ١ : ٢٤٣ . فلذلك فصلت بين الكلامين وجعلت صدر الكلام : « قال أبو جعفر » .

جاء به ، لما اختلف — هؤلاء الأحزاب من بنى إسرائيل الذين أوتوا الكتاب — فيه من الحق بإذنه أنْ وفقهم لإصابة ما كان عليه من الحق مَنْ كان قبل المختلفين الذين وصف الله صفتهم فى هذه الآية ، إذ كانوا أمة واحدة ، وذلك هو دين إبراهيم الحنيفِ المسلم خليلِ الرحمن ، فصاروا بذلك أمة وَسطاً ، كما وصفهم به ربهم ، ليكونوا شهداء على الناس ، كما : —

٤٠٦٢ — حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه » ، فهداهم الله عند الاختلاف ، أنهم أقاموا على ما جاءت به الرسل قبل الاختلاف : أقاموا على الإخلاص لله وحده ، وعبادته لا شريك له ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، فأقاموا على الأمر الأول الذى كان قبل الاختلاف ، واعتزلوا الاختلاف ، فكانوا شهداء على الناس يوم القيامة ، كانوا شهداء على قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم شعيب وآل فرعون: أن رسلهم قد بلّغوهم ، وأنهم كذّبوا رسلهم . وهى فى قراءة أبى بن كعب : ﴿ لِيَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ واللهُ يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ، فكان أبو العالية يقول : فى هذه الآية المخرج من الشبهات والضلالات والفتن .

٤٠٦٣ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : «فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه» ، يقول : اختلف الكفار فيه ، فهدى الله الذين آمنوا للحق من ذلك . وهى فى قراءة ابن مسعود : « فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا عنه » ، عن الإسلام .[1]

* * *

(١) الأثر : ٤٠٦٣ — انظر الأثر ، السالف رقم : ٤٠٥٧ والتعليق عليه . وكان فى المطبوعة هنا وهناك : « لما اختلفوا فيه على الإسلام » ، وهو غير بين المعنى ، والذى أثبته هو نص ما فى القرطبى ٣ : ٣٣ ، والدر المنثور ١ : ٢٤٣ .

قال أبو جعفر : وأمّا قوله : « بإذنه »، فإنه يعنى جل ثناؤه: بعلمه، بما هداهم له . وقد بينا معنى « الإذن »، إذْ كان بمعنى العلم فى غير هذا الموضع، بما أغنى عن عن إعادته ههنا .(١)

* * *

وأما قوله : « والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم » ، فإنه يعنى به : والله يسدّد من يشاء من خلقه ويُرشده إلى الطريق القويم على الحق الذى لا اعوجاج فيه ، كما هدى الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم لما اختلف الذين أوتوا الكتاب فيه بغياً بينهم ، فسددهم لإصابة الحق والصواب فيه . ١٩٨/٢

* * *

قال أبو جعفر : وفى هذه الآية البيان الواضح على صحة ما قاله أهل الحقّ : من أن كل نعمة على العباد فى دينهم أو دنياهم فمن الله جل وعز .

* * *

فإن قال لنا قائل : وما معنى قوله : « فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه»؟ أهداهم للحق ، أم هداهم للاختلاف؟ فإن كان هداهم للاختلاف ، فإنما أضلهم! وإن كان هداهم للحق ، فكيف قيل ، « فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه » ؟

قيل: إن ذلك على غير الوجه الذى ذهبتَ إليه . وإنما معنى ذلك : فهدى الله الذين آمنوا للحقّ فيما اختلف فيه من كتاب الله الذين أوتوه ، فكفر بتبديله بعضُهم ، وثبت على الحق والصواب فيه بعضهم — وهم أهل التوراة الذين بدّلوها — فهدى الله للحقّ مما بدّلوا وحرّفوا ، الذين آمنوا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

* * *

قال أبو جعفر : فإن أشكل ما قلنا على ذى غفلة فقال : وكيف يجوز أن يكون ذلك كما قلت، و « مِنْ » إنما هى فى كتاب الله فى « الحق » ، و « اللام » فى قوله : «لما اختلفوا فيه»، وأنت تحول «اللام » فى « الحق »، و «من» فى « الاختلاف»، فى التأويل الذى تتأوله فتجعله مقلوباً ؟

---

(١) انظر ما سلف ٢ : ٤٤٩ — ٤٥٠ .

قيل: ذلك فى كلام العرب موجودٌ مستفيضٌ، والله تبارك وتعالى إنما خاطبهم بمنطقهم، فمن ذلك قول الشاعر: (١)

كَانَتْ فَرِيضَةُ مَا تَقُول كما كَانَ الزِّنَاء فَرِيضَةَ الرَّجْمِ (٢)

وإنما الرجم فريضة الزنا، وكما قال الآخر:

إنَّ سِرَاجاً لَكَرِيمٌ مَفْخَرُهْ تَحْلَى به العَيْنُ إذَا مَا تَجْهَرُهْ (٣)

وإنما سراجٌ الذى يحلى بالعين، لا العين بسراج.

* * *

وقد قال بعضهم: إن معنى قوله: «فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق»، أن أهلَ الكتب الأوّل اختلفوا، فكفر بعضهم بكتاب بعض، وهى كلها من عند الله، فهدى الله أهلَ الإيمان بمحمد للتصديق بجميعها.

وذلك قولٌ، غير أن الأوّل أصح القولين. لأن الله إنما أخبر باختلافهم فى كتاب واحد.

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (٢١٤)

قال أبو جعفر: أما قوله: «أم حسبتم»، كأنه استفهم بـ «أم» فى ابتداء لم يتقدمه حرف استفهام، لسبوق كلام هو به متصل. (٤) ولو لم يكن قبله كلام

(١) هو النابغة الجعدى.

(٢) سلف تخريج البيت فى ٣: ٣١١، ٣١٢.

(٣) سلف تخريج الشعر فى ٣: ٣١٢.

(٤) فى المطبوعة: «لمسبوق كلام»، وهو فاسد المعنى وذلك أن أحد شروط «أم»

يكون به متصلا ، وكان ابتداءً ، لم يكن إلا بحرف من حروف الاستفهام . لأن قائلا لو كان قال مبتدئاً كلاماً لآخر : «أم عندك أخوك» ؟ لكان قائلاً ما لا معنى له . ولكن لوقال : « أنت رجل مُدِلٌّ بقوتك، أم عندك أخوك ينصرك ؟» كان مصيباً . وقد بيّنّا بعض هذا المعنى فيما مضى من كتابنا هذا، بما فيه الكفاية عن إعادته .(١)

* * *

فمعنى الكلام : أم حسبتم أنكم أيها المؤمنون بالله ورسله تدخلون الجنة ، ولم يصبكم مثلُ ما أصاب مَن قبلكم مِن أتباع الأنبياء والرسل من الشدائد والمحن والاختبار ، فتُبتلوا بما ابتُلوا واختبروا به من «البأساء» – وهو شدة الحاجة والفاقة = «والضراء» – وهى العلل والأوصاب(٢) – ولم تزلزلوا زلزالهم – يعنى : ولم يصبهم من أعدائهم من الخوف والرعب شدة وجهدٌ حتى يستبطىء القوم نصر الله إياهم فيقولون : متى الله ناصرنا ؟ ثم أخبرهم الله أن نصره منهم قريبٌ، وأنه مُعليهم على عدوِّهم، ومظهرهم عليه ، فنجزَ لهم ما وعدهم ، وأعلى كلمتهم، وأطفأ نار حرب الذين كفروا .

* * *

وهذه الآية – فيما يزعم أهل التأويل – نزلت يومَ الخندق حين لقى المؤمنون ما لَقوا من شدة الجهد من خوف الأحزاب ، وشدة أذى البرد وضيق العيش الذى كانوا فيه يومئذ . يقول الله جل وعز للمؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا﴾ إلى قوله : ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً﴾[سورة الأحزاب : ٩ – ١١] .

فى الاستفهام : أن تيكن نسقاً فى الاستفهام، لتقدم ما تقدمها من الكلام . (انظر ما سلف ٢ : ٤٩٣) وقوله « لسبوق » هذا مصدر لم يرد فى كتب اللغه ، ولكنى رأيت الطبرى وغيره يستعمله ، وسيأتى فى نص الطبرى بعد ٢ . ٢٤٠، ٢٤٦ (بولاق)

(١) انظر ما سلف ٢ ٤٩٣ – ٤٩٤ ثم ٣ ٩٧ ، وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ١٣٢

(٢) انظر معنى « البأساء والضراء » فيما سلف ٣ ٣٤٩ – ٣٥٢

• ذكر من قال نزلت هذه الآية يوم الأحزاب :

٤٠٦٤ ـ حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا » ، قال : نزل هذا يوم الأحزاب حين قال قائلهم : ﴿ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [سورة الأحزاب : ١٢] .

٤٠٦٥ ـ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مسّتهم البأساءُ والضراء وزلزلوا »، قال: نزلت فى يوم الأحزاب ، أصاب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بلاءٌ وحصرٌ، فكانوا كما قال الله جل وعزّ: ﴿ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾ ١٩٩/٢

* * *

وأما قوله : « ولما يأتكم »، فإنّ عامة أهل العربية يتأوّلونه بمعنى : ولم يأتكم ، ويزعمون أن « ما » صلة وحشو . وقد بينت القول فى « ما » التى يسميها أهل العربية « صلة » ، ما حكمها ؟ فى غير هذا الموضع بما أغنى عن إعادته .(١)

* * *

وأما معنى قوله : « مثل الذين خلوا من قبلكم»، فإنه يعنى : شبه الذين خلوا فمضوا قبلكم .(٢)

* * *

وقد دللت فى غير هذا الموضع على أن « المثل » ، الشبه .(٣)

* * *

وبنحو ذلك الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

• ذكر من قال ذلك :

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٤٠٥ ، ٤٠٦ / ثم ٢ : ٣٣٠ ، ٣٣١ . وقوله : « صلة » ، أى زيادة ، كما سلف شرحها مراراً ، فاطلبها فى فهرس المصطلحات .

(٢) انظر تفسير « خلا » فيما سلف ٣ : ١٠٠ ، ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٣) انظر ما سلف ١ : ٤٠٣ .

٤٠٦٦ – حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا » ...(١)

٤٠٦٧ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن عبد الملك بن جريج قال : قوله : « حتى يقول الرسول والذين آمنوا »، قال : هو خيرُهم وأعلمهم بالله .

* * *

وفي قوله : « حتى يقول الرسول »، وجهان من القراءة : الرفع والنصب. ومن رفع فإنه يقول : لما كان يحسُن في موضعه « فعَل » أبطل عمل « حتى » فيها . لأن « حتى » غير عاملة في « فعل »، وإنما تعمل في « يفعل » ، وإذا تقدمها « فعل»، وكان الذي بعدها « يفعل » وهو مما قد فُعل وفُرغ منه ، وكان ما قبلها من الفعل غير متطاول ، فالفصيح من كلام العرب حينئذ الرفع في « يفعل »، وإبطال عمل « حتى » عنه . وذلك نحو قول القائل : « قمت إلى فلان حتى أضربُه » ، والرفع هو الكلام الصحيح في « أضربه » ، إذا أراد : قمت إليه حتى ضربته ، إذا كان الضرب قد كانَ وفُرغ منه ، وكان القيام غيرَ متطاول المدة . فأمَّا إذا كان ما قبل « حتى » من الفعل على لفظ « فعل » متطاول المدة ، وما بعدها من الفعل على لفظ غير منقضٍ ، فالصحيح من الكلام نصب « يفعل » ، وإعمال « حتى » ، وذلك نحو قول القائل : « ما زال فلان يطلبك حتى يكلمك = وجعل ينظر إليك حتى يثبتك » ، فالصحيح من الكلام – الذي لا يصح غيره – النصبُ بـ « حتى » ، كما قال الشاعر(٢) :

مَطَوْتُ بِهِمْ حَتَّى تَكِلَّ مَطِيُّهُمْ وَحَتَّى الجِيَادُ مَا يُقَدْنَ بِأَرْسَانِ(٣)

---

(١) الأثر : ٤٠٦٦ – هذا أثر ناقص ، ولم أجد تمامه في مكان آخر .

(٢) هو امرؤ القيس .

(٣) ديوانه : ١٨٦ ، ومعاني القرآن للفراء ١ : ١٣٣ ، وسيبويه ١ : ٢/٤١٧ : ٢٠٣ ،

فنصب « تكل » ، والفعل الذى بعد « حتى » ماض ، لأن الذى قبلها من « المطو » متطاول .

والصحيح من القراءة – إذْ كان ذلك كذلك –: « وزلزلوا حتى يقولَ الرسول»، نصب « يقول » ، إذ كانت « الزلزلة » فعلا متطاولا مثل « المطو بالإبل » . وإنما « الزلزلة » فى هذا الموضع : الخوف من العدو ، لا « زلزلة الأرض »، فلذلك كانت متطاولة، وكان النصبُ فى « يقول »، وإن كان بمعنى « فعل »، أفصحَ وأصحَّ من الرفع فيه . (١)

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ (٢١٥)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : يسألك أصحابُك يا محمد : أى شىء ينفقون من أموالهم، فيتصدقون به ؟ وعلى مَن ينفقونه فيما ينفقونه ويتصدقون به ؟ فقل لهم : ما أنفقتم من أموالكم وتصدقتم به، فأنفقوه وتصدقوا به واجعلوه لآبائكم وأمهاتكم وأقربيكم ، ولليتامى منكم ، والمساكين ،وابن السبيل ، فإنكم ما تأتوا من خير وتصنعوه إليهم، فإن الله به عليم، وهو مُحْصيه لكم حتى يوفِّيَكم أجوركم عليه يوم القيامة ، ويثيبكم = على ما أطعتموه بإحسانكم = عليه .

* * *

ورواية سيبويه : « سريت بهم »، وفى المواضع الثانى منه روى :

« حَتَّى تَكِلَّ غَزِيَّهم »

مطا بالقوم يمطو مطواً : مد بهم وجد فى السير . يقول : جد بهم ورددهم فى السير حتى كلت مطاياهم، فصارت من الإعياء إلى حال لا تحتاج معها إلى أرسان تقاد بها ، وصار راكبوها من الكلال إلى إلقاء الأرسان وطرحها على الخيل . لا يبالون من تعبهم وإعيائهم ، كيف تسير ، ولا إلى أين .

(١) قد استوفى الكلام فى « حتى » الفراء فى معانى القرآن ١ : ١٣٢ – ١٣٨ ، واعتمد عليه الطبرى فى أكثر ما قاله فى هذا الموضع .

و«الخير» الذى قال جل ثناؤه فى قوله : « قل ما أنفقتم من خير »، هو المال الذى سأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أصحابُه من النفقة منه، فأجابهم الله عنه بما أجابهم فى به هذه الآية .

* * *

وفى قوله : « ماذا »، وجهان من الإعراب .

أحدهما : أن يكون « ماذا » بمعنى : أىّ شىء ؟ فيكون نصباً بقوله « ينفقون ». فيكون معنى الكلام حينئذ : يسألونك أىَّ شىء ينفقون؟ ولا يُنصَب بـ « يسألونك » .

والآخر منهما : الرفع . وللرفع فى ذلك وجهان :

أحدهما : أن يكون «ذا» الذى مع « ما » بمعنى « الذى »، فيرفع « ما » بـ « ذا » و«ذا» لـ « ما » ، و « ينفقون » من صلة « ذا » . فإن العرب قد تصل « ذا » و«هذا »، كما قال الشاعر : (١)

عَدَسْ ! مَا لِعَبَّادٍ عَلَيْكِ إِمَارَةٌ ، أَمِنْتِ، وهٰذَا تَحْمِلِينَ طَلِيقُ ! (٢)

فـ « تحملين » من صلة « هذا » .

فيكون تأويل الكلام حينئذ : يسألونك ما الذى ينفقون ؟

والآخر من وجهى الرفع : أن تكون « ماذا » بمعنى : أىّ شىء ، فيرفع « ماذا »،

---

(١) هو يزيد بن مفرغ الحميرى .

(٢) تاريخ الطبرى ٦ : ١٧٨ ، والأغانى ١٧ : ٦٠ (ساسى) ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ١٣٨ ، والخزانة : ٢ : ٢١٦ ، ٥١٤ ، واللسان (عدس) ، من أبيات فى قصة يزيد بن مفرغ ، مع عباد بن زياد بن أبى سفيان ، وكان معاوية ولاه سجستان، فاستصحب معه يزيد بن مفرغ ، فاشتغل عنه بحرب الترك . فغاظ ذلك ابن مفرغ واستبطأ جائزته ، فبسط لسانه فى لحية عباد، وكان عباد عظيم اللحية فقال :

أَلاَ لَيْتَ اللِّحَى كانت حشيشاً فنَعْلِفَها خيولَ المسلمينَا

فعرف عباد ما أراد ، فطلبه ، ففر منه ، فهجاه وهجا معاوية باستلحاق زياد بن أبى سفيان ، فأخذه عبيد الله بن زياد ، أخو عباد ، فعذبه عذاباً قبيحاً ، وأرسله إلى عباد ، ثم أمرهما معاوية بإطلاقه ، فلما انطلق على بغلة البريد ، قال هذا الشعر الذى أوله هذا البيت .

وقوله : « عدس » زجر للبغلة، حتى صارت كل بغلة تسمى « عدس » . والشعر شعر جيد ، فاقرأه فى المراجع السالفة .

وإن كان قوله « ينفقون» واقعاً عليه، [١] إذ كان العاملُ فيه ، وهو « ينفقون » ، لا يصلح تقديمه قبله . وذلك أن الاستفهامَ لا يجوز تقديم الفعل فيه قبل حرف الاستفهام ، كما قال الشاعر : [٢] ٢٠٠/٢

أَلاَ تَسْأَلاَنِ المَرْءَ مَاذَا يُحَاوِلُ ؟ أَنَحْبٌ فَيُقْضَى ، أَمْ ضَلاَلٌ وَبَاطِلُ ؟ [٣]

وكما قال الآخر : [٤]

وَقَالُوا: [٤] تَعَرَّفْهَا المَنَازِلَ مِنْ مِنًى ! وَمَا كُلُّ مَنْ يَغْشَى مِنًى أَنَا عَارِفُ [٥]

فرفع « كل » ولم ينصبه « بعارف » ، إذ كان معنى قوله : « وما كلُّ من يغشى منىً أنا عارف » ، جحودُ معرفة من يغشى منىً ، فصار فى معنى : ما أحد . [٦]

* * *

قال أبو جعفر : وهذه الآية [نزلت] ، [٧] — فيما ذكر — قبل أن يفرض الله زكاةَ الأموال .

* ذكر من قال ذلك :

٤٠٦٨ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا

---

(١) سلف أن «الوقوع » هو تعدى الفعل إلى المفعول ، فانظر فهرس المصطلحات وما سلف ٢ : ١٠٨ ، ١٩٨ .

(٢) هو لبيد بن ربيعة .

(٣) ديوانه ٢ / ٢٧ القصيدة : ٤١ ، وسيبويه ١ : ٤٠٥ ، والخزانة ٢ : ٥٥٦ ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ١٣٩ ، وغيرها . والشاهد فيه أنه رفع « نحب » وهو مردود على « ما » فى« ماذا ». فدل ذلك على أن « ذا » بمعنى « الذى » ، وما بعده من صلته ، فلا يعمل فيما قبله . والنحب : النذر . يقول : أعليه نذر فى طول سعيه الذى ألزم به نفسه؟ والنحب : الحاجة ، وهى صحيحة المعنى فى مثل هذا البيت ، يقول : أهى حاجة لابد منها يقضيها بسعيه ، أم هى أمانى باطلة يتمناها ، لو استغنى عنها وطرحها لما خسر شيئاً ، ولسارت به الحياة سيراً بغير حاجة إلى هذا الجهاد المتواصل ، والاحتيال المتطاول ؟

(٤) هو مزاحم العقيلى .

(٥) ديوانه : ٢٨ ، وسيبويه ١ : ٣٦ ، ٧٣ ، شاهداً على نصب « كل » ورفعها ومعانى القرآن للفراء ١ : ١٣٩ ، وقال : لم « أسمع أحداً نصب » كل ، وشرح شواهد المغنى : ٣٢٨ .

وقوله : « تعرفها المنازل » بنصبها على حذف الخافض، أو الظرف ، أى تعرف صاحبتك بالمنازل من منى . فيقول : لا أعرف أحداً يعرفها ممن يغشى منى فأسأله عنها .

(٦) انظر أكثر ما مضى فى معانى القرآن للفراء ١٣٨ — ١٤٠ .

(٧) هذه الزيادة بين القوسين لابد منها ، ليستقيم الكلام .

أسباط ، عن السدى : « يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين » ، قال : يوم نزلت هذه الآية لم تكن زكاة ، وإنما هى النفقةُ ينفقها الرجل على أهله ، والصدقة يتصدق بها ، فنسختها الزكاة .

٤٠٦٩ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج : سأل المؤمنون رسول الله صلى الله عليه وسلم أينَ يضعون أموالهم ؟ فنزلت: «يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامىَ والمساكين وابن السبيل » ، فذلك النفقةُ فى التطوُّع ، والزكاةُ سوى ذلك كله = قال : وقال مجاهد : سألوا فأفتاهم فى ذلك: « ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين » وما ذكر معهما .

٤٠٧٠ ــ حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنى عيسى قال ، سمعت ابن أبى نجيح فى قول الله : « يسألونك ماذا ينفقون »، قال : سألوه فأفتاهم فى ذلك : « فللوالدين والأقربين » وما ذكر معهما .

٤٠٧١ ــ حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد = وسألته عن قوله : « قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين » = قال : هذا من النوافل . قال : يقول : هم أحق بفضلك من غيرهم .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا الذى قاله السدى = : من أنه لم يكن يوم نزلت هذه الآية زكاةٌ ، وإنما كانت نفقةٌ ينفقها الرجل على أهله، وصدقةٌ يتصدق بها، ثم نسختها الزكاة = قولٌ ممكن أن يكون كما قال ، وممكن غيره ، ولا دلالة فى الآية على صحة ما قال . لأنه ممكن أن يكون قوله : « قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين » الآية ، حثاً من الله جل ثناؤه على الإنفاق على من كانت نفقته غيرَ واجبة من الآباء والأمهات والأقرباء ومن سمى معهم فى هذه الآية ، وتعريفاً من

الله عبادَه مواضع الفضل التى تُصرف فيها النفقات ، كما قال فى الآية الأخرى : ﴿ وَآتَى المَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِى القُرْبَى واليَتَامَى وَالمَسَاكِينَ وَابنَ السَّبِيلِ والسَّائِلِينَ وفِى الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وآتَى الزَّكَاةَ ﴾ [سورة البقرة : ١٧٧]. وهذا القول الذى قلناه فى قول ابن جريج الذى حكيناه .

* * *

وقد بينا معنى « المسكنة » ، ومعنى « ابن السبيل » فيما مضى ، فأغنى ذلك عن إعادته .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه بقوله : « كُتب عليكم القتال » ، فُرض عليكم القتال ، يعنى : قتال المشركين = « وهو كُرْهٌ لكم ».

* * *

واختلف أهل العلم فى الذين عُنوا بفرض القتال .

فقال بعضهم : عنى بذلك أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصةً دون غيرهم .

* ذكر من قال ذلك :

٤٠٧٢ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : سألت عطاء قلت له : « كتب عليكم القتال وهو كُرْهٌ لكم » ، أواجبٌ الغزوُ على الناس من أجلها ؟ قال : لا ! كُتب على أولئك حينئذ .

٤٠٧٣ ــ حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد قال ، حدثنا

---

(١) انظر تفسير « المسكين » فيما سلف ٢ : ١٣٧ ، ٢٩٣ / ثم ٣ : ٣٤٥ = ومعنى « اليتامى » فيما سلف ٢ : ٢٩٢ / ثم ٣ : ٣٤٥ = ومعنى « ابن السبيل » فيما سلف ٣ : ٣٤٥ .

خالد ، عن حسين بن قيس ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : «كتب عليكم القتال وهو كره لكم» ، قال نسختها ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ [سورة البقرة : ٢٨٥]

* * *

قال أبو جعفر : وهذا قول لا معنى له . لأن نسخَ الأحكام من قِبَل الله جل وعزّ ، لا من قبل العباد . وقوله : «قالوا سمعنا وأطعنا» ، خبر من الله عن عباده المؤمنين ، وأنهم قالوه ، لا نسخٌ منه .

٤٠٧٤ — حدثني محمد بن إسحق قال ، حدثنا معاوية بن عمرو قال ، حدثنا أبو إسحق الفزاري قال : سألت الأوزاعي عن قول الله عز وجل : «كتب عليكم القتال وهو كره لكم» ، أواجبٌ الغزو على الناس كلهم ؟ قال : لا أعلمه ، ولكن لا ينبغي للأئمة والعامة تركه ، فأما الرجل في خاصة نفسه فلا .(١)

* * *

وقال آخرون : هو على كل واحد حتى يقوم به من في قيامه الكفاية ، فيسقطُ فرض ذلك حينئذ عن باقي المسلمين ، كالصلاة على الجنائز ، وغسلهم الموتى ودفنهم . وعلى هذا عامة علماء المسلمين .

* * *

قال أبو جعفر : وذلك هو الصواب عندنا ، لإجماع الحجة على ذلك ، ولقول الله عز وجل : ﴿ فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى ﴾ [سورة النساء : ٩٥] ، فأخبر جل ثناؤه أنّ الفضل للمجاهدين ، وأن لهم وللقاعدين الحسنى . ولو كان القاعدون مضيِّعين فرضاً ، لكان لهم السُّوأى لا الحسنى . ٢٠١/٢

* * *

(١) الأثر : ٤٠٧٤ — محمد بن إسحق بن جعفر الصاغاني ، نزل بغداد وكان وجه مشايخ بغداد وكان أحد الحفاظ الأثبات المتقنين ، مات سنة ٢٧٠ ، وروى عنه الطبري في المذيل (انظر المنتخب من ذيل المذيل : ١٠٤) . ومعاوية بن عمرو بن المهلب الأزدي ، روى عنه البخاري ، توفي ببغداد سنة ٢١٥ . وكلاهما مترجم في التهذيب .

وقال آخرون : هو فرضٌ واجبٌ على المسلمين إلى قيام الساعة.

* ذكر من قال ذلك .

٤٠٧٥ ــ حدثنا حُبَيش بن مبشر قال، حدثنا روح بن عبادة ، عن ابن جريج، عن داود بن أبي عاصم قال : قلت لسعيد بن المسيب : قد أعلم أن الغزو واجبٌ على الناس ! فسكت ، وقد أعلم أنْ لو أنكر ما قلت لبيَّن لى. (١)

* * *

وقد بينا فيما مضى معنى قوله : « كتب » بما فيه الكفاية. (٢)

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وهو ذو كره لكم . فترك ذكر « ذو » اكتفاء بدلالة قوله : « كره لكم » ، عليه ، كما قال : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [سورة يوسف : ٨٣]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك روى عن عطاء فى تأويله .

* ذكر من قال ذلك :

٤٠٧٦ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء فى قوله : « وهو كره لكم » ، قال : كُرْه إليكم حينئذ .

* * *

« والكُرْه » بالضم : هو ما حمل الرجلُ نفسَه عليه من غير إكراه أحدٍ إياه عليه . « والكَرْهُ » بفتح « الكاف » ، هو ما حمله عليه غيره فأدخله عليه كرهاً . وممن حكى عنه هذا القول معاذ بن مسلم .

---

(١) الأثر : ٤٠٧٥ ــ حبيش بن مبشر بن أحمد الطوسى الفقيه ، كان ثقة من عقلاء البغداديين ، مات فى سنة ٢٥٨ ، مترجم فى التهذيب ، وتاريخ بغداد . وكان فى المطبوعة : « حسين بن ميسر » ، وليس فى الرواة من يعرف بذلك .

(٢) انظر ما سلف ٣ : ٣٥٧ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ .

٤٠٧٧ – حدثني المثنى قال حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الرحمن بن أبي حماد، عن معاذ بن مسلم قال : الكُرْه المشقة ، والكَرْه الإجبار .

* * *

وقد كان بعض أهل العربية يقول : « الكُره والكَره » لغتان بمعنى واحد ، مثل : « الغُسْل والغَسْل » و« الضُّعف والضَّعف »و« الرُّهْب والرَّهْب» . وقال بعضهم : « الكره » بم « الكاف » اسضم، و « الكره » بفتحها مصدر .

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ولا تكرهوا القتالَ فإنكم لعلكم أن تكرهوه وهو خيرٌ لكم ، ولا تحبوا تركَ الجهاد فلعلكم أن تحبوه وهو شر لكم ، كما :–

٤٠٧٨ – حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى: « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم » ، وذلك لأن المسلمين كانوا يكرهون القتال ، فقال : « عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم » يقول : إن لكم فى القتال الغنيمةَ والظهور والشهادة ، ولكم فى القعود أن لا تظهروا على المشركين ، ولا تُسْتشهدوا ، ولا تصيبوا شيئاً .

٤٠٧٩ – حدثني محمد بن إبراهيم السلمى قال ، حدثني يحيى بن محمد بن مجاهد قال ، أخبرنى عبيد الله بن أبي هاشم الجعفى قال ، أخبرنى عامر بن واثلة قال ، قال ابن عباس : كنت رِدْفَ النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا ابن عباس ، ارضَ عن الله بما قدَّرَ ، وان كان خلافَ هواك ، فإنه مثبتٌ فى كتاب الله . قلت : يارسول الله ، فأين ؟ وقد قرأت القرآن ! قال : فى قوله : « وعسى

أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » . (١)

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢١٦)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : والله يعلم ما هو خيرٌ لكم مما هو شر لكم ، فلا تكرهوا ما كتبتُ عليكم من جهاد عدوكم وقتال من أمرتكم بقتاله ، فإنى أعلم أنّ قتالكم إياهم هو خيرٌ لكم فى عاجلكم ومعادكم ، وترككم قتالهم شر لكم ، وأنتم لا تعلمون من ذلك ما أعلم . يحضّهم جل ذكره بذلك على جهاد أعدائه ، ويرغّبهم فى قتال من كفر به .

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : يسألك ، يا محمد ، أصحابُك عن الشهر الحرام = وذلك رَجبٌ = عن قتالٍ فيه .

---

(١) الحديث : ٤٠٧٩ — هذا إسناد مظلم ، والمتن منكر ! لم أجد ترجمة « يحيى بن محمد بن مجاهد » ، ولا « عبيد الله بن أبى هاشم » ، ولا أدرى ما هما . ولفظ الحديث لم أجده ، ولا نقله أحد ممن ينقل عن الطبرى .

وخفضُ « القتال » على معنى تكرير « عن » عليه . وكذلك كانت قراءةُ عبد الله بن مسعود فيما ذكر لنا ، وقد : —

٤٠٨٠ — حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه » ، قال : يقول : يسألونك عن قتال فيه . قال : وكذلك كان يقرؤها : « عن قتال فيه » .

* * *

= قال أبو جعفر : « قل » يا محمد : « قتالٌ فيه » — يعني في الشهر الحرام « كبيرٌ »، أي عظيمٌ عند الله استحلاله وسفك الدماء فيه . ومعنى قوله : « قتال فيه»، قل: القتال فيه كبير . وإنما قال : « قل قتالٌ فيه كبيرٌ »، لأن العرب كانت لا تقرعُ فيه الأسنّة ، فيلقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه فيه فلا يَهيجه تعظيما له . وتسميه مضر « الأصمّ »، (١) لسكون أصوات السلاح وقعقعته فيه ، وقد : —

٤٠٨١ — حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري قال، حدثنا شعيب ابن الليث قال ، حدثنا الليث قال ،حدثنا الزبير ، عن جابر قال : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو في الشهر الحرام إلاّ أن يُغْزَى ، أو يَغزو حتى إذا حضر ذلك أقامَ حتى ينسلخ . ٢٠٢/٢

* * *

وقوله جل ثناؤه : « وصَدٌّ عن سبيل الله » . ومعنى « الصدّ » عن الشيء، المنع منه والدفع عنه ، ومنه قيل : « صدّ فلان بوجهه عن فلان » ، إذا أعرض عنه فمنعه من النظر إليه .

* * *

وقوله : « وكفرٌ به » ، يعني : وكفر بالله ، و « الباء » في « به » عائدة على اسم الله الذي في « سبيل الله » . وتأويل الكلام: وصدٌّ عن سبيل الله وكفر به، وعن المسجد الحرام ، وإخراج أهل المسجد الحرام — وهم أهله وولاته — أكبرُ عند الله من القتال في الشهر الحرام .

---

(١) يعني شهر رجب ، وهو رجب الأصم .

فـ « الصدُّ عن سبيل الله » مرفوع بقوله : « أكبر عند الله » . وقوله : « وإخراج أهله منه » عطف على « الصد » . ثم ابتدأ الخبر عن الفتنة فقال : « والفتنة أكبر من القتل » ، يعنى الشرك أعظم وأكبرُ من القتل ، [1] يعنى : مِنْ قَتل ابن الحضرمىّ الذى استنكرتم قتله فى الشهر الحرام .

* * *

قال أبو جعفر : وقد كان بعض أهل العربية يزعم أن قوله : « والمسجد الحرام » معطوف على « القتال » ، وأن معناه : يسألونك عن الشهر الحرام ، عن قتال فيه ، وعن المسجد الحرام ، فقال الله جل ثناؤه : « وإخراجُ أهله منه أكبر عند الله » من القتالَ فى الشهر الحرام . [2]

وهذا القول ، مع خروجه من أقوال أهل العلم ، قولٌ لا وجهَ له . لأن القوم لم يكونوا فى شك من عظيم ما أتى المشركون إلى المسلمين فى إخراجهم إياهم من منازلهم بمكة ، فيحتاجوا إلى أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إخراج المشركين إياهم من منازلهم ، وهل ذلك كان لهم؟ بل لم يدَّع ذلك عليهم أحدٌ من المسلمين ، ولا أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك . وإذ كان ذلك كذلك ، فلم يكن القوم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عمَّا ارتابوا بحكمه ، [3] كارتيابهم فى أمر قتل ابن الحضرمى ، إذ ادَّعوا أن قاتله من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله فى الشهر الحرام ، فسألوا عن أمره لارتيابهم فى حكمه . فأما إخراجُ المشركين أهلَ الإسلام من المسجد الحرام ، فلم يكن فيهم أحدٌ شاكًّا أنه كان ظلماً منهم لهم ، فيسألوا عنه . ولا خلاف بين أهل التأويل جميعاً أن هذه الآية نزلت

---

(١) انظر معنى « الفتنة » فيما سلف ٣ : ٥٦٥ ، ٥٦٦ / ثم ٥٧٠ ، ٥٧١ ، وفهرس اللغة فى الأجزاء السالفة .

(٢) هذه مقالة الفراء فى معانى القرآن ١ : ١٤١ .

(٣) فى المطبوعة : « وإذا كان ذلك كذلك ، ولم يكن القوم سألوا رسول الله . . . » والصواب ما أثبت ، وإلا اختل الكلام اختلالا شديداً .

على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبب قتل ابن الحضرمى وقاتله .

• ذكر الرواية عمن قال ذلك :

٤٠٨٢ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة بن الفضل ، عن ابن إسحق قال ، حدثنى الزهرى ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش فى رجب مَقْفَلَه من بدر الأولى ، وبعثَ معه بثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد . وكتب له كتاباً ، وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ، ثم ينظر فيه فيمضى لما أمره ، ولا يستكره من أصحابه أحداً .

= وكان أصحابُ عبد الله بن جحش من المهاجرين . من بنى عبد شمس : أبو حذيفة [بن عتبة] بن ربيعة –(١) ومن بنى أمية ،– بن عبد شمس . ثم من حلفائهم : عبد الله بن جحش بن رئاب ، وهو أمير القوم ، وعكاشة بن محصن ابن حُرثان أحد بنى أسد بن خزيمة – ومن بنى نوفل بن عبد مناف : عتبة بن غزوان ، حليف لهم – ومن بنى زهرة بن كلاب : سعد بن أبى وقاص – ومن بنى عدى بن كعب : عامر بن ربيعة ، حليف لهم ، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف ابن عرين(٢) بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة ، وخالد بن البكير ، أحد بنى سعد بن ليث ، حليف لهم – ومن بنى الحارث بن فهر : سهيل بن بيضاء

= فلما سار عبدُ الله بن جحش يومين ، فتح الكتاب ونظر فيه ، فإذا فيه : « إذا نظرت فى كتابى هذا ، (٣) فسرْ حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف ،

---

(١) الزيادة بين القوسين من سيرة ابن هشام ، ونص ابن هشام : « أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس – ومن حلفائهم : عبد الله بن جحش » بإسقاط : « ومن بنى أمية » فتركت ما فى الطبرى على حاله ، لأنه صحيح المعنى أيضاً .

(٢) فى المطبوعة : « . . . عبد الله بن مناة بن عويم » ، وأثبت ما فى نص ابن هشام وهو الموافق لما أجمعت عليه كتب السير والأنساب .

(٣) فى المطبوعة : « إذا نظرت إلى كتابى . . . » ، وأثبت ما فى ابن هشام وتاريخ الطبرى ، وهو الصواب .

فترصَّد بها قريشاً وتعلَّمْ لنا من أخبارهم » . فلما نظر عبد الله بن جحش فى الكتاب قال : « سمعاً وطاعة » ، ثم قال لأصحابه : قد أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أمضى إلى نخلة ، فأرصد بها قريشاً حتى آتيه منهم بخبر ، وقد نهانى أن أستكره أحداً منكم ، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ، فأما أنا فماضٍ لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فمضى ومضى معه أصحابه ، فلم يتخلَّف عنه [منهم] أحد . وسلك على الحجاز ، حتى إذا كان بمَعْدِن فوق الفُرع يقال له بُحْران ، (١) أضلَّ سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان بعيراً لهما كانا عليه يعتقِبانه ، (٢) فتخلَّفا عليه فى طلبه . ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل بنخلة ، فمرت به عيرٌ لقريش تحمل زبيباً وأدَماً وتجارةً من تجارة قريش ، (٣) فيها منهم : عمرو بن الحضرمى ، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ، وأخوه نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزوميان ، والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة . فلما رآهم القوم هابوهم ، وقد نزلوا قريباً منهم . فأشرف لهم عكاشة بن محصن ، وقد كان حلق رأسه ، فلما رأوه أمنوا وقالوا : عُمّار ! فلا بأس علينا منهم . (٤) وتشاور القوم فيهم ، وذلك فى آخر يوم من جمادى ، (٥) فقال القوم : والله لئن تركتم القومَ هذه الليلة ليدخُلُنَّ الحرم فليمتنعُنَّ به منكم ، ولئن قتلتموهم لتقتلنهم فى ٢٠٣/٢

---

(١) فى المطبوعة : « نجران » ، وهو خطأ صرف .

(٢) « يعتقبانه » : أى يركبه هذا عقبة وهذا عقبة ، أى هذا نوبة وهذا نوبة .

(٣) العير : القافلة من الإبل والحمير والبغال تخرج للميرة ، فيمتار عليها . والأدم جمع أديم : وهو الجلد المدبوغ .

(٤) عمار : معتمرون . والاعتمار والعمرة زيارة البيت الحرام ، وأداء حقه ، فى أى شهر كان . وهو غير الحج . يقال عنه « اعتمر » ، ولم يسمع « عمر » ، ولكن جاء « عمار » جمع « عامر » على هذا الثلاثى المتروك .

(٥) هكذا فى المطبوعة : « آخر يوم من جمادى » ، وفى نص ابن هشام وتاريخ الطبرى ، « آخر يوم من رجب » ، وهو أصح النصين ، ولم أغيرها ، لأنه سيأتى بعد ما يدل على أن الرواية هنا هكذا .

الشهر الحرام ! فتردّد القوم فهابوا الإقدام عليهم ، ثم شجُعوا عليهم ، وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم . فرمى واقدُ بن عبد الله التميمى عمرَو بن الحضرمىّ بسهم فقتله ، واستأسرَ عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ، وأفلت نوفل بن عبد الله فأعجزهم .

= وقدم عبد الله بن جحش وأصحابه بالعِير والأسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة . وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش : أنّ عبد الله ابن جحش قال لأصحابه : إنّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما غنمتم الخمُس . وذلك قبل أن يُفرضُ الخمس من الغنائم ، فعزل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خُمس العير ، وقسم سائرها على أصحابه . فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام ! فوقف العير والأسيرين ، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً . فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، سُقط فى أيدى القوم ، وظنوا أنهم قد هلكوا ، وعنّفهم المسلمون فيما صنعوا وقالوا لهم : صنعتم ما لم تؤمروا به ، وقاتلتم فى الشهر الحرام ولم تؤمروا بقتال ! وقالت قريش : قد استحلّ محمد وأصحابه الشهر الحرام ، فسفكوا فيه الدمَ ، وأخذوا فيه الأموال ، وأسروا [فيه الرجال] ! (١) فقال من يردُّ ذلك عليهم من المسلمين ممن كان بمكة : إنما أصابوا ما أصابوا فى جمادى ! (٢) وقالت يهود — تتفاءل بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم — : عمرو بن الحضرمى قتله واقد بن عبد الله ! « عمرو » ، عمرت الحرب ! و « الحضرمىّ » ، حضَرت الحربُ ! و « واقد بن عبد الله » ، وقدت الحرب ! فجعل الله عليهم ذلك وبهم .

= فلما أكثر الناسُ فى ذلك ، أنزل الله جل وعز على رسوله : « يسألونك عن

---

(١) الزيادة بين القوسين من نص ابن هشام ، وتاريخ الطبرى .

(٢) انظر ص : ٣٠٣ التعليق : ٥ ، ونص ابن هشام والطبرى « فى شعبان »

الشهر الحرام قتال فيه »، أى : عن قتالٍ فيه «قل قتال فيه كبيرٌ» إلى قوله : «والفتنة أكبر من القتل» ، أى : إن كنتم قتلتم فى الشهر الحرام، فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به، وعن المسجد الحرام، وإخراجُكم عنه إذا أنتم أهله وولاته، أكبرُ عند الله من قتل من قتلتم منهم ، « والفتنة أكبر من القتل » ، أى : قد كانوا يفتنون المسلم عن دينه حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه، وذلك أكبر عند الله من القتل= « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردُّوكم عن دينكم إن استطاعوا » ، أى : هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه غير تائبين ولا نازعين . فلما نزل القرآن بهذا من الأمر ، وفرَّج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من الشَّفَق ، [1] قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم العيرَ والأسيرين . [2]

٤٠٨٣ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط عن السدى : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبيرٌ» ، وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية — وكانوا سبعةَ نفر — وأمَّر عليهم عبد الله بن جحش الأسدى ، وفيهم عمار بن ياسر ، وأبو حذيفة بن عتبة ابن ربيعة ، وسعد بن أبى وقاص ، وعتبة بن غزوان السلمى حليف لبنى نوفل ، وسهيل بن بيضاء ، وعامر بن فهيرة ، وواقد بن عبد الله اليربوعى ، حليفٌ لعمر ابن الخطاب . وكتب مع ابن جحش كتاباً وأمره أن لا يقرأه حتى ينزل [بطن] مَلَل ، [3] فلما نزل ببطن ملل فتحَ الكتاب ، فإذا فيه : أنْ سِرْ حتى تنزل بطن نخلة ، [4] فقال لأصحابه : من كان يريد الموت فليمضِ وليوص ، فإنى موصٍ وماضٍ لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فسار وتخلّف عنه سعد بن أبى وقاص

---

(١) الشفق (بفتح الشين والفاء) والإشفاق : الخوف والحذر .

(٢) الأثر : ٤٠٨٢ — هو نص ابن هشام فى السيرة عن ابن إسحق ٢ : ٢٥٢ — ٢٥٤ ، ورواه الطبرى فى تاريخه ٢ : ٢٦٢ — ٢٦٣ .

(٣) الزيادة بين القوسين من رواية الطبرى فى تاريخه .

(٤) فى تاريخه : « بطن نخل » فى هذا الموضع منه ، وفيما يليه « بطن نخلة » .

وعتبة بن غزوان، أضلاّ راحلةً لهما، فأتيا بُحران يطلبانها، (١) وسار ابن جحش إلى بطن نخلة ، فإذا هم بالحكم بن كيسان، وعبد الله بن المغيرة ،والمغيرة بن عثمان ، عمرو بن الحضرمى ، فاقتتلوا ، فأسَرُوا الحكم بن كيسان ، وعبد الله بن المغيرة ، وانفلت المغيرة ، وقُتل عمرو بن الحضرمىّ ، قتله واقد بن عبد الله . فكانت أوّل غنيمةٍ غنمها أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .

= فلما رجعوا إلى المدينة بالأسيرين وما غنموا من الأموال ، أراد أهل مكة أن يفادوا بالأسيرين ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : حتّى ننظر ما فعل صاحبانا ! فلما رجع سعد وصاحبه فادَى بالأسيرين . ففجّر عليه المشركون وقالوا : محمد يزعم أنه يتّبع طاعة الله ، وهو أول من استحلّ الشهر الحرام ، وقتل صاحبنا فى رجب ! فقال المسلمون : إنما قتلناه فى جُمادى ! — وقيل : فى أول ليلة من رجب ، وآخر ليلة من جمادى — وغمد المسلمون سيوفهم حين دخل رَجب . فأنزل الله جل وعز يعيِّر أهل مكة : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتالٌ فيه كبير » لا يحل، وما صنعتم أنتم يا معشر المشركين أكبر من القتل فى الشهر الحرام، حين كفرتم بالله، وصددتم عنه محمداً وأصحابه، وإخراجُ أهل المسجد الحرام منه، حين أخرجوا محمداً، أكبر من القتل عند الله، والفتنة — هى الشرك — أعظم عند الله من القتل فى الشهر الحرام ، فذلك قوله : « وصد عن سبيل الله وكفرٌ به والمسجد الحرامِ وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل » . (٢) ٢/٢٠٤

٤٠٨٤ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعانى قال، حدثنا المعتمر بن سليمان التيمى ، عن أبيه: أنه حدثه رجل ، عن أبى السوار ، يحدثه عن جندب ابن عبد الله، عن سول الله صلى الله عليه وسلم: أنه بعث رَهطاً ، فبعثَ عليهم

---

(١) فى المطبوعة : « نجران » ، وهو خطأ ، مضى مثله ص : ٣٠٣ والصواب من التاريخ.

(٢) الأثر : ٤٠٨٣ — رواه الطبرى فى تاريخه ٢ : ٢٦٣ — ٢٦٤ .

أبا عبيدة . فلما أخذ لينطلق ، بكى صَبابةً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فبعث رجلاً مكانه يقال له عبد الله بن جحش ، وكتب له كتاباً ، وأمره أن لا يقرأ الكتاب حتى يبلغ كذا وكذا : « ولا تكرهنَّ أحداً من أصحابك على السير معك » . فلما قرأ الكتاب استرجعَ وقال : سمعاً وطاعة لأمر الله ورسوله ! فخبَّرهم الخبر وقرأ عليهم الكتاب ، فرجع رجلان ومضَى بقيتهم . فلقوا ابن الحضرمى فقتلوه ، ولم يدروا ذلك اليوم : أمن رَجب أو من جمادى؟ فقال المشركون للمسلمين : فعلتم كذا وكذا فى الشهر الحرام ! فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فحدّثوه الحديث ، فأنزل الله عز وجل : « يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه قل قتالٌ فيه كبيرٌ وصدٌّ عن سبيل الله وكفرٌ به والمسجد الحرام وإخراجُ أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبرُ من القتل » — والفتنة هى الشركُ . وقال بعضُ الذين — أظنه قال — : كانوا فى السرية : والله ما قتله إلا واحد ! فقال : إن يكن خيراً فقد وَلِيت ! وإن يكن ذنباً فقد عملت ! (١)

٤٠٨٥ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه » ، قال : إن رجلا من بنى تميم أرسله النبى صلى الله عليه وسلم فى سرية ، فمرّ بابن الحضرمىّ يحمل خمراً من الطائف إلى مكة ، فرماه بسهم فقتله . وكان بين قريش ومحمد عَقْدٌ ، فقتله فى آخر يوم من جُمادى الآخرة وأول يوم من رجب ، فقالت قريش : فى الشهر الحرام ! ولنا عهد ! فأنزل الله جل وعز : « قتالٌ فيه كبير وصدٌّ عن سبيل الله وكُفر به » وصد عن المسجد الحرام « وإخراجُ أهله منه أكبر عند الله » من قتل ابن الحضرمىّ ، والفتنة كفرٌ بالله ، وعبادة الأوثان أكبر من هذا كله .

---

(١) الأثر : ٤٠٨٤ رواه الطبرى فى تاريخه ٢ : ٢٦٤ — ٢٦٥ — وسيأتى تمامه برقم : ٤١٠٢

٤٠٨٦ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهرى وعُثمان الجزرىّ، وعن مقسم مولى ابن عباس قال : لقى واقد بن عبد الله عمرَو ابنَ الحضرمىّ فى أول ليلة من رجب ، وهو يرى أنه من جمادى ، فقتله ، وهو أول قتيل من المشركين . فعيَّر المشركون المسلمين فقالوا : أتقتلون فى الشهر الحرام ! فأنزل الله : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتالٌ فيه كبير وصدٌّ عن سبيل الله وكفرٌ به والمسجد الحرام » = يقول : وصد عن سبيل الله وكفرٌ بالله = « والمسجد الحرام » = وصد عن المسجد الحرام = « وإخراج أهله منه أكبر عند الله » ، من قتل عمرو بن الحضرمىّ = « والفتنة » ، يقول : الشرك الذى أنتم فيه أكبر من ذلك أيضاً = قال الزهرى وكان النبى صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا يحرِّم القتالَ فى الشهر الحرام ، ثم أحِلّ [له] بعدُ.(١)

٤٠٨٧ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه، عن ابن عباس قوله : « يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه قل قتالٌ فيه كبير » ، وذلك أن المشركين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وردُّوه عن المسجد الحرام فى شهر حرام ، ففتح الله على نبيه فى شهر حرام من العام المقبل . فعاب المشركون على رسول الله صلى الله عليه وسلم القتالَ فى شهر حرام ،

---

(١) الحديث : ٤٠٨٦ – هذا حديث مرسل ، مروى بإسنادين عن اثنين من التابعين ، هما : الزهرى ومقسم مولى ابن عباس .

فرواه معمر عن الزهرى ، ورواه عن عثمان الجزرى عن مقسم . وهو ثابت فى تفسير عبد الرزاق ، ص : ٢٦ . وزدنا منه [الواو] ، فى قوله : « وعن مقسم » ، وكلمة [له] فى آخر الحديث فى قوله « ثم أحل [له] بعد » .

وعثمان الجزرى : هو « عثمان بن ساج » ، ترجم له ابن أبى حاتم ١٥٣/١/٣ ، وهو غير « عثمان ابن عمرو بن ساج » الذى ترجم له ابن أبى حاتم ١٦٢/١/٣ . وقد خلط بينهما الحافظ المزى فى التهذيب ، وتعقبه الحافظ ابن حجر . وانظر ما كتبنا فى ذلك ، فى شرح المسند : ٢٥٦٢ .

مقسم – بكسر الميم وسكون القاف وفتح السين – : هو ابن بجرة ، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل . وإنما قيل له « مولى ابن عباس » للزومه له . وهو تابعى ثقة .

فقال الله جل وعز : « وصدٌّ عن سبيل الله وكفرٌ به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله » من القتل فيه = وأنّ محمداً بعث سرية ، فلقوا عمرو بن الحضرمى وهو مقبل من الطائف آخرَ ليلة من جمادى ، وأول ليلة من رجب= وأن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يظنون أنّ تلك الليلة من جمادى ، وكانت أول رجب ولم يشعروا ، فقتله رجلٌ منهم واحدٌ = وأنّ المشركين أرسلوا يُعيرونه بذلك فقال الله جل وعز : « يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه قل قتالٌ فيه كبير » وغير ذلك أكبر منه ، «صد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه » إخراجُ أهل المسجد الحرام أكبر من الذى أصاب محمدٌ ، والشرك بالله أشدُّ .

٤٠٨٨ ــ حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن حصين ، عن أبى مالك : قال لما نزلت : « يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه قل قتالٌ فيه كبير » إلى قوله : « والفتنة أكبرُ من القتل » ، استكبروه . فقال : والفتنة = الشرك الذى أنتم عليه مقيمون = أكبر مما استكبرتم .

٤٠٨٩ ــ حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن حصين ، عن أبى مالك الغفارى قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش فى جيش ، فلقى ناساً من المشركين ببطن نخلة ، والمسلمون يحسَبون أنه آخر يوم من جمادى وهو أول يوم من رجب ، فقتل المسلمون ٢٠٥/٢
ابنَ الحضرمىّ ، فقال المشركون : ألستم تزعمون أنكم تحرّمون الشهرَ الحرام والبلدَ الحرام ، وقد قتلتم فى الشهر الحرام ! فأنزل الله : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتالٌ فيه » إلى قوله « أكبر عند الله » من الذى استكبرتم من قتل ابن الحضرمى ، و « الفتنة » ــ التى أنتم عليها مقيمون ، يعنى الشركَ ــ « أكبر من القتل » .

٤٠٩٠ ــ حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن

قتادة قال : وكان يسميها[1] — يقول : لقى واقدُ بن عبد الله التميمى عمرو بن الحضرمى ببطن نخلةَ فقتله .

٤٠٩١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قلت لعطاء قوله: « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه » ، فيمن نزلت ؟ قال : لا أدرى — قال ابن جريج: وقال عكرمة ومجاهد: فى عمرو ابن الحضرمى . قال ابن جريج ، وأخبرنا ابن أبى حسين ، عن الزهرى ذلك أيضاً .

٤٠٩٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : قال مجاهد: « قل قتالٌ فيه كبيرٌ وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام » ، — قال : يقول : صدٌّ عن المسجد الحرام « وإخراج أهله منه » — فكل هذا أكبر من قتل ابن الحضرمى — « والفتنة أكبر من القتل » — كفرٌ بالله وعبادة الأوثان ، أكبرُ من هذا كله .

٤٠٩٣ — حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال ، سمعت أبا معاذ الفضل ابن خالد ، قال أخبرنا عبيد بن سليمان الباهلى ، قال سمعت الضحاك بن مزاحم يقول فى قوله : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتالٌ فيه كبير » ، كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قتلوا ابن الحضرمى فى الشهر الحرام ، فعيّر المشركون المسلمين بذلك ، فقال الله: قتال فى الشهر الحرام كبير ، وأكبر من ذلك صد عن سبيل الله وكفرٌ به ، وإخراجُ أهل المسجد الحرام من المسجد الحرام .

* * *

قال أبو جعفر : وهذان الخبران اللذان ذكرناهما عن مجاهد والضحاك ، ينبئان عن صحة ماقلنا فى رفع «الصد» و «الكفر به» ،[2] وأن رافعه «أكبر عند الله» . وهما يؤكدان صحّة ماروينا فى ذلك عن ابن عباس ، ويدلاّن على خطأ من زعم أنه مرفوعٌ على العطف على « الكبير » ، وقولِ من زعم أن معناه : وكبيرٌ صدٌّ عن سبيل

(١) هكذا فى المطبوعة ، وأظن الصواب : « وكان يسميهما » .
(٢) فى المطبوعة « فى رفع الصد به » ، والصواب ما أثبت .

الله ، وزعم أن قوله : « وإخراجُ أهله منه أكبر عند الله »، خبر منقطع عما قبله مبتدأ .

* * *

٤٠٩٤ ــ حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال، أخبرنا إسمعيل ابن سالم ، عن الشعبي في قوله : « والفتنة أكبر من القتل » ، قال : يعني به الكفر .

٤٠٩٥ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وإخراجُ أهله منه أكبر عند الله » من ذلك . ثم عيَّر المشركين بأعمالهم أعمال السوء فقال: « والفتنة أكبر من القتل » ، أي : الشرك بالله أكبر من القتل .

* * *

وبمثل الذي قلنا من التأويل في ذلك روى عن ابن عباس :

٤٠٩٦ ــ حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه، عن ابن عباس قال: لما قتل أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرَو بن الحضرمي في آخر ليلة من جُمادى وأول ليلة من رجب ، أرسل المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيِّرونه بذلك ، فقال: « يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه قل قتالٌ فيه كبيرٌ »، وغيرُ ذلك أكبر منه: «صدٌّ عن سبيل الله وكفرٌ به والمسجد الحرام وإخراجُ أهله منه أكبر »من الذي أصابَ محمدٌ صلى الله عليه وسلم .

* * *

قال أبو جعفر : وأما أهل العربية فإنهم اختلفوا في الذي ارتفع به قوله : « وصدٌّ عن سبيل الله » .

فقال بعض نحويي الكوفيين : في رفعه وجهان: أحدهما ، أن يكون « الصدُّ » مردوداً على « الكبير »، يريد : قل القتالُ فيه كبيرٌ وصدٌّ عن سبيل الله وكفرٌ

به . وإن شئت جعلت « الصد » « كبيراً »، يريد به : قل القتالُ فيه كبير ،وكبيرٌ الصدُّ عن سبيل الله والكفر به .(١)

* * *

قال أبو جعفر : قال فأخطأ – يعنى الفراء – فى كلا تأويليه . وذلك أنه إذا رفع « الصد » عطفاً به على « كبير » ، يصير تأويل الكلام : قل القتالُ فى الشهر الحرام كبيرٌ وصدٌّ عن سبيل الله، وكفرٌ بالله . وذلك من التأويل خلافُ ما عليه أهل الإسلام جميعاً . لأنه لم يدَّع أحد أن الله تبارك وتعالى جعل القتال فى الأشهر الحرم كفراً بالله، بل ذلك غير جائز أن يُتَوَهَّم على عاقل يعقل ما يقولُ أن يقوله . وكيف يجوز أن يقوله ذو فطرة صحيحة ، والله جل ثناؤه يقول فى أثر ذلك : « وإخراجُ أهله منه أكبرُ عند الله» ؟! فلو كان الكلام على ما رآه جائزاً فى تأويله هذا، لوجب أن يكون إخراج أهل المسجد الحرام من المسجد الحرام، كان أعظمَ عند الله من الكفر به، وذلك أنه يقول فى أثره: «وإخراجُ أهله منه أكبر عند الله » . وفى قيام الحجة بأن لا شىء أعظمُ عند الله من الكفر به ،ما يُبين عن خطأ هذا القول .

وأما إذا رفع « الصد »، بمعنى ما زعم أنه الوجه الآخر – وذلك رفعه بمعنى : وكبير صدٌّ عن سبيل الله ، ثم قيل: « وإخراجُ أهله منه أكبرُ عند الله » – صار المعنى إلى أن إخراجَ أهل المسجد الحرام من المسجد الحرام، أعظمُ عند الله من الكفر بالله والصدُّ عن سبيله ، وعن المسجد الحرام. ومتأوِّل ذلك كذلك، داخل من الخطأ فى مثل الذى دخل فيه القائلُ القولَ الأوّل : (٢) من تصييره بعض خلال الكفر أعظمَ عند الله ٢٠٦/٢

(١) هو قول الفراء ، كما سيأتى بعد فى النص ، وانظر معانى القرآن ١ : ١٤١ . وقد رد الطبرى كلام الفراء رداً حكيما ، وأظهر الفساد الذى ينطوى عليه قول من يقول فى القرآن ، وهو لا يحكم النظر فى أحكام الله ، فيظن كل جائز فى العربية والنحو ، جائزاً أن يحمل عليه كتاب الله . وردود الطبرى تعلم المرء كيف يتخلق بأخلاق أهل العلم والإيمان ، من الأناة والتوقف والصبر والورع ، أن تزل قدم فى هوة من الضلال والجهالة وسوء الرأى .

(٢) فى المطبوعة : « داخل من الخطأ مثل . . . » سقطت « فى » من ناسخ فيما أرجح .

من الكفر بعينه. وذلك مما لا يُخيل على أحدٍ خطأه وفسادُه[1].

* * *

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول القولَ الأول فى رفع « الصد » ، ويزعم أنه معطوف به على « الكبير » ، ويجعل قوله : « وإخراج أهله » مرفوعاً على الابتداء . وقد بينا فسادَ ذلك وخطأ تأويله .

* * *

قال أبو جعفر : ثم اختلف أهل التأويل فى قوله : « يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه قل قتالٌ فيه كبيرٌ »، هل هو منسوخٌ أم ثابت الحكم ؟

فقال بعضهم : هو منسوخ بقول الله جل وعز: ﴿ وقَاتِلُوا المُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾ [سورة التوبة : ٣٦] ، وبقوله : ﴿ اقْتُلُوا المُشْرِكِينَ ﴾ [سورة التوبة : ٥]

* ذكر من قال ذلك :

٤٠٩٧ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : قال عطاء بن ميسرة: أحلَّ القتالَ فى الشهر الحرام فى « براءة » قوله : ﴿ فَلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وقَاتِلُوا المُشْرِكِينَ كَافَّةً ﴾ [سورة التوبة : ٣٦]: يقول: فيهن وفى غيرهن .[2]

٤٠٩٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهرى قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم، فيما بلغنا، يحرّم القتال فى الشهر الحرام، ثم أحِلَّ بعد .[3]

* * *

---

(١) أخال الشىء يخيل : اشتبه . يقال : « هذا الأمر لا يخيل على أحد » ، أى : لا يشكل على أحد . و« شىء مخيل » ، أى مشكل .

(٢) الأثر : ٤٠٩٧ – «عطاء بن ميسرة » هو عطاء بن أبى مسلم الخراسانى يقال اسم أبيه «عبدالله»، ويقال « ميسرة » . مات سنة ١٣٥ ، وانظر الاختلاف فيه ، والإشكال فى أمره وأمر عطاء بن أبى رباح فى التهذيب فى ترجمته .

(٣) الأثر : ٤٠٩٨ – هو بعض الأثر السالف : ٤٠٨٦ . وانظر التعليق عليه .

وقال آخرون : بل ذلك حكم ثابتٌ = لا يحلّ القتال لأحد في الأشهر الحرم بهذه الآية ، لأن الله جعل القتال فيه كبيراً .

* ذكر من قال ذلك :

٤٠٩٩ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاجٌ ، عن ابن جريج ، [1] قال : قلت لعطاء : « يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه قل قتالٌ فيه كبيرٌ » ، قلت : ما لهم ! وإذ ذاك لا يحل لهم أن يغزوا أهل الشرك في الشهر الحرام ، ثم غزوهم بعد فيه ؟ فحلف لي عطاء بالله : ما يحل للناس أن يغزوا في الشهر الحرام ، ولا أن يقاتلوا فيه ، وما يستحب . قال : ولا يدعون إلى الإسلام قبل أن يقاتلوا ، ولا إلى الجزية ، تركوا ذلك .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك ما قاله عطاء بن ميسرة : من أن النهي عن قتال المشركين في الأشهر الحرُم منسوخ بقول الله جل ثناؤه : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾ [سورة التوبة : ٣٦] .

وإنما قلنا ذلك ناسخٌ لقوله : « يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه قل قتالٌ فيه كبيرٌ » ، لتظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه غزا هوازن بحُنين وثقيفاً بالطائف ، وأرسل أبا عامر إلى أوْطاس لحرب من بها من المشركين ، في بعض الأشهر الحرُم ، وذلك في شوال وبعض ذي القعدة ، وهو من الأشهر الحرم . فكان معلوماً بذلك أنه لو كان القتالُ فيهن حراماً وفيه معصية ، كان أبعد الناس من فعله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) في المطبوعة : « . . . عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال قلت لعطاء . . . » ، فقوله : « عن مجاهد » خطأ وزيادة مفسدة ، فحذفتها . وانظر الأثر السالف رقم : ٤٩٠١ .

وأخرى ، أن جميعَ أهل العلم بِسِيَر رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتدافع أنّ بيعة الرضوان على قتال قريش كانت فى ذى القعدة، وأنه صلى الله عليه وسلم إنما دعا أصحابه إليها يومئذ ، لأنه بلغه أن عثمان بن عفان قتله المشركون إذ أرسله إليهم بما أرسله به من الرسالة، فبايع صلى الله عليه وسلم على أن يناجز القومَ الحربَ ويحاربَهم ، حتى رجع عثمان بالرسالة، جرى بين النبي صلى الله عليه وسلم وقريش الصلح ، فكفَّ عن حربهم حينئذ وقتالهم. وكان ذلك فى ذى القعدة ، وهو من الأشهر الحرُم .

فإذْ كان ذلك كذلك، فبيِّنٌ صحةُ ما قلنا فى قوله: « يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه قل قتالٌ فيه كبيرٌ » ، وأنه منسوخ.

فإن ظنّ ظانّ أن النهى عن القتال فى الأشهر الحرُم كان بعد استحلال النبي صلى الله عليه وسلم إياهن لما وصفنا من حروبه ، فقد ظنّ جهلاً. وذلك أن هذه الآية — أعنى قوله : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه» — فى أمر عبد الله بن جحش وأصحابه ، وما كان من أمرهم وأمر القتيل الذى قتلوه ، فأنزل الله فى أمره هذه الآية فى آخر جمادى الآخرة من السنة الثانية من مَقْدَم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ وهجرته إليها ، وكانت وقعةُ حُنين والطائف فى شوال من سنة ثمان من مقدمه المدينة وهجرته إليها ، وبينهما من المدة ما لا يخفى على أحد .

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره : ولا يزال مشركو قريش يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن قدروا على ذلك ، كما : —

٤١٠٠ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال ، حدثني ابن إسحق قال ، حدثني الزهري ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير : « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردُّوكم عن دينكم إن استطاعوا »، أي : هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه، غيرُ تائبين ولا نازعين = يعني : على أن يفتنوا المسلمين عن دينهم حتى يردُّوهم إلى الكفر، كما كانوا يفعلون بمن قدروا عليه منهم قبل الهجرة.(١) ٢٠٧/٢

٤١٠١ ــ حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردُّوكم عن دينكم إن استطاعوا » ، قال : كفار قريش .

* * *

القول في تأويل قوله عز ذكره ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُوْلَـٰئِكَ أَصْحَـٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ (٢١٧)

قال أبو جعفر : يعني بقوله جل ثناؤه : « ومن يرتدد منكم عن دينه »، من يرجع منكم عن دينه، كما قال جل ثناؤه : ﴿ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ [سورة الكهف : ٦٤] يعني بقوله : « فارتدّا »، رجعا . ومن ذلك قيل : « استردّ فلان حقه من فلان »، إذا استرجعه منه .(٢)

وإنما أظهر التضعيف في قوله : « يرتدد » لأن لام الفعل ساكنة بالجزم ، وإذا

---

(١) الأثر : ٤١٠٠ ــ هو بعض الأثر السالف : ٤٠٨٢ . والكلام من أول قوله : « يعني : على أن يفتنوا . . . » ليس في سيرة ابن هشام ، ولا في تاريخ الطبري . فإما أن يكون من كلام الطبري ، أو من كلام ابن حميد ، أو بعض رواة الأثر .

(٢) انظر ما سلف ٣ : ١٦٣ ، وفهارس اللغة فيما سلف ، ردد »

سكّنت فالقياس ترك التضعيف ، وقد تضعّف وتدغم وهى ساكنة ، بناء على التثنية والجمع .

* * *

وقوله : « فيمت وهو كافر » ، يقول : من يرجع عن دينه دين الإسلام ، «فيمت وهو كافر»، فيمت قبل أن يتوب من كفره ، فهم الذين حَبطت أعمالهم .

* * *

يعنى بقوله : « حبطت أعمالهم »، بطلت وذهبت . وبُطولها : ذهابُ ثوابها، وبطول الأجر عليها والجزاء فى دار الدنيا والآخرة .

* * *

وقوله : «وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون »، يعنى : الذين ارتدُّوا عن دينهم فماتوا على كفرهم ، هم أهل النار المخلَّدون فيها .(١)

* * *

وإنما جعلهم « أهلها » لأنهم لا يخرجون منها ، فهم سكانها المقيمون فيها ، كما يقال : « هؤلاء أهل محلة كذا »، يعنى : سكانها المقيمون فيها .

* * *

ويعنى بقوله : « هم فيها خالدون » ، هم فيها لابثون لَبْثاً، من غير أمَدٍ ولا نهاية .(٢)

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢١٨)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ذكره : إنّ الذين صدّقوا بالله وبرسوله وبما جاء به = وبقوله : « والذين هاجروا »، الذين هجروا مُساكنة المشركين فى أمصارهم

---

(١) انظر معنى « أصحاب النار » فيما سلف ٢ : ٢٨٦

(٢) انظر معنى « خالد » فيما سلف ٢ : ٢٨٦ – ٢٨٧ ، وفهارس اللغة .

ومجاورتهم فى ديارهم، فتحولوا عنهم وعن جوارهم وبلادهم،[١] إلى غيرها هجرة...

. . . . . .

* * *

...[٢] لما انتقل عنه إلى ما انتقل إليه. وأصل المهاجرة: « المفاعلة » من هجرة الرجل الرجلَ للشحناء تكون بينهما، ثم تستعمل فى كل من هجر شيئاً لأمر كرهه منه. وإنما سمى المهاجرون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم « مهاجرين »، لما وصفنا من هجرتهم دورَهم ومنازلهم كراهةَ منهم النزولَ بين أظهر المشركين وفى سلطانهم، بحيث لا يأمنون فتنتهم على أنفسهم فى ديارهم — إلى الموضع الذى يأمنون ذلك.

* * *

وأما قوله: « وجاهدوا » فإنه يعنى: وقاتلوا وحاربوا.

* * *

وأصل « المجاهدة » « المفاعلة » من قول الرجل: «قد جَهَدَ فلان فلاناً على كذا » — إذا كَرَبه وشقّ عليه — « يجهده جهداً». فإذا كان الفعل من اثنين، كل واحد منهما يكابد من صَاحبه شدة ومشقة، قيل: « فلانٌ يجاهد فلاناً »— يعنى: أن كل واحد منهما يفعل بصاحبه ما يجهده ويشق عليه — « فهو يُجاهده مجاهدة وجهاداً».

* * *

وأما « سبيل الله »، فطريقه ودينه.[٣]

* * *

---

(١) كان الكلام فى المطبوعة متصلا بما بعده فى موضع هذه النقط، ولكنه لا يستقيم ولا يطرد. ففصلت بين الكلامين. وظنى أن سياق الكلام وتمامه: « فتحوّلوا عنهم وعن جوارهم وبلادهم إلى غيرها هجرة، لما كرهوا من كفرهم وشركهم، وإيثاراً لجوار المؤمنين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم »، وسياق الكلام يدل على ذلك.

(٢) مكان هذه النقط خرم لا شك فيه، كأن ناسخاً أسقط سطراً أو سطرين، وكان صدر الكلام فيما أتوهم: «هجر المكان يهجره هجراً وهجراناً وهجرة: كرهه فخرج منه، تاركاً لما انتقل عنه إلى ما انتقل إليه » — أو كلاماً هذا معناه.

(٣) انظر معنى « سبيل الله » فيما سلف ٢، ٢٠٠ : ٣/٤٩٧ : ٥٦٤، ٥٨٣

فمعنى قوله إذاً : « والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله » ، والذين تحوّلوا من سلطان أهل الشرك هجرةً لهم ، وخوفَ فتنتهم على أديانهم ، وحاربوهم فى دين الله ليدخلوهم فيه وفيما يرضى الله= « أولئك يرجون رَحمة الله » ، أى : يطمعون أن يرحمهم الله فيدخلهم جنته بفضل رحمته إياهم .

= « والله غفور » ، أى ساتر ذنوبَ عباده بعفوه عنها ، متفضل عليهم بالرحمة . (١)

* * *

وهذه الآية أيضاً ذُكر أنها نزلت فى عبد الله بن جحش وأصحابه .

* ذكر من قال ذلك :

٤١٠٢ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، أنه حدثه رجل ، عن أبى السوّار ، يحدثه عن جندب بن عبد الله قال : لما كان من أمر عبد الله بن جحش وأصحابه وأمر ابن الحضرمى ما كان ، قال بعض المسلمين : إن لم يكونوا أصابوا فى سفرهم – أظنه قال : – وِزْراً ، فليس لهم فيه أجرٌ . فأنزل الله : « إنّ الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم » . (٢)

٤١٠٣ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال ، حدثنى الزهرى ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير قال : أنزل الله عز وجل القرآنَ بما أنزلَ من الأمر ، وفرّج الله عن المسلمين فى أمر عبد الله بن جحش وأصحابه – يعنى : فى قتلهم ابن الحضرمى – فلما تجلى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن ، طمعوا فى الأجر ، فقالوا : يا رسول الله ، أنطمعُ أن تكون لنا غزوة نُعْطى فيها أجرَ المجاهدين؟ فأنزل الله عز وجل فيهم : « إنّ الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفورٌ ٢٠٨/٢

(١) انظر معنى « غفور » فيما سلف من مراجعه فى فهارس اللغة (غفر) .

(٢) الأثر : ٤١٠٢ – هو من تمام الأثر السالف رقم : ٤٠٨٤ ، وهو بتمامه فى الدر المنثور ١ : ٢٥٠

رحيمٌ » . فوضعهم الله من ذلك على أعظم الرجاء . (١)

٤١٠٤ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : أثنى الله على أصحاب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أحسنَ الثناء فقال : « إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفورٌ رحيم» ، هؤلاء خيارُ هذه الأمة. ثم جعلهم الله أهل رجاء كما تسمعون، وأنه من رَجا طلب ، ومن خاف هرب .

٤١٠٥ — حدثت عن عمار قال ،حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، مثله .

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : يسألك أصحابك يا محمد عن الخمر وشُربها .

* * *

و « الخمر » كل شراب خمَّر العقل فستره وغطى عليه . وهو من قول القائل : « خَمَرت الإناء » إذا غطيته ، و «خَمِر الرجل » ، إذا دخل فى الخَمَر . ويقال : « هو فى خُمار الناس وغُمارهم» ، يراد به دخل فى عُرْض الناس. ويقال للضبع : « خامرى أم عامر» ، أى استترى. وماخامر العقل من داء وسكر فخالطه وغَمَره فهو « خمر» .

---

(١) الأثر : ٣١٠٣ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٥ ، وهو تمام الأثر السالف : ٤٠٨٢ . وكان فى المطبوعة هنا : « فوفقهم الله من ذلك . . . » ، والصواب ما أثبت من ابن هشام .

ومن ذلك أيضاً « خِمار المرأة »، وذلك لأنها تستر [به] رأسها فتغطيه . ومنه يقال: « هو يمشى لك الخمَر » ، أى مستخفياً ، كما قال العجاج :

فِى لاَمِعِ العِقْبَانِ لاَ يَأْتِى الْخَمَرْ يُوَجِّهُ الأَرْضَ وَيَسْتَاقُ الشَّجَرْ.(١)

ويعنى بقوله : « لا يأتى الخمر »، لا يأتى مستخفياً ولا مُسارَقةً ،ولكن ظاهراً برايات وجيوش . و « العقبان » جمع « عُقاب» ، وهى الرايات .

* * *

وأما « الميسر » فإنها « المفعل » من قول القائل : « يسَرَ لى هذا الأمر» ، إذا وجب لى « فهو يَيْسِر لى يَسَراً ومَيسِراً »(٢) و« الياسر » الواجب ،بقداح وَجب ذلك، أو فُتاحة أو غير ذلك.(٣) ثم قيل للمقامر، « ياسرٌ ويَسَر» ، كما قال الشاعر :

فَبِتُّ كَأَنَّنِى يَسَرٌ غَبِينٌ يُقَلِّبُ،بَعْدَ مَا اُخْتُلِعَ،القِدَاحَا(٤)

وكما قال النابغة : (٥)

---

(١) ديوانه: ١٧ ، من قصيدة يذكر فيها فتوح عمر بن عبيد الله بن معمر التيمى، سلف منها بيتان فى ٢ : ١٥٧ . واقرأ التعليق هناك رقم : ٢ . ولمعت الرايات : خفقت . وقوله : « يوجه الأرض » يعنى جيش عمر ، أى يقشر وجهها من شدة وطئه وكثرته وسرعة سيره ، يشبهه بالسيل . يقال : « وجه المطر الأرض »، قشر وجهها وأثر فيه . وقوله: « يستاق الشجر » ، يقول: جيشه كالسيل المنفجر المتدافع يقشر الأرض ، ويختلع شجرها ، ويسوقه .

(٢) هذا المعنى لم أصبه فى كتب اللغة ، وأنا أظنه مجازا من « الميسر» ،لا أصلا فى اشتقاق الميسر منه ، لأن حظ صاحب الميسر واجب الأداء إذا خرج قدحه .

(٣) فى المطبوعة : « أو مباحه » ، ولا معنى لها ، وكأن الصواب ما أثبت . والفتاحة (بضم الفاء) : الحكم بين الخصمين يختصمان إليك .

(٤) لم أعرف قائله . والغبين والمغبون : الخاسر . واختلع (بالبناء للمجهول) : أى قمر ماله وخسره ، فاختلع منه ،أى انتزع . والمخالع المقامر ، والمخلوع : المقمور ماله . يقول : إنه بات ليلته حزيناً كاسفاً مطرقاً ، إطراق المقامر الذى خسر كل شىء ، فأخذ يقلب فى كفيه قداحه مطرقاً متحسرا على ما أصابه ونكبه .

(٥) لم أجد البيت فى شعر النابغة الذبيانى ، ولست أدرى أهو لغيره من الشوابغ ، أم هو لغيرهم .

أَوْ يَاسِرٌ ذَهَبَ القِدَاحُ بِوَفْرِهِ أَسِفٌ تَآكَلَهُ الصَّدِيقُ مُخَلَّعُ(١)

يعنى « بالياسر » : المقامر . وقيل للقمار « ميسر » .

* * *

وكان مجاهد يقول نحو ما قلنا فى ذلك .

٤١٠٦ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « يسألونك عن الخمر والميسر » قال : القمار ، وإنما سمّى « الميسر » لقولهم : « أيْسِروا واجْزُرُوا » ، كقولك : ضع كذا وكذا .

٤١٠٧ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد قال : كل القمار من الميسر ، حتى لعب الصبيان بالجوز .

٤١٠٨ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن عبد الملك بن عمير ، عن أبى الأحوص قال : قال عبد الله : إياكم وهذه الكِعاب الموسومة التى تزجرون زجرًا ، فإنهن من الميسر .(٢)

٤١٠٩ – حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن أبى الأحوص مثله .

٤١١٠ – حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن نافع قال ، حدثنا شعبة ، عن يزيد بن أبى زياد ، عن أبى الأحوص ، عن عبد الله أنه قال : إياكم وهذه الكعاب التى تزجرون زَجرًا ، فإنها من الميسر .

---

(١) الوفر : المال الكثير الواسع . وأسف : حزين بالغ الحزن على ما فاته ، يقال هو : أسف وآسف وأسفان وأسيف . وفى المطبوعة : « بآكله » ، ورجحت قراءتها « تآكله » . والصديق ، واحد وجمع . ومخلع : قد قمر مرة بعد مرة ، فهلك ماله وفنى . وقوله : « تآكله الصديق » ، تناهبوه بينهم فى الميسر وهم أصدقاؤه ، وذلك أشد لحزنه لما يرى من سرورهم ، ولما يؤسفه من ضياع ماله ، ويحزنه من من لؤم صديقه .

(٢) الكعاب والكعبات ، جمع كعب وكعبة : وهى فصوص النرد وقوله : « تزوجرونها زجراً » من الزجر ، وهو الحث والدفع ، أو من زجر الطير ، هو ضرب من العيافة والتكهن . يريد ما يكون معها من توقع الغيب وتطلبه . والموسومة : التى وسمت بسمة تميزها تكون علامة فيها .

٤١١١ ــ حدثني علي بن سعيد الكندي قال، حدثنا علي بن مسهر ، عن عاصم ، عن محمد بن سيرين قال : القمار ميسرٌ .

٤١١٢ ــ حدثنا ابن بشار قال، حدثنا أبو عامر قال ، حدثنا سفيان ، عن عاصم الأحول، عن محمد بن سيرين قال: كل شيء له خَطَرٌ = أو : في خَطَر ، أبو عامر شك = فهو من الميسر. (١)

٤١١٣ ــ حدثنا الوليد بن شجاع أبو همام قال، حدثنا علي بن مسهر ، عن عاصم ، عن محمد بن سيرين قال : كل قمار ميسر ، حتى اللعب بالنَّرد على القيام والصِّياح والريشة يجعلها الرجل في رأسه .

٤١١٤ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن عاصم، عن ابن سيرين قال : كل لعب فيه قمار من شُرب أو صياح أو قيام ، فهو من الميسر .

٤١١٥ ــ حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا خالد بن الحارث قال ، حدثنا الأشعث ، عن الحسن أنه قال : الميسر القمار .

٤١١٦ ــ حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا المعتمر ، عن ليث ، عن طاوس وعطاء قالا : كل قمار فهو من الميسر ، حتى لعب الصبيان بالكعاب والجوز .

٤١١٧ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد قال : الميسر القمار .

٤١١٨ ــ حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا عبدالملك ابن عمير ، عن أبي الأحوص ، عن عبيد الله قال : إياكم وهاتين الكَعْبتين يُزجر بهما زجرًا ، فإنهما من الميسر . (٢)

٤١١٩ ــ حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية، عن ابن أبي

---

(١) الخطر : الرهن يخاطر عليه ، ويقال له « السبق، والندب » (بالتحريك فيهما) ، وهو كله الذي يوضع في الرهان ، فمن سبق أو غلب أخذه .

(٢) انظر التعليق السالف ص : ٣٢٢، تعليق : ٢ .

٢٠٩/٢ عروبة ، عن قتادة قال : أما قوله : « والميسر » ، فهو القمار كله .

٤١٢٠ – حدثني يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني يحيى بن عبد الله بن سالم ، عن عبيد الله بن عمر : أنه سمع عمر بن عبيد الله يقول للقاسم بن محمد : النرد « ميسر »، أرأيت الشطرنج ؟ ميسر هو ؟ فقال القاسم: كل ما ألهى عن ذكر الله وعن الصلاة فهو ميسر .

٤١٢١ – حدثني على بن داود قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثني معاوية، عن على ، عن ابن عباس قال : الميسر القمار . كان الرجل فى الجاهلية يخاطر على أهله وماله ، فأيهما قمر صاحبه ذهب بأهله وماله . (١)

٤١٢٢ – حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : الميسر القمار .

٤١٢٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : الميسر القمار .

٤١٢٤ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الليث ، عن مجاهد وسعيد بن جبير قالا : الميسر القمار كله ، حتى الجوز الذى يلعب به الصبيان .

٤١٢٥ – حدثت عن الحسين قال، سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد قال ، سمعت عبيد الله بن سليمان يحدث ، عن الضحاك قوله: « والميسر »، قال: القمار .

٤١٢٦ – حدثنا بشر بن معاذ قال: حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : الميسر القمار .

٤١٢٧ – حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو بدر شجاع

---

(١) المخاطرة : المراهنة ، وقمر الرجل صاحبه يقمره (بكسر الميم) قمراً : إذا لاعبه فى القمار فغلبه .

ابن الوليد قال، حدثنا موسى بن عقبة ، عن نافع : أن ابن عمر كان يقول: القمار من الميسر .

٤١٢٨ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : الميسرُ ، قداح العرب وكِعابُ فارس = قال : وقال ابن جريج : وزعم عطاء بن ميسرة :أن الميسر القمار كله.

٤١٢٩ ــ حدثنا ابن البرقي قال، حدثنا عمرو بن أبي سلمة ، عن سعيد ابن عبد العزيز قال ، قال مكحول : الميسر القمار .

٤١٣٠ ــ حدثنا الحسين بن محمد الذارع قال ، حدثنا الفضل بن سليمان وشجاع بن الوليد ، عن موسى بن عقبة ،عن نافع ،عن ابن عمر قال : الميسر القمار .

* * *

وأما قوله : « قل فيهما إثم كبيرٌ ومنافع للناس »،فإنه يعني بذلك جل ثناؤه : قل يا محمد لهم : « فيهما »، يعني في الخمر والميسر « إثم كبير » ، فالإثم الكبير الذي فيهما ما ذكر عن السدي فيما : ــ

٤١٣١ ــ حدثني به موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي :أما قوله : « فيهما إثمٌ كبير »،فإثم الخمر أنّ الرجل يشرَب فيسكر فيؤذي الناس . وإثم الميسر أن يُقامر الرجلُ فيمنعَ الحق ويظلم .

٤١٣٢ ــ حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « قل فيهما إثم كبير » ، قال : هذا أوّل ما عِيبَتْ به الخمر .

٤١٣٣ ــ حدثني علي بن داود قال، حدثنا أبو صالح قال،حدثني معاوية ابن صالح ،عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « قل فيهما إثم كبير »، يعني ما ينقُص من الدين عند من يشربها .

* * *

قال أبو جعفر : والذى هو أولى بتأويل « الإثم الكبير » الذى ذكر الله جل ثناؤه أنه فى الخمر والميسر : [١] فى «الخمر» ما قاله السدى : [٢] زوال عقل شارب الخمر إذا سكر من شربه إياها حتى يعزب عنه معرفة ربه، وذلك أعظمُ الآثام. وذلك معنى قول ابن عباس إن شاء الله . وأما فى «الميسر»، فما فيه من الشغل به عن ذكر الله وعن الصلاة ، ووقوع العداوة والبغضاء بين المتياسرين بسببه، كما وصف ذلك به ربنا جل ثناؤه بقوله : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَدَاوَةَ والبَغْضَاءَ فِى الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ﴾ [سورة المائدة : ٩١]

* * *

وأما قوله : « ومنافع للناس » ، فإن منافعَ الخمر كانت أثمانها قبل تحريمها ، وما يصلون إليه بشربها من اللذة ، كما قال الأعشى فى صفتها :

لَنَا مِنْ ضُحَاهَا خُبْثُ نَفْسٍ وَكَآبَةٌ وذِكْرَى هُمُومٍ مَا تُغِبُّ أَذَاتُهَا
وَعِنْدَ العِشَاءِ طِيبُ نَفْسٍ وَلَذَّةٌ وَمَالٌ كَثِيرٌ ، عِزَّةٌ نَشَوَاتُهَا [٤]

---

(١) فى المطبوعة : « والذى هو أولى بتأويل الآية الإثم الكبير » بزيادة « الآية » سبق بها قلم ناسخ ، وصواب العبارة فى حذفها .

(٢) فى المطبوعة : « فالخمر ما قاله السدى . . . » ، وسياق عبارته يقتضى ما أثبت .

(٣) ديوانه : ٦١ ، والأشربة لابن قتيبة : ٧٠ والبيتان مصحفان تصحيفاً قبيحاً فى المطبوعة، فى البيت الأول «صحاها» بالصاد المهملة ، و « ما تفك أداتها » . وفى البيت الثانى « عده نشواتها » وفى الأشربة « عدة » ، وفى الديوان « غدوة نشواتها » (بضم الغين ونصب التاء بفتحتين) . ونسخة الديوان أيضاً كثيرة التصحيف ، فآثرت قراءة الكلمة « عزة » . وذلك أن الأعشى يقول قبل البيتين :

لَعَمْرُكَ إِنَّ الرَّاحَ إِنْ كُنْتَ شارِباً لَمُخْتَلِفٌ آصَالُها وَغَدَاتُها

ثم بين فى البيت الثانى أنها فى « الضحى » — وهو الغدوة — تعقب خبث النفس والكآبة والهموم المؤذية . ثم أتبع ذلك بما يكون عند العشى من طيب النفس واللذة — فلا معنى لإعادة ذكر « الغدوة » مرة أخرى ، بل إنه لو فعل لنقض على نفسه البيت السالف ، فصارت الخمر فى الغدوة أو الضحى ، مخبثة للنفس ، ومبهجة لها فى وقت واحد ، وهذا باطل .

٢١٠/٢

وكما قال حسان :

فَنَشْرَبُهَا فَتَتْرُكُنَا مُلُوكًا وَأُسْداً ، مَا يُنَهْنِهُنَا اللِّقَاءُ[١]

* * *

وأما منافع الميسر ، فما يصيبون فيه من أنصباء الجزور . وذلك أنهم كانوا يياسرون على الجزور ، وإذا أفلجَ الرجلُ منهم صاحبَه نحره، ثم اقتسموا أعشاراً على عدد القداح ،[٢] وفى ذلك يقول أعشى بنى ثعلبة :

وَجَزُورِ أَيْسَارٍ دَعَوْتُ إِلَى النَّدَى وَنِيَاطِ مُقْفِرَةٍ أَخَافُ ضَلاَلَهَا[٣]

* * *

فالصواب عندى أن تقرأ « عزة لنشواتها » ، كقوله أيضاً :

مِنْ قَهْوَةٍ بَاتَتْ بِبَابِلَ صَفْوَةٍ تَدَعَ الفَتَى مَلِكاً يَمِيلُ مُصَرَّعَا

ويؤيد ذلك أن ابن قتيبة قدم قبل الأبيات السالفة : « وقال فى الخمر أنها تمد فى الأمنية » ثم ذكر الأبيات ، فمعنى ذلك أنها تريه أنه صار ملكاً عزيزاً يهب المال الكثير إذا انتشى .

وقوله : « ماتغب أذاتها » ، من قولهم : « غب الشيء » أى بعد وتأخر . تقول : « مايغبك لطفى » أى ما يتأخر عنك يوماً ، بل يأتيك كل يوم، تعنى متتابعاً .

(١) ديوانه : ٤ ، والكامل ١ : ٧٤ ، وغيرهما ، ونهنهه عن الشيء : زجره عنه وكفه ومنعه . أى : لا نخاف لقاء العدو .

(٢) الأنصباء جمع نصيب . والمياسرة : المقامرة . وفلج سهم المقامر وأفلج : فاز . وأعشار الجزور : الأنصباء . وكانوا يقسمونه عشرة أجزاء .

(٣) ديوانه : ٢٣ . الأيسار جمع يسر : وهو الذى يضرب القداح ، واللاعب أيضاً ، وهو المراد هنا . ورواية الديوان « دعوت لحتفها » ، والمقفرة : المفازة المقفرة . ونياط المفازة : بعد طريقها ، كأنها نيطت — أى وصلت — بمفازة أخرى، لا تكاد تنقطع . وهو بيت من أبيات جياد يتمدح فيها الأعشى بفعله ، يقول :

وَسَبِيئَةٍ مِمَّا تُعَتِّقُ بَابِلٌ كَدَمِ الذَّبِيحِ ، سَلَبْتُهَا جِرْيَالَهَا
وَغَرِيبَةٍ تَأْتِى المُلُوكَ حَكِيمَةٍ قَدْ قُلْتُهَا لِيُقَالَ : مَنْ ذَا قَالَهَا!!
وجَزُورِ أَيْسَارٍ . . . . . .

وكان الميسر عندهم من كرم الفعال .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٤١٣٤ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : المنافع ههنا ما يصيبون من الجَزور .

٤١٣٥ – حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أما منافعهُما ، فإن منفعة الخمر فى لذته وثمنه ، ومنفعة الميسر فيما يُصاب من القمار .

٤١٣٦ – حدثنا أبو هشام الرفاعى قال حدثنا ابن أبى زائدة ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « قل فيهما إثمٌ كبيرٌ ومنافعُ للناس » ، قال : منافعهما قبل أن يحرَّما .

٤١٣٧ – حدثنا على بن داود قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية عن على ، عن ابن عباس : « ومنافع للناس » ، قال : يقول فيما يصيبون من لذّتها وفرَحها إذا شربوها .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك :

فقرأه عُظْم أهل المدينة وبعضُ الكوفيين والبصريين : « قل فيهما إثم كبيرٌ » بالباء ، بمعنى قل : فى شرب هذه ، والقمار هذا ، كبيرٌ من الآثام .

وقرأه آخرون من أهل المصرين البصرة والكوفة : « قل فيهما إثمٌ كثيرٌ » ، بمعنى الكثرة من الآثام . وكأنهم رأوا أن « الإثم » بمعنى « الآثام » ، وإن كان فى اللفظ واحداً ، فوصفوه بمعناه من الكثرة.(١)

---

(٤) انظر معنى « الإثم » فيما سلف ٣ : ٤٠٦ وما بعدها / ثم ص ٥٥٠ .

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب قراءة من قرأه « بالباء » : «قل فيهما إثم كبير » ،لإجماع جميعهم على قوله : « وإثمهما أكبر من نفعهما » ، وقراءته بالباء . وفى ذلك دلالة بيّنة على أن الذى وُصف به الإثم الأول من ذلك، هو العظم والكبَر ، لا الكثرة فى العدد. ولو كان الذى وصف به من ذلك الكثرة ، لقيل : وإثمهما أكثر من نفعهما .

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾

قال أبوجعفر : يعنى بذلك عز ذكره : والإثم بشرب [الخمر] هذه والقمار هذا ، أعظمُ وأكبرُ مضرة عليهم من النفع الذى يتناولون بهما . وإنما كان ذلك كذلك ، لأنهم كانوا إذا سكروا وثب بعضهم على بعض، وقاتَل بعضهم بعضاً،وإذا ياسرُوا وقع بينهم فيه بسببه الشرُّ، فأدّاهم ذلك إلى ما يأثمون به .

* * *

ونزلت هذه الآية فى الخمر قبل أن يُصرَّح بتحريمها ، فأضاف الإثم جل ثناؤه إليهما ، وإنما الإثم بأسبابهما ، إذ كان عن سببهما يحدث .

* * *

وقد قال عددٌ من أهل التأويل : معنى ذلك : وإثمهما بعد تحريمهما أكبر من نفعهما قبل تحريمهما .

* ذكر من قال ذلك :

٤١٣٨ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ،حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وإثمهما أكبر من نفعهما »،قال: منافعهما قبل التحريم ، وإثمهما بعدَ ما حرّما .

٤١٣٩ – حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن

الربيع : « ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما »، ينزّل المنافعَ قبل التحريم، والإثم بعد ما حرّم

٤١٤٠ – حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرني عبيد ابن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « وإثمهما أكبرُ من نفعهما » ، يقول : إثمهما بعد التحريم ، أكبر من نفعهما قبل التحريم .

٤١٤١ – حدثني علي بن داود قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وإثمهما أكبرُ من نفعهما»، يقول : ما يذهب من الدّين والإثمُ فيه ، أكبر مما يصيبون في فرحها إذا شربوها .

* * *

قال أبو جعفر : وإنما اخترنا ما قلنا في ذلك من التأويل لتواتر الأخبار وتظاهرها بأن هذه نزلت قبل تحريم الخمر والميسر ، فكان معلوماً بذلك أن الإثم الذي ذكره الله في هذه الآية فأضافه إليهما ، إنما عنى به الإثم الذي يحدث عن أسبابهما – على ما وصفنا – لا الإثم بعد التحريم . ٢١١/٢

* * *

* ذكر الأخبار الدالة على ما قلنا من أن هذه الآية نزلت قبل تحريم الخمر :

٤١٤٢ – حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا قيس ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير قال : لما نزلت : « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثمٌ كبير ومنافع للناس »، فكرهها قوم لقوله : « فيهما إثم كبير » ، وشربها قوم لقوله : « ومنافع للناس »، حتى نزلت : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾[سورة النساء : ٤٣] ، قال : فكانوا يدعونها في حين الصلاة ويشربونها في غير حين الصلاة ، حتى نزلت : ﴿ إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوه ﴾ [سورة المائدة : ٩٠] فقال عمر : ضَيْعَةٌ لك ! اليوم قُرِنْتِ بالميسر !

٤١٤٣ – حدثني محمد بن معمر قال، حدثنا أبو عامر قال ، حدثنا محمد ابن أبي حميد ، عن أبي توبة المصري، قال ، سمعت عبد الله بن عمر يقول : أنزل الله عز وجل في الخمر ثلاثاً، فكان أول ما أنزل : « يسألونك عن الخمر والميسر قُل فيهما إثم كبير » الآية، فقالوا : يا رسول الله ، ننتفع بها ونشربها كما قال الله جل وعز في كتابه ! ثم نزلت هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ﴾ الآية ، قالوا: يا رسول الله ، لا نشربها عند قرب الصلاة . قال : ثم نزلت ﴿ إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ والأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾ الآية، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: حُرِّمت الخمر .(١)

---

(١) الحديث : ٤١٤٣ – أبو عامر : هو العقدي – بفتح العين والقاف – عبد الملك بن عمرو ، وهو ثقة مأمون ، روى عنه أحمد ، وإسحق ، وابن المديني ، وغيرهم .

محمد بن أبي حميد الأنصاري الزرقي ، واسم أبيه « إبرهيم » : ضعيف منكر الحديث ، اتفقوا على تضعيفه .

أبو توبة المصري: لا يوجد راو بهذا الاسم ، وإنما هو من تخليط محمد بن أبي حميد . وصحته « أبو طعمة الأموي » بضم الطاء وسكون العين المهملة ، وهو مولى عمر بن عبد العزيز ، شامي سكن مصر ، وكان قارئاً ، يقرىء القرآن بمصر . وهو تابعي ثقة .

وهذا الحديث رواه الطيالسي في مسنده : ١٩٥٧ ، عن محمد بن أبي حميد « عن أبي توبة المصري » ، عن ابن عمر . وزاد في آخره قصة شق روايا الخمر ، شقها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر . ثم لعن شاربها وعاصرها . إلخ .

ونقل ابن كثير في التفسير ٣ : ٢٢٦ ، القسم الذي هنا فقط ، عن مسند الطيالسي . ولكنه حين رأى الغلط في الإسناد « عن أبي توبة المصري » – تصرف تصرفاً سديداً ، فأثبته : « عن المصري » ، ثم قال : « يعني أبا طعمة » . فلم يغير في أصل الإسناد ، وأشار إلى ما هو الصواب .

وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٣١٤ – ٣١٥ ، ونسبه للطيالسي ، والطبري ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، والبيهقي في شعب الإيمان .

والحديث الصحيح من رواية أبي طعمة : ما رواه أحمد في المسند : ٥٣٩٠ ، في قصة شق زقاق الخمر ، ثم قوله صلى الله عليه وسلم : « لعنت الخمر ، وشاربها ، وساقيها ، وبائعها ، ومبتاعها ، وحاملها، والمحمولة إليه ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وآكل ثمنها » – من طريق ابن لهيعة ، عن أبي طعمة وقد فصلنا تخريجه في الاستدراك ، رقم : ١٧٦٥ في المسند .

ورواه ابن عبد الحكم، في فتوح مصر ، أطول قليلا من رواية المسند ، ص ٢٦٤ بإسنادين

٤١٤٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال، حدثنا الحسين، عن يزيد النحوى، عن عكرمة والحسن قالا : قال الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ =و « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبيرٌ ومنافعُ للناس وإثمهما أكبر من نفعهما »، فنسختها الآية التى فى المائدة، فقال : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ ﴾، الآية.

٤١٤٥ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الوهاب قال، حدثنا عوف، عن أبى القَموُص زيد بن على قال : أنزل الله عز وجلّ فى الخمر ثلاثَ مرات. فأول ما أنزل قال الله : « يسألونك عن الخمر والميسر قُل فيهما إثمٌ كبيرٌ ومنافع للناس وإثمهما أكبرُ من نفعهما »، قال : فشربها من المسلمين من شاء الله منهم على ذلك، حتى شرب رجلان فدخلا فى الصلاة فجعلا يَهْجُران كلاماً لايدرى عوف ما هو، فأنزل الله عز وجل فيهما : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾، فشربها من شربها منهم، وجعلوا يتقونها عند الصلاة، حتى شربها – فيما زعيم أبو القموص – رجلٌ، فجعل ينوح على قتلى بدر :

تُحَيِّي بِالسَّلاَمَةِ أُمُّ عَمْرٍو وَهَلْ لَكِ بَعْدَ رَهْطِكِ مِنْ سَلاَمِ ![1]

من طريق أبى شريح عبد الرحمن بن شريح، عن شراحيل بن بكيل – ومن طريق ابن لهيعة، عن أبى طعمة، كلاهما عن ابن عمر. وشراحيل بن بكيل : تابعى ثقة، ترجمه البخارى فى الكبير ٢/٢/٢٥٦. وابن أبى حاتم ٢/١/٣٧٣. ولم يذكرا فيه جرحاً.

(١) سيأتى فى تخريج هذا الأثر، أن رواية هذا الخبر تنسب هذا الشعر لأبى بكر الصديق، ونفى عائشة لذلك. وهذه الأبيات بعض أبيات من شعر لأبى بكر بن شعوب، اختلطت بشعر بجير بن عبد الله بن عامر القشيرى. ومراجع الأبيات جميعاً هى : سيرة ابن هشام ٣ : ٣٠، وتاريخ ابن كثير ٣ : ٣٤١، والوحشيات لأبى تمام : ٤٢٥، والاشتقاق : ٦٣، ونسب قريش : ٣٠١، ومن نسب لأمه (نوادر) : ٨٢، وكنى الشعراء (نوادر) : ٢٨٢، والبخارى ٥ : ٦٥، وفتح البارى ٧ : ٢٠١، والإصابة (ترجمة أبى بكر بن شعوب)، وغيرها.

والبيت الأول والرابع والخامس، من أبيات رواها ابن هشام، والبخارى لأبى بكر بن شعوب، من الشعر الذى ذكر فيه قتل بدر، والذى يقول فى آخره :

ذَرِينِي أَصْطَبِحْ بَكْرًا ، فَإِنِّي رَأَيْتُ الْمَوْتَ نَقَّبَ عَنْ هِشَامِ (١)
وَوَدَّ بَنُو الْمُغِيرَةِ لَوْ فَدَوْهُ بِأَلْفٍ مِنْ رِجَالٍ أَوْ سَوَامِ
كَأَيٍّ بِالطَّوِيِّ طَوِيِّ بَدْرٍ مِنَ الشِّيزَى يُكَلَّلُ بِالسَّنَامِ (٢)
كَأَيٍّ بِالطَّوِيِّ طَوِيِّ بَدْرٍ مِنَ الفِتْيَانِ وَالْحُلَلِ الكِرَامِ (٣)

قال : فبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فجاء فزِعاً يجرُّ رداءه من الفزع ، حتى انتهى إليه ، فلما عاينه الرجل ، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً كان بيده ليضربه، قال: أعوذ بالله من غضب الله ورسوله ! والله لا أطعمُها

يُحَدِّثُنَا الرَّسُولُ بِأَنْ سَنَحْيَا وَكَيْفَ حَيَاةُ أَصْدَاءٍ وَهَامِ !

وكان أبو بكر قد أسلم فيما يقال . أما البيتان الثانى والثالث فهما من أبيات قالها بحير بن عبد الله القشيرى ، يرثى هشام بن المغيرة ، وكان شريفاً مذكوراً ، وكانت قريش تؤرخ بموته ، ولما مات نادى مناد بمكة : « اشهدوا جنازة ربكم » ! . فقال بحير يرثيه أبياتاً أولها :

ذَرِينِي أَصْطَبِحْ يَا بَكْرُ ، إِنِّي رَأَيْتُ الْمَوْتَ نَقَّبَ عَنْ هِشَامِ

وقد رواها لبحير بن عبد الله ، الآمدى فى المؤتلف والمختلف ، وأبو تمام فى الوحشيات ، وابن دريد فى الاشتقاق ، ولكن المصعب فى نسب قريش روى هذا البيت والذى يليه لأبى بكر بن شعوب فى رثاء هشام . والصواب فيما أرجح مع من خالف المصعب . فإن البيتين الثانى والثالث ، ظاهر أنهما مقحمان هنا ، وهما ليسا فى رواية الثقات ، وفيهما ذكر هشام ورثاؤه ، وهشام مات قبل الإسلام وقبل يوم بدر بدهر طويل . وشهد بدراً ولداه الحارث بن هشام، وأبو جهل بن هشام = فلا معنى لذكره فى رثاء قتلى بدر . هذا خلط فى الرواية ، حتى لوصح أن البيتين لأبى بكر بن شعوب .

(١) يروى : « يا بكر إنى » و « يا هند إنى » .

(٢) فى المطبوعة : « كأنى » ، والصواب « كأى » أى : كم . ويروى « وكم لك بالطوى » و « ماذا بالطوى » . والطوى : البئر المطوية . والشيزى : خشب أسود تعمل منه القصاع والجفان . والسنام سنام البعير من ظهره . يقول : كم ألقى فى هذه البئر من كريم مطعم . فجعل جفانه هى التى ألقيت فى القليب ، كأن لا أحد بعده يخلفه فى كرمه وفعاله وإطعامه الضيف والفقير .

(٣) فى المطبوعة « كأنى » وانظر التعليق السالف . ويروى : « من القينات » جمع قينة ، يقول ذهب اللهو فلا لهو بعدهم ولا منادمة ، ويروى ، « والشرب الكرام » .

هذا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أمر بعد النصر فى بدر أن تطرح القتلى فى القليب (البئر) . فى خبر مذكور فى السير .

أبداً ! فأنزل الله تحريمها : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ والأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ ، فقال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه : انتهينا ، انتهينا ! ! (١)

٢١٢/ ٤١٤٦ — حدثنا سفيان بن وكيع قال: حدثنا إسحق الأزرق ، عن زكريا ، عن سماك ، عن الشعبي قال : نزلت فى الخمر أربعُ آيات : « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس » ، فتركوها، ثم نزلت : ﴿ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً ﴾ [سورة النحل : ٦٧]، فشربوها ثم نزلت الآيتان فى «المائدة»: ﴿إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ ﴾ إلى قوله : ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾

٤١٤٧ — حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : قال نزلت هذه الآية : « يسألونك عن الخمر والميسر » الآية ، فلم يزالوا بذلك يشربونها ، حتى صنع عبد الرحمن بن عوف طعاماً ، فدعا ناساً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيهم على بن أبى طالب ، فقرأ : ﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا الكَافِرُونَ ﴾، ولم يفهمهما . فأنزل الله عز وجل يشدد فى الخمر : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ ، فكانت لهم حلالا يشربون من صلاة الفجر حتى يرتفع النهار ، أو ينتصف ، فيقومون إلى صلاة الظهر وهم مُصْحُون ، (٢) ثم لا يشربونها حتى يُصَلوا العَتَمة — وهى

---

(١) الحديث : ٤١٤٥ — عبد الوهاب : هو ابن عبد المجيد الثقفى ، ترجمناه فى : ٢٠٣٩ . « عوف » هو ابن أبى جميلة الأعرابى ، مضى فى ٢٩٠٥ . زيد بن على أبو القموص ، بفتح القاف وضم الميم : تابعى ثقة قليل الحديث .

وروايته هذه مرسلة ، لا تقوم بها حجة . وقد أشار إليها الحافظ فى الإصابة ٧ : ٢١ ، وأنه رواها الفاكهى فى تاريخ مكة ، عن يحيى بن جعفر ، عن على بن عاصم ، عن عوف بن أبى جميلة ، عن أبى القموص . وأشار إليها أيضاً فى الفتح ٧ : ٢٠١ وجزم بتضعيفها ، لمعارضتها بما رواه الفاكهى نفسه ، من وجه صحيح ، عن عائشة ، قالت : « والله ما قال أبو بكر بيت شعر فى الجاهلية ولا الإسلام ، ولقد ترك هو وعثمان شرب الخمر فى الجاهلية » . ثم قال الحافظ : « وهى أعلم بشأن أبيها من غيرها . وأبو القموص لم يدرك أبا بكر ، فالعهدة على الواسطة . فلعله كان من الروافض » . وهذا هو الحق .

(٢) صحا السكران يصحو فهو صاح ، وأصحى فهو مصح : ذهب سكره وأفاق .

العشاء — ثم يشربونها حتى ينتصف الليل، وينامون ، ثم يقومون إلى صلاة الفجر وقد صحوا — فلم يزالوا بذلك يشربونها حتى صنع سعد بن أبي وقاص طعاماً، فدعا ناساً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيهم رجل من الأنصار ، فشوى لهم رأس بعير ثم دعاهم عليه ، فلما أكلوا وشربوا من الخمر ، سكروا وأخذوا في الحديث . فتكلم سعد بشيء فغضب الأنصاري ، فرفع لَحْيَ البعير فكسر أنف سعد ،(١) فأنزل الله نَسْخ الخمر وتحريمها وقال : ﴿ إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ ﴾ إلى قوله ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾.

٤١٤٨ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة — وعن رجل، عن مجاهد — في قوله : « يسألونك عن الخمر والميسر »، قال : لما نزلت هذه الآية شربها بعض الناس وتركها بعضٌ، حتى نزل تحريمها في « سورة المائدة» .

٤١٤٩ — حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « قل فيهما إثمٌ كبير » ، قال : هذا أول ما عِيبت به الخمر .(٢)

٤١٥٠ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يسألونك عن الخمر والميسر قُل فيهما إثم كبير ومنافع للناس» ، فذمَّهما الله ولم يحرِّمهما، لما أراد أن يبلغ بهما من المدة والأجل. ثم أنزل الله في «سورة النساء» أشد منها : ﴿ لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾، فكانوا يشربونها ، حتى إذا حضرت الصلاة سكتوا عنها ، فكان السكر عليهم

---

(١) اللحى (بفتح اللام وسكون الحاء) حائط الفم ، وهما العظم الذي فيه الأسنان من داخل الفم ، وللبعير والإنسان وغيرهما : لحيان ، أعلى وأسفل .

(٢) الأثر : ٤١٤٩ — مضى بنصه هذا برقم : ٤١٣٢ .

حراماً . ثم أنزل الله جل وعز فى «سورة المائدة» بعد غزوة الأحزاب : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ ﴾ إلى ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ فجاء تحريمها فى هذه الآية ، قليلها وكثيرها ، ما أسكر منها وما لم يسكر . وليس للعرب يومئذ عيش أعجبُ إليهم منها .(١)

٤١٥١ ــ حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه عن الربيع قوله : « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما» ، قال : لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن ربكم يُقدِّم فى تحريم الخمر ، قال : ثم نزلت ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : إنّ ربكم يقدِّم فى تحريم الخمر . قال : ثم نزلت : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾ ، فحرّمت الخمر عند ذلك .

٤١٥٢ ــ حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « يسألونك عن الخمر والميسر » الآية كلها ، قال : نسخت ثلاثةٌ ،(٢) فى «سورة المائدة» ، وبالحدّ الذى حدّ النبى صلى الله عليه وسلم ، وضَرْب النبىّ صلى الله عليه وسلم . قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يضربهم بذلك حدًّا ، ولكنه كان ٢١٣/٢
يعمل فى ذلك برأيه ، ولم يكن حدًّا مسمىًّ وهو حَدٌّ ، وقرأ : ﴿ إِنمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ ﴾ الآية .(٣)

---

(١) قوله : « عيش » مجاز حسن ، لم تقيده كتب اللغة ، ويعنى به : المتاع واللذة . وأصل « العيش » : المطعم والمشرب وما تكون به الحياة . فنقل إلى المتاع ، ومثله ما جاء فى الأثر : « لاعيش إلا عيش الآخرة » ، فأولى أن يفسر بالمتاع واللذة

(٢) يقال : « نسخت ثلاثاً » ، أى ثلاث مرات من النسخ ، ويجوز « نسخت ثلاثة » كما هنا ، أى ثلاثة نسوخ ، لتذكير « النسخ » .

(٣) يعنى أن آية البقرة هذه ، نسختها آية المائدة نسخاً واحداً ، ثم جعل الله حدها الضرب غير مسمى العدد ، فكان نسخاً ثانياً ، ثم اجتهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيه فى عدد الضرب وصورته ، فكان اجتهاده نسخاً ثالثاً .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ذكره بذلك : ويسألك يا محمد أصحابك : أىّ شىء ينفقون من أموالهم فيتصدقون به ؟ فقل لهم يا محمد : أنفقوا منها العفوَ .

* * *

واختلف أهل التأويل فى معنى « العفو » فى هذا الموضع .

فقال بعضهم : معناه الفضل .

* ذكر من قال ذلك :

٤١٥٣ ــ حدثنا عمرو بن على الباهلى قال، حدثنا وكيع = ح ، وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى = عن ابن أبى ليلى ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس قال : العفوُ ما فضل عن أهلك .

٤١٥٤ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « قل العفو » ، أى الفضْل .

٤١٥٥ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : هو الفضل .

٤١٥٦ ــ حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال،حدثنا هشيم قال، أخبرنا عبدالملك، عن عطاء فى قوله : « العفو » ،قال : الفضل .

٤١٥٧ ــ حدثنا موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : « العفو » ، يقول : الفضل .

٤١٥٨ ــ حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « يسألونك ماذا ينفقون قل العفو » ، قال : كان القوم يعملون فى كل

يوم بما فيه ، فإن فضَل ذلك اليوم فَضْل عن العيال قدَّموه، ولا يتركون عِيالهم جُوَّعاً ويتصدقون به على الناس .

٤١٥٩ – حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا يونس ، عن الحسن فى قوله : « ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو » ، قال : هو الفضل ، فضل المال .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : ما كان عفواً لا يَبين على من أنفقه أو تصدّق به.

* ذكر من قال ذلك :

٤١٦٠ – حدثنى على بن داود قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على ، عن ابن عباس : « ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو » ، يقول : ما لا يتبيَّن فى أموالكم .

٤١٦١ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن جريج ، عن طاوس فى قول الله جل وعز : « ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو » ، قال : اليسير من كل شىء .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : الوسط من النفقة ، ما لم يكن إسرافاً ولا إقتاراً .

* ذكر من قال ذلك :

٤١٦٢ حدثنا – محمد بن عبد الله بن بزيع قال، حدثنا بشر بن المفضل ، عن عوف ، عن الحسن فى قوله : « ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو » ، يقول : لا تجهَد مالك حتى ينفد للناس .

٤١٦٣ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : سألت عطاء عن قوله : « يسألونك ماذا ينفقون قل العفو » ، قال : العفو فى النفقة : أن لا تجهدَ مالك حتى ينفد فتسأل الناس .

٤١٦٤ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال سألت عطاء عن قوله : « يسألونك ماذا ينفقون قل العفو » ، قال : العفو ما لم يسرفوا ولم يقتروا فى الحق = قال : وقال مجاهد : العفو صدقة عن ظهر غنى .

٤١٦٥ ــ حدثنا عمرو بن على قال ، حدثنا يحيى بن سعيد قال ، حدثنا عوف ، عن الحسن فى قوله : « يسألونك ماذا ينفقون قل العفو » ، قال : هو أن لا تجهد مالك .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : « قل العفو » ، خذ منهم ما أتوك به من شىء قليلاً أو كثيراً .

* ذكر من قال ذلك :

٤١٦٦ ــ حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس: « ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو »، يقول : ما أتوك به من شىء قليل أو كثير فاقبله منهم .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : ما طابَ من أموالكم .

* ذكر من قال ذلك :

٤١٦٧ ــ حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « يسألونك ماذا ينفقون قل العفو » ، قال يقول : الطيِّبَ منه ، يقول : أفضلَ مالك وأطيبَه .

٤١٦٨ ــ حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة قال : كان يقول : العفو ، الفضل ، يقول : أفضل مالك .

* * *

٢١٤/٢ وقال آخرون : معنى ذلك : الصدقة المفروضة .

* ذكر من قال ذلك :

٤١٦٩ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن قيس بن سعد = أو عيسى ، عن قيس ، عن مجاهد – شك أبو عاصم = قول الله جل وعز : « قل العفو » ،قال : الصدقة المفروضة .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال : معنى «العفو»: الفضلُ من مالِ الرجل عن نفسه وأهله فى مؤونتهم ما لا بد لهم منه . وذلك هو الفضل الذى تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإذن فى الصدقة ، وصَدقته فى وجوه البر : (١)

* ذكر بعض الأخبار التى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك:

٤١٧٠ – حدثنا على بن مسلم قال، حدثنا أبو عاصم ، عن ابن عجلان ، عن المقبرى ، عن أبى هريرة قال : قال رجل : يا رسول الله ، عندى دينار ! قال : أنفقه على نفسك . قال: عندى آخر ! قال : أنفقه على أهلك. قال: عندى آخر ! قال : أنفقه على ولدك ! قال : عندى آخر ؛ قال: فأنتَ أبْصَرُ ! (٢)

---

(١) فى المطبوعة : « وصدقة فى وجوه البر » . والصواب ما أثبت ، يعنى أن التصدق بالعفو فى وجوه البر ، أما الزكاة المفروضة ، فلها شأن آخر ، كما سيأتى بعد .

(٢) الحديث : ٤١٧٠ – على بن مسلم بن سعيد أبو الحسن الطوسى ، نزيل بغداد : ثقة ، روى عنه البخارى فى صحيحه ، وابن معين ، وأبو داود ، وغيرهم ، مترجم فى التهذيب ، وتاريخ بغداد ١٢ ١٠٨ – ١٠٩ . أبو عاصم : هو النبيل ، الضحاك بن مخلد . ابن عجلان : هو محمد : مضت ترجمته : ٣٠٤ . المقبرى : هو سعيد بن أبى سعيد .

والحديث رواه أحمد فى المسند : ٧٤١٣ ، بزيادة فى أوله ، عن يحيى – وهو القطان – عن ابن عجلان ، به ، نحوه . وقد بينا هناك تخريجه فى أبى داود ، والنسائى ، والمستدرك للحاكم ، وابن حبان.

وذكره السيوطى ١ : ٢٥٣ ، ونسبه لهؤلاء والطبرى ، عدا المسند . ونقله ابن كثير ١ : ٥٠٣ عن الطبرى ، ثم قال : « وقد رواه مسلم فى صحيحه » . وقد وهم رحمه الله . فإن الحديث ليس فى صحيح مسلم ، على اليقين . بعد طول التتبع منى ومن أخى السيد محمود .

٤١٧١ – حدثني محمد بن معمر البحراني قال، حدثنا روح بن عبادة قال ، حدثنا ابن جريج ، قال ، أخبرني أبو الزبير : أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا كان أحدكم فقيراً فليبدأ بنفسه ، فإن كان له فضل فليبدأ مع نفسه بمن يعول، ثم إن وجد فضلاً بعد ذلك فليتصدق على غيرهم . (١)

٤١٧٢ – حدثنا عمرو بن علي قال، حدثنا يزيد بن هرون قال ، حدثنا محمد بن إسحق، عن عاصم بن عمر بن قتادة ،عن محمود بن لبيد،عن جابر بن عبد الله قال: أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ ببيضة من ذهب أصابها في بعض المعادن ، فقال : يا رسول الله ، خذ هذه مني صدقة ، فوالله ما أصبحت أملك غيرها ! فأعرض عنه ، فأتاه من ركنه الأيمن فقال له مثل ذلك،فأعرض عنه . ثم قال له مثل ذلك ، فأعرض عنه . ثم قال له مثل ذلك ، فقال : هاتها ! مغضباً ، فأخذها فحذفه بهاحذفة لو أصابه شجّه أوعقَره،ثم قال : يجيء أحدكم بماله كله يتصدق به ، ويجلس يتكفف الناس ! ! إنما الصدقة عن ظهر غِنىً . (٢)

---

(١) الحديث : ٤١٧١ – رواه أحمد في المسند : ١٤٣٢٣ (٣ : ٣٠٥ حلبي) ، بنحوه ، مع قصة في أوله – من طريق أيوب ، عن أبي الزبير ، عن جابر .

ورواه مسلم ١ : ٢٧٤ ، نحو رواية المسند – من طريق الليث بن سعد ، عن أبي الزبير . ثم من طريق أيوب ، عن أبي الزبير .

وذكره ابن كثير ١ : ٥٠٣ ، ونسبه لمسلم . وذكره السيوطي ١ : ٢٥٤ ، ونسبه لمسلم والنسائي .

(٢) الحديث : ٤١٧٢ – عاصم بن عمر بن قتادة : مضى في : ١٥١٩ . ووقع في المطبوعة « عاصم عن عمر بن قتادة » . وهو خطأ واضح .

والحديث رواه أبو داود : ١٦٧٣ ، عن موسى بن إسمعيل ، عن حماد – وهو ابن سلمة – عن ابن اسحق ، بهذا الإسناد . ورواه الحاكم في المستدرك ١ : ٤١٣ ، من طريق موسى بن إسمعيل ، به وقال : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبي .

وذكره السيوطي ١ : ٢٥٣ – ٢٥٤ ، وزاد نسبته لابن سعد ، وهوفي طبقات ابن سعد ٤/٢/١٩ ، من وجه آخر ، من رواية « عمر بن الحكم بن ثوبان » ، عن جابر .

حذفه بالشيء رماه به . تكفف الناس : تعرض لمعروفهم باسطاً يده ، ليتلقى منهم ما يتصدقون به عليه . وقوله : « عن ظهر غنى » ، أي عن غنى يستقيم به أمره ويقوى .

٤١٧٣ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن إبراهيم المخرّمى قال : سمعت أبا الأحوص يحدث، عن عبد الله ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ارضَخْ من الفضل، وابدأ بمن تعول ، ولا تُلام على كَفاف . (١)

* * *

= وما أشبه ذلك من الأخبار التى يطول باستقصاء ذكرها الكتاب .

فإذا كان الذى أذن صلى الله عليه وسلم لأمته ، الصدقةَ من أموالهم بالفضل

---

(١) الحديث : ٤١٧٣ – إبرهيم المخرمى : هكذا ثبت فى المطبوعة ، ولا يوجد راو – فيما أعلم – بهذا الاسم . والراجح عندى ، بل الذى أكاد أوقن به ، أنه محرف عن « إبرهيم الهجرى » ، فالحديث حديثه . والرسم مقارب . والهجرى : هو إبرهيم بن مسلم العبدى الكوفى ، وهو ضعيف . ضعفه ابن عيينة ، والبخارى ، وأبو زرعة ، وأبو حاتم ، وغيرهم .

وهذا الحديث جزء من حديث ، ذكره السيوطى ١ : ٢٥٤ ، قال : « أخرج أبو يعلى ، والحاكم وصححه ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الأيدى ثلاثة ، فيد الله العليا ، ويد المعطى التى تليها ؛ ويد السائل السفلى إلى يوم القيامة ، فاستعفف عن السؤال وعن المسألة ما استطعت ، فإن أعطيت خيراً فلير عليك، وابدأ بمن تعول ، وارضخ من الفضل ، ولا تلام على الكفاف ».

وكذلك ذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب ٢ : ١٠ ، وقال : « رواه أبو يعلى ، والغالب على روايته التوثيق . ورواه الحاكم ، وصحح إسناده » .

وهكذا حكى السيوطى والمنذرى تصحيح الحاكم إياه . ولنا على ذلك تعقيب : أنه ليس فى المستدرك تصحيحه – كما سيأتى . فإن لم يكن السيوطى نقل عن المنذرى وقلده ، يكن فى نسخة المستدرك المطبوعة سقط التصحيح الذى حكياه .

وأول الحديث إلى قوله « ويد السائل السفلى » – رواه أحمد فى المسند : ٤٢٦١ ، عن القاسم بن مالك ، عن الهجرى ، عن أبى الأحوص ، عن عبد الله – وهو ابن مسعود – مرفوعاً . وذكر الهيثمى فى مجمع الزوائد ٣ : ٩٧ أوله عن المسند وأبى يعلى ، وزيادة آخره عن أبى يعلى . وقال : « ورجاله موثقون » .

ورواية الحاكم إياه – هى فى المستدرك ١ : ٤٠٨ ، بثلاثة أسانيد ، لم يذكر لفظه فيها كاملا . بل ذكر فى أولها أنه سقط عليه تمام الحديث ، ثم ذكر فى الآخرين بعض الحديث ، ولم يذكره كله . ولم يذكر فيه تصحيحاً ولا تضعيفاً ، ولا قال الذهبى شيئاً فى ذلك فى مختصره .

رضخ له من ماله يرضخ رضخاً ، ورضخ له رضيخة : أعطاه القليل اليسير . والكفاف : هو الذى يكف المرء عن سؤال الناس : يقول : إذا لم يكن عندك فضل مال تبذله ، لم تلم على أن لا تعطى أحداً .

عن حاجة المتصدق ، فالفضل من ذلك هو « العفو » من مال الرجل ،[١] إذْ كان « العفو » ، فى كلام العرب ، فى المال وفى كل شىء : هو الزيادة والكثرة — ومن ذلك قوله جل ثناؤه : « حتى عَفَوْا » بمعنى : زادوا على ما كانوا عليه من العدد وكثروا ،[٢] ومنه قول الشاعر :[٣]

وَلٰكِنَّا نُعِضُّ السَّيْفَ منها بِأَسْوُقِ عَافِيَاتِ الشَّحْمِ كُومِ[٤]

يعنى به : كثيرات الشحوم . ومن ذلك قيل للرجل : « خذ ما عفا لك من فلان » ، يراد به ما فضل فصفا لك عن جُهده بما لم يَجْهده =[٥] كان بيِّناً أنّ الذى أذن الله به فى قوله : « قل العفو » لعباده من النفقة ، فأذنهم بإنفاقه إذا أرادوا إنفاقه ، هو الذى بيّن لأمته رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « خير الصدقة ما أنفقت عن غنى » ، وأذِنهم به .

* * *

فإن قال لنا قائل : وما تنكر أن يكون ذلك « العفو » هو الصدقة المفروضة؟[٦]

---

(١) فى المطبوعة : « الفضل من ذلك . . . » بحذف الفاء ، والفاء لا بد منها ليستقيم الكلام .

(٢) انظر ما قاله فى معنى « عفا » فيما سلف : ٣ : ٣٧٠ .

(٣) هو لبيد بن ربيعة .

(٤) ديوانه قصيدة ٢ : ١٩ ، ثم يأتى فى التفسير ٩ : ٦ (بولاق) ، وفى المطبوعة هنا « يعض السيف منا » وهو خطأ ، والصواب ما فى الموضع الآخر والديوان . وهذا البيت من أبيات يفخر فيها بإكرامهم الضيف ، ولا سيما فى الشتاء ، يقول إذا جاء الشتاء ببرده وقحطه :

فَلَا نَتَجَاوَزُ العَطِلاتِ مِنْها إلى البَكْرِ المُقَارِبِ والكَزُوم

ولكنّا نُعِضّ السَّيْف . . .

والضمير فى « منها » للإبل . يقول : لا نتجاوز عند الذبح فندع النوق الطوال الأعناق السمينات ، إلى بكر دنىء أو بكر هرم ، ولكننا نعض السيف ، أى نضرب بالسيف حتى يعض فى اللحم — بعراقيب السمينات العظام الأسنمة ، وهى الكوم ، جمع كوماء .

(٥) قوله : « كان بينا . . . » جواب قوله : « فإذا كان الذى أذن صلى الله عليه وسلم . . . » كان بيناً . . . » ، وأذن هنا بمعنى : أعلم وأخبر .

(٦) « الصدقة المفروضة » يعنى : الزكاة المفروضة .

قيل : أنكرنا ذلك لقيام الحجة على أنّ من حلّت فى ماله الزكاة المفروضة فهلكَ جميعُ ماله إلاّ قَدْرُ الذى لَزِم مالَه لأهل سُهْمان الصدقة، أنّ عليه أن يسلمه إليهم ، إذا كانَ هلاكُ ماله بعد تفريطه فى أداء الواجب كان لهم فى ماله ، إليهم .[1] وذلك لاشك أنه جُهْده — إذا سلّمه إليهم — لا عفوُه . وفى تسمية ٢١٥/٢
الله جل ثناؤه ما علّم عبادَه وَجْه إنفاقهم من أموالهم « عفواً » ، ما يبطل أن يكون مستحقاً اسم « جهد » فى حالة . وإذا كان ذلك كذلك ، فبيّنٌ فسادُ قول من زعم أن معنى « العفو » هو ما أخرجه رب المال إلى إمامه فأعطاه ، كائناً ما كان من قليل ماله وكثيره ، وقولِ من زعم أنه الصدقة المفروضة . وكذلك أيضاً لا وَجه لقول من يقول إن معناه : «ما لم يتبيّن فى أموالكم» ،[2] لأن النبى صلى الله عليه وسلم لما قال له أبو لبابة : «إنّ من توبتى أن أنخلع إلى الله ورسوله من مالى صدقة» ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : «يكفيك من ذلك الثلث !» ، وكذلك روى عن كعب ابن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له نحواً من ذلك .[3] والثلث لا شك أنه بيّنٌ فَقْدُه من مال ذى المال ، ولكنه عندى كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ [سورة الفرقان : ٦٧] ، وكما قال جل ثناؤه لمحمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ

---

(١) فى المطبوعة : « الواجب كان لهم ما له إليهم » ، وزيادة « فى » واجبة لتمام المعنى واستقامته يعنى : . . . أداء الواجب فى ماله إليهم ، وقوله : « كان لهم » صفة لقوله « الواجب » .

(٢) انظر هذا القول فيما سلف قريباً ص : ٣٣٨

(٣) حديث توبة أبى لبابة بن المنذر ، وانخلاعه من ماله فى المسند ٣ : ٤٥٢ ، ٥٠٢ قال، لما تاب الله عليه فى أمر غزوة بنى قريظة (انظر سيرة ابن هشام ٣ : ٢٤٧ ، ٢٤٨) : يا رسول الله إن من توبتى أن أهجر دار قومى ، وأن أنخلع من مالى صدقة لله ولرسوله ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يجزىء عنك الثلث .

وأما خبر كعب بن مالك ، فهو خبر الثلاثة الذين خلفوا (رواه البخارى فى غزوة بنى قريظة ٦ : ٧) ، فلما تاب الله عليه قال : إن من توبتى أن أنخلع من مالى صدقة إلى الله ورسوله ! فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك .

وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً ﴾ [سورة الإسراء : ٢٩]، وذلك هو ما حدّه صلى الله عليه وسلم فيما دون ذلك على قدر المال واحتماله .

* * *

ثم اختلف أهل العلم فى هذه الآية : هل هى منسوخة أم ثابتة الحكم على العباد ؟

فقال بعضهم : هى منسوخة ، نسختها الزكاة المفروضة.

* ذكر من قال ذلك :

٤١٧٤ – حدثنى على بن داود قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « يسألونك ماذا ينفقون قل العفو » ، قال : كان هذا قبل أن تفرض الصدقة .

٤١٧٥ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « يسألونك ماذا ينفقون قل العفو » ، قال : لم تفرض فيه فريضة معلومة . ثم قال : ﴿ خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِين ﴾ [سورة الأعراف : ١٩٩]، ثم نزلت الفرائض بعد ذلك مسمّاة .

٤١٧٦ – حدثنى موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « يسألونك ماذا ينفقون قل العفو » ، هذه نسختها الزكاة .

* * *

وقال آخرون : بل مُثْبَتة الحكم غير منسوخة .

* ذكر من قال ذلك :

٤١٧٧ – حدثنى محمد بن عمرو قال . حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن قيس سعد = أو عيسى ، عن قيس = عن مجاهد – شكّ أبو عاصم قال – قال : العفو الصدقة المفروضة .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك ما قاله ابن عباس على ما رواه عنه عطية ، من أن قوله : « قل العفو » ، ليس بإيجاب فرض فُرِض من الله حقاً فى ماله ، ولكنه إعلامٌ منه ما يرضيه من النفقة مما يُسخطه ، جواباً منه لمن سأل نبيه

محمداً صلى الله عليه وسلم عما فيه له رضاً . فهو أدبٌ من الله لجميع خلقه على ما أدَّبهم به فى الصدقات غير المفروضات ثابتُ الحكم، غيرُ ناسخ لحكم كان قبله بخلافه ، ولا منسوخ بحكم حدث بعده . فلا ينبغى لذى ورع ودين أن يتجاوز فى صدقاته التطوعَ وهباته وعطايا النفل وصدقته ، ما أدَّبهم به نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله : « إذا كان عند أحدكم فضل فليبدأ بنفسه ، ثم بأهله ، ثم بولده»، ثم يسلك حينئذ فى الفضل مسالكه التى ترضى الله ويحبها. وذلك هو « القوَام » بين الإسراف والإقتار، الذى ذكره الله عز وجل فى كتابه = إن شاء الله تعالى .

* * *

ويقال لمن زعم أن ذلك منسوخ : ما الدلالة على نسخه ، وقد أجمع الجميعُ لا خلاف بينهم: على أن للرجل أن ينفق من ماله صدقةً وهِبةً ووصيةً، الثلثَ ؟ فما الذى دل على أن ذلك منسوخ؟

فإن زعم أنه يعنى بقوله: «إنه منسوخ»، أنّ إخراج العفو من المال غير لازم فرضاً ، وأن فرض ذلك ساقطٌ بوجود الزكاة فى المال =

=قيل له: وما الدليل على أن إخراج العفو كان فرضاً فأسقطه فرضُ الزكاة ، ولا دلالة فى الآية على أن ذلك كان فرضاً، إذ لم يكن أمرٌ من الله عز ذكره، بل فيها الدلالة على أنها جوابُ ما سأل عنه القوم على وَجه التعرف لما فيه لله الرضا من الصدقات ؟

٢١٦/٢ ولا سبيل لمدَّعى ذلك إلى دلالة توجب صحة ما ادَّعى .

* * *

قال أبو جعفر: وأما القرأة فإنهم اختلفوا فى قراءة « العفو» . فقرأته عامة قرأة الحجاز وقرأة الحرمين وعُظم قرأة الكوفيين : « قل العفو » نصباً . وقرأه بعض قرأة البصريين : « قل العفو » رفعاً .

فمن قرأه نصباً جعل« ماذا » حرفاً واحداً، ونصبه بقوله: «ينفقون» ، على ما قد

بيّنت قبل —[1] ثم نصب «العفو» على ذلك . فيكون معنى الكلام حينئذ: ويسألونك أيّ شيء ينفقون ؟

ومن قرأه رفعاً جعل « ما » من صلة « ذا »، ورفعوا « العفو » . فيكون معنى الكلام حينئذ : ما الذى ينفقون ؟ قل: الذى ينفقون، العفو .

ولو نصب « العفو » ، ثم جعل « ماذا » حرفين ، بمعنى : يسألونك ماذا ينفقون ؟ قل : ينفقون العفو = ورفع الذين جعلوا « ماذا » حرفاً واحداً ، بمعنى : ما ينفقون ؟ قل : الذى ينفقون، خبراً =[2] كان صواباً صحيحاً فى العربية .

وبأى القراءتين قرئ ذلك، فهو عندى صواب ،[3] لتقارب معنيهما ، مع استفاضة القراءة بكل واحدة منهما . غير أن أعجبَ القراءتين إلىّ، وإن كان الأمر كذلك ، قراءةُ من قرأه بالنصب ، لأن من قرأ به من القرأة أكثر ، وهو أعرف وأشهرُ .

* * *

القول فى تأويل قوله عزّ ذكره ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله عز ذكره: «كذلك يُبين الله لكم الآيات»، هكذا يبين = أى : كما بينت لكم أعلامى وحُججى — وهى « آياته » — فى هذه السورة ، وعرّفتكم فيها ما فيه خلاصكم من عقابى، وبينت لكم حدودى وفرائضى ، ونبّهتكم فيها على الأدلة على وحدانيتى ، ثم على حُجج رسولى إليكم، فأرشدتكم إلى ظهور

---

(١) انظر ما سلف فى هذا الجزء : ٢٩٢ ، ٢٩٣

(٢) يعنى : ورفعوه على أنه خبر « الذى ينفقون » .

(٣) فى المطبوعة : « قرىء ذلك عندى صواب » والصواب زيادة « فهو » ، أو يقول : « كان عندى صواباً » . .

الهدى = فكذلك أبين لكم فى سائر كتابى الذى أنزلته على نبيّى محمد صلى الله عليه وسلم آياتى وحُججى وأوضحها لكم، لتتفكروا فى وعدى ووعيدى ، وثوابى وعقابى ، فتختاروا طاعتى التى تنالون بها ثوابى فى الدار الآخرة، والفوز بنعيم الأبد، (١) على القليل من اللذات واليسير من الشهوات ، بركوب معصيتى فى الدنيا الفانية، التى من ركبها كان معاده إلىّ، ومصيره إلى ما لا قِبَل له به من عقابى وعذابى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٤١٧٨ — حدثنا على بن داود قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ابن صالح ، عن على ، عن ابن عباس: « كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون فى الدنيا والآخرة » ، قال : يعنى فى زوال الدنيا وفنائها ، وإقبال الآخرة وبقائها .

٤١٧٩ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « لعلكم تتفكرون فى الدنيا والآخرة»، قال يقول: لعلكم تتفكرون فى الدنيا والآخرة ، فتعرفون فضل الآخرة على الدنيا .

٤١٨٠ — حدثنا القاسم، قال حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : قوله : « كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون فى الدنيا والآخرة»، قال : أما الدنيا ، فتعلمون أنها دار بلاء ثم فناء ، والآخرة دارُ جزاء ثم بقاء ، فتتفكرون فتعملون للباقية منهما = قال: وسمعت أبا عاصم يذكر نحو هذا أيضاً .

٤١٨١ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة

---

(١) فى المطبوعة : « فتجاوزوا طاعتى . . . » ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبت . يقال : « اخترت فلاناً على فلان » ، بمعنى آثرته عليه . وعدى « الاختيار » بقوله « على » لتضمنها معنى : « فضلت » .

قوله : « كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون فى الدنيا والآخرة » ، وأنه من تفكر فيهما عرف فضل إحداهما على الأخرى ، وعرف أن الدنيا دار بلاء ثم دار فناء ، وأن الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء ، فكونوا ممن يَصْرم حاجة الدنيا لحاجة الآخرة .

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ﴾

اختلف أهل التأويل فيمَ نزلت هذه الآية .(١)

فقال بعضهم : نزلت [فى الذين عزلوا أموال اليتامى الذين كانوا عندهم ، وكرهوا أن يخالطوهم فى مأكل أو فى غيره ، وذلك حين نزلت ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[سورة الأنعام: ١٥٢]،وقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا ﴾ [سورة النساء : ١٠] .

* ذكر من قال ذلك] :(٢)

٤١٨٢ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يحيى بن آدم ، عن إسرائيل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٢ / والإسراء: ٣٤] عزلوا أموال اليتامى ، فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت : « وإن تخالطوهم فإخوانكم ، والله يعلمَ المفسدَ من المصلح ، ولو شاء الله لأعنتكم » ، فخالطوهم .(٣) ٢/٢١٧

---

(١) فى المطبوعة : « فيما نزلت » ، والأجود ما أثبت .

(٢) ما بين القوسين زيادة استظهرتها من سياق الكلام ، واستجزت أن أزيدها بين الأقواس فى متن الكتاب ، حتى لا تنقطع على القارىء قراءته ، وكان مكانها فى المطبوعات والمخطوطات بياض .

(٣) الأثر : ٤١٨٢ – أخرجه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٢٧٨ مطولا ، وقال : « هذا حديث

٤١٨٣ ــ حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : ﴿ وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾، و﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾ [سورة النساء: ١٠]، انطلق من كان عنده يتيمٌ فعزل طعامَه من طعامه، وشرابه من شرابه، فجعل يفضُل الشيء من طعامه فيُحبس له حتى يأكله أو يفسُد. فاشتدّ ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله عز وجل : « ويسألونك عن اليتامى قل إصْلاح لهم خيرٌ وإن تخالطوهم فإخوانكم »، فخلطوا طعامهم بطعامهم وشرابهم بشرابهم.(١)

٤١٨٤ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد قال : لما نزلت : ﴿ وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ ، قال : كنا نصنع لليتيم طعاماً فيفضُل منه الشيء ، فيتركونه حتى يفسد ، فأنزل الله : « وإن تخالطوهم فإخوانكم » .(٢)

٤١٨٥ ــ حدثنا يحيى بن داود الواسطي قال، حدثنا أبو أسامة، عن ابن أبي ليلى، عن الحكم قال: سئل عبد الرحمن بن أبي ليلى عن مال اليتيم فقال: لما نزلت: ﴿ وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾، اجتُنبت مخالطتهم ، واتقوا كل شيء ، حتى اتقوا الماء ، فلما نزلت : « وإن تخالطوهم فإخوانكم »، قال : فخالطوهم .

٤١٨٦ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله: « ويسألونك عن اليتامى » الآية كلها، قال: كان الله أنزل قبل ذلك في

صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي . وكان في المطبوعة . « فإخوانكم ولو شاء لأعنتكم » ، فأتممت الآية على تنزيلها .

(١) الأثر : ٤١٨٣ ــ أخرجه أبو داود ٣ : ١٥٥ رقم : ٢٨٧١ ، والنسائي ٦ : ٢٥٦ .

(٢) الأثر : ٤١٨٤ ــ قوله « عن سعيد قال » يعني قال ابن عباس ، كما هو ظاهر الخبر .

«سورة بنى إسرائيل»[1] ﴿ وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾، فكبُرت عليهم ، فكانوا لا يخالطونهم فى مأكل ولا فى غيره ، فاشتد ذلك عليهم ، فأنزل الله الرخصة فقال : « وإن تخالطوهم فإخوانكم » .

٤١٨٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : لما نزلت : ﴿ وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ ، اعتزل الناس اليتامى فلم يخالطوهم فى مأكل ولا مشرب ولا مال ، قال : فشق ذلك على الناس ، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله عز وجل : « ويسألونك عن اليتامى قُل إصلاحٌ لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم » .

٤١٨٨ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم » الآية ، قال : فذكر لنا والله أعلمُ أنه أنزل فى «بنى إسرائيل» :[1] ﴿ وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ فكبُرت عليهم ، فكانوا لا يخالطونهم فى طعام ولا شراب ولا غير ذلك . فاشتد ذلك عليهم ، فأنزل الله الرخصة فقال : « ويسألونك عن اليتامى قل إصلاحٌ لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم » ، يقول : مخالطتهم فى ركوب الدابة وشرب اللبن وخدمة الخادم . يقول : الولىّ الذى يلى أمرهم ، فلا بأس عليه أن يركب الدابة أو يشرب اللبن أو يخدمه الخادم .

* * *

وقال آخرون فى ذلك بما : —

٤١٨٩ — حدثنى عمرو بن على قال ، حدثنا عمران بن عيينة قال ، حدثنا عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى قوله : « إنّ الذينَ يأكلون أموالَ اليتامى ظُلماً إنما يأكلون فى بطونهم» الآية ، قال : كان يكون فى حِجْر الرجل اليتيمُ فيعزل طعامه وشرابه وآنيته ، فشقّ ذلك على المسلمين ، فأنزل

(١) « سورة بنى إسرائيل » هى « سورة الإسراء » .

الله : « وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح » ، فأحل خُلْطتهم .(١)

٤١٩٠ – حدثني أبو السائب قال ، حدثنا حفص بن غياث قال، حدثنا أشعث ، عن الشعبي قال : لما نزلت هذه الآية : « إنّ الذين يأكلونَ أموالَ اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً وسَيَصْلَونَ سعيراً»، قال : فاجتنب الناس الأيتامَ، فجعل الرجل يعزل طعامه من طعامه، وماله من ماله، وشرابه من شرابه . قال: فاشتد ذلك على الناس ، فنزلت : « وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح » . قال الشعبي : فمن خالط يتيما فليتوسّع عليه ، ومن خالطه ليأكل من ماله فلا يفعل .

٢١٨/٢ ٤١٩١ – حدثني على بن داود قال ، حدثنا أبو صالح قال، حدثني معاوية، عن على ، عن ابن عباس: قوله: « ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير» ، وذلك أن الله لما أنزل: « إن الذين يأكلونَ أموال اليتامى ظُلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً وسيصْلَون سعيراً » ، كره المسلمون أن يضمُّوا اليتامى، وتحرَّجوا أن يخالطوهم فى شيء ، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله : « قل إصلاحٌ لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم » .

٤١٩٢ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ،حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : سألت عطاء بن أبي رباح عن قوله : « ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خيرٌ وإن تخالطوهم فإخوانكم »، قال: لما نزلت «سورة النساء»، عزل الناس طعامهم فلم يخالطوهم . قال: ثم جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: إنا يشقُّ علينا أن نعزل طعام اليتامى وهم يأكلون معنا ! فنزلت: « وإن تخالطوهم فإخوانكم » = قال ابن جريج، وقال مجاهد : عزلوا طعامهم عن طعامهم وألبانهم عن ألبانهم وأدْمهم عن أدْمِهم، (٢)فشقّ ذلك عليهم، فنزلت: « وإن تخالطوهم

---

(١) الأثر : ٤١٨٩ – أخرجه النسائى ٦ : ٢٥٦ – ٢٥٧ . وفى المطبوعة : « فأحل لهم « خلطهم والهصوا من النسائى .

(٢) الأدم (بضم فسكون) والإدام : ما يؤتدم به ، أى ما يؤكل بالخبز أى شيء كان ، وفى الحديث : « نعم الإدام الخل » .

فإخوانكم » ، قال : مخالطة اليتيم فى المراعى والأُدْم = قال ابن جريج ، وقال ابن عباس : الألبان وخِدمة الخادم وركوب الدابة = قال ابن جريج : وفى المساكن ، قال : والمساكن يومئذ عزيزةٌ .

٤١٩٣ – حدثنا محمد بن سنان قال ، حدثنا الحسين بن الحسن الأشقر قال ، أخبرنا أبو كدينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : « ولا تقربوا مال اليتيم إلاّ بالتى هى أحسن » و « إنّ الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً » ، قال : اجتنب الناس مالَ اليتيم وطعامه ، حتى كان يفسُد ، إنْ كان لحماً أو غيره . فشقّ ذلك على الناس ، فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله : « ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير » (١)

٤١٩٤ – حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن قيس بن سعد = أو عيسى ، عن قيس بن سعد ، شك أبو عاصم – عن مجاهد : « وإن تخالطوهم فإخوانكم » ، قال : مخالطة اليتيم فى الرَّعْى والأُدْم . (٢)

* * *

وقال آخرون : بل كان اتقاء مال اليتيم واجتنابه من أخلاق العرب ، فاستفتوا فى ذلك لمشقته عليهم ، فأفتوا بما بيّنه الله فى كتابه .

* ذكر من قال ذلك :

٤١٩٥ – حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح » ، قال : كانت العرب يشددون فى اليتيم حتى لا يأكلوا معه فى قصعة واحدة ، ولا يركبوا له بعيراً ، ولا يستخدموا له خادماً ،

---

(١) الأثر : ٤١٩٣ – أخرجه النسائى ٦ : ٢٥٦ .

(٢) الرعى (بكسر الراء وسكون العين) : الكلأ نفسه ، كالمرعى .

فجاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه عنه ، فقال : «قل إصلاح لهم خيرٌ»، يصلح له ماله وأمره له خيرٌ ، وإن يخالطه فيأكل معه ويطعمه ويركب راحلته ويحمله ويستخدم خادمه ويخدمه ، فهو أجودُ « والله يعلم المفسد من المصلح » .

٤١٩٦ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خيرٌ» إلى « إن الله عزيز حكيم »، وإن الناس كانوا إذا كان في حِجْر أحدهم اليتيمُ جعل طعامه على ناحية ، ولبنه على ناحية ، مخافة الوِزر ، وأنه أصاب المؤمنين الجَهْد ، فلم يكن عندهم ما يجعلون خدماً لليتامى، فقال الله : « قل إصلاحٌ لهم خير وإن تخالطوهم » إلى آخر الآية .

٤١٩٧ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله: « ويسألونك عن اليتامى»، كانوا في الجاهلية يعظّمون شأنَ اليتيم، فلا يمسُّون من أموالهم شيئاً ، ولا يركبون لهم دابة ، ولا يطعمون لهم طعاماً . فأصابهم في الإسلام جَهْدٌ شديد ، حتى احتاجوا إلى أموال اليتامى، فسألوا نبي الله صلى الله عليه وسلم عن شأن اليتامى وعن مخالطتهم، فأنزل الله : « وإن تخالطوهم فإخوانكم »، يعني «بالمخالطة »: ركوب الدابة، وخدمة الخادم، وشربَ اللبن .

* * *

٢١٩/٢ قال أبو جعفر : فتأويل الآية إذاً : ويسألك يا محمد أصحابك عن مال اليتامى ، وخلطهم أموالهم به في النفقة والمطاعمة والمشاربة والمساكنة والخدمة ، فقل لهم: تفضُّلكم عليهم بإصلاحكم أموالهم — من غير مَرْزِئة شيء من أموالهم ، (١) وغير أخذ عوض من أموالهم على إصلاحكم ذلك لهم — خيرٌ لكم عند الله وأعظمُ

(١) يقال : « رزأه في ماله يرزؤه رزءاً (بضم فسكون) ومرزئة (بفتح الميم وسكون الراء وكسر الزاي) : أصاب منه خيراً ما كان ، فنقص من ماله .

لكم أجراً ، لما لكم فى ذلك من الأجر والثواب = وخيرٌ لهم فى أموالهم فى عاجل دنياهم ، لما فى ذلك من توفر أموالهم عليهم = «وإنْ تخالطوهم» فتشاركوهم بأموالكم أموالهم فى نفقاتكم ومطاعمكم ومشاربكم ومساكنكم ، فتضمنُّوا من أموالهم عوضاً من قيامكم بأمورهم وأسبابهم وإصلاح أموالهم ، فهم إخوانكم ، والإخوان يعين بعضهم بعضاً ، ويكنُفُ بعضهم بعضاً ،[1] فذو المال يعينُ ذا الفاقة ، وذو القوة فى الجسم يعين ذا الضعف . يقول تعالى ذكره : فأنتم أيها المؤمنون وأيتامكم كذلك ، إن خالطتموهم بأموالكم = فخلطتم طعامكم بطعامهم ، وشرابكم بشرابهم ، وسائر أموالكم بأموالهم ، فأصبتم من أموالهم فَضْل مَرْفَق بما كان منكم من قيامكم بأموالهم وولائهم ، ومعاناة أسبابهم ، على النظر منكم لهم نظرَ الأخ الشفيق لأخيه ، العامل فيما بينه وبينه بما أوجب الله عليه وألزمه = فذلك لكم حلالٌ ، لأنكم إخوان بعضكم لبعض ، كما :—

٤١٩٨ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « وإن تخالطوهم فإخوانكم » ، قال : قد يخالط الرجل أخاه .

٤١٩٩ — حدثنى أحمد بن حازم قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن أبى مسكين ، عن إبراهيم قال : إنى لأكره أن يكون مال اليتيم كالعُرة.[2]

٤٢٠٠ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن هشام الدستوائى ، عن حماد ، عن إبراهيم ، عن عائشة قالت : إنى لأكره أن يكون مالُ اليتيم عندى عُرَّةً ، حتى أخلط طعامه بطعامى وشرابه بشرابى.[3]

* * *

---

(١) كنفه يكنفه : حاطه وصانه وكان إلى جنبه وعاونه ، والمكانفة : المعاونة . وأصلها من « الكنف» ، وهو حضن الرجل . ويقال : «هو فى كنف الله » ، أى فى كلاءته وحفظه وحرزه ورعايته .

(٢) العرة : القذر وعذرة الناس ، يريد : أن يتجنبه تجنب القذر .

(٣) الأثر : ٤٢٠٠ — فى تفسير ابن كثير ١ : ٥٠٥ ، والدر المنثور ١ : ٢٥٦ ، ولم أجده فى مكان آخر . و « العرة » ، سلف شرحها . وفى تفسير ابن كثير « عندى حدة » ، ولعل صوابها ما فى التفسير .

قال أبو جعفر : فإن قال لنا قائل : وكيف قال : « فإخوانُكم »، فرفع « الإخوان » ؟ وقال فى موضع آخر : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا ﴾ [سورة البقرة : ٢٣٩]

قيل : لافتراق معنييهما . وذلك أنّ أيتام المؤمنين إخوان المؤمنين ، خالطهم المؤمنون بأموالهم أو لم يخالطوهم . فمعنى الكلام : وإن تخالطوهم فهم إخوانكم . و« الإخوان » مرفوعون بالمعنى المتروك ذكره ، وهو « هم » ، لدلالة الكلام عليه = وأنه لم يرد « بالإخوان » الخبر عنهم أنهم كانوا إخواناً من أجل مخالطة وُلاتهم إياهم . ولو كان ذلك المراد ، لكانت القراءة نصباً ، وكان معناه حينئذ : وإن تخالطوهم فخالطوا إخوانكم ، ولكنه قرئ رفعاً لما وصفت : من أنهم إخوان للمؤمنين الذين يلونهم ، خالطوهم أو لم يخالطوهم .

وأما قوله : ﴿فرجالًا أو رُكبانًا﴾ ، فنصبٌ ، لأنهما حالان للفعل ، غير دائمين ، (١) ولا يصلح معهما « هو » . وذلك أنك لو أظهرت « هو » معهما لاستحال الكلام. ألا ترى أنه لو قال قائل : « إن خفت من عدوك أن تصلى قائماً فهو راجل أو راكب » ، لبطل المعنى المرادُ بالكلام ؟ وذلك أن تأويل الكلام . فإن خفتم أن تصلوا قياماً من عدوكم ، فصلوا رجالا أو ركباناً . ولذلك نصبه إجراءً على ما قبله من الكلام ، كما تقول فى نحوه من الكلام : « إن لبست ثياباً فالبياض » ، فتنصبه ، لأنك تريد : إن لبست ثياباً فالبس البياض — ولستَ تريد الخبر عن أن جميع ما يلبس من الثياب فهو البياض . ولو أردت الخبر عن ذلك لقلت : « إن لبستَ ثياباً فالبياضُ » رفعاً ، إذا كان مخرج الكلام على وجه الخبر منك عن اللابس ، أنّ كل ما يلبس من الثياب فبياضٌ . لأنك تريد حينئذ : إن لبست ثياباً فهى بياضٌ . (٢)

---

(١) فى المطبوعة « غير ذاتيين » : ، وهو تصحيف فاحش لا معنى له ، والصواب ما أثبت والحال غير الدائمة ، هى الحال المشتقة المنتقلة ، والدائم هو الجامد والثابت .

(٢) انظر تفصيل ذلك فى معانى القرآن للفراء أيضاً ١ : ١٤١ — ١٤٢ .

فإن قال : فهل يجوز النصب فى قوله : « فإخوانكم » .

قيل : جائز فى العربية . فأما فى القراءة، فإنما منعناه لإجماع القرأة على رفعه . وأما فى العربية ، فإنما أجزناه ، لأنه يحسن معه تكريرُ ما يحمل فى الذى قبله من الفعل فيهما : وإن تخالطوهم ، فإخوانكم تخالطون — فيكون ذلك جائزاً فى كلام العرب .[1]

* * *

[2]القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : إن ربكم قد أذن لكم فى مخالطتكم اليتامى على ما أذن لكم به ،[3] فاتقوا الله فى أنفسكم أن تخالطوهم وأنتم تريدون أكل ٢٢٠/٢
أموالهم بالباطل ، وتجعلون مخالطتكم إياهم ذريعة لكم إلى إفساد أموالهم وأكلها بغير حقها ، فتستوجبوا بذلك منه العقوبة التى لا قِبل لكم بها ، فإنه يعلم من خالط منكم يتيمه — فشاركه فى مطعمه ومشربه ومسكنه وخدمه ورعاته فى حال مخالطته إياه — ما الذى يقصد بمخالطته إياه : أفسادَ ماله وأكله بالباطل ، أم إصلاحه وتثميره؟ لأنه لا يخفى عليه منه شىء ،[4] ويعلم أيُّكم المريد صلاح ماله ، من المريد إفسادَه ، كما : —

---

(١) انظر تفصيل ذلك فى معانى القرآن للفراء أيضا ١ : ١٤١ - ١٤٢ .

(٢) من أول تفسير هذه الآية يبدأ الجزء الرابع من المخطوطة العتيقة التى اعتمدناها . وأولها :

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ
ربِّ أَعِن برَحْمَتِك ﴾

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « إن ربكم وإن أذن لكم . . . » وهو كلام مختل ، وكأن الذى أثبت قريب من الصواب .

(٤) فى المخطوطة « لا ندها عليه منه شىء » ، وفيها تصحيف لم أتبينه ، والذى فى المطبوعة جيد فى سياق المعنى .

٤٢٠١ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قول الله تعالى ذكره : « والله يعلم المفسد من المصلح »، قال : الله يعلم حين تخلط مالك بماله : أتريد أن تصلح ماله ، أو تفسده فتأكله بغير حق ؟

٤٢٠٢ – حدثني أبو السائب قال، حدثنا حفص بن غياث قال ، حدثنا أشعث ، عن الشعبي : « والله يعلم المفسد من المصلح »، قال الشعبي : فمن خالط يتيماً فليتوسَّع عليه ، ومن خالطه ليأكل ماله فلا يفعل.(١)

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بذلك : ولو شاء الله لحرَّم ما أحله لكم من مخالطة أيتامكم بأموالكم أموالَهم ، فجَهَدكم ذلك وشقّ عليكم، ولم تقدروا على القيام باللازم لكم من حق الله تعالى والواجب عليكم في ذلك من فرضه ، ولكنه رخَّص لكم فيه وسهله عليكم ، رحمةً بكم ورأفةً .

* * *

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله : « لأعنتكم » .

فقال بعضهم بما : –

٤٢٠٣ – حدثني به محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن قيس بن سعد – أو عيسى ، عن قيس بن سعد – عن مجاهد = شك أبو عاصم = في قوله تعالى ذكره: « ولو شاء الله لأعنتكم »، لحرم عليكم المرعى والأدْم .

---

(١) الأثر : ٤٢٠٢ – في المخطوطة والمطبوعة « حدثني أبو السائب ، قال حدثنا أشعث . . . » ، وهو إسناد ناقص ، أسقط « قال حدثنا حفص بن غياث » ، وقد مضى هذا الإسناد مراراً ، أقربه : ٤١٩٠ ، وهذا الأثر مختصره .

قال أبو جعفر : يعنى بذلك مجاهد : رعى مواشى والى اليتيم مع مواشى اليتيم، والأكلَ من إدامه . لأنه كان يتأول فى قوله: « وإن تخالطوهم فإخوانكم »، أنه خُلْطة الولىّ اليتيم بالرَّعْى والأدْم .(١)

* * *

٤٢٠٤ — حدثنى على بن داود قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس: « ولو شاء الله لأعنتكم »، يقول: لو شاء الله لأحرجكم فضيَّق عليكم، ولكنه وسَّع ويسَّر فقال : ﴿ وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [سورة النساء : ٦]

٤٢٠٥ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة: « ولو شاء الله لأعنتكم»، يقول: لجهدكم، فلم تقوموا بحقّ ولم تؤدُّوا فريضة.

٤٢٠٦ — حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع نحوه = إلا أنه قال : فلم تعملوا بحقّ .

٤٢٠٧ — حدثنى موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولو شاء الله لأعنتكم » ، لشدد عليكم .

٤٢٠٨ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قول الله : « ولو شاء الله لأعنتكم » ، قال : لشقّ عليكم فى الأمر . ذلك العنتُ .

٤٢٠٩ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس قوله : « ولو شاء الله لأعنتكم »، قال: ولو شاء الله لجعل ما أصبتُم من أموال اليتامى مُوبقاً .

* * *

وهذه الأقوال التى ذكرناها عمن ذكرت عنه ، وإن اختلفت ألفاظ قائليها فيها ، فإنها متقاربات المعانى . لأن من حُرِّم عليه شىء فقد ضُيِّق عليه فى ذلك

(١) انظر الأثر السالف رقم : ٤١٩٤ .

الشيء ، ومن ضُيق عليه فى شيء فقد أحْرِج فيه ، ومن أحرج فى شيء أو ضيِّق عليه فيه فقد جُهِد . وكل ذلك عائد إلى المعنى الذى وصفت من أن معناه : الشدة والمشقة .

ولذلك قيل : «عَنِت فلانٌ» = إذا شق عليه الأمر ، وجهده ،=(١) «فهو يعنَتُ عَنَتاً» ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ [سورة التوبة : ١٢٨] ، يعنى ما شق عليكم وآذاكم وجَهدكم ، ومنه قوله تعالى ذكره : ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ ﴾ [سورة النساء : ٢٥]. فهذا إذا عَنِت العانِت . فإن صيَّره غيره كذلك ، قيل : « أعنته فلانٌ فى كذا » = إذ جهده وألزمه أمراً جهده القيام به = « يُعْنِته إعناتاً ». فكذلك قوله : « لأعنتكم » معناه : لأوجب لكم العنَت بتحريمه عليكم ما يَجْهدكم ويحرجكم ، مما لا تطيقون القيام باجتنابه ، وأداء الواجب له عليكم فيه .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : لأوبقكم وأهلككم .

* ذكر من قال ذلك :

٢٢١/٢ ٤٢١٠ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا طلق بن غنام ، عن زائدة ، عن منصور ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس قال : قرأ علينا : « ولو شاء الله لأعنتكم » ، قال ابن عباس : ولو شاء الله لجعل ما أصبتم من أموال اليتامى موبقاً .

٤٢١١ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن فضيل — وجرير ، عن منصور = وحدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن منصور = عن الحكم ،

---

(٤) فى المطبوعة : « عنت فلاناً » وهو خطأ ، والفعل لازم ، كما سيأتى . وفى المخطوطة والمطبوعة : « إذا شق عليه وجهده » ، والصواب زيادة « الأمر » .

عن مقسم، عن ابن عباس : « ولو شاء الله لأعنتكم » ، قال : لجعل ما أصبتم مُوبقاً .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢٢٠)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : إن الله « عزيز » فى سلطانه ، لا يمنعه مانع مما أحل بكم من عقوبة لو أعنتكم بما يجهدكم القيام به من فرائضه فقصرتم فى القيام به ، ولا يقتدرُ دافعٌ أن يدفعه عن ذلك ولا عن غيره مما يفعله بكم وبغيركم من ذلك لو فعله،(٢) ولكنه بفضل رحمته منّ عليكم بترك تكليفه إياكم ذلك = وهو « حكيم » فى ذلك لو فعله بكم وفى غيره من أحكامه وتدبيره، لا يدخل أفعاله خلل ولا نقصٌ ولا وَهْىٌ ولا عيب ،(٣) لأنه فِعل ذى الحكمة الذى لا يجهل عواقبَ الأمور فيدخل تدبيره مذمّة عاقبة ، كما يدخل ذلك أفعال الخلق لجهلهم بعواقب الأمور ، لسوء اختيارهم فيها ابتداءً .

* * *

---

(١) الأثر : ٤٢١١ – قد سلف بالإسناد الثانى برقم : ٤٢٠٩ .

(٢) فى المطبوعة : « لو فعله هو لكنه » ، والصواب الجيد من المخطوطة .

(٣) فى المخطوطة : « ولا وهاء ولا عيب » . وقد سلف فى هذا الجزء ٤ : ١٨ ، ١٥٥ ، والتعليق رقم : ١ ، وما قيل فى خطأ ذلك ، واستعمال الفقهاء له .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى هذه الآية : هل نزلت مراداً بها كل مشركة ، أم مراد بحكمها بعض المشركات دون بعض ؟ (١) وهل نسخ منها بعد وجوب الحكم بها شيء أم لا ؟

فقال بعضهم : نزلت مراداً بها تحريم نكاح كل مشركة على كلّ مسلم من أىّ أجناس الشّرك كانت ، عابدةَ وثن كانت ، (٢) أو كانت يهودية أو نصرانية أو مجوسية أو من غيرهم من أصناف الشرك ، ثم نسخ تحريم نكاح أهل الكتاب بقوله : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ﴾ إلى ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [سورة المائدة : ٤ ، ٥]

* ذكر من قال ذلك :

٤٢١٢ – حدثنى على بن داود قال ، حدثنى عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنّ » ، ثم استثنى نساءَ أهل الكتاب فقال : ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ حِلٌّ لكم ﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾. (٣)

٤٢١٣ – حدثنا محمد بن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح ، عن الحسين

---

(١) فى المطبوعة : « أم مراداً بحكمها » ، بالنصب ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « عابدة وثن أو كانت يهودية . . . » ، وفى المخطوطة : « عابدة وثن كانت يهودية . . . » ، وكلاهما مضطرب ، والصواب ما أثبت بزيادة « كانت » .

(٣) الأثر : ٤٢١٢ – فى المخطوطة والمطبوعة « حدثنى على بن واقد ، قال حدثنى عبد الله ابن صالح » ، والصواب ما أثبت . وهذا إسناد كثير الدوران فيما مضى وفيما سيأتى ، وأقربه رقم : ٤٢٠٤ . والآية فى المطبوعة والمخطوطة كما أثبتها ، بين جزئى الآية بقوله : « حل لكم » ، وإسقاط قوله تعالى « من قبلكم » ، وأخشى أن يكون ناسخ قد تصحف عليه فجعل هذه هذه . ولكنى أثبت ما اتفقت عليه النسخ.

ابن واقد ، عن يزيد النحوى ، عن عكرمة والحسن البصرى قالا ، « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن » ، فنُسخ من ذلك نساء أهل الكتاب ، أحلّهُن للمسلمين .

٤٢١٤ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن » ، قال : نساءُ أهل مكة ومن سواهنّ من المشركين ، ثم أحل منهن لنساء أهل الكتاب .

٤٢١٥ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله .

٤٢١٦ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « ولا تنكحوا المشركات » إلى قوله : « لعلهم يتذكرون » ، قال : حرم الله المشركات فى هذه الآية ، ثم أنزل فى «سورة المائدة» ، فاستثنى نساء أهل الكتاب فقال : ﴿ وَالمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ .

* * *

وقال آخرون : بل أنزلت هذه الآية مراداً بحكمها مشركات العرب ، لم ينسخ منها شىء ولم يُستثن ، وإنما هى آية عامٌّ ظاهرُها ، خاصٌّ تأويلها . (١)

* ذكر من قال ذلك :

٤٢١٧ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن » ، يعنى : مشركات العرب اللاتى ليس فيهن كتاب يقرأنه . (٢)

٤٢١٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا

---

(١) فى المخطوطة ، والمطبوعة : « بل هى آية عامة ظاهرها . . . » ، والصواب ما أثبت .
(٢) فى المخطوطة ، « يقرأ به » وتلك أجود .

معمر ، عن قتادة قوله : « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنّ » ، قال : المشركات ، مَنْ ليس من أهل الكتاب ، وقد تزوج حذيفة يهودية أو نصرانية . (١) ٢٢٢/٢

٤٢١٩ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة في قوله : « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنّ » ، يعني مشركات العرب اللاتي ليس لهن كتابٌ يقرأنه .

٤٢٢٠ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن حماد ، عن سعيد بن جبير قوله : « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنّ » ، قال : مشركات أهل الأوثان .

* * *

وقال آخرون : بل أنزلت هذه الآية مراداً بها كل مشركة من أيّ أصناف الشرك كانت ، غير مخصوص منها مشركةٌ دون مشركة ، وثنيةٌ كانت أو مجوسية أو كتابيةٌ ، ولا نُسخ منها شيء .

* ذكر من قال ذلك :

٤٢٢١ – حدثنا عبيد بن آدم بن أبي إياس العسقلاني قال ، حدثنا أبي قال ، حدثنا عبد الحميد بن بهرام الفزاري قال ، حدثنا شهر بن حوشب قال : سمعت عبد الله بن عباس يقول : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصناف النساء ، إلاّ ما كان من المؤمنات المهاجرات ، وحرّم كل ذات دين غير الإسلام ، وقال الله تعالى ذكره : ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ [سورة المائدة : ٥] ، وقد نكح طلحة بن عبيد الله يهودية ، ونكح حذيفة بن اليمان نصرانية ، فغضب عمر بن الخطاب رضي الله عنه غضباً شديداً ، حتى همّ بأن يسطُو عليهما . فقالا : نحن نطلّق يا أمير

---

(١) يعني : حذيفة بن اليمان ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو صاحب سره صلى الله عليه وسلم في المنافقين . لم يعلمهم أحد إلا حذيفة ، أعلمه بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وانظر الأثر الآتي برقم : ٤٢٢١ .

المؤمنين ، ولا تغضب ! فقال : لئن حل طلاقهن لقد حل نكاحهن ، ولكن أنتزعهن منكم صَغَرَة قِماءً . (١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ما قاله قتادة : من أن الله تعالى ذكره عنى بقوله : « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنّ » من لم يكن من أهل الكتاب من المشركات = وأن الآية عام ظاهرها خاص باطنها ، لم ينسخ منها شيء = وأن نساء أهل الكتاب غير داخلات فيها . وذلك أنّ الله تعالى ذكره أحل بقوله : ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ — للمؤمنين من نكاح محصناتهن ، مثلَ الذى أباح لهم من نساء المؤمنات .

وقد بينا فى غير هذا الموضع من كتابنا هذا ، وفى كتابنا ﴿ كتاب اللطيف من البيان ﴾ : (٢) أن كل آيتين أو خبرين كان أحدهما نافياً حكم الآخر فى فطرة العقل ، فغير جائز أن يقضَى على أحدهما بأنه ناسخ حكم الآخر ، إلاّ بحجة من خبر قاطع للعذر مَجيئُه . وذلك غير موجود ، أن قوله : (٣) ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ ناسخٌ ما كان قد وجبَ تحريمه من النساء بقوله : « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنّ » . فإذْ لم يكن ذلك موجوداً كذلك ، (٤) فقول القائل : « هذه ناسخة هذه » ، دعوى لا برهان له عليها ، والمدعى دَعوَى

---

(١) الأثر : ٤٢٢١ — « عبد الحميد بن برهام الفزارى » ، مترجم فى التهذيب ، وثقه أبو داود وابن معين وغيرهما ، وقال شعبة : صدوق إلا أنه يروى عن شهر بن حوشب ، وعابوا عليه كثرة روايته عن شهر ، وشهر ضعيف . وقد سلف كلام أخى فى توثيق شهر رقم : ١٣٨٩ ، وفى عبد الحميد بن بهرام : ١٦٠٥ . وقال ابن كثير فى التفسير ١ : ٥٠٧ بعد روايته الخبر : « هو حديث غريب جداً ، وهذا الأثر غريب عن عمر » . وكلام الطبرى الآتى بعد قاض بضعفه .

والصغرة جمع صاغر : هو الراضى بالذل . وقماء جمع قمىء : وهو الذليل الصاغر وإن لم يكن قصيراً . والقمىء : القصير . وفى المخطوطة وابن كثير « قمأة » ، وليس جمعاً قياسيا ، ولا هو وارد فى كتب اللغة ، ولكن إن صح الخبر ، فهو إتباع لقوله : « صغرة » ومثله كثير فى كلامهم .

(٢) انظر ما سلف ٢ : ٥٣٤ — ٥٣٥ / ثم ٣ : ٣٨٥ ، ٥٦٣ .

(٣) فى المطبوعة : « بأن قوله » : ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو أعرق فى العربية .

(٤) فى المخطوطة والمطبوعة : « فإن لم يكن ذلك » ، وهو خطأ صرف ، والصواب ما أثبت . وإلا تناقض كلام أبى جعفر .

لا برهان عليها متحكم ، والتحكم لا يعجز عنه أحدٌ.(١)

* * *

وأما القول الذى روى عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس ، عن عمر رضى الله عنه : من تفريقه بين طلحة وحذيفة وامرأتيهما اللتين كانتا كتابيتين ، فقولٌ لا معنى له — لخلافه ما الأمة مجتمعة على تحليله بكتاب الله تعالى ذكره ، وخبر رسوله صلى الله عليه وسلم . وقد روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه من القول خلاف ذلك ، بإسناد هو أصح منه ، وهو ما : —

٤٢٢٢ — حدثنى به موسى بن عبد الرحمن المسروقى قال ، حدثنا محمد بن بشر قال ، حدثنا سفيان بن سعيد ، عن يزيد ابن أبى زياد ، عن زيد بن وهب قال ، قال عمر : المسلم يتزوج النصرانية ، ولا يتزوج النصرانى المسلمة .(٢)

* * *

وإنما كره عمر لطلحة وحذيفة رحمة الله عليهم نكاحَ اليهودية والنصرانية ، حذاراً من أن يقتدى بهما الناس فى ذلك ، فيزهدوا فى المسلمات ، أو لغير ذلك من المعانى ، فأمرهما بتخليتهما ، كما :

٤٢٢٣ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال ، حدثنا الصلت بن بهرام ، عن شقيق قال : تزوج حذيفة يهودية ، فكتب إليه عمر : « خلِّ سبيلها » ، فكتب إليه : «أتزعمُ أنها حرامٌ فأخلى سبيلها؟» ، فقال : « لا أزعم

---

(١) حجج أبى جعفر فى استدلاله ، قاضية له على كل خصم خالفه ، وهى حجج بصير بالمعانى ، مؤيد بالعقل ، قادر على البيان عن المعانى الخفية ، والفصل بين المعانى المتداخلة .

(٢) الحديث : ٤٢٢٢ — هذا إسناد صحيح متصل إلى عمر .

محمد بن بشر بن الفرافصة بن المختار العبدى الحافظ : ثقة باتفاقهم . سفيان بن سعيد : هو الثورى . زيد بن وهب الجهنى . تابعى كبير مخضرم ، رحل إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقبض وهو فى الطريق . وهو ثقة كثير الحديث . له ترجمة فى تاريخ بغداد ٨ : ٤٤٠—٤٤٢ ، والإصابة ٣ : ٤٦—٤٧ .

وهذا الخبر رواه البيهقى فى السنن الكبرى ٧ : ١٧٢ ، من طريق سفيان — وهو الثورى — بهذا الإسناد .

وذكره ابن كثير ١ : ٥٠٧ — ٥٠٨ ، عن رواية الطبرى ، وصحح إسناده .

أنها حرام ، ولكن أخاف أن تعاطوا المومسات منهن » . (١)

وقد :—

٤٢٢٤ — حدثنا تميم بن المنتصر قال ، أخبرنا إسحق الأزرق ، عن شريك ، عن أشعث بن سوار ، عن الحسن ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نتزوج نساء أهل الكتاب ولا يتزوّجون نساءنا . (٢) ٢٢٣/٢

* * *

فهذا الخبر — وإن كان فى إسناده ما فيه — فالقول به، لإجماع الجميع على صحة القول به ، أولى من خبر عبد الحميد بن بهرام، عن شهر بن حوشب .

* * *

فمعنى الكلام إذاً : ولا تنكحوا أيها المؤمنون مشركاتٍ ، غير أهل الكتاب ، حتى يؤمنّ فيصدّقن بالله ورسوله وما أنزل عليه .

* * *

---

(١) الخبر : ٤٢٢٣ — الصلت بن بهرام التيمى الكوفى : ثقة ، وثقه أحمد ، وابن معين ، وغيرهما . وقد فصلنا القول فى شأنه فى صحيح ابن حبان ، رقم : ٨١ بتحقيقنا .

شقيق : هو ابن سلمة الأسدى ، التابعى الكبير المشهور . مضى فى : ١٧٧ .

والخبر رواه البيهقى أيضاً ٧ : ١٧٢ ، من طريق سفيان ، بهذا الإسناد .

وذكره ابن كثير ١ : ٥٠٧ ، عن رواية الطبرى، وقال: « وهذا إسناد صحيح . وروى الخلال ، عن محمد بن إسمعيل ، عن وكيع ، عن الصلت ، نحوه » . وذكره السيوطى ١ : ٢٥٦ ، وزاد نسبته إلى عبد الرزاق .

وذكره الجصاص فى أحكام القرآن ١ : ٣٣٣ ،والقرطبى فى تفسيره: ٣ : ٦٨ ، بدون إسناد . ووقع فى المطبوعة هنا ، وفى ابن كثير ، والسيوطى « المؤمنات » !! بدل « المومسات » . وهو تحريف غريب ، فى ثلاثة كتب . وصوابه وتصحيحه من البيهقى والجصاص والقرطبى .

(٢) الحديث : ٤٢٢٤ — إسحق الأزرق : هو إسحق بن يوسف ، مضى فى : ٣٣٢ . شريك : هو ابن عبد الله النخعى القاضى ، مضى فى : ٢٥٢٧ . الحسن : هو البصرى .

وهذا الحديث لم أجده فى شىء من دواوين الحديث ، غير هذا الموضع . ونقله عنه ابن كثير ١ : ٥٠٨ ثم نقل كلام الطبرى الذى عقبه ، ثم قال : « كذا قال ابن جرير رحمه الله » .

وتعقيب ابن جرير بأنه « وإن كان فى إسناده ما فيه » — لعله يشير رحمه الله إلى القول بأن الحسن البصرى لم يسمع من جابر . فى المراسيل لابن أبى حاتم ، ص : ١٣ « حدثنا محمد بن أحمد بن البراء ، قال : قال على بن المدينى : الحسن لم يسمع من جابر بن عبد الله شيئاً . سئل أبو زرعة : الحسن لقى جابر بن عبد الله ؟ قال : لا . حدثنا محمد بن سعيد بن بليج ، قال : سمعت عبد الرحمن بن الحكم يقول

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « ولأمة مؤمنة » بالله وبرسوله وبما جاء به من عند الله ، خيرٌ عند الله وأفضل من حرة مشركة كافرة ، وإن شرُف نسبها وكرُم أصلها . يقول : ولا تبتغوا المناكح فى ذوات الشرف من أهل الشرك بالله ، فإنّ الإماء المسلمات عند الله خير منكحاً منهن .

* * *

وقد ذكر أن هذه الآية نزلت فى رجل نكح أمة ، فعُذل فى ذلك ، وعُرضت عليه حرة مشركة .

* ذكر من قال ذلك :

٤٢٢٥ — حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم »، قال: نزلت فى عبد الله بن رواحة ، وكانت له أمة سوداءُ ، وأنه غضب عليها فلطمها. ثم فزع فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بخبرها ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ما هى يا عبد الله ؟ قال : يا رسول الله، هى تصوم وتصلى وتحسن الوضوءَ وتشهد أن لا إله إلاّ الله وأنك رسول الله . فقال :

سمعت جريراً يسأل بهزاً عن الحسن : من لقى من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لم يسمع من جابر بن عبد الله . سألت أبى : سمع الحسن من جابر ؟ قال : ما أرى ، ولكن هشام بن حسان يقول : عن الحسن ، حدثنا جابر بن عبد الله ، وأنا أنكر هذا ، إنما الحسن عن جابر كتاب ، مع أنه أدرك جابراً » .

وأنا أرى أن رواية هشام بن حسان كافية فى إثبات سماع الحسن من جابر . فقد قال ابن عيينة : « كان هشام أعلم الناس بحديث الحسن » .

ومعنى هذا الحديث ثابت عن جابر ، موقوفاً عليه من كلامه . رواه الشافعى فى الأم ج ٥ ص ٦ ، من رواية أبى الزبير ، عن جابر ، وكذلك رواه البيهقى ٧ : ١٧٢ ، من طريق الشافعى .

والموقوف — عندنا — لا يعلل به المرفوع ، بل هو يؤيده ويثبته ، كما بينا ذلك فى غير موضع من كتبنا . والحمد لله .

هذه مؤمنة ! فقال عبدالله : فوالذى بعثك بالحق لأعتقنَّها ولأتزوجنَّها ! ففعل ، فطعن عليه ناس من المسلمين فقالوا : تزوج أمة ! ! وكانوا يريدون أن ينكحوا إلى المشركين وينكحوهم رغبة فى أحسابهم ، فأنزل الله فيهم : « ولأمةٌ مؤمنة خيرٌ من مشركة » و « عبدٌ مؤمن خيرٌ من مشرك » .

٤٢٢٦ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى الحجاج قال ، قال ابن جريج فى قوله : « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنَّ » ، قال : المشركات – لشرفهنَّ – حتى يؤمن .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : وإن أعجبتكم المشركة من غير أهل الكتاب فى الجمال والحسب والمال ، فلا تنكحوها ، فإن الأمة المؤمنة خيرٌ عند الله منها .

* * *

وإنما وضعت « لو » موضع « إن » لتقارب مخرجيهما ، ومعنييهما ، ولذلك تجاب كل واحدة منهما بجواب صاحبتها ، على ما قد بينا فيما مضى قبل .(١)

* * *

(١) انظر ما سلف ٢ : ٤٥٨ ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ١٤٣ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك ، أن الله قد حرَّم على المؤمنات أن ينكحن مشركاً كائناً من كان المشرك ، ومن أىّ أصناف الشرك كان ، فلا تنكحوهنّ أيها المؤمنون منهم ، فإنّ ذلك حرام عليكم ، ولأن تزوجوهن من عبدٍ مؤمن مصدق بالله وبرسوله وبما جاء به من عند الله، خير لكم من أن تزوجوهن من حر مشرك ، ولو شرُف نسبه وكرم أصله ، وإن أعجبكم حسبه ونسبه .

* * *

وكان أبو جعفر محمد بن علىّ يقول : هذا القولُ من الله تعالى ذكره ، دلالةٌ على أن أولياء المرأة أحق بتزويجها من المرأة .

٤٢٢٧ ــ حدثنا محمد بن يزيد أبو هشام الرفاعى قال، أخبرنا حفص بن غياث، عن شيخ لم يسمه، قال أبو جعفر : النكاح بولىّ فى كتاب الله، ثم قرأ : « ولا تُنكحوا المشركين حتى يؤمنوا » برفع « التاء » .

٤٢٢٨ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة والزهرى فى قوله : « ولا تنكحوا المشركين » ، قال : لا يحل لك أن تنكح يهوديًّا أو نصرانيًّا ولا مشركاً من غير أهل دينك .

٤٢٢٩ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنا حجاج قال ، قال ابن جريج : « ولا تنكحوا المشركين » ــ لشرفهم ــ « حتى يؤمنوا » .

٤٢٣٠ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح ، عن الحسين بن واقد ، عن يزيد النحوى ، عن عكرمة والحسن البصرى : « ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا » ، قال : حرَّم المسلمات على رجالهم ــ يعنى رجال المشركين .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ وَيُبَيِّنُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٢٢١) ٢٢٤/٢

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « أولئك »، هؤلاء الذين حرمت عليكم أيها المؤمنون مناكحتهم من رجال أهل الشرك ونسائهم، يدعونكم إلى النار= يعنى : يدعونكم إلى العمل بما يدخلكم النار ، وذلك هو العمل الذى هم به عاملون من الكفر بالله ورسوله. يقول : ولا تقبلوا منهم ما يقولون ،ولا تستنصحوهم،ولا تنكحوهم ولاتنكحوا إليهم ، فإنهم لا يألونكم خبالاً، ولكن اقبلوا من الله ما أمركم به فاعملوا به ، وانتهوا عما نهاكم عنه ، فإنه يدعوكم إلى الجنة = يعنى بذلك يدعوكم إلى العمل بمايدخلكم الجنة ، ويوجب لكم النجاة إن عملتم به من النار ، وإلى ما يمحو خطاياكم أو ذنوبكم، فيعفو عنها ويسترها عليكم .

* * *

وأما قوله « بإذنه »، (١) فإنه يعنى : أنه يدعوكم إلى ذلك بإعلامه إياكم سبيلَه وطريقَه الذى به الوصول إلى الجنة والمغفرة .

* * *

ثم قال تعالى ذكره : « ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون » ، يقول : ويوضح حججه وأدلته فى كتابه الذى أنزله على لسان رسوله لعباده ، ليتذكروا فيعتبروا، ويميزوا بين الأمرين اللذين أحدهما دَعَاءٌ إلى النار والخلود فيها ، والآخر دَعَاءٌ إلى الجنة وغفران الذنوب، فيختاروا خيرهما لهم. ولم يجهل التمييز بين هاتين إلاّ غبيّ [غَبين] الرأى مدخول العقل .

* * *

(١) انظر معنى « الإذن » فيما سلف ٢ : ٤٤٩ / ثم هذا الجزء ٤ : ٢٨٦

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « ويسألونك عن المحيض » ، ويسألك يا محمد أصحابك عن الحيض .

* * *

وقيل : « المحيض » ، لأن ما كان من الفعل ماضيه بفتح عين الفعل ، وكسرها فى الاستقبال ، مثل قول القائل : « ضرَب يضرِب ، وحبَس يحبِس ، ونزَل ينزِل » ، فإن العرب تبنى مصدره على « المفعَل » والاسم على « المفعِل » ، مثل « لمضرَب ، والمضرِب » من « ضربتُ » ، « ونزلت منزِلا ومنزَلا » . ومسموع فى ذوات الياء والألف والياء ، « المعيش والمعاش » و « المعيبُ والمعاب » ، كما قال رؤبة فى « المعيش » :

إِلَيْكَ أَشْكُو شِدَّةَ المَعِيشِ وَمَرَّ أَعْوَامٍ نَتَفْنَ رِيشِى (١)

* * *

وإنما كان القوم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما ذُكر لنا — عن الحيض ، لأنهم كانوا قبل بيان الله لهم ما يتبينون من أمره ، لا يساكنون حائضاً فى بيت ، ولا يؤاكلونهنّ فى إناء ولا يشاربونهن . فعرّفهم الله بهذه الآية ، أنّ الذى عليهم فى أيام حيض نسائهم : أن يتجنّبوا جماعهن فقط ، دون ما عدا ذلك

---

(١) ديوانه : ٧٨ ، من قصيدة يمدح فيها الحارث بن سليم الهجيمى ، وبين البيتين فى الديوان :

* دَهْراً تَنَفَّى المُخَّ بالتَّمْشِيسِ *

ورواية الديوان ، بعده

وَجَهْدَ أَعْوَامٍ بَرَيْنَ رِيشِى نَتْفَ الحُبَارَى عَنْ قَرًى رَهِيشِ

من مضاجعتهن ومؤاكلتهن ومشاربتهن ، كما : —

٤٢٣١ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ويسألونك عن المحيض » حتى بلغ « حتى يطهرن » ، فكان أهلُ الجاهلية لا تساكنهم حائضٌ فى بيت ، ولا تؤاكلهم فى إناءٍ ،فأنزل الله تعالى ذكره فى ذلك ، فحرّم فرْجها ما دامت حائضاً ، وأحل ما سوى ذلك : أن تصبغ لك رأسك ، وتؤاكلك من طعامك ، وأن تضاجعك فى فراشك ، إذا كان عليها إزارٌ متحجزةً به دونك .(١)

٤٢٣٢ — حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

* * *

وقد قيل : إنهم سألوا عن ذلك ، لأنهم كانوا فى أيام حيضهن يجتنبون إتيانهن فى مخرج الدم ،ويأتونهنّ فى أدبارهن ، فنهاهم الله عن أن يقربوهن فى أيام حيضهن حتى يطهرن ، ثم أذن لهم — إذا تطهّرن من حيضهن — فى إتيانهن من حيث أمرَهم باعتزالهنّ ، وحرّم إتيانهن فى أدبارهنّ بكل حال .

* ذكر من قال ذلك :

٤٢٣٣ — حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب قال، حدثنا عبد الواحد قال ، حدثنا خصيف قال ، حدثنى مجاهد قال : كانوا يجتنبون النساء فى المحيض ويأتونهن فى أدبارهن ، فسألوا النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فأنزل الله : « ويسألونك عن المحيض » إلى « فإذا تطهرن فأتوهنّ من حيث أمركم الله » — فى الفرج، لا تعدوه .(٢)

* * *

---

(١) احتجز بالإزار : إذ شده على وسطه . والحجزة (بضم الحاء وسكون الجيم) : موضع شد الإزار ، ثم يسمى الإزار نفسه حجزة ، وجمعه حجز .

(٢) فى المطبوعة : « ولا تعدوه » ، والصواب فى المخطوطة بحذف الواو .

وقيل : إن السائل الذى سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك كان ثابتَ بن الدَّحداح الأنصارى .

٢٢٥/٢ ٤٢٣٤ ــ حدثنى بذلك موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قُلْ هُوَ أَذًى ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : قل لمن سألك من أصحابك يا محمد عن المحيض : « هو أذى » .

* * *

« والأذى » هو ما يؤذى به من مكروه فيه.وهو فى هذا الموضع يسمى «أذى» لنتن ريحه وقذره ونجاسته ، وهو جامع لمعان شتّى من خلال الأذى، غير واحدة .

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فى البيان عن تأويل ذلك ، على تقارب معانى بعض ما قالوا فيه من بعض .

فقال بعضهم : قوله: « قل هو أذى » ،قل هو قَذَر .

* ذكر من قال ذلك :

٤٢٣٥ ــ حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « قل هو أذى » ، قال : أما« أذى» فقذرٌ .

٤٢٣٦ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « قل هو أذى » ، قال : « قل هو أذى » ، قال : قذر .

* * *

وقال آخرون : قل هو دمٌ .

* ذكر من قال ذلك :

٤٢٣٧ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « ويسألونك عن المحيض قل هو أذى » ، قال : الأذى الدم .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « فاعتزلوا النساء فى المحيض » ، فاعتزلوا جماع النساء ونكاحهن فى محيضهنّ ، كما : –

٤٢٣٨ – حدثنى على بن داود قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية، عن على ، عن ابن عباس قوله: « فاعتزلوا النساء فى المحيض »، يقول : اعتزلوا نكاحَ فرُوجهنّ .

* * *

واختلف أهل العلم فى الذى يجب على الرجل اعتزاله من الحائض .

فقال بعضهم : الواجبُ على الرجل ، اعتزالُ جميع بدنها أن يباشره بشىء من بدنه .

* ذكر من قال ذلك :

٤٢٣٩ – حدثنا ابن بشار قال،حدثنا حماد بن مسعدة قال ، حدثنا عوف ، عن محمد قال : قلت لعبيدة : ما يحلُّ لى من امرأتى إذا كانت حائضاً ؟ قال : الفراش واحد ، واللحاف شتى .[1]

---

(١) الأثر : ٤٢٣٩ – فى المطبوعة والمخطوطة : « اللحاف واحد والفراش شتى » . وهو باطل المعنى ، وسيأتى على الصواب من طريق آخر برقم : ٤٢٤١ .

٤٢٤ – حدثني تميم بن المنتصر قال، أخبرنا يزيد قال ، حدثنا محمد ، عن الزهري ، عن عروة ، عن ندبة مولاة آل عباس قالت : بعثتني ميمونة ابنة الحارث – أو : حفصة ابنة عمر – إلى امرأة عبد الله بن عباس ، وكانت بينهما قرابةٌ من قبل النساء ، فوجدت فراشَها معتزلاً فراشَه ، فظننت أن ذلك عن الهجران ، فسألتها عن اعتزال فراشِه فراشَها ، فقالت : إني طامث ، وإذا طمثت اعتزل فراشي . فرجعتُ فأخبرتُ بذلك ميمونة – أو حفصة – فردّتني إلى ابن عباس ، تقول لك أمك : أرغبت عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فوالله لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم ينام مع المرأة من نسائه وإنها لحائض ، وما بينه وبينها إلا ثوبٌ ما يجاوز الركبتين .(١)

٤٢٤١ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن أيوب ابن عون ، عن محمد قال : قلت لعبيدة : ما للرجل من امرأته إذا كانت حائضاً ؟ قال : الفراش واحد واللحاف شتى ، فإن لم يجد إلا أن يردّ عليها من ثوبه ، ردّ عليها منه .

* * *

(١) الحديث : ٤٢٤٠ – يزيد : هو ابن هرون . محمد : هو ابن إسحق . ندبة مولاة آل عباس : هي مولاة ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين ، خالة ابن عباس . فلعلها نسبت هنا «مولاة آل عباس» للقرابة بين ابن عباس وميمونة . وهي ثقة، ذكرها ابن حبان في الثقات، ص : ٣٥٩، ولكنه وهم إذ ذكر أنه يروي عنها الزهري ؛ والزهري روى عنها بالواسطة . وترجمها ابن سعد ٨ : ٣٦٤ . وذكرها ابن مندة وأبو نعيم في الصحابة .

واختلف في ضبط اسمها ، فقيل بضم النون أو فتحها مع سكون الدال ثم فتح الباء الموحدة . وقيل بدية » بضم الباء الموحدة ثم فتح الدال ثم فتح الياء التحتية المشددة .

والحديث رواه أحمد في المسند ٦ : ٣٣٢ (حلبي) ، عن يزيد بن هرون ، بهذا الإسناد ، نحوه ، مع بعض اختصار . وهو في روايته عن ميمونة جزماً ، ليس فيه الشك بينها وبين حفصة . وهو الصواب ولعل الشك هنا من الطبري ، أو من شيخه تميم بن المنتصر .

ثم إن ابن اسحق خطأ هنا في جعل الحديث «عن الزهري ، عن عروة» . ولعل الخطأ من يزيد بن هرون . والصواب أنه «عن الزهري ، عن حبيب مولى عروة ، عن ندبة» . وبذلك تضافرت الروايات في هذا الإسناد ، كما سيأتي . ويؤيده أن ابن سعد ذكر في ترجمتها أنها تروي عن عروة ، وروى بإسناده خبراً عنها عن عروة بن الزبير .

واعتل قائلو هذه المقالة: بأنّ الله تعالى ذكره أمرَ باعتزال النساء فى حال حيضهنّ ، ولم يخصص منهن شيئاً دون شيء ، وذلك عامٌّ على جميع أجسادهنّ ، واجبٌ اعتزالُ كل شيء من أبدانهن فى حيضهنّ .

* * *

وقال آخرون : بل الذى أمر الله تعالى ذكره باعتزاله منهن ، موضع الأذى ، وذلك موضعُ مخرج الدم .

* ذكر من قال ذلك :

٤٢٤٢ – حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنى عيينة بن عبد الرحمن بن جوشن قال ، حدثنا مروان الأصفر ، عن مسروق بن الأجدع قال : قلت لعائشة : ما يحلّ للرجل من امرأته إذا كانت حائضاً ؟ قالت : كل شيء إلا الجماع .(١)

و « حبيب مولى عروة » : هو حبيب الأعور ، مولى عروة بن الزبير . وهو تابعى ثقة ، قال ابن سعد : « مات قديماً فى آخر سلطان بنى أمية » . وأخرج له مسلم فى صحيحه .

والحديث رواه – على الصواب – البيهقى فى السنن الكبرى ١ : ٣١٣ ، من طريق بشر بن شعيب بن أبى حمزة ، عن أبيه ، عن الزهرى ، قال : « أخبرنى حبيب مولى عروة بن الزبير ، أن ندبة مولاة ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، أخبرته أنها أرسلتها ميمونة إلى عبد الله بن عباس . . . » ، فذكره مطولا .

ثم إن الحديث معروف من هذا الوجه على الصواب ، مختصراً بدون ذكر قصة ابن عباس .

فرواه أحمد فى المسند ٦ : ٣٣٢ (حلبى) ، عن حجاج وأبى كامل ، عن الليث ، عن ابن شهاب عن حبيب مولى عروة ، ولم يذكر لفظه ، وأحاله على الرواية السابقة . ثم رواه بعد ذلك ، ص : ٣٣٥ – ٣٣٦ ، عن حجاج وأبى كامل ، بالإسناد نفسه . وذكر لفظه مختصراً عن ميمونة ، دون القصة .

وكذلك رواه أبو داود : ٢٦٧ ، وابن حبان فى صحيحه ٢ : ٥٦٩ (مخطوطة الإحسان) . والبيهقى ١ : ٣١٣ – كلهم من طريق الليث بن سعد ، به . وكذلك رواه النسائى ١ : ٥٤ – ٥٥ ، ٦٧ ، من طريق يونس والليث – كلاهما عن ابن شهاب ، به مختصراً .

فمن هذه الروايات كلها استيقنت أن رواية ابن إسحق – هنا وعند أحمد – « عن الزهرى ، عن عروة » خطأ .

(١) الحديث : ٤٢٤٢ – مروان الأصفر ، أبو خلف : تابعى ثقة : و « الأصفر » : بالفاء ، ووقع فى المطبوعة بالغين . وهو تحريف .

مسروق بن الأجدع الهمدانى : تابعى من كبير ثقة ، سادات التابعين وفقهائهم .

٤٢٤٣ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد = وحدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا سعيد = عن قتادة قال: ذكر لنا عن عائشة أنها قالت: وأين كان ذو الفراشَين وذو اللحافين؟ ! (١)

٤٢٤٤ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن مسروق قال : قلت لعائشة : ما يحرم على الرجل من امرأته إذا كانت حائضاً ؟ قالت : فرجها. (٢) ٢٢٦/٢

٤٢٤٥ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا أيوب ، عن كتاب أبي قلابة : أنّ مسروقاً ركب إلى عائشة فقال : السلام على النبي وعلى أهل بيته . فقالت عائشة : أبو عائشة! مرحباً ! فأذنوا له فدخل ، فقال: إني أريد أن أسألك عن شيء وأنا أستحيي ! فقالت : إنما أنا أمُّك ، وأنت ابني ! فقال : ما للرجل من امرأته وهي حائض ؟ قالت له : كل شيء إلاّ فرجها . (٣)

٤٢٤٦ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن أبي زائدة قال، حدثنا حجاج، عن ميمون بن مهران ، عن عائشة قالت : له ما فوق الإزار. (٤)

وهذا الحديث نقله ابن كثير ١ : ٥١٠ عن هذا الموضع . وكذلك نقله السيوطي ١ : ٢٦٠ ، ولم ينسباه لغير الطبري .

وهو عندنا حديث مرفوع بالمعنى، وإن كان لفظه موقوفاً على عائشة. لأن الصحابي إذا حكى عما يحل ويحرم فالثقة به أن لا يحكي ذلك إلا عمن يؤخذ عنه الحلال والحرام ، وهو معلم الخير ، صلى الله عليه وسلم . وهذا عند الإطلاق ، إلا أن تدل دلائل على أنه يقول ذلك اجتهاداً واستنباطاً من دلائل الكتاب والسنة . وانظر الأحاديث التالية لهذا .

(١) في المخطوطة : « وأينا كان . . . »

(٢) الحديث : ٤٢٤٤ – سالم بن أبي الجعد : تابعي ثقة معروف ، أخرج له الأئمة الستة . وهذا الحديث في معنى الحديث السابق : ٤٢٤٢ ، من وجه آخر ، وبلفظ آخر . وإسناده صحيح .

(٣) الحديث : ٤٢٤٥ – وهذا في معنى الحديثين السابقين ، مع تفصيل في قصة السؤال والجواب . وإسناده صحيح أيضاً .

(٤) الحديث : ٤٢٤٦ – ابن أبي زائدة: هو يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، مضى في : ٢٣٣٨. حجاج : هو ابن أرطاة .
وهذا في معنى ما قبله .

٤٢٤٧ ــ حدثني يعقوب قال ، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا أيوب ، عن نافع : أن عائشة قالت فى مضاجعة الحائض : لا بأس بذلك إذا كان عليها إزار .

٤٢٤٨ ــ حدثني يعقوب قال ، حدثنا ابن علية ، عن أيوب ، عن أبي معشر قال : سألتُ عائشة : ماللرجل من امرأته إذا كانت حائضاً؟ فقالت : كل شيء إلا الفرج.(١)

٤٢٤٩ ــ حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن أبي زائدة ، عن محمد بن عمرو ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث قال ، قال ابن عباس : إذا جعلت الحائض على فرجها ثوباً أو ما يكفُّ الأذى ، فلا بأس أن يباشر جلدُها زوجتَها .(٢)

٤٢٥٠ ــ حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال ، حدثنا يزيد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أنه سئل : ما للرجل من امرأته إذا كانت حائضاً ؟ قال : ما فوق الإزار .

٤٢٥١ ــ حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هاشم بن القاسم قال ، حدثنا الحكم بن فضيل ، عن خالد الحذاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : اتق من الدم مثل موضع النعل .(٣)

---

(١) الحديث : ٤٢٤٨ ــ هكذا وقع هذا الإسناد هنا . وهو إسناد ناقص على اليقين . فإن « أبا معشر » : هو هو زياد بن كليب التيمى الحنظلى ، وهو يروى عن التابعين . وهو ثقة ، ولكنه لم يدرك عائشة ، فلا يمكن أن يقول : « سألت عائشة » .

وصواب الإسناد ، كما فى المحلى لابن حزم ٢ : ١٨٣ « روينا عن أيوب السختيانى ، عن أبي معشر ، عن إبرهيم النخعى ، عن مسروق ، قال : سألت عائشة : ما يحل لى من امرأتى وهى حائض ؟ قالت : كل شيء إلا الفرج » . فسقط من الإسناد رجلان : إبرهيم النخعى ، ومسروق ، وهو الذى سأل عائشة . وهكذا ذكره ابن حزم ، فلم يذكر إسناده إلى أيوب .

وقد رواه الطحاوى فى معانى الآثار ٢ : ٢٢ ، بإسناده ، من طريق عمرو بن خالد ، عن عبيد الله ــ وهو ابن عمرو الرقى الجزرى ــ « عن أيوب ، عن أبي معشر ، عن إبرهيم ، عن مسروق ، عن عائشة » . ولم يذكر لفظه ، إحالة على رواية أخرى قبله ، بمعناه .

(٢) الخبر : ٤٢٤٩ ــ هذا إسناد منقطع ــ محمد بن إبرهيم بن الحارث التيمى : تابعى ثقة معروف . ولكن روايته عن ابن عباس مرسلة ، كما صرح بذلك ابن أبي حاتم فى الجرح والتعديل ٣/٢/١٨٤

(٣) الخبر : ٤٢٥١ ــ الحكم بن فضيل ، أبو محمد الواسطى : ثقة ، وثقه ابن معين وغيره . مترجم فى الكبير ١/٢/٣٣٧ ، وابن أبي حاتم ١/٢/١٢٦ ــ ١٢٧ ، والتعجيل ، والميزان ، ولسان الميزان . وله ترجمة وافية فى تاريخ بغداد ٨ : ٢٢١ ــ ٢٢٣ . والبخارى لم يذكر فيه جرحاً .

٤٢٥٢ – حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا أيوب ، عن عكرمة ، عن أم سلمة قالت فى مضاجعة الحائض : لا بأس بذلك إذا كان على فرجها خرقة .(١)

٤٢٥٣ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الأعلى ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن قال : للرجل من امرأته كل شيء ما خلا الفرج – يعني وهى حائض .

٤٢٥٤ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا ابن أبي عدى ، عن عوف ، عن الحسن قال : يبيتان فى لحاف واحد – يعنى الحائض – إذا كان على الفرج ثوب.

٤٢٥٥ – حدثنا تميم قال ، أخبرنا إسحق ، عن شريك ، عن ليث قال : تذاكرنا عند مجاهد الرجل يلاعب امرأته وهى حائض ، قال : اطعن بذكرك حيث شئت فيما بين الفخذين والأليتين والسرة ، ما لم يكن فى الدبر أو الحيض .(٢)

٤٢٥٦ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن أبي زائدة ، عن إسمعيل بن أبي خالد ، عن عامر قال : يباشر الرجل امرأته وهى حائض ؟ قال : إذا كفّت الأذى .

٤٢٥٧ – حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنى

والخبر رواه البيهقى فى السنن الكبرى ١ : ٣١٤ ، من طريق الحسن بن مكرم . عن أبي النضر هاشم بن القاسم ، بهذا الإسناد .

(١) الحديث : ٤٢٥٢ – هذا إسناد صحيح . وهو وإن كان موقوفاً على أم سلمة ، فإن معناه ثابت عنها مرفوعاً أيضاً :

فروى البيهقى ١ : ٣١١ ، من طريق يزيد بن زريع ، « حدثنا خالد ، عن عكرمة ، عن أم سلمة : أنها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى لحاف ، فأصابها الحيض ، فقال لها : قومى فاتزرى ثم عودى » .

وثبت نحو معناه عن أم سلمة أيضاً ، بأطول من هذا ، من رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن زينب بنت أبي سلمة ، عن أم سلمة ، مرفوعاً . رواه مسلم ١ : ٩٥ ، والبيهقى ١ : ٣١١ ، وذكر أنه أخرجه البخارى ومسلم .

(٢) فى المطبوعة : « حيثما شئت » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

عمران بن حدير قال ، سمعت عكرمة يقول ، كل شيء من الحائض لك حلال غير مجرى الدم .

* * *

قال أبو جعفر : وعلة قائل هذه المقالة ، قيامُ الحجة بالأخبار المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يباشر نساءه وهن حُيَّض ، ولو كان الواجبُ اعتزالَ جميعهنّ ، لما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما صحّ ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، علم أن مراد الله تعالى ذكره بقوله : « فاعتزلوا النساءَ فى المحيض » ، هو اعتزال بعض جسدها دون بعض . وإذ كان ذلك كذلك ، وجب أن يكون ذلك هو الجماع المجمع على تحريمه على الزوج فى قُبُلها ، دون ما كان فيه اختلاف من جماعها فى سائر بدنها .

* * *

وقال آخرون : بل الذى أمر الله تعالى ذكره باعتزاله منهنّ فى حال حيضهن ، ما بين السرّة إلى الركبة ، وله ما فوق ذلك ودونه منها .

* ذكر من قال ذلك :

٤٢٥٨ ــ حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن أبى زائدة ، عن ابن عون ، عن ابن سيرين ، عن شريح قال : له ما فوق السرة ــ وذكر الحائض .

٤٢٥٩ ــ حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ، حدثنا ابن إدريس قال ، أخبرنا يزيد ، عن سعيد بن جبير قال : سئل ابن عباس عن الحائض : ما لزوجها منها ؟ فقال : ما فوق الإزار .

٤٢٦٠ ــ حدثنى يعقوب قال ، حدثنا ابن علية ، عن أيوب وابن عون ، عن محمد قال : قال شريح : له ما فوق سُرّتها . ٢٢٧/٢

٤٢٦١ ــ حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا ابن أبى عدىّ ، عن شعبة ، عن واقد

ابن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر قال: سئل سعيد بن المسيب: ما للرجل من الحائض ؟ قال : ما فوق الإزار .

* * *

وعلة من قال هذه المقالة ، صحةُ الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما : —

٤٢٦٢ — حدثني به ابن أبي الشوارب قال، حدثنا عبد الواحد بن زياد قال ، حدثنا سليمان الشيباني = وحدثني أبو السائب قال، حدثنا حفص قال، حدثنا الشيباني = قال حدثنا عبد الله بن شداد بن الهاد قال، سمعت ميمونة تقول: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يباشر امرأة من نسائه وهي حائض ، أمرها فأتزرت .

٤٢٦٣ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ، حدثنا سفيان ، عن الشيباني ، عن عبد الله بن شداد ، عن ميمونة : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يباشرها وهي حائض فوق الإزار .(١)

٤٢٦٤ — حدثني سفيان بن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة قالت : كانت إحدانا إذا كانت حائضاً ، أمرها فأتزرت بإزار ثم يباشرها .

٤٢٦٥ — حدثنا سفيان بن وكيع قال ، حدثنا المحاربي ، عن الشيباني ، عن عبد الرحمن بن الأسود ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : كانت إحدانا إذا كانت حائضاً أمرَها النبي صلى الله عليه وسلم أن تأتزر ، ثم يباشرها .(٢)

* * *

---

(١) الحديثان: ٤٢٦٢، ٤٢٦٣ — حفص: هو ابن غياث ، الشيباني سليمان : هو أبو إسحق الشيباني سليمان بن أبي سليمان . وسفيان في الحديث الثاني : هو الثوري .

والحديثان في معنى واحد . وقد ذكره ابن كثير ١ : ٥١١ ، بلفظ أولهما عن الصحيحين ، وكذلك ذكره السيوطي ١ : ٢٥٩ ، وزاد نسبته لابن أبي شيبة . وأبي داود ، والبيهقي . وانظر البخاري ١ : ٦٤ ، ومسلم ١ : ٩٥ ، والسنن الكبرى ١ : ٣١١ .

(٢) الحديثان : ٤٢٦٤ ، ٤٢٦٥ — هما حديث واحد بإسنادين . وذكره السيوطي ١ : ٢٥٩ ، عن ابن أبي شيبة، والصحيحين، وأبي داود، وابن ماجة، بزيادة في آخره . وانظر البخاري ١ : ٦٣ . ومسلم ١ : ٩٥ ، وأبا داود : ١١٢ ، ١١٣ ، والنسائي ١ : ٥٤ ، ٦٧ ، والبيهقي ١ : ٣١٠ — ٣١١.

ونظائر ذلك من الأخبار التي يطول باستيعاب ذكر جميعها الكتاب .[١]

قالوا: فما فعل النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك فجائز ، وهو مباشرة الحائض ما دون الإزار وفوقه ، وذلك دون الركبة وفوق السرة ، وما عدا ذلك من جسد الحائض فواجبٌ اعتزالُه، لعموم الآية .

* * *

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، قول من قال: إن للرجل من امرأته الحائض ما فوق المؤتَزَر ودونه ، لما ذكرنا من العلة لهم .[٢]

* * *

القول في تأويل قوله جل ذكره ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة في قراءة ذلك .[٣] فقرأه بعضهم : « حتى يطهرن » بضم « الهاء » وتخفيفها . وقرأه آخرون بتشديد « الهاء » وفتحها .

وأما الذين قرأوه بتخفيف « الهاء » وضمها ، فإنهم وجهوا معناه إلى : ولا تقربوا النساء في حال حيضهن حتى ينقطع عنهن دم الحيض ويَطهُرن . وقال بهذا التأويل جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٤٢٦٦ ــ حدثنا ابن بشار قال، حدثنا ابن مهدي ومؤمل قالا ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « ولا تقربوهن حتى يطهرن »، قال : انقطاع الدم .

---

(١) في المخطوطة : « جميع ذكرها » ، والصواب ما في المطبوعة .

(٢) في المخطوطة إسقاط قوله : « لهم » .

(٣) في المطبوعة : « اختلف القراء » ، وقد مضى مثل ذلك مراراً ، وتركناه في بعض المواضع كما هو في المطبوعة . ولكنا سنقيمه منذ الآن على المخطوطة دون الإشارة إليه بعد هذا الموضع إلى آخر الكتاب، إن شاء الله .

٤٢٦٧ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن سفيان ، – أو عثمان بن الأسود –: « ولا تقربوهن حتى يطهرن » ،حتى ينقطع عنهن الدم .

٤٢٦٨ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال، حدثنا عبيد الله العتكي ، عن عكرمة في قوله : « ولا تقربوهن حتى يطهرن » ، قال : حتى ينقطع الدم .(١)

* * *

وأما الذين قرأو ذلك بتشديد « الهاء » وفتحها ، فإنهم عنوا به : حتى يغتسلن بالماء . وشددوا « الطاء » لأنهم قالوا : معنى الكلمة : حتى يتطهَّرْنَ ، أدغمت « التاء » في « الطاء » لتقارب مخرجيهما .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأ ﴿ حَتَّى يَطَّهَّرْنَ ﴾ بتشديدها وفتحها ، بمعنى : حتى يغتسلن – لإجماع الجميع على أن حراماً على الرجل أن يقرَب امرأته بعد انقطاع دم حيضها حتى تطهر .

* * *

وإنما اختُلف في « التطهر » الذي عناه الله تعالى ذكره ، فأحل له جماعها .

فقال بعضهم : هو الاغتسال بالماء ، لا يحل لزوجها أن يقربها حتى تغسل جميع بدنها .(٢)

وقال بعضهم : هو الوضوء للصلاة .

وقال آخرون : بل هو غسل الفرج ، فإذا غسلت فرجها ، فذلك تطهرها الذي يحلّ به لزوجها غشيانُها .

* * *

---

(١) الأثر : ٤٢٦٨– « عبيد الله العتكي » هو عبيد الله بن عبد الله أبو المنيب العتكي ، رأى أنساً ، وروى عن عكرمة وسعيد بن جبير وغيرهما من التابعين .

(٢) في المطبوعة : « ولا يحل . . . » بزيادة الواو .

فإذ كان إجماعٌ من الجميع أنها لا تحلُّ لزوجها بانقطاع الدم حتى تطهَّر ، كان بيِّناً أن أولى القراءتين بالصواب أنفاهما للَّبس عن فهم سامعها . وذلك هو الذى اخترنا ، إذ كان فى قراءة قارئها بتخفيف « الهاء » وضمها ، ما لا يؤمن معه اللبس على سامعها من الخطأ فى تأويلها ، فيرى أن لزوج الحائض غشيانها بعد انقطاع دم حيضها عنها ، (١) وقبل اغتسالها وتطهُّرها . ٢٢٨/٢

* * *

فتأويل الآية إذاً : ويسألونك عن المحيض قل هو أذى ، فاعتزلوا جماع نسائكم فى وقت حيضهنّ ، ولا تقربوهن حتى يغتسلن فيتطهرن من حيضهن بعد انقطاعه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « فإذا تطهَّرن فأتوهن » ، فإذا اغتسلن فتطهَّرن بالماء فجامعوهن .

* * *

فإن قال قائل : أففرض جماعهن حينئذ ؟

قيل : لا .

فإن قال : فما معنى قوله إذاً : « فأتوهن » ؟

قيل : ذلك إباحة ما كان منع قبل ذلك من جماعهن ، وإطلاقٌ لما كان حظر فى حال الحيض ، وذلك كقوله : ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ﴾ [سورة المائدة : ٢] ، وقوله : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ [سورة الجمعة : ١٠] ، وما أشبه ذلك .

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « فإذا تطهرن » .

---

(١) فى المطبوعة : « أن للزوج غشيانها » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

فقال بعضهم : معنى ذلك ، فإذا اغتسلن .

* ذكر من قال ذلك :

٤٢٦٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « فإذا تطهَّرن » يقول : فإذا طهُرت من الدم وتطهَّرت بالماء .

٤٢٧٠ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثني ابن مهدي ومؤمل قالا ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « فإذا تطهرن » ، فإذا اغتسلن .(١)

٤٢٧١ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا عبيد الله العتكي ، عن عكرمة في قوله : « فإذا تطهرن » ، يقول : اغتسلن .

٤٢٧٢ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن سفيان – أو عثمان بن الأسود :– « فإذا تطهرن » ، إذا اغتسلن .

٤٢٧٣ – حدثنا عمران بن موسى ، حدثنا عبد الوارث، حدثنا عامر ، عن الحسن : في الحائض ترى الطهر ، قال: لا يغشاها زوجُها حتى تغتسل وتحلّ لها الصلاة .(٢)

٤٢٧٥ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم : أنه كره أن يطأها حتى تغتسل – يعني المرأة إذا طهُرت.

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : فإذا تطهَّرن للصلاة .

* ذكر من قال ذلك :

٤٢٧٦ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال، أخبرنا ليث ، عن طاوس ومجاهد أنهما قالا : إذا طهُرت المرأة من الدم فشاء زوجها أن يأمرَها

---

(١) الأثر : ٤٢٧٠ – كان في المطبوعة : « محمد بن مهدي » ، وهو خطأ ، وزيادة فاسدة والصواب من المخطوطة . و « ابن مهدي » هو عبد الرحمن بن مهدي الإمام العلم، قال الشافعي : لا أعرف له نظيراً في الدنيا . مات سنة ١٩٨ – مترجم في التهذيب وغيره .

(٢) سقط من الترقيم : ٤٢٧٤

بالوضوء قبل أن تغتسل – إذا أدركه الشَّبَق فليُصب .

• • •

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بتأويل الآية، قولُ من قال: معنى قوله: «فإذا تطهَّرن» ، فإذا اغتسلن ، لإجماع الجميع على أنها لا تصير بالوضوء بالماء طاهراً الطُّهرَ الذى يحل لها به الصلاة . وإن القولَ لا يخلو فى ذلك من أحد أمرين :

= إما أن يكون معناه: فإذا تطهَّرن من النجاسة فأتوهن . فإن كان ذلك معناه، فقد ينبغى أن يكون متى انقطع عنها الدم فجائزٌ لزوجها جماعُها ، إذا لم تكن هنالك نجاسة ظاهرة . هذا ، إن كان قوله : «فإذا تطهَّرن» جائزاً استعماله فى التطهُّر من النجاسة ، ولا أعلمه جائزاً إلا على استكراه الكلام .

= أو يكون معناه: فإذا تطهَّرن للصلاة . وفى إجماع الجميع من الحجة على أنه غير جائز لزوجها غشيانها بانقطاع دم حيضها،[1] إذا لم يكن هنالك نجاسة ، دون التطهر بالماء إذا كانت واجدته = أدلُّ الدليل على أن معناه : فإذا تطهرن الطهرَ الذى يجزيهن به الصلاة . وفى إجماع الجميع من الأمة على أن الصلاة لا تحل لها إلا بالاغتسال، أوضح الدلالة على صحة ما قلنا: من أن غشيانها حرام إلا بعد الاغتسال، وأن معنى قوله: «فإذا تطهرن»، فإذا اغتسلن فصرن طواهرَ الطهرَ الذى يجزيهنّ به الصلاة .

• • •

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « فى إجماع الجميع » بإسقاط الواو ، والسياق يوجبها ، وهذا سياقها : « وفى إجماع الجميع . . . أدل الدليل . . . »

القول فى تأويل قوله جـل ذكره ﴿ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « فأتوهن من حيث أمركم الله » .

فقال بعضهم : معنى ذلك : فأتوا نساءكم إذا تطهَّرن من الوجه الذى نهيتُكم عن إتيانهن منه فى حال حيضهن ، وذلك : الفرجُ الذى أمر الله بترك جماعهن فيه فى حال الحيض.(١)

* ذكر من قال ذلك :

٤٢٧٧ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية ، عن محمد ابن إسحق قال، حدثنى أبان بن صالح ،عن مجاهد قال ، قال ابن عباس فى قوله : « فأتوهن من حيث أمركم الله » ، قال : من حيث أمركم أن تعتزلوهُنَّ . ٢٢٩/٢

٤٢٧٨ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال، حدثنا معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « فأتوهن من حيث أمركم الله»، يقول: فى الفرج ، لا تعدوه إلى غيره ، فمن فعل شيئاً من ذلك فقد اعتدَى.

٤٢٧٩ – حدثنى يعقوب قال ، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا خالد الحذاء ، عن عكرمة فى قوله : « فأتوهن من حيث أمركم الله » ، قال : من حيث أمركم أن تعتزلوا .

٤٢٨٠ – حدثنى يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال ، حدثنا أبو صخر ، عن أبى معاوية البجلى ، عن سعيد بن جبير أنه قال : بينا أنا ومجاهد جالسان عند ابن عباس : أتاه رجلٌ فوقف على رأسه فقال : يا أبا العباس – أو : يا أبا الفضل – ألا تشفينى عن آية المحيض ؟ قال : بلى ! فقرأ : « ويسألونك

(١) « الإتيان » : كناية عن اسم «الجماع » وسيأتى تفسير ذلك فى ص : ٣٩٨

عن المحيض » حتى بلغ آخر الآية ، فقال ابن عباس : من حيث جاء الدم ، من ثَمَّ أمِرت أن تأتى. (١)

٤٢٨١ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن أبى زائدة ، عن عثمان ، عن مجاهد قال : دبُر المرأة مثله من الرجل ، ثم قرأ : « ويسألونك عن المحيض » إلى « فأتوهن من حيث أمركم الله » ، قال : من حيث أمركم أن تعتزلوهن. (٢)

٤٢٨٢ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فأتوهن من حيث أمركم الله » ، قال : أمِروا أن يأتوهن من حيث نُهوا عنه .

٤٢٨٣ – حدثنا ابن أبى الشوارب قال، حدثنا عبد الواحد قال ، حدثنا خصيف قال ،حدثنى مجاهد : « فأتوهن من حيث أمركم الله» ، فى الفرج، ولا تعدُوه .

٤٢٨٤ – حدثنامحمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فأتوهن من حيث أمركم الله » ، يقول : إذا تطهرن فأتوهن من حيث نُهى عنه فى المحيض .

٤٢٨٥ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم،عن سفيان– أو : عثمان بن الأسود – : « فأتوهن من حيث أمركم الله » باعتزالهن منه .

٤٢٨٦ – حدثنا بشر قال،حدثنايزيدقال،حدثناسعيد،عن قتادةقوله : «فأتوهن من حيث أمركم الله » ، أى : من الوجه الذى يأتى منه المحيض ، طاهراً غيرَ حائض ، ولا تعدوا ذلك إلى غيره .

---

(١) فى المطبوعة : « ثم أمرت » بحذف « من » ، وهو خطأ ، والصواب من المخطوطة ، وبما سيأتى رقم : ٤٣٢٥ . بمعنى : هناك . وسيأتى الخبر بتمامه فى رقم : ٤٣٢٥ . وسنذكر فيه ترجمة رجاله .

(٢) الأثر . ٤٢٨١ – فى المطبوعة : « عمرة عن مجاهد » ، وهو خطأ ، والصواب من المخطوطة . و « ابن أبى زائدة» ، هو يحيى بن زكريا ابن أبى زائدة . و « عثمان » ، هو عثمان بن الأسود مولى بنى جمح ، وقد سلفت روايته عن مجاهد ، أقربها رقم : ٢٧٨٢

٤٢٨٧ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة فى قوله : « فأتوهن من حيث أمركم الله » ، قال : طواهرَ من غير جماع ومن غير حيض ، من الوجه الذى يأتى [منه] المحيض، ولا يتعدَّهُ إلى غيره = قال سعيد : ولا أعلمه إلاَّ عن ابن عباس .(١)

٤٢٨٨ – حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله » ، من حيث نُهيتم عنه فى المحيض = وعن أبيه ، عن ليث ، عن مجاهد فى قوله : « فإذا تطهَّرن فأتوهن من حيث أمركم الله » ، من حيث نُهيتم عنه ، واتقوا الأدبار .

٤٢٨٩ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا ابن إدريس قال ، سمعت أبى ، عن يزيد بن الوليد ، عن إبراهيم فى قوله : « فأتوهن من حيث أمركم الله » ، قال : فى الفرج .

* * *

وقال آخرون : معناها : فأتوهن من الوجه الذى أمركم الله فيه أن تأتوهن منه . وذلك الوجه ، هو الطهر دون الحيض . فكان معنى قائل ذلك فى الآية : فأتوهنّ من قُبُل طُهرهنّ لا من قُبُل حيضهن .(٢)

* ذكر من قال ذلك :

٤٢٩٠ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال، حدثنى عمى قال ،

---

(١) قوله : « طواهر » جمع امرأة « طاهر » ، وليس فى كتب اللغة بل فيه « طاهرات » ولكنه جمع قياسى ، مثل حامل وحوامل، وسيأتى فى رقم : ٤٢٩٥ ، ٤٢٩٦ ، وسيأتى جمعها على « طهر » رقم ٤٢٩٨ ، ٤٣٠٠ . وفى المطبوعة : « ولا يتعدى إلى غيره » . والصواب من المخطوطة .

(٢) « قبل » (بضم فسكون) ، يقال : « كان ذلك فى قبل الشتاء وقبل الصيف » ، أى فى أوله وعند إقباله . وفى الحديث : « طلقوا النساء لقبل عدتهن » – ويروى : « فى قبل طهرهن » أى فى إقباله وأوله ، وحين يمكنها الدخول فى العدة ، والشروع فيها ، فتكون لها محسوبة . وذلك فى حالة الطهر . وكذلك قوله هنا : « من قبل الطهر » ، أى : فى حال الطهر .

حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « فأتوهن من حيث أمركم الله » ، يعني : أن يأتيها طاهراً غيرَ حائض .

٤٢٩١ ــ حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن أبي رزين في قوله : «فأتوهن من حيث أمركم الله » ، قال : من قُبُل الطهر. (١)

٤٢٩٢ ــ حدثنا محمد بن بشار قال: حدثنا محمد بن يحيى قال ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي رزين بمثله .

٤٢٩٣ ــ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام، عن عمرو ، عن منصور ، عن أبي رزين : « فأتوهن من حيث أمركم الله » ، يقول : ائتوهنّ من عند الطهر .

٤٢٩٤ ــ حدثني محمد بن عبيد المحاربي قال، حدثنا علي بن هاشم ، عن الزبرقان ، عن أبي رزين : « فأتوهن من حيث أمركم الله » ، قال: من قُبُل الطهر ، ولا تأتوهن من قُبُل الحيضة . (٢) ٢٣٠/٢

٤٢٩٥ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال، حدثنا عبيد الله العتكي ، عن عكرمة قوله : « فأتوهن من حيث أمركم الله » ، يقول : إذا اغتسلن فأتوهن من حيث أمركم الله . يقول : طواهر غير حُيَّض. (٣)

٤٢٩٦ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « فأتوهن من حيث أمركم الله » ، قال يقول : طواهر غيرَ حُيَّض . (٣)

٤٢٩٧ ــ حدثني موسى بن هرون قال حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا

---

(١) انظر ص ٣٩٠ ، تعليق : ٢ .
(٢) في المطبوعة : « الحيض » ، وأثبتنا ما في المخطوطة .
(٣) انظر ما سلف رقم : ٤٢٨٧ ، والتعليق عليه .

أسباط ، عن السدى قوله : « من حيث أمركم الله » ، من الطهر .

٤٢٩٨ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك : « فأتوهن » ، طُهرًا غير حيّض .(١)

٤٢٩٩ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك قوله : «فأتوهن من حيث أمركم الله » ، قال : ائتوهن طاهرات غير حُيّض .

٤٣٠٠ – حدثنا عمرو بن على قال ، حدثنا وكيع قال ، حدثنا سلمة بن نبيط ، عن الضحاك : « فأتوهن من حيث أمركم الله » ، قال : طهرًا غير حيّض فى القُبُل .(١)

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فأتوا النساء من قِبل النكاح ، لا من قِبل الفُجور .

* ذكر من قال ذلك :

٤٣٠١ – حدثنا عمرو بن على قال ، حدثنا وكيع قال ، حدثنا إسمعيل الأزرق ، عن أبى عمر الأسدى ، عن ابن الحنفية : «فأتوهن من حيث أمركم الله » ، قال : من قِبل الحلال ، من قِبل التزويج .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب فى تأويل ذلك عندى قولُ من قال : معنى ذلك : فأتوهن من قُبُل طهرهن . وذلك أن كل أمر بمعنى ، فنهىٌ عن خلافه وضده . وكذلك النهى عن الشىء أمرٌ بضده وخلافه . فلو كان معنى قوله : « فأتوهن من حيث أمركم الله » ، فأتوهن من قِبل مخرج الدم الذى نهيتكم أن تأتوهن من قبله فى حال حيضهن – لوجب أن يكون قوله : « ولا تقربوهن حتى يطهُرن » ،

---

(١) قوله « طهر » ، جمع امرأة « طاهر » ، وهو جمع قياسى لم تذكره المعاجم كالذى سلف « طواهر » و « فاعل » الصفة ، إذا كانت فيه « تاء » ظاهرة ، مثل « ضاربة » – أو مقدرة مثل حائض فقياسه : « فواعل » ، و « فعل » (بضم الفاء وتشديد عينه وفتحها) .

تأويله : ولا تقربوهن فى مخرج الدم ، دون ما عدا ذلك من أماكن جسدها ، فيكون مطلقا فى حال حيضها إتيانهن فى أدبارهن . وفى إجماع الجميع = : على أن الله تعالى ذكره لم يُطْلِق فى حال الحيض من إتياهن فى أدبارهن شيئاً حرَّمه فى حال الطُّهر ، ولا حرَّم من ذلك فى حال الطهر شيئاً أحله فى حال الحيض = ما يُعلم به فسادُ هذا القول .

وبعد ، فلو كان معنى ذلك على ما تأوَّله قائلو هذه المقالة ، لوجب أن يكون الكلام : فإذا تطهرن فأتوهن فى حيث أمركم الله =[1] حتى يكون معنى الكلام حينئذ على التأويل الذى تأوله ، ويكون ذلك أمرًا بإتيانهن فى فروجهن . لأنّ الكلام المعروفَ إذا أريد ذلك ، أن يقال : « أتى فلان زَوجته من قِبَل فرجها » — ولا يقال : أتاها من فرجها — إلا أن يكون أتاها من قِبَل فرجها فى مكان غير الفرج.

* * *

فإن قال لنا قائل : فإنّ ذلك وإنْ كان كذلك ، فليس معنى الكلام : فأتوهن فى فروجهن — وإنما معناه : فأتوهن من قِبَل قُبُلهن فى فروجهن — ، كما يقال : « أتيتُ هذا الأمرَ منَ مأتاه » .

قيل له : إن كان ذلك كذلك ، فلا شك أن مأتى الأمر ووجهه غيره ، وأن ذلك مطلبه . فإن كان ذلك على ما زعمتم ، فقد يجب أن يكون معنى قوله : « فأتوهن من حيث أمركم الله » ، غير الذى زعمتم أنه معناه بقولكم : ائتوهن من قبل مخرج الدم ، ومن حيث أمِرتم باعتزالهن — ولكن الواجبُ أن يكون تأويلُه على ذلك : فأتوهن من قبل وُجوههنّ فى أقبالهن ، كما كان قول القائل : « ائت الأمر من مأتاه » ، إنما معناه : اطلبه من مطلبه ، ومطلبُ الأمر غيرُ الأمر المطلوب.

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « من حيث أمركم الله » ، وهو نص الآية ، ولكنه أراد « فى حيث » ، كما يدل عليه سائر كلامه ، فلذلك أثبتها على الصواب إن شاء الله .

وانظر ما يؤيد ذلك أيضا فى معانى القرآن للفراء ١ : ١٤٣

فكذلك يجب أن يكون مأتى الفرج — الذى أمر الله فى قولهم بإتيانه — غير الفرج.(١)

وإذا كان كذلك ، وكان معنى الكلام عندهم : فأتوهن من قبل وجوهن فى فروجهن — وجب أن يكون على قولهم محرَّماً إتياهن فى فروجهن من قِبل أدبارهن. وذلك إن قالوه ، خرج من قاله من قِبل أهل الإسلام، وخالف نص كتاب الله تعالى ذكره ، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم. وذلك أن الله يقول: ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ ، وأذن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى إتيانهن فى فروجهن من قبل أدبارهن . ٣٢١/٢

فقد تبين إذاً ، إذْ كان الأمر على ما وصفنا ، فسادُ تأويل من قال ذلك : فأتوهن فى فروجهن حيث نهيتكم عن إتيانهنّ فى حال حيضهن = وصحةُ القول الذى قلناه ، وهو أن معناه : فأتوهن فى فروجهنّ من الوجه الذى أذن الله لكم بإتيانهن، وذلك حال طهْرهن وتطهُّرهن ، دون حال حيضهن .

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (٢٢٢)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : «إن الله يحب التوابين » ، المنيبين من الإدبار عن الله وعن طاعته، إليه وإلى طاعته . وقد بينا معنى « التوبة » قبل.(٢)

* * *

واختلف فى معنى قوله : « ويحب المتطهِّرين » .

فقال بعضهم : هم المتطهِّرون بالماء .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) فى المخطوطة : « فكذلك يجب مأتى الفرج » ، وفى المطبوعة : « فكذلك يجب أن مأتى الفرج » والذى أثبته أشبه بالسياق وبالصواب .

(٢) انظر ما سلف ١ : ٥٤٧ / ٢ : ٧٢ — ٣/٧٣ : ٨١ ، ٢٥٩ — ٢٦١ .

٤٣٠٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا طلحة ، عن عطاء قوله : « إن الله يحب التوابين » ، قال : التوابين من الذنوب = «ويحب المتطهرين» = قال : المتطهرين بالماء للصلاة .

٤٣٠٣ – حدثني أحمد بن حازم قال، حدثنا أبو نعيم قال، حدثنا طلحة، عن عطاء مثله .

٤٣٠٤ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع ، عن طلحة بن عمرو ، عن عطاء : « إن الله يحب التوابين» من الذنوب ، لم يصيبوها = « ويحب المتطهرين» ، بالماء للصلوات.[1]

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : « إن الله يحب التوابين » ، من الذنوب = « ويحب المتطهرين » ، من أدبار النساء أن يأتوها .

* ذكر من قال ذلك :

٤٣٠٥ – حدثنا أحمد بن حازم قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا إبراهيم ابن نافع قال ، سمعت سليمان مولى أم على قال ، سمعت مجاهداً يقول : من أتى امرأته في دبرها فليس من المتطهرين .[2]

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : « ويحب المتطهرين » ، من الذنوب أن يعودوا فيها بعد التوبة منها .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) في المطبوعة : « للصلاة » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) الأثر : ٤٣٠٥ – « إبراهيم بن نافع » المخزومي المكي ، روى عن ابن أبي نجيح ، وكثير بن كثير ، وعطاء ابن أبي رباح ، وعدة . روى عنه أبو عامر العقدي وأبو نعيم وغيرهما . كان حافظاً ، وكان أوثق شيخ بمكة ، وهو ثقة ، وكان أحمد يطريه . و « سليمان مولى أم على » ، هو سليم المكي ، أبو عبد الله ، روى عن مجاهد . وعنه إبراهيم بن نافع وابن جريج وجماعة ، صدوق من كبار أصحاب مجاهد . وكلاهما مترجم في التهذيب .

٤٣٠٦ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « يحب التوابين » ، من الذنوب، لم يصيبوها = « ويحب المتطهرين » ، من الذنوب ، لا يعودون فيها .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قولُ من قال : « إنّ الله يحب التوابين من الذنوب ، ويحب المتطهرين بالماء للصلاة». لأن ذلك هو الأغلب من ظاهر معانيه .

وذلك أن الله تعالى ذكره ذكر أمرَ المحيض، فنهاهم عن أمور كانوا يفعلونها في جاهليتهم : من تركهم مساكنة الحائض ومؤاكلتها ومشاربتها ، وأشياء غير ذلك مما كان تعالى ذكره يكرهها من عباده . فلما استفتى أصحابُ رسولِ الله رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، (١) أوحى الله تعالى إليه في ذلك، فبيّن لهم ما يكرهه مما يرضاه ويحبه ، وأخبرهم أنه يحب من خلقه من أناب إلى رضاه ومحبته، تائباً مما يكرهه . وكان مما بيّن لهم من ذلك، (٢) إنه قد حرّم عليهم إتيان نسائهم وإن طهُرن من حيضهن حتى يغتسلن، ثم قال: ولا تقربوهن حتى يطهُرن، فإذا تطهّرن فأتوهن ، فإن الله يحب المتطهرين = يعني بذلك : المتطهرين من الجنابة والأحداث للصلاة ، والمتطهرات بالماء – من الحيض والنفاس والجنابة والأحداث – من النساء .

* * *

وإنما قال : « ويحب المتطهرين » – ولم يقل « المتطهرات » – وإنما جرى قبل ذلك ذكرُ التطهر للنساء ، لأن ذلك بذكر « المتطهرين » يجمع الرجال والنساء . ولو ذكر ذلك بذكر « المتطهرات » ، لم يكن للرجال في ذلك حظ ، وكان للنساء خاصة . فذكر الله تعالى ذكره بالذكر العام جميعَ عباده المكلفين ، إذ كان قد

---

(١) في المطبوعة : « أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك » ، بإسقاط « رسول الله » الثانية وأثبت الصواب من المخطوطة .

(٢) في المخطوطة والمطبوعة : « مع ذلك » ، والذي أثبته هو الصواب الحق .

تعبّد جميعَهم بالتطهر بالماء، وإن اختلفت الأسباب التى توجب التطهر عليهم بالماء فى بعض المعانى ، واتفقت فى بعض .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : نساؤكم مُزدَرَعُ أولادكم ، فأتوا مُزدرعكم كيف شئتم ، وأين شئتم .

* * *

وإنما عنى بـ « الحرث » المزدَرَع ، و« الحرث » هو الزرع ، [1] ولكنهن لما كن من أسباب الحرث ، جعلن «حرثاً » ، إذ كان مفهوماً معنى الكلام .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك : ٢٣٢/٢

٤٣٠٧ — حدثنا محمد بن عبيد المحاربى قال حدثنا ابن المبارك ، عن يونس ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « فأتوا حرثكم » ، قال : منبت الولد .

٤٣٠٨ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « نساؤكم حرث لكم » ، أما « الحرث » ، فهى مَزْرَعة يحرث فيها .

* * *

---

(١) انظر معنى « الحرث » ، فيما سلف من هذا الجزء ٤ : ٢٣٩ ، ٢٤٠ . هذا ، وقد كان فى المطبوعة : « وإنما عنى بالحرث وهو الزرع المحترث والمزدرع » ، وليست بشىء — وكان فى المخطوطة مضطرباً ، فلذلك اضطربت المطبوعة . كان هكذا : « وإنما عنى بالزرع ، وهو الحرث المزرع والمزدرع » ، وضرب على « بالزرع » وكتب « بالحرث » ثم وضع فوق « الحرث والمزدرع » ميما على كل كلمة من الكلمتين ، يريد بذلك تقديم هذه على هذه ، ولكن بقيت الجملة فاسدة أشد فساد ، ولم يستطع الناسخ أو طابع المطبوعة أن يرده إلى سياق صحيح ، فرددته إلى السياق الصحيح إن شاء الله .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : فانكحوا مزدرَع أولادكم من حيث شئتم من وجوه المأتى .

* * *

و« الإتيان » فى هذا الموضع ، كناية عن اسم الجماع .(١)

* * *

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله : «أنى شئتم».

فقال بعضهم : معنى « أنَّى » ، كيف .

* ذكر من قال ذلك :

٤٣٠٩ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن عطية قال ، حدثنا شريك ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « فأتوا حرثكم أنّى شئتم » ، قال : يأتيها كيف شاء ، ما لم يكن يأتيها فى دبرها أو فى الحيض .

٤٣١٠ — حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا شريك ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قوله : « نساؤكم حرثٌ لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم » ، قال : ائتها أنى شئت ، مقبلةً ومدبرةً ، ما لم تأتها فى الدُّبر والحيض .

٤٣١١ — حدثنا على بن داود قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثنى معاوية، عن على ، عن ابن عباس قوله : « فأتوا حرثكم أنى شئتم »، يعنى بالحرث الفرجَ . يقول : تأتيه كيف شئت ، مستقبلهُ ومستدبرهُ ،(٢) وعلى أىّ ذلك أردت ، بعد أن لا تجاوز الفرج إلى غيره ، وهو قوله : « فأتوهن من حيث أمركم الله » . (٢)

---

(١) انظر ما مضى قريباً ص : ٣٨٨ والتعليق : ١

(٢) الأثر : ٤٣١١ — فى سنن البيهقى ٨ : ١٩٦ ، وفيها وفى المطبوعة : « مستقبلة ومستدبرة » . وأثبت ما فى المخطوطة ، فهو جيد .

٤٣١٢ ــ حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازى قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا شريك ، عن عبد الكريم ، عن عكرمة : « فأتوا حرثكم أنّى شئتم » ، قال : يأتيها كيف شاء ، ما لم يعمل عمل قوم لوط .

٤٣١٣ ــ حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا الحسن ابن صالح ، عن ليث ، عن مجاهد : « فأتوا حرثكم أنى شئتم » ، قال : يأتيها كيف شاء ، واتّق الدبر والحيض .

٤٣١٤ ــ حدثنى عبيد الله بن سعد قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى يزيد : أن ابن كعب كان يقول : إنما قوله : « فأتوا حرثكم أنى شئتم » ، يقول : ائتها مضجعةً وقائمة ومنحرفةً ومقبلةً ومدبرةً كيف شئت ، إذا كان فى قُبُلها[1] .

---

(١) الأثر : ٤٣١٤ ــ كان هذا الإسناد فى المطبوعة : حدثنى عبيد الله بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى ، قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه قال ، حدثنى يزيد . . » ، والصواب إسناد المخطوطة الذى أثبته كما سترى . ولكن يظهر أن الناسخ أو الطابع خلط بين هذا الإسناد الذى أثبتناه والإسناد الآخر الكثير الدوران فى التفسير ، وهو : « حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى عن أبيه ، عن جده ، عن ابن عباس » وقد مضى الكلام فى هذا الاسناد برقم : ٣٠٥ .

أما إسنادنا هذا ، فإن « عبيد الله بن سعد » فهو : عبيد الله بن سعد بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم ابن عبد الرحمن بن عوف الزهرى ، أبو الفضل البغدادى » روى عن أبيه وعمه يعقوب بن إبراهيم وغيرهما ، وعنه البخارى وأبو داود والترمذى والنسائى وغيرهما . قال ابن أبى حاتم : « كتبت عنه مع أبى وهو صدوق » مات سنة ٢٦٠ .

أما عمه ، فهو يعقوب بن إبراهيم بن سعد الزهرى ، أبو يوسف المدنى ، نزيل بغداد . روى عن أبيه وشعبة ، وابن أخى الزهرى والليث . وعنه ابن أخيه عبيد الله بن سعد ، وأحمد وإسحق وابن معين . كان ثقة مأموناً ، كتب عنه الناس علما جليلا . مات سنة ٢٠٨ .

وأما أبوه ، فهو إبراهيم بن سعد الزهرى ، أبو إسحق المدنى ، نزيل بغداد . روى عن أبيه وعن الزهرى وهشام بن عروة ومحمد بن إسحق وشعبة ويزيد بن الهاد . روى عنه ابناه يعقوب وسعد وأبو داود والطيالسى وغيرهم . قال أحمد : : ثقة ، أحاديثه مستقيمة . مات سنة ١٨٣ .

وأما « يزيد » ، فهو يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد الليثى . روى عن جماعة كثيرة ، منهم محمد بن كعب القرظى ، وروى عنه شيخه ، يحيى بن سعد الأنصارى وإبراهيم بن سعد والليث بن سعد . ذكره ابن حبان فى الثقات ، وكان كثير الحديث . مات سنة ١٣٩ . وأما « ابن كعب » ، فهو « محمد بن كعب القرظى » ، فهو تابعى ، مضت ترجمته .

وسيأتى هذا الإسناد نفسه على الصواب ، مع خطأ فيه برقم : ٤٣٢١ .

٤٣١٥ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا حصين، عن مرة الهمداني قال : سمعته يحدث أن رجلاً من اليهود لقي رجلا من المسلمين فقال له : أيأتي أحدكم أهلهُ باركاً ؟ قال : نعم. قال : فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، قال : فنزلت هذه الآية : « نساؤكم حرثٌ لكم فأتوا حرثكم أنّى شئتم »، يقول : كيف شاء، بعد أن يكون في الفرج.

٤٣١٦ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : « نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم »، إن شئت قائماً أو قاعداً أو على جنب، إذا كان يأتيها من الوجه الذي يأتي منه المحيضُ، ولا يتعدّى ذلك إلى غيره.

٤٣١٧ – حدثنا موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي : « فأتوا حرثكم أنّى شئتم »، ائت حرثك كيف شئتَ من قُبُلها، ولا تأتيها في دبرها. « أنى شئتم »، قال : كيف شئتم.

٤٣١٨ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، أخبرنا عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال : أن عبد الله بن علي حدثه : أنه بلغه أن ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جلسوا يوماً ورجل من اليهود قريبٌ منهم، فجعل بعضهم يقول : إنيّ لآتي امرأتي وهي مضطجعة. ويقول الآخر : إني لآتيها وهي قائمة. ويقول الآخر : إني لآتيها على جنبها وباركةً. فقال اليهودي : ما أنتم إلا أمثال البهائم ! ولكنا إنما نأتيها على هيئة واحدة ! فأنزل الله تعالى ذكره : « نساؤكم حرثٌ لكم »، فهو القُبُل.(١)

* * *

وقال آخرون : معنى « أنى شئتم »، من حيث شئتم، وأي وجه أحببتم.

---

(١) الأثر : ٤٣١٨ – هو عبد الله بن علي بن السائب بن عبيد القرشي المطلبي، روى عن عثمان بن عفان، وحصين بن محصن الأنصاري وعمرو بن أحيحة بن الجلاح، وعنه سعيد بن أبي هلال. مترجم في التهذيب

• ذكر من قال ذلك

٤٣١٩ – حدثنا سهل بن موسى الرازى قال، حدثنا ابن أبى فديك ، عن إبراهيم بن إسمعيل بن أبى حبيبة الأشهل ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أنه كان يكره أن تُؤتى المرأة فى دبرها، ويقول : إنما الحرث من القُبُل الذى يكون منه النسل والحيض = وينهى عن إتيان المرأة فى دُبُرها ويقول : إنما نزلت هذه الآية : « نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم » ، يقول : من أىّ وجه شئتم.(١) ٢٣٣/٢

٤٣٢٠ – حدثنا ابن حميد قال حدثنا ابن واضح قال ، حدثنا العتكى ، عن عكرمة : « فأتوا حرثكم أنى شئتم »، قال : ظهرها لبطنها غير مُعاجَزة – يعنى الدبر .(٢)

٤٣٢١ – حدثنا عبيد الله بن سعد قال، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ،

---

(١) الأثر : ٤٣١٩ – مضى فى رقم : ١٨٠ « موسى بن سهل الرازى » ، هكذا جاء فى المطبوعة ولكنه فى المخطوطة « سهل بن موسى الرازى » ، فرجح أخى السيد أحمد أنه خطأ من الناسخ ، وأنه لم يجد له ترجمة . ولكن أبا جعفر الطبرى قد روى عنه فى مواضع من تاريخه : « سهل بن موسى الرازى » ، وهكذا هو فى المخطوطة هناك ، وجاء هنا على ذلك فى المخطوطة والمطبوعة . فالصواب أن يكون فى رقم : ١٨٠ « سهل بن موسى الرازى » ، كما فى المخطوطة هناك .

و « سهل بن موسى الرازى » ، لم يترجم بهذا الاسم فى الكتب ، ولكنى رأيت الطبرى يروى عنه فى التاريخ ١ : ١٦٩ : « حدثنا سهل بن موسى الرازى قال ، حدثنا ابن أبى فديك . . . » ، فالذى فى التاريخ يؤيد ما فى التفسير . ثم روى عنه فى التاريخ ٢ : ٢١٤ « حدثنا سهل بن موسى الرازى قال ، حدثنا عبد الرحمن بن مغراء . . . » ، فرأيت فى ترجمة « عبد الرحمن بن مغراء » فى التهذيب أنه يروى عنه «سهل بن زنجلة» . و « سهل بن زنجلة » هو : سهل بن أبى سهل الرازى »، روى عن جماعة كثيرة منهم يحيى بن سعيد القطان وسفيان بن عيينة وعبد الرحمن ابن مغراء » وروى عنه ابن ماجة فأكثر ، وأبو حاتم ، وقدم بغداد سنة ٢٣١ . وترجم له الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ٩ : ١١٦ – ١١٨ ، ولم يذكروا تاريخ وفاته . فأخشى أن يكون « سهل بن أبى سهل الرازى » ، هو « سهل بن موسى الرازى » نفسه – لم يعرفوا اسم أبيه « موسى » ، وعرفه الطبرى ، لأنه من ناحية بلاده ، وأرجو أن يأتى بعد فى أسانيد أبى جعفر ما يكشف عن الحق فى ذلك .

وأما « ابن أبى فديك » ، هو : محمد بن إسماعيل بن مسلم بن أبى فديك الديل مولاهم . مترجم فى التهذيب ، وذكره ابن حبان فى الثقات . مات سنة ٢٠٠ .

(٢) الأثر : ٤٣٢٠ – هو الاسناد السالف رقم : ٤٢٩٥ .

عن يزيد ، [عن الحارث بن كعب] ، عن محمد بن كعب ، قال : إن ابن عباس كان يقول : اسق نباتك من حيث نباته.(١)

٤٣٢٢ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « فأتوا حرثكم أنىّ شئتم » ، يقول : من أين شئتم . ذكر لنا – والله أعلم – أن اليهود قالوا : إن العرب يأتون النساء من قِبَل إعجازهن ، فإذا فعلوا ذلك ، جاء الولد أحول ، فأكذب الله أحدوثتهم فقال : «نساؤكم حرثٌ لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم» .

٤٣٢٣ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال يقول : ائتوا النساء فى [غير] أدبارهن على كل نحو=(٢) قال ابن جريج : سمعت عطاء بن أبي رباح قال : تذاكرنا هذا عند ابن عباس ، فقال ابن عباس : ائتوهن من حيث شئتم ، مُقبلة ومدبرةً . فقال رجل : كأنّ هذا حلالٌ ! (٣) فأنكر عطاء أن يكون هذا هكذا ، وأنكره ، كأنه إنما يريد الفرج ، مقبلةً ومدبرة فى الفرج .

* * *

وقال آخرون معنى قوله : « أنى شئتم » ، متى شئتم .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) الأثر : ٤٣٢١ – قد سلف هذا الإسناد برقم : ٤٣١٤ ، ولكن وقع فى المخطوطة هنا زيادة عن الحارث بن كعب – فوضعناها بين قوسين . ولم أجد فى الرواة من يسمى «الحارث بن كعب » ، مع أنه تابعى قل أن يغفلوا مثله . فلذلك أخشى أن يكون خطأ أو سبق قلم من ناسخ ، ولعله كان « عن يزيد بن الهاد ، عن ابن كعب – وهو محمد بن كعب » فصحف الناسخ وحرف . وقد مضى الكلام فى هذا الإسناد ، فراجعه هناك . وقد رواه البيهقى فى السنن ١ : ١٩٦ من طريق « عبد العزيز بن محمد ، عن يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد ، عن محمد بن كعب ، عن ابن عباس » ، فهذا يؤيد ما رجحته من زيادة هذا الذى بين القوسين أو تصحيفه وتحريفه .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « ائتوا النساء فى أدبارهن » ، وهو لا يستقيم أبداً ، والزيادة بين القوسين لا بد منها للخروج من هذا الفساد . ومجاهد لا يقول بهذا ، بل الثابت فى الرواية عنه إنكاره وإكفار فاعله (ابن كثير ١ : ٥٢٢) .

(٣) فى المطبوعة : « كان هذا حلالا » ، وهو خطأ ، صوابه فى المخطوطة .

٤٣٢٤ ــ حدثت عن حسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « فأتوا حرثكم أنى شئتم » ، يقول : مَتى شئتم .

٤٣٢٥ ــ حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثنا أبو صخر ، عن أبى معاوية البجلى ــ وهو عمار الدُّهنى ــ ، عن سعيد بن جبير أنه قال : بينا أنا ومجاهد جالسان عند ابن عباس ، أتاه رجلٌ فوقف على رأسه فقال: ياأبا العباس ــ أو : يا أبا الفضل ــ ألا تشفينى عن آية المحيض ؟[1] فقال : بلى ! فقرأ : « ويسألونك عن المحيض » حتى بلغ آخر الآية ، فقال ابن عباس : من حيث جاء الدم ، من ثَمَّ أمرت أن تأتى . فقال له الرجل : يا أبا الفضل ، كيف بالآية التى تتبعها : « نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم »؟ فقال: إى ! ويحك ! وفى الدُّبُر من حَرْث ! ! لو كان ما تقول حقًّا ، لكان المحيض منسوخاً ! إذا اشتغل من ههنا ، جئتَ من ههنا ! ولكن : أنى شئتم من الليل والنهار» .[2]

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك: أين شئتم، وحيث شئتم .

* ذكر من قال ذلك .

٤٣٢٦ ــ حدثنى يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا ابن عون ، عن

---

(١) فى المطبوعة : « من آية المحيض » ، والصواب من المخطوطة ، ومما مضى رقم : ٤٢٨٠ .

(٢) الأثر : ٤٣٢٥ ــ سلف صدره فى رقم : ٤٢٨٠ ، كما أشرنا إليه هناك ، « أبو صخر » هو : حميد بن زياد الخراط المصرى ، مترجم فى التهذيب ، قال أحمد : « ليس به بأس » . مات سنة ١٨٩ . و « أبو معاوية البجلى » ، قد صرح الطبرى هنا أنه : عمار بن معاوية الدهنى . ذكره ابن حبان فى الثقات ، مات سنة ١٣٣ ، وكلاهما مترجم فى التهذيب .

هذا وفى المطبوعة والمخطوطة : « إى ويحك » ، (بكسر الهمزة وسكون الياء) بمعنى « نعم » ، حرف جواب ، يكون لتصديق المخبر ، ولإعلام المستخبر ، ولوعد الطالب ، فتقع بعد : « قام زيد ــ وهل قام زيد ــ واضرب زيداً » ونحوهن ، كما تقع « نعم » بعدهن . وزعم ابن الحاجب أنها إنما تقع بعد الاستفهام ، ولا تقع عند الجميع إلا قبل القسم (شرح شواهد المغنى لابن هشام) . وأنا أرجح أن تكون الكلمة محرفة ، وصوابه « أنى ويحك » (بفتح الهمزة وتشديد النون وفتحها) : أى : أين ذهبت ــ أو : كيف قلت ــ ويحك ؟

نافع قال ، كان ابن عمر إذا قرئ القرآن لم يتكلم . قال : فقرأت ذات يوم هذه الآية : « نساؤكم حرثٌ لكم ، فأتوا حرثكم أنى شئتم » ، فقال : أتدرى فيمن نزلت هذه الآية ؟ قلت : لا ! قال : نزلت فى إتيان النساء فى أدبارهن .(١)

٤٣٢٦ م – حدثنى يعقوب ، حدثنا ابن علية ، حدثنا ابن عون ، عن نافع ، قال : قرأتُ ذاتَ يوم : « نساؤكم حرْثٌ لكم فائتوا حرثكم أنى شئتم » ، فقالْ ابن عمر : أتدرى فيمَ نزلَتْ ؟ قلتُ : لا ! قال : نزلتْ فى إتيان النساء فى أدْبارهنّ) .(٢)

٤٣٢٧ – حدثنى إبراهيم بن عبد الله بن مسلم أبو مسلم قال ، حدثنا أبو عمر الضرير قال ، حدثنا إسمعيل بن إبراهيم صاحب الكرابيس ، عن ابن عون ، عن نافع قال : كنت أمسك على ابن عُمر المصحف ، إذ تلا هذه الآية : « نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم » ، فقال : أن يأتيها فى دبرها .(٣)

---

(١) الحديث : ٤٣٢٦ – يعقوب : هو ابن إبرهيم الدورقى الحافظ . ابن علية : هو إسمعيل بن إبرهيم بن مقسم الأسدى .

وهذا الإسناد صحيح جداً . وانظر التخريج فى : ٤٣٢٧ .

(٢) الحديث : ٤٣٢٦مكرر – هذا الحديث زدناه من ابن كثير ١ : ٥١٦–٥١٧ ، حيث نقله عن الطبرى بهذا النص ، إسناداً ومتناً . ويؤيد ثبوته فى هذا الموضع ، أن الحافظ ابن حجر ذكره فى الفتح ٨ : ١٤١ ، عن الطبرى ، حيث ذكر رواية من مسند إسحق بن راهويه وتفسيره ، ثم قال : « هكذا أورده ابن جرير ، من طريق إسمعيل بن علية ، عن ابن عون مثله ، ثم أشار إلى الحديث التالى لهذا : ٤٣٢٧ ، فقال : « ومن طريق إسمعيل بن إبرهيم الكرابيسى ، عن ابن عون ، نحوه » . وذكره الحافظ فى التلخيص أيضاً ، ص : ٣٠٧ ، قال : « وكذا رواه الطبرى ، من طريق ابن علية ، عن ابن عون » . فثبت وجود هذا الحديث فى تفسير الطبرى ، وتعين موضعه فى هذا الموضع واضحاً . والحمد لله .

(٣) الحديث : ٤٣٢٧ – أبو عمر الضرير : هو حفص بن عمر الأكبر ، مضى فى : ٣٥٦٢ ، ووقع هناك فى المطبوعة « أبو عمرو » ، وبينا أنه خطأ . وقد ثبت فيها هنا على الصواب

إسمعيل بن إبرهيم صاحب الكرابيس : ثقة . ترجمه البخارى فى الكبير ١/١/٣٤٢ ، فلم يذكر فيه جرحاً . وذكره ابن حبان فى الثقات . وهو « صاحب الكرابيس » يعنى الثياب . ولذلك يقال له « الكرابيسى » بالياء ، نسبة إلى بيعها . ووقع فى المطبوعة ، (صاحب الكرابيسى) بلفظ النسبة مع كلمة « صاحب » . وهو خطأ .

وهذه الأحاديث الثلاثة صحيحة ثابتة عن ابن عمر . وهى حديث واحد بأسانيد ثلاثة . وسيأتى أيضاً نحو معناها : ٤٣٣١ .

وقد روى البخارى ٨ : ١٤٠ – ١٤١ ، معناه عن نافع ، عن ابن عمر ، بثلاثة أسانيد . ولكنه

٤٣٢٨ – حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم قال، حدثنا عبد الملك ابن مسلمة قال، حدثنا الدراوردي قال، قيل لزيد بن أسلم: إن محمد بن المنكدر ينهى عن إتيان النساء في أدبارهن. فقال زيد: أشهد على محمد لأخبرني أنه يفعله.(١)

٤٣٢٩ – حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم قال، حدثنا أبو زيد عبد الرحمن بن أحمد بن أبي الغمر قال: حدثني عبد الرحمن بن القاسم، عن مالك ابن أنس أنه قيل له: يا أبا عبد الله، إن الناس يروون عن سالم: «كذب العبد، أو: العلجُ، على أبي»! فقال مالك: أشهد على يزيد بن رومان أنه أخبرني، عن سالم بن عبدالله، عن ابن عمر مثل ما قال نافع. فقيل له: فإنّ الحارث بن يعقوب يروي عن أبي الحباب سعيد بن يسار: أنه سأل ابن عمر فقال له: يا أبا عبد الرحمن، إنا نشتري الجواري فنُحمِّض لهن؟ فقال: وما التحميض؟ قال: الدُّبُر. ٢٣٤/٢
فقال ابن عمر: أفٍّ! أف! يفعل ذلك مؤمن! – أو قال: مسلم! – فقال مالك: أشهد على ربيعة لأخبرني عن أبي الحباب، عن ابن عمر، مثل ما قال نافع.(٢)

كنى عن ذلك الفعل ولم يصرح بلفظه. وأطال الحافظ في الإشارة إلى كثير من أسانيده.

وذكره السيوطي ١ : ٢٦٥، ونسبه لمن ذكرنا.

ونقل الحافظ في الفتح ٨ : ١٤١، عن ابن عبد البر، قال: «ورواية ابن عمر لهذا المعنى صحيحة مشهورة من رواية نافع عنه». ونحو هذا نقل السيوطي ١ : ٢٦٦ عن ابن عبد البر

(١) الخبر: ٤٣٢٨ – عبد الملك بن مسلمة المصري: روى عنه عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم في كتاب فتوح مصر – كثيراً. وهو ضعيف، ترجمه ابن أبي حاتم ٢/٢/٣٧١، وذكر أن أباه روى عنه، وأنه قال: «هو مضطرب الحديث، ليس بقوي»، وأنه حدثه بحديث موضوع، وأن أبا زرعة قال: «ليس بالقوي، هو منكر الحديث». وله ترجمة في الميزان ولسان الميزان.

(٢) الخبر: ٤٣٢٩ – أبو زيد عبد الرحمن بن أحمد بن أبي الغمر المصري الفقيه: مترجم في التهذيب، وابن أبي حاتم ٢/٢/٢٧٤ – ٢٧٥، باسم «عبد الرحمن بن أبي الغمر»، دون ذكر اسم أبيه «أحمد». وهو من شيوخ البخاري، روى عنه خارج الصحيح.

عبد الرحمن بن القاسم بن خالد، الفقيه المصري، راوي الفقه عن مالك، ثقة مأمون، من أوثق أصحاب مالك.

وهذا الخبر نقله ابن كثير ١ : ٥٢١ – ٥٢٢، عن هذا الموضع. ولكن وقع فيه خطأ في اسم ابن أبي الغمر، هكذا: «أبو زيد أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن أبي العمر».

ونقله الحافظ في الفتح ٨ : ١٤٢، والتلخيص، ص: ٣٠٨، مختصراً، ونسبه أيضاً للنسائي والطحاوي، وقال في الفتح: «وأخرجه الدارقطني، من طريق عبد الرحمن بن القاسم، عن مالك. وقال:

٤٣٣٠ – حدثني محمد بن إسحق قال ، أخبرنا عمرو بن طارق قال ، أخبرنا يحيى بن أيوب ، عن موسى بن أيوب الغافقي قال : قلت لأبي ماجد الزيادي : إنّ نافعاً يحدث عن ابن عمر في دُبر المرأة . فقال : كذب نافع ! صحبت ابن عمر ونافعٌ مملوكٌ ، فسمعته يقول : ما نظرت إلى فرج امرأتي منذ كذا وكذا .(١)

٤٣٣١ – حدثني أبو قلابة قال ، حدثنا عبد الصمد قال ، حدثني أبي ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر : «فأتوا حرثكم أنى شئتم» ، قال : في الدبر .(٢)

هذا محفوظ عن مالك صحيح » .

ونقله السيوطي ١ : ٢٦٦ ، مطولا ، ونقل كلام الدارقطني .

(١) الخبر : ٤٣٣٠ – عمرو بن طارق : هو عمرو بن الربيع بن طارق الهلالي المصري ، وهو ثقة . نسب هنا إلى جده . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٣/١/٢٣٣ . يحيى بن أيوب : هو الغافقي المصري . مضى في : ٣٨٧٧ .

موسى بن أيوب بن عامر الغافقي الهباري المصري : ثقة ، روى عنه الليث بن سعد ، وابن المبارك ، ووثقه ابن معين .

أبو ماجد الزيادي : تابعي ، ترجمه البخاري في الكنى ، رقم : ٦٨٨ ، وابن أبي حاتم ٤/٢/٤٥٥ ورويا عنه هذا الخبر ، بلفظين مختلفين ، مخالفين لما هنا .

فقال البخاري : « أبو ماجد الزيادي ، سمع ابن عمر ، قال : ما نظرت إلى فرج امرأة منذ أسلمت . قاله يحيى بن سليمان ، عن ابن وهب ، سمع موسى بن أيوب ، عن أبي ماجد » .

وقال ابن أبي حاتم : « أبو ماجد الزيادي ، سمع عبد الله بن عمرو ، قال : ما نظرت إلى فرجي منذ أسلمت . روى عنه موسى بن أيوب الغافقي . سمعت أبي يقول ذلك » .

والظاهر أن « عبد الله بن عمرو » ، عند ابن أبي حاتم – تحريف ناسخ أو طابع . ولكن لا يزال الاختلاف قائماً في المعنى بين هاتين الروايتين ، وبينهما وبين رواية الطبري هذه . ولم أجد ما يرجح إحداها على غيرها .

(٢) الخبر : ٤٣٣١ – أبو قلابة ، شيخ الطبري : هو الرقاشي الضرير الحافظ ، واسمه : عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن محمد ، وهو ثقة ، روى عنه الأئمة ، منهم ابن خزيمة ، وابن جرير ، وأبو العباس الأصم . وقال أبو داود سليمان بن الأشعث : « رجل صدوق ، أمين مأمون ، كتبت عنه بالبصرة » . وقال الطبري : « ما رأيت أحفظ منه » . مترجم في التهذيب . ابن أبي حاتم ٢/٢/٣٦٩ – ٣٧٠ ، وتاريخ بغداد ١٠ : ٤٢٥ – ٤٢٧ ، وتذكرة الحفاظ ٢ : ١٤٣–١٤٤ . عبد الصمد : هو ابن عبد الوارث .

وهذا الخبر رواه البخاري ٨ : ١٤٠ – ١٤١ ، عن إسحق ، هو ابن راهويه ، عن عبد الصمد . ولكنه حذف المكان بعد حرف « في » ، فلم يذكر لفظه . وذكر الحافظ في الفتح أنه صريح في رواية الطبري هذه .

ونقله ابن كثير ١ : ٥١٧ ، عن الطبري بإسناده . ونقله السيوطي ١ : ٢٦٥ ، ونسبه للبخاري وابن جرير .

٤٣٣٢ – حدثني أبو مسلم قال، حدثنا أبو عمر الضرير قال ، حدثنا يزيد ابن زريع قال ، حدثنا روح بن القاسم، عن قتادة قال : سئل أبو الدرداء عن إتيان النساء فى أدبارهن، فقال: هل يفعل ذلك إلا كافر ! قال روح : فشهدت ابن أبي مليكة يُسأل عن ذلك فقال : قد أردته من جارية لى البارحةَ فاعتاص علىّ ، فاستعنت بدهن أو بشحم . قال : فقلت له ، سبحان الله! !أخبرنا قتادة أنّ أبا الدرداء قال : هل يفعل ذلك إلا كافر !فقال : لعنك الله ولعن قتادة! فقلت : لا أحدث عنك شيئاً أبداً ! ثم ندمت بعد ذلك .[1]

* * *

قال أبوجعفر[2] : واعتل قائلو هذه المقالة لقولهم، بما : –

٤٣٣٣ – حدثني به محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال، أخبرنا أبو بكر ابن أبي أويس الأعشى ، عن سليمان بن بلال ، عن زيد بن أسلم ، عن ابن عمر : أن رجلا أتى امرأته فى دبرها فوجد فى نفسه من ذلك، فأنزل الله: « نساؤكم حرث فأتوا حرثكم أنى شئتم» .[3]

---

(١) الخبر : ٤٣٣٢ – هو فى الحقيقة خبران ، أولهما عن أبي الدرداء ، وثانيهما أثر عن ابن أبي مليكة لا يصلح للاستدلال . فكلامنا عن خبر أبي الدرداء .

وقد رواه الطبرى هنا بإسناده إلى قتادة ، « قال : سئل أبو الدرداء . . . » ، وهو منقطع . فقد رواه أحمد فى المسند : ٦٩٦٨ م بإسناده إلى قتادة ، قال : « وحدثني عقبة بن وساج ، عن أبي الدرداء ، قال : وهل يفعل ذلك إلا كافر » ؟ ! . وكذلك رواه البيهقى فى السنن الكبرى ٧ : ١٩٩ . وقد خرجناه فى شرح المسند .

(٢) من هنا ابتداء جزء من التقسيم القديم للتفسير فيما يظهر ، فإنه قد كتب بعد ما سلف .

« يتلُوه : واعتل قائلو هذه المقالة

وصلى الله على محمد النبي وآله وصحبه كثيراً »

ثم بدأ صفحة جديدة أولها :

« بسم الله الرحمن الرحيم»

ربّ أعن يا كريم

(٣) الحديث : ٤٣٣٣ – أبو بكر بن أبي أويس : هو عبد الحميد بن عبد الله بن عبد الله بن أويس المدنى الأعشى ، وهو ثقة .

سليمان بن بلال أبو أيوب المدنى : ثقة معروف ، أخرج له الأئمة الستة .

٤٣٣٤ – حدثني يونس قال، أخبرني ابن نافع ، عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار : أن رجلا أصاب امرأته في دبرها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنكر الناس ذلك وقالوا : أثْفَرها! فأنزل الله تعالى ذكره: « نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنّى شئتم » الآية .(١)

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : ائتوا حرثكم كيف شئتم – إن شئتم فاعزلوا ، وإن شئتم فلا تعزلوا .

* ذكر من قال ذلك :

٤٣٣٥ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا الحسن ابن صالح، عن ليث، عن عيسى بن سنان، عن سعيد بن المسيب : « فأتوا حرثكم أنى شئتم » ، إن شئتم فاعزلوا ، وإن شئتم فلا تعزلوا .

٤٣٣٦ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع ، عن يونس ، عن أبي إسحق ، عن زائدة بن عمير ، عن ابن عباس قال : إن شئت فاعزل ، وإن شئت فلا تعزل .(٢)

* * *

قال أبو جعفر : وأما الذين قالوا: معنى قوله: « أنى شئتم»، كيف شئتم مقبلة ومدبرة في الفرْج والقُبُل، فإنهم قالوا : إن الآية إنما نزلت في استنكار قوم من اليهود ، استنكروا إتيان النساء في أقبالهن من قِبل أدبارهن. قالوا: وفي ذلك دليل على صحة ما قلنا،

وهذا الحديث نقله ابن كثير ١ : ٥١٧ ، من رواية النسائي ، عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، كمثل رواية الطبري وإسناده سواء . ونقله الحافظ في التلخيص : ٣٠٧ – ٣٠٨ ، والسيوطي ١ : ٢٦٥ – ٢٦٦ ، ونسباه للنسائي والطبري فقط .

(١) الحديث : ٤٣٣٤ – هذا حديث مرسل ، لأن عطاء بن يسار تابعي . وقوله « أثفرها » : من « الثفر» ، بفتح الثاء المثلثة والفاء ، وهو ما يوضع للدابة تحت ذنبها يشد به السرج . شبه ذلك الفعل بوضع الثفر على دبر الدابة .

(٢) الخبر : ٤٣٣٦ – أبو إسحق : هو السبيعي . زائدة بن عمير الطائي الكوفي : تابعي ثقة وثقه ابن معين وغيره . قال البخاري في الكبير ٢/١/٣٩٤ : «سمع ابن عباس» . وترجمه ابن أبي حاتم ١/٢/٦١٢ ، وذكره ابن سعد في الطبقات ٦ : ٢١٨ .

من أن معنى ذلك على ما قلنا . واعتلوا لقيلهم ذلك بما :—

٤٣٣٧ — حدثني به أبو كريب قال، حدثنا المحاربي قال ، حدثنا محمد ابن إسحق ، عن أبان بن صالح ، عن مجاهد قال : عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرَضات من فاتحته إلى خاتمته ، أوقفه عند كل آية وأسأله عنها ، حتى انتهى إلى هذه الآية : « نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم » ، فقال ابن عباس : إن هذا الحي من قريش كانوا يشرحون النساء بمكة ،[1] ويتلذذون بهن مقبلاتٍ ومدبراتٍ. فلما قدموا المدينة تزوّجوا في الأنصار ، فذهبوا ليفعلوا بهن كما كانوا يفعلون بالنساء بمكة، فأنكرن ذلك وقلن : هذا شيء لم نكن نُؤْتَى عليه ! فانتشر الحديث حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى ذكره في ذلك : «نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم» ، إن شئت فمقبلة ، وإن شئت فمدبرة ، وإن شئت فباركة ، وإنما يعني بذلك موضع الولد للحرث . يقول : ائت الحرث من حيث شئت.

٤٣٣٨ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحق بإسناده نحوه .[2]

٤٣٣٩ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا ابن مهدى قال ، حدثنا سفيان، عن محمد بن المنكدر قال : سمعت جابراً يقول : إنّ اليهود كانوا يقولون : إذا جامع الرجل أهله في فرجها من ورائها كان ولده أحول . فأنزل الله تعالى ذكره : « نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم » . ٢٣٥/٢

---

(١) شرح الرجل امرأته شرحاً : إذا سلقها فوطئها نائمة على قفاها .

(٢) الحديثان : ٤٣٣٧ — ٤٣٣٨ — هما حديث واحد ، بإسنادين . وأبان بن صالح بن عمير بن عبيد : ثقة ، وثقه ابن معين ، وأبو زرعة ، وأبو حاتم ، وغيرهم .

والحديث رواه أبو داود : ٢١٦٤ ، والحاكم في المستدرك ٢ : ١٩٥ ، ٢٧٩ ، والبيهقي ٧ : ١٩٥ — ١٩٦ ، مطولا ومختصراً ، من طريق محمد بن إسحق . وقال الحاكم في الموضع الأول : « هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم . ولم يخرجاه بهذه السياقة » . ووافقه الذهبي .

ونقله ابن كثير ١ : ٥١٦ ، عن رواية أبي داود . وكذلك الحافظ في التلخيص ، ص : ٣٠٨ .
ونقله السيوطي ١ : ٢٦٣ ، وزاد نسبته لابن راهويه ، والدارمي ، وابن المنذر ، والطبراني .

٤٣٤٠ – حدثنا مجاهد بن موسى قال، حدثنا يزيد بن هرون قال ، أخبرنا الثورى ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله قال : قالت اليهود : إذا أتى الرجل امرأته فى قُبُلها من دُبُرها ، وكان بينهما ولد، كان أحول . فأنزل الله تعالى ذكره : « نساؤكم حرث فأتوا حرثكم أنى شئتم » . (١)

٤٣٤١ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عبد الرحيم بن سليمان ، عن عبد الله ابن عثمان بن خثيم ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن حفصة بنت عبد الرحمن ابن أبى بكر ، عن أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت : تزوج رجل امرأةً فأراد أن يجبِّيَها فأبت عليه، (٢) وقالت : حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم! قالت أم سلمة : فذكرتْ ذلك لى، فذكرت أم سلمة ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال : أرسلى إليها . فلما جاءت قرأ عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نساؤكم حرْث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم » ، صِماماً واحداً ، صِماماً واحداً . (٣)

٤٣٤٢ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا معاوية بن هشام، عن سفيان، عن

---

(١) الحديثان : ٤٣٣٩ – ٤٣٤٠ – هما حديث واحد ، بإسنادين ، ولفظين متقاربين . وهو حديث صحيح مشهور . رواه البخارى ٨ : ١٤١ – ١٤٣ ، من طريق سفيان ، وهو الثورى ، عن ابن المنكدر ، عن جابر .

ونقله ابن كثير ١ : ٥١٤ ، من رواية البخارى ، ثم من رواية ابن ابى حاتم . وذكره السيوطى ١ : ٢٦١ وزاد نسبته إلى أصحاب السنن الأربعة ، والبيهقى ، وغيرهم .

وهو فى سنن البيهقى ١٩٤٧ –: ١٩٥ ، من ثلاثة طرق، عن ابن المنكدر، عن جابر . وذكره أنه رواه مسلم فى صحيحه من تلك الطرق الثلاث .

وسيأتى بنحوه : ٤٣٤٦ ، من رواية شعبة ، عن ابن المنكدر ، عن جابر .

وانظر المنتقى : ٣٦٥٢ ، ٣٦٥٣ .

(٢) جبى الرجل أو المرأة يجبى تجبية : أن ينكب على وجهه باركاً ، وهو السجود . شبه هذا بهيئة السجود .

(٣) الحديث : ٤٣٤١ – عبد الله بن عثمان بن خثيم القارى المكى : تابعى ، ثقة حجة ، كما قال ابن معين . و « خثيم » : بضم الخاء المعجمة وفتح الثاء المثلثة ، مصغراً . ووقع فى المطبوعة، هنا ، وفى : ٤٣٤٤ « جشم » ، وهو تصحيف . عبد الرحمن بن سابط : تابعى معروف ، مضت ترجمته : ٥٩٩ .

عبد الله بن عثمان ، عن ابن سابط ، عن حفصة ابنة عبد الرحمن بن أبي بكر ، عن أم سلمة قالت : قدِم المهاجرون فتزوجوا في الأنصار ، وكانوا يُجَبُّون ، وكانت الأنصار لا تفعل ذلك ، فقالت امرأة لزوجها : حتى آتي النبي صلى الله عليه وسلم فأسأله عن ذلك ! فأتت النبيَّ صلى الله عليه وسلم فاستحيت أن تسأله ، فسألتُ أنا ، فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليها : « نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم » ، صماماً واحداً ، صماماً واحداً .(١)

٤٣٤٣ — حدثني أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن عبد الله بن عثمان ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن حفصة بنت عبد الرحمن ، عن أم سلمة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه .(٢)

٤٣٤٤ — حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ، حدثنا ابن مهدى قال ، حدثنا سفيان الثورى ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن حفصة ابنة عبد الرحمن ، عن أم سلمة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قوله :

حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق : تابعية ثقة .

والحديث رواه أحمد في المسند ٦ : ٣٠٥ (حلبي) ، عن عفان ، عن وهيب ، عن عبد الله بن عثمان ابن خثيم ، بهذا الإسناد ، نحوه ، مطولا . ونقله ابن كثير ١ : ٥١٥ عن رواية المسند . وواقع في مطبوعته تحريف وتصحيف .

ورواه البيهقي ٧ : ١٩٥ ، بنحوه مختصراً ، من طريق سفيان ، ومن طريق روح بن القاسم — كلاهما عن عبد الله بن عثمان بن خثيم .

وذكره السيوطي ١ : ٢٦٢ ، مطولا . وزاد نسبته لابن أبي شيبة ، والدارمي ، وعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم .

وسيأتي عقب هذا ، مطولا ومختصراً : ٤٣٤٢ — ٤٣٤٥ .

الصمام ما أدخل في فم القارورة تسد به . فسمى الفرج به ، لأنه موضع صمام ، على التشبيه وحذف المضاف . ومعناه : في مسلك واحد .

(١) الحديث : ٤٣٤٢ — سفيان : هو الثوري ، روى الحديث عن عبد الله بن عثمان . ولكن وقع في المطبوعة « سفيان بن عبد الله بن عثمان » ! وهو خطأ سخيف . ووقع في المخطوطة « عن ابن سليط » بدل « ابن سابط » . وهو خطأ . والحديث مكرر ما قبله بنحوه .

(٢) الحديث : ٤٣٤٣ — أبو أحمد : هو الزبيري ، محمد بن عبد الله بن الزبير الأسدي . والحديث مكرر ما قبله .

« نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم » ، قال : صماماً واحداً ، صماماً واحداً . (١)

٤٣٤٥ – حدثني محمد بن معمر البحراني قال ، حدثنا يعقوب بن إسحق الحضرمي قال ، حدثني وهيب قال ، حدثني عبد الله بن عثمان ، عن عبد الرحمن ابن سابط قال : قلت لحفصة ، إني أريد أن أسألك عن شيء ، وأنا أستحيي منك أن أسألك ؟ قالت : سل يا بنيّ عما بدا لك ! قال : قلت : أسألك عن غِشيان النساء في أدبارهن ؟ قالت حدثتني أم سلمة قالت : كانت الأنصار لا تُجَبّي ، وكان المهاجرون يُجَبُّون ، فتزوج رجل من المهاجرين امرأة من الأنصار = ثم ذكر نحو حديث أبي كريب ، عن معاوية بن هشام . (٢)

٤٣٤٦ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثني وهب بن جرير قال ، حدثنا شعبة ، عن ابن المنكدر قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : إن اليهود كانوا يقولون : إذا أتى الرجل امرأته باركة جاء الولد أحول . فنزلت : « نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم » . (٣)

٤٣٤٧ – حدثني محمد بن أحمد بن عبد الله الطوسي قال ، حدثنا الحسن ابن موسى قال ، حدثنا يعقوب القمي ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : جاء عمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، هلكتُ ! ! قال : وما الذي أهلكك ؟ قال : حوّلتُ رحلي الليلة ! قال : فلم يردّ

---

(١) الحديث : ٤٣٤٤ – هو مكرر ما قبله مختصراً . وهكذا رواه الترمذي ٤ : ٧٥ ، مختصراً ، عن ابن أبي عمر ، عن سفيان ، وهو الثوري ، به .

(٢) الحديث : ٤٣٤٥ – يعقوب بن إسحق بن زيد الحضرمي ، المقرىء النحوي النحوي : ثقة ، أخرج له مسلم في صحيحه .

وهيب – بالتصغير – : هو ابن خالد بن عجلان ، وهو ثقة ثبت حجة .

والحديث مكرر : ٤٣٤٢ ، بنحوه ، حيث أحال الطبري لفظ هذا على لفظ ذلك .

(٣) الحديث : ٤٣٤٦ – هو مكرر : ٤٣٣٩ ، ٤٣٤٠ . ووقع في المخطوطة « باركاً » ، بدل « باركة » . وهو خطأ .

عليه شيئاً ، قال : فأوحى الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : « نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم » ، أقبِل وأدبِر ، واتق الدُّبر والحيْضة.(١)

٤٣٤٨ – حدثنا زكريا بن يحيى المصرى قال ، حدثنا أبو صالح الحرانى قال ، حدثنا ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب : أن عامر بن يحيى أخبره ، عن حنش الصنعانى ، عن ابن عباس : أن ناساً من حميرَ أتوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عن أشياء ، فقال رجل منهم : يا رسول الله ، إنّى رجل أحب النساء ، فكيف ترى فى ذلك ؟ فأنزل الله تعالى ذكره فى «سورة البقرة» بيان ما سألوا عنه ، وأنزل فيما سأل عنه الرجل « نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنّى شئتم » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ائتها مُقبلةً ومُدبرةً ، إذا كان ذلك فى الفرج .(٢) ٢٣٦/٢

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا قولُ من قال : معنى قوله : « أنى شئتم » ، من أىّ وجه شئتم . وذلك أن « أنّى » فى كلام العرب كلمة تدلّ إذا ابتدئ بها فى الكلام – على المسألة عن الوجوه والمذاهب . فكأن القائل

---

(١) الحديث : ٤٣٤٧ – محمد بن أحمد بن عبد الله الطوسى ، شيخ الطبرى : لم أعرفه ، ولا وجدت له ترجمة .
الحسن بن موسى الأشيب : ثقة حافظ متثبت ، من شيوخ أحمد ، يكثر الرواية عنه فى المسند .
يعقوب القمى : مضت ترجمته فى : ٦١٧ . جعفر : هو ابن أبى المغيرة . مضى أيضاً فى : ٦١٧ .
والحديث رواه أحمد فى المسند : ٢٧٠٣ ، عن شيخه حسن بن موسى الأشيب ، بهذا الإسناد وقد خرجناه هناك . ونزيد أنه رواه أيضاً ابن حبان فى صحيحه ٦ : ٣٦٤ – ٣٦٥ (مخطوطة الإحسان) والبيهقى ٧ : ١٩٨ .

(٢) الحديث : ٤٣٤٨ – زكريا بن يحيى بن صالح القضاعى المصرى : ثقة من شيوخ مسلم فى صحيحه .
أبو صالح الحرانى : هو عبد الغفار بن داود بن مهران ، وهو ثقة من شيوخ البخارى فى صحيحه .
يزيد بن أبى حبيب المصرى : ثقة أخرج له الجماعة ، قال الليث بن سعد : « يزيد بن أبى حبيب سيدنا وعالمنا » . وقال ابن سعد : « كان مفتى أهل مصر فى زمانه ، وكان حليما عاقلا » . حنش الصنعانى : مضى فى : ١٩١٤ .
والحديث ذكره ابن كثير ١ : ٥١٤ – ٥١٥ ، من رواية ابن أبى حاتم فى تفسيره ، عن يونس ، عن ابن وهب ، عن ابن لهيعة . بهذا الإسناد . وذكره السيوطى ١ : ٢٦٢ – ٢٦٣ ، وزاد نسبته للطبرانى ، والخرائطى . وروى أحمد فى المسند : ٢٤١٤ – ، نحوه ، ولكن فيه أن السائلين كانوا من الأنصار . وإسناده ضعيف ، من أجل رشدين بن سعد فى إسناده .

إذا قال لرجل : « أنى لك هذا المال » ؟ يريد: من أىّ الوجوه لك. ولذلك يجيب المجيبُ فيه بأن يقول: « من كذا وكذا » ، كما قال تعالى ذكره مخبراً عن زكريا فى مسألته مريم : ﴿ أَنَّى لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ ﴾ [سورة آل عمران : ٣٧] . وهى مقاربة « أين » و « كيف » فى المعنى ، ولذلك تداخلت معانيها ، فأشكلت « أنّى » على سامعيها ومتأوّليها ،[1] حتى تأوّلها بعضهم بمعنى : « أين » ، وبعضهم بمعنى « كيف » ، وآخرون بمعنى : « متى » — وهى مخالفة جميع ذلك فى معناها ، وهن لها مخالفات .

وذلك أن « أين » إنما هى حرف استفهام عن الأماكن والمحال — وإنما يستدل على افتراق معانى هذه الحروف بافتراق الأجوبة عنها . ألا ترى أن سائلا لو سأل آخر فقال: « أين مالك » ؟ لقال : « بمكان كذا » ، ولو قال له : « أين أخوك »؟ لكان الجواب أن يقول : « ببلدة كذا أو بموضع كذا » ، فيجيبه بالخبر عن محل ما سأله عن محله . فيعلم أن « أين » مسألة عن المحل .

ولو قال قائل لآخر : « كيف أنت » ؟ لقال : « صالح ، أو بخير ، أو فى عافية » ، وأخبره عن حاله التى هو فيها ، فيعلم حينئذ أن « كيف » مسألةٌ عن حال المسؤول عن حاله .

ولو قال له : « أنّى يحيى الله هذا الميت؟» ، لكان الجواب أن يقال : « من وجه كذا ووجه كذا » ، فيصف قولاً ، نظيرَ ما وصف الله تعالى ذكره للذى قال : ﴿ أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [سورة البقرة : ٢٥٩] فعلاً ،[2] حين بعثه من بعد مماته .

---

(١) فى المخطوطة : « على سامعيها ومتأولها » بالجمع مرة والإفراد أخرى . وفى المطبوعة : « على سامعها ومتأولها » بالإفراد .

(٢) قوله « فعلا » ، مفعول قوله : « نظير ما وصف الله . . . فعلا » ، يعنى أن الله تعالى وصف بعد ذلك « فعلا » ، وهذا الفعل هو بعثه من بعد مماته ، وذلك قول الله تعالى فى عقب ذلك :

﴿ فَأَمَاتَهُ اللهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ﴾

وقد فرّقت الشعراء بين ذلك فى أشعارها، فقال الكميت بن زيد :

تَذَكَّرَ مِنْ أَنَّى وَمِنْ أَيْنَ شُرْبُهُ ؟ يُؤَامِرُ نَفْسَيْهِ كَذِى الهَجْمَةِ الأَبِلْ(١)

وقال أيضاً :

أَنَّى وَمِنْ أَيْنَ – آبَكَ – الطَّرَبُ ؟ مِنْ حَيْثُ لاَ صَبْوَةٌ وَلاَ رِيَبُ(٢)

فيجاء « بأنى » للمسألة عن الوجه ، و بـ « أين » » للمسألة عن المكان ، فكأنه قال : من أىّ وجه ، ومن أى موضع راجعك الطرب ؟

والذى يدل على فساد قول من تأوّل قول الله تعالى ذكره : « فأتوا حرثكم أنى شئتم » ، كيف شئتم – أو تأوله بمعنى : حيث شئتم = أو بمعنى : متى شئتم = أو بمعنى : أين شئتم= أن قائلاً لو قال لآخر : «أنى تأتى أهلك؟»، لكان الجواب

---

(١) اللسان (أبل) . آمره يؤامره : شاوره . وقوله: « نفسيه » جعل النفس نفسين ، لأن النفس تأمر المرء بالشىء وتنهى عنه، وذلك فى كل مكروه أو مخوف ،فجعلوا ما يأمره« نفساً » ، وما ينهاه « نفساً » ، وقد بينها الممزق العبدى فى قوله :

أَلاَ مَنْ لِعَيْنٍ قَدْ نَآهَا حَمِيمُهَا وَأَرَّقَنِي بَعْدَ المَنَامِ هُمُومُهَا
فَبَاتَتْ لَه نَفْسَانِ شَتَّى هُمُومُهَا فَنَفْسٌ تُعَزِّيهَا ونَفْسٌ تَلُومُهَا

و « الهجمة » : القطعة الضخمة من الإبل من السبعين إلى المئة . ويقال : « رجل أبل » إذا كان حاذقاً بمصلحة الإبل والقيام عليها . ولم أجد شعر الكميت ، ولكنى أرجح أن هذا البيت من أبيات فى حمار وحش ، قد أخذ أتنه (وهى إناثه) ، ليرد بها ماء ، فوقف بها فى موضع عين قديمة كان شرب منها ، فهو متردد فى موقفه ، فشبهه براعى الإبل الكثيرة ، إذا كان خبيراً برعيتها ، فوقف بها ينظر أين يسلك إلى الماء والمرعى .

(٢) الهاشميات : ٣١ . قوله : « آبك » ، معترضة بين كلامين ، كما تقول : « ويحك » بين كلامين ، وسياقه « أنى ومن أين الطرب » ؟ و « آبك » بمعنى « ويلك »، يقال لمن تنصحه ولا يقبل ، ثم يقع فيما حذرته منه ، كأنه بمعنى : أبعدك الله ! دعاء عليه ؟ من ذلك قول رجل من بنى عقيل :

أَخَبَّرْتَنِي يَا قَلْبُ أَنَّكَ ذُو غَرًى بِلَيْلَى؟ فَذُقْ مَا كُنْتَ قبلُ تَقُولُ!
فَآبَكَ ! هلاَّ وَاللَّيَالِي بِغِرَّةٍ تُلِمُّ ، وَفِي الأَيَّامِ عَنْكَ غُفُولُ!!

بيد أن أبا جعفر فسر « آبك » بمعنى : « راجعك الطرب » ، من الأوبة ، وهو وجه فى التأويل ، ولكن الأجود ما فسرت ، والشعر بعده دال على صواب ما ذهبت إليه .

أن يقول : « من قُبُلها ، أو : من دُبُرها » ، كما أخبر الله تعالى ذكره عن مريم = إذْ سئلت : ﴿ أَنَّى لَكِ هَٰذَا ﴾ = أنها قالت : ﴿ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ .

وإذ كان ذلك هو الجواب ، فمعلومٌ أن معنى قول الله تعالى ذكره : «فأتوا حرثكم أنى شئتم » ، إنما هو : فأتوا حرثكم من حيثُ شئتم من وجوه المأتى — وأنّ ما عدا ذلك من التأويلات فليس للآية بتأويل .

وإذ كان ذلك هو الصحيح ، فبيِّنٌ خطأ قول من زعم أن قوله : «فأتوا حرثكم أنى شئتم » ، دليلٌ على إباحة إتيان النساء فى الأدبار . لأن الدُّبر لا مُحْتَرَثَ فيه ،[1] وإنما قال تعالى ذكره : « حرث لكم » ، فأتوا الحرث من أىّ وجوهه شئتم . وأىُّ مُحتَرَث فى الدُّبر فيقال : ائته من وجهه؟ وبيِّنٌ بما بينا ،[2] صحةُ معنى ما روى عن جابر وابن عباس : من أن هذه الآية نزلت فيما كانت اليهود تقوله للمسلمين : « إذا أتَى الرجلُ المرأةَ من دُبرها فى قُبُلها ، جاء الولد أحول».[3]

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك :

فقال بعضهم : معنى ذلك : قدموا لأنفسكم الخيرَ .

• ذكر من قال ذلك :

---

(١) فى المطبوعة : « لا يحترث فيه » ، وكلاهما قريب ، والذى فى المخطوطة جيد .

(٢) فى المطبوعة : « وتبين بما بينا » ، والصواب من المخطوطة ، وهو عطف على قوله آنفاً : « فبين خطأ قول من زعم »

(٣) حجة أبى جعفر فى هذا الفصل ، من أحسن البيان عن معانى القرآن ، وعن معانى ألفاظه وحروفه . وهى دليل على أن معرفة العربية ، وحذقها ، والتوغل فى شعرها وبيانها وأساليبها ، أصل من الأصول ، لا يحل لمن يتكلم فى القرآن أن يتكلم فيه حتى يحسنه ويحذقه . ورحم الله ابن إدريس الشافعى ، حيث قال — فيما رواه الخطيب البغدادى عنه فى كتاب « الفقيه والمتفقه » .

٤٣٤٩ ــ حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدى: أما قوله : « وقدموا لأنفسكم » ، فالخيرَ .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وقدموا لأنفسكم ذكرَ الله عند الجماع وإتيان الحرث قبل إتيانه .

* ذكر من قال ذلك :

٢٣٧/٢

٤٣٥٠ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني محمد بن كثير، عن عبد الله بن واقد، عن عطاء ــ قال : أراه عن ابن عباس ــ : « وقدموا لأنفسكم »، قال : يقول : « بسم الله » ، التسمية عند الجماع .(١)

* * *

قال أبو جعفر : والذى هو أولى بتأويل الآية ما روينا عن السدى ، وهو أن قوله : « وقدموا لأنفسكم »، أمرٌ من الله تعالى ذكره عبادَه بتقديم الخير والصالح من الأعمال ليوم معادهم إلى ربهم ، عُدّةً منهم ذلك لأنفسهم عند لقائه فى موقف الحساب، فإنه قال تعالى ذكره : ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ﴾ [سورة البقرة ١١١ / وسورة المزمل : ٢٠] .

« لا يحلُّ لأحدٍ أنْ يُفْتِيَ فى دِينِ اللهِ ، إلاّ رجلاً عارفاً بكتاب الله : بناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ، وتأويله وتنزيله ، ومكيِّه ومدنيِّه ، وما أريدَ به = ويكون بعد ذلك بصيراً بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و بالناسخ والمنسوخ، و يعرف من الحديث مثل ما عرف من القرآن = ويكون بصيراً باللغة ، بصيراً بالشعر، وما يحتاج إليه للسنة والقرآن ، و يستعمل هذا مع الإنصاف = ويكون بعد هذا مشرفاً على اختلاف أهل الأمصار = وتكون له قريحةٌ بعد هذا . فإذا كانَ هكذا ، فله أنْ يتكلّم و يفتِي فى الحلال والحرام ، و إذا لم يكنْ هكذا ، فليس له أن يفتى » .

فليت من يتكلم فى القرآن والدين من أهل زماننا ، يتورع من مخافة ربه ، ومن هول عذابه يوم يقوم الناس لرب العالمين .

(١) فى المطبوعة : « قال : التسمية عند الجماع ، يقول : بسم الله » على التقديم والتأخير .

وإنما قلنا : ذلك أولى بتأويل الآية ، لأن الله تعالى ذكره عقّب قوله : « وقدموا لأنفسكم » بالأمر باتقائه فى ركوب معاصيه . فكان الذى هو أولى بأن يكون قبل التهدُّد على المعصية — إذ كان التهدُّد على المعصية عامًّا — الأمرُ بالطاعة عامًّا . (١)

* * *

فإن قال لنا قائل : وما وجه الأمر بالطاعة بقوله : « وقدِّموا لأنفسكم » ، من قوله : « نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم » ؟

قيل : إن ذلك لم يقصد به ما توهمتَه : وإنما عنى به : وقدموا لأنفسكم من الخيرات التى ندبناكم إليها بقولنا : « يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خيرٍ فللوالدين والأقربين » ، وما بعده من سائر ما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجيبوا عنه ، مما ذكره الله تعالى ذكره فى هذه الآيات . ثم قال تعالى ذكره : قد بيّنا لكم ما فيه رَشَدكم وهدايتكم إلى ما يُرضى ربكم عنكم ، فقدِّموا لأنفسكم الخيرَ الذى أمركم به ، واتخذوا عنده به عهداً ، لتجدوه لديه إذا لقيتموه فى معادكم = واتقوه فى معاصيه أن تقربوها ، وفى حدوده أن تُضيِّعوها ، واعلموا أنكم لا محالة ملاقوه فى معادكم ، فمُجازٍ المحسنَ منكم بإحسانه ، والمسىء بإساءته . (٢)

* * *

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « الذى هو أولى بأن يكون الذى قبل التهدد عاماً » ، وفى المطبوعة : « التهديد » ، وهى جملة غير مستقيمة ، فحذفت « الذى » ، وزدت : « إذ كان التهدد على المعصية » ، ليستقيم معنى الكلام وسياقه .

(٢) فى المطبوعة : « فمجازى » بالياء فى آخره . والصواب ما أثبت .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٢٣)

قال أبو جعفر : وهذا تحذيرٌ من الله تعالى ذكره عبادَه أن يأتوا شيئاً مما نهاهم عنه من معاصيه = وتخويفٌ لهم عقابَه عند لقائه ، كما قد بيَّنا قبل= وأمرٌ لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن يبشر من عباده، بالفوز يوم القيامة وبكرامة الآخرة وبالخلود فى الجنة ، من كان منهم محسناً مؤمناً بكتبه ورسله، وبلقائه ، مصدِّقاً إيمانَه قولاً ، بعمله ما أمره به ربُّه ، وافترض عليه من فرائضه فيما ألزمه من حقوقه ، وبتجنُّبه ما أمره بتجنُّبه من معاصيه .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « ولا تجعلوا الله عُرْضَةً لأيمانكم » .

فقال بعضهم معناه: ولا تجعلوه عِلَّة لأيمانكم، وذلك إذا سئل أحدكم الشىء من الخير والإصلاح بين الناس قال : « علىّ يمين الله أن لا أفعل ذلك » — أو « قد حلفت بالله أن لا أفعله » ، فيعتلّ فى تركه فعل الخير والإصلاح بين الناس بالحلف بالله .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) انظر ما سلف ، مقالة الطبرى فى « ملاقو ربهم » ٢ : ٢٠ — ٢٢ .

٤٣٥١ – حدثنا الحسن بن يحيى ، قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه : « ولا تجعلوا الله عرضةً لأيمانكم » ، قال : هو الرجل يحلف على الأمر الذى لا يصلح ، ثم يعتلّ بيمينه ، يقول الله : « أن تبرُّوا وتتقوا » هو خير له من أن يمضى على ما لا يصلح ، وإن حلفت كفّرت عن يمينك وفعلت الذى هو خيرٌ لك .

٤٣٥٢ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه مثله = إلا أنه قال : وإن حلفت فكفِّر عن يمينك ، وافعل الذى هو خير .

٤٣٥٣ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن السدى ، عمن حدثه ، عن ابن عباس فى قوله : « ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبرُّوا وتتقوا وتصلحوا بين الناس » ، قال : هو أن يحلف الرجل أن لا يكلم قرابته ولا يتصدق ، أو أن يكون بينه وبين إنسان مغاضبة فيحلف لا يُصلح بينهما ويقول : « قد حلفت » . قال : يكفّر عن يمينه : « ولا تجعلوا الله عُرضة لأيمانكم » .

٤٣٥٤ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولا تجعلوا الله عُرضةً لأيمانكم أن تبرُّوا وتتقوا » ، يقول : لا تعتلُّوا بالله ، أن يقول أحدكم إنه تألّى أن لا يصل رَحماً ، [1] ولا يسعى فى صلاح ، ولا يتصدّق من ماله . مهلاً مهلاً ، بارك الله فيكم ، فإن هذا القرآن إنما جاء بترك أمر الشيطان ، فلا تطيعوه ، ولا تُنفِذوا له أمراً فى شىء من نذوركم ولا أيمانكم . ٢٣٨/٢

٤٣٥٥ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا ابن مهدى قال ، حدثنا سفيان ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير : « ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم » ، قال : هو الرجل يحلف لا يصلح بين الناس ولا يبر ، فإذا قيل له ، قال : « قد حلفتُ »

---

(١) تألى الرجل : أقسم بالله ، ومثله « آلى » .

٤٣٥٦ ــ حدثني القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قال، سألت عطاء عن قوله: « ولا تجعلوا الله عرضةً لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس »، قال: الإنسان يحلف أن لا يصنع الخير، الأمرَ الحسن، يقول: « حلفت »! قال الله: افعل الذى هو خيرٌ وكفِّر عن يمينك، ولا تجعل الله عرضةً.

٤٣٥٧ ــ حدثت عن الحسين قال، سمعت أبا معاذ قال، أخبرنا عبيد ابن سليمان قال، سمعت الضحاك، يقول فى قوله: « ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم » الآية: هو الرجل يحرّم ما أحل الله له على نفسه، فيقول: « قد حلفت! فلا يصلح إلاّ أن أبرّ يمينى »، فأمرهم الله أن يكفّروا أيمانهم ويأتوا الحلال.(١)

٤٣٥٨ ــ حدثنا موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدى: « ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس »، أما « عُرضة »، فيعرض بينك وبين الرجل الأمرُ، فتحلف بالله لا تكلمه ولا تصله. وأما « تبرُّوا »، فالرجل يحلف لا يبرُّ ذا رحمه فيقول: « قد حلفت! »، فأمر الله أن لا يعرض بيمينه بينه وبين ذى رحمه، وليبرَّه، ولا يبالى بيمينه. وأما « تصلحوا »، فالرجل يصلح بين الاثنين فيعصيانه، فيحلف أن لا يصلح بينهما، فينبغى له أن يصلح ولا يبالى بيمينه. وهذا قبل أن تنزل الكفّارات.(٢)

٤٣٥٩ ــ حدثنا المثنى قال، حدثنا سويد قال، أخبرنا ابن المبارك، عن هشيم، عن مغيرة، عن إبراهيم فى قوله: « ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم »، قال: يحلف أن لا يتقى الله، ولا يصل رحمه، ولا يصلح بين اثنين، فلا يمنعه يمينُه.

* * *

---

(١) الأثر: ٤٣٥٧ ــ فى المطبوعة: « حدثت عن عمار بن الحسن، قال سمعت أبا معاذ » وهو خطأ صرف، والصواب من المخطوطة، وهو مع ذلك إسناد دائر فى التفسير أقربه رقم: ٤٣٢٤. و « الحسين »، هو « الحسين بن الفرج »

(٢) انظر كلام أبى جعفر فى هذا الأثر فيما بعد ص: ٤٢٦

وقال آخرون : معنى ذلك : ولا تعترضوا بالحلف بالله فى كلامكم فيما بينكم ، فتجعلوا ذلك حجة لأنفسكم فى ترك فعل الخير .

* ذكر من قال ذلك :

٤٣٦٠ – حدثنى المثنى بن إبراهيم قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة،عن ابن عباس قوله : « ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم »، يقول : لا تجعلنى عرضة ليمينك أن لا تصنع الخير ، ولكن كفّر عن يمينك واصنع الخير .

٤٣٦١ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس » ، كان الرجل يحلف على الشىء من البر والتقوى لا يفعله ، فنهى الله عز وجل عن ذلك فقال : « ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا » .

٤٣٦٢ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم فى قوله : « ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم » ، قال : هو الرجل يحلف أن لا يبرّ قرابته ، ولا يصل رحمه ، ولا يصلح بين اثنين. يقول : فليفعل ، وليكفّر عن يمينه .

٤٣٦٣ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد، عن إبراهيم النخعى فى قوله : « ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس » ، قال : لا تحلف أن لا تتقى الله ، ولا تحلف أن لا تبرّ ولا تعمل خيراً ، ولا تحلف أن لا تصل ، ولا تحلف أن لا تصلح بين الناس ، ولا تحلف أن تقتل وتقطع .

٤٣٦٤ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن داود ، عن سعيد بن جبير = ومغيرة ، عن إبراهيم فى قوله : « ولا تجعلوا الله

عرضة » الآية ، قالا : هو الرجل يحلف أن لا يبر ، ولا يتقى ، ولا يصلح بين الناس، وأمِر أن يتقى الله، ويصلحَ بين الناس، ويكفّر عن يمينه .

٤٣٦٥ ــ حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى = وحدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل = عن ابن أبي نجيح ٢٣٩/٢
عن مجاهد في قوله : « ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم »، فأمروا بالصلة والمعروف والإصلاح بين الناس . فإن حلف حالف أن لا يفعل ذلك فليفعله، وليدع يمينه.[1]

٤٣٦٦ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : « ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم » الآية ، قال : ذلك في الرجل يحلف أن لا يبر ، ولا يصل رحمه، ولا يصلح بين الناس . فأمره الله أن يدع يمينه ، ويصل رحمه، ويأمر بالمعروف ، ويصلح بين الناس .

٤٣٦٧ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا محمد بن حرب قال ، حدثنا ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة ، عن عائشة في قوله : « ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس » ، قالت : لا تحلفوا بالله وإن بررتم .

٤٣٦٨ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج عن ابن جريج قال : حُدثت أن قوله : « ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم » ، الآية، نزلت في أبي بكر ، في شأن مِسْطَح .

٤٣٦٩ ــ حدثنا هناد قال، حدثنا ابن فضيل ، عن مغيرة ، عن إبراهيم قوله : « ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم » الآية ، قال : يحلف الرجل أن لا يأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر، ولا يصل رحمه .

---

(١) الأثر : ٤٣٦٥ ــ هو في المخطوطة إسناد واحد جاء هكذا : « حدثني محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح . . . » ، والذي في المطبوعة هو الصحيح ، وهما إسنادان دائران في التفسير . الأول منهما أقربه رقم : ٤١٣٢ والثاني منهما أقربه رقم : ٣٨٧٢

٤٣٧٠ – حدثني المثنى ، حدثنا سويد، أخبرنا ابن المبارك، عن هشيم ، عن المغيرة، عن إبراهيم في قوله : « ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم»، قال : يحلف أن لا يتقي الله، ولا يصل رحمه، ولا يصلح بين اثنين . فلا يمنعه يمينه .[1]

٤٣٧١ – حدثني ابن عبد الرحيم البرقي قال، حدثنا عمرو بن أبي سلمة ، عن سعيد ، عن مكحول أنه قال في قول الله تعالى ذكره : « ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم » ، قال : هو أن يحلف الرجل أن لا يصنع خيراً ، ولا يصل رحمه ، ولا يصلح بين الناس . نهاهم الله عن ذلك .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بالآية ، تأويلُ من قال : معنى ذلك : «لا تجعلوا الحلف بالله حجة لكم في ترك فعل الخير فيما بينكم وبينَ الله وبين الناس».

* * *

وذلك أن « العُرْضة »، في كلام العرب، القوة والشدة . يقال منه: «هذا الأمر عُرْضة لك»[2] يعني بذلك: قوة لك على أسبابك. ويقال: «فلانة عُرْضة للنكاح»، أي قوة ،[3] ومنه قول كعب بن زهير في صفة نوق .

مِنْ كُلِّ نَضَّاحةِ الذِّفْرَى إذَا عَرِقَتْ، عُرْضَتُهَا طَامِسُ الأَعْلامِ مَجْهُولُ[4]

يعني بـ « عرضتها » : قوتها وشدتها .

* * *

---

(١) الأثر : ٤٣٧٠ – هذا الأثر ليس في المخطوطة في هذا المكان ، وهو الصواب . وهو مكرر الذي مضى برقم : ٤٣٥٩ – وفي المطبوعة هنا « فلا ينفعه يمينه » وهو خطأ ظاهر . وكان أولى أن يحذف ولكني أبقيته للدلالة على اختلاف النسخ .

(٢) في المخطوطة والمطبوعة : « عرضة له » ، وأثبت ما هو أولى بالصواب .

(٣) أخشى أن يكون الصواب الجيد : « أي قوية » .

(٤) ديوانه : ٩ ، وسيأتي في التفسير ٥ : ٧٩/ ١١ : ١٠٨ / ٢٧ : ٦٢ (بولاق) ، من قصيدته المشهورة . نضح الرجل بالعرق نضحاً .فض به حتى سال سيلاناً. ونضاحة : شديدة النضح . والذفرى : الموضع الذي يعرق من البعير خلف الأذن ، وهو من الناس والحيوان جميعاً : العظم الشاخص خلف الأذن . وسيلان عرقها هناك ، ممدوح في الإبل . والطامس : الدارس الذي امحى أثره . والأعلام : أعلام الطريق ، تبنى في جادة الطريق ليستدل بها عليه إذا ضل الضال . وأرض مجهولة : إذا كان لا أعلام فيها ولا جبال ، فلا يهتدي فيها السائر . يقول : إذا نزلت هذه المجاهل ، عرفت حينئذ قوتها وشدتها وصبرها على العطش والسير في الفلوات .

فمعنى قوله تعالى ذكره: « ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم » إذًا : لا تجعلوا الله قوة لأيمانكم فى أن لا تبروا ولا تتقوا ولا تصلحوا بين الناس . ولكن إذا حلف أحدكم فرأى الذى هو خير مما حلف عليه من ترك البر والإصلاح بين الناس ، فليحنث فى يمينه ، وليبرّ ، وليتق الله ، وليصلح بين الناس ، وليكفّر عن يمينه.

* * *

وترك ذكر « لا » من الكلام ، لدلالة الكلام عليها، واكتفاءً بما ذُكر عما تُرِك ، كما قال امرؤ القيس :

فَقُلْتُ : يَمِينَ اللهِ أَبْرَحُ قَاعِداً وَلَوْ قَطَّعُوا رَأْسِي لَدَيكَ وَأَوْصَالِي[1]

بمعنى : فقلت : يمين الله لا أبرح ، فحذف « لا »، اكتفاء بدلالة الكلام عليها .

* * *

وأما قوله : « أن تبروا » ، فإنه اختلف فى تأويل « البر » ، الذى عناه الله تعالى ذكره .

فقال بعضهم : هو فعل الخير كله . وقال آخرون : هو البر بذى رحمه ، وقد ذكرت قائلى ذلك فيما مضى .[2]

* * *

وأولى ذلك بالصواب قول من قال: «عنى به فعل الخير كله» . وذلك أن أفعال الخير كلها من « البر » ، ولم يخصص الله فى قوله : « أن تبرُّوا » معنى دون معنى من معانى « البر » ، فهو على عمومه . والبر بذوى القرابة أحد معانى « البر » .

* * *

وأما قوله: « وتتقوا » ، فإن معناه: أن تتقوا ربكم فتحذروه وتحذروا عقابه فى

---

(١) ديوانه : ١٤١ ، وسيأتى فى التفسير ١٣ : ٢٨ (بولاق) ، وهو من قصيدته التى لا تبارى ، وهى مشهورة ، وما قبل البيت وما بعده مشهور .

(٢) انظر ما سلف فى معانى « البر » ٢ : ٨/ثم ٣ : ٣٣٦ – ٣٣٨ ، ٥٥٦ .

فرائضه وحدوده أن تضيعوها أو تتعدّوْها . وقد ذكرنا تأويل من تأوّل ذلك أنه بمعنى « التقوى » قبل.[١]

* * *

وقال آخرون فى تأويله بما : —

٤٣٧٢ — حدثنى به محمد بن سعد قال، حدثنا أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس فى قوله : « أن تبروا وتتقوا »، قال : كان الرجل يحلف على الشىء من البر والتقوى لا يفعله ، فنهى الله عز وجل عن ذلك ٢٤٠/٢ فقال : « ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس » الآية . قال : ويقال: لا يتق بعضكم بعضاً بى ، تحلفون بى وأنتم كاذبون، ليصدقكم الناس وتصلحون بينهم ، فذلك قوله : أن تبروا وتتقوا » ، الآية .[٢]

* * *

وأما قوله : « وتصلحوا بين الناس » ، فهو الإصلاح بينهم بالمعروف فيما لا مأثَم فيه ، وفيما يحبه الله دون ما يكرهه .

* * *

وأما الذى ذكرنا عن السدى: من أنّ هذه الآية نزلت قبل نزول كفارات الأيمان ،[٣] فقولٌ لا دلالة عليه من كتاب ولا سنة . والخبر عما كان ، لا تدرك صحته إلاّ بخبر صادق ، وإلا كان دعوى لا يتعذر مِثلها وخلافها على أحد .[٤] وغير محال أن تكون هذه الآية نزلت بعد بيان كفارات الأيمان فى « سورة المائدة»، واكتفى بذكرها هناك عن إعادتها ههنا ، إذ كان المخاطبون بهذه الآيه قد علموا الواجبَ من الكفارات فى الأيمان التى يحنث فيها الحالف .

* * *

---

(١) انظر الآثار رقم : ٤٣٦١ ، ٤٣٦٣ ، ٤٣٦٤ .

(٢) الأثر : ٤٣٧٢ — هو الأثر السالف رقم : ٤٣٦١ وتتمته .

(٣) يعنى الأثر السالف رقم : ٤٣٥٨ .

(٤) فى المخطوطة « لايبعد مثلها . . . » غير منقوطة كأنها « لا سعد » ، والذى فى المطبوعة أجود .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢٢٤)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : « والله سميع » لما يقوله الحالفُ منكم بالله إذا حلف فقال : « والله لا أبر ولا أتقى ولا أصلح بين الناس » ، ولغير ذلك من قيلكم وأيمانكم = « عليم » بما تقصدون وتبتغون بحلفكم ذلك ، أالخير تريدون أم غيره ؟ لأنى علام الغيوب وما تضمره الصدور ، لا تخفى علىّ خافية ، ولا ينكتم عنى أمر علَن فظهر ، أو خفَى فبطَن .

وهذا من الله تعالى ذكره تهدُّد ووعيدٌ . يقول تعالى ذكره : واتقون أيها الناس أن تظهروا بألسنتكم من القول ، أو بأبدانكم من الفعل ، ما نهيتكم عنه — أو تضمروا فى أنفسكم وتعزموا بقلوبكم من الإرادات والنيات بفعل ما زجرتكم عنه ، فتستحقوا بذلك منى العقوبة التى قد عرّفتكموها ، فإنّى مطّلع على جميع ما تعلنونه أو تُسرُّونه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم » ، وفى معنى « اللغو » .

فقال بعضهم فى معناه : لا يؤاخذكم الله بما سبقتكم به ألسنتكم من الأيمان على عجلة وسرعة ، فيوجب عليكم به كفارة إذا لم تقصدوا الحلف واليمين . وذلك كقول القائل : « فعلت هذا والله ، أو : أفعله والله ، أو : لا أفعله والله » ، على سبوق المتكلم بذلك لسانُه ، بما وصل به كلامه من اليمين .(١)

---

(١) قوله : « سبوق » مصدر « سبق » لم يرد فى كتب اللغة ، ولكن أبا جعفر قد كرر استعماله ، وانظر ما سلف فى هذا الجزء ٤ : ٢٨٧ والتعليق : ٤ ، وما سيأتى : ٤٥٦ ، تعليق : ٤

• ذكر من قال ذلك :

٤٣٧٣ – حدثني إسحق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال، حدثنا عتاب بن بشير، عن خصيف، عن عكرمة، عن ابن عباس : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم »، قال : هى « بلى والله » و « لا والله » .

٤٣٧٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق، عن الزهرى، عن القاسم، عن عائشة فى قوله : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم »، قالت : « لا والله » و « بلى والله » .

٤٣٧٥ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن أبى نجيح، عن عطاء، عن عائشة نحوه .

٤٣٧٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق، عن هشام ابن عروة، عن أبيه، قال : سألت عائشة عن لغو اليمين، قالت : هو « لا والله » و « بلى والله »، ما يتراجع به الناس.[1]

٤٣٧٧ – حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع وعبدة وأبو معاوية، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة فى قول الله: « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم »، قالت : « لا والله » و « بلى والله » .

٤٣٧٨ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة: «لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم »، قالت: « لا والله » و «بلى والله »، يصل بها كلامه .

٤٣٧٩ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام بن سلم، عن عبد الملك، عن عطاء قال : دخلت مع عبيد بن عمير على عائشة فقال لها : يا أم المؤمنين،

---

(١) راجعه الكلام مراجعة، وتراجعا القول . هو معاودة الكلام وجوابه أو التلاوم فى الأمور، كقوله تعالى : ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾، أى يتلاومون .

قوله: « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم » ؟ قالت : هو « لا والله » و « بلى والله »، ليس مما عقّدتم الأيمان .

٤٣٨٠ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا ابن أبى ليلى ، عن عطاء قال : أتيت عائشة مع عبيد بن عمير، فسألها عبيد عن قوله : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم » ، فقالت عائشة : هو قول الرجل : « لا والله » و « بلى والله »، ما لم يعقد عليه قلبه . ٢٤١/٢

٤٣٨١ – حدثنى يعقوب قال، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا ابن جريج ، عن عطاء قال : انطلقت مع عبيد بن عمير إلى عائشة وهى مجاورة فى ثَبِير ، فسألها عبيد عن لغو اليمين ، فقالت : « لا والله » و « بلى والله » .

٤٣٨٢ – حدثنا محمد بن موسى الحرشى قال، حدثنا حسان بن إبراهيم الكرمانى قال ، : حدثنا إبراهيم الصائغ ، عن عطاء فى قوله : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم » ، قال : قالت عائشة قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : هو قول الرجل فى بيته : « كلا والله » و « بلى والله » .(١)

٤٣٨٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا

---

(١) الأثر : ٤٣٨٢ – محمد بن موسى بن نفيع الحرشى البصرى ، روى عنه الترمذى والنسائى ، وقال النسائى ، « صالح » ، وذكره ابن حبان فى الثقات ، ووهاه أبو داود وضعفه . مات سنة ٢٤٨ . وكان فى المطبوعة : « الحرسى » ، وهو تصحيف . وحسان بن إبراهيم الكرمانى العنزى ، قاضى كرمان . روى عن سعيد بن مسروق ، وسفيان بن سعيد الثورى، وعنه حميد بن مسعدة وغيره. قال أحمد : « حديثه حديث أهل الصدق » . وقال النسائى « ليس بالقوى » ، مات سنة ١٨٦ . و « إبراهيم الصائغ » هو : إبراهيم بن ميمون الصائغ ، روى عن عطاء وغيره . قال أبو حاتم : « لا بأس به ، يكتب حديثه » . قتله أبو مسلم الخراسانى سنة ١٣١ بعرندس ، قال أبو داود : كان إذا رفع المطرقة فسمع النداء سيبها .

هذا ، وقد روى هذا الحديث أبو داود فى سننه ٣ : ٣٠٤ رقم : ٣٢٥٤ عن حميد بن مسعدة ، عن حسان بن إبراهيم . . . » ثم قال : « روى هذا الحديث داود بن أبى الفرات ، عن إبراهيم الصائغ موقوفاً على عائشة ، وكذلك رواه الزهرى ، وعبد الملك بن أبى سليمان ، ومالك بن مغول ، وكلهم عن عطاء عن عائشة موقوفاً » . ورواه مالك فى الموطأ : ٢ : ٤٧٧ ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه عن عائشة موقوفاً ، كما سيأتى فى روايات الطبرى . ورواه البخارى موقوفاً أيضاً (١١ : ٤٧٦ فتح البارى) واستقصى الحافظ القول فيه . وانظر سنن البيهقى ١٠ : ٤٨ ، وما بعدها .

معمر ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة فى قوله : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم » ، قالت : هم القوم يتدارأون فى الأمر ، فيقول هذا : « لا والله، وبلى والله ، وكلا والله » ، يتدارأون فى الأمر ، لا تعقد عليه قلوبهم .[1]

٤٣٨٤ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن مغيرة عن الشعبى فى قوله : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم »، قال قول الرجل : « لا والله ، وبلى والله » ، يصل به كلامه ، ليس فيه كفارة .

٤٣٨٥ ــ حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا المغيرة ، عن الشعبى قال : هو الرجل يقول : «لا والله ، وبلى والله »، يصلُ حديثه .

٤٣٨٦ ــ حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا ابن عون قال ، سألت عامراً عن قوله : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم » ، قال : هو « لا والله ، وبلى والله » .

٤٣٨٧ ــ حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى = جميعاً ، عن ابن عون ، عن الشعبى مثله .

٤٣٨٨ ــ حدثنى يعقوب بن إبراهيم وابن وكيع قالا ،حدثنا ابن علية قال ، حدثنا أيوب قال ، قال أبو قلابة فى : « لا والله، وبلى والله »، أرجو أن يكون لغة = وقال يعقوب فى حديثه : أرجو أن يكون لغواً = وقال ابن وكيع فى حديثه: أرجو أن يكون لغة ، ولم يشك .[2]

٤٣٨٩ ــ حدثنا أبو كريب وابن وكيع وهناد قالوا، حدثنا وكيع ،عن إسمعيل ابن أبى خالد، عن أبى صالح ، قال : لا والله، وبلى والله .

---

(٢) تدارأ القوم فى الأمر : اختلفوا فيه ، فتخاصموا وتدافعوا ، وتراجعوا القول بينهم .

(٣) يعنى بقوله هنا : « لغة » ، أى لغة من لغات العرب ، وأسلوباً من أساليبهم فى القول ، كقولهم : « قاتلك الله » ، و« ويحك » ، لا يريدون الدعاء عليه ، فهذا أيضاً لا يريد اليمين، إنما يريد التوثيق فى كلامه .

٤٣٩٠ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع ، عن مالك ، عن عطاء ، قال : سمعت عائشة تقول فى قوله: « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم »، قالت: « لا والله، وبلى والله » .

٤٣٩١ – حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع ، عن مالك بن مغول ، عن عطاء مثله .

٤٣٩٢ – حدثنا هناد قال، حدثنا أبو معاوية ، عن عاصم الأحول ، عن عكرمة فى قوله : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم »، قال : هو قول الناس : « لا والله ، وبلى والله » .

٤٣٩٣ – حدثنا سفيان بن وكيع قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن عاصم ، عن الشعبي وعكرمة قالا : « لا والله وبلى والله » .

٤٣٩٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عطاء قال : دخلت مع عبيد بن عمير على عائشة فسألها، فقالت : «لا والله، وبلى والله » .

٤٣٩٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حفص، عن ابن أبي ليلى، وأشعث ، عن عطاء ، عن عائشة « لا يؤاخذكم، الله باللغو فى أيمانكم » قالت: «لا والله، وبلى والله » .

٤٣٩٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي وجرير ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : « لا والله ، وبلى والله » .

٤٣٩٧ – حدثنا ابن وكيع وهناد قالا، حدثنا يعلى ، عن عبد الملك ، عن عطاء قال: قالت عائشة فى قول الله: « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم »، قالت : هو قولك : « لا والله ، وبلى والله » ، ليس لها عقد الأيمان .

٤٣٩٨ – حدثنا هناد قال، حدثنا أبو الأحوص ، عن مغيرة ، عن الشعبي قال : اللغو قول الرجل : « لا والله ، وبلى والله »، يصل به كلامه ، ما لم يك شيئاً يعقد عليه قلبه .

٤٣٩٩ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني عمرو ، أن

سعيد بن أبي هلال حدثه : أنه سمع عطاء بن أبي رباح يقول : سمعت عائشة تقول : لغو اليمين قول الرجل : « لا والله ، وبلى والله » ، فيما لم يعقد عليه قلبه .

٤٤٠٠ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال عمرو = وحدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين النوفلي ، عن عطاء ، عن عائشة بذلك .

٤٤٠١ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن الحكم ، عن مجاهد في قوله : « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم » ، قال : الرجلان يتبايعان ، فيقول أحدهما : « والله لا أبيعك بكذا وكذا » ، ويقول الآخر : « والله لا أشتريه بكذا وكذا » ، فهذا اللغو ، لا يؤاخذ به . ٢/٢٤٢

* * *

وقال آخرون : بل اللغو في اليمين ، اليمينُ التي يحلفُ بها الحالف وهو يرى أنه كما يحلف عليه ، ثم يتبين غير ذلك ، وأنه بخلاف الذي حلف عليه .

* ذكر من قال ذلك :

٤٤٠٢ — حدثني يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرني ابن نافع ، عن أبي معشر ، عن محمد بن قيس ، عن أبي هريرة أنه كان يقول : لغو اليمين ، حلف الإنسان على الشيء يظن أنه الذي حلف عليه ، فإذا هو غير ذلك .

٤٤٠٣ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم » ، واللغو : أن يحلف الرجل على الشيء يراه حقاً ، وليس بحق .

٤٤٠٤ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم » ، هذا في الرجل يحلف على أمرٍ إضرارٍ أن يفعله فلا يفعله ،[1] فيرى الذي هو خير منه ، فأمره الله أن يكفرّ عن يمينه ويأتي الذي هو خير . ومن اللغو أيضاً أن يحلف الرجل على

---

(١) في المخطوطة « إصراراً » ، وفي الدر المنثور ١ : ٢٦٩ « أو لا يفعله » . وسيأتي برقم : ٤٤٦٣ مختصراً .

أمر لا يألو فيه الصدق ، وقد أخطأ فى يمينه.[1] فهذا الذى عليه الكفارة ولا إثم عليه .

٤٤٠٥ — حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ، حدثنا أبو داود قال ، حدثنا هشام ، عن قتادة ، عن سليمان بن يسار فى قوله : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم » ، قال : خطأ غير عمد .

٤٤٠٦ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا ابن أبى عدى ، عن عوف ، عن الحسن فى هذه الآية ، « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم»، قال: هو أن تحلف على الشيء ،وأنت يُخيَّل إليك أنه كما حلفت ، وليس كذلك. فلا يؤاخذه الله ولا كفارة ، ولكن المؤاخذة والكفارة فيما حلف عليه على علم .

٤٤٠٧ — حدثنا هناد وابن وكيع قالا، حدثنا وكيع ، عن الفضل بن دلهم، عن الحسن قال : هو الرجل يحلف على اليمين، لا يرى إلا أنه كما حلف .

٤٤٠٨ — حدثنا سفيان قال، حدثنا أبو معاوية ، عن عاصم ، عن الحسن : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم »، قال : هو الرجل يحلف على اليمين يرى أنها كذلك ، وليست كذلك .

٤٤٠٩ — حدثنا هناد قال ، حدثنا عبدة، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن فى قوله : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم »، قال : هو الرجل يحلف على الشيء ، وهو يرى أنه كذلك ، فلا يكون كما قال ، فلا كفارة عليه .

٤٤١٠ — حدثنا هناد وأبو كريب وابن وكيع قالوا، حدثنا وكيع ، عن سفيان = وحدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا الثورى =، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد: « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم » ، قال : هو الرجل يحلف على اليمين، لا يرى إلا أنها كما حلف عليه ، وليست كذلك .

---

(١) فى الدر المنثور : « وقد أخطأ فى ظنه » ، وهى أشبه بالصواب ، والمخطوطة والمطبوعة مجتمعتان على «فى يمينه» . وانظر تعليق الطبرى فيما سيأتى على هذا الأثر ،وقوله فى تفسيره وبيانه: ص: ٤٤٥ وما بعدها .

٤٤١١ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح في قول الله : « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم » ، قال : من حلف بالله ولا يعلم إلا أنه صادق فيما حلف .

٤٤١٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « لايؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم »، حلف الرجل على الشيء وهو لا يعلم إلا أنه على ما حلف عليه ، فلا يكون كما حلف ، كقوله : « إن هذا لبيت لفلان » ، وليس له = و« إن هذا لثوب لفلان » ، وليس له .

٤٤١٣ – حدثنا هناد قال، حدثنا أبو الأحوص ، عن مغيرة ، عن إبراهيم في قوله : « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم» ، قال : هو الرجل يحلف على الشيء يرى أنه فيه صادق .

٤٤١٤ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم في قوله : « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم »، قال: هو الرجل يحلف على الأمر يرى أنه كما حلف عليه، فلا يكون كذلك . قال : فلا يؤاخذكم بذلك. قال : وكان يحبّ أن يُكفّر .

٤٤١٥ – حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال، حدثنا الجعفي ، عن زائدة ، عن منصور قال : قال إبراهيم :«لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم » ، قال : أن يحلف على الشيء وهو يرى أنه صادق وهو كاذب ، فذلك اللغو، لا يؤاخذ به .[1] ٢٤٣/٢

٤٤١٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن عمرو ، عن منصور ،

---

(١) الأثر : ٤٤١٥ – « الجعفي » هو حسين بن علي بن الوليد الجعفي . قال أحمد : « ما رأيت أفضل من حسين وسعيد بن عامر » . قال العجلي : « ثقة ، وكان صالحاً ، لم أر رجلا قط أفضل منه ، وكان صحيح الكتاب . يقال إنه لم يطأ أنثى قط ، وكان جميلا . وكان زائدة يختلف إليه إلى منزله يحدثه، فكان أروى الناس عنه . وكان الثوري إذا رآه عانقه وقال : هذا راهب جعفي » . مات سنة ٢٠٣ (التهذيب) .

عن إبراهيم نحوه = إلا أنه قال : إن حلفت على الشيء ، وأنت ترى أنك صادق ، وليس كذلك .

٤٤١٧ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس قال ، أخبرنا حصين ، عن أبي مالك أنه قال : اللغو ، الرجل يحلف على الأيمان ، وهو يرى أنه كما حلف.[1]

٤٤١٨ – حدثني إسحق بن [إبراهيم بن] حبيب بن الشهيد قال ،[2] حدثنا عتاب بن بشير ، عن خصيف ، عن زياد قال : هو الذى يحلف على اليمين يرى أنه فيها صادق .

٤٤١٩ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا يعقوب بن إسحق الحضرمى قال، حدثنا بكير بن أبي السميط ، عن قتادة فى قوله : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم » ، قال : هو الخطأ غير العمد ، الرجل يحلف على الشيء يرى أنه كذلك وليس كذلك .

٤٤٢٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن منصور ، ويونس، عن الحسن قال : اللغو ، الرجل يحلف على الشيء يرى أنه كذلك، فليس عليه فيه كفارة .

٤٤٢١ – حدثنا هناد وابن وكيع = قال هناد : حدثنا وكيع ، وقال ابن وكيع : حدثني أبي = عن عمران بن حدير قال : سمعت زرارة بن أوفى قال : هو الرجل يحلف على اليمين لا يرى إلا أنها كما حلف .

٤٤٢٢ – حدثنا أحمد بن حازم قال، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا عمر بن بشير قال : سئل عامر عن هذه الآية : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم » ،

---

(١) فى المطبوعة : « أبو إدريس » ، والصواب من المخطوطة ، وهو : عبد الله بن إدريس الأودى ، سلفت ترجمته ، فراجعه فى الفهرست .

(٢) الزيادة بين القوسين، للبيان، واتفقت المخطوطة والمطبوعة على إسقاط « إبراهيم بن »، ولكنه مضى دائماً بتمامه ، وأقربه رقم : ٤٣٧٣ . فلذلك أتممته .

قال : اللغو أن يحلف الرجل لا يألو عن الحق ، فيكون غير ذلك . فذلك اللغو الذى لا يؤاخذ به .(١)

٤٤٢٣ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم »، فاللغو اليمين الخطأ غير العمد، أن تحلف على الشيء وأنت ترى أنه كما حلفت عليه ، ثم لا يكون كذلك . فهذا لا كفارة عليه ولا مأثم فيه .

٤٤٢٤ – حدثنى موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم » ، أما اللغو : فالرجل يحلف على اليمين وهو يرى أنها كذلك ، فلا تكون كذلك . فليس عليه كفارة .

٤٤٢٥ – حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم » ، قال : اللغو اليمين الخطأ فى غير عمد : أن يحلف على الشيء وهو يرى أنه كما حلف عليه . وهذا ما ليس عليه فيه كفارة.

٤٤٢٦ – حدثنا هناد قال، حدثنا أبو الأحوص ، عن حصين ، عن أبى مالك قال : أما اليمين التى لا يؤاخذ بها صاحبها ، فالرجل يحلف على اليمين وهو يرى أنه فيها صادق ، فذلك اللغو.

٤٤٢٧ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال، أخبرنا حصين، عن أبى مالك مثله = إلا أنه قال : الرجل يحلف على الأمر يرى أنه كما حلف عليه ، فلا يكون كذلك . فليس عليه فيه كفارة ، وهو اللغو.

٤٤٢٨ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، أخبرنى معاوية بن صالح،

---

(١) الأثر : ٤٤٢٢ – عمر بن بشير الهمدانى أبو هانىء روى عن الشعبى. روى عنه وكيع وأبو نعيم قال أحمد: « صالح الحديث »، وقال ابن معين : « ضعيف »، وقال أبو حاتم: « ليس بقوى، يكتب حديثه ». مترجم فى الجرح والتعديل . و « عامر » هو عامر الشعبى ، مضى مراراً .

عن يحيي بن سعيد ، وعن ابن أبي طلحة — كذا قال ابن أبي جعفر —[1] قالا : من قال : « والله لقد فعلت كذا وكذا » وهو يظن أن قد فعله ، ثم تبيَّن له أنه لم يفعله ، فهذا لغو اليمين ، وليس عليه فيه كفارة .

٤٤٢٩ — حدثنا الحسن بن يحيي قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن رجل ، عن الحسن في قوله : « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم » ، قال : هو الخطأ غيرُ العمد ، كقول الرجل : « والله إنّ هذا لكذا وكذا » ، وهو يرى أنه صادق ، ولا يكون كذلك = قال معمر : وقاله قتادة أيضاً .

٤٤٣٠ — حدثني ابن البرقي قال ، حدثنا عمرو قال : سئل سعيد عن اللغو في اليمين ، قال سعيد ، وقال مكحول : الخطأ غيرُ العمد ، ولكن الكفارة فيما عقدت قلوبكم .

٤٤٣١ — حدثني ابن البرقي قال ، حدثنا عمرو ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن مكحول أنه قال : اللغو الذي لا يؤاخذ الله به ، أن يحلف الرجل على الشيء الذي يظن أنه فيه صادق ، فإذا هو فيه غير ذلك ، فليس عليه فيه كفارة ، وقد عفا الله عنه .

٤٤٣٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم في قوله : « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم » ، قال : إذا حلف على اليمين وهو يرى أنه فيه صادق ، وهو كاذب ،[2] فلا يؤاخذ به . وإذا حلف على اليمين ٢٤٤/٢
وهو يعلم أنه كاذب ، فذاك ، الذي يؤاخذ به .

* * *

وقال آخرون : بل اللغو من الأيمان التي يحلف بها صاحبها في حال الغضب ،

---

(١) هكذا جاء هذا الإسناد في المخطوطة والمطبوعة ، ولم أستطع أن أتبين صوابه ، فأبقيته كما هو حتى يتبين مما يأتي كيف كان صوابه . وأخشى أن يكون قد سقط بين الكلامين إسناد آخر .

(٢) في المخطوطة : « أنه صادق » بحذف « فيه » .

على غير عقد قلب ولا عزم ، ولكن وُصْلةً للكلام .

* ذكر من قال ذلك :

٤٤٣٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا مالك بن إسمعيل ، عن خالد ، عن عطاء، عن وَسيم، [عن طاوس]، عن ابن عباس قال : لغو اليمين أن تحلف وأنت غضبان .(١)

٤٤٣٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا أبو حمزة، عن عطاء، عن طاوس قال : كل يمين حلف عليها رجل وهو غضبان، فلا كفّارة عليه فيها، قوله : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم » .(٢)

---

(١) الأثر : ٤٤٣٣ – مالك بن إسماعيل أبو غسان النهدى ، روى عنه البخارى ، وهو متقن ثقة ، مات سنة ٢١٩ ، مترجم فى التهذيب . و « خالد » ، هو : خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن الواسطى. قال البخارى فى الكبير ١٤٧/١/٢ : « قال على : سماع خالد عن عطاء بن السائب أخيراً ، وسماع حماد بن زيد من عطاء صحيح » . مات سنة ١٨٢ ، ومترجم فى التهذيب . و « عطاء » هو عطاء ابن السائب . و « وسيم » مترجم فى الجرح والتعديل ٤٦/٢/٤ ، والكبير للبخارى ١٨١/٢/٤ وقال : « وسيم » عن طاوس ، عن ابن عباس ، فى يمين اللغو . قاله خالد بن عبد الله ، عن عطاء بن السائب » . وفى المطبوعة : « رستم » وهو خطأ . وفى المطبوعة والمخطوطة إسقاط « عن طاوس » ، والصواب ما أثبته بين القوسين . كما نص عليه البخارى ، وكما رواه البيهقى

وهذا الخبر أشار إليه البخارى فى الكبير ، كما نقلنا عنه. ورواه البيهقى فى السنن الكبرى ١٠ : ٤٩ ، من طريق سعيد بن منصور ، « عن خالد ، عن عطاء بن السائب ، عن وسيم ، عن طاوس ، عن ابن عباس » . فالظاهر من هذا كله – ومما سيأتى – أنه سقط من نسخ الطبرى هنا « عن طاوس » ، بين « وسيم » و « ابن عباس » .

وذكره ابن كثير ١ : ٥٢٧ ، من تفسير ابن أبى حاتم، بإسناده، من طريق مسدد « حدثنا خالد، حدثنا عطاء ، عن طاوس ، عن ابن عباس » . فالظاهر أنه وقع سقط فى مطبوعة ابن كثير ، بحذف « عن وسيم » ، بين عطاء وطاوس .

وذكره أيضاً السيوطى ١ : ٢٦٩ ، ونسبه لسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والبيهقى « من طريق طاوس ، عن ابن عباس » .

وهذا الخبر شاهد جيد للحديث المرفوع ، من حديث ابن عباس ، الآتى : ٤٤٣٥ .

(٢) الأثر : ٤٤٣٤ – « أبو حمزة » هو : محمد بن ميمون المروزى ، أبو حمزة السكرى مات سنة : ١٦٦ .

وهذا الخبر من كلام طاوس ، يؤيد روايته السابقة عن ابن عباس . وهو شاهد آخر للحديث المرفوع التالى له .

* * *

وعلة من قال هذه المقالة ، ما : —

٤٤٣٥ — حدثني به أحمد بن منصور المروزي قال، حدثنا عمر بن يونس اليمامي قال ، حدثنا سليمان بن أبي سليمان الزهري ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن طاوس ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يمين في غضب .(١)

* * *

وقال آخرون : بل اللغو في اليمين : الحلفُ على فعل ما نهى الله عنه، وترك ما أمر الله بفعله .

* ذكر من قال ذلك :

٤٤٣٦ — حدثنا هناد قال، حدثنا حفص بن غياث ، عن داود بن أبي هند ، عن سعيد بن جبير قال : هو الذي يحلف على المعصية ، فلا يفي ويكفِّر يمينه ، قوله : « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم » .

---

(١) الحديث : ٤٤٣٥ — هذا إسناد صحيح . أحمد بن منصور بن راشد ، أبو صالح الحنظلي المروزي ، شيخ الطبري : ثقة .

عمر بن يونس بن القاسم اليمامي : ثقة ثبت ، وثقه أحمد ، وابن معين .

سليمان بن أبي سليمان الزهري اليمامي : ثقة . ترجمه البخاري في الكبير ٢٠/٢/٢ ، وذكر أنه روى عن يحيى بن أبي كثير ، وأنه سمع منه عمر بن يونس . ثم لم يذكر فيه جرحاً . وترجمه ابن أبي حاتم ١٢٢/١/٢ ، بنحو ترجمة البخاري ، ثم روى عن أبيه أبي حاتم أنه قال : « هو شيخ ضعيف » . وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : « ربما خالف » . كما نقل عنه الحافظ في لسان الميزان ٣ : ٩٥ . وقد خلط بعضهم بينه وبين راو آخر ضعيف جداً ، هو « سليمان بن داود اليمامي » ، لأنه يكثر الرواية عن يحيى بن أبي كثير . ولكن هذا غير ذاك ، كما فرق بينهما البخاري ، وابن أبي حاتم ، وابن حبان ، وحقق ذلك الحافظ في لسان الميزان . ولكن كلام الحافظ يوهم أن البخاري ضعف الراوي هنا ، لأنه زعم أن أبا حاتم تبع البخاري في ذلك . والبخاري لم يذكر فيه جرحاً في الكبير ، ولا ترجمه في الصغير ، ولا ذكره في الضعفاء . فالحق أنه ثقة .

وهذا الحديث لم أجده في مكان آخر ، إلا أنه ذكره الحافظ في الفتح ١١ : ٤٩٠ ، ونسبه للطبراني في الأوسط ، ثم قال : « وسنده ضعيف » . ولم أجده في مجمع الزوائد . وإنما ضعفه الحافظ، فيما أرى والله أعلم — بأنه ذهب إلى تضعيف سليمان بن أبي سليمان . وأنا أخالفه في ذلك ، كما بينت من قبل .

٤٤٣٧ – حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا داود ، عن سعيد بن جبير قال : لغو اليمين : أنْ يحلِف الرجل على المعصية لله ، لا يؤاخذه الله بإلغائها .(١)

٤٤٣٨ – حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا ابن أبي عدى ، عن داود ، عن سعيد بن جبير بنحوه = وزاد فيه ، قال : وعليه كفارته .(٢)

٤٤٣٩ – حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنى عبد الأعلى ويزيد بن هرون ، عن داود ، عن سعيد بنحوه .

٤٤٤٠ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا داود ، عن سعيد بن جبير : « لا يؤاخذكم الله باللغو فِي أيمانكم » ، قال : هو الرجل يحلف على المعصية ، فلا يؤاخذه الله أن يكفِّر عن يمينه ، ويأتى الذى هو خير .

٤٤٤١ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن شعبة = عن أبى بشر ، عن سعيد ابن جبير فى هذه الآية : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم » ، قال : الرجل يحلف على المعصية ، فلا يؤاخذه الله بتركها .

٤٤٤٢ – حدثنا الحسن بن الصباح البزار قال ، حدثنا إسحق ، عن عيسى ابن بنتِ داود بن أبى هند قال ، حدثنا خالد بن إلياس ، عن أم أبيه : أنها حلفت أن لا تكلم ابنة ابنها – ابنة أبى الجهم – فأتت سعيد بن المسيب وأبا بكر وعروة ابن الزبير فقالوا : لا يمين فى معصية ، ولا كفارة عليها (٣).

٤٤٤٣ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير فى قوله : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم » ، قال : هو

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « بإيفائها » ، والصواب ما أثبت . وانظر ص : ٤٤١ تعليق : ١

(٢) فى المطبوعة : « وعليه كفارة » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) الأثر : ٤٤٤٢ – الحسن بن الصباح البزار الواسطى ، روى عنه البخارى وأبو داود والترمذى كان ثقة صاحب سنة ، مات سنة ٢٤٩ . وخالد بن إلياس بن صخر أبو الهيثم العدوى ، قال أحمد : متروك الحديث . وقال ابن معين : ليس بشىء ، ولا يكتب حديثه .

الرجل يحلف على المعصية ، فلا يؤاخذه الله بتركها إن تركها. قلت : فكيف يصنع ؟ قال : يكفر عن يمينه ويترك المعصية .

٤٤٤٤ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير في قوله : « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم » ، قال : هو الرجل يحلف على الحرام ، فلا يؤاخذه الله بتركه .

٤٤٤٥ – حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا داود ، عن سعيد بن جبير قال في لغو اليمين قال: هي اليمين في المعصية، قال: أولا تقرأ فتفهم؟ قال الله : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ﴾ [سورة المائدة : ٨٩] ، قال : فلا يؤاخذه بالإلغاء ، ولكن يؤاخذه بالتمام عليها . (١) قال : وقال : « لا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم » إلى قوله : « فإنّ الله غفور حليم » . (٢)

٤٤٤٦ – حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن هشيم ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير في قوله: « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم » ، قال : الرجل يحلف على المعصية، فلا يؤاخذه الله بتركها، ويكفّر .

٤٤٤٧ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا وهب بن جرير قال ، حدثنا شعبة ، عن عاصم ، عن الشعبي ، عن مسروق ، في الرجل يحلف على المعصية ، ٢٤٥/٢
فقال : أيكفّر خُطوات الشيطان ؟ ليس عليه كفارة .

٤٤٤٨ – حدثني ابن المثنى قال، حدثنا وهب بن جرير قال ، حدثنا شعبة ، عن عاصم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس مثل ذلك .

---

(١) في المطبوعة : « بالإيفاء » ، وفي المخطوطة : « بالإيفاد » ، والصواب « بالإلغاء » ألغى الشيء : أبطله وأسقطه . وتم على الأمر تماماً : استمر عليه وأنفذه .

(٢) في المخطوطة والمطبوعة : « والله غفور حليم » ، سها الكاتب . وهذا صواب القراءة .

٤٤٤٩ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا ابن أبي عدى ، عن داود ، عن الشعبي ، فى الرجل يحلف على المعصية ، قال : كفارتها أن يتوب منها .

٤٤٥٠ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا مغيرة ، عن الشعبي أنه كان يقول : يترك المعصية ولا يكفر ، ولو أمرتُه بالكفارة لأمرته أن يَتِمّ على قوله .

٤٤٥١ – حدثنا يحيى بن داود الواسطى قال، حدثنا أبو أسامة، عن مجالد ، عن عامر ، عن مسروق قال: كل يمين لا يحلّ لك أن تفى بها، فليس فيها كفارة .

* * *

وعلة من قال هذا القول من الأثر ، ما : –

٤٤٥٢ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو أسامة ، عن الوليد بن كثير قال ، حدثنى عبد الرحمن بن الحارث ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من نذر فيما لا يملك فلا نذر له ، ومن حلف على معصية الله فلا يمين له ، ومن حلف على قطيعة رَحِمٍ فلا يمينَ له . (١)

٤٤٥٣ – حدثنى على بن سعيد الكندى قال ، حدثنا على بن مسهر ، عن حارثه بن محمد ، عن عمرة ، عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من حلف على يمينِ قطيعةِ رحم أو معصية لله، فبِرُّه أن يحنَث بها ويرجع عن يمينه . (٢)

* * *

(١) الحديث : ٤٤٥٢ – رواه الحاكم فى المستدرك ٤ : ٣٠٠ ، من طريق الحسن بن على بن عفان العامرى. والبيهقى فى السنن الكبرى ١٠ : ٣٣ ، من طريق أحمد بن عبد الحميد الحارثى – كلاهما عن أبى أسامة ، بهذا الإسناد . وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » . وتعقبه الذهبى فقال : « عبد الرحمن : متروك » ، وقال أبو حاتم : « شيخ » و « عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة » : ثقة ، كما مضى فى : ٣٨٢٧ .

ومعنى الحديث ثابت من أوجه كثيرة ، مجموعاً ومفرقاً ، فى المسند : ٦٧٣٢ ، ٦٧٨٠ ، ٦٧٨١ ، ٦٩٣٢ ، ٦٩٩٠ .

(٢) الحديث : ٤٤٥٣ – هذا حديث ضعيف جدا .

على بن مسهر القرشى الكوفى الحافظ : ثقة ثبت، ممن جمع الحديث والفقه أخرج له . الأئمة الستة .

وقال آخرون : اللغو من الأيمان : كل يمين وصَل الرجل بها كلامه ، على غير قصدٍ منه إيجابَها على نفسه .

* ذكر من قال ذلك :

٤٤٥٤ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا هشام قال ، حدثنا حماد ، عن إبراهيم قال : لغو اليمين ، أن يصل الرجل كلامه بالحلف : « والله ليأكلن ، والله ليشربن » ونحو هذا ، لا يتعمد به اليمين ، ولا يريد به حلفاً . ليس عليه كفارة .

٤٤٥٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن علية ، عن هشام الدستوائي ، عن حماد ، عن إبراهيم: لغو اليمين ، ما يصل به كلامه : « والله لتأكلن ، والله لتشربن » .

٤٤٥٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن الحكم ، عن مجاهد : « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم » ، قال : هما الرجلان يتساومان بالشيء ، فيقول أحدهما : « والله لا أشتريه منك بكذا» ، ويقول الآخر : « والله لا أبيعك بكذا وكذا » .

٤٤٥٧ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب : أن عروة حدثه : أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: أيمان اللغو ، ما كان في الهزل والمراء والخصومة، والحديث الذي لا يعتمد عليه القلب . (١)

* * *

حارثة بن محمد : هو حارثة بن أبي الرجال محمد بن عبد الرحمن ، يروى عن جدته أم أبيه عمرة بنت عبد الرحمن . وهو ضعيف جداً . قال البخاري في الكبير ٢/١/٨٧ ، والصغير : ١٧٤ ، والضعفاء : ١١ – « منكر الحديث » ، وقال أحمد : « ضعيف ، ليس بشيء » . وقال البخاري في الصغير : « لم يعتد أحمد بحارثة بن أبي الرجال » .

والحديث لم أجده في شيء من المراجع .

(١) أخشى أن يكون الصواب : « لا يعقد عليه . . . » .

وعلّة من قال هذا القول من الأثر ، ما : —

٤٤٥٨ — حدثنا به محمد بن موسى الحرشي قال ، حدثنا عبيد الله بن ميمون المرادى قال ، حدثنا عوف الأعرابى ، عن الحسن بن أبى الحسن قال : مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوم ينتضلون — يعنى : يرمون — ومع النبى صلى الله عليه وسلم رجل من أصحابه ، فرمى رجل من القوم فقال : أصبت والله ، وأخطأت ! فقال الذى مع النبى صلى الله عليه وسلم : حنث الرجل يا رسول الله ! قال : كلا ، أيمان الرُّماة لغو لا كفارة فيها ولا عقوبة .(١)

• • •

وقال آخرون : اللغو من الأيمان ، ما كان من يمينٍ بمعنى الدعاء من الحالف على نفسه : إن لم يفعل كذا وكذا ، أو بمعنى الشرك والكفر .

• ذكر من قال ذلك :

٤٤٥٩ — حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصرى قال ، حدثنا إسمعيل بن مرزوق ، عن يحيى بن أيوب ، عن محمد بن عجلان ، عن زيد بن أسلم فى قول الله : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم » ، قال : هو كقول الرجل : « أعمى الله بصرى إن لم أفعل كذا وكذا — أخرجنى الله من مالى إن لم آتك غداً » ، فهو هذا ، ولا يترك الله له مالا ولا ولداً . يقول : لو يؤاخذكم الله بهذا لم يترك لكم شيئاً .

---

(١) الحديث : ٤٤٥٨ — محمد بن موسى بن نفيع الحرشى ، شيخ الطبرى : ثقة ، ذكره ابن حبان فى الثقات ، وقال النسائى : « صالح » .

عبيد الله بن ميمون المرادى : لا أعرف من هو ؟ ولم أجد له ترجمة . وفى ابن كثير — عن هذا الموضع : « عبد الله » ، بدل « عبيد الله » ، فلا أدرى أيهما الصحيح . والحسن بن أبى الحسن : هو الحسن البصرى .

وهذا الحديث نقله ابن كثير ١ : ٥٢٧ ، عن هذا الموضع . وقال : « هذا مرسل حسن ، عن الحسن » ، ولعله أعجبه الجناس والسجع . أما المرسل فإنه ضعيف ، لجهالة الواسطة بعد التابعى ، كما هو معروف .

ونقله السيوطى أيضاً ١ : ٢٦٩ ، ولم ينسبه لغير الطبرى .

٤٤٦٠ – حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ، حدثنا إسمعيل قال ، حدثني يحيي بن أيوب ، عن عمرو بن الحارث ، عن زيد بن أسلم بمثله .

٤٤٦١ – حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ، حدثنا إسمعيل بن مرزوق قال ، حدثني يحيي بن أيوب ، أن زيد بن أسلم كان يقول فى قوله : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم » ، مثل قول الرجل : «هو كافر ، وهو مشرك » . قال : لا يؤاخذه حتى يكون ذلك من قلبه . ٢٤٦/٢

٤٤٦٢ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم » ، قال : اللغو فى هذا : الحلف بالله ما كان بالألسن ، فجعله لغواً ، وهو أن يقول : « هو كافر بالله ، وهو إذاً يشرك بالله ، وهو يدعو مع الله إلهاً » ، فهذا اللغو الذى قال الله فى « سورة البقرة » .

* * *

وقال آخرون : اللغو من الأيمان ما كانت فيه كفارة .

* ذكر من قال ذلك :

٤٤٦٣ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ابن صالح ، عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم » ، فهذا فى الرجل يحلف على أمر إضرار أن يفعله فلا يفعله ، فيرى الذى هو خير منه ، فأمره الله أن يكفر يمينه ، ويأتى الذى هو خير . (١)

٤٤٦٤ – حدثني يحيي بن جعفر قال ، حدثنا يزيد بن هرون قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم » ، قال : اليمين المكفرة .

* * *

وقال آخرون : اللغو من الأيمان : هو ما حنث فيه الحالف ناسياً .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) الأثر : ٤٤٦٣ – هو مختصر الأثر السالف رقم : ٤٤٠٤ ، وانظر التعليق هناك .

٤٤٦٥ – حدثني الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا هشيم قال ، أخبرني مغيرة ، عن إبراهيم قال : هو الرجل يحلف على الشيء ثم ينساه ، يعني في قوله : « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم » .

* * *

قال أبو جعفر : و « اللغو » من الكلام في كلام العرب ، كلّ كلام كان مذموماً وسَقَطاً لامعنى له مهجوراً، [1] يقال منه : « لغا فلان في كلامه يلغُو لَغْواً » إذا قال قبيحاً من الكلام، ومنه قول الله تعالى ذكره: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ﴾ [سورة القصص ٥٥]، وقوله : ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً ﴾ [سورة الفرقان : ٧٢] . ومسموع من العرب : « لَغَيْتُ باسم فلان » ، بمعنى أولعت بذكره بالقبيح. فمن قال : « لَغَيْت»، قال : « أَلْغَى لَغاً » وهي لغة لبعض العرب، ومنه قول الراجز [2] :

وَرَبِّ أَسْرَابِ حَجِيجٍ كُظَّمِ عَنِ اللَّغَا وَرَفَثِ التَّكَلُّمِ [3]

فإذا كان «اللغو » ما وصفت ، وكان الحالفُ بالله : « ما فعلت كذا » وقد فعل ، « ولقد فعلتُ كذا » وما فعل – واصلاً بذلك كلامه على سبيل سُبوق لسانه من غير تعمد إثم في يمينه، [4] ولكن لعادة قد جرت له عند عجلة الكلام = والقائلُ : « والله إنّ هذا لَفُلان » وهو يراه كما قال، أو : « والله ما هذا فلان ! » وهو يراه ليس به = والقائلُ : « ليفعلنّ كذا والله – أو : لا يفعل كذا والله » على سبيل ما وصفنا من عجلة الكلام وسبوق اللسان للعادة ، [4] على غير تعمد

---

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « وفعلا » ، وهي كلمة محرفة بلا شك ، والصواب فيما أرجح « وسقطا » لم يجد الناسخ قراءتها فحرفها . و « السقط » : الخطأ ، وما تسقطه فلا تعتد به . وهجر يهجر هجراً : إذا خلط في كلامه وهذى وأفحش . والكلام مهجور .

(٢) هو رؤبة بن العجاج .

(٣) مضى تخريج هذا الرجز في ٣ : ٤٨٨ – ٤٨٩ .

(٤) انظر التعليق على قوله « سبوق » فيما سلف من هذا الجزء : ٢٨٧، تعليق : ٤/وص: ٤٢٧

حلف على باطل = والقائل : « هو مشرك ، أو هو يهودى أو نصرانى ، إن لم يفعل كذا — أو إن فعل كذا » من غير عزم على كفر أو يهودية أو نصرانية =[١] جميعهم قائلون هُجْراً من القول وذميماً من المنطق ،[٢] وحالفون من الأيمان بألسنتهم ما لم تتعمد فيه الإثمَ قلوبهم =[٣] كان معلوماً أنهم لُغاةٌ فى أيمانهم ، لا تلزمهم كفارة فى العاجل ، ولاعقوبة فى الآجل ، لإخبار الله تعالى ذكره أنه غير مؤاخذ عبادَه ، بما لغوا من أيمانهم ، وأنّ الذى هو مؤاخذهم به ، ما تعمدت فيه الإثمَ قلوبُهم .

وإذ كان ذلك كذلك = وكان صحيحاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من حلف على يمين فرأى غيرَها خيراً منها ، فليأت الذى هو خير ، وليكفر عن يمينه » ، فأوجب الكفارة بإتيان الحالف ما حلف أن لا يأتيه ، مع وجوب إتيان الذى هو خير من الذى حلف عليه أن لا يأتيه ، وكانت الغرامةُ فى المال — أو إلزام الجزاء من المجزىّ أبْدالَ الجازين =[٤] لا شك عقوبةٌ كبعض العقوبات التى جعلها الله تعالى ذكره نكالاً لخلقه فيما تعدّوا من حدوده ، وإن كان

---

(١) سياق هذه الجمل التى وضعت قبلها الخطوط : فإذا كان اللغو ما وصفت ، وكان الحالف . . . والقائل . . . والقائل . . . جميعهم قائلون . . . »

(٢) الهجر من الكلام (بضم الهاء وسكون الجيم) : القول السيء القبيح ، والتخليط والفحش .

(٣) قوله : « كان معلوماً . . . » جواب قوله : « وإذا كان اللغو ما وصفت ، وكان الحالف بالله . . . » . وقوله : « لغاة » ، جمع « لاغ » مثل « قاض وقضاة » .

(٤) فى المطبوعة : « أبدان الجارين » ، وفى المخطوطة « أبدان الجازين » ، وكأن الصواب ما أثبت ، فإنه يعنى بهذا ، ما فرضه الله تعالى فى قوله فى سورة المائدة : ٩٥ :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ﴾

وقد فسر الطبرى الجزاء هناك (٧ : ٢٨) فقال : « وعليه كفارة وبدل » . فقوله هنا : « المجزى » يعنى الصيد المقتول الذى يكون جزاؤه مثله من النعم ، وقوله « من المجزى» يعنى « بدلا منه » . والأبدال هنا هى الكفارات . والجازى : المكفر عن قتله الصيد بمثله من النعم .

يجمع جميعها أنها تمحيص وكفارات لمن عوقب بها فيما عوقبوا عليه =[1] كان بيناً أنّ من ألزم الكفارة فى عاجل دنياه فيما حلف به من الأيمان فحنِث فيه ، وإن كانت كفارة لذنبه ، فقد واخذه الله بها بإلزامه إياه الكفارة منها ، وإن كان ما عجّل ٢٤٧/٢ من عقوبته إياه على ذلك ، مُسْقطاً عنه عقوبته فى آجله . وإذ كان تعالى ذكره قد واخذه بها ، فغيرُ جائز لقائل أن يقول وقد واخذه بها : هى من اللغو الذى لا يؤاخذ به قائله .

فإذ كان ذلك غيرَ جائز ، فبيِّنٌ فساد القول الذى روى عن سعيد بن جبير أنه قال : « اللغو الحلف على المعصية » ، لأن ذلك لو كان كذلك ، لم يكن على الحالف على معصية الله كفارة بحِنْثه فى يمينه . وفى إيجاب سعيدٍ عليه الكفارة ، دليلٌ واضح على أن صاحبها بها مؤاخذ ، لما وصفنا من أن من لزمه الكفارة فى يمينه ، فليس ممن لم يؤاخذ بها .

فإذ كان « اللغو » هو ما وصفنا= مما أخبرنا الله تعالى ذكره أنه غير مؤاخذنا به — وكلُّ يمين لزمت صاحبَها بحنثه فيها الكفارةُ فى العاجل ، أو أوعد الله تعالى ذكره صاحبها العقوبةَ عليها فى الآجل ، وإن كان وَضَع عنه كفارتها فى العاجل — فهى مما كسبته قلوب الحالفين ، وتعمدت فيه الإثم نفوس المقسمين . وما عدا ذلك فهو « اللغو » ، وقد بينا وجوهه[2]= فتأويل الكلام إذاً : لا تجعلوا الله أيها المؤمنون قوةً لأيمانكم ،[3] وحجة لأنفسكم فى إقسامكم ، فى أن لا تبرُّوا ولا تتقوا ولا تصلحوا بين الناس ، فإن الله لا يؤاخذكم بمالَغَتْه ألسنتكم من أيمانكم فنطقت به من قبيح

---

(١) سياق هذه الجملة : « وإذ كان ذلك كذلك ، وكان صحيحاً عن رسول الله . . . وكانت الغرامة فى المال . . . كان بيناً أن . . . »

(٢) سياق هذه الجملة : فإذ كان اللغو هو ما وصفنا ... وكل يمين لزمت صاحبها بحنثه ... فهى مما كسبته قلوب الحالفين . . . فتأويل الكلام إذا . . . »

(٣) فى المطبوعة : « عرضة لأيمانكم » ، والصواب ما أثبت من المخطوطة .

الأيمان وذميمها، على غير تعمُّدكم الإثم، وقصدِكم بعزائم صدوركم إلى إيجاب عقْد الأيمان التى حلفتم بها، ولكنه إنما يؤاخذكم بما تعمدتم فيه عقد اليمين وإيجابها على أنفسكم، وعزمتم على الإتمام على ما حلفتم عليه بقصدٍ منكم وإرادة ،(١) فيلزمكم حينئذ إمّا كفارة فى العاجل ، وإمّا عقوبة فى الآجل .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى أوعد الله تعالى ذكره بقوله : « ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم » عبادَه أنه مؤاخذهم به ،(٢) بعد إجماع جميعهم على أن معنى قوله : « بما كسبت قلوبكم » ، ما تعمدت .(٣)

فقال بعضهم: المعنى الذى أوعد الله عبادَه مؤاخذتهم به : هو حلف الحالف منهم على كذب وباطل .

* ذكر من قال ذلك :

٤٤٦٦ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم قال : إذا حلف الرجل على اليمين وهو يرى أنه صادق وهو كاذب ، فلا يؤاخذ بها . وإذا حلف وهو يعلم أنه كاذب، فذاك الذى يؤاخذ به .

---

(١) « الإتمام على ما حلفتم » يعنى الاستمرار عليه وإمضاءه . وقد سلف آنفاً فى كلامه « التمام عليها » ص ٤٤١ ، و « تم على قوله » فى الأثر : ٤٤٥٠ ، ولكنه استعمل هنا « الإتمام » من « أتم على الأمر » ، وليست فى كتب اللغة ، ولكنها جائزة فى العربية ، صحيحة فى قياسها .

(٢) « عباده » مفعول : « أوعد الله تعالى . . . »

(٣) انظر تفسير « الكسب » فيما سلف ٢ : ٢٧٣ — ٢٧٤ / ثم ٣ : ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٢٨ ، ١٢٩ .

٤٤٦٧ – حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال، حدثنا حسين الجعفي، عن زائدة، عن منصور قال: قال إبراهيم: «ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم»، قال: أن يحلف على الشيء وهو يعلم أنه كاذب، فذاك الذي يؤاخذ به.

٤٤٦٨ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن عمرو، عن منصور، عن إبراهيم: «ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم»، أن تحلف وأنت كاذب.

٤٤٦٩ – حدثني المثنى قال، [حدثنا عبد الله بن صالح] حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ﴾ [سورة المائدة: ٨٩]، وذلك اليمين الصبر الكاذبة، يحلف بها الرجل على ظلم أو قطيعة، فتلك لا كفارة لها إلا أن يترك ذلك الظلم، أو يرد ذلك المال إلى أهله، وهو قوله تعالى ذكره: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ إلى قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة آل عمران: ٧٧].(١)

٤٤٧٠ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: «ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم»، ما عقدت عليه.

٤٤٧١ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

٤٤٧٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن عبد الملك، عن عطاء

---

(١) الأثر ٤٤٦٩ – الآية التي في صدر هذا الأثر، هي آية المائدة، وأخشى أن يكون الصواب ما نحن فيه من آية البقرة، ولكن المطبوعة والمخطوطة اتفقتا جميعاً على ذلك. بيد أني أرجح ما قلت، لأن أبا جعفر روى في تفسير آية المائدة (٧ : ١١ بولاق)، عن «المثنى قال حدثنا عبد الله بن صالح . . .» إلى آخر إسناده إلى ابن عباس، ثم ذكر آية المائدة، ولم يأت فيها بنص هذا الأثر. وقد أسقط في المخطوطة والمطبوعة ما وضعته بين القوسين، وهو إسناد دائر في التفسير، أقربه رقم: ٤٤٦٣.

وقوله: «اليمين الصبر»، الأجود أن تكون «يمين الصبر» بحذف التعريف، وإن كانت هذه جائزة حسنة. ويمين الصبر: هي اليمين التي يمسكك الحاكم عليها حتى تحلف، وإن حلف إنسان بغير إحلاف، لم تكن «يمين صبر».

قال : لاتؤاخذ حتى تُصْعِد للأمر ،[1] ثم تحلف عليه بالله الذى لا إله إلاّ هو . فتعقد عليه يمينك .

* * *

= قال أبو جعفر : والواجب على هذا التأويل أن يكون قوله تعالى ذكره : « ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم » ، فى الآخرة بها بما شاء من العقوبات — وأن تكون الكفارة إنما تلزم الحالف فى الأيمان التى هى لغو . وكذلك روى عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : أنه كان لا يرى الكفارة إلاّ فى الأيمان التى تكون لغواً ، فأما ما كسبته القلوب وعقدت فيه على الإثم ، فلم يكن يوجبُ فيه الكفارة . وقد ذكرنا الرواية عنهم بذلك فيما مضى قبل .[2] ٢٤٨/٢

وإذ كان ذلك تأويلَ الآية عندهم ، فالواجب على مذهبهم أن يكون معنى الآية فى سورة المائدة :[3] لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ، فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم — ولكن يؤاخذكم بما عقّدتم الأيمان ،[4] واحفظوا أيمانكم .

وبنحو ما ذكرناه عن ابن عباس من القول فى ذلك ، كان سعيد بن جبير والضحاك ابن مزاحم وجماعة أخر غيرهم يقولون ، وقد ذكرنا الرواية عنهم بذلك آنفاً .[5]

* * *

(١) فى المطبوعة : « تقصد للأمر » والإصعاد : الإقبال على الشىء والتوجه له ، ومنه قول حسان بن ثابت فى خيل :

[يُبَارِينَ الأَعِنَّةَ مُصْعِدَاتٍ عَلَى أَكتَافِهَا الأَسَلُ الظِّمَاءُ]

يعنى مقبلات متوجهات نحوكم .

(٢) انظر ما سلف ، الأثر رقم : ٤٤٠٤ .

(٣) سورة المائدة : ٨٩ .

(٤) فى المخطوطة والمطبوعة « ولكن يؤاخذكم بما عقدتم واحفظوا » فأثبت الكلمة التى أغفلها الناسخ من الآية . ويعنى الطبرى أن قوله تعالى : « ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان » من المقدم الذى يراد به التأخير ، ولذلك ساق الآية بنصها إلا هذه الجملة ، فأخرها إلى مكانها على معنى تأويلهم هذا .

(٥) هى الآثار السالفة من : ٤٤٣٦

(١) وقال آخرون : المعنى الذى أوعد الله تعالى عبادَه المؤاخذةَ بهذه الآية ، (٢) هو حلف الحالف على باطل يعلمه باطلاً . وفى ذلك أوجب الله عندهم الكفارة ، دون اللغو الذى يحلف به الحالف وهو مخطىء فى حلفه ، يحسب أن الذى حلف عليه كما حلف ، وليس ذلك كذلك .

* ذكر من قال ذلك :

٤٤٧٣ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة: « ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم » ، يقول : بما تعمدت قلوبكم ، وما تعمدت فيه المأثم ، فهذا عليك فيه الكفارة .

٤٤٧٣ م – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ،عن أبيه، عن الربيع مثله سواء .

* * *

= وإلى هذا الموضع انتهى تقسيم قديم للنسخة التى نقلت عنها مخطوطتنا ، وجاء فيها ما نصه.

« يتلوه : وَقال آخَرُونَ : المَعْنَى الذِى أَوْعَدَ اللهُ عِبَادَهُ المُؤاخذةَ .

وَصَلى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِى وَآلِهِ كَثِيراً

* * *

على الأصل المنقول منه

بَلَغْتُ بِالسماعِ مِنْ أوله بقِرَاءتى عَلَى القَاضِى أبى الحَسَن الخصِيبى ، عنْ أبى محمد الفرغَانى، عَنْ أبى جعفر الطبرىّ –وَأخِى علىّ حرسه الله، ومحمد بن على الا..... .... وَنصر بن الحسين الطبرى ، ومحمد بن محمد بن أحمد بن عيسى السعدى –. فى شعبان سنة ثمان وَأربع مئة »

(١) أوله فى المخطوطة :

« بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرحِيمِ

رَبِّ يَسِّرْ »

(٢) فى المطبوعة : « المؤاخذة به بهذه الآية » ، والذى فى المخطوطة أجود .

وكأنَّ قائلي هذه المقالة ، وجَّهوا تأويل مؤاخذة الله عبدَه على ما كسبه قلبه من الأيمان الفاجرة ، إلى أنها مؤاخذةٌ منه له بها بإلزامه الكفارة فيه . وقال بنحو قول قتادة جماعة أخر ، في إيجاب الكفارة على الحالف اليمينَ الفاجرةَ ، منهم عطاءٌ والحكم .

٤٤٧٤ — حدثنا أبو كريب ويعقوب قالا ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حجاج ، عن عطاء والحكم ، أنهما كانا يقولان فيمن حلف كاذباً متعمداً : يكفِّر .

* * *

وقال آخرون : بل ذلك معنيان : أحدهما مؤاخذ به العبدَ في حال الدنيا بإلزام الله إياه الكفارةَ منه ، والآخر منهما مؤاخذٌ به في الآخرة إلاّ أن يعفو .

* ذكر من قال ذلك :

٤٤٧٥ — حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم » أمَّا ، « ما كسبت قلوبكم » فما عقدت قلوبكم ، فالرجل يحلف على اليمين يعلم أنها كاذبة — إرادةَ أن يقضي أمرَه . والأيمان ثلاثة : « اللغو ، والعمد ، والغَموس » . والرجل يحلف على اليمين وهو يريد أن يفعل ، ثم يرى خيراً من ذلك ، فهذه اليمين التي قال الله تعالى ذكره : « ولكن يؤاخذكم بما عقَّدتم الأيمان » ، فهذه لها كفارة

* * *

وكأنَّ قائل هذه المقالة ، وجَّه تأويل قوله : « ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم » ، إلى غير ما وجَّه إليه تأويل قوله : « ولكن يؤاخذكم بما عقَّدتم الأيمان » ، وجعل قوله : « بما كسبت قلوبكم » ، الغموسَ من الأيمان التي يحلف بها الحالف على علم منه بأنه في حلفه بها مبطل — وقوله : « بما عقَّدتم الأيمان » ، اليمينَ التي يستأنف فيها الحِنثَ أو البرَّ ، وهو في حال حلفه بها عازم على أن يبرَّ فيها .

* * *

وقال آخرون : بل ذلك : هو اعتقاد الشرك بالله والكفر .

* ذكر من قال ذلك :

٤٤٧٦ – حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ، حدثنا إسمعيل بن مرزوق قال ، حدثني يحيي بن أيوب ، عن محمد – يعني ابن عجلان – : أن زيد بن أسلم كان يقول في قول الله تعالى ذكره : « ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم »، مثل قول الرجل : « هو كافر ، هو مشرك » ، قال : لا يؤاخذه الله حتى يكون ذلك من قلبه . (١)

٤٤٧٧ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم »، قال : اللغو في هذا، الحلف بالله ما كان بالألسن ، فجعله لغواً، وهو أن يقول : « هو كافر بالله ، وهو إذاً يشرك بالله ، وهو يدعو مع الله إلهاً »، فهذا اللغو الذي قال الله تعالى في « سورة البقرة »: « ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم » ، قال : بما كان في قلوبكم صدقاً ، واخذك به . فإن لم يكن في قلبك صدقاً لم يؤاخذك به ، وإن أثمتَ . (٢)

* * *

٢٤٩/٢ قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك ، أن يقال : إن الله تعالى ذكره أوعد عباده أن يؤاخذهم بما كسبت قلوبهم من الأيمان ، فالذي تكسبه قلوبهم من الأيمان هو ما قصدته وعزمت عليه على علم ومعرفة منها بما تقصده وتريده ، وذلك يكون منها على وجهين :

أحدهما : على وجه العزم على ما يكون به العازم عليه في حال عزمه بالعزم عليه آثماً، وبفعله مستحقاً المؤاخذةَ من الله عليها . وذلك كالحالف على الشيء الذي لم يفعله أنه قد فعله ، وعلى الشيء الذي قد فعله أنه لم يفعله ، قاصداً قِيلَ الكذب ، (٣) وذاكراً أنه قد فعل ما حلف عليه أنه لم يفعله ، أو أنه لم يفعل ما حلف

---

(١) الأثر : ٤٤٧٦ – هو الأثر السالف رقم : ٤٤٦١ .

(٢) الأثر : ٤٤٧٧ – هو تمام الأثر السالف رقم : ٤٤٦٢ .

(٣) في المخطوطة « امل الكذب » ، خطأ من ناسخ لم يحسن قراءة الأصل ، وفي المطبوعة : « القيل الكذب » ، والصواب الجيد ما أثبت .

عليه أنه قد فعل. فيكون الحالف بذلك — إن كان من أهل الإيمان بالله وبرسوله — فى مشيئة الله يوم القيامة ، إن شاء واخذه به فى الآخرة ، وإن شاء عفا عنه بتفضله ، ولا كفارة عليه فيها فى العاجل ، لأنها ليست من الأيمان التى يحنث فيها . وإنما تجب الكفارة فى الأيمان بالحِنث فيها . والحالف الكاذب فى يمينه ، ليست يمينه مما يُبْتَدَأ فيه الحنث ، فتلزم فيه الكفارة . (١)

والوجه الآخر منهما : على وجه العزم على إيجاب عقد اليمين فى حال عزمه على ذلك . فذلك مما لا يؤاخذ به صاحبه حتى يحنث فيه بعد حلفه . فإذا حنِث فيه بعد حلفه ، كان مؤاخذا بما كان اكتسبه قلبه — من الحلف بالله على إثم وكذِب — فى العاجل بالكفارة التى جعلها الله كفارةً لذنبه .

* *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (٢٢٥)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : «والله غفورٌ» لعباده فيما لَغَوْا من أيمانهم التى أخبر الله تعالى ذكره أنه لا يؤاخذهم بها ، ولو شاء وَاخذهم بها = ولما واخذهم به فكفَّروها فى عاجل الدنيا بالتكفير فيه ، (٢) ولو شاء واخذهم فى آجل الآخرة بالعقوبة عليه ، فساتر عليهم فيها ، (٣) وصافح لهم بعفوه عن العقوبة فيها ، وغير ذلك من ذنوبهم = « حليمٌ » فى تركه معاجلة أهل معصيته العقوبةَ على معاصيهم .

* * *

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « وإنما الكفارة تجب » ، ولكن المخطوطة قد وضعت بين الكلمتين علامة هكذا « ˜ » هى التى تدل على تقديم آخر الكلمتين على الأولى .

(٢) فى المطبوعة « ولما واخذهم بها » ، والصواب من المخطوطة . والسياق . « والله غفور لعباده فيما لغوا من أيمانهم . . . ولما واخذهم به .

(٣) قوله : « فساتر » ، عطف عليه قوله : « والله غفور » .

القول فى تأويل قوله تعالى﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « للذين يؤلون »، للذين يقسمون أليّة، « والألية »الحلف ، كما : —

٤٤٧٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا مسلمة بن علقمة قال ، حدثنا داود بن أبى هند ، عن سعيد بن المسيب فى قوله: « للذين يؤلون »، يحلفون .

* * *

يقال : « آلى فلان يُؤْلى إيلاء وأليّة » ، كما قال الشاعر :

كَفَيْنَا مَنْ تَغَيَّبَ فى تُرَابٍ وَأَحْنَثْنَا أَلِيَّةَ مُقْسِمِينَا(١)

ويقال : « أَلْوة وأُلْوة » ، كما قال الراجز :

* يَاأَلْوَةً مَا أَلْوَةً مَا أُلْوَتِى * (٢)

وقد حكى عنهم أيضاً أنهم يقولون : « إلوة » مكسورة الألف .

* * *

« والتربص »: النظر والتوقف .

* * *

ومعنى الكلام : للذين يؤلون أن يعتزلوا من نسائهم تربص أربعة أشهر ، فترك ذكر « أن يعتزلوا » ، اكتفاء بدلالة ما ظهر من الكلام عليه .

* * *

واختلف أهل التأويل فى صفة اليمين التى يكون بها الرجل مولياً من امرأته .

---

(١) لم أجد البيت ،ولم أعرف قائله . وكان فى المخطوطة والمطبوعة : « من تراب » ، وصواب معناه يقتضى ما أثبت .

(٢) لم أجد هذا الرجز . وفى المطبوعة : « ما ألوى » ، والصواب من المخطوطة .

فقال بعضهم : اليمين التي يكون بها الرجل مُولياً من إمرأته : أن يحلف عليها – في حال غضب على وجه الضِّرار – أن لا يجامعها في فرجها ،[1] فأما إن حلف على غير وجه الإضرار ، وعلى غير غضب ، فليس هو مولياً منها .

* ذكر من قال ذلك :

٤٤٧٩ – حدثنا هناد بن السرى قال ، حدثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن حريث بن عميرة ، عن أم عطية قالت ، قال جبير : أرضعى ابن أخى مع ابنك ! فقالت : ما أستطيع أن أرضع اثنين ! فحلف أن لا يقرَبها حتى تفطِمه . فلما فطمته مرّ به على المجلس ، فقال له القوم : حسناً ما غَدَوْتموه ! قال جبير : إنىّ حلفت أن لا أقربها حتى تفطمه ! فقال له القوم : هذا إيلاءٌ ! ! فأتى علياً فاستفتاه ، فقال : إن كنتَ فعلت ذلك غضباً فلا تصلح لك امرأتك ، وإلاّ فهى امرأتك .[1]

٤٤٨٠ – حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن سماك ، أنه سمع عطية بن جبير قال : توفيت أمُّ صبىٍّ نسيبةٌ لى ،

---

(١) فى المطبوعة : « على وجه الإضرار لها » . والضرار : إلحاق الضرر بها ، وفى الموضع التالى : « الإضرار » ، فى المطبوعة والمخطوطة .

(٢) الآثار : ٤٤٧٩ – ٤٤٨٥ – خبر سماك ، ذكره البخارى فى الكبير ١٢/١/٤ : « عطية بن جبير العنزى ، قاله شعبة عن سماك . وقال سفيان عن سماك ، عن أبى عطية بن جبير . وقال أبو الأحوص عن حريث بن عميرة ، عن أم عطية : أن جبيراً حلف ، فأتى علياً » . وفى الجرح والتعديل ٢٦٢/٢/١ : « حريث بن عميرة ، روى عن أم عطية . روى عنه سماك بن حرب ، فى رواية أبى الأحوص عن سماك عنه . وروى إبراهيم بن طهمان ، عن سماك ، عن حريث ، عن عطية بن جبير ، عن أبيه ، قال : قلت لعلى – سمعت أبى يقول ذلك » . وذكره ابن أبى حاتم أيضاً فى الجرح والتعديل ٣٨١/١/٣ – ٣٨٢ : « عطية بن جبير العنزى » واختلف فيه الرواة من سماك بن حرب . فقال شعبة ، عن سماك ، عن عطية بن جبير ، قال قلت لعلى رضى الله عنه . وروى أبو الأحوص ، عن سماك ، عن حريث بن عمير ، عن عطية ، عن على . وروى حماد بن سلمة ، عن سماك ، عن أم عطية ، عن على . وروى سفيان الثورى ، عن سماك ، عن أبى عطية بن جبير ، عن على – سمعت أبى يقول بعض ذلك ، وبعضه من قبلى »

ورواه البيهقى فى السنن ٧ : ٣٨١ – ٣٨٢ ، من طريق داود بن أبى هند ، عن سماك ، عن رجل من بنى عجل ، عن أبى عطية أنه تزوج امرأة أخيه وهى ترضع بابن أخيه » ، ورواه من طريق عبيد الله بن معاذ ، عن أبيه ، عن شعبة عن سماك ، عن عطية بن جبير قال : كانت أمى ترضع صبياً . . . »

٢/٢٠٠ فكانت امرأة أبي تُرضعه، فحلف أن لا يقربها حتى تفطمه . فلما مضت أربعة أشهر قيل له : قد بانت منك ! — وأحسب ، شك أبو جعفر ، قال — : فأتى علياً يستفتيه فقال : إن كنت قلت ذلك غضباً فلا امرأة لك ، وإلا فهي امرأتك .

٤٤٨١ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا أبو داود قال ، حدثنا شعبة قال ، أخبرني سماك قال ، سمعت عطية بن جبير — يذكر نحوه عن علي .

٤٤٨٢ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد قال ، حدثنا داود، عن سماك ، عن رجل من بني عجل ، عن أبي عطية : أنه توفى أخوه وترك ابناً له صغيراً ، فقال أبو عطية لامرأته : أرضعيه ! فقالت : إني أخشى أن تُغيلهما ، (١) فحلف أن لا يقربها حتى تفطمهما ، ففعل حتى فطمتهما . فخرج ابن أخي أبي عطية إلى المجلس ، فقالوا : لَحُسْنَ ما غذا أبو عطية ابن أخيه ! (٢) قال : كلا ! زعمت أم عطية أنّ أغيلهما ، فحلفتُ أن لا أقربها حتى تفطمهما . فقالوا له : قد حرُمت عليك امرأتك ! فذكرت ذلك لعلي رضي الله عنه ، فقال علي : إنما أردتَ الخيرَ ، وإنما الإيلاء في الغضب .

٤٤٨٣ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا عبد الأعلى قال، حدثنا داود، عن سماك ، عن أبي عطية : أن أخاه توفى — فذكر نحوه .

٤٤٨٤ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال ، أخبرنا داود ابن أبي هند ، عن سماك بن حرب : أن رجلا هلك أخوه فقال لامرأته : أرضعي

---

(١) أغالت المرأة ولدها ، وأغال فلان ولده : إذ غشى أمه وهو ترضعه . واسم لبنها ذاك « الغيل » كانوا يقولون : إذا شربه الولد ضوى واعتل منه، واسم الفعل « الغيلة » (بكسر الغين) ، وفي سنن البيهقي : « إني أخشى أن تغتاله » ، وهي اشتقاق منها ، لم يرد في كتب اللغة .

(٢) في المطبوعة : « غذى » وما في المخطوطة أجود وقوله : « لحسن » أصلها « حسن » فعل (بفتح الحاء وضم السين) ، فنقل إلى معنى المدح ، فخففت السين وسكنت ، ونقلت حركتها إلى الحاء. قال سهم بن حنظلة الغنوي :

لم يمنعِ النَّاسُ مِنِّي ما أَرَدْتُ ، وَمَا أَعْطِيهِمُ ما أَرَادُوا، حُسْنَ ذَا أَدَبا

فهي بمنزلة « نعم وبئس » .

ابن أخى . فقالت : أخاف أن تقع علىّ ! فحلف أن لا يمسّها حتى تفطِم . فأمسك عنها ، حتى إذا فطمته أخرج الغلامَ إلى قومه ، فقالوا : لقد أحسنت غذاءه ! فذكر لهم شأنه ، فذكروا امرأته ، قال : فذهب إلى على — فاستحلفه بالله : « ما أردت بذلك ؟ » ، — يعنى إيلاءً ، قال : فردّها عليه .

٤٤٨٥ — حدثنا على بن عبد الأعلى قال ، [1] حدثنا المحاربى ، عن أشعث ابن سوار ، عن سماك ، عن عطية بن أبى عطية قال : توفى أخ لى وترك يتيما له رضيعاً ، وكنت رجلا معسراً ، لم يكن بيدى ما أسترضع له . قال : فقالت لى امرأتى ، وكان لى منها ابن ترضعه — إن كفيتنى نفسَك كفيتكهما ! فقلت : وكيف أكفيك نفسى ؟ قالت لا تقربنى . فقلت : والله لا أقربك حتى تفطميهما . قال ففطمتهما وخرجا على القوم ، فقالوا : ما نراك إلا قد أحسنت ولايتهما ! قال : فقصصت عليهم القصة ، فقالوا : ما نراك إلا آليت منها وبانت منك ! قال : فأتيت علياً فقصصت عليه القصة ، فقال : إنما الإيلاء ما أريد به الإيلاء .

٤٤٨٦ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا محمد بن بكر البرسانى قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن جابر بن زيد ، عن ابن عباس قال : لا إيلاء إلا بغضب .

٤٤٨٧ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا سعيد ، عن عمرو بن دينار ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : لا إيلاء إلاّ بغضب .

٤٤٨٨ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا أبو وكيع ، عن أبى فزارة ، عن يزيد بن الأصم ، عن ابن عباس قال : لا إيلاء إلاّ بغضب . [2]

---

(١) هكذا فى المخطوطة والمطبوعة . وأظن الصواب « محمد بن عبد الأعلى الصنعانى » شيخ الطبرى. ولم أجد فى شيوخه : « على بن عبد الأعلى » . وانظر ما سيأتى رقم : ٤٦٦٩

(٢) الأثر : ٤٤٨٨ — « عبد الرحمن » ، هو عبد الرحمن بن مهدى . « أبو وكيع » هو : الجراح ابن مليح الرؤاسى . قال أبو داود : ثقة . وقال النسائى : ليس به بأس . وسئل الدارقطنى عنه فقال :

٤٤٨٩ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الوهاب قال، حدثنا داود ، عن سماك بن حرب ، عن أبي عطية ، عن عليّ قال : لا إيلاء إلا بغضب. (١)

٤٤٩٠ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الأعلى ، عن سعيد ، عن قتادة ، أن عليا قال : إذا قال الرجل لامرأته وهي تُرضع : « والله لاقربَنَّك حتى تفطمي ولدي » ، يريد به صلاحَ ولده ، قال : ليس عليه إيلاء .

٤٤٩١ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا إسحق بن منصور السلولي ، عن محمد بن مسلم الطائفي ، عن عمرو بن دينار ، عن سعيد بن جبير قال : جاء رجل إلى عليّ فقال : إني قلت لامرأتي لا أقربها ستين . قال : قد آليت منها . قال : إنما قلت لأنها ترضع ! قال : فلا إذاً .

٤٤٩٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن داود بن أبي هند ، عن سماك بن حرب ، عن أبي عطية ، عن علي أنه كان يقول : إنما الإيلاء ما كان في غضب ، يقول الرجل : « والله لاأقربك، والله لاأمسُّك !» . فأما ما كان في إصلاح من أمر الرضاع وغيره، فإنه لا يكون إيلاء ، ولا تَبين منه . (٢)

٤٤٩٣ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن – يعني ابن مهدي – قال ، حدثنا حماد بن زيد ، عن حفص ، عن الحسن : أنه سئل عنها فقال : لا والله ، ما هو بإيلاء . ٢٠١/٢

ليس بشيء ، هو كثير الوهم . قيل : يعتبر به ؟ قال : لا . وفي المخطوطة والمطبوعة : « ابن وكيع » ، وهو خطأ . وانظر المحلى لابن حزم ١٠ : ٤٥ . و « أبو قزارة » هو : راشد بن كيسان العبسي . قال ابن معين : ثقة . وقال ابن حبان : مستقيم الحديث إذا كان فوقه ودونه ثقة . وله عند مسلم حديث واحد .

(١) الأثر : ٤٨٨٩ – مختصر رقم : ٤٤٨٢ ، من طريق آخر ، وانظر التعليق السالف على الأثر رقم : ٤٤٧٩ .

(٢) الأثر : ٤٤٩٢ – طريق آخر لحديث أبي عطية السالف رقم : ٤٤٨٢ ، وانظر التعليق على الأثر : ٤٤٧٩ .

٤٤٩٤ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا بشر بن منصور ، عن ابن جريج ، عن عطاء قال : إذا حلف من أجل الرَّضاع فليس بإيلاء .

٤٤٩٥ – حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى الليث قال ، حدثنى يونس قال : سألت ابن شهاب عن الرجل يقول : والله لا أقرب امرأتى حتى تفطم ولدى ! قال : لا أعلم الإيلاء يكون إلا بحلف بالله، فيما يريد المرء أن يضارَّ به امرأته من اعتزالها، ولا نعلم فريضةَ الإيلاء إلا على أولئك، فلا نرى أنّ هذا الذى أقسم بالاعتزال لامرأته حتى تفطم ولده ، أقسم إلاّ على أمر يتحرَّى به فيه الخير ، فلانرى وَجبَ على هذا ما وجب على المولى الذى يُولِى فى الغضب .

* * *

وقال آخرون : سواءٌ إذا حلف الرجل على امرأته أن لا يجامعها فى فرجها ، كان حلفه فى غضب أو غير غضب ، كلّ ذلك إيلاء .

* ذكر من قال ذلك :

٤٤٩٦ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا ابن مهدى قال، حدثنا سفيان، عن مغيرة ، عن إبراهيم – فى رجل قال لامرأته : « إن غَشِيتُك حتى تفطمى ولدَك فأنت طالق » ، فتركها أربعة أشهر . قال : هو إيلاء .

٤٤٩٧ – حدثنا محمد بن يحيى قال، أخبرنا عبد الأعلى قال ، حدثنا سعيد، عن أبى معشر ، عن النخعى قال : كل شىء يحول بينه وبين غشيانها ، فتركها حتى تمضى أربعة أشهر ، فهو داخلٌ عليه .

٤٤٩٨ – حدثنى المثنى قال، حدثنا حبان بن موسى قال ، حدثنا ابن المبارك قال، أخبرنا أبو عوانة ، عن المغيرة ، عن القعقاع قال : سألت الحسن عن رجل ترضع امرأته صبياً ، فحلف أن لا يطأها حتى تفطم ولدها ، فقال : ما أرى هذا بغضب ، وإنما الإيلاء فى الغضب = قال : وقال ابن سيرين : ما أدرى ما هذا

الذى يحدّثون ؟! إنما قال الله : « للذين يؤلون من نسائهم » إلى « فإن الله سميع عليم » ، إذا مضت أربعة أشهر ، فليخطبها إن رغب فيها .(١)

٤٤٩٩ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا ابن مهدى قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم – فى رجل حلفَ أن لا يكلم امرأته – قال : كانوا يرون الإيلاء فى الجماع .

٤٥٠٠ – حدثنا أبو السائب قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم قال ، قال : كل يمين منعت جماعاً حتى تمضى أربعة أشهر ، فهى إيلاء .

٤٥٠١ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال ، سمعت إسمعيل وأشعث ، عن الشعبى مثله .

٤٥٠٢ – حدثنا ابن حميد قال : حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم والشعبى قالا : كل يمين منعت جماعاً فهى إيلاء .

* * *

وقال آخرون : كل يمين حلف بها الرجل فى مَسَاءة امرأته ، فهى إيلاء منه منها ، على الجماع حلف أو غيره ، فى رضًا حلف أو سخط .

* ذكر من قال ذلك :

٤٥٠٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن خصيف ، عن الشعبى قال : كل يمين حالت بين الرجل وبين امرأته فهى إيلاء ، إذا قال : « والله لأغضبنّك ، والله لأسوأنّك ، والله لأضربنّك » ، وأشباه هذا .

---

(١) الأثر : ٤٤٩٨ – حبان بن موسى بن سوار السلمى ، أبو محمد المروزى ، روى عن ابن المبارك وأبى حمزة السكرى وغيرهما ، وعنه البخارى ومسلم . ذكره ابن حبان فى الثقات ، مات سنة ٢٣٣ . مترجم فى التهذيب . وفى المخطوطة والمطبوعة : « حسان بن موسى » ، وقد مضى على الصواب فى رقم : ٢٩١٤ وسيأتى على الصواب فى رقم : ٤٥٢٨ . و « أبو عوانة » هو : الوضاح بن عبد الله اليشكرى ثقة . وسئل ابن المبارك : من أروى الناس – أو أصح الناس – حديثاً عن مغيرة ؟ قال : أبو عوانة . مترجم فى التهذيب .

٤٥٠٤ – حدثني محمد بن عبد الله بن الحكم قال ، حدثني أبي وشعيب ، عن الليث ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن ابن أبي ذئب العامريّ : أن رجلا من أهله قال لامرأته : « إن كلمتك سنة فأنت طالق » ، واستفتى القاسم وسالماً فقالا : إن كلمتها قبل سنة فهي طالق ، وإن لم تكلمها فهي طالقٌ إذا مضت أربعة أشهر.

٤٥٠٥ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان قال، سمعت حماداً قال، قلت لإبراهيم: الإيلاء: أن يحلفَ أن لا يجامعها ولا يكلمها ولا يجمع رأسه برأسها ، أو ليغضبنَّها ، أو ليحرِمنَّها، أو ليسوأنَّها ؟ قال : نعم.

٤٥٠٦ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة قال : سألت الحكم عن رجل قال لامرأته : « والله لأغيظنك» ! فتركها أربعة أشهر ، قال : هو إيلاء .

٤٥٠٧ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا وهب بن جرير قال ، سمعت شعبة قال : سألت ، الحكم فذكر مثله .

٤٥٠٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني الليث قال ، حدثنا يونس قال ، قال ابن شهاب ، حدثني سعيد بن المسيب: [1] أنه إن حلف رجل أن لا يكلم امرأته يوماً أو شهراً ، قال: فإنا نرى ذلك يكون إيلاءً . وقال : إلاّ أن يكون حلف أن لا يكلمها ، فكان يمسُّها فلا نرى ذلك يكون من الإيلاء . والفَيْءُ ، أن يفيء إلى امرأته فيكلمها أو يمسها . فمن فعل ذلك، قبل أن تمضي الأربعة أشهر ، [2] فقد فاء. ومن فاء بعد أربعة أشهر وهي في عِدَّتها، فقد فاء وملك امرأته ، غير أنه مضت لها تطليقة . ٢٥٢/٢

* * *

(١) في المطبوعة : « حدثني سعيد بن المسيب أنه قال إن حلف . . . » ، والصواب من المخطوطة ، بحذف « قال » .

(٢) في المطبوعة : « الأربعة الأشهر » ، والذي في المخطوطة صواب في العربية لا بأس به .

قال أبو جعفر : وعلة من قال : « إنما الإيلاء فى الغضب والضَرار » : أنّ الله تعالى ذكره إنما جعل الأجلَ الذى أجّل فى الإيلاء مخرجاً للمرأة من عَضْل الرجل وضراره إياها ،[1] فيما لها عليه من حُسن الصحبة والعِشرة بالمعروف . وإذا لم يكن الرجل لها عاضلاً ولا مُضاراً بيمينه وحلفه على ترك جماعها ، بل كان طالباً بذلك رضاها ، وقاضياً بذلك حاجتها ، لم يكن بيمينه تلك مُولياً . لأنه لا معنى هنالك لَحِق المرأةَ به من قِبَل بعلها مساءةٌ وسوء عشرة ،[2] فيجعل الأجل — الذى جُعل للمولى — لها مخرجاً منه .[3]

* * *

وأما علة من قال : « الإيلاء فى حال الغضب والرضا سواء » ، عموم الآية ، وأن الله تعالى ذكره لم يخصص من قوله : « للذين يؤلون من نسائهم تربُّص أربعة أشهر » بعضاً دون بعض ، بل عمّ به كلَّ مُولٍ ومُقسِم . فكل مقسِم على امرأته أن لا يغشاها مدةً هى أكثر من الأجل الذى جعل الله له تربُّصه ، فمُولٍ من امرأته عند بعضهم . وعند بعضهم : هو مُولٍ ، وإن كانت مدة يمينه الأجل الذى جُعل له تربُّصه .

* * *

وأما علة من قال بقول الشعبي والقاسم وسالم : أن الله تعالى ذكره جعل الأجل الذى حدَّه للمُولى مخرجاً للمرأة من سوء عشرة بعلها إياها وضراره بها . وليست اليمين عليها بأن لا يجامعها ولا يقربها ، بأولى بأن تكون من معانى سوء العشرة والضِّرار ، من الحلف عليها أن لا يكلمها أو يسوءَها أو يغيظها . لأن كل ذلك ضررٌ عليها وسوء عشرة لها .

* * *

(١) العضل من الزوج لامرأته : أن يضارها ولا يحسن عشرتها ، فهو لا يعاملها معاملة الأزواج ، ولا يتركها تتصرف فى نفسها .

(٢) فى المطبوعة : « يلحق المرأة » ، والصواب من المخطوطة .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « الذى جعل المولى » ، وصواب السياق يقتضى ما أثبت . والضمير فى « منه » راجع إلى « لا معنى هنالك » .

قال أبو جعفر : وأولى التأويلات التى ذكرناها فى ذلك بالصواب ، قولُ من قال : كل يمين منَعت المقسم الجماعَ أكثر من المدة التى جعل الله للمولى تربُّصَها ، قائلاً فى غضب كان ذلك أو رضاً . وذلك للعلة التى ذكرناها قبل لقائلى ذلك .

وقد أتينا على فساد قول من خالف ذلك فى كتابنا ﴿ كتاب اللطيف ﴾ بما فيه الكفاية ، فكرهنا إعادته فى هذا الموضع .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : فإن رجعوا إلى ترك ما حلَفوا عليه أن يفعلوه بهن من ترك جماعهن ، فجامعوهن وحنِثوا فى أيمانهم = « فإن الله غفورٌ » ، لما كان منهم من الكذب فى أيمانهم بأن لا يأتوهن ثم أتوهُن ، ولما سلف منهم إليهن ، (١) من اليمين على ما لم يكن لهم أن يحلفوا عليه فحلفوا عليه = « رحيم » بهم وبغيرهم من عباده المؤمنين .

* * *

وأصل « الفىء » ، الرجوع من حال إلى حال ، ومنه قوله تعالى ذكره : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ إلى قوله ﴿ حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ ﴾ [سورة الحجرات : ٩] ، يعنى : حتى ترجع الى أمر الله . ومنه قول الشاعر : (٢)

فَفاءَتْ وَلَمْ تَقْضِ الَّذِى أَقْبَلَتْ لَهُ ... وَمِنْ حَاجَةِ الْإِنْسَانِ مَا لَيْسَ قَاضِيَا (٣)

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « و بما سلف » ، والسياق يتطلب ما أثبت .

(٢) هو سحيم ، عبد بنى الحسحاس .

(٣) ديوانه : ١٩ ، وحماسة ابن الشجرى : ١٦٠ ، وغيرهما ، من قصيدته الغراء العجيبة ، وقد مضى منها بيت فيما سلف ١ : ١٠٦ ، ٤٤٧ . والضمير فى قوله : « ففاءت » ، إلى صاحبته التى

يقال منه : « فاء فلان يفيء فَيْئة » — مثل «الجيئة» و « فَيْأً » . و « الفَيْئة » المرة .(١) فأما فى الظلّ فإنه يقال : « فاء الظلّ يفيء فُيُوءًا وفَيْأً » ، وقد يقال : « فيوءًا » أيضاً فى المعنى الأول ،(٢) لأن « الفيء » فى كل الأشياء بمعنى الرجوع .

* * *

وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، غير أنهم اختلفوا فيما يكون به المولى فائياً .

فقال بعضهم : لا يكون فائياً إلا بالجماع .

* ذكر من قال ذلك :

٤٥٠٩ — حدثنا على بن سهل الرملى قال ، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبى ليلى ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس قال : الفيء الجماع .

٤٥١٠ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا أبو نعيم ، عن يزيد بن زياد ابن أبى الجعد ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس قال : الفيء الجماع .(٣)

٢٥٣/٢ ٤٥١١ — حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس مثله .

٤٥١٢ — حدثنا محمد بن يحيى قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا سعيد ، عن صاحب له ، ، عن الحكم بن عتيبة ، عن مقسم ، عن ابن عباس مثله .

ذكرها وذكر ما بينه وبينها . ورواية الطبرى وابن الشجرى ، أحب إلى من رواية الديوان : « ولم تقض الذى هو أهله » . يقول : عادت إلى أهلها ، وقد أضاعت ما كانت مزمعة أن تفعله ، أنساها حبه وغزله ما كانت نوته وإرادته . فيعزيها بأن المرء ربما طلب قضاء شىء ويشاء الله غيره ، فإذا هو لا يقضيه .

(١) يريد أنه بناء المرة الواحدة ، إلا أنه وضع موضع المصدر ، مثل : « الرجفة والرحمة » والاسم من ذلك « الفيئة ، والجيئة » (بكسر الفاء والجيم منهما) .

(٢) أكثر كتب اللغة تجعل « الفيوء » مصدراً فى المعنى الأول ، ولا تجعله مصدراً فى معنى الظل . وما قاله الطبرى حسن وثيق .

(٣) الأثر : ٤٥١٠ — يزيد بن زياد بن أبى الجعد الأشجعى الغطفانى مولى لهم ، روى عن الحكم بن عتيبة وعاصم الجحدرى ، وعمه عبيد بن أبى الجعد ، وأخيه سلمة بن زياد وغيرهم . وعنه وكيع وابن نمير وأبو نعيم وغيرهم . ذكره ابن حبان فى الثقات . وكان فى المطبوعة « يزيد بن أبى زياد عن أبى الجعد » ، والصواب من المخطوطة .

٤٥١٣ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان، عن حصين، عن الشعبي، عن مسروق قال : الفيءُ الجماع .

٤٥١٤ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا ابن أبي عدى، عن شعبة، عن حصين، عن الشعبي، عن مسروق مثله .

٤٥١٥ – حدثنا عبدالحميد بن بيان قال، أخبرنا محمد بن يزيد، عن إسمعيل قال : كان عامر لا يرى الفيء إلاّ الجماع .

٤٥١٦ – حدثنا تميم بن المنتصر قال : أخبرنا يزيد بن هرون قال، أخبرنا إسمعيل، عن عامر بمثله .

٤٥١٧ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان، عن على بن بذيمة، عن سعيد بن جبير قال : الفيء الجماع .

٤٥١٨ – حدثنا أبو عبد الله النشائى قال، حدثنا إسحق الأزرق، عن سفيان، عن على بن بذيمة، عن سعيد بن جبير مثله .(١)

٤٥١٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة، عن سعيد بن جبير قال : الفيءُ الجماع، لا عذرَ له إلا أن يجامع وإن كان فى سجن أو سفر – سعيدٌ القائل .

٤٥٢٠ – حدثنى محمد بن يحيى قال، حدثنا عبد الأعلى قال، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن سعيد بن جبير أنه قال : لا عذرَ له حتى يغشى .

٤٥٢١ – حدثنى المثنى بن إبراهيم قال، حدثنا الحجاج بن المنهال قال، حدثنا حماد، عن حماد وإياس، عن الشعبي = قال أحدهما : عن مسروق = قال : الفيء الجماع = وقال الآخر : عن الشعبي : الفيء الجماع .

---

(١) الأثر : ٤٥١٨ – « أبو عبد الله النشائى » ، هو محمد بن حرب بن حرمان النشائى، ويقال النشاستجى، أبو عبد الله الواسطى . روى عن إسماعيل بن علية ومحمد بن يزيد الواسطى، وإسحاق بن يوسف الأزرق وغيرهم . مات سنة ٢٥٥ . مترجم فى التهذيب .

٤٥٢٢ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الأعلى ، عن سعيد ، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب –في رجل آلى من امرأته ، ثم شغله مرض – قال : لا عذر له حتى يغشى .

٤٥٢٣ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا معاذ بن هشام قال ، حدثني أبي ، عن قتادة، عن سعيد بن جبير – في الرجل يولي من امرأته قبل أن يدخل بها أو بعد ما دخل بها، فيعرض له عارضٌ يحبسه، أو لا يجد ما يَسُوق: أنه إذا مضت أربعة أشهر ، أنها أحق بنفسها .

٤٥٢٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن الحكم والشعبي قالا : إذا آلى الرجل من امرأته ، ثم أراد أن يفيء ، فلا فيء إلا الجماع .

* * *

وقال آخرون : «الفيء» : المراجعة باللسان أو القلب في حال العذر، وفي غير حال العذر الجماع .

* ذكر من قال ذلك :

٤٥٢٥ – حدثنا محمد بن يحيى قال، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة، عن الحسن وعكرمة أنهما قالا : إذا كان له عذرٌ فأشهد ، فذاك له = يعني في رجل آلى من امرأته فشغله مرضٌ أو طريق ، فأشهد على مراجعة امرأته .

٤٥٢٦ – حدثنا محمد بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الأعلى قال ، حدثنا سعيد ، عن صاحب له، عن الحكم قال : تذاكرنا أنا والنخعي ذاك،[1] فقال النخعي : إذا كان له عذر فأشهد ، فقد فاء . وقلت أنا: لا عذر له حتى يغشى . فانطلقنا إلى أبي وائل ، فقال : إنيّ أرجو إذا كان له عذر فأشهد ، جاز .[2]

---

(١) في المطبوعة : « ذلك » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهما سواء .

(٢) الأثر : ٤٥٢٦ – « أبو وائل » ، وهو شقيق بن سلمة الأسدي الكوفي ، أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يره . وروى عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاذ وغيرهم من الصحابة والتابعين .

٤٥٢٧ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن الحسن قال : إنْ آلى ، ثم مرض أو سُجن أو سافر فراجع ، فإنّ له عذراً أن لا يجامع = قال : وسمعت الزهرى يقول مثل ذلك .

٤٥٢٨ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا حبان بن موسى قال ، أخبرنا ابن المبارك قال ، أخبرنا أبو عوانة ، عن مغيرة ، عن إبراهيم – فى النفساء يُولى منها زوجها – قال : هذه فى مُحارِب ، سئل عنها أصحاب عبد الله فقالوا : إذا لم يستطع كفَّر عن يمينه ، وأشهد على الفىء .[1]

٤٥٢٩ – حدثنا أبو السائب قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن أبى الشعثاء قال : نزل به ضيفٌ فآلى من امرأته فنفست ،[2] فأراد أن يفىء ، فلم يستطع أن يقرَبها من أجل نفاسها ، فأتى علقمة فذكر ذلك له ، فقال : أليس قد فئتَ بقلبك ورَضيت ؟ قال : بلى ! قال : فقد فئت ! هى امرأتك !

٤٥٢٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الأعمش ، عن إبراهيم : أن رجلا آلى من امرأته فولدت قبل أن تمضى أربعة أشهر ، أراد الفيئة فلم يستطع من أجل الدم حتى مضت أربعة أشهر ، ٢٥٤/٢
فسأل عنها علقمة بن قيس فقال : أليس قد راجعتها فى نفسك ؟ قال : بلى ! قال : فهى امرأتك .

٤٥٣١ – حدثنا عمران بن موسى قال ، حدثنا عبد الوارث قال ، أخبرنا عامر ،

قال الأعمش قال لى أبو وائل : يا سليمان ، لو رأيتنى ونحن هراب من خالد بن الوليد ، فوقعت من البعير ، فكادت تندق عنقى ! فلو مت يومئذ كانت النار ! قال : وكنت يومئذ ابن إحدى عشرة سنة . ومات بعد الجماجم سنة ٨٣ . مترجم فى التهذيب .

(١) الأثر : ٤٥٢٨ – انظر « حبان بن موسى » فيما سلف الأثر رقم : ٤٤٩٨ . وقوله : « هذه فى محارب » يعنى قبيلة محارب ، الذين منهم أبو الشعثاء المحاربى : « سليم بن أسود بن حنظلة المحاربى » ، سيظهر فى الآثار التالية ، ولا سيما الأثر رقم : ٤٥٣٥ ، فقد ذكر صاحب الإيلاء هناك .

(٢) نفست المرأة (بالبناء للمجهول) ونفست (بفتح فكسر) نفساً (بفتحتين) ونفاساً : ولدت . وأصله من « النفس » (بفتح فسكون) ، وهو : الدم ، وسميت بذلك لما يكون مع الولد وبعده من الدم .

عن الحسن قال : إذا آلى من امرأته ثم لم يقدر أن يغشاها من عذر ، قال : يُشهد أنه قد فاء ، وهي امرأته .

٤٥٣٢ — حدثنا عمران قال، حدثنا عبد الوارث قال ، حدثنا عامر ، عن حماد ، عن إبراهيم ، عن علقمة بمثله .

٤٥٣٣ — حدثنا ابن بشار = قال، حدثنا معاذ بن هشام قال ، حدثني أبي ، عن قتادة ، عن عكرمة = قال : وحدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن عكرمة قال : إذا آلى من امرأته فجهد أن يغشاها فلم يستطع ، فله أن يُشهد على رَجْعتها .

٤٥٣٤ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الأعلى، عن سعيد ، عن قتادة، عن الحسن وعكرمة : أنهما سئلا عن رجل آلى من امرأته ، فشغله أمر ، فأشهد على مراجعة امرأته ، قالا : إذا كان له عذرٌ فذاك له .

٤٥٣٥ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا غندر قال ، حدثنا شعبة ، عن الحكم قال: انطلقت أنا وإبراهيم إلى أبي الشعثاء، فحدّث أن رجلاً من بني سعد ابن همّام آلى من امرأته فنُفِست ، فلم يستطع أن يقرَبها ، فسأل الأسود — أو بعض أصحاب عبد الله — فقال : إذا أشهد فهي امرأته .

٤٥٣٦ — حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا غندر قال ، حدثنا شعبة ، عن حماد ، عن إبراهيم أنه قال : إن كان له عذرٌ فأشهد ، فذلك له — يعني المُولى من امرأته .

٤٥٣٧ — حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة ، عن مغيرة ، عن إبراهيم : أنه كان يحدث عن أبي الشعثاء ، عن علقمة وأصحاب عبد الله أنهم قالوا — في الرجل إذا آلى من امرأته فنُفِست — قالوا : إذا أشهد فهي امرأته .

٤٥٣٨ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن حماد قال:

إذا آلى الرجل من امرأته ثم فاء ، فليشهد على فَيْئه. وإذا آلى الرجل من امرأته وهو فى أرض غير الأرض التى فيها امرأته ، فليشهد على فيئه . فإن أشهدَ وهو لا يعلم أن ذلك لا يجزيه من وقوعه عليها ، فمضت أربعة أشهر قبل أن يجامعها ، فهى امرأته . وإن علم أنه لا فىء إلا فى الجماع فى هذا الباب ، ففاء وأشهد على فيئه ولم يقع عليها حتى مضت أربعة أشهر ، فقد بانتْ منه .

٤٥٣٩ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى الليث قال ، حدثنى يونس قال : قال ابن شهاب : حدثنى سعيد بن المسيب : أنه إذا آلى الرجل من امرأته ، قال : فإن كان به مرضٌ ولا يستطيع أن يمسَّها ، أو كان مسافراً فحبس ، قال : فإذا فاء وكفَّر عن يمينه ، فأشهد على فيئه قبل أن تمضى أربعة أشهر ، فلا نراه إلا قد صلح له أن يُمسك امرأته ، ولم يذهب من طلاقها شىء . قال ، وقال ابن شهاب – فى رجل يُولى من امرأته ، ولم يبق لها عليه إلا تطليقة ، فيريد أن يفىء فى آخر ذلك وهو مريض أو مسافر ، أو هى مريضة أو طامث أو غائبة لا يقدر على أن يبلغها ، حتى تمضى أربعة أشهر – أله فى شىء من ذلك رخصة ، أن يكفر عن يمينه ولم يقدر على أن يطأ امرأته؟ قال : نرى ، والله أعلم ، إن فاء قبل الأربعة الأشهر فهى امرأته ، بعد أن يشهد على ذلك ، ويكفِّر عن يمينه ، وإن لم يبلغها ذلك من فيئته ، فإنه قد فاء قبل أن يكون طلاقاً .

٤٥٤٠ – حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : الفىء الجماع . فإن هو لم يقدر على المجامعة وكانت به علة مرض أو كان غائباً أو كان محرماً أو شىء له فيه عذر ، ففاء بلسانه وأشهد على الرضا ، فإنّ ذلك له فىءٌ إن شاء الله .

* * *

وقال آخرون : « الفىء » المراجعة باللسان بكلّ حال .

* ذكر من قال ذلك .

٤٥٤١ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا الضحاك بن مخلد ، عن سفيان ، عن منصور وحماد ، عن إبراهيم قال : الفيء أن يفيء بلسانه.

٤٥٤٢ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن زياد الأعلم ، عن الحسن قال : الفيء الإشهاد .(١)

٢٥٥/٢ ٤٥٤٣ – حدثني المثنى قال ، حدثني الحجاج قال ، حدثنا حماد ، عن زياد الأعلم ، عن الحسن مثله .

٤٥٤٤ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، قال : إن فاء في نفسه أجزأه ، يقول : قد فاء .

٤٥٤٥ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة، عن إسمعيل بن رجاء قال: ذكروا الإيلاء عند إبراهيم فقال : أرأيت إن لم ينتشر ذكره ؟ إذا أشهدَ فهي امرأته .

* * *

قال أبو جعفر: وإنما اختلف المختلفون في تأويل « الفيء » على قدر اختلافهم في معنى اليمين التي تكون « إيلاءً » .

فمن كان من قوله: إن الرجل لا يكون مولياً من امرأته الإيلاءَ الذي ذكره الله في كتابه إلاّ بالحلف عليها أن لا يجامعها، جعل الفيءَ الرجوعَ إلى فعل ما حلف عليه أن لا يفعله من جماعها ، وذلك الجماعُ في الفرج إذا قدر على ذلك وأمكنه = وإذا لم يقدر عليه ولم يمكنه ، فإحداثَ النية أن يفعله إذا قدر عليه وأمكنه،(٢)

(١) الأثر : ٤٥٤٢ – « زياد الأعلم » ، هو زياد بن حسان بن قرة الباهلي ، روى عن أنس والحسن وابن سيرين . وعنه ابن عون والحمادان . وسعيد بن أبي عروبة وغيرهم . وقال أحمد : « ثقة ، ثقة » . قال أبو حاتم : « هو من قدماء أصحاب الحسن » . وقال الدارقطني : « هو قليل الحديث ». مترجم في التهذيب .

(٢) في المطبوعة : « بإحداث النية » ، وهو خطأ صرف صوابه من المخطوطة . وقوله « فإحداث » منصوب عطفاً على قوله : « جعل الفيء الرجوع . . . » بمعنى أنه إذا لم يقدر عليه ولم يمكنه ، جعل الفيء إحداث النية .

وإبداءَ ما نوى من ذلك بلسانه ليعلمه المسلمون، (١) فى قول من قال ذلك.

* * *

وأما قولُ من رأى أنّ الفىء هو الجماع دون غيره ، فإنه لم يجعل العائقَ له عذراً ، ولم يجعل له مخرجاً من يمينه غيرَ الرجوع إلى ما حلف على تركه ، وهو الجماع .

* * *

وأما من كان من قوله أنه قد يكون مولياً منها بالحلف على ترك كلامها ، أو على أن يسوءَها أو يغيظها أو ما أشبه ذلك من الأيمان، فإن الفىء عنده الرجوعُ إلى ترك ما حلف عليه أن يفعله — مما فيه من مساءتها — بالعزم على الرجوع عنه ، وإبداءُ ذلك بلسانه ، (٢) فى كل حال عزم فيها على الفىء .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصحة فى ذلك عندنا ، قولُ من قال : « الفىء هو الجماع » ، لأن الرجل لا يكون مولياً عندنا من امرأته إلا بالحلف على ترك جماعها المدةَ التى ذكرنا، للعلل التى وصفنا قبلُ . فإذ كان ذلك هو الإيلاء، (٣) فالفىء الذى يبطل حكم الإيلاء عنه ، لا شك أنه غير جائز أن يكون إلا ما كان للذى آلى عليه خلافاً . (٤) لأنه لما جعل حكمه إن لم يفىء إلى ما آلى على تركه، الحكمَ الذى بينه الله لهم فى كتابه، كان الفىء إلى ذلك، معلومٌ أنه فعلُ ما آلى على تركه إن أطاقه ، (٥) وذلك هو الجماع . غير أنه إذا حيل بينه وبين الفىء —

---

(١) فى المطبوعة : « وأبدى » ، وهو خطأ مخل بالكلام ، لم يحسن قراءة الخط القديم ، وهو « وابدا » ، وظنه فعلا كالذى سبقه قوله : « وإبداء » منصوب عطفاً على قوله : « فإحداث » ، كما بينته فى التعليق الآنف .

(٢) فى المطبوعة : « وأبدى ذلك بلسانه » خطأ فاسد ، وانظر التعليق السالف . وقوله : « وإبداء » مرفوع معطوف على « الرجوع » فى قوله : « فإن الفىء عنده الرجوع . . . » .

(٣) فى المطبوعة : « فإذا كان ذلك » ، خطأ وضعف ، والصواب الجيد من المخطوطة .

(٤) فى المطبوعة : « إلا ما كان الذى آلى . . . » ، وهو فساد ، والصواب من المخطوطة . وقوله : « خلافاً » ، أى مخالفاً ، كما سلف مئات من المرات .

(٥) فى المطبوعة : « معلوماً أنه . . . » ، والذى فى المخطوطة جيد صحيح .

الذى هو جماعٌ —[١] بعذر ، فغير جائز أن يكون تاركاً جماعها على الحقيقة[٢]. لأن المرء إنما يكون تاركاً = ماله إلى فعله وتركه سبيل. فأما من لم يكن له إلى فعل أمر سبيل ، فغير كائنٍ تاركَهُ .

وإذ كان ذلك كذلك ، فإحداث العزم فى نفسه على جماعها ، مجزئ عنه فى حال العذر ، حتى يجد السبيل إلى جماعها . وإن أبدى ذلك بلسانه وأشهدَ على نفسه فى تلك الحال بالأوبة والفىء ، كان أعجبَ إلىّ .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢٢٦)

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : معنى ذلك : « فإن الله غفورٌ » لكم فيما اجترمتم بفيئكم إليهنّ ، من الحِنْث فى اليمين التى حلفتم عليهن بالله أن لا تَغْشَوْهنّ = « رحيم » بكم فى تخفيفه عنكم كفّارةَ أيمانكم التى حلفتم عليهن ، ثم حنِثتم فيه .

* ذكر من قال ذلك :

٤٥٤٦ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، « فإن فاؤوا فإن الله غفور رحيمٌ » ، قال : لا كفارة عليه .

٤٥٤٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن الحسن قال : إذا فاء فلا كفّارة عليه .

٤٥٤٨ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا حبان بن موسى قال ، أخبرنا ابن المبارك

---

(١) فى المطبوعة : « هو الجماع » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) فى المخطوطة : « فغير جائز تاركاً جماعها » ، ثم غير فى المطبوعة إلى : « فغير كائن تاركاً جماعها » ، والجيد الذى يدل عليه السياق ، زيادة « أن يكون » كما أثبتّ . وإن كان آخر كلام أبى جعفر ، قد حسن هذا التغيير الذى جاء فى المطبوعة .

قال ، حدثنا أبو عوانة ، عن مغيرة ، عن إبراهيم قال : كانوا يرون فى قول الله : « فإن فاؤوا فإنّ الله غفور رحيم » : أن كفارته فيؤه .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وهذا التأويل الذى ذكرنا هو التأويل الواجبُ على قول من زعم أنّ كل حانث فى يمين هو فى المُقام عليها حَرِجٌ ،(٢) فلا كفارة عليه فى حنثه فيها ، وأن كفارتها الحنث فيها .

* * *

وأما على قول من أوجب على الحانث فى كل يمين حلف بها [كفارة] ،(٣) برًّا كان الحِنث فيها أو غير برّ ، فإن تأويله : « فإن الله غفور » للمُولين من نسائهم فيما حنِثوا فيه من إيلائهم ، بأن فاؤوا فكفّروا أيمانهم ، بما ألزم الله الحانثين فى أيمانهم من الكفارة = « رحيم » بهم ، بإسقاطه عنهم العقوبة فى العاجل والآجل على ذلك ، بتكفيره إياه بما فرض عليهم من الجزاء والكفارة ، وبما جعل لهم من المَهَل الأشهرَ الأربعة ،(٤) فلم يجعل فيها للمرأة التى آلى منها زوجها ما جعل لها بعد الأشهر الأربعة ، كما : — ٢٥٦/٢

٤٥٤٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا حبان قال ، أخبرنا ابن المبارك قال ، حدثنا يحيى بن بشر ، أنه سمع عكرمة يقول : « للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاؤوا فإنّ الله غفور رحيم ، وإن عزموا الطلاق » — قال : وتلك رحمة الله ! ملّكه أمرَها الأربعة الأشهر إلاّ من معذرة . لأن الله قال : ﴿ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ﴾ [سورة النساء : ٣٤] .(٥)

---

(١) الأثر : ٤٥٤٨ — « حبان بن موسى » سلف فى هذا الإسناد برقم : ٤٥٢٨ ، وانظر أيضاً رقم : ٤٤٩٨ ، والتعليق عليه ، وقد كان فى المطبوعة والمخطوطة هنا : « حماد بن موسى » وهو خطأ وتحريف . وانظر ما سيأتى رقم : ٤٥٤٩ .

(٢) « حرج » : آثم . وقد أسلفنا قول أهل اللغة فى هذا الحرف ، فى الجزء ٢ : ٤٢٣ ، تعليق : ١ ، ثم فى هذا الجزء ٤ : ٢٢٤ ، تعليق : ١

(٣) الزيادة بين القوسين لا بد منها ، ويدل عليها سياق التفسير الآتى .

(٤) المهل (بفتح فسكون ، وبفتحتين) مصدر « مهلته » وهى كأمهلته : أى أنظرته ولم أعاجله .

(٥) الأثر : ٤٥٤٩ — انظر التعليق على الأثر السالف رقم : ٤٥٤٨ . و « يحيى بن بشر

* * *

* ذكر بعض من قال : إذا فاء المولى فعليه الكفارة .

٤٥٥٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية ابن صالح، عن على بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله : « للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر »، وهو الرجل يحلف لامرأته بالله لا ينكحها، فيتربَّص أربعة أشهر، فإن هو نكحها كفَّر يمينه بإطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام .

٤٥٥١ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثني الليث قال : حدثني يونس قال، حدثني ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب بنحوه .

٤٥٥٢ – حدثنا المثنى قال، حدثنا حبان بن موسى قال، أخبرنا ابن المبارك قال، أخبرنا حماد بن سلمة، عن حماد، عن إبراهيم قال : إذا آلى فغشيها قبل الأربعة الأشهر، كفَّر عن يمينه .

٤٥٥٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا حبان قال، أخبرنا ابن المبارك قال، أخبرنا أبو عوانة، عن مغيرة، عن إبراهيم – في النُّفَساء يولي منها زوجها – قال : هذه في مُحارب، سئل عنها أصحاب عبد الله، فقالوا : إذا لم يستطع كفر عن يمينه وأشهد على الفيء.(١)

٤٥٥٤ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قال : إن فاء فيها كفَّر يمينه، وهي امرأته .

٤٥٥٥ – حدثت عن عمار، عن ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع مثله .

٤٥٥٦ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثام، عن الأعمش، عن إبراهيم

الخراساني أبو وهب، روى عن عكرمة، وروى عنه ابن المبارك . قال ابن المبارك : « إذا حدثك يحيى ابن بشر عن إنسان، فلا تبالي أن لا تسمعه منه » . مترجم في الكبير ٢٦٣/٢/٤، والجرح والتعديل ١٣/١٢/٤ . وقد سلف في إسناد الطبري رقم : ٣٦١٩، ٣٦٥٢، ويأتي في رقم : ٤٧٤٩ .

(١) الأثر : ٤٥٥٣ – انظر الأثر السالف ٤٥٢٨، ثم الآثار التي تليه والتعليق عليها .

فى الإيلاء قال : يوقَف قبل أن تمضى الأربعة الأشهر ، فإن راجعها فهى امرأته ، وعليه يمين : يكفِّرها إذا حنِث .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا التأويل الثانى هو الصحيح عندنا فى ذلك، لما قد بينا من العلل فى كتابنا ﴿ كتاب الأيمان ﴾، من أن الحنث موجبٌ الكفارةَ فى كل ما ابتدىء فيه الحنث من الأيمان بعد الحلف ، على معصية كانت اليمين أو على طاعة .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَـٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢٢٧)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى معنى قول الله تعالى ذكره : « وإن عزموا الطلاق » .

فقال بعضهم : معنى ذلك: للذين يؤلون أن يعتزلوا من نسائهم تربُّصُ أربعة أشهر ، فإن فاؤوا فرجعوا إلى ما أوجب الله لهنّ من العِشرة بالمعروف فى الأشهر الأربعة التى جعل الله لهم تربُّصهم عنهن وعن جماعهن، وعشرتهن فى ذلك بالواجب «فإن الله لهم غفور رحيم ». وإن تركوا الفىء إليهن، [1] فى الأشهر الأربعة التى جعل الله لهم التربص فيهنّ حتى ينقضين، طُلِّق منهم نساؤهم اللاتى آلوا منهن بمضيهن. [2] ومضيُّهن عند قائلى ذلك: هو الدلالة على عزم المولى على طلاق امرأته التى آلى منها .

* * *

(١) فى المطبوعة : « فإن تركوا الفىء لليمين . . . » ، وهو خطأ غريب فاسد ، لم يحسنوا قراءة ما فى المخطوطة .

(٢) الضمير فى قوله : « بمضيهن » ، إلى الأشهر الأربعة .

ثم اختلف متأولو هذا التأويل بينهم فى الطلاق الذى يلحقها بمضىّ الأشهر الأربعة .

فقال بعضهم : هو تطليقه بائنة .

* ذكر من قال ذلك :

٤٥٥٧ – حدثنا أبو هشام قال، حدثنا محمد بن بشر ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن خِلاس أو الحسن ، عن على قال : إذا مضت أربعة أشهر فهى تطليقة بائنة .(١)

٢٥٧/٢ ٤٥٥٨ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا معاذ بن هشام قال ، حدثنا أبى ، عن قتادة: أن علياً وابن مسعود كانا يجعلانها تطليقة، إذا مضت أربعة أشهر فهى أحق بنفسها = قال قتادة: وقولُ علىّ وعبد الله أعجبُ إلىّ فى الإيلاء .(٢)

٤٥٥٩ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة، عن الحسن : أنّ علياً قال فى الإيلاء: إذا مضت أربعة أشهر بانت بتطليقة .

٤٥٦٠ – حدثنا ابن أبى الشوارب قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا معمر ، عن عطاء الخراسانى ، عن أبى سلمة: أن عثمان بن عفان وزيد بن ثابت كانا يقولان : إذا مضت الأربعة الأشهر ، فهى واحدة بائنة .

---

(١) الأثر : ٤٥٥٧ – « أبو هشام » هو محمد بن يزيد بن محمد بن كثير العجل ، أبو هشام الرفاعى، قاضى بغداد . يتكلمون فيه . مترجم فى التهذيب . ومحمد بن بشر بن الفرافصة بن المختار العبدى، روى عن هشام بن عروة وعبيد الله بن عمر العمرى وسعيد بن أبى عروبة . مترجم فى التهذيب . و « خلاس » بكسر الخاء وفتح اللام المخففة ، هو : خلاس بن عمر الهجرى البصرى . روى عن على وعمار بن ياسر وعائشة وأبى هريرة وابن عباس ، وغيرهم . وعنه قتادة وعوف الأعرابى ، وداود بن أبى هند . وهو ثقة . مترجم فى التهذيب .

(٢) أقوال الصحابة والتابعين فى الإيلاء ، تجدها مستوفاة فى نصب الراية ٣ : ٢٤١ – ٢٤٣ ، والمحلى لابن حزم ١٠ : ٤٢ – ٤٩ ، وسنن البيهقى ٧ : ٣٧٦ – ٣٨٢ ، وفتح البارى ٩ : ٣٧٥ – ٣٧٩ ، وابن كثير والدر المنثور ، فى تفسير الآية . هذا ولم يستوف أحد ذكر هذه الآثار ، كما استوفاها أبو جعفر رحمه الله .

٤٥٦١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر قال ، أخبرنا عطاء الخراسانى قال : سمعنى أبو سلمة بن عبد الرحمن أسأل ابن المسيب عن الإيلاء ، فمررت به فقال : ما قال لك ابن المسيب ؟ فحدثته بقوله ، فقال : أفلا أخبرك ما كان عثمان بن عفان وزيد بن ثابت يقولان ؟ قلت : بلى ! قال : كانا يقولان : إذا مضت أربعة أشهر فهى واحدة ، وهى أحق بنفسها .

٤٥٦٢ – حدثنا على بن سهل قال ، حدثنا الوليد ، عن الأوزاعى ، عن عطاء الخراسانى قال ، حدثنا أبو سلمة بن عبد الرحمن : أن عثمان بن عفان قال : إذا مضت أربعة أشهر من يوم آلى ، فتطليقة بائنة .

٤٥٦٣ – حدثنى يعقوب قال ، حدثنا ابن علية ، عن معمر = أو حُدثت عنه = عن عطاء الخراسانى ، عن أبى سلمة ، عن عثمان وزيد : أنهما كانا يقولان : إذا مضت أربعة أشهر فهى تطليقة بائنة .

٤٥٦٤ – حدثنا أبو هشام قال ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن علقمة قال : آلى عبد الله بن أنيس من امرأته ، فمكثت ستة أشهر ، فأتى ابن مسعود فسأله ، فقال : أعلمها أنها قد مُلِّكت أمرَها . فأتاها فأخبرها ، وأصْدقها رطلاً من وَرِقٍ .

٤٥٦٥ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حصين ، عن إبراهيم ، عن عبد الله : أنه كان يقول فى الإيلاء : إذا مضت الأربعة الأشهر ، فهى تطليقة بائنة .

٤٥٦٦ – حدثنى يعقوب قال ، حدثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله مثل ذلك .

٤٥٦٧ – حدثنى أبو السائب قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم قال : آلى عبد الله بن أنيس من امرأته ، قال : فخرج فغاب عنها ستة أشهر ، ثم جاء فدخل عليها ، فقيل : إنها قد بانت منك ! فأتى عبد الله ، فذكر

ذلك له، فقال له عبد الله : قد بانت منك، فأتها فأعلمها واخطبها إلى نفسها .[١] فأتاها فأعلمها أنها قد بانت منه، وخطبها إلى نفسها ، وأصدقها رِطلا من وَرِق.[٢]

٤٥٦٨ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا عبد الوهاب ، عن عطاء قال ، حدثنا داود ، عن عامر ، عن ابن مسعود أنه قال ، فى الإيلاء : إذا مضت أربعة أشهر فهى واحدة بائنة .

٤٥٦٩ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنى عبد الأعلى قال ، حدثنا داود ، عن عامر : أن رجلا من بنى هلال يقال له فلان بن أنيس = أو : عبد الله بن أنيس = أراد من أهله ما يريد الرجلُ من أهله ، فأبت ، فحلف أن لا يقرَبها . فطرأ على الناس بعثٌ من الغد ، فخرج فغاب ستة أشهر ثم قدم ، فأتى أهله ما يرى أن عليه بأساً ! فخرج إلى القوم فحدثهم بسَخَطه على أهله حيث خرج ، وبرضاه عنهم حين قدم . فقال القوم : فإنها قد حرُمت عليك ! فأتى ابن مسعود فسأله عن ذلك ، فقال ابن مسعود : أما علمت أنها حرُمت عليك ؟ قال : لا ! قال : فانطلق فاستأذن عليها ، فإنها ستنكر ذلك ، ثم أخبرها أنّ يمينك التى كنت حلفتَ عليها صارت طلاقاً ، وأخبرها أنها واحدة ، وأنها أملك بنفسها ، فإن شاءت خطبتها فكانت عندك على ثنتين ، وإلا فهى أملكُ بنفسها .

٤٥٧٠ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا ابن مهدى قال ، حدثنا سفيان، عن على بن بذيمة ، عن أبى عبيدة ، عن مسروق ، عن عبد الله قال ، فى الإيلاء إذا مضت أربعة أشهر فهى تطليقة بائنة ، وتعتدّ ثلاثة قروء.[٣]

٤٥٧١ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا ابن مهدى قال ، حدثنا سفيان ،

---

(١) فى المطبوعة : « وأعلمها واخطبها » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) الورق (بفتح الواو ، وكسر الراء ، أو سكونها — وبكسر الواو وسكون الراء) : هى الفضة والدراهم المضروبة .

(٣) «أبو عبيدة» ، هو أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود ، ويقال اسمه « عامر بن عبد الله » ويقال اسمه كنيته . روى عن أبيه ولم يسمع منه . مترجم فى التهذيب وغيره .

عن منصور والأعمش ، ومغيرة ، عن إبراهيم : أن عبد الله بن أنيس آلى من امرأته ، فمضت أربعةُ أشهر ثم جامعها وهو ناسٍ ، فأتى علقمة ، فذهب به إلى عبد الله، فقال عبد الله : بانت منك ، فاخطبها إلى نفسها . فأصدقها رطلاً من فضة . ٢/٢٥٨

٤٥٧٢ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا أيوب = وحدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الوهاب قال، حدثنا أيوب = عن أبي قلابة : أن النعمان بن بشير آلى من امرأته ، فضرب ابنُ مسعود فخذَه وقال : إذا مضت أربعة أشهر فاعترفْ بتطليقة .(١)

٤٥٧٣ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا المعتمر قال ، سمعت داود، عن عامر : أن ابن مسعود قال في المُولى : إذا مضت أربعة أشهر ولم يَفِئ فقد بانت منه امرأته بواحدة ، وهو خاطب .

٤٥٧٤ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا ابن مهدى قال ، حدثنا شعبة ، عن الحكم، عن مقسم ، عن ابن عباس قال : عَزْم الطلاق انقضاء الأربعة الأشهر .

٤٥٧٥ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس مثله .

٤٥٧٦ – حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن عبد الله بن أبي نجيح، عن عطاء ، عن ابن عباس أنه قال في الإيلاء: إذا مضت أربعة أشهر فهي واحدة بائنة.(٢)

٤٥٧٧ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا خالد بن مخلد، عن جعفر بن برقان، عن

---

(١) اعترف بالشيء : أقر به .

(٢) في المطبوعة : « حدثنا محمد بن جعفر » أول الإسناد ، أسقط منه « حدثنا محمد بن المثنى قال »، وصوابه من المخطوطة ، وهو بين من الإسناد قبله .

عبد الأعلى بن ميمون بن مهران ، عن عكرمة أنه قال : إذا مضت الأربعة الأشهر فهى تطليقة بائنة = فذكر ذلك عن ابن عباس .(١)

٤٥٧٨ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا أبو نعيم ، عن يزيد بن زياد ابن أبى الجعد ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس قال : عزيمة الطلاق انقضاء الأربعة .(٢)

٤٥٧٩ – حدثنا أبو هشام قال ، حدثنا وكيع قال ، حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس مثله .

٤٥٨٠ – حدثنا أبو هشام قال ، حدثنا ابن فضيل قال ، حدثنا الأعمش ، عن حبيب ، عن سعيد بن جبير : أن أمير مكة سأله عن المُولى فقال : كان ابن عمر يقول : إذا مضت أربعة أشهر مُلِّكت أمرَها = وكان ابن عباس يقول ذلك .

٤٥٨١ – حدثنا أبو هشام قال : حدثنا حفص ، عن الحجاج ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس قال : إذا مضت أربعة أشهر فهى تطليقة بائنة .

٤٥٨٢ – حدثنا أبو هشام قال ، حدثنا حفص ، عن حجاج ، عن سالم المكى ، عن ابن الحنفية مثله .

٤٥٨٣ – حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ، حدثنا أبى وشعيب ، عن الليث ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن أبان بن صالح ، عن ابن شهاب :

---

(١) الأثر : ٤٥٧٧ – « خالد بن مخلد القطوانى » . أبو الهيثم البجلى . روى عنه البخارى ومسلم وأبو كريب ، قال ابن معين : لا بأس به ، مات سنة ٢١٣ . مترجم فى التهذيب . و « جعفر بن برقان الكلابى » . روى عن يزيد الأصم والزهرى وعطاء وميمون بن مهران ، وعبد الأعلى بن ميمون وهو ثقة : وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، ولكن كانت له رواية وفقه وفتوى مات سنة ١٥٠ . مترجم فى التهذيب . و « عبد الأعلى بن ميمون بن مهران » سمع أباه وعكرمة وعطاء ، وسمع منه جعفر بن برقان . مترجم فى الجرح والتعديل ٣/١/٢٧ .

(٢) الأثر : ٤٥٧٨ – فى المطبوعة والمخطوطة « يزيد بن زياد ، عن أبى الجعد » ، وقد سلف مثل هذا الخطأ وصححناه فهو « يزيد بن زياد بن أبى الجعد » فيما سلف رقم : ٥١٠ : .

أن قبيصة بن ذؤيب قال فى الإيلاء: هى تطليقة بائنة ، وتأتنف العدة ، [1] وهى أملكُ بأمرها .

٤٥٨٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبى ، عن شريح : أنه أتاه رجل فقال : إنى آليت من امرأتى ، فمضت أربعة أشهر قبل أن أفىء ؟ فقال شريح : « وإن عزموا الطلاقَ فإن الله سميع عليم» – لم يزده عليها . فأتى مسروقاً فذكر ذلك له ، فقال : يرحم الله أبا أمية ، لو أنا قلنا مثل ما قال ، لم يفرِّج أحد عنه ! وإنما أتاه ليفرِّج عنه ! ثم قال : هى تطليقة بائنة ، وأنت خاطبٌ من الخطّاب .

٤٥٨٥ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة ، عن مغيرة: أنه سمع الشعبى يحدث : أنه شهد شُرَيحاً – وسأله رجل عن الإيلاء – فقال : « للذين يؤلون من نسائهم تربُّص أربعة أشهر » ، الآية . قال : فقمت من عنده فأتيتُ مسروقاً ، فقلت: يا أبا عائشة = وأخبرته بقول شريح ، فقال : يرحم الله أبا أمية ، لو أن الناس كلهم قالوا مثل هذا ، منْ كان يفرج عن مثل هذا ! ثم قال : إذا مضت أربعة أشهر فهى واحدة بائنة .

٤٥٨٦ – حدثنا أبو هشام قال، حدثنا أبو داود ، عن جرير بن حازم ، قال : قرأت فى كتاب أبى قلابة عند أيوب : سألت سالم بن عبد الله وأبا سلمة ابن عبد الرحمن ، فقالا : إذا مضت أربعة أشهر فهى تطليقة بائنة .

٤٥٨٧ – حدثنا أبو هشام قال، حدثنا أبو داود ، عن جرير بن حازم ، عن قيس بن سعد، عن عطاء ، قال : إذا مضت أربعة أشهر فهى تطليقة بائنة ، ويخطبها فى العِدَّة .

٤٥٨٨ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا معتمر ، عن أبيه –

---

(١) ائتنف الأمر ائتنافاً ، واستأنفه: أخذ أوله وابتدأه ، أو استقبله . من « الأنف » (بفتح فسكون)، وأنف كل شيء أوله .

٢٥٩/٢ فى الرجل يقول لامرأته : « والله لا يجمع رأسى ورأسك شيء أبداً ! » ، ويحلف أن لا يقربها أبداً = فإن مضت أربعة أشهر ولم يفىء ، كانت تطليقة بائنة ، وهو خاطب — قول علي وابن مسعود وابن عباس والحسن .

٤٥٨٩ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن : أنه سئل عن رجل قال لامرأته : « إن قربتُك فأنت طالق ثلاثاً » ، قال : فإذا مضت أربعة أشهر فهى تطليقة بائنة ، وسقط ذلك .

٤٥٩٠ — حدثنا سوّار قال ، حدثنا بشر بن المفضل = وحدثنا أبو هشام قال ، حدثنا وكيع = جميعاً ، عن يزيد بن إبراهيم قال : سمعت الحسن ومحمداً فى الإيلاء قالا : إذا مضت أربعة أشهر فقد بانت بتطليقة بائنة ، وهو خاطب من الخطاب .

٤٥٩١ — حدثنا يعقوب قال ، حدثنا ابن علية ، عن ابن عون ، عن محمد قال : كنا نتحدث فى الأليَّة أنها إذا مضت أربعة أشهر ، فهى تطليقة بائنة .

٤٥٩٢ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثام ، عن الأعمش ، عن إبراهيم فى الإيلاء قال : إن مضت = يعنى : أربعة أشهر = بانت منه .

٤٥٩٣ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا أبو داود قال ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن قتادة ، عن النخعى قال : إن قربها قبل الأربعة الأشهر فقد بانت منه بثلاث . وإن تركها حتى تمضى الأربعة الأشهر بانت منه بالإيلاء = فى رجل قال لامرأته : « أنت طالق ثلاثاً إن قربتك سنة » .

٤٥٩٤ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا معاذ بن هشام قال ، حدثنى أبى ، عن قتادة قال : أعتمَ عبيد الله بن زياد عند هندٍ فى ليلة أم عثمان ابنة عمر بن عبيد الله ، فلما أتاها أمرت جواريها فأغلقنَ الأبواب دونه ، فحلف أن لا يأتيها

حتى تأتيه . فقيل له : إن مضت أربعة أشهر ذهبتْ منك . (١)

٤٥٩٥ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا عوف قال : بلغني أن الرجل إذا آلى من امرأته فمضت أربعة أشهر ، فهي تطليقة بائنة ، ويخطبها إن شاء .

٤٥٩٦ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « للذين يؤلون من نسائهم تربُّص أربعة أشهر »– في الذي يُقسم، وإن مضت الأربعة الأشهر فقد حرُمت عليه، فتعتدُّ عدّة المطلقة ، وهو أحد الخطاب .

٤٥٩٧ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن قبيصة بن ذؤيب قال : إذا مضت الأربعة الأشهر فهي تطليقة بائنة . (٢)

٤٥٩٨ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاؤوا فإنّ الله غفورٌ رحيم » – وهذا في الرجل يولي من امرأته ويقول : « والله لا يجتمع رأسي ورأسك ، ولا أقربك ، ولا أغشاك ! » ، فكان أهل الجاهلية يعدُّونه طلاقاً ، فحدّ الله لهما أربعة أشهر ، فإن فاء فيها كفر يمينه وهي امرأته ، وإن مضت أربعة أشهر ولم يفيء فهي تطليقة بائنة ، وهي أحق بنفسها ، وهو أحد الخطاب .

٤٥٩٩ – حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

---

(١) الأثر : ٤٥٩٤ – « هند » ، هي : هند بنت أسماء بن خارجة الفزاري، و « أم عثمان بنت عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي » ، وهما زوجتاه . وقوله : « أعتم » ، أي تأخر وأبطأ في الليل وقد مرت قطعة منه ، والعتمة : ظلام الليل .

(٢) الأثر : ٤٥٩٧ – انظر الأثر السالف رقم : ٤٥٨٣ .

٤٦٠٠ – حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « للذين يؤلون من نسائهم تربُّص أربعة أشهر » ، قال : كان ابن مسعود وعمر بن الخطاب يقولان : إذا مضت أربعة أشهر ، فهى طالق بائنة ، وهى أحقُّ بنفسها .

٤٦٠١ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو وهب ، عن جويبر ، عن الضحاك : « للذين يؤلون » الآية ، هو الذى يحلف أن لا يقرب امرأته ، فإن مضت أربعة أشهر ولم يفىء ولم يطلِّق ، بانت منه بالإيلاء . فإن رجعت إليه ، فمهرٌ جديد ، ونكاح ببيِّنة ، ورضًا من الولىّ . (١)

* * *

وقال آخرون : بل الذى يلحقها بمضى الأربعة الأشهر : تطليقةٌ ، يملك فيها الزوجُ الرجعةَ .

* ذكر من قال ذلك :

٤٦٠٢ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال ، حدثنا مالك ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب وأبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قالا : إذا آلى الرجل من امرأته فمضت أربعة أشهر فواحدة ، وهو أملك برجعتها . (٢) ٢٦٠/٢

٤٦٠٣ – حدثنا أبو هشام قال ، حدثنا ابن إدريس ، عن مالك ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب قال : إذا مضت أربعة أشهر فهى تطليقة ، يملك الرَّجعة . (٣)

٤٦٠٤ – حدثنا أبو هشام قال ، حدثنا ابن مهدى قال ، حدثنا سفيان ، عن إسمعيل بن أمية ، عن مكحول قال : إذا مضت أربعة أشهر فهى تطليقة ، يملك الرجعة .

---

(١) فى المطبوعة : « ورضاً من المولى » ، وهو خطأ ، والصواب من المخطوطة .

(٢) الأثر : ٤٦٠٢ – فى الموطأ : ٥٥٧ ، بغير هذا اللفظ . وفى المطبوعة : « لرجعتها » والصواب من المخطوطة .

(٣) الأثر ٤٦٠٣ – لم أجده بلفظه فى الموطأ ، وكأنه مختصر الذى سلف .

٤٦٠٥ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهرى ، عن أبى بكر بن عبد الرحمن قال : هى واحدة ، وهو أحق بها = يعنى : إذا مضت الأربعة الأشهر = وكان الزهرى يفتى بقول أبى بكر هذا.

٤٦٠٦ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنا الليث قال ، حدثنى يونس قال ، قال ابن شهاب ، حدثنى سعيد بن المسيب أنه قال : إذا آلى الرجل من امرأته فمضى الأربعة الأشهر قبل أن يفىء ، فهى تطليقة ، وهو أملك بها ما كانت فى عِدَّتها .

٤٦٠٧ – حدثنا أبو هشام قال، حدثنا يحيى بن يمان قال ، حدثنا أبو يونس القوىّ قال: قال لى سعيد بن المسيب: ممن أنت؟ قال قلت: من أهل العراق! قال: لعلك ممن يقول: «إذا مضت أربعة أشهر فقد بانت!»، لا! ولو مضت أربع سنين .(١)

٤٦٠٨ – حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ، حدثنا حجاج بن رِشْدين قال ، حدثنا عبد الجبار بن عمر ، عن ربيعة أنه قال فى الإيلاء: إذا مضت أربعة أشهر فهى تطليقة، وتستقبل عِدَّتها ، وزوجها أحق برجعتها .(٢)

٤٦٠٩ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال ، كان ابن شبرمة يقول : إذا مضت أربعة أشهر فله الرجعة = ويخاصِم بالقرآن ، ويتأوّل

---

(١) الأثر : ٤٦٠٧ – «أبو يونس القوى» ، هو : الحسن بن يزيد بن فروخ الضمرى ، ويقال العجلى . سكن الكوفة . قال ابن معين : «هو الذى يقال له الطواف» . وسمى «القوى» لقوته على العبادة ، قال وكيع : «بكى حتى عمى ، وصلى حتى حدب ، وطاف حتى أقعد» وثقه ابن معين والنسائى . مترجم فى التهذيب .

(٢) الأثر : ٤٦٠٨ – «حجاج بن رشدين بن سعد المصرى» . روى عن أبيه وحيوة بن شريح ، وعنه محمد بن عبد الله بن عبد الحكم . قال ابن أبى حاتم : سألت أبى عنه : «لا علم لى به، لم أكتب عن أحد عنه» . وذكره ابن حبان فى الثقات ، وضعفه ابن عدى . مات سنة ٢١١ . مترجم فى لسان الميزان ، والجرح والتعديل ١/٢/١٦٠ . و «عبد الجبار بن عمر الأيلى» ، سمع الزهرى وربيعة وعطاء الخراسانى وأبا الزناد . روى عنه ابن وهب وسعيد بن أبى مريم . سئل يحيى بن معين عنه فقال : ضعيف ، ليس بشىء» . وقال أبو زرعة : «ضعيف الحديث، ليس بقوى» . مترجم فى الجرح والتعديل ٣/١/٣١ – ٣٢ .

هذه الآية : ﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾ [سورة البقرة : ٢٢٨] ، ثم نزع : (١) «للذين يؤلون من نسائهم تربُّص أربعة أشهر فإن فاؤوا فإن الله غفور رحيم * وإن عزَموا الطلاق فإن الله سميع عليم » .

٤٦١٠ – حدثنا على بن سهل قال، حدثنا الوليد بن مسلم قال ، قال أبو عمر : ونحن فى ذلك = يعنى فى الإيلاء = على قول أصحابنا الزهرىّ ومكحول : أنها تطليقة – يعنى : مضىّ الأربعة الأشهر – وهو أملك بها فى عدتها . (٢)

* * *

وقال آخرون : معنى قوله : « للذين يؤلون من نسائهم» إلى قوله : « فإنّ الله سميع عليم » = « للذين يؤلون »على الاعتزال من نسائهم ،تنظُّرُ أربعة أشهر بأمره وأمرها = « فإن فاؤوا » بعد انقضاء الأشهر الأربعة إليهنّ ، فرجعوا إلى عشرتهن بالمعروف ، وتركِ هجرانهن ،وأتوْا إلى غشيانهن وجماعهن = « فإن الله غفور رحيم * وإن عزموا الطلاق » فأحدثوا لهن طلاقاً بعد الأشهر الأربعة = « فإن الله سميع » لطلاقهم إياهن = « عليم » بما فعلوا بهن من إحسان وإساءة .

وقال متأوِّلو هذا التأويل : مضى الأشهر الأربعة يوجب للمرأة المطالبةَ على زوجها المُولى منها ، بالفىء أو الطلاق. ويجب على السلطان أن يقف الزوج على ذلك ، فإن فاء أو طلّق ، وإلا طلّق عليه السلطان .

* ذكر من قال ذلك :

٤٦١١ – حدثنا على بن سهل قال ،حدثنا الوليد بن مسلم قال ، أخبرنا المثنى ابن الصباح ، عن عمرو بن شعيب ،عن سعيد بن المسيب : أن عمر قال فى

---

(١) نزع بالآية والشعر ، وانتزع بهما : تمثل . ويقال أيضاً للرجل إذا استنبط معنى آية من كتاب الله : « قد انتزع معنى جيداً – ونزعه » : أى استخرجه .

(٢) الأثر : ٤٦١٠ – «الوليد بن مسلم القرشى » الدمشقى عالم الشام . قال أحمد : « ما رأيت أعقل منه . وقال مروان بن محمد : « إذا كتبت حديث الأوزاعى عن الوليد ، فلا تبالى من فاتك ، وقال : « كان الوليد عالماً بحديث الأوزاعى » . مات بعد انصرافه من الحج سنة ١٩٤ . « وأبو عمرو » هو الإمام الجليل أبو عمرو الأوزاعى « عبد الرحمن بن عمرو بن محمد » الفقيه المشهور .

الإيلاء : لا شيء عليه حتى يُوقَف ، فيطلق أو يمسك. (١)

٤٦١٢ – حدثني عبد الله بن أحمد بن شَبَّويه قال، حدثنا ابن أبي مريم قال ، حدثنا يحيى بن أيوب ، عن المثنى ، عن عمرو بن شعيب، عن سعيد بن المسيب، عن عمر بن الخطاب مثله. (٢)

٤٦١٣ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا غندر قال ، حدثنا شعبة ، عن سماك قال : سمعت سعيد بن جبير يحدّث ، عن عمر بن الخطاب : أنه قال في الإيلاء : إذا مضت أربعة أشهر لم يجعله شيئاً .

٤٦١٤ – حدثنا أبو هشام الرفاعي قال، حدثنا ابن عيينة ، عن الشيباني ، عن الشعبي ، عن عمرو بن سلمة ، عن علي : أنه كان يقف المولى بعد الأربعة الأشهر حتى يفيء أو يطلق .

٤٦١٥ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا يحيى ، عن سفيان ، عن الشيباني ، عن الشعبي ، عن عمرو بن سلمة ، عن علي قال ، في الإيلاء : يُوقَف .

٤٦١٦ – حدثنا أبو هشام قال، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن الشيباني ، عن بكير بن الأخنس، عن مجاهد، عن ابن أبي ليلى، عن علي: أنه كان يَقِفُه .

٤٦١٧ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا يحيى ، عن سفيان ، عن الشيباني ، ٢٦١/٢
عن بكير بن الأخنس، عن مجاهد، عن ابن أبي ليلى، عن علي: أنه كان يوقفه. (٣)

٤٦١٨ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد، عن مروان بن الحكم ، عن علي قال : يُوَقف المُولى عند انقضاء الأربعة

---

(١) الأثر : ٤٦١١ – « هو المثنى بن الصباح اليماني » . أصله من أبناء اليمن بفارس روى عن طاوس ومجاهد وعطاء بن أبي رباح وعمرو بن شعيب . قال يحيى بن سعيد وذكر عنده : « لم نتركه من أجل عمرو بن شعيب ، ولكن كان منه اختلاط في عطاء » . وقال أحمد : « لا يساوي حديثه شيئاً ، مضطرب الحديث » ، وضعفه ابن معين وغيره ، مات سنة ١٤٩ .

(٢) الأثر : ٤٦١٢ – « عبد الله بن أحمد بن شبويه » سلف في رقم : ١٩٠٩.

(٣) الأثر : ٤٦١٧ – في المخطوطة : « عن ابن أبي ليلى في الإيلاء ، قال : يوقف » ، ليس فيه « عن علي : أنه كان يوقفه » .

الأشهر حتى يفيء أو يطلق = قال أبو كريب قال ، ابن ادريس : وهو قول أهل المدينة .

٤٦١٩ – حدثنا أبو هشام الرفاعى قال، حدثنا ابن فضيل ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن مروان ، عن على مثله .

٤٦٢٠ – حدثنا ابن بشار قال،حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن مروان بن الحكم ،عن على قال : المُولى إمَّا أن يفيء ، وإما أن يطلّق .

٤٦٢١ – حدثنا أبوهشام قال، حدثنا وكيع ، عن مسعر ، عن حبيب ابن أبى ثابت، عن طاوس : أن عثمان كان يقف المولى، بقول أهل المدينة .

٤٦٢٢ – حدثنا أحمد بن حازم قال،حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا مسعر ، عن حبيب بن أبى ثابت قال : لقيت طاوساً فسألته ، فقال : كان عثمان يأخذ بقول أهل المدينة .

٤٦٢٣ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا عبد الصمد قال، حدثنا همام،عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبى الدرداء أنه قال : ليس له أجل ، وهى معصية ، يوقف فى الإيلاء ، فإما أن يمسك ، وإما أن يطلق .

٤٦٢٤ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا أبو داود قال ، حدثنا همام، عن قتادة ، عن سعيد بالمسيب : أن أباالدرداء قال فى الإيلاء : إذا مضت أربعة أشهر فإنه يوقف: إما أن يفيء ، وإما أن يطلق .

٤٦٢٥ – حدثنا ابن المثنى قال،حدثنا معاذ بن هشام قال ، حدثنا أبى ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب : أن أبا الدرداء كان يقول : هى معصية ، ولا تحرم عليه امرأته بعد الأربعة الأشهر ، ويجعل عليها العدّة بعد الأربعة الأشهر .

٤٦٢٦ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة: أن أبا الدرداء وسعيد بن المسيب قالا : يوقف عند انقضاء الأربعة

الأشهر ، فإما أن يفيء ، وإما أن يطلق . ولا يزال مقيما على معصية حتى يفيء أو يطلق .

٤٦٢٧ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة: أن أبا الدرداء وعائشة قالا : يوقف المولى عند انقضاء الأربعة، فإما أن يفيء ، وإما أن يطلق .

٤٦٢٨ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبي الدرداء وسعيد بن المسيب نحوه .

٤٦٢٩ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال ، [1] حدثنا الحسن ، عن ابن أبي مليكة قال ، قالت عائشة : يوقف عند انقضاء الأربعة الأشهر ، فإما أن يفيء، وإما أن يطلق . قال: قلت أنتَ سمعتها ؟ قال: لا تُبَكِّتْنِي .[2]

٤٦٣٠ – حدثنا أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله قال ، حدثنا عمران بن ميسرة قال ، حدثنا ابن إدريس قال ، حدثنا حسن بن الفرات ، بإسناده عن عائشة مثله .[3]

٤٦٣١ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال ، حدثنا عبدالجبار ابن الورد ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة مثله .

---

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « أبو إدريس »، وهو خطأ ، ورواية أبي كريب عن ابن إدريس كثيرة دائرة في التفسير أقربها آنفاً رقم : ٤٦٠٩ ، وقد مضت ترجمته .

(٢) التبكيت : استقبال الرجل بما يكره . والتبكيت أيضاً : التقريع والتوبيخ .

(٣) الأثر : ٤٦٢٩ – ٤٦٣٠ – « أبو مسلم » : إبراهيم بن عبد الله بن مسلم ، الكجي . أو الكشي ، مضى في رقم : ٣٥٦٢ ، ٤٣٢٧ . وكان في المطبوعة هنا : « إبراهيم بن مسلم بن عبد الله » وهم الناسخ ، فحذف الكنية « أبو مسلم» ، وأقحم « بن مسلم » بينه وبين أبيه . و « عمران بن ميسرة المنقري » . روى عن عبد الله بن إدريس . وعنه البخاري وأبو داود وأبو زرعة وأبو حاتم وأبو مسلم الكجي: وثقه الدار قطني . مات سنة ٢١٣ . مترجم في التهذيب . و «الحسن بن الفرات بن أبي عبد الرحمن التميمي القزاز » ، وهو المذكور في الإسناد السالف : ٤٦٢٩ . روى عن أبي معشر ، وابن أبي مليكة وأبيه فرات . وعنه ابنه زياد وعبد الله بن إدريس ووكيع وأبو نعيم وغيرهم . وثقه ابن معين وابن حبان وأبو حاتم . مترجم في التهذيب ، والجرح والتعديل ١/٢/٣٢ .

٤٦٣٢ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثني عبيد الله ابن عمر ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة أنها قالت : إذا آلى الرجل أن لا يمسّ امرأته ، فمضت أربعة أشهر ، فإما أن يمسكها كما أمره الله ، وإما أن يطلقها ، لا يوجب عليه الذى صَنع طلاقاً ولا غيره . (١)

٤٦٣٣ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني يونس بن يزيد وناجية بن بكر وابن أبي الزناد ، عن أبي الزناد قال ، أخبرني القاسم بن محمد : أنّ خالد بن العاص المخزومى كانت عنده ابنة أبي سعيد بن هشام ، فكان يحلف فيها مراراً كثيرة أن لا يقربها الزمانَ الطويلَ . قال : فسمعت عائشة تقول له : ألا تتقى الله يا ابن العاص فى ابنة أبي سعيد ؟ أما تَحْرَج ؛ أما تقرأ هذه الآية التى فى «سورة البقرة» ؟ قال : فكأنها تؤثّمه ، ولا ترى أنه فارق أهله . (٢)

٤٦٣٤ – حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن عبيد الله عن نافع ، عن ابن عمر أنه قال فى المولى : لا يحلّ له إلاّ ما أحل الله له : إما أن يفىء ، وإما أن يطلق .

٤٦٣٥ – حدثنا تميم بن المنتصر قال ، أخبرنا عبد الله بن نمير قال ، أخبرنا عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر نحوه . (٣) ٢٦٢/٢

٤٦٣٦ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال ، حدثنا عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : لا يجوز للمُولى أن لا يفعل ما أمره الله ، يقول :

---

(١) الأثر : ٤٦٣٢ – « عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب » أحد الفقهاء السبعة . روى عن القاسم بن محمد بن أبي بكر ، وابنه عبد الرحمن بن القاسم . كان فى المطبوعة والمخطوطة « عبد الله بن عمر » ، وانظر سنن البيهقى ٨ : ٣٧٨ .

(٢) الأثر : ٤٦٣٣ – « يونس بن يزيد بن أبي النجاد الأيلى » . روى عن الزهرى ، ونافع وهشام بن عروة . وعنه الليث والأوزاعى وابن المبارك وابن وهب ، ثقة . مات بصعيد مصر سنة ١٥٩ . مترجم فى التهذيب . « وأما « ناجية بن بكر » فلم أجد من يسمى بهذا الإسم من الرواة ، ولكن ابن وهب يروى عن « بكر بن مضر المصرى » فأخشى أن يكون فى الكلام زيادة وتصحيف . والله أعلم . وفى المطبوعة والمخطوطة : « يا ابن أبي العاص » والصواب ما أثبت . وانظر نسب قريش : ٣١٢ .

(٣) الأثر : ٤٦٣٥ – فى المخطوطة : « عن عبد الله عن نافع » ، فى هذا الموضع وحده .

يبيِّن رجعتها ، أو يطلق عند انقضاء الأربعة الأشهر – يبين رجعتها أو يطلق =قال أبو كريب قال ،ابن إدريس ، وزاد فيه: وراجعته فيه فقال ، قولاً معناه : أن له الرجعة . ٭

٤٦٣٧ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس قال ، حدثنا شعبة ، عن سماك ، عن سعيد بن جبير : أن عمر قال نحواً من قول ابن عمر .

٤٦٣٨ – حدثنا مجاهد بن موسى قال، حدثنا يزيد بن هرون قال ، أخبرنا جرير بن حازم قال ، أخبرنا نافع : أن ابن عمر قال في الإيلاء : يوقف عند الأربعة الأشهر .

٤٦٣٩ – حدثني يونس قال ،أخبرنا ابن وهب قال ، حدثني عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر أنه قال : إذا آلى الرجل أن لا يمس امرأته ، فمضت أربعة أشهر ، فإما أن يمسكها كما أمره الله، وإما أن يطلقها ، ولا يوجب عليه الذى صنعَ طلاقاً ولا غيره .

٤٦٤٠ – حدثنا أبو هشام قال، حدثنا ابن عيينة ، عن أيوب ، عن سعيد ابن جبير قال: سألت ابن عمر عن الإيلاء فقال: الأمراء يقضون بذلك .

٤٦٤١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أيوب ،عن نافع ، عن ابن عمر قال : يوقف المُولى بعد انقضاء الأربعة ، فإما أن يطلِّق ، وإما أن يفيء .

٤٦٤٢ – حدثنا عبد الله بن أحمد بن شبويه قال، حدثنا ابن أبي مريم قال: حدثنا يحيى بن أيوب ، عن عبيد الله بن عمر ، عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه قال : سألت اثني عشر رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: عن الرجل يولى من امرأته ، فكلهم يقول : ليس عليه شيء حتى تمضى الأربعة الأشهر ، فيوقف ، فإن فاء وإلاّ طلق .

٤٦٤٣ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا داود ،

عن سعيد بن المسيب — فى الرجل يولى من امرأته — قال : كان لا يرى أن تدخل عليه فرقه حتى يطلق .[١]

٤٦٤٤ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا ابن أبى عدى ، عن داود ، عن سعيد بن المسيب فى الإيلاء إذا مضت أربعة أشهر : إنما جعله الله وقتاً لا يحلّ له أن يجاوزَ حتى يفىء أو يطلّقِ. فإن جاوز فقد عصى الله، لا تحرُمُ عليه امرأته .

٤٦٤٥ — حدثنا أبو هشام قال، حدثنا ابن فضيل ، عن داود بن أبى هند، عن سعيد بن المسيب قال : إذا مضت أربعة أشهر ، فإما أن يفىء، وإما أن يطلّق .

٤٦٤٦ — حدثنا محمد بن المثنى وابن بشار قالا ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن ابن المسيب فى الإيلاء : يوقف عند انقضاء الأربعة الأشهر ، فإما أن يفىء ، وإما أن يطلق :

٤٦٤٧ — حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية ، عن معمر = أو حدثت عنه =[٢] عن عطاء الخراسانى قال : سألت ابن المسيب عن الإيلاء فقال : يُوقف .

٤٦٤٨ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن المسيب = وعن ابن طاوس، عن أبيه ، قالا : يوقف المولى بعد انقضاء الأربعة ، فإما أن يفىء ، وإما أن يطلق .[٣]

---

(١) قوله : « فرقه » ، هكذا فى المخطوطة ، وفى المطبوعة : « فرقة » ، والأرجح أنها مصحفة عن كلمة معناها : بيته ، أو غرفته .

(٢) فى المطبوعة : « حدثته » ، وما أثبت من المخطوطة .

(٣) عند هذا الموضع ، انتهى تقسيم من تقاسيم النسخة التى نقلت عنها نسختنا ، ويلى ذلك الأثر ما نصه :

« وصلى الله على سيدنا محمد النبى وعلى آله وسلم كثيراً .

• • •

على الأصل

٤٦٤٩ – [١] حدثنا على بن سهل قال ، حدثنا الوليد بن مسلم قال ، حدثنى مالك بن أنس ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب وأبى بكر بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام مثل ذلك = يعنى مثل قول عمر بن الخطاب فى الإيلاء : لا شىء عليه حتى يوقف ، فيطلق أو يمسك. [٢]

٤٦٥٠ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد: أنه قال فى الإيلاء : يوقف .

٤٦٥١ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح = وحدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح = عن مجاهد فى قوله : « للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر »، قال: إذامضى أربعة أشهر أخِذ ، فيوقف حتى يراجع أهله أو يطلِّق .

٤٦٥٢ – حدثنا أبو هشام قال، حدثنا ابن عيينة ، عن أيوب ، عن سليمان ابن يسار : أن مروان وَقفه بعد ستة أشهر .

٤٦٥٣ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا داود ، ٢٦٣/٢

بلغت بالقراءة من أوله سماعاً من القاضى أبى الحسن الخصيب بن عبد الله ، عن أبى محمد الفرغانى ، عن أبى جعفر الطبرى . وسمع معى أخى علىٌّ حرسه الله ، وأحمد بن عمر بن مديدة الجهارى ، ونصر بن الحسين الطبرىّ ، ومحمد بن علىّ الأموى . وكتب محمد بن عيسى السعدى فى شعبان من سنة ثمان وأربعمائة — والقاضى يقابلنى بكتابه » .

(١) أول التقسيم ما نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

(٢) الأثر : ٤٦٤٩ – هذا إسناد آخر للأثر : ٤٦٠٢ فيما سلف ، وأما خبر عمر فهو الذى مضى برقم : ٤٦١١ .

عن عمر بن عبد العزيز فى الإيلاء قال : يوقف عند الأربعة الأشهر ، حتى يفىء أو يطلق .

٤٦٥٤ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « للذين يؤلون من نسائهم تربُّص أربعة أشهر » ، هو الرجل يحلف لامرأته بالله لا ينكحها ، فيتربص أربعة أشهر ، فإن هو نكحها كفر عن يمينه ، فإن مضت أربعة أشهر قبل أن ينكحها أجبره السلطان : إما أن يفىء فيراجع ، وإما أن يعزم فيطلق ، كما قال الله سبحانه .

٤٦٥٥ – حدثنا موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاؤوا » الآية ، قال : كان على وابن عباس يقولان : إذا آلى الرجل من امرأته فمضت الأربعة الأشهر ، فإنه يوقف فيقال له : أمسكتَ أوطلَّقت ؟ فإن أمسك فهى امرأته ، وإن طلق فهى طالق .

٤٦٥٦ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « للذين يؤلون من نسائهم »، قال : هو الرجل يحلف أن لا يصيب امرأته كذا وكذا ، فجعل الله له أربعة أشهر يتربص بها . وقال : قول الله تعالى ذكره : « تربص أربعة أشهر »، يتربص بها=« فإن فاؤوا فإن الله غفور رحيم * وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم» . فإذا رفعته إلى الإمام ضرب له أجلَ أربعةِ أشهر ،[1] فإن فاء وإلاَّ طلَّق عليه . فإن لم ترفعه ، فإنما هو حقٌّ لها تركته .

٤٦٥٧ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب ، عن مالك قال : لا يقع ، على المولى طلاق حتى يوقف ، ولا يكون مولياً حتى يحلف على أكثر من أربعة أشهر . فإذا حلف على أربعة أشهر فلا إيلاء عليه ، لأنه يوقف عند الأربعة

---

(١) فى المطبوعة : « أجلا أربعة أشهر » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

الأشهر ، وقد سقطت عنه اليمين ، فذهب الإيلاء .[١]

٤٦٥٨ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب ، عن ابن زيد قال ، قال ابن عمر : حتى يرفع إلى السلطان ، وكان أبي يقول ذلك ، ويقول : لا والله ، وإن مضت أربعُ سنين ، حتى يوقَف .

٤٦٥٩ – حدثنا أحمد بن حازم قال، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا فطر قال ، قال محمد بن كعب القرظي ، وأنا معه : لو أن رجلا آلى من امرأته أربعَ سنين ، لم نُبِنْها منه حتى نجمع بينهما ،[٢] فإن فاء فاء ، وإن عزم الطلاق عزم .

٤٦٦٠ – حدثنا أحمد بن حازم قال ،حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا عبد العزيز الماجشون ، عن داود بن الحصين قال ، سمعت القاسم بن محمد يقول : يوقف إذا مضت الأربعة .

* * *

وقال آخرون : ليس الإيلاء بشيء .

* ذكر من قال ذلك :

٤٦٦١ – حدثنا أحمد بن حازم قال ،حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن عمرو بن دينار قال : سألت ابن المسيَّب عن الإيلاء فقال : ليس بشيء .

٤٦٦٢ – حدثنا أحمد بن حازم قال ،حدثنا أبو نعيم قال ، حدثني جعفر ابن برقان ،عن ميمون بن مهران قال : سألت ابن عمر عن رجل آلى من امرأته ، فمضتْ أربعة أشهر فلم يفيء إليها ، فتلا هذه الآية : « للذين يؤلون من نسائهم تربُّص أربعة أشهر » الآية .

٤٦٦٣ – حدثنا أحمد بن حازم قال ،حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا مسعر ،

---

(١) الأثر : ٤٦٥٧ – لم أجد نصه في الموطأ ، ومعناه فيه (الموطأ : ٥٥٦ – ٥٥٨)

(٢) في المطبوعة : « لم نكبها منه » ، كأنه من « الإكنان » ، تصحيف ناسخ والصواب من المخطوطة .

عن حبيب بن أبي ثابت قال : أرسلت إلى عطاء أسأله عن المولى، فقال : لا علم لي به .

* * *

وقال آخرون من أهل هذه المقالة : بل معنى قوله : « وإن عزموا الطلاق » : وإن امتنعوا من الفيئة ، بعد استيقاف الإمام إيّاهم على الفيء أو الطلاق .

* ذكر من قال ذلك :

٤٦٦٤ – حدثني أبو السائب قال، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم قال : يوقف المولى عند انقضاء الأربعة ، فإن فاء جعلها امرأته ، وإن لم يفيء جعلها تطليقة بائنة .

٤٦٦٥ – حدثنا أبو هشام قال، حدثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن إبراهيم قال : يوقف المولى عند انقضاء الأربعة ، فإن لم يفيء فهي تطليقة بائنة .

* * *

قال أبو جعفر : وأشبه هذه الأقوال بما دلّ عليه ظاهر كتاب الله تعالى ذكره ، قولُ عمر بن الخطاب وعثمان وعلي رضي الله عنهم ، ومن قال بقولهم في الطلاق = أن قوله : « فإن فاؤوا فإنّ الله غفور رحيم . وإن عزموا الطلاق فإنّ الله سميع عليم » ، إنما معناه ، فإن فاؤوا بعد وَقف الإمام إياهم من بعد انقضاء الأشهر الأربعة ، فرجعوا إلى أداء حق الله عليهم لنسائهم اللائي آلوا منهن ، فإن الله لهم غفور رحيم» = « وإن عزموا الطلاق » فطلّقوهن= « فإن الله سميع » ، لطلاقهم إذا طلّقوا = « عليم » بما أتوا إليهن . ٢/٢٦٤

وإنما قلنا ذلك أشبه بتأويل الآية ، لأن الله تعالى ذكره ذكر حين قال : « وإن عزموا الطلاق »، « فإن الله سميع عليم » .[1] ومعلوم أنّ انقضاء الأشهر الأربعة غير مسموع ، وإنما هو معلوم . فلو كان « عزم الطلاق » انقضاء الأشهر الأربعة، لم تكن الآية مختومة بذكر الله الخبرَ عن الله تعالى ذكره أنه «سميع عليم»،

(١) فصلنا بين شطري الآية ، لأن ذلك مراد الطبري . يعني أن الله تعالى حين قال « وإن عزموا الطلاق» – ختم الآية بقوله : « فإن الله سميع عليم » .

كما أنه لم يختم الآية التى ذكر فيها الفىء إلى طاعته = فى مراجعة المولى زوجته التى آلى منها ، وأداء حقها إليها = بذكر الخبر عن أنه « شديد العقاب » ، إذْ لم يكن موضعَ وعيد على معصية ، ولكنه ختم ذلك بذكر الخبر عن وصفه نفسه تعالى ذكره بأنه « غفور رحيم » ، إذْ كان موضعَ وَعد المنيب على إنابته إلى طاعته . فكذلك ختم الآية ، التى فيها ذِكْر القول والكلام ، بصفة نفسه ، بأنه للكلام « سميع » وبالفعل « عليم » ، فقال تعالى ذكره : وإن عزم المؤلون على نسائهم على طلاق من آلوا منه من نسائهم = « فإن الله سميع » لطلاقهم إيّاهن إن طلقوهن = « عليم » بما أتوا إليهنّ ، مما يحل لهم ويحرُم عليهم .(١)

وقد استقصينا البيان عن الدلالة على صحة هذا القول فى كتابنا ﴿ كتاب اللطيف من البيان عن أحكام شرائع الدين ﴾ ، فكرهنا إعادته فى هذا الموضع .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره : « والمطلقات » اللواتى طُلِّقن بعد ابتناء أزواجهن بهنّ ، وإفضائهم إليهن ، إذا كن ذوات حيض وطهر — « يتربصن بأنفسهن» ، عن نكاح الأزواج = « ثلاثةَ قُرُوءٍ »

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل « القرء » الذى عناه الله بقوله : « يتربّصن بأنفسهن ثلاثة قروء » .

---

(١) هذا فقه أبى جعفر لمعانى كتاب ربه ، وتجويده لدلائل البلاغة والبيان فى كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فيه البرهان لمن طلب الحق من وجوهه ، بالورع والصبر والبصر ومعرفة ما توجبه الألفاظ من المعانى .

فقال بعضهم : هو الحيض .

* ذكر من قال ذلك :

٤٦٦٦ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله : « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » ، قال : حِيَضٍ . (١)

٤٦٦٧ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « ثلاثة قروء » ، أي ثلاث حِيَض . يقول : تعتدّ ثلاث حِيَض .

٤٦٦٨ – حدثني المثنى قال ، حدثنا حجاج قال : حدثنا همام بن يحيى قال ، سمعت قتادة في قوله : « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » ، يقول : جعل عدة المطلقات ثلاث حيض ، ثم نُسخ منها المطلقة التي طُلِّقت قبل أن يدخل بها زوجها ، واللائي يَئِسْن من المحيض ، واللائي لم يحضن ، والحامل .

٤٦٦٩ – حدثنا علي بن عبد الأعلى قال ، حدثنا المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : القروءُ الحِيَض . (٢)

٤٦٧٠ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس : « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » ، قال : ثلاث حيض .

٤٦٧١ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا ابن جريج قال ، قال عمرو بن دينار : الأقراءُ الحيَض ، عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الحيضة (بكسر الحاء) الاسم من الحيض ، والحال التي تلزمها الحائض من التجنب والتحيض ، والجمع « حيض » (بكسر الحاء وفتح الياء) . وأما « الحيضة » المرة الواحدة من الحيض ، جمعها « حيضات » (بفتح وسكون) .

(٢) الأثر : ٤٦٦٩ – في المطبوعة والمخطوطة : « علي بن عبد الأعلى » ، وانظر ما سلف رقم : ٤٤٨٥ ، وأخشى أن يكون الصواب « محمد بن عبد الأعلى » ، وقد سلف مراراً .

٤٦٧٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن رجل سمع عكرمة قال : الأقراءُ الحيَض ، وليس بالطهر ، قال تعالى: «فطلِّقوهن لعدتهن » ، ولم يقل: « لقروئهن » .

٤٦٧٣ – حدثنا يحيى بن أبي طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك في قوله : « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » ، قال : ثلاث حيض .

٤٦٧٤ – حدثنا موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدى: « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » ، أما « ثلاثة قروء » ، فثلاث حيض .

٤٦٧٥ – حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد، عن أبي معشر ، عن إبراهيم النخعي : أنه رُفِع إلى عمر، فقال لعبد الله بن مسعود: لتقولنّ فيها . فقال: أنت أحق أن تقول ! قال : لتقولن . قال : أقول : إن زوجها أحق بها ما لم تغتسل من الحيضة الثالثة . قال : ذاك رأيي ، وافقتَ ما في نفسي ! فقضى بذلك عُمر . (١) ٢٦٥/٢

٤٦٧٦ – حدثنا محمد بن يحيى قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا سعيد ، عن أبي معشر ، عن النخعي، عن قتادة : أن عمر بن الخطاب قال لابن مسعود ، فذكر نحوه .

٤٦٧٧ – حدثنا محمد بن يحيى قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا سعيد ، عن أبي معشر ، عن النخعي : أن عمر بن الخطاب وابن مسعود قالا : زوجُها أحق بها ما لم تغتسل = أو قالا : تحلّ لها الصلاة . (٢)

٤٦٧٨ – حدثنا حميد بن مسعدة قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا

---

(١) الأثر : ٤٦٧٥ – قال السيوطي أخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد . ورواه البيهقي في السنن ٧ : ٤١٧ مطولا بغير هذا اللفظ ، من طريق « الثوري ، عن منصور عن إبراهيم ، عن علقمة : أن امرأة جاءت إلى عمر رضي الله عنه، فقالت . . . ». وانظر المحلى ١٠ : ٢٥٨ ، وسيأتي من طرق أخرى.

(٢) يعني: ما لم تحل لها الصلاة .

سعيد بن أبي عروبة = قال، حدثنا مطر ، أن الحسن حدثهم: أن رجلا طلق امرأته ووكّل بذلك رجلا من أهله = أو : إنساناً من أهله = فغفل ذلك الذى وكله بذلك حتى دخلت امرأته فى الحيضة الثالثة ، وقرّبت ماءها لتغتسل . فانطلق الذى وُكّل بذلك إلى الزوج، فأقبل الزوج وهى تريد الغُسل ، فقال : يا فلانة ، قالت: ما تشاء ؟ قال : إنى قد راجعتك ! قالت : والله مالك ذلك ! قال : بلى والله ! قال : فارتفعا إلى أبى موسى الأشعرى ، فأخذ يمينها بالله الذى لا إله إلا هو : إن كنتِ لقد اغتسلت حين ناداك . قالت : لا والله ، ما كنت فعلت، ولقد قربت مائى لأغتسل . فردها على زوجها، وقال: أنتَ أحقُّ بها ما لم تغتسل من الحيضة الثالثة .

٤٦٧٩ — حدثنا محمد بن يحيى قال، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا سعيد ، عن مطر ، عن الحسن ، عن أبى موسى الأشعرى بنحوه .

٤٦٨٠ — حدثنا عمران بن موسى قال ، حدثنا عبد الوارث قال ، حدثنا يونس ، عن الحسن قال ، قال عمر : هو أحق بها ما لم تغتسل من الحيضة الثالثة .

٤٦٨١ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا أبو الوليد قال، حدثنا أبو هلال، عن قتادة ، عن يونس بن جبير : أن عمر بن الخطاب طلق امرأته ، فأرادت أن تغتسل من الحيضة الثالثة، فقال عمر بن الخطاب : امرأتى ورب الكعبة ! فراجعها = قال ابن بشار : فذكرت هذا الحديث لعبد الرحمن بن مهدى فقال : سمعتُ هذا الحديث من أبى هلال، عن قتادة ، وأبو هلال لا يحتمل هذا .(١)

٤٦٨٢ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان،

---

(١) الأثر : ٤٦٨١ — «أبو الوليد» : هو هشام بن عبد الملك الباهلى البصرى أبو الوليد الطيالسى الحافظ الحجة ، كان ثقة ثبتاً حجة من عقلاء الناس ، توفى سنة ٢٢٧ ، وولد سنة ١٣٣ . «وأبو هلال» هو : محمد بن سليم أبو هلال الراسبى البصرى ، روى عنه عبد الرحمن بن مهدى . قال أحمد : «يحتمل فى حديثه ، إلا أنه يخالف فى قتادة، وهو مضطرب الحديث» . مات سنة ١٦٧ .

عن منصور ، عن إبراهيم، عن علقمة قال : كنا عند عمر بن الخطاب فجاءت امرأة فقالت : إن زوجي طلقني واحدة أو ثنتين ! فجاء وقد وضعتُ مائي وأغلقت بابي ونزعتُ ثيابي ! فقال عمر لعبد الله : ما ترى ؟ قال : أراها امرأته ، ما دون أن تحلّ لها الصلاة . قال عمر : وأنا أرى ذلك . (١)

٤٦٨٣ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة، عن الحكم ، عن إبراهيم، عن الأسود: أنه قال– في رجل طلق امرأته ثم تركها حتى دخلت في الحيضة الثالثة ، فأرادت أن تغتسل ، ووضعت ماءها لتغتسل ، فراجعها – : فأجازه عمر وعبد الله بن مسعود .

٤٦٨٤ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا ابن أبي عدى ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن إبراهيم ، عن الأسود بمثله = إلا أنه قال : ووضعت الماء للغسل فراجعها ، فسأل عبد الله وعمر فقالا : هو أحق بها ما لم تغتسل .

٤٦٨٥ – حدثني أبو السائب قال، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم قال : كان عمر وعبد الله يقولان : إذا طلق الرجل امرأته تطليقة يملك الرجعة ، فهو أحق بها ما لم تغتسل من حيضتها الثالثة .

٤٦٨٦ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا المغيرة، عن إبراهيم : أن عمر بن الخطاب كان يقول : إذا طلق الرجل امرأته تطليقة أو تطليقتين ، فهو أحق برجعتها ، وبينهما الميراث ، ما لم تغتسل من الحيضة الثالثة.

٤٦٨٧ – حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن أيوب ، عن الحسن : أن رجلا طلق امرأته تطليقة أو تطليقتين ، ثم وكّل بها بعض أهله، فغفل الإنسان حتى دخلت مغتسلها ، وقرّبت غسلها ، فأتاه فآذنه ، فجاء فقال : إني قد راجعتك ؟ فقالت : كلا والله! قال : بلى والله ! قالت : كلا والله ! قال : بلى

---

(١) الأثر : ٤٦٨٢ – هو أحد أسانيد الأثر السالف رقم : ٤٦٧٥ ، وكذلك الآثار التي تليه .

والله ! قال : فتخالفا ، فارتفعا إلى الأشعريّ ، واستحلفها بالله : لقد كنتِ اغتسلت وحلّت لك الصلاة . فأبت أن تحلف ، فردّها عليه .(١)

٤٦٨٨ – حدثنا مجاهد بن موسى قال ، حدثنا يزيد بن هرون قال ، حدثنا سعيد ، عن أبي معشر ، عن النخعي : أنّ عمر استشار ابن مسعود في الذي طلق امرأته تطليقة أو ثنتين ، فحاضت الحيضة الثالثة ، فقال ابن مسعود : أراه أحق بها ما لم تغتسل . فقال عمر : وافقت الذي في نفسي ! فردّها على زوجها . ٢٦٦/٢

٤٦٨٩ – حدثنا حميد بن مسعدة قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا النعمان بن راشد ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب : أن عليا كان يقول : هو أحق بها ما لم تغتسل من الحيضة الثالثة .(٢)

٤٦٩٠ – حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار قال ، سمعت سعيد بن جبير يقول : إذا انقطع الدم فلا رجعة.

٤٦٩١ – حدثنا أبو السائب قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم قال : إذا طلق الرجل امرأته وهي طاهر ، اعتدت ثلاث حيض ، سوى الحيضة التي طهُرت منها .

٤٦٩٢ – حدثني محمد بن يحيى قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا سعيد ، عن مطر ، عن عمرو بن شعيب : أن عمر سأل أبا موسى عنها – وكان بلغه قضاؤه فيها – فقال أبو موسى : قضيتُ أن زوجها أحقُّ بها ما لم تغتسل . فقال عمر : لو قضيت غير هذا لأوجعت لك رأسك .

٤٦٩٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب : أن علي بن أبي طالب قال – في

---

(١) الأثر : ٤٦٨٧ – طريق آخر للأثر السالف رقم : ٤٦٧٨ .

(٢) الأثر : ٤٦٨٩ – «النعمان بن راشد الجزري» ، روى عن الزهري ، قال أحمد : مضطرب الحديث روى أحاديث مناكير . وقال ابن معين : ضعيف مضطرب الحديث ، وقال مرة : ثقة. وقال البخاري وأبو حاتم : في حديثه وهم كثير ، وهو في الأصل صدوق .

الرجل يتزوَّج المرأة فيطلقها تطليقة أو ثنتين — قال : لزوجها الرجعة عليها حتى تغتسل من الحيضة الثالثة وتحلَّ لها الصلاة .

٤٦٩٤ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن زيد بن رفيع ، عن أبي عبيدة بن عبد الله قال : أرسل عثمان إلى أبي يسأله عنها، فقال أبي : وكيف يفتى منافق ؟! فقال عثمان : أعيذُك بالله أن تكون منافقاً ، ونعوذ بالله أن نسمِّيك منافقاً، ونعيذك بالله أن يكون مثلُ هذا كان في الإسلام ، ثم تموت ولم تبيِّنه ! قال : فإني أرى أنه أحق بها حتى تغتسل من الحيضة الثالثة ، وتحلَّ لها الصلاة .قال : فلا أعلم عثمان إلا أخذ بذلك .(١)

٤٦٩٥ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن أبي قلابة = قال : وأخبرنا معمر ، عن قتادة = قالا : راجع رجل امرأته حين وضعت ثيابها تريدُ الاغتسال، فقال : قد راجعتك . فقالت : كلا ! فاغتسلت. ثم خاصمها إلى الأشعري ، فردَّها عليه .

٤٦٩٦ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبدالرزاق قال ، أخبرنا معمر . عن زيد بن رفيع ، عن معبد الجهني قال : إذا غسلت المطلقة فرجها من الحيضة الثالثة، بانت منه وحلَّت للأزواج .(٢)

---

(١) الأثر: ٤٦٩٤ — زيد بن رفيع الجزري ، روى عن أبي عبيدة بن عبدالله بن مسعود .وروى عنه معمر ، وزيد بن أبي أنيسة . كان فقيها فاضلا ورعاً . ذكره ابن حبان في الثقات . وقال أحمد: ثقة ما به بأس. قيل لأحمد: سمع من أبي عبيدة ؟ قال : نعم . وضعفه الدارقطني، وقال النسائي : ليس بالقوي. مترجم في الجرح والتعديل ١/٢/٥٦٣ ، ولسان الميزان . و « أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود » ، أبوه الصحابي المشهور ، وهذا الخبر فيه إشارة إلى ما كان بين عثمان وعبد الله بن مسعود ، في شأن المصاحف. وفي المخطوطة : « عن أبي عبيدة عن عبد الله » ، وهو خطأ محض .

وهذا الأثر رواه البيهقي في السنن الكبرى ٧ : ٤١٧ مختصراً ، وفيه خطأ في ضبط لفظ « أبي » ، وضعت على الياء شدة ، وهو خطأ .

(٢) الأثر : ٤٦٩٦ — « معبد الجهني » ، يقال : « معبد بن عبد الله بن عكيم » ويقال : « معبد بن عبد الله بن عويم » ، ويقال : « معبد بن خالد » ، وهو من التابعين ، روى عنه الحسن وقتادة وزيد بن رفيع ومالك بن دينار وعوف الأعرابي . كان رأساً في القدر ، قدم المدينة فأفسد بها ناساً .

٤٦٩٧ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن حماد ، عن إبراهيم : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : يحلّ لزوجها الرجعةُ عليها ، حتى تغتسل من الحيضة الثالثة ويحلّ لها الصوم.

٤٦٩٨ – حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ، حدثنا ابن أبى عدى ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب قال : قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : هو أحق بها ما لم تغتسل من الحيضة الثالثة .

٤٦٩٩ – حدثنا محمد بن يحيى قال ، حدثنا عبد الأعلى ، عن سعيد ، عن دُرُسْت ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب ، عن على مثله .(١)

* * *

وقال آخرون : بل « القرء » الذى أمر الله تعالى ذكره المطلقات أن يعتددن به ، الطهر .

* ذكر من قال ذلك :

٤٧٠٠ – حدثنا عبد الحميد بن بيان قال ، أخبرنا سفيان ، عن الزهرى ، عن عمرة ، عن عائشة ، قالت : الأقراء الأطهار .

٤٧٠١ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثنى عبد الله ابن عمر ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أنها كانت تقول : الأقراء الأطهار .

حديثه صالح ، ومذهبه ردىء . وكان الحسن يقول : إياكم ومعبد ، فإنه ضال مضل – يعنى كلامه فى القدر . وقال ابن معين ثقة . وقال أبو حاتم : كان صدوقاً فى الحديث . مترجم فى التهذيب .

(١) الأثر : ٤٦٩٩ – « درست » (بضم الدال والراء وسكون السين) . ترجمه البخارى فى الكبير ١/٢/٢٣١ قال : « درست ، قال ابن عيينة : سمعت سعيد بن أبى عروبة يقول : حدثنا درست ، عن الزهرى – وكان درست قدم علينا من البصرة ، كيس حافظ » . وترجمه ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل ١/٢/٤٣٨ : « درست : روى عن الزهرى ، روى عنه ابن أبى عروبة ، قدم عليهم البصرة . سمعت أبى يقول ذلك » . وهو غير « درست بن حمزة البصرى » و « درست بن زياد الرقاشى البصرى » . وكان فى المطبوعة : « درسب » بالباء ، وهو خطأ وفى المخطوطة غير منقوط – وسيأتى مثل هذا الإسناد برقم : ٤٧٢٥ .

٤٧٠٢ – حدثنا الحسن قال ،أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ،عن الزهرى ، عن عمرة وعروة ، عن عائشة قالت : إذا دخلت المطلقة فى الحيضة الثالثة فقد بانت من زوجها وحلت للأزواج= قال الزهرى : قالت عمرة : كانت عائشة تقول : القرء الطُّهر ، وليس بالحيضة .

٤٧٠٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهرى ، عن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، مثل قول زيد وعائشة . ٢٦٧/٢

٤٧٠٤ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، مثل قول زيد .

٤٧٠٥ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار : أن زيد بن ثابت قال : إذا دخلت المطلَّقة فى الحيضة الثالثة فقد بانت من زوجها وحلَّت للأزواج= قال معمر : وكان الزهرى يفتى بقول زيد .

٤٧٠٦ – حدثنا محمد بن بشار قال ،حدثنا عبد الوهاب قال ، سمعت يحيى ابن سعيد يقول : بلغنى أن عائشة قالت : إنما الأقراء الأطهار .

٤٧٠٧ – حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، عن زيد بن ثابت قال : إذا دخلت فى الحيضة الثالثة ، فلا رجعة له عليها .

٤٧٠٨ – حدثنا محمد بن بشار قال ،حدثنا ابن أبى عدى وعبد الأعلى ، عن سعيد، عن قتادة، عن ابن المسيب، فى رجل طلق امرأته واحدة أو ثنتين قال – – قال زيد بن ثابت : إذا دخلت فى الحيضة الثالثة فلا رجعة له عليها = وزاد ابن أبى عدى قال : قال على بن أبى طالب : هو أحق بها ما لم تغتسل .

٤٧٠٩ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا ابن أبى عدى ، عن سعيد ،

عن قتادة ، عن ابن المسيب ، عن زيد وعلى بمثله .

٤٧١٠ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي الزناد ، عن سليمان بن يسار ، عن زيد بن ثابت قال : إذا دخلت فى الحيضة الثالثة فلا ميراثَ لها .

٤٧١١ – حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية = وحدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الوهاب = قالا جميعاً ، حدثنا أيوب ، عن نافع ، عن سليمان ابن يسار : أن الأحوص – رجل من أشراف أهل الشام – طلق امرأته تطليقة أو ثنتين ، فمات وهى فى الحيضة الثالثة ، فرُفعت إلى معاوية ، فلم يوجد عنده فيها علم . فسأل عنها فضالة بن عبيد ومَنْ هناك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يوجد عندهم فيها علم ، فبعث معاوية راكباً إلى زيد بن ثابت ، فقال : لا ترثه ، ولو ماتت لم يرثها ، فكان ابن عمر يرى ذلك .(١)

٤٧١٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن سليمان بن يسار : أن رجلا يقال له الأحوص من أهل الشام ، طلق امرأته تطليقة . فمات ، وقد دخلت فى الحيضة الثالثة ، فرفع إلى معاوية ، فلم يدر ما يقول ، فكتب فيها إلى زيد بن ثابت ، فكتب إليه زيد: « إذا دخلت المطلقة فى الحيضة الثالثة ، فلا ميراث بينهما » .

٤٧١٣ – حدثنا محمد بن يحيى قال ، حدثنا عبد الأعلى قال، حدثنا سعيد ،

---

(١) الأثر : ٤٧١١ – ٤٧١٣ – رواه الشافعى فى الأم ٥ : ١٩٢ من طريق مالك عن نافع وزيد بن أسلم عن سليمان بن يسار » ، وأخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ٧ : ٤١٥ من طريق آخر مختصراً . و « الأحوص » هو : الأحوص بن حكيم بن عمير (وهو عمرو) بن الأسود العنسى الهمدانى . رأى أنساً عبد الله بن بسر « وروى أبيه وطاووس وغيرهما وقال البخارى : « سمع أنساً » وروى عنه سفيان وروى عنه سفيان بن عيينة ، وهو صدوق حديثه ليس بالقوى» . وكان الأحوص رجلا عابداً مجتهداً ، وولى عمل حمص . قال عبد الرحمن بن الحكم : « كان صاحب شرطة ، ومن بعض المسودة » وقال ابن حميد : «قدم الأحوص الرى مع المهدى ، وكان قدومه سنة ١٦٨ » . مترجم فى التهذيب ، وتاريخ ابن عساكر ٢ : ٣٣٢ – ٣٣٣ .

عن أيوب ، عن نافع ، عن سليمان بن يسار : أن رجلا يقال له الأحوص ، فذكر نحوه عن معاوية وزيد .

٤٧١٤ – حدثنا محمد بن يحيى قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا سعيد ، عن أيوب ، عن نافع ، قال : قال ابن عمر : إذا دخلت فى الحيضة الثالثة فلا رجعة له عليها .

٤٧١٥ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا عبد الوهاب ، قال حدثنا عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر أنه قال فى المطلقة : إذا دخلت فى الحيضة الثالثة فقد بانت .

٤٧١٦ – حدثنا يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثنى عمر بن محمد أن نافعاً أخبره ، عن عبد الله بن عمر ، وزيد بن ثابت أنهما كانا يقولان : إذا دخلت المرأة فى الدم من الحيضة الثالثة ، فإنها لا ترثه ولا يرثها ، وقد برئت منه وبرىء منها .(١)

٤٧١٧ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا يحيى بن سعيد قال ، بلغنى عن زيد بن ثابت قال : إذا طلقت المرأة فدخلت فى الحيضة الثالثة ، إنه ليس بينهما ميراث ولا رجعة .

٤٧١٨ – حدثنى محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الوهاب قال ، سمعت يحيى بن سعيد يقول : سمعت سالم بن عبد الله يقول مثل قول زيد بن ثابت .

٤٧١٩ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الوهاب قال ، وسمعت يحيى يقول : بلغنى عن أبان بن عثمان أنه كان يقول بذلك .

---

(١) الأثر : ٤٧١٦ – عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، روى عن أبيه وجده وعم أبيه سالم ، وعن نافع مولى ابن عمر ، وغيرهم . وكان فى المخطوطة مضطرب الاسم ولكنه يقرأ كما هو فى المطبوعة ، وهو الصواب . وفى المخطوطة أيضاً « وقد ترث منه ويرث منها » ، والصواب فى المطبوعة ، والسنن الكبرى للبيهقى .

٤٧٢٠ – حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا عبيدالله ، عن زيد بن ثابت مثل ذلك .(١) ٢٦٨/٢

٤٧٢١ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا وهب بن جرير قال ، حدثنا شعبة ، عن عبد ربه بن سعيد ، عن نافع : أن معاوية بعث إلى زيد بن ثابت ، فكتب إليه زيد : « إذا دخلت فى الحيضة الثالثة فقد بانت » ، وكان ابن عمر يقوله .

٤٧٢٢ – حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا يحيى ابن سعيد، عن سليمان وزيد بن ثابت، أنهما قالا : إذا حاضت الحيضة الثالثة، فلا رجعة ولا ميراث .

٤٧٢٣ – حدثنا مجاهد بن موسى قال، حدثنا يزيد قال ، أخبرنا هشام بن حسان، عن قيس بن سعد ، عن بكير بن عبد الله بن الأشج ، عن زيد بن ثابت قال : إذا طلق الرجل امرأته فرأت الدم فى الحيضة الثالثة ، فقد انقضت عدتها .

٤٧٢٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن مغيرة ، عن موسى بن شداد ، عن عمر بن ثابت الأنصارى قال : كان زيد ثابت يقول : إذا حاضت المطلقة الثالثة قبل أن يراجعها زوجها ، فلا يملك رَجعتها .(٢)

٤٧٢٥ – حدثنا محمد بن يحيى قال، حدثنا عبد الأعلى ، عن سعيد ، عن دُرُسْت، عن الزهرى، عن سعيد بن المسيب : أن عائشة وزيد بن ثابت قالا :

---

(١) الأثر : ٤٧٢٠ – فى المطبوعة : «حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا عبد الوهاب » وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو سبق قلم من ناسخ آخر .

(٢) الأثر : ٤٧٢٤ – « موسى بن شداد » ترجمه البخارى فى الكبير ٤ / ١ / ٢٨٦ ، وابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل ٤ / ١ / ١٤٦ وقال : « روى عن عمرو بن ثابت . روى عنه مغيرة بن مقسم الضبى، سمعت أبى يقول ذلك » . ولم يزد البخارى شيئاً . وأما « عمر بن ثابت الأنصارى » فهو مترجم فى التهذيب ، روى عن أبى أيوب الأنصارى وبعض الصحابة . والظاهر أن ما فى الطبرى هو الصواب ؛ وأن ما جاء فى التاريخ الكبير والجرح والتعديل « عمرو بن ثابت » فهو خطأ ، فلم أجد « عمرو بن ثابت » أنصارياً ، ومن هذه الطبقة .

إذا دخلت فى الحيضة الثالثة فلا رجعة له عليها .[١]

* * *

قال أبو جعفر : « والقُروء » فى كلام العرب جمع « قُرْء »،[٢] وقد تجمعه العرب « أقراء ». يقال فى « فعل » منه : « أقرأت المرأة » — إذا صارت ذات حيض وطُهر — « فهى تقرىء إقراء ». وأصل « القُرء » فى كلام العرب : الوقتُ لمجىء الشىء المعتاد مجيئه لوقت معلوم ، ولإدبار الشىء المعتاد إدبارُه لوقت معلوم . ولذلك قالت العرب : « قرأتْ حاجةُ فلان عندى » ، بمعنى : دنا قضاؤها وحان وقت قضائها.[٣] « واقرأ النجم » اذا جاء وقت أفوله ، « وأقرأ » إذا جاء وقت طلوعه . كما قال الشاعر :

إِذَا مَا الثُّرَيَّا وَقَدْ أَقْرَأَتْ أَحَسَّ السِّمَاكَانِ مِنْهَا أُفُولاَ[٤]

وقيل : « أقرأت الريح » ، إذا هبت لوقتها ، كما قال الهذلى :[٥]

شَنِئْتُ العَقْرَ عَقْرَ بَنِى شُلَيْلٍ إِذَا هَبَّتْ لِقَارِئِهَا الرِّيَاحُ[٦]

بمعنى : هبت لوقتها وحين هُبوبها . ولذلك سمى بعض العرب وقت مجىء الحيض « قُرءاً » ، إذ كان دماً يعتاد ظهوره من فرج المرأة فى وقت ، وكمونُه فى آخر ، فسمى وقت مجيئه « قُرءاً » ، كما سمَّى الذين سمَّوا وقت مجىء الريح لوقتها « قُرءاً » .

---

(١) الأثر : ٤٧٢٥ — سلف هذا الإسناد برقم ٤٦٩٩ — وترجمة « درست » ، وكان فى المطبوعة هنا أيضاً « درسب » بالباء ، وهو خطأ كما أسلفنا والإسناد فى المخطوطة هكذا : « . . . حدثنا عبد الأعلى ، عن سعيد بن المسيب أن عائشة . . . » أسقط من الإسناد ما هو ثابت فى المطبوعة ، وهو الصواب.

(٢) فى المطبوعة : « والقرء فى كلام العرب جمعه قروء » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « وجاء وقت قضائها » ، والذى أثبته ما فى المخطوطة .

(٤) لم أجد هذا البيت ، وهو متعلق ببيت بعده فيما أرجح ، فتركت شرحه حتى أعثر على تمام معناه .

(٥) هو مالك بن الحارث ، أحد بنى كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل .

(٦) ديوان الهذليين ٣ : ٨٣ . وشنىء الشىء يشنأه شناءة : كرهه . والعقر : اسم مكان ، و « شليل » الذى نسب إليه هو جد جرير بن عبد الله البجلى .

٤٧٢٦ – ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنت أبي حُبَيْش : دعى الصلاة أيام أقرائك .(١)

بمعنى : دعى الصلاة أيام إقبال حيضك .

وسمى آخرون من العرب وقت مجيء الطهر « قُرءاً » ، إذْ كان وقت مجيئه وقتاً لإدبار الدم دم الحيض ، وإقبال الطهر المعتاد مجيئُه لوقت معلوم . فقال فى ذلك الأعشى ميمون بن قيس :

وَفِى كُلِّ عَامٍ أَنْتَ جَاشِمُ غَزْوَةٍ ... تَشُدُّ لِأَقْصَاهَا عَزِيمَ عَزَائِكَا(٢)
مُوَرِّثَةٍ مَالاً ، وَفِى الذِّكْرِ رِفْعَةً ، ... لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرُوءِ نِسَائِكَا(٣)

فجعل « القُرء » وقت الطهر .

* * *

قال أبو جعفر : ولما وصفنا من معنى : « القُرء » أشكل تأويل قول الله : « والمطلقات يتربَّصن بأنفسهن ثلاثة قروء » على أهل التأويل .

---

(١) الأثر : ٤٧٢٦ – ساقه بغير إسناد ، وحديث فاطمة بنت أبي حبيش : ثابت من طرق قال ابن كثير فى تفسير ١ : ٥٣٤ ، وذكر هذا الحديث « رواه أبو داود والنسائى من طريق المنذر بن المغيرة ، عن عروة بن الزبير عن فاطمة بنت أبي حبيش : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : « دعى الصلاة أيام أقرائك » . ثم قال : «ولكن المنذر هذا مجهول ليس بمشهور ، وذكره ابن حبان فى الثقات » وكذلك قال ابن أبي حاتم فى الجرح والتعديل ٤/١/٢٤٢ . وانظر سنن أبي داود ١ : ١١٤ – ١١٧ ، تفصيل ذلك .

وانظر البخارى (فتح البارى ١ : ٣٤٨ – وما بعده من أبواب الحيض) ، ومسلم ٤ : ١٦ – ٢١ وفاطمة بنت أبي حبيش بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصى ، القرشية .

(٢) ديوانه : ٦٧ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٧٤ ، وغيرهما كثير . يمدح هوذة بن على الحنفى ، وقد ذكر فيها من فضائل هوذة ومآثره ما ذكر . جشم الأمر يجشمه جشما وجشامة : تكلفه على جهد ومشقة ، وركب أجسمه . والعزيم والعزيمة والعزم : الجد ، وعقد القلب على أمر أنك فاعله . والعزاء : حسن الصبر عن فقد ما يفقد الإنسان . يقول لهوذة : كم من لذة طيبة صبرت النفس عنها فى سبيل تشييد ملكك بالغزو المتصل عاماً بعد عام .

(٣) قوله : « مورثة » ، صفة لقوله : « غزوة » . يقول : تعزيت عن كل متاع ، فهجرت نساءك فى وقت طهرهن فلم تقربهن ، وآثرت عليهن الغزو ، فكانت غزواتك غنى فى المال ، ورفعة فى الذكر ، وبعداً فى الصيت .

فرأى بعضهم أن الذى أمِرت به المرأة المطلقة ذات الأقراء من الأقراء ، أقراء الحيض ، وذلك وقت مجيئه لعادته التى تجىء فيه — فأوجب عليها تربُّص ثلاث حيَض بنفسها عن خطبة الأزواج .

* * *

ورأى آخرون : أنّ الذى أمرت به من ذلك ، إنما هو أقراءُ الطهر — وذلك وقت مجيئه لعادته التى تجىء فيه — فأوجب عليها تربُّص ثلاثة أطهار .

* * *

فإذْ كان معنى « القُرء » ما وصفنا لما بيَّنا ، وكان الله تعالى ذكره قد أمرَ المريدَ طلاقَ امرأته أن لا يطلقها إلا طاهراً غيرُ مجامعة ، وحرَّم عليه طلاقها حائضاً =كان اللازمُ المطلقةَ المدخولَ بها إذا كانت ذات أقراء ، [1] تربُّص أوقات محدودة المبلغ بنفسها عَقيب طلاق زوجها إياها ، أن تنظرَ إلى ثلاثة قروء بين طهرىْ كل قرءٍ منهن قرءٌ ، هو خلاف ما احتسبته لنفسها قروءاً تتربصهن . [2] فإذا انقضين فقد حلت للأزواج وانقضت عدّتها ، وذلك أنها إذا فعلت ذلك فقد دخلت فى عداد من تربَّصُ من المطلقات بنفسها ثلاثةَ قروء ، بين طُهرىْ كل قرءٍ منهن قرءٌ له مخالفٌ . وإذا فعلت ذلك ، كانت مؤدية ما ألزمها ربها تعالى ذكره بظاهر تنزيله . ٢٦٩/٢

فقد تبيَّن إذاً — إذ كان الأمر على ما وصفنا — أنّ القرءَ الثالثَ من أقرائها على ما بينا ، الطهرُ الثالث= وأنّ بانقضائه ومجىء قرء الحيض الذى يتلوه ، انقضاءُ عدّتها .

* * *

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « وكان اللازم . . . » ، و « الواو » هنا مفسدة للمعنى . لأن الطبرى يريد أن يقول إن « القرء » من الألفاظ ذوات المعنى المشترك . فهو يدل على وقت مجىء الطهر ، وعلى وقت مجىء الحيض . ولما كان الله تعالى قد أمر الرجل أن يطلق امرأته فى طهر لم يجامعها فيه ، وحرم عليه طلاقها حائضاً كان اللازم المطلقة أن تنظر إلى ثلاثة قروء . . . »

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « وهو خلاف . . . » والصواب إسقاط « واو » العطف . يعنى : أن هذا القرء الذى بين الطهرين ، خلاف ما احتسبته لنفسها قروءاً تتربصهن . وذلك لأن لفظ « قرء » مشترك المعنى بين الحيض والطهر . وفى المخطوطة والمطبوعة : « فتربصهن » ، وهو تصحيف ، والصواب ما أثبت . وسيأتى هذا المعنى واضحاً فيما يلى من عبارته .

فإن ظن ذو غباء[1] أنّا إذْ كنا قد نسمّى وقت مجيء الطهر «قُرءًا»، ووقت مجيء الحيض «قرءًا»، أنه يلزمنا أن نجعل عدة المرأة منقضية بانقضاء الطهر الثانى، إذ كان الطهرُ الذى طلقها فيه، والحيضة التى بعده، والطهر الذى يتلوها، «أقراءً» كلها[2] — فقد ظن جهلاً.

وذلك أن الحكم عندنا — فى كل ما أنزله الله فى كتابه — على ما احتمله ظاهرُ التنزيل، ما لم يبيّن الله تعالى ذكره لعباده أنّ مراده منه الخصوص، إما بتنزيل فى كتابه، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم. فإذا خصّ منه البعض، كان الذى خصّ من ذلك غيرَ داخل فى الجملة التى أوجب الحكم بها، وكان سائرها على عمومها، كما قد بيّنا فى كتابنا ﴿كتاب لطيف القول من البيان عن أصول الأحكام﴾ وغيره من كتبنا.

فـ «الأقراء» التى هى أقراءُ الحيض بين طُهرىْ أقراء الطهر، غير محتسبة من أقراء المتربِّصة بنفسها بعد الطلاق، لإجماع الجميع من أهل الإسلام: أن «الأقراء» التى أوجبَ الله عليها تربُّصهن، ثلاثة قروء، بين كل قرء منهن أوقات مخالفاتٌ المعنى لأقرائها التى تربّصُهن. وإذْ كن مستحقات عندنا اسم «أقراء»، فإن ذلك من إجماع الجميع لم يُجِزْ لها التربّصَ إلا على ما وصفنا قبل.

* * *

قال أبو جعفر: وفى هذه الآية دليل واضح على خطأ قول من قال: «إن امرأة والمُولى التى آلى منها، تحل للأزواج بانقضاء الأشهر الأربعة، إذا كانت قد حاضت ثلاث حيضٍ فى الأشهر الأربعة». لأن الله تعالى ذكره إنما أوجبَ عليها العدّة بعد عزم المُولى على طلاقها وإيقاع الطلاق بها بقوله: «وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم * والمطلقات يتربّصن بأنفسهن ثلاثة قروء»، فأوجب تعالى

(١) فى المطبوعة: «ذو غباوة»، وأثبت ما فى المخطوطة.

(٢) يعنى: أن طهر التطليق قرء، والحيضة قرء، والطهر الثانى قرء، فهى ثلاثة قروء تتربصها المطلقة.

ذكره على المرأة إذا صارت مطلقة — تربّص ثلاثة قروء. فمعلوم أنها لم تكن مطلقة يوم آلى منها زوجها ، لإجماع الجميع على أنّ الإيلاء ليس بطلاق موجب على المولى منها العِدّة. وإذ كان ذلك كذلك، فالعدة إنما تلزمها بعد الطلاق، والطلاق إنما يلحقها بما قد بيناه قبل .

* * *

قال أبو جعفر : وأما معنى قوله « والمطلقات » ، فإنه : والمخلّياتُ السبيل ، غير ممنوعات بأزواج ولا مخطوبات. وقول القائل : « فلانة مطلقة » إنما هو « مفعّلة » من قول القائل : « طلّق الرجل زوجته فهى مطلّقة » . وأما قولهم : « هى طالق » ، فمن قولهم : «طلّقها زوجها فطَلُقت هى ، وهى تطلُق طلاقاً ، وهى طالق » . وقد حكى عن بعض أحياء العرب أنها تقول : « طَلَقت المرأة » .[1] وإنما قيل ذلك لها ، إذا خلاّها زوجها ، كما يقال للنعجة المهملة بغير راع ولا كالئ ، إذا خرجت وحدها من أهلها للرعى مُخلاةً سبيلها : « هى طالق » ، فمثلت المرأة المخلاّة سبيلها بها ، وسُميت بما سُميت به النعجة التى وصفنا أمرها. وأما قولهم : « طُلِقت المرأة» ، فمعنى غير هذا ، إنما يقال فى هذا إذا نُفِست.[2] هذا من « الطَّلْق» ، والأول من «الطلاق » .

* * *

وقد بينا أن « التربُّص » إنما هو التوقف عن النكاح ، وحبسُ النفس عنه ، فى غير هذا الموضع .[3]

* * *

---

(١) «طلق » هنا بفتح الطاء واللام ، أما التى سبقت قبلها بفتح الطاء وضم اللام مثل «كرم» .

(٢) نفست المرأة (بضم فكسر) ونفست (بفتح فكسر) : ولدت ، فهى نفساء . والطلق : طلق المخاض عند الولادة ، وهو الوجع ، والفعل منه بالبناء للمجهول ، بضم الطاء وكسر اللام .

(٣) انظر ما سلف فى معنى « التربص » من هذا الجزء ٤ : ٤٥٦

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك :

فقال بعضهم : تأويله : « ولا يحلّ »، لهن يعنى للمطلقات = «أن يكتمن ماخلق الله فى أرحامهن»، من الحيض إذا طُلِّقن. حرّم عليهن أن يكتمن أزواجهن الذين طلّقوهن ، فى الطلاق الذى عليهم لهنّ فيه رجعة ، يبتغين بذلك إبطال حقوقهم من الرجعة عليهن.(١)

* ذكر من قال ذلك :

٢/٢٧٠ ٤٧٢٧ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى الليث ، عن يونس، عن ابن شهاب قال : قال الله تعالى ذكره : « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » إلى قوله : « وللرجال عليهنّ درجة والله عزيز حكيم » ، قال : بلغنا أنّ « ما خلق فى أرحامهن » الحمل ، وبلغنا أنه الحيضة ، فلا يحل لهنّ أن يكتمن ذلك ، لتنقضى العدة ولا يملك الرجعة إذا كانت له .

٤٧٢٨ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم : « ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن » ، قال : الحيض .

٤٧٢٩ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم : « ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن »، قال : أكبرُ ذلك الحيض .(٢)

---

(١) فى المخطوطة : « حقوقهن » ، والصواب ما فى المطبوعة .

(٢) الأثر : ٤٧٢٩ — فى الدر المنثور ١ : ٢٧٦ ، بنصه هنا ثم قال : « وفى لفظ : أكثر ما عنى به الحيض»، وسيأتى كذلك برقم : ٤٧٣٣ ،ولكن المخطوطة تخالفهن جميعاً ، ففيها : « إذا كثر ذلك الحيض » ، وكلها قريب فى معناه بعضه من بعض .

٤٧٣٠ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس قال ، سمعت مطرّفاً ، عن الحكم قال ، قال إبراهيم فى قوله: « ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهنّ » ، قال : الحيض .

٤٧٣١ – حدثنى يعقوب قال، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا خالد الحذاء ، عن عكرمة فى قوله: « ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن » ، قال : الحيض = ثم قال خالد : الدم .

* * *

وقال آخرون : هو الحيض ، غير أن الذى حرّم الله تعالى ذكره عليها كتمانَه فيما خلق فى رحمها من ذلك، هو أن تقول لزوجها المطلِّق ، وقد أراد رجعتها قبل الحيضة الثالثة : « قد حضتُ الحيضةَ الثالثة » ، كاذبةً لتبطل حقه بقيلها الباطلَ فى ذلك .

* ذكر من قال ذلك :

٤٧٣٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن عبيدة بن معتِّب ، عن إبراهيم فى قوله : « ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن»، قال : الحيض ، المرأةُ تعتدّ قُرْأين، ثم يريد زوجها أن يراجعها فتقول: « قد حضتُ الثالثة » .(١)

٤٧٣٣ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم : « ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن »، قال: أكثر ما عنى به الحيض.(٢)

* * *

---

(١) الأثر : ٤٧٣٢ – فى المخطوطة « عبده بن معتب» غير منقوطة ، وفى المطبوعة : « بن مغيث » خطأ . وعبيدة بن معتب الضبى ، روى عن إبراهيم النخعى والشعبى وعاصم بن بهدلة وغيرهم . روى عنه شعبة والثورى ووكيع وهشيم وعلى بن مسهر ، وغيرهم . وكان سيء الحفظ ضريراً متروك الحديث . وقال ابن حبان : « اختلط بأخرة فبطل الاحتجاج به » .

(٢) الأثر : ٤٧٣٣ – انظر التعليق على الأثر السالف رقم : ٤٧٢٩ .

وقال آخرون : بل المعنى الذى نُهِيتْ عن كتمانه زوجَها المطلِّقَ : الحبلُ والحيضُ جميعاً .

* ذكر من قال ذلك :

٤٧٣٤ — حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا الأشعث ، عن نافع ، عن ابن عمر : « ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن » ، من الحيض والحمل . لا يحل لها إن كانت حائضاً أن تكتُم حيضها، ولا يحل لها إن كانت حاملا أن تكتُم حملها .

٤٧٣٥ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس قال ، سمعت مطرِّفاً، عن الحكم ، عن مجاهد فى قوله : « ولا يحل لهنّ أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن»، قال : الحمل والحيض = قال أبو كريب : قال ابن إدريس : هذا أوّل حديث سمعته من مطرِّف .

٤٧٣٦ — حدثنى أبو السائب قال، حدثنا ابن إدريس ، عن مطرف ، عن الحكم ، عن مجاهد مثله = إلا أنه قال : الحبل .

٤٧٣٧ — حدثنا إسمعيل بن موسى الفزارى قال، حدثنا أبو إسحق الفزارى ، عن ليث ، عن مجاهد فى قوله : « ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن»، قال : من الحيض والولد .

٤٧٣٨ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنى مسلم بن خالد الزنجى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ولا يحلّ لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن » ، قال : من الحيض والولد .

٤٧٣٩ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله تعالى ذكره : « ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن »، قال : لا يحلّ للمطلَّقة أن تقول : « إنى حائض » ،

وليست بحائض = ولا تقول : « إنى حبلى » وليست بحبلى = ولا تقول : « لستُ بحبلى » ، وهى حُبلى .

٤٧٤٠ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٤٧٤١ – حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال، أخبرنا ابن المبارك عن الحجاج ، عن مجاهد قال : الحيض والحبل = قال : تفسيره أن لا تقول : « إنى حائض »، وليست بحائض = « ولا لست بحائض »، وهى حائض = : ولا : « إنى حبلى »، وليست بحبلى = ولا : « لست بحبلى »، وهى حبلى .

٤٧٤٢ – حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن الحجاج ، عن القاسم بن نافع ، عن مجاهد ، نحو هذا التفسير فى هذه الآية.(١) ٢٧١/٢

٤٧٤٣ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد مثله = وزاد فيه ، قال : وذلك كله فى بُغض المرأة زوجها وحبِّه .

٤٧٤٤ – حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن » ، يقول : لا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن من الحيض والحبل ، لا يحلّ لها أن تقول : « إنى قد حضت »، ولم تحض = ولا يحلّ أن تقول : « إنى لم أحض »، وقد حاضت = ولا يحل لها أن تقول : « إنى حبلى »، وليست بحبلى = ولا أن تقول : « لست بحبلى »، وهى حبلى .

٤٧٤٥ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن » الآية قال : لا يكتمن الحيض

---

(١) الأثر : ٤٧٤٢ – « القاسم بن نافع بن أبى بزة »وهو«القاسم بن أبى بزة » . روى عن أبى الطفيل وأبى معبد ومجاهد وسعيدبن جبير ، روى عنه عمرو بن دينار وعبد الملك بن أبى سليمان ، وابن جريج ، وابن أبى ليلى ، وحجاج بن أرطاة . مترجم فى الجرح والتعديل ٣/٢/١٢٢ .

ولا الولد. ولا يحل لها أن تكتمه وهو لا يعلم متى تحلّ ، لئلا يرتجعها – تُضارُّه. (١)

٤٧٤٦ – حدثني يحيى بن أبي طالب قال، حدثنا يزيد قال، أخبرنا جويبر، عن الضحاك في قوله : « ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن » ، يعني الولد . قال : الحيضُ والولدُ هو الذي ائتُمِن عليه النساء .

* * *

وقال آخرون : بل عنى بذلك الحبل .

ثم اختلف قائلو ذلك في السبب الذي من أجله نُهِيتْ عن كتمان ذلك الرجلَ. (٢)

فقال بعضهم : نهيت عن ذلك لئلا تبطل حقّ الزوج من الرجعة ، إذا أراد رجعتها قبل وضعها حملها .

* ذكر من قال ذلك :

٤٧٤٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال، أخبرنا ابن المبارك، عن قباث بن رزين ، عن علي بن رباح أنه حدثه : أن عمر بن الخطاب قال لرجل : اتل هذه الآية . فتلا ، فقال : إن فلانة ممن يكتمن ما خلق الله في أرحامهنّ = وكانت طُلِّقت وهي حبلى ، فكتمت حتى وضعت. (٣)

---

(١) في المطبوعة : « مضارة » ، والصواب من المخطوطة . أي : تفعل ذلك، تضاره بذلك .

(٢) قوله : « الرجل » منصوب بالمصدر وهو قوله : « كتمان ذلك »، مفعول به .

(٣) الأثر : ٤٧٤٧ – قباث بن رزين بن حميد بن صالح اللخمي ، أبو هاشم المصري . روى عن عم أبيه سلمة وعلي بن رباح وعكرمة. وروى عنه ابن المبارك وابن لهيعة وابن وهب . ذكره ابن حبان في الثقات. وقال أبو حاتم : لا بأس بحديثه . وقد ذكرت له قصة في التهذيب : أن ملك الروم أمره أن يناظر البطريق . فقال للبطرك . كيف أنت ؟ وكيف ولدك ؟ فقال البطارقة : ما أجهلك ! تزعم أن للبطرك ولداً، وقد نزهه الله عن ذلك ! قال : فقلت لهم : تنزهون البطرك عن الولد ، ولا تنزهون الله تعالى – وهو خالق الخلق أجمعين – عن الولد ! قال : فنخر البطرك نخرة عظيمة وقال : أخرج هذا هذه الساعة عن بلدك لئلا يفسد عليك دينك ؛ فأطلقه . قال ابن حجر « وقد وقع شبيه هذه القصة للقاضي أبي بكر الباقلاني : لما توجه بالرسالة إلى ملك الروم، وظهر من هذا أنه مسبوق بهذا الإلزام . والله أعلم » . وتوفي قباث سنة ١٥٦ .

و « علي بن رباح بن قصير اللخمي، روى عن عمرو بن العاص وسراقة بن مالك ومعاوية بن أبي سفيان وأبي قتادة الأنصاري وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة . وفد على معاوية ، وذكره ابن سعد في الطبقة الثانية من أهل مصر . وقال : كان ثقة. وغزا إفريقية ، وذهبت عينه يوم ذي الصواري في البحر مع ابن أبي سرح سنة ٣٤ ، ولد سنة عشرة من الهجرة ، ومات سنة ١١٤ .

٤٧٤٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قال : إذا طلق الرجل امرأته تطليقة أو تطليقتين وهى حامل ، فهو أحق برجعتها ما لم تضع حملها ، وهو قوله : « ولا يحل لهنّ أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن إنْ كن يؤمنّ بالله واليوم الآخر » .

٤٧٤٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن يحيى بن بشر ، أنه سمع عكرمة يقول : الطلاق مرّتان بينهما رجعة ، فإن بدا له أن يطلّقها بعد هاتين فهى ثالثة ، وإن طلقها ثلاثاً فقد حرمت عليه حتى تنكح زوجاً غيره . إنما اللاتى ذكرن فى القرآن: « ولا يحلُّ لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهنّ إن كنّ يؤمنّ بالله واليوم الآخر وبعولتهن أحقُّ بردهنّ »، هى التى طلقت واحدة أو ثنتين، ثم كتمتْ حملها لكى تنجو من زوجها ، فأما إذا بتَّ الثلاثَ التطليقات ، فلا رجعة له عليها حتى تنكح زوجاً غيره .(١)

* * *

وقال آخرون : السبب الذى من أجله نُهين عن كتمان ذلك : أنهن فى الجاهلية كنّ يكتمنَه أزواجهن، خوف مراجعتهم إياهُنّ ، حتى يتزوجن غيرهم، فيُلحق نسب الحمل– الذى هو من الزوج المطلِّق– بمن تزوجته . فحرم الله ذلك عليهن.(٢)

* ذكر من قال ذلك :

٤٧٥٠ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا سويد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن » ، قال : كانت المرأة إذا طُلِّقت كتمت ما فى بطنها وحملها لتذهب بالولد إلى غير أبيه ، فكره الله ذلك لهنّ .

---

(١) الأثر : ٤٧٤٩ – يحيى بن بشر الخراسانى ، سلفت ترجمته فى الأثر : ٤٥٤٩ .

(٢) فى المطبوعة : « فيلحق بسببه الحمل . . . » ، وهو خطأ فاسد ، صوابه من المخطوطة .

٤٧٥١ – حدثني محمد بن يحيى قال حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن » ، قال : علم الله أنّ منهن كواتم يكتمن الولد . وكان أهل الجاهلية ، كان الرجل يطلّق امرأته وهى حامل ، (١) فتكتم الولد وتذهبُ به إلى غيره ، وتكتُم مخافة الرجعة . فنهى الله عن ذلك وقدّم فيه . (٢)

٤٧٥٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « ولا يحل لهنّ أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن » ، قال : كانت المرأة تكتم حملها حتى تجعله لرجل آخر منها .

* * *

وقال آخرون : بل السبب الذى من أجله نُهين عن كتمان ذلك ، هو أنّ الرجل كان إذا أراد طلاق امرأته سألها : هل بها حملٌ ؟ كيلا يطلقها وهى حامل منه ، (٣) للضرر الذى يلحقُه وولدَه فى فراقها إن فارقها ، فأمِرن بالصدق فى ذلك ، ونُهين عن الكذب . ٢٧٢/٢

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) قوله : « وكان أهل الجاهلية ، كان الرجل . . . » عربى فصيح جيد ، ليس بخطأ . وحذف خبر كان الأولى ، لاستغنائه بما بعده عنه . وانظر مثله فيما سيأتى فى الأثر : ٤٧٨١ ، عن قتادة أيضاً بهذا الإسناد

(٢) الأثر : ٤٧٥١ – سلف هذا الإسناد مراراً ، وأقربه رقم : ٤٦٧٦ ، ٤٦٧٧ ، ٤٦٧٩ ، ٤٦٩٢ ، ٤٧١٣ ، ٤٧١٤ ، ٤٧٢٥ ، وغيرها . ولابد من بيان رجاله . « محمد بن يحيى بن أبى حزم القطعى » ، أبو عبد الله البصرى . روى عن عمه حزم بن مهران ، وعبد الأعلى بن عبد الأعلى وعبد الصمد بن عبد الوارث وغيرهم . روى عنه مسلم وأبو داود والترمذى والبخارى فى غير الجامع . قال أبو حاتم : صالح الحديث صدوق . مات سنة ٢٥٣ . و « عبد الأعلى بن عبد الأعلى بن محمد القرشى السامى البصرى » ، يلقب أبا همام ، فكان يغضب منه . روى عن داود بن أبى هند وسعيد الجريرى وسعيد بن أبى عروبة وحميد الطويل وخالد الحذاء وغيرهم . وروى عنه إسحاق بن راهويه وعلى بن المدينى ، ومحمد بن بشار بندار ، ونصر بن الجهضمى وغيرهم . قال ابن معين : ثقة . وكان متقناً للحديث ، قدرياً غير داعية إليه . مات سنة ١٩٨ .

وقوله : « وقدم فيه » ، أى أمر فيه بما أمر .

(٣) فى المطبوعة : « لكيلا » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

٤٧٥٣ – حدثني موسى ، قال حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : (١) « ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن » ، فالرجل يريد أن يطلق امرأته فيسألها : هل بك حمل ؟ فتكتمه ، إرادةَ أن تفارقه ، فيطلقها وقد كتمته حتى تضع . وإذا علم بذلك فإنها تردّ إليه ، عقوبةً لما كتمته ، وزوجها أحق برجعتها صاغرةً .

* * *

قال أبو جعفر : وأول هذه الأقوال بتأويل الآية ، قولُ من قال : الذى نُهيت المرأة المطلَّقة عن كتمانه زوجها المطلِّقَها تطليقة أو تطليقتين مما خلق الله فى رحمها – الحيضُ والحبَل . لأنه لا خلاف بين الجميع أنّ العِدّة تنقضى بوضع الولد الذى خلق الله فى رحمها ، كما تنقضى بالدم إذا رأته بعد الطهر الثالث ، فى قول من قال : « القُرء » الطهر ، وفى قول من قال : هو الحيض ، إذا انقطع من الحيضة الثالثة ، فتطهرت بالاغتسال . (٢)

فإذ كان ذلك كذلك = وكان الله تعالى ذكره إنما حرَّم عليهن كتمانَ المطلِّق الذى وصفنا أمره ، ما يكونُ بكتمانهن إياه بُطُول حقه الذى جعله الله له بعد الطلاق عليهن إلى انقضاء عِدَدهن ، (٣) وكان ذلك الحق يبطل بوضعهن ما فى بطونهن إن كن حواملَ ، وبانقضاء الأقراء الثلاثة إن كن غير حوامل = (٤) علم أنهن

---

(١) الأثر : ٤٧٥٣ – كان فى المطبوعة والمخطوطة : « حدثنى موسى ، قال حدثنا أسباط » بإسقاط « قال حدثنا عمرو » ، وهو خطأ صرف . هو إسناد دائر دوراناً فى التفسير ، أقربه رقم : ٤٦٧٤ .

(٢) فى المطبوعة : « تطهرت للاغتسال » ، وهو معرق فى الخطأ ، والصواب من المخطوطة .

(٣) قوله : « ما يكون بكتمانهن . . . » هذه الجملة مفعول به منصوب بالمصدر « كتمان » وقوله : « بطول » مصدر « بطل الشيء يبطل بطولا وبطلاناً » . وقد سلف ذلك فيما مضى ٢ : ٤٢٦ / ثم ٣ : ٢٠٥ تعليق : ٦ / وهذا الجزء ٤ : ١٤٦

(٤) قوله : « علم » جواب قوله آنفاً : « وإذ كان ذلك كذلك . . » وما بينهما معترض بعضه على بعض .

متنهيات عن كتمان أزواجهن المطلقيهن من كل واحد منهما ، [١] — أعنى من الحيض والحبل — مثل الذى هن منتهيات عنه من الآخر ، وأن لا معنى لخصوص من خص بأن المراد بالآية من ذلك أحدهما دون الآخر ، إذ كانا جميعاً مما خلق الله فى أرحامهن ، وأن فى كل واحد منهما من معنى بطول حق الزوج بانتهائه إلى غاية ، مثل ما فى الآخر .

ويسأل من خص ذلك — فجعله لأحد المعنيين دون الآخر — عن البرهان على صحة دعواه من أصل أو حجة يجب التسليم لها . ثم يعكس عليه القول فى ذلك ، فلن يقول فى أحدهما قولاً إلا ألزم فى الآخر مثله .

* * *

وأما الذى قاله السدى [٢] : من أنه معنى به نهى النساء كتمان أزواجهن الحبل عند إرادتهم طلاقهن ، فقول لما يدل عليه ظاهر التنزيل مخالف . وذلك أن الله تعالى ذكره قال : « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن » ، بمعنى : ولا يحل أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن من الثلاثة القروء ، إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر .

وذلك أن الله تعالى ذكره ذكر تحريم ذلك عليهن ، بعد وصفه إياهن بما وصفهن به ، من فراق أزواجهن بالطلاق ، وإعلامهن مايلزمهن من التربص ، معرفاً لهن بذلك مايحرم عليهن وما يحل ، وما يلزمهن من العدة ويجب عليهن فيها . فكان مما عرفهن : أن من الواجب عليهن أن لا يكتمن أزواجهن الحيض والحبل =الذى يكون بوضع هذا وانقضاء هذا إلى نهاية محدودة ، انقطاع حقوق أزواجهن = ضراراً منهن لهم . فكان نهيه عما نهاهن عنه من ذلك ، بأن يكون من صفة مايليه

---

(١) فى المطبوعة : « أزواجهن المطلقين » ، تحريف الكلام أبى جعفر . والهاء والنون مفعول اسم الفاعل : « المطلق » ، وهذا جار فى كلام أبى جعفر مراراً كثيرة ، وجار أيضاً من الطابعين تحريف ذلك إلى ما ألفوا من سقم العبارة . وقد مضى منذ أسطر قليلة قوله : « زوجها المطلقها » .

(٢) هو الأثر السالف رقم : ٤٧٥٣ .

قبله ويتلوه بعده ، أولى من أن يكون من صفة ما لم يَجْرِ له ذِكر قبله .

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : مامعنى قوله : « إن كن يؤمنَّ بالله واليوم الآخر»؟ أوَ يحل لهن كتمان ذلك أزواجهنّ إنْ كن لايؤمنَّ بالله ولا باليوم الآخر ، حتى خصّ النهيُ عن ذلك المؤمنات بالله واليوم الآخر ؟

قيل : معنى ذلك على غير ما ذهبتَ إليه. وإنما معناه: أن كتمان المرأة المطلَّقة زوجَها المطلِّقَها ما خلق الله فى رحمها من حيض وولد فى أيام عدتها من طلاقه ضراراً له ،[1] ليس من فعل من يؤمن بالله واليوم الآخر ولا من أخلاقه ، وإنما ذلك من فعل من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر وأخلاقِهنّ من النساء الكوافر = فلا تتخلَّقن أيتها المؤمنات بأخلاقهنّ ، فإنّ ذلك لا يحل لكنّ إن كنتن تؤمنّ بالله واليوم الآخر ، وكنتن من المسلمات =[2] لا أنّ المؤمنات هن المخصوصات بتحريم ذلك عليهن دون الكوافر ، بل الواجب على كل من لزمته فرائضُ الله من النساء اللواتى لهن أقراء — إذا طلِّقت بعد الدخول بها فى عدتها — أن لا تكتم زوجها ما خلق الله فى رحمها من الحيض والحبَل . ٢٧٣/٢

* * *

(١) قوله : « زوجها المطلقها » ، « زوجها » منصوب مفعول به للمصدر « كتمان » ، وقوله : المطلقها منصوب صفة لقوله : « زوجها » ، و« الهاء والألف » مفعول به ، كما سلف فى التعليقة الآنفة .

(٢) قوله : « لا أن المؤمنات . . . » من سياق الجملة الأولى : « . . . وإنما معناه أن كتمان المرأة المطلقة . . . لا أن المؤمنات » .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ﴾

قال أبو جعفر : « والبعولة » جمع « بعل » ، وهو الزوج للمرأة ، ومنه قول جرير :

أَعِدُّوا مَعَ الحَلْيِ المَلَابَ ، فَإِنَّمَا جَرِيرٌ لَكُمْ بَعْلٌ وَأَنْتُمْ حَلَائِلُهْ(١)

وقد يجمع «البعل» « البعولة، والبعول»، كما يجمع « الفحل »« الفحول والفحولة » و « الذكر »«الذكور والذكورة».وكذلك ما كان على مثال « فعول » من الجمع ، فإن العرب كثيراً ما تدخل فيه « الهاء » ، فأما ما كان منها على مثال« فِعال»، فقليل فى كلامهم دخول« الهاء » فيه : وقدحكى عنهم.« العِظامُ والعِظامة » ،(٢) ومنه قول الراجز : (٣)

* ثُمَّ دَفَنْتَ الفَرْثَ وَالعِظَامَهْ *(٤)

---

(١) ديوانه : ٤٨٢ ، والنقائض : ٦٥٠ ، وطبقات فحول الشعراء : ٣٤٧ . من نقيضة عجيبة ، كان من أمرها أن الحجاج قال لهما : ائتيانى فى لباس آبائكما فى الجاهلية . فجاء الفرزدق قد لبس الخز والديباج وقعد فى قبة . وشاور جرير دهاة قومه بنى يربوع ، فقالوا : ما لباس آبائنا إلا الحديد ! فلبس جرير درعاً ، وتقلد سيفاً ، وأخذ رمحاً ، وركب فرساً ، وأقبل فى أربعين فارساً من قومه . فلما رأى الفرزدق قال :

لَبِسْتُ سِلَاحِي والفَرَزْدَقُ لُعْبَةٌ عَلَيْهِ وِشَاحاً كُرَّجٍ وَجَلَاجِلُهْ

أَعِدُّوا مَعَ الحَلْيِ . . . . . .

والكرج : الخيال الذى يلعب به المخنثون ، كأنه « خيال الظل » فيما أظن . والجلاجل : الأجراس ويروى : « أعدوا مع الخز » ، وهو الحرير . والملاب : طيب من الزعفران تتخلق به العروس فى زينتها لحلوتها . والحلائل جمع حليلة . وهى الزوجة . ولشد ما سخر جرير من ابن عمه ! !

(٢) انظر سيبويه ٢ : ١٧٧ .

(٣) لم أعرف قائله .

(٤) الجمهرة ٣ : ١٢١ ، واللسان (عظم) و (هلم) ، والرجز يخالف رواية الطبرى ، وهو :

وقد قيل: «الحجارة والحِجار» و«المِهارة والمِهار» و«الذِكّارة والذِكّار»، للذكور.

* * *

وأما تأويل الكلام، فإنه: وأزواج المطلقات = اللاتى فرضنا عليهن أن يتربَّصن بأنفسهن ثلاثة قروء، وحرَّمنا عليهنَّ أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن = أحق وأولى بردهن إلى أنفسهم[1] فى حال تربصهن إلى الأقراء الثلاثة وأيام الحبل، وارتجاعهن إلى حبالهم[2] = منهن بأنفسهن أن يمنعنهم من أنفسهن ذلك، [3] كما: —

٤٧٥٤ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبدالله بن صالح قال، حدثنى معاوية، عن على بن أبى طلحة، عن ابن عباس قوله: «وبعولتهن أحق بردهن فى ذلك إن أرادوا إصلاحاً»، يقول: إذا طلق الرجل امرأته تطليقة أو ثنتين وهى حامل، فهو أحق برجعتها ما لم تضع.

٤٧٥٥ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا يحيى بن سعيد، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم: «وبعولتهن أحق بردهن»، قال: فى العدة

٤٧٥٦ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال، حدثنا الحسين ابن واقد، عن يزيد النحوى، عن عكرمة والحسن البصرى قالا: قال الله تعالى

وَيْلٌ لِبُعْرَانِ أَبِى نَعَامَهْ مِنْكَ وَمِنْ شَفْرَتِكَ الهُذَامَهْ
إِذَا ابْتَرَكْتَ فَحَفَرْتَ قَامَهْ ثُمَّ نَثَرْتَ الفَرْثَ وَالعِظَامَهْ

ورواية البيت الأول فى اللسان (هذم): «بنى نعامه»، وفى الجمهرة «بنى ثمامه». ورواية البيت الأخير فى الجمهرة: «ثم أكلت اللحم والعظامة». قوله: «الهذامة». تهذم اللحم: أى تسرع فى قطعه. وابترك: جثا وألقى بركه على الأرض. وأظنه يصف أسداً أو ذئباً.

(١) فى المخطوطة: «إلى أنفسهن»، وهو خطأ فى المعنى.

(٢) فى المخطوطة: «إلى حبالهن»، وهو خطأ أيضاً فى المعنى. والحبال جمع حبل: وهو المواصلة، وهو العهد أيضاً. يعنى بذلك إمساكهن: وهو من الحبل الذى هو الرباط.

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة: «أن يمنعنهن»، وهو خطأ ثالث فى المعنى. والصواب ما أثبت وقوله: «منهن بأنفسهن . . .»، سياقه: «أحق وأولى بردهن . . . منهن بأنفسهن . . .».

ذكره : « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن إن كنّ يؤمنّ بالله واليوم الآخر وبعولتهن أحق بردهنّ فى ذلك إن أرادوا إصلاحاً » ، وذلك أنّ الرجل كان إذا طلّق امرأته كان أحقّ برجعتها ، وإن طلقها ثلاثاً ، فنسخ ذلك ، فقال : ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ﴾ الآية .

٤٧٥٧ — حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « وبعولتهن أحق بردهن فى ذلك » ، فى عدتهن. (١)

٤٧٥٨ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٤٧٥٩ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد قال : فى العدة .

٤٧٦٠ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وبعولتهنّ أحق بردهن فى ذلك » ، أى : فى القروء فى الثلاث حيض، (٢) أو ثلاثة أشهر ، أوكانت حاملا ، فإذا طلّقها زوجها واحدة أو ثنتين راجعها إن شاء ، ما كانت فى عدتها .

٤٧٦١ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « وبعولتهن أحق بردهنّ فى ذلك » ، قال : كانت المرأة تكتم حملها حتى تجعله لرجل آخر، (٣) فنهاهنّ الله عن ذلك وقال : « وبعولتهنّ أحق بردهن فى ذلك » ، قال قتادة : أحق برجعتهن فى العدة .

---

(١) الأثر : ٤٧٥٧ — فى المخطوطة والمطبوعة : « حدثنا موسى بن عمرو » ، وهو خطأ صرف والصواب « محمد بن عمرو » ، وهو إسناد يدور دوراناً فى التفسير ، أقربه رقم : ٤٧٣٩ .

(٢) فى المطبوعة : « فى القروء الثلاث حيض » بحذف « فى » الثانية .

(٣) يعنى فى الجاهلية ، كما مضى فى الآثار السالفة قبل .

٤٧٦٢ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « وبعولتهن أحق بردهن في ذلك » ، يقول : في العدة ، ما لم يطلقها ثلاثاً .

٤٧٦٣ – حدثني موسى قال ، حدثني عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وبعولتهن أحق بردهن في ذلك » ، يقول : أحق برجعتها صاغرة ، عقوبة لما كتمت زوجها من الحمل .(١)

٤٧٦٤ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : «وبعولتهن أحق بردهن» ، أحقّ برجعتهنّ ، ما لم تنقض العِدّة .

٤٧٦٥ – حدثني يحيى بن أبي طالب قال ، حدثنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك : « وبعولتهنّ أحق بردهنّ في ذلك » ، قال : ما كانت في العدة ، إذا أراد المراجعة . ٢٧٤/٢

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال لنا قائل : (٢) فما لزوج – طلق واحدة أو اثنتين بعد الإفضاء إليها – عليها رجعة في أقرائها الثلاثة ، إلا أن يكون مريداً بالرجعة إصلاح أمرها وأمره ؟

قيل : أما فيما بينه وبين الله تعالى ، فغير جائز = إذا أراد ضرارها بالرجعة ، لا إصلاح أمرها وأمره = مراجعتُها .(٣)

وأما في الحكم فإنه مقضيٌّ له عليها بالرجعة ، نظيرُ ما حكمنا عليه ببطول رَجعته عليها لو كتمته حملها الذي خلقه الله في رحمها أو حيضها حتى انقضت عدتها ضراراً منها له ، وقد نهى الله عن كتمانه ذلك .(٤) فكان سواءً في الحكم = في بطول

---

(١) الأثر : ٤٧٦٣ – انظر الأثر السالف رقم ٤٧٥٣ .

(٢) في المخطوطة : « فما لزوج واحدة » سقط من الناسخ « طلق » بين الكلمتين .

(٣) في المطبوعة : « بمراجعتها » ، وهو فاسد فساداً عظيما . والسياق : « . . . فغير جائز . . . مراجعتها » ، وما بينهما فصل ، كعادة أبي جعفر .

(٤) قوله : « كتمانه » ، الضمير راجع إلى الزوج ، أي : نهى الله أن تكتم المرأة زوجها ذلك .

رَجعة زوجها عليها، وقد أثمت فى كتمانها إياه ما كتمته من ذلك حتى انقضت عدتها =[١] هى والتى أطاعت الله بتركها كتمانَ ذلك منه، وإن اختلفا فى طاعة الله فى ذلك ومعصيته. فكذلك المراجع زوجتَه المطلقة واحدة أو ثنتين بعد الإفضاء إليها وهما حُرّان=[٢] وإن أراد ضرار المُراجعة برجعته — فمحكوم له بالرجعة ، وإن كان آثماً برياءه فى فعله ،[٣] ومقدِماً على ما لم يُبحه الله له ، والله ولىّ مجازاته فيما أتى من ذلك. فأما العباد، فإنهم غيرُ جائز لهم الحوْلُ بينه وبين امرأته التى راجعها بحكم الله تعالى ذكره له بأنها حينئذ زوجتُه . فإن حاول ضرارها بعد المراجعة بغير الحقّ الذى جعله الله له ، أخِذ لها بالحقوق التى ألزم الله تعالى ذكره الأزواج للزوجات ،[٤] حتى يعود ضررُ ما أراد من ذلك عليه دونها .

* * *

قال أبو جعفر : وفى قوله : « وبعولتهن أحق بردهن فى ذلك » ، أبين الدلالة على صحة قول من قال : إنّ المولى إذا عزم الطلاق فطلق امرأته التى آلى منها ، أنّ له عليها الرّجعة فى طلاقه ذلك =[٥] وعلى فساد قول من قال : إن مضى الأشهر الأربعة عزمُ الطلاق ، وإنه تطليقة بائنة ، لأن الله تعالى ذكره إنما أعلم عباده ما يلزمُهم إذا آلوا من نسائهم ، وما يلزم النساء من الأحكام فى هذه الآية بإيلاء الرجال وطلاقهم، إذا عزموا ذلك وتركوا الفىء .

* * *

---

(١) سياق عبارته : « فكان سواء فى الحكم . . . هى والتى أطاعت الله . . . » ، وما بينهما فصل للبيان .

(٢) قوله : « وهما حران » لأن طلاق العبد ثنتين ، ثم تحرم عليه ، ليس كالحر ثلاثاً .

(٣) فى المخطوطة « آثما بربه» غير منقوطة ، كأنها « بربه » ، ولكن لم أجد فى كتب اللغة « أثم بربه » ، وإن كنت أخشى أن تكون صواباً له وجه لم أتحققه . وفى المطبوعة « برأيه » ، كأنهم استنكروا ما استنكرناه ، فظنوا فيه تصحيفاً أو تحريفاً فقرأوه كذلك . ولكن أجود قراءاته أن تكون ما أثبت ، لأن فعل المراجع وهو يضمر الضرار ، رياء لا شك فيه .

(٤) فى المطبوعة : « أخذ لها الحقوق » ، والصواب من المخطوطة . وقوله : « أخذ » مبنى للمجهول ، ومعناها : طولب وأمسك حتى يعطيها حقوقها .

(٥) السياق : « وفى قوله . . . أبين الدلالة على صحة قول من قال . . . وعلى فساد قول من قال... »

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك :

فقال بعضهم : تأويله : ولهنّ من حسن الصحبة والعِشرة بالمعروف على أزواجهن ، مثل الذى عليهنّ لهم من الطاعة فيما أوجب الله تعالى ذكره له عليها .

* ذكر من قال ذلك :

٤٧٦٦ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف » ، قال : إذا أطعن الله وأطعن أزواجهن ، فعليه أن يُحسن صحبتها ، ويكف عنها أذاه ، ويُنفق عليها من سَعَته .

٤٧٦٧ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : «ولهنّ مثل الذى عليهنّ بالمعروف» ، قال : يتقون الله فيهن ، كما عليهن أن يتقين الله فيهم .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : ولهنّ على أزواجهن من التّصنُّع والمؤاتاة ، مثل الذى عليهن لهم من ذلك .(١)

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) التصنع : التزين . تصنعت المرأة وصنعت نفسها : إذا تزينت زينتها بالتجمل والعلاج . ومن جيد ما جاء فى معنى « صنع نفسه » ما أنشده عمر بن عبد العزيز :

إنِّى لأَمْنَحُ مَنْ يُوَاصِلُنِى مِنِّى صَفَاءً لَيْسَ بِالمَذْقِ
وَإِذَا أَخٌ لِى حَالَ عَنْ خُلُقٍ دَاوَيْتُ مِنْهُ ذَاكَ بِالرِّفْقِ
وَالمَرْءُ يَصْنَعُ نَفْسَهُ ، وَمَتَى مَا تَبْلُهُ ، يَنْزِعْ إلى العِرْقِ

أما « المؤاتاة » فهى : حسن المطاوعة . يقال : « آتيته على ذلك الأمر مؤاتاة » ، إذا وافقته وطاوعته . والعامة تقول : « واتيته » مواتاة ، وهى لغة ما ، جعلوها واواً على تخفيف الهمزة .

٤٧٦٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن بشير بن سلمان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : إني أحبُّ أن أتزين للمرأة كما أحب أن تتزين لي ، لأن الله تعالى ذكره يقول : « ولهن مثلُ الذي عليهن بالمعروف » . (١)

* * *

قال أبو جعفر : والذي هو أولى بتأويل الآية عندي : وللمطلقات واحدة أو ثنتين – بعد الإفضاء إليهن – على بعولتهن أن لا يراجعوهنّ في أقرائهن الثلاثة ، (٢) إذا أرادوا رجْعتهن فيهن ، إلا أن يريدوا إصلاح أمرهن وأمرهم ، وأن لا يراجعوهن ضراراً (٣) = كما عليهن لهم إذا أرادوا رجعتهنّ فيهنّ ، أن لا يكتمنَ ما خلق الله في أرحامهنّ من الولد ودم الحيض ، ضراراً منهن لهم ليَفُتْنهم بأنفسهنّ . (٤)

ذلك أن الله تعالى ذكره نهى المطلقات عن كتمان أزواجهنّ في أقرائهنّ ما خلق

---

(١) الأثر : ٤٧٦٨ – بشير بن سلمان الكندي ، أبو إسماعيل الكوفي ، روى عن مجاهد وعكرمة وأبي حازم الأشجعي ، وسيار أبي الحكم ، والقاسم بن صفوان . سمع منه وكيع وأبو نعيم ، وابنه الحكم ، والسفيانان وابن المبارك وغيرهم . وهو ثقة صالح الحديث قليله . مترجم في التهذيب ، والكبير ٢/١/٩٩ ، والجرح والتعديل ١/١/٣٧٤ . وكان في المطبوعة : « بشر بن سلمان » ، وهو خطأ .

(٢) في المطبوعة : « أن لا يراجعوهن ضراراً » ، زاد « ضراراً » هنا ، وهي مفسدة للكلام . وليست في المخطوطة .

(٣) في المطبوعة : « فلا يراجعوهن ضراراً » ، وهو تبديل ألجأهم إليه الفساد السابق في الجملة السالفة . والصواب من المخطوطة .

(٤) في المطبوعة : « لتيقنهن » ، وهو خطأ موغل في الفساد واللغو . وفي المخطوطة : « لتنفهم » مختلطة الأحرف والنقط ، كأن الناسخ لما أراد أن يكتب « ليسبقهم » ، ثم استدرك وخط على السين ليجعلها « ليفتنهم » ، والصواب ما أثبت . وقد جاء هذا اللفظ في حديث فاطمة بنت قيس ، أخت الضحاك بن قيس ، وكانت عند أبي عمرو بن حفص بن المغيرة ، فطلقها تطليقتين ثم بعث إليها من اليمن بالتطليقة الثالثة ، فجاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستفتيه فقال لها : « ليست له فيك ردة ، وعليك العدة » وأمرها أن تنتقل إلى ابن أم مكتوم ، ثم قال لها : « فإذا حللت فلا تفوتيني بنفسك » قالت : فوالله ما أظن رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ يريدني إلا لنفسه ، فلما حللت ، خطبني على أسامة بن زيد ، فزوجنيه » (مسند أحمد ٦ : ٤١٤) .

ومعنى : « فاته بنفسه » ، سبقه إلى حيث لا يبلغه ، ولم يقدر عليه وفات يده . ولو كانت « ليسبقنهم بأنفسهن » لكانت صواباً ، وهي مثلها في المعنى .

الله فى أرحامهنّ ، إن كن يؤمنّ بالله واليوم الآخر ، وجعل أزواجهن أحق بردّهن فى ذلك إن أرادوا إصلاحاً ، فحرّم الله على كل واحد منهما مضارّة صاحبه ، وعرّف كلّ واحد منهما ما له وما عليه من ذلك ، ثم عقب ذلك بقوله : « ولهن مثلُ الذى عليهن بالمعروف » . فبيّنٌ أن الذى على كل واحد منهما لصاحبه من ترك مضارته ، مثل الذى له على صاحبه من ذلك . ٢٧٥/٢

فهذا التأويل هو أشبه بدلالة ظاهر التنزيل من غيره .

وقد يحتمل أن يكون كل ما على كل واحد منهما لصاحبه ، داخلا فى ذلك ، وإن كانت الآية نزلت فيما وصفنا . لأن الله تعالى ذكره قد جعل لكل واحد منهما على الآخر حقاً ، فلكل واحد منهما على الآخر من أداء حقه إليه ، مثل الذى عليه له ، فيدخل حينئذ فى الآية ما قاله الضحاك وابن عباس وغير ذلك .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك :

فقال بعضهم : معنى « الدرجة » التى جعل الله للرجال على النساء ، الفضلُ الذى فضّلهم الله عليهن فى الميراث والجهاد وما أشبه ذلك .

* ذكر من قال ذلك :

٤٧٦٩ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « وللرجال عليهن درجة » ، قال : فَضْل ما فضله الله به عليها من الجهاد ، وفَضْل ميراثه على ميراثها ، وكل ما فضّل به عليها .

٤٧٧٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

٤٧٧١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة: «وللرجال عليهن درجة»، قال: للرجال درجةٌ في الفضل على النساء.

* * *

وقال آخرون: بل تلك الدرجة، الإمْرة والطاعة.

* ذكر من قال ذلك:

٤٧٧٢ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن يمان، عن سفيان، عن زيد ابن أسلم في قوله: «وللرجال عليهن درجة»، قال: إمارةٌ.

٤٧٧٣ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: «وللرجال عليهن درجة»، قال: طاعةٌ. قال: يطعن الأزواجَ الرجال، وليس الرجال يطيعونهن.

٤٧٧٤ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا أزهر، عن ابن عون، عن محمد في قوله: «وللرجال عليهن درجة»، قال: لا أعلم إلاّ أن لهن مثل الذي عليهن، إذا عرفن تلك الدرجة.(١)

* * *

وقال آخرون: تلك الدرجة له عليها، بما ساق إليها من الصداق، وأنها إذا قذفته حُدَّت، وإذا قذفها لاعنَ.

* ذكر من قال ذلك:

٤٧٧٥ – حدثنا محمد بن حميد قال، حدثنا جرير، عن عبيدة، عن الشعبي في قوله: «وللرجال عليهن درجة»، قال: بما أعطاها من صَداقها، وأنه إذا قذفها

---

(١) الأثر: ٤٧٧٤ – «أزهر» هو أزهر بن سعد السمان أبو بكر الباهلي البصري، روى عن سليمان التيمي وابن عون وهشام الدستوائي، وروى عنه ابن المبارك وهو أكبر منه، وعلي بن المديني، وعمرو بن علي الفلاس، وبندار. قال ابن سعد: ثقة. ومات سنة ٢٠٣.

لاعَنها، وإذا قذفته جُلدت وأُقِرّت عنده .

* * *

وقال آخرون : تلك الدرجة التي له عليها ، إفضاله عليها ، وأداء حقها إليها ، وصفحه عن الواجب لهُ عليها أو عن بعضه .

* ذكر من قال ذلك :

٤٧٧٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن بشير بن سلمان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : ما أحب أن أستنظف جميع حقي عليها ، لأن الله تعالى ذكره يقول : « وللرجال عليهن درجة » . (١)

* * *

وقال آخرون : بل تلك الدرجة التي له عليها ، أن جعل له لحية وحرمها ذلك .

* ذكر من قال ذلك :

٤٧٧٧ – حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال، حدثنا عبيد بن الصباح قال ، حدثنا حميد قال : « وللرجال عليهن درجة » ، قال : لحية . (٢)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ما قاله ابن عباس ، وهو أن « الدرجة » التي ذكر الله تعالى ذكره في هذا الموضع ، الصفحُ من الرجل لامرأته عن بعض الواجب عليها ، وإغضاؤه لها عنه ، وأداء كل الواجب لها عليه .

وذلك أن الله تعالى ذكره قال : « وللرجال عليهن درجة » عقيب قوله : « ولهن

---

(١) الأثر : ٤٧٧٦ – في المطبوعة « بشر بن سلمان » ، والصواب « بشير » ، كما سلف في التعليق على الأثر رقم : ٤٧٦٨ ، آنفاً .

استنظف الشيء: إذا استوفاه واستوعبه وأخذه كله . وفي الحديث : « وتكون فتنة تستنظف العرب » أي تستوعبهم هلاكاً . اللهم قنا عذابك ونجنا من كل فتنة مهلكة .

(٢) الأثر : ٤٧٧٧ – « عبيد بن الصباح الخراز » ، روى عن عيسى بن طهمان ، وموسى بن علي بن رباح ، وفضيل بن مرزوق ، وعمرو بن أبي المقدام ، وعبد الله بن المؤمل . روى عنه موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، وأحمد بن يحيى الصوفي . قال أبو حاتم . ضعيف الحديث . وذكره ابن حبان في الثقات . مترجم في الجرح والتعديل ٢/٢/٤٠٨ ، ولسان الميزان ٤ : ١١٩ .

أما « حميد » ، فلم أعرف من هو ، حميد كثير ، لم أجد فيمن يسمى « حميداً » رواية عبيد بن

مثلُ الذى عليهن بالمعروف »، فأخبر تعالى ذكره أن على الرجل من ترك ضرارها فى مراجعته إياها فى أقرائها الثلاثة وفى غير ذلك من أمورها وحُقوقها ، مثل الذى له عليها من ترك ضراره فى كتمانها إياه ما خلق الله فى أرحامهن وغير ذلك من حقوقه . ثم ندب الرجال إلى الأخذ عليهن بالفضل ، إذا تركن أداءَ بعض ما أوجب الله لهم عليهن ، فقال تعالى ذكره : « وللرجال عليهن درجة » ، بتفضّلهم عليهن ، وصفحهم لهن عن بعض الواجب لهم عليهن. وهذا هو المعنى الذى قصده ابن عباس بقوله : « ما أحب أن أستنظف جميع حقى عليها»، لأن الله تعالى ذكره يقول : « وللرجال عليهن درجة » . ٢٧٦/٢

* * *

ومعنى « الدرجة » ، الرتبة والمنزلة .

* * *

وهذا القول من الله تعالى ذكره ، وإن كان ظاهرُه ظاهر الخبر ، فمعناه معنى ندب الرجال إلى الأخذ على النساء بالفضل ، ليكون لهم عليهن فضل درَجة. (١)

* * *

الصباح عنه . وربما كان « فضيل بن مرزوق » ، فإن « حميد » فى المخطوطة مضطربة الكتبة ، كأن الناسخ لم يكن يحسن يقرأ من الأصل الذى نقل عنه ، ولكنى أستبعد ذلك . هذا وقد نقل هذا الأثر القرطبى فى تفسيره ٣ : ١٢٥ : « وهذا إن صح عنه، فهو ضعيف لا يقتضيه لفظ الآية ولا معناها »، ثم قال :

« طُوبَى لعبدٍ أمْسَكَ عمّا لا يعلمُ ، وخُصوصاً فى كِتَاب الله تعالى »

ونعم ما قال ابن العربى ، ولعله يعظ بعض أهل زماننا.

(١) من حق أبى جعفر رضى الله عنه ، أن أقف بقارىء كتابه على مثل هذا الوضع من تفسيره . لأقول مرة أخرى : إنه كان مفسراً إماماً سبق ففات السابقين . لم يلحقه لاحق فى البصر بمعانى كتاب ربه، وفى الحرص على بيان معانيه ، وفى الدقة البالغة فى ضبط روابط الآيات بعضها ببعض . ومن شاء أن يعرف فضل هذا الإمام ، وتحققه بمعرفة أسرار هذا الكتاب ، فليقرأ ما كتبه المفسرون بعده فى تفسير هذه الجملة من الآية . فهو واجد فى المقارنة بين الكلامين ، ما يعينه على إدراك حقيقة مذهب أبى جعفر فى التفسير ، وما يدله على صدق ما قلت ، من أن الرجل قد نهج للمفسرين نهجاً ، قل من تبعه فيه ، أو أطاق أن يسير فيه على آثاره . ولم يكتب أبو جعفر ما كتب ، على سبيل الموعظة ، كما يفعل أصحاب الرقائق والمتصوفة والوعاظ وأشباههم ، بل كتب بالبرهان والحجة والملزمة ، واستخرج ذلك من سياق الآيات

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢٢٨)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : « والله عزيز » فى انتقامه ممن خالف أمره وتعدّى حدوده ، فأتى النساء فى المحيض ، وجعل الله عُرضة لأيمانه أن يبرّ ويتقى ويصلح بين الناس ، وعضَل امرأته بإيلائه ، وضارّها فى مراجعته بعد طلاقه ، ولمن كتم من النساء ما خلق الله فى أرحامهن أزواجهن ، ونكحن فى عددهن وتركنَ التربُّص بأنفسهن إلى الوقت الذى حدّه الله لهن ، وركبن غير ذلك من

المتتابعة من أول آية الإيلاء — « للذين يؤلون من نسائهم » — وما تبعها من بيان طلاق المولى ، وكيف يفعل الرجل المطلق وكيف تفعل المرأة المطلقة ، وما أمرت به من ترك كتمان ما خلق الله فى رحمها ، وائتمانها على هذا السر المضمر فى أحشائها ، وما للرجال من الحق فى ردهن مصلحين غير مضارين ، وتعادل حقوق الرجل على المرأة وحقوق المرأة على الرجل ، ثم أتبع ذلك بندب الرجال إلى فضيلة من فضائل الرجولة ، لاينال المرء نبلها إلا بالعزم والتسامى ، وهو أن يتغاضى عن بعض حقوقه لامرأته ، فإذا فعل ذلك فقد بلغ من مكارم الأخلاق منزلة تجعل له درجة على امرأته .

ومن أجل هذا الربط الدقيق بين معانى هذا الكتاب البليغ ، جعل أبو جعفر هذه الجملة حثاً وندباً للرجال على السمو إلى الفضل ، لا خبراً عن فضل قد جعله الله مكتوباً لهم ، أحسنوا فيما أمرهم به أم أساءوا .

وأبو جعفر رضى الله عنه ، لم يغفل قط عن هذا الترابط الدقيق بين معانى الكتاب ، سواء كان ذلك فى آيات الأحكام ، أو آيات القصص ، أو غيرها من نصوص هذا الكتاب . فهو يأخذ المعنى فى أول الآية من الآيات ثم يسير معه كلمة كلمة وحرفاً حرفاً ، ثم جملة جملة ، غير تارك لشىء منه أو متجاوز عن معنى يدل عليه سياقها . وليس هذا فحسب ، بل هو لا ينسى أبداً أن هذا الكتاب قد جاء ليعلم الناس ويخرجهم من الظلمات إلى النور ، وأنه جاء ليؤدبهم بأدب رب العالمين ، فيربط بين هذا الأدب الذى دل عليه التنزيل ، وبينته سنة رسول الله ، ويخرج من ذلك بمثل هذا الفهم الدقيق لمعانى كتاب الله ، مؤيداً بالحجة والبرهان .

وأحب أن أقول إن التخلق بآداب كتاب الله ، يهدى إلى التفسير الصحيح ، كما تهدى إليه المعرفة بلغة العرب ، وبناسخ القرآن ومنسوخه ، وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فالأخلاق أداة من أدوات العلم كسائر الأدوات . ولولا ما كان عليه هذا الإمام من عظيم الخلق ، ونبيل الأدب ، لما وقف وحده بين سائر المفسرين عند هذه الآية ، يستخرج منها هذا المعنى النبيل العظيم الذى أدب الله به المطلقين وحثهم عليه ، وعرفهم به فضل ما بين اقتضاء الحقوق الواجبة ، والعفو عن هذه الحقوق ، لمن وضعها الله تحت يده ، فلكه طلاقها وفراقها ، ولم يملكها من ذلك مثل الذى ملكه . فاللهم اغفر لنا واهدنا وفقهنا فى ديننا وعلمنا من ذلك ما لم نكن نعلم ، إنك أنت السميع العليم .

معاصيه = « حكيم » فيما دبَّر فى خلقه ، وفيما حكم وقضَى بينهم من أحكامه ، (١) كما :

٤٧٧٨ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « والله عزيز حكيم » ، يقول : عزيز فى نقمته ، حكيم فى أمره .

* * *

وإنما توعَّد الله تعالى ذكره بهذا القول عباده ، لتقديمه قبل ذلك بيان ما حرَّم عليهم أو نهاهم عنه ، من ابتداء قوله : « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنَّ » إلى قوله : « وللرجال عليهن درجة » ، ثم أتبع ذلك بالوعيد ، ليزدجر أولو النهى ، وليذكر أولو الحجى فيتقوا عقابه ، ويحذروا عذابه . (١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك :

فقال بعضهم : هو دلالة على عدد الطلاق الذى يكون للرجل فيه الرجعة على زوجته ، والعدد الذى تبين به زوجته منه .

* * *

* ذكر من قال إنّ هذه الآية أنزلت ، لأن أهل الجاهلية وأهل الإسلام قبل نزولها لم يكن لطلاقهم نهاية تبين بالانتهاء إليها امرأته منه ما راجعها فى عدتها منه ، فجعل الله تعالى ذكره لذلك حدًّا ، حرَّم بانتهاء الطلاق إليه على الرجل

---

(١) ومرة أخرى ، فلينظر الناظر كيف يكون ربط معانى الآيات بعضها ببعض ، وأنه برهان على أن هذا المفسر الإمام يربط معانى هذه الآيات الطوال جميعاً من أول الآية : ٢٢١ ، إلى الآية : ٢٢٨ .

امرأتَه المطلقة ، إلا بعد زوج ، وجعلها حينئذ أملك بنفسها منه . (١)

* * *

* (٢) ذكر الأخبار الواردة بما قلنا فى ذلك :

٤٧٧٩ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : كان الرجل يطلق ما شاء ، ثم إن راجع امرأته قبل أن تنقضى عِدتها كانت امرأته . فغضب رجل من الأنصار على امرأته فقال لها : لا أقربُك ولا تحلّين منى . قالت له : كيف ؟ قال : أطلِّقك ، حتى إذا دنا أجلك راجعتك ، ثم أطلقك ، فإذا دنا أجلك راجعتك . قال : فشكت ذلك إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى ذكره : « الطلاق مرتان فإمساك بمعروف » الآية .

٤٧٨٠ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس ، عن هشام ، عن أبيه ، قال رجل لامرأته على عهد النبى صلى الله عليه وسلم : لا أؤيك ولا أدَعك

---

(١) عند هذا الموضع ، انتهى التقسيم القديم فى النسخة التى نقلت عنها نسختنا العتيقة ، ويلى هذا ما نصه :

« وصلى الله على سيدنا محمد النبى وعلى آله وسلم كثيراً

على الأصل

بلغ السماعُ من أوله لمحمد وعلى ابنى أحمد بن عيسى السعدى ، وأحمد بن عمر الجهارى (؟ ؟) ونصر بن الحسين الطبرى ، ومحمد بن على الأبهرى ، بقراءة محمد بن أحمد بن عيسى على الإمام أبى الحسن الخصيبى ، وهو ينظر فى كتابه ، عن أبى محمد الفرغانى ، عن أبى جعفر الطبرى ، فى شعبان سنة ثمان وأر بعمئة »

(٢) ابتداء هذا التقسيم :

« بسم الله الرحمن الرحيم

ربّ يَسِّرْ »

تحلّين . فقالت له كيف تصنع ؟ قال : أطلقك ، فإذا دنا مُضِيُّ عدتك راجعتُك ، فمتى تحلّين ؟ فأتت النبي صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله : « الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان » ، فاستقبله الناس جديداً ، مَنْ كان طلق ومن لم يكن طلق . (١)

---

(١) الحديثان : ٤٧٧٩ ، ٤٧٨٠ – هما فى معنى واحد ، بإسنادين إلى هشام بن عروة . وهما مرسلان ، لأن عروة بن الزبير تابعى . وقد ثبت الحديث وصح موصولا ، كما سنذكر ، إن شاء الله .

وجرير – فى الإسناد الأول : هو ابن عبد الحميد الضبى . وابن إدريس – فى الإسناد الثانى : هو عبد الله بن إدريس الأودى .

والحديث رواه الترمذى ٢ : ٢١٩ ، عن أبى كريب محمد بن العلاء – شيخ الطبرى فى الإسناد الثانى – بهذا الإسناد . ولم يذكر لفظه ، أحاله على الرواية الموصولة ، كما سيأتى .

ورواه أيضاً – بنحوه – مالك فى الموطأ ، ص : ٥٨٨ ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه . مرسلا وكذلك رواه الشافعى ، عن مالك . (مسند الشافعى بترتيب الشيخ عابد السندى ٢ : ٣٤) .

ورواه البيهقى فى السنن الكبرى ٧ : ٣٣٣ ، من طريق الشافعى . عن مالك .

ورواه عبد بن حميد فى تفسيره ، عن جعفر بن عون ، عن هشام ، مرسلا . كما نقله عنه ابن كثير ١ : ٥٣٧ – ٥٣٨ . وكذلك رواه البيهقى ٧ : ٤٤٤ ، من طريق أبى أحمد محمد بن عبد الوهاب . عن جعفر ابن عون .

وكذلك رواه ابن أبى حاتم – فى تفسيره – عن هرون بن إسحق ، عن عبدة بن سليمان ، عن هشام ابن عروة ، عن أبيه ، مرسلا . نقله عنه ابن كثير ١ : ٥٣٧ .

وأما الرواية الموصولة : فإنه رواه الترمذى ٢ : ٢١٨ – ٢١٩ ، عن قتيبة بن سعيد ، عن يعلى بن ابن شبيب ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة – بنحوه – مرفوعاً متصلا .

ورواه الحاكم ٢ : ٢٧٩ – ٢٨٠ ، من طريق يعقوب بن حميد بن كاسب ، عن يعلى بن شبيب ، به ، نحوه . وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح الإسناد . ولم يتكلم أحد فى يعقوب بن حميد بحجة » . وتعقبه الذهبى ، فقال : « قد ضعفه غير واحد » ! وهذا عجب من الحافظ الذهبى ، كأن الحديث انفرد بوصله يعقوب هذا ، حتى يقرر الخلاف بين توثيقه وتضعيفه ، وأمامه فى الترمذى رواية قتيبة عن يعلى ! !

ورواه أيضاً البيهقى ٧ : ٣٣٣ ، من طريق يعقوب بن حميد ، عن يعلى ، به . ثم قال : ورواه أيضا قتيبة بن سعيد ، والحميدى ، عن يعلى بن شبيب . وكذلك قال محمد بن إسحق بن يسار ، بمعناه ، وروى نزول الآية فيه – عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة » .

ورواية ابن إسحق – التى أشار إليها البيهقى – ذكرها ابن كثير ١ : ٥٣٨ . من رواية ابن مردويه ، من طريق سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحق ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة » .

وذكر ابن كثير أيضاً – قبل ذلك بأسطر – أنه رواه ابن مردويه « من طريق محمد بن سليمان ، عن يعلى بن شبيب مولى الزبير ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة . فذكره بنحوه ما تقدم » . يريد رواية عبد بن حميد عن جعفر بن عون .

٤٧٨١ – حدثنا محمد بن يحيى قال، أخبرنا عبد الأعلى قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كان أهل الجاهلية ، كان الرجل يطلّق الثلاث والعشر وأكثر من ذلك، ثم يراجعُ ما كانت فى العِدّة، فجعل الله حد الطلاق ثلاث تطليقات . (١)

٤٧٨٢ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كان أهل الجاهلية يطلّق أحدهم امرأته ثم يراجعها، لا حدّ فى ذلك ، هى امرأته ما راجعها فى عدتها . (٢) فجعل الله حد ذلك يصير إلى ثلاثة قروء، وجعل حدّ الطلاق ثلاث تطليقات .

٤٧٨٣ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « الطلاق مرتان » ، قال : كان الطلاق – قبل أن يجعل الله الطلاق ثلاثاً – ليس له أمد، يطلق الرجل امرأته مئة، ثم إن أراد أن يراجعها قبل أن تحلّ ، كان ذلك له . وطلق رجلٌ امرأته ، حتى إذا كادت أن تحلّ ارتجعها . ثم استأنفَ ٢/٢٧٧ بها طلاقاً بعد ذلك ليضارّها بتركها، حتى إذا كان قبل انقضاء عدتها راجعها . وصنع ذلك مراراً ، فلما علم الله ذلك منه جعل الطلاق ثلاثاً: مرتين، ثم بعد المرتين إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان .

٤٧٨٤ – حدثنى موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان » ، أما قوله :

فهذان ثقتان روياه عن هشام بن عروة مرفوعاً . والرفع زيادة تقبل من الثقة ، كما هو معروف . ولا يعل المرفوع بالموقوف بل يكون الموقوف مؤيداً للمرفوع ، وموكداً لصحته .

فيعلى بن شبيب الأسدى ، مولى آل الزبير : ثقة : ذكره ابن حبان فى الثقات . وترجمه البخارى فى الكبير ٤/٢/٤١٨ – ٤١٩ وابن أبى حاتم فى ٤ / ٢ / ٣٠١ – فلم يذكرا فيه جرحاً . وقد رواه عنه مرفوعاً ثلاثة من الثقات : قتيبة بن سعيد ، ويعقوب بن حميد بن كاسب ، ومحمد بن سليمان بن حبيب الأسدى . الملقب « لوين » .

ومحمد بن إسحق بن يسار : ثقة ، لا حجة لمن تكلم فيه .

(١) قوله : « كان أهل الجاهلية ، كان الرجل . . . » ، قد مضى برقم : ٤٧٥١ فى حديث قتادة أيضاً بنفس هذا الإسناد – مثل هذا التعبير العربى الفصيح ، كما أشرنا إليه فى التعليق ص : ٥٢٢

(٢) فى المخطوطة : « ما داحقها فى عدتها » ، تصحيف فيما أظن ، ولكن كيف يجىء مثل هذا التصحيف من كاتب ! !

« الطلاق مرتان » ، فهو الميقات الذى يكون عليها فيه الرجعة .

٤٧٨٥ — حدثنا هناد قال، حدثنا أبو الأحوص، عن سماك ، عن عكرمة فى قوله : « الطلاق مرّتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان »، قال : إذا أراد الرجل أن يطلق امرأته فيطلقها تطليقتين ، فإن أراد أن يراجعها كانت له عليها رجعة ، فإن شاء طلقها أخرى، فلم تحلّ له حتى تنكح زوجاً غيره .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الآية على هذا الخبر الذى ذكرنا : عدد الطلاق الذى لكم أيها الناس فيه على أزواجكم الرجعة = إذا كن مدخولا بهن = تطليقتان . ثم الواجب على من راجع منكم بعد التطليقتين، إمساكٌ بمعروف أو تسريح بإحسان، لأنه لا رجعة له بعد التطليقتين، إن سرحها فطلقها الثالثة .

* * *

وقال آخرون : إنما أنزلت هذه الآية على نبىّ الله صلى الله عليه وسلم تعريفاً من الله تعالى ذكره عبادَه سنة طلاقهم نساءهم إذا أرادوا طلاقهن — لا دلالةً على العدد الذى تبين به المرأة من زوجها .(١)

* ذكر من قال ذلك :

٤٧٨٦ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن مطرف ، عن أبى إسحق، عن أبى الأحوص ، عن عبد الله فى قوله: « الطلاق مرّتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان » ، قال : يطلقها بعد ما تطهر من قبل جماع ، ثم يدعها حتى تطهر مرة أخرى ، ثم يطلقها إن شاء، ثم إن أراد أن يراجعها راجعها ، ثم إن شاء طلقها، وإلا تركها حتى تتم ثلاث حيض وتبينُ منه به .(٢)

٤٧٨٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنى معاوية

---

(١) فى المطبوعة : « لا دلالة على القدر » تصحيف وتحريف ، والصواب من المخطوطة .

(٢) الأثر : ٤٧٨٦ — أخرجه النسائى فى السنن ٦ : ١٤٠ بغير هذا اللفظ ، وكذلك البيهقى فى السنن ٧ : ٣٣٢ ، وابن ماجة ١ : ٦٥١ .

ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان » ، قال : إذا طلق الرجل امرأته تطليقتين فليتق الله فى التطليقة الثالثة ، فإما أن يمسكها بمعروف فيحسن صحابتها ، أو يسرحها بإحسان فلا يظلمها من حقها شيئاً .

٤٧٨٨ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان » ، قال : يطلق الرجل امرأته طاهراً من غير جماع ، فإذا حاضت ثم طهرت فقد تم القرء . ثم يطلق الثانية كما يطلق الأولى ، إن أحب أن يفعل ، [١] فإذا طلق الثانية ثم حاضت الحيضة الثانية ، فهما تطليقتان وقرءان . [٢] ثم قال الله تعالى ذكره فى الثالثة : « إمساكٌ بمعروف أو تسريحٌ بإحسان » ، فيطلقها فى ذلك القرء كله إن شاء ، حين تجمع عليها ثيابها . [٣]

٤٧٨٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد بنحوه — إلا أنه قال : فحاضت الحيضة الثانية كما طلق الأولى ، فهذان تطليقتان وقرءان ، ثم قال : الثالثة — وسائرُ الحديث مثل حديث محمد بن عمرو ، عن أبى عاصم .

* * *

قال أبو جعفر : وتأويل الآية على قول هؤلاء : سنة الطلاق التى سننتها وأبحتها لكم إن أردتم طلاقَ نسائكم : أن تطلقوهن ثنتين فى كل طهر واحدة . ثمّ الواجب بعد ذلك عليكم ، إما أن تمسكوهن بمعروف ، أو تسرحوهنّ بإحسان .

* * *

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « فإن أحب أن يفعل » ، بزيادة الفاء ، وهو لا يستقيم .

(٢) قوله : « وقرءان » ، هو مثنى « قرء » .

(٣) فى المخطوطة « تجمع عليه » ، وهو خطأ . يقال : جمعت على ثيابى ، إذا لبست الثياب التى تبرز بها إلى الناس من إزار ورداء وعمامة . وجمعت المرأة ثيابها : لبست الدرع والملحفة والخمار . وكنى بقوله : « جمعت عليها ثيابها » ، عن غسلها من حيضتها ولبسها ثيابها فى طهر .

قال أبو جعفر : والذى هو أولى بظاهر التنزيل ما قاله عروة وقتادة ، ومن قال مثل قولهما : من أن الآية إنما هى دليلٌ على عدد الطلاق الذى يكون به التحريم وبُطولُ الرجعة فيه ، والذى يكون فيه الرجعة منه . وذلك أن الله تعالى ذكره قال فى الآية التى تتلوها : ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ﴾ ، فعرَّف عباده القدرَ الذى به تحرُم المرأة على زوجها إلاّ بعد زوجٍ — ولم يبين فيها الوقت الذى يجوز الطلاق فيه ، والوقتَ الذى لا يجوز ذلك فيه ، فيكون موجَّهاً تأويلُ الآية إلى ما روى عن ابن مسعود ومجاهد ، ومن قال بمثل قولهما فيه . ٢٧٨/٢

* * *

وأما قوله : « فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان » ، فإنّ فى تأويله وفيما عُنى به اختلافاً بين أهل التأويل .

فقال بعضهم : عنى الله تعالى ذكره بذلك ، الدلالةَ على اللازم الأزواجَ للمطلقات اثنتين —[1] : بعد مراجعتهم إياهن من التطليقة الثانية — من عشرتهن بالمعروف ، أوفراقهن بطلاق .[2]

* ذكر من قال ذلك :

٤٧٩٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : قلت لعطاء : « الطلاق مرتان » ، قال يقول : عند الثالثة ، إما أن يمسك بمعروف ، وإما أن يسرح بإحسان . وغيره قالها .[3] = قال : وقال مجاهد : الرجل أملكُ بامرأته فى تطليقتين من غيره ، فإذا تكلم الثالثة فليست منه بسبيل ، وتعتدّ لغيره .

---

(١) فى المخطوطة : «اللازم للأزواج المطلقات اثنتين » وفى المطبوعة : « اللازم للأزواج للمطلقات» والذى أثبته أجود العبارات الثلاث .

(٢) فى المخطوطة : « أو بفراقهن » ، بزيادة « باء » لا محل لها هنا .

(٣) فى المطبوعة : « وغيرها قالها » ، والصواب من المخطوطة — ويعنى : وغيره قال هذه المقالة ، ثم ذكر مقالة مجاهد فى تأويل الآية . هذا ما رأيت ، إلا أن يكون فى الكلام تصحيف .

٤٧٩١ – حدثني أبو السائب قال، حدثنا أبو معاوية ، عن إسمعيل بن سميع ، عن أبي رزين قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال : يا رسول الله ، أرأيت قوله : « الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان » ، فأين الثالثة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إمساكٌ بمعروف أو تسريحٌ بإحسان » ، هي الثالثة .

٤٧٩٢ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي قالا ، حدثنا سفيان ، عن إسمعيل بن سميع ، عن أبي رزين قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله : « الطلاق مرتان » ، فأين الثالثة ؟ قال : « إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان » .

٤٧٩٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا الثوري ، عن إسمعيل ، عن أبي رزين قال : قال رجل : يا رسول الله، يقول الله: «الطلاق مرّتان فإمساك بمعروف» ، فأين الثالثة؟ قال: التسريح بإحسان .(١)

---

(١) الأحاديث : ٤٧٩١ – ٤٧٩٣ كلها حديث واحد بأسانيد ثلاثة . وهو حديث مرسل ضعيف ، كما سنذكر، إن شاء الله .

سفيان ، في الإسناد الثاني : هو الثوري ، كما في الإسناد الثالث .

إسمعيل بن سميع – بضم السين مصغراً – الحنفي : ثقة مأمون ، كما قال ابن معين . ومن تكلم فيه فإنما تكلم من أجل أنه كان يرى رأي الخوارج .

أبو رزين – بفتح الراء وكسر الزاي : هو الأسدي ، أسد خزيمة ، واسمه « مسعود » ، وهو تابعي كوفي ثقة . وبعضهم يقول : « مسعود بن مالك » ، فيشتبه براو آخر ، اسمه « مسعود بن مالك بن معبد » ، مولى سعيد بن جبير . وهو متأخر عن أبي رزين . وقد حققنا ذلك مفصلا في المسند : ٣٥٥١ ، ٧٤٣٢ م ، وفي الاستدراك فيه : ٧٠٧ .

و « أبو رزين الأسدي » هذا تابعي كما قلنا . وهو غير « أبي رزين العقيلي » ، ذاك صحابي اسمه « لقيط بن عامر » ، مضت ترجمته : ٣٢٢٣ .

والإسناد : ٤٧٩٣ – هو في تفسير عبد الرزاق ، ص : ٢٨ – ٢٩ . وفيه : « أسمع الله يقول » ، بدل « يقول الله » . وكذلك هو في المصنف لعبد الرزاق ج ٣ ص ٣٠١ .

والحديث ذكره ابن كثير ١ : ٥٣٨ – ٥٣٩ ، من رواية ابن أبي حاتم . وعبد بن حميد ، وسعيد ابن منصور ، وابن مردويه – بأسانيدهم ، كلهم عن أبي رزين ، بنحوه ، مرسلا . وكذلك رواه البيهقي ٧ : ٣٤٠ ، بإسناده ، من رواية سعيد بن منصور .

٤٧٩٤ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « أو تسريح بإحسان » ، قال : فى الثالثة .

٤٧٩٥ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة قال : كان الطلاق ليس له وقت حتى أنزل الله : « الطلاق مرتان » . قال : الثالثة : « إمساكٌ بمعروف أو تسريحٌ بإحسان » .

* * *

وقال آخرون منهم : بل عنى الله بذلك الدلالة على يلزمهم لهن بعد التطليقة الثانية ، من مراجعة بمعروف أو تسريح بإحسان ، بترك رجعتهن حتى تنقضى عدتهن، فيصرن أملك لأنفسهن . وأنكروا قول الأولين الذين قالوا: إنه دليل على التطليقة الثالثة .

* ذكر من قال ذلك :

٤٧٩٦ – حدثنى موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباطُ ، عن السدى فى قوله : « فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان » ، إذا طلق واحدة أو اثنتين ، إما أن يمسك = « ويمسك » : يراجع = بمعروف ، وإما سكت عنها

ووهم الحافظ ابن كثير – رحمه الله – وهماً شديداً ، إذ نسب هذا الحديث المرسل لرواية المسند ، فقال : « ورواه الإمام أحمد أيضاً » .

والحديث ذكره السيوطى ١ : ٢٧٧ ، وزاد نسبته لوكيع . وأبى داود فى ناسخه ، وابن المنذر ، والنحاس .

وسيقول أبو جعفر بعد قليل ، مشيراً إلى هذا الحديث : « فإن اتباع الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بنا من غيره » . وهذا ذهاب منه إلى الاحتجاج بالحديث المرسل . وهو مذهب يختاره بعض أهل العلم .

وقد رددت على أبى جعفر – رحمه الله – فى كتاب نظام الطلاق فى الإسلام ، فى الفقرة : ٢٩ ، بعد أن ذكرت كلامه – فقلت : « ونعم ، إن الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بنا من غيره ، وعلى العين والرأس ما ورد عنه عليه الصلاة والسلام إذا كان صحيحاً ثابتاً . ولكن خبر أبى رزين هذا غير صحيح ، فإنه مرسل غير موصول . لأن أبا رزين الأسدى تابعى ، وليس صحابياً . والمرسل لا حجة فيه ، لأنه عن راو مجهول ، ثم إنه خبر باطل المعنى جداً . وحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفسر الطلقة الثالثة بهذا ، وهى ثابتة فى الآية التى بعدها فى سياق الكلام : (فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره) . وإلا كانت طلقة رابعة . وهو خلاف المعلوم من الدين بالضرورة » .

حتى تنقضى عدتها ، فتكون أحق بنفسها .

٤٧٩٧ – حدثنا على بن عبد الأعلى قال، حدثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك: « أو تسريح بإحسان » ، والتسريحُ أن يدعها حتى تمضى عدتها. (١)

٤٧٩٨ – حدثنا يحيى بن أبى طالب قال، حدثنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « الطلاق مرّتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان » ، قال : يعنى تطليقتين بينهما مراجعة ، فأمر أن يمسك أو يسرّح بإحسان . قال : فإن هو طلقها ثالثة ، فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره .

* * *

قال أبو جعفر : وكأن قائلى هذا القول الذى ذكرناه عن السدى والضحاك ، ذهبوا إلى أنّ معنى الكلام: الطلاق مرتان فإمساك فى كل واحدةٍ منهما لهن بمعروف أو تسريحٌ لهن بإحسان .

وهذا مذهب مما يحتمله ظاهرُ التنزيل ، لولا الخبرُ الذى ذكرته عن النبى صلى الله عليه وسلم ، الذى رواه إسمعيل بن سميع ، عن أبى رزين ، فإنّ اتباع الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بنا من غيره . ٢٧٩/٢

فإذْ كان ذلك الواجب، فبيِّنٌ أن تأويلَ الآية: الطلاقُ الذى لأزواج النساء على نسائهم فيه الرجعة ، مرتان . ثم الأمرُ بعد ذلك إذا راجعوهن فى الثانية ، إما إمساكٌ بمعروف ، وإما تسريح منهم لهن بإحسان بالتطليقة الثالثة ، حتى تبينَ منهم ، فيبطل ما كان لهم عليهنّ من الرجعة ، ويصرن أملك بأنفسهن منهم . (٢)

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : وما ذلك الإمساك الذى هو بمعروف ؟

قيل : هو ما : —

---

(١) الأثر : ٤٧٩٧ – « على بن عبد الأعلى » ، لم أجد فى شيوخ الطبرى من يسمى « على ابن عبد الأعلى» ، وسيأتى فى الأثر : ٤٧٩٩ ، « على بن عبد الأعلى المحاربى »، ورقم : ٤٨٠٤ . والذى يكثر الرواية عنه فى التفسير هو « محمد بن عبد الأعلى الصنعانى ، فلا أدرى ما الصواب .

(٢) فى المطبوعة : « أملك لأنفسهن » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

٤٧٩٩ – حدثنا به على بن عبد الأعلى المحاربى قال، حدثنا عبد الرحمن ابن محمد المحاربى، عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « فإمساك بمعروف » ، قال : المعروف أن يحسن صحبتها . (١)

٤٨٠٠ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنى معاوية ابن صالح، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « فإمساك بمعروف » ، قال : ليتق الله فى التطليقة الثالثة ، فإما أن يمسكها بمعروف فيحسن صحابتها .

* * *

فإن قال : فما التسريح بإحسان ؟

قيل : هو ما : –

٤٨٠١ – حدثنى به المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « أو تسريح بإحسان » ، قال: يسرحها ولا يظلمها من حقها شيئاً . (٢)

٤٨٠٢ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان »، قال : هو الميثاق الغليظ . (٣)

٤٨٠٣ – حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « أو تسريح بإحسان » ، قال : الإحسان أن يوفيها حقها، فلا يؤذيها ولا يشتمها .

٤٨٠٤ – حدثنا على بن عبد الأعلى قال، حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى، عن جويبر ، عن الضحاك ، « أو تسريحٌ بإحسان »، قال : التسريح بإحسان:

---

(١) الأثر : ٤٧٩٩ – انظر التعليق السالف على الأثر رقم : ٤٧٩٧ .

(٢) الأثر : ٤٨٠٠ ، ٤٨٠١ – هما بعض الأثر السالف رقم : ٤٧٨٧ . وفى المطبوعة والمخطوطة فى رقم : ٤٨٠١ « قيل : يسرحها . . . » والصواب ما أثبت .

(٣) سيأتى تفسير « الميثاق الغليظ » بعد قليل فى رقم : ٤٨٠٥ .

أن يدعها حتى تمضى عِدَّتها ، ويعطيها مهراً إن كان لها عليه إذا طلَّقها . فذلك التسريح بإحسان ، والمتعة على قَدْر الميسرة .

٤٨٠٥ – حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس في قوله : « وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً » ، قال : قوله : « فإمساك بمعروف أو تسريحٌ بإحسان » .

* * *

فإن قال : فما الرافع للإمساك والتسريح ؟

قيل : محذوف ، اكتُفى بدلالة ما ظهر من الكلام من ذكره ، ومعناه : الطلاق مرتان ، فالأمر الواجبُ حينئذ به ، إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان . وقد بينا ذلك مفسراً في قوله : ﴿ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾ [سورة البقرة : ١٧٨] ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع .(١)

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بقوله : « ولا يحلّ لكم أن تأخذوا مما آتيمتوهن شيئاً » ، ولا يحل لكم أيها الرجال ، أن تأخذوا من نسائكم ، إذا أنتم أردتم طلاقهن – لطلاقكم وفراقكم إياهن ،(٢) شيئاً مما أعطيتموهن من الصَّداق وسُقتم إليهن ، بل الواجب عليكم تسريحهن بإحسان ، وذلك إيفاؤهن حقوقهن من الصداق والمتعة وغير ذلك مما يجب لهن عليكم ، « إلاّ أن يخافا ألا يقيما حدود الله » .

* * *

---

(١) انظر ما سلف ٣ : ٣٧٢ .

(٢) في المطبوعة : « بطلاقكم » بالباء ، والصواب من المخطوطة .

قال أبو جعفر : واختلفت القرأة فى قراءة ذلك . فقرأه بعضهم : « إلا أنْ يخافا ألا يقيما حدود الله»، وذلك قراءة عُظْم أهل الحجاز والبصرة، بمعنى : إلا أن يخاف الرجل والمرأة أن لا يقيما حدود الله . وقد ذكر أنّ ذلك فى قراءة أبىّ بن كعب : ﴿ إِلاَّ أَنْ يَظُنَّا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ ﴾

٤٨٠٦ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر قال، أخبرنى ثور، عن ميمون بن مهران قال: فى خرف أبىّ بن كعب أن الفداء تطليقة . قال : فذكرت ذلك لأيوب، فأتينا رجلا عنده مصحف قديم لأبىّ خرج من ثقة، فقرأناه فإذا فيه : ﴿ إِلاَّ أَنْ يَظُنَّا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَإِنْ ظَنَّا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ لاَ تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ ﴾

* * *

والعرب قد تضع « الظن » موضع « الخوف »، « والخوف » موضع « الظن» فى كلامها ، لتقارب معنييهما ، [1] كما قال الشاعر : [2]

٢٨٠/٢ أَتَانِى كَلاَمٌ عَنْ نُصَيْبٍ يَقُولُهُ ، وَمَا خِفْتُ يا سَلاَّمُ أَنَّكَ عَائِبِى [3]

بمعنى : ما ظننتُ .

* * *

---

(١) هذا بيان قلما تصيبه فى كتب اللغة ، وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ١٤٥ — ١٤٦ ، ففيه بيان أوفى .

(٢) هو أبو الغول الطهوى ، وهو شاعر إسلامى كان فى الدولة المروانية .

(٣) البيت فى نوادر أبى زيد : ٤٦ ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ١٤٦ ، وسيأتى فى التفسير ٥ : ٤٠ (بولاق) . ولم أجد خبر « نصيب » و « سلام » . وربما كان نصيب هذا هو أبو الحجناء ، نصيب الأسود مولى عبد العزيز بن مروان . فإن أبا الغول ، كما أسلفت ، شاعر إسلامى كان فى الدولة المروانية ، وهجا حماداً (الأغانى ٥ : ١٦٢) ، وقال له أيضاً فيما روى أبو زيد فى نوادره ص : ٤٦ .

ولقد مَلَأْتُ عَلى نُصَيْبٍ جِلْدَه بمَسَاءَةٍ ، إنّ الصَّدِيقَ يُعَاتَبُ

وقرأه آخرون من أهل المدينة والكوفة : ﴿ إِلَّا أَنْ يُخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ ﴾ . فأما قارىء ذلك كذلك من أهل الكوفة ، (١) فإنه ذكر عنه أنه قرأه كذلك، (٢) اعتباراً منه بقراءة ابن مسعود ، وذكر أنه فى قراءة ابن مسعود : ﴿ إِلَّا أَنْ تَخَافُوا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ ﴾ . وقراءة ذلك كذلك ، اعتباراً بقراءة ابن مسعود التى ذُكرت عنه ، خطأ . وذلك أن ابن مسعود إن كان قرأه كما ذُكر عنه ، فإنما أعمل الخوفَ فى « أنْ » وحدها ، وذلك غير مدفوعة صحته ، كما قال الشاعر : (٣)

إِذَا مِتُّ فَادْفِنِّى إِلَى جَنْبِ كَرْمَةٍ تُرَوِّى عِظَامِى بَعْدَ مَوْتِى عُرُوقُهَا(٤)
وَلاَ تَدْفِنَنِّى بِالْفَلاَةِ ، فَإِنَّنِى أَخَافُ، إِذَا مَامِتُّ ، أَنْ لاَ أَذُوقُهَا(٥)

فأما قارئه : «إلا أنْ يُخافا » بذلك المعنى ، فقد أعمل فى متروكةٍ تسميتُه، (٦) وفى « أنْ » — فأعمله فى ثلاثة أشياء : المتروك الذى هو اسم ما لم يسم فاعله، وفى « أن » التى تنوبُ عن شيئين ، (٧) ولا تقول العرب فى كلامها : « ظُنَّا أن يقوما ».

ولكن قراءة ذلك كذلك صحيحة ، على غير الوجه الذى قرأه من ذكرنا قراءته كذلك ، اعتباراً بقراءة عبد الله الذى وصفنا ، ولكن على أن يكون مراداً به إذا

---

(١) هو الأمام الكوفى الحبر حمزة بن حبيب الزيات ، أحد القراء السبعة .

(٢) الذى ذكر هذا هو الفراء فى معانى القرآن ١ : ١٤٦ ، ولكن عبارة الفراء تدل على أنه ظن ذلك واستخرجه ، لا أن حمزة قرأها كذلك يقينا غير شك . ونص الفراء : « وأما ما قال ، فإنه إن كان أراد اعتبار قراءة عبد الله ، فلم يصبه — والله أعلم » . فإن يكن الطبرى أخذه عن الفراء ، فهذا كلام الفراء ، وإن أخذه من غيره ، فهو ثقة فيما ينقل .

(٣) هو أبو محجن الثقفى .

(٤) ديوانه : ٢٣ ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ١٤٦ ، والخزانة ٣ : ٥٥٠ ، وغيرها كثير . وخبر أبى محجن فى الخمر وحبها مشهور .

(٥) هذا البيت شاهد للنحاة على تخفيف « أن » لوقوعها بعد الخوف ، بمعنى العلم واليقين ، واسمها ضمير شأن محذوف ، أو ضمير متكلم ، وجملة « لا أذوقها » فى محل رفع، خبرها .

(٦) يعنى أن الفعل قد عمل فى نائب الفاعل، وفى جملة « أن » المخففة من « أن » ، كما سيظهر من بيان كلامه . وقد بين ذلك أيضاً الفراء فى معانى القرآن ١ : ١٤٦ — ١٤٧ .

(٧) يعنى بقوله : « أن ، التى تنوب عن شيئين » أنها فى موضع المفعولين ، تسد مسدهما .

قرئ كذلك : إلا أن يخافا بأن لا يقيما حدود الله — أو : على أن لا يقيما حدود الله ، فيكون العامل فى « أن » غير « الخوف » ويكون « الخوف » ، عاملا فيما لم يسم فاعله .[1] وذلك هو الصواب عندنا من القراءة ،[2] لدلالة ما بعده على صحته ، وهو قوله : « فإن خفتم ألا يقيما حدود الله » ، فكان بيناً أن الأول بمعنى : إلا أن تخافوا أن لا يقيما حدود الله .

* * *

فإن قال قائل : وأية حال الحالُ التى يخافُ عليهما أن لا يقيما حدود الله ، حتى يجوز للرجل أن يأخذ حينئذ منها ما آتاها ؟

قيل : حال نشوزها وإظهارها له بِغْضته ، حتى يُخاف عليها ترك طاعة الله فيما لزمها لزوجها من الحق ، ويُخافَ على زوجها — بتقصيرها فى أداء حقوقه التى ألزمها الله له — تركه أداء الواجب لها عليه . فذلك حين الخوف عليهما أن لا يقيما حدودَ الله فيطيعاه فيما ألزم كل واحد منهما لصاحبه ، والحالِ التى أباح النبى صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس أخذ ما كان آتى زوجته إذْ نشزت عليه ، بغضاً منها له ، كما : —

٤٨٠٧ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا المعتمر بن سليمان قال ، قرأت على فضيل ، عن أبى حريز ، أنه سأل عكرمة : هل كان للخُلْع أصل ؟ قال : كان ابن عباس يقول : إن أول خُلْع كان فى الإسلام ، أختُ عبد الله ابن أبى : أنها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ، لا يجمع رأسى ورأسه شىء أبداً ! إنىّ رفعتُ جانبَ الخباء ، فرأيته أقبل فى عِدَّةٍ ، فإذا هو أشدهم سواداً ، وأقصرهم قامة ، وأقبحهم وجهاً ! قال زوجها : يا رسول الله ، إنى أعطيتها أفضل مالى ! حديقةً ، فإن ردَّتْ على حديقتى ! قال : ما تقولين ؟ قالت : نعم ،

---

(١) هذا كله قد بينه الفراء فى معانى القرآن ١ : ١٤٦ — ١٤٧ كما أسلفنا .

(٢) فى المطبوعة : « فى القراءة » ، والأجود ما فى المخطوطة .

وإن شاء زدته ! قال : ففرق بينهما . (١)

(١) الحديث : ٤٨٠٧ – المعتمر بن سليمان بن طرخان التيمى : ثقة ، روى عنه الأئمة : ابن مهدى ، وعبد الرزاق ، وأحمد ، وإسحق ، وغيرهم .

فضيل – بالتصغير : هو ابن ميسرة الأزدى العقيلى ، وهو ثقة ، وثقه ابن معين وغيره .

أبو حريز : هو عبد الله بن الحسين الأزدى البصرى ، قاضى سجستان ، وهو مختلف فيه ، والحق أنه ثقة ، وثقه ابن معين ، وأبو زرعة ، وغيرهما .

و « أبو حريز » : بفتح الحاء المهملة وكسر الراء وآخره زاى معجمة . ووقع فى المطبوعة وابن كثير وفتح البارى « أبو جرير » ، وهو تصحيف ، ووقع فى الإصابة « ابن جرير » ؛ وهو خطأ إلى خطأ.

وهذا الحديث صحيح الإسناد . وقد نقله ابن كثير ١ : ٥٤٢ ، عن هذا الموضع . وذكره السيوطى ١ : ٢٨٠ – ٢٨١ ، ولم ينسباه لغير الطبرى ، ونقله الحافظ فى الفتح ٩ : ٣٥١ ، قال : « وفى رواية معتمر بن سليمان . . . » ، فذكر نحوه ، مع شىء من الاختلاف فى اللفظ . فدل على أنه نقله من رواية أخرى . ولكنه لم يبين من خرجه كعادته . سها رحمه الله . وأشار إليه فى الإصابة ٨ : ٤٠ ، فى السطر ٣ وما بعده . منسوباً للطبرى فقط .

وقد ثبت نحو معناه من حديث ابن عباس . رواه البخارى ٩ : ٣٤٩ – ٣٥٢ . بأسانيد . ونقله ابن كثير عن روايات البخارى ١ : ٥٤١ – ٥٤٢ ، ثم قال : « وهذا الحديث من أفراد البخارى من هذا الوجه» . ثم نقل نحوه من رواية الإمام أبى عبد الله بن بطة، بإسناده،عن قتادة ، عن عكرمة، عن ابن عباس . ثم ذكر أنه رواه ابن مردويه فى تفسيره ، وابن ماجة ، ثم قال : « وهو إسناد جيد مستقيم » . ورواية ابن ماجة – هى فى السنن برقم : ٢٠٥٦ .

وقوله : « أخت عبد الله بن أبى » : هى جميلة بنت عبد الله بن أبى ابن سلول رأس المنافقين . وهى أخت عبد الله بن عبد الله بن أبى ابن سلول الصحابى الجليل . نسبت هى وأخوها إلى جدهما اختصاراً . وهذا هو الصحيح الذى رجحه الحافظ وغيره .

ولم يذكر فى هذه الرواية – فى الطبرى – اسم زوجها الذى اختلعت منه ، وهو ثابت بن قيس بن شماس ، كما دلت على ذلك الروايات الأخر . وقد ولدت لزوجها ثابت هذا ابنه محمد بن ثابت ، وهو مترجم فى الإصابة ٦ : ١٥٢ ، وابن سعد ٥ : ٥٨ – ٥٩ . وقد جزم بأن أمه هى « جميلة بنت عبد الله ابن أبى » . وقد أبت أمه أن ترضعه ، بما أبغضت أباه ، فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « فبزق فى فيه وحنكه ، وسماه محمداً . وقال : اختلف به ، فإن الله رازقه . فأتيته اليوم الأول والثانى والثالث ، فإذا امرأة من العرب تسأل عن ثابت بن قيس ، فقلت : ما تريدين منه ؟ أنا ثابت . فقالت : أريت فى منامى كأنى أرضع ابناً له يقال له : محمد ، فقال : فأنا ثابت ، وهذا ابنى محمد . قال : وإذا درعها يتمصر من لبنها » . رواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٢١٠ – ٢١١ ، وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبى . وهو إسناد صحيح متصل ، لأن السياق يدل على أن محمداً هذا سمعه من أبيه ، وحدث به عنه . وقد ذكره الحافظ فى ترجمته فى الإصابة ، بنحو من هذا .

وهو يؤيد أن المختلعة من ثابت هى جميلة هذه .

ووقع فى المطبوعة : « فلتردد على حديقتى » . والصواب ما أثبتنا : «فإن ردت على حديقتى» . صححناه من المخطوطة وابن كثير والسيوطى . وجواب الشرط محذوف ، كما هو ظاهر . وهذا فصيح كثير فى كلام البلغاء .

وانظر : ٤٨١٠ .

٤٨٠٨ – حدثني محمد بن معمر قال ، حدثنا أبو عامر قال ، حدثنا أبو عمرو السدوسي ، عن عبد الله – يعني ابن أبي بكر –، عن عمرة ، عن عائشة ، أن حبيبة ابنة سهل كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس، (١) فضربها فكسر نُغْضَها، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الصبح فاشتكته، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابتاً فقال : خذ بعضَ ما لها وفارقها . قال : ويصلح ذاك يا رسول الله ؟ قال : نعم . قال : فإنيّ أصدقتها حديقتين ، وهما بيدها . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : خذهما وفارقها . ففعل . (٢)

---

(١) في المطبوعة : « بنت سهل » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) الحديث : ٤٨٠٨ – أبو عامر : هو العقدي . عبد الملك بن عمرو .

أبو عمرو السدوسي : هو سعيد بن سلمة بن أبي الحسام المدني ، وهو ثقة . قال أبو سلمة التبوذكي : « ما رأيت كتاباً أصح من كتابه » . وذكره ابن حبان في الثقات . ولم يعرفه ابن معين حق معرفته ، كما حكى عنه ابن أبي حاتم ، وضعفه النسائي . ولكن ترجمه البخاري في الكبير ٢/١/٤٣٨ فلم يذكر فيه جرحاً . وهذا كاف في توثيقه ، خصوصاً وقد أخرج له مسلم في صحيحه .

ولم يجزم البخاري بأن سعيد بن سلمة هو أبو عمرو راوي هذا الحديث ، فقال : « وقال أبو عامر : حدثنا أبو عمرو السدوسي المدني . فلا أدري هو هذا أم غيره ؟ » .

وترجم في التهذيب في الأسماء ٤ : ٤١ – ٤٢ ، وفي الكنى ١٢ : ١٨١ – ١٨٢ . وأثبت الحافظ بالدلائل القوية أنهما راو واحد . كما سيتبين من التخريج ، إن شاء الله .

عبد الله : هو ابن أبي بكر بن عمرو بن حزم .

والحديث رواه أبو داود : ٢٢٢٨ ، عن محمد بن معمر – شيخ الطبري فيه – بهذا الإسناد .

وذكره ابن كثير ١ : ٥٤١ ، عن أبي داود والطبري . ثم قال : « وأبو عمرو السدوسي : هو سعيد بن سلمة بن أبي الحسام » .

وذكره الحافظ في التهذيب ٤ : ٤١ – ٤٢ موجزاً ، من رواية أبي داود ، ثم قال : « وروى هذا الحديث أحمد بن محمد بن شعيب الرجالي ، عن محمد بن معمر ، عن أبي عامر العقدي ، عن سعيد بن سلمة ، عن عبد الله بن أبي بكر ، بإسناده . فدلت هذه الرواية على أن أبا عمرو ، المذكور في رواية أبي داود – : هو سعيد بن سلمة » . ثم قال : « وسيأتي في الكنى ما يقرر أنهما واحد » . ثم قال في «الكنى» من التهذيب ١٢ : ١٨١ – ١٨٢ : « روى أبو محمد بن صاعد في الجزء الخامس من حديثه . حدثنا محمد ابن معمر القيسي ، حدثنا أبو عامر العقدي ، حدثنا أبو عمرو السدوسي . أخبرني عبد الله بن أبي بكر ابن حزم – فذكر حديثاً آخر . قال ابن صاعد : أبو عمرو السدوسي ، هو سعيد بن سلمة . حدثنا هشام بن علي السيرافي بالبصرة ، حدثنا عبد الله بن رجاء ، حدثنا سعيد بن سلمة بن أبي الحسام ، حدثني عبد الله بن أبي بكر – فذكر ذلك الحديث بعينه . فتعين أن أبا عمرو المديني السدوسي المذكور ، هو سعيد بن سلمة » .

٤٨٠٩ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا روح قال ، حدثنا مالك ، عن يحيى ، عن عمرة ، أنها أخبرته عن حبيبة بنت سهل الأنصارية : أنها كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم رآها عند بابه بالغلس، ٢٨١/٢ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من هذه ؟ قالت : أنا حبيبة بنت سهل ، لا أنا، ولا ثابت بن قيس ! ! = لزوجها = فلما جاء ثابتٌ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذه حبيبة بنت سهل تذكر ما شاء الله أن تذكر ! فقالت حبيبة : يا رسول الله ، كلّ ما أعطانيه عندى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خذمنها . فأخذ منها ، وجلست فى بيتها .(١)

ورواه أيضاً البيهقى ٧ : ٣١٥ ، من طريق هشام بن على ، عن عبد الله بن رجاء : « أخبرنا سعيد بن سلمة بن أبى الحسام ، حدثنا عبد الله بن أبى بكر . . . » – فذكره ، بزيادة فى آخره .

وهذه الطريق مثل الطريق التى حكاها الحافظ آنفاً عن أبى محمد بن صاعد . وهى تؤيد ما قاله وقلناه .

وذكره السيوطى ١ : ٢٨٠ ، وزاد نسبته لعبد الرزاق . ولم أجده فى التفسير ، ولا فى المنصف لعبد الرازق ولعله خفى على موضعه فى واحد منهما .

قوله « فكسر نغضها » – النغض ، بضم النون وسكون الغين المعجمة وآخره ضاد معجمة : العظم الرقيق على طرف الكتف . وهذا هو الصواب فى هذا الحرف هنا . وثبت فى المطبوعة « بعضها » ، وكذلك فى النسخ المطبوعة من سنن أبى داود ، إلا فى نسخة بهامش طبعة الهند ، ذكرت على الصواب . وهو الصحيح الثابت فى مخطوطة الشيخ عابد السندى ، واضحة مضبوطة ، لا تحتمل تصحيفاً . ويؤيد ذلك ويقويه : أن رواية البيهقى «فكسر يدها» . وأما كلمة «بعضها» – فإنها قلقة فى هذا الموضع ، غير مستساغة .

وانظر الحديث التالى لهذا .

(١) الحديث : ٤٨٠٩ – ابن بشار : هو محمد بن بشار ، شيخ الطبرى وأصحاب الكتب الستة ، مضت ترجمته فى : ٣٠٤ . ووقع فى المطبوعة « أبو يسار » ! ! وهو تصحيف قبيح . صحح من المخطوطة . روح : هو ابن عبادة

يحيى – شيخ مالك : هو الأنصارى . النجارى ، مضت ترجمته : ٢١٥٤ ، ووقع هناك فى ترجمته « البخارى » ، وهو خطأ مطبعى . ومضى على الصواب فى : ٣٣٩٥ . وهو « يحيى بن سعيد بن قيس بن عمرو بن سهل بن ثعلبة » . فتكون « حبيبة بنت سهل بن ثعلبة » صاحبة الحديث والقصة – عمة جده « قيس بن عمرو » .

والحديث فى الموطأ ، ص : ٥٦٤ . ورواه الشافعى ، عن مالك ، فى الأم ٥ : ١٠١ ، ١٧٩ .

ورواه أحمد فى المسند ٦ : ٤٣٣ – ٤٣٤ (حلبى) ، عن عبد الرحمن بن مهدى ، عن مالك . ورواه أبو داود : ٢٢٢٧ ، عن القعنبى ، عن مالك ، ورواه النسائى ٢ : ١٠٤ ، من طريق ابن القاسم ، عن مالك ، ورواه ابن حبان فى صحيحه ٦ : ٤٣٦ – ٤٣٧ (من مخطوطة الإحسان) ، من

٤٨١٠ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا الحسن ابن واقد ، عن ثابت ، عن عبدالله بن رباح ، عن جميلة بنت أبيّ ابن سلول : أنها كانت عند ثابت بن قيس فنشزت عليه ، فأرسل إليها النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا جميلة ، ما كرهت من ثابت ؟ قالت : والله ما كرهت منه ديناً ولا خلقاً ، إلا أني كرهت دمامته ! فقال لها : أتردين الحديقة؟ قالت : نعم . فردت الحديقة وفرّق بينهما . (١)

* * *

قال أبو جعفر : وقد ذكر أن هذه الآية نزلت في شأنهما – أعني في شأن ثابت بن قيس وزوجته هذه .

طريق أبي مصعب أحمد بن أبي بكر ، عن مالك . ورواه البيهقي ٧ : ٣١٢ – ٣١٣ ، من طريق أبي داود .

ورواه عبد الرزاق في المصنف (مخطوط مصور) ج ٤ في الورقة : ١٧ ، عن ابن جريج ، عن يحيى بن سعيد ، به .

ورواه الشافعي في الأم – في الموضعين عقب روايته عن مالك – عن سفيان بن عيينة ، عن يحيى ابن سعيد .

ورواه ابن سعد في الطبقات ٨ : ٣٢٦ ، في ترجمة « حبيبة » – عن يزيد بن هرون ، عن يحيى بن سعيد ، عن عمرة : « أن حبيبة بنت سهل . . . » . فذكره مرسلا .

ثم رواه عن عارم بن الفضل ، عن حماد بن زيد ، عن يحيى بن سعيد – فذكره معضلا ، حذف منه التابعية والصحابية . وقد تبين من الروايات السابقة أن هذا والذي قبله متصلان ، على ما في ظاهرهما من الانقطاع . وذكره متصلا ابن كثير ١ : ٥٤١ ، والسيوطي ١ : ٢٨٠ .

(١) الحديث : ٤٨١٠ – يحيى بن واضح : هو أبو تميلة ، مضت ترجمته في : ٣٩٢ .

الحسين بن واقد المروزي ، قاضي مرو : ثقة ، وثقه ابن معين ، وأثنى عليه أحمد . وقال فيه ابن المبارك : « ومن لنا مثل الحسين » . ووقع في المطبوعة « الحسن » ، وهو خطأ بين . ثابت : هو البناني .

عبد الله بن رباح الأنصاري : تابعي ثقة ، وثقه ابن سعد ، والنسائي ، وغيرهما ، وقال ابن خراش : « وهو رجل جليل » .

وهذا الإسناد صحيح . ولم أجده إلا عند الطبري هنا ، وعند ابن عبد البر في الاستيعاب . فرواه ابن عبد البر ، ص : ٧٣٢ – ٧٣٣ ، عن عبد الوارث بن سفيان ، عن قاسم بن أصبغ ، عن أحمد بن زهير ، عن محمد بن حميد الرازي – شيخ الطبري هنا – بهذا الإسناد .

وقد تبين من هذه الأحاديث الأربعة : ٤٨٠٧ – ٤٨١٠ ، ومن غيرها من الروايات الصحيحة – الاختلاف فيمن اختلعت من ثابت بن قيس بن شماس : أهي جميلة بنت عبد الله بن أبي ابن سلول ، أم حبيبة بنت سهل ؟ فالراجح أنهما كلتاهما اختلعتا منه . وهو الذي رجحه الحافظ في الفتح ٩ : ٣٥٠ وارتضاه . قال : « والذي يظهر أنهما قصتان ، وقعتا لامرأتين . اشهرة الخبرين ، وصحة الطريقين ، واختلاف السياقين » .

وانظر الإصابة ٨ : ٣٩ – ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٩ .

٤٨١١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قال : نزلت هذه الآية فى ثابت بن قيس وفى حَبيبة ، قال : وكانت اشتكته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تردّين عليه حديقته ؟ فقالت : نعم . فدعاهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له ، فقال : ويطيب لى ذلك ؟ قال : نعم . قال ثابت : قد فعلتُ . فنزلت : « ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها » .

* * *

وأما أهل التأويل، فإنهم اختلفوا فى معنى « الخوف » منهما أن لا يقيما حدود الله .

فقال بعضهم : ذلك هو أن يظهر من المرأة سوء الخلق والعِشرة لزوجها ، فإذا ظهر ذلك منها له ، حَلّ له أن يأخذ ما أعطته من فدية على فراقها .

* ذكر من قال ذلك :

٤٨١٢ – حدثنى على بن داود قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً » ، إلا أن يكون النشوزُ وسوءُ الخلق من قِبَلها فتدعوك إلى أن تفتدى منك . فلا جناحَ عليك فيما افتدت به .

٤٨١٣ – حدثنى يعقوب قال، حدثنا ابن علية قال ، قال ابن جريج ، أخبرنى هشام بن عروة : أن عروة كان يقول: لا يحل الفداء حتى يكون الفسادُ من قِبَلها . ولم يكن يقول : « لا يحل له » ، حتى تقول : « لا أبرّ لك قسماً، ولا أغتسل لك من جنابة » .

٤٨١٤ – حدثنى يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن ابن جريج قال ،

أخبرني عمرو بن دينار قال : قال جابر بن زيد : إذا كان الشرُّ من قِبَلها حل الفداء . (١)

٤٨١٥ — حدثنا الربيع بن سليمان قال، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثني ابن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة : أن أباه كان يقول : إذا كان سوء الخلق وسوء العِشرة من قبل المرأة ، فذاك يُحل خُلعها .

٤٨١٦ — حدثني علي بن سهل قال، حدثنا محمد بن كثير، عن حماد، عن هشام، عن أبيه أنه قال : لا يصلح الخُلع حتى يكون الفسادُ من قِبل المرأة .

٤٨١٧ — حدثنا عبد الحميد بن بيان القنّاد قال، حدثنا محمد بن يزيد، عن إسماعيل ، عن عامر : في امرأة قالت لزوجها : لا أبِرُّ لك قسماً ، ولا أطيع لك أمراً ، ولا أغتسل لكَ من جنابة ! قال : ما هذا — وحرك يده — « لا أبر لك قسما ، ولا أطيع لك أمراً » ! ! إذا كرهت المرأة زوجها فليأخذه وليتركها .

٤٨١٨ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا أيوب ، عن سعيد بن جبير أنه قال ، في المختلعة : يعظها ، فإن انتهت وإلا هجرها ، فإن انتهت وإلاّ ضرَبها ، فإن انتهت وإلاّ رفع أمرَها إلى السلطان، فيبعث حكماً من أهله وحكماً من أهلها ، فيقول الحكم الذي من أهلها : تفعلُ بها كذا وتفعلُ بها كذا ! ويقول الحكم الذي من أهله : تفعل به كذا وتفعل به كذا . فأيهما كان أظلم، ردّه السلطان وأخذ فوق يده. وإنْ كانت ناشزاً أمره أن يخلع .

٤٨١٩ — حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : « الطلاقُ مرتان فإمساك بمعروف» إلى قوله : « فلا جناح عليهما فيما افتدت به » ، قال : إذا كانت المرأة راضيةً مغتبطةً مطيعةً ، فلا يحل له أن يضر بها حتى تفتدي منه . فإن أخذ منها شيئاً على ذلك ، فما أخذ منها فهو حرام . وإذا كان النشوز والبغض والظلم من قِبلها ، فقد حل له أن يأخذ منها ما افتدت به . ٢٨٢/٢

(١) في المطبوعة : « إذا كان النشز » . كأنه ظنه مصدر « نشز » ، ولكن المصدر « نشوز » لا غير ، وهذا وهم من الطابع . أما المخطوطة ففيها ما أثبته ، وهو الصواب المحض .

٤٨٢٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهرى فى قوله : « ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً إلاّ أن يخافا ألا يقيما حدودَ الله » ، قال : لا يحل للرجل أن يخلع امرأته إلا أن تؤتى ذلك منها .(١) فأما أن يكون يضارها حتى تختلع ، فإن ذلك لا يصلح ، ولكن إذا نشزت فأظهرت له البغضاء وأساءت عشرته ، فقد حلّ له خُلعها .

٤٨٢١ – حدثنا يحيى بن أبى طالب قال، حدثنا يزيد قال، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً » ، قال : الصداق « إلاّ أن يخافا ألا يقيما حدود الله » – وحدود الله أن تكون المرأة ناشزة ، فإن الله أمر الزوج أن يعظها بكتاب الله، فإن قبلت وإلا هجرها. والهجران أن لا يجامعها ولا يضاجعها على فراش واحد، ويوليها ظهره ولا يكلمها، فإن أبت غلّظ لها القول بالشتيمة لترجع إلى طاعته .(٢) فإن أبت فالضرب ضربٌ غير مبرح، فإن أبت إلاّ جماحاً فقد حل له منها الفدية .

* * *

وقال آخرون : بل « الخوف » من ذلك : أن لا تُبرّ له قسما، ولا تطيع له أمراً، وتقول : لا أغتسل لك من جنابة ، ولا أطيع لك أمراً ! فحينئذ يحل له عندهم أخذ ما آتاها على فراقه إياها .

* ذكر من قال ذلك :

٤٨٢٢ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه قال ، قال الحسن : إذا قالت : « لا أغتسل لك من جنابة ، ولا أبرُّ لك قسما، ولا أطيع لك أمرًا »، فحينئذ حل الخُلع .

٤٨٢٣ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الأعلى قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن قال : إذا قالت المرأة لزوجها : «لا أبرُّ لك قسما، ولا أطيع

---

(١) فى المطبوعة : إلا أن يرى ذلك »، وهى لا شىء . وفى المخطوطة : « إلا أن لك لوى » غير منقوطة ، وهذا صواب قراءتها إن شاء الله .

(٢) فى المطبوعة : « غلظ عليها » والجيد من المخطوطة ما أثبته .

لك أمرًا، ولا أغتسل لك من جنابة، ولا أقيم حدًّا من حدود الله»، فقد حل له مالها .

٤٨٢٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا هرون بن المغيرة ، عن عنبسة ، عن محمد بن سالم قال: سألت الشعبي قلت : متى يحل للرجل أن يأخذ من مال امرأته ؟ قال : إذا أظهرت بغضه وقالت : « لا أبرُّ لك قسما ، ولا أطيع لك أمرًا » .

٤٨٢٥ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبي : أنه كان يعجب من قول من يقول : لا تحلّ الفدية حتى تقول : « لا أغتسل لك من جنابة » ، وقال : إن الزاني يزني ثم يغتسل !

٤٨٢٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن حماد ، عن إبراهيم في الناشز ، قال : إن المرأة ربما عصت زوجها ثم أطاعته ، ولكن إذا عصته فلم تبرّ قسمه ، فعند ذلك تحل الفدية .

٤٨٢٧ – حدثني موسى قال، (١) حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً »، لا يحل له أن يأخذ من مهرها شيئاً = « إلاّ أن يخافا أن لا يقيما حدود الله » ، فإذا لم يقيما حدود الله فقد حلّ له الفداء ، وذلك أن تقول : « والله لا أبرُّ لك قسما ، ولا أطيع لك أمرًا ، ولا أكرم لك نفساً ، ولا أغتسل لك من جنابة »، فهو حدود الله . فإذا قالت المرأة ذلك ، فقد حل الفداء للزوج أن يأخذه ويطلّقها .

٤٨٢٨ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام قال ، حدثنا عنبسة ، عن علي بن بذيمة، عن مقسم في قوله: ﴿ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ ﴾[سورة النساء : ١٩] ، في قراءة ابن مسعود، قال : إذا عصتك وآذتك ، فقد حلّ لك ما أخذت منها . (٢)

---

(١) في المطبوعة : « حدثني يونس » ، وهو خطأ محض ، والصواب من المخطوطة ، وهو مع ذلك إسناد دائر في التفسير لا يختلف عليه .

(٢) الأثر : ٤٨٢٨ – سيأتي هذا الأثر بنصه وإسناده في تفسير سورة النساء ٤ : ٢١٢

٤٨٢٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد في قوله : « ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً » ، قال : الخُلع . قال : ولا يحل له إلا أن تقول المرأة : « لا أبر قسَمه، ولا أطيع أمره » فيقبله خيفة أن يسيء إليها إن أمسكها ، ويتعدى الحق . (١)

* * *

وقال آخرون : بل « الخوف » من ذلك، أن تبتدئ له بلسانها قولاً : أنها له كارهة . (٢)

* ذكر من قال ذلك :

٤٨٣٠ – حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري قال، حدثنا أبي وشعيب بن الليث، عن الليث، عن أيوب بن موسى، عن عطاء بن أبي رباح قال : يُحلُّ الخُلع أن تقول المرأة لزوجها : « إني لأكرهك، وما أحبك، ولقد خشيت أن أنام في جنبك، ولا أؤدي حقك » – وتطيبُ نفساً بالخُلع . (٣) ٢٨٣/٢

* * *

وقال آخرون : بل الذي يبيح له أخذ الفدية ، أن يكون خوفٌ أن لا يقيما حدود الله منهما جميعاً ، لكراهة كل واحد منهما صحبة الآخر.

* ذكر من قال ذلك :

٤٨٣١ – حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا داود ، عن عامر = حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن داود قال ، قال

(بولاق) . وقد كان في المخطوطة والمطبوعة هنا « . . . ببعض ما آتيتموهن يقول إلا أن يفحش » ، وزيادة « يقول » من النساخ ، والصواب من ذلك الموضع من تفسير آية النساء . وسيأتي هناك : « إذ عضلتك وآذتك » ، والصواب ما هنا .

(١) في المطبوعة : « أو يتعدى الحق » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) في المطبوعة : « أن تبتذله بلسانها » ، جعل مكان « تبتدئ له » « تبتذله » ، كأن الناسخ أدمج الكلمتين وأخرج منهما كلمة واحدة . وفي المخطوطة : « سرى » غير منقوطة ، ولو قرئت : « تنبرى » لكان صواباً أيضاً .

(٣) في المطبوعة : « وتطيب نفسك » ، خطأ صرف والصواب من المخطوطة . ويعني أن تقول المرأة ذلك للرجل ، ثم تطيب هي نفسا بالخلع .

عامر = : أحلّ له مالها بنشوزه ونشوزها .

٤٨٣٢ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية قال، قال ابن جريج، قال طاوس: يُحِلُّ له الفداءَ ما قال الله تعالى ذكره، ولم يكن يقول قول السفهاء : « لا أبر لك قسما » ، ولكن يُحل له الفداء ما قال الله تعالى ذكره « إلاّ أن يخافا ألا يقيما حدود الله » ، فيما افترض لكل واحد منهما على صاحبه فى العِشرة والصحبة .

٤٨٣٣ – حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية، عن محمد بن إسحق ، قال : سمعت القاسم بن محمد يقول : « إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله » ، قال : فيما افترض الله عليهما فى العِشرة والصحبة .

٤٨٣٤ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني الليث قال ، حدثني ابن شهاب قال ، أخبرني سعيد بن المسيب قال : لا يحل الخلع حتى يخافا أن لا يقيما حدود الله فى العِشرة التى بينهما .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصحة قول من قال : لا يحل للرجل أخذ الفدية من امرأته على فراقه إياها، حتى يكون خوفُ معصية الله من كل واحد منهما على نفسه – فى تفريطه فى الواجب عليه لصاحبه – منهما جميعاً، على ما ذكرناه عن طاوس والحسن، ومن قال فى ذلك قولهما. لأن الله تعالى ذكره إنما أباح للزوج أخذ الفدية من امرأته ، عند خوف المسلمين عليهما أن لا يُقيما حدود الله .

* * *

فإن قال قائل : فإن كان الأمر على ما وصفت ، فالواجبُ أن يكون حراما على الرجل قبول الفدية منها ، إذا كان النشوز منها دونه ، حتى يكون منه من الكراهة لها مثل الذى يكون منها ؟ (١)

---

(١) فى المطبوعة : « منها له » بزيادة « له » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

قيل له : إن الأمر فى ذلك بخلاف ما ظننت . وذلك أن فى نشوزها عليه داعيةً له إلى التقصير فى واجبها ، ومجازاتها بسوء فعلها به ، وذلك هو المعنى الذى يوجب للمسلمين الخوفَ عليهما أن لا يقيما حدود الله . فأما إذا كان التفريط من كل واحد منهما فى واجب حق صاحبه قد وُجد ، وسوء الصحبة والعِشرة قد ظهر للمسلمين ، فليس هناك للخوف موضعٌ ، إذ كان المخوفُ قد وجد. وإنما يُخاف وقوع الشيء قبل حدوثه ، فأما بعد حدوثه. فلا وجه للخوف منه ولا الزيادة فى مكروهه. (١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « فإن خفتم ألا يقيما حدود الله » — التى إذا خِيف من الزوج والمرأة أن لا يقيماها ، حلّت له الفدية من أجل الخوف عليهما ، تضييعَها. (٢)

فقال بعضهم : هو استخفافُ المرأة بحقّ زوجها ، وسوء طاعتها إياه ، وأذاها له بالكلام .

* ذكر من قال ذلك :

٤٨٣٥ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به » ، قال : هو تركُها إقامة حدود الله ، استخفافُها بحق

---

(١) هذا من الفهم والبصر بطبائع البشر ، قد علم الله أبا جعفر كيف يقول فى تفسير الكتاب ، وكيف ينتزع الحجة على الصواب من كل وجه يكون البيان عنه دقيقاً عسيراً على من لم يوفقه الله لفهمه وإدراكه .

(٢) فى المطبوعة : « بصنيعها » ، وهو كلام فاسد بلا معنى مفهوم . وكان فى المخطوطة « تصييعها » غير منقوطة ، فقرأها من قرأها بلا روية . وقوله « تضييعها » مفعول به للمصدر وهو « الخوف » والمعنى من أجل الخوف عليهما أن يضيعا حدود الله .

زوجها ، [١] وسوء خلقها ، فتقول له : « والله لا أبر لك قسماً ، ولا أطأ لك مضجعاً ، ولا أطيع لك أمراً » ، فإن فعلت ذلك ، فقد حلّ له منها الفدية .

٤٨٣٦ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يحيى بن أبي زائدة ، عن يزيد ابن إبراهيم ، عن الحسن في قوله : « فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به » ، قال : إذا قالت : « لا أغتسل لك من جنابة » ، حلّ له أن يأخذ منها . [٢]

٤٨٣٧ – حدثني المثنى قال ، حدثنا حبان بن موسى قال ، أخبرنا ابن المبارك قال ، حدثنا يونس ، عن الزهري قال : يحلُّ الخلع حين يخافان أن لا يقيما حدود الله وأداء حدود الله في العِشرة التي بينهما .

* * *

٢/٢٨٤ وقال آخرون : معنى ذلك : فإن خفتم أن لا يطيعا الله .

* ذكر من قال ذلك :

٤٨٣٨ – حدثنا سفيان بن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن عامر : « فإن خفتم ألا يقيما حدود الله » ، قال : أن لا يطيعا الله .

٤٨٣٩ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : الحدود ، الطاعة .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك : فإن خفتم أن لا يقيما ما

---

(١) في المطبوعة : « واستخفافها . . . » بزيادة « الواو » ، والصواب من المخطوطة . وهو تفسير لقوله : « تركها إقامة حدود الله » ، كأن عاد فقال : « وتركها إقامة حدود الله ، استخفافها . . . »

(٢) الأثر : ٤٨٣٦ – « يزيد بن إبراهيم التستري » أبو سعيد البصري التميمي . روى عن الحسن ، وابن سيرين ، وابن أبي مليكة ، وعطاء ، وقتادة وغيرهم . وروى عنه وكيع ، وبهز بن أسد ، وعبد الرحمن ابن مهدي ، وأبو داود الطيالسي ، وغيرهم . وهو ثقة ثبت من أوسط أصحاب الحسن وابن سيرين . مات سنة ١٦١ .

أوجبَ الله عليهما من الفرائض ، [١] فيما ألزم كل واحد منهما من الحق لصاحبه ، من العِشرة بالمعروف والصُّحبة بالجميل ، فلا جناح عليهما فيما افتدت به . وقد يدخل فى ذلك ما رويناه عن ابن عباس والشعبي ، وما روينا عن الحسن والزهرى : لأن من الواجب للزوج على المرأة — طاعته فيما أوجب الله طاعته فيه ، [٢] ولا تؤذيه بقول ، [٣] ولا تمتنع عليه إذا دعاها لحاجته ، فإذا خالفت ما أمرها الله به من ذلك ، كانت قد ضيعت حدود الله التى أمرَها بإقامتها . [٤]

* * *

وأما معنى : « إقامة حدود الله » ، فإنه العمل بها ، والمخالفة عليها وترك تضييعها — وقد بيَّنا ذلك فيما مضى قبل من كتابنا هذا بما يدل على صحته . [٥]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى قوله تعالى ذكره بذلك : فإن خفتم أيها المؤمنون أن لا يُقيم الزوجان ما حدَّ الله لكل واحد منهما على صاحبه من حق وألزمه له من فرض ، وخشيتم عليهما تضييع فرض الله وتعدِّى حدوده فى ذلك ، فلا جناح حينئذ عليهما فيما افتدت به المرأة نفسها من زوجها ، ولا حرج عليهما = فيما أعطت هذه على

---

(١) فى المطبوعة : « فإن خفتم أن لا يقيما حدود الله ما أوجب» بزيادة « حدود الله » بين شق الكلام ، والصواب من المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « . . . على المرأة إطاعته » ، وهو تغيير لا موجب له ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « وأن لا تؤذيه بقول » ، بزيادة « أن » ، ليستقيم لهم ما درجوا عليه من العبارة . وأبو جعفر يحسن أن يبين عن نفسه .

(٤) فى المخطوطة : « . . . أمرها بإدامتها » ثم « أما معنى إدامة حدود الله » ، وهو خطأ ظاهر ، فى هذا الموضع .

(٥) انظر ما سلف فى تفسير « إقامة الصلاة » ١ : ٢٤١ ، و « حدود الله » ٣ : ٥٤٦، ٥٤٧

فراق زوجها إياها ، [١] ولا على هذا فيما أخذ منها من الجُعل والعِوض عليه . [٢]

* * *

فإن قال قائل : وهل كانت المرأة حَرِجةً لو كان الضِّرارُ من الرجل بها فيما افتدت به نفسها ، [٣] فيكون «لا جناحَ عليهما» فيما أعطته من الفدية على فراقها ، [٤] إذا كان النشوز من قِبَلها . [٥]

قيل : لو علمتْ فى حال ضِراره بها ليأخذ منها ما آتاها ، أن ضِراره ذلك إنما هو ليأخذ منها ما حرَّم الله عليه أخذَه على الوجه الذى نهاه الله عن أخذه منها ، ثم قدرت أن تمتنع من إعطائه بما لا ضرر عليها فى نفس ولا دين ولا حق عليها فى ذهاب حقّ لها — لما حلّ لها إعطاؤه ذلك إلاّ على وجه طيب النفس منها بإعطائه إياه على ما يحل له أخذه منها . لأنها متى أعطته ما لا يحل له أخذه منها ، وهى قادرة على منعه ذلك بما لا ضرَر عليها فى نفسٍ ولا دينٍ ولا فى حقٍّ لها تخاف ذهابه ، فقد شاركته فى الإثم بإعطائه ما لا يحل له أخذه منها على الوجه الذى أعطته

---

(١) فى المخطوطة : « على مواقى زوجها إياها » ، كلمة غير منقوطة ولا مقروءة ، كأنها كانت « على مفارقة » ثم أفسدها ناسخ . والذى فى المطبوعة جيد أيضاً .

(٢) انظر ما سلف فى تفسير «الجناح» بالإثم والحرج ٣ : ٢٣٠ ، ٢٣١/ وهذا الجزء ٤ : ١٦٢ ، ١٦٣

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « حتى افتدت » ، وهو لا يستقيم ، والذى يدل عليه سياق الآية وسياق الكلام ، أن تكون « فيما افتدت » . كما أثبت . وسياق الكلام : « وهل كانت المرأة حرجة . . . فيما افتدت به نفسها » « لو كان الضرار من الرجل بها » .

وأما قوله : « حرجة » ، فهى : آثمة . وقد مضى آنفاً ما علقته على استعمال أبى جعفر والباقلانى هذه الصفة ، وأنها صواب ، وإن عدها أهل اللغة خطأ . انظر ما سلف ٢ : ٤٢٣ ، تعليق : ١ / ثم هذا الجزء ٤ : ٢٢٤ تعليق ١ / ثم أيضاً ص : ٤٧٥ تعليق : ٢ / ثم ما سيأتى فى هذه الصفحة والصفحات التالية .

(٤) فى المطبوعة : « فيكون لا جناح عليها » بإفراد الضمير فى « عليها » ، وهو خطأ مفسد لمعنى الكلام ، كما سيتبين ذلك فى شرح السؤال فى التعليق التالى . والصواب من المخطوطة .

(٥) رحم الله أبا جعفر : لشد ما وثق بتتبع كل قارئ لكل ما يقول ، حتى إنه ليغمض أحياناً إغماضاً يشق على المرء ، إذا لم يتتبع آثاره فى النظر والتفكير . وهذا الاعتراض الذى ساقه فى صيغة سؤال ، محتاج إلى بيان يكشف عن معناه ، وعن معنى جوابه إن شاء الله .

فهذا السؤال مبنى على سؤال آخر ، وهو : كيف قيل : « لا جناح عليهما » بالتثنية ، و « الجناح» على الرجل وحده ، فى أخذة شيئاً مما آتى امرأته من مهر أو صداق . « فهذا الجناح »

عليه . فلذلك وضع عنها الجناحَ إذا كان النشوز من قبلها ، [١] وأعطته ما أعطته من الفدية بطيب نفسٍ ابتغاءً منها بذلك سلامتَها وسلامةَ صاحبها من الوِزر والمأثم. وهى = إذا أعطته على هذا الوجه = باستحقاق الأجر والثواب من الله تعالى = أولى إن شاء الله منَ الجُناح والحرج. [٢] ولذلك قال تعالى ذكره: « فلا جناح عليهما »، فوضع الحرَج عنها فيما أعطته على هذا الوجه من الفدية على فراقه إياها ، وعنه فيما قبض منها ، إذْ كانت معطيةً على المعنى الذى وصفنا، وكان قابضاً منها ما أعطته من غير ضرار ، بل طلبَ السلامة لنفسه ولها فى أديانهما وحذارَ الأوزار والمأثم. [٣]

وقد يتجه قوله : « فلا جناح عليهما » وجهاً آخر من التأويل : وهو أنها لو بذلت ما بذلتْ من الفدية على غير الوجه الذى أذن نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم لامرأة ثابت بن قيس بن شماس = وذلك لكراهتها أخلاقَ زوجها، أو دمامة خلقه، وما أشبه ذلك من الأمور التى يكرهها الناسُ بعضهم من بعض — ولكن على الانصراف

هو إتيانه ما حرم الله عليه إتيانه من الأخذ، فكيف جمع بينهما فى وضع « الجناح » ، والجناح على أحدهما دون الآخر ؟

ولا يجوز أن يجمع بينهما فى وضع « الجناح » وإسقاطه ، حتى يكون على المرأة « جناح» فى الإعطاء، كجناح الرجل فى الأخذ . فإذا صح أنه محرم على المرأة إعطاء زوجها فى حال من الأحوال ، صح عندئذ أن يجمع بينهما فى وضع « الجناح » فيقال : « فلا جناح عليهما » فى الأخذ والإعطاء .

فمن أجل ذلك سأل هذا السائل عن المرأة إذا أعطت زوجها من مالها فى الحال التى يكون ضرار الرجل فيها داعية إلى « الإعطاء» ، أتكون آثمة بإعطائها ما أعطت ، أم غير آثمة ؟ فإذا صح أنها آثمة بالإعطاء فى حال ضرار الرجل بها ، جاز عندئذ أن يجمع بينهما فيقال فى حال نشوزها : « لا جناح عليهما » فى الأخذ والإعطاء .

* * *

هذا ولم أجد أحداً تناول هذا السؤال بالتفصيل والبيان كما تناوله أبو جعفر . وقد سأل مثل هذا السؤال أو قريباً منه ، الفراء فى معانى القرآن ١ : ١٤٧ ، وأجاب عنه بجواب سيرده الطبرى فيما بعد . وتناوله الشافعى مختصراً من وجه آخر ، فى الأم ٥ : ١٧٩ ، ولكن جوابه عنه غير واضح ولا محكم . أما الطبرى فقد انفرد بهذا الاستقصاء الدقيق لوجوه الفدية ، وإثم الرجل فى الأخذ ، وإثم المرأة فى الإعطاء .

(١) فى المطبوعة : « فكذلك وضع الجناح » ، وهو خطأ ، والصواب من المخطوطة .

(٢) سياق عبارته « وهى . . . باستحقاق الأجر . . . أولى من الجناح والحرج » .

(٣) فى المخطوطة : « طلب السلامة لنفسه ولها فى أوزالها » غير معجمة ولا بينة المعنى ، وتركت ما فى المطبوعة ، لأنه مطابق للسياق .

منها بوجهها إلى آخر غيره على وجه الفساد وما لا يحلّ لها — كانَ حراماً عليها أن تعطى على مسألتها إياه فراقَها على ذلك الوجه شيئاً ، لأن مسألتها إياه الفرقة على ذلك الوجه معصية منها .[1] وتلك هي المختلِعة — إن خولعت على ذلك الوجه — التي رُوى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سماها « منافقة » ، كما : ٢٨٥/٢

٤٨٤٠ — حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثني المعتمر بن سليمان ، عن ليث ، عن أبي إدريس ، عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : أيُّما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس ، حرَّم الله عليها رائحة الجنة .[2]

وقال : « المختلعات هنّ المنافقات » .

٤٨٤١ — حدثنا أبو كريب قال حدثنا مزاحم بن ذواد بن علبة ، عن أبيه ، عن ليث بن أبي سليم ، عن أبي الخطاب ، عن أبي زرعة ، عن أبي إدريس ، عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : المختلِعات هن المنافقات .[3]

٤٨٤٢ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا حفص بن بشر قال ، حدثنا قيس ابن الربيع ، عن أشعث بن سوار ، عن الحسن ، عن ثابت بن يزيد ، عن عقبة

---

(١) في المطبوعة : « معصية منها لله » بالزيادة ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) الحديث : ٤٨٤٠ — ليث : هو ابن أبي سليم . أبو إدريس : هو الخولاني ، عائذ الله ابن عبد الله . ثقة من كبار التابعين القدماء الفقهاء . وليث لم يسمع هذا الحديث منه ، كما يظهر من الإسناد التالي لهذا ، بينهما راويان .

والحديث في حقيقته حديثان . وسيأتي تخريج كل منهما .

(٣) الحديث : ٤٨٤١ — مزاحم بن ذواد بن علبة : حسن الحديث على الأقل . بل هو ثقة . قال أبو حاتم : « يكتب حديثه ولا يحتج به » . وقال النسائي : « لا بأس به » . وترجمه البخاري في الكبير ٢٣/٢/٤ ، فلم يذكر فيه جرحاً .

أبوه « ذواد بن علبة » : مضت ترجمته في شرح : ٨٥١ .

أبو الخطاب : ترجمه ابن أبي حاتم ٣٦٥/٢/٤ ، وسأل أباه عنه ، فقال : « هو مجهول » . وسأل أبو زرعة ، فقال : « لا أعرفه » . وذكره البخاري في الكنى ، رقم : ٢٢٠ ، ولم يذكر فيه

ابن عامر الجهني قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّ المختلِعات المنتزعات هن المنافقات .(١)

٤٨٤٣ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الوهاب = وحدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية = قالا جميعاً، حدثنا أيوب، عن أبي قلابة، عمن حدثه، عن ثوبان :

جرحاً ، فهو حسن الحديث على الأقل .

أبو زرعة : رجح الحافظ في التهذيب ، في ترجمة أبي الخطاب ١٢ : ٨٦ – ٨٧ أنه « أبو زرعة بن عمرو بن جرير » التابعي الثقة – تبعاً لابن مندة وابن عبد البر ، وذكر أنهما تبعا في ذلك ابن أبي حاتم ، إذ قال في ترجمة أبي الخطاب ، أنه « روى عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير » . وحتماً قد قال ذلك ابن أبي حاتم . ولكن سها الحافظ عن أنه تراجع عن ذلك في ترجمة « أبي زرعة » فقط دون نسب ٤/٢/ ٣٧٤ ، فذكر أنه روى عن أبي إدريس عن ثوبان ، وأنه روى عنه أبو الخطاب . وذكر أنه سأل أباه : « من أبو زرعة هذا ؟ فقال : مجهول » . وقد ذكره البخاري في الكنى ، رقم : ٢٨٣ ، ولم يذكر فيه جرحاً أيضاً .

والحديث رواه الترمذي ٢ : ٢١٦ – ٢١٧ ، عن أبي كريب ، شيخ الطبري هنا – بهذا الإسناد . ثم قال : « هذا حديث غريب من هذا الوجه . وليس إسناده بالقوي » .

وانظر الحديثين الآتيين : ٤٨٤٣ ، ٤٨٤٤ .

(١) الحديث : ٤٨٤٢ – حفص بن بشر : لم أجد له ترجمة إلا في ابن أبي حاتم ١/٢/١٧٠ ، قال : « روى عن يعقوب القمي ، روى عنه أبو كريب » . ولم يذكر فيه جرحاً .

قيس بن الربيع الأسدي الكوفي : مختلف فيه ، ورجحنا توثيقه في المسند : ٦٦١ ، ٧١١٥ . وقد وثقه الثوري ، وشعبة ، وغيرهما . الحسن : هو البصري .

ثابت بن يزيد : هكذا هو هنا ، وفي ابن كثير نقلا عن الطبري . ولم أستطع أن أجزم بشيء فيه ، فليس في رجال الكتب الستة من يسمى بهذا في هذه الطبقة ، طبقة التابعين الذين يروى عنهم مثل الحسن البصري .

وهناك « ثابت بن يزيد الحولاني » : ترجمه البخاري في الكبير ١/٢/١٧٢ ، وابن أبي حاتم ١/١/ ٤٥٩ – ٤٦٠ . وهو يروى عن ابن عمر ، وقال بعضهم « عن ابن عمه عن ابن عمر » . وهو الصحيح . فهذا متأخر قليلا . ومن المحتمل أن يكون هو الذي هنا . فقد ترجمه الحافظ في لسان الميزان ٢ : ٨٠ ، ووصفه بأنه « المصري » . وذكر أنه روى عن أبي هريرة ، وعن ابن عباس . وأنه ذكره ابن حبان في الثقات . ومن المعروف أن عقبة بن عامر ولي إمرة مصر سنة ٤٤ – ٤٧ من قبل معاوية ، وعاش بها إلى أن مات ودفن بالمقطم ، رضي الله عنه ، وأرخ موته سنة ٥٨ . فهو مقارب لوفاة أبي هريرة وابن عباس .

وهناك آخر لم يذكر نسبه . ترجم باسم « ثابت الطائفي » – عند البخاري ١/٢/١٦٥ ، وابن أبي حاتم ١/١/٤٦١ . وذكر كلاهما أنه « رأى جابر بن عبد الله أتى عقبة بن عامر » ، فسأله عن حديث .

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أيما امرأة سألت زوجها طلاقاً من غير بأس ، فحرام عليها رائحة الجنة.(١)

٤٨٤٤ – حدثني المثنى قال، حدثنا عارم قال ، حدثنا حماد بن زيد ،

والحديث نقله ابن كثير ١ : ٥٤٠ ، عن الطبرى ، ولم ينسبه لغيره . وقال : « غريب من هذا الوجه ضعيف » . وذكره السيوطى أيضاً ١ : ٢٨٣ ، ولم ينسبه لغير الطبرى .

وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ج ٥ ص ٥ ، وقال : « رواه الطبرانى . وفيه قيس بن الربيع ، وثقه الثورى وشعبة ، وفيه ضعف . وبقية رجاله رجال الصحيح » . هكذا قال ! ولا أدرى أخطأ هو أم صواب ؟ فإن كان إسناد الطبرانى فوق قيس بن الربيع كإسناد الطبرى – كان خطأ غريباً . فإن ثابت ابن يزيد ، لم نعرف من هو ، كما ترى ! وليس فى رجال الصحيح بهذا الاسم إلا « ثابت بن يزيد الأحول » ، روى له أصحاب الكتب الستة ، ولكنه متأخر جداً عن هذه الطبقة ، مات سنة ١٦٩ . أى بعد عقبة بن عامر بأكثر من مائة سنة وعشر سنين ، وبعد الحسن البصرى بنحو ستين سنة .

وقوله « المنتزعات » : الظاهر أن معناها معنى « المختلعات » : كأنها تنتزع نفسها من عقد الزواج ومن سلطان الزوج عليها . وهذا الحرف ثابت هكذا فى جميع المراجع لهذا الحديث ، إلا مخطوطة الطبرى ، ففيها « المتبرعات » ! ولا معنى لها فى هذا السياق ، فهى تصحيف .

وهناك حديث فى هذا المعنى فيه حرف قريب من هذا : رواه أبو نعيم فى الحلية ٨ : ٣٧٥ – ٣٧٦ ، من طريق محمد بن هرون الحضرمى – أبى حامد – عن الحسين بن على بن الأسود العجلى ، عن وكيع ، عن الثورى ، عن الأعمش ، عن أبى وائل ، عن عبد الله – هو ابن مسعود – مرفوعاً : « المختلعات والمتبرجات هن المنافقات » . فهذا الحرف « المتبرجات » لعله محرف عن « المنتزعات » . فإنى لا أثق بتصحيح طبعة كتاب الحلية . وقد وقع فى إسناد الحديث نفسه فيها خطأ آخر ، ثبت فيه « حدثنا فليح » ، بدل « حدثنا وكيع » ! فى حين أن كلام أبى نعيم عقبه يدل على الصواب ، إذ قال : « غريب من حديث الأعمش والثورى ، تفرد به وكيع » .

وهذا الحديث نفسه – أعنى حديث ابن مسعود – رواه الخطيب فى تاريخ بغداد ٣ : ٣٥٨ ، فى ترجمة « أبى حامد محمد بن هرون » – من طريق الدارقطنى ، عن محمد بن هرون ، عن حسين بن على بن الأسود ، عن وكيع – بهذا الإسناد مرفوعاً : « المختلعات هن المنافقات » . بدون ذكر « المتبرجات » . وقال الخطيب : « قال لى الحسن : قال الدارقطنى : ما حدث به غير أبى حامد » .

وأصح من هذه الروايات كلها ، ما رواه أحمد فى المسند: ٩٣٤٧ (٢ : ٤١٤ حلبى) ، من حديث الحسن ، عن أبى هريرة ، مرفوعاً : « المختلعات والمنتزعات هن المنافقات » . وهو حديث صحيح ، بينا صحته وفصلنا القول فى تخريجه ، فى المسند ، فى شرح الحديث : ٧١٣٨ ج ١٢ ص ١١٤ – ١١٦ .

(١) الحديث : ٤٨٤٣ – هذا الإسناد فيه مجهول ، وقد تبين من الإسناد التالى أنه « أبو أسماء الرحبى » . وهكذا رواه أحمد فى المسند ٥ : ٢٧٧ (حلبى) ، عن ابن علية ، بهذا الإسناد وكذلك رواه الترمذى ٢ : ٢١٧ ، عن محمد بن بشار ، عن عبد الوهاب الثقفى ، به . وهو الطريق الأول للطبرى هنا فى هذا الإسناد . وقال الترمذى : « هذا حديث حسن » .

عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أبي أسماء الرحبي ، عن ثوبان ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه.(١)

* * *

فإذا كان من وجوه افتداء المرأة نفسَها من زوجها ما تكون به حَرِجةً ، وعليها في افتدائها نفسها على ذلك الحرجُ والجُناح = وكان من وجوهه ما يكون الحرج والجناح فيه على الرجل دون المرأة / ومنه يكون عليهما / ومنه ما لا يكون عليهما فيه حرج ولا جناح = قيل في الوجه الذي لا حرج عليهما فيه ولا جناح ،(٢) إذ كان فيما حاولا ، وقصدا من افتراقهما بالجُعل الذي بذلته المرأة لزوجها = : « لا جناح عليهما فيما افتدت به » ، من الوجه الذي أبيح لهما ، وذلك أن يخافا أن لا يقيما حدود الله ، بمقام كل واحد منهما على صاحبه .

* * *

قال أبو جعفر : وقد زعم بعض أهل العربية أن في ذلك وجهين :(٣)

---

(١) الحديث : ٤٨٤٤ – هذا إسناد صحيح . أبو أسماء الرحبي : هو عمرو بن مرثد الدمشقي ، وهو تابعي ثقة .

والحديث رواه أحمد في المسند ٥ : ٢٨٣ (حلبي) ، عن عبد الرحمن – وهو ابن مهدي – عن حماد بن زيد .

ورواه أبو داود : ٢٢٢٦ ، عن سليمان بن حرب ، وابن ماجة : ٢٠٥٥ ، من طريق محمد بن الفضل ، والحاكم ٢ : ٢٠٠ ، من طريق سليمان بن حرب ، والبيهقي ٧ : ٣١٦ ، عن الحاكم من طريق ابن حرب – كلهم عن حماد بن زيد ، بهذا الإسناد . وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبي .

ورواه البيهقي أيضاً ٧ : ٣١٦ ، من طريق موسى بن إسمعيل التبوذكي ، عن وهيب ، عن أيوب ، به . وهذا أيضاً إسناد صحيح .

وذكره الحافظ في الفتح ٩ : ٣٥٤ ، وقال : « رواه أصحاب السنن ، وصححه ابن خزيمة ، وابن حبان » .

وأشار إليه الترمذي ، عقب الإسناد السابق الذي فيه المبهم ، فقال : « ويروى هذا الحديث عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أبي أسماء ، عن ثوبان » .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « لا جناح » بغير واو العطف ، والصواب ما أثبت .

(٣) الذي زعم ذلك هو الفراء في معاني القرآن ١ : ١٤٧ – ١٤٨ . والذي ساقه الطبري مختصر مقالة الفراء .

أحدهما : أن يكون مراداً به : فلا جناحَ على الرجل فيما افتدت به المرأةُ ، دون المرأة ، وإن كانا قد ذكرا جميعاً ، كما قال فى « سورة الرحمن » : ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالمَرْجَانُ ﴾ [سورة الرحمن : ٢٢] وهما من الملح لا من العذب . قال : ومثله : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا ﴾ [سورة الكهف : ٦١] ، وإنما الناسى صاحبُ موسى وحده . قال : ومثله فى الكلام أن تقول : « عندى دابتان أركبهما وأستقى عليهما » ، وإنما تركب إحداهما . وتستقى على الأخرى ، [١] وهذا من سعة العربية التى يحتج بسعتها فى الكلام .

قالوا : والوجه الآخر : أن يشتركا جميعاً فى أن لا يكونَ عليهما جناح ، إذ كانت تعطى ما قد نُفِى عن الزوج فيه الإثم . اشتركت فيه ، [٢] لأنها إذا أعطت ما يُطْرَح فيه المأثم ، احتاجت إلى مثل ذلك .

* * *

قال أبو جعفر : فلم يصب الصوابَ فى واحد من الوجهين ، ولا فى احتجاجه فيما احتج به من قوله : [٣] ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالمَرْجَانُ ﴾ .

فأما قوله : « فلا جناح عليهما » ، فقد بينا وجه صوابه ، وسنبين وجه قوله « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » فى موضعه إذا أتينا عليه إن شاء الله تعالى . وإنما خطَّأنا قوله ذلك ، لأن الله تعالى ذكره قد أخبر عن وضعه الحرج عن الزوجين إذا افتدت المرأة من زوجها على ما أذن ، وأخبر عن البحرين أن منهما يخرج اللؤلؤ والمرجان ، فأضاف إلى اثنين . فلو جاز لقائل أن يقول : « إنما أريد به الخبر عن أحدهما ، فيما لم يكن مستحيلا أن يكون عنهما » ، جاز فى كل خبر كان عن اثنين — غير مستحيلة صحتُه أن يكون عنهما — أن يقال : « إنما هو خبر عن أحدهما » .

---

(١) فى المطبوعة : « وأستى . . . وتستى » ، والصواب من المخطوطة ومعانى القرآن للفراء .
(٢) فى معانى القرآن : « أشركت فيه » بالبناء للمجهول ، وهى أجود .
(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « احتج به قوله » ، والصواب زيادة « من » .

وذلك قلب المفهوم من كلام الناس والمعروف من استعمالهم فى مخاطباتهم . وغير جائز حمل كتاب الله تعالى ووحيه جل ذكره على الشواذ من الكلام ، وله فى المفهوم الجارى بين الناس وجه صحيح موجود .

* * *

٢/٥٨٦ قال أبو جعفر : ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « فلا جناح عليهما فيما افتدت به » ، أمعنىٌّ به أنهما موضوع عنهما الجناحُ فى كل ما افتدت به المرأة نفسها من شىء ، أم فى بعضه ؟

فقال بعضهم : عنى بذلك : « فلا جناح عليهما فيما افتدت به » من صَداقها الذى كان آتاها زوجها الذى تختلع منه . واحتجوا فى قولهم ذلك ، بأن آخر الآية مردودٌ على أولها ، وأن معنى الكلام : ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً إلاّ أن يخافا أن لا يقيما حدود الله ، فإن خفتم أن لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به مما آتيتموهن . قالوا : فالذى أحلّه الله لهما من ذلك — عند الخوف عليهما أن لا يقيما حدود الله — هو الذى كان حظّر عليهما قبل حال الخوف عليهما من ذلك . واحتجوا فى ذلك بقصة ثابت بن قيس بن شماس ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أمر امرأته إذ نشزت عليه ، أن تردّ ما كان ثابتٌ أصدقها ، وأنها عرضت الزيادة فلم يقبلها النبى صلى الله عليه وسلم .

* ذكر من قال ذلك :

٤٨٤٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع أنه كان يقول : لا يصلح له أن يأخذ منها أكثر مما ساق إليها . ويقول : إن الله يقول : « فلا جناح عليهما فيما افتدت به منه » ، يقول : من المهر — وكذلك كان يقرؤها : « فيما افتدت به منه » . (١)

---

(١) الأثر : ٤٨٤٥ — سيأتى نقض الطبرى لما قاله الربيع وزيادته فى الآية ما ليس منها فى ص ٥٨٢ ، ٥٨٣ .

٤٨٤٦ – حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال، حدثنا بشر بن بكر ، عن الأوزاعي قال : سمعت عمرو بن شعيب وعطاء بن أبي رباح والزهري يقولون في الناشز : لا يأخذ منها إلا ما ساق إليها .

٤٨٤٧ – حدثنا علي بن سهل قال ، حدثنا الوليد ، حدثنا أبو عمرو ، عن عطاء قال : الناشز ، لا يأخذ منها إلاما ساق إليها .

٤٨٤٨ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا مؤمل قال، حدثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء : أنه كره أن يأخذ في الخلع أكثر مما أعطاها .

٤٨٤٩ – حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة قال ، حدثنا ابن إدريس ، عن أشعث ، عن الشعبي قال : كان يكره أن يأخذ الرجل من المختلعة فوق ما أعطاها . وكان يرى أن يأخذ دون ذلك .

٤٨٥٠ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي حصين ، عن الشعبي قال : لا يأخذ منها أكثر مما أعطاها .

٤٨٥١ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال، أخبرنا إسمعيل ابن سالم ، عن الشعبي : أنه كان يكره أن يأخذ منها أكثر مما أعطاها – يعني المختلعة .

٤٨٥٢ – حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ، حدثنا ابن إدريس قال ، سمعت ليثاً ، عن الحكم بن عتيبة قال : كان علي رضي الله عنه يقول : لا يأخذ من المختلعة فوق ما أعطاها .

٤٨٥٣ – حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا سعيد ، عن الحكم أنه قال في المختلعة: أحبُّ إليّ أن لا يزداد .

٤٨٥٤ – حدثني المثنى قال، حدثنا حجاج قال ، حدثنا حماد ، عن حميد : أن الحسن كان يكره أن يأخذ منها أكثر مما أعطاها .

٤٨٥٥ – حدثنا محمد بن يحيى قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا سعيد ، عن مطر : أنه سأل الحسن – أو : أنّ الحسن سئل – عن رجل تزوج امرأة على مئتى درهم ، فأراد أن يخلعها ، هل له أن يأخذ أربعمئة ؟ فقال : لا والله ، ذاك أن يأخذ منها أكثر مما أعطاها !

٤٨٥٦ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر قال ، كان الحسن يقول : لا يأخذ منها أكثر مما أعطاها = قال معمر : وبلغنى عن علىّ أنه كان يرى أن لا يأخذ منها أكثر مما أعطاها .

٤٨٥٧ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن عبد الكريم الجزرى ، عن ابن المسيب قال : ما أحب أن يأخذ منها كل ما أعطاها ، حتى يدع لها منه ما يُعيشُها .

٤٨٥٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس : أن أباه كان يقول : فى المفتدية ، لا يحل له أن يأخذ منها أكثر مما أعطاها .

٤٨٥٩ – حدثنا الحسن قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهرى قال : لا يحل للرجل أن يأخذ من امرأته أكثر مما أعطاها .

* * *

٢٨٧/٢ وقال آخرون : بل عنى بذلك : فلا جناح عليهما فيما افتدت به من قليل ما تملكه وكثيره. واحتجوا لقولهم ذلك بعموم الآية ، وأنه غير جائزة إحالة ظاهرٍ عامٍّ – إلى باطن خاص إلا بحجة يجب التسليم لها .[1] قالوا : ولا حجة يجبُ التسليم لها بأن الآية مراد بها بعض الفدية دون بعض ، من أصل أو قياس ، فهى على ظاهرها وعمومها .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) فى المطبوعة : « غير جائز إحالة . . . » بدلوه ليطابق ما درجوا عليه . والصواب من المخطوطة .

٤٨٦٠ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا أيوب ، عن كثير مولى سمرة : أن عمرَ أتى بامرأة ناشز ، فأمر بها إلى بيت كثير الزِّبل ثلاثاً ، ثم دعا بها فقال : كيف وجدتِ ؟ قالت : ما وجدت راحة منذ كنت عنده إلاّ هذه الليالي التي حبستني ! فقال لزوجها : اخلعها ولو من قُرْطِها. (١)

٤٨٦١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال : أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن كثير مولى سمرة قال : أخذ عمر بن الخطاب امرأة ناشزاً فوعظها ، فلم تُقْبِل بخير ، فحبسها في بيت كثير الزبل ثلاثة أيام = وذكر نحو حديث ابن علية .

٤٨٦٢ – حدثنا ابن بشار ومحمد بن يحيى قالا ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن حميد بن عبد الرحمن : أنّ امرأة أتت عُمرَ بن الخطاب رضي الله عنه فشكت زوجها ، فقال : إنها ناشز ؟ فأباتها في بيت الزبل ، فلما أصبح قال لها : كيف وجدت مكانك ! قالت : ما كنتُ عنده ليلةً أقرّ لعيني من هذه الليلة ! فقال : خذ ولو عِقاصها . (٢)

---

(١) الأثر : ٤٨٦٠ – البيهقي ٧ : ٣١٥ ، والمحلى ١٠ : ٢٤٠ . وقوله : « ولو من قرطها » أي : ولو لم يكن لها مال غير قرطها ، فخذه ، واخلعها .

(٢) الأثر : ٤٨٦٢ – « حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري » ، روى عن أبيه ، وعمر ، وعثمان ، وأبي هريرة ، وابن عباس ، وغيرهم . روى عنه ابنه عبد الرحمن ، والزهري ، وقتادة ، وغيرهم . وقيل : « إنه لم ير عمر ، ولم يسمع منه شيئاً » ، وموته يدل على ذلك ، ولعله قد سمع من عثمان ، لأنه كان خاله . وكان ثقة كثير الحديث . توفي سنة ٩٥ ، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة » . وقال ابن سعد : « سمعت من يقول إنه توفي سنة ١٠٥ » . قال ابن حجر : « وهو قول الفلاس وأحمد بن حنبل وأبي إسحق الحربي » ثم قال : « وإن صح ذلك على تقدير صحة ما ذكر من سنه ، فروايته عن عمر منقطعة قطعاً ، وكذا عن عثمان وأبيه ، والله أعلم » .

والعقاص : خيط تشد به المرأة أطراف ذوائبها . من «عقصت المرأة شعرها » : إذا ضفرته . والضفيرة هي العقيصة . و « العقاص » أيضاً : المداري ، (جمع) – أو : المدرى (مفرد) ، والمدرى : شيء يعمل من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط ، وأطول منه ، يسرح به الشعر المتلبد . يستعمله من لم يكن له مشط . وقد جاء في شعر امرىء القيس :

٤٨٦٣ – حدثنا نصر بن علي قال، حدثنا عبد الأعلى قال، حدثنا عبيد الله، عن نافع : أنّ مولاة لصفية اختلعت من زوجها بكل شيء تملكه إلا من ثيابها، فلم يعب ذلك ابن عمر. (١)

٤٨٦٤ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى ومحمد بن المثنى قالا، حدثنا معتمر قال، سمعت عبيد الله يحدث، عن نافع قال : ذكر لابن عمر مولاةٌ له اختلعت من زوجها بكل مال لها، فلم يعب ذلك عليها ولم ينكره.

٤٨٦٥ – حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي قال، حدثنا هشيم، عن حميد، عن رجاء بن حيوة، عن قبيصة بن ذؤيب : أنه كان لا يرى بأساً أن يأخذ منها أكثر مما أعطاها، ثم تلا هذه الآية : « فلا جناح عليهما فيما افتدت به ».

٤٨٦٦ – حدثنا ابن بشار قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال، حدثنا سفيان، عن المغيرة، عن إبراهيم قال في الخلع : خُذ ما دون عقاص شَعرها، وإن كانت المرأة لتفتدي ببعض مالها. (٢)

٤٨٦٧ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا

غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إِلَى العُلَى تَضِلُّ العِقَاصُ فِي مُثَنًّى وَمُرْسَلِ

ويروى « يضل العقاص »، على معنى إفراده. وانظر التعليق على الأثر رقم : ٤٨٧١.

(١) الأثر : ٤٨٦٣ – الموطأ : ٥٦٥، والمحلى ١٠ : ٢٤٠، والبيهقي ٧ : ٣١٥، وما سيأتي رقم : ٤٨٧٤، وغيرها.

(٢) الآثار : ٤٨٦٦ – ٤٨٦٩ – هذا الأثر، ذكره ابن الأثير في النهاية بلفظ آخر، قال : « وفي حديث النخعي : الخلع تطليقه بائنة، وهو ما دون عقاص الرأس. يريد : أن المختلعة كان له أن يأخذ ما دون شعرها من جميع ملكها ». هكذا في النهاية، وفي نقل لسان العرب عنه « ما دون شعرها». وتفسير «العقاص» هنا بأنه «الشعر» غريب جداً، لا أدري هل يجوز أن يخلط عالم جليل كابن الأثير هذا الخلط ! فيكون معنى قول إبراهيم النخعي الآتي في الآثار التالية : « خذ منها ولو عقاصها » – أي : خذ منها ولو شعرها ! ! ولعل في الكلام سقطاً، فيكون : « أن يأخذ ما دون رباط شعرها »، ولكن نقل صاحب اللسان نص ما في النهاية، شبهة في ترجيح هذا الرأي. وكأنه ابن الأثير غفل عن معنى « دون» في هذا الموضع فزل زلة عالم. وقوله : « ما دون عقاص شعرها »، معناه : ما هو أقل من العقاص أو أنقص منه. وانظر الأثر الآتي رقم : ٤٨٧٠ ففي لفظه شفاء هذا المعنى إن شاء الله.

معمر ، عن مغيرة ، عن إبراهيم قال : الخلع ، ما دون عقاص الرأس .(١)

٤٨٦٨ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة، عن الحكم ، عن إبراهيم أنه قال : فى المختلعة : خذ منها ولو عقاصها.

٤٨٦٩ – حدثنى يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم قال : الخلعُ بما دون عقاص الرأس ، وقد تفتدى المرأة ببعض مالها .

٤٨٧٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر، عن عبد الله بن محمد بن عقيل: أن الرُّبَيِّع ابنة مُعوِّذ بن عفراء حدثته قالت: كان لى زوج يُقِلُّ علىَّ الخير إذا حضرنى ، ويحرمنى إذا غاب. قالت : فكانت منى زلة يوماً ، فقلت : أختلعُ منك بكل شىء أملكه ! قال : نعم ! قالت : ففعلت . قالت: فخاصم عمى معاذ بن عفراء إلى عثمان بن عفان ، فأجاز الخلع ، وأمره أن يأخذ عقاص رأسى فما دونه – أو قالت : ما دون عقاص الرأس .(٢)

٤٨٧١ – حدثنى ابن المثنى قال : حدثنا حبان بن موسى قال ، أخبرنا ابن المبارك قال ، أخبرنا الحسن بن يحيى ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : لا بأس بما خلعها به من قليل أو كثير ، ولو عُقُصَها.(٣)

---

(١) فى المطبوعة : « بما دون » فأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) الأثر : ٤٨٧٠ – رواه البيهقى فى السنن ٧ : ٣١٥ ، بغير هذا اللفظ ، من طريق يزيد ابن زريع ، عن روح ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل . و « عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبى طالب » روى عن أبيه وخاله محمد بن الحنفية ، وابن عمر ، وأنس ، وجابر ، والربيع بنت معوذ ، وغيرهم من الصحابة . ذكره ابن سعد فى الطبقة الرابعة من أهل المدينة وقال : « كان منكر الحديث ، لا يحتجون بحديثه ، وكان كثير العلم ». وقال يعقوب : « صدوق وفى حديثه ضعف شديد جداً » . مات سنة ١٤٥ . و « الربيع » (بضم الراء وفتح الباء ، وكسر الياء المشددة) على وزن التصغير .

(٣) قوله : « ولو عقصها » . فى المخطوطة كسرة تحت العين ، كأنه بكسر العين وسكون القاف ، وكأنه واحد «العقاص» ، ولم أجد ذلك فى مكان ، وهو قريب على غرابته . ولكنى ضبطته بضمتين ، على أنه جمع « عقاص » .

٤٨٧٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا حبان بن موسى قال، أخبرنا ابن المبارك قال ، أخبرنا حجاج ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : إن شاء أخذ منها أكثر مما أعطاها .

٤٨٧٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن جريج قال ، أخبرني عمرو بن دينار : أنه سمع عكرمة يقول : قال ابن عباس : ليأخذ منها حتى قُرْطها – يعني في الخلع .

٤٨٧٤ – حدثني المثنى قال ، حدثنا مطرف بن عبد الله قال، أخبرنا مالك ابن أنس ، عن نافع ، عن مولاة لصفية ابنة أبي عبيد : أنها اختلعت من زوجها بكل شيء لها ، فلم ينكر ذلك عبد الله بن عمر . (١) ٢٨٨/٢

٤٨٧٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا الحجاج قال ، حدثنا حماد قال ، أخبرنا حميد ، عن رجاء بن حيوة، عن قبيصة بن ذؤيب : أنه تلا هذه الآية : « فلا جناح عليهما فيما افتدت به » ، قال : يأخذ أكثر مما أعطاها. (٢)

٤٨٧٦ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا يزيد وسهل بن يوسف وابن أبي عدي، عن حميد قال : قلت لرجاء بن حيوة: إن الحسن يقول في المختلعة : لا يأخذ أكثر مما أعطاها، ويتأوّل، «ولا تأخذوا مما آتيتموهنّ شيئاً » . قال رجاء: فإن قبيصة بن ذؤيب كان يرخّص أن يأخذ أكثر مما أعطاها، ويتأوّل : « فلا جناحَ عليهما فيما افتدت به » .

* * *

وقال آخرون : هذه الآية منسوخة بقوله : ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ﴾ [سورة النساء: ٢٠].

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) الأثر : ٤٨٧٤ – في الموطأ : ٥٦٥ ، وانظر التعليق على الأثر : ٤٨٦٣ .

(٢) الأثر : ٤٨٧٥ – انظر الأثر السالف رقم : ٤٨٦٥ .

٤٨٧٧ – حدثنا مجاهد بن موسى قال، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال ، حدثنا عقبة بن أبي الصهباء قال : سألت بكراً عن المختلعة ، أيأخذ منها شيئاً ؟ قال : لا ! وقرأ : « وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً ».

٤٨٧٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا الحجاج قال، حدثنا عقبة بن أبي الصهباء قال : سألت بكر بن عبد الله، عن رجل تريد امرأته منه الخلع ، قال : لا يحلّ له أن يأخذ منها شيئاً . قلت: يقول الله تعالى ذكره في كتابه : « فلا جناح عليهما فيما افتدت به » ؟ قال : هذه نسخت. قلت: فأنّى حُفِظت؟ قال حفظت في «سورة النساء »[1] قول الله تعالى ذكره ﴿ وإنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إحْدَاهُنَّ قِنطَاراً فَلاَ تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً ﴾.[2]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال : إذا خيف من الرجل والمرأة أن لا يقيما حدود الله – على سبيل ما قدّمنا البيانَ عنه – فلا حرجَ

---

(١) في الناسخ والمنسوخ ، وفي القرطبي ، « فأين جعلت » ، وهي أشبه بالصواب ، وكذلك ينبغي أن تكون الأخرى « جعلت »، فيكون نصهما : « فأين جعلت ؟ قال : جعلت في سورة النساء » .

(٢) الأثران : ٤٨٧٧ ، ٤٨٧٨ – في الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس : ٦٨ ، وأحكام القرآن للجصاص ١ : ٣٩٢ ، والقرطبي ٣ : ١٣٩ ، وسيأتي أول الأثرين في تفسير سورة النساء ٤ : ٢١٦ (بولاق) . وفي إسناده هنا « عقبة بن أبي المهنا » ، وهو تصحيف . و « عقبة بن أبي الصهباء ، أبو خريم » ترجم له في الجرح والتعديل ٣/١/٣١٢ ، وميزان الاعتدال ٢ : ٢٠٥ . قال ابن أبي حاتم : « بصري : روى عن سالم ونافع . روى عنه زيد بن حباب ، وأبو الوليد ، وأبو سلمة . سمعت أبي يقول ذلك . قال أبو محمد : روى عن العلاء بن بدر . روى عنه معتمر بن سليمان ، وأبو داود الطيالسي ، وأبو عمر الحوضي . أخبرنا عبد الرحمن ، أخبرنا محمد بن عوف الحمصي . قال : زعم أحمد بن حنبل أن عقبة بن أبي الصهباء شيخ صالح . وأخبرنا عبد الرحمن قال : ذكره أبي ، عن إسحق بن منصور عن يحيى ابن معين ، قال : عقبة بن أبي الصهباء، ثقة . أخبرنا عبد الرحمن قال : سألت أبي عن عقبة بن أبي الصهباء ، قال : محله الصدق ، فهو أوثق من عقبة الأحم » .

وزاد في ميزان الاعتدال أنه : « باهلي » ، مولى لباهلة . ونقل عن أحمد بن حنبل أنه صالح الحديث .

هذا ، ولم أجد كما ترى ، من ذكر أنه روى عن « بكر بن عبد الله المزني » ، ولكن وجدت شبهة أخرى أحببت إثباتها ، وهو ما جاء في التاريخ الكبير ، في كتاب الكنى : ٤٤ ، وفي الجرح والتعديل ٤/٢/٣٩٤ : « أبو الصهباء البصري . روى عن بكر بن عبد الله . روى عنه معن بن عيسى . سمعت أبي يقول ذلك » قاله ابن أبي حاتم .

عليهما فيما افتدت به المرأة نفسها من زوجها ، من قليل ما تملكه وكثيره ، مما يجوز للمسلمين أن يملكوه ، وإن أتى ذلك على جميع مِلكها . لأن الله تعالى ذكره لم يخصّ ما أباح لهما من ذلك على حدٍّ لا يجاوَزُ ، بل أطلق ذلك فى كل ما افتدت به. غير أنى أختار للرجل = استحباباً لا تحتيماً ، (١) إذا تبيَّن من امرأته أنّ افتداءها منه لغير معصيةٍ لله ، (٢) بل خوفاً منها على دينها = أن يُفارقها بغير فدية ولا جُعل . فإن شَحَّت نفسه بذلك ، (٣) فلا يبلغ بما يأخذ منها جميع ما آتاها .

* * *

فأما ما قاله بكر بن عبد الله ، من أن هذا الحكم فى جميع الآية منسوخ بقوله : ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً ﴾ فقولٌ لا معنى له ، فنتشاغل بالإبانة عن خطئه ، لمعنيين :

أحدهما : إجماعُ الجميع من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المسلمين على تخطئته ، وإجازة أخذ الفدية من المفتدية نفسها لزوجها ، وفى ذلك الكفاية عن الاستشهاد على خطئه بغيره .

والآخر : أن الآية التى فى « سورة النساء » ، إنما حرم الله فيها على زوج المرأة أن يأخذ منها شيئاً مما آتاها ، (٤) إن أراد الرجل استبدال زوج بزوج من غير أن يكون هنالك خوفٌ من المسلمين عليهما مُقامَ أحدهما على صاحبه أن لا يقيما حدود الله ، (٥) ولا نشوزٌ من المرأة على الرجل . وإذا كان الأمر كذلك ، فقد ثبت أنّ أخذ الزوج من امرأته مالاً على وجه الإكراه لها والإضرار بها حتى تعطيه

---

(١) فى المخطوطة : « لا تحريماً » ، ليست بشىء ، وما فى المطبوعة هو الصواب . والتحتيم : الإيجاب حتم عليه الأمر حتما : أوجبه .

(٢) فى المطبوعة : « لغير معصية الله » ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٣) فى المخطوطة : « سحت » مهملة ، وشح بالشىء يشح فهو شحيح : ضن وبخل .

(٤) فى المطبوعة : « بأن أراد الرجل » ، وفى المخطوطة : « فإن أراد » ، والصواب ما أثبت .

(٥) فى المطبوعة : « بمقام أحدهما على صاحبه » ، والذى فى المخطوطة صواب جيد . وقوله : « ولا نشوز » معطوف على قوله : « خوف » .

شيئاً من مالها على فراقها حرام، [١] ولو كان ذلك حبة فضة فصاعداً. [٢]

وأما الآية التى فى « سورة البقرة » فإنها إنما دلت على إباحة الله تعالى ذكره له أخذَ الفدية منها فى حال الخوف عليهما أن لا يقيما حدود الله ، بنشوز المرأة وطلبها فراق الرجل ، ورغبته فيها . فالأمر الذى أذن به للزوج فى أخذ الفدية من المرأة فى « سورة البقرة » [٣]، ضد الأمر الذى نهى من أجله عن أخذ الفدية فى ٢٨٩/٢
« سورة النساء » ، كما الحظرُ فى « سورة النساء » ، غيرُ الإطلاق والإباحة فى « سورة البقرة » . [٤] وإنما يجوز فى الحكمين أن يقال : أحدهما ناسخ ، [٥] إذا اتفقت معانى المحكوم فيه، ثم خولف بين الأحكام فيه باختلاف الأوقات والأزمنة . وأما اختلاف الاحكام باختلاف معانى المحكوم فيه فى حال واحدة ووقت واحد، فذلك هو الحكمة البالغة، والمفهوم فى العقل والفطرة، وهو من الناسخ والمنسوخ بمعزل .

* * *

وأما الذى قاله الربيع بن أنس، [٦] من أن معنى الآية : فلا جناح عليهما فيما افتدت به منه — يعنى بذلك : مما آتيتموهن — فنظيرُ قول بكر فى دعواه نسخ

---

(١) فى المطبوعة : « فقد بينا أن أخذ الزوج . . . » ، وهو خطأ محض ، والسياق يقتضى غيره ، ثم إنه لم يذكر شيئاً من ذلك فيما سلف . أما فى المخطوطة : « فقد سا » ، والألف الأخيرة قصيرة عن أشباهها . وأحب أن أثبت هنا أن ناسخ المخطوطة ، قد عجل فى الصفحات السابقة والصفحات التالية ، عجلة شديدة ، حتى تبين ذلك فى خطه تبيناً ظاهراً . ولذلك كثر الخطأ والاشتباه فيما يكتب .

(٢) الحبة : ميزان من موازينهم . هو : زنة حبة شعير متوسطة لم تقشر ، وقد قطع من طرفيها ما امتد (رسالة النقود للمقريزى : ٣) .

(٣) فى المخطوطة : «أذن به للزوج أخذ الفدية » ، بحذف « فى » . وإلاذن هنا الإباحة .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « غير الطلاق والإباحة » ، والصواب ما أثبت ، ولم أجد « الطلاق » مصدراً بمعنى الإباحة . وكأن الناسخ ظن أن أبا جعفر يريد أن آية سورة البقرة فيها ذكر لفظ « الطلاق » وأما التى فى سورة النساء فليس فيها لفظ « الطلاق » ، فيكون ذلك غريباً جداً ، ولطيفاً أيضاً ! ! ومراد الطبرى أن الذى فى سورة البقرة ، هو نشوز المرأة ، والذى فى سورة النساء هو ضرار الرجل ، والذى فى البقرة إباحة وإطلاق ، والذى فى النساء حظر ومنع .

(٥) فى المخطوطة والمطبوعة : « فإنما يجوز » ، والفاء هنا لا معنى لها ، بل هى اختلال . وقد أسلفنا ما فى كتابة الناسخ هنا من عجلة وسهو شديد .

(٦) انظر الأثر السالف رقم : ٤٨٤٥ .

قوله : « فلا جناح عليهما فيما افتدت به » بقوله : « وآتيتم إحداهنّ قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً » ، لادّعائه فى كتاب الله ما ليس موجوداً فى مصاحف المسلمين رسمُه .

ويقال لمن قال بقوله : قد قال من قد علمتَ من أئمة الدين ، إنما معنى ذلك : فلا جناح عليهما فيما افتدت به مِن ملكها = فهل من حجة تَبين بها منهم غير الدعوى؟ (١) فقد احتجوا بظاهر التنزيل ، وادّعيت فيه خصوصاً ! ثم يعكس عليه القول فى ذلك ، فلن يقولَ فى شىء من ذلك قولا ، إلا ألزم فى الآخر مثله . وقد بيّنا الأدلة بالشواهد على صحة قول من قال : للزوج أن يأخذ منها كل ما أعطته المفتدية ، التى أباح الله لها الافتداء — فى كتابنا ﴿ كِتَاب اللطيف ﴾ فكرهنا إعادته فى هذا الموضع .

* * *

(٢) القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ (٢٢٩)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : تلك معالم فصُوله بين ما أحل لكم وما حرم عليكم أيها الناس ، فلاتعتدُوا ما أحلّ لكم من الأمور التى بيّنها وفصّلها لكم من الحلال ، إلى ما حرم عليكم ، فتُجاوزوا طاعته إلى معصيته .

---

(١) فى المطبوعة « تبين تهافتهم » ، من قولهم « بين الشىء يبين » بتشديد الياء . ومعنى الجملة لا يتفق فى سياق هذا الكلام . وفى المخطوطة «بين بها منهم » غير منقوطة ، فقرأتها على أصح وجوه المعنى الذى يوافق السياق . وبان منهم يبين : افترق وامتاز . يقول : فهل من حجة تجعل بينك وبينهم فرقاً غير الدعوى ؟ فهم يحتجون بأن هذا ظاهر الآية ، وأنت تدعى أن فى الآية خصوصاً ! فأية حجة فى هذا تجعل لك ميزة عليهم ؟

(٢) مما يدل على أن الناسخ فى هذا المكان كان عجلا غير متأن ، كما أسلفنا من شواهد خطه ، من كثرة الخطأ فى نقله ، أنه كتب نص الآية هنا « تلك حدود الله فلا تقربوها » ! !

وإنما عنى تعالى ذكره بقوله : « تلك حدود الله فلا تعتدوها » ، هذه الأشياء التى بيّنت لكم فى هذه الآيات التى مضت : من نكاح المشركات الوثنيات ، وإنكاح المشركين المسلمات ، وإتيان النساء فى المحيض ، وما قد بيّن فى الآيات الماضية قبل قوله : « تلك حدود الله » ، مما أحل لعباده وحرّم عليهم ، وما أمر ونهى . ثم قال لهم تعالى ذكره : هذه الأشياء — التى بيّنت لكم حلالها من حرامها — — « حدودى » = يعنى به : معالم فصول ما بين طاعتى ومعصيتى = ، فلا تعتدوها = يقول : فلا تتجاوزوا ما أحللته لكم إلى ما حرمته عليكم ، وما أمرتكم به إلى ما نهيتكم عنه ، ولا طاعتى إلى معصيتى ، [1] فإن من تعدى ذلك = يعنى من تخطاه وتجاوزه = إلى ما حرمتُ عليه أو نهيته ، فإنه هو الظالم — وهو الذى فعل ما ليس له فعله ، ووضع الشىء فى غير موضعه . [1] وقد دللنا فيما مضى على معنى « الظلم » وأصله بشواهده الدالة على معناه ، فكرهنا إعادته فى هذا الموضع . [2]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، وإن خالفتْ ألفاظ تأويلهم ألفاظ تأويلنا ، غير أنّ معنى ما قالوا فى ذلك [يؤول] إلى معنى ما قلنا فيه . [3]

* ذكر من قال ذلك :

٤٨٧٩ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « تلك حدود الله فلا تعتدوها » ، يعنى بالحدود ، الطاعة .

٤٨٨٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « تلك حدود الله فلا تعتدوها » ، يقول : من

---

(١) انظر معنى « الحدود » ، « والتعدى ، والعدوان » فى فهرس اللغة من الأجزاء السالفة .

(٢) انظر ما سلف ١ : ٥٢٣ — ٥٢٤ / ٢ : ١٠١ — ١٠٢ ، ٣٦٩ ، ٥١٩ .

(٣) فى المطبوعة : « . . . ما قالوا فى ذلك إلى معنى . . . » ، وأثبت الزيادة بين القوسين لأن موضعها فى المخطوطة بياض فرجحت أن تكون الكلمة الناقصة هى هى ، كما أثبتها .

طلّق لغير العدة فقد اعتدى وظلم نفسه، «ومن يتعدَّ حدود الله فأولئك هم الظالمون».

* * *

قال أبو جعفر وهذا الذى ذكر عن الضحاك لا معنى له فى هذا الموضع، لأنه لم يجر للطلاق فى العدة ذكر فيقال: «تلك حدود الله»، وإنما جرى ذكر العَدَد الذى يكون للمطلّق فيه الرَّجعة، والذى لا يكون له فيه الرجعة، دون ذكر البيان عن الطلاق للعدة.

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ﴾

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل فيما دل عليه هذا القول من الله تعالى ذكره.

فقال بعضهم: دلَّ على أنه إنْ طلق الرجلُ امرأته التطليقة الثالثة = بعد التطليقتين اللتين قال الله تعالى ذكره فيهما: «الطلاق مرتان» = فإن امرأته تلك لا تحل له بعد التطليقة الثالثة، حتى تنكح زوجاً غيره - يعنى به: غيرَ المطلِّق. ٢/٢٩٠

* ذكر من قال ذلك:

٤٨٨١ - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قال: جعل الله الطلاق ثلاثاً، فإذا طلقها واحدة فهو أحق بها ما لم تنقض العدة، وعدتها ثلاثُ حِيَض. فإن انقضت العدة قبل أن يكون راجعها، فقد بانت منه بواحدة، وصارت أحقَّ بنفسها، وصار خاطباً من الخطّاب. فكان الرجل إذا أراد طلاق أهله نظر حيضتها، حتى إذا طهُرت طلقها تطليقة فى قُبُل عدتها عند شاهدىْ عدل.(١) فإنْ بدا له مُراجعتها راجعها ما كانت فى عدتها،

(١) «قبل عدتها» (بضم فسكون)، أى: فى إقبال عدتها وأولها وعند الشروع فيها.

وإن تركها حتى تنقضى عدتها، فقد بانت منه بواحدة . وإن بدا له طلاقها بعد الواحدة وهى فى عدتها نظر حيضتها، حتى إذا طهُرت طلقها تطليقة أخرى فى قُبُل عدتها . فإن بدا له مراجعتها راجعها ، فكانت عنده على واحدة . وإن بدا له طلاقها طلقها الثالثة عند طهرها ، فهذه الثالثة التى قال الله تعالى ذكره : لا تحل له حتى تنكح زوجاً . (١)

٤٨٨٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنى معاوية ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره » ، يقول : إن طلقها ثلاثاً فلا تحل ، حتى تنكح زوجاً غيره .

٤٨٨٣ — حدثنا القاسم قال ،حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك قال : إذا طلق واحدة أو ثنتين ، فله الرجعة ما لم تنقض العدة . قال : والثالثة قوله : « فإن طلقها » — يعنى بالثالثة — فلا رجعة له عليها حتى تنكح زوجاً غيره .

٤٨٨٤ — حدثنا يحيى بن أبى طالب قال ، حدثنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك بنحوه .

٤٨٨٥ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ،حدثنا أسباط ، عن السدى : « فإن طلقها » — بعد التطليقتين — « فلا تحلّ له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره » ، وهذه الثالثة .

* * *

وقال آخرون : بل دل هذا القول على ما يلزم مسرِّحَ امرأته بإحسان بعد التطليقتين اللتين قال الله تعالى ذكره فيهما : « الطلاق مرتان ». قالوا : وإنما بيّن

---

(١) هكذا فى المخطوطة ، معنى الآية لا نصها ، ولكنه فى المطبوعة : « فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره » أثبت نص الآية . تصرف لغير حكمة بينة .

الله تعالى ذكره بهذا القول عن حكم قوله : « أو تسريحٌ بإحسان » ، وأعلم أنه إن سرَّح الرجلُ امرأته بعد التطليقتين ، فلا تحل له المسرَّحة كذلك إلا بعد زوج .

* ذكر من قال ذلك :

٤٨٨٦ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد: « فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره » ، قال : عاد إلى قوله : « فإمساكٌ بمعروف أو تسريحٌ بإحسان » .

٤٨٨٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

قال أبو جعفر : والذى قاله مجاهدٌ فى ذلك عندنا أولى بالصواب ، للذى ذكرنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخبر الذى رويناه عنه أنه قال – أو سُئل فقيل : هذا قول الله تعالى ذكره : « الطلاق مرَّتان » فأين الثالثة ؟ قال : « فإمساك بمعروف أو تسريحٌ بإحسان » . (١) فأخبر صلى الله عليه وسلم أن الثالثة إنما هى قوله: « أو تسريح بإحسان » . فإذْ كان التسريحُ بالإحسان هو الثالثة، فمعلومٌ أن قوله : « فإن طلَّقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره » ، من الدلالة على التطليقة الثالثة بمعزل ، وأنه إنما هو بيانٌ عن الذى يحل للمسرِّح بالإحسان إن سرح زوجته بعد التطليقتين ، والذى يحرَّم عليه منها ، والحال التى يجوز له نكاحها فيها =(٢) وإعلامٌ عبادَه أن بعد التسريح على ما وصفت ، لا رجعة للرجل على امرأته . (٣)

* * *

---

(١) يعنى الأخبار السالفة : ٤٧٩١ – ٤٧٩٣ .

(٢) قوله : « وإعلام » معطوف على قوله : « إنما هو بيان . . . وإعلام » وقوله : « عباده » منصوب بالمصدر « إعلام » ، مفعول به .

(٣) إلى هنا انتهى التقسيم القديم الذى نسخت منه نسختنا ، وبعده ما نصه :

(١) قال أبو جعفر : فإن قال قائل : فأى النكاحين عنى الله بقوله : « فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره » ، النكاح الذى هو جماع ، أم النكاح الذى هو عقد تزويج ؟

قيل : كلاهما . وذلك أن المرأة إنْ نكحت رجلا نكاح تزويج ، ثم لم يطأها فى ذلك النكاح ناكحُها ، (٢) ولم يجامعُها حتى يطلقها ، لم تحل للأول . وكذلك إن وَطئها واطئ بغير نكاح ، لم تحل للأول بإجماع الأمة جميعاً . (٣) فإذ كان ذلك كذلك ، فمعلوم أنّ تأويل قوله : فلا «تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره» نكاحاً صحيحاً ، ثم يجامعها فيه ، ثم يطلّقها . ٢٩١/٢

فإن قال : فإن ذِكرَ الجماع غير موجود فى كتاب الله تعالى ذكره ، فما الدلالة على أن معناه ما قلت ؟

قيل : الدلالة على ذلك إجماع الأمة جميعاً على أنّ ذلك معناه . وبعدُ ، فإن الله تعالى ذكره قال : « فإن طلّقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره » ، فلو نكحت زوجاً غيرَه بعقب الطلاق قبل انقضاء عدتها ، كان لا شك أنها ناكحة نكاحاً بغير المعنى الذى أباح الله تعالى ذكره لها ذلك به ، وإن لم يكن ذكرُ العدة مقروناً بقوله : « فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره » ، لدلالته على أن ذلك كذلك بقوله : « والمطلقات يتربّصن بأنفسهن ثلاثة قروء » . وكذلك قوله : « فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره » ، وإن لم يكن

« وصلّى الله على محمد النبىّ وعلى آله وصحبه وسلم كثيراً »

ومن عجلة الناسخ أغفل أن ينقل ما كان ينقله فى المواضع السالفة من سماع النسخة .

(١) يبدأ صدر التقسيم بقوله .

«بسم الله الرحمن الرحيم»

(٢) فى المطبوعة : « وذلك أن المرأة إذا نكحت زوجاً » ، لا أدرى لم وضع الطابع « إذا » مكان « وإن » ، و « زوجاً » مكان « رجلا » ! !

(٣) فى المطبوعة : « لإجماع الأمة » ، وهو ضعيف لا خير فيه .

مقروناً به ذكرُ الجماع والمباشرة والإفضاء، فقد دل على أن ذلك كذلك ، بوحيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبيانه ذلك على لسانه لعباده .

* * *

* ذكر الأخبار المرويَّة بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٤٨٨٨ – حدثني عبيد الله بن إسمعيل الهَبَّاريّ، وسفيان بن وكيع ،وأبو هشام الرفاعي قالوا : حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة قالت : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رجل طلَّق امرأته فتزوجت رجلاً غيره ، فدخل بها ثم طلقها قبل أن يُواقِعها ، أتحل لزوجها الأول ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تحلُّ لزوجها الأول حتى يذوق الآخر عُسَيْلتها وتذوق عسيلته .(١)

---

(١) الحديث : ٤٨٨٨ – هذا الحديث والأحاديث بعده إلى : ٤٨٩٧ ، هي عشرة أسانيد لحديث عائشة في وجوب الدخول بالمطلقة ثلاثاً حتى تحل لزوجها الأول ، وهذا أمر مجمع عليه ، ثبت بالدلائل المتواترة . ويجب أن يكون الزوج الثاني راغباً في المرأة ، قاصداً لدوام عشرتها ، مما هو المقصد الصحيح للزواج . أما إذا تزوجها ودخل بها قاصداً تحليلها للزوج الأول ، أو كان ذلك مفهوماً من واقع الحال – فإن هذا هو المحلل الذي لعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعن المحلل له . وكان نكاح هذا الثاني باطلا ، لا تحل به المعاشرة .

ثم روى أبو جعفر – بعد هذه العشرة – حديثين لأبي هريرة ، وحديثاً لأنس ، وحديثاً لعبيد الله ابن عباس ، وثلاثة أحاديث لابن عمر . فهي سبعة عشر حديثاً . سنوجز ما استطعنا في تخريجها ، إن شاء الله .

عبيد الله بن إسمعيل الهباري – شيخ الطبري : مضت ترجمته في : ٢٨٩٠ باسم « عبيد » دون إضافة . وكذلك مضى باسم « عبيد » في: ٣١٨٥ ، ٣٣٢٥ . وهو هو ، في التهذيب ٧ : ٥٩ « ويقال أن اسمه عبيد الله ، وعبيد : لقب » .

أبو هشام الرفاعي – شيخ الطبري : هو محمد بن يزيد بن محمد بن كثير ، قاضي بغداد . تكلم فيه بعضهم ، والراجح توثيقه ، وقد روى عنه مسلم في صحيحه . مضى له ذكر في : ٣٢٨٦ .

إبرهيم : هو ابن يزيد بن الأسود النخعي . والأسود : هو ابن يزيد بن قيس النخعي ، خال إبرهيم .

والحديث رواه أحمد في المسند ٦ : ٤٢ (حلبي) ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، بهذا الإسناد .

ونقله ابن كثير ١ : ٥٤٩ ، عن رواية الطبري ، ثم قال : « وكذا رواه أبو داود عن مسدد ، والنسائي عن أبي كريب ، كلاهما عن أبي معاوية ».

وذكره السيوطي ١ : ٢٨٤ ، وزاد نسبته لابن أبي شيبة ، وابن ماجة .

قوله: « حتى يذوق الآخر عسيلتها ... »، قال ابن الأثير : « شبه لذة الجماع بذوق العسل ، فاستعار

٤٨٨٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال، أخبرنا ابن المبارك، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه. (١)

٤٨٩٠ – حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنا ابن عيينة، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قال: سمعتها تقول: جاءت امرأة رفاعة القُرَظيّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: كنت عند رفاعة فطلّقني فبَتّ طلاقي، فتزوجت عبد الرحمن بن الزبير، وإنّما معه مثل هُدْبة الثوب! فقال لها: تريدين أن ترجعي إلى رفاعة! لا، حتى تذوقي عُسَيْلته ويذوق عسيلتك. (٢)

٤٨٩١ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثني الليث قال، حدثني يونس، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة نحوه.

٤٨٩٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني الليث قال، حدثني عقيل، عن ابن شهاب قال، حدثني عروة بن الزبير: أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته: أنّ امرأة رفاعة القُرَظي جاءت رسول الله

لها ذوقاً. وإنما أنث لأنه أراد قطعة من العسل. وقيل: على إعطائها معنى النطفة. وقيل: العسل في الأصل يذكر ويؤنث، فمن صغره مؤنثاً قال: عسيلة... وإنما صغره إشارة إلى القدر القليل الذي يحصل به الحل».

(١) الحديث: ٤٨٨٩ – رواه مسلم ١: ٤٠٧، بنحوه، من طريق أبي أسامة، عن هشام ابن عروة، عن أبيه. ورواه أحمد في المسند ٦: ٢٢٩ (حلبي)، عن أبي معاوية، عن هشام. ورواه مسلم أيضاً، من طريق ابن فضيل، ومن طريق أبي معاوية، كلاهما عن هشام.

ونقله ابن كثير ١: ٥٤٩، عن صحيح مسلم، وذكر أن البخاري رواه من طريق أبي معاوية. ثم قال: وهكذا رواه ابن جرير، من طريق عبد الله بن المبارك، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، مرفوعاً، بنحوه أو مثله. وهذا إسناد جيد».

(٢) الحديث: ٤٨٩٠ – رواه أحمد في المسند ٦: ٣٧ – ٣٨ (حلبي)، عن سفيان بن عيينة. بهذا الإسناد. وزاد في آخره كلام خالد بن سعيد بن العاص، بنحو ما سيأتي في: ٤٨٩٣.

«عبد الرحمن بن الزبير» – بفتح الزاي وكسر الباء – هو القرظي المدني، صحابي معروف.

وقد ذكره السيوطي ١: ٢٨٣: ٢٨٤، ونسبه أيضاً للشافعي، وعبد الرزاق، وابن أبي شيبة، والصحيحين، والترمذي والنسائي. وابن ماجة، والبيهقي.

وقوله: «وإنما معه مثل هدبة الثوب» – كلمة «وإنما» رسمت في المطبوعة حرفين «وإن ما». والصواب الموافق لسائر الروايات هو ما أثبتنا.

صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ، فذكر مثله . (١)

٤٨٩٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة : أنّ رفاعة القرظى طلّق امرأته فبتّ طلاقها ، فتزوجها بعدُ عبدُ الرحمن بن الزبير ، فجاءت النبى صلى الله عليه وسلم وسلم فقالت : يا نبى الله – أنها كانت عند رفاعة ، فطلّقها آخر ثلاث تطليقات – فتزوجتُ بعده عبد الرحمن بن الزبير ، وإنه والله مامعه يا رَسول الله إلا مثل الهُدْبة ! ! فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال لها : لعلك تريدين أن ترجعى إلى رفاعة ! لا ، حتى تذوقى عُسَيْلته ويذوق عُسيلتك . قالت : وأبو بكر جالس عند النبى صلى الله عليه وسلم ، وخالد بن سعيد بن العاص بباب الحجرة لم يؤذَن له ، فطفق خالدٌ ينادى أبا بكر يقول : يا أبابكر ، ألا تزجُر هذه عما تجهر به عندى رسول الله صلى الله عليه وسلم ! (٢)

٤٨٩٤ – حدثنا محمد بن يزيد الأدمى قال ، حدثنا يحيى بن سليم ، عن عبيد الله ، عن القاسم ، عن عائشة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا ، حتى يذوقَ من عُسَيْلتها ما ذاق الأوّل . (٣)

---

(١) الحديثان : ٤٨٩١ ، ٤٨٩٢ – هما تكرار للحديث قبلهما بإسنادين آخرين عن الزهرى . ولم يذكر الطبرى هنا لفظ هاتين الروايتين . وقد رواه مسلم ١ : ٤٠٧ ، من طريق ابن وهب ، عن يونس ، عن الزهرى . وساق لفظه كاملا .

(٢) الحديث : ٤٨٩٣ – هو فى كتاب (المصنف) لعبد الرزاق (مخطوط مصور عندنا) ٣ : ٣٠٥ ، عن معمر وابن جريج – معاً – عن ابن شهاب .

ورواه أحمد فى المسند ٦ : ٢٢٦ (حلبى) عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهرى . ورواه أحمد أيضاً ٦ : ٣٤ ، عن عبد الأعلى ، عن معمر .

ورواه مسلم : ١ : ٤٠٧ ، عن عبد بن حميد ، عن عبد الرزاق ، عن معمر . ولم يذكر لفظه كاملا ، إحالة على روايته قبلها .

ونقله ابن كثير ١ : ٥٤٩ – ٥٥٠ ، من رواية أحمد عن عبد الأعلى . ثم نسبه لأصحاب الكتب الستة إلا أبا داود .

وانظر تخريج : ٤٨٩٠ ، فهو فى معنى هذا .

(٣) الحديث : ٤٨٩٤ – محمد بن يزيد الأدمى الخراز البغدادى المقابرى . المعروف بالأحمر :

٤٨٩٥ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا معتمر بن سليمان قال، سمعت عبيد الله قال، سمعت القاسم يحدث عن عائشة قال: قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا، حتى يذوقَ من عُسَيْلتها ما ذاقَ صاحبُه. (١)

٢٩٢/٢ ٤٨٩٦ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا يحيى، عن عبيد الله قال، حدثنا القاسم، عن عائشة: أن رجلا طلق امرأته ثلاثاً، فتزوجت زوجاً فطلقها قبل أن يمسَّها، فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتحِلّ للأول؟ قال: لا، حتى يذوق عسيلتها كما ذاق الأوّل. (٢)

٤٨٩٧ – حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنا موسى بن عيسى الليثي، عن زائدة، عن علي بن زيد، عن أم محمد، عن عائشة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا طلّق الرجل امرأته ثلاثاً، لم تحلّ له حتى تنكح زوجاً غيره، فيذوق كل واحد منهما عُسَيْلة صاحبه. (٣)

ثقة، وثقه الدارقطني وغيره. وقال السراج: «كان زاهداً من خيار المسلمين». وفي المطبوعة «الأودي» بدل «الأدمي»، وهو تحريف، صححناه من المخطوطة ومراجع الترجمة. مترجم في التهذيب، وابن أبي حاتم ٤/١/١٢٩ – ١٣٠، وفي التهذيب: «ويقال إنهما اثنان»، يعني أن «الأحمر» غير «الأدمي». وعلى ذلك جرى الخطيب في تاريخ بغداد، جعلهما ترجمتين، ٣: ٣٧٤، برقم: ١٤٨٨، و ٣٧٧، برقم: ١٤٩١، والراجح أنهما ترجمتان لشخص واحد.

يحيى بن سليم – بضم السين – القرشي الطائفي: ثقة، وثقه ابن معين وغيره. وقال الشافعي: «كنا نعده من الأبدال». أخرج له أصحاب الكتب الستة.

عبيد الله: هو ابن عمر بن حفص العمري. القاسم: هو ابن محمد بن أبي بكر الصديق. عائشة عمته.

(١) الحديث: ٤٨٩٥ – هذا والذي قبله مختصران من الحديث الذي بعدهما.

(٢) الحديث: ٤٨٩٦ – يحيى – في هذا الإسناد –: هو ابن سعيد القطان الإمام.

وهذا الحديث مطول الحديثين قبله.

وقد رواه أحمد في المسند ٦: ١٩٣ (حلبي)، عن يحيى – وهو القطان – بهذا الإسناد.

ونقله ابن كثير ١: ٥٤٨ – ٥٤٩، عن هذا الموضع من الطبري. ثم قال: «أخرجه البخاري، ومسلم، والنسائي، من طرق، عن عبيد الله بن عمر العمري، عن القاسم بن أبي بكر، عن عمته عائشة – به».

ونقله السيوطي ١: ٢٨٤، وزاد نسبته للبيهقي.

(٣) الحديث: ٤٨٩٧ – موسى بن عيسى الليثي القارىء الكوفي. ثقة، أخرج له مسلم في الصحيح.

٤٨٩٨ – حدثني العباس بن أبي طالب قال، أخبرنا سعد بن حفص الطلحي قال، أخبرنا شيبان، عن يحيى، عن أبي الحارث الغفاري، عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: حتى يذوق عُسيلتها. (١)

٤٨٩٩ – حدثني عبيد بن آدم بن أبي إياس العسقلاني قال، حدثني أبي قال، حدثنا شيبان قال، حدثنا يحيى بن أبي كثير، عن أبي الحارث الغفاري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في المرأة يطلقها زوجها ثلاثاً فتتزوج زوجاً غيره، فيطلقها قبل أن يدخل بها، فيريد الأول أن يراجعها، قال: لا، حتى يذوق عُسَيْلتها. (٢)

زائدة: هو ابن قدامة الثقفي، وهو ثقة حافظ مأمون صاحب سنة.

علي بن زيد: هو ابن جدعان، وهو ثقة، رجحنا توثيقه في شرح المسند: ٧٨٣.

أم محمد: اسمها «أمية بنت عبد الله»، وقيل «أمينة». وهي امرأة والد علي بن زيد بن جدعان. قال الحافظ في التهذيب ١٢: ٤٠٢ «ووقع في بعض النسخ من الترمذي: عن علي بن زيد بن جدعان، عن أمه. وهو غلط، فقد روى علي بن زيد عن امرأة أبيه أم محمد – عدة أحاديث». أقول: هو ربيبها، فلا بأس أن يطلق عليها أنها أمه توسعاً.

وهي تابعية عرف اسمها وكنيتها، فهذا كاف في الحكم بتوثيقها خصوصاً مع قول الذهبي في الميزان ٣: ٣٩٥ عند ذكره النسوة المجهولات، قال «وما علمت في النساء من اتهمت، ولا من تركوها».

والحديث رواه أحمد في المسند ٦: ٩٦ (حلبي)، عن عفان، عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، به نحوه. وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم. وهو أصح من إسناد الطبري.

ورواه أبو داود والطيالسي في مسنده: ١٥٦٠، مختصراً، عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن عمته، عن عائشة. ولعل قوله «عن عمته» تساهل أيضاً، إن لم يكن تحريفاً من ناسخ أو طابع.

ومعناه ثابت عن عائشة، بالروايات الصحاح السابقة وغيرها. وأشار إليه ابن كثير ١: ٥٤٩، من رواية الطبري هذه. وكان أجدر به – كعادته – أن يذكره من رواية أحمد، وإسنادها أصح.

(١) الحديث: ٤٨٩٨ – العباس بن أبي طالب، شيخ الطبري، مضت ترجمته في: ٨٨٠.

سعد بن حفص الطلحي، المعروف بالضخم، مولى آل طلحة: ثقة من شيوخ البخاري. ووقع في المطبوعة «سعيد». وهو خطأ.

شيبان: هو ابن عبد الرحمن، أبو معاوية النحوي. مضت ترجمته في: ٢٣٤٠.

والحديث مختصر من الذي بعده. وسيأتي تمام الكلام فيه.

(٢) الحديث: ٤٨٩٩ – أبو الحارث الغفاري: ترجمه البخاري في الكنى، برقم: ١٧٧، قال: «أبو الحارث، سمع أبا هريرة. قال سعيد بن حفص [كذا، وصوابه: سعد]: حدثنا شيبان عن

٤٩٠٠ – حدثني محمد بن إبراهيم الأنماطي قال ، حدثنا هشام بن عبد الملك قال ، حدثنا محمد بن دينار قال ، حدثنا يحيى بن يزيد الهنائي ، عن أنس بن مالك ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في رجل طلق امرأته ثلاثاً، فتزوجها آخر فطلقها قبل أن يدخل بها : أترجعُ إلى زوجها الأوّل ؟ قال : لا ، حتى يذوق عُسَيلتها وتذوق عُسيلته . (١)

يحيى ، عن أبي الحارث ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : لا ، حتى تذوق العسيلة . وقال وكيع : عن علي بن المبارك ، عن يحيى ، عن أبي يحيى [كذا ، وصوابه : عن أبي الحارث] الغفاري ، عن أبي هريرة ، قوله » . يريد أنه في رواية شيبان مرفوع ، وفي رواية علي ابن المبارك موقوف .

وترجمه ابن أبي حاتم ٤/٢/٣٥٨ ، قال : « أبو الحارث الغفاري ، سمع أبا هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : لا ، حتى تذوق العسيلة . روى علي بن المبارك . عن يحيى بن أبي كثير ، عنه . سمعت أبي يقول ذلك » .

فرواية ابن المبارك عند أبي حاتم مرفوعة . ولا ينافي ذلك رواية البخاري وقفها . فإن الرفع زيادة ثقة ، والراوي قد ينشط فيرفع الحديث ، وقد يقصر فيرويه موقوفاً .

وترجمه الحافظ في لسان الميزان . وزاد أن الطحاوي روى له حديثاً آخر موقوفاً على أبي هريرة ، من رواية حرب بن شداد ، عن يحيى ، ثم قال : « وذكره الحاكم أبو أحمد ، في الكنى ، فيمن لا يعرف اسمه ، وساق حديث العسيلة ، من طريق البخاري في التاريخ ، عن سعيد بن حفص ، عن شيبان ، به ولم يذكر فيه جرحاً » .

وهذا الحديث ذكره ابن كثير ١ : ٥٤٨ من روايتي الطبري هاتين . ثم قال : « وأبو الحارث غير معروف » . والتعقيب عليه : أن البخاري وأبا حاتم عرفاه ، ولم يذكرا فيه جرحاً ، فهو ثقة ، فضلا عن أنه تابعي ، وهم على الثقة حتى يستبين جرح واضح .

وذكره السيوطي ١ : ٢٨٤ ، ونسبه لابن أبي شيبة ، وابن جرير ، فقط . وأشار إليه الترمذي ٢ : ١٨٥ في قوله « وفي الباب» . فقال شارحه المباركفوري : « وأما حديث أبي هريرة فأخرجه الطبراني، وابن أبي شيبة » . وأنا أرجح أن قوله « الطبراني » محرف عن«الطبري » . لأنه لو كان عند الطبراني لذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ، ولم يفعل . وكذلك السيوطي لم ينسبه للطبراني ، بل نسبه للطبري .

وقوله : « يطلقها زوجها ثلاثاً » : كلمة « ثلاثاً » ليست في المخطوطة . وهي ثابتة في ابن كثير والسيوطي ، فإثباتها أجود وأوثق .

(١) الحديث : ٤٩٠٠ – محمد بن إبراهيم الأنماطي ، شيخ الطبري : هو الملقب بمربع ، صاحب يحيى بن معين ، وتلميذ الإمام أحمد بن حنبل . ترجمه ابن أبي حاتم ٣/٢/١٨٧ ، وقال : « بغدادي من الحفاظ » . وترجمه الخطيب في تاريخ بغداد ١ : ٣٨٨ – ٣٨٩ ، ترجمة جيدة ، وقال : « كان أحد الحفاظ الفهماء » . وذكر أن يحيى بن معين هو الذي لقبه « بمربع » – في نفر من أصحابه : « وهؤلاء كبار أصحابه ، وحفاظ الحديث » . وترجمه القاضي ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة ١ : ٢٦٦ – ٢٦٧ ،

٤٩٠١ – حدثني يعقوب بن إبراهيم ويعقوب بن ماهان قالا ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا يحيى بن أبي إسحق ، عن سليمان بن يسار ، عن عبيد الله ، عن ابن عباس : أن الغُمَيْصاء – أو : الرُّميصاء – جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تشكو زوجها ، وتزعم أنه لا يصل إليها ، قال : فما كان إلا يسيراً حتى جاء زوجُها فزعم أنها كاذبة ، ولكنها تريد أن ترجع إلى زوجها الأول ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليسَ لك ، حتى يذوق عسيلتك رجل غيره . (١)

ترجمة مختصرة من تاريخ شيخه الخطيب . وفي التهذيب ٩ ١١ ترجمة شيخ من هذه الطبقة ، قد يشتبه بهذا ، وهو « محمد بن إبرهيم الأسباطي » ، فهذا كوفي نزل مصر ، وهو غير ذاك . وترجمه ابن أبي حاتم أيضاً ١٨٦/٢/٣ .

هشام بن عبد الملك : هو أبو الوليد الطيالسي الحافظ ، مضى في : ٢٨ .

محمد بن دينار الطاحي ، أبو بكر بن أبي الفرات : تكلم فيه بعضهم ، والحق أنه ثقة ، قال ابن معين : « ليس به بأس » ، وقال أبو زرعة : « صدوق » . وترجمه البخاري في الكبير ٧٧/١/١ ، فلم يذكر فيه جرحاً .

يحيى بن يزيد الهنائي البصري : تابعي ثقة ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وترجمه البخاري في الكبير ٣١٠/٢/٤ ، فلم يذكر فيه جرحاً . وروى عنه شعبة ، وهو لا يروى إلا عن ثقة . وأخرج له مسلم في صحيحه .

و « الهنائي » : بضم الهاء وتخفيف النون ، نسبة إلى هناءة بن مالك بن فهم ، من الأزد ، قاله ابن الأثير في اللباب .

والحديث رواه أحمد في المسند : ١٤٠٦٩ (٣ : ٢٨٤ حلبي) ، عن عفان ، عن محمد بن دينار ، بهذا الإسناد ، نحوه مطولا قليلا

ورواه البيهقي ٧ : ٣٧٥ – ٣٧٦ ، من طريق يحيى بن حماد ، عن محمد بن دينار ، به .

ونقله ابن كثير ١ : ٥٤٨ ، عن رواية المسند ، ثم أشار إلى هذه الرواية عند الطبري . وذكره السيوطي ١ : ٢٨٤ ، منسوباً لهؤلاء .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٤ : ٣٤٠ ، ونسبه لأحمد ، والبزار ، وأبي يعلى ، والطبراني في الأوسط . وقال : « ورجاله رجال الصحيح . خلا محمد بن دينار الطاحي ، وقد وثقه أبو حاتم ، وأبو زرعة ، وابن حبان . وفيه كلام لا يضر » .

(١) الحديث : ٤٩٠١ – يعقوب بن إبرهيم ، شيخ الطبري : هو الدورقي الحافظ ، مضى مراراً . ويعقوب بن ماهان ، شيخه أيضاً . هو البغدادي البناء ، وهو ثقة ، قال حجاج بن الشاعر : « ليس ببغداد مثل يعقوب بن ماهان » .

٤٩٠٢ ــ حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة ، عن علقمة بن مرثد ، عن سالم بن رزين الأحمرى ، عن سالم بن عبد الله ، عن سعيد بن المسيب، عن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم فى رجل يتزوج المرأة فيطلقها قبل أن يدخل بها البتة، فتتزوج زوجاً آخر فيطلقها قبل أن يدخل بها : أترجع إلى الأول ؟ قال : لا ،حتى تذوق عُسَيلته ويذوق عُسَيلتها .

٤٩٠٣ ــ حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن علقمة بن مرثد، عن رزين الأحمرى ، عن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه سئل عن الرجل يطلق امرأته ثلاثاً ، فيتزوجها رجل ، فأغلق الباب فطلقها قبل أن يدخل بها : أترجع إلى زوجها الآخر؟ قال : لا ، حتى يذوق عسيلتها .

٤٩٠٤ ــ حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن علقمة بن مرثد ، عن سليمان بن رزين ، عن ابن عمر : أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخطبُ، عن رجل طلق امرأته فتزوجت بعده، ثم طلقها أو مات عنها: أيتزوجها الأول ؟ قال : لا، حتى تذوق عسيلته .(١)

* * *

والحديث رواه أحمد فى المسند : ١٨٣٧ . وهو حديث صحيح ، فصلنا القول فيه هناك ، وفى الاستدراك فى المسند ، رقم : ١٤٤٨ . (ج ٨ ص ٣١٢ – ٣١٣ بشرحنا) .

وذكره السيوطى ١ : ٢٨٤ ، منسوباً لأحمد والنسائى فقط . ولكنه فيه « عن عبد الله بن عباس » . وهو عندى – خطأ ناسخ أو طابع ، كما وقع فى مطبوعة النسائى .

(١) الأحاديث : ٤٩٠٢ – ٤٩٠٤ ، هى حديث واحد بثلاثة أسانيد . وأسانيده كلها ضعاف . وقد فصلت القول فيه فى شرح المسند : ٤٧٧٦ ، ٤٧٧٧ ، ٥٢٧٧ ، ٥٢٧٨ ، ٥٥٧١ .

وقد ذكر البخارى الخلاف فيه ، فى الكبير ١٤/٢/٢ ، فى ترجمة « سليمان بن رزين » . ثم قال : قال إبرهيم بن المنذر : حدثنا أنس بن عياض ، سمع موسى بن عقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : لو فعله أحد وعمر حى ، لرجمهما . قال أبو عبد الله [هو البخارى نفسه] : وهذا أشهر ، ولا تقوم الحجة بسالم بن رزين ، ولا برزين ، لأنه لا يدرى سماعه من سالم ، ولا من ابن عمر » .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « فإن طلقها » ، فإن طلق المرأة — التى بانت من زوجها بآخر التطليقات الثلاث ، بعدما نكحها مطلِّقها الثانى — [1] زوجُها الذى نكحها بعد بينُونتها من الأول = « فلا جناح عليهما » ، يقول تعالى ذكره : فلا حرجَ على المرأة التى طلقها هذا الثانى : من بعد بينونتها من الأول ، وبعد نكاحه إياها — [2] وعلى الزوج الأول الذى كانت حرمت عليه ببينونتها منه بآخر التطليقات = أن يتراجعا بنكاح جديد ، كما :

٤٩٠٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله » ، [3] يقول : إذا تزوجت بعد الأول فدخل الآخر بها ، فلا حرج على الأول أن يتزوجها إذا طلق الآخر أو مات عنها ، فقد حلَّت له . ٢٩٣/٢

٤٩٠٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشام قال ، أخبرنا

وخبر ابن عمر هذا — الموقوف — رواه أيضاً عبد الرزاق فى المصنف (٣ : ٣٠٥ مخطوط مصور) : « عن ابن جريج ، عن موسى بن عقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : لو أن رجلا طلق امرأته ثلاثاً ، ثم نكحها رجل بعده ، ثم طلقها قبل أن يجامعها ، ثم نكحها زوجها الأول — فيفعل ذلك وعمر حى ، إذن لرجمهما » .

(١) قوله : « زوجها » فاعل قوله فى صدر الكلام : « فإن طلق المرأة . . » وسياق جملته : « فإن طلق المرأة . . . زوجها الذى نكحها . . . » ، وما بينهما فصل طويل فى صفة « المرأة » .

(٢) قوله « على الزوج . . . » معطوف على قوله : « على المرأة » ، وسياق جملته : « فلا حرج على المرأة . . . وعلى الزوج . . . أن يتراجعا » . وهكذا اضطررت للمخالفة بين أنواع الفواصل حتى يتيسر للقارىء وصل الكلام بعضه ببعض .

(٣) فى المخطوطة ، قطع الآية عند قوله : « أن يتراجعا » ، ومضى فى الكلام .

جويبر ، عن الضحاك قال : إذا طلق واحدة أو ثنتين فله الرجعة ، ما لم تنقض العِدَّة . قال : والثالثة قوله : « فإن طلقها » ، يعنى الثالثة ، فلا رجعة له عليها حتى تنكح زوجاً غيره فيدخل بها ، « فإن طلقها » = هذا الأخير بعد ما يدخل بها ، « فلا جناح عليهما أن يتراجعا » = يعنى الأول = « إن ظنا أن يقيما حدود الله » .

* * *

قال أبو جعفر : وأما قوله : « إن ظنا أن يقيما حدود الله » ، فإن معناه ، إن رَجَوَا مطمعاً أن يقيما حدود الله . وإقامتهما حدود الله ، العمل بها . وحدود الله ما أمرهما به وأوجب لكل واحد منهما على صاحبه ، وألزم كل واحد منهما بسبب النكاح الذى يكون بينهما .

وقد بينا معنى « الحدود » ، ومعنى « إقامة » ذلك ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . (١)

* * *

وكان مجاهد يقول فى تأويل قوله : « إنْ ظنا أن يقيما حدود الله » ، ما : —

٤٩٠٧ — حدثنى به محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « إن ظنا أن يقيما حدود الله » ، إن ظنا أنّ نكاحهما على غير دُلْسَةٍ . (٢)

٤٩٠٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

قال أبو جعفر : وقد وجه بعضُ أهل التأويل قوله : « إن ظنا » إلى أنه بمعنى : إن أيقنا . (٣) وذلك ما لا وجه له . لأن أحداً لا يعلم ما هو كائن إلا الله تعالى

---

(١) انظر تفسير « الحدود » فيما سلف من هذه الجزء ٤ : ٥٨٤ ، ومعنى « إقامة الحدود والصلاة » فيما سلف ١ : ٢٤١ ، وهذا الجزء ٤ : ٥٦٤ ، ٥٦٥ .

(٢) الدلسة : (بضم فسكون) الظلام ، ومثله « الدلس » (بفتحتين) ، ومن مجازها : دالس يدالس مدالسة : أى خادع وغدر ، لأنه يخفى عليك الشىء ، كأنه يأتيك به فى الظلام . ولم أجد من استعمل « الدلسة » مجازاً فى المخادعة والغش ، إلا فى هذا الأثر . وهو عربى عتيق فصيح .

(٣) هو أبو عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ٧٤ .

ذكره . فإذ كان ذلك كذلك ، فما المعنى الذى به يوقن الرجلُ والمرأة أنهما إذا تراجعا أقاما حدود الله ؟ ولكن معنى ذلك ، كما قال تعالى ذكره: « إن ظنا » ، بمعنى : طمِعا بذلك ورَجَواه .

* * *

«وأنْ» التى فى قوله : « أن يقيما »، فى موضع نصب بـ «ظنّا». و « أن » التى فى « أن يتراجعا »، جعلها بعض أهل العربية فى موضع نصب بفقد الخافض، (١) لأن معنى الكلام : فلا جناح عليهما فى أن يتراجعا — فلما حذفت « فى » التى كانت تخفضها نصبها ، فكأنه قال : فلا جناح عليهما تراجُعَهما .

وكان بعضهم يقول : (٢) موضعه خفض ، وإن لم يكن معها خافضها ، وإن كان محذوفاً فمعروف موضعه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢٣٠)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وتلك حدود الله » ، هذه الأمور التى بينها لعباده فى الطلاق والرجعة والفدية والعِدّة والإيلاء وغير ذلك، مما يبيِّنه لهم فى هذه الآيات = « حدود الله » — معالم فصُول حلاله وحرامه ، وطاعته ومعصيته = « يبينها »= يفصِّلها فيميِّز بينها، ويعرِّفهم أحكامها ، لقوم يعلمونها إذا بينها الله لهم ، فيعرفون أنها من عند الله فيصدقون بها ، ويعملون بما أودعهم الله من علمه ، دون الذين قد طبع الله على قلوبهم ، وقضى عليهم أنهم لا يؤمنون بها ، ولا يصدقون

---

(١) يعنى بهذا الفراء فى معانى القرآن ١ : ١٤٨ .

(٢) هو الكسائى ، فيما نقله الفراء فى كتابه ١ : ١٤٨ أيضاً .

بأنها من عند الله ، فهم يجهلون أنها من الله ، وأنها تنزيلٌ من حكيم حميد . ولذلك خص القوم الذين يعلمون بالبيان دون الذين يجهلون ، إذ كان الذين يجهلون أنها من عنده، قد آيس نبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم من تصديق كثير منهم بها، وإن كان بيَّنها لهم من وَجْه الحجة عليهم ، ولزوم العمل لهم بها . وإنما أخرجها من أن تكون بياناً لهم ، من وجه تركهم الإقرارَ والتصديق به .

* * *

تم الجزء الرابع من تفسير الطبرى
ويليه الجزء الخامس ، وأوله

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾

الفهارس

فهرس الآيات التى استدل بها فى غير موضعها من التفسير

السورة / الآية	الصفحة
آيات سورة البقرة	
١٩	٢٤٦
١١١	٤١٧
١٧٧	٢٩٥
١٨٧	١٢٨، ١٣٣
٢٠٣	١٢٠، ٢٠٠
٢٢٣	٣٩٥
٢٢٨	٤٨٨
٢٣٠	٥٤٤
٢٣٩	٣٥٦
٢٥٩	٤١٤
٢٨٢	١٣٥
٢٨٥	٢٩٦
* * *	
آيات سورة آل عمران	
٣٧	٤١٤، ٤١٦
٧٧	٤٥٠
٩٧	١١، ١٣
١٧٣	١٩١
* * *	
آيات سورة النساء	
٦	٣٥٩
١٠	٣٤٩، ٣٥٠
١٩	٥٦٠
٢٠	٥٧٩ — ٥٨١
٢٥	٣٦٠
٣٤	٤٧٥
٤٣	٣٣٠ — ٣٣٦
٩٥	٢٩٦
* * *	
آيات سورة المائدة	
٢	٣٨٥
٤، ٥	٣٦٢ — ٣٦٥
٤٨	٢٧٦
٨٩	٤٤١، ٤٥٠
٩٠	٣٣٠ — ٣٣٦
٩١	٣٢٦
٩٥	٢٩، ٣٥، ٨١، ٤٤٧
* * *	
آية سورة الأعراف	
١٩٩	٣٤٥
* * *	
آية سورة الأنفال	
٦١	٢٥٥
* * *	
آيات سورة التوبة	
٥	٣١٣

السورة / الآية	الصفحة
٣٦	٢٥٨، ٣١٣، ٣١٤
٣٧	١٥٥
١١١	٢٤٦
١٢٨	٣٦٠

* * *

آية سورة يونس

١٩	٢٨٠

* * *

آية سورة يوسف

٨٣	٢٩٧

* * *

آيات سورة النحل

٢٦	١٠٩
٦٧	٣٣٤
٩٣	٢٧٦
١٢٠	٢٧٦

* * *

آيات سورة الإسراء

٨	٢٣
١٨	٢٧٣
٢٩	٣٤٤ ، ٣٤٥
٣٤	٣٤٩

* * *

آيات سورة الكهف

٦١	٥٧٢
٦٤	٣١٦

* * *

السورة / الآية	الصفحة
آيات سورة الحج	
١١	٢٣٢
٢٧	٢١٤
٣٢، ٣٣	٤٥

* * *

آية سورة المؤمنون

٥١	١٩١

* * *

آيات سورة الفرقان

٢٥	٢٦١
٦٧	٣٤٤
٧٢	٤٤٦

* * *

آية سورة القصص

٥٥	٤٤٦

* * *

آية سورة الروم

٤١	٢٤٠

* * *

آيات سورة الأحزاب

٩ ــ ١١	٢٨٨، ٢٨٩
١٢	٢٨٩

* * *

آية سورة سبأ

٣٣	٢٦٦

* * *

السورة / الآية	الصفحة
آية سورة محمد	
٣٥	٢٥٤، ٢٥٥
* * *	
آيات سورة الحجرات	
٩	٤٦٥
١١	١٤٠
* * *	
آية سورة الرحمن	
٢٢	٥٧٢
* * *	
آية سورة الجمعة	
١٠	٣٨٥
* * *	
آية سورة المنافقون	
١	٢٣٣

السورة / الآية	الصفحة
آيات سورة القلم	
١٠ ــ ١٣	٢٣٠
* * *	
آية سورة المزمل	
٢٠	٤١٧
* * *	
آية سورة الفجر	
٢٢	٢٦٢، ٢٦٣
* * *	
آية سورة الهمزة	
١	٢٣٠
* * *	
آيات سورة الكافرون	
١ ــ ٦	٣٣٤

فهرس اللغة

هذا الفهرس مرتب على ترتيب معاجم اللغة ، على أصل الاشتقاق ، وعلى آخر الأصل باباً وأوله فصلا .

(قرأ) قُرْء، قروء: ٤٤٩–٥١٥
أقرأت المرأة ، أقرأ النجم ، القرء : ٥١١ ، ٥١٢
(فيأ) الفيء ، فاء يفيء : ٤٦٥ ، ٤٦٦
الفيء : ٤٦٦ – ٤٧٤

* * *

(توب) التوّاب ، التوبة : ٣٩٤
(حسب) الحساب : ٢٠٦ – ٢٠٨ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥
(ذهب) ذهب ذهاباً وذهوبا : ٢٤٤
(رهب) الرَّهَب الرُّهْب : ٢٩٨
(سبب) أرض سباسب : ١٧٢
(صحب) أصحاب النار : ٣١٧
(عرب) التعريب ، العرابة ، الإعرابة : ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩
(عقب) عُقاب وعِقبان : ٣٢١
(عيب) المعيب والمَعاب : ٣٧٢
(غيب) الغائب : ١١٢ ، ١١٣
(كتب) كُتُب: ٢٩٥ ، ٢٩٧
الكتاب : ٢٨١
(كسب) كسب : ٢٠٦ – ٢٠٨ ، ٤٤٩
(لبب) لبّ ، ألباب : ١٦٢

* * *

(عنت) أعنت : ٣٥٩ ، ٣٦٠
عنت يعنت : ٣٦٠
(نبت) ذات النابت : ١٧٤

* * *

(حرث) الحرث : ٢٤٠ – ٢٤٣ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨
(رفث) رفث : ١٢٥ – ١٣٤

* * *

(حجج) الحج : ٢١
(حرج) حَرِج ، حرجة : ٢٢٤ ، ٥٦٦
(دجج) الداجّ : ١٦٧
(درج) درجة : ٥٣٣ – ٥٣٦

* * *

(جنج) جُناح : ١٦٢ ، ١٦٣ ، ٥٦٥
(صلح) الإصلاح : ٤٢٦

* * *

(جهد) جاهد يجاهد : ٣١٨
جهد فلان فلاناً: ٣١٨
(حدد) حدود الله : ٥٥٩ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٩٨
(خلد) خالد : ٣١٧
(ردد) ارتدّ : ٣١٦
(زود) الزاد : ١٥٦ – ١٦١
(شهد) أشهد : ٢٣٣ ، ٢٣٤
(صدد) الصدّ : ٣٠٠

(عدد) أيام معدودات : ٢٠٨ — ٢١٥

(فسد) الإفساد فى الأرض : ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، الفساد ، الفسود : ٢٤٣ ، ٢٤٤
فسد الشيء : ٢٤٣ ، ٢٤٤

(لدد) ألدّ الخصام : ٢٢٩ ، ٢٣٥
اللدد ، لدّ يلدّ : ٢٣٥ ، ٢٣٦

(مهد) المهاد : ٢٤٦

* * *

(أمر) الأمور : ٢٧٠

(بحر) بحر : ٢٤٠

(برر) البرّ ، برّ : ٤٢٥

(بشر) مبشرون : ٢٨٠

(حجر) الحجار ، والحجارة : ٥٢٧

(حشر) تحشرون : ٢٢٨ ، ٢٢٩

(حصر) الحصر ، الإحصار : ٢١ — ٢٦

(حضر) حاضر الشيء : ١١٢ ، ١١٣

(خمر) الخمْر : ٣٢٠ ، ٣٢١
الخمَر : ٣٢٠ ، ٣٢١

(خير) الخير : ٢٩٢

(ذكر) ذكر، ذكور، ذكورة : ٥٢٦
الذكار ، والذكارة : ٥٢٧

(شعر) المشعر ، المشاعر : ١٧٥ — ١٨٣
شعر بالأمر : ١٧٥

(صدر) ليلة الصدَر : ١٦٨

(ضرر) الضراء : ٢٨٨

(طهر) طهرت المرأة : ٣٨٣ — ٣٨٥
تطهرت المرأة : ٣٨٥ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥

(عمر) العمرة : ٨ ، وما بعدها

(غفر) غفور : ٣١٩ ، ٤٥٥ ، ٤٧٤

(مهر) المهار ، والمهارة : ٥٢٧

(نذر) منذرين : ٢٨٠

(هجر) هجرة ، هاجر : ٣١٧ ، ٣١٨

(يسر) يسر له الأمر : ٣٢١
الياسر ، اليسَر : ٣٢١ ، ٣٢٢
الميسر : ٣٢١ ، ٣٢٢ — ٣٢٥

* * *

(جوز) ذو المجاز : ١٧٣

(عزز) العزّة ، عزيز : ٢٤٤ ، ٢٦٠ ، ٣٦١ ، ٥٣٧

* * *

(بأس) البأساء : ٢٨٨

(حمس) الحمس : ١٨٤ — ١٩٠

(دلس) دُلْسَة : ٥٩٨

(نوس) الناس : ١٨٤ — ١٩١ ، ٢٧٥

* * *

(عيش) المعيش ، والمعاش : ٣٧٢

* * *

(ربص) التربص : ٤٥٦ ، ٥١٥
(عقص) العقاص : ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨

* * *

(حيض) المحيض : ٣٧٢
(عرض) عرضة : ٤١٩ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤
(فرض) فرض : ١٢١
(فيض) أفاض : ١٧٠ ، ١٨٤
(مرض) المرض : ٥٨

* * *

(حبط) حبط : ٣١٧
(خلط) خالطه : ٣٤٩ — ٣٥٧

* * *

(خلع) المختلعة : ٥٦٨
(ذرع) أذرعات : ١٧١
(سمع) سميع : ٤٨٨
(متع) التمتع : ١١٣
(نبع) النبعة ، النبيعة : ١٧٤
(نفع) منافع للناس : ٣٢٦—٣٢٩

* * *

(خوف) الخوف : ٥٥٠
(رأف) رؤوف : ٢٥١
(زلف) المزدلفة : ١٧٣
(ضعف) الضَّعف والضُّعف : ٢٩٨
(عرف) عرفات : ١٧٠ — ١٧٤
المعروف : ٥٤٨
(كفف) كافة : ٢٥٧ ، ٢٥٨

* * *

(خلق) خلاق : ٢٠٣
ثوب أخلاق : ١٧٢
(سبق) سبوق : ٢٨٧
(طلق) طالق ، مطلقة ، طلقت المرأة طلاقاً ، طَلُقت : ٥١٥
(فسق) الفسق ، الفسوق : ١٣٥ — ١٤١
(فوق) فوقهم : ٢٧٤
(نفق) المنافق : ٢٣٢ ، ٢٣٣
أنفق : ٣٣٧
(وثق) الميثاق الغليظ : ٥٨٠

* * *

(ألك) ملائكة : ٢٦٠ — ٢٦٣
(نسك) مناسك الحج : ٨ومابعدها ، ١٩٥
النسك : ٧٨ — ٨٦
نسك ينسك : ٨٦ ، ١٩٥
(هلك) يهلك الحرث : ٢٣٩ ، ٢٤٠

* * *

(أهل) أهلُ كذا : ٣١٧
(بدل) بدّل : ٢٧٢
(بعل) بعل ، بعولة : ٥٢٦
(جدل) الجدال : ١٤١ — ١٥٣
(جلل) جِلّة ، جلال : ٢٦١
(حلل) محلّ الهدى : ٣٦ — ٥٣
(خلل) خُلة ، خلال : ٢٦١
(زلل) زلّ : ٢٥٩
زلزلة : ٢٩١
(سبل) ابن السبيل : ٢٩٥
سبيل الله : ٣١٨
(ضلل) الضالين : ١٨٣ ، ١٨٤

(ظلل) ظُلَّة، ظُلَل: ٢٦١ ، ٢٦٢
ظل ، ظلال : ٢٦١ ، ٢٦٢
(عزل) اعتزل : ٣٧٥ — ٣٨٣
(عسل) العسيلة : ٥٨٩ — ٥٩٦
(غسل) الغُسْل والغَسْل : ٢٩٨
(فحل) فحل ، فحولة : ٥٢٦
(فضل) فضلا من ربكم : ١٦٣— ١٦٩
(كمل) عشرة كاملة: ١٠٨، ١٠٩
(مثل) مثل : ٢٨٩
(نسل) النسل : ٢٤٠ — ٢٤٣

* * *

(أثم) إثم : ٢٢١ ، ٣٢٦
(أمم) أمة: ٢٧٥، ٢٧٦ —٢٨٠
(تمم) أتم الحج : ٧ وما بعدها
(حكم) حكيم : ٢٦٠ ، ٣٦١ ، ٥٣٨
(حلم) حليم : ٤٥٥
(خصم) الخصام : ٢٣٧
(رحم) رحيم : ٤٧٤
(سلم) السِّلْم: ٢٥١ — ٢٥٧
السَّلْم : ٢٥٢
(صمم) رجب الأصم : ٣٠٠
(ظلم) الظلم : ٥٨٤
(عظم) العظام ، والعظامة : ٥٢٦
(علم) اعلم : ١١٤
أشهر معلومات : ١١٤ — ١٢٠
أيام معلومات : ٢١١
عليم : ٤٨٨
(غمم) الغمام : ٢٦٦
(قوم) إقامة الحدود والصلاة : ٥٦٥ ، ٥٩٨
(نعم) نعمة الله : ٢٧٢
(يتم) اليتامى : ٢٩٥

* * *

(أذن) الإذن : ٢٨٦ ، ٣٧١
(أمن) أمن : ٨٦ ، ٨٧
(بين) بينة ، البينات : ٢٧١ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٨١
عدو مبين : ٢٥٨
(حسن) حسنة : ٢٠٣ — ٢٠٦
إحسان : ٥٤٨
(سكن) المساكين، المسكنة : ٢٩٥
(ظنن) الظنّ : ٥٥٠
(عون) عانات : ١٧١
(فتن) الفتنة : ٣٠١ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١

* * *

(كره) كره : ٢٩٧ ، ٢٩٨

* * *

(أتى) أوتوا : ٢٨١
آتنا فى الدنيا : ٢٠١
آتى : ٥٤٩
إتيان المرأة : ٣٨٥ ، ٣٨٨ ، ٣٩٨

* * *

(أذى) أذى : ٥٤ — ٧٩ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥

(ألى) آلى إيلاء وألية : ٤٥٦
ألوة وألوة : ٤٥٦
الإيلاء : ٤٥٦ — ٤٦٥
(أبى) آية، آيات: ٢٧١ ، ٣٤٧، ٣٧١
(بغى) ابتغى : ١٦٣
ابتغاء : ٢٤٦
البغى : ٢٨١
بغى الجرح : ٢٨١
(خطا) خطوات : ٢٥٨
(سعى) سعى : ٢٣٨
(شرى) شرى يشرى : ٢٤٦
(عدا) اعتدى : ٥٨٣ ، ٥٨٤
(عفا) العفو : ٣٣٧ — ٣٤٣
عفا يعفو : ٣٤٣
(فدى) الفدية : ٧٠
(قضى) قضى : ١٩٥
قضى الأمر : ٢٦٩
(لغا) اللغو : ٤٢٧ — ٤٤٩
لغا يلغو ، لغى يلغى : ٤٤٦
(مطا) المطو بالإبل : ٢٩١
(هدى) هدى يهدى : ١٨٣ ، ٢٨٣
الهدْى : ٢٧ — ٣٤
الهدى، الهدىّ ، الهدية : ٣٤ ، ٣٥
(وقى) التقوى : ١٦١
قنا عذاب النار : ٢٠٦
وقاه يقيه وقاية : ٢٠٦
اتقى : ٢٤٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦
(ولى) تولى : ٢٣٧ ، ٢٣٨

أعلام المترجمين فى التعليق

الأرقام فى هذا الفهرست هى أرقام الآثار ، لا الصفحات

أبان بن صالح بن عمير بن عبيد : ٤٣٣٧ ، ٤٣٣٨

أبان بن يزيد العطار : ٣٨٣٢

إبراهيم الصائغ (إبراهيم بن ميمون)

إبراهيم المخزمى ؟ ؟ : ٤١٧٣

إبراهيم الهجرى (إبراهيم بن مسلم العبدى)

إبراهيم بن إسماعيل بن أبى حبيبة (ابن أبى حبيبة) : ٣٤٣٩

إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع الأنصارى ٣٨٢٧ ، ٣٨٢٨

إبراهيم بن إسماعيل بن نصر التبان : ٣٤٣٩

إبراهيم بن سعد الزهرى : ٤٢١٤

إبراهيم بن سعيد الجوهرى الطبرى : ٣٣٥٥ ، ٣٩٥٩

إبراهيم بن طهمان الخراسانى : ٣٧٢٦ ، ٣٧٢٧

إبراهيم بن عبد الله بن مسلم بن ماعز (أبو مسلم الكجى) : ٣٥٦٢ ، ٤٦٢٩ ، ٤٦٣٠

إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة (أبو إسحق الفزارى) : ٣٨٣٣

إبراهيم بن مسلم العبدى (إبراهيم الهجرى) : ٤١٧٣

إبراهيم بن ميمون الصائغ (إبراهيم الصائغ) : ٤٣٨٢

إبراهيم بن نافع المخزومى المكى : ٤٣٠٥

إبراهيم بن يزيد بن الأسود النخعى : ٣٢٩٥ ، ٤٨٨٨

أبو أحمد الزبيرى (محمد بن عبد الله بن الزبير الأسدى)

أحمد بن حازم الغفارى : ٣٢١٢

أحمد بن حماد الدولابى : ٣٥٧١

أحمد بن محمد الطوسى : ٣٨٣٣

(أحمد بن محمد بن حبيب)

(أحمد بن محمد بن نيزك بن حبيب)

أحمد بن محمد بن حبيب (أحمد بن محمد الطوسى)

أحمد بن محمد بن نيزك بن حبيب (أحمد بن محمد الطوسى)

أحمد بن المغيرة (شيخ للطبرى) : ٣٤٧٣

أحمد بن منصور بن راشد (أبو صالح الحنظلى) : ٤٤٣٥

الأحمر (محمد بن يزيد الأدمى)

الأحوص بن حكيم بن عمير العنسى : ٤٧١١ — ٤٧١٣

ابن إدريس (عبد الله بن إدريس)

أبو إدريس الخولانى (عائذ الله بن عبد الله)
أزهر بن سعد السمان (أزهر السمان: ٤٧٧٤
أزهر السمان (أزهر بن سعد السمان)
أسامة بن زيد : ٣٨٢٧ ، ٣٨٢٨
أسامة بن زيد الليثى : ٣٣٥٤
أسباط بن محمد بن عبد الرحمن : ٣٧٦٥
إسحق الأزرق (إسحق بن يوسف)
أبو إسحق السبيعى : ٤٣٣٦
أبو إسحق الفزارى (إبراهيم بن محمد ابن الحارث)
إسحق بن يوسف بن مرداس المخزومى (إسحق الأزرق) : ٣٣٣٩ ، ٤٢٢٤
أسد بن عمرو البجلى القاضى : ٣٣٣٦ ، ٣٣٦٤
إسرائيل بن يونس بن أبى إسحق السبيعى : ٣٣٠٧
أبو أسماء ، مولى عبد الله بن جعفر : ٣٣٩٥
أبو أسماء الرحبى (عمرو بن مرثد) : ٤٨٤٣ ، ٤٨٤٤
إسماعيل بن إبراهيم صاحب الكرابيس: ٤٣٢٧
إسماعيل بن رافع بن عويمر المدنى : ٤٠٣٩
إسماعيل بن سميع الحنفى : ٤٧٩١ — ٤٧٩٣
إسماعيل بن سيف العجلى : ٣٨٤٣
إسماعيل بن علية : ٣٣٤١
أسود بن سوادة القطان (سواد بن أبى الأسود القطان) : ٣٩٤٤
الأسود بن يزيد بن قيس النخعى : ٣٢٩٩ ، ٤٨٨٨
أشعث بن سوار الكندى : ٣٣٣٦
أشهل بن حاتم الأرطبانى (أبو حاتم البصرى) : ٣٢٢٢
الأعمش (سليمان بن مهران)
أبو أمامة التيمى (أبو أميمة) : ٣٧٦٥ ، ٣٧٧٠ ، ٣٧٨٩
أبو أميمة (أبو أمامة التيمى) : ٣٧٧٠
أمينة بنت عبد الله (أمية . . .) (أم محمد) : ٤٨٩٧
أمية بنت عبد الله (أمينة) (أم محمد) : ٤٨٩٧
الأوزاعى (عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد)

* * *

بريرة ، مولاة عائشة : ٣٢٩٣
أبو بسطام (مقاتل بن حيان)
بشار بن بكير الحنفى : ٣٨٤٣
أبو بشر (جعفر بن إياس) ، (ابن أبى وحشية)
بشر بن عمر بن الحكم الزهرانى : ٣٣٧٥
بشير بن سلمان الكندى : ٤٧٦٨ ، ٤٧٧٦
بكر بن عبد الله المزنى : ٤٨٧٧ ، ٤٨٧٨

بكر بن مضر المصرى : ٤٦٣٣
أبو بكر بن أبى أويس (عبد الحميد ابن عبد الله بن عبد الله بن أويس)
أبو بكر بن نافع (محمد بن أحمد ابن نافع)

* * *

التبان (إبراهيم بن إسماعيل بن نصر)
أبو تميلة (يحيى بن واضح)
تميم بن المنتصر الواسطى : ٣٣٣٩
التميمى : ٣٩٨٦ — ٣٩٨٩
أبو توبة (الربيع بن نافع الحلبى)
أبو توبة المصرى ، (أبو طعمة الأموى) : ٤١٤٣

* * *

ثابت الطائفى : ٤٨٤٢
ثابت بن قيس بن شماس : ٤٨٠٧ ، ٤٨١٠
ثابت بن يزيد : ٤٨٤٢
ثابت بن يزيد الحولانى : ٤٨٤٢
ثوير بن أبى فاختة : ٣٢١٢

* * *

جبر بن حبيب ٣٥٦٢
جبير بن الحارث (جبير بن الحويرث)
جبير بن الحويرث (ابن الحويرث) (جبير بن الحارث) : ٣٨٢٩
الجراح بن مليح الرؤاسى (أبو وكيع) : ٤٤٨٨
جرير بن عبد الحميد الضبى : ٣٣٤٩ ، ٣٣٥٠ ، ٤٧٧٩ ، ٤٧٨٠
جعفر بن إياس (أبو بشر) ، (ابن أبى وحشية) : ٣٣٤٨
جعفر بن برقان الكلابى : ٤٥٧٧
جعفر بن أبى المغيرة : ٤٣٤٧
الجعفى (حسين بن على بن الوليد الجعفى)
جميلة بنت عبد الله بن أبى ابن سلول : ٤٨٠٧ ، ٤٨١٠
جويرية بنت الحارث (أم المؤمنين) : ٣٢٩٣

* * *

أبو حاتم البصرى (أشهل بن حاتم)
حاتم بن بكير الضبى : ٣٢٢٢
أبو الحارث الغفارى : ٤٨٩٩
الحارث بن كعب : ٤٣٢١
حارثة بن أبى الرجال (حارثة بن محمد بن عبد الرحمن)
حارثة بن محمد بن عبد الرحمن (حارثة ابن أبى الرجال) : ٤٤٥٣
حبان بن موسى بن سوار السلمى : ٤٤٩٨ ، ٤٥٢٨ ، ٤٥٤٨
حبيب الأعور (حبيب مولى عروة) : ٤٢٤٠
حبيب مولى عروة (حبيب الأعور) : ٤٢٤٠
حبيش بن مبشر بن أحمد الطوسى (حسين بن ميسر : خطأ) : ٤٠٧٥
ابن أبى حبيبة (إبراهيم بن إسماعيل ابن أبى حبيبة)
حبيبة بنت سهل بن ثعلبة : ٤٨٠٩ ، ٤٨١٠
الحجاج بن أرطاة النخعى : ٣٢٩٩ ، ٣٩٦٠ ، ٤٢٤٦

حجاج بن رشدين بن سعد المصرى . ٤٦٠٨
حجاج بن أبى عثمان الصواف : ٣٣٢١
حذيفة بن اليمان : ٤٢١٨ ، ٤٢٢١
الحرّ بن قيس بن حصن الفزارى (ابن أخى عيينة) : ٣٩٩٩
حريث بن عميرة : ٤٤٧٩
أبو حريز (عبد الله بن الحسين الأزدى)
حزم بن أبى حزم القطعى : ٤٠٠٦
حسان بن موسى (خطأ : حبان...)
الحسن البصرى : ٤٢٢٤
الحسن بن الصباح البزار الواسطى : ٤٤٤٢
الحسن بن عمرو الفقيمى : ٣٧٦٥
الحسن بن الفرات بن أبى عبد الرحمن التميمى القزاز : ٤٦٢٩ ، ٤٦٣٠
الحسن بن موسى الأشيب : ٤٣٤٧
الحسن بن يزيد بن فروخ الضمرى (أبو يونس القوى) : ٤٦٠٧
حسين بن الحسن النصرى : ٤٠٠٣
حسين بن عبد الله بن عبد الله بن العباس : ٣٨٣٣
حسين بن على بن الوليد الجعفى : ٤٤١٥
حسين بن ميسر (صوابه : حبيش بن مبشر) : ٤٠٧٥
الحسين بن واقد المروزى : ٤٨١٠
حفص بن بشر : ٤٨٤٢
حفص بن عمر البصرى (أبو عمر الضرير) ٣٥٦٢ ، ٤٣٢٧
حفص بن غياث ٤٢٦٢ ، ٤٢٦٣
حفصة بنت عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق : ٤٣٤١
الحكم بن عتيبة : ٣٢٩٧
الحكم بن فضيل : ٤٢٥١
حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف : ٣٩١٦
أبو حمزة (محمد بن ميمون المروزى)
حميد : ٤٧٧٧
حميد بن أبى حميد الطويل : ٣٨٧٧
حميد بن زياد الخراط (أبو صخر) : ٤٣٢٥
حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى : ٤٨٦٢
حميد بن قيس المكى القارئ : ٣٣٥٢
ابن الحويرث (جبير بن الحويرث)

* * *

أبو خالد الأحمر (سليمان بن حيان)
خالد بن إلياس بن صخر (أبو الهيثم العدوى) : ٤٤٤٢
خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن الواسطى : ٤٤٣٣
خالد بن مخلد القطوانى (أبو الهيثم البجلى) : ٤٥٧٧
خالد بن مهران الحذاء : ٣٩١٣
خالد بن يزيد الجمحى : ٣٩٦٥
أبو الخطاب : ٤٨٤١
خلاس بن عمرو الهجرى : ٤٥٥٧
أبو الخليل (صالح بن أبى مريم)

* * *

داود بن أبي هند : ٣٣٣٤ ، ٣٣٣٥
درست : ٤٦٩٩ ، ٤٧٢٥
درست بن حمزة البصرى : ٤٦٩٩
درست بن زياد الرقاشى : ٤٦٩٩

* * *

ذكوان السمان (أبو صالح) : ٣٢٢٦
ذوّاد بن علبة : ٤٨٤١

* * *

راشد بن كيسان العبسى (أبو فزارة) : ٤٤٨٨
الربيّع بنت معوّذ : ٤٨٧٠
الربيع بن نافع الحلبي (أبو توبة) : ٣٨٣٣
رزين الأحمرى : ٤٩٠٢ — ٤٩٠٤
أبو رزين الأسدى (مسعود) ، (مسعود بن مالك) : ٤٧٩١ — ٤٧٩٣
أبو رزين العقيلى (لقيط بن عامر ابن المنتفق) : ٤٧٩١ — ٤٧٩٣
روح بن عبادة : ٣٣٥٥ ، ٣٩١٢

* * *

زائدة بن عمير الطائى : ٤٣٣٦
زائدة بن قدامة الثقفى : ٤٨٩٧
ابن أبى زائدة (يحيى بن زكريا بن أبى زائدة) : ٤٢٨١
زاهر بن أسود بن حجاج الأسلمى : ٣٣٠٧
ابن الزبير السبائى : ٣٥٨١ (؟؟)
أبو الزبير (محمد بن مسلم بن تدرس)
الزبير بن عدى الهمدانى اليامى : ٣٣٥٦
أبو زرعة بن عمر بن جرير : ٤٨٤١
زكريا يحيى بن صالح القضاعى : ٤٣٤٨
زمعة بن صالح الجندى اليمانى : ٤٠٣٨
زيادة الأعلم (زياد بن حسان بن قرة الباهلى)
زياد بن جبير بن حية بن مسعود الثقفى : ٣٢٧٨
زياد بن حسان بن قرة الباهلى (زياد والأعلم) : ٤٥٤٢
زياد بن كليب التميمى الحنظلى (أبو معشر) : ٤٢٤٨
زياد بن أبى مسلم الفراء : ٤٠٠٧
أبو زيد (عبد الرحمن بن أحمد بن أبى الغمر)
زيد بن رفيع الجزرى : ٤٦٩٤
زيد بن على (أبو القموص) : ٤١٤٥
زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب : ٣٨٢٧ ، ٣٨٢٨
زيد بن وهب الجهنى : ٤٢٢٢

* * *

أبو سالم الحنفى (ماهان)
سالم بن أبى الجعد : ٤٢٤٤
سعد بن حفص الطلحى (الضخم) : ٤٨٩٨
سعد بن عبد الحميد بن جعفر بن عبد الله الأنصارى : ٣٩٥٩
سعيد بن الحكم (سعيد بن أبى مريم الجمحى) : ٣٨٧٧
سعيد بن الربيع الرازى : ٣٧٩١

سعيد بن الربيع الهروى الجرشى : ٣٧٩١
سعيد بن أبى سعيد المقبرى : ٤١٧٠
سعيد بن سلمة بن أبى الحسام (أبو عمرو السدوسى) : ٤٨٠٨
سعيد بن عامر : ٤٤١٥
سعيد بن عبد الرحمن بن يربوع ، (عبد الرحمن بن سعيد . . .) : ٣٨٢٩
سعيد بن أبى عروبة : ٣٣٤٣ ، ٣٣٤٤
سعيد بن علاقة (أبو فاختة) : ٣٢١٢
سعيد بن أبى مريم الجمحى (سعيد ابن الحكم)
سفيان بن حسين الواسطى : ٣٤٧١
سفيان بن سعيد الثورى (الثورى) (سفيان) : ٣٣٣٧ ، ٤٢٢٢
سفيان بن عيينة : ٣٧٩١ ، ٣٨٢٩
سلمة بن وهرام : ٤٠٣٨
سليم المكى (سليمان مولى أم على) : ٤٣٠٥
سليم بن أسود بن حنظلة (أبو الشعثاء المحاربى) : ٤٥٢٨
سليمان مولى أم على (سليم المكى) : ٤٣٠٥
سليمان بن بلال : ٤٣٣٣
سليمان بن حيان الأزدى (أبو خالد الأحمر) : ٣٩٥٦
سليمان بن داود اليمامى : ٤٤٣٥
سليمان بن رزين الأحمرى : ٤٩٠٢ — ٤٩٠٤
سليمان بن أبى سليمان الزهرى اليمامى ٤٤٣٥
سليمان بن أبى سليمان (الشيبانى) (أبو إسحق) : ٤٢٦٢ ، ٤٢٦٣
سليمان بن مهران (الأعمش) : ٣٢٩٥
سهل بن زنجلة (سهل بن أبى سهل) (سهل بن موسى الرازى) : ٤٣١٩
سهل بن أبى سهل (سهل بن موسى) (سهل بن زنجلة) : ٤٣١٩
سهل بن موسى الرازى (سهل بن زنجلة) (سهل بن أبى سهل) (موسى بن سهل) : ٤٣١٩
سوادة بن أبى الأسود القطان (أسود ابن سوادة القطان) : ٣٩٤٤
سيف بن سليمان (ابن أبى سليمان) : ٣٣٤٥

* * *

شراحيل بن بكيل : ٤١٤٣
شريك بن عبد الله النخعى : ٣٢٢٦ ، ٣٣٣٩ ، ٤٢٢٤
أبو الشعثاء المحاربى (سليم بن أسود ابن حنظلة)
شقيق بن سلمة (أبو وائل الأسدى) ٣٩٥٦ ، ٤٢٢٣ ، ٤٥٢٦
شهاب بن عامر بن أمية (هشام بن عامر . . .) : ٤٠٠٣
شيبان بن عبد الرحمن (أبو معاوية النحوى) : ٤٨٩٨ .

الشيبانى (أبو إسحق الشيبانى) (سليمان ابن أبى سليمان)

* * *

صالح مولى التوأمة (صالح ابن نبهان)
صالح أبو الخليل (صالح بن أبى مريم الضبعى) : ٤٠٠٧
صالح المرى : ٣٨٤٣
أبو صالح (ذكوان السمان)
أبو صالح الحرانى (عبد الغفار بن داود بن مهران)
أبو صالح الحنظلى (أحمد بن منصور بن راشد) : ٤٤٣٥
أبو صالح الحنفى (ماهان)
أبو صالح الحنفى (عبد الرحمن بن قيس)
صالح بن أبى الأخضر اليمامى : ٣٩١٢
صالح بن أبى مريم الضبعى (صالح أبو الخليل) : ٣٣٤٣، ٣٣٤٤، ٤٠٠٧
صالح بن نبهان (صالح مولى التوأمة) : ٣٩٥٩
أبو صخر (حميد بن زياد الخراط)
الصلت بن بهرام التيمى : ٤٢٢٣
أبو الصهباء البصرى : ٤٨٧٧ ، ٤٨٧٨

* * *

الضحاك بن مخلد (أبو عاصم النبيل) ٣٣٤٧ ، ٤١٧٠
الضحاك بن مزاحم الهلالى : ٣٨٤٢
الضخم (حفص بن سعد الطلحى)

* * *

أبو طعمة الأموى (أبو توبة المصرى؟؟) ٤١٤٣
طلحة بن عبيد الله : ٤٢٢١
طليق بن محمد بن السكن الواسطى : ٣٧٦٥

* * *

عائذ الله بن عبد الله (أبو إدريس الخولانى) : ٤٨٤٠
عارم أبو النعمان (محمد بن الفضل)
أبو عاصم النبيل (الضحاك بن مخلد)
عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر ابن الخطاب : ٣٩٥٦
عاصم بن عمر بن قتادة : ٤١٧٢
عاصم بن أبى النجود : ٣٩٥٦
أبو عامر العقدى (عبد الملك بن عمرو)
عامر بن عبد الله بن مسعود (أبو عبيدة . . .) : ٤٥٧٠
العباس بن أبى طالب : ٤٨٩٨
عبد الأعلى بن عبد الأعلى بن محمد القرشى السامى : ٤٧٥١
عبد الأعلى بن ميمون بن مهران : ٤٥٧٧
عبد الجبار بن عمر الأيلى : ٤٦٠٨
عبد الحميد بن بهرام الفزارى : ٤٢٢١
عبد الحميد عبد الله بن عبد الله بن أويس المدنى (أبوبكر بن أبى أويس) . ٤٣٣٣

عبد الرحمن بن أحمد بن أبي الغمر (أبو زيد) (عبد الرحمن بن أبي الغمر) : ٤٣٢٩
عبد الرحمن بن الأسود بن يزيد النخعي : ٣٢٩٩
عبد الرحمن بن الأصبهاني (عبد الرحمن بن عبد الله بن الأصبهاني)
عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله ابن عياش بن أبي ربيعة المخزومي: ٣٨٢٧ ، ٣٨٢٨ ، ٤٤٥٢
عبد الرحمن بن خالد بن مسافر الفهمي (ابن مسافر) : ٣٣٥٨
عبد الرحمن بن الزبير القرظي : ٤٨٩٠ — ٤٨٩٣
عبد الرحمن بن سابط : ٤٣٤١
عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع (سعيد بن عبد الرحمن . . .) : ٣٨٢٩
عبد الرحمن بن عبد الله بن الأصبهاني (عبد الرحمن بن الأصبهاني) : ٣٣٣٧
عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد (أبو عمرو) (الأوزاعي) : ٤٦١٠
عبد الرحمن بن أبي الغمر (عبد الرحمن بن أحمد بن أبي الغمر)
عبد الرحمن بن القاسم بن خالد: ٤٣٢٩
عبد الرحمن بن قيس الكوفي (أبو صالح الحنفي) : ٣٢٢٦
عبد الرحمن بن مهدي : ٤٤٨٨
عبد الرحمن بن يزيد بن قيس النخعي : ٣٢٩٤ ، ٣٢٩٥ ، ٣٢٩٩
عبد الصمد بن عبد الوارث : ٤٣٣١
عبد العزيز بن أبي روّاد المكي : ٣٨٤٣
عبد الغفار بن داود بن مهران (أبو صالح الحراني) : ٤٣٤٨
عبد القاهر بن السريّ السلمي : ٣٨٤٣
أبو عبد الله النشائي (محمد بن حرب بن حرمان النشائي)
عبد الله بن أحمد بن شبويه : ٤٦١٢
عبد الله بن إدريس الأودي (ابن إدريس) : ٤٧٧٩ ، ٤٧٨٠
عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم : ٤٨٠٨
عبد الله بن جبير بن حية : ٣٢٧٨
عبد الله بن الحسين الأزدي (أبو حريز) : ٤٨٠٧
عبد الله بن رباح الأنصاري : ٤٨١٠
عبد الله بن زيد الجرمي (أبو قلابة) ٣٢٢٤ ، ٣٩١٣
عبد الله بن سعيد الكندي : ٣٩٥٦
عبد الله بن عثمان بن خثيم القاريّ : ٤٣٤١
عبد الله بن علي بن السائب بن عبيد القرشي : ٤٣١٨
عبد الله بن عون (ابن عون) (أبو عون) : ٤٠٠٣
عبد الله بن عيسى بن أبي ليلى (ابن أبي ليلى) : ٣٤٧٠

عبد الله بن كنانة بن عباس بن مرداس (ابن كنانة) ٣٨٤٣
عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبى طالب : ٤٨٧٠
عبد الله بن مخارق القطان : ٣٩٤٤
عبد الله بن مسعود : ٣٩٥٦
عبد الله بن معقل المزنى : ٣٣٣٦ ، ٣٣٣٩
عبد الله بن ميمون المرادى (عبيد الله . . .) : ٤٤٥٨
عبد الله بن نافع بن أبى نافع الصائغ (ابن نافع) : ٣٣٥٤
عبد الملك بن عطاء البكائى : ٣٧٣٤ ، ٣٧٥٣
عبد الملك بن عمرو (أبو عامر العقدى) : ٤١٤٣ ، ٤٨٠٨
عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن محمد الرقاشى (أبو قلابة) : ٤٣٣١
عبد الملك بن مسلمة المصرى : ٤٣٢٨
عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى : ٤١٤٥
أبو عبيد (القاسم بن سلام)
عبيد بن إسماعيل الهبارى (عبيد الله بن إسماعيل) : ٤٨٨٨
عبيد بن الصباح الخراز : ٤٧٧٧
أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود (عامر بن عبد الله) : ٤٥٧٠ ، ٤٦٩٤
عبيدة بن معتب الضبي : ٤٧٣٢
عبيد الله العتكى (عبيد الله بن عبد الله العتكى) (أبو المنيب)
عبيد الله بن إسماعيل الهبارى (عبيد بن إسماعيل) ٤٨٨٨
عبيد الله بن جبير بن حية : ٣٢٧٨
عبيد الله بن أبى رافع : ٣٨٢٧ ، ٣٨٢٨
عبيد الله بن زياد : ٤٥٩٤
عبيد الله بن سعد بن إبراهيم الزهرى : ٤٣١٤
عبيد الله بن عبد الله العتكى (أبو المنيب) : ٤٢٦٨
عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم ابن عمر بن الخطاب : ٤٦٣٢
عبيد الله بن معاذ بن معاذ العنبرى : ٣٣٢٤ ، ٣٣٧٤
عبيد الله بن ميمون المرادى (عبد الله . . .) : ٤٤٥٨
عبيد الله بن أبى هاشم : ٤٠٧٩
عبيد الله بن أبى يزيد المكى : ٣٧٧٨
عثمان الجزرى (عثمان بن ساج)
عثمان بن الأسود مولى جمح : ٤٢٨١
عثمان بن ساج (عثمان الجزرى) : ٤٠٨٦
عثمان بن عمرو بن ساج : ٤٠٨٦
أم عثمان بنت عمر بن عبيد الله بن معمر التيمى : ٤٥٩٤
ابن عجلان (محمد بن عجلان)
عطاء بن أبى رباح : ٣٣٣٣ ، ٣٣٥٧ ، ٣٩١٤ ، ٤٠٩٧

عطاء بن السائب ٤٤٣٣
عطاء بن عبد الله الخراسانى (عطاء بن أبى مسلم) : ٣٣٣٣ ، ٣٣٥٣ ، ٣٣٥٧ ، ٤٠٩٧
عطاء بن أبى مسلم الخراسانى (عطاء ابن ميسرة) (عطاء بن عبد الله) : ٤٠٩٧
عطاء بن ميسرة (عطاء بن أبى مسلم) : ٤٠٩٧
عطاء بن يسار : ٤٣٣٤
أم عطية : ٤٤٧٩
أم عطية الأنصارية : ٣٢٩٣
عطية بن جبير العنزى : ٤٤٧٩
عقبة بن أبى الصهباء : ٤٨٧٧ ، ٤٨٧٨
عقبة بن عامر الجهنى : ٤٨٤٢
العلاء بن المسيب بن رافع الأسدى : ٣٧٨٩
على بن رباح بن قصير اللخمى : ٤٧٤٧
على بن زيد بن جدعان : ٤٨٩٧
على بن عبد الأعلى (شيخ الطبرى) ٤٤٨٥ ، ٤٦٦٩ ، ٤٧٩٧
على بن مسلم بن سعيد الطوسى : ٤١٧٠
على بن مسهر القرشى : ٤٤٥٣
عمارة بن معاوية الدهنى (أبو معاوية البجلى) : ٤٣٢٥
عمارة بن عمير التيمى : ٣٢٩٤
أبو عمر الضرير (الأكبر) (حفص ابن عمر البصرى)
عمر بن بشير الهمدانى (أبو هانئ) ٤٤٢٢
عمر بن ثابت الأنصارى : ٤٧٢٤
عمر بن الحكم بن ثوبان : ٤١٧٢
عمر بن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف : ٣٩١١
عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن ابن الخطاب : ٤٧١٦
عمر بن يونس بن القاسم اليمامى : ٤٤٣٥
ابن أبى عمران : ٣٣٢٤ ، ٣٣٧٤
عمران بن ميسرة المنقرى : ٤٦٣٠
أبو عمرو الأوزاعى (عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد)
أبو عمرو السدوسى (سعيد بن سلمة بن أبى الحسام)
عمرو بن أوس بن أبى أوس الثقفى : ٣٢٢٣
عمرو بن ثابت الأنصارى : ٤٧٢٤
عمرو بن دينار : ٣٩١٥
عمرو بن الربيع بن طارق الهلالى (عمرو بن طارق) : ٤٣٣٠
عمرو بن سعيد النخعى (عمير بن سعيد) : ٣٢٩٤
عمرو بن أبى سلمة : ٣٩٩٧
عمرو بن طارق (عمرو بن الربيع بن طارق الهلالى)
عمرو بن عبد الحميد الآملى (شيخ للطبرى) : ٣٧٥٩
عمرو بن قيس الملائى ٣٩٥٦
عمرو بن مرثد (أبو أسماء الرحبى) .

٤٨٤٣ ، ٤٨٤٤
عمير بن سعيد النخعى (عمرو بن سعيد) : ٣٢٩٧
عنبسة بن سعيد بن الضريس : ٣٣٥٦
أبو عوانة (الوضاح بن عبد الله اليشكرى)
عوف الأعرابى (عوف بن أبى جميلة)
عوف بن أبى جميلة (عوف الأعرابى) : ٤١٤٥
ابن عون (عبد الله بن عون) (أبو عون)
أبو عون (ابن عون) (عبد الله بن عون)
عياض بن دينار الليثى : ٤٠٥٩
عيسى بن ميمون المكى : ٣٣٤٧
ابن أخى عيينة (الحر بن قيس بن حصن الفزازى)

* * *

أبو غسان النهدى (مالك بن إسماعيل)
غندر (محمد بن جعفر الهذلى)

* * *

أبو فاختة (سعيد بن علاقة)
فاطمة بنت أبى حبيش : ٤٧٢٦
ابن أبى فديك (محمد بن إسماعيل بن مسلم . . .)
أبو فزارة (راشد بن كيسان العبسى)
فضالة بن محمد الأنصارى : ٣٣٥٨
الفضل بن سهل بن إبراهيم الأعرج : ٣٣٠٧
الفضل بن العباس : ٣٨٢٧ ، ٣٨٢٨
فضيل بن مرزوق : ٤٧٧٧
فضيل بن ميسرة الأزدى العقيلى : ٤٨٠٧
فطر بن خليفة القرشى : ٣٥٨٣

* * *

القاسم بن أبى بزة (القاسم بن نافع ابن أبى بزة)
القاسم بن سلام (أبو عبيد) : ٣٨٤٢
القاسم بن نافع بن أبى بزة (القاسم بن أبى بزة) : ٤٧٤٢
قباث بن رزين بن حميد اللخمى : ٤٧٤٧
قتيبة بن سعيد : ٤٧٧٩ ، ٤٧٨٠
أبو قلابة (عبد الله بن زيد الجرمى)
أبو قلابة الرقاشى (عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن محمد)
أبو القموص (زيد بن على)
قنفذ بن عمير : ٤٠٠١
قيس بن الربيع : ٤٨٤٢
قيس بن الربيع الأسدى : ٤٨٤٢

* * *

ابن كعب (محمد بن كعب القرظى)
كعب بن عجرة : ٣٣٣٣ — ٣٣٥٨ ، ٣٣٦٤
ابن كنانة (عبد الله بن كنانة بن عباس)
كنانة بن عباس بن مرداس : ٣٨٤٣

* * *

لقيط بن صبرة بن عبد الله بن المنتفق : ٣٢٢٣
لقيط بن عامر (أبو رزين الأسدى) ٤٧٩١ — ٤٧٩٣

لقيط بن عامر بن المنتفق (أبو رزين العقيلى) : ٣٢٢٣
لوين (محمد بن سليمان بن حبيب)
ليث بن أبى سليم : ٤٨٤٠
ابن أبى ليلى (عبد الله بن عيسى بن أبى ليلى)
ابن أبى ليلى (محمد بن عبدالرحمن)

* * *

أبو ماجد الزيادى : ٤٣٣٠
مالك بن إسماعيل (أبو غسان النهدى) ٤٤٣٣
ماهان (أبو سالم الحنفى) : ٣٢٢٦
مؤمل بن إسماعيل : ٣٣٣٧
المثنى بن الصباح اليمانى : ٤٦١١
مجاهد بن موسى بن فروخ : ٣٣٩٦
مجزأة بن زاهر : ٣٣٠٧
أم محمد (أمية بنت عبد الله) (أمينة . . .) : ٤٨٩٧
محمد بن إبراهيم الأنصارى (محمد بن أبى حميد)
محمد بن إبراهيم الأنماطى (مربع) : ٤٩٠٠
محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى : ٤٢٤٩
محمد بن أحمد بن عبد الله الطوسى (شيخ للطبرى) : ٤٣٤٧
محمد بن أحمد بن نافع البصرى (محمد بن نافع) : ٣٨٨٧
محمد بن إسحق بن يسار : ٤٢٤٠ ، ٤٧٧٩ ، ٤٧٨٠
محمد بن إسحق بن جعفر الصاغانى : ٤٠٧٤
محمد بن إسماعيل بن مسلم بن أبى فديك (ابن أبى فديك) : ٤٣١٩
محمد بن بشار : ٤٨٠٩
محمد بن بشر بن الفرافصة العبدى : ٤٢٢٢ ، ٤٥٥٧
محمد بن ثابت بن قيس بن شماس : ٤٨٠٧
محمد بن جُحادة : ٣٢٢٢
محمد بن جعفر الهذلى (غندر) : ٣٨٨٧
محمد بن حرب بن حرمان النشائى (أبو عبد الله النشائى) : ٤٥١٨
محمد بن حميد الرازى : ٤٠٥٩
محمد بن أبى حميد الأنصارى الزرقى (محمد بن إبراهيم) : ٤١٤٣
محمد بن سليم الراسبى (أبو هلال) : ٤٦٨١
محمد بن سليمان بن حبيب (لوين) : ٤٧٧٩ ، ٤٧٨٠
محمد بن سيرين : ٤٠٠٣
محمد بن عبد الرحمن (ابن أبى ليلى) : ٣٩١٤
محمد بن عبد الرحمن الطفاوى : ٣٨٣١
محمد بن عبد الله بن الزبير الأسدى (أبو أحمد الزبيرى) : ٤٣٤٣
محمد بن عبد الله بن المبارك المخرّمىّ : ٣٧٣٠
محمد بن عجلان (ابن عجلان) : ٤١٧٠
محمد بن عيسى الدامغانى : ٣٢٢٥

محمد بن الفضل السدوسى (عارم، أبو النعمان) : ٣٣٨٧
محمد بن كعب القرظىّ (ابن كعب) ٣٣٥٤ ، ٤٣١٤
محمد بن مسلم بن تدرس الأسدى (أبو الزبير) : ٣٥٨١
محمد بن المنكدر (ابن المنكدر) : ٣٨٢٩
محمد بن موسى بن نفيع الحرشى : ٤٣٨٢ ، ٤٤٥٨
محمد بن ميمون المروزى (أبو حمزة) ٤٤٣٤
محمد بن نافع البصرى
(محمد بن أحمد بن نافع)
(أبو بكر بن نافع)
محمد بن يحيى بن أبى حزم القطعى : ٤٧٥١
محمد بن يزيد الأدمىّ (الأحمر) : ٤٨٩٤
محمد بن يزيد بن محمد بن كثير العجلى (أبو هشام الرفاعى) : ٤٥٥٧ ، ٤٨٨٨
مُخرمة بن بكير بن عبد الله بن الأشج : ٣٣٥٩
مخوّل بن إبراهيم بن مخول : ٣٣٠٧
مربع (محمد بن إبراهيم الأنماطى) : ٤٩٠٠
أبو مرة مولى أم هانئ (يزيد) : ٣٢٩١
مروان الأصفر : ٤٢٤٢
مروان بن معاوية الفزارى : ٣٣٢٢، ٣٨٤٢
مزاحم بن ذوّاد بن علبة : ٤٨٤١
ابن مسافر (عبد الرحمن بن خالد بن مسافر)
مسروق بن الأجدع الهمدانى : ٤٢٤٢
مسعود بن الحكم بن الربيع الزرقى : ٣٩١٦
مسعود بن مالك (أبو رزين الأسدى)
مسعود بن مالك بن معبد : ٤٧٩١ـ ٤٧٩٣
مسلم القرشى : ٣٧٩٥
أبو مسلم الكجى (إبراهيم بن عبد الله ابن مسلم)
مسلم بن حاتم الأنصارى : ٣٨٤٣
مسلم بن مخارق القطان : ٣٩٤٤
أبو معاوية البجلى (عمار بن معاوية الدهنى)
أبو معاوية النحوى (شيبان بن عبد الرحمن)
أبو معاوية الواسطى (هشيم بن بشير)
معاوية بن إسحق بن طلحة التيمى : ٣٢٢٦
معاوية بن عمرو بن المهلب الأزدى : ٤٠٧٤
معبد الجهنى (معبد بن عبد الله بن عكيم) (معبد بن خالد)
معبد بن خالد (معبد الجهنى)
معبد بن عبد الله بن عكيم (معبد الجهنى) : ٤٦٩٦
المعتمر بن سليمان بن طرخان التيمى : ٤٨٠٧

أبو معشر (زياد بن كليب التميمى الحنظلى)
مغيرة بن مقسم : ٣٣٤٩ ، ٣٣٥٠
مقاتل بن حيان النبطى (أبو بسطام) : ٣٨٤٢
المقبرى (سعيد بن أبى سعيد)
مقسم مولى ابن عباس (مقسم بن بجرة)
مقسم بن بجرة (مقسم مولى ابن عباس) : ٤٠٨٦
أبو المليح بن أسامة الهذلى : ٣٩١٣
ابن المنتفق (أبو المنتفق)
أبو المنتفق (ابن المنتفق) : ٣٢٢٢
منصور بن المعتمر : ٣٧٢١ ، ٣٧٢٢
ابن المنكدر (محمد بن المنكدر)
أبو المنيب (عبيد الله بن عبد الله العتكى)
موسى بن أيوب بن عامر الغافقى : ٤٣٣٠
موسى بن سهل الرازى (سهل بن موسى الرازى) : ٤٣١٩
موسى بن شداد : ٤٧٢٤
موسى بن عبد الرحمن المسروقى : ٣٣٤٥
موسى بن عبيدة : ٣٢٩١
موسى بن عيسى الليثى القارئ : ٤٨٩٧

* * *

ناجية بن بكر (؟؟) : ٤٦٣٣
ناجية بن جندب الأسلمى : ٣٣٠٧
ناجية بن كعب الخزاعى : ٣٣٠٧
ابن نافع (عبد الله بن نافع بن أبى نافع)
ندبة مولاة آل عباس : ٤٢٤٠
أبو النعمان عارم (محمد بن الفضل)
النعمان بن راشد الجزرى : ٤٦٨٩
النعمان بن سالم الطائفى : ٣٢٢٣
نوف بن فضالة الحميرى البكالى : ٣٩٦٥

* * *

هارون بن المغيرة بن حكيم البجلى : ٣٣٥٦
أبو هانئ (عمر بن بشير الهمدانى)
أبو هشام الرفاعى (محمد بن يزيد ابن محمد بن كثير العجلى)
هشام بن عامر بن أمية الأنصارى (شهاب بن عامر . . .) : ٤٠٠٣
هشام بن عبد الملك (أبو الوليد الطيالسى) : ٤٦٨١ ، ٤٩٠٠
هشيم بن بشير بن القاسم (أبو معاوية الواسطى) : ٣٣٤٨
أبو هلال (محمد بن سليم الراسبى)
هلال بن إساف (. . . بن يساف)
هلال بن يساف (... بن إساف) : ٣٧٢٦ ، ٣٧٢٧
هناد بن السرى الدارمى : ٣٩٦٠
هند بنت أسماء بن خارجة الفزازى : ٤٥٩٤
أبو الهيثم العدوى (خالد بن إلياس ، ابن صخر)

أبو الهيثم البجلى (خالد بن مخلد القطوانى)

* * *

أبو وائل الأسدى (شقيق بن سلمة)
واقد الخلقانى (واقد بن عبد الله الخلقانى)
واقد بن عبد الله الخلقانى (واقد الخلقانى) : ٣٦٨٢
ابن أبى وحشية (أبو بشر ، جعفر ابن إياس)
وسيم : ٤٤٣٣
الوضاح بن عبد الله اليشكرى (أبو عوانة) : ٤٤٩٨
أبو وكيع (الجراح بن مليح الرؤاسى)
وكيع بن الجراح : ٣٧٩٥
وكيع بن مسلم القرشى : ٣٧٩٥
أبو الوليد الطيالسى (هشام بن عبد الملك)
الوليد بن مسلم القرشى : ٤٦١٠
الوليد بن أبى هشام زياد : ٣٢٧٨
وهيب بن خالد بن عجلان : ٤٣٤٥

* * *

يحيى الأنصارى (يحيى بن سعيد بن قيس)
يحيى بن أيوب الغافقى : ٣٨٧٧ ، ٤٣٣٠
يحيى بن بشر الخراسانى : ٣٦١٩ ، ٤٥٤٩ ، ٤٧٤٩
يحيى بن أبى بكير الأسدى : ٣٧٢٦ ، ٣٧٢٧
يحيى بن زكريا بن أبى زائدة (ابن أبى زائدة) : ٤٢٤٦
يحيى بن سعيد الأنصارى : ٣٣٩٥
يحيى بن سعيد القطان : ٤٨٩٦
يحيى بن سعيد بن قيس بن عمر الأنصارى (يحيى الأنصارى) : ٤٨٠٩
يحيى بن سلام البصرى : ٣٤٧٠
يحيى بن سليم الطائفى : ٤٨٩٤
يحيى بن محمد بن مجاهد : ٤٠٧٩
يحيى بن معين : ٤٩٠٠
يحيى بن واضح (أبو تميلة) : ٤٨١٠
يحيى بن يزيد الهنائى : ٤٩٠٠
يزيد (أبو مرة ، مولى أم هانئ)
يزيد بن إبراهيم التسترى : ٤٨٣٦
يزيد بن أبى حبيب المصرى : ٤٣٤٨
يزيد بن زياد بن أبى الجعد الأشجعى : ٤٥١٠ ، ٤٥٧٨
يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد الليثى : ٤٣١٤
يزيد بن هرون : ٣٣٩٦ ، ٤٢٤٠
يعقوب القمى : ٤٣٤٧
يعقوب بن إبراهيم الدورقى : ٣٢٢٣ ، ٣٣٤٨ ، ٣٧٢٦ ، ٣٧٢٧ ، ٤٩٠١
يعقوب بن إبراهيم بن سعد الزهرى : ٤٣١٤
يعقوب بن إسحق بن زيد الحضرمى : ٤٣٤٥
يعقوب بن حميد بن كاسب : ٤٧٧٩ ، ٤٧٨٠
يعقوب بن خالد بن عبد الله بن المسيب : ٣٣٩٥ ، ٣٣٩٦

يعقوب بن ماهان : ٤٩٠١
يعلى بن شبيب الأسدى : ٤٧٧٩ ، ٤٧٨٠
أبو يونس القوىّ (الحسن بن يزيد بن فروخ)
يونس بن عبد الأعلى : ٣٣٥٤
يونس بن يزيد بن أبي النجاد الأيلى : ٤٦٣٣

فهرس المصطلحات

الاستخراج : ٢٦٥
الباطن : ٨٣ ، ١٣٤
التطاول (تطاول الفعل) : ٢٩٠
التفسير للفعل (المفعول لأجله) : ٢٤٦
الحال الدائمة ، وغير الدائمة : ٣٥٦
حشو (زيادة) : ٢٨٩
الحكاية : ١٧٢
الدائم (الحال الدائمة) : ٣٥٦
الردّ ، المردود : ٣١١
الشرط (بمعنى العلة) : ٢٤٧
الصفة (الحرف) : ٢٢٧ ، ٢٤٧
الصلة : ٢٨٢
صلة (زيادة) : ٢٨٩
الظاهر : ٨٣ ، ١٣٤
فقد الحافض : ٥٩٩
النصب على الفعل (المفعول لأجله) : ٢٤٦
وقوع الفعل (التعدّى) : ٢٩٣

مباحث العربية والنحو وغيرهما

* الحروف يستدل على افتراق معانيها بافتراق الأجوبة عنها ، مثل « أنّى » و « أين » : ٤١٤

* « الألف واللام » للعموم والجمع والاستغراق : ٢٧٠

* « أم » إذا كانت ابتداء ، لا يجوز الاستفهام بها . لا يجوز أن تقول : « أم عندك أخوك » .
وشرطها فى الاستفهام سبوق كلام هو به متصل كقولك : « أنت رجلٌ مدلٌّ بنفسك ، أم عندك أخوك ينصرك » ؟ : ٢٨٧ ، ٢٨٨ .

* « إنْ » بمعنى « ما » فى مثل قوله : « وإن كنتم من قبله لمن الضالين » : ١٨٣

* « إنْ » بمعنى « قد » ، فى مثل قوله : « وإن كنتم من قبله لمن الضالين» : ١٨٤

* « إنْ» فى موضع « لو » لتقارب مخرجيهما ومعنييهما ، وتجاب كل واحدة منهما بجواب صاحبتها : ٣٦٩

* « أنّى » فى كلام العرب ، كلمة تدلُّ ، إذا ابتدئ بها فى الكلام ، على المسألة عن الوجه والمذهب ، بمعنى : من أىّ الوجوه : ٤١٣ — ٤١٦

* « أنّى » بمعنى « كيف » : ٣٩٨ ، ٤٠٨ ، ٤١٤

* « أنّى » بمعنى « من حيث » و « من أى وجه » : ٤٠٠ ، ٤١٣

* « أنّى » بمعنى « متى » : ٤٠٢ ، ٤١٤

* « أنّى » بمعنى « أين » ، و « حيث » : ٤٠٣ ، ٤١٤

- « أو » للتخيير : ٧٥ ، ٧٦
- « أين » حرف استفهام للمسألة عن المكان والحال : ٤١٥
- « حتى » حكم النصب بها وإبطالها : ٢٩٠ ، ٢٩١
- « حيث » تفصيل معناها فى قوله تعالى : « من حيث أمركم الله » : ٣٩٢ ــ ٣٩٤
- « فمن ، فمن » للأوّل فالأوّلِ : ٧٥ ، ٧٦
- « اللام » بمعنى « إلا » فى قوله : « وإن كنتم من قبله لمن الضالين » : ١٨٣
- « لا » حذفها من الكلام ، كقوله :

فقلتُ يمين الله أبرحُ قاعداً ولو قطّعوا رأسى لديك وأوْصالى

بمعنى : فقلت : يمين الله لا أبرَح : ٤٢٥

- « لمّا » بمعنى « لم » : ٢٨٩
- « لو » فى موضع « إنْ » لتقارب مخرجيهما ومعنيهما ، وتجابُ كل واحدة منهما بجواب صاحبتها : ٣٦٩
- « ما » تأتى زيادة : ٢٨٩
- « ماذا » بمعنى : أى شىء ؟ : ٢٩٢ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧
- « ماذا » بمعنى : ما الذى ؟ : ٢٩٢ ، ٣٤٧
- « هل » بمعنى : « ما » : ٢٦٥

* * *

- المصدر الميمى من « فعَل يفعِل » (بكسر عين المضارع) على « مفعَل » بفتح العين ، والاسم « مَفعِل » بكسر العين : ٣٧٢

* المصدر الميمى فى ذوات « الألف والياء » والاسم على « مفعِل » و « مفعَل » كالمعيش والمعاش ، والمعيب والمعاب : ٣٧٢

* « فعال » و « فعول » مصدر « فعل » مثل : « ذهب ذهاباً وذهوباً » ، و « فسد فساداً وفسوداً » : ٢٤٣ ، ٢٤٤

* « فُعْلة » تجمع على « فُعَل » و « فِعال » ، مثل : « ظلّة » على « ظُلَل » و « ظِلال » : ٢٦١ ، ٢٦٢

* « فُعول » الجمع ، كثيراً ما تدخل عليه العرب « الهاء » ، فيكون « فعولةٌ » كقولهم « بعل وبعول وبعولة » و « فحل وفحول وفحولة » : ٥٢٦

* « فِعال » الجمع ، قليل فى كلامهم إدخال « الهاء » ، حكى عنهم « عَظْم وعِظام وعظامة » ، و « حِجار وحجارة » : ٥٢٦ ، ٥٢٧

* « فعيلة » وجمعها « فَعْل » ، ليس فى كلام العرب غير : « هديّة » و « هَدْى » و « جَديّة » ، و « جَدْى » : ٣٤

* * *

* النصب بفقد الخافض ، وهو وإن كان محذوفاً ، فمعروف موضعه : ٥٩٩

* النصبُ فى قولهم : « إن لبست ثياباً فالبياضَ » ، أى فالبس البياضَ — لا على وجه الخبر عن ذلك ، ولو أريد الخبر لقال « فالبياضُ » بالرفع ، إذا كان مخرج الكلام على وجه الخبر عن اللابس : أن كل ما يلبسُ من الثياب فبياضٌ : ٣٥٦

* أيّما مصدر وضع موضع الشرط ، وموضع « أن » ، فتحسن فيها « الباء » و « اللام » فتقول : « أتيتك من خوف الشر — ولخوف الشرّ — وبأن خفت الشرّ » ، فالصفة غير معلومة ، فحذفت وأقيم المصدر مقامها : تقول : « أتيتك خوف الشرّ » : ٢٤٧

* إذا كانت الصفة (حرف الجر) حرفاً واحداً بعينه ، لم يجز حذفه ، وإعمال الفعل ، لا يجوز أن تسقط اللام من قولك : « فعلت هذا لك ولفلان » : ٢٤٧

* نزع حرف الجرّ ، وإعمال الفعل : ٢٤٦

* رفع ما كان حقه أن يكون ظرفاً منصوباً ، إذا لم يكن محصوراً على حدّ معروف بإضافته إلى معرفة أو معهود مثل : « المسلمون جانبٌ » .

* الاستفهام ، لا يجوز تقديم الفعل فيه قبل حرف الاستفهام : ٢٩٣

* القلب فى كلام العرب موجود مستفيض ، كقوله :

كانت فريضةُ ما تقول كما كان الزناءُ فريضة الرجمِ

أى : كان الرجم فريضة الزنا : ٢٨٦ ، ٢٨٧

* لا تتقدم صلةُ المصدر عليه : ٢٨٢

* التوكيد ، مثل : « سمعته بأذنى » ، و « فخرّ عليهم السقف من فوقهم » : ١٠٩

* التضعيف والإدغام : ٣١٦ ، ٣١٧

* الاكتفاء بدلالة ما ظهر من الكلام عليه : ٤٥٦ ، ٥٤٩

* لفظ الواحد ، وهو بمعنى الجمع : ٣٢٨

* ذكر الاثنين والمراد أحدهما كقوله : « فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما » ، وإنما الناسى صاحب موسى وحده : ٥٧٢

* العرب تذكر الواحد بمعنى الجميع ، فتقول : « فلان كثير الدينار والدرهم » ، يراد به : الدراهم والدنانير : ٢٦٣

* المقدّم الذى معناه التأخير ، والمؤخر الذى معناه التقديم : ١٩٠

* العرب تدل بذكر الجماعة على الواحد ، مثل قوله : « الذين قال لهم الناسُ إن الناس قد جمعوا لكم » ، والذى قال ذلك واحد : ١٩١
* تسمية البقعة بالجمع ، تسمية لها ولجوانبها ، ولا ينفرد واحدها ، ولا يجوز ذلك فى غير المواضع والأماكن من الأشياء : ١٧٢
* « التاء » فى « مسلمات » بمنزلة « الياء والواو » فى « مسلمون ومسلمين » والتنوين بمنزلة « النون » : ١٧١
* ترك الجمع الذى يسمى به مصروفاً على أصله ، ومن العرب من لا يصرفه إذا سمى به : ١٧١
* والكوفيُّون يقولون : ما كان جماعاً لمؤنث بالتاء ، ثم سميتَ به رجلا أو مكاناً انصرف : ١٧١
* لا تكاد العرب تسمى شيئاً من الجماع ، إلا جماعاً ، ثم تجعله واحداً : ١٧١
* العرب قد تُتبع بعض الكلام بعضاً بإعرابٍ ، مع اختلاف المعانى : ١٥٤
* المخالفة بين إعراب المعطوفين ، إعلام باختلاف معنييهما : ١٥٤

* * *

* العرب لا تمتنع خاصة فى الأوقات أن تستعمل الوقت وهى تريد بعضه ، كقولهم : « له اليوم يومان منذ لم أره » ، تعنى : يوماً وبعض آخر . وقد يفعل الفاعل منهم الفعل فى الساعة ، ثم يخرجُه عامًّا على السنة والشهر ، فيقول : « زرته العام » ، وهو لا يريد أن فعله أخذ من أول الوقت إلى آخره ، ولكنه يعنى أنه فعله إذ ذاك وفى ذلك الحين : ١٢٠ — ١٢١

* * *

* الفروض لا تلزمُ العبادَ إلا بدلالة على لزومها إياهم واضحة : ١٦
* كل مبهمة فى القرآن ، غير جائز ردّ حكمها على المفسَّرة قياساً ، ولكن الواجبُ أن يحكم لكل واحدة منهما بما احتمله ظاهر التنزيل ، إلا أن يأتى فى بعض ذلك خبرٌ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بإحالة حُكم ظاهره إلى باطنه ،

فيجب التسليم حينئذ لحكم الرسول ، إذْ كان هو المبين عن مُراد الله : ٨٣

* غير جائز نقل حُكم ظاهر آية إلى تأويل باطن، إلا بحجة ثابتة : ١٣٤

* غير جائز القراءة بإعراب له مخرج فى العربية ، إذا خالف ما عليه الحجة مجمعة من القراءة : ٢٤٣

* اتباع خطّ المصحف فى القراءة : ٢٦٢

* الواجب فى كل ما اتفقت معانيه واختلفت فى قراءته القرأة ، ولم يكن على إحدى القراءتين دلالة تنفصل بها من الأخرى غير اختلاف خط المصحف ـ فالذى ينبغى أن تؤثر قراءته منها ، ما وافق رسم المصحف : ٢٦٢

* * *

* صفات الله التى وصف بها نفسه ، كالإتيان والمجىء والنزول ، غير جائز تكلّف القول فى ذلك لأحد ، إلا بخبر من الله جل جلالُه ، أو من رسول مرسل : ٢٦٥

* غير جائز لأحد القول فى صفات الله وأسمائه ، من جهة الاستخراج : ٢٦٥

فهرس التفسير

٣ تصدير الجزء الرابع .

٧ تفسير قوله تعالى : « وأتموا الحج والعمرة لله » .

٨ تمام الحج والعمرة، الإحرام بهما مفردين من دويرة أهلك ، والآثار فى ذلك .

٩ تمام العمرة أن تعمل فى غير أشهر الحج .

١٠ تمامهما أن تخرج من أهلك لا تريد غيرهما .

١١ قول من قال: أنهما فرضان واجبان .

١٢ قول من قال : إن العمرة تطوع .

١٥ ترجيح أبى جعفر بين أقوال القائلين فى العمرة .

١٦ الأحاديث فى الحج والعمرة .

٢٠ ردّ أبى جعفر على قول من قال: أنه لم يجد تطوُّعاً إلا وله إمامٌ من المكتوبة .

٢١ بيان معانى « الإحصار » ، وعلل القائلين فى معناه .

٢٤ قول مالك فى الإحصار .

٢٦ بيان معنى « الهدْى » ، والآثار فى ذلك .

٣٣ اختيارُ أبى جعفر فى معنى « الهدْى » .

٣٦ بيان معنى « محل الهدى » ، والأحاديث فى ذلك . وتعليل مقالة كل قائل فى ذلك قولا .

٥٠ ترجيح أبى جعفر بين أقوالهم فى ذلك .

٥٤ حلاق المريض ومن به أذًى من رأسه فى حجه ، وافتداؤه بالصيام أو الصدقة أو النُّسك . وأقوال القائلين فى ذلك .

٥٨ تفسير « المرض » و « الأذى » الذى يكون برأس الإنسان .

٥٨ الأحاديث الدالة على سبب نزول هذه الآية ، فى أمر كعب بن عجرة .

٧٠ مبلغ « الصيام » و « الطعام » اللذين وجبا على من حلق شعره من المحرِمين ، وأقوال القائلين فى ذلك . وتعليل أقوال كل قائل .

٧٦ اختيار أبى جعفر فى كفارة الحلق ، والردّ على أقوال القائلين فيها .

٧٨ اختلاف أهل العلم فى مَوضع نسك الحلق وإطعام الفدية .

٨٢ اختيار أبى جعفر .

٨٢ كل مبهمة فى القرآن، غير جائز ردّ حكمها على المفسَّرة قياساً، ولكن يحكم لكل واحدة بما احتمله ظاهر التنزيل .

٨٣ إجماعهم على أن الصيام مجزئ عن الحالق حيث صام من البلاد .

٨٣ اختلافهم فى جواز أكل المفتدى من نُسك الفدية ، وتعليل قول كل قائل .

٨٥ اختيار أبى جعفر وترجيحه بين هذه الأقوال .

٨٨ التمتّع بالعمرة إلى الحج ، واختلافهم فى صفته ، واختيار أبى جعفر .

٩٤ الأيام الثلاثة التى أوجب على المتمتع صومهنّ ، واختلافهم فيها ، وعلل اختلافهم .

١٠٤ اختيار أبى جعفر ، واحتجاجه لاختياره .

١٠٦ القول فى الأيام السبعة التى أوجب على المتمتع صيامها إذا رجع إلى أهله .

١١٠ اختلافهم فى قوله : « ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام » ، واختيار أبى جعفر .

١١٤ الأشهر المعلومات ، واختلافهم فى بيانها .

١٢١ بيان معنى « فرض الحج » .

١٢٥ بيان معنى « الرفث » .

١٣٤ بيان فى الخصوص والعموم .

١٣٥ بيان معنى « الفسوق » .

١٤١ بيان معنى « الجدال فى الحج » .

١٤٧ خبر النسىء .

١٤٨ اختيار أبى جعفر فى معنى « الجدال فى الحج » ، واحتجاجه على المختلفين .

١٥٠ حديث : « سباب المسلم فسوق ، وقتاله كُفر » .

١٥٠ حديث : « من حجّ هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق ، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » ، من رقم ٣٧١٨ — ٣٧٢٨ / ثم انظر رقم : ٣٩٥٩ .

١٥٦ بيان معنى « التزود » للحجّ .

١٦٣ بيان معنى « ابتغاء الفضل من الله » فى الحج.

١٧٠ الإفاضة من عرفات .

١٧٢ تسمية « عرفات » .

١٧٥ المشعر الحرام ، واختلافهم فيه ، والأخبار فى ذلك .

١٨٣ بيان معنى « ذكر الله » .

١٨٤ بيان الإفاضة ، ومعنى « الناس » فى قوله : « من حيث أفاض الناس » .

١٨٤ الأخبار فى ذكر « الحمس » من قريش ، وفعلهم فى حجهم.

١٩٢ الاستغفار بعد الإفاضة .

١٩٥ بيان معنى « المناسك » .

١٩٦ ذكر العرب آباءهم فى الحج .

٢٠٨ الأيام المعدودات ، وذكر الله فيهن ، واختيار أبى جعفر فى معناها .

٢١٥ التعجّل فى يومين ، والتأخر فى يومين .

٢٢٢ حديث المتابعة بين الحج والعمرة .

٢٢٣ حديث « إذا قضيت حجك ، فأنت مثل ما ولدتك أمك » / ثم انظر رقم ٣٧١٨ — ٣٧٢٨ .

٢٢٩ صفة المنافق .

٢٣٧ إفساد المنافق فى الأرض ، وإهلاكه الحرث والنسل ، وبيان معانى ذلك .

٢٤٦ سبب نزول : « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله » .

٢٥١ بيان معنى « السلم » .

٢٦٠ بيان معنى « الإتيان » فى قوله : « إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام » .

٢٦٥ القول فى صفات الله .

٢٧٥ اختلاف القائلين فى قوله : « كان الناسُ أمة واحدة » .

٢٩٩ القتال فى الشهر الحرام ، وهو رجب الأصم .

٣٠٢ خبر سرية عبد الله بن جحش بعد بدر الأولى ، وقتل ابن الحضرمى .

٣١٩ تتمة خبر عبد الله بن جحش وسريته .

٣٢٠ بيان القول فى الخمر والميسر .

٣٣٢ الخبر فى تحريم الخمر فى ثلاث مرات .

٣٣٧ الاختلاف فى معنى « العفو » .

٣٤٠ الأخبار فى النفقة .

٣٤٣ الحجة فى أن « العفو » غير « الصدقة المفروضة » .

٣٤٥ القول فى اختلافهم عن آية « العفو » من النفقة : أهى منسوخة أم مثبتة الحكم ؟

٣٤٩ مخالطة اليتامى ، وما كان من أمر عزل الناس أموالهم عن أموال اليتامى .

٣٦٢ اختلاف فى آية النهى عن نكاح المشركات .

٣٧٢ المحيض ، وبيان معناه ومعنى أذاه .

٣٧٥ اعتزال النساء فى المحيض ، وما يحلّ من ذلك وما لا يحلُّ .

٣٨٣ اعتزالهن حتى يطهرن ، وإتيانهن من حيث أمر الله ، وبيان ذلك ، واختلاف الناس فيه ، واحتجاج أبى جعفر لاختياره .

٣٩٧ النساء حرث ، وإتيانهن أنّى شاء الزوج ، وبيان ذلك ، واختلاف المختلفين فيه ، والأخبار فى ذلك .

٤١٩ بيان معنى قوله : « ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم » .

٤٢٥ بيان معنى « البرّ » .

٤٢٧ بيان معنى « اللغو » واختلاف المختلفين فيه ، وعلة قول كل قائل .

٤٤٦ اختيار أبى جعفر فى معنى « اللغو » واحتجاجه لاختياره .

٤٤٩ بيان المؤاخذة على الأيمان ، وكفارتها .

٤٥٦ بيان « الإيلاء » ، واختلاف المختلفين فى صفة اليمين التى يكون بها الرجل مولياً من امرأته .

٤٦٥ بيان « الفىء » من « الإيلاء » ، واختلاف المختلفين فى معنى « الفىء » .

٤٧٣ اختيار أبى جعفر فى معنى « الفىء » .

٤٧٧ بيان معنى « عزم الطلاق » فى « الإيلاء » .

٤٧٨ اختلاف أهل التأويل فى الطلاق الذى يلحق المولى منها بمضى الأشهر الأربعة .

٤٩٨ اختيار أبى جعفر فى ذلك .

٤٩٩ معنى « القرء » ، واختلاف المختلفين فيه .

٥١١ معنى « القرء » فى كلام العرب ، وسبب إشكال معنى « القرء » فى قوله : « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » ، وترجيح أبى جعفر .

٥١٥ بيان معنى « المطلّقات » و « التربص » .

٥١٦ معنى « كتمان » المطلقة ما خلق الله فى رحمها ، وأقوال أهل التأويل فيه .

٥٢١ سبب النهى عن « كتمان المطلقة » ، وما كان عليه أمرهن فى الجاهلية .

٥٢٦ القول فى مراجعة المطلقة .

٥٣١ « المعروف » الذى لهن وعليهنّ .

٥٣٣ بيان معنى « الدرجة » التى للرجال على النساء ، وفيه كلام جيّد .

٥٣٨ بيان « الطلاق مرتان » ، وكيف الطلاق ، وما جاء من الأخبار فى ذلك .

٥٤٤ بيان الإمساك بالمعروف ، والتسريح بالإحسان ، وما جاء من الخبر فى ذلك .

٥٥٢ الحال التى يخاف على الزوجين أن لا يقيما حدود الله ، وحديث ثابت بن قيس بن شماس .

٥٧٧ الاختلاف فى معنى « الخوف » أن لا يقيما حدود الله ، والذى يبيح للرجل أخذ الفدية .

٥٦٢ ترجيح أبى جعفر لاختياره .

٥٦٣ اختلاف أهل التأويل فى « الحدود » التى إذا خيف من الرجل والمرأة أن لا يقيماها ، حلت الفدية للرجل .

٥٦٥ إسقاط « الجناح » عن المرأة فيما افتدت به ، ومعنى ذلك .

٥٦٨ الخُلع ، وما جاء من الآثار فى قوله : « المختلعات هن المنافقات » ، وبيان معانى هذه الآثار .

٥٧٣ اختلاف أهل التأويل فى إسقاط « الجناح » ، أهو موضوع عنها الجناح فى كل ما افتدت به ، أم فى بعضه ؟

٥٨٠ اختيار أبى جعفر ، وبيان ترجيحه .

٥٨١ القول فى نسخ آية « سورة البقرة » ، بآية « سورة النساء » ، وبيان فساده .

٥٨٢ بعض شروط النسخ .

٥٨٥ التطليقة الثالثة ، وما قيل فيها من الاختلاف .

٥٨٧ اختيار أبى جعفر ، وحجته فى ترجيحه .

٥٨٩ حديث « لا تحلّ له حتى يذوق الآخر عُسَيلتها وتذوق عُسَيلته » من رقم : ٤٨٨٨ — ٤٩٠٤ ، والتعليق على طرقه .

٥٩٩ الحدود التى بينها الله فى شأن الطلاق .

تراث الإسلام

تفسير الطبري

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ - ٣١٠ هـ

٥

حققه وعلق حواشيه
محمود محمد شاكر

راجعه وخرج أحاديثه
أحمد محمد شاكر

الطبعة الثانية

الناشر
مكتبة ابن تيمية
القاهرة ت ٨٦٤٢٤٠

تفسير الطبري

الجزء الخامس

فيه

تفسير سورة البقرة

من ٢٣١ — ٢٧٤

والآثار من ٤٩٠٩ — ٦٢٣٤

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانك اللهم وبحمدك ، بك أستَعينُ ، وعليك أتوكَّل ، وإليك ألجأ ، ومِنْك أستنزل رحمتك ، وفيكَ أجاهِدُ أعداءك ، والخير كُلُّه بيديك . وأشهد أنّه هو الله ربّى لا إلٰهَ إلا هو وحده لا شريك لَهُ ، تبارك اسمُه ، وتعالى جدُّه ، وأشهدُ أنّ محمّداً عبدُهُ ورسولُه ، أنزل عليه الكتابَ فرقَاناً بين الحقِّ والباطِلِ ، فأيَّد بالحقّ أهلَ طاعته ، وخذل بالباطِلِ أهل معصيته ، وجعل العاصى محنةً للمطيع ، وأمر المطيع بالصبر على محنته . ثم كافأ المحسن بإحسانه ، والمسىء بإساءته ، فجعل الجنَّة مأوًى لمن خافَ مقامَ ربّه فأطاعَه ، والنَّار مستقرًّا لمن أعْرَضَ عن ذكرِهِ فعصاهُ .

اللهُمَّ إنى أبرأُ إليك من كُلِّ طاغٍ لم يخشَ نَذِيرَ ربِّه ففجر ، ومن كُلّ عادٍ لم يرهب عذابَ الآخرة فبغَى وتجبَّر . وأبرأ إليك من معين على باطِلٍ لا ترضاهُ ، ومن مؤيّد لإثمٍ قد نهيت عنه . وأستجيرُ بربّ لا يخذلُ المستجير به ، من زمان قد غشينا ، الخائفُ فيه من عقابِ ربّه قليل ، والمستمسك بهدى رُسُلِهِ قابضٌ على أمثالِ الجمر . أطبقت علينا فيه فِتنٌ كقطع الليل المُظْلِم ، فحارت فى سوادها خُطَى السائرين ، وتذبذبت فى دياجيرها أبصارُ السَّارين ، ونبتت تحت ظلمائها نوابتُ تنطِقُ ألسنتها بالهوَى والضلالة ، لا يعصمُها عاصم عن الكذبِ على ربّها

وعلى كتابه العربىّ المبين ، تقولُ فيـه بغير عِلْم ، وتتلعَّبُ ببيانه بغيرِ وَرَعٍ ، تحتطبُ لدنياها فى حَبْل سلطانٍ تخافه وجبّارٍ ترجوه ، وتتطلَّبَ فى الناسِ الذِّكْرَ ، بالبِدَع تستحدثُها ابتغاء مَرضاةِ الحاكمين ، أو التماسَ إعجابِ المفتونين . فاللهُمَّ اعصمنا حيث لا عاصِمَ إلّا أنتَ ، واجعَـلْ هذا الـكتابَ نبراسنا الذى نهتدى بِهِ ، واكتبنا عندَكَ فى الشُّهداء فى يومٍ كيومِ بَدْرٍ ، تَفْصِل فيه بين من اتَّبَعَ سبيلَكَ فآمنَ ، وبين من اتَّبع السُّبُل خلافاً على هُدَاكَ فـكفر ، واعفُ عنا واغْفِر لنا وَارْحمنا ، أنتَ مولانَا فانصُرنا على القومِ الـكافرين ؟

محمود محمد شاكر

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : « وإذا طلقتم » ، أيها الرجال نساءكم = « فبلغن أجلهن » ، يعنى : ميقاتهن الذى وقّتُه لهن، من انقضاء الأقراء الثلاثة ، إن كانت من أهل القُرء، (١) وانقضاء الأشهر ، إن كانت من أهل الشهور = « فأمسكوهن » ، يقول : فراجعوهنّ إن أردتم رَجعتهن فى الطلقة التى فيها رَجعة : وذلك إما فى التطليقة الواحدة أو التطليقتين ، كما قال تعالى ذكره : « الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ » .

= وأما قوله: « بمعروف »، فإنه عنى : بما أذن به من الرجعة، من الإشهاد على الرجعة قبل انقضاء العِدّة ، دون الرجعة بالوطء والجماع . لأن ذلك إنما يجوز للرجل بعد الرجعة ، وعلى الصحبة مع ذلك والعِشرة بما أمر الله به وبيّنه لكم أيها الناس = «أو سرحوهنّ بمعروف»، يقول: أو خلوهنّ يقضين تمام عِدتهنّ وينقضى بقية أجلهن الذى أجلته لهنّ لعددهن ، بمعروف . يقول : بإيفائهن تمام حقوقهن عليكم ، (٢) على ما ألزمتكم لهنّ من مهر ومتعة ونفقة وغير ذلك من حقوقهنّ قِبلكم = « ولا تمسكوهنّ ضراراً لتعتدوا » = يقول : ولا تراجعوهن ، ٢٩٤/٢

(١) فى المطبوعة : « من أهل الأقراء » ، وهى صواب ، ولكن لا أدرى لم غير ما فى المخطوطة .
(٢) فى المخطوطة : « بإنفاقهن » ، وهو فساد من الناسخ العجل ، كما أسلفت .

إن راجعتموهنّ فى عِدَدهن، مضارةً لهنّ، لتطوّلوا عليهنّ مدة انقضاء عِددهنّ، أو لتأخذوا منهنّ بعض ما آتيتموهن بطلبهن الخُلع منكم، لمضارتكم إياهن، بإمساككم إياهنّ، ومراجعتكموهنّ ضراراً واعتداءً.

وقوله: «لتعتدوا»، يقول: لتظلموهن بمجاوزتكم فى أمرهن حدودى التى بيّنتها لكم.

* * *

وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك:

٤٩٠٩ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن منصور، عن أبى الضحى، عن مسروق: «ولا تُمسكوهنّ ضراراً»، قال: يطلقها، حتى إذا كادت تنقضى راجعها، ثم يطلقها، فيدعُها حتى إذا كادت تنقضى عدتها راجعها، ولا يريد إمساكها: فذلك الذى يُضارُّ ويتخذ آيات الله هُزُواً.

٤٩١٠ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية، عن أبى رجاء قال: سئل الحسن عن قوله تعالى: «وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تُمسكوهن ضراراً لتعتدوا»، قال: كان الرجل يطلق المرأة ثم يراجعها، ثم يطلقها ثم يراجعها، يُضارُّها، فنهاهم الله عن ذلك.

٤٩١١ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد فى قوله: «وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهنّ بمعروف»، قال: نهى الله عن الضِّرار = «ضراراً»، أن يطلق الرجل امرأته ثم يراجعها عند آخر يوم يبقى من الأجل، حتى يبقى لها تسعة أشهر، ليضارها به.

٤٩١٢ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد بنحوه = إلا أنه قال: نهى عن الضرار، والضرارُ فى

الطلاق أن يطلق الرجل امرأته ثم يراجعها = وسائر الحديث مثل حديث محمد بن عمرو .

٤٩١٣ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثنا أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا » ، كان الرجل يطلق امرأته ثم يراجعها قبل انقضاء عدتها ، ثم يطلقها . يفعل ذلك يضارُّها ويَعضُلها ، فأنزل الله هذه الآية .(١)

٤٩١٤ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : « وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا » ، قال : كان الرجل يطلق امرأته تطليقة واحدة ، ثم يدعها ، حتى إذا ما كاد تخلو عدتها راجعها ، ثم يطلقها، حتى إذا ما كاد تخلو عدتها راجعها .(٢) ولا حاجة له فيها، إنما يريد أن يضارَّها بذلك. فنهى الله عن ذلك وتقدَّم فيه ،(٣) وقال : « ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه » .

٤٩١٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني الليث ، عن يونس ، عن ابن شهاب قال : قال الله تعالى ذكره : « وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا » ، فإذا طلق الرجلُ المرأةَ وبلغت أجلها، فليراجعها بمعروف أو ليسرِّحها بإحسان ، ولا يحلُّ له أن يراجعها ضراراً ، وليست له فيها رغبة ، إلاّ أن يضارَّها .

٤٩١٦ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر، عن قتادة في قوله: « ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا » ، قال : هو في الرجل

---

(١) عضل المرأة يعضلها : لم يحسن عشرتها، ليضطرها بذلك إلى الافتداء منه بمهرها الذي أمهرها .
(٢) خلا الشيء يخلو خلواً : مضى وانقضى .
(٣) قوله : « تقدم فيه » ، أي أمرهم بأمره فيه ونهاهم عن فعله ، وزجرهم .

يحلف بطلاق امرأته ، فإذا بقى من عدتها شيء راجعها ، يضارُّها بذلك ويطوِّل عليها ، فنهاهم الله عن ذلك . ٢/٢٩٥

٤٩١٧ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا إسمعيل بن أبي أويس ، عن مالك بن أنس ، عن ثور بن زيد الديلي : أن رجلا كان يطلق إمرأته ثم يراجعها ، ولا حاجة له بها ولا يريد إمساكها ، كيما يطوِّل عليها بذلك العدةَ ليضارَّها ، فأنزل الله تعالى ذكره : « ولا تُمسكوهنَّ ضراراً لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه » ، يُعظِّم ذلك . (١)

٤٩١٨ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد قال ، حدثنا عبيد بن سليمان الباهلي قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « ولا تمسكوهن ضراراً » ، هو الرجل يطلق امرأته واحدة ثم يراجعها ، ثم يطلقها ثم يراجعها ، ثم يطلقها ، ليضارها بذلك ، لتختلع منه .

٤٩٢٠ – حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وإذا طلقتم النساء فبلغهن أجلهنَّ فأمسكوهنَّ بمعروف أو سرِّحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هُزُواً » ، قال : نزلت في رجل من الأنصار يدعى ثابت بن يسار ، (٢) طلق امرأته ، حتى إذا انقضت عدتها إلاَّ يومين أو ثلاثة ، راجعها ، (٣) ثم طلقها ، ففعل ذلك بها حتى مضت لها تسعة أشهر ، مُضارَّةً يضارُّها ، فأنزل الله تعالى ذكره : « ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا » .

٤٩٢١ – حدثني العباس بن الوليد قال ، أخبرني أبي قال ، سمعت عبد العزيز

---

(١) الأثر : ٤٩١٧ – الموطأ : ٥٨٨ ، بلفظه ، إلا قوله : « يعظم ذلك » فإنها فيه « يعظهم الله بذلك » . وفي المطبوعة : « ليعظم ذلك » .

(٢) في المطبوعة : « ثابت بن بشار » ، والصواب من المخطوطة ، والدر المنثور ١ : ٢٨٥ ، وأسد الغابة ، وذكر الخبر ، ونسبه إلى الطبري وابن المنذر .

(٣) في المطبوعة : « أو ثلاثاً » والصواب من المخطوطة .

يُسأل عن طلاق الضرار فقال: يطلّق ثم يراجع ، ثم يطلق ثم يراجع ، فهذا الضرار الذى قال الله : « ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا ».

٤٩٢٢ — حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا فضيل ابن مرزوق ، عن عطية : « ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا » ، قال : الرجل يطلق امرأته تطليقة ، ثم يتركها حتى تحيض ثلاث حِيَض، ثم يراجعها ، ثم يطلقها تطليقةً ، ثم يمسك عنها حتى تحيض ثلاث حيض، ثم يراجعها = « لتعتدوا »، قال: لا يطاول عليهنّ.

* * *

قال أبو جعفر: وأصل « التسريح » ،من « سَرْح القوم » ، وهو ما أطلق من نَعَمهم للرعى. يقال للمواشى المرسلة للرعى: « هذا سَرْح القوم »، يراد به مواشيهم المرسلة للرعى . ومنه قول الله تعالى ذكره : ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ [سورة النحل : ٥ ، ٦] ، يعنى بقوله : « حين تسرحون » ، حين ترسلونها للرعى . فقيل للمرأة إذا خلاّها زوجها فأبانها منه: « سرّحها »، تمثيلا لذلك بـ « تسريح » المسرِّح ماشيته للرعى ، وتشبيهاً به .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : ومن يراجع امرأته = بعد طلاقه إياها فى الطلاق الذى له فيه عليها الرجعة = ضراراً بها، ليعتدِى حدَّ الله فى أمرها،

(١) هذا دليل آخر على أن الطبرى كان أحياناً يرجىء تفسير كلمة أو ينساها ، لرغبته فى الاختصار وإلا فقد مضى « التسريح » آنفاً فى الآية : ٢٢٩، ولم يبينه هناك .

« فقد ظلم نفسه » ، يعنى : فأكسبها بذلك إثما ، وأوجب لها من الله عقوبة بذلك .

* * *

وقد بينا معنى « الظلم » فيما مضى ، وأنه وضع الشيء فى غير موضعه ، وفعل ما ليس للفاعل فعله .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره : ولا تتخذوا أعلامَ الله وفُصُوله بين حلاله وحرامه ، وأمره ونهيه ، فى وحيه وتنزيله = استهزاءً ولعباً ، فإنه قد بيَّن لكم فى تنزيله وآى كتابه ، ما لكم من الرجعة على نسائكم ، فى الطلاق الذى جعل لكم عليهن فيه الرجعة ، وما ليس لكم منها ، وما الوجه الجائز لكم منها ، وما الذى لا يجوز ، وما الطلاق الذى لكم عليهن فيه الرجعة ، وما ليس لكم ذلك فيه ، وكيف وجوه ذلك ، رحمة منه بكم ونعمة منه عليكم ، ليجعل بذلك لبعضكم = من مكروه ، إن كان ، فيه من صاحبه ما يؤذيه = المخرَجَ والمخلَصَ بالطلاق والفراق ،(٢) وجعل ما جَعل لكم عليهن من الرجعة سبيلاً لكم إلى الوصول إلى ما نازعه إليه ودعاه إليه هواه ، بعد فراقه إياهن منهن ، لتدركوا بذلك قضاء أوطاركم منهن ، إنعاماً منه بذلك عليكم ، لا لتتخذوا ما بيّنت لكم من ذلك فى آى كتابى وتنزيلى — تفضُّلا منى ببيانه عليكم

---

(١) انظر مراجع « الظلم » فيما سلف ٤ : ٥٨٤ ، تعليق رقم : ٢

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « ليجعل بذلك لبعضكم من مكروه إن كان فيه من صاحبه مما هو فيه المخرج . . . » ، وهى جملة لا تكاد تستقيم ، وأظن أن الناسخ العجل فى هذا القسم من الكتاب ، قد عجل كعادته ، فنقل « ما يؤذيه » « مما هو فيه » جعل « الياء » هاء ، وشبك الذال فى الياء وجعلها فاء . وسياق الجملة : « ليجعل بذلك لبعضكم المخرج والمخلص . . . من مكروه إن كان — فيه من صاحبه ما يؤذيه » — أى : فى هذا المكروه من صاحبه أذى له ، وجملة « فيه من صاحبه ما يؤذيه » ، صفة لقوله : « مكروه » .

وإنعاماً ورحمة منى بكم – لعباً وسُخريًّا .

* * *

وبمعنى : ما قلنا فى ذلك قال ، أهل التأويل . ٢٩٦/٢

* ذكر من قال ذلك :

٤٩٢٣ – حدثنى عبد الله بن أحمد بن شَبَّويه قال ، حدثنا أبى قال ، حدثنا أيوب بن سليمان قال ، حدثنا أبو بكر بن أبى أويس ، عن سليمان بن بلال ، عن محمد بن أبى عتيق وموسى بن عقبة ، عن ابن شهاب ، عن سليمان بن أرقم : أن الحسن حدثهم : أنّ الناسَ كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يطلّق الرجل أو يعتق فيقال : ما صنعت ؟ فيقول : إنما كنت لاعباً ! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من طلّق لاعباً أو أعتق لاعباً فقد جازَ عليه = قال الحسن : وفيه نزلت : « ولا تتخذوا آيات الله هُزُوًا » .(١)

٤٩٢٤ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ،

---

(١) الحديث : ٤٩٢٣ – عبد الله بن أحمد بن شبويه : مضى فى : ١٩٠٩ – أبوه « أحمد بن محمد بن ثابت بن عثمان الخزاعى ، أبو الحسن بن شبويه » : ثقة ، روى عنه ابن معين – وهو من أقرانه – وأبو زرعة وأبو داود ، وغيرهم .

أيوب بن سليمان بن بلال التيمى : ثقة من شيوخ البخارى . يروى عن أبيه بواسطة ابن أبى أويس .

أبو بكر بن أبى أويس : هو عبد الحميد بن عبد الله بن عبد الله المدنى الأعشى ، مضى فى : ٤٣٣٣ .

سليمان بن بلال : مضى فى ٤١ ، ٤٣٣٣ .

محمد بن أبى عتيق : هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق ، نسب إلى « أبى عتيق » كنية جده « محمد بن عبد الرحمن » . وهو ثقة ، أخرج له البخارى فى صحيحه .

سليمان بن أرقم ، أبو معاذ البصرى : ضعيف جداً ، قال البخارى : « تركوه » . وقال ابن معين : « ليس يسوى فلساً ، وليس بشىء » . وقال أبو زرعة : « ضعيف الحديث ، ذاهب الحديث » . وهو من تلاميذ الزهرى ، ولكن الزهرى يروى عنه أحياناً ، كما فى هذا الإسناد .

وهذا الحديث ضعيف ، لإرساله ، إلى ضعف راويه سليمان بن أرقم .

وقد جاء هذا الحديث المرسل بإسناد أجود من هذا – على إرساله – : فرواه ابن أبى حاتم ، عن عصام بن رواد ، عن آدم بن أبى إياس ، عن المبارك بن فضالة ، عن الحسن . ذكره ابن كثير ١ : ٥٥٥ . ثم أشار إلى إسناد الطبرى هنا .

وذكره السيوطى ١ : ٢٨٦ ، وزاد نسبته لابن أبى شيبة .

عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « ولا تتخذوا آيات الله هزوًا » ، قال : كان الرجل يطلّق امرأته فيقول : إنما طلقتُ لاعباً ! ويتزوج أو يعتق أو يتصدق فيقول : إنما فعلت لاعباً ! فنُهوا عن ذلك ، فقال تعالى ذكره : « ولا تتخذوا آيات الله هُزُواً »

٤٩٢٥ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا إسحق بن منصور ، عن عبد السلام ابن حرب ، عن يزيد بن عبد الرحمن ، عن أبى العلاء ، عن حميد بن عبد الرحمن ، عن أبى موسى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب على الأشعريّين — فأتاه أبو موسى فقال : يا رسول الله ، غضبت على الأشعريين ! فقال : يقول أحدكم : « قد طلقت ، قد راجعت » ! ! ليس هذا طلاق المسلمين ، طلقوا المرأة فى قُبُل عدتها .

٤٩٢٦ — حدثنا أبو زيد ، عن ابن شبة قال ، حدثنا أبو غسان النهدى قال ، حدثنا عبد السلام بن حرب ، عن يزيد أبى خالد — يعنى الدالانى — عن أبى العلاء الأودى ، عن حميد بن عبد الرحمن ، عن أبى موسى الأشعرى ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : لمَ يقول أحدكم لامرأته : « قد طلقتك ، قد راجعتك » ؟ ليس هذا بطلاق المسلمين ، طلّقوا المرأة فى قُبُل طهرها .(١)

---

(١) الحديثان : ٤٩٢٥ ، ٤٩٢٦ — إسحق بن منصور السلولى — فى الإسناد الأول : ثقة ، أخرج له الأئمة الستة .

و « أبو زيد عن ابن شبة » — فى الإسناد الثانى : لم أجد فى هذه الطبقة من يعرف بأبى زيد ، ولا فى التى فوقها من يعرف بابن شبة . والظاهر أنه شيخ واحد ، محرف عن « أبى زيد عمر بن شبة » .

أبو غسان النهدى : هو مالك بن إسمعيل بن درهم ، مضى فى : ٢٩٨٩ .

يزيد بن عبد الرحمن — فى الإسناد الأول : هو « يزيد أبو خالد الدالانى » . فى الإسناد الثانى . مضت ترجمته فى : ٨٧٥ . ووقع فى الإسناد الثانى — هنا — « عن يزيد بن أبى خالد » ، وزيادة « بن » خطأ .

أبو العلاء الأودى : هو داود بن عبد الله الأودى الزعافرى . وهو ثقة ، وثقه أحمد ، وابن معين ، وغيرهما . وأخطأ من خلط بينه وبين « داود بن يزيد الأودى ، عم ابن إدريس » . « الزعافرى » : نسبة إلى « الزعافر » ، وهم بطن من « أود » .

حميد بن عبد الرحمن الحميرى البصرى : تابعى ثقة ، أخرج له الأئمة الستة .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : واذكروا نعمة الله عليكم بالإسلام الذى أنعم عليكم به فهداكم له ، وسائرَ نعمه التى خصّكم بها دون غيركم من سائر خلقه، فاشكروه على ذلك بطاعته فيما أمركم به ونهاكم عنه، واذكروا أيضاً مع ذلك ما أنزل عليكم من كتابه، وذلك: القرآن الذى أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، (١) واذكروا ذلك فاعملوا به واحفظوا حدوده فيه = و« الحكمة » ، يعنى : وما أنزل عليكم من الحكمة ، وهى السُّنن التى علمكوها رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنّها لكم .

والحديث رواه أيضاً البيهقى ٧ : ٣٢٣ ، من طريق العباس بن محمد الدورى ، عن مالك بن إسمعيل ، وهو أبو غسان النهدى ، عن عبد السلام بن حرب ، به . وآخره عنده : « طلقوا المرأة فى قبل طهرها » .

وقوله فى الإسناد الثانى : « أنه قال : لم يقول أحدكم لامرأته » — فى المطبوعة « لهم » بدل « لم » . والظاهر أنها خطأ ، فصححناه من رواية البيهقى .

وإسنادا الطبرى هذان صحيحان . وكذلك إسناد البيهقى . ونقله ابن كثير ١ : ٥٥٤ ، عن إسناد الطبرى الأول ، ثم أشار إلى الثانى . ونقله السيوطى ١ : ٢٨٥ — ٢٨٦ ، ونسبه لابن ماجة، وابن جرير ، والبيهقى . ثم نقله بنحوه ٦ : ٢٣٠ ، ونسبه لعبد بن حميد ، وابن مردويه .

ورواية ابن ماجة ليست بهذا اللفظ ، ولا من هذا الوجه . فرواه ابن ماجة : ٢٠١٧ ، عن محمد بن بشار ، عن مؤمل بن إسمعيل ، عن سفيان ، عن أبى إسحق ، عن أبى بردة ، عن أبى موسى ، مرفوعاً : « ما بال أقوام يلعبون بحدود الله ؟ يقول أحدهم : قد طلقتك ، قد راجعتك ، قد طلقتك ! ! » وقال البوصيرى فى زوائده : « إسناده حسن ، مؤمل بن إسمعيل اختلف فيه ، فقيل : ثقة . وقيل : كثير الخطأ ، وقيل : منكر الحديث » .

وقد أخطأ البوصيرى من وجهين . فإن مؤمل بن إسمعيل ثقة ، كما بينا فى : ٢٠٥٧ . ثم هو لم ينفرد بروايته حتى يعل به .

فقد رواه البيهقى ٧ : ٣٢٢ ، من طريق موسى بن مسعود النهدى ، عن سفيان ، وهو الثورى ، بهذا الإسناد . ثم رواه أيضاً من طريق مؤمل بن إسمعيل ، عن الثورى . وموسى بن مسعود : ثقة ، كما بينا فى : ٢٨٠ ، ١٦٩٣ .

(١) فى المطبوعة : « من كتابه ذلك القرآن » ، وهو سهو من الكاتب والصواب من المخطوطة .

وقد ذكرت اختلاف المختلفين فى معنى « الحكمة » فيما مضى قبل فى قوله : ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [1] [سورة البقرة: ١٢٩] ، فأغنى عن إعادته فى هذا الموضع. [2]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يَعِظُكُم بِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٢٣١)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « يعظكم به » ، يعظكم بالكتاب الذى أنزل عليكم = والهاء التى فى قوله : « به » ، عائدة على الكتاب .

« واتقوا الله » ، يقول : وخافوا الله = فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه فى كتابه الذى أنزله عليكم ، وفيما أنزله فبيّنه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم لكم = أن تضيعوه وتتعدوا حدوده ، فتستوجبوا ما لا قِبَل لكم به من أليم عقابه ونكال عذابه .

وقوله : « واعلموا أن الله بكل شىء عليم » ، يقول : واعلموا أيها الناس أن ربكم = الذى حدّ لكم هذه الحدود ، وشرع لكم هذه الشرائع ، وفرض عليكم هذه الفرائض ، فى كتابه وفى تنزيله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم = بكل ما أنتم عاملوه — من خير وشر ، وحسن وسيىء ، وطاعة ومعصية — عالمٌ لا يخفى عليه من ظاهر ذلك وخفيّه ، وسرّه وجهره ، شىء ، وهو مجازيكم بالإحسان إحساناً وبالسيىء سيئاً ، إلا أن يعفو ويصفح ، فلا تتعرضوا لعقابه وتَظلموا أنفسكم. [3]

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « ويعلمكم الكتاب » ، وصوابها هنا ما أثبت .

(٢) انظر ما سلف ٣ : ٨٧ ، ٨٨ .

(٣) فى المطبوعة : « ولا تظلموا أنفسكم » ، والصواب من المخطوطة بحذف « لا » .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾

قال أبو جعفر : ذُكر أن هذه الآية نزلت فى رجل كانت له أختٌ كان زوَّجها من ابن عمٍّ لها فطلَّقها ، وتركها فلم يراجعها حتى انقضت عدَّتها ، ثم خطبها منه ، فأبى أن يزوجها إياه ومنعها منه ، وهى فيه راغبة . ٢/٢٩٧

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى الرجل الذى كان فعل ذلك ، فنزلت فيه هذه الآية . فقال بعضهم كان ذلك الرجل : « مَعقِل بن يسار المُزَنى » .

* ذكر من قال ذلك :

٤٩٢٧ — حدثنى محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن مَعقِل بن يسار قال : كانت أخته تحتَ رجل فطلَّقها ، ثم خلا عنها ، [1] حتى إذا انقضت عدتها خطبها ، فحَمِيَ معقل من ذلك . أنَفاً ، [2] وقال : خلا عنها وهو يقدِر عليها ! ! [1] فحال بينه وبينها ، فأنزل الله تعالى ذكره : « وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضُلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف » . [3]

---

(١) خلا عن الشيء : تركه . وهذا الفعل الثلاثى قلما تصيبه واضحاً فى كتب اللغة ، ولكنه عربى معرق . وقد جاء فى ثنايا العبارة فى مادة (خلا) من لسان العرب ، وأتى به واضحاً الشيرازى فى معيار اللغة . والرواية الآتية تدل على صحة معناه كذلك . وهكذا جاء فى مخطوطة الطبرى ومطبوعته « خلا » ثلاثياً فى الموضعين ، وجاء فى رواية البخارى التى سنذكرها بعد « خَلَّى عَنْها » فى الموضعين ، وهى بمعناها .

(٢) قال ابن حجر فى الفتح : « حمى — بكسر ثانية ، وأنفاً ، بفتح الهمزة والنون ، أى ترك الفعل غيظاً وترفعاً » وحمى : أخذته الحمية ، وهى الأنفة والغيرة .

(٣) الأثر : ٤٩٢٧ — أخرجه البخارى بروايته عن محمد بن المثنى ، عن عبد الأعلى (الفتح ٩ : ٤٢٥ — ٤٢٦) ، وفى رواية البخارى زيادة : « فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقرأ عليه ، فترك الحمية واستقاد لأمر الله » . وستأتى فى مرسل قتادة الآتى برقم : ٤٩٣٠ ، وسأشرحها فى التعليق هناك .

٤٩٢٨ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع، عن الفضل بن دَلْهَم، عن الحسن، عن معقل بن يسار : أن أخته طلّقها زوجها، فأراد أن يراجعها، فمنعها معقل، فأنزل الله تعالى ذكره : « وإذا طلقتم النساء فبلغنَ أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن » إلى آخر الآية. (١)

٤٩٢٩ – حدثنا محمد بن عبد الله المخرّميّ قال، حدثنا أبو عامر قال، حدثنا عبّاد بن راشد قال، حدثنا الحسن قال، حدثني معقل بن يسار قال : كانت لي أخت تُخطب وأمنعها الناسَ، حتى خطب إليّ ابنُ عم لي فأنكحتها، فاصطحبا ما شاء الله، ثم إنه طلقها طلاقاً له رجعة، ثم تركها حتى انقضت عدتها، ثم خُطبت إليّ، فأتاني يخطبها مع الخطاب، فقلت له : خُطبت إليّ فمنعتها الناس، فآثرتك بها، ثم طلقت طلاقاً لك فيه رجعة، فلما خُطبت إليّ أتيتني تخطبها مع الخطاب ! والله لا أنكحها أبداً ! قال : فيّ نزلت هذه الآية : « وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضُلوهنّ أن ينكحنْ أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف »، قال : فكفّرت عن يميني، وأنكحتُها إياه. (٢)

٤٩٣٠ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة : « وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهنّ فلا تعضلوهنّ أن ينكحن أزواجهن إذا

---

(١) الأثر : ٤٩٢٨ – أخرجه الحاكم في المستدرك ٢ : ٢٨٠ وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد. ولم يخرجاه »، وعقب عليه الذهبي فقال : «الفضل، ضعفه ابن معين، وقواه غيره». بيد أن ابن أبي حاتم ذكر في ترجمته في الجرح والتعديل ٣/٢/٦١ : « سئل يحيى بن معين عن الفضل بن دلهم فقال : حديثه صالح » وانظر الاختلاف في أمر الفضل في ترجمته في التهذيب.

(٢) الأثر : ٤٩٢٩ – « محمد بن عبد الله بن المبارك القرشي المخرمي» (بضم الميم وفتح الخاء وتشديد الراء المكسورة، نسبة إلى « المخرم »، وهي محلة كانت ببغداد، بين الرصافة ونهر المعلى. توفي ببغداد سنة ٢٦٠، قال النسائي : « كان أحد الثقات، ما رأينا بالعراق مثله ». وقال الدارقطني : « ثقة جليل متقن ». وقد مضت رواية الطبري عنه رقم : ٣٧٣٠. وكان في المطبوعة : « المخزومي ».

وهذا الأثر، أخرجه البخاري بروايته عن عبيد الله بن سعيد، عن أبي عامر العقدي، ولم يذكر إلا صدر الخبر، ليثبت به تحديث الحسن عن معقل لقوله : « حدثني معقل بن يسار » (فتح الباري ٨ : ١٤٣). وأخرجه أبو داود، بروايته عن محمد بن المثنى، عن أبي عامر العقدي، وهو مختصر.

تراضوا بينهم بالمعروف» ، ذُكر لنا أن رجلا طلّق امرأته تطليقة ، ثم خلا عنها حتى انقضت عدتها ، ثم قرّب بعد ذلك يخطبها = والمرأة أخت معقل بن يسار = فأنِف من ذلك معقلُ بن يسار ، وقال : خلا عنها وهي في عدتها ، ولو شاء راجعها ، ثم يريد أن يراجعها وقد بانتْ منه ! فأبى عليها أن يزوّجها إياه. وذُكر لنا أن نبي الله ، لما نزلت هذه الآية ، دعاه فتلاها عليه ، فترك الحمية واستقاد لأمر الله .(١)

٤٩٣١ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن يونس ، عن الحسن قوله تعالى : « وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهنّ فلا تعضلوهنّ » ، إلى آخر الآية ، قال : نزلت هذه الآية في معقل بن يسار . قال الحسن : حدثني معقل بن يسارُ أنها نزلت فيه ، قال : زوّجت أختاً لي من رجل فطلّقها ، حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطُبها ، فقلت له : زوّجتك وفرَشتُك أختي وأكرمتك ، ثم طلّقتها ، ثم جئت تخطبها ! لا تعود إليك أبداً ! قال : وكان رَجُل صدق لا بأس به ، وكانت المرأة تحب أن ترجعَ إليه ، قال الله تعالى ذكره : « وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهنّ فلا تعضلوهنّ أن ينكحن أزواجهنّ إذا تراضوا بينهم بالمعروف» . قال ، فقلت : الآن أفعل يا رسول الله ! فزوّجتُها منه .(٢)

---

(١) الأثر : ٤٩٣٠ – هو إسناد الطبري الدائر في التفسير ، من تفسير قتادة ، بيد أنه من معنى رواية قتادة عن الحسن ، رقم : ٤٩٢٧ ، وفي آخر الزيادة التي أشرنا إليه في رواية البخاري للأثر السالف . و « الحمية » الأنفة والغضب . واستقاد للشيء ، أذعن وأطاع ، من « قاد الدابة يقودها » ، أي ألقى بقياده غير جامح ولا معاند .

(٢) الأثر : ٤٩٣١ – أخرجه البخاري . قال : « حدثنا أحمد بن أبي عمر ، قال حدثنا أبي ، قال حدثني إبرهيم ، عن يونس » و « أحمد بن أبي عمر » هو : أحمد بن حفص بن عبد الله بن راشد . و« إبراهيم » هو : « إبراهيم بن طهمان » ، و « يونس » هو : يونس بن عبيد (الفتح ٩ : ١٦٠) وقد استقصى الكلام فيه الحافظ ابن حجر ، ثم ذكره في (الفتح ٨ : ١٤٣) ، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢ : ١٧٤ ، والبيهقي في السنن ٧ : ١٣٨ ، كلاهما من طريق أحمد بن حفص بمثل رواية البخاري ، وهي مثل رواية الطبري ، وإن كان فيها خلاف في بعض اللفظ ، كما أشار إليه الحافظ في الفتح ، وذكر ما فيه من الروايات .

٤٩٣٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا أبو بكر الهذلى ، عن بكر بن عبد الله المزنى قال : كانت أخت معقل بن يسار تحت رجُل فطلَّقها، فخطب إليه فمنعها أخوها ، [1] فنزلت : « وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن » إلى آخر الآية .

٤٩٣٣ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهنّ فلا تعضلوهنّ أن ينكحن أزواجهن » الآية ، قال : نزلت فى امرأة من مزينة طلقها زوجُها وأُبِينت منه، فنكحها آخر، فعضَلها أخوها معقلُ بن يسار ، يُضارُّها خيفةَ أن ترجع إلى زوجها الأول = قال ابن جريج ، وقال عكرمة : نزلت فى معقل بن يسار . قال ابن جريج : أخته جُمل ابنة يسار ، كانت تحت أبى البدّاح، [2] طلَّقها ، فانقضت عدتها ، فخطبها ، فعضلها معقل بن يسار . ٢٩٨/٢

٤٩٣٤ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهنّ أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف » ، نزلت فى امرأة من مزينة طلَّقها زوجُها، فعضلها أخوها أن ترجع إلى زوجها الأول = وهو معقل بن يسار أخوها .

وههنا خلاف لم يذكره الحافظ فى قوله : « فرشتك أختى »، فهكذا هو فى المخطوطة والمطبوعة ، وفى المستدرك والذهبى جميعاً، وفى سائر الروايات «أفرشتك » ، وهما صواب فى العربية جميعاً . من قولهم : «فرشت فلاناً بساطاً وأفرشته إياه » : إذا بسطته له . وفرش له أخته وأفرشها له: جعلها له فراشاً . والفراش كناية عن المرأة .

(١) فى المخطوطة : « إخوتها » ، والذى فى المطبوعة أحرى بالصواب ، لمشاكلته سائر الروايات .

(٢) فى المطبوعة : « جميل » بوزن التصغير ، كما قال ابن حجر فى الفتح والإصابة (٩ : ١٦٠) والذى فى المخطوطة مضبوط بالقلم « جمل » بضم الجيم . وقد ذكرها فيه أيضاً وفى الإصابة (بضم أوله وسكون الميم) . وقال ابن حجر أنه وقع فى تفسير الطبرى « جميل » ، ولكن هذه المخطوطة شاهدة على اختلاف نسخ الطبرى. واختلف فى اسمها واسم «أبى البداح» اختلاف طويل، فراجعه فى فتح البارى ٩ : ١٦٠ ، والإصابة. وسيأتى فى رقم : ٤٩٣٦ أن اسمها « فاطمة » .

٤٩٣٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله = إلا أنه لم يقل فيه : « وهو معقل بن يسار » .

٤٩٣٦ – حدثني المثنى قال ، حدثنا حبان بن موسى قال، أخبرنا ابن المبارك قال، أخبرنا سفيان، عن أبي إسحق الهمداني : أن فاطمة بنت يسار طلّقها زوجُها، ثم بدا له فخطبها ، فأبى معقلٌ ، فقال : زوّجناك فطلّقتها وفعلت ! فأنزل الله تعالى ذكره : « فلا تعضلوهنّ أن ينكحن أزواجهنّ » . (١)

٤٩٣٧ – حدثنا الحسن بن يحيى قال : أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الحسن وقتادة في قوله : « فلا تعضلوهنّ » ، قال : نزلت في معقل ابن يسار ، كانت أخته تحت رجل فطلقها ، حتى إذا انقضت عدتها جاء فخطبها، فعضَلها معقلٌ فأبى أن ينكحها إياه ، فنزلت فيها هذه الآية ، يعني به الأولياء ، يقول : « فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن » .

٤٩٣٨ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن رجل ، عن معقل بن يسار قال : كانت أختي عند رجل فطلقها تطليقة بائنة ، فخطبها ، فأبَيْتُ أن أزوجها منه ، فأنزل الله تعالى ذكره: « فلا تعضلوهنّ أن ينكحن أزواجهن » ، الآية .

* * *

وقال آخرون كان ذلك الرجل: « جابر بن عبد الله الأنصاري» .

* ذكر من قال ذلك :

٤٩٣٩ – حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهنّ فلا تعضلوهنّ أن ينكحن أزواجهنّ إذا تراضوا بينهم بالمعروف» ، قال: نزلت في جابر بن عبد الله

---

(١) الأثر : ٤٩٣٦ – « أبو إسحق الهمداني » ، هو « أبو إسحق السبيعي ، عمرو بن عبد الله بن عبيد ، من سبيع ، والسبيع من همدان » روى عن علي والمغيرة بن شعبة ، ومات سنة ١٢٦ .

الأنصارى، وكانت له ابنةُ عم فطلقها زوجها تطليقة ، فانقضت عدتها ، ثم رجع يريد رجعتها . فأما جابر فقال: طلقت ابنة عمنا، ثم تريد أن تنكحها الثانية ! وكانت المرأة تريد زوجها ، قد راضته. فنزلت هذه الآية .

* * *

وقال آخرون: نزلت هذه الآية دلالةً على نهى الرجل مضارَّةَ وليَّته من النساء، يعضُلها عن النكاح .

* ذكر من قال ذلك :

٤٩٤٠ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح، عن على بن أبى طلحة، عن ابن عباس قوله: « فلا تعضلوهنَّ أن ينكحنَ أزواجهن » ، فهذا فى الرجل يطلق امرأته تطليقة أو تطليقتين ، فتنقضى عدتها، ثم يبدو له فى تزويجها وأن يراجعها ، وتريد المرأة فيمنعها أولياؤها من ذلك ، فنهى الله سبحانه أن يمنعوها .

٤٩٤١ ــ حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهنَّ أن ينكحن أزواجهنَّ إذا تراضوا بينهم بالمعروف »، كان الرجل يطلق امرأته فتبين منه وينقضى أجلها ،[1] ويريد أن يراجعها وترضى بذلك ، فيأبى أهلها ، قال الله تعالى ذكره : « فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف » .

٤٩٤٢ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا حبان بن موسى قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن منصور ، عن أبى الضحى ، عن مسروق فى قوله : « فلا تعضلوهنَّ أن ينكحن أزواجهن » ، قال : كان الرجل يطلق امرأته ثم يبدو له أن يتزوجها ، فيأبى أولياءُ المرأة أن يزوِّجوها ، فقال الله تعالى ذكره : « فلا

---

(١) فى المطبوعة : « تبين منه » بغير فاء ، والصواب من المخطوطة .

تعضلوهنّ أن ينكحن أزواجهنّ إذا تراضوا بينهم بالمعروف » .

٤٩٤٣ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن أصحابه ، عن إبراهيم فى قوله : « وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن » ، قال : المرأة تكون عند الرجل فيطلقها ، ثم يريد أن يعود إليها ، فلا يعضلها وليُّها أن ينكحها إياه. ٢٩٩/٢

٤٩٤٤ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى الليث ، عن يونس، عن ابن شهاب : قال الله تعالى ذكره : « وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهنّ أن ينكحن أزواجهن » الآية ، فإذا طلق الرجل المرأة وهو وليُّها ، فانقضت عدتها ، فليس له أن يعضلها حتى يرثها ، ويمنعها أن تَسْتعِفَّ بزوج .

٤٩٤٥ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن » ، هو الرجلُ يطلق امرأته تطليقة ، ثم يسكتُ عنها فيكون خاطباً من الخطّاب ، فقال الله لأولياء المرأة : « لا تعضلوهن » ، يقول : لا تمنعوهنّ أن يرجعن إلى أزواجهنّ بنكاح جديد= «إذا تراضوا بينهم بالمعروف »، = إذا رضيت المرأة وأرادت أن تراجع زوجها بنكاح جديد .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى هذه الآية أن يقال : إن الله تعالى ذكره أنزلها دلالة على تحريمه على أولياء النساء مضارَّةَ من كانوا له أولياء من النساء، بعضْلهن عمن أردن نكاحَه من أزواج كانوا لهن ، فبِنَّ منهم بما تبين به المرأة من زوجها من طلاق أو فسخ نكاح . وقد يجوز أن تكون نزلت فى أمر معقل بن يسار وأمر أخته ، أو فى أمر جابر بن عبد الله وأمر ابنة عمه . وأيُّ ذلك كان ، فالآية دالّة على ما ذكرت .

* * *

ويعنى بقوله تعالى : « فلا تعضلوهن » ، لا تضيِّقوا عليهن بمنعكم إياهن أيها الأولياء من مراجعة أزواجهن بنكاح جديد ، تبتغون بذلك مضارَّتهن .

* * *

يقال منه : «عضَل فلان فلانة عن الأزواج يعضُلُها عَضْلا » ، وقد ذكر لنا أن حيًّا من أحياء العرب من لغتها : « عَضِل يعضَل » . فمن كان من لغته « عَضِلَ » ، فإنه إن صار إلى « يفعَل » ، قال : « يعضَل » بفتح « الضاد » . والقراءة على ضم « الضاد » دون كسرها ، والضم من لغة من قال « عضَل » . (١)

* * *

وأصل « العضْل » ، الضيق ، ومنه قول عمر رحمة الله عليه : « وقد أعضَل بى أهل العراق ، لا يرضون عن والٍ ولا يرضى عنهم والٍ » ، (٢) يعنى بذلك : حملونى على أمر ضيق شديد لا أطيق القيام به .

ومنه أيضاً « الداء العُضال » وهو الداء الذى لا يطاق علاجُه ، لضيقه عن العلاج ، وتجاوزه حدَّ الأدواء التى يكون لها علاج ، ومنه قول ذى الرمة :

وَلَمْ أَقذِفْ لِمُؤْمِنَةٍ حَصَانٍ ... بِإِذْنِ اللهِ مُوجِبَةً عُضَالَا (٣)

---

(١) هذا البيان لا تجده فى كتب اللغة ، وليس فيها ما رواه عن لغة هذا الحى من العرب . وقوله « عضل يعضل » بكسر الضاد الأولى وفتح الثانية ، مضبوط بالقلم فى المخطوطة ، كما ضبطت سائر الأفعال .

(٢) روى الزمخشرى وصاحب اللسان فى مادة (عضل) : « أعضل بى أهل الكوفة ، ما يرضون بأمير ولا يرضى عنهم أمير » ثم قال الزمخشرى : « وروى : غلبنى أهل الكوفة ، أستعمل عليهم المؤمن فيضعف ، وأستعمل عليهم الفاجر فيفجر ! »

(٣) ديوانه ٤٤١ — من أبيات وصف بها صنعة شعره فقال :

وشِعْرٍ قَدْ أَرِقْتُ لَهُ غَرِيبٍ ... أُجَنِّبُهُ المُسَانَدَ والمُحَالَا
فَبِتُّ أُقِيمُهُ ، وأَقُدُّ مِنْهُ ... قَوَافِيَ لاَ أُعِدُّ لَهَا مِثَالَا
غَرَائِبَ قَدْ عُرِفْنَ بِكُلِّ أُفْقٍ ... مِنَ الآفَاقِ تُفْتَعَلُ افْتِعَالَا
فَلَمْ أَقْذِفْ . . . . . .

ومنه قيل: « عضَّل الفضاء بالجيش لكثرتهم »، إذا ضاق عنهم من كثرتهم. وقيل: « عضَّلت المرأة »، إذا نَشِب الولد فى رَحِمها فضاق عليه الخروج منها، ومنه قول أوس بن حجر:

وَلَيْسَ أَخُوكَ ٱلدَّائِمُ ٱلْعَهْدِ بِالَّذِى يَذُمُّكَ إِنْ وَلَّى وَيُرْضِيكَ مُقْبِلَا(١)
وَلٰكِنَّهُ النَّائِى إِذَا كُنْتَ آمِنًا وَصَاحِبُكَ ٱلْأَدْنَى إِذَا الأَمْرُ أَعْضَلَا

* * *

« وأن » التى فى قوله: « أن ينكحن »، فى موضع نصب بقوله: « تعضُلوهن ».

* * *

ومعنى قوله: « إذا تراضوا بينهم بالمعروف »، إذا تراضى الأزواج والنساءُ بما يحلُّ ويجوز أن يكون عوضاً من أبضاعهن من المهور،(٢) ونكاح جديد مستأنف، كما: —

٤٩٤٦ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان، عن عمير بن عبد الله، عن عبد الملك بن المغيرة، عن عبد الرحمن بن البيلمانى، قال قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنكحوا الأيامى. فقال رجل: يا رسول الله، ما العلائق بينهم؟ قال: ما تراضى عليه أهلوهم.(٣)

وهذا البيت الأخير، يعرض فيه بأئمة الهجاء فى عصره، جرير والفرزدق والأخطل وسائر من تراموا بالسباب. والحصان: العفيفة الطاهرة. والموجبة: أى التى توجب حد القذف، أو توجب النار، أعاذنا الله منها! والعضال: التى لا مخرج منها ولا علاج لها. وسياق البيت: ولم أقذف موجبة عضالا — لمؤمنة حصان . . . يعنى: لم أرم الكلمة الشائنة والسباب الفاحش، أبغى به امرأة عفيفة قد برأها الله مما يقال. ورواية الديوان « بحمد الله »، وهى أجود.

هذا والبيت فى المخطوطة فاسد: « لرمسه حصال »! !

(١) ديوانه، القصيدة: ٣١. وهما بيتان قد كشفا عن سرائر الناس بلا مداجاة. فقلما تظفر بذلك.

(٢) الأبضاع جمع بضع (بضم فسكون): وهو الفرج، والجماع، وعقد النكاح، والمهر، والمراد الأول.

(٣) الحديث: ٤٩٤٦ — عبد الرحمن: هو ابن مهدى. سفيان: هو الثورى.
عمير بن عبد الله بن بشر الخثعمى: ثقة، وثقه ابن نمير وغيره.
عبد الملك بن المغيرة الطائفى: تابعى ثقة، وهو يروى هنا عن تابعى آخر.

٤٩٤٧ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا محمد بن الحارث قال ، حدثنا محمد ابن عبد الرحمن بن البيلمانى، عن أبيه ، عن ابن عمر ، عن النبى صلى الله عليه وسلم، بنحو منه . (١)

* * *

٣٠٠/٢ قال أبو جعفر : وفى هذه الآية الدلالة الواضحة على صحة قول من قال : « لا نكاح إلا بولىّ من العَصَبة » . وذلك أنّ الله تعالى ذكره منع الولى من عضْل المرأة إن أرادت النكاح ونهاه عن ذلك . فلو كان للمرأة إنكاحُ نفسها بغير إنكاح وليِّها إياها، أو كان لها توليةُ من أرادت توليتَه فى إنكاحها – لم يكن لنهى وليّها عن عضْلها معنى مفهوم ، إذ كان لا سبيل له إلى عضلها . وذلك أنها إن كانت متى أرادت النكاح جاز لها إنكاحُ نفسها ، أو إنكاحُ من توكله بإنكاحها، (٢)

عبد الرحمن بن البيلمانى ، مولى عمر : تابعى ثقة ، تكلم فيه بعض العلماء ، والحق أن ما أنكر من حديثه إنما جاء مما رواه عنه ابنه محمد . وأما هو فثقة .

وهذا الحديث ضعيف ، لأنه مرسل . وقد رواه البيهقى ٧ : ٢٣٩ ، من طريق قيس بن الربيع ، عن عمير بن عبد الله ، بهذا الإسناد . ثم رواه من طريق حفص بن غياث وأبى معاوية ، عن حجاج بن أرطاة ، عن عبد الملك بن المغيرة الطائفى ، ثم قال : « هذا منقطع » .

(١) الحديث : ٤٩٤٧ – هو تكرار للحديث قبله ، ولكنه فى هذا متصل ، بذكر « ابن عمر » فيه . وهو ضعيف أيضاً . بل هو أشد ضعفاً من ذاك المرسل .

محمد بن الحارث بن زياد بن الربيع الحارثى : ثقة ، متكلم فيه . وقد فصلنا القول فى ترجيحه، فى شرح المسند : ٥٣٧١ .

محمد بن عبد الرحمن بن البيلمانى : ضعيف جداً ، والبلاء فى أحاديث أبيه ، ثم فى أحاديث محمد ابن الحارث الحارثى – إنما هو من ناحيته . روى عن أبيه أحاديث مناكير لا أصل لها ، أو مراسيل لا أصل لوصلها ، وروى عنه محمد الحارثى – فتكلم فى كل منهما من أجله . وقد فصلنا القول فى تضعيفه ، فى شرح المسند : ٤٩١٠ .

وهذا الحديث رواه البيهقى ٧ : ٢٣٩ ، من طريق بندار ، وهو محمد بن بشار ، شيخ الطبرى هنا – بهذا الإسناد . ثم رواه من طريق أبى عبد الرحمن الحضرمى صالح بن عبد الجبار ، عن محمد بن عبد الرحمن بن البيلمانى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ! ثم نقل عن أبى أحمد بن عدى ، قال : محمد ابن عبد الرحمن بن البيلمانى ضعيف . ومحمد بن الحارث ضعيف . والضعف على حديثهما بين » .

ونقله السيوطى ١ : ٢٨٧ ، من حديث ابن عمر ، ونسبه لابن أبى شيبة ، وابن جرير ، وابن مردويه . ثم سكت عن ضعفه .

(٢) فى المطبوعة : « من توكله إنكاحها » بإسقاط الباء ، وأثبت ما فى المخطوطة .

فلا عضلَ هنالك لها من أحد فيُنهى عاضلها عن عضْلها . وفى فساد القول بأن لا معنى لنهى الله عما نهى عنه، صحةُ القول بأن لولىّ المرأة فى تزويجها حقًّا لا يصحُّ عقده إلا به . وهو المعنى الذى أمر الله به الولى : = من تزويجها إذا خطبها خاطبُها ورضيت به ، وكان رضى عند أوليائها ، جائزاً فى حكم المسلمين لمثلها أن تنكح مثله = ونهاه عن خلافه : مِن عَضْلها ، ومنعها عما أرادت من ذلك ، وتراضت هى والخاطب به .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله ذلك ، ما ذكر فى هذه الآية من نَهْى أولياء المرأة عن عَضْلها عن النكاح ، يقول : فهذا الذى نهيتكم عنه من عضْلهنّ عن النكاح ، عظةٌ منى مَنْ كان منكم أيها الناس يؤمن بالله واليوم الآخر — يعنى يصدق بالله ، فيوحِّده ويقرُّ بربوبيته ، [1] = « واليوم الآخر » يقول : ومن يؤمن باليوم الآخر ، فيصدِّق بالبعث للجزاء والثواب والعقاب ، [2] ليتقى الله فى نفسه ، فلا يظلمها بضرار وليّته ومنعها من نكاح من رضيته لنفسها ، ممن أذنتُ لها فى نكاحه .

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال لنا قائل : وكيف قيل : « ذلك يوعظ به » ، وهو

---

(١) انظر ما سلف فى معنى « الإيمان » فى مادة (أمن) من فهارس اللغة فى الأجزاء الماضية .

(٢) انظر ما سلف فى تفسير « اليوم الآخر » ١ : ٢/٢٧١ : ١٤٨ .

خطاب لجميع ، وقد قال من قبل : « فلا تعضلوهن » ؟ وإذا جاز أن يقال فى خطاب الجميع « ذلك » ، أفيجوز أن تقولَ لجماعةٍ من الناس وأنت تخاطبهم : « أيها القوم ، هذا غلامك ، وهذا خادمك » ، وأنت تريد : هذا خادمكم ، وهذا غلامكم ؟

قيل : لا ، إن ذلك غير جائز مع الأسماء الموضوعات ، (١) لأنّ ما أضيف له الأسماءُ غيرها ، (٢) فلا يفهم سامع سمع قول قائل لجماعة : « أيها القوم ، هذا غلامك » ، أنه عنى بذلك هذا غلامكم — إلاّ على استخطاء الناطق فى منطقه ذلك . فإن طلبَ لمنطقه ذلك وجهاً فى الصواب ، (٣) صرف كلامه ذلك إلى أنه انصرف عن خطاب القوم بما أراد خطابهم به ، إلى خطاب رجل واحد منهم أو من غيرهم ، وترك محاورة القوم بما أراد محاورتهم به من الكلام . (٤) وليس ذلك كذلك فى «ذلك» ، لكثرة جرى « ذلك » على ألسُن العرب فى منطقها وكلامها ، حتى صارت « الكاف » — التى هى كناية اسم المخاطب فيها — كهيئة حرف من حروف الكلمة التى هى متصلة . وصارت الكلمة بها كقول القائل : «هذا» ، كأنها ليس معها اسمٌ مخاطَبٌ . (٥) فمن قال : « ذلك يُوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر » ، أقرّ « الكاف » من « ذلك » موحَّدة مفتوحة فى خطاب الواحدة من النساء ، والواحد من الرجال ، والتثنية ، والجمع . ومن قال : « ذلكم يوعظ به » ، كسر « الكاف » فى خطاب الواحدة من النساء ، وفتَح فى خطاب الواحد من الرجال ، وقال فى خطاب الاثنين

---

(١) « الأسماء الموضوعات » ، كأن « الاسم الموضوع » ، هو « الاسم المتمكن ، أو المعرب » ، ضريع « الاسم غير المتمكن ، أو المبنى » .

(٢) قوله : « غيرها » ، أى غير الأسماء .

(٣) فى المطبوعة : « وجهاً فالصواب » ، وهى خطأ محض ، والصواب من المخطوطة .

(٤) فى المطبوعة : « مجاوزة القوم . . . مجاوزتهم » بالجيم والزاى فى الموضعين ، وهو كلام غير بصير . والصواب ما فى المخطوطة وما يقتضيه السياق .

(٥) يعنى أنها صارت بمنزلة « هذا » فى جريها كأنها كلمة واحدة ، وهى مركبة من « الهاء » و « ذا » ، الذى هو اسم إشارة .

منهم [١] : « ذلكما » ، وفى خطاب الجمع : « ذلكم » .

* * *

وقد قيل إنّ قوله : « ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله » ، خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، ولذلك وحّد ، [٢] ثم رجع إلى خطاب المؤمنين بقوله : « من كان منكم يؤمن بالله » . وإذا وُجِّه التأويل إلى هذا الوجه ، لم يكن فيه مؤونة .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٣٢)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله « ذلكم » ، — نكاحَهنّ أزواجَهن ومراجعةَ أزواجهن إياهن ، [٣] بما أباح لهن من نكاح ومهر جديد = « أزكى لكم » ، أيها الأولياء والأزواج والزوجات .

* * *

ويعنى بقوله : « أزكى لكم » ، أفضلُ وخيرٌ عند الله من فُرقتهن أزواجَهن . وقد دللنا فيما مضى على معنى « الزكاة » ، فأغنى ذلك عن إعادته . [٤]

* * *

وأما قوله : « وأطهر » ، فإنه يعنى بذلك : أطهرُ لقلوبكم وقلوبهنّ وقلوب أزواجهنّ من الريبة . وذلك أنهما إذا كان فى نفس كل واحد منهما — أعنى الزوجَ والمرأة — عَلاقة حبٍّ ، لم يُؤمَن أن يتجاوزا ذلك إلى غير ما أحلّه الله لهما ، ٢/١٠١

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « فقال فى خطاب . . . » بالفاء ، وهو لا يستقيم .

(٢) فى المطبوعة « ولذلك وجه » ، وهو كلام مسلوب المعنى ، والصواب من المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « نكاح أزواجهن لهن » ، وفى المخطوطة : « نكاحهن أزواجهن لهن » ، والذى فى المطبوعة وجه من التصحيح لما فى المخطوطة ، ولكنى رأيت أن للتصحيح وجهاً آخر ، هو حذف « لهن » . وذلك لأنه أراد بقوله : « نكاحهن أزواجهن » ، ما جاء فى الآية : « أن ينكحن أزواجهن » بإسناد « النكاح » إلى النساء ، فلذلك آثرت هذا التصحيح ، ولئلا يكون فى الكلام تكرير لقوله بعد « ومراجعة أزواجهن إياهن » .

(٤) انظر ما سلف ١ : ٥٧٣ — ٥٧٤ / ٢ : ٢٩٧ / ٣ : ٨٨ .

ولم يؤمن من أوليائهما أن يسبق إلى قلوبهم منهما ما لعلّهما أن يكونا منه بريئين . فأمرَ الله تعالى ذكره الأولياء — إذا أراد الأزواج التراجع بعد البينونة ، بنكاح مستأنف ، فى الحال التى أذن لهما بالتراجع [1] = أن لا يعضُل وليّته عما أرادت من ذلك ، وأن يزوجها . لأن ذلك أفضل لجميعهم ، وأطهرُ لقلوبهم مما يُخاف سُبوقه إليها من المعانى المكروهة . [2]

ثم أخبرَ تعالى ذكره عبادَه أنه يعلم من سرائرهم وخفيّات أمورهم ما لا يعلمه بعضُهم من بعض، ودلّهم بقوله لهم ذلك فى هذا الموضع ، أنه إنما أمر أولياء النساء بإنكاح من كانوا أولياءه من النساء إذا تراضت المرأة والزوجُ الخاطبُ بينهم بالمعروف، ونهاهم عن عضلهن عن ذلك = لما علم مما فى قلب الخاطب والمخطوبة من غلبة الهوى والميل من كل واحد منهما إلى صاحبه بالمودة والمحبة ، فقال لهم تعالى ذكره : افعلوا ما أمرتكم به ، إن كنتم تؤمنون بى ، وبثوابى وبعقابى فى معادكم فى الآخرة ، فإنىّ أعلم من قلب الخاطب والمخطوبة ما لا تعلمونه من الهوى والمحبة . وفعلكم ذلك أفضل لكم عند الله ولهم ، وأزكى وأطهر لقلوبكم وقلوبهن فى العاجل . [3]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك: والنساء اللواتى بِنّ من أزواجهن ،

---

(١) فى المطبوعة : « أذن الله لها » ، والمخطوطة ليس فيها زيادة « الله » .

(٢) « سبوق » مصدر « سبق » ، لم يرد فى كتب اللغة ، ولكن الطبرى يكثر استعماله كما أشرنا إليه آنفاً فى الجزء ٤ : ٢٨٧، ٢٨٨ / ثم : ٤٢٧/ ثم : ٤٤٦ ، والتعليقات عليها .

(٣) هذا كلام حبر ربانى حكيم ، قد فقهه الله فى أمور دينه ، وآتاه الحكمة فى أمور دنياه ، وعلمه من تأويل كتابه ، فحمل الأمانة وأداها ، ونصح للناس فعلمهم وفطنهم ، ولم يشغله فى تفسير كتاب ربه نحو ولا لغة ولا فقه ولا أصول — كما اصطلحوا عليه — عن كشف المعانى للناس مخاطباً بها

ولهن أولاد قد ولدنَهم من أزواجهن قبل بينونتهن منهم بطلاق، أو ولدنهم منهم، (١) بعد فراقهم إياهن، من وطء كان منهم لهنّ قبل البينونة = «يُرضعن أولادهن»، يعنى بذلك: أنهن أحق برضاعهم من غيرهم.

وليس ذلك بإيجاب من الله تعالى ذكره عليهن رضاعَهم، إذا كان المولود له ولدٌ، (٢) حيًّا موسرًا. لأن الله تعالى ذكره قال فى «سورة النساء القُصرى» (٣) ﴿وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾ [سورة الطلاق: ٦]، فأخبر تعالى ذكره: (٤) أن الوالدةَ والمولودَ له إن تعاسرا فى الأجرة التى ترضع بها المرأة ولدها، أنّ أخرى سواها ترضعه، فلم يوجب عليها فرضًا رَضَاعَ ولدها. فكان معلوماً بذلك أنّ قوله: «والوالدات يرضعن أولادهن حولين»، دلالة على مبلغ غاية الرضاع التى متى اختلف الوالدان فى رَضاع المولود بعده، جُعل حدًّا يُفصل به بينهما، لا دلالةٌ على أن فرضاً على الوالدات رضاع أولادهن.

* * *

قال أبو جعفر: وأما قوله: «حولين»، فإنه يعنى يعنى به سنتين، كما: —

٤٩٤٨ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد: «والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين»، سنتين.

قلوبهم وعقولهم، ليبين لهم ما أنزل الله على نبيه، بالعهد الذى أخذه الله على العلماء. فرحم الله أبا جعفر، وغفر الله للمفسرين من بعده. وقلما تصيب مثل ما كتب فى كتاب من كتب التفسير.

(١) فى المطبوعة: «أو أولدنهم»، وهو خطأ فاحش. والصواب من المخطوطة.

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة «والداً»، والسياق يقتضى ما أثبت.

(٣) هى «سورة الطلاق»، السورة الخامسة والستون من كتاب الله. وسموها «القصرى» لتسميتهم السورة الرابعة من القرآن: «سورة النساء الطولى»، للفرق بينهما.

(٤) فى المطبوعة: «وأخبر تعالى أن الوالدة . . .»، والزيادة من المخطوطة. وفيهما جميعاً «وأخبر» بالواو، والسياق يقتضى الفاء كما أثبتها.

٤٩٤٩ ـ حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

° ° °

وأصل « الحوْل » من قول القائل: « حالَ هذا الشيء »، إذا انتقل. ومنه قيل: « تحوّل فلان من مكان كذا »، إذا انتقل عنه .

° ° °

فإن قال لنا قائل : وما معنى ذكر « كاملين » ، فى قوله : « والوالداتُ يُرضعن أولادهن حولين كاملين » ، بعد قوله : « يرضعن حولين » ، وفى ذكره « الحولين » مستغنًى عن ذكر « الكاملين »، (١) إذ كان غير مشكل على سامع سمع قوله: « والوالدات يرضعن أولادهن حولين » ما يُراد به ؟ فما الوجه الذى من أجله زِيد ذكر « كاملين » ؟.

قيل : إنّ العرب قد تقول : « أقام فلان بمكان كذا حولين ، أو يومين ، أو شهرين » ، وإنما أقام به يوماً وبعض آخر ، أو شهراً وبعض آخر ، أو حولاً وبعض آخر ، فقيل : « حولين كاملين » ليعرف سامعو ذلك أنّ الذى أريد به حولان تامّان ، (٢) لا حول وبعض آخر . (٣) وذلك كما قال الله تعالى ذكره: ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾[سورة البقرة : ٢٠٣]. ومعلومٌ أن المتعجل إنما يتعجل فى يوم ونصف ، وكذلك ذلك فى اليوم الثالث من أيام التشريق ، (٤) وأنه ليس منه شيء تام، ولكن العرب تفعل ذلك فى الأوقات خاصة فتقول: « اليوم يومان منذ لم أره »،

---

(١) فى المطبوعة : « وفى ذكر الحولين » بإسقاط « الهاء » الضمير .

(٢) فى المطبوعة : « ليعرف سامع ذلك » ، بالإفراد ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) انظر ما سلف فى تفسير قوله تعالى : « ولتكملوا العدة » ٣ : ٤٧٦ ، ٤٧٧ / ثم تفسير قوله تعالى: « تلك عشرة كاملة » فى الجزء ٤ : ١٠٨، ١٠٩

(٤) فى المخطوطة والمطبوعة : « فكذلك ذلك » بالفاء وهو خطأ مخل ، والصواب ما أثبت. وفى معانى القرآن للفراء ١ : ١١٩ : « وكذلك هو فى اليوم . . . » . نص كلامه . ويعنى أن اليوم الثالث من أيام التشريق هو أيضاً يوم غير تام . وانظر التعليق التالى ص: ٣٣ رقم : ٢ والمراجع فيه .

وإنما تعنى بذلك يوماً وبعضَ آخر . وقد تُوقع الفعل الذى تفعله فى الساعة أو ٢/٣٠٢
اللحظة ، على العام والزمان واليوم ، فتقول : « زُرتُه عام كذا — [١] وقتل فلانٌ فلاناً زمانَ صِفِّين » ، وإنما تفعل ذلك ، لأنها لا تقصد بذلك الخبرَ عن عدد الأيام والسنين ، وإنما تعنى بذلك الإخبار عن الوقت الذى كان فيه المخبَرُ عنه ، فجاز أن ينطق « بالحولين » ، و « اليومين » ، على ما وصفت قبلُ . لأن معنى الكلام فى ذلك : فعلته إذ ذاك ، وفى ذلك الوقت . [٢]

فكذلك قوله : « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين » ، لما جاز الرضاع فى الحولين وليسا بالحولين [٣] = [٤] وكان الكلام لو أطلق فى ذلك ، بغير تبيين الحولين بالكمال ، [٥] وقيل : « والوالدات يرضعن أولادهن حولين » ، محتمِلاً أن يكون معنيًّا به حول وبعضُ آخر = نفَى اللبس عن سامعيه بقوله : [٦] « كاملين » أن يكون مراداً به حول وبعضُ آخر ، وأُبِين بقوله : « كاملين » عن وقت تمام حدِّ الرضاع ، وأنه تمام الحولين بانقضائهما ، دون انقضاء أحدهما وبعض الآخر .

* * *

قال أبو جعفر : ثم اختلف أهل التأويل فى الذى دلت عليه هذه الآية ، من مبلغ غاية رضاع المولودين : أهو حدٌّ لكل مولود ، أو هو حدٌّ لبعض دون بعض ؟

---

(١) فى المطبوعة : « رزقه عام كذا » ، وهو كلام لا خير فيه ، والصواب من المخطوطة ، وإن كانت غير منقوطة ، وحروفها بسيطة القلم .

(٢) سلف هذا بغير هذا اللفظ فى الجزء ٤ : ١٢٠ ، ١٢١ وكثير من لفظه هنا فى معانى القرآن للفراء ١ : ١١٩ — ١٢٠ ، ومن الموضعين صححنا ما صححناه آنفاً .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « لما كان الرضاع . . . » وهو تصحيف مخل جداً ، والسياق يقتضى قراءته كما أثبت ، حتى يستقيم المعنى .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « فكان » بالفاء ، والصواب بالواو ، عطفاً على قوله : « لما جاز . . . »

(٥) فى المطبوعة : « تضمين الحولين بالكمال » ، وفى المخطوطة : « تصمس » بغير نقط ، والميم كأنها هاء قصيرة ، ورجحت أن ذلك من عجلة الناسخ ، وأن صوابها « تبيين » ، لقوله بعد قليل : « وأبين بقوله : كاملين . . . » ، لأن البيان هو التفسير ، ومن الصفة تفسير وبيان .

(٦) سياق العبارة : « لما جاز الرضاع ... وكان الكلام لو أطلق ... نفى اللبس» ، جواب « لما » .

فقال بعضهم: هو حد لبعض دون بعض .

* ذكر من قال ذلك :

٤٩٥٠ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا داود، عن عكرمة، عن ابن عباس. فى التى تضع لستة أشهر : أنها تُرضع حولين كاملين ، وإذا وضعت لسبعة أشهر أرضعت ثلاثة وعشرين لتمام ثلاثين شهراً ، وإذا وضعت لتسعة أشهر أرضعت واحداً وعشرين شهراً .

٤٩٥١ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا داود ، عن عكرمة ، بمثله، ولم يرفعه إلى ابن عباس .

٤٩٥٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر ، عن الزهرى ، عن أبى عبيد ، قال : رُفع إلى عثمان امرأة ولدت لستة أشهر ، فقال: إنها رفعت [إلىّ امرأة]، لا أراها إلاّ قد جاءت بشرٍّ – أو نحو هذا – ولدت لستة أشهر ! فقال ابن عباس : إذا أتمّت الرضاع كان الحمل لستة أشهر . قال : وتلا ابن عباس : ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ [سورة الأحقاف: ١٥] ، فإذا أتمت الرضاع كان الحمل لستة أشهر . فخلّى عثمان سبيلها . (١)

* * *

وقال آخرون : بل ذلك حدُّ رضاع كل مولود اختلفَ والداه فى رضاعه ،

---

(١) الخبر : ٤٩٥٢ – أبو عبيد : هو سعد بن عبيد ، « مولى عبد الرحمن بن أزهر » ، ويقال له أيضاً : « مولى عبد الرحمن بن عوف » . قال البخارى فى الكبير ٢/٢/٦١ : « لأنهما ابنا عم » . وقال فى صحيحه ٤ : ٢٠٩ « قال ابن عيينة : من قال مولى ابن أزهر ، فقد أصاب ؛ ومن قال مولى عبد الرحمن بن عوف ، فقد أصاب » . وهو تابعى ثقة قديم ، من فقهاء أهل المدينة . روى عن عمر ، وعثمان ، وعلى ، وغيرهما .

ووقع فى المطبوعة : « عن أبى عبيدة » ، وهو خطأ ، صححناه من كتاب المصنف لعبد الرزاق ج ٤ ورقة ٩٧ ، وفيه : « عن أبى عبيد ، مولى عبد الرحمن بن عوف » .

ونقله السيوطى ٦ : ٤٠ ، ونسبه لعبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، فقط .

وكان فى المخطوطة والمطبوعة : « إنها رفعت لا أراها » ، وفى مصنف عبد الرزاق : « رفعت إلى امرأة ، لا أراه إلا قال : وقد جاءت بشر » .

فأراد أحدهما البلوغَ إليه، والآخرُ التقصيرَ عنه .

* ذكر من قال ذلك :

٤٩٥٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس قوله: « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين » ، فجعل الله سبحانه الرضاع حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ، ثم قال : « فإن أرادا فصالاً عن تراضٍ منهما وتشاور فلا جناح عليهما » ، إن أرادا أن يفطماه قبل الحولين وبعده .

٤٩٥٤ – حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن جريج قال : قلت لعطاء : « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين » ، قال : إن أرادت أمه أن تقصِّر عن حولين كان عليها حقًّا أن تبلغه – لا أن تزيد عليه إلاّ أن يشاء. (١)

٤٩٥٥ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا مهران (٢) = وحدثني علي بن سهل قال، حدثنا زيد بن أبي الزرقاء = جميعاً ، عن الثوري في قوله: « والوالداتُ يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة »، والتمام الحولان . قال : فإذا أراد الأب أن يفطمه قبل الحولين ولم ترض المرأة ، فليس له ذلك . وإذا قالت المرأة: « أنا أفطمه قبل الحولين »، وقال الأب: « لا »، فليس لها أن تفطمه حتى يرضى الأب ، حتى يجتمعا . فإن اجتمعا قبل الحولين فطماه ، وإذا اختلفا لم يفطماه قبل الحولين . وذلك قوله : « فإن أرادا فصالا عن تراضٍ منهما وتشاورٍ » .

* * *

وقال آخرون : بل دلّ الله تعالى ذكره بقوله: « والوالدات يرضعن أولادهن

---

(١) في المطبوعة : « إلا أن تشاء » ، والصواب ما أثبت من المخطوطة . أي : إلا أن يشاء الزوج ، ويوافقها على ما تريد من الزيادة .

(٢) هو « مهران بن أبي عمر العطار ، أبو عبد الله الرازي » . قال أبو حاتم ثقة صالح الحديث .

حولين كاملين » ، على أن لارضاع بعد الحولين ، فإن الرضاع إنما هو ما كان فى الحولين .

* ذكر من قال ذلك :

٤٩٥٦ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، أخبرنا ابن أبى ذئب قال ، حدثنا الزهرى ، عن ابن عباس وابن عمر أنهما قالا : إن الله تعالى ذكره يقول : « والوالداتُ يرضعن أولادهن حولين كاملين » ، ولا نرى رَضاعاً بعد الحولين يُحرِّم شيئاً . ٢/٣٠٣

٤٩٥٧ ــ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا ابن المبارك ، عن يونس بن يزيد ، عن الزهرى ، قال : كان ابن عمر وابن عباس يقولان : لا رضاع بعد الحولين .

٤٩٥٨ ــ حدثنا أبو السائب قال ، حدثنا حفص ، عن الشيبانى ، عن أبى الضحى ، عن أبى عبد الرحمن ، عن عبد الله قال : ما كان من رضاع بعد سنتين ، أو فى الحولين بعد الفِطام ، فلا رَضاع .

٤٩٥٩ ــ حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا يحيى بن سعيد ، وعبد الرحمن قالا ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، أنه رأى امرأة تُرضع بعد حولين فقال : لا تُرضعيه .

٤٩٦٠ ــ حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن الشيبانى قال : سمعت الشعبى يقول : ما كان من وَجور أو سَعوط أو رضاع فى الحولين فإنه يحرِّم ، وما كان بعد الحولين لم يحرِّم شيئاً . (١)

وروى له ابن عدى أحاديث من رواية محمد بن حميد عنه ، ثم قال : « وكل هذه الأحاديث عن مهران إلا القليل ، يرويه عن مهران محمد بن حميد ، وابن حميد له شغل فى نفسه مما رواه عن الناس ! ومهران خير منه » . وقال الساجى : « فى حديثه اضطراب ، وهو من أكثر أصحاب الثورى رواية عنه » . وقال العقيلى : « روى عن الثورى أحاديث لا يتابع عليها » . وقال ابن حبان : « أسلم على يد الثورى ، وله صنف (الجامع الصغير) » . التهذيب .

(١) الوجور (بفتح الواو) : الدواء يدخل فى الفم . والسعوط (بفتح السين) : الدواء يدخل فى الأنف .

٤٩٦١ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن المغيرة ، عن إبراهيم : أنه كان يحدّث عن عبدالله ، أنه قال : لا رضاع بعد فصال ، أو بعد حولين .

٤٩٦٢ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا حسن بن عطية قال ، حدثنا إسرائيل، عن عبد الأعلى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : ليس يحرِّم من الرضاع بعد التمام ، إنما يحرِّم ما أنبت اللحم وأنشأ العظم . (١)

٤٩٦٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن عمرو بن دينار : أن ابن عباس قال: لا رضاع بعد فِصَال السنتين .

٤٩٦٤ – حدثنا هلال بن العلاء الرَّقِّيّ قال ، حدثنا أبي قال ، حدثنا عبيد الله، عن زيد ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي الضحى قال : سمعت ابن عباس يقول : « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين » ، قال : لا رضاع إلاّ في هذين الحولين . (٢)

* * *

وقال آخرون : بل كان قوله : « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين »،

---

(١) الأثر : ٤٩٦٢ – « الحسن بن عطية بن نجيح القرشي أبو علي البزار » روى عن الحسن وعلي ابني صالح ، ويعقوب القمي ، وحمزة الزيات ، وإسرائيل بن يونس وطبقتهم . وعنه البخاري في التاريخ ، وعبد الأعلى بن واصل ، وأبو كريب ، وأبو زرعة ، وأبو حاتم . صدوق . مات سنة ٢١١.

(٢) الأثر : ٤٩٦٤ – هلال بن العلاء بن هلال بن عمرو الباهلي، أبو عمرو الرقي » . قال أبو حاتم : « صدوق » وقال النسائي : « صالح » ، وقال في موضع آخر : « ليس به بأس ، روى أحاديث منكرة عن أبيه ، فلا أدري: الريب منه أو من أبيه ». وذكره ابن حبان في الثقات . ولد سنة ١٨٤ ، ومات سنة ٢٨٠. و «العلاء بن هلال» أبوه ، روى عن عبد الله بن عمرو الرقي ، وخلف بن خليفة ومعتمر بن سليمان وجماعة. قال أبو حاتم: «منكر الحديث ضعيف الحديث» . وذكره ابن حبان في الضعفاء وقال : « يقلب الأسانيد ويغير الأسماء ، فلا يجوز الاحتجاج به » ولد سنة ١٥٠ ، ومات سنة ٢١٥ . و « عبيد الله » ، هو : عبيد الله بن عمرو بن أبي الوليد الأسدي الرقي . روى عن عبد الملك بن عمير ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، وابن أبي أنيسة وغيرهم . قال أبو حاتم : « صالح الحديث ثقة صدوق ، لا أعرف له حديثاً منكراً » . ولد سنة ١٠١ ومات سنة ١٨٠ . و « زيد » هو : زيد بن أبي أنيسة الجزري الرهاوي ، قال ابن سعيد « كان يسكن الرها ، ومات بها » . كان ثقة كثير الحديث ، فقيهاً ،

دلالةً من الله تعالى ذكره عبادَه، (١) على أنّ فرضًا على والدات المولودين أن يرضعنهم حولين كاملين . ثم خفف تعالى ذكره ذلك بقوله : « لمن أراد أن يتم الرضاعة » ، فجعل الخيار فى ذلك إلى الآباء والأمهات ، إذا أرادوا الإتمام أكملوا حولين ، وإن أرادوا قبل ذلك فَطْم المولود، كان ذلك إليهم على النظر منهم للمولود. (٢)

* ذكر من قال ذلك :

٤٩٦٥ ــ حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين » ، ثم أنزل الله اليسرَ والتخفيفَ بعد ذلك ، فقال تعالى ذكره : « لمن أرادَ أن يتم الرضاعة » .

٤٩٦٦ ــ حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين » ، يعنى المطلقات، يرضعن أولادهن حولين كاملين . ثم أنزل الرخصة والتخفيف بعد ذلك ، فقال : « لمن أراد أن يتم الرضاعة » .

* * *

* ذكر من قال : إن « الوالدات »، اللواتى ذكرهن الله فى هذا الموضع : البائنات من أزواجهن، على ما وصفنا قبل. (٣)

٤٩٦٧ ــ حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى ، قال : « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين » إلى « إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف »، أما « الوالدات يرضعن أولادهنّ حولين كاملين» ، فالرجل يطلق امرأته وله منها ولد ، وأنها ترضع له ولده بما يرضعُ له غيرها .

٤٩٦٨ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال، أخبرنا ابن المبارك،

راوية العلم . مات سنة ١٢٥ ، وهو ابن ست وثلاثين سنة .

(١) قوله : « عباده » منصوب مفعول به للمصدر « دلالة » .

(٢) النظر : اختيار أحسن الأمور له ، فى الرعاية والحفظ والكلاءة ، وطلب المصلحة .

(٣) انظر ما سلف فى أول تفسير الآية ص : ٣٠، ٣١

عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين »، قال : إذا طلق الرجل امرأته وهى ترضع له ولداً .

٤٩٦٩ — حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك، بنحوه .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب فى قوله : « والوالداتُ يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة » ، القول الذى رواه على بن أبى طلحة عن ابن عباس ، ووافقه على القول به عطاء والثورى = والقول الذى رُوى عن عبد الله ابن مسعود وابن عباس وابن عمر : وهو أنه دلالة على الغاية التى ينتهى إليها فى رَضَاع المولود إذا اختلف والداه فى رضاعه ، (١) وأن لا رَضاع بعد الحولين يحرّم شيئاً ، ٢/٣٠٤
وأنه معنىّ به كلّ مولود، لستة أشهر كان وِلادُه أو لسبعة أو لتسعة . (٢)

* * *

فأما قولنا : « إنه دلالة على الغاية التى ينتهى إليها فى الرضاع عند اختلاف الوالدين فيه»، فلأن الله تعالى ذكره لما حدّ فى ذلك حدًّا، كان غير جائز أن يكون ما وراء حدّه موافقاً فى الحكم ما دونه . لأن ذلك لو كان كذلك ، لم يكن للحدّ معنى معقول . وإذ كان ذلك كذلك ، فلا شك أنّ الذى هو دون الحولين من الأجل، لما كان وقت رضاع ، كان ما وراءه غيرَ وقت له ، وأنه وقتٌ لترك الرضاع = وأن تمام تمام الرضاع لما كان تمام الحولين، وكان التام من الأشياء لا معنى إلى الزيادة (٣)

---

(١) فى المخطوطة : « وإذا اختلف وأن لارضاع » ، وما بينها بياض كلمتين أو ثلاث . وفى المطبوعة : « إذا اختلف والداه وأن لا رضاع » ، وزدت أنا « فى رضاعه »، استظهاراً من ترجمة الأخبار التى رويت عنهم آنفاً ص : ٣٤، ٣٥ ، ومن بيان أبى جعفر الآتى بعد سطرين أو ثلاثة .

(٢) ولدت المرأة تلد ولاداً وولادة — بكسر الواو فيهما ، بمعنى .

(٣) فى المطبوعة : « وكان التمام من الأشياء لا معنى للزيادة فيه » ، وهو كلام لا محصول له . وفى المخطوطة : « ولما كان التمام من الأشيا لا معنى للزيادة فيه » مع بياض بين الكلمتين ، وهذا دليل على أن الناسخ ظن أن فى الكلام سقطاً ، ولكن الحقيقة أن فيه تحريفاً ، قرأ « التام » « التمام » ، وقد أثبتنا الصواب الذى لا صواب غيره .

فيه ، كان لا معنى للزيادة فى الرضاع على الحولين = وأنّ ما دون الحولين من الرضاع لما كان محرّماً ، كان ما وراءه غير محرّم .

وإنما قلنا : « هو دلالة على أنه معنىّ به كل مولود ، لأىّ وقت كان وِلاده ، لستة أشهر أو سبعة أو تسعة » ، لأن الله تعالى ذكره عمّ بقوله : « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين » ، ولم يخصُص به بعضَ المولودين دون بعض .

وقد دللنا على فساد القول بالخصوص بغير بيان الله تعالى ذكره ذلك فى كتابه ، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم — فى كتابنا ﴿ كتاب البيان عن أصول الأحكام ﴾ ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

* * *

فإن قال لنا قائل : فإن الله تعالى ذكره : قد بيّن ذلك بقوله : ﴿ وَحَمْلُه وفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً ﴾ [سورة الأحقاف : ١٥] ، فجعل ذلك حدا للمعنيين كليهما ، فغير جائز أن يكون حملٌ ورضاعٌ أكثر من الحدّ الذى حدّه الله تعالى ذكره . فما نقص من مدة الحمل عن تسعة أشهر ، فهو مزيد فى مدة الرضاع ، وما زيد فى مدة الحمل ، نقص عن مدة الرضاع . وغير جائز أن يُجاوَز بهما كليهما مدة ثلاثين شهراً ، كما حده الله تعالى ذكره .

قيل له : فقد يجب أن تكون مدة الحمل — على هذه المقالة — إن بلغت حولين كاملين ، أن لا يرضع المولود إلا ستة أشهر ، وإن بلغت أربع سنين ، أن يبطل الرضاع فلا يرضع ، لأن الحمل قد استغرق الثلاثين شهراً وجاوز غايته = [1] أو يزعم قائل هذه المقالة : أنّ مدة الحمل لن تجاوز تسعة أشهر ، فيخرج من قول جميع الحجة ، ويكابرَ الموجود والمشاهَد ، وكفى بهما حجة على خطأ دعواه إن ادّعى ذلك . فإلى أىّ الأمرين لجأ قائل هذه المقالة ، وضح لذوى الفهم فساد قوله .

* * *

(١) عطف على قوله : « فقد يجب أن تكون مدة الحمل » . . . « أو يزعم . . . »

فإن قال لنا قائل : فما معنى قوله — إن كان الأمر على ما وصفت — : « وحمله وفصاله ثلاثون شهراً » ، وقد ذكرت آنفاً أنه غير جائز أن يكون ما جاوز حد الله تعالى ذكره ، نظيرَ ما دون حده فى الحكم ؟ وقد قلت : إن الحمل والفصال قد يجاوزان ثلاثين شهراً ؟

قيل : إن الله تعالى ذكره لم يجعل قوله : « وحمله وفصاله ثلاثون شهراً » ، حدًّا تعبَّد عبادَه بأن لا يجاوزوه ، كما جعل قوله : « والوالدات يرضعن أولادهنّ حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة » ، حدًّا لرضاع المولود الثابت الرضاع ، [1] وتعبّد العبادَ بحمل والديه عند اختلافهما فيه ، وإرادة أحدهما الضرار به . وذلك أن الأمر من الله تعالى ذكره إنما يكون فيما يكون للعباد السبيلُ إلى طاعته بفعله والمعصية بتركه. [2] فأما ما لم يكن لهم إلى فعله ولا إلى تركه سبيل، فذلك مما لا يجوز الأمر به ولا النهى عنه ولا التعبُّدُ به .

فإذا كان ذلك كذلك ، وكان الحملُ مما لا سبيل للنساء إلى تقصير مدته ولا إلى إطالتها ، فيضعنه متى شئن ، ويتركن وَضعه إذا شئن = كان معلوماً أن قوله : « وحمله وفصاله ثلاثون شهراً » ، إنما هو خبر من الله تعالى ذكره عن أن مِن خَلْقه من حملته أمه وولدته وفصلته فى ثلاثين شهراً = لا أمرٌ بأن لا يتجاوَز فى مدة حمله وفصاله ثلاثون شهراً ، لما وصفناه. وكذلك قال ربنا تعالى ذكره فى كتابه : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً ﴾ [3] [سورة الأحقاف : ١٥] .

---

(١) فى المطبوعة : « لرضاع المولود التام الرضاع » ، وهو أيضاً كلام بلا معنى مفهوم ، غيروا ما فى المخطوطة كما أثبتناه ، ظناً منهم بأنه هو غير مفهوم ! ! وعنى بقوله : « الثابت الرضاع » ، أى الذى ثبت له أنه « يرضع » ، كما سيتبين من سياق كلامه بعد .

(٢) أى : وإلى المعصية بتركه .

(٣) هنا آخر التقسيم القديم الذى نقلت عنه نسختنا . ونص ما بعده :

« وصلّى الله على محمد النبى وآله وصحبه وسلم كثيرا »

(١) فإن ظن ذو غباء أن الله تعالى ذكره إذْ وَصف أن من خلْقه منْ حملته أمه ووضعته وَفصلته فى ثلاثين شهراً، فواجبٌ أن يكون جميعُ خلقه ذلك صفتُهم = وأن ذلك دلالةٌ على أن حَمل كل عباده وفصالَه ثلاثون شهراً = (٢) فقد يجب أن يكون كل عباده صفتهم أن يقولوا إذا بلغوا أشُدَّهم و بلغوا أربعين سنة : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ ﴾ [سورة الأحقاف : ١٥] ، على ما وَصَف الله به الذى وُصِف فى هذه الآية . (٣) ٢/٣٠٥

وفى وُجودنا منْ يستحكم كفرُه بالله، (٤) وكفرانه نِعَم ربه عليه، وجرأته على والديه بالقتل والشتم وضروب المكاره ، عند استكماله الأربعين من سنيه وبلوغه أشُدَّه = (٥) ما يُعلم أنه لم يعن الله بهذه الآية صفة جميع عباده، بل يُعلم أنه إنما وصف بها بعضاً منهم دون بعض، وذلك ما لا ينكره ولا يدفعه أحد . لأن من يولد من الناس لسبعة أشهر ، (٦) أكثر ممن يولد لأربع سنين ولسنتين ؛ كما أن من يولد لتسعة أشهر ، أكثر ممن يولد لستة أشهر ولسبعة أشهر .

* * *

قال أبو جعفر : واختلفت القرأة فى قراءة ذلك ، فقرأه عامة أهل المدينة

---

(١) أول التقسيم القديم ، ونص ما قبله :

« بسم الله الرحمن الرحيم
رب أعن يا كريم »

(٢) قوله : « فقد يجب » جواب قوله : « فإن ظن ذو غباء . . . » .

(٣) يعنى أن آية سورة الأحقاف معنى بها خاص من الناس دون عام ، كما يدل على ذلك ظاهر تلاوتها .

(٤) وجد الشيء يجده وجوداً . وقوله : « من يستحكم » مفعول به للمصدر .

(٥) السياق : « فى وجودنا من يستحكم كفره بالله . . . ما يعلم . . . » ، مبتدأ مؤخر .

(٦) فى المطبوعة والمخطوطة : « لتسعة أشهر » ، والصواب ، أثبت كما يدل عليه سياق الحجة .

والعراق والشام : « لمن أرَاد أن يتم الرضاعةَ » بـ « الياء » فى « يتم » ونصب « الرضاعة » — بمعنى : لمن أراد من الآباء والأمهات أن يُتم رضاع ولده .

وقرأه بعض أهل الحجاز : « لمن أراد أن تَتِمَّ الرضاعةُ » بـ « التاء » فى «تتم»، ورفع « الرضاعة » بصفتها .[1]

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك عندنا، قراءة من قرأ بـ « الياء » فى « يتم » ونصب « الرضاعة » . لأن الله تعالى ذكره قال : « والوالداتُ يُرضعن أولادهنّ »، فكذلك هنّ يتممنها إذا أردن هن والمولودُ له إتمامَها= وأنها القراءةُ[2] التى جاء بها النقل المستفيضُ الذى ثبتت به الحجة ، دون القراءة الأخرى .

* * *

وقد حكى فى « الرضاعة » سماعاً من العرب كسر « الراء » التى فيها . فإن تكن صحيحة،[3] فهى نظيرة « الوَكالة والوِكالة ، و«الدَّلالة والدِّلالة»، و«مهرت الشيء مهارَة ومِهارة » — فيجوز حينئذ « الرَّضاع » و « الرِّضاع »، كما قيل: « الحَصاد، والحِصاد ». وأما القراءةُ فبالفتح لا غيرُ .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وعلى المولود له » ، وعلى آباء الصبيان للمراضع = « رزقهن » ، يعنى : رزقُ والدتهن .

* * *

---

(١) يعنى بقوله : « بصفتها » ، أى بالفعل اللازم الذى هو صفة لها فتقول : رضاعة تامة .

(٢) « وأنها القراءة . . . » معطوف على قوله : « لأن الله تعالى ذكره قال . . . »

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « وإن تكن . . . » ، والجيد هنا الفاء .

ويعنى بـ « الرزق » : ما يقوتهن من طعام ، وما لا بد لهنّ من غذاء ومطعم .

* * *

و « كسوتهن » ، ويعنى بـ « الكسوة » : الملبس .

* * *

ويعنى بقوله : « بالمعروف » ، بما يجب لمثلها على مثله ، إذ كان الله تعالى ذكره قد علم تفاوت أحوال خلقه بالغنى والفقر ، وأن منهم الموسِع والمقتِر وبين ذلك . فأمر كلاًّ أن ينفق على من لزمته نفقته من زوجته وَولده على قدر ميسرته ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا ﴾ [سورة الطلاق : ٧] ، وكما : —

٤٩٧٠ — حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن جويبر ، عن الضحاك في قوله : « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرّضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف » ، قال : إذا طلق الرجل امرأته وهي ترضع له ولداً ، فتراضيا على أن تُرضع حولين كاملين ، فعلى الوالد رزق المرضع والكِسرة بالمعروف على قدر الميسرة ، لا نُكلف نفساً إلا وسعها .

٤٩٧١ — حدثني على بن سهل الرملي قال حدثنا زيد = وحدثنا ابن حميد قال ، حدثنا مهران = عن سفيان قوله : « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة » ، والتمام الحولان ، و « على المولود له » = على الأب طعامها وكسوتها بالمعروف . (١)

٤٩٧٢ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف » ، قال : على الأب .

* * *

(١) الأثر : ٤٩٧١ — انظر إسناد الأثر السالف : ٤٩٥٥ ، والآتي : ٤٩٧٣ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾(١)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : لا تحمَّل نفسٌ من الأمور إلا ما لا يضيقُ عليها ، ولا يتعذر عليها وجوده إذا أرادت . وإنما عنى الله تعالى ذكره بذلك : لا يوجب الله على الرجال من نفقة من أرضع أولادهم من نسائهم البائنات منهم ، إلاّ ما أطاقوه ووَجدوا إليه السبيل ، كما قال تعالى ذكره : ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ﴾[سورة الطلاق: ٧]، كما : —

٤٩٧٣ — حدثنا ابن حميد قال ،حدثنا مهران = وحدثنى على قال ، حدثنا زيد = جميعاً ،عن سفيان : « لا تُكلف نفسٌ إلا وسعها » ، إلاّ ما أطاقت . (٢) ٢/٣٠٦

* * *

« والوُسْع » «الفُعْل» من قول القائل : « وسِعَنى هذا الأمر فهو يسعنى سَعَة» — ويقال : « هذا الذى أعطيتك وُسْعى » ، أى : ما يتسع لى أن أعطيك ، فلا يضيقُ على إعطاؤكه = و« أعطيتك من جُهْدى » ، إذا أعطيته ما يجهدك فيضيق عليك إعطاؤه .

* * *

فمعنى قوله : « لا تكلف نفسٌ إلا وسعها » ، هو ما وصفت : من أنها لا تكلَّف إلا ما يتسع لها بذل ما كُلفت بذلَه ، فلا يضيق عليها ولا يَجْهَدها = لا ما ظنَّه جهلةُ أهل القدَر من أن معناه : لا تكلف نفس إلا ما قد أعطيت عليه القدرةَ من الطاعات. لأن ذلك لو كان كما زعمتْ، لكان قوله تعالى ذكره : ﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾ [سورة الإسراء: ٤٨ / وسورة الفرقان: ٩]، = إذ كان دالاًّ على أنهم غير مستطيعى السبيل إلى ما كُلِّفوه = واجباً أن يكون القوم فى حال واحدة ، قد أعطوا الاستطاعة على

(١) فى المخطوطة : « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » ، عجل الناسخ فأخطأ التلاوة .
(٢) الأثر : ٤٩٧٣ — انظر إسناد الأثرين السالفين : ٤٩٥٥ ، ٤٩٧١ .

ما مُنعوها عليه . وذلك من قائله إن قاله، إحالةٌ فى كلامه، ودعوى باطلٍ لا يُخيل بُطوله.(١) وإذْ كان بيِّناً فسادُ هذا القول، فمعلوم أن الذى أخبر تعالى ذكره أنه كلَّف النفوس من وُسعها، غيرُ الذى أخبر أنه كلَّفها مما لا تستطيع إليه السبيل.

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ﴾

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة ذلك . فقرأه عامة قرأة أهل الحجاز والكوفة والشام : « لا تضارَّ والدة بولدها » بفتح « الراء » ، بتأويل : لا تضارَرْ(٢) = على وجه النهى، وموضعه إذا قرئ كذلك — جزمٌ، غير أنه حُرِّك، إذْ تُرِك التضعيف بأخف الحركات ، وهو الفتح . ولو حُرِك إلى الكسر كان جائزاً، إتباعاً لحركة لام الفعل حركةَ عينه . وإن شئت فلأنَّ الجزم إذا حُرِّك حُرِّك إلى الكسر .(٣)

* * *

(١) قوله : « دعوى باطل » هى هنا بالإضافة ، لا صفة لدعوى . ويقال فى غير هذا : «دعوى باطل وباطلة » على الوصف . و « البطول » مصدر « بطل » كما أسلفنا فى الجزء ٤ : ٥٢٣ ، تعليق : ٣ و « أخال الشىء يخيل » : اشتبه ، يقال : « هذا الأمر لا يخيل على أحد » أى : لا يشكل . و « هو شىء مخيل » ، أى : مشكل .

(٢) فى المخطوطة : « لا تضارن » بالنون فى آخره ، وهو خطأ .

(٣) هكذا جاءت هذه الفقرة فى المخطوطة والمطبوعة. وهى فاسدة كلها بلا شك، ومناقضة لما سيأتى فى كلام الطبرى فى ص : ٥١ إلى ص : ٥٢ ولست أرتاب فى أن الكلام قد سقط منه شىء ، تخطاه ناسخ قديم ، فاضطرب ما أراد الطبرى أن يقوله ، ثم ما قاله بعد ، اضطراباً شديداً . والذى استظهرته من قراءة كلامه من أول تفسير الآية إلى آخرها فى ص : ٥٤ ، يوجب أن يكون سياق كلامه هنا هكذا :

« لمختلفت القرَأة فى قراءة ذلك . فقرأه عامة قرأة أهل الحجاز والكوفة والشام : « لاَ تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِها » ، بفتح « الراء » ، على ما لم يسمَّ فاعِلُه ، بتأويل :

وقرأ ذلك بعضُ أهل الحجاز وبعض أهل البصرة: « لا تضارُّ والدة بولدها »، رفعٌ. (١) ومن قرأه كذلك لم تحتمل قراءته معنى النهى، ولكنها تكون [على معنى] الخبر، (٢) عطفاً بقوله: «لا تضار» على قوله: « لا تكلف نفسٌ إلا وسعها ». (٣)

* * *

وقد زعم بعض نحويي البصرة أن معنى من رفع: « لا تضارُّ والدة بولدها »، هكذا فى الحكم: — أنه لا تضار والدة بولدها — أى: ما ينبغى أن تضارَّ. فلما حذفت «ينبغى»، وصار «تضار» فى موضعه، صار على لفظه، واستشهد لذلك بقول الشاعر: (٤)

لا تُضَارَرْ، على وجه النهى. وموضعه إذا قرئ كذلك جزمٌ، غير أنّه حُرّك — إذْ تُرك التضعيف بحركة الراء الأولى.

وزعم بعضُ من قرأه كذلك، أنّ قراءة من قرأ: « لا تُضارَّ » بفتح « الراء » على ما سُمّى فاعله، بتأويل: لا تُضَارِرْ، على وجه النّهى. وموضعه إذا قرئ كذلك جزمٌ، غير أنّه حُرّك — إذ تُرك التضعيفُ — بأخفّ الحركات، وهو الفتح. ولو حُرّك إلى الكسرِ كان جائزاً، إتباعاً لحركة لام الفعل حركة عينه. وإن شئتَ، فلأن الجزم إذا حُرّك، حُرّك إلى الكَسْرِ. وهذا خطأٌ فى التأويل ».

ولعل بعض النساخ القدماء، سقط من نسخه شيء ثم جاء آخر، فلم يستطع أن يفهم ما كتبه، ولا أن يعرف موضع السقط فيه، فتصرف فى كتابته على هذا الوجه الذى ثبت فى مخطوطتنا وفى جميع المطبوع. وهو خطأ لا ريب فيه. وتناقض ظاهر، لا يقع فى مثله أبو جعفر، فضلا عما فيه من الاختلال الشديد. وسأبين فى التعليقات التالية ما يربط الكلام الآتى بهذه الجملة التى استظهرتها.

(١) فى المطبوعة والمخطوطة: مكان « رفع»، « فعل »، وهو تحريف لا شك فيه، كما يدل عليه السالف والآتى. وكما تدل عليه القراءة. وفى المخطوطة قبله: « لا تضارر ».

(٢) فى المطبوعة: « ولكنها تكون بالخبر عطفاً »، وكان فى المخطوطة: « ولكنها تكون الخبر عطفاً » بغير باء الجر. والسياق يدل على ضرورة ما أثبت من الزيادة بين القوسين.

(٣) فى المخطوطة: « لا تكلف نفساً »، كما وقع فى الآية فى ص: ٤٥ تعليق: ١.

(٤) لأبى اللحام التغلبى، وهو سريع بن عمرو (وعمرو هو اللحام) بن الحارث بن مالك بن ثعلبة بن بكر بن حبيب ويقال اسمه «حريث». وهو جاهلى، النقائض: ٤٥٨، وشرح المفضليات: ٤٣٤، والخزانة ٣: ٦١٣ — ٦١٥. وفى سيبوية ١: ٤٣١، ونسبه الشنتمرى لعبد الرحمن بن أم الحكم، ولم أجد نسبته إليه فى مكان آخر. ولأبى اللحام شعر فى ديوان عمرو بن كلثوم.

عَلَى الحُكْمِ المَأْتِيِّ يَوْماً إِذَا قَضَى قَضِيَّتَهُ ، أَنْ لاَ يَجُورَ وَيَقْصِدُ[١]

فزعم أنه رَفع « يقصد » بمعنى « ينبغى » . والمحكىّ عن العرب سماعاً غير الذى قال. وذلك أنه روى عنهم سماعاً: «فتصنعَ ماذا»، إذا أرادوا أن يقولوا: « فتريد أن تصنع ماذا » ، فينصبونه بنيّة « أن » . وإذا لم ينووا « أن » ولم يريدوها، قالوا: « فتريدُ ماذا »، فيرفعون « تريد »، لأنه لا جالبَ لِـ « أنْ » قبله ، كما كان له جالب قبل « تصنع » . فلو كان معنى قوله: « لا تضار » إذا قرئ رفعاً بمعنى : « ينبغى أن لا تضار » أو « ما ينبغى أن تضار » ، ثم حذف « ينبغى » و « أن » وأقيم « تضار » مقام « ينبغى »، لكان الواجب أن يقرأ — إذا قرئ بذلك المعنى — نصباً لا رفعاً، ليُعلم بنصبه المتروكُ قبله المعنىُّ المراد ، كما فعل بقوله: « فتصنع ماذا »، ولكن معنى ذلك ما قلنا إذا رفع على العطف على « تكلف » : [٢] ليست تكلف نفس إلا وُسعها ، وليست تضار والدة بولدها . يعنى بذلك: أنه ليس فى ذلك فى دين الله وحُكمه وأخلاق المسلمين .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك قراءةُ من قرأ بالنصب ، لأنه نهىٌ من الله تعالى ذكره كُلَّ واحد من أبوى المولود عن مضارَّة صاحبه له، حرام عليهما ذلك بإجماع المسلمين . فلو كان ذلك خبراً ، لكان حراماً عليهما ضرارُهما به كذلك . [٣]

* * *

(١) سيبويه ١ : ٤٣١ الخزانة ٣ : ٦١٣ — ٦١٥ ، وشرح شواهد المغنى : ٢٦٣. وقال صاحب الخزانة : « البيت من قصيدة عدتها تسعة عشر بيتاً لأبى اللحام التغلبى أوردها أبو عمرو الشيبانى فى أشعار تغلب له ، وانتخبها أبو تمام ، فأورد منها خمسة أبيات فى مختار شعر القبائل ، وهذا أولها :

عَمِرْتُ وَأَطْوَلْتُ التَّفَكُّرَ خَالِياً وَسَاءَلْتُ حَتَّى كَادَ عُمْرِىَ يَنْفَدُ

(٢) فى المطبوعة : « لا تكلف » بزيادة « لا » وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « لكان حرام » بالرفع ، والأجود ما أثبت .

وبما قلنا فى ذلك — من أن ذلك بمعنى النهى — تأوّله أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٤٩٧٤ — حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « لا تضار والدة بولدها » ، لا تأبى أن ترضعه ليشقّ ذلك على أبيه ، ولا يضار الوالد بولده، فيمنع أمه أن ترضعه ليحزُنَها .

٤٩٧٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٤٩٧٦ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده » ، قال : نهى الله تعالى عن الضرار وقدّم فيه، فنهى الله أن يضار الوالد فينتزع الولد من أمّه ، إذا كانت راضية بما كان مسترضِعاً به غيرها = ونهيت الوالدة أن تقذف الولد إلى أبيه ضراراً . ٢/٣٠٧

٤٩٧٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « لا تضار والدة بولدها » ، ترمى به إلى أبيه ضراراً = « ولا مولود له بولده » ، يقول : ولا الوالد، فينتزعه منها ضراراً، إذا رضيت من أجر الرضاع ما رضى به غيرُها ، فهى أحق به إذا رضيت بذلك .

٤٩٧٨ — حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبى جعفر، عن أبيه، عن يونس، عن الحسن : « لا تضار والدة بولدها »، قال : ذلك إذا طلقها، فليس له أن يضارَّها فينتزع الولد منها ، إذا رضيت منه بمثل ما يرضى به غيرها = وليس لها أن تضارَّه فتكلفه ما لا يطيق ، إذا كان إنساناً مسكيناً ، فتقذف إليه ولده .

٤٩٧٩ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك : « لا تضار والدة بولدها » ، لا تضار أم بولدها ولا أب بولده . يقول : لا تضار أم بولدها فتقذفه إليه إذا كان الأب حيًّا، أو إلى عَصَبته

إذا كان الأب ميتاً. ولا يضارّ الأبُ المرأةَ إذا أحبت أن ترضع ولدها ولا ينزعه. (١)

٤٩٨٠ — حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدى: «لا تضار والدة بولدها»، يقول: لا ينزع الرجل ولده من امرأته فيعطيه غيرَها بمثل الأجر الذى تقبله هى به = ولا تضار والدة بولدها، فتطرح الأم إليه ولده، تقول: «لا أليه ساعةً»، تُضيعه، (٢) ولكن عليها من الحق أن ترضعه حتى يطلب مرضعاً.

٤٩٨١ — حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني الليث قال، حدثني عقيل، عن ابن شهاب — وسئل عن قول الله تعالى ذكره «والوالدات يرضعن أولادهنّ حولين كاملين» إلى «لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده»، قال ابن شهاب: والوالداتُ أحقُّ برضاع أولادهن ما قبلن رضاعهن بما يعطى غيرهن من الأجر، وليس للوالدة أن تضارَّ بولدها فتأبى رضاعه، مضارّة وهى تعطى عليه ما يعطى غيرُها من الأجر. وليس للمولود له أن ينزع ولده من والدته مضارًّا لها، وهى تقبل من الأجر ما يعطاه غيرها.

٤٩٨٢ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا مهران = وحدثني على قال، حدثنا زيد = جميعاً، عن سفيان فى قوله: «لا تضار والدة بولدها»، لا ترم بولدها إلى الأب إذا فارقها، تضارُّه بذلك = «ولا مولود له بولده»، ولا ينزع الأب منها ولدها يضارُّها بذلك.

٤٩٨٣ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله: «لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده»، قال: لا ينتزعه منها وهى تحبُّ أن ترضعه فيضارُّها، ولا تطرحه عليه وهو لا يجد من ترضعه، ولا يجد ما يسترضعه به.

٤٩٨٤ — حدثنا عمرو بن على الباهلى قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثني

---

(١) فى المطبوعة: «ولا ينتزعه»، وهما سواء، وأثبت ما فى المخطوطة.

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة: «يقول لا إليه ساعة تضعه»، وهو فى المخطوطة غير منقوط، ورأيت الصواب أن تكون هكذا قراءة الجملة، مع جعل «تضعه» «تضيعه»، أى تضيعه بتركها إياه.

ابن جريج ، عن عطاء فى قوله : « لا تضار والدة بولدها » ، قال : لا تدَعَنْه ورضاعَه ، من شَنَآنها مضارَّةً لأبيه ، [١] ولا يمنعها الذى عنده مضارة لها .

• • •

وقال بعضهم : « الوالدة » التى نُهىَ الرجلَ عن مضارّتها : ظِئْرُ الصبى . [٢]

• ذكر من قال ذلك :

٤٩٨٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال ، حدثنا هرون النحوى قال ، حدثنا الزبير بن الخِرِّيت ، عن عكرمة فى قوله : « لا تضار والدة بولدها » ، قال : هى الظئر . [٣]

• • •

فمعنى الكلام : لا يُضارِرْ والدُ مولودٍ والدتَه بمولوده منها ، ولا والدةُ مولودٍ والدَه بمولودها منه . ثم ترك ذكر الفاعل فى « يضار » ، فقيل : لا تضارَرْ والدة بولدها ولا مولود له بولده ، [٤] كما يقال إذا نُهى عن إكرام رجل بعينه فيما لم يسمَّ فاعله ، ولم يقصد بالنهى عن إكرامه قصد شخص بعينه : « لا يُكرم عمرو ، ولا يُجلس إلى أخيه » ، ثم تُرك التضعيف فقيل : « لا تضارّ » فحركت الراء الثانية التى كانت مجزومة — لو أُظهر التضعيف — بحركة الراء الأولى . [٥]

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة « من شأنها » ، والصواب ما أثبت ، والشنآن : البغض والكره .

(٢) الظئر : العاطفة على ولد غير ولدها ، المرضعة له .

(٣) الأثر : ٤٩٨٥ — « مسلم بن إبراهيم الأزدى الفراهيدى » ، روى عنه البخارى ، وأبو داود ، ويحيى بن معين ، وأبو زرعة ، وأبو حاتم ، وغيرهم ، ثقة صدوق . مات سنة ٢٢٢ . و « هرون النحوى » و « هرون الأعور » هو : هرون بن موسى الأزدى العتكى — النحوى الأعور صاحب القراءات ، كان ثقة مأموناً . و « الزبير بن الخريت » (بكسر الخاء وتشديد الراء المكسورة) . ثقة . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « الزبير بن الحارث » ، هو خطأ صرف .

(٤) فى المطبوعة : « لا تضار والدة . . . » كنص الآية ، ولكنه أراد التضعيف هنا ، كما يظهر من السياق ، والصواب من المخطوطة .

(٥) من هذا الموضع أخذت ما زدته هناك ص : ٤٦ ، ٤٧ تعليق : ٣ فى التعليق على الجملة المضطربة التى بينت اضطرابها .

وقد زعم بعض أهل العربية أنها إنما حركت إلى الفتح فى هذا الموضع ، لأنه آخِر الحركات .[١] وليس للذى قال من ذلك معنًى . لأن ذلك إنما كان جائزاً ٢/٢٠٨
أن يكون كذلك ، لو كان معنى الكلام : لا تضارِرْ والدةٌ بولدها ،[٢] وكان المنهىُّ عن الضرار هى الوالدة . على أن معنى الكلام لو كان كذلك ، لكان الكسر فى « تضار » أفصح من الفتح ، والقراءة به كانت أصوب من القراءة بالفتح ، كما أن : « مُدَّ بالثوب » أفصح من « مُدَّ به » .[٣] وفى إجماع القرأة على قراءة : « لا تضارَّ » بالفتح دون الكسر ، دليل واضح على إغفال من حكيتُ قوله من أهل العربية فى ذلك .[٤]

فإن كان قائل ذلك قاله توهماً منه أن معنى ذلك : لا تضارِرْ والدة ،[٥] وأنّ « الوالدة » مرفوعة بفعلها ، وأن « الراء » الأولى حظها الكسر ، فقد أغفل تأويل الكلام ،[٤] وخالف قول جميع من حكينا قوله من أهل التأويل . وذلك أن الله تعالى ذكره تقدَّم إلى كل أحد[٦] من أبوى المولود بالنهى عن ضرار صاحبه بمولودهما = لا أنه نهى كل واحد منهما عن أن يضار المولود . وكيف يجوز أن ينهاه عن مضارَّة الصبىّ ،

---

(١) فى المطبوعة : « لأنه أحد الحركات » ، وهو كلام لا معنى له ، والصواب ما أثبت ، وقد مضى فى مكان ما من التفسير مثل هذا الخطأ ، ولم أستطع أن أعثر عليه بعد . وقوله : « آخر الحركات » معناه : أخفها . فالضم أثقل الحركات ، ثم الكسر ، ثم الفتح أخفها وآخرها . وأما السكون فلا يعد فى الحركات.
وهذا الذى قاله الطبرى هنا دليل قاطع على فساد الجملة التى كانت فى ص : ٤٦ ، ٤٧ (تعليق : ٣) وأنه لا يجعل علة الفتح فى معنى النهى : « أنه حرك إذ ترك التضعيف بأخف الحركات ، وهو الفتح » ، ودليل على أن الصواب ما استظهرته فى التعليق . وسيظهر ذلك بيناً فى رده الذى يأتى بعقب هذه الجملة .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « لا تضارن » ، وهو كلام لا معنى له . والصواب ما أثبت (بضم التاء وكسر الراء الأولى ، وسكون الأخيرة) .

(٣) انظر شرح الشافية ٢ : ٢٤٣ .

(٤) إغفاله : دخوله فى الغفلة ، كما أسلفنا فى ١ : ١٥١ ، تعليق : ١ ، وكذلك معنى قوله فى الموضع الثانى « أغفل » ، أى : دخل فى الغفلة .

(٥) فى المطبوعة : « لا تضار » براء مشددة ، والصواب من المخطوطة . وقوله « مرفوعة بفعلها » ، أى أنه فعل لازم ، مثل « قاتل الرجل » .

(٦) فى المطبوعة : « كل واحد » ، وهما قريبين . وقوله : تقدم إلى كذا بكذا ، أى أمر بأمر أو نهى .

والصبيّ فى حال ما هو رضيع – غيرُ جائز أن يكون منه ضرار لأحد ؟ فلو كان ذلك معناه، لكان التنزيل : لا تُضَرُّ والدة بولدها. (١)

* * *

وقد زعم آخرون من أهل العربية أن الكسر فى « تضارّ » جائز. (٢) والكسر فى ذلك عندى فى هذا الموضع غير جائز، (٣) لأنه إذا كسر تغير معناه عن معنى : «لاتضارَرْ» – (٤) الذى هو فى مذهب ما لم يسمّ فاعله – إلى معنى « لاتضارِرْ»، (٥) الذى هو فى مذهب ما قد سُمِّى فاعله. (٦)

* * *

قال أبو جعفر: فإذْ كان الله تعالى ذكره قد نهى كل واحد من أبوى المولود عن مضارة صاحبه بسبب ولدهما، فحقٌّ على إمام المسلمين = إذا أراد الرجل نزع ولده من أمه بعد بينونتها منه، وهى تحضنه وتكفله وتُرضعه، بما يحضنه به غيرها ويكفُله به ويُرضعه من الأجرة = (٧) أن يأخذ الوالد بتسليم ولدها، ما دام محتاجاً الصبيُّ، إليها فى ذلك بالأجرة التى يُعطاها غيرها / وحقٌّ عليه = إذا كان الصبى لا يقبل ثدى غير

---

(١) فى المخطوطة : « لا تضار » كنص الآية، وهى خطأ بلا شك.

(٢) هو الفراء فى معانى القرآن ١ : ١٤٩، وعنى الفراء برأيه هذا أنه لما سكنت الراء الأولى لإدغامهما فى الثانية الساكنة، التقى ساكنان، فكسر، لأن الكسر هو الأصل فى التقاء الساكنين. هذا ما أجازه.

(٣) فى المطبوعة : « والكسر فى ذلك عندى غير جائز فى هذا الموضع » وأثبت ما فى المخطوطة.

(٤) فى المطبوعة : « لا تضار »، والصواب التضعيف هنا للبيان، كما فى المخطوطة.

(٥) فى المخطوطة والمطبوعة : « لا تضار » والصواب ما أثبت للعلة فى التعليق السالف.

(٦) هذه الفقرة من كلام أبى جعفر فى رد من قال بالكسر، تدل دلالة واضحة أيضاً على فساد الجملة الأولى التى صححناها فى ص : ٤٦، ٤٧ تعليق : ٣، وهى تبين لك عن صواب ما استظهرت أنه أصل كلام الطبرى.

(٧) فى المخطوطة والمطبوعة : « وترضعه »، والصواب بالياء كما أثبت. وسياق الجملة : « فحق على إمام المسلمين . . . أن يأخذ الوالد » وما بينهما فصل للحال. وقوله : « ما دام محتاجاً الصبى » حال أخرى معترضة. وسياق الكلام « بتسليم ولدها . . . إليها فى ذلك ».

والدته ، أو كان المولود له لا يجد من يرضع ولده وإن كان يقبل ثدى غير أمه، أو كان معدماً لا يجد ما يستأجر به مرضعاً ، ولا يجد من يتبرع عليه برضاع مولوده . (١) = أن يأخذ والدته البائنة من والده برضاعه وحضانته. (٢) لأن الله تعالى ذكره إنْ حرّم على كل واحد من أبويه ضرار صاحبه بسببه، (٣) فالإضرار به أحرى أن يكون محرّماً ، مع ما فى الإضرار به من مضارة صاحبه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى « الوارث » الذى عنى الله تعالى ذكره بقوله : « وعلى الوارث مثل ذلك »، وأى وارثٍ هو : ووارث مَن هو ؟

فقال بعضهم: هو وارث الصبى . وقالوا معنى الآية : وعلى وارث الصبىّ إذا كان [أبوه] ميتاً ، (٤) مثل الذى كان على أبيه فى حياته .

* ذكر من قال ذلك :

٤٩٨٦ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وعلى الوارث مثل ذلك »، على وارث الولد .

٤٩٨٧ — حدثنى موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « ما يتبرع عليه » ، وهو خطأ فاسد ، لأنه يريد أنه لم يجد من يتفضل عليه ويتطوع برضاع مولوده . وسياق هذه الجملة أيضاً : « وحق عليه ... أن يأخذ والدته » ، كما فى الفقرة السالفة .

(٢) فى المخطوطة : «أن يأخذ والدته الثانية من والدته البائنة من والده » ، وقد أصابت المطبوعة الصواب ، فحذفت « الثانية من والدته » ، فهو تصحيف وتكرار .

(٣) فى المطبوعة : « لأن الله تعالى ذكره حرم » بإسقاط « إن »، والواجب إثباتها كما جاءت فى المخطوطة .

(٤) هذه الزيادة بين القوسين لا بد منها ، وإلا اختل الكلام ، ويدل على وجودها ما بعده .

السدى : « وعلى الوارث مثل ذلك » ، على وارث الولد .

٤٩٨٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن قتادة : « وعلى الوارث مثل ذلك »، قال: وعلى وارث الصبي مثل ما على أبيه .

* * *

ثم اختلف قائلو هذه المقالة فى وارث المولود، الذى ألزمه الله تعالى مثل الذى وصف.

فقال بعضهم : هو وارث الصبي من قبل أبيه من عصَبته ، كائناً من كان ، أخاً كان، أو عمًّا، أو ابن عم، أو ابن أخ.

* ذكر من قال ذلك :

٤٩٨٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن جريج : أن عمرو بن شعيب أخبره : أنّ سعيد بن المسيب أخبره : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه = قال: فى قوله: « وعلى الوارث مثل ذلك»، قال[1] = ٢/٣٠٩
وقف بنى عمٍّ منفوس كلالةً بالنفقة عليه، مثل العاقلة .[2]

٤٩٩٠ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : أن الحسن كان يقول : « وعلى الوارث مثل ذلك » ، على العصَبة .

٤٩٩١ – حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا عبد الله بن إدريس وأبو عاصم

---

(١) هذه الجملة بين الخطين ، من كلام عمرو بن شعيب . بمعنى أن سعيد بن المسيب أخبره فى قوله تعالى : « وعلى الوارث مثل ذلك » ، أن عمر بن الخطاب حبس . وهذا بين من سياق التحديث .

(٢) الأثر : ٤٩٨٩ – فى المخطوطة « قال : وقف بنى عم منفوس بنى عمه كلالة بالنفقة » . وأما الذى فى المطبوعة ، فكأنه من نص الدر المنثور ١ : ٢٨٨ ، اجتلبه المصحح من هناك ، وهذا نص الدر والمطبوعة: « حبس بنى عم على منفوس كلالة بالنفقة عليه» ، وقد رأيت أن أقرأها كما أثبتها وكما فى المحلى بهذا الإسناد ١٠ : ١٠٢ . والمخطوطة – كما قلت مراراً مضطربة فى هذا القسم منها لعجلة الكاتب ، كما ظهر فى كثرة التصحيحات السالفة . وانظر الأثر رقم : ٤٩٩١ والتعليق عليه .

يقال : هو ابن عمه كلالة (بالنصب) ، وابن عم كلالة (بالإضافة) . أى من بنى العم الأباعد ، وهم العصبة وإن بعدوا . والعاقلة : هم عصبة الرجل وقرابته من قبل الأب الذين يعطون دية القتل .

قالا ، حدثنا ابن جريج ، عن عمرو بن شعيب ، عن سعيد بن المسيب قال : وقف عمر بنى عم منفوس كلالةً برضاعه. (١)

٤٩٩٢ — حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية ، عن يونس : أن الحسن كان يقول : إذا توفى الرجل وامرأته حامل ، فنفقتها من نصيبها ، ونفقة ولدها من نصيبه من ماله إن كان له ، فإن لم يكن له مال فنفقته على عصَبته . قال : وكان يتأول قوله : « وعلى الوارث مثل ذلك » ، على الرجال .

٤٩٩٣ — حدثنا عمرو بن على قال ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ، حدثنا هشيم ، عن يونس ، عن الحسن قال : على العصبة الرجال ، دون النساء .

٤٩٩٤ — حدثنا أبو كريب وعمرو بن على قالا ، حدثنا ابن إدريس قال ، حدثنا هشام ، عن ابن سيرين : أتى عبدَ الله بن عتبة مع اليتيم وليُّه ، ومع اليتيم من يتكلم فى نفقته ، فقال لولىِّ اليتيم : لو لم يكن له مال لقضيتُ عليك بنفقته، لأن الله تعالى يقول : « وعلى الوارث مثل ذلك » . (٢)

٤٩٩٥ — حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا أيوب ، عن محمد بن سيرين قال: أُتى عبد الله بن عتبة فى رضاع صبى ، فجعل رضاعه فى ماله ، وقال لوليه : لو لم يكن له مال جعلنا رضاعه فى مالك ، ألا تراه يقول : « وعلى الوارث مثل ذلك » ؟(٢)

٤٩٩٦ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم فى قوله : «وعلى الوارث مثل ذلك»، قال: على الوارث ما على الأب، إذا لم يكن للصبى مال . وإذا كان له ابن عم أو عصبة ترثه ، فعليه النفقة .

---

(١) الأثر : ٤٩٩١ — انظر الأثر السالف : ٤٩٨٩ ، وفى المطبوعة هنا « ابن عم على منفوس » بزيادة « على » ، وأثبت ما فى المخطوطة وانظر سنن البيهقى ٧ : ٤٧٨ — ٤٧٩ ، والمحلى ١٠ : ١٠٢ .

(٢) الأثران : ٤٩٩٤ ، ٤٩٩٥ — انظر الأثر التالى رقم : ٥٠٠٤ . والذى فى المخطوطة فى الأثر الأول : « أن أبا عبد الله» بياض بين الكلمتين، وغير منقوط ، وفى المطبوعة : « أنه أتى عبد الله »، وظنى أن الناسخ قد كرر ، وأن الصواب ما أثبت ، كما فى الأثر الذى يليه .

٤٩٩٧ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وعلى الوارث مثل ذلك » ، قال : الولىُّ مَنْ كان .

٤٩٩٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال، أخبرنا ابن المبارك، عن أبي بشر ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٤٩٩٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٥٠٠٠ – حدثنا عبد الله بن محمد الحنفي قال، حدثنا عبد الله بن عثمان قال، أخبرنا ابن المبارك قال، أخبرنا يعقوب – يعني ابن القاسم – عن عطاء وقتادة – في يتيم ليس له شيء ، أيُجبر أولياؤه على نفقته ؟ قالا : نعم، ينفق عليه حتى يُدرك .(١)

٥٠٠١ – حدثت عن يعلى بن عبيد ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : إن مات أبو الصبيّ وللصبي مال، أخِذ رضاعه من المال . وإن لم يكن له مال ، أخذ من العصَبة . فإن لم يكن للعصبة مال ، أجبِرت عليه أمه .

* * *

وقال آخرون منهم : بل ذلك على وارث المولود مَنْ كان ، من الرجال والنساء .

* ذكر من قال ذلك :

٥٠٠٢ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة أنه كان يقول : « وعلى الوارث مثل ذلك » ، على وارث المولود ما كان على

---

(١) الأثر : ٥٠٠٠ – عبد الله بن محمد بن يزيد أبو محمد الحنفي المروزي صاحب عبدان . سكن بغداد . قال الخطيب : « كان ثقة » ، وتوفي سنة ٢٧٥ مترجم في تاريخ بغداد ١٠ : ٨٥ و « عبدان » ، لقب « عبد الله بن عثمان بن جبلة بن أبي رواد الأزدي » ، روى عنه البخاري . مات سنة ٢٢٠ . مترجم في التهذيب . وانظر الأثر الآتي برقم : ٥٠٠٩ .

الوالد من أجر الرضاع ، إذا كان الولد لا مال له ، على الرجال والنساء على قدر ما يرثون .

٥٠٠٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهري : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أغرم ثلاثة ، كلُّهم يرث الصبي ، أجرَ رضاعه .

٥٠٠٤ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن ابن سيرين : أن عبد الله بن عتبة جعل نفقة صبيّ من ماله ، وقال لوارثه : أما إنه لو لم يكن له مال أخذناك بنفقته ، ألا ترى أنه يقول : « وعلى الوارث مثل ذلك » . (١)

* * *

وقال آخرون منهم : هو مِن ورثته، مَنْ كان منهم ذا رحم محرم للمولود ، فأما من كان ذا رحم منه وليس بمحرم ، كابن العم والمولى ومن أشبههما ، فليس من عناه الله بقوله : « وعلى الوارث مثل ذلك » . والذين قالوا هذه المقالة : أبو حذيفة وأبو يوسف ومحمد.

* * *

وقالت فرقة أخرى : بل الذى عنى الله تعالى ذكره بقوله : « وعلى الوارث مثل ذلك » ، المولود نفسه .

* ذكر من قال ذلك :

٣١٠/٢ ٥٠٠٥ – حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصرى قال ، حدثنا أبو زرعة وهبُ الله بن راشد قال أخبرنا حيوة بن شُريح قال ، أخبرنا جعفر بن ربيعة. أن بشير بن النضر المزنى – وكان قاضياً قبل ابن حُجَيرة فى زمان عبدالعزيز – كان يقول : « وعلى الوارث مثل ذلك » ، قال : الوارث هو الصبي . (٢)

---

(١) الأثر : ٥٠٠٤ – بإسناده فى المحلى ١٠ : ١٠٣ ، وانظر الأثرين السالفين : ٤٩٩٤ ، ٤٩٩٥ .

(٢) الأثر : ٥٠٠٥ – « أبو زرعة وهب الله بن راشد المصرى » مضت ترجمته بتفصيل فى رقم : ٢٣٧٧ . وكان فى المطبوعة هنا « حدثنا أبو زرعة وعبد الله بن راشد » كما كان هناك أيضاً ،

٥٠٠٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا عبد الله بن يزيد المقرى قال، أخبرنا حيوة . قال ، أخبرنا جعفر بن ربيعة ، عن قبيصة بن ذؤيب : « وعلى الوارث مثل ذلك » ، قال : هو الصبى .

٥٠٠٧ – حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن حيوة بن شريح قال ، أخبرنى جعفر بن ربيعة : أن قبيصة بن ذؤيب كان يقول : الوارث هو الصبى = يعنى قوله : « وعلى الوارث مثل ذلك » .[1]

٥٠٠٨ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد قال، أخبرنا ابن المبارك ، عن جويبر ، عن الضحاك : « وعلى الوارث مثل ذلك »، قال : يعنى بالوارث ، الولد الذى يرضع .

* * *

قال أبو جعفر : وتأويل ذلك على ما تأوّله هؤلاء: وعلى الوارث المولود ، مثل ما كان على المولود له .

* * *

وقال آخرون : بل هو الباقى من والدى المولود ، بعد وفاة الآخر منهما .

* ذكر من قال ذلك :

٥٠٠٩ – حدثنى عبد الله بن محمد الحنفى قال ، أخبرنا عبد الله ابن عثمان قال ، أخبرنا ابن المبارك قال ، سمعت سفيان يقول فى

والصواب هنا من المخطوطة . وجعفر بن ربيعة بن شرحبيل بن حسنة الكندى أبو شرحبيل المصرى . قال أحمد : « كان شيخاً من أصحاب الحديث ثقة » . توفى سنة ١٣٦ . مترجم فى التهذيب . و « بشير ابن النضر المزنى » مترجم فى كتاب القضاة للكندى : ٣١٣ – ٣١٤ توفى سنة ٦٩ ، وكان فى المطبوعة والمخطوطة « بشر بن نصر » ، وهو خطأ ، وقد روى هذا الأثر بإسناده قال : « حدثنا محمد بن يوسف ، قال حدثنى محمد بن ربيع الجيزى ، قال حدثنى أبى ، قال حدثنا أبو زرعة وهب الله بن راشد . . . » . و « ابن حجيرة » هو : « عبد الرحمن بن حجيرة الخولانى » ، مترجم فى كتاب القضاة : ٣١٤ – ٣٢٠ ، توفى سنة ٨٣ ، وكان فقيها من أفقه الناس .

(١) الأثران : ٥٠٠٦ ، ٥٠٠٧ – انظر المحلى ١٠ : ١٠٣ ، وروايته هناك : « رضاع الصبى » .

صبيّ له عمٌّ وأمٌّ وهى ترضعه، قال: يكون رضاعُه بينهما، ويُرفع عن العم بقدر ما ترث الأم، لأن الأم تجبر على النفقة على ولدها. (١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ مِثْلُ ذَٰلِكَ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « مثل ذلك » .

فقال بعضهم : تأويله : وعلى وارث الصبى بعد وفاة أبويه، (٢) مثل الذى كان على والده من أجر رضاعه ونفقته ، إذا لم يكن للمولود مال .

* ذكر من قال ذلك :

٥٠١٠ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم فى قوله : « وعلى الوارث مثل ذلك » ، قال : على الوارث رضاعُ الصبى .

٥٠١١ — حدثنا عمرو بن على ومحمد بن بشار قالا، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا أبو عوانة ، عن منصور ، عن إبراهيم : « وعلى الوارث مثل ذلك » ، قال : أجر الرضاع .

٥٠١٢ — حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم : « وعلى الوارث مثل ذلك »، قال : الرضاع .

٥٠١٣ — حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا أبو عوانة، عن المغيرة ، عن إبراهيم فى قوله : « وعلى الوارث مثل ذلك » ، قال : أجر الرضاع .

---

(١) الأثر : ٥٠٠٩ — انظر إسناد الأثر السالف رقم : ٥٠٠٠ ، وفى المطبوعة : « ويدفع عن العم » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « على الوارث للصبى » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

٥٠١٤ ــ حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن أيوب ، عن محمد بن سيرين ، عن عبد الله بن عتبة : « وعلى الوارث مثل ذلك » ، قال : الرضاع .

٥٠١٥ ــ حدثنا عمرو بن على قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن أيوب ، عن محمد، عن عبد الله بن عتبة فى قوله : « وعلى الوارث مثل ذلك » ، قال : النفقة بالمعروف .

٥٠١٦ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، « وعلى الوارث مثل ذلك » ، قال : على الوارث ما على الأب من الرضاع ، إذا لم يكن للصبي مال .

٥٠١٧ ــ حدثنا سفيان قال، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم قال: الرضاع والنفقة .

٥٠١٨ ــ حدثنى أحمد بن حازم قال، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن إبراهيم : « وعلى الوارث مثل ذلك » ، قال : الرضاع .

٥٠١٩ ــ حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا أبو عوانة ، عن عطاء بن السائب ، عن الشعبي ، قال : الرضاع .

٥٠٢٠ ــ حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ، حدثنا أبو عوانة ، عن مطرّف ، عن الشعبي : « وعلى الوارث مثل ذلك » ، قال : أجر الرضاع .

٥٠٢١ ــ حدثنا عمرو قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا أبو عوانة ، عن مغيرة ، عن إبراهيم والشعبي مثله .

٥٠٢٢ ــ حدثنا أبو كريب وعمرو بن على قالا، حدثنا عبد الله بن إدريس

قال ، سمعت هشاماً ، [1] عن الحسن فى قوله : « وعلى الوارث مثل ذلك » ، قال : الرضاع .

٥٠٢٣ ــ حدثنى أبو السائب قال ، حدثنا ابن إدريس ، عن هشام وأشعث ، عن الحسن مثله .

٥٠٢٤ ــ حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن يونس ، عن الحسن : « وعلى الوارث مثل ذلك » ، يقول : فى النفقة على الوارث ، إذا لم يكن له مال . ٣١١/٢

٥٠٢٥ ــ حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن قيس بن سعد ، عن مجاهد مثله .

٥٠٢٦ ــ حدثنا عمرو بن على قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا حماد ابن سلمة ، عن قيس بن سعد ، عن مجاهد : « وعلى الوارث مثل ذلك » ، قال : النفقة بالمعروف .

٥٠٢٧ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، « وعلى الوارث مثل ذلك » ، على الولى كَفَلْه ورضاعه ، إن لم يكن للمولود مال .

٥٠٢٨ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : « وعلى الوارث مثل ذلك » ، قال : وعلى الوارث مَنْ كان ، مثلُ ما وصف من الرضاع = قال ابن جريج : وأخبرنى عبد الله بن كثير ، عن مجاهد : مثل ذلك فى الرضاعة = قال : « وعلى الوارث مثل ذلك » ، قال : وعلى الوارث أيضاً كَفَلْه ورضاعه ، إن لم يكن له مال ، وأن لا يضارَّ أمه .

٥٠٢٩ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن

---

(١) فى المطبوعة : « سمعت وهشاماً عن الحسن » ، كأنه سقطا اسم راو عطف عليه قوله « وهشاماً » وكأنه صوابه « سمعت أشعث وهشاماً » ، كما سيأتى فى الأثر التالى .

ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس : « وعلى الوارث مثل ذلك » ، قال : نفقته حتى يُفطم ، إن كان أبوه لم يترك له مالاً .

٥٠٣٠ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وعلى الوارث مثل ذلك » ، قال : وعلى وارث الولد ما كان على الوالد من أجر الرضاع ، إذا كان الولدُ لا مال له .

٥٠٣١ — حدثني عبد الله بن محمد الحنفي قال ، حدثنا عبد الله بن عثمان قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن قتادة : « وعلى الوارث مثل ذلك » ، قال : على وارث الصبي مثل ما على أبيه ، إذا كان قد هلك أبوه ولم يكن له مال ، [1] فإن على الوارث أجر الرضاع .

٥٠٣٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم : « وعلى الوارث مثل ذلك » ، قال : إذا مات وليس له مال ، كان على الوارث رضاع الصبيّ .

* * *

وقال آخرون بل تأويل ذلك : وعلى الوارث مثلُ ذلك : أن لا يضارّ .

* ذكر من قال ذلك :

٥٠٣٣ — حدثنا عمرو بن علي ومحمد بن بشار قالا ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ، حدثنا حماد بن زيد ، عن علي بن الحكم ، عن الضحاك بن مزاحم : « وعلى الوارث مثل ذلك » ، قال : أن لا يضارّ .

٥٠٣٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن عاصم الأحول ، عن الشعبي في قوله : « وعلى الوارث مثل ذلك » ، قال : لا يضارّ ، ولا غُرْمَ عليه .

٥٠٣٥ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد في قوله : « وعلى الوارث مثل ذلك » ، أن لا يضارّ .

---

(١) في المطبوعة : « إذ كان قد هلك » ، والصواب من المخطوطة .

٥٠٣٦ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنا الليث قال ، حدثني عقيل ، عن ابن شهاب : « والوالدات يرضعن أولادهن حولين » ، قال : الوالدات أحق برضاع أولادهن ما قَبلن رضاعهن بما يُعطى غيرهنّ من الأجر . وليس لوالدة أن تضارَّ بولدها ، فتأبى رَضاعه مضارَّة، وهى تعطَى عليه ما يعطى غيرُها . وليس للمولود له أن ينزِع ولده من والدته ضرارًا لها، وهى تقبل من الأجر ما يُعطِى غيرها = « وعلى الوارث مثل ذلك »، مثلُ الذى على الوالد فى ذلك

٥٠٣٧ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا مهران = وحدثنا على قال، حدثنا زيد = عن سفيان : « وعلى الوارث مثل ذلك » ، قال : أن لا يضارَّ ، وعليه مثل ما على الأب من النفقة والكِسوة .

* * *

وقال آخرون : بل تأويل ذلك : وعلى وارث المولود ،[1] مثلُ الذى كان على المولود له ، من رزق والدته وكِسوتها بالمعروف .

ذكر من قال ذلك :

٥٠٣٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن جويبر ، عن الضحاك : « وعلى الوارث مثل ذلك » ، قال : على الوارث عند الموت ، مثل ما على الأب للمرضع من النفقة والكِسوة = قال : ويعنى بالوارث : الولدَ الذى يرضع : أن يؤخذ من ماله – إن كان له مال – أجرَ ما أرضعته أمه . فإن لم يكن للمولود مالٌ ولا لعصبته ، فليس لأمه أجر ، وتجبرَ على أن ترضع ولدها بغير أجر .

٥٠٣٩ – حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ،

---

(١) فى المطبوعة : « وعلى الوارث المولود » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

عن السدى : « وعلى الوارث مثل ذلك » ، قال : على وارث الولد ، مثل ما على الولد من النفقة والكسوة .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : وعلى الوارث مثلُ ما ذكره الله تعالى ذكره . ٢/٣١٢

* ذكر من قال ذلك :

٥٠٤٠ — حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن جريج قال : قلت لعطاء : قوله تعالى ذكره : « وعلى الوارث مثل ذلك » ؟ قال : مثل ما ذكره الله تعالى ذكره .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب فى تأويل قوله : « وعلى الوارث مثل ذلك » : أن يكون المعنىّ بالوارث ما قاله قبيصة بن ذؤيب والضحاك بن مزاحم ؛ ومن ذكرنا قوله آنفاً : [1] من أنه معنىٌّ بالوارث : المولود = وفى قوله : « مثل ذلك » ، أن يكون معنيًّا به : مثل الذى كان على والده من رزق والدته وكِسوتها بالمعروف ، إن كانت من أهل الحاجة ، ومَنْ هى ذات زَمانة وعاهة ، [2] ومن لا احترافَ فيها ، ولا زوج لها تستغنى به ، وإن كانت من أهل الغنى والصحة ، فمثل الذى كان على والده لها من أجر رضاعه .

وإنما قلنا : هذا التأويل أولى بالصواب مما عداه من سائر التأويلات التى ذكرنا ، لأنه غيرُ جائز أن يقال فى تأويل كتاب الله تعالى ذكره قولٌ إلا بحجة واضحة ، على ما قد بيّنا فى أول كتابنا هذا . [3] وإذ كان ذلك كذلك ، وكان قوله : « وعلى الوارث مثل ذلك » ، محتملا ظاهره : وعلى وارث الصبى المولودِ مثلُ الذى كان على المولود له = ومحتملا : وعلى وارث المولود له مثلُ الذى كان

---

(١) انظر الآثار السالفة : ٥٠٠٥ — ٥٠٠٨ .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « وهى ذات زمانة » ، والسياق يقتضى ما أثبت . والاحتراف الاكتساب . يقال : هو يحرف لعياله ويحترف ، أى يكتسب .

(٣) يعنى ما سلف فى ١ : ٧٣ — ٩٣ ، ثم ذكر ذلك فى مواضع أخرى تجدها فى الفهارس .

عليه فى حياته من ترك ضرار الوالدة ومن نفقة المولود، وغير ذلك من التأويلات، على نحو ما قد قدمنا ذكرها =[١] وكان الجميع[٢] من الحجة قد أجمعوا على أن من ورثة المولود من لا شيء عليه من نفقته وأجر رضاعه =[٣] صحّ بذلك من الدلالة على أن سائر ورثته ، غير آبائه وأمهاته وأجداده وجداته من قبل أبيه أو أمه ، فى حكمه ، [٤] فى أنهم لا يلزمهم له نفقة ولا أجر رضاع ، إذ كان مولى النعمة من ورثته ، وهو ممن لا يلزمه له نفقة ولا أجر رضاع . فوجب بإجماعهم على ذلك أنّ حكم سائر ورثته غير من استثنى — حكمُه . [٥]

وكان إذا بطل أن يكون معنى ذلك ما وصفنا — من أنه معنىّ به ورثة المولود — فبُطول القول الآخر = وهو أنه معنىٌّ به ورثة المولود له سوى المولود = أحرَى . لأنّ الذى هو أقرب بالمولود قرابة ممن هو أبعد منه [٦] — إذا لم يصح وجوب نفقته وأجر رضاعه عليه — فالذى هو أبعد منه قرابة ، أحرَى أن لا يصحّ وجوبُ ذلك عليه .

وأما الذى قلنا من وجوب رزق الوالدة وكِسوتها بالمعروف على ولدها — إذا كانت الوالدة بالصفة التى وصفنا — على مثل الذى كان يجب لها من ذلك على المولود له ، فما لا خلاف فيه من أهل العلم جميعاً . فصح ما قلنا فى الآية من التأويل بالنقل المستفيض وراثةً عمن لا يجوز خلافه . وما عدا ذلك من التأويلات ، فمتنازع فيه ، وقد دللنا على فساده .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « قدمنا ذكره » وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) قوله : « وكان الجميع » معطوف على قوله . وإذ كان ذلك كذلك ، وكان قوله . . . »

(٣) سياق هذه الجملة من أولها : « وإذ كان ذلك كذلك . . . ، وكان قوله . . . ، محتملا . . . » ومحتملا . . . ، وكان الجميع من الحجة . . . صح بذلك من الدلالة . . . » ، وكان فى المطبوعة : « وصح » بالواو ، والسياق يقتضى حذفها ، لأنها جواب « إذ » .

(٤) السياق : « صح بذلك من الدلالة على أن سائر ورثته . . . فى حكمه » .

(٥) السياق : « أن حكم سائر ورثته . . . حكمه » خبر « أن » ، يعنى أن حكمهما واحد .

(٦) فى المخطوطة : « الذى هو أقرب بالمولود قربه ممن هو أبعد منه » ، والذى فى المطبوعة أصح وأجود .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « فإن أرادا » ، إن أراد والد المولود ووالدته = « فصالا » ، يعنى : فصالَ ولدهما من اللبن .

* * *

ويعنى بـ« الفِصال » ، الفِطام ، وهو مصدر من قول القائل : « فاصَلتُ فلاناً أفاصِله مفاصلة وفِصالا » ، إذا فارقه من خُلطة كانت بينهما . فكذلك « فصال الفطيم » ، إنما هو منعه اللبنَ ، وقطعُه شربه ، وفراقه ثدى أمه إلى الاغتذاء بالأقوات التى يغتذى بها البالغ من الرجال .

* * *

وبما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٥٠٤١ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « فإن أرادا فصالا » ، يقول : إن أرادا أن يفطماه قبل الحولين .

٥٠٤٢ — حدثنى المثنى قال حدثنا عبد الله قال ، حدثنا معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « فإن أرادا فصالا » ، فإن أرادا أن يفطماه قبل الحولين وبعده .

٥٠٤٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك : « فإن أرادا فصالا عن تراض منهما » ، قال : الفطام .

* * *

وأما قوله : «عن تراض منهما وتشاور» ، فإنه يعنى بذلك : عن تراضٍ من والدى المولود وتشاوُر منهما .

* * *

ثم اختلف أهلُ التأويل فى الوقت الذى أسقط الله الجناح عنهما ، إن فطماه

٣١٣/٢ عن تراضٍ منهما وتشاور ، وأيُّ الأوقات الذى عناه الله تعالى ذكره بقوله : « فإن أرادا فصالاً عن تراضٍ منهما وتشاور » .

فقال بعضهم : عنى بذلك ، فإن أرادا فصالا فى الحولين عن تراض منهما وتشاور فلا جناحَ عليهما .

* ذكر من قال ذلك :

٥٠٤٤ ــ حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور » ، يقول : إذا أرادا أن يفطماه قبل الحولين فتراضيا بذلك، فليفطماه.

٥٠٤٥ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن قتادة : إذا أرادت الوالدة أن تفصِل ولدها قبل الحولين ، فكان ذلك عن تراض منهما وتشاور ، فلا بأس به .

٥٠٤٦ ــ حدثنا سفيان قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد : « فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور » ، قال : التشاور فيما دون الحولين ، ليس لها أن تفطمه إلا أن يرضى ، وليس له أن يفطمه إلا أن ترضى .

٥٠٤٧ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن ليث، عن مجاهد قال : التشاور ما دون الحولين ، « فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور » دون الحولين « فلا جناح عليهما » ، فإن لم يجتمعا ، فليس لها أن تفطمه دون الحولين.

٥٠٤٨ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد قال : التشاور ما دون الحولين، ليس لها حتى يجتمعا .

٥٠٤٩ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى الليث قال ، أخبرنا عقيل، عن ابن شهاب : « فإن أرادا فصالاً » ، يفصلان ولدهما = « عن تراض منهما وتشاور » ، دون الحولين الكاملين = « فلا جناح عليهما »

٥٠٥٠ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا مهران = وحدثني علي قال ، حدثنا زيد = جميعاً ، عن سفيان قال : التشاور ما دون الحولين ، إذا اصطلحا دون ذلك، وذلك قوله : « فإن أرادا فصالاً عن تراضٍ منهما وتشاور » . فإذا قالت المرأة : « أنا أفطمه قبل الحولين »، وقال الأب : « لا »، فليس لها أن تفطمه قبل الحولين . وإن لم ترض الأم ، فليس له ذلك ، حتى يجتمعا . فإن اجتمعا قبل الحولين فطماه، وإذا اختلفا لم يفطماه قبل الحولين . وذلك قوله : « فإن أرادا فصالاً عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما » .

٥٠٥١ ــ حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « فإن أرادا فصالاً عن تراض منهما وتشاور » ، قال : قبل السنتين = « فلا جناح عليهما » .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : « فإن أرادا فصالاً عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما »، في أيّ وقت أرادا ذلك ، قبل الحولين أرادا أم بعد ذلك. (١)

* ذكر من قال ذلك :

٥٠٥٢ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « فإن أرادا فصالاً عن تراضٍ منهما وتشاور فلا جناح عليهما » ، أن يفطماه قبل الحولين وبعده .

* * *

وأما قوله : « عن تراضٍ منهما وتشاور »، فإنه يعني : عن تراض منهما وتشاور فيما فيه مصلحة المولود لفطمه ، كما : ــ

٥٠٥٣ ــ حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « فإن أرادا فصالاً عن تراض منهما وتشاور » ،

---

(١) في المطبوعة : « قبل الحولين أرادا ذلك أم بعد الحولين » ، ورددتها إلى المخطوطة .

قال : غير مسيئين فى ظلم أنفسهما ولا إلى صبيّهما [١] = « فلا جناح عليهما » .

٥٠٥٤ — حدثنى المثنى قال . حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بالصواب تأويلُ من قال : « فإن أرادا فصالاً فى الحولين عن تراضٍ منهما وتشاور » ، لأن تمام الحولين غاية لتمام الرضاع وانقضائه ، ولا تشاور بعدَ انقضائه ، وإنما التشاور والتراضى قبل انقضاء نهايته .

فإن ظنّ ذو غفلة أن للتشاور بعد انقضاء الحولين معنًى صحيحاً = إذ كان من الصبيان من تكون به علة يحتاج من أجلها إلى تركه والاغتذاءَ بلبن أمه = فإن ذلك إذا كان كذلك ، فإنما هو علاجٌ ، كالعلاج بشرب بعض الأدوية ، لا رضاعٌ . فأما الرضاعُ الذى يكون فى الفصال منه قبل انقضاء آخره تراضٍ وتشاور من والدى الطفل الذى أسقط الله تعالى ذكره لفطمهما إياه الجناحَ عنهما ، قبل انقضاء آخر مدته ، فإنما حدُّه الحدُّ الذى حدَّه الله تعالى ذكره بقوله : [٢] « والوالداتُ يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة » ، على ما قد أتينا على البيان عنه فيما مضى قبل . [٣] ٢/٣١٤

* * *

وأما الجناح ، فالحرج ، [٤] كما : —

---

(١) فى المخطوطة : « غير فى ظلم أنفسهما » بياض بين الكلمتين ، والذى أتمه مصحح المطبوعة لا بأس به ، ولم أجد الأثر فى مكان آخر .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « فإنما الحد الذى حده الله تعالى . . . » ، وهو كلام غير مستقيم البتة ، والصواب زيادة ما أثبته ، فيكون سياقه : « وأما الرضاع . . . فإنما حده الحد الذى حده الله تعالى . . . » .

(٣) انظر ما سلف فى هذا الجزء ٥ : ٣٩ وما قبلها وما بعدها .

(٤) انظر ما سلف فى تفسير « الجناح » ٣ : ٢٣٠ ، ٢٣١ / و ٤ : ١٦٢ ، ١٦٣ ، ٥٦٥

٥٠٥٥ – حدثني به المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « فلا جناح عليهما » ، فلا حرج عليهما .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بذلك : وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم مَراضعَ غير أمهاتهم = إذا أبت أمهاتهم أن يرضعنهم بالذي يرضعنهم به غيرُهن من الأجر ، أو من خيفة ضيْعة منكم على أولادكم بانقطاع ألبان أمهاتهم ، أو غير ذلك من الأسباب = فلا حرج عليكم في استرضاعهن ، إذا سلَّمتم ما آتيتم بالمعروف .

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٥٠٥٦ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم » ، خيفة الضيعة على الصبي ، « فلا جناح عليكم » .

٥٠٥٧ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٥٠٥٨ – حدثني عبد الله بن محمد الحنفي قال ، حدثنا عبد الله بن عثمان قال ، أخبرنا ابن المبارك قال ، أخبرنا أبو بشر ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٥٠٥٩ – حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم » ، إن قالت المرأة : « لا طاقة لى به ، فقد ذهب لبنى » ! فتُسترضَع له أخرى .

٥٠٦٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : ليس للمرأة أن تترك ولدها بعد أن يصطلحا على أن تُرضع ، ويسلِّمان، ويجبران على ذلك. قال: فإن تعاسروا عند طلاق أو موتٍ فى الرضاع ، فإنه يُعرض على الصبي المراضعُ . فإن قبل مُرْضِعاً جاز ذلك وأرضعته ، (١) وإن لم يقبل مرضعاً فعلى أمه أن ترضعه بالأجر إن كان له مال أو لعصبته . فإن لم يكن له مال ولا لعصبته ، أكرِهت على رضاعه .

٥٠٦١ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا مهران = وحدثني على قال ، حدثنا زيد = جميعاً عن سفيان : « وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم » ، إذا أبت الأم أن ترضعه ، فلا جناح على الأب أن يسترضع له غيرها .

٥٠٦٢ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف » ، قال : إذا رضيت الوالدة أن تسترضع ولدها ، ورضى الأب أن يسترضع ولده ، فليس عليهما جناح .

* * *

واختلفوا فى قوله : « إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف » .

فقال بعضهم : معناه : إذا سلمتم لأمهاتهم ما فارقتموهن عليه من الأجرة على رضاعهن ، بحساب ما استحقته إلى انقطاع لبنها = أو الحال التى عُذِر أبو الصبي بطلب مرضع لولده غير أمه ، واسترضاعه له .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) فى المطبوعة « صار ذلك » ، وفى المخطوطة « حار » غير منقوطة ، والذى أثبته هو صواب قراءتها

٥٠٦٣ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف » ، قال : حساب ما أرضع به الصبي .

٥٠٦٤ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف » ، حسابُ ما يُرْضع به الصبي .

٥٠٦٥ – حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف » ، إن قالت – يعني الأم – : « لا طاقة لى به ، فقد ذهب لبنى » ، فتسترضَع له أخرى ، وليسلِّم لها أجرها بقدر ما أرضعت .

٥٠٦٦ – حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن جريج قال : قلت – يعني لعطاء – : « وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم » ؟ قال : أمه وغيرها = « فلا جناح عليكم إذا سلمتم » ، قال : إذا سلمتَ لها أجرها = « ما آتيتم » ، قال : ما أعطيتم .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : إذا سلمتم للاسترضاع ، عن مشورةٍ منكم ومن أمهات أولادكم الذين تسترضعون لهم ، وتراض منكم ومنهنّ باسترضاعهم .(١) ٢/٣١٥

* ذكر من قال ذلك :

٥٠٦٧ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف » ، يقول : إذا كان ذلك عن مشورة ورضاً منهم .

٥٠٦٨ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، أخبرني الليث قال ، حدثني عقيل ، عن ابن شهاب : لا جناح عليهما أن يسترضعا أولادهما – يعني أبوى المولود – إذا سلّما ولم يتضارّا .

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « ومنهم » ، والصواب ما أثبت .

٥٠٦٩ ــ حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف » ، يقول : إذا كان ذلك عن مشورة ورضاً منهم .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف إلى التى استرضعتموها بعد إباء أمّ المرضَع ، من الأجرة ، بالمعروف .

* ذكر من قال ذلك :

٥٠٧٠ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا مهران = وحدثنى على قال ، حدثنا زيد = جميعاً ، عن سفيان فى قوله : « إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف » ، قال : إذا سلمتم إلى هذه التى تستأجرون أجرها بالمعروف ــ يعنى : إلى من استُرْضع للمولود، إذا أبت الأم رضاعه .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب فى تأويل ذلك، قول من قال : «تأويله : وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم إلى تمام رضاعهن، ولم تتّفقوا أنتم ووالداتهم على فصالهم، [1] ولم تروا ذلك من صلاحهم، فلا جناح عليكم أن تسترضعوهم ظُؤُورة، إن امتنعت أمهاتهم من رضاعهم لعلة بهن أو لغير علة [2] = إذا سلمتم إلى أمهاتهم وإلى المسترضَعَة الآخرة حقوقهن التى آتيتموهن بالمعروف . يعنى بذلك المعنى : الذى أوجبه الله لهنّ عليكم ، وهو أن يوفيهن أجورهن على ما فارقهنّ عليه ، فى حال الاسترضاع ووقت عقد الإجارة .

وهذا هو المعنى الذى قاله ابن جريج ، ووافقه على بعضه مجاهد والسدى ومن قال بقولهم فى ذلك .

---

(١) فى المطبوعة : « أنتم ووالداتهم » ، وهو خطأ .

(٢) الظؤورة جمع ظئر (بكسر فسكون) : وهى المرضعة غير ولدها . والظؤورة مثل البعولة ، جمع « بعل » ، أو هما اسم جمع ، كما يقول سيبويه .

وإنما قضينا لهذا التأويل أنه أولى بتأويل الآية من غيره . لأن الله تعالى ذكره ذكر قبل قوله : « وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم »، أمْرَ فصالهم ، وبيّن الحكم فى فِطامهم قبل تمام الحولين الكاملين فقال : « فإن أراد فصالاً عن تراضٍ منهما » فى الحولين الكاملين « فلا جناح عليهما » . فالذى هو أولى بحكم الآية — إذ كان قد بيّن فيها وجه الفصال قبل الحولين — أن يكون الذى يتلو ذلك حكم ترك الفصال وإتمامِ الرضاع إلى غاية نهايته = وأن يكون — إذ كان قد بيّن حكم الأمّ إذا هى اختارت الرضاع بما يرضع به غيرها من الأجرة — أن يكون الذى يتلو ذلك من الحكم ، بيان حكمها وحكم الولد إذا هى امتنعت من رضاعه ، كما كان ذلك كذلك فى غير هذا الموضع من كتاب الله تعالى ، وذلك فى قوله : ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾ [سورة الطلاق : ٧] . فأتبع ذكرَ بيان رضا الوالدات برضاع أولادهن ، ذكرَ بيان امتناعهن من رضاعهن . فكذلك ذلك فى قوله : « وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم » .

وإنما اخترنا — فى قوله : « إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف » — ما اخترنا من التأويل ، لأن الله تعالى ذكره فرَض على أبى المولود تسليم حقّ والدته إليها مما آتاها من الأجرة على رضاعها له بعد بينونتها منه ، كما فرض عليه ذلك لمن استأجره لذلك ممن ليس منْ مولده بسبيل ، وأمره بإيتاء كل واحدةٍ منهما حقها بالمعروف على رضاع ولده . فلم يكن قوله : « إذا سلمتم » بأن يكون معنيًّا به : إذا سلمتم إلى أمهات أولادكم الذين يرضعون حقوقَهنّ ، بأولى منه بأن يكون معنيًّا به : إذا سلمتم ذلك إلى المراضع سواهن = ولا الغرائبُ من المولود ، بأولى أن يكنّ معنيّات بذلك من الأمهات (١) = إذْ كان الله تعالى ذكره قد أوجب على أبى المولود لكل من

---

(١) هذه الجملة بين الخطين ، معطوفة على الجملة الأولى ، فيكون سياق معناها : ولم يكن الغرائب من المولود بأولى أن يكن معنيات بذلك من الأمهات .

استأجره لرضاع ولده ، من تسليم أجرتها إليها مثلَ الذى أوجبَ عليه من ذلك للأخرى. فلم يكن لنا أن نُحيل ظاهر تنزيل إلى باطن، (١) ولا نقلَ عامٍّ إلى خاصٍّ ، إلا بحجة يجب التسليم لها — فصحَّ بذلك ما قلنا .

* * *

٢/٣١٦ قال أبو جعفر : وأما معنى قوله : « بالمعروف » ، فإنّ معناه : بالإجمال والإحسان ، وترك البخس والظلم فيما وجب للمراضع . (٢)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٢٣٣)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « واتقوا الله » ، وخافوا الله فيما فرضَ لبعضكم على بعض من الحقوق ، وفيما ألزم نساءكم لرجالكم ورجالكم لنسائكم ، وفيما أوجب عليكم لأولادكم ، فاحذروه أن تخالفوه فتعتَدُوا فى ذلك — وفى غيره من فرائضه وحقوقه — حدودَه ، (٣) فتستوجبوا بذلك عقوبته = « واعلموا أن الله بما تعملون» من الأعمال ، أيّها الناس ، سرّها وعلانيتها ، وخفيها وظاهرها ، وخيرها وشرها = « بصير » ، يراه ويعلمه ، فلا يخفى عليه شىء ، ولا يتَغيَّب عنه منه شىء ، (٤) فهو يحصى ذلك كله عليكم ، حتى يجازيكم بخير ذلك وشره .

* * *

ومعنى « بصير » ، ذو إبصار ، وهو فى معنى « مُبصر » . (٥)

* * *

---

(١) سلف مراراً ذكر « الظاهر » و « الباطن » فاطلبه فى فهرس المصطلحات .

(٢) انظر ما سلف فى بيان «المعروف» ٣ : ٣٧١/ثم فى الجزء ٤ : ٥٤٩/٥ : ٧، ٤٤ وبيانه عن معنى « المعروف » هنا أوضح وأشمل .

(٣) فى المطبوعة : « وحدوده » بزيادة واو مفسدة للكلام ، فمعنى الكلام : فتعتدوا فى ذلك حدوده

(٤) فى المطبوعة : « لا يغيب » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهما سواء .

(٥) انظر ما سلف فى تأويل « بصير » ٢ : ١٤٠ ، ٣٧٦ ، ٥٠٦ ، وغيرها من المواضع فى فهرس اللغة ، وفهرس مباحث العربية .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : والذين يتوفَّون منكم ، من الرجال ، أيها الناس ، فيموتون ، ويذرون أزواجاً ، يتربَّص أزواجُهن بأنفسهن . (١)

* * *

فإن قال قائل : فأين الخبر عن « الذين يتوفون » ؟

قيل : متروك ، لأنه لم يقصد قَصْدَ الخبر عنهم ، وإنما قصَد قصد الخبر عن الواجب على المعتدَّات من العدَّة فى وفاة أزواجهن ، فصرف الخبر عن الذين ابتدأ بذكرهم من الأموات ، إلى الخبر عن أزواجهم والواجب عليهنّ من العدة ، إذ كان معروفاً مفهوماً معنى ما أريد بالكلام . وهو نظير قول القائل فى الكلام : (٢) « بعضُ جُبَّتك متخرِّقة » ، (٣) فى ترك الخبر عما ابتدئ به الكلام ، إلى الخبر عن بعض أسبابه . وكذلك الأزواج اللواتى عليهن التربُّص ، لمّا كان إنما ألزمهن التربُّص بأسباب أزواجهن ، صرَف الكلامَ عن خبر من ابتدئ بذكره ، إلى الخبر عمن قصَد قصدَ الخبر عنه ، كما قال الشاعر : (٤)

لَعَلِّىَ إِنْ مَالَتْ بِىَ الرِّيحُ مَيْلَةً عَلَى ٱبْنِ أَبِى ذِبَّانَ أَنْ يَتَنَدَّمَا (٥)

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « يتربصن » ، وهو فى المخطوطة غير منقوط ، والذى أثبته هو الصواب

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « هو نظير » بإسقاط الواو ، والواجب إثباتها .

(٣) يعنى أن حق الكلام كان أن يقول : « بعض جبتك متخرق » ، بالتذكير خبراً عن « بعض » ، فصرفه إلى « جبتك » .

(٤) هو ثابت قطنة العتكى ، واسمه «ثابت بن كعب » . . ذهبت عينه فى الحرب ، فكان يحشوها بقطنة ، وهو شاعر فارسى من شعراء خراسان فى عهد الدولة الأموية ، قال فيه حاجب الفيل :

لَا يَعْرِفُ النَّاسُ مِنْهُ غَيْرَ قُطْنَتِهِ وَمَا سِوَاهَا مِنَ الأَنْسَابِ مَجْهُولُ

(٥) تاريخ الطبرى ٨ : ١٦٠ ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ١٥٠ ، والصاحبى : ١٨٥ ، وهو من قصيدة له يرثى بها يزيد بن المهلب ، لما قتل فى سنة ١٠٢ فى خروجه على يزيد بن عبد الملك بن مروان ،

فقال : « لعلى » ، ثم قال : « أن يتندّما » ، لأن معنى الكلام : لعل ابن أبي ذبان أن يتندم ،[1] إن مالت بى الريح ميلة عليه = فرجع بالخبر إلى الذى أراد به ، وإن كان قد ابتدأ بذكر غيره . ومنه قول الشاعر :

أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ ابْنَ قَيْسٍ وَقَتْلَهُ ... بِغَيْرِ دَمٍ ، دَارُ الْمَذَلَّةِ حُلَّتِ[2]

فألغى « ابن قيس » وقد ابتدأ بذكره ، وأخبر عن قتله أنه ذُلٌّ .[3]

* * *

وقد زعم بعض أهل العربية أنّ خبر « الذين يتوفون » متروك ، وأن معنى الكلام : والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً ، ينبغى لهن أن يتربّصن بعد موتهم . وزعم أنه لم يذكر « موتهم » ، كما يحذف بعض الكلام — وأنّ « يتربّصن » رفع ، إذ وقع موقع « ينبغى » ، و « ينبغى » رفع . وقد دللنا على فساد قول من قال فى رفع « يتربصن »

وهو « ابن أبي ذبان » . و « أبو ذبان » كنية أبيه عبد الملك بن مروان ، لأنهم زعموا أنه كان أبخر ، فإذا دنت الذبان من فيه ، ماتت لشدة بخره . ورواية الطبرى فى التاريخ : « فعلى » ، ويقول قبله :

أَرِقْتُ وَلَمْ تَأْرَقْ مَعِى أُمُّ خَالِدٍ ... وقد أَرِقَتْ عَيْنَاىَ حَوْلًا مُجَرَّمَا
عَلَى هَالِكٍ هَدَّ العَشِيرَةَ فَقْدُهُ ، ... دَعَتْهُ المَنَايَا فَاسْتَجَابَ وَسَلَّمَا
عَلَى مَلِكٍ ، يَا صَاحِ ، بالعَقْرِ جُبِّنَتْ ... كَتَائِبُهُ ، وَاسْتَوْرَدَ الموتَ مُعْلِمَا
أُصِيبَ وَلَمْ أَشْهَدْ ، ولو كنتُ شَاهِدًا ... تَسَلَّيْتُ أَنْ لَمْ يَجْمَعِ الحَىُّ مَأْتَمَا
وَفِى غِيَرِ الأَيَّامِ يا هِنْدُ ، فَاعْلَمِى ، ... لِطَالِبِ وِتْرٍ نَظْرَةٌ إِنْ تَلَوَّمَا
فَعَلَّى ، إِنْ مَالَتْ . . . . . .

وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « ابن أبي زبان » ، وهو خطأ كما ترى .

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « ابن أبي زبان » وهو خطأ .

(٢) لم أعرف قائله ، والبيت فى معانى القرآن للفراء ١ : ١٥٠ ، والصاحبى : ١٨٥ ، وروايتهما

* بَنِى أَسَدٍ إِنَّ ابْنَ قَيْسٍ وَقَتْلَهُ *

(٣) هذا الذى سلف أكثره نص الفراء فى معانى القرآن ١ : ١٥٠ — ١٥١ ، وفى معانى القرآن « فألغى ابن قيس » ، والصواب ما فى الطبرى .

بوقوعه موقع « ينبغى » فيما مضى ، فأغنى عن إعادته .[١]

* * *

وقال آخر منهم :[٢] إنما لم يذكر « الذين » بشىء ، لأنه صار الذين فى خبرهم مثل تأويل الجزاء : « منْ يلقك منا تُصب خيراً » = الذى يلقاك منا تصيبُ خيراً .[٣] قال : ولا يجوز هذا إلاّ على معنى الجزاء .

* * *

قال أبو جعفر : وفى البيتين اللذين ذكرناهما دلالة واضحة على القول فى ذلك بخلاف ما قالا .[٤]

* * *

قال أبو جعفر : وأما قوله : « يتربَّصن بأنفسهن » ، فإنه يعنى به : يحتبسن بأنفسهن[٥] — معتدّاتٍ عن الأزواج ، والطِّيب ، والزينة ، والنُّقلة عن المسكن الذى كُنّ يسكنه فى حياة أزواجهن — أربعة أشهر وعشراً ، إلا أن يكنّ حواملَ ، فيكون عليهنّ من التربُّص كذلك إلى حين وَضع حملهنّ . فإذا وضعن حملهنّ ، انقضت عددُهنّ حينئذ .

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك :

فقال بعضهم مثلَ ما قلنا فيه :

٥٠٧١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « والذين يُتوفَّون منكم ويذرون أزواجاً يتربَّصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً » ، فهذه عدة المتوفَّى عنها زوجها ، إلا أن تكون حاملاً ، فعدتها أن تضع ما فى بطنها . ٢/٣١٧

---

(١) انظر ما سلف فى الجزء ٥ : ٤٧ ، ٤٨

(٢) فى المطبوعة : « وقال آخرون منهم » ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « من يلقك منا يصيب خيراً » ، ثم « يصيب خيراً » ، والصواب ما أثبته « تصب » فى الجملة الأولى مجزومة ، وبالتاء فى أوله ، ثم « تصيب » بالتاء فى الثانية .

(٤) فى المطبوعة : « الدلالة الواضحة » وأثبت ما فى المخطوطة .

(٥) انظر فيما سلف تفسير « التربص » ٤ : ٤٥٦ ، ٥١٥

٥٠٧٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني الليث قال، حدثني عقيل، عن ابن شهاب في قول الله: [١] « والذين يُتوفَّون منكم ويذرون أزواجاً يتربَّصنَ بأنفسهنَّ أربعة أشهر وعشراً » ، قال ابن شهاب : جعل الله هذه العدة للمتوفَّى عنها زوجها ، فإن كانت حاملاً فيحلُّها من عدتها أن تضع حملها، وإن استأخر فوق الأربعة الأشهر والعشرة فما استأخر ، لا يحلّها إلاّ أن تضع حملها.

* * *

قال أبو جعفر : وإنما قلنا عني بـ « التربص» ما وصفنا، لتظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما :–

٥٠٧٣ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع وأبو أسامة ، عن شعبة = وحدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة = ، عن حميد بن نافع قال : سمعت زينب ابنة أم سلمة تحدث = قال أبو كريب : قال أبو أسامة : عن أم سلمة = أن امرأةً توفي عنها زوجُها واشتكت عينها، فأتت النبي صلى الله عليه وسلم تستفتيه في الكُحل ، فقال : لقد كانت إحداكن تكون في الجاهلية في شر أحلاسها ، [٢] فتمكث في بيتها حولاً إذا توفي عنها زوجها ، فيمرُّ عليها الكلبُ فترميه بالبعرة ! أفلا أربعة أشهر وعشراً ! ! [٣]

---

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « عن قول الله » ، والصواب ما أثبته .

(٢) الأحلاس جمع حلس : وهو كساء رقيق يكون تحت البرذعة ، وكل ما يبسط تحت حر المتاع ليقيه فهو حلس . وعني به هنا : المرذول من ثيابها .

(٣) الحديث: ٥٠٧٣ – « حميد بن نافع الأنصاري المدني » : تابعي ثقة. روى عن أبي أيوب ، وعبد الله بن عمر ، وروى عن زينب بنت أم سلمة. وهو والد « أفلح بن حميد ». ويقال له «حميد صفيراء » . ففرق البخاري في الكبير ١/٢/٣٤٥ بين « حميد صفيراء » ، والد أفلح » ، الراوي عن أبي أيوب وابن عمر ، وبين « حميد » الراوي عن زينب ، جعلهما اثنين تبعاً لشيخه علي بن المديني ، وروى هو عن شعبة أنهما واحد . وهو الصحيح الذي جزم به الإمام أحمد . فقد روى في المسند ٦ : ٣٢٥ – ٣٢٦ (حلبي) حديث حميد بن نافع ، عن زينب بنت أم سلمة ، عن أم حبيبة أم المؤمنين ، ثم قال عقب الحديث « حميد بن نافع : أبو أفلح ، وهو حميد صفيراء » ، وهو الذي اقتصر عليه ابن سعد ٥ : ٢٢٤ ، وابن أبي حاتم ١/٢/٢٢٩ – ٢٣٠ . و « صفيراء » : لقب حميد . وهكذا رسم على الصواب في المسند ، والتهذيب في ترجمة « أفلح » ، والبخاري في ترجمة « حميد » . ورسم في التهذيب في ترجمة « حميد » :

٥٠٧٤ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الوهاب قال ، سمعت يحيى بن سعيد قال ، سمعت نافعاً ، عن صفية ابنة أبي عبيد : أنها سمعت حفصة ابنة عمر زوج النبي صلى الله عليه وسلم تحدّث ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تُحِدّ فوق ثلاث، إلاّ على زوج، فإنها تحدّ عليه أربعة أشهر وعشراً = قال يحيى : والإحداد عندنا أن لا تطيّب ولا تلبس ثوباً مصبوغاً بورسٍ ولا زعفران ، [1] ولا تكتحل ، ولا تزيّن . [2]

« صفير » ، وهو تصحيف . ووقع في التهذيب أيضاً في ترجمة « حميد » أنه يروى عن « عبد الله بن عمرو » – وهو خطأ ، صوابه – كما قلنا – « عبد الله بن عمر » .

والحديث سيأتي : ٥٠٧٩ ، بإسناد آخر ، من حديث أم سلمة وحدها . وسيأتي بأسانيد أخر ، في بعضها : « عن أم سلمة وأم حبيبة » ، وفي سائرها : « عن أم سلمة أو أم حبيبة » : ٥٠٧٦ – ٥٠٧٨ ، ٥٠٨٠ . وسنذكرها في مواضعها ، إن شاء الله .

أما من الوجه الذي هنا – رواية شعبة عن حميد – : فرواه الطيالسي : ١٥٩٦ ، عن شعبة ، بهذا الإسناد ، نحوه .

وكذلك رواه أحمد في المسند ٦ : ٢٩١ – ٢٩٢ (حلبي) ، عن يحيى بن سعيد – وهو القطان – ثم رواه ٦ : ٣١١ ، عن محمد بن جعفر ، وعن حجاج – وهو ابن محمد المصيصي – ثلاثتهم عن شعبة ، به ، نحوه .

ورواه البخاري ٩ : ٤٣٢ ، و ١٠ : ١٣١ ، مطولا ومختصراً ، من طريقين عن شعبة .

وكذلك رواه مسلم ١ : ٤٣٤ ، من طريق محمد بن جعفر ، عن شعبة .

وكذلك رواه ابن الجارود في المنتقى، ص: ٣٥٣ – ٣٥٤، من طريق يحيى، وهو القطان، عن شعبة .

وكذلك رواه البيهقي في السنن الكبرى ٧ : ٤٣٩ ، من طريق الطيالسي ويحيى بن أبي بكير – كلاهما عن شعبة .

ورواه مالك في الموطأ ، ص : ٥٩٦ – ٥٩٨ ، عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم ، عن حميد ابن نافع ، عن زينب بنت أم سلمة ، عن أمها – ثالث أحاديث ثلاثة حدثت زينب بها حميد بن نافع – بمعناه.

ومن طريق مالك هذه ، رواه الأئمة : فرواه عبد الرزاق في المصنف ٤ : ٦٦ – ٦٧ (مخطوط مصور) والبخاري ٩ : ٤٢٧ – ٤٢٨ ، ومسلم ١ : ٤٣٣ – ٤٣٤ ، وأبو داود : ٢٢٩٩ ، والترمذي ٢ : ٢٢٠، والنسائي ٢ : ١١٤، وابن حبان في صحيحه (٢ : ٩١ – ٩٢ مخطوطة التقاسيم ، و ٦ : ٤٥٧ – ٤٥٨ مخطوطة الإحسان) . وهو في المنتقى للمجد بن تيمية ، برقم : ٣٨١١ .

(١) الورس : نبت أصفر ، يتخذ منه صبغ أصفر تصبغ به الثياب، ومنه ما يكون للزينة ، كالزعفران .

(٢) الحديثان : ٥٠٧٤ ، ٥٠٧٥ – هما حديث واحد ، مطول ومختصر ، بإسنادين .

عبد الوهاب في الإسناد الأول: هو ابن عبد المجيد الثقفي. ويزيد – في الإسناد الثاني: هو ابن هرون.

يحيى بن سعيد – في الإسنادين : هو الأنصاري. ونافع : هو مولى ابن عمر .

٥٠٧٥ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا يزيد قال ، أخبرنا يحيى ، عن نافع ، عن صفية ابنة أبي عبيد ، عن حفصة ابنة عمر : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث، إلاّ على زوج.

٥٠٧٦ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الوهاب قال ، سمعت يحيى بن سعيد يقول ، أخبرني حميد بن نافع : أن زينب ابنة أم سلمة أخبرته، عن أم سلمة – أو أم حبيبة – زوج النبي صلى الله عليه وسلم : أن امرأة أتت النبي صلى الله عليه وسلم، فذكرت أن ابنتها تُوُفّي عنها زوجها ، وأنها قد خافت على عينها = فزعم حُميد عن زينب : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قد كانت إحداكن ترمي بالبعرة على رأس الحول، وإنما هي أربعة أشهر وعشر . (١)

صفية بنت أبي عبيد بن مسعود ، الثقفية : وهي تابعية ثقة ، من فضليات النساء ، وذكرها بعضهم في الصحابة ، ولا يصح ، وهي زوج عبد الله بن عمر . وهي أخت المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب . وشتان بين الأخوين . ووقع في ترجمتها في التهذيب ١٢ : ٤٣٠ أنه يروي عنها « نافع مولى ابن عباس » . وهو سهو أو خطأ ناسخ . بل الذي يروي عنها هو « نافع مولى ابن عمر » . ولها ترجمة في ابن سعد ٨ : ٣٤٦ – ٣٤٧ ، والإصابة ٨ : ١٣١ .

والحديث رواه مسلم ١ : ٤٣٥ ، من طريق عبد الوهاب ، عن يحيى . وهو الطريق الأول هنا . ولم يذكر لفظه كله .

وكذلك رواه البيهقي ٧ : ٤٣٨ ، من طريق عبد الوهاب ، وذكر لفظه .

ورواه أحمد في المسند ٦ : ٢٨٦ ، عن يزيد بن هرون . وهو الطريق الثاني هنا .

(١) الحديث : ٥٠٧٦ – هو الحديث الماضي : ٥٠٧٣ ، إلا أنه هنا « عن أم سلمة أو أم حبيبة » ، على الشك . وكذلك في الإسناد بعده : ٥٠٧٧ ، وسيأتي في الإسناد : ٥٠٨٠ ، أنه « عن أم سلمة وأم حبيبة » معاً ، دون شك فيه .

أما روايته بالشك ، بحرف « أو » – فلم أجدها قط . وأخشى أن يكون تحريفاً من الناسخين .

نعم روى الدارمي ٢ : ١٦٧ ، قصة أخرى لأم حبيبة ، في آخرها حديث « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد فوق ثلاثة . . . » إلخ – رواه عن هاشم بن القاسم ، عن شعبة ، عن حميد بن نافع ، عن زينب بنت أبي سلمة ، عن أم حبيبة . ثم رواه عقبه ، بالإسناد نفسه إلى زينب « تحدث عن أمها ، أو امرأة من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، نحوه » . ولكنه حديث آخر غير هذا الحديث ، ولعل زينب شكت أيضاً في الرواية التي هنا ، كما شكت في الرواية التي عند الدارمي .

وكذلك رواه مسلم ١ : ٤٣٤ ، عن ابن المثنى ، عن ابن جعفر ، عن شعبة ، – في قصة أم حبيبة

٥٠٧٧ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا يزيد بن هرون قال ، أخبرنا يحيى ابن سعيد ، عن حميد بن نافع : أنه سمع زينب ابنة أمّ سلمة ، تحدث عن أم حبيبة أو أم سلمة أنها ذكرت : أنّ امرأة أتت النبي صلى الله عليه وسلم قد تُوُفِّى عنها زوجها ، وقد اشتكت عينها ، وهى تريد أن تَكْحَل عينها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد كانت إحداكن ترمى بالبعرة بعد الحول ، وإنما هى أربعة أشهر وعشر = قال ابن بشار ، قال يزيد ، قال يحيى : فسألت حميداً عن رميها بالبعرة ، قال : كانت المرأة فى الجاهلية إذا توفى عنها زوجها ، عمدت إلى شرّ بيتها فقعدت فيه حولاً ، فإذا مرت بها سنة ألقت بعرةً وراءها . (١)

٥٠٧٨ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا شعبة ، عن يحيى ، عن حميد بن نافع بهذا الإسناد مثله . (٢)

فقط ، ثم قال حميد : « وحدثتنيه زينب عن أمها ، وعن زينب زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، أو عن امرأة عن بعض أزواج النبى صلى الله عليه وسلم » .

ثم روى عن عبيد الله بن معاذ ، عن أبيه ، عن شعبة : « عن حميد بن نافع بالحديثين جميعاً ، حديث أم سلمة فى الكحل ، وحديث أم سلمة وأخرى من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم . غير أنه لم تسمها زينب – نحو حديث محمد بن جعفر » .

وأيا ما كان ، فإن هذا الشك لا يؤثر فى صحة الحديث . والروايات الثابتة تدل على أنها روته عن أمها وأم حبيبة ، كما سيأتى .

(١) الحديث : ٥٠٧٧ – هو الحديث السابق أيضاً ، بإسناد آخر . ووقع فى المطبوعة هنا « أو أم سلمة » على الشك ، كالرواية السابقة . ولكنى أوقن – هنا – أنه خطأ من ابن بشار ، شيخ الطبرى .

فالحديث رواه مسلم ١ : ٤٣٤ ، عن أبى بكر بن أبى شيبة ، وعمرو الناقد – كلاهما عن يزيد بن هرون . بهذا الإسناد . وفيه : « أنه سمع زينب بنت أبى سلمة تحدث عن أم سلمة وأم حبيبة ، تذكران : أن امرأة . . . » – إلخ . فهذا صريح فى الرواية عنهما معاً ، لا رواية عن إحداهما .

وكذلك رواه ابن ماجة : ٢٠٨٤ ، عن أبى بكر بن أبى شيبة ، عن يزيد بن هرون ، نحو رواية مسلم .

ويؤيده : أن النسائى رواه ٢ : ١١٥ ، من طريق حماد ، عن يحيى الأنصارى ، عن حميد ، عن زينب : « أن امرأة سألت أم سلمة وأم حبيبة . . . فقالتا : أتت امرأة إلى النبى صلى الله عليه وسلم . . . »

(٢) الحديث : ٥٠٧٨ – هو تكرار للحديث قبله ، لم يذكر لفظه ، وهو من رواية يزيد ابن هرون ، عن شعبة ، عن يحيى الأنصارى ، عن حميد .

٥٠٧٩ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس قال ، حدثنا ابن عيينة ، عن أيوب بن موسى ويحيي بن سعيد ، عن حميد بن نافع ، عن زينب ابنة أم سلمة ، عن أم سلمة : أن امرأة أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إن ابنتي مات زوجها فاشتكت عينها ، أفتكتحل ؟[1] فقال ، قد كانت إحداكن ترمى بالبعرة على رأس الحول ، وإنما هي الآن أربعة أشهر وعشر ! = قال، قلت : وما « ترمى بالبعرة على رأس الحول » ؟ قال: كان نساء أهل الجاهلية إذا مات زوجُ ٣١٩/٢ إحداهن ، لبست أطمار ثيابها ،[2] وجلست في أخسِّ بيوتها ، فإذا حال عليها الحول أخذت بعرة فدحرجتها على ظهر حمار وقالت : قد حللتُ ![3]

٥٠٨٠ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا أحمد بن يونس قال، حدثنا زهير بن معاوية قال ، حدثنا يحيي بن سعيد ، عن حميد بن نافع ، عن زينب ابنة سلمة ، عن أمها أم سلمة وأم حبيبة زوجَيْ النبي صلى الله عليه وسلم : أنّ امرأة من قريش جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : إنّ ابنتي توُفي عنها زوجها ، وقد خِفت على عينها ، وهي تريد الكُحل ؟ قال : قد كانت إحداكنّ ترمى بالبعرة على رأس الحول ! وإنما هي أربعة أشهر وعشر ! = قال حميد: فقلت لزينب: وما رأس الحول ؟ قالت زينب : كانت المرأة في الجاهلية إذا هلك زوجُها ، عمدت إلى أشرِّ بيت لها

وأنا أخشى أن يكون في الإسناد تحريف من الناسخين ، وأن يكون صوابه : « حدثنا شعبة ، ويحيي ». لأن الإسناد قبله ، هو من رواية يزيد بن هرون عن يحيي مباشرة. فقد تكون الفائدة في تكرار هذا الإسناد: أن يكون ابن بشار سمعه من يزيد مرتين : مرة عن يحيي وحده ، ومرة عن يحيي وشعبة . وإذا كان ما ثبت في المطبوعة صحيحاً ، كان ابن بشار سمعه هكذا ، ويكون من المزيد في متصل الأسانيد .

(١) في المخطوطة : « أفتكحل » .

(٢) الأطمار جمع طمر (بكسر فسكون) : وهو الثوب الخلق ، والكساء البالي .

(٣) الحديث : ٥٠٧٩ – أيوب بن موسى بن عمرو بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص : قرشي مكي ثقة حافظ فقيه . مذكور في نسب قريش للمصعب ، ص : ١٨٣ .

وهذا الحديث تكرار للحديث : ٥٠٧٣ ، بأنه عن أم سلمة وحدها – كما قلنا هناك .

وقد رواه النسائي ٢ : ١١٥ – من طريق الليث بن سعد ، عن أيوب بن موسى . ثم من طريق سفيان ابن عيينة ، عن يحيي الأنصاري ، به ، نحوه ، مطولا ، ومختصراً .

فجلست فيه ،[١] حتى إذا مرت بها سنة خرجت ، ثم رمت ببعرة وراءها .[٢]

٥٠٨١ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا ابن المبارك، عن معمر ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة : أنها كانت تُفتى المتوفَّى عنها زوجها، أن تُحِد على زوجها حتى تنقضى عدتها، ولا تلبس ثوباً مصبوغاً ولا مُعصْفراً ، ولا تكتحل بالإثمد ، ولا بكحل فيه طيب وإن وَجِعت عينها ، ولكن تكتحل بالصَّبِر وما بدا لها من الأكحال سوى الإثمد مما ليس فيه طيب، ولا تلبس حَلياً ، وتلبس البياضَ ولا تلبس السواد .[٣]

٥٠٨٢ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا سفيان ، عن موسى بن عقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر فى المتوفى عنها زوجها : لا تكتحل ، ولا تطيَّب ، ولا تبيت عن بيتها ، ولا تلبس ثوباً مصبوغاً ، إلاّ ثوب عَصْب تجلبَبُ به .[٤]

---

(١) قوله : « أشر » على وزن « أفعل » ،هكذا جاء هنا . وقال أهل اللغة : إنه لغة قليلة أو رديئة . وقد جاء فى كثير من أمثالهم وكلامهم « أشر » و « شرى » ، كأفضل وفضل . ومنه قول امرأة من العرب : « أعيذك بالله من نفس حرى ، وعين شرى » أى خبيثة ، وفى المثل : « شراهن مراهن » . وفى خبر العبادى قيل له : « أى حماريك أشر ؟ » قال : « هذا ثم هذا » .

(٢) الحديث : ٥٠٨٠ – أحمد بن يونس : هو أحمد بن عبد الله بن يُونس ، مضى فى : ٢١٤٤ .
وهذا الحديث تكرار – فى المعنى – للحديث : ٥٠٧٣ ، وللأحاديث : ٥٠٧٦ – ٥٠٧٩ . وقد رواه هنا أحمد بن يونس عن زهير بن معاوية عن يحيى الأنصارى، وذكر فيه أنه « عن أم سلمة وأم حبيبة » معاً .

ولكن رواه النسائى ٢ : ١١٥ – بنحوه – من طريق ابن أعين ، وهو الحسن بن محمد بن أعين ، عن زهير بن معاوية ، بهذا الإسناد ، من حديث « أم سلمة » ، ولم يذكر فيه أم حبيبة .

(٣) الخبر : ٥٠٨١ – هذا أثر من فتوى عائشة وكلامها . ولكن تدل على صحة فتواها الأحاديث الصحاح . وهذا إسناده إليها صحيح . ولم أجده فى شىء من المراجع غير هذا الموضع .

المعصفر : هو الثوب المصبوغ بالعصفر . والإثمد : هو الكحل ، أو حجر يتخذ منه الكحل ، وهو أسود إلى الحمرة . والصبر (بفتح الصاد وكسر الباء) : عصارة شجر ، وهو مر ، يتخذ منه الدواء .

(٤) قوله : « تبيت عن بيتها » أى تبيت بعيدة عن بيتها وتنتقل إلى غيره. والعصب : برود من اليمن ، يعصب غزلها – أى يجمع ويشد – ثم يصبغ وينسج ، فيأتى موشياً ، لبقاء ما عصب منه أبيض لم يأخذه صبغ . تجلببت المرأة : لبست جلبابها ، وهو ملاءتها التى تشتمل بها .

٥٠٨٣ – حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا سفيان قال ، حدثنا ابن جريج ، عن عطاء قال : بلغني عن ابن عباس قال : تُنهى المتوفى عنها زوجها أن تزيَّن وتطيَّب .

٥٠٨٤ – حدثنا نصر بن على قال، حدثنا عبد الأعلى قال، حدثنا عبيد الله، عن نافع ، عن ابن عمر قال : إن المتوفى عنها زوجها لا تلبس ثوباً مصبوغاً ، ولا تمسُّ طيباً ، ولا تكتحل ، ولا تمتشط = وكان لا يرى بأساً أن تلبس البُرْد .

* * *

وقال آخرون : إنما أمرت المتوفَّى عنها زوجها أن تربَّص بنفسها عن الأزواج خاصة ، فأما عن الطيب والزينة والمبيت عن المنزل ، فلم تُنه عن ذلك، ولم تؤمر بالتربُّص بنفسها عنه .

* ذكر من قال ذلك :

٥٠٨٥ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية ، عن يونس ، عن الحسن : أنه كان يرخص فى التزيُّن والتصنُّع ، ولا يرى الإحداد شيئاً .[1]

٥٠٨٦ – حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا سفيان، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس: « والذين يُتوفوْن منكم ويذرون أزواجاً يتربَّصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً » ، لم يقل تعتدُّ فى بيتها ، تعتدُّ حيث شاءت .

٥٠٨٧ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا إسمعيل قال ، حدثنا ابن جريج ، عن عطاء قال ، قال ابن عباس : إنما قال الله : « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً » ، ولم يقل تعتد فى بيتها ، فلتعتد حيث شاءت .

* * *

واعتل قائلو هذه المقالة بأن الله تعالى ذكره، إنما أمر المتوفَّى عنها بالتربُّص عن النكاح ، وجعلوا حُكم الآية على الخصوص = وبما : –

---

(١) تصنعت المرأة تصنعاً : تزينت وتجملت وعالجت وجهها وغيره حتى يحسن .

٥٠٨٨ – حدثني به محمد بن إبراهيم السلمي قال، حدثنا أبو عاصم = وحدثني محمد بن معمر البحراني قال ، حدثنا أبو عامر = قالا جميعاً ، حدثنا محمد بن طلحة ، عن الحكم بن عتيبة ، عن عبد الله بن شداد بن الهاد ، عن أسماء بنت عُميس قالت : لما أصيب جعفر قال لي رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : تسلَّبي ثلاثاً ، ثم اصنعي ما شئت .(١)

---

(١) الحديث : ٥٠٨٨ – محمد بن إبراهيم بن صدران الأزدي السلمي : ثقة ، وثقه أبو داود وغيره . وقد ينسب إلى جده ، ولذلك ترجمه ابن أبي حاتم ٣/٢/١٩٠ في اسم « محمد بن صدران » . « السلمي » : هكذا ثبت هنا ، وكذلك في التقريب ، وضبطه بفتح السين ، وكذلك ثبت في نسخة بهامش التهذيب ، وفي التهذيب والخلاصة « السليمي » ، ونص صاحب الخلاصة على أنه بإثبات الياء . ولكني لا أطمئن إلى ضبطه .

وشيخه أبو عاصم : هو النبيل ، الضحاك بن مخلد .

وأبو عامر – في الإسناد الثاني : هو العقدي ، عبد الملك بن عمرو .

محمد بن طلحة بن مصرف – بفتح الصاد وتشديد الراء المكسورة – اليامي : ثقة ، أخرج له الشيخان . وبعضهم تكلم فيه بما لا يجرحه .

عبد الله بن شداد بن الهاد : نسب أبوه إلى جده ، فهو « شداد بن أسامة بن عمرو » ، و « عمرو » : هو الهاد . قال ابن سعد : « وإنما سمي الهادي ، لأنه كان توقد ناره ليلا للأضياف ، ولمن سلك الطريق » . وعبد الله بن شداد : من كبار التابعين القدماء الثقات ، ولد في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى ذكره بعضهم في الصحابة . وله ترجمتان في ابن سعد ٥ : ٤٣ – ٤٤ ، و ٦ : ٨٦ – ٨٧ . وفي الإصابة ٥ : ٦٠ – ٦١ ، ١٤٥ . وأمه « سلمى بنت عميس » ، أخت أسماء بنت عميس ، فهو يروي هذا الحديث عن خالته .

وأسماء بنت عميس : صحابيه جليلة . وهي أخت ميمونة بنت الحارث – أم المؤمنين – لأمها . تزوجت أسماء جعفر بن أبي طالب ، فقتل عنها ، ثم تزوجت أبا بكر الصديق ، ثم علي بن أبي طالب . وولدت لهم جميعاً . وهي أم محمد بن أبي بكر الصديق .

والحديث رواه ابن سعد في الطبقات ٨ : ٢٠٦ ، في ترجمة أسماء – رواه عن عفان بن مسلم ، وإسحق بن منصور ، كلاهما عن محمد بن طلحة . ووقع فيه « تسلمي » بالميم بدل الباء . وأنا أرجح أنه خطأ من الناسخين لا من الرواة ، وسيأتي أن هذا الخطأ وقع لابن حبان ، لكن من الرواة .

ورواه أحمد في المسند ، بمعناه ، ٦ : ٣٦٩ ، ٤٣٨ ، عن يزيد بن هرون ، عن أبي كامل ويزيد بن هرون وعفان – ثلاثتهم عن محمد بن طلحة .

ورواه الطحاوي في معاني الآثار ٢ : ٤٤ بخمسة أسانيد إلى محمد بن طلحة .

ورواه البيهقي ٧ : ٤٣٨ ، من طريق مالك بن إسمعيل ، عن محمد بن طلحة ، بهذا الإسناد . ثم قال : « لم يثبت سماع عبد الله من أسماء ، وقد قيل فيه : عن أسماء . فهو مرسل . ومحمد بن طلحة

٥٠٨٩ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا أبو نعيم وابن الصلت ، عن محمد ابن طلحة ، عن الحكم بن عتيبة ، عن عبد الله بن شداد ، عن أسماء عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله .

* * *

قالوا : فقد بيّن هذا الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم : أن لا إحداد على المتوفَّى عنها زوجها ، وأن القول فى تأويل قوله : « يتربَّصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً » ، إنما هو : يتربَّصن بأنفسهن عن الأزواج دون غيره .

* * *

قال أبو جعفر : وأما الذين أوجبوا الإحدادَ على المتوفى عنها زوجها ، وتَرْك النُّقْلة عن منزلها الذى كانت تسكنه يوم توفى عنها زوجها ، فإنهم اعتلُّوا بظاهر

ليس بالقوى » ! ! وهو تعليل ضئيل متهافت . تعقبه فيه ابن التركمانى فى الجوهر النقى .

ورواه ابن حزم فى المحلى ١٠ : ٢٨٠ ، من وجهين آخرين ، عن عبد الله بن شداد ، مرسلا . ورده بعلة الإرسال . ولكن ثبت وصله عن غير روايته .

وذكره المجد فى المنتقى : ٣٨١٩ ، ٣٨٢٠ ، من روايتى المسند . ولم ينسبه إلى غيره .

ولم يرو فى واحد من الكتب الستة ، على اليقين من ذلك . فهو من الزوائد عليها . ولكنى لم أجده فى فى مجمع الزوائد ، بعد طول البحث ، فى أقرب المظان من أبوابه وأبعدها .

وذكره الحافظ فى الفتح ٩ : ٤٢٩ ، ووصفه بأنه « قوى الإسناد » . وقال : « أخرجه أحمد ، وصححه ابن حبان » . ونسبه أيضاً للطحاوى . ثم قال : « قال شيخنا فى شرح الترمذى : ظاهره أنه لا يجب الإحداد على المتوفى عنها بعد اليوم الثالث ، لأن أسماء بنت عميس كانت زوج جعفر بن أبى طالب بالاتفاق ، وهى والدة أولاده : عبد الله ، ومحمد ، وعون ، وغيرهم . قال : بل ظاهر النهى أن الإحداد لا يجوز » . وأجاب بأن هذا الحديث شاذ مخالف للأحاديث الصحيحة ، وقد أجمعوا على خلافه ، ثم ذهب يجمع بينه وبين الأحاديث التى يعارضها ، بآراء بعضها قد يقبل ، وبعضها فيه تكلف غير مستساغ .

وأجود ما قال العلماء فى ذلك – عندنا – ما ذهب إليه الطبرى هنا فى الفقرة الثالثة بعد الحديث : ٥٠٩٠ . وقريب منه ما قال المجد بن تيمية فى المنتقى : « وهو متأول على المبالغة فى الإحداد والجلوس للتعزية » .

وقال الحافظ ، فى آخر كلامه ، فى شأن رواية ابن حبان : « وأغرب ابن حبان ، فساق الحديث بلفظ : تسلمى ، بالميم بدل الموحدة ! وفسره بأنه أمرها بالتسليم لأمر الله ! ! ولا مفهوم لتقييدها بالثلاث ، بل الحكمة فيه كون القلق يكون فى ابتداء الأمر أشد ، فلذلك قيدها بالثلاث ! هذا معنى كلامه ، فصحف الكلمة وتكلف لتأويلها ! وقد وقع فى رواية البيهقى وغيره : فأمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتسلب ثلاثاً . فتبين خطؤه » .

تسلبت المرأة : لبست السلاب (بكسر السين) : وهى ثياب الحداد السود ، تلبسها فى المأتم .

التنزيل، وقالوا: أمرَ الله المتوفَّى عنها أن تربَّص بنفسها أربعة أشهر وعشرًا، فلم يأمرها بالتربُّص بشيء مسمًّى في التنزيل بعينه، بل عمَّ بذلك معاني التربُّص. قالوا: فالواجب عليها أن تربَّص بنفسها عن كل شيء، إلا ما أطلقته لها حُجة يجب التسليم لها. قالوا: فالتربُّص عن الطِّيب والزينة والنُّقْلة، مما هو داخلٌ في عموم الآية، كما التربُّصُ عن الأزواج داخل فيها. قالوا: وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ الذي قلنا في الزينة والطيب، وأما في النُّقلة فإنَّ :—

٥٠٩٠ — أبا كريب حدثنا قال، حدثنا يونس بن محمد، عن فليح بن سليمان، عن سعد بن إسحق بن كعب بن عجرة، عن عمته، عن الفُرَيْعة ابنة مالك، أخت أبي سعيد الخدري، قالت: قتل زوجي وأنا في دار، فأستأذنت رَسول الله صلى الله عليه وسلم في النُّقلة، فأذن لي. ثم ناداني بعد أن توليْت، فرجعت إليه، فقال: يا فريعة، حتى يبلغ الكتاب أجله.(١)

* * *

(١) الحديث: ٥٠٩٠ — يونس بن محمد بن مسلم، الحافظ البغدادي المؤدب: ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

فليح — بالتصغير — بن سليمان بن أبي المغيرة المدني: ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. تكلم فيه ابن معين وغيره. والراجح توثيقه. وقال الحاكم: «اتفاق الشيخين عليه يقوى أمره». و«فليح» لقب غلب عليه، واسمه «عبد الملك».

سعد بن إسحق بن كعب بن عجرة: ثقة لا يختلف فيه، كما قال ابن عبد البر. وهو تابعي روى عن أنس بن مالك.

وتكلم فيه ابن حزم في المحلى بما لا يضره، زعم أنه «غير مشهور الحال»، ومرة أنه «مضطرب في اسمه، غير مشهور الحال»، ومرة أنه «غير مشهور العدالة»! انظر المحلى ٣: ٢٧٣، و ٤: ١٣٨، و ١٠: ٣٠٢.

وفي المطبوعة هنا «سعيد» بدل «سعد». وهو خطأ قديم، وقع في الموطأ، ص: ٥٩١. وليس اختلاف رواية، ولا خطأ من مالك. إنما هو من يحيى بن يحيى راوي الموطأ، ومن رواة آخرين تبعوه. قال ابن عبد البر في التقصي، رقم: ١٢٣ هكذا قال يحيى: سعيد بن إسحق، وتابعه بعضهم. وأكثر الرواة يقولون فيه: سعد بن إسحق. وهو الأشهر، وكذا قال شعبة وغيره».

قالوا: فبيّن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحةَ ما قلنا فى معنى تربُّص المتوفَّى عنها زوجها، [وبطل] ما خالفه.[1] قالوا: وأما ما روى عن ابن عباس: فإنه لا معنى له، بخروجه عن ظاهر التنزيل والثابت من الخبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

قالوا: وأما الخبر الذى روى عن أسماء ابنة عميس، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمره إياها بالتسلُّب ثلاثاً، ثم أن تصنع ما بدا لها — فإنه غير دالٍّ

وعلى الصواب « سعد » — رواه الشافعى فى الرسالة والأم عن مالك. وكذلك رواه عنه سويد بن سعد، فى روايته الموطأ. وكذلك رواه عنه محمد بن الحسن فى الموطأ.

عمة سعد بن إسحق: هى « زينب بنت كعب بن عجرة الأنصارية »، وهى تابعية ثقة. بل ذكرها بعضهم فى الصحابة. انظر الإصابة ٨ : ٩٧ — ٩٨، وابن سعد ٨ : ٣٥٢.

ووقع هنا فى المطبوعة « عن عمته الفريعة »، بحذف « عن » بعد كلمة « عمته ». وهو خطأ ناسخ أو طابع. فإن زينب عمة سعد هى زوجة أبى سعيد الخدرى، وأما الفريعة فإنها أخت أبى سعيد، كما فى نص الحديث.

و « الفريعة بنت مالك بن سنان »: صحابية قديمة معروفة، شهدت بيعة الرضوان. رضى الله عنها.

وهذا الحديث هنا مختصر. وقد جاء بأسانيد صحاح، من رواية سعد بن إسحق، عن عمته، عن الفريعة — مختصراً ومطولا. ويكفى أن نذكر مواضع روايته، فيما وصل إلينا:

فرواه مالك فى الموطأ، مطولا، ص: ٥٩١، عن « سعد بن إسحق ». وذكر فيه خطأ باسم « سعيد »، كما بينا من قبل.

ورواه الشافعى فى الرسالة: ١٢١٤ (بتحقيقنا)، وفى الأم ٥ : ٢٠٨ — ٢٠٩، ومحمد بن الحسن فى موطئه، ص: ٢٦٨، وسويد بن سعيد فى موطئه، ص: ١٢٣ — ١٢٤ (مخطوط مصور) — كلهم عن مالك، عن سعد بن إسحق.

ورواه الدارمى ٢ : ١٦٨، وابن سعد ٨ : ٢٦٨، وأبو داود: ٢٣٠٠، والترمذى ٢ : ٢٢٤ — ٢٢٥، والبيهقى ٧ : ٤٣٤، وابن حبان فى صحيحه ٦ : ٤٤٧ — ٤٤٨ (من مخطوطة الإحسان)، وابن حزم فى المحلى ١٠ : ٣٠١ — كلهم من طريق مالك، به.

ورواه الطيالسى: ١٦٦٤، وعبد الرزاق فى المصنف ٤ : ٦٠ — ٦١ (مخطوط مصور)، وأحمد فى المسند ٦ : ٣٧٠، ٤٢٠ — ٤٢١ (حلبى)، وابن سعد ٨ : ٢٦٧ — ٢٦٨، والترمذى ٢ : ٢٢٥، والنسائى ٢ : ١١٣، وابن ماجة: ٢٠٣١، وابن الجارود، ص: ٣٤٩ — ٣٥٠، وابن حبان ٦ : ٤٤٩، والحاكم ٢ : ٢٠٨، والبيهقى ٧ : ٤٣٤ — ٤٣٥، بأسانيد كثيرة، مطولا ومختصراً، من طريق سعد بن إسحق، عن عمته، عن الفريعة. وصححه الترمذى، ومحمد بن يحيى الذهلى، فيما حكاه عنه الحاكم، والذهبى.

وذكره السيوطى ١ : ٢٨٩ — ٢٩٠ نسبه إلى كثير ممن أشرنا إليهم.

(١) الزيادة بين القوسين لا بد منها لسياق الكلام. والمطبوعة والمخطوطة سواء فى نصهما هنا.

على أن لا حِداد على المرأة، [١] بل إنما دلّ على أمر النبي صلى الله عليه وسلم إياها بالتسلُّب ثلاثاً، ثم العمل بما بدا لها من لبس ما شاءت من الثياب مما يجوز للمعتدة لبسه، مما لم يكن زينة ولا مطيباً، [٢] لأنه قد يكون من الثياب ما ليس بزينة ولا ثياب تسلّب، وذلك كالذى أذن صلى الله عليه وسلم للمتوفَّى عنها أن تلبس من ثياب العَصْب وبُرود اليمن، فإن ذلك لا من ثياب زينة ولا من ثياب تسلُّب. وكذلك كل ثوب لم يدخل عليه صبغٌ بعد نسجه مما يصبغه الناس لتزيينه، فإن لها لبسه، لأنها تلبسه غير متزيِّنة الزينة التى يعرفها الناس.

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال لنا قائل : وكيف قيل : « يتربصن بأنفسهنّ أربعة أشهر وعشراً »، ولم يقل : وعشرة ؟ وإذ كان التنزيل كذلك : أفبالليالى تعتدُّ المتوفى عنها العشرَ، أم بالأيام ؟

قيل : بل تعتدُّ بالأيام بلياليها.

فإن قال : فإذْ كان ذلك كذلك، فكيف قيل : « وعشراً » ؟ ولم يقل : وعشرة ؟ والعشر بغير « الهاء » من عدد الليالى دون الأيام ؟ فإن جاز ذلك المعنى فيه ما قلت، [٣] فهل تجيز : « عندى عشر »، وأنت تريد عشرةً من رجال ونساء؟

قلت : ذلك جائز فى عدد الليالى والأيام، وغير جائز مثله فى عدد بنى آدم من الرجال والنساء. وذلك أن العرب فى الأيام والليالى خاصة، إذا أبهمت العدد، غلبت فيه الليالى، حتى إنهم فيما روى لنا عنهم ليقولون : « صُمنا عشرًا من شهر رمضان »، لتغليبهم الليالى على الأيام. وذلك أن العدد عندهم قد جرى فى ذلك بالليالى دون الأيام. فإذا أظهروا مع العدد مفسِّره، [٤] أسقطوا من عدد المؤنث « الهاء »،

---

(١) فى المطبوعة : « أن لا إحداد »، وهما سواء. « حدت المرأة تحد حداً وحداداً » و « أحدت تحد إحداداً ». لبست الحداد (بكسر الحاء)، وهو ثياب المأتم السود. « الحداد » اسم ومصدر.

(٢) فى المطبوعة : « ولا تطيباً ». والصواب ما أثبته من المخطوطة.

(٣) فى المطبوعة : « فإن أجاز ذلك المعنى »، والصواب ما أثبت من المخطوطة.

(٤) المفسر: هو المميز. والتفسير : التمييز، انظر ما سلف ٢ : ٣٣٨ تعليق: ١/ثم ٣ : ٩٠ تعليق: ١

وأثبتوها فى عدد المذكر ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً ﴾ [سورة الحاقة : ٧] ، فأسقط « الهاء » من « سبع » وأثبتها فى « الثمانية » .

وأما بنو آدم ، فإن من شأن العرب إذا اجتمعت الرجال والنساء ، ثم أبهمت عددها : أن تخرجه على عدد الذُّكران دون الإناث . وذلك أن الذُّكران من بنى آدم مَوْسوم واحدُهم وجمعه بغير سمة إناثهم ، وليس كذلك سائر الأشياء غيرهم . وذلك أن الذكور من غيرهم ربما وُسم بسِمة الأنثى ، كما قيل للذكر والأنثى « شاة » ، وقيل للذكور والإناث من البقر : « بقر » ، وليس كذلك فى بنى آدم .(١)

* * *

فإن قال : فما معنى زيادة هذه العشرة الأيام على الأشهر ؟

قيل : قد قيل فى ذلك ، بما :—

٥٠٩١ — حدثنا به ابن وكيع قال ، حدثنا أبى قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية فى قوله : « والذين يُتوفَّون منكم ويذرون أزواجاً يتربَّصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً » ، قال : قلت : لم صارَت هذه العَشر مع الأشهر الأربعة ؟ قال : لأنه ينفخ فيه الرُّوح فى العشر . ٢/٣٢٠

٥٠٩٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى أبو عاصم ، عن سعيد ، عن قتادة قال : سألت سعيد بن المسيب : ما بال العشر ؟ قال : فيه يُنفخ الرُّوح .

* * *

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ١٥١ — ١٥٢ ، فهذا من كلامه بغير لفظه .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك :[1] فإذا بلغن الأجلَ الذى أبيح لهن فيه ما كان حُظِر عليهنّ فى عددهن من وفاة أزواجهن — وذلك بعد انقضاء عِدَدهن، ومضىّ الأشهر الأربعة والأيام العشرة = « فلا جناح عليكم فيما فعلن فى أنفسهن بالمعروف » ، يقول : فلا حرجَ عليكم أيها الأولياء — أولياء المرأة — فيما فعل المتوفى عنهن حينئذ فى أنفسهن، من تطيُّب وتزيُّن ونُقْلة من المسكن الذى كنّ يعتددن فيه ، ونكاح من يجوز لهن نكاحُه = « بالمعروف » ، يعنى بذلك : على ما أذِن الله لهن فيه وأباحه لهنّ .[2]

* * *

وقد قيل : إنما عنى بذلك النكاح خاصة . وقيل : إن معنى قوله : « بالمعروف » إنما هو النكاح الحلال .

* ذكر من قال ذلك :

٥٠٩٣ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فلا جناح عليكم فيما فعلنَ فى أنفسهنّ بالمعروف » ، قال : الحلال الطيِّب .

٥٠٩٤ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بزة ، عن مجاهد : « فلا جناح عليكم فيما فعلنَ فى أنفسهنّ بالمعروف » ، قال : المعروف النكاحُ الحلالُ الطيب .

٥٠٩٥ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، قال ابن

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « يعنى تعالى ذكره بقوله » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

(٢) انظر ما سلف فى تفسير « المعروف » ٥ : ٧٦ والمراجع هناك فى التعليق .

جريج ، قال مجاهد: قوله: « فيما فعلنَ في أنفسهنَّ بالمعروف» ، قال: هو النكاح الحلال الطيّب .

٥٠٩٦ — حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قال : هو النكاح .

٥٠٩٧ — حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني الليث قال ، حدثني عقيل ، عن ابن شهاب : « فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف » ، قال : في نكاح من هَوِيتْه، إذا كان معروفاً .(١)

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (٢٣٤)

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بذلك: « والله بما تعملون »، أيها الأولياء، في أمر من أنتم وليُّه من نسائكم، من عَضْلِهنَّ وإنكاحهنَّ ممن أردن نكاحَه بالمعروف . ولغير ذلك من أموركم وأمورهم = « خبير »، يعني ذو خبرة وعلم، لا يخفى عليه منه شيء.(٢)

* * *

---

(١) في المطبوعة « هوينه » بالجمع والنون ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) انظر ما سلف في معنى « خبير » في فهارس اللغة ، ومباحث العربية .

* * *

وقد انتهى هنا التقسيم القديم للنسخة التي نقلت عنها مخطوطتنا ، وفيها ما نصه :

« وصلّى الله على محمد النبيّ وعلى آله وسلم كثيراً

على الأصـــل

بلغت القراءة والسماع من أوله بقراءة محمد بن أحمد بن عيسى السعدي ، لأخيه علي وأحمد بن عمر الجهاري (؟؟) ونصر بن الحسين الطبري ، على القاضي

(١) القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : ولا جناح عليكم ، أيها الرجال ، فيما عرَّضتم به من خطبة النساء ، للنساء المعتدَّات من وفاة أزواجهن فى عِددهن ، ولم تصرِّحوا بعقد نكاح .

والتعريض الذى أبيح فى ذلك ، هو ما : —

٥٠٩٨ — حدثنا به ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قوله : « ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خِطبة النساء » ، قال : التعريض أن يقول : « إنّى أريد التزويج » ، و « إنى لأحب امرأة من أمرها وأمرها » ، يعرِّض لها بالقول بالمعروف .

٥٠٩٩ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : « لا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء » ، قال : « إنى أريد أن أتزوج » .

٥١٠٠ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا شعبة ، عن منصور ، عن مجاهد : عن ابن عباس قال : التعريض ما لم ينصِب للخطبة ، (٢)

أبى الحسن الخصيبى ، عن أبى محمد الفرغانى ، عن أبى جعفر الطبرى ، وقابل به بكتاب القاضى الخصيبى ، فصحّت ، وذلك فى شعبان سنة ثمان وأربعمئة » .

(١) هذا نص أول التقسيم القديم :

« بسم الله الرحمن الرحيم

ربِّ يَسِّر »

(٢) نصب للشىء ينصب نصباً : إذا قصده وتجرد له .

= قال مجاهد : قال رجل لامرأة فى جنازة زوجها : لا تسبقينى بنفسك ! قالت : قد سُبقت !

٥١٠١ ــ حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : فى هذه الآية : « ولا جناح عليكم فيما عرَّضتم به من خِطبة النساء »، قال: التعريض، ما لم ينصب للخِطبة .

٥١٠٢ ــ حدثنا ابن حميد قال،حدثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور عن مجاهد ، عن ابن عباس : « فيما عرَّضتم به من خِطبة النساء » ، قال : التعريضُ أنْ يقول للمرأة فى عِدَّتها : « إنى لا أريد أن أتزوج غيرَك إن شاء الله »، ٣٢١/٢
و « لوددت أنّى وجدت امرأة صالحة » ، ولا ينصِبُ لها ما دامت فى عدتها .

٥١٠٣ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية، عن على ، عن ابن عباس فى قوله : « ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء » ، يقول : يعرّض لها فى عدتها ، يقول لها : « إن رأيت أن لا تسبقينى بنفسك ، ولوددت أن الله قد هيّأ بينى وبينك » ، ونحو هذا من الكلام ، فلا حرج .

٥١٠٤ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا آدم العسقلانى قال ، حدثنا شعبة ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ابن عباس فى قوله : « ولا جناح عليكم فيما عرَّضتم به من خِطبة النساء » ، قال : هو أن يقول لها فى عدتها : « إنى أريد التزويج ، ووددت أن الله رزقنى امرأة » ، ونحو هذا ، ولا ينصِب للخطبة .

٥١٠٥ ــ حدثنى يعقوب قال ، حدثنا ابن علية ، عن ابن عون ، عن محمد ، عن عبيدة فى هذه الآية ، قال : يذكرها إلى وليّها ، يقول : « لا تسبقنى بها » .

٥١٠٦ ــ حدثنى يعقوب قال ، حدثنا ابن علية ، عن ليث ، عن مجاهد

فى قوله : « ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء » ، قال يقول : « إنك لجميلة ، وإنك لنافقة ، وإنك إلى خير » .

٥١٠٧ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد : أنه كره أن يقول : « لا تسبقينى بنفسك » .

٥١٠٨ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله تعالى ذكره : « ولا جناح عليكم فيما عرّضتم به من خطبة النساء » ، قال : هو قول الرجل للمرأة : « إنك لجميلة ، وإنك لنافقة ، وإنك لإلى خير » .

٥١٠٩ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء » ، قال : يعرِّض للمرأة فى عدتها فيقول : « والله إنك لجميلة ، وإن النساء لمن حاجتى ، وإنك إلى خير إن شاء الله » .

٥١١٠ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا شعبة ، عن سلمة ابن كهيل ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير قال : هو قول الرجل : « إنى أريد أن أتزوج ، وإنى إن تزوجت أحسنتُ إلى امرأتى » ، هذا التعريض .

٥١١١ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال ، حدثنا شعبة ، عن سلمة بن كهيل ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير فى قوله : « ولا جناح عليكم فيما عرَّضتم به من خِطبة النساء » ، قال يقول : « لأعطينّك ، لأحسنن إليك ، لأفعلن بك كذا وكذا » .[1]

٥١١٢ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الوهاب قال ، سمعت يحيى ابن سعيد قال ، أخبرنى عبد الرحمن بن القاسم فى قوله : « فيما عرضتم به من خطبة النساء » ، قال : قول الرجل للمرأة فى عدتها يعرّض بالخطبة : « والله إنى فيك

(١) فى المخطوطة والمطبوعة « لأحسن إليك » ، والصواب ما أثبت .

لراغب ، وإنى عليك لحريص » ، ونحو هذا .

٥١١٣ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الوهاب الثقفى قال ، سمعت يحيى بن سعيد يقول : أخبرنى عبد الرحمن بن القاسم : أنه سمع القاسم ابن محمد يقول : « فيما عرضتم به من خطبة النساء » ، هو قول الرجل للمرأة : « إنك لجميلة ، وإنك لنافقة ، وإنك إلى خير » .

٥١١٤ – حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن جريج قال : قلت لعطاء : كيف يقول الخاطب ؟ قال : يعرّض تعريضاً ، ولا يبوح بشىء ، يقول : « إن لى حاجة ، وأبشرى ، وأنت بحمد الله نافقة » ، ولا يبوح بشىء . قال عطاء: وتقول هى : « قد أسمعُ ما تقول » ، ولا تعد شيئاً ، ولا تقول : « لعل ذاك » .

٥١١٥ – حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن يحيى بن سعيد قال ، حدثنى عبد الرحمن بن القاسم : أنه سمع القاسم يقول فى المرأة يتوفى عنها زوجها ، والرجل يريد خطبتها ويريد كلامها ، ما الذى يجمُل به من القول ؟ قال يقول : « إنى فيك لراغب ، وإنى عليك لحريص ، وإنى بك لمعجب » ، وأشباه هذا من القول .

٥١١٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن حماد ، عن إبراهيم فى قوله : « ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء » ، قال : لا بأس بالهديّة فى تعريض النكاح .

٥١١٧ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا مغيرة قال : كان إبراهيم لا يرى بأساً أن يُهدِى لها فى العدة، إذا كانت من شأنه.(١)

٥١١٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن جابر ،

---

(١) قوله : « من شأنه » ، أى من حاجته وإرادته وقصده . يقال : شأن شأنه ، أى قصد قصده .

عن عامر فى قوله : « ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء » ، قال يقول : « إنك لنافقة ، وإنك لمعجبة ، وإنك لجميلة ،[1] وإن قضى الله شيئاً كان » .

٥١١٩ – حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه قوله : « ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء » ، قال : كان إبراهيم النخعى يقول : « إنك لمعجبة ، وإنى فيك لراغب » .

٥١٢٠ – حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال : أخبرنا ابن وهب قال ، وأخبرنى – يعنى شبيباً – عن سعيد ، عن شعبة ، عن منصور ، عن الشعبى أنه قال فى هذه الآية: « ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء » ، قال : لا تأخذ ميثاقها أن لا تنكح غيرك .[2] ٢٢٢/٢

٥١٢١ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء » ، قال: كان أبى يقول : كل شىء كان ، دون أن يعزما عقدة النكاح ، فهو ما قال الله تعالى ذكره : « ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء » .

٥١٢٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا مهران = وحدثنى على قال ، حدثنا زيد = جميعاً ، عن سفيان قوله: « ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء » ، والتعريض فيما سمعنا أن يقول الرجل وهى فى عدتها: « إنك لجميلة ، إنك إلى خير ، إنك لنافقة ، إنك لتعجبينى » ، ونحو هذا ، فهذا التعريض .

٥١٢٣ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن عبد الرحمن بن سليمان ، عن خالته سكينة ابنة حنظلة بن عبد الله بن حنظلة قالت : دخل علىّ أبو جعفر محمد بن على وأنا فى عدتى ، فقال: يا ابنة حنظلة ،

---

(١) فى المخطوطة : « وإنك لمعجبة ، لجميلة » ، وهما سواء .

(٢) فى المطبوعة : « لا يأخذ ميثاقها أن لا تنكح غيره » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

أنا مَنْ علمت قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحق جدى علىّ، وقدمى فى الإسلام. فقلت: غفر الله لك يا أبا جعفر، أتخطبنى فى عدتى، وأنت يؤخذ عنك! فقال: أو قد فعلتُ! إنما أخبرتك بقرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعى! قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سلمة، وكانت عند ابن عمها أبى سلمة، فتوفى عنها، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر لها منزلته من الله وهو متحامل على يده، حتى أثّر الحصير فى يده من شدة تحامله على يده، فما كانت تلك خطبة.[1]

٥١٢٤ - حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنى الليث قال، حدثنى عقيل، عن ابن شهاب: «ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء»، قال: لا جناح على من عرّض لهن بالخطبة قبل أن يحللن، إذا كنّوا فى أنفسهنّ من ذلك.[2]

٥١٢٥ - حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال: أخبرنى مالك، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه أنه كان يقول فى قول الله تعالى ذكره: «ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء»: أن يقول الرجل للمرأة وهى فى عدة من وفاة زوجها: «إنك علىّ لكريمة، وإنى فيك لراغب، وإن الله سائق إليك خيراً ورزقاً»، ونحو هذا من الكلام.

* * *

(١) الأثر: ٥١٢٣ - عبد الرحمن بن سليمان بن عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة بن أبى عامر الراهب» يعرف بابن الغسيل، وهو جد أبيه، حنظلة الذى غسلته الملائكة يوم أحد. وقال ابن معين: «ليس به بأس»، كان يخطىء ويهم، قال أحمد: صالح. مات سنة ١٧١. مترجم فى التهذيب. و «أبو جعفر محمد بن على» هو محمد الباقر بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب وابنه جعفر الصادق، وكان من فقهاء المدينة، وسيد بنى هاشم فى زمانه، جمع العلم والفقه والشرف والديانة والثقة والسؤدد، وكان يصلح للخلافة، وهو أحد الاثنى عشر الذين تعتقد الرافضة عصمتهم - ولا عصمة إلا لنبى! توفى سنة ١١٤. مترجم فى التهذيب، وتاريخ الإسلام للذهبى ٤ : ٢٩٩. ولم أجد هذا الخبر إلا فى البغوى بهامش تفسير ابن كثير ١ : ٥٦٧.

(٢) كن الشىء فى صدره وأكنه واكتنه: أخفاه وستره.

قال أبو جعفر : واختلف أهل العربية فى معنى « الخطبة » .

فقال بعضهم : « الخطبة » الذكر ، و « الخطبة » التشهد.[١]

وكأن قائل هذا القول ، تأول الكلام : ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من ذكر النساء عندهن .[٢] وقد زعم صاحب هذا القول أنه قال : « لا تواعدوهن سرًّا » ، لأنه لما قال : « لا جناح عليكم »، كأنه قال : اذكروهن ، ولكن لا تواعدوهن سرًّا .

* * *

وقال آخرون منهم : «خَطَبَه ، خِطْبة وخَطْباً»[٣]. قال : وقول الله تعالى ذكره : ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيّ ﴾ [سورة طه : ٩٥] ، يقال إنه من هذا . قال : وأما « الخُطبة » فهو المخطوب [به] ، من قولهم :[٤] « خطب على المنبر واختطب » .

* * *

قال أبو جعفر : « والخِطبة » عندى هى « الفِعْلة » من قول القائل : « خطبت فلانة » كـ « الجِلسة » ، من قوله : « جلس » أو « القِعدة » من قوله « قعد » .[٥]

---

(١) هذا قول الأخفش ، وانظر تفسير البغوى ١ : ٥٦٧ .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « عندهم » ، وهو لا يستقيم ، والصواب ما أثبت ، وانظر أيضاً تفسير البغوى ١ : ٥٦٧ .

(٣) فى المطبوعة : « وقال آخرون منهم : الخطبة أخطب خطبه وخطباً » ، وهو كلام فاسد التركيب ، فيه زيادة من ناسخ . وفى المخطوطة : « وقال آخرون منهم : « الخطبة وخطبه وخطباً » ، وهو فاسد أيضاً ، والصواب ما أثبت . فإن يكن فى كلام الطبرى نقص أو خرم ، فهو تفسير هذه الكلمة ، وقد أبان عنها صاحب أساس البلاغة فقال : « فلان يخطب عمل كذا : يطلبه . وقد أخطبك الصيد فارمه — أى أكثبك وأمكنك . وأخطبك الأمر ، وهو أمر مخطب : ومعناه : أطلبك — من « طلبت إليه حاجةً فأطلبنى » . وما خطبك : ما شأنك الذى تخطبه . ومنه : هذا خطب يسير ، وخطب جليل . وهو يقاسى خطوب الدهر » . فقد أبان ما نقلته عن الزمخشرى أنه أراد أن يقول : خطب الأمر يخطبه خطبة وخطباً ، أى طلبه . ولم يستوف أبو جعفر تفسير هذه الكلمة فى « سورة طه » الآية : ٩٥ ، فأثبت تفسيره هنالك .

(٤) هذه الزيادة بين القوسين لا بد منها ، يعنى : الكلام المخطوب به .

(٥) يعنى أنه مصدر ، وانظر ما سلف فى وزن « فعلة » فى فهارس مباحث العربية فى الأجزاء السالفة ، وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ١٥٢ ، وتفسير أبى حيان ٢ : ٢٢١ .

ومعنى قولهم : « خطب فلانٌ فلانة » ، سألها خَطْبه إليها فى نفسها ، وذلك حاجته ، من قولهم : « ما خَطْبك » ؟ بمعنى : ما حاجتك ، وما أمرك ؟

* * *

وأما « التعريض » ، فهو ما كان من لَحْن الكلام الذى يفهم به السامع الفهِمُ ما يُفهم بصريحه .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « أو أكننتم فى أنفسكم » ، أو أخفيتم فى أنفسكم فأسررتموه ، من خِطبتهن ، وعزم نكاحهن وهن فى عددهن ، فلا جناح عليكم أيضاً فى ذلك ، إذا لم تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله .

* * *

يقال منه : « أكنّ فلان هذا الأمر فى نفسه ، فهو يُكنُّه إكناناً » ، و « كنَّه » ، إذا ستره ، « يكنُّه كَنًّا وكُنوناً » ، و « جلس فى الكِنّ » ولم يسمع « كننتُه فى نفسى » ،(٢) وإنما يقال : « كننتُه فى البيت أو فى الأرض » ، إذا خبأته فيه ، ومنه قوله تعالى ذكره : ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ [سورة الصافات : ٤٩] . أى مخبوءٌ ، ومنه قول الشاعر :(٣)

ثَلَاثٌ مِنْ ثَلَاثٍ قُدَامَيَاتٍ مِنَ اللَّائِى تَكُنَّ مِنَ الصَّقِيعِ(٤)

---

(١) لحن الكلام : هو الإيماء فى الكلام دون التصريح ، وعبارة الطبرى فى تفسير هذه الكلمة ، عبارة جيدة . ليس لها شبيه فى كتب اللغة فى شرح هذا الحرف .

(٢) ذكر أصحاب اللغة أن ذلك قيل ، واستشهدوا بقول أبى قطيفة :

قَدْ يَكْتُمُ النَّاسُ أَسْرَاراً فَأَعْلَمُهَا وَمَا يَنَالُونَ حَتَّى الْمَوْتِ مَكْنُونِى

(٣) لم أستطع أن أعرف قائله .

(٤) معانى الفراء ١ : ١٥٢ ، واللسان (كنن) . قداميات جمع قدامى ، والقدامى واحد . وجمع ، وهو هنا واحد . والقدامى والقوادم فى الطير : عشر ريشات فى كل جناح . وقوله : « ثلاث من ثلاث قداميات » ،

و« تكن » بالتاء، وهو أجود، و« يكن ».[1] ويقال: « أكننْتُه ثيابه من البرد » « وأكننَّه البيت من الريح ».

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك.

٥١٢٦ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد: « أو أكننتم فى أنفسكم »، قال: الإكنان: ذكر خِطبتها فى نفسه، لا يُبديه لها. هذا كله حِلٌّ معروف. ٢/٣٢٣

٥١٢٧ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

٥١٢٨ – حدثنى موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدى قوله: « أو أكننتم فى أنفسكم »، قال: أن يدخل فيسلم ويهدى إن شاء، ولا يتكلم بشىء.

٥١٢٩ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الوهاب الثقفى قال، سمعت يحيى ابن سعيد يقول: أخبرنى عبد الرحمن بن القاسم: أنه سمع القاسم بن محمد يقول، فذكر نحوه.

٥١٣٠ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله: « أو أكننتم فى أنفسكم »، قال: جعلت فى نفسك نكاحها وأضمرت ذلك.

كأنه يريد أنه اختار من قوادم ثلاث من الطير، ثلاث ريشات من ريشه، وكأنه يريد ذلك لأسهمه، يريش الأسهم بها. والصقيع: الذى يسقط بالليل، شبيه بالثلج.

(١) فى المطبوعة: « بالتاء هو أجود »، وزيادة الواو من المخطوطة. هذه الجملة غير بينة المعنى عندى، وكأن صوابها « وتكن بالتاء المضمومة، وهو أجود وتكن ». ويعنى أن الأول من « أكن يكن »، وأن الأخرى من « كن يكن ». كما هو ظاهر من استدلاله هذا. وقد عقب الفراء على هذا البيت بقوله: « وبعضهم يرويه « تكن » من « أكننت ». فهذا يرجح ما ذهبت إليه.

٥١٣١ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا مهران = وحدثني علي قال ، حدثنا زيد = جميعاً ، عن سفيان : « أو أكننتم في أنفسكم » ، أن يُسرّ في نفسه أن يتزوجها .

٥١٣٢ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا هوذة قال ، حدثنا عوف ، عن الحسن في قوله : « أو أكننتم في أنفسكم » ، قال: أسررتم .

* * *

قال أبو جعفر : وفي إباحة الله تعالى ذكره ما أباحَ من التعريض بنكاح المعتدة لها في حال عدتها وحظره التصريح ،[1] ما أبان عن افتراق حكم التعريض في كل معاني الكلام وحكم التصريح، منه . وإذا كان ذلك كذلك، تبيّن أن التعريض بالقذف غيرُ التصريح به ، وأن الحدَّ بالتعريض بالقذف لو كان واجباً وجوبَه بالتصريح به، لوجب من الجناح بالتعريض بالخطبة في العِدّة. نظيرُ الذي يجب بعزم عقدة النكاح فيها . وفي تفريق الله تعالى ذكره بين حكميهما في ذلك ، الدلالة الواضحة على افتراق أحكام ذلك في القذف .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بذلك : علم الله أنكم ستذكرون المعتدّات في عددهن بالخطبة في أنفسكم وبألسنتكم ، كما : –

٥١٣٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن يزيد بن إبراهيم ، عن الحسن : « علم الله أنكم ستذكرونهن » ، قال : الخطبة .

---

(١) قوله : « لها » متعلق بقوله : « التعريض » ، أي : التعريض لها ، وسياق هذه الجملة والتي تليها : « وفي إباحة الله تعالى ذكره . . . ما أبان عن افتراق حكم التعريض » . وقوله : « منه » في الجملة التالية ، أي : افتراق حكم التعريض من حكم التصريح .

٥١٣٤ ــ حدثني أبو السائب سلم بن جنادة قال، حدثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد في قوله : « لا جناح عليكم فيما عرَّضتم به من خطبة النساء » ، قال : ذكرك إياها في نفسك. قال : فهو قول الله : « علم الله أنكم ستذكرونهن ».

٥١٣٥ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن أبي زائدة ، عن يزيد بن إبراهيم ، عن الحسن في قوله : « علم الله أنكم ستذكرونهن » ، قال : هي الخطبة .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَلَـٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في معنى « السر » الذي نهى الله تعالى عباده عن مواعدة المعتدات به .

فقال بعضهم: هو الزِّنا .

* ذكر من قال ذلك :

٥١٣٦ ــ حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا همام ، عن صالح الدهان، عن جابر بن زيد: « ولكن لا تواعدوهن سرًّا» ، قال : الزنا.[1]

٥١٣٧ ــ حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن أبي مجلز قوله : « ولكن لا تواعدوهن سرًّا » ، قال : الزنا.

٥١٣٨ ــ حدثنا ابن بشار قال، حدثنا يحيى قال ، حدثنا سليمان التيمي ، عن أبي مجلز مثله .

٥١٣٩ ــ حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ،

---

(١) الأثر : ٥١٣٦ ــ « صالح الدهان » ، هو صالح بن إبراهيم الدهان الجهني ، أبو نوح . وهو ثقة . ترجم في الجرح والتعديل ٢/١/٣٩٣ ، وانظر التهذيب ٤ : ٣٨٨ . وجابر بن زيد الأزدي أبو الشعثاء . مترجم في التهذيب ، روى عن ابن عباس وابن عمر وابن الزبير . مات سنة ٩٣ .

عن سليمان التيمى ، عن أبى مجلز مثله .

٥١٤٠ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن أبى مجلز : « ولكن لا تواعدوهن سرًّا » ، قال : الزنا = قيل لسفيان التيمى : ذكره؟ قال : نعم .

٥١٤١ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا المعتمر ، عن أبيه ، عن رجل ، عن الحسن فى المواعدة مثل قول أبى مجلز .

٥١٤٢ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن ، قال ، حدثنا يزيد ابن إبراهيم ، عن الحسن قال : الزنا .

٥١٤٣ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا يحيى قال، حدثنا أشعث وعمران ، عن الحسن مثله .

٥١٤٤ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن ويحيى قالا ، حدثنا سفيان، عن السدى قال : سمعت إبراهيم يقول : « لا تواعدوهن سرًّا » ، قال : الزنا .

٥١٤٥ – حدثنى أحمد بن حازم قال،حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن السدى ، عن إبراهيم مثله .

٥١٤٦ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة فى قوله : « لا تواعدوهن سرًّا »، قال : الزنا .

٥١٤٧ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن أبى زائدة ، عن يزيد بن إبراهيم ، عن الحسن : « ولكن لا تواعدوهن سرًّا »، قال : الزنا .

٥١٤٨ – حدثنى المثنى قال : حدثنا سويد قال،أخبرنا ابن المبارك،عن معمر ، عن قتادة ، عن الحسن فى قوله : « ولكن لا تواعدوهن سرًّا »، قال : الفاحشة .

٥١٤٩ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك = وحدثنى يحيى بن أبى طالب قال ، أخبرنا يزيد بن هرون قال، أخبرنا جويبر عن الضحاك : « لا تواعدوهن سرًّا »، قال : السر الزنا .

٥١٥٠ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « لا تواعدوهن سرًّا »، قال : فذلك السرُّ الرِّيبة .[1] كان الرجل يدخل من أجل الرِّيبة وهو يعرض بالنكاح ، فنهى الله عن ذلك إلاَّ من قال معروفاً . ٢/٣٢٤

٥١٥١ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا منصور عن الحسن = وجويبر، عن الضحاك وسليمان التيمي ، عن أبي مجلز : أنهم قالوا : الزنا .

٥١٥٢ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « ولكن لا تواعدوهن سرًّا » ، للفحش والخَضْعِ من القول.[2]

٥١٥٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر، عن قتادة، عن الحسن: « ولكن لا تواعدوهن سرًّا»، قال: هو الفاحشة .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك لا تأخذوا ميثاقهنّ وعهودهن في عددهن أن لا ينكحن غيركم.

* ذكر من قال ذلك :

٥١٥٤ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية ابن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس: « لا تواعدوهن سرًّا » ، اقول : لا تقل لها : « إني عاشق ، وعاهديني أن لا تتزوجي غيري » ، ونحو هذا.

٥١٥٥ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير في قوله: « لا تواعدوهن سرًّا » ، قال :

---

(١) في المطبوعة : « الزنية » في هذا الموضع والذي يليه ، والصواب من المخطوطة . والريبة (بكسر الراء) : الشك والظنة والتهمة ، وهو كناية عن كل أمر قبيح يرتاب فيه وفي صاحبه .

(٢) الخضع (بفتح فسكون) مصدر خضع الرجل : ألان الكلام للمرأة : وقد ضبط في المخطوطة بضم الخاء ، ولم أجده . و « خضع » من باب « نفع » ، نص على ذلك صاحب معيار اللغة . وفي حديث عمر أن رجلا في زمانه مر برجل وامرأة قد خضعا بينهما حديثاً فضربه حتى شجه ، فرفع إلى عمر

لا يُقاضيها على كذا وكذا أن لا تتزوج غيره[١] .

٥١٥٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر . ومجاهد وعكرمة قالوا : لا يأخذ ميثاقها فى عدتها أن لا تتزوج غيره .

٥١٥٧ – حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن منصور قال : ذكر لى عن الشعبي أنه قال فى هذه الآية : « لا تواعدوهن سرًّا » ، قال: لا تأخذ ميثاقها أن لا تنكح غيرك.

٥١٥٨ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن عمرو، عن منصور ، عن الشعبي : « ولكن لا تواعدوهن سرًّا » ، قال : لا يأخذ ميثاقها فى أن لا تتزوج غيره .

٥١٥٩ – حدثني يعقوب قال،حدثنا هشيم قال ، أخبرنا إسمعيل بن سالم ، عن الشعبي قال : سمعته يقول فى قوله : « لا تواعدوهن سرًّا » قال : لا تأخذ ميثاقها أن لا تنكح غيرك ، ولا توجب العقدة حتى تنقضى العدة.[٢]

٥١٦٠ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن الشعبي : « لا تواعدوهن سرًّا » ، قال : لا يأخذ عليها ميثاقاً أن لا تتزوج غيره .

٥١٦١ – حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى: « ولكن لاتواعدوهن سرًّا »،يقول: « أمسكى علىّ نفسك،فأنا أتزوج »= ويأخذ عليها عهداً = : « لا تنكحى غيرى ».[٣]

فأهدره » أى : لينا بينهما الحديث، وتكلما بما يطمع كلا منهما فى الآخر . وسيأتى « خضع القول » أيضاً فى تفسيره ٢٢ : ٣ (بولاق) ، وسيأتى أيضاً فى الأثر رقم : ٥١٦٢

(١) فى المطبوعة : « لا يقاصها » ، وهو كذلك فى المخطوطة غير منقوط ، وصواب قراءته ما أثبت . قاضاه على الأمر : فصل فيه وأبرمه وحتمه وفرغ منه . وفى كتاب صلح الحديبية : « هذا ما قاضى عليه محمد . . . » وهو شبيه بالمعاهدة .

(٢) فى المطبوعة : « ولا يوجب العقدة » ، وفى المخطوطة غير منقوطة ، والصواب ما أثبت .

(٣) فى المطبوعة : « ويأخذ عليها عهداً أن لا تنكحى » . . . « بزيادة « أن » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، فهو الصواب الجيد .

٥١٦٢ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة: « ولكن لا تواعدوهن سرًّا » ، قال: هذا فى الرجل يأخذ عهد المرأة وهى فى عدتها أن لا تنكح غيره، فنهى الله عن ذلك وقدّم فيه، وأحل الخِطبة والقول بالمعروف ، ونهى عن الفاحشة والخضْع من القول. (١)

٥١٦٣ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا مهران = وحدثنى على قال، حدثنا زيد = جميعاً ، عن سفيان: « ولكن لا تواعدوهن سرًّا » ، قال : أن تواعدها سرًّا على كذا وكذا ، « على أن لا تنكحى غيرى » .

٥١٦٤ – حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد فى قوله : « لا تواعدوهن سرًّا » ، قال : مواعدة السر أن يأخذ عليها عهداً وميثاقاً أن تحبس نفسها عليه ، ولا تنكح غيره.

٥١٦٥ – حدثنا الحسن بن يحيى قال : أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد بنحوه .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك: أن يقول لها الرجل : « لا تسبقينى بنفسك ».

* ذكر من قال ذلك :

٥١٦٦ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « ولكن لا تواعدوهن سرًّا » ، قال : قول الرجل للمرأة : « لا تفوتينى بنفسك ، فإنى ناكحك »، هذا لا يحلّ .

٥١٦٧ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : هو قول الرجل للمرأة : « لا تفوتينى » .

٥١٦٨ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد : « ولكن لا تواعدوهن سرًّا » ، قال : المواعدة أن يقول: « لا تفوتينى بنفسك » .

---

(١) انظر التعليق على الأثر السالف : ٥١٥٢

٥١٦٩ – حدثنا المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد : « ولكن لا تواعدوهن سرًّا » ، أن يقول : « لا تفوتيني بنفسك » .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولا تنكحوهن فى عدتهن سرًّا .

* ذكر من قال ذلك :

٥١٧٠ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : «ولكن لا تواعدوهن سرًّا». يقول: لاتنكحوهن سرًّا، ثم يمسكها، حتى إذا حلّت أظهرتَ ذلك وأدخلتَها .

٥١٧١ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ولكن لا تواعدوهن سرًّا »، قال : كان أبي يقول : « لا تواعدوهن سرًّا » ، ثم تمسكها وقد ملكت عقدة نكاحها ، فإذا حلّت أظهرتَ ذلك وأدخلتَها .

٢/٣٢٥ قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب فى تأويل ذلك. تأويلُ من قال : « السر » ، فى هذا الموضع ، الزنا . وذلك أن العرب تسمى الجماعَ وغشيان الرجل المرأة « سرًّا » ، لأن ذلك مما يكون بين الرجال والنساء فى خفاء غير ظاهر مطّلَع عليه ، فيسمى لخفائه « سرًّا » ، من ذلك قول رؤبة بن العجاج :

فَعَفَّ عَنْ أَسْرَارِهَا بَعْدَ الغَسَقْ وَلَمْ يُضِعْهَا بَيْنَ فِرْكٍ وَعَشَقْ(١)

يعنى بذلك : عف عن غشيانها بعد طول ملازمته ذلك ، ومنه قول الحطيئة :

---

(١) ديوانه : ١٠٤ ، واللسان (عسق) (عشق) (فرك) (سرر) ، وفى اللسان فى بعض مواده « إسرارها » بالكسر ، وهو خطأ ، وفى بعضها « الغسق » ، وهو خطأ أيضاً . والأسرار جمع سر . والعسق ، مصدر « عسق به يعسق » : لزمه وأولع به . والفرك (بكسر الفاء وسكون الراء) بغضة الرجل امرأته ، أو بغضة امرأته له . وامرأة فارك وفروك ، تكره زوجها . ورجل مفرك (بتشديد الراء) . لا يخلى عند النساء . والعشق (بكسر فسكون) والعشق (بفتحتين) مصدر « عشق يعشق » . والضمير فى قوله : « فعف » . عائد إلى حمار الوحش الذى يصفه ويصف أتنه والضمير فى « أسرارها » عائد إلى الأتن .

وَيُحْرَمُ سِرُّ جَارَتِهِمْ عَلَيْهِمْ وَيَأْكُلُ جَارُهُمْ أَنْفَ القِصَاعِ (١)

وكذلك يقال لكل ما أخفاه المرء فى نفسه : « سرًّا » . ويقال : « هو فى سر قومه »، يعنى : فى خيارهم وشرفهم .

فلما كان « السر » إنما يوجه فى كلامها إلى أحد هذه الأوجه الثلاثة ، وكان معلوماً أن أحدهن غير معنىٍّ به قوله : « ولكن لا تواعدوهن سرًّا » ، وهو السر الذى هو معنى الخيار والشرف = فلم يبق إلا الوجهان الآخران ، وهو « السر » الذى بمعنى ما أخفته نفس المواعد بين المتواعدين ، (٢) « والسر » الذى بمعنى الغشيان والجماع .

فلما لم يبق غيرهما ، وكانت الدلالة واضحة على أن أحدهما غير معنىٍّ به ، صحّ أن الآخر هو المعنىُّ به .

* * *

فإن قال [قائل] : (٣) فما الدلالة على أن مواعدة القول سرًّا، غير معنىٍّ به = على ما قال من قال إن معنى ذلك : أخذُ الرجل ميثاق المرأة أن لا تنكح غيره ، أو على ما قال من قال : قول الرجل لها : « لا تسبقينى بنفسك » ؟

قيل : لأن « السر » إذا كان بالمعنى الذى تأوّله قائلو ذلك ، فلن يخلو ذلك « السر » من أن يكون هو مواعدة الرجل المرأة ومسألته إياها أن لا تنكح غيره = أو

---

(١) ديوانه : ٩٣ ، واللسان (أنف) يمدح بنى رياح وبنى كليب من بنى يربوع . أنف كل شىء : طرفه وأوله . والقصاع جمع قصعة : وهى الجفنة الضخمة . يذكر عفتهم وحفاظهم وامتناعهم من انتهاك حرمة الجارة ، واقتراف الإثم فى حقها ، ويصف كرمهم وإيثارهم جارهم بالطعام على أنفسهم ، فلا يتقدمونه إلى الطعام حتى يأخذ منه ما يشتهى وما يكفيه . وقبل البيت :

فَلَيْسَ الجَارُ جَارُ بَنِى رِيَاحٍ بِمُقْصًى فى المَحَلِّ وَلَا مُضَاعِ
هُمُ صَنَعُوا لِجَارِهِمُ ، وليست يَدُ الخَرْقَاءِ مِثْلَ يَدِ الصَّنَاعِ

(٢) فى المطبوعة : « نفس المواعدين المتواعدين » ، والصواب من المخطوطة .

(٣) هذه الزيادة استظهرتها من مئات أشباهها مضت .

يكون هو النكاح الذى سألها أن تجيبه إليه، بعد انقضاء عدتها ، وبعد عقده له ، دون الناس غيره . فإن كان «السر» الذى نهى اللهُ الرجلَ أن يواعد المعتدّات ، هو أخذُ العهد عليهن أن لا ينكحن غيرَه، فقد بطل أن يكون « السرُّ » معناه : ما أخفى من الأمور فى النفوس ، أو نطق به فلم يطّلَع عليه ، وصارت العلانية من الأمر سرًّا . وذلك خلاف المعقول فى لغة من نزل القرآن بلسانه .

إلا أن يقول قائل هذه المقالة : إنما نهى الله الرجالَ عن مواعدتهن ذلك سرًّا بينهم وبينهن ، لا أن نفس الكلام بذلك — وإن كان قد أعلن — سرٌّ .

فيقال له إن قال ذلك : فقد يجبُ أن تكون جائزة مواعدتهن النكاحَ والخطبة صريحاً علانية ، إذ كان المنهىُّ عنه من المواعدة ، إنما هو ما كان منها سرًّا .

فإن قال : إن ذلك كذلك ، خرج من قول جميع الأمة . على أنّ ذلك ليس من قِيل أحد ممن تأول الآية أن « السر » ها هنا بمعنى المعاهدة أن لا تنكح غير المعاهد .

وإن قال : ذلك غير جائز .

قيل له : فقد بطل أن يكون معنى ذلك : إسرارُ الرجل إلى المرأة بالمواعدة . لأن معنى ذلك ، لو كان كذلك ، لم يحرِّم عليه مواعدتها مجاهرة وعلانية . وفى كون ذلك عليه محرَّماً سرًّا وعلانية ، ما أبان أنّ معنى « السر » فى هذا الموضع ، غير معنى إسرار الرجل إلى المرأة بالمعاهدة أن لا تنكح غيره إذا انقضت عدتها = أو يكون ، إذا بطل هذا الوجهُ ، معنى ذلك : الخطبة والنكاحُ الذى وعدت المرأة الرجل أن لا تعدوَه إلى غيره . فذلك إذا كان، فإنما يكون بولىّ وشهود علانية غير سرّ . وكيف يجوز أن يسمى سرًّا ، وهو علانية لا يجوز إسراره ؟

وفى بطول هذه الأوجه أن تكون تأويلا لقوله : « ولكن لا تواعدوهن سرًّا » بما عليه دللنا من الأدلة ، وضوحُ صحة تأويل ذلك أنه بمعنى الغِشيان والجماع .

وإذْ كان ذلك صحيحاً ، فتأويل الآية: ولا جناح عليكم، أيها الناس، فيما

عرَّضتم به للمعتدات من وفاة أزواجهن، من خطبة النساء، وذلك حاجتُكم إليهن ؛ فلم تصرِّحوا لهنّ بالنكاح والحاجة إليهن، إذ أكننتم فى أنفسكم ، فأسررتم حاجتكم إليهن وخِطبتكم إياهن فى أنفسكم، ما دُمْن فى عددهن ؛ علم الله أنكم ستذكرون خِطبتهن وهن فى عددهن ، فأباح لكم التعريض بذلك لهن ، وأسقط الحرَج عما أضمرته نفوسكم — حكمٌ منه —[1] ولكن حرَّم عليكم أن تواعدوهن جماعاً فى عددهن ، بأن يقول أحدكم لإحداهن فى عدتها : « قد تزوجتك فى نفسى ، وإنما أنتظر انقضاء عدتك » ، فيسألها بذلك القول إمكانه من نفسها الجماعَ والمباضَعة ، فحرَّم الله تعالى ذكره ذلك .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً ﴾

قال أبو جعفر : ثم قال تعالى ذكره : « إلا أن تقولوا قولا معروفاً » ، فاستثنى القولَ المعروفَ مما نهى عنه من مواعدة الرَّجل المرأة السرَّ ، وهو من غير جنسه ، ولكنه من الاستثناء الذى قد ذكرت قبل : أنه يأتى بمعنى خلاف الذى قبله فى الصِّفة خاصة، وتكون « إلا » فيه بمعنى «لكن»،[2] فقوله : « إلاّ أن تقولوا قولا معروفاً» منه — ومعناه : ولكن قولوا قولاً معروفاً . فأباح الله تعالى ذكره أن يقول لها المعروف من القول فى عدتها ، وذلك هو ما أذن له بقوله : « ولا جناح عليكم فيما عرَّضتم به من خطبة النساء » ، كما : — ٣٢٦/٢

٥١٧٢ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير : « إلا أن تقولوا

(١) فى المطبوعة : « حلما منه » ، وأثبت صواب ما فى المخطوطة .
(٢) انظر ما سلف ٢ : ٢٦٣ — ٢٦٥ / ثم ٣ : ٢٠٤ — ٢٠٦ .

قولاً معروفاً » ، قال : يقول : إنّي فيك لراغب ، وإنّي لأرجو أن نجتمع .

٥١٧٣ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ابن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « إلاّ أن تقولوا قولا معروفاً » ، قال : هو قوله : « إن رأيت أن لا تسبقيني بنفسك » .

٥١٧٤ – حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد : « إلا أن تقولوا قولاً معروفاً » ، قال : يعني التعريض .

٥١٧٥ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « إلا أن تقولوا قولا معروفاً » ، قال : يعني التعريض .

٥١٧٦ – حدثني موسى قال : حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « ولاجناح عليكم فيما عرّضتم به من خطبة النساء » إلى « حتى يبلغ الكتاب أجله » ، قال : هو الرجل يدخل على المرأة وهي في عدتها فيقول : « والله إنكم لأكفاءٌ كرامٌ وإنكم لرَغبة ،[1] وإنك لتعجبيني ، وإن يقدّر شيء يكُن » ، فهذا القول المعروف .

٥١٧٧ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا مهران = وحدثني علي قال ، حدثنا زيد – قالا جميعاً ، قال سفيان : « إلا أن تقولوا قولاً معروفاً » ، قال يقول : « إني فيك لراغب ، وإني أرجو إن شاء الله أن نجتمع » .

٥١٧٨ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « إلا أن تقولوا قولاً معروفاً » ، قال يقول : « إن لك عندي كذا ، ولك عندي كذا ، وأنا معطيك كذا وكذا » . قال : هذا كله وما كان قبل أن يعقد عقدة النكاح ،

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « لرعة » ، وهي في المخطوطة غير منقوطة ، وقرأتها كذلك – لأنه أوفق ، ولأني لم أجد لقوله « رعة » معنى . وسمى المرأة « رغبة » ، كما يسميها « هوى » بالمصدر ، أي : يرغب فيك . ومنه الرغيبة : وهو الشيء المرغوب فيه .

فهذا كله نسخه قوله : « ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتابُ أجله » .

٥١٧٩ — حدثني يحيى بن أبي طالب قال، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك : « إلا أن تقولوا قولا معروفاً » ، قال : المرأة تطلَّق أو يموت عنها زوجُها ، فيأتيها الرجل فيقول: «احبسي عليّ نفسك، فإن لي بك رغبة» ، فتقول: « وأنا مثل ذلك »، فتتوق نفسه لها . [1] فذلك القول المعروفُ .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ﴾

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بقوله : « ولا تعزموا عقدة النكاح » ، ولا تُصحِّحوا عقدة النكاح في عدة المرأة المعتدة، فتوجبوها بينكم وبينهن وتعقدوها قبل انقضاء العدة = « حتى يبلغ الكتاب أجله » ، يعني : يبلغن أجل الكتاب الذي بيَّنه الله تعالى ذكره بقوله: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ ، فجعل بلوغ الأجل للكتاب ، والمعنى للمتناكحين ، أن لا ينكح الرجلُ المرأة المعتدة، فيعزم عقدة النكاح عليها حتى تنقضي عدتها ، فيبلغ الأجل الذي أجَّله الله في كتابه لانقضائها ، كما : —

٥١٨٠ — حدثنا محمد بن بشار وعمرو بن علي قالا ،حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان = وحدثنا الحسن بن يحيى قال ، حدثنا عبد الرزاق ، عن الثوري = عن ليث ، عن مجاهد : « حتى يبلغ الكتاب أجله » ، قال : حتى تنقضي العدة .

٥١٨١ — حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن

---

(١) في المخطوطة : « فتوتق نفسه لها » ، ولم أجدها في مكان آخر ، والذي في المطبوعة لا بأس به ، وهو قريب الدلالة على المعنى .

السدى قوله : « حتى يبلغ الكتاب أجله » ، قال : حتى تنقضى أربعة أشهر وعشر .

٥١٨٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « حتى يبلغ الكتاب أجله » ، قال : حتى تنقضى العدة .

٥١٨٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

٥١٨٤ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « حتى يبلغ الكتاب أجله » ، قال : حتى تنقضى العدة .

٥١٨٥ — حدثنى القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس قوله : « ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله » ، قال : حتى تنقضى العدة .

٥١٨٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك قوله : « حتى يبلغ الكتاب أجله » ، قال : لا يتزوجها حتى يخلوَ أجلها .(١)

٥١٨٧ — حدثنا عمرو بن على قال ، حدثنا أبو قتيبة قال ، حدثنا يونس ابن أبى إسحق ، عن الشعبى فى قوله : « ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله » ، قال : مخافة أن تتزوج المرأة قبل انقضاء العدة .(٢)

٥١٨٨ — حدثنا عمرو بن على قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلُغ الكتاب أجله » ، حتى تنقضى العدة . ٣٢٧/٢

٥١٨٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا مهران = وحدثنى على قال ، حدثنا زيد = جميعاً ، عن سفيان قوله : « حتى يبلغ الكتاب أجله » ، قال : حتى تنقضى العدة .

* * *

(١) خلا الشىء يخلو خلواً : مضى وانقضى .

(٢) الأثر : ٥١٨٧ — « أبو قتيبة » ، هو : سلم بن قتيبة الشعيرى ، أبو قتيبة الخراسانى .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (٢٣٥)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك: واعلموا، أيها الناس، أن الله يعلم ما فى أنفسكم من هواهُنَّ ونكاحهنَّ وغير ذلك من أموركم، فاحذروه . يقول: فاحذروا الله واتقوه فى أنفسكم أن تأتوا شيئاً مما نهاكم عنه، من عزم عُقدة نكاحهن، أو مواعدتهن السر فى عِددهن، وغير ذلك مما نهاكم عنه فى شأنهنَّ فى حال ما هُنَّ مُعْتدَّات، وفى غير ذلك = «واعلموا أن الله غفور»، [1] يعنى : أنه ذو ستر لذنوب عباده وتغطيةٍ عليها، فيما تكنه نفوس الرجال من خطبة المعتدات، وذكرهم إياهنَّ فى حال عِددهنَّ، وفى غير ذلك من خطاياهم = وقوله : «حليم» ، يعنى : أنه ذو أناة لا يعجَلُ على عباده بعقوبتهم على ذنوبهم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : «لا جناح عليكم» ، لا حرج عليكم إن طلقتم النساء. [2] يقول: لاحرج عليكم فى طلاقكم نساءَكم وأزواجَكم ،

«ثقة ، ليس به بأس ، يكتب حديثه» ، مات سنة ٢٠١ . مترجم فى التهذيب .

(١) انظر «غفور» فيما سلف ، فى فهارس اللغة فى الأجزاء السالفة .

(٢) انظر تفسير «الجناح» فيما سلف ٣ : ٢٣٠ ، ٢٣١/ثم ٤ : ١٦٢، ٥٦٦/ ثم ٥ : ٧١

= « ما لم تُماسُّوهن »،[١] يعنى بذلك : ما لم تجامعوهن .

* * *

« والمماسَّة »، فى هذا الموضع ، كناية عن اسم الجماع ، كما : —

٥١٩٠ — حدثنا حميد بن مسعدة قال ، حدثنا يزيد بن زريع = وحدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا محمد بن جعفر = قالا جميعاً ، حدثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد ابن جبير قال ، قال ابن عباس : المسُّ الجماع ، ولكن الله يكنى ما شاء بما شاء .[٢]

٥١٩١ — حدثنى المثنى قال : حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قال : المس النكاح .

* * *

قال أبو جعفر : وقد اختلفت القرأة فى قراءة ذلك.[٣] فقرأته عامة قرأة أهل الحجاز والبصرة : « ما لم تَمسُّوهن » بفتح « التاء » من « تمسوهن »، بغير « ألف » ، من قولك : « مَسِسْتُه أمَسُّه مسًّا ومَسِيساً ومِسِّيسَى » مقصور مشدد غير مجرًى . وكأنهم اختاروا قراءة ذلك ، إلحاقاً منهم له بالقراءة المجتمع عليها فى قوله : ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ [سورة آل عمران : ٤٧/سورة مريم : ٢٠] .

* * *

وقرأ ذلك آخرون : « ما لم تُماسُّوهن »، بضم « التاء والألف » بعد « الميم » ، إلحاقاً منهم ذلك بالقراءة المجمع عليها فى قوله : ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ﴾ [سورة المجادلة : ٣] ، وجعلوا ذلك بمعنى فعل كل واحد من الرجل والمرأة بصاحبه من قولك : « ماسست الشىء أماسُّه مُماسَّة ومِساساً » .[٤]

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة ، نص الآية « تمسوهن » ، وفى التفسير « تماسوهن » ، وهذا دليل على أنها كانت قراءة الطبرى فى أصله ، أما قراءة كاتب النسخة المخطوطة ، وقراءتنا فى مصحفنا هذا ، فهى « تمسوهن » ، وسيذكر الطبرى القراءتين .

(٢) فى المطبوعة : « ما يشاء بما شاء » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « وقد اختلف القراء »، وأثبت ما فى المخطوطة . والقرأة (بفتحات) جمع قارىء .

(٤) ليس فى المطبوعة : « أماسه » وزدتها فى المخطوطة .

* * *

قال أبو جعفر : والذى نرى فى ذلك ، أنهما قراءتان صحيحتا المعنى ، متفقتا التأويل ، وإن كان فى إحداهما زيادة معنى ، غيرُ موجبة اختلافاً فى الحكم والمفهوم .

وذلك أنه لا يجهل ذو فهم إذا قيل له : « مسست زوجتى » ، أن الممسوسة قد لاقى من بدنها بدن الماسّ ، ما لاقاه مثله من بدن الماس . فكل واحد منهما = وإن أفرِد الخبرُ عنه بأنه الذى ماسّ صاحبه =[1] معقولٌ بذلك الخبر نفسه أن صاحبه الممسوس قد ماسَّه .[2] فلا وجه للحكم لإحدى القراءتين = مع اتفاق معانيهما ، وكثرة القرأة بكل واحدة منهما = [3] بأنها أولى بالصواب من الأخرى ، بل الواجب أن يكون القارئ ، بأيتهما قرأ ، مصيبَ الحقّ فى قراءته .

* * *

قال أبو جعفر : وإنما عنى الله تعالى ذكره بقوله : «لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسُّوهن » ، المطلقات قبل الإفضاء إليهن فى نكاح قد سُمى لهن فيه الصداق . وإنما قلنا أن ذلك كذلك ، لأنّ كل منكوحة فإنما هى إحدى اثنتين : إما مسمًّى لها الصداقُ ، أو غير مسمًّى لها ذلك . فعلمنا بالذى يتلو ذلك من قوله تعالى ذكره ، أنّ المعنيةَ بقوله : « لا جناحَ عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسُّوهن » ، إنما هى المسمَّى لها . لأن المعنية بذلك ، لو كانت غيرَ المفروض لها الصداق ، لمْ كان لقوله : « أو تفرضوا لهن فريضةً » ، معنى معقول . إذ كان لا معنى لقول قائل : « لا جناح عليكم إذا طلقتم النساء ما لم تفرضوا لهن فريضة فى نكاح لم تُماسُّوهن فيه ، أو ما لم تفرضوا لهن فريضة » . فإذ كان لا معنى لذلك ، فمعلوم أن الصحيح من التأويل فى ذلك : لا جناح عليكم إن طلقتم المفروضَ لهن من نسائكم الصداقُ قبل أن تماسوهن ، وغير المفروض لهن قبل الفرض . * * *

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « ماس صاحبه » ، والأجود أن يقول : « مس صاحبه » .

(٢) فى المخطوطة : « فذلك الخبر نفسه » ، وفى المطبوعة : « كذلك الخبر . . . » ، وكلتاهما فاسدة مسلوبة المعنى .

(٣) فى المطبوعة : « وكثرة القراءة » ، وهو فاسد ، والقرأة جمع قارىء كما سلف .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « أو تفرضوا لهن »، أو توجبوا لهن . وبقوله : « فريضة » ، صداقاً واجباً ، كما : —

٥١٩٢ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على، عن ابن عباس : « أو تفرضوا لهن فريضة »، قال: الفريضة الصداق.

* * *

وأصل « الفرض » الواجب ،[١] كما قال الشاعر :

كَانَتْ فَرِيضَةُ مَا أَتَيْتَ كَمَا كَانَ الزِّنَاءُ فَرِيضَةَ الرَّجْمِ[٢]

يعنى : كما كان الرجمُ الواجبَ من حدِّ الزنا . ولذلك قيل: « فرض السلطان لفلانٍ فى ألفين » ،[٣] يعنى بذلك: أوجب له ذلك ، ورزقه من الديوان .[٤] ٢/٣٢٨

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « ومتعوهن » ، وأعطوهن ما يتمتَّعن به من أموالكم ،[٥] على أقداركم ومنازلكم من الغنى والإقتار .

* * *

---

(١) انظر معنى « الفرض » فيما سلف ٤ : ١٢١

(٢) البيت للنابغة الجعدى ، وقد سلف تخريجه وتفسيره فى الجزء ٣ : ٣١١ ، ٣١٢/وفى الجزء ٤ : ٢٨٧

(٣) فى المطبوعة : « . . . لفلان ألفين » بإسقاط « فى » ، والصواب من المخطوطة .

(٤) رزق الأمير جنده : أعطاهم الرزق ، وهو العطاء الذى فرضه لهم . والديوان : الدفتر الذى يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء ، وأول من دون الدواوين عمر رضى الله عنه .

(٥) انظر معنى « المتاع » فيما سلف ١ : ٥٣٩ ، ٣/٥٤٠ : ٥٣ — ٥٥ .

ثم اختلف أهل التأويل فى مبلغ ما أمر الله به الرجال من ذلك .

فقال بعضهم : أعلاه الخادم ، ودون ذلك الوَرِق،[1] ودونه الكُسوة .

• ذكر من قال ذلك :

٥١٩٣ ــ حدثنا ابن بشار قال، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا سفيان ، عن إسمعيل ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : مُتعة الطلاق أعلاه الخادم، ودون ذلك الورِق ، ودون ذلك الكُسوة .

٥١٩٤ ــ حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا سفيان ، عن إسمعيل بن أمية ، عن عكرمة ، عن ابن عباس بنحوه .

٥١٩٥ ــ حدثنا أحمد قال،حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن داود ، عن الشعبي قوله : « ومتِّعوهن على الموسِع قدَره وعلى المقتر قدره » ، قلت له : ما أوسط متعة المطلقة ؟ قال : خِمارُها ودِرعها وجلبابها وملحفتها .

٥١٩٦ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعاً بالمعروف حقًّا على المحسنين» ، فهذا الرجل يتزوج المرأة ولم يُسمِّ لها صداقاً، ثم يطلقها من قبل أن ينكحها،فأمر الله سبحانه أن يمتِّعها على قدر عُسره ويُسره. فإن كان موسراً متَّعها بخادم أو شبه ذلك ، وإن كان معسراً متَّعها بثلاثة أثواب أو نحو ذلك .

٥١٩٧ ــ حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية ، عن داود ، عن الشعبي فى قوله : « ومتّعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره » ، قال : قلت للشعبي :ما وَسط ذلك ؟ قال: كسوتها فى بيتها، ودرعها وخمارها وملحفتها وجلبابها . قال الشعبي : فكان شريح يمتّع بخمسمئة .

---

(١) الورق (بفتح فكسر) : الدراهم المضروبة . والورق (بفتحتين) : المال الناطق من الإبل والغنم .

٥١٩٨ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا داود ، عن عامر : أن شريحاً كان يمتع بخمسمئة، قلت لعامر : ما وسَط ذلك ؟ قال : ثيابها فى بيتها ، درعٌ وخِمارٌ وملحفة وجلباب .

٥١٩٩ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا ابن أبى عدى ، عن داود ، عن عامر الشعبي أنه قال : وَسَطٌ من المتعة ثياب المرأة فى بيتها ، درعٌ وخمار وملحفة وجلباب .

٥٢٠٠ – حدثنا عمران بن موسى قال، حدثنا عبد الوارث قال ، حدثنا داود ، عن الشعبي : أن شريحاً متع بخمسمئة . وقال الشعبي : وسط من المتعة، درعٌ وخمارٌ وجلباب وملحفة .

٥٢٠١ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس فى قوله : « لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسُّوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتّعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعاً بالمعروف حقًّا على المحسنين»، قال: هو الرجل يتزوج المرأة ولا يسمّى لها صداقاً، ثم يطلقها قبل أن يدخل بها ، فلها متاعٌ بالمعروف ولا صداق لها. قال : أدنى ذلك ثلاثة أثواب، درع وخمار ، وجلبابٌ، وإزار .

٥٢٠٢ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة: « لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن » حتى بلغ «حقًّا على المحسنين»، فهذا فى الرجل يتزوج المرأة ولا يسمّى لها صداقاً ، ثم يطلقها قبل أن يدخل بها ، فلها متاعٌ بالمعروف ، ولا فريضة لها . وكان يقال : إذا كان واجداً فلا بد من متزر وجلباب ودرع وخمار .(١)

٥٢٠٣ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن أبى زائدة ، عن صالح بن صالح ، قال : سئل عامر : بكم يُمتّع الرجل امرأته؟ قال : على قدر ماله .

---

(١) الواجد : القادر ، الذي يجد ما يتزوج به أو ما شابه ذلك .

٥٢٠٤ ــ حدثني علي بن سهل قال، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا شعبة ، عن سعد بن إبراهيم قال : سمعت حميد بن عبد الرحمن بن عوف يحدِّث عن أمه قالت : كأني أنظر إلى جارية سوداء، حَمَّمها عبد الرحمن أمَّ أبي سلمة حين طلقها.[1] قيل لشعبة : ما « حمَّمها » ؟ قال : متَّعها.[2]

٥٢٠٥ ــ حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة، عن سعد بن إبراهيم ، عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أمه ، بنحوه ، عن عبد الرحمن بن عوف .

٥٢٠٦ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن ابن سيرين قال ، كان يمتِّع بالخادم ، أو بالنفقة أو الكسوة . قال : ومتَّع الحسن بن علي ــ أحسبُه قال : بعشرة آلاف .

٥٢٠٧ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن سعد بن إبراهيم : أن عبد الرحمن بن عوف طلق امرأته فمتَّعها بالخادم .

٥٢٠٨ ــ حدثت عن عبد الله بن يزيد المقرى ، عن سعيد بن أبي أيوب قال، حدثني عقيل ، عن ابن شهاب : أنه كان يقول في متعة المطلقة : أعلاه الخادم ، وأدناه الكسوة والنفقة . ويرى أنَّ ذلك على ما قال الله تعالى ذكره :

---

(١) في المطبوعة : « عبد الرحمن بن أم سلمة » وهو خلط فاحش ، والصواب ما أثبته من المخطوطة . وأبو سلمة هو عبد الله الأصغر بن عبد الرحمن بن عوف ، وأمه تماضر ابنة الأصبغ بن عمرو الكلبية ، وهي أول كلبية نكحها قرشي . وإخوة أبي سلمة لأمه تماضر : أحيح وخالد ومريم ، بنو خالد بن عقبة بن أبي معيط ، خلف عليها بعد عبد الرحمن بن عوف .

وكانت العرب تسمي المتعة : التحميم . وعدى « حممها » إلى مفعولين ، لأنه في معنى أعطاها إياها .

(٢) الأثر : ٥٢٠٤ ــ سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، رأى ابن عمر ، وروى عن أبيه وعميه حميد وأبي سلمة . مات سنة ١٢٧ ، مترجم في التهذيب . وأم حميد بن عبد الرحمن هي : أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط الأموية أخت عثمان بن عفان لأمه ، أسلمت قديماً ، وبايعت ، وحبست عن الهجرة إلى أن هاجرت سنة سبع في الهدنة . ولدت لعبد الرحمن بن عوف حميد بن عبد الرحمن وإبراهيم بن عبد الرحمن ، ورويا عنها . مترجمة في التهذيب وغيره .

« على الموسع قدره وعلى المقتر قدره ».

* * *

وقال آخرون : مبلغ ذلك — إذا اختلف الزوجُ والمرأة فيه — قدرُ نصف صداق مثل تلك المرأة المنكوحة بغير صداق مسمًّى فى عقده . وذلك قول أبى حنيفة وأصحابه . ٢/٣٢٩

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك ما قال ابن عباس ومن قال بقوله : من أنَّ الواجب من ذلك للمرأة المطلقة على الرجل على قَدْر عُسره ويُسره ، كما قال الله تعالى ذكره : « على الموسع قَدَره وعلى المقتر قدره » ، لا على قدر المرأة . ولو كان ذلك واجباً للمرأة على قدر صداق مثلها إلى قدر نصفه ، لم يكن لقيله تعالى ذكره : « على الموسع قدره وعلى المقتر قدره » ، معنى مفهوم = ولكان الكلام : ومتِّعوهن على قدرِهن وقدر نصف صَداق أمثالهن .

وفى إعلام الله تعالى ذكره عبادَه أن ذلك على قدر الرجل فى عسره ويسره ، لا على قدرها وقدر نصف صَداق مثلها ، ما يُبين عن صحة ما قلنا ، وفسادِ ما خالفه . وذلك أن المرأة قد يكون صَداقُ مثلها المال العظيم ، والرجل فى حال طلاقه إياها مقترٌ لا يملك شيئاً ، فإن قُضى عليه بقدر نصف صداق مثلها ، ألزِم ما يعجز عنه بعضُ من قد وُسِّع عليه ، فكيف المقدورُ عليه ؟[1] وإذا فُعل ذلك به ، كان الحاكمُ بذلك عليه قد تعدَّى حُكم قول الله تعالى ذكره : «على الموسع قدره وعلى المقتر قدره » — ولكن ذلك على قَدْر عُسر الرجل ويُسره ، لا يجاوز بذلك خادمٌ أو قيمتُها ، إن كان الزوج موسَّعاً . وإن كان مُقتِراً ، فأطاق أدنى ما يكون كسوة لها ، وذلك ثلاثة أثواب ونحو ذلك ، قُضى عليه بذلك . وإن كان عاجزاً عن ذلك ، فعلى قدر طاقته . وذلك على قدر اجتهاد الإمام العادل عند الخصومة إليه فيه .

* * *

(١) المقدور عليه : المضيق عليه رزقه . قدر عليه رزقه (بالبناء للمجهول) : ضيق .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « ومتِّعوهن » ، هل هو على الوجوب ، أو على الندب ؟

فقال بعضهم : هو على الوجوب ، يُقضى بالمتعة فى مال المطلِّق ، كما يقضى عليه بسائر الديون الواجبة عليه لغيره . وقالوا : ذلك واجب عليه لكل مطلقة ، كائنة من كانت من نسائه .

* ذكر من قال ذلك :

٥٢٠٩ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كان الحسن وأبو العالية يقولان : لكل مطلَّقة متاع ، دخل بها أو لم يدخل بها ، وإن كان قد فَرَض لها .

٥٢١٠ ــ حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن يونس : أن الحسن كان يقول : لكل مطلقة متاع ، وللتى طلَّقها قبل أن يدخل بها ولم يفرِض لها .

٥٢١١ ــ حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الوهاب قال، حدثنا أيوب ، عن سعيد بن جبير فى هذه الآية : ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة البقرة: ٢٤١] ، قال : لكل مطلَّقة متاعٌ بالمعروف حقًّا على المتقين .

٥٢١٢ ــ حدثنى يعقوب قال ، حدثنا ابن علية ، عن أيوب قال : سمعت سعيد بن جبير يقول : لكل مطلقة متاع .

٥٢١٣ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : كان أبو العالية يقول : لكل مطلقة مُتعة . وكان الحسن يقول : لكل مطلَّقة مُتعة .

٥٢١٤ ــ حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا أبو عامر قال، حدثنا قرة قال ، سئل الحسن عن رجل طلَّق امرأته قبل أن يدخل بها ، وقد فرض لها : هل لها متاعٌ ؟ قال الحسن : نعم والله ! فقيل للسائل = وهو أبو بكر الهذلى = أوَ ما تقرأ

هذه الآية : ﴿ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ ﴾ ؟ قال : نعم والله !

* * *

وقال آخرون : المتعة للمطلقة على زوجها المطلِّقها واجبة ، ولكنها واجبةٌ لكل مطلقة سوى المطلَّقة المفروض لها الصداق . فأما المطلقة المفروضُ لها الصداق إذا طُلِّقت قبل الدخول بها ، فإنها لا مُتعة لها ، وإنما لها نصف الصَّداق المسمَّى .

* ذكر من قال ذلك :

٥٢١٥ — حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا عبيد الله ، عن نافع : أن ابن عمر كان يقول : لكل مطلَّقة متعة ، إلا التى طلَّقها ولم يدخل بها ، وقد فرض لها ، فلها نصفُ الصَّداق ، ولا متعة لها .

٥٢١٦ — حدثنا تميم بن المنتصر قال ، أخبرنا عبد الله بن نمير ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر بنحوه .

٥٢١٧ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا ابن أبى عدى وعبد الأعلى ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب — فى الذى يطلق امرأته وقد فرض لها — أنه قال فى المتاع : قد كان لها المتاع فى الآية التى فى « الأحزاب » ،[1] فلما نزلت الآية التى فى « البقرة » ، جعل لها النصف من صداقها إذا سمَّى ، ولا متاعَ لها ، وإذا لم يُسمِّ فلها المتاع .

٥٢١٨ — حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا ابن أبى عدى وعبد الأعلى ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد نحوه .

٥٢١٩ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كان سعيد بن المسيب يقول : إذا لم يدخل بها جعَل لها فى « سورة

---

(١) ستأتى آية « سورة الأحزاب » بعد قليل فى الأثر رقم : ٥٢٢٠ .

الأحزاب » المتاع ، ثم أنزلت الآية التى فى « سورة البقرة » : ﴿ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ ﴾، فنسخت هذه الآية ما كان قبلها ، إذا كان لم يدخل بها ، وكان قد سمّى لها صداقاً ، فجعل لها النصفَ ولا متاع لها .

٥٢٢٠ ــ حدثنا ابن المثنى وابن بشار قالا ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب قال : نَسخت هذه الآيةَ : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ ﴾ [سورة الأحزاب: ٤٩] الآيةُ التى فى « البقرة » . ٣٣٠/٢

٥٢٢١ ــ حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن حميد ، عن مجاهد قال : لكل مطلقة متعة ، إلا التى فارقها وقد فرَض لها من قبل أن يدخل بها .

٥٢٢٢ ــ حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ــ فى التى يفارقها زوجُها قبل أن يدخل بها ، وقد فرض لها ، قال : ليس لها متعة .

٥٢٢٣ ــ حدثنى يعقوب قال، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا أيوب ، عن نافع قال : إذا تزوج الرجل المرأةَ وقد فرض لها، ثم طلقها قبل أن يدخل بها، فلها نصفُ الصداق ، ولا متاع لها . وإذا لم يفرض لها ، فإنما لها المتاع .

٥٢٢٤ ــ حدثنا يعقوب قال، حدثنا ابن علية قال ، سئل ابن أبى نجيح وأنا أسمعُ : عن الرجل يتزاوج ثم يطلّقها قبل أن يدخل بها ، وقد فرض لها ، هل لها متاع ؟ قال : كان عطاء يقول : لا متاعَ لها .

٥٢٢٥ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر - فى التى فرض لها ولم يدخل بها ، قال : إن طُلِّقت ، فلها نصف الصداق ولا مُتعة لها .

٥٢٢٦ - حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن إبراهيم : أن شريحاً كان يقول - فى الرجل إذا طلّق امرأته قبل أن يدخل بها ، وقد سمَّى لها صداقاً - قال : لها فى النصف متاعٌ .

٥٢٢٧ - حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا عبد الرحمن ، عن شعبة ، عن الحكم، عن إبراهيم، عن شريح قال : لها فى النصف متاع .

* * *

وقال آخرون: المتعة حق لكل مطلَّقة، غير أنّ منها ما يُقْضَى به على المطلِّق، ومنها ما لا يُقْضَى به عليه ، ويلزمه فيما بينه وبين الله إعطاؤه .

* ذكر من قال ذلك :

٥٢٢٨ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهرى قال : متعتان ، إحداهما يقضى بها السلطان ، والأخرى حق على المتقين: من طلَّق قبل أن يفرِض ويدخُل، فإنه يؤخذ بالمتعة ، فإنه لا صداق عليه . ومن طلَّق بعد ما يدخل أو يفرض ، فالمتعة حق .

٥٢٢٩ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى الليث ، عن يونس ، عن ابن شهاب ،قال الله : « لاجناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسُّوهن أو تفرضوا لهن فريضةً ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعاً بالمعروف حقًّا على المحسنين » ، فإذا تزوج الرجل المرأة ولم يفرض لها، ثم طلقها من قبل أن يمسَّها وقبل أن يفرِض لها، فليس عليه إلا متاعٌ بالمعروف ، يفرِضُ لها السلطان بقدر ، وليس عليها عدة . وقال الله تعالى ذكره : « وإن طلقتموهن من قبل أن تمسُّوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصفُ ما فرضتم »، فإذا طلق الرجل المرأة وقد

فرض لها ولم يمسَسْها ، فلها نصف صداقها ، ولا عِدة عليها .

٥٢٣٠ – حدثني محمد بن عبد الرحيم البرقي قال ، حدثنا عمرو بن أبي سلمة قال ، أخبرنا زهير ، عن معمر ، عن الزهري أنه قال : متعتان يقضى بإحداهما السلطان ، ولا يقضى بالأخرى : فالمتعة التي يقضى بها السلطان حقًّا على المحسنين ، والمتعة التي لا يقضى بها السلطان حقًّا على المتقين .(١)

* * *

وقال آخرون : لا يقضى الحاكم ولا السلطان بشيء من ذلك على المطلِّق ، وإنما ذلك من الله تعالى ذكره ندبٌ وإرشاد إلى أن تُمتَّع المطلَّقة .

* ذكر من قال ذلك :

٥٢٣١ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن الحكم : أن رجلا طلق امرأته ، فخاصمته إلى شُرَيح ، فقرأ هذه الآية ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة البقرة : ٢٤١] ، قال : إن كنت من المتقين ، فعليك المتعة . ولم يقض لها . قال شعبة : وجدته مكتوباً عندي عن أبي الضحى .

٥٢٣٢ – حدثني يعقوب قال ، حدثنا ابن علية ، عن أيوب ، عن محمد قال : كان شريحٌ يقول في متاع المطلقة ، لا تأبَ أن تكون من المحسنين ، لا تأبَ أن تكون من المتقين .

٥٢٣٣ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحق ، أن شريحاً قال للذي قد دخل بها : إن كنت من المتقين فمتِّع .

* * *

قال أبو جعفر : وكأن قائلي هذا القول ذهبوا في تركهم إيجابَ المتعة فرضاً

---

(١) الأثر : ٥٢٣٠ – عمرو بن أبي سلمة التنيسي أبو حفص الدمشقي ، مترجم في التهذيب و « زهير » ، هو : زهير بن محمد التميمي ، مترجم في التهذيب . قال أحمد في عمرو بن أبي سلمة : « روى عن زهير أحاديث بواطيل ، كأنه سمعها من صدقة بن عبد الله ، فغلط فقلبها عن زهير » . وكلاهما متكلم فيه .

للمطلقات، إلى أنّ قولَ الله تعالى ذكره: «حقًّا على المحسنين» ، وقوله : « حقًّا على المتقين » ، دلالة على أنها لو كانت واجبة وجوبَ الحقوق اللازمة الأموالَ بكل حال ، لم يُخصص المتقون والمحسنون بأنها حق عليهم دون غيرهم، بل كان يكون ذلك معموماً به كلُّ أحد من الناس.

وأما موجبوها على كل أحد سوى المطلقة المفروض لها الصداق، فإنهم اعتلُّوا بأن الله تعالى ذكره لما قال : « وللمطلقات متاعٌ بالمعروف حقًّا على المتقين » ، ٣٣١/٢
كان ذلك دليلاً على أن لكل مطلقة متاعاً سوى من استثناه الله تعالى ذكره في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم . فلما قال : « وإن طلّقتموهن من قبل أن تمسُّوهنّ وقد فرضتُم لهن فريضةً فنصفُ ما فرضتم »، كان في ذلك دليلٌ عندهم على أن حقها النصفُ مما فرض لها، لأن المتعة جعلها الله في الآية التي قبلها عندهم ، لغير المفروض لها . فكان معلوماً عندهم بخصوصِ الله بالمتعة غيرَ المفروض لها، أنّ حكمها غير حُكم التي لم يفرض لها إذا طلّقها قبل المسيس،[1] فيما لها على الزوج من الحقوق .

* * *

قال أبو جعفر : والذي هو أولى بالصواب من القول في ذلك عندي ، قولُ من قال : « لكل مطلّقة متعة » . لأن الله تعالى ذكره قال : « وللمطلقات متاعٌ بالمعروف حقًّا على المتقين » ، فجعل الله تعالى ذكره ذلك لكل مطلقة ، ولم يخصص منهم بعضاً دون بعض . فليس لأحد إحالةُ ظاهر تنزيل عام ، إلى باطن خاص ، إلا بحجة يجب التسليم لها.[2]

* * *

فإن قال قائل: فإن الله تعالى ذكره قد خصّ المطلقة قبل المسيس، إذا كان

---

(١) المسيس : المس ، مصدر « مس » ، كما سلف آنفاً ص : ١١٨

(٢) عند هذا الموضع ، انتهى التقسيم القديم الذي نقلت عنه مخطوطتنا ، وفيها بعد هذا ما نصه :

مفروضاً لها، بقوله: [١] « وإن طلقتموهنّ من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم » ، إذْ لم يجعل لها غيرَ النصف من الفريضة ؟[٢]

قيل : إن الله تعالى ذكره إذا دلّ على وجوب شيء فى بعض تنزيله ، ففى دلالته على وجوبه فى الموضع الذى دل عليه ، الكفايةُ عن تكريره ، حتى يدل على بُطول فرضه . وقد دلّ بقوله ، « وللمطلقات متاعٌ بالمعروف » ، على وجوب المتعة لكلّ مطلقةٍ ، فلا حاجة بالعباد إلى تكرير ذلك فى كل آية وسورة . وليس فى دلالته على أن للمطلقةِ قبلَ المسيس المفروضِ لها الصداقُ نصف ما فرض لها، دلالةٌ على بطول المتعة عنه . لأنه غير مستحيل فى الكلام لو قيل: « وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن[٣] وقد فرضتم لهن فريضةً فنصف مافرضتم» والمتعة.[٤] فلما لم يكن ذلك محالاً فى الكلام ، كان معلوماً أنّ نصف الفريضة إذا وجب لها ، لم يكن فى وجوبه لها نفى عن حقها من المتعة ، ولما لم يكن اجتماعهما للمطلقة محالاً = وكان الله تعالى ذكره قد دل على وجوب ذلك لها ، وإن كانت الدلالة على وجوب أحدهما فى آية غير الآية التى فيها الدلالة على وجوب الأخرى = ثبت وصحّ وجوبُهما لها .

هذا، إذا لم يكن على أنّ للمطلقة المفروض لها الصداق إذا طُلِّقت قبل

« وصلّى الله على محمّد وآله وصَحْبه وسلّم كثيراً »

ثم يبدأ بعده :

« بِسْمِ الله الرَّحمنِ الرَّحيم »

(١) فى المطبوعة : « قد خصص المطلقة . . . » وأثبت الصواب من المخطوطة .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « غير النصف الفريضة » ، والصواب زيادة « من » ، أو تكون « غير نصف الفريضة » ، بحذف الألف واللام من « النصف » .

(٣) فى المخطوطة : « تماسوهن » ، وقد أشرنا آنفاً ص : ١١٨ ، تعليق : ١ إلى أنها هى قراءة أبى جعفر ، وأنها كانت مثبتة هكذا فى أصله .

(٤) يعنى : بعطف « والمتعة » على قوله : « فنصف ما فرضتم » .

المسيس ، [١] دلالةٌ غير قول الله تعالى ذكره : « وللمطلقات متاعٌ بالمعروف » ، فكيف وفى قول الله تعالى ذكره : « لا جناحَ عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن » . الدلالةُ الواضحةُ على أن المفروض لها إذا طلقت قبل المسيس ، لها من المتعة مثلُ الذى لغير المفروض لها منها ؟ وذلك أن الله تعالى ذكره لما قال : « لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة » ، كان معلوماً بذلك أنه قد دلَّ به على حكم طلاق صِنفين من طلاق النساء : أحدهما المفروض له ، والآخر غيرُ المفروض له . وذلك أنه لما قال : « أو تفرضوا لهنّ فريضة » ، عُلم أن الصنف الآخر هو المفروضُ له ، وأنها المطلقةُ المفروضُ لها قبل المسيس . لأنه قال : « لا جُناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن » ، ثم قال تعالى ذكره : « ومتعوهن » ، فأوجبَ المتعة للصِّنفين منهن جميعاً ، المفروضِ لهنّ ، وغيرِ المفروض لهن . فمن ادَّعى أن ذلك لأحد الصنفين ، سئل البرهان على دعواه من أصل أو نظير ، ثم عُكس عليه القول فى ذلك . فلن يقول فى شىء منه قولاً إلا ألزم فى الآخر مثله .

* * *

قال أبو جعفر : وأرى أن المتعة للمرأة حق واجبٌ ، إذا طلقت ، على زوجها المطلِّقِها ، على ما بينا آنفاً — يؤخذ بها الزوج كما يؤخذ بصداقها ، لا يُبرئه منها إلا أداؤه إليها أو إلى من يقوم مقامها فى قبضها منه ، أو ببراءة تكون منها له . وأرى أن سبيلها سبيل صداقها وسائر ديونها قِبَله ، يحبس بها إن طلقها فيها ، [٢] إذا لم يكن له شىء ظاهر يباع عليه ، إذا امتنع من إعطائها ذلك .

وإنما قلنا ذلك ، لأن الله تعالى ذكره قال : « ومتعوهنَّ » ، فأمر الرجال أن يمتعوهن ، وأمرُه فرضٌ ، إلا أن يُبين تعالى ذكره أنه عنى به الندبَ والإرشاد ، لما

---

(١) فى المطبوعة : « المطلقة المفروض الصداق » بإسقاط « لها » ، والصواب من المخطوطة .
(٢) فى المطبوعة : « يحبس لها » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

قد بينا فى كتابنا المسمى ﴿ بلطيف البيان عن أصول الأحكام ﴾ ، لقوله : « وللمطلقات متاعٌ بالمعروف » . ولا خلاف بين جميع أهل التأويل أنّ معنى ذلك : وللمطلقات على أزواجهن متاع بالمعروف . وإذا كان ذلك كذلك ، فلن يبرأ الزوجُ مما لها عليه إلاّ بما وصفنا قبل ، من أداءٍ أو إبراءٍ على ما قد بيّنّا .

* * *

فإن ظن ذو غباء أن الله تعالى ذكره إذ قال : « حقًّا على المحسنين » و « حقًّا على المتقين» ، أنها غير واجبةٍ ، لأنها لو كانت واجبة لكانت على المحسِن وغير المحسن ، والمتّقِى وغير المتّقى = فإن الله تعالى ذكره قد أمرَ جميع خلقه بأن يكونوا من المحسنين ومن المتقين ، وما وجب من حقّ على أهل الإحسان والتُّقى ، فهو على غيرهم أوجب ولهم ألزم . ٢/٣٣٢

وبعد ، فإن فى إجماع الحجة على أن المتعة للمطلقة غير المفروض لها قبل المسيس واجبةٌ بقوله : « ومتعوهنّ » ، وجوبَ نصفِ الصداق للمطلقة المفروضِ لها قبل المسيس بقول الله تعالى ذكره : « فنصف ما فرضتم » ،[1] فيما أوجب لهما من

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « وجوب نصف الصداق للمطلقة المفروض لها قبل المسيس ، قال الله تعالى ذكره فيما أوجب لها من ذلك . . . » . وقد وقفت طويلا على هذه العبارة ، فلم يخلص لها معنى عندى ، ولم أستحل أن أدعها بغير بيان فسادها ، وإثبات صحة ما رأيته . ومراد الطبرى فى سياق هذا الاحتجاج الأخير الذى بدأه فى هذه الفقرة ، أن يتمم حجته فى رد قول من ظن أن المتعة غير واجبة ، لقوله تعالى : « حقاً على المحسنين » و « حقاً على المتقين » ، فقال : إن قول الله تعالى « ومتعوهن » قد أوجبت المتعة للمطلقة غير المفروض لها قبل المسيس ، كما أوجب قوله تعالى «فنصف ما فرضتم » ، نصف الصداق للمطلقة المفروض لها قبل المسيس — وهى الآية التى لم يذكر فيها : « حقاً على المحسنين » ولا « حقاً على المتقين » . فى إجماع الحجة على وجوب ذلك لهما ، الدليل الواضح على أن قوله تعالى : « وللمطلقات متاع بالمعروف » ، يوجب المتعة لكل مطلقة — « وإن كان قال : حقاً على المتقين » بعقب هذه الآية .

ثم بين هذه الحجة فى الفقرة التالية بياناً شافياً ، فقال إن إجماعهم على إيجاب المتعة للمطلقة غير المفروض لها بقوله : « ومتعوهن » مع تعقيب ذلك بقوله فى الآية : «حقاً على المحسنين » ، دليل على أن ذلك كذلك فى قوله : « وللمطلقات متاع بالمعروف » ، مع تعقيب ذلك بقوله : « حقاً على المتقين » ، فالمتعة واجبة لكل مطلقة ، كما وجبت فى الآية الأخرى .

من أجل هذا السياق الذى بينته ، رأيت أن نص المخطوطة والمطبوعة فاسد غير دال على معنى ، فاقتضى ذلك أن أجعل « قال الله تعالى ذكره » — « بقول الله تعالى ذكره » ، وأن أزيد بعدها : « فنصف ما فرضتم » ، وأن أجعل « فيما أوجب لها » — « فيما أوجب لهما » على التثنية . هذا ما رجح عندى وثبت وصح ، والحمد لله أولا وآخراً ، وكأنه الصواب فى أصل الطبرى إن شاء الله .

ذلك =[١] الدليلُ الواضح أن ذلك حق واجبٌ لكل مطلقة بقوله : « وللمطلَّقات متاعٌ بالمعروف » ، وإن كان قال : « حقًّا على المتقين » .

ومن أنكر ما قلنا فى ذلك ، سئل عن المتعة للمطلقة غير المفروض لها قبلَ المسيس . فإن أنكر وجوب ذلك خرج من قول جميع الحجة ،[٢] ونوظر مناظرتَنَا المنكرين فى عشرين ديناراً زكاة ، والدافعين زكاة العروض إذا كانت للتجارة ، وما أشبه ذلك.[٣] فإن أوجبَ ذلك لها ، سئل الفرق بين وجوب ذلك لها ، والوجوب لكل مطلَّقة ، وقد شرط فيما جعل لها من ذلك بأنه حق على المحسنين ، كما شرط فيما جعل للآخر بأنه حقٌّ على المتقين . فلن يقول فى أحدهما قولاً إلا ألزِم فى الآخر مثله .

* * *

قال أبو جعفر : وأجمع الجميع على أن المطلقة غيرَ المفروض لها قبل المسيس، لا شىء لها على زوجها المطلِّقها غير المتعة .

* ذكر بعض من قال ذلك من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم :

٥٢٣٤ — حدثنا أبو كريب ويونس بن عبد الأعلى قالا ، حدثنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عطاء، عن ابن عباس قال : إذا طلَّق الرجل امرأتَه قبل أن يفرِضَ لها وقبل أن يدخل بها ، فليس لها إلاّ المتاع .

٥٢٣٥ — حدثنى يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن يونس قال ، قال الحسن : إن طلّق الرجلُ امرأته ولم يدخل بها ولم يفرض لها ، فليس لها إلاّ المتاع .

---

(١) قوله : « الدليل الواضح » اسم « إن » فى قوله فى أول الفقرة : « فإن فى إجماع الحجة . . . »

(٢) فى المخطوطة : « فإن أنكر وجوب من قول جميع الحجة » ، وهو خطأ بين ، وفى المطبوعة : « وجوبه » ورجحت ما أثبت .

(٣) يعنى بذلك ما كان فى إجماع كإجماعهم على وجوب الزكاة فى عشرين ديناراً ، ووجوب زكاة العروض إذا كانت للتجارة ، فيجادل فى أمر المتعة ، بما يجادل به المنكر والدافع لوجوب الزكاة فيهما .

٥٢٣٦ ــ حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا أيوب ، عن نافع قال : إذا تزوج الرجلُ المرأة ثم طلقها ولم يفرض لها ، فإنما لها المتاع .

٥٢٣٧ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني الليث، عن يونس ، عن ابن شهاب قال : إذا تزوج الرجل المرأة ولم يفرض لها، ثم طلقها قبل أن يمسها وقبل أن يفرض لها ، فليس لها عليه إلا المتاع بالمعروف .

٥٢٣٨ ــ حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبوعاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: « لا جُناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهنّ أو تفرضوا لهنّ فريضة »، قال: ليس لها صداقٌ إلاّ متاعٌ بالمعروف .

٥٢٣٩ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بنحوه ــ إلا أنه قال : ولا متاع إلا بالمعروف .

٥٢٤٠ ــ حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى: « لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن » إلى « ومتعوهنّ » ، قال : هذا الرجل توهَب له فيطلقها قبل أن يدخل بها ، فإنما عليه المتعة .

٥٢٤١ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال في هذه الآية : هو الرجل يتزوج المرأة ولا يسمىَ لها صداقاً ، ثم يطلّقها قبل أن يدخل بها ، فلها متاعٌ بالمعروف ، ولا فريضة لها .

٥٢٤٢ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

٥٢٤٣ ــ حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ يقول، [حدثنا عبيد بن سليمان قال]، سمعت الضحاك يقول في قوله: « ما لم تمسوهنّ أو تفرضوا لهنّ فريضة » ، هذا رجل وُهِبت له امرأته ، فطلقها من قبل أن يمسها ، فلها المتعة ولا فريضة لها ، وليست عليها عِدة .

* * *

قال أبو جعفر : وأما « المُوسِع » ، فهو الذى قد صار من عيشه إلى سَعَة وغنًى ، يقال منه : « أوسع فلانٌ فهو يُوسِع إيساعاً وهو مُوسِع » .

* * *

وأما « المقتر » ، فهو المقلّ من المال ، يقال : « قد أقْتَر فهو يُقتِر إقتاراً ، وهو مُقْتِر » .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة « القدَر » .[1]

فقرأه بعضهم : « على الموسع قَدَره وعلى المقتِر قَدَره » . بتحريك « الدال » إلى الفتح من « القدر » ، توجيهاً منهم ذلك إلى الاسم من « التقدير » الذى هو من قول القائل : « قَدَر فلانٌ هذا الأمر » .

* * *

وقرأ آخرون بتسكين « الدال » منه ، توجيهاً منهم ذلك إلى المصدر من ذلك ، كما قال الشاعر :[2]

وَمَا صَبَّ رِجْلِي فِي حَدِيدٍ مُجَاشِعٍ مَعَ القَدْرِ ، إلَّا حَاجَةٌ لِي أُرِيدُهَا[3]

* * *

والقول فى ذلك عندى أنهما جميعاً قراءتان قد جاءت بهما الأمة ، ولا تُحيل القراءةُ بإحداهما معنًى فى الأخرى ، بل هما متفقتا المعنى . فبأى — القراءتين قرأ القارئ ذلك ، فهو للصواب مصيب . ٢/٣٣٣

وإنما يجوزُ اختيارُ بعض القرا آت على بعض لبينونة المختارة على غيرها بزيادة

---

(١) فى المطبوعة : « واختلف القراء » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، والمطبوعة تغير نص المخطوطة حيثما ذكر « القرأة » إلى « القراء » ، فلن نشير إليه بعد هذا الوضع .

(٢) هو الفرزدق فيما يقال .

(٣) ديوانه : ٢١٥ نقلا عن اللسان (صبب) ، وهو فى اللسان أيضاً فى (قدر) ، ومقاييس اللغة ٥ : ٦٢ ، والأساس (صبب) ، وإصلاح المنطق : ١٠٩ ، وتهذيب إصلاح المنطق ١ : ١٦٨ وقال أبو محمد : « ذكر يعقوب أن هذا البيت للفرزدق ، ولم أجده فى شعره ولا فى أخباره » . وكأن البيت ليس للفرزدق ، لذكره «حديد مجاشع» ، وهو جده . وجرير كان يعيره بأنه «ابن القين» ، فأنا أستبعد أن يذكر الفرزدق فى شعره « حديد مجاشع » . وقال التبريزى فى شرح البيت : «يقول : كان حبسى قدره الله على ، وكان لى فيه حاجة ، ولم يكن لى منه بد » . وهو معنى غير بين . ويقال : صب القيد فى رجله ، أى قيد .

معنى أوجبت لها الصحة دون غيرها . وأما إذا كانت المعانى فى جميعها متفقة ، فلا وجه للحكم لبعضها بأنه أولى أن يكون مقروءاً به من غيره .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الآية إذاً : لا حرج عليكم ، أيها الناس ، إن طلقتم النساء وقد فرضتم لهن ما لم تماسوهن ، [1] وإن طلقتموهن ما لم تماسوهن قبل أن تفرضوا لهن ، ومتعوهن جميعاً على ذى السعة والغنى منكم من متاعهن حينئذ بقدر غناه وسعته ، وعلى ذى الإقتار والفاقة منكم منه بقدر فاقته وإقتاره .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢٣٦)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : ومتعوهنّ متاعاً . وقد يجوز أن يكون «متاعاً» منصوباً قطعاً من «القَدَر» . [2] لأن «المتاع» نكرة ، و«القدر» معرفة .

* * *

ويعنى بقوله : « بالمعروف » ، بما أمركم الله به من إعطائكم إياهن ذلك ، [3] بغير ظلم ولا مدافعة منكم لهن به . [4]

* * *

ويعنى بقوله : « حقًّا على المحسنين » ، متاعاً بالمعروف الحق على المحسنين . فلما دل إدخال « الألف واللام » على « الحق » ، وهو من نعت « المعروف » ، و « المعروف » معرفة و « الحق » نكرة ، نُصب على القطع منه ، [2] كما يقال : « أتانى الرجل راكباً » .

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « لأن طلقتم النساء » والسياق يقتضى صواب ما أثبت .

(٢) القطع : الحال ، وانظر فهرس المصطلحات فى الأجزاء السالفة .

(٣) فى المطبوعة : « من إعطائكم لهن ذلك » ، وفى المخطوطة « إعطائكم هن » قد سقط منها « إيا » .

(٤) انظر معنى «المعروف» فيما سلف ٣ : ٣٧١ / ثم ٤ : ٥٤٧، ٥٤٨ / ٥ : ٧، ٤٤، ٧٦، ٩٣

وجائزٌ أن يكون نصب على المصدر من جملة الكلام الذى قبله ، كقول القائل : « عبد الله عالم حقًّا » ، فـ «الحق» منصوب من نية كلام المخبر ، كأنه قال: أخبركم بذلك حقًّا .[1]

والتأويل الأول هو وجهُ الكلام ، لأن معنى الكلام : فمتِّعوهن متاعاً بمعروف حقٍّ على كل من كان منكم محسناً .

* * *

وقد زعم بعضهم أن ذلك منصوب بمعنى : أحق ذلك حقًّا . والذى قاله من ذلك ، بخلاف ما دلّ عليه ظاهر التلاوة . لأن الله تعالى ذكره جعل المتاع للمطلقات حقًّا لهن على أزواجهن ، فزعم قائل هذا القول أن معنى ذلك أن الله تعالى ذكره أخبرَ عن نفسه أنه يُحق أن ذلك على المحسنين . فتأويل الكلام إذاً — إذ كان الأمر كذلك — : ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعاً بالمعروف الواجب على المحسنين .

* * *

ويعنى بقوله : « المحسنين » ، الذين يحسنون إلى أنفسهم فى المسارعة إلى طاعة الله فيما ألزمهم به ، وأدائهم ما كلّفهم من فرائضه .

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال قائل: إنك قد ذكرت أن « الجُناح» هو الحرج ،[2] وقد قال الله تعالى ذكره : « لا جُناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن » ، فهل علينا من جناح لو طلقناهنّ بعد المسيس، فيوضع عنّا بطلاقنا إيّاهن قبل المسيس؟

قيل : قد رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنّ الله لا يحب الذوّاقين ولا الذوّاقات » .[3]

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ١٥٤ — ١٥٥ .

(٢) انظر معنى « الجناح » فى فهارس اللغة عن هذا الجزء والأجزاء السالفة .

(٣) رجل ذواق : مطلاق كثير النكاح ، كثير الطلاق ، وكذلك المرأة . والذوق : استطراف النكاح وقتاً بعد وقت ، كأنه يذوق ويختبر ، ثم يتحول ليذوق غيره .

٥٢٤٤ – حدثنا بذلك ابن بشار قال، حدثنا ابن أبي عدى وعبد الأعلى ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن شهر بن حوشب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم.(١)

* * *

ورُوى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما بال أقوام يلعبون بحدود الله ، يقولون : قد طلقتك ، قد راجعتك ، قد طلقتك » .

٥٢٤٥ – حدثنا بذلك ابن بشار قال، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحق ، عن أبي بردة ، عن أبيه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.(٢)

* * *

فجائز أن يكون « الجُناح » الذى وضع عن الناس فى طلاقهم نساءهم قبل المسيس ، هو الذى كان يلحقهم منه بعد ذوقهم إياهنّ ، كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

---

(١) الحديث : ٥٢٤٤ – شهر بن حوشب : تابعى ثقة ، كما بينا فى : ١٤٨٩ . فالحديث بهذا الإسناد مرسل .

وقد ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٤ : ٣٣٥ ، من حديث عبادة بن الصامت . وقال : « رواه الطبرانى ، وفيه راو لم يسم . وبقية إسناده حسن » .

وذكر أيضاً حديثاً لأبى موسى، مرفوعاً : « لا تطلق النساء إلا من ريبة، إن الله تبارك وتعالى لا يحب الذواقين ولا الذواقات » . وقال : « رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط . وأحد أسانيد البزار فيه عمران القطان ، وثقه أحمد وابن حبان ، وضعفه يحيى بن سعيد وغيره » .

وليس بين يدى أسانيد هذين الحديثين ، حتى أعرف مدى درجاتهما ، ولا أن شهر بن حوشب روى واحداً منها .

وقوله : « الذواقين والذواقات » – قال ابن الأثير : «يعنى السريعى النكاح السريعى الطلاق» . وذكره الزمخشرى فى المجاز من كتاب الأساس . وقال : « كلما تزوج أو تزوجت ، مد عينه أو عينها إلى أخرى أو آخر » .

(٢) الحديث : ٥٢٤٥ – هذا إسناد صحيح . ورواه ابن ماجة : ٢٠١٧ ، عن محمد بن بشار – شيخ الطبرى هنا – بهذا الإسناد .

وقد مضت الإشارة إليه ، وإلى ما قيل فى تعليله والرد عليه . وإلى رواية البيهقى إياه من هذا الوجه ومن رواية موسى بن مسعود عن سفيان الثورى = فى : ٤٩٢٥ ، ٤٩٢٦ . ولم نكن رأينا رواية الطبرى – هذه ، إذ ذاك .

وقد كان بعضهم يقول : معنى قوله فى هذا الموضع : « لا جناح » ، لا سبيل عليكم للنساء — إن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن، ولم تكونوا فرضتم لهن فريضة — فى إتباعكم بصداق ولا نفقة . وذلك مذهب ، لولا ما قد وصفت من أن المعنىّ بالطلاق قبل المسيس فى هذه الآية صنفان من النساء : أحدهما المفروضُ لها ، والآخر غير المفروض لها . فإذ كان ذلك كذلك ، فلا وجه لأن يقال : لا سبيل لهن عليكم فى صداق، إذا كان الأمرُ على ما وصفنا .

* * *

وقد يحتملُ ذلك أيضاً وجهاً آخر : وهو أن يكون معناه: لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تماسوهنّ، فى أى وقت شئتم طلاقهنّ . لأنه لا سنة فى طلاقهنّ، فللرجل أن يطلقهن إذا لم يكن مسهن حائضاً وطاهراً فى كل وقت أحبَّ . وليس ذلك كذلك فى المدخول بها التى قد مُسَّت، لأنه ليس لزوجها طلاقها إن كانت من أهل الأقراء — إلا للعدة طاهراً فى طهر لم يُجامع فيه. فيكون « الجناح » الذى أسقط عن مطلِّق التى لم يمسها فى حال حيضها ،[1] هو « الجناح » الذى كان به مأخوذاً المطلِّقُ بعد الدخول بها فى حال حيضها ، أو فى طُهر قد جامعها فيه .

* * *

٢/٣٣٤ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ ﴾

قال أبو جعفر : وهذا الحكم من الله تعالى ذكره ، إبانة عن قوله: « لا جُناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهنّ فريضة ».[2] وتأويل ذلك:

---

(١) فى المخطوطة : « لم يمسهن » وهو خطأ وسهو .

(٢) فى المخطوطة : « ما لم تماسوهن » ، وهى قراءة الطبرى كما أسلفنا مراراً . وستأتى على قراءته فى تأويل الآية .

لا جُناح عليكم أيها الناس إن طلقتم النساء ما لم تُماسُّوهنّ وقد فرضتم لهنّ فريضة، فلهن عليكم نصف ما كنتم فرضتم لهنّ من قبل طلاقكم إياهنّ ، يعنى بذلك : فلهن عليكم نصف ما أصدقتموهن .

وإنما قلنا إن تأويل ذلك كذلك، لما قد قدمنا البيان عنه من أن قوله: « أو تفرضوا لهن فريضة »، بيانٌ من الله تعالى ذكره لعباده حكمَ غير المفروض لهنّ إذا طلقهنّ قبل المسيس. فكان معلوماً بذلك أن حكم اللواتى عطف عليهنّ بـ « أو »، غير حكم المعطوف بهنّ بها .

وإنما كرّر تعالى ذكره قوله : « وإن طلقتموهنّ من قبل أن تمسوهنّ وقد فرضتم لهنّ فريضة » ، وقد مضى ذكرهنّ فى قوله : « لا جُناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن » ، ليزول الشك عن سامعيه واللبس عليهم ، من أن يظنّوا من أن التى حكمها الحكمُ الذى وصفه فى هذه الآية، هى غير التى ابتدأ بذكرها وذكر حكمها فى الآية التى قبلها .

* * *

وأما قوله: « إلا أن يعفُون »، فإنه يعنى : إلاّ أن يعفو اللواتى وجبَ لهن عليكم نصف تلك الفريضة ، فيتركنه لكم ويصفحنَ لكم عنه تفضُّلاً منهنّ بذلك عليكم، إن كنّ ممن يجوز حكمه فى ماله وهنّ بوالغ رشيدات ، فيجوز عفوهنّ حينئذ ما عفون عنكم من ذلك ، فيسقط عنكم ما كنّ عفون لكم عنه منه . وذلك النصفُ الذى كان وجب لهنّ من الفريضة بعد الطلاق وقبل العفو إن عفت عنه — أو ما عفت عنه. (١)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٥٢٤٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى

(١) السياق : وذلك النصف . . . أو ما عفت عنه .

معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « وإن طلقتموهنّ من قبل أن تمسوهنّ وقد فرضتم لهنّ فريضةً فنصف ما فرضتم » ؛ فهذا الرجل يتزوج المرأة وقد سمّى لها صداقاً ، ثم يطلقها من قبل أن يمسّها ، فلها نصف صداقها ، ليس لها أكثر من ذلك .

٥٢٤٧ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وإن طلقتموهنّ من قبل أن تمسوهنّ وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم »، [1] قال : إن طلق الرجل امرأته وقد فرض لها ، فنصف ما فرض ، إلا أن يعفون .

٥٢٤٨ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ،عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد مثله .

٥٢٤٩ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وإن طلقتموهنّ من قبل أن تمسوهنّ وقد فرضتم لهنّ فريضة فنصفُ ما فرضتم » ، فنَسخت هذه الآية ما كان قبلها، إذا كان لم يدخل بها وقد كان سمى لها صداقاً ، فجعل لها النصف ولا متاع لها .

٥٢٥٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهنّ وقد فرضتم لهن فريضة فنصفُ ما فرضتم » ، قال : هو الرجل يتزوج المرأة وقد فرض لها صداقاً ثم طلقها قبل أن يدخل بها، فلها نصف ما فرض لها ، ولها المتاعُ ولا عِدة عليها .

٥٢٥١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنا الليث ، عن يونس ، عن ابن شهاب : « وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهنّ وقد فرضتم

---

(١) ساق بقية الآية فى المطبوعة ، وأخطأ الناسخ فى المخطوطة ، فساق بقيتها ولم يتمها ، ووضع فى أول ما أراد حذفه « لا » وفى آخره « إلى » ، وهى علامة الحذف قديماً، تقوم مقام الضرب عليها بالقلم والمداد .

لهن فريضةً فنصف ما فرضتم » ، قال : إذا طلق الرجل المرأة وقد فرض لها ولم يمسها ، فلها نصف صَداقها ولا عدة عليها .

* * *

* ذكر من قال فى قوله : « إلاّ أن يعفون » القولَ الذى ذكرناه من التأويل .

٥٢٥٢ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا حبان بن موسى قال ، أخبرنا ابن المبارك قال ، أخبرنا يحيى بن بشر : أنه سمع عكرمة يقول : إذا طلقها قبل أن يمسها وقد فرض لها ، فنصف الفريضة لها عليه ، إلا أن تعفو عنه فتتركه .

٥٢٥٣ ــ حدثت عن الحسين قال، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد ابن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « إلاّ أن يعفون » ، قال : المرأة تترك الذى لها .

٥٢٥٤ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح، عن على بن أبى طلحة، عن ابن عباس : « إلاّ أن يعفون »، هى المرأة الثيب أو البكر ، يزوّجها غير أبيها، فجعل الله العفو إليهنّ : إن شئن عفون فتركن ، وإن شئن أخذنَ نصف الصداق .

٥٢٥٥ ــ حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، ٢/٣٣٥ عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « إلا أن يعفون » ، تترك المرأة شطرَ صداقها ، وهو الذى لها كله .

٥٢٥٦ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٥٢٥٧ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله: « إلاّ أن يعفون »، قال: المرأة تدع لزوجها النصفَ .

٥٢٥٨ ــ حدثنا حميد بن مسعدة قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنى

عبد الله بن عون ، عن محمد بن سيرين ، عن شريح : « إلا أن يعفون » ، قال : إن شاءت المرأة عفت فتركت الصداق .

٥٢٥٩ — حدثنا حميد بن مسعدة قال ، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا عبد الله بن عون ، عن محمد بن سيرين ، عن شريح مثله .

٥٢٦٠ — حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا عبيد الله ، عن نافع قوله : « إلا أن يعفون » ، هى المرأة يطلقها زوجها قبل أن يدخل بها ، فتعفو عن النصف لزوجها .

٥٢٦١ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « إلاّ أن يعفون » ، إمّا أن « يعفون » ، فالثيب أن تدع من صداقها ، أو تدعه كله .

٥٢٦٢ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى الليث ، عن يونس ، عن ابن شهاب : « إلاّ أن يعفون » ، قال : العفو إليهن ، إذا كانت المرأة ثيباً فهى أولى بذلك ، ولا يملك ذلك عليها ولىٌّ ، لأنها قد ملكت أمرها . فإن أرادت أن تعفوَ فتضع له نصفَها الذى لها عليه من حقها ، جاز ذلك . وإن أرادت أخذه ، فهى أملك بذلك .

٥٢٦٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا حبان بن موسى قال ، أخبرنا ابن المبارك قال ، أخبرنا معمر قال ، وحدثنى ابن شهاب : « إلا أن يعفون » ، قال : النساء .

٥٢٦٤ — حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ، حدثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن السدى ، عن أبى صالح : « إلاّ أن يعفون » ، قال : الثيب تدَعُ صداقها .

٥٢٦٥ — حدثنا أبو هشام قال ، حدثنا أبو أسامة حماد بن زيد بن أسامة قال ، حدثنا إسماعيل ، عن الشعبى ، عن شريح : « إلاّ أن يعفون » ، قال قال : تعفو المرأة عن الذى لها كله .

* * *

قال أبو جعفر : ما سمعت أحداً يقول : « حماد بن زيد بن أسامة » ، إلا أبا هشام .[1]

* * *

٥٢٦٦ – حدثنا أبو هشام قال، حدثنا عبدة، عن سعيد، عن قتادة، عن سعيد ابن المسيب قال: إن شاءت عفت عن صداقها = يعني في قوله: « إلاّ أن يعفون».

٥٢٦٧ – حدثنا أبو هشام قال ،[2] حدثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن شريح قال : تعفو المرأة وتدعُ نصف الصداق .

٥٢٦٨ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن ابن جريج قال ، قال الزهري : « إلاّ أن يعفون » ، الثيبات .

٥٢٦٩ – حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن ابن جريج قال ، قال مجاهد : « إلا أن يعفون » ، قال : تترك المرأة شطرَها .

٥٢٧٠ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « إلاّ أن يعفون » ، يعني النساء .

٥٢٧١ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: « إلاّ أن يعفون » ، إن كانت ثيِّباً عفت .

٥٢٧٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهري قوله : « إلا أن يعفون » ، يعني المرأة .

٥٢٧٣ – حدثني علي بن سهل قال، حدثنا زيد = وحدثنا ابن حميد قال ، حدثنا مهران = جميعاً ، عن سفيان : « إلا أن يعفون » ، قال : المرأة إذا لم يدخل بها: أن تترك له المهرَ، فلا تأخذُ منه شيئاً .

* * *

(١) الأثر : ٥٢٦٥ – هو « حماد بن أسامة بن زيد » ، وقد سلفت ترجمته في رقم : ٢٩ ، ٥١ ، ٢٢٣ والذي قاله أبو هشام الرفاعي لم يذكر في كتب التراجم .

(٢) في المخطوطة والمطبوعة : « ابن هشام » ، والصواب : أبو هشام الرفاعي ، الذي مضى في الأسانيد السالفة .

القول فى تأويل قوله ﴿ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فيمن عنى الله تعالى ذكره بقوله : « الذى بيده عُقدة النكاح » .

فقال بعضهم : هو ولىُّ البكر . وقالوا : ومعنى الآية : أو يترك ، الذى يلى على المرأة عقد نكاحها من أوليائها ، للزوج النصفَ الذى وجب للمطلَّقة عليه قبل مسيسه فيصفحَ له عنه ، إن كانت الجارية ممن لا يجوز لها أمرٌ فى مالها .

* ذكر من قال ذلك :

٥٢٧٤ — حدثنى يعقوب قال . حدثنا ابن علية ، عن ابن جريج ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة قال : قال ابن عباس رضى الله عنه : أذن الله فى العفوِ وأمر به ، فإن عفت فكما عفت . وإن ضنَّت وعفا وليُّها جازَ وإن أبت .

٥٢٧٥ — حدثنى المثنى قال . حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : «أو يعفو الذى بيده عُقدة النكاح » ، وهو أبو الجارية البكر ، جعل الله سبحانه العفو إليه ، ليس لها معه أمر إذا طُلقت ، ما كانت فى حِجره .

٥٢٧٦ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة : « الذى بيده عقدة النكاح » ، الولىُّ . ٣٣٦/٢

٥٢٧٧ — حدثنى أبو السائب قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم قال ، قال علقمة : هو الولىّ .

٥٢٧٨ — حدثنا أبو هشام قال ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة أنه قال : هو الولى .

٥٢٧٩ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا معمر ، عن حجاج ، عن النخعى ، عن علقمة قال : هو الولى

٥٢٨٠ ــ حدثنا أبو هشام قال، حدثنا عبيد الله ، عن بيان النحوى ،[١] عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة وأصحاب عبد الله قالوا : هو الولى .

٥٢٨١ ــ حدثنا أبو هشام قال، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة أنه قال : هو الولى .

٥٢٨٢ ــ حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا معمر ، عن حجاج : أن الأسود ابن زيد قال : هو الولى .

٥٢٨٣ ــ حدثنا أبو هشام قال، حدثنا أبو خالد ، عن شعبة، عن أبى بشر قال ، قال طاوس ومجاهد : هو الولىّ = ثم رجعا فقالا : هو الزوج.

٥٢٨٤ ــ حدثنى يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا أبو بشر قال ، قال مجاهد وطاوس : هو الولى = ثم رجعا فقالا : هو الزوج .

٥٢٨٥ ــ حدثنا أبو هشام قال، حدثنا ابن فضيل ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة قال : هو الولى .

٥٢٨٦ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبى قال : زوَّج رجل أخته ، فطلقها زوجُها قبل أن يدخل بها ، فعفا أخوها عن المهر ، فأجازه شريح ثم قال : أنا أعفو عن نساء بنى مُرَّة . فقال عامر : لا والله، ما قضى قضاءً قط أحق منه : أن يجيز عفوَ الأخ فى قوله : « إلا أن يعفون أو يعفوَ الذى بيده عقدة النكاح»، فقال فيها شريح بعدُ : هو الزوج، إن عفا عن الصداق كله فسلمه إليها كله، أو عفت هى عن النصف الذى سمى لها . وإن تشاحَّا كلاهما أخذت نصف صَداقها . قال : وأن تعفو هو أقرب للتقوى .[٢]

---

(١) هكذا فى المخطوطة والمطبوعة : « بيان النحوى » ، وأنا أرجح أنه : شيبان بن عبد الرحمن التميمى النحوى . مترجم فى التهذيب يروى عن الأعمش ، ويروى عنه عبيد الله بن موسى . فكأن الصواب « شيبان النحوى » .

(٢) الأثر : ٥٢٨٦ ــ رواه البيهقى فى السنن ٨ : ٢٥١ بإسناده « عن سعيد بن منصور ، عن جرير ، عن مغيرة » بغير هذا اللفظ ، ولكنه يصححه ، فقد كان فى المطبوعة والمخطوطة « ما قضى قضاء قط أحق منه » ، والصواب من البيهقى . ولم أعرف قوله : « نساء بنى مرة » ، كأن مرة من أهله ، أخته أو بنته . والله أعلم .

٥٢٨٧ ــ حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية قال، حدثنا جرير بن حازم، عن عيسى بن عاصم الأسدىّ : أن عليًّا سأل شريحاً عن الذى بيده عقدة النكاح ، فقال : هو الولى .

٥٢٨٨ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا هشيم ، قال مغيرة ، أخبرنا عن الشعبي ، عن شريح أنه كان يقول : الذى بيده عقدة النكاح هو الولى ــ ثم ترك ذلك فقال : هو الزوج .

٥٢٨٩ ــ حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا سيار ، عن الشعبي : أن رجلا تزوج امرأة فوجدها دميمةً فطلّقها قبل أن يدخل بها ، فعفا وليُّها عن نصف الصداق ، قال : فخاصمته إلى شريح فقال لها شريح : قد عفا وليك . قال : ثم إنه رجع بعد ذلك ، فجعل الذى بيده عقدة النكاح الزوجَ .

٥٢٩٠ ــ حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ــ فى الذى بيده عقدة النكاح ــ قال : الولى .

٥٢٩١ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا هشيم ، عن منصور أو غيره ، عن الحسن قال : هو الولى .

٥٢٩٢ ــ حدثنا أبو هشام قال، حدثنا ابن إدريس ، عن هشام ، عن الحسن قال : هو الولى .

٥٢٩٣ ــ حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن أبي رجاء قال : سئل الحسن عن الذى بيده عقدة النكاح ، قال : هو الولى .

٥٢٩٤ ــ حدثنا أبو هشام قال، حدثنا وكيع ، عن يزيد بن إبراهيم ، عن الحسن قال : هو الذى أنكحها .

٥٢٩٥ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم قال : الذى بيده عقد النكاح، هو الولىُّ .

٥٢٩٦ ــ حدثنا أبو هشام قال، حدثنا وكيع وابن مهدى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم قال : هو الولى .

٥٢٩٧ ــ حدثنا أبو هشام قال، حدثنا ابن مهدى ، عن أبى عوانة ، عن مغيرة ، عن إبراهيم والشعبى قالا : هو الولىّ .

٥٢٩٨ ــ حدثنى يعقوب قال ، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا ابن جريج ، عن عطاء قال : هو الولى .

٥٢٩٩ ــ حدثنا أبو هشام قال، حدثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن السدى ، عن أبى صالح : « أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح » ، قال : ولىُّ العذراء .

٥٣٠٠ ــ حدثنى يعقوب قال ، حدثنا ابن علية ، عن ابن جريج قال : قال لى الزهرى : « أو يعفُوَ الذى بيده عقدة النكاح » ، ولىُّ البكر .

٥٣٠١ ــ حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح » ، هو الولى .

٥٣٠٢ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر قال، أخبرنا ابن طاوس، عن أبيه = وعن رجل، عن عكرمة = قال معمر : وقاله الحسن أيضاً = قالوا : الذى بيده عقدة النكاح ، الولى .

٥٣٠٣ ــ حدثنا الحسن قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن الزهرى قال : الذى بيده عقدة النكاح، الأب . ٣٣٧/٢

٥٣٠٤ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن علقمة قال : هو الولى .

٥٣٠٥ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا الحمانى قال ، حدثنا شريك ، عن سالم ، عن مجاهد قال : هو الولى .

٥٣٠٦ ــ حدثنى موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ، عن السدى: الذى بيده عقدة النكاح ، هو ولىُّ البكر.

٥٣٠٧ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد – في الذي بيده عقدة النكاح –: الوالد = ذكره ابن زيد عن أبيه .

٥٣٠٨ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب ، عن مالك ، عن زيد وربيعة : الذي بيده عقدة النكاح ، الأبُ في ابنته البكر ، والسيد في أمته .(١)

٥٣٠٩ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال مالك : وذلك إذا طلقت قبلَ الدخول بها ، فله أن يعفوَ عن نصف الصداق الذي وجب لها عليه ، ما لم يقع طلاق . . . . . .(٢)

٥٣١٠ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني الليث ، عن يونس ، عن ابن شهاب قال : الذي بيده عقدة النكاح ، هي البكر التي يعفو وليُّها ، فيجوز ذلك ، ولا يجوز عفوُها هي .

٥٣١١ – حدثني المثنى قال ، حدثنا حبان بن موسى قال ، أخبرنا ابن المبارك قال ، أخبرنا يحيى بن بشر ، أنه سمع عكرمة يقول : « إلاّ أن يعفون » ، أن تعفو المرأة عن نصف الفريضة لها عليه فتتركه. فإن هي شحَّت إلا أن تأخذه، فلها ولوليِّها الذي أنكحها الرجلَ = عم، أو أخ، أو أب = أن يعفوَ عن النصف، فإنه إن شاء فعل وإن كرهت المرأة .

٥٣١٢ – حدثنا سعيد بن الربيع الرازي قال ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ابن دينار، عن عكرمة قال : أذن الله في العفو وأمر به ، فإن امرأةٌ عفت جاز عفوها ، وإن شحَّت وضنَّت عفا وليها وجازَ عفوه .(٣)

---

(١) الأثر : ٥٣٠٨ – في الموطأ : ٥٢٨ .

(٢) مكان النقط بياض في المطبوعة والمخطوطة . وقد جهدت أن أجد نص مالك فيما بين يدي من الكتب ، فلم أجده .

(٣) الخبر : ٥٣١٢ – سعيد بن الربيع الرازي ، شيخ الطبري : لم نجد له ترجمة بعد طول البحث . وستأتي الرواية عنه أيضاً : ٥٥٢٠ ، دون نسبته « الرازي » .

وفي المطبوعة « المرادي » – بدل « الرازي » . وهو خطأ . فإن ابن كثير نقل هذا الخبر ١ : ٥٧٤ ، عن هذا الموضع ، وفيه « الرازي » . وكذلك روى الطبري عنه ، في كتاب « ذيل المذيل » ، الملحق

٥٣١٣ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم قال : الذى بيده عقدة النكاح، الولى .

* * *

وقال آخرون : بل الذى بيده عقدة النكاح ، الزوج . قالوا : ومعنى ذلك : أو يعفو الذى بيده نكاح المرأة فيعطيها الصداق كاملاً .

• ذكر من قال ذلك :

٥٣١٤ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا أبو عثمة قال ، حدثنا حبيب ، عن الليث ، عن قتادة ، عن خِلاس بن عمرو، عن على قال : الذى بيده عقدة النكاح، الزوج .[1]

٥٣١٥ – حدثنى يعقوب قال، حدثنا ابن علية قال، حدثنا جرير بن حازم، عن عيسى بن عاصم الأسدى : أن عليًّا سأل شريحاً عن الذى بيده عقدة النكاح فقال : هو الولى . فقال على : لا ، ولكنه الزوج .

٥٣١٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا إبراهيم قال، حدثنا جرير بن حازم ، عن عيسى بن عاصم قال : سمعت شريحاً قال : قال : قال لى على : من الذى

بتاريخه ١٣ : ٥٣ ، قال : « حدثنى حوثرة بن محمد المنقرى ، وسعيد بن الربيع الرازى ، قالا : حدثنا سفيان ، عن عمرو . . . » .

ثم لم نجدهم ذكروا للربيع بن سليمان المرادى ولداً .

(١) الخبر : ٥٣١٤ – « أبو عثمة » ؛ هكذا رسم فى المخطوطة دون نقط . وأما المطبوعة ففيها « أبو شحمة » !! وهو خطأ . إذ لم نجد من يدعى بها .

و « أبو عثمة » : الراجح عندنا أنه « محمد بن خالد بن عثمة » ، وقد مضت ترجمته برقم : ٩٠ ، ٩١ . وبينا هناك أن « عثمة » أمه . فليس ببعيد أن يكنى باسمها ، خصوصاً أنهم لم يذكروا له كنية أخرى . ويرجح أنه هو : أن من الرواة عنه فى ترجمته « بندار » ، وهو محمد بن بشار ، الراوى عنه هنا .

و « عثمة » : بفتح العين المهملة وسكون الثاء المثلثة .

« حبيب » ، الذى يروى عن الليث بن سعد هنا : لم نعرف من هو ، ولا وجدنا ما يرشد إليه . وهو هكذا فى المخطوطة والمطبوعة . ولو كان محرفاً عن « شعيب » – أعنى شعيب بن الليث – لم يكن بعيداً .

« خلاس » – بكسر الخاء المعجمة وتخفيف اللام – بن عمرو الهجرى البصرى : تابعى كبير ثقة ثقة . تكلموا فى سماعه من على ، وأن حديثه عنه من صحيفة كانت عنده . ونص البخارى على ذلك فى التاريخ الكبير ٢٠٨/١/٢ .

بيده عقدة النكاح ؟ قلت : ولى المرأة. قال : لا ، بل هو الزوج .

٥٣١٧ – حدثنا أبو هشام الرفاعى قال، حدثنا ابنُ مهدى قال ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن عمار بن أبى عمار ، عن ابن عباس قال: هو الزوج .

٥٣١٨ – حدثنى أحمد بن حازم قال ، حدثنا أبو نعيم قال : قلت لحماد ابن سلمة : من الذى بيده عقدة النكاح ؟ فذكر عن على بن زيد ، عن عمار ابن أبى عمار ، عن ابن عباس قال : الزوج .

٥٣١٩ – حدثنا أبو هشام قال، حدثنا عبيد الله قال ، أخبرنا إسرائيل ، عن خصيف ، عن مجاهد، عن ابن عباس قال : هو الزوج .

٥٣٢٠ – حدثنا أبو هشام قال، حدثنا ابن فضيل ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن ابن عباس وشريح قالا : هو الزوج .

٥٣٢١ – حدثنا أبو هشام قال، حدثنا ابن مهدى ، عن عبد الله بن جعفر ، عن واصل بن أبى سعيد ، عن محمد بن جبير بن مطعم : أن أباه تزوج امرأة ثم طلقها قبل أن يدخل بها، فأرسل بالصداق وقال: أنا أحق بالعفو.[1]

٥٣٢٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن صالح بن كيسان : أن جبير بن مطعم تزوج امرأة فطلقها قبل أن يبنى بها ، وأكمل لها الصداق ، وتأوّل : « أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح » .[2]

٥٣٢٣ – حدثنا أبو هشام قال ، حدثنا ابن إدريس ، عن محمد بن عمرو ،

---

(١) الأثر : ٥٣٢١ – عبد الله بن جعفر ، هو المخرمى الزهرى ، من ولد المسور بن مخرمة ابن نوفل بن أهيب بن عبد مناف . مترجم فى التهذيب . و « واصل بن أبى سعيد » مترجم فى الجرح والتعديل ٤/٢/٣٠ ، والكبير للبخارى ٤/٢/١٧٢ .

(٢) الخبر : ٥٣٢٢ – هكذا ثبت هذا الخبر هنا : « صالح بن كيسان : أن جبير بن مطعم » فيكون منقطعاً ، لأن صالح بن كيسان لم يدرك جبير بن مطعم . ثم هو مخالف لما ثبت فى مصنف عبد الرزاق ٣ : ٢٨٤ (مخطوط مصور) ، فإن الخبر ثابت فيه « عن صالح بن كيسان : أن نافع بن جبير تزوج . . . » – فيكون الخبر متصل الإسناد ، لأن صالحاً يروى عن نافع بن جبير بن مطعم . وهو الصواب ، إن شاء الله . ولعل الطبرى أو شيخه الحسن بن يحيى وهم فيه .

عن نافع ، عن جبير : أنه طلق امرأته قبل أن يدخل بها ، فأتمّ لها الصداق وقال : أنا أحق بالعفو .

٥٣٢٤ – حدثنا حميد بن مسعدة قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثني عبد الله بن عون ، عن محمد بن سيرين ، عن شريح : « أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح » ، قال : إن شاء الزوج أعطاها الصداق كاملاً .

٥٣٢٥ – حدثنا حميد قال ، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا عبد الله بن عون ، عن محمد بن سيرين بنحوه . ٣٣٨/٢

٥٣٢٦ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحق ، عن شريح قال : الذى بيده عقدة النكاح ، الزوج .

٥٣٢٧ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا داود ، عن عامر : أن شريحاً قال : الذى بيده عقدة النكاح ، الزوج . فرُدّ ذلك عليه .

٥٣٢٨ – حدثني أبو السائب قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن شريح قال : الذى بيده عقدة النكاح ، هو الزوج . قال ، وقال إبراهيم : وما يُدرى شريحاً !

٥٣٢٩ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا معمر قال ، حدثنا حجاج ، عن شريح قال : هو الزوج .

٥٣٣٠ – حدثنا أبو كريب قال ، أخبرنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن شريح قال : هو الزوج .

٥٣٣١ – حدثنا أبو هشام قال ، حدثنا أبو أسامة حماد بن زيد بن أسامة قال ، حدثنا إسمعيل ، عن الشعبي ، عن شريح : « أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح » ، وهو الزوج .[1]

---

(١) الأثر : ٥٣٣١ – « حماد بن زيد بن أسامة » ، هو حماد بن أسامة بن زيد ، وانظر الأثر السالف رقم : ٥٢٦٥ ، والتعليق عليه .

٥٣٣٢ ــ حدثنا أبو هشام قال. حدثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن شريح قال: « الذى بيده عقدة النكاح » ، قال : الزوجُ يتمّ لها الصداق .

٥٣٣٣ ــ حدثنا أبو هشام قال. حدثنا أبو معاوية ، عن إسمعيل ، عن الشعبي = وعن الحجاج ، عن الحكم . عن شريح = وعن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن شريح قال : هو الزوج .

٥٣٣٤ ــ حدثنا أبو هشام قال. حدثنا وكيع قال ، حدثنا إسمعيل ، عن الشعبي ، عن شريح قال : هو الزوج. إن شاء أتم لها الصداق، وإن شاءت عفَتْ عن الذى لها .

٥٣٣٥ ــ حدثني يعقوب قال ، حدثنا ابن علية ، عن أيوب ، عن محمد قال : قال شريح : « الذى بيده عقدة النكاح » ، الزوج .

٥٣٣٦ ــ حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن ابن عون ، عن ابن سيرين ، عن شريح : « أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح »، قال: إن شاء الزوج عفا فكمّل الصداق .

٥٣٣٧ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن شريح قال : هو الزوج .

٥٣٣٨ ــ حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا، حدثنا ابن أبي عدى ، عن عبد الأعلى ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب قال : « الذى بيده بيده عقدة النكاح » ، قال : هو الزوج .

٥٣٣٩ ــ حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبدة ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب : « أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح » ، قال : هو الزوج .

٥٣٤٠ ــ حدثنا أبو هشام قال، حدثنا ابن مهدى ، عن حماد بن سلمة ، عن قيس بن سعد ، عن مجاهد قال : هو الزوج .

٥٣٤١ ــ حدثنا أبو هشام قال، حدثنا وكيع قال ، حدثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد قال : الزوج .

٥٣٤٢ ــ حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى = وحدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل = جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح » ، زوجُها : أن يتم لها الصداق كاملا .

٥٣٤٣ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب = وعن ابن أبي نجيح عن مجاهد =وعن أيوب، عن ابن سيرين، عن شريح= قالوا : « الذى بيده عقدة النكاح »، الزوج .

٥٣٤٤ ــ حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن ابن جريج قال ، قال مجاهد: « الذى بيده عقدة النكاح »، الزوج = «أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح » ، إتمام الزوج الصداق كله .

٥٣٤٥ ــ حدثني يعقوب قال ، حدثنا ابن علية ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن أبي مليكة قال ، قال سعيد بن جبير : « الذى بيده عقدة النكاح » ، الزوج .

٥٣٤٦ ــ حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير قال : « الذى بيده عقدة النكاح » ، هو الزوج . قال : وقال مجاهد وطاوس: هو الولى. قال قلت لسعيد: فإن مجاهداً وطاوساً يقولان: هو الولى؟ قال سعيد: « فما تأمرني إذاً ؟ »[1] قال : أرأيت لو أن الولى عفا وأبت المرأة، أكان

---

(١) هكذا فى المطبوعة ، وفى المخطوطة : « فما أنا مرنى » غير معجمة ، ولم أجد الأثر فى مكان آخر ، وأنا فى شك من صحة هذه العبارة . هذا وقد رواه ابن حزم فى المحلى ٩ : ٥١٢ من طريق « الحجاج ابن المنهال ، حدثنا أبو عوانة، عن أبي بشر ــ وهو جعفر بن إياس بن أبي وحشية ــ عن سعيد بن جبير قال : الذى بيده عقدة النكاح ، هو الزوج . وقال مجاهد وطاوس وأهل المدينة : هو الولى . قال فأخبرتهم بقول سعيد بن جبير ، فرجعوا عن قولهم . وانظر السنن الكبرى ٨ : ٢٥١ ، قريب من لفظ ابن حزم .

يجوز ذلك ؟ فرجعت إليهما فحدثتهما . فرجعا عن قولهما وتابعا سعيداً .

٥٣٤٧ – حدثنا أبو هشام قال ، حدثنا حميد ، عن الحسن بن صالح ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد قال : هو الزوج .(١)

٥٣٤٨ – حدثنا أبو هشام قال ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد ، قال : هو الزوج = وقال طاوس ومجاهد : هو الولىّ – فكلمتهما فى ذلك حتى تابعا سعيداً .

٥٣٤٩ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير وطاوس ومجاهد بنحوه .

٥٣٥٠ – حدثنا أبو هشام قال ، حدثنا أبو الحسين – يعنى زيد بن الحباب – عن أفلح بن سعيد قال ، سمعت محمد بن كعب القرظى قال : هو الزوج ، أعطى ما عنده عفواً .(٢)

٣٣٩/٢ ٥٣٥١ – حدثنا أبو هشام قال ، حدثنا أبو داود الطيالسى ، عن زهير ، عن أبي إسحق ، عن الشعبى قال : هو الزوج .

٥٣٥٢ – حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا عبد الله ، عن نافع قال : « الذى بيده عقدة النكاح » ، الزوج – « إلا أن يعفون أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح » ، قال : أما قوله : « إلاّ أن يعفون » ، فهى المرأة التى يطلقها زوجها قبل أن يدخل بها . فإما أن تعفو عن النصف لزوجها ، وإما أن يعفو الزوج فيكمّل لها صداقها .

---

(١) الأثر : ٥٣٤٧ – « حميد » هو : حميد بن عبد الرحمن الرؤاسى . ثقة ، مات سنة ١٩٢ . مترجم فى التهذيب . و « الحسن بن صالح » بن صالح الثورى . قال ابن سعد : « كان ناسكاً عابداً فقيها حجة ، صحيح الحديث كثيره ، وكان متشيعاً » ، مات سنة ١٦٩ . مترجم فى التهذيب . و « سالم الأفطس » ، هو : سالم بن عجلان الأموى . ثقة كثير الحديث . كان يخاصم فى الإرجاء . قتل بحران سنة ١٣٢ . مترجم فى التهذيب .

(٢) الأثر : ٥٣٥٠ – فى المخطوطة والمطبوعة : « أبو الحسن » ، والصواب « أبو الحسين » ، وهو مترجم فى التهذيب ، والجرح والتعديل ١/٢/٥٦٠ . وفى المخطوطة « أفلح بن سعد » ، والصواب ما فى المطبوعة .

٥٣٥٣ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « الذى بيده عقدة النكاح » ، الزوج .

٥٣٥٤ ــ حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن المسعودى ، عن القاسم قال : كان شريح يجاثيهم على الرُّكب[1] ويقول : هو الزوج .

٥٣٥٥ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا محمد بن حرب قال ، حدثنا ابن لهيعة ، عن عمرو بن شعيب : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الذى بيده عقدة النكاح » ، الزوج ، يعفو أو تعفو.[2]

٥٣٥٦ ــ حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح » ، قال : الزوج ، وهذا فى المرأة يطلقها زوجُها ولم يدخل بها وقد فرض لها ، فلها نصف المهر ، فإن شاءت تركت الذى لها وهو النصف ، وإن شاءت قبضتْه .

٥٣٥٧ ــ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا مهران = وحدثني على قال ، حدثنا زيد = جميعاً ، عن سفيان : « أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح » ، الزوج .

٥٣٥٨ ــ حدثني يحيى بن أبي طالب قال ، حدثنا يزيد بن هرون قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك قال : « الذى بيده عقدة النكاح » ، الزوج .

---

(١) يجاثيهم على الركب : أى يقعد لهم بالخصومة ويخاصمهم خصاماً شديداً ، وكان الخصم يجثو على ركبتيه ويخاصم ، إذا اشتد الخصام .

(٢) الأثر : ٥٣٥٥ – قال ابن كثير فى تفسيره ١ : ٥٧٣ – ٥٧٤ : « قال ابن أبي حاتم : ذكر ابن لهيعة ، حدثني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ولى عقدة النكاح ، الزوج – وهكذا أسنده ابن مردويه من حديث عبد الله بن لهيعة ، وقد أسنده ابن جرير عن ابن لهيعة ، عن عمرو بن شعيب أن رسول الله . . . – فذكره ، ولم يقل عن أبيه عن جده » .

وقال البيهقى فى السنن ٨ : ٢٥١ – ٢٥٢ : « وروى عن ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم : ولى عقدة النكاح الزوج . قال البيهقى : « وهذا غير محفوظ ، وابن لهيعة غير محتج به ، والله أعلم » .

٥٣٥٩ ــ حدثنا ابن البرقى قال. حدثنا عمرو بن أبى سلمة ، عن سعيد بن عبد العزيز قال: سمعت تفسير هذه الآية: « إلاّ أن يعفون »، النساء، فلا يأخذن شيئاً = « أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح » ، الزوج ، فيترك ذلك فلا يطلب شيئاً .

٥٣٦٠ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور قال ، قال شريح فى قوله : « إلا أن يعفون » ، قال : يعفو النساء = « أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح » : الزوج .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال : المعنىّ بقوله : « الذى بيده عقدة النكاح » ، الزوج . وذلك لإجماع الجميع على أن ولىّ جارية بكر أو ثيّب، صبية صغيرة كانت أو مدركة كبيرة ، لو أبرأ زوجها من مهرها قبل طلاقه إياها، أو وهبه له أوعفا له عنه ــ أنّ إبراءه ذلك وعفوه له عنه باطلٌ، وأن صداقها عليه ثابت ثبوته قبل إبرائه إياه منه. فكان سبيلُ ما أبرأه من ذلك بعد طلاقه إياها. سبيلَ ما أبرأه منه قبل طلاقه إياها .

وأخرى : أن الجميع مجمعون على أن ولى امرأةٍ محجور عليها أو غير محجور عليها ، لو وهب لزوجها المطلِّقها بعد بينونتها منه درهماً من مالها ، على غير وجه العفو منه عما وجب لها من صداقها قِبَله، أنّ هبته ما وهبَ من ذلك مردودة باطلةٌ . وهم مع ذلك مجمعون على أنّ صداقها مالٌ من مالها ، فحكمه حكم سائر أموالها .

وأخرى : أن الجميع مجمعون على أن بنى أعمام المرأة البكر وبنى إخوتها من أبيها وأمها من أوليائها، وأن بعضهم لو عفا عن مالها [لزوجها، قبل دخوله بها] أو بعد دخوله بها[1] ــ : أن عفوه ذلك عما عفا له عنه منه باطل ، وأنّ حق المرأة

(١) هذه الجملة التى بين القوسين ، استظهرتها من السياق حتى يستقيم الكلام ، وبين أن فيه سقطاً قبل قوله : « أو بعد دخوله بها » . والمخطوطة والمطبوعة متفقتان فى هذا السقط .

ثابتٌ عليه بحاله . فكذلك سبيلُ عفو كلّ ولىّ لها كائناً من كان من الأولياء ، والداً كان أو جَدًّا أو خالاً . لأن الله تعالى ذكره لم يخصص بعضَ الذين بأيديهم عُقد النكاح دون بعض فى جواز عفوه ، إذا كانوا ممن يجوز حكمه فى نفسه وماله .

ويقال لمن أبى ما قلنا = ممن زعم أن « الذى بيده عقدة النكاح » ، ولى المرأة = : هل يخلو القول فى ذلك من أحد أمرين ، إذ كان الذى بيده عقدة النكاح هو الولى عندك : إما أن يكون ذلك كلّ ولى جاز له تزويج وليّته ، أو يكون ذلك بعضهم دون بعض ؟ = فلن يجد إلى الخروج من أحد هذين القسمين سبيلاً .

فإن قال : إن ذلك كذلك .

قيل له : فأى ذلك عُنى به ؟

فإن قال : لكل ولىّ جاز له تزويج وليّته .

قيل له : أفجائز للمعتق أمةً تزويج مولاته بإذنها بعد عتقه إياها ؟

فإن قال : نعم !

قيل له : أفجائز عفوه إن عفا عن صداقها لزوجها بعد طلاقه إياها قبل المسيس؟

فإن قال : نعم خرج من قول الجميع . وإن قال : لا ! قيل له : ولمَ ؟ وما الذى حظّر ذلك عليه وهو وليها الذى بيده عقدة نكاحها ؟

ثم يعكس القول عليه فى ذلك ، ويسأل الفرقَ بينه وبين عفو سائر الأولياء غيره .

وإن قال : لبعض دون بعض .

سُئِل البرهان على خصوص ذلك ، وقد عمه الله تعالى ذكره فلم يخصُص بعضاً دون بعض .

ويقال له : من المعنىُّ به ، إن كان المراد بذلك بعضَ الأولياء دون بعض ؟

فإن أومأ فى ذلك إلى بعض منهم ، سئل البرهان عليه ، وعُكس القولُ فيه ، وعورض فى قوله ذلك بخلاف دعواه . ثم لن يقولَ فى ذلك قولاً إلا ألزم فى الآخر مثله . ٢/٣٤٠

* * *

فإن ظنّ ظان أن المرأة إذا فارقها زوجها فقد بطل أن يكون بيده عُقدة نكاحها، والله تعالى ذكره إنما أجاز عفو الذى بيده عقدة نكاح المطلَّقة، فكان معلوماً بذلك أن الزوج غير معنىٍّ به، وأن المعنىَّ به هو الذى بيده عقدة نكاح المطلَّقة بعد بينونتها من زوجها. وفى بطول ذلك أن يكونَ حينئذ بيد الزوج، صحةُ القول أنه بيد الولى الذى إليه عقد النكاح إليها. وإذا كان ذلك كذلك، صح القول بأن الذى بيده عقدة النكاح هو الولى = فقد أغفل وظن خطأ.(١)

وذلك أن معنى ذلك: أو يعفو الذى بيده عُقدة نكاحه، وإنما أدخلت «الألف واللام» فى «النكاح» بدلاً من الإضافة إلى «الهاء» التى كان «النكاح» — لو لم يكونا فيه(٢) — مضافاً إليها، كما قال الله تعالى ذكره: ﴿ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [سورة النازعات: ٤١]، بمعنى: فإن الجنة مأواه، وكما قال نابغة بنى ذبيان:

لَهُمْ شِيمَةٌ لَمْ يُعْطِهَا اللهُ غَيْرَهُمْ ... مِنَ النَّاسِ، فَالأَحْلَامُ غَيْرُ عَوَازِبِ(٣)

---

(١) قوله: «فقد أغفل . . .»، جواب «إن» فى قوله: «فإن ظن ظان». وأغفل: دخل فى الغفلة، كما بينته فيما سلف ١ : ١٥١، وغيره من المواضع.

(٢) فى المطبوعة: «لو لم تكن أل فيه»، والذى حدا بهم إلى هذا التغيير أنها فى المخطوطة مضطربة، كتبت هكذا: «لو لم يكن ما فيه» — الواو ممدودة منقوطة كأنها نون. والصواب ما أثبت. والضمير فى «يكونا» إلى «الألف واللام».

(٣) ديوانه: ٤٥، وسيأتى فى التفسير ١٣ : ٤ (بولاق) من قصيدته فى مدح عمرو بن الحارث الأصغر الأعرج الغسانى، وذلك حين فر من النعمان بن المنذر إلى الشام فى أمر المتجردة. والضمير فى: «لهم» إلى ملوك غسان من بنى جفنة. والشيمة: الطبيعة. ورواية الديوان: «من الجود» بدل «من الناس» ورواية الطبرى فى سياق هذه القصيدة أجود، لأن البيت جاء بعد وصفهم فى الحروب بشدة القتال، حتى قال قبله:

بِضَرْبٍ يُزِيلُ ٱلْهَامَ عَنْ سَكِنَاتِهِ ... وَطَعْنٍ كَإِيزَاغِ ٱلْمَخَاضِ ٱلضَّوَارِبِ

فالشيمة هنا: هى صبرهم على لأواء القتال. فلا تطير نفوسهم من الروع، ولا تضطرب عقولهم وتدبيرهم إذا بلغ القتال مبلغاً يشتت حكمة الحكيم، والعوازب جمع عازب، من قولهم: «عزب حلمه» إذا فارقه وبعد عنه.

بمعنى : فأحلامهم غير عوازب. والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصى.

* * *

فتأويل الكلام : إلا أن يعفونَ أو يعفو الذى بيده عقدة نكاحه ، [١] وهو الزوج الذى بيده عقدة نكاح نفسه فى كل حال قبل الطلاق وبعده = لا أن معناه : أو يعفو الذى بيده عقدة نكاحهن ، فيكون تأويل الكلام ما ظنه القائلون أنه الولى ولىّ المرأة . لأن ولىّ المرأة لا يملك عقدة نكاح المرأة بغير إذنها، إلا فى حال طفولتها ، وتلك حال لا يملك العقد عليها إلا بعض أوليائها ، فى قول أكثر من رأى أنّ الذى بيده عُقدة النكاح الولى . ولم يخصص الله تعالى ذكره بقوله : « أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح » بعضاً منهم ، فيجوز توجيه التأويل إلى ما تأوّلوه ، لو كان لما قالوا فى ذلك وجه .

* * *

وبعد ، فإن الله تعالى ذكره إنما كنى بقوله : « وإن طلقتموهن من قبل أن تمسُّوهنّ وقد فرضتم لهنّ فريضة فنصفُ ما فرضتم إلاّ أن يعفون » = عن ذكر النساء اللاتى قد جرى ذكرهنّ فى الآية قبلها ، وذلك قوله : « لا جناح عليكم إن طلّقتم النساء ما لم تمسُّوهن» ، والصبايا لا يسمين « نساء » ، وإنما يسمين صَبايا أو جوارى ، وإنما « النساء » فى كلام العرب أجمع ، اسم المرأة ، ولا تقول العرب للطفلة والصبية والصغيرة « امرأة »، كما لا تقول للصبى الصغير « رجل » .

وإذ كان ذلك كذلك ، وكان قوله : « أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح » ، عند الزاعمين أنه الولى إنما هو : أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح عما وجب لوليته التى تستحق أن يولّى عليها مالَها إمّا الصغرُ وإمّا السفهُ ، [٢] والله تعالى ذكره إنما اقتص فى الآيتين قَصص النساء المطلقات لعموم الذكر دون خصوصه ، وجعل

(١) فى المخطوطة والمطبوعة « عقدة النكاح » ، والصواب الذى يقتضيه التأويل وسياق الكلام بعده ، هو ما أثبت .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « إما لصغر وإما لسفه » ، والصواب ما أثبت .

لهن العفو بقوله : « إلا أن يعفون » =[١] كان معلوماً بقوله : « إلاّ أن يعفون » ، أن المعنيات منهن بالآيتين اللتين ذكرهن فيهما جميعهنّ دون بعض ، إذ كان معلوماً أن عفو من تولّى عليه ماله منهن باطل .

وإذ كان ذلك كذلك ، فبيّنٌ أن التأويل فى قوله : أو يعفو الذى بيده عقدة نكاحهن ، يوجب أن يكون لأولياء الثيبات الرُّشَّد البوالغ ، من العفو عما وجب لهنّ من الصداق بالطلاق قبل المسيس ، [٢] مثل الذى لأولياء الأطفال الصِّغار المولّى عليهن أموالَهنّ السفهُ . وفى إنكار القائلين : « إن الذى بيده عقدة النكاح الولىّ » ، عفو أولياء الثيبات الرشَّد البوالغ على ما وصفنا ، وتفريقهم بين أحكامهم وأحكام أولياء الأخَر — ما أبان عن فساد تأويلهم الذى تأولوه فى ذلك .

ويسأل القائلون بقولهم فى ذلك ، الفرقَ بين ذلك من أصل أو نظير ، فلن يقولوا فى شىء من ذلك قولاً إلا ألزموا فى خلافه مثله .

* * *

القولُ فى تأويل قوله ﴿ وَأَنْ تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فيمن خوطب بقوله : « وأن تعفوا أقرب للتقوى » .

فقال بعضهم : خوطب بذلك الرجال والنساء .

* ذكر من قال ذلك :

٥٣٦١ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، سمعت ابن جريج يحدّث ، عن عطاء بن أبى رباح ، عن ابن عباس : « وأن تعفوا أقرب للتقوى » ، قال : أقربُهما للتقوى الذى يعفو .

---

(١) السياق من أول العبارة : وإذ كان ذلك كذلك . . . كان معلوماً .

(٢) فى المخطوطة « النسا الرشد » ، وكأنها كانت « النساء الرشد » ولكنها ستأتى بعد أسطر « الثيبات الرشد » . وأنا أرجح أنها فى الموضعين « النساء الرشد » .

٥٣٦٢ – حدثنا ابن البرقى قال ، حدثنا عمرو بن أبى سلمة ، عن سعيد ابن عبد العزيز قال : سمعت تفسير هذه الآية : « وأن تعفوا أقرب للتقوى » ، قال : يعفون جميعاً .

* * *

فتأويل الآية على هذا القول : وأن يعفوا ، أيها الناس ، بعضكم عما وجب له قِبَل صاحبه من الصداق قبل الافتراق عند الطلاق، أقربُ له إلى تقوى الله .

* * *

وقال آخرون : بل الذين خوطبوا بذلك أزواجُ المطلقات .

* ذكر من قال ذلك :

٥٣٦٣ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن مغيرة، عن الشعبي : « وأن تعفوا أقرب للتقوى » ، وأن يعفو هو أقربُ للتقوى .

* * *

فتأويل ذلك على هذا القول : وأن تعفوا أيها المفارقون أزواجهم ، فتتركوا لهنّ ٢/٣٤١
ما وجب لكم الرجوع به عليهن من الصَّداق الذى سقتموه إليهنّ ، أو تتمُّوا لهنّ –[1] بإعطائكم إياهنّ الصداق الذى كنتم سميتم لهنّ فى عقدة النكاح إن لم تكونوا سقتموه إليهنّ – أقربُ لكم إلى تقوى الله .

* * *

قال أبو جعفر : والذى هو أولى القولين بتأويل الآية عندى فى ذلك ، ما قاله ابن عباس، وهو أن معنى ذلك: وأن يعفو بعضكم لبعض= أيها الأزواج والزوجات، بعد فراق بعضكم بعضاً عما وجب لبعضكم قبل بعض ، فيتركه له إن كان قد بقى له قِبَله . وإن لم يكن بقى له، فبأن يوفيه بتمامه = أقرب لكم إلى تقوى الله .

* * *

(١) فى المطبوعة : « أو إليهن بإعطائكم . . . » بياض فى أصولها ، وفى المخطوطة : « وأن ـ بإعطائكم » ؛ كأن الناسخ لم يستطع أن يجيد قراءة الكلمة ، فكتب التامين فى الأول ثم وقف ، ولم يعد . وقد مضت الآثار فى إكمال الصداق وإتمامه مثل رقم : ٥٣٢٣ وما بعده وما قبله، فمن هناك استظهرت صواب هذه الأحرف الناقصة ، وبما يقتضيه معنى الكلام .

فإن قال قائل : وما فى الصفح عن ذلك من القُرْب من تقوى الله ، فيقال للصافح العافى عما وجب له قِبَل صاحبه : فعلُك ما فعلتَ أقرب لك إلى تقوى الله ؟

قيل له : الذى فى ذلك من قربه من تقوى الله، مسارعتُه فى عفوه ذلك إلى ما ندبه الله إليه ، ودعاه وحضَّه عليه . فكان فعله ذلك — إذا فعله ابتغاء مرضاة الله، وإيثارَ ما ندبه إليه على هوى نفسه — معلوماً به، إذْ كان مؤثراً فعلَ ما ندبه إليه مما لم يفرضه عليه على هوى نفسه : أنه لما فرضه عليه وأوجبه أشد إيثاراً، ولما نهاه أشد تجنباً . وذلك هو قربه من التقوى .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولا تُغفلوا ، أيها الناس ، الأخذَ بالفضل بعضكم على بعض فتتركوه ،[1] ولكن ليتفضَّل الرجل المطلق زوجته قبل مسيسها ، فيكمل لها تمام صداقها إن كان لم يعطها جميعه . وإن كان قد ساق إليها جميع ما كان فرض لها ، فليتفضل عليها بالعفو عما يجب له ويجوز له الرجوع به عليها ، وذلك نصفه . فإن شحَّ الرجل بذلك وأبى إلا الرجوعَ بنصفه عليها ، فلتتفضل المرأة المطلَّقة عليه بردّ جميعه عليه ، إن كانت قد قبضته منه . وإن لم تكن قبضته ، فتعفو [عن] جميعه.[2] فإن هما لم يفعلا ذلك وشحَّا وتركا ما ندبهما الله إليه — من أخذ أحدهما على صاحبه بالفضل — فلها نصف ما كان فرض لها فى عقد النكاح وله نصفه .

---

(١) انظر معنى « النسيان » فيما سلف ٢ : ٩ ، ٤٧٦ .

(٢) ما بين القوسين زيادة يقتضيها السياق .

وبما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

٥٣٦٤ ــ حدثنا أحمد بن حازم قال ، حدثنا أبو نعيم قال، حدثنا ابن أبى ذئب ، عن سعيد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه جبير : أنه دخل على سعد بن أبى قاص فعرض عليه ابنة له فتزوجها، فلما خرجَ طلَّقها وبعثَ إليها بالصداق . قال : قيل له: فلم تزوّجتَها ؟ قال: عرضها علىّ فكرهت ردَّها! قيل : فلم تبعث بالصداق ؟ قال : فأين الفضل ؟

٥٣٦٥ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن أبى زائدة ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد: « ولا تنسوا الفضل بينكم»، قال: إتمام الزوج الصداقَ، أو ترك المرأة الشطرَ .

٥٣٦٦ ــ حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد: « ولا تنسوا الفضل بينكم»، قال: إتمام الصداق، أو ترك المرأة شطرَه .

٥٣٦٧ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٥٣٦٨ ــ حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد : « ولا تنسوا الفضل بينكم » ، فى هذا وفى غيره .

٥٣٦٩ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله: « ولا تنسوا الفضل بينكم» ، قال يقول : ليتعاطفا .

٥٣٧٠ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة : « ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير»، يرغبكم الله فى المعروف ويحثكم على الفضل .

٥٣٧١ ــ حدثنا يحيى بن أبى طالب قال، حدثنا يزيد قال . أخبرنا جويبر ،

عن الضحاك فى قوله : « ولا تنسوُا الفضل بينكم » ، قال: المرأة يطلقها زوجُها وقد فرَض لها ولم يدخل بها، فلها نصفُ الصداق . فأمر الله أن يترُك لها نصيبها، وإن شاء أن يتم المهر كاملا . وهو الذى ذكر الله : « ولا تنسوا الفضل بينكم » .

٥٣٧٢ — حدثنى موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولا تنسوا الفضل بينكم » ، حض كل واحد على الصلة — يعنى الزوج والمرأة ، على الصلة .

٥٣٧٣ — حدثنى المثنى قال، حدثنا حبان بن موسى قال ، أخبرنا ابن المبارك قال ، أخبرنا يحيي بن بشر : أنه سمع عكرمة يقول فى قول الله : « ولا تنسوا الفضل بينكم » ، وذلك الفضلُ هو النصفُ من الصداق ، وأن تعفو عنه المرأة للزوج أو يعفو عنه وليُّها . ٣٤٢/٢

٥٣٧٤ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « ولا تنسوا الفضل بينكم »، قال: يُعنى عن نصف الصداق أو بعضه .

٥٣٧٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا مهران = وحدثنى على قال ، حدثنا زيد = جميعاً ، عن سفيان : « ولا تنسوا الفضل بينكم » ، قال : حثَّ بعضهم على بعض فى هذا وفى غيره ، حتى فى عفو المرأة عن الصداق ، والزوج بالإتمام .

٥٣٧٦ — حدثنى يحيي بن أبى طالب قال، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك : « ولا تنسوا الفضل بينكم » ، قال : المعروف .

٥٣٧٧ — حدثنا ابن البرقى قال ، حدثنا عمرو ، عن سعيد قال ، سمعت تفسير هذه الآية : « ولا تنسوا الفضل بينكم » ، قال : لا تنسوا الإحسان .

• • •

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٢٣٧)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : « إن الله بما تعملون »، أيها الناس، مما ندبكم إليه وحضكم عليه، من عفو بعضكم لبعض عما وجب له قِبَله من حق بسبب النكاح الذى كان بينكم وبين أزواجكم ، وتفضُّلِ بعضكم على بعض فى ذلك ، وفى غيره [1] مما تأتون وتذرون من أموركم فى أنفسكم وغيركم مما حثكم الله عليه وأمركم به أو نهاكم عنه=« بصير »، يعنى بذلك: ذو بصر، [2] لا يخفى عليه منه شىء من ذلك، بل هو يُحصيه عليكم ويحفظه ، حتى يجازى ذا الإحسان منكم على إحسانه ، وذا الإساءة منكم على إساءته . [3]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : واظبوا على الصلوات المكتوبات فى أوقاتهن ، وتعاهدوهن والزَمُوهن ، وعلى الصلاة الوسطى منهن .

---

(١) فى المخطوطة « ولغيره » ، وفى المطبوعة : « وبغيره » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

(٢) انظر القول فى تفسير « بصير » فيما سلف ٢ : ١٤٠ ، ٣٧٦ ، ٥٠٦ / ثم ٥ : ٧٦

(٣) انتهى عند هذا الموضع جزء من التقسيم القديم الذى نقلت عنه نسختنا ، وفيها ما نصه .

« يتلوه القولُ فى تأويل قوله :

حَافظوا على الصَّلَوات والصَّلاة الوسطى

وصلَّى الله على سيدنا محمّد النبىّ وآله وصحبه وسلم »

ثم يبتدىء بعده :

« بسم الله الرحمن الرحيم

ربّ أعِنْ »

وبما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٥٣٧٨ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق بن الحجاج قال، حدثنا أبو زهير، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق فى قوله: « حافظوا على الصلوات »، قال: المحافظة عليها: المحافظة على وقتها، وعدم السهو عنها .

٥٣٧٩ – حدثنى يحيى بن إبراهيم المسعودى قال، حدثنا أبى، عن أبيه، عن جده، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق فى هذه الآية : « حافظوا على الصلوات »، فالحفاظ عليها: الصلاة لوقتها = والسهو عنها : ترك وقتها .(١)

* * *

ثم اختلفوا فى « الصلاة الوسطى » . فقال بعضهم : هى صلاة العصر .

* ذكر من قال ذلك :

٥٣٨٠ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا أبو عاصم = وحدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد= جميعاً قالا، حدثنا سفيان، عن أبى إسحق، عن الحارث، عن على قال : الصلاة الوسطى صلاة العصر .(٢)

---

(١) الأثر : ٥٣٧٩ – هو : يحيى بن إبراهيم بن أبى عبيدة بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله ابن مسعود المسعودى . روى عن أبيه وجده . قال النسائى : « صدوق »، وذكره ابن حبان فى الثقات مترجم فى التهذيب .

(٢) الخبر : ٥٣٨٠ – روى أبو جعفر هنا، فى تفسير الصلاة الوسطى ١١٣ خبراً، بين مرفوع وموقوف وأثر، على اختلاف الروايات فى ذلك، بعضها صحيح، وبعضها ضعيف، مما لم نجده مستوعباً وافياً فى غير هذا الموضع من الدواوين . واجتهد – لله دره – حتى أوفى على الغاية، ثم أبان عن القول الراجح الصحيح : أنها صلاة العصر، كعادته فى الترجيح، واختيار ما يراه أقوى دليلا .

فأولها : هذا الخبر عن على، وهو موقوف عليه، وإسناده ضعيف جداً .

سفيان : هو الثورى الإمام .

أبو إسحق : هو السبيعى الإمام .

الحارث : هو ابن عبد الله الأعور الهمدانى . وهو ضعيف جداً، كما بينا فيما مضى : ١٧٤ .

وهذا الخبر رواه الطحاوى فى معانى الآثار ١ : ١٠٣، من طريق إبرهيم بن طهمان، عن أبى إسحق به، ولم يذكر لفظه، إحالة على روايات قبله .

وسيأتى هذا القول عن على، بأسانيد، فيها صحاح كثيرة ٥٣٨٢ – ٥٣٨٦، ٥٤٢٢–٥٤٢٩، ٥٤٤٤ .

٥٣٨١ – حدثني محمد بن عبيد المحاربي قال، حدثنا أبو الأحوص، عن أبي إسحق قال ، حدثني من سمع ابن عباس وهو يقول : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » ، قال : العصر .(١)

٥٣٨٢ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا مصعب بن سلام ، عن أبي حيان ، عن أبيه ، عن علي قال : الصلاة الوسطى صلاة العصر .(٢)

٥٣٨٣ – حدثني يعقوب قال ، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا أبو حيان ، عن أبيه ، عن علي مثله .(٣)

٥٣٨٤ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا مصعب، عن الأجلح ، عن أبي إسحق ، عن الحارث قال : سمعت عليًّا يقول : الصلاة الوسطى صلاة العصر .(٤)

٥٣٨٥ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام، عن عنبسة ، عن أبي إسحق ،

---

(١) الخبر : ٥٣٨١ – وهذا موقوف على ابن عباس أيضاً . وإسناده ضعيف ، لجهالة الرجل المبهم الراوية عنه « من سمع ابن عباس » .

وسيأتي عن ابن عباس ، من أوجه كثيرة : ٥٤١٣ ، ٥٤١٦ ، ٥٤٣٣ – ٥٤٣٥ ، ٥٤٦٨ ، ٥٤٧٢ – ٥٤٧٩ ، ٥٤٨١ .

(٢) الخبر : ٥٣٨٢ – هذا إسناد حسن على الأقل . مصعب بن سلام التميمي : صدوق ، وثقه بعضهم ، وضعفه آخرون . والظاهر من ترجمته أن الكلام فيه لأحاديث غلط فيها ، فما لم يثبت غلطه فيه فهو مقبول . وله ترجمة مفصلة في تاريخ بغداد ١٣ : ١٠٨ – ١١٠ .

أبو حيان : هو التيمي الكوفي العابد ، واسمه : يحيى بن سعيد بن حيان . وهو ثقة ، كان الثوري يعظمه ويوثقه . أخرج له أصحاب الكتب الستة .

أبوه سعيد بن حيان : تابعي ثقة ، روى عن علي ، وأبي هريرة .

(٣) الخبر : ٥٣٨٣ – وهذا إسناد صحيح ، متابعة صحيحة من ابن علية لمصعب بن سلام ، في حديثه السابق .

وقد ذكر ابن حزم في المحلى ٤ : ٢٥٩ ، نحو هذا المعنى : « عن يحيى بن سعيد القطان، عن أبي حيان يحيى بن سعيد التيمي ، حدثني أبي : أن سائلا سأل علياً : أي الصلوات ، يا أمير المؤمنين ، الوسطى ؟ وقد نادى مناديه العصر ، فقال : هي هذه » .

(٤) الخبر : ٥٣٨٤ – الأجلح : هو ابن عبد الله الكندي ، وهو ثقة ، تكلم فيه بعضهم بغير حجة . وترجمه البخاري في الكبير ١/٢/٦٨ ، فلم يذكر فيه جرحاً .

عن الحارث قال: سألت علياً عن الصلاة الوسطى، فقال: صلاة العصر. (١)

٥٣٨٦ – حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري قال، حدثنا أبو زرعة وهب الله بن راشد قال، أخبرنا حيوة بن شريح قال، أخبرنا أبو صخر: أنه سمع أبا معاوية البجلي من أهل الكوفة يقول: سمعت أبا الصهباء البكري يقول: سألت علي بن أبي طالب عن الصلاة الوسطى فقال: هي صلاة العصر، وهي التي فُتن بها سليمان بن داود صلى الله عليه. (٢)

٥٣٨٧ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية قال، أخبرنا سليمان التيمي = وحدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا بشر بن المفضل، قال، حدثنا التيمي = عن أبي صالح، عن أبي هريرة أنه قال: الصلاة الوسطى صلاة العصر. (٣) ٣٤٣/٢

---

(١) الخبر: ٥٣٨٥ – عنبسة: هو ابن سعيد بن الضريس الأسدي. مضى مراراً، منها: ٣٣٥٦.

وهذا الإسناد والذي قبله ضعيفان، من أجل الحارث الأعور، كما قلنا في: ٥٣٨٠.

(٢) الخبر: ٥٣٨٦ – أبو زرعة، وهب الله بن راشد، مضى في: ٢٣٧٧، ٢٨٩١. ووقع في المطبوعة هنا «وهب بن راشد»، وهو خطأ، وثبت على الصواب في المخطوطة.

أبو صخر: هو حميد بن زياد الخراط، صاحب العباء، سكن مصر. وهو ثقة، أخرج له مسلم في الصحيح.

أبو معاوية البجلي: عقد له صاحب التهذيب ترجمة خاصة في الكنى ١٢: ٢٤٠، ونقل عن أبي أحمد الحاكم أنه «عمار الدهني»، وجعل ذلك قولا. والصحيح أنه هو «عمار بن معاوية الدهني البجلي»، وهو ثقة، أخرج له مسلم في الصحيح. وترجمه ابن أبي حاتم ٣/١/٣٩٠. و «الدهني»: بضم الدال المهملة وسكون الهاء، نسبة إلى «دهن بن معاوية»، بطن من بجيلة.

أبو الصهباء البكري: لم أجد له ترجمة إلا في كتاب ابن أبي حاتم ٤/٢/٣٩٤، قال: «أبو الصهباء البكري، أنه سأل علي بن أبي طالب، روى عنه سعيد بن جبير». ثم قال: «سئل أبو زرعة عن اسمه؟ فقال: لا أعرف اسمه». ولم يذكر فيه جرحاً. وقد استفدنا من هذا الموضع من الطبري أنه روى عنه أيضاً أبو معاوية البجلي، فارتفعت عنه الجهالة، وعرف شخصه. فهذا إسناد صحيح.

وقد ذكر ابن حزم في المحلى ٤: ٢٥٩، نحو معناه عن علي، من وجه آخر، من رواية سلمة ابن كهيل، عن أبي الأحوص، عن علي.

وذكر السيوطي ١: ٣٠٥، نحوه أيضاً، وذكر كثيراً ممن خرجوه، منهم: وكيع، وابن أبي شيبة وعبد بن حميد، والبيهقي في الشعب.

(٣) الخبر: ٥٣٨٧ – أبو صالح: هو السمان الزيات، مولى جويرية بنت الأحمس، واسمه:

٥٣٨٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال، أخبرنا ابن المبارك، عن معمر، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن ابن لبيبة ، عن أبي هريرة : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » ، ألا وهي العصر ، ألا وهي العصر .(١)

ذكوان . وهو تابعي ثقة ، أخرج له أصحاب الكتب الستة . وهو والد سهيل ، وصالح ، وعبد الله ، روى عنه أولاده وغيرهم ، من التابعين فمن بعدهم .

وهذا الخبر ذكره ابن حزم في المحلى ٤ : ٢٥٨ ، « من طريق يحيى بن سعيد القطان ، عن سليمان التيمي ، عن أبي صالح السمان ، عن أبي هريرة » ، موقوفاً . وكذلك رواه البيهقي ١ : ٤٦٠ – ٤٦١ ، من طريق إبرهيم بن عبد الله البصري ، عن الأنصاري ، وهو محمد بن عبد الله بن المثنى الأنصاري ، عن سليمان التيمي ، قال : « فذكره موقوفاً » . ثم رواه من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل . عن أبيه ؛ « حدثنا يحيى بن سعيد ، عن التيمي ، فذكره موقوفاً » . ثم حكى عن عبد الله بن أحمد ، بالإسناد نفسه متصلا به ، قال : « قال أبي : ليس هو أبو صالح السمان ، ولا باذام . هذا بصري ، أراه ميزان ، يعني : اسمه باذام » . وهذا الظن من الإمام أحمد رحمه الله ، ينفيه تصريح من ذكرنا من الرواة بأنه « أبو صالح السمان » . وأما « أبو صالح ميزان » ، فإنه تابعي آخر ثقة ، مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري ٤/٢/٦٧ . ولكنهم لم يذكروا له رواية عن أبي هريرة .

بل إنه قد رواه البيهقي أيضاً ، قبل ذلك مرفوعاً : فرواه من طريق عبد الوهاب بن عطاء ، عن سليمان التيمي ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، مرفوعاً .

وسيأتي – مرفوعاً – من هذا الوجه : ٥٤٣٢ .

وسيأتي – موقوفاً – من رواية سليمان التيمي ، عن أبي صالح : ٥٣٩٠ .

(١) الخبر : ٥٣٨٨ – سويد : هو ابن نصر بن سويد المروزي ، مضى في : ٢٩٤١ .

عبد الله بن عثمان بن خثيم : مضى في : ٤٣٤١ . وجده « خثيم » : بضم الخاء المعجمة وفتح الثاء المثلثة . ووقع في المطبوعة « غنم » ، وهو خطأ . وثبت على الصواب في المخطوطة .

ابن لبيبة : هو عبد الرحمن بن نافع بن لبيبة الطائفي ، لم أجد له ترجمة إلا في ابن أبي حاتم ٢/٢/٢٩٤ ، قال : « روى عن أبي هريرة ، وابن عمر . روى عنه عبد الله بن عثمان بن خثيم ، ويعلى بن عطاء » . فهو تابعي معروف ، لم يذكر بجرح ، فهو ثقة . وذكر اسمه عند الطحاوي والسيوطي : « عبد الرحمن بن لبيبة » ، وعند ابن حزم « عبد الرحمن نافع » فقط . كما سيأتي في التخريج .

والخبر رواه الطحاوي في معاني الآثار ١ : ١٠٣ – ١٠٤ ، من طريق إسمعيل بن عياش ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، « عن عبد الرحمن بن لبيبة الطائفي : أنه سأل أبا هريرة . . . » فذكره مطولا .

وذكره السيوطي ١ : ٣٠٤ ، مطولا ، كرواية الطحاوي . ونسبه إليه وإلى عبد الرزاق في المصنف . وهو تساهل منه . لأن رواية عبد الرزاق مختصرة جداً .

وذكره ابن حزم في المحلى ٤ : ٢٥٨ – ٢٥٩ ، مطولا ، « من طريق إسمعيل بن إسحق ، حدثنا علي بن عبد الله ، هو ابن المديني ، حدثنا بشر بن المفضل ، حدثنا عبد الله بن عثمان ، عن عبد الرحمن ابن نافع : أن أبا هريرة سئل عن الصلاة الوسطى ؟ . . . » ، فذكره .

وأما رواية عبد الرزاق في المصنف ١ : ١٨٢ (مخطوط مصور) – فإنها مختصرة جداً : « عبد الرزاق عن معمر ، عن ابن خثيم ، عن ابن لبيبة ، عن أبي هريرة ، قال : هي العصر » .

٥٣٨٩ – حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ، حدثنا أبي وشعيب ابن الليث ، عن الليث ، عن يزيد بن الهاد ، عن ابن شهاب ، عن سالم بن عبد الله ، عن عبد الله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «من فاتته صلاة العصر فكأنما وُتِرَ أهلَه ومالَه» ، فكان ابن عمر يرى لصلاة العصر فضيلةً للذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها : أنها الصلاة الوسطى .(١)

٥٣٩٠ – حدثني محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا معتمر ، عن أبيه ، قال ، زعم أبو صالح ، عن أبي هريرة أنه قال : هي صلاة العصر .(٢)

---

(١) الحديث : ٥٣٨٩ – هذا إسناد صحيح جداً .

وأصل الحديث المرفوع ، دون رأي ابن عمر في آخره – رواه أحمد في المسند : ٤٥٤٥ ، عن سفيان ، وهو ابن عيينة ، عن الزهري ، عن سالم ، عن أبيه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم . ورواه أصحاب الكتب الستة ، كما في المنتقى : ٥٥٦ .

ورواه أحمد أيضاً ، من طرق كثيرة ، عن نافع ، عن ابن عمر . بيناها في الاستدراكين : ١٢٩٩ ، ١٥٤٢ .

وأما الحديث ، على النحو الذي رواه أبو جعفر هنا ، بزيادة رأي عبد الله بن عمر – : فقد رواه عبد الرزاق في المصنف ١ : ١٨١ ، عن معمر ، عن الزهري ، عن سالم ، عن ابن عمر ، بنحوه ، مختصراً قليلا .

وكذلك ذكره السيوطي ١ : ٣٠٤ ، ونسبه لعبد الرزاق ، وعبد بن حميد . ونسي أن ينسبه للطبري . وسيأتي بنحوه : ٥٣٩١ .

وذكر ابن حزم في المحلى ٤ : ٢٥٩ – رأي ابن عمر ، دون أن يذكر الحديث المرفوع .

وكذلك روى الطحاوي في معاني الآثار ١ : ١٠١ قول ابن عمر ، موقوفاً عليه ، صريح اللفظ : «الصلاة الوسطى صلاة العصر» – من طريق عبد الله بن صالح ، ومن طريق عبد الله بن يوسف ، كلاهما عن الليث ، عن ابن الهاد ، عن الزهري ، عن سالم ، عن أبيه .

قوله : «وتر أهله وماله» : هو بالبناء لما لم يسم فاعله . قال ابن الأثير : «أي نقص ، يقال : وترته ، إذا نقصته . فكأنك جعلته وتراً بعد أن كان كثيراً . وقيل : هو من الوتر : الجناية التي يجنيها الرجل على غيره ، من قتل أو نهب أو سبي . فشبه ما يلحق من فاتته صلاة العصر بمن قتل حميمه ، أو سلب أهله وماله . يروى بنصب الأهل ورفعه ، فمن نصب جعله مفعولا ثانياً لوتر ، وأضمر فيه مفعولا لم يسم فاعله عائداً إلى الذي فاتته الصلاة . ومن رفع لم يضمر ، وأقام الأهل مقام ما لم يسم فاعله ، لأنهم المصابون المأخوذون . فمن رد النقص إلى الرجل نصبهما ، ومن رده إلى الأهل والمال رفعهما» .

(٢) الخبر : ٥٣٩٠ – هو تكرار للخبر : ٥٣٨٧ . وكان مكانه أن يذكر عقبه ، أو عقب الذي بعده . لأن إثباته في هذا الموضع فصل بين حديثي ابن عمر : ٥٣٨٩ ، ٥٣٩١ – دون ما حاجة لذلك ولا حكمة .

و «معتمر» – في هذا الإسناد : هو ابن سليمان التيمي .

٥٣٩١ – حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال ، حدثني عمي عبد الله ابن وهب قال ، أخبرني عمرو بن الحارث ، عن ابن شهاب ، عن سالم ، عن أبيه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه = قال ابن شهاب ، وكان ابن عمر يرى أنها الصلاة الوسطى .(١)

٥٣٩٢ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عفان بن مسلم قال ، حدثنا همام ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن أبي سعيد الخدري قال : الصلاة الوسطى : صلاة العصر .(٢)

٥٣٩٣ – حدثني محمد بن معمر قال ، حدثنا ابن عامر قال ، حدثنا محمد ابن أبي حميد ، عن حميدة ابنة أبي يونس مولاة عائشة قالت : أوصت عائشة لنا بمتاعها ، فوجدتُ في مصحف عائشة : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وهي العصر وقوموا لله قانتين » .(٣)

---

(١) الحديث : ٥٣٩١ – هو تكرار للحديث : ٥٣٨٩ ، فصل بينهما – دون ما حاجة – بخبر أبي هريرة . فأوجب شبهة أن يكون قوله في هذا الحديث « بنحوه » ، راجعاً إلى خبر أبي هريرة . وليس كذلك ، بل هو تكرار للحديث المرفوع ولرأي ابن عمر الذي استنبطه من الحديث .

(٢) الخبر : ٥٣٩٢ – عفان بن مسلم بن عبد الله الصفار : ثقة من شيوخ أحمد والبخاري . وأخرج له أصحاب الكتب الستة . وله ترجمة جيدة في تاريخ بغداد ١٢ : ٢٦٩ – ٢٧٧ .

الحسن : هو البصري . وقد روى ابن أبي حاتم في المراسيل ، ص : ١٥ ، عن علي بن المديني ، أن الحسن لم يسمع من أبي سعيد الخدري شيئاً ، وكذلك روى نحوه عن بهز . فهذا الخبر منقطع لهذا .

والخبر رواه الطحاوي في معاني الآثار ١ : ١٠٣ ، عن ابن مرزوق ، عن عفان عن همام ، بهذا الإسناد . ولم يذكر لفظه ، إحالة على ما قبله .

وسيأتي في : ٥٤٥١ ، رواية عن أبي سعيد الخدري : أنها الظهر . وهذا هو الذي ذكره السيوطي ١ : ٣٠٢ نقلا عن الطبري .

وأبو سعيد ممن روى عنه أنها الظهر ، وروى عنه أنها العصر ، كما في ابن كثير ١ : ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، وفتح الباري ٨ : ١٤٦ . وقد ذكر الحافظ في الفتح أن أحمد روى عن أبي سعيد – من قوله – أنها صلاة العصر . وهذه الرواية لم أجدها في المسند ، فما أدري : أهي في موضع آخر عرضاً غير مسند أبي سعيد ؟ أم في كتاب آخر من كتب أحمد غير المسند ؟ وإن كان مقتضى الإطلاق أن يراد المسند !

(٣) الخبر : ٥٣٩٣ – ابن عامر : هكذا ثبت في المخطوطة والمطبوعة ! ولست أدري من هو ؟ والراجح – عندنا – أنه خطأ ، صوابه « أبو عامر » ، وهو « أبو عامر العقدي عبد الملك بن عمرو » فهو يروي عن محمد بن أبي حميد ، ويروي عنه محمد بن معمر ، شيخ الطبري .

٥٣٩٤ – حدثني سعيد بن يحيى الأموي قال ، حدثنا أبي قال ، حدثنا ابن جريج قال ، أخبرنا عبد الملك بن عبد الرحمن : أن أمه أم حُميد بنت عبد الرحمن سألت عائشة عن الصلاة الوسطى ، قالت : كنا نقرؤها في الحرف الأول على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى = [قال أبو جعفر : أنه قال] = صلاة العصر وقوموا لله قانتين » .

٥٣٩٥ – حدثني عباس بن محمد قال ، حدثنا حجاج قال ، قال ابن جريج ، أخبرني عبد الملك بن عبد الرحمن ، عن أمه أم حميد ابنة عبد الرحمن : أنها سألت عائشة ، فذكر نحوه = إلاّ أنه قال : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر » .[1]

حميدة ابنة أبي يونس مولاة عائشة : لا أدري من هي ، ولا ما شأنها ؟ لم أجد لها ذكراً في كل المصادر التي بين يدي ، ولا في كتاب الثقات لابن حبان ، فأمرها مشكل حقاً . وسيأتي خبران « عن أبي يونس مولى عائشة » : ٥٤٦٦ ، ٥٤٦٧ ، وهذا تابعي معروف ، كما سيأتي ، فلعل هذه ابنته .

وقد ذكر السيوطي ١ : ٣٠٤ نحو هذا الخبر ، هكذا : « وأخرج وكيع عن حميدة ، قالت : قرأت في مصحف عائشة : حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ، صلاة العصر » .

وكذلك رواه ابن أبي داود في المصاحف ، ص : ٨٤ ، عن محمد بن معمر ، عن أبي عاصم ، عن ابن جريج ، عن ابن أبي حميد ، قال : « أخبرتني حميدة » ، ولم يذكر نسبها .

وستأتي أخبار أخر عن عائشة : ٥٣٩٤ – ٤٣٩٧ ، ٥٤٠٠ ، ٥٤٠١ ، ٥٤٦٦ ، ٥٤٦٧ .

(١) الحديثان : ٥٣٩٤ ، ٥٣٩٥ – عبد الملك بن عبد الرحمن بن خالد بن أسيد – بفتح الهمزة – القرشي : ثقة . ترجمه ابن أبي حاتم ٢/٢/٣٥٥ ، قال : « روى عن أمه أم حميد ، قالت : سمعت عائشة . روى عنه ابن جريج » . ووهم العقيلي ، فلم يرفع نسبه ، وقال : « من ولد عتاب بن أسيد » . واستدرك عليه الحافظ في لسان الميزان ٤ : ٦٥ – ٦٦ ، ونقل ترجمته من ثقات ابن حبان ، نحو كلام ابن أبي حاتم .

أمه « أم حميد ابنة عبد الرحمن » : لم أتوثق من ترجمتها . في التهذيب ١٢ : ٤٦٥ – ترجمة هكذا : « أم حميد ، ويقال : أم حميدة ، بنت عبد الرحمن ، عن عائشة ، روى ابن جريج عن أبيه عنها » . فإن لم تكنها فلا أدري ؟

وهذان الحديثان بمعنى واحد ، إلا أن في أولهما : « صلاة العصر » ، بدون الواو ، وفي ثانيهما : « وصلاة العصر » ، بإثبات الواو . وهذه الواو العاطفة – في رواية إثباتها : هي من عطف الصفة على الموصوف ، لا عطف المغايرة . كما يدل عليه الرواية الآتية : ٥٣٩٧ ، « وهي صلاة العصر » . وانظر فتح الباري ٨ : ١٤٨ ، وما يأتي : ٥٤٦٥ – ٥٤٦٨ .

وهذا المعنى – عن عائشة – رواه عبد الرزاق في المصنف ١ : ١٨٢ ، عن ابن جريج ، بهذا

٥٣٩٦ – حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنا أبي، عن محمد بن عمرو، أبي سهل الأنصاري، عن القاسم بن محمد، عن عائشة في قوله: «الصلاة الوسطى»، قالت: صلاة العصر.(١)

٥٣٩٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا الحجاج قال، حدثنا حماد، عن هشام ابن عروة، عن أبيه قال: كان في مصحف عائشة: «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وهي صلاة العصر».(٢)

الإسناد، ولم يذكر لفظه، إحالة على رواية قبله، فيها إثبات الواو.

ورواه ابن حزم في المحلى ٤ : ٢٥٧ – ٢٥٨، بإسناده، من طريق عبد الرزاق.

ورواه ابن أبي داود في المصاحف، ص: ٨٤، بإسنادين: من طريق أبي عاصم، ومن طريق حجاج – كلاهما عن ابن جريج، به.

ورواه الطحاوي في معاني الآثار ١ : ١٠٢، من طريق الحجاج بن محمد، عن ابن جريج، به.

(١) الخبر: ٥٣٩٦ – أبو سهل محمد بن عمرو الأنصاري الواقفي البصري: الراجح عندنا توثيقه، ترجم له البخاري في الكبير ١/١/١٩٤، فلم يذكر فيه جرحاً، وذكره ابن حبان في الثقات، ثم ذكره في الضعفاء. وترجمه ابن أبي حاتم ٤/١/٣٢، فذكر الأقوال في تضعيفه فقط. وقال ابن حزم في المحلى ٤ : ٢٥٦، «ثقة. روى عنه ابن مهدي، ووكيع، ومعمر، وعبد الله بن المبارك، وغيرهم».

ووقع في المطبوعة: «محمد بن عمرو وأبي سهل الأنصاري»! وزيادة الواو قبل الكنية خطأ، وقع في المخطوطة أيضاً.

ووقع في المطبوعة أيضاً: «قال صلاة العصر». وهو خطأ واضح. صوابه «قالت».

والخبر، ذكر ابن حزم في المحلى ٤ : ٢٥٦ أنه رواه «من طريق عبد الرحمن بن مهدي، عن أبي سهل محمد بن عمرو الأنصاري، عن محمد بن أبي بكر، عن عائشة أم المؤمنين، قالت: الصلاة الوسطى صلاة العصر». ثم قال ابن حزم: «فهذه أصح رواية عن عائشة».

وقوله في الإسناد «عن محمد بن أبي بكر» – هكذا وقع في المحلى، فلا أدري، الرواية عن ابن مهدي هكذا؟ فيكون محمد بن عمرو رواه عن القاسم بن محمد وعن أبيه! أم هو خطأ من ناسخي المحلى؟ وأنا أرجح أنه خطأ، لأن محمد بن أبي بكر الصديق قديم الوفاة. وشيوخ محمد بن عمرو كلهم مقارب لطبقة القاسم بن محمد، ثم إنهم لم يذكروا محمد بن أبي بكر في شيوخ محمد بن عمرو. وأكثر من هذا أنهم لم يذكروا – قط – راوياً عن محمد بن أبي بكر، غير ابنه القاسم بن محمد. ولكن ابن حزم يشير بعد ذلك، ص: ٢٥٩ إلى رواية القاسم بن محمد عن عائشة «مثل ذلك». فالظاهر أن الخطأ قديم، في الكتب التي نقل عنها ابن حزم.

(٢) الخبر: ٥٣٩٧ – المثنى – شيخ الطبري: هو ابن إبراهيم الآملي، كما بينا فيما مضى: ١٨٦، ١٨٧. ووقع في ابن كثير، نقلا عن هذا الموضع: «ابن المثنى»، وهو خطأ.

الحجاج: هو ابن المنهال الأنماطي، كما مضى في رواية المثنى عنه: ٦٨٢، ١٦٨٢، ١٦٨٣.

حماد: هو ابن سلمة، كما تبين من رواية ابن حزم التي سنذكر.

٥٣٩٨ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع ، عن داود بن قيس قال ، حدثني عبد الله بن رافع مولى أم سلمة قال: أمرتني أم سلمة أن أكتب لها مصحفاً وقالت : إذا انتهيت إلى آية الصلاة فأعلمني. فأعلمتُها، فأملت علي : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر » .(١)

٥٣٩٩ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه قال : كان الحسن يقول : الصلاة الوسطى صلاة العصر .(٢)

والخبر نقله ابن كثير ١ : ٥٨٠ ، عن هذا الموضع . ونقله الحافظ في الفتح ٨ : ١٤٦ ، والسيوطي ١ : ٣٠٤ ، ولم ينسباه لغير الطبري .

وذكره ابن حزم في المحلى ٤ : ٢٥٤ « عن حماد بن سلمة ، عن هشام بن عروة » . ولكن فيه : « وصلاة العصر » ، بدون كلمة « هي » .

وكذلك هو بنحوه ، في كتاب المصاحف لابن أبي داود ، ص : ٨٣ ، من طريق يزيد ، عن حماد ، عن هشام ، عن أبيه .

ورواه عبد الرزاق في المصنف ١ : ١٨٢ ، عن معمر ، عن هشام بن عروة ، قال : « قرأت في مصحف عائشة رضي الله عنها : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين » . فلم يذكر كلمة « هي » . وجعله من قراءة هشام نفسه في مصحف عائشة ، لا من روايته عن أبيه .

وهذه الرواية ذكرها السيوطي ١ : ٣٠٢ ، ونسبها لعبد الرزاق ، وابن أبي داود . ولم أجدها في كتاب المصاحف .

(١) الخبر : ٥٣٩٨ – داود بن قيس الفراء الدباغ المدني : ثقة حافظ ، كما قال الشافعي . ووثقه ابن المديني وغيره .

عبد الله بن رافع المخزومي ، أبو رافع المدني ، مولى أم سلمة أم المؤمنين عتاقة : تابعي ثقة .

وهذا الخبر رواه عبد الرزاق في المصنف ١ : ١٨٢ ، عن داود بن قيس ، ولكن بلفظ : « وصلاة العصر » ، بزيادة الواو .

وكذلك هو في المحلى ٤ : ٢٥٤ ، نقلا عن عبد الرزاق .

وكذلك نقله السيوطي ١ : ٣٠٣ . ونسبه لوكيع ، وابن أبي شيبة في المصنف ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن أبي داود في المصاحف ، وابن المنذر . ونسي أن ينسبه لعبد الرزاق .

وهو في كتاب المصاحف لابن أبي داود، ص : ٨٧ – ٨٨ ، من طريق ابن نافع ، وطريق وكيع ، وطريق سفيان – ثلاثتهم عن داود بن قيس . وفي الطريقين الأولين بإثبات الواو ، وفي الثالث بحذفها .

وأشار إليه الحافظ في الفتح ٨ : ١٤٨ ، ونسبه لابن المنذر ، فقط . ووقع فيه « عبيد الله بن رافع » وهو خطأ من ناسخ أو طابع .

(٢) الخبر : ٥٣٩٩ – هو أثر من كلام الحسن ، بإسناد ضعيف مجهل ، بقول الطبري : « حدثت عن عمار » .

٥٤٠٠ ــ حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا المعتمر ، عن أبيه قال ، حدثنا قتادة ، عن أبي أيوب ، عن عائشة ، أنها قالت : الصلاة الوسطى صلاة العصر .

٥٤٠١ ــ حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا يحيى ، عن سليمان التيمى، عن قتادة ، عن أبي أيوب ، عن عائشة مثله . (١)

٥٤٠٢ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام قال ، حدثنا عنبسة ، عن المغيرة، عن إبراهيم قال : كان يقال : الصلاة الوسطى صلاة العصر .

٥٤٠٣ ــ حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال: ذُكر لنا عن على بن أبي طالب أنه قال : صلاة الوسطى صلاة العصر .

٥٤٠٤ ــ حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم ، عن أبي بشر ، سعيد بن جبير قال : صلاة الوسطى صلاة العصر . ٢/٣٤٤

٥٤٠٥ ــ حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن سالم ، عن حفصة : أنها أمرت رجلا يكتب لها مصحفاً فقالت : إذا بلغت هذا المكان فأعلمني . فلما بلغ : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » ، قالت : اكتب

وسيأتي بإسناد آخر عن الحسن : ٥٤١٩ .

وسياتى نحو معناه عن الحسن ، مرفوعاً مرسلا : ٥٤٤١ .

(١) الخبران : ٥٤٠٠ ، ٥٤٠١ ــ المعتمر ــ فى الإسناد الأول : هو ابن سليمان التيمى .

يحيى ــ فى الإسناد الثانى : هو ابن سعيد القطان .

أبو أيوب : هو يحيى بن مالك المراغى العتكى الأزدى ، وهو تابعى ثقة مأمون .

و « المراغى » : نسبة إلى « المراغ » ، وهى بطن من الأزد. و « العتكى » : نسبة إلى « العتيك » ابن الأزد » . فالظاهر أن المراغ من العتيك . وأخطأ ابن حزم فى المحلى ، فذكر أن اسم أبي أيوب : « يحيى بن يزيد » . وهو خلاف لما فى الدواوين ، بل قد ثبت اسمه فى صحيح مسلم ١ : ١٧٠ فى حديث آخر : « عن قتادة ، عن أبي أيوب ، واسمه : يحيى بن مالك الأزدى ، ويقال المراغى . والمراغ : حى من الأزد » .

والخبر نقله ابن حزم فى المحلى ٤ : ٢٥٩ ، عن يحيى بن سعيد القطان ، عن سليمان التيمى ، به .

وذكره السيوطى ١ : ٣٠٥ ، قال : « وأخرج ابن أبي شيبة ، وابن جرير ، من طرق عن عائشة » .

« صلاة العصر » .(١)

٥٤٠٦ – حدثني المثنى قال ، حدثنا الحجاج بن المنهال ، قال ، حدثنا حماد ابن سلمة قال ، أخبرنا عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم : أنها قالت لكاتب مصحفها : إذا بلغت مواقيت الصلاة فأخبرني حتى أخبرك بما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما أخبرها قالت : اكتب ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وهي صلاة العصر » .(٢)

---

(١) الخبر : ٥٤٠٥ – أبو بشر : هو جعفر بن أبي وحشية ، مضى في : ٣٣٤٨ .

وسيأتي هذا الخبر مطولا : ٥٤٦١ ، من طريق شعبة ، عن أبي بشر ، عن عبد الله بن يزيد الأزدي ، عن سالم . وفيه هناك : « وصلاة العصر » . فظهر أن هذا الإسناد منقطع بين أبي بشر وسالم . وندع الكلام عليه إلى ذاك الموضع ، إن شاء الله .

(٢) الخبر : ٥٤٠٦ – نافع مولى ابن عمر : تابعي ثقة . ولكن روايته عن حفصة بنت عمر مرسلة ، كما نص على ذلك ابن أبي حاتم في المراسيل ، ص : ٨١ ، وكذلك نقل عنه في التهذيب .

وهذا الخبر سيأتي أيضاً : ٥٤٦٣ ، من طريق أسد بن موسى ، عن حماد بن سلمة ، بهذا الإسناد . وفيه : « وصلاة العصر » ، بدل « وهي صلاة العصر » .

وكذلك سيأتي : ٥٤٦٢ ، من طريق عبد الوهاب ، عن عبيد الله .

ويدل على انقطاع هذا الإسناد والإسنادين الآتيين : أن ابن أبي داود رواه في المصاحف ، ص ٨٥ ، عن محمد بن بشار – قال : ولم نكتبه عن غيره – : « حدثنا حجاج بن منهال ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن حفصة . . . » . وفيه أيضاً : « وصلاة العصر » .

ثم رواه : ٨٥ – ٨٦ ، عن عمه وإسحق بن إبراهيم ، قالا : « حدثنا حجاج ، حدثنا حماد ، قال : أخبرنا عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن حفصة ، مثله . ولم يذكر فيه ابن عمر » .

فقد ظهر أنه اختلف على الحجاج بن منهال في وصله وانقطاعه . والوصل زيادة ثقة ، فتقبل .

وروى نحوه عبد الرزاق في المصنف ١ : ١٨٢ ، عن ابن جريج ، قال : « أخبرني نافع : أن حفصة . . . » – وفيه أيضاً : « وصلاة العصر » .

ورواية ابن جريج هذه – ذكرها ابن حزم في المحلى ٤ : ٢٥٣ . ونستدرك هنا : أننا أشرنا في التعليق عليه إلى رواية الطبري هذه – : ٥٤٠٦ – وقلنا هناك : « وإسناده صحيح جداً » . وقد تبين لنا الآن أن هذا كان خطأ ، وأن الإسناد ضعيف لانقطاعه ، كما قلنا . نعم إن رواية ابن أبي داود ، التي فيها زيادة « عن ابن عمر » ، دلت على وصل الخبر ، ولكنه إنما يكون صحيحاً فيها ، لا في رواية الطبري هذه .

وستأتي أسانيد أخر عن حفصة : ٥٤٥٨ ، ٥٤٦٤ ، ٥٤٦٥ ، ٥٤٧٠ .

٥٤٠٧ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا الحجاج قال ، حدثنا حماد ، عن عاصم ابن بهدلة ، عن زر بن حبيش قال : صلاة الوسطى هى العصر .

٥٤٠٨ ــ حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى »، كنا نُحدَّث أنها صلاة العصر ، قبلها صلاتان من النهار ، وبعدها صلاتان من الليل .

٥٤٠٩ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » ، قال : أمروا بالمحافظة على الصلوات . قال : وخص العصر ، « والصلاة الوسطى »، يعنى العصر.[1]

٥٤١٠ ــ حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « والصلاة الوسطى » ، هى العصر .[2]

٥٤١١ ــ حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال: ذُكر لنا عن على بن أبى طالب أنه قال: الصلاة الوسطى صلاة العصر.

٥٤١٢ ــ حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « حافظوا على الصلوات » ــ يعنى المكتوبات ــ « والصلاة الوسطى » ، يعنى صلاة العصر.

٥٤١٣ ــ حدثنى أحمد بن إسحق الأهوازى قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا قيس، عن أبى إسحق، عن رزين بن عبيد، عن ابن عباس قال : سمعته يقول : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » ، قال : صلاة العصر .[3]

---

(١) الخبر : ٥٤٠٩ ــ فى المطبوعة « جبير » بدل « جويبر » . وهو خطأ .

(٢) الأثر : ٥٤١٠ ــ فى المخطوطة والمطبوعة : « عبد الله بن سليمان » ، وهو خطأ . هذا إسناد دائر فى التفسير ، أقربه رقم : ٥٣٥٦ .

(٣) الخبر : ٥٤١٣ ــ أبو أحمد : هو الزبيرى ، محمد بن عبد الله بن الزبير الأسدى .
قيس : هو ابن الربيع الأسدى الكوفى، رجحنا توثيقه فى: ٤٨٤٢، وفى المسند: ٦٦١، ٧١١٥ .
أبو إسحق : هو السبيعى . وفى المطبوعة : « عن ابن إسحق » ، وهو تحريف ناسخ أو طابع .

٥٤١٤ – حدثني أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل، عن ثُوَير ، عن مجاهد قال : الصلاة الوسطى صلاة العصر .(١)

٥٤١٥ – حدثني يحيى بن أبي طالب قال، حدثنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك قال : الصلاة الوسطى صلاة العصر .

٥٤١٦ – حدثنا أحمد بن حازم قال، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحق ، عن رزين بن عبيد قال : سمعت ابن عباس يقول : هي صلاة العصر .(٢)

٥٤١٧ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا ابن أبي عدى قال ، أنبأنا إسمعيل ابن مسلم ، عن الحسن ، عن سمرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الصلاة الوسطى صلاة العصر .(٣)

رزين بن عبيد: تابعي ثقة. ترجمه البخاري في الكبير ٢/١/٢٩٦، وابن أبي حاتم ١/٢/٥٠٧ – فلم يذكرا فيه جرحاً . وهذا كاف في توثيقه .

والخبر سيأتي : ٥٤١٦ ، من رواية إسرائيل ، وهو ابن يونس بن أبي إسحق السبيعي ، عن جده أبي إسحق .

وكذلك رواه البخاري في الكبير ، في ترجمة « رزين » ، من طريق إسرائيل .

وكذلك رواه الطحاوي في معاني الآثار ١ : ١٠٢ ، من طريق إسرائيل . ووقع فيه خطأ في اسم التابعي .

وذكره السيوطي ١ : ٣٠٥ ، « عن رزين بن عبيد : أنه سمع ابن عباس يقرؤها : والصلاة الوسطى صلاة العصر » ! هكذا ذكره السيوطي ، ونسبه لأبي عبيد ، وعبد بن حميد ، والبخاري في تاريخه ، وابن جرير . ، والطحاوي ؛ وفيه تساهل ، فاللفظ عند البخاري والطبري والطحاوي ليس النص على قراءة الآية كذلك .

وذكر الهيثمي في مجمع الزوائد ١ : ٣٠٩ ، أن البزار روى عن ابن عباس : « أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : صلاة الوسطى صلاة العصر » . قال الهيثمي : « ورجاله موثقون » .

(١) الخبر : ٥٤١٤ – ثوير – بالتصغير – : هو ابن أبي فاختة ، وهو ضعيف جداً . كما مضى في : ٣٢١٢ . ووقع في المطبوعة « ثور » . وهو خطأ ، وثبت على الصواب في المخطوطة .

(٢) الخبر : ٥٤١٦ – هو تكرار للخبر : ٥٤١٣ ، بمعناه . وقد سبق الكلام عليه مفصلا .

(٣) الخبر : ٥٤١٧ – إسمعيل بن مسلم : هو المكي ، بصري سكن مكة . وحديثه عندنا حسن ، كما بينا في المسند في حديث آخر : ١٦٨٩ ، وفي شرح الترمذي ١ : ٤٥٤ .

الحسن : هو البصري . وسمرة : هو ابن جندب الصحابي المعروف .

٥٤١٨ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا وهب بن جرير قال ، حدثنا أبي قال، سمعت يحيي بن أيوب يحدث ، عن يزيد بن أبي حبيب، عن مرة بن مخمر، عن سعيد بن الحكم قال : سمعت أبا أيوب يقول : صلاة الوسطى صلاة العصر .(١)

وسماع الحسن من سمرة ، فيه كلام طويل لأئمة الحديث . والراجح سماعه منه . كما رجحه ابن المديني ، والبخاري ، والترمذي ، والحاكم ، وغيرهم . وانظر في ذلك شرحنا للترمذي ١ : ٣٤٣ ، والجوهر النقي ٥ : ٢٨٨ – ٢٨٩ ، وعون المعبود ١ : ٣٦٩ – ٣٧٠ ، وغير ذلك من المراجع .

والحديث سيأتي بأسانيد أخر : ٥٤٣٨ – ٥٤٣٩ .

ورواه أحمد في المسند ٥ : ٧ ، ١٢ ، ١٣ – بأسانيد ، من طريق سعيد ، وهو ابن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة .

وكذلك رواه الترمذي ، رقم : ١٨٢ بشرحنا ، في كتاب الصلاة (١ : ١٥٩ – ١٦٠ شرح المباركفوري) ، ورواه أيضاً في كتاب التفسير ٤ : ٧٧ (شرح المباركفوري) ، من طريق ابن أبي عروبة . وقال في الموضع الأول : « حديث سمرة في الصلاة الوسطى حديث حسن» . وقال في الموضع الثاني : « هذا حديث حسن صحيح » .

وكذلك رواه الطحاوي في معاني الآثار ١ : ١٠٣ ، من طريق روح بن عبادة، عن ابن أبي عروبة، به . مرفوعاً . ولم يذكر لفظه ، إحالة على رواية سابقة .

ورواه البيهقي ١ : ٤٦٠ ، من طريق همام ، عن قتادة ، عن الحسن، عن سمرة .

وذكره ابن كثير ١ : ٥٧٨ – ٥٧٩ ، عن روايات المسند بأسانيدها .

وذكره السيوطي ١ : ٣٠٤ ، وزاد نسبته لابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، والطبراني .

وذكره قبله بلفظ : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ، وسماها لنا ، وإنما هي صلاة العصر » . ونسبه لأحمد ، وابن جرير ، والطبراني . هكذا قال . ولم أجد هذا اللفظ في المسند ، ولا في تفسير الطبري ، وإن كان موافقاً في المعنى لما عندنا فيهما .

(١) الخبر : ٥٤١٨ – مرة بن مخمر : ترجمه ابن أبي حاتم ٤/١/ ٣٦٦ ، قال : « مرة بن مخمر ، روى عن سعيد بن الحكم ، عن أبي أيوب ، روى عنه يزيد بن أبي حبيب » . ولم أجد له غير هذه الترجمة . ومن عجب أن البخاري لم يترجم له ، في حين أنه أشار إليه مرتين ، في الإشارة إلى هذا الخبر ، كما سيأتي، ووقع اسمه في المشتبه للذهبي ، ص: ٦ « مرة بن حمير » ! وهو خطأ .

سعيد بن الحكم : تابعي ثقة . ترجمه البخاري في الكبير ٢/١/٤٢٥ ، قال : « سمع أبا أيوب : « الوسطى العصر » . قاله وهب ، حدثنا أبي سمعت يحيي بن أيوب ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن مرة . ويقال سعد بن أحكم » . وهذه إشارة إلى هذا الإسناد ، إذ رواه الطبري هنا من طريق وهب بن جرير عن أبيه .

ثم ترجم البخاري ٢/٢/٥٣ ، قال : « سعد بن أحكم ، من السفاكة ، بطن من يحصب ثم من حمير ، سمع أبا أيوب . قاله يعقوب بن إبرهيم ، عن أبيه ، عن ابن إسحق ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن مرة . وقال وهب بن جرير ، عن أبيه » . ثم انقطع الكلام ، ويظهر أن فيه سقطاً ، يفهم مضمونه من الترجمة الماضية .

٥٤١٩ – حدثنا ابن سفيان قال، حدثنا أبو عاصم ، عن مبارك ، عن الحسن قال : صلاة الوسطى صلاة العصر .(١)

* * *

وعلة من قال هذا القول ما : –

٥٤٢٠ – حدثني به محمد بن معمر قال ، حدثنا أبو عامر قال ، حدثنا محمد – يعني ابن طلحة – عن زبيد ، عن مرة، عن عبد الله قال : شَغَل المشركون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة العَصر حتى اصفرَّت ،أو احمرت– فقال : شغلونا عن الصلاة الوسطى ! ملأ الله أجوافهم وقبورهم ناراً !(٢)

وترجم ابن أبي حاتم ٢/١/١٣ : « سعيد بن الحكم ، مصرى ، روى عن أبي أيوب . روى يزيد بن أبي حبيب ، عن مرة بن مخمر ، عنه » .

ثم ترجم ابن أبي حاتم ٢/١/٨١ – ٨٢ : « سعد بن الحكم ، مصرى ، من حمير . . . » ، ثم ذكر نحو ما قاله في « سعيد » .

والذى لا أشك فيه أن ابن أبي حاتم أخطأ في الترجمة الثانية ، إذ أتى بقول ثالث لم يقله أحد ، وهو « سعد بن الحكم» . وإنما الاختلاف فيه بين « سعيد بن الحكم »، و « سعد بن أحكم » ، كما صنع البخارى.

وقد نقل العلامة الشيخ عبد الرحمن اليمانى – في تعليقه على الموضع الأول من التاريخ الكبير – أن ابن حبان ذكره على القولين ، كصنيع البخارى، وأن الأمير ابن ماكولا ذكره كذلك ، وأنه رواه أيضاً « ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن مرة بن مخمر الحميرى ، عن سعد بن أحكم » .

وكذلك نص على ضبطه « سعد بن أحكم » – الذهبي في المشتبه ، ص : ٦ ، والحافظ ابن حجر في تحرير المشتبه (المخطوط مصور عندنا) .

وعندى أن رواية « سعد بن أحكم » أرجح وأقرب إلى الصواب ، لأنه هكذا رواه اثنان عن يزيد بن أبي حبيب ، وهما : ابن إسحق ، فيما ذكر البخارى ، وابن لهيعة ، فيما ذكر ابن ماكولا . وانفرد يحيى ابن أيوب بتسميته « سعيد بن الحكم » . واثنان أولى بالحفظ والثبت من واحد .

والخبر رواه البخارى في الكبير – إشارة – كما ذكرنا . وذكره السيوطى ١ : ٣٠٥ ، وزاد نسبته لابن المنذر .

أبو أيوب : هو الأنصارى الخزرجى ، الصحابي الجليل . واسمه : « خالد بن زيد » .

(١) الخبر : ٥٤١٩ – ابن سفيان – شيخ الطبرى : هكذا ثبت في المخطوطة والمطبوعة ، ولا ندرى من هو ؟ ويحتمل أن يكون محرفاً عن « ابن سنان » . وهو : « محمد بن سنان القزاز » . مضت روايته عن أبي عاصم ، ورواية الطبرى عنه : ١٥٧ ، ٤٨٥ ، ٧٠٢ .

(٢) الحديث : ٥٤٢٠ – أبو عامر : هو العقدى ، عبد الملك بن عمرو .

محمد بن طلحة بن مصرف اليامى ، مضى في : ٥٠٨٨ .

زبيد ، بالتصغير : هو ابن الحارث بن عبد الكريم ، مضى في : ٢٥٢١

٥٤٢١ ــ حدثني أحمد بن سنان الواسطي قال، حدثنا يزيد بن هرون قال، أخبرنا محمد بن طلحة، عن زبيد، عن مرة، عن عبد الله، عن النبي صلى عليه وسلم، بنحوه ــ إلا أنه قال: ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً، كما شغلونا عن الصلاة الوسطى.(١) ٣٤٥/٢

٥٤٢٢ ــ حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار قالا، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة قال: سمعت قتادة يحدث، عن أبي حسان، عن عبيدة السلماني، عن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب: شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى آبت الشمس، ملأ الله قبورهم وبيوتهم ناراً = أو بطونهم ناراً = شك شعبة في البطون والبيوت.(٢)

مرة: هو مرة الطيب، بن شراحيل الهمداني، مضى أيضاً في: ٢٥٢١.

عبد الله: هو ابن مسعود الصحابي الكبير.

وهذا الحديث رواه الطبري هنا من طريق أبي عامر العقدي. وسيرويه بعد ذلك: ٥٤٢١، من طريق يزيد بن هرون. ثم: ٥٤٣٠، من طريق ثابت بن محمد ــ ثلاثتهم عن محمد بن طلحة بن مصرف.

وقد رواه أيضاً أبو داود الطيالسي في مسنده: ٣٦٦، عن محمد بن طلحة، مختصراً.

ورواه أحمد في المسند: ٣٧١٦، عن يزيد، وهو ابن هرون. و: ٣٨٢٩، عن خلف بن الوليد. و: ٤٣٦٥، عن هاشم، وهو ابن القاسم أبو النضر ــ ثلاثتهم عن محمد بن طلحة، مطولا ومختصراً.

ورواه مسلم ١: ١٧٤، عن عون بن سلام، عن محمد بن طلحة.

ورواه الترمذي: ١٨١ بشرحنا، مختصراً، من طريق الطيالسي، وأبي النضر ــ كلاهما عن محمد بن طلحة. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

ورواه ابن ماجة: ٦٨٦، من طريق عبد الرحمن بن مهدي، ويزيد بن هرون ــ كلاهما عن محمد ابن طلحة.

ورواه البيهقي ١: ٤٦٠، من طريق الفضل بن دكين، وعون بن سلام ــ كلاهما عن محمد بن طلحة.

وذكره السيوطي ١: ٣٠٣، ونسبه لبعض من ذكرنا ولعبد بن حميد، وابن المنذر.

(١) الحديث: ٥٤٢١ ــ أحمد بن سنان الواسطي، القطان، الحافظ ــ شيخ الطبري: ثقة متقن من الأثبات. روى عنه الشيخان وغيرهما. مترجم في تذكرة الحفاظ ٢: ٩٣ ــ ٩٤.

والحديث مكرر ما قبله.

(٢) الحديث: ٥٤٢٢ ــ أبو حسان الأعرج: اسمه «مسلم»، دون ذكر اسم أبيه، في جميع

٥٤٢٣ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن عاصم ، عن زِرّ قال: قلت لعبيدة السلماني : سل علي بن أبي طالب عن الصلاة الوسطى . فسأله ، فقال : كنا نراها الصبح = أو الفجر = حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم الأحزاب : شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ! ملأ الله قبورهم وأجوافهم ناراً ! (١)

المراجع ، إلا التهذيب وفروعه ورجال الصحيحين ، فإن فيها زيادة « بن عبد الله » . وهو تابعي ثقة ، أخرج له مسلم في صحيحه .

عبيدة – بفتح العين : هو السلماني ، مضت ترجمته في : ٢٤٥ .

والحديث رواه مسلم ١ : ١٧٤ ، عن محمد بن المثنى ومحمد بن بشار – شيخي الطبري هنا – بهذا الإسناد .

ورواه ابن حزم في المحلى ٤ : ٢٥٢ ، من طريق مسلم .

ورواه أحمد في المسند : ١١٥٠ ، عن محمد بن جعفر عن شعبة ، بهذا الإسناد .

ثم رواه : ١١٥١ ، عن حجاج ، وهو ابن محمد ، عن شعبة ، به .

ورواه النسائي ١ : ٨٣ ، مختصراً ، من طريق خالد ، عن شعبة .

وسيأتي الحديث من رواية أبي حسان عن عبيدة : ٥٤٢٩ ، ٥٤٤٤ ، ومضى قول علي : « الصلاة الوسطى صلاة العصر » : ٤٣٨٠ ، وأشرنا إلى سائر الروايات الآتية من حديثه ، ومنها هذا الحديث .

(١) الحديث : ٥٤٢٣ – عبد الرحمن : هو ابن مهدي . وسفيان : هو الثوري . وعاصم : هو ابن أبي النجود . وزر : هو ابن حبيش .

وهذا الحديث من رواية زر بن حبيش عن علي ، بحضرته سؤال عبيدة السلماني وجواب علي . وهو يؤيد رواية أبي حسان الأعرج عن عبيدة : ٥٤٢٢ .

والحديث رواه عبد الرزاق في المصنف ١ : ١٨١ – ١٨٢ ، عن الثوري ، عن عاصم ، عن زر ابن حبيش ، به .

وسيأتي : ٥٤٢٨ ، من رواية إسرائيل ، عن عاصم .

ورواه ابن أبي حاتم – فيما نقل عنه ابن كثير ١ : ٥٧٨ – عن أحمد بن سنان ، عن عبد الرحمن بن مهدي ، بهذا الإسناد . ثم قال ابن كثير : « رواه ابن جرير ، عن بندار ، عن ابن مهدي ، به » . يعني هذا الإسناد . وبندار : هو محمد بن بشار شيخ الطبري.

ورواه ابن حزم في المحلى ٤ : ٢٥٢ – ٢٥٣ ، بإسناده إلى محمد بن أبي بكر المقدمي ، عن يحيى ابن سعيد القطان ، وعبد الرحمن بن مهدي ، كلاهما عن سفيان الثوري ، به .

ورواه البيهقي ١ : ٤٦٠ ، من طريق محمد بن كثير ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن زر .

ورواه ابن ماجة : ٦٨٤ ، مختصراً ، من طريق حماد بن زيد ، عن عاصم ، عن زر .

وأشار ابن حزم في المحلى ٤ : ٢٥٣ ، إلى رواية حماد بن زيد .

وذكره السيوطي ١ : ٣٠٣ ، وزاد نسبته لابن أبي شيبة وعبد بن حميد ، والبخاري والنسائي ،

٥٤٢٤ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى، عن شُتَيْر بن شكل، عن على قال: شغلونا يوم الأحزاب عن صلاة العصر ، حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ! ملأ الله قبورهم وبيوتهم ناراً = أو : أجوافهم ناراً ! (١)

٥٤٢٥ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن يحيي بن الجزار ، عن على ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ، يوم الأحزاب ، على فُرْضَة من فُرَض الخندق، فقال: شغلونا

وابن المنذر . وهو تساهل منه فى نسبته للبخارى ، فإنى لم أجده فى البخارى إلا من رواية ابن سيرين عن عبيدة ، كما سيأتى فى : ٥٤٢٧ .

وإسناد هذا الحديث – من رواية سفيان ، عن عاصم ، عن زر – إسناد صحيح .

ومع ذلك فإن الإمام أحمد لم يروه فى المسند من هذا الوجه بإسناد صحيح . بل روى نحوه مختصراً : ١٢٨٧ ، من طريق شعبة ، عن جابر ، وهو الجعفى ، عن عاصم ، عن زر . وهو إسناد ضعيف ، من أجل جابر الجعفى .

وروى ابنه عبد الله – فى المسند – : ٩٩٠ ، معناه مختصراً جداً ، بإسناد ضعيف أيضاً .

(١) الحديث : ٥٤٢٤ – أبو الضحى : هو مسلم بن صبيح – بضم الصاد المهملة – الهمدانى الكوفى ، وهو تابعى ثقة كثير الحديث .

شتير بن شكل بن حميد العبسى : تابعى ثقة ، يقال إنه أدرك الجاهلية . ولذلك ترجمه الحافظ فى الإصابة ، فى قسم المخضرمين ٣ : ٢١٩ – ٢٢٠ . « شتير » : بضم الشين المعجمة وفتح التاء المثناة . و « شكل » : بالشين المعجمة والكاف المفتوحتين . وهذان الاسمان من نادر الأسماء .

والحديث سيأتى : ٥٤٢٦ ، بنحوه من طريق أبى معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، وهو أبو الضحى .

ورواه عبد الرزاق فى المصنف ١ : ١٨٢ ، عن سفيان الثورى ، به .

ورواه أحمد فى المسند : ١٢٤٥ ، عن عبد الرزاق .

ورواه أيضاً : ١٠٣٦ ، عن عبد الرحمن ، وهو ابن مهدى ، عن سفيان .

ورواه البيهقى ١ : ٤٦٠ ، من طريق محمد بن شرحبيل بن جعشم ، عن الثورى .

وأما طريق أبى معاوية الآتية : فقد رواه أحمد فى المسند : ٦١٧ ، ٩١١ ، عن أبى معاوية ، عن الأعمش .

ورواه مسلم ١ : ١٧٤ ، من طريق أبى معاوية .

وذكره ابن حزم فى المحلى ٤ : ٢٥٣ ، من طريق مسلم .

ورواه أيضاً أحمد فى المسند : ١٢٩٨ ، عن محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن الأعمش .

وذكره ابن كثير ١ : ٥٧٨ ، من رواية أحمد عن أبى معاوية . ثم ذكر أنه رواه مسلم والنسائى .

عن الصلاة الوسطى حتى غربت الشمس ! ملأ الله قبورهم وبيوتهم ، ناراً = أو بطونهم وبيوتهم ناراً .(١)

٥٤٢٦ – حدثني أبو السائب وسعيد بن نمير قالا، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن شتير بن شكل ، عن علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ! ملأ الله قبورهم وبيوتهم ناراً ! ثم صلاها بين العشاءين ، بين المغرب والعشاء .(٢)

٥٤٢٧ – حدثنا الحسين بن علي الصُّدائي قال، حدثنا علي بن عاصم ، عن خالد، عن محمد بن سيرين، عن عبيدة السلماني ، عن علي قال : لم يصلِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم العصرَ يوم الخندق إلاّ بعد ما غربت الشمس، فقال: ما لهم ! ملأ الله قلوبهم وبيوتهم ناراً ! منعونا عن الصلاة الوسطى حتى غربت الشمس ! (٣)

---

(١) الحديث : ٥٤٢٥ – الحكم : هو ابن عتيبة ، مضى في : ٣٢٩٧ .

يحيى بن الجزار العرني الكوفي : تابعي ثقة . وجزم شعبة بأنه لم يسمع من علي بن أبي طالب إلا ثلاثة أحاديث ، هذا أحدها .

والحديث رواه أحمد في المسند : ١٣٠٥ ، عن محمد بن جعفر ، عن شعبة ، بهذا الإسناد .

ورواه أيضاً : ١١٣٢ ، عن عبد الرحمن بن مهدي ، عن شعبة .

ورواه مسلم ١ : ١٧٤ ، من طريق وكيع ، ومعاذ ، وهو العنبري الحافظ – كلاهما عن شعبة . وأشار ابن كثير ١ : ٥٧٨ ، إلى رواية مسلم هذه .

ورواه الطحاوي في معاني الآثار ١ : ١٠٣ ، من طريق أبي عامر العقدي، عن شعبة ، بهذا الإسناد .

الفرضة : ما انحدر من جانب الخندق في موضع شقه . من « الفرض » : وهو الشق . ومنه « فرضة النهر » : وهو مشرب الماء منه . وهي ثلمة في شاطئه . وفرضة البحر : محط السفن .

(٢) الحديث : ٥٤٢٦ – أبو السائب – شيخ الطبري : هو سلم بن جنادة ، مضى مراراً .

سعيد بن نمير – شيخ الطبري : لم أعرف من هو ؟ ولم أجد له ذكراً ولا ترجمة في شيء من المراجع . وأخشى أن يكون محرفاً عن شيء لا أعرفه الآن .

وكلمة « نمير » رسمت في المخطوطة رسماً غير واضح ، يمكن أن يكون محرفاً عن « يحيى » . فإن يكنه يكن : « سعيد بن يحيى بن الأزهر الواسطي » . وهو ثقة ، يروي عن أبي معاوية ، وهو من طبقة شيوخ الطبري . ولا نجزم ولا نرجح عن غير ثبت .

والحديث مضى : ٥٤٢٤ ، من رواية الثوري عن الأعمش ، وأشرنا إلى هذا ، وإلى تخريجه هناك .

(٣) الحديث : ٥٤٢٧ – الحسين بن علي الصدائي : مضى في : ٢٠٩٣ .

علي بن عاصم بن صهيب الواسطي: ثقة من شيوخ أحمد وابن المديني . وبعضهم تكلم فيه، ورجحنا توثيقه في المسند : ٣٤٣ .

٥٤٢٨ – حدثنا زكريا بن يحيى الضرير قال، حدثنا عبيد الله، عن إسرائيل، عن عاصم، عن زر قال : انطلقت أنا وعبيدة السلماني إلى علي، فأمرت عبيدة أن يسأله عن الصلاة الوسطى فقال : يا أمير المؤمنين، ما الصلاة الوسطى ؟ فقال : كنا نراها صلاة الصبح، فبينا نحن نقاتل أهل خيبر، فقاتلوا حتى أرهقونا عن الصلاة، وكان قبيل غروب الشمس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم املأ قلوبَ هؤلاء القوم الذين شغلونا عن الصلاة الوسطى وأجوافهم ناراً = أو املأ قلوبهم ناراً = قال : فعرفنا يومئذ أنها الصلاة الوسطى .(١)

٥٤٢٩ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن أبي حسان الأعرج، عن عبيدة السلماني، عن علي بن أبي طالب : أن نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم قال يوم الأحزاب : اللهم املأ قلوبهم وبيوتهم ناراً كما شغلونا = أو : كما حبسونا = عن الصلاة الوسطى حتى غربت الشمس ! (٢)

خالد : هو ابن مهران الحذاء، مضى في : ١٦٨٣ .

الحديث رواه أحمد في المسند، مختصراً قليلا : ٩٩٤، عن يحيى، وهو القطان، عن هشام، وهو ابن حسان، عن محمد، وهو ابن سيرين .

ورواه أيضاً : ١٢٢٠، عن يزيد، وهو ابن هرون، عن هشام .

ورواه البخاري ٦ : ٧٦ / و٧ : ٣١٢ / و٨ : ١٤٥ / و١١ : ١٦٥ (فتح)، من طرق عن هشام .

ورواه أبو داود : ٤٠٩، من طريق هشام أيضاً .

ورواه ابن حزم في المحلى ٤ : ٢٥٢، من طريق البخاري .

وانظر ما مضى : ٥٤٢٣ .

(١) الحديث : ٥٤٢٨ – هذا الحديث في معنى الحديث : ٥٤٢٣ . ولكن هذه الرواية فيها شذوذ، في أن الحديث كان في غزوة خيبر . والروايات الصحاح كلها على أنه كان في غزوة الأحزاب .

ولذلك أفردها السيوطي بالذكر ١ : ٣٠٣، فقال : «وأخرج ابن جرير من وجه آخر عن زر . . . » . فلم ينسبها لغير الطبري، ولم أجد ما يؤيدها .

بل روى الطحاوي في معاني الآثار ١ : ١٠٣، من هذا الوجه، مثل سائر الروايات : فرواه من طريق زائدة بن قدامة، عن عاصم، عن زر، عن علي، وفيه : «قاتلنا الأحزاب» . ثم روى من طريق سفيان، عن عاصم، عن زر، أنه كلف عبيدة سؤال علي، قال : «فذكر نحوه» .

(٢) الحديث : ٥٤٢٩ – يزيد : هو ابن زريع . وسعيد : هو ابن أبي عروبة .

والحديث مضى : ٥٤٢٢، من رواية شعبة، عن قتادة .

٥٤٣٠ – حدثنا سليمان بن عبد الجبار قال، حدثنا ثابت بن محمد قال، حدثنا محمد بن طلحة، عن زبيد، عن مرة، عن ابن مسعود قال: حبس المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صَلاة العصر حتى اصفرَّت الشمس = أو : احمرّت= فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : شغلونا عن الصلاة الوسطى ! ملأ الله بيوتهم وقلوبهم ناراً = أو : حشا الله قلوبهم وبيوتهم ناراً ! (١)

٥٤٣١ – حدثني محمد بن عمارة الأسدي قال، حدثنا سهل بن عامر قال، حدثنا مالك بن مغول قال، سمعت طلحة قال: صليت مع مرة في بيته فسها = أو قال : نسي = فقام قائماً يحدِّثنا = وقد كان يُعجبني أن أسمعه من ثقة = قال : لما كان يوم الخندق – يعني يوم الأحزاب – قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما لهم ! شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ! ملأ الله أجوافهم وقبورهم ناراً ! (٢) ٣٤٦/٢

ورواه أحمد في المسند : ٥٩١ ، عن محمد بن أبي عدي . و : ١١٣٤ ، عن عبد الوهاب ، وهو ابن عطاء الخفاف ، و : ١٣٠٧ ، عن محمد بن جعفر – ثلاثتهم عن سعيد ، وهو ابن أبي عروبة .

ورواه أيضاً : ١٣١٣ ، عن بهز ، و : ١٣٢٦ ، عن عفان – كلاهما عن همام ، عن قتادة .

ورواه الترمذي ٤ : ٧٧ ، عن هناد ، عن عبدة ، عن سعيد بن أبي عروبة ، وقال : « هذا حديث حسن صحيح . وقد روى من غير وجه عن علي » .

(١) الحديث : ٥٤٣٠ – ثابت بن محمد ، أبو إسمعيل الشيباني العابد : ثقة ، ترجمه البخاري في الكبير ١/٢/١٧٠ . وفي التهذيب كلمة موهمة ، لعلها سبق قلم من الحافظ ! قال : ذكره البخاري في الضعفاء ، وأورد له حديثاً وبين أن العلة من غيره » ! والبخاري لم يذكره في الضعفاء ، وإنما روى له حديثاً – كما قال الحافظ – وبين أن العلة في غيره – فلا شأن له في ضعف الحديث إن كان ضعيفاً . وهذه عادة للبخاري في كثير من التراجم .

والحديث مضى : ٥٤٢٠ ، ٥٤٢١ ، بإسنادين من طريق محمد بن طلحة .

وانظر الحديث التالي لهذا .

(٢) الحديث : ٥٤٣١ – هذا الحديث ضعيف من وجهين : أولهما : من جهة « سهل بن عامر البجل » ، وهو ضعيف جداً ، كما بينا في : ١٩٧١ ، وثانيهما : من جهة إرساله . لأن مرة تابعي .

مالك بن مغول – بكسر الميم وسكون الغين المعجمة وفتح الواو – بن عاصم ، البجلي : ثقة معروف ، أخرج له أصحاب الكتب الستة .

طلحة : هو ابن مصرف اليامي ، وهو تابعي ثقة باتفاقهم . قال ابن إدريس : « كانوا يسمونه سيد القراء » .

٥٤٣٢ - حدثنا أحمد بن منيع قال ، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن التيمى ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صلاة الوسطى صلاة العصر .(١)

٥٤٣٣ - حدثنى على بن مسلم الطوسى قال ، حدثنا عباد بن العوام ، عن هلال بن خباب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة له ، فحبسه المشركون عن صلاة العصر حتى أمسى بها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم املأ بيوتهم وأجوافهم ناراً كما حبسونا عن الصلاة الوسطى ! (٢)

وهذا الحديث فى ذاته صحيح . مضى بثلاثة أسانيد صحاح ، من رواية محمد بن طلحة بن مصرف ، عن زبيد ، عن مرة ، عن ابن مسعود : ٥٤٢٠ ، ٥٤٢١ ، ٥٤٣٠ .

(١) الحديث : ٥٤٣٢ - أحمد بن منيع البغوى الأصم الحافظ - شيخ الطبرى : ثقة ، أخرج له الجماعة.

عبد الوهاب بن عطاء الخفاف : ثقة من شيوخ أحمد وإسحق . وثقه ابن معين وغيره . ووقع فى المطبوعة هنا : « عبد الوهاب عن ابن عطاء » ! جعله راويين . وهو خطأ لا شك فيه .

التيمى : هو سليمان بن طرخان .

وهذا الحديث مضى موقوفاً من كلام أبى هريرة : ٥٣٨٧ ، ٥٣٨٨ ، ٥٣٩٠ . وهو هنا مرفوع بإسناد صحيح . والرفع زيادة من ثقة ، فهى مقبولة .

ورواه البيهقى ١ : ٤٦٠ ، من طريق محمد بن عبيد الله بن المنادى : « حدثنا عبد الوهاب بن عطاء ، حدثنا سليمان التيمى . . . » .

ونقله ابن كثير ١ : ٥٧٩ ، عن هذا الموضع من الطبرى .

وذكره الحافظ فى الفتح ٨ : ١٤٥ ، ونسبه للطبرى .

وذكره السيوطى ١ : ٣٠٤ ، ونسبه للطبرى والبيهقى .

(٢) الحديث : ٥٤٣٣ - على بن مسلم الطوسى - شيخ الطبرى : مضت ترجمته فى : ٤١٧٠ .

عباد بن العوام - بتشديد الباء والواو فيهما - الواسطى . ثقة ، من شيوخ أحمد .

هلال بن خباب - بالخاء المعجمة وتشديد الباء - العبدى : ثقة مأمون . من شيوخ الثورى وأبى عوانة بينا فى شرح المسند : ٢٣٠٣ أنه لم يختلط ولم يتغير ، خلافاً لمن قال ذلك .

والحديث رواه أحمد فى المسند : ٢٧٤٥ ، عن عبد الصمد ، وهو ابن عبد الوارث ، عن ثابت ، وهو ابن يزيد الأحول ، عن هلال ، وهو ابن خباب ، به .

ورواه الطحاوى فى معانى الآثار ١ : ١٠٣ ، من طريق أبى عوانة ، عن هلال بن خباب ، به . نحوه . ثم رواه من طريق عباد ، عن هلال .

وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ١ : ٣٠٩ . وقال : « رواه أحمد ، والطبرانى فى الكبير ، والأوسط ، ورجاله موثقون » .

٥٤٣٤ – حدثنا موسى بن سهل الرملي قال ، حدثنا إسحق بن عبد الواحد الموصلي قال ، حدثنا خالد بن عبد الله ، عن ابن أبي ليلى ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب : شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس ! ملأ الله قبورهم وبيوتهم ناراً ! (١)

٥٤٣٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا خالد ، عن ابن أبي ليلى ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس قال: شغل الأحزاب

وذكره السيوطي ١ : ٣٠٣ – ٣٠٤ ، ونسبه لعبد بن حميد ، وابن جرير ، فقط .

وسيأتي عقب هذا : ٥٤٣٤ ، ٥٤٣٥ ، بنحوه ، من رواية مقسم ، عن ابن عباس .

(١) الحديث : ٥٤٣٤ – موسى بن سهل الرملي – شيخ الطبري : صدوق ثقة ، كما قال ابن أبي حاتم ٤/١/١٤٦ . ومضت رواية أخرى للطبري عنه : ٨٧٨ .

إسحق بن عبد الواحد الموصلي القرشي : ثقة ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وفي التهذيب أن أبا علي النيسابوري الحافظ قال فيه : « متروك الحديث » – فيما نقل ابن الجوزي . وجزم الذهبي في الميزان – دون دليل – بأنه واه . وفي التهذيب أن الخطيب روى خبراً باطلا ، من طريق عبد الرحمن بن أحمد الموصلي ، عن إسحق – هذا – عن مالك ، وقال الخطيب : « الحمل فيه على عبد الرحمن ، وإسحق بن عبد الواحد لا بأس به». وترجمه ابن أبي حاتم ١/١/٢٢٩ ، فلم يذكر فيه جرحاً. وهذا دليل على توثيقه إياه . ثم إن إسحق لم ينفرد برواية هذا الحديث ، فسيأتي – عقبه – من رواية عمرو بن عون ، عن خالد .

وكان في المطبوعة والمخطوطة : « إسحق ، عن عبد الواحد الموصلي » ، وهو خطأ .

خالد بن عبد الله : هو الطحان ، مضت ترجمته في : ٤٤٣٣ .

ابن أبي ليلى : هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، وقد بينا فيما مضى في الحديث : ٣٢ أنه صدوق سيء الحفظ ، ولكنه لم ينفرد برواية هذا الحديث ، فقد سبق قبله بإسناد آخر صحيح عن ابن عباس .

الحكم : هو ابن عتيبة ، مضى في : ٣٢٩٧ .

مقسم : هو ابن بجرة ، مضى في : ٤٠٨٦ .

وفي التهذيب عن أحمد – في ترجمة الحكم – أن الحكم لم يسمع من مقسم إلا خمسة أحاديث ، عينها . وليس هذا منها ، فعلى هذا فهو منقطع .

والحديث ذكره الحافظ في الفتح ٨ : ١٤٦ ، ونسبه لابن المنذر فقط .

وذكره السيوطي ١ : ٣٠٣ ، وزاد نسبته للطبراني في الكبير ، ولكنه جعله « من طريق مقسم وسعيد بن جبير ، عن ابن عباس » . فلعل رواية سعيد بن جبير تكون عند الطبراني .

ثم وجدت رواية سعيد بن جبير عند الطحاوي ، فرواه في معاني الآثار ١ : ١٠٣ ، من طريق محمد ابن عمران بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبيه ، عن ابن أبي ليلى – وهو محمد والد عمران – عن الحكم ، عن مقسم وسعيد بن جبير ، عن ابن عباس .

وهذا إسناد جيد متصل . محمد بن عمران بن أبي ليلى ، وأبوه : ثقتان . والحكم بن عتيبة : لم يختلف في سماعه من سعيد بن جبير ، بل روايته عنه ثابتة في الصحيحين في غير هذا الحديث ، كما في كتاب رجال الصحيحين ، ص ١٠٠ .

النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق عن صلاة العصر حتى غربت الشمس ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : شغلونا عن الصلاة الوسطى ! ملأ الله قبورهم وبيوتهم ناراً = أو : أجوافهم ناراً ! (١)

٥٤٣٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا سليمان بن أحمد الحرشيّ الواسطي قال ، حدثنا الوليد بن مسلم قال ، أخبرني صدقة بن خالد قال ، حدثني خالد بن دهقان، عن خالد بن سبلان ، عن كهيل بن حرملة قال : سئل أبو هريرة عن الصلاة الوسطى فقال : اختلفنا فيها كما اختلفتم فيها ونحن بفناء بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفينا الرجلُ الصالح أبو هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، فقال: أنا أعلم لكم ذلك . فقام فاستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدخل عليه ، ثم خرج إلينا فقال : أخبرنا أنها صلاة العصر . (٢)

---

(١) الحديث : ٥٤٣٥ – عمرو بن عون بن أوس الواسطي الحافظ : ثقة ، أخرج له الجماعة . والحديث مكرر ما قبله .

(٢) الحديث : ٥٤٣٦ – سليمان بن أحمد الحرشي الشامي ، نزيل واسط : ضعيف ، بل رماه بعضهم بالكذب، ولكنه لم ينفرد بهذا الحديث ، كما سيجيء . وهو مترجم في الكبير ٢/٢/٤ . وقال : « فيه نظر » . وعند ابن أبي حاتم ٢/١/١٠١ ، وتاريخ بغداد ٩ : ٤٩ – ٥٠ ، ولسان الميزان ٣ : ٧٢.

صدقة بن خالد الأموي الدمشقي : ثقة . وثقه أحمد ، وابن معين ، وأبو زرعة ، وغيرهم . وأخرج له البخاري في صحيحه .

خالد بن دهقان الدمشقي : ثقة . ترجمه البخاري في الكبير ٢/١/١٣٥ ، وقال : « سمع خالد سبلان ، روى عنه صدقة بن خالد، ومحمد بن شعيب » . وبذلك ترجمه أيضاً ابن أبي حاتم ١/٢/٣٢٩ .

خالد سبلان : هو خالد بن عبد الله بن الفرج ، أبو هاشم مولى بني عبس. وهو ثقة، وثقه أبو مسهر ، كما نقل ابن عساكر ، وترجمه البخاري في الكبير ٢/١/١٤١ ، قال : « خالد سبلان . عن كهيل بن حرملة الشامي. روى عنه خالد بن دهقان ، وسمع منه سعيد بن عبد العزيز » . ونحو ذلك عند ابن أبي حاتم ١/٢/٣٦٣ ، ولم يذكرا فيه جرحاً . وترجمه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥ : ٦٧ من تهذيبه للشيخ عبد القادر بدران) ، وزاد أنه سمع معاوية وعمرو بن العاص .

« سبلان » : بفتح السين المهملة والباء الموحدة وتخفيف اللام ، كما ضبطه ابن ماكولا ، فيما نقل عنه ابن عساكر ، وكما في المشتبه للذهبي ، ص : ٢٥٦ . وهو لقب لخالد هذا ، لقب به لعظم لحيته .

والبخاري وابن أبي حاتم لم يذكرا نسب خالد هذا ، بل ترجمه البخاري في « باب السين » فيمن اسمه « خالد » . وابن أبي حاتم ترجمه في باب «خالد» الذين لا ينسبون » .

وإنما ذكر نسبه – الذي ذكرنا – ابن عساكر ، وابن ماكولا في الإكمال ، كما نقل عنه العلامة الشيخ عبد الرحمن اليماني في هوامش التاريخ الكبير وابن أبي حاتم . وذكره الذهبي في المشتبه باسم « خالد بن

٥٤٣٧ – حدثني الحسين بن على الصدائى قال، حدثنا أبى = وحدثنا ابن إسحق الأهوازى قال ، حدثنا أبو أحمد = قالا جميعاً ، حدثنا فضيل بن مرزوق ، عن شقيق بن عقبة العبدى ، عن البراء بن عازب قال : نزلت هذه الآية : « حافظوا

عبد الله » . وذكر الحافظ فى التهذيب ٣ : ٨٧ ، فى شيوخ « خالد بن دهقان » ، باسم « خالد بن عبد الله سبلان » .. فيكون « سبلان » لقب خالد ، كما بينا .

ووقع اسمه فى المطبوعة هنا محرفاً جداً : « جابر بن سيلان » ! ! وشتان هذا وذاك والراجح – عندى – أن هذا تحريف من الناسخين ، لم يجدوا فى التهذيب أو أحد فروعه . اسم « خالد سبلان » ، ثم وجدوا ترجمة « جابر بن سيلان » (التهذيب ٢ : ٤٠) فظنوه هو ، وغيروه إلى ذلك . أو شيئاً نحو هذا .

وثبت اسمه على الصواب فى ابن كثير ، إذ نقله عن هذا الموضع من الطبرى ، ولكن زيد فيه « بن » بين الاسم واللقب . والظاهر أنه من تصرف الناسخين .

كهيل بن حرملة النميرى : تابعى ثقة ، ترجمه البخارى فى الكبير ٤/١/٢٣٨ ، وقال : « سمع أبا هريرة . روى عنه خالد سبلان » . ونحو ذلك فى ابن أبى حاتم ٣/٢/١٧٣ ، ولم يذكرا فيه جرحاً . وذكره ابن حبان فى الثقات ، ص : ٣١٨ .

والحديث رواه ابن حبان فى الثقات – فى ترجمة كهيل – من طريق أبى مسهر ، وهو عبد الأعلى بن مسهر الدمشقى الثقة الثبت ، عن صدقة بن خالد ، بهذا الإسناد .

وكذلك رواه الطحاوى فى معانى الآثار ١ : ١٠٣ ، من طريق أبى مسهر .

ورواه الحاكم فى المستدرك ٣ : ٦٣٨ ، من طريق العباس بن الوليد بن مزيد ، وهو ثقة من شيوخ الطبرى ، مضت ترجمته : ٨٩١ ، عن محمد بن شعيب بن شابور ، وهو أحد الثقات الكبار – عن خالد سبلان ، بهذا الإسناد .

ورواه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ، بإسناده إلى خالد سبلان – فى ترجمته ، ولكن مختصره الشيخ عبد القادر بدران حذف الإسناد إليه .

ونقله ابن كثير ١ : ٥٧٩ ، عن هذا الموضع . ثم قال : « غريب من هذا الوجه جداً » .

وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ١ : ٣٠٩ ، وقال : « رواه الطبرانى فى الكبير ، والبزار ، وقال : لا نعلم روى أبو هاشم بن عتبة عن النبى صلى الله عليه وسلم – إلا هذا الحديث وحديثاً آخر . قلت [القائل الهيثمى] : ورجاله موثقون » .

ونقله الحافظ فى الفتح ٨ : ١٤٥ – ١٤٦ ، ولم ينسبه لغير الطبرى .

ونقله السيوطى ١ : ٣٠٤ ، ونسبه لابن سعد ، والبزار ، وابن جرير ، والطبرانى ، والبغوى فى معجمه .

ووهم الحافظ فى الإصابة جداً ، فى ترجمة « أبى هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس » راوى هذا الحديث ٧ : ١٩٧ – ١٩٨ ، ونسبه لأبى داود ، والترمذى ، والنسائى ، والبغوى ، والحاكم أبى أحمد ! !

أما كتابا البغوى والحاكم أبى أحمد ، فليسا عندى ، ولا أستطيع أن أقول فى نقله عنهما شيئاً .

وأما السنن الثلاث ، فأستطيع أن أجزم بأنه ليس فى واحد منها ، على اليقين من ذلك . ولذلك لم ينسبه الحافظ نفسه إليها فى الفتح . ولذلك ذكره صاحب مجمع الزوائد ، وهو الزوائد على الكتب الستة . ولذلك لم يذكره النابلسى فى ذخائر المواريث فى ترجمة « أبى هاشم بن عتبة » . وقد نبهت إلى هذا الوهم ، فى شرحى للترمذى ١ : ٣٤١ – ٣٤٢ .

على الصلوات وصلاة العصر » ، قال فقرأناها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن نقرأها . ثم إنّ الله نسخها فأنزل : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا الله قانتين » ، قال : فقال رجل كان مع شقيق : فهي صلاة العصر ! قال : قد حدثتك كيف نزلت ، وكيف نسخها الله ، والله أعلم .(١)

---

(١) الحديث : ٥٤٣٧ – الحسين بن علي الصدائي – شيخ الطبري – وأبوه ، مضيا في ٢٠٩٣ . ابن إسحق الأهوازي – شيخ الطبري بعد تحويل الإسناد : هو أحمد بن إسحق بن عيسى ، مضى في : ١٨٤١ .

أبو أحمد : هو الزبيري ، محمد بن عبد الله بن الزبير الأسدي .

فضيل بن مرزوق الأغر الكوفي : ثقة ، وثقه الثوري ، وابن معين ، وغيرهما . وأخرج له مسلم في صحيحه ووقع اسمه في المخطوطة والمطبوعة هنا « فضيل بن مسروق » ! وهو خطأ من الناسخين .

شقيق بن عقبة العبدي الكوفي : تابعي ثقة . وثقه أبو داود ، وابن حبان .

والحديث رواه مسلم في صحيحه ١ : ٧٥ ، عن إسحق بن راهويه ، عن يحيى بن آدم ، عن فضيل بن مرزوق ، به . ثم قال : « ورواه الأشجعي ، عن سفيان الثوري ، عن الأسود بن قيس ، عن شقيق ابن عقبة ، عن البراء بن عازب » .

فوهم صاحب التهذيب ، في ترجمة «شقيق بن عقبة » ٤ : ٣٦٣ ، فقال : « له في مسلم حديث واحد في الصلاة الوسطى ، قال : وهو معلق . . . » ، ثم ذكر كلام مسلم . وغفل عن أنه رواه متصلا قبل هذا التعليق مباشرة .

ورواه ابن حزم في المحلى ٤ : ٢٥٨ ، من طريق مسلم .

ورواه الطحاوي في معاني الآثار ١ : ١٠٢ ، من طريق محمد بن يوسف الفريابي ، عن فضيل بن مرزوق ، به . ولكن وقع في نسخة الطحاوي : « محمد بن فضيل بن مرزوق » ! وهو خطأ يقيناً . ثم ليس في الرواة من يسمى بهذا .

ورواه الحاكم في المستدرك ٢ : ٢٨١ ، من طريق يحيى بن جعفر بن الزبرقان ، عن أبي أحمد الزبيري ، عن فضيل بن مرزوق ، به . وقال : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبي ! وعليهما في ذلك استدراك ، أنه رواه مسلم ، كما ذكرنا .

ورواه البيهقي ١ : ٤٥٩ ، عن الحاكم ، بإسناده .

ووقع في المستدرك المطبوع بياض في « أبو أحمد الزبيري » . صححناه من البيهقي .

ثم ذكر البيهقي أنه رواه مسلم ، ثم ذكر إشارة مسلم إلى الرواية المعلقة ، رواية الأشجعي عن سفيان الثوري . ثم رواه البيهقي من طريق الأشجعي ، بإسناده متصلا .

والحديث ذكره أيضاً الحافظ في الفتح ١ : ١٤٧ ، عن صحيح مسلم .

وذكره السيوطي ١ : ٣٠٣ ، وزاد نسبته لعبد بن حميد ، وأبي داود في ناسخه . ولكنه لم ينسبه للحاكم .

وذكره ابن كثير ١ : ٥٨٢ ، عن صحيح مسلم ، ثم قال : « فعلى هذا تكون هذه التلاوة ، وهي تلاوة الجماعة – ناسخة لفظ رواية عائشة وحفصة ولمعناها ، إن كانت الواو دالة على المغايرة . وإلا فلفظها فقط » وهذا فقه دقيق وبديع .

٥٤٣٨ – حدثنا حميد بن مسعدة قال ، حدثنا يزيد بن زريع = وحدثنا ابن بشار قال ، حدثنا محمد بن بكر ومحمد بن عبد الله الأنصارى = قالا جميعاً ، حدثنا سعيد بن أبي عروبة = وحدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عبدة بن سليمان ، ومحمد بن بشر وعبد الله بن إسمعيل ، عن سعيد = عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الصلاة الوسطى صلاة العصر . (١)

٥٤٣٩ – حدثني عصام بن روّاد بن الجراح قال، حدثنا أبي قال ، حدثنا سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة قال : أنبأنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ الصلاة الوسطى هي العصر . (٢)

وقوله فى متن الحديث : « فقرأناها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم » – هذا هو الصواب الموافق لسياق القول : « فقرأناها » ، والموافق لسائر الروايات . ورسمت فى المطبوعة « فقرأتها » . وهو غير جيد . ولعلها رسمت الأصول المنقول عنها على الكتبة القديمة بدون ألف ولا نقط « فقراها » – فظنها الناسخ تاء المتكلم ، إذ لم يجد بعدها ألفاً . فأثبتها بالتاء على ظنه ومعرفته .

(١) الحديث : ٥٤٣٨ – رواه الطبرى عن ثلاثة من شيوخه : حميد بن مسعدة ، ومحمد بن بشار ، وأبي كريب محمد بن العلاء . فحميد رواه له عن شيخ واحد ، وابن بشار عن شيخين ، وأبو كريب عن ثلاثة شيوخ . وهؤلاء الستة : يزيد بن زريع ، ومحمد بن بكر ، ومحمد بن عبد الله الأنصارى ، وعبدة بن سليمان ، ومحمد بن بشر ، وعبد الله بن إسمعيل – رووه جميعاً عن سعيد ، وهو ابن أبي عروبة .

يزيد بن زريع : مضت ترجمته فى : ١٧٦٩ .

محمد بن بكر بن عثمان البرسانى – بضم الباء وسكون الراء : ثقة ، وثقه ابن معين ، وأبو داود ، وغيرهما . وأخرج له أصحاب الكتب الستة .

محمد بن عبد الله بن المثنى بن عبد الله بن أنس بن مالك الأنصارى : ثقة من شيوخ أحمد ، وابن المدينى ، والبخارى . أخرج له الجماعة .

عبدة بن سليمان الكلابى : مضت ترجمته فى : ٢٣٢٣ .

محمد بن بشر بن الفرافصة العبدى : مضى فى : ٤٢٢٢ .

عبد الله بن إسمعيل : كوفى ، زعم أبو حاتم – فيما رواه عنه ابنه ٣/٢/٢ : أنه مجهول ، وجزم الحافظ المزى فى الأطراف بأنه « عبد الله بن إسمعيل بن أبي خالد » ، كما نقل عنه الحافظ ابن حجر فى التهذيب .

والحديث مضى : ٥٤١٧ ، من رواية إسمعيل بن مسلم ، عن الحسن ، عن سمرة . وخرجناه هناك من طريق سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة . وهى هذه الطريق .

(٢) الحديث : ٥٤٣٩ – عصام بن رواد بن الجراح ، وأبوه : مضيا فى : ٢١٨٣ .

٥٤٤٠ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا ابن أبي عدى ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن أبي الضحى ، عن شتير بن شكل ، عن أم حبيبة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ، يوم الخندق : شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر حتى غربت الشمس = قال أبو موسى : هكذا قال ابن أبي عدى .[1]

سعيد بن بشير الأزدى : مضى فى : ١٢٦ أنه صدوق يتكلمون فى حفظه ، ولكن كان سفيان بن عيينة يصفه بأنه « كان حافظاً » . والظاهر أن الكلام فيه عن غير تثبت ، فإنهم أنكروا كثرة ما روى عن قتادة . فروى ابن أبي حاتم عن أبيه ، قال : « قلت لأحمد بن صالح : سعيد بن بشير دمشق شامى ، كيف هذه الكثرة عن قتادة ؟ قال : كان أبوه بشير شريكاً لأبي عروبة ، فأقدم بشير ابنه سعيداً بالبصرة يطلب الحديث مع سعيد بن أبي عروبة » . فهذا هذا .

فالإسناد إذن صحيح كالإسناد قبله .

(١) الحديث : ٥٤٤٠ – هذا إسناد صحيح على شرط مسلم . وسليمان : هو الأعمش .

وهذا الحديث – عن أم حبيبة – لم أجده فى مصدر آخر ، غير هذا الموضع من الطبرى ، بل لم أجد إشارة إليه قط ، إلا فيما نقل ابن كثير ١ : ٥٧٨ ، عن الحافظ أبي محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطى ، أنه ذكر « أم حبيبة » فيمن حكى عنهم القول بأن الصلاة الوسطى هى العصر . وهذه إشارة أرجح أنها إشارة لهذا الحديث ، دون تصريح .

وشتير بن شكل : تابعى قديم ، كما قلنا فى : ٥٤٢٤ . ولكن التهذيب ، حين ذكر الصحابة الذين روى عنهم (٤ : ٣١١) . قال : « وأم حبيبة ، إن كان محفوظاً » ؛ فجهدت أن أعرف إلى أى حديث يشير ؟ إلى هذا الحديث أم غيره ؟

فوجدت أحمد قد روى فى المسند : ٦ : ٣٢٥ (حلبى) ، عن محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن منصور ، عن أبي الضحى ، عن شتير بن شكل ، عن أم حبيبة : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقبل وهو صائم » . وهذا إسناد كالشمس صحة .

ولكن رواه مسلم ١ : ٣٠٥ ، وابن ماجة : ١٦٨٥ ، عن أبي بكر بن أبي شيبة وغيره ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم – وهو أبو الضحى – عن شتير بن شكل ، عن حفصة . ثم رواه مسلم – أعنى حديث القبلة للصائم – من طريق أبي عوانة وجرير ، كلاهما عن منصور ، كذلك ، أى من حديث حفصة .

ففهمت أن الإشارة بالتعليل « إن كان محفوظاً » ، هى لحديث القبلة للصائم ، وأنهم رجحوا رواية ثلاثة : أبي معاوية عن الأعمش ، وأبي عوانة وجرير عن منصور – فى روايتهم ذاك الحديث من حديث حفصة – على رواية شعبة ، فى روايته إياه من حديث أم حبيبة ! وهذا ترجيح تحكم ، لا دليل عليه .

وشتير بن شكل : سمع علياً ، وابن مسعود ، وحفصة . وهم أقدم موتاً من أم حبيبة . والمعاصرة – مع ثقة الراوى ، وبراءته من تهمة التدليس – كافية فى الحكم بوصل الحديث . ورواية التابعى حديثاً عن صحابى ، لا تنفى أبداً روايته إياه عن صحابى آخر ، بل إن كلا من الروايتين تؤيد الأخرى ، إلا أن يقوم دليل قوى على الخطأ فى إحدى الروايتين .

٥٤٤١ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية ، عن يونس ، عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » ، وهي العصر .(١)

٣٤٧/٢ ٥٤٤٢ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا عبدالسلام، عن سالم مولى أبي نصير قال ، حدثني إبراهيم بن يزيد الدمشقي قال ، كنت جالساً عند عبد العزيز بن مروان فقال : يا فلان ، اذهب إلى فلان فقل له : أيّ شيء سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة الوسطى ؟ فقال رجلٌ جالس : أرسلني أبو بكر وعمر وأنا غلامٌ صغير أسأله عن الصلاة الوسطى ، فأخذ إصبعي الصغيرة فقال : هذه الفجر – وقبض التي تليها . وقال : هذه الظهر – ثم قبض الإبهام فقال: هذه المغرب – ثم قبض التي تليها ثم قال : هذه العشاء – ثم قال : أي أصابعك بقيت ؟ فقلت : الوسطى : فقال : أيّ صلاة بقيت ؟ قلت : العصر . قال : هي العصر .(٢)

ورواية شتير عن أم حبيبة – إن فرض وجود شبهة فيها في حديث القبلة للصائم – فإن روايته عنها هنا – في حديث الصلاة الوسطى – ترفع كل شبهة ، وتدل على أن روايته عنها محفوظة .

ثم إن رواية ذاك الحديث ، رواها محمد بن جعفر عن شعبة ، ورواية هذا الحديث رواها محمد بن أبي عدي عن شعبة ، وكلاهما لا يدفع عن الحفظ والإتقان والتثبت والمعرفة . وذاك من رواية شعبة عن منصور عن أبي الضحى ، وهذا من روايته عن الأعمش عن أبي الضحى .

وقد استوثق الطبري – رحمه الله – من رواية هذا الحديث هنا ، خشية أن يظن به الخطأ أو بشيخه ، فحكى كلمة شيخه « ابن المثنى » ، وهو : محمد بن المثنى أبو موسى الزمن الحافظ ، إذ استوثق هو أيضاً مما قاله شيخه « ابن أبي عدي » ، وهو : محمد بن إبرهيم بن أبي عدي – فقال : « قال أبو موسى : هكذا قال ابن أبي عدي » . وهذا احتياط دقيق ، قصد به إلى رفع شبهة الخطأ أو التعليل ، عن رواية شعبة هذه .

وشعبة بن الحجاج : أمير المؤمنين في الحديث ، كما قال الثوري . والذي « كان أمة وحده في هذا الشأن » ، كما قال أحمد – لا يدفع عن رواية يرويها ، ولا يحكم عليه بالخطأ فيها ، إلا أن يستبين ذلك عن دلائل قاطعة ، أو كالقاطعة . ولا يكن في تعليل روايته حديثي أم حبيبة – في قبلة الصائم والصلاة الوسطى – كلمة عابرة : « إن كان محفوظاً » ! ! وشعبة الحافظ الحجة الثقة المأمون .

(١) الحديث : ٥٤٤١ – هذا حديث مرسل . ولكن معناه صحيح ، بما مضى من أحاديث صحاح .

(٢) الحديث : ٥٤٤٢ – هذا إسناد مجهول – عندي على الأقل ؟

٥٤٤٣ ــ حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : ذكرنا لنا أن المشركين شغلوهم يوم الأحزاب عن صلاة العصر حتى غابت الشمس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر حتى غربت الشمس ! ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً !

٥٤٤٤ ــ حدثنا ابن البرقي قال ، حدثنا عمرو بن أبي سلمة قال ، حدثنا صدقة ، عن سعيد ، عن قتادة : عن أبي حسان ، عن عبيدة السلماني ، عن علي ابن أبي طالب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم الأحزاب : اللهم املأ بيوتهم وقبورهم ناراً ، كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى آبت الشمس ! (١)

فلست أدري من « عبد السلام » شيخ أبي أحمد ؟ وفي هذا الاسم كثرة .

سالم مولى أبي نصير : هكذا في المخطوطة والمطبوعة ، وفي ابن كثير ١ : ٥٧٩ ــ نقلا عن هذا الموضع : « مسلم مولى أبي جبير » ! ولم أجد هذا ولا ذاك . بل لم أجده أيضاً في ترجمة « سلم » ، لاحتمال التصحيف ، بزيادة ميم في أوله ، أو زيادة ألف بعد السين .

إبرهيم بن يزيد الدمشقي : مترجم في التهذيب ، وأنه كان من حرس عمر بن عبد العزيز ، وترجمه البخاري في الكبير ١ / ١ / ٣٣٥ . وابن أبي حاتم ١ / ١ / ١٤٥ ، وترجمه ابن عساكر في تاريخ دمشق ، ونسبه : « النصري من أهل دمشق » . (مختصر تاريخ ابن عساكر ٢ : ٣١٠) . وذكره ابن حبان في الثقات ، كما في التهذيب .

ولو عرفنا مخرج هذا الحديث ، وعرفنا الراويين « عبد السلام » وشيخه ، وكانا مقبولين ــ لكان الحديث جيداً : حسناً أو صحيحاً ، لأن الرجل الجالس عند عبد العزيز بن مروان ، الذي حدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يكون صحابياً ، إذ يخبر أنه أرسله أبو بكر وعمر لسؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهما لا يرسلان لمثل هذا السؤال ــ إن شاء الله ــ إلا غلاماً فاهماً مميزاً .

ويظهر لي أن الحافظ ابن كثير خفي عليه مخرجه ، فوصفه بعد نقله عن الطبري ، بأنه « غريب جداً » .

ونقله أيضاً السيوطي ١ : ٣٠٤ ، ولم يقل فيه شيئاً ، إلا نسبته للطبري .

وكذلك نقله الحافظ ابن حجر في الفتح ١ : ١٤٦ ، عن الطبري ــ مختصراً .

(١) الحديث : ٥٤٤٤ ــ ابن البرقي : هو أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم ، مضى في : ٢٢ ، ١٦٠ .

عمرو بن أبي سلمة التنيسي الدمشقي : ثقة ، من شيوخ الشافعي . وله رواية بالموطأ عن مالك .

ووقع في المطبوعة هنا : « عمرو عن أبي سلمة » ! وهو خطأ بين ، من ناسخ أو طابع .

صدقة : هو ابن عبد الله السمين الدمشقي . وهو ضعيف جداً ، كما قال أحمد . وقال مسلم : « منكر الحديث » . وضعفه البخاري ، وابن معين ، وأبو زرعة ، وغيرهم .

سعيد : هو ابن أبي عروبة .

٥٤٤٥ – حدثني محمد بن عوف الطائي قال ، حدثني محمد بن إسمعيل بن عياش قال ، حدثنا أبي قال ، حدثني ضمضم بن زرعة ، عن شريح بن عبيد ، عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الصلاة الوسطى صلاة العصر .(١)

* * *

وقال آخرون : بل الصلاة الوسطى صلاة الظهر .

• ذكر من قال ذلك :

٥٤٤٦ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عفان قال، حدثنا همام قال ،

والحديث – وإن كان إسناده هذا ضعيفاً – فقد مضى بإسناد صحيح : ٥٤٢٩ ، من رواية يزيد بن زريع ، عن ابن أبي عروبة ، به . وخرجناه هناك .

ومضى أيضاً : ٥٤٢٢ ، بإسناد آخر صحيح ، من رواية شعبة ، عن قتادة .

ومضى معناه من أوجه كثيرة عن علي ، أشرنا إليها في : ٥٣٨٠ .

(١) الحديث : ٥٤٤٥ – محمد بن عوف بن سفيان الطائي الحمصي – شيخ الطبري ، حافظ ثقة، معروف بالتقدم والمعرفة . وهو من الرواة عن أحمد بن حنبل، له عنه مسائل . ومع ذلك فإن أحمد سمع منه حديثاً ، كما في تذكرة الحفاظ ، في ترجمته ٢ : ١٤٤ – ١٤٥ ، وهو مترجم أيضاً في التهذيب . مات سنة ٢٧٢ .

محمد بن إسمعيل بن عياش الحمصي : ضعيف . قال أبوداود : « لم يكن بذاك ، قد رأيته ، ودخلت حمص غير مرة وهو حي ، وسألت عمرو بن عثمان عنه فذمه » . والظاهر أنهم ضعفوه لروايته عن أبيه دون سماع ، قال أبو حاتم : « لم يسمع من أبيه شيئاً ، حملوه على أن يحدث فحدث » ! ومثل هذا جرىء على الحديث ، لا يوثق بروايته .

أبوه إسمعيل بن عياش الحمصي : ثقة ، تكلم فيه بعضهم من أجل خطئه في بعض ما يروى عن غير الشاميين ، أما أحاديثه عن أهل الشأم فمقبولة .

ضمضم بن زرعة بن ثوب – بضم الثاء المثلثة وفتح الواو وآخره باء موحدة – الحضرمي الحمصي : ثقة، وثقه ابن معين ، وضعفه أبو حاتم ، وترجمه البخاري في الكبير ٣٣٩/٢/٢ ، فلم يذكر فيه جرحاً ، وذكره ابن حبان في الثقات .

شريح بن عبيد بن شريح الحضرمي الحمصي : تابعي ثقة .

والحديث نقله ابن كثير ١ : ٥٧٩ ، عن هذا الموضع . ثم قال : « إسناده لا بأس به » .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد – ضمن حديث – وقال : « رواه الطبراني، وفيه محمد بن إسمعيل ابن عياش ، وهو ضعيف » .

وذكره السيوطي ١ : ٣٠٤ ، ونسبه للطبري والطبراني .

حدثنا قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، عن ابن عمر ، عن زيد بن ثابت قال : الصلاة الوسطى صلاة الظهر . (١)

٥٤٤٧ – حدثنا محمد بن عبد الله المخرّمى قال ، حدثنا أبو عامر قال ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، عن ابن عمر ، عن زيد – يعنى ابن ثابت – مثله . (٢)

٥٤٤٨ – حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن سعد بن إبراهيم قال ، سمعت حفص بن عاصم يحدث ، عن زيد بن

---

(١) الخبر : ٥٤٤٦ – إسناده صحيح . وهو موقوف من كلام زيد بن ثابت .

ورواه الطحاوى فى معانى الآثار ١ : ٩٩ ، عن ابن مرزوق ، عن عفان ، بهذا الإسناد .

ورواه البيهقى ١ : ٤٥٩ ، من طريق إبرهيم بن مرزوق ، عن عفان ، به .

ورواه عبد الرزاق فى المصنف ١ : ١٨٢ ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن ابن المسيب ، عن زيد بن ثابت . فسقط من إسناده « ابن عمر » بين ابن المسيب وزيد . فإما أنه رواه هكذا ، وإما أنه خطأ من الناسخين ؟

وسيأتى هذا المعنى من أوجه مختلفة ، عن زيد بن ثابت : ٥٤٤٧ ، ٥٤٤٨ ، ٥٤٤٩ ، ٥٤٥٠ ، ٥٤٥٢ ، ٥٤٥٣ ، ٥٤٥٤ ، ٥٤٥٨ ، ٥٤٥٩ ، ٥٤٦٠ .

(٢) الخبر : ٥٤٤٧ – محمد بن عبد الله بن المبارك المخرمى – بضم الميم وفتح الخاء وكسر الراء المشددة : ثقة حافظ حجة . مضى فى : ٣٧٣٠ . مترجم فى تاريخ بغداد ٥ : ٤٢٣ – ٤٢٥ ، وتذكرة الحفاظ ٢ : ٩٢ – ٩٣ . ووقع هنا فى المخطوطة والمطبوعة « المخزومى » . وهو خطأ .

أبو عامر : هو العقدى ، عبد الملك بن عمرو .

والخبر مكرر ما قبله . وإسناده صحيح أيضاً .

وقد ذكره ابن كثير ١ : ٥٧٧ ، مع الذى قبله ، دون نسبة .

وذكرهما السيوطى ، وزاد نسبتهما لابن أبى شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن الأنبارى فى المصاحف .

ثم قال السيوطى : « وأخرج مالك ، وعبد الرزاق ، وابن أبى شيبة ، وأحمد ، وعبد بن حميد ، والبخارى فى تاريخه ، وابن جرير ، وابن المنذر ، من طرق ، عن زيد بن ثابت ، قال : « الصلاة الوسطى صلاة الظهر » .

وهذا يصلح إشارة إلى كثير من الروايات الآتية عن زيد بن ثابت .

ورواية مالك ، هى فى الموطأ ، ص : ١٣٩ ، عن داود بن الحصين ، عن ابن يربوع المخزومى ، سمع زيد ثابت .

ورواية عبد الرزاق ، هى فى المصنف ١ : ١٨٢ ، عن مالك ، به .

ثابت قال : الصلاة الوسطى الظهر .[١]

٥٤٤٩ ــ حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا سليمان بن داود قال ، حدثنا شعبة = وحدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية، عن شعبة = قال ، أخبرني عمر بن سليمان ــ من ولد عمر بن الخطاب ــ قال : سمعت عبد الرحمن بن أبان بن عثمان ، يحدث عن أبيه ، عن زيد بن ثابت قال : الصلاة الوسطى هي الظهر .[٢]

٥٤٥٠ ــ حدثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة قال، حدثنا عبد الصمد قال ، حدثنا شعبة، عن عمر بن سليمان = هكذا قال أبو زائدة =، عن عبد الرحمن بن أبان ، عن أبيه ، عن زيد بن ثابت في حديثه ، رفعه ــ : الصلاة الوسطى صلاة الظهر.[٣]

---

(١) الخبر : ٥٤٤٨ ــ حفص : هو ابن عاصم بن عمر بن الخطاب . وهو تابعي ثقة مجمع عليه . والخبر مكرر ما قبله . وإسناده صحيح كذلك .

(٢) الخبر : ٥٤٤٩ ــ إسناده صحيح.

عمر بن سليمان بن عاصم بن عمر بن الخطاب : ثقة ، وثقه ابن معين ، والنسائي ، وغيرهما . وهو مترجم في التهذيب، وابن أبي حاتم ٣/١/١١٢ ، وروى عن ابن معين أنه وصفه بأنه «صاحب حديث زيد بن ثابت » ، وفي التهذيب أنه « قيل في اسمه : عمرو » . وهو ثابت باسم « عمرو » في رواية الدارمي والطحاوي ، كما سنذكر في التخريج ، إن شاء الله .

عبد الرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان : ثقة عابد ، قليل الحديث ، وثقه النسائي ، وذكره ابن حبان في الثقات .

أبوه أبان بن عثمان : ثقة من كبار التابعين . وعده يحيى القطان في فقهاء المدينة .

وهذا الخبر موقوف أيضاً على زيد بن ثابت ، كالأخبار الثلاثة قبله .

وذكره ابن كثير ١ : ٥٧٧ ، قال : « وقال أبو داود الطيالسي ، وغيره ، عن شعبة . . . » ، فساقه بهذا الإسناد .

وكذلك رواه الطحاوي في معاني الآثار ١ : ٩٩ ، من طريق حجاج بن محمد ، عن شعبة ، عن « عمرو بن سليمان » ، به . فسمى شيخ شعبة في هذه الرواية « عمراً » .

وسيأتي عقب هذا روايته مرفوعاً . وهو ــ عندي ــ وهم ممن فهم أنه مرفوع .

(٣) الحديث : ٥٤٥٠ ــ إسناده صحيح ، إلا أن في رفعه علة ، سنذكرها إن شاء الله .

زكريا بن يحيى : مضت ترجمته في : ١٢١٩ .

عبد الصمد : هو ابن عبد الوارث العنبري .

« عمر بن سليمان » : مضت ترجمته في الخبر الذي قبل هذا . وهكذا ثبت في المطبوعة ! فلا يكون هناك معنى لقول الطبري : « هكذا قال أبو زائدة » ــ يعني شيخه زكريا بن يحيى ، إذ لا اختلاف في

٥٤٥١ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا عبد الله بن يزيد قال ، حدثنا حيوة ابن شريح وابن لهيعة قالا ، ، حدثنا أبو عقيل زهرة بن معبد : أن سعيد بن المسيب

اسمه بين هذه الرواية وتلك . ووقع فى المخطوطة : « عمر بن سلمان » . فتكون المغايرة بين الروايتين واقعة .

ولكنى أرجح أن كليهما خطأ ، إذ لم يذكر قول فى اسمه أنه « عمر بن سلمان » . والراجح ــ عندى ــ أن الصواب فى هذا الإسناد « عمرو بن سليمان » . وهو القول الثانى فى اسمه عند بعض الرواة ، كما ذكرنا .

وقوله فى هذه الرواية : « فى حديثه رفعه » ــ يعنى أنه رفع الحديث إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وجعل لفظ « الصلاة الوسطى صلاة العصر » ــ من كلامه صلى الله عليه وسلم .

وكذلك نقل السيوطى ١ : ٣٠٢ ، « أخرج ابن جرير فى تهذيبه ، من طريق عبد الرحمن بن أبان ، عن أبيه ، عن زيد بن ثابت ، فى حديث يرفعه . . . » . ولعله لم يره فى تفسير الطبرى ، فنقله عن كتابه « التهذيب » . ولفظ السيوطى الذى نقله : « فى حديث » ــ أجود من اللفظ الثابت هنا : « فى حديثه » . بل الظاهر أن هذه محرفة من الناسخين .

وعندى أن ادعاء رفع الحديث وهم ممن قاله : اختصر حديثاً مطولا ، فأوهم وظن أن كلمة فى آخره مرفوعة . وهى واضحة فى أصل الحديث أنها موقوفة .

فقد رواه أحمد فى المسند ٥ : ١٨٣ (حلبى) ــ مطولا ــ عن يحيى بن سعيد ، عن شعبة ، بهذا الإسناد الى أبان بن عثمان : « أن زيد بن ثابت خرج من عند مروان نحواً من نصف النهار ، فقلنا : ما بعث إليه الساعة إلا لشىء سأله عنه ، فقمت إليه فسألته ، فقال : أجل ، سألنا عن أشياء ، سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه... » فذكر حديثاً مطولا مرفوعاً ، ثم قال فى آخره : « وسألنا عن الصلاة الوسطى ، وهى الظهر » .

فهذا ظاهر واضح أن مروان سأل زيداً عن الصلاة الوسطى ، فأجابه ، لم يذكره فى الحديث المرفوع ، ولا وصله به .

ورواه الدارمى ١ : ٧٥ ، عن عصمة بن الفضل ، عن حرمى ــ بفتح الحاء والراء ــ بن عمارة ، عن شعبة ، عن عمرو بن سليمان ، بهذا الإسناد ، نحو رواية المسند ، مطولا . وفى آخره بعد سياق الحديث المرفوع : « قال : وسألته عن صلاة الوسطى ، فقال : هى الظهر » . فسمى شيخ شعبة فى هذه الطريق « عمراً » .

والظاهر من سياق هذه الرواية أن أبان بن عثمان هو الذى سأل زيد بن ثابت عن الصلاة الوسطى . والأمر فى هذا قريب .

أما الأمر البعيد ، والذى لا يدل عليه سياق الكلام فى الروايتين : رواية أحمد ، ورواية الدارمى ــ فهو الزعم بأن « الصلاة الوسطى » مرفوع من كلام النبى صلى الله عليه وسلم . إنما هو وهم ــ كما قلنا ــ ممن اختصر الحديث ، فأخذ آخره دون أن يتأمل سياق القول ومعناه .

والقسم المرفوع المطول من هذا الحديث ــ رواه ابن حبان فى صحيحه ، رقم : ٦٦ بتحقيقنا ، من طريق يحيى بن سعيد ــ شيخ أحمد فيه ــ وطوى بعض المرفوع من آخره ، وطوى أيضاً الكلمة الموقوفة . وقد خرجناه هناك .

ويؤيد ما قلنا : أن زيد بن ثابت إنما قال هذا استنباطاً ، كما سيأتى : ٥٤٥٩ ، ٥٤٦٠ . ولو كان هذا عنده مرفوعاً لما جاوزه إلى الاستنباط ، إن شاء الله .

حدثه أنه كان قاعداً هو وعروة بن الزبير وإبراهيم بن طلحة ، فقال سعيد بن المسيب : سمعت أبا سعيد الخدرى يقول : الصلاة الوسطى هى الظهر . فمر علينا عبد الله بن عمر ، فقال عروة : أرسلوا إلى ابن عمر ، فاسألوه . فأرسلوا إليه غلاماً فسأله ، ثم جاءنا الرسول فقال : يقول : هى صلاة الظهر . فشككنا فى قول الغلام ، فقمنا جميعاً فذهبنا إلى ابن عمر ، فسألناه فقال : هى صلاة الظهر .(١)

٥٤٥٢ – حدثنى يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا العوام بن حوشب قال ، حدثنى رجل من الأنصار ، عن زيد بن ثابت أنه كان يقول : هى الظهر .(٢)

٥٤٥٣ – حدثنى أحمد بن إسحق ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا ابن أبى ذئب = وحدثنى المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا ابن أبى ذئب = ، عن ٣٤٨/٢

---

(١) الخبر : ٥٤٥١ – عبد الله بن يزيد : هو المقرئ . مضت ترجمته فى : ٣١٨٠ .

زهرة بن معبد بن عبد الله بن هشام التيمى : تابعى ثقة ، قال ابن أبى حاتم ١/٢/٦١٥ « أدرك ابن عمر ، ولا أدرى سمع منه أم لا ؟ » وتعقبه الحافظ فى التهذيب ، بالجزم بأنه سمع منه ، وأن فى البخارى ما يدل على ذلك .

إبرهيم بن طلحة : لم أتبين من هو ؟ وليس له رواية فى الخبر ، ولا شأن فى الإسناد ، إنما كان أحد حاضرى المجلس .

والخبر رواه البيهقى ١ : ٤٥٨ – ٤٥٩ ، من طريق محمد بن سنان البصرى ، عن عبد الله بن يزيد ، به .

وسيأتى : ٥٤٥٧ ، من طريق نافع ، عن زهرة بن معبد ، بنحوه .

وذكره السيوطى ١ : ٣٠٢ ، ونسبه للبيهقى ، وابن عساكر فقط .

وهذا الخبر على صحة إسناده – فيه أن أبا سعيد الخدرى وعبد الله بن عمر يريان أن الصلاة الوسطى هى الظهر .

وقد مضى عن أبى سعيد بإسناد صحيح أيضاً : ٥٣٩٢ ، أنها العصر .

وكذلك مضى عن ابن عمر بإسنادين صحيحين : ٥٣٨٩ ، ٥٣٩١ ، أنه يرى أنها العصر .

وأبو سعيد وابن عمر ممن اختلفت الرواية عنهما فى ذلك على القولين . ذلك أنهما لم يرويا فيه حديثاً مرفوعاً يكون حجة عليهما ، إنما اجتهدا واستنبطا ما استطاعا ، وانظر ابن كثير ١ : ٥٧٧ .

(٢) الخبر : ٥٤٥٢ – العوام – بتشديد الواو – بن حوشب بن يزيد الشيبانى : ثقة مجمع عليه . يروى عن كبار التابعين .

ولكنه هنا روى عن رجل مجهول ، صار به الإسناد ضعيفاً .

الزبرقان بن عمرو ، عن زيد بن ثابت قال ، الصلاة الوسطى صلاة الظهر .(١)

٥٤٥٤ – حدثنا المثنى قال، حدثنا الحجاج قال، حدثنا حماد قال ، أخبرنا عبيد الله ، عن نافع ، عن زيد بن ثابت أنه قال : الصلاة الوسطى هى صلاة الظهر .(٢)

٥٤٥٥ – حدثنا ابن البرقى قال، حدثنا ابن أبى مريم قال ، أخبرنا نافع ابن يزيد قال ، حدثنى الوليد بن أبى الوليد أبو عثمان قال ، حدثنى عبد الله بن دينار ، عن عبد الله بن عمر : أنه سُئل عن الصلاة الوسطى قال : هى التى على أثر الضحى .(٣)

٥٤٥٦ – حدثنا ابن البرقى قال ، حدثنا ابن أبى مريم قال، حدثنا نافع ابن يزيد قال ، حدثنى الوليد بن أبى الوليد : أن مسلم بن أبى مريم حدثه : أن نفراً من قريش أرسلوا إلى عبد الله بن عمر يسألونه عن الصلاة الوسطى فقال له : هى التى على أثر صلاة الضحى. فقالوا له : ارجع واسأله ، فما زادنا إلا عَيّاءً بها ! ! فمر بهم عبد الرحمن بن أفلح مولى عبد الله بن عمر ، فأرسلوه إليه أيضاً فقال : هى التى توجَّه فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القبلة .(٤)

---

(١) الخبر : ٥٤٥٣ – هذا الخبر مختصر . وسيأتى مطولا : ٥٤٦٠ ، من هذا الوجه ، من رواية ابن أبى ذئب ، عن الزبرقان .

(٢) الخبر : ٥٤٥٤ – الحجاج : هو ابن المنهال . وحماد : يحتمل أن يكون ابن زيد ، وأن يكون ابن سلمة .

عبيد الله : هو ابن عمر بن حفص بن عاصم . ونافع : هو مولى ابن عمر . وأخشى أن تكون روايته عن زيد بن ثابت مرسلة . فما أظنه أدرك طبقته من الصحابة . وقد نص ابن أبى حاتم على أن روايته عن حفصة وعائشة مرسلة .

(٣) الخبر : ٥٤٥٥ – ابن أبى مريم : هو سعيد بن أبى مريم ، وهو سعيد بن الحكم ، مضت ترجمته فى : ٣٨٧٧ .

نافع بن يزيد الكلاعى المصرى : ثقة مأمون ، ثبت فى الحديث ، لا يختلف فيه .

الوليد بن أبى الوليد أبو عثمان : تابعى ثقة . وقد حققنا ترجمته فى شرح المسند : ٥٧٢١ .

وهذا الخبر مختصر . وسيأتى عقبه مطولا ، عن تابعى آخر ، غير عبد الله بن دينار .

(٤) الخبر : ٥٤٥٦ – مسلم بن أبى مريم ، واسم أبيه : يسار ، السلولى المدنى : تابعى ثقة ،

٥٤٥٧ – حدثني ابن البرقي قال، حدثنا ابن أبي مريم قال ، أخبرنا نافع قال ، حدثني زهرة بن معبد قال ، حدثني سعيد بن المسيب : أنه كان قاعداً هو وعروة وإبراهيم بن طلحة ، فقال له سعيد ، سمعت أبا سعيد يقول : إن صلاة الظهر هي الصلاة الوسطى. فمر علينا ابن عمر ، فقال عروة : أرسلوا إليه فاسألوه . فسأله الغلام فقال : هي الظهر. فشككنا في قول الغلام، فقمنا إليه جميعاً فسألناه، فقال : هي الظهر .(١)

روى عنه شعبة ، ومالك ، وابن جريج ، والليث ، وغيرهم . ووقع في المخطوطة والمطبوعة اسمه « سلمة » بدل « مسلم » ، وهو خطأ من الناسخين . وليس في التراجم من يسمى بهذا .

والخبر رواه – بنحوه – الطحاوي ١ : ٩٩ ، من طريق يحيى بن عبد الله بن بكير ، عن موسى بن ربيعة ، عن الوليد بن أبي الوليد المدني ، عن عبد الرحمن بن أفلح : « أن نفراً من أصحابه أرسلوه إلى عبد الله بن عمر . . . » ، فذكر معناه .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١ : ٣٠٩ مختصراً ، بنحوه . قال : « وعن عبد الرحمن بن أفلح : أن نفراً من الصحابة أرسلوني إلى ابن عمر ، يسألونه عن الصلاة الوسطى . فقال : كنا نتحدث أنها الصلاة التي وجه فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القبلة، الظهر » . وقال : « رواه الطبراني، ورجاله موثقون » .

ونقله السيوطي بنحوه ١ : ٣٠١ أكثر اختصاراً من هذا ،ونسبه للطبراني في الأوسط «بسند رجاله ثقات».

فروايتا الطحاوي والطبراني تؤيدان رواية ابن جرير هذه ، لأنها عن « عبد الرحمن بن أفلح » الذي أرسله هؤلاء النفر من قريش يسأل ابن عمر .

وموسى بن ربيعة المصري : ثقة ، ترجمه ابن أبي حاتم ٤/١/١٤٢ – ١٤٣ . وقال : « سئل أبو زرعة عنه ؟ فقال : كان يكون بمصر ، وهو ثقة لا بأس به » . ولم أجد له ترجمة عند غيره .

والوليد بن أبي الوليد ، كما سمع الخبر من مسلم بن أبي مريم، سمعه أيضاً من الرسول الذي أرسله النفر من قريش إلى ابن عمر .

و « عبد الرحمن بن أفلح » : مترجم في ابن أبي حاتم ٢/٢/٢١٠ : « عبد الرحمن بن أفلح مولى أبي أيوب. وهو أخو كثير بن أفلح . روى عن . . . روى عنه أبو النضر حديث العزلة . سمعت أبي يقول ذلك » . وموضع النقط بياض في أصل كتاب ابن أبي حاتم. وقال مصححه العلامة الشيخ عبد الرحمن اليماني : « في الثقات : عن أم ولد أبي أيوب » .

وترجمه ابن سعد ٥ : ٢٢٠ ، هكذا : « عبد الرحمن بن أفلح ، مولى أبي أيوب الأنصاري . وهو رضيع لخارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري . وسمع من عبد الله بن عمر بن الخطاب » .

ولم أجد له ترجمة غير ذلك ، فهو هو الذي في هذا الخبر .

ولعل بعض الرواة وهم في جعله « مولى عبد الله بن عمر » .

وقوله « إلا عياء بها » : يقال « عي بالأمر عياً (بالكسر) وعياء » : جهله وأشكل عليه أمره . وفي الحديث : « شفاء العي السؤال » . وذكر المصدر الثاني (عياء) في المعيار للشيرازي .

(١) الخبر : ٥٤٥٧ – نافع في هذا الإسناد: هو نافع بن يزيد ، الذي ترجمنا له في : ٥٤٥٥.

٥٤٥٨ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عثمان بن عمر قال، حدثنا أبو عامر، عن عبد الرحمن بن قيس، عن ابن أبي رافع، عن أبيه – وكان مولى لحفصة – قال: استكتبتني حفصة مصحفاً وقالت لي: إذا أتيت على هذه الآية فأعلمني حتى أملّها عليك كما أقرأنيها. فلما أتيت على هذه الآية: «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى»، أتيتها فقالت: اكتب: «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر». فلقيت أبيّ بن كعب، أو زيد بن ثابت، فقلت: يا أبا المنذر، إن حفصة قالت كذا وكذا!! قال: هو كما قالت، أوَ ليس أشغل ما نكون عند صلاة الظهر في غنمنا ونواضحنا! (١)

* * *

وهذا إسناد صحيح. والخبر مختصر من الخبر الماضي: ٥٤٥١، من رواية حيوة وابن لهيعة، عن زهرة بن معبد.

(١) الحديث: ٥٤٥٨ – عثمان بن عمر بن فارس بن لقيط العبدي: ثقة من شيوخ أحمد وإسحق، أخرج له الجماعة.

أبو عامر: هو الخزاز – بمعجمات – واسمه: صالح بن رستم، وهو ثقة، وثقه الطيالسي، وأبو داود، وغيرهما.

عبد الرحمن بن قيس العتكي، أبو روح البصري: ثقة. ذكره ابن حبان في الثقات، وأخرج له هو وابن خزيمة في صحيحيهما، وترجمه ابن أبي حاتم ٢/٢/٢٧٧ – ٢٧٨ ترجمتين: ١٣٢٠، ١٣٢١، وهما واحد، ولم يذكر فيه جرحاً.

«ابن أبي رافع عن أبيه»: لم أعرف من «ابن أبي رافع» هذا؟ ولم أجد له ترجمة، إلا أنه ذكر في التهذيب هكذا، في ترجمة عبد الرحمن بن قيس العتكي، في شيوخه الذين روى عنهم.

ويحتمل جداً أن يكون ابناً لعمرو بن رافع، الذي سيأتي ذكره في شرح: ٥٤٦٣، وفي إسناد: ٥٤٦٤.

وهذا الحديث مجهول الإسناد، كما ترى. وسيأتي بهذا الإسناد واللفظ: ٥٤٧٠، إلا حرفاً واحداً، سنذكره.

وذكره السيوطي ١: ٣٠٢، بنحوه مختصراً قليلا، قال: «أخرج عبد الرزاق، والبخاري في تاريخه وابن جرير، وابن أبي داود في المصاحف عن أبي رافع مولى حفصة...».

فأما ابن جرير، فهذه روايته. وأما البخاري في التاريخ، فلم أعرف موضعه منه. وأما عبد الرزاق وابن أبي داود – فلم أجد عندهما من رواية أبي رافع – على اليقين عندي من ذلك. فلا أدري كيف هذا؟!

وهو حديث مرفوع، لقول حفصة: «حتى أملها عليك كما أقرأنيها». وفي الرواية الآتية: «كما أقرئتها»، بالنباء لما لم يسم فاعله. والذي يقرئ حفصة وتأخذ عنه القرآن، هو زوجها المنزل عليه الكتاب،

وعلة من قال ذلك ، ما :—

٥٤٥٩ — حدثنا به محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة قال ، أخبرنى عمرو بن أبى حكيم قال : سمعت الزبرقان يحدث ، عن عروة ابن الزبير ، عن زيد بن ثابت قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الظهر بالهاجرة ، ولم يكن يصلى صلاة أشدّ على أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم منها ، قال : فنزلت : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » . وقال : إن قبلها صلاتين ، وبعدها صلاتين .(١)

صلى الله عليه وسلم ، كما سيأتى تصريحها بذلك ، فى : ٥٤٦٢ ، ٥٤٦٣ ، ٥٤٦٥ .

وقولها « أملها » : هكذا ثبت فى المخطوطة . وفى المطبوعة « أمليها » . وكلاهما صحيح ، يقال : « أمللت الكتاب ، وأمليته » . وكلاهما نزل به القرآن : (فليملل وليه بالعدل) . من « أمللت » . و : (فهى تملى عليه بكرة وأصيلا) ، من « أمليت » . قال الفراء : « أمللت : لغة أهل الحجاز وبنى أسد . وأمليت : لغة بنى تميم وقيس » .

قوله : « فلقيت أبى بن كعب ، أو زيد بن ثابت ، فقلت : ياأبا المنذر » — إلخ : شك الراوى فى أيهما لقى ، ثم رجح أنه أبى بن كعب ، إذ أن كنيته : « أبو المنذر » ، وأما زيد فكنيته : « أبو سعيد » ويقال : « أبو خارجة » .

النواضح : جمع « ناضح » ، وهو من الإبل : ما يستقى عليه الماء . ونضح زرعه : سقاه بالدلو . يعنى : أنهم فى شغل بسقى نخيلهم على النواضح من إبلهم .

(١) الحديث : ٥٤٥٩ — عمرو من أبى حكيم : هو عمرو بن كردى ، أبو سعيد الواسطى ، وهو ثقة ، وثقه أبو داود ، والنسائى ، وغيرهما . ورواية شعبة عنه أمارة توثيقه عنده أيضاً .

الزبرقان : هو ابن عمرو بن أمية الضمرى ، بذلك جزم ابن سعد ٥ : ١٨٤ ، ذكره بعد « جعفر ابن عمرو » ، وذكر أنه أخوه . وقال بعضهم : « الزبرقان بن عبد الله بن عمرو » . والقولان أشار إليهما البخارى فى الكبير ٢/١/٣٩٦ — ٣٩٧ ، رقم : ١٤٤٦ . وترجم صاحب التهذيب الترجمتين ، وذكر أن « الزبرقان بن عبد الله » روى عنه كليب بن صبح . فجاء الحافظ ابن حجر ، فعقب فى ترجمة « الزبرقان بن عمرو » ، بأنه « لم يفرق البخارى فن بعده بينهما ، إلا ابن حبان ، ذكر هذا فى ترجمة مفردة عن الذى يروى عنه كليب بن صبح » ، ثم أنحى على ابن حبان لما فعل . وهذا عجب من العجب ! فإن البخارى أفرد ترجمة « زبرقان ، عن عمرو بن أمية ، روى عنه كليب بن صبح » — الكبير ٢/١/٣٩٧ ، رقم : ١٤٤٩ . وكذلك صنع ابن أبى حاتم ١/٢/٦١٠ — ٦١١ ، رقم : ٢٧٦٥ ، ٢٧٦٦ . كل ما فى الأمر أنهما لم ينسبا الذى روى عنه كليب . ولكنهما فرقا بينهما ، فما أدرى ما الذى أنكره الحافظ على ابن حبان ؟ !

والزبرقان بن عمرو ، هذا : ثقة .

٥٤٦٠ ــ حدثنا مجاهد بن موسى قال، حدثنا يزيد بن هرون قال ، أخبرنا ابن أبي ذئب ، عن الزبرقان قال : إنّ رهطاً من قريش مرّ بهم زيد بن ثابت فأرسلوا إليه رجلين يسألانه عن الصلاة الوسطى . فقال زيد : هي الظهر . فقام رجلان منهم فأتيا أسامة بن زيد ، فسألاه عن الصلاة الوسطى فقال : هي الظهر . إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي الظهر بالهجير ، فلا يكون وراءه إلا الصَّفُّ والصَّفَّان ، الناسُ يكونون في قائلتهم وفي تجارتهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد هممت أن أحرِّق على أقوام لا يشهدون الصلاة بيوتهم ! قال : فنزلت هذه الآية : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » . (١)

* * *

وكان آخرون يقرأون ذلك : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر » .

* ذكر من كان يقول ذلك كذلك :

والحديث رواه أحمد في المسند ٥ : ١٨٣ ، عن محمد بن جعفر ، عن شعبة ، به .

ورواه أبو داود : ٤١١ ، عن محمد بن المثنى ــ شيخ الطبري هنا ــ بهذا الإسناد .

ورواه البخاري في الكبير ــ في ترجمة الزبرقان ، عن إسحق . عن عبد الصمد ، عن شعبة ، به ، موجزاً كعادته .

ورواه الطحاوي في معاني الآثار ١ : ٩٩ ، من طريق عمرو بن مرزوق ، عن شعبة ، به .

وكذلك رواه البيهقي ١ : ٤٥٨ ، من طريق عمرو بن مرزوق .

وذكره ابن كثير ١ : ٥٧٧ ، عن رواية المسند . ثم أشار إلى رواية أبي داود .

وذكره السيوطي ١ : ٣٠١ ، وزاد نسبته للروياني ، وأبي يعلى ، والطبراني .

وهذه أسانيد صحاح .

وسيأتي عقب هذا ، مطولا ، غير موصول الإسناد .

(١) الحديث : ٥٤٦٠ ــ هو مطول الحديث قبله ، ولكنه هنا منقطع ، كما سنذكر .

ورواه أحمد في المسند ٥ : ٢٠٦ (حلبي) ، عن يزيد ــ وهو ابن هرون ، عن ابن أبي ذئب ، به ، ولكن في روايته زيادة في أوله : « مرّ بهم زيد بن ثابت وهم مجتمعون ، فأرسلوا إليه غلامين لهم يسألانه عن الصلاة الوسطى ، فقال : هي العصر . فقام إليه رجلان منهم فسألاه ، فقال : هي الظهر » .

ففي رواية أحمد أن زيد بن ثابت قال للغلامين : هي العصر . وأنه قال للرجلين اللذين قاما إليه : هي الظهر . وقد حذف من رواية الطبري هنا سؤال الغلامين وجواب زيد بأنها العصر . وهذه الزيادة ثابتة أيضاً في ابن كثير ١ : ٥٧٧ ، في نقله الحديث من مسند أحمد .

٥٤٦١ – حدثنا محمد بن بشار قال. حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا

ولم أجدها فى شىء من مصادر هذا الحديث غير ذلك

ووقع فى المسند « حدثنا يزيد بن أبى ذئب ، عن الزبرقان » ! وهو تخليط من الناسخين ، ثبت أيضاً فى مخطوطة المسند (م) ! فليس فى الرواة من هذا اسمه . والحديث حديث «يزيد بن هرون » ، عن « ابن أبى ذئب » ، كما دلت عليه رواية الطبرى هنا .

وزادت نسخة ابن كثير تخليطاً إلى تخليط . فى النقل عن المسند : « حدثنا يزيد بن أبى وهب ، عن الزبرقان » ! ! ولسنا ندرى ، أهو من الناسخين أم من المطبعة ؟ !

والحديث رواه أيضاً الطحاوى فى معانى الآثار ١ : ٩٩ ، عن الربيع بن سليمان المرادى ، عن خالد ابن عبد الرحمن ، عن ابن أبى ذئب ، عن الزبرقان . ولكنه مختصر ، حذف منه ذكر أسامة بن زيد ، وجعل قوله : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى الظهر بالهجير ... » – إلى آخر الحديث – من كلام زيد بن ثابت ، لا من كلام أسامة ، ولعل هذا الاختصار سهو من بعض الرواة .

فقد أشار البخارى إليه من طريق ابن أبى ذئب ، كعادته فى الإيجاز ، وأثبت أنه عن زيد وأسامة ، فذكره فى ترجمة الزبرقان ٢ / ١ / ٣٩٧ ، قال :

« وقال هشام : حدثنا صدقة ، عن ابن أبى ذئب ، عن الزبرقان بن عمرو بن أمية الضمرى ، عن زيد وأسامة – نحوه » . يعنى نحو حديث قبله سنذكره .

ثم قال : « حدثنا آدم ، حدثنا ابن أبى ذئب ، قال : حدثنا زبرقان الضمرى – نحوه » .

ثم قال : « ورواه يحيى بن أبى بكير ، عن ابن أبى ذئب نحوه » .

فرواية أسامة بن زيد ثابتة فى هذا الحديث من هذا الوجه ، فى كل الروايات ، فحذفها وهم .

وكذلك هى ثابتة فى مصادر أخر . فقد ذكره السيوطى كاملا ١ : ٣٠١ ، ونسبه لأحمد ، وابن منيع والنسائى ، وابن جرير ، والشاشى ، والضياء .

وروى الطيالسى ، نحوه ، مختصراً : ٦٢٨ ، عن أبى ذئب ، عن الزبرقان ، عن زهرة ، قال « كنا جلوساً عند زيد بن ثابت ، فأرسلوا إلى أسامة بن زيد ، فسألوه عن الصلاة الوسطى ؟ فقال : هى : الظهر ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصليها بالهجير » .

وكذلك رواه البيهقى ١ : ٤٥٨ ، من طريق الطيالسى .

وذكره البخارى فى الكبير ٢ / ١ / ٣٩٦ – ٣٩٧ ، عن أبى داود ، وهو الطيالسى ، به .

ونقله ابن كثير ١ : ٥٧٧ ، من مسند الطيالسى .

والحديث المطول الذى هنا منقطع الإسناد كما قلنا . ودل على انقطاعه : الإسناد قبله ، الذى فيه رواية الزبرقان عن عروة ، ورواية الطيالسى ، التى فيها روايته عن زهرة .

ولذلك قال ابن كثير – بعد نقله إياه من رواية مسند الإمام أحمد : « والزبرقان : هو ابن عمرو بن أمية الضمرى ، لم يدرك أحداً من الصحابة . والصحيح ما تقدم من روايته عن زهر بن معبد ، وعروة ابن الزبير » .

وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ١ : ٣٠٨ – ٣٠٩ ، « رواه أحمد ، ورجاله موثقون ، إلا أن الزبرقان لم يسمع من أسامة بن زيد ، ولا من زيد بن ثابت » .

وما يجدر التنبيه إليه : أن السيوطى نسبه للنسائى – كما ذكرنا – ولكنى لم أجده فى النسائى . وقد قال الهيثمى فى مجمع الزوائد : « رواه النسائى وقال الشيخ فى الأطراف : ليس فى السماع ، ولم يذكره أبو القاسم » .

شعبة ، عن أبي بشر ، عن عبد الله بن يزيد الأزدي ، عن سالم بن عبد الله : أن حفصة أمرت إنساناً فكتب مصحفاً فقالت : إذا بلغت هذه الآية : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » فآذِنِّي. فلما بلغ آذَنَتها ، فقالت : اكتب : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر ». (١)

٣٤٩/٢

٥٤٦٢ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا عبيد الله ، عن نافع : أن حفصة أمرت مولى لها أن يكتب لها مصحفاً ، فقالت : إذا بلغتَ هذه الآية : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » ، فلا تكتبها حتى أمليَها عليك كما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها . فلما بلغها ، أمرته فكتبها : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين » = قال نافع : فقرأت ذلك المصحف فوجدت فيه « الواو ». (٢)

يريد أن الحافظ المزي قال ذلك ، فلعله ثابت في رواية بعض الرواة لسنن النسائي دون بعض .

الهاجرة ، والهجير : نصف النهار عند زوال الشمس إلى العصر ، وهو حينئذ أشد الحر .

والقائلة : الظهيرة ، نصف النهار . والقيلولة : نومة نصف النهار ، قال يقيل . وتسمى القيلولة « القائلة » أيضاً . وهو المراد هنا .

(١) الخبر : ٥٤٦١ – أبو بشر : هو جعفر بن أبي وحشية ، مضت ترجمته في : ٣٣٤٨ .

عبد الله بن يزيد الأزدي : ثقة ، ترجمه ابن أبي حاتم ٢/٢/٢٠٠ ، فلم يذكر فيه جرحاً ، ونسبه : « الأودي أو الأزدي » .

والخبر رواه ابن أبي داود في المصاحف – ص : ٨٥ ، عن محمد بن بشار – شيخ الطبري هنا – بهذا الإسناد ، وفيه بعد قوله « الأزدي » – : « قال ابن أبي داود : وبعضهم يقول : الأودي » .

ونقله ابن كثير ١ : ٥٨١ ، عن هذا الموضع من الطبري .

وقد مضى هذا الخبر مختصراً : ٥٤٠٥ ، من رواية هشيم ، عن أبي بشر ، عن سالم ، وظهر من هذه الرواية انقطاع ذاك الإسناد ، إذ سقط منه « عبد الله بن يزيد » بين أبي بشر وسالم .

(٢) الحديث : ٥٤٦٢ – عبد الوهاب : هو ابن عبد المجيد الثقفي . مضت ترجمته في : ٢٠٣٩ .

عبيد الله : هو ابن عمر بن حفص بن عاصم .

والحديث رواه ابن أبي داود ، ص : ٨٦ ، عن محمد بن بشار ، عن عبد الوهاب ، وهو الثقفي ، بهذا الإسناد . ولفظه في آخره : « قال نافع : فقرأت ذلك في المصحف ، فوجدت الواوات » ! هكذا ثبت فيه ، وأخشى أن يكون من تخليط المستشرق ناشر الكتاب .

ورواه البيهقي ١ : ٤٦٢ ، بنحوه ، من طريق عارم بن الفضل ، عن حماد بن زيد ، عن عبيد الله ، به ، وفي آخره : « قال نافع : فرأيت الواو معلقة » .

٥٤٦٣ ـ حدثنا الربيع بن سليمان قال، حدثنا أسد بن موسى قال ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم : أنها قالت : لكاتب مصحفها : إذا بلغت مواقيت الصلاة فأخبرني حتى آمُرك ما سمعتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . فلما أخبرها قالت : اكتُب، فإني سمعت رسول الله عليه وسلم يقول : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر » .(١)

وقال البيهقي : « وهذا مسند، إلا أن فيه إرسالا من جهة نافع ، ثم أكده بما أخبر عن رؤيته » .

ونقله ابن كثير ١ : ٥٨١ ، عن هذا الموضع من الطبري .

وقد مضى نحو هذا الحديث : ٥٤٠٦ ، من رواية حماد بن سلمة ، عن عبيد الله . وبينا هناك انقطاعه بين نافع وحفصة ، وسيأتي عقب هذا بنحوه ، من طريق حماد بن سلمة أيضاً .

(١) الحديث : ٥٤٦٣ – هو تكرار للذي قبله ، بنحوه ، إلا أن في هذا التصريح برفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، كمثل الرواية الماضية : ٥٤٠٦، من طريق حماد بن سلمة أيضا ، وهو منقطع بين نافع وحفصة ، كسابقيه .

وهذه الروايات الثلاث المنقطعة بين نافع وحفصة: ٥٤٠٦، ٥٤٦٢ ، ٥٤٦٣ – هي في حقيقتها متصلة ، إذ عرفنا الواسطة بينهما ، وهو « عمرو بن رافع » مولى عمر ، أو مولى حفصة بنت عمر . وهو الذي كتب لها المصحف المذكور في هذه الروايات :

فروى نحوه الطحاوي في معاني الآثار ١ : ١٠٢ ، من طريق إبرهيم بن سعد ، عن ابن إسحق ، قال : « حدثني أبو جعفر محمد بن علي ، ونافع مولى عبد الله بن عمر ، أن عمرو بن رافع مولى عمر بن الخطاب حدثهما : أنه كان يكتب المصاحف على عهد أزواج النبي صلى الله عليه وسلم . قال : استكتبتني حفصة بنت عمر زوج النبي صلى الله عليه وسلم مصحفاً ، وقالت لي : إذا بلغت هذه الآية من سورة البقرة فلا تكتبها حتى تأتيني ، فأمليها عليك كما حفظتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فلما بلغتها أتيتها بالورقة التي أكتبها ، فقالت : اكتب : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر » .

وكذلك رواه ابن أبي داود في المصاحف ، ص : ٨٦ ، من طريق محمد بن إسحق . بهذا الإسناد ، نحوه .

وكذلك رواه البيهقي ١ : ٤٦٢ – ٤٦٣ ، بإسناده من طريق ابن إسحق ، إلا أن في روايته « عمر بن رافع » بدل « عمرو » ، وكأنه في كلامه يشير إلى أن هذا خطأ من ابن إسحق . وهو في هذا واهم، فإن روايتي الطحاوي وابن أبي داود من طريق ابن إسحق – فيهما « عمرو » على الصواب . فالخطأ هو ممن دون ابن إسحق عنده .

وإسناد الحديث من هذا الوجه صحيح .

أبو جعفر محمد بن علي : هو الباقر ، محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وهو تابعي ثقة مجمع عليه .

٥٤٦٤ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عبدة بن سليمان قال ، حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثني أبوسلمة ، عن عمرو بن رافع مولى عمر قال : كان مكتوباً في مصحف حفصة : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين » .(١)

٥٤٦٥ – حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصرى قال، حدثنا أبي وشعيب ، عن الليث قال ، حدثنا خالد بن يزيد ، عن ابن أبي هلال ، عن زيد ، عن عمرو بن رافع قال : دعتني حفصة فكتبت لها مصحفاً فقالت : إذا بلغت آية الصلاة فأخبرني. فلما كتبت : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » قالت : « وصلاة العصر » ، أشهد أنّي سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم .(٢)

عمرو بن رافع مولى عمر : تابعي ثقة . ترجمه ابن سعد في الطبقات ٥ : ٢٢٠ ، وابن أبي حاتم ٣/١/٢٣٢ ، ووثقه ابن حبان . وقال السيوطي في رجال الموطأ : « ليست له رواية في الكتب الستة ، ولا مسند أحمد » . وفي التهذيب أن البخاري ذكره فقال : « قال بعضهم : عمر بن رافع ، ولا يصح . وقال بعضهم : أبو رافع » . وقال بعضهم أيضاً : « عمرو بن نافع » . وهي ثابتة في رواية ابن أبي داود . والراجح الصحيح : « عمرو بن رافع » ، لثبوته كذلك في روايات أخر لهذا الحديث مرفوعاً وموقوفاً ، ومنها الروايتان الآتيان عقب هذه .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٦ : ٣٢٠ « عن عمرو بن رافع مولى عمر بن الخطاب » . وقال : « رواه أبويعلى ، ورجاله ثقات » .

وذكره السيوطي ١ : ٣٠٢ ، وزاد نسبته لأبي عبيد ، وعبد بن حميد ، وابن الأنباري في المصاحف .

وروى مالك في الموطأ ، نحو هذا الحديث ، ص : ١٣٩ ، موقوفاً على حفصة – عن زيد بن أسلم ، عن عمرو بن رافع .

وكذلك رواه الطحاوي ١ : ١٠٢ ، وابن أبي داود . ص : ٨٦ – ٨٧ ، والبيهقي ١ : ١٦٢ – كلهم من طريق مالك ، به .

(١) الخبر : ٥٤٦٤ – هذا إسناد صحيح . وهو مختصر مما قبله .

وكذلك رواه الطحاوي ١ : ١٠٢ ، مختصراً ، من طريق يزيد بن هرون ، عن محمد بن عمرو ، به .

ورواه ابن أبي داود ، ص : ٨٧ ، من طريق يزيد، وهو ابن هرون ، عن محمد بن عمرو ، مطولا .

ورواية ابن أبي داود : « وصلاة العصر » ، كرواية الطبري هنا . وأما رواية الطحاوي ففيها : « وهي صلاة العصر » .

وانظر : ٥٤٥٨ ، ٥٤٧٠ .

(٢) الحديث : ٥٤٦٥ – خالد بن يزيد الجمحي الإسكندراني المصري ، أبو عبد الرحيم : ثقة . قال ابن يونس : « كان فقيهاً مفتياً » ، ووثقه أبو زرعة ، والنسائي ، وغيرهما .

٥٤٦٦ ــ حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال، حدثني أبي وشعيب ابن الليث عن الليث قال، أخبرني خالد بن يزيد، عن ابن أبي هلال، عن زيد : أنه بلغه عن أبي يونس مولى عائشة مثل ذلك .

٥٤٦٧ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال، حدثني الليث قال ، حدثني خالد ، عن سعيد ، عن زيد بن أسلم : أنه بلغه عن أبي يونس مولى عائشة، عن عائشة مثل ذلك .(١)

ابن أبي هلال : هو سعيد بن أبي هلال الليثي المصري، مضت ترجمته في : ١٤٩٥ .

زيد : هو ابن أسلم العدوي ، الفقيه المدني ، وهو تابعي ثقة . روى عنه مالك ، وابن جريج ، والثوري وغيرهم .

عمرو بن رافع : مضت ترجمته في شرح : ٥٤٦٣ .

ووقع هنا في المخطوطة : « عن أبي هلال ، عن زيد بن عمر بن رافع » . وهو تخليط من الناسخ .

والحديث مضى معناه مراراً، وخرجناه مفصلا .

(١) الحديثان : ٥٤٦٦ ، ٥٤٦٧ ــ أولهما منقطع بين زيد بن أسلم وأبي يونس ، ثم هو مرسل ، لم تذكر فيه . والثاني منقطع ، ولكن فيه « عن عائشة » .

وهما حديث واحد، وحقيقته أنه متصل صحيح .

فرواه مالك في الموطأ ، ص : ١٣٨ ــ ١٣٩ ، عن زيد بن أسلم ، عن القعقاع بن حكيم ، عن أبي يونس ، قال : « أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفاً ، ثم قالت : إذا بلغت هذه الآية فآذني : (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين) . فلما بلغتها آذنتها، فأملت علي: « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين ». قالت عائشة: سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

ورواه أحمد في المسند ٦ : ٧٣ (حلبي) ، عن إسحق ، وهو ابن عيسى الطباع ، عن مالك ، به .

ونقله ابن كثير ١ : ٥٨٠ ، عن رواية أحمد في هذا الموضع .

ورواه أحمد أيضاً ٦ : ١٧٨ (حلبي) ، عن عبد الرحمن ، وهو ابن مهدي ، عن مالك .

وكذلك رواه مسلم ١ : ١٧٤ ــ ١٧٥ ، وأبو داود : ٤١٠ ، والترمذي ٤ : ٧٦ ، والنسائي ١ : ٨٢ ــ ٨٣ ، والطحاوي في معاني الآثار ١ : ١٠٢ ، وابن أبي داود في المصاحف ، ص : ٨٤ ، والبيهقي ١ : ٤٦٢ ــ كلهم من طريق مالك .

وذكره ابن حزم في المحلى ٤ : ٢٥٤ ، من رواية مالك .

وذكره السيوطي ١ : ٣٠٢ ، وزاد نسبته لعبد بن حميد ، وابن الأنباري في المصاحف .

ورواه ابن أبي داود أيضاً ، ص : ٨٣ ــ ٨٤ ، بنحوه، عن محمد بن إسمعيل الأحمسي، عن جعفر ابن عون ، عن هشام ، وهو ابن سعد ، عن زيد ، عن أبي يونس ــ فذكره كرواية مالك ، ولكن ليس قولها أنها سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهذا أيضاً إسناد صحيح ، رواته ثقات .

٥٤٦٨ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا وهب بن جرير قال ، أخبرنا شعبة ، عن أبي إسحق ، عن هبيرة بن يريم ، عن ابن عباس : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر » .(١)

٥٤٦٩ – حدثنا مجاهد بن موسى قال، حدثنا يزيد بن هرون قال ، أخبرنا عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء قال : كان عبيد بن عمير يقرأ : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين » .

٥٤٧٠ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عثمان بن عمر قال ، حدثنا أبو عامر ، عن عبد الرحمن بن قيس ، عن ابن أبي رافع ، عن أبيه – وكان مولى حفصة – قال : استكتبتني حفصة مصحفاً وقالت : إذا أتيت على هذه الآية فأعلمني حتى أملِّها عليك كما أقرِئتها . فلما أتيت على هذه الآية : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » ، أتيتها فقالت : اكتب : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر » . فلقيت أبيّ بن كعب أو زيد بن ثابت فقلت : يا أبا

---

(١) الخبر : ٥٤٦٨ – هبيرة ، بضم الهاء وفتح الباء الموحدة ، بن يريم ، بفتح الياء التحتية في أوله وكسر الراء بعدها تحتية ساكنة : مضت ترجمته : ٣٠٠١ . ووقع اسمه هنا في المخطوطة والمطبوعة « عمير بن مريم » . وهو خطأ . ووقع في المحلى – في رواية هذا الخبر – مرتين « عمير بن يريم » ، ولم نعرف صوابه حين كتبنا التعليق على المحلى ، فذكرنا أقوالا فيما يحتمل من التصويب ، كلها تكلف . ثم استبان الصواب من رواية البيهقي هذا الخبر ، كما سيأتي .

والخبر رواه البيهقي ١ : ٤٦٣ ، من طريق إبرهيم بن مرزوق ، عن وهب بن جرير ، عن شعبة ، عن أبي إسحق – وهو السبيعي – عن هبيرة بن يريم ، عن ابن عباس ، ولم يذكر لفظه .

وذكره ابن حزم في المحلى ٤ : ٢٥٤ ، تعليقاً – عن يحيى بن سعيد القطان ، عن شعبة ، عن أبي إسحق ، به ، بلفظ : « وصلاة العصر » .

ثم ذكره ٤ : ٢٥٥ ، تعليقاً أيضاً – عن وكيع ، عن شعبة ، به ، بلفظ : « صلاة العصر » ، وقال : « هكذا بلا واو » .

ورواه ابن أبي داود في المصاحف ، ص : ٧٧ ، عن محمد بن بشار ، عن محمد [وهو ابن جعفر] ، عن شعبة ، به ، بلفظ : « وصلاة العصر » . ووقع في الإسناد أيضاً «عمير بن يريم » . وصوابه : « هبيرة » ، كما قلنا آنفاً .

وذكره السيوطي ١ : ٣٠٣ ، وزاد نسبته لابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد . ووقع أيضاً : « عمير ابن مريم » .

المنذر ، إن حفصة قالت كذا وكذا . قال : هو كما قالت ! أوَ ليس أشغلَ ما نكون عند صلاة الظهر فى نواضحنا وغَنمنا ! (١)

* * *

وقال آخرون : بل الصلاة الوسطى صلاة المغرب .

* ذكر من قال ذلك :

٥٤٧١ ــ حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا عبد السلام، عن إسحق بن أبى فروة ، عن رجل ، عن قبيصة بن ذؤيب قال : الصلاة الوسطى صلاة المغرب ، ألا ترى أنها ليست بأقلها ولا أكثرها ، ولا تقصر فى السفر ، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤخرها عن وقتها ولم يُعجِّلها ؟ (٢)

* * *

قال أبو جعفر : ووجَّه قبيصة بن ذؤيب قوله : « الوسطى » إلى معنى : التوسُّط الذى يكون صفة للشىء ، يكون عدلاً بين الأمرين ، كالرجل المعتدل القامة ، ٢/٣٠٠ الذى لا يكون مفرطاً طوله ، ولا قصيرة قامته ، ولذلك قال : « ألا ترى أنها ليست بأقلها ولا أكثرها » .

* * *

وقال آخرون : بل الصلاة الوسطى التى عناها الله بقوله : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى» ، هى صلاة الغَداة .

* ذكر من قال ذلك :

٥٤٧٢ ــ حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عفان قال، حدثنا همام قال ، حدثنا

---

(١) الحديث : ٥٤٧٠ ــ مضى بهذا الإسناد : ٥٤٥٨ ، وفصلنا القول فيه هناك .
وثبت هنا فى المطبوعة ، كما ثبت هناك « أمليها » ــ بدل « أملها » .
وانظر أيضاً : ٥٤٦٤ ، ٥٤٦٥ .

(٢) الحديث : ٥٤٧١ ــ هذا إسناد منهار ، لا شىء !
عبد السلام : هو ابن حرب ، وهو ثقة . مضى فى : ١١٨٤ .
إسحق بن أبى فروة : هو إسحق بن عبد الله بن أبى فروة المدنى ، وهو ضعيف جداً . قال ابن معين : « كذاب » . وقال أبو حاتم : « متروك الحديث » . وقال البخارى : « تركوه » . وقال أيضاً : « نهى أحمد بن حنبل عن حديثه » .

قتادة ، عن صالح أبي الخليل ، عن جابر بن زيد، عن ابن عباس قال : الصلاة الوسطى صلاة الفجر .(١)

٥٤٧٣ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا ابن أبي عدى وعبد الوهاب ومحمد ابن جعفر ، عن عوف ، عن أبي رجاء قال : صليت مع ابن عباس الغداة فى مسجد البصرة ، فقنت بنا قبل الركوع وقال : هذه الصلاة الوسطى التى قال الله :

ثم رواه إسحق – على ضعفه – عن رجل مبهم فزاده ضعفاً ، ثم جعله « عن قبيصة بن ذؤيب » ، مرسلا ، فضاعف ضعفه .

وقبيصة بن ذؤيب بن حلحلة الخزاعى : تابعى كبير ثقة، من علماء هذه الأمة وفقهائها ، ولكن أنى يصل هذا الإسناد إليه ؟ !

وهذا الحديث نقله السيوطى ١ : ٣٠٥ ، ولم ينسبه لغير الطبرى .

ونقل ابن كثير ١ : ٥٨٢ ، والحافظ فى الفتح ٨ : ١٤٧ – القول بأنها المغرب ، عن قبيصة بن ذؤيب ، نقلا عن رواية الطبرى وحده ! وما كان لهما أن ينسباه إليه مع انهيار إسناده ! فالقول لا ينسب لعالم إلا أن يثبت عنه . وهذا لم يثبت عن قبيصة .

(١) الخبر : ٥٤٧٢ – صالح أبو الخليل : هو صالح بن أبي مريم الضبعى ، كنيته : أبو الخليل . مضى فى : ١٨٩٩ ، ٣٣٤٣ . ووقع فى المطبوعة : « صالح بن الخليل » . وهو خطأ ، والصواب من المخطوطة .

والخبر رواه الطحاوى ١ : ١٠١ ، عن ابن مرزوق ، عن عفان ، بهذا الإسناد .

ورواه البيهقى ١ : ٤٦١ ، من طريق إبراهيم بن مرزوق ، عن عفان ، بهذا الإسناد .

وذكره السيوطى ١ : ٣٠١ ، ولم ينسبه لغير الطبرى والبيهقى .

ورواه النسائى ١ : ١٠٢ فى حديث مطول ، رواه عن أبي عاصم ، عن حبان بن هلال ، عن حبيب ، عن عمرو بن هرم ، عن جابر بن زيد ، عن ابن عباس ، قال : « أدلج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم عرس ، فلم يستيقظ حتى طلعت الشمس أو بعضها ، فلم يصل حتى ارتفعت الشمس ، فصلى . وهى صلاة الوسطى » .

فالحديث مرفوع ، إلا بيان أنها صلاة الوسطى ، فإنه موقوف على ابن عباس من كلامه ، كما هو ظاهر .

وهذا إسناد صحيح . حبان بن هلال الباهلى : ثقة . قال أحمد : « إليه المنتهى فى التثبت بالبصرة » . و « حبان » فى هذا : بفتح الحاء وتشديد الباء الموحدة .

حبيب : هو ابن أبي حبيب الأنماطى الجرمى – بفتح الجيم وسكون الراء . وهو ثقة ، لينه بعضهم دون حجة . وذكر البخارى فى الكبير ٣١٣/٢/١ فى ترجمته ، عن حبان ، قال : « حدثنا حبيب بن أبي حبيب الجرمى ، ثقة » . ولم يذكر فيه جرحاً .

عمرو بن هرم الأزدى البصرى : ثقة ، وثقه أحمد ، وابن معين ، وأبو حاتم وغيرهم .

جابر بن زيد : هو أبو الشعثاء الأزدى البصرى ، وهو تابعى ثقة عالم مشهور ، مجمع عليه .

« وقوموا لله قانتين » .

٥٤٧٤ – حدثني يعقوب قال. حدثنا ابن علية ، عن عوف ، عن أبي رجاء العطاردي قال : صليت خلف ابن عباس ، فذكر نحوه.

٥٤٧٥ – حدثني عباد بن يعقوب الأسدي قال ، حدثنا شريك ، عن عوف الأعرابي ، عن أبي رجاء العطاردي قال : صليت خلف ابن عباس الفجر فقنتَ فيها ورفع يديه ثم قال : هذه الصلاة الوسطى التي أمرنا الله أن نقوم فيها قانتين.

٥٤٧٦ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عوف ، عن أبي رجاء قال : صلى بنا ابن عباس الفجرَ ، فلما فرغ قال : إن الله قال في كتابه : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » ، فهذه الصلاة الوسطى .

٥٤٧٧ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا مروان – يعني : ابن معاوية – ، عن عوف، عن أبي رجاء العطاردي ، عن ابن عباس نحوه.(١)

٥٤٧٨ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا عوف ،

---

(١) الأخبار : ٥٤٧٣ – ٥٤٧٧ ، كلها بمعنى ، وكلها من رواية عوف ، وهو ابن أبي جميلة الأعرابي، عن أبي رجاء ، وهو العطاردي .

وعوف بن أبي جميلة : مضى في : ٢٩٠٥ .

وأبو رجاء العطاردي : هو عمران بن ملحان ، وهو تابعي قديم مخضرم ، ثقة . أخرج له الجماعة . عمر عمراً طويلا ، أزيد من ١٢٠ سنة .

وعباد بن يعقوب الرواجني الأسدي – شيخ الطبري في الإسناد (٥٤٧٥) – : ثقة في الحديث ، شيعي في الرأي . روى عنه البخاري ، والترمذي ، وابن خزيمة ، وغيرهم .

والخبر رواه الطحاوي ١ : ١٠١ ، من طريق أبي عاصم الضحاك بن مخلد ، عن عوف ، به .

ورواه البيهقي ١ : ٤٦١ ، من طريق عمرو بن حبيب ، عن عوف ، به .

ونقله ابن كثير ١ : ٥٧٦ ، عن روايات الطبري هذه .

وذكره الحافظ في الفتح ٨ : ١٤٦ ، عن الطبري .

وذكره السيوطي ١ : ٣٠١ ، وزاد نسبته لعبد الرزاق ، وابن أبي شيبة في المصنف ، وابن الأنباري في المصاحف ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

وهو في مصنف عبد الرزاق ١ : ٨٣ ، مختصراً ، عن جعفر بن سليمان ، وهو الضبعي ، عن عوف .

والخبر بالإسنادين الأولين : ٥٤٧٣ ، ٥٤٧٤ سيأتي بهما مجموعين في سياق واحد : ٥٥٣٣ .

عن أبي المنهال ، عن أبي العالية ، عن ابن عباس : أنه صلى صلاة الغداة في مسجد البصرة ، فقنت قبل الركوع وقال : هذه الصلاة الوسطى التي ذكر الله : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين » . (١)

٥٤٧٩ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا المهاجر ، عن أبي العالية قال : سألت ابن عباس بالبصرة ههنا ، وإنّ فخذه لعلى فخذي ، فقلت : يا أبا فلان، أرأيتَك صلاة الوسطى التي ذكر الله في القرآن، ألا تحدثني أيّ صلاة هي؟ قال : وذلك حين انصرفوا من صلاة الغداة، فقال : أليس قد صليت المغرب والعشاء الآخرة ؟ قال قلت : بلى! قال : ثم صليت هذه ؟ قال : ثم تصلي الأولى والعصر ؟ قال قلت : بلى ! قال: فهي هذه. (٢)

٥٤٨٠ – حدثنا محمد بن عيسى الدامغاني قال، أخبرنا ابن المبارك قال ، أخبرنا الربيع بن أنس ، عن أبي العالية قال : صليت خلف عبد الله بن قيس بالبصرة زمن عمر صلاة الغداة ، قال : فقلت لرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى جنبي : ما الصلاة الوسطى ؟ قال : هذه الصلاة . (٣)

---

(١) الخبر : ٥٤٧٨ – هذا إسناد صحيح . عبد الوهاب : هو ابن عبد المجيد الثقفي .
أبو المنهال : هو سيار بن سلامة الرياحي البصري . وهو ثقة معروف ، أخرج له الجماعة .
أبو العالية : هو رفيع بن مهران الرياحي البصري . مضى في : ١٨٤ ، ١٧٨٣ .
والخبر نقله ابن كثير ١ : ٥٧٦ ، عن هذا الموضع .
وكذلك نقله السيوطي ١ : ٣٠١ .
وأشار الحافظ في الفتح ٨ : ١٤٦ ، إلى هذا الخبر مع الأخبار الثلاثة بعده – إشارة واحدة .

(٢) الخبر : ٥٤٧٩ – وهذا إسناد صحيح .
المهاجر : هو ابن مخلد ، أبو مخلد ، مولى البكرات . وهو ثقة ، لينه بعضهم . وترجمه البخاري في الكبير ٤/١/٣٨١ ، فلم يذكر فيه جرحاً .
وهذا الخبر لم يذكره ابن كثير ولا السيوطي ، إنما أشار إليه الحافظ في الفتح مع الذي قبله والذين بعده ، كما قلنا آنفاً .

(٣) الخبر : ٥٤٨٠ – الربيع بن أنس البكري الخراساني : تابعي ثقة . ترجمه البخاري في الكبير ٢/١/٢٤٨ ، وابن سعد ٧/٢/١٠٢ – ١٠٣ ، وابن أبي حاتم ١/٢/٤٥٤ .
عبد الله بن قيس ، الذي صلى خلفه أبو العالية : هو أبو موسى الأشعري رضي الله عنه . كما بين

٥٤٨١ – حدثني المثنى قال، حدثنا الحجاج قال ، حدثنا حماد قال ، أخبرنا عوف ، عن خلاس بن عمرو ، عن ابن عباس : أنه صلى الفجر فقنتَ قبل الركوع ، ورفع إصبعيه وقال : هذه الصلاة الوسطى .(١)

٥٤٨٢ – حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبي العالية : أنه صلى مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الغداة، فلما أن فرغوا قال، قلت لهم: أيَّتُهن الصلاة الوسطى ؟ قالوا : التي صليتَها قبلُ .(٢)

٥٤٨٣ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا ابن عثمة قال، حدثنا سعيد بن

ذلك في رواية الطحاوي هذا الخبر .

وهذا الخبر رواه أبو العالية عن رجل من الصحابة لم يذكر اسمه. وجهالة الصحابي لا تضر ، كما هو معروف عند أهل العلم بالحديث .

ورواه الطحاوي ١ : ١٠١ ، من طريق أبي داود ، عن عبد الله بن المبارك ، بهذا الإسناد .

ونقله ابن كثير ١ : ٥٧٦ ، عن هذا الموضع من الطبري .

وكذلك ذكره السيوطي ١ : ٣٠١ ، وزاد نسبته لعبد بن حميد ، وابن الأنباري .

وإسناده صحيح ، وسيأتي بنحوه : ٥٤٨٢ بإسناد ضعيف .

(١) الخبر : ٥٤٨١ – خلاس بن عمرو : مضى في : ٥٣١٤ . وهذا إسناد صحيح .

والخبر ذكره ابن كثير ١ : ٥٧٦ ، موجزاً منسوباً لابن جرير . ولم يذكره السيوطي .

(٢) الخبر : ٥٤٨٢ – هو في معنى الخبر : ٥٤٨٠ ، ولكن هذا ضعيف الإسناد، لإبهام الشيخ الذي روى عنه الطبري .

وذكره ابن كثير ١ : ٥٧٦ ، فقال : «وروى من طريق أخرى عن الربيع . . . » . يعني هذه الرواية .

ومع هذا فإن مخرج الخبر معروف بإسناد صحيح ، غير هذا الذي جهله الطبري .

فرواه عبد الرزاق في المصنف ١ : ١٨٣ ، «عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، قال : صلينا مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الغداة ، فلما فرغنا قلت : أي صلاة صلاة الوسطى ؟ قال : التي صليت الآن » .

فلا يضر بعد جهالة شيخ الطبري ، لأن عبد الرزاق عن أبي جعفر الرازي – والد ابن أبي جعفر – مباشرة .

وأبو جعفر : مضت ترجمته في : ١٦٤ .

ولذلك ذكر السيوطي ١ : ٣٠١ هذا الخبر ، نسبه لعبد الرزاق ، وابن جرير .

بشير ، عن قتادة ، عن جابر بن عبد الله قال : الصلاة الوسطى صلاة الصبح .(١)

٥٤٨٤ – حدثنا مجاهد بن موسى قال ، حدثنا يزيد بن هرون قال ، أخبرنا عبد الملك بن أبي سليمان قال : كان عطاء يرى أن الصلاة الوسطى صلاةُ الغداة .

٥٤٨٥ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا الحسين بن واقد ، عن يزيد النحوى ، عن عكرمة فى قوله : « والصلاة الوسطى » ، قال : صلاة الغداة .

٥٤٨٦ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قول الله تعالى ذكره : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » ، قال : الصبح . ٣٥١/٢

٥٤٨٧ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٥٤٨٨ – حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن حصين ، عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال : الصلاةُ الوسطى صلاة الغداة .

٥٤٨٩ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « حافظوا على الصلوات والصلاة والصلاة الوسطى » ، قال : الصلاة الوسطى صلاة الغداة .

* * *

وعلة من قال هذه المقالة : أن الله تعالى ذكره قال : « حافظوا على الصلوات

---

(١) الخبر : ٥٤٨٣ – إسناده صحيح .
ابن عثمة : هو محمد بن خالد ، و « عثمة » أمه . مضى فى : ٩٠ ، ٥٣١٤ .
والخبر نقله ابن كثير ١ : ٥٧٦ ، عن هذا الموضع .
وذكره السيوطى ١ : ٣٠١ ، ولم ينسبه لغير الطبرى .

والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين » ، بمعنى : وقوموا لله فيها قانتين . قال : فلا صلاة مكتوبة من الصلوات الخمس فيها قنوتٌ سوى صلاة الصبح ، فعُلم بذلك أنها هى دون غيرها .

* * *

وقال آخرون: هى إحدى الصلوات الخمس ، ولا نعرفها بعينها .

* ذكر من قال ذلك :

٥٤٩٠ – حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثنى هشام بن سعد قال : كنا عند نافع ، ومعنا رجاء بن حيوة ، فقال لنا رجاء : سلوا نافعاً عن الصلاة الوسطى . فسألناه ، فقال : قد سأل عنها عبدَ الله بن عمر عمر رجل فقال : هى فيهن ، فحافظوا عليهن كُلِّهن .(١)

٥٤٩١ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد، عن قيس بن الربيع ، عن نسير بن ذعلوق أبى طعمة قال : سألت الربيع بن خُثَيم عن الصلاة الوسطى ، قال : أرأيتَ إن علمتَها كنت محافظاً عليها ومضيعاً سائرَهن ؟ قلت : لا ! فقال : فإنك إن حافظت عليهن فقد حافظت عليها .(٢)

---

(١) الخبر : ٥٤٩٠ – وهذا إسناد صحيح . هشام بن سعد المدنى : ثقة . تكلم فيه بعضهم من جهة حفظه . وترجمه البخارى فى الكبير ٤/٢/٢٠٠ ، فلم يذكر فيه جرحاً . وقال : « سمع نافعاً » .

والخبر ذكره السيوطى ١ : ٣٠٠ ، ونسبه لابن جرير ، وابن أبى حاتم .

وذكره الحافظ فى الفتح ٨ : ١٤٧ ، وأنه أخرجه ابن أبى حاتم « بإسناد حسن ، عن نافع » . وأنه « آخر ما صححه ابن أبى حاتم » .

وأشار ابن كثير ١ : ٥٨٢ ، إلى روايته عند ابن أبى حاتم فقط . ثم قال : « وفى صحته نظر . والعجب أن هذا القول اختاره الشيخ أبو عمر بن عبد البر النمرى ، إمام ما وراء البحر [يعنى الأندلس] . وإنها لإحدى الكبر ؛ إذ اختار مع اطلاعه وحفظه ، ما لم يقم عليه دليل من كتاب ولا سنة ولا أثر » ! !

هكذا قال ابن كثير . والظاهر من سياق هذا الخبر : أن ابن عمر يريد الحض على المحافظة على الصلوات كلها ، لا أنه يريد أنها غير معينة . وقد صح عنه تعيينها فى قولين : العصر ، والظهر . انظر ما مضى : ٥٣٨٩ ، ٥٣٩١ ، ٥٤٥١ ، ٥٤٥٥ .

ولا معنى للإنكار على ابن عبد البر ، فإنه لم ينفرد بذلك . وقد اختاره أيضاً إمام الحرمين من الشافعية ، كما ذكر الحافظ فى الفتح ٨ : ١٤٧

(٢) الخبر : ٥٤٩١ – نسير بن ذعلوق أبو طعمة : تابعى ثقة . وثقه ابن معين وغيره .

٥٤٩٢ – حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة قال، سمعت قتادة يحدث، عن سعيد بن المسيب قال : كان أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه هكذا = يعنى مختلفين فى الصلاة الوسطى = وشبَّك بين أصابعه .(١)

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التى ذكرناها قبل فى تأويله : وهو أنها العصر .

والذى حثَّ الله تعالى ذكره عليه من ذلك، نظيرُ الذى رُوِى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحث عليه، كما : –

٥٤٩٣ – حدثنى به أحمد بن محمد بن حبيب الطوسى قال، حدثنا يعقوب ابن إبراهيم قال، حدثنا أبى، عن محمد بن إسحق قال، حدثنى يزيد بن أبى حبيب، عن خير بن نُعيم الحضرمى، عن عبد الله بن هبيرة السبائى = قال :

« نسير » : بضم النون وفتح السين المهملة، و « ذعلوق » : بضم الذال المعجمة وسكون العين المهملة وضم اللام، « أبو طعمة » : بضم الطاء وسكون العين المهملتين، وهى كنية « نسير » .

ووقع اسمه فى المخطوطة « سير » بدون النون . وهو خطأ . ووقع فيها وفى المطبوعة : « بن ذعلوق، عن أبى فطيمة » ! وهو خطأ تحيف . فليس فى الرواة من يسمى بهذا . بل هو : « عن نسير بن ذعلوق أبى طعمة» ذكر باسمه ونسبه وكنيته . فأخطأ الناسخون، فحرفوا « طعمة » إلى « فطيمة» ؛ ثم زادوا الخطأ تخليطاً، فزادوا بين الرجل وكنيته حرف « عن » .

ونسير معروف بالرواية عن الربيع بن خثيم، وهو الذى سأله .

الربيع بن خثيم : مضى فى : ١٤٣٠ . ووقع فى المطبوعة هنا « خيثم » ، كما وقع فيها هناك . وهو خطأ صوابه « خثيم » : بضم الخاء المعجمة وفتح الثاء المثلثة وسكون الياء التحتية . وثبت على الصواب فى المخطوطة .

وهذا القول عن الربيع بن خثيم، نقله عنه أيضاً الحافظ فى الفتح ٨ : ١٤٧، وذكر أنه قال به أيضاً : سعيد بن جبير وشريح القاضى .

(١) الخبر : ٥٤٩٢ – إسناده صحيح جداً .

والخبر نقله ابن كثير ١ : ٥٨٣، عن هذا الموضع .

وكذلك نقله الحافظ فى الفتح ٨ : ١٤٧، عن ابن جرير، وقال : « بإسناد صحيح » .

ونقله السيوطى ١ : ٣٠٠، ولم ينسبه لغير الطبرى .

وكان ثقة = ، عن أبي تميم الجيشاني ، عن أبي بَصْرة الغفاري قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ، فلما انصرفَ قال : إنّ هذه الصلاة فرضت على من كان قبلكم فتوانوا فيها وتركوها ، فمن صلاها منكم أضعف أجره ضعفين ، ولا صلاة بعدها حتى يُرى الشاهدُ = والشاهد : النجم .(١)

---

(١) الحديث : ٥٤٩٣ – أحمد بن محمد بن حبيب الطوسي ، شيخ الطبري : لم أجد له ترجمة ، ولكن رواية الطبري عنه ثابتة في تاريخه مراراً .

يعقوب : هو ابن إبرهيم بن سعد بن إبرهيم بن عبد الرحمن بن عوف .

يزيد بن أبي حبيب المصري : مضت ترجمته في : ٤٣٤٨ .

خير بن نعيم بن مرة الحضرمي المصري ، قاضي مصر : ثقة . قال يزيد بن أبي حبيب : « ما أدركت من قضاة مصر أفقه من خير بن نعيم » . وليس له في صحيح مسلم إلا هذا الحديث الواحد . وله ترجمة جيدة في كتاب قضاة مصر ، ص : ٣٤٨ – ٣٥٢ .

« خير » : بفتح الخاء المعجمة وسكون الياء التحتية ، وكتب في المخطوطة – في هذه الرواية والتي بعدها – غير منقوط . وكتب في المطبوعة – في الموضعين – « جبر » ، وهو تصحيف .

عبد الله بن هبيرة السبائي : مضت ترجمته في : ١٩١٤ . و « السبائي » : بفتح السين المهملة والباء الموحدة ثم همزة مقصورة ، نسبة إلى « سبأ بن يشجب » . ووقع في المطبوعة « النسائي » ! وهو تصحيف جاهل .

أبو تميم الجيشاني : هو عبد الله بن مالك بن أبي الأسحم الجيشاني الرعيني المصري ، وأصله من اليمن . وهو من كبار التابعين ، ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو ثقة معروف . وترجم له الحافظ في الإصابة ، في الكنى ٧ : ٢٥ ، وأحال على موضعه في الأسماء ، ولكنه لم يذكره حيث أشار !

« الجيشاني » : بفتح الجيم وسكون الياء التحتية ثم شين معجمة ، نسبة إلى «جيشان» : قبيل كبير من اليمن .

أبو بصرة الغفاري : صحابي معروف ، روى عنه بعض الصحابة وبعض التابعين . واختلف في اسمه : والراجح الذي جزم به البخاري في الكبير ١١٤/١/٢ أنه « حميل – بضم الحاء المهملة – بن بصرة » . وكذلك هو في التهذيب ، وذكره ابن أبي حاتم ٥١٧/١/١ في حرف الجيم ، في اسم « جميل » . وترجمه الحافظ في الإصابة ، في الكنى ٧ : ٢٠ .

و « بصرة » : بفتح الباء الموحدة وسكون الصاد المهملة . ووقع في المخطوطة – في هذا الحديث والذي بعده – « نصرة » . وفي المطبوعة في الموضعين « نضرة » . وكلاهما خطأ وتصحيف ، وهذا التصحيف في كنيته قديم . وقع فيه الدبري راوي المصنف عن عبد الرزاق ، (المصنف ١ : ١٨٣) . وقال أبو سعيد راويه عن الدبري : « هكذا قال الدبري : أبو نصرة ، بالصاد والنون في أصله وكذا قال الدبري . والصواب : « أبو بصرة » .

والحديث رواه أحمد في المسند ٦ : ٣٩٦ – ٣٩٧ ، عن يعقوب ، وهو ابن إبرهيم بن سعد ، بهذا الإسناد .

٥٤٩٤ – حدثني علي بن داود قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني الليث قال ، حدثني خير بن نُعيم ، عن ابن هبيرة ، عن أبي تميم الجيشاني : أن أبا بَصْرة الغفاري قال : صلَّى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر بالمُخَمَّص فقال : إن هذه الصلاة فرضت على من كان قبلكم فضيَّعوها وتركوها، فمن حافظ عليها منكم أوتي أجرَها مرتين .(١)

* * *

وقال صلى الله عليه وسلم: « بكِّروا بالصلاة في يوم الغَيْم ، فإنه من فاتته العصر حَبِط عمله » .

ورواه مسلم ١ : ٢٢٨ ، عن زهير بن حرب ، عن يعقوب ، بهذا الإسناد . ولم يذكر لفظه ، إحالة على الرواية التي قبله ، وهي التالية لهذا هنا .

ورواه أحمد أيضاً ٦ : ٣٩٧ ، عن يحيى بن إسحق ، عن ابن لهيعة ، عن عبد الله بن هبيرة ، بهذا الإسناد ، نحوه .

وسيأتي عقب هذا بإسناد آخر .

وقوله هنا وفي الرواية الآتية : « فرضت على من كان قبلكم » – في رواية المسند عن يعقوب : « عرضت » ، بدل « فرضت » . وكذلك في روايته عن يحيى بن إسحق . وكذلك في سائر الروايات التي سنذكر في الحديث التالي، وأنا أرجح أن ما هنا تحريف من الناسخين .

(١) الحديث : ٥٤٩٤ – علي بن داود بن يزيد التميمي القنطري ، شيخ الطبري : ثقة ، وثقه الخطيب وغيره . مترجم في التهذيب، وتاريخ بغداد ١١ : ٤٢٤ – ٤٢٥ .

عبد الله بن صالح : هو أبو صالح ، كاتب الليث بن سعد . مضت ترجمته في : ١٨٦ .

والحديث رواه أحمد ٦ : ٣٩٧ (حلبي) ، عن يحيى بن إسحق ، عن ليث بن سعد ، بهذا الإسناد . ولم يذكر لفظه ، إحالة على رواية ابن لهيعة قبله .

ورواه مسلم ١ : ٢٢٨ ، عن قتيبة بن سعيد ، عن الليث ، به – وساق لفظه .

ورواه البيهقي ١ : ٤٤٨ ، من طريق يحيى بن بكير ، عن الليث ، به .

ورواه النسائي ١ : ٩٠ ، عن قتيبة ، كرواية مسلم عن قتيبة نفسه . ولكن وقع في طبعتي النسائي بمصر خطأ في الإسناد ، ففيهما : « الليث عن خالد بن نعيم الحضرمي ، عن ابن جبيرة » ! والظاهر أنه خطأ قديم من بعض الناسخين ، إذ ثبت الخطأ نفسه في مخطوطة الشيخ عابد السندي ، ولكن ثبت الإسناد على الصواب في نسخة النسائي المطبوعة في الهند سنة ١٢٩٦ ، ص : ٩٢ . ولم يقع هذا الخطأ للحفاظ الذين ترجموا لرواة الكتب الستة، إذن لأشاروا إليه . ولم يفعلوا .

ونقله ابن كثير ١ : ٥٨٠ ، من رواية المسند من طريق ابن لهيعة . ثم أشار إلى روايتي مسلم والنسائي ووقع فيه هناك تحريف مطبعي كثير .

وذكره السيوطي ١ : ٢٩٩ ، ونسبه لمسلم ، والنسائي ، والبيهقي .

٥٤٩٥ – حدثنا بذلك أبو كريب قال، حدثنا وكيع = وحدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال، حدثنا أيوب بن سويد، [عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير] عن أبي قلابة، عن أبي المهاجر، عن بريدة، عن النبي صلى الله عليه وسلم . (١)

« المخمص » : بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وتشديد الميم الثانية مفتوحة وآخره صاد مهملة . وهو طريق في جبل عير إلى مكة ، كما قال ياقوت . واختلف في ضبطه : فضبط بالقلم في ياقوت بفتحة فوق الميم وسكون على الخاء وكسرة تحت الميم الثانية ، ولم ينص ياقوت بالكتابة على ضبطه . وقال الفيروزبادي « والمخمص ، كمنزل : اسم طريق » . ونقل شارحه الزبيدي أن الصاغاني ضبطه « كمقعد » . وبهذا ضبطه البكري في معجم ما استعجم ، ص : ١١٩٧ ، وقال : « موضع في ديار بني كنانة ». فالظاهر من هذا أنه غير الذي في هذا الحديث .

والعبرة هنا بالرواية المتلقاة عن الثقات الأثبات حفاظ السنة . فالذي ضبطناه به هو الثابت في نسخ مسلم المعتمدة الموثقة، مثل مخطوطة الشطي التي عندي ، ومثل طبعة الآستانة ٢ : ٢٠٨ . ويؤيد هذا ويؤكده ضبطه بذلك في مشارق الأنوار للقاضي عياض ١ : ٣٩٤ ، وهو خاص بألفاظ الصحيحين والموطأ . فالضبط فيه ضبط رواية ولغة ، لا ضبط لغة فقط . وهو الذروة العليا في الإتقان .

ووقع في مطبوعة الطبري هنا بدله « بالمغمس » ، بالغين المعجمة والسين . وهو اسم موضع آخر . ولكنه غير الذي في هذه الرواية . فالظاهر أنه تصحيف أو تحريف من الناسخين .

(١) الحديث : ٥٤٩٥ – وقع هذا الإسناد ناقصاً راويين في المخطوطة والمطبوعة . وقد اضطررت لزيادتهما بين قوسين : [عن الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير] ، حتى يستقيم الإسناد .

فأما أولا : فإن وكيعاً وأيوب بن سويد لم يدركا أن يرويا عن أبي قلابة ، وكلاهما يروي عن الأوزاعي .

وأما ثانياً : فإن هذا الحديث حديث الأوزاعي، عرف به ، وعرف أنه خالف غيره في إسناده ومتنه. ونص على ذلك الأئمة .

وأما ثالثاً : فإن تخريجه إنما هو على هذا النحو ، كما سيأتي في التخريج ، إن شاء الله .

وقد رواه أبو جعفر هنا من طريقين : رواه عن أبي كريب عن وكيع ، ورواه عن محمد بن عبد الله ابن عبد الحكم عن أيوب بن سويد – ثم يجتمع الإسنادان . فيرويه وكيع وأيوب بن سويد ، عن الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي قلابة .

وأيوب بن سويد الرملي ، أبو مسعود السيباني : ضعفه أحمد ، وابن معين ، وغيرهما . وقال البخاري في الكبير ١/١/٤١٧ : « يتكلمون فيه » . وقد قلت في شرح الحديث ٧٠٠٠ من المسند ، ج ١١ ص ٢٠٤ : « وعندي أن أعدل ما قيل فيه، ما نقل الحافظ في التهذيب عن ابن حبان في الثقات، قال : كان رديء الحفظ ، يخطيء ، يتقى حديثه من رواية ابنه محمد بن أيوب عنه ، لأن أخباره إذا سبرت من غير رواية ابنه عنه ، وجد أكثرها مستقيمة » .

ثم هو لم ينفرد هنا برواية هذا الحديث ، بل رواه معه وكيع . ووكيع هو وكيع .

و « السيباني » ، بفتح السين المهملة : نسبة إلى « سيبان » ، بطن من حمير .

* * *

وأبو المهاجر : تابعى ، كما هو ظاهر من الإسناد . ولم يقولوا فيه شيئاً ، إلا أن الأوزاعى ذكره هكذا فى الإسناد ، وأن المحفوظ : « عن أبى قلابة ، عن أبى المليح ، عن بريدة » . كما سيأتى .

والحديث — من هذا الوجه — رواه أحمد فى المسند ٥ : ٣٦١ (حلبى) ، عن وكيع : « حدثنا الأوزاعى ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن أبى قلابة ، عن أبى المهاجر ، عن بريدة ، قال : كنا معه فى غزاة ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : بكروا بالصلاة فى اليوم الغيم ، فإنه من فاته صلاة العصر فقد حبط عمله » .

وكذلك رواه ابن ماجة : ٦٩٤ ، من طريق الوليد بن مسلم : « حدثنا الأوزاعى ، حدثنى يحيى ابن أبى كثير ، عن أبى قلابة . . . » فذكره بنحوه .

وكذلك رواه البيهقى فى السنن الكبرى ١ : ٤٤٤ ، من طريق عيسى بن يونس بن أبى إسحق السبيعى ، عن الأوزاعى ، بهذا الإسناد ، نحوه .

وأما الرواية التى خالفها الأوزاعى :

فهى ما روى البخارى ٢ : ٢٦ (فتح) ، عن مسلم بن إبرهيم ، عن هشام — وهو الدستوائى — : « أخبرنا يحيى بن أبى كثير ، عن أبى قلابة ، عن أبى المليح ، قال : كنا مع بريدة فى غزوة ، فى يوم ذى غيم ، فقال : بكروا بصلاة العصر ، فإن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله » .

ثم رواه البخارى مرة أخرى ٢ : ٥٣ (فتح) ، عن معاذ بن فضالة ، عن هشام ، عن يحيى ، بهذا الإسناد نحوه . وقد جعل البخارى عنوان الباب لهذا الحديث : « باب التبكير بالصلاة فى يوم غيم » . وهذا يدل على أنه لا يرى ضعف رواية الأوزاعى ، وإن لم تكن على شرطه ، وهذه عادته . ولذلك قال الحافظ : « من عادة البخارى أن يترجم ببعض ما اشتمل عليه ألفاظ الحديث ، ولو لم يوردها ، بل ولو لم يكن على شرطه » .

وقال الحافظ فى الموضع الأول : « وتابع هشاماً على هذا الإسناد عن يحى بن أبى كثير — : شيبان ، ومعمر ، وحديثهما عند أحمد . وخالفهم الأوزاعى ، فرواه عن يحيى ، عن أبى قلابة ، عن أبى المهاجر ، عن بريدة . والأول هو المحفوظ . وخالفهم أيضاً فى سياق المتن » .

يعنى لأن الأوزاعى جعل الأمر بالتبكير فى صلاة الغيم ، من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم . والآخرون جعلوه من كلام بريدة . وأن المرفوع هو : « من فاتته العصر فقد حبط عمله » .

وأنا أميل إلى صحة الروايتين ، إذ هما من مخرجين : فأحد الراويين سمع الصحابى يقوله من عند نفسه ، والآخر يقوله مرفوعاً . ومثل هذا كثير .

وقد وهم الحافظ ابن كثير وهماً شديداً ، حين ذكر رواية الأوزاعى ١ : ٥٨٠ ، وقال إنها « فى الصحيح » ! فإن رواية الأوزاعى لم يروها من أصحاب الكتب الستة إلا ابن ماجة . والرواية الأخرى — رواية هشام الدستوائى — لم يروها منهم إلا البخارى والنسائى . ووقع فى نسخة ابن كثير خطأ فى الإسناد . فرجح أنه من الناسخين .

ورواية هشام الدستوائى ، رواها أيضاً أحمد فى المسند ٥ : ٣٤٩ — ٣٥٠ ، ٣٥٧ ، ٣٦٠ (حلبى) .

ورواه النسائى ١ : ٨٣ ، والبيهقى ١ : ٤٤٤ .

ورواية شيبان ، ومعمر ، عن يحيى بن أبى كثير ، اللتين أشار الحافظ إلى أنهما عند أحمد — هما فى المسند ٥ : ٣٥٠ ، ٣٦٠ (حلبى) .

وذكر السيوطى ١ : ٢٩٩ آخره المرفوع فى الروايتين ، وزاد نسبته لابن أبى شيبة .

٥٤٩٦ – وقال صلى الله عليه وسلم : « من فاتته صلاة العصر فكأنما وُتِر أهله وماله » . (١)

* * *

٥٤٩٧ – وقال صلّى الله عليه وسلم : « من صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها لم يلج النار » . (٢)

* * *

فحثّ صلى الله عليه وسلم على المحافظة عليها حثًّا لم يحث مثله على غيرها من الصلوات ، وإن كانت المحافظة على جميعها واجبة . فكان بيِّناً بذلك أنّ التى خصّ الله بالحثّ على المحافظة عليها ، (٣) بعد ما عمّ الأمرَ بها جميع المكتوبات ، هى التى اتّبعه فيها نبيُّه صلى الله عليه وسلم ، فخصها من الحضّ عليها بما لم يخصُص به غيرَها من الصلوات ، وحذّر أمته من تضييعها ما حلّ بمن قبلهم من الأمم التى وصف أمرها ، ووعدَهم من الأجر على المحافظة عليها ضِعفَىْ ما وعَد على غيرها من سائر الصلوات . ٣٥٢/٢

وأحسبُ أن ذلك كان كذلك ، لأن الله تعالى ذكره جعل الليل سكناً ، والناسُ من شُغلهم بطلب المعاش والتصرف فى أسباب المكاسب = هادئون ، إلا القليل منهم ، وللمحافظة على فرائض الله وإقام الصلوات المكتوبات فارغون . (٤) وكذلك

---

(١) الحديث : ٥٤٩٦ – ووقع فى المطبوعة هنا : « قال » بدون واو العطف ، ودون ذكر الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأوهم هذا الصنيع أن هذا الحديث متن للإسناد السابق . وهو غير مستقيم . والصواب ما أثبتنا عن المخطوطة : أن هذا حديث آخر مستأنف ، ذكره الطبرى دون إسناد .

وقد مضى من حديث عبد الله بن عمر ، بإسناده : ٥٣٨٩ .

(٢) الحديث : ٥٤٩٧ – هذا حديث معلق أيضاً ، ذكره الطبرى دون إسناد .

وهو حديث صحيح ، رواه مسلم ١ : ١٧٥ – ١٧٦ ، عن عمارة بن رويبة ، قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها . يعنى الفجر والعصر » .

ورواه أيضاً أبو داود والنسائى ، كما فى ذخائر المواريث ، رقم : ٥٥٣٧ .

ولعل الطبرى رواه بالمعنى .

(٣) فى المطبوعة : « حض الله » ، وفى المخطوطة غير منقوطة ، وصواب قراءتها هو ما أثبت ، والسياق قاطع بوجوب قراءتها كذلك .

(٤) فى المطبوعة : « فازعون » ، وفى المخطوطة غير منقوطة ، والصواب ما أثبت .

ذلك فى صلاة الصبح ، لأن ذلك وقت قليل من يتصرف فيه للمكاسب والمطالب ، ولا مؤونة عليهم فى المحافظة عليها . وأما صلاة الظهر ، فإن وقتها وقتُ قائلة الناس واستراحتهم من مطالبهم ، فى أوقات شدة الحرّ وامتداد ساعات النهار ، ووقت توديع النفوس والتفرغ لراحة الأبدان فى أوان البرد وأيام الشتاء = وأن المعروف من الأوقات لتصرف الناس فى مطالبهم ومكاسبهم ، والاشتغال بسعيهم لما لابد منه لهم من طلب أقواتهم — وقتان من النهار.

أحدهما أول النهار بعد طلوع الشمس إلى وقت الهاجرة . وقد خفف الله تعالى ذكره فيه عن عباده عبءَ تكليفهم فى ذلك الوقت ، وثقل ما يشغلهم عن سعيهم فى مطالبهم ومكاسبهم ، وإن كان قد حثّهم فى كتابه وعلى لسان رسوله فى ذلك الوقت على صلاةٍ ، ووعدهم عليها الجزيلَ من ثوابه ، من غير أن يفرضها عليهم ، وهى صلاةُ الضحى.

والآخر منهما آخر النهار ، وذلك من بعد إبراد الناس وإمكان التصرف وطلب المعاش صيفاً وشتاء ، إلى وقت مغيب الشمس . وفرض عليهم فيه صلاة العصر ، ثم حثّ على المحافظة عليها لئلا يضيعوها = لما علم من إيثار عبادة أسبابَ عاجل دنياهم وطلب معايشهم فيها ، على أسباب آجل آخرتهم = بما حثّهم به عليه فى كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، ووعدهم من جزيلِ ثوابه على المحافظة عليها ما قد ذكرتُ بعضه فى كتابنا هذا ، وسنذكر باقيه فى كتابنا الأكبر إن شاء الله من ﴿ كتاب أحكام الشرائع ﴾ .

* * *

قال أبو جعفر : وإنما قيل لها « الوسطى » لتوسطها الصلوات المكتوبات الخمس ، وذلك أن قبلها صلاتين ، وبعدها صلاتين ، وهى بين ذلك وُسطاهنّ .

* * *

«والوُسطى» «الفعلى» من قول القائل : «وسطت القوم أسِطُهم سِطَة ووُسُوطاً» ، إذا دخلت وَسطهم . ويقال للذكر فيه : « هو أوسطُنا » وللأنثى : « هى وُسْطانا » .(١)

* * *

(١) انظر معنى « الوسط » فيما سلفه ٣ : ١٤١ ، ١٤٢ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ (٢٣٨)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى معنى قوله : « قانتين » .

فقال بعضهم : معنى « القنوت » ، الطاعة . ومعنى ذلك : وقوموا لله فى صلاتكم مُطيعين له فيما أمركم به فيها ونهاكم عنه .

* ذكر من قال ذلك :

٥٤٩٨ — حدثنى على بن سعيد الكندى قال ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، عن ابن عون ، عن الشعبى فى قوله : « وقوموا لله قانتين » ، قال : مطيعين .

٥٤٩٩ — حدثنى أبو السائب سلم بن جُنادة قال ، حدثنا ابن إدريس ، عن ابن عون ، عن الشعبى مثله .

٥٥٠٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا أبو المنيب ، عن جابر بن زيد : « وقوموا لله قانتين » ، يقول : مطيعين .[1]

٥٥٠١ — حدثنى أبو السائب قال ، حدثنا ابن إدريس ، عن عثمان بن الأسود ، عن عطاء : « وقوموا لله قانتين » ، قال : مطيعين .

٥٥٠٢ — حدثنا أحمد بن عبدة الحمصى قال ، حدثنا أبو عوانة ، عن ابن بشر ، عن سعيد بن جبير فى قوله : « وقوموا لله قانتين » ، قال : مطيعين .[2]

٥٥٠٣ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ،

---

(١) الأثر : ٥٥٠٠ — « أبو المنيب » ، هو : عبيد الله بن عبد الله العتكى ، مضى فى رقم : ١٦٣٤ .

(٢) الأثر : ٥٥٠٢ — هكذا فى المطبوعة والمخطوطة « أحمد بن عبدة الحمصى » ، ولم أجده منسوباً حمصياً ، وقد مضى فى الإسناد رقم : ٥٩ « الضبى » وروى عنه فى التاريخ أيضاً ، و « أحمد بن عبدة الضبى » ، هو أبو عبد الله البصرى ، مات سنة ٢٤٥ ، مترجم فى التهذيب .

عن الربيع بن أبي راشد ، عن سعيد بن جبير أنه سئل عن « القنوت » ، فقال: القنوتُ الطاعة .(١)

٥٥٠٤ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا عبيد ابن سليمان ، عن الضحاك قال : القنوت ، الذى ذكره الله فى القرآن ، إنما يعنى به الطاعة .

٥٥٠٥ ــ حدثنى يحيى بن أبي طالب قال ، أخبرنا يزيد بن هرون قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك : « وقوموا لله قانتين » ، قال : إنّ أهل كل دين يقومون لله عاصين ، فقوموا أنتم لله طائعين . ٣٥٣/٢

٥٥٠٦ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « وقوموا لله قانتين »، قال : قوموا لله مطيعين فى كل شىء ،وأطيعوه فى صَلاتكم .

٥٥٠٧ ــ حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد قال، سمعت الضحاك يقول :« وقوموا لله قانتين » ، القنوت الطاعة ، يقول : لكل أهل دين صلاة ، يقومون فى صلاتهم لله عاصين ، فقوموا لله مطيعين .

٥٥٠٨ ــ حدثنى المثنى قال،حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « قانتين » ، يقول: مطيعين .

٥٥٠٩ ــ حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وقوموا لله قانتين »، قال : مطيعين .

٥٥١٠ ــ حدثنى المثنى قال،حدثنا الحمانى قال ، حدثنى شريك ، عن

---

(١) الأثر : ٥٥٠٣ ــ « الربيع بن أبي راشد » ، هو أخو : « جامع بن أبي راشد الكوفى » ، سمع سعيد بن جبير ، وروى عنه مالك بن مغول ، وسفيان الثورى ، وشريك ، مترجم فى الكبير للبخارى ٢٥٠/١/٢ ، والجرح ٤٦١/٢/١ .

سالم ، عن سعيد : « وقوموا لله قانتين » ، يقول : مطيعين .

٥٥١١ – حدثني عمران بن بكّار الكلاعيّ قال، حدثنا خطاب بن عثمان قال، حدثنا أبو روح عبد الرحمن بن سنان السّكوني = حمصيٌّ لقيته بأرمينية = قال، سمعت الحسن بن أبي الحسن يقول في قوله : « وقوموا لله قانتين » ، قال : طائعين .

٥٥١٢ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « وقوموا لله قانتين » ، قال: مطيعين .

٥٥١٣ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٥٥١٤ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وقوموا لله قانتين » ، يقول : مطيعين .

٥٥١٥ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد الزبيري قال ، حدثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية قال : كانوا يأمرون في الصلاة بحوائجهم حتى أنزلت : « وقوموا لله قانتين » ، فتركوا الكلام . قال : « قانتين » ، مطيعين .

٥٥١٦ – حدثني محمد بن عمارة الأسدي قال ، حدثنا عبيد الله بن موسى قال ، أخبرنا فضيل ، عن عطية في قوله : « وقوموا لله قانتين » ، قال : كانوا يتكلمون في الصلاة بحوائجهم حتى نزلت : « وقوموا لله قانتين » ، فتركوا الكلام في الصلاة .

٥٥١٧ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال، قال ابن عباس في قوله : « وقوموا لله قانتين » ، قال : كل أهل دين يقومون فيها عاصين ، فقوموا أنتم لله مطيعين .

٥٥١٨ – حدثنا الربيع بن سليمان قال ، حدثنا أسد بن موسى قال، حدثنا ابن لهيعة قال ، حدثنا درّاج، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن رسول الله صلى

الله عليه وسلم أنه قال : كل حرف فى القرآن فيه « القنوت »، فإنما هو الطاعة . (١)

٥٥١٩ ــ حدثنا العباس بن الوليد قال، أخبرنى أبى قال ، حدثنا سعيد بن عبد العزيز قال : القنوت طاعة الله ، يقول الله تعالى ذكره : « وقوموا لله قانتين » ، مطيعين .

٥٥٢٠ ــ حدثنا سعيد بن الربيع قال،حدثنا سفيان قال ، قال ابن طاوس: كان أبى يقول : القنوت طاعة الله .

* * *

وقال آخرون : « القنوت » فى هذه الآية ، السكوت . وقالوا : تأويل الآية : وقوموا لله ساكتين عما نهاكم الله أن تتكلموا به فى صلاتكم .

* ذكر من قال ذلك :

٥٥٢١ ــ حدثنى موسى بن هرون قال،حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وقوموا لله قانتين » ، القنوت ، فى هذه الآية ، السكوت .

٥٥٢٢ ــ حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال : حدثنا أسباط ، عن السدى فى خبر ذكره ، عن مرة ، عن ابن مسعود قال : كنا نقوم فى الصلاة فنتكلم ، ويسأل الرجل صاحبه عن حاجته ، ويخبره ، ويردون عليه إذا سلم ، حتى أتيت أنا فسلّمتُ فلم يردوا علىّ السلام ، فاشتد ذلك علىّ ، فلما قضى النبى صلى الله عليه وسلم صلاته قال: إنه لم يمنعنى أن أردّ عليك السلام إلا أنّا أمِرنا أن

---

(١) الحديث ٥٥١٨ ــ دراج أبو السمح ، وأبو الهيثم سليمان بن عمرو : ترجمنا لهما فيما مضى ١٣٨٧ .

والحديث رواه أحمد فى المسند : ١١٧٣٤ (٣ : ٧٥ حلبى) ، عن حسن ، وهو ابن موسى الأشيب، عن ابن لهيعة ، بهذا الأسناد .

وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٦ : ٣٢٠ ، وقال : « رواه أحمد ، وأبو يعلى ، والطبرانى فى الأوسط . وفى إسناد أحمد ، وأبى يعلى ، : ابن لهيعة ، وهو ضعيف » . وابن لهيعة : ليس بضعيف ، كما قلنا فيما مضى : ٢٩٤١ . وانظر الأثر الآتى رقم : ٧٠٥٠، حيث رواه بإسناد آخر إلى ابن لهيعة .

٢/٣٥٤ نقوم قانتين لا نتكلم فى الصلاة = والقنوت : السكوت .(١)

٥٥٢٣ – حدثنى محمد بن عبيد المحاربى قال ، حدثنا الحكم بن ظهير ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله قال : كنا نتكلم فى الصلاة ، فسلَّمت على النبى صلى الله عليه وسلم فلم يردَّ على ، فلما انصرف قال : قد أحدث الله أن لا تكلَّموا فى الصلاة ، ونزلت هذه الآية : « وقوموا لله قانتين » .(٢)

٥٥٢٤ – حدثنا عبد الحميد بن بيان السُّكرى قال ، أخبرنا محمد بن يزيد = وحدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن أبى زائدة ، وابن نمير ، ووكيع ، ويعلى بن عبيد = جميعاً ، عن إسمعيل بن أبى خالد ، عن الحارث بن شبيل ، عن أبى عمرو الشيبانى ، عن زيد بن أرقم قال : كنا نتكلم فى الصلاة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يكلم أحدنا صاحبه فى الحاجة ، حتى نزلت هذه الآية : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين » ، فأمرنا بالسكوت .(٣)

---

(١) الحديث : ٥٥٢٢ – هذا الإسناد من تفسير السدى . وقد مضى شرحه مفصلا فى الخبر : ١٦٨ .
وأما هذا الحديث بعينه ، فقد ذكره السيوطى ١ : ٣٠٦ ، ولم ينسبه لغير الطبرى . ولكن فى لفظه : و « يسارر الرجل صاحبه » – بدل : « ويسأل الرجل صاحبه عن حاجته » .
وانظر الحديث التالى لهذا ، والحديث : ٥٥٢٦ .

(٢) الحديث : ٥٥٢٣ – وهذا الإسناد ضعيف جداً ، من أجل الحكم بن ظهير . وقد بينا ضعفه فيما مضى : ٢٤٩ .
والحديث – من هذا الوجه – ذكره السيوطى ١ : ٣٠٦ ، ولم ينسبه لغير الطبرى .
وانظر الحديث الذى قبله ، والحديث الآتى : ٥٥٢٦ .

(٣) الحديث : ٥٥٢٤ – عبد الحميد بن بيان السكرى – شيخ الطبرى : مضى فى رقم ٣٠ ، بوصف « القناد » ، وهما واحد معنى .
الحارث بن شبيل بن عوف الكوفى : ثقة . قال ابن معين – فيما روى عنه ابن أبى حاتم ١/٢/٧٦ – ٧٧ : « لا يسأل عن مثله » . يعنى لجلالته .
و « شبيل » : بالشين المعجمة مصغراً . وفى المطبوعة « شبل » . والتصويب من المخطوطة ، ولكن يقال فيه قول آخر أن اسم أبيه « شبل » . وأشار الحافظ فى التهذيب إلى أن هذا القول شبه خطأ من المزى صاحب تهذيب الكمال ، وأنه تبع فى ذلك الكلاباذى ، لأن البخارى وابن أبى حاتم فرقا بين « الحارث بن شبيل » و « الحارث بن شبل » . وأن الأول كوفى ثقة ، والثانى بصرى ضعيف . وحقاً لقد فرقا بينهما فى الكبير ١/٢/٢٦٨ – ٢٦٩ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٧٦ – ٧٧ . ولكن البخارى مع فرقه بينهما ، حكى فى ترجمة « ابن شبيل » أنه يقال فيه أيضاً « ابن شبل » . فلم يخطئ المزى ولا الكلاباذى فيما حكيا من القول الآخر .

٥٥٢٥ ــ حدثنا هناد بن السرى قال، حدثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة فى قوله : « وقوموا لله قانتين » ، قال : كانوا يتكلمون فى الصلاة ، يجىء خادمُ الرجل إليه وهو فى الصلاة فيكلِّمه بحاجته ، فنهوا عن الكلام .

٥٥٢٦ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا هرون بن المغيرة ، عن عنبسة ، عن الزبير بن عدىّ ، عن كلثوم بن المصطلق، عن عبد الله بن مسعود قال : إن النبى صلى الله عليه وسلم كان عوَّدنى أن يرد علىّ السلام فى الصلاة، فأتيته ذات يوم فسلَّمت فلم يردَّ على، وقال: إن الله يحدث فى أمره ما يشاء، وأنه قد أحدَث لكم فى الصلاة أن لا يتكلَّم أحدٌ إلا بذكر الله ، وما ينبغى من تسبيح وتمجيد : « وقوموا لله قانتين » . (١)

أبو عمرو الشيبانى : هو سعد بن إياس الكوفى . وهو تابعى قديم مخضرم ، أدرك الجاهلية كبيراً ، وعاش ١٢٠ سنة ، وهو مجمع على ثقته .

والحديث رواه أحمد فى المسند ٤ : ٣٦٨ (حلبى) عن يحيى بن سعيد القطان ، عن إسمعيل بن أبى خالد ، به .

وكذلك رواه البخارى فى الصحيح ٣ : ٥٩ ، و ٨ : ١٤٩ ، وفى التاريخ الكبير ١/٢/٢٦٩ . ومسلم ١ : ١٥١ — كلاهما من طريق إسمعيل بن أبى خالد ، به .

وكذلك رواه البيهقى فى السنن الكبرى ١ : ٢٤٨ ، من طريق إسمعيل .

ورواه أيضاً أبو جعفر النحاس ، فى كتاب الناسخ والمنسوخ ، ص : ١٦ ، من طريق إسمعيل . وقال : « وهذا إسناد صحيح » .

ونقله ابن كثير ١ : ٥٨٣ — ٥٨٤ ، من رواية المسند . ثم قال : « رواه الجماعة ، سوى ابن ماجة ، من طرق ، عن إسمعيل ، به » .

وذكره السيوطى ١ : ٣٠٥ — ٣٠٦ ، وزاد نسبته إلى وكيع ، وسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وأبى داود ، والترمذى ، والنسائى ، وابن خزيمة ، والطحاوى ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، وابن حبان ، والطبرانى . ولكن وقع فيه اسم الصحابى : « زيد بن أسلم » ! وهذا خطأ مطبعى يقيناً ، صوابه : « زيد ابن أرقم » .

(١) الحديث : ٥٥٢٦ — هذا إسناد صحيح .

هرون بن المغيرة بن حكيم البجلى . وعنبسة ، وهو ابن سعيد بن الضريس قاضى الرى . والزبير بن عدى قاضى الرى : مضوا فى : ٣٣٥٦ .

كلثوم بن المصطلق الخزاعى : تابعى ثقة. خلط بعضهم بينه وبين آخرين يختلفان عنه نسباً ورواية. والحق أنهم ثلاثة ، كما صنع البخارى ٤/١/٢٢٦ — ٢٢٧ ، بالأرقام : ٩٧٦ ، ٩٧٧ ، ٩٧٨ .

٥٥٢٧ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وقوموا لله قانتين » ، قال : إذا قمتم في الصلاة فاسكتوا ، لا تكلموا أحداً حتى تفرُغوا منها . قال : والقانت المصلّي الذي لا يتكلم .

* * *

وقال آخرون : « القنوت »، في هذه الآية، الركود في الصلاة والخشوع فيها . وقالوا في تأويل الآية : وقوموا لله في صلاتكم خاشعين ، خافضي الأجْنحة ، غير عابثين ولا لاعبين .

* ذكر من قال ذلك :

٥٥٢٨ – حدثني سلم بن جنادة قال ، حدثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد : « وقوموا لله قانتين » ، قال : فمن القنوت طول الركوع ، وغضُّ البصر ، وخفض الجناح ، والخشوع من رهبة الله . كان العلماء إذا قام أحدهم يصلي يهاب الرحمن أن يلتفت ،أو أن يقلّب الحصى ،أو يعبث بشيء ، أو يحدّث نفسه بشيء من أمر الدنيا إلا ناسياً .

وابن أبي حاتم ٣/٢/١٦٣ – ١٦٤ ، بالأرقام : ٩٢٢ ، ٩٢٣ ، ٩٢٥ .

والحديث – من هذا الوجه ، وبهذا اللفظ – ذكره السيوطي ١ : ٣٠٦ ، ولم ينسبه لغير الطبري .

وقد قصر السيوطي في ذلك . فإن الحديث رواه النسائي ١ : ١٨١ ، من طريق سفيان ، وهو الثوري ، عن الزبير بن عدي ، بهذا الإسناد ، وبلفظ أطول قليلا .

وهو في معنى الحديثين الماضيين : ٥٥٢٢ ، ٥٥٢٣ ، إلا أن إسناد الأول محل نظر ، وإسناد الثاني ضعيف جداً ، وهذا إسناده صحيح .

وأصل المعنى ثابت عن ابن مسعود ، في المسند ، والصحيحين ، وغيرهما ، إلا أنه ليس فيه النص على آية (وقوموا لله قانتين) .

فروى أحمد في المسند : ٣٥٦٣ ، من حديث علقمة ، عن ابن مسعود ، قال : « كنا نسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الصلاة ، فيرد علينا . فلما رجعنا من عند النجاشي سلمنا عليه فلم يرد علينا . فقلنا : يا رسول الله ، كنا نسلم عليك في الصلاة فترد علينا ؟ فقال : إن في الصلاة لشغلا » .

وكذلك رواه البخاري ٣ : ٥٨ – ٥٩ ، ومسلم : ١ : ١٥١ – كلاهما من حديث علقمة عن ابن مسعود .

وانظر المسند : ٣٥٧٥ ، ٣٨٨٤ ، ٣٨٨٥ ، ٣٩٤٤ ، ٤١٤٥ .

٥٥٢٩ ــ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد نحوه = إلا أنه قال : فمن القنوت الركود والخشوع .

٥٥٣٠ ــ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ليث ، عن مجاهد : « وقوموا لله قانتين » ، قال : من القنوت الخشوع ، وخفض الجناح من رهبة الله . وكان الفقهاء من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم إذا قام أحدهم إلى الصلاة ، لم يلتفت ، ولم يقلّب الحصى ، ولم يحدّث نفسه بشيء من أمر الدنيا إلا ناسياً حتى ينصرف .

٥٥٣١ ــ حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن ليث ، عن مجاهد في قوله : « وقوموا لله قانتين » ، قال : إن من القنوت الركود ، ثم ذكر نحوه .

٥٥٣٢ ــ حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : « وقوموا لله قانتين » ، قال : القنوت الركود ــ يعني القيام في الصلاة والانتصاب له .

* * *

وقال آخرون : بل « القنوت » ، في هذا الموضع ، الدعاء . قالوا : تأويل الآية : وقوموا لله راغبين في صلاتكم .(١)

* ذكر من قال ذلك :

٥٥٣٣ ــ حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية = وحدثنا ابن بشار قال ، حدثنا ابن أبي عدي وعبد الوهاب ومحمد بن جعفر = جميعاً ، عن عوف ، عن أبي رجاء ، قال : صليت مع ابن عباس الغداة في مسجد البصرة ، فقنت بنا قبل الركوع ، وقال : هذه الصلاة الوسطى التي قال الله : « وقوموا لله قانتين » .(٢)

---

(١) أخشى أن يكون الصواب « داعين » ، ولكن « راغبين » صحيحة المعنى ، لأن الراغب إلى ربه إنما رغبته دعاؤه ، والقنوت : دعاء ورغبة .

(٢) الحديث : ٥٥٣٣ ــ مضى بالإسنادين جميعاً مفرقين : ٥٤٧٣ ، ٥٤٧٤ . وجمعهما أبو جعفر هنا سياقاً واحداً .

٢/٢٥٥ قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب فى تأويل قوله : « وقوموا لله قانتين » ، قول من قال : تأويله : « مطيعين » .

وذلك أنّ أصل « القنوت » ، الطاعة ، وقد تكون الطاعة لله فى الصلاة بالسكوت عما نهاه الله [عنه] من الكلام فيها.(١) ولذلك وجّه من وجّه تأويل « القنوت » فى هذا الموضع ، إلى السكوت فى الصلاة = أحد المعانى التى فرضها الله على عباده فيها = إلاّ عن قراءة قرآن أو ذكر له بماهو أهله . ومما يدلّ على أنهم قالوا ذلك كما وصفنا ، قول النخعى ومجاهد الذى : —

٥٥٣٤ — حدثنا به أحمد بن إسحق الأهوازى قال، حدثنا أبو أحمد الزبيرى، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم ، ومجاهد قالا : كانوا يتكلمون فى الصلاة، يأمر أحدهم أخاه بالحاجة ، فنزلت : « وقوموا لله قانتين » ، قال : فقطعوا الكلام . و« القنوت » السكوت ، و« القنوت » الطاعة .

* * *

فجعل إبراهيم ومجاهد « القنوت » سكوتاً فى طاعة الله ، على ما قلنا فى ذلك من التأويل .

وقد تكون الطاعة لله فيها بالخشوع ، وخفض الجناح ، وإطالة القيام ، وبالدعاء، لأن كل [ذلك] غير خارج من أحد معنيين :(٢) من أن يكون مما أمر به المصلّى ، أو مما ندب إليه ، والعبد بكل ذلك لله مطيع ، وهو لربه فيه قانت. و « القنوت » أصله الطاعة لله ، ثم يستعمل فى كل ما أطاع اللهَ به العبدُ .

* * *

فتأويل الآية إذاً : حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ، وقوموا لله فيها مطيعين ، بترك بعضكم فيها كلام بعض وغير ذلك من معانى الكلام ، سوى قراءة

---

(١) فى المطبوعة : « عما نهى الله من الكلام » ، وفى المخطوطة « عما نهاه الله » ، والزيادة بين القوسين لا بد منها ، كأنها سقط من ناسخ .

(٢) فى المطبوعة : « لأن كلا غير خارج » ، وفى المخطوطة : « لأن كل غير خارج » ، فرجحت سقوط « ذلك » من ناسخ المخطوطة ، واجتهد مصحح المطبوعة .

القرآن فيها ، أو ذكر الله بالذى هو أهله ، أو دعائه فيها ، غير عاصين لله فيها بتضييع حدودها ، والتفريط فى الواجب لله عليكم فيها وفى غيرها من فرائض الله .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : وقوموا لله فى صلاتكم مطيعين له = لما قد بيناه من معناه = فإن خفتم من عدو لكم ، أيها الناس ، تخشونهم على أنفسكم فى حال التقائكم معهم أن تصلُّوا قياماً على أرجلكم بالأرض قانتين لله = فصلوا « رجالاً » ، مشاةً على أرجلكم ، وأنتم فى حربكم وقتالكم وجهاد عدوكم = « أو ركباناً » ، على ظهور دوابكم ، فإن ذلك يجزيكم حينئذ من القيام منكم ، قانتين . (١)

* * *

ولما قلنا من أن معنى ذلك كذلك ، جاز نصب « الرجال » بالمعنى المحذوف . وذلك أن العرب تفعل ذلك فى الجزاء خاصة ، لأن ثانيه شبيه بالمعطوف على أوله . ويبين ذلك أنهم يقولون : « إن خيراً فخيراً ، وإن شرًّا فشرًّا » ، بمعنى : إن تفعل خيراً تصب خيراً ، وإن تفعل شرًّا تصب شرًّا ، فيعطفون الجواب عن الأول لانجزام الثانى بجزم الأول . فكذلك قوله : « فإن خفتم فرجالا أو ركباناً » ، بمعنى : إن خفتم أن تصلوا قياماً بالأرض ، فصلوا رجالاً .

* * *

« والرِّجال » جمع « راجل » و « رَجِل » ، وأما أهل الحجاز فإنهم يقولون لواحد « الرجال » « رَجُل » ، مسموع منهم : « مشى فلان إلى بيت الله حافياً رجُلاً » ، (٢)

---

(١) فى المخطوطة : « من القيام منكم أو قانتين » ، بزيادة « أو » ، وهو لا معنى له ، إلا أن يكون فى الكلام سقطاً ، وتركت ما فى المطبوعة على حاله ، فهو مستقيم .

(٢) هذا البيان عن لغات العرب فى « رجل » ، غير مستوفى فى كتب اللغة .

وقد سمع من بعض أحياء العرب فى واحدهم « رَجْلان » ، كما قال بعض بنى عقيل :

عَلَيَّ إِذَا أَبْصَرْتُ لَيْلَى بِخَلْوَةٍ أَنَ أُزْدَارَ بَيْتَ اللهِ رَجْلَانَ حَافِيَا[1]

فمن قال« رَجْلان »للذكر ، قال للأنثى « رَجْلى» ، وجاز فى جمع المذكر والمؤنث فيه أن يقال : « أتى القوم رُجالى ورَجالى » مثل « كُسالى وكَسالى » .

* * *

وقدحكى عن بعضهم أنه كان يقرأ ذلك : « فَإِنْ خِفْتُمْ فَرُجَّالاً » مشددة . وعن بعضهم أنه كان يقرأ : « فَرُجَالاً » ،[2] وكلتا القراءتين غير جائزة القراءةُ بها عندنا ، لخلافها القراءةَ الموروثة المستفيضة فى أمصار المسلمين .[3]

* * *

وأما « الركبان » ، فجمع « راكب » ، يقال : « هو راكب ، وهم رُكبان ورَكْب ورَكَبة ورُكَّاب وأركُب وأُرْكوب » ، يقال : « جاءنا أُرْكوبٌ من الناس وأراكيب » .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٥٥٣٥ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم قال : سألته عن قوله : « فرجالا أو رُكباناً » ، قال : عند المطاردة ، يصلى حيث كان وجهه ، راكباً أو راجلاً ، ويجعل السجود أخفضَ من الركوع ، ويصلى ركعتين يومئ إيماءً . ٣٥٦/٢

٥٥٣٦ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا سفيان ،

---

(١) اللسان (رجل) ، عن ابن الأعرابى ، واستشهد به ابن هشام فى « باب الحال » وتعدده للمفرد ، وروايته : « . . ليلى بخفية زيارة بيت الله . . . » . وقوله : « ازدار » هو « افتعل » من « الزيارة » .

(٢) يعنى بضم الراء وتخفيف الجيم المفتوحة ، وهى مذكورة فى شواذ القراءات

(٣) فى المطبوعة « بخلاف القراءة الموروثة » . والصواب ما فى المخطوطة .

عن مغيرة ، عن إبراهيم فى قوله : « فرجالا أو ركباناً » قال : صلاة الضِّراب ركعتين ، يومئ إيماء .

٥٥٣٧ ــ حدثنى أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد ، عن سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم قوله : « فرجالاً أو ركباناً » ، قال : يصلى ركعتين حيث كان وجهه ، يومئ إيماء .

٥٥٣٨ ــ حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير : « فرجالاً أو ركباناً » ، قال : إذا طَرَدت الخيلُ فأومئ إيماءً .

٥٥٣٩ ــ حدثنا أحمد قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن مالك ، عن سعيد قال : يومئ إيماءً .

٥٥٤٠ ــ حدثنا أحمد قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا هشيم ، عن يونس ، عن الحسن : « فرجالا أو ركباناً » ، قال : إذا كان عند القتال صلى راكباً أو ماشياً حيث كان وجهه ، يومئ إيماءً .

٥٥٤١ ــ حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « فإن خفتم فرجالاً أو ركباناً » ، أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فى القتال على الخيل ، فإذا وقع الخوف فليصلِّ الرجلُ على كل جهة قائماً أو راكباً ، أو كما قدَر على أن يومئ برأسه أو يتكلم بلسانه .

٥٥٤٢ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد بنحوه = إلا أنه قال : أو راكباً لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . وقال أيضاً : أو راكباً ، أو ما قدر أن يومئ برأسه = وسائر الحديث مثله .

٥٥٤٣ ــ حدثنا يحيى بن أبى طالب قال ، حدثنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ،

عن الضحاك فى قوله : « فإن خفتم فرجالا أو رُكباناً » ، قال : إذا التقوا عند القتال وطَلبوا أو طُلبوا أو طلبهم سبُع ، فصلاتهم تكبيرتان إيماءً ، أيَّ جهة كانت .

٥٥٤٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « رجالا أو ركباناً » ، قال : ذاك عند القتال ، [1] يصلى حيث كانَ وجهه ، راكباً أو راجلا إذا كان يُطلب أو يطلبُه سبُعٌ ، فليصل ركعةً ، يومئ إيماء ، فإن لم يستطع فليكبر تكبيرتين .

٥٥٤٥ — حدثنا سفيان بن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن الفضل بن دلهم ، عن الحسن : « فإن خفتم فرجالا أو رُكباناً » ، قال : ركعة وأنت تمشى ، وأنت يوضع بك بعيرك ويركُض بك فرسك ، على أى جهة كان . [2]

٥٥٤٦ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فإن خفتم فرجالاً أو ركباناً » ، أما « رجالاً » فعلى أرجلكم ، إذا قاتلتم ، يصلى الرّجّل يومئ برأسه أينما توجه ، والراكب على دابته يومئ برأسه أينما توجّه . [3]

---

(١) فى المطبوعة : « ذلك عند القتال » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) وضع البعير يضع وضعاً ، وأوضعه إيضاعاً : وهو سير حثيث وإن كان لا يبلغ أقصى الجهد .

(٣) عند هذا انتهى جزء من التقسيم القديم الذى نقلت عنه المخطوطة ، فيها هنا ما نصه :

« وصلّى الله على محمد النبىّ وعلى آله وصحبه وسلم كثيراً

على الأصل المنقول منه هذه النسخة :

بلغتُ بالسماع وأخى علىّ حرسه الله ، وأبو الفتح أحمد بن عمر الجهارى ، ومحمد ابن علىّ الأرموىّ ، ونصر بن الحسين الطبرى — بقراءتى على القاضى أبى الحسن الخصيب بن عبد الله ، عن أبى محمد الفرغانى ، عن أبى جعفر الطبرى . وذلك فى شعبان من سنة ثمان وأربعمئة ، وهو يقابلنى بكتابه . وكتب محمد بن أحمد بن عيسى السعدى فى التاريخ ، وسمع عبد الرحيم بن أحمد (النحوى ؟ ؟) من موضع سماعه إلى ههنا مع الجماعة » .

٥٥٤٧ ــ [١] حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة : « فإن خفتم فرجالا أو ركباناً » الآية ، أحل الله لك إذا كنتَ خائفاً عند القتال ، أن تصلى وأنت راكبٌ ، وأنت تسعى ، تومئ برأسك من حيث كان وجهك ، إن قدرت على ركعتين، وإلا فواحدة .

٥٥٤٨ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه : « فإن خفتم فرجالا أو ركباناً »، قال : ذاك عند المُسايفة .

٥٥٤٩ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن الزهرى فى قوله : « فإن خفتم فرجالا أو ركباناً »، قال : إذا طَلب الأعداء فقد حلّ لهم أن يصلُّوا قِبَل أى جهة كانوا، رجالا أو ركباناً، يومئون إيماءً ركعتين = وقال قتادة : تجزئ ركعة .

٥٥٥٠ ــ حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « فإن خفتم فرجالا أو ركباناً » ، قال : كانوا إذا خشُوا العدوَّ صلوا ركعتين ، راكباً كان أو راجلاً .

٥٥٥١ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم فى قوله : « فإن خفتم فرجالاً أو ركباناً » ، قال : يصلى الرجل فى القتال المكتوبةَ على دابته وعلى راحلته حيث كان وجهه ، يومئ إيماء عند كل ركوع وسجود ، ولكن السجود أخفضُ من الركوع . فهذا حين تأخذ السيوفُ بعضها بعضاً ، ٢/٣٥٧
هذا فى المطاردة .

٥٥٥٢ ــ حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا معاذ بن هشام قال ، حدثنى أبى قال : كان قتادة يقول : إن استطاعَ ركعتين وإلا فواحدة ، يومئ إيماء ، إن شاء راكباً أو راجلاً ، قال الله تعالى ذكره : « فإن خفتم فرجالاً أو ركباناً » .

---

(١) بدأ فى التقسيم القديم :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

٥٥٥٣ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا معاذ بن هشام قال ، حدثني أبي ، عن قتادة ، عن الحسن قال ، في الخائف الذي يطلبه العدو ، قال : إن استطاع أن يصلّي ركعتين ، وإلا صلى ركعة .

٥٥٥٤ – حدثنا ابن بشار قال ،حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن يونس ، عن الحسن قال : ركعة .

٥٥٥٥ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا شعبة قال: سألت الحكم وحماداً وقتادةَ عن صلاة المسايفة ، فقالوا: ركعة .

٥٥٥٦ – حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا شعبة قال : سألت الحكم وحماداً وقتادة ، عن صلاة المسايفة ، فقالوا : يومئ إيماءً حيث كان وجهه .

٥٥٥٧ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر، عن حماد والحكم وقتادة: أنهم سئلوا عن الصلاة عند المسايفة ، فقالوا : ركعة حيثُ وجهُك .

٥٥٥٨ – حدثني أبو السائب قال، حدثنا ابن فضيل ، عن أشعث بن سوّار قال : سألت ابن سيرين عن صلاة المنهزم فقال : كيف استطاع .

٥٥٥٩ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية ، عن سعيد بن يزيد ، عن أبي نضرة، عن جابر بن غُراب قال : كنا نقاتل القوم وعلينا هَرِم ابن حيّان ، فحضرت الصلاة فقالوا : الصلاة، الصلاة ! فقال هرِم : يسجد الرجل حيث كان وجهه سجدة . قال : ونحن مستقبلو المشرق . (١)

٥٥٦٠ – حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن الجريري ، عن أبي

---

(١) الأثر : ٥٥٥٩ – « جابر بن غراب النمري البصري » ، روى عن هرم بن حيان ، روى عنه أبو نضرة . مترجم في الكبير ٢٠٩/٢/١ ، والجرح والتعديل ٤٩٧/١/١ . وكان في المطبوعة والمخطوطة : « جابر بن عراب » ، وهو تصحيف . و « سعيد بن يزيد » ، هو « أبو مسلمة » الآتي في رقم : ٥٥٦١ . وهذا الأثر رواه ابن حزم في المحلى ٥ : ٣٦ من طريق : « شعبة عن أبي مسلمة سعيد بن يزيد ، عن أبي نضرة . . . » ، بغير هذا اللفظ كما سيأتي في رقم : ٥٥٦١ .

نضرة قال : كان هرم بن حيّان على جيش، فحضَروا العدو فقال : يسجد كل رجل منكم تحت جُنَّته حيثُ كان وجهه سجدة، أو ما استيسر = فقلت لأبي نضرة : ما « ما استيسر » ؟ قال : يومئ . (١)

٥٥٦١ ــ حدثنا سوار بن عبد الله قال، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا أبو مسلمة ، عن أبي نضرة قال : حدثني جابر بن غُراب قال : كنا مع هرم ابن حيّان نقاتل العدو مستقبلي المشرق ، فحضرت الصلاة فقالوا: الصلاة! فقال: يسجد الرجل تحت جُنَّته سجدة . (٢)

٥٥٦٢ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال، أخبرنا ابن المبارك ، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء في قوله: «فإن خفتم فرجالاً أو ركباناً» ، قال : تصلي حيث توجَّهت راكباً وماشياً ، وحيث توجَّهتْ بك دابتك ، تومئ إيماء للمكتوبة .

٥٥٦٣ ــ حدثني سعيد بن عمرو السكوني قال، حدثنا بقية بن الوليد قال ، حدثنا المسعودي قال ، حدثني يزيد الفقير ، عن جابر بن عبد الله قال : صلاة الخوف ركعة. (٣)

---

(١) الأثر : ٥٥٦٠ ــ هو مختصر الذي قبله والذي يليه ، غير مرفوع إلى جابر بن غراب . وفي المخطوطة : « فحصروا العدو » بالصاد المهملة ، وكأن الصواب ما في المطبوعة . كما تدل عليه معاني الأثرين : السالف والتالي . وفي المطبوعة : « تحت جيبه » وفي المخطوطة : « تحت حسه » غير منقوطة . والصواب من المحلى ٥ : ٣٦ . والجنة (بضم الجيم وتشديد النون) : هي ما وارك من السلاح واستترت به ، كالدروع وغيره من لباس الوقاية في الحرب . وفي المطبوعة : « ما استيسر » ، بحذف « ما » الثانية الاستفهامية، وهو خطأ .

(٢) الأثر : ٥٥٦١ ــ انظر الأثرين السالفين ، والتعليق عليهما . وفي المطبوعة : « مستقبل المشرق »، وهو خطأ ناسخ . وفي المطبوعة : « تحت جيبه » كما في رقم : ٥٥٦٠ ، وفي المخطوطة : « تحت حسه » غير منقوطة ، والصواب من المحلى ٥ : ٣٦، ونص ما رواه : « وعن شعبة، عن أبي مسلمة سعيد بن يزيد ، عن أبي نضرة ، عن جابر بن غراب ، كنا مصافي العدو بفارس ، ووجوهنا إلى المشرق ، فقال هرم بن حيان : ليركع كل إنسان منكم ركعة تحت جنته حيث كان وجهه » .

(٣) الأثر : ٥٥٦٣ ــ « سعيد بن عمرو بن سعيد السكوني » أبو عثمان الحمصي، روى عن بقية،

٥٥٦٤ – حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا موسى ابن محمد الأنصارى ، عن عبد الملك ، عن عطاء فى هذه الآية قال : إذا كان خائفاً صلى على أى حال كان . (١)

٥٥٦٥ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال، قال مالك – وسألته عن قول الله : « فرجالاً أو ركباناً » – قال : راكباً وماشياً ، لو كانت إنما عنى بها الناس،لم تأت إلا « رجالا » وانقطعت الآية . (٢) إنما هى « رجال » : مشاة ، وقرأ(٣) : ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ [سورة الحج : ٨٧]، قال: يأتون مشاة وركباناً .

* * *

قال أبو جعفر : والخوفُ الذى للمصلّى أن يصلّى من أجله المكتوبة ماشياً راجلاً ، وراكباً جائلاً ، (٤) الخوفُ على المهجة عند السَّلَّة والمسايفة فى قتال من أمر

والمعافى بن عمران الحمصى وغيرهما . وعنه النسائى ، صدوق ، ذكره ابن حبان فى الثقات . مترجم فى التهذيب . و « بقية بن الوليد » ، قال أحمد ، وسئل عن بقية وإسماعيل بن عياش : « بقية أحب إلى ، وإذا حدث عن قوم ليسوا بمعروفين فلا تقبلوا عنه » . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « هبة بن الوليد » وهو خطأ . والصواب من تفسير ابن كثير ١ : ٥٨٥ . و« المسعودى » ، هو : عبد الرحمن بن عبد الله المسعودى . و « يزيد الفقير » هو : يزيد بن صهيب الفقير ، أبو عثمان الكوفى ، روى عن جابر وأبى سعيد وابن عمر ، ثقة صدوق . وسمى « الفقير » ، لأنه كان يشكو فقار ظهره . مترجم فى التهذيب وغيره . وانظر السنن الكبرى ٣ : ٢٦٣ ، والمحلى ٥ : ٣٥ .

(١) الأثر : ٥٥٦٤ « موسى بن محمد الأنصارى » ، يعد فى الكوفيين ، مترجم فى الكبير للبخارى ٤/١/٢٩٤ ، وابن حاتم ٤/١/١٦٠ ، وهو ثقة .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « وانقطعت الألف » ، وقد استظهر مصحح الطبعة الأميرية أنها « وانقطعت الآية » ، وأرجح أنها الصواب ، والناسخ فى هذا الموضع من النسخة عجل كثير السهو والخطأ ، كما رأيت فيما مضى ، وكما سترى فيما يأتى . وقد خلط بعضهم فى تعليقه على هذا الموضع من الطبرى .

(٣) فى المطبوعة : « وعن يأتوك رجالا . . . » ، وهو خطأ لاشك فيه . أما المخطوطة ففيها « ومز اباترك » ، وصواب تحريفها وتصحيفها ، هو ما أثبت . ويعنى أن مالكاً استدل بهذه الآية على معنى « فرجالا » كما هو بين .

(٤) الجائل : هو الذى يجول فى الحرب جولة على عدوه ، وجولته : دوارانه وهو على فرسه ليتمكن من قرنه .

بقتاله ،(١) من عدو للمسلمين ، أو محارب ، أو طلَب سبُع ، أو جمل صائل ، أو سيلٍ سائل فخاف الغرق فيه .(٢)

وكل ما الأغلبُ من شأنه هلاك المرء منه إن صلى صلاة الأمن ، فإنه إذا كان ذلك كذلك ، فله أن يصلى صلاة شدة الخوف حيثُ كان وجههُ ، يومئ إيماء لعموم كتاب الله : « فإن خفتم فرجالاً أوركباناً » ، ولم يخص الخوف على ذلك على نوع من الأنواع ، بعد أن يكونَ الخوفُ ، صفته ما ذكرت .

* * *

٢/٣٥٨ وإنما قلنا إنّ الخوف الذى يجوّز للمصلى أن يصلّى كذلك ، هو الذى الأغلبُ منه الهلاك بإقامة الصلاة بحدودها ، وذلك حال شدة الخوف ، لأنّ : —

٥٥٦٦ — محمد بن حميد وسفيان بن وكيع حدثانى قالا : حدثنا جرير ، عن عبد الله بن نافع ، عن أبيه ، عن ابن عمر قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم فى صلاة الخوف : يقوم الأمير وطائفة من الناس معه فيسجدون سجدةً واحدة ، ثم تكون طائفة منهم بينهم وبين العدوّ . ثم ينصرف الذين سجدوا سجدة مع أميرهم ، ثم يكونون مكان الذين لم يصلوا ، ويتقدم الذين لم يصلوا فيصلون مع أميرهم سجدة واحدة . ثم ينصرف أميرهم وقد قضى صلاته ، ويصلى بعد صلاته كل واحد من الطائفتين سجدة لنفسه ، وإن كان خوفٌ أشدّ من ذلك « فرجالاً أو ركباناً ».(٣)

---

(١) فى المطبوعة : « الخوف على المهمة عند السلمة » ، وهو خلط غث . وفى المخطوطة : « الخوف على المهمة عند المسلة » ، والصواب ما أثبت من قراءتى لهذا النص . والمهجة : الروح ، وخالص النفس . والسلة : استلال السيوف ، يقال : « أتيناهم عند السلة » ، أى عند استلال السيوف إذا حمى الوطيس .

(٢) صال الجمل يصول ، فهو صائل وصؤول : وذلك إذا وثب على راعيه فأكله ، وواثب الناس يأكلهم ويعدو عليهم ويطردهم من مخافته .

(٣) الحديث : ٥٥٦٦ — جرير : هو ابن عبد الحميد الضبى . عبد الله بن نافع مولى ابن عمر : ضعيف جداً . قال فيه البخارى فى الضعفاء : « منكر الحديث » . فصلنا القول فى تضعيفه فى المسند : ٤٧٦٩ .

وهذا الحديث هكذا رواه جرير عن عبد الله بن نافع ، عن أبيه ، عن ابن عمر — مرفوعاً .

وكذلك رواه ابن ماجة : ١٢٥٨ ، عن محمد بن الصباح ، عن جرير ، عن عبيد الله بن عمر ،

٥٥٦٧ – حدثني سعيد بن يحيى الأموى قال ، حدثني أبي قال ، حدثنا ابن جريج ، عن موسى بن عقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : إذا اختلطوا – يعني في القتال – فإنما هو الذكر ، وإشارة بالرأس . قال ابن عمر : قال النبي صلى الله عليه وسلم : وإن كانوا أكثر من ذلك ، فيصلون قياماً وركباناً .(١)

* * *

= ففصّل النبي صلى الله عليه وسلم بين حكم صلاة الخوف في غير حال المسايفة والمطاردة ، وبين حكم صلاة الخوف في حال شدة الخوف والمسايفة ، على ما روينا عن ابن عمر . فكان معلوماً بذلك أن قوله تعالى ذكره : « فإن خفتم فرجالاً أو ركباناً » ، إنما عنى به الخوف الذي وصفنا صفته .

عن نافع ، عن ابن عمر – مرفوعاً أيضاً . وإسناده صحيح . وأشار الحافظ في الفتح ٢ : ٣٦٠ إلى رواية ابن ماجة هذه ، وقال : « وإسناده جيد » .

ورواه – بمعناه – مالك في الموطأ ، ص : ١٨٤ ، « عن نافع : أن عبد الله بن عمر كان إذا سئل عن صلاة الخوف قال . . . » ، فذكر نحوه من كلام ابن عمر ، ثم قال في آخره : « قال مالك : قال نافع : لا أرى عبد الله بن عمر حدثه إلا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وكذلك رواه البخاري ٨ : ١٥٠ ، عن عبد الله بن يوسف ، عن مالك .

وروى الشافعي في الأم ١ : ١٩٧ ، عن مالك – قطعة من أوله ، ثم أشار إلى سائره وذكر آخره . وكذلك رواه البيهقي ٣ : ٢٥٦ ، من طريق الشافعي عن مالك .

وذكره السيوطي ١ : ٣٠٨ ، من رواية مالك ، وزاد نسبته لعبد الرزاق .

فهذا الشك في رفعه من نافع عند مالك – ثم الجزم برفعه في رواية عبيد الله بن عمر العمري عن نافع عند ابن ماجة – : يقويان رواية جرير عن عبد الله بن نافع ، التي هنا .

(١) الحديث : ٥٥٦٧ – سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى : مضت ترجمته في : ٢٢٥٥ .

وهذا الحديث رواه البخاري ٣ : ٣٥٩ (فتح) ، عن سعيد بن يحيى – شيخ الطبري – بهذا الإسناد ولم يذكر لفظه كاملا . وذكر الحافظ ، ص : ٣٦٠ ، رواية الطبري هذه ، إيضاحاً لرواية البخاري .

ورواه البيهقي ٣ : ٢٥٥ – ٢٥٦ ، من طريق الهيثم بن خلف الدوري ، عن سعيد بن يحيى الأموى ، به . وذكر لفظه ، ثم أشار إلى رواية البخاري .

وقوله : « اختلطوا » : يعني اختلط الجيشان ، حال المسايفة والالتحام . وهكذا ثبت هذا الحرف في الفتح نقلا عن الطبري ، والسنن الكبرى للبيهقي ، ووقع في المخطوطة والمطبوعة : « اختلفوا » – بالفاء بدل الطاء . وهو تحريف من الناسخين .

وقوله : « وإشارة بالرأس » : يعني أنهم يصلون بالإيماء ، يذكرون ويقرأون ، ويشيرون إلى الركوع والسجود . وهذا هو الثابت في الفتح والسنن الكبرى . ووقع في المخطوطة والمطبوعة : « وأشار بالرأس » . وهو تحريف أيضاً .

وبنحو الذى روى ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم ، روى عن ابن عمر أنه كان يقول :

٥٥٦٨ – حدثنى يعقوب قال ، حدثنا ابن علية، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر أنه قال : فى صلاة الخوف : يصلى بطائفة من القوم ركعة ، وطائفةٌ تحرُس . ثم ينطلق هؤلاء الذين صلَّى بهم ركعة حتى يقوموا مقام أصحابهم . ثم يجىء أولئك فيصلى بهم ركعة ، ثم يسلم ، وتقوم كل طائفة فتصلى ركعة . قال : فإن كان خوفٌ أشد من ذلك « فرجالاً أوركباناً » .(١)

* * *

وأما عدد الركعات فى تلك الحال من الصلاة ، فإنى أحب أن لا يقصِّر من عَدَدها فى حال الأمن . وإن قصَّر عن ذلك فصلى ركعة ، رأيتها مجزئة ، لأن : –

٥٥٦٩ – بشر بن معاذ حدثنى قال ، حدثنا أبو عوانة ، عن بكير بن الأخنس، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال: فرضَ الله الصلاةَ على لسان نبيِّكم صلى الله عليه وسلم فى الحضر أربعاً ، وفى السفر ركعتين ، وفى الخوف ركعة .(٢)

* * *

---

(١) الخبر : ٥٥٦٨ – هذا موقوف على ابن عمر ، صريحاً ، وهو فى معنى الحديث الماضى : ٥٥٦٦ .

(٢) الحديث : ٥٥٦٩ – بكير بن الأخنس الليثى الكوفى : تابعى ثقة . و « بكير » : بالتصغير . ووقع فى المطبوعة « بكر » – بدون الياء ، وهو خطأ .

والحديث رواه أحمد فى المسند : ٢١٢٤ ، عن يزيد ، و : ٢٢٩٣ ، عن عفان ، و : ٣٣٣٢ ، عن وكيع – ثلاثتهم عن أبى عوانة ، به .

ورواه البخارى فى التاريخ الكبير – موجزاً كعادته – فى ترجمة بكير ١/٢/١١٢ ، عن أبى نعيم ، عن أبى عوانة .

ورواه مسلم ١ : ١٩٢ ، عن أربعة شيوخ ، عن أبى عوانة .

وكذلك رواه البيهقى فى السنن الكبرى ٣ : ١٣٥ ، من طريق يحيى بن يحيى ، عن أبى عوانة .

ورواه أحمد أيضاً : ٢١٧٧ ، عن القاسم بن مالك المزنى ، عن أيوب بن عائذ ، عن بكير بن الأخنس ، به .

وكذلك رواه مسلم ١ : ١٩٢ ، من طريق القاسم بن مالك .

ورواه البيهقى ٣ : ٢٦٣ – ٢٦٤ ، بإسنادين من طريق أيوب بن عائذ .

وذكره ابن كثير ١ : ٥٨٥ ، وزاد نسبته لأبى داود ، والنسائى ، وابن ماجة .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٣٩)

قال أبو جعفر : وتأويل ذلك : « فإذا أمنتم » ، أيها المؤمنون ، من عدوّكم أن يقدِرَ على قتلكم فى حال اشتغالكم بصلاتكم التى فرضها عليكم – ومن غيره ممن كنتم تخافونه على أنفسكم فى حال صلاتكم – فأطمأننتم ، =«فاذكروا الله» فى صلاتكم وفى غيرها بالشكر له والحمد والثناء عليه ، على ما أنعم به عليكم من التوفيق لإصابة الحق الذى ضل عنه أعداؤكم من أهل الكفر بالله ، = كما ذكَركم بتعليمه إياكم من أحكامه ، وحلاله وحرامه ، وأخبار من قبلكم من الأمم السالفة ، والأنباء الحادثة بعدكم – فى عاجل الدنيا وآجل الآخرة ، التى جهلها غيرُكم وبصَّركم ، من ذلك وغيره ، إنعاماً منه عليكم بذلك ، فعلّمكم منه ما لم تكونوا من قبل تعليمه إياكم تعلمون .

* * *

وكان مجاهد يقول فى قوله : « فإذا أمنتم » ، ما : –

٥٥٧٠ – حدثنا به أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد : « فإذا أمنتم » ، قال : خرجتم من دار السفر إلى دار الإقامة .

* * *

وبمثل الذى قلنا من ذلك قال ابن زيد :

٥٥٧١ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « فإذا أمنتم فاذكروا الله » ، قال : فإذا أمنتم فصلوا الصلاة كما افترض الله عليكم – إذا جاء الخوفُ كانت لهم رخصةً .

* * *

وقوله ههنا : « اذكروا الله » ، قال : الصلاة ، «كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون » .(١)

* * *

(١) من أول قوله : « وقوله ههنا : اذكروا الله . . . » إلى آخر هذه الفقرة ، هى من كلام

قال أبو جعفر : وهذا القول الذى ذكرنا عن مجاهد ، قولٌ غيرُه أولى بالصواب منه ، لإجماع الجميع على أن الخوفَ متى زال ، فواجبٌ على المصلِّى المكتوبةَ — وإن كان فى سفر — أداؤها بركوعها وسجودها وحدودها ، وقائماً بالأرض غيرَ ماش ولا راكب ، كالذى يجب عليه من ذلك إذا كان مقيماً فى مصره وبلده ، إلا ما أبيح له من القصر فيها فى سفره. ولم يجر فى هذه الآية للسفر ذكر ، فيتوجَّه قوله : «فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون» ، إليه . وإنما جرى ذكر الصلاة فى حال الأمن ، وحال شدة الخوف ، فعرَّف الله سبحانه وتعالى عبادَه صفة الواجب عليهم من الصلاة فيهما .(١) ثم قال : «فإذا أمنتم» فزال الخوف ، فأقيموا صلاتكم ٢٥٩/٢

مجاهد فى الأثر : ٥٥٧٠ فيما أرجح ، وأخشى أن يكون الناسخ قد أفسد سياق الكلام ، وأنا أرجح أن قوله آنفاً : «وبمثل الذى قلنا من ذلك قال ابن زيد» ثم الأثر رقم ٥٥٧١ ، ينبغى أن يكون مقدماً على الأثر : ٥٥٧٠ . وأرجح أن قوله : «وقوله ههنا» كلام فاسد ، وأن «ههنا» كانت فى الأصل القديم إشارة إلى تأخير الكلام من أول قوله : «وكان مجاهد يقول . . .» ثم الأثر : ٥٥٧٠ ، إلى ما بعد الأثر : ٥٥٧١ ، فيكون السياق :

«فعلمكم منه ما لم تكونوا من قبل تعليمه إياكم تعلمون . وبمثل الذى قلنا من ذلك قال ابن زيد :

٥٥٧٠ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب . . .

وكان مجاهد يقول فى قوله : «فإذا أمنتم» ما : —

٥٥٧١ — حدثنا به أبو كريب ، قال حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد : «فإذا أمنتم» ، قال : خرجتم من السفر إلى دار الإقامة . وقوله : «اذكروا الله» ، قال : الصلاة ، «كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون» .

قال أبو جعفر : وهذا القول الذى ذكرنا عن مجاهد . . .»

هذا ما أرجح أن أصل الطبرى كان عليه ، وأخطأ الناسخ فهم إشارة الناسخ قبله بقوله : «ههنا» يعنى نقل الكلام من هناك إلى «ههنا» . ولكنى لم أستجز هذا التغيير فى المطبوعة ، وإن كنت لا أشك فيما رجحته

(١) فى المخطوطة : «وصفه الواجب عليهم» ، والصواب ما فى المطبوعة .

وذكرى فيها وفى غيرها ، مثل الذى أوجبته عليكم قبْل حدوث حال الخوف .

وبعدُ ، [١] فإن كان جرى للسفر ذكر ، ثم أراد الله تعالى ذكره تعريفَ خلقه صفة الواجب عليهم من الصلاة بعد مُقامهم ، لقال : فإذا أقمتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون = ولم يقل : « فإذا أمنتم » .

وفى قوله تعالى ذكره : « فإذا أمنتم » ، الدلالةُ الواضحة على صحة قول من وجَّه تأويل ذلك إلى الذى قلنا فيه ، وخلافِ قول مجاهد . [٢]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : « والذين يتوفون منكم » ، أيها الرجال ويذرُون أزواجاً = يعنى زوجات كن له نساءً فى حياته ، بنكاح = لا ملك يمين . ثم صرف الخبر عن ذكر من ابتدأ الخبر بذكره ، نظيرَ الذى مضى من ذلك فى قوله : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ [سورة البقرة : ٢٣٤] = [٣] إلى الخبر عن ذكر أزواجهم . وقد ذكرنا وجه

---

(١) فى المطبوعة : « قبل حدوث حال الخوف وبعده ، فإن كان جرى للسفر ذكر . . . » وهو خلط قبيح ، جعل بعض المصححين يضع مكان « فإن كان جرى » ، « فلو كان جرى . . » فترك الكلام خلطاً لا معنى له ، وصحح ما ليس فى حاجة إلى تصحيح ! ! هذا ، والصواب ما فى المخطوطة كما أثبته .

(٢) فى المطبوعة : « وإلى خلاف قول مجاهد » ، بزيادة « إلى » ، وهى زيادة فاسدة مفسدة . وقوله : « خلاف » معطوف على قوله : « على صحة قول . . . »

(٣) اقتصر فى المخطوطة والمطبوعة على ذكر الآية إلى قوله : « ويذرون أزواجاً » ، فأتممتها للبيان .

ذلك ، ودللنا على صحة القول فيه فى نظيره الذى قد تقدم قبله ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع . (١)

* * *

ثم قال تعالى ذكره : « وصيةً لأزواجهم » . فاختلفت القرأة فى قراءة ذلك :

فقرأ بعضهم : « وصيةً لأزواجهم » ، بنصب « الوصية » ، بمعنى : فليوصوا وصيةً لأزواجهم ، أو : عليهم [أن يوصوا] وصية لأزواجهم . (٢)

* * *

وقرأ آخرون : ﴿ وَصِيَّةٌ لِأَزْوَاجِهِمْ ﴾ برفع « الوصية » .

* * *

ثم اختلف أهل العربية فى وجه رفع « الوصية »

فقال بعضهم : رفعت بمعنى : كتبت عليهم الوصية . واعتل فى ذلك بأنها كذلك فى قراءة عبد الله . (٣) فتأويل الكلام على ما قاله هذا القائل : والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً ، كتبتْ عليهم وصية لأزواجهم — ثم ترك ذكر « كتبت » ، ورفعت « الوصية » بذلك المعنى ، وإن كان متروكاً ذكره .

* * *

وقال آخرون منهم : بل «الوصية» مرفوعة بقوله : « لأزواجهم » فتأوّل : لأزواجهم وصية .

* * *

والقول الأول أولى بالصواب فى ذلك ، وهو أن تكون « الوصية » إذا رفعت مرفوعة بمعنى : كتب عليكم وصية لأزواجكم . لأن العرب تضمر النكرات مرافعُها قبلَها إذا أضمرت ، فإذا أظهرت بدأت به قبلها ، فتقول : « جاءنى رجلٌ اليوم » ،

---

(١) انظر ما سلف فى هذا الجزء : ٧٧ — ٧٩ .

(٢) ما بين القوسين زيادة لا يستقيم الكلام إلا بها .

(٣) قراءة عبد الله بن مسعود : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْوَصِيَّةُ لِأَزْوَاجِكُمْ ﴾ انظر شواذ القراءات لابن خالويه : ١٥ ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ١٥٦ ، وغيرها المصححون .

وإذا قالوا : « رجلٌ جاءنى اليوم » لم يكادوا يقولونه إلا والرجل حاضر يشيرون إليه بـ «هذا»، (١) أو غائبٌ قد علم المخبَرُ عنه خبرَه، أو بحذف « هذا » وإضماره وإن حذفوه ، لمعرفة السامع بمعنى المتكلم ، كما قال الله تعالى ذكره ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا ﴾ [سورة النور : ١] و ﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [سورة التوبة : ١] ، فكذلك ذلك فى قوله : « وصيةٌ لأزواجهم » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك عندنا قراءة من قرأه رفعاً، لدلالة ظاهر القرآن على أن مُقام المتوفى عنها زوجها فى بيت زوجها المتوفَّى حولاً كاملاً، كان حقًّا لها قبل نزول قوله : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ [سورة البقرة : ٢٣٤]، وقبل نزول آية الميراث (٢) = ولتظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو الذى دل عليه الظاهرُ من ذلك، أوصى لهنّ أزواجهنّ بذلك قبل وفاتهن، أوْ لم يوصوا لهن به.

* * *

فإن قال قائل : وما الدلالة على ذلك ؟

قيل : لمّا قال الله تعالى ذكره : « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم » ، وكان الموصى لا شك ، إنما يوصى فى حياته بما يأمر بإنفاذه بعد وفاته، (٣) وكان محالاً أن يوصى بعد وفاته، وكان تعالى ذكره إنما جعل لامرأة الميت سكنَ الحول بعد وفاته (٤) =، (٥) علمنا أنه حقٌّ لها وجب فى ماله بغير وصية منه ٣٦٠/٢

(١) فى المخطوطة « لم يكادوا أن يقولونه . . . » ، وفى المطبوعة : « أن يقولوه » ، وأرجح أن الصواب ما أثبت بإسقاط « أن » التى فى المخطوطة .

(٢) انظر ما سيأتى ص : ٢٥٤ — ٢٥٨ .

(٣) فى المطبوعة : « يؤمر بإنفاذه . . . » ، والصواب من المخطوطة .

(٤) فى المطبوعة : « فكان تعالى ذكره إنما جعل . . . » بالفاء مكان الواو ، والصواب من المخطوطة. وفى المطبوعة : « سكنى الحول » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهما سواء .

(٥) فى المطبوعة : « علما بأنه حق لها » ، وفى المخطوطة « علمنا به حق » غير منقوطة ، والصواب

لها ، إذ كان الميت مستحيلا أن تكون منه وصية بعد وفاته .

* * *

ولو كان معنى الكلام على ما تأوله من قال : « فليوص وصية » ، لكان التنزيل : والذين تحضرهم الوفاةُ ويذرون أزواجاً ، وصية لأزواجهم ،(١) كما قال : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ ﴾ [سورة البقرة : ١٨]

* * *

وبعدُ ، فلو كان ذلك واجباً لهن بوصية من أزواجهن المتوفّين ، لم يكن ذلك حقًّا لهن إذا لم يوص أزواجهن لهن به قبل وفاتهم ، ولكان قد كان لورثتهم إخراجهن قبل الحول ،(٢) وقد قال الله تعالى ذكره : «غير إخراج » . ولكن الأمر فى ذلك بخلاف ما ظنه فى تأويله قارئُه : « وصيةً لأزواجهم » ، بمعنى : أن الله تعالى كان أمر أزواجهن بالوصية لهنّ . وإنما تأويل ذلك : والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً ، كتب الله لأزواجهم عليكم وصية منه لهن أيها المؤمنون — أن لا تخرجوهن من منازل أزواجهن حولاً : كما قال تعالى ذكره فى «سورة النساء» ﴿غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ﴾ [سورة النساء : ١٢] ، ثم ترك ذكر : « كتب الله » ، اكتفاء بدلالة الكلام عليه ، ورفعت « الوصية » بالمعنى الذى قلنا قبل .

* * *

فإن قال قائل : فهل يجوز نصب « الوصية » [على الحال ، بمعنى : موصِّين] لهن وصية ؟ (٣)

ما أثبت ، وسياق الجملة : « لما قال الله تعالى . . . وكان الموصى . . . وكان محالا . . . وكان تعالى ذكره . . . = علمنا أنه حق . . . » .

(١) هذا رد الطبرى على من قرأها بالنصب .

(٢) فى المطبوعة : « ولكان لورثتهم إخراجهن » بإسقاط « قد كان » ، وفى المخطوطة : « ولكان لورثتهم قد كان إخراجهن » ، بتقديم « لورثتهم » ، والصواب ما أثبت .

(٣) كان مكان ما بين القوسين بياض فى المخطوطة والمطبوعة ، وهذه الزيادة بين القوسين استظهرتها من سياق الكلام . وهو يريد فى كلامه الآتى خروج الحال مصدراً نحو قولهم : « طلع بغتة ، وجاء ركضاً ، وقتلته صبراً ، ولقيته كفاحاً » . وانظر سيبويه ١ : ١٨٦ ، وأوضح المسالك ١ : ١٩٥ وغيرهما . هذا ما استطعت أن أقدره من كلام أبى جعفر ورده هذا القول ، وكأنه الصواب إن شاء الله .

قيل : لا ، لأن ذلك إنما كان يكون جائزاً لو تقدم « الوصية » من الكلام ما يصلح أن تكون الوصية خارجة منه ، فأما ولم يتقدمه ما يحسن أن تكون منصوبة بخروجها منه ، فغير جائز نصبها بذلك المعنى .

* * *

* ذكر بعض من قال : إن سُكنى حول كامل كان حقًّا لأزواج المتوفّين بعد موتهم= على ما قلنا =[1] أوصَى بذلك أزواجهن لهن أو لم يوصوا لهن به ، وأنّ ذلك نُسخ بما ذكرنا من الأربعة الأشهر والعَشْر والميراث .

٥٥٧٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا الحجاج بن منهال قال ، حدثنا همام ابن يحيى قال، سألت قتادة عن قوله : « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج »، فقال : كانت المرأة إذا توفّي عنها زوجها كان لها السكنى والنفقة حولا فى مال زوجها ، ما لم تخرج . ثم نُسخ ذلك بعد فى « سورة النساء » ، فجعل لها فريضة معلومة : الثُّمنَ إن كان له ولد، والربعَ إن لم يكن له ولد ، وعدّتها أربعة أشهر وعشراً ، فقال تعالى ذكره : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ [سورة البقرة : ٢٣٤]، فنَسخت هذه الآية ما كان قبلها من أمر الحوْل .

٥٥٧٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج » الآية ، قال : كان هذا من قبل أن تنزل آية الميراث ، فكانت المرأة إذا توفى عنها زوجها كان لها السُّكنى والنفقة حولاً إن شاءت ، فنُسخ ذلك فى « سورة النساء »، فجعل لها فريضة معلومة : جعل لها الثمنَ إن كان له ولد، وإن لم يكن له ولد فلها الربع ، وجعل عدّتها أربعة أشهر وعشر فقال : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ .

---

(١) انظر ما سلف ص : ٢٥٢ والتعليق رقم : ٣ .

٥٥٧٤ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية ابن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله : « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج » ، فكان الرجل إذا مات وترك امرأته، اعتدّت سنة في بيته يُنفق عليها من ماله، ثم أنزل الله تعالى ذكره بعدُ : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾، فهذه عدة المتوفى عنها زوجها. إلا أن تكون حاملا، فعدّتها أن تضع ما في بطنها . وقال في ميراثها : ﴿وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ » [سورة النساء : ١٢]، فبيّن الله ميراث المرأة ، وترك الوصية والنفقة . ٣٦١/٢

٥٥٧٥ ــ حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ، سمعت عبيد الله بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غيرَ إخراج»، كان الرجل إذا توفي أنفق على امرأته في عامه إلى الحول ، ولا تُزوَّج حتى تستكمل الحول . وهذا منسوخ : نسخ النفقة عليها الرُّبُع والثُّمن من الميراث ، ونسخ الحول أربعة أشهر وعشرٌ .

٥٥٧٦ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك في قوله : « والذين يتوفون منكم ويذرُون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج»، قال: الرجل إذا تُوفّي أنفق على امرأته إلى الحول، ولا تزوج حتى يمضي الحول، فأنزل الله تعالى ذكره: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ ، فنسخ الأجلُ الحولَ ، ونسخ النفقةَ الميراثُ : الرُّبع والثُّمن .

٥٥٧٧ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : سألت عطاء عن قوله : « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج »، قال: كان ميراث المرأة من زوجها

من رَبْعه : [١] أن تسكن إن شاءت من يوم يموت زوجُها إلى الحول ، يقول : « فإن خرجن فلا جناح عليكم » الآية ، ثم نسخها ما فرض الله من الميراث = قال ، وقال مجاهد : « وصية لأزواجهم » سكنى الحول ، ثم نسخ هذه الآيةَ الميراثُ .

٥٥٧٨ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : كان لأزواج الموتى حين كانت الوصية ، نفقة سنة . فنسخ الله ذلك الذى كتب للزوجة من نفقة السنة بالميراث ، فجعل لها الرُّبع أو الثُّمن = وفى قوله : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ ، قال : هذه الناسخة

* * *

* ذكر من قال : « كان ذلك يكون لهن بوصية من أزواجهن لهن به » .

٥٥٧٩ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قادة قوله : « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً » الآية ، قال : كانت هذه من قبتل الفرائض ، فكان الرجل يوصى لامرأته ولمن شاء . ثم نُسخ ذلك بعد ، فألحق الله تعالى بأهل المواريث ميراثهم ، وجعل للمرأة إن كان له ولد الثُّمن ، وإن لم يكن له ولد فلها الربع . وكان ينفق على المرأة حولا من مال زوجها ، ثم تحوّل من بيته . فنسخته العدة أربعة أشهر وعشراً ، ونسخ الربع أو الثمن الوصية لهن ، فصارت الوصية لذوى القرابة الذين لا يرثون .

٥٥٨٠ — حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم » إلى « فيما فعلن فى أنفسهن من معروف » ، يوم نزلت هذه الآية ، كان الرجل إذا مات أوصى لامرأته

---

(١) فى المطبوعة « من ريعه » بالياء المثناة التحتية . وليس لها معنى هنا . والربع : المنزل والدار والمسكن ، وفى حديث أسامة أنه قال له : « هل ترك لنا عقيل من ربع ؟ » : أى منزل ، والجمع رباع وربوع وأربع . وهذه الكلمة « من ربعه » أسقطها الدر المنثور من روايته للأثر ١ : ٣٠٩ .

بنفقتها وسُكناها سنة ، وكانت عدتها أربعة أشهر وعشراً ، فإن هي خرجت حين تنقضي أربعة أشهر وعشراً . انقطعت عنها النفقة ، فذلك قوله : « فإن خرجن » ، وهذا قبل أن تنزل آية الفرائض ، فنسخه الربع والثمن ، فأخذتْ نصيبها ، ولم يكن لها سكنى ولا نفقة .

٥٥٨١ – حدثني أحمد بن المقدام قال، حدثنا المعتمر قال ، سمعت أبي قال ، يزعم قتادة أنه كان يوصَى للمرأة بنفقتها إلى رأس الحول .

* * *

* ذكر من قال: «نَسخ ذلك ما كان لهن من المتاع إلى الحول ، من غير تبيينه على أي وجه كان ذلك لهن » : (١)

٥٥٨٢ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن حبيب ، عن إبراهيم في قوله : « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول » ، قال : هي منسوخة .

٥٥٨٣ – حدثنا الحسن بن الزبرقان قال، حدثنا أسامة ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت قال : سمعت إبراهيم يقول ، فذكر نحوه .

٥٥٨٤ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح، عن حصين ، عن ٣٦٢/٢
يزيد النحوي ، عن عكرمة والحسن البصري قالا : « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج » ، نسخ ذلك بآية الميراث وما فرض لهن فيها من الرُّبع والثمن، ونَسخ أجلَ الحول أنْ جعل أجلها أربعة أشهر وعشراً .

٥٥٨٥ – حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية ، عن يونس ، عن ابن سيرين ، عن ابن عباس : أنه قام يخطب الناس ههنا ، فقرأ لهم سورة

(١) في المطبوعة : « من غير بينة » ، والصواب ما في المخطوطة .

البقرة، فبيَّن لهم منها ،(١) فأتى على هذه الآية ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٨٠]، قال : فنسخت هذه . ثم قرأ حتى أتى على هذه الآية : « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً » إلى قوله : «غير إخراج»، فقال : فقال : وهذه .(٢)

* * *

وقال آخرون : هذه الآية ثابتة الحكم ، لم ينسخ منها شيء .

* ذكر من قال ذلك :

٥٥٨٦ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [سورة البقرة : ٢٣٤]، قال : كانت هذه للمعتدة، تعتدُّ عند أهل زوجها، واجباً ذلك عليها، فأنزل الله : « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج » إلى قوله : « من معروف » . قال : جعل الله لهم تمام السنة ، سبعة أشهر وعشرين ليلة ، وصية : إن شاءت سكنت في وصيتها ، وإن شاءت خرجت ، وهو قول الله تعالى ذكره : « غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم »، قال : والعدةُ كما هي واجبةٌ .

٥٥٨٧ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٥٥٨٨ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى = وحدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة ، قال حدثنا شبل = عن ابن أبي نجيح ، عن عطاء، عن ابن عباس أنه قال : نَسخت هذه الآية عدَّتَها عند أهله، تعتدّ

---

(١) في المطبوعة : « فبين لهم فيها » ، والصواب ما في المخطوطة ورقم : ٢٦٥٢ ، أي فسر لهم منها ما فسر .

(٢) الأثر : ٥٥٨٥ — مضى مختصراً برقم : ٢٦٥٢ .

حيث شاءت ،وهو قول الله: « غيرَ إخراج ». قال عطاء: إن شاءت اعتدت عند أهله وسكنت فى وصيتها ، وإن شاءت خرجت ،لقول الله تعالى ذكره : « فلا جناح عليكم فيما فعلن فى أنفسهن » = قال عطاء : جاء الميراث بنسخ السكنى ، تعتدُّ حيث شاءت ولا سكنى لها .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال عندى فى ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره كان جعل لأزواج من مات من الرجال بعد موتهم ، سكنى حول فى منزله ، ونفقتها فى مال زوجها الميت إلى إنقضاء السنة ،(١) ووجب على ورثة الميت أن لايخرجوهن قبل تمام الحول من المسكن الذى يسكنَّه ، وإن هن تركن حقهنّ من ذلك وخرجن ، لم تكن ورثة الميت من خروجهن فى حرج . ثم إن الله تعالى ذكره نسخ النفقة بآية الميراث ، وأبطل مما كان جعل لهن من سكنى حول سبعة أشهر وعشرين ليلة ، وردَّهن إلى أربعة أشهر وعشر ، على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٥٥٨٩ — حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال، حدثنا حجاج قال ، أخبرنا حيوة بن شريح ، عن ابن عجلان ، عن سعد بن إسحق بن كعب بن عجرة ، أخبره عن عمته زينب ابنة كعب بن عجرة ، عن فريعة أخت أبى سعيد الخدرى : أنّ زوجها خرج فى طلب عبد له ، فلحقه بمكان قريب فقاتله، وأعانه عليه أعبُدٌ معه فقتلوه ، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : إن زوجها خرج فى طلب عبد له، فلقيه علوجٌ فقتلوه، وإنّى فى مكان ليس فيه أحدٌ غيرى، وإنّ أجمعَ لأمرى أن أنتقل إلى أهلى ! فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل امكثى مكانَك حتى يبلغ الكتاب أجله .(٢)

* * *

---

(١) فى المخطوطة : « إلى انقضاء وجب » ، وما بينهما بياض ، وما فى المطبوعة أشبه بالصواب

(٢) الحديث : ٥٥٨٩ — حجاج : هو ابن رشدين بن سعد . وهو الذى يروى عن حيوة بن

وأما قوله : « متاعاً » ، فإن معناه : جعل ذلك لهن متاعاً، أى الوصية التى كتبها الله لهنّ .

٢/٣٦٣ وإنما نصب « المتاع » لأن فى قوله : « وصية لأزواجهم » ، معنى : متعهن الله ، فقيل : « متاعاً » ، مصدراً من معناه لا من لفظه .

* * *

وقوله : « غير إخراج » ، فإن معناه أن الله تعالى ذكره جعل ما جعل لهن من الوصية متاعاً منه لهنّ إلى الحول ، لا إخراجاً من مسكن زوجها = يعنى : لا إخراجَ فيه منه حتى ينقضى الحول . فنصب « غير » على النعت لـ « المتاع »، كقول القائل: « هذا قيامٌ غير قعود »، بمعنى : هذا قيام لا قعود معه ، أو : لا قعود فيه .

* * *

وقد زعم بعضهم أنه منصوب بمعنى : لا تخرجوهن إخراجاً ، وذلك خطأ من القول . لأن ذلك إذا نصب على هذا التأويل ، كان نصبُه من كلام آخر غير الأول ، وإنما هو منصوب بما نصب « المتاع » على النعت له .(١)

* * *

شريح ، ويروى عنه محمد بن عبد الله بن عبد الحكم . وهو — عندنا — ثقة. وقد مضت ترجمته مفصلة فى : ٧٦٣.

ابن عجلان : هو محمد بن عجلان المدنى الثقة ، مضى فى : ٣٠٤ .

سعد بن إسحق بن كعب بن عجرة : مضى فى : ٥٠٩٠ . وقد وقع فى المطبوعة هنا « سعيد » بدل « سعد » — كما وقع فيما مضى . والأشهر ما أثبتنا .

والحديث مضى مختصراً : ٥٠٩٠ ، من رواية فليح بن سليمان ، عن سعد بن إسحق ، بهذا الإسناد . وفصلنا القول فى تخريجه ، مطولا ومختصراً ، كأنا استوعبنا هناك ما وجدنا من طرقه ، إلا روايات الطحاوى فقد رواه فى معانى الآثار ٢ : ٤٥ — ٤٦ بتسعة أسانيد . وإلا الطريق التى هنا ، فلم نكن رأيناها . ثم لم نجد هذه الطريق فى شىء من الدواوين ، غير الطبرى .

أما الحديث فى ذاته فصحيح ، ورواياته الصحاح — التى أشرنا إليها هناك : مطولة مفصلة بأكثر مما هنا.

فريعة بنت مالك ، أخت أبى سعيد : هى بضم الفاء بالتصغير ، فى أكثر الروايات . ووقع اسمها فى المخطوطة هنا « الفارعة » . ولم أجدها فى شىء من الروايات هكذا ، إلا فى إحدى روايات النسائى ٢ : ١١٣ . وكذلك لم يذكر الحافظ فى الإصابة هذه الرواية إلا عن رواية النسائى .

والحديث ذكره ابن كثير ١ : ٥٨٨ — ٥٨٩ ، عن رواية الموطأ ، التى أشرنا إليها فيما مضى . وهى فى الموطأ ، ص : ٥٩١ .

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ١٥٦ .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢٤٠)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : أن المتاع الذى جعله الله لهنّ إلى الحول فى مال أزواجهن بعد وفاتهم وفى مساكنهم ، ونهى ورثته عن إخراجهن ، إنما هو لهنّ ما أقمن فى مساكن أزواجهنّ ، وأن حقوقهن من ذلك تبطل بخروجهنّ إن خرجنَ من منازل أزواجهن قَبْل الحول من قِبَل أنفسهن، بغير إخراج من ورثة الميت .

ثم أخبر تعالى ذكره : أنه لا حرج على أولياء الميت فى خروجهن وتركهنّ الحدادَ على أزواجهن . لأن المقام حولاً فى بيوت أزواجهن والحدادَ عليه تمام حول كامل ، لم يكن فرضاً عليهنّ ، وإنما كان ذلك إباحة من الله تعالى ذكره لهن إن أقمن تمام الحول مُحِدّات . فأما إن خرجن، فلا جناح على أولياء الميت ولا عليهن فيما فعلن فى أنفسهن من معروف ، وذلك ترك الحداد . يقول : فلا حرج عليكم فى التزيّن إن تزينّ وتطيبن وتزوجن ، لأن ذلك لهن .

وإنما قلنا : « لا حرج عليهن فى خروجهن »، وإن كان إنما قال تعالى ذكره : « فلا جناح عليكم » ، لأن ذلك لو كان عليهن فيه جناحٌ ، لكان على أولياء الرجل فيه جناحٌ بتركهم إياهن والخروجَ ، مع قدرتهم على منعهن من ذلك . ولكن لمّا لم يكن عليهن جناحٌ فى خروجهن وترك الحداد ، وُضع عن أولياء الميت وغيرهم الحرجُ فيما فعلن من معروف ، وذلك فى أنفسهن .

وقد مضت الرواية عن أهل التأويل بما قلناه فى ذلك قبل .

* * *

وأما قوله : « والله عزيز حكيم »، فإنه يعنى تعالى ذكره: « والله عزيز » ، فى انتقامه ممن خالف أمرَه ونهيَه وتعدّى حدوده من الرجال والنساء، فمنع مَنْ

كان من الرجال نساءَهم وأزواجهم ما فرض لهنّ عليهم فى الآيات التى مضت قبلُ : من المتعة والصداق والوصية، وإخراجهن قبل انقضاء الحول ، وترك المحافظة على الصلوات وأوقاتها = ومنع من كان من النساء ما ألزمهنّ الله من التربُّص عند وفاة أزواجهن عن الأزواج ، وخالف أمره فى المحافظة على أوقات الصلوات = « حكيم »، فيما قضى بين عباده من قضاياه التى قد تقدمت فى الآيات قبل قوله : « والله عزيز حكيم » ، وفى غير ذلك من أحكامه وأقضيته .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ذكره ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢٤١)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك: ولمن طُلِّق من النساء على مطلَّقها من الأزواج ، « متاع » . يعنى بذلك : ما تستمتع به من ثياب وكسوة أو نفقة أو خادم ، وغير ذلك مما يستمتع به . وقد بيّنا فيما مضى قبلُ معنى ذلك، واختلاف أهل العلم فيه ، والصوابَ من القول فى ذلك عندنا ، بما فيه الكفاية من إعادته . (١)

* * *

وقد اختلف أهل العلم فى المعنية بهذه الآية من المطلَّقات .

فقال بعضهم : عنى بها الثيِّبات اللواتى قد جومِعْن . قالوا: وإنما قلنا ذلك، لأن [الحقوق اللازمةَ للمطلَّقات] غير المدخول بهن فى المتعة، (٢) قد بيّنها الله

---

(١) انظر معنى « المتاع » فيما سلف ١ : ٥٣٩ ، ٥٤٠/ ثم ٣ : ٥٣ – ٥٥ / ثم الموضع الذى عناه الطبرى هنا : ١٢٠ – ١٣٥

(٢) فى المخطوطة : « لأن غير المدخول بهن » ، وبينهما بياض ، فجاءت المطبوعة وصلت الكلام : « لأن غير المدخول بهن » فاختلت الجملة . واستظهرت ما زدته بين القوسين من معنى الآيات .

تعالى ذكره فى الآيات قبلها ، فعلمنا بذلك أن فى هذه الآية بيانَ أمر المدخول بهن فى ذلك . ٢/٣٦٤

* ذكر من قال ذلك :

٥٥٩٠ ــ حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ابن ميمون ، عن ابن أبى نجيح ، عن عطاء فى قوله: « وللمطلقات متاع بالمعروف حقًّا على المتقين » ، قال: المرأة الثيب يمتِّعها زوجها إذا جامَعها بالمعروف .

٥٥٩١ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله = وزاد فيه : ذكره شبل،عن ابن أبى نجيح، عن عطاء .

* * *

وقال آخرون : بل فى هذه الآية دلالة على أنّ لكل مطلقة متعة ، وإنما أنزلها الله تعالى ذكره على نبيه صلى الله عليه وسلم ، لما فيها من زيادة المعنى الذى فيها على ما سواها من آى المتعة ، إذ كان ما سواها من آى المتعة إنما فيه بيان حُكم غير الممسوسة إذا طلقت ، وفى هذه بيان حكم جميع المطلقات فى المتعة .

* ذكر من قال ذلك :

٥٥٩٢ ــ حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا أيوب ، عن سعيد بن جبير فى هذه الآية: « وللمطلقات متاع بالمعروف حقًّا على المتقين »، قال : لكل مطلقة متاع بالمعروف حقًّا على المتقين .

٥٥٩٣ ــ حدثنا المثنى قال، حدثنا حبان بن موسى قال ، أخبرنا ابن المبارك قال ، أخبرنا يونس، عن الزهرى ــ فى الأمَة يطلّقها زوجها وهى حُبلى ــ قال: تعتدّ فى بيتها . قال : لم أسمع فى متعة المملوكة شيئاً أذكره ،[1] وقد قال الله تعالى ذكره : « متاعاً بالمعروف حقًّا على المتقين » ، ولها المتعة حتى تضع .

---

(١) فى المطبوعة : « وقال : لم أسمع . . . » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

٥٥٩٤ – حدثني المثنى قال، حدثنا حبان بن موسى [١] قال ، أخبرنا ابن المبارك قال ، أخبرنا ابن جريج ، عن عطاء قال : قلت له : أللأمة من الحرّ متعة ؟ قال : لا . قلت : فالحرة عند العبد ؟ قال : لا = وقال عمرو بن دينار : نعم ، « وللمطلقات متاع بالمعروف حقًّا على المتقين » .

* * *

وقال آخرون : إنما نزلت هذه الآية ، لأن الله تعالى ذكره لما أنزل قوله : ﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة البقرة : ٢٣٦] ، قال رجل من المسلمين : فإنا لا نفعل إن لم نرد أن نُحسن . فأنزل الله : « وللمطلقات متاعٌ بالمعرف حقًّا على المتقين » ، فوجب ذلك عليهم .

* ذكر من قال ذلك :

٥٥٩٥ – حدثني يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعاً بالمعروف حقًّا على المحسنين » ، فقال رجل : فإن أحسنتُ فعلت ، وإن لم أرد ذلك لم أفعل ! فأنزل الله : « وللمطلقات متاعٌ بالمعروف حقًّا على المتقين » .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك ما قاله سعيد بن جبير ، من أن الله تعالى ذكره أنزلها دليلاً لعباده على أن لكل مطلقة متعة . لأن الله تعالى ذكره ذكر في سائر آي القرآن التي فيها ذكر متعة النساء ، خصوصاً من النساء ، فبيَّن في الآية التي قال فيها : ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ [سورة البقرة : ٢٣٦] ، وفي قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا

---

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « هناد بن موسى » ، وليس في الرواة أحد بهذا الاسم . والصواب ما أثبت ، انظر الأثر قبله رقم : ٥٥٩٣ ، وفي مواضع كثيرة قبل ذلك بمثل هذا الإسناد .

إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ [سورة الأحزاب: ٤٩]، مالهن من المتعة إذا طُلِّقن قبل المسيس، وبقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾ [سورة الأحزاب: ٢٨]، حكمَ المدخول بهن، وبقى حكمُ الصبايا إذا طلقن بعد الابتناء بهنّ، وحكمُ الكوافر والإماء. فعمّ الله تعالى ذكره بقوله: «وللمطلقات متاع بالمعروف» ذكر جميعهن، وأخبر بأن لهن المتاع، كما خصّ المطلقات الموصوفات بصفاتهن فى سائر آى القرآن، [1] ولذلك كرر ذكر جميعهن فى هذه الآية.

* * *

وأما قوله: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾، فإنا قد بيّنا معنى قوله: «حقًّا»، ووجه نصبه، والاختلاف من أهل العربية فيه فى قوله: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٣٦]، ففى ذلك مستغنًى عن إعادته فى هذا الموضع [2].

* * *

فأما «المتقون»: فهم الذين اتقوا الله فى أمره ونهيه وحدوده، فقاموا بها على ما كلّفهم القيامَ بها خشية منهم له، ووجلاً منهم من عقابه.

وقد تقدم بيان تأويل ذلك نصًّا بالرواية. [3]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٢٤٢)

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره، كما بينت لكم ما يلزمكم لأزواجكم ٢/٣٦٥
ويلزم أزواجكم لكم، أيها المؤمنون، وعرّفتكم أحكامى والحقّ الواجب لبعضكم على بعض

---

(١) فى المطبوعة: «كما أبان المطلقات . . .»، وفى المخطوطة: «كما ا المطلقات» وما بين الكلامين بياض، واستظهرت من قوله: «فعم الله تعالى . . .»، أن اللفظ الناقص فى البياض هو «خص»، أو معنى يشبهه ويقاربه.

(٢) انظر ما سلف فى هذا الجزء: ١٣٧، ١٣٨

(٣) انظر فهارس اللغة فيما سلف مادة «وق».

فى هذه الآيات ، فكذلك أبيِّن لكم سائر الأحكام فى آياتى التى أنزلتها على نبيِّى محمد صلى الله عليه وسلم فى هذا الكتاب ، لتعقلوا — أيها المؤمنون بى وبرسولى — حدودى ، فتفهموا اللازم لكم من فرائضى ، وتعرفوا بذلك ما فيه صلاحُ دينكم ودنياكم ، وعاجلكم وآجلكم ، فتعملوا به ليصلح ذات بينكم ، وتنالوا به الجزيل من ثوابى فى معادكم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره : « ألم تر » ، ألم تعلم ، يا محمد ؟ = وهو من « رؤية القلب » لا رؤية العين » ، [1] لأن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم لم يُدرك الذين أخبر الله عنهم هذا الخبر ، و« رؤية القلب » ما رآه ، علمه به. [2] فمعنى ذلك : ألم تعلم يا محمد ، الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف؟

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « وهم ألوف » .

فقال بعضهم : فى العدد ، بمعنى جماع « ألف » .

* ذكر من قال ذلك :

٥٥٩٦ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى = وحدثنا عمرو بن على قال ، حدثنا وكيع = قال ، حدثنا سفيان ، عن ميسرة النهدى ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى قوله : « ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم

---

(١) انظر ما سلف فى معنى « الرؤية » ٣ : ٧٥ — ٧٩ .

(٢) فى المطبوعة : « وعلمه به » بزيادة الواو ، وهى فاسدة ، والصواب من المخطوطة .

وهم ألوف حذر الموت » ، قال : كانوا أربعة آلاف ، خرجوا فراراً من الطاعون ، قالوا : « نأتى أرضاً ليس فيها موت » ! حتى إذا كانوا بموضع كذا وكذا ، قال لهم الله: « موتوا » . فمر عليهم نبيّ من الأنبياء ، فدعا ربه أن يحييهم ، فأحياهم ، فتلاهذه الآية: « إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرَ الناس لايشكرون» . (١)

٥٥٩٧ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ،حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن ميسرة النهدى، عن المنهال، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس: « ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوفٌ حذر الموت » ، قال : كانوا أربعة آلاف خرجوا فراراً من الطاعون ، فأماتهم الله ، فمر عليهم نبيّ من الأنبياء ، فدعا ربه أن يحييهم حتى يعبدوه ، فأحياهم .

٥٥٩٨ — حدثنا محمد بن سهل بن عسكر قال،أخبرنا إسمعيل بن عبد الكريم قال ، حدثنى عبد الصمد : أنه سمع وهب بن منبه يقول : أصاب ناساً من بنى إسرائيل بلاءٌ وشدةٌ من الزمان،فشكوا ما أصابهم وقالوا: « يا ليتنا قد متنا فاسترحنا مما نحن فيه » ! فأوحى الله إلى حزقيل : إن قومك صاحوا من البلاء ، وزعموا أنهم ودُّوا لو ماتوا فاستراحوا، وأى راحة لهم فى الموت ؟ أيظنون أنى لا أقدر أن أبعثهم بعد الموت ؟ فانطلقْ إلى جبّانة كذا وكذا ، فإن فيها أربعة آلاف = قال وهب : وهم الذين قال الله: « ألم ترَ إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوفٌ حذرَ الموت» = فقم فيهم فنادهم ، وكانت عظامهم قد تفرقت ، فرّقتها الطير والسباع . فناداها حزقيل فقال(٢): « يا أيتها العظام،إن الله يأمرك أن تجتمعى »! فاجتمع عظام كل

---

(١) الأثران : ٥٥٩٦ ، ٥٥٩٧ — أخرجه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٢٨١، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه »،وقال الذهبى « ميسرة ،لم يرويا له وروى له البخارى فى الأدب المفرد . وانظر ابن كثير ١ : ٥٩٠ ، والدر المنثور ١ : ٣١٠ . و « ميسرة »، هو : « ميسرة بن حبيب النهدى » ، مترجم فى التهذيب .

(٢) فى المخطوطة : « فناداه » ، وعلى الهاء من فوق حرف « ط » ، وفى الدر المنثور ١ : ٣١١ « فنادى حزقيل » ، وفى المطبوعة : « فناداهم » ، وأثبت ما فى تاريخ الطبرى ١ : ٢٣٧ .

إنسان منهم معاً .(١) ثم نادى ثانية حزقيل فقال : «أيتها العظام، إن الله يأمرك أن تكتسى اللحم » ، فاكتست اللحم ، وبعدَ اللحم جلداً ، فكانت أجساداً . ثم نادى حزقيل الثالثة فقال : « أيتها الأرواح ، إن الله يأمرك أن تعودى فى أجسادك» ! (٢) فقاموا بإذن الله ، وكبروا تكبيرة واحدة .(٣)

٥٥٩٩ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف » ، يقول : عدد كثيرٌ ، خرجوا فراراً من الجهاد فى سبيل الله ، فأماتهم الله ، ثم أحياهم وأمرهم أن يجاهدوا عدوَّهم ، فذلك قوله : ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ . ٣٦٦/٢

٥٦٠٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن أشعث ابن أسلم البصرى قال : بينما عمر يصلى ويهوديان خلفه = وكان عمر إذا أراد أن يركع خوَّى = (٤) فقال أحدهما لصاحبه ، (٥) أهو هو؟ فلما انفتل عمر قال : (٦)

---

(١) بعد هذا فى الدر المنثور ١ : ٣١١ : [ثم قال : « أيَّتُها العظامُ ، إنَّ الله يأمُرُكِ أن ينبتَ العصب والعقب» ، فتلازمت واشتدّت بالعصب والعقب] . وفى تاريخ الطبرى : « يا أيتها العظام النخرة » .

(٢) فى المطبوعة : إلى أجسادك » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وتاريخ الطبرى ، والدر المنثور .

(٣) الأثر : ٥٥٩٨ : « محمد بن سهل بن عسكر » التميمى ، أبو بكر النجارى الحافظ الجوال قال النسائى وابن عدى : « ثقة » سكن بغداد ومات بها سنة ٢٥١ ، مترجم فى التهذيب و « إسماعيل بن عبد الكريم بن معقل بن منبه الصنعانى » ، روى عن ابن عمه إبراهيم بن عقيل ، وعمه عبد الصمد بن معقل ، وروى عنه أحمد بن حنبل ، قال النسائى : ليس به بأس ، وذكره ابن حبان فى الثقات . توفى باليمن سنة ٢١٠ . مترجم فى التهذيب .

والأثر رواه الطبرى بهذا الإسناد فى التاريخ ١ : ٢٣٧ ، والدر المنثور ١ : ٣١١ .

(٤) خوى الرجل فى سجوده : تجافى وفرج ما بين عضديه وجنبيه وفى الحديث : أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا سجد خوى .

(٥) فى المطبوعة : « فقال أحدهم » ، والصواب من المخطوطة وتاريخ الطبرى .

(٦) انفتل فلان من صلاته : انصرف بعد قضائها ، ومثله : « فتل وجهه عن القوم » ، صرفه ولواه عنهم

أرأيتَ قول أحدكما لصاحبه: أهو هو؟[١] فقالا: إنا نجدهُ فى كتابنا: [٢] « قَرْناً من حديد، يُعْطَى ما يُعطَى حزقيل الذى أحيَى الموتى بإذن الله». فقال عمر. ما نجد فى كتاب الله « حزقيل» ولا « أحيَى الموتى بإذن الله »، إلا عيسى. فقالا: أما تجد فى كتاب الله ﴿وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾،[٣] [سورة النساء: ١٦٤]، فقال عمر: بلى! قالا: وأما إحياء الموتى فسنحدِّثك: إن بنى إسرائيل وقع عليهم الوباء، فخرج منهم قوم حتى إذا كانوا على رأس ميل أماتهم الله، فبنوا عليهم حائطاً، حتى إذا بليت عظامهم بعثَ الله حِزْقيل فقام عليهم فقال ما شاء الله، [٤] فبعثهم الله له، فأنزل الله فى ذلك: « ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف»، الآية. [٥]

٥٦٠١ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن عنبسة، عن الحجاج ابن أرطأة قال: كانوا أربعة آلاف.

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة: « رأيت » بغير همزة استفهام، والصواب من الطبرى، والدر المنثور. وقول العرب « أرأيت كذا »، يريدون به معنى الاستخبار، بمعنى أخبرنى عن كذا.

(٢) فى المطبوعة وتاريخ الطبرى: « إنا نجد فى كتابنا »، وفى المخطوطة والدر المنثور: « نجده » وهو الذى أثبت. وفى تاريخ الطبرى بعد « يعطى ما أعطى حزقيل ». والقرن (بفتح فسكون): الحصن، والقرن أيضاً: الجبيل المنفرد. وقرن الجبل: أعلاه.

(٣) فى المطبوعة: « رسلا لم يقصصهم » بحذف الواو، وبالياء من « يقصصهم »، وفى المخطوطة كذلك إلا أن « الياء » غير منقوطة، وأثبت نص الآية، على ما جاءت فى تاريخ الطبرى.

(٤) فى المطبوعة: « فقام عليهم ما شاء الله »، والصواب من المراجع والمخطوطة.

(٥) الأثر: ٥٦٠٠ — رواه الطبرى فى تاريخه ١: ٢٣٨، وأخرجه السيوطى فى الدر المنثور ١: ٣١١. وفى المطبوعة والمخطوطة والدر: « أشعث بن أسلم البصرى »، وفى التاريخ « أشعث عن سالم النصرى »، و « أشعث بن أسلم العجلى البصرى ثم الربعى »، روى عن أبيه أنه رأى أبا موسى الأشعرى، روى عنه سعيد بن أبى عروبة. مترجم فى ابن أبى حاتم ١/١/٢٦٩. وأما « سالم النصرى»، فهو: سالم بن عبد الله النصرى، هو « سالم سبلان »، مترجم فى التهذيب وابن أبى حاتم ٢/١/١٨٤، روى عن عثمان وعائشة وأبى سعيد، وأبى هريرة. روى عنه سعيد المقبرى، وبكير بن عبد الله وغيرهما. وأنا أظن أن الذى فى التاريخ أقرب إلى الصواب.

٥٦٠٢ – حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : «ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف» إلى قوله : « ثم أحياهم » ، قال : كانت قرية يقال لها داوَرْدان قِبَل واسط ، (١) وقع بها الطاعون ، فهرب عامة أهلها فنزلوا ناحية منها ، فهلك من بقى فى القرية ، وسلم الآخرون ، فلم يمت منهم كبيرٌ . (٢) فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين ، فقال الذين بقوا : أصحابنا هؤلاء كانوا أحزمَ منا ، لو صنعنا كما صنعوا بقينا ! ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن معهم . فوقع فى قابل فهربوا ، وهم بضعة وثلاثون ألفاً ، حتى نزلوا ذلك المكان ، وهو واد أفيح ، (٣) فناداهم ملَك من أسفل الوادى وآخر من أعلاه : أنْ موتوا ! فماتوا ، حتى إذا هلكوا وبَليت أجسادهم ، مرَّ بهم نبى يقال له حِزْقيل ، فلما رآهم وقف عليهم فجعل يتفكر فيهم ويلوِّى شدقه وأصابعه ، (٤) فأوحى الله إليه : يا حزقيل ، أتريد أن أريك فيهم كيف أحييهم ؟ = قال : وإنما كان تفكُّره أنه تعجَّب من قدرة الله عليهم = فقال : نعم ! فقيل له : ناد ! فنادى : « يا أيتها العظام ، إن الله يأمرك أن تجتمعى ! » ، فجعلت تطير العظام بعضها إلى بعض ، حتى كانت أجساداً من عظام ، ثم أوحى الله إليه أنْ نادِ : « يا أيتها العظام ، إن الله يأمرك أن تكتسى لحماً » ، فاكتست لحماً ودماً ، وثيابَها التى ماتت فيها وهى عليها . ثم قيل له : ناد ! فنادى : « يا أيتها الأجساد إن الله يأمرك أن تقومى » ، فقاموا .

٥٦٠٣ – حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، قال : فزعم منصور بن المعتمر ، عن مجاهد : أنهم قالوا حين أُحيُوا : « سبحانك ربنا وبحمدك

---

(١) فى المخطوطة : « دار وردان » بزيادة راء ، والصواب ما فى تاريخ الطبرى ، والدر المنثور ، ومعجم البلدان ، وهى من نواحى شرق واسط ، بينهما فرسخ .

(٢) فى التاريخ : « فلم يمت منهم كثير » .

(٣) الأفيح والفياح : الواسع المنتشر النواحى ، ويقال : روضة فيحاء ، من ذلك .

(٤) فى المطبوعة : « يلوى شدقيه » ، وأثبت ما فى المخطوطة وتاريخ الطبرى . ولوى شدقه : أماله متعجباً مما يرى ويشهد .

لا إله إلا أنت» ، فرجعوا إلى قومهم أحياء يُعرفون أنهم كانوا موتى ، سَحْنة الموت على وجوههم ، (١) لا يلبسون ثوباً إلا عاد دَسِماً مثل الكفن ، (٢) حتى ماتوا لآجالهم التى كُتبت لهم . (٣)

٥٦٠٤ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا عبدالرحمن ابن عوسجة ، عن عطاء الخراسانى : « ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف » ، قال : كانوا ثلاثة آلاف أو أكثر .

٥٦٠٥ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : كانوا أربعين ألفاً وثمانية آلاف ، (٤) حُظِر عليهم حظائر ، وقد أروحت أجسادهم وأنتنوا ، (٥) فإنها لتوجد اليوم فى ذلك السبط من اليهود تلك الريح ، وهم ألوف فراراً من الجهاد فى سبيل الله ، فأماتهم الله ثم أحياهم ، فأمرهم بالجهاد ، فذلك قوله : « وقاتلوا فى سبيل الله » الآية .

٥٦٠٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثنا محمد بن إسحق ،

---

(١) السحنة (بفتح فسكون) : الهيئة واللون والحال ، وبشرة الوجه والمنظر .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « إلا عاد كفنا دسما » ، وضبط فى التاريخ بضم الدال وسكون السين ، وهو خطأ ، فإن هذا جمع أدسم ودسماء ، وليس هذا مقام جمع . وقوله : « كفنا دسما مثل الكفن » ليس بلبسان عربى ، فحذفتها وأثبت ما فى التاريخ ، وأما الرواية الأخرى فى الدر المنثور فهى : « إلا عاد كفناً دسما » ، بحذف « مثل الكفن » ، فهذه أو تلك هى الصواب .

والدسم : ودك اللحم والشحم . وفلان : دسم الثوب وأدسم الثوب ، إذا كان ثوبه متلطخاً وسخاً قد علق به وضر اللحم والشحم . وأكفان الموتى دسم ، لما يسيل من أجسادهم بعد تهرئهم وتعفن أبدانهم .

(٣) الأثران : ٥٦٠٢ ، ٥٦٠٣ — فى تاريخ الطبرى ١ : ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، والدر المنثور ١ : ٣١٠ بغير هذا اللفظ .

(٤) فى المخطوطة والمطبوعة « أو ثمانية آلاف » ، وهو لا يستقيم ، والصواب فى الدر المنثور ١ : ٣١١ .

(٥) الحظائر جمع حظيرة : ما أحاط بالشىء ، تكون من قصب وخشب ، ليقى البرد والريح والعادية . وحظر حظيرة : اتخذها . والحظر : الحبس والمنع . أروح الماء واللحم وغيرهما وأراح : تغيرت رائحته وأنتن .

٣٦٧/٢ عن وهب بن منبه أن كالب بن يوقنا لما قبضه الله بعد يوشع ، [١] خلف فيهم — يعني في بني إسرائيل — حزقيل بن بوزى = [٢] وهو ابن العجوز ، وإنما سمي «ابن العجوز» أنها سألت الله الولد وقد كبرت وعقِمت ، فوهبه الله لها ، فلذلك قيل له « ابن العجوز » = وهو الذي دعا للقوم الذين ذكر الله في الكتاب لمحمد صلى الله عليه وسلم كما بلغنا : « ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكنّ أكثر الناس لا يشكرون» . [٣]

٥٦٠٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثني محمد بن إسحق قال : بلغني أنه كان من حديثهم أنهم خرجوا فراراً من بعض الأوباء = من الطاعون ، أو من سُقم كان يصيب الناس = حذراً من الموت وهم ألوف ، حتى إذا نزلوا بصعيد من البلاد قال لهم الله : «موتوا» ، فماتوا جميعاً . فعمد أهل تلك البلاد فحظَروا عليهم حظيرةً دون السباع ، ثم تركوهم فيها ، وذلك أنهم كثروا عن أن يغيَّبوا . فمرت بهم الأزمان والدهور ، حتى صاروا عظاماً نخرة ، فمرّ بهم حزقيل بن بوزى ، [٢] فوقف عليهم ، فتعجب لأمرهم ودخلته رحمة لهم ، [٤] فقيل له : أتحب أن يحييهم الله ؟ فقال : نعم ! فقيل له : نادهم فقل : [٥] « أيتها العظامُ الرميمُ التي قد رمَّتْ وبَليت ، ليرجع كل عظم إلى صاحبه » . فناداهم بذلك ، فنظر إلى العظام تَواثب يأخذ بعضها بعضاً ، ثم قيل له : قل : «أيها اللحم والعصب والجلدُ ، اكسُ العظام بإذن ربك» ، قال : فنظر إليها والعصب يأخذ العظامَ ثم اللحم والجلد والأشعارَ ، حتى استووا خلقاً ليست فيهم الأرواح . ثم دعا لهم بالحياة ، فتغشَّاه من السماء شيء

---

(١) في التاريخ : « يوفنا » بالفاء .

(٢) في التاريخ : « بوذى » بالذال .

(٣) الأثر : ٥٦٠٦ — في تاريخ الطبري ١ : ٢٣٧ ، ثم ٢٣٨ مختصراً ، والدر المنثور : ١ : ٣١١ .

(٤) في المخطوطة والمطبوعة : « ودخله رحمة . . . » ، وأثبت ما في تاريخ الطبري .

(٥) في المخطوطة والمطبوعة : « نادهم فقال . . . » ، والصواب من التاريخ .

كَرَبَه حتى غُشِى عليه منه ،[١] ثم أفاق والقوم جلوس يقولون : « سبحان الله سبحان الله » ، قد أحياهم الله .[٢]

* * *

وقال آخرون : معنى قوله : « وهم ألوف » ، وهم مؤتلفون .[٣]

* ذكر من قال ذلك :

٥٦٠٨ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب ، قال ابن زيد فى قول الله : «ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم» ، قال : قرية كانت نزل بها الطاعون ، فخرجت طائفة منهم وأقامت طائفة ، فألح الطاعون بالطائفة التى أقامت ، والتى خرجت لم يصبهم شىء .[٤] ثم ارتفع ، ثم نزل العامَ القابل ، فخرجت طائفة أكثر من التى خرجت أوّلاً ، فاستحرّ الطاعون بالطائفة التى أقامت. فلما كان العام الثالث ، نزل فخرجوا بأجمعهم وتركوا ديارهم ، فقال الله تعالى ذكره : « ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف » ، ليست الفُرْقة أخرجتهم ، كما يخرج للحرب والقتال ، قلوبهم مؤتلفة ، إنما خرجوا فراراً . فلما كانوا حيث ذهبوا يبتغون الحياة ، قال لهم الله : « موتوا » ، فى المكان الذى ذهبوا إليه يبتغون فيه الحياة . فماتوا ، ثم أحياهم الله ، « إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون » . قال : ومر بها رجل وهى عظام تلوح ،[٥] فوقف

---

(١) فى المخطوطة : « فتغشاه من السماء كربه » غير منقوطة . وفى المطبوعة : « فتغشاهم من السماء كدية » ، وهذا كلام بلا معنى ، وما أثبته هو نص الطبرى فى التاريخ . وكربه الأمر : غشيه واشتد عليه وأخذ بنفسه ، فهو مكروب النفس .

(٢) الأثر : ٥٦٠٧ — فى تاريخ الطبرى ١ : ٢٣٨ .

(٣) يعنى أنه جمع « إلف » (بكسر الهمزة وسكون اللام) . وقال ابن سيده فى « ألوف » : « وعندى أنه جمع آلف ، كشاهد وشهود » ، وانظر سائر كتب التفسير .

(٤) فى المطبوعة : « لم يصبها » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٥) لاح البرق والسيف والعظم يلوح : تلألأ ولمع ، وذلك لبياض العظام فى ضوء الشمس .

ينظر فقال : « أنّى يُحيي هذه الله بعد موتها ؟ » ، فأماته الله مئة عام . (١)

* * *

* ذكر الأخبار عمن قال : كان خروج هؤلاء القوم من ديارهم فراراً من الطاعون .

٥٦٠٩ – حدثنا عمرو بن على قال ، حدثنا ابن أبي عدى ، عن الأشعث ، عن الحسن فى قوله : « ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت » ، قال : خرجوا فراراً من الطاعون ، فأماتهم قبل آجالهم ، ثم أحياهم إلى آجالهم .

٥٦١٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الحسن فى قوله : « ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت » ، قال : فرّوا من الطاعون ، فقال لهم الله : « موتوا » ، ثم أحياهم ليكملوا بقيّة آجالهم .

٣٦٨/٢ ٥٦١١ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن عمرو بن دينار فى قول الله تعالى ذكره : « ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت » ، قال : وقع الطاعون فى قريتهم ، فخرج أناسٌ وبقى أناس ، فهلك الذين بقوا فى القرية ، وبقى الآخرون . ثم وقع الطاعون فى قريتهم الثانية ، فخرج أناسٌ وبقى أناس ، ومن خرجَ أكثر ممن بقى . فنجّى الله الذين خرجوا ، وهلك الذين بقوا . فلما كانت الثالثة خرجوا بأجمعهم إلا قليلا ، فأماتهم الله ودوابَّهم ، ثم أحياهم فرجعوا إلى بلادهم [وقد أنكروا قريتهم ، ومن تركوا] . وكثروا بها ، يقول بعضهم لبعض : من أنتم ؟ (٢)

---

(١) الأثر : ٥٦٠٨ – أخرجه السيوطى فى الدر المنثور ١ : ٣١١ مختصراً . وسيأتى مختصراً برقم : ٥٩٠٥ .

(٢) فى المخطوطة : « فرجعوا إلى بلادهم ، وقد قريتهم ومن تركوا ، وكثروا بها ، يقول بعضهم لبعض » ، بياض بين الكلام ، أما المطبوعة فقد أسقطت هذا البياض ، فجعلت الكلام : « فرجعوا إلى بلادهم وكثروا بها ، حتى يقول بعضهم لبعض » ، بزيادة «حتى» ، فآثرت أن استظهر معنى الكلام ، فأثبت ما فى المخطوطة ، وظننت أن مكان البياض ما أثبت . هذا ولم أجد هذا الأثر فى مكان آخر .

٥٦١٢ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح قال : سمعت عمرو بن دينار يقول : وقع الطاعون في قريتهم=ثم ذكر نحو حديث محمد بن عمرو ، عن أبي عاصم .

٥٦١٣ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا سويد قال حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف » الآية ، مقتهم الله على فرارهم من الموت ، فأماتهم الله عقوبة ، ثم بعثهم إلى بقية آجالهم ليستوفوها ، ولو كانت آجال القوم جاءت ما بُعثوا بعد موتهم .

٥٦١٤ ــ حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن حصين ، عن هلال بن يساف في قوله تعالى : « ألم تر إلى الذين خرجوا » الآية ، قال : هؤلاء قوم من بني إسرائيل ، [1] كان إذا وقع فيهم الطاعون خرج أغنياؤهم وأشرافهم ، وأقام فقراؤهم وسِفْلتهم. قال : فاستحرّ الموت على المقيمين منهم ، ونجا من خرج منهم . فقال الذين خرجوا : لو أقمنا كما أقام هؤلاء ، لهلكنا كما هلكوا ! وقال المقيمون: لو ظعنّا كما ظعن هؤلاء ، لنجونا كما نجوا ! فظعنوا جميعاً في عام واحد ، أغنياؤهم وأشرافهم وفقراؤهم وسِفْلتهم . فأرسل عليهم الموت فصاروا عظاماً تبرُق . قال : فجاءهم أهل القرى فجمعوهم في مكان واحد ، فمرّ بهم نبي فقال : ياربّ لو شئت أحييتَ هؤلاء فعمروا بلادك وعبدوك ! قال : أوَ أحبُّ إليك أن أفعل؟ قال : نعم ! قال : فقل : كذا وكذا ، فتكلم به ، فنظر إلى العظام ، وإن العظم ليخرج من عند العظم الذي ليس منه إلى العظم الذي هو منه . ثم تكلم بما أمر ، فإذا العظام تُكسى لحماً. ثم أُمر بأمرٍ فتكلم به ، فإذا هم قعود يسبّحون ويكبّرون . ثم قيل لهم : ﴿ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

---

(١) في المطبوعة : « كان هؤلاء القوم من بني إسرائيل ، إذا وقع فيهم الطاعون » وفي المخطوطة : « كان هؤلاء قوماً من بني إسرائيل ، كان إذا وقع . . . » ، وضرب الناسخ على ألف « قوماً » ، وجعلها « قوم » ، فتبين لي أن « كان » زائدة من الناسخ ، كما جاءت على الصواب في الدر المنثور ١ : ٣١١ .

٥٦١٥ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني سعيد بن أبي أيوب ، عن حماد بن عثمان ، عن الحسن : أنه قال في الذين أماتهم الله ثم أحياهم قال : هم قوم فرُّوا من الطاعون، فأماتهم الله عقوبة ومقتاً ، ثم أحياهم لآجالهم.(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين في تأويل قوله : « وهم ألوف » بالصواب ، قولُ من قال : « عني بالألوف كثرة العدد » = دون قول من قال : « عني به الائتلاف » ، بمعنى ائتلاف قلوبهم ، وأنهم خرجوا من ديارهم من غير افتراق كان منهم ولا تباغض ، ولكن فراراً : إما من الجهاد ، وإما من الطاعون = لإجماع الحجة على أن ذلك تأويل الآية، ولا يعارَض بالقول الشاذ ما استفاض به القول من الصحابة والتابعين .

* * *

وأولى الأقوال – في مبلغ عدد القوم الذين وصف الله خروجهم من ديارهم – بالصواب ، قولُ من حدَّ عددهم بزيادة عن عشرة آلاف، دون من حده بأربعة آلاف ، وثلاثة آلاف ، وثمانية آلاف . وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عنهم أنهم كانوا ألوفاً ، وما دون العشرة آلاف لا يقال لهم : « ألوف » . وإنما يقال « هم آلاف » ، إذا كانوا ثلاثة آلاف فصاعداً إلى العشرة آلاف . وغير جائز أن يقال هم خمسة ألوف، أو عشرة ألوف .

٣٦٩/٢ وإنما جُمع قليله على « أفعال »،(٢) ولم يجمع على « أفعُل » = مثل سائر الجمع القليل الذي يكون ثاني مفرده ساكناً(٣) للألف التي في أوله . وشأن العرب في كل

---

(١) الأثر : ٥٦١٥ – « حماد بن عثمان » ، روى عن عبد العزيز الأعمى عن أنس . روى عنه سعيد بن أبي أيوب ، وروى عن الحسن البصري قال ابن أبي حاتم : « سألت أبي عن حماد بن عثمان فقال : هو مجهول » . ترجم له البخاري في الكبير ٢/١/٢٠ ، وابن أبي حاتم ١/٢/١٤٤ .

(٢) في المخطوطة : « وإنما جمع قليله وكثيره على أفعال » ، وزيادة « كثيره » خطأ ، والصواب ما في المطبوعة .

(٣) في المخطوطة : « وعلى سائر مثل الجمع القليل » ، والصواب ما في المطبوعة .

حرف كان أوله، ياءً أو واواً أو ألفاً ، اختيارُ جميع قليله على أفعال ، كما جمعوا « الوقت» « أوقاتاً » و « اليوم »« أياماً»، و« اليسر» و« أيساراً »، للواو والياء اللتين فى أول ذلك . وقد يجمع ذلك أحياناً على « أفعُل » ، إلا أن الفصيح من كلامهم ما ذكرنا ، ومنه قول الشاعر :(١)

كَانُوا ثَلاثَةَ آلُفٍ وَكَتِيبَةً ... أَلْفَيْنِ أَعْجَمَ مِنْ بَنِى القَدَّامِ(٢)

* * *

وأما قوله : « حذر الموت »، فإنه يعنى أنهم خرجوا من حذر الموت ، فراراً منه ،(٣) كما : —

٥٦١٦ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ،

---

(١) هو بكير ، أصم بنى الحارث بن عباد .

(٢) النقائض : ٦٤٥ ، وتاريخ الطبرى ٢ : ١٥٥ ، والأغانى ٢٠ : ١٣٩ ، واللسان (ألف) وغيرها . وهذا البيت من أبيات له فى يوم ذى قار ، وهو اليوم الذى انتصفت فيه العرب من العجم ، وهزمت كسرى أبرويز بن هرمز . وكانت وقعة ذى قار بعد يوم بدر بأشهر ، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرها قال : « هذا يوم انتصفت فيه العرب من العجم ، وبى نصروا » . وكانت بنو شيبان فى هذا اليوم أهل جد وحد ، فدحهم الأعشى وبكير الأصم .

هذا وقد روى الطبرى هنا « كانوا ثلاثة آلف » ، ورواية المراجع جميعاً :

« عَرَباً ثَلاثَةَ آلُفٍ : . . »

وذلك أن كسرى عقد للنعمان بن زرعة على تغلب والنمر ، وعقد لخالد بن يزيد البهرانى على قضاعة وإياد، وعقد لإياس بن قبيصة على جميع العرب ، ومعه كتيبتاه : الشهباء والدوسر ، فكانت العرب ثلاثة آلاف . وعقد أيضاً للهامرز التسترى على ألف من الأساورة ، وعقد لخنابزين على ألف ، فكانت العجم ألفين . (الأغانى ٢٠/١٣٤) ، فهذا تصحيح الرواية المجمع عليها وبيانها ، وأول هذه الأبيات :

إِنْ كُنْتِ سَاقِيَةَ المُدَامَةِ أَهْلَهَا ... فَاسْقِى عَلَى كَرَمٍ بَنِى هَمَّامِ
وَأَبَا رَبِيعَةَ كُلَّهَا وَمُحَلِّماً ... سَبَقَا بِغَايَةِ أَمْجَدِ الأَيَّامِ
ضَرَبُوا بَنِى الأَحْرَارِ يَوْمَ لَقُوهُمُ ... بِالمَشْرَفِىِّ على مَقِيلِ الهَامِ
عرباً ثَلاثَةَ آلُفٍ ... .

وعنى بقوله : « بنى القدام » ، الفرس . وذلك أن المجوس كان مما يتدينون به أنهم إذا سقوا شراباً ، شدوا على أفواههم خرقة كاللثام ، فسميت هذه الطائفة منهم : بنو القدام .

(٣) انظر ما سلف ١ : ٣٥٤ ، ٣٥٥ فى تفسير : « حذر الموت » وإعرابها .

حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « حذر الموت » ، فراراً من عدوّهم ، حتى ذاقوا الموت الذى فروا منه . فأمرهم فرجعوا ، وأمرهم أن يقاتلوا فى سبيل الله ، وهم الذين قالوا لنبيهم : ﴿ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٦] .

* * *

قال أبو جعفر : وإنما حث الله تعالى ذكره عباده بهذه الآية ، على المواظبة على الجهاد فى سبيله ، (١) والصبر على قتال أعداء دينه . وشجعهم بإعلامه إياهم وتذكيره لهم ، أنّ الإماتة والإحياءَ بيديه وإليه ، دون خلقه = وأنّ الفرار من القتال والهرب من الجهاد ولقاء الأعداء ، إلى التحصّن فى الحصون ، والاختباء فى المنازل والدور ، غير منجٍ أحداً من قضائه إذا حل بساحته ، ولا دافع عنه أسبابَ منيته إذا نزل بعَقْوته ، (٢) كما لم ينفع الهاربين من الطاعون = الذين وصف الله تعالى ذكره صفتهم فى قوله : « ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت » = فرارُهم من أوطانهم ، وانتقالهم من منازلهم إلى الموضع الذى أمّلوا بالمصير إليه السلامةَ ، وبالموئل النجاةَ من المنية ، حتى أتاهم أمر الله فتركهم جميعاً خموداً صرعى ، وفى الأرض هلكى ، ونجا مما حلّ بهم الذين باشروا كَرْب الوباء ، وخالطوا بأنفسهم عظيم البلاء .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (٢٤٣)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : إن الله لذو فضل ومنٍّ على خلقه ، بتبصيره إياهم سبيل الهدى ، وتحذيره لهم طريق الرَّدَى ، وغير ذلك من نعمه التى

---

(١) فى المطبوعة : « فى سبيل الله » وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « بعقوبته » ، وهى فى المخطوطة غير منقوطة . وعقوة الدار : ساحتها وما حولها قريباً منها . يقال : نزل بعقوته ، ونزلت الخيل بعقوة العدو .

يُنْعمها عليهم فى دنياهم ودينهم ، وأنفسهم وأموالهم — كما أحيي الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوفٌ حذر الموت بعد إماتته إياهم ، وجعلهم لخلقه مثلا وعظةً يتعظون بهم ، وعبرة يعتبرون بهم، وليعلموا أن الأمور كلها بيده ، فيستسلموا لقضائه ، ويصرفوا الرغبة كلها والرهبة إليه .(١)

ثم أخبر تعالى ذكره أنّ أكثر من يُنعم عليه من عباده بنعمه الجليلة، ويمُنُّ عليه بمننه الجسيمة ، يكفُر به ويصرف الرغبة والرهبة إلى غيره، ويتخذ إلهاً من دونه ، كفراناً منه لنِعمه التى يوجب أصغرُها عليه من الشكر ما يفدَحُه، ومن الحمد ما يُثقله، فقال تعالى ذكره : « ولكن أكثر الناس لا يشكرون»، يقول : لايشكرون نعمتى التى أنعمتها عليهم ، وفضلى الذى تفضَّلت به عليهم ، بعبادتهم غيرى ، وصرفهم رغبتهم ورهبتهم إلى مَنْ دونى ممن لا يملك لهم ضرًّا ولا نفعاً ، ولا يملك موتاً ولا حياةً ولا نُشوراً. (٢)

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « فيستسلمون . . . ويصرفون » ، وفى المخطوطة : « فيستسلمون . . . ويصرفوا »

(٢) عند هذا الموضع انتهى جزء من التقسيم القديم ، وفى المخطوطة بعده ما نصه :

« وصلَّى الله على سيدنا محمد النبىّ وعلى آله وسلم كثيراً » .

ثم يبدأ التقسيم التالى بما نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم

ربّ أعنْ »

القول فى تأويل قوله ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢٤٤)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : وقاتلوا ، أيها المؤمنون = « فى سبيل الله » ، يعنى : فى دينه الذى هداكم له ، (١) لا فى طاعة الشيطان = أعداءَ دينكم ، (٢) الصادّين عن سبيل ربكم ، ولا تحتموا عن قتالهم عند لقائهم ، ولا تجبنوا عن حربهم ، (٣) فإن بيدى حياتكم وموتكم . ولا يمنعنَّ أحدَكم من لقائهم وقتالهم حذرُ الموت وخوفُ المنية على نفسه بقتالهم ، فيدعوه ذلك إلى التَّعْريد عنهم والفرار منهم ، (٤) فتذلوا ، ويأتيكم الموت الذى خفتموه فى مأمنكم الذى وألتم إليه ، (٥) كما أتى الذين خرجوا من ديارهم فراراً من الموت ، الذين قصصت عليكم قصتهم ، فلم ينجهم فرارُهم منه من نزوله بهم حين جاءهم أمرى ، وحل بهم قضائى ؛ ولا ضرَّ المتخلِّفين وراءهم ما كانوا لم يحذروه ، إذ دافعت عنهم مناياهم ، وصرفتُها عن حوبائهم ، (٦) فقاتلوا فى سبيل الله من أمرتكم بقتاله من أعدائى وأعداء دينى ، فإنّ من حَيِيَ منكم فأنا أحييته ، (٧) ومن قتل منكم فبقضائى كان قتلُه .

٢/٣٧٠

---

(١) انظر ما سلف فى تفسير : « سبيل الله » ٣ : ٥٨٣ ، ٥٩٢ ، والمراجع هناك .

(٢) « أعداء . . . » مفعول « قاتلوا » ، والسياق : « قاتلوا أيها المؤمنون . . . أعداء دينكم » .

(٣) فى المخطوطة « ولا محموا عن قتاله عند لقائهم ، ولا محوا عن حربهم » غير منقوطة ، بإفراد ضمير « قتاله » ، فغيرها مصححوا المطبوعة ، إذ لم يحسنوا قراءتها فجعلوها : « ولا تجبنوا عن لقائهم ، ولا تقعدوا عن حربهم » غيروا وبدلوا وأسقطوا وفعلوا ما شاءوا ! ! . وقوله : « ولا تحتموا عن قتالهم » من قولهم : احتميت من كذا وتحاميته : إذا اتقيته وامتنعت منه . و « من » و « عن » فى هذا الموضع سواء .

(٤) فى المطبوعة : « فيدعوه ذلك إلى التفريد » ، وهو خطأ ، وزاده خطأ بعض من علق على التفسير ، بشرح هذا اللفظ المنكر . والتعريد : الفرار وسرعة الذهاب فى الهزيمة . يقال : « عرد الرجل عن قرنه » ، إذا أحجم عنه ونكل وفر .

(٥) وأل إلى المكان يئل ، ووُولا ووئيلا ووألا : لجأ إليه طلب النجاة . والموئل : الملجأ .

(٦) الحوباء : النفس ، أو روح القلب .

(٧) فى المطبوعة : « فأنا أحييه » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

ثم قال تعالى ذكره لهم: واعلموا، أيها المؤمنون ، أن ربكم « سميع » لقول من يقول من منافقيكم لمن قتل منكم فى سبيلى : لو أطاعونا فجلسوا فى منازلهم ما قتلوا = « عليم» بما تجنُّهُ صدورهم من النفاق والكفر وقلة الشكر لنعمتى عليهم، (١) وآلائى لديهم فى أنفسهم وأهليهم ، ولغير ذلك من أمورهم وأمور عبادى .

يقول تعالى ذكره لعباده المؤمنين : فاشكرونى أنتم بطاعتى فيما أمرتكم من جهاد عدوكم فى سبيلى ، وغير ذلك من أمرى ونهيى ، إذ كفر هؤلاء نعمى . واعلموا أن الله سميع لقولهم ، وعليم بهم وبغيرهم وبما هُم عليه مقيمون من الإيمان والكفر ، والطاعة والمعصية ، محيطٌ بذلك كله ، حتى أجازى كلاً بعمله، إن خيراً فخيراً ، وإن شرًّا فشرًّا .

* * *

قال أبو جعفر : ولا وجه لقول من زعم أن قوله : « وقاتلوا فى سبيل الله » ، أمرٌ من الله الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف بالقتال ، بعد ما أحياهم . لأن قوله : « وقاتلوا فى سبيل الله » ، لا يخلو — إن كان الأمر على ما تأوّلوه — من أحد أمور ثلاثة :

= إما أن يكون عطفاً على قوله: « فقال لهم الله موتوا »، وذلك من المحال أن يميتهم ، ويأمرهم وهم موتى بالقتال فى سبيله .

= أو يكون عطفاً على قوله: « ثم أحياهم »، وذلك أيضاً مما لا معنى له . لأن قوله : « وقاتلوا فى سبيل الله »، أمر من الله بالقتال ، وقوله : « ثم أحياهم » ، خبر عن فعل قد مضى . وغير فصيح العطفُ بخبر مستقبل على خبر ماض، لو كانا جميعاً خبرين ، لاختلاف معنيهما . فكيف عطف الأمرَ على خبر ماض ؟

= أو يكون معناه: ثم أحياهم وقال لهم قاتلوا فى سبيل الله، ثم أسقط « القول »،

---

(١) فى المطبوعة : « بما تخفيه صدورهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة . وأجن الشىء : ستره وكتمه وأخفاه .

كما قال تعالى ذكره: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا ﴾ [سورة السجدة : ١٢] ، بمعنى يقولون : ربنا أبصرنا وسمعنا . وذلك أيضاً إنما يجوز فى الموضع الذى يدل ظاهر الكلام على حاجته إليه ، ويفهم السامع أنه مرادٌ به الكلام وإن لم يذكر . فأما فى الأماكن التى لا دلالة على حاجة الكلام إليه ، فلا وجه لدعوى مدّع أنه مراد فيها .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ مَّنْ ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ .

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : من هذا الذى ينفق فى سبيل الله ، فيُعين مُضعِفاً،(١) أو يُقوِّى ذافاقة أراد الجهاد فى سبيل الله ، ويعطى منهم مقتراً ؟ وذلك هو القرض الحسن الذى يقرض العبدُ ربَّه .

وإنما سماه الله تعالى ذكره « قرضاً » ، لأن معنى « القرض » إعطاء الرجل غيره ماله مملّكاً له، ليقضيه مثله إذا اقتضاه . فلما كان إعطاءُ من أعطى أهلَ الحاجة والفاقة فى سبيل الله ، إنما يعطيهم ما يعطيهم من ذلك ابتغاءَ ما وعده الله عليه من جزيل الثواب عنده يوم القيامة ، سماه « قرضاً » ، إذ كان معنى « القرض» فى لغة العرب ما وصفنا .

وإنما جعله تعالى ذكره « حسناً » ، لأن المعطى يُعطى ذلك عن ندب الله إياه وحثّه له عليه ، احتساباً منه . فهو لله طاعة ، وللشيطان معصية .(٢) وليس ٢/٣٧١

(١) أضعف الرجل فهو مضعف : ضعفت دابته ، يعينه بإبداله دابة غيرها .

(٢) فى المطبوعة : « وللشياطين معصية » ، وفى المخطوطة : « وللسلطان » ، وهو سهو من الناسخ .

ذلك لحاجة بالله إلى أحد من خلقه ، ولكن ذلك كقول العرب : « عندى لك قرْضُ صِدْق ، وقرْضُ سَوْءٍ »، للأمر تأتى فيه للرجل مسرَّته أو مساءته، (١) كما قال الشاعر : (٢)

كُلُّ امْرِئٍ سَوْفَ يُجْزَى قَرْضَهُ حَسَناً أَوْ سَيِّئاً ، ومَدِيناً بِالَّذِى دَانَا (٣)

* * *

فقرض المرء : ما سلف من صالح عمله أو سيئه . وهذه الآية نظيرة الآية التى قال فيها تعالى ذكره: (٤) ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة : ٢٦١] .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك كان ابن زيد يقول :

٥٦١٧ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً »، قال: هذا فى سبيل الله =« فيضاعفه له أضعافاً كثيرة » ، قال : بالواحد سبعمئة ضعف .

٥٦١٨ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبدالرزاق قال، أخبرنا معمر، عن زيد بن أسلم قال : لما نزلت : « من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة » ، جاء ابن الدحداح إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: يا نبى الله، ألا أرى ربنا يستقرضنا ؟ إنما أعطانا لأنفسنا ! وإنّ لى أرْضين : إحداهما بالعالية، والأخرى بالسافلة ، وإنى قد جعلت خيرهما صدقة ! قال : فكان النبى صلى الله

---

(١) فى المطبوعة « يأتى فيه الرجل . . . » ، وفى المخطوطة : « ماتى فيه الرجل » غير منقوطة، ونقل أبو حيان فى تفسيره ٢ : ٢٤٨ هذا القول عن الأخفش ، ونصه : « لأمر تأتى مسرته أو مساءته » ، ولكنى استظهرت قراءتها كما أثبت ، فجميع ما مضى تحريف .

(٢) هو أمية بن أبى الصلت .

(٣) ديوانه : ٦٣ ، واللسان (قرض) ، وروايته « أو مديناً مثل ما دانا » ، وفى الديوان : « كالذى دانا » .

(٤) فى المطبوعة : « قال الله فيها تعالى ذكره » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

عليه وسلم يقول : كم من عَذْق مُذلَّلٍ لابن الدحداح فى الجنة ! (١)

٥٦١٩ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة: أن رجلاً على عهد النبي صلى الله عليه وسلم لما سمع بهذه الآية قال : « أنا أقرض الله »، فعمد إلى خير حائط له فتصدق به . قال ، وقال قتادة : يستقرضكم ربكم كما تسمعون ، وهو الولى الحميد ويستقرض عباده . (٢)

٥٦٢٠ – حدثنا محمد بن معاوية الأنماطى النيسابورى قال، حدثنا خلف ابن خليفة ، عن حميد الأعرج ، عن عبد الله بن الحارث ، عن عبد الله بن مسعود قال : لما نزلت : « من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً » ، قال أبو الدحداح:

---

(١) الحديث : ٥٦١٨ – هذا حديث مرسل ، فهو ضعيف الإسناد ، لأن زيد بن أسلم تابعى ، ولم يذكر من حدثه به من الصحابة .

والحديث ثابت فى تفسير عبد الرزاق ، ص : ٣١ (مخطوط مصور) ، عن معمر ، به .

وهو عند السيوطى ١ : ٣١٢ ، ولم ينسبه لغير عبد الرزاق والطبرى .

وقد ذكر ابن كثير ١ : ٥٩٤ أن ابن مردويه روى نحو الحديث الآتى : ٥٦٢٠ « من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عمر ، مرفوعاً بنحوه » .

وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ضعيف جداً ، كما بينا فى : ١٨٥ . فلا قيمة لهذه الرواية .

وسيأتى عقب هذا حديث آخر مرسل بمعناه ، ثم : ٥٦٢٠ ، من حديث ابن مسعود . ونرجىء بيان أصل القصة حتى نتحدث عنها هناك .

قوله « ابن الدحداح » و « لابن الدحاح » : هذا هو الثابت فى تفسير عبد الرزاق، وهو الذى أثبتناه هنا . وفى المخطوطة – فيهما – « الدحداحة » . وفى المطبوعة « أبو الدحداح » ، و « لأبى الدحداح » . وما فى تفسير عبد الرزاق أرجح ، لأنه الأصل الذى روى عنه الطبرى .

قوله: « إنما أعطانا لأنفسنا » : هو الثابت عند عبد الرزاق، وهو أجود . وكان فى المطبوعة « مما » بدل « إنما » .

« العذق » (بفتح فسكون) : النخلة . أما « العذق » – بكسر العين : فهو عرجون النخلة .

و « المذلل » – بفتح اللام الأولى مشددة : الذى قد دليت عناقيده ، حتى يسهل اجتناء ثمرته ، لدنوها من قاطفها .

(٢) الحديث: ٥٦١٩ – وهذا مرسل أيضاً، فهو ضعيف الإسناد، وآخره موقوف من كلام قتادة.

وذكره السيوطى ١ : ٣١٢ ، ونسبه لعبد بن حميد ، وابن جرير ، فقط . ولم يذكر كلام قتادة فى آخره .

فى المخطوطة : « ويسعر عباده » ، هكذا غير معجمة ولا مبينة ، وتركت ما فى المطبوعة على حاله ، فهو فى سياقة المعنى . والأثر فى الدر المنثور ١ : ٣١٢ ، ولكنه أسقط هذه الجملة الأخيرة عن قتادة .

يا رسول الله، أوَ إن الله يريد منا القرض ؟ ! قال : نعم يا أبا الدحداح ! قال : يدَك! قال : (١) فناوله يده ، قال : فإنى قد أقرضتُ ربى حائطى ، حائطاً فيه ستمئة نخلة . ثم جاء يمشى حتى أتى الحائط وأمُّ الدحداح فيه فى عيالها، فناداها : يا أم الدحداح ! قالت : لبيك ! قال : اخرجى ! قد أقرضتُ ربى حائطاً فيه ستمئة نخلة . (٢)

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « قال : يدك قبل ، فناوله » ، وفى المخطوطة : « يدك قيل » ثم وضع ألفاً على رأس الياء بعد القاف ، كأن أراد أن يجعلها « قال » كما أثبتها ورجحتها ، لنص مجمع الزوائد ٩ : ٣٢٤ : « قال : أرنا يدك . قال : فناوله يده » .

(٢) الحديث : ٥٦٢٠ — وهذا إسناد ضعيف جداً .

محمد بن معاوية بن يزيد الأنماطى — شيخ الطبرى : ثقة مترجم فى التهذيب، وتاريخ بغداد ٣ : ٢٧٤ — ٢٧٥ .

خلف بن خليفة بن صاعد الأشجعى : ثقة ، تغير فى آخر عمره ، مات نحو سنة ١٨١ ، وهو ابن ١٠١ سنة ، وقد فصلنا القول فى ترجمته فى المسند : ٥٨٨٥ .

حميد الأعرج الكوفى القاص : هو حميد بن على ، على ما جزم به البخارى فى الكبير ١/٢/٣٥١ ، والضعفاء ، ص : ٩ . ويقال : « حميد بن عطاء » ، وهو الذى جزم به ابن أبى حاتم ١/٢/٢٢٦ — ٢٢٧ ، وابن حبان فى كتاب المجروحين ، رقم : ٢٦٥ . وهو ضعيف جداً . قال البخارى : « منكر الحديث » . وقال أبو حاتم : « ضعيف الحديث ، منكر الحديث ، قد لزم عبد الله بن الحارث عن ابن مسعود ، ولا يعرف لعبد الله بن الحارث عن ابن مسعود شىء! » . وقال ابن حبان : « يروى عن عبد الله بن الحرث عن ابن مسعود — نسخة كأنها موضوعة . لا يحتج بخبره إذا انفرد » .

عبد الله بن الحارث الزبيدى النجرانى المكتب : ثقة . سبق فى ترجمة الراوى عنه قول أبى حاتم أنه لا يعرف له شىء عن ابن مسعود . فالبلاء فى هذه الرواية من حميد الأعرج .

وهذا الحديث رواه أيضاً ابن أبى حاتم ، عن الحسن بن عرفة ، عن خلف بن خليفة ، بهذا الإسناد . على ما نقله عنه ابن كثير ١ : ٥٩٣ — ٥٩٤ .

وذكره السيوطى ١ : ٣١٢ ، وزاد نسبته لسعيد بن منصور ، وابن سعد ، والبزار ، وابن المنذر ، والحكيم الترمذى فى نوادر الأصول ، والطبرانى ، والبيهقى فى شعب الإيمان .

وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٦ : ٣٢٠ ، بنحوه . وقال : « رواه البزار ، ورجاله ثقات » .

ثم ذكره مرة أخرى ٩ : ٣٢٤ ، بلفظ آخر نحوه . وقال : « رواه أبو يعلى ، والطبرانى ، ورجالهما ثقات . ورجال أبى يعلى رجال الصحيح » .

هكذا قال الهيثمى فى الموضعين . وليس عندى إسناد من الأسانيد التى نسبه إليها ، ولا الكتب التى ذكرها السيوطى ، إلا ابن سعد . ولم أجده فيه ، لأن النسخة المطبوعة من طبقات ابن سعد تنقص كثيراً من الكتاب ، كما هو معروف .

وأما قوله : « فيضاعفه له أضعافاً كثيرة »، فإنه عِدَةٌ من الله تعالى ذكره مُقرضَه ومنفقَ ماله فى سبيل الله من إضعاف الجزاء له على قرضه ونفقته، ما لا حدَّ له ولا نهاية ، كما : —

٥٦٢١ — حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفَه له أضعافاً كثيرة » ، قال : هذا التضعيفُ لا يعلم أحدٌ ما هو .

وقد : —

٥٦٢٢ — حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك، عن ابن عيينة ، عن صاحب له يذكر عن بعض العلماء قال : إن الله أعطاكم

ولقصة أبى الدحداح أصل آخر صحيح . من حديث أنس ، رواه أحمد فى المسند : ١٢٥٠٩ (٣ : ١٤٦ حلبى) ، بإسناد صحيح : « عن أنس : أن رجلا قال : يا رسول الله ، إن لفلان نخلة ، وأنا أقيم حائطى بها ، فأمره أن يعطينى حتى أقيم حائطى بها ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : أعطها إياه بنخلة فى الجنة ، فأبى ، فأتاه أبو الدحداح ، فقال : بعنى نخلتك بحائطى ! ففعل ، فأتى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إنى قد ابتعت النخلة بحائطى ، قال : فاجعلها له ، فقد أعطيتكها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كم من عذق راح ، لأبى الدحداح ، فى الجنة . قالها مراراً ، قال : فأتى امرأته فقال : يا أم الدحداح ، اخرجى من الحائط ، فإنى قد بعته بنخلة فى الجنة . فقالت : ربح البيع ، أو كلمة تشبهها » .

وحديث أنس هذا فى مجمع الزوائد ٩ : ٣٢٣ - ٣٢٤ . وقال : « رواه أحمد ، والطبرانى ، ورجالهما رجال الصحيح» . ووقع فى مطبوعة مجمع الزوائد سقط نحو سطر أثناء الحديث، يصحح من هذا الموضع .

وله أصل ثان صحيح . فروى مسلم فى صحيحه ١ : ٢٦٤ ، عن جابر بن سمرة ، قال : « صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابن الدحداح ، ثم أتى بفرس عرى ، فعقله رجل فركبه ، فجعل يتوقص به ، ونحن نتبعه نسعى خلفه ، قال : فقال رجل من القوم : إن النبى صلى الله عليه وسلم قال : كم من عذق معلق أو مدلى فى الجنة لابن الدحداح » . « أو قال شعبة : لأبى الدحداح » .

و « أبو الدحداح »: هو ثابت بن الدحداح ، أو ابن الدحداحة . ويكنى « أبا الدحداح » أو « أبا الدحداحة » ، مترجم فى الإصابة ١ : ١٩٩ . ثم ترجمه فى الكنى ٧ : ٥٧ — ٥٨ ، وذكر الخلاف فى أنه واحد أو اثنان . ثم زعم أن الحق أن الثانى غير الأول ! واستدل بحديث نقله من رواية أبى نعيم ، يدل على أن أبا الدحداح عاش إلى زمن معاوية . ثم أسرع إلى نقض ما استدل به ، بأن حديث أبى نعيم ضعيف ، وأن فى إسناده رجلا « واهى الحديث » ! ! فسقط الاستدلال به دون ريب .

الحائط بستان النخيل إذا كان عليه جدار يحيط به ، فإن لم يكن عليه الحائط فهو « ضاحية »

الدنيا قَرضاً، وسألكموها قرضاً ، فإن أعطيتموها طيبةً بها أنفسكم ، ضاعف لكم ما بين الحسنة إلى العشر إلى السبعمئة ، إلى أكثر من ذلك . وإن أخذها منكم وأنتم كارهون، فصبرتم وأحسنتم، كانت لكم الصلاة والرحمة، وأوجبَ لكم الهدى.[1]

* * *

قال أبو جعفر : وقد اختلفت القرأة فى قراءة قوله : ﴿ فَيُضَاعِفَهُ ﴾ بالألف ورَفعه ، بمعنى : الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له = نسَق « يضاعف » على قوله : « يقرض » .

* * *

وقرأه آخرون بذلك المعنى : ﴿ فَيُضَعِّفَهُ ﴾ ، غير أنهم قرأوه بتشديد « العين » وإسقاط « الألف » .

* * *

وقرأه آخرون : ﴿ فَيُضَاعِفَهُ له ﴾ بإثبات « الألف » فى « يضاعف » ونصبه ، بمعنى الاستفهام. فكأنهم تأولوا الكلام : مَنِ المُقرضُ الله قرضاً حسناً فيضاعفَه له ؟ فجعلوا قوله : « فيضاعفه » جواباً للاستفهام، وجعلوا : « من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً »اسماً . لأن« الذى »وصِلتَه، بمنزلة « عمرو » و « زيد » . فكأنهم وجهوا تأويل الكلام إلى قول القائل: « من أخوك فتكرمَه »، لأن الأفصحَ فى جواب الاستفهام بالفاء = إذا لم يكن قبله ما يعطف به عليه من فعل مستقبل = نَصْبُه

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه القراآت عندنا بالصواب ، قراءةُ من قرأ : ﴿ فَيُضَاعِفَه له ﴾ بإثبات « الألف » .ورفع « يضاعف » . لأن فى قوله : « من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً » معنى الجزاء . والجزاء إذا دخل فى جوابه « الفاء »، لم يكن جوابه

---

(١) يريد قول الله تعالى فى [سورة البقرة: ١٥٦، ١٥٧] ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ١٥٧ .

بـ « الفاء » إلا رفعاً. فلذلك كان الرفع فى « يضاعفه » أولى بالصواب عندنا من النصب.

وإنما اخترنا « الألف » فى « يضاعف » من حذفها وتشديد « العين » ، لأن ذلك أفصح اللغتين وأكثرهما على ألسنة العرب .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : أنه الذى بيده قبضُ أرزاق العباد وبَسْطها، دون غيره ممن ادّعى أهلُ الشرك به أنهم آلهة ، واتخذوه ربًّا دونه يعبدونه. وذلك نظير الخبر الذى رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذى : —

٥٦٢٣ — حدثنا به محمد بن المثنى ومحمد بن بشار قالا، حدثنا حجاج = وحدثنى عبد الملك بن محمد الرقاشى قال، حدثنا حجاج وأبو ربيعة قالا،= حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت وحميد وقتادة ، عن أنس قال : غلا السِّعرُ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال فقالوا : يا رسول الله، غلا السعر فأسْعِر لنا! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله الباسطُ القابضُ الرازق ، وإنى لأرجو أن ألقى الله ليس أحدٌ يطلبنى بمظلمة فى نفس ومال . (١)

* * *

(١) الحديث : ٥٦٢٣ — عبد الملك بن محمد الرقاشى أبو قلابة — شيخ الطبرى : مضت ترجمته فى : ٤٣٣١ .

الحجاج ؛ هو ابن المنهال الأنماطى .

أبو ربيعة : هو زيد بن عوف القطعى ، ولقبه « فهد » . تكلموا فيه كثيراً لأحاديث رواها عن حماد بن سلمة . وأما البخارى فقال فى الكبير ٢/١/٣٦٩ : « سكتوا عنه » . وهو مترجم أيضاً فى ابن أبى حاتم ١/٢/٥٧٠ — ٥٧١ ، ولسان الميزان .

ومهما يكن من شأنه، فإنه لم ينفرد بهذا الحديث ، فلا يؤثر فيه ضعفه إن كان ضعيفاً .

والحديث صحيح بهذا الإسناد ، من جهة الحجاج بن المنهال ، ومن الروايات الأخر التى سنذكر .

فرواه أحمد فى المسند : ١٢٦١٨ (٣ : ١٥٦ حلبى) ، عن سريج ويونس بن محمد ، عن حماد ابن سلمة ، عن قتادة وثابت البنانى ، عن أنس .

قال أبو جعفر : يعنى بذلك صلى الله عليه وسلم : أنّ الغلاء والرّخص والسّعة والضيق بيد الله دون غيره . فكذلك قوله تعالى ذكره : «والله يقبِضُ ويبسُط» ، يعنى بقوله : « يقبض » ، يُقتّر بقبضه الرزق عمن يشاء من خلقه = ويعنى بقوله : و « يبسُط » ، يوسّع ببسطه الرزق على من يشاء منهم .

وإنما أراد تعالى ذكره بقيله ذلك ، حثّ عباده المؤمنين — الذين قد بسَط عليهم من فضله ، فوسّع عليهم من رزقه — على تقوية ذوى الإقتار منهم بماله ، ومعونته بالإنفاق عليه وحمولته على النهوض لقتال عدوه من المشركين فى سبيله ، [1] فقال تعالى ذكره : من يقدّم لنفسه ذُخراً عندى بإعطائه ضُعَفاء المؤمنين وأهل الحاجة منهم ما يستعين به على القتال فى سبيلى ، فأضاعف له من ثوابى أضعافاً كثيرةً مما أعطاه وقوّاه به ؟ فإنى — أيها الموسع — [2] الذى قبضت الرزق عمن ندبتك إلى معونته وإعطائه ، لأبتليه بالصبر على ما ابتليته به=والذى بسطت عليك لأمتحنك بعملك فيما بسطتُ عليك ، فأنظر كيف طاعتك إياى فيه ، فأجازى كل واحد منكما على قدر طاعتكما فيما ابتليتكما فيه وامتحنتكما به ، من غنىً وفاقة ، وسعة وضيق ، عند رجوعكما إلىّ فى آخرتكما ، ومصيركما إلىّ فى معادكما .

* * *

ورواه أيضاً : ١٤١٠٢ (٣ : ٢٨٦ حلبى) ، عن عفان ، عن حماد بن سلمة ، عن قتادة وثابت وحميد ، عن أنس .

ورواه الترمذى ٢ : ٢٧١ — ٢٧٢ ، وابن ماجة : ٢٢٠٠ — كلاهما من طريق الحجاج بن المنهال بهذا الإسناد . قال الترمذى : « هذا حديث حسن صحيح » .

ورواه أبو داود : ٣٤٥١ ، من طريق عفان ، عن حماد ، به .

وذكره السيوطى ١ : ٣١٣ ، وزاد نسبته للبيهقى فى السنن .

(١) الحمولة (بفتح الحاء) : كل ما يحمل عليه الناس من إبل وحمير وغيرها . والحمولة (بضم الحاء) الأحمال والأثقال . هذا وأخشى أن يكون صواب العبارة فى الأصل « بالإنفاق عليه وعلى حمولته » وقوله : « على النهوض » متعلق بقوله : « ومعونته » ...

(٢) فى المطبوعة : « فإنى أنا الموسع الذى قبضت » ، وهو كلام لا يستقيم أبداً ، والصواب ما فى المخطوطة . و « الموسع » : الغنى الذى كثر ماله . من قولهم : « أوسع الرجل » ، صار ذا سعة وغنى وكثر ماله . وقال الله تعالى : « على الموسع قدره وعلى المقتر قدره » . وانظر ما سلف فى تفسير « الوسع » فى هذا الجزء : ٤٥ . وسياق العبارة « فإنى . . . الذى قبضت » .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال من بلغنا قوله من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٥٦٢٤ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً » الآية ، قال : علم أن فيمن يقاتل فى سبيله من لا يجد قوة ، وفيمن لا يقاتل فى سبيله من يجد غِنًى ، فندب هؤلاء فقال : « من ذا الذى يُقرضُ الله قرضاً حسناً فيضاعفَه له أضعافاً كثيرة والله يقبضُ ويبسُط »؟ قال : بسط عليك وأنت ثقيل عن الخروج لا تريده،[1] وقبض عن هذا وهو يطيب نفساً بالخروج ويخفُّ له ، فقوِّه مما فى يدك ، يكن لك فى ذلك حظ . ٢/٣٧٣

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٢٤٥)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : وإلى الله معادكم ، أيها الناس ، فاتقوا الله فى أنفسكم أن تُضيعوا فرائضه وتتعدَّوا حدوده، وأن يعمل من بُسط عليه منكم فى رزقه بغير ما أذن له بالعمل فيه ربُّه ، وأن يحمل المقتر منكم – إذ قبضَ عنه رزقه – إقتارُه على معصيته والتقدّم على ما نهاه ،[2] فيستوجب بذلك عند مصيره إلى خالقه ، ما لا قبل له به من أليم عقابه .[3]

* * *

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « يبسط عليك » مضارعاً ، وهو لا يطابق قوله بعد : « وقبض » . فجعلتها « بسط » ، وإن شئت جعلت الأخرى : « ويقبض » ، كما فى الدر المنثور ١ : ٣١٣ ، وأنا أرجح الأولى .

(٢) فى المطبوعة : « وأن يحل بالمقتر منكم فقبض عنه رزقه ، إقتاره . . . » ، وهو كلام فاسد وفى المخطوطة : « وأن يحمل المقتر منكم فقبض عنه رزقه . . . » ، وهو لا يستقيم أيضاً ، ورجحت أن تكون الأولى « المقتر » كما فى المخطوطة ، وأن تكون الأخرى « إذ قبضُ » ، أو « بقبضه عنه . . . » . وسياق الجملة : « وأن يحمل المقتر منكم . . . إقتاره على معصيته » .

(٣) فى المطبوعة : « فيستوجب بذلك منه بمصيره . . . » ، وهو كلام شديد الخلل . وفى المخطوطة : « عنه مصيره » ، وظاهر أن الهاء المرسلة من « عنه » ، دال « عند » .

وكان قتادة يتأول قوله : « وإليه ترجعون » ، وإلى التراب ترجعون. (١)

٥٦٢٥ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وإليه ترجعون » ، من التراب خلقهم ، وإلى التراب يعودون. (١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِن بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « ألم تر »، ألم تر ، يا محمد، بقلبك، (٢) فتعلم بخبرى إياك، يا محمد =« إلى الملأ » ، يعنى : إلى وجوه بنى إسرائيل وأشرافهم ورؤسائهم = « من بعد موسى »، يقول: من بعد ما قُبض موسى فمات= «إذ قالوا لنبىّ لهمُ ابعث لنا ملكاً نقاتل فى سبيل الله » ، فذكر لى أن النبىّ الذى قال لهم ذلك شمويل (٣) بن بالى (٤) بن علقمة (٥) بن يرحام (٦) بن إليهو (٧) بن تهو بن

---

(١) فى المخطوطة : « وإلى الثواب » ، و « من الثواب . . . » ، وهو ظاهر الفساد ، ولكنه دليل على شدة سهو الناسخ فى هذا الموضع من الكتاب ، كما رأيت من تصحيفه وتحريفه فى المواضع السابقة من التعليق .

(٢) انظر معنى « ألم تر » ، و « الرؤية » فيما سلف : ص : ٢٦٦ ، والمراجع فى التعليق .

(٣) سأذكر فى التعليقات الآتية ما جاء فى هذا النسب من الأسماء ، على رسمها فى كتاب القوم الذى بين أيدينا، من أخبار الأيام الأول. فى الإصحاح السادس .و « شمويل» هناك هو « صموئيل » .

(٤) « بالى » ، لم يرد له ذكر فى نسب و «شمويل » من كتاب القوم، بل هو عندهم « صموئيل بن « القانة » .

(٥) ﴿ ألقانة ﴾

(٦) ﴿ يروحام ﴾ ،وفى المطبوعة : « برحام » خطأ، وهو فى المخطوطة غير منقوط وأما فى تاريخ الطبرى ١ : ٢٤٢ فهو بالخاء المعجمة .

(٧) ﴿ إيليئيل ﴾ ، الظاهر أنه هو « إليهو » .

صوف [١] بن علقمة بن ماحث [٢] بن عموصا [٣] بن عزريا بن صفنية [٤] ابن علقمة بن أبي ياسف [٥] بن قارون [٦] بن يصهر [٧] بن قاهث [٨] بن لاوى ابن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم .

٥٦٢٦ – حدثنا بذلك ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، [٩] عن وهب بن منبه .

٥٦٢٧ – حدثني أيضاً المثنى بن إبراهيم قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا إسمعيل بن عبد الكريم قال ، حدثني عبد الصمد بن معقل : أنه سمع وهب بن منبه يقول : هو شمويل ، هو شمويل – ولم ينسبه كما نسبه ابن إسحق . [١٠]

* * *

وقال السدى : بل اسمه شمعون . وقال : إنما سمّى « شمعون » ، لأن أمه دعت الله أن يرزقها غلاماً ، فاستجاب الله لها دعاءها ، فرزقها ، فولدت غلاماً فسمته

---

(١) ﴿ توح ﴾ ، وفى المطبوعة : « يهو صوق » ، وهو خطأ ، وفى المخطوطة « يهو صوف » غير منقوط ، وكلاهما أسقط « بن » بين الكلمتين . والصواب من تاريخ الطبرى . و « توح » مذكور فى كتاب القوم ، فى كتاب صموئيل الأول ، الإصحاح الأول ، برسم : « توحو » .

(٢) ﴿ مَحَث ﴾

(٣) ﴿ عماساى ﴾ والنسب فى كتاب القوم بعد ذلك : « عماساى بن ألقانة بن يوئيل بن عزريا بن صفنيا بن تحث بن أسير بن أبياساف » ، وبعضه لم يذكر فى النسب الذى رواه الطبرى ، وفيما رواه بعد ذلك تقديم وتأخير كما ترى .

(٤) ﴿ صفنيا ﴾ ، وفى المطبوعة والمخطوطة : « صفية » .

(٥) ﴿ أبياساف ﴾ وفى المطبوعة : « أبي ياسق » ، وفى المخطوطة « أبي ياسف »

(٦) ﴿ قورح ﴾

(٧) ﴿ يصهار ﴾

(٨) ﴿ قهات ﴾

(٩) فى المطبوعة والمخطوطة : « عن أبي إسحق » ، وهو خطأ ، وهو إسناد دائر فى الطبرى عن « محمد بن إسحق » صاحب السيرة .

(١٠) فى المخطوطة والمطبوعة : « كما نسبه إسحاق » ، وهو خطأ ظاهر ، وانظر التعليق السالف .

« شمعون » ، تقول : الله تعالى سمع دعائى .

٥٦٢٨ ــ حدثنى [بذلك] موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى . (١)

* * *

فكأن « شمعون » « فعلون » عند السدى ، من قولها : إنه سمع الله دعاءها . (٢)

* * *

٥٦٢٩ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « ألم تر إلى الملأ من بنى إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبى لهم » ، قال : شمؤل . (٣)

* * *

وقال آخرون : بل الذى سأله قومه من بنى إسرائيل أن يبعث لهم ملكاً يقاتلون فى سبيل الله ، يوشع (٤) بن نون بن أفرائيم (٥) بن يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم .

٥٦٣٠ ــ حدثنى بذلك الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ ﴾ ، قال : كان نبيهم الذى بعد موسى يوشع بن نون ، قال : وهو أحد الرجلين اللذين أنعمَ الله عليهما . (٦)

* * *

وأما قوله : « ابعث لنا ملكاً نقاتل فى سبيل الله » ، فاختلف أهل التأويل فى

---

(١) ما بين القوسين زيادة يقتضيها السياق ، كما فى إسناد الأثر السالف .

(٢) فى المطبوعة : « من قولها سمع » أسقط « أنه » وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « شمعون » ، وهو خطأ لا شك فيه ، والصواب ما فى المخطوطة والدر المنثور ١ : ٣١٥ .

(٤) ﴿ يشوع ﴾

(٥) ﴿ أفرايم ﴾ ، وفى المطبوعة « أفرائيم » ، والصواب ما أثبت من التاريخ ١ : ٢٢٥ ، وفى المخطوطة غير منقوطة .

(٦) يعنى المذكورين فى قوله تعالى فى [سورة المائدة : ٢٣] ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عليهما ﴾ ، الآية

السبب الذى من أجله سأل الملأ من بنى إسرائيل نبيَّهم ذلك .

فقال بعضهم : كان سبب مسألتهم إياه ، ما : —

٥٦٣١ — حدثنا به محمد بن حميد قال ، حدثنا سلمة بن الفضل قال ، حدثنى محمد بن إسحق ، عن وهب بن منبه قال : خلف بعد موسى فى بنى إسرائيل يوشع بن نون ، يقيم فيهم التوراة وأمر الله حتى قبضه الله . ثم خلف فيهم كالب بن يوفنا [١] يقيم فيهم التوراة وأمر الله حتى قبضه الله تعالى . ثم خلف فيهم حزقيل [٢] بن بوزى ، وهو ابن العجوز . ثم إن الله قبض حزقيل ، وعظمت فى بنى إسرائيل الأحداث ، ونسوا ما كان من عهد الله إليهم ، حتى نصبوا الأوثان وعبدوها من دون الله . فبعث الله إليهم إلياس [٣] بن نسى [٤] بن فنحاص [٥] بن العيزار [٦] بن هرون بن عمران نبيًّا . وإنما كانت الأنبياء من بنى إسرائيل بعد موسى ، يبعثون إليهم بتجديد ما نسوا من التوراة . وكان إلياس مع ملك من ملوك بنى إسرائيل يقال له أحاب ، [٧] وكان يسمع منه ويصدقه . فكان إلياس يقيم له أمره . وكان سائر بنى إسرائيل قد اتخذوا صنماً يعبدونه من دون الله ، فجعل إلياس يدعوهم إلى الله ، وجعلوا لا يسمعون منه شيئاً ، إلا ما كان من ذلك الملك . والملوك متفرقة بالشام ، كل ملك

٢/٣٧٤

---

(١) ﴿ يَفُنَّة ﴾ وفى المطبوعة : « يوقنا » ، والصواب من المخطوطة والتاريخ ١ : ٢٣٨ .

(٢) ﴿ حزقيال ﴾ فى كتاب القوم .

(٣) ﴿ إيليا ﴾ ، وهو « إيليا التشبى » مذكور فى « الملوك الأول » إصحاح : ١٧ .

(٤) لم أجد نسب « إيليا » ، وقوله : « نسى » لم أجده . وهو فى المخطوطة « سى » غير منقوطة ولا واضحة ، وفى تاريخ الطبرى ١ : ٢٣٩ « إلياس بن ياسين » .

(٥) ﴿ فينحاس ﴾

(٦) ﴿ العازار ﴾

(٧) ﴿ أخآب ﴾ «فى الملوك الأول » الإصحاح : ١٦ ، ١٧ . وهو فى المطبوعة والتاريخ والمخطوطة : « أحاب » ، مهمل الحاء .

له ناحية منها يأكلها.[١] فقال ذلك الملك = الذى كان إلياس معه يقوّم له أمره، ويراه على هُدى من بين أصحابه = يوماً : يا إلياس ، والله ما أرى ما تدعو إليه الناسَ إلا باطلا ! والله ما أرى فلاناً وفلاناً — وعدّد ملوكاً من ملوك بنى إسرائيل[٢] — قد عبدوا الأوثان من دون الله ، إلا على مثل ما نحن عليه، يأكلون ويشربون ويتنعمون مملكين ،[٣] ما ينقص من دنياهم [أمرهم الذى تزعم أنه باطل] ؟[٤] وما نرى لنا عليهم من فضل. فيزعمون —[٥] والله أعلم — أن إلياسَ استرجع وقام شعر رأسه وجلده، ثم رَفضه وخرج عنه . ففعل ذلك الملك فعل أصحابه، عبدَ الأوثان وصنع ما يصنعون .[٦] ثم خلف من بعده فيهم اليَسع ،[٧] فكان فيهم ما شاء الله أن يكون ، ثم قبضه الله إليه . وخلفت فيهم الخلوف ،وعظمت فيهم الخطايا ،وعندهم التابوت يتوارثونه كابراً عن كابر ،فيه السكينة وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون . فكانوا لا يلقاهم عدو فيقدّمون التابوت ويزحفون به معهم،[٨] إلا هزم الله ذلك العدو.[٩] ثم خلف فيهم ملك يقال له إيلاء ،[١٠] وكان الله قد بارك لهم فى جبلهم

---

(١) « يأكلها » أى يغلب عليها ، ويصير له ما لها وخراجها . وفى حديث عمرو بن عنبسة : « ومأكول خير من آكلها » ، المأكول : الرعية — والآكلون : الملوك . وهم يسمون سادة الأحياء الذين يأخذون المرباع وغيره « الآكال » ، وفى الحديث : « أمرت بقرية تأكل القرى » ، هى المدينة ، أى يغلب أهلها بالإسلام على غيرها من القرى .

(٢) فى المطبوعة : « يعدد ملوكاً . . . » وأثبت ما فى المخطوطة ، وفى تاريخ الطبرى : « يعد »

(٣) فى المطبوعة : « مالكين » ، وفى المخطوطة : « ملكين » ، وأثبت ما فى تاريخ الطبرى .

(٤) الزيادة التى بين القوسين من تاريخ الطبرى ، ولا يستقيم الكلام إلا بها .

(٥) فى المطبوعة : « ويزعمون » وأثبت ما فى المخطوطة والتاريخ .

(٦) إلى هذا الموضع رواه الطبرى بإسناده هذا فى تاريخه ١ : ٢٣٩ / ثم الذى يليه فى ١ : ٢٤٠ فصلت بينهما روايات أخرى.

(٧) ﴿ أليشع ﴾ فى كتاب القوم .

(٨) فى المطبوعة والمخطوطة : « وكانوا . . . » ، وأثبت ما فى التاريخ ، فهو أجود .

(٩) بعد هذا فى التاريخ ما نصه : « والسكينة — فيما ذكر ابن إسحق ، عن وهب بن منبه ، عن بعض أهل العلم من بنى إسرائيل — رأس هرة ميتة ، فإذا صرخت فى التابوت بصراخ هر ، أيقنوا بالنصر وجاءهم الفتح » .

(١٠) ﴿ عالى ﴾ فى كتاب القوم وفى تاريخ الطبرى « إيلاف » . والمرجح أن الذى فى المطبوعة

من إيليا ، لا يدخله عليهم عدو ، ولا يحتاجون معه إلى غيره . وكان أحدهم — فيما يذكرون — يجمع التراب على الصخرة ، ثم ينبذ فيه الحب ، فيخرج الله له ما يأكل سنَته هو وعياله . ويكون لأحدهم الزيتونة ، فيعتصر منها ما يأكل هو وعياله سنتَه . فلما عظمت أحداثهم ، وتركوا عهد الله إليهم ، نزل بهم عدو فخرجوا إليه ، وأخرجوا معهم التابوت كما كانوا يخرجونه ، ثم زحفوا به ، فقوتلوا حتى استُلب من بين أيديهم . فأتى ملكهم إيلاء فأخبر أنّ التابوت قد أخذ واستلب ، فمالت عنقه ، فمات كمداً عليه . فمرج أمرهم عليهم ،[1] ووطئهم عدوهم ، حتى أصيب من أبنائهم ونسائهم.[2] وفيهم نبيّ لهم قد كان الله بعثه إليهم ، فكانوا لا يقبلون منه شيئاً ، يقال له « شَمْويل » ،[3] وهو الذى ذكر الله لنبيه محمد : « ألم تر إلى الملأ من بنى إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبيّ لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل فى سبيل الله » إلى قوله « وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا » ، يقول الله : « فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم » إلى قوله : « إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين » .

= قال ابن إسحق : فكان من حديثهم فيما حدثنى به بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه : أنه لما نزل بهم البلاء ووطئت بلادهم ، كلموا نبيهم شمويل بن بالى فقالوا : « ابعث لنا ملكاً نقاتل فى سبيل الله » . وإنما كان قِوام بنى إسرائيل الاجتماع على الملوك ، وطاعة الملوك أنبياءهم . وكان الملك هو يسير بالجموع ، والنبى يقوّم له أمره ويأتيه بالخبر من ربه . فإذا فعلوا ذلك صلح أمرهم ، فإذا عتت ملوكهم وتركوا أمر أنبيائهم فسد أمرهم . فكانت الملوك إذا تابعتها الجماعة على الضلالة تركوا أمر

والمخطوطة هو الصواب ، لقربه من لفظ « عالى » وإن كان الطبرى قد ذكر فى تاريخه ١ : ٢٤٣ « عيل » ، . وعالى ، من عظماء كهنة بنى إسرائيل وقضى لهم أربعين سنة . وخبر موت عالى عند استلاب التابوت ، مذكور فى كتاب القوم فى كتاب « صموئيل الأول » الإصحاح الرابع .

(١) فى تاريخ الطبرى : « فرج أمرهم بينهم » . ومرج الأمر : اختلط والتبس واضطرب فى الفتنة .

(٢) إلى هذا الموضع ، انتهى ما رواه الطبرى فى التاريخ ١ : ٢٤٠ — ٢٤١ .

(٣) ﴿ صموئيل ﴾ فى كتاب القوم .

الرسل ، ففريقاً يكذّبون فلا يقبلون منه شيئاً ، وفريقاً يقتلون . فلم يزل ذلك البلاء بهم حتى قالوا له : « ابعث لنا ملكاً نقاتل فى سبيل الله» . فقال لهم : إنه ليس عندكم وفاء ولا صدق ولا رغبةٌ فى الجهاد . فقالوا : إنما كنا نهاب الجهاد ونزهد فيه ، أنّا كنا ممنوعين فى بلادنا لا يطؤها أحد ، فلا يظهر علينا فيها عدو ، فأما إذ بلغ ذلك ، فإنه لا بد من الجهاد ، فنطيع ربنا فى جهاد عدونا ، ونمنع أبناءنا ونساءنا وذرارينا . ٢/٣٧٥

٥٦٣٢ — حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « ألم تر إلى الملأ من بنى إسرائيل » إلى « والله عليم بالظالمين» ، قال الربيع : ذُكر لنا — والله أعلم — أنّ موسى لما حضرته الوفاة ، استخلف فتاهُ يوشع بن نون على بنى إسرائيل ، وأن يوشع بن نون سار فيهم بكتاب الله التوراة وسُنة نبيه موسى . ثم إنّ يوشع بن نون توفى ، واستخلف فيهم آخر ، فسار فيهم بكتاب الله وسنة نبيه موسى صلى الله عليه وسلم . ثم استخلف آخر فسا فيهم بسيرة صاحبيه . ثم استخلف آخر فعرفوا وأنكروا . ثم استخلف آخر ، فأنكروا عامة أمره . ثم استخلف آخر فأنكروا أمره كله . ثم إن بنى إسرائيل أتوا نبيًّا من أنبيائهم حين أوذوا فى أنفسهم وأموالهم ،[1] فقالوا له : سل ربك أن يكتب علينا القتال ! فقال لهم ذلك النبى : « هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا » ، إلى قوله : « والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسعٌ عليم » .

٥٦٣٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج فى قوله : « ألم تر إلى الملأ من بنى إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبىّ لهم ابعث لنا ملكاً » ، قال قال ابن عباس : هذا حين رفعت التوراة واستُخرج أهل الإيمان ، وكانت الجبابرة قد أخرجتهم من ديارهم وأبنائهم .[2]

---

(١) فى المطبوعة : « فى نفوسهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) استخرج (بالبناء للمجهول) : حمل على الخروج من بلاده . وهذا لفظ لم يذكره أصحاب المعاجم ، وهو عربية محققة .

٥٦٣٤ ــ حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « إذ قالوا لنبىّ لهم ابعث لنا ملكاً » ، قال : هذا حين رفعت التوراة واستُخرج أهل الإيمان.

* * *

وقال آخرون : كان سبب مسئلتهم نبيَّهم ذلك ، ما :ــ

٥٦٣٥ ــ حدثنى به موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال،حدثنا أسباط، عن السدى : « ألم تر إلى الملأ من بنى إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبىّ لهم بعث لنا ملكاً نقاتل فى سبيل الله »، قال : كانت بنو إسرائيل يقاتلون العمالقة، وكان ملك العمالقة جالوت ،(١) وأنهم ظهروا على بنى إسرائيل فضربوا عليهم الجزية وأخذوا توراتهم . وكانت بنو إسرائيل يسألون الله أن يبعث لهم نبيًّا يقاتلون معه . وكان سِبْط النبوة قد هلكوا، فلم يبق منهم إلا امرأة حبلى ، فأخذوها فحبسوها فى بيتٍ، رهبةَ أن تلد جارية فتبدلها بغلام،لما ترى من رَغبة بنى إسرائيل فى ولدها . فجعلت المرأة تدعو الله أن يرزقها غلاماً ، فولدت غلاماً فسمته شمعون .(٢) فكبر الغلام،فأسلمته يتعلم التوراة فى بيت المقدس،(٣) وكفله شيخ من علمائهم وتبناه. فلما بلغ الغلام أن يبعثه الله نبيًّا، أتاه جبريل والغلام نائم إلى جنب الشيخ = وكان لا يتَّمِن عليه أحدًا غيره =(٤) فدعاه بلحن الشيخ: « ياشماول !»،(٥) فقام

---

(١) ﴿ جُلْيات ﴾ فى كتاب القوم .

(٢) فى تاريخ الطبرى بعد قوله شمعون : « تقول : الله سمع دعائى » . وانظر الأثر السالف رقم : ٥٦٢٨ وما قبله وما بعده .

(٣) فى المطبوعة : « فأرسلته يتعلم » ، وأثبت ما فى المخطوطة والتاريخ .

(٤) فى المطبوعة : « لا يأتمن » ، وفى تاريخ الطبرى مطبوعة مصر : « لايتتمن » وفى الأوربية والمخطوطة : « لا يتمن » . وأمنه وأمنه وائتمنه واتمنه (بتشديد التاء) سواء ، وانظر تعليق صاحب اللسان على قول من قال إن الأخيرة نادرة .

(٥) اللحن : اللغة واللهجة . وفى التاريخ : « شمويل » ، وظاهر هذا الخبر يدل على أن « شمعون » هو « شمويل » وأنهما لغتان بمعنى واحد . وانظر الآثار السالفة ٥٦٢٦ – ٥٦٢٩ ، والتعليقات عليها .

الغلام فزعاً إلى الشيخ ، فقال : يا أبتاه ، دعوتنى ؟ فكره الشيخ أن يقول : « لا » فيفزع الغلام ، فقال : يا بنى ارجع فنم ! فرجع فنام . ثم دعاه الثانية ، فأتاه الغلام أيضاً فقال : دعوتنى ؟ فقال : ارجع فنم ، فإن دعوتك الثالثة فلا تجبنى ! فلما كانت الثالثة ، ظهر له جبريل فقال : اذهب إلى قومك فبلّغهم رسالة ربك ، فإن الله قد بعثك فيهم نبيًّا . فلما أتاهم كذبوه وقالوا : استعجلت بالنبوة ولم تئن لك ! [1] وقالوا : إن كنت صادقاً فابعث لنا ملكاً نقاتل فى سبيل الله ، آيةً من نبوتك ! فقال لهم شمعون : عسى إن كُتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا . [2]

* * *

قال أبو جعفر : وغيرُ جائز فى قول الله تعالى ذكره : « نقاتل فى سبيل الله » إذا قرئ « بالنون » غير الجزم ، على معنى المجازاة وشرط الأمر . فإن ظنّ ظان أن الرفع فيه جائزٌ وقد قرئ بالنون ، بمعنى : الذى نقاتل به فى سبيل الله ، [3] ٢/٣٧٦ فإن ذلك غيرُ جائزٍ . لأن العرب لا تضمر حرفين . [4] ولكن لو كان قرئ ذلك « بالياء » لجاز رفعه ، لأنه يكون لو قرئ كذلك صلة لـ « الملك » ، فيصير تأويل الكلام حينئذ : ابعث لنا الذى يُقاتل فى سبيل الله ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ ﴾ ، [سورة البقرة : ١٢٩] ، لأن قوله : « يتلو » من صلة الرسول . [5]

* * *

---

(١) فى المطبوعة « ولم تنل لك » ، وهو تصحيف . وفى تاريخ الطبرى : « ولم تبالك » ، من المبالاة ، وهى ليست بشىء . وفى الدر المنثور : « ولم يأن لك » ، وفى المخطوطة : « ولم تنل لك » وظاهر أنها « تئن » . من « آن يئين أيناً » : أى حان . مثل « أنى لك يأنى » ، بمعناه ، أى لم تبلغ بعد أوان أن تكون نبياً .

(٢) الأثر : ٥٦٣٥ — فى تاريخ الطبرى ١ : ٢٤٢ ، والدر المنثور ١ : ٣١٥ ، وفى المطبوعة ختم الأثر بقوله : « والله أعلم » ، وهى زيادة من ناسخ لا معنى لها هنا ، وليست فى المخطوطة .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « الذى نقاتل » بحذف « به » ، وهو خطأ يدل عليه السياق ، وما جاء فى معانى القرآن للفراء ١ : ١٥٧ .

(٤) يعنى « الذى » و « به » .

(٥) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ١٥٧ — ١٦٢ ، فهو قد استوعب القول فى هذه القراءة ، وفى هذا الباب من العربية . و« الصلة » : التابع ، كالنعت والحال ، ويعنى به نعت النكرة ، هنا .

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٢٤٦)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : قال النبي الذى سألوه أن يبعث لهم ملكاً يقاتلوا فى سبيل الله : « هل عسيتم » ، هل تعدون[1] « إن كُتب » ، يعنى : إن فُرض عليكم القتال[2] = « ألا تقاتلوا » ، يعنى : أن لا تفوا بما تعدون الله من أنفسكم ، من الجهاد فى سبيله ، فإنكم أهل نَكْث وغدْر وقلة وفاء بما تعدون؟ = « قالوا وما لنا ألا نقاتل فى سبيل الله » ، يعنى : قال الملأ من بنى إسرائيل لنبيهم ذلك : وأىّ شىء يمنعنا أن لا نقاتل فى سبيل الله عدوّنا وعدو الله = « وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا » ، بالقهر والغلبة ؟

* * *

فإن قال قائل : ما وجه دخول « أن » فى قوله : « وما لنا ألا نقاتل فى سبيل الله » ، وحذفه من قوله : ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ ﴾؟ [سورة الحديد : ٨]

قيل : هما لغتان فصيحتان للعرب : تحذف « أن » مرة مع قولها :[3] « مالك » ، فتقول : « مالك لا تفعل كذا » ، بمعنى : مالك غيرُ فاعله ، كما قال الشاعر :

* مَالَكِ تَرْغِينَ وَلَا تَرْغُو الخَلِفْ *[4]

---

(١) انظر هذا التفسير فى مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٧٧ .

(٢) انظر معنى « كتب » فيما سلف ٣ : ٣٥٧ ، ٣٦٤ — ٣٦٥ ، ٤/٤٠٩ : ٢٩٧ .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « مع قولنا » ، والسياق الآتى يقتضى ما أثبت

(٤) لم أعرف قائله ، وإن كنت أذكر أنى قرأته مع أبيات أخر من الرجز . وهو فى معانى القرآن للفراء ١ : ١٦٣ ، واللسان (خلف) . والخلفة (بفتح الخاء وكسر اللام) الناقة الحامل ، وجمعها خلف ، وهو نادر ، وهذا البيت شاهده ، وإنما الجمع السائر أن يقال للنوق الحوامل « مخاض » ، كقولهم : « امرأة »

وذلك هو الكلامُ الذى لاحاجة بالمتكلم به إلى الاستشهاد على صحته ، لفشُوّ ذلك على ألسن العرب .

= وتثبت « أن » فيه أخرى ، توجيهاً لقولها : « مالك » إلى معناه ، إذ كان معناه : ما منعك ؟ كما قال تعالى ذكره : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٢] ، ثم قال فى سورة أخرى فى نظيره : ﴿ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾ [سورة : الحجر : ٣٢] ، فوضع « ما منعك » موضع « مالك » ، و « مالك » موضع « ما منعك » ، لاتفاق معنييهما ، وإن اختلفت ألفاظهما ، كما تفعل العرب ذلك فى نظائره مما تتفق معانيه وتختلف ألفاظه ، كما قال الشاعر : (١)

يَقُولُ إِذَا اقْلَوْلَى عَلَيْهَا وَأَقْرَدَتْ : أَلَا هَلْ أَخُو عَيْشٍ لَذِيذٍ بِدَائِمِ ؟ (٢)

ونسوة » ، وهذا الراجز يقول لناقته : ما رغاؤك ، والحوامل لا ترغو ؟ يعنى أنها إنما ترغو حنيناً إلى بلاده وبلادها ، حيث فارق من كان يحب ، كما قال الشماطيط الغطفانى لناقته :

أَرَارَ اللهُ مُخَّكِ فِى السُّلَامَى إِلَى مَنْ بِالْحَنِينِ تَشَوَّقِينَا ! !
فَإِنِّى مِثْلُ مَا تَجِدِينَ وَجْدِى ، وَلَكِنِّى أُسِرُّ وَتُعْلِنِينَا !
وَبِى مِثْلُ الَّذِى بِكِ ، غَيْرَ أَنِّى أَجِلُّ عَنِ الْعِقَالِ ، وَتُعْقَلِينَا !

هذا ، وقد كان فى المطبوعة « مالك ترعين ولا ترعوا الخلف » ، وهو فى المخطوطة على الصواب ، ولكنه غير منقوط كعادة ناسخها فى كثير من المواضع .

(١) هو الفرزدق .

(٢) ديوانه : ٨٦٣ ، والنقائض : ٧٥٣ ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ١٦٤ ، واللسان (قرد) (قلا) (هلل) يهجو جريراً ، ويعرض بالبعيث ، وقبله ، يعرض بأن قوم جرير ، وهم كليب بن يربوع ، كان يغشون الأتن :

وَلَيْسَ كُلَيْبِيٌّ ، إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ إِذَا لَمْ يَجِدْ رِيحَ الْأَتَانِ ، بِنَائِمِ
يَقُولُ — إِذَا اقْلَوْلَى . . . . . .

وفى المطبوعة : « تقول » . وقد شرحه ابن برى على هذه الرواية شرحاً فاسداً جداً فى اللسان فى (قرد) ، وشرحه ابن الأعرابى أيضاً فى (قلا) على هذه الرواية ، فكان أيضاً شرحاً شديد الفساد . وزعم أنه أراد امرأة يزنى بها . والصواب أنه أراد ما ذكرت من غشيان إناث الحمير ، لا إناث البشر ! !

وقوله : « اقلولى » أى : علا على ظهرها مستوفزاً قلقاً لا يستقر ، واختيار الفرزدق لهذا الحرف عجب

فأدخل فى « دائم » « الباء » مع « هل » ، وهى استفهام . وإنما تدخل فى خبر « ما » التى فى معنى الجحد ، لتقارب معنى الاستفهام والجحد.[١]

* * *

وكان بعض أهل العربية يقول:[٢] أدخلت « أن » فى « ألا تقاتلوا » ، لأنه بمعنى قول القائل : مالك فى ألا تقاتل . ولو كان ذلك جائزاً ، لجاز أن يقال : « مالك أن قمت = ومالك أنك قائم » ، وذلك غير جائز . لأن المنع إنما يكون للمستقبل من الأفعال ، كما يقال : « منعتك أن تقوم » ولا يقال : « منعتك أن قمت » ، فلذلك قيل فى « مالك » : « مالك ألا تقوم » ولم يقل : « مالك أن قمت » .

* * *

وقال آخرون منهم :[٣] « أن » ههنا زائدة بعد « ما لنا » ، كما تزاد « لما » و « لو » ،[٤] وهى تزاد فى هذا المعنى كثيراً . قال : ومعناه : ومالنا لا نقاتل فى سبيل الله ؟ فأعمل « أن » وهى زائدة ، وقال الفرزدق :

لَوْ لَمْ تَكُنْ غَطَفَانُ لَا ذَنُوبَ لَهَا إِذَنْ لَلَامَ ذَوُو أَحْسَابِهَا عُمَرَا[٥]

من العجب فى تصوير ما أراد . وأقرد الرجل وغيره : سكن وتماوت . يريد أن الأتان قد رضيت فأسمحت فسكنت له . فلما بلغ ذلك منه ومنها قال : « ألا هل أخو عيش لذيذ بدائم » ، يكشف عن شدة حبه وشغفه بذلك ، وأنه يأسف ويتحسر على أنه أمر ينقضى ولا يدوم . وقد زعموا أن « هل » هنا بمعنى الجحد أى ليس أخو عيش لذيذ بدائم . (اللسان : هلل) .

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ١٦٣ — ١٦٤ ، وقد استوفى الكلام فيما فتحه الطبرى .

(٢) هو الكسائى ، كما صرح به الفراء فى معانى القرآن ١ : ١٦٥ .

(٣) هو أبو الحسن الأخفش ، كما يتبين من تفسير أبى حيان والقرطبى والمغنى .

(٤) فى المطبوعة : « زائدة بعد فلما ولما ولو » ، وهو تخليط . وفى المخطوطة « بعد ملميا . . . » مضطربة الكتبة ، فالصواب عندى أن تكون : « مالنا » ، ولما أخطأ الناسخ الكتابة والقراءة ، حذف « كما تزاد » ، وهذا هو صواب المعنى والحمد لله .

(٥) ديوانه : ٢٨٣ ، وسيأتى فى التفسير ٩ : ١٥٦ ، والخزانة ٢ : ٨٧ ، والعينى (الخزانة) ٢ : ٣٢٢ يهجو عمر بن هبيرة الفزارى وهو أحد الأمراء وعمال سليمان بن عبد الملك . وقومه . فزارة ابن ذبيان ، من ولد غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر . وهو شعر جيد فى بابه ، وقبل البيت أبيات منها :

والمعنى : لو لم تكن غطفان لها ذنوب = « ولا » زائدة فأعملها . (١)

= وأنكر ما قالَ هذا القائلُ من قوله الذى حكينا عنه، آخرون . وقالوا : غير ٢/٣٧٧
جائز أن تجعل « أن » زائدة فى الكلام وهو صحيح فى المعنى وبالكلام إليه الحاجة
قالوا : والمعنى : ما يمنعنا ألا نقاتل — فلا وجه لدعوى مدَّعٍ أنَّ « أن » زائدة ،
معنى مفهوم صحيح . قالوا وأما قوله :

«لَوْ لَمْ تَكُنْ غَطَفَانُ لَا ذَنُوبَ لَهَا »

يا قَيْسَ عَيْلَانَ، إِنِّى كُنْتُ قُلْتُ لَكُمْ يَا قيسَ عَيْلَانَ : أَنْ لَا تُسْرِعُوا الضَّجَرَا
إِنِّى مَتَى أَهْجُ قَوْمًا لا أَدَعْ لَهُمُ سَمْعًا ، إِذَا اسْتَمَعُوا صَوْتِى ، ولا بَصَرَا

ثم قال بعد أبيات :

لَوْ لَمْ تَكُنْ غَطَفَانُ . . . . . .

هذا وجميع من رأيت يذهب إلى أن «الذنوب» جمع « ذنب »، وهو عندى ليس بشىء، وإنما انحطوا فى آثار الأخفش، حين استشهد بالبيت على إعمال « لا » الزائدة . وصواب البيت عندى ﴿لَا ذَنُوبَ لَهَا﴾ وليس فى البيت شاهد عندئذ . والظاهر أن الأخفش أخطأ فى الاستشهاد به . والذنوب (بفتح الذال) : الحظ والنصيب ، وأصله الدلو الملأى . وهو بهذا المعنى فى قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾ ، أى حظاً من العذاب . قال الفراء: « الذنوب الدلو العظيمة ، ولكن العرب تذهب به إلى الحظ والنصيب» . وقال الزمخشرى : «ولهم ذنوب من كذا » أى نصيب، قال عمرو ابن شأس :

وَفِى كُلِّ حَيٍّ قَدْ خَبَطْتَ بِنِعْمَةٍ فَحُقَّ لِشَأْسٍ من نَدَاكَ ذَنُوبُ

أقول : يقول الفرزدق : لو لم تكن غطفان خسيسة لاحظ لها من الشرف والحسب والمروءة — « إذن للام ذوو أحسابها عمرا » . وبذلك يبرأ البيت من السخف ومن تكلف النحاة . هذا وانظر هجاء الفرزدق لعمر بن هبيرة فى طبقات فحول الشعراء : ٢٨٧ — ٢٨٨ وقوله :

فَسَدَ الزَّمَانُ وَبُدِّلَتْ أَعْلَامُهُ حَتَّى أُمَيَّةُ عَنْ فَزَارَةَ تَنْزِعُ

يقول: تبدلت الدنيا، حتى صارت أمية تحتمى بفزارة وتصدر عن رأيها . يتعجب من ذلك لخسة فزارة عنده .

(١) استشهد بهذا على إعمال الزائد وهو « لا » ، كما أعملت « أن » فى الآية .

= فإن « لا » غيرُ زائدة فى هذا الموضع ، لأنه جحد ، والجحد إذا جُحد صار إثباتاً . قالوا : فقوله : « لو لم تكن غطفان لا ذنوب لها » ، إثبات الذنوب لها ، كما يقال : « ما أخوك ليس يقوم » ، بمعنى : هو يقوم .

* * *

وقال آخرون : معنى قوله : « ما لنا ألا نقاتل » : ما لنا ولأن لا نقاتل ، ثم حذفت « الواو » فتركت ، كما يقال فى الكلام : « مالك ولأن تذهب إلى فلان » ، فألقى منها « الواو » ، لأن « أن » حرف غير متمكن فى الأسماء . وقالوا : نُجيز أن يقال : « مالك أن تقوم » ، ولا نُجيز : « مالك القيام » ، لأن القيام اسم صحيح « وأن » اسم غير صحيح . وقالوا : قد تقول العرب : « إياك أن تتكلم » ، بمعنى : إياك وأن تتكلم .

* * *

وأنكر ذلك من قولهم آخرون وقالوا : لو جاز أن يقال ذلك على التأويل الذى تأوله قائل من حكينا قوله ، لوجب أن يكون جائزاً : « ضربتك بالجارية وأنت كفيل » ، بمعنى : وأنت كفيل بالجارية = وأن تقول : « رأيتك إيانا و تريد » ، بمعنى : « رأيتك وإيانا تريد » . [1] لأن العرب تقول : « إياك بالباطل تنطق » ، قالوا : فلو كانت « الواو » مضمرة فى « أن » ، لجاز جميع ما ذكرنا ، ولكن ذلك غير جائز ، لأن ما بعد « الواو » من الأفاعيل غير جائز له أن يقع على ما قبلها ، [2] واستشهدوا على فساد قول من زعم أن « الواو » مضمرة مع « أن » بقول الشاعر :

فَبُحْ بالسَّرَائِرِ فِى أَهْلِهَا وَإِيَّاكَ فِى غَيْرِهِمْ أَنْ تَبُوحَا [3]

---

(١) فى المطبوعة : « رأيتك أبانا ويزيد » ، بمعنى : رأيتك وأبانا يزيد » ، وهو كلام ساقط هالك . والصواب من المخطوطة ، وإن كان غير منقوط الحروف ، ومن معانى القرآن للفراء ١ : ١٦٥.

(٢) « الأفاعيل » الأفعال . ووقوعها على ماقبلها ، إما بالعمل فيه أو بالتعلق به .

(٣) لم أعرف قائله ، وهو فى معانى القرآن للفراء ١ : ١٦٥ ، والسرائر جمع سريرة ، والسريرة : السر هنا

= وأنّ « أن تبوحا »، لو كان فيها « واو » مضمرة، لم يجز تقديم « فى غيرهم» عليها .(١)

* * *

وأما تأويل قوله : « وقد أخرِجنا من ديارنا وأبنائنا » ، فإنه يعنى : وقد أخرج من غُلب عليه من رجالنا ونسائنا من ديارهم وأولادهم ، ومن سُبى . وهذا الكلام ظاهره العموم وباطنه الخصوص ، لأن الذين قالوا لنبيهم : « ابعث لنا ملكاً نقاتل فى سبيل الله »، كانوا فى ديارهم وأوطانهم ، وإنما كان أخرج من داره وولده من أسِر وقُهر منهم .

* * *

وأما قوله : « فلما كُتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم » ، يقول : فلما فرض عليهم قتالُ عدوهم والجهادُ فى سبيله = « تولوا إلا قليلاً منهم » ، يقول : أدبروا مولّين عن القتال، وضيعوا ما سألوه نبيهم من فرض الجهاد .

والقليل الذين استثناهم الله منهم ، هم الذين عبروا النهر مع طالوت. وسنذكر سبب تولى من تولّى منهم ، وعبور من عبر منهم النهر بعدُ إن شاء الله ، إذا أتينا عليه .

* * *

يقول الله تعالى ذكره : « والله عليم بالظالمين » ، يعنى : والله ذو علم بمن ظلم منهم نفسه، فأخلف الله ما وعده من نفسه ، وخالف أمرَ ربه فيما سأله ابتداءً أن يوجبه عليه .

* * *

وهذا من الله تعالى ذكره تقريعٌ لليهود الذين كانوا بين ظهرانَىْ مُهاجَر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى تكذيبهم نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم ، ومخالفتهم أمر ربهم . يقول الله تعالى ذكره لهم: إنكم، يا معشر اليهود، عصيتم الله وخالفتم أمره فيما سألتموه أن يفرضه عليكم ابتداء، من غير أن يبتدئكم ربكم بفرض ما عصيتموه

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « تقديم غيرهم » بإسقاط « فى » ، والصواب من معانى القرآن للفراء ١ : ١٦٦ ، وقد استوفى الكلام فى ذلك ، وكأن ما هنا منقول عنه بنصه .

فيه ، فأنتم بمعصيته — فيما ابتدأكم به من إلزام فرضه — أحرى.

* * *

وفى هذا الكلام متروك قد استُغنى بذكر ما ذكر عما ترك منه . وذلك أن معنى الكلام : « قالوا : وما لنا ألا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا » = فسأل نبيُّهم ربَّهم أن يبعث لهم ملكاً يقاتلون معه فى سبيل الله ، فبعث لهم ملكاً ، وكتب عليهم القتال = « فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم والله عليم بالظالمين » . ٢/٣٧٨

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : وقال للملأ من بنى إسرائيل نبيُّهم شمويل : إن الله قد أعطاكم ما سألتم ، وبعث لكم طالوت ملكاً . فلما قال لهم نبيهم شمويل ذلك ، قالوا : أنّى يكون لطالوت الملك علينا ، وهو من سبط بنيامين ابن يعقوب = وسبط بنيامين سبطٌ لا مُلك فيهم ولا نبوَّة = ونحن أحق بالملك منه ، لأنَّا من سبط يهوذا بن يعقوب = « ولم يؤت سعة من المال » ، يعنى : ولم يؤت طالوت كثيراً من المال ، لأنه سقَّاء = وقيل : كان دبَّاغاً .

* * *

وكان سببُ تمليك الله طالوتَ على بنى إسرائيل ، وقولهم ما قالوا لنبيهم شمويل : « أنّى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال »؟ ما : —

٥٦٣٦ — حدثنا به ابن حميد قال، حدثنا سلمة بن الفضل قال ، حدثنى محمد بن إسحق قال ، حدثنى بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه قال : لما قال الملأ من بنى إسرائيل لشمويل بن بالى ما قالوا له ،سأل اللهَ نبيُّهم شمويل أن يبعث

لهم ملكاً ، فقال الله له : انظر القَرْن الذى فيه الدُّهن فى بيتك ، [١] فإذا دخل عليك رجل فنشَّ الدهن الذى فى القَرْن ، [٢] فهو ملك بنى إسرائيل ، فادْهن رأسَهُ منه وملِّكه عليهم ، وأخبره بالذى جاءه — [٣] فأقام ينتظر متى ذلك الرجل داخلاً عليه . [٤] وكان طالوت رجلاً دبَّاغاً يعمل الأدم ، [٥] وكان من سبط بنيامين ابن يعقوب . وكان سبطُ بنيامين سبطاً لم يكن فيهم نبوة ولا ملك . فخرج طالوت فى طلب دابة له أضلَّته ، [٦] ومعه غلام له . فمرَّا ببيت النبى عليه السلام ، فقال غلام طالوت لطالوت : لو دخلتَ بنا على هذا النبىّ فسألناه عن أمرَ دابَّتنا ، فيرشدنا ويدعو لنا فيها بخير ! فقال طالوت . ما بما قلت من بأس ! فدخلا عليه ، فبينما هما عنده يذكران له شأن دابتهما ويسألانه أن يدعو لهما فيها ، إذ نَشَّ الدهن الذى فى القرن ، فقام إليه النبى عليه السلام فأخذه ، ثم قال لطالوت : قرِّب رأسَك ! فقرَّبه ، فدهنه منه ، ثم قال : أنتَ ملك بنى إسرائيل الذى أمرنى الله أن أملِّكك عليهم ! = وكان اسم « طالوت » بالسريانية : شاول [٧] بن قيس بن

---

(١) القرن : قرن الثور وغيره ، وكأنه أراد هنا : القنينة التى يكون فيها الدهن والطيب ، وكأنهم كانوا يتخذونها من قرون البقر وغيرها ، وقد سموا المحجمة التى يحتجم بها « قرناً » ولم أجد هذا الحرف بهذا المعنى فى كتب اللغة ، ولكنه صحيح كما رأيت .

(٢) نش الماء ينش نشاً : ونشيشاً : صوت عند الغليان .

(٣) فى المخطوطة « بالذى حاه » غير منقوطة ، ولولا أن التى فى المطبوعة ، صواب أيضاً ، لقلت إنها : « بالذى حباه الله » ، يعنى الملك .

(٤) هكذا جاءت هذه الجملة فى المطبوعة والمخطوطة والدر المنثور ١ : ٣١٥ . وأخشى أن تكون « متى » زائدة ، أو تكون « مأتى ذلك الرجل . . . »

(٥) الأدم جمع أديم . وهو جمع عزيز ، وقال سيبويه : هو اسم للجمع . قال التوزى : « الجلد أول ما يدبغ فهو أديم ، فإذا رد فى الدباغ مرة أخرى فهو اللديم » .

(٦) يقال : أضله الأمر : إذا ذهب عنه وفارقه فلم يقدر عليه . وهذا من عجيب العربية . وفى المخطوطة : « أطلته » ، وهو خطأ ، والصواب ما فى المطبوعة والدر المنثور .

(٧) فى المخطوطة والمطبوعة : « شادل » . والصواب من التاريخ ١ : ٢٤٧ ، والدر المنثور ١ : ٣١٥ ، وهو كذلك فى كتاب القوم .

أبيال[١] بن ضرار[٢] بن يحرب[٣] بن أفيح بن آيس[٤] بن بنيامين بن يعقوب ابن إسحق بن إبراهيم = فجلس عنده، وقال الناس: مُلِّك طالوت ! ! فأتت عظماء إسرائيل نبيَّهم وقالوا له : ما شأن طالوت يملك علينا ، وليس فى بيت النبوة المملكة ؟ قد عرفتَ أن النبوة والملك فى آل لاوى وآل يهوذا ! فقال لهم : « إن الله اصطفاهُ عليكم وزاده بسطةً فى العلم والجسم ».

٥٦٣٧ — حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا إسمعيل بن عبدالكريم، عن عبد الصمد بن معقل، عن وهب بن منبه قال: قالت بنو إسرائيل لأشمويل: [٥] ابعث لنا ملكاً نقاتل فى سبيل الله ! قال : قد كفاكم الله القتال ! قالوا : إنا نتخوَّف مَنْ حولنا، فيكون لنا ملك نفزع إليه! فأوحى الله إلى أشمويل: أن ابعث لهم طالوتَ ملكاً ، وادهنه بدُهن القدُس . فضلَّت حُمُرٌ لأبى طالوت ، [٦] فأرسله وغلاماً له يطلبانها ، فجاءا إلى أشمويل يسألانه عنها ، [٧] فقال : إن الله قد بعثك ملكاً على بنى إسرائيل . قال : أنا ؟ قال : نعم ! قال : أو ما علمتَ أن سبطى أدنى أسباط بنى إسرائيل ؟ [٨] قال : بلى ! قال : أفما علمتَ أن قبيلتى أدنى قبائل سبطى ؟ ! قال : بلى ! قال : أما علمت أن بيتى أدنى بيوت قبيلتى ؟ قال :

---

(١) ﴿ أبيئيل ﴾ فى كتاب القوم .

(٢) ﴿ صرور ﴾ فى كتاب القوم .

(٣) ﴿ بكورة ﴾ فى كتاب القوم ، وفى التاريخ « بحرت » ، وكأنها الصواب .

(٤) لم أجده فى كتاب القوم ، وفى التاريخ ﴿ أيش ﴾

(٥) فى تاريخ الطبرى ١ : ٢٤٤ « لأشمويل » ، وفيما سيأتى بعد « أشمويل » فى سائر المواضع . وكذلك فى المخطوطة ، أما المطبوعة ، فكان فيها « لشمويل » ، وفى سائر المواضع « شمويل » فأثبت ما فى المخطوطة والتاريخ .

(٦) فى المطبوعة : « وضلت » ، وأثبت ما فى المخطوطة والتاريخ .

(٧) فى المخطوطة والمطبوعة : « فجاؤوا . . . يسألونه عنها »، والصواب ما فى التاريخ كما أثبته.

(٨) فى المخطوطة والمطبوعة : « وما علمت » وأثبت ما فى التاريخ ، وهو مقتضى السياق .

بلى ! قال : فبأيّةِ آية ؟ قال : بآية أنك ترجع وقد وجد أبوك حُمره ، وإذا كنت بمكان كذا وكذا نزل عليك الوحى ! فدهنه بدُهن القدُس . فقال لبنى إسرائيل : « إنّ اللهَ قد بعثَ لكمْ طالوتَ ملِكاً قالوا أنّى يكونُ له الملكُ علينا ونحنُ أحقُّ بالملك منهُ ولم يؤتَ سعةً من المال قالَ إنّ الله اصطفاه عليكمْ وزاده بسطة فى العلم والجسم » . ٣٧٩/٢

٥٦٣٨ — حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال: لما كذّبت بنو إسرائيل شمعون ، [١] = وقالوا له : إن كنت صادقاً ، فابعث لنا ملكاً نقاتل فى سبيل الله آيةً من نبوتك . قال لهم شمعون : عسى إن كُتب عليكم القتال ألا تقاتلوا ؟ « قالوا وما لنا ألا نقاتل فى فى سبيل الله » الآية = دعا الله ، فأتِى بعصاً تكون مقداراً على طول الرجل الذى يُبعث فيهم ملكاً ، فقال : إن صاحبكم يكون طوله طول هذه العصا ، فقاسوا أنفسهم بها فلم يكونوا مثلها . وكان طالوت رجلاً سقّاء يسقى على حمار له ، فضلّ حماره ، فانطلق يطلبه فى الطريق . فلما رأوه دعوه فقاسوه بها ، فكان مثلها ، فقال لهم نبيهم : « إنّ الله قد بعث لكم طالوت ملكاً » . قال القوم : ما كنتَ قط أكذبَ منك الساعة ! ونحن من سبط المملكة، وليس هو من سبط المملكة، ولم يؤتَ سعةً من المال فنتبعه لذلك ! فقال النبى : « إنّ الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم » . [٢]

٥٦٣٩ — حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازى قال ، حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال ، حدثنا شريك، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة قال: كان طالوت سقّاء يبيع الماء .

٥٦٤٠ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : بعث الله طالوت ملكاً ، وكان من سبط بنيامين ، سبطٌ لم يكن فيهم

---

(١) انظر الأثر السالف : ٥٦٣٥ ، وما قبله فى الاختلاف فى اسم هذا النبى عليه السلام .

(٢) الأثر : ٥٦٣٨ — هو تتمة الأثر السالف : ٥٦٣٥ ، وهو فى تاريخ الطبرى بطوله ١ : ٢٤٢ — ٢٤٣ .

مملكة ولا نبوة . وكان فى بنى إسرائيل سبطان : سبط نبوة ، وسبط مملكة . وكان سبط النبوة سبط لاوى ، إليه موسى = وسبط المملكة يهوذا ، إليه داود وسليمان . فلما بعث من غير سبط النبوة والمملكة ، أنكروا ذلك وعجبوا منه وقالوا : « أنّى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه » ؟ قالوا : وكيف يكون له الملك علينا وليس من سبط النبوة ولا من سبط المملكة ؟ فقال الله تعالى ذكره : « إن الله اصطفاه عليكم » .

٥٦٤١ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله: « ابعث لنا ملكاً»، قال لهم نبيهم: إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً . قالوا: «أنى يكون له الملك علينا »؟ قال: وكان من سبط لم يكن فيهم ملك ولا نبوة ، فقال : « إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم ».

٥٦٤٢ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً» ،وكان فى بنى إسرائيل سبطان : سبطُ نبوة ، وسبط خِلافة ، فلذلك قالوا : « أنّى يكون له الملك علينا »؟ يقولون : ومن أين يكون له الملك علينا، وليس من سبط النبوة ولا سبط الخلافة؟ قال: « إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم».

٥٦٤٣ ــ حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك بن مزاحم يقول فى قوله : « أنى يكون له الملك علينا »، فذكر نحوه .

٥٦٤٤ ــ حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : لما قالت بنو إسرائيل لنبيهم: سل ربّك أن يكتُب علينا القتال ! فقال لهم ذلك النبىّ : « هل عسيتم إن كُتب عليكم القتال » ؟ الآية ، قال: فبعث الله طالوت ملكاً . قال : وكان فى بنى إسرائيل سبطان: سبطُ نبوة وسبط مملكة، ولم يكن طالوت من سبط النبوة ولا من سبط المملكة . فلما بعث لهم

ملكاً، أنكروا ذلك وعجبوا وقالوا: « أنّى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال » ؟ قالوا: وكيف يكون له الملك علينا وليس من سبط النبوة ٢/٣٨٠ ولا من سبط المملكة ؟ فقال : « إنّ الله اصطفاه عليكم » الآية .

٥٦٤٥ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه، عن ابن عباس قال : أما ذكر طالوت إذ قالوا: « أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال » ؟ فإنهم لم يقولوا ذلك إلا أنه كان في بني إسرائيل سبطان : كان في أحدهما النبوة ، وكان في الآخر الملك ، فلا يبعث إلا من كان من سبط النبوة ، ولا يملك على الأرض أحد إلاّ من كان من سبط الملك . وأنه ابتعث طالوت حين ابتعثه وليس من أحد السبطين، واختاره عليهم، وزاده بسطة في العلم والجسم . ومن أجل ذلك قالوا: « أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه »، وليس من واحد من السبطين ؟ قال: فـ « إن الله اصطفاه عليكم » إلى : « والله سميع عليم » .

٥٦٤٦ — حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال، قال ابن عباس قوله : « ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى » الآية ، هذا حين رفعت التوراة واستُخرج أهل الإيمان، وكانت الجبابرة قد أخرجتهم من ديارهم وأبنائهم = « فلما كتب عليهم القتال » ، وذلك حين أتاهم التابوت . قال : وكان من بني إسرائيل سبطان : سبط نبوة وسبط خلافة ، فلا تكون الخلافة إلا في سبط الخلافة، ولا تكون النبوة إلا في سبط النبوة، = فقال لهم نبيهم: « إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنّى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه »، وليس من أحد السبطين : لا من سبط النبوة ، ولا سبط الخلافة؟ = « قال إن الله اصطفاه عليكم » ، الآية . (١)

• • •

(١) الأثر : ٥٦٤٦ — هو تتمة الأثر السالف : ٥٦٣٣ .

وقد قيل : إن معنى « الملك » فى هذا الموضع : الإمرة على الجيش .

* ذكر من قال ذلك :

٥٦٤٧ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال مجاهد قوله : « إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً » ، قال : كان أمير الجيش .

٥٦٤٨ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد بمثله = إلا أنه قال : كان أميراً على الجيش .

* * *

قال أبو جعفر : وقد بينا معنى « أنى » ، ومعنى « الملك » ، فيما مضى ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « إنّ الله اصطفاه عليكم » ، قال نبيُّهم شمويل لهم : « إنّ الله اصطفاه عليكم » ، يعنى : اختاره عليكم ، كما : —

٥٦٤٩ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « اصطفاه عليكم » ، اختاره .(٢)

٥٦٥٠ — حدثنى المثنى قال حدثنا إسحق قال، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك : « إنّ الله اصطفاه عليكم » ، قال : اختاره عليكم .

---

(١) انظر تفسير « أنى » فيما سلف ٤ : ٣٩٨ — ٤١٦ ، وتفسير معنى « الملك » فيما سلف ١ : ١٤٨ — ١٥٠ ، ثم ٢ : ٤٨٨ .

(٢) انظر تفسير « الاصطفاء » فيما سلف ٣ : ٩١ .

٥٦٥١ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « إن الله اصطفاه عليكم » ، اختاره .

* * *

وأما قوله : « وزاده بسطةً في العلم والجسم » ، فإنه يعني بذلك أن الله بسَط له في العلم والجسم ، وآتاه من العلم فضلاً على ما آتى غيره من الذين خوطبوا بهذا الخطاب . وذلك أنه ذكر أنه أتاه وحي من الله ، وأما « في الجسم » ، فإنه أوتي من الزيادة في طوله عليهم ما لم يؤته غيرُه منهم ، كما : –

٥٦٥٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا إسمعيل بن عبد الكريم قال ، حدثني عبد الصمد بن معقل ، عن وهب بن منبه قال : لما قالت بنو إسرائيل : « أنّى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قالَ إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم » . قال : واجتمع بنو إسرائيل فكان طالوت فوقهم من منكبيه فصاعداً .

* * *

وقال السدي : أُتي النبيُّ صلى الله عليه وسلم بعصاً تكون مقدارًا على طول الرجل الذي يبعث فيهم ملكاً ، فقال : إن صاحبكم يكون طولُه طولَ هذه العصا. فقاسوا أنفسهم بها، فلم يكونوا مثلها . فقاسوا طالوت بها فكان مثلها . ٢/٣٨١

٥٦٥٣ – حدثني بذلك موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي.[1]

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : « إن الله اصطفاه عليكم وزاده » مع اصطفائه إياه « بسطةً في العلم والجسم » . يعني بذلك : بسط له مع ذلك في العلم والجسم.

* ذكر من قال ذلك :

٥٦٥٤ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم » ، بعدَ هذا .

* * *

(١) الأثر : ٥٦٥٣ – هو بعض الأثر السالف : ٥٦٣٨ .

القول فى تأويل قوله ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٤٧)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : إن الملك لله وبيده دون غيره = « يؤتيه »، يقول: يؤتى ذلك من يشاء، فيضعه عنده ويخصُّه به ، ويمنعه من أحبَّ من خلقه.[1] يقول : فلا تستنكروا ، يا معشر الملأ من بنى إسرائيل ، أن يبعث الله طالوت ملكاً عليكم ، وإن لم يكن من أهل بيت المملكة ، فإن الملك ليس بميراث عن الآباء والأسلاف ، ولكنه بيَد الله يُعطيه من يشاء من خلقه ، فلا تتخيَّروا على الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل.

• ذكر من قال ذلك :

٥٦٥٥ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال ، حدثنى ابن إسحق قال ، حدثنى بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه: « والله يؤتى ملكه من يشاء » ، الملكُ بيد الله يضعه حيث يشاء ، ليس لكم أن تختاروا فيه .

٥٦٥٦ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج قال ، مجاهد : ملكه سلطانه.

٥٦٥٧ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « والله يؤتى ملكه من يشاء » ، سلطانه.

• • •

وأما قوله : « والله واسعٌ عليم » ، فإنه يعنى بذلك : « والله واسع » بفضله فينعم به على من أحب ، ويزيد فيه من يشاء =[2] « عليم » بمن هو أهل لملكه الذى

---

(١) فى المطبوعة : « ويمنحه من أحب . . . » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المخطوطة : « فينعم له » ، والصواب ما فى المطبوعة : وفى المطبوعة: « ويريد به من يشاء » ، وفى المخطوطة : « ويريد فيه . . . » غير منقوطة وصواب قراءتها ما أثبت .

يؤتيه ، وفضله الذى يعطيه ، فيعطيه ذلك لعلمه به ، وبأنه لما أعطاه أهل : إما للإصلاح به ، وإما لأن ينتفع هو به .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ ﴾

قال أبو جعفر : وهذا الخبر من الله تعالى ذكره عن نبيه الذى أخبر عنه به ، دليلٌ على أن الملأ من بنى إسرائيل الذى قيل لهم هذا القول ، لم يقرُّوا ببعثة الله طالوت عليهم ملكاً إذْ أخبرهم نبيهم بذلك ، وعرَّفهم فضيلته التى فضّله الله بها ، ولكنهم سألوه الدّلالة على صدق ما قال لهم من ذلك وأخبرهم به. فتأويل الكلام ، إذ كان الأمر على ما وصفنا : « والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم » ، فقالوا له : ما آية ذلك إن كنت من الصادقين؟(٢) = : « قال لهم نبيهم إنّ آية مُلكه أن يأتيكم التابوت » .

وهذه القصة = (٣) وإن كانت خبراً من الله تعالى ذكره عن الملأ من بنى إسرائيل ونبيهم ، وما كان من ابتدائهم نبيَّهم بما ابتدأوا به من مسألته أن يسأل الله لهم أن يبعث لهم ملكاً يقاتلون معه فى سبيله ، ونبأً عما كان منهم من تكذيبهم نبيَّهم بعد علمهم بنبوته ، (٤) ثم إخلافهم الموعدَ الذى وعدوا الله ووعدوا رسوله ، من

---

(١) فى المخطوطة : « وإما لا نه » وبينهما بياض على قدر كلمة ، ولم أستطع أن أجد كلمة أحلها فى البياض ، وتركت ما فى المطبوعة على حاله ، وإن كنت لا أرضاه كل الرضى .

(٢) فى المطبوعة : « فقالوا له : ائت بآية على ذلك . . . » ، وفى المخطوطة : « مما أتى به ذلك » وقد ضرب على الباء من « أتى » . واستظهرت قراءتها كما أثبتها ، لقوله تعالى بعد : « إن آية ملكه » .

(٣) فى المطبوعة : « هذه القصة » بإسقاط الواو ، وإسقاطها مخل بالكلام .

(٤) فى المطبوعة : « بناء عما كان منهم من تكذيبهم » ، وهو غث من الكلام . وفى المخطوطة : « ساعما كان . . . » غير منقوطة ، والصواب ما أثبت مع زيادة «الواو» عطفاً على قوله : « وإن كانت خبراً . . . »

الجهاد فى سبيل الله ، بالتخلُّف عنه حين استُنهضوا لحرب من استنهضوا لحربه ، وفتْح الله على القليل من الفئة ، مع تخذيل الكثير منهم عن ملكهم وقُعودهم عن الجهاد معه =(١) فإنه تأديب لمن كان بين ظهرانَى مُهاجَر رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذراريهم وأبنائهم يهود قُرَيظة والنضير ، وأنهم لن يَعْدوا فى تكذيبهم محمداً صلى الله عليه وسلم فيما أمرهم به ونهاهم عنه = مع علمهم بصدقه ، ومعرفتهم بحقيقة نبوته ، بعد ما كانوا يستنصرون الله به على أعدائهم قبل رسالته ، وقبل بِعثة الله إياه إليهم وإلى غيرهم =(٢) أن يكونوا كأسلافهم وأوائلهم الذين كذبوا نبيهم شمويل ابن بالى ، مع علمهم بصدقه ، ومعرفتهم بحقية نبوته ، وامتناعهم من الجهاد مع طالوت لمّا ابتعثه الله ملكاً عليهم، بعد مسألتهم نبيَّهم ابتعاثَ ملك يقاتلون معه عدوهم ويجاهدون معه فى سبيل ربهم ، ابتداءً منهم بذلك نبيَّهم، وبعد مراجعة نبيهم شمويل إياهم فى ذلك =(٣) وحَضٌّ لأهل الإيمان بالله وبرسوله من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم على الجهاد فى سبيله ، وتحذيرٌ منه لهم أن يكونوا فى التخلف عن نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم عند لقائه العدو ، ومناهضته أهل الكفر بالله وبه ، على مثل الذى كان عليه الملأ من بنى إسرائيل فى تخلفهم عن ملكهم طالوتَ إذ زحف لحرب عدوِّ الله جالوت، وإيثارهم الدعة والخفض على مباشرة حرِّ الجهاد والقتال فى سبيل الله =(٤) وشحذٌ منه لهم على الإقدام على مناجزة أهل الكفر به الحربَ ، وترك تهيُّب قتالهم أنْ قلَّ عددهم وكثُر عدد أعدائهم واشتدت شوكتهم بقوله : ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٩] ،=(٥) وإعلامٌ منه

٣٨٢/٢

(١) سياق الجملة : وهذه القصة ، وإن كانت خبراً من الله . . . ونبأ عما كان منهم . . . فإنه تأديب . . . »

(٢) سياق هذه الجملة : « وأنهم لن يعدوا فى تكذيبهم محمداً . . . أن يكونوا كأسلافهم . . . »

(٣) قوله : « وحض . . . » معطوف على قوله آنفاً : « فإنه تأديب . . . » .

(٤) قوله : « وشحذ . . . » معطوف ثان على قوله آنفاً : « فإنه تأديب . . . »

(٥) قوله : « وإعلام . . . » معطوف ثالث على قوله : « فإنه تأديب . . . »

تعالى ذكرُه عبادَه المؤمنين به أن بيده النصر والظفر والخير والشر.

* * *

وأما تأويل قوله : « قال لهم نبيهم » ، فإنه يعنى : للملأ من بنى إسرائيل الذين قالوا لنبيهم : « ابعث لنا ملكاً نقاتل فى سبيل الله » .

* * *

وقوله : « إن آية ملكه » ، إن علامة ملك طالوت= [1] التى سألتمونيها دلالة دلالةً على صدق فى قولى : إن الله بعثه عليكم ملكاً ، وإن كان من غير سبط المملكة = « أن يأتيكم التابوتُ فيه سَكينة من ربكم » ، وهو التابوت الذى كانت بنو إسرائيل إذا لقوا عدوًّا لهم قدموه أمامهم ، وزحفوا معه ، فلا يقوم لهم معهم عدوٌّ ، ولا يظهر عليهم أحدٌ ناوأهم ، حتى ضيعوا أمر الله ، [2] وكثر اختلافهم على أنبيائهم ، فسلبهم الله إياه مرة بعد مرة ، يردُّه إليهم فى كل ذلك ، حتى سلبهم آخرَها مرةً فلم يردّه عليهم ، [3] ولن يردَّه إليهم آخرَ الأبد . [4]

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى سبب مجىء التابوت الذى جعل الله مجيئه إلى بنى إسرائيل آية لصدق نبيهم شمويل على قوله : « إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً » وهل كانت بنو إسرائيل سُلِبوه قبل ذلك فردَّه الله عليهم حين جعل مجيئه آيةً لملك طالوت ، أو لم يكونوا سُلبوه قبل ذلك ، ولكنّ الله ابتدأهم به ابتداءً ؟

فقال بعضهم : بل كان ذلك عندهم من عهد موسى وهرون يتوارثونه ، [5] حتى سلبهم إياه ملوك من أهل الكفر به ، ثم رده الله عليهم آيةً لملك طالوت . وقال فى

---

(١) انظر تفسير « آية » فيما سلف ١ : ١٠٦ / ٢ : ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٥٥٣ / ٣ : ١٨٤ / ٤ : ٢٧١ .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « حتى منعوا أمر الله » . وهو تصحيف لا معنى له ، والصواب ما أثبت .

(٣) فى المطبوعة : « حتى سلبهم آخر مرة » ، والذى فى المخطوطة هو الصواب الجيد ، وإن كانت الأخرى قريبة من الصواب على ضعف .

(٤) فى المخطوطة : « ولم يرده إليهم آخر الأبد » ، وهو خطأ بين .

(٥) فى المطبوعة : « كان ذلك عندهم » ، بحذف « بل » .

سبب ردّه عليهم ما أنا ذاكرُه ، وهو ما : —

٥٦٥٨ — حدثني به المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا إسمعيل بن عبد الكريم قال ، حدثني عبد الصمد بن معقل : أنه سمع وهب بن منبه قال : كان لعيلى الذى ربّى شمويل، ابنان شابان أحدثا فى القُربان شيئاً لم يكن فيه . كان مِسْوط القُربان الذى كانوا يسُوطونه به كُلاّبين ،[1] فما أخرجا كان للكاهن الذى يسُوطه ،[2] فجعله ابناه كلاليب .[3] وكانا إذا جاء النساء يصلّين فى القدس يتشبّثان بهن. فبينا شمويل نائم قِبَل البيت الذى كان ينام فيه عِيلى ، إذ سمع صوتاً يقول : أشْمويل ! ![4] فوثب إلى عيلى فقال : لبّيك ! مالك ! دعوتنى ؟ فقال : لا ! ارجع فنم ! فرجع فنام ، ثم سمع صوتاً آخر يقول : أشمويل ! ! فوثب إلى عيلى أيضاً فقال : لبيك ! مالك ! دعوتنى ؟ فقال : لم أفعل ، ارجع فنم ، فإن سمعت شيئاً فقل : « لبّيك » مكانَك ، « مُرنى فأفعل » ! فرجع فنام ، فسمع صوتاً أيضاً يقول : أشمويل ! ! فقال : لبيك ! أنا هذا ! مرنى أفعل ! ٣٨٣/٢
قال : انطلق إلى عِيلى فقل له : « منعه حُبُّ الولد أن يزجر ابنيه أن يُحْدثا فى قُدْسى وقربانى ، وأنْ يعصِيانى ، فلأنزعنّ منه الكهانة ومن ولده ، ولأهلكنّه وإياهما » ! فلما أصبح سأله عيلى فأخبره ، ففزع لذلك فزعاً شديداً . فسار إليهم عدوٌّ ممن

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « كان مشرط القربان الذى كانوا يشرطونه به » ، وهو خطأ لا معنى له ، والصواب من تاريخ الطبرى ١ : ٢٤٣ . والمسوط (بكسر الميم) والمسواط : خشبة أو ما يشبهها ، يحرك بها ما فى القدر ليختلط . ساط الشيء فى القدر يسوطه سوطاً : إذا حركه وخاضه ، ليختلط ويمتزج . وقربان اليهود هذا هو « التقدمة » ، كانت من دقيق مع زيت ولبان ، يؤخذ قليل من الدقيق المقدم والزيت وكل اللبان ، ويوقد على المذبح ، أو يعمل منه قطائف على صاج ، وأما البقية فكانت الكهنة (قاموس الكتاب المقدس ٢ : ٢٠٨) . والكلاب (بضم الكاف وتشديد اللام) : سفود من حديد أو خشب ، فى رأسه عقافة معطوفة كالخطاف ، وجمعه : « كلاليب » .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « الكاهن الذى يستوطنه » ، وهو خطأ ، صوابه من التاريخ .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « فجعل ابناه . . . » ، والصواب من التاريخ .

(٤) فى المخطوطة والتاريخ فى هذا الموضع وما بعده : « أشمويل » ، والذى قبله : « شمويل » ، وأثبت ما فيهما ، كما سلف قريباً ص : ٣٠٨ ، تعليق : ٥

حولهم ، فأمر ابنيه أن يخرجا بالناس فيقاتلا ذلك العدو . فخرجا وأخرجا معهما التابوت الذى كان فيه اللوْحان وعصا موسى ليُنْصروا به .(١) فلما تهيّأوا للقتال هم وعدوُّهم ، جعل عيلى يتوقع الخبرَ : ماذا صنعوا ؟ فجاءه رجل يخبره وهو قاعدٌ على كرسيه : إن ابنيك قد قُتلا ، وإن الناس قد انهزموا ! قال : فما فعل التابوت ؟ قال : ذهب به العدو ! قال : فشهق ووقع على قفاه من كرسيه فمات . وذهب الذين سبَوُا التابوت حتى وضعوه فى بيت آلهتهم ، ولهم صنم يعبدونه ، فوضعوه تحت الصنم ، والصنم من فوقه ، فأصبح من الغد والصنم تحته وهو فوق الصنم . ثم أخذوه فوضعوه فوقه وسمَّروا قدميه فى التابوت ، فأصبح من الغد قد تقطَّعت يدا الصنم ورجلاه ، وأصبح ملقى تحتَ التابوت . فقال بعضهم لبعض : قد علمتم أن إله بنى إسرائيل لا يقوم له شىء ، فأخرجوه من بيت آلهتكم ! فأخرجوا التابوت فوضعوه فى ناحية من قريتهم ، فأخذ أهل تلك الناحية التى وضعوا فيها التابوت وجعٌ فى أعناقهم ، فقالوا : ما هذا ؟ ! فقالت لهم جارية كانت عندهم من سَبْى بنى إسرائيل : لا تزالون ترون ما تكرهون ما كان هذا التابوت فيكم ! فأخرجوه من قريتكم ! قالوا : كذبتِ ! قالت : إن آية ذلك أن تأتوا ببقرتين لهما أولاد لم يوضع عليهما نِيرٌ قط ، ثم تضعوا وراءهما العَجَل ،(٢) ثم تضعوا التابوت على العجل وتسيِّروهما وتحبسوا أولادهما ، فإنهما تنطلقان به مذعنتين ،(٣) حتى إذا خرجتا من أرضكم ووقعتا فى أرض بنى إسرائيل كسرتا نِيرَهما ، وأقبلتا إلى أولادهما . ففعلوا ذلك ، فلما خرجتا من أرضهم وَوقعتا فى أدنى أرض بنى إسرائيل ، كسرتا نِيرَهما ، وأقبلتا إلى أولادهما ، ووضعتاه فى خربة فيها حصَادٌ من بنى إسرائيل ،(٤) ففزع إليه

---

(١) فى التاريخ : « لينتصروا به » ، أى ليجلبوا النصر لأنفسهم به .

(٢) فى المطبوعة : « وراءهم » والصواب من التاريخ والمخطوطة . والنير : الخشبة التى تكون على عنق الثور بأداتها .

(٣) فى المطبوعة : « ينطلقان مذعنين » ، والصواب من المخطوطة والتاريخ .

(٤) فى المطبوعة : « حضار » ، وفى المخطوطة : « حصار » ، غير منقوطة ، والصواب ما فى التاريخ .

بنو إسرائيل وأقبلوا إليه ، فجعل لا يدنو منه أحدٌ إلا مات . فقال لهم نبيهم أشمويل : اعترضوا ، (١) فمن آنس من نفسه قوة فليدن منه . فعرضوا عليه الناس ، فلم يقدر أحدٌ يدنو منه إلا رجلان من بنى إسرائيل ، (٢) أُذِن لهما بأن يحملاه إلى بيت أمِّهما ، وهى أرملة . فكان فى بيت أمِّهما حتى ملك طالوت ، فصلح أمر بنى إسرائيل مع أشمويل . (٣)

٥٦٥٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال ، حدثنى بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه قال : قال شمويل لبنى إسرائيل لما قالوا له : أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سَعة من المال ؟ قال : إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم ، وإنّ آية ملكه = وإن تمليكه من قبَل الله = أن يأتيكم التابوت ، فيرد عليكم الذى فيه من السكينة وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون ، وهو الذى كنتم تهزمون به من لقيكم من العدو ، وتظهرون به عليه . قالوا : فإن جاءنا التابوتُ فقد رضينا وسلّمنا ! وكان العدوُّ الذين أصابوا التابوت أسفلَ من الجبل جبل إيليا فيما بينهم وبين مصر ، وكانوا أصحابَ أوثان ، وكان فيهم جالوتُ . وكان جالوت رجلاً قد أعطى بسْطة فى الجسم ، وقوة فى البطش ، وشدة الحرب ، مذكورًا بذلك فى الناس . وكان التابوت حين استُبِى قد جُعل فى قرية من قرى فلسطين يقال لها : « أزدود » ، (٤) فكانوا قد جعلوا التابوت فى

---

(١) فى التاريخ : « اعرضوا » ، وهما سواء .

(٢) فى التاريخ : « فلم يقدر أحد على أن يدنو منه » ، والذى فى المخطوطة والمطبوعة حسن .

(٣) الأثر : ٥٦٥٨ — فى التاريخ ١ : ٢٤٣ — ٢٤٤ ، وهو صدر الأثر السالف رقم : ٥٦٣٧ ، وساقهما الطبرى فى التاريخ سياقاً واحداً .

(٤) فى المطبوعة : « يقال لها : أردن » ، وهو خطأ لا شك فيه ، وأما ما فى المخطوطة فهو « أردود » بالراء ، وأنا أظنه بالزاى وأثبته كذلك . فإن الذى فى كتاب القوم فى « كتاب صموئيل الأول » الإصحاح الخامس : « أشدود » ، وقال صاحب قاموسهم : « أشدود » (حصن ، معقل) ، إحدى مدن فلسطين الخمس المتحالفة . . . وموقعها على ثلاثة أميال من البحر المتوسط بين غزة ويافا . قال : « وهى الآن قرية حقيرة تسمى : أسدود ، وفى جوارها خرائب كثيرة » . والذى يرجح ما ظننته أنها بالزاى أن

٣٨٤/٢ كنيسة فيها أصنامهم . فلما كان من أمر النبي صلى الله عليه وسلم ما كان : من وعد بني إسرائيل أن التابوت سيأتيهم - جعلت أصنامهم تُصبح في الكنيسة منكَّسةً على رؤوسها ، وبعث الله على أهل تلك القرية فأرًا ، تُبَيِّت الفأرةُ الرجلَ فيصبح ميتاً ، (١) قد أكلت ما في جوفه من دُبُره. قالوا: تعلمونَ والله، لقد أصابكم بلاءٌ ما أصاب أمَّة من الأمم مثله ، (٢) وما نعلمه أصابنا إلاّ مذ كان هذا التابوت بين أظهُرنا ! ! مع أنكم قد رأيتم أصنامكم تصبح كل غداة منكسة ، شيءٌ لم يكن يُصنع بها حتى كان هذا التابوت معها ! فأخرجوه من بين أظهركم . فدعوا بعَجَلة فحملوا عليها التابوت ، ثم علّقوها بثورين ، ثم ضَرَبوا على جُنوبهما ، وخرجت الملائكة بالثورين تسوقُهما ، فلم يمرَّ التابوت بشيء من الأرض إلاّ كان قُدْساً. فلم يرُعهم إلا التابوت على عجلة يجرُّها الثوران ، حتى وقف على بني إسرائيل ، فكبَّروا وحمدوا الله ، وجدُّوا في حربهم ، واستوسقوا على طالوت. (٣)

٥٦٦٠ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : قال ابن عباس : لما قال لهم نبيهم : إن الله اصطفى طالوت عليكم وزاده بسطةً في العلم والجسم - أبوا أن يسلِّموا له الرياسة ، حتى قال لهم : « إنَّ آية مُلكه أن يأتيكم التابوت فيه سَكينةٌ من ربكم » . فقال لهم : أرأيتم إن جاءكم التابوت فيه سكينةٌ من ربكم وبقيَّة مما ترك آلُ موسى وآلُ هرون تحمله الملائكة ! !

ابن كثير قال في تفسيره ١ : ٦٠٢ أنه يقال لها : « أزدوه » ، وقال مصحح التفسير بهامشه أنها في نسخة الأزهر : « أزدرد » . وفي البغوي بهامش ابن كثير ١ : ٦٠١ « أزدود » كما أثبتها .

(١) في المطبوعة : « تثبت الفأرة » ، وليست صواباً ، والذي في المخطوطة « تبت » غير منقوطة وصواب قراءتها ما أثبت . بيت القوم العدو : أتوهم في جوف الليل فأوقعوا بهم وهم في غفلة عنه . والاسم : « البيات » ، وفي البغوي ١ : ٦٠١ (بهامش ابن كثير) : « فكانت الفأرة تبيت مع الرجل » .

(٢) في المطبوعة : « أمة من الأمم قبلكم » ، وفي المخطوطة : « أمة من الأمم قبله » ، والذي أثبت أقرب إلى رسم المخطوطة ، مع التصحيف فيها .

(٣) في المطبوعة : « واستوثقوا » ، وهو خطأ والصواب ما في المخطوطة . ومعناه : اجتمعوا على طاعته . وأصله من « الوسق» وهو ضم الشيء إلى الشيء ، وفي حديث أحد : « استوسقوا كما يستوسق جرب الغنم » ، أي : استجمعوا وانضموا . وفي حديث النجاشي : « واستوسق عليه أمر الحبشة » ، أي اجتمعوا على طاعته . وهو المراد هنا . وانظر ما سيأتي في الأثر : ٥٧٠٧ .

= وكان موسى حين ألقى الألواح تكسَّرت ورُفع منها . فنزل فجمع ما بقى فجعله فى ذلك التابوت = قال ابن جريج ، أخبرنى يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أنه لم يبق من الألواح إلا سُدسها . قال : وكانت العمالقة قد سبَتْ ذلك التابوت — والعمالقةُ فرقةٌ من عادٍ كانوا بأريحا — فجاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض وهم ينظرون إلى التابوت ، حتى وضعته عند طالوت. فلما رأوا ذلك قالوا : نعم! فسلَّموا له وملَّكوه. قال: وكانت الأنبياء إذا حضروا قتالاً قدموا التابوت بين أيديهم . ويقولون : إن آدم نزل بذلك التابوت وبالرُّكن . وبلغنى أن التابوت وعصَا موسى فى بحيرةَ طبَريَّة ، وأنهما يخرجان قبل يوم القيامة .

٥٦٦١ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا عبد الصمد بن معقل : أنه سمع وهب بن منبه يقول: إن أرميا لما خُرِّب بيت المقدس وحُرِّقت الكتب ، وقفَ فى ناحية الجبل فقال: « أنَّى يُحيى هذه الله بعد موتها ، فأماته الله مئة عام » . ثم ردَّ الله مَنْ ردَّ من بنى إسرائيل على رأس سبعين سنة من حين أماته ، يعمرونها ثلاثين سنة تمامَ المئة . فلما ذهبت المئة، ردَّ الله إليه روحه، وقد عمرت ، فهى على حالتها الأولى .(١)

(٢) .....

.....

.....

فلما أرادَ أن يردَّ عليهم التابوت ،أوحى الله إلى نبىّ من أنبيائهم : إما دانيال وإما غيره: إن كنتم تريدون أن يرفع عنكم المرَض، فأخرجوا عنكم هذا التابوت! قالوا : بآية ماذا ؟ قال : بآية أنكم تأتون ببقرتين صعبتين لم يعملا عملاً قط ، فإذا نظرتا

(١) الأثر : ٥٦٦١ — سيأتى هذه الأثر نفسه برقم : ٥٩١٢ وهو أثر « مبتور » بلا شك ولم أستطع أن أتمه ، وانظر التعليق على الأثر التالى المذكور آنفاً .

(٢) أما موضع النقط هذا ، فإنه سقط بلا شك فيه ، فإن خبر أرميا السالف ، لا يمكن أن يكون هذا الكلام من صلته ، فإن فيه ذكر رد التابوت فى عهد طالوت وداود ، وهما قبل أرميا بدهر

إليه وضعتا أعناقهما للنِّير حتى يشدَّ عليهما ،[١] ثم يشد التابوت على عجل ، ثم يعلَّق على البقرتين ، ثم يخلَّيان فيسيران حيث يريدُ الله أن يبلِّغهما. ففعلوا ذلك، ووكَّل الله بهما أربعة من الملائكة يسوقونهما ، فسارت البقرتان سيراً سريعاً ، حتى إذا بلغتا طرف القُدْس كسرتا نيرَهما ، وقطعتا حبالهما ، وذهبتا . فنزل إليهما داود ومن معه ، فلما رأى داود التابوت حَجَل إليه فرحاً به = فقلنا لوهب : ماحجل إليه ، قال : شبيه بالرقص = فقالت له امرأته : لقد خَفِفت حتى كاد الناس يمقتونك لما صنعت ! قال : أتُبطِّئيني عن طاعة ربي ! ! لاتكونين لي زوجة بعد هذا . ففارقها .

* * *

وقال آخرون : بل التابوت = الذى جعله الله آية لملك طالوت = كان فى البرية ، وكان موسى صلى الله عليه وسلم خلّفه عند فتاه يوشع ، فحملته الملائكة حتى وضعته ٢/٣٨٥
فى دار طالوت .[٢]

طويل . وأخشى أن يكون الناسخ قد قدم ورقة على ورقة فى النسخة العتيقة ، أو تخطى وجها من الكتاب الذى نسخ منه . وليس من الممكن إتمام هذا النقص ، فلذلك فصلت بين الكلامين بهذه النقط ، حتى يتيح الله نسخة أقدم من النسخ التى بين أيدينا تسد هذا الخرم أو تصحح مكان الكلام .

وهذا الذى بعد النقط ، خبر عن القرية التى وضع فيها التابوت حين سبى ، كما ذكر فى الأثر رقم : ٥٦٥٨ ، وهو أثر ضاع صدره عن وهب بن منبه ، كما هو واضح فى السياق الآتى . ولم أجد صدره فى شىء من الكتب التى بين يدى . هذا ونسختنا فى هذا الموضع كثيرة الخطأ كثيرة السهو ، كما يتبين ذلك من خط كاتبها ، ومن الأخطاء السالفة التى ذكرتها فى التعليقات .

(١) فى المخطوطة : « فإذا نظرتا إليها » ، والصواب ما فى المطبوعة .

(٢) عند هذا الموضع انتهى جزء من التقسيم القديم الذى نقلت عنه نسختنا ، وفيها هنا ما نصه :

« يتلوه إن شاء الله تعالى : ذكر من قال ذلك:

وصلى الله على محمد النبي وعلى آله وسلم كثيراً .

على الأصل

بلغتُ بالقراءةِ من أوله والسماع على القاضى أبى الحسن الخصيب ، عن عبد الله ، عن أبى محمد الفرغانى ، عن أبى جعفر الطبرى ، والقاضى ينظرُ فى كتابه . وسمع معى

* ذكر من قال ذلك :

٥٦٦٢ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة في قوله: « إنّ آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينةٌ من ربكم » ، الآية : كان موسى تركه عند فتاه يوشع بن نون وهو بالبرية ، وأقبلت به الملائكة تحملهُ حتى وضعته في دار طالوت فأصبح في داره .

٥٦٦٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه، عن الربيع في قوله: « إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت » الآية، قال: كان موسى – فيما ذُكر لنا – ترك التابوتَ عند فتاه يوشع بن نون وهو في البرية. فذكر لنا أنّ الملائكة حملته من البرية حتى وضعته في دار طالوت، فأصبح التابوت في داره .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك بالصواب ما قاله ابن عباس ووهب ابن منبه : من أنّ التابوت كان عند عدوٍّ لبني إسرائيل كان سلَبَهموه . وذلك أن الله تعالى ذكره قال مخبراً عن نبيه في ذلك الزمان قولَه لقومه بني إسرائيل: « إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت»، و« الألف واللام » لا تدخلان في مثل هذا من الأسماء إلا في معروف عند المتخاطبين به . وقد عرفه المخبِرُ والمخبَرُ. فقد علم بذلك أن معنى الكلام: إن آية ملكه أن يأتيكم التابوتُ الذي قد عرفتموه، الذي كنتم تستنصرون به، فيه سكينةٌ من ربكم . ولو كان ذلك تابوتاً من التوابيت غير معلوم عندهم قَدْرُه

أخي على حرسه الله ، وأبو الفتح أحمد بن عمر الجهاري (؟؟) ونصر بن الحسين الطبري ، ومحمد بن علي ..... وعبد الرحيم بن أحمد البخاري . وكتب محمد بن أحمد ابن عيسى السعدي ، في شعبان سنة ثمان وأربعمئة بمصر »

ثم يتلو في أول الجزء التالي :

« بسم الله الرحمن الرحيم

ربِّ يَسِّر »

ومبلغُ نفْعه قبل ذلك ، لقيل : إن آية ملكه أن يأتيكم تابوتٌ فيه سكينةٌ من ربكم .

* * *

فإن ظنّ ذو غفلة أنهم كانوا قد عرفوا ذلك التابوت وقدْر نفعه وما فيه وهو عند موسى ويوشع ، فإن ذلك ما لا يخفى خطأه . وذلك أنه لم يبلغنا أنّ موسى لاقى عدوًّا قط بالتابوت ولا فتاه يوشع ، بل الذى يعرف من أمر موسى وأمر فرعون ما قصّ الله من شأنهما ، وكذلك أمره وأمر الجبّارين. وأما فتاه يوشع ، فإن الذين قالوا هذه المقالة ، زعموا أن يوشع خلّفه فى التيه حتى رُدّ عليهم حين ملك طالوت. فإن كان الأمر على ما وصفوه ، فأىُّ الأحوال للتابوت الحالُ التى عرفوه فيها ، فجاز أن يقال : إنّ آية ملكه أن يأتيكم التابوت الذى قد عرفتموه وعرفتم أمره ؟ وفى فساد هذا القول بالذى ذكرنا ، [1] أبينُ الدلالة على صحة القول الآخر ، إذ لا قول فى ذلك لأهل التأويل غيرهما .

* * *

وكانت صفة التابوت فيما بلغنا ، كما : —

٥٦٦٤ — حدثنا محمد بن عسكر والحسن بن يحيى قالا ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا بكّار بن عبد الله قال : سألنا وهب بن منبه عن تابوت موسى : ما كان ؟ قال : كان نحواً من ثلاثة أذرع فى ذراعين. [2]

* * *

(١) فى المطبوعة : « ففساد هذا القول » ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٢) الأثر : ٥٦٦٤ — « محمد بن عسكر » ، هو محمد بن سهل بن عسكر ، سلف فى رقم : ٥٥٩٨ . بكار بن عبد الله اليمانى ، روى عن وهب بن منبه . روى عنه ابن المبارك ، وهشام ابن يوسف وعبد الرزاق . قال أحمد : ثقة . مترجم فى الكبير ١/٢/١٢٠ ، وابن أبى حاتم ١/١/٤٠٨.

القول فى تأويل قوله ﴿ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « فيه » ، فى التابوت = « سكينة من ربكم » .

* * *

واختلف أهل التأويل فى معنى « السكينة » .

فقال بعضهم : هى ريح هفّافة لها وَجه كوجه الإنسان .

* ذكر من قال ذلك :

٥٦٦٥ ــ حدثنا عمران بن موسى قال، حدثنا عبد الوارث بن سعيد قال ، حدثنا محمد بن جحادة، عن سلمة بن كهيل، عن أبى وائل، عن على بن أبى طالب قال : السكينة ، ريحٌ هفّافة لها وجْه كوجه الإنسان .

٥٦٦٦ ــ حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ، حدثنا سفيان = وحدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا سفيان = عن سلمة بن كهيل ، عن أبى الأحوص، عن على قال : السكينة لها وجه كوجه الإنسان ، ثم هى ريح هفّافة .

٥٦٦٧ ــ حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم ، عن العوام بن حوشب ، عن سلمة بن كهيل ، عن على بن أبى طالب فى قوله : « فيه سكينةٌ من ربكم » ، قال : ريحٌ هفافة لها صورة = وقال يعقوب فى حديثه : لها وجه =[1] وقال ابن المثنى : كوجه الإنسان . ٣٨٦/٢

٥٦٦٨ ــ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن سلمة ابن كهيل قال ، قال على : السكينة لها وجه كوجه الإنسان ، وهى ريح هفافة .[2]

---

(١) فى المخطوطة : « كا وجه » ، وما بينهما بياض ، ولعل أقرب ذلك ما فى المطبوعة .

(٢) فى المخطوطة : « هى ريح » بإسقاط الواو .

٥٦٦٩ ــ حدثنا هناد بن السرى قال، حدثنا أبو الأحوص ، عن سماك ابن حرب ، عن خالد بن عرعرة قال، قال على : السكينة ريح خَجُوجٌ ، ولها رأسان .(١)

٥٦٧٠ ــ حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن سماك قال : سمعت خالد بن عرعرة ، يحدث عن على ، نحوه.

٥٦٧١ ــ حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا أبو داود قال ، حدثنا شعبة وحماد ابن سلمة وأبو الأحوص، كلُّهم، عن سماك ، عن خالد بن عرعرة ، عن على، نحوه.(٢)

* * *

وقال آخرون : لها رأسٌ كرأس الهرَّة وجَناحان .

* ذكر من قال ذلك :

٥٦٧٢ ــ حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال : حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله تعالى: « فيه سكينة من ربكم »، قال: أقبلت السكينة [والصُّرَد] وجبريلُ مع إبراهيم من الشأم =(٣) قال ابن أبى نجيح ، سمعت مجاهداً يقول : السكينة لها رأسٌ كرأس الهرة وجناحان.

٥٦٧٣ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد نحوه .

٥٦٧٤ ــ حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى قال،حدثنا سفيان، عن ليث ، عن مجاهد قال : السكينة لها جناحان وذَنَبٌ .

---

(١) الأثر : ٥٦٦٩ ــ هو بعض الأثر السالف رقم : ٢٠٥٨ فى ذكر بناء الكعبة .

(٢) الأثران : ٥٦٧٠ ، ٥٦٧١ ــ انظر الأثران السالفان : ٢٠٥٩ ، ٢٠٦٠ .

(٣) ما بين القوسين، زيادة من الآثار التى رويت عن مجاهد فى ذلك، فى تاريخ مكة للأزرقى ١ : ٢٢ ــ ٢٨ ، ونصه فى لسان العرب (صرد) . والصرد (بضم الصاد وفتح الراء) : طائر أبقع ضخم يكون فى الشجر وشعب الجبال لا يقدر عليه أحد ، وهو من سباع الطير .

٥٦٧٥ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : لها جناحان وذنَبٌ مثل ذنب الهرَّة .

* * *

وقال آخرون: بل هى رأس هرَّة ميتة .

* * *

* ذكر من قال ذلك :

٥٦٧٧ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن وهب ابن منبه ، عن بعض أهل العلم من بنى إسرائيل قال : السكينة رأس هرة ميِّتة ، كانت إذا صرَخت فى التابوت بصُراخ هرّ ، أيقنوا بالنصر وجاءهم الفتح.

* * *

وقال آخرون : إنما هى طَسْت من ذهب من الجنة ، كان يُغسَل فيه قلوب الأنبياء .

* ذكر من قال ذلك :

٥٦٧٨ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثمان بن سعيد قال ، حدثنا الحكم بن ظهير ، عن السدى ، عن أبى مالك ، عن ابن عباس : « فيه سكينة من ربكم » ، قال: طست من ذهب من الجنة ، كان يُغسَل فيه قلوب الأنبياء .

٥٦٧٩ ــ حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فيه سكينة من ربكم » ، السكينة طست من ذهب يُغسل فيها قلوب الأنبياء، أعطاها الله موسى ، وفيها وَضَع الألواح. وكانت الألواح، فيما بلغنا، من دُرّ وياقوت وزبَرْجد .

* * *

وقال آخرون : « السكينة » ، روح من الله تتكلم .

* ذكر من قال ذلك :

٥٦٨٠ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا بكار

ابن عبد الله ، قال ، سألنا وهب بن منبه فقلنا له : السكينة ؟ قال : روح من الله يتكلم ، إذا اختلفوا فى شىء تكلم فأخبرهم ببيان ما يريدون .

٥٦٨١ ــ حدثنا محمد بن عسكر قال، حدثنا عبد الرزاق قال ، حدثنا بكار بن عبد الله : أنه سمع وهب بن منبه ، فذكر نحوه.(١)

* * *

وقال آخرون: « السكينة »، ما تعرفون من الآيات فتسكنون إليه .

* ذكر من قال ذلك :

٥٦٨٢ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : سألت عطاء بن أبى رباح عن قوله: « فيه سكينة من ربكم » ، الآية ، قال : أما السكينة فما يعرفون من الآيات، يسكُنون إليها .

* * *

وقال آخرون : « السكينة » ، الرحمة .

* ذكر من قال ذلك :

٥٦٨٣ ــ حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « فيه سكينة من ربكم » ، أى رَحْمة من ربكم . ٣٨٧/٢

* * *

وقال آخرون : « السكينة » ، هى الوقار .

* ذكر من قال ذلك :

٥٦٨٤ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « فيه سكينة من ربكم »، أى وَقارٌ.

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالحق فى معنى « السكينة » ما قاله عطاء ابن أبى رباح: من الشىء تسكن إليه النفوسُ من الآيات التى يعرفونها . وذلك أن

---

(١) الأثران : ٥٦٨٠ ، ٥٦٨١ ــ « محمد بن عسكر » ، و « بكار بن عبد الله » . انظر التعليق على الأثر رقم : ٥٦٦٤ .

« السكينة » فى كلام العرب « الفعيلة » ، من قول القائل : « سكن فلان إلى كذا وكذا »= إذا اطمأن إليه وهدأت عنده نفسه = « فهو يسكن سكوناً وسكينة»، مثل قولك: « عزم فلان على هذا الأمر عزماً وعزيمة »، و« قضى الحاكم بين القوم قضاءً وقضية » ، ومنه قول الشاعر : (١)

لِلّهِ قَبْرٌ غَالَهَا ! مَاذَا يُجِنُّ ؟ لَقَدْ أَجَنَّ سَكِينَةً ووَقَارَا (٢)

* * *

وإذا كان معنى « السكينة » ما وصفتُ ، فجائزٌ أن يكون ذلك على ما قاله علىّ بن أبى طالب على ما روينا عنه ، وجائز أن يكون ذلك على ما قاله مجاهد على ما حكينا عنه ، وجائز أن يكون ما قاله وهب بن منبه وما قاله السدى ، لأن كل ذلك آياتٌ كافياتٌ تسكنُ إليهن النفوس ، وتَثْلَج بهن الصدور. وإذا كان معنى « السكينة » ما وصفنا ، فقد اتضح أن الآية التى كانت فى التابوت ، التى كانت النفوس تسكن إليها لمعرفتها بصحة أمرها، إنما هى مسمَّاةٌ بالفعل وهى غيره، (٣) لدلالة الكلام عليه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وبقية » ، الشىء الباقى ، من قول القائل: « قد بقى من هذا الأمر بقية »، وهى « فعيلة » منه، نظيرُ « السكينة » من « سكن » .

* * *

---

(١) أنشده ابن برى لأبى عريف الكليبى . وأنا فى شك من صحة اسمه .

(٢) اللسان (سكن) . غاله الشىء يغوله : ذهب به ، فلم تدر أين هو . وأجن : ستر وأخفى .

(٣) يعنى بقوله : « الفعل » مصدر الفعل « سكن » ، وهو « السكينة » ، كما يقال : « رجل عدل » ، فلو سميت الرجل « عدلا » ، كان مسمى بالفعل ، وهو غيره .

وقوله : « مما ترك آل موسى وآل هرون » ، يعنى به : من تركة آل موسى وآل هرون .

* * *

واختلف أهل التأويل فى « البقية » التى كانت بقيت من تَرِكتهم .

فقال بعضهم : كانت تلك « البقية » ، عصَا موسى ورُضَاض الألواح .(١)

* ذكر من قال ذلك :

٥٦٨٥ – حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا بشر بن المفضل قال، حدثنا داود ، عن عكرمة قال : أحسبه عن ابن عباس أنه قال فى هذه الآية : « وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون »، قال : رُضَاض الألواح .

٥٦٨٦ – حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع قال، حدثنا بشر قال ، حدثنا داود ، عن عكرمة = قال داود : وأحسبه عن ابن عباس = مثله .

٥٦٨٧ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا أبو الوليد قال ، حدثنا حماد ، عن داود بن أبى هند ، عن عكرمة، عن ابن عباس فى هذه الآية: « وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون » ، قال : عصا موسى ورُضاض الألواح .

٥٦٨٨ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون » ، قال : فكان فى التابوت عصا موسى ورُضَاضُ الألواح ، فيما ذُكر لنا .

٥٦٨٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون » ، قال : البقية عصا موسى ورُضاض الألواح .

٥٦٩٠ – حدثنى موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون » ، أما البقية ، فإنها عصا موسى

---

(١) انظر صفحة ٣٣٢ ، تعليق : ١ .

ورُضَاضةُ الألواح .[١]

٥٦٩١ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع : « وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون » ، عصا موسى وأُثُور من التوراة .[٢]

٥٦٩٢ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الوهاب الثقفي ، عن خالد الحذاء، عن عكرمة في هذه الآية، « وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون »، ٢/٣٨٨
قال : التوراة ورُضَاض الألواح والعصَا = قال إسحق ، قال وكيع : ورُضَاضه كِسَرُه .

٥٦٩٣ ــ حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن خالد ، عن عكرمة في قوله : « وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون » ، قال : رضاض الألواح .

* * *

وقال آخرون : بل تلك « البقية » عصا موسى وعصا هرون ، وشيء من الألواح .[٣]

* ذكر من قال ذلك :

٥٦٩٤ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا جابر بن نوح ، عن إسمعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح : « أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقيةٌ مما ترك آل موسى وآل هرون » ، قال : كان فيه عصَا موسى ، وعصا هرون ، ولوحان من التوراة ، والمنّ .[٤]

---

(١) رضاض الشيء (بضم الراء) : كساره (بضم الكاف) ، وهو ما تكسر منه ، وقطعه . ورض الشيء رضاً : كسره فصار قطعاً . و « رضاضة » بالتاء في آخر رقم : ٥٦٩٠ ، وهي عربية صحيحة ، وإن لم تذكر في المعاجم . ومثلها في مطول هذا الأثر في التاريخ ١ : ٢٤٣ .

(٢) في المطبوعة : « وأمور من التوراة » ، وفي المخطوطة : « وأسور من التوراة » . ورجحت قراءتها « وأثور » جمع أثر : وهو بقية الشيء ، وما بقي من رسم الشيء ، وجمعه آثار وأثور . وهي هنا بمعنى الرضاض .

(٣) في المخطوطة : « بل ذلك البقية . . . » ، والذي في المطبوعة أجود الصواب .

(٤) الأثر : ٥٦٩٤ ــ في الدر المنثور ١ : ٣١٧ مطولا . وفي المخطوطة والمطبوعة : « عن إسمعيل عن ابن أبي خالد » ، والصواب ما أثبت ، وهو الذي يروي عنه جابر بن نوح ، مترجم في التهذيب .

٥٦٩٥ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس قال ، سمعت أبي ، عن عطية بن سعد في قوله : « وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون » ، قال : عصا موسى ، وعصا هرون ، وثياب موسى ، وثياب هرون ، ورُضَاض الألواح .

* * *

وقال آخرون : بل هي العصَا والنعلان .

* ذكر من قال ذلك :

٥٦٩٦ ــ حدثنا الحسن بن يحيي قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، سألت الثوري عن قوله : « وبقيةٌ مما ترك آل موسى وآل هرون » ، قال : منهم من يقول: البقية قفيزٌ من مَنّ ورُضَاض الألواح ــ ومنهم من يقول: العصا والنعلان. (١)

* * *

وقال آخرون : بل كان ذلك العصا وحدها .

* ذكر من قال ذلك :

٥٦٩٧ ــ حدثنا الحسن بن يحيي قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا بكار بن عبد الله قال ، قلنا لوهب بن منبه : ما كان فيه ؟ = يعني في التابوت = قال : كان فيه عصَا موسى والسَّكينة. (٢)

* * *

وقال آخرون : بل كان ذلك ، رُضاض الألواح وما تكسَّر منها .

* ذكر من قال ذلك :

٥٦٩٨ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال ابن عباس في قوله : « وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون»، قال : كان موسى حين ألقى الألواح تكسَّرت ورُفع منها ، فجعل الباقي في ذلك التابوت .

---

(١) القفيز : مكيال من المكاييل ، كان عند أهل العراق ثمانية مكاكيك .

(٢) الأثر ٥٦٩٧ ــ بكار بن عبد الله اليماني، مضى في الآثار : ٥٦٦٤ ، ٥٦٨٠ ، ٥٦٨١، وكان في المطبوعة والمخطوطة « بكار عن عبد الله » ، وهو خطأ محض .

٥٦٩٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قال ، سألت عطاء بن أبي رباح عن قوله : « وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون »، [قال] : العلم والتوراة .[1]

* * *

وقال آخرون : بل ذلك، الجهادُ في سبيل الله .

* ذكر من قال ذلك :

٥٧٠٠ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد الله بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون » ، يعني بـ« البقية » ، القتال في سبيل الله ، وبذلك قاتلوا مع طالوت، وبذلك أمِروا .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبرَ عن التابوت الذي جعله آية لصدق قول نبيه صلى الله عليه = الذي قال لأمته :[2] « إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً » =: إنّ فيه سكينة منه وبقية من تركة آل موسى وآل هرون .[3] وجائزٌ أن تكون تلك البقية : العصا ، وكِسَر الألواح، والتوراة ، أو بعضها ، والنعلين ، والثياب، والجهاد في سبيل الله = وجائز أن يكون بعض ذلك ، وذلك أمرٌ لا يدرك علمه من جهة الاستخراج ولا اللغة ، ولا يُدْرَك علم ذلك إلا بخبر يوجب عنه العلم . ولا خبرَ عند أهل الإسلام في ذلك للصِّفة التي وصفنا . وإذ كان كذلك ، فغير جائز فيه تصويبُ قولٍ وتضعيفُ آخر غيره ، إذ كان جائزاً فيه ما قلنا من القول .

* * *

---

(١) زدت ما بين القوسين : لظني أنها سقطت من الناسخ لعجلته، كما يتبين من خطه في هذا الموضع .

(٢) في المطبوعة : « لصدق قول نبيه صلى الله عليه وسلم لأمته » ، زاد « وسلم » ، وأسقط « الذي قال » ، والصواب من المخطوطة .

(٣) في المطبوعة : « مما تركه آل موسى » ، وأثبت ما في المخطوطة .

القول فى تأويل قوله ﴿ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى صفة حمل الملائكة ذلك التابوت.

فقال بعضهم : معنى ذلك : تحمله بين السماء والأرض ، حتى تضعه بين أظهُرِهم.

* ذكر من قال ذلك :

٥٧٠١ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض وهم ينظرون إليه ، حتى وضعته عند طالوت . ٣٨٩/٢

٥٧٠٢ ــ حدثنى يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: لما قال لهم = يعنى النبى ، لبنى إسرائيل : = « والله يؤتى ملكه من يشاء » . قالوا : فمن لنا بأنّ الله هو آتاه هذا ! ما هو إلاّ لهواك فيه ! قال : إن كنتم قد كذّبتمونى واتهمتمونى ، فإنّ آية ملكه : « أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم » ، الآية . قال : فنزلت الملائكة بالتابوت نهاراً ينظرون إليه عِياناً، حتى وضعوه بين أظهرهم ، فأقرُّوا غيرَ راضين ، وخرجوا ساخطين ، وقرأ حتى بلغ « والله مع الصابرين ».

٥٧٠٣ ــ حدثنى موسى قال: حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : لما قال لهم نبيهم ما قال لهم: « إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم » ، قالوا: فإن كنت صادقاً فأتنا بآية أن هذا ملك ! قال: « إنّ آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة » . وأصبح التابوت وما فيه فى دار طالوت ، فآمنوا بنبوّة شمعون ، وسلّموا ملك طالوت .

٥٧٠٤ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا

معمر ، عن قتادة فى قوله : « تحمله الملائكة » ، قال : تحمله حتى تضعه فى بيت طالوت .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : تسوق الملائكة الدوابَّ التى تحمله .

* ذكر من قال ذلك :

٥٧٠٥ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا الثورى ، عن بعض أشياخه قال : تحمله الملائكة على عجلة على بقرة .

٥٧٠٦ — حدثنا الحسن قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا عبد الصمد ابن معقل : أنه سمع وهب بن منبه يقول : وُكِّل بالبقرتين اللتين سارتا بالتابوت أربعةٌ من الملائكةُ يسوقونهما ، فسارت البقرتان بهما سيراً سريعاً ، حتى إذا بلغتا طرف القُدْس ذهبتا .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال : « حملت التابوتَ الملائكةُ حتى وضعته لها فى دار طالوت قائماً بين أظهُر بنى إسرائيل » .[1] وذلك أن الله تعالى ذكره قال : « تحمله الملائكة » ، ولم يقل : تأتى به الملائكة . وما جرَّته البقر على عجَل ، وإن كانت الملائكة هى سائقتُها ، فهى غيرُ حاملته . لأن « الحمل » المعروف ، هو مباشرة الحامل بنفسه حَمل ما حمل ، فأما ما حمله على غيره = وإن كان جائزاً فى اللغة أن يقال « حَمله » بمعنى : معونته الحامل ،[2] وبأنّ حَمله كان عن سببه = فليس سبيلُه سبيلَ ما باشر حَمْله بنفسه ، فى تعارف الناس إياه

---

(١) فى المطبوعة : « حتى وضعته فى دار طالوت » بإسقاط « لها » ، أى لبنى إسرائيل . وفى المطبوعة : « فى دار طالوت بين أظهر بنى إسرائيل » بإسقاط « قائماً » ، وكانت هذه اللفظة فى المخطوطة : « وأما بين أظهر لبنى إسرائيل » ، وقرأتها : « قائماً » .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « أن يقال فى حمله بمعنى معونته » ، والصواب إسقاط « فى » .

بينهم . وتوجيهُ تأويل القرآن إلى الأشهر من اللغات ، أولى من توجيهه إلى الأنكرِ ، (١) ما وُجد إلى ذلك سبيل .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (٢٤٨)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : أنّ نبيه شمويل قال لبنى إسرائيل : إن فى مجيئكم التابوتُ فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون حاملتَه الملائكة = « لآيةً لكم » ، يعنى : لعلامةً لكم ودلالة ، (٢) أيها الناس ، على صدقى فيما أخبرتكم : أنّ الله بعث لكم طالوت ملكاً ، أنْ كنتم قد كذّبتمونى فيما أخبرتُكم به من تمليك الله إياه عليكم ، واتهمتمونى فى خبرى إياكم بذلك = « إن كنتم مؤمنين » ، يعنى بذلك : (٣) إن كنتم مصدقىّ عند مجىء الآية التى سألتمونيها على صدقى فيما أخبرتكم به من أمر طالوت ومُلكه .

* * *

وإنما قلنا ذلك معناه ، لأن القوم قد كانوا كفروا بالله فى تكذيبهم نبيهّم وردّهم عليه قوله : « إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً » ، بقولهم : « أنىّ يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه » ، = وفى مسألتهم إياه الآيةَ على صدقه . فإذْ ٢/٣٩٠ كان ذلك منهم كفرًا ، (٤) فغير جائز أن يقال لهم وهم كفار : لكم فى مجىء التابوت آية إن كنتم من أهل الإيمان بالله ورسوله : = وليسوا من أهل الإيمان بالله ولا برسوله . ولكن الأمر فى ذلك على ما وصفنا من معناه ، لأنهم سألوا الآية

---

(١) فى المطبوعة : « أولى من توجيهه إلى أن لا يكون الأشهر . . . » ، وهو خلط من كلام الموسوسين ! ! وفى المخطوطة « إلى إلى أن لا يلر » ، وضرب على « إلى » الثانية . وصواب قراءته ما قرأت ، وقد مضى مثله مراراً فى كلام الطبرى .

(٢) انظر معنى « آية » فيما سلف قريباً : ٣١٧ تعليق : ١ ، وفيه المراجع .

(٣) انظر تفسير « الإيمان » بمعنى « التصديق » فيما سلف من الأجزاء ، فى فهارس اللغة .

(٤) فى المطبوعة : « فإن كان ذلك منهم . . . » ، والصواب ما فى المخطوطة .

على صدق خبره إياهم ليقرُّوا بصدقه، فقال لهم : فى مجيء التابوت — على ما وصفه لهم — آيةٌ لكم إن كنتم عند مجيئه كذلك مصدقىَّ بما قلت لكم وأخبرتكم به.

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾

قال أبو جعفر : وفى هذا الخبر من الله تعالى ذكره، متروك قد استُغنى بدلالة ما ذكر عليه عن ذكره . ومعنى الكلام : « إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين » ، فأتاهم التابوت فيه سكينة من ربهم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة ، فصدَّقوا عند ذلك نبيهم وأقروا بأن الله قد بعث طالوت ملكاً عليهم ، وأذعنوا له بذلك . يدل على ذلك قوله : « فلما فصَل طالوتُ بالجنود » . وما كان ليفصل بهم إلا بعد رضاهم به وتسليمهم الملك له ، لأنه لم يكن ممن يقدر على إكراههم على ذلك ، فيظنّ به أنه حملهم على ذلك كرهاً .

* * *

وأما قوله : « فصَل » فإنه يعنى به : شخص بالجند ورحل بهم .

* * *

وأصل « الفصل » القطع ، يقال ، منه : « فصل الرجل من موضع كذا وكذا » — يعنى به قطع ذلك فجاوزه شاخصاً إلى غيره، « يفصل فصولاً » و « فصل العظم والقول من غيره ، فهو يفصله فصلاً » ، إذا قطعه فأبانه. و « فصَل الصبى فِصَالاً » ، إذا قطعه عن اللبن [1] . و « قول فصْلٌ » ، يقطع فيفرق بين الحق والباطل لا يُردّ .

* * *

(١) انظر تفسير « الفصال » فيما سلف من هذا الجزء : ٦٧ .

وقيل : إنّ طالوت فصَل بالجنود يومئذ من بيت المقدس وهم ثمانون ألف مقاتل، لم يتخلف من بنى إسرائيل عن الفصول معه إلا ذو علة لعلته ، أو كبير لهرمه ، أو معذورٌ لا طاقة له بالنهوض معه .

* ذكر من قال ذلك :

٥٧٠٧ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال ، حدثنى بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه قال : خرج بهم طالوت حين استوسقوا له ، ولم يتخلف عنه إلا كبير ذو علة ، أو ضريرٌ معذورٌ ، أو رجلٌ فى ضيعة لا بد له من تخلُّفٍ فيها. (١)

٥٧٠٨ – حدثنى موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : لما جاءهم التابوت آمنوا بنبوة شمعون ، وسلموا مُلك طالوت ، فخرجوا معه وهم ثمانون ألفاً. (٢)

* * *

قال أبو جعفر : فلما فصَل بهم طالوت على ما وصفنا ، قال : « إن الله مُبتليكم بنهَر » ، يقول : إن الله مختبركم بنهر ، ليعلم كيف طاعتكم له .

* * *

وقد دللنا على أنّ معنى « الابتلاء » ، الاختبار ، فيما مضى بما أغنى عن إعادته. (٣)

* وبما قلنا فى ذلك كان قتادة يقول .

٥٧٠٩ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة فى قول الله تعالى : « إن الله مبتليكم بنهر » ، قال : إن الله يبتلى خلقَه بما يشاء ، ليعلم من يطيعه ممن يعصيه.

* * *

(١) الأثر : ٥٧٠٧ – استوسقوا له : اجتمعوا له بالطاعة : ودانوا، (انظر ما سلف ص: ٣٢١) فى آخر الأثر : ٥٦٥٩ ، والتعليق عليه . والضرير : المريض المهزول ، قد أضر به المرض .

(٢) الأثر : ٥٧٠٨ – فى التاريخ ١ : ٢٤٣ من خبر طويل مضى أكثره فيما سلف .

(٣) انظر ما سلف ٢ : ٣/٤٩ : ٧ ، ٢٢٠ .

وقيل إن طالوت قال : « إن الله مبتليكم بنهر »، لأنهم شكوا إلى طالوت قلة المياه بينهم وبين عدوِّهم، وسألوه أن يدعوَ الله لهم أن يجرى بينهم وبين عدوهم نهرًا، فقال لهم طالوت حينئذ ما أخبر عنه أنه قاله من قوله : « إن الله مبتليكم بنهر » .

* ذكر من قال ذلك :

٥٧١٠ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال ، حدثنى بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه قال : لما فصَل طالوت بالجنود قالوا : إن المياه لا تحملنا ، فادع الله لنا يجرى لنا نهرًا . فقال لهم طالوت : « إن الله مبتليكم بنهر » الآية . ٢/٣٩١

* * *

« والنهر »الذى أخبرهم طالوت أن الله مبتليهم به ، قيل : هو نهر بين الأردن وفلسطين .

* ذكر من قال ذلك :

٥٧١١ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : « إن الله مبتليكم بنهر» ، قال الربيع : ذُكر لنا، والله أعلمُ، أنه نهر بين الأردن وفلسطين .

٥٧١٢ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « إن الله مبتليكم بنهر » ، قال : ذكر لنا أنه نهر بين الأردنّ وفلسطين .

٥٧١٣ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قوله : « إن الله مبتليكم بنهر » ، قال : هو نهر بين الأردنّ وفلسطين .

٥٧١٤ — حدثنا القاسم قال ،حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن ابن عباس : فلما فصل طالوت بالجنود غازياً إلى جالوت ، قال طالوت لبنى إسرائيل : « إنّ الله مبتليكم بنهر» ، قال : نهر بين فلسطين والأردن ، نهرٌ عذبُ الماء طيِّبُه .

وقال آخرون : بل هو نهر فلسطين .

* ذكر من قال ذلك :

٥٧١٥ ــ حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : « إن الله مبتليكم بنهر » ، فالنهر الذي ابتُلي به بنو إسرائيل، نهرُ فلسطين.

٥٧١٦ ــ حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط، عن السدي : « إن الله مبتليكم بنهر » ، هو نهر فلسطين .

* * *

وأما قوله : « فمن شرب منهُ فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلّا من اغترف غُرْفة بيده فشربوا منه إلاّ قليلاً منهم» . فإنه خبر من الله تعالى ذكره عن طالوت بما قال لجنوده ، إذ شكوا إليه العطش ، فأخبرهم أنّ الله مبتليهم بنهر ،[1] ثم أعلمهم أن الابتلاء الذي أخبرهم عن الله به من ذلك النهر ، هو أنّ من شرب من مائه فليس هو منه = يعني بذلك : أنه ليس من أهل وَلايته وطاعته ، ولا من المؤمنين بالله وبلقائه . ويدلُّ على أنّ ذلك كذلك قول الله تعالى ذكره : ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾، فأخرج من لم يجاوز النهر من الذين آمنوا ، ثم ثم أخلصَ ذكر المؤمنين بالله ولقائه عند دنوّهم من جالوت وجنوده بقوله : ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، وأخبرهم أنه من لم يطعمه = يعني : من لم يطعم الماء من ذلك النهر. « والهاء » في قوله : « فمن شرب منه »، وفي قوله: « ومن لم يطعمه » ، عائدة على « النهر » ،

---

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « . . . عن طالوت أنه قال لجنوده ، . . . فأخبر أن الله » ، وهي عبارة لا تستقيم على جادة الكلام، فجعلت « أنه »، « بما » ، وجعلت « فأخبر » ، « فأخبرهم» . وأعود فأقول إن الناسخ في هذا الموضع كثير السهو والخطأ من فرط عجلته .

والمعنى لمائه . وإنما ترك ذكر « الماء » اكتفاءً بفهم السامع بذكر النهر لذلك : (١) أنّ المراد به الماء الذى فيه .

* * *

ومعنى قوله : « لم يطعمه » ، لم يذقه ، يعنى : ومن لم يذق ماء ذلك النهر فهو منّى = يقول : هو من أهل ولايتى وطاعتى ، والمؤمنين بالله وبلقائه . ثم استثنى مِن « مَن » فى قوله : « ومن لم يطعمه » ، المغترفين بأيديهم غرفة ، (٢) فقال : ومن لم يطعم ماء ذلك النهر ، (٣) إلا غرفة يغترفها بيده ، فإنه منى .

* * *

ثم اختلفت القرأة فى قراءة قوله : « إلا من اغترف غرفة بيده » .

فقرأه عامة قرّأة أهل المدينة والبصرة : ﴿ غَرْفَةً ﴾ ، بنصب « الغين » من « الغرفة » بمعنى الغَرفة الواحدة ، من قولك ، « اغترفت غَرفة » ، و « الغرفة » هى الفعل

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « كذلك » ، والصواب ما أثبت ، وسياق العبارة : اكتفاء بفهم السامع لذلك بذكر النهر : أن المراد . . .

(٢) أكثر المفسرين قد جعل الاستثناء من قوله : « فمن شرب منه » ، وقال أبو حيان فى تفسيره ١ : ٢٦٥ وقال : « وقع فى بعض التصانيف ما نصه : « إلا من اغترف » ، استثناء من الأولى ، وإن شئت من الثانية ، لأنه حكم على أن من لم يطعمه فإنه منه ، فيلزم فى الاستثناء من هذا أن من اغترف منه بيده غرفة فليس منه . والأمر ليس كذلك ، لأنه مفسوح لهم الاغتراف غرفة باليد دون الكروع فيه . وهو ظاهر الاستثناء من الأولى ، لأنه حكم فيها : أن من شرب منه فليس منه ، فيلزم فى الاستثناء أن من اغترف غرفة بيده منه ، فإنه منه ، إذ هو مفسوح له فى ذلك . وهكذا الاستثناء ، يكون من النفى إثباتاً ، ومن الإثبات نفياً ، على الصحيح من المذاهب فى هذه المسألة » .

وانظر أيضاً تعليق ابن المنير على الكشاف بهامش ١ : ١٤٩ — ١٥٠ ، وأما العكبرى فى إعراب القرآن فإنه قال : « إلا من اغترف — استثناء من الجنس ، وموضعه نصب . وأنت بالخيار ، إن شئت جعلته استثناء من « من » الأولى ، وإن شئت من « من » الثانية » . وهذا يرجح صواب معنى الطبرى ، وصواب ما صححناه ، فإنه كان فى المخطوطة والمطبوعة : « ثم استثنى من قوله . . . » . والمخطوطة كما أسلفت مراراً مضطربة فى هذا الموضع ، وفى مواضع من أشباه ذلك . وسترى ذلك فى التعليق التالى .

والظاهر أن الطبرى أراد أن القوم كانوا فئتين : فئة شربت من الماء ، وفئة مؤمنة لم تطعم من الماء إلا غرفة . وبذلك يصح كل ما قاله . وهذا بين فيما سيأتى بعد فى ص ٣٤٨ — ٣٥٠ أن من جاوز مع طالوت النهر : الذى لم يشرب من الماء إلا الغرفة ، والكافر الذى شرب منه الكثير » . وكأن المؤمنين جميعاً — عنده — قد شربوا من الماء غرفة . هذا ما أرجحه ، والله ولى التوفيق .

(٣) فى المخطوطة : « فقالوا : من لم يطعم ومن لم يطعم ماء ذلك النهر . . . » وهو خلط من الكلام .

بعينه من « الاغتراف » .[١]

* * *

وقرأه آخرون بالضم، بمعنى الماء الذى يصيرُ فى كف المغترف. فـ « الغُرفة » الاسم »، و« الغَرفة » المصدر .

* * *

وأعجب القراءتين فى ذلك إلىّ، ضم «الغين » فى « الغُرفة»، بمعنى : إلا من اغترف كفًّا من ماء = لاختلاف « غرفة » إذا فتحت غينها ، وما هى له مصدر . وذلك أنّ مصدر « اغترف» ، « اغترافة » ، وإنما « غَرفة » مصدر : « غرفت » . فلما ٣٩٢/٢ كانت « غَرْفة » مخالفة مصدر « اغترف » ، كانت « الغُرفة » التى بمعنى الاسم على ما قد وصفنا ، أشبه منها بـ « الغَرفة » التى هى بمعنى الفعل.[٢]

* * *

قال أبو جعفر : وذُكر لنا أن عامتهم شربوا من ذلك الماء، فكان من شرِب منه عطش ، ومن اغترف غُرْفة رَوى .

• ذكر من قال ذلك :

٥٧١٧ ــ حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة : « ومن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فإنه منى إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلاً منهم » ، فشرب القوم على قدر يقينهم ، أما الكفار فجعلوا يشربون فلا يروون ، وأما المؤمنون فجعل الرجل يغترف غُرفة بيده فتجزيه وتُرْويه .

٥٧١٨ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « فمن شرب منه فليس منىّ ومن لم يطعمه فإنه منىّ إلا من اغترف غرفة بيده » ، قال : كان الكفار يشربون فلا يروَوْن، وكان المسلمون يغترفون غُرفة فيجزيهم ذلك .

---

(١) « الفعل » يعنى المصدر ، كما سلف آنفاً ص : ٣٣٠ تعليق : ١ ، وكما سيصرح به فى الجمل التالية إلى آخر الكلام .

(٢) هذا تفصيل جيد قلما تصيبه فى كتب اللغة . وانظر اللسان مادة (غرف) وقول الكسائى وغيره فى ذلك .

٥٧١٩ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلاً منهم » ، يعني المؤمنين منهم . وكان القوم كثيرًا ، فشربوا منه إلا قليلاً منهم = يعني المؤمنين منهم . كان أحدهم يغترف الغُرفة فيجزيه ذلك ويُرويه .

٥٧٢٠ – حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: قال لما أصبح التابوت وما فيه في دار طالوت ، آمنوا بنبوة شمعون، وسلّموا مُلك طالوت، فخرجوا معه وهم ثمانون ألفاً . وكان جالوت من أعظم الناس وأشدّهم بأساً ، فخرج يسير بين يدي الجند، ولا يجتمع إليه أصحابه حتى يَهزم هو من لقي . فلما خرجوا قال لهم طالوت : « إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه منيّ » ، فشربوا منه هيبةً من جالوت ، فعبر منهم معه أربعة آلاف ،(١) ورجع ستة وسبعون ألفاً، فمن شرب منه عطش، ومن لم يشرب منه إلا غُرفة رَوِي .(٢)

٥٧٢١ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : ألقى الله على لسان طالوت حين فصَل بالجنود ، فقال : لا يصحبني أحدٌ إلا أحدٌ له نية في الجهاد . فلم يتخلف عنه مؤمن ، ولم يتبعه منافق ، . . . . رجعوا كفاراً ، لكذبهم في قيلهم إذ قالوا : « قالوا: لن نمس هذا الماء غرفة ولا غير » =(٣) وذلك

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « فعبر منهم » بإسقاط « معه » ، وأثبتها من التاريخ .

(٢) الأثر : ٥٧٢٠ – هو جزء من الخبر الذي في التاريخ ١ : ٢٤٢ – ٢٤٣ ، وقد جزأه الطبري في هذا التفسير في مواضع كثيرة أشرنا إليها رقم : ٥٦٣٥ ، ٥٦٣٨ ، ٥٦٧٩ ، ٥٦٩٠ ، ٥٧٠٨ .

(٣) في المخطوطة : « ولم تتبعه منافق ، رجعوا كفاراً ، فلما رأى قلتهم قالوا : لن نمس هذا الماء » أما المطبوعة ، فقد أسقط قوله « رجعوا كفاراً » . وزاد « من » فقال : « لن نمس من هذا الماء » . وكلتا العبارتين لا تستقيم في الحالين . وأنا أرجح أنه قد سقط من الناسخ سطر أو بعض سطر ، معناه : أن بعض الذين خرجوا معه ، رجعوا كفاراً لكذبهم في قيلهم ذلك . والذي يرجح ذلك عندي أنه يقول بعد « قال : وأخذ البقية الغرفة » ، فهذا دليل على أنه قد أجرى قبل ذلك ذكر الذين شربوا من النهر . فمن أجل ذلك وضعت هذه النقط ، وصححتها كما أثبت في سياق الكلام .

هذا ، وقد كان في المطبوعة : « ولا غيرها » ، فأثبت ما في المخطوطة ، فهو صواب .

أنه قال لهم : إنّ الله مبتليكم بنهر » ، الآية ، فقالوا : لن نمس هذا ، غرفةً ولا غيرَ غرفة = [١] قال : وأخذ البقيةُ الغُرفةَ فشربوا منه حتى كفتهم ، وفضل منهم . [٢] قال : والذين لم يأخذوا الغُرفة أقوَى من الذين أخذوها .

٥٧٢٢ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس فى قوله : « فمن شرب منه فليس منىّ ومن لم يطعمه فإنه منّى إلاّ من اغترف غرفة بيده » ، فشرب كل إنسان كقدر الذى فى قلبه . فمن اغترف غرفة وأطاعه ، رَوى لطاعته . [٣] ومن شرب فأكثر ، عصى فلم يروَ لمعصيته .

٥٧٢٣ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق فى حديث ذكره ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه فى قوله : « فمن شرب منه فليس منىّ ومن لم يطعمه فإنه منى إلا من اغترف غرفة بيده» ، يقول الله تعالى ذكره: «فشربوا منه إلاّ قليلاً منهم » ، وكان ــ فيما يزعمون ــ من تتابع منهم فى الشرب الذى نهى عنه لم يُروِه ، ومن لم يطعمه إلا كما أمر : غرفةً بيده ، أجزاه وكفاه . ٣٩٣/٢

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « فلما جاوزه هو » ، فلما جاوز النهرَ طالوتُ . « والهاء » فى « جاوزه » عائدة على « النهر » ، و « هو » كناية

---

(١) فى المطبوعة : « لن نمس من هذا » بزيادة « من » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « فشربوا منها » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « روى بطاعته » والذى أثبت ، أشبه بالمخطوطة وبالصواب .

اسم طالوت = وقوله : « والذين آمنوا معه » ، يعنى : وجاوز النهر معه الذين آمنوا ، قالوا : لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده .

* * *

ثم اختلف فى عدة من جاوز النهر معه يومئذ ، ومن قال منهم : « لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده » .

فقال بعضهم : كانت عِدَّتهم عِدَّةَ أهل بدر : ثلثمئة رجل وبضعة عشر رجلاً .

* ذكر من قال ذلك :

٥٧٢٤ — حدثنا هرون بن إسحق الهمدانى قال، حدثنا مصعب بن المقدام = وحدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد الزبيرى = قالا جميعاً ، حدثنا إسرائيل قال ، حدثنا أبو إسحق ، عن البراء بن عازب قال : كنا نتحدّث أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا النهر معه ، ولم يجز معه إلا مؤمن : ثلثمئة وبضعة عشر رجلاً .(١)

٥٧٢٥ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو بكر قال ، حدثنا أبو إسحق، عن البراء قال : كنا نتحدث أن أصحاب بدر يوم بدر كعدة أصحاب طالوت، ثلثمئة رجل وثلاثة عشر رجلاً، الذين جاوزوا النهر .(٢)

---

(١) الحديث : ٥٧٢٤ — هذا الحديث عن البراء بن عازب فى عدة أهل بدر . وقد رواه الطبرى بستة أسانيد ، كلها عن أبى إسحق السبيعى ، عن البراء بن عازب .

ورواه أحمد فى المسند ٤ : ٢٩٠ (حلبى) ، عن وكيع ، عن أبيه — هو الجراح بن مليح — وسفيان. وهو الثورى ، وإسرائيل ، ثلاثتهم عن أبى إسحق ، عن البراء.

ورواه البخارى ٨ : ٢٢٨ ، من طريق زهير ، ومن طريق إسرائيل ، ومن طريق الثورى — ثلاثتهم عن أبى إسحق ، به .

وذكره ابن كثير ١ : ٦٠٣، عن روايات الطبرى ، ملخصة الأسانيد . ثم ذكر أنه رواه البخارى .

وذكره السيوطى ١ : ٣١٨ ، وزاد نسبته لابن أبى شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والبيهقى فى الدلائل . ولكنه نسى أن ينسبه لأحمد .

(٢) الحديث : ٥٧٢٥ — أبو بكر — الراوى عن أبى إسحق : هو ابن عياش .

وقد ذكر أخى السيد محمود محمد شاكر أنه وجد فى المخطوطة ، فى آخر هذا الحديث « كلمة

٥٧٢٦ ــ حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا أبو عامر قال، حدثنا سفيان، عن أبي إسحق ، عن البراء قال : كنا نتحدث أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يوم بدر ثلثمئة وبضعة عشر رجلاً ، على عدة أصحاب طالوت منْ جاز معه، وما جاز معه إلاّ مؤمن .(١)

٥٧٢٧ ــ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي إسحق، عن البراء بنحوه .(٢)

٥٧٢٨ ــ حدثنا ابن بشار قال، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحق ، عن البراء قال : كنا نتحدث أن أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم كانوا يوم بدر على عدة أصحاب طالوت يوم جاوزُوا النهر ، ، وما جاز معه إلاّ مسلم .(٣)

٥٧٢٩ ــ حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا مسعر ، عن أبي إسحق ، عن البراء مثله .(٤)

٥٧٣٠ ــ حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذكر لنا أنّ نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوم بدر : أنتم بعدة

غريبة جداً ، بعد قوله « الذين جاوزوا النهر » وهي « فسكت » ــ واضحة جداً . ولم أجدها في مكان آخر ولم أستطع أن أعرف ما هي . وقد حذفت في المطبوعة » .

وأقول : إني لم أجد ــ أيضاً ــ هذه الكلمة ، ولم أستطع أن أعرف ما هي ؟ ولذلك رأينا حذفها من مطبوعتنا هذه ، مع بيان ذلك ، أداء للأمانة العلمية .

(١) الحديث : ٥٧٢٦ ــ أبو عامر : هو العقدي ، عبد الملك بن عمرو .

(٢) الحديث : ٥٧٢٧ ــ والد وكيع : هو الجراح بن مليح بن عدي الرؤاسي ، وهو ثقة ، تكلم فيه بغير حجة ، كما بينا في شرح المسند ، في الحديث : ٦٥٠ .

ورواية وكيع عن أبيه هذا الحديث ــ هي إحدى روايات المسند ، التي أشرنا إليها في الحديث الماضي : ٥٧٢٤ .

(٣) الحديث : ٥٧٢٨ ــ مؤمل : هو ابن إسمعيل العدوي . وسفيان ــ في هذا والذي قبله : هو الثوري .

(٤) الحديث : ٥٧٢٩ ــ أبو أحمد : هو الزبيري ، محمد بن عبد الله بن الزبير الأسدي .

مسعر : هو ابن كدام ، مضت ترجمته في : ١٩٧٤ .

أصحاب طالوت يوم لقى . وكان أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثلثمئة وبضعة عشر رجلا .

٥٧٣١ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : محّص الله الذين آمنوا عند النهر ، وكانوا ثلثمئة ، وفوق العشرة ودون العشرين ، فجاء داود صلى الله عليه فأكمل به العدة.

* * *

وقال آخرون : بل جاوز معه النهر أربعة آلاف ، وإنما خلص أهلُ الإيمان منهم من أهل الكفر والنفاق ، حين لقوا جالوت .

* ذكر من قال ذلك :

٥٧٣٢ – حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى ، قال : عبرَ مع طالوت النهر من بني إسرائيل أربعة آلاف ، فلما جاوزَه هو والذين آمنوا معه فنظروا إلى جالوت، رجعوا أيضاً وقالوا : « لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده » . فرجع عنه أيضاً ثلاثة آلاف وستمئة وبضعةٌ وثمانون ، وخلص في ثلثمئة وبضعةَ عشر ، عدة أهل بدر .(١)

٥٧٣٣ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : لما جاوزه هو والذين آمنو معه ، قال الذين شربوا : « لا طاقة لنا اليوم بجالوتَ وجنوده » . ٣٩٤/٢

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك بالصواب ما روى عن ابن عباس وقاله السدى : وهو أنه جاوز النهر مع طالوت المؤمنُ الذى لم يشرب من النهر إلاّ الغرفة ، والكافر الذى شرب منه الكثير . ثم وقع التمييز بينهم بعد ذلك برؤية جالوت

---

(١) الأثر : ٥٧٣٢ – هو جزء من الأثر الطويل الذى رواه في التاريخ ١ : ٢٤٢ – ٢٤٣ ، وجزأه في التفسير ، كما أشرنا إليه في التعليق على الأثر : ٥٧٢٠ . ورواية أبي جعفر هنا : « وخلص في ثلثمئة وبضعة عشر » ، وفي التاريخ « وتسعة عشر » .

ولقائه ، وانخزَل عنه أهل الشرك والنفاق = [١] وهم الذين قالوا : « لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده » = ومضى أهل البصيرة بأمر الله على بصائرهم ، وهم أهل الثبات على الإيمان ، فقالوا : « كم من فئة قليلة غلبتْ فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين » .

* * *

فإن ظنّ ذو غفلة أنه غير جائز أن يكون جاوز النهرَ مع طالوت إلا أهلُ الإيمان الذين ثبتوا معه على إيمانهم ، ومن لم يشرب منَ النهر إلا الغرفة ، لأن الله تعالى ذكره قال : « فلما جاوَزه هو والذين آمنوا معه » ، فكان معلوماً أنه لم يجاوز معه إلا أهلُ الإيمان ، على ما رُوى به الخبرُ عن البراء بن عازب ، ولأن أهلَ الكفر لو كانوا جاوزوا النهر كما جاوزه أهل الإيمان ، لما خص الله بالذكر فى ذلك أهل الإيمان = [٢] فإن الأمر فى ذلك بخلاف ما ظن . وذلك أنه غير مستنكر أن يكون الفريقان — أعنى فريقَ الإيمان وفريقَ الكفر — جاوزوا النهر . وأخبر الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم عن المؤمنين بالمجاوزة ، لأنهم كانوا من الذين جاوزوه مع ملكهم = وترَك ذكر أهل الكفر ، وإن كانوا قد جاوزوا النهر مع المؤمنين .

والذى يدل على صحة ما قلنا فى ذلك ، قول الله تعالى ذكره : « فلما جاوزَه هو والذين آمنوا معه قالوا : لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله » ، فأوجب الله تعالى ذكره أن « الذين يظنون أنهم ملاقو الله » ، هم الذين قالوا عند مجاوزة النهر : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله » ، دون غيرهم الذين لا يظنون أنهم ملاقو

---

(١) فى المطبوعة : « وانخذل عنه » ، بالذال ، وهو خطأ غث لا يقال هنا ، والصواب فى المخطوطة . وانخزل عنه : انقطع وانفرد ، وفى حديث آخر : « انخزل عبد الله بن أبى من ذلك المكان » ، أى انفرد ورجع بقومه .

(٢) السياق : « فإن ظن ذو غفلة . . . فإن الأمر فى ذلك بخلاف ما ظن » .

الله — وأن « الذين لا يظنون أنهم ملاقو الله » ، هم الذين قالوا : « لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده » . وغيرُ جائز أن يضاف الإيمان إلى من جحد أنه ملاق الله، أو شك فيه. (١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (٢٤٩)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى أمر هذين الفريقين = أعنى القائلين : « لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده » ، والقائلين : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله » ، مَنْ هما ؟

فقال بعضهم : الفريق الذين قالوا : « لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده » ، هم أهلُ كفرٍ بالله ونفاق ، وليسوا ممن شهد قتال جالوت وجنوده ، لأنهم انصرفوا عن طالوت ومن ثبت معه لقتال عدوّ الله جالوت ومن معه ، وهم الذين عصَوْا أمرَ الله لشربهم من النهر .

* ذكر من قال ذلك :

٥٧٣٤ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى بذلك .

* * *

وهو قول ابن عباس وقد ذكرنا الرواية بذلك عنه آنفاً . (٢)

* * *

٥٧٣٥ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن

---

(١) هذه حجة بينة ماضية ، تتضمن من البصر والفهم والدقة ما ينبغى أن يوقف عنده .

(٢) انظر الأثر رقم : ٥٧٢٢ .

ابن جريج قال : « الذين يظنون أنهم ملاقو الله » ، الذين اغترفوا وأطاعوا ، الذين مضَوْا مع طالوت المؤمنون، وجلس الذين شكُّوا .

* * *

وقال آخرون : كلا الفريقين كان أهلَ إيمان ، ولم يكن منهم أحدٌ شرب من الماء إلاّ غرفة ، بل كانوا جميعاً أهل طاعة ، ولكن بعضُهم كانَ أصحَّ يقيناً من بعض . وهم الذين أخبر الله عنهم أنهم قالوا : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله » . والآخرون كانوا أضعف يقيناً ، وهم الذين قالوا : « لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده » . ٣٩٥/٢

* ذكر من قال ذلك :

٥٧٣٦ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد عن قتادة : « فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين» ، ويكون [والله] المؤمنون بعضهم أفضل جدًّا وعزماً من بعض،وهم مؤمنون كلهم .(١)

٥٧٣٧ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله » ، أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوم بدر : أنتم بعدة أصحاب طالوت : ثلثمئة. = قال قتادة : وكان مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثلثمئة وبضعة عشر .

٥٧٣٨ ــ حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : الذين لم يأخذوا الغرفة أقوَى من الذين أخذوا،وهم الذين قالوا : «كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين » .

* * *

ويجب على القول الذى روى عن البراء بن عازب : أنه لم يجاوز النهرَ مع طالوت

---

(١) ما بين القوسين زيادة من المخطوطة .

إلا عدة أصحاب بدر - أن يكون كلا الفريقين اللذين وصفهما الله بما وصفهما به ، أمرُهما على نحو ما قال فيهما قتادة وابن زيد .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى تأويل الآية ما قاله ابن عباس والسدى وابن جريج ، وقد ذكرنا الحجة فى ذلك فيما مضى قبلُ آنفاً . (١)

* * *

وأما تأويل قوله : « قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله » ، فإنه يعنى : قال الذين يعلمون ويستيقنون أنهم ملاقو الله . (٢)

٥٧٣٩ - حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله » ، الذين يستيقنون

* * *

فتأويل الكلام : قال الذين يوقنون بالمعاد ويصدِّقون بالمرجع إلى الله ، للذين قالوا : « لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده » = : « كم من فئة قليلة » ، يعنى بـ « كم » ، كثيراً ، غلبت فئة قليلة = « فئة كثيرة بإذن الله » ، يعنى : بقضاء الله وقدره = (٣) « والله مع الصابرين » ، يقول : مع الحابسين أنفسهم على رضاه وطاعته . (٤)

* * *

وقد أتينا على البيان عن وجوه « الظن » ، وأن أحد معانيه : العلم اليقين ، بما يدل على صحة ذلك فيما مضى ، فكرهنا إعادته . (٥)

* * *

وأما « الفئة » ، فإنهم الجماعة من الناس ، لا واحدَ له من لفظه ، وهو مثل « الرَّهْط » و « النفَر » ، يجمع (٦) « فئات » ، و « فئون » فى الرفع ، و « فئين » فى

---

(١) انظر ما سلف : ٣٤٩ ، ٣٥٠

(٢) انظر القول فى قوله : « ملاقو الله » فيما سلف ٢ : ٢٠ - ٢٢ / ٤ : ٤١٩ .

(٣) انظر تفسير « الإذن » فيما سلف ٢ : ٤٤٩ ، ٤٥٠ / ٤ : ٢٨٧ ، ٣٧١ .

(٤) انظر معنى « الصبر » فيما سلف ٢ : ١١ ، ١٢٤ / ٣ : ٢١٤ ، ٣٤٩ ، وفهارس اللغة .

(٥) انظر ما سلف ٢ : ١٧ - ٢٠ / ثم : ٢٦٥ .

(٦) فى المطبوعة : « جمعه » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

النصب والخفض، بفتح نونها فى كل حال و « فئينُ » بالرفع بإعراب نونها بالرفع وترك الياء فيها ، وفى النصب « فئيناً » ، وفى الخفض « فئينٍ » ، فيكون الإعراب فى الخفض والنصب فى نونها . وفى كل ذلك مُقَرَّةٌ فيها « الياء » على حالها . فإن أضيفت قيل : « هؤلاء فئينُك »، [1] بإقرار النون وحذف التنوين، كما قال الذين لغتهم : « هذه سنين » ، فى جميع « السنة » -: « هذه سنينُك » ، بإثبات النون وإعرابها وحذف التنوين منها للإضافة . وكذلك العمل فى كل منقوص مثل « مئة » و « ثُبَة » و « قُلَة » و « عِزَة » : فأما ما كان نقصه من أوله، فإن جمعه بالتاء، مثل « عدة وعدات »، و « صلة وصلات »

* * *

وأما قوله : « والله مع الصابرين » فإنه يعنى : والله معينُ الصابرين على الجهاد فى سبيله وغير ذلك من طاعته، وظهورهم ونصرهم على أعدائه الصادِّين عن سبيله، المخالفين منهاج دينه .

* * *

وكذلك يقال لكل مُعين رجلاً على غيره: « هو معه »، بمعنى هو معه بالعَوْن له والنصرة . [2] ٣٩٦/٢

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (٢٥٠)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « ولما برزوا لجالوت وجنوده » ، ولما برز طالوتُ وجنودُه لجالوت وجنوده .

* * *

(١) فى المطبوعة : « فئنك » ، وهو خطأ .
(٢) انظر تفسير « مع » فيما سلف ٣ : ٢١٤ .

ومعنى قوله : « برزوا » صاروا بالبَرَاز من الأرض، وهو ما ظهر منها واستوى. ولذلك قيل للرجل القاضى حاجته « تبرَّز » ، لأن الناس قديماً فى الجاهلية ، إنما كانوا يقضون حاجتهم فى البَرازِ من الأرض، فقيل: « قد تبرَّز فلان » ، إذا خرج إلى البَرَاز من الأرض . وذلك كما قيل :[1] « تغوَّط » ، لأنهم كانوا يقضون حاجتهم فى « الغائط » من الأرض ، وهو المطمئن منها ، فقيل للرجل : « تغوَّط » أى صار إلى الغائط من الأرض .

* * *

وأما قوله : « ربنا أفرغ علينا صَبرًا » ، فإنه يعنى أن طالوت وأصحابه قالوا : « ربنا أفرغ علينا صبراً » ، يعنى : أنزل علينا صبراً .

* * *

وقوله : « وثبِّت أقدامنا »، يعنى : وقوِّ قلوبنا على جهادهم ، لتثبت أقدامنا فلاتنهزم عنهم = « وانصرنا على القوم الكافرين »، الذين كفروا بك فجحدوك إلهاً وعبدوا غيرك ، واتخذوا الأوثان أرباباً .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله « فهزموهم »،[2] فهزم طالوت وجنوده أصحابَ جالوت ، وقتل داودُ جالوتَ .

وفى هذا الكلام متروك ، ترك ذكره اكتفاءً بدلالة ما ظهر منه عليه . وذلك أن معنى الكلام : « ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً وثبِّت

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « لذلك كما قيل » ، والسياق يقتضى ما أثبت ، وليست « لذلك » من تمام الجملة السالفة .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « يعنى تعالى ذكره بقوله فهزم طالوت . . . » ، والسياق يقتضى زيادة « فهزموهم » من نص الآية .

أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » ، فاستجابَ لهم ربهم ، فأفرغ عليهم صبرَه وثبَّت أقدامهم ، ونصرهم على القوم الكافرين = « فهزموهم بإذن الله » = ولكنه ترك ذكر ذلك اكتفاء بدلالة قوله : « فهزموهم بإذن الله » ، على أنّ الله قد أجاب دعاءهم الذى دعوه به .

* * *

ومعنى قوله : « فهزموهم بإذن الله » ، فلُّوهم بقضاء الله وقدره .[1] يقال منه : « هزم القومُ الجيش هزيمة وهِزِّيمَى » .[2]

* * *

« وقتل داودُ جالوتَ » . وداوُد هذا هو داود بن إيشى ،[3] نبى الله صلى الله عليه وسلم . وكان سببَ قتله إياه ، كما : —

٥٧٤٠ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا بكار بن عبد الله قال ، سمعت وهب بن منبه يحدّث قال : لما خرج = أو قال : لما برز = طالوت لجالوت ، قال جالوت : أبرزوا إلىّ من يقاتلنى ، فإن قتلنى فلكم مُلكى ، وإن قتلته فلى مُلككم ! فأتى بداود إلى طالوت ، فقاضاهُ إن قتله أن ينكحه ابنته ،[4] وأن يحكِّمه فى ماله . فألبسه طالوت سلاحاً ، فكره داود أن يقاتله بسلاح ،[5] وقال : إن الله لم ينصرنى عليه ، لم يغن السلاح ! فخرج إليه بالمِقلاع ، وبمخلاة فيها أحجار ، ثم برَز له . قال له جالوت : أنت تقاتلنى ! ! قال داود :

---

(١) انظر معنى الإذن فيما سلف قريباً : ٣٥٢ ، تعليق : ٣ . ومراجعه هناك ، وأما قوله « فلوهم » ، فهو من قولهم : « فللت الجيش فلا » ، هزمته وكسرته . وكان فى المخطوطة والمطبوعة : « قتلوهم » من القتل ، وهو خطأ لا خير فيه ، فإن الهزيمة الانكسار ، لا القتل . وهزمه : كسره ، لا قتله .

(٢) « هزيمى » بكسر الهاء ، وتشديد الزاى المكسورة ، وميم مفتوحة للألف المقصورة .

(٣) ﴿ يَسَّى ﴾ فى كتاب القوم ، (صموئيل الأول : الإصحاح السابع عشر) .

(٤) قاضاه على كذا : صالحه عليه ، وهو من القضاء الفصل والحكم ، ومثله ما جاء فى صلح الحديبية : « هذا ما قاضى عليه محمد » .

(٥) قوله « بسلاح » ليست فى المطبوعة ولا المخطوطة ، وهى لا غنى عنها ، زدتها من نص الأثر فى الدر المنثور ١ : ٣١٨ — ٣١٩ .

نعم ! قال : ويلك ! ما خرجت إلا كما تخرج إلى الكلب بالمقلاع والحجارة ! (١) لأبدّدن لحمك ، (٢) ولأطعمنه اليوم الطير والسباع ! فقال له داود : بل أنت عدوّ الله شرٌّ من الكلب ! فأخذ داود حجراً ورماه بالمقلاع ، فأصابت بين عينيه حتى نفذ في دماغه ، (٣) فصرع جالوت وانهزم من معه ، واحتزّ داود رأسه . فلما رجعوا إلى طالوت ، ادّعى الناس قتل جالوت ، فمنهم من يأتي بالسيف ، وبالشيء من سلاحه أو جسده ، وخبأ داود رأسَه . فقال طالوت : من جاء برأسه فهو الذي قتله ! فجاء به داود ، ثم قال لطالوت : أعطني ما وعدتني ! فندم طالوت على ما كان شرط له ، وقال : إنّ بنات الملوك لا بد لهن من صداق ، وأنت رجل جريء شجاعٌ ، فاحتمل صداقها ثلثمئة غُلْفة من أعدائنا. (٤) وكان يرجو بذلك أن يُقتل داود . فغزا داود وأسرَ منهم ثلثمئة وقطع غُلَفهم ، وجاء بها . فلم يجد طالوت بدّاً من أن يزوجه ، ثم أدركته الندامة . فأراد قتلَ داود حتى هرب منه إلى الجبل ، فنهض إليه طالوت فحاصره . فلما كان ذات ليلة سُلّط النوم على طالوتَ وحرسِه ، فهبط إليهم داود فأخذ إبريق طالوت الذي كان يشرب منه ويتوضأ ، وقطع شعَرات من لحيته وشيئاً من هُدْب ثيابه ، (٥) ثم رجع داود إلى مكانه فناداه : أنْ [قدْ نمتَ ونامَ] حرسك ، (٦) فإني لو شئت أقتلك البارحة فعلت ،

٢/٣٩٧

---

(١) في المخطوطة : « أما رحب إلا كما تخرج » ، وفي المطبوعة : « أما تخرج إلى إلا كما يخرج » والذي في الدر المنثور ، أقرب إلى ما في المخطوطة ، مع فساد نسخ الناسخ في هذا الموضع خاصة.

(٢) في المخطوطة : « لأردن لحمك » ؛ وكأن ما في المطبوعة هو الصواب ، وكذلك هو في الدر المنثور .

(٣) في المطبوعة والدر المنثور : « فأصابت بين عينيه ونفذت » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٤) الغلفة والغرلة والقلفة (بضم أولها وسكون ثانيها) : هو الغشاء الذي يقع عليه الختان من عورة الرجل .

(٥) هدب الثوب وهدبته : طرفه مما يلي طرته .

(٦) في المطبوعة والمخطوطة : « فناداه أن . . . حرسك » بياض بينهما ، وهكذا رأيت أن تكون ولو اختار مختار أن تكون : « أن بدل حرسك » ، لكان حسناً أيضاً .

فإنه هذا إبريقك، وشيء من شعر لحيتك وهدبِ ثيابك ! وبعث [به] إليه، [1] فعلم طالوت أنه لو شاء قتله ، فعطفه ذلك عليه فأمَّنه ، وعاهده بالله لا يرى منه بأساً . ثم انصرف . ثم كان فى آخر أمر طالوت أنه كان يدُسُّ لقتله . وكان طالوت لا يقاتل عدوًّا إلاّ هُزم، حتى مات = قال بكار : وسئل وهب وأنا أسمع : أنبيًّا كان طالوتُ يوحىَ إليه ؟ فقال : لم يأته وحى ، ولكن كان معه نبىّ يقال له أشمويل يوحَى إليه ، وهو الذى ملَّك طالوت .

٥٧٤١ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : كان داودُ النبى وإخوةٌ له أربعة ، معهم أبوهم شيخ كبير ، فتخلَّف أبوهم ، وتخلف معه داود من بين إخوته فى غنم أبيه يرعاها له ، وكانَ من أصغرهم . وخرج إخوته الأربعة مع طالوت ، فدعاه أبوه وقد تقارَب الناسُ ودنا بعضهم من بعض .

= قال ابن إسحق : وكان داود ، فيما ذكر لى بعض أهل العلم عن وهب بن منبه : رجلاً قصيرًا أزرق، [2] قليلَ شعر الرأس، وكان طاهرَ القلب نقيَّه= [3] فقال له أبوه : يا بنى، إنا قد صنعنا لإخوتك زاداً يتقوَّوْن به على عدوِّهم، فاخرج به إليهم، فإذا دفعته إليهم فأقبل إلىّ سريعاً. فقال: أفعلُ . فخرج وأخذ معه ما حمل لإخوته ، ومعه مخلاته التى يحمل فيها الحجارة ، ومقلاعُه الذى كان يرمى به عن غنمه . حتى إذا فصَل من عند أبيه، فمرّ بحجر فقال: يا داود! خذنى فاجعلنى فى مخلاتك تقتل بى جالوت، فإنى حجرُ يعقوب ! فأخذه فجعله فى مخلاته، ومشى . فبينا هو يمشى إذ مرَّ بحجر آخر فقال : يا داود ! خُذنى فاجعلنى فى مخلاتك تقتلْ بى جالوت ، فإنى حجرُ إسحق ! فأخذه فجعله فى مخلاته ، ثم مضى . فبينا هو يمشى إذ مر بحجر فقال : يا داود ! خذنى فاجعلنى فى مخلاتك تقتل بى

---

(١) ما بين القوسين زيادة يقتضيها السياق .

(٢) قوله : « أزرق » ، يريد أزرق العينين ، وكانت العرب تتشاءم من الزرق . (انظر الحيوان ٥ : ٣٣٠ – ٣٣٣)

(٣) هذه الفقرة من الأثر ، رواها أبو جعفر فى تاريخه ١ : ٢٤٧ .

جالوت ، فإنى حجرُ إبراهيم ! فأخذه فجعله فى مخلاته . ثم مضى بما معه حتى انتهى إلى القوم ، فأعطى إخوته ما بُعث إليهم معه. وسَمع فى العسكر خوْضَ الناس بذكر جالوت وعظم شأنه فيهم ،(١) وبهيبة الناس إياه، وبما يعظمون من أمره،(٢) فقال لهم : والله إنكم لتعظمون من أمر هذا العدو شيئاً ما أدرى ما هو !! والله لو أراه لقتلته ! فأدخلونى على الملك . فأدخل على الملك طالوت ، فقال : أيها الملك، إنى أراكم تعظمون شأنَ هذا العدو ! والله إنى لو أراه لقتلته ! فقال : يا بنىّ ! ما عندك من القوة على ذلك؟(٣) وما جربت من نفسك ؟(٤) قال: قد كان الأسد يعدو على الشاة من غنمى فأدركه، فآخذ برأسه، فأفك لحييه عنها، فآخذها من فيه،(٥) فادع لى بدرع حتى ألقيها علىّ. فأتى بدرع فقذفها فى عنقه ، ومثل فيها ملءَ عين طالوت ونفسه ومنْ حضره من بنى إسرائيل ،(٦) فقال طالوت : والله ، لعسى الله أن يهلكه به ! فلما أصبحوا رجعوا إلى جالوت ، فلما التقى الناسُ قال داود : أرونى جالوت ! فأروه إياه على فرس عليه لأمته ،(٧) فلما رآه جعلت الأحجار الثلاثة تَواثبُ من مخلاته، فيقول هذا : خُذنى ! ويقول هذا : خذنى ! ويقول هذا : خذنى ! فأخذ أحدَها فجعله فى مقذافه ، ثم فتله به ، ثم أرسله ، فصكّ

٢/٣٩٨

(١) فى المخطوطة : « سمع بوحرص الناس بذكر جالوت » ، ولم يتبين لى كيف كانت ، ولا ما هى، فتركت ما فى المطبوعة على حاله ، فإنه قريب المعنى صحيحه .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « وبما يعظمون » ، وما أثبت أشبه بالسياق . والمخطوطة كثيرة التحريف والتصحيف هنا كما ترى .

(٣) فى المطبوعة : « فأتنى ما عندك من القوة » ، وهو كلام سخيف . والصواب من المخطوطة ، لم يحسن الطابع أو الناسخ قراءتها . وانظر ما سيأتى فى الأثر : ٥٧٤٢ ، وقوله: « يا بنى » ، وسؤاله : « هل آنست من نفسك شيئاً » ، ص :

(٤) فى المخطوطة والمطبوعة : « وبما جربت » ، والسياق يوجب ما أثبت .

(٥) اللحيان العظمان اللذان فيهما الأسنان . وهما حائطا الفم ، الواحد « لحى » (بفتح فسكون).

(٦) فى المطبوعة : « ومثل فيها فلأ عين طالوت » ، وفى المخطوطة : « وسل فيها مل عين طالوت » . غير منقوطة ولا بينة . وأثبت « مثل » من المطبوعة ، وكأنها قريبة من الصواب . وفى المطبوعة : « ومن حضر » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٧) اللأمة (بفتح فسكون) : الدرع الحصينة وبيضة الرأس ، من لباس الحرب .

به بين عيني جالوت فدمغه ،(١) وتنكّس عن دابته ، فقتله . ثم انهزم جنده ، وقال الناس : قتل داودُ جالوتَ ! وخُلع طالوت وأقبل الناس على داود مكانه ، حتى لم يسمع لطالوت بذكر = إلا أن أهل الكتاب يزعمون أنه لما رأى انصراف بني إسرائيل عنه إلى داود، همّ بأن يغتال داود وأراد قتله، فصرف الله ذلك عنه وعن داود ، وعرّف خطيئته، والتمس التوبة منها إلى الله .

* * *

وقد روى عن وهب بن منبه في أمر طالوت وداود قولٌ خلاف الروايتين اللتين ذكرنا قبل ، وهو ما : —

٥٧٤٢ — حدثني به المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا إسمعيل بن عبد الكريم قال ، حدثني عبد الصمد بن معقل : أنه سمع وهب بن منبه قال : لما سلّمت بنو إسرائيل الملك لطالوت، أوحى الله إلى نبيّ بني إسرائيل: (٢) أنّ قُل لطالوت فليغزُ أهل مَدْين، فلا يترك فيها حيًّا إلا قتله، فإني سأظهره عليهم . فخرج بالناس حتى أتى مدين، فقتل من كان فيها إلا ملكهم فإنه أسره ، وساق مواشيهم. فأوحَى الله إلى أشمويل : ألا تعجب من طالوت إذ أمرته بأمري فاختلّ فيه، (٣) فجاء بملكهم أسيرًا ، وساق مواشيهم ! فالقَه . فقل له: لأنزِعنّ الملك من بيته ثم لا يعودُ فيه إلى يوم القيامة ، فإني إنما أكرم من أطاعني ، وأهين من هانَ

---

(١) دمغه دمغاً : شجه ، حتى بلغت الشجة الدماغ . وهذه الشجة تسمى « الدامغة » .

(٢) في المخطوطة : « أوحى إلى بني إسرائيل » ، وفي المطبوعة : « أوحى إلى نبي بني إسرائيل » ، وأثبت ما في تاريخ الطبري .

(٣) في المطبوعة : « فاختان فيه » ، من الخيانة . وكان في المخطوطة : « فاختار فيه » ، من الاختيار ، أي اختار ما شاء منه ولم ينفذه على وجهه تماماً . وأثبت ما في التاريخ . و « اختل » من الخلل : وهو الفساد والوهن في الأمر ، وترك إبرامه وإحكامه . يقال : « أخل بالأمر » ، لم يف به . و « أخل بمكانه » : غاب عنه وتركه . فمعنى « اختل فيه » : أي ضعف فيه ، وأدخل عليه الخلل . ولم أجد نصها في كتب اللغة ، ولكنها عربية البناء .

هذا ، وكان في المخطوطة والمطبوعة : « إذ أمرته فاختان » ، بحذف « بأمري » ، وأثبتها من التاريخ .

عليه أمرى ! فلقيه فقال له :[١] ما صنعت ! ! لم جئت بملكهم أسيراً ، ولم سقت مواشيهم ؟ قال : إنما سقت المواشى لأقرّبها .[٢] قال لهُ أشمويل : إنّ الله قد نزع من بيتك الملك ، ثم لا يعود فيه إلى يوم القيامة ! فأوحى الله إلى أشمويل : أن انطلق إلى إيشى ، فيعرضُ عليك بنيه ، فادهن الذى آمرُك بدُهن القدس ، يكن ملِكاً على بنى إسرائيل . فانطلق حتى أتى إيشى فقال : اعرض علىّ بنيك . فدعا إيشى أكبر ولده ، فأقبل رجل جسيمٌ حسنُ المنظر ، فلما نظر إليه أشمويل أعجبه فقال : الحمد لله ، إن الله لبصيرٌ بالعباد ! فأوحى الله إليه : إنّ عينيك يُبصران ما ظهرَ ، وإنى أطّلع على ما فى القلوب ، ليس بهذا ! فقال : ليس بهذا ،[٣] اعرض على غيره . فعرض عليه ستة فى كل ذلك يقول : ليس بهذا . فقال : هل لك من ولد غيرُهم ؟ فقال : بلى ! لى غلام أمْغَرُ ،[٤] وهو راع فى الغنم . فقال : أرسل إليه . فلما أن جاء داود ، جاء غلامٌ أمغرُ ، فدهنه بدهن القدس وقال لأبيه : اكتُمْ هذا ، فإن طالوت لو يطّلع عليه قتله . فسار جالوت فى قومه إلى بنى إسرائيل ، فعسكر ، وسار طالوت ببنى إسرائيل وعسكر ، وتهيأ للقتال . فأرسل جالوت إلى طالوت : لم يقتل قومى وقومك ؟[٥] ابرز لى ، أو أبرز لى من شئت ، فإن قتلتك كان الملك لى ، وإن قتلتنى كان الملك لك . فأرسل طالوت فى عسكره صائحاً : منْ يبرز لجالوت ، فإن قتله فإن الملك ينكحه ابنته ، ويشركه فى ملكه .[٦] فأرسل إيشى داود إلى إخوته = قال الطبرى ، هو إيشى ، ولكن قال المحدث :

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة بإسقاط « له » ، وأثبتها من التاريخ .

(٢) أى : لأجعلها قرباناً لله ، يذبحها قرباناً .

(٣) قوله : « فقال : ليس بهذا » ، ساقطة من المخطوطة والمطبوعة ، وأثبتها من التاريخ .

(٤) فى المخطوطة والمطبوعة : « بنى لى غلام . . . » ، وأثبت ما فى التاريخ . وقوله « أمغر » هنا ، ليست فى المخطوطة ولا المطبوعة ، وأثبتها من التاريخ . والأمغر : الذى فى وجهه حمرة وبياض . وفى كتاب القوم (صموئيل الأول ، الإصحاح السادس عشر) : أنه كان أشقر .

(٥) فى المطبوعة : « لم تقتل قومى وأقتل قومك » ، وأثبت ما فى المخطوطة والتاريخ .

(٦) عند هذا الموضع ، انتهى ما رواه الطبرى فى تاريخه ١ : ٢٤٧ — ٢٤٨ من هذا الأثر .

إشى =[1] وكانوا فى العسكر فقال : اذهب فزوِّدْ إخوتك ،[2] وأخبرنى خبرَ الناس ماذا صنعوا؟ فجاء إلى إخوته وسمعَ صوتاً : إن الملك يقول : من يبرز لجالوت! فإن قتله أنكحه الملك ابنته . فقال داود لإخوته : ما منكم رجل يبرُز لجالوت فيقتله وينكح ابنة الملك ؟ فقالوا : إنك غلام أحمق ! ومن يطيق جالوت ، وهو من بقية الجبّارين ! ! فلما لم يرهم رغبوا فى ذلك قال : فأنا أذهبُ فأقتُله ! فانتهروه وغضبوا عليه ، فلما غفلوا عنه ذهب حتى جاء الصائحَ فقال : أنا أبرز لجالوت ! فذهب به إلى الملك ، فقال له : لم يجبنى أحدٌ إلا غلامٌ من بنى إسرائيل ، هو هذا ! قال : يا بنى ، أنت تبرُز لجالوت فتقاتله ! قال : نعم . قال : وهل آنست من نفسك شيئاً ؟ قال : نعم ، كنت راعياً فى الغنم فأغارَ علىّ الأسد ، فأخذتُ بلَحْيَيْه ففككتهما . فدعا له بقوس وأداة كاملة ، فلبسهما وركب الفرسَ ، ثم سار منهم قريباً ، ثم صرفَ فرسه ، فرجع إلى الملك ، فقال الملك ومن حوله : جَبُن الغلام ! فجاء فوقف على الملك ، فقال : ما شأنك ؟ قال داود : إنْ لم يقتُله الله لى ، لم يقتله هذا الفرس وهذا السلاح ! فدعنى فأقاتل كما أريد . فقال : نعم يا بنىّ . فأخذ داود مخلاته فتقلّدها ، وألقى فيها أحجارًا ، وأخذ مِقلاعه الذى كان يرعى به ،[3] ثم مضى نحو جالوت . فلما دنا من عسكره قال : أين جالوت يبرُز لى ؟ فبرز له على فرس عليه السلاح كله ، فلما رآه جالوت قال : إليك أبرز ؟! قال : نعم . قال : فأتَيتنى بالمقلاع والحجر كما يؤتى إلى الكلب ! قال : هو ذاك . قال : لا جرم أنى سوف أقسِّم لحمك بين طير السماء وسباع الأرض! قال داود : أو يقسِّمَ اللهُ لحمك ! فوضع داود حجراً فى مِقلاعه ثم دوّره فأرسله نحو جالوت ، فأصاب أنف البيضة التى على جالوت حتى خالط دُماغه ، فوقع من فرسه . فمضى داود إليه فقطع

٣٩٩/٢

(١) هذه الجملة المعترضة ثابتة فى المخطوطة ، وحذفت من المطبوعة .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : «فرد إخوتك» ، وليس صحيحاً ، بل الصحيح أنه أرسله يزاد إلى إخوته كما سلف فى الآثار الماضية ، وكأن الصواب « فزود » ، أو « يزاد إخوتك » .

(٣) هكذا فى المخطوطة والمطبوعة ، وأجدر أن يقال : « يرعى به » .

رأسه بسيفه ، فأقبل به فى مخلاته ، ويسلّبه بجرّه ، حتى ألقاه بين يدى طالوت ، ففرحوا فرحاً شديداً . وانصرف طالوت ، فلما كان داخلَ المدينة سمع الناس يذكرون داود ، فوجد فى نفسه .(١) فجاءه داود فقال : أعطنى امرأتى ! فقال : أتريد ابنة الملك بغير صَداق؟ فقالَ داود : ما اشترطتَ علىّ صداقاً ، ومالى من شىء ! ! قال : لا أكلفك إلاّ ما تطيق ، أنت رجل جرىء ، وفى جبالنا هذه جراجمة يَحتربون الناس ،(٢) وهُم غُلْفٌ ، فإذا قتلت منهم مئتى رجل فأتنى بغُلَفهم .(٣) فجعل كلما قتل منهم رجلاً نظم غُلْفته فى خيط ، حتى نظم مئتى غلفة . ثم جاء بها إلى طالوت فألقى بها إليه .(٤) فقال : ادفع إلىّ امرأتى ، قد جئت بما اشترطت . فزوّجه ابنته ،(٥) وأكثرَ الناس ذكرَ داود ، وزاده عند الناس عجباً .(٦) فقال طالوت لابنه : لتقتلَن داود ! قال : سبحان الله ، ليس بأهلٍ ذلك منك ! قال : إنك غلام أحمق ! ما أراه إلا سوف يُخرجك وأهلَ بيتك من المُلك ! فلما سمع ذلك من أبيه انطلق إلى أخته فقال لها : إنى قد خفت أباك أن يقتُل زوجك داود ، فمريه أن يأخذ حِذره ويتغيّب منه . فقالت له امرأته ذلك ، فتغيّب . فلما أصبحَ أرسل طالوت من يدعو له داود ، وقد صنعت امرأته على فراشه كهيئة النائم ولحّفته . فلما جاء

---

(١) وجد فى نفسه : أى غضب ، فلم يظهر غضبه ، وحسده على ما أصاب من ذكر الناس له .

(٢) الجراجمة : نبط الشام . واحتربه : استلبه وانتهبه ، يقول : هم لصوص يستلبون الناس وينتهبونهم .

(٣) الغلف (بضم فسكون) جمع « أغلف » ، وهو الذى لم يختتن . وأما « فأتنى بغلفهم » فهو جمع غلفة (بضم فسكون) : وهى الغرلة التى يقع عليها الختان .

(٤) فى المخطوطة : « مئتى غلفة إلى طالوت » ، وما بينهما بياض ، وقد تركت ما فى المطبوعة على حاله ، لأنه سياق لا بأس به ، إلا أنه كان فيها : « ثم جاء بهم إلى طالوت فألقى إليه » ، فجعلتها كما ترى .

(٥) فى المخطوطة : « قد . . . وأكثر الناس » ما بعد « قد » بياض ، وتركت ما فى المطبوعة على حاله ، لوفائه بالسياق .

(٦) كأنها فى المخطوطة تقرأ : « ورأوه عند الناس عجباً » ، ولكنى لم أستطع تحققها ، فتركت ما فى المطبوعة كما هو ، فهو قريب المعنى .

رسول طالوت قال: أين داود ؟ ليجب الملك ! فقالت له : بات شاكياً ونام الآن، ترونه على الفراش. فرجعوا إلى طالوت فأخبروه ذلك ، فمكث ساعة ثم أرسل إليه، فقالت : هو نائم لم يستيقظ بعد . فرجعوا إلى الملك فقال : ائتونى به وإن كان نائماً . فجاؤوا إلى الفراش فلم يجدوا عليه أحداً ، فجاؤوا الملك فأخبروه، فأرسل إلى ابنته فقال : ما حملك على أن تكذبينِ ؟ قالت : هو أمرنى بذلك ، وخفت إن لم أفعل أمرَه أن يقتلنى ! وكان داود فارًّا فى الجبل حتى قُتل طالوتُ وملك داود بعده .

٥٧٤٣ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : كان طالوت أميرًا على الجيش، فبعث ٢/٤٠٠ أبو داود مع داود بشىء إلى إخوته ، فقال داود لطالوت : ماذا لى فأقتُلَ جالوت؟ قال: لك ثلث مُلكى ، وأنكحك ابنتى .(١) فأخذ مخلاته فجعل فيها ثلاث مَرْوات ،(٢) ثم سمَّى حجارته تلك : « إبراهيم ، وإسحق ، ويعقوب » ، ثم أدخل يده فقال : باسم إلهى وإله آبائى إبراهيم وإسحق ويعقوب ! فخرج على « إبراهيم » ، فجعله فى مِرْجمته، فخرقت ثلاثاً وثلاثين بيضةً عن رأسه ، وقتلت ثلاثين ألفاً من ورائه .

٥٧٤٤ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : عبرَ يومئذ النهرَ مع طالوت أبُو داود فيمن عبرَ، مع ثلاثة عشر ابناً له ، وكان داود أصغرَ بنيه . فأتاه ذات يوم فقال : يا أبتاه ، ما أرمى بقَذَّافتى شيئاً إلاَّ صرعته! فقال : أبشرْ يا بنى! فإن الله قد جعل رزقك فى قذَّافتك . ثم أتاه مرة أخرى فقال: يا أبتاه ، لقد دخلتُ بين الجبال فوجدتُ أسداً رابضاً ، فركبتُ عليه فأخذتُ بأذنيه ، فلم يَهِجْنى !(٣) قال: أبشر يا بنى ! فإنَّ هذا خير يُعطيكه

---

(١) فى المطبوعة : « ثلث مال » ، والذى فى المخطوطة : « ثلث ملكى » ، فرجحت أنها « ملكى » لما سيأتى فى الأثر رقم : ٥٧٤٤ ، ٥٧٤٧ .

(٢) مروات جمع مروة ، والمرو : حجارة بيض براقة ، تكون فيها النار ، والمرو أصلب الحجارة .

(٣) هاج الشىء يهيجه : أزعجه ونفره . يعنى : لم يزعجنى عن مكانى منه .

الله . ثم أتاه يوماً آخر فقال : يا أبتاه إنى لأمشى بين الجبال فأسبِّح ، فما يبقى جبل إلاّ سبَّح معى ! فقال : أبشر يا بنى ! فإنّ هذا خير أعطاكهُ الله . وكان داود راعياً ، وكان أبوه خلَّفه يأتى إليه وإلى إخوته بالطعام .(١) فأتى النبىُّ (٢)[عليه السلام] بقَرْن فيه دُهن ، (٣)وسَنَوَّرٍ من حديد ، (٤)فبعث به إلى طالوت فقال : إن صَاحبكم الذى يقتل جالوت يُوضَع هذا القرن على رأسه فيغْلى حتى يدَّهن منه ، ولا يسيل على وجهه ، يكونُ على رأسه كهيئة الإكليل ، ويدخل فى هذا السَّنَوَّر فيملأه.(٤) فدعا طالوت بنى إسرائيل فجرّبهم به ، فلم يوافقه منهم أحد .(٥) فلما فرغوا ، قال طالوت لأبى داود : هل بقى لك من ولد لم يشهدنا ؟ قال : نعم ! بقى ابنى داود ، وهو يأتينا بطعام .(٦) فلما أتاه داود ، مرّ فى الطريق بثلاثة أحجار فكلَّمنهُ وقلن له : خذنا يا داودُ تقتل بنا جالوت ! قال : فأخذهنّ فجعلهنّ فى مخلاته . وكان طالوت قال : من قتل جالوت زوَّجته ابنتى وأجريت خاتمه فى مُلكى . فلما جاء داود ، وضَعوا القرنَ على رأسه فغلى حتى ادَّهنَ منه ، ولبس السَّنَوَّرَ فملأه = وكان رجلاً مِسْقاماً مُصْفاراً =(٧) ولم يلبسه أحدٌ إلا تقلقل فيه . فلما لبسه داود

---

(١) فى تاريخ الطبرى : « يأتى أبيه وإلى إخوته » ، والصواب ما فى التفسير .

(٢) قوله : « فأتى النبى . . . » إلى آخر الكلام ، يوهم القارئ أنه منقطع ، وليس كذلك ، فإن الطبرى كعادته يقسم الأثر ويجزئه فى مواضع من تفسيره . وهذا الأثر الذى هنا ، تتمة الآثار السالفة : ٥٧٢٠ ، ٥٧٣٢ ، كما أشرنا إليه فى التعليق هناك ، وكما سنشير إليه بعد . والنبى هو شمعون ، كما مضى فى تلك الآثار .

(٣) انظر تفسير « القرن » فيما سلف : ٣٠٧ ، تعليق : ١ .

(٤) فى المطبوعة : « وبثوب من حديد » ومثله فى الدر المنثور ، وهو خطأ ، وفى المخطوطة فى المواضع الآتية كلها ، وفى تاريخ الطبرى ، وتفسير البغوى : « وتنور من حديد » ، والتنور : نوع من الكوانين ، وهو لا يصلح هنا . أما « السنور » (بفتح السين والنون والواو المشددة المفتوحة) : فهو لبوس من قد (وهو الجلد المدبوغ) يلبس فى الحرب كالدرع . ورجح ذلك ما روى آنفاً ص : ٣٥٨ ، أن داود أتى بدرع فقذفها فى عنقه . وما سيأتى فى رقم : ٥٧٤٦ ، ٥٧٤٧ .

(٥) فى المخطوطة والمطبوعة : « فجربهم فلم يوافقه » بإسقاط « به » ، وأثبت ما فى التاريخ .

(٦) فى المطبوعة : « بطعامنا » ، وأثبت ما فى المخطوطة والتاريخ .

(٧) رجل مسقام ، وامرأة مسقام أيضاً : كثير السقم لا يكاد يبرأ . مصفار من قولهم : اصفار لونه : غلبته الصفرة ، وذلك من المرض والضعف .

تضايق الثوب عليه حتى تنقّض.[١] ثم مشى إلى جالوت= وكان جالوت من أجسم الناس وأشدهم = فلما نظرَ إلى داود قُذف فى قلبه الرعبُ منه ، فقال له : يا فتى ! ارجع ، فإنى أرحمُك أن أقتلك ! قال داود : لا ، بل أنا أقتلك ! فأخرجَ الحجارةَ فجعلها فى القذّافة، كلما رفع منها حجراً سمّاه ،[٢] فقال: هذا باسم أبى إبراهيم، والثانى: باسم أبى إسحق، والثالث: باسم أبى إسرائيل .ثم أدار القذّافة فعادت الأحجار حجراً واحداً ، ثم أرسله فصكّ به بين عينى جالوت ، فنقبت رأسَه فقتلته ،[٣] ثم لم تزل تقتل كلّ إنسان تصيبه ، تنفُذ منه حتى لم يكن يحيى لها أحدٌ . فهزموهم عند ذلك ، وقتل داودُ جالوت ، ورجع طالوت ، فأنكح داود ابنته، وأجرَى خاتمه فى مُلكه . فمال الناس إلى داود فأحبوه . فلما رأى ذلك طالوت وجَد فى نفسه وحسده ، فأراد قتله . فعلم به داود أنه يُريد به ذلك ، فسجّى له زِقّ خمر فى مضجعه ،[٤] فدخل طالوت إلى منام داود وقد هرب داود ، فضرب الزّقّ ضربة فخرقه ، فسالت الخمر منه، فوقعت قطرة من خمر فى فيه ، فقال : يرحم الله داود ! ما كان أكثر شربه للخمر ! ! ثم إن داودَ أتاه من القابلة فى بيته وهو نائم ، فوضع ٢/٤٠١ سهمين عند رأسه ، وعند رجليه ، وعن يمينه وعن شماله سهمين سهمين ،[٥] ثم نزل. فلما استيقظ طالوت بَصُر بالسهام فعرفها، فقال : يرحم الله داود ! هو خير منى ، ظفرت به فقتلتُه ، وظفر بى فكفّ عنى ! ثم إنه ركب يوماً فوجده يمشى فى البرية

---

(١) يقال : تنقضت الغرفة وغيرها : تشققت ، وسمع لها نقيض ، وهو صوت التكسر والتشقق . وكان فى المطبوعة : « ينقض » بالياء التحتية ، والصواب من المخطوطة والتاريخ .

(٢) زدت « منها » من التاريخ .

(٣) فى المطبوعة : « فنقب رأسه فقتله » ، والصواب من التاريخ ، ومن المخطوطة على بعض الخطأ فيها .

(٤) سجى الشىء والميت : غطاه ومد عليه ثوباً . والزق (بكسر الزاى) : جلد الشاة يسلخ من رجل واحدة ، ومن قبل رأسه وعنقه ، ثم يعالج حتى يكون سقاء ، وكانوا أكثر ما يتخذونه للخمر .

(٥) فى المخطوطة والمطبوعة : « سهمين » مرة واحدة ، وأثبت ما فى التاريخ ، وهو الصواب . وقوله بعد : « ثم نزل » ، زيادة من التاريخ ليست فى المخطوطة ولا المطبوعة .

وطالوت على فرس ، فقال طالوت : اليوم أقتلُ داود ! = وكان داودُ إذا فزع لا يدرك = فركض على أثره طالوت ، ففزع داود فاشتدّ فدخل غارًا ، [١] وأوحى الله إلى العنكبوت فضربت عليه بيتاً. فلما انتهى طالوت إلى الغار ، نظر إلى بناء العنكبوت فقال : لو كان دخل ههنا لخرق بيت العنكبوت ! ! فخُيِّل إليه ، [٢] فتركه. [٣]

٥٧٤٥ — حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : ذكر لنا أن داود حين أتاهم كان قد جعل معه مخلاة فيها ثلاثة أحجار ، وأن جالوت برز لهم فنادى : ألا رجلٌ لرجل ! فقال طالوت : من يبرُز له ؟ وإلا برزتُ له . فقامَ داود فقال : أنا ! فقام له طالوت فشد عليه درعه ، فجعل يراه يشخص فيها ويرتفع ، [٤] فعجب من ذلك طالوت ، فشد عليه أداته كلها = وأن داودَ رماهم بحجر من تلك الحجارة ، فأصابَ في القوم ، ثم رمى الثانية بحجر ، فأصاب فيهم ، ثم رمى الثالثة فقتل جالوت . فآتاهُ الله الملك والحكمة وعلّمه مما يشاء ، وصار هو الرئيس عليهم ، وأعطوه الطاعة .

٥٧٤٦ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثني ابن زيد في قول الله تعالى ذكره : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ ﴾ ، فقرأ حتى بلغ ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلظَّالِمِينَ ﴾ ، قال : أوحى الله إلى نبيهم : أن في ولد فلان رجلا يقتل الله به جالوت ، ومن علامته هذا القرن تضعه على رأسه فيفيض ماء . فأتاه فقال : إن الله أوحى إليّ أنّ في ولدك رجلاً

---

(١) اشتد : عدا عدواً سريعاً . والشد : العدو السريع .

(٢) قوله : « خيل إليه » ، يعني دخلته الشبهة في أمره ، لما أشكل عليه . ولم أجد هذا التعبير بنصه في كتب اللغة ، ولكنه صحيح العربية ، من قولهم : « أخال الشيء » : أي اشتبه .

(٣) الأثر : ٥٧٤٤ — هو تمام الآثار السالفة التي أشرت إليها في التعليق على الأثرين : ٥٧٢٠ ، ٥٧٣٢ ، كما أشرت إليه آنفاً في التعليقات القريبة . وهو في الدر المنثور ١ : ٣١٩ ، وتفسير البغوي (بهامش ابن كثير) ١ : ٦٠٤ — ٦٠٨ ، بغير هذا اللفظ ، وإن كان قريباً منه .

(٤) شخص يشخص شخوصاً : ارتفع وعلا .

يقتل الله به جالوت ! (١) فقال : نعم يا نبي الله ! قال : فأخرج له اثنى عشر رجلاً أمثال السَّوارى ، (٢) وفيهم رجل بارع عليهم ، (٣) فجعل يعرضهم على القَرْن فلا يرى شيئاً ، فيقول لذلك الجسيم : ارجع ! فيردُّه عليه . فأوحى الله إليه : إنا لا نأخذ الرجال على صُوَرهم ، ولكنا نأخذهم على صَلاح قلوبهم . قال : ياربِّ ، قد زعم أنه ليس له ولدٌ غيره ! فقال : كذب ! فقال : إنّ ربّى قد كذّبك ! وقال : إنّ لك ولداً غيرَهم ! فقال : قد صدق يا نبي الله ، (٤) لى ولدٌ قصيرٌ استحييت أن يراه الناس ، فجعلته فى الغنم ! قال : فأين هو ؟ قال : فى شِعب كذا وكذا ، من جبل كذا وكذا . فخرج إليه ، فوجد الوادى قد سال بينه وبين البقعة التى كان يُريح إليها ، (٥) قال : ووجده يحمل شاتين شاتين يُجيز بهما السيل ولا يخوض بهما السَّيل . (٦) فلما رآه قال : هذا هو لاشك فيه ! هذا يرحم البهائم ، فهو بالناس أرْحم ! قال : فوضَع القرنَ على رأسه ففاض . (٧) فقال له : ابنَ أخى ! هل رأيتَ ههنا من شىء يُعجبك ؟ (٨) قال : نعم ، إذا سبَّحت سبَّحت معى الجبال ،

---

(١) فى المطبوعة : « أن فى ولد فلان . . . . » مرة أخرى ، والصواب من المخطوطة والتاريخ .

(٢) السوارى جمع السارية : وهى الأسطوانة ، من حجارة أو آجر ، وفى الحديث أنه نهى أن يصلى بين السوارى ، وهى أسطوانة المسجد ، وذلك فى صلاة الجماعة ، من أجل انقطاع الصف .

(٣) برع يبرع فهو بارع : تم فى كل فضيلة وجمال ، وفاق أصحابه فى العلم وغيره . ويقال : امرأة بارعة : فائقة الجمال والعقل . وكل مشرف يفوق ويعلو ، فهو بارع وفارع . وفى التاريخ « بارع » بحذف « عليهم » ، وهما سواء ، وسيأتى وصفه بعد قليل بأنه « الجسيم » ، وهما بمعنى متقارب .

(٤) فى المطبوعة : « صدق » بإسقاط « قد » ، وهى فى المخطوطة والتاريخ .

(٥) فى المخطوطة والمطبوعة : « بينه وبين التى يريح . . . » ، والصواب من التاريخ . وأراح غنمه وإبله يريحها إراحة . ردها إلى مراحها حيث تأوى إليه ليلا . والمراح (بضم الميم) : مأوى الإبل والغنم . وهو من الرواح ، وهو السير بالعشى .

(٦) فى المطبوعة والمخطوطة : « يحمل شاتين ، يجوز بهما ، ولا يخوض » بإسقاط « شاتين » « الثانية » وأسقطت المطبوعة : « السيل » الأولى ، فأثبت ما فى التاريخ وهو الصواب . يقال : « جاز المكان وأجازه » بمعنى واحد . وفى حديث الصراط : « فأكون أنا وأمتى أول من يجيز عليه » بضم الياء .

(٧) عند هذا الموضع انتهى ما رواه الطبرى فى تاريخه من هذا الأثر الطويل ١ : ٢٤٧ .

(٨) أعجبه الأمر يعجبه - استخرج عجبه به ، إذ يراه أمراً عجيباً .

وإذا أتى النَّمِر أو الذئب أو السبع أخذَ شاة، قُمتُ إليه فأفتح لَحيَيْه عنها فلا يَهيجُنى! قال: وألقى معه صُفْنَه.(١) قال فرّ بثلاثة أحجار ينتزى بعضُها على بعض،(٢) كل واحد منها يقول: أنا الذى يأخذ! ويقول هذا: لا! بل إياى يأخذ! ويقول الآخر مثل ذلك. قال: فأخذهنّ جميعاً فطرحهن فى صُفْنِه. فلما جاء مع النبى صلى الله عليه وسلم وخرجوا، قال لهم نبيهم: «إن الله قد بَعث لكم طالوتَ ملكاً»، فكان من قِصة نبيهم وقِصتهم ما ذكر الله فى كتابه، وقرأ حتى بلغ: «والله معَ الصابرين». قال: واجتمع أمرهم وكانوا جميعاً، وقرأ: «وانصرنا على القوم الكافرين».(٣) وبرز جالوت على بِرذَوْن له أبلقَ، فى يده قوس نُشّاب،(٤) فقال: من يبرُز؟ أبرِزوا إلىّ رَأسكم! قال: ففَظِع به طالوت،(٥) قال: فالتفت إلى أصحابه فقال: منْ رجل يكفينى اليوم جالوت؟ فقال داود: أنَا. فقال: تعال! قال: ٤٠٢/٢

---

(١) فى المطبوعة، أسقط بين الكلامين: «قال»، وهى لابد منها، لأن الحديث غير متصل، كما سترى الذى يليه: «قال فر . . . .»، يعنى داود. والصفن (بضم فسكون): خريطة الراعى، يكون فيها طعامه وزاده وما يحتاج إليه.

(٢) فى المطبوعة: «يأثر بعضها على بعض»، وهو كلام بلا معنى. وفى المخطوطة: «ينترى» غير منقوطة وهذا صواب قراءتها. وانتزى فلان على فلان وتنزى عليه: إذا تسرع إليه بالشر وتواثبا. من «النزو»، وهو الوثب.

(٣) عند هذا الموضع انتهى جزء من التقسيم القديم الذى نقلت عنه نسختنا، وفيها ما نصه:

«يتلوه: وبرز جالوتُ على برذون أبلق فى يده قوس نشاب
وصلى الله على محمد النبى وآله وسلم كثيرًا»

ثم بعد ذلك:

«بسم الله الرحمن الرحيم
ربِّ يسِّر»

(٤) فى المطبوعة: «قوس ونشاب»، وأثبت ما فى المخطوطة.

(٥) أفظعه الأمر، وفظع به فظاعة وفظعاً (بفتحتين) واستفظعه وأفظعه: رآه فظيعاً، فهاله وغلبه، فلم يثق بأن يطيقه.

فنزع درعاً له فألبسه إياها. قال: ونفخ الله من روحه فيه حتى ملأه . قال: فرمى بنُشَّابة فوضعها فى الدرع . قال : فكسرها داود ولم تضِرْه شيئاً، ثلاث مرات ، ثم قال له : خذ الآن ! فقال داود : اللهم اجعَله حجراً واحداً . قال : وسمَّى واحداً إبراهيم ، وآخر إسحق ، وآخر يعقوب . قال: فجمعهنّ جميعاً فكنّ حجراً واحداً . قال : فأخذهنّ وأخذ مقلاعاً، فأدارها ليرمى بها فقال: أترمينى كما يُرمى السبُع والذئب ؟ ارمنى بالقوس ! فقال : لا أرميك اليوم إلاّ بها! فقال له : مثل ذلك أيضاً ، فقال : نعم ! وأنت أهون علىّ من الذئب! فأدارها وفيها أمرُ الله وسُلطانُ الله . قال: فخلَّى سبيلها مأمورةً . قال: فجاءت مُظِلَّة فضربت بين عينيه حتى خرجت من قفاه ،(١) ثم قتلت من أصحابه وَراءه كذا وكذا ، وهزمهم الله .

٥٧٤٧ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : لما قطعوا ذلك = يعنى النهر الذى قال الله فيه مخبراً عن قيل طالوت لجنوده : « إنّ الله مبتليكم بنهر » = وجاء جالوت ،وشقّ على طالوت قتالُه، فقال طالوت للناس : لو أن جالوت قُتل ، أعطيت الذى يقتله نِصف مُلكى ، وناصفته كلّ شىء أملكه ! فبعث الله داود = وداودُ يومئذ فى الجبل رَاعِى غنم ، وقد غزَا مع طالوت تسعة إخوة لداود ، وهم أبدُّ منه ،(٢) وأغنى منه ،(٣) وأعرفَ فى الناس منه ، وأوْجه عند طالوت منه، فغزَوا وتركوه فى غنمهم = فقال داود حين ألقى الله فى نفسه ما ألقى ، وأكرمه: لأستودعنّ ربى غنمى اليوم، ولآتين الناس،(٤) فلأنظرنّ ما الذى بلغنى من قول الملك لمن قتل جالوت ! فأتى داودُ إخوته ،فلاموه

---

(١) أظل الشىء يظل : أقبل ودنا . وفى حديث مالك: « فلما أظل قادماً خضرنى بثى » .

(٢) فى المطبوعة : « أند منه » ، ولا يظهر لها معنى . وفى المخطوطة « أبد » غير منقوطة ، وقرأتها كذلك من « البدد » ، وهو عرض ما بين المنكبين ، وعظم الخلق ، وتباعد ما بين الأعضاء . وهذه صفة إخوته كما سلفت فى آثار ماضية . هذا على أنهم يقولون فى الصفة: « رجل أبد ، وامرأة بداء » .

(٣) فى المطبوعة : « وأعتى منه » ، وفى المخطوطة : « وأغنى منه » ، وكأن الصواب ما أثبت .

(٤) فى المخطوطة : « ولا/ببر » ، فى سطرين ، وكأن الصواب ما فى المطبوعة .

حين أتاهم، فقالوا : لم جئت ؟ قال : لأقتل جالوت ، فإن الله قادرٌ أن أقتله .[١] فسخِروا منه = قال ابن جريج ، قال مجاهد: كان بعث أبو داود مع داود بشيء إلى إخوته ، فأخذ مخلاة فجعل فيها ثلاث مَرْوات ، ثم سماهنّ « إبراهيم » و « إسحق » و « يعقوب » = قال ابن جريج ، قالوا : وهو ضعيفٌ رثُّ الحال ، فمر بثلاثة أحجار فقلن له : خذنا يا داود فقاتل بنا جالوت ! فأخذهن داود وألقاهنّ في مخلاته . فلما ألقاهن سمع حجراً منهن يقول لصاحبه : أنا حجر هرون الذى قتل بى ملك كذا وكذا . قال الثانى : أنا حجر موسى الذى قتل بى ملك كذا وكذا . قال الثالث : أنا حجر داود الذى أقتلُ جالوت ! فقال الحجران : يا حجر داود ، نحن أعوان لك! فصرنّ حجراً واحداً . وقال الحجر : يا داود ، اقذف بى ، فإنّى سأستعين بالريح = وكانت بيضته ، فيما يقولون والله أعلم ، فيها ستمئة رطل =[٢] فأقع فى رأس جالوت فأقتله ! — قال ابن جريج ، وقال مجاهد : سمى واحداً إبراهيم ، والآخر إسحق ، والآخر يعقوب ، وقال : باسم إلهى وإله آبائى إبراهيم وإسحق ويعقوب ! وجعلهنّ فى مِرْجَمته — قال ابن جريج : فانطلق حتى نفذ إلى طالوت[٣] فقال : إنك قد جعلت لمن قتل جالوت نصف مُلكك ونصف كل شيء تملكه ! أفلى ذلك إن قتلته ؟ قال : نعم ! والناس يستهزئون بداود ، وإخوة داودَ أشدُّ مَنْ هنالك عليه. وكان طالوتُ لا ينتدِب إليه أحدٌ زعم أنه يقتل جالوت إلا ألبسه درعاً عنده، فإذا لم تكن قَدَراً عليه نزعها عنه.[٤] وكانت درعاً سابغةً من دروع طالوت ، فألبسها داود ، فلما رأى قَدْرها عليه أمرَه أن يتقدم. فتقدم داود فقام مقاماً لا يقوم فيه أحد ، وعليه الدرع .فقال له جالوت : ويحك! من أنت ؟ إنّى ٤٠٣/٢

---

(١) « قادر » من قولهم : « قدر الله الشيء وقدره » ، قضاه .

(٢) ما بين الخطين ، كلام معترض بين كلام الحجر . والضمير فى « بيضته » ، لجالوت .

(٣) قوله : « فانطلق » الضمير لداود .

(٤) القدر (بفتحتين، وفتح وسكون) : المقدار ، أى على مقداره وعلى قدره .

أرحمُك! ليتقدم إلىّ غيرُك من هذه الملوك ! أنتَ إنسانٌ ضعيفٌ مسكين ! فارجع . فقال داود : أنا الذى أقتلك بإذن الله ، ولن أرجع حتى أقتلك ! فلما أبى داود إلاّ قتاله ، تقدم جالوت إليه ليأخذه بيده مقتدراً عليه ، فأخرج الحجر من المخلاة، فدعا ربَه ورَماه بالحجر ، فألقت الريح بيضته عن رأسه ، فوقع الحجر فى رأس جالوت حتى دخل فى جوفه فقتله = قال ابن جريج ، وقال مجاهد : لما رمى جالوت بالحجر خرق ثلاثاً وثلاثين بيضة عن رأسه ، وقتلت من ورائه ثلاثين ألفاً ، قال الله تعالى : « وقتل داودُ جالوت » . فقال داود لطالوت : فِ لى بما جعلت .[1] فأبَى طالوت أن يعطيه ذلك . فانطلق داودُ فسكن مدينة من مدائن بنى إسرائيل حتى مات طالوت . فلما مات عمد بنو إسرائيل إلى داودَ فجاؤوا به فملّكوه ، وأعطوه خزائن طالوت ، وقالوا : لم يقتُل جالوتَ إلا نبىّ ! قال الله : « وقتل داودُ جالوت وآتاه الله الملك والحكمةَ وعلّمه مما يشاءُ » .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَآءُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : وأعطى الله داودَ الملك والحكمة وعلمه مما يشاء = « والهاء » فى قوله : « وآتاه الله » ، عائدة على داود = « والملك » السلطان[2] = « والحكمة » ، النبوة .[3] وقوله : « وعلمه مما يشاء » ، يعنى : علّمه صنعة الدروع والتقديرَ فى السَّرْد ، كما قال الله تعالى ذكره : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ

---

(١) فى المطبوعة : « وف بما جعلت » ، وفى المخطوطة « ولى بما جعلت » ، وصواب قراءتها ما أثبت وقوله : « ف » هو الأمر من قولهم : « وفى له بالشىء يفى » . أمر على حرف واحد.

(٢) انظر تفسير « الملك » فيما سلف ١ : ١٤٨ — ٢/ ٤٥٠ : ٤٨٨ / وهذا : ٣١١، ٣١٢، ٣١٤

(٣) انظر تفسير « الحكمة » فيما سلف ٣ : ٨٧ ، ٨٨ ، ٢١١ / وهذا : ١٦، ١٧

لَكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ ﴾ [سورة الأنبياء: ٨٠].

* * *

وقد قيل إن معنى قوله : « وآتاه الله الملك والحكمة » ، أن الله آتى داودَ ملك طالوت ونبوّة أشمويل .

* ذكر من قال ذلك :

٥٧٤٨ — حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : مُلِّك داودُ بعد ما قتل طالوتَ ، وجعله الله نبيًّا ، وذلك قوله : « وآتاه الله الملك والحكمة » ، قال : الحكمة هي النبوة ، آتاه نبوّة شمعون وملك طالوت .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (٢٥١)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : ولولا أنّ الله يدفع ببعض الناس = وهم أهل الطاعة له والإيمان به = بعضاً ، وهم أهلُ المعصية لله والشرك به — كما دفعَ عن المتخلّفين عن طالوتَ يوم جالوت من أهل الكفر بالله والمعصية له ، وقد أعطاهم ما سألوا ربَّهم ابتداءً : من بَعْثةِ ملك عليهم ليجاهدوا معه فى سبيله = بمن جاهد معه من أهل الإيمان بالله واليقين والصبر ، جالوتَ وجنوده =[1] « لفسدت الأرض » ، يعنى : لهلك أهلها بعقوبة الله إياهم ، ففسدت بذلك الأرض =[2] ولكن الله ذو منٍّ على خلقه وتطوُّلٍ عليهم ، بدفعه بالبَرِّ من خلقه عن الفاجر ، وبالمطيع عن العاصى منهم ، وبالمؤمن عن الكافر .

* * *

(١) سياق هذه الجملة « كما دفع عن المتخلفين عن جالوت . . . بمن جاهد معه . . . جالوت وجنوده » ، على دأب أبي جعفر فى الفصل الطويل المتتابع .

(٢) انظر معنى « الفساد » فيما سلف ١ : ٢٨٧ ، ٤١٦ / ٤ : ٢٣٩ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

وهذه الآية إعلامٌ من الله تعالى ذكره أهلَ النفاق الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، المتخلِّفين عن مَشاهده والجهادِ معه للشكّ الذى فى نفوسهم ومرض قلوبهم ، والمشركين وأهلِ الكفر منهم ، وأنه إنما يدفع عنهم معاجلَتَهم العقوبة على كفرهم ونفاقهم بإيمان المؤمنين به وبرسوله، الذين هم أهل البصائر والجدّ فى أمر الله ، وذوو اليقين بإنجاز الله إياهم وعدَه على جهاد أعدائه وأعداء رسوله ، من النصر فى العاجل ، والفوز بجنانه فى الآجل .[1]

* * *

٢/٤٠٤ وبنحو ذلك قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٥٧٤٩ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « ولولا دفعُ الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » ، يقول : ولولا دفع الله بالبَرّ عن الفاجر ،[2] ودفعُه ببقية أخلاف الناس بعضهم عن بعض =[3] « لفسدت الأرض » ، بهلاك أهلها .

٥٧٥٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » ، يقول : ولولا دفاع الله بالبَرّ عن الفاجر ، وببقية أخلاف الناس بعضهم عن بعض ،[3] لهلك أهلها .

٥٧٥١ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن حنظلة ، عن أبى مسلم قال : سمعت عليًّا يقول : لولا بقية من المسلمين فيكم لهلكتم .

---

(١) فى المطبوعة : « فى الآخرة » ، وفى المخطوطة : « فى الأخر » ، ولو شاء أن يجعلها على ذلك لقال : « من النصر فى العاجلة ، والفوز بجنانه فى الآخرة » . ولكنى أجده تصحيف ما أثبت .

(٢) فى المطبوعة : « بالبار » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) فى المخطوطة والدر المنثور ١ : ٣٢٠ « أخلاق الناس » ، والأخلاف جمع خلف ، بمعنى الذين خلفوا الصالحين من أهل البر والصلاح والتقوى .

٥٧٥٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » ، يقول : لهلك من في الأرض .

٥٧٥٣ – حدثنا أبو حميد الحمصي أحمد بن المغيرة قال ، حدثنا يحيى بن سعيد قال ، حدثنا حفص بن سليمان ، عن محمد بن سوقة ، عن وبرة بن عبدالرحمن ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن الله ليدفع بالمؤمن الصالح عن مئةِ أهلِ بيت من جيرانه البلاءَ ، ثم قرأ ابن عمر : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » .(١)

٥٧٥٤ – حدثني أحمد أبو حميد الحمصي قال، حدثنا يحيى بن سعيد قال ، حدثنا عثمان بن عبد الرحمن ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله قال :

---

(١) الحديث : ٥٧٥٣ – أحمد بن المغيرة ، أبو حميد الحمصي – شيخ الطبري : هو أحمد ابن محمد بن المغيرة بن سيار ، نسب هنا إلى جده . وهو ثقة ، روى عنه النسائي ووثقه . وترجمه ابن أبي حاتم ١/١/٧٢ ، باسم : « أحمد بن محمد بن سيار » ، وقال : « كتبت عنه ، وهو صدوق ثقة » .

يحيى بن سعيد : هو العطار الأنصاري ، أبو زكريا ، الشامي الحمصي . ضعفه ابن معين وغيره . وقال أبو داود : « جائز الحديث » . وقال محمد بن مصفى الحمصي الحافظ : « حدثنا يحيى بن سعيد العطار ، ثقة » . فهذا بلديه وتلميذه يوثقه ، والظن أن يكون أعرف به من غيره . وترجمه البخاري في الكبير ٤/٢/ ٢٧٧ ، فلم يذكر فيه جرحاً . وجازف ابن حبان – في كتاب المجروحين – مجازفة شديدة دون برهان ، فقال : « كان ممن يروي الموضوعات عن الأثبات ، والمعضلات عن الثقات ، لا يجوز الاحتجاج به بحال ، ولا الرواية عنه إلا على سبيل الاعتبار لأهل الصناعة » .

حفص بن سليمان : هو الأسدي البزاز الكوفي القارئ ، صاحب « قراءة حفص » المعروفة ، التي يقرأ لها الناس بمصر وغيرها . وهو ضعيف جداً ، متروك الحديث ، على إمامته في القراءة . وقد بينت ضعفه مفصلا في شرح المسند : ١٢٦٧ .

محمد بن سوقة – بضم السين المهملة – الغنوي الكوفي العابد : ثقة متفق عليه .

وبرة بن عبد الرحمن : تابعي ثقة معروف ، أخرج له الشيخان وغيرهما .

والحديث ذكره ابن كثير ١ : ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، عن هذا الموضع . وقال : « وهذا إسناد ضعيف . فإن يحيى بن سعيد هذا : هو العطار الحمصي ، هو ضعيف جداً » .

وذكره السيوطي ١ : ٣٢٠ ، ونسبه لابن جرير ، وابن عدي ، « بسند ضعيف » .

وذكره الذهبي في الميزان ، في ترجمة « يحيى بن سعيد العطار » ٣ : ٢٩٠ – عن يحيى هذا ، بهذا الإسناد .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله ليُصلح بصلاح الرجل المسلم ولدَه وولد ولدِه، وأهلَ دُوَيْرَته ودُوَيْراتٍ حوله، ولا يزالون فى حفظ الله ما دام فيهم .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وقد دللنا على قوله : « العالمين » ، وذكرنا الرواية فيه .(٢)

* * *

وأما القرأة ، فإنها اختلفت فى قراءة قوله : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض » .

فقرأته جماعة من القرأة : ﴿ وَلَوْلاَ دَفْعُ ٱللَّهِ ﴾ على وجه المصدر ، من قول القائل :

---

(١) الحديث : ٥٧٥٤ — عثمان بن عبد الرحمن : هكذا ثبت فى المطبوعة ، وكذلك فى نقل ابن كثير إياه عن هذا الموضع . فإن يكنه يكن « عثمان بن عبد الرحمن بن عمر بن سعد بن أبى وقاص المدنى » ، فهو من هذه الطبقة ، ولكنه لم يذكر فى شيوخ « يحيى بن سعيد العطار » ، ولا فى الرواة عن « محمد بن المنكدر » . ولم نجد فيما رأينا من تراجم من اسمه « عثمان بن عبد الرحمن » — من يستقيم به الإسناد غيره .

وهذا الوقاصى : ضعيف جداً ، رماه ابن معين بالكذب . وقال أبو حاتم : « متروك الحديث ، ذاهب الحديث ، كذاب » . وقال البخارى فى الضعفاء ، ص : ٢٥ : « تركوه » .

والراجح — عندى — أن اسم هذا الراوى محرف فى نسخ الطبرى . وأكاد أجزم أن صوابه « عنبسة ابن عبد الرحمن » فهو الذى يروى عن محمد بن المنكدر ، ويروى عنه يحيى بن سعيد العطار .

وقد يؤيد ذلك : أن كاتب المخطوطة رسم هذا الاسم بدون ألف بعد الميم — على الكتبة القديمة — « عثمن » . ولكن يظهر أنه كتبه على تردد ، عن نسخة غير واضحة الرسم . لأنه بسط آخر الكلمة فكتب النون مبسوطة كأنها سين ، ثم اشتبه عليه الاسم ، فاصطنع الحرف المبسوط جعله نوناً . وتغيير الحرفين قبله سهل : ينقط النون بثلاث نقط فتصير ثاء مثلثة ، ثم يدير نبرة الباء فتكون ميما . ويخرج الاسم من « عنبسة » إلى « عثمن » .

وأياً ما كان الراوى هنا « عثمان » أو « عنبسة » — فالحديث واهى الإسناد منهار ، لا تقوم له قائمة .

فإن « عنبسة بن عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص » : ضعيف جداً . قال أبو حاتم : « هو متروك الحديث ، كان يضع الحديث » .

واسم جده « عنبسة » كاسمه . ووقع فى التهذيب محرفاً « عيينة » . وهو خطأ مطبعى .

والحديث ذكره ابن كثير ١ : ٦٠٧ ، وقال : « وهذا أيضاً غريب ضعيف ، لما تقدم أيضاً » ! يريد لضعف « يحيى بن سعيد العطار » . وقد بينا فى الحديث السابق أنه غير ضعيف .

وذكره السيوطى ١ : ٣٢٠ ، ونسبه للطبرى « بسند ضعيف » ، ثم لم ينسبه لغير الطبرى .

(٢) انظر ما سلف ١ : ١٤٣ — ٢/١٤٦ : ٢٣ — ٢٦ .

« دفعَ الله عن خلقه فهو يدفع دفعاً » . واحتجت لاختيارها ذلك . بأن الله تعالى ذكره هو المتفرِّد بالدفع عن خلقه . ولا أحد يُدافعه فيغالبه .

* * *

وقرأت ذلك جماعة أُخَر من القرأة : [1] ﴿ وَلَوْلَا دِفَاعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ ﴾ على وجه المصدر ، من قول القائل : « دافع الله عن خلقه فهو يُدافع مدافعة ودفاعاً » واحتجت لاختيارها ذلك بأن كثيراً من خلقه يعادون أهل دين الله وولايته والمؤمنين به ، فهم بمحاربتهم إياهم ومعاداتهم لهم ، لله مُدافعون بظنونهم ، [2] ومغالبون بجهلهم . والله مُدافعهم عن أوليائه وأهل طاعته والإيمان به .

* * *

قال أبو جعفر : والقول فى ذلك عندى أنهما قراءتان قد قرأت بهما القرأة ، وجاءت بهما جماعة الأمة ، وليس فى القراءة بأحد الحرفين إحالةُ معنى الآخر . وذلك أن من دافع غيره عن شىء فمدافعه عنه بشىء دافع . [3] ومى امتنع المدفوع من الاندفاع ، فهو لدافعه مدافع . [4] ولا شك أن جالوت وجنوده كانوا بقتالهم طالوت وجنوده محاولين مغالبة حزب الله وجنده ، وكان فى محاولتهم ذلك محاولةُ مغالبة الله ودفاعه عما قد تضمن لهم من النُّصرة . وذلك هو معنى « مدافعة الله » عن الذين دافع الله عنهم بمن قاتل جالوت وجنوده من أوليائه . فبيِّنٌ إذاً أن سَواءٌ قراءةُ من قرأ : [5] ﴿ وَلَوْ دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ﴾ . وقراءة من قرأ : ﴿ وَلَوْلَا دِفَاعُ اللهِ الناس بعضهم ببعض ﴾ . فى التأويل والمعنى .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « جماعة أخرى من القراء » ، وأثبت ما فى المخطوطة

(٢) فى المطبوعة : « مدافعون بباطلهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة

(٣) فى المطبوعة : « فمدافعه عنه دافع » ، وفى المخطوطة . « فمدافعه عنه ليس دافع » غير واضحة ، والصواب ما أثبت وذلك لأن الله دافع الكفار عما تضمن للمؤمنين من النصرة ببعض الناس فصح إذاً أن عبارة الطبرى تقتضى أن تكون الكلمة « بشىء »

(٤) فى المطبوعة : « لمدافعه مدافع » والصواب من المخطوطة

(٥) فى المطبوعة : « فتبين إذاً » ، والصواب من المخطوطة

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (٢٥٢)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « تلك آيات الله »، [١] هذه الآيات التى اقتصّ الله فيها أمرَ الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ، وأمرَ الملأ من بنى إسرائيل من بعد موسى الذين سألوا نبيَّهم أن يبعث لهم طالوتَ ملكاً ، وما بعدها من الآيات إلى قوله : « والله ذو فضل على العالمين » .

ويعنى بقوله : « آيات الله » ، حججه وأعلامه وأدلته . [٢]

* * *

يقول الله تعالى ذكره : فهذه الحجج التى أخبرتك بها ، يا محمد ، وأعلمتُك = من قدرتى على إماتة من هَرَب من الموت فى ساعة واحدة وهم ألوف ، وإحيائى إياهم بعد ذلك ، وتمليكى طالوت أمر بنى إسرائيل بعد إذْ كان سقّاء أو دبّاغاً من غير أهل بيت المملكة ، وسلبى ذلك إياه بمعصيته أمرى، وصَرْفى مُلكه إلى داود لطاعته إياى ، ونصرتى أصحابَ طالوت مع قلة عددهم وضَعْفِ شوكتهم على جالوتَ وجنوده مع كثرة عددهم وشدة بطشهم = [٣] حججى على من جحد نعمتى ، وخالف أمرى ، وكفر برسولى من أهل الكتابين التوراة والإنجيل ، العالمين بما اقتصصت عليك من الأنباء الخفية التى يعلمون أنها من عندى، [٤] لم تتخرَّصها ولم تتقوَّلها أنت يا محمد، لأنك أميٌّ ولست ممن قرأ الكتب فيلتبس عليهم أمرُك ، ويدَّعوا أنك قرأت ذلك فعلمته من بعض أسفارهم = ولكنها حججى عليهم أتلوها ٢/٤٠٥

(١) انظر مجىء « ذلك » و « تلك » بمعنى : « هذا ، وهذه » ، فيما سلف ١ : ٢٢٥ - ٢٢٧/ ٣ : ٣٣٥ .

(٢) انظر تفسير « الآية » فيما سلف ١ : ١٠٦ ، ثم هذا الجزء : ٣٣٧ والمراجع فى التعليق هناك .

(٣) فى المطبوعة : « حجج على من جحد » ، وأثبت ما فى المخطوطة . والسياق : « فهذه الحجج ... حججى » .

(٤) فى المخطوطة : « من الأنباء الخمسه » غير منقوطة ولا بينة ، وما فى المطبوعة صحيح المعنى .

عليك، يا محمد ، بالحقّ اليقين كما كان ، لا زيادة فيه ولا تحريف ولا تغيير شيء منه عما كان = « وإنك » يا محمد « لمن المرسلين » ، يقول : إنك لمرسَل متّبع فى طاعتى وإيثار مرضاتى على هواك ، فسالكٌ فى ذلك من أمرك سبيلَ من قبلك من رسلى الذين أقاموا على أمرى ، وآثروا رضاى على هواهم ، ولم تغيّرهم الأهواء ومطامع الدنيا ، كما غيّر طالوتَ هواه وإيثارُه ملكه على ما عندى لأهل ولايتى ، ولكنك مؤثر أمرى كما آثره المرسَلونَ الذين قبلك .

* * *

٢/٣ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « تلك » ، الرسلَ الذين قصّ الله قَصَصهم فى هذه السورة ، كموسى بن عمران ، وإبراهيم ، وإسمعيل ، وإسحق ، ويعقوب ، وشمويل ، وداود ، وسائر من ذكر نبأهم فى هذه السورة . يقول تعالى ذكره : هؤلاء رُسلى فضّلت بعضهم على بعض ، فكلّمت بعضَهم = والذى كلمته منهم موسى صلى الله عليه وسلم = ورفعتُ بعضهم درجات على بعض ، بالكرامة ورِفعة المنزلة ، كما : —

٥٧٥٥ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله تعالى ذكره : « تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض » ، قال : يقول : منهم من كلّم اللهُ ، ورفع بعضهم على بعض درجات . يقول : كلم الله موسى ، وأرسل محمداً إلى الناس كافة .

٥٧٥٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد بنحوه .

* * *

ومما يدل على صحة ما قلنا فى ذلك : =

٥٧٥٧ – قولُ النبي صلى الله عليه وسلم : « أعْطِيتُ خمساً لم يُعْطهن أحدٌ قبلى : بُعثتُ إلى الأحمر والأسود ، ونُصرت بالرُّعب ، فإن العدوّ ليُرْعَب منى على مسيرة شهر ، وجعلت لى الأرضُ مسجداً وطَهوراً ، وأحِلَّت لى الغنائم ولم تحلّ لأحد كان قبلى ، وقيل لى : سل تُعْطَه ، فاختبأتها شفاعة لأمتى ، فهى نائلةٌ منكم إن شاء الله من لا يشرك بالله شيئاً ».(١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : (٢)« وآتينا عيسى بن مريم البينات »، وآتينا عيسى بن مريم الحججَ والأدلة على نبوّته : (٣) من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى وما أشبه ذلك ، مع الإنجيل الذى أنزلته إليه ، فبينت فيه ما فرضتُ عليه.

* * *

ويعنى تعالى ذكره بقوله : « وأيّدناه »، وقويناه وأعنّاه =(٤)« بروح القدس » ، يعنى بروح الله ، وهو جبريل . وقد ذكرنا اختلافَ أهل العلم فى معنى « روح

---

(١) الأثر : ٥٧٥٧ – ساقه بغير إسناد ، وقد اختلفت ألفاظه ، وهو من حديث ابن عباس فى المسند رقم : ٢٧٤٢ ، والمسند ٥ : ١٤٥، ١٤٧، ١٤٨، ١٦١، ١٦٢ (حلبى) والمستدرك ٢ : ٤٢٤ ورواه مسلم بغير هذا اللفظ ٥ : ٣ ، والبخارى ، (الفتح ١ : ٣٦٩ ، ٤٤٤) مواضع أخرى . وهو حديث صحيح .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « يعنى تعالى ذكره بذلك » ، وهو لا يستقيم .

(٣) انظر تفسير « البينات » فيما سلف ٢ : ٣١٨ / ٤ : ٢٧١ ، والمراجع هناك ، وانظر فهرس اللغة .

(٤) انظر تفسير « أيد » فيما سلف ٢ : ٣١٩ ، ٣٢٠ .

القدس » ، والذى هو أولى بالصواب من القول فى ذلك فيما مضى قبل، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : ولو أراد الله = « ما اقتتل الذين من بعدهم »، (٢) يعنى : من بعد الرسل الذين وصفهم بأنه فضّل بعضهم على بعض ورفع بعضهم درجات ، وبعد عيسى ابن مريم ، وقد جاءهم من الآيات بما فيه مُزدَجر لمن هداه الله ووفّقه . ٣/٣

* * *

ويعنى بقوله : « من بعد ما جاءتهم البينات » ، يعنى : من بعد ما جاءهم من آيات الله ما أبان لهم الحق وأوضح لهم السبيلَ .

* * *

وقد قيل إن « الهاء » و« الميم » فى قوله : « من بعدهم » ،من ذكر موسى وعيسى .

* ذكر من قال ذلك :

٥٧٥٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات »، يقول : من بعد موسى وعيسى .

---

(١) انظر ما سلف ٢ : ٣٢٠ — ٣٢٣ .

(٢) فى المطبوعة ، أتم الآية : « من بعد ما جاءتهم البينات » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

٥٧٥٩ ــ حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات » ، يقول : من بعد موسى وعيسى .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَـٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ (٢٥٣)

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بذلك: ولكن اختلفَ هؤلاء الذينَ من بعد الرسل ، لمّا لم يشأ الله منهم تعالى ذكره أن لا يقتتلوا ، فاقتتلوا من بعد ما جاءتهم البينات من عند ربهم بتحريم الاقتتال والاختلاف ، وبعد ثبوت الحجة عليهم بوحدانية الله ورسالة رسله ووحي كتابه ، فكفر بالله وبآياته بعضُهم ، وآمن بذلك بعضُهم . فأخبر تعالى ذكره أنهم أتوْا ما أتوا من الكفر والمعاصي ،[1] بعد علمهم بقيام الحجة عليهم بأنهم على خطأ ، تعمُّداً منهم للكفر بالله وآياته .

ثم قال تعالى ذكره لعباده : « ولو شاء الله ما اقتتلوا »، يقول : ولو أراد الله أن يحجُزهم ــ بعِصْمته وتوفيقه إياهم ــ عن معصيته فلا يقتتلوا، ما اقتتلوا ولا اختلفوا = « ولكنّ الله يفعل ما يريد » ، بأن يوفق هذا لطاعته والإيمان به فيؤمن به ويطيعه ، ويخذل هذا فيكفر به ويَعصيه .

* * *

(١) في المخطوطة : « أتوا ما أنزل من الكفر »، وهو سهو فاحش من شدة عجلة الكاتب ، كما تتبين ذلك جلياً من تغير خطه في هذا الموضع أيضاً .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ (٢٥٤)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : يا أيها الذين آمنوا أنفقوا فى سبيل الله مما رزقناكم من أموالكم ، وتصدقوا منها ، وآتوا منها الحقوق التى فرضناها عليكم . وكذلك كان ابن جريج يقول ، فيما بلغنا عنه :

٥٧٦٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم » ، قال : من الزكاة والتطوع .

* * *

= « من قبل أن يأتى يومٌ لا بيعٌ فيه ولا خُلة ولا شفاعة » ، يقول : ادّخروا لأنفسكم عند الله فى دنياكم من أموالكم ، بالنفقة منها فى سبيل الله ، والصدقة على أهل المسكنة والحاجة ، وإيتاء ما فرض الله عليكم فيها ، وابتاعوا بها ما عنده مما أعدّه لأوليائه من الكرامة ، بتقديم ذلك لأنفسكم ما دام لكم السبيلُ إلى ابتياعه بما ندبتكم إليه وأمرتكم به من النفقة من أموالكم = « من قبل أن يأتى يومٌ لا بيع فيه » ، يعنى : من قبل مجىء يوم لا بيعٌ فيه ، يقول : لا تقدرون فيه على ابتياع ما كنتم على ابتياعه — بالنفقة من أموالكم التى رزقتكموها — بما أمرتكم به أو ندبتكم إليه فى الدنيا ، قادرين ، [1] لأنه يوم جزاء وثواب وعقاب ، لا يومُ عمل واكتساب وطاعة ومعصية ، فيكون لكم إلى ابتياع منازل أهل الكرامة بالنفقة حينئذ — أو

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « بالنفقة من أموالكم التى أمرتكم به » ، وهو كلام مختل ، سقط فيما أرجح ما أثبته : « رزقتكموها ، بما » . وسياق العبارة : ما كنتم على ابتياعه . . . بما أمرتكم به . . . قادرين » ، والذى بينهما فواصل .

بالعمل بطاعة الله = سبيلٌ .(١)

ثم أعلمهم تعالى ذكره أنّ ذلك اليوم = مع ارتفاع العمل الذى ينال به رضَى الله أو الوصول إلى كرامته بالنفقة من الأموال،(٢) إذ كان لا مالَ هنالك يمكن إدراك ذلك به = يومٌ لا مُخالّة فيه نافعةٌ كما كانت فى الدنيا، فإنّ خليلَ الرجل فى الدنيا قد كان ينفعه فيها بالنصرة لهُ على من حاوله بمكروه وأراده بسوء، والمظاهرة له على ذلك. فآيَسهم تعالى ذكره أيضاً من ذلك، لأنه لا أحدَ يوم القيامة ينصر أحداً من الله، بل ﴿ ٱلْأَخِلَّاءُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ كما قال الله تعالى ذكره،(٣) وأخبرهم أيضاً أنهم يومئذ = مع فقدهم السبيل إلى ابتياع ما كان لهم إلى ابتياعه سبيلٌ فى الدنيا بالنفقة من أموالهم، والعمل بأبدانهم، وعدمهم النُّصراء من الخُلاَّن، والظُّهراء من الإخوان(٤) = لا شافع لهم يشفع عند الله، كما كان ذلك لهم فى الدنيا، فقد كان بعضهم يشفع فى الدنيا لبعض بالقرابة والجوار والخُلة وغير ذلك من الأسباب، فبطل ذلك كله يومئذ، كما أخبر تعالى ذكره عن قِيل أعدائه من أهل الجحيم فى الآخرة إذا صاروا فيها: ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ۝ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾ [سورة الشعراء: ١٠٠، ١٠١].

* * *

وهذه الآية مخرجها فى الشفاعة عامٌّ، والمراد بها خاص، وإنما معناه: «من قبل أن يأتى يومٌ لا بيعٌ فيه ولا خلة ولا شفاعة»، لأهل الكفر بالله. لأن أهل ٤/٣

(١) فى المطبوعة والمخطوطة: «فيكون لهم إلى ابتياع . . .» والصواب فى هذا السياق: «لكم» وقوله: «سبيل» اسم كان فى «فيكون لكم إلى ابتياع . . .».

(٢) ارتفاع العمل: انقضاؤه وذهابه. يقال: «ارتفع الخصام بينهما»، و «ارتفع الخلاف» أى انقضى وذهب، فلم يبق ما يختلفان عليه أو يختصمان. وهو مجاز من «ارتفع الشىء ارتفاعاً»: إذا علا. وهذا معنى لم تقيده المعاجم، وهو عربى صحيح كثير الورود فى كتب العلماء، وقد سلف فى كلام أبى جعفر، وشرحته ولا أعرف موضعه الساعة.

(٣) هى آية «سورة الزخرف»: ٦٧.

(٤) النصراء جمع نصير. والخلان جمع خليل: والظهراء جمع ظهير: وهو المعين الذى يقوى ظهرك ويشد أزرك.

ولاية الله والإيمان به ، يشفع بعضهم لبعض . وقد بينا صحة ذلك بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.(١)

* * *

وكان قتادة يقول في ذلك بما :—

٥٧٦١ — حدثنا به بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خُلّةٌ ولا شفاعة » ، قد علم الله أن ناساً يتحابُّون في الدنيا ويشفع بعضهم لبعض . فأما يوم القيامة، فلا خُلة إلا خُلة المتقين .

* * *

وأما قوله : « والكافرون هم الظالمون » ، فإنه يعني تعالى ذكره بذلك : والجاحدون لله المكذبون به وبرسله= « هم الظالمون » ، يقول: هم الواضعون جحودهم في غير موضعه ، والفاعلون غيرَ ما لهم فعله ، والقائلون ما ليس لهم قوله .

* * *

وقد دللنا على معنى « الظلم » بشواهده فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته .(٢)

* * *

قال أبو جعفر : وفي قوله تعالى ذكره في هذا الموضع : « والكافرون هم الظالمون »، دلالةٌ واضحة على صحة ما قلناه ، وأنّ قوله : « ولا خلة ولا شفاعة » ، إنما هو مرادٌ به أهل الكفر ، فلذلك أتبع قوله ذلك : « والكافرون هم الظالمون » . فدل بذلك على أنّ معنى ذلك : حرَمنا الكفار النصرةَ من الأخلاء ، والشفاعةَ من الأولياء والأقرباء ، ولم نكن لهم في فعلنا ذلك بهم ظالمين ، إذ كان ذلك جزاءً منا لما سلف منهم من الكفر بالله في الدنيا ، بل الكافرون هم الظالمون أنفسهم بما أتوا من الأفعال التي أوجبوا لها العقوبة من ربهم .

* * *

---

(١) انظر ما سلف ٢ : ٣٢ ، ٣٣ .

(٢) انظر معنى « الكفر » فيما سلف من فهارس اللغة / ومعنى « الظلم » فيما سلف ١ : ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، وفي فهارس اللغة .

فإن قال قائل: وكيف صرف الوعيدَ إلى الكفار، والآية مبتدأة بذكر أهل الإيمان ؟

قيل له : إنّ الآية قد تقدمها ذكرُ صنفين من الناس: أحدهما أهل كفر، والآخرُ أهل إيمان ، وذلك قوله : « ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر » . ثم عقّب الله تعالى ذكره الصنفين بما ذكرهم به ، بحضّ أهلِ الإيمان به على ما يقربهم إليه من النفقة فى طاعته، (١) وفى جهاد أعدائه من أهل الكفر به ، قبل مجيء اليوم الذى وصف صفته . وأخبر فيه عن حال أعدائه من أهل الكفر به ، إذ كان قتالُ أهل الكفر به فى معصيته ، ونفقتهُم فى الصدّ عن سبيله ، فقال تعالى ذكره : يا أيها الذين آمنوا أنفقوا أنتم مما رزقناكم فى طاعتى ، إذ كان أهل الكفر بى ينفقون فى معصيتى = من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ، فيدرك أهل الكفر فيه ابتياعَ ما فرّطوا فى ابتياعه فى دنياهم = ولا خلة لهم يومئذ تنصرهم منى ، ولا شافع لهم يشفع عندى فتنجيهم شفاعته لهم من عقابى . وهذا يومئذ فِعلى بهم جزاءً لهم على كفرهم ، (٢) وهم الظالمون أنفسهم دونى ، لأنى غيرُ ظلاّم لعبيدى . وقـــد : —

٥٧٦٢ — حدثنى محمد بن عبد الرحيم قال، حدثنى عمرو بن أبى سلمة قال ، سمعت عمر بن سليمان يحدث ، عن عطاء بن دينار أنه قال : الحمد لله الذى قال « والكافرون هم الظالمون » ، ولم يقل : « الظالمون هم الكافرون » .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « يحض » بالياء فى أوله ، فعلا . وهى فى المخطوطة غير منقوطة ، وصواب قراءتها بياء الجر ، اسما . وقوله « بحض » ، متعلق بقوله : « ثم عقب الله » .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « وهذا يومئذ فعل بهم » ، وصواب السياق يقتضى ما أثبت .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾

قال أبو جعفر : قد دللنا فيما مضى على تأويل قوله : « الله » . (١)

* * *

وأما تأويل قوله : « لا إله إلا هو » ، فإن معناه : النهى عن أن يُعبد شىء غير الله الحىّ القيوم الذى صفته ما وصف به نفسه تعالى ذكره فى هذه الآية . يقول : « الله » الذى له عبادة الخلق = « الحى القيوم » ، لا إله سواه ، لا معبود سواه . يعنى : ولا تعبدوا شيئاً سوَى الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم ، (٢) والذى صفته ما وصف فى هذه الآية .

* * *

وهذه الآية إبانة من الله تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله عما جاءت به المختلفين البينات = (٣) من بعد الرسل الذين أخبرنا تعالى ذكره أنه فضّل بعضهم على بعض = واختلفوا فيه ، فاقتتلوا فيه ، كفرًا به من بعض ، وإيماناً به من بعض . فالحمد لله الذى هدانا للتصديق به ، ووفقنا للإقرار به .

* * *

وأما قوله : « الحىّ » ، فإنه يعنى : الذى له الحياة الدائمة ، والبقاء الذى لا أوّل له بحدّ ، ولا آخر له بأمد ، (٤) إذ كان كل ما سواه فإنه وإن كان حيًّا

---

(١) انظر تفسير « الله » فيما سلف ١ : ١٢٢ - ١٢٦ .

(٢) فى المطبوعة : « ولا تعبدوا شيئاً سواه الحى القيوم » ، والصواب من المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « المختلفين فى البينات » ، بزيادة « فى » ، وهو خطأ مخل بالكلام ، والصواب ما فى المخطوطة ، و « البينات » فاعل « جاءت به » ، و « المختلفين » مفعوله . والجملة التى بين الخطين ، معترضة ، وقوله : بعد « واختلفوا فيه فاقتتلوا فيه . . . » ، عطف على قوله : « عما جاءت به . . . »

(٤) فى المطبوعة : « لا أول له يحد » بالياء ، فعلا ، ثم جعل التى تليها « ولا آخر له يؤبد » ، فأتى بفعل عجيب لا وجود له فى العربية ، وفى المخطوطة : « بحد » غير منقوطة وصواب قراءتها بباء الجر فى أوله . وفيها « بأمد » كما أثبت ، والأمد : الغاية التى ينتهى إليها . يقول : ليس له أول له حد يبدأ منه ، وليس له آخر له أمد ينتهى إليه .

فلحياته أولٌ محدود، وآخر ممدود ينقطع بانقطاع أمدها، (١) وينقضى بانقضاء غايتها.

* * *

وبما قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٥٧٦٣ ــ حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « الحى » ، حىٌّ لا يموت . ٥/٣

٥٧٦٤ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

* * *

قال أبو جعفر : وقد اختلف أهل البحث فى تأويل ذلك . (٢)

فقال بعضهم : إنما سمى الله نفسه « حيًّا »، لصرفه الأمور مصارفها ، وتقديره الأشياءَ مقاديرها ، فهو حى بالتدبير لا بحياة .

وقال آخرون : بل هو حى بحياةٍ هى له صفة .

وقال آخرون : بل ذلك اسمٌ من الأسماء تسمَّى به ، فقلنا تسليماً لأمره . (٣)

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « وآخر مأمود » ، أتى أيضاً بالعجب فى تغيير المخطوطة ، وباستخراج كلمة لا يجيزها اشتقاق العربية ، ولم تستعمل فى كلام قط . وفى المخطوطة « ممدود » كما أثبتها . وهى من قولهم : « مد له فى كذا » أى طول له فيه . بل أولى من ذلك أن يقال إنها من « المدة » ، وهى الطائفة من الزمان . وقد استعملو من المدة : « ماددت القوم » ، أى جعلت لهم مدة ينتهون إليها . وفى الحديث : « يا ويح قريش ، لقد نهكتهم الحرب! ما ضرهم لو ماددناهم مدة» ، أى جعلنالهم مدة ، وهى زمان الهدنة . وقال ابن حجر فى مقدمته الفتح : ١٨٢ « قوله : (فى المدة التى ماد فيها أبا سفيان) : أى جعل بينه وبينه مدة صلح ، ومنه : (إن شاؤوا ماددتهم) . فهو « فاعل » من « المد » . ولا شك أن الثلاثى منه جائز أن يقال : « مد له مدة » أى جعل له مدة ينتهى من عند آخرها . وكأنى قرأتها فى بعض كتب السير ، فأرجو أن أظفر بها فأقيدها إن شاء الله ، فمعنى قوله : « وآخر ممدود ينقطع بانقطاع أمدها » أى : آخر قد ضربت له مدة ينقطع بانقطاع غايتها .

(٢) هذه أول مرة يستعمل فيها الطبرى : « أهل البحث » ، ويعنى بذلك أهل النظر من المتكلمين .

(٣) فى المطبوعة : « فقلناه » ، وما فى المخطوطة صواب أيضاً جيد .

وأما قوله : « القيُّوم »، فإنه «الفَيْعول» من « القيام » وأصله « القيووم »، سبق عين الفعل، وهى « واو »، « ياء » ساكنة فاندغمتا فصارتا « ياء » مشددة. وكذلك تفعل العرب فى كل « واو » كانت للفعل عيناً ، سبقتها « ياء » ساكنة .

ومعنى قوله : « القيوم » ، القائم برزق ما خلق وحفظه ، كما قال أمية : (١)

لَمْ تُخْلَقِ السَّمَاءُ والنُّجُومُ وَالشَّمْسُ مَعْهَا قَمَرٌ يَعُومُ (٢)
قَدَّرَهُ المُهَيْمِنُ القَيُّومُ وَالجَسْرُ وَالجَنَّةُ وَالجَحِيمُ (٣)
إِلاَّ لِأَمْرٍ شَأْنُهُ عَظِيمُ .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٥٧٦٥ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله: « القيوم » ، قال : القائم على كل شىء .

٥٧٦٦ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق ، عن ابن أبى جعفر، عن أبيه، عن الربيع : « القيوم » ، قيم كل شىء ، يكلؤه ويرزقه ويحفظه .

٥٧٦٧ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى: « القيوم » ، وهو القائم .

---

(١) هو : أمية بن أبى الصلت الثقفى .

(٢) ديوانه : ٥٧ ، والقرطبى ٣ : ٢٧١ ، وتفسير أبى حيان ٢٥ : ٢٧٧ . وفى المطبوعة والقرطبى « قمر يقوم » ، وهو لا معنى له ، والصواب فى المخطوطة وتفسير أبى حيان . عامت النجوم تعوم عوماً : جرت ، مثل قولهم : « سبحت النجوم فى الفلك تسبح سبحاً »

(٣) فى المراجع كلها « والحشر » ، وهو خطأ وتصحيف لا ريب فيه عندى ، وهو فى المخطوطة « والحسر » غير منقوطة ، وصواب قراءتها « الجسر » كما أثبت . وفى حديث البخارى : « ثم يؤتى بالجسر » قال ابن حجر : أى الصراط ، وهو كالقنطرة بين الجنة والنار ، يمر عليها المؤمنون . ولم يذكر فى بابه من كتب اللغة ، فليقيد هناك ، فإن هذا هو سبب تصحيف هذه الكلمة . وفى بعض المراجع : « والجنة والنعيم » ، والذى فى الطبرى هو الصواب . هذا وشعر أمية كثير خلطه .

٥٧٦٨ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك : « الحي القيوم » ، قال : القائم الدائم .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بقوله : « لا تأخذه سنة » ، لا يأخذه نُعاسٌ فينعُس ، ولا نومٌ فيستثقل نوماً .

* * *

« والوسن» خثورة النوم ، (١) ومنه قول عدي بن الرِّقاع :

وَسْنَانُ أَقْصَدَهُ النُّعَاسُ ، فَرَنَّقَتْ فِي عَيْنِهِ سِنَةٌ ، ولَيْسَ بِنائِمِ (٢)

---

(١) الخثورة : نقيض الرقة ، يقال : « خثر اللبن والعسل ونحوهما » ، إذا ثقل وتجمع ، والمجاز منه قولهم : « فلان خاثر النفس » أي ثقيلها ، غير طيب ولا نشيط ، قد فتر فتوراً . واستعمله الطبري استعمالا بارعاً ، فجعل للنوم « خثورة » ، وهي شدة الفتور ، كأنه زالت رقته واستغلظ فثقل ، وهذا تعبير لم أجده قبله .

(٢) من أبيات له في الشعر والشعراء : ٦٠٢ ، والأغاني ٩ : ٣١١ ، ومجاز القرآن ١ : ٧٨ ، واللسان (وسن) (رنق) ، وفي جميعها مراجع كثيرة ، وقبل البيت في ذكرها صاحبته « أم القاسم » :

وَكَأَنَّهَا وَسْطَ النِّسَاءِ أَعَارَهَا عَيْنَيْهِ أَحْوَرُ من جَآذِرِ جَاسِمِ

وَسْنَانُ أَقْصَدَهُ النُّعَاسُ . . . . . .

يَصْطَادُ يَقْظَانَ الرِّجَالِ حَدِيثُهَا وتَطِيرُ بَهْجَتُها بروحِ الحَالِمِ

والجآذر بقر الوحش ، وهي حسان العيون . وجاسم : موضع تكثر فيه الجآذر . و « أقصده النعاس » قتله النعاس وأماته . يقال : « عضته حية فأقصدته » ، أي قتلته على المكان ــ أي من فوره . و« رنقت » : أي خالطت عينه . وأصله من ترنيق الماء ، وهو تكديره بالطين حتى يغلب على الماء . وحسن أن يقال : هو من ترنيق الطائر بجناحيه ، وهو رفرفته إذا خفق بجناحيه في الهواء فثبت ولم يطر ، وهذا المجاز أعجب إلي في الشعر .

ومن الدليل على ما قلنا : من أنها خثورة النوم فى عين الإنسان ، قول الأعشى ميمون بن قيس :

تُعَاطِى الضَّجِيعَ إِذَا أَقْبَلَتْ بُعَيْدَ النُّعاسِ وَقَبْلَ الْوَسَنْ (١)

وقال آخر : (٢)

بَاكَرَتْهَا الأَغْرَابُ فِى سِنَةِ النَّوْ مِ فَتَجْرِى خِلَالَ شَوْكِ السَّيالِ (٣)

---

(١) ديوانه : ١٥ ، وهو يلى البيت الذى سلف ١ : ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، وفى ذكر نساء استمتع بهن :

إِذَا هُنَّ نَازَلْنَ أَقْرَانَهُنَّ وَكَانَ المِصَاعُ بِمَا فِى الجُوَنْ

تُعَاطِى الضَّجِيعَ . . . . . .

. . . . . .

صَرِيفِيَّةً طَيِّبًا طَعْمُهَا لَهَا زَبَدٌ بَيْنَ كُوبٍ وَدَنْ

وقوله : « تعاطى » من قولهم للمرأة : « هى تعاطى خلها » أى صاحبها — أن تناوله قبلها وريقها . وقوله : « أقبلت » ، هو عندى بمعنى : سامحت وطاوعت وانقادت ، من « القبول » ، وهو الرضا . ولم يذكر ذلك أصحاب اللغة ، ولكنه جيد فى العربية ، شبيه بقولهم : « أسمحت » ، من السماح ، إذا أسهلت وانقادت ووافقت ما يطلبه صاحبها . وذلك هو الجيد عندى . ليس من الإقبال على الشىء . بل من القبول . ويروى مكان ذلك : « إذا سامها » ، ورواية الديوان :

« بُعَيْدَ الرُّقَادِ وَعِنْدَ الوَسَنْ »

والصريفية : الخمر الطيبة ، جعلها صريفية ، لأنها أخذت من الدن ساعتئذ ، كاللبن الصريف ، وهو اللبن الذى ينصرف من الضرع حاراً إذا حلب . وفى الديوان : « صليفية » ، باللام ، والصواب بالراء يقول : إذا انقادت لصاحبها بعيد رقادها ، أو قبل وسنها ، عاطته من ريقها خمراً صرفاً تفور بالزبد بين الكوب والدن ، ولم يمض وقت عليها فتفسد . يقول : ريقها هو الخمر ، فى يقظتها قبل الوسن — وذلك بدء فتور النفس وتغير الطباع — وبعد نومها ، وقد تغيرت أفواه البشر واستكرهت روائحها . ينفى عنها العيب فى الحالين . وذلك قل أن يكون فى النساء أو غيرهن .

(٢) هو الأعشى أيضاً .

(٣) ديوانه : ٥ ، واللسان (غرب) ، من قصيدة جليلة ، أفضى فيها إلى ذكر صاحبته له يقول قبله :

وَكَأَنَّ الخَمْرَ العَتِيقَ من الإِسْفِنْطِ مَمْزُوجَةً بِمَاءِ زُلَالِ

يعني : عند هبوبها من النوم، ووَسَن النوم فى عينها . يقال منه : « وسَنَ فلانٌ فهو يَوْسَنُ وسَناً وسِنةً ، وهو وَسْنان »، إذا كان كذلك .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٥٧٦٩ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنى معاوية ابن صالح، عن على بن أبى طلحة، عن ابن عباس قوله تعالى: « لاتأخذه سِنة »، قال : السِّنة النعاس ،والنوم هو النوم .(١)

٥٧٧٠ ــ حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « لا تأخذه سنة » ، السنة النعاس .

٥٧٧١ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة والحسن فى قوله : « لا تأخذه سنة » ، قالا : نَعْسة .

٥٧٧٢ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال،أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « لاتأخذه سنة ولانوم »، قال : السِّنة الوَسْنة، وهو دون النوم ، والنوم الاستثقال .

٥٧٧٣ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن

بَاكَرَتْهَا الأَغْرَابُ . . . . . .

الإسفنط : أجود أنواع الخمر وأغلاها . وباكرتها : أتتها بكرة ، أى فى أول النهار مبادرة إليها . والأغراب جمع غرب (بفتح فسكون) ، وهو القدح . والسيال : شجر سبط الأغصان ، عليه شوك أبيض أصوله أمثال ثنايا العذارى ، وتشبه به أسنانهن . يقول : إذا نامت لم يتغير طيب ثغرها ، بل كأن الخمر تجرى بين ثناياها طيبة الشذا . وقوله : « باكرتها الأغراب » ، هو كقوله فى الشعر السالف أنها «صريفية» أى أخذت من دنها لساعتها . يقول : ملئت الأقداح منها بكرة ، يعنى تبادرت إليها الأقداح من دنها ، وذلك أطيب لها .

هذا ، وقد جاء فى شرح الديوان : الأغراب : حد الأسنان وبياضها ، وأطال فى شرحه ، ولكنى لا أرتضيه ، والذى شرحته موجود فى اللسان ، وهو أعرق فى الشعر ، وفى فهمه

(١) يعنى أن النوم معروف ، والسنة غير النوم ، وانظر الأثر الآتى : ٥٧٧٢ وما بعده .

جويبر ، عن الضحاك : « لا تأخذه سنة ولا نوم » ، السنة النعاس ، والنوم الاستثقال.

٥٧٧٤ – حدثني يحيى بن أبي طالب قال : أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك ، مثله سواء .

٥٧٧٥ – حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « لا تأخذه سِنة ولا نوم » ، أما « سِنة » ، فهو ريح النوم الذى يأخذ فى الوجه فينعُسُ الإنسان.(١) ٦/٣

٥٧٧٦ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « لا تأخذه سنة ولا نوم » ، قال : « السنة » ، الوَسْنان : بين النائم واليقظان .

٥٧٧٧ – حدثني عباس بن أبي طالب قال ، حدثنا منجاب بن الحارث قال ، حدثنا على بن مسهر ، عن إسمعيل ، عن يحيى بن رافع : « لا تأخذه سنة » ، قال : النعاس.(٢)

٥٧٧٨ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « لا تأخذه سنة ولا نوم » ، قال : « الوسْنان » ، الذى يقوم من النوم لا يعقل ، حتى

---

(١) فى المخطوطة « ريح » غير منقوطة . والريح هنا : الغلبة والقوة ، كما جاء فى شعر أعشى فهم ، أو سليك بن السلكة

أَتَنْظُرَانِ قَلِيلاً رَيْثَ غَفْلَتِهِمْ أَوْ تَعْدُوانِ فَإِنَّ الرِّيحَ لِلْغَادِي

أى الغلبة له . وربما قرئت أيضاً : « الرنح » (بفتح الراء وسكون النون) وهو الدوار . ومنه : « ترنح من السكر » إذا تمايل ، و « رنح به » (بالبناء للمجهول مشددة النون) إذا دير به كالمغشى عليه ، أو اعتراه وهن فى عظامه من ضرب أو فزع أو سكر .

(٢) الأثر : ٥٧٧٧ – « عباس بن أبي طالب » ، هو : « عباس بن جعفر بن الزبرقان » مضت ترجمته فى رقم : ٨٨٠ ، و « المنجاب بن الحارث » ، مضت ترجمته فى رقم : ٣٢٢ – ٣٢٨ ، و « على بن مسهر القرشى » الكوفى الحافظ ، روى عن يحيى بن سعيد الأنصارى ، وهشام بن عروة ، وإسماعيل بن أبي خالد . ثقة ، مات سنة ١٨٩ . مترجم فى التهذيب . و « إسماعيل » هو « إسماعيل بن أبي خالد الأحمس » روى عن أبيه ، وأبي جحيفة ، وعبد الله بن أبي أوفى ، وعمرو بن حريث ، وأبي كاهل ، وهؤلاء صحابة . وعن زيد بن وهب والشعبي وغيرهما من كبار التابعين . كان ثقة ثبتاً . مات سنة ١٤٦ . مترجم فى التهذيب . و « يحيى بن رافع » أبو عيسى الثقفى . روى عن عثمان وأبي هريرة ، وروى عنه إسماعيل بن أبي خالد . مترجم فى الكبير ٢٧٣/٢/٤ ، وابن أبي حاتم ١٤٣/٢/٤ .

ربَّما أخذ السيف على أهله .

* * *

قال أبو جعفر : وإنما عنى تعالى ذكره بقوله : « لا تأخذه سنة ولا نوم »، لا تحلُّه الآفات ولا تناله العاهات. وذلك أن « السنة » و« النوم »، معنيان يغمُران فهم ذى الفهم ، ويُزيلان من أصاباه عن الحال التى كان عليها قبل أن يُصيباه .

* * *

فتأويل الكلام ، إذْ كان الأمر على ما وصفنا : « الله لا إله إلا هو الحى » الذى لا يموت = « القيوم » على كل ما هو دونه بالرزق والكلاءة والتدبير والتصريف من حال إلى حال = « لا تأخذه سنة ولا نوم »، لا يغيِّره ما يغيِّر غيرَه ، ولا يُزيله عما لم يزَل عليه تنقُّلُ الأحوال وتصريفُ الليالى والأيام ، بل هو الدائم على حال، والقيُّوم على جميع الأنام . لو نام كان مغلوباً مقهوراً ، لأن النوم غالبُ النائم قاهرُه . ولو وَسَن لكانت السموات والأرض وما فيهما دكًّا، لأنّ قيام جميع ذلك بتدبيره وقدرته . والنوم شاغلٌ المدبِّرَ عن التدبير ، والنعاسُ مَانعٌ المقدِّرَ عن التقدير بوَسَنه ، (١) كما : —

٥٧٧٩ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر = قال ، أخبرنى الحكم بن أبان ، (٢) عن عكرمة مولى ابن عباس فى قوله : « لا تأخذه سنة ولا نوم » ، أن موسى سأل الملائكة : هل ينام الله ؟ فأوحى الله إلى الملائكة وأمرهم أن يؤرِّقوه ثلاثاً ، فلا يتركوه ينام . ففعلوا، ثم أعطوه قارورتين فأمسكوه ، ثم تركوه وحذَّروه أن يكسرهما . قال: فجعل ينعُسُ وهما فى يديه ،

---

(١) فى المطبوعة : « يمانع » بالياء فى أوله ، وهو خطأ لا خير فيه . وإنما أخطأ قراءة المخطوطة الفتحة على الميم ، اتصلت بأولها .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة « وأخبرنى الحكم »، وكان الصواب حذف الواو « أخبرنا معمر قال، أخبرنى الحكم بن أبان » كما أثبته فإن معمراً يروى عن الحكم بن أبان . انظر ترجمته فى التهذيب ، وكما جاء فى ابن كثير ٢ : ١١ على الصواب . وقال بعقبه : « وهو من أخبار بنى إسرائيل ، وهو مما يعلم أن موسى عليه السلام لا يخفى عليه مثل هذا من أمر الله عز وجل ، وهو منزه عنه » . وأصاب ابن كثير الحق ، فإن أهل الكتاب ينسبون إلى أنبياء الله ، ما لو تركوه لكان خيراً لهم .

فى كل يد واحدةٌ . قال : فجعل ينعُس وينتبه ، وينعُس وينتبه ، حتى نعَس نَعْسة فضرب بإحداهما الأخرى فكسرهما = قال معمر : إنما هو مثَلٌ ضربه الله ، يقول : فكذلك السموات والأرضُ فى يديه .

٥٧٨٠ — حدثنا إسحق بن أبى إسرائيل قال، حدثنا هشام بن يوسف ، عن أمية بن شبل ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن أبى هريرة قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكى عن موسى صلى الله عليه وسلم على المنبر قال : وقَع فى نفس موسى : هل ينام الله تعالى ذكره؟ فأرسل الله إليه مَلَكاً فأرّقه ثلاثاً، ثم أعطاه قارورتين فى كل يد قارورة ، وأمره أن يحتفظ بهما . قال : فجعل ينام وتكاد يداه تلتقيان ، ثم يستيقظ فيحبس إحداهما عن الأخرى . ثم نام نومة فاصطفقت يداه وانكسرت القارورتان . قال : ضرب الله له مثَلاً أن الله لو كان ينام لم تستمسك السماءُ والأرض . (١)

* * *

(١) الأثر : ٥٧٨٠ — « إسحق بن أبى إسرائيل — واسمه إبراهيم — بن كامجرا ، أبو يعقوب المروزى» نزيل بغداد . روى عنه البخارى فى الأدب المفرد ، وأبو داود والنسائى وغيرهم . قال ابن معين : « من ثقات المسلمين ، ما كتب حديثاً قط عن أحد من الناس ، إلا ما خطه هو فى ألواحه أو كتابه » . وكرهه أحمد لوقفه فى أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، فتركه الناس حتى كان الناس يمرون بمسجده ، وهو فيه وحيد لا يقربه أحد . وقال أبو زرعة : « عندى أنه لا يكذب ، وحدث بحديث منكر » . مات سنة ٢٤٠ . مترجم فى التهذيب .

و « هشام بن يوسف الصنعانى » قاضى صنعاء ، ثقة . روى عنه الأئمة كلهم . روى عن معمر ، وابن جريج ، والقاسم بن فياض ، والثورى ، وغيرهم . قال عبد الرزاق : « إن حدثكم القاضى — يعنى هشام بن يوسف — فلا عليكم أن لا تكتبوا عن غيره ». مترجم فى التهذيب.

و « أمية بن شبل الصنعانى » ، سمع الحكم بن أبان وابن طاوس . روى عنه هشام بن يوسف وعبد الرزاق ، وثقه ابن معين ، مترجم فى الكبير ١٢/٢/١ ، ولم يذكر فيه جرحاً ، وابن أبى حاتم ٣٠٢/١/١ ، ولسان الميزان ١ : ٤٦٧ . وقال الحافظ فى لسان الميزان : « له حديث منكر ، رواه عن الحكم بن أبان عن عكرمة ، عن أبى هريرة ، مرفوعاً ، قال : « وقع فى نفس موسى عليه السلام ، هل ينام الله » ، الحديث ، رواه عنه هشام بن يوسف ، وخالفه معمر ، عن الحكم ، عن عكرمة ، فوقفه ، وهو أقرب . ولا يسوغ أن يكون هذا وقع فى نفس موسى عليه السلام ، وإنما روى أن بنى إسرائيل سألوا موسى عن ذلك » .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ لَّهُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « له ما فى السموات وما فى الأرض »، أنه مالك جميع ذلك بغير شريك ولا نديد، وخالقُ جميعه دون كل آلهة ومعبود .(١) وإنما يعنى بذلك : أنه لا تنبغى العبادة لشىء سواه ، لأن المملوك إنما هو طوْعُ يد مالكه ، وليس له خِدْمة غيره إلا بأمره . يقول : فجميع ما فى السموات والأرض ملكى وخلقى ، فلا ينبغى أن يعبُد أحدٌ من خلقى غيرى وأنا مالكه ، لأنه لا ينبغى للعبد أن يعبُدَ غير مالكه ، ولا يطيعَ سوى مولاه .

* * *

وأما قوله : « من ذا الذى يشفع عنده إلاّ بإذنه » ، يعنى بذلك : من ذا الذى يشفع لمماليكه إن أراد عقوبتهم ، إلا أن يُخَلِّيه ويأذن له بالشفاعة لهم .(٢) وإنما قال ذلك تعالى ذكره ، لأن المشركين قالوا : ما نعبُد أوثاننا هذه إلا ليقرِّبونا إلى الله زُلْفى ! (٣) فقال الله تعالى ذكره لهم : لى ما فى السموات وما فى الأرض مع السموات والأرض مِلْكاً، فلا تنبغى العبادة لغيرى ، فلا تعبدوا الأوثان التى تزعمون أنها تقرّبكم منى زُلْفى ، فإنها لا تنفعكم عندى ولا تغنى عنكم شيئاً، ولا يشفع عندى أحدٌ لأحد إلاّ بتخليتى إياه والشفاعة لمن يشفع له ، من رُسُلى وأوليائى وأهل طاعتى . ٣/٧

* * *

وساق ابن كثير فى تفسيره ١ : ١١ ، هذه الآثار ، ثم قال : « وأغرب من هذا كله ، الحديث الذى رواه ابن جرير : حدثنا إسحق بن أبى إسرائيل . . . » ، وساق الخبر ، ثم قال : « وهذا حديث غريب ، والأظهر أنه إسرائيل لا مرفوع ، والله أعلم » . والذى قاله ابن حجر قاطع فى أمر هذا الخبر .

(١) انظر ما سلف فى تفسير : « له ما فى السموات . . . »، ٢ : ٥٣٧ .

(٢) انظر معنى « شفع » فيما سلف ٢ : ٣١ – ٣٣ ، وما سلف قريباً : ٣٨٢–٣٨٤. ومعنى « الإذن» فيما سلف ٢ : ٤٤٩، ٤٥٠ / ثم ٤ : ٢٨٦ ، ٣٧٠ / ثم هذا ٣٥٢ ، ٣٥٥

(٣) هذا تأويل آية « سورة الزمر » : ٣ .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : أنه المحيط بكل ما كان وبكل ما هو كائن ، علماً لا يخفى عليه شيء منه .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٥٧٨١ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن الحكم : « يعلم ما بين أيديهم » ، الدنيا = « وما خلفهم » ، الآخرة .

٥٧٨٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « يعلم ما بين أيديهم » ، ما مضى من الدنيا = « وما خلفهم » ، من الآخرة .

٥٧٨٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج قوله : « يعلم ما بين أيديهم » ، ما مضى أمامهم من الدنيا = « وما خلفهم » ، ما يكون بعدهم من الدنيا والآخرة .

٥٧٨٤ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يعلم ما بين أيديهم» ، قال : [وأما] « ما بين أيديهم » ، فالدنيا = [وأما] « وما خلفهم » ، فالآخرة.(١)

* * *

وأما قوله : « ولا يُحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء » ، فإنه يعنى تعالى ذكره : أنه العالم الذى لا يخفى عليه شىء ، محيط بذلك كله ،(٢) مُحصٍ له

---

(١) زيادة ما بين القوسين ، لاغنى عنها .

(٢) انظر تفسير « الإحاطة » فيما سلف ٢ : ٢٨٤ .

دون سائر مَن دونه = وأنه لا يعلم أحد سواه شيئاً إلا بما شاء هو أن يُعلمه ، فأراد فعلَّمه . وإنما يعنى بذلك : أنّ العبادة لا تنبغى لمن كان بالأشياء جاهلاً ، فكيف يُعبد من لا يعقل شيئاً البتة من وثن وصنم ؟ ! يقول : فأخلصوا العبادة لمن هو محيط بالأشياء كلها ، [1] يعلمها ، لا يخفى عليه صغيرُها وكبيرها .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٥٧٨٦ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولا يحيطون بشىء من علمه » ، يقول : لا يعلمون بشىء من علمه = « إلا بما شاء » ، هو أن يعلمهم . [2]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى معنى « الكرسى » الذى أخبر الله تعالى ذكرُه فى هذه الآية أنه وسع السموات الأرض .

فقال بعضهم : هو علم الله تعالى ذكره .

* ذكر من قال ذلك :

٥٧٨٧ — حدثنا أبو كريب وسَلم بن جنادة قالا ، حدثنا ابن إدريس ، عن مطرِّف ، عن جعفر بن أبى المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وسع كرسيُّه » ، قال : كرسيُّه علمه .

٥٧٨٨ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال : حدثنا هشيم قال : أخبرنا مطرف

---

(١) فى المطبوعة : « أخلصوا » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو الصواب .

(٢) سقط من الترقيم : ٥٧٨٥ ، سهواً .

عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس مثله = وزاد فيه : ألا ترى إلى قوله : « ولا يؤوده حفظهما » ؟

* * *

وقال آخرون : « الكرسي » موضع القدمين .

* ذكر من قال ذلك :

٥٧٨٩ — حدثني علي بن مسلم الطوسي قال ، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال ، حدثني أبي قال ، حدثني محمد بن جحادة ، عن سلمة بن كهيل ، عن عمارة بن عمير ، عن أبي موسى قال : الكرسي موضع القدمين ، وله أطيط كأطيط الرحل .(١)

٥٧٩٠ — حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وسع كرسيه السموات والأرض » ، فإن السموات والأرض في جَوْف الكرسي ، والكرسيّ بين يدي العرش ، وهو موضع قدميه .

٥٧٩١ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر عن الضحاك قوله : « وسع كرسيه السموات والأرض » ، قال : كرسيه الذي يوضع تحت العرش ، الذي يجعل الملوك عليه أقدامَهم .

٥٧٩٢ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد الزبيري ، عن سفيان ، عن عمار الدهني ، عن مسلم البطين قال : الكرسي موضع القدمين .(٢)

---

(١) الأثر : ٥٧٨٩ — « علي بن مسلم بن سعيد الطوسي » نزيل بغداد . روى عنه البخاري ، وأبو داود ، والنسائي ، ثقة ، مات سنة ٢٥٣ ، مترجم في التهذيب . و « عمارة بن عمير التيمي » ، رأى عبد الله بن عمرو ، وروى عن الأسود بن يزيد النخعي ، والحارث بن سويد التيمي ، وإبراهيم بن أبي موسى الأشعري . لم يدرك أبا موسى . والحديث منقطع . وخرجه السيوطي في الدر المنثور ١ : ٣٢٧ ، ونسبه لابن المنذر ، وأبي الشيخ ، والبيهقي في الأسماء والصفات .

الأطيط : صوت الرحل والنسع الجديد ، وصوت الباب ، وهو صوت متمدد خشن ليس كالصرير بل أخشن .

(٢) الأثر : ٥٧٩٢ — خرجه ابن كثير في تفسيره ٢ : ١٣ من طريق سفيان عن عمار الدهني ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، ونسبه لوكيع في تفسيره . ورواه الحاكم في المستدرك

٥٧٩٣ ــ حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه، عن الربيع : « وسع كرسيه السموات والأرض » ، قال : لما نزلت : « وسع كرسيه السموات والأرض » قال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، هذا الكرسي وَسع السموات والأرض، فكيف العرش؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ إلى قوله : ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [سورة: الزمر : ٦٧] .(١)

٥٧٩٤ ــ حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله : « وسع كرسيه السموات والأرض » ، قال ابن زيد : فحدثني أبي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما السموات السبعُ في الكرسيّ إلا كدراهم سبعة ألقيتْ في تُرس = قال ، وقال أبو ذر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما الكرسيّ في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظَهْرَي فَلاةٍ من الأرض. (٢) ٨/٣

* * *

وقال آخرون : « الكرسي »، هو العرش نفسه.

* ذكر من قال ذلك :

٥٧٩٥ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : كان الحسن يقول : الكرسي هو العرش .

* * *

قال أبو جعفر : ولكل قول من هذه الأقوال وجه ومذهب ، غير أن الذي هو أولى بتأويل الآية ما جاء به الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو ما : ــ

---

٢ : ٢٨٢ مثله ، موقوفاً على ابن عباس ، وقال : « صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبي قال ابن كثير : « وقد رواه ابن مردويه ، من طريق الحاكم بن ظهير الفزاري الكوفي ، وهو متروك ، عن السدي عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً ، ولا يصح أيضاً». وانظر مجمع الزوائد ٦ : ٣٢٣ : والفتح ٨ : ١٤٩ .

(١) الأثر : ٥٧٩٣ ــ لم يرد في تفسير الآية من « سورة الزمر » .

(٢) الأثر : ٥٧٩٤ ــ أثر أبي ذر ، خرجه السيوطي في الدر المنثور ١ : ٣٢٨ ، ونسبه لأبي الشيخ في العظمة ، وابن مردويه ، والبيهقي في الأسماء والصفات ، وخرجه ابن كثير في تفسيره ٢ : ١٣ وساق لفظ ابن مردويه وإسناده ، من طريق محمد بن عبد التميمي ، عن القاسم بن محمد الثقفي ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن أبي ذر .

٥٧٩٦ – حدثني به عبد الله بن أبي زياد القطواني قال، حدثنا عبيد الله بن موسى قال ، أخبرنا إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن عبد الله بن خليفة قال : أتت امرأةٌ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقالت: ادعُ الله أن يدخلني الجنة ! فعظَّم الربَّ تعالى ذكره ، ثم قال : إن كرسيه وسع السموات والأرض ، وإنه ليقعد عليه فما يَفضُل منه مقدار أربع أصابع – ثم قال بأصابعه فجمعها – وإن له أطيطاً كأطيط الرَّحل الجديد ، إذا رُكب، من ثِقَله. (١)

٥٧٩٧ – حدثني عبد الله بن أبي زياد قال، حدثنا يحيى بن أبي بكير ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن عبد الله بن خليفة ، عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه .

٥٧٩٨ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن عبد الله بن خليفة قال : جاءت امرأة ، فذكر نحوه. (٢)

* * *

---

(١) الأثر : ٥٧٩٦ – « عبد الله بن أبي زياد القطواني» ، هو « عبد الله بن الحكم بن أبي زياد » سلفت ترجمته برقم : ٢٢٤٧ . و « عبيد الله بن موسى بن أبي المختار ، واسمه باذام ، العبسي مولاهم » . روى عنه البخاري ، وروى عنه هو والباقون بواسطة أحمد بن أبي سريج الرازي ، وأحمد بن إسحق البخاري ، وأبي بكر بن أبي شيبة . وعبد الله بن الحكم القطواني وغيرهم . ثقة صدوق حسن الحديث ، كان عالماً بالقرآن رأساً فيه ، وأثبت أصحاب إسرائيل عن إسرائيل . مترجم في التهذيب

و « عبد الله بن خليفة الهمداني الكوفي » روى عن عمر وجابر ، روى عنه أبو إسحق السبيعي . ذكره ابن حبان في الثقات . مترجم في التهذيب . وهكذا روى الطبري هذا الأثر موقوفاً ، وخرجه ابن كثير وفي تفسيره ٢ - ١٣ من طريق إسرائيل ، عن أبي إسحق، عن عبد الله بن خليفة ، عن عمر رضي الله عنه . قال ابن كثير : « وقد رواه الحافظ البزار في مسنده المشهور ، وعبد بن حميد ، وابن جرير في تفسيريهما، والطبراني ، وابن أبي عاصم في كتابي السنة ، لهما ، والحافظ الضياء في كتابه المختار من حديث أبي إسحق السبيعي ، عن عبد الله بن خليفة وليس بذاك المشهور . وفي سماعه من عمر نظر . ثم منهم من يرويه عنه ، عن عمر موقوفاً – قلت كما رواه الطبري هنا – ومنهم من يرويه عن عمر مرسلا . ومنهم من يزيد في متنه زيادة غريبة – قلت وهي زيادة الطبري في هذا الحديث – ومنهم من يحذفها وأغرب من هذا حديث جبير بن مطعم في صفة العرش ، كما رواه أبو داود في كتاب السنة من سننه (رقم ٤٧٢٦) ، والله أعلم »

قال بيده أشار بها . وانظر ما سلف من تفسير الطبري لذلك في ٢ ٥٤٦ - ٥٤٨

(٢) الأثران ٥٧٩٧ ، ٥٧٩٨ يحيى بن أبي بكير ، واسمه بسر ، الأسدي » ، أبو زكريا

وأما الذى يدل على صحته ظاهرُ القرآن ، فقول ابن عباس الذى رواه جعفر ابن أبى المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عنه أنه قال : « هو علمه » .(١) وذلك لدلالة قوله تعالى ذكره : « ولا يؤوده حفظهما » على أن ذلك كذلك : فأخبر أنه لا يؤوده حفظ ما علم وأحاط به مما فى السموات والأرض ، وكما أخبر عن ملائكته أنهم قالوا فى دعائهم : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً ﴾ [سورة غافر : ٧]،

الكرمانى الأصل . سكن بغداد ، روى عن جرير بن عثمان ، وإبراهيم بن طهمان ، وإسرائيل ، وزائدة . روى عنه الستة ، ويعقوب بن إبراهيم الدورقى ، ومحمد بن أحمد بن أبى خلف ، وغيرهم . ذكره ابن حبان فى الثقات . مات سنة ٢٠٨ أو ٢٠٩ . مترجم فى التهذيب . وكان فى المطبوعة « يحيى بن أبى بكر » وهو خطأ .

وهذا الأثر ، والذى يليه ، إسنادان آخران للأثر السالف رقم : ٥٧٩٦ ، فانظر التعليق عليهما .

(١) العجب لأبى جعفر ، كيف تناقض قوله فى هذا الموضع ! فإنه بدأ فقال : إن الذى هو أولى بتأويل الآية ما جاء به الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من الحديث فى صفة الكرسى ، ثم عاد فى هذا الموضع يقول : وأما الذى يدل على صحته ظاهر القرآن ، فقول ابن عباس أنه علم الله سبحانه . فإما هذا وإما هذا ، وغير ممكن أن يكون أولى التأويلات فى معنى « الكرسى » هو الذى جاء فى الحديث الأول ، ويكون معناه أيضاً « العلم » ، كما زعم أنه دل على صحته ظاهر القرآن . وكيف يجمع فى تأويل واحد ، معنيان مختلفان فى الصفة والجوهر ! ! وإذا كان خبر جعفر بن أبى المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، صحيح الإسناد ، فإن الخبر الآخر الذى رواه مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، صحيح الإسناد على شرط الشيخين ، كما قال الحاكم ، وكما فى مجمع الزوائد ٦ : ٣٢٣ « رواه الطبرانى ، ورجاله رجال الصحيح » ، كما بينته فى التعليق على الأثر : ٥٧٩٢ . ومهما قيل فيهما ، فلن يكون أحدهما أرجح من الآخر إلا بمرجح يجب التسليم له . وأما أبو منصور الأزهرى فقد قال فى ذكر الكرسى : « والصحيح عن ابن عباس ما رواه عمار الدهنى ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس أنه قال : « الكرسى موضع القدمين ، وأما العرش فإنه لا يقدر قدره . قال : وهذه رواية اتفق أهل العلم على صحتها . قال : ومن روى عنه فى الكرسى أنه العلم ، فقد أبطل » . وهذا هو قول أهل الحق إن شاء الله .

وقد أراد الطبرى أن يستدل بعد بأن الكرسى هو « العلم » ، بقوله تعالى : « ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلماً » ، فلم لم يجعل « الكرسى » هو « الرحمة » ، وهما فى آية واحدة ؟ ولم يجعلها كذلك لقوله تعالى فى سورة الأعراف : ١٥٦ : « قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شىء » ؟ واستخراج معنى الكرسى من هذه الآية كما فعل الطبرى ، ضعيف جداً ، يجل عنه من كان مثله حذراً ولطفاً ودقة .

وأما ما ساقه بعد من الشواهد فى معنى « الكرسى » ، فإن أكثره لا يقوم على شىء ، وبعضه منكر التأويل ، كما سأبينه بعد إن شاء الله . وكان بحسبه شاهداً ودليلا أنه لم يأت فى القرآن فى غير هذا الموضع ، بالمعنى الذى قالوه ، وأنه جاء فى الآية الأخرى بما ثبت فى صحيح اللغة من معنى « الكرسى » ، وذلك قوله تعالى فى « سورة ص » : « ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب » . وكتبه محمود محمد شاكر .

فأخبر تعالى ذكره : أنّ علمه وسع كل شيء ، فكذلك قوله : « وسع كرسيه السموات والأرض » .

* * *

قال أبو جعفر : وأصل « الكرسى » العلم .[١] ومنه قيل للصحيفة يكون فيها علم مكتوب « كُرّاسة » ، ومنه قول الراجز فى صفة قانص :

« حَتّى إِذَا مَا احْتَازَهَا تَكَرَّسَا »[٢]

يعنى علم ، ومنه يقال للعلماء « الكراسى » ، لأنهم المعتمد عليهم ، كما يقال : « أوتاد الأرض » ، يعنى بذلك أنهم العلماء الذين تصلح بهم الأرض ،[٣] ومنه قول الشاعر :[٤]

يَحُفُّ بِهِمْ بِيضُ الوُجُوهِ وَعُصْبَةٌ كَرَاسِيُّ بِالأَحْدَاثِ حِينَ تَنُوبُ[٥]

يعنى بذلك : علماء بحوادث الأمور ونوازلها . والعرب تسمى أصل كل شيء « الكِرْس » ، يقال منه : « فلان كريم الكِرْس » ، أى كريم الأصل ، قال العجاج :

---

(١) أخشى أن يكون الصواب : « وأصل الكرس : العلم » (بفتح الكاف وسكون الراء) مما رواه ابن الأعرابى من قولهم : « كرس الرجل » (بفتح ثم كسر) : إذا ازدحم علمه على قلبه . وجعل أبى جعفر هذا أصلا ، عجب أى عجب ! فمادة اللغة تشهد على خلافه ، وتفسير ابن الأعرابى هذا أيضاً شاهد على خلافه . وإنما أصل المادة (كرس) من تراكم الشيء وتلبد بعضه على بعض وتجمعه . وقوله بعد : « ومنه قيل للصحيفة كراسة » ، والأجود أن يقال : إنه من تجمع أوراقه بعضها على بعض ، أو ضم بعضها إلى بعض .

(٢) لم أجد الرجز ، وقوله : « احتازها » ، أى حازها وضمها إلى نفسه . ولا أدرى إلى أى شيء يعود الضمير : إلى القانص أم إلى كلبه ؟ والاستدلال بهذا الرجز على أنه يعنى بقوله : « تكرس » ، علم ، لا دليل عليه ، حتى نجد سائر الشعر ، ولم يذكره أحد من أصحاب اللغة .

(٣) هذا التفسير مأخوذ من قول قطرب كما سيأتى ، أنهم العلماء ، ولكن أصل مادة اللغة يدل على أن أصل ذلك هو الشيء الثابت الذى يعتمد عليه ، كالكرسى الذى يجلس عليه ويعتمد عليه ، وتسمية العلماء بذلك مجاز محض .

(٤) لم أعرف قائله .

(٥) لم أجد البيت ، إلا فيمن نقل عن الطبرى ، وفى أساس البلاغة (كرس) أنشده بعد قوله : « ويقال للعلماء الكراسى — عن قطرب » وأنشد البيت . ولم أجد من ذكر ذلك من ثقات أهل اللغة .

قَدْ عَلِمَ القُدُّوسُ مَوْلَى القُدْسِ أَنَّ أَبَا العَبَّاسِ أَوْلَى نَفْسِ

بِمَعْدِنِ المُلْكِ الكَرِيمِ الكِرْسِ (١)

يعني بذلك : الكريم الأصل ، ويروى :

* فى مَعْدِنِ العِزِّ الكَرِيمِ الكِرْسِ *

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (٢٥٥)

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بقوله : « ولا يؤوده حفظهما »، ولا يشقّ عليه ولا يُثْقله .

* * *

يقال منه: « قد آدَنِى هذا الأمرُ فهو يؤودنى أوْداً وإياداً » ، (٢) ويقال : « ما آدَكَ فهو لى آئد » ، يعني بذلك : ما أثقلك فهو لى مثقل .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٥٧٩٩ — حدثنى المثنى بن إبراهيم قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ،

---

(١) ديوانه : ٧٨ ، واللسان (قدس) (كرس) . و « القدوس » هو الله — سبحانه الطاهر المنزه عن العيوب والنقائص . والقدس : يعني روح القدس . ومولاها : ربها . وقد سلف تفسير معنى « القدس » و « القدوس » فى هذا التفسير ١ : ٤٧٥ ، ٢/٤٧٦ : ٣٢٢، ٣٢٣ . و « أبو العباس » هو أبو العباس السفاح ، الخليفة العباسى . وروى صاحب اللسان « القديم الكرس » ، و « المعدن » (بفتح الميم وكسر الدال) : مكان كل شيء وأصله الثابت ، ومنه : « معدن الذهب والفضة» ، وهو الموضع الذى ينبت الله فيه الذهب والفضة ، ثم تستخرج منه ، وهو المسمى فى زماننا « المنجم » . يقول : أبو العباس أولى نفس بالخلافة ، الثابتة الأصل الكريمته.

(٢) قوله : « إياداً » مصدر لم أجده فى كتب اللغة ، زادناه الطبرى .

حدثني معاوية بن صالح ، عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « ولا يؤوده حفظهما» ، يقول : لا يثقل عليه .

٥٨٠٠ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « ولا يؤوده حفظهما » ، قال : لا يثقل عليه حفظهما.

٥٨٠١ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولا يؤوده حفظهما » ، لا يثقل عليه ، لا يجهَدُه حفظهما .

٩/٣ ٥٨٠٢ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الحسن وقتادة في قوله : « ولا يؤوده حفظهما » ، قال : لا يثقل عليه شيء .

٥٨٠٣ — حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع قال ، حدثنا يوسف بن خالد السمتي قال ، حدثنا نافع بن مالك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : « ولا يؤوده حفظهما » ، قال : لا يثقل عليه حفظهما .

٥٨٠٤ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن أبي زائدة = وحدثنا يحيى بن أبي طالب قال ، أخبرنا يزيد = قالا جميعاً ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك : « ولا يؤوده حفظهما» ، قال : لا يثقل عليه .

٥٨٠٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح ، عن عبيد ، عن الضحاك ، مثله .

٥٨٠٦ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، سمعته = يعني خلاداً = يقول : سمعت أبا عبد الرحمن المديني يقول في هذه الآية : «ولا يؤوده حفظهما » ، قالا : لا يكبُر عليه . (١)

٥٨٠٧ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى بن

---

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « يكثر عليه » ، والصواب ما أثبت : « كبر عليه » ، ثقل عليه .

ميمون ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « ولا يؤوده حفظهما » قال : لا يكرُثُه.[1]

٥٨٠٨ – حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولا يؤوده حفظهما » ، قال : لا يثقل عليه .

٥٨٠٩ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « ولا يؤوده حفظهما » ، يقول : لا يثقل عليه حفظهما .

٥٨١٠ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « ولا يؤوده حفظهما » ، قال : لا يعزُّ عليه حفظهما .

* * *

قال أبو جعفر : « والهاء » ، و«الميم » و«الألف » في قوله : « حفظهما » ، من ذكر «السموات والأرض». فتأويل الكلام : وسِع كرسيه السموات والأرض ، ولا يثقل عليه حفظ السموات والأرض .

* * *

وأما تأويل قوله : « وهو العلي » ، فإنه يعني : والله العليّ .

* * *

و «العلي» « الفعيل » من قولك: « علا يعلو عُلوًّا » ،إذا ارتفع ، « فهو عال وعليّ » ، « والعلي » ذو العلو والارتفاع على خلقه بقدرته .

* * *

وكذلك قوله : « العظيم »، ذو العظمة الذي كل شيء دونه، فلا شيء أعظم منه ، كما : –

٥٨١١ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية ابن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « العظيم » ، الذي قد كمل في عظمته .

* * *

---

(١) كرثه الأمر يكرثه : اشتد عليه وبلغ منه المشقة .

قال أبو جعفر : واختلف أهل البحث فى معنى قوله :[١] « وهو العلى » .

فقال بعضهم : يعنى بذلك : وهو العلىّ عن النظير والأشباه ،[٢] وأنكروا أن يكون معنى ذلك : « وهو العلىُّ المكان». وقالوا : غير جائز أن يخلو منه مكان ، ولا معنى لوصفه بعلوّ المكان ، لأن ذلك وصفه بأنه فى مكان دون مكان .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : وهو العلى على خلقه ، بارتفاع مكانه عن أماكن خلقه . لأنه تعالى ذكره فوق جميع خلقه ، وخالقُه دونه ، كما وصف به نفسه أنه على العرش ، فهو عالٍ بذلك عليهم .

* * *

وكذلك اختلفوا فى معنى قوله : « العظيم » .

فقال بعضهم : معنى « العظيم » فى هذا الموضع : المعظّم ، صُرِف « المفعَّل » إلى « فعيل» ، كما قيل للخمر المعتقة ، « خمر عتيق » ، كما قال الشاعر :[٣]

وَكَأَنَّ الخَمْرَ العَتِيقَ مِنَ الإِسْـ ـفِنْطِ مَمْزُوجَةً بِمَاءِ زُلَالِ[٤]

وإنما هى « معتَّقة » . قالوا : فقوله : « العظيم » ، معناه : المعظَّم الذى يعظمه خلقُه ويهابونه ويتقونه . قالوا : وإنما يحتمل قول القائل : « هو عظيم » ، أحد معنيين : أحدهما ما وصفنا من أنه معظّم ، والآخر أنه عظيم فى المساحة والوزن. قالوا : وفى بُطول القول بأن يكون معنى ذلك أنه عظيم فى المساحة والوزن ، صحةُ القول بما قلنا .

* * *

---

(١) انظر ما سلف فى ذكره « أهل البحث » فيما سلف قريباً : ٣٨٧ ، التعليق : ٢ .

(٢) فى المخطوطة : « النظر » ، بغير ياء . و « النظر » (بكسر فسكون) ، مثل « النظير » ، مثل : « ند ونديد » . وجائز أن يكون « النظر » (بضمتين) جمع « نظير » ، وهم يكسر « فعيلا » الصفة ، على « فعل » ، بضمتين تشبيهاً له « بفعيل » الاسم ، كما قالوا فى « جديد ، جدد » ، و « نذير ، نذر » . أما النظائر جمع نظير ، فهو شاذ عن بابه .

(٣) هو الأعشى .

(٤) ديوانه : ٥ ، وقد مضى هذا البيت فى تعليقنا آنفاً : ٣٩٠ ، تعليق : ٣ . والزلال : الماء الصافى العذب البارد السائغ فى الحلق .

وقال آخرون : بل تأويل قوله : « العظيم » ، هو أن له عظمة هي له صفة . وقالوا : لا نصف عظمته بكيفية ، ولكنا نضيف ذلك إليه من جهة الإثبات ، (١) وننفي عنه أن يكون ذلك على معنى مشابهة العِظَم المعروف من العباد . لأن ذلك تشبيه له بخلقه ، وليس كذلك . وأنكر هؤلاء ما قاله أهلُ المقالة التي قدمنا ذكرها ، وقالوا : لو كان معنى ذلك أنه « معظَّم » ، لوجب أن يكون قد كان غير عظيم قبل قبل أن يخلُق الخلق ، وأن يبطُل معنى ذلك عند فناء الخلق ، لأنه لا معظِّم له في هذه الأحوال .

* * *

وقال آخرون : بل قوله إنه « العظيم » ، وصفٌ منه نفسَه بالعِظم . وقالوا : كل ما دونه من خلقه فبمعنى الصِّغر ، لصغرهم عن عظمته .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في معنى ذلك . ١٠/٣

فقال بعضهم : نزلت هذه الآية في قوم من الأنصار — أو في رجل منهم — كان لهم أولادٌ قد هوَّدوهم أو نصَّروهم ، فلما جاء الله بالإسلام أرادوا إكراههم عليه ، فنهاهم الله عن ذلك حتى يكونوا هم يختارون الدُّخول في الإسلام .

* ذكر من قال ذلك :

٥٨١٢ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ،

---

(١) الإثبات : إثبات الصفات لله سبحانه كما وصف نفسه ، بلا تأويل ، خلافاً للمعتزلة وغيرهم وانظر ما سلف ١ : ١٨٩ ، تعليق : ١ .

عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كانت المرأة تكون مِقلاتاً ، فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوِّده. فلما أجليت بنو النضير ، كان فيهم من أبناء الأنصار ، فقالوا : لا ندع أبناءنا ! فأنزل الله تعالى ذكره : « لا إكراه فى الدين قد تبيَّن الرُّشد من الغى » .

٥٨١٣ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير قال: كانت المرأة تكون مِقلَى ولا يعيش لها ولد = قال شعبة . وإنما هو مقلات= فتجعل عليها إن بقى لها ولد لتهوّدنّه . قال : فلما أجليت بنو النضير كان فيهم منهم ، فقالت الأنصار : كيف نصنع بأبنائنا؟ فنزلت هذه الآية : « لا إكراه فى الدين قد تبيَّن الرُّشد من الغى » . قال : من شاء أن يقيم أقام ، ومن شاء أن يذهب ذهبَ . (١)

٥٨١٤ — حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا داود = وحدثنى يعقوب قال ، حدثنا ابن علية ، عن داود = عن عامر قال : كانت المرأة من الأنصار تكون مقلاتاً لا يعيش لها ولد ، فتنذِر إن عاش ولدها أن تجعله مع أهل الكتاب على دينهم ، فجاء الإسلام وطوائف من أبناء الأنصار على دينهم، فقالوا : إنما جعلناهم على دينهم ونحن نرى أن دينهم أفضل من ديننا ! وإذْ جاء الله بالإسلام، فلنكرهنَّهم ! فنزلت :« لا إكراه فى الدين » ، فكان

---

(١) الأثران: ٥٨١٢ ، ٥٨١٣ — فى ابن كثير ٢ : ١٥ ، والدر المنثور ١ : ٣٢٩ قال ابن كثير : « رواه أبو داود والنسائى جميعاً عن بندار به ، ومن وجوه أخرى عن شعبة به نحوه . ورواه ابن أبي حاتم وابن حبان فى صحيحه من حديث شعبة به » . والسنن الكبرى للبيهقى ٩ : ١٨٦ ، وسنن أبي داود — ٣ : ٧٨ — ٧٩ رقم : ٢٦٨٢ . وكان فى المطبوعة والمخطوطة فى رقم ٥٨١٣ ، « حدثنا محمد بن جعفر ، عن سعيد » ، وهو خطأ صوابه « شعبة » . وقوله : « قال : من شاء أن يقيم أقام » وهو من كلام سعيد ابن جبير ، كما فى السنن للبيهقى . والحديث مرفوع هناك إلى ابن عباس وهو الصواب ولكنى تركت ما فى الطبرى على حاله .

وامرأة مقلت (بضم الميم) ومقلات (بكسر الميم) ، هى المرأة التى لا يعيش لها ولد . ويأتى أيضاً « مقلات » ، أنها المرأة التى ليس لها إلا ولد واحد . ولكن الأول هو المراد فى هذا الأثر .

فصلَ ما بين من اختار اليهودية والإسلام ، فمن لحق بهم اختار اليهودية ، ومن أقام اختار الإسلام = ولفظ الحديث لحميد .

٥٨١٥ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا معتمر بن سليمان قال ، سمعت داود ، عن عامر ، بنحو معناه = إلا أنه قال : فكان فصلَ ما بينهم ، إجلاءُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى النضير ، فلحق بهم من كان يهوديًّا ولم يسلم منهم ، وبقى من أسلم .

٥٨١٦ — حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا داود ، عن عامر ، بنحوه = إلا أنه قال : إجلاء النضير إلى خيبر ، فمن اختار الإسلام أقام ، ومن كره لحق بخيبر . (١)

٥٨١٧ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن أبى محمد الحرشى مولى زيد بن ثابت، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قوله : « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى »، قال : نزلت فى رجل من الأنصار من بنى سالم بن عوف ، يقال له : الحصين ، كان له ابنان نصرانيَّان ، وكان هو رجلاً مسلماً، فقال للنبى صلى الله عليه وسلم : ألا أستكرههما، فإنهما قد أبيَا إلا النصرانية؟ فأنزل الله فيه ذلك . (٢)

٥٨١٨ — حدثنى المثنى قال، حدثنا حجاج بن المنهال قال، حدثنا أبو عوانة، عن أبى بشر قال: سألت سعيد بن جبير عن قوله : « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغىّ »، قال : نزلت هذه فى الأنصار ، قال : قلت : خاصة! قال : خاصة ! قال، كانت المرأة فى الجاهلية تنذرُ إن ولدت ولداً أن تجعله فى اليهود ،

---

(١) الآثار ٥٨١٤ — ٥٨١٦ — هى ألفاظ مختلفة لحديث واحد، وانظر الدر المنثور ١ : ٣٢٩، وقال: « أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر » ، ثم انظر الأثرين رقم : ٥٨٢٣ ، ٥٨٢٤ فيما يأتى بعد .

(٢) الأثر : ٥٨١٧ — انظر ما قاله الحافظ ابن حجر فى تحقيق اسم الصحابى فى « حصين الأنصارى » غير منسوب ، ثم فى باب الكنى « أبو الحصين الأنصارى السالمى » ، وفيهما تحقيق جيد . وانظر تفسير ابن كثير ٢ : ١٥ ، والدر المنثور ١ : ٣٢٩ . وانظر الأثر التالى رقم : ٥٨١٩ .

تلتمس بذلك طولَ بقائه . قال : فجاء الإسلام وفيهم منهم ، فلما أجليت النضيرُ قالوا : يا رسول الله ، أبناؤنا وإخوانُنا فيهم ! قال : فسكت عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى ذكره : « لا إكراه فى الدين قد تبيَّن الرشد من الغىّ » ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . قد خُيِّر أصحابكم ، فإن اختاروكم فهم منكم ، وإن اختاروهم فهم منهم ، قال : فأجلَوْهم معهم .(١)

٥٨١٩ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغىّ » إلى «لا انفصام لها» ، قال : نزلت فى رجل من الأنصار يقال له أبو الحصين ، كان له ابنان ، فقدم تجار من الشام إلى المدينة يحملون الزيت . فلما باعوا وأرادوا أن يرجعوا ، أتاهم ابنا أبى الحصين فدعوهما إلى النصرانية ، فتنصرا فرجعا إلى الشام معهم . فأتى أبوهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال(٢) : إن ابنىّ تنصّرا وخرجا ، فأطلبهما ؟ فقال : « لا إكراه فى الدين » ، (٣) ولم يؤمر يومئذ بقتال أهل الكتاب ، وقال : أبعدهما الله ! هما أوّل من كفر ! فوجد أبو الحصين فى نفسه على النبى صلى الله عليه وسلم ، حين لم يبعث فى طلبهما ، فنزلت : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [سورة النساء : ٦٥]. ثم إنه نسخ : « لا إكراه فى الدين » ، فأمر بقتال أهل الكتاب فى «سورة براءة» .(٤)

١١/٣

---

(١) الأثر : ٥٨١٨ — فى السنن الكبرى للبيهقى ٩ : ١٨٦ من طريق سعيد بن منصور عن أبى عوانة ، وذكره السيوطى فى الدر المنثور ١ : ٣٢٩ وزاد نسبته إلى « سعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر » وفيها زيادة : «كانت المرأة فى الجاهلية إذا كانت نزوراً مقلاتاً تنذر لئن ولدت ولداً لتجعلنه فى اليهود » وسائر الخبر سواء . وكتب فى البيهقى والدر المنثور « مقلاة » بالتاء المربوطة وهو خطأ ، و « امرأة نزرة » (بفتح وكسر) وامرأة نزور » قليلة الولد . وفى الدر « نزورة » وهو خطأ .

(٢) فى المطبوعة : « إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، والصواب من المخطوطة والدر المنثور .

(٣) فى المطبوعة : إتمام الآية « قد تبين الرشد من الغى » ، وليس فى المخطوطة ولا الدر المنثور .

(٤) الأثر : ٥٨١٩ — فى الدر المنثور ١ : ٣٢٩ ، وزاد نسبته إلى أبى داود فى ناسخه ، وابن المنذر ، وأشار إليه ابن كثير فى تفسيره ٢ : ١٥ . هذا ولم يذكر أبو جعفر هذا الأثر فى تفسير

٥٨٢٠ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « لا إكراه في الدين » ، قال : كانت اليهود ، يهود بني النضير ، (١) أرضعوا رجالاً من الأوس ، فلما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بإجلائهم، قال أبناؤهم من الأوس : لنذهبن معهم ، ولندينن بدينهم ! فمنعهم أهلوهم وأكرهوهم على الإسلام ، ففيهم نزلت هذه الآية .

٥٨٢١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان = وحدثنا أحمد ابن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد = جميعاً، عن سفيان، عن خصيف ، عن مجاهد : « لا إكراه في الدين» ، قال : كان ناس من الأنصار مسترضعين في بني قريظة، فأرادوا أن يكرهوهم على الإسلام ، فنزلت : « لا أكراه في الدين قد تبين الرشد من الغيّ » .

٥٨٢٢ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : قال مجاهد : كانت النضير يهوداً فأرضعوا ، = ثم ذكر نحو حديث محمد بن عمرو ، عن أبي عاصم = قال ابن جريج، وأخبرني عبد الكريم، عن مجاهد : أنهم كانوا قد دان بدينهم أبناءُ الأوس، (٢) دانوا بدين النضير .

٥٨٢٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي : أن المرأة من الأنصار كانت تنذر إن عاش ولدها لتجعلنّه في أهل الكتاب، فلما جاء الإسلام قالت الأنصار :

آية « سورة النساء » ، ولم يجعلها قولا غير الأقوال التي ذكرها . وهو دليل على اختصاره هذا التفسير ، كما رووا عنه .

(١) في المطبوعة : « كانت في اليهود يهود أرضعوا . . . » ، وفي المخطوطة كانت اليهود يهوداً أرضعوا» وهما خطأ . وفي الدر المنثور ١ : ٣٢٩ : « كانت النضير أرضعت » . واستظهرت أن تكون العبارة كما أثبتها ، سقط من الناسخ « بني النضير » – أو يكون صوابها كما سيأتي في الأثر رقم : ٥٨٢٢ : « كانت النضير يهوداً . . . »

(٢) في المخطوطة : « قد دانوا بدينهم أبناء الأوس » ، وأخشى أن يكون ما في المطبوعة أصح .

يا رسول الله ، ألا نُكره أولادنا الذين هم فى يهودَ على الإسلام ، فإنا إنما جعلناهم فيها ونحن نرى أن اليهودية أفضل الأديان ؟ فأما إذ جاء الله بالإسلام ،[1] أفلا نكرههم على الإسلام ؟ فأنزل الله تعالى ذكره : « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » .

٥٨٢٤ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن داود ، عن الشعبى مثله = وزاد ، قال : كان فَصْلَ ما بين من اختار اليهود منهم وبين من اختار الإسلام ، إجلاءُ بنى النضير ، فمن خرج مع بنى النضير كان منهم ، ومن تركهم اختار الإسلام.[2]

٥٨٢٥ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله: « لا إكراه فى الدين » إلى قوله: « العُرْوة الوثقى » ، قال : هذا منسوخ .

٥٨٢٦ — حدثنى سعيد بن الربيع الرازى قال، حدثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ووائل ، عن الحسن : أن أناساً من الأنصار كانوا مسترضعين فى بنى النضير ، فلما أجلوا أرادَ أهلوهم أن يُلحقوهم بدينهم، فنزلت : « لا إكراه فى الدين » .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لا يكرهُ أهل الكتاب على الدين إذا بذلوا الجزية ، ولكنهم يُقَرُّون على دينهم. وقالوا : الآية فى خاصٍّ من الكفار ، ولم ينسخ منها شىء.

* ذكر من قال ذلك :

٥٨٢٧ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن

---

(١) فى المطبوعة : « فلما أن جاء الإسلام » ، وفى المخطوطة : « فلما إذ جاء » ، وصواب ذلك ما أثبت .

(٢) الأثران : ٥٨٢٣ ، ٥٨٢٤ — انظر الآثار السالفة : ٥٨١٤ — ٥٨١٦ .

قتادة : « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » ، قال : أكرِه عليه هذا الحيُّ من العرب ، لأنهم كانوا أمةً أميَّةً ليس لهم كتاب يعرفونه ، فلم يقبل منهم غير الإسلام . ولا يُكره عليه أهل الكتاب إذا أقرُّوا بالجزية أو بالخراج ، ولم يُفتنوا عن دينهم ، فيخلَّى عنهم .(١)

٥٨٢٨ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا سليمان قال ، حدثنا أبو هلال قال ، حدثنا قتادة فى قوله : « لا إكراه فى الدين » ، قال : هو هذا الحى من العرب ، أكرِهوا على الدين ، لم يقبل منهم إلاّ القتل أو الإسلام ، وأهل الكتاب قبلت منهم الجزية ، ولم يُقتَلوا .

٥٨٢٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا الحكم بن بشير قال ، حدثنا عمرو ابن قيس ، عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « لا إكراه فى الدين » ، قال : أمِر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقاتل جزيرة العرب من أهل الأوثان ، فلم يقبل منهم إلاّ : « لا إله إلاّ الله » ، أو السيف ، ثم أمر فيمن سواهم بأن يقبَل منهم الجزية ، فقال : « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » . ١٢/٣

٥٨٣٠ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « لا إكراه فى الدين » ، قال : كانت العرب ليس لها دين ، فأكرهوا على الدين بالسيف . قال : ولا يكره اليهود ولا النصارى والمجوس ، إذا أعطوا الجزية .

٥٨٣١ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة ، عن ابن أبى نجيح قال : سمعت مجاهداً يقول لغلام له نصرانى : يا جرير ، أسلِم . ثم قال : هكذا كان يقال لهم .

٥٨٣٢ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ،

---

(١) فى المخطوطة : « فخلى عنهم » ، وهما سواء .

حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » ، قال : وذلك لما دخل الناس في الإسلام ، وأعطى أهلُ الكتاب الجزيةَ .

* * *

وقال آخرون : هذه الآية منسوخة ، وإنما نزلت قبل أن يُفرض القتال .

* ذكر من قال ذلك :

٥٨٣٣ – حدثني يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني يعقوب بن عبد الرحمن الزهري قال : سألت زيد بن أسلم عن قول الله تعالى ذكره : « لا إكراه في الدين » ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشرَ سنين لا يُكره أحداً في الدين ، فأبى المشركون إلاّ أن يقاتلوهم ، فاستأذنَ الله في قتالهم فأذن له .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب قولُ من قال : نزلت هذه الآية في خاصٍّ من الناس – وقال : عنى بقوله تعالى ذكره : « لا إكراه في الدين » ، أهل الكتابين والمجوسَ وكلَّ من جاء إقرارُه على دينه المخالف دين الحقّ وأخذُ الجزية منه ، وأنكروا أن يكون شيء منها منسوخاً . (١)

وإنما قلنا : هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب ، لما قد دللنا عليه في كتابنا ﴿ كتاب اللطيف من البيان عن أصول الأحكام ﴾ : من أنّ الناسخ غير كائن ناسخاً إلا ما نفى حكم المنسوخ فلم يجز اجتماعهما . فأما ما كان ظاهرَه العمومُ من الأمر والنهي ، وباطنه الخصوص ، فهو من الناسخ والمنسوخ بمعزل . (٢)

وإذ كان ذلك كذلك = وكان غير مستحيل أن يقال : لا إكراه لأحد ممن أخذت منه الجزيةُ في الدين ، ولم يكن في الآية دليلٌ على أن تأويلها بخلاف ذلك ، وكان المسلمون جميعاً قد نقلوا عن نبيهم صلى الله عليه وسلم أنه

---

(١) في المخطوطة : « منسوخ » ، والصواب ما في المطبوعة .

(٢) انظر ما قاله فيما سلف في شرط النسخ ٣ : ٣٨٥ ، ٥٦٣ .

أكره على الإسلام قوماً فأبى أن يقبل منهم إلا الإسلام ، وحكم بقتلهم إن امتنعوا منه ، وذلك كعبدة الأوثان من مشركى العرب ، وكالمرتد عن دينه دين الحق إلى الكفر ومن أشبههم ، وأنه ترك إكراه آخرين على الإسلام بقبوله الجزية منه وإقراره على دينه الباطل ، وذلك كأهل الكتابين ومن أشبههم =(١) كان بيناً بذلك أن معنى قوله : « لا إكراه فى الدين » ، إنما هو لا إكراه فى الدين لأحد ممن حل قبولُ الجزية منه بأدائه الجزيةَ ، ورضاه بحكم الإسلام .

ولا معنى لقول من زعم أن الآية منسوخة الحكم ، بالإذن بالمحاربة .

* * *

فإن قال قائل : فما أنت قائلٌ فيما روى عن ابن عباس وعمن رُوى عنه : من أنها نزلت فى قوم من الأنصار أرادوا أن يكرهوا أولادهم على الإسلام ؟

قلنا : ذلك غير مدفوعة صحته ، ولكن الآية قد تنزل فى خاصٍّ من الأمر ، ثم يكون حكمها عامًّا فى كل ما جانس المعنى الذى أنزلت فيه . فالذين أنزلت فيهم هذه الآية — على ما ذكر ابن عباس وغيره — إنما كانوا قوماً دانوا بدين أهل التوراة قبل ثبوت عقد الإسلام لهم ، فنهى الله تعالى ذكره عن إكراههم على الإسلام ، وأنزل بالنهى عن ذلك آية يعم حكمها كلَّ من كان فى مثل معناهم ، ممن كان على دين من الأديان التى يجوز أخذُ الجزية من أهلها ، وإقرارُهم عليها ، على النحو الذى قلنا فى ذلك .

* * *

قال أبو جعفر : ومعنى قوله : « لا إكراه فى الدين » ، لا يكره أحد فى دين الإسلام عليه .(٢) وإنما أدخلت « الألف واللام » فى « الدين » ، تعريفاً للدين الذى عنى الله بقوله :(٣) « لا إكراه فيه » ، وأنه هو الإسلام .

---

(١) سياق الجملة : « وإذ كان ذلك كذلك . . . كان بيناً » . وما بين الخطين ، عطوف متتابعة فاصلة بينهما .

(٢) « عليه » ، أى على الإسلام .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « تصريفاً للدين » ، وهو تحريف ، والصواب الواضح ما أثبت .

وقد يحتمل أن يكون أدخلتا عقيباً من« الهاء » المنوّية فى « الدين »، [١] فيكون معنى الكلام حينئذ : وهو العلى العظيم ، لا إكراه فى دينه ، قد تبين الرشد من الغى . وكأن هذا القول أشبه بتأويل الآية عندى .

* * *

قال أبو جعفر : وأما قوله : « قد تبين الرشد » ، فإنه مصدر من قول القائل: « رشِدت فأنا أرشَد رَشَداً ورُشْداً ورَشاداً »، وذلك إذا أصاب الحق والصواب. [٢]

* * *

١٣/٣ وأما « الغى » ، فإنه مصدر من قول القائل : « قد غَوَى فلان فهو يغوَى غَيًّا وغَواية »، وبعض العرب يقول : « غَوِىَ فلان يغوَى »، والذى عليه قراءة القرأة : ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾ [سورة النجم : ٢] بالفتح، وهى أفصح اللغتين ، وذلك إذا عدا الحق وتجاوزه ، فضلّ .

* * *

فتأويل الكلام إذاً : قد وَضح الحق من الباطل ، واستبان لطالب الحق والرشاد وجه مطلبه ، فتميَّزَ من الضلالة والغَواية، فلا تكرهوا من أهل الكتابين= ومن أبحتُ لكم أخذَ الجزية منه=، [٣] [أحداً] على دينكم دين الحق، فإن من حاد عن الرشاد بعد استبانته له ، فإلى ربه أمره ، وهو ولىُّ عقوبته فى معاده .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى معنى « الطاغوت » .

فقال بعضهم : هو الشيطان .

---

(١) قوله : « عقيباً » أى بدلا وخلفاً منه . وأصله من العقيب : وهو كل شىء أعقب شيئاً . وعقيبك هو الذى يعاقبك فى العمل ، يعمل مرة ، وتعمل أنت مرة

(٢) انظر ما سلف فى معنى « رشد » ٣ : ٤٨٤ ، ٤٨٥ .

(٣) أى ، فلا تكرهوا من أهل الكتاب أحداً على دينكم والزيادة مما يقتضيه السياق .

* ذكر من قال ذلك :

٥٨٣٤ ــ حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحق ، عن حسان بن فائد العَبْسيّ قال، قال عمر بن الخطاب : الطاغوت الشيطان .(١)

٥٨٣٥ ــ حدثني محمد بن المثنى قال ، حدثني ابن أبي عدى ، عن شعبة ، عن أبي إسحق ، عن حسان بن فائد ، عن عمر مثله .

٥٨٣٦ ــ حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا عبدالملك، عمن حدثه ، عن مجاهد قال : الطاغوت الشيطان .

٥٨٣٧ ــ حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا زكريا ، عن الشعبي قال : الطاغوت الشيطان.

٥٨٣٨ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك في قوله : « فمن يكفر بالطاغوت »، قال : الشيطان .

٥٨٣٩ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : الطاغوت الشيطان .

٥٨٤٠ ــ حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « فمن يكفر بالطاغوت » ، بالشيطان.

* * *

وقال آخرون : « الطاغوت » هو الساحر .

* ذكر من قال ذلك : -

٥٨٤١ ــ حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا داود،

---

(١) الأثر : ٥٨٣٤ – «حسان بن فائد العبسى» . روى عنه أبو إسحق السبيعى . قال أبو حاتم « شيخ » ، وقال البخارى يعد فى الكوفيين . وذكره ابن حبان فى ثقات التابعين . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/١/٢٨ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٢٣٣ . وكان فى المطبوعة : « العنسى » ، والصواب من المخطوطة . وهذا الأثر ساقه ابن كثير بتمامه فى تفسيره ٢ : ١٦ – ١٧

عن أبي العالية أنه قال : الطاغوت الساحر

* * *

وقد خولف عبد الأعلى فى هذه الرواية ، وأنا ذاكرٌ الخلافَ بعدُ .(١)

* * *

٥٨٤٢ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا حماد بن مسعدة قال ، حدثنا عوف ، عن محمد قال : الطاغوت الساحر .(٢)

* * *

وقال آخرون : بل « الطاغوت » هو الكاهن.

* ذكر من قال ذلك :

٥٨٤٣ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير قال : الطاغوت الكاهن .(٣)

٥٨٤٤ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا داود ، عن رفيع قال : الطاغوت الكاهن .(٤)

٥٨٤٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « فمن يكفر بالطاغوت » ، قال : كُهَّانٌ تنزَّل عليها شياطين ، يلقون على ألسنتهم وقلوبهم = أخبرنى أبو الزبير ، عن جابر بن عبد الله أنه سمعه يقول : – وسئل عن الطواغيت التى كانوا يتحاكمون إليها فقال – : كان فى جهينة واحد ، وفى أسلم واحد ، فى كل حيٍّ واحد ، وهى كهان يتزل عليها الشيطان .

* * *

---

(١) فى الأثر الآتى رقم : ٥٨٤٤ .

(٢) الأثر : ٥٨٤٢ – حماد بن مسعدة ، سلفت ترجمته فى رقم : ٣٠٥٦ . وكان فى المطبوعة « حميد بن مسعدة » ، وهو هنا خطأ ، صوابه من المخطوطة . أما « حميد بن مسعدة » ، فهو شيخ الطبرى ، سلفت ترجمته فى الأثر رقم : ١٩٦ .

(٣) الأثر : ٥٨٤٣ – كان فى المطبوعة والمخطوطة : « حدثنا محمد بن جعفر ، قال حدثنا سعيد » ، والصواب « شعبة » ، وانظر مثل ذلك فى هذا الإسناد نفسه مما سلف رقم : ٥٨١٣ ، والتعليق عليه .

(٤) الأثر ٥٨٤٤ – رفيع ، هو أبو العالية الرياحى ، وقد مضت ترجمته مراراً فيما سلف .

قال أبو جعفر : والصواب من القول عندى فى « الطاغوت » ، أنه كل ذى طغيان على الله، فعُبِد من دونه ، إما بقهر منه لمن عبده ، وإما بطاعة ممن عبده له ، إنساناً كان ذلك المعبود، أوشيطاناً، أو وَثناً ، أو صنماً ، أو كائناً ما كان من شىء .

* * *

وأرى أن أصل « الطاغوت » ، « الطَّغَوُوت » من قول القائل : « طغا فلان يطغو»، إذا عدا قدره ، فتجاوز حده، كـ «الجبروت»« من التجبُّر»، و«الخلَبوت» من « الخَلْب»، [1] ونحو ذلك من الأسماء التى تأتى على تقدير « فَعَلُوت » بزيادة الواو والتاء . ثم نقلت لامه — أعنى لام « الطغووت» فجعلت له عيناً ، وحُوِّلت عينه فجعلت مكان لامه ، كما قيل : « جذب وجبذ » ، و « جاذب وجابذ » ، و« صاعقة وصاقعة »، وما أشبه ذلك من الأسماء التى على هذا المثال .

* * *

فتأويل الكلام إذاً : فمن يجحد رُبوبية كل معبود من دون الله ، فيكفر به = « ويؤمن بالله »، يقول: ويصدق بالله أنه إلهه وربّه ومعبوده[2] = « فقد استمسك بالعروة الوثقى »، يقول: فقد تمسك بأوثق ما يتمسَّك به من طلبَ الخلاص لنفسه من عذاب الله وعقابه ، كما : —

٥٨٤٦ — حدثنى أحمد بن سعيد بن يعقوب الكندى قال ، حدثنا بقية بن الوليد قال ، حدثنا ابن أبى مريم ، عن حميد بن عقبة ، عن أبى الدرداء : أنه ١٤/٣ عاد مريضاً من جيرته ، فوجده فى السَّوْق وهو يُغرغِر ، لا يفقهون ما يريد .

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة « الحلبوت من الحلب » بالحاء المملة ، والصواب ما أثبت . يقال : « رجل خلبوت وامرأة خلبوت » ، وهو المخادع الكذوب ، وجاء فى الشعر ، وما أصدق ما قال هذا العربى ، وما أبصره بطباع الناس ، وما أصدقه على زماننا هذا :

مَلَكْتُمْ ، فَلَمَّا أَنْ مَلَكْتُمْ خَلَبْتُمُ! وَشَرُّ المُلُوكِ الغَادِرُ الخَلَبُوتُ

(٢) اطلب معنى « الإيمان » فيما سلف فى فهارس اللغة .

فسألهم : يريد أن ينطق ؟ قالوا : نعم ، يريد أن يقول : « آمنت بالله وكفرت بالطاغوت » . قال أبو الدرداء : وما عِلْمكم بذلك ؟ قالوا : لم يزل يردّدُها حتى انكسر لسانه ، فنحن نعلم أنه إنما يريد أن ينطق بها . فقال أبو الدرداء : أفلح صاحبُكم ! إن الله يقول : «فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ».(١)

* * *

(١) الأثر : ٥٨٤٦ — « أحمد بن سعيد بن يعقوب الكندى » ، أبو العباس الحمصى ، روى عن بقية بن الوليد ، وعثمان بن سعيد الحمصى ، روى عنه النسائى. وذكره ابن حبان فى الثقات. مترجم فى التهذيب وابن أبى حاتم ١/١/٥٣ . و« حميد بن عقبة » ، هو : حميد بن عقبة بن رومان بن زرارة القرشى ويقال، الفلسطينى . سمع ابن عمر ، وأبا الدرداء . وروى عنه أبو بكر بن أبى مريم والوليد بن سليمان بن أبى السائب . قال أحمد : « حدثنا أبو المغيرة : سألت أبا بكر فقلت : حميد بن عقبة أراه كبيراً ، وأنت تحدث عنه عن أبى الدرداء ؟ قال : حدثنى أن كل شىء حدثنى عن أبى الدرداء، سمعه من أبى الدرداء» ، مترجم فى الكبير ١/٢/٣٤٧، وابن أبى حاتم ١/٢/٢٢٦ ، وتعجيل المنفعة : ١٠٦ .

يقال : « فلان فى السوق ، وفى السياق » أى فى النزع عند الموت ، كأن روحه تساق لتخرج من بدنه . و « هو يسوق نفسه ويسوق بنفسه » : أى يعالج سكرة الموت ونزعه . ويقال : « غرغر فلان يغرغر » جاد بنفسه عند الموت ، و « الغرغرة » تردد الروح فى الحلق ، وأكثر ذلك أن يكون معها صوت ، كغرغرة الماء فى الحلق . وقوله : « حتى انكسر لسانه » : أى عجز عن النطق . وكل من عجز عن شىء ، فقد انكسر عنه . وهو هنا عبارة جيدة تصور ما يكون فى لسان الميت .

* * *

وعند هذا الموضع انتهى جزء من التقسيم القديم الذى نقلت عنه نسختنا ، وفيها ما نصه :

« يتلوهُ القول فى تأويل قوله : فقد استمسك بالعروة الوثقى .

وصلى الله على سيدنا محمد النبى وعلى آله وسلم كثيراً »

ثم يبدأ الجزء بعده :

« بسم الله الرحمن الرحيم ،

ربّ يَسِّر »

القول فى تأويل قوله ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾

قال أبو جعفر : « والعروة » ، فى هذا المكان ، مَثَلٌ للإيمان الذى اعتصم به المؤمن ، فشبهه فى تعلُّقه به وتمسُّكه به ، بالمتمسك بعُروة الشىء الذى له عروة يُتَمسَّك بها ، إذْ كان كلّ ذى عروة فإنما يتعلق من أراده بعروته.

وجعل تعالى ذكره الإيمان الذى تمسَّك به الكافر بالطاغوت المؤمن بالله ، من أوثق عُرى الأشياء بقوله : « الوثقى » .

* * *

و« الوثقى »، « فُعلى » من « الوثاقة » . يقال فى الذكر : « هو الأوثق » ، وفى الأنثى : « هى الوثقى » ، كما يقال : « فلان الأفضل، وفلانة الفضلى » .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٥٨٤٧ ــ حدثنى محمد بن عمرو ، قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « بالعروة الوثقى » ، قال : الإيمان.

٥٨٤٨ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٥٨٤٩ ــ حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : « العروة الوثقى » ، هو الإسلام .

٥٨٥٠ ــ حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن أبى السوداء ، عن جعفر ــ يعنى ابن أبى المغيرة ــ عن سعيد بن جبير قوله : « فقد استمسك بالعروة الوثقى » ، قال : لا إله إلا الله.[1]

---

(١) الأثر : ٥٨٥٠ ، ٥٨٥١ ــ « أبو السوداء » ، هو : « عمرو بن عمران النهدى »، روى عن المسيب بن عبد خير ، وأبى مجلز ، وعبد الرحمن بن باسط والضحاك بن مزاحم ، وروى عنه حفص ابن عبد الرحمن بن سوقة والسفيانان . ثقة ، مترجم فى التهذيب .

٥٨٥١ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي السوداء النهدى ، عن سعيد بن جبير مثله .

٥٨٥٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك : « فقد استمسك بالعروة الوثقى » ، مثله.

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿لَا أَنفِصَامَ لَهَا﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « لا انفصام لها » ، لا انكسار لها . « والهاء والألف » ، فى قوله : « لها » عائدة على « العروة » .

* * *

ومعنى الكلام : فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله ، فقد اعتصم من طاعة الله بما لا يخشى مع اعتصامه خذلانَه إياه ، وإسلامَه عند حاجته إليه فى أهوال الآخرة ، كالمتمسك بالوثيق من عُرَى الأشياء التى لا يخشى انكسار عُراها. (١)

* * *

وأصل « الفصم » الكسر ، ومنه قول أعشى بنى ثعلبة :

وَمَبْسِمَهَا عَنْ شَتِيتِ ٱلنَّبَاتِ غَيْرِ أَكَسَّ وَلَا مُنْفَصِمِ.(٢)

* * *

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « كالتمسك بالوثيق » ، والصواب الذى يقتضيه السياق ما أثبت .

(٢) ديوانه : ٢ من قصيدة من جيد شعر الأعشى ، وقبله أبيات من تمام معناه :

أَتَهْجُرُ غَانِيَةً أَمْ تُلِمّْ ؟ أَمِ الحَبْلُ وَاهٍ بِهَا مُنْجَذِمْ ؟
أَمِ الرُّشْدُ أَحْجَى ؟ فَإِنَّ امرءًا سَيَنْفَعُه عِلْمُهُ إِنْ عَلِمْ
كَمَا رَاشِدٍ تَجِدَنَّ امرءًا تَبَيَّنَ ، ثُمَّ انتَهَى إِذْ قَدُمْ
عصَى المُشْفِقِينَ إِلَى غَيِّهِ وَكُلَّ نَصِيحٍ لَهُ يتَّهِمْ
وَمَا كَانَ ذَلِكَ إِلا الصِّبَا وَإِلاَّ عِقَابَ امرِئٍ قد أَثِمْ

القول فى تأويل قوله ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾

قال أبو جعفر : « والعروة » ، فى هذا المكان ، مَثَلٌ للإيمان الذى اعتصم به المؤمن ، فشبهه فى تعلُّقه به وتمسُّكه به ، بالمتمسك بعُروة الشىء الذى له عروة يُتَمسَّك بها ، إذْ كان كلّ ذى عروة فإنما يتعلق من أراده بعروته.

وجعل تعالى ذكره الإيمان الذى تمسَّك به الكافر بالطاغوت المؤمن بالله ، من أوثق عُرى الأشياء بقوله : « الوثقى » .

* * *

و« الوثقى »، « فُعلى » من « الوثاقة » . يقال فى الذكر : « هو الأوثق » ، وفى الأنثى : « هى الوثقى » ، كما يقال : « فلان الأفضل، وفلانة الفضلى » .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٥٨٤٧ ــ حدثنى محمد بن عمرو ، قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « بالعروة الوثقى » ، قال : الإيمان.

٥٨٤٨ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٥٨٤٩ ــ حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : « العروة الوثقى » ، هو الإسلام .

٥٨٥٠ ــ حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن أبى السوداء ، عن جعفر ــ يعنى ابن أبى المغيرة ــ عن سعيد بن جبير قوله : « فقد استمسك بالعروة الوثقى » ، قال : لا إله إلا الله. (١)

---

(١) الأثر : ٥٨٥٠ ، ٥٨٥١ ــ « أبو السوداء » ، هو : « عمرو بن عمران النهدى »، روى عن المسيب بن عبد خير ، وأبى مجلز ، وعبد الرحمن بن باسط والضحاك بن مزاحم ، وروى عنه حفص ابن عبد الرحمن بن سوقة والسفيانان . ثقة ، مترجم فى التهذيب .

٥٨٥١ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي السوداء النهدى ، عن سعيد بن جبير مثله .

٥٨٥٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك : « فقد استمسك بالعروة الوثقى » ، مثله.

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿لَا انفِصَامَ لَهَا﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « لا انفصام لها » ، لا انكسار لها . « والهاء والألف » ، فى قوله : « لها » عائدة على « العروة ».

* * *

ومعنى الكلام : فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله ، فقد اعتصم من طاعة الله بما لا يخشى مع اعتصامه خذلانَه إياه ، وإسلامَه عند حاجته إليه فى أهوال الآخرة ، كالمتمسك بالوثيق من عُرَى الأشياء التى لا يخشى انكسار عُراها.(١)

* * *

وأصل « الفصم » الكسر ، ومنه قول أعشى بنى ثعلبة :

وَمَبْسِمَهَا عَنْ شَتِيتِ النَّبَاتِ غَيْرِ أَكَسَّ وَلَا مُنْفَصِمِ.(٢)

* * *

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « كالتمسك بالوثيق » ، والصواب الذى يقتضيه السياق ما أثبت .

(٢) ديوانه : ٢ من قصيدة من جيد شعر الأعشى ، وقبله أبيات من تمام معناه :

أَتَهْجُرُ غَانِيَةً أَمْ تُلِمّْ ؟ أَمِ الحَبْلُ وَاهٍ بِهَا مُنْجَذِمْ ؟
أَمِ الرُّشْدُ أَحْجَى ؟ فَإِنَّ امرءًا سَيَنْفَعُه عِلْمُهُ إِنْ عَلِمْ
كَمَا رَاشِدٍ تَجِدَنَّ امرءًا تَبَيَّنَ ، ثُمَّ انتَهَى إِذْ قَدُمْ
عَصَى المُشْفِقِينَ إِلَى غَيِّهِ وَكُلَّ نَصِيحٍ لَهُ يَتَّهِمْ
وَمَا كَانَ ذَلِكَ إِلا الصِّبَا وَإِلاَّ عِقَابَ امْرِئٍ قد أَثِمْ

يدل على أن الآية معناها الخصوص ، وأنها — إذْ كان الأمر كما وصفنا — نزلت فيمن كفر من النصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وفيمن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من عبدة الأوثان الذين لم يكونوا مقرِّين بنبوة عيسى ، وسائر الملل التى كان أهلها يكذِّب بعيسى .

* * *

فإن قال قائل : أو كانت النصارى على حقّ قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم فكذّبوا به ؟

قيل : من كان منهم على ملّة عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم ، فكان على حقّ ، وإياهم عنى الله تعالى ذكره بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [سورة النساء : ١٣٧] .

* * *

فإن قال قائل : فهل يحتمل أن يكون قوله : « والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات » ، أن يكون معنيًّا به غيرُ الذين ذكر مجاهد وعبدة : (١) أنهم عُنوا به ، من المؤمنين بعيسى ، أو غير أهل الرِّدة فى الإسلام؟ (٢) ٣/١٦

قيل : نعم ، يحتمل أن يكون معنى ذلك والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت ، يحولون بينهم وبين الإيمان ، ويضلُّونهم فيكفرون ، فيكون تضليلهم إياهم حتى يكفروا ، إخراجاً منهم لهم من الإيمان ، يعنى صدّهم إياهم عنه ، وحرمانهم إياهم خيره ، وإن لم يكونوا كانوا فيه قبل ، كقول الرجل : « أخرجنى والدى من ميراثه » ، إذا ملَكَ ذلك فى حياته غيرُه ، فحرمه منه حظَّه = (٣) ولم يملك ذلك القائل هذا

---

(١) فى المطبوعة : « مجاهد وغيره » . وهى فى المخطوطة : « عده » غير منقوطة وإنما عنى عبدة ابن أبى لبابة ، كما فى الآثار السالفة ، وما بعدها .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « الردة والإسلام » وهو هنا عطف لا يستقيم ، فإنه إنما عنى المرتدة عن الإسلام .

(٣) فى المطبوعة : « فحرمه منه خطيئة » ، وهو كلام خلو من المعنى . وفى المخطوطة : « فحرمه منه حطه » غير منقوطة ، وكلها فاسدة . فإن المعنى : إذا ملك الميراث غير أبيه ، فحرمه حظه من ميراث أبيه . والحظ : النصيب .

الميراث قطُّ فيخرج منه ، ولكنه لما حُرِمه وحيل بينه وبين ما كان يكون له لو لم يُحرَمه ، قيل « أخرجه منه » ، وكقول القائل : « أخرجنى فلان من كتيبته » ، يعنى : لم يجعلنى من أهلها ، ولم يكن فيها قط قبل ذلك . فكذلك قوله : « يخرجونهم من النور إلى الظلمات » ، محتملٌ أن يكون إخراجهم إياهم من الإيمان إلى الكفر على هذا المعنى ، [1] وإن كان الذى قاله مجاهد وعبدة أشبه بتأويل الآية . [2]

* * *

فإن قال لنا قائل : وكيف قال : « والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور » ، فجمع خبر « الطاغوت » بقوله : « يخرجونهم » ، و« الطاغوت » واحد ؟

قيل : إن « الطاغوت » اسم لجماعٍ وواحدٍ ، وقد يجمع « طواغيت » . وإذا جعل واحده وجمعه بلفظ واحد ، كان نظير قولهم : « رجل عدل ، وقوم عدل » و « رجل فِطر وقوم فِطر » ، [3] وما أشبه ذلك من الأسماء التى يأتى موحَّداً فى اللفظ واحدُها وجمعها ، [4] وكما قال العباس بن مرداس :

فَقُلْنَا : أَسْلِمُوا ، إِنَّا أَخُوكُمْ ! فَقَدْ بَرِئَتْ مِنَ الإِحَنِ الصُّدُورُ [5]

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « يحتمل » بالياء فى أوله ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة معاً : « مجاهد وغيره » ، وهو خطأ ، وانظر التعليق السالف : ص : ٤٢٧ تعليق : ١ .

(٣) أى رجل مفطر ، وقوم مفطرون .

(٤) فى المطبوعة : « التى تأتى موحدة فى اللفظ . . . » ، وفى المخطوطة : « التى يأتى موحد فى اللفظ » والصواب ما أثبت .

(٥) سيرة ابن هشام ٤ : ٩٥ واللسان (أخو) ومجاز القرآن ١ : ٧٩ ، من قصيدة له طويلة فى

يدل على أن الآية معناها الخصوص ، وأنها — إذْ كان الأمر كما وصفنا — نزلت فيمن كفر من النصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وفيمن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من عبدة الأوثان الذين لم يكونوا مقرِّين بنبوة عيسى ، وسائر الملل التى كان أهلها يكذِّب بعيسى .

* * *

فإن قال قائل : أو كانت النصارى على حقّ قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم فكذَّبوا به ؟

قيل : من كان منهم على ملّة عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم ، فكان على حقّ ، وإياهم عنى الله تعالى ذكره بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [سورة النساء : ١٣٧] .

* * *

فإن قال قائل : فهل يحتمل أن يكون قوله : « والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات » ، أن يكون معنيًّا به غيرُ الذين ذكر مجاهد وعبدة : (١) أنهم عُنوا به ، من المؤمنين بعيسى ، أو غير أهل الرِّدة فى الإسلام؟ (٢) ٣/١٦

قيل : نعم ، يحتمل أن يكون معنى ذلك والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت ، يحولون بينهم وبين الإيمان ، ويضلُّونهم فيكفرون ، فيكون تضليلهم إياهم حتى يكفروا ، إخراجاً منهم لهم من الإيمان ، يعنى صدّهم إياهم عنه ، وحرمانهم إياهم خيره ، وإن لم يكونوا كانوا فيه قبل ، كقول الرجل : « أخرجنى والدى من ميراثه » ، إذا ملَكَ ذلك فى حياته غيرُه ، فحرمه منه حظَّه = (٣) ولم يملك ذلك القائل هذا

---

(١) فى المطبوعة : « مجاهد وغيره » . وهى فى المخطوطة : « عبده » غير منقوطة وإنما عنى عبدة ابن أبى لبابة ، كما فى الآثار السالفة ، وما بعدها .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « الردة والإسلام » وهو هنا عطف لا يستقيم ، فإنه إنما عنى المرتدة عن الإسلام .

(٣) فى المطبوعة : « فحرمه منه خطيئة » ، وهو كلام خلو من المعنى . وفى المخطوطة : « فحرمه منه حطه » غير منقوطة ، وكلها فاسدة . فإن المعنى : إذا ملك الميراث غير أبيه ، فحرمه حظه من ميراث أبيه . والحظ : النصيب .

الميراث قطُّ فيخرج منه ، ولكنه لما حُرِمه وحيل بينه وبين ما كان يكون له لو لم يُحرَمه ، قيل « أخرجه منه » ، وكقول القائل : « أخرجنى فلان من كتيبته » ، يعنى : لم يجعلنى من أهلها ، ولم يكن فيها قط قبل ذلك . فكذلك قوله : « يخرجونهم من النور إلى الظلمات » ، محتملٌ أن يكون إخراجهم إياهم من الإيمان إلى الكفر على هذا المعنى ، [1] وإن كان الذى قاله مجاهد وعبدة أشبه بتأويل الآية . [2]

* * *

فإن قال لنا قائل : وكيف قال : « والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور » ، فجمع خبر « الطاغوت » بقوله : « يخرجونهم »، و« الطاغوت » واحد ؟

قيل : إن « الطاغوت » اسم لجماعٍ وواحدٍ ، وقد يجمع « طواغيت » . وإذا جعل واحده وجمعه بلفظ واحد ، كان نظير قولهم : « رجل عدل ، وقوم عدل » و « رجل فِطر وقوم فِطر » ، [3] وما أشبه ذلك من الأسماء التى يأتى موحَّداً فى اللفظ واحدُها وجمعها ، [4] وكما قال العباس بن مرداس :

فَقُلْنَا : أَسْلِمُوا ، إِنَّا أَخُوكُمْ ! فَقَدْ بَرِئَتْ مِنَ الإِحَنِ الصُّدُورُ [5]

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « يحتمل » بالياء فى أوله ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة معاً : « مجاهد وغيره » ، وهو خطأ ، وانظر التعليق السالف : ص : ٤٢٧ تعليق : ١ .

(٣) أى رجل مفطر ، وقوم مفطرون .

(٤) فى المطبوعة : « التى تأتى موحدة فى اللفظ . . . » ، وفى المخطوطة : « التى يأتى موحد فى اللفظ » والصواب ما أثبت .

(٥) سيرة ابن هشام ٤ : ٩٥ واللسان (أخو) ومجاز القرآن ١ : ٧٩ ، من قصيدة له طويلة فى

القول فى تأويل قوله ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ (٢٥٧)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : هؤلاء الذين كفروا = « أصحاب النار » ، أهلُ النار الذين يخلدون فيها – يعنى فى نار جهنم – دون غيرهم من أهل الإيمان ، إلى غير غاية ولا نهاية أبداً. (١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه »، ألم تر، يا محمد، بقلبك(٢) = « الذى حاج إبراهيم »، يعنى : الذى خاصم(٣)

يوم حنين ، وفى هزيمة هوازن ، ويذكر قارب بن الأسود وفراره من بنى أبيه ، وذا الخمار وحبسه قومه للموت ، وبعد البيت :

كَأَنَّ القَوْمَ — إِذْ جَاؤُوا إِلَيْنَا مِن البَغْضَاءِ بَعْدَ السِّلْمِ — عُورُ

وهو يخاطب هوازن بن منصور بن عكرمة ، إخوة سليم بن منصور ، وهم قوم العباس بن مرداس السلمى . وهذا البيت يجعلونه شاهداً على جمع « أخ » بالواو والنون كقول عقيل بن علفة المرى :

وَكَانَ بَنُو فَزَارَةَ شَرَّ عَمٍّ وكُنْتُ لَهُمْ كَشَرٍّ بَنِى الأَخِينَا

فقوله : « أخوكم » ، أى : إخوتكم . فهذا وجه آخر غير الذى استشهد له الطبرى بهذا البيت . والشاهد على قول الطبرى ما جاء فى الأثر : « أنتم الوالد ونحن الولد » . والإحن جمع إحنة : وهى الحقد الغالب .

(١) انظر تفسير « أصحاب النار » « وخالدون » فيما سلف ٢ : ٢٨٦، ٢٨٧ / ٤ : ٣١٧ .

(٢) انظر تفسير « الرؤية » فيما سلف ٣ : ٧٥ – ٧٩ /٣ : ١٦٠/ وهذا الجزء: ٢٦٦ ، ٢٩١

(٣) انظر معنى « حاج » فيما سلف ٣ : ١٢١ – ٢٠٠ .

« إبراهيم » ، يعنى : إبراهيم نبى الله صلى الله عليه وسلم = « فى ربّه أن آتاه الله الملك » ، يعنى بذلك : حاجّه فخاصمه فى ربّه ، لأنّ الله آتاه الملك.

* * *

وهذا تعجيبٌ من الله تعالى ذكره نبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم ، من الذى حاجّ إبراهيم فى ربه . ولذلك أدخلت « إلى » فى قوله : « ألم تر إلى الذى حاج » ، وكذلك تفعل العرب إذا أرادت التعجيب من رجل فى بعض ما أنكرتْ من فعله ، قالوا : « ما ترى إلى هذا »؟! والمعنى : هل رأيت مثلَ هذا ، أو كهذا ؟! (١)

* * *

وقيل: إنّ «الذى حاج إبراهيم فى ربه» جباركان ببابل يقال له: نُمروذ بن كنعان بن كُوش بن سام بن نوح = وقيل : إنه نمروذ بن فالخ بن عابر بن شالخ ابن أرفخشذ بن سام بن نوح .

* ذكر من قال ذلك :

٥٨٦١ – حدثنى محمد بن عمرو ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك » ، قال : هو نمروذ بن كنعان .

٥٨٦٢ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٥٨٦٣ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو نعيم ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد مثله .

٥٨٦٤ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن النضر بن عربىّ ، عن مجاهد مثله . (٢)

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ١٧٠ .

(٢) الأثر : ٥٨٦٤ – « النضر بن عربى الباهلى » مضت ترجمته فى : ١٣٠٧ ، وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « بن عدى » ، وهو خطأ .

٥٨٦٥ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ألم تر إلى الذى حاجَّ إبراهيم فى ربه »، قال : كنا نُحَدَّث أنه ملك يقال له نمروذ، (١) وهو أول ملك تجبرَّ فى الأرض ، وهو صاحب الصرح ببابل .

٥٨٦٦ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : هو اسمه نمروذ ، وهو أول من تجبرَّ فى الأرض ، حاجَّ إبراهيم فى ربه .

٥٨٦٧ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « ألم تر إلى الذى حاجَّ إبراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك »، قال : ذُكر لنا أن الذى حاج إبراهيم فى ربه كان ملكاً يقال له نمروذ ، وهو أول جبَّار تجبَّر فى الأرض ، وهو صاحب الصرح ببابل . ١٧/٣

٥٨٦٨ – حدثنا موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ، عن السدى قال: هو نمروذ بن كنعان .

٥٨٦٩ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : هو نمروذ .

٥٨٧٠ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق مثله .

٥٨٧١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر قال ، أخبرنى زيد بن أسلم بمثله .

٥٨٧٢ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : أخبرنى عبد الله بن كثير : أنه سمع مجاهداً يقول : هو نمروذ = قال ابن جريج : هو نمروذ ، ويقال إنه أول ملك فى الأرض .

* * *

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « كنا نتحدث » ، وما أثبت هو الصواب .

القول فى تأويل قوله ﴿ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٢٥٨)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : ألم تر، يا محمد، إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه حين قال له إبراهيم : « ربى الذى يحيي ويميت » ، يعنى بذلك : ربى الذى بيده الحياة والموت ، يُحيي من يشاء ويميتُ من أراد بعد الإحياء . قال : أنا أفعل ذلك ، فأحيي وأميت ، أستحيي من أردتُ قتله فلا أقتله ، فيكون ذلك منى إحياءً له = وذلك عند العرب يسمى « إحياء » ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً ﴾ [سورة المائدة : ٣٢] = وأقتُل آخر ، فيكون ذلك منى إماتة له . قال إبراهيم صلى الله عليه وسلم : فإن الله الذى هو ربى يأتى بالشمس من مشرقها ، فأت بها — إن كنتَ صادقاً أنك إلهٌ — من مغربها ! قال الله تعالى ذكره : « فبُهت الذى كفر » ، يعنى : انقطع وبطلت حُجته .

* * *

يقال منه : « بُهِتَ يُبْهَتُ بَهْتاً » . وقد حكى عن بعض العرب أنها تقول بهذا المعنى : « بَهِت » . ويقال : « بَهَتَّ الرجل » = إذا افتريت عليه كذباً = « بَهتاً وبُهتاناً وبَهَاتة » .(١)

* * *

وقد روى عن بعض القرأة أنه قرأ : ﴿ فَبَهَتَ الَّذِى كَفَرَ ﴾ ، بمعنى : فبهت إبراهيمُ الذى كفر .

* * *

(١) « بهاتة » ، مصدر لم أجده فى كتب اللغة ، وهو صحيح فى القياس .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٥٨٧٣ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة فى قوله : « إذ قال إبراهيم ربىّ الذى يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت »، وذكر لنا أنه دعا برجلين فقتل أحدهما واستحيىَ الآخر ، فقال : أنا أحيي هذا ! أنا أستحيي من شئتُ ، وأقتل من شئت ! قال إبراهيم عند ذلك: « فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب »، « فبُهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين ».

٥٨٧٤ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبوحذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : « أنا أحيي وأميت » ، أقتل من شئت وأستحيي من شئت ، أدعه حيًّا فلا أقتله . وقال : ملك الأرضَ مشرقَها ومغربها أربعةُ نفر : مؤمنان وكافران ، فالمؤمنان : سليمان بن داود وذو القرنين ، والكافران : بُخْتنصَّر ونمروذ بن كنعان ، لم يملكها غيرهم .

٥٨٧٥ – حدثنا الحسن بن يحيي قال، أخبرنا عبدالرزاق قال، أخبرنا معمر، عن زيد بن أسلم: أول جبار كان فى الأرض نمروذ، (١) فكان الناس يخرجون فيمتارون من عنده الطعام ، فخرج إبراهيم يمتار مع من يمتار ، فإذا مرّ به ناسٌ قال : من ربكم ؟ قالوا : أنت ! حتى مرّ إبراهيم، قال : من ربك ؟ قال : الذى يُحيي ويميت ؟ قال: أنا أحيي وأميت ! قال إبراهيم: فإن الله يأتى بالشمس من المشرق، فأت بها من المغرب ! فبُهت الذى كفر. قال : فردّه بغير طعام . قال : فرجع إبراهيم إلى أهله، (٢) فمرّ على كثيب أعفر، (٣) فقال: ألاّ آخذ من هذا ، فآتى به

(١) فى التاريخ : « نمرود » بالدال المهملة ، وفى المخطوطة كذلك ، إلا أنها لا تعجم المعجم . وكلاهما جائز ، بالدال المهملة والذال المعجمة .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « على أهله » ، والجيد ما فى تاريخ الطبرى ، وهو ما أثبت .

(٣) فى المطبوعة : « على كثيب من رمل أعفر » بهذه الزيادة ، وليست فى المخطوطة ولا فى التاريخ والأعفر : الرمل الأحمر ، أو تخالفه الحمرة .

أهلى ،[١] فتطيب أنفسهم حين أدخل عليهم ! فأخذ منه فأتى أهله . قال : فوضع متاعه ثم نام، فقامت امرأته إلى متاعه ففتحته، فإذا هى بأجود طعام رآه أحد،[٢] فصنعت له منه فقرّبته إليه، وكان عَهِد أهلَه ليس عندهم طعام ،[٣] فقال : من أين هذا ؟ قالت : من الطعام الذى جئت به ! فعلم أن الله رزقه ، فحمد الله . ثم بعثَ الله إلى الجبار ملَكاً : أنْ آمن بى وأتركك على ملكك! قال : وهل ربٌّ غيرى ؟ ! فجاءه الثانية فقال له ذلك ، فأبى عليه . ثم أتاه الثالثة فأبى عليه ، فقال له الملك : اجمع جموعك إلى ثلاثة أيام ! فجمع الجبار جموعه ، فأمر الله الملَك ففتح عليه باباً من البعوض ، فطلعت الشمس فلم يروها من كثرتها ، فبعثها الله عليهم فأكلت لحومهم وشربت دماءهم ، فلم يبق إلاّ العظام ، والملِك كما هو لم يصبه من ذلك شىء . فبعث الله عليه بعوضة فدخلت فى مَنْخِره ، فمكث أربعمئة سنة يُضرب رأسه بالمطارق، وأرحمُ الناس به من جَمع يديه وضرب بهما رأسه . وكان جبّاراً أربعمئة عام ، فعذبه الله أربعمئة سنة كمُلكه وأماته الله .[٤] وهو الذى بنى صرحاً إلى السماء ، فأتى الله بنيانه من القواعد ، وهو الذى قال الله : ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾[٥] [سورة النحل: ٢٦] .

١٨/٣

٥٨٧٦ — حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى قول الله : « ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه » ، قال : هو نمروذ، كان بالموصل والناس يأتونه، فإذا دخلوا عليه قال: من ربكم؟ فيقولون: أنت !

---

(١) فى التاريخ : « هلا » (بفتح الهاء وتشديد اللام) وهما سواء ، « ألا » أيضاً مشددة اللام .

(٢) فى المطبوعة : « فإذا هى بأجود طعام رأته » ، والذى أثبت نص المخطوطة والتاريخ ، فليت شعرى لم غيره المغيرون فى الطبع ! !

(٣) الأثر : ٥٨٧٥ — فى المطبوعة : « وكان عهده بأهله أنه ليس عندهم طعام » ، وأثبت ما فى المخطوطة . والتاريخ ، وعجب لهؤلاء المبدلين ، استبدلوا الركيك الموضوع ، بالجزل المرفوع ! ! والأثر فى تاريخ الطبرى ١ : ١٤٨ .

(٤) فى المطبوعة : « ثم أماته الله » ، وأثبت ما فى المخطوطة والتاريخ.

(٥) فى المخطوطة : « فأتى الله بنيانه من القواعد» ، ثم أراد أن يصححها ، فكررها كما هى ، ولم يضرب على الأولى .

فيقول أميروهم .(١) فلما دخل إبراهيم ومعه بعير خرج يمتار به لولده ، قال : فعرضهم كلهم فيقول : من ربكم ؟ فيقولون : أنت ! فيقول : أميروهم ! (١) حتى عرض إبراهيم مرتين ، فقال : من ربك !؟ قال : ربى الذى يحيي ويميت ! قال : أنا أحيي وأميت ، إن شئت قتلتك فأمتُّك ، وإن شئت استحييتك . قال إبراهيم : فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب !! « فبُهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين » . قال : أخرجوا هذا عنّى فلا تميروه شيئاً ! فخرج القوم كلهم قد امتاروا ، وجُوالِقَا إبراهيم يَصطفِقان ، (٢) حتى إذا نظر إلى سواد جبال أهله قال : لَيحزُنّى صبيّى إسمعيل وإسحق ! (٣) لو أنى ملأت هذين الجُوالقين من هذه البطحاء ، فذهبت بهما ، قرّت عينا صبيّى ، حتى إذا كان الليل أهرقته ! قال : فملأهما ، ثم خيّطهما ، ثم جاء بهما . فترامى عليهما الصبيّان فرحاً ، وألقى رأسه فى حجر سارَة ساعةً ، ثم قالت : ما يجلسنى ! قد جاء إبراهيم تعِباً لغِباً ، (٤) لو قمت فصنعت لهُ طعاماً إلى أن يقوم ! قال : فأخذت وسادة فأدخلتها مكانها ، وانسلّتْ قليلاً قليلاً لئلا توقظه . قال : فجاءت إلى إحدى الغِرارتين ففتقتها ، فإذا حُوّارَى من النقىّ لم يروا مثله عند أحد قط ، (٥) فأخذت منه فعجنته وخبزته ، (٦) فلما أتت توقظ إبراهيم جاءته حتى وضعته بين يديه ، فقال : أى شىء هذا

---

(١) فى المطبوعة : « ميروهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهما صواب . ماره يميره ، وأماره : إذا أتاهم بالميرة (وهى الطعام المجلوب) ، ومار القوم وأمارهم أيضاً : إذا أعطاهم الميرة .

(٢) الجوالق (بضم الجيم ، وكسر اللام أو فتحها) ، وجمعه جوالق وجوالقات ، وهو وعاء من الأوعية ، نسميه ونحرفه اليوم « شوال » . واصطفق الشىء : اضطرب ، يعنى من فراغهما .

(٣) فى المطبوعة : « ليحزننى » ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٤) لغب : قد أعيى أشد الإعياء . من اللغوب . وأكثر ما يقولون : لاغب ، أما « لغب » ، فهو قليل فى كلامهم ، وهو هنا اتباع .

(٥) الحوارى (بضم الحاء وتشديد الواو ، والراء مفتوحة) : وهو لباب الدقيق الأبيض وأخلصه وأجوده . والنقى : وهو البر إذا جرى فيه الدقيق .

(٦) فى المطبوعة : « فطحنته وعجنته » ، وفى المخطوطة : « فعجنته وعجنته » ، واستظهرت أن تكون كما أثبتها .

يا سارة ؟ قالت : من جوالقك ، لقد جئت وما عندنا قليلٌ ولا كثير ! قال : فذهب ينظر إلى الجوالق الآخر فإذا هو مثله ، فعرف من أين ذاك .

٥٨٧٧ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق ، قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : لما قال له إبراهيم : ربّي الذي يحيي ويميت ! قال هو – يعني نمروذ: فأنا أحيي وأميت ! فدعا برجلين فاستحيى أحدهما وقتل الآخر ، قال: أنا أحيي وأميتُ ! = قال: أي أستحيي من شئت= فقال إبراهيم: فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ! « فبُهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين » .

٥٨٧٨ – حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قال : لما خرج إبراهيم من النار أدخلوه على الملك ، ولم يكن قبل ذلك دخل عليه ، فكلمه وقال له : من ربك ؟ قال : ربي الذي يحيي ويميت ! قال . نمروذ: أنا أحيي وأميت ! أنا أدخل أربعة نفر بيتاً فلا يُطعَمون ولا يُسقَوْن، حتى إذا هلكوا من الجوع أطعمت اثنين وسقيتهما فعاشا ، وتركت اثنين فماتا . فعرف إبراهيم أن له قدرة بسلطانه وملكه على أن يفعل ذلك ، قال له إبراهيم : فإن ربي الذي يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ! فبُهت الذي كفر، وقال: إن هذا إنسان مجنون ! فأخرجوه ، ألا ترون أنه من جنونه اجترأ على آلهتكم فكسرها، وأنّ النار لم تأكله .! وخشي أن يفتضح في قومه= أعني نمروذ = وهو قول الله تعالى ذكره: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ﴾ [سورة الأنعام: ٨٣] ، فكان يزعم أنه ربٌّ = وأمر بإبراهيم فأخرج .

٥٨٧٩ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، أخبرني عبد الله بن كثير ، أنه سمع مجاهداً يقول ، قال : أنا أحيي وأميت ، أحيي فلا أقتل ، وأميت من قتلت = قال ابن جريج . كان أتى

برجلين فقتل أحدهما وترك الآخر ، فقال : أنا أحيي وأميت . قال : أقتل فأميت من قتلت ، وأحيي = قال : أستحيي = فلا أقتل .

٥٨٨٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثني محمد بن إسحق ١٩/٣ قال : ذكر لنا ، والله أعلم ، أن نمروذ قال لإبراهيم فيما يقول : أرأيت إلهك هذا الذى تعبُد وتدعو إلى عبادته ، (١) وتذكر من قدرته التى تعظمه بها على غيره ، ما هو ؟ قال له إبراهيم : ربى الذى يحيي ويميت . قال نمروذ : فأنا أحيي وأميت ! فقال له إبراهيم : كيف تحيي وتميت ؟ قال : آخذ رجلين قد استوجبا القتل فى حكمى ، فأقتل أحدهما فأكون قد أمتُّه ، وأعفو عن الآخر فأتركه ، وأكون قد أحييته ! فقال له إبراهيم عند ذلك : فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ، أعرفْ أنه كما تقول ! فبُهت عند ذلك نمروذ ولم يرجع إليه شيئاً ، وعرف أنه لا يطيق ذلك . يقول تعالى ذكره : « فبُهت الذى كفر » ، يعنى وقعت عليه الحجة = يعنى نمروذ .

* * *

قال أبو جعفر : وقوله : «والله لا يهدى القوم الظالمين » ، يقول : والله لا يهدى أهل الكفر إلى حجةٍ يُدحضون بها حجة أهل الحق عند المحاجّة والمخاصمة ، لأن أهل الباطل حججهم داحضة .

* * *

وقد بينا أن معنى « الظلم » وضع الشيء فى غير موضعه ، (٢) والكافرُ وضع جحوده ما جحد فى غير موضعه ، فهو بذلك من فعله ظالمٌ لنفسه .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال ابن إسحق .

---

(١) فى المطبوعة : « الذى تعبده وتدعو إلى عبادته » ، وفى المخطوطة « الذى تعبدونه وتدعو... » وصواب قراءتها ما أثبت .

(٢) انظر تفسير « الظلم » فيما سلف ١ : ٥٢٣ ، ٥٢٤ / ٢ : ٣٦٩ ، ٥١٩ ، ثم أخيراً ما سلف قريباً : ٣٨٤ .

٥٨٨١ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال ، حدثني محمد بن إسحق : « والله لا يهدى القوم الظالمين » ، أى : لا يهديهم فى الحجة عند الخصومة، لما هم عليه من الضلالة .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « أو كالذى مرّ على قرية » ، نظيرَ الذى عنى بقوله : « ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه » ، من تعجيب محمد صلى الله عليه وسلم منه .

* * *

وقوله : « أو كالذى مر على قرية » عطف على قوله: « ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه » ، وإنما عطف قوله : « أو كالذى » على قوله: « إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه » ، وإن اختلف لفظاهما ، لتشابه معنييهما . لأن قوله : « ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه» ، بمعنى : هل رأيتَ ، يا محمد، كالذى حاج إبراهيم فى ربه ؟ = ثم عطف عليه بقوله : « أو كالذى مر على قرية» . لأن من شأن العرب العطفَ بالكلام على معنى نظير له قد تقدمه ، وإن خالف لفظه لفظه .

* * *

وقد زعم بعض نحويى البصرة أن « الكاف » فى قوله : « أو كالذى مر على قرية» ، زائدةٌ ، وأن المعنى : ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم، أو الذى مرّ على قرية .

* * *

وقد بينا فيما مضى قبل أنه غير جائز أن يكون فى كتاب الله شىء لا معنى له ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .(١)

* * *

(١) انظر ما سلف ١ : ٤٣٩ – ٤٤١ / ٢ : ٣٣١ ، ٤٠٠ .

واختلف أهل التأويل فى « الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها » .
فقال بعضهم : هو عُزَيْر .

* ذكر من قال ذلك :

٥٨٨٢ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن أبى إسحق ، عن ناجية بن كعب : « أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها » ، قال : عزير .(١)

٥٨٨٣ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا أبو خزيمة قال ، سمعت سليمان بن بريدة فى قوله : « أو كالذى مر على قرية » ، قال : هو عزير .

٥٨٨٤ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها » ، قال : ذكر لنا أنه عزير .

٥٨٨٥ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة [مثله] .(٢)

٥٨٨٦ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه قوله : « أو كالذى مر على قرية » ، قال : قال الربيع : ذكر لنا ، والله أعلم ، أن الذى أتى على القرية هو عزير .

٥٨٨٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة : « أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها » ، قال : عزير .

---

(١) الأثر : ٥٨٨٢ — « ناجية بن كعب الأسدى » روى عن على ، وعمار بن ياسر ، وعبد الله ابن مسعود . روى عنه أبو إسحق السبيعى ، وأبو حسان الأعرج ، ويونس بن أبى إسحق . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/٢/١٠٧ ، وابن أبى حاتم ٤/١/٤٨٦ .

(٢) الزيادة بين القوسين لا بد منها .

٥٨٨٨ – حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « أو كالذى مر على قرية » ، قال : عزير .

٥٨٨٩ – حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ يقول، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها » ، إنه هو عزير .

٥٨٩٠ – حدثني يونس قال، قال لنا سلم الخواص: كان ابن عباس يقول: هو عزير.(١)

• • •

وقال آخرون: هو أورميا بن حلقيا ،(٢) وزعم محمد بن إسحق أن أورميا ، هو الخضر .

٥٨٩١ – حدثنا بذلك ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال ، حدثنا ابن إسحق قال : اسم الخضر = فيما كان وهب بن منبه يزعم عن بنى إسرائيل – أورميا بن حلقيا ، وكان من سبط هرون بن عمران.(٣)

٢٠/٣ • ذكر من قال ذلك :

٥٨٩٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، حدثنا عبد الصمد بن معقل : أنه سمع وهب بن منبه يقول فى قوله : « أنّى يحيي هذه الله

---

(١) الأثر : ٥٨٩٠ – « يونس » ، هو يونس بن عبد الأعلى سلفت ترجمته مراراً . و « سلم الخواص » هو : سلم بن ميمون الخواص الرازى الزاهد ، من كبار الصوفية . دفن كتبه ، وكان يحدث من حفظه فيغلط . قال ابن حبان : كان من كبار عباد أهل الشام ، غلب عليه الصلاح ، حتى غفل عن حفظ الحديث وإتقانه ، فلا يحتج به . مترجم فى لسان الميزان، وفى الجرح ٢/١/٢٦٧ . وكان فى المطبوعة : « سالم الخواص » ، وهو خطأ ، والصواب من المخطوطة .

(٢) هو فى كتاب القوم ﴿ إرميا ﴾ . وكان فى المطبوعة مثله ، ولكنى أثبت ما فى المخطوطة، لأنه مضى عليه فى جميع ما يأتى ، وكذلك كان يرسم فى غيره من الكتب . انظر « سفر أرميا » فى كتابهم .

(٣) هذا القول رده الطبرى ونقضه فى تاريخه ١ : ١٩٤ ، وما قبلها .

بعد موتها » ، أن أورميا لما خُرِّب بيت المقدس وحُرقت الكتب ، وقف فى ناحية الجبل فقال : « أنّى يحيي هذه الله بعد موتها » . (١)

٥٨٩٣ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال ، حدثنى ابن إسحق ، عمن لا يتّهم ، عن وهب بن منبه قال : هو أورميا .

٥٨٩٤ — حدثنى محمد بن عسكر قال، حدثنا إسمعيل بن عبد الكريم قال، سمعت عبد الصمد بن معقل ، عن وهب بن منبه ، مثله .

٥٨٩٥ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى بن ميمون ، عن قيس بن سعد ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير فى قول الله : « أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها » ، قال : كان نبيًّا ، وكان اسمه أورميا .

٥٨٩٦ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن قيس بن سعد ، عن عبد الله بن عبيد مثله .

٥٨٩٧ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنى بكر بن [مضر] ، قال : يقولون ، والله أعلم، إنه أورميا . (٢)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : إنّ الله تعالى ذكره عجّب نبيّه صلى الله عليه وسلم ممن قال — إذ رأى قرية خاوية على عروشها — « أنّى يحيي هذه الله بعد موتها » ، مع علمه أنه ابتدأ خلقها من غير شىء ، فلم يقنعه علمه بقدرته على ابتدائها حتى قال : أنّى يحييها الله بعد موتها ! ولا بيان عندنا من الوجه الذى يصحّ من قِبله البيانُ على اسم قائل ذلك . وجائزٌ أن يكون ذلك

---

(١) الأثر : ٥٨٩٢ — هو بعض الأثر السالف رقم : ٥٦٦١ .

(٢) الأثر : ٥٨٩٧ — فى المطبوعة والمخطوطة بياض مكان ما بين القوسين وقد زدته استظهاراً من الأسانيد السالفة . وقد مضت ترجمة « بكر بن مضر المصرى » فى رقم : ٢٠٣١ ، وانظر هذا الإسناد فيما سيأتى رقم : ٥٩٢٩ — ٥٩٤٩ .

عُزَيراً، وجائز أن يكون أورميا، ولا حاجة بنا إلى معرفة اسمه، إذ لم يكن المقصود بالآية تعريف الخلق اسم قائل ذلك ، وإنما المقصود بها تعريف المنكرين قدرة الله على إحيائه خلقَه بعد مماتهم، وإعادتهم بعد فنائهم ، وأنه الذى بيده الحياة والموت = من قريش ومن كان يكذب بذلك من سائر العرب= (١) وتثبيت الحجة بذلك على من كان بين ظهرانَىْ مُهاجَر رسول الله صلى الله عليه وسلم من يهود بنى إسرائيل ، بإطلاعه نبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم على ما يُزيل شكهم فى نبوته ، ويقطعُ عذرهم فى رسالته، إذْ كانت هذه الأنباء التى أوحاها إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فى كتابه، من الأنباء التى لم يكن يعلمها محمد صلى الله عليه وسلم وقومُه، ولم يكن علم ذلك إلاّ عند أهل الكتاب ، ولم يكن محمد صلى الله عليه وسلم وقومه منهم ، بل كان أميًّا وقومه أمِّيُّون . (٢) فكان معلوماً بذلك عند أهل الكتاب من اليهود الذين كانوا بين ظهرانى مهاجَرِه، أنّ محمداً صلى الله عليه وسلم لم يعلم ذلك إلا بوحى من الله إليه . ولو كان المقصودُ بذلك الخبرَ عن اسم قائل ذلك ، لكانت الدلالة منصوبة عليه نصباً يقطع العذر ويزيل الشك ، ولكن القصد كان إلى ذم قِيله ، فأبان تعالى ذكره ذلك لخلقه .

* * *

واختلف أهل التأويل فى « القرية » التى مر عليها القائل: « أنّى يحيِى هذه الله بعد موتها» .

فقال بعضهم : هى بيت المقدس .

* ذكر من قال ذلك :

٥٨٩٨ — حدثنى محمد بن سهل بن عسكر ومحمد بن عبد الملك قالا ، حدثنا إسمعيل بن عبد الكريم قال، حدثنى عبد الصمد بن معقل : أنه سمع وهب بن

---

(١) السياق : « تعريف المنكرين . . . من قريش . . . » . وسياق ما بين الخطين : وإنما المقصود بها تعريف المنكرين . . . وتثبيت الحجة . . . » .

(٢) يعنى بالأمى: الذى لا كتاب له ، وانظر تفسير « الأمى » فيما سلف ٢ : ٢٥٧ — ٢٥٩.

منبه قال : لما رأى أورميا هدم بيت المقدس كالجبل العظيم ، قال : « أنّى يحيي هذه الله بعد موتها » .

٥٨٩٩ ــ حدثنا الحسن بن يحيي قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا عبد الصمد بن معقل : أنه سمع وهب بن منبه قال : هي بيت المقدس .

٥٩٠٠ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال ، حدثني ابن إسحق ، عمن لا يتهم ، أنه سمع وهب بن منبه يقول ذلك .

٥٩٠١ ــ حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذكر لنا أنه بيت المقدس ، أتى عليه عزير بعد ما خرّبه بُخْت نصّر البابليّ .(١)

٥٩٠٢ ــ حدثت عن الحسين قال: سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد ابن سليمان قال، سمعت الضحاك يقول في قوله : « أو كالذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها » ، أنه مرّ على الأرض المقدسة .

٥٩٠٣ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة في قوله : « أو كالذي مر على قرية » ، قال : القرية بيت المقدس ، مرّ بها عزيرٌ بعد إذ خرّبها بُخت نصّر .(١)

٥٩٠٤ ــ حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع : « أو كالذي مر على قرية » ، قال : القرية بيت المقدس ، مرّ عليها عزير وقد خربها بُخت نصّر . ٢١/٣

* * *

وقال آخرون : بل هي القرية التي كان الله أهلك فيها الذين خرجوا من ديارهم وهُم ألوف حذرَ الموت ، فقال لهم الله : موتوا .

• ذكر من قال ذلك :

---

(١) في المطبوعة : « بختنصر » ، كلمة واحدة ، وكذلك في التاريخ وغيره ، ولكن المخطوطة في هذا الموضع وكل ما يليه كتبت كلمتين مفصولتين ، فأثبتها كما هي ، فهي صواب أيضاً.

٥٩٠٥ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قول الله تعالى ذكره : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ ﴾، قال: قرية كان نزل بها الطاعون = ثم اقتصّ قصتهم التي ذكرناها في موضعها عنه، إلى أن بلغ = ﴿ فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ﴾ ، في المكان الذي ذهبوا يبتغون فيه الحياة ، (١) فماتوا ثم أحياهم الله، ﴿ إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [سورة البقرة : ٢٤٣] . قال: ومر بها رجل وهي عظام تلوح، فوقف ينظر فقال: « أنّى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مئة عام ثم بعثه » إلى قوله : « لم يتسنه » . (٢)

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك ، كالقول في اسم القائل : « أنّى يحيي هذه الله بعد موتها » ، سواءٌ لا يختلفان .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بقوله : « وهي خاوية » ، وهي خالية من أهلها وسكانها .

* * *

يقال من ذلك : « خوَت الدار تخوِي خوَاء وخُوِيًّا » ، وقد يقال للقرية : « خَوِيَت» ، والأول أعرب وأفصح . وأما في المرأة إذا كانت نُفَساء، فإنه يقال : «خَوِيَت تَخْوَى خَوًى» منقوصاً، وقد يقال فيها: « خوَت تخوِي»، كما يقال في

---

(١) في الأثر السالف : ٥٦٠٨ – « ذهبوا إليه » بزيادة « إليه » .

(٢) الأثر : ٥٩٠٥ – هو بعض الأثر : ٥٦٠٨ .

الدار . وكذلك: « خَوِيَ الجوف يخوَى خوًى شديداً »، (١) ولو قيل فى الجوف ما قيل فى الدار ، وفى الدار ما قيل فى الجوف ، كان صواباً ، غير أن الفصيح ما ذكرت .

* * *

وأما « العُرُوش » ، فإنها الأبنية والبيوت واحدها « عَرْش » ، وجمع قليله «أعرُش». (٢) وكل بناء فإنه : «عرش» . ويقال : «عَرَش فلان داراً يعرِش ويعرُش عرشاً»، (٣) ومنه قول الله تعالى ذكره: ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٣٧]، يعنى يبنون ، ومنه قيل : « عريش مكة » ، يعنى به: خيامها وأبنيتها. (٤)

* * *

وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

* ذكر من قال ذلك :

٥٩٠٦ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال ابن عباس : « خاوية » ، خراب = قال ابن جريج : بلغنا أن عُزيرًا خرج فوقف على بيت المقدس وقد خرَّبه بخت نصَّر ، (٥) فوقف

---

(١) فى المطبوعة : « خواء شديداً » ، والصواب من المخطوطة، هذا على أنه يقال فى ذلك أيضاً، « خواء » ممدوداً ، ولكن القصر أعلى .

(٢) هكذا جاء فى المخطوطة والمطبوعة: « أعرش » ، والذى نص عليه أصحاب اللغة « أعراش »، وكلاهما جمع قلة ، ولم يذكروا « أعرش » فيما رأيت ، ولكنها قياس الباب ، فإن « فعل » (بفتح فسكون) يغلب على جمعه فى القلة « أفعل » (بضم العين) مثل فلس وأفلس، إلا أن يكون أجوف ، واوياً أو يائياً، فإن الغالب فى قلته « أفعال » مثل ثوب وأثواب ، وبيت وأبيات . فمن هذا يتبين أن نص الطبرى صحيح جار على قياس اللغة ، وأن جمعه على « أعراش » مما شذ عن بابه .

(٣) فى المطبوعة : « عرش فلان يعرش ويعرش وعرش عريشاً » ، وهو لا يستقيم ، وإنما أراد تصحيح ما كان فى المخطوطة فأفسده ، إذ لم يحسن قراءته، وفى المخطوطة : « عرش فلان إذا يعرش ويعرش عرشاً» ولكنه كتب أولا « معرشا » غير منقوطة ثم عاد فوضع العين « ع » فى رأس الكلمة « يعر » فلما رأى المصحح فى النص « إذا » حذفها ، وتصرف فى سائره ، ولم يحسن التصرف !

(٤) فى اللسان : « العروش بيوت مكة » وفى حديث ابن عمر : « أنه كان يقطع التلبية إذا نظر إلى عروش مكة » . قال ابن الأثير : « بيوت مكة ، لأنها كانت عيداناً تنصب ويظلل عليها » وقالوا : وهى بيوت أهل الحاجة منهم .

(٥) انظر التعليق السالف ص : ٤٤٣ رقم : ١ .

فقال : أبعد ما كان لك من القدس والمقاتلة والمال ما كان ! ! فحزن . (١)

٥٩٠٧ – حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد ابن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « وهى خاوية على عروشها » ، قال : هى خراب .

٥٩٠٨ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : مرّ عليها عزير وقد خرّبها بخت نصر .

٥٩٠٩ – حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وهى خاوية على عروشها » ، يقول : ساقطة على سُقُفِها .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِـۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ﴾

قال أبو جعفر : ومعنى ذلك فيما ذُكر لنا : (٢) أنّ قائله لما مرّ ببيت المقدس = أو بالموضع الذى ذكر الله أنه مرّ به = خراباً بعد ما عهده عامرًا قال : أنّى يحيى هذه الله بعد خرابها؟ (٣)

* * *

وقال بعضهم : (٤) كان قيله ما قال من ذلك شكًّا فى قدرة الله على إحيائه ،

---

(١) فى المطبوعة : « من المقدس » ، وهو خطأ صرف ، والقدس : الطهر والتنزيه والبركة .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « ومعنى ذلك فيما ذكرت أن . . . » ، وهو لا يستقيم ، وصواب السياق ما أثبت .

(٣) فى المطبوعة : ذكر نص الآية « بعد موتها » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو الصواب ، ليكون تفسيراً لقوله : « بعد موتها » ، كما يدل عليه السياق . وانظر تفسير « الموت » بمعنى : خراب الأرض ، ودثور عمارتها ، فيما سلف ٣ : ٢٧٤ .

(٤) فى المخطوطة والمطبوعة : « فقال بعضهم » ، كأنه متصل بما قبله ، ولو كان ذلك كذلك

فأراه الله قُدرته على ذلك بضربه المثلَ له فى نفسه، ثم أراه الموضع الذى أنكر قُدرته على عمارته وإحيائه ، أحيَى ما رآه قبل خرابه، وأعمرَ ما كان قبل خرابه. (١)

* * *

وذلك أن قائل ذلك كان — فيما ذكر لنا — عهده عامرًا بأهله وسكانه ، ثم رآه خاوياً على عروشه قد باد أهله ، وشتَّتهم القتل والسباء ، فلم يبق منهم بذلك المكان أحدٌ ، وخربت منازلهم ودورهم فلم يبق إلّا الأثر . فلما رآه كذلك بعد الحال التى عهده عليها، قال: على أىّ وَجه يُحيي هذه الله بعد خرابها فيعمُرها ، (٢) استنكارًا — فيما قاله بعض أهل التأويل — فأراه كيفية إحيائه ذلك بما ضربه له فى نفسه، وفيما كان فى إدواته وفى طعامه ، (٣) ثم عرّفه قدرته على ذلك وعلى غيره ، بإظهاره على إحيائه ما كان عجباً عنده فى قدرة الله إحياؤه رَأْىَ عينه حتى أبصره ببصره . (٤) فلما رأى ذلك قال : « أعلمُ أنّ الله على كل شىء قدير » .

* * *

* وكان سبب قيله ذلك ، كالذى : —

٢٢/٣ ٥٩١٠ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عمن لا يتهم، عن وهب بن منبه اليمانى : أنه كان يقول : قال الله لأرميا حين بعثه نبيًّا إلى

لفسد سائر الكلام واضطرب ، ولاحتاج الطبرى أن يذكر أقوال آخرين فيما يأتى ، ولكنه لم يفعل . فالصواب الذى يقتضيه السياق ، فيما سبق بعد تصحيحه ، وفيما يستقبل ، يوجب ما أثبت .

(١) قوله : « أحيي ما رآه . . . » و « أعمر ما كان . . . » ، هو « أفعل » التفضيل من « الحياة » و « العمارة » ، وليسا فعلين ، أى أحسن حياة ، وأكثر عمراناً .

(٢) انظر تفسير « أنى » فيما سلف ٤ : ٤١٣ — ٤١٦/وهذا الجزء ٥ : ٣١٢

(٣) فى المطبوعة : « وفيما كان من شرابه وطعامه » ، لم يحسن قراءة المخطوطة لتصحيفها . وفى المخطوطة : « وفيما كان من إداً وبه وطعامه » ، وصواب هذه الجملة المصحفة ما أثبت . والإداوة (بكسر الهمزة) : هى إناء صغير من جلد يتخذ للماء ، وجمعها « أداوى » بفتح الواو ، وزدت « فى » بين « وطعامه » لضرورتها فى السياق .

(٤) فى المطبوعة : « بإظهاره إحياء ما كان عجباً . لرأى عينه » ، وفى المخطوطة : « بإظهاره إحيائه ما كان . . » وسائره مثله . والصواب ما أثبت ، وسياق العبارة : بإظهاره على إحيائه ذلك رأى عينه » ، بحذف اللام من « لرأى » ، ونصب « رأى » يقول : أظهره على إحياء ما أحيى رأى العين .

بنى إسرائيل : (١) « يا أرميا ، من قبل أنْ أخلقك اخترتك ، ومن قبل أن أصوِّرك فى رَحِم أمك قدَّستك ، (٢) ومن قبل أن أخرجك من بطنها طهَّرتك ، ومن قبل أن تبلغ السعى نبَّيتُك ، (٣) ومن قبل أن تبلغ الأشُدَّ اخترتك ، (٤) ولأمر عظيم اجتبيتك » .

فبعث الله تعالى ذكره أرميا إلى ملك بنى إسرائيل يسدّده ويرشده ويأتيه بالخبر من الله فيما بينه وبينه . قال : ثم عظمت الأحداث فى بنى إسرائيل ، وركبوا المعاصى ، واستحلّوا المحارم ، ونسوا ما كان الله صنع بهم ، وما نجاهم من عدوّهم سَنْحاريب . فأوحى الله إلى أورميا : (٥) أن ائت قومك من بنى إسرائيل ، فاقصص عليهم ما آمرك به ، وذكِّرهم نعمتى عليهم ، وعرِّفهم أحداثهم = ثم ذكر ما أرسل الله به أرميا إلى قومه من بنى إسرائيل = (٦) قال : ثم أوحى الله إلى أرميا : إنّى مهلك بنى إسرائيل بيافث — ويافثُ أهل بابل ، وهم من ولد يافث بن نوح — فلما سمع أرميا وحىَ ربّه ، صاح وبكى وشقّ ثيابه ، ونبذ الرماد على رأسه ، فقال : ملعون يومٌ ولدت فيه ، ويومٌ لُقِّيت فيه التوراة ، (٧) ومن شر أيامى يومٌ ولدت فيه ،

---

(١) انظر ما سلف فى ص ٤٤٠ ، وكتابتها هناك « أورميا » ، وهى هنا كما أثبتها . وستأتى بعد أسطر على ما سلف .

(٢) فى تاريخ الطبرى : « فى بطن أمك » ، سواء .

(٣) فى المطبوعة : « نبأتك » ، وأثبت ما فى المخطوطة والتاريخ . والأجود ترك الهمزة فيه ، وحمله على لفظ « النبى » . ونباه : جعله نبياً أو كتبه عنده نبياً . و « تنبى الكذاب » ، إذا ادعى النبوة .

(٤) فى التاريخ : « اختبرتك » ، وما فى التفسير ، هو الجيد الصواب . وسيأتى اختلاف فى بعض اللفظ لا أقيده حتى أجده صالحاً للتعيين .

(٥) أثبت ما فى المخطوطة فى هذا الموضع وانظر التعليق السالف رقم : ١

(٦) ما بين الخطين من كلام أبى جعفر ، فقد قطع سياق الخبر ، وانتقل إلى ما أراد ، والذى يأتى يبدأ فى تاريخه فى ج ١ : ٢٨٧ .

(٧) فى المطبوعة والمخطوطة : « لقيت التوراة » ، وزدت « فيه » من التاريخ ، وهى أجود . وفى التاريخ : « لقنت » من التلقين ، والذى فى المطبوعة والمخطوطة صواب جداً . لقّى الشىء يلقاه (بتشديد القاف والبناء للمجهول) : علمه ، ونبه إليه ، ولقنه . فهما سواء فى المعنى ، وبذلك جاء فى كتاب الله :

﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا ، وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ .

فما أُبْقِيتُ آخرَ الأنبياء إلاّ لما هو شر على ! (١) لو أراد بي خيراً ما جعلني آخر الأنبياء من بني إسرائيل ! فمن أجلي تصيبهم الشقوة والهلاك ! فلما سمع الله تضرُّع الخضر وبكاءه وكيف يقول ، (٢) ناداه : أورميا ! أشقّ عليك ما أوحيت إليك ؟ قال . نعم يا رب ، أهلكني قبل أن أرى في بني إسرائيل ما لا أُسَرّ به ، (٣) فقال الله : وعزتي العزيزة ، (٤) لا أهلك بيت المقدس وبني إسرائيل حتى يكون الأمر من قِبَلك في ذلك ! ففرح عند ذلك أورميا لما قال له ربه ، وطابت نفسه ، وقال : لا والذي بعث موسى وأنبياءه بالحق ، لا آمر ربي بهلاك بني إسرائيل أبداً ! (٥) ثم أتى ملكَ بني إسرائيل وأخبره بما أوحى الله إليه ، ففرح واستبشر وقال : إن يعذّبنا ربُّنا فبذنوب كثيرة قدّمناها لأنفسنا ، وإن عفا عنا فبقدرته .

= ثم إنهم لبثوا بعد هذا الوحي ثلاث سنين ، لم يزدادوا إلاّ معصية ، وتمادوا في الشر ، (٦) وذلك حين اقترب هلاكهم ، فقلّ الوحيُ حين لم يكونوا يتذكرون الآخرة ، (٧) وأمسك عنهم حين ألهتهم الدنيا وشأنُها . فقال ملكهم : يا بني إسرائيل ، انتهوا عما أنتم عليه قبل أن يمسّكم بأسٌ من الله ، وقبل أن يُبعث عليكم ملوكٌ لا رحمة لهم بكم ، (٨) فإن ربكم قريب التوبة ، مبسوط اليدين بالخير ، رحيم بمن

---

(١) في المخطوطة : « إلا لما هو أشر على » ، ولا بأس بها .

(٢) « الخضر » هو « أرميا » نفسه ، فيما زعم وهب في منبه راوي هذا الأثر ، كما سلف ذلك منه في رقم : ٥٨٩١ .

(٣) في المخطوطة والمطبوعة : « أهلكني في بني إسرائيل » سقط منها « قبل أن أرى » ، وأثبت صوابها من التاريخ .

(٤) في التاريخ : « وعزتي وجلالي » والذي في المخطوطة والمطبوعة قسم عزيز قلما أصبته فيما قرأت .

(٥) « لا آمر ربي » يعني : لا أسأله ذلك ولا أدعوه . وهو مجاز من الأمر » جيد عربي فصيح ، وقلما تصيبه في كتب اللغة ، وقلما تصيب الشاهد عليه . وذلك أنه إذا دعا قال : « رب أهلكهم » ، فذلك دعاء ، وكل دعاء يقتضي هذا الفعل الأمر ، وليس بأمر لله ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . وهذا المجاز في النفي ، أجود منه في الإثبات . وانظر ما سيأتي في الخبر ص : ٤٥٠ ، وتعليق : ٤ .

(٦) في التاريخ : « وتمادياً في الشر » ، وهو أجود .

(٧) في المطبوعة : « حتى لم يكونوا » ، وأثبت ما في المخطوطة والتاريخ ، وهو العربي الصحيح .

(٨) في التاريخ : « وقبل أن يبعث الله عليكم قوماً لا رحمة لهم بكم » .

تاب إليه ! (١) فأبوا عليه أن ينزعوا عن شيء مما هم عليه. (٢) وإن الله ألقى فى قلب بخت نصر بن نبوذراذان [بن سنحاريب بن داریاس بن نمروذ بن فالغ بن عابر = ونمروذ صاحب إبراهيم صلى الله عليه وسلم، الذى حاجّه فى ربّه] = (٣) أن يسير إلى بيت المقدس ، ثم يفعل فيه ما كان جده سنحاريب أراد أن يفعله . فخرج فى ستمئة ألف راية يريد أهل بيت المقدس. فلما فصَل سائراً ، أتى ملكَ بنى إسرائيل الخبرُ : أن بخت نصّر أقبلَ هو وجنوده يريدكم . فأرسل الملك إلى أرميا فجاءه ، فقال : يا أرميا ، أين ما زعمت لنا أنّ ربنا أوحى إليك أن لا يُهلك أهل بيت المقدس حتى يكون منك الأمرُ فى ذلك ؟ (٤) فقال أرميا للملك، إنّ ربى لا يخلف الميعاد ، وأنا به واثق .

= فلما اقترب الأجل ودنا انقطاع ملكهم ، وعزم الله على هلاكهم ، بعث الله ملَكاً من عنده فقال له : اذهب إلى أرميا فاستفته = وأمره بالذى يستفتيه فيه . فأقبل الملَك إلى أرميا، قد تمثّل له رجلاً من بنى إسرائيل ، (٥) فقال له أرميا : من أنت؟ قال : أنا رجلٌ من بنى إسرائيل أستفتيك فى بعض أمرى ! (٦) فأذن له ، فقال الملك : يا نبيّ الله ، أتيتك أستفتيك فى أهل رَحِمى ، وصلتُ أرحامهم بما أمرَنى الله به ، لم آت إليهم إلا حَسَناً، ولم آلُهم كرامة، فلا تزيدهم كرامتى إياهم إلا إسخاطاً لى ، فأفتنى فيهم يا نبى الله ؟ فقال له : أحسن فيما بينك وبين الله ،

---

(١) فى المطبوعة : « رحيم من تاب عليه » ، والصواب من المخطوطة والتاريخ .

(٢) « نزع عن الشيء ينزع نزوعاً » : كف وانتهى .

(٣) فى المطبوعة « بختنصر بن نعون بن زادان » ، والصواب من المخطوطة والتاريخ . وهذه الزيادة بين القوسين، لم تكن فى المخطوطة، ولكنى زدتها من التاريخ ، لحاجة الكلام إليها بعد فى ذكر سنحاريب، وأنه جد بخت نصر. وقوله: « بن نبوذراذان » هو فى كتاب القوم ﴿ بن نبو بولا سّار ﴾ ، وأما « نبوذرازان » ، فهو مذكور عندهم أنه رئيس حامية « بنو خذ ناصر » ، وهو « بخت نصر » . وهذا النسب قد ساقه الطبرى قبل هذا الموضع فى تاريخه ١ : ٢٨٣ مع بعض الاختلاف .

(٤) الأمر : الدعاء والسؤال . وانظر التعليق السالف ص : ٤٤٩، تعليق : ٤

(٥) فى المطبوعة « وقد تمثل » بالواو ، وأثبت ما فى المخطوطة والتاريخ ، وهو جيد جداً .

(٦) فى المطبوعة : « رجل . . . » بحذف « أنا » ، وأثبت ما فى المخطوطة والتاريخ .

وصِلْ ما أمرك الله به أن تصل ، وأبشر بخير . فانصرف عنه الملك ، فمكث أياماً ثم أقبل إليه فى صورة ذلك الرجل الذى جاءه ، فقعد بين يديه ، فقال له أرميا : من أنت ؟ قال : أنا الرجل الذى أتيتك فى شأن أهلى ! (١) فقال له نبى الله : أوما طَهُرت لك أخلاقهم بعد ، (٢) ولم تر منهم الذى تحب؟ فقال : يا نبى الله، والذى بعثك بالحق ما أعلم كرامةً يأتيها أحدٌ من الناس إلى أهل رحمه إلا وقد أتيتها إليهم، وأفضلَ من ذلك ! فقال النبى : ارجعْ إلى أهلك فأحسنْ إليهم ، أسأل الله الذى يصلح عباده الصالحين أن يصلح ذات بينكم ، (٣) وأن يجمعكم على مرضاته ، ويجنِّبكم سخطه ! فقام الملك من عنده ، فلبث أياماً وقد نزل بخت نصر وجنوده حول بيت المقدس أكثر من الجراد ، (٤) ففزع منهم بنو إسرائيل فزعاً شديداً ، وشق ذلك على ملك بنى إسرائيل ، فدعا أرميا فقال : يا نبى الله ، أين ما وعدك الله ؟ فقال : إنّى بربى واثق . ٢٣/٣

= ثم إن الملك أقبل إلى أرميا وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك، ويستبشر بنصر ربه الذى وعده ، فقعد بين يديه ، فقال له أرميا : من أنت ؟ قال : أنا الذى كنت استفتيك فى شأن أهلى مرتين ، (٥) فقال له النبى : أو لم يأنِ لهم أن يفيقوا من الذى هم فيه ؟ فقال الملك : يا نبى الله ، كل شىء كان يصيبنى منهم قبلَ اليوم كنت أصبر عليه، وأعلم أنّ ما بهم فى ذلك سخطى ، (٦) فلما

---

(١) فى التاريخ وحده : « أتيتك أستفتيك فى شأن أهلى » .

(٢) يقال : « رجل طاهر الأخلاق » ، أى يتنزه عن دنس الأخلاق ، ويكف عن الإثم .

(٣) فى التاريخ : « واسأل الله » ، بالواو فى أوله ، وكأنه أمر للرجل . وأن يكون دعاء من النبى له ، أقرب وأحسن .

(٤) فى المطبوعة : « بجنوده » ، وفى المخطوطة « جنوده » بغير واو ، وأثبت ما فى التاريخ ، وفيه أيضاً : « بأكثر من الجراد » .

(٥) فى التاريخ : « أتيتك فى شأن أهلى . . . »

(٦) فى المطبوعة : « أنما قصدهم فى ذلك سخطى » ، وفى التاريخ : « أن ما لهم فى ذلك سخطى » وفى المخطوطة : « أنما نهم فى ذلك سخطى » ، والأول تبديل للنص، والآخران تصحيف ، صوابه ما أثبت .

أتيتهم اليوم رأيتهم فى عمل لا يرضى الله ولا يحبه الله . فقال النبى : على أى عمل رأيتهم ؟ قال : يا نبى الله ، رأيتهم على عمل عظيم من سَخَط الله ، فلو كانوا على مثل ما كانوا عليه قبل اليوم لم يشتدّ عليهم غضبى ، (١) وصبرتُ لهم ورَجوتهم ، ولكنى غضبتُ اليوم لله ولك ، (٢) فأتيتك لأخبرك خبرهم ، وإنى أسألك بالله — الذى هو بعثك بالحق إلاّ ما دعوت عليهم ربّك أن يهلكهم . (٣) فقال أرميا : يا ملك السموات والأرض ، (٤) إن كانوا على حق وصواب فأبقهم ، وإن كانوا على سخطك وعمل لا ترضاه فأهلكهم ! فلما خرجت الكلمة مِنْ فِى أرميا ، أرسل الله صاعقة من السماء فى بيت المقدس ، فالتهبَ مكان القُربان ، وخُسف بسبعة أبواب من أبوابها . فلما رأى ذلك أرميا صَاح وشق ثيابه ، ونَبذ الرّماد على رأسه فقال : يا ملك السماء ويا أرحم الراحمين ، أين ميعادك الذى وعدتنى ؟ فنودى : أرميا ، إنه لم يصبهم الذى أصابهم إلا بفُتياك التى أفتيتَ بها رسولنا ! فاستيقن النبى أنها فتياه التى أفتى بها ثلاثَ مرات ، وأنه رسول ربه . فطار أرميا حتى خالط الوحوش .

= ودخل بخت نصر وجنوده بيت المقدس ، فوطىء الشأم ، وقتل بنى إسرائيل حتى أفناهم ، وخرّب بيت المقدس . ثم أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم تُرسه تراباً ثم يقذفه فى بيت المقدس ، فقذفوا فيه التراب حتى ملأوه . ثم انصرف راجعاً إلى أرض بابل ، واحتمل معه سبايا بنى إسرائيل . وأمرهم أن يجمعوا من كان فى بيت المقدس كلهم ، فاجتمع عنده كل صغير وكبير من بنى إسرائيل ، فاختار

يقال : « مابك إلا مساءة » ، أى ما تريد إلا مساءة . فكذلك قوله : « أن ما بهم فى ذلك سخطى » ، أن الذى يريدون فى فعلهم ذلك ، سخطى واستثارة غضبى .

(١) فى المطبوعة وحدها : « ولو كانوا . . . » بالواو لا بالفاء .

(٢) فى المطبوعة وحدها : « ولكن غضبت . . . »

(٣) فى المطبوعة وحدها : « الذى بعثك » بحذف « هو » .

(٤) فى المطبوعة وحدها : « يا مالك السموات . . . » .

منهم سبعين ألف صبي .[١] فلما خرجت غنائم جنده وأراد أن يقسمهم فيهم ، قالت له الملوك الذين كانوا معه : أيها الملك ، لك غنائمنا كلها ، واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بنى إسرائيل ! ففعل ، فأصاب كل واحد منهم أربعةُ غلمة . وكان من أولئك الغلمان : « دانيال » . و« عزاريا » ، و« ميشايل » ، و « حنانيا ».[٢] وجعلهم بخت نصر ثلاث فرق ، فثلثاً أقرَّ بالشأم، وثلثاً سَبَىَ، وثلثاً قتل. وذهب بآنية بيت المقدس حتى أقدمها بابل،[٣] وبالصبيان السبعين الألف حتى أقدمهم بابل .[٤] فكانت هذه الوقعةَ الأولى التى أنزل الله تعالى ذكره ببنى إسرائيل ،بإحداثهم وظلمهم .[٥]

= فلما ولَّى بخت نصر عنه راجعاً إلى بابل بمن معه من سبايا بنى إسرائيل ، أقبل أرميا على حمار له،معه عصيرٌ من عنب فى زُكْرَة ، وسلَّة تين ،[٦] حتى أتى إيليا . فلما وقف عليها ورأى ما بها من الخراب ، دخله شك فقال : أنَّى يحيي هذه الله بعد موتها ؟ فأماته الله مئة عام ، وحماره وعصيرُه وسلة تينه عنده حيث أماته

---

(١) فى المطبوعة : « تسعين ألف صبى» ، وفى المخطوطة : « سبعين صبى » بإسقاط « ألف » ، أما فى التاريخ : « فاختار منهم مئة ألف صبى »، ولكنه عاد بعد ذلك فروى ما سيأتى : « وذهب بالصبيان السبعين الألف » ، فأخشى أن يكون ما فى التاريخ خطأ ، صوابه « فاختار منهم سبعين ألف صبى من مئة ألف صبى » .

(٢) « عزريا » ، « ميشائيل » ، « حننيا » هكذا رسم أسمائهم فى « سفر دانيال » الإصحاح الأول . وكان فى المطبوعة : « مسايل » ، وأثبت ما فى المخطوطة والتاريخ . وفى التاريخ بعد هذا الموضع تعداد هؤلاء الغلمان من أسباط بنى إسرائيل .

(٣) فى المطبوعة وحدها : « بأسبية بيت المقدس » ، وهو خطأ لا معنى له هنا .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « التسعين الألف » ،وهو يخالف ما مضى من الخبر فى المخطوطة كما أسلفنا فى التعليق : ١ ، وأثبت ما فى التاريخ .

(٥) فى المطبوعة وحدها : « الواقعة الأولى التى ذكر الله . . . » ، ثم يلى ذلك فى المخطوطة والمطبوعة « . . . تعالى ذكره نبى الله بإحداثهم . . . » ، والصواب من التاريخ .

(٦) الزكرة (بضم فسكون) : زق صغير من أدم يجعل فيه الشراب . وفى التاريخ « ركوة » ، والصواب ما فى التفسير ، فإن « الركوة » (بكسر فسكون) : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء ، هو كالكوب لا كالزق .

الله ، وأماتَ حماره معه . [١] فأعمى الله عنه العيون فلم يره أحد ، ثم بعثه الله تعالى فقال له : « كم لبثت؟ قال : لبثت يوماً أو بعض يوم ! قال : بل لبثتَ مئة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنَّه » ، يقول : لم يتغير = « وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً » ، فنظر إلى حماره يَأتَصِل بعضٌ إلى بعض — [٢] وقد كان مات معه — [٣] بالعروق والعصب ، ثم كسا ذلك منه اللحمَ حتى استوى ، [٤] ثم جرى فيه الروح فقام ينهق . ونظر إلى عصيره وتينه ، فإذا هو على هيئته حين وَضعه لم يتغير . فلما عاين من قدرة الله ما عاين قال : ﴿ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ . ثم عمَّر الله أرميا بعد ذلك ، فهو الذى يُرَى بفلوات الأرض والبلدان ٢٤/٣

٥٩١١ — حدثني محمد بن عسكر وابن زنجويه قالا ، حدثنا إسمعيل بن عبد الكريم قال ، حدثنني عبد الصمد بن معقل : أنه سمع وهب بن منبه يقول : أوحى الله إلى أرميا وهو بأرض مصر : أن الحق بأرض إيليا ، فإن هذه ليست لك بأرضِ مُقامٍ . فركب حماره ، حتى إذا كان ببعض الطريق ومعه سلة من عنب وتين ، وكان معه سقاءٌ جديدٌ فملأه ماء . فلما بدا له شخص بيت المقدس وما

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « ومات حماره معه » ، وأثبت ما فى التاريخ .

(٢) فى المطبوعة وحدها : « يتصل بعضه إلى بعض » وأثبت ما فى المخطوطة والتاريخ وما سيأتى رقم : ٥٩٣٣ ، وفى التاريخ « يتصل » كالمطبوعة . وأما قوله : « يا تصل » وأصلها « يفتعل » من « وصل » فأصل الفعل « اوتصل ، يوتصل ، فهو موتصل » ، فلغة أهل الحجاز وقريش خاصة : أن لا تدغم هذه الواو وأشباهها ، وغيرهم يدغم فيقول « ايتصل ، ياتصل ، فهو موتصل » ومن « وفق » يقول : « ايتفق ياتفق ، فهو موتفق » وما أشبه ذلك ، وقد جرى الشافعى فى الرسالة على استعمال ذلك . انظر الفقرات رقم ٩٥ ، ٥٦٩ ، ٥٧٤ ، ٦٦٢ ، ١٢٧٥ ، ١٣٣٣ ، وتعليق أخى السيد أحمد على الفقرة رقم : ٩٥ . وفى الحديث : « كان اسم نبله عليه السلام : الموتصلة » ، سميت بذلك تفاؤلا بوصولها إلى العذو . وانظر التعليق على الأثر رقم : ٥٩٣٣ فيما سيأتى .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « وقد مات معه » بحذف « كان » وأثبت ما فى التاريخ ، وما سيأتى رقم : ٥٩٣٣ .

(٤) فى المطبوعة : « ثم كيف كسى . . . » ، وسيأتى فى رقم : ٥٩٣٣ ، كما أثبته ، وهو الصواب .

حوله من القُرى والمساجد ، نظر إلى خراب لا يوصف ، (١) فلما رأى هَدْمَ بيت المقدس كالجبل العظيم قال : (٢) أنَّى يحيي هذه الله بعد موتها ؟! وسار حتى تبوَّأ منها منزلاً ، فربط حماره بحبل جديد ، وعلّق سقاءه ، وألقى الله عليه السُّبات . فلما نام نزَع الله روحه مئة عام ، فلما مرّت من المئة سبعون عاماً ، أرسل الله ملكاً إلى ملك من ملوك فارس عظيم يقال له « يوسك » ، (٣) فقال : إن الله يأمرك أن تنفر بقومك فتعمِّر بيت المقدس وإيليا وأرضها حتى تعود أعمرَ ما كانت . فقال الملك : أنظرني ثلاثة أيام حتى أتأهب لهذا العمل ، ولما يصلحه من أداة العمل . فأنظره ثلاثة أيام ، فانتدب ثلاثمئة قهرمان ، ودفع إلى كل قَهْرَمان ألف عامل وما يصلحه من أداة العمل . (٤) فسار إليها قهارمته ومعهم ثلثمئة ألف عامل . (٥) فلما وقعوا في العمل ، ردَّ الله روح الحياة في عين أرميا وآخِرُ جسده ميت . (٦) فنظر إلى إيليا وما حولها من القرى والمساجد والأنهار ، والحرُوث تعمل وتعمِّر وتتجدد ، (٧) حتى صارت كما كانت . وبعد ثلاثين سنة تمام المئة ، رد إليه الروح ، فنظر إلى طعامه وشرابه لم يتسنَّه ، ونظر إلى حماره واقفاً كهيئته يوم ربطه لم يطعم ولم يشرب ، ونظر إلى الرُّمة في عنق الحمار لم تتغير جديدة ، (٨) وقد أتى على ذلك ريحُ مئة عام ،

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة « ونظر إلى خراب » والصواب حذف هذه الواو ، وانظر التعليق التالي .

(٢) في المطبوعة : « ورأى هدم . . . » ، وفي المخطوطة : « فلما رأى » ، وسياق المعنى يقتضي إثبات ما في المخطوطة ، وحذف الواو من « ونظر » كما سلف في التعليق قبله .

(٣) لم أعرف صحة هذا الاسم ولم أجده في كتاب آخر .

(٤) القهرمان : من أمناء الملك وخاصته ، كالخازن والوكيل الحافظ لما تحت يده ، والقائم بأمور الرجل .

(٥) في المطبوعة : « قهرمته » ، والقهارمة جمع قهرمان .

(٦) في المطبوعة : « وأخر جسده ميتاً » ، والصواب ما في المخطوطة في هذا الموضع ، وفيما سيأتي في المخطوطة والمطبوعة رقم : ٥٩٣٨ وقوله : « آخر » هنا بمعنى : الباقي بعد رده الروح في رأسه . وهو مجاز عربي لا يعاب . وانظر التعليق على رقم : ٥٩٣٨ فيما سيأتي بعد .

(٧) هكذا في المطبوعة والمخطوطة : « والحروث » ، وأخشى أن يكون الصواب : « والحراث » جمع حارث ، وهو الذي يحرث الأرض .

(٨) الرمة (بضم الراء ، أو كسرها ، وتشديد الميم) : قطعة من حبل يقيد به الأسير ، أو يوضع

وبرد مئة عام ، وحرٌّ مئة عام ، لم تتغير ولم تنتقض شيئاً ، (١) وقد نحل جسم أرميا من البلى ، فأنبت الله له لحماً جديداً ، ونشز عظامه وهو ينظر ، فقال له الله : « انظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف نُنْشِزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين لهُ قال أعلم أن الله على كل شيء قدير » . (٢)

٥٩١٢ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا عبد الصمد بن معقل : أنه سمع وهب بن منبه يقول فى قوله : « أنّى يحيي هذه الله بعد موتها » : أن أرميا لما خُرِّب بيت المقدس وحُرِّقت الكتب ، وقف فى ناحية الجبل فقال : « أنّى يحيي هذه الله بعد موتها ، فأماته الله مئة عام » ، ثم ردّ الله من رد من بنى إسرائيل على رأس سبعين سنة من حين أماته ، يعمرونها ثلاثين سنة تمام المئة . فلما ذهبت المئة ردّ الله روحه ، وقد عمّرت على حالها الأولى ، فجعل ينظر إلى العظام كيف تلتام بعضها إلى بعض ، (٣) ثم نظر إلى العظام كيف تكسى عصباً ولحماً ، فلما تبين له ذلك قال : « أعلم أن الله على كل شيء قدير » ، فقال الله تعالى ذكره : « انظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنَّه » ، قال : فكان طعامه تيناً

فى عنق البعير ، وأصحاب اللغة يقولون : هى القطعة البالية . ولكنه هنا استعملها بغير هذه الصفة ، بل وصفها بأنها رمة جديدة ، وهو جيد لا بأس به .

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : «لم تنتقص» بالصاد المهملة ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبت . انتقض الحبل وغيره ، فسد ما أبرمت منه وضعفت قواه وبليت . وقوله : « شيئاً » ، أى قليلا ولا كثيراً ، وهو تعبير كثير جيد فى العربية .

(٢) الأثر : ٥٩١١ — « محمد بن عسكر » ، هو : محمد بن سهل بن عسكر البخارى ، مضت ترجمته فى رقم : ٥٥٩٨ . و« ابن زنجويه » رجلان : محمد بن عبد الملك بن زنجويه البغدادى ، روى عنه الأربعة وعبد الله بن أحمد وآخرون . مات سنة ٢٥٨ . وهو ثقة كثير الخطأ .

والآخر : حميد بن مخلد بن قتيبة الأزدى ، روى عنه أبو داود ، والنسائى ، وأبو زرعة ، وأبو حاتم وغيرهم . كان حسن الفقه ، وكتب ورحل ، وكان رأساً فى العلم ، قال أبو عبيد القاسم بن سلام : « ما قدم علينا من فتيان خراسان مثل ابن زنجويه وابن شبويه » . اختلف فى وفاته بين سنة ٢٤٧ ، إلى سنة ٢٥١ . وأظن هذا هو شيخ الطبرى ، ولعل فيما يأتى ما يرجح تعيينه إن شاء الله .

(٣) التأم الشيء يلتئم ، والتام يلتام (بتسهيل الهمزة) : إذا انضم بعضه إلى بعض واجتمع .

فى مِكتل، وقلّة فيها ماء . (١)

٥٩١٣ – حدثنى موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدى : « أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها » ، وذلك أن عُزَيْراً مرّ جائياً من الشأم على حمار له معه عصيرٌ وعنب وتين. فلما مرّ بالقرية فرآها، وقف عليها وقلّب يده وقال : كيف يحيي هذه الله بعد موتها ؟ = ليس تكذيباً منه وشكًّا = فأماته الله وأمات حِمارَه فهلكا ، ومرّ عليهما مئة سنة . ثم إن الله أحيَى عزيراً فقال له : كم لبثت؟ قال : لبثت يوماً أو بعض يوم ! قيل له : بل لبثت مئة عام ! فانظر إلى طعامك من التين والعنب، وشرابك من العصير = « لم يتسنَّه » ، الآية .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ ﴾

قال أبو جعفر: يعنى تعالى ذكره بقوله : « ثم بعثه » ، ثم أثاره حيًّا من بعد مماته .

* * *

وقد دللنا على معنى « البعث » ، فيما مضى قبل. (٢)

* * *

وأما معنى قوله « كم لبثت » ، فإن « كم » استفهام فى كلام العرب عن مبلغ العدد ، (٣) وهو فى هذا الموضع نصب بـ « لبثت » ، وتأويله : قال الله له :

---

(١) الأثر : ٥٩١٢ – قد مضى مبتوراً فى رقم ٥٦٦١ ، وانظر التعليق عليه هناك . و « المكتل » (بكسر الميم) : الزبيل الذى يحمل فيه التمر أو العنب أو غيرهما .

(٢) انظر ما سلف ٢ : ٨٤ ، ٨٥ .

(٣) انظر ما سلف فى معنى « كم » فى هذا الجزء ٥ : ٣٥٢

كم قدرُ الزمان الذى لبثتَ ميتاً قبل أن أبعثك من مماتك حيًّا ؟ قال المبعوث بعد مماته : لبثتُ ميتاً إلى أن بعثتنى حيًّا يوماً واحداً أو بعض يوم .

* * *

٢٥/٣ وذكر أن المبعوث هو أرميا ، أو عزيرٌ ، أو من كان – ممن أخبر الله عنه هذا الخبر .

* * *

وإنما قال : « لبثت يوماً أو بعض يوم » ، لأن الله تعالى ذكره كان قبض رُوحه أول النهار ، ثم ردّ إليه روحه آخرَ النهار بعد المئة العام ، فقيل له : « كم لبثت » ؟ قال : « لبثت يوماً » ، وهو يرى أنّ الشمس قد غربت . فكان ذلك عنده يوماً ، لأنه ذُكر أنه قُبض روحه أوّل النهار ، وسئل عن مقدار لبثه ميتاً آخر النهار ، وهو يرى أن الشمس قد غربت ، فقال : « لبثت يوماً » ، ثم رأى بقية من الشمس قد بقيت لم تغرب ، فقال : « أو بعض يوم » ، بمعنى : بل بعض يوم ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ [سورة الصافات: ١٤٧]، بمعنى : بل يزيدون.[1] فكان قوله : « أو بعض يوم » ، رجوعاً منه عن قوله : « لبثت يوماً » .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل

• ذكر من قال ذلك :

٥٩١٤ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ثم بعثه قال كم لبثتَ قال لبثت يوماً أو بعض يوم » ، قال : ذكر لنا أنه مات ضُحًى ، ثم بعثه قبل غيبوبة الشمس ، فقال : « لبثت يوماً » ، ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال : « أو بعض يوم » ، فقال : « بل لبثت مئة عام » !

٥٩١٥ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ،

---

(١) انظر ما سلف فى « أو » بمعنى « بل » ٢ : ٢٣٥ – ٢٣٧ .

عن قتادة : « أنّى يحيي هذه الله بعد موتها »، قال: مر على قرية فتعجّب فقال : « أنّى يحيي هذه الله بعد موتها » ، فأماته الله أوّلَ النهار، فلبث مئة عام ، ثم بعثه في آخر النهار ، فقال : « كم لبثت » ؟ قال : « لبثت يوماً أو بعض يوم » ؟ قال : « بل لبثت مئة عام » .

٥٩١٦ – حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، قال ، قال الربيع : أماته الله مئة عام ثم بعثه ، قال : « كم لبثت » ؟ قال : « لبثت يوماً أو بعض يوم » ؟ قال : « بل لبثت مئة عام » .

٥٩١٧ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج : لما وقفَ على بيت المقدس وقد خرّبه بخت نصر ، قال : « أنّى يحيي هذه الله بعد موتها » ؟ كيف يعيدها كما كانت؟ فأماته الله . قال : وذكر لنا أنه مات ضُحى ، وبعث قبل غروب الشمس بعد مئة عام ، فقال : « كم لبثت »؟ قال : « يوماً »، فلما رأى الشمس قال: « أو بعض يوم » .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بقوله : « فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنَّه » ، لم تغيّره السّنون التي أتت عليه .

* * *

وكان طعامه – فيما ذكر بعضهم – سلة تين وعنب ، وشرابه قلة ماء.

وقال بعضهم: بل كان طعامه سلة عنب وسلة تين ، وشرابه زِقًّا من عصير . (١)

وقال آخرون: بل كان طعامه سلة تين، وشرابه دَنّ خمر – أو: زُكْرَةَ خمر . (٢)

---

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « زق » بالرفع ، والنصب أجود .

(٢) الزكرة (بضم فسكون) : سقاء صغير من أدم يجعل فيه شراب أو خل .

وقد ذكرنا فيما مضى قول بعضهم فى ذلك ،[١] ونذكر ما فيه فيما يستقبل إن شاء الله .

* * *

وأما قوله : « لم يتسنَّه » ففيه وجهان من القراءة :

أحدهما : « لَمْ يَتَسَنَّ » بحذف « الهاء » فى الوصل ، وإثباتها فى الوقف . ومن قرأه كذلك فإنه يجعل الهاء فى « يتسنَّه » . زائدة صلة ،[٢] كقوله : ﴿ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ [سورة الأنعام : ٩٠] ، وجعل « تفعّلت » منه : [٣] « تسنَّيتُ تسنِّياً » ، واعتل فى ذلك بأن « السنة » تجمع « سنوات » ، فيكون « تفعلت » على صحة .[٤]

ومن قال فى « السنة » « سنينة » ، فجائز على ذلك = وإن كان قليلاً = أن يكون « تسنَّيت »[٥] « تفعَّلت » بدّلت « النون » « ياء » لما كثرت النونات ، كما قالوا : « تظنَّيت » وأصله « الظن » . وقد قال قوم : هو مأخوذ من قوله : ﴿ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾ [سورة الحجر : ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٣] ، وهو المتغير . وذلك أيضاً ، إذا كان كذلك ، فهو أيضاً مما بُدّلت نونه ياء .[٦]

وهو قراءة عامة قرأة الكوفة .

* * *

---

(١) يعنى الآثار التى سلفت فى خبر « الذى مر على القرية » .

(٢) « صلة » أى زيادة وحشوا بمعنى الإلغاء ، انظر ما سلف ١ : ١٩٠ ، ٤٠٥ ، تعليق : ٤ / ٤٠٦ تعليق : ٢ ثم : ٥٤٨ .

(٣) فى المطبوعة : « فعلت » وهو خطأ ، وأما المخطوطة ، فقد كتب الناسخ هذه الكلمة مضطربة فلم يحسن ناشر المطبوعة أن يقرأها على وجهها ، وسيأتى بعد قليل جداً ذكر « تفعلت » ، هذه ، مما يدل على صواب قراءتنا .

(٤) فى المطبوعة : « على نهجه » والصواب فى المخطوطة : « على سحه » ، ولكنها لما كانت غير منقوطة تصرف الطابع فيها ما شاء ! ! وفى معانى القرآن للفراء واللسان « على صحة » فلذلك أثبتها منهما .

(٥) فى المطبوعة : « تسننت » بالنونات ، والصواب ما أثبت من المخطوطة ، ومعانى القرآن للفراء .

(٦) هذا برمته من كلام الفراء فى معانى القرآن ١ : ١٧٢ ، ١٧٣ واللسان (سنة) مع قليل من الخلاف فى بعض اللفظ . .

والآخر منهما : إثبات « الهاء » فى الوصل والوقف . ومن قرأه كذلك ، فإنه يجعل « الهاء » فى « يتسنَّه » لامَ الفعل، ويجعلها مجزومة « بلم » ، ويجعل « فعلت» منه : « تسنَّهت » و « يفعل » : « أتسنَّه تسنُّها » ، [1] وقال فى تصغير « السنة » « سُنيهة » و«سنيَّة »، « أسنيتُ عند القوم» و « أسنهتُ عندهم»، إذا أقمت سنة . [2]

وهذه قراءة عامة قرأة أهل المدينة والحجاز .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة عندى فى ذلك إثباتُ « الهاء » ، فى الوصل والوقف ، لأنها مثبتةٌ فى مصحف المسلمين، ولإثباتها وجهٌ صحيح فى كلتا الحالتين فى ذلك .

* * *

ومعنى قوله : « لم يتسنَّه » ، لم تأت عليه السنون فيتغيَّر ، على لغة من قال : « أسنهت عندكم أسْنِه » ، إذا أقام سنة ، كما قال الشاعر : [3]

وَلَيْسَتْ بِسَنْهَاءَ وَلاَ رُجَّبِيَّةٍ وَلَكِنْ عَرَايَا فِى السِّنِينَ الجَوَائِحِ [4] ٢٦/٣

---

(١) أراد هنا بقوله « فعل » و « يفعل » الماضى والمضارع ، وهو غير قوله « تفعلت » السالفة التى صححناها كما جاء فى ص: ٤٦٠، التعليق رقم : ٣ .

(٢) فى المطبوعة حذف وزيادة وتغيير ، كان فيها : « وقال فى تصغير السنة سنيهة ، ومنه : أسهنت عند القوم وتسنهت عندهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو أيضاً صواب ، وإن كانت الشبهة قد دخلت عليه من ذكر « سنية » و « أسنيت » ، ولكن جائز أن يكون قائل هذا القول ممن يرى جواز كليهما ، فلذلك أثبته كما كان فى المخطوطة ، ولا يبدل إلا بحجة ، وسيأتى فى كلام الطبرى بعد قليل : « أن ذلك وجه صحيح فى كلتا الحالتين » .

(٣) سويد بن الصامت الأنصارى ، ويقال : أصيحة بن الجلاح .

(٤) معانى القرآن للفراء ١ : ١٧٣، والأمالى ١ : ٢١، وسمط اللآلى: ٣٦١، وتهذيب الألفاظ : ٥٢٠ ، واللسان (عرا) (قرح) (سنه) (خور) (رجب) ، والإصابة فى ترجمته ، من أبيات يقولها فى دين كان قد ادانه فطولب به ، فاستغاث فى قضائه بقومه فقصروا عنه . وترتيبها فيما أستظهر :

وَأَصْبَحْتُ قَدْ أَنْكَرْتُ قَوْمِى، كَأَنَّنِى جَنَيْتُ لَهُمْ بِالدَّيْنِ إِحْدَى الفَضَائِحِ

أَدِينُ ، وَمَا دَيْنِى عَلَيْهِم بِمَغْرَمٍ ، وَلَكِنْ عَلَى الشُّمِّ الجِلاَدِ القَرَاوِحِ

فجعل « الهاء » فى « السنة » ، أصلاً ، وهى اللغة الفصحى .

* * *

وغير جائز حذف حرف من كتاب الله = فى حال وقف أو وصل = لإثباته وجه معروف فى كلامها .

فإن اعتلّ معتلٌّ بأنّ المصحف قد ألحقت فيه حروف هنّ زوائد على نية الوقف ، والوجه فى الأصل عند القرأة حذفهنّ ، وذلك كقوله : ﴿ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ [سورة الأنعام : ٩٠] ، وقوله : ﴿ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴾ [سورة الحاقة : ٢٥]، فإن ذلك هو مما لم يكن فيه شك أنه من الزوائد ، وأنه ألحق على نية الوقف . فأما ما كان محتملاً أن يكون أصلاً للحرف غيرَ زائد، فغير جائز = وهو فى مصحف المسلمين مثبتٌ = صرفُه إلى أنه من الزوائد والصلات . (١)

على كُلِّ خَوَّارٍ ، كَأَنَّ جُذُوعَها طُلِينَ بِقَارٍ أَوْ بِحَمْأَةِ مَائِحِ
وَلَيْسَتْ بِسَنْهَاءٍ ولا رُجَّبِيَّةٍ وَلَكِنْ عَرَايَا فِي السِّنِينَ الجَوَائِحِ
أَدِينُ عَلَى أَثْمَارِها وَأُصُولِهَا لِمَوْلًى قَرِيبٍ أَو لآخَرَ نَازِحِ

دان يدين : استقرض مالا . والشم : الطوال . والجلاد : الشديدة الصبر على العطش والحر والبرد ، يعنى النخل . والقراوح جمع قرواح : وهى النخلة التى انجرد كربها وطالت ، وذلك أجود لها . والخوار : الغزيرة الحمل . وجعلها مطلية بالقار أو بالحمأة ، لأن جذوعها إذا كانت كذلك فهو أشد لها وأكرم . والمائح : الذى يمتاح من البئر ، أى يستقى . والسنهاء : التى حملت عاماً ، ولم تحمل آخر ، وهذا من عيب النخل . وقوله : « رجبية » (بضم الراء وتشديد الجيم المفتوحة ، أو فتحها بغير تشديد) وكلتاهما نسبة شاذه إلى الرجبة (بضم فسكون) : وذلك أن تعمد النخلة الكريمة إذا خيف عليها أن تقع لطولها وكثر حملها ، فيبنى تحتها دكان ترجب به — أى تعمد به . وذلك حين تبلغ إلى الضعف ، ولكنه يكرمها بذلك . والعرايا جمع عرية : وهى التى يوهب ثمرها فى عامها . يفعل بها ذلك لكرمه. والجوائح : السنين المجدبة الشداد التى تجتاح المال .

يقول لقومه : قد جئت أستدينكم ، على أن أؤدى من نخلى ومالى ، ففيم الجزع ؟ أتخافون أن يكون دينى مغرماً تغرمونه ! ! وهذه نخلى أصف لكم من جودتها وكرمها ما أنتم به أعلم .

(١) انظر معنى « الصلة » فيما سلف قريباً ص : ٤٦٠ تعليق : ٢

على أن ذلك، وإن كان زوائد فيما لا شك أنه من الزوائد ،[١] فإن العرب قد تصل الكلام بزائد فتنطق به على نحو منطقها به فى حال القطع ، فيكون وَصْلها إياه وقطعُها سواء . وذلك من فعلها دلالة على صحة قراءة من قرأ جميع ذلك بإثبات « الهاء » فى الوصل والوقف . غير أنّ ذلك، وإن كان كذلك، فلقوله: « لم يتسنه» حكمٌ مفارقٌ حكمَ ما كان هاؤه زائدة لا شك فى زيادتها فيه.[٢]

* * *

ومما يدل على صحة ما قلنا من أن « الهاء » فى « يتسنه » ، من لغة من قال : « قد أسنهت » ، و « المسانهة » ،ما : —

٥٩١٨ — حدثت به عن القاسم بن سلام قال ،حدثنا ابن مهدى،عن أبى الجراح ، عن سليمان بن عمير : قال ، حدثنى هانئ مولى عثمان قال : كنت الرسول بين عثمان وزيد بن ثابت فقال زيد: سله عن قوله: « لم يتسنّ » أو : « لم يتسنَّه » ، فقال: عثمان اجعلوا فيها « هاء » .[٣]

٥٩١٩ — حدثت عن القاسم = وحدثنا محمد بن محمد العطار ،عن القاسم = وحدثنا أحمد والعطار = جميعاً ،عن القاسم قال ،حدثنا ابن مهدى ،عن ابن المبارك قال ، حدثنى أبو وائل شيخ من أهل اليمن ، عن هانئ البربرى قال : كنت عند عثمان ، وهم يعرضون المصاحف ، فأرسلنى بكتف شاة إلى أبىّ بن كعب فيها ﴿ لَمْ يَتَسَنَّ ﴾ و﴿فَأَمْهِلِ الْكَافِرِينَ﴾[سورة الطارق: ١٧]، و ﴿لَا تَبْدِيلَ لِلْخَلْقِ﴾ [سورة الروم: ٣٠]،

---

(١) فى المطبوعة : «وإن كان زائداً » ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « ما كان هاؤه زائداً لاشك فى زيادته فيه» بالتذكير ، وهو صواب جداً ، ولكن لا أدرى لم غير نص المخطوطة .

(٣) الأثر : ٥٩١٨ — « هانئ » هو هانئ البربرى ، مولى عثمان بن عفان مترجم فى الكبير ٢٢٩/٢/٤ ،وابن أبى حاتم ١٠٠/٢/٤ . و « سليمان بن عمير » ، روى عن هانئ مولى عثمان روى عنه عبد الله بن المبارك . مترجم فى الكبير ٣٠/٢/٢ ، وابن أبى حاتم ١٣٣/١/٢ . أما « أبو الجراح » فلم أعرفه ، وانظر الأثر التالى ، فإنى أخشى أن يكون إسنادهما قد اختلط ، فإن ابن المبارك هو الذى يروى عن « سليمان بن عمير » . وانظر الدر المنثور ١ : ٣٢٣ .

قال : فدعا بالدواة فمحا إحدى اللامين ، وكتب ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ ومحا ، ﴿ فَأَمْهِلْ ﴾ ، وكتب ﴿ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ ﴾ ، وكتب ﴿ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ ألحق فيها الهاء.(١)

• • •

قال أبو جعفر : ولو كان ذلك من « يتسنى » أو « يتسنن » ، لما ألحق فيه أبيّ « هاء » لا موضع لها فيه ،(٢) ولا أمرَ عثمان بإلحاقها فيها.

وقد رُوى عن زيد بن ثابت فى ذلك نحو الذى روى فيه عن أبيّ بن كعب .

• • •

قال أبو جعفر : واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « لم يتسنَّه » .

فقال بعضهم بمثل الذى قلنا فيه من أن معناه : لم يتغير .

• ذكر من قال ذلك :

٥٩٢٠ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحق ، عمن لا يتهم ، عن وهب بن منبه : « لم يتسنَّه » ، لم يتغير .

٥٩٢١ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « لم يتسنه » ، لم يتغير .

٥٩٢٢ — حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن قتادة مثله .

٥٩٢٣ — حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ،

---

(١) الأثر : ٥٩١٩ — «محمد بن محمد العطار » ، لعله : محمد بن محمد بن عمر بن الحكم يعرف بابن العطار ترجم له الخطيب فى تاريخه ٣ : ٢٠٣، ٢٠٤ مات سنة ٢٦٨. هذا إذا لم يكن فى اسمه تحريف ويكون هو « محمد بن مخلد العطار » مترجم فى تاريخ بغداد ٣ : ٣٠ . و « أحمد » هو : أحمد بن إسحق الأهوازى شيخ الطبرى ، مضت ترجمته فى رقم : ١٧٧ ، ١٨٤١ أو لعله أحمد بن يوسف التغلبى ، كما سيأتى فى رقم : ٥٩٥٤ وهو الأرجح عندى . و « أبو وائل » هو « أبو وائل القاص المرادى الصنعانى اليمانى » ، روى عن هانئ مولى عثمان . مترجم فى الكبير ٤/٢/٤٥٢ . ويقال هو نفسه « عبد الله بن بحير الصنعانى القاص » ، روى عن هانئ أيضاً مترجم فى ابن أبى حاتم ٢/٢/١٥ ، والتهذيب . وهذا الأثر فى الدر المنثور ١ : ٣٢٣ .

(٢) فى المخطوطة : « لما ألحق فيه بأبى هو لا موضع فيه » هذا فاسد ، والذى فى المطبوعة مستقيم .

عن السدى : « فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه » ، يقول : « فانظر إلى طعامك» من التين والعنب = « وشرابك » من العصير = « لم يتسنه » ، يقول : لم يتغير فيحمُض التين والعنب ، ولم يختمر العصير ، هما حُلوان كما هما . وذلك أنه مرّ جائياً من الشأم على حمار له ، معه عصير وعنب وتين ، فأماته الله وأمات حماره ، ومر عليهما مئة سنة .[1]

٥٩٢٤ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه » ، يقول : لم يتغير ، وقد أتى عليه مئة عام .

٥٩٢٥ – حدثنى المثنى قال ، أخبرنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك بنحوه .

٥٩٢٦ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « لم يتسنه » ، لم يتغير .

٥٩٢٧ – حدثنا سفيان قال ، حدثنا أبى ، عن النضر ، عن عكرمة : « لم يتسنه » ، لم يتغير .

٥٩٢٨ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « لم يتسنه » ، لم يتغير فى مئة سنة .

٥٩٢٩ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنى بكر بن مضر قال : يزعمون فى بعض الكتب أن أرميا كان بإيليا ، حين خرّبها بخت نصر ، ٢٧/٣
فخرج منها إلى مصر ، فكان بها . فأوحى الله إليه : أن اخرج منها إلى بيت المقدس . فأتاها فإذا هى خربة ، فنظر إليها فقال : « أنّى يحيى هذه الله بعد موتها »؟ فأماته الله مئة عام ثم بعثه ، فإذا حمارُه حى قائم على رباطه ، وإذا طعامه سَلٌ عنب

(١) الأثر : ٥٩٢٣ – هو تمام الأثر السالف رقم : ٥٩١٣ .

وسَلٌّ تين ، لم يتغير عن حاله =[1] قال يونس : قال لنا سلم الخواص : [2] كان طعامه وشرابه سل عنب ، وسل تين ، وزِقٌّ عصير .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : لم ينتن .

* ذكر من قال ذلك :

٥٩٣٠ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : « لم يتسنه »، لم ينتن.

٥٩٣١ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٥٩٣٢ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسن قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قال ، قال مجاهد قوله: « إلى طعامك »، قال: سَلٌّ تين= « وشرابك »، دنٌّ خمر = « لم يتسنه » ، يقول : لم ينتن .

* * *

قال أبو جعفر : وأحسب أن مجاهداً والربيع ومن قال في ذلك بقولهما ، [3] رأوا أن قوله: «لم يتسنه » من قول الله تعالى ذكره: ﴿ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾[سورة الحجر : ٢٦، ٢٨، ٣٣] ، بمعنى المتغير الريح بالنتن، من قول القائل : « تسنَّن » . وقد بينت الدلالة فيما مضى على أنّ ذلك ليس كذلك .[4]

فإن ظن ظانّ أنه من « الأَسَن» من قول القائل: « أسِنَ هذا الماء يأسَنُ

---

(١) الرباط : ما ربط به، وأراد هنا الموضع الذي ربط فيه، وهو المربط . و « السل والسلة »، سواء : وهو الجؤنة التي يحمل فيها الخبز وغيره . ويقال « سل » جمع « سلة » ، وهو من الجموع العزيزة ، لأنه مصنوع غير مخلوق ، لا يكون الفارق بينه وبين واحده التاء ، مثل عنب وعنبة ، وبر وبرة .

(٢) في المطبوعة : « سالم الخواص » ، وهو خطأ ، والصواب من المخطوطة ، وهو سلم بن ميمون الخواص ، مضت ترجمته في رقم : ٥٨٩٠ .

(٣) لم يذكر الطبري خبراً عن « الربيع » قبل ، فأخشى أن يكون سقط من الناسخ خبره ، وقد مضى قول الربيع في تفسير بعض هذه الآية فيما سلف بإسناده رقم : ٥٩١٦ .

(٤) انظر ما سلف ، ص : ٤٦٠

أسَنّاً، كما قال الله تعالى ذكره: ﴿ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ﴾[سورة محمد: ١٥]، فإنّ ذلك لو كان كذلك، لكان الكلام : فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتأسَّن، ولم يكن « يتسنه » .

* * *

[فإن قيل] : (١) فإنه منه ، غير أنه ترك همزه .

قيل : فإنه وإن ترك همزه ، فغير جائز تشديدُ نونه، لأن « النون » غير مشددة، وهي في « يتسنَّه » مشددة، ولو نطق من « يتأسن » بترك الهمزة، لقيل: « يَتَسَّنْ » بتخفيف نونه بغير « هاء » تلحق فيه . ففي ذلك بيان واضحٌ أنه غير جائز أن يكون من « الأسَن » .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : « وانظر إلى حمارك » .

فقال بعضهم: معنى ذلك : وانظر إلى إخيائي حمارَك ، وإلى عظامه كيف أنشِزها ثم أكسوها لحماً .

ثم اختلف متأولو ذلك هذا التأويلَ .

فقال بعضهم : قال الله تعالى ذكره ذلك له ، بعد أن أحياه خلقاً سويًّا ، ثم أراد أن يحيي حماره = تعريفاً منه تعالى ذكره له كيفية إحيائه القرية التي رآها خاوية على عروشها فقال : « أنَّى يحيي هذه الله بعد موتها » ؟ = مستنكراً إحياء الله إياها.

* ذكر من قال ذلك :

٥٩٣٣ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق ، عمن لا يتهم ،

---

(١) ما بين القوسين زيادة لا بد منها حتى يستقيم الكلام .

عن وهب بن منبه قال : بعثه الله فقال: « كم لبثت قال لبثتُ يوماً أو بعض يوم » إلى قوله : « ثم نكسوها لحماً » ، قال: فنظر إلى حماره ياتصل بعضٌ إلى بعض =(١) وقد كان مات معه = بالعروق والعصب ، ثم كسا ذلك منه اللحم حتى استوى ، ثم جرى فيه الروح فقام ينهق . ونظر إلى عصيره وتينه ، فإذا هو على هيئته حين وضعه لم يتغير. فلما عاين من قدرة الله ما عاين قال: « أعلم أن الله على كل شيء قدير ».(٢)

٥٩٣٤ — حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : ثم إنّ الله أحيَى عُزيراً فقال : كم لبثت ؟ قال : لبثت يوماً أو بعض يوم ! قال : بل لبثت مئة عام! فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنَّه ، وانظر إلى حمارك قد هلك وبليت عظامه، وانظر إلى عظامه كيف نُنشِزُها ثم نكسوها لحماً . فبعث الله ريحاً فجاءت بعظام الحمار من كل سهل وجبل ذهبت به الطير والسباع ، فاجتمعت، فركّب بعضها في بعض وهو ينظر ، فصار حماراً من عظام ليس له لحمٌ ولا دمٌ ، ثم إن الله كسا العظام لحماً ودماً ، فقام حماراً من لحم ودم وليس فيه روح، ثم أقبل مَلَكٌ يمشي حتى أخذ بمنخر الحمار فنفخ فيه ، فنهق الحمار ، فقال : « أعلم أن الله على كل شيء قديرٌ » .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام على ما تأوله قائلُ هذا القول : وانظر إلى إحيائنا حمارك ، وإلى عظامه كيف نُنشِرها ثم نكسوها لحماً، ولنجعلك آية للناس = فيكون في قوله : « وانظر إلى حمارك » ، متروك من الكلام استغنى بدلالة ظاهره عليه من ذكره ، وتكون « الألف واللام » في قوله : « وانظر إلى العظام » بدلاً من « الهاء » المرادة في المعنى ، لأن معناه: وانظر إلى عظامه — يعني : إلى عظام الحمار. ٢٨/٣

* * *

(١) في المطبوعة : « يتصل بعض إلى بعض » ، وقد مضى في رقم ٥٩١٠ ، أن المخطوطة هناك « ياتصل » ، وعلقت عليها في ص : ٤٥٤ ، تعليق : ٢ وقد جاءت هنا في المخطوطة « ياتصل » أيضاً ، فهذه حجة قاطعة على صواب نص المخطوطة في هذين الموضعين المتباعدين . فراجع ما كتب هناك .

(٢) الأثر : ٥٩٣٣ — هو آخر الأثر السالف رقم : ٥٩١٠ .

وقال آخرون منهم : بل قال الله تعالى ذكره ذلك له بعد أن نفخ فيه الروح فى عينيه.(١) قالوا: وهى أوّل عضو من أعضائه نفخ الله فيه الروح ، وذلك بعد أن سوّاه خلقاً سويًّا ، وقبل أن يحيي حماره .

* ذكر من قال ذلك :

٥٩٣٥ ــ حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ،عن مجاهد قال: كان هذا رجلاً من بنى إسرائيل نُفخ الروح فى عينيه ، فينظر إلى خلقه كله حين يحييه الله ،(٢) وإلى حماره حين يحييه الله .

٥٩٣٦ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٥٩٣٧ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : بدأ بعينيه فنفخ فيهما الروح ، ثم بعظامه فأنشزها ، ثم وَصَل بعضَها إلى بعض ، ثم كساها العصب ، ثم العروق ، ثم اللحم ، ثم نظر إلى حماره فإذا حماره قد بَلى وابيضّت عظامه فى المكان الذى ربطه فيه ، فنودى : « يا عظام اجتمعى ، فإن الله منزلٌ عليك روحاً » ، فسعى كلُّ عظم إلى صاحبه ، فوصل العظام ، ثم العصب ، ثم العروق ، ثم اللحم ، ثم الجلد ، ثم الشعر . وكان حماره جَذَعاً فأحياهُ الله كبيراً قد تشنّن،(٣) فلم يبق منه إلاّ الجلد من طول الزمن. وكان طعامه سَلٌّ عنب ، وشرابه دَنٌّ خمر= قال ابن جريج عن مجاهد نفخ الروح فى عينيه ، ثم نظر بهما إلى خلقه كله حين نشره الله ، وإلى حماره حين يحييه الله .

* * *

(١) فى المطبوعة : « فى عينه » بالإفراد ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « فنظر » ، وفى المخطوطة : « فنظر » غير منقوطة والصواب كما قرأتها لك .

(٣) الجذع (بفتحتين) : الصغير السن من الحيوان وغيره . وتشنن الجلد والسقاء : إذا يبس وتشنج من القدم أو من الهرم .

وقال آخرون : بل جعل الله الروح فى رأسه وبصره ، وجسدُه ميتٌ ، (١) فرأى حماره قائماً كهيئته يوم ربطه ، وطعامه وشرابه كهيئته يوم حلّ البقعة . ثم قال الله له : انظر إلى عظام نفسك كيف ننشزها .

• ذكر من قال ذلك :

٥٩٣٨ — حدثنى محمد بن سهل بن عسكر قال ، حدثنا إسمعيل بن عبد الكريم قال ، حدثنى عبد الصمد بن معقل : أنه سمع وهب بن منبه يقول : ردّ الله روح الحياة فى عين أرميا وآخرُ جسده ميت ، (٢) فنظر إلى طعامه وشرابه لم يتسنّه ، ونظر إلى حماره واقفاً كهيئته يوم ربطه لم يطعَم ولم يشرب ، ونظر إلى الرُّمة فى عنق الحمار لم تتغير ، جديدةً . (٣)

٥٩٤٠ — حدثت عن الحسين قال ، (٤) سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد ابن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « فأماته الله مئة عام ثم بعثه » ، فنظر إلى حماره قائماً قد مكث مئة عام ، وإلى طعامه لم يتغير قد أتى عليه مئة عام = « وانظر إلى العظام كيف نُنشزها ثم نكسوها لحماً » ، فكان أول شىء أحيى الله منه رأسَه ، فجعل ينظر إلى سائر خلقه يُخلق .

٥٩٤١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « فأماته الله مئة عام ثم بعثه » ، فنظر إلى حماره قائماً ، وإلى طعامه وشرابه لم يتغير ، فكان أول شىء خلق منه رأسه ، فجعل ينظر

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « وجسده ميتاً » ، وهو خطأ ، ويدل على صواب ما أثبت ، الآثار التالية .

(٢) يعنى بقوله : « وآخر جسده ميت » ، أى سائره وباقيه ، وقد جاءت هذه الكلمة هنا على الصواب فى المطبوعة والمخطوطة ، وقد مضت فى المطبوعة فى الأثر رقم : ٥٩١١ ، محرفة ، فهذا دليل آخر على صواب قراءتنا النص .

(٣) الأثر : ٥٩٣٨ — انظر الأثر السالف رقم : ٥٩١١ ، والتعليق عليه .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « الحسن » ، وهو خطأ ، بل هو « الحسين بن الفرج » ، وهو إسناد دائر فى التفسير ، أقر به رقم : ٥٩٢٤ .

إلى كل شيء منه يوصل بعضه إلى بعض ، فلما تبيَّن له قال : « أعلم أنّ الله على كل شيء قدير » .

٥٩٤٢ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذُكر لنا أنه أول ما خلق الله منه رأسَه ، ثم ركبت فيه عيناه ، ثم قيل له : انظر ! فجعل ينظر ، فجعلت عظامه تَواصَلُ بعضها إلى بعض ، وبِعَيْن نبيّ الله عليه السلام كان ذلك ، فقال : « أعلم أنّ الله على كل شيء قدير » .

٥٩٤٣ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « وانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنّه وانظر إلى حمارك » ، وكان حماره عنده كما هو = « ولنجعلك آية للناس » ، « وانظر إلى العظام كيف ننشزها » . قال الربيع : ذكر لنا والله أعلم أنه أول ما خلق منه عيناه ، ثم قيل : انظر ! فجعل ينظر إلى العظام يتَواصل بعضها إلى بعض ، وذلك بعينيه ، فقال : [1] « أعلم أنّ الله على كل شيء قدير » .

٥٩٤٤ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنا ابن زيد قال : قوله : «وانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنَّه وانظر إلى حمارك» ، واقفاً عليك منذ مئة سنة = « ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام » ، يقول : وانظر إلى عظامك كيف نحييها حين سألتنا : « كيف نحيي هذه »؟ [2] قال : فجعل الله الروح في ٢٩/٣
بصره وفي لسانه ، ثم قال : ادع الآن بلسانك ، الذي جعل الله فيه الروح ، وانظر ببصرك . قال : فكان ينظر إلى الجمجمة . قال : فنادى : ليلحق كل عظم بأليفه . قال : فجاء كل عظم إلى صاحبه ، حتى اتصلت وهو يراها ، حتى إن الكِسْرة من العظم لتأتي إلى الموضع الذي انكسرت منه فتلصَقُ به ، حتى وصل إلى جمجمته

---

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « فقيل : أعلم . . . » ، وهو سبق قلم من الناسخ .

(٢) في المطبوعة : « كيف نحيي هذه الأرض بعد موتها » ، وليس ذلك في المخطوطة ، بل الذي أثبت ، وهما سواء .

وهو يرى ذلك . فلما اتصلت شدها بالعصب والعروق وأجرى عليها اللحم والجلد ، ثم نفخ فيها الروح ، ثم قال : « انظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً » . فلما تبين له ذلك ، قال : « أعلم أنّ الله على كل شيء قدير . » قال : ثم أمر فنادى تلك العظام التي قال : « أنّى يُحيي هذه الله بعد موتها » ، كما نادى عظام نفسه ، ثم أحياها الله كما أحياهُ .

٥٩٤٥ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني بكر بن مضر قال : يزعمون في بعض الكتب : أن الله أمات أورميا مئة عام ثم بعثه ، [1] فإذا حماره حيٌّ قائمٌ على رباطه . قال : وردّ الله إليه بصره ، وجعل الروح فيه قبل أن يبعث بثلاثين سنة ، ثم نظر إلى بيت المقدس وكيف عمر وما حوله . قال : فيقولون ، والله أعلم : إنه الذي قال الله تعالى ذكره : « أوْ كالذي مرّ على قرية وهي خاوية » ، الآية . [2]

* * *

ومعنى الآية على تأويل هؤلاء : وانظر إلى حمارك ، ولنجعلك آية للناس ، وانظر إلى عظامك كيف ننشزها بعد بلاها ، ثم نكسوها لحماً فنحييها بحياتك ، فتعلم كيف يحيي الله القرى وأهلها بعد مماتها .

* * *

(١) في المطبوعة : « أرميا » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وقد سلف مثل ذلك مراراً ، حتى في الأثر الواحد ، انظر ما سلف — ص : ٤٤٨ تعليق : ١ .

(٢) عند هذا الموضع ، انتهى جزء من التقسيم القديم الذي نقلت منه نسختنا ، وفيها ما نصه :

« يتلوهُ : ومعنى الآية على تأويل هؤلاء :
وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس .

* * *

وصلى الله على سيدنا محمد النبيّ وآله وصحبه وسلم كثيراً »

ثم يبدأ بعده بما نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم
ربّ يسّر يا كريم »

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى هذه الآية بالصواب ، قولُ من قال : إن الله تعالى ذكره بعث قائل : « أنّى يحيي هذه الله بعد موتها » من مماته ، ثم أراه نظير ما استنكر من إحياء الله القرية التى مرّ بها بعد مماتها ، عياناً من نفسه وطعامه وحماره . فجعل تعالى ذكره ما أراه من إحيائه نفسه وحماره ، مثلاً لما استنكر من إحيائه أهل القرية التى مرّ بها خاويةً على عروشها ، وجعل ما أراه من العبرة فى طعامه وشرابه ، عبرة له وحجة عليه فى كيفية إحيائه منازل القرية وجنانها . وذلك هو معنى قول مجاهد الذى ذكرناه قبل .

وإنما قلنا : « ذلك أولى بتأويل الآية » ، لأنّ قوله : « وانظر إلى العظام » ، إنما هو بمعنى : وانظر إلى العظام التى تراها ببصرك ، كيف ننشزُها ثم نكسوها لحماً . وقد كان حمارُه أدركه من البلى = فى قول أهل التأويل جميعاً = نظيرُ الذى لحق عظامَ من خوطب بهذا الخطاب . فلم يمكن صرف معنى قوله : « وانظر إلى العظام » ، إلى أنه أمرٌ له بالنظر إلى عظام الحمار دون عظام المأمور بالنظر إليها ، ولا إلى أنه أمر له بالنظر إلى عظام نفسه دون عظام الحمار . وإذْ كان ذلك كذلك ، وكان البلى قد لحق عظامه وعظام حماره ، كان الأولى بالتأويل أن يكون الأمرُ بالنظر إلى كل ما أدركه طرفه مما قد كان البلى لحقه . لأن الله تعالى ذكره جعل جميع ذلك عليه حجة ، وله عبرةً وعظةً .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : ولنجعلك آية للناس ، أمتناك مئة عام ثم بعثناك .

وإنما أدخلت « الواو » مع « اللام » التى فى قوله : « ولنجعلك آية للناس » ، وهو

بمعنى « كي » ، لأن في دخولها في « كي » وأخواتها دلالة على أنها شرطٌ لفعلٍ بعدها، بمعنى : ولنجعلك كذا وكذا فعلنا ذلك .[1] ولو لم تكن قبل « اللام » — أعني « لام » « كي » « واو »، كانت « اللام » شرطاً للفعل الذي قبلها ، وكان يكون معناه : وانظر إلى حمارك لنجعلك آية للناس .

* * *

وإنما عنى بقوله : « ولنجعلك آية » ، ولنجعلك حجة على من جهل قدرتي وشكّ في عظمتي ،[2] وأنا القادر على فعل ما أشاء من إماتة وإحياء، وإفناء وإنشاء، وإنعام وإذلال ، وإقتارٍ وإغناء ، بيدي ذلك كلُّه ، لا يملكه أحد دوني ، ولا يقدر عليه غيري .

* * *

وكان بعض أهل التأويل يقول : كان آية للناس ، بأنه جاء بعد مئة عام إلى ولده وولد ولده، شابًّا وهم شيوخ .

* ذكر من قال ذلك :

٥٩٤٦ — حدثني المثنى قال، أخبرنا إسحق قال ، حدثنا قبيصة بن عقبة ، عن سفيان قال : سمعت الأعمش يقول : « ولنجعلك آية للناس » ، قال : شابًّا وولده شيوخ .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : أنه جاء وقد هلك من يعرفه ، فكان آية لمن قدِم عليه من قومه . ٣٠/٣

* ذكر من قال ذلك :

٥٩٤٧ — حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قال : رجع إلى أهله ، فوجد داره قد بيعت وبُنيت وهلك من كان يعرفه ،

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ١٧٣ .

(٢) انظر معنى « آية » فيما سلف في هذا الجزء ٥ : ٣٧٧، والتعليق : ٢ ، ومراجعه هناك

فقال : اخرجوا من دارى ! قالوا : ومن أنت ؟ قال : أنا عزير ! قالوا : أليس قد هلك عزيرٌ منذ كذا وكذا ! ! قال : فإن عزيراً أنا هو ، كان من حالى وكان ! فلما عرفوا ذلك خرجوا له من الدار ودفعوها إليه .

* * *

قال أبو جعفر : والذى هو أولى بتأويل الآية من القول أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر أنه جعل الذى وصف صفته فى هذه الآية ، حُجة للناس ، فكان ذلك حُجة على من عرفه من ولده وقوْمه ممن علم موته وإحياءَ الله إياه بعد مماته ، وعلى من بُعث إليه منهم .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَٱنظُرْ إِلَىٰ ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ﴾

قال أبو جعفر : قد دللنا فيما مضى قبلُ على أنّ العظام التى أمِر بالنظر إليها ، هى عظام نفسه وحماره ، وذكرنا اختلاف المختلفين فى تأويل ذلك ، وما يعنى كل قائل بما قاله فى ذلك ، بما أغنى عن إعادته .

* * *

وأما قوله : « كيف ننشزُها » ، فإن القرأة اختلفت فى قراءته .

فقرأه بعضهم : ﴿ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ﴾ ، بضم النون ، وبالزاى. وذلك قراءة عامة قرأة الكوفيين ، بمعنى : وانظر كيف نركّب بعضها على بعض ، وننقل ذلك إلى مواضع من الجسم.

* * *

وأصل « النشوز » الارتفاع ، [1] ومنه قيل : « قد نشز الغلامُ » ، إذا ارتفع

---

(١) جاء فى المطبوعة والمخطوطة « وأصل النشز : الارتفاع » ، وأنا أرى صوابه : « النشوز » ، لأنه هو المصدر ، ولا مصدر لهذا الفعل غيره فى رواية أهل اللغة ، ومحال أن يدع الطبرى المعروف إلى المجهول . والمخطوطة فى هذا الوضع سيئة جداً ، كثيرة التصحيف والإهمال ، وبعضه لم أشر إليه لشدة وضوحه ، وفساد خط كاتبه وإهماله ، كما ترى فى التعليق التالى .

طوله وشَبَّ . ومنه « نشوز المرأة » على زوجها . [١] ومن ذلك قيل للمكان المرتفع من الأرض : « نَشَز، ونَشْز ، ونشاز »، [٢] فإذا أردت أنك رفعته قلت : « أنشزته إنشازاً » ، و « نشز هو » ، إذا ارتفع .

* * *

فمعنى قوله : « وانظر إلى العظام كيف نُنشزها » — فى قراءة من قرأ ذلك بالزاى : كيف نرفعُها من أماكنها من الأرض ، فنردُّها إلى أماكنها من الجسد . [٣]

* * *

وممن تأول ذلك هذا التأويل جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٥٩٤٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس فى قوله : « كيف ننشزها » ، كيف نُخرجها .

٥٩٤٩ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « كيف ننشزها » ، قال : نحرِّكها .

* * *

وقرأ ذلك آخرون : ﴿ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِرُهَا ﴾ بضم النون . قالوا : من قول القائل ، « أنشرَ الله الموتى فهو يُنشِرهم إنشاراً » ، وذلك قرأه عامة قرأة أهل المدينة ، بمعنى : وانظر إلى العظام كيف نحييها ، ثم نكسوها لحماً .

* ذكر من قال ذلك :

٥٩٥٠ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « كيف نُنشِرها » ، قال : انظر إليها حين يحييها الله . [٤]

---

(١) فى المخطوطة : « وفيه نشور المرأة على وجهها » ، وهذا دليل على شدة إهماله .

(٢) فى المخطوطة : « نشر ونشره ونشاره » ، وهو خطأ كله ، والصواب ما أثبت .

(٣) فى المخطوطة : « فبرزها إلى أماكنها » ، وهو فاسد . وفى المطبوعة : « الجسم » ، ورددته إلى المخطوطة .

(٤) فى المخطوطة والمطبوعة : « انظر إليها » ، والصواب ما أثبت .

٥٩٥١ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٥٩٥٢ ــ حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة مثله .

٥٩٥٣ ــ حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله « وانظر إلى العظام كيف نُنشرها » ، قال : كيف نحييها .

* * *

واحتج بعض قرّأة ذلك بالراء وضم نون أوله ، بقوله ﴿ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴾ [سورة عبس : ٢٢] ، فرأى أنّ من الصواب إلحاق قوله : « وانظر إلى العظام كيف ننشرها » به .(١)

* * *

وقرأ ذلك بعضهم ﴿ وَٱنْظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نَنْشُرُهَا ﴾ ، بفتح النون من أوله وبالراء . كأنموجّه ذلك إلى مثل معنى : نَشْرِ الشيء وطيِّه .(٢) وذلك قراءة غير محمودة ، لأن العرب لا تقول : « نشر الموتى » ، وإنما تقول : « أنشر الله الموتى » ، «فَنَشَروا هم» ، بمعنى أحياهم فحيُوا هم . ويدل على ذلك قوله : ﴿ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴾ وقوله : ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ﴾(٣) [سورة الأنبياء : ٢١] ، وعلى أنه إذا أريد به حَيِي الميت وعاش بعد مماته ، قيل : «نَشَر» ، ومنه قول أعشى بني ثعلبة :(٤)

حَتَّى يَقُولَ ٱلنَّاسُ مِمَّا رَأَوْا : يَا عَجَبًا لِلْمَيِّتِ ٱلنَّاشِرِ!(٥)

---

(١) هو ابن عباس ، فيما روى الفراء في معاني القرآن ١ : ١٧٣ .

(٢) هو الحسن ، فيما روى الفراء في معاني القرآن ١ : ١٧٣ .

(٣) سقطت الآية بتمامها ، وفي المطبوعة والمخطوطة : « آلهة من الأرض هم ينشرون » .

(٤) في المطبوعة والمخطوط بإسقاطه : « ومنه » ، وهو غير مستقيم .

(٥) ديوانه : ١٠٥ ، وسيأتي في التفسير ١٩ : ١٤/٢٥ : ٣٢/٣٠ : ٣٦ (بولاق) وهو

وروى سماعاً من العرب : « كان به جَرَبٌ فنَشَر » ، إذا عاد وَحَيِيَ .(١)

* * *

قال أبو جعفر : والقول فى ذلك عندى أنّ معنى « الإنشاز » . ومعنى « الإنشار » متقاربان . لأن معنى « الإنشاز » التركيبُ والإثبات ورد العظام إلى العظام ، ومعنى « الإنشار » إعادة الحياة إلى العظام .(٢) وإعادتها لا شك أنه ردُّها إلى أماكنها ومواضعها من الجسد بعد مفارقتها إياها . فهما ، وإن اختلفا فى اللفظ ، فمتقاربا المعنى . وقد جاءت بالقراءة بهما الأمة مجيئاً يقطعُ العذر ويوجب الحجة . فبأيّهما قرأ القارئ فمصيب ، لانقياد معنييهما ،(٣) ولا حجة توجب لإحداهما القضاءَ بالصواب على الأخرى .(٤)

٣/٣١

* * *

فى أكثر الكتب ، وقد مضى بيتان منها فى ١ : ٤٧٤ ، تعليق : ٢/٣ : ١٣١ . وقبله يذكر صاحبته ، فأجاد وأبدع :

عَهْدِى بِهَا فِى الحَىِّ قَدْ سُرْبِلَتْ ... هَيْفَاءَ مِثْلَ المُهْرَةِ الضَّامِرِ
قَدْ نَهَدَ الثَّدْىُ عَلَى نَحْرِها ... فِى مُشْرِقٍ ذِى صَبَحٍ نائِرِ
لَوْ أَسْنَدَتْ مَيْتاً إِلَى نَحْرِهَا ... عَاشَ ، وَلَمْ يُنْقَلْ إِلَى قابِرِ
حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ . . . . . .

الصبح (بفتحتين) بريق اللون والحلى والسلاح ، تراه مشرباً حمرة كالجمر يتلألأ . ونائر : نير . يقال : « نار الشىء فهو نير ونائر » و« أنار فهو منير » .

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٠ .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « . . . ورد العظام من العظام ، وإعادتها لا شك . . . » وهذا كلام لا يستقيم قط ، والنسخة فى هذا الموضع محرفة أشد التحريف ، والناسخ كثير لإهمال والإسقاط كما سلف فى التعليقات الماضية ، فلذلك اجتهدت فى تصحيح هذا ، وما يليه حتى يستقيم معناه ولفظه .

(٣) فى المخطوطة : « لا تعاد ومعنيها » ، والصواب ما فى المطبوعة . وقوله : « لانقياد معنييهما » ، أى لاستقامة معنييهما واستوائهما وتساوقهما على نهج واحد لا يختلف ، كأنه يقود أحدهما الآخر . وانظر ما مضى ٤ : ١٠٥ تعليق : ١ ، فى قوله : « قاد قوله » وتفسير قولهم : « هذا لا يستقيم على قود كلامك » .

(٤) فى المطبوعة : « لإحداهما من القضاء » بزيادة « من » ، وفى المخطوطة « لأحدهما من القضاء » بزيادة وخطأ ، والصواب ما أثبت .

فإن ظنّ ظانّ أنّ « الإنشارَ » إذ كان إحياءً ، [١] فهو بالصواب أولى ، لأن المأمور بالنظر إلى العظام وهى تُنشر ، إنما أمر به ليرى عياناً ما أنكره بقوله : « أنّى يحيي هذه الله بعد موتها »؟= [فقد أخطأ] . [٢] فإن إحياء العظام لاشك فى هذا الموضع ، إنما عنى به ردُّها إلى أماكنها من جسد المنظور إليه هو يُحيَى ، [٣] لإعادة الروح التى كانت فارقتها عند الممات . [٤] والذى يدل على ذلك قوله : « ثم نكسوها لحماً » . ولا شك أن الروح إنما نفخت فى العظام التى أنشزت بعد أن كُسيت اللحم . [٥]

وإذ كان ذلك كذلك ، [٦] وكان معنى « الإنشاز » تركيب العظام وردها إلى أماكنها من الجسد ، وكان ذلك معنى « الإنشار » = [٧] كان معلوماً استواء معنييهما ، وأنهما متفقا المعنى لا مختلفاه . ففى ذلك إبانة عن صحة ما قلنا فيه .

* * *

وأما القراءة الثالثة ، فغير جائزةٍ القراءةُ بها عندى ، وهى قراءة من قرأ : ﴿ كَيْفَ نَنْشُرُهَا ﴾ بفتح النون وبالراء ، لشذوذها عن قراءة المسلمين ، وخروجها عن الصحيح الفصيح من كلام العرب .

* * *

---

(١) فى المخطوطة : « إذا كان حيا » خطأ صرف ، وفى المطبوعة : « إذا كان إحياء » ، وهو الصواب ، إلا أن سوق الكلام فى هذا الموضع « إذ » لا « إذا » .

(٢) زدت ما بين القوسين ، لأنه مما يقتضيه السياق . ولا معنى لالتماس تصحيح هذه الجملة ، بتعليق قوله : « فإن إحياء العظام . . . » جواباً لقوله : « فإن ظن ظان . . . » .

(٣) « يحيى » بالبناء للمجهول ، من « الإحياء » .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « لا إعادة الروح . . . » ، وهو خطأ بين ، يدل عليه سياق ما بعده . فإنه يعنى أن « إحياء العظام » مركب من أمرين : رد العظام إلى أماكنها ، وإعادة الروح إليها . وستَرى ذلك فى حجته بعد .

(٥) فى المطبوعة والمخطوطة : « العظام التى أنشرت » بالراء ، وهو خطأ ، والصواب بالزاى ، أى ركبت وردت إلى مواضعها .

(٦) فى المطبوعة والمخطوطة : « وإذا كان ذلك كذلك » ، والصواب « إذ » .

(٧) قوله : « وكان ذلك معنى الإنشار » ، أى : وكان معنى الإنشار أيضاً ، هو رد العظام إلى أماكنها من الجسد لإعادة الروح التى كانت فارقتها عند الممات ، كما سلف منذ قليل .

القول فى تأويل قوله ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله :(١) « ثم نكسوها » ، أى العظام « لحماً » ، « والهاء » التى فى قوله : « ثم نكسوها لحماً » ، من ذكر العظام .

* * *

ومعنى « نكسوها » ، نُلبسها ونُواريها به ، كما يوارِى جسدَ الإنسان كسوتُه التى يلبَسُها . وكذلك تفعل العرب ، تجعل كل شىء غطَّى شيئاً وواراه ، لباساً له وكُسوة ،(٢) ومنه قول النابغة الجعدى :(٣)

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِذْ لَمْ يَأْتِنِى أَجَلِى ... حَتَّى اكْتَسَيْتُ مِنَ الإِسْلَامِ سِرْبَالَا(٤)

فجعل الإسلام — إذ غطَّى الذى كان عليه فواراه وأذهبه — كُسوةً له وسِربالاً .

* * *

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « بذلك » مكان « بقوله » ، وهو لا يستقيم .

(٢) انظر ما سلف فى معنى « لباس » و « كسوة » ٣ : ٤٨٩ — ٤٩٢ / ثم هذا الجزء ٥ : ٤٤ .

(٣) وينسب هذا البيت إلى « لبيد بن ربيعة العامرى » وإلى « قردة بن نفاثة السلولى » ؛ وقال ابن عبد البر فى الاستيعاب ٢٢٨ : « وقد قال أكثر أهل الأخبار أن لبيداً لم يقل شعراً منذ أسلم . وقال بعضهم : لم يقل فى الإسلام إلا قوله : ...» وذكر البيت ، ثم قال : وقد قيل إن هذا البيت لقردة بن نفاثة السلولى ، وهو أصح عندى » ثم عاد فى ص ٥٣٦ ، فذكر قردة بن نفاثة السلولى فقال : « كان شاعراً ، قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جماعة من بنى سلول ، فأمره عليهم بعد أن أسلم وأسلموا ، فأنشأ يقول :

بَانَ الشَّبَابُ فَلَمْ أَحْفِلْ بِهِ بَالَا ... وَأَقْبَلَ الشَّيْبُ وَالإِسْلَامُ إِقْبَالَا
وَقَدْ أُرَوِّى نَدِيمِى مِنْ مُشَعْشَعَةٍ ... وَقَدْ أُقَلِّبُ أَوْرَاكاً وَأَكْفَالَا
الحمدُ لله . . . . . .

وقد قيل إن البيت للبيد قال أبو عبيدة : لم يقل لبيد فى الإسلام غيره » . وذكر ذلك أبو الفرج فى أغانيه ١٤ : ٩٤ ، وغيره وانظر معجم الشعراء : ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، والشعر والشعراء : ٢٣٢ والمعمرين ٦٦ ، وديوان لبيد ، الزيادات : ٥٦ وغيرها كثير

(٤) انظر التعليق السالف ، وهذا البيت ثابت فى قصيدة النابغة (فى ديوانه ٨٦) ، فى

القول فى تأويل قوله ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢٥٩)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « فلما تبيَّنَ له » ، فلما اتضح له عياناً ما كان مستنكراً من قدرة الله وعظمته عنده قبل عيانه ذلك = [١] « قال أعلم » الآن بعد المعاينة والإيضاح والبيان = [٢] « أن الله على كل شىء قدير » .

* * *

ثم اختلفت القرأة فى قراءة قوله : « قال أعلم أن الله » .

فقرأه بعضهم : ﴿ قَالَ أَعْلَمْ ﴾ على معنى الأمر بوصل «الألف» من « اعلم » ، وجزم « الميم » منها ، وهى قراءة عامة قرأة أهل الكوفة . ويذكرون أنها فى قراءة عبد الله ، ﴿ قِيلَ أَعْلَمْ ﴾ على وجه الأمر من الله الذى أحيى بعد مماته ، [٣] فأمر بالنظر إلى ما يحييه الله بعد مماته . وكذلك روى عن ابن عباس .

٥٩٥٤ — حدثنى أحمد بن يوسف التَّغلبىّ قال ، حدثنا القاسم بن سلام قال ، حدثنى حجاج ، عن هرون قال : هى فى قراءة عبد الله : ﴿ قِيلَ أَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ ﴾ على وجه الأمر . [٤]

هجائه ابن الحيا ، والحيا أمه ، واسمه سوار بن أوفى القشيرى — وكان هجا الجعدى وسب أخواله من الأزد ، وهم بأصبهان متجاورون ، فقال فى ذلك قصيدته التى أولها .

إِمَّا تَرَىْ ظُلَلَ الأَيَّامِ قد حَسَرَت عَنِّى ، وشَمَّرْتُ ذَيْلاً كانَ ذَيَّالاَ

(١) انظر معنى « بين » فيما سلف فى فهارس اللغة من الأجزاء السالفة .

(٢) فى المطبوعة : « بعد المعاينة والاتضاح به والبيان » وهو فاسد مريض ، والصواب من المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « للذى أحيى » ، وما فى المخطوطة عين الصواب .

(٤) الأثر : ٥٩٥٤ — « أحمد بن يوسف التغلبى » ، الأحول ، صاحب أبى عبيد القاسم بن سلام ، مشهور بذلك . روى عن سليمان بن حرب ، ومسلم بن إبراهيم ، ورويم بن زيد ، وأبى عبيد القاسم ابن سلام وغيرهم . روى عنه أبو عبد الله نفطويه النحوى ، ومحمد بن مخلد ، وأبو عمرو بن السماك ، ومكرم بن أحمد ، وغيرهم . قال عبد الله بن أحمد : « ثقة » ، مات سنة ٢٧٣ ، وصحبته لأبى عبيد القاسم

٥٩٥٥ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه = أحسبه ، شكّ أبو جعفر الطبرى= ، سمعت ابن عباس يقرأ : ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمْ﴾ ، قال : إنما قيل ذلك له .

٥٩٥٦ ــ حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : ذكر لنا ، والله أعلم ، أنه قيل له « انظر » ! فجعل ينظر إلى العظام كيف يتواصَلُ بعضها إلى بعض ، وذلك بعينيه ، فقيل : « اعلم أن الله على كل شيء قدير » .

* * *

قال أبو جعفر : فعلى هذا القول تأويل ذلك: فلما تبين له ما تبيَّن من أمر الله وقدرته ، قال الله له : اعلم الآن أن الله على كل شيء قدير. ولو صَرف متأوِّلٌ قوله: « قال اعلم » ــ وقد قرأه على وجه الأمر ــ إلى أنه من قِبَل المخبَرِ عنه بما اقتصّ في هذه الآية من قصته ، كان وجهاً صحيحاً ،وكان ذلك كما يقول القائل: ٣٢/٣
« اعلم أن قد كان كذا وكذا » ، على وجه الأمر منه لغيره ، وهو يعنى به نفسه .

* * *

وقرأ ذلك آخرون : ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ ، على وجه الخبر عن نفسه للمتكلم به ، بهمز ألف « أعلم » وقطعها ، ورفع « الميم » ، بمعنى : فلما تبين له ما تبين من قدرة الله وعظيم سلطانه بمعاينته ما عاينه، قال: المتبيِّن ذلك: (١) أعلم الآن أنا أنّ الله على كل شيء قدير.

وبذلك قرأ عامة قرأة أهل المدينة ، (٢) وبعض قرأة أهل العراق . وبذلك من

ابن سلام ترجح عندى أنه المعنى فى الأثر السالف رقم : ٥٩١٩ ، وانظر التعليق عليه . وفى المطبوعة والمخطوطة : « الثعلبى » ، وهو خطأ .

(١) فى المطبوعة : « قال أليس ذلك أعلم الآن . . . » ، وهو كلام يرتكس فى الفساد ارتكاساً . وفى المخطوطة : « المسين » غير منقوطة ، وهى الصواب عين الصواب .

(٢) سقط من الناسخ « قرأة » فى هذا الموضع والذى يليه ، وكتبها فى الهامش مرة واحدة ، لم يكررها ، ولذلك أثبتها الطابع فى موضع واحد ، هو الأخير منهما .

التأويل تأوّله جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٥٩٥٧ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق، عمن لا يتهم، عن وهب بن منبه قال : لما عاين من قدرة الله ما عاينَ قال : « أعلم أن الله على كل شيء قدير » .

٥٩٥٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا عبد الصمد بن معقل : أنه سمع وهب منبه يقول : « فلما تبين له قال أعلم أنّ الله على شيء قدير » .

٥٩٥٩ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال: بعين نبيّ الله صلى الله عليه وسلم =[1] يعني إنشازَ العظام = فقال : « أعلم أن الله على كل شيء قدير » .

٥٩٦٠ – حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال: قال عزير عند ذلك – يعني عند معاينة إحياء الله حماره – : « أعلم أنّ الله على كل شيء قدير » .

٥٩٦١ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : جعل ينظر إلى كل شيء منه يوصلُ بعضه إلى بعض، « فلما تبين له قال أعلم أنّ الله على كل شيء قدير » .

٥٩٦٢ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد نحوه .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك قراءة من قرأ ﴿ أَعْلَمْ ﴾ بوصل

---

(١) فى المطبوعة : « يعنى نبى الله عليه السلام » ، وفى المخطوطة مضطربة وغير منقوطة ، فمن أجل ذلك لم يحسن قراءتها . أى : أن إنشاز العظام كان بعين النبى ، يراه عياناً ، وقد مضى مثل ذلك آنفاً فى رقم : ٥٩٤٢ .

« الألف » وجزم « الميم »، على وجه الأمر من الله تعالى ذكره للذى قد أحياه بعد مماته ، بالأمر بأن يعلم أن الله = الذى أراه بعينيه ما أراه من عظيم قدرته وسلطانه ، من إحيائه إياه وحمارَه بعد موت مئة عام وَبلائه ، حتى عادا كهيئتهما يوم قبض أرواحهما ، وحفظِه عليه طعامه وشرابه مئة عام حتى ردّه عليه كهيئته يوم وضعه غير متغير= [1] على كل شيء قادرٌ كذلك . [2]

وإنما اخترنا قراءة ذلك كذلك ، وحكمنا له بالصواب دون غيره ، لأن ما قبله من الكلام أمرٌ من الله تعالى ذكره : قولاً للذى أحياه الله بعد مماته ، وخطاباً له به ، وذلك قوله : « فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنَّه وانظر إلى حمارك . . . وانظر إلى العظام كيف ننشزها » ، فلما تبين ذلك له جواباً عن مسألته ربَّه : « أنى يحيي هذه الله بعد موتها » ، قال الله له : « اعلم أن الله » = الذى فعل هذه الأشياء على ما رأيت = على غير ذلك من الأشياء قديرٌ كقدرته على ما رأيت وأمثاله ، [3] كما قال تعالى ذكره لخليله إبراهيم صلى الله عليه وسلم = بعد أن أجابه عن مسألته إياه فى قوله : ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ = ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ، [4] فأمر إبراهيم بأن يعلم ، بعد أن أراه كيفية إحيائه الموتى ، أنه عزيز حكيم . فكذلك أمر الذى سأل فقال : « أنّى يحيي هذه الله بعد موتها » ؟ بعد أن أراه كيفية إحيائه إياها = أن يعلم أنّ الله على كل شيء قدير . [5]

* * *

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « وحفظ عليه طعامه . . . » ، وهو اختلال فى الكلام ، والصواب ما أثبت . وقوله : « وحفظه » مجرور معطوف على قوله : « من إحيائه إياه وحماره . . . »

(٢) قوله : « على كل شيء قادر كذلك » متعلق بقوله : « بأن يعلم أن الله . . . على كل شيء قادر » ، وما بينهما صفة لله تعالى ، فصلت بين اسم « إن » وخبرها .

(٣) سياق هذه الجملة كالسالفة فى التعليق السالف : « اعلم أن الله . . . على غير ذلك من الأشياء قدير » .

(٤) هى الآية التالية من « سورة البقرة » .

(٥) فى المخطوطة والمطبوعة : « وكذلك أمر الذى سأل . . . » بالواو ، والصواب بالفاء . هذا وانظر ما قاله الفراء فى معانى القرآن ١ : ١٧٣ — ١٧٤ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك: ألم تر إذ قال إبراهيم: ربِّ أرنى .

وإنما صلح أن يعطف بقوله : « وإذ قال إبراهيم » على قوله : « أو كالذى مرّ على قرية » ، وقوله : « ألم تر إلى الذى حاجّ إبراهيم فى ربه » ، لأن قوله : « ألم تر »، ليس معناه: ألم تر بعينيك ، وإنما معناه: ألم تر بقلبك ، فمعناه : ألم تعلم فتذكر ،(١) فهو وإن كان لفظه لفظ « الرؤية » ، فيعطف عليه أحياناً بما يوافق لفظه من الكلام ، وأحياناً بما يوافق معناه .

* * *

واختلف أهل التأويل فى سبب مسألة إبراهيم ربَّه أن يريه كيف يحيي الموت .

فقال بعضهم : كانت مسألته ذلك ربَّه : أنه رأى دابة قد تقسَّمتها السباعُ والطيرُ فسأل ربه أن يريه كيفية إحيائه إياها ، مع تفرق لحومها فى بطون طير الهواء وسباع الأرض ، ليرى ذلك عياناً، فيزداد يقيناً برؤيته ذلك عياناً إلى علمه به خبراً، فأراه الله ذلك مثلاً بما أخبر أنه أمره به .

* ذكر من قال ذلك : ٣٣/٣

٥٩٦٣ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وإذ قال إبراهيم ربّ أرنى كيف تحيي الموتى » ، ذكر لنا أنّ خليل الله إبراهيم أتى على دابة توزعتها الدوابّ والسباع ، فقال : « رب أرنى كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي » .

٥٩٦٤ ــ حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد

---

(١) انظر معنى « الرؤية » فيما سلف من هذا الجزء ٥ : ٤٢٩ ، والتعليق عليه رقم : ٢ .

قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « رب أرنى كيف تحيي الموتى » ، قال : مر إبراهيم على دابة ميت قد بَلى وتقسَّمته الرياح والسباعُ ، فقام ينظر فقال : [١] سُبحان الله ! كيف يحيي الله هذا ؟وقد علم أن الله قادرٌ على ذلك : فذلك قوله : « رب أرنى كيف تحيي الموتى » .

٥٩٦٥ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج : بلغنى أن إبراهيم بينا هو يسير على الطريق ، إذا هو بجيفة حمار عليها السباع والطير قد تمزَّعت لحمها ، [٢] وبقى عظامها . فلما ذهبت السِّباع وطارت الطير على الجبال والآكام ، وقف وتعجب ، [٣] ثم قال : ربّ قد علمتُ لتجمعنَّها من بطون هذه السباع والطير ! ربّ أرنى كيف تحيي الموتى ! قال : أو لم تؤمن ، قال : بلى ! ولكن ليس الخبر كالمعاينة .

٥٩٦٦ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : مر إبراهيم بحوت نصفه فى البرّ ونصفه فى البحر ، فما كان منه فى البحر فدواب البحر تأكله ، وما كان منه فى البرّ فالسباع ودواب البر تأكله ، فقال له الخبيث : [٤] يا إبراهيم ، متى يجمع الله هذا من بطون هؤلاء ؟ فقال : يا رب ، أرنى كيف تحيي الموتى ! قال : أو لم تؤمن ؟ قال : بلى ! ولكن ليطمئن قلبى !

* * *

وقال آخرون : بل كان سبب مسألته ربَّه ذلك ، المناظرةُ والمحاجَّة التى جرت بينه وبين نمرود فى ذلك .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) فى المخطوطة : « فقدم ينظر » ، والصواب ما فى المطبوعة .

(٢) تمزع القوم الشيء : تقاسموا وفرقوه بينهم . من التمزيع : وهو التقطيع والتفريق .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « فوقف » بالفاء ، والأجود حذفها .

(٤) الخبيث ، يعنى إبليس لعنه الله .

٥٩٦٧ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال ، حدثني محمد بن إسحق قال : لما جرى بين إبراهيم وبين قومه ما جرى مما قصَّه الله في « سورة الأنبياء » ، قال نمروذ، فيما يذكرون، لإبراهيم : أرأيت إلهك هذا الذي تعبد وتدعو إلى عبادته ، وتذكُر من قدرته التي تعظِّمه بها على غيره ، ما هو ؟ قال له إبراهيم : ربي الذي يحيي ويميت ! قال نمروذ : أنا أحيي وأميت ! فقال له إبراهيم : كيف تحيي وتميت =؟ثم ذكر ما قصّ الله من محاجته إياه = قال :فقال إبراهيم عند ذلك : رب أرني كيف تحيي الموتى، قال: أو لم تؤمن ؟ قال : بلى ولكن ليطمئن قلبي = من غير شكّ في الله تعالى ذكره ولا في قدرته ، ولكنه أحبَّ أن يعلم ذلك وتاق إليه قلبه فقال : « ليطمئن قلبي » ، أي : ما تاق إليه إذا هو علمه .

* * *

قال أبو جعفر : وهذان القولان ــ أعني الأول وهذا الآخر ــ متقاربا المعنى : في أن مسألة إبراهيم ربه أن يريه كيف يحيي الموتى ، كانت ليرى عياناً ما كان عنده من علم ذلك خبراً .

* * *

وقال آخرون : بل كانت مسألته ذلك ربَّه عند البشارة التي أتته من الله بأنه اتخذه خليلاً ، فسأل ربه أن يريه عاجلاً من العلامة له على ذلك ، ليطمئن قلبه بأنه قد اصطفاه لنفسه خليلاً ، ويكون ذلك لما عنده من اليقين مؤيِّداً .

* ذكر من قال ذلك :

٥٩٦٨ ــ حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قال : لما اتخذ الله إبراهيم خليلاً ، سأل ملك الموت ربَّه أن يأذن له أن يبشر إبراهيم بذلك ، فأذن له . فأتى إبراهيم وليس في البيت ، فدخل داره = وكان إبراهيم أغيرَ الناس، إن خرج أغلق الباب = فلما جاء ووجد في داره رجلاً ،

ثار إليه ليأخذه[١] وقال : من أذن لك أن تدخل دارى؟ قال ، ملك الموت ، أذن لى رب هذه الدار ! قال إبراهيم : صدقت ! وعرف أنه ملك الموت . قال : من أنت ؟ قال : أنا ملك الموت جئتك أبشّرك بأن الله قد اتخذك خليلاً ! فحمد الله وقال : يا ملك الموت ، أرنى الصورة التى تقبض فيها أنفاسَ الكفار. قال : يا إبراهيم، لا تطيق ذلك! قال: بلى ! قال : فأعرِضْ ! فأعرضَ إبراهيم ثم نظر إليه، فإذا هو برجل أسود تنال رأسه السماء ، يخرج من فيه لهب النار ، ليس من شعرة فى جسده إلا فى صورة رجل أسود يخرج من فيه ومسامعه لهبُ النار . فغشى على إبراهيم ، ثم أفاقَ وقد تحول ملك الموت فى الصورة الأولى ، فقال : يا ملك الموت ، لو لم يلقَ الكافر عند الموت من البلاء والحزن إلاّ صُورَتك لكفاه ، فأرنى كيف تقبض أنفاس المؤمنين؟ قال : فأعرض ! فأعرض إبراهيم، ثم التفت فإذا هو برجل شابّ، أحسنِ الناس وجهاً وأطيبه ريحاً ، [٢]فى ثياب بيض ، فقال : يا ملك الموت ، لو لم يكن للمؤمن عند ربّه من قرّة العين والكرامة إلا صورتك هذه ، لكان يكفيه . فانطلق ملك الموت ، وقام إبراهيم يدعو ربه يقول : رب أرنى كيف تحيي الموتى حتى أعلم أنى خليلك ! قال : أو لم تؤمن بأنى خليلك؟ = يقول : تصدق = قال : بلى ! ولكن ليطمئن قلبي بِخُلولتك.[٣]

٣٤/٣

---

(١) فى المطبوعة : « فلما جاء وجد فى داره رجلا ، فثار إليه ليأخذه قال » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) من العربى المعرق ، عود الضمير على اسم الجمع مذكراً مفرداً ، كما جاء فى هذا الخبر ، وكما جاء فى خبر عمار بن ياسر (ابن سعد ٣/١/١٨٣) : « كان عمار بن ياسر من أطول الناس سكوتاً وأقله كلاماً » وكما فى الحديث : « خير النساء صوالح قريش ، أحناه على ولد فى صغره ، وأرعاه على زوج فى ذات يده » ، وكقول ذى الرمة .

وَمَيَّةُ أَحْسَنُ الثَّقَلَيْنِ جِيداً ... وَسَالِفَةً ، وَأَحْسَنُهُ قَذَالَا

(٣) الخلة (بضم الخاء وفتح اللام المشددة) والخلالة (بفتح الخاء وكسرها) والخلولة والخلالة (بضم الخاء) : الصداقة .

٥٩٦٩ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال ، حدثنا عمرو بن ثابت ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير : « ولكن ليطمئن قلبي » ، قال : بالخُلَّة[1] .

* * *

وقال آخرون : قال ذلك لربه ، لأنه شك فى قدرة الله على إحياء الموتى .

* ذكر من قال ذلك :

٥٩٧٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أيوب فى قوله : « ولكن ليطمئن قلبي » ، قال : قال ابن عباس : ما فى القرآن آية أرْجَى عندى منها .[2]

٥٩٧١ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة قال ، سمعت زيد بن على ، يحدث عن رجل ، عن سعيد بن المسيب قال : اتَّعد عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو أن يجتمعا . قال: ونحن يومئذ شَبَبَة ، فقال أحدهما لصاحبه: أى آية فى كتاب الله أرجى لهذه الأمة؟ فقال عبد الله ابن عمرو : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾[3] [سورة الزمر : ٥٣] ، حتى ختم الآية . فقال ابن عباس: أمَّا إن كنت تقول : إنها، وإن أرجى منها لهذه

---

(١) الأثر : ٥٩٦٩ – « عمرو بن ثابت بن هرمز البكرى » ويقال له : عمر و بن أبى المقدام روى عن أبيه ، وأبى إسحاق السبيعى ، والأعمش وغيرهم ، روى عنه أبو داود الطيالسى ، وسهل بن حماد ، ويحيى بن آدم وغيرهم . قال ابن المبارك : « لا تحدثوا عن عمرو بن ثابت ، فإنه كان يسب السلف » ، وضعفه أبو زرعة وابن معين والبخارى . وقال أبو داود فى السنن : « رافضى خبيث وكان رجل سوء » . مات سنة ١٧٢ ، مترجم فى التهذيب . وأبوه : ثابت بن هرمز أبو المقدام . روى عن سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وغيرهما . وروى عنه ابنه والثورى وشعبة وغيرهم . كان شيخاً عالياً صاحب سنة . مترجم فى التهذيب .

(٢) الأثر : ٥٩٧٠ – أخرجه السيوطى فى الدر المنثور ١ : ٣٣٥ ونسبه لعبد الرزاق وابن جرير . وقوله : « أرجى » أفعل تفضيل من « الرجاء » ، وهو الأمل نقيض اليأس .

(٣) زدت فى أول الآية : « قل » على سنن القراءة .

الأمة قول إبراهيم صلى الله عليه وسلم : « رب أرنى كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي » . (١)

٥٩٧٢ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : سألت عطاء بن أبي رباح عن قوله : « وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي » ، قال : دخل قلبَ إبراهيم بعضُ ما يدخل قلوبَ الناس ، فقال : « رب أرنى كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى » ، قال : « فخذ أربعةً من الطير » ، ليريه .

٥٩٧٣ – حدثني زكريا بن يحيى بن أبان المصرى قال ، حدثنا سعيد بن تليد قال ، حدثنا عبد الرحمن بن القاسم قال ، حدثني بكر بن مضر ، عن عمرو ابن الحارث ، عن يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب قال ، أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : نحنُ أحق بالشك من إبراهيم ، قال : « رب أرنى كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي » . (٢)

---

(١) الأثر : ٥٩٧١ – خرجه السيوطى فى الدر المنثور ١ : ٣٣٥ ، ونسبه لعبد بن حميد ، وابن المنذر وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، والحاكم قال : « وصححه » . وهو فى المستدرك بغير هذا اللفظ ١ : ٦٠ من طريق « بشر بن حجر السامى ، حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة ، عن محمد بن المنكدر قال التقى ابن عباس وابن عمرو ، فقال له ابن عباس . . . » ثم قال : « صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ، وتعقبه الذهبي فقال : « فيه انقطاع » . وكأن علة انقطاعه أن عبد العزيز بن أبي سلمة لم يدرك محمد بن المنكدر ، فإنه مات سنة ١٣٠ .

هذا : ومعنى قوله : « أما إن كنت تقول إنها » ، فإن فى الجملة حذوفاً جارية على لغة العرب فى الاجتزاء ، ومعناه : « أما إن كنت تقول ذلك ، إنها لمن أرجى الآيات ، وأرجى منها قول إبراهيم . وحذف خبر « إن » كثير فى العربية ، من ذلك ما جاء فى حديث النبي صلى الله عليه وسلم : « أن المهاجرين قالوا : يا رسول الله ، إن الأنصار قد فضلونا » إنهم آوونا ، وفعلوا بنا وفعلوا ، فقال : ألستم تعرفون ذلك لهم ؟ قالوا : بلى ! قال : فإن ذلك » . فقوله « فإن ذلك » ، معناه : فإن ذلك مكافأة منكم لهم ، أى معرفتكم بصنيعهم وإحسانهم ، مكافأة لهم . قال أبو عبيد : « وهذا اختصار من كلام العرب ، يكتفى منه بالضمير ، لأنه قد علم ما أراد به قائله » ، انظر أمالى ابن الشجرى ١ : ٣٢٢ ، وغيره .

(٢) الأثر : ٥٩٧٣ – « زكريا بن يحيى بن أبان المصرى » ، لم أجد له ترجمة فيما بين يدى من

٥٩٧٤ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب وسعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، فذكر نحوه .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية، ما صحّ به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قاله، وهو قوله : « نحن أحق بالشك من إبراهيم، قال: رب أرني كيف تحيي الموتى؟ قال أولم تؤمن؟ » = وأن تكون مسألته ربّه ما سأله أن يُريه من إحياء الموتى لعارض من الشيطان عرضَ في قلبه ، كالذي ذكرنا عن ابن زيد آنفاً :(٢) من أن إبراهيم لما رأى الحوت الذي بعضه في البر وبعضه في البحر، قد تعاوره دواب البر ودواب البحر وطير الهواء ، ألقى الشيطان في نفسه فقال : متى يجمع الله هذا من بطون هؤلاء ؟ فسأل إبراهيم حينئذ ربه أن يريه كيف يحيي الموتى، ليعاين ذلك عياناً ، فلا يقدر بعد ذلك الشيطان أن يلقي في قلبه مثل الذي ألقى

الكتب . و « سعيد بن تليد » ، هو : « سعيد بن عيسى بن تليد الرعيني » نسب إلى جده . روى عنه البخاري وروى له النسائي بواسطة عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم المصري . كان ثقة ثبتاً في الحديث . و « عبدالرحمن بن القاسم بن خالد العتقي المصري » . روى عن مالك الحديث والمسائل ، وعن بكر بن مضر ، ونافع بن أبي نعيم القاري . قال ابن يونس : « ذكر أحمد بن شعيب النسوي ونحن عنده ، عبد الرحمن بن القاسم ، فأحسن الثناء عليه وأطنب » وذكره ابن حبان في الثقات وقال : « كان خيراً فاضلا ممن تفقه على مالك ، وفرع على أصوله ، وذب عنها ، ونصر من انتحلها » . مترجم في التهذيب . و « عمرو ابن الحارث بن يعقوب الأنصاري المصري » . روى عن أبيه وسالم بن أبي النضر ، والزهري ويحيى بن سعيد الأنصاري ، وعبد الرحمن بن القاسم ، ويونس بن يزيد الأيلي وهو من أقرانه . روى عنه مجاهد ابن جبر وصالح بن كيسان ، وهما أكبر منه ، وقتادة وبكير بن الأشج ، وهما من شيوخه ، ورشدين ابن سعد ، وبكر بن مضر وغيرهم . وهو ثقة . قال أبو حاتم : « كان أحفظ أهل زمانه ، ولم يكن له نظير في الحفظ » وقال سعيد بن عفير : « كان أخطب الناس وأرواهم للشعر » . مترجم في التهذيب . وانظر بقية تخريجه في الأثر التالي .

(١) الأثر : ٥٩٧٤ – هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه ، قال : « حدثنا أحمد بن صالح ، حدثني ابن وهب » كمثل إسناد الطبري . و بمثل لفظه في الإسناد السابق . انظر الفتح ٨ : ١٥٠ ، ١٥١ ، واستوفى الكلام فيه الحافظ في الفتح أيضاً في شرح « كتاب أحاديث الأنبياء » ، من البخاري (الفتح ٦ : ٢٩٣ ، ٢٩٤) ، وأشار إلى إسناد ابن جرير السالف . وانظر كلام الحافظ في إسناده .

(٢) يعني الأثر رقم : ٥٩٦٦ ، والذي قاله الطبري من تمام الأثر فيما أرجح .

فيه عند رؤيته ما رأى من ذلك . فقال له ربه : « أو لم تؤمن » ؟ يقول : أو لم تصدق يا إبراهيم بأنى على ذلك قادر ؟ قال بلى يا رب ! لكن سألتك أن ترينى ذلك ليطمئن قلبي فلا يقدر الشيطان أن يلقى فى قلبي مثل الذى فعل عند رُؤيتى هذا الحوت .

٥٩٧٥ — حدثني بذلك يونس قال، أخبرنا ابن وهب، عن ابن زيد . (١)

* * *

ومعنى قوله: « ليطمئن قلبي » ، ليسكن ويهدأ باليقين الذى يستيقنه .

* * *

وهذا التأويل الذى قلناه فى ذلك ، هو تأويل الذين وجّهوا معنى قوله : «ليطمئن قلبي » ، إلى أنه : ليزداد إيماناً = أو : إلى أنه : ليوقن . (٢) ٣٠٣/٣

* ذكر من قال ذلك : ليوقن = أو : ليزداد يقيناً أو إيماناً . (٢)

٥٩٧٦ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو نعيم ، عن سفيان: عن قيس ابن مسلم، عن سعيد بن جبير : « ليطمئن قلبي » ، قال: ليوقن . (٢)

٥٩٧٧ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان = وحدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان = عن أبي الهيثم ، عن سعيد بن جبير : « ليطمئن قلبي » ، قال : ليزداد يقيني .

٥٩٧٨ — حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك : « ولكن ليطمئن قلبي » ، يقول : ليزداد يقيناً .

٥٩٧٩ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ولكن ليطمئن قلبي » ، قال : وأراد نبي الله إبراهيم ليزداد يقيناً إلى يقينه.

---

(١) الأثر : ٥٩٧٥ — هو من تمام الأثر الذى أشرت إليه رقم : ٥٩٦٦ .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « ليوفق » ، فى هذه المواضع الثلاثة ، وهو خطأ لا معنى له ، وصوابها ما أثبت ، من تفسير القرطبي ٣ : ٣٠٠ .

٥٩٨٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، قال معمر ، قال قتادة : ليزداد يقيناً .

٥٩٨١ – حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « ولكن ليطمئن قلبي » ، قال : أراد إبراهيم أن يزداد يقنياً .

٥٩٨٢ – حدثني المثنى قال ، حدثنا محمد بن كثير البصرى قال ، حدثنا إسرائيل قال ، حدثنا أبو الهيثم ، عن سعيد بن جبير : « ليطمئن قلبي » ، قال : ليزداد يقيني .

٥٩٨٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا الفضل بن دكين قال ، حدثنا سفيان، عن أبي الهيثم ، عن سعيد بن جبير : « ولكن ليطمئن قلبي » ،قال : ليزداد يقيناً .

٥٩٨٤ – حدثنا صالح بن مسمار قال، حدثنا زيد بن الحباب قال ، حدثنا خلف بن خليفة قال ، حدثنا ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد وإبراهيم فى قوله : « ليطمئن قلبي » ، قال : لأزداد إيماناً مع إيماني .

٥٩٨٥ – حدثنا صالح قال ،حدثنا زيد قال ، أخبرنا زياد ، عن عبد الله العامرى قال ، حدثنا ليث ، عن أبي الهيثم ، عن سعيد بن جبير فى قول الله : « ليطمئن قلبي » ، قال : لأزداد إيماناً مع إيماني .

* * *

وقد ذكرنا فيما مضى قولَ من قال معنى قوله : « ليطمئن قلبي » ، بأني خليلك . (١)

* * *

وقال آخرون : معنى قوله : « ليطمئن قلبي »،لأعلم أنك تجيبني إذا دعوتك، وتعطيني إذا سألتك .

• ذكر من قال ذلك :

---

(١) الأثران رقم : ٥٩٦٨ ، ٥٩٦٩ .

٥٩٨٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية، عن علي ، عن ابن عباس قوله : «ليطمئن قلبي » ، قال : أعلم أنك تجيبني إذا دعوتك ، وتعطيني إذا سألتك .

* * *

وأما تأويل قوله : « قال أو لم تؤمن » ، فإنه : أو لم تصدق ؟[1] كما : –

٥٩٨٧ – حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي.

٥٩٨٨ – وحدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن سعيد بن جبير قوله : « أو لم تؤمن » ، قال : أو لم توقن بأني خليلك .

٥٩٨٩ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « أو لم تؤمن » ، قال : أو لم توقن .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ ٱلطَّيْرِ ﴾

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بذلك : قال الله له : « فخذ أربعة من الطير »، فذكر أن الأربعة من الطير : الديكُ ، والطاوُوس ، والغرابُ ، والحمام .

* ذكر من قال ذلك :

٥٩٩٠ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال ، حدثني محمد بن إسحق ، عن بعض أهل العلم : أن أهل الكتاب الأوّل يذكرون أنه أخذ طاووساً ، وديكاً، وغراباً ، وحماماً .

٥٩٩١ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن

---

(١) انظر فهارس اللغة فيما سلف « الإيمان » بمعنى التصديق .

ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : الأربعة من الطير : الديك ، والطاووس ، والغراب ، والحمام .

٥٩٩٢ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج : « قال فخذ أربعة من الطير » ، قال ابن جريج : زعموا أنه ديك ، وغراب ، وطاووس ، وحمامة .

٥٩٩٣ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « قال فخذ أربعة من الطير » ، قال : فأخذ طاووساً ، وحماماً ، وغراباً ، وديكاً ، مخالِفةً أجناسُها وألوانُها

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة في قراءة ذلك . فقرأته عامة قرأة أهل المدينة والحجاز والبصرة : ﴿ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾ بضم « الصاد » ، من قول القائل : « صُرْت إلى هذا الأمر »[1] إذا ملت إليه = « أصُورُ صَوَرًا » ، ويقال : « إنّي إليكم لأصْوَرُ » ، أي : مشتاق مائل ، ومنه قول الشاعر :[2]

أَللهُ يَعْلَمُ أَنَّا فِي تَلَفُّتِنا يَوْمَ ٱلْفِرَاقِ إِلَى جِيرَانِنَا صُورُ[3]

وهو جمع « أصْور ، وصَوْراء ، وصُور » ، مثل « أسود وسوداء وسود » ، ومنه قول الطرماح : ٣٦/٣

---

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « صرت هذا الأمر » بإسقاط « إلى » ، والصواب ما أثبت .

(٢) غير معروف قائله ، وأنشده الفراء .

(٣) اللسان (صور) والخزانة ١ : ٥٨ ، وشرح شواهد المغني : ٢٦٦ وغيرها كثير ، وكان في المطبوعة هنا : « إلى أحبابنا » ، وأثبت ما في المخطوطة . وبعد البيت بيت من الشواهد المستفيضة :

وَأَنَّنِي حَوْثُمَا يَثْنِي الهَوَى بَصَرِي مِنْ حَوْثُمَا سَلَكُوا أدنُو فأَنْظُورُ

عَفَائِفُ إِلَّا ذَاكَ ، أَوْ أَنْ يَصُورَهَا هَوًى ، وَالْهَوَى لِلعَاشِقِينَ صَرُوعُ(١)

يعنى بقوله : « أو أن يصورها هوى » ، يميلها .

* * *

فمعنى قوله : « فصُرْهن إليك » ، اضممهن إليك ووجِّههن نحوك ، كما يقال : « صُرْ وجهك إلىّ » ، أى أقبل به إلىّ . ومن وَجَّه قوله : فصرهن إليك إلى هذا التأويل ، كان فى الكلام عنده متروك قد ترك ذكرُه استغناءً بدلالة الظاهر عليه . ويكون معناه حينئذ عنده : «قال فخذ أربعةً من الطير فصرهن إليك » ، ثم قطعهن ، «ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً » .

* * *

وقد يحتمل أن يكون معنى ذلك إذا قرىء كذلك بضم « الصاد » : قطّعهن ، كما قال توبة بن الحميِّر :

فَلَمَّا جَذَبْتُ الْحَبْلَ أَطَّتْ نُسُوعُهُ بِأَطْرَافِ عِيدَانٍ شَدِيدٍ أُسُورُهَا

---

(١) ديوانه : ١٥٢ ، وهو من أبيات جياد ، قبله :

إِذَا ذُكِرَتْ سَلْمَى لَهُ ، فَكَأَنَّمَا تَغَلْغَلَ طِفْلٌ فِى الفُؤَادِ وَجِيعُ
وَإِذْ دَهْرُنَا فِيهِ اغْتِرَارٌ ، وَطَيْرُنَا سَوَاكِنُ فِى أَوْكَارِهِنَّ وُقُوعُ
قَضَتْ مِنْ عِيافٍ وَالطَّرِيدَةِ حَاجَةً فَهُنَّ إِلَى لَهْوِ الحَدِيثِ خُضُوعُ
عَفَائِفَ إِلاَّ ذَاكَ . . . . . .
. . . . . .
فَآلَيتُ أَلْحَى عَاشِقاً ما سَرَى القَطَا وَأَجْدَرَ من وادِى نَطَاةَ وَلِيعُ

قوله : « طفل » ، أى طفل من هم الهوى والحب ، ينمو منذ كانوا أطفالا . وعياف ، والطريدة ؛ لعبتان من لعب صبيان الأعراب ، فيقول : إن سلمى وأترابها ، قد أدركن وكبرن ، فترفعن عن لعب الصغار والأحداث ، وحبب إليهن الحديث والغزل . فهن يخضعن له ويملن ، ولكنهن عفيفات مسلمات ، ليس لهن من نزوات الصبا إلا الأحاديث والغزل ، وإلا أن يعطف قلوبهن الهوى والعشق ، والهوى صروع قتال ، يصرع من يلم به . فلما رأى ذلك منهزومن نفسه ، أقسم أن لا يلوم محباً على فرط عشقه . وقوله : « أجدر » أى أخرج الشجر ثمره كالحمص . والوليع : طلع النخل . ووادى نطاة : بخيبر ، وهو كثير النخل .

فَأَدْنَتْ لِيَ ٱلْأَسْبَابَ حَتَّى بَلَغْتُهَا بِنَهْضِي، وَقَدْ كَادَ ٱرْتِقَائِي يَصُورُهَا(١)

يعنى : يقطعها . وإذا كان ذلك تأويل قوله : « فصرهن إليك » ، كان فى فى الكلام تقديم وتأخير ، ويكون معناه : فخذ أربعة من الطير إليك فصِرهن = ويكون « إليك » من صلة « خذ » .

* * *

وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة ﴿ فَصِرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾ بالكسر، بمعنى : قطعهن.

وقد زعم جماعة من نحويى الكوفة أنهم لا يعرفون : «فصُرهن» ولا «فصرهن» بمعنى : قطعهن ، فى كلام العرب — وأنهم لا يعرفون كسر « الصاد » وضمها فى ذلك إلا بمعنى واحد، = وأنهما جميعاً لغتان بمعنى « الإمالة » = وأن كسر «الصاد» منها لغة فى هذيل وسليم ، وأنشدوا لبعض بنى سليم : (٢)

وَفَرْعٍ يَصِيرُ ٱلْجِيدَ وَحْفٍ كَأَنَّهُ عَلَى ٱللِّيتِ قِنْوَانُ الكُرُومِ ٱلدَّوَالِحِ(٣)

---

(١) هذان البيتان من قصيدة طويلة عندى فى شعر توبة بن الحير . والبيت الأول هنا ينبغى أن يؤخر ، لأن المعنى لا يستقيم على رواية أبى جعفر : وترتيبها فى رواية شعره ، مع اختلاف الرواية :

فَنَادَيْتُ لَيْلَى ، وَالحُمُولُ كَأَنَّهَا مَوَاقِيرُ نَخْلٍ زَعْزَعَتْهَا دَبُورُهَا
فَقَالَتْ : أَرَى أَنْ لا تُفِيدَكَ صُحْبَتِي لِهَيْبَةِ أَعْدَاءٍ تَلَظَّى صُدُورُهَا
فَمَدَّتْ لِيَ الأَسْبَابَ حَتَّى بَلَغْتُهَا بِرِفْقٍ ، وَقَدْ كَادَ ارْتِقَائِي يَصُورُهَا
فَلَمَّا دَخَلْتُ الخِدْرَ أَطَّتْ نُسُوعُهُ وَأَطْرَافُ عِيدَانٍ شَدِيدٍ أُسُورُهَا

ورواية الطبرى « فلما جذبت الحبل » و « بأطراف عيدان » ، ليست جيدة ، والأسباب جمع سبب : وهى الحبال ، حتى يصعد إليها فى خدرها . وقوله « نهضى » فى روايته ، أى نهوضى وحركتى من حيث كنت مختفياً . وأط الرحل يئط : سمع صوت عيدانه وصريرها . والنسوع جمع نسع : وهو سير مضفور تشد به الرحال . كانت الحبال جديدة فأطت وسمع صوتها . والأسور جمع أسر : وهو عقد الخلق وقوته ، أى أن العيدان جديدة شديدة القوى ، متينة ، فذلك أشد لأطيطها .

(٢) لم أعرف قائله .

(٣) معانى القرآن للفراء ١ : ١٧٤ ، اللسان (صير) . الفرع : الشعر التام الجثل . وحف : أسود حسن كثير غزير . الليت : صفحة العنق ، وهما الليتان . وقنوان جمع قنو (بكسر فسكون) : وهو عذق النخل بما فيه من الرطب . واستعاره هنا

يعني بقوله : « يصير » ، يميل = وأنّ أهل هذه اللغة يقولون : « صاره وهو يصيره صَيرًا » ، « وصِرْ وَجهك إلىّ » ، أى أمله ، كما تقول : « صُره » .(١)

* * *

وزعم بعض نحويي الكوفة أنه لا يعرف لقوله : «فصُرهن » ، ولا لقراءة من قرأ « فصرهن » بضم « الصاد » وكسرها ، وجهاً في التقطيع ،(٢) إلا أن يكون : « فصِرْهن إليك» ! في قراءة من قرأه بكسر « الصاد » من المقلوب . وذلك أن تكون « لام » فعله جعلت مكان عينه ، وعينه مكان لامه . فيكون من : « صرَى يصرى صَرْياً » ، فإن العرب تقول : « بات يَصْرِى في حوضه » ، إذا استقى ، ثم قطع واستقى ،(٣) ومن ذلك قول الشاعر :(٤)

صَرَتْ نَظْرَةً ، لَوْ صَادَفَتْ جَوْزَ دَارِعٍ غَدَا وَالْعَوَاصِي مِنْ دَمِ الْجَوْفِ تَنْعَرُ(٥)

« صَرَت » ، قطعتْ نظرة ، ومنه قول الآخر :(٦)

يَقُولُونَ : إنّ الشأْمَ يَقْتُلُ أَهْلَهُ ! فَمَنْ لِي إذَا لَمْ آتِهِ بِخُلُودِ !!
تَعَرَّبَ آبَائِي ، فَهَلَّا صَرَاهُمُ مِنَ الْمَوْتِ أَنْ لَمْ يَذهبُوا ، وجُدُودِي !؟(٧)

لعناقيد العنب . والدوالح جمع دالح : وهو المثقل بالحمل هنا . وأصله فيما يمشى ، يقال بعير دالح : إذا مشى بحمله الثقيل مشياً غير منبسط . وكذلك السحاب دالح ، أى مثقل بطىء المر . وهى استعارة جيدة محكمة .

(١) انظر ما سلف في معانى القرآن للفراء ١ : ١٧٤ .
(٢) أى : بمعنى التقطيع .
(٣) هذا بيان جيد ، لا تجده في كتب اللغة .
(٤) لم أعرف قائله .
(٥) اللسان (نعر) (عصا) ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ١٧٤ — جوز كل شيء : وسطه ، والدراع : لابس الدرع . والعواصى جمع عاص ، يقال : « عرق عاص » وهو الذى لا يرقأ ولا ينقطع دمه ؛ كأنه يعصى في الانقطاع الذى يبغى منه ولا يطيع ، وأشد ما يكون ذلك في عروق الجوف . ونعر العرق بالدم : إذا فار فوراناً لا يرقأ ، كأن له صوتاً من شدة خروج الدم منه . فهو نعار ونعور .
(٦) لم أعرف قائلهما .
(٧) معانى القرآن للفراء ١ : ١٧٤ ، معجم ما استعجم : ٧٧٣ ، اللسان (عرب) (شأم) . وتعرب القوم : أقاموا بالبادية ، ولم يحضروا القرى . يقول سكن آبائى وجدودى البوادى وأقاموا فيها ولم

يعنى : قطعهم ، ثم نقلت ياؤها التى هى لام الفعل ، فجعلت عينا للفعل ، وحوّلت عينها فجعلت لامها ، فقيل : « صار يصير » ، كما قيل : « عَشِى يَعْشَى عَشاً » ، ثم حولت لامها فجعلت عينها ، فقيل : « عاث يعيث » .[1]

* * *

فأما نحويو البصرة فإنهم قالوا : « فصرهن إليك » سواء معناه إذا قرئ بالضم من الصاد وبالكسر ، فى أنه معنىٌّ به فى هذا الموضع : التقطيع . قالوا : وهما لغتان : إحداهما : « صار يصور » ، والأخرى : « صَار يصير » ، واستشهدوا على ذلك ببيت توبة بن الحمير الذى ذكرنا قبل ، وببيت المعلّى بن جَمّال العبدى[2]

وَجَاءَت خُلْعَةٌ دُهْسٌ صَفَايَا يَصُورُ عُنُوقَهَا أُحْوَى زَنِيمُ[3]

يحضروا القرى ، فلم يك ذلك نجاة لهم من المنايا . وقوله : « وجدودى » عطف على « آبائى » ، ورواية البيت فى اللسان أجود :

تَعَرَّبَ آبَائِى ، فَهَلَّا صَرَاهُمُ مِنَ المَوْتِ رَمْلَا عَالِجٍ وزَرُودِ

وهما موضعان مصحان من أرض العرب .

(١) انظر ما سلف من ذلك فى ٢ : ١٢٣ ، ١٢٤ .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « بن حماد » ، وهو تصحيف ، فإن المراجع كلها اتفقت على أنه « بن جمال » بالجيم أو « بنى حمال » بالحاء . وهو ينسب لأوس بن حجر التميمى ، ولآخر غيره يقال له : أوس بن حجر كما ترى فى المراجع المذكورة بعد .

(٣) مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٨١ ، وأمالى القالى ٢ : ٥٢ ، والتنبيه : ٩٣ ، وسمط اللآلى : ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ثم فى لسان العرب (ظأب) (ظاب) (صور) (دهس) (خلع) (صوع) (عنق) (زنم) ، وفى كتب أخرى ، ويأتى البيت منسوباً لأوس بن حجر هكذا :

يَصُوعُ عُنُوقَهَا أُحْوَى زَنِيمٌ لَهُ ظَأْبٌ كَمَا صَخِبَ الغَرِيمُ

وهو بيت ملفق ، وصواب رواية الشعر مادة (زنم) من اللسان :

وَجَاءَتْ خُلْعَةٌ دُهْسٌ صَفَايَا يَصُوعُ عُنُوقَهَا أُحْوَى زَنِيمُ
يُفَرِّقُ بَينَهَا صَدْعٌ رَبَاعٌ لَهُ ظَأْبٌ كَمَا صَخِبَ الغَرِيمُ

الخلعة بكسر الخاء وضمها : خيار المال ، يعنى المعزى التى سيقت إليه ، كانت كلها خياراً . والدهس جمع دهساء : وهى من المعزى ، السوداء المشربة حمرة لا تغلو . وقوله : « يصوع » هذه الرواية أخرى بمعنى

٣٧/٣ بمعنى : يفرّق عنوقها ويقطعها = وببيت خنساء :

« لَظَلَّتْ الشُّمُّ مِنْهَا وَهْيَ تَنْصَارُ »(١)

يعني بالشم : الجبال ، أنها تتصدع وتتفرق — وببيت أبي ذؤيب :

فَانْصَرْنَ مِنْ فَزَعٍ وَسَدَّ فُرُوجَهُ غُبْرٌ ضَوَارٍ : وَافِيَانِ وَأَجْدَعُ(١)

قالوا : فلقول القائل : « صُرْت الشيء » ، معنيان : أملته ، وقطعته . وحكوا سماعاً : « صُرْنا به الحكم » ، فصلنا به الحكم .

* * *

يفرق . وذلك إذا أراد سفادها . والتيس إذا أرسل فى الشاء صاعها ، أى فرقها إذا أراد سفادها . وعنوق جمع عناق : وهى أنثى المعز . وهو جمع عزيز . والأحوى : الذى تضرب حمرته إلى السواد ، يعنى تيس المعز ، ويعنى أنه كريم . والزنيم : الذى له زنمتان فى حلقه . والصدع (بفتح الصاد وسكون الدال أو فتحها) : وهو الفتى الشاب المدمج الخلق ، الصلب القوى . ورباع : أى دخل فى السنة الرابعة ، وذلك فى عز شبابه وقوته . وظأب التيس : صوته وجلبته وصياحه وصخبه ، وهو أشد ما يكون منه عند السفاد . والغريم : الذى له الدين على المدين ، ويقال للمدين غريم . يقول : إذا أراد سفادها هاج وفرقها ، وكان له صخب كصخب صاحب الدين على المدين الذى يماطله ويماحكه ويلويه دينه .

(١) مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٨١ وفيه مراجعه . والبيت ليس فى ديوانها .

(٢) ديوانه : ١٢ المفضليات : ٨٧٣ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة : ٨١ ، والأضداد للأصمعى وابن السكيت ٣٣ ، ١٨٧ . وهذه الرواية التى رواها أبو عبيدة والأصمعى وابن السكيت والطبرى « فانصرن » ، رواية غريبة ، وهى فى سياقه الشعر أغرب . وأنا أنكر معناها وأجده مخلا بالشعر . وذلك أن سياقه فى صفة ثور الوحش ، ثور مسن قد تقضى شبابه ، لم تزل كلاب القناص تروعه حتى شعفت فؤاده . فإذا أصبح الصباح داخله الفزع خشية أن يباكره صياد بكلابه . فهو لايزال يرى بعينيه فى غيوب الأرض ثم يغضى ليتسمع ، فيصدق سمعه ما يرى . وهو عندئذ واقف فى الشمس يتشمس من ندى الليل ، فيقول أبو ذؤيب :

فَغَدَا يُشَرِّقُ مَتْنَهُ ، فَبَدَا لَهُ أُولَى سَوَابِقِهَا قَرِيباً تُوزَعُ

يقول : بدت له طلائع الكلاب قد دنت منه ، والقناص يكفها حتى يرسلها جميعاً عليه .

فَاهْتَاجَ من فَزَعٍ ، وسَدَّ فُرُوجَهُ غُبْرٌ ضَوارٍ : وَافِيَان وَأَجْدَعُ

يقول هاجه الفزع فعدا عدواً شديداً والكلاب من خلفه وحواليه قد أخذت عليه مذهبه . ويروى « فانصاع من فزع » أى ذهب فى شق . والغبر الضوارى : هى كلاب الصياد ، « منها وافيان » : كلبان سالما الأذنين . والأجدع : مقطوع الأذن . إما علامة له ، وإما من طول ممارسته لصيد الثيران وضربها له بقرونها حتى انقطعت آذانه .

قال أبو جعفر : وهذا القول الذى ذكرناه عن البصريين =: من أن معنى الضم فى « الصاد» من قوله : «فصرهن إليك » والكسر ، سواء بمعنى واحد — وأنهما لغتان ، معناهما فى هذا الموضع : فقطعهن — وأنّ معنى « إليك » تقديمها قبل « فصرهن » ، من أجل أنها صلة قوله « فخذ » =[1] أولى بالصواب من قول الذين حكينا قولهم من نحويّى الكوفيين ، الذين أنكروا أن يكون للتقطيع فى ذلك وجه مفهوم إلا على معنى القلب الذى ذكرت —[2] لإجماع أهل التأويل على أن معنى قوله : « فصرهن» غير خارج من أحد معنيين : إما « قطّعهن» ، وإما « اضمُمْهن إليك » ، بالكسر قرئ ذلك أو بالضم . فى إجماع جميعهم على ذلك = على غير مراعاة منهم كسر الصاد وضمها ، ولا تفريق منهم بين معنيي القراءتين ، أعنى الكسر والضم = أوضح الدليل على صحّة قول القائلين من نحويي أهل البصرة فى ذلك ما حكينا عنهم من القول ، وخطأ قول نحويي الكوفيين . لأنهم لو كانوا إنما تأولوا قوله : « فصرهن » بمعنى فقطعهن ، على أنّ أصل الكلام « فاصرهن» ، ثم قلبت فقيل : « فصرْهن» بكسر «الصاد » ، لتحول « ياء » ، « فاصرهن » مكان رائه ، وانتقال رائه مكان يائه ، لكان لا شكّ — مع معرفتهم بلغتهم وعلمهم بمنطقهم — قد فصلوا بين معنى ذلك إذا قرئ بكسر صاده ، وبينه إذا قرئ بضمها . إذ كان غير جائز لمن قلب «فاصرِهن» إلى «فصيرْهن» أن يقرأه «فصُرْهن » بضم الصاد . وهم ، مع اختلاف قراءتهم ذلك ، قد تأولوه تأويلاً واحداً على أحد الوجهين اللذين ذكرنا ، ففى ذلك أوضحُ الدليل على خطأ قول من قال إن ذلك إذا قرئ بكسر « الصاد » بتأويل : التقطيع ، مقلوب من : « صَرِى يَصْرَى » إلى « صار يصير » = وجهل من زعم أن قول القائل : « صار يصور» ، « وصار يصير » غير معروف فى كلام العرب بمعنى : قطع .

* * *

(١) قوله « أولى بالصواب» ، خبر قوله : « وهذا القول الذى ذكرناه . . . أولى بالصواب . . . »

(٢) سياق العبارة : « . . . أولى بالصواب . . . لإجماع جميع أهل التأويل . . . »

ذكر من حضرنا قوله فى تأويل قول الله تعالى ذكره : « فصرهن » أنه بمعنى : فقطعهن :

٥٩٩٤ – حدثنا سليمان بن عبد الجبار قال، حدثنا محمد بن الصلت قال، حدثنا أبو كدينة، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس : « فصرهن »، قال : هى نبطيَّة، فشقِّقْهن .(١)

٥٩٩٥ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة، عن أبى جَمْرة، عن ابن عباس أنه قال فى هذه الآية : « فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك »، قال : إنما هو مثلٌ . قال : قطعهن، ثم اجعلهن فى أرباع الدنيا رُبعاً ههنا ورُبعاً ههنا، ثم ادعهن يأتينك سعياً .(٢)

٥٩٩٦ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنى معاوية، عن على بن أبى طلحة، عن ابن عباس : « فصرهن »، قال : قطعهن .

٥٩٩٧ – حدثنى يعقوب قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا حصين، عن أبى مالك فى قوله : « فصرهن إليك »، يقول : قطعهن .

٥٩٩٨ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال، أخبرنا هشيم، عن حصين، عن أبى مالك مثله .

٥٩٩٩ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يحيى بن يمان، عن أشعث، عن

---

(١) الأثر : ٥٩٩٤ – « سليمان بن عبد الجبار بن زريق الخياط » . قال ابن أبى حاتم : سئل عنه أبى فقال : صدوق، وسمعت حجاج بن الشاعر يبالغ فى الثناء عليه ويذكره بالخير . مترجم فى التهذيب، وتاريخ بغداد ٩ : ٥٢ . و « محمد بن الصلت بن الحجاج الأسدى » مضى برقم : ٣٠٠٢. و « أبو كدينة » هو : يحيى بن المهلب البجلى . مضى فى رقم ٤١٩٣ بغير ترجمة . قال ابن معين وأبو داود والنسائى : ثقة . مترجم فى التهذيب .

(٢) الأثر : ٥٩٩٥ – « أبو جمرة » هو : نصر بن عمران بن عصام الضبعى . روى عن أبيه وابن عباس وابن عمر وغيرهم . وعنه شعبة وإبراهيم بن طهمان وابنه علقمة وغيرهم . مترجم فى التهذيب . وقد مضى غير مترجم فى رقم : ٣٢٥٠، وسقط فى الطبع من اسمه راء « جمرة » . وفى المطبوعة والمخطوطة « أبو حمزة »، وهو خطأ .

جعفر ، عن سعيد: « فصرهن»، قال قال : جناح ذِه عند رأس ذِه ، ورأس ذِه عند جناح ذِه .

٦٠٠٠ ــ حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه قال : زعم أبو عمرو ، عن عكرمة فى قوله : « فصرهن إليك »، قال قال عكرمة : بالنبطيَّة ، قطّعهن . ٣٨/٣

٦٠٠١ ــ حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن يحيى ، عن مجاهد : « فصرهن إليك »، قال : قطعهن .

٦٠٠٢ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فصرهن إليك » ، انتفهن بريشهن ولحومهن تمزيقاً ، (١) ثم اخلط لحومهن بريشهن .

٦٠٠٣ ــ حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فصرهن إليك » ، قال : انتفهن بريشهن ولحومهن تمزيقاً . (١)

٦٠٠٤ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فصرهن إليك » ، أمر نبىُّ الله صلى الله عليه وسلم أن يأخذ أربعة من الطير فيذبحهن ، ثم يخلط بين لحومهن وريشهن ودمائهن .

٦٠٠٥ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « فصرهن إليك » ، قال فرقهن . قال : أمر أن يخلط الدماء بالدماء ، والريش بالريش، « ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً » .

٦٠٠٦ ــ حدثت عن الحسين بن الفرج قال : سمعت أبا معاذ قال، أخبرنا

---

(١) هكذا جاء فى الموضعين ، فى المخطوطة والمطبوعة ، إلا أنها فى المطبوعة : « انتفهن » منقوطة وفى المخطوطة : « اسمهن » غير منقوطة . وأنا أرى أن أقرأها : « أشبعهن ، ريشهن ولحومهن تمزيقاً » ، أو حرفاً يقارب هذا المعنى .

عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك : « فصرهن إليك » ، يقول : فشققهن ، وهو بالنبطية « صرّى » ، وهو التشقيق .

٦٠٠٧ – حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فصرهن إليك » ، يقول قطعهن .

٦٠٠٨ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « فصرهن إليك » ، يقول : قطعهن إليك ومزقهن تمزيقاً .

٦٠٠٩ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « فصرهن إليك » أى قطعهن . وهو « الصَّوْر » فى كلام العرب .

* * *

قال أبو جعفر : ففيما ذكرنا من أقوال من روينا قوله فى تأويل قوله : « فصرهن إليك » أنه بمعنى : فقطعهن إليك ، دلالةٌ واضحة على صحة ما قلنا فى ذلك ، وفسادِ قول من خالفنا فيه .

وإذ كان ذلك كذلك، فسواءٌ قرأ القارئ ذلك بضم « الصاد » : « فصُرْهن إليك »، أو كسرها « فصِرْهن »، إذ كانتا لغتين معروفتين بمعنى واحد .[1] غير أن الأمر وإن كان كذلك، فإن أحبّهما إلىّ أن أقرأ به : « فصُرْهن إليك » ، بضم « الصاد » ، لأنها أعلى اللغتين وأشهرهما ، وأكثرهما فى أحياء العرب .

* * *

[وأما قول من تأوّل قوله : « فصرهن إليك » بمعنى : اضممهنّ إليك ووجّهن نحوك واجمعهن ، فهو قولٌ قال به من أهل التأويل نفر قليل] .[2]

---

(١) فى المطبوعة : « أن كانت اللغتان معروفتين » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، لسرعة الكاتب فيما كتب وإهماله .

(٢) هذا الذى بين القوسين زيادة استظهرتها من سياق التفسير ، وهو رده على القول الأول الذى مضى فى ص ٤٩٦ س ٣ إلى س ٧ ، ولم يعد ثانية إلى ذكره . وكان مكانه فى المطبوعة : « وعند نفر قليل من أهل التأويل أنها بمعنى : أوثق » . وهو تصرف من ناسخ قديم أو طابع . أما المخطوطة ، فكان نصها هكذا متصلا بما قبله وما بعده . « وأكثرهما فى أحياء العرب من أهل التأويل نفر قليل » ذكر

• ذكر من قال ذلك :

٦٠١٠ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « فصرهن إليك » ، « صرهن » : أوثِقْهُنّ .

٦٠١١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قلت لعطاء قوله : « فصرهن إليك » ، قال : اضممهن إليك .

٦٠١٢ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « فصرهن إليك » ، قال : اجمعهن .

• • •

القول في تأويل قوله ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : « ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً » .

فقال بعضهم : يعني بذلك : على كل ربع من أرباع الدنيا جزءاً منهن .

• ذكر من قال ذلك :

٦٠١٣ – حدثني المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي جمرة ، عن ابن عباس : « ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً » ، قال : اجعلهن في أرباع الدنيا : ربعاً ههنا ، وربعاً ههنا ، وربعاً ههنا ، وربعاً ههنا ، « ثم ادعهن يأتينك سعياً » .(١)

من قال ذلك » . والذي استظهرته أقرب إلى سياق التفسير إن شاء الله . وهذا دليل آخر على شدة إهمال الناسخ في كثير من المواضع لعجلته وقلة حذره .

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « عن أبي حمزة » ، وهو خطأ . انظر ما سلف من التعليق على الأثر : ٥٩٩٥ .

٦٠١٤ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: «ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً»، قال: لما أوثقهن ذبحهن، ثم جعل على كل جبل منهن جزءاً.

٦٠١٥ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قال: أمر نبي الله أن يأخذ أربعة من الطير فيذبحهن، ثم يخلط بين لحومهن وريشهن ودمائهن، ثم يجزئهن على أربعة أجبُل. فذكر لنا أنه شكل على أجنحتهن، [1] وأمسك برؤوسهن بيده، فجعل العظم يذهب إلى العظم، والريشة إلى الريشة، والبَضعة إلى البَضعة، وذلك بعين خليل الله إبراهيم صلى الله عليه وسلم. ثم دعاهن فأتينه سعياً على أرجلهن، ويلقى إلى كل طير برأسه. [2] وهذا مثل آتاه الله إبراهيم، يقول: كما بعث هذه الأطيار من هذه الأجبل الأربعة، كذلك يبعث الله الناسَ يوم القيامة من أرباع الأرض ونواحيها. ٣٩/٣

٦٠١٦ – حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قال: ذبحهن، ثم قطعهن، ثم خلط بين لحومهن وريشهن، ثم قسّمهن على أربعة أجزاء، فجعل على كل جبل منهن جزءاً. فجعل العظم يذهب إلى العظم، والريشة إلى الريشة، والبَضعة إلى البضعة، وذلك بعين خليل الله إبراهيم. ثم دعاهن فأتينه سعياً، يقول: شدًّا على أرجلهن. وهذا مثل أراه الله إبراهيم، يقول: كما بعثتُ هذه الأطيار من هذه الأجبل الأربعة، كذلك يبعث الله الناس يوم القيامة من أرباع الأرض ونواحيها.

٦٠١٧ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثنا ابن إسحق، عن بعض أهل العلم: أن أهل الكتاب يذكرون أنه أخذَ الأطيار الأربعة، ثم قطّع

---

(١) لم أفهم لقوله: «شكل على أجنحتهن» معنى، ولعل فيها تصحيفاً لم أتبينه؛ ولعل معناه أنه نثر ريش أجنحتهن. ولم أجد الخبر في مكان آخر.

(٢) في المطبوعة والمخطوطة: «ويلقى كل طير برأسه»، والصواب زيادة «إلى».

كل طير بأربعة أجزاء ، ثم عمد إلى أربعة أجبال فجعل على كل جبل ربعاً من من كل طائر . فكان على كل جبل ربع من الطاوس ، وربع من الديك ، وربع من الغراب ، وربع من الحمام . ثم دعاهن فقال : « تعالين بإذن الله كما كنتُنّ » ، فوثب كل ربع منها إلى صاحبه حتى اجتمعن ، فكان كل طائر كما كان قبل أن يقطعه . ثم أقبلن إليه سعياً كما قال الله . وقيل : يا إبراهيم ، هكذا يجمع الله العباد ويحيي الموتى للبعث من مشارق الأرض ومغاربها وشامِها ويَمنها ! فأراه الله إحياء الموتى بقدرته حتى عرف ذلك، يعني : ما قال نمروذ من الكذب والباطل.(١)

٦٠١٨ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً » ، قال : فأخذ طاووساً ، وحمامة ، وغراباً ، وديكاً. ثم قال : فرّقهن ، اجعل رأس كل واحد وجؤشوش الآخر وجناحي الآخر ورجلي الآخر معه . (٢) فقطعهن وفرقهن أرباعاً على الجبال ، ثم دعاهن فجئنه جميعاً ، فقال الله : كما ناديتهن فجئنَك ، فكما أحييت هؤلاء وجمعتهن بعدَ هذا ، فكذلك أجمع هؤلاء أيضاً – يعني الموتى .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ثم اجعل على كل جبل من الأجبال التي كانت الأطيار والسباع التي كانت تأكل من لحم الدابة التيَ رآها إبراهيم ميتة ، فسأل إبراهيم عند رؤيته إياها ، أن يريه كيف يحييها وسائر الأموات غيرها . وقالوا : كانت سبعة أجبال .

* ذكر من قال ذلك :

٦٠١٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : لما قال إبراهيم ما قال = عند رؤيته الدابة التي تفرقت الطيرُ

---

(١) في المطبوعة : «بغير ما قال نمرود . . . » وفي المخطوطة : « بعبر ما قال » غير منقوطة ، وصواب قراءتهما أثبت . وهذا تفسير للإشارة في قوله : « حتى عرف ذلك » .

(٢) الجؤشوش : الصدر . يقال : « مضى جؤشوش من الليل » أي : صدر منه ، مجاز من ذلك.

والسباع عنها حين دنا منها ، وسأل ربَّه ما سأل = قال : « فخذ أربعة من الطير » ، = قال ابن جريج : فذبحها = ثم اخلط بين دمائهن وريشهن ولحومهن ،(١) ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً حيث رأيت الطيرَ ذهبت والسباعَ . قال : فجعلهن سبعة أجزاء ، وأمسك رؤوسهن عنده ، ثم دعاهن بإذن الله ، فنظر إلى كل قطرة من دم تطير إلى القطرة الأخرى ، وكل ريشة تطير إلى الريشة الأخرى ، وكل بَضْعة وكل عظم يطير بعضه إلى بعض من رؤوس الجبال ، حتى لقيت كل جثة بعضها بعضاً فى السماء ، ثم أقبلن يسعَيْن ، حتى وصلت رأسها .

٦٠٢٠ — حدثنى موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : « فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك »، ثم اجعل على سبعة أجبال ، فاجعل على كل جبل منهن جزءاً، ثم ادعهن يأتينك سعياً . فأخذ إبراهيم أربعة من الطير فقطّعهن أعضاء، لم يجعل عضواً من طير مع صاحبه . ثم جعل رأس هذا مع رجل هذا ، وصدر هذا مع جناح هذا ، وقسّمهن على سبعة أجبال ، ثم دعاهن فطار كل عضو إلى صاحبه ، ثم أقبلن إليه جميعاً .

* * *

وقال آخرون : بل أمره الله أن يجعل ذلك على كل جبل

* ذكر من قال ذلك :

٤٠/٣ ٦٠٢١ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد : « ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً »، قال: ثم بدِّدهن على كل جبل ، يأتينك سعياً ، وكذلك يُحيى الله الموتى .

٦٠٢٢ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : ثم اجعلهن أجزاء على كل جبل ، ثم ادعهن يأتينك سعياً ، كذلك يحيى الله الموتى . هو مثل ضربه الله لإبراهيم .

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « ثم خلط . . . » ، فعل ماض ، والصواب ما أثبت .

٦٠٢٣ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال مجاهد: « ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً » ، ثم بددهن أجزاءً على كل جبل = « ثم ادعهن » ، تعالين بإذن الله . فكذلك يُحيي الله الموتى . مثل ضربة الله لإبراهيم صلى الله عليه وسلم .

٦٠٢٤ – حدثني المثنى قال، حدثني إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : أمره أن يُخالف بين قوائمهن ورؤوسهن وأجنحتهن ، ثم يجعل على كل جبل منهن جزءاً .

٦٠٢٥ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً » ، فخالف إبراهيم بين قوائمهن وأجنحتهن .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلات بالآية ما قاله مجاهد ، وهو أن الله تعالى ذكره أمرَ إبراهيم بتفريق أعضاء الأطيار الأربعة ، بعد تقطيعه إياهن ، على جميع الأجبال التي كان يصل إبراهيم في وقت تكليف الله إياه تفريقَ ذلك وتبديدَها عليها أجزاء . لأن الله تعالى ذكره قال له : « ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ، و « الكل » حرف يدل على الإحاطة بما أضيف إليه ، لفظه واحد ومعناه الجمع .(١)

فإذ كان ذلك كذلك ، فلن يجوز أن تكون الجبال التي أمر الله إبراهيمَ بتفريق أجزاء الأطيار الأربعة عليها ، خارجةً من أحد معنيين : إما أن تكون بعضاً، أو جميعاً .(٢)

فإن كانت « بعضاً »، فغير جائز أن يكون ذلك البعض إلا ما كان لإبراهيم

---

(١) انظر ما سلف في معنى « كل » ٣ : ١٩٥ .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « أو جمعاً » ، والصواب ما أثبت ، وسيأتي على الصواب بعد قليل في المخطوطة .

السبيلُ إلى تفريق أعضاء الأطيار الأربعة عليه .

= أو يكون « جميعاً » ، فيكون أيضاً كذلك . (١)

وقد أخبر الله تعالى ذكره أنه أمره بأن يجعل ذلك على « كل جبل » ، وذلك إما كل جبل من أجبل قد عرفهن إبراهيم بأعيانهن ، (٢) وإمّا ما فى الأرض من الجبال .

فأما قول من قال : « إن ذلك أربعة أجبل » ، وقول من قال : « هن سبعة » ، فلا دلالة عندنا على صحة شىء من ذلك ، فنستجيز القول به ، وإنما أمر الله إبراهيم صلى الله عليه وسلم أن يجعل الأطيار الأربعة أجزاء متفرقة على كل جبل ، ليرى إبراهيم قدرته على جمع أجزائهن وهنّ متفرقات متبدّدات فى أماكن مختلفة شتى ، حتى يؤلف بعضهن إلى بعض ، فيعدن = كهيئتهن قبل تقطيعهن وتمزيقهن ، وقبل تفريق أجزائهن على الجبال = أطياراً أحياءً يطرن ، فيطمئنّ قلب إبراهيم ، ويعلم أنّ كذلك جَمْعُ الله أوصال الموتى لبعث القيامة ، (٣) وتأليفه أجزاءهم بعد البلى ، وردّ كل عضو من أعضائهم إلى موضعه كالذى كان قبل الردَى . (٤)

* * *

قال أبو جعفر : و« الجزْء » من كل شىء هو البعض منه ، كان منقسماً جميعه عليه على صحة ، أو غير منقسم . فهو بذلك من معناه مخالف معنى « السهم » . لأن « السهم » من الشىء ، هو البعض المنقسم عليه جميعه على صحة . ولذلك كثر استعمال الناس فى كلامهم عند ذكرهم أنصباءَهم من المواريث : « السهام » دون « الأجزاء » . (٥)

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « جمعاً » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « من كل جبل وقد عرفهن . . . » فى المخطوطة : « . . . قد عرفهن » بغير واو . وقد زدت « من أجبل » حتى تستقيم العبارة ، مستظهراً مما مضى .

(٣) فى المطبوعة : « أن كذلك يجمع الله ... » وأثبت ما فى المخطوطة .

(٤) فى المطبوعة : « قبل الرد » ، والصواب من المخطوطة . والردى : الهلاك .

(٥) هذه تفرقة جيدة قلما تصيبها فى كتب اللغة ، فقيدها .

وأما قوله : « ثم ادعهن » ، فإن معناه ما ذكرت آنفاً عن مجاهد ، أنه قال : هو أنه أمر أن يقول لأجزاء الأطيار بعد تفريقهن على كل جبل : « تعالين بإذن الله » .

* * *

فإن قال قائل : أمر إبراهيم أن يدعوهنّ وهن ممزّقات أجزاءً على رؤوس الجبال ، أمواتاً أم بعد ما أحيين ؟ فإن كان أمر أن يدعوهنّ وهن ممزقات لا أرواح فيهن ، فما وجه أمر من لا حياة فيه بالإقبال ؟ وإن كان أمر بدعائهن بعد ما أحيين ، فما كانت حاجة إبراهيم إلى دعائهن ، وقد أبصرهن يُنْشرن على رؤوس الجبال ؟

قيل : إن أمر الله تعالى ذكره إبراهيمَ صلى الله عليه وسلم بدعائهن وهن أجزاء متفرقات ، إنما هو أمر تكوين = كقول الله للذين مسخهم قردة بعد ما كانوا إنساً : ﴿ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ [سورة البقرة : ٦٥] = لا أمرَ عبادةٍ ، فيكون محالاً إلا بعد وجُود المأمور المتعبَّد . ٤١/٣

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢٦٠)

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بذلك : « واعلم » ، يا إبراهيم ، أن الذي أحيي هذه الأطيار بعد تمزيقك إياهن ، وتفريقك أجزاءهن على الجبال ، فجمعهن وردّ إليهن الروح حتى أعادهن كهيئتهنّ قبل تفريقكَهُنّ = « عزيز » ، في بطشه إذا بطش بمن بطش من الجبابرة والمتكبرة ، الذين خالفوا أمرَه ، وعصوا رُسله ، وعبدوا غيره ، وفي نقمته حتى ينتقم منهم = « حكيم » في أمره .

* * *

٦٠٢٦ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثنا ابن إسحق : « واعلم أن الله عزيز حكيم » ، قال : عزيز في بطشه ، حكيم في أمره .

٦٠٢٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « واعلم أن الله عزيز » فى نقمته = « حكيم » فى أمره .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ﴾

قال أبو جعفر : وهذه الآية مردودة إلى قوله : ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [سورة البقرة : ٢٤٥] . والآياتُ التى بعدها إلى قوله : « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله » ، من قصص بنى إسرائيل وخبرهم مع طالوت وجالوت ، وما بعد ذلك من نبأ الذى حاجّ إبراهيم مع إبراهيم ، وأمْرِ الذى مرّ على القرية الخاوية على عروشها ، وقصة إبراهيم ومسألته ربَّه ما سأل ، مما قد ذكرناه قبل =(١) اعتراض من الله تعالى ذكره بما اعترضَ به من قصصهم بين ذلك ، احتجاجاً منه ببعضه على المشركين الذين كانوا يكذبون بالبعث وقيام الساعة = وحضًّا منه ببعضه للمؤمنين على الجهاد فى سبيله الذى أمرهم به فى قوله : ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة : ٢٤٤] ، يعرّفهم فيه أنه ناصرهم وإن قل عددهم وكثر عدَد عدوّهم ، ويعدهم النصرة عليهم ، ويعلّمهم سنته فيمن كان على منهاجهم من ابتغاء رضوان الله أنه مؤيدهم ، وفيمن كان على سبيل أعدائهم من الكفار بأنه خاذلهم ومفرّق جمعهم ومُوهِنُ كيدهم = وقطعاً منه ببعضه علرَ اليهود الذين كانوا بين ظهرانَىْ مُهاجَر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أطلع نبيَّه عليه من خفى أمورهم

(١) سياق الجملة : « والآيات التى بعدها . . . اعتراض من الله تعالى . . . » مبتدأ وخبره .

ومكتوم أسرار أوائلهم وأسلافهم التى لم يعلمها سواهم ، ليعلموا أن ما أتاهم به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله، وأنه ليس بتخرُّص ولا اختلاق، = وإعذاراً منه به إلى أهل النفاق منهم، ليحذروا بشكّهم فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم أن يُحلّ بهم من بأسه وسطوته مثل الذى أحلّهما بأسلافهم الذين كانوا فى القرية التى أهلكها فتركها خاوية على عروشها .

ثم عاد تعالى ذكره إلى الخبر عن «الذى يقرض الله قرضاً حسناً»، وما عنده له من الثواب على قَرْضه ، فقال : « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله » ، يعنى بذلك: مثل الذين ينفقون أموالهم على أنفسهم فى جهاد أعداء الله بأنفسهم وأموالهم = « كمثل حبة » من حبات الحنطة أو الشعير أو غير ذلك من نبات الأرض التى تُسَنْبِل رَيْعَها بذرها زارع [1] = « فأنبتت »، يعنى : فأخرجت= «سبع سنابلَ فى كل سنبلة مئة حبة » ، يقول : فكذلك المنفق ماله على نفسه فى سبيل الله ، له أجره سبعمئة ضعف على الواحد من نفقته ، كما : —

٦٠٢٨ — حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مئة حبة » ، فهذا لمن أنفق فى سبيل الله ، فله أجرُه سبعمئة . [2]

٦٠٢٩ — حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء » ، قال : هذا الذى ينفق على نفسه فى سبيل الله ويخرُج .

---

(١) فى المطبوعة : « تسنبل سنبلة بذرها زارع » ، وضبع « سنبلة » مكان « ريعها » ، ظنها محرفة. وريع البذر : فضل ما يخرج من البزر على أصله . وهو من « الريع » بمعنى النماء والزيادة . والمعنى : تسنبل أضعافها زيادة وكثرة .

(٢) فى المطبوعة : « فله سبعمئة » بحذف « أجره » ، وفى المخطوطة : « فله سبعمئة » بياض بين الكلمتين ، وأتممت العبارة من الدر المنثور ١ : ٣٣٦ ، وفيه : « فله أجره سبعمئة مرة » .

٦٠٣٠ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة » الآية ، فكان من بايع النبي صلى الله عليه وسلم على الهجرة ورابط مع النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، ولم يلق وجهاً إلا بإذنه ،[1] كانت الحسنة له بسبعمئة ضعف ، ومن بايع على الإسلام كانت الحسنة له عشر أمثالها . ٤٢/٣

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : وهل رأيتَ سنبلة فيها مئة حبة أو بلغتْك ، فضرب بها مثلَ المنفق في سبيل الله ماله ؟[2]

قيل : إن يكن ذلك موجوداً فهو ذاك،[3] وإلا فجائز أن يكون معناه : كمثل سنبلة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة ، إنْ جَعل الله ذلك فيها . ويحتمل أن يكون معناه : في كل سنبلة مئة حبة ، يعني أنها إذا هي بذرت أنبتت مئة حبة = فيكون ما حدث عن البذر الذي كان منها من المئة الحبة، مضافاً إليها،

---

(١) في المخطوطة : « لم يلف وجهاً » ، والذي في المطبوعة لا بأس به ، وإن كنت في شك منه . وفي الدر المنثور ١ : ٣٣٦ « لم يذهب وجهاً » .

(٢) في هامش المخطوطة تعليق على هذا السؤال ، وهو أول تعليق أجده على هذه النسخة بخط غير خط كاتبها ، وهو مغربي كما سيتبين مما كتب ، وبعض الحروف متآكل عند طرف الهامش ، فاجتهدت في قراءتها :

« أقول : بل ذلك ثابت محقّق مشاهدٌ في البلاد ، وأكثر منه . فإن سنبل تلك البلاد يكثر حبّه وفروعه إلى ما يقارب الفتر . ولقد عدت من فروع حبة واحدة ثلاثة وستين فرعاً ، وشاهدت قريباً من ذلك مراراً . فقد أراني بعض أصحابي جملة من ذلك . . . ، كان أقل ما عددناه للحبة ثلاثة عشر سنبلة إلى ما يبلغ أو يزيد على ما ذكرت أولاً من العدد. كتبه محمد بن محمود الجزائري الحنفي »

ثم انظر ما قاله القرطبي وغيره في سائر كتب التفسير .

(٣) في المخطوطة « قيل قيل أن يكون ذلك موجود فهو ذاك » ، وهو خطأ ولاشك ، وما في المطبوعة جيد في السياق

لأنه كان عنها . وقد تأوّل ذلك على هذا الوجه بعض أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٦٠٣١ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك قوله : « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مئة حبة » ، قال : كل سنبلة أنبتت مئة حبة ، فهذا لمن أنفق فى سبيل الله= : « والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « والله يضاعف لمن يشاء » .

فقال بعضهم : والله يضاعف لمن يشاء من عباده أجرَ حسناته = يعد الذى أعطى غير منفق فى سبيله ، دون ما وعد المنفق فى سبيله من تضعيف الواحدة سبعمئة . فأما المنفق فى سبيله فلا ينقصه عما وعده من تضعيف السبعمئة بالواحدة .(١)

* ذكر من قال ذلك :

٦٠٣٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : هذا يضاعف لمن أنفق فى سبيل الله – يعنى السبعمئة –

---

(١) كانت هذه الجملة كلها فى المطبوعة : «والله يضاعف لمن يشاء من عباده أجر حسناته ، بعد الذى أعطى المنفق فى سبيله من التضعيف الواحدة سبعمئة . فأما المنفق فى غير سبيله فلا نفقة ما وعده من تضعيف السبعمئة بالواحدة» . وقد غيروا ما كان فى المخطوطة لأنه فاسد بلا شك وهذا نصه : « والله يضاعف لمن يشاء أجر حسناته ، بعد الذى أعطى المنفق فى سبيله من التضعيف الواحدة سبعمئة . فأما المنفق فى سبيله فلا ينفقه عما وعده من تضعيف السبعمئة بالواحدة » . ولكنى استظهرت من سياق التفسير بعد ، أن الصواب غير ما فى المطبوعة ، وأن فى الكلام تصحيفاً وسقطاً ، أتممته بما يوافق المعنى الذى قاله هؤلاء ، كما يتبين من كلام أبى جعفر فيما بعد .

« والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » ، يعنى لغير المنفق فى سبيله .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : والله يضاعف لمن يشاء من المنفقين فى سبيله على السبعمئة إلى ألفى ألف ضعف . وهذا قول ذكر عن ابن عباس من وجه لم أجد إسناده ، فتركت ذكره .

* * *

قال أبو جعفر : والذى هو أولى بتأويل قوله : « والله يضاعف لمن يشاء » ، والله يضاعف على السبعمئة إلى ما يشاء من التضعيف ، لمن يشاء من المنفقين فى سبيله . لأنه لم يجر ذكر الثواب والتضعيف لغير المنفق فى سبيل الله ، فيجوز لنا توجيه ما وعد تعالى ذكره فى هذه الآية من التضعيف ، إلى أنه عِدَة منه على العمل [فى غير سبيله ، أو] على غير النفقة فى سبيل الله . (١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢٦١)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : « والله واسع » ، أن يزيد من يشاء من خلقه المنفقين فى سبيله على أضعاف السبعمئة التى وعده أن يزيده = (٢) « عليم » من يستحق منهم الزيادة ، كما : —

٦٠٣٣ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » ، قال : « واسع » أن يزيد من سعته = « عليم » ، عالم بمن يزيده .

* * *

---

(١) زدت ما بين القوسين ، لأنه مما يقتضيه سياق الكلام والتركيب .

(٢) انظر تفسير « واسع » و « عليم » فيما سلف ٢ : ٥٣٧ ، وانظر فهارس اللغة أيضاً .

وقال آخرون : معنى ذلك : « والله واسع » ، لتلك الأضعاف = « عليم » بما ينفق الذين ينفقون أموالهم فى طاعة الله .

• • •

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٢٦٢)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : المعطىَ ما لَه المجاهدين فى سبيل الله معونةً لهم على جهاد أعداء الله . يقول تعالى ذكره : الذى يعين المجاهدين فى سبيل الله بالإنفاق عليهم وفى حَمُولاتهم وغير ذلك من مؤنهم ، [1] ثم لم يتبع نفقته التى أنفقها عليهم ، منًّا عليهم بإنفاق ذلك عليهم ، ولا أذى لهم . فامتنانه به عليهم ، بأن يظهر لهم أنه قد اصطنع إليهم – بفعله وعطائه الذى أعطاهموه تقوية لهم على جهاد عدوهم – معروفا ، ويبدى ذلك إما بلسان أو فعل . وأما « الأذى » فهو شكايته إياهم بسبب ما أعطاهم وقوّاهم من النفقة فى سبيل الله ، أنهم لم يقوموا بالواجب عليهم فى الجهاد ، وما أشبه ذلك من القول الذى يؤذى به من أنفق عليه .

وإنما شَرَط ذلك فى المنفق فى سبيل الله ، وأوجبَ الأجر لمن كان غير مانٍّ ولا مؤذٍ مَن أنفق عليه فى سبيل الله ، لأن النفقة التى هى فى سبيل الله : ما ابتغى ٤٣/٣
به وجه الله وطلب به ما عنده . [2] فإذا كان معنى النفقة فى سبيل الله هو ما وصفنا ، فلا وجه لمنّ المنفق على من أنفق عليه ، لأنه لا يدَ له قِبَله ولا صَنيعة يستحق بها

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « الذين يعينون المجاهدين » بالجمع ، وسياق الجمل بعده بالإفراد ، وهو غير جائز .

(٢) فى المطبوعة : « مما ابتغى به » ، والصواب ما فى المخطوطة .

عليه – إن لم يكافئه عليها – المنّ والأذى ، إذ كانت نفقته ما أنفق عليه احتساباً وابتغاءَ ثواب الله وطلبَ مرضاته ، وعلى الله مثوبته، دون من أنفق ذلك عليه .

* * *

وبنحو المعنى الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٦٠٣٤ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : « الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منًّا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم»، [1] علم الله أن أناساً يمنُّون بعطيَّتهم، فكره ذلك وقدَّم فيه فقال: ﴿ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾.[2]

٦٠٣٥ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : قال للآخرين = يعنى : قال الله للآخرين ، وهم الذين لا يخرجون فى جهاد عدوهم = : « الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منًّا ولا أذى» ، قال : فشرَط عليهم . قال : والخارجُ لم يشرُط عليه قليلاً ولا كثيراً – يعنى بالخارج ، الخارجَ فى الجهاد الذى ذكر الله فى قوله : « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة » الآية = قال ابن زيد: وكان أبى يقول: إن آذاك من يعطى من هذا شيئاً أو يقوِّى فى سبيل الله، [3] فظننتَ أنه يثقل عليه سلامُك، فكفَّ سلامَك عنه . قال ابن زيد: فنهى عن خير الإسلام . [4] قال: وقالت امرأة لأبى: يا أبا أسامة، تدلُّنى على رجل يخرج فى سبيل الله حقًّا، فإنهم لا يخرجون إلا

---

(١) أتم الآية فى المطبوعة، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المخطوطة : « قول معروف ومعرفة » ، وهو دال على كثرة سهو الناسخ فى هذا الموضع من المخطوطة كما أسلفت مراراً .

(٣) فى المطبوعة : « إن أذن لك أن تعطى من هذا شيئاً أو تقوى فقويت فى سبيل الله » وهو غير مفهوم، وهو تصرف فيما كان فى المخطوطة ، ونصه : « إن أذن لك أن تعطى من هذا شيئاً أو تقوى تقوى فى سبيل الله » . واستظهرت صواب قراءتها كما أثبته ، وقد أشرت مراراً لكثرة سهو الناسخ فى هذا الموضع من كتابته. والذى أثبته أشبه بما دل عليه سائر قوله .

(٤) فى المطبوعة : « فهو خير من السلام » ، ولا معنى له . وفى المخطوطة « فنهى خير من الإسلام »

ليأكلوا الفواكه ! ! عندى جعبة وأسهم فيها .[١] فقال لها : لا بارك الله لك فى جعبتك ولا فى أسهمك ، فقد آذيتهم قبل أن تعطيهم ! قال : وكان رجل يقول لهم : اخرجوا وكلوا الفواكه !

٦٠٣٦ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك قوله : « لا يتبعون ما أنفقوا منًّا ولا أذى » ، قال : أن لا ينفق الرجل ماله ، خيرٌ من أن ينفقه ثم يتبعه منًّا وأذى .

* * *

وأما قوله : « لهم أجرهم عند ربهم »، فإنه يعنى : للذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله على ما بيَّنَّ . « والهاء والميم » فى « لهم » عائدة على « الذين » .

* * *

ومعنى قوله : « لهم أجرهم عند ربهم » ، لهم ثوابهم وجزاؤهم على نفقتهم التى أنفقوها فى سبيل الله ، ثم لم يتبعوها منًّا ولا أذى .[٢]

* * *

وقوله : « ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون »،[٣] يقول : وهم = مع ما لهم من الجزاء والثواب على نفقتهم التى أنفقوها على ما شرطنا = «لا خوف عليهم» عند مقدمهم على الله وفراقهم الدنيا ، ولا فى أهوال القيامة ، وأن ينالهم من مكارهها أو يصيبهم فيها من عقاب الله = « ولا هم يحزنون » على ما خلفوا وراءهم فى الدنيا .[٤]

* * *

وهو أيضاً بلا معنى، وأظن الصواب ما أثبت . وذلك أن زيد بن أسلم قال : « فكف عنه سلامك » فنهاه عن أن يلقى عليه السلام . فعلق ابنه ابن زيد على قول أبيه أنه : « نهى عن خير الإسلام » ، إشارة إلى ما رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجة، عن عبد الله بن عمرو بن العاص : « أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الإسلام خير ؟ قال : تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » فالسلام خير الإسلام، وهو ما نهى عنه ابن زيد من أوذى .

(١) أخشى أن يكون الناسخ سها كاسها فيما سلف ، وأن يكون صوابها « وفيها أسهم » ، والذى هنا مقبول .

(٢) انظر معنى «أجر» فيما سلف ٢ : ١٤٨ ، ٥١٣ .

(٣) انظر تفسير : « ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » فيما سلف ٢ : ١٤٨ ، ٥١٣ .

(٤) عند هذا الموضع انتهى المجلد الرابع من مخطوطتنا ، وفى آخره ما نصه :

القول فى تأويل قوله ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴾ (٢٦٣)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « قول معروف » ، قولٌ جميل ، ودعاءُ الرجل لأخيه المسلم (١) = « ومغفرة » ، يعنى : وسترٌ منه عليه لما علم من خَلَّته وسوء حالته (٢) = « خير » عند الله = « من صدقة » يتصدقها عليه = « يتبعها أذى » ، يعنى : يشتكيه عليها ، ويؤذيه بسببها ، كما :-

٦٠٣٧ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن

« آخر المجلّد الرابع من كتاب البيان

يتلوه فى الخامس إن شاء الله تعالى ، القول فى تأويل قوله : « قَوْلٌ مَعروفٌ ومَغْفِرةٌ خيرٌ مِن صَدَقةٍ يتبعها أذًى والله غنىٌّ حَليمٌ »

وكان الفراغُ منه فى شهر ذى الحجة سنة أربع عشرة وسبعمئة

الحمد لله ربّ العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً »

ثم يبدأ الجزء الخامس ، وفى طرته .

« الجزء الخامس من جامع البيان فى تأويل القرآن

تأليف الشيخ الإمام أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى »

ثم يلى ذلك نص وقف لله تعالى ، استغنينا عن إثباته هنا . ثم يفتتح الجزء :

« بسم الله الرحمن الرحيم

ربّ أعنْ »

(١) انظر تفسير « المعروف » فيما سلف ٣ : ٣٧١ ، ٣٧٢ / ثم ٤ : ٥٤٧ ، ٥٤٨ / ٥ : ٧ ، ٤٤ ، ٧٦ ، ٩٣ ، ١٣٧ .

(٢) انظر تفسير « المغفرة » ٢ : ١٠٩ ، ١١٠ ، وفهارس اللغة .

جويبر ، عن الضحاك: « قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى » ، يقول : أن يمسك ماله ، خيرٌ من أن ينفق ماله ثم يتبعه منًّا وأذى .

* * *

وأما قوله: « غنيّ حليم »، فإنه يعنى : « والله غنى » عما يتصدقون به = « حليم »، حين لا يعجل بالعقوبة على من يَمنُّ بصدقته منكم ، ويؤذى فيها من يتصدق بها عليه . (١)

وروى عن ابن عباس فى ذلك ، ما : —

٦٠٣٨ — حدثنا به المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة، عن ابن عباس : « الغنى » ، الذى كمل فى غناه ، و « الحليم » ، الذى قد كمل فى حلمه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : « يا أيها الذين آمنوا » ، صدّقوا الله ورسوله = « لا تبطلوا صدقاتكم »، يقول : لا تبطلوا أجورَ صدقاتكم بالمنّ والأذى ، كما أبطل كفر الذى ينفق ماله = « رئاء الناس»، وهو مراآته إياهم بعمله، ٤٤/٣
وذلك أن ينفق ماله فيما يرى الناسُ فى الظاهر أنه يريد الله تعالى ذكره فيحمدونه عليه ، وهو غيرُ مريدٍ به الله ولا طالب منه الثواب، (٢) وإنما ينفقه كذلك ظاهراً

---

(١) انظر تفسير « حليم » فيما سلف ٥ : ١١٧

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « وهو مريد به غير الله » ، وهو سهو من الناسخ ، والسياق يقتضى أن تقدم « غير » ، وهو نص المعنى .

ليحمده الناس عليه فيقولوا : « هو سخيّ كريم ، وهو رجل صالحٌ » ، فيحسنوا عليه به الثناء ، وهم لا يعلمون ما هو مستبطن من النية فى إنفاقه ما أنفق ، فلا يدرون ماهو عليه من التكذيب بالله تعالى ذكره واليوم الآخر .

* * *

وأما قوله : « ولا يؤمن بالله واليوم الآخر » ، فإن معناه : ولا يصدق بوحدانية الله وربُوبيته ، ولا بأنه مبعوث بعد مماته فمجازًى على عمله ، فيجعل عمله لوجه الله وطلب ثوابه وما عنده فى معاده . وهذه صفة المنافق . وإنما قلنا إنه منافق ، لأن المظهرَ كفرَه والمعلنَ شركه ، معلوم أنه لا يكون بشىء من أعماله مرائياً . لأن المرائى هو الذى يرائى الناس بالعمل الذى هو فى الظاهر لله ، وفى الباطن مريبة سريرةُ عامله ، مرادٌ به حمد الناس عليه .(١) والكافر لا يُخيلُ على أحدٍ أمرُه أن أفعاله كلها إنما هى للشيطان(٢) — إذا كان معلناً كفرَه — لا لله . ومن كان كذلك ، فغير كائن مرائياً بأعماله .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٦٠٣٩ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال أبو هانئ الخولانى ، عن عمرو بن حريث قال : إن الرجل يغزو ، لا يسرق ولا يزنى ولا يَغُلّ ، لا يرجع بالكفاف ! فقيل : له لم ذاك ؟ قال : إن الرجل ليخرج ،(٣) فإذا أصابه من

---

(١) فى المطبوعة : « وفى الباطن عامله مراده به حمد الناس عليه » ، وهو تصرف من الطابع ، وفى المخطوطة : « وفى الباطن مريبه عامله مراد به حمد الناس عليه » ، وهى غير مفهومة المعنى ، وبين أنه قد سقط منها « سريرة » من قوله « مريبة سريرة عامله » ، وهو إشارة إلى ما مر فى تفسيره قبل من قوله : « فلا يدرون ما هو عليه من التكذيب بالله تعالى ذكره واليوم الآخر » . فاستظهرت أن الصواب زيادة « سريرة » ، لتتفق مع معانى ما قال أبو جعفر رحمه الله .

(٢) أخال عليه الأمر يخيل : أشكل عليه واستبهم . وسياق الجملة بعد ذلك : « إنما هى للشيطان لا لله » .

(٣) فى المطبوعة : « قال : فإن الرجل » ، وفى المخطوطة : « فإن إن الرجل » تصحيف والصواب ما أثبت .

بلاءِ الله الذى حكم عليه ، سبَّ ولعَن إمامَه ولعَن ساعة غزا ، وقال : لا أعود لغزوة معه أبداً ! فهذا عليه ، وليس له = مثلُ النفقة فى سبيل الله يتبعها منٌّ وأذى . فقد ضرب الله مثلها فى القرآن : « يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صَدقاتكم بالمنّ والأذى » ، حتى ختم الآية .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (٢٦٤)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : فمثل هذا الذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر = « والهاء » فى قوله « فمثله » ، عائدة على « الذى » = « كمثل صفوان » ، « والصفوان » واحدٌ وجميعٌ ، فمن جعله جميعاً فالواحدة « صفوانة »، (٢) بمنزلة «تمرة وتمر » و«نخلة ونخل ». ومن جعله واحداً، جمعه «صِفْوان ، وصُفِىّ ، وصِفِىّ » ، (٣) كما قال الشاعر : (٤)

* مَوَاقِعُ الطَّيْرِ عَلَى الصُّفِىِّ(٥) *

---

(١) الأثر : ٦٠٣٩ – « أبوهانئ الخولانى » : هو : حميد بن هانئ المصرى من ثقات التابعين، روى عن عمرو بن حريث وغيره . وروى عنه الليث وابن لهيعة وابن وهب وغيرهم من أهل مصر مات سنة ١٤٢ . و « عمرو بن حريث » ، هو الذى يروى عنه أهل الشام ، وهو غير « عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان المخزومى الكوفى . وانظر ترجمته فى التهذيب ٨ : ١٨ .

(٢) فى المطبوعة : « واحد وجمع ، فمن جعله جمعاً » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) انظر ما سلف فى تفسير « الصفا » ٣ : ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، وقوله : « جمعه صفوان » يعنى : بكسر الصاد وسكون الفاء ، وهو قول الكسائى ، وقد تعقبوه وخطأوه فى شاذ مذهبه . انظر القرطبى ٣ : ٣١٣ ، وتفسير أبى حيان ٢ : ٣٠٢ ، ومن أجل ذلك أسقطه أصحاب اللغة من كتبهم .

(٤) هو الأخيل الطائى .

(٥) سلف شرح هذا البيت وتخريجه ٣ : ٢٢٤ ، وسقط ذكر هذا الموضع فى التخريج السالف فأثبته هناك .

« والصفوان » هو « الصفا » ، وهى الحجارة الملس .

* * *

وقوله : « عليه تراب » ، يعنى : على الصفوان ترابٌ = « فأصابه » يعنى : أصاب الصفوان = « وابل » ، وهو المطر الشديد العظيم ، كما قال امرؤ القيس :

سَاعَةً ، ثُمَّ انْتَحَاهَا وَابِلٌ سَاقِطُ الأَكْنَافِ وَاهٍ مُنْهَمِرْ (١)

يقال منه : « وَبَلت السماء فهى تَبِل وَبْلاً » ، وقد : « وُبلت الأرض فهى تُوبَل » .

* * *

وقوله : « فتركه صلداً » ، يقول : فترك الوابلُ الصفوانَ صلداً .

« والصلد » من الحجارة ، الصلب الذى لا شىء عليه من نبات ولا غيره ، وهو من الأرَضين ما لاينبت فيه شىء ، وكذلك من الرؤوس ، (٢) كما قال رؤبة :

لَمَّا رَأَتْنِى خَلَقَ المُمَوَّهِ بَرَّاقَ أَصْلَادِ الجَبِينِ الأَجْلَهِ (٣)

---

(١) ديوانه : ٩٠ ، وطبقات فحول الشعراء : ٧٩ ، وغيرهما كثير . وهو من أبيات روائع ، فى صفة المطر والسيل أولها :

دِيَمَةٌ هَطْلاَءُ فِيهَا وَطَفٌ طَبَقَ الأَرْضِ تَحَرَّى ، وتَدِرْ

ثم قال بعد قليل : « ساعة » أى فعلت ذلك ساعة ، « ثم انتحاها » أى قصدها ، والضمير فيه إلى « الشجراء » فى بيت سابق . و « ساقط الأكناف » ، قد دنا من الأرض دنوا شديداً ، كأن نواحيه تهدم على الشجراء . « منهمر » : متتابع متدفق . واقرأ تمام ذلك فى شرح الطبقات .

(٢) هذا البيان عن معانى « صلد » ، لا تصيبه فى كثير من كتب اللغة .

(٣) ديوانه : ١٦٥ من قصيدة مضى الاستشهاد بأبيات منها فى ١ : ١٢٣ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ / ٢ : ٢٢٢ ، والضمير فى « رأتنى » إلى صاحبته التى ذكرها فى أول الشعر و « خلق » : بال . و « المموه » يقال : « وجه مموه » أى مزين بماء الشباب ، ترقرق شبابه وحسنه . وقوله « خلق المموه » ، بحذف « الوجه » الموصوف بذلك . يقول : قد بل شبابى وأخلق . « أصلاد الجبين » ، يعنى أن جبينه قد زال شعره ، فهو يبرق كأنه صفاة ملساء لا نبات عليها . و « الأجله » : الأنزع الذى انحسر شعره عن جانبى جبهته ومقدم جبينه ، وذلك كله بعد أن كان كما وصف نفسه :

ومن ذلك يقال للقدر الثخينة البطيئة الغلى : « قِدْرٌ صَلود » ، « وقد صَلَدت تصْلُدُ صُلوداً » ، ومنه قول تأبط شرًّا :

وَلَسْتُ بِجِلْبِ جِلْبِ رَعْدٍ وَقِرَّةٍ وَلَا بِصَفًا صَلْدٍ عَنِ الخَيْرِ أَعْزَلِ (١)

* * *

ثم رجع تعالى ذكره إلى ذكر المنافقين الذين ضرب المثلَ لأعمالهم ، فقال : فكذلك أعمالهم بمنزلة الصَّفوان الذى كان عليه تراب ، (٢) فأصابه الوابلُ من المطر ٣/ فذهب بما عليه من التراب ، فتركه نقيًّا لا تراب عليه ولا شىء = يراهمُ المسلمون فى الظاهر أنّ لهم أعمالاً — كما يُرى التراب على هذا الصفوان — بما يراؤونهم به ، فإذا كان يوم القيامة وصاروا إلى الله ، اضمحلّ ذلك كله ، لأنه لم يكن لله ،

---

* بَعْدَ غُدَانِىِّ الشَّبَابِ الأَبْلَهِ *

فاستنكرته صاحبته ، بعد ما كان بينه وبينها فى شبابه ما كان ؛ وليت شعرى ماذا كان يبغى رؤية منها ، وقد صار إلى المصير الذى وصف نفسه ! !

(١) اللسان (جلب) (عزل) ، وغيرهما . ولم أجد القصيدة ، ولكنى وجدت منها أبياتاً متفرقة ورواية اللسان والمطبوعة وغيرهما :

وَلَسْتُ بِجِلْبِ جِلْبِ رِيحٍ وقِرَّةٍ وَلَا بِصفًا صَلْدٍ عَنِ الخَيْرِ مَعْزِلِ

ولكنه فى المطبوعة واللسان أيضاً « جلب ليل » ، والظاهر أن المطبوعة نقلت البيت من اللسان (جلب) دون إشارة إلى ما كان فى المخطوطة ، ولكنى أثبت رواية المخطوطة ، فإنها لا تغير وهى سليمة المعانى .

الجلب (بكسر الجيم أو ضمها وسكون اللام) : هو السحاب المعترض تراه كأنه جبل ، ويقال أيضاً : هو السحاب الرقيق الذى لا ماء فيه . ورواية الطبرى فى المخطوطة تقتضى المعنى الأول : والقرة (بكسر القاف) والقر (بضمها) : البرد الشديد . يقول : لست امرءاً خالياً من الخير ، بل مطيفاً بالأذى ، كهذا السحاب المخيل المتراكم ، يخيف برعده ، ويلذع ببرده ، ولا غيث معه . وأما رواية اللسان وغيره ، فشرحها على معنى السحاب الرقيق جيد . وقوله : « أعزل » من « عزل الشىء يعزله » إذا نحاه جانباً وأبعده ، كما سموا الرمل المنقطع المنفرد المنعزل « أعزل » ، فهو من صميم مادة اللغة ، وإن لم يأتوا عليه فى كتب اللغة بشاهد . وهذا شاهده بلا شك . وأما قوله فى الرواية الأخرى « معزل » فهو بمعنى ذلك أيضاً : معتزل عن الخير ، أو معزول عنه . وهو مصدر ميمى من ذلك ، جاء صفة ، كما قالوا : « رجل عدل » ، وكما قالوا « فلان شاهد مقنع » أى رضا يقنع به ، مصدر ميمى من « قنع » ، وهذا بيان لا تجده فى كتب اللغة فقيده واحفظه .

(٢) فى المخطوطة : « عليه ثواب » ، وهو تصحيف غث ، ولكنه دليل على شدة إهمال الناسخ وعجلته .

كما ذهب الوابل من المطر بما كانَ على الصفوان من التراب ، فتركه أملسَ لا شيء عليه .

= فذلك قوله : « لا يقدرون » ، يعني به : الذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ، ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، يقول : لا يقدرون يوم القيامة على ثواب شيء مما كسبوا في الدنيا ، لأنهم لم يعملوا لمعادهم ، ولا لطلب ما عند الله في الآخرة ، ولكنهم عملوه رئاء الناس وطلبَ حمدهم . وإنما حظهم من أعمالهم ، ما أرادوه وطلبوه بها .

* * *

ثم أخبر تعالى ذكره أنه « لا يهدي القوم الكافرين » ، يقول : لا يسدّدهم لإصابة الحق في نفقاتهم وغيرها ، فيوفقهم لها ، وهم للباطل عليها مؤثرون ، ولكنه يتركهم في ضلالتهم يعمهون .(١)

فقال تعالى ذكره للمؤمنين : لا تكونوا كالمنافقين الذين هذا المثل صفةُ أعمالهم ، فتبطلوا أجور صدقاتكم بمنّكم على من تصدقتم بها عليه وأذاكم لهم ، كما بطل أجر نفقة المنافق الذي أنفق ماله رئاء الناس ، وهو غير مؤمن بالله واليوم الآخر ، عند الله .(٢)

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٦٠٤٠ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تُبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى » فقرأ حتى بلغ « على شيء مما كسبوا » ، فهذا مثل ضربه الله لأعمال الكفار يوم القيامة ، يقول : لا يقدرون على شيء مما كسبوا يومئذ ، كما ترك هذا المطر الصفاةَ الحجرَ ليس

---

(١) في المطبوعة : « ولكنه تركهم » ، والصواب ما في المخطوطة .

(٢) في المخطوطة : « واليوم عند الله » سقط منه « الآخر » ، وهو دليل على ما أسلفت من عجلته .

عليه شيء ، أنقى ما كان عليه . (١)

٦٠٤١ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « لا تبطلوا صدقاتكم بالمن » إلى قوله : « والله لا يهدى القوم الكافرين » ، هذا مثل ضربه الله لأعمال الكافرين يوم القيامة ، يقول : لا يقدرون على شيء مما كسبوا يومئذ ، كما ترك هذا المطر الصفا نقيًّا لا شيء عليه .

٦٠٤٢ – حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدى : «لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى» إلى قوله « على شيء مما كسبوا »، أما الصفوان الذى عليه تراب ، فأصابه المطر فذهب ترابه فتركه صلداً . فكذلك هذا الذى ينفق ماله رياء الناس ، (٢) ذهب الرياءُ بنفقته ، كما ذهب هذا المطر بتراب هذا الصفا فتركه نقيًّا ، فكذلك تركه الرياء لا يقدر على شيء مما قدم . فقال للمؤمنين : « لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى » ، فتبطل كما بطلت صَدقة الرياء .

٦٠٤٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : أن لا ينفق الرجل ماله ، خير من أن يُنفقه ثم يتبعه منًّا وأذى . فضرب الله مثله كمثل كافر أنفق ماله لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر . فضرب الله مثلهما جميعاً : « كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً »، فكذلك من أنفق ماله ثم أتبعه مناً وأذى .

٦٠٤٤ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى » إلى « كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً »، ليس عليه شيء . وكذلك المنافق يوم القيامة ، لا يقدر على شيء مما كسب .

٦٠٤٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ،

---

(١) في المطبوعة : « أنقى ما كان » ، حذف « عليه » ، كأنه استنكرها ، وهي معرقة في الصواب. أي: أنقى ما كان عليه من النقاء .

(٢) في المطبوعة : « فكذا هذا الذى ينفق » ، لا أدرى لم غير ما في المخطوطة .

قال ابن جريج فى قوله : « لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى » ، قال : يمنّ بصدقته ويؤذيه فيها حتى يبطلها .

٦٠٤٦ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى » ، فقرأ : « يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى » حتى بلغ « لا يقدرون على شىء مما كسبوا » ، ثم قال : أترى الوابل يدع من التراب على الصفوان شيئاً ؟ فكذلك منُّك وأذاك ، لم يدع مما أنفقت شيئاً .

٤٦/٣ وقرأ قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى » ، وقرأ : ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ ، فقرأ حتى بلغ ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة : ٢٧٠ – ٢٧٢] .(١)

• • •

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿صَفْوَانٍ﴾

قد بينا معنى « الصفوان » بما فيه الكفاية ،(٢) غير أنا أردنا ذكر من قال مثل قولنا فى ذلك من أهل التأويل .

٦٠٤٧ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « كمثل صفوان » ، كمثل الصفاة .

٦٠٤٨ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك : « كمثل صفوان » ، والصفوان الصفا .

٦٠٤٩ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

---

(١) ما فى المخطوطة والمطبوعة : « وما أنفقتم من خير فلأنفسكم » ، وهو خطأ ظاهر ، والصواب أنه يعنى آيات سورة البقرة التى بينتها كما أثبتها .

(٢) انظر ما سلف قريباً ص : ٥٢٣ ، ٥٢٤ والمراجع فى التعليق عليه .

٦٠٥٠ – حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدى: أما « صفوان »، فهو الحجر الذى يسمى « الصَّفاة » .

٦٠٥١ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة مثله.

٦٠٥٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثني معاوية، عن على، عن ابن عباس قوله : « صفوان » ، يعنى الحجر .

* * *

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ ﴾

قد مضى البيان عنه .[1] وهذا ذكر من قال قولنا فيه :

٦٠٥٣ – حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدى : أما « وابل » ، فمطر شديد .

٦٠٥٤ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك: « فأصابه وابل » ، والوابل المطر الشديد .

٦٠٥٥ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة مثله .

٦٠٥٦ – حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع مثله .

* * *

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ﴾

* ذكر من قال نحو ما قلنا فى ذلك :

٦٠٥٧ – حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن

---

(١) انظر ما سلف قريباً ص : ٥٢٤

السدى : « فتركه صلداً » ، يقول : نقياً .

٦٠٥٨ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « فتركه صلداً » ، قال : تركها نقية ليس عليها شيء .

٦٠٥٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال ابن عباس ، قوله : « فتركه صلداً » ، قال : ليس عليه شيء .

٦٠٦٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك : « صلداً » ، فتركه جَرْداً .

٦٠٦١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « فتركه صلداً » ، ليس عليه شيء .

٦٠٦٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « فتركه صلداً » ، ليس عليه شيء .

* * *

القول في تأويل قوله عز وجل ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : : « ومثل الذين ينفقون أموالهم » فيصدّقون بها، ويحملون عليها في سبيل الله، ويقوّون بها أهل الحاجة من الغزاة والمجاهدين في سبيل الله ، وفي غير ذلك من طاعات الله ، طلب مرضاته = [1].

* * *

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « طلب مرضاته ، وتثبيتاً يعني بذلك وتثبيتاً من أنفسهم يعني لهم »

= « وتثبيتاً من أنفسهم » يعنى بذلك: وتثبيتاً لهم على إنفاق ذلك فى طاعة الله وتحقيقاً ، من قول القائل : « ثَبَّتُّ فلاناً فى هذا الأمر » — إذا صححت عزمَه ، وحققته ، وقويت فيه رأيه — « أثبته تثبيتاً » ، كما قال ابن رَواحة :

فَثَبَّتَ اللهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنٍ تَثْبِيتَ مُوسَى، وَنَصْرًا كَالَّذِى نُصِرُوا(٢)

* * *

وإنما عنى الله جل وعز بذلك : أنّ أنفسهم كانت موقنة مصدقة بوعد الله إياها فيما أنفقت فى طاعته بغير منّ ولا أذى، فثبتَتْهم فى إنفاق أموالهم ابتغاء مرضاة الله ، وصححت عزمهم وآراءهم،(٣) يقيناً منها بذلك، (٤)وتصديقاً بوعد الله إياها ما وعدها . ولذلك قال من قال من أهل التأويل فى قوله : « وتثبيتاً » ، وتصديقاً = ومن قال منهم : ويقيناً = لأن تثبيت أنفس المنفقين أموالَهم ابتغاء مرضاة الله إياهم ، (٥) إنما كان عن يقين منها وتصديق بوعد الله .

* ذكر من قال ذلك من أهل التأويل :

٦٠٦٣ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا يحيى قال ، حدثنا سفيان ، عن أبى موسى ، عن الشعبى : « وتثبيتاً من أنفسهم » ، قال : تصديقاً ويقيناً . ٤٧/٣

وهو كلام مختل ، والظاهر أن الناسخ لجلج فى كتابته فأعاد وكرر ، فحذفت « وتثبيتاً يعنى بذلك » وأضفت « بذلك وتثبيتا » بعد : « يعنى » الثانية التى بقيت .

(٢) سيرة ابن هشام ٤ : ١٦ ، وابن سعد ٣/٢/٨١ ، والمختلف والمؤتلف للآمدى : ١٢٦ والاستيعاب ١ : ٣٠٥ ، وطبقات فحول الشعراء : ١٨٨ ، من أبيات يثنى فيها على رسول رب العالمين . وروى الآمدى وابن هشام الشطر الثانى « فى المرسلين ونصراً كالذى نصروا » . ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا البيت ، أقبل عليه بوجهه مبتسما وقال : « وإياك فثبت الله » .

(٣) فى المخطوطة : « فيثبتهم فى إنفاق أموالهم . . . » ، وهو سهو من الناسخ ، أو خطأ فى قراءة النسخة التى نقل عنها . وفى المطبوعة : « فثبتهم . . وصحح عزمهم » ، فغير ما فى المخطوطة ، وجعل « صححت » ، « صحح » ، لم يفهم ما أراد الطبرى . وانظر التعليق التالى .

(٤) فى المطبوعة : « وأراهم » ، ومثلها فى المخطوطة ، والصواب « وآراءهم » كما أثبتها . يعنى أن نفوسهم صححت عزمهم وآراءهم فى إنفاق أموالهم . وهذا ما يدل عليه تفسير الطبرى . اقولهم « ثبت فلاناً فى الأمر » ، كما سلف منذ قليل .

(٥) « إياهم » مفعول المصدر « تثبيت » ، أى أن أنفسهم ثبتتهم فى الإنفاق .

٦٠٦٤ – حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازى قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن أبى موسى ، عن الشعبى : « وتثبيتاً من أنفسهم » ، قال : وتصديقاً من أنفسهم، ثبات ونُصْرة .

٦٠٦٥ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « وتثبيتاً من أنفسهم » ، قال : يقيناً من أنفسهم . قال : التثبيت اليقين .

٦٠٦٦ – حدثنى يونس قال، حدثنا على بن معبد ، عن أبى معاوية ، عن إسمعيل ، عن أبى صالح فى قوله : « وتثبيتاً من أنفسهم » ، يقول : يقيناً من عند أنفسهم .

* * *

وقال آخرون : معنى قوله : « وتثبيتاً من أنفسهم » ، أنهم كانوا يتثبتون فى الموضع الذى يضعون فيه صدقاتهم .

* ذكر من قال ذلك :

٦٠٦٧ – حدثنا محمدبن بشار قال، حدثنا مؤمل قال، حدثنا سفيان، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وتثبيتاً من أنفسهم »، قال: يتثبتون أين يضعون أموالهم .

٦٠٦٨ – حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال، حدثنا ابن المبارك، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد : « وتثبيتاً من أنفسهم » ، فقلت له : ما ذلك التثبيت ؟ قال : يتثبتون أين يضعون أموالهم .

٦٠٦٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد : « وتثبيتاً من أنفسهم » ، قال : كانوا يتثبّتون أين يضعونها .

٦٠٧٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن على بن على بن رفاعة ، عن الحسن فى قوله : « وتثبيتاً من أنفسهم » ، قال : كانوا يتثبتون أين يضعون أموالهم – يعنى زكاتهم .

٦٠٧١ – حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال ، حدثنا ابن المبارك ، عن علي بن علي قال : سمعت الحسن قرأ : « ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم » ، قال : كان الرجل إذا همّ بصدقة تثبّت ، فإن كان لله مضى ، وإن خالطه شك أمسك .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا التأويل الذى ذكرناه عن مجاهد والحسن، تأويل بعيد المعنى مما يدل عليه ظاهر التلاوة . وذلك أنهم تأولوا قوله : « وتثبيتاً من أنفسهم » ، بمعنى : « وتثبُّتاً »، فزعموا أنّ ذلك إنما قيل كذلك ، لأنّ القوم كانوا يتثبتون أين يضعون أموالهم . ولو كان التأويل كذلك لكان : « وتثبتاً من أنفسهم » . لأن المصدر من الكلام كان على « تفعّلت» « التفعُّل » ،[1] فيقال : « تكرمت تكرماً »، و « تكلمت تكلماً » ، وكما قال جل ثناؤه: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ [سورة النحل : ٤٧] ، من قول القائل : « تخوّف فلان هذا الأمر تخوّفاً » . فكذلك قوله : « وتثبيتاً من أنفسهم »، لو كان من « تثبّت القومُ فى وضع صدقاتهم مواضعها » ، لكان الكلام : « وتثبُّتاً من أنفسهم » ، لا « وتثبيتاً » . ولكن معنى ذلك ما قلنا: من أنه: وتثبيتٌ من أنفس القوم إياهم ، بصحة العزم واليقين بوعد الله تعالى ذكره .

* * *

فإن قال قائل : وما تنكر أن يكون ذلك نظيرَ قول الله عز وجل : ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ [سورة المزمل : ٨] ، ولم يقل: « تبتُّلاً ».

قيل : إن هذا مخالف لذلك . وذلك أنّ هذا إنما جاز أن يقال فيه: « تبتيلا » لظهور « وتبتّل إليه » ، فكان فى ظهوره دلالةٌ على متروك من الكلام الذى منه

---

(١) فى المطبوعة: « إن كان على تفعلت » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وعبارة الطبرى عربية محكمة ، بمعنى : لأن المصدر من الكلام الذى كان . . . »

قيل : « تبتيلا » . وذلك أن المتروك هو : تبتل فيبتلك الله إليه تبتيلاً . وقد تفعل العرب مثلَ ذلك أحياناً : تخرج المصادر على غير ألفاظ الأفعال التى تقدمتها ، إذا كانت الأفعال المتقدمة تدل على ما أخرجت منه ، كما قال جل وعز : ﴿ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ [سورة نوح : ١٧] ، وقال : ﴿ فَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ [سورة آل عمران : ٣٧] . و« النبات » مصدر « نبت » . وإنما جاز ذلك لمجيء « أنبت » ، قبله ، فدل على المتروك الذى منه قيل « نباتاً » . والمعنى : « والله أنبتكم فنبتم من الأرض نباتاً » . وليس [فى] قوله : « وتثبيتاً من أنفسهم » ، كلام يجوز أن يكون متوهَّماً به أنه معدول عن بنائه ،[1] ومعنى الكلام : « ويتثبتون فى وضع الصدقات مواضعها » ، فيصرف إلى المعانى التى صرف إليها قوله : « وتبتَّل إليه تبتيلاً » ، وما أشبه ذلك من المصادر المعدولة عن الأفعال التى هى ظاهرة قبلها .

* * *

وقال آخرون : معنى قوله : « وتثبيتاً من أنفسهم » ، واحتساباً من أنفسهم .

* ذكر من قال ذلك :

٦٠٧٣ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وتثبيتاً من أنفسهم » ، يقول : احتساباً من أنفسهم .[2]

* * *

٤٨/٣ قال أبو جعفر : وهذا القول أيضاً بعيد المعنى من معنى « التثبيت » ، لأن « التثبيت » لا يعرف فى شيء من الكلام بمعنى « الاحتساب » ، إلاّ أن يكون أراد مفسِّرُه كذلك : أن أنفس المنفقين كانت محتسبة فى تثبيتها أصحابها . فإن كان ذلك كان عنده معنى الكلام ، فليس الاحتساب بمعنًى حينئذ للتثبيت ، فيترجَم عنه به .

* * *

(١) فى المطبوعة : « وليس قوله . . . كلاماً يجوز » بالنصب ، وفى المخطوطة : « وليس قوله . . . كلام يجوز » بالرفع ، وظاهر أن الصواب ما أثبت من زيادة : « فى » ، بمعنى أنه ليس فى الجملة فعل سابق يتوهم به أن المصدر معدول به عن بنائه .

(٢) سقط من الترقيم سهوا رقم : ٦٠٧٢

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل وعز : ومثل الذين ينفقون أموالهم فيتصدقون بها ويُسبِّلُونها فى طاعة الله بغير منٍّ على من تصدقوا بها عليه، ولا أذى منهم لهم بها، ابتغاء رضوان الله وتصديقاً من أنفسهم بوعده = « كمثل جنة » .

* * *

« والجنة » البستان. وقد دللنا فيما مضى على أن « الجنة » البستان، بما فيه الكفاية من إعادته .(١)

* * *

= «بربْوة» ، و «الرَّبوة » من الأرض ما نشز منها فارتفع عن السيل. وإنما وصفها بذلك جل ثناؤه، لأن ما ارتفع عن المسايل والأودية أغلظ ، وجنان ما غلُظ من الأرض أحسنُ وأزكى ثمراً وغرساً وزرعاً ، مما رقَّ منها، ولذلك قال أعشى بنى ثعلبة فى وصف روضة :

مَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الحَزْنِ مُعْشِبَةٌ خَضْرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَطِلُ(٢)

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٣٨٤ .

(٢) ديوانه : ٤٣ ، وسيأتى هو والأبيات التى تليه فى التفسير ٢١ : ١٩ (بولاق) ، من قصيدته البارعة المشهورة . يصف شذا صاحبته حين تقوم :

إِذَا تَقُومُ يَضُوعُ المِسْكُ أَصْوِرَةً وَالزَّنْبَقُ الوَرْدُ من أَرْدَانِها شَمِلُ
مَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الحَزْنِ مُعْشِبَةٌ خَضْرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَطِلُ
يُضَاحِكُ الشَّمْسَ مِنهَا كَوْكَبٌ شَرِقٌ مُؤَزَّرٌ بِعَمِيمِ النَّبْتِ مُكْتَهِلُ
يَوْمًا بِأَطْيَبَ مِنْهَا نَشْرَ رَائِحَةٍ وَلا بِأَحْسَنَ مِنْهَا إِذْ دَنَا الأُصُلُ

ضاع المسك يضوع ، وتضوع : تحرك وسطع وانتشرت رائحته . وأصورة جمع صوار : وهو وعاء المسك ، أو القطعة منه . والورد : الأحمر ، وهو أجود الزنبق . وشمل : شامل ، عدل به من « فاعل » إلى « فعل » . والحزن : موضع فى أرض بنى أسد وبنى يربوع ، وهو أرض غليظة كثيرة الرياض ممرعة ، وهو مربع من أجل مرابع العرب . مسبل : مرسل ماءه على الأرض . هطل : متفرق غزير دائم =

فوصفها بأنها من رياض الحزن ، لأن الحزون غروسها ونباتها أحسن وأقوى من غروس الأودية والتلاع وزروعها .

* * *

وفى « الربوة » لغات ثلاث ، وقد قرأ بكل لغة منهن جماعة من القرأة . وهى « رُبوة » بضم « الراء » ، وبها قرأت عامة قرأة أهل المدينة والحجاز والعراق . و « رَبوة » بفتح « الراء »، وبها قرأ بعض أهل الشام وبعض أهل الكوفة ، ويقال إنها لغة تميم . و « رِبوة » بكسر « الراء » وبها قرأ — فيما ذكر — ابن عباس .

* * *

قال أبو جعفر : وغير جائز عندى أن يقرأ ذلك إلا بإحدى اللغتين : إما بفتح « الراء »، وإما بضمها . لأن قراءة الناس فى أمصارهم بإحداهما . وأنا لقراءتها بضمها أشد إيثاراً منى بفتحها ، لأنها أشهر اللغتين فى العرب . فأما الكسر ، فإن فى رفض القراءة به ، دلالة واضحة على أن القراءة به غير جائزة .

* * *

وإنما سميت « الربوة » ، لأنها « ربت » ، فغلظت وعلت، من قول القائل : « ربا هذا الشىء يربو » ، إذا انتفخ فعظُم .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

* ذكر من قال ذلك :

٦٠٧٤ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « كمثل جنة بربوة » ، قال : الربوة المكان الظاهرُ المستوى .

والكوكب : النور والزهر ، يلمع كأنه كوكب . شرق : ريان ، فهو أشد لبريقه وصفائه . مؤزر : قد صار عليه النبات كالإزار يلبسه اللابس، تغطى الخضرة أعواده . ونبت عميم : تم وطال والتف . واكتهل النور : بلغ منتهى نمائه ، وذلك أحسن له . يقول : ما هذه الروضة التى وصف من زهرها ونباتها ما وصف . . . بأطيب من صاحبته إذا قامت فى أول يومها ، حين تتغير الأفواه والأبدان من وخم النوم . والأصل جمع أصيل : وهو وقت العشى ، حين تفتر الأبدان من طول تعب يومها ، فيفسد رائحتها الجهد والعرق .

٦٠٧٥ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر قال ، قال مجاهد : هى الأرض المستوية المرتفعة .

٦٠٧٦ ــ حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « كمثل جنة بربوة » ، يقول : بنشز من الأرض .

٦٠٧٧ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك ، « كمثل جنة بربوة » ، والربوة : المكان المرتفع الذى لا تجرى فيه الأنهار ، [1] والذى فيه الجنان .

٦٠٧٨ ــ حدثنى موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « بربوة »، برابية من الأرض .

٦٠٧٩ ــ حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « كمثل جنة بربوة » ، والربوة النشز من الأرض .

٦٠٨٠ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال ابن عباس : « كمثل جنة بربوة » ، قال : المكان المرتفع الذى لا تجرى فيه الأنهار .

* * *

وكان آخرون يقولون : هى المستوية .

* ذكر من قال ذلك :

٦٠٨١ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الحسن فى قوله « كمثل جنة بربوة » ، قال : هى الأرض المستوية التى تعلو فوق المياه .

* * *

قال أبو جعفر : وأما قوله : « أصابها وابل » ، فإنه يعنى جل ثناؤه : أصاب

---

(١) فى المخطوطة : « الذى تجرى فيه الأنهار » ، وأثبت ما فى المطبوعة ، لأنه موافق ما فى الدر المنثور ١ : ٣٣٩ ، ولأنه هو صواب المعنى ، ولأنه سيأتى على الصواب بعد قليل فى الأثر : ٦٠٨٠ .

الجنة التى بالربوة من الأرض ، وابلٌ من المطر ، وهو الشديد العظيم القطر منه .(١)

* * *

وقوله : « فآتت أكلها ضعفين» ، فإنه يعنى الجنة: أنها أضعف ثمرها ضعفين حين أصابها الوابل من المطر .

* * *

« والأكل»هو الشيء المأكول، وهو مثل«الرُّعْب والهُزْء »،(٢) وما أشبه ذلك من الأسماءالتى تأتى على « فُعْل » . وأما « الأكل » بفتح « الألف » » وتسكين « الكاف »، فهو فِعْل الآكل، يقال منه : « أكلت أكلا ، وأكلتُ أكلة واحدة » ، كما قال الشاعر :(٣)

٤٩/٣

وَمَا أَكْلَةٌ إن نِلْتُهَا بِغَنِيمَةٍ، وَلَا جَوْعَةٌ إن جُعْتُهَا بِغَرَامِ(٤)

ففتح « الألف » ، لأنها بمعنى الفعل . ويدلك على أن ذلك كذلك قوله : « ولا جَوْعة » ، وإن ضُمت « الألف »من« الأكلة » كان معناه : الطعام الذى أكلته ، فيكون معنى ذلك حينئذ : ما طعام أكلته بغنيمة .

* * *

---

(١) انظر تفسير « وابل » فيما سلف قريباً ص : ٥٢٤ .

(٢) فى المطبوعة : « والهدء » ، وأثبت ما فى المخطوطة . ولم يشر الطبرى إلى ضم الكاف فى « الأكل » وهى قراءتنا فى مصحفنا .

(٣) أبو مضرس النهدى .

(٤) حماسة الشجرى : ٢٤ ، من أبيات جياد ، وقبله ، بروايته ، وهى التى أثبتها :

وَإِنِّى لَمِنْ قَوْمٍ إِذَا حَارَبُوا العِدَى سَمَوْا فَوْقَ جُرْدٍ لِلطِّعَانِ كِرَامِ
وَإِنِّى إِذَا مَا القَوْتُ قَلَّ لَمُؤْثِرٌ رَفِيقِى عَلَى نَفْسِى بِجُلِّ طَعَامِى
فَمَا أَكْلَةٌ إِنْ نِلْتُهَا بِغَنِيمَةٍ . . . . . .

وكان فى المطبوعة : « وما أكلة أكلتها » ، وفى المخطوطة : « وما أكله إن أكلتها » ، وظاهر أن الناسخ أخطأ فوضع « أكلتها » مكان « نلتها » ، وإن كان كلام الطبرى فى شرح البيت يوهم أن روايته :«وما أكلته أكلتها ... » . وقوله : « بغرام» ، أى بعذاب شديد . والغرام : اللازم من العذاب والشر الدائم .

وأما قوله : «فإن لم يصبها وابل فطلٌ» ، فإن «الطل» ، هو النَّدَى ، واللِّيّن من المطر ، كما : —

٦٠٨٢ — حدثنا عباس بن محمد قال، حدثنا حجاج قال ، قال ابن جريج : «فطل» ، ندى = عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس .

٦٠٨٣ — حدثنى موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى: أما «الطل» ، فالندى .

٦٠٨٤ — حدثنا بشر قال حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : «فإن لم يصبها وابل فطل» ، أى طشٌ .

٦٠٨٥ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك : «فطل»، قال : الطل الرذاذ من المطر ، يعنى اللِّيّن منه .

٦٠٨٦ — حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : «فطل» ، أى طشٌ .

* * *

قال أبو جعفر : وإنما يعنى تعالى ذكره بهذا المثل : كما ضعَّفتُ ثمرة هذه الجنة التى وصفتُ صفتها حين جاد الوابل ، فإن أخطأ هذا الوابل ، فالطل كذلك . يضعِّف الله صَدقة المتصدِّق والمنفق ماله ابتغاء مرضاته وتثبيتاً من نفسه ،من غير منٍّ ولا أذى ،قلَّت نفقته أو كثرت ، لا تخيب ولا تُخلِف نفقته ، كما تضعَّف الجنة التى وصف جل ثناؤه صفتها ، قَلَّ ما أصابها من المطر أو كثُر ، لا يُخلِف خيرُها بحال من الأحوال .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٦٠٨٧ — حدثنى موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : «فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل» ، يقول : كما أضعفتُ

ثمرة تلك الجنة، فكذلك تُضاعف ثمرة هذا المنفق ضِعفين .

٦٠٨٨ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل»، هذا مثل ضربه الله لعمل المؤمن، يقول : ليس لخيره خُلْف ، كما ليس لخير هذه الجنة خُلْف على أيّ حال ، إمَّا وابلٌ، وإمَّا طلّ .

٦٠٨٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : هذا مثل من أنفق ماله ابتغاء مرضاة الله .

٦٠٩٠ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله » الآية ، قال : هذا مثل ضربه الله لعمل المؤمن .

* * *

فإن قال قائل : وكيف قيل : « فإن لم يصبها وابل فطل » ، وهذا خبرٌ عن أمر قد مضى ؟

قيل: يراد فيه «كان» . ومعنى الكلام : فآتت أكلها ضعفين ، فإن لم يكن الوابلُ أصابها ، أصابها طل . وذلك في الكلام نحو قول القائل : « حَبَسْتُ فرسين، فإن لم أحبس اثنين فواحدًا بقيمته » ، بمعنى : « إلا أكن » – لا بدَّ من إضمار « كان » ، لأنه خبر . [1] ومنه قول الشاعر : [2]

إِذَا مَا انْتَسَبْنَا لَمْ تَلِدْنِي لَئِيمَةٌ وَلَمْ تَجِدِي مِنْ أَنْ تُقِرِّي بِهَا بُدًّا [3]

* * *

(١) هذا كله في معاني القرآن للفراء ١ : ١٧٨ .

(٢) زائدة بن صعصعة الفقعسي .

(٣) سلف تخريجه وبيانه في ٢ : ١٦٥ ، ٣٥٣ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٢٦٥)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « والله بما تعملون » ، أيها الناس ، فى نفقاتكم التى تنفقونها = « بصير » لا يخفى عليه منها ولا من أعمالكم فيها وفى غيرها شىء ، يعلم مَنِ المنفق منكم بالمنّ والأذى ، والمنفق ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من نفسه ، فيُحصى عليكم حتى يجازىَ جميعَكم جزاءه على عمله ، إن خيراً فخيراً ، وإن شرًّا فشرًّا .

وإنما يعنى بهذا القول جل ذكره ، التحذيرَ من عقابه فى النفقات التى ينفقها عباده وغير ذلك من الأعمال : أن يأتى أحدٌ من خلقه ما قد تقدّم فيه بالنهى عنه ، أو يفرّطَ فيما قد أمر به ، لأن ذلك بمرأى من الله ومَسمَع ، يعلمه ويحصيه عليهم ، وهو لخلقه بالمرصاد .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ﴾ ٣/٥٠

قال أبو جعفر : ومعنى ذلك :[2] « يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ، فمثله كمثل صَفوان عليه تراب فأصابه وابلٌ فتركه صلداً لا يقدرون على شىء مما كسبوا » = « أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار له فيها

---

(١) فى المطبوعة : « بخلقه » ، لم يحسن قراءة المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « يعنى تعالى ذكره » ، لا أدرى لم غيره الطابع .

من كل الثمرات وأصابه الكبر »، الآية.[١]

* * *

ومعنى قوله : « أيود أحدكم »، أيحب أحدكم،[٢] = « أن تكون له جنة »، يعنى: بستاناً[٣] = « من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار »، يعنى : من تحت الجنة = «وله فيها من كل الثمرات »، و «الهاء» فى قوله « له » عائدة على « أحد »، و « الهاء » و «الألف » فى « فيها » على « الجنة » = « وأصابه »، يعنى : وأصاب أحدكم = « الكبر وله ذرية ضعفاء »

* * *

وإنما جعل جل ثناؤه البستانَ من النخيل والأعناب = الذى قال جل ثناؤه لعباده المؤمنين : أيود أحدكم أن تكون له= [٤] مثلاً لنفقة المنافق التى ينفقها رئاء الناس ، لا ابتغاء مرضاة الله، فالناس — بما يظهر لهم من صدقته وإعطائه لما يعطى وعمله الظاهر — يثنون عليه ويحمدونه بعمله ذلك أيام حياته = [٤] فى حسنه كحسن البستان ، وهى الجنة التى ضربها الله عز وجل لعمله مثلاً = [٤]من نخيل وأعناب له فيها من كل الثمرات ، لأن عمله ذلك الذى يعمله فى الظاهر فى الدنيا فيه من كل خير من عاجل الدنيا ، يدفع به عن نفسه ودمه وماله وذريته ، ويكتسب به المحمَدة وحسن الثناء عند الناس ، ويأخذ به سهمه من المغنم ، مع أشياء كثيرة يكثر إحصاؤها ، فله فى ذلك من كل خير فى الدنيا ، كما وصف جل ثناؤه الجنة التى وصف مثلاً لعمله ، بأن فيها من كل الثمرات .[٥]

* * *

---

(١) يعنى أبو جعفر : أن هذه الآية ، مردودة على الآية السابقة التى ساقها .

(٢) انظر تفسير « ود » فيما سلف ٢ : ٤٧٠ .

(٣) انظر تفسير « جنة » فيما سلف قريباً : ٥٣٥ تعليق : ١ ، ومراجعه .

(٤) وضعت هذا الرقم على هذه المواضع جميعاً لكى أبين سياق هذه الجملة المتراكبة ، وهذا سياقها ، وما بين ذلك فصول متتابعة : « وإنما جعل ثناؤه البستان ... مثلا لنفقة المنافق . . . فى حسنه كحسن البستان وهى الجنة . . . من نخيل وأعناب . . . »

(٥) فى المطبوعة والمخطوطة : « بعمله » والصواب ما أثبت ، وسياق الجملة : « كما وصف جل ثناؤه الجنة ، . . . بأن فيها من كل الثمرات » .

ثم قال جل ثناؤه : « وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء »، يعنى أنّ صاحب الجنة أصابه الكبر = « وله ذرية ضعفاء » ، صغارٌ أطفال =[1] « فأصابها » ، يعنى : فأصاب الجنة — « إعصار فيه نار فاحترقت » ، يعنى بذلك أنّ جنته تلك أحرقتها الريح التى فيها النار ، فى حال حاجته إليها وضرورته إلى ثمرتها بكبره ، وضعفه عن عمارتها ، وفى حال صغر ولده وعجزه عن إحيائها والقيام عليها . فبقى لا شىء له ، أحوجَ ما كان إلى جنته وثمارها ، بالآفة التى أصابتها من الإعصار الذى فيه النار .

يقول : فكذلك المنفق ماله رئاء الناس ، أطفأ الله نوره ، وأذهب بهاء عمله ، وأحبط أجره ، حتى لقيه وعاد إليه أحوجَ ما كان إلى عمله ، حين لا مُسْتَعْتَبَ له ،[2] ولا إقالة من ذنوبه، ولا توبة، واضمحل عمله ، كما احترقت الجنة التى وصف جل ثناؤه صفتها عند كبر صاحبها وطفولة ذريته ، أحوجَ ما كان إليها ، فبطلت منافعها عنه .

* * *

وهذا المثل الذى ضربه الله للمنفقين أموالهم رئاء الناس فى هذه الآية ، نظير المثل الآخر الذى ضربه لهم بقوله : « فمثله كمثل صفوان عليه ترابٌ فأصابه وابلٌ فتركه صلدًا لا يقدرُون على شىء مما كسبوا » .

* * *

قال أبو جعفر : وقد تنازع أهل التأويل فى تأويل هذه الآية ، إلا أن معانى قولهم فى ذلك وإن اختلفت تصاريفهم فيها ، عائدةٌ إلى المعنى الذى قلنا فى ذلك . وأحسنهم إبانة لمعناها ، وأقربهم إلى الصواب قولاً فيها ، السدى .

٦٠٩١ — حدثنى موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن

---

(١) قد مضت « ذرية » فيما سلف ٣ : ١٩ ، ٧٣ ، ولم يفسرها . وذلك من اختصاره لتفسيره كما بينا فى مقدمة الجزء الأول، وكما جاء فى ترجمته .

(٢) لا مستعتب : أى لا استقالة ولا استدراك ولا استرضاء لله تعالى : من قولهم : « استعتبت فلاناً » أى استقلت مما فعلت ، وطلبت رضاه ، ورجعت عن الإساءة إليه .

السدى : « أيود أحدكم أن تكون له جنةٌ من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت » ، هذا مثل آخر لنفقة الرياء . إنه ينفق ماله يرائى الناس به ، فيذهب ماله منه وهو يرائى ، فلا يأجره الله فيه . فإذا كان يوم القيامة واحتاجَ إلى نفقته ، وجدها قد أحرقها الرياء فذهبت ، كما أنفق هذا الرجل على جنته ، حتى إذا بلغت وكثر عياله واحتاج إلى جنته ، جاءت ريح فيها سَموم فأحرقت جنته ، فلم يجد منها شيئاً . (١) فكذلك المنفق رياء .

٦٠٩٢ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله عز وجل : « أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب » ، كمثل المفرِّط فى طاعة الله حتى يموت . قال ، يقول : أيود أحدكم أن يكون له دنيا لا يعمل فيها بطاعة الله ، كمثل هذا الذى له جنات تجرى من تحتها الأنهار ، « له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر
٥١/٣ وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصارٌ فيه نار فاحترقت » ، فمثله بعد موته كمثل هذا حين أحرقت جنته وهو كبير لا يغنى عنها شيئاً ، وولده صغار لا يغنون عنها شيئاً . وكذلك المفرِّط بعد الموت ، كل شىء عليه حَسْرة .

٦٠٩٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٦٠٩٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن عبد الملك ، عن عطاء قال : سأل عُمر الناس عن هذه الآية ، فما وجد أحداً يشفيه ، حتى قال ابن عباس وهو خلفه : يا أمير المؤمنين ، إنّى أجد فى نفسى منها شيئاً . قال : فتلفت إليه فقال : تحوّل ههنا ، لم تحقّر نفسك؟ قال : هذا مثل ضربه الله عز وجل

---

(١) فى المخطوطة : « ريح فيها سمره » والهاء الأخيرة متصلة بالراء ، ولم أجد لها وجهاً ، والذى فى المطبوعة ، هو ما فى الدر المنثور ١ : ٣٤٠ ، وفى سائر الآثار الأخرى .

فقال: أيود أحدكم أن يعمل عمره بعمل أهل الخير وأهل السعادة ، حتى إذا كان أحوجَ ما يكون إلى أن يختمه بخير حين فنى عمره واقترب أجله ، ختم ذلك بعمل من عمل أهل الشقاء فأفسده كله ، فحرّقه أحوج ما كان إليه .(١)

٦٠٩٥ــ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن محمد بن سليم ، عن ابن أبي مليكة : أن عمر تلا هذه الآية : « أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب » ، قال : هذا مثل ضرب للإنسان: يعمل عملاً صالحاً ، حتى إذا كان عند آخر عمره أحوجَ ما يكون إليه ، عمل عمل السوء .(٢)

٦٠٩٦ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن جريج قال ، سمعت أبا بكر بن أبي مليكة ، يخبر عن عبيد بن عمير أنه سمعه يقول : سأل عمر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : فيم تَرَون أنزلت : « أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب » ؟ فقالوا : الله أعلم . فغضب عمر فقال : قولوا : « نعلم » أو « لا نعلم » . فقال ابن عباس : في نفسي منها شيء، يا أمير المؤمنين . فقال عمر : قل يا ابن أخي، ولا تحقّر نفسك ! قال ابن عباس : ضربت مثلاً لعمل . قال عمر : أي عمل ؟ قال لعمل . فقال عمر : رجل غنيٌّ يعمل الحسنات ، ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله كلها = قال : وسمعت عبد الله بن أبي مليكة يحدث نحو هذا عن ابن عباس ، سمعه منه .(٣)

---

(١) الأثر : ٦٠٩٤ ــ أشار إليه الحافظ ابن حجر في الفتح ٨ : ١٥١ في كلامه عن الأثر التالي : ٦٠٩٦ .

(٢) الأثر : ٦٠٩٥ ــ « محمد بن سليم المكي أبو عثمان » . روى عن ابن أبي مليكة ، قال الحافظ ابن حجر : « ولم أر له رواية عن غيره » . روى عنه وكيع بن الجراح ، وعبد الله بن داود الخريبي ، وأبو عاصم النبيل . مترجم في التهذيب . وهذا الأثر أشار إليه الحافظ في الفتح ٨ : ١٥١ في كلامه عن الأثر : ٦٠٩٦ .

(٣) الأثر : ٦٠٩٦ ــ رواه البخاري من طريق هشام بن يوسف ، عن ابن جريج ، وأشار الحافظ في الفتح ٨ : ١٥١ ، إلى رواية الطبري له من طريق ابن المبارك ، عن ابن جريج . وكان في

٦٠٩٧ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : سمعت أبا بكر بن أبي مليكة يخبر أنه سمع عبيد بن عمير = قال ابن جريج : وسمعت عبد الله بن أبي مليكة قال :سمعت ابن عباس = قالا جميعاً : أن عمر بن الخطاب سأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه =إلا أنه قال عمر : للرجل يعمل بالحسنات ، ثم يُبعث له الشيطان فيعمل بالمعاصي .(١)

٦٠٩٨ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : سألت عطاء عنها = ثم قال ابن جريج : وأخبرني عبد الله بن كثير ، عن مجاهد = قالا : ضربت مثلاً للأعمال = قال ابن جريج : وقال ابن عباس : ضربت مثلا للعمل ، يبدأ فيعمل عملاً صالحاً فيكون مثلا للجنة التي من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات – ثم يسيء في آخر عمره ، فيتمادى على الإساءة حتى يموت على ذلك ، فيكون الإعصار الذي فيه نار التي أحرقت الجنة ، مثلاً لإساءته التي مات وهو عليها . قال ابن عباس : الجنة عيشُه وعيش ولده ، فاحترقت فلم يستطع أن يدفع عن جنته من أجل كبره ، ولم يستطع ذريته أن يدفعوا عن جنتهم من أجل صغرهم ، حتى احترقت . يقول: هذا مثله، يلقاني وهو أفقر ما كان إليّ، فلا يجد له عندي شيئاً ،(٢) ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه من عذاب الله شيئاً ، ولا يستطيع من كبره وصغر أولاده أن يعملوا جنة .(٣) كذلك لا توبة إذا انقطع العمل ، حين مات = قال

المطبوعة : « رحل عني » مهملة ، والصواب ما أثبت من المراجع . وانظر التعليق التالي .

(١) الأثر : ٦٠٩٧ – رواه الحاكم في المستدرك ٢ : ٢٨٣ ، وأشار إليه الحافظ في الفتح ٨ : ١٥١ وهو مكرر الذي قبله. وساقه الحاكم بلفظه وقال: « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي .

(٢) في المطبوعة : « تلقاه » ، وفي المخطوطة « بلمال » مصحفة مضطربة الخط ، وهذا صواب قراءتها .

(٣) في المخطوطة : « من كبره وصغره أن يعملوا جنته » ، وما في المطبوعة أشبه بالصواب .

ابن جريج، عن مجاهد، سمعت ابن عباس قال : هو مثل المفرِّط في طاعة الله حتى يموت = قال ابن جريج ، وقال مجاهد : أيود أحدكم أن تكون له دنيا لا يعمل فيها بطاعة الله ، كمثل هذا الذى له جنة ؟ فمثله بعد موته كمثل هذا حين احترقت جنته وهو كبير لا يغنى عنها شيئاً ،(١) وأولاده صغار ولا يغنون عنه شيئاً . وكذلك المفرِّط بعد الموت ، كل شيء عليه حسرة .

٦٠٩٩ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار » الآية ، يقول: أصابها ريح فيها سموم شديد(٢) = « كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون » ، : فهذا مثلٌ ، فاعقلوا عن الله جل وعز أمثاله ، فإنه قال : ٥٢/٣ ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ [سورة العنكبوت: ٤٣]، هذا رجل كبرت سنه، ورَقَّ عظمه، وكثر عياله ،(٣) ثم احترقت جنته على بقية ذلك ، كأحوج ما يكون إليه ، يقول : أيحب أحدكم أن يضلَّ عنه عمله يوم القيامة كأحوج ما يكون إليه ؟

٦١٠٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « أيود أحدكم أن تكون له جنةٌ » إلى قوله : « فاحترقت» يقول : فذهبت جنته كأحوج ما كان إليها حين كبرت سِنُّه وضعُف عن الكسب = « وله ذرية ضعفاء » ، لا ينفعونه . قال : وكان الحسن يقول : « فاحترقت » فذهبت أحوجَ ما كان إليها ، فذلك قوله : أيود أحدكم أن يذهب عمله أحوجَ ما كان إليه ؟

---

(١) فى المطبوعة : « حين أحرقت جنته » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « سموم شديدة » ، و « السموم » مذكر ، ويؤنث ، لمعنى الريح الحارة .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « دق عظمه » ، والصواب بالراء ، وفى حديث عثمان : « كبرت سنى ، ورق عظمى » ، وقولهم : « رق عظم فلان» ، أى كبر وضعف . والرقق (بفتحتين) . ضعف العظام ، قال الشاعر فى ناقته :

خَطَّارَةٌ بَعْدَ غِبِّ الجَهْدِ ، نَاجِيَةٌ لم تَلْقَ فِى عَظْمِهَا وَهْنًا ولَا رَقَقَا

٦١٠١ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ضرب الله مثلاً حسناً ، وكل أمثاله حسنٌ تبارك وتعالى . وقال قال : (١) « أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل » إلى قوله : « فيها من كل الثمرات » . يقول : صنعه في شبيته ، فأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء عند آخر عمره ، فجاءه إعصار فيه نار فاحترق بستانه ، فلم يكن عنده قوة أن يغرس مثله ، ولم يكن عند نسله خير يعودون به عليه . وكذلك الكافر يوم القيامة ، إذا رُدّ إلى الله تعالى، ليس له خيرٌ فيستعتب . (٢) كما ليس لهذا قوة فيغرس مثل بستانه ، (٣) ولا يجد خيراً قدم لنفسه يعود عليه ، كما لم يغن عن هذا ولده ، وحُرِم أجره عند أفقرِ ما كان إليه ، كما حرم هذا جنته عند أفقر ما كان إليها عند كبره وضعف ذريته . وهو مثل ضربه الله عز وجل للمؤمن والكافر فيما أوتيا في الدنيا : كيف نجّى المؤمنَ في الآخرة ، وذخر له من الكرامة والنعيم ، وخزَن عنه المال في الدنيا، وبسط للكافر في الدنيا من المال ما هو منقطعٌ ، وخزَن له من الشر ما ليس بمفارقه أبداً، ويخلد فيها مهاناً، من أجل أنه [فخر على صاحبه] ووثق بما عنده ، (٤) ولم يستيقن أنه ملاق ربه . (٥)

---

(١) في المخطوطة : « وقال قال أيوب : أيود أحدكم » ، وقوله : « أيوب » لا معنى له هنا ، ليس في هذا الإسناد من اسمه « أيوب » ، ولو كان أيضاً ، لكان سياقاً مضطرباً . وظاهر أن « أيوب » هي « أيود » ، والناسخ في هذا الموضع قد اضطرب . كما سترى في التعليق التالي . وصحته ما جاء في الدر المنثور ١ : ٣٤٠ ، كما سترى بعد .

(٢) كان بين الكلمات في المخطوطة بياض هكذا : « ذرية ضعفاء عمره فجاءه إعصار فيه نار فاحترقت عنده قوة إن نسله خير يعودون الكافر يوم القيامة إذا رد إلى خير فيستعتب » ، وهو مع البياض خاط من الكلام ! وأثبت ما في المطبوعة ، وهو نص الأثر كما أخرجه السيوطي في الدر المنثور ١ : ٣٤٠ ، ونسبه لابن جرير وأبي حاتم . وابن كثير في التفسير ٢ : ٣٨ ، ٣٩ .

(٣) في المخطوطة والمطبوعة : « كما ليس له قوة » ، والصواب من الدر المنثور ، وابن كثير .

(٤) الذي بين القوسين هو ما ثبت في المطبوعة ، أما المخطوطة فكانت : « من أكل أنه ووثق بما عنده » بياض . ولم أجد بقية الأثر في المراجع السالفة ، فتركت ما استظهره طابع المطبوعة على حاله . ولو استظهرته لقلت : « من أجل أنه كفر بلقاء ربه » ، والله أعلم .

(٥) الأثر : ٦١٠١ – في الدر المنثور ١ : ٣٤٠ ، وابن كثير ٢ : ٣٨ ، ٣٩ ، كما أسلفت .

٦١٠٢ – حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع : « أيود أحدكم أن تكون له جنة »، الآية ، قال : [هذا مثل ضربه الله] : أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب [له فيها من كل الثمرات] ، والرجل [قد كبر سنه وضعف]، وله أولاد صغار [وابتلاهم الله] في جنتهم، (١) فبعث الله عليها إعصاراً فيه نار فاحترقت، (٢) فلم يستطع الرجل أن يدفع عن جنته من الكبر، (٣) ولا ولده لصغرهم ، فذهبت جنته أحوجَ ما كان إليها . يقول : أيحب أحدكم أن يعيش في الضلالة والمعاصي حتى يأتيه الموت ، فيجيء يوم القيامة قد ضلّ عنه عمله أحوجَ ما كان إليه ؟ فيقول : ابن آدم ، أتيتني أحوجَ ما كنت قطُّ إلى خير ، فأين ما قدمت لنفسك ؟

٦١٠٣ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد ، وقرأ قول الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا لا تُبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى » ، ثم ضرب ذلك مثلاً فقال : « أيود أحدكم أن تكون له جنّة من نخيل وأعناب » ، حتى بلغ « فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت » . قال : جرت أنهارها وثمارها ، وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت . أيودُّ أحدكم هذا ؟ كما يتجمّل أحدكم إذ يخرُج من صدقته ونفقته، (٤) حتى إذا كان له عندي جنّة وجرت أنهارها وثمارها

---

(١) الذي وضعته بين الأقواس ، هو ما استظهر الطابع في المطبوعة فيما أرجح ، وكان مكانه في المخطوطة بياض .

(٢) كان في المخطوطة : « فبعث الله عنها إعصار فيه نار » ، وهو تحريف وخطأ ، وما في المطبوعة أشبه بالصواب .

(٣) في المخطوطة : « من الكفر » ، وهو خطأ بين .

(٤) في المطبوعة « فما يحمل » ، وفي المخطوطة « كما يحمل » ، ثم فيهما جميعاً : « أن يخرج » ، وهو كلام لا مفهوم له . واستظهرت قراءتها كذلك ، لأن الذي يخرج نفقته رئاء الناس ، إنما يتجمل بذلك عندهم . وهذا هو صواب سياق الأثر . والمخطوطة كما تبين من التعليقات السالفة ، فاسدة كل الفساد

وكانت لولده وولد ولده ، أصابها ريح إعصار فحرقها .

٦١٠٤ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك في قوله : « أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار » ، رجل غرس بستاناً فيه من كل الثمرات، فأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء ، فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت ، فلا يستطيع أن يدفع عن بستانه من كبره ، ولم يستطع ذريته أن يدفعوا عن بستانه ، فذهبت معيشته ومعيشة ذريته . فهذا مثل ضربه الله للكافر ، يقول: يلقاني يوم القيامة وهو أحوج ما يكون إلى خير يصيبه ، فلا يجد له عندي خيراً ، ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه من عذاب الله شيئاً .

* * *

قال أبو جعفر : وإنما دللنا أن الذي هو أولى بتأويل ذلك ما ذكرناه ، لأن الله جل ثناؤه تقدّم إلى عباده المؤمنين بالنهي عن المنّ والأذى في صدقاتهم ، ثم ضرب مثلاً لمن منّ وآذى من تصدق عليه بصدقة ، فمثّله بالمرائي من المنافقين المنفقين أموالهم رئاء الناس . وكانت قصة هذه الآية وما قبلها من المثل ، نظيرةَ ما ضرب لهم من المثل قبلها ، فكان إلحاقُها بنظيرتها أولى من حمل تأويلها على أنه مثلٌ ما لم يَجر له ذكر قبلها ولا معها .(١) ٥٣/٣

* * *

فإن قال لنا قائل : وكيف قيل : « وأصابه الكبر » ، وهو فعل ماض، فعطف به على قوله : « أيود أحدكم » ؟

قيل: إن ذلك كذلك، لأن قوله: « أيود » ، يصح أن يوضع فيه « لو » مكان «أن» ، فلما صلحت بـ « لو » و « أن » ، ومعناهما جميعاً الاستقبال ، استجازت العرب أن

من اضطراب كتابة الناسخ ، ومن عجلته ، أو عجزه عن قراءة النسخة التي نقل منها .

(١) انظر ما قاله القرطبي في تفسيره ٣ : ٣١٨ ، في رد اختيار ابن جرير في تفسيره . ومذهب ابن جرير أوثق وأضبط في البيان ، وفي الاستدلال .

يردّوا «فعل» بتأويل « لو » على « يفعل » مع « أن »[١]، فلذلك قال : « فأصابها »، وهو فى مذهبه بمنزلة « لو »، إذْ ضارعت « أن » فى معنى الجزاء ، فوضعت فى مواضعها ، وأجيبت « أن » بجواب « لو » و « لو » بجواب « أن » ، فكأنه قيل : أيود أحدكم لو كانت له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر ؟ [٢]

فإن قال : وكيف قيل ههنا : « وله ذرية ضعفاء »، وقال فى [النساء: ٩]، ﴿ وَلْيَخْشَ الذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِم ذُرِّيَّةً ضِعَافًا ﴾ ؟

قيل : لأن « فعيلاً » تجمع على « فعلاء » و « فِعال » ، فيقال : « رجل ظريف ، من قوم ظرفاء وظراف » .

* * *

وأما « الإعصار »، فإنه الريح العاصف تهب من الأرض إلى السماء ، كأنها عمود ، تجمع « أعاصير » ، ومنه قول يزيد بن مفرغ الحميرى :

أُنَاسٌ أَجَارُونَا ، فَكَانَ جِوارُهُمْ أَعَاصِيرَ مِنْ فَسْوِ العِرَاقِ المُبَذَّرِ [٣]

* * *

---

(١) أى : أن يردوا الفعل الماضى بتأويل « لو » على الفعل المضارع مع « أن » .

(٢) هذا نص مقالة الفراء فى معانى القرآن ١ : ١٧٥ ، وقد استوفى الباب هناك . وانظر ما سلف فى جواب « لو » بالماضى من الفعل ٢ : ٣/٤٥٨ : ١٨٤ ، ١٨٥ ، والتعليق هناك .

(٣) تاريخ الطبرى ٦ : ١٧٨ ، والأغانى ١٧ : ١٧٨ : وسيأتى فى التفسير ١٥ : ٥٣ ، مصحفاً أيضاً : « من فسق العراق المبذر » . والبيت فى المطبوعة والمخطوطة هنا : « من سوء العراق المنذر » ، وهو كلام بلا معنى ، ولكنى رأيت شارحاً شرحه على ذلك ، فأشهد الله أنه كاد يقتلنى من فرط الضحك !

وهو من أبيات ثلاثة قالها ابن مفرغ فى خبره مع عباد بن زياد ، حين هجاه ، وهجا معاوية بن أبى سفيان (وانظر ما سلف ٤ : ٢٩٣ وتعليق: ٢) وفارق عباداً مقبلا إلى البصرة ، فطاف بأشرافها من قريش يستجير بهم ، فما كان منهم إلا الوعد ، ثم أتى المنذر بن الجارود (من عبد القيس) فأجاره وأدخله داره ، ووشى الوشاة به إلى عبيد الله بن زياد أنه فى دار المنذر . وكان المنذر فى مجلس عبيد الله ، فلم يشعر إلا بابن مفرغ قد أقيم على رأسه ، فقام المنذر فقال : أيها الأمير ، قد أجرته ! فقال : يا منذر ، والله يمدحنك وأباك ويهجونى أنا وأبى ، ثم تجيره على ! فأمر به فسقى دواء وحمل على حمار يطاف به وهو

قال أبو جعفر : واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « إعصار فيه نار فاحترقت ».

فقال بعضهم : معنى ذلك : ريح فيها سموم شديدة .

* ذكر من قال ذلك :

٦١٠٥ — حدثنى محمد بن عبد الله بن بزيع قال، حدثنا يوسف بن خالد السمتى قال ، حدثنا نافع بن مالك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قوله : « إعصار فيه نار » ، ريح فيها سموم شديدة .

٦١٠٦ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن عطية قال ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحق ، عن التيمى ، عن ابن عباس فى : « إعصار فيه نار» ، قال : السموم الحارة التى خلق منها الجان ، التى تحرق .

يسلح فى ثيابه من جراء الدواء ، فقال عندئذ لعبيد الله بن زياد :

يَغْسِلُ المَاءُ مَا صَنَعْتَ ، وَقَوْلِى رَاسِخٌ مِنْكَ فِى العِظَامِ البَوَالِى

ثم هجا المنذر بن الجارود فقال :

تَرَكْتُ قُرَيْشًا أَنْ أُجَاوِرَ فِيهِمُ وَجَاورْتُ عبدَ القَيْسِ أَهْلَ المُشَقَّرِ
أُناسٌ أَجَارُونَا ! ! فَكَانَ جِوَارُهُمْ أَعَاصِيرَ مِنْ فَسْوِ العِرَاقِ المُبَذَّرِ
فَأَصْبَحَ جَارِى مِنْ جَذِيمَةَ نَائِمًا ولا يَمْنَعُ الجِيرَانَ غَيْرُ المُشَمِّرِ

وقوله : « من فسو العراق » ، وذلك أن عبد القيس وبنى حنيفة وغيرهم من أهل البحرين وما جاورها، كانوا يعيرون بالفسو ، لأن بلادهم بلاد نخل ، فيأكلونه ، ويحدث فى أجوافهم الرياح والقراقير . والمبذر : من التبذير ، وهو الإسراف فى المال وتشتيته وتفريقه . وهذه صفة قد انتزعها ابن مفرغ أحسن انتزاع فى هذا الموضع ، فجعلت سخريته بالمنذر بن الجارود، ألذع ما تكون ، مع روعة قوله : « أعاصير » ! ! وقد جاء الأخطل بعد ذلك فهجا ابنه أيضاً مالك بن المنذر بن الجارود ، فقال له :

وَعَبْدُ القَيْسِ مُصْفَرٌّ لِحَاهَا كَأَنَّ فُسَاءَهَا قِطَعُ الضِّبَابِ !!

فبلغ منه ما بلغ ! ! ، وانظر طبقات فحول الشعراء : ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، والتعليق هناك .

٦١٠٧ – حدثنا أحمد[١] قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا شريك ، عن أبي إسحق، عن التيمي ، عن ابن عباس : « فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت » ، قال : هي السموم الحارة التي لا تبقي أحداً .[٢]

٦١٠٨ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا الحماني قال، حدثنا شريك ، عن أبي إسحق ، عن التيمي، عن ابن عباس : « إعصار فيه نار فاحترقت » ، التي تقتل .

٦١٠٩ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عمن ذكره ، عن ابن عباس قال : إن السموم التي خلق منها الجان ، جزء من سبعين جزءاً من النار.

٦١١٠ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « إعصار فيه نار فاحترقت » ، هي ريح فيها سموم شديد .

٦١١١ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « إعصار فيه نار » ، قال : سموم شديد .

٦١١٢ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « إعصار فيه نار » ، يقول : أصابها ريح فيها سموم شديدة .

٦١١٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة نحوه .

٦١١٤ – حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « حدثنا حميد » ، والصواب : « أحمد » ، وهو : « أحمد بن إسحق الأهوازي » ، كما سلف مئات من المرات في روايته عن أبي أحمد الزبيري ، فاطلبه في الفهارس ، وانظر الآتي رقم : ٦١٠٩ .

(٢) في المطبوعة حذف قوله : « لا تبقي أحداً » ، وعلق عليه بقوله : « في بعض النسخ زيادة : « التي لا تضر أحداً » ، وهي في المخطوطة كذلك ، ولكن الناسخ أفسد الكلمة ، وصوابها كما أثبت : « لا تبقي أحداً » . وسيأتي في حديث التيمي عن ابن عباس ، وهو الحديث التالي : « التي تقتل » . فهذا خطأ .

السدى : « إعصار فيه نار فاحترقت »، أما الإعصار فالريح، وأما النار فالسموم.

٦١١٥ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « إعصار فيه نار »، يقول : ريح فيها سموم شديد .

* * *

وقال آخرون : هى ريح فيها برد شديد .

* ذكر من قال ذلك :

٦١١٦ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر قال : كان الحسن يقول فى قوله: « إعصار فيه نار فاحترقت »، فيها صِرٌّ وبرد.(١)

٦١١٧ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك : « إعصار فيه نار فاحترقت » ، يعنى بالإعصار ، ريح فيها بَرْدٌ .

* * *

٥٤/٣ القول فى تأويل قوله ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢٦٦)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : كما بيَّن لكم ربُّكم تبارك وتعالى أمرَ النفقة فى سبيله، وكيف وجْهُها ، وما لكم وما ليس لكم فعله فيها = كذلك يبين لكم الآيات سوى ذلك ، فيعرّفكم أحكامها وحلالها وحرامها، ويوضح لكم حُججها، إنعاماً منه بذلك عليكم = « لعلكم تتفكرون » ، يقول : لتتفكروا بعقولكم ، فتتدبّروا وتعتبروا بحجج الله فيها ، وتعملوا بما فيها من أحكامها ، فتطيعوا الله به .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

---

(١) الصر (بكسر الصاد) . البرد الذى يضرب النبات ويحرقه .

• ذكر من قال ذلك :

٦١١٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى قال ، قال مجاهد : « لعلكم تتفكرون » ، قال : تطيعون .

٦١١٩ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون » ، يعنى : فى زوال الدنيا وفنائها ، وإقبال الآخرة و بقائها .

• • •

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « يا أيها الذين آمنوا » ، صدقوا بالله ورسوله وآى كتابه .

• • •

ويعنى بقوله : « أنفقوا » ، زكُّوا وتصدقوا ، كما : —

٦١٢٠ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « أنفقوا من طيبات ما كسبتم » ، يقول : تصدَّقوا .

• • •

القول فى تأويل قوله ﴿ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾

يعنى بذلك جل ثناؤه: زكوا من طيِّب ما كسبتم بتصرُّفكم = إما بتجارة، وإما بصناعة = من الذهب والفضة .

ويعنى بـ « الطيبات »، الجياد، يقول : زكوا أموالكم التى اكتسبتموها حلالاً وأعطوا فى زكاتكم الذهبَ والفضة ، الجيادَ منها دون الردىء ، كما :—

٦١٢١ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد فى هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم » ، قال : من التجارة .

٦١٢٢ – حدثنى موسى بن عبد الرحمن قال، حدثنا زيد بن الحباب قال ، وأخبرنى شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد مثله .

٦١٢٣ – حدثنى حاتم بن بكر الضبّى قال ، حدثنا وهب ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد مثله .

٦١٢٤ – حدثنى المثنى قال، حدثنا آدم قال ، حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد فى قوله : « أنفقوا من طيبات ما كسبتم » ، قال : التجارة الحلال .

٦١٢٥ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن عبد الله بن معقل : « أنفقوا من طيبات ما كسبتم » ، قال : ليس فى مال المؤمن من خبيث ، ولكن لا تيمموا الخبيث منه تنفقون .

٦١٢٦ – حدثنى عصام بن روّاد بن الجراح قال، حدثنا أبى قال، حدثنا أبو بكر الهذلى ، عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة قال : سألت على بن أبى طالب صلوات الله عليه، عن قوله: « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم »، قال : من الذهب والفضة .

٦١٢٧ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد فى قوله : « من طيبات ما كسبتم »، قال : التجارة .

٦١٢٨ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٦١٢٩ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنى معاوية، عن على ، عن ابن عباس قوله : « أنفقوا من طيبات ما كسبتم » ، يقول : من

أطيب أموالكم وأنفسِه .[١]

٦١٣٠ – حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم » ، قال : من هذا الذهب والفضة .[٢]

* * *

القول فى تأويل قوله جل وعز ﴿وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وأنفقوا أيضاً مما أخرجنا لكم من الأرض، فتصدّقوا وزكّوا من النخل والكرم والحنطة والشعير ، وما أوجبتُ فيه الصدقة من نبات الأرض ، كما :–

٦١٣١ – حدثني عصام بن روّاد قال، حدثني أبي قال، حدثنا أبو بكر الهذلى ، عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة قال : سألت عليًّا صلوات الله عليه عن قول الله عز وجل : « ومما أخرجنا لكم من الأرض » ، قال : يعنى من الحب والثّمر، وكل شيء عليه زكاة . ٥٥/٣

٦١٣٢ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : « ومما أخرجنا لكم من الأرض » ، قال النخل .

٦١٣٣ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد: « ومما أخرجنا لكم من الأرض » ، قال: من ثمر النخل.

---

(١) الأثر : ٦١٢٩ – فى الدر المنثور ١ : ٣٤٦، وسيأتى الأثر بتمامه فى رقم : ٦١٥٢ وقوله : « من أطيب أموالكم وأنفسه » ، وهو صحيح فى العربية ، يعود ضمير المفرد ، على الجمع فى « أفعل » ، وقد مضى ما قلنا فى ذلك فى التعليق على الأثر : ٥٩٦٨ ، وإن اختلفت العبارتان وافترقتا . وانظر همع الهوامع ١ : ٥٩ .

(٢) فى المطبوعة : حذف « هذا » لغير شيء ! !

٦١٣٤ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا هشيم قال ، حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد قوله : « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم » ، قال : من التجارة = « ومما أخرجنا لكم من الأرض » ، من الثمار .

٦١٣٥ – حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ومما أخرجنا لكم من الأرض » ، قال : هذا فى التمر والحبّ .

* * *

القول فى تأويل قوله جل وعز ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « ولا تيمموا الخبيث » ، ولا تعمدوا، ولا تقصدوا .

* * *

وقد ذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله : ﴿وَلَا تَؤُمُّوا﴾ من «أممت»،[1] وهذه من « يممت »،[2] والمعنى واحدٌ وإن اختلفت الألفاظ .

* * *

يقال : « تأممت فلاناً » ، و« تيممته »، و« أممته » ، بمعنى : قصدته وتعمدته ، كما قال ميمون بن قيس الأعشى .

تَيَمَّمْتُ قَيْسـاً ، وَكَمْ دُونَهُ مِنَ الأَرْضِ مِنْ مَهْمَهٍ ذِى شَزَنْ[3]

وكما : –

---

(١) فى المطبوعة : « ولا تأموا » ، وكذلك فى القرطبى ، ولكن أبا حيان فى تفسيره ١ : ٣١٨ قد نص على أن الطبرى حكى فى قراءة عبد الله : « ولا تأموا » من « أممت » ، فوافق ما فى المخطوطة ، فأثبتها كذلك ، وهى الصواب إن شاء الله .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « تيممت » ، وهو سقيم ، والصواب ما أثبت . وأموا المكان ويمموه ، بمعنى واحد ، وهى على البدل ، أبدلت الهمزة ياء ، ولذلك كانت فى مادة (أم) من دواوين اللغة ، غير الجوهرى .

(٣) ديوانه : ١٦ ، وسيأتى فى التفسير ٥ : ٦٩ (بولاق) . وهو من قصيدته التى أثنى فيها على قيس بن معد يكرب الكندى ، وهى أول كلمة قالها له . وقد مضت منها أبيات فى ١ : ٣٤٥، ٣/٣٤٦ :

٦١٣٦ – حدثنا موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدى: « ولا تيمموا الخبيث »، ولا تعمَّدوا .

٦١٣٧ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة : « ولا تيمموا »، لا تعمَّدوا .

٦١٣٨ – حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبى جعفر، عن أبيه، عن قتادة مثله .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بـ « الخبيث »، الردىء، غير الجيد، يقول: لا تعمَّدوا الردىء من أموالكم فى صدقاتكم فتصدَّقوا منه، ولكن تصدَّقوا من الطيب الجيد .

* * *

وذلك أن هذه الآية نزلت فى سبب رجل من الأنصار علَّق قِنواً من حَشَف –[1] فى الموضع الذى كان المسلمون يعلقون صدقة ثمارهم – صدقةً من تمره .

* ذكر من قال ذلك :

٦١٣٩ – حدثنى الحسين بن عمرو بن محمد العنقزى قال، حدثنا أبى، عن أسباط، عن السدى، عن عدى بن ثابت، عن البراء بن عازب فى قول الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من

٥/١٩١ : ٣٩٠ والمهمه : الفلاة المقفرة البعيدة، لا ماء بها ولا أنيس، والشزن والشزونة : الغلظ من الأرض .

(١) القنو : الكباسة، وهى العذق التام بشماريخه ورطبه، هو فى التمر، بمنزله العنقود من العنب، وجمعه : أقناء . والحشف : هو من التمر ما لم ينو، فإذا يبس صلب وفسد، لا طعم له ولا لحاء ولا حلاوة .

الأرض » إلى قوله : « والله غنى حميد » ، قال : نزلت فى الأنصار. كانت الأنصار إذا كان أيام جِذاذ النخل أخرجت من حيطانها أقناء البُسر ، فعلّقوه على حبل بين الأسطوانتين فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيأكل فقراء المهاجرين منه . فيعمد الرجل منهم إلى الحَشَف فيدخله مع أقناء البسر ، يظن أن ذلك جائز. فأنزل الله عز وجل فيمن فعل ذلك : « ولا تيمّموا الخبيث منه تنفقون » ، قال : لا تيمموا الحشف منه تنفقون . (١)

٦١٤٠ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، زعم السدى ، عن عدى بن ثابت ، عن البراء بن عازب ، بنحوه = إلا أنه قال : فكان يعمد بعضُهم فيدخل قنو الحشَف = ويظن أنه جائز عنه = فى كثرة ما يوضع من الأقناء ، فنزل فيمن فعل ذلك : « ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون » ، القنوُ الذى قد حَشِفَ ، ولو أهدى لكم ما قبلتموه . (٢)

٦١٤١ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا مؤمل ، قال ، حدثنا سفيان ، عن السدى ، عن أبى مالك ، عن البراء بن عازب قال : كانوا يجيئون فى الصدقة بأردإ

---

(١) الأثر : ٦١٣٩ — الحسين بن عمرو بن محمد العنقزى ، مضى فى رقم ١٦٢٥ : ١٨٨٣ ، وهو لين يتكلمون فيه . وأبوه : عمرو بن محمد ، ثقة جائز الحديث . أخرجه الحاكم فى المستدرك ، : ٢ : ٢٨٥ من طريق عمرو بن طلحة القناد ، عن أسباط بن نصر ، وقال : «هذا حديث غريب صحيح على شرطه مسلم ، ولم يخرجاه » ، وافقه الذهبى . وذكره ابن كثير فى تفسيره ٢ : ٤٠ ، ٤١ ونسبه للحاكم ، وأنه قال : « صحيح على شرط البخارى ومسلم ولم يخرجاه » فاختلف نص كلام الحاكم . وسيأتى تمامه برقم : ٦١٥٩ ، ٦١٦٧ .

قوله : « جذاذ النخل » بالذال هنا وفى المستدرك . وجذ النخل جذاذاً ، صرمه . والأشهر فيه بالدال المهملة : « جد النخل يجده جداداً » ، صرمه وقطف ثمره . والحيطان جمع حائط : وهو بستان النخل يكون عليه حائط ، فإذا لم يكن عليه حائط . فهو ضاحية .

وقوله : « أقناء البسر » الأقناء جمع قنو ، وقد سلف فى التعليق الماضى . والبسر : التمر قبل أن يرطب ، سمى كذلك لغضاضته ، واحدته بسرة ، ثم هو بعد البسر ، رطب ، ثم تمر .

(٢) الأثر : ٦١٤٠ — هذا إسناد آخر للخبر السالف وسيأتى تمامه برقم : ٦١٦٠ وحشف التمر : صار حشفاً . وقد مضى تفسيره فى التعليق ص : ٥٥٩ رقم : ١ . وقوله : «جائز عنه » ، أى سائغ مجزئ عنه من قولهم : « جاز جوازاً » ، وأجاز له الشىء وجوزه : إذا سوغ له ما صنعه وأمضاه . وهو تعبير نادر لم تقيده كتب اللغة ، ولكنه عربى معرق .

تمرهم وأردإ طعامهم ، فنزلت : « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم » الآية .(١)

٦١٤٢ – حدثني عصام بن روّاد قال، حدثنا أبي قال ، حدثنا أبو بكر الهذلي ، عن ابن سيرين، عن عبيدة السلماني قال : : سألت علياً عن قول الله : « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون » ، قال : فقال علي : نزلت هذه الآية في الزكاة المفروضة، كان الرجل يعمد إلى التمر فيَصْرِمه،(٢) فيعزل الجيد ناحية . فإذا جاء صاحبُ الصدقة أعطاه من الردىء ، فقال عز وجل : « ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون » .

٦١٤٣ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثني عبد الجليل ابن حميد اليحصبي : أن ابن شهاب حدثه قال ، حدثني أبو أمامة بن سهل بن حنيف في الآية التي قال الله عز وجل : « ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون»، قال: هو الجُعْرُور ولَوْن حُبَيْق، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يؤخذ في الصدقة.(٣) ٥٦/٣

(١) الأثر : ٦١٤١ – رواه البيهقي في السنن ٤ : ١٣٦ من طريق أبي حذيفة ، عن سفيان ، عن السدي بغير هذا اللفظ ، وأتم منه .

(٢) صرم النخل والشجر يصرمه صرماً وصراماً : قطع ثمرها واجتناها ، مثل الجذاذ والجداد فيما سلف في التعليقات ص: ٥٦٠ .

(٣) الأثر : ٦١٤٣ – عبد الجليل بن حميد اليحصبي ، أبو مالك المصري . روى عن الزهري ، ويحيى بن سعيد وأيوب السختياني، وروى عنه ابن عجلان، وهو من أقرانه، وموسى بن سلمة، وابن وهب، وغيرهم من المصريين . قال النسائي : « ليس به بأس » ، وذكره ابن حبان في الثقات . مات سنة ١٤٨ ، مترجم في التهذيب . وهذا الأثر رواه النسائي، عن يونس بن عبد الأعلى والحارث بن مسكين ، عن ابن وهب، عن عبد الجليل بن حميد . في السنن ٥ : ٤٣ ، وآخره « . . . أن تؤخذ الصدقة الرذالة » . وروى من طرق أخرى في سنن أبي داود ٢ : ١٤٩ رقم : ١٦٠٧، والحاكم في المستدرك ٢ : ٢٨٤ من طريق سفيان ابن حسين عن الزهري ، ومن طريق سليمان بن كثير عن الزهري وقال : «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي ، والبيهقي في السنن ٤ : ١٣٦ ، وانظر تفسير ابن كثير ٢ : ٤٢ ، ٤٣ .

٦١٤٤ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون » ، قال : كانوا يتصدقون – يعني من النخل – بحَشَفة وشِرَاره ، فنهوا عن ذلك ، وأمروا أن يتصدقوا بطيِّبه .

٦١٤٥ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم » إلى قوله : « واعلموا أن الله غني حميد » ، ذكر لنا أن الرجل كان يكون له الحائطان على عهد نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ، فيعمد إلى أردئهما تمراً فيتصدق به ، ويخلط فيه من الحشف . فعاب الله ذلك عليهم ونهاهم عنه .

٦١٤٦ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون » ، قال : تعمد إلى رُذَالة مالك فتصدَّق به ، (١) ولستَ بآخذه إلاّ أن تغمض فيه .

٦١٤٧ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن يزيد بن إبراهيم ، عن الحسن قال : كان الرجل يتصدق برُذَالة ماله ، فنزلت : « ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون » .

٦١٤٨ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، أخبرنا عبد الله بن كثير : أنه سمع مجاهداً يقول : « ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون » ، قال : في الأقناء التي تعلَّق ، (٢) فرأى فيها حشفاً ، فقال :

الجعرور (بضم الجيم) . ضرب من التمر صغار لا خير فيه . واللون : نوع من النخل ، قيل : هو الدقل ، وقيل : النخل كله ما خلا البرني والعجوة ، تسميه أهل المدينة « الألوان » . وابن حبيق : رجل نسب إليه هذا النخل الردىء ، فقيل : لون الحبيق . وتمره ردىء أغبر صغير ، مع طول فيه .

(١) رذالة كل شيء : أردؤه حين ينتقى جيده ، ويبقى رديئه . وهو من رذالة الناس ورذالهم . (بضم الراء فيهما جميعاً) .

(٢) قوله : « التي تعلق » مكانها بياض في المخطوطة . وقوله بعد : « فرأى فيها حشفاً » ، أي رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ما هذا ؟ = قال ابن جريج : سمعت عطاء يقول : علّق إنسان حشفاً فى الأقناء التى تعلق بالمدينة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما هذا ؟ بئسما علق هذا ! ! فنزلت : « ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون » .

* * *

وقال آخرون معنى ذلك : ولا تيمموا الخبيث من الحرام منه تنفقون ،[1] وتَدَعوا أن تنفقوا الحلال الطيب .

* ذكر من قال ذلك :

٦١٤٩ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد — وسألته عن قول الله عز وجل : « ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون » ، — قال : الخبيث الحرام ، لا تتيمَّمه تنفقُ منه ، فإن الله عز وجل لا يقبله .

* * *

قال أبو جعفر : وتأويل الآية هو التأويل الذى حكيناه عمن حكينا [عنه] من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، [لصحة إسناده] ، واتفاق أهل التأويل فى ذلك =[2] دون الذى قاله ابن زيد .[3]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ولستم بآخذى الخبيث فى حقوقكم ، « والهاء » فى قوله : « بآخذيه » من ذكر الخبيث = « إلا أن تغمضوا فيه » ، يعنى : إلا أن تتجافوا فى أخذكم إياه عن بعض الواجب لكم من حقكم ، فترخّصوا فيه لأنفسكم .

* * *

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « فيه تنفقون » ، وهو خطأ بين .

(٢) الزيادة بين الأقواس لا بد منها حتى يستقيم الكلام . (عنه) ساقطة من المخطوطة والمطبوعة . أما الزيادة الثانية ، فكانها بياض فى المخطوطة ، فأغفله الطابع وساق الكلام سياقاً واحداً .

(٣) فى المخطوطة : « قاله ابن » وبعد ذلك بياض . والذى فى المطبوعة هو الصواب .

يقال منه : « أغْمَض فلان لفلان عن بعض حقه ، فهو يُغْمِض » ، ومن ذلك قول الطِّرِمَّاح بن حكيم :

لَمْ يَفُتْنَا بِالوِتْرِ قَوْمٌ ، وَلِلضَّيْـــمِ رِجَالٌ يَرْضَوْنَ بِالإِغْمَاضِ (١)

* * *

قال أبو جعفر : واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : معنى ذلك ولستم بآخذى الردىء من غُرمائكم فى واجب حقوقكم قِبَلهم ، إلاّ عن إغماضٍ منكم لهم فى الواجب لكم عليهم .

* ذكر من قال ذلك :

٦١٥٠ – حدثنا عصام بن رواد قال، حدثنا أبى قال ، حدثنا أبو بكر الهذلى ، عن محمد بن سيرين، عن عبيدة قال : سألت عليًّا عنه فقال : « ولستم بآخذيه إلا أن تُغمضوا فيه»، يقول : ولا يأخذ أحدُكم هذا الردىء حتى يُهْضَم له .

٦١٥١ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا سفيان ، عن السدى ، عن أبى مالك ، عن البراء بن عازب : « ولستم بآخذيه إلاّ أن تغمضوا فيه » ، يقول : لو كان لرجل على رجل، فأعطاه ذلك لم يأخذه، إلاّ أن يرَى أنه قد نقصه من حقه . (٢)

---

(١) ديوانه : ٨٦ ، من قصيدة مجد فيها قومه؛ وقبله :

إِنَّا مَعْشَرٌ شَمَائِلُنَا الصَّبْـــرُ، إِذَا الخَوْفُ مَالَ بِالأَحْفَاضِ
نُصُرٌ لِلذَّلِيلِ فِى نَدْوَةِ الحَـــىِّ ، مَرَائِيبُ لِلنَّأْىِ المُنْهَاضِ
مَنْ يَرُمْ جَمْعَهُمْ يَجِدْهُمْ مَرَاجِيـــحَ حُمَاةً لِلعُـــزَّلِ الأَحْرَاضِ

الأحفاض : الإبل الصغار الضعاف ، ويعنى الضعاف من الناس ، لا يصبرون فى حرب . مرائيب : من الرأب ، وهو الإصلاح ، مصلحون . والنأى : الفساد . والمنهاض : الذى فسد بعد صلاح فلا يرجى إصلاحه إلا بمشقة . مراجيح : حلماء لا يستخفهم شىء . والأحراض : الضعاف الذين لا يقاتلون . والإغماض : التغاضى والمساهلة . يقول نحن أهل بأس وسطوة ، فما أصاب منا أحد فنجا من انتقامنا ، ولسنا كأقوام يرضون بالضيم ، فيتغاضون عن إدراك تأثرهم ممن نال منهم .

(٢) الأثر : ٦١٥١ – هو من تمام الأثر : ٦١٤١ .

٦١٥٢ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله قال ، حدثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلاّ أن تغمضوا فيه » ، يقول : لو كان لكم على أحدٍ حق، فجاءكم بحق دون حقكم، لم تأخذوا بحساب الجيِّد حتى تنقصوه، فذلك قوله: « إلاّ أن تغمضوا فيه » ، فكيف ترضون لي ما لا ترضون لأنفسكم ، وحقّي عليكم من أطيب أموالكم وأنفسه ؟(١) ٥٧/٣
وهو قوله : ﴿ لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [سورة آل عمران : ٩٢].

٦١٥٣ ــ حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه » ، قال : لا تأخذونه من غرمائكم ولا في بيوعكم إلا بزيادة على الطيِّب في الكيل.

٦١٥٤ ــ حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثنا أبي، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه » ، وذلك أن رجالا كانوا يعطون زكاةَ أموالهم من التمر ، فكانوا يعطون الحشَف في الزكاة ، فقال : لو كان بعضهم يطلب بعضاً ثم قضاه ، لم يأخذه إلا أن يرى أنه قد أغمض عنه حقه .

٦١٥٥ ــ حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه » ، يقول : لو كان لك على رجل دين فقضاك أردأ مما كان لك عليه ، هل كنت تأخذ ذلك منه إلا وأنت له كاره ؟

٦١٥٦ ــ حدثني يحيى بن أبي طالب قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا جويبر ، عن الضحاك في قوله : « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم »

---

(١) في المطبوعة : « وأنفسها » وأثبت ما في المخطوطة . وهذا الأثر بنصه وتمامه في الدر المنثور ١ : ٣٤٦ ، وانظر التعليق على الأثر : ٦١٢٩ ، وقوله : « وأنفسه » بضمير الإفراد .

إلى قوله « إلا أن تغمضوا فيه » ، قال : كانوا — حين أمر الله أن يؤدوا الزكاة — يجيء الرجل من المنافقين بأردإ طعام له من تمر وغيره ، فكره الله ذلك وقال : « أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض » ، يقول : « لستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه » ، يقول : لم يكن رجل منكم له حق على رجل فيعطيه دون حقه فيأخذه ، إلا وهو يعلم أنه قد نقصه = فلا ترضوا لى مالا ترضون لأنفسكم = فيأخذ شيئاً ، وهو مغمض عليه ، أنقصَ من حقه .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : ولستم بآخذى هذا الردىء الخبيث — إذا اشتريتموه من أهله — بسعر الجيد ، إلا بإغماض منهم لكم فى ثمنه .

* ذكر من قال ذلك :

٦١٥٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن عمران بن حدير ، عن الحسن : « ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه » ، قال : لو وجدتموه فى السوق يُباع ، ما أخذتموه حتى يُهضَم لكم من ثمنه .

٦١٥٨ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه » ، يقول : لستم بآخذى هذا الردىء بسعر هذا الطيب ، إلا أنْ يُغمض لكم فيه .

* * *

وقال آخرون : معناه : ولستم بآخذى هذا الردىء الخبيث لو أهدى لكم ، إلا أن تغمضوا فيه فتأخذُوه وأنتم له كارهون ، على استحياء منكم ممن أهداه لكم .

* ذكر من قال ذلك :

٦١٥٩ — حدثنى الحسين بن عمرو بن محمد العنقزى قال ، حدثنا أبى ، عن أسباط ، عن السدى ، عن عدى بن ثابت ، عن البراء بن عازب : « ولستم بآخذيه إلاّ أن تُغمضوا فيه » ، قال : لو أهدى لكم مَا قبلتموه إلاّ على استحياء من صاحبه ، أنه بعث إليك بما لم يكن له فيه حاجة . (١)

---

(١) الأثر : ٦١٥٩ — هو تمام الأثر السالف : ٦١٣٩ .

٦١٦٠ – حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط قال ، زعم السدى ، عن عدى بن ثابت ، عن البراء نحوه = إلا أنه قال : إلا على استحياء من صاحبه ، وغيظاً أنه بعث إليك بما لم يكن له فيه حاجة .(١)

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : ولستم بآخذى هذا الردىء من حقكم ، إلا أن تغمضوا من حقكم .

* ذكر من قال ذلك :

٦١٦١ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن عطاء ، عن ابن معقل : « ولستم بآخذيه » ، يقول : ولستم بآخذيه من حقّ هو لكم = « إلا أنْ تغمضوا فيه » ، يقول : أغمِض لك من حقّى .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : ولستم بآخذى الحرام إلاّ أن تغمضوا على ما فيه من الإثم عليكم فى أخذه .

* ذكر من قال ذلك :

٦١٦٢ – حدثني يونس قال، حدثنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد – وسألته عن قوله : « ولستم بآخذيه إلاّ أن تغمضوا فيه » – قال، يقول : لست آخذاً ذلك الحرام حتى تغمض على ما فيه من الإثم = قال : وفى كلام العرب : « أما والله لقد أخذه ، ولقد أغمض على مافيه » = وهو يعلم أنه حَرَام باطل .

* * *

قال أبو جعفر : والذى هو أولى بتأويل ذلك عندنا، أن يقال : إن الله عزوجل حَثّ عباده على الصدقة وأداء الزكاة من أموالهم ، وفرضَها عليهم فيها ،(٢) فصار ما فَرَض من ذلك فى أموالهم، حقًّا لأهل سُهمان الصّدقة . ثم أمرهم تعالى ذكره أن ٥٨/٣

(١) الأثر : ٦١٦٠ – هو تمام الأثر السالف : ٦١٤٠ .
(٢) « وفرضها عليهم » أى الزكاة . « فيها » : فى أموالهم .

يخرجوا من الطيب – وهو الجيد من أموالهم – الطيبَ .(١) وذلك أن أهل السُّهمان شُرَكاء أرباب الأموال فى أموالهم ، بما وجب لهم فيها من الصدقة بعد وجوبها . فلا شك أن كل شريكين فى مال ، فلكلّ واحد منهما بقدر ملكه ، وليس لأحدهما منعُ شريكه من حقه من الملك الذى هو فيه شريكه ، بإعطائه – بمقدار حقه منه – من غيره مما هو أردأ منه وأخسُّ .(٢) فكذلك المزكّى مالَه، حرّم الله عليه أن يعطى أهل السهمان = مما وجبَ لهم فى ماله من الطيب الجيد من الحق فصاروا فيه شركاء = (٣) من الخبيث الردىء غيره ، ويمنعهم ما هو لهم من حقوقهم فى الطيب من ماله الجيد . كما لو كان مال ربّ المال رديئاً كله غير جيد ، فوجبت فيه الزكاة وصارَ أهل سهمان الصدقة فيه شركاءَ بما أوجب الله لهم فيه ، لم يكن عليه أن يعطيهم الطيب الجيد من غير ماله الذى منه حقُّهم .

فقال تبارك وتعالى لأرباب الأموال : زكُّوا من جيد أموالكم الجيّدَ ، ولا تيمموا الخبيث الردىء تعطونه أهل سُهمان الصدقة ، وتمنعوهم الواجب لهم من الجيد الطيب فى أموالكم ، (٤) ولستم بآخذى الردىء لأنفسكم مكانَ الجيد الواجب لكم قبل من وجب لكم عليه ذلك من شركائكم وغرمائكم وغيرهم ، إلاّ عن إغماض منكم وَهضْم لهم وكراهة منكم لأخذه . يقول : ولا تأتوا من الفعل إلى من وجبَ له فى أموالكم حق ، ما لا ترضون من غيركم أن يأتيه إليكم فى حقوقكم الواجبة لكم فى أموالهم .

فأما إذا تطوّع الرجل بصَدَقة غير مفروضة ، فإنّى وإن كرهتُ له أن يعطى فيها إلا أجودَ ماله وأطيبه ، لأن الله عز وجل أحقّ من تُقُرّب إليه بأكرم الأموال

---

(١) قوله : « الطيب » الثانية ، مفعول « يخرجوا » .

(٢) فى المطبوعة « أو أحسن » ، وهو فاسد كل الفساد . والصواب من المخطوطة .

(٣) سياق الجملة : أن يعطى أهل السهمان . . . من الخبيث الردىء غيره .

(٤) فى المطبوعة : « وتمنعونهم الواجب . . . » ، والذى فى المخطوطة صواب ، معطوف على : « ولا تيمموا الخبيث » .

وأطيبها ، والصّدَقة قُرْبان المؤمن = فلستُ أحرِّم عليه أن يعطى فيها غير الجيد ، لأنّ ما دون الجيد ربما كان أعمّ نفعاً لكثرته أو لعظم خطره = وأحسنَ موقعاً من المسكين ، وممن أعطيه قُرْبةً إلى الله عز وجلّ = من الجيد، لقلته أو لصغر خطره وقلة جدوى نفعه على من أعطيه .(١)

* * *

وبمثل ما قلنا فى ذلك قال جماعة أهل العلم .

* ذكر من قال ذلك :

٦١٦٣ – حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب قال ، حدثنا يزيد ابن زريع قال ، حدثنا سلمة بن علقمة ، عن محمد بن سيرين قال : سألت عبيدة عن هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلاّ أن تغمضوا فيه » ، قال : ذلك فى الزكاة ، الدّرهم الزائف أحبُّ إلىّ من التمرة .

٦١٦٤ – حدثنى يعقوب قال، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا سلمة بن علقمة ، عن محمد بن سيرين قال : سألت عبيدة عن ذلك فقال : إنما ذلك فى الزكاة ، والدّرهم الزائف أحبُّ إلىّ من التمرة .

٦١٦٥ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس ، عن هشام ، عن ابن سيرين قال : سألت عبيدة عن هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه » ، فقال عبيدة : إنما هذا فى الواجب ، ولا بأس أن يتطوع الرجل بالتمرة ، والدرهم الزائف خيرٌ من التمرة .

---

(١) سياق هذه الجملة : ربما كان أعم نفعاً لكثرته . . . وأحسن موقعاً من المسكين . . . من الجيد لقلته . . .

٦١٦٦ – حدثني أبو السائب قال، حدثنا ابن إدريس ، عن هشام ، عن ابن سيرين في قوله: « ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون » ، قال : إنما هذا في الزكاة المفروضة، فأما التطوع فلا بأس أن يتصدّق الرجل بالدرهم الزائف ، والدرهم الزائف خير من التمرة .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ (٢٦٧)

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : واعلموا، أيها الناس، أن الله عز وجل غنى عن صدقاتكم وعن غيرها ،(١) وإنما أمركم بها وفرضها في أموالكم، رحمة منه لكم ليُغني بها عائلكم،(٢) ويقوّي بها ضعيفكم ، ويُجْزِل لكم عليها في الآخرة مثوبتكم ، لا من حاجة به فيها إليكم .

* * *

ويعني بقوله : « حميد » ، أنه محمود عند خلقه بما أولاهم من نعمه ، وبسط لهم من فضله ، كما :–

٦١٦٧ – حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي قال ، حدثنا أبي ، عن أسباط ، عن السدي ، عن عدي بن ثابت ، عن البراء بن عازب في قوله : « والله غني حميد » ، عن صدقاتكم .(٣) ٥٩/٣

* * *

(١) انظر تفسير « غني » فيما سلف من هذا الجزء ٥ : ٥٢١

(٢) العائل : الفقير . عال الرجل يعيل عيلة : افتقر .

(٣) الأثر : ٦١٦٧ – هو تمام الأثر السالف : ٦١٣٩ .

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : « الشيطان يَعدكم »، أيها الناس — بالصدقة وأدائكم الزكاة الواجبة عليكم فى أموالكم [1] — أن تفتقروا = « ويأمركم بالفحشاء »، يعنى : ويأمركم بمعاصى الله عز وجل وترك طاعته = [2] « والله يعدكم مغفرة منه »، [3] يعنى : إن الله عز وجل يَعدكم، أيها المؤمنون، أن يستر عليكم فحشاءكم، بصفحه لكم عن عقوبتكم عليها ، فيغفر لكم ذُنوبكم بالصدقة التى تتصدّقون = « وفضلا » يعنى : ويعدكم أن يخلف عليكم من صَدَقتكم ، فيتفضل عليكم من عطاياه ، ويُسبغ عليكم فى أرزاقكم ، [4] كما : —

٦١٦٨ — حدثنا محمد بن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا الحسين بن واقد ، عن يزيد النحوى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : اثنان من الله ، واثنان من الشيطان : « الشيطان يعدكم الفقر » ، يقول : لا تنفق مالك وأمسكه عليك ، فإنك تحتاج إليه = « ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه » ، على هذه المعاصى = « وفضلاً » فى الرزق .

٦١٦٩ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً » ، يقول : مغفرة لفحشائكم ، وفضلاً لفقركم .

٦١٧٠ — حدثنا هناد قال ، حدثنا أبو الأحوص ، عن عطاء بن السائب ،

---

(١) قوله : « بالصدقة . . . » ، أى بسبب الصدقة ، وهى جملة فاصلة ، والسياق « يعدكم . . . أن تفتقروا »، كما هو بين .

(٢) انظر ما سلف فى تفسير « الفحشاء » ٣ : ٣٠٢ .

(٣) اطلب تفسير « المغفرة » ، فيما سلف من فهارس اللغة .

(٤) انظر تفسير « الفضل » فيما سلف ٢ : ٣٤٤/ثم ٥ : ١٦٤

عن مرة، عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن للشيطان لَمَّةً من ابن آدم ، وللمَلَك لمةً . فأما لمة الشيطان، فإيعادٌ بالشر وتكذيبٌ بالحق . وأما لمة الملك ، فإيعاد بالخير وتصديق بالحق . فمن وجد ذلك ، فليعلم أنه من الله وليحمد الله ، ومن وجد الأخرى فليتعوّذ بالله من الشيطان، ثم قرأ: «الشيطان يعدُ كم الفقر ويأمركم بالفحشاء» .(١)

---

(١) الحديث : ٦١٧٠ – أبو الأحوص : هو سلام بن سليم الكوفى الحافظ . سبق توثيقه : ٢٠٥٨ .

عطاء بن السائب : مضى فى : ١٥٨ ، ٤٤٣٣ أنه تغير فى آخر عمره ، وأن من سمع منه قديماً فحديثه صحيح . والظاهر من مجموع كلامهم أن اختلاطه كان حين قدم البصرة . قال أبو حاتم : « فى حديث البصر يبن عنه تخاليط كثيرة ، لأنه قدم عليهم فى آخر عمره » . وعطاء كوفى ، والراوى عنه هنا أبو الأحوص كوفى أيضاً . فالظاهر أنه سمع منه قبل الاختلاط .

مرة : هو مرة الطيب ، وهو ابن شراحيل الهمدانى الكوفى . مضت ترجمته : ٢٥٢١ .

عبد الله : هو ابن مسعود .

والحديث رواه الترمذى ٤ : ٧٧ – ٧٨ ، عن هناد – وهو ابن السرى ، شيخ الطبرى هنا – بهذا الإسناد . وقال : « هذا حديث حسن غريب [وفى بعض نسخه : حسن صحيح غريب] . وهو حديث أبى الأحوص . لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث أبى الأحوص » .

وذكره ابن كثير ٢ : ٤٤ ، من رواية ابن أبى حاتم ، عن أبى زرعة ، عن هناد . ووقع فى إسناده هناك تخليط من الناسخين . ثم أشار إلى بعض رواياته مرفوعاً وموقوفاً .

وذكر ابن كثير أنه رواه أيضاً النسائى فى كتاب التفسير من سننه ، عن هناد بن السرى . وأنه رواه ابن حبان فى صحيحه ، عن أبى يعلى الموصلى ، عن هناد . وكتاب التفسير فى النسائى إنما هو فى السنن الكبرى .

وذكره السيوطى ١ : ٣٤٨ ، وزاد نسبته لابن المنذر ، والبيهقى فى الشعب .

وسيأتى بنحوه ، موقوفاً على ابن مسعود : ٦١٧١ ، ٦١٧٢ ، ٦١٧٤ ، ٦١٧٦ ، من رواية عطاء ، عن مرة ، عن مسعود . ويأتى موقوفاً أيضاً : ٦١٧٣ ، من رواية الزهرى ، عن عبيد الله ، عن ابن مسعود . و : ٦١٧٥ ، من رواية المسيب بن رافع ، عن عامر بن عبدة ، عن ابن مسعود .

وكأن الترمذى – وتبعه ابن كثير – يريدان الإشارة إلى تعليل هذا الإسناد المرفوع ، برواية الحديث موقوفاً . ولكن هذه علة غير قادحة بعد صحة الإسناد . فإن الرفع زيادة من ثقة ، فهى مقبولة . وأيضاً : فإن هذا الحديث مما لا يعلم بالرأى ، ولا يدخله القياس ، فلا يعلم إلا بالوحى من المعصوم صلى الله عليه وسلم . فالروايات الموقوفة لفظاً ، هى مرفوعة حكماً .

٦١٧١ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا الحكم بن بشير بن سلمان قال، حدثنا عمرو، عن عطاء بن السائب، عن مرة، عن عبد الله قال: إن للإنسان من الملك لمة، ومن الشيطان لمة. فاللّمة من الملك إيعاد بالخير وتصديقٌ بالحق، واللمة من الشيطان إيعاد بالشر وتكذيب بالحق. وتلا عبد الله: «الشيطانُ يعدكم الفقرَ ويأمركم بالفحشاء والله يَعدكم مغفرةً منه وفضلاً» = قال عمرو: وسمعنا فى هذا الحديث أنه كان يقال: إذا أحسّ أحدكم من لمة الملك شيئاً فليحمد الله وليسأله من فضله، وإذا أحسّ من لمة الشيطان شيئاً فليستغفر الله وليتعوّذ من الشيطان.(١)

٦١٧٢ – حدثنى يعقوب قال، حدثنا ابن علية قال، حدثنا عطاء بن السائب، عن أبى الأحوص = أو: عن مرة = قال: قال عبد الله: ألا إن للملك لمة وللشيطان لمة. فلمة الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحق، ولمة الشيطان إيعاد بالشر وتكذيب بالحق، ذلكم بأن الله يقول:(٢) «الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم»، فإذا وجدتم من هذه شيئاً فاحمدوا الله عليه، وإذا وجدتم من هذه شيئاً فتعوذوا بالله من الشيطان.(٣)

---

(١) الحديث: ٦١٧١ – الحكم بن بشير بن سلمان: مضت ترجمته فى: ١٤٩٧. ووقع اسم جده فى المطبوعة هنا «سليمان»، وهو خطأ.

عمرو: هو ابن قيس الملائى. مضت ترجمته فى: ٨٨٦.

والحديث فى معنى ما قبله. وهو هنا موقوف لفظاً، ولكنه مرفوع حكماً، كما ذكرنا. ولكن قول عمرو بن قيس فى آخره: «وسمعنا فى هذا الحديث أنه كان يقال...» – يكون بلاغاً منقطعاً فى هذا الإسناد، وإن كان صحيحاً فى ذاته بالأسانيد الأخر.

(٢) فى المطبوعة: «وذلكم بأن الله...» بزيادة واو، وأثبت ما فى المخطوطة.

(٣) الحديث: ٦١٧٢ – أبو الأحوص – شيخ عطاء بن السائب: هو عوف بن مالك ابن نضلة، وهو تابعى ثقة معروف، وثقه ابن معين وغيره.

وتردد عطاء بن السائب فى أنه عن «أبى الأحوص» هذا، أو عن «مرة الطيب» – لا يؤثر فى صحة الحديث، فإنه انتقال من ثقة إلى ثقة. ولعله مما أخطأ فيه عطاء، لأن ابن علية بصرى، فيكون ممن سمع منه بعد تغيره. وقد نص على ذلك الدارقطنى، كما فى ترجمة عطاء فى التهذيب.

ولكن ذكر ابن كثير ٢: ٤٤ أنه رواه «مسعر، عن عطاء بن السائب، عن أبى الأحوص عوف بن مالك بن نضلة، عن ابن مسعود. فجعله من قوله. فهذا يثبت حفظ رواية عطاء إياه

٦١٧٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عبد الله بن مسعود فى قوله : « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء » ، قال : إن للملك لمة ، وللشيطان لمة . فلمة الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجدها فليحمد الله ؛ ولمة الشيطان إيعاد بالشر وتكذيب بالحق ، فمن وجدها فليستعذ بالله .(١)

٦١٧٤ – حدثنى المثنى بن إبراهيم قال ، حدثنا حجاج بن المنهال ، قال ، حدثنا حماد بن سلمة قال ، أخبرنا عطاء بن السائب ، عن مرة الهمدانى : أن ابن مسعود قال : إن للملك لمة وللشيطان لمة . فلمة الملك إيعاده بالخير وتصديق بالحق ، ولمة الشيطان إيعاده بالشر وتكذيب بالحق .(٢) فمن أحس من لمة الملك شيئاً فليحمد الله عليه ، ومن أحس من لمة الشيطان شيئاً فليتعوذ بالله منه . ثم تلا هذه الآية : « الشيطان يَعد كم الفقرَ ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرةً منه وفضلاً والله واسعٌ عليم » .(٣)

٦١٧٥ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن فِطْر ، عن المسيب بن رافع ، عن عامر بن عَبَدة ، عن عبد الله بنحوه .(٤) ٦٠/٣

عن أبى الأحوص أيضاً . لأن مسعر بن كدام كوفى قديم ، من طبقة شعبة والثورى ، فهو ممن سمع من عطاء قبل تغيره .

ولم يشر ابن كثير إلى شىء من الروايات الموقوفة لهذا الحديث ، إلا إلى رواية مسعر وحده . والروايات الموقوفة بين يديه فى الطبرى ستة كما ترى .

(١) الحديث : ٦١٧٣ – وهذا إسناد صحيح آخر للحديث ، من وجه آخر ، يؤيد رواية عطاء بن السائب . وهو وإن كان موقوفاً لفظاً فهو مرفوع حكماً ، كما قلنا من قبل .

(٢) فى المطبوعة : « إيعاد بالخير . . . إيعاد بالشر » بغير إضافتها إلى الضمير . وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب . وصواب أيضاً أن يقرآ جميعاً « إيعادةٌ » ، على معنى المرة من « الإيعاد » .

(٣) الحديث : ٦١٧٤ – وهذا إسناد صحيح . لأن حماد بن سلمة سمع من عطاء قبل تغيره ، كما نص عليه يعقوب بن سفيان وابن الجارود ، فى نقل التهذيب عنهما ٧ : ٢٠٧ .

(٤) الحديث : ٦١٧٥ – فطر – بكسر الفاء وسكون الطاء المهملة وآخره راء : هو ابن خليفة الحناط الكوفى ، وهو ثقة ، وثقة أحمد ، وابن معين ، وغيرهما .

٦١٧٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن عطاء ، عن مرة بن شراحيل ، عن عبد الله بن مسعود قال : إن للشيطان لمة وللملك لمة . فأما لمة الشيطان فتكذيب بالحق وإيعاد بالشر ، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق. فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله وليحمد الله عليه ، ومن وجد الأخرى فليستعذ من الشيطان . ثم قرأ : « الشيطان يعدكم الفقر ويأمرُكم بالفحشاء والله يعدكم مغفرةً منه وفضلاً » . (١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢٦٨)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره : « والله واسع » الفضل الذى يعدكم أن يعطيكموه من فضله وَسعة خزائنه =(٢) « عليم » بنفقاتكم وصدقاتكم التى تُنفقون وتصدَّقون بها ، يحصيها لكم حتى يجازيكم بها عند مقدَمكم عليه فى آخرتكم .

* * *

المسيب بن رافع الكاهلى الكوفى : تابعى ثقة ، مضى فى : ١٢٨ .

عامر بن عبدة – بفتح العين المهملة والباء الموحدة – البجلى ، أبو إياس الكوفى : تابعى ثقة ، وثقه ابن معين ، وغيره . مترجم فى التهذيب، وابن سعد ٦ : ١٣٦ ، وابن أبى حاتم ٣/١/٣٢٧ ، والكنى للدولابى ١ : ١١٥ ، والمشتبه للذهبى ، ص : ٣٣٩ .

وهذا إسناد ثالث للحديث صحيح ، من وجه آخر ، يؤيد روايات عطاء عن مرة، وأبى الأحوص عن ابن مسعود ، ورواية الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود .

(١) الحديث : ٦١٧٦ – وهذا إسناد حسن ، لأن سماع جرير – وهو ابن عبد الحميد الضبى – من عطاء كان بعد تغيره ولكنه يرتفع إلى درجة الصحة بالمتابعات السابقة الصحيحة .

(٢) انظر تفسير « واسع عليم » فيما سلف ٢ : ٥٣٧/ثم ٥ : ٥١٦

القول فى تأويل قوله ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه يؤتى الله الإصابة فى القول والفعل مَنْ يشاء من عباده ، ومن يُؤتَ الإصابة فى ذلك منهم فقد أوتى خيراً كثيراً .

* * *

واختلف أهل التأويل فى ذلك .

فقال بعضهم ، « الحكمة » التى ذكرها الله فى هذا الموضع ، هى : القرآنُ والفقه به .

* ذكر من قال ذلك :

٦١٧٧ — حدثنا المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنى معاوية، عن على ، عن ابن عباس فى قوله : « ومن يُؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً » ، يعنى : المعرفة بالقرآن ناسخِه ومنسوخِه ، ومحكمه ومتشابهه، ومقدَّمِه ومؤخَّره، وحلاله وحرامه ، وأمثاله .

٦١٧٨ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة فى قوله : « يُؤتى الحكمة من يشاء » ، قال : الحكمة : القرآن ، والفقهُ فى القرآن .

٦١٧٩ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً » ، والحكمة : الفقه فى القرآن .

٦١٨٠ — حدثنا محمد بن عبد الله الهلالى قال، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال ، حدثنا مهدى بن ميمون ، قال ، حدثنا شُعيب بن الحَبْحاب ، عن أبى العالية :

« ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً » ، قال : الكتاب والفهم به .[1]

٦١٨١ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد قوله : « يؤتى الحكمة من يشاء » الآية ، قال : ليست بالنبوّة ، ولكنه القرآن والعلمُ والفقه .

٦١٨٢ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : قال ابن عباس : الفقه في القرآن .

* * *

وقال آخرون : معنى « الحكمة » ، الإصابة في القول والفعل .

* ذكر من قال ذلك :

٦١٨٣ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح قال : سمعت مجاهداً قال : « ومن يؤت الحكمة » ، قال : الإصابة .

٦١٨٤ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : « يؤتى الحكمة من يشاء » ، قال : يؤتى الإصابة من يشاء .

٦١٨٥ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « يؤتى الحكمة من يشاء » ، قال : الكتاب ، يؤتى إصابته من يشاء .

* * *

---

(١) الأثر : ٦١٨٠ – « محمد بن عبد الله الهلالي » هو : محمد بن عبد الله بن عبيد بن عقيل الهلالي ، أبو مسعود البصري ، روى عن جده عبيد بن عقيل ، وعثمان بن عمر بن فارس ، وعمرو ابن عاصم الكلابي وغيرهم ، و روى عنه أبو داود ، والنسائي ، وابن ماجة وغيرهم . قال النسائي : « لا بأس به » . وقال مسلمة : « ثقة » . « مسلم بن إبراهيم » الأزدي الفراهيدي ، أبو عمرو البصري الحافظ . قال ابن معين : « ثقة مأمون » . وكان يقول : « ما أتيت حلالا ولا حراماً قط » ، قال أبو حاتم : « كان لا يحتاج إليه » . وكان من المتقنين . مات سنة ٢٢٢ . « مهدي بن ميمون » الأزدي المعولي . كان ثقة وذكره ابن حبان في الثقات . مات سنة ١٧١ . « شعيب بن الحبحاب » الأزدي المعولي . روى عن أنس وأبي العالية وغيرهم . قال أحمد والنسائي : « ثقة » . مات سنة ١٣٠ . و « المعولي » بكسر الميم وسكون العين المهملة وفتح الواو .

وكان في المطبوعة : « والفهم فيه » ، وهي صواب في المعنى ، جيد في العربية . وأثبت ما في المخطوطة ، وهو أيضاً صواب جيد .

وقال آخرون : هو العلم بالدين .

* ذكر من قال ذلك :

٦١٨٦ – حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « يؤتي الحكمة من يشاء» ، العقل في الدين ، وقرأ : « ومن يُؤْت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً» .

٦١٨٧ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : الحكمة العقلُ .

٦١٨٨ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قلتُ لمالك : وما الحكمة ؟ قال : المعرفةُ بالدين ، والفقه فيه ، والاتِّباعُ له .

* * *

وقال آخرون: « الحكمةُ» الفهم .

* ذكر من قال ذلك :

٦١٩٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي قال، حدثنا سفيان ، عن أبي حمزة ، عن إبراهيم قال : الحكمة هي الفهم .(١)

* * *

وقال آخرون : هي الخشيةُ .

* ذكر من قال ذلك :

٦١٩١ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : « يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة » ، الآية ، قال : الحكمة الخشية ، لأن رأسَ كلّ شيء خشيةُ الله . وقرأ : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [سورة فاطر : ٢٨] .

* * *

---

(١) الأثر : ٦١٩٠ – « أبو حمزة » هو أبو حمزة الأعور القصاب الكوفي ، وهو صاحب إبراهيم النخعي . قال البخاري : « ليس بذاك ». وقال : « ضعيف ذاهب الحديث ». قال أبو موسى : « ما سمعت يحيى ولا عبد الرحمن يحدثان عن : سفيان ، عن أبي حمزة ، قط » . وقال ابن عدي : « وأحاديثه خاصة عن إبراهيم ، مما لا يتابع عليه » . مترجم في التهذيب .

وقال آخرون : هى النبوة .

* ذكر من قال ذلك :

٦١٩٢ – حدثنى موسى قال ،حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدىّ قوله : « يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة » ، الآية ، قال : الحكمة هى النبوّة . ٦١/٣

* * *

وقد بينا فيما مضى معنى « الحكمة » – وأنها مأخوذة من « الُحكم » وفصل القضاء، وأنها الإصابة – بما دل على صحته ، فأغنى ذلك عن تكريره فى هذا الموضع .[1]

* * *

وإذا كان ذلك كذلك معناه ،[2] كان جميع الأقوال التى قالها القائلون الذين ذكرنا قولهم فى ذلك ، داخلاً فيما قلنا من ذلك . لأن الإصابة فى الأمور إنما تكون عن فهم بها وعلم ومعرفة. وإذا كان ذلك كذلك ، كان المصيبُ عن فهم منه بمواضع الصواب فى أموره مُفهَّماً خاشياً لله فقيهاً عالماً ،[3] وكانت النبوّةُ من أقسامه. لأن الأنبياء مسدَّدون مفهَّمون ، وموفَّقون لإصابة الصواب فى الأمور ، « والنبوّة » بعض معانى « الحكمة » .

* * *

فتأويل الكلام : يؤتى الله إصابة الصواب فى القول والفعل من يشاء ، ومن يؤته الله ذلك فقد آتاه خيراً كثيراً .

* * *

---

(١) انظر تفسير « الحكمة » فيما سلف ٣ : ٨٧ ، ٨٨ ، ٢١١/ ثم ٥ : ١٥، ١٦، ٣٧١

(٢) فى المطبوعة : « فإذا كان ذلك . . . » بالفاء ، ولا معنى لتغيير ما هو فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « فهما خاشياً . . . » . وفى المخطوطة : « ففهما » ، والصواب قراءتها كما أثبت ، بدليل معناه الذى أراده ، من إدخال الأنبياء فى معنى ذلك ، و بدليل قوله بعد : « مفهمون . . . »

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (٢٦٩)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وما يتّعظ بما وعظ به ربُّه فى هذه الآيات= التى وَعظ فيها المنفقين أموالَهم بما وعظهم به وغيرهم = [١] فيها وفى غيرها من آى كتابه =[٢] فيذكر وعده ووعيده فيها ، فينزجر عما زَجره عنه ربه ، ويطيعه فيما أمره به = « إلاّ أولوا الألباب » ، يعنى : إلاّ أولو العقول ، الذين عَقلوا عن الله عز وجل أمره ونهيه .[٣]

فأخبر جل ثناؤه أن المواعظ غيرُ نافعة إلا أولى الحِجا والحُلوم ، وأنّ الذكرى غيرُ ناهية إلاّ أهلَ النُّهَى والعقول .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ (٢٧٠)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وأىّ نفقة أنفقتم — يعنى : أىّ صدَقة تصدّقتم — [٤] أو أىّ نَذْر نذرتم = يعنى « بالنذر » ، ما أوجبه المرء على نفسه تبرُّراً فى طاعة الله ، وتقرُّباً به إليه : من صدقة أو عمل خير = « فإن اللهَ يعلمه » ،

---

(١) فى المطبوعة : « بما وعظ به غيرهم » ، وهو غير مستقيم تمام الاستقامة فى السياق . وفى المخطوطة : « بما وعظهم به غيرهم » ، والصواب أن تزاد « الواو » قبل « غيرهم » ، ليستقيم السياق .

(٢) سياق الجملة : « وما يتعظ بما وعظه به ربه فى هذه الآيات . . . فيذكر وعده ووعيده . . . » وما بينهما فصل .

(٣) انظر تفسير « الألباب » فيما سلف ٣ : ٤/٣٨٣ : ١٦٢ .

(٤) انظر تفسير « النفقة » فيما سلف ٥ : ٥٥٥

أى أن جميع ذلك يعلمه الله .[١] لا يعزُب عنه منه شىء ، ولا يخفى عليه منه قليل ولا كثير ، ولكنه يحصيه أيها الناس عليكم حتى يجازيكم جميعَكم على جميع ذلك . فمن كانت نفقتُه منكم وصدَقته ونذره ابتغاء مرضاه الله وتثبيتاً من نفسه ، جازاه بالذى وعده من التضعيف ، ومن كانت نفقته وصدقته رئاءَ الناس ونذورُه للشيطان ، جازاه بالذى أوْعدَه من العقاب وأليم العذاب ، كالذى :—

٦١٩٣ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله عز وجل : « وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نَذْر فإن الله يعلمه » ، ويُحصيه .

٦١٩٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

ثم أوعد جل ثناؤه من كانت نفقته رياءً ونذورُه طاعةً للشيطان فقال : « وَما للظالمين من أنصار » ، يعنى : وما لمن أنفق ماله رئاءَ الناس وفى معصية الله ، وكانت نذوره للشيطان وفى طاعته = « من أنصار » ، وهم جمع « نصير » ، كما « الأشرافُ » جمع « شريف » .[٢] ويعنى بقوله : « من أنصَار » ، من ينصرهم من الله يوم القيامة ، فيدفعُ عنهم عقابَه يومئذ بقوة وشدّة بطش ، ولا بفدية .

* * *

وقد دللنا على أن « الظالم » هو الواضع للشىء فى غير موضعه .[٣]

* * *

وإنما سمى الله المنفقَ رئاءَ الناس والناذرَ فى غير طاعته ، ظالماً ، لوضعه إنفاق ماله فى غير موضعه ، ونذره فى غير مَالَه وضعُه فيه ، فكان ذلك ظُلمَه .

* * *

---

(١) فى المخطوطة : « فإن الله يعلم » ، والصواب هنا ما فى المطبوعة . ثم فى المطبوعة : « جميع ذلك بعلم الله » ، وأثبت الصواب من المخطوطة .

(٢) انظر معنى « النصر » و « النصير » فيما سلف ٢ : ٤٨٩ ، ٥٦٤ .

(٣) انظر تفسير « الظلم » فيما سلف ١ : ٥٢٣ ، ٢/٥٢٤ : ٣٦٩ ، ٤/٥١٩ : ٥٨٤ ، وغيرها من المواضع ، اطلبها فى فهرس اللغة .

قال أبو جعفر : فإن قال لنا قائل : فكيف قال : « فإنّ الله يعلمه » ، ولم يقل : « يعلمهما » ، وقد ذكر النذر والنفقة .

قيل : إنما قال : « فإنّ الله يعلمه » ، لأنه أراد فإن الله يعلم ما أنفقتم أو نذرتُم ، فلذلك وحَّد الكناية .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « إن تبدوا الصَّدَقات » ، إن تُعلنوا الصدقات فتُعطوها من تصدقتم بها عليه = « فنعِمَّا هى » ، يقول : فنعم الشىء هى = « وإن تخفوها » ، يقول : وإن تسرّوها فلم تعلنوها =[2] « وتؤتوها الفقراء » ، يعنى : وتعطوها الفقراء فى السر =[3] « فهو خير لكم » ، يقول : فإخفاؤكم إياها خيرٌ لكم من إعلانها . وذلك فى صَدَقة التطوّع ، كما : —

٦١٩٥ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إن تبدوا الصدقات فنعمَّا هى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراءَ فهو خير لكم » ، ٦٢/٣
كلٌّ مقبولٌ إذا كانت النية صادقة ، وصدَقة السرّ أفضل . وذُكرَ لنا أنّ الصدقةَ تُطفئ الخطيئةَ كما يطفىء الماءُ النارَ .

٦١٩٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « إن تبدوا الصدقات فنعما هى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم » ، قال : كلٌّ مقبول إذا كانت النية صادقةٌ ، والصدَقة

---

(١) الكناية ، والمكنى : هو الضمير ، فى اصطلاح الكوفيين والبغداديين وغيرهم .
(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « فلن تعلنوها » ، وهو فاسد السياق ، والصواب ما أثبت .
(٣) انظر معنى « الإيتاء » ، فى مادة « أتى » من فهارس اللغة فيما سلف .

فى السرّ أفضل . وكان يقول : إن الصدقة تُطفئ الخطيئة كما يطفئُ الماءُ النارَ .

٦١٩٧ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « إن تبدوا الصدقات فنعمّا هى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم » ، فجعل الله صدقة السرّ فى التطوّع تفضُلُ علانيتَها بسبعين ضعفاً . وجعل صدقةَ الفريضة : علانيتُها أفضلُ من سرّها ، يقال : بخمسة وعشرين ضعفاً . وكذلك جميعُ الفرائض والنّوافل والأشياء كلها .[1]

٦١٩٨ – حدثنى عبد الله بن محمد الحنفى قال ، حدثنا عبد الله بن عثمان قال ، حدثنا عبد الله بن المبارك قال ، سمعت سفيان يقول فى قوله : « إن تبدوا الصدقات فنعمّا هى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم » ، قال : هو سوى الزّكاة .[2]

* * *

وقال آخرون : إنما عنى الله عز وجل بقوله : « إن تبدوا الصدقات فنعمّا هى » ، إن تبدُوا الصدقات على أهل الكتابين من اليهود والنصارى فنِعمّا هى ، وإن تخفوها وتؤتوها فقراءَهم فهو خير لكم . قالوا : وأما ما أعطى فقراءَ المسلمين من زكاةٍ وصدقةِ تطوُّع ، فإخفاؤه أفضلُ من علانيته .

* ذكر من قال ذلك :

٦١٩٩ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثنى عبد الرحمن ابن شريح ، أنه سمع يزيد بن أبى حبيب يقول : إنما نزلت هذه الآية :[3] « إن تبدوا الصدقات فنعما هى » ، فى الصدقة على اليهود والنصارى .[4]

---

(١) فى المطبوعة : « فى الأشياء كلها » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) الأثر ٦١٩٨ – مضى رجال هذا الإسناد برقم : ٥٠٠٠ ، ٥٠٠٩ ، ويأتى برقم : ٦٢٠٠ .

(٣) فى المطبوعة : « هذه آية » ، وهو خطأ ، والصواب من المخطوطة .

(٤) الأثر : ٦١٩٩ – « عبد الرحمن بن شريح بن عبد الله بن محمود بن المعافرى » ، أبو شريح الاسكندرانى . قال أحمد : ثقة : توفى بالإسكندرية سنة ١٦٧ ، وكانت له عبادة وفضل . مترجم فى التهذيب .

٦٢٠٠ – حدثني عبد الله بن محمد الحنفي قال ، أخبرنا عبد الله بن عثمان قال ، أخبرنا ابن المبارك ، قال ، أخبرنا ابن لهيعة قال : كان يزيد بن أبي حبيب يأمُر بقَسْم الزّكاة في السرّ = قال عبد الله : أحب أن تُعطى في العلانية = يعني الزكاة .

* * *

قال أبو جعفر : ولم يخصص الله من قوله : « إن تبدوا الصدقات فنعما هي » [شيئاً دون شيء] ، فذلك على العموم إلا ما كان من زكاة واجبة ، (١) فإن الواجب من الفرائض قد أجمع الجميعُ على أن الفضل في إعلانه وإظهاره ، سوى الزكاة التي ذكرنا اختلافَ المختلفين فيها ، مع إجماع جميعهم على أنها واجبة ، فحُكمها في أنّ الفضل في أدائها علانية ، حكمُ سائر الفرائض غيرها .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة في قراءة ذلك .

فروى عن ابن عباس أنه كان يقرؤه : ﴿ وتُكَفِّرُ عَنكُمْ ﴾ بالتاء . ومن قرأه كذلك فإنه يعني به : وتكفّر الصدقاتُ عنكم من سيئاتكم .

* * *

وقرأ آخرون : ﴿ ويُكَفِّرُ عَنكُمْ ﴾ بالياء ، بمعنى : ويكفر الله عنكم بصدقاتكم ، على ما ذُكر في الآية ، من سيئاتكم .

* * *

---

(١) هكذا جاءت الجملة في المخطوطة والمطبوعة ، فزدت ما بين القوسين لتستقيم العبارة بعض الاستقامة ، ولا أشك أنه كان في الكلام سقط من ناسخ ، فأتممته بأقل الألفاظ دلالة على المعنى . وقد مضى كثير من سهو الناسخ في هذا القسم من التفسير ، وسيأتي بعد قليل دليل على ذلك في رقم : ٦٢٠٩ .

وقرأ ذلك بعدُ عامة قرأة أهل المدينة والكوفة والبصرة ، ﴿ ونُكَفِّرْ عَنْكُمْ ﴾ بالنون وجزم الحرف ، يعني : وإن تخفوها وتؤتوها الفقراءَ نُكفر عنكم من سيئاتكم = بمعنى مجازاة الله عز وجل مخفِي الصدقة بتكفير بعض سيئاته بصدَقته التي أخفاها .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءات في ذلك عندنا بالصواب قراءةُ من قرأ : ﴿ ونُكَفِّرْ عَنْكُمْ ﴾ بالنون وجزم الحرف ، على معنى الخبر من الله عن نفسه أنه يُجازي المخفي صدقتَه من التطوّع ابتغاءَ وجهه من صدقته ، بتكفير سيئاته . وإذا قرئ كذلك ، فهو مجزوم على موضع « الفاء » في قوله : « فهو خير لكم » . لأن « الفاء » هنالك حلت محلّ جواب الجزاء .

* * *

فإن قال لنا قائل : وكيف اخترتَ الجزمَ على النَّسق على موضع « الفاء » ، وتركت اختيار نسَقه على ما بعد الفاء ، وقد علمت أنّ الأفصحَ من الكلام في النَّسق على جواب الجزاء الرفعُ ، وإنما الجزمُ تجويزه ؟(١)

قيل : اخترنا ذلك ، ليؤذن بجزْمه أنّ التكفير – أعني تكفير الله من سيئات المصدِّق = لامحالةَ داخلٌ فيما وعد الله المصدِّق أن يجازيه به على صدَقته . لأن ذلك إذا جزم ، مؤذِنٌ بما قلنا لامحالة . ولو رُفع كان قد يحتمل أن يكون داخلاً فيما وعده الله أن يجازيه به ، وأن يكون خبراً مستأنفاً أنه يكفر مِنْ سيئات عباده المؤمنين ، على غير المجازاة لهم بذلك على صدقاتهم . لأن ما بعد « الفاء » في جواب الجزاء استئناف ، فالمعطوف على الخبر المستأنف في حكم المعطوف عليه ، في أنه غير داخل في الجزاء . ولذلك من العلة ، اخترنا جزم « نكفّر » عطفاً به على موضع ٦٣/٣

(١) في المطبوعة : « تجويز » بغير إضافة ، وأثبت ما في المخطوطة .

« الفاء » من قوله : « فهو خير لكم »، وقراءته بالنون .[١]

* * *

فإن قال قائل : وما وجه دخول « من » فى قوله : « ونكفر عنكم من سيئاتكم »

قيل : وجه دخولها فى ذلك بمعنى : ونكفر عنكم من سيئاتكم ما نشاءُ تكفيرَه منها دون جميعها، ليكون العباد على وَجل من الله، فلا يتّكلوا على وعده ما وَعد على الصّدقات التى يخفيها المتصدّق ، فيجترئوا على حدوده ومعاصيه .

* * *

وقال بعض نحويى البصرة : معنى « من » الإسقاط من هذا الموضع ،[٢] ويتأول معنى ذلك: ونكفّر عنكم سيئاتكم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (٢٧١)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « والله بما تعملون » فى صَدَقاتكم ، من إخفائها ، وإعلانٍ وإسرارٍ بها وجِهار ،[٣] وفى غير ذلك من أعمالكم = « خبير » يعنى بذلك : ذو خبرة وعلم ،[٤] لا يخفى عليه شىء من ذلك ، فهو بجميعه محيط ، ولكله مُحْصٍ على أهله ، حتى يوفّيهم ثوابَ جميعه ، وجزاءَ قليله وكثيره .

* * *

---

(١) هذا من دقيق نظر أبى جعفر فى معانى التأويل ، ووجوه اختيار القراءات . ولو قد وصلنا كتابه فى القراءات ، الذى ذكره فى الجزء الأول : ١٤٨ ، وذكر فيه اختياره من القراءة ، والعلل الموجبة صحة ما اختاره — لجاءنا كتاب لطيف المداخل والمخارج ، فيما نستظهر .

(٢) « الإسقاط » يعنى به : الزيادة ، والحذف ، وهو الذى يسمى أيضاً « صلة » ، كما مضى مراراً ، واطلبه فى فهرس المصطلحات .

(٣) فى المطبوعة : « وإجهار » ، والصواب من المخطوطة .

(٤) انظر تفسير « خبير » فيما سلف ١ : ٤٩٦/ثم ٥ : ٩٤

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ (٢٧٢)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : ليس عليك، يا محمد، هدى المشركين إلى الإسلام، فتمنعهم صَدَقة التطوُّع ولا تُعطيهم منها، ليدخلوا فى الإسلام حاجةً منهم إليها ، ولكن الله هو يهدى من يشاء من خلقه إلى الإسلام فيوفقهم له ، فلا تمنعهم الصَّدَقة ، كما : —

٦٢٠١ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن يمان، عن أشعث، عن جعفر، عن شعبة قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم لا يتصدّق على المشركين ، فنزلت : « وما تُنفقون إلا ابتغاءَ وجه الله » ، فتصدّق عليهم .

٦٢٠٢ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا أبو داود ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كانوا لا يَرْضَخون لقرَاباتهم من المشركين ، فنزلت : « ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء » .(١)

٦٢٠٣ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن رجل ،

---

(١) الأثر : ٦٢٠٢ — « جعفر بن إياس » ، هو ابن أبى وحشية اليشكرى ، أبو بشر الواسطى . ثقة ، وهو من أثبت الناس فى سعيد بن جبير . واختلف فى سنة وفاته بين سنة ١٢٣ وسنة : ١٣١ . مترجم فى التهذيب . وروى الأثر ابن كثير فى تفسيره ٢ : ٤٩ عن أبى عبد الرحمن النسائى بإسناده ، وقال : « وكذا رواه أبو حذيفة ، وابن المبارك ، وأبو أحمد الزبيرى ، وأبو داود الحفرى ، عن سفيان — وهو الثورى — به » . ولم ينسبه لأبى جعفر ، وهذا دليل على ما قدمته فى تصدير الأجزاء السالفة أن ابن كثير وغيره ، قد أغفلوا النقل عن أبى جعفر بعد الجزء الأول من تفسيره.

« رضخ له من ماله يرضخ رضخاً ، ورضخ له من ماله رضيخة » : أعطاه عطية مقاربة ، بين القليل والكثير .

عن سعيد بن جبير قال : كانوا يتّقون أن يَرْضخوا لقراباتهم من المشركين ، حتى نزلت : « ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء » .

٦٢٠٤ – حدثنا محمد بن بشار وأحمد بن إسحق قالا ، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كانوا لا يرضخون لأنسبائهم من المشركين ، فنزلت : « ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء » ، فرَخّص لهم .

٦٢٠٥ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان أناس من الأنصار لهم أنسباء وقرابةٌ من قُرَيظة والنضير ، وكانوا يتقون أن يتصدّقوا عليهم ، ويريدونهم أن يسلموا ، فنزلت : « ليس عليك هداهم » الآية .

٦٢٠٦ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة : وذكر لنا أن رجالا من أصحاب نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قالوا : أنتصدق على من ليس من أهل ديننا ؟ ! فأنزل الله فى ذلك القرآن : « ليس عليك هداهم » .

٦٢٠٧ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء » ، قال : كان الرجل من المسلمين إذا كان بينه وبين الرجُل من المشركين قرابةٌ وهو مُحْتاجٌ ، فلا يتصدّق عليه ، يقول : ليس من أهل دينى ! ! فأنزل الله عز وجل : « ليس عليك هداهم » ، الآية .

٦٢٠٨ – حدثنى موسى قال ،[1] حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن

---

(١) الأثر : ٦٢٠٨ – فى المطبوعة والمخطوطة : « حدثنا محمد ، قال حدثنا عمرو . . . » ، والصواب « موسى» ، وهو « موسى بن هارون ، عن عمرو بن حماد » وهو إسناد دائر من أول التفسير . وسيأتى هذا الأثر نفسه ، وتتمته برقم: ٦٢١١ ، وبإسناده على صوابه . وقد مضى بيان أخى السيد أحمد عن هذا الإسناد فى الأثر رقم : ١٦٨ .

السدىّ قوله : « ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم »، أما : « ليس عليك هداهم » ، فيعنى المشركين ، وأمّا « النفقة » فبيّن أهلها .

٦٢٠٩ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحمانى قال ، حدثنا يعقوب القمى ، عن جعفر بن أبى المغيرة ، عن سعيد بن جبير قال : كانوا يتصدّقون [على فقراء أهل الذمة ، فلما كثر فقراءُ المسلمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تتصدّقوا إلا على أهل دينكم . فنزلت : هذه الآية ، مبيحةً للصدقة على من ليس من دين الإسلام] .(١) ٦٤/٣

* * *

. . . . . .

. . . . . .

* * *

كما : –

٦٢١٠ – حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ، ابن زيد فى قوله : « يُوَفَّ إليكم وأنتم لا تظلمون » ، قال : هو مردودٌ عليك ، فمالك ولهذا تُؤذيه وتمُنّ عليه ؟ إنما نفقتُك لنفسك وابتغاءَ وجه الله ، والله يَجزيك .(٢)

* * *

---

(١) الأثر : ٦٢٠٩ – كان الكلام مبتوراً فى هذا الموضع من المخطوطة والمطبوعة ، ولكن الناسخ ساقه سياقاً واحداً هكذا : « كانوا يتصدقون ، كما حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب . . . » وقد أشرت فى ص : ٥٨٤ ، التعليق : ١ وغيره من تعليقاتى السالفة ، إلى ما وقع فيه الناسخ من الغفلة والسهو. وقد زدت ما بين القوسين مما رواه القرطبى فى تفسيره ٣ : ٣٣٧ ، قال روى سعيد بن جبير مرسلا عن النبى صلى الله عليه وسلم فى سبب نزول هذه الآية : « أن المسلمين كانوا يتصدقون على فقراء أهل الذمة . . . » إلى آخر ما نقلت. فرجحت أن هذا هو الأثر الساقط من هذا الموضع ، فأثبته بنصه من القرطبى ، ولكن بقى صدر الكلام الآتى مبتوراً ، فوضعت نقطاً مكان هذا البتر .

(٢) الأثر : ٦٢١٠ – ما قبل هذا الأثر بتر لا أستطيع أن أقدر مبلغه . وأخرج الأثر السيوطى فى الدر المنثور ١ : ٣٥٧ – ٣٥٨ .

القول فى تأويل قوله ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ (٢٧٣)

قال أبو جعفر : أما قوله : « للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله » ، فبيانٌ من الله عز وجل عن سبيل النفقة ووجهها . ومعنى الكلام : وما تنفقوا من خير ، فلأنفسكم تنفقون للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله .

« واللام » التى فى « الفقراء » مردودة على موضع « اللام » فى « فلأنفسكم » كأنه قال : « وما تنفقوا من خير » — يعنى به : وما تتصدقوا به من مال فللفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله . فلما اعترض فى الكلام بقوله : « فلأنفسكم » ، فأدخل « الفاء » التى هى جوابُ الجزاء فيه ، تُركت إعادتها فى قوله : « للفقراء » ، إذ كان الكلام مفهوماً معناه ، كما : —

٦٢١١ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم » ، أما : « ليس عليك هداهم » ، فيعنى المشركين . وأما « النفقة » فبيَّن أهلَها فقال : « للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله . »(١)

* * *

وقيل : إن هؤلاء الفقراء الذين ذكرهم الله فى هذه الآية ، هم فقراء المهاجرين عامة ، دون غيرهم من الفقراء .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) الأثر : ٦٢١١ — انظر الأثر السالف رقم : ٦٢٠٨ والتعليق عليه .

٦٢١٢ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله » ، مهاجرى قريش بالمدينة مع النبي صلى الله عليه وسلم ، أمَر بالصدقة عليهم .

٦٢١٣ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه قوله : « للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله » الآية ، قال : هم فقراء المهاجرين بالمدينة .

٦٢١٤ – حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله » ، قال : فقراء المهاجرين .

* * *

القول في تأويل قوله عز وجل ﴿ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بذلك : الذين جَعلهم جهادُهم عدوَّهم يُحْصِرون أنفسَهم فيحبسونها عن التصرُّف ، فلا يستطيعون تصرّفاً .(١)

* * *

وقد دللنا فيما مضى قبلُ على أن معنى « الإحصار » ، تصيير الرجل المحصَر بمرضه أو فاقته أو جهاده عدوَّه ، وغير ذلك من علله ، إلى حالة يحبس نفسَه فيها عن التصرُّف في أسبابه ، بما فيه الكفاية فيما مضى قبل .(٢)

* * *

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك .(٣)

فقال بعضهم في ذلك بنحو الذى قلنا فيه .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) التصرف : الكسب . يقال : « فلان يصرف لعياله ، ويتصرف لهم ، ويصطرف » ، أى يكتسب لهم . وهو من الصرف والتصرف : وهو التقلب والحيلة .

(٢) انظر ما سلف ٤ : ٢١ – ٢٦ .

(٣) في المخطوطة : « وقال : اختلف أهل التأويل . . . » . وهما سواء .

٦٢١٥ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « الذين أحصروا فى سبيل الله » ، قال : حَصَروا أنفسهم فى سبيل الله للغزو .

٦٢١٦ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله » ، قال : كانت الأرض كلُّها كفراً ، لا يستطيع أحدٌ أن يخرج يبتغى من فضل الله ، إذا خرج خرج فى كُفر = وقيل : كانت الأرضُ كلها حرباً على أهل هذا البلد ، وكانوا لا يتوجَّهون جهة إلا لهم فيها عدوّ ، فقال الله عز وجل : « للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله » الآية ، كانوا ههنا فى سبيل الله .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : الذين أحصرهم المشركون فمنعوهم التصرُّف .

* ذكر من قال ذلك :

٦٢١٧ – حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله » ، حصرهم المشركون فى المدينة .

* * *

قال أبو جعفر : ولو كان تأويل الآية على ما تأوله السدّىّ ، لكان الكلام : للفقراء الذين حُصروا فى سبيل الله ، ولكنه « أحصِروا » ، فدلّ ذلك على أن خوفهم من العدوّ ، الذى صيَّر هؤلاء الفقراء إلى الحال التى حَبَسوا – وهم فى سبيل الله – أنفسَهم ، لا أنّ العدوَّ هم كانوا الحابِسِيهم .

وإنما يقال لمن حبسه العدوّ : « حصره العدوّ » ، وإذا كان الرّجل المحبَّس من خوف العدوّ ، قيل : « أحصره خوفُ العدوّ » .[1] ٦٠/٣

* * *

(١) انظر تفصيل ذلك فيما سلف ٤ : ٢١ – ٢٦ .

القول فى تأويل قوله ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : لا يستطيعون تقلُّباً فى الأرض وسفراً فى البلاد ، ابتغاءَ المعاش وَطلبَ المكاسب ،(١) فيستغنوا عن الصدقات ، رهبةَ العدوّ وخوفاً على أنفسهم منهم ، كما : —

٦٢١٨ — حدثنى الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « لا يستطيعون ضرباً فى الأرض » ، حبسوا أنفسهم فى سبيل الله للعدّو ، فلا يستطيعون تجارةً .

٦٢١٩ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « لا يستطيعون ضرباً فى الأرض » ، يعنى التجارة .

٦٢٢٠ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد قوله : « لا يستطيعون ضرباً فى الأرض » ، كان أحدهم لا يستطيع أن يخرج يبتغى من فضْل الله .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك : « يحسبهم الجاهل » بأمرهم وحالهم = « أغنياء » من تعففهم عن المسألة ، وتركهم التعرض لما فى أيدى الناس ، صبراً منهم على البأساء والضراء ، كما : —

٦٢٢١ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة

---

(١) فى المخطوطة : « المكاسر » ، وهو دليل مبين عن غفلة الناسخ وعجلته ، كما أسلفت مراراً كثيرة .

قوله : « يحسبهم الجاهل أغنياء » ، يقول : يحسبهم الجاهل بأمرهم أغنياء من التعفف.(١)

* * *

ويعنى بقوله : « منَ التعفف » ، من تَرْك مسألة الناس .

* * *

وهو « التفعُّل » من « العفة » عن الشيء ، والعفة عن الشيء ، تركه ، كما قال رؤبة :

* فَعَفَّ عَنْ أَسْرَارِهَا بَعْدَ العَسَقْ *(٢)

يعنى : بَرِئَ وتجنَّبَ .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « تعرفهم » يا محمد = « بسيماهم » ، يعنى بعلامتهم وآثارهم ، من قول الله عز وجل : ﴿ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ [سورة الفتح : ٢٩] ، هذه لغة قريش . ومن العرب من يقول : « بسيمائهم » فيمدها . وأما ثقيف وبعض أسَدٍ فإنهم يقولون : « بسيميائهم » ، ومن ذلك قول الشاعر :(٣)

---

(١) الأثر : ٦٢٢١ – كان الإسناد فى المطبوعة والمخطوطة : « كما حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد . . . » أسقط الناسخ من الإسناد « حدثنا بشر قال » ، كما زدته ، وهو إسناد دائر دوراناً فى التفسير أقربه رقم : ٦٢٠٦ .

(٢) مضى تخريج هذا البيت وتفسيره فى ٥ : ١١٠ ، ولم يذكر هناك مجيء ذكره فى هذا الموضع من التفسير ، فقيده هناك .

(٣) هو ابن عنقاء الفزارى ، وعنقاء أمه ، وقد اختلف فى اسمه ، فقال القالى فى أماليه ١ : ٢٣٧ : « أسيد » ، وقال الآمدى فى المؤتلف والمختلف : ١٥٩ ، وقال المرزبانى فى معجم الشعراء : « قيس بن بجرة » (بالجيم) ، أو « عبد قيس بن بجرة » ، وفى النقائض : ١٠٦ « عبد قيس ابن بحرة » بالحاء الساكنة وفتح الباء ، وهكذا كان فى أصل اللآلىء شرح أمالى القالى : ٥٤٣ ، وغيره

غُلَامٌ رَمَاهُ اللهُ بِالْحُسْنِ يَافِعاً لَهُ سِيمِيَاءُ لَا تَشُقُّ عَلَى الْبَصَرِ(١)

* * *

العلامة الراجكوتى « بجرة » بضم الباء وبالجيم الساكنة عن الإصابة فى ترجمة «قيس بن بجرة » وفى هذه الترجمة أخطاء كثيرة . وذكر شيخنا سيد بن على المرصفى فى شرح الكامل ١ : ١٠٨ أنه أسيد بن ثعلبة ابن عمرو . وهذا كاف فى تعيين الاختلاف . وابن عنقاء ، عاش فى الجاهلية دهراً ، وأدرك الإسلام كبيراً ، وأسلم .

(١) يأتى فى التفسير ٤ : ٨/٥٥ : ١٤١ (بولاق) والأغانى ١٧ : ١١٧ ، الكامل ١ : ١٤ ، المؤتلف والمختلف ، ومعجم الشعراء : ١٥٩ ، ٣٢٣ ، أمالى القالى ١ : ٢٣٧ ، الحماسة ٤ : ٦٨ ، وسمط اللآلىء : ٥٤٣ ، وغيرها كثير . من أبيات جياد فى قصة ، ذكرها القالى فى أماليه . وذلك أن ابن عنقاء كان من أكثر أهل زمانه وأشدهم عارضة ولساناً ، فطال عمره ، ونكبه دهره ، فاختلت حاله ، فمر به عميلة بن كلدة الفزارى ، وهو غلام جميل من سادات فزارة ، فسلم عليه وقال : يا عم ، ما أصارك إلى ما أرى ؟ فقال : بخل مثلك بماله ، وصونى وجهى عن مسألة الناس ! فقال : والله لئن بقيت إلى غد لأغيرن ما أرى من حالك . فرجع ابن عنقاء فأخبر أهله ، فقالت : لقد غرك كلام غلام جنح ليل !! فبات متململا بين اليأس والرجاء . فلما كان السحر ، سمع رغاء الإبل ، وثغاء الشاء وصهيل الخيل ، ولجب الأموال ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : هذا عميلة ساق إليك ماله ! ثم قسم عميلة ماله شطرين وساهمه عليه ، فقال ابن عنقاء فيه يمجده :

رَآنِى عَلَى مَا بِى عُمَيْلَةُ ، فَاشْتَكَى إِلَى مَالِهِ حَالِى ، أَسَرَّ كَمَا جَهَرْ
دَعَانِى فَآسَانِى ، وَلَوْ ضَنَّ لَمْ أَلُمْ عَلَى حِينَ لَا بَدْوٌ يُرَجَّى وَلَا حَضَرْ
فَقُلْتُ لَهُ خَيْراً ، وَأَثْنَيْتُ فِعْلَهُ وَأَوْفَاكَ مَا أَبْلَيْتَ مَنْ ذَمَّ أَوْ شَكَرْ
غُلَامٌ رَمَاهُ اللهُ بِالْخَيْرِ يَافِعاً لَهُ سِيمِيَاءُ لَا تَشُقُّ عَلَى الْبَصَرْ
كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فِى جَبِينِهِ ، وَفِى خَدِّهِ الشِّعْرَى ، وَفِى وَجْهِهِ الْقَمَرْ
إِذَا قِيلَتِ الْعَوْرَاءُ أَغْضَى ، كَأَنَّهُ ذَلِيلٌ بِلَا ذُلٍّ ، وَلَوْ شَاءَ لَانْتَصَرْ
كَرِيمٌ نَمَتْهُ لِلْمَكَارِمِ حُرَّةٌ فَجَاءَ ، وَلَا بُخْلٌ لَدَيْهِ وَلَا حَصَرْ
وَلَمَّا رَأَى الْمَجْدَ اسْتَعَارَتْ ثِيَابَهُ تَرَدَّى رِدَاءً وَاسِعَ الذَّيْلِ وَأْتَزَرْ

وهذا شعر حر ، ينبع من نفس حرة . هذا وقد روى الطبرى فى ٨ : ١٤١ « رماه الله بالحسن إذ رمى » . وقال أبو رياش فيما انتقده على أبى العباس المبرد : « لا يروى بيت ابن عنقاء : « رماه الله بالحسن . . . » إلا أعمى البصيرة ، لأن الحسن مولود ، وإنما هو : رماه الله بالخير يافعاً » . وقوله : « لا تشق على البصر » ، أى : لا تؤذيه بقبح أو ردة أو غيرهما ، بل تجلى بها العين ، وتسر النفس وترتاح إليها .

وقد اختلف أهل التأويل فى « السيما » التى أخبر الله جل ثناؤه أنها لهؤلاء الفقراء الذين وصفَ صفتهم ، وأنهم يعرفون بها .(١)

فقال بعضهم : هو التخشُّع والتواضع.

* ذكر من قال ذلك :

٦٢٢٢ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « تعرفهم بسيماهم » ، قال : التخشُّع .

٦٢٢٣ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٦٢٢٤ – حدثنى المثنى قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن ليث قال: كان مجاهد يقول : هو التخشُّع .

* * *

وقال آخرون : يعنى بذلك : تعرفهم بسيما الفقر وجَهد الحاجة فى وُجوههم .

* ذكر من قال ذلك :

٦٢٢٥ – حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « تعرفهم بسيماهم » ، بسيما الفقر عليهم .

٦٢٢٦ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « تعرفهم بسيماهم » ، يقول : تعرف فى وجوههم الجَهد من الحاجة .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : تعرفهم برثاثة ثيابهم . وقالوا : الجوعُ خفىّ .

* ذكر من قال ذلك :

٦٢٢٧ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد :

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « وصفت صفتهم» ، وهو مخالف للسياق، والصواب ما أثبت، وصف الله صفتهم .

« تعرفهم بسيماهم » ، قال : السيما رثاثة ثيابهم . والجوع خفى على الناس ، ولم تستطع الثياب التى يخرجون فيها [أن] تخفى على الناس .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : إن الله عز وجل أخبر نبيَّه صلى الله عليه وسلم أنه يعرفهم بعلاماتهم وآثار الحاجة فيهم . وإنما كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يدرك تلك العلامات والآثار منهم عند المشاهدة بالعِيان، فيعرفُهم وأصحابه بها ، كما يُدرك المريضُ فيعلم أنه مريض بالمعاينة . وقد يجوز أن تكون تلك السيما كانت تخشُّعاً منهم ، وأن تكون كانت أثر الحاجة والضرّ ، وأن تكون كانت رثاثة الثياب ، وأن تكون كانت جميعَ ذلك . وإنما تُدرك علامات الحاجة وآثار الضر فى الإنسان ويعلم أنها من الحاجة والضر ، بالمعاينة دون الوصف . وذلك أن المريض قد يصير به فى بعض أحوال مرضه من المرض ، نظيرُ آثار المجهود من الفاقة والحاجة . وقد يلبس الغنى ذو المال الكثير الثيابَ الرثة ، ٦٦/٣
فيتزيّى بزىّ أهل الحاجة ، فلا يكون فى شىء من ذلك دلالة بالصّفة على أنّ الموصوف به مختلٌّ ذو فاقة . وإنما يدرى ذلك عند المعاينة بسيماه كما وصف الله ،(٢) نظير ما يُعرف أنه مريض عند المعاينة ، دون وَصْفه بصفته .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾

قال أبو جعفر : يقال : « قد ألحف السائل فى مسألته » ، إذا ألحّ = « فهو يُلحف فيها إلحافاً » .

* * *

(١) ما بين القوسين زيادة لا بد منها ، لتستقيم العبارة .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « كما وصفهم الله » ، والسياق يقتضى ما أثبت . والمخطوطة التى نقلت عنها، فيما نظن، كل النسخ المخطوطة التى طبع عنها ، مضطربة الخط ، كما سلف الدليل على ذلك مراراً ، وفى هذا الموضع من كتابة الناسخ بخاصة .

فإن قال قائل : أفكان هؤلاء القوم يسألون الناس غيرَ إلحاف ؟

قيل : غير جائز أن يكون كانوا يسألون الناس شيئاً على وجه الصدقة إلحافاً أو غير إلحاف .(١) وذلك أن الله عز وجل وصفهم بأنهم كانوا أهل تعفف ، وأنهم إنما كانوا يُعرفون بسيماهم . فلو كانت المسألة من شأنهم ، لم تكن صفتُهم التعفف ، ولم يكن بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى علم معرفتهم بالأدلة والعلامة حاجة ، وكانت المسألة الظاهرة تُنبئ عن حالهم وأمرهم .

وفى الخبر الذى : —

٦٢٢٨ — حدثنا به بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن هلال بن حصن ، عن أبى سعيد الخدرى قال ، أعوزنا مرة فقيل لى : لو أتيتَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فسألته ! فانطلقت إليه مُعْنِقاً ، فكان أوّل ما واجهنى به : « من استعفّ أعفّه الله ، ومَن استغنى أغناهُ الله ، ومن سألنا لم ندّخر عنه شيئاً نجده » . قال : فرجعت إلى نفسى فقلت : ألاّ أستعفّ فيُعِفّنى الله ! فرجعت ، فما سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً بعد ذلك من أمر حاجة ، حتى مالت علينا الدنيا فغرّقتنا ، إلاّ من عَصَم الله .(٢)

* * *

(١) فى المطبوعة : « إلحافاً وغير إلحاف » ، بالواو ، وهو لا يستقيم ، والصواب ما أثبت . وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ١٨١ ، وقد قال : « ومثله قولك فى الكلام : قلما رأيت مثل هذا الرجل ! ، ولعلك لم تر قليلا ولا كثيراً من أشباهه » وسيأتى بعد ، فى ص : ٥٩٩ ، وفى اللسان (لحف) ، وذكر الآية : « أى : ليس منهم سؤال فيكون إلحاف ، كما قال امرؤ القيس [يصف طريقاً غير مسلوكة] :

عَلَى لاَحِبٍ لاَ يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ [إِذَا سَافَهُ العَوْدُ النُّبَاطِىُّ جَرْجَرَا]

المعنى : « ليس به منار فيهتدى به » .

(٢) الحديث : ٦٢٢٨ — إسناده صحيح .

هلال بن حصن ، أخو بنى مرة بن عباد ، من بنى قيس بن ثعلبة : تابعى ثقة . ذكره ابن حبان فى الثقات ، ص : ٣٦٤ ، وترجمه البخارى فى الكبير ٤/٢/٢٠٤ ، وابن أبى حاتم ٤/٢/٧٣ — فلم يذكرا فيه جرحاً . وهو مترجم فى التعجيل ، ص : ٤٣٤ .

(١) =الدلالةُ الواضحةُ على أنّ التعفف معنى ينفى معنى المسألة من الشخص الواحد، وأنّ من كان موصوفاً بالتعفف ، فغير موصوف بالمسألة إلحافاً أو غير إلحاف .(٢)

* * *

فإن قال قائل : فإن كان الأمر على ما وصفت ، فما وجه قوله : « لا يسألون الناس إلحافاً » ، وهم لا يسألون الناس إلحافاً أو غير إلحاف .(٢)

قيل له : وجه ذلك : أنّ الله تعالى ذكره لما وصفهم بالتعفف ، وعرّف عبادَه انهم ليسوا أهل مسألة بحالٍ بقوله : « يحسبهم الجاهلُ أغنياء من التعفف » ، وأنهم إنما يُعرفون بالسيما — زاد عبادَه إبانة لأمرهم وحُسنَ ثناءٍ عليهم ، بنفى الشّره والضراعة التى تكون فى الملحّين من السُّؤّال ، عنهم .(٣)

وقد كان بعضُ القائلين يقول :(٤) ذلك نظيرُ قول القائل : « قلّما رأيتُ مثلَ

والحديث رواه أحمد فى المسند : ١٤٢٢١ ، ١٤٢٢٢ (ج ٣ ص ٤٤ حلبى) ، عن محمد ابن جعفر وحجاج ، ثم عن حسين بن محمد — ثلاثتهم عن شعبة ، عن أبى حمزة ، عن هلال بن حصن ، عن أبى سعيد . فذكر نحوه بأطول منه .

وهذا أيضاً إسناد صحيح .

أبو حمزة : هو البصرى « جار شعبة » ، عرف بهذا . واسمه « عبد الرحمن بن عبد الله المازنى » ، ثقة ، مترجم فى التهذيب ٦ : ٢١٩ .

وقد ثبت فى ترجمة « هلال بن حصن » — فى الكبير ، وابن أبى حاتم ، والثقات ، والتعجيل ، أنه روى عنه أيضاً « أبو حمزة » . وشك فى صحة ذلك العلامة الشيخ عبد الرحمن اليمانى مصحح التاريخ الكبير ، واستظهر أن يكون صوابه « أبو جمرة » ، يعنى نصر بن عمران الضبعى . ولكن يرفع هذا الشك أنه فى المسند أيضاً « أبو حمزة » . لاتفاقه مع ما ثبت فى التراجم .

« أعوز الرجل فهو معوز » : ساءت حاله وحل عليه الفقر .

« أعنق الرجل إلى الشىء يعنق » : أسرع إليه إسراعاً .

(١) سياق الكلام : « وفى الخبر . . . الدلالة الواضحة . . . »

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة فى الموضعين : « إلحافاً وغير إلحاف » بالواو ، وانظر التعليق السالف رقم : ١ ص ٥٩٨ .

(٣) « السؤال » جمع سائل ، على زنة « جاهل وجهال » . والسياق : « بنفى الشره . . . عنهم » .

(٤) فى المطبوعة : « وقال : كان بعض القائلين يقول فى ذلك نظير قول القائل » وهو كلام شديد الخلل . وفى المخطوطة : « وقال كاد بعض القائلين . . . » وسائره كالذى كان فى المطبوعة ، وهو أشد اختلالا وفساداً . وصواب العبارة ما استظهرته فأثبته . وهذا الذى حكاه أبو جعفر هو قول الفراء فى معانى القرآن ١ : ١٨١ ، كما سلف فى ص : ٥٩٨ التعليق : ١

فلان » ! ولعله لم يَرَ مثله أحداً ولا نظيراً .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى معنى « الإلحاف » قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٦٢٢٩ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « لا يسألون الناس إلحافاً » ، قال : لا يلحفون فى المسألة .

٦٢٣٠ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « لا يسألون الناس إلحافاً » ، قال : هو الذى يلح فى المسألة .

٦٢٣١ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « لا يسألون الناس إلحافاً » ، ذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : إن الله يحب الحليمَ الغنيَّ المتعفف ، ويبغض الغنيَّ الفاحشَ البذىء السائلَ الملحفَ = قال : وذكر لنا أن نبيّ الله صلى عليه وسلم كان يقول : إن الله عز وجل كره لكم ثلاثاً : قيلاً وقالاً ، (١) وإضاعةَ المال ، وكثرةَ السؤال . فإذا شئت رأيته فى قيل وقال يومه أجمع وصدرَ ليلته . حتى يُلقى جيفةً على فراشه ، لا يجعلُ الله له من نهاره ولا ليلته نصيباً . وإذا شئت رأيته ذا مال [ينفقه] فى شهوته ولذاته وملاعبه ، (٢) ويَعدِله عن حقّ الله ، فذلك إضاعة المال . وإذا شئت رأيته باسطاً ذراعيه يسأل الناس فى كفيه ، فإذا أعطى أفرط فى مدحهم ، وإن مُنع أفرط فى ذمّهم .

. . . . . .

(٣) . . . . . .

---

(١) فى المطبوعة : « قيل وقال » وهو صواب ، وهما فعلان من قولهم « قيل كذا » و « قال كذا » ، وهو نهى عن القول بما لا يصح ولا يعلم . وأثبت ما فى المخطوطة ، وهما مصدران بمعنى الإشارة إلى هذين الفعلين الماضيين ، يجعلان حكاية متضمنة الضمير والإعراب ، على إجرائهما مجرى الأسماء خلوين من الضمير ، فيدخل عليهما حرف التعريف لذلك فيقال : « القيل والقال » .

(٢) فى المخطوطة : « ذا مال فى شهوته » وبين الكلامين بياض ، أما فى المطبوعة والدر المنثور ١ : ٣٦٣ ، فساقه سياقاً مطرداً : « ذا مال فى شهوته » ، ولكنه لا يستقيم مع قوله بعد : « ويعدله عن حق الله » ، فلذلك وضعت ما بين القوسين استظهاراً حتى يعتدل جانبا هذه العبارة .

(٣) هذه النقط دلالة على أنه قد سقط من الناسخ كلام لا ندرى ما هو ، فى المخطوطة فى

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٢٧٤)

[قال أبو جعفر] :

. . . . . .

. . . . . .

* * *

٦٢٣٢ – حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا معتمر ، عن أيمن بن نابل قال ، حدثنى شيخ من غافق : أن أبا الدرداء كان ينظر إلى الخيل مربوطةً بين البرَاذين والهُجْن. فيقول: أهل هذه – يعنى الخيل – من الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرًّا وعلانية ، فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوفٌ عليهم ولا هُمْ يحزَنون .(١) ٦٧/٣

* * *

وقال آخرون : عنى بذلك قوماً أنفقوا فى سبيل الله فى غير إسراف ولا تقتير .

* ذكر من قال ذلك :

٦٢٣٣ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة

إثر الأثر السالف ٦٢٣١ ، الأثر الآتى : ٦٢٣٢ : « حدثنا يعقوب بن إبراهيم . . . » . وقد تنبه طابع المطبوعة ، فرأى أن الأثر الآتى، هو من تفسير الآية التى أثبتها وأثبتناها اتباعاً له ، والذى لا شك فيه أنه قد سقط من الكلام فى هذا الموضع تفسير بقية الآتية : « وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم » وشىء قبله، وشىء بعده، لم أستطع أن أجد ما يدلنى عليه فى كتاب آخر ، ولكن سياق الأقوال التى ساقها الطبرى دال على هذا الخرم. وهذا دليل آخر على شدة سهو الناسخ فى هذا الموضع من الكتاب .

(١) الأثر : ٦٢٣٢ – « أيمن بن نابل الحبشى » أبو عمران المكى ، نزيل عسقلان ، مولى آل أبى بكر . روى عن قدامة بن عبد الله العامرى ، وعن أبيه نابل ، والقاسم بن محمد ، وطاوس . وروى عنه موسى بن عقبة ، وهو من أقرانه ، ومعتمر بن سليمان ، ووكيع وابن مهدى ، وعبد الرزاق ، وغيرهم . وهو ثقة ، وكان لا يفصح ، فيه لكنة . وعاش إلى خلافة المهدى . مترجم فى التهذيب .

والبراذين جمع برذون (بكسر الباء وسكون الراء وفتح الذال وسكون الواو) : وهو ما كان من الخيل من نتاج غير العراب ، وهو دون الفرس وأضعف منه . والهجن جمع هجين : وهو من الخيل الذى ولدته برذونة من حصان غير عربى ، وهى دون العراب أيضاً ، ليس من عتاق الخيل ، وكلاهما معيب عندهم .

قوله : « الذين ينفقون أموالهم » إلى قوله : « ولا هم يحزنون » ، هؤلاء أهلُ الجنة . ذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : المكثِرون هم الأسفلون. قالوا : يا نبيّ الله ، إلاّ مَنْ ؟ قال : المكثرون هم الأسفلون . قالوا : يا نبيّ الله ، إلاّ مَنْ ؟ قال : المكثرون هم الأسفلون . قالوا : يا نبيّ الله ، إلاّ مَنْ ؟ حتى خشوا أن تكون قد مَضَت فليس لها رَدّ ، حتى قال : إلا من قال بالمال هكذا وهكذا ، عن يمينه وعن شماله ، وهكذا بين يديه ، وهكذا خلفه ، وقليلٌ ما هُمْ [قال] : (١) هؤلاء قوم أنفقوا فى سبيل الله التى افترض وارتضى ، فى غير سَرَف ولا إملاق ولا تَبذير ولا فَساد . (٢)

* * *

وقد قيل إنّ هذه الآيات من قوله : « إن تُبدوا الصّدقات فنعمّا هى » إلى قوله : « ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ، كان مما يُعملَ به قبل نُزُول ما فى « سورة براءة » من تفصيل الزّكوات ، فلما نزلت « براءة » ، قُصِروا عليها .

* ذكر من قال ذلك :

٦٢٣٤ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « إن تبدوا الصدقات فنعمّا هى » إلى قوله : « ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ، فكان هذا يُعمل به قبل أن تنزل « براءة » ، فلما نزلت «براءة» بفرائض الصّدقات وتفصيلها ، انتهت الصّدَقاتُ إليها.

---

(١) ما بين القوسين ، زيادة لا بد منها ، فإن هذا الكلام الآتى ولا شك من كلام قتادة ، وكذلك خرجه السيوطى فى الدر المنثور ١ : ٣٦٣ قال : « وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة . . . » ، وساق هذا الشطر الآتى من هذا الأثر . وأما صدره ، فهو خبر مرسل كسائر الأخبار السالفة .

(٢) قوله : « إملاق » هو من قولهم : « ملق الرجل ما معه ملقاً ، وأملقه إملاقاً» ، إذا أنفقه وأخرجه من يده ولم يحبسه وبذره تبذيراً . والفقر تابع للإنفاق والتبذير ، فاستعملوا لفظ السبب فى موضع المسبب ، فقالوا : « أملق الرجل إملاقاً » ، إذا افتقر فهو « مملق » أى فقير لا شىء معه .

تم الجزء الخامس من تفسير الطبرى

ويليه الجزء السادس ، وأوله :

القول فى تأويل قوله

﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾

الفهارس

فهرس الآيات التى استدل بها فى غير موضعها من التفسير

السورة/الآية	الصفحة
آيات سورة البقرة	
٦٥	٥١١
١٢٩	١٦
١٨٠	٢٥٣، ٢٥٨
٢٠٣	٣٢
٢٣٤	٢٥٠—٢٥٨
٢٣٦	٢٦٤، ٢٦٥
٢٤١	١٢٥، ١٢٩
٢٤٣	٤٤٤
٢٤٤	٥١٢
٢٤٥	٥١٢
٢٤٦	٢٧٨
٢٤٩	٣١٦
٢٦١	٢٨٣
٢٧٠—٢٧٢	٥٢٨
* * *	
آيات سورة آل عمران	
٣٧	٥٣٤
٤٧	١١٨
٩٢	٥٦٥
* * *	

السورة/الآية	الصفحة
آيات سورة النساء	
٩	٥٥١
١٢	٢٥٣، ٢٥٥
٦٥	٤١٠
١٣٧	٤٢٧
١٦٤	٢٦٩
* * *	
آية سورة المائدة	
٣٢	٤٣٢
* * *	
آيات سورة الأنعام	
٨٣	٤٣٦
٩٠	٤٦٢
* * *	
آيات سورة الأعراف	
١٢	٣٠١
١٣٧	٤٤٥
* * *	
آية سورة التوبة	
١	٢٥٢
* * *	

السورة/الآية	الصفحة
آيات سورة الحجر	
٢٦	٤٦٦
٢٨	٤٦٦
٣٢	٣٠١
٣٣	٤٦٦
* * *	
آيات سورة النحل	
٥،٦	١١
٢٦	٤٣٤
٤٧	٥٣٣
* * *	
آية سورة الإسراء	
٤٨	٤٥
* * *	
آية سورة مريم	
٢٠	١١٨
* * *	
آية سورة طه	
٩٥	١٠١
* * *	
آيات سورة الأنبياء	
٢١	٤٧٧
٨٠	٣٧١،٣٧٢
* * *	

السورة/الآية	الصفحة
آية سورة الحج	
٨٧	٢٤٤
* * *	
آية سورة النور	
١	٢٥٢
* * *	
آية سورة الفرقان	
٩	٤٥
* * *	
آيات سورة الشعراء	
١٠٠ ، ١٠١	٣٨٣
* * *	
آية سورة العنكبوت	
٤٣	٥٤٧
* * *	
آية سورة الروم	
٣٠	٤٦٣
* * *	
آية سورة السجدة	
١٢	٢٨٢
* * *	

السورة/الآية	الصفحة
آيات سورة الأحزاب	
٢٨	٢٦٥
٤٩	١٢٧، ٢٦٥
* * *	
آية سورة فاطر	
٢٨	٥٧٨
* * *	
آيات سورة الصافات	
٤٩	١٠٢
١٤٧	٤٥٨
* * *	
آيات سورة الزمر	
٥٣	٤٨٩
٦٧	٣٩٩
* * *	
آيات سورة غافر	
٧	٤٠١
١٥	٣٤، ٤٠—٤٢
* * *	
آية سورة الزخرف	
٦٧	٣٨٣
* * *	
آية سورة محمد	
١٥	٤٦٧
* * *	
آية سورة الفتح	
٢٩	٥٩٤
* * *	

السورة/الآية	الصفحة
آية سورة النجم	
٢	٤١٦
* * *	
آية سورة الحديد	
٨	٣٠٠
* * *	
آيات سورة الطلاق	
٦	٣١
٧	٤٤، ٤٥، ٧٥
* * *	
آيات سورة الحاقة	
٧	٩٢
٢٥	٤٦٢
* * *	
آية سورة نوح	
١٧	٥٣٤
* * *	
آية سورة المزمل	
٨	٥٣٣
* * *	
آية سورة النازعات	
٤١	١٦٠
* * *	
آية سورة عبس	
٢٢	٤٧٧
* * *	
آية سورة الطارق	
١٧	٤٦٣

فهرس اللغة

هذا الفهرس مرتب على ترتيب معاجم اللغة ، على أصل الاشتقاق ، وعلى آخر الأصل باباً ، وأوّله فصلاً

(جزأ) الجزء : ٥١٠
(فيأ) فئة : ٣٥٢
(ملأ) الملأ : ٢٩١
(هزأ) هزؤ : ١٢

* * *

(جذب) جذب ، جاذب : ٤١٩
(خطب) الخطبة : ١٠١، ١٠٢
الخطب : ١٠١، ١٠٢
(خلب) الخلب ، الخلبوت : ٤١٩
(ركب) ركب ، ركبان ، أركب
أركوب ، وأراكيب : ٢٣٨
(صحب) أصحاب النار : ٤٢٩
(ضرب) ضرب فى الأرض : ٥٩٣
(طيب) طيبات : ٥٥٥
(كتب) الكتاب : ١٥
كُتِب : ٣٠٠
(لبب) الألباب : ٥٨٠

* * *

(بهت) بُهِت ، بهته : ٤٣٢
(تبت) التابوت : ٣١٧ — ٣٢٥
(ثبت) ثبّت : ٣٥٤
تثبيت : ٥٣١ — ٥٣٤
(قنت) قانت ، القنوت : ٢٢٨
— ٢٣٧

(نبت) أنبت نباتاً : ٥١٣ ، ٥٣٤
(وقت) وقت ، أوقات : ٢٧٧

* * *

(بعث) بعثه ، البعث : ٤٥٧
(خبث) الخبيث : ٥٥٩
(عيث) عاث يعيث : ٤٩٩
(ورث) الوارث : ٥٤ — ٦٠

* * *

(حجج) حاجّه : ٤٢٩، ٤٣٠

* * *

(جنح) الجناح : ٧٠ ، ٩٥ ، ١١٧ ، ٢٦١
(سرح) سرّح ، التسريح : ٧، ١١
السرح : ١١

* * *

(أود) آده يؤوده : ٤٠٣
(أيد) أيّده : ٣٧٩
(جهد) الجهد : ٤٥
(حمد) حميد : ٥٧٠
(خلد) خالد : ٤٢٩
(رشد) الرشد : ٤١٦
(عقد) عقدة النكاح : ١١٥ ، ١١٦ ، ١٤٦ ، وما بعدها
(فسد) الفساد : ٣٧٢

(صلد) صلد : ٥٢٤ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠
صلود : ٥٢٥
(قعد) القعدة : ١٠١
(ودد) ودّ يودّ : ٥٤٢
(وعد) عدة ، عدات : ٣٥٣
(ولد) الوالدات : ٣٨ — ٤٠ ، ٥٠ ، ٥١
المولود له : ٤٣

* * *

(جبذ) جبذ ، جابذ : ٤١٩

* * *

(أجر) أجر : ٥١٩
(بصر) بصير : ٧٦، ١٦٧، ٥٤١
(بقر) بقر : ٩٢
(جبر) التجبر ، الجبروت : ٤١٩
(حصر) حصر ، أحصر : ٥٩١ ، ٥٩٢
(خبر) خبير : ٩٤ ، ٥٨٦
(سرر) السرّ : ١٠٥ — ١١١
(صبر) صابر : ٣٥٢ ، ٣٥٣
(صور) صاره يصوره : ٤٩٥ — ٥٠٥
أصور ، وصوراء ، وصور : ٤٩٥
(صير) صاره يصيره : ٤٩٧، ٤٩٨
(ضرر) ضرار : ٧، ٨ وما بعدها
لا تضارّ : ٤٦ — ٥٣
(طهر) اطهر : ٢٩ ، ٣٠
(عصر) إعصار : ٥٥١ — ٥٥٤
(غفر) غفور : ١١٧
مغفرة : ٥٢٠ ، ٥٧١
(فطر) رجل فطر ، وقوم فطر : ٤٢٨
(قتر) المقتر : ١٣٦
(قدر) القدَر : القدْر : ١٣٦
(كفر) الكافر : ٣٨٤
كفّر : ٥٨٤
(نذر) نَذَر ، نَذْر : ٥٨٠
(نشر) نشر الموتى : ٤٧٧ ، ٤٨٧
أنشره : ٤٧٧
(نصر) نصير ، أنصار : ٥٨١
(يسر) يسر ، أيسار : ٢٧٧

* * *

(برز) برَز ، البراز ، تبرز : ٣٥٤
(عزز) عزيز : ٢٦١ ، ٥١١
(نشز) أنشزها ، النشوز ، نشز الغلام ، نشز : ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩

* * *

(جلس) الجلسة : ١٠١
(قدس) روح القدس : ٣٧٩
(كرس) الكرسيّ : ٣٩٧ — ٤٠٣
الكرْس : ٤٠٢
كراسة : ٤٠٢
(لبس) لباس : ٤٨٠
(مسس) مسّ : ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩

* * *

(عرش) عَرَش، عروش ، عريش
مكة : ٤٤٥
(فحش) الفحشاء : ٥٧١

* * *

(ربص) تربص : ٧٩

* * *

(عرض) التعريض : ٩٥ — ١٠٠
(غمض) أغمض فيه : ٥٦٣ — ٥٧٠
(فرض) فرض ، فريضة : ١٢٠
(قبض) قبض : ٢٨٩
(قرض) أقرض ، القرض : ٢٨٢، ٣٨٣

* * *

(بسط) بسط : ٢٨٩
بسطة : ٣١٣
(حوط) الإحاطة : ٣٩٦
(غوط) غائط ، تغوّط : ٣٥٤
(وسط) الصلاة الوسطى : ١٦٨ — ٢٢٧
التوسط : ٢١٤
الوسطى : ٢٢٧
وسط القوم : ٢٢٧

* * *

(حفظ) حافظ على الشيء : ١٦٧

* * *

(دفع) دفع الناس، دفاع الناس : ٣٧٥، ٣٧٦
(رجع) ترجعون : ٢٩١
(رضع) الرضاع ، الرضاعة : ٤٣
(سمع) سميع : ٢٨١ ، ٤٢٣
(شفع) شفاعة : ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٩٥
(صقع) صاقعة : ٤١٩
(متع) متعة : ١٢٠
متاع : ١٣٧ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢
(معع) مع : ٣٥٣
(وسع) الوسع : ٤٥
الموسع : ١٣٦
واسع : ٣١٤ ، ٥١٦ ، ٥٧٥

* * *

(فرغ) أفرغ علينا صبراً : ٣٥٤

* * *

(ألف) ألف ، ألوف : ٢٦٦ ، ٢٧٣ ، ٢٧٦
ألوف، آلاف : ٢٧٦ ، ٢٧٧
(خوف) تخوّف : ٥٣٣
(شرف) شريف ، أشراف : ٥٨١
(ضعف) ضعّف ، ضاعف : ٢٨٧ ، ٥١٥
ضعفاء : ٥٤٣ ، ٥٥١
(عرف) معروف : ٧، ٤٤ ، ٧٦، ٩٣ ، ١١٣ ، ٥٢٠
(عفف) التعفف ، العفة : ٥٩٤
(غرف) غرفة : ٣٤٢ ، ٣٤٣
(كلف) كلّف : ٤٥
(لحف) ألحف : ٥٩٧ — ٦٠٠

* * *

(حقق) حقاً : ١٣٧ ، ١٣٨ ، ٢٦٥
الحق : ٣٧٧
(رزق) رزق : ٤٤
(صعق) صاعقة : ٤١٩
(طوق) طاقة : ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٥٠
(عتق) عتيق : ٤٠٦
(نفق) أنفق : ٣٨٢ ، ٥١٧ ، ٥٥٥ ، ٥٥٩ ، ٥٨٠
(وثق) الوثق ، الأوثق : ٤٢١

* * *

(مسك) استمسك : ٤١٩ ، ٤٢١
(ملك) الملك : ٣١٢ ، ٣٧١

* * *

(أجل) أجل : ٧ ، ١٧ ، ٩٣ ، ١١٥
(أ كل) أكلة ، أكل : ٥٣٨
(بتل) تبتيل : ٥٣٣ ، ٥٣٤
(حمل) الحمل : ٣٣٦
(حول) الحول : ٣١ ، ٣٢
(خلل) خلة : ٣٨٢
(رجل) راجل ، رجل ، رجال : ٢٣٧ ، ٢٤٤
رَجْلان : ٢٣٨
(سبل) سبيل الله : ٢٨٠ ، ٥١٧ ، ٥٩٠
(سنبل) سنبلة : ٥١٢ — ٥١٥
(طلل) طلّ : ٥٣٩
(عدل) رجل عدل ، وقوم عدل : ٤٢٨
(عضل) عضل المرأة : ٢٤
أعضل الأمر : ٢٤
داء عضال : ٢٤
عضّل : ٢٥
(فصل) فصل فصولا : ٣٣٨
فصل الصبي فصالا : ٦٧ ، ٣٣٨
(فضل) الفضل : ١٦٤ — ١٦٦ ، ٢٧٨ ، ٣٧٢ ، ٥٧١
(كمل) كامل : ٣٢
(وبل) وابل ، وبل يبل : ٥٢٤ ، ٥٢٩ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨
(وصل) صلة ، صلات : ٣٥٣

* * *

(أمم) تيمم ، تأمم ، أمّ : ٥٥٨
(حكم) حكيم : ٢٦٢ ، ٥١١ ، ٥١٢
الحكمة : ١٥ ، ١٦ ، ٣٧١ ، ٥٧٦ — ٥٧٩
(حلم) حلم : ١١٧ ، ٥٢١
(سهم) السهم : ٥١٠
(سوم) سيميا : ٥٩٤ — ٥٩٧
(طعم) طعم الشيء : ٣٤٢
(ظلم) الظلم ، الظالم : ١٢ ، ٣٠٥ ، ٣٨٤ ، ٤٣٧
ظلمات : ٤٢٤
(عزم) عزم : ١١٥
(عظم) العظيم : ٤٠٥ — ٤٠٧

(علم) علم : ١٦ ، ٢١٨ ، ٣٠٥ ، ٣١٤ ، ٤٢٤، ٥١٦ ، ٥٧٥
يعلمه : ٥٨١
العالمون : ٣٧٥
(فصم) انفصم ، انفصام : ٤٢٢، ٤٢٣
(قوم) القيوم : ٣٨٨ ، ٣٨٩
(نعم) نعمة الله : ١٥
(نوم) النوم : ٣٩١ — ٣٩٣
(هزم) هزم هزيمة وهزيمى : ٣٥٥
(يوم) يوم ، أيام : ٢٧٧

* * *

(أذن) إذن: ٣٥٢، ٣٥٥، ٣٩٥
(أمن) أمن : ٢٤٨ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٥٥
مؤمن : ٣٣٧
(بين) البينات : ٣٨٠
تبين : ٤٨١
(جنن) جنة : ٥٣٥
(حسن) المحسن : ١٣٨
(سكن) السكينة : ٣٢٦ — ٣٣٠
سكن ، سكينة : ٣٢٩، ٣٣٠
(سنن) تسنى ، مسنون : ٤٦٠
(طمن) اطمأن : ٤٩٢ — ٤٩٤
(ظنن) الظن : ٣٥٢
تظنّيتُ : ٤٦٠
(كنن) أكنّ إكناناً : ١٠٢
الكنّ : ١٠٢
مكنون : ١٠٢

(وسن) سنة ، الوسن : ٣٨٩ — ٣٩٣

* * *

(أله) الله : ٣٨٦
إله : ٣٨٦
(سنه) تسنه : ٤٥٩ — ٤٦٧
(كره) إكراه : ٤٠٧ — ٤١٦

* * *

(أخو) أخ : ٤٢٨
(أبي) آية : ٢٦٥ ، ٣١٥ ، ٣١٧ ، ٣٣٧ ، ٣٧٧
(بدا) أبدى : ٥٨٢
(بغى) ينبغى : ٧٩
ابتغى : ٥٣٠
(بقى) بقية : ٣٣٠ — ٣٣٤
(بلا) ابتلى : ٣٣٩
(تلا) يتلو : ٣٧٧
(ثبا) ثبة ، ثبون : ٣٥٣
(حيى) الحيّ : ٣٨٦ ، ٣٨٧
(خفى) أخفى : ٥٨٢
(خوى) خوى ،خاوية : ٤٤٤ ، ٤٤٥
(رأى) الرؤية ، ألم تر : ٢٦٦ ، ٢٩١ ، ٤٢٩ ، ٤٨٥ ، ٥٢١
(ربا) ربوة ،ربايربو : ٥٣٥— ٥٣٧
(زكا) الزكاة : ٢٩
أزكى : ٢٩

(سنا) سنة سنين : ٣٥٣
سنة ، سنينة : ٤٦٠
تسنى : ٤٦٠
أسنهت : ٤٦١
(صرى) صرى صرياً : ٤٩٨
(صفا) صفا ، صفوان ، صفىّ : ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩
اصطفى : ٣١٢
(طغا) الطاغوت : ٤١٦ — ٤٤٠ ، ٤٢٨
طغا يطغو : ٤١٩
(عثى) عثى يعثى : ٤٩٩
(عدا) اعتدى : ٨
(عرا) العروة : ٤٢١
(عزا) عزّة ، عزُون : ٣٥٣
(عسى) هل عسيتم : ٣٠٠
(عفا) عفا يعفو : ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٦٢
(علا) العلىّ : ٤٠٥ ، ٤٠٦
(غنى) غنىّ : ٥٢١ ، ٥٧٠
(غوى) غوى ، الغىّ : ٤١٦
(قلا) قلة : ٣٥٣
(كسا) الكسوة : ٤٤ ، ٤٨٠
كساه : ٤٨٠
(لقى) ملاقوالله : ٣٥٢
(نسى) نسى : ١٦٤
(وفى) توفى : ٧٧ ، ٢٥٠
(وقى) اتقى : ١٦ ، ٧٦
المتقون : ٢٦٥
(ولى) تولى : ٣٠٥
الولىّ : ٤٢٤

أعلام المترجمين فى التعليق

الأرقام فى هذا الفهرست هى أرقام الآثار ، لا الصفحات

أبان بن عثمان بن عفان : ٥٤٤٩
إبراهيم بن طلحة : ٥٤٥١
إبراهيم بن طهمان : ٤٩٣١
إبراهيم بن أبى عبيدة بن معن المسعودى : ٥٣٧٩
إبراهيم بن يزيد الدمشقى : ٥٤٤٢
الأجلح بن عبد الله الكندى : ٥٣٨٤
أبو أحمد الزبيرى (محمد بن عبد الله ابن الزبير) .
أحمد بن إسحق بن عيسى الأهوازى (ابن إسحق) : ٥٤٣٧، ٥٩١٩، ٦١٠٧
أحمد بن حفص بن عبد الله بن راشد (أحمد بن أبى عمر) : ٤٩٣١
أحمد بن سعيد بن يعقوب الكندى : ٥٨٤٦
أحمد بن سنان الواسطى : ٥٤٢١
أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم (ابن البرقى) : ٥٤٤٤
أحمد بن عبد الله بن يونس (أحمد بن يونس) : ٥٠٨١
أحمد بن عبدة الحمصى (الضبى) : ٥٥٠٢
أحمد بن أبى عمر (أحمد بن حفص ابن عبد الله)
أحمد بن محمد بن ثابت الخزاعى (ابن شبويه) : ٤٩٢٣
أحمد بن محمد بن حبيب الطوسى : ٥٤٩١
أحمد بن محمد بن سيار (أحمد بن محمد بن المغيرة بن سيار) : ٥٧٥٣
أحمد بن محمد بن المغيرة بن سيار (أحمد بن المغيرة)(أحمد بن محمد ابن سيار) : ٥٧٥٣
أحمد بن المغيرة (أحمد بن محمد بن بن المغيرة بن سيار) (أبو حميد الحمصى) (أحمد بن محمد بن سيار) : ٥٧٥٣
أحمد بن منيع البغوى الأصم : ٥٤٣٢
أحمد بن يوسف التغلبى الأحول : ٥٩١٩ ، ٥٩٥٤
أحمد بن يونس (أحمد بن عبد الله بن يونس) : ٥٠٨١
أبو الأحوص (سلام بن سليم)
أبو الأحوص (عوف بن مالك بن نضلة) : ٦١٧٢
أبو أسامة (حماد بن زيد بن أسامة) (حماد بن أسامة بن زيد) : ٥٢٦٥

ابن إسحق الأهوازى (أحمد بن إسحق . . .)
أبو إسحق السبيعى (عمرو بن عبد الله ابن عبيد) : ٥٣٨٠، ٥٤١٣
أبو إسحق الهمدانى (أبو إسحق السبيعى)
إسحق بن أبى إسرائيل بن كاهجرا : ٥٧٨٠
إسحق بن عبد الله بن أبى فروة : ٥٤٧١
إسحق بن عبد الواحد الموصلى : ٥٤٣٤
إسحق بن أبى فروة (إسحق بن عبد الله ابن أبى فروة) :
إسحق بن منصور السلولى : ٤٩٢٥
إسرائيل بن يونس بن أبى إسحق السبيعى : ٥٤١٣
أسماء بنت عميس : ٥٠٨٨
أبو إسماعيل الشيبانى (ثابت بن محمد)
إسماعيل بن أبى خالد (الأحمس) : ٥٦٩٤ ، ٥٧٧٧
إسماعيل بن عبد الكريم بن معقل : ٥٥٩٨
إسماعيل بن عياش الحمصى : ٥٤٤٥
إسماعيل بن مسلم المكى : ٥٤١٧
أشعث بن أسلم البصرى : ٥٦٠٠
أشعث بن سالم النصرى : ٥٦٠٠
أفلح بن سعيد : ٥٣٥٠
أمية بن شبل الصنعانى : ٥٧٨٠
أيمن بن نابل الحبشى : ٦٢٣٢
أبو أيوب (يحيى بن مالك المراغى العتكى)
أبو أيوب (الأنصارى) خالد بن يزيد : ٥٤١٨
أيوب بن سليمان بن بلال التيمى : ٤٩٢٣
أيوب بن سويد الشيبانى : ٥٤٩٥
أيوب بن موسى بن عمرو بن سعيد القرشى : ٥٠٧٩

* * *

باذام (ميزان) (أبو صالح)
الباقر (محمد بن على بن الحسين)
أبو البدّاح : ٤٩٣٣
البراء بن عازب : ٥٧٢٤
ابن البرقى (أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم)
أبو بشر (جعفر بن إياس بن أبى وحشية) :
بشير بن النضر المزنى : ٥٠٠٥
أبو بصرة الغفارى : ٥٤٩٣
بقية بن الوليد : ٥٥٦٣
بكار بن عبد الله اليمانى : ٥٦٦٤ ، ٥٦٨٠ ، ٥٦٨١ ، ٥٦٩٧
أبو بكر (أبو بكر بن عياش)
أبو بكر بن أبى أويس (عبد الحميد ابن عبد الله . . .)
أبو بكر بن عياش : ٥٧٢٥
بكر بن مضر المصرى : ٥٨٩٧
بكير بن الأخنس الليثى : ٥٥٦٩
بيان النحوى (؟؟) (شيبان بن عبد الرحمن) :
ابن البيلمانى (عبد الرحمن . . .) :

* * *

تماضر ابنه الأصبغ بن عمرو الكلبية: ٥٢٠٤
أبو تميم الجيشانى (عبد الله بن مالك ابن أبى الأسحم) : ٥٤٩٣
التيمى (سليمان بن طرخان)

* * *

ثابت بن الدحداح (أبو الدحداح): ٥٦٢٠
ثابت بن محمد (أبو إسماعيل الشيبانى): ٥٤٣٠
ثابت بن هرمز (أبو المقدام) : ٥٩٦٩
ثوير بن أبى فاختة : ٥٤١٤

* * *

جابر الجعفى : ٥٤٢٣
جابر بن زيد (أبو الشعثاء) : ٥٤٧٢
جابر بن سيلان : ٥٤٣٦
جابر بن زيد الأزدى (أبو الشعثاء): ٥١٣٦
جابر بن غراب النمرى : ٥٥٥٩
جابر بن نوح : ٥٦٩٤
جابر شعبة (أبو حمزة البصرى): ٦٢٢٨
أبو الجراح (؟؟) : ٥٩١٨
الجراح بن مليح بن عدى الرؤاسى : ٥٧٢٧
جرير بن عبد الحميد الضبى : ٥٥٦٦ ، ٦١٧٦
أبو جعفر (الباقر) (محمد بن على ابن الحسين)
أبو جعفر الرازى : ٥٨٤٨
جعفر بن إياس بن أبى وحشية (أبو بشر) : ٥٣٤٦ ، ٦٢٠٢
جعفر بن ربيعة بن شرحبيل الكندى: ٥٠٠٥
جعفر بن سليمان الضبعى : ٥٤٧٣ — ٥٤٧٧
جعفر بن أبى وحشية (جعفر بن إياس بن أبى وحشية) (أبو بشر) : ٥٤٠٥ ، ٥٤٦١
أبو جمرة (نصر بن عمران بن عصام الضبعى) : ٥٩٩٥ ، ٦٢٢٨
جُمل بنت يسار (جُميل) (فاطمة): ٤٩٣٣
جُميل بنت يسار (جُمل) (فاطمة): ٤٩٣٣

* * *

الحارث بن شبيل بن عوف الكوفى : ٥٥٢٤
الحارث بن عبد الله الأعور الهمدانى: ٥٣٨٠ ، ٥٣٨٥
حبان بن هلال الباهلى : ٥٤٧٢
حبيب (؟؟) : ٥٣١٤
حبيب بن أبى حبيب الأنماطى : ٥٤٧٢
حجاج بن رشدين بن سعد : ٥٥٨٩
الحجاج بن المنهال الأنماطى: ٥٣٩٧ ، ٥٤٥٤ ، ٥٦٢٣
ابن حجيرة (عبد الرحمن بن حجيرة)
أبو حسان الأعرج (مسلم بن عبد الله): ٥٤٢٢
حسان بن فائد العبسى : ٥٨٣٤

الحسن البصرى : ٥٣٩٢ ، ٥٤١٧
الحسن بن صالح بن صالح الثورى : ٥٣٤٧
الحسن بن عطية بن نجيح : ٤٩٦٢
حسن بن موسى الأشيب : ٥٥١٨
أبو الحسين (زيد بن الحباب)
الحسين بن على الصدائى : ٥٤٢٧ ، ٥٤٣٧
الحسين بن عمرو بن محمد العنقزىّ : ٦١٣٩
حصين الأنصارى (أبو حصين الأنصارى) : ٥٨١٧
أبو حصين الأنصارى السالمى (حصين الأنصارى) : ٥٨١٧
حفص بن سليمان الأسدى : ٥٧٥٣
حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب : ٥٤٤٨
الحكم بن أبان : ٥٧٧٩
الحكم بن بشير بن سلمان : ٦١٧١
الحكم بن ظهير الفزارى : ٥٥٢٣ ، ٥٧٩٢
الحكم بن عتيبة : ٥٤٢٥ ، ٥٤٣٤
حماد بن أسامة بن زيد (حماد بن زيد ابن أسامة) : ٥٢٦٥ ، ٥٣٣١
حماد بن زيد : ٥٤٥٤
حماد بن زيد بن أسامة (حماد بن أسامة بن زيد) : ٥٢٦٥
حماد بن سلمة : ٥٣٩٧ ، ٥٤٥٤ ، ٦١٧٤
حماد بن عثمان : ٥٦١٥
حماد بن مسعدة : ٥٨٤٢
أبو حمزة الأعور القصاب : ٦١٩٠
أبو حمزة البصرى (جار شعبة) : ٦٢٢٨
حميد الأعرج (حميد بن على) (حميد ابن عطاء)
حميد صفيراء (حميد بن نافع)
أبو حميد الحمصى (أحمد بن المغيرة)
حميد بن زياد الخراط (أبو صخر) : ٥٣٨٦
أم حميد بنت عبد الرحمن : ٥٣٩٤ ، ٥٣٩٥
حميد بن عبد الرحمن الحميرى : ٤٩٢٦
حميد بن عبد الرحمن الرؤاسى : ٥٣٤٧
حميد بن عبد الرحمن بن عوف : ٥٢٠٤
حميد بن عطاء (حميد الأعرج) : ٥٦٢٠
حميد بن على (حميد الأعرج) : ٥٦٢٠
حميد بن عقبة بن رومان القرشى : ٥٨٤٦
حميد بن مخلد بن قتيبة (ابن زنجويه) : ٥٩١١
حميد بن مسعدة : ٥٨٤٢
حميد بن نافع الأنصارى (حميد صفيراء) : ٥٠٧٣
حميد بن هانئ المصرى (أبو هانئ الخولانى) : ٦٠٣٩
حميدة بنت أبى يونس : ٥٣٩٣
أبو حيان التيمى (يحيى بن سعيد ابن حيان)

• • •

أبو خالد الدالانى (يزيد بن عبد الرحمن)
خالد سبلان (خالد بن عبد الله بن الفرج) : ٥٤٣٦
خالد بن دهقان الدمشقى : ٥٤٣٦
خالد بن عبد الله الطحان : ٥٤٣٤
خالد بن عبد الله بن الفرج (خالد سبلان) : ٥٤٣٦
خالد بن مهران الحذاء : ٥٤٢٧
خالد بن يزيد (أبو أيوب الأنصارى) : ٥٤١٨
خالد بن يزيد الجمحى : ٥٤٦٥
ابن خثيم (عبد الله بن عثمان بن خثيم)
خلاس بن عمرو الهجرى : ٥٣١٤ ، ٥٤٨١
خلف بن خليفة بن صاعد الأشجعى : ٥٦٢٠
أبو الخليل (صالح بن أبى مريم)
خير بن نعيم بن مرة الحضرمى : ٥٤٩٣

* * *

الدالانى (يزيد بن عبد الرحمن)
داود بن عبد الله الأودى (أبو العلاء الأودى) : ٤٩٢٦
داود بن قيس الفراء الدباغ : ٥٣٩٨
داود بن يزيد الأودى : ٤٩٢٦
ابن الدحداح (الدحداحة) (ثابت ابن الدحداح) : ٥٦١٨ — ٥٦٢٠
أبو الدحداح (أبو الدحداحة) (ثابت بن الدحداح) : ٥٦١٨ — ٥٦٢٠
دراج ، أبو السمح : ٥٥١٨

* * *

ذكوان (أبو صالح السمان) : ٥٣٨٧

* * *

ابن أبى رافع (؟؟) : ٥٤٥٨
أبو رافع (عبد الله بن رافع المخزومى)
أبو رافع (عمرو بن رافع)
الربيع بن أنس البكرى : ٥٤٨٠
الربيع بن خثيم : ٥٤٩١
الربيع بن أبى راشد : ٥٥٠٣
أبو ربيعة (زيد بن عوف القطعى)
أبو رجاء العطاردى (عمران بن ملحان) ٥٤٧٣ — ٥٤٧٧
رزين بن عبيد : ٥٤١٣، ٥٤١٦
رفيع بن مهران الرياحى (أبو العالية) : ٥٤٧٨ ، ٥٨٤٤
رواد بن الجراح : ٥٤٣٩

* * *

أبو زائدة (زكريا بن يحيى بن أبى زائدة)
الزبرقان بن عمرو بن أمية الضمرى : ٥٤٥٩
الزبرقان بن عبد الله بن عمرو الضمرى : ٥٤٥٩
زبيد بن الحارث بن عبد الكريم : ٥٤٢٠
الزبير بن الخرّيت : ٤٩٨٥
زرّ بن حبيش : ٥٤٢٣

أبو زرعة (وهب الله بن راشد)
زكريا بن يحيى بن أبان المصرى : ٥٩٧٣
زكريا بن يحيى بن أبى زائدة (أبو زائدة) : ٥٤٥٠
ابن زنجويه (محمد بن عبد الملك بن زنجويه) (حميد بن مخلد بن قتيبة)
زهرة بن معبد بن عبد الله بن هشام التيمى : ٥٤٥١
زهير بن محمد التميمى : ٥٢٣٠
زيد بن أرقم : ٥٥٢٤
زيد بن أسلم : ٥٦١٨
زيد بن أبى أنيسة الجزرى الرهاوى : ٤٩٦٤
زيد بن الحباب (أبو الحسين) : ٥٣٥٠
زيد بن أبى الزرقاء : ٤٩٥٥، ٤٩٧١، ٤٩٧٣
أبو زيد بن شبة (أبو زيد ، عمر بن شبة)
زيد بن عوف القطعى (أبو ربيعة): ٥٦٢٣
زينب بنت كعب بن عجرة الأنصارية: ٥٠٩٠

* * *

أبو السائب (سلم بن جنادة)
سالم الأفطس (سالم بن عجلان الأموى)
سالم سبلان (سالم بن عبد الله النصرى)
سالم مولى أبى نصير (؟؟) : ٥٤٤٢
سالم بن عبد الله النصرى (سالم سبلان): ٥٦٠٠
سالم بن عجلان الأموى (سالم الأفطس) : ٥٣٤٧
سبلان (خالد سبلان)
سبلان (سالم بن عبد الله النصرى)
سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى : ٥٢٠٤
سعد بن أحكم : ٥٤١٨
سعد بن إسحق بن كعب بن عجرة : ٥٠٩٠ ، ٥٥٨٩
سعد بن إياس الكوفى (أبو عمرو الشيبانى) : ٥٥٢٤
سعد بن الحكم : ٥٤١٨
سعد بن عبيد (أبو عبيد) (مولى عبد الرحمن بن أزهر) : ٤٩٥٢
سعيد بن بشير الأزدى : ٥٤٣٩
سعيد بن تليد (سعيد بن عيسى بن تليد الرعينى) : ٥٩٧٣
سعيد بن الحكم : ٥٤١٨
سعيد بن حيان التيمى : ٥٣٨٢، ٥٣٨٣
سعيد بن الربيع الرازى : ٥٣١٢
سعيد بن أبى عروبة : ٥٤٢٩ ، ٥٤٤٤
سعيد بن عمرو بن سعيد السكونى : ٥٥٦٣
سعيد بن عيسى بن تليد الرعينى (سعيد بن تليد) : ٥٩٧٣

سعيد بن أبي مريم (ابن أبي مريم): ٥٤٥٥
سعيد بن نمير (سعيد بن يحيي)
سعيد بن أبي هلال الليثي : ٥٤٦٥
سعيد بن يحيي بن الأزهر الواسطي : ٥٤٢٦
سعيد بن يحيي بن سعيد الأموى : ٥٥٦٧
سعيد بن يزيد (أبو مسلمة) : ٥٥٥٩ ، ٥٥٦١
سفيان الثورى : ٤٩٤٦ ، ٥٣٨٠ ، ٥٤٢٣ ، ٥٧٢٨
ابن سفيان (؟؟) (ابن سنان)
سلام بن سليم (أبو الأحوص) : ٦١٧٠
سلم الخواص (سلم بن ميمون)
سلم بن جنادة (أبو السائب) ؛ ٥٤٢٦
سلم بن ميمون (سلم الخواص) : ٥٨٩٠
أبو سلمة (عبد الله الأصغر بن عبد الرحمن بن عوف)
سليمان الأعمش : ٥٤٤٠
سليمان بن أحمد الجرشى : ٥٤٣٦
سليمان بن أرقم (أبو معاذ البصرى): ٤٩٢٣
سليمان بن بلال التيمى : ٤٩٢٣
سليمان بن طرخان التيمى : ٥٤٣٢
سليمان بن عبد الجبار بن زريق الخياط : ٥٩٩٤
سليمان بن عمرو (أبو الهيثم) : ٥٥١٨
سليمان بن عمير : ٥٩١٨
سمرة بن جندب : ٥٤١٧
ابن سنان (أحمد بن سنان الواسطى)
ابن سنان (محمد بن سنان القزاز)
أبو سهل الأنصارى (محمد بن عمرو)
سهل بن عامر البجلى : ٥٤٣١
أبو السوداء (عمرو بن عمران النهدى)
سويد بن نصر بن سويد المروزى : ٥٣٨٨
سيار بن سلامة الرياحى(أبو المنهال): ٥٤٧٨

* * *

ابن شبة (عمر بن شبة)
ابن شبويه (عبد الله بن أحمد بن شبويه) (أحمد بن محمد بن ثابت الخزاعى)
شتير بن شكل بن حميد العبسى : ٥٤٢٤ ، ٥٤٤٠
أبو شحمة (أبو عثمة)
أبو شريح الإسكندرانى (عبد الرحمن ابن شريح)
شريح عبيد بن شريح الحضرمى : ٥٤٤٥
شعبة بن الحجاج : ٥٤٤٠
أبو الشعثاء (جابر بن زيد الأزدى)
شعيب بن الليث : ٥٣١٤
شقيق بن عقبة العبدى : ٥٤٣٧
شهر بن حوشب : ٥٢٤٤
شيبان النحوى (شيبان بن عبدالرحمن النحوى)

شيبان بن عبد الرحمن التميمى النحوى: ٥٢٨٠

* * *

صالح أبو الخليل (صالح بن أبى مريم)
أبو صالح، كاتب الليث (عبد الله ابن صالح)
صالح الدهان (صالح بن إبراهيم الدهان الجهنى)
أبو صالح (باذام) (ميزان): ٥٣٨٧
أبو صالح السمان (ذكوان)
صالح بن إبراهيم الدهان الجهنى (صالح الدهان): ٥١٣٦
صالح بن رستم (أبو عامر الخزاز): ٥٤٥٨
صالح بن كيسان: ٥٣٢١
صالح بن أبى مريم (صالح أبو الخليل): ٥٤٧٢
أبو صخر (حميد بن زياد الخراط)
صدقة بن خالد الأموى: ٥٤٣٦
صدقة بن عبد الله السمين الدمشقى: ٥٤٤٤
صفيراء (حميد بن نافع الأنصارى)
صفية بنت أبى عبيد بن مسعود الثقفية: ٥٠٧٤، ٥٠٧٥
أبو الصهباء البكرى: ٥٣٨٦

* * *

أبو الضحى (مسلم بن صبيح)
ضمضم بن زرعة بن ثوب الحضرمى: ٥٤٤٥

* * *

أبو طعمة (نسير بن ذعلوق)
طلحة بن مصرف اليامى: ٥٤٣١

* * *

عاصم بن أبى النجود: ٥٤٢٣
أبو العالية (رفيع بن مهران الرياحى): ٥٤٧٨
ابن عامر (؟؟) (أبو عامر العقدى)
أبو عامر الخزاز (صالح بن رستم)
أبو عامر العقدى (عبد الملك بن عمرو): ٥٤٤٧
عامر بن عبدة البجلى: ٦١٧٥
عباد بن العوام الواسطى: ٤٥٣٣
عباد بن يعقوب الرواجنى الأسدى: ٥٤٧٥
عباس بن جعفر بن الزبرقان (عباس ابن أبى طالب): ٥٧٧٧
عباس بن أبى طالب (عباس بن جعفر بن الزبرقان): ٥٧٧٧
عبدان (عبد الله بن عثمان بن جبلة)
عبد الجليل بن حميد اليحصبى: ٦١٤٣
عبد الحميد بن بيان السكرى: ٥٥٢٤
عبد الحميد بن عبد الله بن عبد الله المدنى (أبو بكر بن أبى أويس): ٤٩٢٣
عبد الرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان: ٥٤٤٩
عبد الرحمن بن أفلح: ٥٤٥٦
عبد الرحمن بن البيلمانى: ٤٩٤٦، ٤٩٤٧
عبد الرحمن بن حجيرة الخولانى: ٥٠٠٥
عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ٥٦١٨

عبد الرحمن بن سليمان بن عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة (ابن الغسيل) : ٥١٢٣
عبد الرحمن بن شريح بن عبد الله المعافرى (أبو شريح) : ٦١٩٩
عبدالرحمن بن عبدالله المسعودى : ٥٥٦٣
عبد الرحمن بن القاسم بن خالد العتقى : ٥٩٧٣
عبد الرحمن بن قيس العتكى : ٥٤٥٨
عبد الرحمن بن مهدى : ٤٩٤٦ ، ٥٤٢٣
عبد الرحمن بن نافع بن لبيبة الطائفى (ابن لبيبة) : ٥٣٨٨
عبد السلام (؟؟) : ٥٤٤٢
عبد السلام بن حرب : ٥٤٧١
عبد الصمد بن عبد الوارث العنبرى : ٥٤٥٠
عبدالله بن أحمد بن شبويه الخزاعى : ٤٩٢٣
عبد الله بن إسماعيل : ٥٤٣٨
عبد الله بن إسماعيل بن أبى خالد : ٥٤٣٨
عبد الله بن بحير الصنعانى (أبو وائل القاص) : ٥٩١٩
عبد الله بن جعفر المخرمى : ٥٣٢١
عبد الله بن الحارث الزبيدى : ٥٦٢٠
عبد الله بن الحكم بن أبى زياد (عبد الله بن أبى زياد القطوانى) : ٥٧٩٦
عبد الله بن خليفة الهمدانى : ٥٧٩٦
عبد الله بن رافع المخزومى (أبو رافع) : ٥٣٩٨
عبد الله بن أبى زياد القطوانى (عبد الله بن الحكم بن أبى زياد) : ٥٧٩٦
عبد الله بن شداد بن الهاد : ٥٠٨٨
عبد الله بن صالح (أبو صالح ، كاتب الليث) : ٥٤٩٤
عبد الله الأصغر بن عبد الرحمن بن عوف (أبو سلمة) : ٥٢٠٤
عبد الله بن عثمان بن جبلة الأزدى (عبدان) : ٥٠٠٠
عبد الله بن عثمان بن خثيم : ٥٣٨٨
عبد الله بن قيس (أبو موسى الأشعرى) : ٥٤٨٠
عبد الله بن مالك بن أبى الأسحم (أبو تميم الجيشانى) : ٥٤٩٣
عبد الله بن محمد بن يزيد الحنفى : ٥٠٠٠
عبد الله بن مسعود : ٦١٧٠
عبد الله بن نافع ، مولى ابن عمر : ٥٥٦٦
عبد الله بن هبيرة السبائى : ٥٤٩٣
عبد الله بن يزيد الأزدى : ٥٤٦١
عبد الله بن يزيد المقرئ : ٥٤٥١
عبد الملك بن سليمان (فليح بن سليمان)
عبد الملك بن عبد الرحمن بن خالد ابن أسيد : ٥٣٩٤ ، ٥٣٩٥
عبد الملك بن عمرو (أبو عامر العقدى) : ٥٠٨٨ ، ٥٤١٩ ، ٥٧٢٦
عبد الملك بن محمد الرقاشى (أبو قلابة) : ٥٦٢٣

عبد الملك بن المغيرة الطائفى . ٤٩٤٦
عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى : ٥٠٧٤ ، ٥٤٦٢ ، ٥٤٧٨
عبد الوهاب بن عطاء الخفاف : ٥٤٢٩ ، ٥٤٣٢
عبدة بن سليمان الكلابى : ٥٤٣٨
عبدة بن أبى لبابة الأسدى : ٥٨٥٩
أبو عبيد (سعد بن عبيد)
عبيد الله بن عبد الله العتكى (أبو المنيب) : ٥٥٠٠
عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم : ٥٤٥٤ ، ٥٤٦٢
عبيد الله بن عمرو بن أبى الوليد الرقى : ٤٩٦٤
عبيد الله بن موسى بن أبى المختار باذام : ٥٧٩٦
عبيدة السلمانى : ٥٤٢٢
أبو عبيدة بن معن بن عبد الرحمن المسعودى : ٥٣٧٩
ابن أبى عتيق (محمد بن أبى عتيق) (محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن)
أبو عتيق (محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق)
عثمان بن عبد الرحمن (؟؟) : ٥٧٥٤
عثمان بن عبد الرحمن بن عمر بن سعد بن أبى وقاص : ٥٧٥٤
عثمان بن عمر بن فارس بن لقيط العبدى : ٥٤٥٨
ابن عثمة (محمد بن خالد) . ٥٤٨٣
أبو عثمة (محمد بن خالد بن عثمة)
ابن عجلان (محمد بن عجلان)
ابن أبى عدى (محمد بن إبراهيم بن أبى عدى)
عصام بن رواد بن الجراح : ٥٤٣٩
عطاء بن السائب : ٦١٧٠ ، ٦١٧٢
ابن العطار (محمد بن محمد بن عمر ابن الحكم)
عفان بن مسلم بن عبد الله الصفار : ٥٣٩٢
على الصدائى : ٥٤٣٧
على بن داود بن يزيد التميمى القنطرى : ٥٤٩٤
على بن سهل الرملى ٤٩٥٥ ، ٤٩٧١ ، ٤٩٧٣
على بن عاصم بن صهيب الواسطى : ٥٤٢٧
على بن مسلم بن سعيد الطوسى : ٥٤٣٣ ، ٥٧٨٩
على بن مسهر القرشى : ٥٧٧٧
أبو العلاء الأودى (داود بن عبد الله الأودى)
العلاء بن هلال الباهلى : ٥٩٦٤
عمار الدهنى (عمار بن معاوية) (أبو معاوية البجلى)
عمار بن معاوية الدهنى البجلى (عمار الدهنى) (أبو معاوية البجلى)
عمارة بن عمير التيمى : ٥٧٨٩
عمر بن رافع مولى عمر : ٥٤٦٣
عمر بن سليمان بن عاصم بن عمر بن الخطاب (عمرو بن سليمان ...) : ٥٤٤٩ ، ٥٤٥٠

عمر بن شبة (أبو زيد) : ٤٩٢٦
أبو عمرو الرقى (هلال بن العلاء الرقى)
أبو عمرو الشيبانى (سعد بن إياس) : ٥٥٢٤
عمرو بن ثابت بن هرمز البكرى (عمرو بن أبى المقدام) : ٥٩٦٩
عمرو بن الحارث بن يعقوب المصرى : ٥٩٧٣
عمرو بن حريث : ٦٠٣٩
عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان المخزومى : ٦٠٣٩
عمرو بن أبى حكيم (عمرو بن كردى) : ٥٤٥٩
عمرو بن رافع مولى عمر : ٥٤٦٣ ، ٥٤٦٥
عمرو بن أبى سلمة التنيسى أبو حفص : ٥٢٣٠ ، ٥٤٤٤
عمرو بن سليمان بن عاصم بن عمر ابن الخطاب (عمر بن سليمان ..) : ٥٤٤٩
عمرو بن عبد الله بن عبيد (أبو إسحق السبيعى) (أبو إسحق الهمدانى) : ٤٩٣٦
عمرو بن عمران النهدى (أبو السوداء) ٥٨٥٠ ، ٥٨٥١
عمرو بن عون بن أوس الواسطى : ٥٤٣٥
عمرو بن قيس الملائى : ٦١٧١
عمرو بن كردى (عمرو بن أبى حكيم) : ٥٤٥٩
عمرو بن محمد العنقزى : ٦١٣٩
عمرو بن أبى المقدام (عمرو بن ثابت ابن هرمز) : ٥٩٦٩
عمرو بن هرم الأزدى : ٥٤٧٢
عمران بن ملحان (أبو رجاء العطاردى) : ٥٤٧٣ — ٥٤٧٧
عنبسة بن سعيد بن الضريس : ٥٣٨٥
عنبسة بن عبد الرحمن : ٥٧٥٤
العوام بن حوشب بن يزيد الشيبانى : ٥٤٥٢
عوف بن أبى جميلة : ٥٤٧٣ — ٥٤٧٧
عوف بن مالك بن نضلة (أبو الأحوص) : ٦١٧٢

* * *

أبو غسان النهدى (مالك بن إسماعيل ابن درهم)
ابن الغسيل (عبد الرحمن بن سليمان ابن عبد الله)

* * *

الفارعة بنت مالك (أخت أبى سعيد الخدرى) : ٥٥٨٩
فاطمة بنت يسار (جمل . . . جميل) ٤٩٣٣ ، ٤٩٣٦
ابن أبى فروة (إسحق بن أبى فروة)
الفريعة بنت مالك بن سنان (أخت أبى سعيد الخدرى) : ٥٠٩٠ ، ٥٥٨٩
الفضل بن دلهم : ٤٩٢٨
فضيل بن مرزوق الأغر الكوفى : ٥٤٣٧

فطر بن خليفة الحناط : ٦١٧٥
فليح بن سليمان بن أبي المغيرة (عبد الملك بن سليمان) : ٥٠٩٠

* * *

القاسم بن محمد : ٥٣٩٦
قبيصة بن ذؤيب الخزاعى : ٥٤٧١
أبو قلابة (عبد الملك بن محمد الرقاشى)
قيس بن الربيع الأسدى : ٥٤١٣

* * *

أبو كدينة (يحى بن المهلب البجلى) : ٥٩٩٤
أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط : ٥٢٠٤
كلثوم بن المصطلق الخزاعى : ٥٥٢٥
كهيل بن حرملة النميرى : ٥٤٣٦

* * *

ابن لبيبة (عبد الرحمن بن نافع بن لبيبة)
ابن لهيعة : ٥٣٥٥ ، ٥٥١٨
ابن أبي ليلى (محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى)

* * *

مالك بن إسماعيل بن درهم (أبو غسان النهدى) : ٤٩٢٦
مالك بن مغول بن عاصم البجلى : ٥٤٣١
مؤمل بن إسماعيل العدوى : ٥٧٢٨
ابن المثنى (محمد بن المثنى)
المثنى بن إبراهيم الآملى : ٥٣٩٧
محمد الباقر (أبو جعفر : محمد بن على)
محمد بن إبراهيم بن أبي عدىّ : ٥٤٤٠
محمد بن إبراهيم بن صدران السلمى الأزدى : ٥٠٨٨
محمد بن إسماعيل بن عياش الحمصى : ٥٤٤٥
محمد بن بشر بن الفرافصة العبدى : ٥٤٣٨
محمد بن أبي بكر الصديق : ٥٣٩٦
محمد بن بكر بن عثمان البرسانى : ٥٤٣٨
محمد بن الحارث بن زياد الحارثى : ٤٩٤٧
محمد بن خالد بن عثمة (أبو عثمة) (ابن عثمة) : ٥٣١٤ ، ٥٤٨٣
محمد بن سليم المكى ، أبو عثمان : ٦٠٩٥
محمد بن سنان القزاز : (ابن سنان) : ٥٤١٩
محمد بن سهل بن عسكر (محمد بن عسكر) : ٥٥٩٨ ، ٥٦٦٤ ، ٥٦٨٠ ، ٥٦٨١ ، ٥٩١١
محمد بن سوقة الغنوى : ٥٧٥٣
محمد بن الصلت بن الحجاج الأسدى : ٥٩٩٤
محمد بن طلحة بن مصرف : ٥٠٨٨ ، ٥٤٢٠
محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق (أبو عتيق) : ٤٩٢٣
محمد بن عبد الرحمن بن البيلمانى : ٤٩٤٦ ، ٤٩٤٧

محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى : ٥٤٣٤
محمد بن عبد الله بن الزبير الأسدى (أبو أحمد الزبيرى) : ٥٤١٣ ، ٥٤٣٧ ، ٥٧٢٩
محمد بن عبد الله بن عبيد بن عقيل الهلالى : ٦١٨٠
محمد بن عبد الله بن المبارك المخرّمىّ: ٤٩٢٨ ، ٥٤٤٧
محمد بن عبد الله بن المثنى الأنصارى : ٥٤٣٨
محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق (ابن أبي عتيق) : ٤٩٢٣
محمد بن عبد الملك بن زنجويه (ابن زنجويه) : ٥٩١١
محمد بن عجلان : ٥٥٨٩
محمد بن عسكر (محمد بن سهل بن عسكر) : ٥٩١١ ، ٥٦٦٤
محمد بن على بن الحسين بن على (أبو جعفر الباقر) : ٥١٢٣ ، ٥٤٦٣
محمد بن عمرو ، أبو سهل الأنصارى: ٥٣٩٦
محمد بن عوف بن سفيان الطائى : ٥٤٤٥
محمد بن المثنى أبو موسى الزمن : ٥٤٤٠
محمد بن محمد العطار : ٥٩١٩
محمد بن محمد عمر بن الحكم (ابن العطار) : ٥٩١٩
محمد بن مخلد العطار : ٥٩١٩
محمد بن معاوية بن يزيد الأنماطى : ٥٦٢٠
محمد بن معمر : ٥٣٩٣
المخرّمى (محمد بن عبد الله بن المبارك)
أبو مخلد (المهاجر بن مخلد)
مرة الطيب (مرة بن شراحيل الهمدانى)
مرة بن حمير (مرة بن مخمر)
مرة بن شراحيل الهمدانى (مرة الطيب): ٥٤٢٠ ، ٦١٧٠
مرة بن مخمر (مرة بن حمير) : ٥٤١٨
ابن أبي مريم (سعيد بن أبي مريم)
مسعر بن كدام : ٥٧٢٩ ، ٦١٧٢
المسعودى (يحيى بن إبراهيم بن أبي عبيدة)
المسعودى (عبد الرحمن بن عبد الله المسعودى)
مسلم مولى أبي جبير (؟؟) : ٥٤٤٢
مسلم بن إبراهيم الأزدى الفراهيدى : ٤٩٨٥ ، ٦١٨٠
مسلم بن صبيح الهمدانى (أبو الضحى) : ٥٤٢٤
مسلم بن عبد الله (أبو حسان الأعرج): ٥٤٢٢
مسلم بن أبي مريم السلولى (مسلم بن يسار) : ٥٤٥٦
مسلم بن يسار السلولى (مسلم بن أبي مريم) : ٥٤٥٦

أبو مسلمة (سعيدبن يزيد) : ٥٥٥٩ ، ٥٥٦١
المسيب بن رافع الكاهلى : ٦١٧٥
مصعب بن سلام التيمى : ٥٣٨٢
أبو معاذ البصرى (سليمان بن أرقم)
أبو معاوية البجلى (عمار الدهنى)
معتمر بن سليمان التيمى : ٥٣٩٠ ، ٥٤٠٠
أبو المقدام (ثابت بن هرمز)
مقسم بن بجرة : ٥٤٣٤
المنجاب بن الحارث : ٥٧٧٧
أبو المنهال (سيار بن سلامة الرياحى)
أبو المنيب (عبيد الله بن عبد الله العتكى)
أبو المهاجر : ٥٤٩٥
المهاجر بن مخلد (أبو مخلد) : ٥٤٧٩
مهدى بن ميمون الأزدى المعولى : ٦١٨٠
مهران بن أبى عمر العطار : ٤٩٥٥
أبو موسى الأشعرى (عبد الله بن قيس) : ٥٤٨٠
أبو موسى الزمن (محمد بن المثنى)
موسى بن ربيعة المصرى : ٥٤٥٦
موسى بن سهل الرملى : ٥٤٣٤
موسى بن محمد الأنصارى : ٥٥٦٤
ميزان (باذام) (أبو صالح)

* * *

ناجية بن كعب الأسدى : ٥٨٨٢
نافع مولى ابن عمر : ٥٠٧٤ ، ٥٠٧٥ ، ٥٤٠٦ ، ٥٤٥٤
نافع بن يزيد الكلاعى : ٥٤٥٥ ، ٥٤٥٧
نسير بن ذعلوق (أبو طعمة) : ٥٤٩١
نصر بن عمران بن عصام الضبعى (أبو جمرة) : ٥٩٩٥ ، ٦٢٢٨
أبو نصرة الغفارى : ٥٤٩٣
النضر بن عربى الباهلى : ٥٨٦٤

* * *

هارون النحوى ، الأعور (هارون ابن موسى الأزدى)
هارون بن المغيرة بن حكيم البجلى : ٥٥٢٥
هارون بن موسى الأزدى (هارون الأعور النحوى) : ٤٩٨٥
هانئ البربرى : ٥٩١٨
أبو هانئ الخولانى (حميد بن هانئ المصرى) : ٦٠٣٩
هبيرة بن يريم : ٥٤٦٨
هشام بن سعد المدنى : ٥٤٩٠
هشام بن يوسف الصنعانى : ٥٧٨٠
ابن أبى هلال (سعيد بن أبى هلال : هلال بن حصن ، أخو بنى مرة بن عباد) : ٦٢٢٨
هلال بن خباب العبدى : ٥٤٣٣
هلال بن العلاء بن هلال الباهلى (أبو عمرو الرقى) : ٤٩٦٤
أبو الهيثم (سليمان بن عمرو)

* * *

أبو وائل القاص (عبد الله بن بجير الصنعانى) : ٥٩١٩

واصل بن أبي سعيد : ٥٣٢١
وبرة بن عبد الرحمن : ٥٧٥٣
وكيع بن الجراح : ٥٤٩٥ ، ٥٧٢٧
الوليد بن أبي الوليد : ٥٤٥٥
وهب الله بن راشد (أبو زرعة) : ٥٠٠٥ ، ٥٣٨٦

* * *

يحيي بن إبراهيم بن أبي عبيدة بن معن المسعودى : ٥٣٧٩
يحيي بن أبي بكير (نسر) الأسدى : ٥٧٩٧ ، ٥٧٩٨
يحيي بن الجزار العرنى : ٥٤٢٥
يحيي بن رافع : ٥٧٧٧
يحيي بن سعيد الأنصارى : ٥٠٧٤ ، ٥٠٧٥
يحيي بن سعيد العطار : ٥٧٥٣
يحيي بن سعيد القطان : ٥٤٠١
يحيي بن سعيد بن حيان التيمى (أبو حيان) : ٥٣٨٢ ، ٥٣٨٣
يحيي بن مالك المراغى العتكى (أبو أيوب) : ٥٤٠٠ ، ٥٤٠١
يحيي بن المهلب البجلى (أبو كدينة) : ٥٩٩٤
يحى بن نسر (أبي بكير) الأسدى : ٥٧٩٧ ، ٥٧٩٨
يزيد أبو خالد الدالانى (يزيد بن عبد الرحمن)
يزيد الفقير (يزيد بن صهيب)
يزيد بن أبي حبيب : ٥٤٩٣
يزيد بن زريع : ٥٤٢٩ ، ٥٤٣٨
يزيد بن صهيب (يزيد الفقير) : ٥٥٦٣
يزيد بن عبد الرحمن (أبو خالد الدالانى) : ٤٩٢٦
يزيد بن هرون : ٥٠٧٥
يعقوب بن إبراهيم بن سعد : ٥٤٩٣
يونس بن عبدالأعلى : ٥٨٩٠
يونس بن عبيد : ٤٩٣١
يونس بن محمد بن مسلم : ٥٠٩٠

فهرس المصطلحات

الاستخراج (الاستنباط) : ٣٣٤

الإسقاط (الزيادة والإلغاء) : ٥٨٦

الاسم الموضوع ، الأسماء والموضوعات : ٢٨

البحث (أهل البحث) : ٣٨٧، ٤٠٦

الترجمة (التفسير والبيان) : ٥٣٤

التفسر (التمييز) : ٩١

الجزم (السكون) : ٤٦ ، ٤٨٤ ، ٥٨٥

الخروج : ٢٥٤

الصلة (الزيادة) : ٤٦٠، ٤٦٢

الفعل (المصدر) : ٣٣٠ ، ٣٤٣ ، ٥٣٨

القطع (الحال) : ١٣٧

الكناية (الضمير) : ٢٨ ، ٣٤٥، ٥٨٢

المصدر (النصب على المصدر) : ١٣٨

المصدر (إخراج المصدر) (المفعول المطلق) : ٥٣٤

المفسر (المميز) : ٩١

النسق : ٥٨٥

فهرس الفرق

أهل البحث (المتكلمون) ، وقولهم فى صفات الله، (الحى) : ٣٨٧

أهل البحث (المتكلمون)، وقولهم فى صفة (العلى)، و (العظيم) : ٤٠٦ ، ٤٠٧

مباحث العربية والنحو وغيرها

- « الألف واللام » دخولهما بمعنى الإضافة ، كقوله تعالى : « فإنّ الجنة هى المأوى » ، بمعنى : فإن الجنة مأواه ، وقول النابغة :

لهم شيمةٌ لم يُعطها اللهُ غيرَهمْ من الناس ، فالأحلامُ غيرُ عوازب

بمعنى : فأحلامهم غير عوازب : ١٦٠ ، ١٦١ ، ٤١٦.

- « الألف واللام » ، ودخولها على الأسماء للتعريف والتعيين : ٤١٥ .

- « إلاّ » بمعنى « لكن » : ١١٣

- «أنْ» النصبُ بنيتها ، كقولهم : «فتصنع ماذا» ، إذا أرادوا أن يقولوا : « فتريد أن تصنع ماذا » : ٤٨

- « أنْ » حذفها مع « مَا لَكَ ، وما لَكمْ »، وإثباتها . مثل قولهم : « ما لك لا تفعل » ، بمعنى : ما لك غير فاعله — و « ما لك أن لا تفعل » بمعنى : ما منعك أن لا تفعل : ٣٠٠ ، ٣٠١

- « أن » زيادتها بعد « ما لك» كما تزاد « لما » و « لو » : ٣٠٢ .

- « أنْ » حرفٌ غير متمكن فى الأسماء ، وهى اسم غير صحيح : ٣٠٤ .

- « أن » ومضارعتها « لو » فى معنى الجزاء : ٥٥٠

- « أن » و « لو » ، معناهما جميعاً الاستقبال : ٥٥٠
وجواب « أن » بجواب « لو » : ٥٥١

- « إياك » العرب تقول : « إياك بالباطل تنطق » : ٣٠٤ .

• « إياك » فسادُ قول من زعم أن « الواو » تحذف معها وهى مرادة : ٣٠٤ ، ٣٠٥

• « إياك » العرب تقول : « إياك أن تتكلم » ، بمعنى : إياك وأن تتكلم : ٣٠٤

• « الباء » دخولها فى خبر « ما » التى بمعنى الجحد : ٣٠٢ .

• « التاء » ، ودخولها فى المصادر مثل : « الجبروت » و « الخلبوت » و « الطاغوت » : ٤١٩

• «ذلك» مجيئها فى خطاب الجميع ، نحو : « ذلك يوعظ به » ، وأنها كثر جريانها على ألسن العرب فى منطقها ، حتى صارت الكاف كهيئة حرف من حروف الكلمة : ٢٧ ، ٢٨.

• « ذلك » إقرار الكاف موحدة مفتوحةً فى خطاب الواحدة من النساء ، والواحد من الرجال ، والتثنية والجمع : ٢٨ .

• « ذلك » ، « ذلكما » ، « ذلكم » فى الخطاب : ٢٨ .

• « الذى » وصلته ، بمنزلة الاسم مثل : « عمرو وزيد » : ٢٨٧.

• « الفاء » ، إذا دخلت فى جواب الجزاء، لم يكن جوابه بها إلا رفعاً : ٢٨٧ ، ٢٨٨

• « الفاء » حلولها فى الكلام محل جواب الجزاء ، فى مثل قوله تعالى: « وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خيرٌ لكم ويكفرْ عنكم من سيئاتكم »: ٥٨٤ .

• « الفاء» ما بعدها فى جواب الجزاء استئناف ، والمعطوف على الخبر المستأنف فى حكم المعطوف عليه ، فى أنه غير داخل فى الجزاء : ٥٨٥ .

- « قلما » بمعنى النفى فى مثل قوله : « قلما رأيتُ مثل فلان » ، بمعنى : لم تر مثله أحداً ولا نظيراً : ٥٩٩ ، ٦٠٠ .

- « الكاف » زيادتها فى نحو قوله : « أو كالذى مرّ على قرية » : ٤٣٨ .

- « كل » حرف يدل على الإحاطة بما أضيف إليه ، لفظه واحد ، ومعناه جمع : ٥٠٩

- « كم » بمعنى كثير : ٣٥٢ .

- « كم » فى كلام العرب استفهام عن مبلغ العدد : ٤٥٧ .

- « لا » زيادتها فى الكلام وإعمالها ، مثل :

لَوْ لَمْ تَكُنْ غَطَفَانُ لاذُنُوبَ لَهَا إذَنْ لَلَامَ ذوو أَحْسَابِهَا عُمَرا

والردّ على ذلك فى التعليق على البيت ، وعلى روايته « ذنوب » جمع «ذنب» : ٣٠٢ ، ٣٠٣

- « لو » و « أن » معناهما جميعاً الاستقبال : ٥٥٠
وجواب «لو » بجواب « أن » : ٥٥١

- « ما لكَ » وضعها موضع « ما منعك » ، ووضع «ما منعك» موضع « مالك » : ٣٠١

- « ما منعك» ، وضعها موضع « مالك » ، وعكس ذلك : ٣٠١ .

- « مع » معناها وتفسيرها : ٣٥٣

- « مِنْ » للتبيان فى قوله : « ونكفر عنكم من سيئاتكم » : ٥٨٦

- « مِنْ » بمعنى الحذف والإسقاط من الكلام ، فى مثل قوله : « ونكفر عنكم من سيئاتكم» ، بمعنى : نكفر عنكم سيئاتكم : ٥٨٦

- « هاء » الوقف فى قوله : « لم يتسنه » : ٤٦٠

- « هذا » ، مخالفتها « ذلك » فى الخطاب ، فلايجوز أن تقول : « أيها القوم ، هذا غلامك » : ٢٨ .

- « هذا » حذفها لمعرفة السامع بمعنى المتكلم ، نحو قوله تعالى : « سورة أنزلناها » : ٢٥٢

- « هل » دخول الباء فى خبرها ، لأنها بمعنى الجحد ، مثل قوله :

يقولُ إذَا اقْلَوْلَى عَلَيْهَا وأقْرَدَت أَلاَ هَلْ أَخُو عَيْشٍ لذِيذٍ بِدَائِمِ

أدخل فى « دائم » ، « الباء » مع « هل » : ٣٠١ ، ٣٠٢

- « هَلْ » بمعنى « ما » فى الجحد : ٣٠١ ، ٣٠٢

- « الواو » حذفها فى بعض المواضع مثل : «إياك أن تتكلم» ، وأنت تريد : إياك وأن تتكلم : ٣٠٤ .

- « الواو » ما بعد « الواو » من الأفاعيل ، غير جائز أن يقع على ما بعدها ، لا يجوز أن تقول : « ضربتك بالجارية وأنت كفيل » بمعنى : ضربتك ، وأنت بالجارية كفيل : ٣٠٤

- « الواو » عدم جواز حذفها مع « أن » ، وفساد قول من زعم أن « الواو » تضمر مع « أن » بقول الشاعر :

فَبُحْ بالسَّرَائِرِ فى أَهْلِهَا وَإِيَّاكَ فى غيرِهِمْ أن تَبُوحَا

فلو كان فى « أن تبوح » واو مضمرة ، لم يجز تقديم « فى غيرهم » عليها : ٣٠٤ ، ٣٠٥

- « الياء » إبدالها مكان أحد الأحرف المتشابهة إذا كثرت ، نحو « تَظَنَّيتُ » فى « تظنَّنت » : ٤٦٠

• « الياء والنون » فى الجموع مثل « سنين » و « فئين » ، وإعراب نونها وترك الياء فيها ، وإجراء حركات الإعراب على نونها : ٣٥٣

• • •

• « أفعال » فى جمع القلة ، فيما كان ثانى مفرده ساكناً ، مثل « ألف وآلاف » ، ولم يجمعوه على « أفعل » ، وعلة ذلك : ٢٧٦ ، ٢٧٧

• « أفعال » جمع قلة ، لما كان ثانى مفرده ساكناً ، وفى أوله « ياء » ، أو « واو » أو « ألف » مثل : « يوم وأيام » ، و « وقت وأوقات » ، و « ألف وآلاف » ، وقد يجمع أحياناً على « أفعل » : ٢٧٦ ، ٢٧٧

• « أفعل » جمع قلة ، مثل « عرش وأعرش » : ٤٤٥

• « أفعل » هو جمع القليل ، لما كان ثانى مفرده ساكناً ، وهو القياس : ٢٧٦

• «الفَعْل» المصدر ، و «الفُعْل» بالضم الاسم مثل : « الأكل » بفتح الألف و « الأكل » بضم الألف : ٥٣٨

• «الفَعْلة» و «الفُعْلة» الأولى مصدر ، والثانية اسم ، مثل «غَرْفة» و «غُرْفة» : ٣٤٢ ، ٣٤٣

• « فعيل » بمعنى « مُفعَّل » ، مثل « عتيق » بمعنى « معتَّق » : ٤٠٦

• « فعيلة » مصدر ، مثل « سكن سكوناً وسكينة » : ٣٣٠

• • •

• « الاستثناء » ، يأتى بخلاف الذى قبله فى الصفة خاصة ، وتكون فيه « إلاّ » بمعنى « لكن » : ١١٣

• « الاستفهام » ، تقارب معنى الاستفهام والجحد : ٣٠٢

* جواب الاستفهام : الأفصح فى جواب الاستفهام بالفاء نصبه ، إذا لم يكن قبله ما يعطف به عليه من فعل مستقبل ، مثل : « من أخوك فتكرمه » : ٢٨٧

* « الإضمار » ، العرب لا تُضْمر حرفين : ٢٩٩

* العرب تضمر النكرات يكون مرافعها قبلها إذا أضمرت ، فإذا أظهرت بدأت به قبلها ، تقول : «جاءنى رجل اليوم »، وإذا قالوا : « رجلٌ جاءنى اليوم »، لم يكادوا يقولونه إلاّ والرجل حاضر يشيرون إليه بـ «هذا »، أو غائب قد علم المخبر عنه خبره : ٢٥١ ، ٢٥٢

* التذكير والتأنيث ، فى بنى آدم وغيرهم ، وفرق بينهما : ٩٢

* « الجحد » ، تقارب معنى الجحد والاستفهام : ٣٠٢

* « الجحد » إذا جُحد صار إثباتاً ، كما يقال : « ما أخوك ليس يقوم » ، بمعنى : هو يقوم : ٣٠٤

* « الجزاء » فى قوله : « من يلقك منا تُصبْ خيراً »، بمعنى : الذى يلقاك منا تصيبُ خيراً : ٧٩

* « الجزاء » ، النصب فيه خاصةً فى مثل قولهم : « إن خيراً فخيراً، وإن شراً فشراً»، بمعنى : إن تفعل خيراً . . . : ٢٣٧

* « الجزاء » إذا دخل فى جوابه « الفاء » ، لم يكن جوابه بـ « الفاء » إلا رفعاً : ٢٨٧ ، ٢٨٨

* « الجزاء » الأفصح من الكلام فى النسق على جواب الجزاء ، الرفع. وإنما الجزم تجويزه : ٥٨٥

* الجزم إذا حرك ، حرك إلى الكسر : ٤٦

- « الحال » إذا تقدم الكلام ما يصلحُ أن تكون الحال خارجة منه، حسن النصب، فإذا لم يتقدمها ما يحسن أن تكون منصوبة منه، فغير جائز نصبها بذلك المعنى : ٢٥٣ ، ٢٥٤

- «العدد »، فى الليالى والأيام، غيره فى بنى آدم . وذلك أن العرب إذا أبهمت العدد غلبت فيه الليالى ، يقولون : « صمنا عشراً من شهر رمضان » ، لتغليبهم الليالى على الأيام . فإذا أظهروا مع العدد مفسره ، أسقطوا من عدد المؤنث الهاء ، وأثبتوها فى عدد المذكر . وأما بنو آدم ، فإنهم إذ أبهموا العدد ، أخرجوه على الذكران دون الإناث . وذلك أن الذكور منهم ، موسوم واحدهم بغير سمة إناثهم . أما غيرهم فربما وسم الذكر بسمة الأنثى ، كما يقال للذكر والأنثى : « شاة » : ٩٢

- «العطف»من شأن العرب العطفُ بالكلام على معنى نظير له قد تقدمه ، وإن خالف لفظه : ٤٣٨

- « عطف » الفعل الماضى على المضارع فى مثل قوله : «أيودّ أحدكم أن تكون له جنة ... وأصابه الكبر » : ٥٥٠ ، ٥٥١

- المعطوف على الخبر المستأنف فى حكم المعطوف عليه فى أنه غير داخل فى الجزاء، ٥٨٥

- « القلب » فى كلام العرب : ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠١

- المصدر ، إتيانه من المعنى لا من اللفظ : ٢٦٠

- المصادر التى تأتى معدولا بها عن الأفعال التى هى ظاهرة قبلها، مثل « وتبتل إليه تبتيلا » ، و « والله أنبتكم من الأرض نباتاً »، فخرجت المصادر على غير ألفاظ الأفعال التى تقدمتها : ٥٣٣ ، ٥٣٤

- « المنع » يكون للمستقبل من الأفعال ، يقال : « منعتك أن تقوم » ، ولا يقال : « منعتك أن قمت » : ٣٠٢ .

- جمع القلة والكثرة ، وأنه غير جائز أن تقول : « هم خمسة ألوف » ، بل « خمسة آلاف » : ٢٧٦ .

- ما يفرق بينه وبين واحدة بالتاء مثل « تمر وتمرة » : ٥٢٣ .

- الألفاظ التى لا واحد لها من من لفظها : ٣٥٢ .

- الأسماء التى يأتى موحداً فى اللفظ واحدها وجمعها ، مثل : « رجل عدل ، ورجالٌ عدلٌ » : ٤٢٨ .

- صرف الخبر عن ذكر ما ابتدئ بذكره : ٢٥٠ .

- ترك الخبر عما ابتدئ به إلى الخبر عن بعض أسبابه ، مثل قولهم « بعض جبتك متخرقة » بالتأنيث ، وكان حقه « بعض جبتك متخرق » ، ونحو قوله :

لَعَلّيَ إنْ مَالَتْ بِيَ الرِّيحُ مَيْلَةً عَلَى ٱبْنِ أبِي ذِبَّانَ أَنْ يَتَنَدَّمَا

وقوله :

أَلَمْ تعلموا أنَّ ٱبْنَ قَيْسٍ وقَتْلَهُ بِغَيْرِ دَمٍ دَارُ المَذَلَّةِ حُلَّتِ

٧٧ ، ٨٨ .

- الفتح أخف (آخر) الحركات : ٤٦ ، ٥٢ .

- العرب قد تصل الكلام بزائد فتنطق به على نحو منطقها به فى حال القطع ، فيكون وصلها إياه وقطعها سواء : ٤٦٣ .

- يجوز « مالك أن تقوم » ، ولا يجوز : « مالك القيام » ، لأن « القيام » اسم صحيح ، و « أنّ » اسم غير صحيح : ٣٠٤ .

- العرب تضع أحد ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه ، مكان صاحبه : ٣٠١ .

- العرب لا تسمى الطفلة والصبية « امرأة » ، ولا تقول للصبى « رجل » : ١٦١ .

* العرب تقول : « أقام فلان بمكان كذا حولين ، ويومين » ، وإنما أقام به يوماً وبعض آخر . وقد توقع الفعل الذى تفعله فى الساعة على العام والزمان واليوم : ٣٢ ، ٣٣ .

* « القول » إسقاطه من الكلام ، وذلك إنما يجوز فى الموضع الذى يدل ظاهر الكلام على حاجته إليه ، ويفهم السامع أنه مراد به الكلام وإن لم يذكر . فأما فى الأماكن التى لا دلالة على حاجة الكلام إليه ، فلا وجه لدعوى مُدّع أنه مراد ، وأنه قد ترك ذكره : ٢٨١ ، ٢٨٢ .

* « ينبغى » و « تريد » حذفهما من الكلام وهما مرادتان : ٤٧ ، ٤٨ ، ٧٨ ، ٧٩

* * *

* ليس لأحد إحالة ظاهرة تنزيل عام ، إلى باطن خاص ، إلا بحجة يجب التسليم لها : ١٣٠ .

* « الخصوص » فساد القول به ، بغير بيان الله فى كتابه ، أو على لسان رسوله : ٤٠

* إذا دلّ الله سبحانه على وجوب شئ فى بعض تنزيله ، فنى دلالته على وجوبه فى هذا الموضع ، الكفاية عن تكريره ، حتى يدل على بطول فرضه : ١٣١ .

* « الندبُ » فى أمر الله وشرطه : ١٣١ .

* أمر الله فرضٌ ، إلا أن أن يبين تعالى ذكره أنه عنى به الندب والإرشاد : ١٣٢

* إذا اختلفت القراءتان ، وكانتا متفقا التأويل ، وإن كان فى إحداهما زيادة معنى غير موجبة اختلافاً فى الحكم المفهوم ، فهما قراءتان صحيحتان : ١١٩ ، ٣٧٦ .

* « القراءة » إذا خالفت القراءة المستفيضة فى أمصار المسلمين ، لم يجز القراءة بها : ٢٣٨ .

* لا يعارض بالقول الشاذ ، ما استفاض به القول عن الصحابة والتابعين : ٢٧٦ .

* ما كان ظاهره العموم ، وباطنه الخصوص : ٣٠٥ ، ٣٨٣ .

• الأمور التى لا يدرك علمها من جهة الاستخراج ، ولا اللغة ، ولا يدرك علمها إلا بخبر يوجب العلم : ٣٣٤

• توجيه تأويل القرآن إلى الأشهر من اللغات ، أولى من توجيهه إلى الأنكر ، ما وجد إلى ذلك سبيل : ٣٣٧ .

• لا شيء فى كتاب الله لا معنى له ، من الحروف وغيرها : ٤٣٨ .

• غير جائز حذف حرف من كتاب الله — فى حال وقف أو وصل = لإثباته وجه معروف فى كلامها : ٤٦٢

فهرس التفسير

٣ تصدير الجزء الخامس .

٧ تفسير آية المطلقات إذا بلغن أجلهن .

٨ الضرار ، وكيف هو ، والنهى عنه.

١٣ من طلق لاعباً ، والآثار فى ذلك .

١٤ طلاق المرأة فى قبل عدتها .

١٧ عضل النساء ، والآثار فى ذلك ، وأن الآية نزلت فى معقل بن يسار.

٢١ أنها نزلت فى جابر بن عبد الله الأنصارى .

٢٢ أنها نزلت فى نهى الرجل مضارة وليته .

٢٣ ترجيح أبى جعفر لاختياره فى آية العضل .

٢٦ الدلالة على صحة قول من قال : «لا نكاح إلا بولى من العصبة» .

٢٩ كلمة جليلة للإمام أبى جعفر فى حب الرجل والمرأة .

٣٠ رضاع الوالدات أولادهن .

٣٢ رضاع الحولين .

٣٣ رضاع الحولين : أهو حد لكل مولود، أو لبعض دون بعض ، واختلافهم فى كل ذلك .

٣٩ اختيار أبي جعفر فى رضاع الحولين.

٤٣ الكسوة للوالدات .

٤٦ القول فى « لا تضار والدة بولدها » ، واختلاف الأقوال فى النهى عن « المضارة » .

٥٤ اختلاف المختلفين فى « الوارث » .

٦٧ الاختلاف فى فصال المولود .

٧١ استرضاع الأولاد ، واختلافهم فى ذلك .

٧٤ ترجيح أبي جعفر فى استرضاع الأولاد .

٧٧ الذين يتوفون ويذرون أزواجاً .

٧٩ عدة المتوفى عنها زوجها ، وبيان معنى « التربص » ، وأنّ التربص : عن الأزواج والطيب والزينة والنقلة من المسكن ، واحتجاجه لذلك .

٨٦ قول من قال : تربص المتوفى عنها زوجها ، هو تربصها عن الأزواج خاصة .

٨٨ تتمة القول فى حداد المرأة المتوفى عنها زوجها ، والآثار فى ذلك .

٩٣ القول فى بلوغ المتوفى عنها زوجها أجلها .

٩٥ التعريض بخطبة النساء المعتدات ، والآثار فى معنى « التعريض » .

١٠٥ مواعدة المتوفى عنها زوجها سرا ، والاختلاف فى ذلك .

١١٠ ترجيح أبي جعفر فى معنى « السر » .

١١٥ القول فى عقدة النكاح ، وبلوغ الكتاب أجله .

١١٧ القول فى طلاق النساء قبل المماسة .

١٢٠ متاع الموسع ومتاع المقتر ، واختلافهم فيه .

١٢٤ ترجيح أبى جعفر واختياره فى المتاع ، وبيان المتعة أهى واجبة على المطلق لكل مطلقة .

١٣٤ إجماع الجميع على أن المطلقة غير المفروض لها قبل المسيس ، لا شىء لها على زوجها غير المتعة .

١٤٠ الطلاق قبل المسيس .

١٤١ عفو المطلقة قبل المسيس عن فريضتها.

١٤٢ عفو الذى بيده عقدة النكاح ، وقول من قال إنه ، ولىّ البكر .

١٥١ قول من قال : هو الزوج.

١٥٨ اختيار أبى جعفر أنه « الزوج » ، واحتجاجه لذلك .

١٦٧ القول فى « الصلاة الوسطى » ، وهو بابٌ مستوعبٌ ، والتعليق على أحاديثه قد استوفى الباب .

١٦٨ « الصلاة الوسطى » ، صلاة العصر ، والآثار فى ذلك .

١٨٢ علة من قال إنها صلاة العصر .

١٩٨ « الصلاة الوسطى » ، صلاة الظهر ، والآثار فى ذلك .

٢٠٦ علة من قال إنها صلاة الظهر .

٢٠٧ ذكر من كان يقرأ : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر » .

٢١٤ « الصلاة الوسطى » ، صلاة المغرب ، وذكر من قال ذلك .

٢١٤ « الصلاة الوسطى » صلاة الغداة ، وهى الفجر ، والآثار فى ذلك .

٢١٩ علة من قال إنها صلاة الفجر .

٢٢٠ « الصلاة الوسطى » ، إحدى الصلوات الخمس ، لا نعرفها بعينها .

٢٢١ ترجيح أبى جعفر أنها صلاة العصر ، واحتجاجه فى ذلك .

٢٢٨ بيان معانى « القنوت » .

٢٣٧ صلاة الخوف ، واختلافهم فيها ، والآثار فى ذلك .

٢٤٤ بيان معنى « الخوف » الذى تجب فيه صلاة الخوف .

٢٥٠ الوصية للمتوفى عنها زوجها ، إلى الحول غير إخراج ، واختلافهم فى معانى ذلك .

٢٥٧ نسخ ما كان لهن من المتاع إلى الحول .

٢٥٨ قول من قال إنها ثابتة لم ينسخ منها شىء .

٢٥٩ ترجيح أبى جعفر فى ذلك .

٢٦١ خروج المتوفى عنها زوجها ، وتركها الحداد على زوجها .

٢٦٢ اختلافهم فى متعة المطلقة .

٢٦٦ الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف ، والآثار فى ذلك .

٢٨٢ إقراض العبد ربه سبحانه وتعالى ، وبيان ذلك .

٢٩١ الملأ من بنى إسرائيل من بعد موسى ، الذى سألوا نبيهم أن يبعث لهم ملكاً .

٢٩١ النبى الذى سئل هو « شمويل » .

٢٩٢ النبى الذى سئل هو « شمعون » .

٢٩٣ النبى الذى سئل هو « يوشع » .

٢٩٤ اختلافهم فى السبب الذى دعا بنى إسرائيل أن يسألوا نبيهم أن يبعث لهم ملكا ، والآثار فى ذلك .

٣٠٦ خبر طالوت ، ومقالات بنى إسرائيل فيه .

٣١٥ آية ملك طالوت ، وذكر التابوت .

٣١٧ القول فى التابوت .

٣٢٦ السكينة التى كانت فى التابوت .

٣٣٠ البقية التى تركها آل موسى وآل هرون ، وكانت فى التابوت .

٣٣٥ بيان معنى حمل الملائكة التابوت .

٣٣٨ أصحابُ طالوت ، وابتلاؤهم بالنهر .

٣٤٦ عدة أصحاب طالوت ، والآثار فى عدة أهل بدر .

٣٥٤ هزيمة جالوت ، وما كان من قتل داود جالوت ، والآثار فى ذلك ، واختلافهم فى أخبار هذه الواقعة .

٣٨٦ تفسير آية الكرسى

٣٩٧ اختلافهم فى معنى « الكرسى » ، والآثار فى ذلك .

٤٠٧ بيان معنى أنه : « لا إكراه فى الدين » .

٤١٤ قول من قال إن هذه الآية منسوخة .

٤١٤ بيان معنى المنسوخ .

٤١٦ بيان معانى « الطاغوت » .

٤٢٩ الذى حاجّ إبراهيم فى ربه .

٤٣٠ نمروذ ، الذى حاجّ إبراهيم فى ربه .

٤٣٣ الآثار فى خبر إبراهيم ونمروذ .

٤٣٨ خبر الذى مرّ على قرية وهى خاوية على عروشها .

٤٣٩ قول من قال إنه « غزير » .

٤٤٠ قول من قال إنه « أورميا » .

٤٤٢ اختلافهم فى القرية ، وقول من قال إنها « بيت المقدس » .

٤٤٧ سبب قوله : « أنى يحيى هذه الله بعد موتها » ، والآثار فى ذلك ، وخبر أورميا وبختنصر .

٤٦٧ إحياؤه وكيف كان .

٤٨٥ سؤال إبراهيم ربه أن يريه كيف يحيى الموتى ، والآثار فى ذلك .

٥٠٥ الجبال التى أمر إبراهيم أن يجعل على كل جبل منهنّ جزءاً من الطير الأربعة .

٥١٢ مثل الحبة التى أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مئة حبة ، وبيان ذلك .

٥١٧ المنّ فى النفقة ، وما قيل فيها .

٥٣٠ بيان مثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله .

٥٤١ مثل الجنة التى أصابها إعصارٌ فيه نارٌ فاحترقت .

٥٥٦ بيان النفقة من الخبيث ، وما كان من فعل من تصدق بقنو حشف .

٥٧١ الآثار فى لمة الشيطان .

٥٨٢ إبداء الصدقات وإخفاؤها .

٥٩٠ تعفف الفقراء ، وترك سؤال الناس .

٥٩٤ « السيما » التى يعرف بها الفقراء .

٥٩٧ الإلحاف فى السؤال .

* * *

٦٠٦ فهرس الآيات التى استدل بها فى غير موضعها من التفسير .

٦٠٩ فهرس اللغة .

٦١٥ فهرس أعلام المترجمين فى التعليق .

٦٣٠ فهرس المصطلحات .

٦٣١ فهرس الفرق .

٦٣٢ فهرس مباحث العربية والنحو وغيرها .

٦٤٢ فهرس التفسير .

تم إيداع هذا المصنف بدار الكتب والوثائق القومية
تحت رقم ١٩٨٥/١٩٧١

تراث الإسلام

تفسير الطبري

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ - ٣١٠ هـ

٦

حققه وعلق حواشيه
محمود محمد شاكر

راجعه وخرج أحاديثه
أحمد محمد شاكر

الطبعة الثانية

الناشر
مكتبة ابن تيمية
القاهرة ت ٨٦٤٢٤٠

الجزء السادس

فيه

تفسير سورة البقرة

من ٢٧٥ – ٢٨٦

وتفسير سورة آل عمران

من ١ – ٩٢

والآثار من ٦٢٣٥ – ٧٣٩٨

تفسير الطبري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله عالِمِ الغيْبِ والشَّهادةِ الكبير المُتَعال ، وصلّى الله على محمدٍ النبيِّ الأُمِّيِّ الذى يؤمن بالله وكلماته ، بَلّغ الرسالة ، وأدّى الأمانة ، وتَرَكَ فى الناسِ ما لَوْ تمسَّكوا به لم يضلُّوا بعده : كتابَ الله ، مِنْه آياتٌ مُحْكماتٌ هُنّ أم الكِتابِ وأُخَر متشابهاتٌ ، فأمّا الذين فى قُلوبهم زَيْغٌ فيتّبعُون ما تشابَهَ منه ابتغاء الفِتْنَةِ وابتغاء تأويله ، وما يَعْلَمُ تأويلَهُ إلّا الله ، والراسِخونَ فى العلم يَقُولون آمنّا بِه ، كلٌّ من عند ربِّنا وَمَا يذكَّرُ إلّا أُولُو الأَلْبابِ .

اللهمَّ إنا نضْرَعُ إليك ضراعةَ مَنْ برئ إليكَ من كلّ حولٍ وقوّة ، ونَسْتهديك فى زمانٍ قد ضاعتْ فيهِ مَعَالِم الهُدَى ، وطُمِستْ فِيه البيِّنات ، وعُمِّى على الناسِ طَرِيقُهم فى غَمْرة الضلالة ، ونعقَتْ فى جوانبِه ألسنة الشياطين ، وتَعاوَتْ فى نواحيه بالغواية ، وتنادتْ فى أرجائه بأشراط الفتن ، وقامَ كلّ مبتدِعٍ يدعُو بأعلى الصوتِ إلى بدعته ، وعلَا سُلْطانُ الجبابرةِ فسَلَّطُوا الرهبةَ على قلوب المؤمنين ، وبِذُنُوبهم سَلَّطْتَ عليهِمْ شرارَهُم من كُلّ متكبّر لا يؤمن بيوم الحساب ، وبخطاياهُم خَذَلت علماءهم أن يجهروا بالحقّ فى وجوه الطُّغاةِ ، وبآثامِهم نسِى الذين استحفظُوا على كتاب ربّهم ما بلَّغهم رسولُك حيث قال : « إنَّ من أعظم الجهادِ كلمةُ عَدْل عند سلطان جائرٍ » .

فاللهُمَّ انزِعْ من صُدورِ البقيَّةِ رَهْبَةَ الجبَّارِينَ ، وأنطِقْ ألسنةَ أهلِ الحقّ بالحقِّ ، فهذا دينُك يكيدُ لَهُ كُلُّ فاجِرٍ جَاحدٍ ، وهذا كتابُك يحتالُ للعبثِ به كُلُّ ضالٍّ زائغ ، وهذه أُمَّتك قد امتحنتَها بالبلاء بعد البلاء ، فاللهمّ احفظ دينَكَ وكتابك وأمَّتَك ، ونجِّنَا من المصيرِ الذى انتهت إليهِ الأُمَمُ من قبلنَا ، إذ حلَّ عليهم غَضَبُك ، ولُعِنوا على لسان أنبيائك .

اللهُمَّ إنا نسألُك أَنْ لا يكون زمانُنا هو الزمانَ الّذى أنذرَ به نبيُّك صلى الله عليه وسلم إذ يقول : « سيخرجُ من أُمَّتى أقوامٌ تتجارَى بهم الأهواء كما يتجارَى الكَلَبُ بصاحبِه ، لا يبقى مِنْهُ عِرْقٌ ولا مَفْصِلٌ إلاّ دَخَلَه » ، فأيِّد أهلَ الإيمانِ بك وبكِتابك بالحقّ ، وألزِمْهم كلمةَ التقْوَى ، واشدُدْ أزرَهُم بسلطانك الذى لا يُقْهر ، وكن لَهُمْ نَصيراً وظَهيراً حتى تكون كلمة الذين كفروا السُّفلَى ، وكَلِمةُ الله هى العُلْيَا .

اللهُمَّ اعصمنا حيث لا عاصِمَ إلاّ أنتَ ، وثبّت أقدامنَا حيثُ تزلُّ الأقدامُ ، واصْرِفْ قلوبَنا إلى طَاعتك ، ويسّرنا لما فيه رضاكَ ، ربَّنَا لا تُزِغْ قلوبَنَا بعْد إذْ هديتَنا وهَبْ لنا مِنْ لَدُنْك رحمةً إنّك أنتَ الوَهَّابُ ؟

محمود محمد شاكر

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : الذين يُرْبون .

* * *

و « الإرباء » الزيادة على الشيء ، يقال منه : « أربى فلان على فلان » ، إذا زاد عليه، «يربى إرباءً» ، والزيادة هى « الربا » ، « وربا الشيء »، إذا زاد على ما كان عليه فعظم ، « فهو يَرْبو رَبْواً» . وإنما قيل للرابية [رابية]، [1] الزيادتها فى العظم والإشراف على ما استوى من الأرض مما حولها ، من قولهم : « ربا يربو » . ومن ذلك قيل : « فلان فى رَباوَة قومه » ، [2] يراد أنه فى رفعة وشرف منهم . فأصل « الربا » ، الإنافة والزيادة ، ثم يقال : « أربى فلان » أى أناف [ماله، حين] صيَّره زائداً . [3] وإنما قيل للمربى : « مُرْبٍ » ، لتضعيفه المال ، الذى كان له على غريمه حالاً ، أو لزيادته عليه فيه لسبب الأجل الذى يؤخره إليه فيزيده إلى أجله الذى كان له قبلَ حلَّ دينه عليه . ولذلك قال جل ثناؤه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ﴾ [سورة آل عمران : ١٣١] .

* * *

---

(١) هذه الزيادة بين القوسين لابد منها لسياق الكلام .

(٢) فى المطبوعة : « فى ربا قومه » ، وفى المخطوطة : « فى رباء قومه » ، ولا أظنهما صواباً، والصواب ما ذكر الزمخشرى فى الأساس : « وفلان فى رباوة قومه : فى أشرافهم . وهو : فى الروابى من قريش » ، فأثبت ما فى الأساس .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « أى أناف صيره زائداً » ، وهو كلام غير مستقيم ولا تام . والمخطوطة كما أسلفت مراراً ، قد عجل عليها ناسخها حتى أسقط منها كثيراً كما رأيت آنفاً . فزدت ما بين القوسين استظهاراً من معنى كلام أبى جعفر ، حتى يستقيم الكلام على وجه يرتضى .

وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٦٢٣٥ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال ، فى الربا الذى نهى الله عنه : كانوا فى الجاهلية يكون للرجل على الرجل الدّين فيقول : لك كذا وكذا وتؤخّر عنى ! فيؤخّر عنه .

٦٢٣٦ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٦٢٣٧ – حدثنى بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : أنّ ربا أهل الجاهلية : يبيعُ الرجل البيع إلى أجل مسمًّى ، فإذا حل الأجل ولم يكن عند صاحبه قضاء ، زاده وأخّر عنه .

* * *

قال أبو جعفر : فقال جل ثناؤه : الذين يُربُون الربا الذى وصفنا صفته فى الدنيا = « لا يقومون » فى الآخرة من قبورهم = « إلا كما يقوم الذى يتخبّطه الشيطانُ من المس » ، يعنى بذلك : يتخبّله الشيطان فى الدنيا ،[1] وهو الذى يخنقه فيصرعه[2] = « من المس » ، يعنى : من الجنون .

وبمثل ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٦٢٣٨ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ،

---

(١) تخبله : أفسد عقله وأعضاءه .

(٢) فى المطبوعة : « وهو الذى يتخبطه فيصرعه » ، وهو لا شىء ، إنما استبهمت عليه حروف المخطوطة ، فبدل اللفظ إلى لفظ الآية نفسها ، وهو لا يعد تفسيراً عندئذ !! وفى المخطوطة : « سحفه » غير منقوطة إلا نقطة على « الفاء » ، وآثرت قراءتها كذلك « يخنقه » ، لما سيأتى فى الأثر رقم : ٦٢٤٢ عن ابن عباس : « يبعث آكل الربا يوم القيامة مجنوناً يخنق » ، وما جاء فى الأثر : ٦٢٤٧ . وهذا هو الصواب إن شاء الله ، لذلك ، ولأن من صفة الجنون وأعراضه أنه خناق يأخذ من يصيبه ، أعاذنا الله وإياك .

عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : « الذين يأكلون الرّبا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المسّ » ، يوم القيامة ، في أكل الرّبا في الدنيا .

٦٢٣٩ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٦٨/٣ ٦٢٤٠ – حدثني المثنى قال ، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا ربيعة ابن كلثوم قال ، حدثني أبي ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « الذين يأكلون الرّبا لا يقومون إلاّ كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس » ، قال : ذلك حين يُبعث من قبره .(١)

٦٢٤١ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال ، حدثنا ربيعة بن كلثوم قال ، حدثني أبي ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : يُقال يوم القيامة لآكل الرّبا : « خذْ سلاحك للحرب » ، وقرأ : « لا يقومون إلاّ كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المسّ » ، قال : ذلك حين يبعث من قبره .

٦٢٤٢ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير : « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المسّ » . الآية ، قال : يبعث آكل الربا يوم القيامة مَجْنوناً يُخنق .(٢)

٦٢٤٣ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله :

---

(١) الأثر : ٦٢٤٠ – « ربيعة بن كلثوم بن جبر البصري » ، روى عن أبيه ، وبكر ابن عبد الله المزني ، والحسن البصري . وروى عنه القطان ، وعبد الصمد بن عبد الوارث ، ومسلم ابن إبراهيم ، وحجاج بن منهال . قال النسائي : « ليس به بأس » ، وقال في الضعفاء : « ليس بالقوي » ؛ وقال أحمد وابن معين : « ثقة » . وأبوه : « كلثوم بن جبر » ، قال أحمد : « ثقة » ، وقال النسائي : « ليس بالقوي » . مات سنة : ١٣٠ .

(٢) انظر ما سلف في ص : ٨ ، تعليق : ٢ .

« الذين يأكلون الربا لايقومون »، الآية، وتلك علامةُ أهل الرّبا يوم القيامة، بُعثوا وبهم خَبَلٌ من الشيطان.

٦٢٤٤ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة فى قوله : « لا يقومون إلا كما يقومُ الذى يتخبطه الشيطان من المس » ، قال : هو التخبُّل الذى يتخبَّله الشيطان من الجنون .

٦٢٤٥ – حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبى جعفر، عن أبيه، عن الربيع فى قوله : « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المسّ » ، قال: يبعثون يوم القيامة وبهم خَبَل من الشيطان . وهى فى بعض القراءة : ﴿ لَا يَقُومُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ .

٦٢٤٦ – حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك فى قوله : « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس » ، قال : من مات وهو يأكل الربا، بعث يوم القيامة متخبِّطاً، كالذى يتخبطه الشيطان من المسّ .

٦٢٤٧ – حدثنى موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدى : « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المسّ » ، يعنى : من الجنون .

٦٢٤٨ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المسّ » . قال : هذا مثلهم يومَ القيامة، لا يقومون يوم القيامة مع الناس إلا كما يقوم الذى يُخنق من الناس، كأنه خُنق، كأنه مجنون[1] .

* * *

(١) فى المطبوعة : « إلا كما يقوم الذى يخنق مع الناس يوم القيامة » ، وهو كلام فاسد . وكذلك هو فى المخطوطة أيضاً مع ضرب الناسخ على كلام كتبه، فدل على خلطه وسهوه . فحذفت من هذه الجملة « يوم القيامة » وجعلت « مع الناس » ، « من الناس» ، فصارت أقرب إلى المعنى والسياق، وكأنه الصواب إن شاء الله .

قال أبو جعفر : ومعنى قوله : «يتخبطه الشيطانُ من المسّ» ، يتخبله من مَسِّه إياه. يقال منه : « قد مُسّ الرجل وأُلِقَ ، فهو مَمسوس ومَألوق » ، كل ذلك إذا أُلِمّ به اللَّمَمُ فجُنّ . ومنه قول الله عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا ﴾ [سورة الأعراف : ٢٠١] ، ومنه قول الأعشى :

وَتُصْبِحُ عَنْ غِبِّ السُّرَى ، وكأنَّمَا أَلَمَّ بِهَا مِنْ طَائِفِ الجِنِّ أَوْلَقُ(١)

* * *

فإن قال لنا قائل : أفرأيت من عمل ما نهى الله عنه من الرِّبا فى تجارته ولم يأكله ، أيستحقّ هذا الوعيدَ من الله ؟

قيل : نعم ، وليس المقصود من الربا فى هذه الآية الأكلُ ، إلا أنّ الذين نزلت فيهم هذه الآيات يوم نزلت ، كانت طُعمتهم ومأكلُهم من الربا ، فذكرهم بصفتهم ، معظّماً بذلك عليهم أمرَ الرِّبا ، ومقبِّحاً إليهم الحال التى هم عليها فى مطاعمهم . وفى قوله جل ثناؤه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

---

(١) ديوانه : ١٤٧ ، وروايته « من غب السرى» ، ورواية اللسان (ألق) ، (ولق) ، وهو من قصيدته البارعة فى المحرق. ويصف ناقته فيقول قبل البيت ، وفيها معنى جيد فى صحبة الناقة :

وَخَرْقٍ مَخُوفٍ قَدْ قَطَعْتُ بِجَسْرَةٍ إِذَا خَبَّ آلٌ فَوْقَهُ يَتَرَقْرَقُ
هِيَ الصَّاحِبُ الأَدْنَى، وَبَيْنِي وَبَيْنَهَا مَجُوفٌ عِلاَفِيٌّ وقِطْعٌ ونُمْرُقُ
وَتُصْبِحُ عَنْ غِبِّ السُّرَى . . . . . .

« المحرق » : المفازة الواسعة تتخرق فيها الرياح . « وناقة جسرة » : طويلة شديدة جريئة على السير . و« خب » : جرى . و « الآل » : سراب أول النهار . « يترقرق » : يذهب ويجىء . وقوله : « هى الصاحب الأدنى» ، أى هى صاحبه الذى يألفه ولا يكاد يفارقه ، وينصره فى الملمات . و « المجوف » : الضخم الجوف . و « العلافى » : هو أعظم الرجال أخرة ووسطاً ، منسوبة إلى رجل من الأزد يقال له « علاف » . و « القطع » : طنفسة تكون تحت الرحل على كتف البعير . و « النمرق والنمرقة » : وسادة تكون فوق الرحل ، يفترشها الراكب ، مؤخرها أعظم من مقدمها ، ولها أربعة سيور تشد بآخرة الرحل وواسطته . و « غب السرى » : أى بعد سير الليل الطويل . و « الأولق » : الجنون . ووصفها بالجنون عند ذلك ، من نشاطها واجتماع قوتها ، لم يضعفها طول السرى .

اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [سورة البقرة : ٢٧٨ ، ٢٧٩] الآية ، ما ينبئ عن صحة ما قلنا فى ذلك ، وأنّ التحريم من الله فى ذلك كان لكل معانى الرّبا ، وأنّ سواءٌ العملُ به وأكلُه وأخذُه وإعطاؤُه ،(١) كالذى تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله :

٦٢٤٩ — «لعن الله آكلَ الرّبا ومُؤْكِلَه ، وكاتبَه وشاهدَيْه ، إذا علموا به».(٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بـ « ذلك » جل ثناؤه : ذلك الذى وصفهم به من قيامهم يوم القيامة من قبورهم ، كقيام الذى يتخبطه الشيطان من المسّ من الجنون . فقال تعالى ذكره: هذا الذى ذكرنا أنه يصيبهم يوم القيامة من قُبْح حالهم ، ووَحشة قيامهم من قبورهم ، وسوء ما حلّ بهم ، من أجل أنهم كانوا فى الدنيا يكذبون ويفترون ويقولون : « إنما البيع » الذى أحله الله لعباده = « مثلُ الرّبا » . وذلك أن الذين كانوا يأكلون الرّبا من أهل الجاهلية ، كان إذا حلّ مالُ ٦٩/٣

---

(١) ولكن أهل الفتنة فى زماننا ، يحاولون أن يهونوا على الناس أمر الربا، وقد عظمه الله وقبحه، وآذن العامل به بحرب من الله ورسوله ، فى الدنيا والآخرة . ومن أضل ممن يهون على الناس حرب ربه يوم يقوم الناس لرب العالمين . فاللهم اهدنا ولا تفتنا كما فتنت رجالا قبلنا ، وثبتنا على دينك الحق ، وأعذنا من شر أنفسنا فى هذه الأيام التى بقيت لنا، وهى الفانية وإن طالت، وصدق رسول الله بأبى هو وأمى إذ قال : « يأتى على الناس زمان يأكلون فيه الربا . قيل له : الناس كلهم ؟! قال: من لم يأكله ناله من غباره» . (سنن البيهقى ٥ : ٢٧٥)، فاللهم انفض عنا وعن قومنا غبار هذا العذاب الموبق .

(٢) الأثر : ٦٢٤٩ — رواه الطبرى بغير إسناد مختصراً ، وقد استوفى تخريجه ابن كثير فى تفسيره ١ : ٥٥٠ — ٥٥١ وساق طرقه مطولا . والسيوطى فى الدر المنثور ١ : ٣٦٧ ، من حديث عبد الله بن مسعود ونسبه لأحمد، وأبى يعلى ، وابن خزيمة ، وابن حبان . وانظر سنن البيهقى ٥ : ٢٧٥.

أحدهم على غريمه، يقول الغَريم لغريم الحق: «زدنى فى الأجل وأزيدك فى مالك». فكان يقال لهما إذا فعلا ذلك: «هذا رباً لا يحل». فإذا قيل لهما ذلك قالا: «سواء علينا زدنا فى أول البيع، أو عند مَحِلّ المال»! فكذّبهم الله فى قيلهم فقال: «وأحلّ الله البيع».

• • •

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (٢٧٥)

قال أبو جعفر: يعنى جل ثناؤه: وأحلّ الله الأرباح فى التجارة والشراء والبيع [١] = «وحرّم الربا»، يعنى الزيادةَ التى يزاد رب المال بسبب زيادته غريمه فى الأجل، وتأخيره دَيْنه عليه. يقول عز وجل: فليست الزيادتان اللتان إحداهما من وَجه البيع، [٢] والأخرى من وجه تأخير المال والزيادة فى الأجل، سواء. وذلك أنّى حرّمت إحدى الزيادتين = وهى التى من وجه تأخير المال والزيادة فى الأجل = وأحللتُ الأخرى منهما، وهى التى من وجه الزيادة على رأس المال الذى ابتاع به البائع سلعته التى يبيعها، فيستفضلُ فضْلها. فقال الله عز وجل: ليست الزيادة من وجه البيع نظيرَ الزيادة من وجه الربا، لأنّى أحللت البيع وحرّمت الرّبا، والأمر أمرى والخلق خلقى، أقضى فيهم ما أشاء، وأستعبدهم بما أريد، ليس لأحد منهم أن يعترض فى حكمى، ولا أن يخالف أمرى، وإنما عليهم طاعتى والتسليمُ لحكمى.

• • •

(١) انظر معنى «البيع» فيما سلف ٢ : ٣٤٢، ٣٤٣.

(٢) فى المطبوعة: «وليست الزيادتان»، والصواب ما فى المخطوطة.

ثم قال جل ثناؤه: « فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى »، يعني بـ « الموعظة » : التذكير ، والتخويفَ الذى ذكَّرهم وخوّفهم به فى آى القرآن ،[١] وأوعدهم على أكلهم الربا من العقاب . يقول جل ثناؤه : فمن جاءه ذلك ، « فانتهى » عن أكل الربا وارتدع عن العمل به وانزجر عنه[٢] = « فله ما سلف »، يعني : ما أكل وأخذ فمَضَى ، قبل مجيء الموعظة والتحريم من ربه فى ذلك = « وأمرُه إلى الله » ، يعني : وأمر آكله بعد مجيئه الموعظة من ربه والتحريم ، وبعد انتهاء آكله عن أكله ، إلى الله فى عصمته وتوفيقه ، إن شاء عصمه عن أكله وثبَّته فى انتهائه عنه ، وإن شاء خذَله عن ذلك = « ومن عاد » ، يقول: ومن عاد لأكل الربا بعد التحريم، وقال ما كان يقوله قبل مجيء الموعظة من الله بالتحريم ، من قوله : « إنما البيع مثل الربا » = « فأولئك أصْحاب النار هم فيها خالدون » ، يعني : ففاعلو ذلك وقائلوه هم أهل النار ، يعني نار جهنم ، فيها خالدون .[٣]

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٦٢٥٠ – حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ، عن السدىّ : « فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله » ، أما « الموعظة » فالقرآن ، وأما « ما سلفَ » ، فله ما أكل من الربا .

* * *

---

(١) انظر تفسير : « موعظة » فيما سلف ٢ : ١٨٠ ، ١٨١ .

(٢) انظر تفسير : « انتهى » فيما سلف ٣ : ٥٦٩ .

(٣) انظر تفسير : « أصحاب النار » و « خالدون » فيما سلف ٢ : ٢٨٦ ، ٤/٢٨٧ : ٣١٦ ، ٥/٣١٧ : ٤٢٩ .

القول فى تأويل قوله ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ (٢٧٦)

قال أبو جعفر : يعنى عز وجل بقوله : « يمحق الله الربا » ، ينقُصُ الله الرّبا فيذْهبه ، كما : —

٦٢٥١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « يمحق الله الربا » ، قال : يَنقص .

* * *

وهذا نظير الخبر الذى روى عن عبد الله بن مسعود ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

٦٢٥٢ — « الرّبا وَإن كثُر فإلى قُلّ » . (١)

* * *

وأما قوله : « ويُربِى الصّدَقات » ، فإنه جل ثناؤه يعنى أنه يُضاعف أجرَها ، يَربُّها وينمِّيها له . (٢)

* * *

وقد بينا معنى « الرّبا » قبلُ « والإرباءَ » ، وما أصله ، بما فيه الكفاية من إعادته . (٣)

* * *

(١) ٦٢٥٢ — أخرجه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٣٧ من طريق إسرائيل ، عن الركين بن الربيع ، عن أبيه الربيع بن عميلة ، عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الربا وإن كثر ، فإن عاقبته تصير إلى قل » ، وكذلك ذكره ابن كثير من المسند من طريق شريك عن الركين بن الربيع ، بلفظه . ثم ساق ما رواه ابن ماجه . غير أن ابن كثير (٢ : ٦١) نقل لفظ الطبرى ، وساق الخبر كنصه فى الحديث ، لا كما جاء فى المطبوعة والمخطوطة . وانظر الدر المنثور ١ : ٣٦٥ .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « يضاعف أجرها لربها » ، كأنه يريد لصاحبها ، وكأن صواب قراءتها ما أثبت . رب المعروف والصنيعة والنعمة وغيرها — يربها رباً وربيها (كلها بالتشديد) : نماها وزادها وأتمها ، وجملة « يربها وينميها له » تفسير لقوله : « يضاعف أجرها » . وانظر الأثر الآتى رقم : ٦٢٥٣ .

(٣) انظر ما سلف قريباً ص : ٧ .

فإن قال لنا قائل : وكيف إرباء الله الصدقات ؟

قيل : إضعافه الأجرَ لربِّها ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ﴾ [سورة البقرة : ٢٦١] ، وكما قال : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ [سورة البقرة : ٢٤٥] ، وكما : —

٦٢٥٣ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع قال ، حدثنا عباد بن منصور ، عن القاسم : أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّ الله عز وجل يقبلُ الصّدقة ويأخذها بيمينه فيربِّيها لأحدكم كما يربِّي أحدُكم مُهْرَه ، حتى إن اللقمة لتصير مثل أُحُدٍ ، وتصديقُ ذلك في كتاب الله عز وجل : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ ﴾ [سورة التوبة : ١٠٤] ، و « يمحق الله الرِّبا ويُربِّي الصّدَقات » .(١) ٧٠/٣

---

(١) الحديث : ٦٢٥٣ — عباد بن منصور الناجي البصري القاضي : ثقة ، من تكلم فيه تكلم بغير حجة . وقد حققنا توثيقه في شرح المسند : ٢١٣١ ، ٣٣١٦ ، وبينا خطأ من جرحه بغير حق .

القاسم : هو ابن محمد بن أبي بكر الصديق ، التابعي الثقة الفقيه الإمام .

والحديث سيأتي في تفسير سورة التوبة (ج ١١ ص ١٥ بولاق) ، عن أبي كريب ، بهذا الإسناد ولكن سقط منه هناك « حدثنا وكيع » . وهو خطأ ظاهر .

ورواه أحمد في المسند : ١٠٠٩٠ (٢ : ٤٧١ حلبي) ، عن وكيع ، وعن إسمعيل — وهو ابن علية — كلاهما عن عباد بن منصور . بهذا الإسناد . وساقه على لفظ وكيع ، كرواية الطبري هنا .

ولكن وقع في المسند خطأ غريب في تلاوة الآية الأولى ، ففيه : « وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات » . والآية المتلوة في الحديث هي التي في رواية الطبري هنا : (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات) ، وهي الآية : ١٠٤ من سورة التوبة . وأما الأخرى فالآية : ٢٥ من سورة الشورى ، وتلاوتها : (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات) وليست تكون موضع الاستشهاد في هذا الحديث .

وهذا الخطأ قديم في نسخ المسند ، من الناسخين القدماء ، بدلالة أنه ثبت هذا الخطأ أيضاً في نقل الحافظ ابن كثير هذا الحديث عن المسند ، في جامع المسانيد والسنن ٧ : ٣٢٠ (مخطوط مصور) .

بل ظهر لي بعد ذلك أن الخطأ أقدم من هذا . لعله من وكيع ، أو من عباد بن منصور . لأن الترمذي روى الحديث ٢ : ٢٣ ، عن أبي كريب — شيخ الطبري هنا — عن وكيع ، به . وثبتت فيه تلاوة الآية على الخطأ ، كرواية أحمد عن وكيع . ونقل شارحه المباركفوري عن الحافظ العراقي أنه قال : « في

٦٢٥٤ – حدثني سليمان بن عمر بن خالد الأقطع قال ، حدثنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن عباد بن منصور ، عن القاسم بن محمد ، عن أبي هريرة = ولا أراه إلا قد رفعه = قال : إن الله عز وجل يقبَلُ الصدقة ، ولا يقبلُ إلاّ الطيب.(١)

هذا تخليط من بعض الرواة . والصواب : (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة) – الآية . وقد رويناه في كتاب الزكاة ليوسف القاضي ، على الصواب » .

بل إن الحافظ المنذري غفل عن هذا الخطأ أيضاً . فذكر الحديث في الترغيب والترهيب ٢ : ١٩ ، عن رواية الترمذي ، وذكر الآية كرواية المسند والترمذي – مخالفة للتلاوة .

فإذ كان ذلك كذلك ، فأنا أرجح أن أبا جعفر الطبري رحمه الله سمعه من أبي كريب عن وكيع ، كرواية الترمذي عن أبي كريب ، وكرواية أحمد عن وكيع ، فلم يستجز أن يذكر الآية على الخطأ في التلاوة ، فذكرها على الصواب . وقد أصاب في ذلك وأجاد وأحسن .

وقال الترمذي – بعد روايته : « هذا حديث حسن صحيح . وقد روى عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم – نحو هذا » .

ورواية عائشة ستأتي : ٦٢٥٥ .

وذكره ابن كثير في التفسير ٢ : ٦٢ ، من رواية ابن أبي حاتم في تفسيره ، عن عمرو بن عبد الله الأودي ، عن وكيع ، بهذا الإسناد ، لكنه لم يذكر الآية الأولى التي وقع فيها الخطأ .

وذكره السيوطي ١ : ٣٦٥ ، وزاد نسبته للشافعي ، وابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن خزيمة ، وابن المنذر ، والدارقطني في الصفات .

ورواه أحمد أيضاً : ٩٢٣٤ ، عن خلف بن الوليد ، عن المبارك ، وهو ابن فضالة ، عن عبد الواحد ابن صبرة ، وعباد بن منصور ، عن القاسم ، عن أبي هريرة – فذكره بنحوه ، مختصراً ، ولم يذكر فيه الآيتين .

وأشار ابن كثير ٢ : ٦٢ ، إلى رواية المسند هذه ، ولكن وقع فيه تخليط من الناسخين .

والحديث سيأتي نحو معناه ، مطولا ومختصراً ، عن أبي هريرة : ٦٢٥٤ ، ٦٢٥٦ ، ٦٢٥٧ . وعن عائشة : ٦٢٥٥ .

وسنشير إلى بقية تخريجه في آخرها : ٦٢٥٧ .

(١) الحديث : ٦٢٥٤ – سليمان بن عمر بن خالد الأقطع ، القرشي العامري الرقي : ترجمه ابن أبي حاتم ٢/١/١٣١ ، وذكر أن أباه كتب عنه . ولم يذكر فيه جرحاً .

ابن المبارك : هو عبد الله . وسفيان : هو الثوري .

والحديث مختصر ما قبله . والشك في رفعه – هنا – لا يضر ، فقد صح الحديث مرفوعاً بالإسناد السابق والأسانيد الأخر .

وسيأتي الحديث أيضاً ، بهذا الإسناد (ج ١١ ص ١٥ بولاق) ، ولم يذكر لفظه ، بل ذكر أوله ، ثم قال : « ثم ذكر نحوه » . إحالة على الحديث السابق . فكأنه رواه هناك مطولا ، ولكن دون ذكر سياقه كاملا .

٦٢٥٥ – حدثني محمد بن عُمر بن علي المقدّمي قال، حدثنا ريحان بن سعيد قال ، حدثنا عباد ، عن القاسم ، عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله تبارك وتعالى يقبل الصدقة ، ولا يقبل منها إلاّ الطيب، ويربّيها لصاحبها كما يربّي أحدُكم مُهره أو فَصيله، حتى إنّ اللقمة لتصيرُ مثل أحُد، وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل: « يمحق الله الرّبا ويُرْبي الصدقات » .(١)

وأشار ابن كثير ، في تفسير سورة التوبة ٤ : ٢٣٥ – إلى هذه الرواية والتي قبلها، جعلهما حديثاً واحداً ، عن الثوري ووكيع ، عن عباد بن منصور ، به . ولكنه لم يذكر تخريجه .

(١) الحديث : ٦٢٥٥ – محمد بن عمر بن علي بن عطاء بن مقدم ، المقدمي البصري ؛ ثقة ، مترجم في التهذيب، والكبير ١٧٩/١/١ ، وابن أبي حاتم ٢١/١/٤ . ووقع في المطبوعة هنا غلط في اسم أبيه : « عمرو » بدل « عمر » . وسيأتي بتخليط أشد في المطبوعة : ٦٨٠٩ ، هكذا : « محمد ابن عمرو وابن علي عن عطاء المقدمي » ! !

و « المقدمي » : بتشديد الدال المهملة المفتوحة ، نسبة إلى جده الأعلى « مقدم » .

ريحان بن سعيد الناجي البصري : من شيوخ أحمد وإسحق . وقال يحيى بن معين : « ما أرى به بأساً » . وتكلم فيه بعضهم ، ولكن البخاري ترجمه في الكبير ٣٠١/١/٢ ، فلم يذكر فيه جرحاً . وكان إمام مسجد عباد بن منصور، كما في الكبير ، وابن أبي حاتم ٥١٧/٢/١ . وتكلم فيه ابن حبان والعجلي باستنكار بعض ما روى عن عباد . ولعله كان أعرف به إذ كان إمام مسجده .

وأيا ما كان ، فإنه لم ينفرد عن عباد بهذه الرواية ، كما سيظهر من التخريج .

فرواه أحمد في المسند ٦ : ٢٥١ (حلبي) ، عن عبد الصمد ، عن حماد ، عن ثابت ، عن القاسم ابن محمد ، عن عائشة : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله ليربي لأحدكم التمرة واللقمة ، كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله ، حتى يكون مثل أحد » .

وهذا إسناد صحيح . ولكن الحديث مختصر .

وكذلك رواه ابن حبان في صحيحه ٥ : ٢٣٤ – ٢٣٥ (من مخطوطة الإحسان) . من طريق عبد الصمد ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت البناني ، عن القاسم .

ورواه البزار مطولا ، من طريق يحيى بن سعيد ، عن عمرة ، عن عائشة – ومن طريق الضحاك بن عثمان ، عن أبي هريرة ، بنحو رواية الطبري هنا ، إلا أنه لم يذكر الآية في آخره . نقله ابن كثير ٢ : ٦٢ – ٦٣ .

ولكن رواية الضحاك بن عثمان عن أبي هريرة منقطعة ، لأنه إنما يروي عن التابعين .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٣ : ١١١ مختصراً كرواية المسند ، وقال : « رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح » . ثم ذكره مطولا ٣ : ١١٢ ، وقال : « رواه البزار ، ورجاله ثقات » . ولكنه ذكره من حديث عائشة وحدها .

وذكر السيوطي ١ : ٣٦٥ لفظ الطبري هنا . ثم تساهل في نسبته ، فنسبه للبزار ، وابن جرير ، وابن حبان ، والطبراني .

٦٢٥٦ – حدثني محمد بن عبد الملك قال ، حدثنا عبد الرزاق قال ، حدثنا معمر ، عن أيوب ، عن القاسم بن محمد ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّ العبد إذا تصدق من طيّب تقبلها الله منه ، ويأخذها بيمينه ، ويربّيها كما يربّي أحدكم مهرَه أو فصيله ، وإنّ الرجل ليتصدّق باللقمة فتربو في يد الله = أو قال : في كفّ الله عز وجلّ = حتى تكون مثلَ أحُد ، فتصدّقوا .(١)

٦٢٥٧ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا المعتمر بن سليمان قال ،

---

(١) الحديث : ٦٢٥٦ – «محمد بن عبد الملك» : الراجح عندي أنه «محمد بن عبد الملك بن زنجويه البغدادي» ، فإنه يروي عن عبد الرزاق ، وهو من طبقة شيوخ الطبري ، وإن لم أجد نصاً يدل على روايته عنه . ولكنه بغدادي مثله . فمن المحتمل جداً أن يروي عنه ، بل هو هو الأغلب الأكثر في مثل هذه الحال . وهو ثقة ، وثقه النسائي وغيره . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٤/١/٥ . وتاريخ بغداد ٢ : ٣٤٥ – ٣٤٦ .

ومن شيوخ الطبري الذين روى عنهم في التاريخ : «محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب» ، وهو ثقة أيضاً ، ولكن لم يذكر عنه أنه روى عن عبد الرزاق ، والغالب أن ينص على مثل هذا . وهو مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٤/١/٥ ، وتاريخ بغداد ٢ : ٣٤٤ – ٣٤٥ .

وقد انفرد ابن كثير بشيء لا أدري ما هو ؟ فحين ذكر هذا الحديث ٢ : ٦٢ ، ذكر أنه «رواه ابن جرير ، عن محمد بن عبد الملك بن إسحق» ! ! ولم أجد في الرواة من يسمى بهذا . فلا أدري أهو سهو منه ، أم تخليط من الناسخين ؟

والحديث رواه أحمد في المسند : ٧٦٢٢ ، عن عبد الرزاق ، بهذا الإسناد .

ورواه إمام الأئمة ابن خزيمة ، في كتاب التوحيد ، ص : ٤٤ ، عن محمد بن رافع ، وعبد الرحمن ابن بشر بن الحكم – كلاهما عن عبد الرزاق ، به .

وذكر المنذري في الترغيب والترهيب ٢ : ١٩ ، أنه رواه ابن خزيمة في صحيحه أيضاً .

ونقله ابن كثير عن هذا الموضع من الطبري – كما أشرنا ، ثم قال : «وهكذا رواه أحمد عن عبد الرزاق . وهذا طريق غريب صحيح الإسناد ، ولكن لفظه عجيب . والمحفوظ ما تقدم» ! يعني رواية عباد بن منصور .

ولسنا نرى في هذا اللفظ عجباً ، ولا في الإسناد غرابة ! وهو صحيح على شرط الشيخين .

ثم إن عبد الرزاق لم ينفرد به عن معمر ، فقد تابعه عليه محمد بن ثور . فرواه الطبري – فيما سيأتي (ج ١١ ص ١٥ – ١٦ بولاق) ، عن محمد بن عبد الأعلى ، عن محمد بن ثور ، عن معمر ، به . نحوه . وهذا إسناد صحيح أيضاً . فإن محمد بن ثور الصنعاني العابد : ثقة ، وثقه ابن معين ، وأبو حاتم ، بل فضله أبو زرعة على عبد الرزاق .

سمعت يونس ، عن صاحب له ، عن القاسم بن محمد قال ، قال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله عز وجل يقبل الصدقة بيمينه ، ولا يقبل منها إلا ما كان طيِّباً ، والله يربِّي لأحدكم لقمته كما يربِّي أحدكم مُهره وفصيله ، حتى يوافَى بها يوم القيامة وهي أعظم من أحُد .(١)

* * *

---

(١) الحديث : ٦٢٥٧ — وهذا إسناد فيه راو مبهم ، هو الذي روى عنه يونس . ومن المحتمل جداً أن يكون هو أيوب . ولكن لا يزال الإسناد ضعيفاً حتى نجد الدلالة على هذا المبهم .

وأما الحديث في ذاته فصحيح بالأسانيد السابقة وغيرها .

وأصل المعنى ثابت من حديث أبي هريرة ، من أوجه كثيرة :

فرواه البخاري ٣ : ٢٢٠ — ٢٢٣ ، و ١٣ : ٣٥٢ ومسلم ، ١ : ٢٧٧ — ٢٧٨ ، والترمذي ٢ : ٢٢ — ٢٣ ، والنسائي ١ : ٣٤٩ ، وابن ماجة : ١٨٤٢ ، وابن حبان في صحيحه ٥ : ٢٣٤ — ٢٣٧ (من مخطوطة الإحسان) ، وابن خزيمة في كتاب التوحيد . ص : ٤١ — ٤٤ .

ورواه أحمد في المسند — غير ما أشرنا إليه سابقاً — : ٨٣٥٣ (٢ : ٣٣١ حلبي) ، ٨٩٤٨ ، ٨٩٤٩ (ص : ٣٨١ — ٣٨٢) ، ٩٢٣٤ (ص ٤٠٤) ، ٩٤١٣ (ص : ٤١٨) ، ٩٤٢٣ (ص : ٤١٩) ، ٩٥٦١ (ص : ٤٣١) ، ١٠٩٥٨ (ص : ٥٣٨) ، ١٠٩٩٢ (ص : ٥٤١) .

ورواه البخاري في الكبير ، بالإشارة الموجزة كعادته ٢/١/٤٧٦ .

وقد جاء في ألفاظ هذا الحديث : «في يد الله» ، و «في كف الله» و «كف الرحمن» ، ونحو هذه الألفاظ . فقال الترمذي ٢ : ٢٣ — ٢٤ .

« وقال غير واحد من أهل العلم ، في هذا الحديث ، وما يشبه هذا من الروايات من الصفات ، ونزول الربّ تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا — قالوا : قد ثبتت الروايات في هذا ، ونؤمن بها . ولا يُتَوهَّم ، ولا يقال : كيف ؟ هكذا رُوي عن مالك ابن أنس ، وسفيان بن عيينة ، وعبد الله بن المبارك ، أنهم قالوا في هذه الأحاديث : أَمِرُّوها بلا كيفَ . وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة . وأما الجَهْمِيَّة ، فأنكرتْ هذه الروايات ، وقالوا : هذا تشبيه ! وقد ذكر الله تبارك وتعالى في غير موضع من كتابه — : اليد ، والسمع ، والبصر . فتأولت الجهمية هذه الآيات ، وفسَّروها على غير ما فسَّر أهلُ العلم ! وقالوا : إن الله لم يَخْلق آدم بيده ! وقالوا : إنما معنى اليد القوة ! ! وقال إسحق بن إبراهيم : إنما يكون التشبيه إذا قال يد كيدٍ ، أو مِثْل يَدٍ ، أو سمع كسَمْعٍ ، أو مثلَ سمعٍ . فإذا قال سمع كسمعٍ أو مثل سمع —

قال أبو جعفر : وأما قوله : « والله لا يحبّ كل كفار أثيم »، فإنه يعنى به : والله لايحب كل مُصرٍّ على كفر بربه مقيم عليه، مستحِلّ أكل الربا وإطعامه — «أثيم»، متمادٍ فى الإثم ، فيما نهاه عنه من أكل الربا والحرام وغير ذلك من معاصيه ، لا ينزجر عن ذلك ولا يرعوى عنه ، ولا يتعظ بموعظة ربه التى وعظه بها فى تنزيله وآى كتابه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٢٧٧)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله عز وجل بأنّ الذين آمنوا = يعنى الذين صدّقوا بالله وبرسوله ، وبما جاء به من عند ربهم، من تحريم الربا وأكله ، وغير ذلك من سائر شرائع دينه = « وعملوا الصالحات » التى أمرهم الله عز وجل بها ، والتى ندبهم إليها = « وأقاموا الصلاة » المفروضة بحدودها ، وأدّوها بسُنَنها = « وآتوا الزكاة » المفروضة عليهم فى أموالهم ، بعد الذى سلف منهم من أكل الرّبا قبل مجىء الموعظة فيه من عند ربهم = « لهم أجرهم » ، يعنى ثواب ذلك من أعمالهم وإيمانهم وصدقتهم = « عند ربهم » يوم حاجتهم إليه فى معادهم = « ولا خوف عليهم » يومئذ من عقابه على ما كان سلف منهم فى جاهليتهم ، وكفرهم قبل مجيئهم موعظة ربهم ، من أكل ما كانوا أكلوا من الربا ، بما كان من إنابتهم وتوبتهم إلى الله عز وجل من ذلك عند مجيئهم الموعظة من ربهم ،

فهذا تشبيه . وأما إذا قال كما قال الله : يد ، وسمع ، وبصر . ولايقول : كيف ، ولايقول : مثل سمع ولا كسمع — فهذا لايكون تشبيهاً . وهو كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ليس كَمِثْلِهِ شىء ، وهو السَّميعُ البَصير ﴾ » .

وتصديقهم بوعد الله ووعيده = « ولا هم يحزنون » على تركهم ما كانوا تركوا فى الدنيا من أكل الربا والعمل به ، إذا عاينوا جزيل ثواب الله تبارك وتعالى ، وهم على تركهم ما ترَكوا من ذلك فى الدنيا ابتغاءَ رضوانه فى الآخرة ، فوصلوا إلى ما وُعدوا على تركه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (٢٧٨)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بذلك : «يا أيها الذين آمنوا » ، صدّقوا بالله وبرسوله = « اتقوا الله » ، يقول : خافوا الله على أنفسكم ، فاتقوه بطاعته فيما أمركم به ، والانتهاء عما نهاكم عنه = « وذَرُوا » ، يعنى : ودعوا = « ما بقى من الربا » ، يقول : اتركوا طلب ما بقى لكم من فَضْل على رؤوس أموالكم التى كانت لكم قبل أن تُربوا عليها = « إن كنتم مؤمنين » ، يقول : إن كنتم محققين إيمانكم قولا وتصديقكم بألسنتكم ، بأفعالكم[1] .

* * *

قال أبو جعفر : وذكر أن هذه الآية نزلت فى قوم أسلموا ولهم على قوم أموالٌ من ربا كانوا أرْبوه عليهم ، فكانوا قد قبضوا بعضَه منهم ، وبقى بعضٌ ، فعفا الله جل ثناؤه لهم عما كانوا قد قبضوه قبل نُزول هذه الآية ،[2] وحرّم عليهم اقتضاءَ ما بقى منه .

* ذكر من قال ذلك :

٧١/٣ ٦٢٥٨ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا » إلى « ولا تظلمون » ، قال : نزلت هذه الآية فى العباس بن عبد المطلب ورجلٍ من بنى المغيرة ، كانا

---

(١) قوله : « بأفعالكم » متعلق بقوله : « محققين . . . » ، أى محققين ذلك بأفعالكم .

(٢) فى المخطوطة : « عما كان قد اقتضوه . . . » ، وهو فاسد ، والصواب ما فى المطبوعة .

شريكين فى الجاهلية، يُسلِفان فى الرِّبا إلى أناس من ثقيف ، من بنى عمرو =[1] وهم بنو عمرو بن عمير . فجاء الإسلام ولهما أموال عظيمة فى الربا ، فأنزل الله : « ذروا ما بقى » من فضل كان فى الجاهلية = « من الربا » .

٦٢٥٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الرِّبا إن كنتم مؤمنين » ، قال : كانت ثقيف قد صالحت النبىّ صلى الله عليه وسلم على أنّ مالهم من رباً على للناس وما كان للناس عليهم من رباً ، فهو موضوع . فلما كان الفتحُ ، استعمل عتّاب بن أسيد على مكةَ ، وكانت بنو عمرو بن عُمير بن عوف يأخذون الرِّبا من بنى المغيرة ، وكانت بنو المغيرة يُرْبون لهم فى الجاهلية ، فجاء الإسلام ولهم عليهم مال كثير . فأتاهم بنو عمرو يطلبون رباهم ، فأبى بنو المغيرة أن يعطوهم فى الإسلام، ورفعوا ذلك إلى عتّاب بن أسيد. فكتب عتّاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزلت : «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الرِّبا إن كنتم مؤمنين » فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرْب من الله ورسوله » ، إلى « ولا تظلمون » . فكتب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عتّاب وقال : « إن رَضُوا، وإلا فآذنهم بحرب» = وقال ابن جريج ، عن عكرمة ، قوله : « اتقوا الله وذروا ما بقى من الرِّبا » ، قال : كانوا يأخذون الرِّبا على بنى المغيرة ، يزعمون أنهم مسعود وعبد ياليل وحبيب. وربيعة ، بنو عمرو بن عمير ، فهم الذين كان لهم الرِّبا على بنى المغيرة ، فأسلم عبد ياليل وحَبيب وربيعة وهلالٌ ومسعود .[2]

٦٢٦٠ – حدثنى يحيى بن أبى طالب قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا جويبر ،

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « سلفا فى الربا إلى أناس . . . » بالفعل الماضى ، والصواب ما أثبت من الدر المنثور ١ : ٣٦٦ ، والبغوى (بهامش ابن كثير) ٢ : ٦٣ . والسلف (بفتحتين) : القرض. والفعل : أسلف وسلف (بتشديد اللام) .

(٢) الأثر : ٦٢٥٩ – انظر ما قاله الحافظ فى الإصابة فى ترجمة « هلال الثقفى » . وقال . « وفى ذكر مصالحة ثقيف قبل قوله : « فلما كان الفتح » نظر ، ذكرت توجيهه فى أسباب النزول » .

عن الضحاك، فى قوله: « اتقوا الله وذروا ما بقى من الرّبا إن كنتم مؤمنين »، قال: كان رباً يتبايعون به فى الجاهلية ، فلما أسلموا أمِروا أن يأخذوا رؤوس أموالهم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « فإن لم تفعلوا » ، فإن لم تذَروا ما بقى من الربا .

* * *

واختلف القرأة فى قراءة قوله : « فأذنوا بحرب من الله ورسوله » .

فقرأته عامة قرأة أهل المدينة : ﴿ فَأْذَنُواْ ﴾ بقصر الألف من « فأذنوا »، وفتح ذالها ، بمعنى : كونوا على علم وإِذْن .

* * *

وقرأه آخرون ، وهى قراءة عامة قرأة الكوفيين : ﴿ فَآذِنُوا ﴾ بمدّ الألف من قوله : « فآذنوا »، وكسر ذالها ، بمعنى: فآذنوا غيرَكم : أعلمُوهم وأخبروهم بأنكم على حرْبهم.

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك قراءة من قرأ : « فأذَنوا » بقصر ألفها وفتح ذالها، بمعنى : اعلموا ذلك واستيقنوه ، وكونوا على إذن من الله عز وجل لكم بذلك .

وإنما اخترنا ذلك ، لأن الله عز وجل أمر نبيّه صلى الله عليه وسلم أن يَنبِذ إلى من أقام على شركه الذى لا يُقَرُّ على المقام عليه، وأن يقتُل المرتدّ عن الإسلام منهم بكل حال إلا أن يراجع الإسلام، آذنه المشركون بأنهم على حربه أو لم يُؤذنوه.(١) فإذْ كان المأمور بذلك لا يخلو من أحد أمرين : إما أن يكون كان مشركاً مقيماً

(١) فى المطبوعة : « أذنه المشركون بأنهم على حربه أو لم يأذنوه » . وهو خطأ فى الرسم ، وفساد فى المعنى بهذا الرسم . وصواب رسمه فى المخطوطة ، وهو صواب المعنى .

على شركه الذى لا يُقَرُّ عليه، أو يكون كان مسلماً فارتدَّ وأذِن بحرب. فأى الأمرين كان، فإنما نُبذ إليه بحرب، لا أنه أمر بالإيذان بها إن عَزَم على ذلك.(١) لأن الأمر إن كان إليه، فأقام على أكل الربا مستحلاًّ له ولم يؤذن المسلمون بالحرب، لم يَلزمهم حربُه. وليس ذلك حُكمه فى واحدة من الحالين. فقد علم أنه المأذون بالحرب، لا الآذِن بها.

وعلى هذا التأويل تأوَّله أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك:

٦٢٦١ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنى معاوية، عن على، عن ابن عباس فى قوله: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الرِّبا»، إلى قوله: «فأذنوا بحرب من الله ورسوله»: فمن كان مقيماً على الرِّبا لا ينزِعُ عنه، فحقٌّ على إمام المسلمين أن يستتيبه، فإن نَزَع وإلاَّ ضَرب عنقه.

٦٢٦٢ — حدثنى المثنى قال، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال، حدثنا ربيعة ابن كلثوم قال، حدثنى أبى، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: يُقال يوم القيامة لآكل الرِّبا: «خذ سلاحك للحرْب».(٢)

٦٢٦٣ — حدثنى المثنى قال، حدثنا الحجاج قال، حدثنا ربيعة بن كلثوم قال، حدثنا أبى، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مثله. ٧٢/٣

٦٢٦٤ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: «وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين * فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله»، أوْعدهم الله بالقتل كما تسمعون، فجعلهم بَهْرَجاً أينما ثقفوا.(٣)

---

(١) فى المخطوطة: «بالإنذار بها إن عزم على ذلك»، وهى صواب فى المعنى، ولكن ما فى المطبوعة عندى أرجح.

(٢) الأثر: ٦٢٦٢ — انظر الأثر السالف رقم: ٦٢٤١، والتعليق عليه.

(٣) البهرج: الشىء المباح. والمكان بهرج: غير حمى. وبهرج دمه: أهدره وأبطله. وفى الحديث: أنه بهرج دم ابن الحارث.

٦٢٦٥ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة مثله .

٦٢٦٦ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله » ، أوعد الآكلَ الرّبا بالقتل .(١)

٦٢٦٧ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : قوله : « فأذنوا بحرب من الله ورسوله » ، فاستيقنوا بحرب من الله ورسوله .

* * *

قال أبو جعفر : وهذه الأخبار كلها تنبئ عن أن قوله : « فأذنوا بحرب من الله » ، إيذانٌ من الله عز وجل لهم بالحرب والقتل ، لا أمْر لهم بإيذان غيرهم .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بذلك : « إن تبتم » فتركتم أكلَ الربا وأنبتم إلى الله عز وجل = « فلكم رؤوس أموالكم » من الديون التي لكم على الناس ، دون الزيادة التي أحدثتموها على ذلك رباً منكم ، كما : –

٦٢٦٨ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم » ، والمال الذي لهم على ظهور الرجال ،(٢) جعل لهم

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « أوعد لآكل الربا . . . » ، وهو لا شيء ، والصواب ما أثبت .

(٢) في المطبوعة : « المال الذي لهم » بإسقاط الواو ، وأثبت ما في المخطوطة وسيأتي على الصواب رقم : ٦٢٩٧ . وفي المخطوطة « ظهور الرحال » بالحاء .

رؤوس أموالهم حين نزلت هذه الآية ، فأما الرّبح والفضل فليس لهم ، ولا ينبغى لهم أن يأخذوا منه شيئاً .

٦٢٦٩ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، حدثنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : وضع الله الرّبا ، وجعل لهم رؤوس أموالهم .

٦٢٧٠ – حدثنى يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة فى قوله : « وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم » ، قال : ما كان لهم من دَين ، فجعل لهم أن يأخذوا رؤوس أموالهم ولا يزدادُوا عليه شيئاً .

٦٢٧١ – حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم » الذى أسلفتم ، وسقط الربا .

٦٢٧٢ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : ذكر لنا أنّ نبىّ الله صلى الله عليه وسلم قال فى خطبته يوم الفتح : « ألاَ إن ربا الجاهلية موضوعٌ كله، وأوّل ربا أبتدئ به ربا العباس بن عبد المطلب » .

٦٢٧٣ – حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى خطبته : « إنّ كل ربا موضوع ، وأوّل رباً يوضع ربا العباس » .(١)

* * *

(١) الأثران : ٦٢٧٢ ، ٦٢٧٣ – حديث خطبته صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع ، رواه مسلم ٨ : ١٨٢ ، ١٨٣ فى حديث جابر بن عبد الله فى حجة الوداع . وسنن البيهقى ٥ : ٢٧٤ ، ٢٧٥ . وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ١ : ٣٦٧ ، وقال « أخرج أبو داود والترمذى وصححه ، والنسائى ، وابن ماجة ، وابن أبى حاتم ، والبيهقى فى سننه عن عمرو بن الأحوص أنه شهد حجة الوداع . . . » ، وانظر ابن كثير ٢ : ٦٥ .

القول فى تأويل قوله ﴿ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ (٢٧٩)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « لا تَظلمون » بأخذكم رؤوس أموالكم التى كانت لكم قبل الإرباء على غُرمائكم منهم ، دون أرباحها التى زدتموها رباً على من أخذتم ذلك منه من غرمائكم ، فتأخذوا منهم ما ليس لكم أخذُه ، أو لم يكن لكم قبلُ = « ولا تُظلمون » ، يقول : ولا الغريم الذى يعطيكم ذلك دون الرّبا الذى كنتم ألزمتموه من أجل الزيادة فى الأجل ، يبخسُكم حقًّا لكم عليه فيمنعكموه ، لأن ما زاد على رؤوس أموالكم لم يكن حقًّا لكم عليه ، فيكون بمنعه إياكم ذلك ظالماً لكم .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك كان ابن عباس يقول ، وغيرُه من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٦٢٧٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تَظلمون » ، فتُربون ، « ولا تظلمون » ، فتنقصون .

٦٢٧٥ — وحدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » ، قال : لا تنقصون من أموالكم ، ولا تأخذون باطلاً لا يحلُّ لكم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بذلك : « وإن كان » ممن تقبضون منه من غرمائكم رؤوسَ أموالكم = « ذو عُسْرَة » يعنى : معسراً برؤوس أموالكم التى كانت لكم عليهم قبلَ الإرباء : فأنظروهم إلى ميسرتهم .

* * *

وقوله : « ذو عسرة » ، مرفوع بـ « كان » ، فالخبر متروك ، وهو ما ذكرنا . وإنما صلح ترك خبرها ، من أجل أنّ النكرات تضمرُ لها العربُ أخبارَها . ولو وُجِّهت « كان » فى هذا الموضع ، إلى أنها بمعنى الفعل المكتفِى بنفسه التام ، لكان وجهاً صحيحاً ، ولم يكن بها حاجة حينئذ إلى خبر . فيكون تأويلُ الكلام عند ذلك : وإن وُجد ذُو عسرة من غرمائكم برؤوس أموالكم ، فنَظِرة إلى ميسرة . ٧٣/٣

وقد ذكر أنّ ذلك فى قراءة أبى بن كعب : ﴿وَإِنْ كَانَ ذَاعُسْرَةٍ﴾ ، بمعنى : وإن كان الغريم ذَا عُسرة = « فنَظِرة إلى ميسرة » . وذلك وإن كان فى العربية جائزاً ، فغيرُ جائزةٍ القراءةُ به عندنا ، لخلافه خطوط مصاحف المسلمين .(١)

* * *

وأما قوله : « فنظرة إلى ميسرة » ، فإنه يعنى : فعليكم أن تُنظِروه إلى مَيسرَة ، كما قال : ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيامٍ﴾ [سورة البقرة ١٩٦] ، وقد ذكرنا وجه رفع ما كان من نظائرها فيما مضى قبلُ ، فأغنى عن تكريره .(٢)

* * *

« والميسرَة » ، « المفعلة » من « اليُسر » ، مثل « المرْحمة » و « المشأمة » .

* * *

ومعنى الكلام : وإن كان من غرمائكم ذو عسرة ، فعليكم أن تنظروه حتى يُوسر بالدَّين الذى لكم ،(٣) فيصيرَ من أهل اليُسر به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ١٨٦ .

(٢) انظر ما سلف ٤ : ٣٤ .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « حتى يوسر بما ليس لكم » ، واجتهد مصحح المطبوعة وقال : « لعل (ليس) زائدة من الناسخ » . ولا أراه كذلك ، بل قوله « بما ليس » ، هى فى الأصل الذى نقل عنه الناسخ « بالدين » مرتبطة الحروف ، كما يكون كثيراً فى المخطوطة القديمة ، فلم يحسن الناسخ قراءتها ، فقرأها « بما ليس » ، وحذف « الذى » ، لظنه أنها زائدة سهواً من الناسخ قبله ، وتبين صحة ما أثبتناه ، من كلام الطبرى بعد فى آخر تفسير الآية . ولو قرئت : « برأس مالكم » ، لكان صواباً فى المعنى ، كما يتبين من الآثار الآتية .

* ذكر من قال ذلك :

٦٢٧٧ – حدثني واصل بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن فضيل ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن مجاهد ، عن ابن عباس في قوله : « وإن كان ذو عسرة فنَظِرة إلى ميسرة » ، قال : نزلت في الربا .

٦٢٧٨ – حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، حدثنا هشام ، عن ابن سيرين : أن رجلا خاصَم رجلاً إلى شُرَيح ، قال : فقضى عليه وأمرَ بحبسه ، قال : فقال رجل عند شريح : إنه مُعسرٌ ، والله يقول في كتابه : « وإن كان ذو عسرة فنَظِرة إلى ميسرة » ! قال: فقال شريح: إنما ذلك في الربا ! وإن الله قال في كتابه : ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالعَدْلِ ﴾ [سورة النساء : ٥٨] ، ولا يأمرنا الله بشيء ثم يعذبنا عليه .

٦٢٧٩ – حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم في قوله : « وإن كان ذُو عسرة فنَظِرة إلى ميسرة » ، قال : ذلك في الربا .

٦٢٨٠ – حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا مغيرة ، عن الشعبيّ أن الربيع بن خثيم كان له على رجل حق ، فكان يأتيه ويقوم على بابه ويقول : أيْ فلان ، إن كنت مُوسراً فأدِّ ، وإن كنت مُعسراً فإلى مَيسرة .(١)

٦٢٨١ – حدثنا يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن أيوب ، عن محمد قال : جاء رجل إلى شريح فكلَّمه فجعل يقول : إنه معسر ، إنه مُعسر ! ! قال : فظننت أنه يكلِّمه في محبوس، فقال شريح : إن الربا كان في هذا الحي من الأنصار ،

---

(٤) الأثر : ٦٢٨٠ – كان في المطبوعة: « مغيرة ، عن الحسن . . . » ، وفي المخطوطة « مغيرة، عن الحسى » مشددة الياء بالقلم ، والناسخ كثير السهو والغفلة والتصحيف كما أسلفنا . وإنما هو « الشعبي » ، وهذا الإسناد إلى الشعبي قد مضى مئات من المرات ، انظر مثلا : ٤٣٨٥ . وكان في المطبوعة : « الربيع بن خيثم » وهو تصحيف والصواب ما أثبت ، وقد مضت ترجمته في رقم : ١٤٣٠ .

فأنزل الله عز وجل: « وإنْ كان ذُو عُسْرَة فنَظِرة إلى ميسرة »، وقال الله عز وجل : ﴿ إنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾، فما كان الله عز وجل يأمرنا بأمر ثم يعذبنا عليه ؟ أدّوا الأمانات إلى أهلها .

٦٢٨٢ – حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن سعيد ، عن قتادة في قوله : « وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة » ، قال : فنظرة إلى ميسرة برأس ماله .

٦٢٨٣ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة » ، إنما أمر في الربا أن ينظر المعسر، وليست النَّظِرة في الأمانة ، ولكن يؤدِّي الأمانة إلى أهلها .[1]

٦٢٨٤ – حدثني موسى قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وإن كان ذو عسرة فنظرة » برأس المال= « إلى ميسرة »، يقول : إلى غنًى .

٦٢٨٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال: قال ابن عباس : « وإن كان ذُو عسرة فنظرة إلى ميسرة »، هذا في شأن الربا .

٦٢٨٦ – حدثت عن الحسين قال، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال[2] : سمعت الضحاك في قوله : « وإن كان ذُو عسرة فنظرة إلى ميسرة »، هذا في شأن الربا ، وكان أهل الجاهلية بها يتبايعون ، فلما أسلم من أسلم منهم ، أمِروا أن يأخذوا رؤوس أموالهم .

---

(١) في المخطوطة : « ولكن مؤدى الأمانة . . . » ، وهو تصحيف من الناسخ .

(٢) في المطبوعة : « عبيد بن سلمان » ، والصواب من المخطوطة ، وقد مضى الكلام على هذا الإسناد فيما سلف .

٦٢٨٧ – حدثني المثنى قال . حدثنا عبد الله قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة » ، يعني المطلوب .

٦٢٨٨ – حدثني ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن أبي جعفر في قوله : « وإن كان ذُو عسرة فنظِرَة إلى ميسرة » ، قال : الموت .

٦٢٨٩ – حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن محمد بن علي مثله .

٦٢٩٠ – حدثني المثنى قال ، حدثنا قبيصة بن عقبة قال ، حدثنا سفيان ، عن المغيرة ، عن إبراهيم : « وإن كان ذُو عسرة فنظرة إلى ميسرة » ، قال : هذا في الربا . ٧٤/٣

٦٢٩١ – حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا شريك ، عن منصور ، عن إبراهيم ، في الرجل يتزوج إلى الميسرة ، قال : إلى الموت ، أو إلى فُرْقة .

٦٢٩٢ – حدثنا أحمد قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم : « فنظرة إلى ميسرة » ، قال : ذلك في الربا .

٦٢٩٣ – حدثنا أحمد قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا مندل ، عن ليث ، عن مجاهد : « فنظرة إلى ميسرة » ، قال : يؤخّره ، ولا يزدْ عليه . وكان إذا حلّ دين أحدهم فلم يجد ما يعطيه ، زاد عليه وأخّره .

٦٢٩٤ – وحدثني أحمد بن حازم قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا مندل ، عن ليث ، عن مجاهد : « وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة » ، قال : يؤخره ولا يزدْ عليه .

* * *

وقال آخرون : هذه الآية عامة فى كل من كان له قِبَل رجل معسر حقٌّ، (١) من أىّ وجهة كان ذلك الحق ، من دين حلال أو رباً .

* ذكر من قال ذلك :

٦٢٩٥ — حدثنى يحيى بن أبى طالب قال، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك قال : من كان ذا عُسرة فنظرة إلى ميسرة ، وأن تصدّقوا خير لكم . قال : وكذلك كل دَينٍ على مسلم ، فلا يحلّ لمسلم له دَين على أخيه يعلم منه عُسرةً أن يسجنه ، ولا يطلبه حتى ييسره الله عليه . وإنما جعل النظرة فى الحلال ، فمن أجل ذلك كانت الدّيون على ذلك .

٦٢٩٦ — حدثنى على بن حرب قال ، حدثنا ابن فضيل ، عن يزيد بن أبى زياد ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : « وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة » ، قال : نزلت فى الدّين . (٢)

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى قوله : « وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة » ، أنه معنىٌّ به غرماء الذين كانوا أسلموا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولهم عليهم ديون قد أربَوْا فيها فى الجاهلية، فأدركهم الإسلام قبل أن يقبضوها منهم ، فأمر الله بوضع ما بقى من الربا بعد ما أسلموا ، وبقبض رؤوس أموالهم ممن كان منهم من غرمائهم مُوسراً ، أو إنظارِ من كان منهم مُعسراً برؤوس أموالهم إلى ميسرتهم .

فذلك حكم كل من أسلم وله رباً قد أربى على غريم له ، فإن الإسلام يبطل عن غريمه ما كان له عليه من قِبَل الربا ، ويلزمه أداء رأس ماله — الذى كان

---

(١) فى المخطوطة : « هذه الآية عام . . . » تصحيف من الناسخ وسهو .

(٢) الأثر : ٦٢٩٦ — « على بن حرب بن محمد بن على الطائى » . قال النسائى : « صالح » ، وقال أبو حاتم : « صدوق » توفى سنة ٢٦٥ مترجم فى التهذيب .

أخذَ منه أو لزمه من قبل الإرباء – إليه ، إن كان موسراً.[١] وإن كان مُعسراً، كان منظراً برأس مال صاحبه إلى ميسرته، وكان الفضلُ على رأس المال مُبطلاً عنه .

غير أن الآية وإن كانت نزلت فيمن ذكرنا ، وإياهم عَنى بها ، فإن الحكم الذى حكم الله به : من إنظاره المعسِر برأس مال المربى بعد بُطول الرّبا عنه، حكمٌ واجبٌ لكل من كان عليه دين لرجل قد حلّ عليه ، وهو بقضائه مُعسر : فى أنه مُنظر إلى ميسرته . لأنّ دَيْن كل ذى دين ، فى مال غريمه ، وعلى غريمه قضاؤه منه – لا فى رقبته . فإذا عُدم ماله ، فلا سبيل له على رقبته بحبس ولا بيع . وذلك أن مال ربّ الدين لن يخلو من أحد وجوه ثلاثة : إما أن يكون فى رقبة غريمه ، أو فى ذمّته يقضيه من ماله، أو فى مال له بعينه .

= فإن يكن فى مال له بعينه، فمتى بطل ذلك المال وعُدِم ، فقد بطل دين ربّ المال . وذلك ما لا يقوله أحد .

= أو يكون فى رقبته،[٢] فإن يكن كذلك ، فمتى عُدِمت نفسُه ، فقد بطل دَيْنُ ربّ الدين، وإن تخلّف الغريم وفاءً بحقه وأضعافَ ذلك . وذلك أيضاً لا يقوله أحدٌ .

فقد تبين إذاً، إذ كان ذلك كذلك، أنّ دين ربّ المال فى ذمة غريمه يقضيه من ماله ، فإذا عُدم ماله فلا سبيل له على رقبته ، لأنه قد عُدم ما كان عليه أن يؤدّى منه حقّ صاحبه لو كان موجوداً . وإذا لم يكن على رقبته سبيل، لم يكن إلى حبسه وهو معدوم بحقه، سبيل .[٣] لأنه غير مانعه حقًّا، له إلى قضائه سبيل، فيعاقب بمَطْله إياه بالحبس .[٤]

---

(١) سياق العبارة « ويلزمه أداء رأس ماله . . . إليه . . . » ، وما بينهما فصل .

(٢) فى المطبوعة : « ويكون فى رقبته » ، والصواب من المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « لم يكن إلى حبسه بحقه وهو معدوم سبيل » قدم « بحقه » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، فهو صواب جيد .

(٤) فى المطبوعة : « فيعاقب بظلمه إياه . . . » ، وفى المخطوطة « فيعاقب بطله إياه . . . »

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٨٠)

قال أبو جعفر : يعنى جل وعز بذلك : وأن تتصدقوا برؤوس أموالكم على هذا المعسر ، = « خيرٌ لكم » أيها القوم من أن تنظرُوه إلى ميسرته ، لتقبضوا رؤوس أموالكم منه إذا أيسر= « إن كنتم تعلمون » موضع الفضل فى الصدقة ، وما أوجب الله من الثواب لمن وضع عن غريمه المعسر دَينه .

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : معنى ذلك : « وأن تصدقوا » برؤوس أموالكم على الغنىّ والفقير منهم = « خير لكم » . ٧٥/٣

* ذكر من قال ذلك :

٦٢٩٧ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم » ، والمالُ الذى لهم على ظهور الرجال جعل لهم رؤوس أموالهم حين نزلت هذه الآية . فأما الربح والفضل فليس لهم ، ولا ينبغى لهم أن يأخذوا منه شيئاً = « وأن تصدّقوا خير لكم » ، يقول : أن تصدقوا بأصل المال خير لكم .[1]

٦٢٩٨ – حدثنى يعقوب قال حدثنا ابن علية ، عن سعيد ، عن قتادة :

وصواب قراءتها ما أثبت . مطله حقه يمطله مطلا ، وماطله مطالا : سوفه ودافعه بالعدة والدين . هذا ، وأبو جعفر رضى الله عنه ، رجل قويم الحجة ، أسد اللسان ، سديد المنطق ، عارف بالمعانى ومنازلها من الرأى ، ومساقطها من الصواب . وهذه حجة بينة فاصلة من حججه التى أشرت إليها كثيراً فى بعض تعليق على هذا التفسير الجليل .

(١) الأثر : ٦٢٩٧ – سلف برقم : ٦٢٦٨ . وانظر التعليق هناك .

« وأن تصدقوا » ، أى برأس المال ، فهو خير لكم .

٦٢٩٩ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم : « وأن تصدقوا خير لكم » ، قال : من رؤوس أموالكم .

٦٣٠٠ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا يحيى ، عن سفيان ، عن المغيرة ، عن إبراهيم بمثله .

٦٣٠١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا قبيصة بن عقبة قال ، حدثنا سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم : « وأن تصدقوا خير لكم » ، قال : أن تصدقوا برؤوس أموالكم .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : وأن تصدقوا به على المعسر ، خير لكم — نحو ما قلنا فى ذلك .

ذكر من قال فى ذلك :

٦٣٠٢ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وأن تصدقوا خير لكم » ، قال : وأن تصدقوا برؤوس أموالكم على الفقير ، فهو خير لكم . فتصدّق به العباس .

٦٣٠٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدّقوا خير لكم » ، يقول : وإن تصدقت عليه برأس مالك ، فهو خير لك .

٦٣٠٤ — حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد قال ، سمعت الضحاك فى قوله : « وأن تصدقوا خير لكم » ، يعنى : على المعسر ، فأما الموسر فلا ، ولكن يؤخذ منه رأس المال . والمعسرُ الآخذُ منه حلالٌ ، والصدقة عليه أفضل .

٦٣٠٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن

جويبر ، عن الضحاك : وأن تصدقوا برؤوس أموالكم ، خير لكم من نظرة إلى ميسرة . فاختار الله عز وجل الصّدقة على النّظارة .(١)

٦٣٠٦ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم » ، قال : من النظرة = « إنْ كنتم تعلمون » .

٦٣٠٧ – حدثني يحيى بن أبي طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك : « فنظرة إلى ميسرة وأن تصدّقوا خير لكم » ، والنظرة واجبة. وخيّر الله عز وجل الصدقة على النّظِرة ،(٢) والصّدَقة لكل معسر ، فأما الموسر فلا .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بالصواب تأويل من قال : معناه : « وأن تصدّقوا على المعسر برؤوس أموالكم خير لكم ». لأنه يَلي ذكرَ حُكمه في المعنيين . وإلحاقُه بالذي يليه ، أحبّ إليّ من إلحاقه بالذي بَعُد منه .

* * *

قال أبو جعفر : وقد قيل إن هذه الآيات في أحكام الربا ، هنّ آخر آيات نزلت من القرآن .

* ذكر من قال ذلك :

٦٣٠٨ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا ابن أبي عدي ، عن سعيد = وحدثني يعقوب قال ، حدثنا ابن علية ، عن سعيد ، = عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب : أن عمر بن الخطاب قال : كان آخرَ ما نزل من القرآن آيةُ الرّبا ،

---

(١) النظارة (بكسر النون) : الإنظار وهو الإمهال . وهو مصدر لم أجده في كتب اللغة ، ولكنه عريق في عربيته . كالنذارة ، من الإنذار ، وهو عزيز ، ولكنه عربي البناء والقياس .

(٢) يقال : « اخترت فلاناً على فلان » بمعنى : فضلت فلاناً على فلان ، ولذلك عدي بعلى . ومثله « خير فلاناً على فلان » ، أي فضله عليه . وقد جاء في الأثر : « خير بين دور الأنصار » ، أي فضل بعضها على بعض . وقلما تجد هذا التعبير .

وإن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قُبض قبل أن يفسِّرها، فدعوا الرِّبا والرِّيبة .(١)

٦٣٠٩ – حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا بشر بن المفضل قال، حدثنا داود، عن عامر: أن عمر رضى الله عنه قام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد، فإنه والله ما أدرى لعلنا نأمرُكم بأمر لا يصلحُ لكم، وما أدرى لعلنا ننهاكم عن أمر يَصْلحُ لكم، وإنه كان من آخر القرآن تنزيلاً آياتُ الربا، فتُوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يُبيِّنه لنا، فدعوا ما يَريبكم إلى ما لا يَريبكم» .(٢)

---

(١) الحديث : ٦٣٠٨ – سعيد : هو ابن أبى عروبة .

والحديث رواه أحمد فى المسند : ٢٤٦ ، عن يحيى ، وهو القطان .

و : ٣٥٠ ، عن ابن علية – كلاهما عن ابن أبى عروبة . بهذا الإسناد .

ورواه ابن ماجة : ٢٢٧٦ ، من طريق خالد بن الحارث ، عن سعيد ، وهو ابن أبى عروبة ، به .

وذكره ابن كثير ٢ : ٥٨ ، عن الموضع الأول من المسند .

وذكره السيوطى فى الدر المنثور ١ : ٣٦٥ ، وزاد نسبته لابن الضريس ، وابن المنذر . وأشار إليه فى الإتقان ١ : ٣٣ ، موجزاً ، منسوباً لأحمد وابن ماجة فقط .

وهذا الحديث – على جلالة رواته وثقتهم – ضعيف الإسناد ، لانقطاعه . فإن سعيد بن المسيب لم يسمع من عمر ، كما بينا فى شرح المسند : ١٠٩ ، وانظر كتاب المراسيل لابن أبى حاتم ، ص : ٢٦ – ٢٧ .

(٢) الحديث : ٦٣٠٩ – داود : هو ابن أبى هند . عامر : هو الشعبى .

وهذا الإسناد ضعيف أيضاً ، فإن الشعبى لم يدرك عمر ، كما قلنا فيما مضى : ١٦٠٨ ، نقلا عن ابن كثير .

وذكره الحافظ فى الفتح ٨ : ١٥٣ ، منسوباً للطبرى ، وقال : «وهو منقطع ، فإن الشعبى لم يدرك عمر» .

وذكر ابن كثير ٢ : ٥٨ ، نحو معناه ، قال : «رواه ابن ماجة وابن مردويه ، من طريق هياج ابن بسطام ، عن داود بن أبى هند ، عن أبى نضرة ، عن أبى سعيد الخدرى ، قال : خطبنا عمر ...» إلخ .

وهياج بن بسطام الهروى : اختلفوا فيه جداً ، فضعفه أحمد ، وابن معين ، وابن أبى حاتم ، وغيرهم . وقال المكى بن إبرهيم – شيخ البخارى : «ما علمنا الهياج إلا ثقة صادقاً عالماً» . ووثقه محمد ابن يحيى الذهلى . وقد أنكروا عليه أحاديث ، ثم ظهر أن الحمل فيها على ابنه خالد الذى رواها عنه . والراجح عندنا هذا ، فإن البخارى ترجمه فى الكبير ٤/٢/٢٤٢ ، فلم يذكر فيه جرحاً . وكأنه ذهب فيه إلى ما اختاره شيخاه : المكى بن إبرهيم ، ومحمد بن يحيى الذهلى .

وابن كثير لم يبين من رواه عن الهياج . ثم لم أعرف موضعه فى ابن ماجة ، وليس عندى كتاب ابن مردويه .

٦٣١٠ – حدثني أبو زيد عمر بن شبة قال ، حدثنا قبيصة قال ، حدثنا سفيان الثوري، عن عاصم الأحول ، عن الشعبي ، عن ابن عباس قال : آخر ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية الربا ، وإنّا لنأمرُ بالشيء لاندري لعلّ به بأساً ، ونهى عن الشيء لعله ليس به بأس.(١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (٢٨١)

قال أبو جعفر : وقيل : هذه الآية أيضاً آخر آية نزلت من القرآن . ٧٦/٣

* ذكر من قال ذلك :

٦٣١١ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا أبو تميلة قال ، حدثنا الحسين بن واقد

ولكني وجدت له إسناداً إلى الهياج . فرواه الخطيب في ترجمته في تاريخ بغداد ١٤ : ٨٠ – ٨١ ، من طريق محمد بن بكار بن الريان ، – وهو ثقة – عن الهياج ، بهذا الإسناد .

فعن هذا ظهر أن إسناده صحيح . والحمد لله .

(١) الحديث : ٦٣١٠ – أبو زيد عمر بن شبة – بفتح الشين المعجمة وتشديد الباء الموحدة – النميري النحوي : ثقة صاحب عربية وأدب . قال الخطيب : «كان ثقة عالماً بالسير وأيام الناس» . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٣/١/١١٦ ، وتاريخ بغداد ١١ : ٢٠٨ – ٢١٠ .

قبيصة : هو ابن عقبة . مضت ترجمته في : ٤٨٩ ، ٢٧٩٢ . وهذا الحديث من روايته عن سفيان الثوري . وقد بينا هناك أن روايته عنه صحيحة ، خلافاً لمن تكلم فيها .

عاصم الأحول : هو عاصم بن سليمان . وقد مضى مراراً . ووقع في المطبوعة هنا « عاصم عن الأحول » . وهو خطأ مطبعي . وثبت على الصواب في المخطوطة .

وهذا الحديث رواه البخاري في الصحيح ٨ : ١٥٣ (فتح) ، عن قبيصة ، بهذا الإسناد . ولكنه اقتصر على أوله ، إلى قوله « آية الربا » لأن الباقي موقوف من كلام ابن عباس .

وذكر السيوطي ١ : ٣٦٥ رواية البخاري ، وزاد نسبتها لأبي عبيد ، والبيهقي في الدلائل .

وقال الحافظ في الفتح : « المراد بالآخرية في الربا : تأخر نزول الآيات المتعلقة به من سورة البقرة . وأما حكم تحريم الربا فنزوله سابق لذلك بمدة طويلة ، على ما يدل عليه قوله تعالى في آل عمران ، في أثناء قصة أحد : (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة) الآية » .

عن يزيد النحوى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : آخر آية نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم : « واتقوا يوماً تُرجعون فيه إلى الله ».(١)

٦٣١٢ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله » الآية ، فهى آخر آية من الكتاب أنزلت .

٦٣١٣ – حدثنى محمد بن عمارة قال ، حدثنا سهل بن عامر قال ، حدثنا مالك بن مغول ، عن عطية قال : آخر آية نزلت : « واتقوا يوماً تُرْجعون فيه إلى

---

(١) الحديث : ٦٣١١ – أبو تميلة – بضم التاء المثناة : هو يحيى بن واضح . مضت ترجمته فى : ٣٩٢ .

الحسين بن واقد : مضت ترجمته فى : ٤٨١٠ . ووقع هناك فى طبعتنا هذه « الحسن » . وهو خطأ مطبعى ، مع أننا بيناه على الصواب فى الترجمة ، فيصحح ذلك .

يزيد النحوى : هو يزيد بن أبى سعيد النحوى المروزى ، مولى قريش . وهو ثقة ، وثقه أبو زرعة ، وابن معين ، وغيرهما . قتله أبو مسلم سنة ١٣١ لأمره إياه بالمعروف . والنحوى » : نسبة إلى « بنى نحو » ، بطن من الأزد .

وهذا إسناد صحيح .

والحديث ذكره الحافظ فى الفتح ٨ : ١٥٣ ، ونسبه للطبرى فقط .

وذكره ابن كثير ٢ : ٦٩ ، عن رواية النسائى ، فهو يريد بها السنن الكبرى . وكذلك صنع السيوطى فى الإتقان ١ : ٣٣ .

وذكر الهيثمى فى مجمع الزوائد ٦ : ٣٢٤ ، وقال : « رواه الطبرانى بإسنادين ، رجال أحدهما ثقات » .

وفى الدر المنثور ١ : ٣٦٩ – ٣٧٠ زيادة نسبته لأبى عبيد ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن الأنبارى فى المصاحف ، وابن مردويه ، والبيهقى فى الدلائل .

وظاهر هذه الرواية عن ابن عباس ، يعارض ظاهر الرواية السابقة عنه : ٦٣١٠ ، أن آخر آية نزلت هى آية الربا .

فقال الحافظ فى الفتح : « وطريق الجمع بين هذين القولين ، [يريد الروايتين] : أن هذه الآية هى ختام الآيات المنزلة فى الربا ، إذ هى معطوفة عليهن » .

ويشير إلى ذلك صنيع البخارى ، بدقته وثقوب نظره ، فإنه روى الحديث الماضى تحت عنوان : « باب (واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله) » . فجعل بهذه الإشارة الموضوع واحداً ، والروايتين متحدتين غير متعارضتين . رحمه الله .

الله ثم تُوَفَّى كل نفس ما كسبتْ وهم لا يُظلمون » .[١]

٦٣١٤ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن إسمعيل بن أبى خالد ، عن السدى قال : آخر آية نزلت : « واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله » .

٦٣١٥ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو تميلة ، عن عبيد بن سليمان ،[٢] عن الضحاك ، عن ابن عباس = وحجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس = آخر آية نزلتْ من القرآن : « واتقوا يوماً تُرْجعون فيه إلى الله ثم توفَّى كل نفس ما كسبتْ وهم لا يُظلمون » = قال ابن جريج : يقولون إن النبى صلى الله عليه وسلم مكث بعدها تسعَ ليال ، وبُدئ يوم السبت ،[٣] ومات يوم الاثنين .

٦٣١٦ – حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب قال ، حدثنى سعيد بن المسيب : أنه بلغه أنّ أحدث القرآن بالعرش آية الدين .[٤]

* * *

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : واحذروا أيها الناس = « يوماً تُرْجعون

---

(١) الخبر : ٦٣١٣ – سهل بن عامر : مضت ترجمته فى : ١٩٧١ ، وأنه ضعيف جداً . ووقع اسمه فى المخطوطة والمطبوعة هنا « إسمعيل بن سهل بن عامر » ! وهو تخليط من الناسخين ، فلا يوجد راو بهذا الاسم . ثم هذا الإسناد نفسه هو الماضى : ١٩٧١ . ومضى أيضاً رواية محمد بن عمارة ، عن سهل ، عن مالك بن مغول : ٥٤٣١ .

(٢) فى المطبوعة : « عبيد بن سلمان » ، وهو خطأ ، والصواب من المخطوطة ، ومن كتب التراجم .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « وبدا يوم السبت » ، وهو خطأ فاحش ، وأشد منه فظاظة شرح من شرحه فقال : « يريد أنه احتجب عن الناس لمرضه ، ثم خرج لهم يوم السبت » ! وأولى بالمرء أن يدع ما لا يحسن ! إنما هو قولهم : « بدئ الرجل » (بالبناء للمجهول) أى مرض . يقال : متى بدئ فلان ؟ أى : متى مرض : وفى حديث عائشة : أنها قالت فى اليوم الذى بدىء فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وا رأساه » .

وانظر لهذا الخبر ما خرجه السيوطى فى الإتقان ١ : ٣٣ ، وابن كثير ٢ : ٦٩ ، ٧٠ .

(٤) الحديث : ٦٣١٦ – هذا إسناد صحيح إلى ابن المسيب ، ولكنه حديث ضعيف لإرساله ، إذ لم يذكر ابن المسيب من حدثه به .

والحديث نقله ابن كثير ٢ : ٧٠ – ٧١ ، عن هذا الموضع بإسناده . وذكره السيوطى ١ : ٣٧٠ « عن ابن جرير ، بسند صحيح عن سعيد بن المسيب » .

فيه إلى الله » ، فتلقونه فيه، أن تَرِدُوا عليه بسيئات تهلككم ، أو بمخزيات تخزيكم ، أو بفاضحات تفضحكم فتهتك أستاركم ،(١) أو بموبقات توبقكم فتوجب لكم من عقاب الله ما لا قِبَل لكم به ، وإنه يوم مجازاة بالأعمال ،(٢) لا يوم استعتابٍ، ولا يوم استقالة وتوبة وإنابة ، ولكنه يوم جزاء وثواب ومحاسبة، توفَّى فيه كل نفس أجرَها على ما قدمت واكتسبت من سيئ وصالح ، لا تُغادَر فيه صغيرة ولا كبيرة من خير وشرّ إلا أحضِرت ،(٣) فوُفِّيتْ جزاءها بالعدل من ربها ، وهم لا يظلمون .(٤) وكيف يُظلم من جوزى بالإساءة مثلها ، وبالحسنة عشر أمثالها ؟ !(٥) كلاَّ ، بل عَدَل عليكَ أيها المسيء ، وتكرم عليك فأفضل وأسبغَ أيها المحسن. فاتقِ امرؤٌ ربه، وأخذ منه حذره ،(٦) وراقبه أن يهجُم عليه يومُه وهو من الأوزار ظهرُه ثقيل، ومن صالحات الأعمال خفيف، فإنه عز وجل حَذّر فأعذَر، ووعظ فأبلغ .

* * *

(١) فى المطبوعة : « بفضيحات تفضحكم » ، ولا أدرى لم غير ما كان فى المخطوطة ! !

(٢) فى المطبوعة : « مجازاة الأعمال » ، ولا أدرى لم حذف « الباء » ! !

(٣) فى المطبوعة : « لا يغادر . . . » بالياء ، وفى المخطوطة غير منقوطة ، والصواب ما أثبت .

(٤) فى المطبوعة : « فتوفى جزاءها » ، وفى المخطوطة : «ءوءب»غير منقوطة كلها ، وصواب قراءتها ما أثبت .

(٥) فى المطبوعة : « كيف » بحذف الواو ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٦) فى المطبوعة : « فأخذ » بالفاء ، والصواب ما فى المخطوطة .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله : « إذا تداينتم » ، يعنى : إذا تبايعتم بدين ، أو اشتريتم به ، أو تعاطيتم أو أخذتم به = « إلى أجل مسمى » ، يقول : إلى وقت معلوم وقّتموه بينكم . وقد يدخل فى ذلك القَرضُ والسَّلَم ، وكلّ ما جاز [فيه] السلَم مُسمًّى أجلُ بيعه ، يصير دَيناً على بائع ما أسلم إليه فيه .(١) ويحتمل بيعَ الحاضر الجائز بيعُه من الأملاك بالأثمان المؤجلة . كلّ ذلك من الديون المؤجَّلة إلى أجل مسمى ، إذا كانت آجالُها معلومةً بحدٍّ موقوف عليه .

* * *

وكان ابن عباس يقول نزلت هذه الآية فى السَّلَم خاصة .

* ذكر الرواية عنه بذلك :

٦٣١٧ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يحيى بن عيسى الرملى ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح قال ، قال ابن عباس فى : « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى » ، قال : السَّلم فى الحنطة ، فى كيل معلوم إلى أجل معلوم .(٢)

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « وقد يدخل فى ذلك القرض والسلم فى كل ما جاز السلم شرى أجل بيعه » ، وهى عبارة غير مفهومة قد أخل بها التصحيف والتحريف ، وقد اجتهدت فى تصحيحها على هذا الوجه حتى تستقيم بعض الاستقامة . والسلم (بفتحتين) : السلف . يقال : أسلم وسلم (بتشديد اللام) : إذا أسلف ، وهو أن تعطى ذهباً وفضة فى سلعة معلومة إلى أجل معلوم ، فكأنك قد أسلمت الثمن إلى صاحب السلعة . وحده عند بعض الفقهاء : هو بيع معلوم فى الذمة ، محصور بالصفة ، بعين حاضرة . أو ما فى حكمها ، إلى أجل معلوم » .

(٢) الأثر : ٦٣١٧ — يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن الرملى النهشلى الخزاز ، سمع سفيان ، ومات سنة ٢٠١ ، وقد تكلموا فيه قال أبو داود : « بلغنى عن أحمد أنه أحسن الثناء عليه » وقال ابن معين : «ليس بشىء» ، وقال العجلى « ثقة » ، وقال ابن عدى : « عامة ما يرويه لا يتابع عليه » . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/٢/٢٩٦ ، وابن أبى حاتم ٤/٢/١٧٨ .

٦٣١٨ – حدثني محمد بن عبد الله المخرّميّ قال ، حدثنا يحيى بن الصامت قال ، حدثنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن أبي حيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن ابن عباس : « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين » ، قال : نزلت في السلم ، في كيل معلوم إلى أجل معلوم .(١)

٦٣١٩ – حدثنا علي بن سهل قال ، حدثنا زيد بن أبي الزرقاء ، عن سفيان ، عن أبي حيان ، عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية : « إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه » ، في السلم ، في الحنطة ، في كيل معلوم إلى أجل معلوم .(٢)

٦٣٢٠ – حدثنا ابن بشار قال حدثنا محمد بن محبّب قال ، حدثنا سفيان ، عن

---

(١) الحديث : ٦٣١٨ – يحيى بن الصامت : هكذا وقع في المخطوطة والمطبوعة ، ولم نعرف من ؟ ولعله محرف عن شيء آخر ؟ .

والذي في هذه الطبقة ، ونرجح أنه الراوي هنا : هو « يحيى بن أيوب المقابري أبو زكريا العابد . فهو الذي يروي عن عبد الله بن المبارك ، ويروي عنه محمد بن عبد الله بن المبارك المخرمي ، كما في ترجمته في التهذيب ١١ : ١٨٨ ، ولكن فيه « محمد بن عبد العزيز بن المبارك المخرمي » ، وهو خطأ في « عبد العزيز » بدل « عبد الله » . ويحيى بن أيوب هذا : ثقة من شيوخ مسلم في صحيحه . و « المقابري » : نسبة إلى المقابر ، لكثرة زيارته إياها ، كما في اللباب ٤ : ١٦٧ . وله ترجمة في ابن أبي حاتم ٤/٢/١٢٨ ، وتاريخ بغداد ١٤ : ١٨٨ – ١٨٩ .

ومن المحتمل – وهو رجل عابد زاهد – أن يكون « الصامت » لقباً له ، فيكون « يحيى الصامت » . ولكن لم أجد نصاً على ذلك ، ولا ما يشير إليه .

سفيان : هو الثوري .

أبو حيان : هو التيمي ، يحيى بن سعيد بن حيان . مضت ترجمته في : ٥٣٨٢ .

ابن أبي نجيح : هو عبد الله بن يسار الثقفي المكي . وكنية أبيه « أبو نجيح » . وهو ثقة ، أخرج له أصحاب الكتب الستة . ولكن روايته عن ابن عباس منقطعة ، فإنه يروي عن التابعين .

وسيأتي الحديث صحيحاً ، بإسناد آخر صحيح : ٦٣٢١ .

وسيأتي بين هذين بإسنادين ضعيفين .

(٢) الحديث : ٦٣١٩ – زيد بن أبي الزرقاء : مضت ترجمته في : ١٣٨٤ . ووقع في المطبوعة « يزيد » بدل « زيد » وهو خطأ فلا يوجد من يسمى بهذا في الرواة . ثم هذا الشيخ هو الذي روى عن سفيان الثوري ، ويروي عنه علي بن سهل الرملي ، كما مضى في ذاك الإسناد .

والحديث ضعيف كالذي قبله . فالرجل المبهم الذي يروي عنه أبو حيان – هو ابن أبي نجيح . ولم يدرك ابن عباس .

أبي حيان التيمي ، عن رجل ، عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى » ، في السلف في الحنطة ، في كيل معلوم إلى أجل معلوم .(١) ٧٧/٣

٦٣٢١ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا معاذ بن هشام قال ، حدثني أبي ، عن قتادة ، عن أبي حسان ، عن ابن عباس قال : أشهد أن السلف المضمون ، إلى أجل مسمى ، أنّ الله عز وجل قد أحله وأذن فيه . ويتلو هذه الآية : « إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى » .(٢)

* * *

---

(١) الحديث : ٦٣٢٠ – محمد بن محبب بن إسحق القرشي ، أبو همام الدلال صاحب الرقيق : ثقة ، وثقه أبو داود ، وأبو حاتم ، وغيرهما . وأخطأ المنذري في تهذيب السنن : ٢٥٣٧ ، إذ قال : « لا يحتج بحديثه » . وإنما قلد ابن الجوزي حين ذكره في الضعفاء . وغلطه في ذلك الذهبي في الميزان .

و « محبب » : بباءين موحدتين ، وزان « محمد » . كذا ضبطه عبد الغني في المؤتلف ، ص : ١٢٣ ، والذهبي في المشتبه ، ص : ٤٦٧ ، والحافظ في التهذيب والتقريب . ووهم ابن أبي حاتم ، حين جعله « مجيب » ، في الجرح ٤/١/٩٦ .

« صاحب الرقيق » : بالراء ، كما في الكبير للبخاري ١ / ١ / ٢٤٧ ، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم . ووقع في التهذيب والخلاصة : « الدقيق » بالدال . وقال العلامة الشيخ عبد الرحمن اليماني في هوامش الجرح : « والرقيق – بالراء : أشبه بقولهم الدلال » ، وهو جيد .

والحديث مكرر ما قبله ، وهو ضعيف الإسناد كمثله .

(٢) الحديث : ٦٣٢١ – معاذ بن هشام الدستوائي : ثقة مأمون . أخرج له الستة .

أبوه هشام بن أبي عبد الله الدستوائي : إمام ثقة حجة ، وكان ممن سمى « أمير المؤمنين في الحديث » – سماه به أبو داود الطيالسي . وقال شعبة : « كان هشام أحفظ مني عن قتادة » .

أبو حسان – بالسين : هو أبو حسان الأعرج ، مضت ترجمته في : ٥٤٢٢ . ووقع في المخطوطة والمطبوعة « أبو حيان » – بالياء – وهو خطأ وتخليط ، كما سيبين من التخريج .

والحديث رواه عبد الرزاق في المصنف ٤ : ٢٥٢ (مخطوط مصور) ، عن معمر ، عن قتادة ، به .

ورواه الشافعي في الأم ٣ : ٨٠ – ٨١ ، عن سفيان – وهو ابن عيينة ، « عن أيوب ، عن قتادة ، عن أبي حسان الأعرج ، عن ابن عباس » ، به .

ورواه الحاكم في المستدرك ٢ : ٢٨٦ ، من طريق إبراهيم بن بشار ، عن سفيان ، وهو ابن عيينة ، به .

ورواه البيهقي في السنن الكبرى ٦ : ١٨ ، من طريق سعيد بن عامر ، عن شعبة ، عن قتادة ، به .

وتسرع الحافظ الذهبي في مختصر المستدرك ، فعقب عليه ، كأنه يريد تضعيف إسناده ! فقال : « إبرهيم ذو زوائد عن « ابن عيينة » ! !

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : وما وجه قوله : « بدين »، وقد دلّ بقوله : « إذا تداينتم »، عليه ؟ وهل تكون مداينة بغير دين ، فاحتيج إلى أن يقال : « بدين » ؟

قيل : إن العرب لما كان مَقُولاً عندها : « تداينًا » بمعنى : تجازَيْنا ، وبمعنى : تعاطينا الأخذ والإعطاء بدين — أبان الله بقوله : « بدين »، المعنى الذى قصد تعريف من سمعَ قوله : « تداينتم »، [1] حكمَه، وأعلمهم أنه حكمُ الدّين دون حُكم المجازاة .

* * *

وقد زعم بعضهم أن ذلك تأكيد كقوله : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ [سورة الحجر : ٣٠ / سورة ص : ٧٣]، ولا معنى لما قال من ذلك فى هذا الموضع . [2]

* * *

وهى كلمة مرسلة دون تحقيق . فإبراهيم بن بشار الرمادى : مضت ترجمته وتوثيقه فى : ٨٩٢ ، ونزيد هنا : أنه كان مكثراً عن ابن عيينة مغرباً . ولكن قال ابن حبان : « كان متقناً ضابطاً ، صحب ابن عيينة سنين كثيرة ، وسمع أحاديثه مراراً » . فمثل هذا لا يستبعد عليه أن يأتى عن شيخه بما لم يأت به غيره . هذه واحدة .

وأخرى : أنه لم ينفرد به عن ابن عيينة — كما ترى . وكفى برواية الشافعى إياه عن ابن عيينة ثقة وحجة .

ثم لم ينفرد به ابن عيينة عن أيوب عن قتادة . كما تبين مما ذكرنا من الأسانيد ، ومن رواية الطبرى هنا . فقد رواه هشام الدستوائى ، ومعمر ، وشعبة — ثلاثتهم عن قتادة ، كما ترى .

ولذلك ذكره ابن كثير ٢ : ٧١ — ٧٢ ، قال : « وقال قتادة ، عن أبى حسان الأعرج ، عن ابن عباس . . . » . فلم يذكر من رواه عن قتادة ، لثبوته عنه من غير وجه .

وذكره السيوطى ١ : ٣٧٠ ، وزاد نسبته لعبد بن حميد ، والبخارى ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والطبرانى .

(١) فى المطبوعة : « الذى قصد تعريفه من قوله تداينتم حكمه » . ، وهو غير مستقيم ، وفى المخطوطة : « تعريف من قوله تداينتم حكمه » ، بين الكلام بياض ، وبالهامش حرف (ط) إشارة إلى الخطأ ، فآثرت أن أقيم الجملة بزيادة « سمع » حتى يستقيم الكلام بعض الاستقامة . وقوله « حكمه » مفعول للمصدر فى قوله : « تعريف من سمع » . ثم انظر الناسخ والمنسوخ لأبى جعفر النحاس : ٨٥ ، فإنه نقل كلام الطبرى مختصراً ، آخره : « المعنى الذى قصد له » .

(٢) لم أعرف قائله ، ولكنه مشهور فى كتب التفسير ، انظر تفسير أبى حيان ١ : ٣٤٣ ، والقرطبى ٣ : ٣٧٧ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَاكْتُبُوهُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « فاكتبوه » ، فاكتبوا الدّين الذى تداينتموه إلى أجل مسمى ، من بيع كان ذلك أو قرض .

* * *

واختلف أهل العلم فى اكتتاب الكتاب بذلك على من هو عليه ، هل هو واجبٌ أو هو نَدْبٌ .

فقال بعضهم : هو حق واجبٌ وفرضٌ لازم .

* ذكر من قال ذلك :

٦٣٢٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه » ، قال : من باع إلى أجل مسمى ، أمِرَ أن يكتب ، صغيراً كان أو كبيراً إلى أجل مسمى .

٦٣٢٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه » ، قال : فمن ادّان ديناً فليكتب ، ومن باع فليُشهد .

٦٣٢٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه » ، فكان هذا واجباً .

٦٣٢٥ — وحدثت عن عمار قال حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بمثله = وزاد فيه ، قال : ثم قامت الرُّخصة والسَّعة ،[1] قال : ﴿ فَإِنْ أَمِنَ

---

(١) قوله : « ثم قامت الرخصة والسعة » ، أى ثبتت واستقامت ، وهو مجاز ، مثله قولهم : « قام الماء » إذا ثبت متحيراً لا يجد منفذاً ، وإذا جمد أيضاً . « وقامت عينه » : ثبتت لم تتحرك . و « قام عندهم الحق » : أى ثبت ولم يبرح . كل ذلك مجاز .

بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ﴾.

٦٣٢٦ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذكر لنا أنّ أبا سليمان المرْعشيّ ، كان رجلاً صحب كعباً ، فقال ذات يوم لأصحابه : هل تعلمون مظلوماً دعا ربه فلم يستجب له ؟ قالوا : وكيف يكون ذلك ؟ قال : رجل باع شيئاً فلم يكتبْ ولم يُشْهد ، فلما حلّ ماله جحده صاحبه ، فدعا ربَّه فلم يستجب له ، لأنه قد عصى ربه . (١)

• • •

وقال آخرون : كان اكتتاب الكتاب بالدَّين فرضاً ، فنسخه قوله . ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ ﴾ .

• ذكر من قال ذلك :

٦٣٢٧ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن ابن شبرمة ، عن الشعبي قال : لا بأس إذا أمنتَه أن لا تكتب ولا تُشْهد ، لقوله : « فإن أمن بعضكم بعضاً » = قال ابن عيينة ، قال ابن شبرمة ، عن الشعبي : إلى هذا انتهى .

٦٣٢٨ – حدثنا المثنى ، قال ، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا داود ، عن عامر فى هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه » حتى بلغ هذا المكان : « فإنْ أمن بعضكم بعضاً فليؤدّ الذى اؤتمن أمانته » ، قال : رَخّص من ذلك ، (٢) فمن شاء أن يأتمن صاحبه فليأتمنه .

---

(١) الأثر : ٦٣٢٦ – «أبو سليمان المرعشى» فى المخطوطة «المدعس» ، وفى ابن كثير ٢ : ٧٢ . وقد ذكر البخارى فى الكنى : ٣٧ ، «أبو سليمان ، عن كعب قوله ، روى عنه قتادة» .

(٢) فى المطبوعة : «رخص فى ذلك» ، والذى فى المخطوطة صواب ، ولكنه سيأتى فى المخطوطة كالمطبوعة هنا فى رقم ٦٣٣٤ .

٦٣٢٩ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا هرون ، عن عمرو ، عن عاصم ، عن الشعبي قال : إن ائتمنه فلا يشهد عليه ولا يكتب .

٦٣٣٠ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن إسمعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي قال : فكانوا يرون أنّ هذه الآية : « فإن أمن بعضكم بعضاً » ، نسخت ما قبلها من الكتابة والشهود، رخصةً ورحمةً من الله.

٦٣٣١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : قال غير عطاء :[1] نسخت الكتابَ والشهادة : « فإنْ أمن بعضُكم بعضاً » .

٦٣٣٢ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : نسخ ذلك قوله : « فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤدّ الذى اؤتمن أمانته » ، قال: فلولا هذا ٧٨/٣
الحرفُ ،[2] لم يبح لأحد أن يَدّان بدين إلا بكتاب وشهداء أو برَهْنٍ . فلما جاءت هذه نسخت هذا كله ، صار إلى الأمانة .

٦٣٣٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا حجاج قال ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سليمان التيمى قال : سألت الحسن قلت : كل من باعَ بيعاً ينبغى له أن يشهد ؟ قال : ألم تر أنّ الله عز وجل يقول : « فليؤد الذى اؤتمن أمانته » ؟

٦٣٣٤ – حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا

---

(١) قوله : « قال غير عطاء » ، لم يمض لقول عطاء ذكر فيما سلف فى قول من قال إن الاكتتاب حق واجب وفرض لازم . ولعله سقط أثر فيه التصريح بما قال عطاء ، أو لعله اقتصر على ما قاله ابن جريج فى الأثر رقم : ٦٣٢٣ ، كأنه من رواية ابن جريج عن عطاء .

(٢) قوله « فلولا هذا الحرف » ، يعنى : فلولا هذا القول من الله تعالى . واستعمال « الحرف » بمعنى القول ، لم أجده فى كتاب من كتب اللغة ، ولكنه مجاز حسن ، كما سموا القصيدة « كلمة » ، فجائز أن يقال للآية وللقول كله « حرف » .

داود، عن عامر فى هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه » ، حتى بلغ هذا المكان : « فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤدّ الذى اؤتمن أمانته » ، قال : رخص فى ذلك ، فمن شاء أن يأتمن صاحبه فليأتمنه .

٦٣٣٥ — حدثنى يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن داود ، عن الشعبى فى قوله : « فإن أمن بعضكم بعضاً » ، قال : إن أشهدت فحَزْمٌ ، وإن لم تُشْهِد ففى حِلٍّ وَسَعَة .

٦٣٣٦ — حدثنى يعقوب قال، حدثنا هشيم، عن إسمعيل بن أبى خالد قال : قلت : للشعبى : أرأيت الرجل يستدينُ من الرجل الشىء ، أحتمٌ عليه أن يُشهد ؟ قال : فقرأ إلى قوله : [1] « فإن أمن بعضكم بعضاً » ، قد نسخ ما كان قبله .

٦٣٣٧ — حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا محمد بن مروان العقيلى قال ، حدثنا عبد الملك بن أبى نضرة، [عن أبيه] ، عن أبى سعيد الخدرى أنه قرأ : « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى » إلى : « فإن أمن بعضكم بعضاً » = [2] قال : هذه نسخت ما قبلها . [3]

* * *

---

(١) فى المخطوطة : « قال فقال إلى قوله . . . » بياض بين الكلمتين، و « فقال »، مكان « فقرأ » والذى فى المطبوعة أشبه بالصواب .

(٢) فى المطبوعة : « قال فقرأ إلى : فإن أمن . . . » وفى المخطوطة تكرار بعد قوله : « إلى أجل مسمى » نصه : « قال فقرأ : يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى . هذه نسخت ما قبلها » ولم يذكر « فإن أمن . . . » وهى الآية الناسخة . وأثبت الصواب من الناسخ والمنسوخ : ٨٣ ، وروى الخبر ، كما سيأتى .

(٣) الأثر : ٦٣٣٧ — « محمد بن مروان بن قدامة العقيلى » روى عنه البخارى فى التعاليق ، وأبو داود فى المراسيل، وروى عنه مسدد ويحيى بن معين وغيرهم . قال أحمد : « رأيت محمد بن مروان العقيلى، وحدث بأحاديث وأنا شاهد ، لم أكتبها، تركتها على عمد » — كأنه ضعفه . وقال ابن معين : « ليس به بأس » ، وعن أبى داود : « صدوق » . مترجم فى التهذيب . و « عبد الملك بن أبى نضرة العبدى » روى عن أبيه . قال الحافظ فى التهذيب : « ذكره ابن حبان فى الثقات وقال : ربما أخطأ . له عندهما حديث فى آية الدين : يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم . قلت : وقال الدارقطنى : لا بأس به . وقال الحاكم فى

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وليكتب كتابَ الدين إلى أجل مسمى بين الدائن والمدين = « كاتبٌ بالعَدْل » ، يعنى : بالحق والإنصاف فى الكتاب الذى يكتبه بينهما ، بما لا يتحيَّف ذا الحق حقه ولا يَبخسه ،[1] ولا يوجب له حُجةً على من عليه دينه فيه بباطل ، ولا يُلزمه ما ليس عليه، كما :—

٦٣٣٨ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة فى قوله : « وليكتب بينكم كاتب بالعدل » ، قال : اتقى الله كاتبٌ فى كتابه ، فلا يَدَعنّ منه حقًّا ، ولا يزيدنّ فيه باطلاً .

* * *

وأما قوله : « ولا يَأبَ كاتب أن يكتب كما علمه الله » ، فإنه يعنى : ولا يأبينّ كاتبٌ استكتب ذلك، أن يكتب بينهم كتابَ الدّين ، كما علمه الله كتابته فخصّه بعلم ذلك ، وحرَمه كثيراً من خلقه .

* * *

وقد اختلف أهل العلم فى وجوب الكتاب على الكاتب إذا استكتِب ذلك ،

المستدرك : من أعز البصريين حديثاً » . مترجم فى التهذيب . وأبوه « أبو نضرة » هو : « المنذر بن مالك بن قطعة العبدى » روى عن على بن أبى طالب ، وأبى موسى الأشعرى ، وأبى ذر ، وأبى سعيد ، وابن عباس وغيرهم من الصحابة . قال أحمد : « ثقة » . وقال ابن سعد : « ثقة كثير الحديث ، وليس كل أحد يحتج به » . مترجم فى التهذيب .

هذا ، وقد أسقطت المخطوطة والمطبوعة ما وضعناه بين القوسين [عن أبيه] ، وهو سهو من الناسخ ، وقد جاء على الصواب فى الناسخ والمنسوخ : ٨٣ بهذا الإسناد نفسه ، كما أشرت إليه فى التعليق السالف .

(١) فى المطبوعة : « لا يحيف ذا الحق » ، وهو خطأ ، والصواب من المخطوطة ، وهى فيها برسم ما أثبت غير منقوط . حاف يحف حيفاً : مال وجار ، وهو فعل لازم غير متعد . أما « تحيفه ماله وحقه » : تنقصه من حافاته .

نظير اختلافهم فى وجوب الكتاب على الذى له الحق .

* ذكر من قال ذلك :

٦٣٣٩ – حدثنا محمد بن عمرو قال : حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله عز وجل : « ولا يأب كاتب » ، قال : واجبٌ على الكاتب أن يكتُبَ .

٦٣٤٠ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : قلت لعطاء : قوله : « ولا يأب كاتب أن يكتب » ، أواجب أن لا يأبى أن يكتب ؟ قال : نعم = قال : ابن جريج ، وقال مجاهد : واجب على الكاتب أن يكتُب .

٦٣٤١ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله » ، بمثله .

٦٣٤٢ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر وعطاء قوله : « ولا يأب كاتبٌ أن يكتب كما علمه الله » ، قالا : إذا لم يجدوا كاتباً فدُعيتَ ، فلا تأبَ أن تكتب لهم .

* * *

* ذكر من قال : « هى منسوخة » . قد ذكرنا جماعة ممن قال : « كل ما فى هذه الآية من الأمر بالكتابة والإشهاد والرّهن ، منسوخٌ بالآية التى فى آخرها » ، (١) وأذكر قولَ من تركنا ذكره هنالك ببعض المعانى .

٦٣٤٣ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال : حدثنا أبو زهير ، عن

---

(١) انظر ما سلف من رقم : ٦٣٢٧ – ٦٣٣٧

جويبر ، عن الضحاك : « ولا يأب كاتب » ، قال : كانت عزيمةً ، فنسختها : « ولا يُضارّ كاتبٌ ولا شهيدٌ » .

٦٣٤٤ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر . عن أبيه ، ، عن الربيع : « وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علّمه الله » ، فكان هذا واجباً على الكتّاب .

* * *

وقال آخرون : هو على الوجوب، ولكنه واجبٌ على الكاتب فى حال فراغه . ٧٩/٣

* ذكر من قال ذلك :

٦٣٤٥ – حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله: « وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله » ، يقول : لا يأب كاتبٌ أن يكتب إن كان فارغاً .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا : أنّ الله عز وجل أمر المتداينين إلى أجل مسمى باكتتاب كُتُب الدين بينهم ، وأمر الكاتب أن يكتبَ ذلك بينهم بالعدل . وأمرُ الله فرضٌ لازم، إلا أن تقوم حجة بأنه إرشاد وندبٌ . ولا دلالة تدلّ على أنّ أمره جل ثناؤه باكتتاب الكتب فى ذلك، وأنّ تقدّمه إلى الكاتب أن لا يأبى كتابة ذلك ، ندبٌ وإرشادٌ . فذلك فرضٌ عليهم لايسعهم تضييعه ، ومن ضيّعه منهم كان حرجاً بتضييعه . (١)

ولا وجه لاعتلال من اعتلّ بأن الأمر بذلك منسوخ بقوله : «فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤدّ الذى اؤتمن أمانته» . لأن ذلك إنما أذن الله تعالى ذكره به حيثُ لا سبيل إلى الكتاب أو إلى الكاتب. فأما والكتابُ والكاتبُ موجودان، فالفرضُ – إذا كان الدّينُ إلى أجل مسمى – ما أمر الله تعالى ذكره به فى قوله : « فاكتبوه

---

(١) قوله : « حرجاً »، أى آثماً . وانظر ما سلف مراراً فى التعليق على هذه الكلمة ٢ : ٤٢٣/ ثم ٤ : ٢٢٤ (تعليق : ١) / ثم ٤٧٥ تعليق : ٢ / ثم ٥٦٦ تعليق : ٣ ، ثم ص ٥٦٧ وما بعدها .

وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتبٌ أن يكتب كما علمه الله » .

وإنما يكون الناسخُ، ما لم يجز اجتماع حُكمه وحكم المنسوخ فى حال واحدة ، على السبيل التى قد بيناها .[1] فأما ما كان أحدهما غير نافٍ حكم الآخر ، فليس من الناسخ والمنسوخ فى شىء .

ولو وجب أن يكون قوله : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِباً فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمَانَتَه ﴾ ناسخاً قوله : « إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله » — لوجب أن يكون قوله : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً ﴾ [سورة المائدة : ٦] ناسخاً الوضوء بالماء = فى الحضر عند وجود الماء فيه وفى السفر = الذى فرضه الله عز وجل بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى المَرَافِقِ ﴾ [سورة المائدة ٦]، وأن يكون قوله فى كفارة الظِّهار : ﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ﴾ [سورة المجادلة : ٤] ناسخاً قوله ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾[2] [سورة المجادلة : ٣].

* * *

فيُسْأل القائل إنّ قول الله عز وجل : «فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤدّ الذى اؤتمن أمانته » ناسخٌ قوله : « إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه » : ما الفرقُ بينه وبين قائلٍ فى التيمم وما ذكرنا قوله =[3] فزعم أنّ كل ما أبيح فى حال

(١) يعنى ما سلف له بيانه فى ٣ : ٣٨٥ ، ٥٦٣ / ٤ : ٥٨٢ ، وما سيأتى فى هذا الجزء : ١١٨ ، تعليق : ١ .

(٢) ساق رأى الطبرى مختصراً ، أبو جعفر النحاس فى الناسخ والمنسوخ : ٨٣ ، ٨٤ ، والقرطبى فى تفسيره ٣ : ٤٠٣ ، ٤٠٤ .

(٣) فى المطبوعة : « ما الفرق بينه وبين القائل فى التيمم ما ذكرنا قوله » ، أدخل التعريف على « قائل » ، وحذف الواو من « وما ذكرنا » فصار الكلام محفوفاً بالفساد والخلط من كل مكان ، وتخلع السياق تخلعاً فظيعاً . وقول الطبرى « وما ذكرنا » يعنى ما ذكره فى آية الظهار السالفة . ويعنى بقوله :

الضرورة لعلة الضرورة، ناسخ حكمُه فى حال الضرورة حكمَه فى كل أحواله : نظيرَ قوله فى أنّ الأمر باكتتاب كتب الديون والحقوق منسوخٌ بقوله: « وإن كنتم على سفر ولم تجدُوا كاتباً فرهانٌ مقبوضة فإن أمن بعضُكم بعضاً فليؤدّ الذى اؤتمن أمانته » ؟

فإن قال: الفرق بينى وبينه أن قوله : « فإن أمن بعضُكم بعضاً » كلام منقطع عن قوله : « وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة » ، وقد انتهى الحكم فى السفر إذا عُدم فيه الكاتب بقوله: « فرهان مقبوضة » . وإنما عنى بقوله : « فإن أمن بعضكم بعضاً » : « إذا تداينتم بدَين إلى أجل مسمى» ، فأمن بعضكم بعضاً ، فليؤدّ الذى اؤتمن أمانته .

قيل له : وما البرهان على ذلك من أصل أو قياس ، وقد انقضى الحكم فى الدّين الذى فيه إلى الكاتب والكتاب سبيلٌ بقوله: « ويُعلّمكم الله والله بكل شىء عليم » ؟ (١)

* * *

وأما الذين زعموا أن قوله : « فاكتبوا » ، وقوله : « ولا يأب كاتب » على وجه الندب والإرشاد، فإنهم يُسألون البرهان على دعواهم فى ذلك ، ثم يعارضون بسائر أمر الله عز وجل الذى أمر فى كتابه ، ويُسألون الفرق بين ما ادّعوا فى ذلك وأنكروه فى غيره . فلم يقولوا فى شىء من ذلك قولا إلا ألزموا فى الآخر مثله .

* * *

* ذكر من قال : « العدل » فى قوله : « وليكتب بينكم كاتب بالعدل » : الحقّ .

« وما ذكرنا قوله » ، أى أنه منسوخ بتمام الآية .

(١) هذه حجة حبر ربانى بصير بمعانى الكلام .

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . (١)

* * *

٨٠/٣ القول فى تأويل قوله ﴿ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا ﴾ (٢)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك : « فليكتب » الكاتب = « وليملل الذى عليه الحقّ » ، وهو الغريم المدينُ يقول : ليتولّ المدين إملالَ كتاب ما عليه من دين ربّ المال على الكاتب = « وليتق الله ربه » المملى الذى عليه الحقّ ، فليحذر عقابه فى بخس الذى له الحق من حقه شيئاً ، أنْ ينقُصَه منه ظلماً أو يذهب به منه تعدّياً ، فيؤخذ به حيث لا يقدرُ على قضائه إلاّ من حسناته ، أو أن يتحمل من سيئاته ، كما : —

٦٣٤٦ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : «فليكتب وليملل الذى عليه الحق» ، فكان هذا واجباً — « وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً » ، يقول : لا يظلم منه شيئاً .

٦٣٤٧ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ولا يبخس منه شيئاً » ، قال : لا ينقص من حقّ هذا الرجل شيئاً إذا أملى .

---

(١) سقط من الناسخ فى هذا المكان ، ما رواه أبو جعفر من أقوال القائلين فى معنى « العدل » بإسناده إليهم ولا سبيل إلى إتمام ذلك حتى توجد نسخة من التفسير يقل سهو ناسخها وإغفاله .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : سقط من الناسخ « فليكتب » قبل « وليملل » ، فأثبتها .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « فإن كان الذى عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً » ، فإن كان المدين الذى عليه المال « سفيهاً » ، يعنى : جاهلا بالصواب فى الذى عليه أن يُملَّه على الكاتب ، كما : —

٦٣٤٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : «فإن كان الذى عليه الحق سفيهاً »، أما السفيه ، فالجاهل بالإملاء والأمور.

* * *

وقال آخرون : بل « السفيه » فى هذا الموضع ، الذى عناه الله : الطفلُ الصغير .

* ذكر من قال ذلك :

٦٣٤٩ — حدثنى موسى بن هرون قال حدثنا عمرو ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فإن كان الذى عليه الحق سفيهاً »، أما السفيه ، فهو الصغير .

٦٣٥٠ — حدثنى يحيى بن أبى طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « فإن كان الذى عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً » ، قال : هو الصبى الصغير ، فليملل وليُّه بالعدل .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بالآية تأويل من قال : « السفيه فى هذا الموضع : الجاهل بالإملاء وموضع صواب ذلك من خطئه » ، لما قد بينا قبل من أن معنى « السفه » فى كلام العرب : الجهلُ . (١)

---

(١) انظر تفسير « السفه » فيما سلف ١ : ٢٩٣ — ٢٩٥ / ٣ : ٩٠ ، ١٢٩ ، ١٣٠ .

وقد يدخل فى قوله : « فإن كان الذى عليه الحق سفيهاً »، كل جاهل بصواب ما يُملّ من خطئه ، من صغير وكبير ، وذكر وأنثى . غير أن الذى هو أولى بظاهر الآية أن يكون مراداً بها : كلُّ جاهل بموضع خطأ ما يملّ وصوابه : من بالغى الرجال الذين لا يُولّى عليهم = والنساء . لأنه جل ذكره ابتدأ الآية بقوله : « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدَين إلى أجل مسمى »، والصبى ومن يُولّى عليه ، لا يجوز مُداينته، وأنّ الله عز وجل قد استثنى من الذين أمرَهم بإملال كتاب الدَّين مع السفيه ، الضعيفَ ومن لا يستطيع إملاله . فى فصْله جل ثناؤه الضعيفَ من السفيه ومن لا يستطيع إملاء الكتاب فى الصفة التى وصف بها كل واحد منهم :[1] ما أنبأ عن أن كل واحد من الأصناف الثلاثة الذين ميَّز بين صفاتهم، غير الصنفين الآخرين .[2]

وإذا كان ذلك كذلك ، كان معلوماً أنّ الموصوف بالسفه منهم دون الضعف، هو ذو القوة على الإملال ، غيرَ أنه وُضع عنه فرض الإملال بجهله بموضع صواب ذلك من خطئه = وأن الموصوف بالضعف منهم ، هو العاجز عن إملاله ، وإن كان شديداً رشيداً ، إما لعىّ لسانه أو خرس به = وأنّ الموصوف بأنه لا يستطيع أن يملّ ، هو الممنوع من إملاله ، إما بالحبس الذى لا يقدر معه على حضور الكاتب الذى يكتب الكتاب فيملّ عليه ، وإما لغيبته عن موضع الإملال ، فهو غير قادر من أجل غيبته عن إملال الكتاب .

فوضع الله جلّ وعز عنهم فرض إملال ذلك ، للعلل التى وصفنا — إذا كانت بهم — وعذرهم بترك الإملال من أجلها، وأمرَ، عند سقوط فرض ذلك عليهم، ولىَّ

(١) فى المخطوطة : « فمن فصله جل ثناؤه الضعيف من السفيه ، فالصفة ومن لا يستطيع إملاء الكتاب التى وصف الله بها كل واحد منهم . . . » وهو كلام مضطرب ، وقد أصاب ناشر المطبوعة فى تصحيحه .

(٢) فى المخطوطة : « . . . الذين بين الله صفاتهم » ، وهو تصحيح لما كان فى المخطوطة وهو : « الذين س منه صفاتهم » غير منقوطة ، ورجحت قراءتها كما أثبتها .

الحق بإملاله فقال : « فإن كان الذى عليه الحقّ سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يملّ هو فليملل وليه بالعدل » ، يعنى : ولىُّ الحقّ .

* * *

ولا وجه لقول من زعم أن « السفيه » فى هذا الموضع هو الصغير ، وأن « الضعيفَ » هو الكبير الأحمق . لأن ذلك إن كان كما قال ، يوجب أن يكون قوله : « أو لا يستطيعُ أن يملّ هو » هو ، العاجز من الرجال العقلاء الجائزى الأمر ٨١/٣
فى أموالهم وأنفسهم عن الإملال ، إما لعلة بلسانه من خرس أو غيره من العلل ، وإما لغيبته عن موضع الكتاب . وإذا كان ذلك كذلك معناه ، لبطل معنى قوله : « فليملل وليه بالعدل » ، [1] لأن العاقل الرشيد لا يولى عليه فى ماله وإن كان أخرس أو غائباً ، [2] ولا يجوز حُكم أحد فى ماله إلاّ بأمره . وفى صحة معنى ذلك ، ما يقضى على فساد قول من زعم أن « السفيه » فى هذا الموضع ، هو الطفل الصغير ، أو أو الكبير الأحمق .

* ذكر من قال ذلك :

٦٣٥١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « فإن كان الذى عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل » ، يقول : ولىّ الحق .

٦٣٥٢ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « فإن كان الذى عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يملّ هو فليملل وليه بالعدل » ، قال يقول : إن كان عجز عن ذلك ، أملّ صاحبُ الدَّين بالعدل .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « بطل » ، وفى المخطوطة : « فبطل » ، ورجحت قراءتها كما أثبتها .

(٢) فى المخطوطة : « لا يولى عليه ماله » ، وما فى المطبوعة أشبه بالصواب .

* ذكر الرواية عمن قال : « عنى بالضعيف فى هذا الموضع : الأحمق » ، وبقوله : « فليملل وليه بالعدل » ، ولى السفيه والضعيف .

٦٣٥٣ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك : « فإن كان الذى عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل هو » ، قال : أمر ولىّ السفيه أو الضعيف أن يملّ بالعدل .

٦٣٥٤ – حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أما الضعيف ، فهو الأحمق .

٦٣٥٥ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : أما الضعيفُ فالأحمق .

٦٣٥٦ – حدثنا يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « فإن كان الذى عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً » لا يعرف فيثبت لهذا حقه ويجهل ذلك ، فوليه بمنزلته حتى يضع لهذا حقه .

* * *

وقد دللنا على أولى التأويلين بالصواب فى ذلك .

* * *

وأما قوله : « فليملل وليه بالعدل » ، فإنه يعنى : بالحق .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : واستشهدوا على حقوقكم شاهدين .

* * *

يقال : « فلان » شَهيدى على هذا المال ، وشاهدى عليه » .[1]

* * *

(١) انظر تفسير « شهيد » فيما سلف ١ : ٣٧٦ ، ٣٧٧ .

وأما قوله : « من رجالكم » ، فإنه يعنى من أحراركم المسلمين ، دون عبيدكم ، ودون أحراركم الكفار ، كما : —

٦٣٥٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم » ، قال : الأحرار .

٦٣٥٨ — حدثني يونس قال ، أخبرنا على بن سعيد ، عن هشيم ، عن داود ابن أبي هند ، عن مجاهد مثله .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : فإن لم يكونا رجلين ، فليكن رجلٌ وامرأتان على الشهادة . ورفع « الرجل والمرأتان » ، بالرّد على «الكون» . وإن شئتَ قلتَ : فإن لم يكونا رجلين ، فليشهد رجل وامرأتان على ذلك . وإن شئت : فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان يشهدون عليه . وإن قلت : فإن لم يكونا رجلين فهو رجلٌ وامرأتان ، [1] كان صواباً . كل ذلك جائز .

* * *

ولو كان « فرجلاً وامرأتين » نصباً ، كان جائزاً ، على تأويل : فإن لم يكونا رجلين فاستشهدوا رجلاً وامرأتين . [2]

* * *

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « فرجل وامرأتان » ، والصواب ما أثبت ، وهو الوجه الذى ذكره الفراء فى معانى القرآن ١ : ١٨٤ .

(٢) أكثر هذا نص معانى القرآن للفراء ١ : ١٨٤ . وفى المخطوطة والمطبوعه : «فرجل وامرأتان» نصباً ، والأجود ما أثبت .

وقوله : « ممن ترضون من الشهداء » ، يعنى : من العدول المرتضَى دينهُم وصلاحهم ، كما : —

٦٣٥٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم » ، يقول : فى الدَّين = « فإن لم يكونا رجلين فرجلٌ وامرأتان » ، وذلك فى الدين = « ممن تَرْضون من الشهداء » ، يقول : عدولٌ .

٦٣٦٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم » ، أمر الله عز وجل أن يُشهدوا ذَوَىْ عدل من رجالهم = « فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضَون من الشهداء » . ٨٢/٣

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأ عامة أهل الحجاز والمدينة وبعض أهل العراق : ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى ﴾ بفتح « الألف » من « أنْ » ، ونصب « تَضلَّ » ، و « تذكرَ » ، بمعنى : فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ، كى تذكر إحداهما الأخرى إن ضَلّت . وهو عندهم من المقدّم الذى معناه التأخير . لأن « التذكير » عندهم هو الذى يجب أن يكون مكان « تضلّ » . لأن المعنى ما وصفنا فى قولهم . وقالوا : إنما نصبنا « تذكّر » ، لأن الجزاء لما تقدم اتصلَ بما قبله ،[1] فصار جوابه

(١) فى المخطوطة : « لما تقدم تضل بما قبله » ، والصواب من المخطوطة ، ومعانى القرآن للفراء .

مردوداً عليه ، كما تقول فى الكلام : « إنه ليعجبنى أن يسأل السائل فيُعطى » ، بمعنى : إنه ليعجبنى أن يُعطى السائل إن سأل — أو : إذا سأل . فالذى يعجبك هو الإعطاء دون المسألة . ولكن قوله : « أنْ يسأل » لما تقدم ، اتصل بما قبله وهو قوله : « ليعجبنى » ، ففتح « أنْ » ونصب بها ،[1] ثم أتبع ذلك قوله : « يعطى » ، فنصبه بنصب قوله : « ليعجبنى أن يسأل » ، نسقاً عليه ، وإن كان فى معنى الجزاء .[2]

* * *

وقرأ ذلك آخرون كذلك ، غير أنهم كانوا يقرأونه بتسكين « الذال » من ﴿ تُذْكِرَ ﴾ وتخفيف كافها . وقارئو ذلك كذلك مختلفون فيما بينهم فى تأويل قراءتهم إياه كذلك .

وكان بعضهم يوجّهه إلى أن معناه : فتصيِّر إحداهما الأخرى ذَكراً باجتماعهما ، بمعنى : أن شهادتها إذا اجتمعت وشهادة صاحبتها ، جازت كما تجوز شهادةُ الواحد من الذكور فى الدَّين ، لأن شهادة كل واحدة منهما منفردةً غيرُ جائزة فيما جازَت فيه من الديون إلاّ باجتماع اثنتين على شهادة واحد ، فتصير شهادتهما حينئذ بمنزلة شهادة واحد من الذكور ،[3] فكأن كل واحدة منهما — فى قول متأوِّلى ذلك بهذا المعنى — صيَّرت صاحبتها معها ذَكَراً . وذهب إلى قول العرب : « لقد أذكرت بفلان أمُّه » ، أى ولدته ذَكراً ، « فهى تُذْكِر به » ، « وهى امرأةٌ مُذْكِرٌ » ، إذا كانت تَلد الذكور من الأولاد . وهذا قول يروى عن سفيان بن عيينة أنه كان يقوله .

---

(١) فى المطبوعة : « فتح أن ونصب بها » ، وفى المخطوطة : « ففلح ونصب بها » تصحيف ، وبإسقاط « أن » .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ١٨٤ .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « منزلة شهادة واحد . . . » بإسقاط الباء ، والصواب ما أثبت .

٦٣٦١ – حدثت بذلك عن أبي عبيد القاسم بن سلام أنه قال : حدثت عن سفيان بن عيينة أنه قال : ليس تأويل قوله : « فتذكر إحداهما الأخرى » من الذِّكْر بعد النسيان ، إنما هو من الذِّكَر ، بمعنى : أنها إذا شهدت مع الأخرى صارت شهادتهما كشهادة الذكر .

* * *

وكان آخرون منهم يوجهونه إلى أنه بمعنى « الذكر » بعد النسيان .[1]

* * *

وقرأ ذلك آخرون : ﴿ إِنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرُ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى ﴾ « بكسر « إن » من قوله : « إن تضلّ » ورفع « تذكر » وتشديده ، كأنه بمعنى ابتداء الخبر عما تفعل المرأتان إن نسيت إحداهما شهادتها ، ذكرتها الأخرى ،[2] من تثبيت الذاكرةِ الناسيةَ وتذكيرها ذلك[3] = وانقطاع ذلك عما قبله .[4] ومعنى الكلام عند قارئ ذلك كذلك : واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ، فإن إحداهما إن ضلت ذكرتها الأخرى = على استئناف الخبر عن فعلها إن نسيت إحداهما شهادتها ، من تذكير الأخرى منهما صاحبتها الناسية .[5]

وهذه قراءة كان الأعمش يقرؤها ومن أخذها عنه . وإنما نصب الأعمش « تضل » ، لأنها في محل جزم بحرف الجزاء ، وهو « إن » . وتأويل الكلام على

---

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « وقال آخرون منهم يوجهونه » ليس صواباً ، والصواب ما أثبت .

(٢) في المطبوعة « تذكرها الأخرى » ، وفي المخطوطة « وذكرها الأخرى » ، والسياق يقتضي ما أثبت . وسيأتي بعد ما يدل على صواب ما رجحت .

(٣) في المخطوطة : « وتنكيرها ذلك » ، تصحيف .

(٤) قوله : « وانقطاع ذلك عما قبله » معطوف على قوله آنفاً : « بمعنى ابتداء الخبر . . . » .

(٥) في المخطوطة : « من تنكير الأخرى منهما . . . » ، تصحيف ، كالسالف في التعليق رقم : ٣ .

قراءته[١] : « إن تَضْلِلْ » ، فلما اندغمت إحدى اللامين فى الأخرى ، حركها إلى أخفّ الحركات ، ورفع « تذكر » بالفاء ، لأنه جواب الجزاء .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة عندنا فى ذلك ، قراءة من قرأه بفتح « أن » من قوله : « أن تضلّ إحداهما » ، وبتشديد الكاف من قوله : « فتذكّر إحداهما الأخرى » . ونصب الراء منه ، بمعنى : فإن لم يكونا رجلين ، فليشهد رجلٌ وامرأتان ، كى إن ضلت إحداهما ذكّرتها الأخرى .

وأما نصب « فتذكر » فبالعطف على « تضل » ، وفتحت « أن » بحلولها محل « كى » وهى فى موضع جزاء ، والجواب بعده ، اكتفاءً بفتحها = أعنى بفتح ٣/٣
« أن » = من « كى » ، ونسق الثانى — أعنى : « فتذكر » — على « تضل » ، ليعلم أن الذى قام مقام ما كان يعمل فيه وهو ظاهر ، قد دلّ عليه وأدّى عن معناه وعمله — أى عن « كى » .

وإنما اخترنا ذلك فى القراءة ، لإجماع الحجة من قُدماء القرأة والمتأخرين على ذلك ، وانفراد الأعمش ومن قرأ قراءته فى ذلك بما انفرد به عنهم . ولا يجوز تركُ قراءةٍ جاء بها المسلمون مستفيضة بَيْنهم ، إلى غيرها .

وأما اختيارنا « فتذكر » بتشديد الكاف ، فإنه بمعنى : ترديد الذكر من إحداهما على الأخرى ، وتعريفها بأنها [نسيت] ذلك ، لتذكر.[٢] فالتشديد به أولى من التخفيف .

* * *

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « تأويل الكلام » بإسقاط الواو ، والصواب ، ما أثبت .

(٢) مطبوعة بولاق : « فإنه بمعنى تأدية الذكر من إحداهما على الأخرى وتعريفها بأنها ذلك لتذكر » . وهو كلام بلا معنى . وفى مطبوعة أخرى قبله ، مع « بإنهاء ذلك » مكان « بأنها ذلك » وهو أشد خلواً من المعنى . وفى المخطوطة : « بمعنى نورنه الذكر . بأنها ذلك » ، غير منقوطة . وصواب قراءتها ما أثبت ، مع زيادة « نسيت » التى وضعتها بين القوسين .

وأما ما حكى عن ابن عيينة من التأويل الذى ذكرناه ، فتأويلٌ خطأ لا معنى له ، لوجوه شتى :

أحدها : أنه خلافٌ لقول جميع أهل التأويل .

والثانى : أنه معلوم أن ضلال إحدى المرأتين فى الشهادة التى شهدت عليها ، (١) إنما هو ذهابُها عنها ونسيانها إياها ، (٢) كضلال الرجل فى دينه : إذا تحيَّر فيه فعدَل عن الحق (٣) . وإذا صارت إحداهما بهذه الصفة ، فكيف يجوز أن تصير الأخرى ذكراً معها ، مع نسيانها شهادتها وضلالها فيها ؟ ولَلضّالة منهما فى شهادتها حينئذ ، (٤) لا شك أنها إلى التذكير أحوجُ منها إلى الإذكار ، إلاّ إن أراد أنّ الذاكرة إذا ضَعُفت صاحبتُها عن ذكر شهادتها شحذَتها على ذكر ما ضعفت عن ذكره فنسيته ، (٥) فقوتها بالذكر حتى صيرتها كالرجل فى قوتها فى ذكر ما ضعفت عن ذكره من ذلك ، (٦) كما يقال للشىء القوى فى عمله : « ذَكرٌ » ، وكما يقال للسيف الماضى فى ضربه « سيف ذكر » ، و « رجل ذَكَر » يراد به : ماض فى عمله ، قوىّ البطش ، صحيحُ العزم .

فإن كان ابن عيينة هذا أراد ، فهو مذهبٌ من مذاهب تأويل ذلك ، إلا أنه

---

(١) فى المطبوعة : « أنه معلوم بأن ضلال . . . » بزيادة الباء ، وهو لا خير فيه ، والصواب من المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « إنما هو خطؤها عنها بنسيانها » ، والصواب من المخطوطة ، غير أنها أسقطت الواو قبل « ونسيانها » .

(٣) انظر تفسير « الضلال » فيما سلف ١ : ١٩٥ / ثم ٢ : ٤٩٥ ، ٤٩٦ .

(٤) فى المطبوعة : « فالضالة منهما » ، وفى المخطوطة : « ولا الضالة منهما » ، والصواب ما أثبت .

(٥) فى المطبوعة : « ستجرتها على ذكر ما ضعفت عن ذكره . . . » ، وفى المخطوطة : « سحدتها » غير منقوطة ، وصواب قراءتها ما أثبت . مجاز من قولهم : « شحذ السكين والسيف » : حدده بالمسن ومنه : « شحذ الجوع معدته » ، إذا أضرمها وقواها على الطعام وأحدها . ويقال : « اشحذ له غرب ذهنك » ، و « هذا الكلام مشحذة للفهم » .

(٦) فى المخطوطة : « قوته بالذكر » ، وما فى المطبوعة أجود

إذا تُؤُوِّل ذلك كذلك ، [١] صار تأويله إلى نحو تأويلنا الذى تأوّلناه فيه ، وإن خالفت القراءةُ بذلك المعنى ، القراءةَ التى اخترناها . [٢] ومعنى القراءة حينئذ صحيح بالذى اختار قراءته من تخفيف الكاف من قوله : « فتذكر » . [٣] ولا نعلم أحداً تأوّل ذلك كذلك ، ويستحب قراءته كذلك بذلك المعنى . فالصواب فى قراءته — إذْ كان الأمر عامًّا على ما وصفنا — ما اخترنا . [٤]

* * *

* ذكر من تأول قوله : « أنْ تضلّ إحداهما فتذكّر إحداهما الأخرى » نحو تأويلنا الذى قُلنا فيه .

٦٣٦٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجلٌ وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضلّ إحداهما فتذكّر إحداهما الأخرى » ، علم الله أن ستكونُ حقوق ، فأخذ لبعضهم من بعض الثِّقة ، فخذوا بثقة الله ، فإنه أطوع لربِّكم وأدرَكُ لأموالكم . ولعمرى لئن كان تقيًّا لا يزيده الكتاب إلا خيراً ، وإن كان فاجراً فبالحرَى أن يؤدّى إذا علم أنّ عليه شهوداً .

٦٣٦٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى » ، يقول : أن تنسى إحداهما فتذكّرها الأخرى .

٦٣٦٤ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ،

---

(١) فى المطبوعة : « إذا تأول ذلك . . . » وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المخطوطة : « القراءة الذى اخترناها » ، وهو سهو من الناسخ الكثير السهو ! !

(٣) فى المطبوعة : « بأن تغير القراءة حينئذ الصحيحة بالذى اختار قراءته . . . » وهو كلام قد أريق معناه ضياعاً . وفى المخطوطة : « بأن نعن القراءة حينئذ الصحيح بالذى اختار قراءته . . . » ، وهو مصحف ، وأرجح أن يكون صواب الجملة كما أثبتها ، لأنها عندئذ مصيبة معنى ما أراد أبو جعفر .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « فالصواب فى قوله . . . » ، والصواب ما أثبت . وسياق الجملة : « فالصواب فى قراءته . . . ما اخترنا » .

عن السدى : « أن تضل إحداهما » ، يقول : تنسى إحداهما الشهادة ، فتذكّرها الأخرى .

٦٣٦٥ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك : « أن تضل إحداهما » ، يقول : إنْ تنسَ إحداهما تذكِّرْها الأخرى .

٦٣٦٦ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « أن تضل إحداهما فتُذْكِرَ إحداهما الأخرى »، قال : كلاهما لغة ، وهما سواء ، ونحن نقرأ ، « فتذكِّر » .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في الحال التي نهى الله الشهداءَ عن إباء الإجابة إذا دعوا بهذه الآية .

فقال بعضهم : معناه : لا يأب الشهداء أن يجيبوا، إذا دعوا ليشهدوا على الكتاب والحقوق .

* ذكر من قال ذلك :

٦٣٦٧ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ،حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله تعالى : « ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا » ، كان الرجل يطوف في الحوَاء العظيم فيه القوم ،[1] فيدعوهم إلى الشهادة ، فلا يتبعه أحد منهم . قال : وكان قتادة يتأوّل هذه الآية : « ولا يأبَ الشّهداء إذا ما دُعوا» ليشهدوا لرجل على رجل . ٨٤/٣

٦٣٦٨ – حدثت عن عمار قال حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : « ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا » ، قال : كان الرجل يطوف في القوم

(١) الحواء (بكسر الحاء) : بيوت مجتمعة من الناس على ماء .

الكثير يدعوهم ليشهدوا ، فلا يتبعه أحد منهم ، فأنزل الله عز وجل : « ولا يأبَ الشهداء إذا ما دُعوا » .

٦٣٦٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ،أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا » ، قال : لا تأب أن تشهد إذا ما دُعيت إلى شهادة .

* * *

وقال آخرون بمثل معنى هؤلاء ، إلا أنهم قالوا : يجب فرضُ ذلك على مَن دعى للإشهاد على الحقوق إذا لم يوجد غيره . فأما إذا وُجد غيره فهو فى الإجابة إلى ذلك مخيَّر ، إن شاء أجاب ، وإن شاء لم يجب .

* ذكر من قال ذلك :

٦٣٧٠ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا سفيان عن جابر ، عن الشعبى قال : « لا يأب الشهداء إذا ما دعوا » – قال : إن شاء شهد ، وإن شاء لم يشهد ، فإذا لم يوجد غيره شهد .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : « ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا » – للشهادة على من أراد الدّاعى إشهادَه عليه ، والقيامَ بما عنده من الشّهادة – من الإجابة .

* ذكر من قال ذلك :

٦٣٧١ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا أبو عامر ، عن الحسن : « ولا يأب الشهداءُ إذا ما دعوا » ، قال : قال الحسن : الإقامة والشهادة .[1]

٦٣٧٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر

---

(١) الأثر ٦٣٧١ – « أبو عامر » هو : « صالح بن رستم المزنى » ، روى عن عبد الله بن أبى مليكة ، وأبى قلابة ، وحميد بن هلال ، والحسن البصرى ، وعكرمة وغيرهم . روى عنه ابنه عامر ، وإسرائيل ، وهشيم ، ومعتمر ، وأبو داود الطيالسى . قال ابن معين : « ضعيف » . وقال أحمد : « صالح الحديث » . وقال ابن أبى حاتم عن أبيه : « شيخ ، يكتب حديثه » . وقال أبو داود : « ثقة » . وسيأتى فى الأسانيد رقم : ٦٣٨٣ ، ٦٣٨٤ ، ٦٣٨٧ .

فى قوله : « ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا » ، قال : كان الحسن يقول : جَمَعتْ أمرين : لا تأب إذا كانت عندك شهادة أن تشهد ، ولا تأب إذا دعيتَ إلى شهادة .

٦٣٧٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا » ، يعنى : من احتيج إليه من المسلمين شهد على شهادة إن كانت عنده ، ولا يحلّ له أن يأبى إذا ما دُعى .

٦٣٧٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن يونس ، عن الحسن : « ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا » ، قال : لإقامتها ، ولا يبدأ بها ، إذا دعاه ليشهده ، وإذا دعاه ليقيمها .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : « ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا » — للقيام بالشهادة التى عندهم للداعى — من إجابته إلى القيام بها .

* ذكر من قال ذلك :

٦٣٧٥ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا » ، قال : إذا شهد .

٦٣٧٦ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا » ، قال : إذا كانوا قد شهدوا قبل ذلك .

٦٣٧٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا » ، يقول : إذا كانوا قد أشْهِدوا .

٦٣٧٨ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا » ، قال : إذا كانت عندك شهادة فدُعيت .

٦٣٧٩ — حدثنى يعقوب قال ، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا ليث ، عن

مجاهد فى قوله : « ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا » ، قال : إذا كانت شهادة فأقمها . فإذا دُعيت لتشهد ، فإن شئتَ فاذْهب ، وإن شئت فلا تذهب .

٦٣٨٠ – حدثنا سوّار بن عبد الله قال ، حدثنا عبد الملك بن الصّباح ، عن عمران بن حُدَير قال : قلت لأبى مجلز : ناس يدعوننى لأشهد بينهم ، وأنا أكره أن أشهد بينهم ؟ قال : دع ما تكره ، فإذا شهدتَ فأجب إذا دُعيت .

٦٣٨١ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن جابر ، عن عامر قال : الشاهد بالخيار ما لم يَشْهد .

٦٣٨٢ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا هشيم ، عن يونس ، عن عكرمة فى قوله : « ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا » . قال : لإقامة الشهادة .

٦٣٨٣ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن أبى عامر ، عن عطاء قال : فى إقامة الشّهادة .

٦٣٨٤ – حدثنى يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، حدثنا أبو عامر المزنى ٨٥/٣ قال ، سمعت عطاء يقول : ذلك فى إقامة الشهادة = يعنى قوله : « ولا يأب الشهداء إذا مادُعوا » .(١)

٦٣٨٥ – حدثنى يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا أبو حُرّة ، أخبرنا عن الحسن أنه سأله سائل قال : أُدْعىَ إلى الشهادة وأنا أكره أن أشهد عليها . قال : فلا تجبْ إن شئت .(٢)

٦٣٨٦ – حدثنا يعقوب قال ، حدثنا هشيم ، عن مغيرة قال : سألت إبراهيم

---

(١) الأثران : ٦٣٨٣ ، ٦٣٨٤ – أبو « عامر » مضت ترجمته برقم : ٦٣٧٢ .

(٢) الأثر : ٦٣٨٥ – « أبو حرة » البصرى ، هو : « واصل بن عبد الرحمن » . روى عن عكرمة بن عبد الله المزنى ، والحسن ، وابن سيرين ، ومحمد بن واسع وغيرهم . روى عنه حماد بن سلمة ، وهشيم ، والقطان ، وابن مهدى ، ووكيع ، وغيرهم . قال البخارى : « يتكلمون فى روايته عن الحسن » . قال عبد الله بن أحمد : سألت يحيى بن معين عن أبى حرة فقال : « صالح ، وحديثه عن الحسن ضعيف ، يقولون : لم يسمعها من الحسن » . مترجم فى التهذيب . وكان فى المطبوعة : أبو مرة ، وهو خطأ .

قلت : أدعى إلى الشهادة وأنا أخاف أن أنسى ؟ قال : فلا تشهد إن شئتَ

٦٣٨٧ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا أبو عامر ، عن عطاء قال : للإقامة .[1]

٦٣٨٨ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن شريك ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير : « ولا يأب الشهداء إذا ما دُعوا » ، قال : إذا كانوا قد شهدوا .

٦٣٨٩ – حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد « ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا » ، قال : هو الذى عنده الشهادة .

٦٣٩٠ – حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ،حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « ولا يأبَ الشهداء إذا ما دعوا » ، يقول :لا يأب الشاهد أن يتقدّم فيشهد ، إذا كان فارغاً .

٦٣٩١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ،عن ابن جريج قال: قلت لعطاء : « ولا يأبَ الشهداء إذا ما دعوا » ، قال : هم الذين قد شهدوا . قال: ولا يضرّ إنساناً أن يأبى أن يشهد إن شاء . قلت لعطاء : ما شأنه ؟ إذا دُعى أن يكتب وجبَ عليه أن لا يأبى ، وإذا دعى أن يشهد لم يجب عليه أن يشهد إن شاء ! قال : كذلك يجب على الكاتب أن يكتُب ، ولا يجب على الشاهد أن يشهد إن شاء ، الشّهداء كثيرٌ .

٦٣٩٢ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا » ، قال : إذا شهد فلا يأب إذا دُعى أن يأتى يؤدى شهادةً ويُقيمها .

٦٣٩٣ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة :

---

(١) الأثر : ٦٣٨٧ – « أبو عامر » ، انظر ما سلف رقم : ٦٣٧٢

« ولا يأب الشهداء » ، قال كان الحسن يتأوّلها : إذا كانت عنده شهادة فدعى ليقيمها .

٦٣٩٤ – حدثني يحيى بن أبي طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك في قوله : « ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا » ، قال : إذا كتب الرجل شهادته ، أو أشهد لرجل فشهد ، والكاتبُ الذي يكتب الكتاب – دعوا إلى مَقطع الحق ، فعليهم أن يجيبوا وأن يشهدوا بما أشهدوا عليه .[1]

* * *

وقال آخرون : هو أمر من الله عز وجلّ الرجلَ والمرأةَ بالإجابة إذا دعى ليشهد على ما لم يشهد عليه من الحقوق ، ابتداءً ، لا لإقامة الشهادة ،[2] ولكنه أمر نَدْب لا فرْض .

* ذكر من قال ذلك :

٦٣٩٥ – حدثني أبو العالية العبدي إسمعيل بن الهيثم قال ، حدثنا أبو قتيبة ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية العوفي في قوله : « ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا » ، قال : أمرت أن تشهد ، فإن شئت فاشهد ، وإن شئت فلا تشهد .[3]

٦٣٩٦ – حدثني أبو العالية قال ، حدثنا أبو قتيبة ، عن محمد بن ثابت العَصَريّ ، عن عطاء بمثله .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال : « [معنى]

---

(١) قوله : « مقطع الحق » : هو موضع الفصل في الحكم بين الحق والباطل . من « القطع » ، وهو الفصل بين الأجزاء .

(٢) في المطبوعة : « لا إقامة الشهادة » ، وفي المخطوطة كتب « لا إقامة » ثم ضرب على الألف ووضع تحت الألف من « لا » همزة ، وظاهر أن الذي أثبته هو الصواب .

(٣) الخبر : ٦٣٩٥ – إسمعيل بن الهيثم ، أبو العالية العبدي ، شيخ الطبري : لم نجد له ترجمة ولا ذكراً في شيء من المراجع ، إلا رواية الطبري هذا الخبر والذي بعده ، وروايته عنه في التاريخ ١ : ٢٠٦ مرة واحدة ، عن أبي قتيبة أيضاً .

وأبو قتيبة : هو سلم بن قتيبة ، مضت ترجمته في : ١٩٢٤

ذلك : [١] ولا يأب الشهداء من الإجابة ، إذا دعوا لإقامة الشهادة وأدائها عند ذى سلطان أو حاكم يأخذُ من الذى عليه ما عليه ، للذى هو له » .

وإنما قلنا هذا القول بالصواب أولى فى ذلك من سائر الأقوال غيره ، لأن الله عز وجل قال : « ولا يأب الشهداء إذا ما دُعوا » ، فإنما أمرهم بالإجابة للدعاء للشهادة وقد ألزمهم اسم « الشهداء » . وغير جائز أن يلزمهم اسم « الشّهداء » إلا وقد استُشهدوا قبل ذلك فشهدوا على ما ألزمتهم شهادتهم عليه اسم «الشهداء» . [٢] فأما قبل أن يُستشهدوا على شىء ، فغير جائز أن يقال لهم « شهداء » . لأن ذلك الاسم لو كان يلزمهم ولمّا يستشهدوا على شىء يستوجبون بشهادتهم عليه هذا الاسم ، لم يكن على الأرض أحد له عقل صحيح إلا وهو مستحق أن يقال له « شاهد » ، بمعنى أنه سيشهد ، أو أنه يصلح لأن يشهد . وإذْ كان خطأ أن يسمى بذلك الاسم إلاّ من عنده شهادة لغيره ، [٣] أو من قد أقام شهادته فلزمه لذلك هذا الاسم = [٤] كان معلوماً أن المعنىَّ بقوله : « ولا يأبَ الشهداءُ إذا ما دعوا » ، من وصفنا صفته ممن قد استُرْعى شهادةً ، أو شَهد ، فدعى إلى القيام بها . لأن الذى لم يُستشْهد ولم يُسترْعَ شهادةً قبل الإشهاد ، غيرُ مستحق اسم « شهيد » ولا « شاهد » ، لما قد وصفنا قبل . ٨٦/٣

= مع أن فى دخول « الألف واللام » فى « الشهداء » ، دلالةً واضحةً على أن المسمَّى بالنهى عن ترك الإجابة للشهادة ، أشخاصٌ معلومون قد عرفوا بالشهادة ،

---

(١) ما بين القوسين زيادة لابد منها .

(٢) فى المطبوعة : « على ما أزمهم شهادتهم عليه » ، وفى المخطوطة : « لزمهم شهادتهم » ، والصواب فى قراءة ذلك ما أثبت .

(٣) فى المطبوعة : « وإن كان خطأ . . . » والصواب من المخطوطة . وفى المخطوطة : « شهادة لغيرهم » ، والصواب ما فى المطبوعة .

(٤) فى المطبوعة : « من قد قام بشهادته » ، وفى المخطوطة : « من قد قام شهادته » ، وصواب القراءة ما أثبت .

وأنهم الذين أمر الله عز وجل أهلَ الحقوق باستشهادهم بقوله : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضونَ من الشهداء » . وإذْ كان ذلك كذلك ، كانَ معلوماً أنهم إنما أمروا بإجابة داعيهم لإقامة شهادتهم بعد ما استُشْهدوا فشهدوا . ولو كان ذلك أمراً لمن أعرَض من الناس فدُعى إلى الشهادة يشهد عليها ، لقيل : [1] ولا يأبَ شاهد إذا ما دعى .

غيرَ أنّ الأمر وإن كان كذلك ، فإنّ الذى نقول به فى الذى يُدعى لشهادة ليشهد عليها إذا كان بموضع ليس به سواه ممن يصلحُ للشهادة ، ، فإنّ الفرضَ عليه إجابةُ داعيه إليها ، كما فَرضٌ على الكاتب إذا استكتب بموضع لا كاتب به سواه ، ففرضٌ عليه أن يكتب ، كما فرضٌ على من كان بموضع لا أحد به سواه يعرف الإيمان وشرائع الإسلام ، فحضره جاهلٌ بالإيمان وبفرائض الله ، فسأله تعليمه وبيان ذلك له ، أنْ يعلمه ويبيِّنه له . [2] ولم نوجب ما أوجبنا على الرجل من الإجابة للشهادة إذا دعى ابتداءً ليشهد على ما أشْهِد عليه بهذه الآية ، ولكن بأدلة سواها ، وهى ما ذكرنا . وإنّ فرْضاً على الرجل إحياءُ ما قَدَر على إحيائه من حق أخيه المسلم . [3]

* * *

« والشهداء » جمع « شهيد » . [4]

* * *

---

(١) فى المخطوطة : « إلى الشهادة فشهد » ، والصواب ما فى المطبوعة .

(٢) سياق هذه الجملة : كما فرض على من كان بموضع . . . أن يعلمه . . » .

(٣) فى المطبوعة : « وقد فرضنا على الرجل . . . » ، وهو خطأ فاسد ، وتحريف لما فى المخطوطة من الصواب المحض .

(٤) انظر ما سلف فى بيان « الشهداء » ١ : ٣٧٧ / ثم ٣ : ٩٧ ، ١٤٥ / وما سلف قريباً ص : ٦٠ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ولا تسأموا، أيها الذين تُداينون الناس إلى أجل ، أن تكتبوا صغيرَ الحق = يعنى : قليله ، أو كبيره = يعنى : أو كثيره = إلى أجله = إلى أجل الحق ، فإنّ الكتاب أحصى للأجل والمال :

٦٣٩٧ – حدثنى المثنى قال حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن شريك، عن ليث، عن مجاهد: « ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله »، قال : هو الدّين .

* * *

ومعنى قوله : « ولا تسأموا » : لا تملوا . يقال منه : « سئمتُ فأنا أسأم سَآمة وَسأمةً » ، ومنه قول لبيد :

وَلَقَدْ سَئِمْتُ مِنَ الحياةِ وَطُولِهَا وَسُؤَالِ هٰذَا النَّاسِ : كَيْفَ لَبِيدُ[1] ؟

ومنه قول زهير :

سَئِمْتُ تَكَالِيفَ الحياةِ ، وَمَنْ يَعِشْ ثَمَانِينَ عَامًا ، لَا أَبَالَكَ ، يَسْأَمِ[2]

يعنى : مللت .

* * *

وقال بعض نحويي البصريين : تأويل قوله : « إلى أجله » ، إلى أجل الشاهد . ومعناه إلى الأجل الذى تجوز شهادته فيه . وقد بينا القول فيه .[3]

* * *

---

(١) ديوانه ، القصيدة رقم : ٧ ، يذكر فيها طول عمره ، ومآثره فى ماضيه .

(٢) ديوانه : ٩ . تكاليف الحياة : مشقاتها ومتاعبها . وهذا البيت هو مطلع أبياته الحكيمة التى ختم بها معلقته .

(٣) انظر ما قاله فى « الأجل » فيما سلف قريباً ص : ٤٣ .

القول فى تأويل قوله ﴿ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « ذلكم » ، اكتتاب كتاب الدين إلى أجله .

* * *

ويعنى بقوله : « أقسط » ، أعدل عند الله .

يقال منه : « أقسط الحاكم فهو يُقسط إقساطاً ، وهو مُقسط » ، إذا عدل فى حكمه وأصاب الحق فيه . فإذا جار قيل : « قَسَط فهو يَقْسِط قُسوطاً » . ومنه قول الله عز وجل : ﴿ وَأَمَّا ٱلْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ [سورة الجن : ١٥] ، يعنى : الجائرون .

* * *

وبمثل ما قلنا فى ذلك قال جماعة أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

٦٣٩٨ - حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « ذلكم أقسط عند الله » ، يقول : أعدل عند الله .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وأصوب للشهادة .

* * *

وأصله من قول القائل : « أقمتُ من عَوَجه » ،[1] إذا سويته فاستوى .

* * *

وإنما كان الكتاب أعدل عند الله ، وأصوب لشهادة الشهود على ما فيه ،

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « أقمته من عوجه » ، والصواب ما أثبت .

لأنه يحوى الألفاظ التى أقرّ بها البائع والمشترى وربّ الدّين والمستدين على نفسه ، فلا يَقع بين الشهود اختلاف فى ألفاظهم بشهادتهم ، لاجتماع شهادتهم على ما حواه الكتاب. وإذا اجتمعت شهادتهم على ذلك، كان فصلُ الحكم بينهم أبيَن لمن احتُكم إليه من الحكام، مع غير ذلك من الأسباب. وهو أعدل عند الله، لأنه قد أمر به. واتباعُ أمر الله لا شكّ أنه عند الله أقسطُ وأعدلُ من تركه والانحراف عنه. ٨٧/٣

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « وأدنى » ، وأقرب ، من « الدنو » ، وهو القرب .

* * *

ويعنى بقوله : « أن لا ترتابوا » ، أن لا تشكوا فى الشهادة ،[1] كما : —

٦٣٩٩ — حدثنا موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى « ذلك أدنى أن لا ترتابوا » ، يقول : أن لا تشكوا فى الشهادة .

* * *

وهو « تفتعل » من « الرِّيبة » .[2]

* * *

ومعنى الكلام : ولا تملُّوا أيها القوم أن تكتبوا الحقّ الذى لكم قِبَل من داينتموه من الناس إلى أجل ، صغيراً كان ذلك الحق قليلاً أو كثيراً ، فإن كتابكم ذلك أعدل عند الله ، وأصوبُ لشهادة شهودكم عليه ، وأقربُ لكم أن لا تشكوا فيما شهد به شهودكم عليكم من الحق والأجل إذا كان مكتوباً .

* * *

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « من أن لا تشكوا » ، والصواب حذف « من » ، أو جعلها « أى أن لا تشكوا » .

(٢) فى المخطوطة : « وهو تفعيل » ، وهو خطأ محض وتحريف .

القول فى تأويل قوله ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾

قال أبو جعفر : ثم استثنى جل ذكره مما نهاهم عنه أن يسأموه من اكتتاب كتب حقوقهم على غرمائهم بالحقوق التى لهم عليهم = ما وجب لهم قِبَلهم من حقّ عن مُبايعة بالنقود الحاضرة يداً بيد ، فرخّص لهم فى ترك اكتتاب الكُتب بذلك . لأن كل واحد منهم ، أعنى من الباعة والمشترين ، يقبض = إذا كان الواجب بينهم فيما يتبايعونه نقداً = ما وجب له قِبَل مبايعيه قبْل المفارقة ،[1] فلا حاجة لهم فى ذلك إلى اكتتاب أحد الفريقين على الفريق الآخر كتاباً بما وجب لهم قبلهم ، وقد تقابضوا الواجبَ لهم عليهم . فلذلك قال تعالى ذكره : « إلاّ أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم » ، لا أجل فيها ولا تأخير ولا نَسَاء = « فليس عليكم جُناح أن لا تكتبوها » ، يقول : فلا حرج عليكم أن لا تكتبوها — يعنى التجارة الحاضرةَ .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٦٤٠٠ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم » ، يقول : معكم بالبلد تَرَوْنها ، فتأخذُ وتعطى ، فليس على هؤلاء جناح أن لا يكتبوها .

---

(١) فى المطبوعة : « إذا كان التواجب بينهم فيما يتبايعونه بعد ما وجب له قبل مبايعيه . . . » وهو كلام لا معنى له . وفى المخطوطة : « إذا كان التواجب بينهم فيما يتبايعون نقداً ما وجب له قبل مبايعيه » ، وقوله « بعدا ما وجب » غير منقوطة. فرأيت صواب قراءة « التواجب » ، « الواجب » ، وصواب الأخرى « نقداً » فاستقام الكلام . وسياق العبارة : « لأن كل واحد منهم . . . يقبض . . . ما وجب له قبل مبايعيه قبل المفارقة » وقوله : « إذا كان الواجب بينهم فيما يتبايعونه نقداً » ، جملة فاصلة .

٦٤٠١ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك . « ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله » ، إلى قوله : « فليس عليكم جناح أن لا تكتبوها » ، قال : أمر الله أن لا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله ، وأمر ما كان يداً بيد أن يُشهد عليه ، صغيراً كان أو كبيراً ، ورخصّ لهم أن لايكتبوه .

* * *

واختلفت القرّأة في قراة ذلك

فقرأته عامة قرأة الحجاز والعراق وعامة القرأة : ﴿ إلاَّ أنْ تَكُونَ تِجارَةٌ حاضِرةٌ ﴾ بالرفع .

* * *

وانفرد بعض قرأة الكوفيين فقرأ به بالنصب .[1] وذلك وإن كان جائزاً في العربية = إذ كانت العربُ تنصبُ النكرات والمنعوتات مع «كان»، وتضمر معها في « كان » مجهولا فتقول : « إن كان طعاماً طيباً فأتنا به » ، وترفعها فتقول : « إن كان طعامٌ طيبٌ فأتنا به » ، فتتبع النكرةَ خبرَها بمثل إعرابها = فإن الذي أختار من القراءة ، ثم لا أستجيز القراءةَ بغيره ، الرفعُ في « التجارة الحاضرة » ، لإجماع القرأة على ذلك ، وشذوذ من قرأ ذلك نصباً عنهم . ولا يُعترض بالشاذ على الحجة . ومما جاء نصباً قولُ الشاعر :[2]

أَعَيْنَيَّ هَلاَّ تَبْكِيَانِ عِفَاقا إِذَا كانَ طَعْناً بَيْنَهُمْ وعِنَاقَا[3]

---

(١) في المطبوعة : « فقرأه » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو صواب .

(٢) لم أعرف قائله ، ولكن أخشى أن يكون هو متمم بن نويرة ، كما سترى في التعليق التالي .

(٣) معاني القرآن للفراء ١ : ١٨٦ . أرجح أن « عفاقاً » هذا ، هو « عفاق بن أبي مليل اليربوعي » ، الذي قتل يوم العظالى (انظر هذا ١ : ٣٣٧ ، تعليق : ٢) فرثاه متمم بن نويرة اليربوعي ، ورثى أخاه بجيراً ، وقد سلف شعر متمم في رثائهما (١ : ٣٣٧) . ومن أجل ذلك قلت إن الشعر خليق أن يكون لمتمم . أما ما زعمه زاعمون من أنه في « عفاق » الذي أكلته باهلة ، والذي يقول فيه القائل :

إنَّ عِفَاقاً أَكَلَتْهُ بَاهِلَهْ تَمَشَّشُوا عِظَامَهُ وكَاهِلَهْ

فذاك « عفاق » آخر ، هو « عفاق بن مرى بن سلمة بن قشير » (القاموس – التاج عفق) .

وقول الآخر : [١]

وَلِلّٰهِ قَوْمِي : أَيُّ قَوْمٍ لِحُرَّةٍ إِذَا كَانَ يَوْمًا ذَا كَوَاكِبَ أَشْنَعَا !! [٢]

وإنما تفعل العرب ذلك فى النكرات ، لما وصفنا من إتباع أخبار النكرات أسماءَها . و « كان » من حكمها أن يكون معها مرفوع ومنصوب ، فإذا رفعوهما جميعهما ، تذكروا إتباع النكرة خبرَها . وإذا نصبوهما ، تذكروا صحبة « كان » لمنصوب ومرفوع .[٣] ووجدوا النكرة يتبعها خبرُها ، وأضمروا فى « كان » مجهولاً ، لاحتمالها الضمير . ٨٨/٣

* * *

وقد ظن بعض الناس أن من قرأ ذلك . « « إلاّ أن تكون تجارةً حاضرةً » ، إنما قرأه على معنى : إلا أن يكون تجارة حاضرة ، فزعم أنه كان يلزم قارئ ذلك أنْ يقرأ « يكون » بالياء ، وأغفل موضعَ صواب قراءته من جهة الإعراب ، وألزمه غير ما يلزمه . وذلك أن العربَ إذا جعلوا مع « كان » نكرة مؤنثاً بنعتها أو خبرها ، أنّثوا « كان » مرة ، وذكروها أخرى ، فقالوا : « إن كانت جارية صغيرة فاشترُوها — وإن كان جاريةً صغيرةً فاشتروها » ، تذكر « كان » — وإن نصبت النكرة المنعوتة أو رَفعت — أحياناً ، وتؤنث أحياناً .

* * *

(١) هو عمرو بن شأس ، على الشك فى ذلك كما سترى فى التعليق التالى .

(٢) معانى القرآن للفراء ١ : ١٨٦ ، سيبويه ١ : ٢٢ ، وصدره فى سيبويه منسوباً لعمرو ابن شأس :

« بَنِي أَسَدٍ هَلْ تَعْلَمُونَ بَلَاءَنَا »

وأنا أخشى أن يكون الشعر لغير عمرو بن شأس ، ولكنى لم أجده ، وإن كنت أذكر أنى قرأته فى أبيات غير شعر عمرو . وقوله : « ذا كواكب » ، أى شديد عصيب ، قد ظهرت النجوم فيه نهاراً ، كأنه أظلم فبدت كواكبه ، لأن شمسه كسفت بارتفاع الغبار فى الحرب . وإذا كسفت الشمس ، ظهرت الكواكب . ويقال : « أمر أشنع وشنيع » ، أى فظيع قبيح . وكان فى المطبوعة : « بحرة » ، وهو خطأ ، صوابه من المخطوطة ، ومعانى القرآن للفراء . يعنى أن أمهم حرة ، فولدتهم أحراراً .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « منصوب ومرفوع » والصواب ما أثبت . وانظر ما قاله الفراء فى معانى القرآن ١ : ١٨٥ — ١٨٧ .

وقد زعم بعض نحويي البصرة أن قوله : « إلا أن تكون تجارةٌ حاضرةٌ » مرفوعة فيه « التجارة الحاضرة » ، لأن « تكون » ، بمعنى التمام ، ولا حاجة بها إلى الخبر ، بمعنى : إلاّ أن تُوجد أو تقعَ أو تحدث . فألزم نفسه ما لم يكن لها لازماً ، لأنه إنما ألزم نفسه ذلك ، إذْ لم يكن يجدك لـ « كان » منصوباً ، (١) ووجد « التجارة الحاضرة » مرفوعة ، وأغفل جَواز قوله : « تديرونها بينكم » أن يكون خبراً لـ « كان » ، فيستغنى بذلك عن إلزام نفسه ما ألزم .

* * *

والذى قال من حكينا قوله من البصريين غيرُ خطأ فى العربية ، غيرَ أن الذى قلنا بكلام العرب أشبه ، وفى المعنى أصحّ : وهو أن يكون فى قوله : « تديرونها بينكم » وجهان : أحدهما أنه فى موضع نصب ، على أنه حل محل خبر « كان » ، و « التجارة الحاضرة » اسمها . والآخر : أنه فى موضع رفع على إتباع « التجارة الحاضرة » ، لأن خبرَ النكرة يتبعها . فيكون تأويله : إلاّ أن تكون تجارةٌ حاضرةٌ دائرةٌ بينكم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وأشهدوا على صغير ما تبايعتم وكبيره من حقوقكم ، عاجل ذلك وآجله ، ونقده ونَسَائه ، فإنّ إرخاصى لكم فى ترك اكتتاب الكتب بينكم فيما كان من حقوق تجرى بينكم لبعضكم من قبل بعض عن تجارة حاضرة دائرة بينكم يداً بيدٍ ونقداً ، ليس بإرخاص منى لكم فى ترك الإشهاد منكم على مَنْ بعتموه شيئاً أو ابتعتم منه . لأن فى تركككم الإشهاد على ذلك خوفَ المضرّة على كل من الفريقين : أما على المشترى ، فأنْ يجحد البائعُ

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « إذا لم يكن يجد » ، والسياق يقتضى : « إذ » .

البيع ،[1] وله بيِّنة على ملكه ما قد باع ، ولا بيِّنة للمشترى منه على الشراء منه ، فيكون القولُ حينئذ قولَ البائع مع يمينه ويُقضَى له به ، فيذهب مالُ المشترى باطلاً = وأما على البائع ، فأنْ يجحد المشترى الشراءَ وقد زال ملك البائع عما باع ، ووجب له قِبل المبتاع ثمن ما باع ، فيحلفُ على ذلك، فيبطل حقّ البائع قِبَلَ المشترى من ثمن ما باعه . فأمر الله عز وجل الفريقين بالإشهاد، لئلا يضيع حق أحد الفريقين قبل الفريق الآخر .

* * *

ثم اختلفوا فى معنى قوله : « وأشهدوا إذا تبايعتم » ، أهو أمرٌ من الله واجبٌ بالإشهاد عند المبايعة ، أم هو ندب ؟

فقال بعضهم : « هو نَدْبٌ، إن شاء أشهد ، وإن شاء لم يُشهد » .

* ذكر من قال ذلك :

٦٤٠٢ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن الربيع ، عن الحسن وشقيق ، عن رجل ، عن الشعبى فى قوله : « وأشهدوا إذا تبايعتم » ، قال : إن شاء أشهد ، وإن شاء لم يشهد ، ألم تسمع إلى قوله : « فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤدّ الذى اؤتمن أمانته » ؟

٦٤٠٣ – حدثنى المثنى قال ،حدثنا الحجاج بن المنهال قال، حدثنا الربيع ابن صبيح قال : قلت للحسن : أرأيتَ قول الله عز وجل : « وأشهدوا إذا تبايعتم » ؟ قال : إن أشهدت عليه فهو ثقة للذى لك ، وإن لم تُشهد عليه فلا بأس .

٦٤٠٤ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن الربيع بن صبيح قال : قلت للحسن : يا أبا سعيد ، قول الله عز وجل : « وأشهدوا إذا تبايعتم » ، أبيع الرجل وأنا أعلم أنه لا ينقدنى شهرين ولا ثلاثة ،[2] أترى

(١) فى المطبوعة : « . . . البائع المبيع . . . » ، والصواب من المخطوطة .
(٢) فى المطبوعة : « ينقد فى شهرين » . . . ، وأثبت ما فى المخطوطة .

بأساً أن لا أشهد عليه ؟ قال : إن أشهدت فهو ثقة للذى لك ، وإن لم تشهد فلا بأس .(١)

٦٤٠٥ – حدثني المثنى قال ، حدثنا الحجاج قال ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن داود ، عن الشعبي : « وأشهدوا إذا تبايعتم » ، قال : إن شاؤوا أشهدوا ، وإن شاؤوا لم يشهدوا . ٨٩/٣

* * *

وقال آخرون : « الإشهاد على ذلك واجب » .

* ذكر من قال ذلك :

٦٤٠٦ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك : « إلاّ أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح أن لا تكتبوها » ، ولكن أشهدوا عليها إذا تبايعتم . أمر اللهُ ، ما كان يداً بيد أن يُشهدوا عليه ، صغيراً كان أو كبيراً .

٦٤٠٧ – حدثني يحيى بن أبي طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك قال : ما كان من بيع حاضر فإن شاء أشهد ، وإن شاء لم يشهد . وما كان من بيع إلى أجل ، فأمر الله أن يكتب ويُشهد عليه . وذلك في المقام .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أنّ الإشهاد على كل مبيع ومُشترًى ، حقٌّ واجبٌ وفرضٌ لازم ، لما قد بيّنا : من أن كلّ أمرٍ لله ، ففرضٌ ،

---

(١) الأثران : ٦٤٠٣ ، ٦٤٠٤ – « الربيع بن صبيح السعدى » . روى عن الحسن ، وحميد الطويل ومجاهد بن جبر ، وغيرهم . وروى عنه الثورى ، وابن المبارك ، وابن مهدى ، ووكيع وغيرهم . قال حرملة عن الشافعي : « كان الربيع بن صبيح غزاء – وإذا مدح الرجل بغير صناعته ، فقد وهص ، أى دق عنقه » . وقال أحمد : « رجل صالح لا بأس به » . وقال ابن معين وابن سعد والنسائى : « ضعيف الحديث » . وقال ابن حبان : « كان من عباد أهل البصرة وزهادهم ، وكان يشبه بيته بالليل ببيت النحل من كثرة التهجد ، إلا أن الحديث لم يكن من صناعته ، فكان يهم فيما يروى كثيراً ، حتى وقع في حديثه المناكير من حيث لا يشعر ، لا يعجبني الاحتجاج به إذا انفرد » . مترجم في التهذيب .

إلا ما قامت حُجته من الوجه الذى يجب التسليم له بأنه ندبٌ وإرشاد .[١]

* * *

وقد دللنا على وَهْيِ قول من قال :[٢] ذلك منسوخ بقوله : « فليؤدِّ الذى اؤتمن أمانته » ، فيما مضى فأغنى عن إعادته .[٣]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهلُ التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : ذلك نهىٌ من الله الكاتبَ الكتابَ بين أهل الحقوق والشهيدَ أن يضارّ أهله ،[٤] فيكتب هذا ما لم يُمله المملى ، ويَشهد هذا بما لم يستشهده المستشهِد .[٥]

* ذكر من قال ذلك :

٦٤٠٨ – حدثنى الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه فى قوله : « « ولا يضارّ كاتب ولا شهيد » ، « ولا يضار كاتب » فيكتب ما لم يملّ عليه = ، « ولا شهيد » فيشهد بما لم يُستشهد .

٦٤٠٩ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن يونس قال : كان الحسن يقول : « لا يضارّ كاتب » فيزيد شيئاً أو يحرّف = « ولا شهيد » ، قال : لا يكتم الشهادة ، ولا يشهدْ إلاّ بحق .

---

(١) انظر ما سلف قريباً ص : ٥٣ .

(٢) فى المخطوطة : « على وهاء قول من قال » ، وقد سلف ما قلته فى قول الفقهاء « الوهاء » بمعنى « الوهى » ، وهو الضعف الشديد فى ٤ : ١٨ / ثم ص : ١٥٥ تعليق : ١ / ثم ص : ٣٦١ ، تعليق ٣ ، فراجعه .

(٣) انظر ما سلف قريباً ص : ٥٣ – ٥٥ .

(٤) فى المطبوعة : « نهى من الله لكاتب الكتاب » ، وأثبت ما فى المخطوطة . وقوله : « الكاتب الكتاب . . . والشهيد » منصوب بالمصدر « نهى » ، و « الكتاب » منصوب باسم الفاعل « الكاتب » .

(٥) فى المخطوطة والمطبوعة : « بما لم يستشهده الشهيد » ، وهو محال وخطأ ، وإنما « الشهيد الشاهد ، وهو لا يعنى إلا « المستشهد » ، فكذلك أثبتها .

٦٤١٠ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : اتقى الله شاهدٌ فى شهادته ، لا ينقص منها حقًّا ولا يزيد فيها باطلاً . اتقى الله كاتب فى كتابه ، فلا يَدَعنَّ منه حقًّا ولا يزيدنَّ فيه باطلاً .(١)

٦٤١١ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة : « ولا يضار كاتب ولا شهيد » ، قال : « لا يضار كاتب » فيكتب ما لم يُملل = « ولا شهيد » ، فيشهد بما لم يستشهد .

٦٤١٢ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن قتادة نحوه .

٦٤١٣ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد فى قوله : « ولا يضار كاتب ولا شهيد » ، قال : « لا يضار كاتب » فيكتب غير الذى أملى عليه . قال : والكتاب يومئذ قليلٌ ، ولا يدرون أى شىء يُكتب ، فيضار فيكتبَ غير الذى أملى عليه ، فيبطل حقهم . قال : والشهيد يضارّ فيحوّل شهادته ، فيبطل حقهم .

* * *

قال أبو جعفر : فأصل الكلمة على تأويل من ذكرنا من هؤلاء : ولا يضارِرْ كاتبٌ ولا شهيد ، ثم أدغمت « الراء » فى « الراء » ، لأنهما من جنس ، وحُرِّكت إلى الفتح وموضعها جزم ، لأنّ الفتح أخفّ الحركات.(٢)

* *

وقال آخرون ممن تأول هذه الكلمة هذا التأويل : معنى ذلك : « ولا يضارّ كاتب ولا شهيد » بالامتناع عمن دعاهما إلى أداء ما عندهما من العلم أو الشهادة .

---

(١) الأثر : ٦٤١٠ – فى المطبوعة : « قال حدثنا يزيد عن قتادة » ، وفى المخطوطة : « قال حدثنا يزيد ، قال حدثنا يزيد ، عن قتادة » ، وهو إسناد دائر فى الطبرى كما أثبته ، أقربه رقم : ٦٣٩٣ ، هذا وقد سلف هذا الأثر مختصراً برقم : ٦٣٣٨ .

(٢) انظر ما سلف ٥ : ٤٦ – ٥٣ ، فى « تضار » وقراءاتها ، وفى قوله : « لأن الفتح أخف الحركات » ٥ : ٥٢ ، ١٠٠ ، ثم هذا فيما سلف قريبا ص : ٦٥ س : ٢ .

* ذكر من قال ذلك :

٦٤١٤ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن جريج ، عن عطاء فى قوله : « ولا يضار كاتب ولا شهيد » ، يقول : أن يؤديا ما قِبَلَهما .

٦٤١٥ – حدثنا القاسم قال ،حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : قلت لعطاء . « ولا يضار كاتب ولاشهيد » ؟ قال : « لايضار» ، أن يؤديا ما عندهما من العلم .(١)

٦٤١٦ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن يزيد بن أبى زياد ، عن مقسم ، عن ابن عباس قال : « لايضار» كاتب ولا شهيد » ، قال: أن يدعوهما ، فيقولان : إن لنا حاجة .(٢)

٦٤١٧ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الرزاق ، عن ابن جريج ، عن عطاء ومجاهد : « ولا يضار كاتب ولا شهيد »، قالا: واجب على على الكاتب أن يكتب = « ولا شهيد » ، قالا : إذا كان قد شهد ، اقبلْهُ .(٣) ٩٠/٣

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : « ولا يضارّ المستكتِب والمستشهِد الكاتبَ والشهيدَ » . وتأويل الكلمة على مذهبهم : ولا يضَارَرْ ،على وجه ما لم يسمّ فاعله .

* ذكر من قال ذلك :

٦٤١٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق، عن ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة قال: كان عمر يقرأ : « ولا يُضَارَرْ كاتبٌ ولا شهيد » .

---

(١) فى المطبوعة : « لا يضارا أن يؤديا » وهو خطأ ، وفاسد المعنى ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « فيقولا » ، والصواب من المخطوطة .

(٣) قوله : « اقبله » ، هكذا فى المخطوطة والمطبوعة ، وأنا فى شك منها ، وضبطتها على أقرب المعانى إلى الصواب . ولكنى أخشى أن يكون فى الكلمة تحريف لم أقف على وجهه .

٦٤١٩ – حدثت عن الحسين قال، سمعت أبا معاذ قال، أخبرنا عبيد قال، سمعت الضحاك قال كان ابن مسعود يقرأ: ﴿ ولا يُضارَرْ ﴾

٦٤٢٠ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج، قال أخبرني عبد الله بن كثير، عن مجاهد أنه كان يقرأ: « ولا يُضارَرْ كاتب ولا شهيد »، وأنه كان يقول في تأويلها: ينطلق الذي له الحق فيدعو كاتبَه وشاهدَه إلى أن يشهد، ولعله أن يكون في شُغل أو حاجة، ليؤثمه إن ترك ذلك حينئذ لشغله وحاجته = وقال مجاهد: لا يقمْ عن شغله وحاجته، فيجدَ في نفسه أو يحرَج.

٦٤٢١ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله قال، حدثني معاوية، عن علي؛ عن ابن عباس قال: « ولا يضار كاتب ولا شهيد »، والضِّرار أن يقول الرجل للرجل وهو عنه غنيّ: إنّ الله قد أمرك أن لا تأبَى إذا دعيت! فيضارُّه بذلك، وهو مكتف بغيره. فنهاه الله عز وجل عن ذلك وقال: « وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم ».

٦٤٢٢ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قال: « ولا يضار كاتب ولا شهيد »، يقول: إنه يكون للكاتب والشاهد حاجةٌ ليس منها بدٌّ؛ فيقول: خلُّوا سبيله.

٦٤٢٣ – حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية، عن يونس، عن عكرمة في قوله: « ولا يضار كاتب ولا شهيد »، قال: يكون به العلة أو يكون مشغولا، يقول: فلا يضاره.

٦٤٢٤ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد أنه كان يقول: « ولا يضار كاتب ولا شهيد »، يقول: لا يأت الرجل فيقول: انطلق فاكتبْ لي، واشهد لي! فيقول: إن لي حاجة فالتمسْ غيري! فيقول: اتق الله، فإنك قد أمِرتَ أن تكتب لي! فهذه المضارّة. ويقول: دعه والتمس غيره، والشاهدُ بتلك المنزلة

٦٤٢٥ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك في قوله : « ولا يضار كاتب ولا شهيد » ، يقول : يدعو الرجل الكاتبَ أو الشهيدَ ، فيقولُ الكاتب أو الشاهد : إن لنا حاجة ! فيقولُ الذي يدعوهما : إن الله عز وجل أمر كما أن تجيبا في الكتابة والشهادة ! يقول الله عز وجل : لا يضارّهما .

٦٤٢٦ – حدثت عن الحسن قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك في قوله : « ولا يضار كاتب ولا شهيد » ، هو الرجل يدعو الكاتب أو الشاهدَ وهما على حاجة مهمة ، فيقولان : إنّا على حاجة مهمة فاطلب غيرنا ! فيقول : والله لقد أمركما أن تجيبا ! [1] فأمره أن يطلب غيرهما ولا يضارهما ، = يعني : لا يشغلهما عن حاجتهما المهمة وهو يجد غيرهما .

٦٤٢٧ – حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قوله : « ولا يضار كاتب ولا شهيد » ، يقول : ليس ينبغي أن تعترض رجلاً له حاجة فتضاره فتقول له : اكتب لي ! فلا تتركه حتى يكتب لك وتفوته حاجته = [2] ولا شاهداً من شهودك وهو مشغول فتقول : اذهب فاشهد لي ! تحبسه عن حاجته وأنتَ تجد غيره .

٦٤٢٨ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « ولا يضار كاتب ولا شهيد » ، قال : لما نزلت هذه الآية : « ولا يأب كاتبٌ أن يكتب كما علّمه الله » ، كان أحدهم يجيء إلى الكاتب فيقول : اكتب لي ! فيقول : إني مشغول = أو : لي حاجة ، فانطلق إلى غيري ! فيلزَمه ويقول : إنك

---

(١) في المطبوعة : « الله أمركما أن تجيبا » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) في المخطوطة والمطبوعة : « حتى يكتب له » ، والسياق يقتضي « لك » . وقوله بعد « ولا شاهداً من شهودك . » معطوف على قوله قبل : « أن تعترض رجلا . . . » .

قد أمِرتَ أن تكتب لى! فلا يدعه ويضارّه بذلك وهو يجد غيره . ويأتى الرجل فيقول : انطلق معى فاشهد لى ! فيقول : انطلق إلى غيرى فإنى مشغول = أو : لى حاجة ![1] فيلزمه ويقول : قد أمِرت أن تتبعنى ! فيضاره بذلك وهو يجد غيره ، فأنزل الله عز وجل : « ولا يضار كاتب ولا شهيد » . ٩١/٣

٦٤٢٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه : « ولا يضار كاتب ولا شهيد » ، يقول : إن لى حاجة فدعنى ! فيقول : اكتب لى = « ولا شهيد » ، كذلك .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال : معنى ذلك : « ولا يضار كاتب ولا شهيد » ، بمعنى : ولا يضارهما من استكتَبَ هذا أو استشهدَ هذا ، بأن يأبى على هذا إلا أن يكتبَ له وهو مشغول بأمر نفسه ، ويأبى على هذا إلاّ أن يجيبه إلى الشهادة وهو غير فارغ =[2] على ما قاله قائلو ذلك من القول الذى ذكرنا قبل .

وإنما قلنا هذا القول أولى بالصواب من غيره ، لأن الخطاب من الله عز وجل فى هذه الآية من مُبتدئها إلى انقضائها على وجه : « افعلوا = أو : لا تفعلوا » ، إنما هو خطابٌ لأهل الحقوق والمكتوب بينهم الكتابُ ، والمشهود لهم أو عليهم بالذى تداينوه بينهم من الديون . فأما ما كان من أمر أو نهى فيها لغيرهم ، فإنما هو على وجه الأمر والنهى للغائب غير المخاطب ، كقوله : « وليكتب بينكم كاتب » ، وكقوله : « ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا » ، وما أشبه ذلك . فالوجهُ = إذْ كان المأمورون فيها مخاطبين بقوله : « وإنْ تفعلوا فإنه فُسوقٌ بكم » = [بأن يكون

---

(١) فى المطبوعة : « ويأتى الرجل فيقول : انطلق معى . فيقول : اذهب إلى غيرى فإنى مشغول » وكان فى المخطوطة : « ويأتى الرجل فيقول : انطلق معى إلى غيرى فإنى مشغول » ، وهو فاسداً ، وآثرت تصحيحه على وجه غير الوجه الذى كان فى المطبوعة ، ليكون أوضح وأقرب إلى معنى الشهادة

(٢) فى المطبوعة « أن يجيب » وأثبت ما فى المخطوطة

الأمر مردوداً على المستكتب والمستشهد] ، أشبه منه بأن يكون مردوداً على الكاتب والشهيد .[1] ومع ذلك، فإنّ الكاتب والشهيد لو كانا هما المنهيَّين عن الضرار لقيل :[2] وإن يفعلا فإنه فسوقٌ بهما . لأنهما اثنان ، وأنهما غير مخاطبين بقوله : « ولا يضارّ » ، بل النهى بقوله : « ولا يضار » ، نهىٌ للغائب غير المخاطب . فتوجيهُ الكلام إلى ما كان نظيراً لما فى سياق الآية ، أولى من توجيهه إلى ما كان مُنعدِلاً عنه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وإن تضارّوا الكاتب أو الشاهدَ ، وما نُهيتم عنه من ذلك = « فإنه فسوق بكم » ، يعنى : إثم بكم ومعصيةٌ .[3]

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم بنحو الذى قلنا .

* ذكر من قال ذلك :

٦٤٣٠ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك : « وإن تفعلوا فإنه فُسوق بكم »، يقول: إن تفعلوا غير الذى آمركم به ، فإنه فسوق بكم .

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « فالواجب إذ كان المأمورون مخاطبين بقوله : وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم ، أشبه منه بأن يكون مردوداً على الكاتب والشهيد » ، وهو كلام مختل أشد الاختلال ، وهو فى المطبوعة أشد اختلالا إذ جعل « إذ كان المأمورون » – « إذا كان . . . » ، وقد وضعت بين القوسين ما هو أشبه بسياق المعنى ، وكأنه الصواب إن شاء الله .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « ومع ذلك إن الكاتب والشهيد » والصواب ما أثبت .

(٣) انظر تفسير « الفسوق » فيما سلف ١ : ٤٠٩ ، ٤١٠ / ثم ٢ : ١١٨ ، ١١٩ ، ٣٩٩ / ثم ٤ : ١٣٥ – ١٤٠ .

٦٤٣١ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم » ، والفسوقُ المعصية .

٦٤٣٢ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم » ، الفسوق العصيان .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : وإن يضارّ كاتبٌ فيكتبَ غير الذى أملَى المملى ، ويضارّ شهيدٌ فيحوِّلَ شهادته ويغيرَها = « فإنه فسوق بكم » ، يعني : فإنه كذب .

* ذكر من قال ذلك :

٦٤٣٣ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « وإن تفعلوا فإنه فُسوق بكم » ، الفسوق الكذب . قال : هذا فسوق ، لأنه كذب الكاتبُ فحوَّل كتابه فكذَب ، وكذَب الشاهدُ فحوّل شهادته . فأخبرهم الله أنه كذبٌ .

* * *

قال أبو جعفر : وقد دللنا فيما مضى على أن المعنيّ بقوله : « ولا يضار كاتب ولا شهيد » ، إنما معناه : لا يضارّهما المستكتب والمستشهد ، بما فيه الكفاية . (١)

فقوله : « وإن تفعلوا » إنما هو إخبارُ من يضارّهما بحكمه فيهما ، وأنّ من يضارّهما فقد عصَى ربه وأثم به ، (٢) وركب ما لا يحلّ له ، وخرج عن طاعة ربه في ذلك .

* * *

---

(١) انظر ما سلف قريباً في تفسير الآية .

(٢) قوله : « « أثم به » . قد سلف في ٤ : ٥٣٠ تعليق ٣ ما نصه : « آثما بربه » غير منقوطة ، كأنها « بربه » ولكني لم أجد في كتب اللغة « أثم بربه » وإن كنت أخشى أن تكون صواباً له وجه لم أتحققه » وغيرتها هناك « أثم بريائه » ، فقد جاء هذا النص هنا محققاً ما خشيت ، فصح أن الصواب هناك « آثماً بربه » ، فقيده هناك ، وفي كتب اللغة . ومعنى : « أثم بربه » : أي : قدم الإثم إلى ربه بمعصيته ، فالباء فيه للغاية ، كما في قوله تعالى ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ ﴾ وكما قال كثير :

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٢٨٢)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « واتقوا الله » ، وخافوا الله ، أيها المتداينون فى الكتاب والشهود ، أن نضاروهم ، وفى غير ذلك من حدود الله أن تُضيعوه = ويعنى بقوله : « ويُعلّمكم الله » ، ويبين لكم الواجب لكم وعليكم ، فاعملوا به = « والله بكل شىء عليم » ، يعنى : [بكل شىء] من أعمالكم وغيرها ،[1] يحصيها عليكم ، ليجازيكم بها .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٦٤٣٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك قوله : « ويعلمكم الله » ، قال : هذا تعليم علّمكموه ، فخذُوا به

* * *

أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي ، لا مَلُومَةً لَدَيْنَا ، ولا مقلِيَّةً إن تَقَلَّتِ

فهذه هى الحجة الناهضة فى صواب التعبير الذى جاء فى كلام الطبرى ، والحمد لله رب العالمين على حسن توفيقه إيانا إلى الصواب .

(١) هذه الزيادة بين القوسين لا بد منها ، وليست فى المخطوطة ولا المطبوعة .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته القرأة فى الأمصار جميعاً ﴿ كَاتِبًا ﴾، بمعنى : ولم تجدوا من يكتب لكم كتابَ الدَّين الذى تداينتموه إلى أجل مسمًّى ، « فرهان مقبوضة »

* * *

وقرأ جماعةٌ من المتقدمين : ﴿ وَلَمْ تَجِدُوا كِتَابًا ﴾ ، بمعنى : ولم يكن لكم إلى اكتتاب كتاب الدين سبيلٌ ، إما بتعذّر الدواة والصحيفة ، وإما بتعذر الكاتب وإن وجدتم الدواة والصحيفة .

* * *

والقراءة التى لا يجوز غيرها عندنا هى قراءة الأمصار « ولم تجدوا كاتباً » ، بمعنى : من يكتب . لأن ذلك كذلك فى مصاحف المسلمين .

* * *

[قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه] : (١) وإن كنتم ، أيها المتداينون ، فى سفر بحيث لا تجدون كاتباً يكتب لكم ، ولم يكن لكم إلى اكتتاب كتاب الدين الذى تداينتموه إلى أجل مسمى بينكم الذى أمرتكم باكتتابه والإشهاد عليه سبيلٌ ، فارتهنوا بديونكم التى تداينتموها إلى الأجل المسمى رهوناً تقبضونها ممن تداينونه كذلك ، ليكون ثقةً لكم بأموالكم .

* ذكر من قال ما قلنا فى ذلك :

٦٤٣٥ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك قوله : « وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة » ، فمن كان على سفر فبايع بيعاً إلى أجل فلم يجد كاتباً ، فرخص له

(١) هذه الزيادة بين القوسين لابد منها ، حتى يستقيم الكلام .

فى الرهان المقبوضة ، وليس له إن وَجد كاتباً أن يرتهن .

٦٤٣٦ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله : « وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً » ، يقول : كاتباً يكتب لكم = « فرهان مقبوضة » .

٦٤٣٧ – حدثني يحيى بن أبي طالب قال، أخبرنا يزيد قال، أخبرنا جويبر، عن الضحاك قال: ما كان من بيع إلى أجل، فأمر الله عز وجل أنْ يكتب ويُشْهد عليه، وذلك فى المُقام . فإن كان قوم على سفر تبايعوا إلى أجل فلم يجدوا [كاتباً]، فرهان مقبوضة .(١)

* * *

* ذكر قول من تأول ذلك على القراءة التى حكيناها :

٦٤٣٨ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا يزيد بن أبي زياد ، عن مقسم ، عن ابن عباس : « فإن لم تجدوا كتاباً »، يعنى بالكتاب، الكاتبَ والصحيفة والدواة والقلم .

٦٤٣٩ – حدثني يعقوب قال ، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا ابن جريج قال، أخبرني أبي، عن ابن عباس أنه قرأ : « فإن لم تجدوا كتاباً »، قال : ربما وجد الرجل الصحيفة ولم يجد كاتباً .

٦٤٤٠ – حدثني يعقوب قال ، حدثنا ابن علية قال، حدثنا ابن أبي نجيح، عن مجاهد : كان يقرؤها : « فإن لم تجدوا كتاباً » ، ويقول : ربما وجد الكاتبُ ولم تُوجد الصحيفة أو المداد ، ونحو هذا من القول .

٦٤٤١ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كتاباً » ، يقول : مداداً – يقرؤها كذلك – يقول : فإن لم تجدوا مداداً، فعند ذلك تكون الرهون المقبوضة = « فرهن مقبوضة » ، قال : لا يكون الرهن إلاّ فى السفر .

---

(١) الزيادة بين القوسين ، أخشى أن تكون سقطت من الناسخ .

٦٤٤٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا الحجاج قال ، حدثنا حماد بن زيد ، عن شعيب بن الحبحاب قال : إن أبا العالية كان يقرؤها، : « فإن لم تجدوا كتاباً » ، قال أبو العالية : تُوجد الدواةُ ولا توجد الصحيفة .

* * *

قال أبو جعفر : واختلف القرأة فى قراءة قوله : « فرِهان مقبوضة » .

فقرأ ذلك عامة قرأة الحجاز والعراق : ﴿ فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ ﴾ ، بمعنى جماع « رَهْن » كما « الكباش » جماع « كبش » ، و« البغال » جماع « بَغل » و« النعال » جماع « نعل » .

* * *

وقرأ ذلك جماعة آخرون : ﴿فَرُهُنٌ مَقْبُوضَةٌ﴾ على معنى جمع : « رِهان » ، « ورُهن » جمع الجمع . وقد وجهه بعضهم إلى أنها جمع « رَهْن » : ، مثل « سَقْف وسُقُف » .

* * *

وقرأه آخرون ﴿ فَرُهْنٌ ﴾ مخففة الهاء على معنى جماع « رَهْن » ، كما تجمع « السَّقْف سُقْفاً » . قالوا : ولا نعلم اسماً على « فَعْل » يجمع على « فُعُل وفُعْل » إلاّ « الرُّهُنُ والرُّهْن » . و« السُّقُف والسُّقْف » .

* * *

٩٣/٣ قال أبو جعفر : والذى هو أولى بالصواب فى ذلك قراءة من قرأه : « فرهان مقبوضة » . لأن ذلك الجمعُ المعروفُ لما كان من اسم على « فَعْل » ، كما يقال : « حَبْلٌ وحبال » و« كَعْب وكعاب » ، ونحو ذلك من الأسماء . فأما جمع « الفَعْل » على « الفُعُل أو الفُعْل » فشاذّ قليل، إنما جاء فى أحرف يسيرة وقيل : « سَقْف وسُقُفٌ وسُقْف » « وقلْبٌ وقُلُب وقُلْب » من : « قلب النخل » . (١) « وجَدٌ وجُدٌ » ، للجد الذى هو بمعنى الحظّ . (٢) وأما ما جاء من جمع « فَعْل » على « فُعْل »

(١) هذا كله غريب لم يرد فى كتب اللغة

(٢) وهذا أيضاً غريب لم أجده فى كتب اللغة ، وإنما قالوا فى جمعه « أجداد وأجد وجدود » وكان فى المطبوعة « حد وحد » بالحاء ، و « الخط » ، وهو خطأ ، وفى المخطوطة غير منقوط .

فـ « ثَطٌّ، وثُطٌّ » ، و « وَرْدٌ ووُرْد » و « خَوْدٌ وخُود » .

وإنما دعا الذى قرأ ذلك : « فرُهْنٌ مقبوضة » إلى قراءته فيما أظن كذلك، مع شذوذه فى جمع « فَعْل » ، أنه وجد « الرِّهان » مستعملة فى رِهَان الخيل، فأحبّ صرف ذلك عن اللفظ الملتبس برهان الخيل، الذى هو بغير معنى « الرهان » الذى هو جمع « رَهْن » ، ووجد « الرُّهُن » مقولاً فى جمع « رَهْن» ، كما قال قَعْنَب :

بَانَتْ سُعادُ وأَمْسَى دُونَهَا عَدَنُ وَغَلِقَتْ عِنْدَهَا مِنْ قَلْبِكَ الرُّهُنُ(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : فإن كان المدين أميناً عند رب المال والدَّين فلم يرتهن منه فى سفره رَهْناً بدينه لأمانته عنده على ماله وثقته ، = « فليتق الله » ، المدينُ = «ربّه» ، يقول : فليخف الله ربه فى الذى عليه من دين صاحبه أن يجحده، أو يَلُطّ دونه ،(٢) أو يحاول الذهاب به ، فيتعرّض من عقوبة الله لما لا قبل له ،(٣) به وليؤدّ دينه الذى ائتمنه عليه ، إليه .

* * *

وقد ذكرنا قول من قال : « هذا الحكم من الله عز وجل ناسخٌ الأحكامَ التى

---

(١) مختارات ابن الشجرى ١ : ٦ ، ولباب الآداب ٤٠٢ – ٤٠٤ ، اللسان (رهن) ، وروايته هناك « من قبلك » ، وهى أجود فيما أرى . غلق الرهن غلقاً (بفتحتين) وغلوقاً : إذا لم تجد ما تخلص به الرهن وتفكه فى الوقت المشروط ، فعندئذ يملك المرتهن الرهن الذى عنده . كان هذا على رسم الجاهلية ، فأبطله الإسلام . يقول : فارقتك بعد العهود والمواثيق والمحبات التى أعطيتها ، فذهبت بذلك كله ، كما يذهب بالرهان من كانت تحت يده .

(٢) يقال : « لط الغريم بالحق دون الباطل » : دافع ومنع الحق . و«لط حقه ، ولط عليه » جحده ومنعه .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « ما لا قبل » بحذف اللام، وما أثبت هو أقرب إلى الجودة .

فى الآية قبلها : من أمر الله عز وجلّ بالشهود والكِتاب» . وقد دللنا على أولى ذلك بالصواب من القول فيه ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع .(١) وقد :—

٦٤٤٣ — حدثنى يحيى بن أبى طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « فإن أمِن بعضكم بعضاً فليؤد الذى اؤتمن أمانته » ، إنما يعنى بذلك : فى السفر ، فأما الحضر فلا ، وهو واجد كاتباً ، فليسَ له أن يرتهن ولا يأمن بعضُهم بعضاً .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا الذى قاله الضحاك = من أنه ليس لرب الدين ائتمانُ المدين وهو واجد إلى الكاتب والكتاب والإشهاد عليه سبيلاً ، وإن كانا فى سفر = ، فكما قال ، لما قد دللنا على صحّته فيما مضى قبل .

وأما ما قاله = من أنّ الأمر فى الرّهن أيضاً كذلك ، مثل الائتمان : فى أنه ليس لربّ الحق الارتهان بماله إذا وجد إلى الكاتب والشهيد سبيلاً ، فى حضر أو سفر = فإنه قولٌ لا معنى له ، لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : —

٦٤٤٤ — أنه اشترى طعاماً نَسَاءً ، ورهن به درعاً لهُ .(٢)

* * *

فجائز للرجل أن يرهن بما عليه ، ويرتهن بمالَهُ من حقّ ، فى السفر والحضر — لصحة الخبر بما ذكرنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنّ معلوماً أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم لم يكن — حين رَهن من ذكرنا — غير واجد كاتباً ولا شهيداً ، لأنه لم يكن متعذراً عليه بمدينته فى وقت من الأوقات الكاتبُ والشاهدُ ، غير أنهما إذا تبايعا برَهْن ، فالواجب عليهما = إذا وجدا سبيلاً إلى كاتب وشهيد ، أو كان البيع

---

(١) انظر ما سلف آنفاً : ص٥٣ — ٥٥

(٢) الأثر : ٦٤٤٤ — ذكره الطبرى بغير إسناد . وقد رواه البخارى فى صحيحه (الفتح ٥ : ١٠٠ — ١٠٢) ومسلم فى صحيحه ١١ : ٣٩ ، ٤٠ من طرق ، عن عائشة أم المؤمنين . وسنن البيهقى ٦ : ٣٦ . يقال نسأت عنه دينه نساء : (بالمد وفتح النون) : أخرته . و « بعته بنسيئة » ، أى : بأخرة .

أو الدَّين إلى أجل مسمى[١] = أن يكتبا ذلك ويشهدا على المال والرّهن . وإنما يجوز ترك الكتاب والإشهاد فى ذلك ، حيث لا يكون لهما إلى ذلك سبيلٌ .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (٢٨٣)

قال أبو جعفر : وهذا خطابٌ من الله عز وجل للشهود الذين أمر المستدينَ وربَّ المال بإشهادهم ، فقال لهم : « ولا يأب الشهداءُ إذا ما دعوا » — ولا تكتموا ، أيها الشهود ، بعد ما شهدتم شهادتكم عند الحكام ، كما شهدتم على ما شهدتم عليه ، ولكن أجيبوا من شهدتم له إذا دعاكم لإقامة شهادتكم على خصمه على حقه عند الحاكم الذى يأخذُ له بحقه .

ثم أخبر الشاهدَ جل ثناؤه ما عليه فى كتمان شهادته ، وإبائه من أدائها والقيام بها عند حاجة المستشهد إلى قيامه بها عند حاكم أو ذى سلطان ، فقال : « ومن يكتمها » . يعنى : ومن يكتم شهادته = « فإنه آثم قلبه » ، يقول : فاجرٌ قلبه ، مكتسبٌ بكتمانه إياها معصية الله ،[٢] كما : —

٦٤٤٥ — حدثنى المثنى قال ، أخبرنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثمٌ قلبه » ، ٩٤/٣
فلا يحل لأحد أن يكتم شهادةً هى عنده ، وإن كانت على نفسه والوالدين ، ومن يكتمها فقد ركب إثماً عظيماً .

٦٤٤٦ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى

---

(١) فى المطبوعة : « وكان البيع . . . » وأثبت ما فى المخطوطة .
(٢) انظر تفسير « الإثم » فيما سلف من فهارس اللغة .

قوله : « ومن يكتمها فإنه آثم قلبه » ، يقول : فاجر قلبه .

٦٤٤٧ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قال : أكبر الكبائر الإشراك بالله ، لأن الله يقول : ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾[1] [سورة المائدة : ٧٢]، وشهادة الزور ، وكتمان الشهادة ، لأن الله عز وجل يقول : « وَمَنْ يكتمها فإنه آثمٌ قلبه » .

* * *

وقد روى عن ابن عباس أنه كان يقول : « على الشاهد أن يشهد حيثما استُشهد، ويخبر بها حيثُ استُخبر » .

٦٤٤٨ – حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن محمد بن مسلم قال ، أخبرنا عمرو بن دينار ، عن ابن عباس قال : إذا كانت عندك شهادة فسألك عنها فأخبره بها ، ولا تقل : « أخْبِر بها عند الأمير » ، أخبره بها ، لعله يراجع أو يَرْعَوِى .

* * *

وأما قوله : « والله بما تعملون عليمٌ » ، فإنه يعنى : « بما تعملون » فى شهادتكم من إقامتها والقيام بها ، أو كتمانكم إياها عند حاجة من استشهدكم إليها ، وبغير ذلك من سرائر أعمالكم وعلانيتها = « عليمٌ » ، يحصيه عليكم ، ليجزيكم بذلك كله جزاءكم ، إما خيراً وإما شراً على قدر استحقاقكم .

* * *

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « ومن يشرك بالله » ، وليست هذه قراءتها ، أخطأ الناسخ وسها .

القول فى تأويل قوله ﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾ (١)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « لله ما فى السموات وما فى الأرض » ، لله ملك كل ما فى السموات وما فى الأرض من صغير وكبير ، وإليه تدبير جميعه ، وبيده صرفه وتقليبه ، لا يخفى عليه منه شىء ، لأنه مدبره ومالكه ومصرّفه .

وإنما عنى بذلك جل ثناؤه كتمانَ الشهود الشهادةَ ، يقول : لا تكتموا الشهادة أيها الشهود ، ومن يكتمها يفجُرْ قلبه ، ولن يخفى علىّ كتمانه ذلك ، لأنى بكل شىء عليم ، وبيدى صَرْف كل شىء فى السموات والأرض ومِلكه ، أعلمُ خفىّ ذلك وَجليّه ، (٢) فاتقوا عقابى إياكم على كتمانكم الشهادة = وعيداً من الله بذلك مَنْ كتمها ، وتخويفاً منه له به .

ثم أخبرهم عما هو فاعل بهم فى آخرتهم وبمن كان من نظرائهم ممن انطوى كشحاً على معصية فأضمرها ، أو أظهر مُوبقة فأبداها من نفسه — من المحاسبة عليها فقال : « وإن تُبدُوا ما فى أنفسكم أو تخفوه » ، يقول : وإن تظهروا فيما عندكم من الشهادة على حقّ ربّ المالِ الجحودَ والإنكار ، أو تخفوا ذلك فتضمروه فى أنفسكم ، وغير ذلك من سيىء أعمالكم = « يحاسبكم به الله » ، يعنى

---

(١) لم تثبت المخطوطة ولا المطبوعة قوله تعالى : « فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء » فى هذا الموضع ولا فى غيره إلى القول فى تفسير تمام الآية ، وأثبتها فى مكانها .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « أعلمه خفى . . . » ، والسياق يقتضى ما أثبت . وفى المخطوطة : « وجليله » ، ولا بأس بها ، ولكن ما فى المطبوعة أمثل بالسياق .

بذلك : يحتسب به عليكم من أعمالكم ،[١] فجازٍ من شاء منكم من المسيئين بسوء عمله ،[٢] وغافرٌ لمن شاء منكم من المسيئين .[٣]

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فيما عنى بقوله : « وإن تُبدُوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » .

فقال بعضهم بما قلنا : من أنه عنى به الشهودَ فى كتمانهم الشهادة ، وأنه لاحق بهم كل من كان من نظرائهم ممن أضمر معصية أو أبداها .

* ذكر من قال ذلك :

٦٤٤٩ — حدثنى أبو زائدة زكريا بن يحيى بن أبى زائدة قال ، حدثنا ابن فضيل ، عن يزيد بن أبى زياد ، عن مجاهد ، عن ابن عباس فى قوله : « وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يُحاسبكم به الله » ، يقول : يعنى فى الشهادة .[٤]

٦٤٥٠ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن يزيد بن أبى زياد ، عن مقسم ، عن ابن عباس فى قوله : « وإن تُبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه » ، قال : فى الشهادة .

٦٤٥١ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا عبد الأعلى قال : سئل داود عن قوله : « وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » ، فحدثنا عن

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « يحسب به عليه من أعماله » بالضمير المفرد ، والسياق يقتضى الجمع كما أثبته . ويقال : « احتسبت عليه بالمال » ، أى : عددته عليه وحاسبته به . و « احتسب » من « الحساب » مثل « اعتد » من « العد » .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « فيجازى من شاء . . . » والسياق يقتضى ما أثبت .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « وغافر منكم لمن شاء . . . » ، وهو تقديم من عجلة الناسخ ، والصواب ما أثبت .

(٤) الأثر : ٦٤٤٩ — « ابن فضيل » ، هو محمد بن فضيل ، وقد سلف مراراً . وكان فى فى المخطوطة والمطبوعة « أبو نفيل » وليس فى الرواة من يقال له « أبو نفيل » يروى عن يزيد بن أبى زياد ، والذى يروى عنه هو ابن فضيل .

عكرمة قال : هى الشهادة إذا كتمتها .

٦٤٥٢ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة ، عن عمرو وأبى سعيد: أنه سمع عكرمة يقول فى هذه الآية: «وإنْ تُبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه »، قال : فى الشهادة .

٦٤٥٣ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن السدى ، عن الشعبى فى قوله : « وإن تُبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه ،» قال : فى الشهادة . ٩٥/٣

٦٤٥٤ – حدثنا يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال، أخبرنا يزيد بن أبى زياد ، عن مقسم، عن ابن عباس أنه قال فى هذه الآية، «وإنْ تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » ، قال : نزلت فى كتمان الشهادة وإقامتها .

٦٤٥٥ – حدثنى يحيى بن أبى طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن عكرمة فى قوله : « وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله »، يعنى : كتمان الشهادة وإقامتها على وجهها .

* * *

وقال آخرون :«بل نزلت هذه الآية إعلاماً من الله تبارك وتعالى عبادَه أنه مؤاخذهم بما كسبته أيديهم وحدثتهم به أنفسهم مما لم يعملوه » .

ثم اختلف متأوِّلو ذلك كذلك .

فقال بعضهم :« ثم نسخ الله ذلك بقوله :﴿ لا يُكلِّفُ اللهُ نَفْسًا إلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [سورة البقرة : ٢٨٦] »

* ذكر من قال ذلك :

٦٤٥٦ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا إسحق بن سليمان ، عن مصعب بن

ثابت ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : لما نزلتْ : « لله ما في السموات وما في الأرض وإن تُبدُوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » ، اشتد ذلك على القوم ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا لمؤاخذون بما نحدّث به أنفسنا ! هلكنا ! فأنزل الله عز وجل : ﴿ لاَ يُكَلِّفُ الله نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ الآية إلى قوله : ﴿ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ ، قال أبي : قال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال اللهُ : نعم = ﴿ رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴾ إلى آخر الآية = قال أبي : قال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله عز وجل : نعم . (١)

٦٤٥٧ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع = وحدثنا سفيان بن وكيع

---

(١) الحديث : ٦٤٥٦ — إسحق بن سليمان الرازى العبدى : ثقة ثبت فى الحديث ، متعبد كبير ، من خيار المسلمين . أخرج له الجماعة .

مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير : تكلم فيه الأئمة ، فضعفه أحمد ، وابن معين ، وغيرهم . وأثنى عليه الزهرى . وقال أبو حاتم : « صدوق كثير الغلط ، ليس بالقوى ، ويروى عنه إسحق بن سليمان » ، ولكن ترجمه البخارى فى الكبير ٤/١/٣٥٣ ، فلم يذكر فيه جرحاً . والظاهر أن من ضعفه فإنما ذهب إلى كثرة غلطه ، كما فعل أبو حاتم . وأياً ما كان ، فهو لم ينفرد بهذا الحديث ، كما سيأتى فى التخريج .

والحديث سيأتى بعضه : ٦٥٣٨ ، بهذا الإسناد .

ورواه أحمد فى المسند : ٩٣٣٣ (٢ : ٤١٢ حلبى) ، عن عفان ، عن عبد الرحمن بن إبرهيم القاص المدنى ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، به ، مطولا عما هنا .

وعبد الرحمن بن إبرهيم — هذا — ثقة ، وثقه ابن معين وغيره . مترجم فى التعجيل ، وابن أبى حاتم ٢/٢/٢١١ .

ورواه مسلم — مطولا أيضاً — ١ : ٤٦ — ٤٧ ، وابن حبان فى صحيحه : ١٣٩ (١ : ٢٢٥ — ٢٢٦ — من مخطوطة الإحسان) — كلاهما من طريق يزيد بن زريع ، عن روح بن القاسم ، عن العلاء ، به

ونقله ابن كثير ٢ : ٧٩ — ٨٠ ، عن رواية المسند .

وأشار إليه الحافظ فى الفتح ٨ : ١٥٤ ، من رواية مسلم .

وذكره السيوطى ١ : ٣٧٤ ، وزاد نسبته لأبى داود فى ناسخه ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم . ولم ينسبه لصحيح ابن حبان .

قال حدثنا أبي= قال، حدثنا سفيان، عن آدم بن سليمان مولى خالد بن خالد، قال، سمعت سعيد بن جبير يحدّث، عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية: «وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفرُ لمن يشاء ويعذب من يشاء»، دخل قلوبهم منها شيء لم يدخلها من شيء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سمعنا وأطعنا وسلّمنا. قال: فألقى الله عز وجل الإيمان في قلوبهم، قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ = قال أبو كريب: فقرأ ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ = قال فقال: قد فعلت= ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ = قال: قد فعلت = ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ = قال: قال: قد فعلت = ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ = قال: قد فعلت.(١)

---

(١) الحديث: ٦٤٥٧ – سفيان بن وكيع يرويه عن أبيه. وأبوه يرويه عن سفيان، وهو الثوري، ووقع في المطبوعة هنا حذف قوله «قال: حدثنا أبي». وهو خطأ. وسيأتي الإسناد على الصواب: ٦٥٣٧، حيث روى الطبري بعضه مختصراً. بهذا الإسناد.

آدم بن سليمان القرشي، مولى خالد بن خالد بن عقبة بن أبي معيط: ثقة، وهو والد يحيى بن آدم صاحب كتاب الخراج.

والحديث رواه أحمد في المسند: ٢٠٧٠، عن وكيع، بهذا الإسناد.

وكذلك رواه مسلم ١: ٤٧، عن أبي بكر بن أبي شيبة، وأبي كريب، وإسحق بن إبرهيم – وهو ابن راهويه –: ثلاثتهم عن وكيع، به.

وفي التهذيب، في ترجمة آدم بن سليمان، أن مسلماً أخرج له هذا الحديث الواحد متابعة؛ وليس كذلك، بل هو أصل لا متابعة، إذ لم يروه مسلم من طريق غيره.

ورواه الحاكم في المستدرك ٢: ٢٨٦، من طريق ابن راهويه، عن وكيع. وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي.

وذكره ابن كثير ٢: ٨١، عن رواية المسند. ثم أشار إلى رواية مسلم.

وأشار إليه الحافظ في الفتح ٨: ١٥٤، من رواية مسلم.

وذكره السيوطي ١: ٣٧٤، وزاد نسبته للترمذي، والنسائي، وابن المنذر، والبيهقي في الأسماء والصفات.

وسيأتي بعض معناه: ٦٤٦٤، عن سعيد بن جبير، مرسلا غير متصل. فيستفاد وصله من من هذه الرواية.

٦٤٥٨ – حدثني أبو الردّاد المصري عبد الله بن عبد السلام قال ، حدثنا أبو زرعة وهب الله بن راشد ، عن حيوة بن شريح قال ، سمعت يزيد بن أبي حبيب يقول : قال ابن شهاب ، حدثني سعيد ابن مرجانة قال : جئتُ عبد الله بن عمر فتلا هذه الآية : « وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاءُ ويعذب من يشاء » . ثم قال ابن عمر : لئن آخذَنا بهذه الآية ، لنهلِكنّ ! ثم بكى ابن عمر حتى سالت دُموعه . قال ، ثم جئتُ عبدَ الله بن العباس فقلت : يا أبا عباس ، إني جئت ابن عمر فتلا هذه الآية : « وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه » الآية ، ثم قال : لئن وَاخذنا بهذه الآية لنهلكنّ ! ثم بكى حتى سالت دموعه ! فقال ابن عباس : يغفر الله لعبد الله بن عمر ! لقد فَرِق أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم منها كما فَرِق ابن عمر منها ، فأنزل الله ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ ، فنسخ الله الوَسوسة ، وأثبت القول والفعلَ .(١)

٦٤٥٩ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، عن سعيد ابن مرجانة يحدث : أنه بينا هو جالس سمع عبد الله بن عمر تلا هذه الآية ، « لله ما في السموات وما في الأرض وَإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه » الآية ، فقال : والله لئن آخذنا الله بهذا لنهلِكنّ ! ثم بكى ابن عمر حتى سُمع نَشيجه ، فقال ابن مرجانة : فقمت حتى أتيت ابن عباس

---

(١) الحديث : ٦٤٥٨ – أبو الرداد المصري ، عبد الله بن عبد السلام – شيخ الطبري : ثقة . ترجمه ابن أبي حاتم ٢/٢/١٠٧ ، وقال : « سمعنا منه بمصر ، وهو صدوق » .

أبو زرعة وهب الله بن راشد : هذه أول مرة يثبت فيها اسمه في المطبوعة على الصواب ، فقد مضى في : ٢٣٧٧ ، ٢٨٩١ ، ٥٣٠٦ – وكان فيها كلها محرفاً في المطبوعة . وترجمنا له في أولهن .

سعيد ابن مرجانة : هو سعيد بن عبد الله ، مولى قريش . ومرجانة – بفتح الميم وسكون الراء : أمه . قال الحافظ في التهذيب : « فعلى هذا فيكتب : ابن مرجانة – بالألف » . وهو تابعي ثقة . ثبت سماعه من أبي هريرة ، خلافاً لمن زعم غير ذلك ، كما بينا في المسند : ٧٥٨٣ .

والحديث سيأتي عقبه : ٦٤٥٩ ، من وجه آخر عن ابن شهاب . ونذكر تخريجه هناك .

فذكرتُ لهُ ما تلا ابن عمر ، وما فعل حين تلاها ، فقال عبد الله بن عباس : يغفر الله لأبي عبد الرحمن ! لعمرى لقد وَجَد المسلمون منها حين أنزلت مثل ما وَجد عبد الله بن عمر ، فأنزل اللهُ بعدها ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ إلى آخر السورة. قال ابن عباس : فكانت هذه الوسوسة مما لا طاقة للمسلمين بها ، وصار الأمر إلى أن قضى الله عز وجل أنّ للنفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت فى القوْل والفعل .[1] ٣/٩٦

٦٤٦٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر قال ، سمعتُ الزهرى يقول فى قوله : «وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه» ، قال : قرأها ابن عمر فبكى وقال : إنا لمؤاخذون بما نحدّث به أنفسنا ! فبكى حتى سُمع نشيجه ، فقام رجل من عنده فأتى ابن عباس فذكر ذلك له ، فقال : رَحم الله ابن عُمر ! لقد وَجَد المسلمون نحواً مما وَجدَ ، حتى نزلت ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ .[2]

٦٤٦١ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرزاق ، عن جعفر بن سليمان ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد قال : كنت عند ابن عمر فقال : «وإن تُبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه» الآية ، فبكى . فدخلت على ابن عباس فذكرت له ذلك ، فضحك ابن عباس فقال : يرحم الله ابن عمر !

---

(١) الحديث : ٦٤٥٩ – هو الحديث السابق ، بنحوه .

وقد ذكره ابن كثير ٢ : ٨١ – ٨٢ ، عن هذا الموضع من الطبرى .

وذكره الحافظ فى الفتح ٨ : ١٥٤ ، مختصراً ، عن هذا الموضع أيضاً . قال : «أخرج الطبرى ، بإسناد صحيح عن الزهرى . . . » – إلخ .

وذكره السيوطى ١ : ٣٧٤ ، ونسبه لعبد بن حميد ، وأبى داود فى ناسخه ، وابن جرير ، والطبرانى ، والبيهقى فى الشعب .

وانظر الأحاديث الآتية : ٦٤٦٠ – ٦٤٦٤ .

(٢) الحديث : ٦٤٦٠ – هذا حديث مرسل ، لم يسمعه الزهرى . من ابن عمر ، ولا من ابن عباس . وهو مختصر من الحديثين قبله ، ومن الحديث : ٦٤٦٢ . فقد سمع الزهرى القصة من سعيد ابن مرجانة ، ومن سالم بن عبد الله بن عمر .

أوَ ما يدرى فيم أنزلت ؟ إن هذه الآية حين أنزلت غمّت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غمًّا شديداً وقالوا : يا رسول الله ، هلكنا ! فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : قولوا : « سمعنا وأطعنا » ، فنسختها : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ والمُؤْمِنُون كُلٌّ آمَنَ باللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ فتُجُوِّز لهم من حديث النفس ، وأخذوا بالأعمال .(١)

٦٤٦٢ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا يزيد بن هرون ، عن سفيان بن حسين ، عن الزهرى ، عن سالم : أن أباه قرأ : « وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » ، فدمعت عينه ، فبلغ صَنيعه ابنَ عباس ، فقال : يرحم الله أبا عبد الرحمن ! لقد صَنَعَ كما صنع أصحاب رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم حين أنزلتْ ، فنسختها الآية التى بعدها : ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ .(٢)

---

(١) الحديث : ٦٤٦١ – جعفر بن سليمان : هو الضبعى . وقد مضى توثيقه فى : ٢٩٠٥ .
حميد الأعرج : هو حميد بن قيس المكى ، قارى أهل مكة . مضى توثيقه فى : ٣٣٥٢ .
والحديث رواه أحمد فى المسند : ٣٠٧١ ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن حميد الأعرج ، به .
فظهر من رواية الطبرى هذه : أن عبد الرزاق سمعه من شيخين ، من معمر ، ومن جعفر بن سليمان – كلاهما حدثه به عن حميد الأعرج .
وقد ذكره ابن كثير ٢ : ٨١ ، عن رواية أحمد فى المسند . وكذلك ذكره الحافظ فى الفتح ٨ : ١٥٤ ، عن رواية أحمد .
وذكره السيوطى ١ : ٣٧٤ ، وزاد نسبته لعبد الرزاق ، وابن المنذر .
وهو فى معنى الأحاديث السابقة : ٦٤٥٨ – ٦٤٦٠ .
وقوله : « كنت عند ابن عمر فقال : (وإن تبدوا ما فى أنفسكم) . . . » – هكذا فى المخطوطة والمطبوعة .
ولعل صوابه : « فقرأ » ، بدل « فقال » . وهو الثابت فى رواية المسند ومن نقل عنه .
وقوله فى آخر الحديث : « فتجوز لهم من حديث النفس » – هكذا فى المخطوطة والمطبوعة أيضاً .
ولعل صوابه « عن حديث النفس » ، كرواية المسند .
(٢) الحديث : ٦٤٦٢ – سفيان بن حسين الواسطى : مضى الكلام فى روايته عن الزهرى ،

٦٤٦٣ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا سفيان، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير قال: نسخت هذه الآية: «وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه» – ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾.(١)

٦٤٦٤ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا أبو أحمد قال: حدثنا سفيان، عن آدم بن سليمان، عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت هذه الآية: «وإن تُبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه»، قالوا: أنؤاخذ بما حدَّثنا به أنفسنا، ولم تعمل به جوارحنا؟ قال: فنزلت هذه الآية: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾، قال: ويقول: قد فعلت. قال: فأعطيت هذه الأمة خواتيم «سورة البقرة»، لم تُعطها الأمم قبلها.(٢)

وأن فيها تخاليط، فى ٣٤٧١. ولكن يظهر لى الآن أن فى هذا غلواً من ابن حبان. فإن البخارى ترجم له فى الكبير ٢/٢/٩٠، وأشار إلى رواية عن الزهرى، فلم يذكر فيها قدحاً، ثم إن الأئمة صححوا هذا الحديث من روايته عن الزهرى، كما سيجىء.

فالحديث رواه أبو جعفر بن النحاس فى الناسخ والمنسوخ، ص: ٨٦. والحاكم فى المستدرك ٢: ٢٨٧ – كلاهما من طريق يزيد بن هرون، عن سفيان بن حسين، بهذا الإسناد. وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». ووافقه الذهبى.

ثم قد ذكره ابن كثير ٢: ٨٢، عن هذا الموضع – بعد الروايات السابقة، ثم قال: «فهذه طرق صحيحة عن ابن عباس».

وقد رجحت توثيق سفيان بن حسين – وفى روايته عن الزهرى – فيما كتبت تعليقاً على تهذيب السنن للمنذرى، ج ٣ ص: ٤٠٢. فأنسيته حين كتبت ما مضى فى: ٣٤٧١.

والحديث ذكره أيضاً السيوطى ١: ٣٧٤، وزاد نسبته لابن أبى شيبة.

(١) الحديث: ٦٤٦٣ – أبو أحمد: هو الزبيرى، محمد بن عبد الله بن الزبير الأسدى. وهو يروى عن سفيان الثورى. ويروى عنه محمد بن بشار.

وهذا الحديث مرسل، لأنه حكاية من سعيد بن جبير عن إخبار بنسخ الآية.

وقد سبقت رواية لسعيد بن جبير عن ابن عباس: ٦٤٥٧، لعلها تشير إلى هذا المعنى.

(٢) الحديث: ٦٤٦٤ – وهذا حديث مرسل أيضاً، من رواية سعيد بن جبير، ولكنه بعض معنى الحديث السابق: ٦٤٥٧، الذى رواه سعيد عن ابن عباس متصلا.

وسيأتى بعضه: ٦٥٣٩، بهذا الإسناد مع تحريف فى اسم الراوى عن سفيان، كما سنذكر هناك، إن شاء الله.

٦٤٦٥ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا جابر بن نوح قال ، حدثنا إسمعيل ، عن عامر : «وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء » ، قال : فنسختها الآية بعدها، قوله : ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ .

٦٤٦٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن مغيرة ، عن الشعبي : « وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » ، قال : نسختها الآية التى بعدها: ﴿ لاَ يُكَلِّفُ الله نَفْسًا إلاَّ وُسْعَهَا ﴾ = وقوله : « وإن تُبدوا » ، قال : يحاسب بما أبدَى من سرّ أو أخفى من سر ، فنسختها التى بعدها .

٦٤٦٧ – حدثنى يعقوب قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا سيّار، عن الشعبي قال : لما نزلت هذه الآية : «وإن تُبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفرُ لمن يشاء ويعذب من يشاء » ، قال : فكان فيها شدّة ، حتى نزلت هذه الآية التى بعدها : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ ، قال : فنسخت ما كان قبلها .

٦٤٦٨ – حدثنى يعقوب قال ، حدثنا ابن علية ، عن ابن عون قال : ذكروا عند الشعبي : « وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه » حتى بلغ ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾، قال ، فقال الشعبي : إلى هذا صار ، رَجعتْ إلى آخر الآية .

٦٤٦٩ – حدثنى يحيى بن أبى طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك فى قوله: « وإن تُبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه »، قال قال ٩٧/٣
ابن مسعود: كانت المحاسبة قبل أن تنزل: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ ، فلما نزلت نسخت الآية التى كانت قبلها .

٦٤٧٠ – حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، حدثنا عبيد

قال ، سمعت الضحاك يذكر ، عن ابن مسعود نحوه .

٦٤٧١ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن بيان ، عن الشعبي قال : نسخت «وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه» = ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ .

٦٤٧٢ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب = وسفيان ، عن جابر ، عن مجاهد = وعن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد قالوا : نسخت هذه الآية ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ ، « وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه » ، الآية .

٦٤٧٣ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عكرمة وعامر بمثله .

٦٤٧٤ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا الحجاج قال : حدثنا حماد ، عن حميد ، عن الحسن فى قوله : « وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه » إلى آخر الآية ، قال : محتها : ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إلاّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ .(١)

٦٤٧٥ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : أنه قال : نسخت هذه الآية = يعنى قوله : ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إلاَّ وُسْعَهَا﴾ = الآية التى كانت قبلها : «وإن تُبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله» .

٦٤٧٦ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرازق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » ، قال : نسختها قوله : ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾ .

٦٤٧٧ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثنى ابن زيد قال : لما نزلت هذه الآية : « وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » إلى آخر

---

(١) الأثر : ٦٤٧٤ – « حماد » هو حماد بن سلمة ، و « حميد » هو حميد الطويل . وكان فى المطبوعة والمخطوطة « حماد بن حميد » ، وليس فى رواة الأثر من يعرف بهذا الاسم ، وحجاج بن المنهال يروى عن حماد بن سلمة ، وحماد يروى عن خاله حميد الطويل ، وحميد الطويل يروى عن الحسن .

الآية ، اشتدّت على المسلمين وشقّتْ مشقةً شديدة ، فقالوا : يا رسول الله ، لو وَقع فى أنفسنا شىء لم نعمل به وَاخذنا الله به ؟ قال : فلعلكم تقولون كما قال بنو إسرائيل : « سمعنا وعصينا » ! قالوا : بل سمعنا وأطعنا يا رسول الله ! قال : فنزل القرآن يفرّجها عنهم : « آمن الرسول بما أنزِل إليه من ربه والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله » إلى قوله : ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ ، قال : فصيّره إلى الأعمال ، وترك ما يقع فى القلوب .

٦٤٧٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحجاج قال ، حدثنا هشيم ، عن سيارٍ أبى الحكم ، عن الشعبى ، عن أبى عبيدة بن عبد الله بن مسعود فى قوله : «وإن تُبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » ، قال : نسخت هذه الآية التى بعدَها : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ .

٦٤٧٩ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « وإن تبدُوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » ، قال : يوم نزلت هذه الآية كانوا يؤاخذون بما وَسْوست به أنفسهم وما عملوا ، فشكوا ذلك إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : إن عمل أحدُنا وإن لم يعملْ أخِذنا به ؟ والله ما نملك الوَسوسة ! ! فنسخها الله بهذه الآية التى بعدُ بقوله : (١) ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ الآية ، فكان حديث النفس مما لم تطيقوا . (٢)

٦٤٨٠ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة : أن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : نسختها قوله : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ .

* * *

(١) فى المطبوعة : « التى بعدها بقوله » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « مما لم تطيقوا ، الآية » أخر الناسخ « الآية » ، فرددتها إلى مكانها قبل.

وقال آخرون = ممن قال معنى ذلك : «الإعلام من الله عز وجل عباده أنه مؤاخذهم بما كسبته أيديهم وعملته جوارحهم ، وبما حدثتهم به أنفسهم مما لم يعملوه » = [1] : «هذه الآية محكمة غيرُ منسوخة ، والله عز وجل محاسبٌ خلقَه على ما عملوا من عمل وعلى ما لم يعملوه مما أصرّوه فى أنفسهم ونووه وأرادُوه ، فيغفره للمؤمنين ، ويؤاخذ به أهلَ الكفر والنفاق » .

* ذكر من قال ذلك :

٦٤٨١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس قوله : « وإن تُبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » ، فإنها لم تنسخ ، ولكن الله عز وجل إذا جمع الخلائق يوم القيامة ، يقول الله عز وجل : « إنى أخبركم بما أخفيتم فى أنفسكم مما لم تطلع عليه ملائكتى » . فأما المؤمنون فيخبرهم ويغفر لهم ما حدّثوا به أنفسهم ، وهو قوله : « يحاسبكم به الله » ، يقول : يخبركم . وأما أهل الشك والرّيب فيخبرهم بما أخفوا من التكذيب . [2] وهو قوله : ﴿وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ ٢٢٥/٢ [سورة البقرة : ٢٢٥] ، من الشكّ والنفاق .

٦٤٨٢ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » ، فذلك سِرُّ عملكم وعلانيته ، يحاسبكم به الله ، فليس من عبد

---

(١) انظر ما سلف ص : ١٠٣ وما بعدها .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة بعد قوله : « من التكذيب » ما نصه : « وهو قوله : فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء » . وهى زيادة بلا شك من الناسخ . فإلا تكن منه ، فمكانها قبل ذلك بعد قوله « يحاسبكم به الله » وقبل قوله : « وأما أهل الشك والريب . . . » ، ولكنى آثرت إسقاطها ، لأن السيوطى خرجه فى الدر المنثور ١ : ٣٧٥ بغير ذكر هذه الزيادة فى الموضعين .

مؤمن يُسرّ فى نفسه خيراً ليعمل به ، فإن عمل به كُتبت له به عشرُ حسنات ، وإن هو لم يُقدَر له أن يعمل به كتبت له به حسنة ، من أجل أنه مؤمن ، والله يَرْضى سرّ المؤمنين وعلانيتهم . وإن كان سُوءاً حدّث به نفسه ، اطلع الله عليه وأخبره به يوم تُبلى السرائر ، وإن هو لم يعمل به لم يؤاخذه الله به حتى يعمل به . فإن هو عمل به تجاوَز الله عنه ، كما قال : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾[سورة الأحقاف : ١٦].

٦٤٨٣ – حدثنى يحيى بن أبى طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » ، الآية ، قال : قال ابن عباس : إن الله يقول يوم القيامة : « إن كُتّابى لم يكتبوا من أعمالكم إلا ما ظهر منها ، فأما ما أسررتم فى أنفسكم فأنا أحاسبكم به اليومَ ، فأغفر لمن شئت وأعذّب من شئت » .

٦٤٨٤ – حدثنى يحيى بن أبى طالب قال ، أخبرنا على بن عاصم قال ، أخبرنا بيان ، عن بشر ، عن قيس بن أبى حازم قال : إذا كان يوم القيامة قال الله عزوجل يُسمع الخلائق : « إنما كان كُتّابى يكتبون عليكم ما ظهر منكم . فإما ما أسررتم فلم يكونوا يكتبونه ولا يعملونه ، أنا اللهُ أعلم بذلك كله منكم ، فأغفر لمن شئتُ ، وأعذّب من شئت » .

٦٤٨٥ – حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » ، كان ابن عباس يقول : إذا دعى الناس للحساب أخبرَهم الله بما كانوا يسرُّون فى أنفسهم مما لم يعملوه فيقول : « إنه كان لا يعزُب عى شىء . وإنى مخبركم بما كنتم تسرُّون من السُّوء . ولم تكن حفظتكم عليكم مطّلعين عليه » ، فهذه المحاسبة

٦٤٨٦ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو تميلة ، عن عبيد بن سليمان، عن الضحاك ، عن ابن عباس نحوه .

٦٤٨٧ ــ حدثني المثنى قال ،حدثنا إسحق قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » ، قال : هى محكمة ، لم ينسخها شيء يقول : « يحاسبكم به الله » ، يقول : يعرّفه الله يوم القيامة : « إنك أخفيتَ فى صدرك كذ وكذا » ! لا يؤاخذه .

٦٤٨٨ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن قال : هى محكمة لم تنسخ .

٦٤٨٩ ــ حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، قال ، حدثنا ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله »، قال : من الشك واليقين .

٦٤٩٠ ــ حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قوله الله عز وجل : « وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » ، يقول : فى الشكِ واليقين . [1]

٦٤٩١ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل هذه الآية على قول ابن عباس الذى رواه على بن أبي طلحة :[2] وإن تبدوا ما فى أنفسكم من شيء من الأعمال فتظهروه بأبدانكم وجوارحكم ، أو تخفوه فتسروه فى أنفسكم فلم يطلع عليه أحد من خلقى ، أحاسبكم به ، فأغفر كل ذلك لأهل الإيمان ، وأعذِّب أهلَ الشرك والنفاق فى دينى .

---

(١) فى المطبوعة : « فى اليقين والشك » ، قدم وأخر ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) هو رقم : ٦٤٨١

* * *

وأما على الرواية التى رواها عنه الضحاك من رواية عبيد بن سليمان عنه ،[١] وعلى ما قاله الربيع بن أنس ،[٢] فإن تأويلها : إنْ تظهروا ما فى أنفسكم فتعملوه من المعاصى ، أو تضمروا إرادته فى أنفسكم فتخفوه ، يُعلْمكم به الله يوم القيامة ، فيغفر لمن يشاء ويعذّب من يشاء .

* * *

وأما قول مجاهد ،[٣] فشبيهٌ معناه بمعنى قول ابن عباس الذى رواه على بن أبى طلحة .

* * *

وقال آخرون = ممن قال : « هذه الآية محكمة ، وهى غير منسوخة » ، ووافقوا الذين قالوا : « معنى ذلك : أن الله عز وجل أعلم عبادَه ما هو فاعل بهم فيما أبدَوْا وأخفوا من أعمالهم » = معناها : إن الله محاسبٌ جميعَ خلقه بجميع ما أبدَوْا من سيئ أعمالهم وجميع ما أسروه ، ومُعاقبهم عليه . غيرَ أن عقوبته إياهم على ما أخفوه مما لم يعملوه ، ما يحدث لهم فى الدنيا من المصائب والأمور التى يحزَنون عليها ويألمون منها . ٩٩/٣

* ذكر من قال ذلك :

٦٤٩٢ — حدثنى يحيى بن أبى طالب قال ، حدثنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » ، الآية ، قال : كانت عائشة رضى الله عنها تقول : من همّ بسيئة فلم يعملها ، أرسل الله عليه من الهم والحزَن مثل الذى همّ به من السيئة فلم يعملها ، فكانت كفّارته .

٦٤٩٣ — حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد قال ،

---

(١) هى رقم : ٦٤٨٦ .

(٢) هو رقم : ٦٤٨٧ .

(٣) هو رقم : ٦٤٨٩ وما بعده .

سمعت الضحاك يقول فى قوله : « وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » ، قال : كانت عائشة تقول . كل عبد يهمّ بمعصية أو يحدّث بها نفسه ، حاسبه الله بها فى الدنيا ، يخافُ ويحزن ويهتم .

٦٤٩٤ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى أبو تميلة ، عن عبيد ، عن الضحاك قال : قالت عائشة فى ذلك : كل عبدٍ همّ بسوء ومعصية وحدّث نفسه به ، حاسبه الله فى الدنيا ، يخاف ويحزَن ويشتدّ همّه ، لا يناله من ذلك شىء ، كما همّ بالسوء ولم يعمل منه شيئاً .

٦٤٩٥ — حدثنا الربيع قال ، حدثنا أسد بن موسى قال ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن على بن زيد ، عن أميّة أنها سألت عائشة عن هذه الآية : «وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله» و﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾[سورة النساء : ١٢٣] فقالت : ما سألنى عنها أحد منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ياعائشة ، هذه متابعة الله العبدَ بما يصيبه من الحمّى والنكبة والشّوكة ، حتى البضاعة يضعها فى كمّه فيفقدها ، فيفزع لها فيجدُها فى ضِبْنه ، حتى إن المؤمن ليخرج من ذنوبه كما يخرُج التبر الأحمر من الكير . (١)

* * *

---

(١) الحديث : ٦٤٩٥ — على بن زيد : هو ابن جدعان .

أمية : هى بنت عبد الله ، وهى تابعية لم ترو عن عائشة غير هذا الحديث . وعلى بن زيد ، هو ابن زوجها . وقد مضى البيان عن ترجمتها فى : ٤٨٩٧ .

ووقع فى المطبوعة هنا : « عن أمه » . وهو خطأ . ووقع مثل ذلك فى بعض نسخ الترمذى . ولو صحت هذه النسخ لم يكن بذلك بأس ، إذ لا يبعد أن يسميها ربيبها « أمه » .

والحديث رواه الطيالسى : ١٥٨٤ ، عن حماد بن سلمة ، عن على بن زيد ، عن « أمية بنت عبد الله » .

ورواه أحمد فى المسند ٦ : ٢١٨ (حلبى) ، عن بهز ، عن حماد — وهو ابن سلمة ، وفيه : « عن أمية » .

ورواه الترمذى ٤ : ٧٨ — ٧٩ ، من طريق روح بن عبادة ، عن حماد بن سلمة ، به . وفيه : « عن أمية » . قال الترمذى : « هذا حديث حسن غريب من حديث عائشة ، لا نعرفه إلا من حديث حماد ابن سلمة » .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال التى ذكرناها بتأويل الآية قول من قال : « إنها محكمة ، وليست بمنسوخة » . وذلك أن النسخ لا يكون فى حكم إلاّ بنفيه بآخر ، هو له ناف من كل وجوهه .[1] وليس فى قوله جل وعز : « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » ، نفى الحكم الذى أعلم عبادَه بقوله : « أو تخفوه يحاسبكم به الله » . لأن المحاسبة ليست بموجبة عقوبةً ولا مؤاخذةً بما حوسب عليه العبد من ذنوبه .

وقد أخبر الله عز وجل عن المجرمين أنهم حين تعرض عليهم كتب أعمالهم يوم القيامة يقولون : ﴿ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً

ورواه ابن أبى حاتم – فيما نقله عنه ابن كثير ٢ : ٨٥ – من طريق سليمان بن حرب ، عن حماد ابن سلمة . وفيه « عن أبيه » بدل « عن أمية » ؛ وهو تحريف مطبعى .

وقال ابن كثير : « على بن زيد بن جدعان : ضعيف يغرب فى رواياته . وهو يروى هذا الحديث عن امرأة أبيه : أم محمد أمية بنت عبد الله عن عائشة . وليس لها عنها فى الكتب سواه » .

أقول : وعلى بن زيد ليس بضعيف ، كما قلنا فى : ٤٨٩٧ ، وكما رجحنا فى شرح المسند : ٧٨٣ .

وذكره السيوطى ١ : ٣٧٥ ، وزاد نسبته لابن المنذر ، والبيهقى فى الشعب .

قوله « هذه متابعة الله العبد » – يعنى ما يصيب الإنسان مما يؤلمه ، يتابعه الله به ليكفر عنه من سيئاته . وهذا هو الثابت فى الطبرى والمسند . والذى فى الطيالسى والترمذى والدر المنثور : « معاتبة الله » ومعناه قريب من هذا . وفى ابن كثير : « مبايعة » . وهو تحريف .

النكبة – بفتح النون : أن ينكبه الحجر إذا أصاب ظفره أو إصبعه . ومنه قيل لما يصيب الإنسان : نكبة .

البضاعة : اليسير من المال تبعثه فى التجارة ، ثم سميت السلعة : بضاعة .

الضبن – بكسر فسكون : ما بين الإبط والكشح .

التبر : فتات الذهب والفضة قبل أن يصاغ ، فإذا صيغ فهو ذهب أو فضة .

الكير – بكسر الكاف ، كير الحداد : وهو زق أو جلد غليظ ذو حافات ، ينفخ النار حتى تتوهج .

(١) فى المطبوعة : « إلا ينفيه » ، بالياء فى أوله ، وهو فى المخطوطة غير منقوط . وفيهما معاً « بآخر له ناف » ، والصواب زيادة « هو » كما أثبت . وبذلك يستقيم الكلام .

وانظر ما قال فى « النسخ » فيما سلف ص : ٥٤ ، والتعليق : ١ .

إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾ [سورة الكهف : ٤٩] . فأخبر أن كتبهم محصية عليهم صغائرَ أعمالهم وكبائرَها ، فلم تكن الكتب – وإن أحصت صغائرَ الذنوب وكبائرَها – بموجبٍ إحصاؤها على أهل الإيمان بالله ورسوله ، وأهل الطاعة له ، أن يكونوا بكل ما أحصته الكتب من الذنوب معاقبين . لأن الله عز وجل وَعدهم العفوَ عن الصغائر ، باجتنابهم الكبائر فقال فى تنزيله : ﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ [سورة النساء : ٣١] . فذلك محاسبة الله عبادَه المؤمنين بما هو محاسبهم به من الأمور التى أخفتها أنفسهم ، غيرَ موجبٍ لهم منه عقوبة ، (١) بل محاسبته إياهم – إن شاء الله – عليها ، ليعرّفهم تفضُّله عليهم بعفوه لهم عنها ، كما بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخبر الذى : –

٦٤٩٦ – حدثنى به أحمد بن المقدام قال ، حدثنا المعتمر بن سليمان قال ، سمعت أبى ، عن قتادة ، عن صَفوان بن مُحْرز ، عن ابن عمر ، عن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال : يُدْنى الله عبدَه المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه كَنَفه ، فيقرِّره بسيئاته يقول : هل تعرف ؟ فيقول : نعم ! فيقول : سترتها فى الدنيا وأغفرها اليوم ! ثم يظهر له حسناته فيقول : ﴿ هَاؤُمُ اقْرَأُوا كِتَابِيَهْ ﴾ [سورة الحاقة : ١٩] أو كما قال = وأما الكافر فإنه يُنادى به على رُؤوس الأشهاد . (٢)

٦٤٩٧ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا ابن أبى عدى ، عن سعيد ، وهشام = وحدثنى يعقوب قال ، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا هشام = قالا جميعاً فى حديثهما

---

(١) فى المطبوعة : « فدل أن محاسبة الله . . . » ، وأثبت ما فى المخطوطة . وفى المطبوعة والمخطوطة بعد : « غير موجبة لهم منه عقوبة » ، والسياق يقتضى : « غير موجب . . . » كما أثبتها .

(٢) الحديث : ٦٤٩٦ – صفوان بن محرز المازنى : تابعى ثقة جليل ، له فضل وورع . والحديث مختصر من الذى بعده . وسنذكر تخريجه فيه ، إن شاء الله .

عن قتادة ، عن صفوان بن محرز قال : بينما نحن نطوف بالبيت مع عبد الله بن عمرَ وهو يطوف ، إذ عرَض له رجل فقال . يا ابن عمر ، أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى النَّجْوى ؟ فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يدنو المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه ، فيقرِّره بذنوبه فيقول : « هل تعرف كذا » ؟ فيقول : « ربِّ اغفر » – مرتين – حتى إذا بلغ به ما شاء الله أن يبلُغ قال : « فإنى قد سترتها عليك فى الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليومَ » . قال : فيعطى صحيفة حسناته – أو : كتابه – بيمينه ، وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الأشهاد : ﴿ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾.(١) ١٠٠/٣

[سورة هود : ١٨]

* * *

---

(١) الحديث : ٦٤٩٧ – سعيد : هو ابن أبى عروبة ، الثقة المأمون الحافظ . وهشام : هو ابن أبى عبد الله الدستوائى .

ووقع فى المطبوعة : « حدثنا ابن أبى عدى ، وسعيد ، وهشام » ، وهو تحريف .

وصوابه : « عن سعيد » ، لأن ابن أبى عدى – وهو محمد بن إبرهيم – إنما يروى عن ابن أبى عروبة وعن هشام الدستوائى . فهو ليس من طبقتهما . ثم هو لم يدرك أن يروى عن قتادة . وكذلك ابن بشار – وهو محمد بن بشار . شيخ الطبرى – إنما يروى عن ابن أبى عدى وطبقته ، لم يدرك أن يروى عن ابن أبى عروبة والدستوائى .

وأيضاً ، فإن قوله فى الإسناد – بعد تحويله إلى ابن علية عن هشام – « قالا جميعاً فى حديثهما عن قتادة » ، يرجع ضمير المثنى فيه إلى سعيد وهشام ، دون ابن أبى عدى . إذ لو كان معهما لكان القول أن يقول : « قالوا جميعاً » .

ثم قد ثبت أنه « عن سعيد » فى نقل ابن كثير هذا الحديث عن هذا الموضع ٢ : ٨٤ ، وإن وقع فيه خطأ مطبعى آخر ، إذ فيه : « عن سعيد بن هشام » بدل « وهشام » . وفيه بعد ابن علية « حدثنا ابن هشام » بزيادة « ابن » زيادة هى غلط غير مستساغ .

ثم الحديث سيأتى فى تفسير الطبرى ١٢ : ١٤ (بولاق) ، بهذا الإسناد ، على الصواب . ولكنه جعله هناك إسنادين : فصل إسناد ابن علية عن إسناد ابن أبى عدى .

والحديث رواه أحمد فى المسند : ٥٤٣٦ ، عن بهز وعفان ، كلاهما عن همام – وهو ابن يحيى – عن قتادة ، بهذا الإسناد .

ورواه أيضاً : ٥٨٢٥ ، عن عبد الوهاب بن عطاء ، عن سعيد ، وهو ابن أبى عروبة ، عن قتادة ، به .

= أن الله يفعل بعبده المؤمن:[1] من تعريفه إياه سيئات أعماله، حتى يعرّفه تفضّله عليه بعفوه له عنها. فكذلك فعله تعالى ذكره في محاسبته إياه بما أبداه من نفسه وبما أخفاه من ذلك، ثم يغفر له كلّ ذلك بعد تعريفه تفضّله وتكرّمه عليه، فيستره عليه. وذلك هو المغفرة التي وعد الله عباده المؤمنين فقال: «فيغفر لمن يشاء».[2]

* * *

قال أبو جعفر: فإن قال قائل: فإنّ قوله: «لها ما كسبت وعليها ما اكتسبتْ»، ينبئ عن أن جميع الخلق غير مؤاخذين إلا بما كسبته أنفسهم من ذنب، ولا مُثابين إلا بما كسبته من خير؟

قيل: إن ذلك كذلك، وغيرُ مؤاخَذٍ العبدُ بشيء من ذلك إلا بفعل ما نُهي عن فعله، أو تَرْك ما أمر بفعله.

فإن قال: فإذ كان ذلك كذلك، فما معنى وعيد الله عز وجل إيانا على ما أخفته أنفسنا بقوله: «ويعذّب من يشاء»، إن كان لها ما كسبت وعليها

ورواه البخاري ٥ : ٧٠ (فتح)، ومسلم ٢ : ٣٢٩ – كلاهما من طريق هشام الدستوائي، عن قتادة، به.

ورواه البخاري أيضاً ٨ : ٢٦٦ – ٢٦٧، من طريق سعيد بن أبي عروبة وهشام الدستوائي، عن قتادة.

ورواه أيضاً ١٠ : ٤٠٦ – ٤٠٧، و ١٣ : ٣٩٧ – ٣٩٨، من طريق أبي عوانة، عن قتادة

ورواه أبو جعفر بن النحاس، في كتاب الناسخ والمنسوخ، ص : ٨٦ – ٨٧، من طريق ابن علية، عن هشام. وقال: «وإسناده إسناد لا يدخل القلب منه لبس. وهو من أحاديث أهل السنة والجماعة».

وذكره ابن كثير ٢ : ٨٤ – ٨٥، كما قلنا من قبل، عن هذا الموضع من الطبري.

وذكره أيضاً ٤ : ٣٥٣، عن رواية المسند الأولى.

وذكره السيوطي ٣ : ٣٢٥. وزاد نسبته لابن المبارك، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم وابن مردويه، والبيهقي في الأسماء والصفات.

ونسبه القسطلاني ٤ : ٢٠٦، للنسائي في التفسير والرقائق، وابن ماجة في السنة.

ووقع في المخطوطة – هنا – «وأما الكفار أو المنافقين»، وهو خطأ واضح.

(١) سياق هذه الجملة من قبل الخبرين السالفين: «كما بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . أن الله يفعل بعبده المؤمن . . .»، فجملة «أن الله يفعل»، هي فاعل قوله: «بلغنا».

(٢) في المطبوعة: «يغفر لمن يشاء» بغير فاء، وأثبت نص الآية كما في المخطوطة.

ما اكتسبت، وما أضمرته قلوبنا وأخفته أنفسنا — : من همّ بذنب، أو إرادةٍ لمعصية — لم تكتسبه جوارحُنا ؟

قيل له : إن الله جل ثناؤه قد وعد المؤمنين أن يعفوَ لهم عما هو أعظم مما همّ به أحدهم من المعاصى فلم يفعله، وهو ما ذكرنا من وَعْده إياهم العفوَ عن صغائر ذنوبهم إذا هم اجتنبوا كبائرها . وإنما الوعيد من الله عز وجل بقوله : « ويعذب من يشاء » ، على ما أخفته نفوس الذين كانت أنفسُهم تخفى الشك فى الله ، والمريةَ فى وحدانيته ، أو فى نبوّة نبيه صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله ، أو فى المعاد والبعث — من المنافقين ، [1] على نحو ما قال ابن عباس ومجاهد ومن قال بمثل قولهما ، إن تأويل قوله : « أو تخفوه يحاسبكم به الله » ، على الشك واليقين .

غير أنا نقول إنّ المتوعَّدَ بقوله : « ويعذب من يشاء » ، هو مَن كان إخفاءُ نفسه ما تخفيه الشكَّ والمريةَ فى الله ، [2] وفيما يكون الشك فيه بالله كفراً = والموعودَ الغفرانَ بقوله : [3] « فيغفر لمن يشاء » هو الذى إخفاءُ ما يخفيه ، [4] الهمّة بالتقدم على بعض ما نهاه الله عنه من الأمور التى كان جائزاً ابتداءً تحليلهُ وإباحته ، فحرّمه على خلقه جل ثناؤه = [5] أو على ترك بعض ما أمر الله بفعله ، مما كان جائزاً ابتداءً إباحةُ تركه ، فأوجب فعله على خلقه . فإنّ الذى يهمّ بذلك من المؤمنين — إذا هو لم يصحح همَّه بما يهمّ به ، ويحقق ما أخفته نفسه من ذلك

---

(١) سياق الجملة : « على ما أخفته نفوس الذين كانت أنفسهم تخفى الشك فى الله . . . من المنافقين » ، وما بينهما صفات فاصلة .

(٢) قوله : « الشك والمرية . . . » خبر « كان » .

(٣) قوله : « الموعود » منصوب معطوف على قوله « إن المتوعد . . . » ، وقوله : « الغفران » منصوب باسم المفعول وهو « الموعود » ، أى الذى وعد الغفران .

(٤) فى المطبوعة : « هو الذى أخفى وما يخفيه الهمة بالتقدم . . . » وفى المخطوطة : « هو الذى إحفا وما يخفيه الهمه » غير منقوطة بهذا الرسم : وصواب قراءة المخطوطة هو ما أثبت .

(٥) قوله : « أو على ترك . . . » معطوف على قوله آنفاً : « بالتقدم على بعض ما نهاه . . . »

بالتقدُّم عليه — لم يكن مأخوذاً به، كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

٦٤٩٨ — « من هَمّ بحسنة فلم يعملها كُتِبتْ له حسنةٌ ، ومن همّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه » . (١)

* * *

فهذا الذى وصفنا هو الذى يحاسب الله به مؤمنى عباده ، ثم لا يعاقبهم عليه . فأما من كان ما أخفته نفسه شكا فى الله وارتياباً فى نبوة أنبيائه ، فذلك هو الهالك المخلَّد فى النار الذى أوعده جل ثناؤه العذاب الأليم بقوله : « ويعذب من يشاء » .

* * *

قال أبوجعفر : فتأويل الآية إذاً : « وإن تبدوا ما فى أنفسكم » ، أيها الناس، فتظهروه = « أو تخفوه » ، فتنطوى عليه نفوسكم = « يحاسبكم به الله » ، فيعرِّف مؤمنكم تفضّله بعفوه عنه ومغفرته له فيغفره له ، ويعذّب منافقكم على الشك الذى انطوت عليه نفسه فى وحدانية خالقه ونبوّة أنبيائه . (٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢٨٤)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : والله عز وجل = على العفو عما أخفته نفس هذا المؤمن من الهمّة بالخطيئة ، وعلى عقاب هذا الكافر على ما أخفته نفسه من الشك فى توحيد الله عز وجل ونبوة أنبيائه ، ومجازاة كل واحد منهما على ما كان منه ، وعلى غير ذلك من الأمور = قادرٌ .

---

(١) الأثر : ٦٤٩٨ — لم يذكر الطبرى إسناده ، وأحاديث تجاوز الله عن حديث النفس فى مسلم ٢ : ١٤٦ — ١٥٢ بغير هذا اللفظ ، ثم سائر كتب السنة .

(٢) فى المخطوطة : « فيعرف مؤمنيكم . . . ويعذب منافقيكم » بالجمع ، والذى فى المطبوعة أصح وأجود .

القول فى تأويل قوله ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : صدّق الرسولُ = يعنى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فأقرّ = « بما أنزل إليه » ، يعنى : بما أوحى إليه من ربه من الكتاب ، وما فيه من حلال وحرام ، ووعد وعيد ، وأمر ونهى ، وغير ذلك من سائر ما فيه من المعانى التى حوَاها . ١٠١/٣

* * *

وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية عليه قال : يحقّ له .

٦٤٩٩ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه » ، ذكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية قال : ويحقٌّ له أن يؤمن . (١)

* * *

وقد قيل : إنها نزلت بعد قوله : « وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شىء قدير » ، لأن المؤمنين برسول الله من أصحابه شقّ عليهم ما توعدهم الله به من محاسبتهم على ما أخفته نفوسهم ، فشكوا ذلك إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : لعلكم تقولون : « سمعنا وعصينا » كما قالت بنو إسرائيل ! فقالوا :

---

(١) الأثر : ٦٤٩٩ – أخرج الحاكم فى المستدرك ٢ : ٢٨٧ من طريق خلاد بن يحيى ، عن أبى عقيل ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن أنس قال : «لما نزلت هذه الآية على النبى صلى الله عليه وسلم : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه » قال النبى صلى الله عليه وسلم : وأحق له أن يؤمن » . ثم قال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » واستدرك عليه الذهبى فقال : « منقطع » .

بل نقول : « سمعنا وأطعنا » ! فأنزل الله لذلك من قول النبي صلى الله عليه وسلم وقول أصحابه : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله » ، يقول : وصدّق المؤمنون أيضاً مع نبيهم بالله وملائكته وكتبه ورسله ، الآيتين . وقد ذكرنا قائلي ذلك قبلُ . (١)

* * *

قال أبو جعفر : واختلفت القرأة في قراءة قوله : « وكتبه » .

فقرأ ذلك عامة قرأة المدينة وبعض قرأة أهل العراق ﴿ وكُتُبِهِ ﴾ على وجه جمع « الكتاب » ، على معنى : والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملائكته وجميع كتبه التي أنزلها على أنبيائه ورسله .

* * *

وقرأ ذلك جماعة من قرأة أهل الكوفة : ﴿ وكِتَابِهِ ﴾ ، بمعنى : والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وبالقرآن الذي أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

* * *

وقد روى عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك : « وكتابه » ، ويقول : الكتاب أكثر من الكتب . وكأنّ ابن عباس يوجه تأويل ذلك إلى نحو قوله : ﴿ وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ [سورة العصر : ١ ، ٢] ، بمعنى جنس « الناس » وجنس « الكتاب » ، كما يقال : « ما أكثر درْهم فلان ودينارَه » ، ويراد به جنس الدراهم والدنانير .(٢) وذلك ، وإن كان مذهباً من المذاهب معروفاً ، فإن الذي هو أعجب إليّ من القراءة في ذلك أن يقرأ بلفظ الجمع . لأن الذي قبله جمع ، والذي بعده كذلك — أعني بذلك : « وملائكته وكتبه ورسله » — فإلحاق « الكتب » في الجمع لفظاً به ، أعجبُ إليّ من توحيده وإخراجه في اللفظ به بلفظ الواحد ، ليكون لاحقاً في اللفظ والمعنى بلفظ ما قبله وما بعده ، وبمعناه .

* * *

---

(١) انظر ما سلف رقم ٦٤٧٧ .

(٢) انظر ما سلف ٤ ٢٦٣

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾

قال أبو جعفر : وأما قوله : « لا نفرق بين أحد من رسله »، فإنه أخبر جل ثناؤه بذلك عن المؤمنين أنهم يقولون ذلك . فنى الكلام فى قراءة من قرأ « لا نُفرّق بين أحد من رسله » بالنون ، متروكٌ ، قد استغنى بدلالة ما ذكر عنه . وذلك المتروك هو : « يقولون » . وتأويل الكلام : والمؤمنون كلّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، يقولون: لا نفرق بين أحد من رسله . وترك ذكر « يقولون » لدلالة الكلام عليه ، كما ترك ذكره فى قوله : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾ [سورة الرعد: ٢٣، ٢٤]، بمعنى : يقولون: سلامٌ .

* * *

وقد قرأ ذلك جماعة من المتقدمين : ﴿ لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾ بـ «الياء»، بمعنى : والمؤمنون كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا يفرّق الكلّ منهم بين أحد من رسله ، فيؤمن ببعض ويكفر ببعض ، ولكنهم يصدقون بجميعهم ، ويقرُّون أن ما جاؤوا به كان من عند الله ، وأنهم دَعَوْا إلى الله وإلى طاعته ، ويخالفون فى فعلهم ذلك اليهودَ الذين أقرُّوا بموسى وكذبوا عيسى ، والنصارى الذين أقرّوا بموسى وعيسى وكذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وجحدوا نبوته ، ومن أشبههم من الأمم الذين كذبوا بعضَ رسل الله وأقروا ببعضهم ، كما : —

٦٥٠٠ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « لا نفرق بين أحد من رسله » ، كما صنع القوم — يعنى بنى إسرائيل — قالوا : فلان نبىّ ، وفلان ليس نبيًّا ، وفلانٌ نؤمن به ، وفلان لا نؤمن به .

* * *

قال أبو جعفر : والقراءة التى لا نستجيز غيرَها فى ذلك عندنا بالنون :

« لانفرق بين أحد من رسله » ، لأنها القراءة التي قامت حجتها بالنقل المستفيض ، [١] الذي يمتنع معه التشاعُر والتواطؤ والسهو والغلط = [٢] ، بمعنى ما وصفنا من : يقولون لا نفرق بين أحد من رسله = [٣] ولا يعترض بشاذ من القراءة ، على ما جاءت به الحجة نقلاً ووراثة . [٤] ١٠٢/٣

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (٢٨٥)

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : وقال الكل من المؤمنين « سمعنا » قولَ ربنا وأمرَه إيّانا بما أمرنا به ، ونهيه عما نهانا عنه = « وأطعنا » ، يعني : أطعنا ربَّنا فيما ألزمنا من فرائضه واستعبَدنا به من طاعته ، وسلمنا له = وقوله : « غُفرانك ربنا » ، يعني : وقالوا : « غفرانك ربّنا » ، بمعنى : اغفر لنا ربنا غُفرانك ، كما يقال : « سبحانك » ، بمعنى : نسبِّحك سبحانك .

* * *

وقد بينا فيما مضى أن « الغفران » و « المغفرة » ، السترُ من الله على ذنوب من

---

(١) في المطبوعة : « التي قامت حجة . . . » ، وفي المخطوطة : « « التي قامت حجته » ، وصواب قراءتها ما أثبت .

(٢) في المطبوعة : « التشاغر » بغين معجمة ، وهو خطأ غث . والصواب من المخطوطة . و « تشاعروا الأمر ، أو على الأمر » ، أي تعالموه بينهم . من قولهم : « شعر » أي « علم » . وهي كلمة قلما تجدها في كتب اللغة ، ولكنها دائرة في كتب الطبري ومن في طبقته من القدماء . وانظر الرسالة العثمانية للجاحظ : ٣ ، وتعليق : ٥ ، ثم ص : ٢٦٣ ، وصواب شرحها ما قلت . وانظر ما سيأتي ص : ١٥٥ ، تعليق ١ .

(٣) في المطبوعة : « يعني ما وصفنا » ، والصواب من المخطوطة .

(٤) في المطبوعة : « نقلا ورواية » ، وفي المخطوطة « نقلا وراثة » ، وهي الصواب ، وآثرت زيادة الواو قبلها ، فإني أرجح أنها كانت كذلك . وقد أكثر الطبري استعمال « وراثة » و « موروثة » فيما سلف ، من ذلك فيما مضى في ٤ : ٣٣ « بالحجة القاطعة العذر ، نقلا عن نبينا صلى الله عليه وسلم وراثة » / ثم في ٥ : ٢٣٨ « لخلافها القراءة المستفيضة الموروثة » . وانظر ما سيأتي ص : ١٥٥ ، تعليق ١ .

غفر له ، وصفحه له عن هتك ستره بها فى الدنيا والآخرة ، وعفوه عن العقوبة — عليه .(١)

* * *

وأما قوله : « وإليك » المصير »، فإنه يعنى جل ثناؤه أنهم قالوا : وإليك يا ربنا مرجعنا ومعادنا ، فاغفر لنا ذنوبنا .(٢)

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال لنا قائل : فما الذى نصب قوله : « غفرانك » ؟

قيل له : وقوعه وهو مصدر موقعَ الأمر . وكذلك تفعل العرب بالمصادر والأسماء إذا حلت محلّ الأمر ، وأدّت عن معنى الأمر نصبتها ، فيقولون : « شكراً لله يا فلان » ، و «حمداً له »، بمعنى : اشكر الله واحمده . « والصلاةَ ، الصلاةَ » . بمعنى : صلُّوا . ويقولون فى الأسماء : « اللهَ اللهَ يا قوم »، ولو رفع بمعنى : هو الله ، أو : هذا الله — وُوجِّه إلى الخبر وفيه تأويل الأمر ، كان جائزاً ، كما قال الشاعر :(٣)

إنَّ قَوْماً مِنْهُمْ عُمَيرٌ وَأَشْبَا ... هُ عُمَيْرٍ وَمِنْهُمُ السَّفَّاحُ(٤)
لَجَدِيرُونَ بالوَفَاءِ إذَا قَا ... لَ أخُو النَّجْدَةِ : السِّلَاحُ السِّلَاحُ !!

ولو كان قوله « غفرانك ربنا » جاء رفعاً فى القراءة ، لم يكن خطأ ، بل كان صواباً على ما وصفنا .(٥)

* * *

وقد ذُكر أن هذه الآية لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثناءً من

---

(١) انظر ما سلف ٢ : ١٠٩ ، ١١٠ .

(٢) انظر ما سلف فى تفسير « المصير » ٣ : ٥٦ .

(٣) لم أعرف قائله .

(٤) معانى القرآن للفراء ١ : ١٨٨ ، وشواهد العينى (بهامش الخزانة) ٤ : ٣٠٦ . ولم أستطع تعيين « عمير » و « السفاح » ، فهما كثير .

(٥) أكثر هذا من معانى القرآن للفراء ١ : ١٨٨ .

الله عليه وعلى أمته ، قال له جبريل صلى الله عليه وسلم : إنّ الله عز وجل قد أحسنَ عليك وعلى أمتك الثناءَ ، فسل ربّك .

٦٥٠١ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن بيان، عن حكيم بن جابر قال : لما أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرّق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » ، قال جبريل : إن الله عز وجل قد أحسن الثناء عليك وعلى أمتك ، فسل تُعطه! فسأل : « لا يكلّف الله نفساً إلاّ وُسعها » إلى آخر السورة . (١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : لا يكلّف الله نفساً فيتعبّدها إلاّ بما يسعها ، (٢) فلا يُضيّق عليها ولا يَجهدها .

* * *

---

(١) الحديث : ٦٥٠١ – بيان : هو ابن بشر الأحمسى ، مضت ترجمته فى : ٢٥٩ . « حكيم بن جابر بن طارق بن عوف الأحمسى » : تابعى كبير ثقة ، أرسل عن النبى صلى الله عليه وسلم . روى عن أبيه ، وعمر ، وعثمان ، وابن مسعود ، وطلحة ، وعبادة بن الصامت . وروى عنه إسماعيل ابن أبى خالد ، و«بيان» . ثقة . مات فى آخر إمارة الحجاج . وقيل سنة ٨٢ ، وقيل سنة ٩٥ . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١٢/١/٢ . وصرح بأنه سمع عمر .

فهذا الحديث مرسل .

وذكره السيوطى ١ : ٣٧٦ ، ونسبه أيضاً لسعيد بن منصور ، وابن أبى حاتم .

ونقله ابن كثير ٢ : ٨٩ ، عن هذا الموضع من الطبرى . ولكن وقع فيه تحريف فى الإسناد ، من ناسخ أو طابع – هكذا : « عن سنان ، عن حكيم ، عن جابر » ؛ فصار الإسناد موهماً أنه حديث متصل من رواية جابر بن عبد الله الصحابى . فيصحح من هذا الموضع .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها فيتعبدها إلا بما يسعها » وبين أن الناسخ عجل فزاد « إلا وسعها » ، والسياق يقتضى تركها هنا ، فتركتها .

وقد بينا فيما مضى قبل أن « الوسع » اسم من قول القائل : « وَسِعنى هذا الأمر »، مثل « الجُهد » و « الوُجْد » من : « جَهدنى هذا الأمر » و « وجَدت منه » ، [1] كما : —

٦٥٠٢ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله قال، حدثنى معاوية، عن على، عن ابن عباس قوله: « لا يكلف الله نفساً إلاّ وُسعها » قال : هم المؤمنون ، وسّع الله عليهم أمرَ دينهم، فقال الله جل ثناؤه : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [سورة الحج : ٧٨] ، وقال : ﴿ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾[سورة البقرة: ١٨٥]، وقال ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾[2][سورة التغابن: ١٦] .

٦٥٠٣ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن الزهرى ، عن عبد الله بن عباس قال : لما نزلتْ ، ضجّ المؤمنون منها ضجةً وقالوا : يا رسول الله ، هذا نَتوب من عمل اليد والرجل واللسان ! [3] كيف نتوب من الوسوسة ؟ كيف نمتنع منها ؟ فجاء جبريل صلى الله عليه وسلم بهذه الآية ، « لا يكلف الله نفساً إلاّ وُسعها » ، إنكم لا تستطيعون أن تمتنعوا من الوَسْوسة .

٦٥٠٤ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « لا يُكلف الله نفساً إلا وسعها » ، وسعها ، طاقتها . وكان حديث النفس مما لم يطيقوا . [4]

* * *

---

(١) انظر ما سلف ٥ : ٤٥ .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « اتقوا الله . . . » وأثبت نص القراءة .

(٣) قوله : « هذا نتوب . . . » ، تعبير فصيح يكون مع التعجب ، وقد جاء فى الشعر ، ولكن سقط عنى موضعه الآن فلم أجده .

(٤) فى المطبوعة : « مما لا يطيقون » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

القول فى تأويل قوله ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « لها » للنفس التى أخبر أنه لا يكلفها إلا وسعها . يقول : لكل نفس ما اجترَحت وعملتْ من خير = « وعليها » ، يعنى : وعلى كل نفس = « ما اكتسبت » ، ما عملت من شرّ ، (١) كما : —

٦٥٠٥ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت »، أى : من خير = « وعليها ما اكتسبت » ، أى : من شرّ — أو قال : من سوء . ١٠٣/٣

٦٥٠٦ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « لها ما كسبت » ، يقول : ما عملت من خير = « وعليها ما اكتسبت » ، يقول : وعليها ما عملت من شر .

٦٥٠٧ — حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة ، مثله .

٦٥٠٨ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن الزهرى، عن عبد الله بن عباس: « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت»، عملَ اليد والرّجل واللسان .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الآية إذاً : لا يكلف الله نفساً إلا ما يسعها فلا يَجهدَها ولا يضيِّق عليها فى أمر دينها ، فيؤاخذها بهمَّة إن همّت ، ولا بوسوسة إن عَرَضت لها ، ولا بخطرة إن خَطرت بقلبها .

* * *

(١) انظر تفسير « الكسب » و « الاكتساب » فيما سلف ٢ : ٢٧٣ ، ٢٧٤ / ثم ٣ : ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٢٨ ، ١٢٩ / ثم ٤ : ٤٤٩ .

القول فى تأويل قوله ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾

قال أبو جعفر : وهذا تعليمٌ من الله عز وجل عبادَه المؤمنين دعاءَه كيف يدعونه ، وما يقولونه فى دعائهم إياه . ومعناه : قولوا : « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا » شيئاً فرضتَ علينا عمله فلم نعمله = ، « أو أخطأنا » فى فعل شىء نهيتَنا عن فعله ففعلناه ، على غير قصد منا إلى معصيتك ، ولكن على جَهالة منا به وخطأ ، كما : —

٦٥٠٩ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ربنا لا تؤخذنا إن نسينا أو أخطأنا » ، إن نسينا شيئاً مما افترضته علينا ، أو أخطأنا ، [فأصبنا] شيئاً مما حرمته علينا .(١)

٦٥١٠ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا » ، قال : بلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن الله عز وجل تجاوز لهذه الأمة عن نسيانها وما حدّثت به أنفسها .(٢)

٦٥١١ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط قال ، زعم السدى أن هذه الآية حين نزلت : « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا » ، قال قال له جبريل صلى الله عليه وسلم : فقل ذلك يا محمد .

* * *

(١) الزيادة بين القوسين ، توشك أن تكون زيادة لايستقيم بغيرها الكلام .

(٢) الأثر : ٦٥١٠ — أخرجه مسلم فى صحيحه (٢ : ١٤٦ ، ١٤٧) من طرق ، عن قتادة ، عن زرارة بن أوفى ، عن أبى هريرة ولفظه : « إن الله تجاوز لأمتى عما حدثت به أنفسها ، ما لم يتكلموا أو يعملوا » .

قال أبو جعفر : إن قال لنا قائل : وهل يجوز أن يُؤاخذ الله عز وجل عباده بما نسوا أو أخطأوا، فيسألوه أن لا يؤاخذهم بذلك ؟

قيل : إنّ « النسيان » على وجهين : أحدُهما على وجه التضييع من العبد والتفريط ، والآخرُ على وجه عجز الناسي عن حفظ ما استُحفظ ووكّل به ، وضعف عقله عن احتماله .

= فأما الذى يكون من العبد على وجه التضييع منه والتفريط ، فهو تركٌ منه لما أمِر بفعله . فذلك الذى يرغب العبد إلى الله عز وجل فى تركه مؤاخذته به ، وهو « النسيان» الذى عاقب الله عز وجل به آدم صلوات الله عليه فأخرجه من الجنة ، فقال فى ذلك : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾ [سورة طه : ١١٥]، وهو « النسيان » الذى قال جل ثناؤه : ﴿ فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا ﴾ [سورة الأعراف : ٥١] . فرغبةُ العبد إلى الله عز وجل بقوله : « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا » ، فيما كان من نسيان منه لما أمر بفعله على هذا الوجه الذى وصفنا ، ما لم يكن تركُهُ ما ترك من ذلك تفريطاً منه فيه وتضييعاً ، كفراً بالله عز وجل . فإن ذلك إذا كان كفراً بالله ، فإن الرغبة إلى الله فى تركه المؤاخذةَ به غير جائزة ، لأن الله عز وجل قد أخبر عباده أنه لا يغفر لهم الشرك به ، فمسألته فعلَ ما قد أعلمهم أنه لا يفعله ، خطأ . وإنما تكون مسألته المغفرة ، فيما كان من مثل نسيانه القرآنَ بعد حفظه بتشاغله عنه وعن قراءته ، ومثل نسيانه صلاةً أو صياماً باشتغاله عنهما بغيرهما حتى ضيّعهما .

= وأما الذى العبد به غيرُ مؤاخذ ، لعجز بِنْيته عن حفظه ، وقلة احتمال عقله ما وُكّل بمراعاته ، فإن ذلك من العبد غيرُ معصية ، وهو به غير آثم . فذلك الذى لا وجه لمسألة العبد ربَّه أن يغفره له ، لأنه مسألة منه له أن يغفر له ما ليس له بذنب . وذلك مثل الأمر يغلب عليه وهو حريصٌ على تذكّره وحفظه ، كالرجل

يحرص على حفظ القرآن بجدّ منه فيقرأه ، ثم ينساه بغير تشاغل منه بغيره عنه ، ولكن بعجز بنيته عن حفظه ، وقلة احتمال عقله ذكرَ ما أودع قلبه منه ، وما أشبه ذلك من النسيان ، فإن ذلك مما لا تجوز مسألة الربّ مغفرته ، لأنه لا ذنبَ للعبد فيه فيغفر له باكتسابه .

* * *

وكذلك لـ « الخطأ » وجهان :

١٠٤/٣ = أحدهما : من وجه ما نُهى عنه العبد فيأتيه بقصد منه وإرادة ، فذلك خطأ منه ، وهو به مأخوذ ، يقال منه : « خَطِئَ فلان وأخطأ » فيما أتى من الفعل ، و « أثم » ، إذا أتى ما يأثم فيه وركبه ،[1] ومنه قول الشاعر :[2]

النَّاسُ يَلْحَوْنَ الأَمِيرَ إِذَا هُمُ خَطِئُوا الصَّوَابَ وَلَا يُلَامُ المُرْشَدُ[3]

يعنى أخطأوا الصّواب = وهذا الوجه الذى يرغب العبد إلى ربه فى صَفح ما كان منه من إثم عنه ،[4] إلا ما كان من ذلك كفراً .

= والآخر منهما : ما كان منه على وجه الجهل به ، والظنّ منه بأن له فعله ، كالذى يأكل فى شهر رمضان ليلاً وهو يحسب أن الفجر لم يطلع = أو يؤخّر

---

(١) فى المطبوعة : « ما يتأثم فيه » ، والصواب من المخطوطة . وانظر معنى « خطئ » فيما سلف ٢ : ١١٠ .

(٢) هو عبيد بن الأبرص الأسدى ، وفى حماسة البحترى ، ٢٣٦ « عبيد بن منصور الأسدى » ، وكأنه تحريف .

(٣) ديوانه : ٥٤ ، وحماسة البحترى ٢٣٦ واللسان (أمر) ورواية ديوانه :

وَالنَّاسُ يلحون الأميرَ إذَا غَوَى خَطْبَ الصَّوَابِ . . . . . .

أما رواية اللسان ، فهى كما جاءت فى الطبرى . ولحاه يلحاه : لامه وقرعه . والأمير : صاحب الأمر فيهم ، يأمرهم فيطيعونه . والمرشد (اسم مفعول بفتح الشين) : من هداه الله إلى الصواب . وهو شبيه بقول القطامى

والناسُ مَنْ يلقَ خيراً قائلون لَهُ ما يشتهى ، ولِأُمِّ المُخْطِئِ الهَبَلُ

(٤) استعمل أبو جعفر « الصفح » هنا بمعنى : الرد والصرف ، ولو كان من قولهم « صفح عن ذنبه » لكان صواب العبارة « فى صفحه عما كان منه من إثم » . واستعمال أبى جعفر جيد صحيح .

صلاةً في يوم غيم وهو ينتظر بتأخيره إياها دخولَ وقتها ، فيخرج وقتها وهو يرى أن وقتها لم يدخل . فإنّ ذلك من الخطأ الموضوع عن العبد، الذى وضعَ الله عز وجل عن عباده الإثم فيه، فلا وجه لمسألة العبد ربَّه أن لا يؤاخذه به .

* * *

وقد زعم قوم أنّ مسألة العبد ربَّه أن لا يؤاخذه بما نسى أو أخطأ ، إنما هو فعلٌ منه لما أمرَه به ربُّه تبارك وتعالى، أو لما ندبه إليه من التذلل له والخضوع بالمسألة، فأما على وجه مسألته الصفحَ، فما لا وجه له عندهم .(١)

وللبيان عن هؤلاء كتاب سنأتى فيه إن شاء الله على ما فيه الكفاية، لمن وفق لفهمه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾

قال أبو جعفر : ويعنى بذلك جل ثناؤه : قولوا : « ربنا لا تحمل علينا إصراً »، يعنى بـ «الإصر» العهد، كما قال جل ثناؤه : ﴿ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ﴾ [سورة آل عمران : ٨١] . وإنما عنى بقوله : « ولا تحمل علينا إصراً » ولا تحمل علينا عهداً فنعجز عن القيام به ولا نستطيعه = « كما حملته على الذين من قبلنا »، يعنى : على اليهود والنصارى الذين كُلِّفوا أعمالاً ، وأخذت عهودهم ومواثيقهم على القيام بها، فلم يقوموا بها فعوجلوا بالعقوبة . فعلَّم الله عز وجل أمة محمد صلى الله عليه وسلم الرغبةَ إليه بمسألته أن لا يحملهم من عهوده ومواثيقه على أعمال — إن ضيعوها

---

(١) انظر أمالى الشريف المرتضى ٢ : ١٣١ ، ١٣٢ .

أو أخطأوا فيها أو نسوها – مثل الذى حَمَّل مَنْ قبلهم ، فيُحِلُّ بهم بخطئهم فيه وتضييعهم إياه، مثلَ الذى أحَلَّ بمن قبلهم .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٦٥١٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « لا تحمل علينا إصراً »، قال : لا تحمل علينا عهداً وميثاقاً ، كما حملته على الذين من قبلنا . يقول : كما غُلِّظ على من قبلنا .

٦٥١٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن موسى بن قيس الحضرمى ، عن مجاهد فى قوله : « ولا تحمل علينا إصراً »، قال : عهداً . (١)

٦٥١٤ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « إصراً » ، قال : عهداً .

٦٥١٥ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله قال ، حدثنا معاوية ، عن على ، عن ابن عباس فى قوله : « إصراً » ، يقول : عهداً .

٦٥١٦ – حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا » ، والإصر : العهد الذى كان على من قبلنا من اليهود .

٦٥١٧ – حدثنا القاسم قال ،حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جُريج قوله : « ولا تحملْ علينا إصراً » ، قال : عهداً لا نطيقه ولا نستطيع

---

(١) الأثر : ٦٥١٣ – « موسى بن قيس الحضرمى » الفراء ، الكوفى ، لقبه : « عصفور الجنة » . روى عن سلمة بن كهيل ، ومحمد بن عجلان ، ومسلم البطين وغيرهم . روى عنه وكيع ، ويحيى بن آدم ، وأبو نعيم ، وغيرهم . قال أحمد : « لا أعلم إلا خيراً » . وقال ابن سعد : « كان قليل الحديث » . ووثقه ابن معين . وقال العقيلى : « كان من الغلاة فى الرفض . . . يحدث بأحاديث مناكير – أو : بواطيل » . مترجم فى التهذيب .

القيام به = « كما حملته على الذين من قبلنا » ، اليهودَ والنصارى فلم يقوموا به ، فأهلكتهم .

٦٥١٨ – حدثني يحيى بن أبي طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك : « إصراً » ، قال : المواثيق .

٦٥١٩ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « الإصر » ، العهد . = ﴿ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي ﴾ [سورة آل عمران ٨١] ، قال : عهدي .

٦٥٢٠ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ﴿ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي ﴾ ، قال : عهدي .

* * *

وقال آخرون : « معنى ذلك : ولا تحمل علينا ذنوباً وإثماً ، كما حملت ذلك على من قبلنا من الأمم ، فتمسخنا قردةً وخنازير كما مسختهم » .

* ذكر من قال ذلك :

٦٥٢١ – حدثني سعيد بن عمرو السكوني قال ، حدثنا بقية بن الوليد ، عن علي بن هرون ، عن ابن جريج ، عن عطاء بن أبي رباح في قوله : « ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا » ، قال : لا تمسخنا قردة وخنازير .(١)

٦٥٢٢ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد في قوله : « ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا » ، لا تحمل علينا ذنباً ليس فيه توبةٌ ولا كفارة . ١٠٥/٣

* * *

وقال آخرون : « معنى « الإصر » بكسر الألف : الثِّقْل » .

---

(١) الأثر : ٦٥٢١ – « سعيد بن عمرو السكوني » ، سلفت ترجمته في رقم : ٥٥٦٣ . أما « علي بن هرون » فلم أجده ، وأظن صوابه « يزيد بن هرون » ، و « بقية بن الوليد » يروي عن « يزيد بن هرون » ومات قبله . وهم جميعاً مترجمون في التهذيب .

* ذكر من قال ذلك :

٦٥٢٣ – حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه، عن الربيع قوله : « ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا » ، يقول : التشديد الذى شدّدته على من قبلنا من أهل الكتاب .

٦٥٢٤ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، سألته – يعني مالكاً – عن قوله : « ولا تحمل علينا إصراً » ، قال : الإصر ، الأمر الغليظ .

* * *

قال أبو جعفر : فأما « الأصر » ، بفتح الألف : فهو ما عَطف الرجلَ على غيره من رَحم أو قرابة ، يقال : « أصَرتني رَحم بيني وبين فلانٌ عليه » ، بمعنى : عطفتني عليه . « وما يأصِرُني عليه » ، أي : ما يعطفني عليه . « وبيني وبينه آصرةُ رَحم تأصرني عليه أصراً » ، يعني به : عاطفة رَحم تعطفني عليه .[1]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : وقولوا أيضاً : ربنا لا تكلفنا من الأعمال ما لا نطيق القيام به ، لثِقَل حمله علينا .

وكذلك كانت جماعة أهل التأويل يتأولونه .

* ذكر من قال ذلك :

٦٥٢٥ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به » ، تشديدٌ يشدِّد به ، كما شدّد على من كان قبلكم .

---

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « وبيني وبينه أصر رحم يأصرني عليه » ، وسياق شرحه يقتضي ما أثبتته كتب اللغة ، وهو الذى أثبته هنا .

٦٥٢٦ – حدثني يحيى بن أبي طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك قوله : « ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به » ، قال : لا تحملنا من الأعمال ما لا نطيق .

٦٥٢٧ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به » ، لا تفترض علينا من الدّين ما لا طاقة لنا به فنعجز عنه .

٦٥٢٨ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به » ، مَسخُ القردة والخنازير .

٦٥٢٩ – حدثني سلام بن سالم الخزاعي قال ، حدثنا أبو حفص عمر بن سعيد التنوخي قال ، حدثنا محمد بن شعيب بن شابور ، عن سالم بن شابور في قوله : « ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به » ، قال : الغُلْمة .(١)

٦٥٣٠ – حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به » ، من التغليظ والأغلال التي كانت عليهم من التحريم .

* * *

قال أبو جعفر : وإنما قلنا إن تأويل ذلك : ولا تكلفنا من الأعمال ما لا نطيق القيام به ، على نحو الذي قلنا في ذلك ، لأنه عَقيب مسألة المؤمنين ربَّهم أن لا يؤاخذهم إن نسوا أو أخطأوا ، وأن لا يحمل عليهم إصراً كما حمله على الذين من قبلهم ،

---

(١) الأثر : ٦٥٢٩ – « سلام بن سالم الخزاعي » ، سلفت ترجمته برقم : ٢٥٢ . وأما « أبو حفص عمر بن سعيد التنوخي » ، فهو « عمر بن سعيد بن سليمان ، أبو حفص القرشي الدمشقي » ، راوية سعيد بن عبد العزيز التنوخي ، فكأنه نسب إليه . روى عن محمد بن شعيب ابن شابور . مترجم في التهذيب ، وتاريخ بغداد (١١ : ٢٠٠) . و « محمد بن شعيب بن شابور » الدمشقي ، أحد الكبار . روى عن الأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز التنوخي ، وغيرهما . كان يسكن بيروت ، وذكره ابن حبان في الثقات . مات سنة ٢٠٠

والغلمة : غليان شهوة المواقعة من الرجل والمرأة .

فكان إلحاق ذلك بمعنى ما قبله من مسألتهم التيسيرَ فى الدين ، أولى مما خالف ذلك المعنى .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا ﴾

قال أبو جعفر : وفى هذا أيضاً ، من قول الله عز وجل ، خبراً عن المؤمنين من مسألتهم إياه ذلك =[1] الدلالةُ الواضحة أنهم سألوه تيسير فرائضه عليهم بقوله : « ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به » ، لأنهم عقبوا ذلك بقولهم : « واعف عنا » ، مسألةً منهم ربَّهم أن يعفوَ لهم عن تقصير إن كان منهم فى بعض ما أمرهم به من فرائضه ، فيصفح لهم عنه ولا يعاقبهم عليه ، وإن خفّ ما كلفهم من فرائضه على أبدانهم .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال بعض أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٦٥٣١ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « واعف عنا » ، قال : اعفُ عنا إن قصرنا عن شىء من أمرك مما أمرتنا به .

* * *

وكذلك قوله : « واغفر لنا » ، يعنى : واستر علينا زلّة إن أتيناها فيما بيننا وبينك ، فلا تكشفها ولا تفضحنا بإظهارها .

* * *

وقد دللنا على معنى « المغفرة » فيما مضى قبل .[2]

* * *

---

(١) سياق العبارة : « وفى هذا أيضاً . . . الدلالة الواضحة » خبر ومبتدأ .

(٢) انظر ، ماسلف قريباً : ١٢٧ ، ١٢٨ تعليق : ١ ، والمراجع هناك . وانظر فهارس اللغة (غفر) .

٦٥٣٢ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « واغفر لنا » إن انتهكنا شيئاً مما نهيتنا عنه .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَٱرْحَمْنَآ ﴾

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : تغمدنا منك برحمة تنجينا بها من عقابك ، فإنه ليس بناج من عقابك أحد إلاّ برحمتك إياه دُون عمله ، وليست أعمالنا منجيتنا إن أنت لم ترحمنا ، فوفقنا لما يرضيك عنا ، كما : –

٦٥٣٣ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد قوله : « وارحمنا » ، قال يقول : لا ننال العمل بما أمرتنا به ، ولا تركَ ما نهيتنا عنه إلاّ برحمتك .[1] قال : ولم ينج أحدٌ إلاّ برحمتك . ١٠٦/٣

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ أَنْتَ مَوْلَـٰنَا فَٱنْصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْـكَـٰفِرِينَ ﴾ (٢٨٦)

قال أبو جعفر : يعني بقوله جل ثناؤه : « أنت مَوْلانا » ، أنت وَليُّنا بنصرك ، دون من عَاداك وكفر بك ، لأنا مؤمنون بك ، ومطيعوك فيما أمرتنا ونهيتنا ، فأنت ولىّ من أطاعك ، وعدوّ من كفر بك فعصاك = ، « فانصرنا » ، لأنا حزْبك =

(١) في المطبوعة : « لا نترك » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو الصواب ، منصوباً بقوله : « ننال » معطوفاً على قوله « العمل » .

« على القوم الكافرين » ، الذين جحدوا وحدانيتك، وعبدوا الآلهة والأندادَ دونك ، وأطاعوا فى معصيتك الشيطان .

* * *

و« المولى » فى هذا الموضع « المفعَل » ، من : « وَلِى فلانٌ أمرَ فُلان ، فهو يليه وَلاية، وهو وليُّه ومولاه » .[1] وإنما صارت « الياء » من «ولى» « ألفاً » ، لانفتاح « اللام » قبلها ، التى هى عينُ الاسم .

* * *

وقد ذكروا أن الله عز وجل لما أنزل هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استجاب الله له فى ذلك كله .

• ذكر الأخبار التى جاءت بذلك :

٦٥٣٤ – حدثنى المثنى بن إبراهيم ومحمد بن خلف قالا، حدثنا آدم قال ، حدثنا ورقاء ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه » ، قال : قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما انتهى إلى قوله : « غُفرانك ربنا » ، قال الله عز وجل : قد غفرت لكم . فلما قرأ: « ربنا لاتؤاخذنا إنْ نسينا أو أخطأنا »، قال الله عز وجل : لا أحملكم . فلما قرأ : « واغفر لنا » ، قال الله تبارك وتعالى : قد غفرت لكم . فلما قرأ : « وارحمنا » ، قال الله عز وجل : قد رحمتكم . فلما قرأ : « وانصرنا على القوم الكافرين » ، قال الله عز وجل : قد نصرتُكم عليهم .[2]

---

(١) انظر تفسير « الولى » ، و « المولى » فيما سلف ٢ : ٤٨٩ ، ٥٦٤ / ثم ٥ : ٤٢٤ .

(٢) الحديث : ٦٥٣٤ – محمد بن خلف بن عمار العسقلانى ، شيخ الطبرى : ثقة ، من شيوخ النسائى ، وابن ماجة ، وابن خزيمة ، وقد مضت رواية أخرى للطبرى عنه فى : ١٢٦ .

آدم : هو ابن أبى إياس العسقلانى ، وهو ثقة مأمون . وكان مكيناً عند شعبة . وقد مضت ترجمته فى : ١٨٧ .

ورقاء : هو ابن عمر اليشكرى ، أبو بشر . وهو كوفى ثقة ، أثنى عليه شعبة جداً . والراجح – عندى – أن ورقاء ممن سمع من عطاء قديماً قبل تغيره ، لأنه من القدماء من طبقة شعبة ، ولأنه كوفى ، وعطاء تغير فى مقدمه البصرة آخر حياته .

٦٥٣٥ - حدثني يحيى بن أبي طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك قال : أتى جبريل النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد، قل : « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا » ، فقالها ، فقال جبريل : قد فعل . وقال له جبريل : قل : « ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من من قبلنا » ، فقالها ، فقال جبريل : قد فعل. فقال: قل : « ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به » ، فقالها، فقال جبريل صلى الله عليه وسلم: قد فعل. فقال : قل : « واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » ، فقالها ، فقال جبريل : قد فعل .

وهذا الحديث من هذا الوجه - من رواية عطاء عن سعيد بن المسيب - لم أجده فى شيء من الدواوين ، غير تفسير الطبرى . فرواه هنا مرفوعاً ، ثم سيرويه بنحوه : ٦٥٤٠ موقوفاً على ابن عباس .

وذاك الموقوف فى الحقيقة مرفوع حكماً ، لأنه ليس مما يعرف بالرأى ولا القياس . فهو مؤيد لصحة هذا المرفوع .

ثم رفع الحديث فى هذا الإسناد زيادة فى ثقة ، فهى مقبولة .

بل إن هذا الإسناد أرجح صحة من ذاك . لأنّ ورقاء قديم ، رجحنا أنه سمع من عطاء قبل تغيره .

وأما ذاك الإسناد ، فإنه من رواية محمد بن فضيل عن عطاء . وابن فضيل سمع من عطاء بأخرة ، بعد تغيره . كما نص على ذلك ابن أبي حاتم عن أبيه ٣/٣٣٤ .

ومعنى الحديث ثابت صحيح من وجه آخر ، كما مضى فى : ٦٤٥٧ ، من رواية آدم بن سليمان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . وهناك الإجابة بعد كل دعاء : « قد فعلت » . وهنا الإجابة من لفظ الدعاء . والمعنى واحد .

والظاهر أن متن الحديث هنا سقط منه شيء ، سهواً من الناسخين ، عند قوله : « فلما قرأ : (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) ، قال الله عز وجل : لا أحملكم » . وفى الرواية الآتية : « قال : لا أؤاخذكم » ، ثم ذكر هناك ما بعدها من الدعاء : (ربنا ولا تحمل علينا إصراركما حملته على الذين من قبلنا) - « قال : لا أحمل عليكم » . وذاك هو السياق الصحيح الكامل ، الذى يدل على ما نقص من هذا السياق هنا .

واضطرب كاتب المخطوطة اضطراباً أشد من هذا ، لأنه كرر فى متن الحديث : « فلما انتهى إلى قوله (غفرانك ربنا) ، قال الله عز وجل : قد غفرت لكم » - مرتين . ثم أسقط باقى الحديث فلم يذكره .

٦٥٣٦ – حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط قال : زعم السدى أن هذه الآية حين نزلت : « ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا » ، فقال له جبريل : فعل ذلك يا محمد = « ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » ، فقال له جبريل فى كل ذلك: فَعَل ذلك يا محمد .

٦٥٣٧ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع = وحدثنا سفيان قال ، حدثنا أبى = عن سفيان، عن آدم بن سليمان ، مولى خالد قال ، سمعت سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : أنزل الله عز وجل : « آمن الرسول بما أنزل من ربه » إلى قوله : « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا »، فقرأ : « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا » ، قال فقال : قد فعلت = « ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا » ، فقال : قد فعلت = « ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به » ، قال : قد فعلت = « واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » ، قال : قد فعلت .(١)

٦٥٣٨ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا إسحق بن سليمان، عن مصعب بن ثابت ، عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب ، عن أبيه ، عن أبى هريرة قال : أنزل الله عز وجل : « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا » ، قال : أبى : قال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله عز وجل : نعم .(٢)

٦٥٣٩ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا أبو أحمد، عن سفيان ، عن آدم بن

---

(١) الحديث : ٦٥٣٧ – هو مختصر من الحديث : ٦٤٥٧ ، بهذا الإسناد . وقد ثبت الإسناد هنا على الصواب ، كما أشرنا هناك .

(٢) الحديث : ٦٥٣٨ – هو مختصر من الحديث : ٦٤٥٦ ، بهذا الإسناد . وقد أشرنا إليه هناك .

سليمان ، عن سعيد بن جبير : « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا » ، قال ويقول : قد فعلت = « ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا » ، قال ويقول : قد فعلت . فأعطيت هذه الأمة خواتيم « سورة البقرة » ، ولم تعطها الأمم قبلها .(١) ١٠٧/٣

٦٥٤٠ – حدثنا على بن حرب الموصلى قال ، حدثنا ابن فضيل قال ، حدثنا عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى قول الله عز وجل : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه » إلى قوله : « غفرانك ربنا » ، قال : قد غفرت لكم = « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » = إلى قوله : « لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا » ، قال : لا أؤاخذكم = « ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا » ، قال : لا أحمل عليكم = إلى قوله : « واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا » ، إلى آخر السورة ، قال : قد عفوت عنكم وغفرت لكم ، ورحمتكم ، ونصرتكم على القوم الكافرين .(٢)

* * *

---

(١) الحديث : ٦٥٣٩ – هو حديث مرسل . وهو بعض الحديث الماضى : ٦٤٦٤ ، بهذا الإسناد .

ولكن ثبت هنا فى المخطوطة والمطبوعة « أبو حميد » ، بدل « أبو أحمد » . وهو خطأ يقيناً ، فإنه « أبو أحمد الزبيرى ، محمد بن عبد الله بن الزبير » ، كما بينا فى : ٦٤٦٣ .

ووقع فى المخطوطة هنا بياض بين قوله « أبو حميد » ، وبين « سفيان » . وآخر بين قوله « عن سعيد بن جبير » ، وبين الآية .

ولعل كاتبها شك فى قوله « عن سفيان » ، وظنه كالرواية الماضية « حدثنا سفيان » ، فترك مكان « حدثنا » بياضاً . ثم شك فى ذكر الآية بعد اسم « سعيد بن جبير » ، دون تمهيد لها بقوله « فنزلت هذه الآية » ، كما فى الرواية الماضية ، فترك لذلك بياضاً .

(٢) الحديث : ٦٥٤٠ – على بن حرب بن محمد بن على ، أبو الحسن الطائى الموصلى : ثقة ثبت ، وثقه الدارقطنى وغيره . وكان عالماً بأخبار العرب ، أديباً شاعراً . روى عنه النسائى ، وأبو حاتم ، وابنه ، وترجمه ١٨٣/١/٣ . وله ترجمة جيدة فى تاريخ بغداد ١١ : ٤١٨ – ٤٢٠ .

وهذا الحديث تكرار للحديث : ٦٥٣٤ ، بنحوه . وهذا موقوف لفظاً مرفوع معنى ، وذاك مرفوع لفظاً ومعنى . وذاك أرجح إسناداً وأصح ، كما بينا هناك .

=وروى عن الضحاك بن مزاحم أن إجابة الله للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة :

٦٥٤١ – حدثت عن الحسين قال، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا » : كان جبريل عليه السلام يقول له : سلها ! [١] فسألها نبيّ الله ربّه جل ثناؤه ، فأعطاه إياها ، [٢] فكانت للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة .

٦٥٤٢ – حدثني المثنى بن إبراهيم قال، حدثنا أبو نعيم قال، حدثنا سفيان، عن أبي إسحق : أن مُعاذاً كان إذا فرغ من هذه السورة : « وانصرنا على القوم الكافرين » ، قال : آمين . [٣]

وذكر ابن كثير ٢ : ٨٩ قطعة منه ، من رواية ابن أبي حاتم ، عن علي بن حرب الموصلي ، بهذا الإسناد . فلا ندري : أرواه ابن أبي حاتم هكذا مختصراً ، أم اختصره ابن كثير ؟

(١) في المخطوطة : « . . . أو أخطأنا كان جبريل صلى الله عليه فسألها نبي الله » وما بين الكلام بياض، وأتمته المطبوعة كما ترى . أما الدر المنثور ١ : ٣٧٨ فقال : « أخرج ابن جرير عن الضحاك في هذه الآية قال : كان ٣ عليه الصلاة والسلام فسألها نبي الله ربه . . . » ورقم « ٣ » دلالة على سقط في الكلام . فالظاهر أن السقط قديم في بعض النسخ ، ولذلك ترك له السيوطي بياضاً في نسخته من الدر المنثور .

(٢) في المخطوطة : « فأعطاها إياه » ، وأثبت ما في المطبوعة ، لأنه موافق لما في الدر المنثور .

(٣) الأثر : ٦٥٤٢ – في تفسير ابن كثير ٢ : ٩١ ، والدر المنثور ١ : ٣٧٨ وفيهما تخريجه .

وفي ختام الصورة من النسخة العتيقة ما نصه :

« آخر تفسير سورة البقرة »

« والحمد لله أولا وآخراً ، وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم »

« يتلوه تفسير سورة آل عمران . الحمد لله رب العالمين »

تفسير
سورة آل عمران

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسّر

أخبرنا أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد : [1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾

قال أبو جعفر : قد أتينا على البيان عن معنى قوله: « ألم » فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع.[2] وكذلك البيان عن قوله : « الله » .[3]

* * *

وأما معنى قوله : « لا إله إلاّ هو » ، فإنه خبرٌ من الله جل وعز ، أخبرَ عبادَه أن الألوهية خاصةٌ به دون ما سواهِ من الآلهة والأنداد ، وأن العبادة لاتصلحُ ولا تجوز إلا له لانفراده بالربوبيةِ وتوحُّده بالألوهية ، وأن كل ما دونه فلكه ، وأنّ كل ما سواه فخلقه ، لا شريك له فى سلطانه ومُلكه =[4] احتجاجاً منه تعالى ذكره عليهم بأن ذلك إذْ كان كذلك ، فغيرُ جائزة لهم عبادةُ غيره ، ولا إشراك أحد معه فى سلطانه ، إذ كان كلّ معبود سواه فلكه، وكل معظَّم غيرُه فخلقهُ ، وعلى المملوك إفرادُ الطاعة لمالكه ، وصرفُ خدمته إلى مولاه ورازقه =

---

(١) فى المطبوعة : « أخبرنا أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبرى ، رضى الله عنه » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) انظر ما سلف ١ : ٢٠٥ – ٢٢٤ .

(٣) انظر ما سلف ١ : ١٢٢ – ١٢٦ .

(٤) سياق العبارة : « أخبر عباده أن الألوهية خاصة به . . . احتجاجاً منه تعالى ذكره عليهم » .

ومعرِّفاً مَنْ كان مِنْ خلقه[١] — يوم أنزل ذلك إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بتنزيله ذلك إليه، وإرساله به إليهم على لسانه صلوات الله عليه وسلامه — [٢] مقيماً على عبادة وثن أو صنم أو شمس أو قمر أو إنسي أو مَلَك أو غير ذلك من الأشياء التي كانت بنو آدم مقيمةً على عبادته وإلاهته[٣] — [٤] ومتَّخذَه دون مالكه وخالقه إلهاً وربًّا = [٥] أنه مقيم على ضلالة، ومُنعدلٌ عن المحجة، [٦] وراكبٌ غير السبيل المستقيمة، بصرفه العبادة إلى غيره، ولا أحدَ له الألوهة غيره.

* * *

قال أبو جعفر: وقد ذُكر أن هذه السورة ابتدأ الله بتنزيله فاتحتها بالذي ابتدأ به: من نفي «الألوهية» أن تكون لغيره، ووصفه نفسه بالذي وصَفها به في ابتدائها، احتجاجاً منه بذلك على طائفة من النصارى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من نَجْرَان فحاجُّوه في عيسى صلوات الله عليه، وألحدوا في الله. فأنزل الله عز وجل في أمرهم وأمر عيسى من هذه السورة نيفاً وثمانين آية من أولها، [٧] احتجاجاً عليهم وعلى من كان على مثل مقالتهم، لنبيّه محمد صلى الله عليه وسلم، فأبوا إلا المقام

---

(١) قوله: «ومعرفاً»، في المطبوعة والمخطوطة «ومعرف»، والصواب نصبها، لأن سياق الجملة «أخبر عباده أن الألوهية خاصة به ... معرفاً من كان من خلقه ...»، أما الواو العاطفة في قوله: «ومعرفاً»، فليست تعطف «معرفاً» على «احتجاجاً» فهذا غير جائز، بل هي عاطفة على جملة «أخبر عباده ...»، كأنه قال «وأخبرهم ذلك معرفاً».

(٢) السياق «ومعرفاً من كان من خلقه ... مقيما على عبادة وثن ...».

(٣) الإلاهة: عبادة إله، كما سلف في تفسيره ١ : ١٢٤.

(٤) في المطبوعة: «ومتخذته دون مالكه ...»، وهو لا يستقيم، وقد أشكل عليه قوله قبل «التي كانت بنو آدم مقيمة على عبادته»، فظن هذا معطوفاً عليه، وهو خطأ مفسد للسياق، بل هو معطوف على قوله: «مقيما على عبادة وثن».

(٥) سياق الجملة: «ومعرفاً من كان من خلقه ... مقيما على عبادة وثن ... أنه مقيم على ضلالة ...».

(٦) في المطبوعة: «ومنعزل» وهو خطأ، لم يحسن قراءة المخطوطة، وهي فيها غير منقوطة، والدال شبيهة بالراء!! وانعدل عن الطريق: مال عنه وانحرف. يقال: عدل عن الشيء: حاد، وعدل عن الطريق: جار ومال واعوج سبيله.

(٧) في المطبوعة والمخطوطة: «نيفاً وثلاثين آية»، وهو خطأ صرف، فالتنزيل بين عدده، والأثر التالي فيه ذكر العدد صريحاً «... إلى بضع وثمانين آية».

على ضلالتهم وكفرهم، فدعاهم إلى المباهلة ، فأبوا ذلك ، وسألوا قبول الجزية منهم ، فقبلها صلى الله عليه وسلم منهم ، وانصرفوا إلى بلادهم .

غير أن الأمر وإن كان كذلك ، وإياهم قصد بالحِجاج ، فإن من كان معناه من سائر الخلق معناهم فى الكفر بالله، واتخاذ ما سوى الله ربًّا وإلهاً معبوداً ، ١٠٨/٣
معمومون بالحجة التى حجّ الله تبارك وتعالى بها من نزلت هذه الآيات فيه ، ومحجوجون فى الفُرْقان الذى فَرَق به لرسوله صلى الله عليه وسلم بينه وبينهم .[١]

* * *

* ذكر الرواية عمن ذكرنا قوله فى نزول افتتاح هذه السورة أنه نزل فى الذين وصفنا صفتهم من النصارى :—

٦٥٤٣ — حدثنا محمد بن حميد قال، حدثنا سلمة بن الفضل قال ، حدثنى محمد بن إسحق ، عن محمد بن جعفر قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نجران :[٢] ستون راكباً ، فيهم أربعة عشرَ رجلاً من أشرافهم ، فى الأربعة عشر ثلاثةٌ نفر إليهم يؤول أمرُهم : « العاقب » أميرُ القوم وذو رأيهم وصاحبُ مشورتهم ، والذى لا يصدرون إلا عن رأيه ، واسمهُ « عبد المسيح » = و« السيد » ثِمالهم وصاحب رَحْلهم ومجتمعهم ، واسمه «الأيهم »=[٢] وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل ، أسقفُّهم وحَبْرهم وإمامهم وصاحبُ مِدْرَاسهم .[٣] وكان أبو حارثة قد شرُف فيهم ودَرَس كتبهم حتى حسن علمه فى دينهم ، فكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه وموّلوه وأخدَموه ، وبنوا له الكنائس ، وبسطوا عليه الكرامات ، لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده فى دينهم .[٤]

---

(١) فى المطبوعة : « لرسول الله . . . » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى ابن هشام : « وفد نصارى نجران » . ثمال القوم : عمادهم وغياثهم ومطعمهم وساقيهم والقائم بأمرهم فى كل ذلك .

(٣) المدراس (بكسر الميم وسكون الدال) : هو البيت الذى يدرسون فيه كتبهم ، ويعنى بقوله : « صاحب مدراسهم » ، عالمهم الذى درس الكتب ، يفتيهم ويتكلم بالحجة فى دينهم .

(٤) فى المطبوعة : « فى دينه » ، وأثبت ما فى المخطوطة وابن هشام . وقد أسقط الطبرى من روايته هنا عن ابن إسحق ، ما أثبته ابن هشام فى السيرة ٢ : ٢٢٢ — ٢٢٣ ، كما سيأتى فى التخريج .

قال ابن إسحق قال ، محمد بن جعفر بن الزبير :[١] قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخلوا عليه فى مسجده حين صلى العصر ، عليهم ثيابُ الحِبَرَات جُبب وأرْدية ، فى [جمال رِجال] بَلْحارث بن كعب=[٢] قال : يقول بعض من رآهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ : ما رأينا بعدهم وفداً مثلهم != وقد حانت صلاتهم فقاموا يصلون فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوهم ! فصلوا إلى المشرق .

= قال : وكانت تسمية الأربعة عشر منهم الذين يؤول إليهم أمرهم : « العاقب » ، وهو «عبد المسيح» ، والسيد ، وهو « الأيهم » ، و« أبو حارثة بن علقمة » أخو بكر بن وائل ، وأوس ، والحارث ، وزيد ، وقيس ، ويزيد ، ونُبيه ، وخويلد ، وعمرو ،[٣] وخالد ، وعبد الله . ويُحَنَّس : فى ستين راكباً . فكلم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم منهم : «أبو حارثة بن علقمة» ، و« العاقب » ، عبد المسيح ، و«الأيهم » السيد ، وهم من النصرانية على دين الملك ،[٤] مع اختلاف من أمرهم . يقولون : «هو الله» ، ويقولون : « هو ولد الله » ، ويقولون : « هو ثالث ثلاثة » ، وكذلك قول النصرانية .

فهم يحتجون فى قولهم : « هو الله » ، بأنه كان يُحيي الموتى ، ويبرئ الأسقام ، ويخبر بالغيوب ، ويخلق من الطين كهيئة الطير ، ثم ينفخ فيه فيكون طائراً ، وذلك كله بإذن الله ، ليجعله آية للناس .[٥]

---

(١) فى ابن هشام : « فلما قدموا . . . » .

(٢) ما بين القوسين زيادة لابد منها ، من نص ابن هشام . والحبرات (بكسر الحاء وفتح الباء) جمع حبرة (بكسر الحاء وفتح الباء) : وهو ضرب موشى من برود اليمن منمر ، وهو من جياد الثياب .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « وخويلد بن عمرو » ، وهو خطأ ، صوابه من ابن هشام .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « وهو من النصرانية » ، والصواب من ابن هشام .

(٥) فى ابن هشام : « ولنجعله آية للناس » ، كنص الآية .

ويحتجون فى قولهم : « إنه ولد الله » ، أنهم يقولون : « لم يكن له أب يُعلم ، وقد تكلم فى المهد ، شىء لم يصنعه أحد من ولد آدم قبله » .(١)

ويحتجون فى قولهم : « إنه ثالث ثلاثة » ، بقول الله عز وجل : « فعلنا ، وأمرنا ، وخلقنا ، وقضينا » . فيقولون : « لو كان واحداً ما قال : إلا « فعلت ، وأمرتُ ، وقضيتُ ، وخلقت » ، ولكنه هو وعيسى ومريم » .

ففى كل ذلك من قولهم قد نزل القرآن ، وذكر الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فيه قولهم .

فلما كلمه الحبران قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : أسلما ! قالا : قد أسلمنا . قال : إنكما لم تسلما ، فأسلما ! قالا : بلى قد أسلمنا قبلك ! قال : كذبتما ، يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله عز وجل ولداً ، وعبادتكما الصليبَ ، وأكلكما الخنزير . قالا : فمن أبوه يا محمد ؟ فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهما فلم يجبهما ، فأنزل الله فى ذلك من قولهم واختلاف أمرهم كله ، صدرَ « سورة آل عمران » إلى بضع وثمانين آية منها . فقال : « ألم . اللهُ لا إله إلا هو الحىّ القيوم » ،(٢) فافتتح السورة بتبرئته نفسَه تبارك وتعالى مما قالوا ،(٣) وتوحيده إياها بالخلق والأمر ، لا شريك له فيه = رَدًّا عليهم ما ابتدعوا من الكفر ،(٤) وجعلوا معه من الأنداد = واحتجاجاً عليهم بقولهم فى صاحبهم ، ليعرّفهم بذلك ضلالتهم ، فقال : « اللهُ لا إله إلا هو » ، أى : ليس معه شريك فى أمره .(٥)

---

(١) فى المطبوعة : « بشىء لم يصنعه . . . » ، وهو كلام فاسد ، والصواب من المخطوطة . وفى ابن هشام : « وهذا لم يصنعه . . . » .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة لم يذكر « ألم » ، وأثبتها من ابن هشام .

(٣) فى المطبوعة : « بتبرئة نفسه » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وفى ابن هشام : « بتنزيه نفسه » .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « ورداً عليه » بواو العطف ، وهو خطأ ، والصواب من ابن هشام .

(٥) الأثر : ٦٥٤٣ — فى ابن هشام : « ليس معه غيره شريك فى أمره » . والأثر رواه ابن هشام فى سيرته مطولا ، وسيأتى بعد تمامه فى الآثار التالية . سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٢ — ٢٢٥ .

٦٥٤٤ ـ حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : « ألم ، اللهُ لا إله إلا هو الحي القيوم » ، قال : إنّ النصارى أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخاصموه في عيسى بن مريم وقالوا له : ١٠٩/٣ من أبوه ؟ وقالوا على الله الكذبَ والبهتانَ ، لا إله إلاّ هو لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : ألستم تعلمون أنه لا يكون ولدٌ إلاّ وهو يشبه أباه ؟ قالوا : بلى ! قال : ألستم تعلمون أن ربَّنا حيّ لا يموت ، وأنّ عيسى يأتي عليه الفناء ؟ قالوا : بلى ! قال : ألستم تعلمون أن ربنا قَيِّمٌ على كل شيء يكلؤه ويحفظه ويرزقه ؟ قالوا : بلى ! قال : فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً ؟ قالوا : لا ! قال : أفلستم تعلمون أن الله عز وجل لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ؟ قالوا : بلى ! قال : فهل يعلم عيسى من ذلك شيئاً إلا ما عُلِّم ؟ قالوا : لا ! قال : فإنّ ربنا صوّر عيسى في الرحم كيف شاء ، فهل تعلمون ذلك ؟ قالوا : بلى ! [1] قال : ألستم تعلمون أن ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يُحدِث الحدَث ؟ قالوا : بلى ! قال : ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ، [2] ثم وضعته كما تضع المرأة ولدَها ، ثم غُذِّي كما يغذّى الصبيّ ، ثم كان يَطعم الطعام ، ويشرب الشرابَ ويُحدث الحدَث ؟ قالوا بلى ! قال : فكيف يكون هذا كما زعمتم ؟ قال : فعرفوا ، ثم أبوا إلا جحوداً ، فأنزل الله عز وجل : « ألم ، اللهُ لا إله إلاّ هو الحي القيوم » .

* * *

(١) في المخطوطة والدر المنثور ٢ : ٣ ما نصه : « فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء قال : ألستم تعلمون أن ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب » ، إلا أن الدر المنثور قد أسقط « قال » من هذه العبارة . أما البغوي (هامش تفسير ابن كثير) ٢ : ٩٣ : « فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء ، وربنا لا يأكل ولا يشرب » . وتركت ما في المطبوعة على حاله مخافة أن يكون من نسخة أخرى ، كان فيها هذا .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « أن عيسى حملته امرأة . . . » والصواب « أمه » ، كما في الدر المنثور والبغوي .

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ (٢)

قال أبو جعفر : اختلفت القرَأةُ فى ذلك .

فقرأته قرأة الأمصار ﴿ الْحَىُّ الْقَيُّوم ﴾ .

وقرأ ذلك عمر بن الخطاب وابن مسعود فيما ذكر عنهما : ﴿ الْحَىُّ الْقَيَّامُ ﴾ .

* * *

وذكر عن علقمة بن قيس أنه كان يقرأ : ﴿ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيِّمُ ﴾

٦٥٤٥ – حدثنا بذلك أبو كريب قال، حدثنا عثام بن على قال ، حدثنا الأعمشُ، عن إبراهيم ، عن أبى معمر قال : سمعت علقمة يقرأ : « الحىّ القيِّم » . قلتُ: أنت سمعته ؟ قال : لا أدرى .

٦٥٤٦ – حدثنا أبو هشام الرفاعى قال، حدثنا وكيع قال ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن أبى معمر ، عن علقمة مثله .

* * *

وقد روى عن علقمة خلاف ذلك ، وهو ما : –

٦٥٤٧ – حدثنا أبو هشام قال، حدثنا عبد الله قال ، حدثنا شيبان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن أبى معمر ، عن علقمة أنه قرأ : « الحىُّ القيَّام » .

* * *

قال أبو جعفر : والقراءة التى لا يجوز غيرها عندنا فى ذلك ، ما جاءت به قَرَأة المسلمين نقلاً مستفيضاً ، عن غير تشاعُر ولا تواطؤ، وراثةً ،[1] وما كان مثبتاً فى مصاحفهم ، وذلك قراءة من قرأ: « الحى القيُّومُ » .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « تشاغر » ، بالغين ، وهو خطأ ، وانظر ماسلف: ١٢٧ تعليق : ٢ . وانظر ما قلته عن قوله : « وراثة » فيما سبق ص : ١٢٧ تعليق : ٣ .

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱلْحَىُّ ﴾

اختلف أهل التأويل فى معنى قوله : « الحىّ » .(١)

فقال بعضهم : معنى ذلك من الله تعالى ذكره : أنه وصف نفسه بالبقاء ، ونفى الموتَ — الذى يجوز على من سواه من خلقه — عنها .

* ذكر من قال ذلك :

٦٥٤٨ — حدثنا محمد بن حميد قال ، حدثنا سلمة بن الفضل قال ، حدثنى محمد بن إسحق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : « الحى » ، الذى لا يموت ، وقد مات عيسى وصُلب فى قولهم = يعنى فى قول الأحْبار الذين حاجُّوا رَسول الله صلى الله عليه وسلم من نصارى أهل نجران .(٢)

٦٥٤٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « الحى » ، قال : يقول : حى لا يموتُ .

* * *

وقال آخرون : معنى « الحى » ، الذى عناه الله عز وجل فى هذه الآية ، ووصف به نفسه : أنه المتيسِّر له تدبير كل ما أراد وشاء ، لا يمتنع عليه شىء أراده ، وأنه ليس كمن لا تدبير له من الآلهة والأنداد .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : أن له الحياةَ الدائمة التى لم تَزَل له صفةً ، ولا تزال كذلك . وقالوا ، إنما وصف نفسه بالحياة ، لأن له حياة = كما وصفها

---

(١) انظر تفسير : « الحى » فيما سلف ٥ : ٣٨٦ ، ٣٨٧ .

(٢) الأثر : ٦٥٤٨ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٥ ، وهو من بقية الأثر السالف : ٦٥٤٣ .

بالعلم ، لأن لها علماً = وبالقدرة ، لأن لها قدرةً .

* * *

قال أبو جعفر : ومعنى ذلك عندى : [1] أنه وصف نفسه بالحياة الدائمة التى لا فناءَ لها ولا انقطاع ، ونفى عنها ما هو حالٌ بكل ذى حياة من خلقه من الفناء وانقطاع الحياة عند مجيء أجله. فأخبر عبادَه أنه المستوجب على خلقه العبادة والألوهة ، والحى الذى لا يموت ولا يبيد، كما يموت كل من اتخذ من دونه ربًّا ، ويبيد كلُّ من ادعى من دونه إلهاً. واحتج على خلقه بأن من كان يبيد فيزول ويموت فيفنى ، فلا يكون إلهاً يستوجب أن يعبد دون الإله الذى لا يبيد ولا يموت = وأنّ الإله ، هو الدائم الذى لا يموت ولا يبيد ولا يفنى ، وذلك الله الذى لا إله إلاّ هو .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱلْقَيُّومُ ﴾

قال أبو جعفر : قد ذكرنا اختلاف القرأة فى ذلك ، والذى نختار منه ، ٣/١١٠
وما العلّة التى من أجلها اخترنا ما اخترنا من ذلك .

* * *

فأما تأويل جميع الوجوه التى ذكرنا أنّ القرّأة قرأت بها ، فمتقارب . ومعنى ذلك كله : القيّم بحفظ كل شيء ورزقه وتدبيره وتصريفه فيما شاء وأحبّ من تغيير وتبديل وزيادة ونقص ، كما : —

٦٥٥٠ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ابن ميمون قال، حدثنا ابن أبى نجيح، عن مجاهد فى قول الله جل ثناؤه : « الحى القيوم » ، قال : القائم على كل شيء .

(١) انظر تفسير « الحى » فيما سلف ٥ : ٣٨٦ ، ٣٨٧

٦٥٥١ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٦٥٥٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « القيوم » ، قيِّم على كل شيء يكلؤه ويحفظه ويرزقه .

* * *

وقال آخرون : «معنى ذلك : القيام على مكانه» . ووجَّهوه إلى القيام الدائم الذى لا زوالَ معه ولا انتقال ، وأنّ الله عز وجل إنما نفى عن نفسه بوَصفها بذلك ، التغيُّرَ والتنقلَ من مكان إلى مكان، وحدوثَ التبدّل الذى يحدث فى الآدميين وسائر خلقه غيرهم .

* ذكر من قال ذلك :

٦٥٥٣ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : «القيوم » ، القائم على مكانه من سلطانه فى خلقه لا يزول ، وقد زال عيسى فى قولهم = يعنى فى قول الأحبار الذين حاجوا النبى صلى الله عليه وسلم من أهل نجران فى عيسى = عن مكانه الذى كان به ، وذهب عنه إلى غيره .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بالصواب ما قاله مجاهد والربيع ، وأنّ ذلك وصفٌ من الله تعالى ذكره نفسه بأنه القائم بأمر كل شيء ، فى رزقه والدفع عنه ، وكلاءَته وتدبيره وصرفه فى قدرته = من قول العرب : « فلان قائم بأمر هذه البلدة » ، يعنى بذلك : المتولى تدبيرَ أمرها .

---

(١) الأثر : ٦٥٥٣ – فى المخطوطة والمطبوعة : « عمر بن إسحق » وهو خطأ بين ، وهذا إسناد أبى جعفر إلى « محمد بن إسحق » ، الذى يدور فى تفسيره . وهذا الخبر تمام الخبرين السالفين : ٦٥٤٣ ، ٦٥٤٨ ، فى سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٥ . وفى المطبوعة والمخطوطة خطأ آخر : « القيام على مكانه » ، مكان « القائم على مكانه » والصواب من سيرة ابن هشام .

فـ « القيوم » = إذ كان ذلك معناه = « الفيعول » من قول القائل : « الله يقوم بأمر خلقه » . وأصله « القيووم » ، غير أن « الواو » الأولى من « القيووم » لما سبقتها « ياء » ساكنة وهى متحركة ، قلبت « ياء » ، فجعلت هى و « الياء » التى قبلها « ياء » مشدّدة . لأن العرب كذلك تفعل بـ « الواو » المتحركة إذا تقدمتها « ياء » ساكنة . (١)

* * *

وأما « القيّام » ، فإن أصله « القيوام » ، وهو « الفيعال » من « قام يقوم » ، سبقت « الواو » المتحركة من « قيوام » « ياء » ساكنة ، فجعلتا جميعاً « ياء » مشدّدة .

ولو أن « القيوم » « فَعُّول » ، كان « القوُّوم » ، ولكنه « الفيعول » . وكذلك « القيّام » ، لو كان « الفعّال » ، لكان « القوّام » ، كما قيل : « الصوّام والقوّام » ، وكما قال جل ثناؤه : ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ﴾ [سورة المائدة : ٨] ، ولكنه « الفيعال » ، فقيل : « القيام » .

* * *

وأما « القيِّم » ، فهو « الفيعل » من « قام يقوم » ، سبقت « الواو » المتحركة « ياء » ساكنة ، فجعلتا « ياء » مشددة ، كما قيل : « فلان سيدُ قومه » من « ساد يسود » ، و « هذا طعام جيد » من « جاد يجود » ، وما أشبه ذلك .

* * *

وإنما جاء ذلك بهذه الألفاظ ، لأنه قصد به قصدَ المبالغة فى المدح ، فكان « القيوم » و « القيّام » و « القيم » أبلغ فى المدح من « القائم » ، وإنما كان عمر رضى الله عنه يختار قراءته ، إن شاء الله ، « القيام » ، لأنّ ذلك الغالب على منطق أهل الحجاز فى ذوات الثلاثة من « الياء » « الواو » ، فيقولون للرجل الصوّاغ :

---

(١) انظر ما سلف فى تفسير « القيوم » : ٥ : ٣٨٨ ، ٣٨٩ . وهنا زيادة فى « القيام » و « القيم » لم يذكرها هناك .

« الصيّاغ » ، ويقولون للرجل الكثير الدّوران : « الدّيار » .[١] وقد قيل إن قول الله جل ثناؤه : ﴿ لَا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [سورة نوح : ٢٦] إنما هو « دوّار » ، « فعّالا » من « دار يَدُور » . ولكنها نزلت بلغة أهل الحجاز ، وأقرّت كذلك فى المصحف .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : يا محمد . إنّ ربك وربّ عيسى وربّ كل شيء، هو الرّبّ الذى أنزل عليك الكتاب = يعنى بـ «الكتاب » ، القرآن = « بالحق » يعنى : بالصّدق فيما اختلف فيه أهل التوراة والإنجيل ، وفيما خالفك فيه محاجُّوك من نصارى أهل نجران وسائر أهل الشرك غيرهم = « مُصَدّقاً لما بين يديه » ، يعنى بذلك القرآن ، أنه مصدّق لما كان قبله من كتب الله التى أنزلها على أنبيائه ورسله ، ومحقق ما جاءت به رُسل الله من عنده .[٢] لأن منزّل جميع ذلك واحد ، فلا يكون فيه اختلاف ، ولو كان من عند غيره كان فيه اختلاف كثير .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٣/١١١ ٦٥٥٤ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى ،

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ١١٠ .

(٢) فى المخطوطة « ومحقو ما جاءت به رسل الله » ، وهو خطأ ، والصواب ما فى المطبوعة .

عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « مصدقاً لما بين يديه » . قال : لما قبله من كتاب أو رسول .

٦٥٥٥ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « مصدقاً لما بين يديه » ، لما قبله من كتاب أو رسول .

٦٥٥٦ – حدثني محمد بن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثني محمد بن إسحق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : « نزل عليك الكتاب بالحق » ، أي : بالصدق فيما اختلفوا فيه .(١)

٦٥٥٧ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه » ، يقول : القرآن ، = « مصدّقاً لما بين يديه » من الكتب التي قد خلت قبله .

٦٥٥٨ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدّثني ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه » ، يقول : مصدّقاً لما قبله من كتاب ورسول .

* * *

القول في تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ (٣)

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : « وأنزل التوراة » ، على موسى = « والإنجيل » على عيسى = « من قبل » ، يقول : من قبل الكتاب الذي نزله عليك = ويعني بقوله : « هُدًى للناس » ، بياناً للناس من الله فيما اختلفوا فيه

(١) الأثر : ٦٥٥٦ – هو بقية الآثار السالفة ، التي آخرها آنفاً رقم : ٦٥٥٣ .

من توحيد الله وتصديق رسله ، ونَعْتِيك يا محمد بأنك نبيّى ورسولى ،[١] وفى غير ذلك من شرائع دين الله ، كما : —

٦٥٥٩ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس » ، هما كتابان أنزلهما الله ، فيهما بيانٌ من الله ، وعصمةٌ لمن أخذ به وصدّق به ، وعمل بما فيه .

٦٥٦٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق، عن محمد ابن جعفر بن الزبير : «وأنزل التوراة والإنجيل »، التوراة على موسى ، والإنجيل على عيسى ، كما أنزل الكتب على من كان قبله .[٢]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بذلك : وأنزل الفصْل بين الحق والباطل فيما اختلفت فيه الأحزابُ وأهلُ الملل فى أمر عيسى وغيره .

* * *

وقد بينا فيما مضى أنّ « الفرْقان » ، إنما هو « الفعلان » من قولهم : « فرق الله

---

(١) فى المطبوعة : « ومفيداً يا محمد أنك نبيى رسولى » ، وفى المخطوطة هكذا : « وحفيك يا محمد بأنك نبيى ورسولى » ، الحرف الأول حاء ، والثانى « فاء » والثالث « ياء » ، والرابع كالدال ، إلا أنه بالكاف أشبه . وقد رجحت أن تكون الكلمة : « نعتيك » ، لأن الله لما نعت محمداً بأنه نبيه ورسوله ، اختلف الناس فى صفته هذه . وكذلك فعل هذا الوفد من نصارى نجران ، كما هو واضح من حديثهم فى سيرة ابن هشام . وقوله « ونعتيك » معطوف على قوله : « من توحيد الله ، وتصديق رسوله » ، أى ومن نعتيك . أما ما جاء فى المطبوعة ، فهو فاسد فى السياق وفى المعنى جميعاً .

(٢) الأثر : ٦٥٦٠ — هو بقية الآثار السالفة ، التى آخرها رقم : ٦٥٥٦ ، وفى المطبوعة « على من كان قبلهما » ، والصواب من المخطوطة وسيرة ابن هشام .

بين الحق والباطل » ، فصل بينهما بنصره الحقَّ على الباطل ، [١] إما بالحجة البالغة ، وإما بالقهر والغلبة بالأيدِ والقوة . [٢]

* * *

وبما قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويل ، غير أنّ بعضهم وجّه تأويله إلى أنه فصل بين الحق والباطل فى أمر عيسى = وبعضهم : إلى أنه فصل بين الحق والباطل فى أحكام الشرائع .

* ذكر من قال : معناه : « الفصل بين الحق والباطل فى أمر عيسى والأحزاب » :

٦٥٦١ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : « وأنزل الفرقان » ، أى : الفصلَ بين الحق والباطل فيما اختلف فيه الأحزاب من أمر عيسى وغيره . [٣]

* * *

* ذكر من قال : معنى ذلك : « الفصل بين الحق والباطل فى الأحكام وشرائع الإسلام » :

٦٥٦٢ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وأنزل الفرقان » ، هو القرآن ، أنزله على محمد ، وفرق به بين الحق والباطل ، فأحلّ فيه حلاله وحرّم فيه حرامه ، وشرع فيه شرائعه ، وحدّ فيه حدوده ، وفرض فيه فرائضَه ، وبين فيه بيانه ، وأمر بطاعته ، ونهى عن معصيته .

٦٥٦٣ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « وأنزل الفرقان » ، قال : الفرقان ، القرآن ، فرق بين الحق والباطل .

* * *

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « يفصل بينهما ... بالحق » مضارعاً ، والصواب أن يكون ماضياً كما أثبته .

(٢) انظر ما سلف ١ : ٩٨ ، ٩٩ / ثم ٣ : ٤٤٨ . وفى المطبوعة « بالأيدى » بالياء فى آخره ، وهو خطأ . والأيد : الشدة والقوة .

(٣) الأثر : ٦٥٦١ – هو بقية الآثار التى آخرها : ٦٥٦٠ .

قال أبو جعفر : والتأويل الذى ذكرناه عن محمد بن جعفر بن الزبير فى ذلك، أولى بالصحة من التأويل الذى ذكرناه عن قتادة والربيع = وأن يكون معنى « الفرقان » فى هذا الموضع : فصل الله بين نبيه محمد صلى الله عليه وسلم والذين حاجُّوه فى أمر عيسى ، وفى غير ذلك من أموره ، بالحجة البالغة القاطعة عذرَهم وعذرَ نُظرائهم من أهل الكفر بالله .

وإنما قلنا هذا القول أولى بالصواب ، لأن إخبارَ الله عن تنزيله القرآنَ — قبل إخباره عن تنزيله التوراة والإنجيل فى هذه الآية — قد مضى بقوله : « نَزّل عليك الكتاب بالحقّ مصدّقاً لما بين يديه » . ولا شك أن ذلك « الكتاب » ، هو القرآن لا غيره ، فلا وجه لتكريره مرة أخرى ، إذ لا فائدة فى تكريره ، ليست فى ذكره إياه وخبره عنه ابتداءً . ١١٢/٣

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ (٤)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : إنّ الذين جحدوا أعلام الله وأدلته على توحيده وألوهته ، وأن عيسى عبدٌ له ، واتخذوا المسيح إلهاً وربًّا أو ادّعوه لله ولداً ، لهم عذاب من الله شديدٌ يوم القيامة .

* * *

و« الذين كفروا » ، هم الذين جحدوا آيات الله = و« آيات الله » ، أعلامُ الله وأدلته وحججه . (١)

* * *

(١) انظر فهارس اللغة فيما سلف « كفر » و « أبى » .

وهذا القول من الله عز وجل ينبئ عن معنى قوله : [١] « وأنزل الفرقان » أنه معنيٌّ به الفصل الذى هو حجة لأهل الحق على أهل الباطل . [٢] لأنه عقب ذلك بقوله : « إن الذين كفروا بآيات الله » ، يعنى : إن الذين جحدوا ذلك الفصل والفرقانَ الذى أنزله فرقاً بين المحق والمبطل = « لهم عذاب شديدٌ » ، وعيدٌ من الله لمن عاند الحقّ بعد وضوحه له ، وخالف سبيلَ الهدى بعد قيام الحجة عليه = ثم أخبرهم أنه « عزيز » فى سلطانه لا يمنعه مانع ممن أراد عذابه منهم ، ولا يحول بينه وبينه حائل ، ولا يستطيع أن يعانده فيه أحدٌ = وأنه « ذو انتقام » ممنّ جحد حججه وأدلته بعد ثبوتها عليه ، وبعد وضوحها له ومعرفته بها .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٦٥٦٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : « إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيزٌ ذو انتقام » ، أى : إن الله منتقم ممن كفرَ بآياته بعد علمه بها ، ومعرفته بما جاء منه فيها . [٣]

٦٥٦٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، « إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيزٌ ذو انتقام » ،

. . . . . .
. . . . . [٤]

* * *

(١) فى المخطوطة : « يعنى عن معنى قوله » ، والصواب ما فى المطبوعة .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « أنه معنى به الفصل عن الذى هو حجة . . . » ، وقوله : « عن » زائدة بلا ريب فى الكلام من عجلة الناسخ ، فلذلك أسقطتها . والسياق بعد يدل على صواب ذلك .

(٣) الأثر : ٦٥٦٤ — هو من بقية الآثار التى آخرها رقم : ٦٥٦١ .

(٤) مكان هذه النقط ما سقط من تتمة الخبر رقم : ٦٥٦٥ ، والأخبار بعده ، إن كانت بعده أخبار . وهكذا هو المطبوعة وسائر المخطوطات التى بين أيدينا .

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ (٥)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : إن الله لا يخفى عليه شىء هو فى الأرض ولا شىء هو فى السماء . يقول : فكيف يخفى علىّ يا محمدُ – وأنا علاَّمُ جميع الأشياء – ما يُضَاهى به هؤلاء الذين يجادلونك فى آيات الله من نصارى نجران فى عيسى بن مريم ، فى مقالتهم التى يقولونها فيه ؟ ! كما : –

٦٥٦٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق، عن محمد بن جعفر بن الزبير : « إنّ الله لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء » ، أى : قد علم ما يريدون وما يَكيدون وما يُضَاهون بقولهم فى عيسى ، إذ جعلوه ربًّا وإلهاً ، وعندهم من علمه غيرُ ذلك ، غِرّةً بالله وكفراً به . (١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : الله الذى يصوّركم فيجعلكم صوراً أشباحاً فى أرحام أمهاتكم كيف شاء وأحب ، فيجعل هذا ذكراً وهذا أنثى ، وهذا أسود وهذا أحمر . يُعرّف عباده بذلك أنّ جميع من اشتملت عليه أرحامُ النساء، فمنّ صوره وخلقه كيف شاء (٢)= وأنّ عيسى بن مريم ممن صوّره فى

(١) الأثر : ٦٥٦٦ – هو من بقية الآثار التى آخرها رقم : ٦٥٦٤ ، من سيرة ابن إسحق .

(٢) فى المطبوعة : « ممن صوره » بإسقاط الفاء من أولها . والصواب من المخطوطة .

رحم أمه وخلقه فيها كيف شاء وأحبّ ، وأنه لو كان إلهاً لم يكن ممن اشتملت عليه رحم أمه ، لأن خلاّق ما فى الأرحام لا تكون الأرحامُ عليه مشتملة ، وإنما تشتمل على المخلوقين ، كما : —

٦٥٦٧ — حدثنى ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن جعفر بن الزبير : « هو الذى يصوّركم فى الأرحام كيف يشاء » ، أى :[1] قد كان عيسى ممن صُوّر فى الأرحام ، لا يدفعون ذلك ولا ينكرونه ، كما صُوّر غيره من بنى آدم ، فكيفَ يكون إلهاً وقد كان بذلك المنزل ؟[2]

٦٥٦٨ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن عن أبيه عن الربيع : « هو الذى يصوّركم فى الأرحام كيف يشاء » ، أى : أنه صوّر عيسى فى الرحم كيف شاء .

* * *

* قال آخرون فى ذلك ما : —

٦٥٦٩ — حدثنا به موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس = وعن مرة الهمدانى ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قوله : « هو الذى يصوّركم فى الأرحام كيف يشاء » ، قال : إذا وقعت النطفة فى الأرحام طارت فى الجسد أربعين يوماً ، ثم تكون عَلقةً أربعين يوماً ، ثم تكون مُضْغة أربعين يوماً . فإذا بلغ أن يُخلق ، بعث الله ملكاً يصوِّرها . فيأتى الملك ١١٣/٣
بتراب بين إصبعيه فيخلطه فى المضْغة ، ثم يعجنه بها ، ثم يصوّرها كما يؤمر ، فيقول : أذكر أو أنثى ؟ أشقى أو سعيد ؟ وما رزقه ؟ وما عمره ؟ وما أثره ؟

---

(١) « أى » ساقطة من المخطوطة والمطبوعة ، وأثبتها من سيرة ابن هشام ، وقد مضى نهج ابن إسحق على ذلك فى الآثار السالفة .

(٢) الأثر : ٦٥٦٧ — هو من بقية الآثار التى آخرها رقم : ٦٥٦٦ عن ابن إسحق .

وما مصائبه ؟ فيقول الله ، ويكتب الملك . فإذا مات ذلك الجسدُ ، دُفن حيث أخذ ذلك التراب . (١)

٦٥٧٠ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « هو الذى يصوّركم فى الأرحام كيف يشاء » ، قادرٌ والله ربُّنا أن يصوّر عبادَه فى الأرحام كيف يشاء ، من ذكر أو أنثى ، أو أسود أو أحمر ، تامّ خلقُه وغير تامّ .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ⑥

قال أبو جعفر : وهذا القول تنزيه من الله تعالى ذكره نفسَه أن يكون له فى ربوبيته ندّ أو مِثل ، أو أن تجوز الألوهة لغيره = وتكذيبٌ منه للذين قالوا فى عيسى ما قالوا، من وفد نجران الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسائر من كان على مثل الذى كانوا عليه من قولهم فى عيسى ، ولجميع من ادّعى مع الله معبوداً أو أقرّ بربوبية غيره .(٢) ثم أخبر جل ثناؤه خلقه بصفته ، وعيداً منه لمن عبد غيره ، أو أشرك فى عبادته أحداً سواه ، فقال : « هو العزيز » الذى لا ينصر من أرادَ الانتقام منه أحدٌ ، ولا ينجيه منه وَأْلٌ ولا لَجَأٌ ،(٣) وذلك لعزته التى يذلُّ لها كل مخلوق ، ويخضع لها كل موجود .(٤) ثم أعلمهم أنه « الحكيم »

---

(١) الأثر : ٦٥٦٩ – قد مضى الكلام فى هذا الإسناد فى رقم : ١٦٨ . وحديث خلق الآدمى فى بطن أمه بغير هذا اللفظ ، وبغير هذا الإسناد فى مسلم ١٦ : ١٨٩ – ١٩٥ ، وفى البخارى فى كتاب « بدء الخلق » فى باب ذكر الملائكة . وفى كتاب « الحيض » باب : مخلقة وغير مخلقة .

(٢) قوله : « ولجميع من ادعى . . . » معطوف على قوله : « وتكذيب للذين قالوا . . . » .

(٣) « وأل » (بفتح الواو وسكون الهمزة ، على وزن سمع) : هو الموئل ، وهو الملجأ الذى يفر إليه الخائف . و « لجأ » (بفتح اللام والجيم) : هو الملجأ ، وهو المعقل الذى يحتمى به .

(٤) انظر فهارس اللغة (عزز) فيما سلف .

فى تدبيره وإعذاره إلى خلقه ، ومتابعة حججه عليهم ، ليهلك من هلك منهم عن بيّنة ، ويحيي من حيّ عن بينة ،[١] كما : —

٦٥٧١ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن اسحق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير قال : ثم قال — يعنى الرب عز وجل — : إنزاهاً لنفسه ، وتوحيداً لها مما جعلوا معه : « لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم » ، قال : العزيز فى انتصاره ممن كفر به إذا شاء ،[٢] والحكيم فى عُذْره وحجته إلى عباده .[٣]

٦٥٧٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم » ، يقول : عزيز فى نقمته ، حكيمٌ فى أمره .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « هو الذى أنزل عليك الكتاب » ، إن الله الذى لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، هو الذى أنزل عليك الكتاب = يعنى بـ « الكتاب » ، القرآن .

* * *

---

(١) انظر فهارس اللغة (حكم) فيما سلف .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « فى نصرته » وهو خطأ فى المعنى ، فإن « النصرة » ، اسم من « النصر » ، وهو لا مكان له هنا . وأما « الانتصار » فهو : الانتقام . والتصر منه : انتقم .

(٣) فى ابن هشام : « فى حجته وعذره إلى عباده » ، وهى أجود لمكان « إلى » من الكلام . أعذر إليه إعذاراً وعذراً : بلغ الغاية فى إرشاده حتى لم يبق موضع للاعتذار .

وقد أتينا على البيان فيما مضى عن السبب الذى من أجله سمى القرآن « كتاباً » بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع [١]

* * *

وأما قوله : « منه آيات محكمات » فإنه يعنى : من الكتاب آيات . يعنى بـ « الآيات » آيات القرآن .

وأما « المحكمات » ، فإنهن اللواتى قد أحكمن بالبيان والتفصيل ، وأثبتت حججهن وأدلتهن على ما جُعلن أدلة عليه من حلال وحرام ، ووعد ووعيد ، وثواب وعقاب ، وأمر وزجر ، وخبر ومثل ، وعظة وعِبر ، وما أشبه ذلك .

* * *

ثم وصف جل ثناؤه : هؤلاء « الآيات المحكمات » ، بأنهن : « هُنّ أمّ الكتاب » [٢] . يعنى بذلك : أنهن أصل الكتاب الذى فيه عماد الدين والفرائض والحدود ، وسائر ما بالخلق إليه الحاجة من أمر دينهم ، وما كلفوا من الفرائض فى عاجلهم وآجلهم .

* * *

وإنما سماهن « أمّ الكتاب » ، لأنهن معظم الكتاب ، وموضع مَفزَع أهله عند الحاجة إليه . وكذلك تفعل العرب ، تسمى الجامعَ معظم الشىء « أمًّا » له . فتسمى راية القوم التى تجمعهم فى العساكر : « أمّهم » ، والمدبر معظم أمر القرية والبلدة : « أمها » .

وقد بينا ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته . [٣]

* * *

ووحّد « أمّ الكتاب » ، ولم يجمع فيقول : هن أمّهات الكتاب ، وقد قال : « هُنّ » = لأنه أراد جميع الآيات المحكمات « أم الكتاب » ، لا أن كل آية منهن « أم الكتاب » . ولو كان معنى ذلك أن كل آية منهن « أم الكتاب » ،

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٩٩ / ثم ٣ : ٨٦ وفهارس اللغة .

(٢) فى المخطوطة « بأنهن من الكتاب » وهو خطأ ، والصواب ما فى المطبوعة .

(٣) انظر ما سلف ١ : ١٠٧ ، ١٠٨ .

لكان لا شك قد قيل : « هن أمهات الكتاب » . ونظير قول الله عز وجل : « هن أمّ الكتاب » على التأويل الذى قلنا فى توحيد « الأم » وهى خبر لـ « هُنّ » ، قوله تعالى ذكره : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾ [سورة المؤمنون : ٥٠] ولم يقل : آيتين ، لأن معناه : وجعلنا جميعهما آية . إذ كان المعنى واحداً فيما جُعلا فيه للخلق عبرة .(١) ولو كان مراداً الخبرُ عن كل واحد منهما على انفراده ،(٢) بأنه جعل للخلق عبرة ، لقيل : وجعلنا ابن مريم وأمه آيتين ، لأنه قد كان فى كل واحد منهما لهم عبرة . وذلك أن مريم ولدت من غير رجل ، ونطق ابنها فتكلم فى المهد صبيًّا ، فكان فى كل واحد منهما للناس آية . ١١٤/٣

* * *

وقد قال بعض نحوى البصرة : إنما قيل : « هن أم الكتاب » ، ولم يَقل : «هن أمهات الكتاب » على وجه الحكاية ، كما يقول الرجل : « مالى أنصار » ، فتقول : « أنا أنصارك » = أو : « مالى نظير » ، فتقول : « نحن نظيرك » .(٣) قال وهو شبيهُ : « دَعنى من تَمرتان » ، وأنشد لرجل من فقعس :(٤)

تَعَرَّضَتْ لِى بِمَكَانٍ حَلٍّ تَعرُّضَ المُهْرَةِ فِى الطِّوَلِّ
تَعَرُّضًا لَمْ تَأْلُ عَنْ قَتْلًا لِى(٥)

---

(١) فى المطبوعة : « إذا كان المعنى وإحداثهما جعلنا فيه للخلق عبرة » ، وهو كلام بلا معنى ، ولكن الناقل عن المخطوطة لم يحسن القراءة ، فإن الألف الأخيرة فى « واحداً » نزلت فى مستقر الفاء من « فيما » غير منقوطة ، فظنها « وإحداثهما » ، وبدل « جعلا » فصيرها « جعلنا » ، وهذا من عجائب الخلط .

(٢) فى المطبوعة : « ولو كان مراده الخبر . . . » ، والصواب الجيد من المخطوطة .

(٣) ربما كان الصواب : « مالى نصير » ، فتقول : « نحن نصيرك » ، والذى فى المطبوعة والمخطوطة صواب لا شك فيه .

(٤) هو منظور بن مرثد بن فروة الفقعسى الأسدى . ويقال : « منظور بن فروة بن مرثد » ، وهو نفسه « منظور بن حبة الفقعسى الأسدى » ، و « حبة » أمه ، ويعرف بها .

(٥) مجالس ثعلب : ٦٠٢ (أبيات كثيرة من هذا الرجز) وشرح شواهد الشافية : ٢٤٨ — ٢٥١ ، وسر صناعة الإعراب ١ : ١٧٧ — ١٧٩ / ثم ٢٣٥ ، واللسان (طول) (قتل) ، وغيرها. ورواية البيت الأول فى مجالس ثعلب « بمجاز حل » ، والأخير « عن قتللى » ، ولا شاهد فى هذه الرواية . وقد ذكر فى اللسان اختلاف روايته . « والطول » (بكسر الطاء وفتح الواو واللام غير

« حَلٌّ » أى : يحلّ به .[١] = على الحكاية، لأنه كان منصوباً قبل ذلك ، كما يقول : « نودىَ : الصلاةَ الصلاةَ » ، يحكى قول القائل : « الصلاةَ الصلاةَ ».

وقال : قال بعضهم : إنما هى : « أنْ قتلاً لى» ، ولكنه جعله « عيناً » ،[٢] لأن «أن» فى لغته تجعل موضعها « عن » ، والنصبُ على الأمر ، كأنك قلت : «ضرباً لزيد».

قال أبو جعفر : وهذا قول لا معنى له . لأن كل هذه الشواهد التى استشهدَها ،[٣] لاشك أنهن حكايات حاكيهنّ ،[٤] بما حكى عن قول غيره وألفاظه التى نطق بهن= وأن معلوماً أن الله جل ثناؤه لم يحك عن أحد قوله : « أمّ الكتاب » ، فيجوز أن يقال : أخرج ذلك مُخرَج الحكاية عمن قال ذلك كذلك .[٥]

* * *

وأما قوله : « وأخَرُ » فإنها جمع « أخْرَى » .[٦]

* * *

مشددة كما فى الرجز) : هو الجبل الذى يطول للدابة فترعى فيه ، وإنما شدد الراجز . لم تأل : لم تقصر . والضمير فى هذا الشعر إلى صاحبته التى يقول فيها قبل هذه الأبيات :

مَنْ لِىَ مِنْ هِجْرَانِ لَيْلَى؟ مَنْ لِى ؟ وَالحَبْلِ مِنْ وِصَالِهَا المُنْحَلِّ ؟

(١) فى المطبوعة : « كل أى يحكى به على الحكاية » ، وهو كلام فاسد ، ولكن العجب للذى أراد أن يصححه فقال : « لعل أصلها كما هو المفهوم من السياق : لم يقل ، عن قتل ، وأتى به على الحكاية » ، أراد أن يصحح ، فكرر الكلام ، وهو أخف ما يكون . بيد أن القارئ الذى نقل عن المخطوطة ، لم يحسن قراءة نصها ، فأفسدها إفساداً ، ولكنها بينة كما كتبتها من رسم المخطوطة .

وقوله « بمكان حل » ضبط بالقلم فى اللسان وفى مجالس ثعلب بتنوين « مكان » و « مجاز » ، وكسر الحاء من « حل » . ولا أظنه صواباً ، فلم أجدهم يقولون : « مكان حل » بكسر الحاء ، وإنما هو بفتحها بالإضافة ، لا بالنعت : « حل بالمكان حلولا وحلا » . أى : نزل به .

وقوله : « على الحكاية » فى سياق قوله : « وأنشد لرجل من فقعس . . . » .

(٢) فى المطبوعة : « جعله عن » ، ولا خير فى هذا التغيير ، والذى فى المخطوطة عين الصواب .

(٣) فى المطبوعة : « استشهد بها » ، والذى فى المخطوطة صواب عريق فى العربية .

(٤) فى المطبوعة : « حكايات حالهن » ، وهو كلام لا مفهوم له . وفى المخطوطة « حالسهن » ولم يضع شرطة الكاف ، فلذلك استبهت على الناسخ .

(٥) فى المخطوطة « أخرج ذلك مخلر الحكاية » ، وكأن الصواب المحض ما فى المطبوعة ، وهذا تحريف من عجلة الناسخ ، أراد أن يكتب « مخرج » ، فزاد القلم لاماً ، ثم راجع راء ، ثم أسقط الجيم .

(٦) انظر ما سلف ٣ : ٤٥٩ . وفى المطبوعة : « جمع آخر » ، وفى المخطوطة ، بغير مدة على الألف ، ورجحت أن تكون « أخرى » ، لما مضى من قوله فى ذلك ولما سيأتى بعد قليل ، ولأنه القياس .

ثم اختلف أهل العربية فى العلة التى من أجلها لم يصرف « أخَر » .

فقال بعضهم : لم يصرف « أخر » من أجل أنها نعتٌ ، واحدتها « أخرى » ، كما لم تصرف « جُمَع » و « وكُتَع » ، لأنهن نعوتٌ .

* * *

وقال آخرون : إنما لم تصرف « الأخر » ، لزيادة الياء التى فى واحدتها ، وأنّ جمعها مبنىّ على واحدها فى ترك الصرف . قالوا : وإنما ترك صرف « أخرى » ، كما ترك صرف « حمراء » و « بيضاء » ، فى النكرة والمعرفة ، لزيادة المدة فيها والهمزة بالواو .[1] ثم افترق جمع « حمراء » و « أخرى » ، فبنى جمع « أخرى » على واحدته فقيل : « فُعَلٌ » و « أخر » ،[2] فترك صرفها كما ترك صرف « أخرى » = وبنى جمع « حمراء » و « بيضاء » على خلاف واحدته فصرف ، فقيل : « حمر » و « بيض » ، فلاختلاف حالتهما فى الجمع ، اختلفَ إعرابهما عندهم فى الصرف . ولاتفاق حالتيهما فى الواحدة ، اتفقت حالتاهما فيها .

* * *

وأما قوله : « متشابهات » ، فإن معناه : متشابهات فى التلاوة ، مختلفات فى المعنى ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً ﴾ [سورة البقرة : ٢٥] ، يعنى فى المنظر ، مختلفاً فى المطعم[3] — وكما قال مخبراً عمن أخبر عنه من بنى إسرائيل أنه قال : ﴿ إِنَّ البَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا ﴾ [سورة البقرة : ٧٠] ، يعنون بذلك : تشابه علينا فى الصفة ، وإن اختلفت أنواعه .[4]

* * *

---

(١) تركت قوله : « بالواو » على حاله ، فإنى لم أستطع أن أرجح زيادتها ، ولم أعرف ما أراد بها إلا أن يكون أراد بها ألف التأنيث المقصورة ، كالتى فى « حبلى » . والأخرى ألف التأنيث الممدودة .

(٢) المرجح عندى أن قوله : « فعل » زيادة من الناسخ .

(٣) انظر ما سلف ١ : ٣٨٥ — ٣٩٤ .

(٤) انظر ما سلف ٢ : ٢٠٩ — ٢١١ .

فتأويل الكلام إذاً : إن الذى لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، هو الذى أنزل عليك يا محمد القرآن ، منه آيات محكمات بالبيان ، هن أصل الكتاب الذى عليه عمادُك وعماد أمتك فى الدّين ، وإليه مفزعُك ومفزعهم فيما افترضت عليك وعليهم من شرائع الإسلام = وآيات أخر ، هنّ متشابهاتٌ فى التلاوة ، مختلفات فى المعانى .

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب وأخَر متشابهات » ، وما المحكم من آى الكتاب ، وما المتشابه منه ؟

فقال بعضهم : « المحكمات » من آى القرآن ، المعمول بهن ، وهنّ الناسخات أو المثبتاتُ الأحكامَ = « والمتشابهات » من آيه ، المتروك العملُ بهنّ ، المنسوخاتُ .

* ذكر من قال ذلك :

٦٥٧٣ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا العوّام ، عمن حدثه ، عن ابن عباس فى قوله : « منه آيات محكمات » ، قال : هى الثلاث الآيات من ههنا : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [سورة الأنعام : ١٥١ ، ١٥٢] ، إلى ثلاث آيات ،(١) والتى فى « بنى إسرائيل » : ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [سورة الإسراء : ٢٣ – ٣٩] ، إلى آخر الآيات .(٢) ١١٥/٣

---

(١) فى المطبوعة : « التى ههنا » ، وهو خطأ ، فإن الآيات كما ترى من سورة الأنعام وأثبت ما فى الدر المنثور ٢ : ٤ ، وانظر التخريج فى آخر الأثر .

(٢) الأثر : ٦٥٧٣ – هكذا إسناده فى المخطوطة والمطبوعة ، وأنا أخشى أن يكون سقط من إسناده « عن أبى إسحق » ، بعد « قال أخبرنا العوام » . و « العوام » هو العوام بن حوشب ، يروى أبى إسحق السبيعى . أما قوله فى الإسناد « عمن حدثه » فإن ذلك كذلك ، لأن الذى روى عنه أبو إسحق السبيعى ، هو « عبد الله بن قيس » ، مذكور بروايته هذا الأثر ، وراويه عنه هو هو أبو إسحق السبيعى ، ولم يعرف من روى عنه غير أبى إسحق . (تهذيب التهذيب ٥ : ٣٦٥) . والأثر نفسه رواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٢٨٨ من طريق : « على بن صالح بن حى ، عن أبى إسحق ، عن عبد الله بن قيس ، عن ابن عباس » . ونصه : « آيات محكمات ، هى التى فى الأنعام : قل تعالوا أتل ما حرم ربكم – إلى آخر الثلاث الآيات » . وقال الحاكم : « صحيح » ، ووافقه الذهبى . من أجل ذلك خشيت أن يكون سقط من إسناد الطبرى « عن أبى إسحق » ، ولكنى لم أثبته فى نصه .

٦٥٧٤ ــ حدثني المثنى قال : حدثنا أبو صالح قال ، حدثنا معاوية بن صالح ، عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « هو الذى أنزَل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب »، المحكمات : ناسخه ، وحلالُه وحرَامه ، وحدوده وفرائضُه ، وما يؤمن به ويعمل به = قال : « وأخر متشابهات » ، والمتشابهات : منسوخه ، ومقدّمه ومؤخره ، وأمثاله وأقسامه ، وما يؤمن به ولا يُعمل به .

٦٥٧٥ ــ حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمى قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس فى قوله : « هو الذى أنزل عليك الكتاب » إلى « وأخر متشابهات » ، فالمحكمات التى هى أمّ الكتاب : الناسخ الذى يُدان به ويعمل به . والمتشابهات ، هن المنسوخات التى لا يُدان بهنّ .

٦٥٧٦ ــ حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ، عن السدى فى خبر ذكره ، عن أبى مالك وعن أبى صالح ، عن ابن عباس = وعن مرة الهمدانى ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : « هو الذى أنزلَ عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب» إلى قوله : « كل من عندنا ربنا » ، أما «الآيات المحكمات» : فهن الناسخات التى يعمَل بهن = وأما « المتشابهات» فهن المنسوخات .

٦٥٧٧ ــ حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب » ، و«المحكمات» : الناسخ الذى يعمل به ، ما أحلّ الله فيه حلاله وحرّم فيه حرامه = وأما «المتشابهات» : فالمنسوخ الذى لا يُعمل به ويُؤمن به .

٦٥٧٨ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « آيات محكمات » ، قال : المحكم ما يعمل به .

٦٥٧٩ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ،

عن أبيه ، عن الربيع : « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب وأخر متشابهات » ، قال : « المحكمات » ، الناسخ الذى يعمل به = و« المتشابهات » : المنسوخ الذى لا يعمل به ويؤمن به .

٦٥٨٠ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « آيات محكمات هن أم الكتاب » ، قال : الناسخات = « وأخر متشابهات » ، قال : ما نُسخ وتُرك يُتلى .

٦٥٨١ – حدثنى ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك بن مزاحم قال : المحكم ، ما لم ينسخ = وما تشابه منه : ما نسخ .

٦٥٨٢ – حدثنى يحيى بن أبى طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « آيات محكمات هن أم الكتاب » ، قال : الناسخ = « وأخر متشابهات » ، قال : المنسوخ .

٦٥٨٣ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يحدث قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « منه آيات محكمات » ، يعنى الناسخ الذى يعمل به = « وأخر متشابهات » ، يعنى المنسوخ ، يؤمن به ولا يعمل به .

٦٥٨٤ – حدثنى أحمد بن حازم قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سلمة ، عن الضحاك : « منه آيات محكمات » ، قال : ما لم ينسخ = « وأخر متشابهات » ، قال : ما قد نسخ .

* * *

وقال آخرون : « المحكمات » من آى الكتاب : ما أحكم الله فيه بيانَ حلاله وحرامه = « والمتشابه » منها : ما أشبه بعضُه بعضاً فى المعانى ، وإن اختلفت ألفاظه .

• ذكر من قال ذلك :

٦٥٨٥ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « منه آيات محكمات » ، ما فيه من الحلال والحرام ، وما سوى ذلك فهو « متشابه » ، يصدّق بعضُه بعضاً = وهو مثل قوله : ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ [سورة البقرة ٢٦] ، ومثل قوله : ﴿ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة الأنعام : ١٢٥] ، ومثل قوله : ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ [سورة محمد : ١٧] .

٦٥٨٦ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

وقال آخرون : « المحكمات » من آى الكتاب : ما لم يحتمل من التأويل غير وجه واحد = « والمتشابه » منها : ما احتمل من التأويل أوجهاً . ١١٦/٣

* ذكر من قال ذلك :

٦٥٨٧ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق قال ، حدثني محمد بن جعفر بن الزبير : « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات » ، فيهن حجة الربّ ، وعصمةُ العباد ، ودفع الخصُوم والباطل ، ليس لها تصريف ولا تحريف عما وضعت عليه = [1] « وأخَرُ متشابهات » ، في الصدق ، [2] لهن تصريف وتحريف وتأويل ، [3] ابتلى الله فيهن العبادَ ، كما ابتلاهم في الحلال والحرام ، لا يُصرفن إلى الباطل ولا يحرّفن عن الحق . [4]

* * *

(١) في نص ابن هشام : « ليس لهن تصريف . . . عما وضعن » .

(٢) في المطبوعة : « وأخر متشابهة » ، والصواب من المخطوطة وابن هشام . وليس في نص ابن هشام : « في الصدق » ، ولكنها ثابتة في المخطوطة .

(٣) ليس في نص رواية ابن هشام « وتحريف » .

(٤) الأثر ٦٥٨٧ – هو بقية الآثار السالفة التي آخرها : ٦٥٧١ ، من روايته عن ابن إسحق .

وقال آخرون : معنى « المحكم » : ما أحكم الله فيه من آى القرآن، وقَصَص الأمم ورُسلهم الذين أرسلوا إليهم ، ففصّله ببيان ذلك لمحمد وأمته = « والمتشابه » ، هو ما اشتبهت الألفاظ به من قصصهم عند التكرير فى السور ، بقَصّه باتفاق الألفاظ واختلاف المعانى، وبقصّه باختلاف الألفاظ واتفاق المعانى .(١)

* ذكر من قال ذلك :

٦٥٨٨ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد وقرأ : ﴿أَلر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [سورة هود : ١]، قال : وذكر حديثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أربع وعشرين آية منها :(٢) وحديثَ نوح فى أربع وعشرين آية منها . ثم قال: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ ﴾ [سورة هود: ٤٩] ، ثم ذكر ﴿ وَإِلَى عَادٍ ﴾ ، فقرأ حتى بلغ ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ﴾(٣) ثم مضى . ثم ذكر صالحاً وإبراهيم ولوطاً وشعيباً وفرغ من ذلك . وهذا تبيين ذلك، تبيين « أحكمت آياته ثم فصلت » =(٤) قال : والمتشابهُ ، ذكر موسى فى أمكنة

---

(١) فى المطبوعة : « فقصة باتفاق الألفاظ . . . وقصة باختلاف الألفاظ . . . » وهو فاسد ، والصواب من المخطوطة .

(٢) يعنى من « سورة هود » ، وهذا التعداد الآتى على الترتيب فى المصحف .

(٣) كأنه يعنى أنه قرأ حتى بلغ هذه الآية من سورة هود : ٨٩ – ولكن هذه الآية فى ذكر خبر شعيب عليه السلام ، فلا أدرى ما قوله بعد : « ثم مضى ، ثم ذكر صالحاً وإبراهيم ولوطاً وشعيباً » . وظنى أن نص عبارته :

« ثم مضى . ذكر صالحاً وإبراهيم ولوطاً وشعيباً . . . » بإسقاط « ثم » الثانية. وانظر التعليق التالى.

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : وهذا يقين ذلك يقين أحكمت . . . » وكأن الصواب ما أثبت . هذا ولم أجد هذا الأثر فى مكان ، ولكنى وجدت السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٣٢٠ ، فى تفسير « سورة هود » قال : « أخرج ابن أبى حاتم ، عن ابن زيد رضى الله عنه أنه قرأ : « ألر كتاب أحكمت آياته » قال : هى كلها مكية محكمة – يعنى سورة هود – « ثم فصلت » . قال : ثم ذكر محمداً صلى الله عليه وسلم ، فحكم فيما بينه وبين من خالفه ، وقرأ : « مثل الفريقين » ، الآية كلها . ثم ذكر قوم نوح ، ثم قوم هود ، فكان هذا تفصيل ذلك ، وكان أوله محكماً . قال : وكان أبى رضى الله عنه يقول ذلك – يعنى : زيد بن أسلم » .

فمن أجل ذلك ، رجحت التصحيح السالف فى التعليق الماضى ، ورجحت أن تكون « يقين » فى الموضعين : « تبيين » .

كثيرة ، وهو متشابه ، وهو كله معنى واحد . ومتشابهه : ﴿ اسْلُكْ فِيهَا ﴾ ﴿ احْمِلْ فِيهَا ﴾، ﴿ اسْلُكْ يَدَكَ ﴾ ﴿ أَدْخِلْ يَدَكَ ﴾، ﴿حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ ﴿ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ = (١) قال : ثم ذكر هوداً فى عشر آيات منها ، (٢) وصالحاً فى ثمانى آيات منها ، وإبراهيم فى ثمانى آيات أخرى ، ولوطاً فى ثمانى آيات منها ، وشعيباً فى ثلاث عشرة آية ، وموسى فى أربع آيات ، كلّ هذا يقضى بين الأنبياء وبين قومهم فى هذه السورة ، فانتهى ذلك إلى مئة آية من سورة هود ، ثم قال : ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾ [سورة هود : ١٠٠] . وقال فى المتشابه من القرآن : من يرد الله به البلاء والضلالة يقول : ما شأن هذا لا يكون هكذا ؟ وما شأن هذا لا يكون هكذا ؟

* * *

وقال آخرون : بل « المحكم » من آى القرآن : ما عرف العلماءُ تأويله ، وفهموا معناه وتفسيره = و « المتشابه » : ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل ، مما استأثر الله بعلمه دون خلقه ، وذلك نحو الخبر عن وقت مَخْرج عيسى بن مريم ، ووقت طُلوع الشمس من مغربها ، وقيام الساعة ، وفناءِ الدنيا ، وما أشبه ذلك ، فإن ذلك لا يعلمه أحدٌ . وقالوا : إنما سمى الله من آى الكتاب « المتشابه » ، الحروف المقطّعة التى فى أوائل بعض سور القرآن ، من نحو « ألم » و«ألمص » ، و« ألمر» ، و«ألر» ، وما أشبه ذلك ، لأنهن متشابهات فى الألفاظ ، وموافقات حروف حساب الجمَّل . وكان قومٌ من اليهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم طَمِعوا أن يدركوا من قِبَلها معرفة مدّة الإسلام وأهله ، ويعلموا نهايةَ أُكْلِ

---

(١) من أول قوله : « قال : والمتشابه . . . » معترض فى سياق حديثه عن تفصيل القصص فى « سورة هود » وتعداد آيات كل قصة . أما الآيات المذكورة هنا ، فهذا بيان مواضعها على الترتيب : « سورة المؤمنون : ٢٧ » / « سورة هود : ٤٠ » / « سورة القصص : ٣٢ » / « سورة النمل : ١٢ » / « سورة طه : ٢٠ » / « سورة الأعراف : ١٠٧ » و « سورة الشعراء : ٢٢ » .

(٢) « منها » يعنى من « سورة هود » ، وكذلك سائر ما بعده

محمد وأمته ، (١) فأكذب الله أحدوثتهم بذلك ، وأعلمهم أنّ ما ابتغوا علمه من ذلك من قِبَل هذه الحروف المتشابهة لا يدركونه ولا من قبل غيرها ، وأن ذلك لا يعلمه إلا الله .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا قولٌ ذُكر عن جابر بن عبد الله بن رئاب : (٢) أن هذه الآية نزلت فيه ، (٣) وقد ذكرنا الرواية بذلك عنه وعن غيره ممن قال نحو مقالته ، فى تأويل ذلك فى تفسير قوله : ﴿ الٓمٓ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ (٤) [سورة البقرة : ٢]

* * *

قال أبو جعفر : وهذا القول الذى ذكرناه عن جابر بن عبد الله أشبه بتأويل الآية. وذلك أن جميع ما أنزل الله عز وجل من آى القرآن على رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإنما أنزله عليه بياناً له ولأمته وهدًى للعالمين . وغيرُ جائز أن يكون فيه ما لا حاجة بهم إليه ، ولا أن يكون فيه ما بهم إليه الحاجةُ ، ثم لا يكون لهم إلى علم تأويله سبيل. فإذْ كان ذلك كذلك ، فكل ما فيه بخلقه إليه الحاجة ، (٥) وإن كان فى بعضه ما بهم عن بعض معانيه الغنى = [وإن اضطرته الحاجة إليه فى معان كثيرة] (٦) = وذلكَ

---

(١) فى المطبوعة : « أجل أمته » ، وهو تحريف من الطابع ، وأثبت ما فى المخطوطة : والأكل (بضم فسكون) : مدة العمر ، وانظر التعليق ص : ١٩٦ ، تعليق : ١ .

(٢) فى المطبوعة : « بن رباب » وهو خطأ ، والصواب ما أثبت و « رئاب » بكسر الراء . وانظر ما سلف ١ : ٢١٦ وما سيأتى فى التعليق : ٤ ، وفيه المرجع .

(٣) قوله : « فيه » ، أى : فى هذا القول . لا فى « جابر بن عبد الله » .

(٤) انظر ما سلف ١ : ٢٤٥ – ٢٢٤ فى تفسير « ألم » ، والأثر رقم : ٢٤٦ والتعليق عليه .

(٥) فى المطبوعة : « لخلقه » ، وفى المخطوطة : « محلمه » غير منقوطة ، والحرف الأول كأنه ميم مطموسة ، وصواب قراءته ما أثبت .

(٦) هذه الجملة التى بين القوسين ، هكذا جاءت فى المطبوعة ، ومثلها فى المخطوطة وإن كان قوله « اضطرته » غير منقوطة هكذا . وهى عبارة غير واضحة المعنى ، وأنا أخشى أن يكون الناسخ قد أغفل أسطراً من هذا الموضع ، فاختلط الكلام علينا وعليه ! وإسقاط هذه الجملة من سياق الكلام لا يضر . ولكنى تركتها على حالها ، ووضعتها بين قوسين ، وحصرتها بين الخطوط ، ليعرف مكانها ، ومكان السقط الذى رجحت أنه سهو من الناسخ .

كقول الله عز وجل : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٨]، فأعلم النبي صلى الله عليه وسلم أمته أن تلك الآية التي أخبر الله جل ثناؤه عباده أنها إذا جاءت لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ذلك ، هي طلوع الشمس من مغربها.(١) فالذي كانت بالعباد إليه الحاجة من علم ذلك ، هو العلم منهم بوقت نفع التوبة بصفته ، بغير تحديده بعدد السنين والشهور والأيام.(٢) فقد بين الله ذلك لهم بدلالة الكتاب ، وأوضحه لهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم مفسَّراً . والذي لا حاجة بهم إلى علمه منه ،(٣) هو العلم بمقدار المدة التي بين وقت نزول هذه الآية ووقت حدوث تلك الآية ، فإن ذلك مما لا حاجة بهم إلى علمه في دين ولا دنيا . وذلك هو العلم الذي استأثر الله جل ثناؤه به دون خلقه ، فحجبه عنهم . وذلك وما أشبهه ، هو المعنى الذي طلبت اليهودُ معرفته في مدّة محمد صلى الله عليه وسلم وأمته من قبل قوله : « ألم »و « ألمص » و « ألر» و « ألمر» ونحو ذلك من الحروف المقطّعة المتشابهات ، التي أخبر الله جل ثناؤه أنهم لا يدركون تأويل ذلك من قبله ، وأنه لا يعلم تأويله إلا الله .

فإذْ كان المتشابه هو ما وصفنا ، فكل ما عداه فمحكم . لأنه لن يخلو من أن يكون محكماً بأنه بمعنى واحد لا تأويل له غير تأويل واحد ، وقد استغنى بسماعه عن بيان يُبينه =(٤) أو يكون محكماً ، وإن كان ذا وُجوه وتأويلات وتصرف في

---

(١) انظر تفصيل ذلك والعلة في تفسير الآية من تفسير الطبري ٨ : ٧١ – ٧٧ (بولاق) .

(٢) في المطبوعة : « بعد بالسنين . . . » ، وفي المخطوطة : « بعد السنين . . . » ، وظاهر أن الناسخ أسقط الدال الثانية من « بعدد » .

(٣) في المطبوعة : « لا حاجة لهم » باللام ، وأثبت صوابها من المخطوطة .

(٤) في المطبوعة والمخطوطة « مبينة » ، ولكن ميم المخطوطة كأنها ليست « ميما » ، وصواب قراءة النص هو ما أثبت .

معان كثيرة . فالدلالة على المعنى المراد منه، إما من بيان الله تعالى ذكره عنه ،أو بيان رسوله صلى الله عليه وسلم لأمته . ولن يذهبَ علم ذلك عن علماء الأمة لما قد بيَّنَّا .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾

قال أبو جعفر : قد أتينا على البيان عن تأويل ذلك بالدلالة الشاهدة على صحة ما قلناه فيه .(١) ونحن ذاكرو اختلاف أهل التأويل فيه ، وذلك أنهم اختلفوا فى تأويله .

فقال بعضهم : معنى قوله : « هن أم الكتاب » ، هنّ اللائى فيهن الفرائض والحدود والأحكام ، نحو قولنا الذى قلنا فيه .(٢)

* ذكر من قال ذلك :

٦٥٨٩ — حدثنا عمران بن موسى القزاز قال ،حدثنا عبد الوارث بن سعيد قال ، حدثنا إسحق بن سويد ، عن يحيى بن يعمر أنه قال فى هذه الآية :«محكمات هنّ أم الكتاب » . قال يحيى : هن اللاتى فيهنّ الفرائضُ والحدودُ وعمادُ الدين = وضرب لذلك مثلا فقال :« أمّ القرى » مكة ، « وأم خراسان » ، مَرْو ، « وأمّ المسافرين»، الذى يجعلون إليه أمرَهم، ويُعنى بهم فى سفرهم، قال: فذاك أمهم.(٣)

٦٥٩٠ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله: « هن أم الكتاب » ، قال : هن جماع الكتاب .

* * *

(١) انظر ما سلف قريباً : ١٧٠

(٢) فى المطبوعة : « نحو قلنا » وهو سهو صوابه من المخطوطة .

(٣) الأثر : ٦٥٨٩ — « عمران بن موسى القزاز » ، و « عبد الوارث بن سعيد » مضت ترجمتهما برقم ٢١٥٤ . وانظر التعليق على الأثر رقم : ٦٥٩١ ، التالى

وقال آخرون : بل يعنى بذلك :[١] فواتح السور التى منها يستخرج القرآن .

* ذكر من قال ذلك :

٦٥٩١ – حدثنا عمران بن موسى قال ، حدثنا عبد الوارث بن سعيد قال ، حدثنا إسحق بن سويد ، عن أبى فاختة أنه قال فى هذه الآية : « منه آيات محكمات هن أم الكتاب » ، قال : « أم الكتاب » فواتح السور ، منها يستخرج القرآن – ﴿الٓمٓ * ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾ ، منها استخرجت « البقرة » ، و﴿الٓمٓ * اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ منها استخرجت « آل عمران » .[٢]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : فأما الذين فى قلوبهم ميل عن الحق وانحرافٌ عنه .

* * *

يقال منه : « زاغ فلان عن الحق ، فهو يَزيغ عنه زَيْغاً وزيَغاناً وزيْغوغَة وزُيوغاً » ، و « أزاغه الله » – إذا أماله – « فهو يُزيغه » ، ومنه قوله جل ثناؤه : ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ لا تملها عن الحق = ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [سورة آل عمران : ٨].

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « معنى بذلك » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) الأثر : ٦٥٩١ – « أبو فاختة » هو « سعيد بن علاقة الهاشمى » ، مولى أم هانئ ، ثقة مترجم فى التهذيب . وانظر الأثر السالف رقم : ٦٥٨٩ . فقد خرجهما السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٤ ، أثراً واحداً مختصراً وقال : « عن إسحق بن سويد أن يحيى بن يعمر وأبا فاختة تراجعا هذه الآية : هن أم الكتاب ، فقال أبو فاختة . . . وقال يحيى بن يعمر . . . » وساق ما فى هذين الأثرين مختصراً .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل : —

* ذكر من قال ذلك :

٦٥٩٢ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثنى ابن إسحق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : « فأما الذين فى قلوبهم زيغٌ » ، أى : ميل عن الهدى .(١)

٦٥٩٣ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « فى قلوبهم زيغ » ، قال : شك .

٦٥٩٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

١١٨/٣ ٦٥٩٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس: « فأما الذين فى قلوبهم زيغ» ، قال : من أهل الشك .

٦٥٩٦ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح ، عن ابن عباس = وعن مرة الهمدانى ، عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : « فأما الذين فى قلوبهم زيغ » ، أما الزيغ فالشك .

٦٥٩٧ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : قال : « زيغ » شك = قال ابن جريج : « الذين فى قلوبهم زيغ »، المنافقون .

* * *

(١) الأثر : ٦٥٩٢ — هو بقية الآثار السالفة التى آخرها رقم : ٦٥٨٧ ، عن ابن إسحق .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « فيتبعون ما تشابه » ، ما تشابهت ألفاظه وتصرّفت معانيه بوجوه التأويلات ، ليحققوا = بادّعائهم الأباطيلَ من التأويلات فى ذلك = ما هم عليه من الضلالة والزّيغ عن محجة الحقّ ، تلبيساً منهم بذلك على من ضعفت معرفته بوجوه تأويل ذلك وتصاريف معانيه ، كما : —

٦٥٩٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « فيتبعون ما تشابه منه » ، فيحملون المحكم على المتشابه ، والمتشابه على المحكم ، ويلبّسون ، فلبّس الله عليهم .

٦٥٩٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن جعفر بن الزبير : « فيتبعون ما تشابه منه » ، أى : ما تحرّف منه وتصرف ، [1] ليصدقوا به ما ابتدعوا وأحدثوا ، ليكون لهم حجة على ما قالوا وشُبْهةً . [2]

٦٦٠٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد فى قوله : « فيتبعون ما تشابه منه » ، قال : الباب الذى ضلّوا منه وهلكوا فيه ابتغاءَ تأويله .

* * *

وقال آخرون فى ذلك بما :

---

(١) فى ابن هشام : « أى : ما تصرف منه » ، وليس فيه « تحرف » .

(٢) الأثر : ٦٥٩٩ — هو بقية الآثار السالفة التى آخرها رقم : ٦٥٩٢ ، بإسناده عن ابن إسحق . ونص ما فى سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٦ « لتكون لهم حجة ، ولهم على ما قالوا شبهة » . وتركت ما فى التفسير هنا على حاله ، لأن روايته عن ابن إسحق ، غير رواية ابن هشام .

٦٦٠١ – حدثني به موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط عن السدى فى قوله: « فيتبعون ما تشابه منه » ، يتبعون المنسوخَ والناسخَ فيقولون: ما بال هذه الآية عمل بها كذا وكذا مكان هذه الآية ،(١) فتركت الأولى وعُمل بهذه الأخرى ؟ هلاَّ كان العمل بهذه الآية قبل أن تجيء الأولى التى نُسخت ؟ وما باله يعد العذابَ مَنْ عمل عملا يعذبه [فى] النار ،(٢) وفى مكان آخر : مَنْ عمله فإنه لم يُوجب النار ؟

* * *

واختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية .

فقال بعضهم : عُنى به الوفدُ من نصارى نجران الذين قَدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحاجُّوه بما حاجُّوه به، وخاصموه بأن قالوا: ألست تزعم أنّ عيسى روح الله وكلمته ؟ وتأولوا فى ذلك ما يقولون فيه من الكفر .

* ذكر من قال ذلك :

٦٦٠٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن عن أبيه ، عن الربيع قال : عَمدوا – يعنى الوفد الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من نصارى نجران – فخاصموا النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، قالوا : ألست تزعم أنه كلمةُ الله ورُوحٌ منه؟ قال: بلى ! قالوا : فحسبُنا ! فأنزل الله عز وجل : « فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة » ، ثم

---

(١) فى المطبوعة : « مجاز هذه الآية » ، أما المخطوطة ، فهى غير بينة ، وآثرت قراءتها « مكان »

(٢) فى المطبوعة : « يعد به إلنار » بالدال المهملة ، ولا معنى له . وفى المخطوطة « نعد به» غير منقوطة ، وصواب قراءتها « يعذبه » ، وما بين القوسين زيادة يقتضيها سياق الكلام .

إنّ الله جل ثناؤه : أنزل : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ [سورة آل عمران : ٥٩]، الآية .

* * *

وقال آخرون : بل أنزلت هذه الآية فى أبى ياسر بن أخطب ، وأخيه حُيىّ بن أخطب ، والنفر الذين ناظروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قَدْر مُدة أُكْلِه وأكْل أمته ،[1] وأرادوا علم ذلك من قِبَل قوله : « ألم ، و «ألمص» ، و «ألمر» و « ألر » ، فقال الله جل ثناؤه فيهم : « فأما الذين فى قلوبهم زيغ » — يعنى هؤلاء اليهود الذين قُلوبهم مائلة عن الهدى والحق = « فيتبعون ما تَشابه منه » يعنى : معانى هذه الحروف المقطّعة المحتملة التصريف فى الوجوه المختلفة التأويلات = « ابتغاءَ الفتنة » .

وقد ذكرنا الرواية بذلك فيما مضى قبل ، فى أول السورة التى تذكر فيها « البقرة » .[2]

* * *

وقال آخرون : بل عنى الله عز وجل بذلك كل مبتدع فى دينه بدعة مخالفةً لما ابتعث به رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم ، بتأويل يتأوله من بعض آى القرآن المحتملة التأويلات ، وإن كان الله قد أحكم بيانَ ذلك : إما فى كتابه ، وإما على لسان رسوله . ١١٩/٣

* ذكر من قال ذلك :

٦٦٠٣ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « فأما الذين فى قُلوبهم زَيغٌ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاءَ الفتنة » ، وكان قتادة إذا قرأ هذه الآية : « فأما الذين فى قلوبهم زيغ » قال : إن لم يكونوا الحرُورِيّة والسبائية ،[3] فلا أدرى من هم ! ولعمرى لقد كان فى أهل بدر

(١) فى المطبوعة : « أجله وأجل أمته » ، وانظر تفسير « الأكل » فيما سلف ص : ١٨٠ ، تعليق : ١.

(٢) انظر الأثر السالف رقم : ٢٤٦ .

(٣) « الحرورية » ، هم الخوارج ، اجتمعوا بحروراء بظاهر الكوفة ، فكان هناك أول اجتماعهم بها وتحكيمهم حين خالفوا علياً ، وأما « السبائية » ، فهم منسوبون إلى ابن السوداء اليهودى « عبد الله بن

والحديبية الذين شهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرّضوان من المهاجرين والأنصار خبرٌ لمن استخبر ، وعبرةٌ لمن استعبر ، لمن كان يَعقِل أو يُبصر .(١) إن الخوارج خرجوا وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ كثيرٌ بالمدينة والشأم والعراق ، وأزواجه يومئذ أحياء . والله إنْ خرَج منهم ذكرٌ ولا أنثى حروريًّا قط ، ولا رضوا الذى هم عليه ، ولا مالأوهم فيه ، بل كانوا يحدّثون بعيب رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم ونعتِه الذى نعتهم به ، وكانوا يبغضونهم بقلوبهم ، ويعادونهم بألسنتهم ، وتشتدّ والله عليهم أيديهم إذا لقوهم . ولعمرى لو كان أمر الخوارج هُدًى لاجتمع ، ولكنه كان ضلالاً فتفرّق . وكذلك الأمر إذا كان من عند غير الله وجدت فيه اختلافاً كثيراً . فقد ألاصوا هذا الأمر منذ زمان طويل .(٢) فهل أفلحوا فيه يوماً أو أنجحوا ؟ يا سبحان الله ؟ كيف لا يعتبر آخر هؤلاء القوم بأوّلهم ؟ لو كانوا على هدى ، قد أظهره الله وأفلجه ونصره ،(٣) ولكنهم كانوا على باطل أكذبه الله وأدحضه . فهم كما رأيتهم ، كلما خرج لهم قرْنٌ أدحض الله حجتهم ، وأكذب أحدوثتهم ، وأهراق دماءهم . إن كتموا كان قرْحاً فى قلوبهم ،(٤) وغمًّا عليهم . وإن أظهروه أهرَاق الله دماءهم . ذاكم والله دينَ سَوْء فاجتنبوه . والله

سبأ » وهو الذى قال لعلى : « أنت أنت » يعنى أن الأمام فيه الجزء الإلهى ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً فنفاه على إلى المدائن . هذا وقد كتبت فى المخطوطة « السبالية » ، وفى المطبوعة « السبئية » ، وآثرت ما فى المخطوطة لأنها هكذا هى فى أكثر الكتب .

(١) يعنى بذلك العبرة التى كانت فى بدر ، حين أشار على رسول الله أصحابه أن يدع منزله الأول الذى نزله ، إلى المنزل الذى أشاروا به عليه — والعبرة التى كانت فى الحديبية حين قال بعض أصحاب بيعة الرضوان ما قالوا فى كراهة الصلح الذى عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين قريش . وفى ذلك برهان على فساد مقالة الخوارج ، ومقالة السبالية .

(٢) ألاص الأمر : أداره وحاوله . وألاص فلاناً على هذا الأمر : أداره على الشىء الذى يريده .

(٣) فى المطبوعة : « أفلحه » بالحاء المهملة ، وهو فى المخطوطة غير منقوطة ، وصواب قراءته بالجيم . أفلج الله حجته : أظهرها ، وجعل له الفلج ، أى الفوز والغلبة .

(٤) فى المخطوطة والمطبوعة : « وإن كتموا . . . » ، والسياق يقتضى حذف الواو .

إنّ اليهودية لبدعة ، وإن النصرانية لبدْعة ،[١] وإن الحرورية لبدعة ، وإن السبائية لبدعة ، ما نزل بهن كتابٌ ولا سنّهنّ نبيّ .

٦٦٠٤ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله » ، طلب القوم التأويل ، فأخطأوا التأويل وأصابوا الفتنة ، فاتبعوا ما تشابه منه ، فهلكوا من ذلك . لعمرى لقد كان فى أصحاب بدر والحديبية الذى شهدوا بيعة الرضوان = وذكر نحو حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عنه .

٦٦٠٥ – حدثنى محمد بن خالد بن خداش ويعقوب بن إبراهيم قالا ، حدثنا إسماعيل بن علية ، عن أيوب ، عن عبد الله بن أبى مليكة ، عن عائشة قالت : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هو الذى أنزل عليك الكتاب » إلى قوله : « وما يذّكر إلاّ أولوا الألباب » ، فقال : فإذا رأيتم الذين يجادلون فيه ، فهم الذين عنى الله ، فاحذرُوهم .[٢]

---

(١) عنى باليهودية والنصرانية ، ما ابتدعه اليهود والنصارى من القول فى عزير ، وأنه ابن الله ، وغير ذلك من مذاهبهم – ومن القول فى المسيح ، وأنه ابن الله ، وغير ذلك من مقالاتهم .

(٢) الحديث : ٦٦٠٥ – هذا الحديث رواه الطبرى هنا بأحد عشر إسناداً ، كلها من رواية ابن أبى مليكة ، إلا واحداً ، وهو الحديث : ٦٦١١ .

واختلف الرواة عن ابن أبى مليكة ، فبعضهم يرويه عنه عن عائشة مباشرة ، وبعضهم يرويه عنه عن القاسم عن عائشة . وكل صحيح ، كما سيأتى .

وابن أبى مليكة : هو عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله بن أبى مليكة ، القرشى المكى . وهو تابعى كبير ثقة ، سمع عائشة وغيرها من الصحابة . ترجمه البخارى فى الصغير ، ص : ١٣١ ، وابن سعد ٥ : ٣٤٧ – ٣٤٨ ، وابن أبى حاتم ٢/٢/٩٩ – ١٠٠ ، والمصعب فى نسب قريش ، ص : ٢٩٣ .

فقال الترمذى ٤ : ٨٠ ، بعد أن روى الحديث بالوجهين ، كما سيأتى – : « هكذا روى غير واحد هذا الحديث عن ابن أبى مليكة عن عائشة ، ولم يذكروا فيه : عن القاسم بن محمد . وإنما ذكره يزيد بن إبرهيم : عن القاسم بن محمد ، فى هذا الحديث . وابن أبى مليكة ، هو « عبد الله ابن عبيد الله بن أبى مليكة . وقد سمع من عائشة أيضاً » .

ولم ينفرد يزيد بن إبرهيم بذكر « القاسم » فى الإسناد ، كما زعم الترمذى . وسيجىء بيان ذلك ، إن شاء الله .

٦٦٠٦ – حدثنا ابن عبد الأعلى قال ، حدثنا المعتمر بن سليمان قال ، سمعت أيوب ، عن عبد الله بن أبي مليكة ، عن عائشة أنها قالت : قرأ نبيّ الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : « هو الذى أنزل عليك الكتاب » إلى « وما يذكر إلا أولو الألباب » ، قالت : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإذا رأيتم الذين يجادلون فيه – أو قال : يتجادلون فيه – فهم الذين عنى الله، فاحذرهم = قال مطر ، عن أيوب أنه قال : فلا تجالسوهم، فهم الذين عنىَ الله فاحذروهم .(١)

وقال الحافظ فى الفتح ٨ : ١٥٧ : « قد سمع ابن أبي مليكة من عائشة كثيراً ، وكثيراً ما يدخل بينها وبينه واسطة . وقد اختلف عليه فى هذا الحديث . . . »

والحديث – من هذا الوجه ، من رواية ابن علية ، عن أيوب – : رواه أحمد فى المسند ٦ : ٤٨ (حلبى) ، عن ابن علية ، بهذا الإسناد . وكذلك رواه ابن ماجة : ٤٧ ، عن محمد بن خالد بن خداش – شيخ الطبرى هنا – عن ابن علية ، به .

ومحمد بن خالد بن خداش ، هذا : مترجم فى التهذيب . وقال : « ذكره ابن حبان فى الثقات ، وقال : ربما أغرب عن أبيه » .

ولم يترجمه ابن أبي حاتم ، ولم يذكره الخطيب فى تاريخ بغداد ، مع أنه سكنها ، كما فى التهذيب .

والحديث ذكره ابن كثير ٢ : ٩٧ ، عن رواية المسند . ثم قال : « هكذا وقع هذا الحديث فى مسند الإمام أحمد ، من رواية ابن أبي مليكة ، عن عائشة رضى الله عنها ، ليس بينهما أحد » . ثم أشار إلى رواية ابن ماجة ، وإلى روايات أخر ، تذكر فيما سيأتى .

ولكن وقع فى ابن كثير « يعقوب » بدل « أيوب » ! وهو خطأ ناسخ أو طابع . وثبت فى المسند على الصواب « أيوب » .

(١) الحديث : ٦٦٠٦ – ابن عبد الأعلى : هو محمد بن عبد الأعلى الصنعانى . مضت ترجمته فى : ١٢٣٦ .

مطر : هو ابن طهمان – بفتح الطاء المهملة وسكون الهاء – الوراق . وهو ثقة ، تكلم فيه بعضهم من قبل حفظه . مات سنة ١٢٥ .

والحديث – من هذا الوجه – رواه ابن حبان فى صحيحه ، رقم : ٧٥ بتحقيقنا ، من طريق عاصم بن النضر الأحول ، عن المعتمر بن سليمان ، بهذا الإسناد .

وقال ابن حبان عقب روايته : « سمع هذا الخبر أيوب عن مطر الوراق وابن أبي مليكة جميعاً » .

وهذا خطأ ، فاتنا أن ننبه إليه هناك ، إذ فهمناه على المعنى الصحيح ، لم نتنبه إلى اللفظ ! فابن حبان يريد أن يقول : « سمع هذا الخبر أيوب ومطر الوراق ، جميعاً عن ابن أبي مليكة » . فإما كان ما ثبت فيه سبق قلم من ابن حبان ، وإما كان سهواً من الناسخين . فما كان ابن حبان ليخفى عليه أن مطراً الوراق لم يدرك عائشة . وهو قد ذكره فى الثقات ، ص : ٣٤٤ – ٣٤٥ ، وذكر أنه يروى عن أنس بن مالك ، وأنه مات سنة ١٢٥ ، قيل : ١٢٩ . ومع ذلك فلم يسلم له هذا ،

٦٦٠٧ – حدثنا ابن بشار قال حدثنا عبد الوهاب قال، حدثنا أيوب، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحو معناه. (١)

٦٦٠٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة، عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه. (٢)

٦٦٠٩ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، أخبرنا الحارث، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، قالت: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: «هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هُنّ أم الكتاب وأخر متشابهات» الآية كلها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه، والذين يجادلون فيه، فهم الذين عنى الله، أولئك الذين قال الله، فلا تجالسوهم. (٣) ١٢٠/٣

فقد روى ابن أبي حاتم في المراسيل، ص: ٧٨، عن أبي زرعة، قال: «مطر لم يسمع من أنس شيئاً. وهو مرسل».

ولكن يعكر على كلام ابن حبان – إذا قرئ على الوجه الصواب الذي ذكرنا –: أن رواية الطبري هنا صريحة في أن مطراً سمعه من أيوب بالزيادة التي زادها في لفظ الحديث. ويكون المعتمر ابن سليمان سمعه من أيوب مختصراً، بلفظ «فاحذروهم»، وسمعه من مطر الوراق عن أيوب مطولا، باللفظ الآخر. وهذا هو الصواب إن شاء الله. ومطر وأيوب من طبقة واحدة.

(١) الحديث: ٦٦٠٧ – عبد الوهاب: هو ابن عبد المجيد الثقفي. مضت ترجمته في: ٢٠٣٩.

والحديث – من هذا الوجه –: رواه ابن ماجة: ٤٧، عن أحمد بن ثابت الجحدري، ويحيى بن حكيم، كلاهما عن عبد الوهاب، به.

وأشار إليه ابن كثير ٢: ٩٧، من رواية ابن ماجة. ثم قال: «ورواه محمد بن يحيى العبدي، في مسنده، عن عبد الوهاب الثقفي، به».

(٢) الحديث: ٦٦٠٨ – هو الحديث السابق. وهو من رواية معمر عن أيوب. وأشار إليه ابن كثير ٢: ٩٧، قال: «وكذا رواه عبد الرزاق، عن معمر، عن أيوب. وكذا رواه غير واحد عن أيوب».

ولم يذكر ابن كثير تخريجاً آخر لرواية معمر هذه. وتفسير عبد الرزاق، مخطوطة دار الكتب المصرية – فيه خرم من أواخر سورة البقرة، إلى أوائل سورة النساء.

(٣) الحديث: ٦٦٠٩ – الحارث: هو ابن بنهان الجرمي البصري. وهو ضعيف جداً. قال البخاري في الكبير ١/٢/٢٨٢: «منكر الحديث». وكذلك قال في الصغير، ص: ١٨٥. وفي التهذيب عن الترمذي في العلل الكبير، عن البخاري: «منكر الحديث، لا يبالي ما حدث.

٦٦١٠ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن يزيد بن إبراهيم ، عن ابن أبي مليكة قال : سمعت القاسم بن محمد يحدث ، عن عائشة قالت : تلا النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية : « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هُنّ أم الكتاب » ، ثم قرأ إلى آخر الآيات ، فقال : إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه ، فأولئك الذين سمّى الله ، فاحذروهم .(١)

٦٦١١ – حدثنا على بن سهل قال ، حدثنا الوليد بن مسلم ، عن حماد بن سلمة ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : نَزَع رسول الله

وضعفه جداً » . وروى ابن أبي حاتم ١/٢/٩١ – ٩٢ ، عن أحمد بن حنبل ، قال : « رجل صالح ، ولم يكن يعرف بالحديث ، ولا يحفظه ، منكر الحديث » .

وعلى الرغم من ضعف الحارث هذا ، فإن أصل الحديث صحيح ، بالأسانيد الأخر : السابقة واللاحقة .

(١) الحديث : ٦٦١٠ – ابن وكيع : هو سفيان بن وكيع . وهو ضعيف ، كما بينا فى : ١٦٩٢ .

أبو أسامة : هو حماد بن أسامة الكوفى الحافظ . مضت ترجمته : ٢٩٩٥ .

يزيد بن إبرهيم التسترى البصرى الحافظ : ثقة ثبت . وثقة أحمد ، ووكيع ، وأبو حاتم ، وغيرهم . وجعله ابن معين أثبت من جرير بن حازم .

وهذا الإسناد أحد الروايات فى هذا الحديث ، التى فيها زيادة « القاسم بن محمد » ، بين ابن أبي مليكة وعائشة . وكل صحيح . فهو من المزيد فى متصل الأسانيد : سمعه ابن أبي مليكة من عائشة ، وسمعه من القاسم عن عائشة . فحدث به على الوجهين ، تارة هكذا ، وتارة هكذا .

والحديث – من هذا الوجه – : رواه أبو داود الطيالسى : ١٤٣٣ ، عن يزيد بن إبرهيم ، بهذا الإسناد ، نحوه ، مختصراً قليلا .

ورواه البخارى ٨ : ١٥٧ – ١٥٩ (فتح) . ومسلم ٢ : ٣٠٣ – ٣٠٤ . وأبو داود : ٤٥٩٨ – ثلاثتهم عن القعنبى ، عن يزيد بن إبرهيم ، بهذا الإسناد .

ورواه الترمذى ٤ : ٨٠ ، عن عبد بن حميد ، عن أبي الوليد الطيالسى ، عن يزيد بن إبرهيم ، به ، نحوه . وقال : « هذا حديث حسن صحيح » .

ورواه ابن حبان فى صحيحه ، رقم : ٧٢ بتحقيقنا ، من طريق عبد الله – وهو ابن المبارك الإمام شيخ الإسلام – عن يزيد بن إبرهيم ، به .

ولم ينفرد يزيد بن إبرهيم بزيادة « القاسم » بين ابن أبي مليكة وعائشة ، فسيأتى بإسناد آخر : ٦٦١٥ ، بزيادة القاسم ، وسيأتى أيضاً عقب هذا : ٦٦١١ من رواية عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه .

صلى الله عليه وسلم : « يتبعُون ما تشابه منه » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد حذركم الله ، فإذا رأيتموهم فاعرفوهم .(١)

٦٦١٢ – حدثنا على قال ، حدثنا الوليد ، عن نافع بن عمر ، عن [ابن أبي مليكة ، حدثتني] عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا رأيتموهم فاحذروهم ، ثم نزع : «فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه » ، ولا يعملون بمحكمه .(٢)

(١) الحديث : ٦٦١١ – على بن سهل الرملى ، شيخ الطبرى : مضت ترجمته فى : ١٣٨٤ .
الوليد بن مسلم الدمشقى ، عالم الشام : مضت ترجمته فى : ٢١٨٤ .
عبد الرحمن : هو ابن القاسم بن محمد بن أبى بكر . مضت ترجمته فى : ٢٨٣٦ .
وهذا إسناد صحيح . وهو متابعة صحيحة قوية لرواية ابن أبى مليكة عن القاسم بن محمد .
وقد نقله ابن كثير ٢ : ٩٨ . ثم قال : « ورواه ابن مردويه ، من طريق أخرى ، عن القاسم ، عن عائشة ، به » .
وانظر الحديث الآتى : ٦٦١٥ .
وقوله : « نزع رسول الله » – يقال : انتزع بالآية والشعر : تمثل . ويقال للرجل إذا استنبط معنى آية من كتاب الله : « قد انتزع معنى جيداً » و « نزعه » ، أى استخرجه . ولعلها عنت بقولها « نزع » هنا – : استشهد ، أو قرأ مستشهداً . وانظر الحديث التالى لهذا .

(٢) الحديث : ٦٦١٢ – نافع بن عمر بن عبد الله بن جميل ، الجمحى القرشى المكى : ثقة ، قال أحمد بن حنبل : « ثبت ثبت صحيح الحديث » . وهو مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/٢/٨٦ ، وابن سعد ٥ : ٣٦٣ . ونسب قريش للمصعب : ٤٠٠ . وابن أبى حاتم ٤/١/٤٥٦ ، وتذكرة الحفاظ ١ : ٢١٣ .
ووقع فى المخطوطة والمطبوعة هنا : « نافع عن عمر » ! بدل « نافع بن عمر » . وهو خطأ . تصويبه عن الفتح ٨ : ١٥٧ ، حيث ذكر فيمن روى هذا الحديث « عن ابن أبى مليكة دون ذكر القاسم » – « . . . ونافع بن عمر ، وابن جريج ، وغيرهما » . وكذلك صححناه عن ابن كثير ، كما سنذكر .
ثم وقع فى الأصلين خطأ آخر أشد من ذاك وأشنع ! ففيهما : « عن نافع ، عن عمر ، عن عائشة » ! ! فحذف « ابن أبى مليكة » من الإسناد . ثم حذف تصريحه بالسماع من عائشة .
فصححنا الإسناد ، وأثبتنا ما سقط منه خطأ من الناسخين ، وهو ما زدناه بعد كلمة « عن » ، بين علامتى الزيادة : [ابن أبى مليكة ، حدثتنى] .
وهذه الزيادة أخذناها من ابن كثير ٢ : ٩٨ ، حيث قال : « ورواه ابن جرير ، من حديث روح بن القاسم ، ونافع بن عمر الجمحى ، كلاهما عن ابن أبى مليكة ، عن عائشة . وقال نافع فى روايته : عن ابن أبى مليكة ، حدثتنى عائشة . فذكره » .
فهذا هو الصواب ، الذى أفادنا ما سقط هنا من الإسناد من الناسخين . والحمد لله .
ثم إن الحديث سيأتى : ٦٦١٤ ، من هذا الوجه ، على الصواب ، من رواية خالد بن نزار ، عن نافع – وهو ابن عمر الجمحى – « عن ابن أبى مليكة ، عن عائشة » .

٦٦١٣ – حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال ، أخبرنا عمي قال ، أخبرني شبيب بن سعيد ، عن روح بن القاسم ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل عن هذه الآية : « فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاءَ الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم » ، فقال : فإذا رأيتم الذين يجادلون فيه ، فهم الذين عنى الله ، فاحذروهم.(١)

٦٦١٤ – حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ، حدثنا خالد بن نزار ، عن نافع ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة في هذه الآية ، « هو الذي أنزل عليك الكتاب » ، الآية ، « يتبعها » ، يتلوها ، ثم يقول : فإذا رأيتم الذين يجادلون فيه فاحذروهم ، فهم الذين عنى الله .(٢)

---

(١) الحديث : ٦٦١٣ – أحمد بن عبد الرحمن بن وهب : مضت ترجمته في : ٢٧٤٧ . وعمه : هو عبد الله بن وهب .

شبيب بن سعيد التميمي الحبطي البصري : قال ابن المديني : « ثقة ، كان يختلف إلى مصر في تجارة ، وكتابه كتاب صحيح » . وفي مصر سمع منه ابن وهب . مترجم في التهذيب ، والكبير ٢/٢/٢٣٤ ، وابن أبي حاتم ٢/١/٣٥٩ .

و « « الحبطي » : بفتح الحاء المهملة والباء الموحدة . نسبة إلى « الحبطات » . بطن من تميم .

روح بن القاسم التميمي العنبري البصري : ثقة ، وثقه أحمد ، وابن معين ، وغيرهما . وقال سفيان بن عيينة : « لم أر أحداً طلب الحديث وهو مسن أحفظ من روح بن القاسم » .

وهذا الإسناد أشار إليه ابن كثير ٢ : ٩٨ ، كما نقلنا كلامه عند الإسناد الذي قبله .

(٢) الحديث : ٦٦١٤ – خالد بن نزار بن المغيرة الأيلي : ثقة . مترجم في التهذيب فقط . وشيخه نافع : هو ابن عمر الجمحي .

وهذا الحديث تكرار للحديث : ٦٦١٢ ، من رواية نافع الجمحي ، ومؤيد لما ذكرنا أنه سقط من ذاك الإسناد .

فهؤلاء : أيوب ، ونافع بن عمر ، وخالد بن نزار رووه عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة – مباشرة ، دون واسطة « القاسم » بينهما ، بل صرح نافع بن عمر بسماع ابن أبي مليكة إياه من عائشة ، كما مضى في : ٦٦١٢ .

وتابعهم على ذلك أبو عامر الخزاز :

فرواه الترمذي ٤ : ٨٠ ، عن محمد بن بشار ، عن أبي داود الطيالسي ، عن أبي عامر الخزاز ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة – دون ذكر القاسم .

٦٦١٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يزيد بن هرون، عن حماد بن سلمة، عن ابن أبي مليكة ، عن القاسم ، عن عائشة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية : « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب» إلى آخر الآية ، قال : هم الذين سمّاهم الله ، فإذا أريتموهم فاحذروهم .(١)

* * *

قال أبو جعفر : والذى يدل عليه ظاهرة هذه الآية ، أنها نزلت فى الذين جادلوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بمتشابه ما أنزل إليه من كتاب الله ، إمّا

وأبو عامر الخزاز – بمعجمات – هو صالح بن رستم . مضت ترجمته : ٥٤٥٨ .

وهذه المتابعة ذكرها ابن كثير ٢ : ٩٨ ، والحافظ فى الفتح ٨ : ١٥٧ . وإسنادها صحيح .

ورواه أيضاً سعيد بن منصور ، عن حماد بن يحيى ، عن ابن أبي مليكة . عن عائشة . نقله ابن كثير ٢ : ٩٨ . وهو إسناد صحيح .

وتابعهم أيضاً ابن جريج . ذكره الحافظ فى الفتح ٨ : ١٥٧ ، ولكن لم يذكر من خرجه . ولم أجده فى مصدر آخر مما بين يدى من المصادر .

(١) الحديث : ٦٦١٥ – وهذا إسناد صحيح أيضاً . ولكنه بزيادة « القاسم » بين ابن أبي مليكة وعائشة ، كمثل رواية يزيد بن إبرهيم عن ابن أبي مليكة ، الماضية : ٦٦١٠ .

وهو يرد ادعاء الترمذى أن يزيد بن إبرهيم انفرد بهذه الزيادة ، كما ذكرنا فى ٦٦٠٥ . فقد تابعه على ذلك حماد بن سلمة ، فى هذا الإسناد .

وكذلك رواه أبو داود الطيالسى فى مسنده : ١٤٣٢ ، عن حماد بن سلمة ، عن ابن أبي مليكة ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة .

وقد جمع الروايتين : رواية يزيد ورواية حماد – أبو الوليد الطيالسى فى روايته عنهما . فرواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن أبي الوليد الطيالسى ، عن يزيد بن إبرهيم التسترى وحماد بن سلمة – معاً – عن ابن أبي مليكة ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة . نقله ابن كثير ٢ : ٩٨ ، عن ابن أبي حاتم ، وأشار إليه الحافظ فى الفتح ٨ : ١٥٧ .

وقد مضت من قبل : ٦٦١١ رواية حماد بن سلمة ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة . فدل هذا وذاك على أن حماد بن سلمة رواه عن شيخين عن القاسم : رواه عن عبد الرحمن ابن القاسم ، وعن ابن أبي مليكة – كلاهما عن القاسم .

وهناك متابعة أخرى عن القاسم ، لا نعرف تفصيل إسنادها . إذ قال ابن كثير ٢ : ٩٨ « ورواه ابن مردويه ، من طريق أخرى ، عن القاسم ، عن عائشة ، به » . فلم يذكر ما هى ، ولا ما إسنادها ، ولم يشر إليها الحافظ فى الفتح .

والحديث – فى أصله – ذكره السيوطى ٢ : ٥ ، وزاد نسبته إلى البيهقى فى الدلائل .

فى أمر عيسى ، وإما فى مدة أكله وأكل أمته . [١] وهو بأن تكون فى الذين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمتشابهه فى مدّته ومدّة أُمّته ، أشبهُ . لأن قوله : « وما يعلَمُ تأويلَه إلاّ الله » ، دالٌّ على أن ذلك إخبار عن المدة التى أرادوا علمها من قِبَل المتشابه الذى لا يعلمه إلاّ الله . فأما أمرُ عيسى وأسبابه ، فقد أعلم الله ذلك نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم وأمته ، وبيّنه لهم . فمعلومٌ أنه لم يعن به إلا ما كان عليه خفيًّا من الآجال . [٢]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك . [٣]

فقال بعضهم : معنى ذلك : ابتغاء الشرك .

* ذكر من قال ذلك :

٦٦١٦ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى: « ابتغاء الفتنة » ، قال : إرادة الشرك .

٦٦١٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « ابتغاء الفتنة » ، يعنى الشرك .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « إما مدة أجله وأجل أمته » ، والتصحيح من المخطوطة ، وقد سلف مثل ذلك التحريف فى ص : ١٨٠ ، تعليق : ١ ، وص : ١٨٧ ، تعليق : ١ وفى الجزء الأول من التفسير ص: ٢١٧ تعليق : ٤ . والأُكل » (بضم الألف وسكون الكاف) : الرزق، لأنه يؤكل . ومنه قيل لمدة العمر التى يعيشها المرء فى الدنيا « أُكل » . يقال للميت : « انقطع أكله » ، انقضت مدته ، وفنى عمره .

(٢) فى المطبوعة : « . . . أنه لم يعن إلا ما كان خفياً عن الآحاد » ، ولا معنى لها . وفى المخطوطة : « أنه يعره إلا ما كان عليه خفياً عن الاحاد » ، فرجحت أن صواب قراءتها كما أثبتها ، « الآجال » جمع أجل ، وهو الذى أرادوا معرفته من مدة هذه الأمة . والناسخ هنا كثير السهو والتحريف من عجلته .

(٣) انظر تفسير « الابتغاء » فيما سلف ٣ : ٥٠٨ / ثم ٤ : ١٦٣ . وتفسير « الفتنة » فيما سلف ، ٢ : ٤٤٣ ، ٤٤٤ / ثم ٣ : ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ / ثم ٤ : ٣٠١ .

وقال آخرون : معنى ذلك: ابتغاءَ الشُّبهات .

* ذكر من قال ذلك :

٦٦١٨ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ابتغاء الفتنة » ، قال : الشبهات ، بها أهْلِكوا .

٦٦١٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « ابتغاء الفتنة »، الشبهات . قال : هلكوا به .

٦٦٢٠ – حدثنا القاسم قال،حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد: « ابتغاء الفتنة » ،قال: الشبهات . قال: والشبهات ما أهلكوا به .

٦٦٢١ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : « ابتغاء الفتنة » ، أي : اللَّبْس .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : معناه : « إرادةُ الشبهات واللبس » .

* * *

فمعنى الكلام إذاً : فأما الذين في قلوبهم هيلٌ عن الحق وحَيْفٌ عنه، فيتبعون ١٢١/٣
من آي الكتاب ما تَشابهت ألفاظه، واحتمل َصرْف صارفه في وجوه التأويلات(٢) – باحتماله المعاني المختلفة – إرادةَ اللبس على نفسه وعلى غيره ، احتجاجاً به على باطله الذي مالَ إليه قلبه ، دون الحق الذي أبانه الله فأوضحه بالمحكمات من آي كتابه .

* * *

(١) الأثر : ٦٦٢١ – هو بقية الآثار السالفة التي آخرها رقم ٦٥٩٩ ، بإسناده عن ابن إسحق .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « واحتمل صرفه في وجوه التأويلات » ، وقد قطعت بأن ذلك خطأ من الناسخ ، لأن الضمائر السابقة كلها جموع ، والتي تليها كلها أفراد ، وهو لا يستقيم . فرجحت أن الناسخ قرأ « صرف صرفه » (بغير ألف في : صارفه) كما كانت تكتب قديماً ، فظنها خطأ ، فحذف الأولى « صرف » وأبقى الأخرى « صرفه » ، فاضطربت الضمائر .

قال أبو جعفر : وهذه الآية وإن كانت نزلت فيمن ذكرنا أنها نزلت فيه من أهل الشرك ، فإنه معنىّ بها كل مبتدع فى دين الله بدعةً فمال قلبه إليها ، تأويلاً منه لبعض مُتشابه آى القرآن ، ثم حاجّ به وجادل به أهل الحق ، وعدل عن الواضح من أدلة آيه المحكمات ، إرادةً منه بذلك اللبس على أهل الحق من المؤمنين ، وطلباً لعلم تأويل ما تشابه عليه من ذلك ، كائناً من كان ، وأىّ أصناف المبتدعة كان (١) : من أهل النصرانية كان أو اليهودية أو المجوسية ، أو كان سَبئياً ، (٢) أو حروريًّا ، أو قدريًّا ، أو جهميًّا ، كالذى قال صلى الله عليه وسلم : « فإذا رأيتم الذين يجادلون به ، فهم الذين عنى الله ، فاحذروهم » ، وكما : —

٦٦٢٢ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا سفيان ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس — وذُكر عنده الخوارجُ وما يُلْفَوْنَ عند القرآن ، (٣) فقال : يؤمنون بمحكمه ويهلكون عند متشابهه ! وقرأ ابن عباس : « وما يعلم تأويله إلاّ الله » ، الآية .

* * *

قال أبو جعفر : وإنما قلنا القول الذى ذكرنا أنه أولى التأويلين بقوله : « ابتغاء الفتنة » ، لأن الذين نزلت فيهم هذه الآية كانوا أهلَ شرك ، وإنما أرادوا بطلب تأويل ما طلبوا تأويله ، اللبسَ على المسلمين ، والاحتجاجَ به عليهم ، ليصدّوهم

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « البدعة » ، وصواب قراءتها إن شاء الله « المبتدعة » ، كما يدل عليه السياق .

(٢) هكذا كتبت هنا « سبئياً » ، وقد أسلفنا أنها كتبت فى المواضع الماضية « سباتياً » ، فتركت هذا الرسم كما هو ، وهو صواب .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « وما يلقون عند الفرار » ، وهو كلام لا معنى له ، وإنما أراد أنه ذكر عند ابن عباس ما عليه الخوارج من الخشوع والعبادة والإخبات عند سماع القرآن ، وذلك من أمر الخوارج مشهور ، وهم الذين جاء فى صفتهم : « تحقرون صلاتهم إلى صلاتكم » فى الحديث المشهور . ولذلك قطعت بأن قراءة ما فى المخطوطة هو ما أثبت ويؤيد ذلك جواب ابن عباس : « يؤمنون بمحكمه ، ويهلكون عند متشابهه » متعجباً من فعلهم فى خشوعهم ، وضلالهم فى تأويلهم المبتدع الذى استحلوا به دماء المسلمين وأموالهم

عما هم عليه من الحق . فلا معنى لأن يقال : « فعلوا ذلك إرادةَ الشرك » ، وهم قد كانوا مشركين .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى معنى « التأويل » ، الذى عَنى الله جل ثناؤه بقوله : « وابتغاء تأويله » .

فقال بعضهم : معنى ذلك : الأجل الذى أرادت اليهود أن تعرفه من انقضاء مُدّة أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأمر أمته ، من قبل الحروف المقطعة من حساب الجُمَّل ، كـ « ألم » ، و « ألمص » ، و « ألر » ، و « ألمر » ، وما أشبه ذلك من الآجال .

* ذكر من قال ذلك :

٦٦٢٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس أما قوله : « وما يعلم تأويله إلاّ الله » ، يعنى تأويله يوم القيامة = « إلا الله » .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : « عواقبُ القرآن» . وقالوا : «إنما أرادوا أن يعلموا متى يجىء ناسخ الأحكام التى كان الله جل ثناؤه شرَعها لأهل الإسلام قبل مجيئه ، فنسخَ ما قد كان شرَعه قبل ذلك » .

* ذكر من قال ذلك :

٦٦٢٤ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وابتغاء تأويله » ، أرادوا أن يعلموا تأويلَ القرآن — وهو عواقبه — قال

الله : « وما يعلم تأويله إلا الله » ، وتأويله ، عواقبه = متى يأتى الناسخ منه فينسخ المنسوخ؟

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : « وابتغاء تأويل ما تشابه من آى القرآن ، يتأوّلونه — إذ كان ذا وجوه وتصاريفَ فى التأويلات — على ما فى قلوبهم من الزَّيغ ، وما ركبوه من الضلالة » .

* ذكر من قال ذلك :

٦٦٢٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : « وابتغاء تأويله » ، وذلك على ما ركبوا من الضلالة فى قولهم = (١) « خلقنا » ، و « قضينا » .

* * *

قال أبو جعفر : والقول الذى قاله ابن عباس : من أنّ : « ابتغاء التأويل » الذى طلبه القوم من المتشابه ، هو معرفة انقضاء المدة ووقتِ قيام الساعة = والذى ذكرنا عن السدى : من أنهم طلبوا وأرادوا معرفة وَقتٍ هو جَاءٍ قبل مجيئه = (٢) أوْلى بالصواب . وإن كان السدّى قد أغفل معنى ذلك من وجهٍ صَرَفه إلى حَصره على أن معناه : أن القوم طلبوا معرفة وقت مجىء الناسخ لما قد أحكِم قبل ذلك .

وإنما قلنا : إن طلب القوم معرفة الوقت الذى هو جاءٍ قبل مجيئه المحجوب علمه عنهم وعن غيرهم ، بمتشابه آى القرآن — (٣) أولى بتأويل قوله : « وابتغاء تأويله » ،

---

(١) فى المطبوعة « فى قوله » ، والصواب من المخطوطة وسيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٦ . وقوله بعد ذلك : « خلقنا ، وقضينا » ، كلام منقطع ، إشارة إلى ما مضى من صدر هذا الأثر الطويل المتتابع ، الذى يرويه الطبرى مفرقاً عن ابن إسحاق ، وذلك مذكور فى الأثر رقم : ٦٥٤٣ فيما سلف ص : ١٥٣ س : ٣ ، ٤ . إذ قال : « ويحتجون فى قولهم : « إنه ثالث ثلاثة » بقول الله : فعلنا ، وأمرنا ، وخلقنا ، وقضينا . فيقولون : لو كان واحداً ما قال إلا : فعلت ، وقضيت ، وأمرت ، وخلقت ، ولكنه هو وعيسى ومريم » .

(٢) « جاء » اسم فاعل من الفعل « جاء يجىء فهو جاء » . وسياق الجملة : « والقول الذى قاله ابن عباس . . . والذى ذكرنا عن السدى . . . أولى بالصواب » .

(٣) قوله : « بمتشابه آى القرآن . . . » من صلة قولهم : « إن طلب القوم معرفة الوقت . . . » جار ومجرور ، متعلق بقوله : « طلب » .

لما قد دللنا عليه قبلُ من إخبار الله جل ثناؤه أن ذلك التأويل لا يعلمه إلاّ الله .
ولا شكّ أن معنى قوله : « قضينا » « فعلنا » ، قد علم تأويله كثيرٌ من جهلة ١٢٢/٣
أهل الشرك ، فضلاً عن أهل الإيمان وأهل الرسوخ فى العلم منهم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بذلك : وما يعلم وقتَ قيام الساعة ، وانقضاء مدة أكل محمد وأمته ،(١) وما هو كائن ، إلا الله ، دون مَنْ سواه من البشر الذين أمَّلوا إدراك علم ذلك من قبل الحساب والتنجيم والكهانة . وأما الراسخون فى العلم فيقولون : « آمنا به ، كل من عند ربنا » — لا يعلمون ذلك ، ولكن فضْل عِلمهم فى ذلك على غيرهم ، العلمُ بأن الله هو العالم بذلك دون مَنْ سواه من خلقه .

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، وهل « الراسخون » معطوف على اسم « الله » ، بمعنى إيجاب العلم لهم بتأويل المتشابه ، أمْ هم مستأنَفٌ ذكرهم ،(٢) بمعنى الخبر عنهم أنهم يقولون : آمنا بالمتشابه وصدّقنا أنّ علم ذلك لا يعلمه إلا الله ؟

فقال بعضهم : معنى ذلك : وما يعلم تأويل ذلك إلا الله وحده منفرداً بعلمه . وأما الراسخون فى العلم ، فإنهم ابتُدئ الخبر عنهم بأنهم يقولون : آمنا بالمتشابه والمحكم ، وأنّ جميع ذلك من عند الله .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) فى المطبوعة : « مدة أجل محمد . . . » ، والصواب ما فى المخطوطة ، وانظر التعليق السالف ص : ١٩٦ رقم : ١ .

(٢) فى المطبوعة : « أوهم مستأنف . . . » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

٦٦٢٦ – حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ، حدثنا خالد بن نزار ، عن نافع ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة قوله : « والراسخون في العلم يقولون آمنا به» ، قالت : كان من رسوخهم في العلم أن آمنوا بمحكمه ومتشابهه ، ولم يعلموا تأويله .(١)

٦٦٢٧ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه قال : كان ابن عباس يقول : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ ، وَيقُولُ الرَّاسِخُونَ [فِي العِلْمِ] آمَنَّا بِهِ ﴾(٢)

٦٦٢٨ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني ابن أبي الزناد قال ، قال هشام بن عروة : كان أبي يقول في هذه الآية ، « وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم » ، أنّ الراسخين في العلم لا يعلمون تأويله ، ولكنهم يقولون : « آمنا به كل من عند ربنا » .

٦٦٢٩ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا عبيد الله ، عن أبي نهيك الأسدي قوله : « وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم » ، فيقول : إنكم تصلون هذه الآية ، وإنها مقطوعة : « وما يعلم تأويله إلاّ الله = والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا » ، فانتهى علمهم إلى قولهم الذي قالوا .

---

(١) الأثر : ٦٦٢٦ – انظر الأثر السالف رقم : ٦٦١٤ ، والتعليق عليه .

(٢) في المطبوعة « يقول الراسخون » بحذف الواو . والصواب إثباتها ، لأنه سيأتي في ص : ٢٠٤ س : ١٣ أن ابن عباس هكذا كان يقرأها . وأنا أرجح أن الصواب كان في الأصل «كان ابن عباس يقرأ » « وما يعلم تأويله . . . » ، ولكن الناسخ مضى على عجلته ، فكتب مكان « يقرأ » « يقول » ، ثم أسقط الواو من « ويقول الراسخون . . . » . فلذلك أثبت الواو ، وهي الصواب المحض إن شاء الله . ومن أجل ذلك زدت بين القوسين [في العلم] ، لأن هذه قراءة في الآية ، لا تفسير من ابن عباس ، ولم يرو إسقاط [في العلم] من قراءة أحد من القرأة .

٦٦٣٠ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا ابن دكين قال ، حدثنا عمرو بن عثمان ابن عبد الله بن موهب قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول : « والراسخون فى العلم » ، انتهى علم الراسخين فى العلم بتأويل القرآن إلى أن قالوا ، « آمنا به كلٌّ من عند ربنا » .

٦٦٣١ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا أشهب ، عن مالك فى قوله : « وما يعلم تأويله إلا الله » ، قال : ثم ابتدأ فقال : « والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا » ، وليس يعلمون تأويله .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم ، وهم مع علمهم بذلك ورسوخهم فى العلم يقولون : « آمنا به كلٌّ من عند ربنا » .

* ذكر من قال ذلك :

٦٦٣٢ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، ، عن ابن عباس أنه قال : أنا ممن يعلم تأويله .

٦٦٣٣ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « والراسخون فى العلم » يعلمون تأويله ، ويقولون : « آمنا به » .

٦٦٣٤ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « والراسخون فى العلم يعلمون تأويله ، ويقولون : « آمنا به » .

٦٦٣٥ – حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « والراسخون فى العلم » يعلمون تأويله ويقولون : « آمنا به » .

٦٦٣٦ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : « وما يعلم تأويله » الذى أراد ، ما أراد ، [1] « إلاّ الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كلٌّ من عند ربنا » ، فكيف يختلف ، وهو قولٌ واحدٌ

---

(١) هكذا فى المخطوطة والمطبوعة وتفسير ابن كثير ٢ : ١٠٠ ، أما سيرة ابن هشام ٢ ، ٢٢٦ ففيها « أى : الذى به أرادوا ما أرادوا » ، وكأن الصواب ما فى التفسير ، وقوله : « ما أراد » استفهام . أما قوله : « الذى أراد » ، أى الذى أراده الله سبحانه . وما فى سيرة ابن هشام صواب أيضاً ، والضمير فى « أرادوا » يعنى به الذين يتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، فهذا ما أرادوا .

١٢٣/٣ من ربّ واحد ؟[١] ثم ردّوا تأويل المتشابه على ما عرفوا من تأويل المحكمة التى لاتأويل لأحد فيها إلا تأويل واحد، فاتّسق بقولهم الكتاب وصدق بعضه بعضاً، فنفذَت به الحجة، وظهر به العذر، وزاحَ به الباطل،[٢] ودُمغ به الكفر.[٣]

* * *

قال أبو جعفر: فمن قال القول الأول فى ذلك، وقال: إن الراسخين لايعلمون تأويل ذلك، وإنما أخبر الله عنهم بإيمانهم وتصديقهم بأنه من عند الله، فإنه يرفع «الراسخين فى العلم» بالابتداء فى قول البصريين، ويجعل خبره: «يقولون آمنا به». وأما فى قول بعض الكوفيين، فبالعائد من ذكرهم فى «يقولون». وفى قول بعضهم: بجملة الخبر عنهم، وهى: «يقولون».

* * *

ومن قال القول الثانى، وزعم أنّ الراسخين يعلمون تأويله، عطف بـ «الراسخين» على اسم «الله»، فرفعهم بالعطف عليه.

* * *

قال أبو جعفر: والصواب عندنا فى ذلك أنهم مرفوعون بجملة خبرهم بعدهم وهو: «يقولون»، لما قد بينا قبل من أنهم لا يعلمون تأويل المتشابه الذى ذكره الله عز وجل فى هذه الآية. وهو فيما بلغنى مع ذلك فى قراءة أبىّ: ﴿وَيَقُولُ ٱلرَّاسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ كما ذكرناه عن ابن عباس أنه كان يقرؤه.[٤] وفى قراءة عبد الله: ﴿إِنْ تَأْوِيلُهُ إِلَّا عِنْدَ ٱللهِ وَٱلرَّاسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ﴾

* * *

قال أبو جعفر: وأما معنى «التأويل» فى كلام العرب، فإنه التفسير والمرجع والمصير. وقد أنشد بعضُ الرواة بيتَ الأعشى:

---

(١) من أول قوله: «كل من عند ربنا» إلى قوله: «من رب واحد» زيادة من نص رواية ابن هشام فى السيرة ٢ : ٢٢٦، ولا شك أن الناسخ قد أسقطها من عجلته وسهوه.

(٢) زاح الشىء يزيح زيحاً وزيوحاً، وانزاح هو أيضاً (كلاهما لازم): ذهب وتباعد وزال.

(٣) الأثر ٦٦٣٦ — هو بقية الآثار السالفة التى آخرها رقم: ٦٦٢٥ بإسناده عن ابن إسحق، وهو فى سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٦.

(٤) انظر التعليق السالف على الأثر: ٦٦٢٧، ص: ٢٠٢ س: ٧، تعليق: ٢.

عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ تَأَوَّلُ حُبَّهَا تَأَوُّلَ رِبْعِيِّ السِّقَابِ فَأَصْحَبَا(١)

وأصلهُ من: « آل الشيء إلى كذا » — إذا صار إليه ورَجع « يَؤُول أوْلاً » و« أوَّلته أنا » صيرته إليه . وقد قيل إنّ قوله: ﴿ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [سورة النساء ٥٩/ سورة الإسراء: ٣٥] أي جزاءً. وذلك أن «الجزاء» هو الذي آل إليه أمر القوم وصار إليه .

ويعني بقوله: « تأوّلُ حُبها»: تفسير حبها ومرجعه.(١) وإنما يريد بذلك أنّ حبها كان صغيراً في قلبه، فآلَ من الصّغر إلى العظم، فلم يزل ينبت حتى أصحَب، فصار قديماً، كالسّقب الصغير الذي لم يزل يَشبّ حتى أصحَبَ فصار كبيراً مثل أمه .(٢)

---

(١) ديوانه : ٨٨ ، مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٨٦ الصاحبي : ١٦٤ ، اللسان (صحب) (ربع) (أول) (ولى) ، ثم ما سيأتي بعد قليل من ذكر رواية أخرى ، لم أجدها في غيره بعد .
أما الرواية الأخرى التي جاءت في اللسان (ربع) ، (ولى) فهي :

عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ نَوًى أَجْنَبِيَّةً تَوَالِيَ رِبْعِيِّ السِّقَابِ فَأَصْحَبَا

الربعي : الذي ولد في أول النتاج . والسقاب جمع سقب (بفتح فسكون) : وولد الناقة ساعة تضعها يقال له « سليل » قبل أن يعرف أذكر هو أم أنثى ، فإذا علم أنه ذكر فهو « سقب » . وأصحب : ذل وانقاد وأطاع . وهذا البيت بهذه الرواية التي ذكرتها هنا ، قد فسرها الأزهري وقال : « هكذا سمعت العرب تنشده . وفسروا «توالي ربعي السقاب » أنه من الموالاة : وهو تمييز شيء من شيء . يقال : « والينا الفصلان عن أمهاتها فتوالت » ، أي فصلناها عنها عند تمام الحول ، وتشتد عليها الموالاة ، ويكثر حنينها في إثر أمهاتها ، ويتخذ لها خندق تحبس فيه وتسرح الأمهات في وجه من مراتعها . فإذا تباعدت عن أولادها سرحت الأولاد في جهة غير جهة الأمهات ، فترعى وحدها ، فتستمر على ذلك وتصحب بعد أيام . أخبر الأعشى أن نوى صاحبته اشتدت عليه ، فحن إليها حنين ربعي السقاب إذا وولى (فصل) عن أمه . وأخبر أن هذا الفصيل يستمر على الموالاة ، وأنه يصحب إصحاب السقب . قال الأزهري : وإنما فسرت هذا البيت ، لأن الرواة لما أشكل عليهم معناه ، تخبطوا في استخراجه وخلطوا ، ولم يعرفوا منه ما يعرفه من شاهد القوم في باديتهم » .
أما الرواية الأولى ، فقد شرحها أبو جعفر فيما يلي . وأما روايته الثانية ، وهي قوله : « توابع حبها » ، فإني لم أدر ما معناها ، وأخشى أن يكون صوابها : « نزائع حبها » . والنزائع جمع نزيعة ، يقال : ناقة نازع من نوق نوازع . وناقة نزيعة : وهي التي تحن إلى وطنها . نزع البعير إلى وطنه : حن واشتاق .

(٢) في المخطوطة : « وتفسير حبها . . . » بزيادة الواو ، وهو خطأ . وهذا نص أبي عبيدة في مجاز القرآن ١ : ٨٧ ، على خطأ فيه ، إذ ظن الناشر أن قوله : « تفسيره » ، بمعنى الشرح والبيان لهذه الكلمة فوضع بعد نقطتان هكذا : « تفسيره : ومرجعه » وعندئذ فلا معنى للواو في « ومرجعه » ، والصواب ما أثبتناه .

(٣) إنظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٨٧ .

وقد يُنشد هذا البيت :

عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ تَوَابِعُ حُبِّهَا تَوَالِيَ رِبْعِيِّ السِّقَابِ فَأَصْحَبَا[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بـ «الراسخين فى العلم» ، العلماء الذين قد أتقنوا علمهم ووَعَوْه فحفظوه حفظاً ، لا يدخلهم فى معرفتهم وعلمهم بما علموه شكّ ولا لبس .

* * *

وأصل ذلك من : «رسوخ الشىء فى الشىء» ، وهو ثبوته وولوجه فيه . يقال منه : «رسخ الإيمان فى قلب فلان ، فهو يَرْسَخُ رَسْخاً ورُسُوخاً» .[2]

* * *

* وقد روى فى نعتهم خبرٌ عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو ما : —

٦٦٣٧ — حدثنا موسى بن سهل الرملى قال ، حدثنا محمد بن عبد الله قال ، حدثنا فياض بن محمد الرقى قال ، حدثنا عبد الله بن يزيد بن آدم ، عن أبى الدرداء وأبى أمامة قالا : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَن الراسخ فى العلم ؟ قال : من بَرَّت يمينهُ ، وصَدَقَ لسانه ، واستقام به قلبه ، وعفّ بطنه ، فذلك الراسخُ فى العلم .[3]

---

(١) انظر ص ٢٠٤ ، تعليق : ٤

(٢) قوله : «رسخاً» ، هذا مصدر لم تذكره كتب اللغة .

(٣) الحديث : ٦٦٣٧ — فياض بن محمد الرقى : ترجمه البخارى ٤/١/١٣٥ ، وابن أبى حاتم ٣/٢/٨٧ ، فلم يذكرا فيه جرحاً .

عبد الله بن يزيد بن آدم : ترجمه ابن أبى حاتم ٢/٢/١٩٧ ، قال : «روى عن أبى الدرداء ، وأبى أمامة ، وواثلة بن الأسقع : أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل : كيف تبعث الأنبياء ؟ روى عنه فياض بن محمد الرقى . . . سألت أبى عنه ؟ فقال : لا أعرفه . وهذا حديث باطل» .

وترجمه الذهبى فى الميزان ، والحافظ فى اللسان . وذكرا عن أحمد ، قال : «أحاديثه موضوعة» . وليس فى ترجمته كلمة طيبة عنه . وكفى أن يرميه أحمد بالوضع .

* * *

٦٦٣٨ – حدثني المثنى وأحمد بن الحسن الترمذى قال ، حدثنا نعيم بن حماد قال ، حدثنا فياض الرقى قال ، حدثنا عبد الله بن يزيد الأودى = قال : وكان أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم = قال ، حدثنا أنس بن مالك وأبو أمامة وأبو الدرداء : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل عن الراسخين فى العلم فقال : من برّت يمينه ، وصدق لسانه ، واستقام به قلبه ، وعفّ بطنه وفرجه ، فذلك الراسخ فى العلم . (١)

* * *

وقد قال جماعة من أهل التأويل : إنما سمى الله عز وجل هؤلاء القوم « الراسخين

---

(١) الحديث : ٦٦٣٨ – هو الحديث الماضى بزيادة قليلة ، وزيادة « أنس بن مالك » .

ولكن فى هذا الإسناد « عبد الله بن يزيد الأودى » . والراجح أن هذا خطأ من أحد الرواة ، أو من الناسخين ، وأن صوابه كالإسناد السابق « عبد الله بن يزيد بن آدم » . وأما « عبد الله بن يزيد الأودى » ، فهو غير هذا يقيناً . وقد مضى فى : ٥٤٦١ . وترجمته عند ابن أبى حاتم ٢/٢/٢٠٠ : أنه « روى عن سالم بن عبد الله ، عن حفصة ، فى الصلاة الوسطى . روى عنه أبو بشر جعفر بن أبى وحشية » . والمباينة بينهما فى الطبقة واضحة . ثم الأودى ثقة ، والراوى هنا كذاب .

والحديث رواه أيضاً ابن أبى حاتم ، عن محمد بن عوف الحمصى ، عن نعيم بن حماد ، عن فياض الرقى « حدثنا عبد الله بن يزيد » ، بهذا الإسناد . ولم يذكر أنه « الأودى » . ووقع فى ابن كثير « عبيد الله » ، بدل « عبد الله » ، وهو خطأ .

وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٦ : ٣٢٤ « عن عبد الله بن يزيد بن آدم ، قال : حدثنى أبو الدرداء ، وأبو أمامة ، وواثلة بن الأسقع وأنس بن مالك . . . » . وقال : « رواه الطبرانى ، وعبد الله ابن يزيد : ضعيف » . فزاد فى رواية الطبرانى صحابياً رابعاً ، هو واثلة بن الأسقع .

وذكره السيوطى ٢ : ٧ ، عن هؤلاء الصحابة الأربعة ، ونسبه لابن جرير ، وابن أبى حاتم ، والطبرانى . وهو تساهل منه ، فليس فى رواية الطبرى ولا ابن أبى حاتم « واثلة بن الأسقع » ، بل هو فى رواية الطبرانى فقط .

ثم ذكر السيوطى نحو معناه من رواية ابن عساكر : « من طريق عبد الله بن يزيد الأودى ، سمعت أنس بن مالك يقول . . . » .

فهذا يرجح أن زيادة « الأودى » – خطأ من أحد الرواة ، لا من الناسخين .

فى العلم » ، بقولهم : « آمنا به كل من عند ربنا » .

* ذكر من قال ذلك :

٦٦٣٩ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : « والراسخون فى العلم يقولون آمنا به » ،[1] قال : « الراسخون » الذين يقولون : « آمنا به كل من عند ربنا » .

٦٦٤٠ – حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « والراسخون فى العلم » ، هم المؤمنون ، فإنهم يقولون : « آمنَّا به » ، بناسخه ومنسوخه = « كلٌّ من عند ربنا » . ١٢٤/٣

٦٦٤١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال ابن عباس قال ، عبد الله بن سلام : « الراسخون فى العلم » ، وعلمهم قولهم = قال ابن جريج : « والراسخون فى العلم يقولون آمنا به » ، وهم الذين يقولون= : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا ﴾ ويقولون : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ الآيةُ .

* * *

وأما تأويل قوله : «يقولون آمنا به » ، فإنه يعنى أنّ الراسخين فى العلم يقولون : صدقنا بما تشابه من آى الكتاب ، وأنه حقّ وإن لم نَعلم تأويله ، وقد : —

٦٦٤٢ – حدثنى أحمد بن حازم قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سلمة بن نبيط ، عن الضحاك : « والراسخون فى العلم يقولون آمنا به » ، قال : المحكم والمتشابه .

* * *

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة « الراسخون فى العلم . . » ، بغير واو ، وأثبت نص الآية .

القول فى تأويل قوله ﴿كُلٌّ مِن عِندِ رَبِّنَا﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « كل من عند ربنا » ، كلّ المحكم من الكتاب والمتشابه منه = « من عند ربنا » ، وهو تنزيله ووحيه إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، كما :—

٦٦٤٣ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس فى قوله : « كل من عند ربنا » ، قال : يعنى ما نُسخ منه وما لم يُنسخ .

٦٦٤٤ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون فى العلم » ، قالوا : « كلّ من عند ربنا » ، آمنوا بمتشابهه ، وعملوا بمحكمه .

٦٦٤٥ — حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « كل من عند ربنا » ، يقولون : المحكم والمتشابه من عند ربنا .

٦٦٤٦ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا » ، نؤمن بالمحكم وندين به ، ونؤمن بالمتشابه ولا ندين به ، وهو من عند الله كله . (١)

٦٦٤٧ — حدثنا يحيى بن أبى طالب قال ، حدثنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « والراسخون فى العلم » يعملون به ، يقولون : نعمل بالمحكم ونؤمن به ، ونؤمن بالمتشابه ولا نعمل به ، وكل من عند ربنا .

* * *

(١) فى المطبوعة : « يؤمن . . . ويدين » جميعاً بالياء ، والسياق يقتضى أن تكون بالنون .

قال أبو جعفر : واختلف أهل العربية فى حكم « كلّ » إذا أضمر فيها .

فقال بعض نحويي البصريين : إنما جاز حذفُ المراد الذى كان معها الذى « الكل » إليه مضاف فى هذا الموضع ،[1] لأنها اسمٌ ، كما قال : ﴿ إِنَّا كُلٌّ فِيهَا ﴾ [سورة غافر: ٤٨]، بمعنى : إنا كلنا فيها . قال : ولا يكون « كل » مضمراً فيها وهى صفة ، لا يقال : « مررت بالقوم كل » وإنما يكون فيها مضمرٌ إذا جعلتها اسماً . لوكان : « إنا كُلاً فيها » على الصفة لم يجز ، لأن الإضمار فيها ضعيفٌ لا يتمكن فى كلّ مكان .

* * *

وكان بعض نحويي الكوفيين يرى الإضمار فيها وهى صفةٌ أو اسم ، سواءٌ . لأنه غير جائز أن يُحذف ما بعدها عنده إلاّ وهى كافية بنفسها عما كانت تضاف إليه من المضمر . وغير جائز أن تكون كافية منه فى حال ، ولا تكون كافية فى أخرى . وقال : سبيل « الكل » و« البعض » فى الدلالة على ما بعدهما بأنفسهما وكفايتهما منه بمعنى واحد فى كل حال ، صفةً كانت أو اسماً .[2]

* * *

قال أبو جعفر : وهذا القول الثانى أولى بالقياس ، لأنها إذا كانت كافية بنفسها مما حذف منها فى حالٍ لدلالتها عليها ، فالحكم فيها أنها كلما وجدت دالة على ما بعدها فهى كافية منه .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « إذا جاز حذف المراد » ، وعلق الطابعون السابقون أنها زائدة من قلم الناسخ !! وسبب ذلك سوء كتابة الناسخ ، فلم يحسنوا قراءته .

(٢) انظر ما سلف عن « كل » ٣ : ١٩٥/ ثم ٥ : ٥٠٩ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (٧)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وما يتذكر ويتّعظ وينزجر عن أن يقول فى متشابه آى كتاب الله مالا علم له به ، إلاّ أولو العقول والنهى ،[1] وقد :—

٦٦٤٨ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن جعفر بن الزبير : « وما يذكر إلاّ أولو الألباب » ، يقول : وما يذكر فى مثل هذا = يعنى : فى ردّ تأويل المتشابه إلى ما قد عرف من تأويل المحكم ، حتى يَتّسقا على معنى واحد = « إلاّ أولو الألباب » .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ (٨)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : أنّ الراسخين فى العلم يقولون : آمنا بما تشابه من آى كتاب الله ، وأنه والمحكم من آيه من تنزيل ربنا ووحيه . ويقولون أيضاً : « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا » ، يعنى أنهم يقولون = رغبةً منهم إلى ربهم فى أن يصرف عنهم ما ابتلى به الذين زاغت قلوبهم من اتباع متشابه ٣/١٢٥
آى القرآن ، ابتغاءَ الفتنة وابتغاءَ تأويله الذى لايعلمه غيرُ الله= : يا ربنا ، لاتجعلنا مثل هؤلاء الذين زاغت قلوبهم عن الحق فصدوا عن سبيلك =« لا تزغ قلوبنا » ،

---

(١) انظر ما سلف فى تفسير « يذكر » ٥ : ٥٨٠/٦ : ٥ = وفى تفسير « الألباب » : ٣ : ٦٨/ثم ٤ : ١٦٢ / ثم ٥ : ٨٠ .

(٢) الأثر : ٦٦٤٨ — هو بقية الآثار السالفة التى آخرها رقم : ٦٦٣٦ بإسناده عن ابن إسحق.

لا تملها فتصرفها عن هُدَاك بعد إذ هديتنا له ، فوفقتنا للإيمان بمحكم كتابك ومتشابهه = « وهب لنا » ياربنا=«من لدنك رحمة »، يعنى : من عندك رحمة ، يعنى بذلك : هب لنا من عندك توفيقاً وثباتاً للذى نحن عليه من الإقرار بمحكم كتابك ومتشابهه = « إنك أنتَ الوهاب »، يعنى : إنك أنت المعطى عبادك التوفيقَ والسدادَ للثبات على دينك، وتصديق كتابك ورسلك ، كما : —

٦٦٤٩ — حدثنا ابن حميد قال ،حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن جعفر بن الزبير : « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا »، أى: لا تمل قلوبنا وإن ملنا بأحداثنا[1] = « وهب لنا من لدنك رحمة » .[2]

* * *

قال أبو جعفر : وفى مدح الله جل ثناؤه هؤلاء القوم بما مدحهم به = من رغبتهم إليه فى أن لا يزيغ قلوبهم ، وأن يعطيهم رحمةً منه معونة لهم للثبات على ما هُم عليه من حسن البصيرة بالحق الذى هم عليه مقيمون = ما أبان عن خطأ قول الجهلة من القدَرية :[3] أن إزاغة الله قلب من أزاغ قلبه من عباده عن طاعته وإمالته له عنها ، جَورٌ . لأن ذلك لو كان كما قالوا ، لكان الذين قالوا : « ربنا لا تزغ قلوبنا بعدَ إذ هدَيتنا » ، بالذم أولى منهم بالمدح . لأن القول لوكان كما قالوا، لكان القوم إنما سألوا ربَّهم = بمسألتهم إياه أن لا يزيغ قلوبهم[4] = أن لا يظلمهم ولا يجورَ عليهم . وذلك من السائل جهلٌ ، لأن الله جل ثناؤه لا يظلم عبادَه ولا يجور عليهم . وقد أعلم عبادَه ذلك ونفاه عن نفسه بقوله : ﴿ وَمَا رَبُّكَ

---

(١) فى المطبوعة : « بأجسادنا » ، وهو لا معنى له ، وهو تحريف الرواية عن ابن إسحق . وصوابها من المخطوطة وابن هشام ٢ : ٢٢٦ . والأحداث جمع حدث : وهو الفعل . يسألون الله أن يثبت قلوبهم بالإيمان ، وإن مالت أفعالهم إلى بعض المعصية .

(٢) الأثر : ٦٦٤٩ — هو بقية الآثار السالفة التى آخرها رقم : ٦٦٤٨ .

(٣) القدرية : هم نفاة القدر والصفات ، ويعنى المعتزلة .

(٤) فى المطبوعة : « مسألتهم » بحذف الباء ، والصواب من المخطوطة .

بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [سورة فصلت : ٤٦] . ولا وجه لمسألته أن يكون بالصفة التي قد أخبرهم أنه بها . وفي فساد ما قالوا من ذلك ، الدليلُ الواضح على أن عدلاً من الله عز وجل : إزاغةُ من أزاغَ قلبه من عباده عن طاعته ، فلذلك استحقّ المدحَ مَنْ رغب إليه في أن لا يزيغه ، لتوجيهه الرغبة إلى أهلها ، ووضعه مسألته موضعها ، مع تظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم برغبته إلى ربه في ذلك ، مع محله منه وكرامته عليه .

٦٦٥٠ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن عبد الحميد بن بهرام ، عن شهر بن حوشب ، عن أم سلمة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا مقلِّب القلوب ثبِّت قلبي على دينك ! ثم قرأ : « ربنا لا تُزغ قُلوبنا بعدَ إذ هديتنا » ، إلى آخر الآية .(١)

٦٦٥١ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن عبد الحميد بن بهرام ، عن شهر بن حوشب ، عن أسماء ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه .(٢)

---

(١) الحديث : ٦٦٥٠ – هذا إسناد صحيح .

عبد الحميد بن بهرام : ثقة ، مضت ترجمته في : ١٦٠٥ . وشهر بن حوشب : ثقة أيضاً ، كما قلنا في : ١٤٨٩ .

وهذا الحديث مختصر . وسيأتي مطولا في : ٦٦٥٢ ، ونخرجه هناك ، إن شاء الله . ويأتي بأطول من هذا ومختصراً عن ذاك ، في : ٦٦٥٨ .

(٢) الحديث : ٦٦٥١ – وهذا إسناد صحيح أيضاً . ولكنه هنا من رواية شهر عن أسماء ، وهي بنت يزيد بن السكن الأنصارية . والذي قبله من رواية شهر عن أم سلمة أم المؤمنين .

ولم أجده من حديث أسماء إلا في هذه الرواية عند الطبري ، وإلا رواية ذكرها ابن كثير ، عن ابن مردويه .

قال ابن كثير ٢ : ١٠٢ بعد ذكر رواية أم سلمة الماضية : « ورواه ابن مردويه ، من طريق محمد بن بكار ، عن عبد الحميد بن بهرام ، عن شهر بن حوشب ، عن أم سلمة ، عن أسماء بنت يزيد ابن السكن ، سمعتها تحدث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر من دعائه . . . » – فذكر نحو الرواية التالية لهذا الحديث .

ثم قال ابن كثير : « وهكذا رواه ابن جرير ، من حديث أسد بن موسى ، عن عبد الحميد بن بهرام ، به ، مثله » .

٦٦٥٢ – حدثنا المثنى قال ،حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا عبد الحميد بن بهرام الفزارى قال ، حدثنا شهر بن حوشب قال : سمعت أم سلمة تحدّث : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر فى دعائه أن يقول : اللهم مُقلِّب القلوب ثبِّت قلبي على دينك ! قالت : قلتُ : يا رسول الله ، وإن القلب ليقلَّب؟ قال : نعم ، ما خلق الله من بنى آدم من بشر إلاّ وقلبه بين إصبعين من أصابعه ، فإن شاء أقامه وإن شاء أزاغه ، فنسأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدَانا ، ونسأله أن يهبَ لنا من لدنه رحمةً إنه هو الوهاب . قالت : قلتُ : يا رسول الله ، ألا تعلمنى دعوة أدعو بها لنفسى ؟ قال : بلى ؛ قولى : اللهم ربّ النبى محمدٍ ، اغفرلى ذنبى ، وأذهب غَيظَ قلبى ، وأجرنى من مُضِلاّت الفتن . (١)

ثم قال : « ورواه أيضاً عن المثنى ، عن الحجاج بن منهال ، عن عبد الحميد بن بهرام ، به ،مثله » .

ومن البين الواضح أن قوله فى رواية ابن مردويه « عن أم سلمة ، عن أسماء بنت يزيد بن السكن » – خطأ لاشك فيه . والظاهر أنه خطأ من الناسخين ، فى زيادة حرف « عن » . وأن صوابه « عن أم سلمة أسماء . . . . » .

و « أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية » : صحابية معروفة ، وهى بنت عم معاذ بن جبل ، وكنيتها « أم سلمة » . وشهر بن حوشب معروف بالرواية عنها ، بل قال ابن السكن : « هو أروى الناس عنها » ، وكان من مواليها .

ولم نسمع قط أن « أم سلمة أم المؤمنين » روت عن أسماء هذه ، ولا روت عن غيرها من الصحابة .

وأما إشارة ابن كثير إلى روايتى الطبرى من حديث « أسد بن موسى » و « الحجاج بن منهال » – عن عبد الحميد بن بهرام – وهما الروايتان الآتيتان : ٦٦٥٢ ، ٦٦٥٨ – : فهى مشكلة ، إذ توهم أنها مثل رواية ابن مردويه : « عن أم سلمة أسماء بنت يزيد » .

ولعل ابن كثير ذهب إلى هذا ، ظناً منه أن هذه الروايات التى فى الطبرى : ٦٦٥٠ ، ٦٦٥٢ ، ٦٦٥٨ ، التى فيها « عن أم سلمة » مراد بها « أم سلمة أسماء بنت يزيد » .

فإن يكن هذا ظنه يكن أخطأ الظن . فإن « أم سلمة » فى هذه الروايات الثلاث – هى أم المؤمنين يقيناً ، كما سيأتى فى تخريج الحديث التالى لهذا : ٦٦٥٢ .

(١) الحديث : ٦٦٥٢ – هذه هى الرواية المطولة ، التى أشرنا إليها فى : ٦٦٥٠ ، وسيأتى مختصراً قليلا : ٦٦٥٨ ، كما قلنا من قبل .

والحديث رواه أحمد مختصراً – فى مسند أم المؤمنين – ٦ : ٢٩٤ (حلبى) ، عن وكيع ،

٦٦٥٣ – حدثني محمد بن منصور الطوسي قال ، حدثنا محمد بن عبد الله الزبيري قال ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول : يا مقلِّب القلوب ثبِّت قلبي على دينك. فقال له بعض أهله : يُخاف علينا وقد آمنا بك وبما جئت به ؟! قال : إن القلب بين إصبعين من أصابع الرحمن تبارك وتعالى ، يقول بهما هكذا = وحرّك أبو أحمد إصبعيه = قال أبو جعفر : وإن الطوسي وَسَّق بين إصبعيه .(١)

عن عبد الحميد بن بهرام ، عن شهر بن حوشب ، عن أم سلمة : « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : يا مقلب القلوب ، ثبت قلبي على دينك » . وهذا نحو الرواية الماضية : ٦٦٥٠ ، إلا أن أبا كريب زاد فيه قراءة الآية .

ورواه أحمد أيضاً – في مسندها – ٦ : ٣٠١ – ٣٠٢ ، عن هاشم – وهو ابن القاسم أبو النضر – عن عبد الحميد بن بهرام ، بهذا الإسناد ، نحوه . إلا أنه قال في آخره : « وأجرني من مضلات الفتن ما أحييتنا» .

ثم رواه مختصراً ، بدون ذكر الآية ، ولا قوله « فنسأل الله ربنا » – إلخ ، ٦ : ٣١٥ (حلبي) ، عن معاذ بن معاذ ، قال : « حدثنا أبو كعب صاحب الحرير ، قال : حدثني شهر بن حوشب ، قال : قلت لأم سلمة : يا أم المؤمنين ، ما كان أكثر دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان عندك ؟ ..» . ثم قال عبد الله بن أحمد – عقبه – : سألت أبي عن أبي كعب ؟ فقال : ثقة ، واسمه عبد ربه بن عبيد» .

وكذلك رواه الترمذي ٤ : ٢٦٦ ، عن أبي موسى الأنصاري ، عن معاذ بن معاذ ، به . وقال : « هذا حديث حسن » .

وأبو كعب صاحب الحرير ، عبد ربه بن عبيد الأزدي الجرموزي : وثقه أيضاً يحيى بن سعيد ، وابن معين وغيرهما . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٣/١/٤١ – ٤٢ .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ثلاث مرات ، ٦ : ٣٢٥ ، ٧ : ٢١٠ ، ١٠ : ١٧٦ ، عن رواية المسند ، وأشار إلى أن الترمذي روى بعضه ، وأعله في موضعين بشهر بن حوشب ، « وهو ضعيف وقد وثق » . وقال في الأخير : « إسناده حسن » .

وذكره السيوطي ٢ : ٨ ، وزاد نسبته لابن أبي شيبة . دون فصل بين الروايات .

ورواه إمام الأئمة ابن خزيمة ، في كتاب التوحيد ، ص : ٥٥ ، من رواية ابن وهب ، عن إبراهيم بن نشيط الوعلاني ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين المكي ، عن شهر بن حوشب ، عن أم سلمة ، بنحوه . وهذا إسناده صحيح أيضاً .

ورواه أبو بكر الآجري ، في كتاب الشريعة ، ص : ٣١٦ ، من وجهين آخرين ، عن أم سلمة .

ووقع في المطبوعة : « ما خلق الله من بشر ، من بني آدم » ، بالتقديم والتأخير . وأثبتنا ما في المخطوطة ، وهو الموافق لسائر الروايات التي فيها هذه الكلمة .

(١) الحديث : ٦٦٥٣ – محمد بن منصور بن داود ، الطوسي العابد ، شيخ الطبري : ثقة ، أثنى عليه أحمد ، ووثقه النسائي وغيره .

١٢٦/٣ ٦٦٥٤ – حدثني سعيد بن يحيى الأموى قال ، حدثنا أبو معاوية قال ، حدثنا الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يقول : يا مقلِّب القلوب ثبِّت قلبي على دينك . قلنا : يا رسول الله ، قد آمنا بك ، وصدّقنا بما جئت به ، فيُخاف علينا ؟! قال : نعم ، إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله ، يقلبها تبارك وتعالى .(١)

والحديث رواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٢٨٨ – ٢٨٩ ، من طريق الأعمش ، بهذا الإسناد . وصححه على شرط مسلم . ولكن أول إسناده ، من الحاكم إلى الأعمش – غير مذكور ، لأن فى أصول المستدرك خرماً فى هذا الموضع . وأثبت مكانه من تلخيص الذهبى .

وذكره السيوطى ٢ : ٩ : وزاد نسبته للطبرانى فى السنة .

وأشار إليه الترمذى ٣ : ١٩٩ ، كما سنذكر فى الحديث بعده .

وقوله : « يقول بهما » ، هو الصواب الثابت فى المخطوطة . وفى المطبوعة « يقول به » .

قوله : « وسق بين إصبعيه » ، وسق الشيء : جمعه . يريد : ضم إصبعيه .

(١) الحديث : ٦٦٥٤ – رواه أحمد فى المسند : ١٢١٣٣ ، (ج ٣ ص : ١١٢ حلبى) ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، بهذا الإسناد .

ثم رواه : ١٣٧٣١ (ج ٣ ص : ٢٥٧ حلبى) ، عن عفان ، عن عبد الواحد ، عن سليمان بن مهران – وهو الأعمش – به .

ورواه الترمذى ٣ : ١٩٩ ، عن هناد ، عن أبي معاوية ، به . ثم قال : « هذا حديث حسن صحيح وهكذا روى غير واحد عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن أنس . وروى بعضهم عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر ، عن النبى صلى الله عليه وسلم . وحديث أبي سفيان عن أنس – أصح » .

يريد الترمذى تعليل الحديث الذى قبل هذا . وهى علة غير قائمة . وأبو سفيان طلحة بن نافع : تابعى ثقة ، سمع من جابر ومن أنس ، وأخرج له أصحاب الكتب الستة . وكثيراً ما يسمع التابعى الحديث الواحد من صحابيين .

ورواه الحاكم ١ : ٥٢٦ ، مختصراً ، من طريق أبي معاوية ، عن الأعمش ، وصححه هو والذهبى .

ورواه ابن ماجة – مطولا – من وجه آخر ، فرواه : ٣٨٣٤ ، من طريق ابن نمير ، عن الأعمش ، عن يزيد الرقاشى ، عن أنس . وقال البوصيرى فى زوائده : « مدار الحديث على يزيد الرقاشى ، وهو ضعيف » .

وقد وهم الحافظ الدمياطى – كما ترى – فى زعمه أى مداره على يزيد الرقاشى ؛ وها هو ذا من رواية الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن أنس ، كمثل رواية الرقاشى . فلم ينفرد به .

وقد جمع البخارى الوجهين فى الأدب المفرد ، ص : ١٠٠ . فرواه مختصراً ، من طريق أبي الأحوص : « عن الأعمش ، عن أبي سفيان ويزيد ، عن أنس » .

وذكره السيوطى ٢ : ٨ ، وزاد نسبته لابن أبي شيبة .

٦٦٥٥ – حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال، حدثنا بشر بن بكر = وحدثني علي بن سهل قال ، حدثنا أيوب بن بشر = جميعاً ، عن ابن جابر قال : سمعت بُسْر بن عبيد الله قال، سمعت أبا إدريس الخولاني يقول : سمعت النوَّاس بن سمعان الكلابي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من قلب إلاّ بين إصبعين من أصابع الرحمن : إن شاء أقامه، وإن شاء أزاغه . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يا مقلِّب القلوب ثبِّت قلوبنا على دينك – والميزان بيَد الرحمن ، يرفع أقواماً ويخفضُ آخرين إلى يوم القيامة .(١)

---

(١) الحديث : ٦٦٥٥ – بشر بن بكر التنيسي : ثقة مأمون . روى عنه الشافعي ، والحميدي، وغيرهما . وأخرج له البخاري .

أيوب بن بشر : لم أجد راوياً بهذا الاسم ، ولا ما يقاربه في الرسم ، إلا رواة باسم « أيوب بن بشير » ليسوا من هذه الطبقة ، ولا يكونون في هذا الإسناد . ومن الرواة عن ابن جابر : « أيوب بن سويد الرملي » . ومن القريب جداً أن يروى عنه بلديه « علي بن سهل الرملي » . ولكن تصحيف « سويد » إلى « بشر » صعب .

ابن جابر : هو عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، الأزدي الشامي الداراني . وهو ثقة ، أخرج له الجماعة . وقال ابن المديني : « يعد في الطبقة الثانية من فقهاء أهل الشأم بعد الصحابة » .

بسر بن عبيد الله الحضرمي الشامي : تابعي ثقة . أخرج له الجماعة . وقال أبو مسهر : « هو أحفظ أصحاب أبي إدريس » يعني الخولاني .

و « بسر » : بضم الباء الموحدة وسكون السين المهملة . وأبوه « عبيد الله » : بالتصغير . ووقع في المطبوعة هنا « بشر » . وهو تصحيف . وكذلك وقع في بعض مراجع الحديث التي سنذكر ، ووقع في بعضها اسم أبيه « عبد الله » . وهو خطأ أيضاً . فيصحح هذا وذاك حيث وقع .

أبو إدريس الخولاني : عائذ الله بن عبد الله . مضت ترجمته في : ٤٨٤٠ .

النواس : بفتح النون وتشديد الواو ، وهو صحابي معروف . والحديث رواه أحمد في المسند : ١٧٧٠٧ (ج ٤ ص : ١٨٢ حلبي) ، عن الوليد بن مسلم ، عن ابن جابر ، بهذا الإسناد .

ورواه ابن ماجة : ١٩٩ ، من طريق صدقة بن خالد ، عن ابن جابر ، به . وقال البوصيري في زوائده : « إسناده صحيح » .

ورواه إمام الأئمة ابن خزيمة ، في كتاب التوحيد ، ص : ٥٤ ، وأبو بكر الآجري ، في كتاب الشريعة ، ص : ٣١٧ – ٣١٨ ، كلاهما من طريق الوليد بن مسلم ، عن ابن جابر .

ورواه الحاكم في المستدرك ٢ : ٢٨٩ ، والبيهقي في الأسماء والصفات ، ص : ٢٤٨ – عن الحاكم، من طريق محمد بن شعيب بن شابور ، عن ابن جابر . وصححه الحاكم والذهبي على شرط الشيخين .

٦٦٥٦ – حدثني عمر بن عبد الملك الطائي قال ، حدثنا محمد بن عبيدة قال ، حدثنا الجرّاح بن مليح البهراني ، عن الزبيدي ، عن جويبر ، عن سمرة بن فاتك الأسدي – وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم – عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : الموازين بيد الله ، يرفع أقواماً ويضع أقواماً ، وقلبُ ابن آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن ، إذا شاء أزاغه ، وإذا شاء أقامه .(١)

وهذا الموضع في المستدرك ، مخروم في أصله المطبوع عنه ، فأثبته الناشر عن مختصر الذهبي . ولكن يستفاد إسناد هذا الطريق من رواية البيهقي عن الحاكم .

ورواه الحاكم أيضاً ٤ : ٣٢١ ، عن أبي العباس الأصم ، عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم – شيخ الطبري في الإسناد الأول هنا ، بهذا الإسناد .

ورواه أيضاً ١ : ٥٢٥ . عن الأصم ، عن بحر بن نصر ، عن بشر بن بكر ، عن ابن جابر ، به

وقال الحاكم في الموضعين : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم » ! ومن عجب أن يوافقه الذهبي على تصحيحه على شرط الشيخين من رواية ابن شابور . وابن شابور ، وإن كان ثقة ، فإنه لم يخرج له شيء في الصحيحين ؛ ثم يوافقه على تصحيحه على شرط مسلم من رواية بشر بن بكر . وبشر بن بكر خرج له البخاري ، ولم يخرج له مسلم شيئاً ! !

والحديث ذكره السيوطي ٢ : ٩ ، وزاد نسبته للنسائي . فهو يريد السنن الكبرى ، لأنه لم يروه في السنن الصغرى .

(١) الحديث : ٦٦٥٦ – عمر بن عبد الملك بن حكيم الطائي الحمصي – شيخ الطبري : لم أجد له إلا ترجمة موجزة في التهذيب ، فيها : « روى عنه النسائي وقال : صالح » .

محمد بن عبيدة : لا أدري من هو ؟ ولا وجدت له ترجمة ، إلا أن التهذيب ذكره شيخاً لعمر بن عبد الملك الطائي ، وذكره باسم : « محمد بن عبيدة ، المددي ، اليماني » . ولم أجد معنى لنسبة « المددي » هذه ، بدالين . ومن المحتمل أن تكون محرفة عن « المدري » بالراء ، نسبة إلى « مدر » بفتح الميم والدال وآخرها راء ، وهي قرية باليمن ، على عشرين ميلا من صنعاء ، كما في معجم البلدان ٧ : ٤١٦ .

الجراح بن مليح البهراني – بفتح الباء الموحدة وسكون الهاء – الحمصي : ثقة ، وهو مشهور في أهل الشام . وهو غير «الجراح بن مليح بن عدي » والد « وكيع بن الجراح » .

الزبيدي – بضم الزاي : هو حمد بن الوليد بن عامر الزبيدي ، أبو الهذيل الحمصي ، قاضيها . وهو ثقة ثبت ، قال ابن سعد ٧/٢/١٦٩ : « كان أعلم أهل الشأم بالفتوى والحديث » . وكان الأوزاعي « يفضل محمد بن الوليد على جميع من سمع من الزهري » .

جويبر : هكذا وقع في الطبري . والراجح الظاهر أنه تحريف من الناسخين ، ولا شأن لجويبر – وهو ابن سعيد الأزدي – في هذا الحديث . وجويبر : ضعيف جداً ، كما بينا في : ٢٨٤ . وإنما الحديث معروف عن « جبير بن نفير » ، كما سيأتي .

٦٦٥٧ – حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك،

سمرة بن فاتك الأسدى : هكذا ثبت فى الطبرى « سمرة » بالميم ، فتكون مضمومة مع فتح السين المهملة . وهو قول فى اسمه .

والصحيح الراجح أن اسمه « سبرة » ، بفتح السين المهملة وسكون الباء الموحدة .

وهناك صحابى آخر ، اسمه : « سمرة بن فاتك الأسدى » . غير هذا . كذلك فرق البخارى بينهما فى التاريخ الكبير : ٢/٢/١٨٨ ، فى« سبرة » و : ١٧٨ فى « سمرة » . وذكر هذا الحديث فى « سبرة » وكذلك فرق بينهما ابن أبى حاتم ١/٢/٢٩٥ ، « سبرة » ، و : ١٥٥ ، « سمرة » .

وقد قيل أيضاً فى الصحابى الآخر ، الذى اسمه « سمرة » – « سبرة » . وهو اضطراب من الرواة أو تصحيف . والراجح الذى صححه الحافظ فى الإصابة ٣ : ٦٣ – ٦٤ ، ١٣١ – ١٣٢ : أنهما اثنان، كما قلنا ،وأن راوى هذا الحديث هو «سبرة » .

ولم أستجز تغيير ما فى نص الطبرى إلى الصحيح الراجح : « سبرة » – لوجود القول الآخر . فلعله وقع له فى روايته هكذا .

و « سبرة » : بسكون الباء الموحدة ، كما قلنا . ووقع فى ضبطه فى ترجمته فى الإصابة خطأ شديد ، إذ قال الحافظ : « بفتح أوله وكسر ثانيه » ؛ ولم يقل أحد ذلك فى ضبط اسم « سبرة » مطلقاً، بل هو نفسه ضبط اسم « سبرة » ، فى غير هذه الترجمة «بسكون الموحدة » . وضبط اسم هذا الصحابى بالسكون أيضاً ، فى المشتبه للذهبى ، ص : ٢٥٥ . ولم يذكر اسم آخر بهذا الرسم بكسر الموحدة . وكذلك صنع الحافظ فى تبصير المنتبه . فما وقع فى الإصابة إنما هو سهو منه – رحمه الله – وسبق قلم .

و « الأسدى » – فى هذه الترجمة : « بفتح الهمزة وسكون السين ». وهو : الأزدى . هكذا يقال بالسين والزاى . صرح بذلك أبو القاسم فى طبقات حمص » . قاله الحافظ فى الإصابة .

وهذا الحديث رواه البخارى فى الكبير ، فى ترجمة « سبرة بن فاتك » . قال : « حدثنا حيوة بن شريح ، حدثنا محمد بن حرب ، عن الزبيدى ، عمن حدثه ، عن جبير بن نفير ، عن سبرة بن فاتك ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : الموازين بيد الله ، يرفع قوماً ويضع قوماً ، وقلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الرب عز وجل ، فإذا شاء أقامه ، وإذا شاء أزاغه » .

فهكذا ثبت براو مبهم بين الزبيدى وجبير بن نفير – عند البخارى .

وقال الحافظ فى الإصابة : « وقد وقع لى فى غرائب شعبة ، لابن مندة ، من طريق جبير بن نفير . عن سبرة بن فاتك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الميزان بيد الرحمن ، يرفع أقواماً ويضع آخرين – الحديث . وأخرجه من طريق أخرى ، فقال : سمرة » .

فلم نعرف رواية ابن مندة : أفيها الرجل المبهم عن جبير بن نفير ، أم عرف باسمه فيها ؟ وأنا أظن أن لو كان فيها اسمه مبهماً لبين الحافظ ذلك . ومن المحتمل أن يكون هذا المبهم – هو « عبد الرحمن ابن جبير بن نفير » فإنه يروى عن أبيه ، ويروى عنه الزبيدى .

ومما يرجح – عندى – أن هذا المبهم مذكور باسمه فى بعض الروايات : أن الهيثمى ذكر هذا الحديث فى مجمع الزوائد ٧ : ٢١١ « عن سمرة بن فاتك الأسدى » ، ثم قال : « رواه الطبرانى ، ورجاله ثقات » .

وذكره السيوطى ٢ : ٨ ، ونسبه للبخارى فى تاريخه ، وابن جرير ، والطبرانى . ولم يزد .

فى المطبوعة : « إن شاء . . . وإن شاء » . وأثبت ما فى المخطوطة . وهو الموافق لرواية الكبير للبخارى.

عن حيوة بن شريح قال ، أخبرنى أبو هانئ الخولانى : أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلى يقول : سمعت عبد الله عمرو بن العاص يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن قلوب بنى آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرّحمن كقلبٍ واحد ، يصرّف كيف يشاء . ثم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهمّ مصرِّف القلوب صرِّف قُلوبَنا إلى طاعتك .(١)

٦٦٥٨ – حدثنا الربيع بن سليمان قال ، حدثنا أسد بن موسى قال ، حدثنا عبد الحميد بن بهرام قال ، حدثنا شهر بن حوشب قال : سمعت أم سلمة تحدث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر فى دعائه أن يقول : اللهم ثبت قلبى على دينك . قالت : قلت : يا رسول الله ، وإن القلوب لتقلَّب؟ قال : نعم ، ما من خلق الله من بنى آدم بشرٌ إلاّ إنّ قلبه بين إصبعين من أصابع الله ، إن شاءَ أقامه ، وإن شاء أزاغه ، فنسأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ، ونسأله أن يهب لنا من لدُنه رحمةً إنه هو الوهاب .(٢)

* * *

(١) الحديث : ٦٦٥٧ – أبو هانىء الخولانى – بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو : هو حميد بن هانئ المصرى . وهو ثقة معروف .

أبو عبد الرحمن الحبلى – بضم الحاء المهملة والباء الموحدة : هو عبد الله بن يزيد المعافرى – بفتح الميم والعين المهملة – المصرى . وهو تابعى ثقة . وهو أحد العشرة من التابعين الذين ابتعثهم عمر بن عبد العزيز ليفقهوا أهل إفريقية ويعلموهم أمر دينهم . انظر كتاب رياض النفوس لأبى بكر المالكى ، ج ١ ص : ٦٤ – ٦٥ ، وطبقات علماء إفريقية لأبى العرب ، ص : ٢١ .

والحديث رواه أحمد فى المسند : ٦٥٦٩ ، عن أبى عبد الرحمن ، وهو المقرىء ، عن حيوة بن شريح ، بهذا الإسناد .

ورواه مسلم ٢ : ٣٠١ ، عن زهير بن حرب وابن نمير – كلاهما عن أبى عبد الرحمن المقرىء .

ورواه أبو بكر الآجرى فى كتاب الشريعة ، ص : ٣١٦ ، بإسنادين ، والبيهقى فى الأسماء والصفات ، ص : ٢٤٨ – كلاهما من طريق المقرىء .

وذكره السيوطى ٢ : ٩ ، وزاد نسبته للنسائى .

(٢) الحديث : ٦٦٥٨ – هو مختصر من الحديث : ٦٦٥٢ . وقد وفينا تخريجه ، وأشرنا إلى هذا هناك .

ووقع هنا فى المخطوطة والمطبوعة : « من بنى آدم بشر » . ولعل الأجود أن يكون « من بشر » ، كالروايات الأخر .

القول فى تأويل قوله ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ (٩)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه أنهم يقولون أيضاً = مع قولهم : آمنا بما تشابه من آى كتاب ربّنا ، كلّ المحكم والمتشابه الذى فيه من عند ربنا = : يا ربنا ، « إنك جامعُ الناس ليوم لا ريب فيه إنّ الله لا يخلف الميعاد » .

وهذا من الكلام الذى استُغنى بذكر ما ذكر منه عما ترك ذكره . وذلك أن معنى الكلام : ربنا إنك جامع الناس ليوم القيامة ، فاغفر لنا يومئذ واعف عنا ، فإنك لا تخلف وَعْدك : أنّ من آمن بك ، واتّبع رَسُولك ، وعمل بالذى أمرتَه به فى كتابك ، أنك غافره يومئذ .

وإنما هذا من القوم مسألة ربّهم أن يثبّتهم على ما هم عليه من حُسن بَصيرتهم ،[1] بالإيمان بالله ورسوله ، وما جاءهم به من تنزيله ، حتى يقبضهم على أحسن أعمالهم وإيمانهم ، فإنه إذا فعل ذلك بهم ، وجبتْ لهم الجنة ، لأنه قد وعد من فعل ذلك به من عباده أنه يُدخله الجنة .

فالآية ، وإن كانت قد خرجت مخرج الخبر ، فإن تأويلَها من القوم : مسألةٌ ودعاءٌ ورغبة إلى ربهم .

* * *

وأما معنى قوله : « ليوم لا ريب فيه » ، فإنه : لا شك فيه . وقد بينا ذلك بالأدلة على صحته فيما مضى قبل .[2]

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « من حسن نصرتهم » ، ولا معنى لها ، وفى المخطوطة : « نصرهم » . غير منقوطة ، والذى أثبته هو صواب قراءتها .

(٢) انظر ما سلف ١ : ٢٢٨ ، ٣٧٨/ثم ٦ : ٧٨ .

ومعنى قوله : « ليوم » ، فى يوم . وذلك يومٌ يجمع الله فيه خلقَه لفصل القضاء بينهم فى موقف العَرْض والحساب .

* * *

« والميعاد » «المفعال» ، من « الوعد » .

* * *

١٢٧/٣ القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴾ (١٠)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « إنّ الذين كفروا»، إن الذين جحدوا الحق الذى قد عرفوه من نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم من يهود بنى إسرائيل ومنافقيهم ومنافقى العرب وكفارهم، الذين فى قلوبهم زَيغٌ فهم يتّبعون من كتاب الله المتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله = « لنْ تُغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً » ، يعنى بذلك أنّ أموالهم وأولادهم لن تُنجيهم من عقوبة الله إن أحلّها بهم — عاجلا فى الدنيا على تكذيبهم بالحق بعد تبيُّنهم ،(١) واتباعهم المتشابه طلبَ اللبس — فتدفعها عنهم ، ولا يغنى ذلك عنهم منها شيئاً ، وهم فى الآخرة = « وقودُ النار »، يعنى بذلك : حَطَبُها .(٢)

* * *

(١) فى المطبوعة : « بعد تثبيتهم » ، ولا معنى لها . وفى المخطوطة « تسهم » غير منقوطة ، والذى أثبته هو صواب قراءتها .

(٢) انظر تفسير « الوقود » فيما سلف ١ : ٣٨٠ .

القول فى تأويل قوله ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (١١)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : إن الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً عند حلول عقوبتنا بهم ، كسُنَّة آل فرعون وعادتهم=(١) = « والذين من قبلهم » من الأمم الذين كذبوا بآياتنا ، فأخذناهم بذنوبهم ، فأهلكناهم حين كذبوا بآياتنا ، فلم تغن عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً حين جاءهم بأسنا ، (٢) كالذين عوجلوا بالعقوبة على تكذيبهم ربَّهم من قبل آل فرعون : من قوم نوح وقوم هود وقوم لوط وأمثالهم .

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « كدأب آل فرعون » .

فقال بعضهم : معناه : كسُنَّتهم .

* ذكر من قال ذلك :

٦٦٥٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق بن الحجاج قال ، حدثنا عبد الله ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « كدأب آل فرعون » ، يقول : كسنتهم .

* * *

وقال بعضهم : معناه : كعملهم .

* ذكر من قال ذلك :

٦٦٦٠ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا سفيان =

---

(١) فى المخطوطة : « ودعاهم » غير منقوطة ، والصواب ما فى المطبوعة ، وإنما هو سبق قلم من الناسخ . وهذا اللفظ هو نص أبى عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ٨٧ .

(٢) فى المطبوعة : « فلن تغنى عنهم . . . » ، وهو مخالف للسياق . وفى المخطوطة : « فلن تغن عنهم . . . » وهو سهو من الناسخ ، والصواب ما أثبت .

وحدثني المثنى قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان = جميعاً ، عن جويبر ، عن الضحاك : « كدأب آل فرعون » ، قال : كعمل آل فرعون .

٦٦٦١ – حدثنا يحيى بن أبي طالب قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا جويبر ، عن الضحاك في قوله : « كدأب آل فرعون » ، قال : كعمل آل فرعون .

٦٦٦٢ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « كدأب آل فرعون » ، قال : كفعلهم ، كتكذيبهم حين كذّبوا الرسل = وقرأ قول الله : ﴿ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ [سورة غافر : ٣١] ، أن يصيبكم مثل الذي أصابهم عليه من عذاب الله . قال : الدأبُ العمل .

٦٦٦٣ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو تميلة يحيى بن واضح ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عكرمة ومجاهد في قوله : « كدأب آل فرعون » ، قال : كفعل آل فرعون ، كشأن آل فرعون .

٦٦٦٤ – حدثت عن المنجاب قال ، حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس في قوله : « كدأب آل فرعون » ، قال : كصنع آل فرعون .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : كتكذيب آل فرعون .

* ذكر من قال ذلك :

٦٦٦٥ – حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم » ، ذكر الذين كفروا وأفعالَ تكذيبهم ، كمثل تكذيب الذين من قبلهم في الجحود والتكذيب .

* * *

قال أبو جعفر : وأصل « الدأب » من : « دأبت في الأمر دأباً » ، إذا أدمنت

العمل والتعب فيه . ثم إن العرب نقلت معناه إلى : الشأن ، والأمر ، والعادة ، كما قال امرؤ القيس بن حجر :

وَإِنَّ شِفَائِي عَبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ فَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ (١)
كَدَأْبِكَ مِنْ أُمِّ الْحُوَيْرِثِ قَبْلَهَا وَجَارَتِهَا أُمِّ الرَّبَابِ بِمَأْسَلِ

يعنى بقوله : « كدأبك » ، كشأنك وأمرك وفعلك . يقال منه : « هذا دَأْبى ودأبك أبداً » . يعنى به : فعلى وفعلك ، وأمرى وأمرك ، وشأنى وشأنك . يقال منه : « دَأَبْتُ دُؤُوباً ودَأْبًا » . وحكى عن العرب سماعاً : « دأبْتُ دأْباً » ، مثقلة محركة الهمزة ، كما قيل : « هذا شعَرٌ ، ونَهَر » ، (٢) فتحرك ثانيه لأنه حرفٌ من الحروف الستة ، (٣) فألحق « الدأب » إذ كان ثانية من الحروف الستة ، كما قال الشاعر : (٤)

لَهُ نَعَلٌ لاَ تَطَّبِي الْكَلْبَ رِيحُهَا وَإِنْ وُضِعَتْ بَيْنَ الْمَجَالِسِ شُمَّتِ (٥)

١٢٨/٣

* * *

وأما قوله : « واللهُ شديدُ العقاب » ، فإنه يعنى به : والله شديد عقابه لمن كفر به وكذّب رسله بعد قيام الحجة عليه .

* * *

(١) ديوانه : ١٢٥ من معلقته المشهورة ، ثم يأتى فى التفسير ١٢ : ١٣٦ (بولاق) البيت الثانى . وهو شعر مشهور خبره ، فاطلبه فى موضعه .

(٢) فى المطبوعة : « بهر » بالباء ، وهى فى المخطوطة غير منقوطة ، وصواب قراءتها بالنون .

(٣) « الحروف الستة » ، يعنى حروف الحلق .

(٤) هو كثير عزة .

(٥) ديوانه ٢ : ١١٢ ، الحيوان ١ : ٢٦٦ ، والبيان ٣ : ١٠٩ ، ١١٢ واللسان (نعل) . ورواية اللسان « وسط المجالس » ، أما رواية الديوان فبخلاف هذا ولا شاهد فيها ، كما سترى . والشعر مما قاله كثير حين بلغه وفاة عبد العزيز بن مروان بمصر ، فرثاه ، فكان مما قال فيه :

يَؤُوبُ أُولُو الحَاجَاتِ مِنْهُ إِذَا بَدَا إِلَى طَيِّبِ الأَثْوَابِ غَيْرِ مُؤَمَّتِ
كَأَنَّ ابْنَ لَيْلَى حِينَ يَبْدُو فَتَنْجَلِي سُجُوفُ الحِبَاءِ عَنْ مَهِيبٍ مُشَمَّتِ

القول فى تأويل قوله ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ (١٢)

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى ذلك .

فقرأه بعضهم : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ ﴾ بالتاء ، على وجه الخطاب للذين كفروا بأنهم سيغلبون . واحتجوا لاختيارهم قراءة ذلك بالتاء بقوله : ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ﴾ . قالوا : فنى ذلك دليل على أن قوله : «ستغلبون» ، كذلك ، خطابٌ لهم . وذلك هو قراءة عامة قرأة الحجاز والبصرة وبعض الكوفيين . وقد يجوز لمن كانت نيته فى هذه الآية : أنّ الموعودين بأن يُغلبوا ، هم الذين أُمِر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يقول ذلك لهم = أن يقرأه بالياء والتاء . لأن الخطابَ بالوحى حين نزل ، لغيرهم . فيكون نظير قول القائل فى الكلام : « قلت للقوم : إنكم مغلوبون » ، و«قلت لهم : إنهم مغلوبون » . وقد ذكر أن فى قراءة عبد الله : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ تَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَكُمْ ﴾ [سورة الأنفال : ٣٨] ، وهى فى قراءتنا : ﴿ إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ ﴾ .

* * *

وقرأت ذلك جماعة من قرأة أهل الكوفة : ﴿ سَيُغْلَبُونَ وَيُحْشَرُونَ ﴾ ، على معنى : قل لليهود : سيغلب مشركو العرب ويحشرون إلى جهنم . ومن قرأ ذلك

مُقَارِبُ خَطْوٍ لا يُغَيِّرُ نَعْلَهُ رَهِيفَ الشِّرَاكِ ، سَهْلَةَ الْمُتَسَمَّتِ
إِذَا طُرِحتْ لَمْ تَطَّبِ الكَلْبَ رِيحُهَا وَإِنْ وُضِعتْ فى مَجْلِسِ القَوْمِ شُمَّتِ

يقول : لا يلبس من النعال إلا المدبوغ الجلد ، فذهبت رائحة الجلد منها ، لأن النعل إذا كانت من جلد غير مدبوغ ، وظفر بها كلب أقبل عليها بريحها فأكلها . يصفه بأنه من أهل النعمة واليسار والترف . ثم زادها صفة أخرى بأن جعلها قد كسبت من طيب رائحته طيباً ، حتى لو وضعت فى مجلس قوم ، تلفتوا يتشممون شذاها من طيبها . وقوله : « يطبى » من : « اطباه » أى : دعاه إليه .

كذلك على هذا التأويل ، لم يجز فى قراءته غير الياء .[١]

* * *

قال أبوجعفر: والذى نختار من القراءة فى ذلك ، قراءةُ من قرأه بالتاء ، بمعنى : قل يا محمد للذين كفروا من يهود بنى إسرائيل الذين يتبعون ماتشابه من آى الكتاب الذى أنزلته إليك ابتغاءَ الفتنة وابتغاءَ تأويله : « ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد » .

وإنما اخترنا قراءةَ ذلك كذلك ، على قراءته بالياء ، لدلالة قوله : ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ﴾ ، على أنهم بقوله : «ستغلبون » ، مخاطبون خطابهم بقوله : « قد كان لكم » ، فكان إلحاق الخطاب بمثله من الخطاب ، أولى من الخطاب بخلافه من الخبر عن غائب .

= وأخرى أنّ :ـــ

٦٦٦٦ ـــ أبا كريب حدثنا قال ، حدثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحق قال ، حدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد ، عن سعيد بن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما أصاب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قريشاً يوم بدْر فقدم المدينة ، جمع يهودَ فى سوق بنى قَينُقاع . فقال : يا معشر يهود ، أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشاً ! فقالوا : يا محمد ، لا تغرّنك نفسك أنك قتلتَ نفراً من قريش كانوا أغماراً لا يعرفون القتال ،[٢] إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس ، وأنك لم تأت مثلنا ! ![٣] فأنزل الله عز وجل فى ذلك من قولهم : « قلْ للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد » إلى قوله : « لأولى الأبصار » .

---

(١) انظر هذا كله فى معانى القرآن للفراء ١ : ١٩١ ـ ١٩٢

(٢) فى سيرة ابن هشام : « لا يغرنك من نفسك » . والأغمار جمع غمر (بضم فسكون) : وهو الجاهل الغر الذى لم يجرب الأمور ، ولم تحنكه التجارب .

(٣) فى ابن هشام : « لم تلق مثلنا » .

٦٦٦٧ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال ، حدثنا محمد بن إسحق ، عن عاصم بن عُمر بن قتادة ، قال : لما أصاب الله قريشاً يوم بدر ، جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودَ في سوق بني قينقاع حين قدم المدينة = ثم ذكر نحو حديث أبي كريب ، عن يونس . (١)

٦٦٦٨ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : كان من أمر بني قينقاع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعهم بسوق بني قَينُقاع ، ثم قال : يا معشر اليهود ، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النِّقمة ، وأسلموا ، فإنكم قد عرفتم أني نبيٌّ مُرْسل ، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم ! فقالوا : يا محمد ، إنك ترى أنا كقومك ! (٢) لا يغرَّنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبتَ فيهم فرصة ! إنا والله لئن حاربناك لتعلمنَّ أنا نحن الناس . (٣) ١٢٩/٣

٦٦٦٩ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد ابن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت ، عن سعيد بن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : ما نزلت هؤلاء الآيات إلاّ فيهم : « قُلْ للذين كفروا ستغلبون وتحشرونَ إلى جهنم وبئس المهاد » إلى « لأولي الأبصار » . (٤)

٦٦٧٠ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة في قوله : « قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد » ، قال فِنْحاص اليهودي في يوم بدر : لا يغرَّنَّ محمداً أنْ غلب قريشاً وقتلهم ! إنَّ قريشاً لا تُحسنُ القتال ! فنزلت هذه الآية : « قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد » .

* * *

---

(١) الأثر : ٦٦٦٦ ، ٦٦٦٧ – في سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠١ .

(٢) في ابن هشام : « أنا قومك » بحذف الكاف ، وهي جيدة جداً ، ولكن ما في التفسير موافق لما في التاريخ .

(٣) الأثر : ٦٦٦٨ – سيرة ابن هشام ٣ : ٥٠ / تاريخ الطبري ٢ : ٢٩٧ .

(٤) الأثر ٦٦٦٩ – سيرة ابن هشام ٣ : ٥١ .

قال أبو جعفر : فكل هذه الأخبار تنبئ عن أن المخاطبين بقوله : « ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد » ، هم اليهود المقولُ لهم : « قد كان لكم آية فى فئتين » ، الآية — وتدل على أن قراءَة ذلك بالتاء ، أولى من قراءته بالياء .

* * *

ومعنى قوله : « وتحشرون » ، وتجمعون ، فتجلبون إلى جهنم .[1]

* * *

وأما قوله : « وبئس المهاد » ، وبئس الفراش جهنم التى تحشرون إليها .[2] وكان مجاهد يقول كالذى : —

٦٦٧١ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « وبئس المهاد » ، قال : بئسما مَهدُوا لأنفسهم .

٦٦٧٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : قُلْ ، يا محمد ، للذين كفروا من اليهود الذين بين ظهرانَىْ بلدك : « قد كان لكم آية » ، يعنى : علامةٌ ودلالةٌ على صدق ما أقول : إنكم ستغلبون ، وعبرة ،[3] كما : —

٦٦٧٣ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة :

---

(١) لم يفسر أبو جعفر « تحشرون » فيما سلف ٤ : ٢٢٨ ، وذلك دليل على ما روى من اختصاره هذا التفسير اختصاراً .

(٢) انظر ما سلف ٤ : ٢٤٦

(٣) انظر تفسير « الآية » فى (أي) من فهارس اللغة .

« قد كان لكم آية » ، عبرةٌ وتفكر .

٦٦٧٤ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله = إلا أنه قال : ومُتَفَكَّر .

* * *

= « في فئتين » ، يعني : في فرقتين وحزبين = و « الفئة » الجماعة من الناس .[1]

= « التقتا » للحرب ، وإحدى الفئتين رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ومن كان معه ممن شهد وقعة بدر ، والأخرى مشركو قريش .

= « فئة تُقاتل في سبيل الله » ، جماعة تقاتل في طاعة الله وعلى دينه ،[2] وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه = « وأخرى كافرة » ، وهم مشركو قريش ، كما : –

٦٦٧٥ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحق قال ، حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن سعيد بن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس : « قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله » ، أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر = « وأخرى كافرة » ، فئة قريش الكفار .[3]

٦٦٧٦ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن سعيد بن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس مثله .[3]

٦٦٧٧ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن

---

(١) انظر ما سلف في تفسير « فئة » ٥ : ٣٥٢ ، ٣٥٣ .

(٢) انظر تفسير « سبيل الله » فيما سلف ٢ : ٤٩٧ / ثم ٣ : ٥٦٣ ، ٥٨٣ / ثم ٤ : ٣١٨ / ثم ٥ : ٢٨٠ .

(٣) الأثران : ٦٦٧٥ ، ٦٦٧٦ – سيرة ابن هشام ٣ : ٥١ باختلاف في اللفظ ، لاختلاف الرواية عنه .

جريج ، عن عكرمة : « قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله » ، محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه = « وأخرى كافرة » ، قريش يوم بدر .

٦٦٧٨ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد فى قوله : « قد كان لكم آية فى فئتين »، قال : فى محمد وأصحابه ، ومشركى قريش يوم بدر .

٦٦٧٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٦٦٨٠ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله » ، قال : ذلك يوم بدر ، التقى المسلمون والكفار . ٣/١٣٠

* * *

قال أبو جعفر : ورفعت : « فئةٌ تقاتل فى سبيل الله » ، وقد قيل قبل ذلك : « فى فئتين » ، بمعنى : إحداهما تقاتل فى سبيل الله — على الابتداء ، كما قال الشاعر : (١)

فَكُنْتُ كَذِى رِجْلَيْنِ رِجْلٌ صَحِيحَةٌ ... وَرِجْلٌ رَمَى فِيهَا الزَّمَانُ فَشَلَّتِ (٢)

---

(١) هو كثير عزة .

(٢) ديوانه ١ : ٤٦ ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ١٩٢ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٨٧ ، وسيبويه ١ : ٢١٥ ، والخزانة ٢ : ٣٧٦ وغيرها كثير ، وسيأتى فى التفسير ٣٠ : ٥٨ (بولاق) ، وهو من قصيدته التائية المشهورة ، وهذا البيت معطوف على أمنية تمناها فى الأبيات السالفة :

فَلَيْتَ قَلُوصِى عِنْدَ عَزَّةَ قُيِّدَتْ ... بِحَبْلٍ ضَعِيفٍ غُرَّ مِنْهَا فَضَلَّتِ
وغُودِرَ فِى الحَىِّ المُقِيمِينَ رَحْلُهَا ... وَكَانَ لَهَا بَاغٍ سِوَاىَ فَبَلَّتِ
وَكُنْتُ كَذِى رِجْلَيْنِ: رِجْلٌ صَحِيحَةٌ ... .

قال الأعلم : « تمنى أن تشل إحدى رجليه وهو عندها ، وتضل ناقته فلا يرحل عنها » . وقال آخرون : « تمنى أن تضيع قلوصه فيبقى فى حى عزة ، فيكون ببقائه فى حى عزة كذى رجل صحيحة ، ويكون من عدمه لقلوصه كذى رجل عليلة » . وقال ابن سيدة : « لما خانته عزة العهد فزلت عن عهده ، وثبت هو

وكما قال ابن مفرِّغ : (١)

فَكُنْتُ كَذِي رِجْلَيْنِ : رِجْلٌ صَحِيحَةٌ وَرِجْلٌ بِهَا رَيْبٌ مِنَ الحَدَثَانِ (٢)
فَأَمَّا الَّتِي صَحَّتْ فَأَزْدُ شَنُوءَةٍ ، وَأَمَّا الَّتِي شَلَّتْ فَأَزْدُ عُمَانِ

وكذلك تفعل العرب فى كل مكرر على نظير له قد تقدمه ، إذا كان مع المكرر خبر : تردُّه على إعراب الأوّل مرة ، وتستأنفه ثانيةً بالرفع ، وتنصبه فى التامّ من الفعل والناقص . وقد جُرّ ذلك كله ، فخفض على الردّ على أوّل الكلام ، كأنه يعنى إذا خفض ذلك : فكنت كذلك رجلين : كذى رجل صحيحة ورجل سقيمة . وكذلك الخفض فى قوله : « فئة » ، جائز على الردّ على قوله : « فى فئتين التقتا » ، فى فئة تقاتل فى سبيل الله .

وهذا وإن كان جائزاً فى العربية ، فلا أستجيز القراءة به ، لإجماع الحجة من القرأة على خلافه . ولو كان قوله : « فئة » ، جاء نصباً ، كان جائزاً أيضاً على قوله : « قد كان لكم آية فى فئتين التقتا » ، مُختلفتين . (٣)

* * *

على عهدها ، صار كذى رجلين : رجل صحيحة : هو ثباته على عهدها ، وأخرى مريضة : وهو زللها عن عهده ». وقال آخرون : « معنى البيت : أنه بين خوف ورجاء ، وقرب وتناء » ، ولى فى معنى الأبيات رأى ليس هذا موضع بيانه .

(١) لم أعرف نسبة هذا الشعر إلى ابن مفرغ ، وهو بلا شك للنجاشى الحارثى ، من قصيدته فى معاوية وعلى ، وأكثرها فى الوحشيات لأبى تمام ، ووقعة صفين : ٦٠١ — ٦٠٥ .

(٢) الوحشيات رقم : ١٨٣ ، وحماسة ابن الشجرى : ٣٣ ، وخزانة الأدب ٢ : ٣٧٨ . وأزد شنوءة ، وأزد عمان ، كانا من القبائل التى قاتلت يوم صفين ، وكانت أزد شنوءة مع أهل الشام ، وأزد عمان فى أهل العراق . ورواية الشعر : « وكنتم كذى رجلين . . . » ، والخطاب لبنى تميم وغطفان فى قوله قبل ذلك :

أَيَا رَاكِباً إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ تَمِيماً ، وَهٰذَا الحَيَّ مِنْ غَطَفَانِ

بيد أن رواية البيت :

فَأَمَّا التى شَلَّتْ فَأَزْدُ شَنُوءَةٍ وأَمَّا التى صَحَّتْ فَأَزْدُ عُمَانِ

لأن النجاشى كان مع على ، وكانت أزد عمان معه . أما أزد شنوءة فكانت مع معاوية .

(٣) انظر أكثر هذا وأبسط منه فى معانى القرآن للفراء ١ : ١٩٢ — ١٩٤ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٨٧ ، ٨٨ .

القول فى تأويل قوله ﴿ يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ﴾

قال أبو جعفر : اختلفت القرأةُ فى قراءة ذلك .

فقرأته قرأة أهل المدينة : ﴿ تَرَوْنَهُمْ ﴾ بالتاء ، بمعنى : قد كان لكم أيها اليهود آيةٌ فى فئتين التقتا ، فئة تقاتل فى سبيل الله ، والأخرى كافرةٌ ، ترونَ المشركين مِثْلَى المسلمين رأىَ العين . يريد بذلك عِظَتهم ، يقول : إن لكم عبرةً ، أيها اليهود ، فيما رأيتم من قلة عدد المسلمين وكثرة عدد المشركين ، وظفر هؤلاء مع قلة عددهم ، بهؤلاء مع كثرة عددهم .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفة والبصرة وبعض المكيين : ﴿ يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَيْهِمْ ﴾ بالياء ، بمعنى : يرى المسلمون الذين يقاتلون فى سبيل الله ، الجماعةَ الكافرةَ مثلى المسلمين فى القدْر . فتأويل الآية على قراءتهم : قد كان لكم ، يا معشر اليهود ، عبرةٌ ومتفكرٌ فى فئتين التقتا ، فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة ، يرى هؤلاء المسلمون مع قلة عددهم ، هؤلاء المشركين فى كثرة عددهم .

* * *

فإن قال قائل : وما وجه تأويل قراءة من قرأ ذلك بالياء ؟ وأىّ الفئتين رأت صاحبتها مثليها ؟ الفئة المسلمةُ هى التى رأت المشركة مثليها ، أم المشركة هى التى رأت المسلمة كذلك ، أم غيرهما رأت إحداهما كذلك ؟

قيل : اختلف أهل التأويل فى ذلك .

فقال بعضهم : الفئةُ التى رأت الأخرى مثلى أنفسها ، الفئةُ المسلمة رأت عدَد الفئة المشركة مثلى عدد الفئة المسلمة ، قلَّلها الله عز وجل فى أعينها حتى رأتها مثلى عدد أنفسها ، (١) ثم قللها فى حال أخرى فرأتها مثل عدَد أنفسها .

(١) قوله : « قللها الله عز وجل فى أعينها » ، وذلك أن المشركين كانوا أكثر منهم أمثالا ، فأراهم الله عددهم مثليهم وحسب . وسيأتى بيان ذلك بعد قليل . وانظر التعليق التالى .

* ذكر من قال ذلك :

٦٦٨١ — حدثنا موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى فى خبر ذكره ، عن مرة الهمدانى ، عن ابن مسعود : « قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين » ، قال : هذا يوم بدر . قال عبد الله بن مسعود : قد نظرنا إلى المشركين فرأيناهم يُضْعِفون علينا ، ثم نظرنا إليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلاً واحداً ، وذلك قول الله عز وجل : ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ ﴾ [سورة الأنفال : ٤٤]

* * *

فمعنى الآية على هذا التأويل : قد كان لكم، يا معشر اليهود، آيةٌ فى فئتين التقتا : إحداهما مسلمة والأخرى كافرة ، كثيرٌ عدد الكافرة ، قليلٌ عدد المسلمة، ترى الفئة القليلُ عددُها الكثيرَ عددُها أمثالاً ، أنها إنما تكثر من العدد بمثل واحد ، [1] فهم يرونهم مثليهم. فيكون أحدُ المثلين عند ذلك، العددُ الذى هو مثل عدد الفئة التى رأتهم ، والمثل الآخر الضّعف الزائد على عددهم . فهذا أحد معنيي التقليل الذى أخبر الله عز وجل المؤمنين أنه قلّلهم فى أعينهم . ١٣١/٣

والمعنى الآخر منه : التقليل الثانى ، على ما قاله ابن مسعود : وهو أنْ أراهم عددَ المشركين مثل عددهم ، لا يزيدون عليهم . فذلك التقليل الثانى الذى قال الله جل ثناؤه : ﴿ وإذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا ﴾ .

* * *

وقال آخرون من أهل هذه المقالة : إن الذين رأوا المشركين مثلىْ أنفسهم ، هم

---

(١) فى المطبوعة : « . . . أمثالا لها أنها تكثرها . . . » ، والصواب من المخطوطة ، وكأن الطابع خفى عليه معنى الحصر فى هذا الكلام ، فغيره . وانظر التعليق السالف .

المسلمون . غير أن المسلمين رَأوهم على ما كانوا به من عددهم لم يقلِّلوا فى أعينهم ، ولكن الله أيدهم بنصره . قالوا : ولذلك قال الله عز وجل لليهود : قد كان لكم فيهم عبرةٌ ، يخوّفهم بذلك أنْ يحل بهم منهم مثل الذى أحَلّ بأهل بدر على أيديهم .

* ذكر من قال ذلك :

٦٦٨٢ ــ حدثنا محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة » ، أنزلت فى التخفيف يوم بدر ، فإن المؤمنين كانوا يومئذ ثلثمئة وثلاثة عشر رجلا ، (١) وكان المشركون مثليهم ، فأنزل الله عز وجل : «قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين » ، وكان المشركون ستةً وعشرين وستمئة ، فأيد الله المؤمنين . فكان هذا الذى فى التخفيف على المؤمنين .

* * *

قال أبو جعفر : وهذه الرواية خلافُ ما تظاهرت به الأخبار عن عدة المشركين يوم بدر . وذلك أن الناس إنما اختلفوا فى عددهم على وجهين .

فقال بعضهم : كان عددهم ألفاً = وقال بعضهم : ما بين التسمعئة إلى الألف .

* ذكر من قال : « كان عددهم ألفاً » .

٦٦٨٣ ــ حدثنى هرون بن إسحق الهمدانى قال ، حدثنا مصعب بن المقدام قال ، حدثنا إسرائيل قال ، حدثنا أبو إسحق ، عن حارثة ، عن على قال : سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر ، فسبقنا المشركين إليها ، فوجدنا فيها رجلين ، منهم رجل من قريش ومولى لعقبة بن أبى معيط . فأما القرشىّ فانفلت ، وأما مولى

---

(١) فى المطبوعة : « كأن المؤمنين كانوا . . . » ، وهو فاسد جداً ، لم يحسن الناشر أن يقرأ المخطوطة ، فقرأها على وجه لا يصح .

عقبة فأخذناه ، فجعلنا نقول : كم القوم ؟ فيقول : هم والله كثير شديدٌ بأسُهم ! فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه ، [١] حتى انتهوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : كم القوم؟ فقال : هم والله كثير شديدٌ بأسهم ! فجهد النبي صلى الله عليه وسلم على أن يخبره كم هم ، فأبى . ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله : كم يَنحرون من الجزُر ؟ قال : عشرة كل يوم . [٢] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : القومُ ألفٌ . [٣]

٦٦٨٤ — حدثني أبو سعيد بن يوشع البغدادي قال ، حدثنا إسحق بن منصور ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله قال : أسرنا رجلا منهم — يعني من المشركين — يوم بدر ، فقلنا : كم كنتم ؟ قال : ألفاً . [٤]

* * *

* ذكر من قال : « كان عددهم ما بين التسمعئة إلى الألف » :

٦٦٨٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، قال ابن إسحق ، حدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم نفراً من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون الخبرَ له عليه ، [٥] فأصابوا راويةً من قريش : [٦] فيها أسلم ، غلام بني الحجاج ، وعَريض أبو يسار غلام بني العاص . فأتوا بهما

---

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « إذا قال ذلك صدقوه » ، وهو خطأ بين ، والصواب من تاريخ الطبري ، وسيأتي مرجعه في آخر الأثر .

(٢) في التاريخ : « عشراً » ، وهي الأجود . والجزر جمع جزور : وهي الناقة المجزورة أو البعير المجزور ، فهو يقع على الذكر والأنثى .

(٣) الأثر : ٦٦٨٣ — تاريخ الطبري ٢ : ٢٦٩ .

(٤) الأثر : ٦٦٨٤ — « أبو سعيد بن يوشع البغدادي » ، لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من الكتب ، وانظر رقم : ٦٦٩٠ أيضاً .

(٥) في المخطوطة : « يلتمسون له عليه » بينهما بياض ، وأتمتها المطبوعة ، كنص ابن هشام.

(٦) الراوية : هي المزادة فيها الماء ، ثم سمي البعير الذي يستسقى عليه الماء « راوية » ، وسمي الرجل المستسقى أيضاً « راوية » . وجاء في روايته هنا بالإفراد « راوية » ، وهي بمعنى الجمع ، أي الذين يستقون للقوم ، أو الإبل التي يستقى عليها .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما : كم القوم ؟ قالا : كثير ! قال : ما عدّتهم ؟ قالا : لا ندرى ! قال : كم ينحرون كل يوم ؟ قالا : يوماً تسعاً ، ويوماً عشراً . قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : القومُ ما بين التسعمئة إلى الألف .(١)

٦٦٨٦ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين » ، ذلكم يوم بدر ، ألفٌ المشركون أو قاربوا ،(٢) وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمئة وبضعة عشر رجلا .

٦٦٨٧ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله : « قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة » إلى قوله : « رأى العين » ، قال : يُضْعفون عليهم ، فقتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين ، يوم بدر . ١٣٢/٣

٦٦٨٨ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين » ، قال : كان ذلك يوم بدر ، وكان المشركون تسعمئة وخمسين ، وكان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثلثمئة وثلاثة عشر .

٦٦٨٩ – حدثنى القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمئة وبضعة عشر ، والمشركون ما بين التسعمئة إلى الألف .

* * *

---

(١) الأثر : ٦٦٨٥ – هو مختصر ما فى سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، وتاريخ الطبرى ٢ : ٢٧٥

(٢) فى المخطوطة : « ألف » ، وعلى اللام الأولى شدة ، وأظنه كان أراد أن يكتب : « لألف » .

قال أبو جعفر : فكل هؤلاء الذين ذكرنا مخالفون القولَ الذى رويناه عن ابن عباس فى عدد المشركين يوم بدر . فإذْ كان ما قاله من حكينا قوله — ممن ذكر أن عددهم كان زائداً على التسعمئة —[صحيحاً] ،(١) فالتأويل الأول الذى قلناه على الرواية التى روينا عن ابن مسعود ، أولى بتأويل الآية .

* * *

وقال آخرون : كان عددُ المشركين زائداً على التسعمئة ، فرأى المسلمون عددَهم على غير ما كانوا به من العدد . وقالوا : أرى اللهُ المسلمين عددَ المشركين قليلاً ، آية للمسلمين . قالوا : وإنما عنى الله عز وجل بقوله : « يرونهم مثليهم » ، المخاطبين بقوله : « قد كان لكم آية فى فئتين » . قالوا : وهم اليهود ، غيرَ أنه رجع من المخاطبة إلى الخبر عن الغائب ، لأنه أمرٌ من الله جل ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول ذلك لهم ، فحسن أن يخاطب مرة ، ويخبرَ عنهم على وجه الخبر مرّة أخرى ، كما قال : ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾(٢) [سورة يونس : ٢٢]

وقالوا : فإن قال لنا قائل : فكيف قيل : « يَرَونهم مثليهم رأى العين » ، وقد علمتم أن المشركين كانوا يومئذ ثلاثة أمثال المسلمين ؟

قلنا لهم : كما يقول القائل وعنده عبد : « أحتاج إلى مثله » ، فأنت محتاج إليه وإلى مثله ،(٣) ثم يقول : « أحتاج إلى مثليه » ، فيكون ذلك خبراً عن حاجته إلى مثله ، وإلى مثلَىْ ذلك المثل .(٤) وكما يقول الرجل : « معى ألفٌ وأحتاج

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « فإذا كان ما قاله من حكيناه ممن ذكر أن عددهم كان زائداً على التسعمئة فالتأويل الأول . . . » ، وهى عبارة غير مستقيمة ، وسهو الناسخ كثير ، فرجحت أن صوابها : « حكينا قوله » فى الموضع الأول ، وزيادة « صحيحاً » فى آخر الجملة كما وضعتها بين القوسين .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ١٩٥ .

(٣) فى المطبوعة : « أنا محتاج إليه وإلى مثله » ، وهو إفساد . والصواب من المخطوطة ومعانى القرآن للفراء ١ : ١٩٤ .

(٤) عبارة الفراء أوضح وهى : « فأنت إلى ثلاثة محتاج » .

إلى مثليه » . فهو محتاج إلى ثلاثة .(١) فلما نوى أن يكون « الألف » داخلاً في معنى « المثل » صار « المثل » اثنين ، والاثنان ثلاثة .(٢) قال : ومثله في الكلام :(٣) «أراكم مثلكم» ، كأنه قال : أراكم ضعفكم =(٤) « وأراكم مثليكم » . يعني : أراكم ضعفيكم . قالوا : فهذا على معنى ثلاثة أمثالهم .(٥)

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنّ الله أرى الفئةَ الكافرةَ عددَ الفئة المسلمة مثلَيْ عددهم .

وهذا أيضاً خلاف ما دلّ عليه ظاهر التنزيل . لأن الله جل ثناؤه قال في كتابه : ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ ﴾ [سورة الأنفال : ٤٤] ، فأخبر أن كلا من الطائفتين قلل عددها في مرأى الأخرى .

* * *

قال أبو جعفر : وقرأ آخرون ذلك : ﴿ تُرَوْنَهُمْ ﴾ بضم التاء ، بمعنى : يريكموهم الله مثليهم .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه القراآت بالصواب ، قراءةُ من قرأ : « يرونهم » بالياء ، بمعنى : وأخرى كافرة ، يراهم المسلمون مثليهم — يعني : مثلي عدد

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « وهو محتاج » ، والسياق يقتضي الفاء ، كما في معاني القرآن للفراء : « فهو يحتاج » . . . »

(٢) في المطبوعة : « صار المثل أشرف والاثنان ثلاثة » ، وهو تصحيف ، وفي المخطوطة : « اسرب » غير واضحة بل مضطربة ، والصواب من معاني القرآن للفراء .

(٣) قوله : « قال » يعني الفراء ، فالذي مضى والذي يأتي نص كلامه أو شبيه بنص كلامه أحياناً ، وقلما يصرح أبو جعفر باسم الفراء ، كما رأيت في جميع المواضع التي أشرنا إليها مراراً ، أنه نقل عنه نص كلامه .

(٤) في المطبوعة والمخطوطة : « كما يقال إن لكم ضعفكم » ، وهو كلام بلا معنى ، واستظهرت صوابه من نص الفراء في معاني القرآن وهو : « ومثله في الكلام أن تقول : أراكم مثلكم — كأنك قلت : أراكم ضعفكم » .

(٥) أكثر هذا بنصه من معاني القرآن للفراء ١ : ١٩٤ .

المسلمين، لتقليل الله إياهم فى أعينهم فى حال ، فكان حَزْرهم إياهم كذلك ، ثم قللهم فى أعينهم عن التقليل الأول ، فحزروهم مثل عدد المسلمين ،(١) ثم تقليلاً ثالثاً ، فحزروهم أقل من عدد المسلمين ، كما : —

٦٦٩٠ — حدثنى أبو سعيد البغدادى قال ، حدثنا إسحق بن منصور ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحق ، عن أبى عبيدة ، عن عبد الله قال : لقد قُلِّلوا فى أعيننا يوم بدر ، حتى قلت لرجل إلى جنبى : تَرَاهم سبعين ؟ قال : أراهم مئة . قال : فأسرنا رجلا منهم فقلنا : كم كنتم ؟ قال : ألفاً .

* * *

وقد روى عن قتادة أنه كان يقول : لو كانت : « ترونهم » ، لكانت « مثليكم » .

٦٦٩١ — حدثنى المثنى قال، حدثنى عبد الرحمن بن أبى حماد ، عن ابن المبارك ، عن معمر ، عن قتادة بذلك .(٢)

* * *

قال أبو جعفر : فنى الخبرين اللذين روينا عن عبد الله بن مسعود ، ما أبان عن اختلاف حَزْر المسلمين يومئذ عددَ المشركين فى الأوقات المختلفة . فأخبر الله عز وجل —عما كان من اختلاف أحوال عددهم عند المسلمين — اليهودَ ، على

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « مثلى عدد المسلمين » هنا أيضاً ، وهو خطأ ظاهر ، والسياق الماضى والآتى يدل على خلافه ، وهو كما أثبت .

(٢) الأثر : ٦٦٩١ — « عبد الرحمن بن أبى حماد » لم أعرف من هو على التحقيق . وقد مر « عبد الرحمن بن أبى حماد الكوفى القارئ » فى رقم : ٣١٠٩ ، ٤٠٧٧ ، ولكن لم يرو عنه « المثنى » إلا بالواسطة، وإسناده : « حدثنى المثنى قال حدثنا إسحق، عن عبد الرحمن بن أبى حماد » ، ولا أظنه هو هو . وقد جاء فى تاريخ الطبرى ١ : ١٧١ : « حدثنى المثنى قال حدثنا عبد الرحمن بن أبى حماد . . . » ، فأكبر الظن أنهما رجلان .

أما « ابن المبارك » فهو « عبد الله المبارك » فيما رجحت ، وقد كان فى المطبوعة « عن ابن المعرك » ، ولم أجد من يسمى بهذا الاسم ، وفى المخطوطة : « عن ابن المسرل » كأنها ميم وسين ثم راء ثم كاف أو لام . فلعلها كانت مكتوبة فى الأصل « ابن المبرك » بغير ألف بين الباء والراء، فقرأها الناسخ هكذا . والله أعلم .

ما كان به عندهم ،[١] مع علم اليهود بمبلغ عدد الفئتين =[٢] إعلاماً منه لهم أنه ١٣٣/٣
مؤيد المؤمنين بنصره ، لئلا يغترّوا بعددهم وبأسهم ، وليحذروا منه أن يُحلّ بهم من العقوبة على أيدى المؤمنين ، مثلَ الذى أحلّ بأهل الشرك به من قريش على أيديهم ببدر .[٣]

* * *

وأما قوله : « رأى العين » ، فإنه مصدر : « رَأيتهُ » يقال : « رأيته رأياً ورُؤْية » ، و« رأيت فى المنام رؤيا حسنةً » ، غير مُجْراة . يقال : « هو منى رَأىَ العين ، ورِئاءَ العين » ،[٤] بالنصب والرفع ، يراد : حيث يقع عليه بصرى ، وهو من « الرأى » مثله . و« القوم رئاءٌ » ،[٥] إذا جلسوا حيث يرى بعضُهم بعضاً .

* * *

فمعنى ذلك : يرونهم — حيث تلحقهم أبصارُهم وتراهم عيونُهم — مثليْهم .

* * *

---

(١) هكذا جاءت فى المطبوعة ، وهى جملة لا تكاد تستقيم ، وقوله : « اليهود » مفعول به لقوله : « فأخبر الله عز وجل . . . » . وقوله : « على ما كان به عندهم » ، مما لم أعرف له وجهاً أرضاه . أما المخطوطة فهكذا نصها : « فأخبر الله عز وجل عما كان من اختلاف أحوال عددهم عرم المسلمين اليهود على ما كان به عندهم » ، وهو كلام مضطرب أخشى أن يكون قد سقط منه شىء .

(٢) سياق الكلام على ماترى : « فأخبر الله عز وجل . . . اليهود . . . إعلاماً منه لهم » .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « ببدرهم » ، وهو كلام ليس بعربى ، فآثرت حذف الضمير ، وجعلتها « ببدر » ، إلا أن يكون فى الكلام تحريف لم أتبينه . هذا والناسخ كما ترى ، فى كثير من هذه الصفحات قد عجل فزاد وحرف ونقص . غفر الله له .

(٤) فى المطبوعة : « ورأى العين » ، وفى المخطوطة « ورآ ا العين » ، وصواب قراءتها ما أثبت وإنما حمل الناشر الأول أن يقرأها كذلك ، أنه لم يجد نصها فى كتب اللغة ، ولكن قوله بعد : « وهو من الرأى مثله » ، إنما يعنى به هذه الكلمة ، ثم ما سيأتى فى الجملة التالية : « والقوم رئاء » ، مما استدل به على ذلك أيضاً . ولكن الناشر الأول ، لم يحسن قراءة المخطوطة فتصرف فيه ، وأعانه ذلك على التصرف فى رسم الذى قبله ، كما سنرى فى التعليق التالى . وانظر أيضاً مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٨٨ .

(٥) فى المطبوعة : « والقوم راأوا » ، ولا أدرى كيف أراد أن يقرأها الناشر الأول ، وماذا ظنها ! ! والصواب ما أثبت ، ورسمه فى المخطوطة « والقوم رآء » وتحت الراء كسرة ، وصواب قراءتها ما أثبت ، وانظر التعليق السالف .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ (١٣)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : [1] « والله يؤيد » ، يقوّى = « بنصره من يشاء » .

* * *

= من قول القائل : « قد أيَّدت فلاناً بكذا » ، إذا قوّيته وأعنته ، « فأنا أؤيّده تأييداً » . و « فَعَلت » منه : « إدته فأنا أئيده أيداً » ، [2] ومنه قول الله عز وجل : ﴿ واذْكُرْ عَبْدَنا داوُدَ ذَا الأَيْدِ ﴾ [سورة ص : ١٧]، يعنى : ذا القوة . [3]

* * *

قال أبو جعفر : وتأويل الكلام : قد كان لكم = [4] يا معشر اليهود ، فى فئتين التقتا ، إحداهما تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة ، يراهم المسلمون مثليهم رأى أعينهم ، فأيدنا المسلمة وهم قليلٌ عددهم ، على الكافرة وهم كثير عدَدُهم حتى ظفروا بهم = [4] معتبر ومتفكر ، والله يقوّى بنصره من يشاء .

* * *

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « يعنى بذلك جل ثناؤه » ، ولكن السياق كما ترى يقتضى ما أثبت .

(٢) لم تذكر كتب اللغة هذا الفعل الثلاثى متعدياً ، بل قالوا : « آد يئيد أيداً ، إذا اشتد وقوى » ؛ فهذه زيادة لم أجدها فى غير هذا التفسير الجليل .

(٣) انظر تفسير « الأيد » و « أيد » فيما سلف ٢ : ٣١٩ ، ٣٢٠ / ثم ٥ : ٣٧٩

(٤) فى المخطوطة والمطبوعة : « قد كان لكم آية » ، وذكر « آية » هنا سبق قلم من الناسخ لسبق الآية على لسانه ، فإن اسم « كان » سيأتى بعد قليل وهو « معتبر ومتفكر » ، وهو معنى « آية » هنا ، كما سلف فى أول تفسير هذه الآية

وقال جل ثناؤه « إنّ فى ذلك » ، يعنى : إن فيما فعلنا بهؤلاء الذين وصفنا أمرهم : من تأييدنا الفئة المسلمة مع قلة عددها ، على الفئة الكافرة مع كثرة عددها = « لعبرة » ، يعنى : لمتفكراً ومتّعظاً لمن عقل وادّكر فأبصر الحق ، كما : —

٦٦٩٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « إن فى ذلك لعبرةً لأولى الأبصار » ، يقول : لقد كان لهم فى هؤلاء عبرة وتفكر ، أيّدهم الله ونصرهم على عدوّهم .

٦٦٩٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره : زُيِّن للناس محبة ما يشتهون من النساء والبنين وسائر ما عدّ . وإنما أراد بذلك توبيخ اليهود الذين آثرُوا الدنيا وحبَّ الرياسة فيها ، على اتباع محمد صلى الله عليه وسلم بعد علمهم بصدقه .

* * *

وكان الحسن يقول : منْ زَيْنِها ، ما أحدٌ أشدّ لها ذمًّا من خالقها .(١)

٦٦٩٤ — حدثنى بذلك أحمد بن حازم قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا أبو الأشعث عنه .

---

(١) فى القرطبى ٤ : ٢٨ : « من زينها ؟ » استفهام « زينها » فعل . ولم أجد خبر الحسن ، ولكنى أذكر كأنى قرأته قديماً ، وهو يسخر من أمر الدنيا ، ويقول : من حسنها ، أن الذى يذمها ويقبحها هو الذى خلقها ! و « الزين » خلاف الشين ، مصدر « زان الشىء يزينه زيناً » .

٦٦٩٥ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن عطاء ، عن أبي بكر ابن حفص بن عمر بن سعد قال، قال عمر : لما نزل : « زُيِّنَ للناس حب الشهوات» ، قلت : الآن يا رَبِّ حين زيَّنتها لنا ! فنزلت : ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [سورة آل عمران : ١٥] ، الآية .

* * *

وأما « القناطير » فإنها جمع « القنطار » .

واختلف أهل التأويل فى مبلغ القنطار .

فقال بعضهم : هو ألف ومئتا أوقية .

* ذكر من قال ذلك :

٦٦٩٦ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي حصين ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن معاذ بن جبل قال : القنطار ألف ومئتا أوقية .

٦٦٩٧ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو بكر بن عياش قال ، حدثنا أبو حصين ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن معاذ مثله .

٦٦٩٨ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنا – يعني حفص ابن ميسرة – عن أبي مروان ، عن أبي طيبة ، عن ابن عمر قال : القنطار ألف ومئتا أوقية .

٦٦٩٩ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا القاسم بن مالك المزني قال ، أخبرني العلاء بن المسيب، عن عاصم بن أبي النجود قال : القنطار ألف ومئتا أوقية .

٦٧٠٠ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ، حدثنا حماد بن زيد ، عن عاصم بن بهدلة ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة مثله .(١)

---

(١) الأثر : ٦٧٠٠ – ذكره ابن كثير فى تفسيره ٢ : ١٠٩ ، ١١٠ ، وأشار إلى رواية

٦٧٠١ – حدثني زكريا بن يحيى الضرير قال، حدثنا شبابة قال ، حدثنا مخلد بن عبد الواحد ، عن على بن زيد ، عن عطاء بن أبي ميمونة ، عن زرّ بن حبيش ، عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : القنطار ألف أوقية ومئتا أوقية .(١) ١٣٤/٣

* * *

وقال آخرون : القنطار ألف دينار ومئتا دينار .

* ذكر من قال ذلك :

٦٧٠٢ – حدثنا عمران بن موسى قال، حدثنا عبد الوارث بن سعيد قال ، حدثنا يونس ، عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القنطارُ ألف ومئتا دينار .

أحمد : « حدثنا عبد الصمد ، حدثنا حماد ، عن عاصم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : القنطار اثنا عشر ألف أوقية ، كل أوقية خير مما بين السماء والأرض » وذكر رواية ابن ماجة ووكيع ، وصحح أن هذا الأثر موقوف ، كما رواه ابن جرير ووكيع .

(١) الأثر : ٦٧٠١ – « زكريا بن يحيى الضرير » هو : « زكريا بن يحيى بن أيوب ، أبو على الضرير المدائنى » ، حدث عن زياد البكائى ، وشبابة بن سوار ، وسليمان بن سفيان الجهنى . روى عنه محمد بن على المعروف بمعدان ، ومحمد بن غالب التمتام ، ويحيى بن صاعد ، والقاضى المحاملى. مترجم فى تاريخ بغداد ٨ : ٤٥٧ . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « زكريا بن يحيى الصديق » ، وهو خطأ ، والصواب من تفسير ابن كثير ٢ : ١١٠ .

و « شبابة » ، هو « شبابة بن سوار الفزارى » . قال أحمد : «تركته لم أكتب عنه للإرجاء ، كان داعية » . وقال زكريا الساجى : « صدوق ، يدعو إلى الإرجاء . كان أحمد يحمل عليه ». وقد وثقه ابن معين وابن سعد على إرجائه . مترجم فى التهذيب ، و « مخلد بن عبد الواحد » أبو الهذيل البصرى روى عن على ابن زيد بن جدعان ،وروى عنه شبابة . قال ابن حبان : «منكر الحديث جداً ». وقال أبو حاتم : «ضعيف الحديث . مترجم فى لسان الميزان ، وابن أبي حاتم ٣٤٨/١/٤ . و « على بن زيد بن جدعان » مضى برقم : ٤٠ . و « عطاء بن أبي ميمونة » روى عن أنس وعمران وجابر بن سمرة ، وغيرهم . وثقه أبو زرعة والنسائى . وقال أبو حاتم : « لا يحتج بحديثه ،وكان قدرياً» ، وقال ابن عدى : « فى أحاديثه بعض ما ينكر عليه » .

وقد روى ابن كثير هذا الأثر فى تفسيره ٢ : ١١٠ وقال : « وهذا حديث منكر أيضاً » . والأقرب أن يكون موقوفاً على أبي بن كعب ، كغيره من الصحابة » – يعنى كالأثر السالف الموقوف على أبي هريرة ، وما قبله عن معاذ بن جبل وابن عمر .

٦٧٠٣ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا يونس ، عن الحسن قال : القنطار ألف ومئتا دينار .

٦٧٠٤ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : القنطار ألف ومئتا دينار ، ومن الفضة ألف ومئتا مثقال .

٦٧٠٥ – حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك بن مزاحم يقول : « القناطير المقنطرة » ، يعني المالَ الكثير من الذهب والفضة ، والقنطار ألف ومئتا دينار ، ومن الفضة ألف ومئتا مثقال .

* * *

وقال آخرون : القنطار اثنا عشر ألف درهم ، أو ألف دينار .

* ذكر من قال ذلك :

٦٧٠٦ – حدثني علي بن داود قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية، عن علي ، عن ابن عباس قال : القنطار اثنا عشر ألف درهم ، أو ألف دينار .

٦٧٠٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : القنطار ألف دينار ، ومن الوَرِق اثنا عشر ألف درهم . (١)

٦٧٠٨ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن : أن القنطار اثنا عشر ألفا .

٦٧٠٩ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، أخبرنا عوف ، عن الحسن : القنطار اثنا عشر ألفا .

---

(١) الورق (بفتح الواو وكسر الراء) : الفضة ، أو الدراهم من الفضة .

٦٧١٠ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا . . . . . قال أخبرنا عوف، عن الحسن : اثنا عشر ألفا .(١)

٦٧١١ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الأعلى قال، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن بمثله .

٦٧١٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال، أخبرنا هشيم، عن عوف، عن الحسن قال : القنطار ألفُ دينار، ديةُ أحدكم .

* * *

وقال آخرون : هو ثمانون ألفاً من الدراهم، أو مئة رطل من الذهب .

* ذكر من قال ذلك :

٦٧١٣ – حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا، حدثنا يحيى بن سعيد، عن سليمان التيمي، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب قال : القنطار ثمانون ألفاً .

٦٧١٤ – حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال، أخبرنا هشيم، عن علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب قال : القنطار ثمانون ألفاً .

٦٧١٥ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قال : كنا نُحدَّث أن القنطار مئة رطل من ذهب، أو ثمانون ألفاً من الوَرِق .

٦٧١٦ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة قال : القنطار مئة رطل من ذهب، أو ثمانون ألف درهم من وَرِق .

٦٧١٧ – حدثنا أحمد بن حازم قال، حدثنا أبو نعيم قال، حدثنا سفيان، عن إسمعيل، عن أبي صالح قال : القنطار مئة رطل .

٦٧١٨ – حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن

---

(١) الأثر : ٦٧١٠ – هذا إسناد ناقص بلا ريب، وقد وضعت مكان الخرم هذه النقط، وسبب ذلك أن الناسخ انتهى في آخر الصفحة بقوله : « حدثنا ابن بشار قال، حدثنا » وانتقل إلى الصفحة التالية فبدأها : « قال أخبرنا عوف » فهو سهو منه . وإسناد « محمد بن بشار » إلى « عوف عن الحسن »، مختلف، منه الأسناد رقم : ٢٥٧٠ مثلا : «حدثنا محمد بن بشار، قال حدثنا يحيى، عن سعيد، عن عوف، عن الحسن »، وغيره مما لم أستطع أن أتتبعه الآن

السدى : القنطار يكون مئة رطل ، وهو ثمانية آلاف مثقال .

* * *

وقال آخرون : القنطار سبعون ألفاً .

* ذكر من قال ذلك :

٦٧١٩ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ،عن مجاهد في قول الله : « القناطير المقنطرة »، قال: القنطار سبعون ألف دينار .

٦٧٢٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٦٧٢١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا عمر ابن حوشب قال ، سمعت عطاء الخراساني قال : سئل ابن عمر عن القنطار فقال : سبعون ألفاً . (١)

* * *

وقال آخرون : هي مِلء مَسْك ثور ذهباً . (٢)

* ذكر من قال ذلك :

٦٧٢٢ – حدثنا ابن بشار قال ،حدثنا سالم بن نوح قال ، حدثنا سعيد الجرَيْري ، عن أبي نضرة قال : ملءُ مَسك ثور ذهباً .

٦٧٢٣ – حدثني أحمد بن حازم قال، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا أبو الأشعث ، عن أبي نضرة : ملء مَسك ثور ذهباً . ١٣٥/٣

* * *

---

(١) الأثر : ٦٧٢١ – « عمر بن حوشب الصنعاني » ، روى إسماعيل بن أمية . وروى عنه عبد الرزاق ذكره ابن حبان في الثقات . قال ابن القطان : « لا يعرف حاله » ،مترجم في التهذيب . وابن أبي حاتم ٣/١/١٠٥

(٢) المسك (بفتح الميم وسكون السين) : هو مسلاخ الجلد الذي يكون فيه الثور وغيره .

وقال آخرون : هو المال الكثير .

* ذكر من قال ذلك :

٦٧٢٤ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس قال: « القناطير المقنطرة »، المال الكثير، بعضُه على بعض .

* * *

وقد ذكر بعض أهل العلم بكلام العرب : (١) أن العرب لا تحدّ القنطار بمقدار معلوم من الوزن ، ولكنها تقول : « هو قَدْرُ وزنٍ » . (٢)

قال أبو جعفر : وقد ينبغي أن يكون ذلك كذلك ، لأن ذلك لو كان محدوداً قدرُه عندها ، لم يكن بين متقدمي أهل التأويل فيه كلّ هذا الاختلاف .

* * *

قال أبو جعفر : فالصواب في ذلك أن يقال : هو المال الكثير ، كما قال الربيع ابن أنس ، ولا يحدُّ قدرُ وزنه بحدٍّ على تعسُّف . (٣) وقد قيل ما قيل مما روينا .

* * *

وأما « المقنطرة »، فهي المضعَّفة، وكأن «القناطير» ثلاثة، و«المقنطرة» تسعة. (٤) وهو كما قال الربيع بن أنس : المال الكثيرُ بعضه على بعض ، كما : –

٦٧٢٥ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد، عن قتادة : « القناطير المقنطرة من الذهب والفضة »، والمقنطرة المال الكثيرُ بعضه على بعض .

---

(١) يعني أبا عبيدة معمر بن المثنى ، كما أشار إليه بذلك مراراً سلفت ، وانظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٨٨

(٢) نص أبي عبيدة « هو قدر وزن ، لا يحدونه » ، بإضافة « قدر » إلى « وزن » ، وهو كذلك في المخطوطة ، ولكن المطبوعة زادت واواً فجعلته « قدر ووزن »

(٣) في المطبوعة : « على تعنف » ، وفي المخطوطة : « على تسعف » غير منقوطة ، وأظن صواب قراءتها ما أثبت .

(٤) هذا من كلام الفراء في معاني القرآن ١ : ١٩٥ بتصرف ، ونصه « والقناطير ثلاثة ، والمقنطرة تسعة ، كذلك سمعت » .

٦٧٢٦ – حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك فى قوله : « القناطير المقنطرة » ، يعنى المال الكثير من الذهب والفضة .

* * *

وقال آخرون : معنى « المقنطرة » : المضروبة دراهم أو دنانير .

* ذكر من قال ذلك :

٦٧٢٧ – حدثنا موسى قالى ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى أما قوله : « المقنطرة » ، فيقول : المضروبة حتى صارت دنانير أو دراهم .

* * *

وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله : « وآتيتم إحداهن قنطاراً » – خبرٌ لو صحّ سندُه ، لم نعدُه إلى غيره . وذلك ما : –

٦٧٢٨ – حدثنا به ابن عبد الرحمن البرقى قال ، حدثنى عمرو بن أبى سلمة قال ، حدثنا زهير بن محمد قال ، حدثنى أبان بن أبى عياش وحميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا﴾ [سورة النساء : ٢٠] ، قال : ألفا مئين يعنى = ألفين .(١)

* * *

(١) الحديث : ٦٧٢٨ – ابن عبد الرحمن البرقى : هكذا ثبت فى المخطوطة والمطبوعة ، ولم أعرف من هو .

ونقل ابن كثير ٢ : ١١٠ هذا الحديث من تفسير ابن أبى حاتم : أنبأنا أحمد بن عبد الرحمن الرقى ، أنبأنا عمرو بن أبى سلمة . . . » . فلم أجد أيضاً « أحمد بن عبد الرحمن الرقى » – ولم يترجمه ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل . ويبعد جداً أن لا يترجم لشيخه .

ولكن من شيوخ الطبرى : أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم البرقى الحافظ . روى عنه فى : ٢٢ باسم « ابن البرقى » . وفى : ١٦٠ ، باسم « أحمد بن عبد الرحيم البرقى » . نسب إلى جده . وفى : ٥٤٤٤ ، باسم « ابن البرقى » . وهو فى الرواية الأخيرة يروى عن عمرو بن أبى سلمة ، كمثل الرواية التى هنا .

فمن المحتمل أن يكون هو الذى هنا ، وأن تكون كتابة « ابن عبد الرحمن » بدلا من « ابن عبد الرحيم » خطأ من الناسخين

ولكن يعكر عليه اتفاق « بن عبد الرحمن » فى رواية ابن أبى حاتم وما ثبت هنا . فإنه يبعد جداً اتفاق الناسخين على خطأ واحد معين ، فى كتابين مختلفين ، لمؤلفين ، ليس أحدهما ناقلا عن الآخر .

فلعل « أحمد بن عبد الرحمن الرقى » أو « البرقى » – شيخ آخر روى عنه الطبرى وابن أبى حاتم لم تقع إلينا ترجمته .

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى معنى «المسوَّمة» .

فقال بعضهم : هى الراعية .

* ذكر من قال ذلك :

٦٧٢٩ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن حبيب بن

عمرو بن أبى سلمة : مضت ترجمته فى : ٥٤٤٤ .

زهير بن محمد التميمى الخراسانى المروزى : ثقة ، وثقه أحمد وغيره .

أبان بن أبى عياش ، واسم أبى عياش « فيروز » : تابعى روى عن أنس ، ولكنه ضعيف . قال أحمد : « منكر الحديث » . وقال ابن معين : « ليس حديثه بشىء » . وقال أبو حاتم : « متروك الحديث ، وكان رجلا صالحاً ، ولكن بلى بسوء الحفظ » . وقال البخارى : « كان شعبة سيء الرأى فيه » .

ولكن ضعف أبان لا يؤثر فى صحة هذا الحديث ، لأن زهير بن محمد سمعه منه ، وسمعه أيضاً من « حميد الطويل » ، وحميد : ثقة ، كما مضت ترجمته فى : ٣٨٧٧ .

والحديث رواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ١٧٨ ، عن أبى العباس الأصم ، عن أحمد بن عيسى بن زيد اللخمى ، عن عمرو بن أبى سلمة ، عن زهير بن محمد : « حدثنا حميد الطويل ، ورجل آخر ، عن أنس بن مالك ، قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل : (والقناطير المقنطرة)؟ قال : القنطار ألفا أوقية » . وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبى . ووقع فى مختصر الذهبى المطبوع مع المستدرك « ألف أوقية » بالإفراد، وهو خطأ مطبعى، وثبت على الصواب فى مخطوطة المختصر التى عندى ، موافقاً لما فى أصل المستدرك .

ونقله ابن كثير ٢ : ١١٠ - كما قلنا من قبل - عن رواية ابن أبى حاتم ، عن أحمد بن عبد الرحمن الرقى ، عن عمرو بن أبى سلمة ، عن زهير بن محمد : « أنبأنا حميد الطويل ، ورجل آخر قد سماه ، يعنى يزيد الرقاشى ، عن أنس » . وفيه : « يعنى ألف دينار » .

فالرجل الآخر المبهم فى رواية الحاكم ، يحتمل أن يكون أبان بن أبى عياش ، كما فى رواية الطبرى هذه ، ويحتمل أن يكون يزيد الرقاشى ، كما فى رواية ابن أبى حاتم . ويزيد بن أبان الرقاشى : ضعيف أيضاً ، كما مضى فى شرح : ٦٦٥٤ .

وقد ذكر السيوطى رواية الحاكم ، فى هذا الموضع من تفسير آية آل عمران ٢ : ١٠ . وذكر رواية الطبرى التى هنا ، فى موضعها من تفسير الآية : ٢٠ من سورة النساء ، الدر المنثور ٢ : ١٣٣ .

ولفظ الحديث هنا اضطربت فيه النسخ ، ففى المطبوعة : « ألفامثين ، يعنى ألفين » . وذكر مصححها بالهامش أن هذا فى بعض النسخ ، وأن فى بعضها : « ألفاً ومثين » . ورواية السيوطى - نقلا عن الطبرى : « ألفا ومئتين ، يعنى ألفين » .

والراجح عندى أن هذا كله تحريف ، وأن الصحيح اللفظ الذى فى رواية الحاكم .

أبي ثابت، عن سعيد بن جبير : « الخيل المسوّمة » ، قال : الراعية ، التي ترعى .

٦٧٣٠ ــ حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن حبيب ، عن سعيد بن جبير ، مثله .

٦٧٣١ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن حبيب ، عن سعيد بن جبير مثله .

٦٧٣٢ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير : هي الراعية، يعني : السائمة .

٦٧٣٣ ــ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن طلحة القناد قال ، سمعت عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى يقول : الراعية .

٦٧٣٤ ــ حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « والخيل المسومة » . قال : الراعية .

٦٧٣٥ ــ حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، : « والخيل المسومة » المسرّحة في الرّعي .

٦٧٣٦ ــ حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « والخيل المسوّمة » ، قال : الخيل الراعية .

٦٧٣٧ ــ حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن ليث ، عن مجاهد : أنه كان يقول : الخيل الراعية

* * *

وقال آخرون : « المسوّمة » : الحسان .

* ذكر من قال ذلك :

٦٧٣٨ ــ حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن حبيب قال : قال مجاهد : « المسوّمة » ، المطهّمة .

٦٧٣٩ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن مجاهد في قوله : « والخيل المسومة » ، قال : المطهّمة الحسان . ١٣٦/٣

٦٧٤٠ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: «والخيل المسوّمة»، قال: المطهمة حسناً.

٦٧٤١ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

٦٧٤٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو نعيم قال، حدثنا سفيان، عن حبيب، عن مجاهد: المطهمة.

٦٧٤٣ – حدثنا ابن حميد قال: حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ قال، حدثنا سعيد بن أبي أيوب، عن بشير بن أبي عمرو الخولاني قال: سألت عكرمة عن «الخيل المسوّمة»، قال: تسويمها، حُسنها. (١)

٦٧٤٤ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، أخبرني سعيد بن أبي أيوب، عن بشير بن أبي عمرو الخولاني قال: سمعت عكرمة يقول: «الخيل المسوّمة»، قال: تسويمها الحُسن. (٢)

٦٧٤٥ – حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: «الخيل المسوّمة والأنعام»، الرائعة.

* * *

وقد حدثني بهذا الحديث عن عمرو بن حماد غيرُ موسى، قال: الراعية.

* * *

وقال آخرون: «الخيل المسوّمة»، المعلّمة.

---

(١) الأثر: ٦٧٤٣ – «أبو عبد الرحمن المقرئ» هو: «عبد الله بن يزيد العدوي مولى آل عمر» مترجم في التهذيب. و «بشير بن أبي عمرو الخولاني» مصري، روى عن عكرمة والوليد بن قيس التجيبي، روى عنه سعيد بن أبي أيوب والليث وابن لهيعة. ثقة مترجم في التهذيب، وابن أبي حاتم ١/١/٣٧٧. وفي المطبوعة والمخطوطة: «بشر بن أبي عمرو الخولاني» وهو خطأ.

(٢) الأثر: ٦٧٤٤ – في المخطوطة والمطبوعة: «بشر بن أبي عمرو الخولاني» وهو خطأ. انظر التعليق السالف.

* ذكر من قال ذلك :

٦٧٤٦ – حدثني علي بن داود قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية، عن علي ، عن ابن عباس : « والخيل المسوّمة » ، يعني المعلّمة .

٦٧٤٧ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « والخيل المسوّمة » ، وسيماها، شِيَتُها . (١)

٦٧٤٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « والخيل المسوّمة » ، قال : شِيَة الخيل في وُجوهها .

* * *

وقال غيرهم : « المسوّمة » ، المعدّة للجهاد .

* ذكر من قال ذلك :

٦٧٤٩ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد : « والخيل المسومة » ، قال : المعدّة للجهاد .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل قوله: « والخيل المسوّمة »، المعلّمة بالشّيات، الحسان، الرائعة حسناً من رآها . لأن « التسويم » في كلام العرب : هو الإعلام . فالخيل الحسان مُعلّمةٌ بإعلام الله إياها بالحسن من ألوانها وشياتها وهيئاتها، وهي « المطهّمة »، أيضاً . ومن ذلك قول نابغة بني ذبيان في صفة الخيل :

بِضُمْرٍ كَالقِدَاحِ مُسوَّماتٍ عَلَيْهَا مَعْشَرٌ أَشْبَاهُ جِنِّ (٢)

---

(١) « الشية » : كل ما خالف اللون من جميع جسد الفرس أو غيره ، وجمعها « شيات » ، وأصلها من « الوشي » . وشى الثوب وشياً وشية : حسنه ونمنمه ونقشه .

(٢) ديوانه : ٨٦ ، من قصيدته حين قتلت بنو عبس نضلة الأسدي ، وقتلت بنو أسد منهم رجلين، فأراد عيينة بن حصن عون بني عبس ، وأن يخرج بني أسد من حلف بني ذبيان ، فقال :

إِذَا حَاوَلْتَ فِي أَسَدٍ فُجُورًا فَإِنِّي لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتَ مِنِّي

يعنى بـ «المسوّمات»، المعلمات، وقول لبيد :

وَغَدَاةَ قَاعِ القُرْنَتَيْنِ أَتَيْنَهُمْ زُجَلًا يُلُوحُ خِلَالَهَا التَّسْوِيمُ(١)

فمعنى تأويل من تأول ذلك : «المطهمة، والمعلمة، والرائعة»، واحدٌ.

* * *

وأما قول من تأوّله بمعنى : الراعية، فإنه ذهب إلى قول القائل: «أسمْتُ الماشية فأنا أُسيمها إسامة»، إذا رعيتها الكلأ والعشب، كما قال الله

ثم أثنى عليهم، وذكر أيامهم، فما ذكر :

وَقَدْ زَحَفُوا لِغَسَّانٍ بِزَحْفٍ رَحِيبِ السَّرْبِ أَرْعَنَ مُرْجَحِنِّ
بِكُلِّ مُحَرَّبٍ كَاللَّيْثِ يَسْمُو عَلَى أَوْصَالِ ذَيَّالٍ رِفَنِّ
وَضُمْرٍ كَالقِدَاحِ . . . . . .

وكان فى المطبوعة والمخطوطة : «بسمر»، وليس من صفة الجياد أن يقال «سمر»، بل السمر الرماح. أما الضمر (بضم فسكون) فجمع ضامر، وقياس جمعه ضوامر، إلا أن (فاعل) الصفة منه ما يجمع على (فعل) بضم الفاء والعين، مثل «بازل وبزل، وشارف وشرف»، شبهوه بفعول لمناسبته له فى عدد الحروف. ثم يخفف (فعل) عند بنى تميم فتسكن عينه. والقداح جمع قدح (بكسر فسكون): وهو السهم إذا قوم وأنى له أن يراش. تشبه به الخيل الضوامر.

(١) ديوان قصيدة : ١٦، البيت : ٤١، والبيت من أبيات فى القصيدة يذكر فيها عزه وعز قومه، أولها :

إِنِّى امْرُؤٌ مَنَعَتْ أَرُومَةُ عَامِرٍ ضَيْمِى، وقد جَنَفَتْ عَلَىَّ خُصُومُ
جَهَدُوا العَدَاوَةَ كُلَّهَا، فَأَصَدَّهَا عَنِّى مَنَاكِبُ عِزُّهَا مَعْلُومُ
مِنْهَا : حُوَىٌّ، والذُّهَابُ، وقَبْلَهُ يَوْمٌ بِبُرْقَةِ رَحْرَحَانَ كَرِيمُ
وغَدَاةَ قَاعِ القُرْنتين . . . . . .

و «حوى»، و «الذهاب» و «برقة رحرحان» و «قاع القرنتين» كلها مواضع كانت لقومه فيها وقائع، ظفروا فيها. وقوله : «أتينهم» الضمير للخيل عليها أصحابها. والضمير الآخر لأعدائه. والزجل جمع زجلة (بضم فسكون) : الجماعة من الناس والخيل. ورواية ديوانه : «رهواً»، أى متتابعة. وخلالها : وسطها.

عز وجل : ﴿ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ [سورة النحل : ١٠] ، بمعنى : ترعَوْن ، ومنه قول الأخطل :

مِثْلَ ابْنِ بَزْعَةَ أَوْ كَآخَرَ مِثْلِهِ ، أَوْلَى لَكَ ابْنَ مُسِيمَةِ الأَجْمَالِ ![1]

يعنى بذلك : راعية الأجمال . فإذا أريد أنّ الماشية هى التى رعت ، قيل : « سامت الماشية تسوم سوماً » ، ولذلك قيل : « إبل سائمة » ، بمعنى : راعية ، غير أنه غير مستفيض فى كلامهم : « سوَّمتُ الماشيةَ » ، بمعنى أرعيتها ، وإنما يقال إذا أريد ذلك : « أسمتها » .

* * *

(١) ديوانه : ١٥٩ ، والأغانى ٨ : ٣١٩ ، وطبقات فحول الشعراء : ٤١٨ ، وسيأتى فى التفسير ١٤ : ٦٠ (بولاق) ، وهو من قصيدته التى رفع فيها ذكر عكرمة بن ربعى الفياض ، كاتب بشر بن مروان . وذلك أن الأخطل أتى حوشب بن رويم الشيبانى فقال : إنى تحملت حمالتين لأحقن بهما دماء قومى ! فنهره . فأتى شداد بن البزيعة ، (هو شداد بن المنذر الذهلى ، أخو الحضين بن المنذر صاحب راية على يوم صفين) ، فسأله ، فاعتذر إليه شداد . فأتى عكرمة الفياض فأخبره بما قال له الرجلان ، فقال : أما إنى لا أنهرك ولا أعتذر إليك ، ولكنى أعطيك إحداهما عيناً ، والأخرى عرضاً . فأشاد به الأخطل وهجا الرجلين فقال :

وَلَقَدْ مَنَنْتَ عَلَى رَبِيعَةَ كُلِّهَا وَكَفَيْتَ كُلَّ مُوَاكِلٍ خَذَّالِ
كَرَمِ اليَدَيْنِ عَنِ العَطِيَّةِ مُمْسِكٍ لَيْسَتْ تَبِضُّ صَفَاتُهُ بِبِلَالِ
كَابْنِ البَزِيعَةِ ، أَوْ كَآخَرَ مِثْلِهِ ، أَوْلَى لَكَ ابْنَ مُسِيمَةِ الأَجْمَالِ !
إِنَّ اللَّئِيمَ إِذَا سَأَلْتَ بَهَرْتَهُ ، وَتَرَى الكَرِيمَ يَرَاحُ كَالمُخْتَالِ

وفى المخطوطة : « أولى ابن مسيمة . . . » ، خطأ . « وابن البزيعة » ، هو « ابن بزعة » فى رواية الطبرى هنا . والبزيعة (على وزن كريمة) أم شداد بن المنذر . وقد ضبطتها فى طبقات فحول الشعراء بالتصغير ، اتباعاً لما فى تاريخ الطبرى مضبوطاً بالقلم . ولكنى هنا أستدرك هذا ، وأرجح أنى كما ضبطته هنا . « البزيعة » : الجارية الظريفة المليحة الذكية القلب . وقد ذكر شداد بن بزيعة عند زياد بن أبى سفيان فى الشهود وهو (زياد بن سمية ، وابن أبيه) فلما قيل : « ابن بزيعة » قال : « ما لهذا أب ينسب إليه ؟ ألقوا هذا من الشهود » . فقيل له : إنه أخو حضين بن المنذر ! قال : فانسبوه إلى أبيه . فبلغ ذلك شداداً فقال : ويل على ابن الزانية ! أو ليست أمه أعرف منه بأبيه ؟ والله ما ينسب إلا إلى أمه سمية !! (تاريخ الطبرى ٦ : ١٥١) .

فإذْ كان ذلك كذلك، فتوجيه تأويل « المسوّمة » إلى أنها « المعلمة» بما وصفنا من المعانى التى تقدم ذكرها، أصحّ .

* * *

وأما الذى قاله ابن زيد: من أنها المعدّة فى سبيل الله، فتأويل من معنى « المسوّمة » : بمعزِل .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ﴾

قال أبو جعفر : فـ « الأنعام » جمع « نَعَم » ، وهى الأزواج الثمانية التى ذكرها فى كتابه: من الضّأن والمعِز والبقر والإبل .(١)

١٣٧/٣

* * *

وأما « الحرث » ، فهو الزّرع .(٢)

* * *

وتأويل الكلام : زُيِّن للناس حب الشهوات من النساء ، ومن البنين ، ومن كذا ، ومن كذا ، ومن الأنعام والحرث .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ (١٤)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جَل ثناؤه : « ذلك » ، جميعَ ما ذُكر فى هذه الآية من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضّة والخيل المسوّمة

(١) فى سورة الأنعام : ١٤٢ — ١٤٤

(٢) انظر تفسير « الحرث » فيما سلف ٤ : ٢٤٠ — ٢٤٣ ، ٣٩٧ .

والأنعام والحرث . فكنى بقوله : « ذلك » عن جميعهن . وهذا يدل على أن « ذلك » يشتمل على الأشياء الكثيرة المختلفة المعانى ، ويكنى به عن جميع ذلك .

* * *

وأما قوله : «متاع الحياة الدنيا » ، فإنه خبر من الله عن أن ذلك كله مما يَستمتع به فى الدنيا أهلها أحياءً ، فيتبلَّغون به فيها ، ويجعلونه وُصْلة فى معايشهم ، وسبباً لقضاء شهواتهم التى زُيِّن لهم حبها فى عاجل دنياهم ،[1] دون أن تكون عدّة لمعادهم، وقُرْبة لهم إلى ربهم، إلاّ ما أسلِك فى سبيله ، وأنفق منه فيما أمَر به .[2]

* * *

وأما قوله : « والله عنده حسن المآب » ، فإنه يعنى بذلك جل ثناؤه : وعند الله حُسن المآب = يعنى : حسن المرْجع ، كما : —

٦٧٥٠ — حدثنى موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدّى : « والله عنده حسن المآب » ، يقول : حسن المنقلب ، وهى الجنة .

* * *

= وهو مصدر على مثال «مَفْعَل » من قول القائل : «آب الرجل إلينا »، إذا رجع ، « فهو يؤوب إياباً وأوبة وأيبةً ومَآباً»،[3] غير أن موضع الفاء منها مهموز ، والعين مبدلة من « الواو » إلى « الألف » بحركتها إلى الفتح . فلما كان حظها الحركة إلى الفتح ،[4] وكانت حركتها منقولة إلى الحرف الذى قبلها — وهو فاء الفعل — انقلبت فصارت « ألفا » ، كما قيل : « قال » فصارت عين الفعل « ألفاً » ، لأن حظها الفتح . « والمآب » مثل« المقال » و « المعاد » و « المحال » ،[5] كل ذلك

---

(١) فى المخطوطة : « زين لهم حملها . . . » ، وهو من أوهام صاحبنا الناسخ .

(٢) انظر تفسير « المتاع » فيما سلف ١ : ٥٣٩ ، ٥٤٠/ثم ٣ : ٥٥/ثم ٥ : ٢٦٠ .

(٣) « أيبة » بفتح الهمزة وكسرها وسكون الياء ، وهى على المعاقبة من الواو .

(٤) فى المخطوطة : « قلنا كان حظها . . . » وهى من لطائف صاحبنا غفر الله له .

(٥) فى المخطوطة والمطبوعة : « المحال » بالحاء ، والصواب ما أثبت .

« مفعَل» منقولة حركة عينه إلى فائه ، فصيَّرةٌ واوه أو ياؤه « ألفاً » لفتحة ما قبلها .

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : وكيف قيل : « والله عنده حسن المآب » ، وقد علمتَ ما عنده يومئذ من أليم العذاب وشديد العقاب ؟

قيل : إن ذلك معنىً به خاصٌّ من الناس ، ومعنى ذلك :[1] والله عنده عنده حسن المآب للذين اتقوا ربهم . وقد أنبأنا عن ذلك فى هذه الآية التى تليها .

* * *

فإن قال : وما « حسن المآب » ؟ قيل : هو ما وصفه به جل ثناؤه ، وهو المرجع إلى جنات تجرى من تحتها الأنهار مُخلَّداً فيها ، وإلى أزواج مطهرة ورضوان من الله .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ (١٥)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه : قل ، يا محمد ، للناس الذين زُيِّن لهم حب الشهوات من النساء والبنين ، وسائر ما ذكر ربنا جل ثناؤه : « أؤنبئكم » ، أأخبركم وأعلمكم[2] = « بخير من ذلكم » ، يعنى : بخير وأفضل لكم = « من

---

(١) فى المخطوطة كتب « ومن » والواو متصلة بما بعدها ، حتى ما تكاد تقرأ ، والذى فى المطبوعة لا بأس به فى قراءة هذه الكلمة .

(٢) انظر تفسير « أنبأ » فيما سلف ١ : ٤٨٨ ، ٤٨٩ .

ذلكم » ، يعنى : مما زُيِّن لكم فى الدنيا حبُّ شهوته من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، وأنواع الأموال التى هى متاع الدنيا .

* * *

ثم اختلف أهل العربية فى الموضع الذى تناهى إليه الاستفهام من هذا الكلام .

فقال بعضهم : تناهى ذلك عند قوله : « من ذلكم » ، ثم ابتدأ الخبر عما للذين اتقوا عند ربهم ، فقيل : « للذين اتقوا عند ربهم جناتٌ تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها » ، فلذلك رفع « الجنات » .

* * *

ومن قال هذا القول لم يجز فى قوله : « جنات تجرى من تحتها الأنهار » إلا الرفع ، وذلك أنه خبر مبتدأ غيرُ مردود على قوله : « بخير » ، فيكون الخفض فيه جائزاً . وهو وإن كان خبراً مبتدأ عندهم ، ففيه إبانة عن معنى « الخير » الذى أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول : للناس : أؤنبئكم به ؟ « والجنات » على هذا القول مرفوعة باللام التى فى قوله : « للذين اتقوا عند ربهم » .

* * *

وقال آخرون منهم بنحو من هذا القول ، إلا أنهم قالوا : إن جعلت اللام التى فى قوله : « للذين » من صلة « الإنباء » ، جاز فى « الجنات » الخفض والرفع : الخفضُ على الرد على « الخير » ، والرفع على أن يكون قوله : « للذين اتقوا » خبرَ مبتدأ ، على ما قد بيَّناه قبلُ .

* * *

وقال آخرون : بل منتهى الاستفهام قوله : « عند ربهم » ، ثم ابتدأ : « جناتٌ تجرى من تحتها الأنهار » . وقالوا : تأويل الكلام : « قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم » ، ثم كأنه قيل : « ماذا لهم » . أو : « ما ذاك » ؟ (١) فقال : هو « جناتٌ تجرى من تحتها الأنهار » ، الآية . ١٣٨/٣

* * *

(١) فى المطبوعة والمخطوطة بعد هذا ، وقيل قوله : « فقال : هو جنات . . . » ما نصه : « أو على أنه يقال : ماذا لهم ؟ أو ما ذاك ؟ » ومن البين أن هذا تكرار لا معنى له ، وأنه من سهو الناسخ الكثير السهو . فمن أجل ذلك طرحته من المتن .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال عندى بالصواب ، قولُ من جعل الاستفهام متناهياً عند قوله : « بخير من ذلكم » ، والخبر بعده مبتدأ عمن له الجنات بقوله : « للذين اتقوا عند ربهم جنات » ، فيكون مخرج ذلك مخرج الخبر ، وهو إبانة عن معنى « الخير » الذى قال : أؤنبئكم به ؟ [١] فلا يكون بالكلام حينئذ حاجة إلى ضمير . [٢]

* * *

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى : وأما قوله : « خالدين فيها » ، فمنصوب على القطع . [٣]

* * *

ومعنى قوله : « للذين اتقوا » ، للذين خافوا الله فأطاعوه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه [٤] = « عند ربهم » ، يعنى بذلك : لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار عند ربهم .

* * *

« والجنات » ، البساتين ، وقد بينا ذلك بالشواهد فيما مضى = وأنّ قوله : « تجرى من تحتها الأنهار » ، يعنى به : من تحت الأشجار ، وأن « الخلود » فيها دوام البقاء فيها ، وأن « الأزواج المطهرة » ، هن نساء الجنة اللواتى طُهِّرن من كل

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « أنبئكم به » ، والصواب ما أثبت ، وانظر تفصيل ذلك فى معانى القرآن للفراء ١ : ١٩٥ — ١٩٨

(٢) عند هذا انتهى آخر جزء من التقسيم القديم الذى نقلت عنه نسختنا ، وفيها ما نصه :

« يتلوه : وأما قوله : ﴿ خالدين فيها ﴾ فمنصوب على القطع .
وصلى الله على سيدنا محمد النبىّ وعلى آله الطاهرين وسلّم كثيراً »

ويتلوه ما نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

(٣) « القطع » ، يعنى : الحال ، كما بينت فى ٢ : ٣٩٢ ، والمراجع هناك ، وانظر فهرس المصطلحات فى الأجزاء السالفة . ثم انظر ما سيأتى : ص ٢٧٠ ، تعليق : ٣

(٤) انظر تفسير « اتقى » فى فهارس اللغة مادة « وقى »

أذًى يكون بنساء أهل الدنيا ، من الحيض والمنيّ والبوْل والنفاس وما أشبه ذلك من الأذى = بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .(١)

* * *

وقوله : « ورِضْوَانٌ من الله » ، يعنى : ورضى الله ، وهو مصدر من قول القائل : « رَضى الله عن فلان فهو يَرْضى عنه رضًى » منقوص « ورِضْواناً ورُضْواناً ومَرْضاةً » . فأما « الرُّضوان » بضم الراء ، فهو لغة قيس ، وبه كان عاصم يقرأ .

* * *

قال أبو جعفر : وإنما ذكر الله جل ثناؤه فيما ذكر للذين اتقوا عنده من الخير = رضْوانَه ، لأن رضوانه أعلى منازل كرامة أهل الجنة ، كما : —

٦٧٥١ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنى أبو أحمد الزبيرى قال ، حدثنا سفيان ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله قال : إذا دخل أهلُ الجنة الجنة ، قال الله تبارك وتعالى : أعطيكم أفضلَ من هذا ! فيقولون : أىْ ربنا ، أىّ شىء أفضل من هذا ؟ قال : رِضْوانى .(٢)

* * *

وقوله : « والله بصير بالعباد » ، يعنى بذلك : واللهُ ذو بصر بالذى يتقيه من عباده فيخافه ،(٣) فيطيعه ، ويؤثر ما عنده مما ذكر أنه أعدّه للذين اتقوه على حُبّ ما زُيِّنَ له فى عاجل الدنيا من شهوات النساء والبنين وسائر ما عدّد منها تعالى

---

(١) انظر تفسير « الجنة » فيما سلف ١ : ٣٨٤ / ثم ٥ : ٥٣٥ ، ٥٤٢ = وتفسير « الخلود » فيما سلف ١ : ٣٩٧ ، ٣٩٨ / ٢ : ٢٨٦ / ٤ : ٣١٧ / ٥ : ٤٢٩ = وتفسير « الأزواج المطهرة » فيما سلف ١ : ٣٩٥ — ٣٩٧

(٢) الأثر : ٦٧٥١ — هذا خبر غير مرفوع ، ولكن شاهده من المرفوع ما رواه البخارى عن أبى سعيد الخدرى قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة ! يقولون : لبيك ربنا وسعديك ! فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى ، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك ! فيقول : أنا أعطيكم أفضل من ذلك ! قالوا : يا رب ، وأى شىء أفضل من ذلك؟ فيقول : أحل عليكم رضوانى ، فلا أسخط عليكم أبداً » .

وقد أشار الحافظ ابن حجر إلى حديث جابر فى الفتح ١١ : ٣٦٤ ، وقال : عند البزار وصححه ابن حبان » . ولم أجد لفظه .

(٣) انظر تفسير « بصير » فيما سلف ٢ : ١٤٠ ، ٣٧٦ ، ٥٠٦ / ثم ٥ : ٧٦ ، ١٦٧ .

ذكره = وبالذى لا يتقيه فيخافه ، ولكنه يعصيه ويطيع الشيطان ويؤثر ما زيّن له فى الدنيا من حب شهوة النساء والبنين والأموال، على ما عنده من النعيم المقيم = عالمٌ تعالى ذكره بكلّ فريق منهم ، حتى يجازى كلّهم عند معادهم إليه جزاءَهم ، المحسنَ بإحسانه، والمسيءَ بإساءته .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ (١٦)

قال أبو جعفر : ومعنى ذلك . قل هل أنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا ، [الذين]يقولون : « ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار » .

* * *

وقد يحتمل « الذين يقولون » ، وجهين من الإعراب : الخفض على الردّ على « الذين » الأولى ، والرفع على الابتداء ، إذ كان فى مبتدأ آية أخرى غير التى فيها « الذين » الأولى ، فيكون رفعها نظير قول الله عز وجل : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ [سورة التوبة : ١١١] ، ثم قال فى مبتدأ الآية التى بعدها : ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ [سورة التوبة : ١١٢] . ولو كان جاء ذلك مخفوضاً كان جائزاً .(١)

* * *

ومعنى قوله : « الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا » : الذين يقولون : إننا صدّقنا بك وبنبيك وما جاء به من عندك = « فاغفر لنا ذنوبنا » ، يقول : فاستر علينا ذنوبنا ، بعفوك عنها ، وتركك عقوبتنا عليها = « وقنا عذاب النار » .

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ١٩٨ .

ادفع عنا عذابك إيانا بالنار أن تعذبنا بها . وإنما معنى ذلك : لا تعذبنا يا ربنا بالنار .

وإنما خصّوا المسألةَ بأن يقيهم عذاب النار ، لأن من زُحزح يومئذ عن النار فقد فاز بالنجاة من عذاب الله وحسن مآبه .

* * *

وأصل قوله : « قنا » من قول القائل : « وقى الله فلاناً كذا » ، يراد : دفع عنه ، « فهو يقيه » . فإذا سأل بذلك سائلٌ قال : « قِنِي كذا » . (١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله « الصابرين » ، الذين صبروا فى البأساء والضراء وحين البأس .

١٣٩/٣ ويعنى بـ « الصادقين » ، الذين صدقوا الله فى قولهم بتحقيقهم الإقرارَ به وبرسوله وما جاء به من عنده ، بالعمل بما أمره به والانتهاء عما نهاه عنه .

ويعنى بـ « القانتين » ، المطيعين له .

* * *

وقد أتينا على الإبانة عن كل هذه الحروف ومعانيها بالشواهد على صحة ما قلنا فيها ، وبالأخبار عمن قال فيها قولا ، فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . (٢)

* * *

* وقد كان قتادة يقول فى ذلك بما : —

٦٧٥٢ — حدثنا به بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة

---

(١) انظر تفسير « قنا » و « وقى » فيما سلف ٤ : ٢٠٦ .

(٢) انظر تفسير « الصابرين » فيما سلف ٢ : ١١ / ثم ٣ : ٢١٤ ، ٣٤٩ = وتفسير « الصادقين » فيما سلف ٣ : ٣٥٦ = وتفسير « القانتين » فيما سلف ٢ : ٥٣٨، ٥٣٩ / ثم ٥ : ٢٢٨ — ٢٣٧ .

قوله : « الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين » ، « الصادقين » : قوم صدقت أفواههم واستقامت قلوبهم وألسنتهم ، وصدقوا فى السرّ والعلانية = « والصابرين » ، قوم صبروا على طاعة الله ، وصبروا عن محارمه = « والقانتون » ، هم المطيعون لله .

* * *

وأما «المنفقون» ، فهم المؤتون زكوات أموالهم ، وواضعوها على ما أمرهم الله بإتيانها ، والمنفقون أموالهم فى الوجوه التى أذن الله لهم جل ثناؤه بإنفاقها فيها .(١)

* * *

وأما « الصابرين » و« الصادقين » ، وسائر هذه الحروف ، فمخفوض ردًّا على قوله : « الذين يقولون ربنا إننا آمنا » ، والخفض فى هذه الحروف يدل على أن قوله : « الذين يقولون » خفض ، ردًّا على قوله : « للذين اتقوا عند ربهم » .(٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ (١٧)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى القوم الذين هذه الصفة صفتهم .

فقال بعضهم : هم المصلون بالأسحار .

* ذكر من قال ذلك :

٦٧٥٣ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « والمستغفرين بالأسحار » ، هم أهل الصلاة .

٦٧٥٤ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة : « والمستغفرين بالأسحار » ، قال : يصلون بالأسحار .

* * *

---

(١) انظر تفسير « الإنفاق » فيما سلف : ٥ : ٥٥٥ ، ٥٨٠ .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ١٩٩ .

وقال آخرون : هم المستغفرون .

* ذكر من قال ذلك :

٦٧٥٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن حريث بن أبي مطر، عن إبراهيم بن حاطب، عن أبيه قال : سمعت رجلا في السحر في ناحية المسجد وهو يقول : ربِّ أمرتني فأطعتك، وهذا سحرٌ، فاغفر لي . فنظرت فإذا ابنُ مسعود .(١)

٦٧٥٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا الوليد بن مسلم قال : سألت عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن قول الله عز وجل: «والمستغفرين بالأسحار»، قال : حدثني سليمان بن موسى قال، حدثنا نافع : أن ابن عمر كان يحيي الليل صلاةً ثم يقول : يا نافع، أسَحَرْنا ؟ فيقول : لا . فيعاود الصلاة، فإذا قلت : نعم ! قعد يستغفر ويدعو حتى يُصْبح .

٦٧٥٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن بعض البصريين، عن أنس بن مالك قال : أمرنا أن نستغفر بالأسحار سبعين استغفارة .

٦٧٥٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا زيد بن الحباب قال، حدثنا أبو يعقوب الضبي قال: سمعت جعفر بن محمد يقول: من صلّى من الليل ثم استغفر في آخر الليل سبعين مرة، كتب من المستغفرين بالأسحار .

* * *

وقال آخرون : هم الذين يشهدون الصّبح في جماعة .

---

(١) الأثر : ٦٧٥٥ – «حريث بن أبي مطر عمرو الفزاري، أبو عمر الخناط» روى عن الشعبي والحكم بن عتيبة، وروى عنه شريك، وابن نمير، ووكيع . قال ابن معين : «لا شيء»، وقال أبو حاتم «ضعيف الحديث» . وقال البخاري : «فيه نظر، ليس بالقوي عندهم» . وعلق له البخاري في الأضاحي، مترجم في التهذيب . وأما «إبراهيم بن حاطب» فلم أجد له ولا لأبيه «حاطب» ترجمة، وأخشى أن يكون في اسمه تحريف أو سقط، وأن يكون «حاطب» هذا، هو «حاطب بن أبي بلتعة» صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والأثر بنصه هذا في تفسير ابن كثير ٢ : ١١٣، ولم يقل فيه شيئاً .

* ذكر من قال ذلك :

٦٧٥٩ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسمعيل بن مسلمة أخو القعنبي قال ، [١] حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن قال ، قلت لزيد بن أسلم : "من" « المستغفرين بالأسحار » ، قال : هم الذين يشهدون الصّبح .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بتأويل قوله : « المستغفرين بالأسحار » ، قول من قال : هم السائلون ربهم أن يستر عليهم فضيحتهم بها .

* * *

= « بالأسحار » وهي جمع « سَحَر » .

* * *

وأظهر معاني ذلك أن تكون مسألتهم إياه بالدعاء . وقد يحتمل أن يكون معناه : تعرّضهم لمغفرته بالعمل والصلاة ، غيرَ أنّ أظهر معانيه ما ذكرنا من الدعاء .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (١٨)

قال أبو جعفر يعني بذلك جل ثناؤه : شهد الله أنه لا إله إلا هو ، وشهدت الملائكة وأولو العلم .

= فـ « الملائكة » معطوف بهم على اسم « الله » ، و « أنه » مفتوحة بـ « شهد » .

* * *

قال أبو جعفر : وكان بعض البصريين يتأول قوله : « شهد الله » ، قضى الله ، ويرفع « الملائكة » ، بمعنى : والملائكة شهود وأولو العلم . [٢] ٣/١٤٠

* * *

(١) أخوه هو : « عبد الله بن مسلمة بن قعنب الحارثي القعنبي » ، شيخ البخاري ومسلم وأبي داود.

(٢) هذا قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ١ : ٨٩ ، ولم يسمه الطبري ، بل قال « بعض البصريين » . وانظر رد الطبري قوله في ص : ٢٧٢

وهكذا قرأت قرأة أهل الإسلام بفتح الألف من « أنه » ، على ما ذكرت من إعمال « شهد » فى « أنه » الأولى ، وكسر الألف من « إن » الثانية وابتدائها .[١] سوى أنّ بعض المتأخرين من أهل العربية ، [٢] كان يقرأ ذلك جميعاً بفتح ألفيهما ، بمعنى : شهد الله أنه لا إله إلا هو ، وأنّ الدين عند الله الإسلام — فعطف بـ «أن الدين » على« أنه » الأولى ، ثم حذف « واو» العطف ، وهى مرادة فى الكلام . واحتج فى ذلك بأن ابن عباس قرأ ذلك : ﴿شَهِدَ اللهُ إِنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ الآية . ثم قال : « أنّ الدين » ، بكسر « إنّ» الأولى ، وفتح « أنّ » الثانية بإعمال « شهد » فيها ، وجعل « أن » الأولى اعتراضاً فى الكلام غير عامل فيها « شَهِد » = وأن ابن مسعود قرأ: « شهد الله أنه لا إله إلاّ هو » بفتح « أن » وكسر « إنّ » من : « إنّ الدّين عند الله الإسلام » = على معنى إعمال « الشهادة » فى « أن » الأولى، و«أن » الثانية مبتدأة . فزعم أنه أراد بقراءته إياهما بالفتح ، جمع قراءة ابن عباس وابن مسعود .[٣] فخالف بقراءته ما قرأ من ذلك على ما وصفت ، جميعَ قرأة أهل الإسلام المتقدّمين منهم والمتأخرين ، بدعوى تأويلٍ على ابن عباس وابن مسعود، زعم أنهما قالاه وقرآ به. وغيرُ معلوم ما ادّعى عليهما برواية صحيحة ولا سقيمة . وكفى شاهداً على خطأ قراءته ، خروجها من قراءة أهل الإسلام .

* * *

قال أبو جعفر : فالصواب إذ كان الأمر على ما وصفنا من قراءة ذلك — فتحُ الألف من « أنه » الأولى ، وكسر الألف من « إنّ » الثانية ، أعنى من قوله :

---

(١) يعنى، فى قوله فى صدر الآية التالية : « إن الدين عند الله الإسلام » .

(٢) هو الكسائى، انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٠٠ وتفسير القرطبى ٤ : ٤٢ ، ٤٣ .

(٣) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ١٩٩ — ٢٠٠ .

« إنّ الدين عند الله الإسلام »، ابتداءً .

* * *

وقد روى عن السدى فى تأويل ذلك قول كالدالّ على تصحيح ما قرأ به فى ذلك من ذكرنا قوله من أهل العربية ، فى فتح « أنّ » من قوله : « إنّ الدين » ، وهو ما : —

٦٧٦٠ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « شهد الله أنه لا إله إلاّ هو والملائكة » إلى « لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم »، [١] قال : الله يشهد هو والملائكة والعلماء من الناس : أنّ الدين عند الله الإسلام .

* * *

فهذا التأويل يدل على أن « الشهادة » إنما هى عاملة فى « أنّ » الثانية التى فى قوله : « أن الدين عند الله الإسلام » . فعلى هذا التأويل جائز فى « أن » الأولى وجهان من التأويل : [٢]

=أحدهما : أن تكون الأولى منصوبةً على وجه الشرط ، بمعنى : شهد الله بأنه واحد = فتكون مفتوحة بمعنى الخفض فى مذهب بعض أهل العربية ، وبمعنى النصب فى مذهب بعضهم = « والشهادة » عاملة فى « أن » الثانية ، كأنك قلت : شهد الله أن الدّين عند الله الإسلام ، لإنه واحدٌ . ثم تقدم « لأنه واحد » ، فتفتحها على ذلك التأويل .

=والوجه الثانى : أن تكون « إنّ » الأولى مكسورة بمعنى الابتداء ، لأنها معترضٌ بها ، « والشهادة» واقعة على « أنّ » الثانية : فيكون معنى الكلام : شهد

---

(١) فى المطبوعة : « فإن الله يشهد » ، وفى المخطوطة : فأن الله يشهد » ، وكأن صواب قراءتها ما أثبت .

(٢) فى المطبوعة : « فى أن فى الأولى وجهان »، أما المخطوطة فقد وضع فوق « أن » « فى » صغيرة . كأنه أراد : « جائز فى الأولى » ، بحذف « أن » ، لأنه لم يضع علامة تدل على الزيادة . فلذلك أسقطتها .

الله = فإنه لا إله إلا هو – والملائكة ، أنّ الدين عند الله الإسلام ، كقول القائل : « أشهد – فإنى محقٌّ – أنك مما تعاب به برئ» ، فـ «إن» الأولى مكسورة ، لأنها معترضة ، « والشهادة » واقعة على « أنّ » الثانية .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأما قوله : « قائماً بالقسط » ، فإنه بمعنى : أنه الذى يلى العدل بين خلقه .

* * *

« والقسط » ، هو العدل من قولهم : « هو مقسط » و« قد أقسط » ، إذا عدل .(٢)

* * *

ونصب « قائماً » على القطع .(٣)

* * *

وكان بعض نحويى أهل البصرة يزعم أنه حال من « هو » التى فى « لا إله إلا هو » .

* * *

وكان بعض نحويى الكوفة يزعم أنه حالٌ من اسم « الله » الذى مع قوله : « شهد الله » ، فكان معناه : شهد الله القائمُ بالقسط أنه لا إله إلاّ هو . وقد ذُكر أنها فى قراءة ابن مسعود كذلك : ﴿ وَأُولُو الْعِلْمِ الْقَائِمُ بِالْقِسْطِ ﴾ ، ثم حذفت « الألف واللام » من « القائم » ، فصار نكرة وهو نعت لمعرفة ، فنصب .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين بالصواب فى ذلك عندى ، قولُ من جعله قطعاً ،(٣)

---

(١) انظر بيان ذلك أيضاً فى معانى القرآن للفراء ١ : ٢٠٠

(٢) انظر تفسير « القسط » فيما سلف ص : ٧٧ .

(٣) « القطع » هو الحال ، كما سلف منذ قريب : ص : ٢٦١ . تعليق : ٣ . وقد بينه الفراء فى كلامه فى معانى القرآن ١ : ٢٠٠ إذ قال : « منصوب على القطع ، لأنه نكرة نعت به معرفة » . وبين أن الحال ضرب من النعت . تقول : « جاءنى زيد الراكب » بالرفع ، فيكون نعتاً لأنه معرفة نعت بمعرفة ، فإذا نعته بالنكرة لم يجز أن تقول : « جاءنى زيد راكب » بالرفع ، إلا أن تجعله بدلا من المعرفة ، وإنما الوجه أن تقطعه عن إعراب النعت ، فتنصبه ، فيكون حالا . فذلك تفسير « القطع » على أنه الحال .

على أنه من نعت الله جل ثناؤه ، لأن « الملائكة وأولى العلم » ، معطوفون عليه . فكذلك الصحيح أن يكون قوله : « قائماً » حالاً منه .

* * *

وأما تأويل قوله : « لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم » ، فإنه نفى أن يكون شيء يستحقّ العُبودَة غير الواحد الذى لا شريك له فى ملكه .(١)

* * *

ويعنى بـ « العزيز » ، الذى لا يمتنع عليه شيء أراده ، ولا ينتصر منه أحد عاقبه أو انتقم منه (٢)= « الحكيم » فى تدبيره ، فلا يدخله خَلل .(٣) ١٤١/٣

* * *

قال أبو جعفر : وإنما عنى جل ثناؤه بهذه الآية نَفْىَ ما أضافت النصارَى الذين حاجُّوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى عيسى من البنوّة ، وما نسب إليه سائرُ أهل الشرك من أنّ له شريكاً ، واتخاذهم دونه أرباباً . فأخبرهم الله عن نفسه أنه الخالقُ كلّ ما سواه ، وأنه ربّ كلّ ما اتخذه كل كافر وكل مشرك ربًّا دونه ، وأنّ ذلك مما يشهد به هو وملائكته وأهلُ العلم به من خلقه . فبدأ جل ثناؤه بنفسه ، تعظيماً لنفسه وتنزيهاً لها عما نسب الذين ذكرنا أمرهم من أهل الشرك به — ما نسبوا إليها ، كما سنّ لعباده أن يبدأوا فى أمورهم بذكره قبل ذكر غيره ، مؤدِّباً خلقه بذلك .

ولم أجد تفسيره فى كتاب مما بين يدى . وهو من اصطلاح أهل الكوفة فيما أرجح ، لاستعمال الفراء إياه ، ولذكر الطبرى له فى مقالة الكوفيين كثيراً ، كما سلف . وكما سيتبين من قول الطبرى بعد ذلك « أنه حال » فى الجمل الآتية .

(١) قوله : « العبودة » هو مصدر من « عبد » على وزن « شرف » يقال : « هو عبد بين العبودة والعبودية والعبدية » وقد استعملها الطبرى بهذا المعنى فيما سلف ٣ : ٣٤٧ ، وانظر التعليق هناك . وهو بمعنى الخضوع والتذلل ، فكأنه استعمله هنا أيضاً بذلك المعنى ، كأنه قال : فإنه نفى أن يكون شيء يستحق الخضوع له والتذلل ، غير الواحد الذى لا شريك له فى ملكه . وقد صرح ابن القطاع فى كتاب الأفعال ٢ : ٣٣٧ أن مصدر « عبد الله يعبده » : « عبادة وعبودة وعبودية » ، أى : خدم ، وذل أشد الذل .

(٢) انظر تفسير « العزيز » فيما سلف ٣ : ٨٨ / ثم هذا ص : ١٦٨ ، ١٦٩ وفهارس اللغة (عزز) .

(٣) انظر تفسير « الحكيم » فيما سلف ٣ : ٨٨ ، وفهارس اللغة (حكم) .

والمرادُ من الكلام، الخبرُ عن شهادة من ارتضاهم من خلقه فقدّسوه: (١) من ملائكته وعلماء عباده. فأعلمهم أن ملائكته – التي يعظّمها العابدون غيره من أهل الشرك ويعبدُها الكثير منهم – وأهلَ العلم منهم، (٢) منكرون ما هم عليه مقيمون من كفرهم وقولهم في عيسى، وقولَ من اتخذ ربًّا غيره من سائر الخلق، (٣) فقال: شهدت الملائكة وأولُو العلم أنه لا إله إلا هو، وأن كل من اتخذ ربًّا دون الله فهو كاذبٌ = احتجاجاً منه لنبيه عليه السلام على الذين حاجُّوه من وفد نجران في عيسى.

* * *

واعترض بذكر الله وصفته، على ما بيَّنتُ، (٤) كما قال جل ثناؤه: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ [سورة الأنفال: ٤١]، افتتاحاً باسمه الكلام، (٥) فكذلك افتتح باسمه والثناء على نفسه الشهادةَ بما وصفناه: من نَفْي الألوهة عن غيره، وتكذيب أهل الشرك به.

* * *

فأما ما قال الذي وصفنا قوله: من أنه عنى بقوله: «شهد»، قضى – فما لا يعرف في لغة العرب ولا العجم، لأن «الشهادة»، معنًى، «والقضاء» غيرها. (٦)

* * *

---

(١) في المخطوطة والمطبوعة: «فقدموه» كأنه أراد معنى: «البدء بذكره تعالى»، ولو كان كذلك لكان أجود أن يقول: «فقدموا ذكره»، ولكني أستظهر من سياق كلامه معنى التنزيه، فلذلك رأيت أنها تصحيف قوله: «فقدسوه».

(٢) سياق الكلام: فأعلمهم أن ملائكته ... وأهل العلم منهم، منكرون ...»

(٣) قوله: «وقول من اتخذ رباً غيره ...» بنصب «وقول» عطفاً على قولهم «ما هم عليه مقيمون»، وهو مفعول به لقوله: «منكرون».

(٤) في المطبوعة: «على ما نبينه»، وهو خطأ، والصواب من المخطوطة، ولكنه لم يحسن قراءتها.

(٥) معنى ذلك: أن ذكر «الله» في آية الأنفال هذه، إنما هي افتتاح كلام، قال أبو جعفر في تفسيرها (١٠ : ٣ بولاق): «قال بعضهم: قوله: «فأن لله خمسه» مفتاح كلام، ولله الدنيا والآخرة وما فيهما. وإنما معنى الكلام: فأن للرسول خمسه». وهذا القول هو الذي رجحه الطبري في تفسير الآية هناك.

(٦) هذا رد على مقالة أبي عبيدة في مجاز القرآن، كما سلف في ص: ٢٦٧ تعليق: ٢.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك روى عن بعض المتقدمين القول فى ذلك .

٦٧٦١ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن جعفر بن الزبير : « شهد الله أنه لا إله إلاّ هو والملائكة وأولو العلم » ، بخلاف ما قالوا – يعنى : بخلاف ما قال وفدُ نجران من النصارى = « قائماً بالقسط » ، أى بالعدل .(١)

٦٧٦٢ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « بالقسط » ، بالعدل .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾

قال أبو جعفر : ومعنى « الدين » ، فى هذا الموضع : الطاعة والذّلة ، من قول الشاعر :(٢)

وَيَوْمُ الحَزْنِ إِذْ جُشِدَتْ مَعَدٌّ ... وَكَانَ النَّاسُ، إِلَّا نَحْنُ، دِينَا (٣)

---

(١) الأثر : ٦٧٦١ – هو ما رواه ابن هشام من سيرة ابن إسحق ٢ : ٢٢٧ ، وهو من بقية الآثار التى آخرها فيما سلف رقم : ٦٦٤٩ .

(٢) لم أعرف قائله بعد .

(٣) سيأتى فى التفسير ٢٦ : ١١٥ (بولاق) ومعه بيت سنذكره . والشطر الثانى من البيت الأول فى اللسان (دين) ، وفى غيره من كتب اللغة . وأنا فى شك من صحة هذا البيت ، ولم أعرف « يوم الحزن » ، ما أراد به . وأظن « حشدت » ، « حشرت » من « الحشر » ، والبيت الذى يليه :

عَصَيْنَا عَزْمَةَ الجَبَّارِ ، حَتَّى ... صَبَحْنَا الجُرْفَ ألفاً مُعْلِمِينَا

هكذا صححته هنا من معانى القرآن للفراء ، تفسير سورة (ق) مخطوطة ، وهو فى المطبوعة من التفسير (٢٦ : ١١٥) « صحبنا الخوف أكفاً » وهو كلام لا معنى له . وقد قال الطبرى بعد هذا البيت هناك « ويروى : الحوف. وقال : أراد بالجبار : المنذر ، لولايته » وصوابه « الجرف » فإذا كان ذلك كذلك ، فأكبر ظنى أنه كما أثبته « الجرف » (بضم الجيم وسكون الراء) : وهو موضع بالحيرة كانت به منازل المنذر .

يعنى بذلك: مطيعين على وجه الذل ، ومنه قول القطامى :

* كانَتْ نَوَارُ تَدِينُكَ الأَدْيانا *(١)

يعنى : تُذلك ، وقول الأعشى ميمون بن قيس :

هُوَ دَانَ الرِّبَابَ إذْ كَرِهُوا الدِّيـــنَ دِرَاكًا بِغَزْوَةٍ وَصِيَالِ(٢)

يعنى بقوله : « دان » ذلل = وبقوله : « كرهوا الدين» ، الطاعة .

* * *

وكذلك « الإسلام » ، وهو الانقياد بالتذلل والخشوع ، والفعل منه : « أسلم » بمعنى : دخل فى السلم ، كما يقال : « أقحط القوم »، إذا دخلوا فى القحط ،

وفى الطبرى هناك « صحبنا » وهو خطأ . و « صبحنا »، من قولهم : « صبح القوم شراً » أى جاءهم به ، و « صبحتهم الخيل » ، جاءتهم صبحاً . و « ألفاً » يعنى : ألف فرس عليها فرسانها . و « المعلم » : الفارس يجعل لنفسه علامة الشجعان ، أو جعل على فرسه علامة ، فهو فرس معلم . يريد : غزونا معقل المنذر الجبار ومنازله ، وصبحناه فدمرنا عليه منازله . وفى الطبرى « حرمة الجبار » ، والتصحيح من معانى القرآن للفراء ، كما أسلفت .

(١) ديوانه : ١٥ ، من أبيات جياد وصف فيها صاحبته « أميمة » ، وسماها « جنوب » فى البيت الذى رواه الطبرى ، وسماها « نوار » ، ويروى : « ظلوم » ، فكان مما قال :

رَمَتِ المَقَاتِلَ مِنْ فُؤَادِكَ ، بَعْدَ ما كانَتْ جَنُوبُ تَدِينُكَ الأَدْيانَا

« أى : تفعل بك الأفاعيل . ويقال : تستعبدك ، أو : أنها كانت تعذبك . أو تدينك : تجزيك » .

وَأَرَى الغَوَانِي إنّمَا هِيَ جِنَّةٌ شَبَهُ الرِّيَاحِ تَلَوَّنُ الأَلْوَانَا
فَإذَا دَعَوْنَكَ عَمَّهُنَّ ، فَلاَ تُجِبْ فَهُنَاكَ لاَ يَجِدُ الصَّفَاءَ مَكَانَا
نَسَبٌ يَزِيدُكَ عِنْدَهُنَّ حَقَارَةً وَعَلَى ذَوَاتِ شَبَابِهِنَّ هَوَانَا
وَإذَا وَعَدْنَ ، فَهُنَّ أَكْثَرُ وَاعِدٍ خُلْفًا ، وَأَمْلَحُ حَانِثٍ أَيْمَانَا
وَإذَا رَأَيْنَ مِنَ الشَّبَابِ لِدُونَةً ، فَعَسَتْ حِبَالُكَ أَنْ تَكُونَ مِتَانَا !

وهذا شعر بارع مقدم .

(٢) مضى بيان هذا البيت فيما سلف ٣ : ٥٧١ .

« وأربعوا » ، إذا دخلوا فى الربيع = فكذلك « أسلموا » ، إذا دخلوا فى السلم ، وهو الانقياد بالخضوع وترك الممانعة .(١)

* * *

فإذْ كان ذلك كذلك ، فتأويل قوله : « إنّ الدّين عند الله الإسلام » : إنّ الطاعةَ التى هى الطاعة عنده ، الطاعةُ له ، وإقرار الألسن والقلوب له بالعبودية والذّلة ، وانقيادُها له بالطاعة فيما أمر ونهى ، وتذلُّلها له بذلك ، من غير استكبار عليه ، ولا انحراف عنه ، دون إشراك غيره من خلقه معه فى العبودة والألوهة (٢)

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٦٧٦٣ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إنّ الدين عندَ الله الإسلام » ، والإسلام : شهادة أنْ لا إله إلاّ الله ، ١٤٢/٣ والإقرار بما جاء به من عند الله ،(٣) وهو دين الله الذى شرع لنفسه ، وبعث به رسله ، ودلّ عليه أولياءه ، لا يقبل غيرَه ، ولا يجزى إلاّ به .

٦٧٦٤ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال ، حدثنا أبو العالية فى قوله : « إن الدين عند الله الإسلام » ، قال : « الإسلام » ، الإخلاص لله وحده ، وعبادته لا شريك له ،

---

(١) انظر تفسير « الإسلام » و « السلم » فيما سلف ٢ : ٥١٠ ، ٥١١ / ثم ٣ : ٧٣ ، ٧٤ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ١١٠ / ثم ٤ : ٢٥١ – ٢٥٥ .

(٢) فى المطبوعة : « فى العبودية والألوهية » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وقد مضى استعماله العبودة فيما سلف ص : ٢٧١ ، تعليق : ١ . و « الألوهة ، والإلاهة ، والأولوهية » : العبادة ، وانظر ما سلف ١ : ١٢٤ وما قبلها .

(٣) قوله : « بما جاء به » ، الضمير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كأنه قال : « شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » ، ولا تتم شهادة إلا به ، بأبى هو وأمى . وهكذا ذكره السيوطى بنصه فى الدر المنثور ٢ : ١٢ ، ونسبه إلى عبد بن حميد أيضاً بهذا اللفظ .

وإقامُ الصّلاة ، وإيتاءُ الزكاة ، وسائرُ الفرائض لهذا تَبعٌ .

٦٧٦٥ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : ﴿ أَسْلَمْنَا ﴾ [سورة الحجرات : ١٤] ، قال : دخلنا في السِّلْم ، وتركنا الحرب .(١)

٦٧٦٦ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن جعفر بن الزبير : « إنّ الدين عند الله الإسلام » ، أي : ما أنت عليه يا محمد من التوحيد للربّ ، والتصديق للرسل .(٢)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : وما اختلف الذين أوتوا الإنجيل – وهو « الكتاب » الذي ذكره الله في هذه الآية – في أمر عيسى ، وافترائهم على الله فيما قالوه فيه من الأقوال التي كثر بها اختلافهم بينهم ، وتشتّتت بها كلمتهم ، وباين بها بعضهم بعضاً حتى استحلّ بها بعضُهم دماءَ بعض – « إلاّ من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم » ، يعني : إلا من بعد ما علموا الحقّ فيما اختلفوا فيه من أمره ، وأيقنوا أنهم فيما يقولون فيه من عظيم الفِرْية مبطلون .(٣) فأخبر الله عباده أنهم أتوا ما أتوا من الباطل ، وقالوا من القول الذي هو كفر بالله ، على علم منهم بخطأ

---

(١) الأثر : ٦٧٦٥ – سيأتي في تفسير « سورة الحجرات » (٢٦ : ٩٠ بولاق) ، بغير هذا اللفظ مطولا : « وأسلمنا : استسلمنا ، دخلنا في السلم ، وتركنا المحاربة والقتال » . وإسناده هو هو .

(٢) الأثر : ٦٧٦٦ – رواه ابن هشام في سيرته عن ابن إسحق ٢ : ٢٢٧ ، وأسقط « من » من قوله : « من التوحيد » . وهو من بقية الآثار التي آخرها رقم : ٦٧٦١ .

(٣) انظر تفسير « البغي » فيما سلف ٢ : ٣٤٢/ثم تفسير مثل هذه الآية فيما سلف ٤ : ٢٨١ ، ٢٨٢ .

ما قالوه ، وأنهم لم يقولوا ذلك جهلاً منهم بخطئه ، ولكنهم قالوه واختلفوا فيه الاختلافَ الذى هم عليه، تعدّياً من بعضهم على بعض ، وطلبَ الرياسات والملك والسلطان ، كما : —

٦٧٦٧ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلاّ من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم » ، قال : قال أبو العالية ، إلا من بعد ما جاءهم الكتابُ والعلم = « بغياً بينهم » ، يقول : بغياً على الدنيا ، وطلبَ ملكها وسلطانها ، فقتل بعضهم بعضاً على الدنيا ، من بعد ما كانوا علماءَ الناس .

٦٧٦٨ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن ابن عمر : أنه كان يكثر تلاوة هذه الآية : « إنّ الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلاّ من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم »، يقول : بغياً على الدنيا، وطلبَ ملكها وسلطانها . مِنْ قِبَلها والله أتينا ! ما كان علينا مَنْ يكون علينا ، [1] بعد أن يأخذ فينا كتابَ الله وسنة نبيه ؟ ولكنا أتينا من قبلها .

٦٧٦٩ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : إن موسى لما حضره الموتُ دعا سبعين حَبراً من أحبار بنى إسرائيل ، فاستودعهم التوراة ، وجعلهم أمناء عليه ، كلّ حبر جُزءًا منه ، [2] واستخلف موسى يوشع بن نون . فلما مضى القرن الأول ومضى الثانى ومضى الثالث ، وقعت الفرقة بينهم — وهم الذين أوتوا العلم من أبناء أولئك السبعين — حتى

---

(١) فى المطبوعة : « ما كان علينا من يكون بعد أن يأخذ فينا . . . » حذف « علينا » الثانية فاختلط الكلام اختلاطاً ، والصواب من المخطوطة . ومعناه : ما كان يضيرنا أن يكون علينا والياً كائناً من كان ، بعد أن يقيم فينا كتاب الله وسنة رسوله ؟

(٢) هكذا جاء نص هذه العبارة فى المخطوطة أيضاً ، وفى الدر المنثور ٢ : ١٣ ، كأنه قال : استودع كل حبر جزءاً منه . وهى عبارة فيها ما فيها .

أهراقوا بينهم الدماء ، ووقع الشرّ والاختلاف . وكان ذلك كله من قبل الذين أوتوا العلم ، بغياً بينهم على الدنيا ، طلباً لسلطانها وملكها وخزائنها وزخرفها ، فسلّط الله عليهم جبابرتهم ، فقال الله : « إن الدّين عند الله الإسلام » إلى قوله : « والله بصير بالعباد » .

* * *

فقولُ الربيع بن أنس هذا ، (١) يدلّ على أنه كان عنده أنه معنيٌّ بقوله : « وما اختلف الذين أوتوا الكتاب » ، اليهودُ من بنى إسرائيل ، دون النّصارى منهم ، وغيرهم . (٢)

* * *

وكان غيره يوجه ذلك إلى أن المعنىّ به النصارى الذين أوتوا الإنجيل .

* ذكر من قال ذلك :

٦٧٧٠ — حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : « وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلاّ من بعد ما جاءهم العلم » ، الذى جاءك ، أى : أنّ اللهَ الواحدُ الذى ليس له شريك = « بغياً بينهم » ، يعنى بذلك النصارى . (٣)

* * *

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « يقول الربيع بن أنس هذا يدل . . . » ، وهو فاسد جداً . فإن هذا قول الطبرى وتعليقه على خبر الربيع . والصواب ما أثبت ، كما هو ظاهر .

(٢) قوله : « دون النصارى منهم » معناه : دون النصارى من الذين أوتوا العلم . أما قوله : « وغيرهم » ، أى : ودون غير النصارى من الذين أوتوا العلم ، إشارة إلى ما جاء فى خبر ابن عمر السالف رقم ٦٧٦٨ . وكان فى المطبوعة : « دون النصارى منهم ومن غيرهم » ، وهى جملة لا يستقيم معناها ، فحذفت « من » لذلك .

(٣) الأثر : ٦٧٧٠ — رواه ابن هشام فى سيرته عن ابن إسحق ٢ : ٢٢٧ ، وهو بقية الآثار التى آخرها رقم : ٦٧٦٦ . وقوله : « يعنى بذلك النصارى » ، ليس فى ابن هشام ، وكأنه من تفسير الطبرى للخبر .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ (١٩) ١٤٣/٣

قال أبو جعفر : يعنى بذلك : ومن يجحد حُجج الله وأعلامه التى نصَبها ذكرَى لمن عقل ، وأدلةً لمن اعتبر وتذكر ، فإن الله محص عليه أعماله التى كان يعملها فى الدنيا ، فمجازيه بها فى الآخرة ، فإنه جل ثناؤه « سريع الحساب » ، يعنى : سريع الإحصاء . وإنما معنى ذلك أنه حافظ على كل عامل عمله ، لا حاجة به إلى عقد كما يعقده خلقه بأكفّهم ، أو يعونه بقلوبهم ، ولكنه يحفظ ذلك عليهم ، بغير كلفة ولا مؤونة ، ولا معاناة لما يعانيه غيرُه من الحساب . (١)

* * *

* وبنحو الذى قلنا فى معنى « سريع الحساب » ، كان مجاهد يقول :

٦٧٧١ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله عز وجل : « ومن يكفر بآيات الله فإنّ الله سريع الحساب » ، قال : إحصاؤه عليهم .

٦٧٧٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب » ، إحصاؤه .

* * *

(١) انظر معنى « الكفر » و « الآيات » فيما سلف من فهارس اللغة (كفر) ، و (أبى) . وتفسير « سريع الحساب » فيما سلف ٤ : ٢٠٧ ، وأيضاً : ٢٧٤ ، ٢٧٥/ثم : هذا : ١٠١، ١٠٢ .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : فإن حاجَّك : يا محمد ، النفرُ من نصارى أهل نجران فى أمر عيسى صلوات الله عليه ، فخاصموك فيه بالباطل ، (١) فقل : انقدت لله وحده بلسانى وقلبى وجميع جوارحى . وإنما يَخصّ جل ذكره بأمره بأن يقول : « أسلمت وجهى لله » ، لأن الوجه أكرمُ جوارح ابن آدم عليه ، وفيه بهاؤه وتعظيمه ، فإذا خضع وجهه لشىء ، فقد خضع له الذى هو دونه فى الكرامة عليه من جوارح بدنه . (٢)

* * *

وأما قوله : « ومن اتبعنى » ، فإنه يعنى : وأسلم من اتبعنى أيضاً وجهه لله معى . و« من » معطوف بها على « التاء » فى « أسلمت » ، كما : —

٦٧٧٣ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن جعفر بن الزبير : « فإن حاجُّوك » أى : بما يأتونك به من الباطل ، من قولهم : « خلقنا ، وفعلنا ، وجعلنا ، وأمرنا » ، فإنما هى شبه باطلة قد عرفوا ما فيها من الحق = « فقل أسلمت وَجهى لله ومن اتبعنى » . (٣)

---

(١) انظر تفسير « حاج » فيما سلف ٣ : ١٢٠ ، ٢٠١ / ثم ٥ : ٤٢٩ ، ٤٣٠ .

(٢) انظر تفسير « أسلم وجهه » فيما سلف ٢ : ٥١٠ — ٥١٢ ، وتفسير « الإسلام » فى مراجعه التى ذكرتها آنفاً ص : ٢٧٥ تعليق : ١ .

(٣) الأثر : ٦٧٧٣ — رواه ابن هشام فى سيرته ٢ : ٢٢٧ ، وهو من بقية الآثار التى آخرها رقم : ٦٧٧٠

القول فى تأويل قوله ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « وقل »، يا محمد ، = للذين أوتوا الكتاب » من اليهود والنصارى = « والأميين » الذين لا كتاب لهم من مشركى العرب = « أأسلمتم » ، يقول : قل لهم : هل أفردتم التوحيد وأخلصتم العبادة والألوهة لرب العالمين ، دون سائر الأنداد والأشراك التى تشركونها معه فى عبادتكم إياهم وإقراركم بربوبيتهم ، [1] وأنتم تعلمون أنه لا ربّ غيره ولا إله سواه = « فإن أسلموا » ، يقول : فإن انقادوا لإفراد الوحدانية لله وإخلاص العبادة والألوهه له = « فقد هتدوا » ، يعنى : فقد أصابوا سبيل الحق ، وسلكوا مَحَجَّة الرشد . [2]

* * *

فإن قال قائل : وكيف قيل : « فإن أسلموا فقد اهتدوا » عقيب الاستفهام ؟ وهل يجوز على هذا فى الكلام أن يقال لرجل : « هل تقوم ؟ فإن تقم أكرمك » ؟

قيل : ذلك جائز ، إذا كان الكلام مراداً به الأمر ، وإن خرج مخرج الاستفهام ، كما قال جل ثناؤه : ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [سورة المائدة : ٩١]، يعنى : انتهوا ، وكما قال جل ثناؤه مخبرًا عن الحواريين أنهم قالوا لعيسى : ﴿ يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾[سورة المائدة : ١١٢] ، وإنما هو مسألة ، كما يقول الرجل : « هل أنت

---

(١) « الأشراك » جمع « شريك » ، كما يقال : يتيم وأيتام وشريف وأشراف . وقياسه شركاء ، مثل شرفاء .

(٢) انظر تفسير ألفاظ هذه الآية فيما سلف فى فهارس اللغة . وتفسير « الأميين » فيما سلف : ٢٥٧ - ٢٥٩ ، والأثر رقم : ٥٨٢٧ ، وفى كلام الطبرى نفسه ٥ : ٤٤١ ، تعليق : ٢ .

كافٌّ عنا » ؟ بمعنى : اكفف عنا، وكما يقول الرجل للرجل : « أينَ، أين»؟ بمعنى : أقم فلا تبرح . ولذلك جُوزى فى الاستفهام كما جوزى فى الأمر فى قراءة عبد الله ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * آمِنوا﴾[سورة الصف : ١٠، ١١]، ففسرها بالأمر، (١) وهى فى قراءتنا على الخبر. فالمجازاة فى قراءتنا على قوله: « هل أدلكم »، وفى قراءة عبد الله على قوله : « آمنوا »، على الأمر، لأنه هو التفسير. (٢)

* * *

وبنحو معنى ما قلنا فى ذلك قال بعض أهل التأويل :

٦٧٧٤ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : « وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين » ، الذين لا كتاب لهم = « أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا » الآية . (٣)

٦٧٧٥ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين » ، قال : الأميون الذين لا يكتبون . ١٤٤/٣

* * *

(١) فى معانى القرآن للفراء ١ : ٢٠٢ « ففسر (هل أدلكم) بالأمر» ، وما ههنا شبيه بالصواب أيضاً . هذا ، وقراءتنا فى مصحفنا « تؤمنون بالله » مكان « آمنوا » فى قراءة عبد الله .

(٢) هذا نص ما فى معانى القرآن للفراء ١ : ٢٠٢ .

(٣) الأثر : ٦٧٧٤ — ابن هشام فى سيرته عن ابن إسحق ٢ : ٢٢٧ ، وهو بقية الآثار التى آخرها رقم : ٦٧٧٣ .

القول فى تأويل قوله ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ (٢٠)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « وإن تولوا » ، وإن أدبروا مُعرضين عما تدعوهم إليه من الإسلام وإخلاص التوحيد لله رب العالمين ،[1] فإنما أنت رسولٌ مبلِّغ ، وليس عليك غير إبلاغ الرسالة إلى من أرسلتك إليه من خلقى ، وأداء ما كلَّفتك من طاعتى = « والله بصيرٌ بالعباد » ،[2] يعنى بذلك : والله ذو علم بمن يقبل من عباده ما أرسلتك به إليه فيطيعك بالإسلام ، وبمن يتولَّى منهم عنه معرضاً فيردّ عليك ما أرسلتك به إليه ، فيعصيك بإبائه الإسلامَ .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه :[3] « إن الذين يكفرون بآيات الله » ، أى : يجحدون حجج الله وأعلامه فيكذبون بها ، من أهل الكتابين التوراة والإنجيل ، كما : —

٦٧٧٦ — حدثنى ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن جعفر بن الزبير قال : ثم جمع أهل الكتابين جميعاً ، وذكر ما أحدثوا وابتدعوا ،

---

(١) انظر تفسير « تولى » فيما سلف ٢ : ١٦٢ — ١٦٤ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩/ثم ٣ : ١١٥ ، ١٣١/ثم ٤ : ٢٣٧.

(٢) انظر تفسير « بصير بالعباد » فيما سلف آنفاً : ٢٦٢ . والمراجع فى التعليق : ٣ .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « يعنى بذلك جل ثناءه » والسياق يقتضى ما أثبت .

من اليهود والنصارى فقال : « إنّ الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حقّ » إلى قوله : « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء » .(١)

* * *

وأما قوله : « ويقتلون النبيين بغير حقّ » ، فإنه يعنى بذلك — أنهم كانوا يقتلون رُسل الله الذين كانوا يُرسَلون إليهم بالنهى عما يأتون من معاصى الله ، وركوب ما كانوا يركبونه من الأمور التى قد تقدم الله إليهم فى كتبهم بالزجر عنها ، نحو زكريا وابنه يحيى ، وما أشبههما من أنبياء الله .(٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأه عامة أهل المدينة والحجاز والبصرة والكوفة وسائر قرأة الأمصار : ﴿ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالقِسْطِ ﴾ ، بمعنى القتل .

* * *

وقرأه بعض المتأخرين من قرأة الكوفة : ﴿ وَيُقَاتِلُونَ ﴾ ، بمعنى القتال ، تأوّلا منه قراءةَ عبد الله بن مسعود ، وادعى أن ذلك فى مصحف عبد الله : ﴿وَقَاتَلُوا﴾ ، فقرأ الذى وصفنا أمرَه من القراءة بذلك التأويل : ﴿ وَيُقَاتِلُون ﴾

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك عندنا قراءة من قرأه : « ويقتلون » ، لإجماع الحجة من القرأة عليه به ،(٣) مع مجىء التأويل من أهل التأويل بأن ذلك تأويله .

---

(١) الأثر : ٦٧٧٦ — ابن هشام ٢ : ٢٢٧ من بقية الآثار السالفة التى آخرها رقم : ٦٧٧٤ .

(٢) انظر تفسير « يقتلون النبيين بغير الحق » فيما سلف ٢ : ١٤٠ — ١٤٢ .

(٣) هكذا فى المخطوطة والمطبوعة ، وهى عبارة لا أرتضيها ، وأظن صوابها « لإجماع الحجة من القرأة على القراءة به » . وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٠٢ فى بيان قراءة الكسائى هذه .

* ذكر من قال ذلك :

٦٧٧٧ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن معقل بن أبي مسكين في قول الله : « ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس » ، قال : كان الوحي يأتي إلى بني إسرائيل فيذكّرون [قومهم] – ولم يكن يأتيهم كتاب – فيقتلون ، [1] فيقوم رجال ممن اتبعهم وصدقهم : فيذكّرون قومهم فيقتلون ، فهم : الذين يأمرون بالقسط من الناس .

٦٧٧٨ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة ، في قوله : « ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس » ، قال : هؤلاء أهل الكتاب ، كان أتباع الأنبياء ينهونهم ويذكّرونهم ، فيقتلونهم .

٦٧٧٩ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج في قوله : « إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس » ، قال : كان ناس من بني إسرائيل ممن لم يقرأ الكتاب ، كان الوحي يأتي إليهم فيذكّرون قومهم فيقتلون على ذلك ، [2] فهم : الذين يأمرون بالقسط من الناس .

٦٧٨٠ – حدثني أبو عبيد الوصّابي محمد بن حفص قال ، حدثنا ابن حِمْير قال ، حدثنا أبو الحسن مولى بني أسد ، عن مكحول ، عن قبيصة بن ذؤيب الخزاعي ، عن أبي عبيدة بن الجراح قال : قلت : يا رسول الله ، أيُّ الناس أشدّ

---

(١) هكذا نص الطبري ، ونقله كذلك في الدر المنثور ٢ : ١٣ ، وزدت منه ما بين القوسين . ومعنى عبارته أن الوحي كان يأتي إلى أنبياء بني إسرائيل ، كما هو بين في الروايات الأخرى ، التي رواها البغوي في تفسيره (هامش ابن كثير) ٢ : ١١٧ ، ١١٨ ، والقرطبي ٤ : ٤٦ .

(٢) قوله : « كان ناس من بني إسرائيل . . . كان الوحي يأتي إليهم » بحذف خبر « كان » الأولى ، عبارة فصيحة محكمة في العربية ، قد نبهت إلى مثلها مراراً فيما سلف .

عذاباً يوم القيامة ؟ قال : رجل قتل نبيًّا ، أو رجل أمر بالمنكر ونهى عن المعروف .

٣/١٤٥ ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنّ الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس »[1] إلى أن انتهى إلى « ومالهم من ناصرين » ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياأبا عبيدة ، قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيًّا من أول النهار فى ساعة واحدة ! فقام مئة رجل واثنا عشر رجلا من عُبَّاد بنى إسرائيل ، فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر ، فقتلوا جميعاً من آخر النهار فى ذلك اليوم ، وهم الذين ذكر الله عزّ وجل .[2]

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الآية إذاً : إنّ الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ، ويقتلون آمريهم بالعدل فى أمر الله ونهيه ، الذين يَنهونهم عن قتل أنبياء الله وركوب معاصيه .

* * *

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة ، والدر المنثور ٢ : ١٣ « الذين يقتلون النبيين » ، وفى غيرها « ويقتلون » وأثبت ما جاء فى رواية ابن أبى حاتم ، فيما أخرجه ابن كثير فى تفسيره ٢ : ١١٨ ، وهو نص التلاوة .

(٢) الأثر : ٦٧٨٠ – « أبو عبيد الوصابى : محمد بن حفص الحمصى » مضت ترجمته برقم : ١٢٩ (وانظر ما سيأتى رقم : ٧٠٠٩) ، وكان هناك فى الإسناد « حدثنى أبو عبيد الوصابى ، قال حدثنا محمد بن حفص» فرجح أخى السيد أحمد أن يكون خطأ ، وقد أصاب ، وكان الأجود حذف « قال حدثنا » من ذلك الإسناد .

وكان فى المطبوعة والمخطوطة هنا « أبو عبيد الرصافى محمد بن جعفر » والصواب من تفسير ابن كثير ٢ : ١١٨ . «وابن حمير »هو : «محمد بن حمير بن أنيس القضاعى» ، روى عن إبراهيم بن أبى عبلة ، ومحمد بن زياد الألهانى ، ومعاوية بن سلام وغيرهم . سئل عنه أحمد فقال : «ما علمت إلا خيراً » ، وقال ابن معين : « ثقة » وقال ابن أبى حاتم : « يكتب حديثه ولا يحتج به » . وكان فى المطبوعة : « ابن حميد »بالدال ، وهو خطأ ، صوابه من ابن كثير ، والبغوى بهامشه : ٢ : ١١٨ . وهو مترجم فى التهذيب . وقال ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل ، وذكر أبا عبيد الوصابى هذا فقال : « أدركته وقصدت السماع منه ، فقال لى بعض أهل حمص : ليس بصدوق ، ولم يدرك محمد بن حمير ، فتركته » . أما « أبو الحسن مولى بنى أسد » ، فقد ترجمه الحافظ فى لسان الميزان ٦ : ٣٦٤ قال : « أبو الحسن الأسدى » حدثنا عنه أبو كريب . مجهول ، انتهى . ولم ينفرد عنه أبو كريب ، بل روى عنه محمد بن حمير . وقال فى روايته « مولى بنى أسد ، عن مكحول » ، أخرج حديثه الطبرى وابن أبى حاتم ، وذكره أبو حاتم فيمن لا يعرف اسمه » . هذا وقد خرجه البغوى من طريق محمد بن عمرو بن حنان الكلبى ، عن محمد بن حمير » (بهامش تفسير ابن كثير ٢ : ١١٨) .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢١) أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴾ (٢٢)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « فبشّرهم بعذاب أليم » ، فأخبرهم يا محمد وأعلمهم : أنّ لهم عند الله عذاباً مؤلماً لهم ، وهو الموجع . (١)

* * *

وأمّا قوله : « أولئك الذين حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة » ، فإنه يعنى بقوله : « أولئك » ، الذين يكفرون بآيات الله . ومعنى ذلك : أنّ الذين ذكرناهم ، هم = « الذين حبطت أعمالهم » ، يعنى : بطلت أعمالهم (٢) = « فى الدنيا والآخرة » . فأما فى الدنيا ، (٣) فلم ينالوا بها محمدةً ولا ثناء من الناس ، لأنهم كانوا على ضلال وباطل ، ولم يرفع الله لهم بها ذكراً ، بل لعنهم وهتك أستارهم ، وأبدى ما كانوا يخفون من قبائح أعمالهم على ألسن أنبيائه ورسله فى كتبه التى أنزلها عليهم ، فأبقى لهم ما بقيت الدنيا مذمّةً ، فذلك حبوطها فى الدنيا . وأما فى الآخرة ، فإنه أعدّ لهم فيها من العقاب ما وصف فى كتابه ، وأعلم عباده أن أعمالهم تصير بُوراً لا ثوابَ لها ، لأنها كانت كفراً بالله ، فجزاءُ أهلها الخلودُ فى الجحيم .

* * *

وأما قوله : « وما لهم من ناصرين » ، فإنه يعنى : وما لهؤلاء القوم من ناصر ينصرهم من الله ، إذا هو انتقم منهم بما سلف من إجرامهم واجترائهم عليه ، فيستنقذُهم منه . (٤)

* * *

---

(١) انظر معنى « بشر » فيما سلف ١ : ٢/٣٨٣ : ٣/٣٩٣ : ٢٢١ = ثم تفسير : « أليم » فيما سلف ١ : ٢/٢٨٣ : ١٤٠ ، ٣٧٧ ، ٤٦٩ ، ٣/٥٤٠ : ٣٣٠ .

(٢) انظر تفسير « حبط » فيما سلف ٤ : ٣١٧ .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « فأما قوله : فى الدنيا . . . » ، وحذفت قوله ، لأنى أرجح أنها سبق قلم من الناسخ ، لأن سياق كلامه وسياق قوله بعد : « وأما فى الآخرة » يقتضى حذفها .

(٤) انظر معنى « نصر » فيما سلف ٢ : ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٨٩ ، ٥٦٤ / ثم ٥ : ٥٨١ .

القول فى تأويل قوله ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ (٢٣)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « ألم تر »، يا محمد[١] = « إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب »، يقول : الذين أعطوا حظًّا من الكتاب = « يدْعون إلى كتاب الله » . [٢]

* * *

واختلف أهل التأويل فى « الكتاب » الذى عنى الله بقوله : « يدعون إلى كتاب الله ».

فقال بعضهم : هو التوراة ، دعاهم إلى الرضى بما فيها ، إذ كانت الفِرَق المنتحِلةُ الكتبَ تقرُّ بها وبمافيها : أنها كانت أحكامَ الله قبل أن ينسخ منها ما نُسخ.

* ذكر من قال ذلك :

٦٧٨١ — حدثنا أبوكريب قال ، حدثنا يونس قال ، حدثنا محمد بن إسحق قال ، حدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال ، حدثنى سعيد بن جبير وعكرمة ، عن ابن عباس قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المِدْرَاس على جماعة من يهود ، فدعاهم إلى الله ، فقال له نعيم بن عمرو ، [٣] والحارث

---

(١) انظر تفسير « ألم تر » فيما سلف ٣ : ١٦٠/ثم ٥ : ٤٢٩، ٤٣٠ .

(٢) انظر تفسير« نصيب » فيما سلف ٤ : ٢٠٦.

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « نعيم بن عمرو » وكذلك جاء فى تفسير القرطبى ٤ : ٥٠ ، وتفسير البغوى (بهامش ابن كثير) ٢ : ١١٩ ، ولكن الذى جاء فى رواية ابن هشام عن ابن إسحق فى سيرته ٢ : ٢٠١ ، « نعمان بن عمرو » ، وكذلك جاء ذكره قبل ذلك فى أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيرة ابن هشام ٢ : ١٦١ ، وكذلك جاء أيضاً فيما أخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ١٤ ، ونسبه إلى ابن إسحق ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والاختلاف فى أسماء يهود كثير مشكل ! !

ابن زيد : على أيّ دين أنت يا محمد ؟ فقال : على ملة إبراهيم ودينه . فقالا : فإنّ إبراهيم كان يهودياً ! فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : فهلمُّوا إلى التوراة ، فهي بيننا وبينكم ! فأبيا عليه ،[1] فأنزل الله عز وجل : « ألم تَر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يُدْعونَ إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يَتولى فريق منهم وهم معرضون » إلى قوله : « ما كانوا يفترون » .

٦٧٨٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن أبي محمد مولى آل زيد ، عن سعيد بن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم : بيت المدراس = فذكر نحوه ، إلا أنه قال : فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : فهلمَّا إلى التوراة[2] = وقال أيضاً : فأنزل الله فيهما : « ألم تَر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب » = وسائر الحديث مثل حديث أبي كريب .[3] ٣/١٤٦

* * *

وقال بعضهم : بل ذلك كتابُ الله الذى أنزله على محمد ، وإنما دُعِيت طائفةٌ منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحكم بينهم بالحقّ ، فأبتْ .

* ذكر من قال ذلك :

٦٧٨٣ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم

---

(١) فى المطبوعة : « فأبوا عليه » ، وهو تصرف من سوء رأى الناشر الأول ، والصواب من المخطوطة ، وسائر المراجع المذكورة فى التعليق على الأثر التالى .

(٢) « فهلما » ، يعنى بالتثنية ، وأما الرواية السالفة « فهلموا » » جميعاً . وجاء فى مطبوعة سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠١ « فهلم » مفردة ، وهو خطأ ، فإن النسخة الأوربية من سيرة ابن هشام ، التى نشرت عنها طبعة الحلبى هذه، نصها «فهلما » . فوافقت رواية الطبرى . فهذا تحريف آخر من الطابعين ! ! وانظر إلى دقة أبي جعفر الطبرى فى إثبات الاختلاف اليسير فى الرواية ، وإلى استخفاف الناشرين من أهل دهرنا فى إهمال ما هو مكتوب مرقوم بين أيديهم وتحت أبصارهم ! !

(٣) الأثران : ٦٧٨١ ، ٦٧٨٢ – سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠١ ، وتفسير القرطبى ٤ : ٥٠ ، وتفسير البغوى (بهامش ابن كثير) ٢ : ١١٩ ، والدر المنثور ٢ : ١٤.

ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون » ، أولئك أعداء الله اليهود ، دُعوا إلى كتاب الله ليحكم بينهم ، وإلى نبيه ليحكم بينهم ، وهم يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل ، ثم تولوا عنه وهم معرضون .

٦٧٨٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب » ، الآية قال : هم اليهود ، دُعوا إلى كتاب الله وإلى نبيه ، وهم يجدونه مكتوباً عندهم ، ثم يتولون وهم معرضون !

٦٧٨٥ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم » ، قال : كان أهل الكتاب يُدْعون إلى كتاب ليحكم بينهم بالحق يكون ، وفى الحدود . [1] وكان النبى صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى الإسلام ، فيتولون عن ذلك .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى تأويل ذلك عندى بالصواب أن يقال : إن الله جل ثناؤه أخبر عن طائفة من اليهود = الذين كانوا بين ظَهرانى مُهاجَر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عهده ، ممن قد أوتى علماً بالتوراة = أنهم دُعوا إلى كتاب الله الذى كانوا يقرّون أنه من عند الله — وهو التوراة — فى بعض ما تنازعوا فيه هم ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم . وقد يجوز أن يكون تنازعهم الذى كانوا

(١) هكذا جاءت فى المخطوطة والمطبوعة « . . . بالحق يكون وفى الحدود » ، وفى الدر المنثور ٢ : ١٤ « بالحق وفى الحدود » بإسقاط « يكون » ، وكلتاهما لا أراها تستقيم ، وأنا أرجح أن صواب السياق يقتضى أن تكون : « بالحق يكون فى الحدود » بحذف الواو . فقد جاء فى رواية ابن الكلبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس : أن الآية نزلت فى أمر اليهودى واليهودية من أهل خيبر ، فزنيا ، فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما ، فرفعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحكم برجمهما ، فقالت الأحبار : ليس عليهما الرجم ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بينى وبينكما التوراة . فلما جاءوا بالتوراة ، وانتهوا إلى آية الرجم ، وضع ابن صوريا يده عليها وقرأ ما بعدها . والخبر مشهور . ثم إن كلام الطبرى بعد مرجح لما قلت : وذلك قوله بعد : « ويجوز أن يكون ذلك كان فى حد » .

تنازعوا فيه ، ثم دعوا إلى حكم التوراة فيه فامتنعوا من الإجابة إليه ، كان أمرَ محمد صلى الله عليه وسلم وأمرَ نبوته = ويجوز أن يكون ذلك كان أمرَ إبراهيم خليل الرّحمن ودينه = ويجوز أن يكون ذلك ما دُعوا إليه من أمر الإسلام والإقرار به = ويجوز أن يكون ذلك كان فى حدّ . فإن كل ذلك مما قد كانوا نازعوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاهم فيه إلى حكم التوراة ، فأبى الإجابة فيه وكتمه بعضهم .

ولا دلالة فى الآية على أىّ ذلك كان من أىٍّ ،[1] فيجوز أن يقال : هو هذا دون هذا . ولا حاجة بنا إلى معرفة ذلك ، لأن المعنى الذى دُعوا إلى حكمه ،[2] هو مما كان فرضاً عليهم الإجابة إليه فى دينهم ، فامتنعوا منه ، فأخبر الله جل ثناؤه عنهم بردّتهم ، وتكذيبهم بما فى كتابهم ، وجحودهم ما قد أخذ عليهم عهودَهم ومواثيقهم بإقامته والعمل به . فلن يعدُوا أن يكونوا فى تكذيبهم محمداً وما جاء به من الحق ، مثلهم فى تكذيبهم موسى وما جاء به وهم يتولونه ويقرّون به .

* * *

ومعنى قوله : « ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون »،[3] ثم يستدبر عن كتاب الله الذى دعا إلى حكمه ، معرضاً عنه منصرفاً ، وهو بحقيقته وحجته عالم .[4]

* * *

(١) فى المطبوعة : « ولا دلالة فى الآية على أن ذلك كان ممن أبى » ، وهو كلام بلا معنى . وفى المخطوطة : « على أن ذلك كان من أبى » ، وهو مثله ، والصواب ما أثبت . والمعنى : ولا دلالة فى الآية على تعيين أحد هذه الأسباب ، وأيها هو الذى كان . وهذا تعبير قد سلف مراراً فى كلام الطبرى ، انظر ١ : ٥٢٠ « ولو كان فى العلم بأى ذلك من أى رضاً ، لم يخل عباده من نصب دلالة عليها . . . » و ٢ : ٥١٧ « إذ لم يكن فى الآية دلالة على أى من أى . . . » و ٣ : ٦٤ « ولا علم عندنا بأى ذلك كان من أى » .

(٢) فى المطبوعة : « الذى دعوا إليه جملته » ، وهو كلام لا معنى له . وفى المخطوطة : « الذى دعوا إليه حمله » غير منقوطة ، والصواب ما أثبت ، لأن الآية دالة عليه ، وذلك قوله تعالى : « يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم » ، ولأن السياق يقتضى ما أثبت . وسيأتى ، بعد ، س : ١٣ ما يدل على صواب ذلك أيضاً .

(٣) انظر معنى « التولى » فيما سلف ص : ١٤٤ تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر معنى « الإعراض » فيما سلف ٢ : ٢٩٨ ، ٢٩٩ .

وإنما قلنا إن ذلك « الكتاب » هو التوراة ، لأنهم كانوا بالقرآن مكذبين ، وبالتوراة بزعمهم مصدّقين ، فكانت الحجة عليهم بتكذيبهم بما هم به فى زعمهم مقرُّون ، أبلغَ ، وللعذر أقطعَ .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ (٢٤)

يعنى جل ثناؤه بقوله : « بأنهم قالوا » ، بأنّ هؤلاء الذين دعوا إلى كتاب الله ليحكم بينهم بالحق فيما نازعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما أبوا الإجابة إلى حكم التوراة وما فيها من الحق : من أجل قولهم :[1] « لن تمسنا النارُ إلاّ أياماً معدودات » = وهى أربعون يوماً ، وهن الأيام التى عبدوا فيها العجل[2] = ثم يخرجنا منها ربنا ، اغتراراً منهم = « بما كانوا يفترون » ، يعنى : بما كانوا يختلقون من الأكاذيب والأباطيل ، فى ادعائهم أنهم أبناء الله وأحِبّاؤه ، وأن الله قد وعد أباهم يعقوبَ أن لا يُدْخل أحَداً من ولده النار إلاّ تَحِلّةَ القسم .[3] فأكذبهم الله على ذلك كله من أقوالهم ، وأخبر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أنهم هم أهل النار هم فيها خالدون ، دون المؤمنين بالله ورُسله وما جاؤوا به من عنده .

* * *

(١) قوله : « من أجل قولهم » تفسير لمعنى الباء فى قوله : « ذلك بأنهم قالوا » ، وانظر تفسير ذلك وبيانه فيما سلف ٢ : ١٣٩ فى تفسير قوله تعالى : « ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله » .

(٢) انظر تفسير قولهم : « لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة » فيما سلف ٢ : ٢٧٤ – ٢٧٨ .

(٣) التحلة (بفتح التاء وكسر الحاء ، وتشديد اللام المفتوحة) : هو ما تكفر به عن يمينك . ويقال : « لم يفعل هذا الأمر إلا تحلة القسم » : أى لم يفعله إلا بمقدار ما يحلل به قسمه ويخرج منه ، غير مبالغ فى ذلك الفعل . والمعنى : أن النار لا تمسهم إلا مسة يسيرة مثل تحلة قسم الحالف .

١٤٧/٣ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٦٧٨٦ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلاّ أياماً معدودات » ، قالوا : لن تمسنا النار إلاّ تحلة القسم التى نصبنا فيها العجل ، ثم ينقطع القسم والعذاب عنا = قال الله عز وجل : « وغرّهم فى دينهم ما كانوا يفترون »، أى قالوا : « نحنُ أبناء الله وأحباؤه » .

٦٧٨٧ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه، عن الربيع فى قوله: «ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلاّ أياماً معدودات »، الآية ، قال : قالوا : لن نعذب فى النار إلاّ أربعين يوماً ، قال : يعنى اليهود = قال : وقال قتادة مثله = وقال : هى الأيام التى نَصَبوا فيها العجل . يقول الله عز وجل : « وغرَّهم فى دينهم ما كانوا يفترون » ، حين قالوا : « نحن أبناء الله وأحباؤه » .

٦٧٨٨ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال: قال ابن جريج ، قال مجاهد قوله : « وغرّهم فى دينهم ما كانوا يفترون » ، قال : غرّهم قولهم : « لن تمسنا النار إلاّ أياماً معدودات » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (٢٥)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « فكيف إذا جمعناهم »، فأىُّ حال يكون حالُ هؤلاء القوم الذين قالوا هذا القول، وفعلوا ما فعلوا من إعراضهم عن كتاب الله ، واغترارهم بربهم ، وافترائهم الكذب ؟ وذلك من الله عز وجل وعيدٌ لهم شديد، وتهديدٌ غليظٌ .

وإنما يعنى بقوله : « فكيف إذا جمعناهم » الآية : فما أعظم ما يلقوْن من عقوبة الله وتنكيله بهم ، إذا جمعهم ليوم يُوفَّى كلّ عامل جزاءَ عمله على قدر استحقاقه ، غير مظلوم فيه ، لأنه لا يعاقب فيه إلاّ على ما اجترم ، ولا يؤاخذُ إلا بما عمل ، يُجزَى المحسنُ بإحسانه، والمسىء بإساءته ، لا يخاف أحدٌ من خلقه منه يومئذ ظلماً ولا هضماً . (١)

* * *

فإن قال قائل : وكيف قيل : « فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه » ، ولم يقل : فى يوم لا رَيب فيه ؟

قيل: لمخالفة معنى « اللام » فى هذا الموضع معنى « فى » . وذلك أنه لو كان مكان « اللام » « فى » ، لكان معنى الكلام : فكيف إذا جمعناهم فى يوم القيامة ، ماذا يكون لهم من العذاب والعقاب ؟ وليس ذلك المعنى فى دخول « اللام » ، ولكن معناه مع « اللام » : فكيف إذا جمعناهم لما يحدُث فى يوم لا ريب فيه ، ولما يكون فى ذلك اليوم من فَصْل الله القضاءَ بين خلقه ، ماذا لهم حينئذ من العقاب وأليم العذاب ؟ فمع « اللام » فى « ليوم لا ريب فيه » نيّة فِعْل، وخبرٌ مطلوب قد

(١) انظر ألفاظ هذه الآية مفسرة فيما سلف ، واطلبها فى فهارس اللغة من الأجزاء الماضية .

ترك ذكره، أجزأت دلالةُ دخول « اللام » فى « اليوم » عليه، منه .[١] وليس ذلك مع « فى » ، فلذلك اختيرت « اللام » فأدخلت فى « اليوم » ، دون « فى » .[٢]

* * *

وأما تأويل قوله : « لا ريب فيه » ، فإنه : لا شك فى مجيئه . وقد دللنا على أنه كذلك بالأدلة الكافية ، مع ذكر من قال ذلك فى تأويله فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته .[٣]

* * *

وعنى بقوله : « ووُفِّيت » ، ووَفَّى الله = « كلُّ نفس ما كسبت » ، يعنى : ماعملت من خير وشر[٤] = « وهم لا يظلمون » ، يعنى أنه لا يبخس المحسن جزاءَ إحسانه ، ولا يعاقب مسيئاً بغير جرمه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ ﴾

قال أبو جعفر : أما تأويل : « قل اللهم » ، فإنه : قل يا محمد : يا اللهُ .

* * *

واختلف أهل العربية فى نصب « ميم » « اللهم » ، وهو منادًى ، وحكم المنادى المفرد غير المضافِ الرفعُ = وفى دخول « الميم » فيه ، وهو فى الأصل « الله » بغير « ميم » .

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « قد ترك ذكره أخيراً بدلالة دخول اللام فى اليوم عليه منه » ، وهو كلام خلو من المعنى ، والظاهر أن الناسخ رأى تاء « أجزأت » متصلة بدال « دلالة » ، فجعلها ، « بدلالة » وجعل « أجزأ » « أخيراً » فذهب الكلام هدراً ولغواً . وسياق العبارة كما أثبتناها : « أجزأت منه دلالة دخول اللام فى اليوم » فأخر « منه » على عادته فى تأخير مثل ذلك فى كل كلامه .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، وعبارته هناك . « تقول فى الكلام : جمعوا ليوم الخميس ، وكأن اللام لفعل مضمر فى « الخميس » ، كأنهم جمعوا لما يكون يوم الخميس . وإذا قلت : جمعوا فى يوم الخميس = لم تضمر فعلا . وقوله : جمعناهم ليوم لا ريب فيه = أى للحساب والجزاء » .

(٣) انظر ما سلف ١ : ٢٢٨ ، ٣٧٨ / ثم ٦ : ٢٢١ .

(٤) انظر تفسير « كسب » فيما سلف ٢ : ٢٧٣ ، ٢٧٤ / ٣ : ١ ، ١٢٨ / ٤ : ٤٤٩ / ٦ : ١٣١ .

فقال بعضهم : إنما زيدت فيه « الميمان » ، لأنه لا ينادى بـ « يا » كما ينادى الأسماء التى لا « ألف » فيها ولا « لام » . وذلك أن الأسماء التى لا « ألف » ولا « لام » فيها تنادى بـ « يا » كقول القائل : « يا زيد ، ويا عمرو » . قال فجعلت « الميم » فيه خلفاً من « يا » ، كما قالوا : « فم ، وابنم ، وهم ، وزُرْقُم ، [1] وسُتْهُم » ، [2] وما أشبه ذلك من الأسماء والنعوت التى يحذف منها الحرف ، ثم يبدل مكانه « ميم » . قال : فكذلك حذفت من « اللهم » « يا » التى ينادى بها الأسماء التى على ما وصفنا ، وجعلت « الميم » خلفاً منها فى آخر الاسم .

* * *

(١) فى المطبوعة والمخطوطة « ودم ، وهم » ، والأولى « ودم » خطأ لا شك فيه ، وسيأتى صوابه بعد أسطر ، حين عاد فذكر الثلاثة جميعاً : « فم ، وابنم ، وهم » ، على تصرف المطبوعة هناك فى نص المخطوطة ، ليوافق الذى كتبه هنا .

أما قوله : « وهم » ، فلم أعرف لها وجهاً أرتضيه ، وهذه الكلمة جاءت فى كلام الفراء فى معانى القرآن ١ : ٢٠٣ ، وستأتى أيضاً كذلك بعد أسطر . وقد راجعتها فى نسختى مخطوطة معانى القرآن ، فإذا هى كذلك « وهم » ، وعلى الميم شبيه بالشدة فى النسختين المخطوطتين ، وأغفلت ذلك المطبوعة . وقد وقف ناشرو معانى القرآن عليها ، فعلقوا بما نصه : (كأنه يريد « هم » الضمير ، وأصلها « هوم » ، إذ هى جمع « هو » ، فحذفت الواو وزيدت ميم الجمع ، وإن كان هذا الرأى يعزى إلى البصريين . وانظر شرح الرضى للكافية فى مبحث الضمائر) ، وعلق بعض طابعى تفسير الطبرى بما يأتى : (قوله : « ودم » كذا فى النسخ ، والكلمتان دم ، وهم ، لعلهما محرفتان عن : ابنم ، ودلهم ، أو دلقم ، من الكلمات التى زيدت فى آخرها الميم ، وذكرها السيوطى فى المزهر ٢ : ١٣٥) .

والذى قاله ناشرو معانى القرآن ، لا يقوم ، لأن الميم فى هم ، وإن كانت زائدة من وجه ، إلا أنها أتى بها لمعنى هو غير ما جاءت به الزيادة فى « فم » و « ابنم » ، ولعلة اختلف عليها النحويون اختلافاً كثيراً . وأما ما قاله ناشر الطبرى من أنها محرفة عن « دلهم أو دلقم » ، فليس بشىء ، لأن مطبوعات الطبرى ومخطوطاته قد اتفقت عليه ، وعجيب أن يتفق تصحيفها ، وتصحيف نسختين من معانى القرآن ، الذى ينقل الطبرى نص كلامه . وبعد هذا كله أجدنى عاجزاً كل العجز عن معرفة أصل هذه الكلمة ، وعن وجه يرتضى فى تصحيفها أو تحريفها أو قراءتها ، وقد استقصيت أمرها ما استطعت ، ولكنى لم أنل إلا النصب فى البحث ، فعسى أن أجد عند غيرى من علمها ما حرمنى الله علمه ، وفوق كل ذى علم عليم .

(٢) « زرقم ، وستهم » (كلتاهما بضم الأول وسكون الثانى وضم الثالث) : رجل زرقم وامرأة زرقم ، أزرق شديد الزرق . فلما طرحت الألف من أوله ، زيدت الميم فى آخره . وكذلك « رجل ستهم وامرأة ستهم » : أسته ، وهو العظيم الاست ، الكبير العجز ، فعل به ما فعل بصاحبه . وقال الراجز فى امرأة :

لَيْسَتْ بِكَحْلَاءَ وَلَكِنْ زُرْقُمُ وَلَا بِرَسْحَاءَ وَلَكِنْ سُتْهُمُ

وأنكر ذلك من قولهم آخرون، وقالوا : قد سمعنا العرب تنادى « اللهم » بـ « يا » كما تناديه ولا « ميم »، فيه . قالوا : فلو كان الذى قال هذا القولَ مصيباً فى دعواه، لم تدخل العربُ « يا» ، وقد جاؤوا بالخلف منها .[1] وأنشدوا فى ذلك سماعاً من العرب :

وَمَا عَلَيْكِ أَنْ تَقُولِى كُلَّمَا ١٤٨/٣ صَلَّيْتِ أَوْ كَبَّرْتِ يَا أَللَّهُمَّا
أَرْدُدْ عَلَيْنَا شَيْخَنَا مُسَلَّمَا[2]

وُيرْوَى : « سبَّحت أو كبرَّت » . قالوا : ولم نر العرب زادت مثل هذه «الميم» إلاّ مخففة فى نواقص الأسماء مثل : « الفم ، وابنم، وهم » ،[3] قالوا : ونحن نرى أنها كلمة ضُمّ إليها « أمّ »، بمعنى : « يا ألله أمَّنا بخير »، فكثرت فى الكلام فاختلطت به . قالوا : فالضمة التى فى « الهاء » من همزة «أم » ، لما تركت انتقلت إلى ما قبلها. قالوا: ونرى أن قول العرب : « هلم إلينا » ، مثلها . إنما كان «هلم»، «هل» ضم إليها « أمّ » ، فتركت على نصبها . قالوا : من العرب من يقول إذا طرح « الميم » : « يا اللهُ اغفرلى » و« يا أللهُ اغفرلى » بهمز « الألف » من « الله » مرة، ووصلها أخرى . فمن حذفها أجراها على أصلها ، لأنها « ألف ولام » ، مثل « الألف واللام » اللتين يدخلان فى الأسماء المعارف زائدتين . ومن همزها توهم أنها من الحرف،

---

(١) فى المطبوعة : « لم تدخله العرب يا » ، وفى المخطوطة : « لم تدخله العرسه يا » ، وهذا من عجلة الناسخ ، فرددتها جميعاً إلى أصلهما .

(٢) لم يعرف قائله ، والأبيات فى معانى القرآن للفراء ١ : ٢٠٣ ، والجمل للزجاجى : ١٧٧ والإنصاف : ١٥١ ، والخزانة ١ : ٣٥٩، واللسان (أله) وغيرها من كتب العربية والنحو ، ومختلف فى روايته ، وجاءوا به شاهداً على زيادة « ما » بعد « ياللهم » فروايته عند بعضهم « يا اللهم ما » ، وبعد الأبيات زيادة زادها الكوفيون :

مِنْ حَيْثُمَا وَكَيْفَمَا وَأَيْنَمَا فَإِنَّنَا مِنْ خَيْرِهِ لَنْ نَعْدَمَا

(٣) فى المطبوعة : « مثل فم ودم وهم » ، وأثبت نص المخطوطة ، وهو موافق لنص الفراء فى معانى القرآن ١ : ٢٠٣ ، وهو نص كلامه .

إذ كانت لا تسقط منه ، وأنشدوا فى همز الألف منها :

مُبَارَكٌ هُوَّ وَمَنْ سَمَّاهُ عَلَى اسْمِكَ اللَّهُمَّ يَا أَلَّهُ(١)

قالوا : وقد كثرت «اللهم» فى الكلام ، حتى خففت ميمها فى بعض اللغات . وأنشدوا : (٢)

كَحَلْفَةٍ مِنْ أَبِى رِيَاحِ يَسْمَعُهَا اللَّهُمُّ الكُبَارُ(٣)

والرواة تنشد ذلك :

يَسْمَعُها لَاهُهُ الكُبَارُ

---

(١) لم يعرف قائله ، والبيتان فى معانى القرآن ١ : ٢٠٣ ، والإنصاف : ١٥٠ ، واللسان (أله)

(٢) هو الأعشى .

(٣) ديوانه : ١٩٣ ، ومعانى القرآن ١ : ٢٠٣ ، والخزانة ١ : ٣٤٥ ، واللسان (أله) ، وغيرها . من قصيدة يعاتب بها بنى جحدر ، وكانت بينه وبينهم نائرة ، ذكرها فى قصائد من شعره . وقبل البيت وهو أول القصيدة :

أَلَمْ تَرَوْا إِرَمًا وَعَادًا أَوْدَى بِهَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ
بَادُوا ، فَلَمَّا أَنْ تَآدَوْا قَفَّى عَلَى إِثْرِهِمْ قُدَارُ
كَحَلْفَةٍ . . . . . .

أودى بها : أهلكها وذهب بها . وقوله : « فلما أن تآدوا » من قولهم : «تآدى القوم تآدياً وتعادوا تعادياً» : تتابعوا موتاً . وأصله من آدى الرجل : إذا كان شاك السلاح قد لبس أداة الحرب ، يعنى أخذوا أسلحتهم فتقاتلوا حتى تفانوا . ومن شرح البيت « تآدوا » بمعنى تعاونوا وكثروا ، فقد أخطأ ، وذهب مذهباً باطلا . يقول : لما هلكت إرم وعاد ، أتت على آثارهم ثمود ، و « قدار » هو عاقر الناقة من ثمود فسموا القبيلة باسمه ، إذ كان سبباً فى هلاكهم إذ دمدم عليهم ربهم فسواها . وأبو رياح (بياء تحتية) رجل من بنى ضبيعة ، كان قتل رجلا من بنى سعد بن ثعلبة جاراً لهم ، فسألوه أن يحلف ، أو يعطى الدية ، فحلف لهم ، ثم قتل بعد حلفته . فضربته العرب مثلا لما لا يفى من الحلف . وفى المطبوعة « رباح » بالباء الموحدة ، وهو خطأ . وهذا البيت الأخير ، جاء فى هذا الموضع من الشعر فى ديوانه ، ولكن الأرجح ما رواه أبو عبيدة فى قول الأعشى لبنى جحدر :

أَقْسَمْتُمُ لا نُعْطِيَنَّكُمْ إِلَّا عِرَارًا ، فَذَا عِرَارُ

وقد أنشده بعضهم : [١]

يَسْمَعُهَا اللهُ واللهُ كُبَارُ[٢]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك : يا مالك الملك، يا منْ له مُلك الدنيا والآخرة خالصاً دون وغيره ، كما : —

٦٧٨٩ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحق، عن محمد ابن جعفر بن الزبير قوله : « قل اللهم مالك الملك » ، أى رَبَّ العباد الملكَ ، لا يقضى فيهم غيرك . [٣]

* * *

وأما قوله : « تؤتى الملك من تشاء» ، فإنه يعنى : تُعطى الملك من تَشاء، فتملكه وتسلِّطه على من تشاء .

وقوله : « وتنزع الملك ممن تشاء » ، يعنى : وتنزع الملك ممن تشاء أن تنزعه منه ، [٤]

والعرار : القتال . يقول : أقسمتم أن لا تعطونا إلا بعد قتال ، فهذا هو القتال ، قضى عليكم كما قضت على أبى رياح حلفته الكاذبة إذ سمعها ربه الأكبر . والكبار (بضم الكاف)صيغة المبالغة من « كبير » .

(١) قال الفراء : « وأنشدنى الكسائى » .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « يسمعها الله والكبار » ، وهو خطأ من الناسخ ، والصواب ما فى معانى القرآن للفراء ١ : ٢٠٣ ، والذى مضى جميعه هو من نص كلامه مع قليل من التصرف . وكذلك رواها شارح ديوانه ، وكذلك سائر الكتب . وروى أبو عبيدة : « يسمعها الواحد الكبار » .

(٣) الأثر : ٦٧٨٩ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٧ ، ونصه : « أى رب العباد ، والملك الذى لا يقضى فيهم غيره » ، وهو بقية الآثار السالفة التى آخرها رقم : ٦٧٧٦ .

(٤) سقط من المطبوعة : « يعنى : وتنزع الملك ممن تشاء » ، فأثبتها من المخطوطة .

فترك ذكر «أن تنزعه منه»، اكتفاءً بدلالة قوله : «وتنزع الملك ممن تشاء»، عليه ، كما يقال : «خذ ما شئتَ = وكنْ فيما شئت» ، يراد : خذ ما شئت أن تأخذه، وكن فيما شئت أن تكون فيه؛ وكما قال جل ثناؤه : ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ [سورة الانفطار : ٨] ، يعني : في أيّ صورة شاءَ أن يركبك فيها ركبك . (١)

* * *

وقيل إنّ هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم جواباً لمسألته ربَّه أن يجعل مُلك فارسَ والروم لأمته . (٢)

* ذكر من قال ذلك :

٦٧٩٠ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : وذكر لنا : أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه جل ثناؤه أن يجعل له ملك فارسَ والروم في أمته ، فأنزل الله عز وجل : «قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء» إلى «إنك على كل شيء قدير» .

٦٧٩١ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة قال : ذُكر لنا والله أعلم : أنّ نبيّ الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه عز وجل أن يجعل ملك فارس والروم في أمته ، ثم ذكر مثله .

* * *

وروى عن مجاهد أنه كان يقول : معنى «الملك» في هذا الموضع : النبوة .

* ذكر الرواية عنه بذلك :

٦٧٩٢ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله : «تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء» ، قال : النبوّة.

---

(١) ما سلف مختصر ما في معاني القرآن للفراء ١ : ٢٠٤ – ٢٠٥ ، وقد وفاه حقه .

(٢) انظر تفسير «الملك» فيما سلف ١ : ١٤٨ ، ٢/١٤٩ : ٤٨٨/ : ٥ : ٣١٢، ٣١٥، ٣٧١

٦٧٩٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢٦)

قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه : « وتعز من تشاء » ، بإعطائه الملك والسلطان ، وبسط القدرة له = « وتذل من تشاء » بسلبك ملكه ، وتسليط عدوه عليه = « بيدك الخير » ، أي : كل ذلك بيدك وإليك ، لا يقدر على ذلك أحد ، لأنك على كل شيء قدير دون سائر خلقك ، ودون من اتخذه المشركون من أهل الكتاب والأميين من العرب إلهاً وربًّا يعبدونه من دونك ، كالمسيح والأنداد التي اتخذها الأميون ربًّا ، كما : – ١٤٩/٣

٦٧٩٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن جعفر بن الزبير قوله : « تؤتي الملك من تشاء » ، الآية ، أي : إن ذلك بيدك لا إلى غيرك[1] = « إنك على كل شيء قدير » ، أي : لا يقدر على هذا غيرك بسلطانك وقدرتك .[2]

* * *

(١) نص روايته ابن هشام : « أي : لا إله غيرك » .

(٢) الأثر : ٦٧٩٤ – سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٧ وهو بقية الآثار التي آخرها رقم : ٦٧٨٩ .

القول فى تأويل قوله ﴿ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « تولج » تُدْخل ، يقال منه : « قد ولَج فلان منزله » ، إذا دخله ، « فهو يَلِجه وَلْجاً ووُلوجاً ولِجَةً » (١) — و« أولجته أنا » ، إذا أدخلته .

* * *

ويعنى بقوله : « تولج الليل فى النهار» تدخل ما نقصتَ من ساعات الليل فى ساعات النهار ، فتزيد من نقصان هذا فى زيادة هذا = « وتولج النهارَ فى الليل » ، وتدخل ما نقصتَ من ساعات النهار فى ساعات الليل ، فتزيد فى ساعات الليل ما نقصت من ساعات النهار ، كما : —

٦٧٩٥ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « تولج الليلَ فى النهار وتولج النهار فى الليل » ، حتى يكون الليل خمسَ عشرةَ ساعة ، والنهارُ تسعَ ساعاتٍ ، وتدخل النهار فى الليل حتى يكون النهار خمسَ عشرة ساعة ، والليل تسع ساعات .

٦٧٩٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا حفص بن عمر ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : ما نقص من النهار يجعله فى الليل ، وما نقص من الليل يجعله فى النهار . (٢)

٦٧٩٧ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله الله : « تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى

---

(١) قوله : « ولجا » مصدر لم تذكره كتب اللغة . وقوله « لجة » بوزن « عدة وزنة » .

(٢) الأثر : ٦٧٩٦ — « حفص بن عمر العدنى » ، مترجم فى الكبير ٣٦٢/٢/١ ، وابن أبى حاتم ١٨٢/٢/١ . وقد مضى هذا الإسناد برقم : ٥٣٣ ، ١٤٠٦ ، وسيأتى أيضاً برقم : ٦٨١٤ ، وكان فى المخطوطة والمطبوعة هنا : « حفص عن عمر » ، وهو خطأ .

الليل » قال : ما ينقص من أحدهما فى الآخر ، يعتقبان = أو : يتعاقبان ، شك أبو عاصم = ذلك من الساعات . (١)

٦٧٩٨ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل » ، ما ينقص من أحدهما فى الآخر ، يتعاقبان ذلك من الساعات .

٦٧٩٩ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن قوله : « تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل » ، نقصان الليل فى زيادة النهار ، ونقصان النهار فى زيادة الليل .

٦٨٠٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل » ، قال : هو نقصان أحدهما فى الآخر .

٦٨٠١ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة فى قوله : « تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل » ، قال : يأخذ الليل من النهار ، ويأخذ النهار من الليل . يقول : نقصان الليل فى زيادة النهار ، ونقصان النهار فى زيادة الليل .

٦٨٠٢ – حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، (٢) سمعت الضحاك يقول فى قوله : « تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل » ، يعنى أنه يأخذ أحدُهما من الآخر ، فيكون الليل أحياناً أطول من النهار ، والنهار أحياناً أطول من الليل .

---

(١) فى المطبوعة : « ما ينقص من أحدهما يدخل فى الآخر ، متعاقبان . . . » بزيادة « يدخل » وليست فى المخطوطة ، وانظر الأثر التالى . وقوله « يعتقبان » فى المخطوطة : « معمصان » غير منقوطة ، وهو تحريف ، والذى فى المطبوعة تصرف لا معنى له .

(٢) فى المطبوعة : « عبيد بن سلمان » ، وهو خطأ ، وهو إسناد دائر فى التفسير .

٦٨٠٣ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل » ، قال : هذا طويل وهذا قصير ، أخذ من هذا فأولجه في هذا ، حتى صار هذا طويلاً وهذا قصيراً .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك .

فقال بعضهم : « تأويل ذلك : أنه يخرج الشيء الحيَّ من النطفة الميتة ، ويخرج النطفة الميتة من الشيء الحيّ » .

* ذكر من قال ذلك :

٦٨٠٤ – حدثني أبو السائب قال، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبد الله في قوله : « تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحيّ » ، قال : هي النطفة تخرج من الرّجل وهي ميتة وهو حي ، ويخرج الرجل منها حيًّا وهي ميتة .

٦٨٠٥ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : « تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي » ، قال : الناس الأحياء من النُّطف والنُّطف ميتة ، ويخرجها من الناس الأحياء ، والأنعام . ١٥٠/٣

٦٨٠٦ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٦٨٠٧ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك فى قوله : « تخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى » ، فذكر نحوه .

٦٨٠٨ – حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « تخرج الحىّ من الميت وتخرج الميت من الحىّ » ، فالنطفة ميتة تكون ، تخرج من إنسان حىّ ، ويخرج إنسان حىّ من نطفة ميتة .

٦٨٠٩ – حدثنى محمد بن عمر بن على بن عطاء المقدمى قال ، حدثنا أشعث السجستانى قال ، حدثنا شعبة ، عن إسمعيل بن أبى خالد فى قوله : « تخرج الحىّ من الميت وتخرج الميت من الحىّ » ، قال : تخرج النطفة من الرجل ، والرجل من النطفة . (١)

٦٨١٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « تخرج الحىّ من الميت وتخرج الميت من الحىّ » ، قال : تخرج الحىّ من هذه النطفة الميتة ، وتخرج هذه النطفة الميتة من الحىّ .

٦٨١١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد فى قوله : « تخرج الحىّ من الميت وتخرج الميت من الحىّ » الآية ، قال : الناس الأحياء من النطف ، والنطف ميّتةٌ من الناس الأحياء ، ومن الأنعام والنَّبْت كذلك = قال ابن جريج : وسمعت يزيد بن عويمر يخبر ، عن سعيد ابن جبير قال : إخراجه النطفة من الإنسان ، وإخراجه الإنسان من النطفة . (٢)

---

(١) الأثر : ٦٨٠٩ – « محمد بن عمر بن على بن عطاء المقدمى » ، ثقة . روى عن أشعث بن عبد الله السجستانى ، وروى عنه الأربعة ، والطبرى وغيرهم ، مترجم فى التهذيب . وقد مضى فى رقم : ٦٢٥٥ . وكان فى المطبوعة : « حدثنى محمد بن عمرو ، وابن على ، عن عطاء المقدمى » ، وفى المخطوطة : « محمد بن عمرو بن على ، عن عطاء المقدمى » ، وكلاهما خطأ ، والصواب ما أثبت .

(٢) الأثر : ٦٨١١ – « يزيد بن عويمر » ، لم أجد فى الرواة من يسمى بذلك ، وأخشى أن يكون فى اسمه تحريف أو تصحيف لم أهتد إليه .

٦٨١٢ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « تخرج الحيّ من الميت وتخرج الميت من الحيّ » ، قال : النطفة ميتة، فتخرج منها أحياء = « وتخرج الميت من الحيّ » ، تخرج النطفة من هؤلاء الأحياء ، والحبّ ميتٌ تخرج منه حيًّا = « وتُخرج الميت من الحيّ »، تخرج من هذا الحيّ حبًّا ميتاً .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك: « أنه يخرج النخلة من النواة ، والنواةَ من النخلة ، والسنبل من الحب ، والحبّ من السنبل ، والبيض من الدجاج ، والدجاج من البيض » .

* ذكر من قال ذلك :

٦٨١٣ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا أبو تميلة قال ، حدثنا عبد الله ، عن عكرمة قوله : « تخرج الحى من الميت »، قال : هى البيضة تخرج من الحيّ وهى ميتة ، ثم يخرج منها الحيّ .

٦٨١٤ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ،حدثنا حفص بن عمر ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة فى قوله : « تخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى » ، قال : النخلة من النواة والنواة من النخلة ، والحبة من السنبلة والسنبلة من الحبة .

* * *

وقال آخرون : « معنى ذلك: أنه يخرج المؤمن من الكافر ، والكافرَ من المؤمن» .

* ذكر من قال ذلك :

٦٨١٥ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن فى قوله : « تخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى » ، يعنى المؤمن من الكافر والكافرَ من المؤمن، والمؤمن عبدٌ حيُّ الفؤاد ، والكافر عبدٌ ميّتُ الفؤاد .

٦٨١٦ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر قال ، قال الحسن فى قوله : « تُخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى » ، قال : يخرج المؤمن من الكافر ، ويخرج الكافر من المؤمن . (١)

٦٨١٩ – حدثنا عمران بن موسى قال ، حدثنا عبد الوارث ، عن سعيد بن عمرو ، عن الحسن قرأ : « تخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى » ، قال : تخرج المؤمن من الكافر ، وتخرج الكافر من المؤمن . (٢)

٦٨٢٠ – حدثنى حميد بن مسعدة قال ، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا سليمان التيمى ، عن أبى عثمان ، عن سلمان ، أو عن ابن مسعود = وأكبر ظنى أنه عن سلمان = قال : إن الله عزّ وجل خمّر طينة آدم أربعين ليلة – أو قال : أربعين يوماً – ثم قال بيده فيه ، (٣) فخرج كل طيِّب فى يمينه ، وخرج كل خبيث فى يده الأخرى ، ثم خلط بينهما ، ثم خلق منها آدم ، (٤) فمن ثم يخرج الحىّ من الميت ويخرجُ الميت من الحى ، يخرج المؤمن من الكافر ، ويخرج الكافر من المؤمن . (٥) ١٥١/٣

---

(١) سقط من الترقيم ٦٨١٧ ، ٦٨١٨ .

(٢) الأثر : ٦٨١٩ – « سعيد بن عمرو » ، لم أجد له ترجمة ، وأخشى أن يكون سقط من إسناده شىء ، وأن صوابه « عبد الوارث بن سعيد ، عن . . . » . وعبد الوارث مترجم فيما سلف رقم : ٢١٥٤ .

(٣) فى المخطوطة : « ثم قال بعده فيه » ، خطأ ؛ وقوله : « قال بيده » ، أى حرك يده .

(٤) فى المخطوطة – : « ثم خلط بينهما وقال . . . فمن ثم يخرج » ، وبين الكلام بياض ، وأتممته المطبوعة من الدر المنثور .

(٥) الأثر : ٦٨٢٠ – « بشر بن المفضل بن لاحق الرقاشى » من شيوخ أحمد وإسحق . قال أحمد : « إليه المنتهى فى التثبت بالبصرة » . مترجم فى التهذيب . و « سليمان التيمى » ، هو : « سليمان بن طرخان التيمى » ، روى عن أنس بن مالك وطاوس ، ثقة . مترجم فى التهذيب . « وأبو عثمان » هو « أبو عثمان الصنعانى : شراحيل بن مرثد » ، ، روى عن سلمان وأبى الدرداء ومعاوية وأبى هريرة وكعب الأحبار . قال ابن حبان فى الثقات : « صاحب الفتوح ، يروى المراسيل » . وهذا الأثر أخرجه السيوطى فى الدر المنثور ١ : ١٥ ، ونسبه لسعيد بن منصور ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والبيهقى فى الأسماء والصفات ، وأبو الشيخ فى العظمة ، (أخرج مثله ، ونسبه لابن مردويه مرفوعاً إلى النبى صلى الله عليه وسلم) .

٦٨٢١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهرى : أنّ النبى صلى الله عليه وسلم دخل على بعض نسائه ، فإذا بامرأة حسنة النَّعْمة ،(١) فقال : من هذه ؟ قالت إحدى خالاتك ! قال : إن خالاتى بهذه البلدة لغرائب ! (٢) وأىّ خالاتى هذه ؟ قالت : خالدة ابنة الأسود ابن عبد يغوث .(٣) قال : سبحان الذى يخرج الحىّ من الميت ! وكانت امرأة صالحةً ، وكان أبوها كافراً .(٤)

٦٨٢٢ – حدثنى محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفى قال ، حدثنا عباد بن منصور ، عن الحسن فى قوله : « تخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى » ، قال : هل علمتم أن الكافر يلد مؤمناً ، وأن المؤمن يلد كافراً ؟ فقال : هو كذلك .(٥)

* * *

---

(١) قوله : « حسنة النعمة » ، فى المطبوعة : « النغمة » بالغين المعجمة ، وهو خطأ ، والنعمة (بفتح النون وسكون : العين) المسرة والفرح والترفه ، وكأنه يعنى ما يبين عليها من أثر الترف والنعمة . بيد أن الذى رواه ابن سعد ، وما نقله الحافظ ابن حجر فى الإصابة : « حسنة الهيئة » .

(٢) فى المطبوعة : « بهذه البلد » ، وتاء « البلدة » فى المخطوطة شبكت فى دالها ، واختلطت بها لام « لغرائب » ، والذى أثبته هو نص ما فى الإصابة ، وفى ابن سعد « بهذه الأرض » .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « خلدة ابنة الأسود » ، وأخشى أن يكون أصلها « خالدة » كما فى سائر الكتب ، ورسمت بحذف الألف كما كانوا يكتبون قديماً . وهى خالة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنها : خالدة بنت الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة ، وأم رسول الله صلى الله عليه وسلم « آمنة بنت وهب بن عبد مناف » ، فهى أخت يغوث بن وهب . أما الأسود بن يغوث ، فهو أحد المستهزئين حتى جبريل ظهره ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر ، فقال رسول الله : « خالى ! خالى ! » ، فقال جبريل : « دعه عنك ! » ، فمات الأسود .

(٤) الأثر : ٦٨٢١ – رواه ابن سعد فى الطبقات ٨ : ١٨١ ، وذكر طرقه الحافظ ابن حجر فى الإصابة ، فى ترجمة « خالدة بنت الأسود » .

(٥) الأثر : ٦٨٢٢ – « محمد بن سنان القزاز » سلفت ترجمته برقم : ١٩٩٩ ، ٢٠٥٦ ، و « أبو بكر الحنفى » ، هو « عبد الكبير بن عبد المجيد بن عبيد الله بن شريك البصرى » ، روى عنه أحمد وإسحق وابن المدينى ومحمد بن بشار ، ثقة . مترجم فى التهذيب . « وعباد بن منصور الناجى » ، روى عن عكرمة ، وعطاء والحسن ، والقاسم بن محمد وغيرهم . مترجم فى التهذيب . وانظر الأثر رقم : ٦٨٢٧ فيما يلى .

قال أبو جعفر : وأولى التأويلات التى ذكرناها فى هذه الآية بالصواب ، تأويلُ من قال : « يخرج الإنسان الحىّ والأنعام والبهائم الأحياءَ من النُّطف الميتة= وذلك إخراجُ الحىّ من الميت = ويخرج النطفة الميتة من الإنسان الحى والأنعام والبهائم الأحياء = وذلك إخراج الميت من الحىّ ».

وذلك أن كل حىّ فارقه شىء من جسده ، فذلك الذى فارقه منه ميت . فالنطفة ميتة لمفارقتها جسد من خرجت منه ، ثم ينشىء الله منها إنساناً حياً وبهائمَ وأنعاماً أحياءً . وكذلك حكم كل شىء حىّ زايله شىء منه ، فالذى زَايله منه ميت . وذلك هو نظير قوله : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [سورة البقرة : ٢٨] .

* * *

وأما تأويل من تأوّله بمعنى الحبة من السنبلة ، والسنبلة من الحبة ، والبيضة من الدجاجة ، والدجاجة من البيضة ، والمؤمن من الكافر ، والكافر من المؤمن = فإن ذلك ، وإن كان له وجه مفهوم ، فليس ذلك الأغلب الظاهرَ فى استعمال الناس فى الكلام . وتوجيهُ معانى كتاب الله عز وجل إلى الظاهر المستعمل فى الناس ، أولى من توجيهها إلى الخفىّ القليل فى الاستعمال .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته جماعة منهم : ﴿تُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الحَىِّ﴾ بالتشديد ، وتثقيل « الياء » من « الميِّت » ، بمعنى أنه يخرج الشىء الحىّ من الشىء الذى قد ماتَ ومما لم يمت .

* * *

وقرأت جماعة أخرى منهم : ﴿تُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيْتِ وتُخْرِجُ المَيْتَ مِنَ الحَيِّ﴾ بتخفيف « الياء » من « الميْت »، بمعنى أنه يخرج الشيء الحيّ من الشيء الذى قد مات ، دون الشيْ الذى لم يمت ، ويُخرج الشيء الميت ، دون الشيء الذى لم يمت ، من الشيء الحى .

* * *

وذلك أن « الميِّت » مثقل « الياء » عند العرب : ما لم يَمتْ وسيموت ، وما قد مات .

وأما « الميْت » مخففاً، فهو الذى قد مات ، فإذا أرادوا النعتَ قالوا : « إنك مائتٌ غداً ، وإنهم مائتون » . وكذلك كل ما لم يكن بعد ، فإنه يخرج على هذا المثال الاسمُ منه . يقال : « هو الجائد بنفسه = والطائبة نفسه بذلك » ، وإذا أريد معنى الاسم قيل : « هو الجوادُ بنفسه = والطيِّبة نفسه » . (١)

* * *

قال أبو جعفر : فإذ كان ذلك كذلك ، فأولى القراءتين فى هذه الآية بالصواب ، قراءةُ من شدّد « الياء » من « الميِّت ». لأن الله جل ثناؤه يخرج الحى من النطفة التى قد فارقت الرجلَ فصارت ميِّتة ، وسيخرجه منها بعد أن تُفارقه وهى فى صلب الرجل = « ويخرج الميِّت من الحيّ » النطفةَ التى تصير بخروجها من الرجل الحيّ ميِّتاً ، وهى قبل خروجها منه حيَّة . فالتشديد أبلغ فى المدح وأكملُ فى الثناء .

* * *

(١) انظر ما سلف فى « الميت » ٣ : ٣١٨ ، ٣١٩ ، وهذا البيان عن معناه هنا ، أجود مما تجده فى كتب اللغة .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٢٧)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : أنه يُعطى من يشاء من خلقه فيجود عليه ، (١) بغير محاسبة منه لمن أعطاه ، لأنه لا يخاف دخولَ انتقاص فى خزائنه ، ولا الفناءَ على ما بيده ، (٢) كما : —

٦٨٢٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « وترزق من تشاء بغير حساب » ، قال : يخرج الرزق من عنده بغير حساب ، لا يخاف أن ينقُص ما عنده تبارك وتعالى .

* * *

قال أبو جعفر فتأويل الآية إذاً : اللهمّ يا مالك الملك تُؤتى الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعزّ من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير إنك على كل شيء قدير ، دون من ادّعى الملحدون أنه لهم إله وربٌّ وعبدوه دونك ، أو اتخذوه ١٥٢/٣ شريكاً معك ، (٣) أو أنه لك ولدٌ = وبيدك القدرة التى تفعل هذه الأشياء وتقدر بها على كل شيء ، تُولج الليل فى النهار وتُولج النهارَ فى الليل ، فتنقص من هذا وتزيد فى هذا ، وتنقص من هذا وتزيد فى هذا ، وتخرج من ميّتٍ حيًّا ومن حى ميّتاً ، وترزق من تشاء بغير حساب من خلقك ، لا يقدر على ذلك أحدٌ سواك ، ولا يستطيعه غيرك ، كما : —

٦٨٢٤ — حدثنى ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : « تولج الليلَ فى النهار وتولج النهارَ فى الليل وتخرجُ الحىّ من الميّت وتخرج الميّت من الحىّ » ، أى : بتلك القدرة = يعنى : بالقدرة التى تؤتى

---

(١) انظر معنى « الرزق » فيما سلف ٤ : ٢٧٤ / ٥ : ٤٣ ، ٤٤

(٢) انظر تفسير « بغير حساب » فيما سلف ٤ : ٢٧٤ ، ٢٧٥

(٣) فى المطبوعة : « واتخذوه » والصواب من المخطوطة .

الملك بها من تشاء وتنزعه ممن تشاء = «وترزُق من تشاء بغير حساب» ، لا يقدر على ذلك غيرُك، ولا يصنعه إلاّ أنت . أى: فإن كنتُ سلّطتُ عيسى على على الأشياء التى بها يزعمون أنه إله = : من إحياء الموتى ، وإبراء الأسقام ، والخلق للطير من الطين ، والخبر عن الغيوب ، لنجعله آية للناس ،[1] وتصديقاً له فى نبوّته التى بعثته بها إلى قومه — فإنّ من سلطانى وقدرتى ما لم أعطه : تمليكُ الملوك ،[2] وأمرُ النبوّة ووضعها حيث شئت ،[3] وإيلاجُ الليل فى النهار والنهار فى الليل ، وإخراجُ الحىّ من الميت والميت من الحىّ ، ورزقُ من شئت من برّ أو فاجر بغير حساب . فكلّ ذلك لم أسلط عيسى عليه ، ولم أملكه إياه ، فلم تكن لهم فى ذلك عبرةٌ وبينة : أنْ لو كان إلهاً ،[4] لكان ذلك كله إليه ، وهو فى علمهم يهرُب من الملوك ، وينتقل منهم فى البلاد من بلد إلى بلد ! ![5]

• • •

(١) نص ابن هشام : « لأجعله آية للناس » .

(٢) فى المطبوعة : « كتمليك الملوك » ، والصواب من المخطوطة وابن هشام .

(٣) فى ابن هشام : « بأمر النبوة » .

(٤) فى المطبوعة : « فلم يكن » ، وأثبت ما فى ابن هشام وفى مطبوعة الحلبى من السيرة « أفلم تكن » ، من إحدى نسخه ، وهى جيدة . وفى مطبوعة الطبرى : « إذ لو كان إلهاً . . . » ، والصواب من المخطوطة وابن هشام .

(٥) الأثر : ٦٨٢٤ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، وهو بقية الآثار التى آخرها رقم : ٦٧٩٤ .

القول فى تأويل قوله ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾

قال أبو جعفر : وهذا نهىٌ من الله عز وجل المؤمنين أن يتخذوا الكفارَ أعواناً وأنصاراً وظهوراً ، ولذلك كسر « يتخذِ » ، لأنه فى موضع جزم بالنهى ، ولكنه كسر « الذال » منه ، للساكن الذى لقيه وهى ساكنة .(١)

* * *

ومعنى ذلك : لا تتخذوا ، أيها المؤمنون ، الكفارَ ظهراً وأنصاراً توالونهم على دينهم ، وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين ،(٢) وتدلُّونهم على عوراتهم ، فإنه مَنْ يفعل ذلك = « فليس من الله فى شىء » ، يعنى بذلك : فقد برئ من الله وبرئ الله منه ، بارتداده عن دينه ودخوله فى الكفر = « إلا أن تتقوا منهم تقاة » ، إلاّ أن تكونوا فى سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم ، فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم ، وتضمروا لهم العداوة ، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر ، ولا تعينوهم على مُسلم بفعل ، كما : —

٦٨٢٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ابن صالح ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين » ، قال : نهى الله سبحانه المؤمنين أن يُلاطفوا الكفار أو يتخذوهم وليجةً من دون المؤمنين ، إلاّ أن يكون الكفارُ عليهم ظاهرين ، فيظهرون لهم اللُّطف ، ويخالفونهم فى الدين . وذلك قوله : « إلاّ أن تتقوا منهم تقاةً » .

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٠٥

(٢) انظر تفسير « الولى » و « الأولياء » فيما سلف ٢ : ٤٨٩ ، ٥٦٤ / ثم : ٥ : ٤٢٤/٦ : ١٤١، ١٤٢ = والقول فى « من دون » فيما سلف ٢ : ٤٨٩ .

٦٨٢٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثني محمد بن إسحق قال، حدثني محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كان الحجاجُ بن عمرو حليفُ كعب بن الأشرف، وابن أبي الحقيق، وقيس بن زيد، قد بَطَنوا بنفر من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم، فقال رفاعة بن المنذر بن زَنْبَر،[1] وعبد الله بن جبير، وسعد بن خيثمة، لأولئك النفر: اجتنبوا هؤلاء اليهود، واحذروا لزومهم ومباطنتهم لا يفتنوكم عن دينكم! فأبى أولئك النفر إلا مُباطنتهم ولزومهم، فأنزل الله عز وجل: «لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين» إلى قوله: «والله على كل شيء قدير».[2]

٦٨٢٧ – حدثنا محمد بن سنان قال، حدثنا أبو بكر الحنفي قال، حدثنا عباد بن منصور، عن الحسن في قوله: «لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين»، يقول: لا يتخذ المؤمن كافراً وليًّا من دون المؤمنين.[3]

٦٨٢٨ – حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: «لا يتخذ المؤمنون الكافرين» إلى «إلاّ أن تتقوا منهم تقاة»، أما «أولياء» فيواليهم في دينهم، ويظهرهم على عورة المؤمنين، فمن فعل هذا فهو مشرك، فقد برئ الله منه = إلا أن يتقي تقاةً، فهو يظهر الولاية لهم في دينهم، والبراءةَ من المؤمنين. ١٥٢/٣

٦٨٢٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا قبيصة بن عقبة قال، حدثنا سفيان،

---

(١) في المطبوعة: «بن زبير»، وصححته من سيرة ابن هشام، ومن ترجمته في الإصابة. وتسميته «رفاعة بن عبد المنذر»، ولكن هكذا جاء هنا، وكذلك في تفسير البغوي، وأظنه خطأ، فلم يذكروا ذلك في ترجمته.

(٢) الأثر: ٦٨٢٦ – لم أجده في سيرة ابن هشام التي بين أيدينا من سيرة ابن إسحق. وقوله: «بطنوا بنفر من الأنصار»، يقال: «بطن فلان بفلان يبطن بطوناً وبطانة» إذا كان خاصاً به، ذا علم بداخلة أمره، مؤانساً له، مطلعاً على سره. ومنه المباطنة.

(٣) الأثر: ٦٨٢٧ – انظر التعليق على الأثر السالف رقم: ٦٨٢٢.

عن ابن جريج ، عمن حدثه ، عن ابن عباس : « إلاّ أن تتقوا منهم تقاة » ، قال : التقاة التكلم باللسان، وقلبُه مطمئن بالإيمان .

٦٨٣٠ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا حفص بن عمر قال ، حدثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة في قوله : « إلاّ أن تتقوا منهم تقاة » ، قال : ما لم يُهرِق دم مسلم، وما لم يستحلّ ماله .

٦٨٣١ ــ حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين » ، إلا مصانعةً في الدنيا ومُخالقة .(١)

٦٨٣٢ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٦٨٣٣ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين » إلى « إلا أن تتقوا منهم تقاة » ، قال : قال أبو العالية : التقيَّة باللسان وليس بالعمل .

٦٨٣٤ ــ حدثت عن الحسين قال، سمعت أبا معاذ قال، أخبرنا عُبيد قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله: « إلاّ أن تتقوا منهم تقاة » ، قال: التقيةُ باللسان. مَنْ حُمل على أمر يتكلم به وهو لله معصيةٌ، فتكلم مخافةً على نفسه ، وقلبه مطمئن بالإيمان، فلا إثم عليه . إنما التقيَّة باللسان .

٦٨٣٥ ــ حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس في قوله : « إلاّ أن تتقوا منهم تقاة » ، فالتقية باللسان . مَنْ حُمل على أمر يتكلم به وهو معصية لله، فيتكلم به مخافة

(١) خالق الناس يخالقهم مخالقة : عاشرهم على أخلاقهم ، مثل « تخلق » ، أي : تصنع وتجمل وتحسن .

الناس وقلبه مطمئن بالإيمان ، فإن ذلك لا يضره . إنما التقية باللسان .

* * *

وقال آخرون : معنى : « إلا أن تتقوا منهم تقاة » ، إلا أن يكون بينك وبينه قرابة.

* ذكر من قال ذلك :

٦٨٣٦ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين إلاّ أن تتقوا منهم تقيّة » ، نهى الله المؤمنين أن يوادّوا الكفار أو يتولّوهم دون المؤمنين . وقال الله : « إلا أن تتقوا منهم تقيّة » ، [1] الرحم من المشركين ، من غير أن يتولوهم فى دينهم ، إلا أن يَصل رحماً له فى المشركين .

٦٨٣٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء » ، قال : لا يحل لمؤمن أن يتخذ كافراً وليًّا فى دينه ، وقوله : « إلا أن تتقوا منهم تقاة » ، قال : أن يكون بينك وبينه قرابة ، فتصله لذلك .

٦٨٣٨ — حدثنى محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفى قال ، حدثنا عباد بن منصور ، عن الحسن فى قوله : « إلا أن تتقوا منهم تقاة » ، قال : صاحبهم فى الدنيا معروفاً ، الرحم وغيره . فأما فى الدّين فلا .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا الذى قاله قتادة تأويلٌ له وجه ، وليس بالوجه الذى يدل عليه ظاهر الآية : إلا أن تتقوا من الكافرين تقاة = فالأغلب من معانى هذا الكلام : إلا أن تخافوا منهم مخافةً . فالتقية التى ذكرها الله فى هذه الآية ، إنما هى تقية من الكفار لا من غيرهم . ووجّهه قتادة إلى أن تأويله : إلاّ أن تتقوا الله من أجل القرابة التى بينكم وبينهم تقاة ، فتصلون رحمها . وليس ذلك الغالب على

---

(١) فى المطبوعة فى هذا الموضع « تقاة » ، وهى فى المخطوطة : « تقية » بتشديد الياء بالقلم ، وكذلك أثبتها ، وهى إحدى القراءتين كما سيذكر الطبرى بعد .

معنى الكلام . والتأويلُ فى القرآن على الأغلب الظاهر من معروف كلام العرب المستعمَل فيهم .

* * *

وقد اختلفت القرأة فى قراءة قوله : « إلاّ أن تتقوا منهم تقاة »

فقرأ ذلك عامة قرأة الأمصار : ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ ، على تقدير «فُعَلة» مثل : «تُخَمة ، وتؤَدَة وتُكأة » ، من « اتقيت » .

* * *

وقرأ ذلك آخرون : ﴿ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تَقِيَّةً ﴾ ، على مثال « فعيلة » .

* * *

قال أبو جعفر : والقراءة التى هى القراءةُ عندنا ، قراءةُ من قرأها : « إلا أن تتقوا منهم تُقاة » ، لثبوت حجة ذلك بأنه القراءةُ الصحيحة ، بالنقل المستفيض الذى يمتنع منه الخطأ . ١٥٤/٣

* * *

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (٢٨)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك ، ويخوّفكم الله من نفسه أن تَرْكبوا معاصيه ، أو توالوا أعداءه ، فإن لله مرجعكم ومَصيركم بعد مماتكم ، ويوم حشركم لموقف الحساب =[1] يعنى بذلك : متى صرتم إليه وقد خالفتم ما أمركم به ، وأتيتم ما نهاكم عنهُ من اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، نالكم من عقاب ربكم ما لا قِبَل لكم به . يقول : فاتقوه واحذرُوه أن ينالكم ذلك منه ، فإنه شديد العقاب .

* * *

(١) انظر تفسير « المصير » فيما سلف ٣ : ٥٦ / ٦ : ١٢٨ .

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢٩)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « قل » يا محمد، للذين أمرتهم أن لا يتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين = « إن تخفوا ما فى صدوركم » من موالاة الكفار فتُسِرُّوه، أو تبدوا ذلكم من نفوسكم بألسنتكم وأفعالكم فتظهروه = « يعلمه الله »، فلا يخفى عليه . يقول : فلا تُضمروا لهم مودّةً ولا تظهروا لهم موالاة، فينالكم من عقوبة ربكم ما لا طاقة لكم به ، لأنه يعلم سرّكم وعلانيتكم ، فلا يخفى عليه شيء منه ، وهو مُحصيه عليكم حتى يجازيَكم عليه بالإحسان إحساناً ، وبالسيئة مثلها ، كما : —

٦٨٣٩ — حدثنى موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : أخبرهم أنه يعلم ما أسرّوا من ذلك وما أعلنوا ، فقال : « إن تخفوا ما فى صدوركم أو تبدوه » .

* * *

وأما قوله : « ويعلم ما فى السموات وما فى الأرض » ، فإنه يعنى أنه إذ كان لا يخفى عليه شيء هو فى سماء أو أرض أو حيث كان ، فكيف يخفى عليه — أيها القوم الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين — ما فى صدوركم من الميْل إليهم بالمودة والمحبة ، أو ما تبدونه لهم بالمعونة فعلاً وقولاً ؟

* * *

وأما قوله : « والله على كل شيء قدير »، فإنه يعنى : والله قديرٌ على معاجلتكم بالعقوبة على مُوالاتكم إياهم ومظاهرتكموهم على المؤمنين ، وعلى ما يشاء من الأمور كلها ، لا يتعذّر عليه شيء أراده ، ولا يمتنع عليه شيء طلبه .

* * *

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ويحذركم الله نفسه فى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً موفَّراً ، « وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً » = يعنى غاية بعيدة ، فإن مصيركم أيها القوم يومئذ إليه ، فاحذروه على أنفسكم من ذنوبكم .

* * *

وكان قتادة يقول فى معنى قوله : « محضراً » ،[1] ما : —

٦٨٤٠ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً » ، يقول : موفَّراً .

* * *

قال أبو جعفر : وقد زعم [بعض] أهل العربية أنّ معنى ذلك :[2] واذكر يوم تجد . وقال : إن ذلك إنما جاء كذلك ، لأن القرآن إنما نزل للأمر والذكر ، كأنه قيل لهم : اذكروا كذا وكذا، لأنه فى القرآن فى غير موضع : « واتقوا يوم كذا ، وحين كذا » .

* * *

وأما « ما » التى مع « عملت » ، فبمعنى « الذى » ، ولا يجوز أن تكون جزاءً ، لوقوع « تجد » عليه .[3] وأما قوله : « وما عملت من سوء » ، فإنه معطوف على قوله : « ما » الأولى ، و « عملت » صلةٌ بمعنى الرّفع ، لمَّا قيل : « تود » .[4]

---

(١) هذا المعنى قلما تصيبه فى كتب اللغة ، فأثبته فيها .

(٢) ما بين القوسين زيادة يقتضيها السياق .

(٣) الوقوع : التعدى ، وقد سلف شرح ذلك فاطلبه فى فهرس المصطلحات .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « كما قيل تود » ، والصواب ما أثبت . وقد استظهرت قراءتها من كلام الفراء فى معانى القرآن ١ : ٢٠٦ ، ونص كلامه : « وقوله : وما عملت من سوء — فإنك ترده أيضاً

فتأويل الكلام : يوم تجد كل نفس الذى عملت من خير محضراً ، والذى ملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً .

* * *

« والأمد » الغاية التى ينتهى إليها ، ومنه قول الطرماح :

كُلُّ حَيٍّ مُسْتَكْمِلٌ عِدَّةَ العُمْـــرِ ، ومُودٍ إذَا انْقَضَى أَمَدُهْ(١)

١٠٥/٣ يعنى : غاية أجله ، وقد :—

٦٨٤١ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « وما عملت من سوء تودُّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً » ، مكاناً بعيداً .

٦٨٤٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « أمداً بعيداً » ، قال : أجلاً .

٦٨٤٣ — حدثنى محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفى قال ، حدثنا

على (ما) ، فتجعل (عملت) صلة لها فى مذهب رفع لقوله (تود لو أن بينها) » ، ويعنى بذلك أن جملة « تود » مفعول ثان لقوله : « تجد » ، كما كان « محضراً » مفعولا ثانياً . وسيأتى ذلك بعد قليل فى تفسيره .

(١) ديوانه : ١١٢ ، وهذه رواية الطبرى ، وكان يروى ديوان الطرماح ، وقرأه بالمسجد الجامع بمصر ، وأملاه على الناس ، وشرح غريبه . ولا أدرى أأخطأ أم عنده رواية أخرى غير التى وصلتنا ، فالشعر فى ديوانه كما يلى : بعد أن ذكر دار صاحبته ، وما بقى بها من النؤى والرماد :

تَرَكَ الدَّهْرُ أهْـلَهُ شُعَباً فَاسْتَمَرَّتْ مِنْ دُونِهِمْ عُقَدُهْ
وَكَذَاكَ الزَّمَانُ يَطْرُدُ بالنَّا سِ إلى اليَوْمِ ، يَوْمُهُ وغَدُهْ
لَا يُلِيثَانِ بِاخْتِلَافِهِمَا المَرْ ءَ ، وَإنْ طَالَ فِيهِمَا أَمَدُهْ
كُلُّ حَيٍّ مُسْتَكْمِلٌ عِدَّةَ العُمْ رِ ، وَمُودٍ إذَا انْقَضَى عَدَدُهْ

وقوله : « شعباً » ، أى متفرقون ، واستمرت : اشتدت وأحكمت عقدة حبال الدهر ، فلم يعد له أمل فى اجتماع أحبابه بعد الفراق . وقوله : « لا يليثان » ، من ألاثه يليثه : أخره ، وهو من « اللوث » ، وهو البطء والتأخير . يقول : إن اختلاف الأيام من يوم وغد ، لا يؤخران أجل المرء وإن طال عمره ، حتى يفنياه ويذهبا به . وقوله : « مود » أى : هالك ، إذا انقضى عدد أيامه وأكله فى هذه الحياة الدنيا .

عباد بن منصور ، عن الحسن فى قوله : « وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً » ، قال : يسر أحدَهم أن لا يلقى عمله ذاكَ أبداً ، يكونُ ذلك مناه . وأما فى الدنيا فقد كانت خطيئةً يستلذّها .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ (٣٠)

قال أبو جعفر: يقول جل ثناؤه : ويحذركم الله نفسه: أن تُسخِطوها عليكم بركوبكم ما يسخطه عليكم ، فتوافونه يومَ تجد كلُّ نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ، وهو عليكم ساخط ، فينالكم من أليم عقابه ما لا قِبَل لكم به .

ثم أخبر عز وجل أنه رؤوف بعباده رحيمٌ بهم ، وأنّ من رأفته بهم :(٢) تحذيرُه إياهم نفسه ، وتخويفهم عقوبته ، ونهيه إياهم عما نهاهم عنه من معاصيه ، كما : —

٦٨٤٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، أخبرنا عبد الرزاق ، عن ابن عيينة ، عن عمرو ، عن الحسن فى قوله : « ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد » ، قال : من رأفته بهم أن حذّرهم نفسه .(٣)

* * *

(١) فى المطبوعة : « خطيئته » ، وفى المخطوطة : « حطيته » هكذا نقطت ، ورأيت الصواب أن أقرأها كما أثبتها .

(٢) فى المطبوعة : « ومن رأفته بهم » ، وفى المخطوطة : « وأرض رأفته بهم » ، وصواب قراءتها ما أثبت .

(٣) الأثر : ٦٨٤٤ — « والحسن » ، هو الحسن البصرى بلا ريب ، فقد نسب هذا الأثر إليه

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٣١)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى السبب الذى أنزلت هذه الآية فيه .

فقال بعضهم : أنزلت فى قوم قالوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم : « إنا نحب ربنا » ، فأمر الله جل وعز نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم : إن كنتم صادقين فيما تقولون ، فاتبعونى ، فإن ذلك علامة صِدْقكم فيما قلتم من ذلك .

* ذكر من قال ذلك :

٦٨٤٥ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله ، عن بكر بن الأسود قال ، سمعت الحسن يقول : قال قومٌ على عهد النبي صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، إنا نحبّ ربنا ! فأنزل الله عز وجل : « قُل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » ، فجعل اتباع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم عَلَماً لحبه، وعذابِ من خالفه .

٦٨٤٦ – حدثنى المثنى قال، حدثنا على بن الهيثم قال ، حدثنا عبد الوهاب ، عن أبي عبيدة قال : سمعت الحسن يقول : قال أقوامٌ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، إنا لنحب ربنا ! فأنزل الله جل وعز بذلك قرآناً : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » ،فجعل الله اتباع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم علماً لحبه، وعذاب من خالفه .(١)

ابن كثير فى تفسيره ٢ : ١٢٥ ، والسيوطى فى الدر المنثور ٢ : ١٧ ، وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « عمرو بن الحسن » ، فظهر أنه خطأ لا شك فيه . أما « عمرو » ، فلم أستطع أن أقطع من يكون ، فمن روى عن الحسن ، ممن اسمه « عمرو » كثير .

(١) الأثران : ٦٨٤٥ ، ٦٨٤٦ ، سيذكر الطبرى ضعفهما عنده بعد قليل .

٦٨٤٧ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله: « إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » ، قال : كان قوم يزعمون أنهم يحبون الله ، يقولون : إنا نحب ربّنا ! فأمرهم الله أن يتبعوا محمداً صلى الله عليه وسلم ، وجعل اتباع محمد علماً لحبه .

٦٨٤٨ – حدثنى محمد بن سنان قال، حدثنا أبو بكر الحنفى قال ، حدثنا عباد بن منصور ، عن الحسن فى قوله : « إن كنتم تحبون الله » الآية ، قال : إن أقواماً كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعمون أنهم يحبون الله ، فأراد الله أن يجعل لقولهم تصديقاً من عمل، فقال: « إن كنتم تحبون الله » الآية ، كان اتباعُ محمد صلى الله عليه وسلم تصديقاً لقولهم .(١)

* * *

وقال آخرون: بل هذا أمرٌ من الله نبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يقول لوفد نجران الذين قدموا عليه من النصارى : إن كان الذى تقولونه فى عيسى من عظيم القول ، إنما تقولونه تعظيماً لله وحبًّا له ، فاتبعوا محمداً صلى الله عليه وسلم .

* ذكر من قال ذلك :

٦٨٤٩ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : « قل إن كنتم تحبون الله » ، أى : إن كان ١٥٦/٣ هذا من قولكم – يعنى : فى عيسى –(٢) حبًّا لله وتعظيماً له = ، « فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » ، أى : ما مضى من كفركم = « والله غفور رحيم » .(٣)

* * *

---

(١) فى المخطوطة : « تصديق لقولهم » ، والصواب ما فى المطبوعة .

(٢) ما بين الخطين زيادة تفسير من أبى جعفر . وفى سيرة ابن هشام : « إن كان هذا من قولكم حقاً ، حباً لله . . . » بزيادة « حقاً » ، وأخشى أن يكون ناسخ الطبرى قد أسقطها .

(٣) الأثر : ٦٨٤٩ – سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٨ ، وهو بقية الآثار التى آخرها رقم : ٦٨٢٤ .

قال أبو جعفر : وأولى القولين بتأويل الآية ، قولُ محمد بن جعفر بن الزبير . لأنه لم يجر لغير وفد نجرانَ فى هذه السورة ولا قبل هذه الآية ، ذكرُ قوم ادَّعوا أنهم يحبُّون الله ، ولا أنهم يعظمونه ، فيكون قوله : « إن كنتم تحبون الله فاتبعونى » جواباً لقولهم ، على ما قاله الحسن .

وأمّا ما روى الحسن فى ذلك مما قد ذكرناه ، فلا خبر به عندنا يصحّ ، فيجوز أن يقال إنّ ذلك كذلك ، وإن لم يكن فى السورة دلالة على أنه كما قال . إلاّ أن يكون الحسن أرادَ بالقوم الذين ذكر أنهم قالوا ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفدَ نجران من النصارى ، فيكون ذلك من قوله نظير اختيارنا فيه .(١)

فإذْ لم يكن بذلك خبر على ما قلنا ، ولا فى الآية دليلٌ على ما وصفنا ، فأولى الأمور بنا أن نُلحق تأويله بالذى عليه الدّلالة من آى السورة ، وذلك هو ما وصفنا . لأن ما قبل هذه الآية من مبتدأ هذه السورة وما بعدها ، خبرٌ عنهم ، واحتجاجٌ من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، ودليل على بُطول قولهم فى المسيح . فالواجب أن تكون هى أيضاً مصروفةَ المعنى إلى نحو ما قبلها ومعنى ما بعدها .

* * *

قال أبو جعفر : فإذْ كان الأمر على ما وصفنا ، فتأويلُ الآية : قل ، يا محمد ، للوفد من نصارى نجران : إن كنتم كما تزعمون أنكم تحبون الله ،(٢) وأنكم تعظمون المسيح وتقولون فيه ما تقولون ، حبًّا منكم ربَّكم = فحققوا قولكم الذى تقولونه ، إن كنتم صادقين ، باتباعكم إياى ، فإنكم تعلمون أنى لله رسولٌ إليكم ، كما كان عيسى رسولاً إلى من أرسل إليه ، فإنه = إن اتبعتمونى وصدّقتمونى على

---

(١) فى المطبوعة : « نظير أخبارنا » ، وفى المخطوطة : « نظير احسار بالله » غير منقوطة . وظاهر أن المطبوعة حذفت ما كان رسمه « لله » ، وظاهر أن قراءتنا لنصها هو الصواب إن شاء الله .

(٢) فى المطبوعة : « إن كنتم تزعمون . . . » بحذف « كما » ، فأثبتها من المخطوطة .

ما أتيتكم به من عند الله = يغفرُ لكم ذنوبكم ، فيصفح لكم عن العقوبة عليها ، ويعفو لكم عما مضى منها ، فإنه غفور لذنوب عباده المؤمنين ، رحيمٌ بهم وبغيرهم من خلقه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ (٣٢)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : قل ، يا محمد ، لهؤلاء الوفد من نصارى نجران : أطيعوا الله والرسول محمداً ، فإنكم قد علمتم يقيناً أنه رسولى إلى خلقى ، ابتعثتُه بالحق ، تجدونه مكتوباً عندكم فى الإنجيل ؛ فإن تولَّوا فاستدبروا عما دعوتهم إليه من ذلك ، وأعرضوا عنه ، فأعلمهم أن الله لا يحبُّ من كفر فجحد ما عرف من الحق ، وأنكره بعد علمه ،[1] وأنهم منهم ،[2] بجحودهم نبوتك ، وإنكارهم الحقّ الذى أنت عليه ، بعد علمهم بصحة أمرك ، وحقيقة نبوتك ، كما : —

٦٨٥٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن جعفر بن الزبير : « قل أطيعوا الله والرسول » ، فأنتم تعرفونه — يعنى الوفد من نصارى نجران — وتجدونه فى كتابكم = « فإن تولوا » على كفرهم = « فإن الله لا يحبّ الكافرين » .[3]

* * *

(١) فى المطبوعة : « من كفر بجحد ما عرف . . . » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) قوله : « وأنهم منهم » ، معطوف على قوله : « فأعلمهم أن الله لا يحب من كفر . . . » ، « وأنهم منهم » ، أى من هؤلاء الذين لا يحبهم الله ، بجحودهم نبوتك .

(٣) الأثر : ٦٨٥٠ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٨ ، وهو من بقية الآثار التى آخرها رقم : ٦٨٤٩ .

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٣٣)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : إن الله اجتبى آدمَ ونوحاً واختارهما لدينهما = وآل إبراهيم وآل عمران لدينهم الذى كانوا عليه، لأنهم كانوا أهل الإسلام. فأخبرَ الله عز وجل أنه اختار دين مَنْ ذكرنا على سائر الأديان التى خالفته.(١)

وإنما عنى بـ «آل إبراهيم وآل عمران»، المؤمنين .

* * *

وقد دللنا على أن «آل الرجل» ، أتباعه وقومه ، ومن هو على دينه.(٢)

* * *

وبالذى قلنا فى ذلك روى القول عن ابن عباس أنه كان يقوله .

٦٨٥١ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنى معاوية، عن على ، عن ابن عباس قوله : «إن الله اصطفى آدمَ ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين»، قال : هم المؤمنون من آل إبراهيم وآل عمران وآل ياسين وآل محمد، يقول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ ﴾ [سورة آل عمران : ٦٨]، وهم المؤمنون .

٦٨٥٢ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : «إنّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآلَ عمران على العالمين» ، رجلان نبيّان اصطفاهما الله على العالمين .

١٥٧/٣ ٦٨٥٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة فى قوله : «إنّ الله اصطفى آدمَ ونوحاً وآلَ إبراهيم وآلَ عمران على العالمين» ، قال : ذكر الله أهلَ بيتين صالحين ، ورجلين صالحين ، ففضلهم

---

(١) انظر تفسير «اصطفى» فيما سلف ٣ : ٩١ ، ٩٦ / ثم ٥ : ٣١٢، ٣١٣

(٢) انظر ما سلف ٢ : ٣٧ / ٣ : ٢٢٢ ، تعليق : ١ .

على العالمين ، فكان محمد من آل إبراهيم .

٦٨٥٤ – حدثني محمد بن سنان قال، حدثنا أبو بكر الحنفي ، قال ، حدثنا عباد ، عن الحسن في قوله : « إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم » إلى قوله : « والله سميع عليم » ، قال : فضلهم الله على العالمين بالنبوّة ، على الناس كلهم ، كانوا هم الأنبياء الأتقياءَ المصطفين لربهم .(١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

قال أبو جعفر : يعني بذلك : إن الله اصطفى آلَ إبراهيم وآل عمران « ذريةً بعضها من بعض » .

* * *

فـ« الذرية » منصوبة على القطع من « آل إبراهيم وآل عمران » ، لأن « الذرية » ، نكرة، « وآل عمران » معرفة .(٢)

ولو قيل نصبت على تكرير « الاصطفاء » ، لكان صواباً . لأن المعنى : اصطفى ذريةً بعضُها من بعض .(٣)

* * *

وإنما جعل« بعضهم من بعض» في الموالاة في الدين، والمؤازرة على الإسلام والحق ، كما قال جل ثناؤه : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [سورة التوبة : ٧١]، وقال في موضع آخر :﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ [سورة التوبة : ٦٧] ، يعني : أنّ دينهم واحدٌ وطريقتهم واحدة، فكذلك قوله :

---

(١) في المطبوعة : « المطيعين لربهم » ، كما في الدر المنثور ٢ : ١٧ ، ١٨ ، ولكن المخطوطة واضحة جداً ، ومطابقة لقوله تعالى : « إن الله اصطفى آدم . . . » .

(٢) انظر ما سلف في معنى « القطع » ، وهو الحال ، قريباً ص : ٢٧٠ ، تعليق : ٣ .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٢٠٧ .

« ذرية بعضها من بعض » ، إنما معناه : ذرية دينُ بعضها دينُ بعض ، وكلمتهم واحدةٌ ، وملتهم واحدة فى توحيد الله وطاعته ، كما : —

٦٨٥٥ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ذرية بعضها من بعض » ، يقول : فى النية والعمل والإخلاص والتوحيد له .

* * *

وقوله : « والله سميعٌ عليمٌ » ، يعنى بذلك : والله ذُو سمع لقول امرأة عمران ، وذو علم بما تضمره فى نفسها، إذ نذرت له ما فى بطنها مُحرَّراً .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (٣٥)

يعنى بقوله جل ثناؤه : « إذ قالت امرأة عمران ربّ إنى نذرت لك ما فى بطنى محرّراً فتقبل منى » ، فـ « إذْ » من صلة « سميع » .(١)

* * *

وأمّا « امرأة عمران » ، فهى أم مريم ابنة عمران ، أم عيسى بن مريم صلوات الله عليه . وكان اسمها فيما ذكر لنا حَنَّة ابنة فاقوذ بن قبيل ،(٢) كذلك : —

٦٨٥٦ — حدثنا به محمد بن حميد قال ،حدثنا سلمة ،عن ابن إسحق فى نسبه = وقال غير ابن حميد : ابنة فاقود — بالدال — ابن قبيل .(٢)

* * *

فأما زوجها « عمران » ، فإنه : عمران بن ياشهم بن أمون بن منشا بن حزقيا بن

---

(١) يعنى أن الظرف « إذ » متعلق بقوله : « سميع » فى الآية السابقة . وقد ظن الناشر الأول للتفسير ، أن فى الكلام سقطاً ، وليس كذلك ، والكلام تام لا خرم فيه .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « قتيل » فى الموضعين وأثبت ما فى تاريخ الطبرى ٢ : ١٣ .

أحزيق[١] بن يوثم[٢] بن عزاريا[٣] بن أمصيا بن ياوش بن أحزيهو[٤] بن يارم ابن يهفاشاط بن أسابر[٥] بن أبيا بن رحبعم بن سليمان بن داود بن إيشا ، كذلك :—

٦٨٥٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق فى نسبه .

* * *

وأما قوله : « ربِّ إنى نذرتُ لك ما فى بطنى محرَّراً » ، فإنّ معناه : إنى جعلت لك يا رب نَذْراً أنّ لك الذى فى بطنى محرَّراً لعبادتك . يعنى بذلك : حبستُه على خدمتك وخدمة قُدْسك فى الكنيسة ، عتيقةً من خدمة كلّ شىء سواك ، مفرَّغة لك خاصة .

* * *

ونصب « محرَّراً » على الحال مما فى الصفة من ذكر « الذى » .[٦]

* * *

« فتقبل منى » ، أى : فتقبل منى ما نذرت لك يا ربّ = « إنك أنت السميع

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « أحريق » ، وأثبت ما فى تاريخ الطبرى ٢ : ١٣ .

(٢) فى المطبوعة : « يويم » ، وفى المخطوطة غير منقوطة ، وفى تاريخ الطبرى : « يوثام » فجعلتها « ثاء » بغير ألف ، مطابقة للرسم .

(٣) فى تاريخ الطبرى « عزريا » بغير ألف .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « أحريهو » بالراء .

(٥) فى المطبوعة والمخطوطة : « يازم » بالزاى ، وفى تاريخ الطبرى : « يهشافاط » ، وكأنه الصواب . وفى المطبوعة : « أشا » بالشين المعجمة ، وأثبت ما فى المخطوطة والتاريخ ، بيد أن فى المخطوطة والمطبوعة ، قد جعل هذا والذى بعده اسماً واحداً كتب هكذا : « أسابرابان » والصواب ما أثبت من تاريخ الطبرى .

(٦) فى المطبوعة : « ونصب محرراً على الحال من (ما) التى بمعنى (الذى) » . فغيروا ما فى المخطوطة ، وأساءوا أشد الإساءة ، ونسبوا إلى أبى جعفر إعراباً لم يقل به ، ومذهباً لم يذهب إليه . فإن تصحيح المصحح جعل « محرراً » حالا من « ما » ، والذى ذهب إليه الطبرى أن « محرراً » حال من الضمير الذى فى الجار والمجرور « فى بطنى » ، والعامل فى الجار والمجرور هو « استقر » . وبين الإعرابين فرق بين . انظر تفسير أبى حيان ١ : ٤٣٧ ، وتفسير الألوسى ٣ : ١١٨ وغيرهما . والذى أفضى به إلى هذا التبديل أنه استبهم عليه معنى « الصفة » ، وهو : حرف الجر ، وحروف الصفات هى حروف الجر ، كما مضى ١ : ٢٩٩ تعليق : ١/٣ : ٤٧٥ تعليق : ١/٤ : ٢٢٧ تعليق : ١/ ثم : ٢٤٧ تعليق : ٣ .

العليم »، يعنى : إنك أنتَ يا رب « السميع » لما أقول وأدعو = « العليم » لما أنوى فى نفسى وأريد ، لا يخفى عليك سرّ أمرى وعلانيته .(١)

* * *

وكان سبب نذر حَنة ابنةُ فاقوذ ، امرأة عمران = الذى ذكره الله فى هذه الآية فيما بلغنا ، ما : —

٦٨٥٨ — حدثنا به ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال ، حدثنى محمد بن إسحق قال : تزوج زكريا وعمران أختين، فكانت أمّ يحيى عند زكريا ، وكانت أمّ مَريم عند عمرانَ ، فهلك عمران وأم مريم حاملٌ بمريم ، فهى جنينٌ فى بطنها . قال : وكانت ، فيما يزعمون ، قد أمسك عنها الولد حتى أسنَّت ، وكانوا أهل بيت من الله جل ثناؤه بمكان . فبينا هى فى ظلّ شجرة نظرت إلى طائر يُطعم فرخاً له ، فتحرّكت نفسُها للولد ، فدعت الله أن يهبَ لها ولداً ، فحملت بمريم ، وهلك عمران . فلما عرفت أن فى بطنها جنيناً جعلته لله نَذيرةً = و « النذيرة » ،أن تعبِّده لله ، فتجعله حبيساً فى الكنيسة، لا ينتفع به بشىء من أمور الدنيا . ١٥٨/٣

٦٨٥٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن جعفر بن الزبير قال = ثم ذكر امرأة عمران وقولها : « ربّ إنى نذرتُ لك ما فى بطنى محرّراً » = أى نذرته ، نقول : جعلته عتيقاً لعبادة الله ، لا ينتفع به بشىء من أمور الدنيا =(٢) « فتقبَّل منى إنك أنتَ السميع العليم » .(٣)

٦٨٦٠ — حدثنى عبد الرحمن بن الأسود الطفاوى قال ، حدثنا محمد بن ربيعة

---

(١) انظر معنى « النذر » فيما سلف ٥ : ٥٨٠

(٢) نص ابن هشام : « أى : نذرته فجعلته عتيقاً ، تعبده لله ، لا ينتفع به لشىء من الدنيا » ، فتركت رواية الطبرى على حالها .

(٣) الأثر : ٦٨٥٩ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٨ ، وهو بقية الآثار السالفة التى آخرها رقم : ٦٨٥٠ .

قال ، حدثنا النضر بن عربى ، عن مجاهد فى قوله : « محرراً » ، قال : خادماً للبيعة .[1]

٦٨٦١ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا جابر بن نوح ، عن النضر بن عربى ، عن مجاهد قال : خادماً للكنيسة .

٦٨٦٢ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا جابر بن نوح قال ، أخبرنا إسمعيل ، عن الشعبى فى قوله : « إنى نذرت لك ما فى بطنى محرّراً » ، قال : فرّغته للعبادة .

٦٨٦٣ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا إسمعيل ابن أبى خالد ، عن الشعبى فى قوله : « إنى نذرت لك ما فى بطنى محرراً » ، قال : جعلته فى الكنيسة ، وفرّغته للعبادة .

٦٨٦٤ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن إسمعيل ، عن الشعبى نحوه .

٦٨٦٥ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « إنى نذرت لك ما فى بطنى محرراً » ، قال : للكنيسة يخدُمها .

٦٨٦٦ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٦٨٦٧ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن مجاهد : « إنى نذرت لك ما فى بطنى محرراً » ، قال : خالصاً ، لا يخالطه شىء من أمر الدنيا .

٦٨٦٨ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ،

---

(١) الأثر : ٦٨٦٠ – « عبد الرحمن بن الأسود بن المأمون ، مولى بنى هاشم » بغدادى ، روى عن محمد بن ربيعة ، وروى عنه الترمذى والنسائى ، وابن جرير . مترجم فى التهذيب . و « محمد بن ربيعة الكلابى الرؤاسى » ابن عم وكيع . وهو ثقة . مترجم فى التهذيب .

والبيعة (بكسر الباء) : كنيسة النصارى ، أو كنيسة اليهود .

عن سعيد بن جبير : « إنى نذرت لك ما فى بطنى محرراً » ، قال : للبيعة والكنيسة .

٦٨٦٩ — حدثنى المثنى قال، حدثنا الحمانىّ قال ، حدثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد : « إنى نذرت لك ما فى بطنى محرراً » ، قال : محرّراً للعبادة .

٦٨٧٠ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إذ قالت امرأة عمران رَبّ إنى نذرت لك ما فى بطنى محرراً » ، الآية ، كانت امرأة عمران حَرّرت لله ما فى بطنها ، وكانوا إنما يحرّرُون الذكور ، وكان المحرَّر إذا حُرِّر جعل فى الكنيسة لا يبرَحها ، يقوم عليها ويكنُسها .

٦٨٧١ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « إنى نذرت لك ما فى بطنى محرراً » ، قال : نذرت ولدها للكنيسة .

٦٨٧٢ — حدثنى موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « إذ قالت امرأة عمران رب إنى نذرت لك ما فى بطنى محرّراً فتقبل منى إنك أنت السميع العليم » ، قال : وذلك أن امرأة عمران حملت، فظنت أن ما فى بطنها غلام ، فوهبته لله محرّراً لا يعمل فى الدنيا .

٦٨٧٣ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : كانت امرأة عمران حرّرَت لله ما فى بطنها . قال : وكانوا إنما يحرّرون الذكور ، فكان المحرَّر إذا حُرِّر جعل فى الكنيسة لا يبرحها ، يقوم عليها ويكنسها .

٦٨٧٤ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد قال، سمعت الضحاك فى قوله : « إنى نذرت لك ما فى بطنى محرراً » ، قال : جعلت ولدها لله، وللذين يدرُسون الكتاب ويتعلّمونه .

٦٨٧٥ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن القاسم بن أبى بزة : أنه أخبره عن عكرمة = وأبى بكر ، عن عكرمة : أن امرأة عمران كانتْ عجوزاً عاقراً تسمى حَنّة ، وكانت لا تلد ، فجعلت تغبطُ النساء لأولادهن ، فقالت : اللهمّ إنّ علىّ نذراً شكراً إن رزقتنى

ولداً أن أتصدّق به على بيت المقدس ، فيكون من سَدَنته وخُدّامه . قال : وقوله : « نذرتُ لك ما فى بطنى محرّراً » = إنها للحرّة ابنة الحرائر = « محرراً » للكنيسة يخدمها .

٦٨٧٦ – حدثنى محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد بن منصور ، عن الحسن فى قوله : « إذ قالت امرأة عمران » الآية كلها قال : نذرت ما فى بطنها ، ثم سيَّبَتْها .(١) ١٥٩/٣

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « فلما وضعتها » ، فلما وضعت حنّة النذيرة ، ولذلك أنث . ولو كانت «الهاء» عائدة على «ما» التى فى قوله : « إنى نذرت لك ما فى بطنى محرراً » ، لكان الكلام : « فلما وضعته قالتْ رب إنى وضعته أنثى » .

* * *

ومعنى قوله : « وضعتها » ، ولدتها . يقال منه : « وضعت المرأة تَضَع وضْعاً » .

* * *

(١) سيب الشىء : تركه . وسيب الناقة أو الدابة : تركها تسيب حيث شاءت ، والدابة سائبة ، فإذا كانت نذراً ، كان لا ينتفع بظهرها ، ولا تحلأ عن ماء ، ولا تمنع من كلأ ، ولا تركب . وهى التى قال الله فيها « ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة » . ثم قيل منه للعبد إذا أعتقه مولاه ، وأراد أن لا يجعل ولاءه إليه ، فهو لا يرثه ، وللمعتق أن يضع نفسه وماله حيث شاء « سائبة » . انظر ما سلف ٣ : ٣٨٦ فى خبر أبى العالية .

أما قوله : « سيبتها » هنا ، فإنه أراد أنها جعلتها سائبة لله ، ليس لأحد عليها سبيل ، وهو قريب من معنى « التحرير » .

= « قالت ربّ إنى وضعتها أنثى » ، أى : ولدت النذيرة أنثى = « والله أعلم بما وضعت » .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة القرأة : ﴿ وَضَعَتْ ﴾ ، خبراً من الله عز وجل عن نفسه : أنه العالم بما وضعت ، من غير قيلها : « ربّ إنى وضعتها أنثى » .

* * *

وقرأ ذلك بعض المتقدّمين : ﴿ واللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتُ ﴾ علىٰ وجه الخبر بذلك عن أم مريم أنها هى القائلة : « والله أعلم بما ولدتُ منى » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب ما نقلته الحجة مستفضية فيها قراءته بينها ، لا يتدافعون صحتها . وذلك قراءة من قرأ « والله أعلم بما وضعتْ » ، ولا يعترض بالشاذّ عنها عليها .

* * *

فتأويل الكلام إذاً : والله أعلم من كل خلقه بما وضعت = ثم رجع جل ذكره إلى الخبر عن قولها ، وأنها قالت – اعتذاراً إلى ربها مما كانت نذرتْ فى حملها فحررته لخدمة ربها – : « وليس الذكر كالأنثى » ، لأن الذكر أقوى على الخدمة وأقوم بها ، وأن الأنثى لا تصلح فى بعض الأحوال لدخول القدْس والقيام بخدمة الكنيسة ، لما يعتريها من الحيض والنفاس = « وإنى سميتها مريم » ، كما : –

٦٨٧٧ – حدثنى ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن جعفر بن الزبير : « فلما وضعتها قالت رب إنى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى » ، أى : لما جعلتها محرّراً له نذيرة .(١)

٦٨٧٨ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثنى ابن إسحق :

---

(١) الأثر : ٦٨٧٧ – سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٨ ، وهو بقية الآثار التى آخرها رقم : ٦٨٥٩ . ونص ابن هشام فى المطبوعة الأوربية : « لما جعلتها محرراً له نذيرة » كنص الطبرى هنا ،

« وليس الذكر كالأنثى » ، لأن الذكر هو أقوى على ذلك من الأنثى .

٦٨٧٩ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وليس الذكر كالأنثى » ، كانت المرأة لا يستطاع أن يصنع بها ذلك =[1] يعنى أن تحرر للكنيسة ، فتجعل فيها ، تقوم عليها وتكنسها فلا تبرحها = مما يصيبها من الحيض والأذى ، فعند ذلك قالت :[2] « ليس الذكر كالأنثى » .

٦٨٨٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « قالت رب إنى وضعتها أنثى » ، وإنما كانوا يحرّرون الغلمان – قال : « وليس الذكر كالأنثى وإنى سميتها مريم » .

٦٨٨١ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : كانت امرأة عمران حرّرت لله ما فى بطنها ، وكانت على رَجاء أن يهبَ لها غلاماً ، لأن المرأة لا تستطيع ذلك = يعنى القيامَ على الكنيسة لا تَبرحها ، وتكنُسها = لما يصيبها من الأذى .

٦٨٨٢ – حدثنى موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أن امرأة عمران ظنتّ أن ما فى بطنها غلامٌ ، فوهبته لله . فلما وضعت إذا هى جارية ، فقالت تعتذر إلى الله : « رب إنى وضعتها أنثى وليس الذكر كالأنثى » ، تقول : إنما يحرّر الغلمان. يقول الله : « والله أعلم بما وضعت » ، فقالت : « إنى سَمّيتها مريم » .

وفى مطبوعة الحلبى : « محرراً لك » ، وفى إحدى نسخ سيرة ابن هشام « محررة » ، وهى صواب جيد ، ولكن مطبوعة الطبرى غيرت نص المخطوطة الذى أثبته ، فجعلتها : « لما جعلتها له محررة نذيرة » ، ولست أدرى لم فعل ذلك ! !

(١) فى المطبوعة : «لا تستطيع » ، وفى المخطوطة : « لا تستطاع » ، وهو الصواب ، إلا أن الناسخ أخطأ فجعلها بالتاء الفوقية .

(٢) هكذا فى المطبوعة والمخطوطة ، وأنا أرجح أن الصواب : «فمن ذلك قالت » ، أى من أجل ذلك قالت . و « عن » هنا بمعنى التعليل ، كما فى قوله تعالى : « وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك » . وهى عبارة مشهورة من نهج عبارات القدماء ، وهى أجود من نص المخطوطة والمطبوعة وأشبه بالعربية .

٣/١٦٠ ٦٨٨٣ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن القاسم بن أبي بزة : أنه أخبره عن عكرمة = وأبي بكر، عن عكرمة : « فلما وضعتها قالت ربّ إني وضعتها أنثى » = « وليس الذكر كالأنثى »، يعني : في المحيض، ولا ينبغي لامرأة أن تكون مع الرجال = أمها تقول ذلك .

* * *

القول في تأويل قوله جل ثناؤه ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (٣٦)

قال أبو جعفر : تعني بقولها : « وإني أعيذُها بك وذُريتها »، وإني أجعل مَعاذها ومَعاذ ذرّيتها من الشيطان الرجيم، بك .

* * *

وأصل « المعاذ »، الموئل والملجأ والمعقل .(١)

* * *

= فاستجاب الله لها، فأعاذها الله وذرّيتها من الشيطان الرجيم، فلم يجعل له عليها سبيلاً .

* * *

٦٨٨٤ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عبدة بن سليمان، عن محمد بن إسحق، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نَفْس مولود يُولد إلا والشيطان ينال منه تلك الطعنة، ولها يَستهلّ الصبي، إلاّ ما كان من مريم ابنة عمران، فإنها لما وضعتها قالت : «رب إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم»، فضُرب دُونها حجاب، فطعَن فيه .(٢)

---

(١) انظر ما سلف في تفسير « عاذ يعوذ » ١ : ١١١، قال : « الاستعاذة : الاستجارة » .

(٢) الحديث : ٦٨٨٤ – يزيد بن عبد الله بن قسيط الليثي المدني : تابعي فقيه ثقة من الثقات، من شيوخ مالك، احتج به في مواضع من الموطأ . وأخرج له الجماعة .

٦٨٨٥ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يونس بن بكير قال، حدثني محمد ابن إسحق ، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل مولود من ولد آدم له طعنةٌ من الشيطان ، وبها يستهلُّ الصبي ، إلا ما كان من مريم ابنة عمران وولدها ، فإنّ أمها قالت حين وضعتها : « إني أعيذها بك وذرّيتها من الشيطان الرجيم » ، فضرب دونهما حجاب ، فطعَن في الحجاب .

٦٨٨٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثني محمد بن إسحق، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه .

٦٨٨٧ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا هرون بن المغيرة، عن عمرو ، عن شعيب بن خالد، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب قال: سمعت أبا هريرة يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ما من بني آدم مولودٌ يولد إلاّ قد مسّه الشيطان حين يولد، فيستهلّ صارخاً بمسّه إياه، غير مريم وابنها . فقال أبو هريرة : اقرأوا إن شئتم : « إني أعيذها بك وذرّيتها من الشيطان الرجيم » .[1]

والحديث سيأتي ، عقب هذا ، بإسنادين آخرين إلى ابن إسحق ، بهذا الإسناد ، نحوه .

وأشار إليه ابن كثير في التاريخ ٢ : ٥٧ ، من رواية ابن إسحق ، دون تعيين في تخريجه .

ورواه الحاكم في المستدرك ٢ : ٥٩٤ ، من طريق إسمعيل بن جعفر ، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن أبي هريرة . وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبي .

وإسمعيل بن جعفر بن أبي كثير ، قارئ أهل المدينة : ثقة مأمون ، شارك مالكاً في أكثر شيوخه .

ووقع في المستدرك ومختصر الذهبي : « يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن أبيه ، عن أبي هريرة » . وزيادة « عن أبيه » في الإسناد – خطأ صرف ، لا معنى لها . وأرجح أنه خطأ من ناسخي المستدرك . فإن والد يزيد هذا – غير معروف بالرواية ، ولم يذكره أحد في رواة الحديث .

ثم رواه ابن جرير بنحوه ، بأسانيد متعددة ، إلى رقم : ٦٨٩٩ . وكلها عن أبي هريرة ، إلا : ٦٨٩٣ ، فإنه عن ابن عباس .

(١) الحديث : ٦٨٨٧ – عمرو – شيخ هرون : هو عمرو بن أبي قيس الرازي الأزرق ، وهو ثقة ، أثنى عليه الثوري .

٦٨٨٨ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب ، قال ، أخبرني ابن أبي ذئب ، عن عجلان مولى المشمعِل ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل مولود يولد من بني آدم يمسُّه الشيطان بإصبعه ، إلاّ مريم وابنها .(١)

٦٨٨٩ – حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال ، حدثني عمي عبد الله ابن وهب قال ، أخبرني عمرو بن الحارث : أن أبا يونس سُليماً مولى أبي هريرة حدثه ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كل بني آدم آدم يمسُّه الشيطان يوم ولدته أمه ، إلاّ مريم وابنها .(٢)

٦٨٩٠ – حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني عمران ، أن

شعيب بن خالد البجلي ، قاضي الري : ثقة ، أثنى عليه الثوري أيضاً . وقال ابن عيينة : « حفظ من الزهري ومالك شاباً » .

وهو هنا يروي عن « الزهري » . ووقع في المطبوعة « الزبير » بدل « الزهري » . وهو خطأ . صوابه من المخطوطة .

والحديث رواه البخاري ٦ : ٣٣٨ – ٣٣٩ ، من طريق شعيب ، عن الزهري ، بهذا ، بنحوه . و « شعيب » – في إسناد البخاري – : هو « شعيب بن أبي حمزة الحمصي » . وأما « شعيب بن خالد » فلم يرو له من أصحاب الكتب الستة غير أبي داود .

وكذلك رواه مسلم ٢ : ٢٢٤ ، من طريق شعيب بن أبي حمزة .

وانظر : ٦٨٩١ .

(١) الحديث : ٦٨٨٨ – عجلان مولى المشمعل : تابعي ثقة .

والحديث : رواه أحمد في المسند : ٧٨٦٦ ، عن إسمعيل بن عمر : و : ٧٩٠٢ ، عن يزيد بن هرون ، و : ٧٩٠٢ ، عن هاشم بن القاسم (٢ : ٢٨٨ ، ٢٩٢ ، ٣١٩ حلبي) – ثلاثتهم عن ابن أبي ذئب ، بهذا الإسناد .

ونقله ابن كثير في التاريخ ٢ : ٥٧ ، عن الرواية الأولى من روايات المسند .

وذكره في التفسير ٢ : ١٣٠ ، من رواية ابن وهب – إشارة إلى رواية الطبري هذه .

(٢) الحديث : ٦٨٨٩ – عمرو بن الحارث بن يعقوب المصري : مضت ترجمته في : ١٣٨٧ .

سليم – بضم السين – بن جبير ، أبو يونس مولى أبي هريرة : تابعي مصري ثقة .

ووقع في المطبوعة : « أن أبا يونس سليمان » ، بزيادة النون في آخر الاسم . وصوابه من المخطوطة « سليما » ، بالتنوين . بل في رواية مسلم طبعة بولاق : « أن أبا يونس سليم مولى أبي هريرة » ، فرسم بالتنوين دون ألف ، على لغة ربيعة ، في الوقوف على المنصوب بالسكون .

والحديث رواه مسلم ٢ : ٢٢٤ ، من طريق ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، بهذا الإسناد .

أبا يونس حدثه ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله .(١)

٦٨٩١ – حدثني الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن ابن المسيب ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من مولود يولد إلاّ يمسُّه الشيطان ، فيستهل صارخاً من مسَّةِ الشيطان ، إلا مريم وابنها . ثم يقول أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم : « وإني أعيذُها بك وذرّيتها من الشيطان الرجيم » .(٢) ١٦١/٣

٦٨٩٢ – حدثني المثنى قال ، حدثني الحماني قال ، حدثنا قيس ، عن الأعمش، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من مولود يولد إلاّ وقد عَصَره الشيطان عَصرةً أوعصرتين ،إلاّ عيسى ابن مريم ومريم . ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم » .(٣)

---

(١) الحديث ٦٨٩٠ – «عمران» – في الإسناد: هكذا ثبت في المخطوطة والمطبوعة . ولا ندرى من هو ؟ والظاهر أنه خطأ من الناسخين ، نرجح أن صوابه « ابن عمران » . فإن يكنه يكن « حرملة بن عمران التجيبي المصرى » . وهو ثقة ، يروى عن سليم بن جبير مولى أبي هريرة ، راوى هذا الحديث . ويروى عنه ابن وهب . وهو الصواب إن شاء الله .

(٢) الحديث : ٦٨٩١ – مضى بنحوه : ٦٨٨٧ ، من رواية شعيب بن خالد عن الزهرى . وأشرنا هناك إلى رواية شعيب بن أبي حمزة عن الزهرى . وهذه رواية معمر عن الزهرى .

وقد رواه أحمد في المسند : ٧٦٩٤ ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، به . ونقله ابن كثير في التاريخ ٢ : ٥٧ ، عن رواية المسند .

وكذلك رواه البخارى ٨ : ١٥٩ ، ومسلم ٢ : ٢٢٤ – كلاهما من طريق عبد الرزاق .

ورواه أحمد أيضاً : ٧١٨٢ ، عن عبد الأعلى ، عن معمر ، به .

وكذلك رواه مسلم ٢ : ٢٢٤ ، من طريق عبد الأعلى .

(٣) الحديث : ٦٨٩٢ – الحماني ، بكسر الحاء المهملة وتشديد الميم : هو يحيى بن عبد الحميد ابن عبد الرحمن ، أبو زكريا الحافظ . وقد اختلف فيه كثيراً ، والراجح عندى أنه ثقة . وقد وثقه ابن معين . وقال فيه غيره كلاماً شديداً . ولكن المنصف إذا تتبع ترجمته مع إنصاف اقتنع بتوثيقه. مترجم في التهذيب ، والكبير ٤/٢/٢٩١ ، والصغير : ٢٣٩ ، وابن أبي حاتم ٤/٢/١٦٨ – ١٧٠ ، وتاريخ بغداد ١٤ : ١٦٧ – ١٧٧ ، وتذكره الحفاظ ٢ : ١٠ – ١١ .

قيس : هو ابن الربيع الأسدى . وهو ثقة ، كما رجحنا في : ٤٨٤٢ .

٦٨٩٣ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا هرون بن المغيرة ، عن عمرو بن أبي قيس ، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس ، قال: ما ولد مولود إلاّ وقد استهلّ ، غير المسيح بن مريم ، لم يسلَّط عليه الشيطان ولم يَنْهَزْه .(١)

والحديث – من هذا الوجه – ذكره ابن كثير في التفسير ٢ : ١٣٠ ، والتاريخ ٢ : ٥٧ – تعليقاً عن قيس ، دون أن يبين مخرجه .

ولكن سياق كلامه في التفسير يدل على أنه يشير إلى روايته عند الطبري ، يعني هذا الإسناد .

فإنه ذكر في التفسير رواية الطبري الآتية : ٦٨٩٩ ، ثم قال : « وروى من حديث قيس ، عن الأعمش . . . » – إلخ . فهذا الفعل « روى » ، ينبغي أن يقرأ مبنياً للفاعل ، فيكون معناه أن ابن جرير « روى من حديث قيس » . ولا نرى أن يقرأ بالبناء لما لم يسم فاعله . لأن علماء الحديث وأئمته ، أمثال ابن كثير – لا يستعملون صيغة التمريض هذه ، بالبناء للمجهول ، إلا في الأحاديث الواهية الإسناد . ولا يذكر الأحاديث الجياد بصيغة التمريض إلا جاهل أو غافل .

ثم ذكر ابن كثير – بعد حديث قيس هذا ، عطفاً عليه – ما نصه : « ومن حديث العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة » .

فهذه إشارة منه إلى إسناد آخر . أرجح أنه رواه أيضاً الطبري ، بعد حديث قيس . ولعله سقط سهواً من الناسخين .

فرأيت – تماماً للسياق – أن أذكره هنا من رواية أحمد ، واحتياطاً أيضاً :

فقال الإمام أحمد في المسند : ٨٨٠١ (ج ٢ ص ٣٦٨ حلبي) : « حدثنا هُشيم، قال : حدثنا حفص بن ميسرة ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كل إنسانٍ تَلِدُه أُمُّه يَلْكُزُه الشَّيطانُ بِحِضْنَيْه ، إلاّ ما كان مِن مريمَ وابنها ، أَلَمْ تَرَوْا إلى الصَّبِيّ حين يَسْقُطُ ، كيفَ يَصْرُخُ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ! قال : فَذَاكَ حين يَلْكُزُه الشيطان بِحِضْنَيْه » .

وهذا إسناد صحيح ، على شرط مسلم .

ورواية قيس بن الربيع ذكرها السيوطي ٢ : ١٩ ، ولم ينسبها لغير الطبري .

وقوله « عصره الشيطان . . . » – عصر العنب وغيره عصراً : ضغطه ليستخرج ما فيه . وهو هنا مجاز ، أي : شديده عليه وضغطه .

(٣) الحديث : ٦٨٩٣ – هذا إسناد صحيح .

ولم أجد هذا الحديث من غير رواية الطبري ، وكذلك ذكره السيوطي ٢ : ١٩ ، ولم ينسبه لغيره .

٦٨٩٤ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا المنذر ابن النعمان الأفطس: أنه سمع وهب بن منبه يقول : لما وُلد عيسى أتت الشياطينُ إبليس فقالوا: أصبحت الأصنام قد نكست رؤوسها! فقال: هذا فى حادث حدث! وقال : مكانَكم ! (١) فطارَ حتى جاء خافقى الأرض، فلم يجد شيئاً ، (٢) ثم جاء البحار فلم يجد شيئاً ، ثم طار أيضاً فوجد عيسى قد ولد عند مِذْوَد حمار ، (٣) وإذا الملائكة قد حفَّت حوله ، فرجع إليهم فقال : إن نبيًّا قد ولد البارحة ، ما حملت أنثى قط ولا وضعت إلا أنا بحضرتها ، إلاّ هذه ! فأيِسوا أن تُعبد الأصنام بعد هذه الليلة ، (٤) ولكن ائتوا بنى آدم من قبل الخفَّة والعجَلة . (٥)

٦٨٩٥ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وإنى أعيذُها بك وذريتها من الشيطان الرجيم » ، وذكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : كل بنى آدم طَعَن الشيطانُ فى جنبه ، إلا عيسى بن مريم وأمه ، جُعل بينهما وبينه حجابٌ ، فأصابت الطعنة الحجابَ ، ولم ينفذ إليهما شىء = وذكر لنا أنهما كانا لا يصيبان الذنوبَ كما يصيبها سائرُ بنى آدم . = وذكر لنا أنّ عيسى كان يمشى على البحر كما يمشى على البر ، مما أعطاه الله تعالى من اليقين والإخلاص .

وقوله « ولم ينهزه » – من « النهز » ، وهو الدفع . « نهزه ينهزه نهزاً » : دفعه ، مثل « نكزه » ، و « وكزه » .

(١) فى المطبوعة : « فقال » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) الخافقان : أفق المشرق وأفق المغرب ، محيطان بجانبي الأرض .

(٣) المذود (بكسر الميم وسكون الذال) : معلف الدابة .

(٤) أيس الرجل يأيس يأساً ، لغة فى يئس . والأمر منه هنا على هذه اللغة .

(٥) الأثر : ٦٨٩٤ – فى المخطوطة « أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر المنذر بن النعمان » ، أو كأنها تقرأ « معتمر » ثم ضرب على « معمر » . والمنذر بن النعمان الأفطس اليمانى ، روى عن وهب بن منبه . ثقة . روى عنه عبد الرزاق ، وروى عنه معتمر بن سليمان ، فأخشى أن يكون كان أصل الطبرى « حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق ومعتمر قال : أخبر المنذر بن النعمان الأفطس » . والمنذر مترجم فى الكبير ٤ / ١ / ٣٥٩ ، وابن أبى حاتم ٤/١/٢٤٢ ، وتعجيل المنفعة : ٤١٠ .

٦٨٩٦ – حدثني المثنى قال ، حدثني إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « وإني أعيذها بك وذرّيتها من الشيطان الرجيم » ، قال : إن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : كل آدمي طَعن الشيطان في جنبه غير عيسى وأمه ، كانا لا يُصيبان الذنوب كما يصيبُها بنو آدم . قال : وقال عيسى صلى الله عليه وسلم فيما يثني على ربّه : وأعاذني وأمي من الشيطان الرجيم ، فلم يكن له علينا سبيلٌ . (١)

٦٨٩٧ – حدثنا الربيع بن سليمان قال ، حدثنا شعيب بن الليث قال ، حدثنا الليث ، عن جعفر بن ربيعة ، عن عبد الرحمن بن هرمز أنه قال : قال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل بني آدم يَطعن الشيطان في جنبه حين تلده أمه ، إلا عيسى بن مريم ، ذهب يطعَن فطعَن في الحجاب . (٢)

٦٨٩٨ – حدثنا الربيع قال ، حدثنا شعيب قال ، أخبرنا الليث ، عن

---

(١) الأثران : ٦٨٩٥ ، ٦٨٩٦ – هذان خبران مرسلان كما هو ظاهر .

(٢) الحديث : ٦٨٩٧ – جعفر بن ربيعة بن شرحبيل بن حسنة المصري : ثقة من شيوخ الليث بن سعد . أخرج له الجماعة .

عبد الرحمن بن هرمز الأعرج المدني : تابعي ثقة مشهور ، من شيوخ الزهري وأبي الزناد . كان الناس يقرأون عليه حديثه عن أبي هريرة . انظر المسند : ٧٢٧٦ ، وابن سعد ٥ : ٢٠٩ . وهذا يرد على من يزعم أن الأحاديث لم تكتب إلا في عصر مالك . وهذا عبد الرحمن شيخ شيوخ مالك ، ومات سنة ١١٧ .

والحديث ذكره ابن كثير في التفسير ٢ : ١٣٠ ، من رواية الليث بن سعد ، بهذا الإسناد . ولم يذكر من خرجه ، فهو إشارة منه إلى رواية الطبري هذه .

وقد رواه أحمد في المسند : ١٠٧٨٣ (ج ٢ ص ٥٢٣ حلبي) ، عن عبد الملك بن عمرو ، عن المغيرة – وهو ابن عبد الرحمن الحزامي – عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، مرفوعاً ، بنحوه .

ونقله ابن كثير في التاريخ ٢ : ٥٧ ، عن رواية المسند . وقال : « وهذا على شرط الصحيحين . ولم يخرجوه من هذا الوجه » .

ووقع في ابن كثير « المغيرة ، وهو ابن عبد الله الحزامي » ، وهو خطأ مطبعي .

ولسنا نوافق ابن كثير على دعواه أنهم « لم يخرجوه من هذا الوجه » . – فإن البخاري رواه ٦ : ٢٤٢ ، عن أبي اليمان ، عن شعيب ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، مرفوعاً ، بنحو روايتي المسند والطبري .

فهذا من هذا الوجه : يجتمع مع إسناد المسند في « أبي الزناد » ، ومع إسناد الطبري في « الأعرج » .

جعفر بن ربيعة ، عن عبد الرحمن بن هرمز أنه قال : قال أبو هريرة : أرأيتَ هذه الصرخة التي يَصرُخها الصبيُّ حين تلده أمه؟ فإنها منها .(١)

٦٨٩٩ – حدثني أحمد بن الفرج قال ، حدثنا بقية بن الوليد قال ، حدثنا الزُّبيديّ ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما من بني آدم مولودٌ إلا يمسُّه الشيطان حين يولدُ ١٦٢/٣ يستهلّ صارخاً .(٢)

* * *

(١) الحديث : ٦٨٩٨ – وهذا حديث صحيح ، بالإسناد السابق نفسه . وظاهره أنه موقوف ، من كلام أبي هريرة . وعن ذلك – فيما أرى – فصله الطبري عن المرفوع الذي قبله .

ومعناه ثابت صحيح ، من حديث أبي هريرة مرفوعاً :

فرواه مسلم ٢ : ٢٢٤ ، من رواية سهيل – وهو ابن أبي صالح – عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صياح المولود حين يقع ، نزغة من الشيطان » .

ثم معناه ثابت مرفوعاً ، ضمن بعض الأحاديث الصحاح السابقة .

(٢) الحديث : ٦٨٩٩ – بقية بن الوليد الحمصي : ثقة . تكلموا فيه من أجل تدليسه ، فإذا صرح بالسماع – كما هنا – كانت روايته صحيحة .

الزبيدي – بضم الزاي : هو محمد بن الوليد بن عامر الحمصي . وهو ثقة ، روى له الشيخان .

والحديث ذكره ابن كثير في التاريخ ٢ : ٥٧ ، عن هذا الموضع ، دون أن يسوق لفظه . ووقع فيه تسمية الزبيدي « عبد الله بن الزبيدي » ! وهو تحريف من ناسخ أو طابع . ولا يوجد راو بهذا الاسم .

وهذه الرواية ، هي من رواية الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة . وقد مضى الحديث بنحوه : ٦٨٨٧ ، ٦٨٩١ ، من رواية الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة . ولا تعل إحدى الروايتين بالأخرى . فالزهري له إذن في هذا الحديث شيخان .

وقد أشار الحافظ في الفتح ٦ : ٣٣٨ إلى هذه الرواية ، عند رواية الزهري عن ابن المسيب ، فقال : «كذا قال أكثر أصحاب الزهري . وقال الزبيدي : عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة . أخرجه الطبري » .

ووقع في الفتح « السدي » بدل « الزبيدي » . وهو تحريف من الناسخين .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك : أنّ الله جل ثناؤه تقبّل مريمَ من أمها حَنّة ، وتحريرَها إياها للكنيسة وخدمتها وخدمة ربها = [1] « بقبول حَسن » .

* * *

« والقبول » مصدر من : « قبِلها ربُّها » ، فأخرج المصدر على غير لفظ الفعل . ولو كان على لفظه لكان : « فتقبلها ربها تقبُّلا حسناً » . وقد تفعل العرب ذلك كثيراً : أن يأتوا بالمصادر على أصول الأفعال ، وإن اختلفت ألفاظها فى الأفعال بالزيادة ، وذلك كقولهم : « تكلم فلان كلاماً » ، ولو أخرج المصدر على الفعل لقيل : « تكلم فلان تكلماً » . ومنه قوله : « وأنبتها نباتاً حسناً » ، ولم يقل إنباتاً حسناً . [2]

وذكر عن أبى عمرو بن العلاء أنه قال : لم نسمع العرب تضم القاف فى « قبول » ، وكان القياس الضمّ ، لأنه مصدر مثل : « الدُّخول ، والخروج » . قال : ولم أسمع بحرف آخر فى كلام العرب يُشبهه .

٦٩٠٠ — حدثت بذلك عن أبى عبيد قال ، أخبرنى اليزيدى ، عن أبى عمرو .

* * *

وأما قوله : « وأنبتها نباتاً حسناً » ، فإن معناه : وأنبتها ربُّها فى غذائه ورزْقه نباتاً حسناً ، حتى تمّت فكملت امرأةً بالغةً تامة ، كما : —

---

(١) فى المطبوعة : « بتحريرها » ، وفى المخطوطة « تحريرها » بغير باء قبلها ، وكأن الصواب « وتحريرها » كما أثبت ، معطوفاً على « تقبل مريم » .

(٢) انظر بيان ذلك فيما سلف ١ : ١١٦ ، وقد عدد هناك شواهده / ثم ٥ : ٥٣٣ ، ٥٣٤ .

٦٩٠١ - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال الله عز وجل : « فتقبلها ربها بقبول حسن » ، قال : تقبل من أمها ما أرادت بها للكنيسة ، وأجرَها فيها = « وأنبتها » ، قال : نبتت في غذاء الله .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة في قراءة قوله : « وكفلها »

فقرأته عامة قرأة أهل الحجاز والمدينة والبصرة : ﴿ وَكَفَلَهَا ﴾ مخففة «الفاء» . بمعنى : ضمها زكريا إليه ، اعتباراً بقول الله عز وجل : ﴿ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ [سورة آل عمران : ٤٤] .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفيين . ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ ، بمعنى : وكفَّلها اللهُ زكريا .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندي ، قراءة من قرأ : ﴿ وَكَفَّلَهَا ﴾ مشددة « الفاء » ، بمعنى : وكفَّلها الله زكريا ، بمعنى : وضمها الله إليه . لأن زكريا أيضاً ضمها إليه بإيجاب الله له ضمَّها إليه بالقُرْعة التي أخرجها اللهُ له ، والآية التي أظهرَها لخصومه فيها ، فجعله بها أولى منهم ، إذ قَرَعَ فيها من شاحَّه فيها .(١)

* * *

(١) قرع (بفتح القاف والراء) : أصابته القرعة دونهم . يقال : قارعني فلان فقرعته : خرجت لي القرعة دونه . وشاحه في الأمر وعليه ، وتشاحا عليه وفيه (بتشديد الحاء) : إذا تنازعاه ، لا يريد كل واحد منهما أن يفوته ، كأن بعضهم يشح على بعض فيه .

وذلك أنه بلغنا أن زكريا وخصومَه فى مريم إذ تنازعوا فيها أيهم تكونُ عنده ، تساهموا بقِدَاحهم ، فرموا بها فى نهر الأردنّ .[١] فقال بعض أهل العلم : ارْتزّ قدح زكريا ،[٢] فقام ولم يجر به الماء ، وجرى بقدَاح الآخرين الماء . فجعل الله ذلك لزكريا علَماً أنه أحق المتنازعين فيها بها .[٣]

* * *

وقال آخرون : بل اصّاعدَ قدح زكريا فى النهر ،[٤] وانحدرت قداحُ الآخرين مع جرية الماء وذهبت ، فكان ذلك له علَماً من الله فى أنه أولى القوم بها .

* * *

قال أبو جعفر : وأىّ الأمرين كان من ذلك ، فلا شك أن ذلك كان قضاءً من الله بها لزكريا على خصومه ، بأنه أولاهم بها . وإذْ كان ذلك كذلك ، فإنما ضمها زكريا إلى نفسه بضمّ الله إياها إليه بقضائه له بها على خصومه عند تشاحُّهم فيها ، واختصامهم فى أولاهم بها .

---

(١) فى المطبوعة : « رموا بها » ، والصواب بالفاء ، من المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « رتب قدح زكريا » ، ورتب الشىء : ثبت ، فهو قريب المعنى . بيد أن المخطوطة جاء فيها « ارتز » ، والراء مشبوكة بأسفل التاء ، فلذلك لم يستطع الناشر الأول أن يحسن قراءتها . و«رز الشىء فى الحائط أو فى الأرض يرزه رزاً ، فارتز فيه» : أثبته فثبت ، مثل رز السكين فى الحائط ، فهو يرتز فيه .

(٣) فى المطبوعة : « فجعل الله ذلك لزكريا أنه أحق المتنازعين فيها » لم يحسن قراءة المخطوطة فحذف ما أثبت . فى المخطوطة « فجعل الله ذلك لزكريا علماً أنه . . . » ، وكان الناسخ قد كتب « آية » ، ثم أعاد على اللفظة نفسها بالقلم ، ليجعل « آية » « وعلماً » ، فاضطرب الخط ، فلم يحسن الناشر قراءتها ، فأسقطها ، فاختل جانب الكلام . وكان فى المخطوطة « المتنازعين فيها ها » فلم يحسن قراءة « ها » الأخيرة ، لأن نبرة الباء قد أكلها الناسخ فظلمها ظلماً شديداً ، فظن الناشر أنها حرف لا معنى له ، فقذف به . فاختل جانب آخر من الكلام ، فصارت الجملة عرجاء تزك زكا .

(٤) فى المطبوعة : « بل صعد قدح زكريا » ، وفى المخطوطة « صاعد » ، أسقط الناسخ الألف قبل الصاد ، فأسقط الناشر الألف بعد الصاد !! يقال : « صعد » ، و « اصعد » (بتشديد الصاد والعين مفتوحتين) و « اصاعد » (بتشديد الصاد المفتوحة) : ارتفع .

وإذْ كان ذلك كذلك ، كان بيِّناً أنّ أولى القراءتين بالصواب ما اخترنا من تشديد « كفَّلها » .

* * *

وأما ما اعتلّ به القارئون ذلك بتخفيف « الفاء » ، من قول الله : ﴿ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ ، وأن ذلك موجبٌ صحةَ اختيارهم التخفيفَ فى قوله : « وكفلها » = فحجة دالةٌ على ضَعف احتيال المحتج بها .(١) ١٦٣/٣

ذلك أنه غير ممتنع ذُو عقل من أن يقول قائل : « كفَّل فلانٌ فلاناً فكفَله فلان» . فكذلك القول فى ذلك : ألقى القوم أقلامهم : أيهم يكفُل مريم ، بتكفيل الله إياه بقضائه الذى يقضى بينهم فيها عند إلقائهم الأقلام .

* * *

قال أبو جعفر : وكذلك اختلفت القرأة فى قراءة « زكريا » .

فقرأته عامة قرأة المدينة بالمدّ .

وقرأته عامة قرأة الكوفة بالقصر .

وهما لغتان معروفتان ، وقراءتان مستفيضتان فى قراءة المسلمين ، وليس فى القراءة بإحداهما خلافٌ لمعنى القراءة الأخرى ، فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب .

* * *

غيرَ أن الصوابَ عندنا — إذا مُدّ « زكريا » أن يُنصب بغير تنوين ، لأنه اسم من أسماء العجم لا يُجرَى ،(٢) ولأن قراءتنا فى « كفَّلها » بالتشديد ، وتثقيل « الفاء » . فـ « زكرياء » منصوب بالفعل الواقع عليه .(٣)

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « على ضعف اختيار المحتج بها » ، وهى فاسدة ضعيفة المعنى ، والصواب من المخطوطة . والاحتيال : طلب الحيلة والمخرج .

(٢) الإجراء : الصرف . يعنى : لا يصرف ، لأنه ممنوع من الصرف ، كما يقول النحاة .

(٣) الواقع عليه : المتعدى إليه . وقد سلف أن « الوقوع » هو « التعدى » ، فاطلبه فى فهرس المصطلحات .

وفى « زكريا » لغة ثالثة لا تجوز القراءة بها ، لخلافها مصاحفَ المسلمين ، وهو : « زكرىّ » بحذف المدة و « الياء » الساكنة ، تشبهه العرب بالمنسوب من الأسماء ، فتنوّنه وتُجرْيه فى أنواع الإعراب مجارىَ « ياء » النسبة .(١)

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام : وضمها اللهُ إلى زكريا ، من قول الشاعر :(٢)

* فَهُوَ لِضُلاَّلِ الهَوَامِ كَافِلِ(٣) *

يراد به :(٤) لما ضلّ من متفرّق النعم ومنتشره، ضامٌّ إلى نفسه وجامع. وقد روى :

* فَهُوَ لِضُلاَّلِ الهَوَافِى كَافِلُ(٣) *

بمعنى : أنه لما ندّ فهرب من النعمَ ضامٌّ من قولهم : « هفا الظَّليم »، إذا أسرَع الطيران .

يقال منه للرجل : « مالك تكفُل كلّ ضالة » ؟ يعنى به : تضمها إليك وتأخذُها .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٦٩٠٢ — حدثنى عبد الرحمن بن الأسود الطفاوىّ قال حدثنا محمد بن ربيعة ، عن النضر بن عربىّ، عن عكرمة فى قوله : ﴿ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ

---

(١) انظر مقالة الفراء فى « زكريا » فى معانى القرآن ١ : ٢٠٨ .

(٢) غاب عنى قائله ، وإن كنت أذكر الشعر .

(٣) « الهوام » ، هى الهوامى ، جمع هامية . وهوامى الإبل : ضوالها المهملة بلا راع . والهوامى الضوال ، وفى حديث عثمان أنه ولى أبا غاضرة الهوافى ، أى الإبل الضوال . وانظر طبقات فحول الشعراء : ٤٩٠ .

(٤) فى المطبوعة : « يراد أنه » ، والصواب من المخطوطة .

مَرْيَمَ ﴾، قال : ألقوا أقلامهم فجرَت بها الجِرْية، إلاّ قلم زكريا اصّاعدَ،[١] فكفلها زكريا .

٦٩٠٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « وكفلها زكريا » ، قال : ضمها إليه . قال : ألقوا أقلامهم – يقول : عصيّهم – قال : فألقوها تلقاء جِرْية الماء ، فاستقبلت عصا زكريا جِرْيةَ الماء ،[٢] فقرَعهم .

٦٩٠٤ – حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السديّ ، قال الله عز وجل: « فتقبلها ربُّها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً » ، فانطلقت بها أمها في خِرَقها – يعني أمّ مريم بمريم – حين ولدتها إلى المحراب = وقال بعضهم : انطلقت حين بلغتْ إلى المحراب = وكان الذين يكتبون التوراةَ إذا جاؤوا إليهم بإنسان يجرّبونه،[٣] اقترعوا عليه أيهم يأخذه فيعلمه . وكان زكريا أفضلهم يومئذ ، وكان بينهم ، وكانت خالة مريم تحته .[٤] فلما أتوا بها اقترعوا

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « إلا قلم زكريا صاعداً » ، وهو لا معنى له ، وانظر ما سلف ص٣٤٦ تعليق : ٤ . وقوله : « الجرية » (بكسر الجيم وسكون الراء) ، وهي حالة الجريان ، والذي يسميه كتابنا اليوم : « التيار » .

(٢) هكذا في المطبوعة والمخطوطة : « فاستقبلت » ، ولست أرتضيها ، وكأنها « واستعلت » ، من قولهم : « علاه وتعلاه واستعلاه » ، إذا قهره وغلبه . وفي اللسان مادة (جرى) ما نصه : « ومنه : وعال قلم زكريا الجرية ، وجرت الأقلام مع جرية الماء » ، وكأن هذا اللفظ « وعالى » ، وكلتاهما صواب بمعنى : قهر وغلب ، وأعجز الماء أن يحمله . وأما قوله : « فقرعهم » ، فقد سلف تفسيرها ص : ٣٤٥ ، تعليق : ١ .

(٣) في المطبوعة ، وسنن البيهقي ١٠ : ٢٨٦ هكذا « يجربونه » ، وهي في المخطوطة غير منقوطة ، وأخشى أن يكون هذا خطأ ، فإني رأيت السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٢٠ ، خرج هذا الأثر ، ونسبه للبيهقي في السنن ، وفيه : « إذا جاءوا إليهم بإنسان محرر ، اقترعوا عليه . . . » ، فكأن صواب هذا الحرف « يحررونه » اتصلت الراء بالواو فقرأوها « يجربونه » . وهذا الأثر الذي رواه السدي ، هو في سنن البيهقي ، بإسناد السدي في التفسير ، الذي مضى الكلام فيه في رقم : ١٦٨ ، وهو الإسناد الدائر في التفسير ، ثم حذف الطبري ما بعد السدي ، لما طال الكتاب .

(٤) في سنن البيهقي ، والدر المنثور : « وكانت أخت مريم تحته » ، وهو خطأ لا شك فيه ، فإن المقطوع به في التاريخ أن زكريا وعمران أبا مريم ، كانا متزوجين بأختين ، إحداهما عند زكريا ، وهي أم يحيى . والأخرى عند عمران ، وهي أم مريم ، فمات عمران وأم مريم حامل بمريم . انظر تاريخ الطبري ٢ : ١٣ .

عليها ، وقال لهم زكريا : أنا أحقكم بها ، تحتى أختها ! [١] فأبوا ، فخرجوا إلى نهر الأردنّ ، فألقوا أقلامهم التى يكتبون بها : أيهم يقوم قلمه فيكفلها . فجرت الأقلام ، وقام قلم زكريا على قُرْنَته كأنه فى طين ، [٢] فأخذ الجارية . وذلك قول الله عز وجل : « وكفلها زكريا » ، فجعلها زكريا معه فى بيته ، وهو المحراب . [٣]

٦٩٠٥ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وكفلها زكريا » ، يقول : ضمها إليه . ١٦٤/٣

٦٩٠٦ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « وكفلها زكريا » ، قال : سَهمهم بقلمه . [٤]

٦٩٠٧ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد نحوه .

٦٩٠٨ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة قال : كانت مريم ابنةَ سيِّدهم وإمامهم ، قال : فتشاحَّ عليها أحبارُهم ، فاقترعوا فيها بسهامهم أيُّهم يكفلها . قال : قتادة : وكان زكريا زوجَ أختها ، [٥] فكفلها وكانت عنده ، وَحضَنَها .

---

(١) فى المطبوعة : « تحتى خالتها » ، والصواب ما فى الطبرى والدر المنثور وسنن البيهقى ، وكأن الناشر ظن أنه أراد « أخت مريم » ، فغيرها ، وإنما أراد زكريا بمقالته ، أخت أم مريم ، التى جاءت تحملها .

(٢) القرنة (بضم فسكون) : الطرف الشاخص من كل شىء . يقال : لحد السيف والسنان والسهم وغيرها « قرنة » ، وهو طرفه وذبابه .

(٣) الأثر : ٦٩٠٤ – سنن البيهقى ١٠ : ٢٨٦ ، والدر المنثور ٢ : ٢٠ .

(٤) ساهم القوم فسهمهم ، وقارعهم فقرعهم : فاز سهمه ، وكانت له القرعة أو السهم دون أصحابه .

(٥) هكذا فى المطبوعة والمخطوطة : « زوج أختها » ، وظاهر أن كلام قتادة مختصر ، كان فى

٦٩٠٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن القاسم بن أبى بزة : أنه أخبره ، عن عكرمة = وأبى بكر ، عن عكرمة قال : ثم خرجت بها = يعنى : أمّ مريم = بمريم فى خِرَقها تحملها إلى بنى الكاهن بن هرون، أخى موسى بن عمران . قال: وهم يومئذ يَلون من بيت المقدس ما يلى الحجبةُ من الكعبة ،فقالت لهم : دُونكم هذه النذيرة ، فإنّى حرّرتها ، وهى ابنتى ، ولا يدخل الكنيسة حائض ، وأنا لا أردُّها إلى بيتى ! فقالوا : هذه ابنة إمامنا = وكان عمران يؤُمهم فى الصلاة = وصاحب قُرْباننا ! (١) فقال زكريا : ادفعوها إلىّ ، فإن خالتها عندى . قالوا : لا تطيب أنفسنا ، هى ابنة إمامنا ! فذلك حين اقترعوا ،فاقترعوا بأقلامهم عليها – بالأقلام التى يكتبون بها التوراة – فقرعهم زكريا ، فكفلها .

٦٩١٠ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، أخبرنى يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : جعلها زكريا معه فى محرابه ، قال الله عز وجل : « وكفلها زكريا » = قال حجاج قال ، ابن جريج : « الكاهنُ » فى كلامهم : العالمُ .

٦٩١١ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن جعفر بن الزبير : « وكفلها زكريا » ، بعد أبيها وأمها ، يذكرها باليتم ، ثم قص خبرها وخبرَ زكريا . (٢)

٦٩١٢ – حدثنا المثنى قال، حدثنا الحمانى قال ، حدثنا شريك ، عن

ذكر « أم مريم » ، وأن قوله : « زوج أختها » ، أى زوج أخت مريم ، وقد أسلفت صحة ذلك وبيانه فى ص ٣٥٠ تعليق : ١ . وانظر سائر الآثار التى ستأتى بعد .

(١) فى المطبوعة : « وصاحب قربانهم » ، وفى المخطوطة « وصاحب » وما بعدها بياض ، واستظهر الناشر زيادتها هكذا ، وأستظهر أن زيادتها كذلك ، على أنها من تمام قولهم : « هذه ابنة إمامنا معطوفاً عليه ، وما بينهما جملة معترضة للبيان من راوى الخبر .

(٢) الأثر : ٦٩١٠ – سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٩ ، وهو بقية الآثار التى آخرها رقم : ٦٨٧٧ .

عطاء ، عن سعيد بن جبير قوله : « وكفلها زكريا » ، قال : كانت عنده .

٦٩١٣ – حدثني على بن سهل قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير قوله : « وكفلها زكريا » ، قال : جعلها زكريا معه فى محرابه .

٦٩١٤ – حدثني محمد بن سنان قال، حدثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد ، عن الحسن فى قوله : « فتقبَّلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً » ،وتقارعها القومُ ، فقرَع زكريا ، فكفلها زكريا .

* * *

وقال آخرون : بل كان زكريا بعد ولادة حَنَّةَ ابنتها مريمَ ، كفَلها بغير اقتراع ولا استهام عليها ، ولامنازعة أحد إياه فيها . وإنما كفلها، لأن أمها ماتت بعد موت أبيها وهى طفلة ، وعند زكريا خالتها ألاشِباع ابنة فاقوذ [1] = وقد قيل . إنّ اسم أم يحيى خالة عيسى : إشبع = . [2]

٦٩١٥ – حدثنا بذلك القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : أخبرنى وهب بن سليمان ، عن شعيب الجبأىّ : أن اسم أم يحيى أشبع . [3]

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « إيشاع » ، والصواب من المخطوطة وتاريخ الطبرى ٢ : ١٣ ، وهو فى كتاب القوم « أليصابات » ، ومعناها كما فى قاموسهم كتابهم « الله حلفها ، أى عائدة الله » ، وكأنه هو الاسم العبرى القديم « أليشابع » ، ومعناه أيضاً « الله حلفها » ، وهو اسم امرأة هرون .

(٢) فى المطبوعة : « اشيع » بالياء ، والصواب بالباء . وهى فى المخطوطة غير منقوطة .

(٣) الأثر : ٦٩١٥ – « وهب بن سليمان الجندى اليمانى » ، روى عن شعيب الجبأى ، روى عنه ابن جريج . مترجم فى الكبير ٤ / ٢ / ١٦٩ ، وابن أبى حاتم ٤ / ٢ / ٢٧ . و « شعيب الجبأى ، الجندى البجلى » ، منسوب إلى « جبأ » ، وهو جبل . قال ابن أبى حاتم هو : « شعيب بن الأسود » . قال : يروى عن الكتب . روى عنه سلمة بن وهرام ، ووهب بن سليمان . مترجم فى الكبير ٢ / ٢ / ٢١٩ ، وابن أبى حاتم ٢ / ١ / ٣٥٣ . وكان فى المطبوعة : « شعيب الحيانى » خطأ ، لم يحسن قراءة المخطوطة .

= فضمها إلى خالتها أمّ يحيى ، فكانت إليهم ومعهم ، حتى إذا بلغت أدخلوها الكنيسة لنذْر أمها التى نذرت فيها .

قالوا : والاقتراع فيها بالأقلام ، إنما كان بعد ذلك بمدة طويلة لشدّة إصابتهم ، ضَعُفَ زكريا عن حمل مؤونتها ، فتدافعوا حملَ مؤونتها ، لا رغبة منهم ، ولا تنافساً ١٦٥/٣ عليها وعلى احتمال مؤونتها . وسنذكر قصّتها على قول من قال ذلك ، إذا بلغنا إليها إن شاء الله تعالى .

٦٩١٦ – حدثنا بذلك ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثنى محمد بن إسحق .

= فعلى هذا التأويل ، تصح قراءة من قرأ : « وكفّلها زكريا » بتخفيف « الفاء » ، لو صح التأويلُ . غير أن القول متظاهرٌ من أهل التأويل بالقول الأوّل : أن استهامَ القوم فيها كان قبل كفالة زكريا إياها ، وأن زكريا إنما كفلها بإخراج سَهمه منها فالجاً على سهام خُصومه فيها .[1] فلذلك كانت قراءته بالتشديد عندنا أولى من قراءته بالتخفيف .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : أن زكريا كان كلما دخل عليها المحرابَ ، بعد إدخاله إياها المحراب ، وجد عندها رزقاً من الله لغذائها .

فقيل إن ذلك الرزقَ الذى كان يجده زكريا عندها ، فاكهةُ الشتاء فى الصيف ، وفاكهةُ الصيف فى الشتاء .

---

(١) السهم الفالج : الفائز .

* ذكر من قال ذلك :

٦٩١٧ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا الحسن بن عطية ، عن شريك ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وجد عندها رزقاً » ، قال : وجد عندَها عنباً فى مِكْتَلٍ فى غير حينه .(١)

٦٩١٨ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن عمرو، عن عطاء، عن سعيد فى قوله : « كلما دخل عليها زكريا المحراب وَجد عندها رزقاً »، قال : العنب فى غير حينه.

٦٩١٩ – حدثنى يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم فى قوله : « وجد عندها رزقاً » ، قال : فاكهة فى غير حينها .

٦٩٢٠ – حدثنى يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا أبو إسحق الكوفى ، عن الضحاك : أنه كان يجدُ عندها فاكهةَ الصيف فى الشتاء ، وفاكهةَ الشتاء فى الصيف = يعنى فى قوله : « وجد عندها رزقاً ».(٢)

٦٩٢١ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك مثله .

٦٩٢٢ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عمرو قال ، أخبرنا هشيم ، عن بعض أشياخه ، عن الضحاك مثله .

٦٩٢٣ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، أخبرنا هشيم قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك مثله .

٦٩٢٤ – حدثنا يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا من سمع الحكم بن عتيبة يحدّث ، عن مجاهد قال : كان يجدُ عندها العنب فى غير حينه .

٦٩٢٥ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ،

---

(١) المكتل والمكتلة (بكسر الميم) : الزبيل الكبير يحمل فيه التمر أو العنب ، كأن فيه كتلا منه ، أى قطعاً مجتمعة .

(٢) الأثر : ٦٩٢٠ – « أبو إسحق الكوفى » ، هو : عبد الله بن ميسرة ، روى عن الشعبى وأبى حريز وجماعة ، روى عنه هشيم ، وكناه أبا إسحق ، وأبا عبد الجليل . وهو ضعيف الحديث . وقال ابن حبان : لا يحل الاحتجاج بخبره . مترجم فى التهذيب ، والكنى للبخارى .

عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « وجد عندها رزقاً » ، قال : عنباً وجده زكريا عند مريم في غير زمانه .

٦٩٢٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد نحوه .

٦٩٢٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي قال، حدثنا النضر بن عربي ، عن مجاهد في قوله : « وجد عندها رزقاً » ، قال : فاكهةَ الصيف في الشتاء ، وفاكهة الشتاء في الصيف .

٦٩٢٨ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ،حدثنا سعيد ، عن قتادة في قوله : « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً » ، قال : كنا نحدَّث أنها كانت تؤتَى بفاكهة الشتاء في الصيف ، وفاكهة الصيف في الشتاء .

٦٩٢٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ،عن قتادة : « وجد عندها رزقاً » ، قال : وجد عندها ثمرةً في غير زمانها . ١٦٦/٣

٦٩٣٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : جعل زكريا دونها عليها سبعةَ أبواب ، فكان يدخل عليها فيجد عندها فاكهةَ الشتاء في الصيف ، وفاكهةَ الصيف في الشتاء .

٦٩٣١ – حدثني موسى [بن عبد الرحمن][1] قال ،حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ،عن السدي : قال : جعلها زكريا معه في بيتٍ – وهو المحراب – فكان يدخل عليها في الشتاء فيجد عندها فاكهةَ الصيف ، ويدخل في الصيف فيجد عندها فاكهةَ الشتاء .[1]

---

(١) الأثر : ٦٩٣١ – « موسى بن عبد الرحمن » ، هكذا جاء في المطبوعة والمخطوطة ، وهو غريب جداً ، ولم أعرف من هو « موسى بن عبد الرحمن » ، ولكن إسناد الطبري إلى السدي ، منذ بدأ التفسير ، فيه « حدثنا موسى بن هرون الهمداني » ، وهو إسناد دائر فيه دوراناً ، إلا هذا الموضع ، وأكاد أجزم بأنه خطأ من الناسخ ، وأنه « موسى بن هرون » ، ونسي الناسخ فكتب مكان « هرون » ، « عبد الرحمن » . وانظر الكلام عن إسناده هذا في رقم : ١٦٨ .

٦٩٣٢ – حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « وجدَ عندها رزقاً » ، قال : كان يجد عندها فاكهة الصيف فى الشتاء .

٦٩٣٣ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج . قال ، أخبرنى يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « كلما دخل عليها زكريا المحرابَ وجد عندها رزقاً » ، قال : وجد عندها ثمارَ الجنة ، فاكهةَ الصّيف فى الشتاء ، وفاكهةَ الشتاء فى الصيف .

٦٩٣٤ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال ، حدثنى بعض أهل العلم : أنّ زكريا كان يجد عندها ثمرةَ الشتاء فى الصيف ، وثمرةَ الصيف فى الشتاء .

٦٩٣٥ – حدثنى محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد ، عن الحسن قال : كان زكريا إذا دخل عليها = يعنى على مريم = المحرابَ وجد عندها رزقاً من السماء ، من الله ، ليس من عند الناس . وقالوا : لو أن زكريا كان يعلم أن ذلك الرزق من عنده ، لم يسألها عنه .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أن زكريا كان إذا دخل إليها المحراب وجد عندها من الرزق فضلاً عما كان يأتيها به ، الذى كان يَمُونها فى تلك الأيام .

* ذكر من قال ذلك :

٦٩٣٦ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثنى محمد بن إسحق قال : كفلها بعد هلاك أمها فضمها إلى خالتها أم يحيى ، حتى إذا بلغت أدخلوها الكنيسة لنَذْر أمها الذى نذرت فيها ، فجعلت تنبت وتزيد . قال : ثم أصابت بنى إسرائيل أزْمة وهى على ذلك من حالها ، حتى ضعف زكريا عن حملها ، فخرج على بنى إسرائيل فقال : يا بنى إسرائيل ، أتعلمون ؟ والله لقد ضعفتُ عن

حَمل ابنة عمران! فقالوا: ونحن لقد جُهِدنا وأصابنا من هذه السنة ما أصابكم! (١) فتدافعوها بينهم، وهم لا يرون لهم من حملها بُدًّا، حتى تقارعوا بالأقلام، فخرج السّهم بحملها على رجل من بنى إسرائيل نجار يقال له جُريج، قال: فعرفت مريم فى وجهه شدة مؤونة ذلك عليه، فكانت تقول له: يا جريج، أحسن بالله الظن! فإن الله سيرزقنا. فجعل جريج يرزق بمكانها، فيأتيها كلّ يوم من كسبه بما يُصلحها، فإذا أدخله عليها وهى فى الكنيسة، أنماه الله وكثّره، فيدخل عليها زكريا فيرى عندها فضلاً من الرزق، وليس بقدر ما يأتيها به جُريج، فيقول: «يا مريم، أنّى لك هذا»؟ فتقول: «هو من عند الله إنّ الله يرزُق من يشاء بغير حساب».

* * *

قال أبو جعفر: وأما «المحراب»، فهو مقدم كل مجلس ومصلّى، وهو سيد المجالس وأشرفُها وأكرمُها، وكذلك هو من المساجد، ومنه قول عدىّ بن زيد:

كَدُمَى العَاجِ فِى المَحَارِيبِ أَوْ كَالْـ ... ـبَيْضِ فِى الرَّوْضِ زَهْرُهُ مُسْتَنِيرُ (٢) ١٦٧/٣

---

(١) فى المخطوطة: «لقد جهدنا ... سامن هذه السنة ما أصابكم» وبينهما بياض، والذى فى المطبوعة صواب جيد.

(٢) ديوانه فى شعراء الجاهلية: ٤٥٥، وسيأتى فى التفسير ٢٢: ٤٨ (بولاق)، يصف نساء، يقول: هن كتماثيل العاج فى محاريب المعابد. والبيض: يعنى بيض النعام. والروض جمع روضة: وهى البستان الحسن، فى أرض سهلة ذات رواب يستنقع فيها الماء. وأصغر الرياض مئة ذراع. وقد استعمل عدى «الروض» على الإفراد فقال: «زهره مستنير»، كأنه عده مفرداً مذكراً، كأنه حمله على وزن مثله من المفرد، مثل ثور ونور، وأشباهها فذكره للفظه، وإن كنت أستجيز أن يكون «الروض» مفرداً غير جمع، ولم أجد ذلك فى كتب اللغة، ولكن البيت شاهد عليه، وإن كانوا يستركون عدى بن زيد.

وقوله: «مستنير» من «النور»، وهو زهر الشجر والنبات. يقال: «نورت الشجرة وأنارت»، إذا أطلعت زهرها وحسن منظرها. ولم يذكر أهل اللغة «استنارت الشجرة»، ولكن بيت عدى شاهد جيد، وهو من عتيق العربية.

يصف عدياً عذارى مشرقات فى ثياب الوشى، فشبههن ببيض النعام فى أرض قد أصابها الغيث فاستنارت أزهارها من كل لون، فزادها بهاء، وزادته حسناً.

وهذا البيت فى المخطوطة: «وهو مشتق / مستنير» و «مستنير» مكتوبة فى هامش الصفحة، ولم أدر كيف كان، والذى فى المطبوعة هى الرواية المعروفة، وأخشى أن يكون الناسخ كتب: «وهو مشتق» ثم عاد فقرأ «مشتق» «مستنير» فكتبها فى الهامش، فيكون الخطأ فى كتابته «وهو»، التى هى: «زهره».

و« المحاريب » جمع « محراب » ، وقد يجمع على « محارب » .[١]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٣٧)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه: « قال » زكريا : « يا مريم أنَّى لك هذا»؟ من أى وجه لك هذا الذى أرَى عندك من الرزقَ ؟[٢] قالت مريم مجيبة له: « هو من عند الله » ، تعنى : أن الله هو الذى رزقها ذلك فساقه إليها وأعطاها .

* * *

وإنما كان زكريا يقول ذلك لها، لأنه كان — فيما ذكر لنا — يُغلِق عليها سبعة أبواب ، ويخرج . ثم يدخل عليها فيجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف ، وفاكهة الصيف فى الشتاء . فكان يعجب مما يرى من ذلك ، ويقول لها تعجباً مما يرى : « أنَّى لك هذا »؟ فتقول : من عند الله .

٦٩٣٧ — حدثنى بذلك المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا ابن أبى جعفر، عن أبيه ، عن الربيع .

٦٩٣٨ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال ، حدثنى بعض أهل العلم، فذكر نحوه .

٦٩٣٩ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: « يا مريم أنَّى لك هذا قالت هو من عند الله » ، قال : فإنه وجد عندها الفاكهة الغضّة حين لا تُوجد الفاكهة

---

(١) لم ينص على ذلك أصحاب اللغة، ولكنه قياس يرتضى. وانظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٩١ .

(٢) انظر تفسير « أنى » فيما سلف ٤ : ٣٩٨ — ٤١٦ / ثم ٥ : ٣١٢، ٤٤٧ .

عند أحد ، فكان زكريا يقول : « يا مريم أنَّى لك هذا » ؟

* * *

وأما قوله : « إنّ الله يَرْزُقُ مَن يشاء بغير حساب » ، فخبرٌ من الله أنه يسوق إلى من يشاء من خلقه رزقَه ، بغير إحصاء ولا عدد يحاسب عليه عبدَه . لأنه جل ثناؤه لا ينقصُ سَوْقُه ذلك إليه كذلك خزائنَه ، ولا يزيدُ إعطاؤه إياه ومحاسَبته عليه فى مُلكه وفيما لديه شيئاً ، ولا يعزب عنه علمُ ما يرزقه ، وإنما يُحاسب مَنْ يعطى مَا يعطيه ، مَنْ يخشى النقصانَ من ملكه ، ودخولَ النفاد عليه بخروج ما خرج من عنده بغير حساب معروف ،[1] ومن كان جاهلاً بما يعطى على غير حساب .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ (٣٨)

قال أبو جعفر : وأما قوله : « هنالك دعا زكريا ربه » ، فمعناها : عند ذلك ، أى : عند رؤية زكريا ما رأى عند مريم من رزق الله الذى رَزَقها ، وفضله الذى آتاها من غير تسبُّب أحد من الآدميين فى ذلك لها = [3] ومعاينته عندَها الثمرة

---

(١) فى المطبوعة : « من يخشى النقصان من ملكه بخروج ما خرج من عنده . . . » ، وفى المخطوطة : « من يخشى النقصان من ملكه ، ودخول بخروج ما خرج من عنده . . . » ، وبين الكلامين بياض ، فلما لم يجد الناشر ما يكتبه مكانها ، حذف « ودخول » ووصل الكلامين . وزدت أنا « النفاد عليه » مكان البياض استظهاراً من سياق الكلام ، ومن تفسير هذه الجملة فى مواضع أخرى سأذكرها فيما يلى .

(٢) انظر تفسير : « يرزق من يشاء بغير حساب » فيما سلف ٤ : ٧٤ / ثم ٦ : ٣١١ .

(٣) قوله : « ومعاينته عندها . . . » معطوف على قوله آنفاً : « عند رؤية زكريا . . . »

الرّطبة التى لا تكون فى حين رؤيته إياها عندَها فى الأرض = [١] طمع بالولد ، مع كبر سنه ، من المرأة العاقر . فرجا أن يرزقه الله منها الولد ، مع الحال التى هما بها ، كما رزق مريم على تخلّيها من الناس ما رزَقها من ثمرة الصيف فى الشتاء وثمرة الشتاء فى الصيف ، وإن لم يكن مثله مما جرت بوجوده فى مثل ذلك الحين العاداتُ فى الأرض ، بل المعروف فى الناس غير ذلك ، كما أن ولادة العاقر غيرُ الأمر الجاريةُ به العادات فى الناس . فرغب إلى الله جل ثناؤه فى الولد ، وسأله ذرّيةً طيبة .

وذلك أن أهل بيت زكريا — فيما ذكر لنا — كانوا قد انقرضوا فى ذلك الوقت ، كما : —

٦٩٤٠ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : فلما رأى زكريا من حالها ذلك = يعنى : فاكهة الصيف فى الشتاء ، وفاكهة الشتاء فى الصيف = قال : إنّ ربًّا أعطاها هذا فى غير حينه ، لقادرٌ على أن يرزقنى ذرية طيبة ! ورغب فى الولد ، فقام فصلّى ، ثم دعا ربه سرًّا فقال : ١٦٨/٣

﴿ رَبِّ إنى وَهَنَ العَظْمُ مِنِّى وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّى خِفْتُ المَوَالِىَ مِنْ وَرَائِى وَكَانَتِ امْرَأَتِى عَاقِراً فَهَبْ لِى مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ [سورة مريم : ٤-٦] ، = وقال : [٢] ﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ = وقال : ﴿ رَبِّ لاَ تَذَرْنِى فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الوَارِثِينَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٨٩] .

٦٩٤١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، أخبرنى يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس

---

(١) سياق الجملة : أى عند رؤية زكريا ما رأى . . . وعند معاينته عندها الثمرة . . . طمع بالولد . . . » وفى المطبوعة : « طمع فى الولد . . . » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وكلاهما صواب .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « وقوله » ، والسياق يقتضى ما أثبت ، وذاك من عجلة الناسخ

قال : فلما رأى ذلك زكريا – يعني فاكهة الصيف في الشتاء ، وفاكهة الشتاء في الصيف – عند مريم قال : إنّ الذي يأتي بهذا مريمَ في غير زمانه ، قادرٌ أن يرزقني ولداً ، قال الله عز وجل : « هنالك دعا زكريا ربه » ، قال : فذلك حين دعا .

٦٩٤٢ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن أبي بكر ، عن عكرمة قال : فدخل المحرابَ وغلّق الأبوابَ ، وناجى ربه فقال : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ العَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً ﴾ إلى قوله : ﴿ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ = ﴿ فَنَادَتْهُ المَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي المِحْرَابِ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ ﴾ الآية .

٦٩٤٣ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال ، حدثني بعض أهل العلم قال : فدعا زكريا عند ذلك بعد ما أسنّ ولا ولد له ، وقد انقرض أهل بيته فقال : « ربّ هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء » ، ثم شكا إلى ربه فقال : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ العَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ إلى ﴿ واجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ = ﴿ فَنَادَتْهُ المَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي المِحْرَابِ ﴾ الآية .

* * *

وأما قوله : « ربّ هب لي من لدنك ذرية طيبة » ، فإنه يعني بـ « الذرية » النسل ، وبـ « الطيبة » المباركة ،[1] كما : –

٦٩٤٤ – حدثني موسى قال : حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « قال ربّ هب لي من لدنك ذرية طيبة » ، يقول : مباركة .

* * *

---

(١) انظر قوله « ذرية » فيما سلف ٣ : ١٩ ، ٧٩ / ثم ٥ : ٥٤٣ / ٦ : ٣٢٧ ولم يفسرها في هذه المواضع ، ثم فسرها هنا ، وهو من اختصار هذا الكتاب الجليل ، كما قيل في ترجمته .
ثم انظر تفسير « الطيب » فيما سلف ٣ : ٣٠١ / ثم ٥ : ٥٥٥ .

وأما قوله : « من لدنك » ، فإنه يعنى : من عندك .

* * *

وأما « الذرية » ، فإنها جمع ، وقد تكون فى معنى الواحد ، وهى فى هذا الموضع واحد . وذلك أنّ الله عز وجل قال فى موضع آخر ، مخبراً عن دعاء زكريا : ﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴾ [سورة مريم : ٥] ، ولم يقل : أولياء — فدلّ على أنه سأل واحداً . وإنما أنث « طيبة » ، لتأنيث الذرّية ، كما قال الشاعر : (١)

أَبُوكَ خَلِيفَةٌ وَلَدَتْهُ أُخْرَى وَأَنْتَ خَلِيفَةٌ ، ذَاكَ الكَمَالُ (٢)

فقال : « ولدته أخرى » ، فأنّث ، وهو ذكر ، لتأنيث لفظ « الخليفة » ، كما قال الآخر : (٣)

فَمَا تَزْدَرِى مِنْ حَيَّةٍ جَبَلِيَّةٍ سُكَاتٍ ، إِذَا مَاعَضَّ لَيْسَ بِأَدْرَدَا (٤)

فأنث « الجبلية » لتأنيث لفظ « الحية » ، ثم رجع إلى المعنى فقال : « إذا ما عضّ » ، لأنه كان أراد حية ذكراً . وإنما يجوز هذا فيما لم يقع عليه « فلانٌ » من الأسماء ، كـ « الدابة ، والذرية ، والخليفة » . فأما إذا سُمّى رجل بشىء من ذلك ،

---

(١) لم أعرف قائله .

(٢) معانى القرآن للفراء ١ : ٢٠٨ ، سيأتى فى التفسير ٤ : ١٥٠ (بولاق) .

(٣) لم أعرف قائله .

(٤) معانى القرآن للفراء ١ : ٢٠٨ ، واللسان (سكت) ، وكان فى المطبوعة : « كما تزدرى... سكاب . . . ليس بأزدرا » ، وهو خطأ . والحية إذا كانت جبلية ، فذاك أشد لها ولسمها ، يقول عنترة :

أَصَمُّ جِبَالِيٌّ ، إِذَا عَضَّ عَضَّةً تَزَايَلَ عَنْهُ جِلْدُه فتبدّدَا

وحية سكوت وسكات (بضم السين) : إذا لم يشعر الملسوع به حتى يلسعه ، والأدرد : الذى سقطت أسنانه ، فلم يبق فى فمه سن . يصف رجلا داهية . يقول : كيف تستخف به ، وهو حية فاتكة ، لا يشعر الملسوع بعضها حتى تعضه بناب لم يسقط ولم يذهب سمه .

فكان فى معنى « فلان » ، لم يجز تأنيثُ فعله ولا نعته . (١)

* * *

وأما قوله : « إنك سميع الدعاء » ، فإن معناه : إنك سامع الدعاء ، غير أنّ « سميع » ، أمدَحُ ، وهو بمعنى : ذو سمع له . (٢) ١٦٩/٣

* * *

وقد زعم بعض نحويي البصرة أن معناه : إنك تَسمعَ ما تُدْعى به .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الآية ، فعند ذلك دعا زكريا ربه فقال : رب هب لى من عندك ولداً مباركاً ، إنك ذو سَمعٍ دُعاءَ من دَعاك .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة أهل المدينة وبعضُ أهل الكوفة والبصرة : « فنادته الملائكة » على التأنيث بالتاء ، يراد بها جمع « الملائكة » . وكذلك تفعل العرب فى جماعة الذّكور ، إذا تقدّمت أفعالها ، أنّثت أفعالها ، ولا سيما الأسماء التى فى ألفاظها التأنيث ، كقولهم : « جاءَت الطّلحات » .

* * *

وقد قرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة بالياء ، (٣) بمعنى فناداه جبريل ، فذكروه للتأويل ، كما قد ذكرنا آنفاً أنهم يُؤنثون فعل الذّكر للفظ ، (٤) فكذلك يذكّرون

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

(٢) انظر تفسير « سميع » فيما سلف ٢ : ١٤٠ ، ٣٧٧ ، ٥٤٠ / ٣ : ٣٩٩ / ٤ : ٤٨٨ .

(٣) يعنى قراءة من قرأ « فناداه » بمالة ، ورسمها فى المصحف عندئذ « فناديه » بالياء ، وهى قراءة حمزة والكسائى .

(٤) انظر ص : ٣٦٢ .

فعلَ المؤنث أيضاً للفظ . واعتبروا ذلك فيما أرى بقراءةٍ ، يذكر أنها قراءَةُ عبد الله بن مسعود ، وهو ما : —

٦٩٤٥ — حدثني به المثنى قال ، حدثنا إسحق بن الحجاج قال ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي حماد ، أنّ قراءة ابن مسعود : ﴿ فَنَادَاهُ جِبْرِيلُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي المِحْرَابِ ﴾ .

* * *

وكذلك تأوّل قوله : « فنادته الملائكة » جماعةٌ من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٦٩٤٦ — حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فنادته الملائكة » ، [1]و هو جبريل = أو : قالت الملائكة ، وهو جبريل = « أنّ الله يُبشرك بيَحيي » .

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : وكيف جاز أن يقال على هذا التأويل : « فنادته الملائكة » ، و « الملائكة » جمع لا واحد ؟

قيل : ذلك جائز فى كلام العرب ، بأن تخبر عن الواحد بمذهب الجمع ، كما يقال فى الكلام: « خرج فلان على بغال البُرُد » ، وإنما ركب بغلاً واحداً = « وركب السفن » ، وإنما ركب سفينةً واحدة . وكما يقال : « ممن سمعتَ هذا الخبر » ؟ فيقال : « من الناس » ، وإنما سمعه من رجل واحد . وقد قيل إنّ منه قوله : ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ [سورة آل عمران : ١٧٣]، والقائلُ كانَ = فيما كان ذُكر — واحداً =[2] وقوله : ﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ ﴾

---

(١) فى المخطوطة : « فناداه الملائكة » .

(٢) انظر ما سلف ١ : ٢٩٢ ، ٢٩٣ / ٤ : ١٩١ .

[سورة الروم: ٣٣] ، والناس بمعنى واحد . وذلك جائز عندهم فيما لم يقصد فيه قصد واحد . (١)

* * *

قال أبو جعفر : وإنما الصواب من القول عندى فى قراءة ذلك ، أنهما قراءتان معروفتان=أعنى «التاء» و«الياء» = فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب . وذلك أنه لا اختلافَ فى معنى ذلك باختلاف القراءتين ، وهما جميعاً فصيحتان عند العرب . وذلك أنّ « الملائكة » إن كان مراداً بها جبريل ، كما روى عن عبد الله ، فإن التأنيث فى فعلها فصيحٌ فى كلام العرب للفظها ، إن تقدمها الفعل . وجائز فيه التذكير لمعناها .

وإن كان مراداً بها جمع « الملائكة » ، فجائز فى فعلها التأنيث ، وهو قبلها ، للفظها . (٢) وذلك أن العرب إذا قدّمت على الكثير من الجماعة فعلها ، أنثته ، فقالت : « قالت النساء » . وجائز التذكير فى فعلها ، بناءً على الواحد ، إذا تقدم فعله ، فيقال : « قال الرجال » .

* * *

وأما الصّواب من القول فى تأويله ، فأنْ يقال : إن الله جل ثناؤه أخبر أنّ الملائكة نادته . والظاهرُ من ذلك ، أنها جماعة من الملائكة دون الواحد ، وجبريلُ واحد . ولا يجوز أن يحمل تأويل القرآن (٣) إلاّ على الأظهر الأكثر من الكلام المستعمل فى ألسن العرب ، دون الأقل = ما وُجِد إلى ذلك سبيل . ١٧٠/٣
ولم تَضطرنا حاجةٌ إلى صرف ذلك إلى أنه بمعنى واحد ، فيحتاج له إلى طلب المخرج بالخفىّ من الكلام والمعانى .

وبما قلنا فى ذلك من التأويل قال جماعة من أهل العلم ، منهم : قتادة ، والربيع

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢١٠ .

(٢) فى المطبوعة : « وهو من قبلها » ، والصواب من المخطوطة .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « فلن يجوز . . . » ، والأشبه بالصواب ما أثبت .

ابن أنس ، وعكرمة ، ومجاهد، وجماعة غيرهم . وقد ذكرنا ما قالوا من ذلك فيما مَضَى . (١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ ﴾

قال أبو جعفر : وتأويل قوله : « وهو قائم : » فنادته الملائكة فى حال قيامه مصلّياً . فقوله : « وهو قائم » ، خبر عن وقت نداء الملائكة زكريا .

وقوله : « يُصَلى » فى موضع نصب على الحال من « القيام » ، وهو رفع بالياء .

* * *

وأما « المحراب » ، فقد بينا معناه ، وأنه مقدّم المسجد . (٢)

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « أنّ اللهَ يبشرك » .

فقرأته عامة القرأة : ﴿ أَنَّ اللَّهَ ﴾ بفتح « الألف » من « أن » ، بوقوع « النداء » عليها ، بمعنى : فنادته الملائكة بذلك .

* * *

وقرأه بعض قرأة أهل الكوفة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ ﴾ بكسر « الألف » ، بمعنى : قالت الملائكة : إنّ الله يبشرك ، لأن النداء قولٌ . وذكروا أنها فى قراءة عبد الله : ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّى فِى الْمِحْرَابِ يَا زَكَرِيَّا إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ ﴾ قالوا : وإذا بطل النداء أن يكون عاملاً فى قوله : « يا زكريا » ، فباطلٌ أيضاً

---

(١) لم يمض من ذلك شيء فى خبر زكريا ومريم ، وأنا أخشى أن يكون فى النسخ المخطوطة التى بأيدينا اختصار فى هذا الموضع .

(٢) انظر ما سلف قريباً ص : ٣٥٧، ٣٥٨

أن يكون عاملا فى « إن » .

* * *

والصواب من القراءة فى ذلك عندنا : « أنّ الله يبشرك » بفتح « أن » بوقوع النداء عليه ، بمعنى : فنادته الملائكة بذلك .

وليست العلة التى اعتلّ بها القارئون بكسر « إن » = منْ أنّ عبد الله كان يقرؤها كذلك ، فقرأوها كذلك = [لهم بعلة] (١) . وذلك أن عبد الله إنْ كان قرأ ذلك كذلك ، فإنما قرأها ، بزعمهم ، وقد اعترض بنداء زكريا بين « إن » وبين قوله : « فنادته » ، (٢) وإذا اعترض به بينهما ، فإن العرَب تعمل حينئذ النداء فى « أنّ » وتبطله عنها . أما الإبطال ، فلأنه بطل عن العمل فى المنادى قبله ، (٣) فأسلكوا الذى بعده مسلكه فى بطول عمله . وأما الإعمال ، فلأن النداء فعل واقعٌ . كسائر الأفعال . (٤)

وأما قراءتنا ، (٥) فليس نداء زكريا بـ « يا زكريا » معترضاً به بين « أن » وبين قوله : « فنادته » . وإذ لم يكن ذلك بينهما ، فالكلامُ الفصيح من كلام العرب إذا نصبتْ بقوْلِ : « ناديت » اسمَ المنادِى وأوقعوه عليه ، أن يوقعوه كذلك على « أنّ » بعده . وإن كان جائزاً إبطالُ عمله . فقوله : « نادته » ، قد وَقع على مكنىّ « زكريا » ، (٤) فكذلك الصواب أن يكون واقعاً على « أن » وعاملا فيها . (٦)

---

(١) فى المطبوعة : « من أن عبد الله كان يقرؤها كذلك ، وذلك أن عبد الله . . . » ، حذف من نص المخطوطة ما أثبته « فقرأوها كذلك » ، وبقيت الجملة بعد ذلك مختلة ، قد سقط منها خبر « وليست العلة . . . » ، فاستظهرت من سياق كلامه أنه قد سقط من الناسخ قوله : « لهم بعلة » فزدتها بين قوسين ، والسياق « وليست العلة . . . لهم بعلة » .

(٢) فى المطبوعة : « وقد اعترض بيا زكريا » وفى المخطوطة : « بهذا زكريا » ، وصواب قراءتها ما أثبت . وفى المخطوطة أيضاً « فناداه » ، مكان « فنادته » .

(٣) فى المطبوعة : « فإنه بطل عن العمل » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو الصواب .

(٤) الفعل الواقع : هو الفعل المتعدى ، كما سلف ، فانظر فهرس المصطلحات فيما سلف ، والوقوع هو التعدى .

(٥) فى المخطوطة : « وأما قراءتها » ، والصواب ما فى المطبوعة .

(٦) انظر تفصيل ما أجمله الطبرى فى معانى القرآن للفراء ١ : ٢١٠ ، ٢١١ .

مع أنّ ذلك هو القراءة المستفيضة فى قراءة أمصار الإسلام . ولا يُعترض بالشاذّ على الجماعة التى تجىء مجىءَ الحجة .

* * *

وأما قوله : « يبشرك » ، فإن القرأة اختلفت فى قراءته .

فقرأته عامة قرأة أهل المدينة والبصرة : ﴿ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ ﴾ بتشديد « الشين » وضم « الياء »، على وجه تبشير الله زكريا بالولد، من قول الناس : « بشَّرتْ فلاناً البُشَراء بكذا وكذا »، أى : أتته بشارات البُشراء بذلك .(١)

* * *

وقرأ ذلك جماعة من قرأة الكوفةوغيرهم : ﴿ أَنَّ اللهَ يَبْشُرُكَ ﴾ ، بفتح « الياء » وضم « الشين» وتخفيفها، بمعنى : أن الله يَسرّك بولد يَهَبُه لك، من قول الشاعر : (٢)

١٧١/٣ بَشَرْتُ عِيَالِي إذْ رَأَيْتُ صَحِيفَةً أَتَتْكَ مِنَ الحَجَّاجُ يُتْلَى كِتَابُهَا(٣)

وقد قيل : إن « بشَرت » لغة أهل تِهامة من كنانة وغيرهم من قريش، وأنهم يقولون « بشَرتُ فلاناً بكذا ، فأنا أبشُرُه بَشْراً » ، و«هل أنتَ باشرٌ بكذا » ؟ وينشد لهم البيت فى ذلك : (٤)

وَإِذَا رَأَيْتَ البَاهِشِينَ إِلَى العُلَى غُبْرًا أَكُفُّهُمُ بِقَاعٍ مُمْحِلِ(٥)

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « البشرى » مكان « البشراء » فى الموضعين ، والصواب ما أثبت ، وظاهر أن الناسخ رآها « البشرا » ، بغير همزة كالكتابة القديمة ، فظنها « البشرى » فكتبها كذلك .

(٢) لم أعرف قائله .

(٣) معانى القرآن للفراء ، وقال : « أنشدنى بعض العرب » .

(٤) هو عبد قيس بن خفاف البرجمى .

(٥) الأصمعيات رقم : ٨٧ ، والمفضليات رقم : ١١٦ ، ولسان العرب (كرب) (بشر) (يسر) ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٢١٢ ، وغيرها من المراجع . وهى نصيحته إلى ولده جبيل ، وهى من حكيم الشعر .

فَأَعِنْهُمْ، وَأَبْشِرْ بِمَا بَشِرُوا بِهِ ، وَإِذَا هُمُ نَزَلُوا بِضَنْكٍ فَانْزِلِ (١)

فإذا صاروا إلى الأمر، فالكلام الصحيح من كلامهم بلا ألف فيقال: « ابشَرْ فلاناً بكذا » ، ولا يكادون يقولون: « بشّره بكذا ولا أبشره » . (٢)

* * *

وقد روى عن حميد بن قيس أنه كان يقرأ: ﴿ يُبْشِرُكَ ﴾ ، بضم « الياء » وكسر «الشين » وتخفيفها . وقد : —

٦٩٤٧ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي حماد ، عن معاذ الكوفيّ قال : من قرأ: ﴿ يُبَشِّرُهُمْ ﴾ مثقلة، فإنه من البشارة، ومن قرأ : ﴿ يَبْشُرُهُمْ ﴾ ، مخففة ، بنصب « الياء » ، فإنه من السرور، يسرُّهم .

* * *

قال أبو جعفر : والقراءة التي هي القراءة عندنا في ذلك ، ضم « الياء » وتشديد « الشين » ، بمعنى التبشير . لأن ذلك هي اللغة السائرةُ والكلامُ المستفيض المعروف في الناس ، مع أن جميع قرأة الأمصار مجمعون في قراءة : ﴿ فَبِمَ تُبَشِّرُونِ ﴾ [سورة الحجر : ٥٤]، على التشديد . والصواب في سائر ما في القرآن من نظائره ، أنْ يكون مثله في التشديد وضم « الياء » .

* * *

بهش إلى الشيء : فرح به فأسرع إليه ، وروايتهم «إلى الندى » ، وهو الكرم . والقاع : أرض سهلة مستوية تنفرج عنها الجبال والآكام ، ولا حصى فيها ولا حجارة ولا تنبت الشجر . والممحل : الجدب . يقول : إذا رأيت الكرام الأسخياء ، قد أجهدتهم السنة والقحط والجدب حتى اغبرت أيديهم من قلة ما يجدون ، وكثرة ما بذلوا في معونة الناس . . . فأعنهم .

(١) « وابشر» هي من « بشر» على وزن (فرح) « يبشر» (بفتح الشين) يقال : « أتاني أمر بشرت به » أي سررت به . يقول : شاركهم في ارتياحهم وفرحهم بالسخاء مع ما يلقون من جهد السنة . والضنك : الضيق . يقول : كن مع الكرام حيث كانوا ، وانزل معهم كل منزل أنزلهموه كرمهم ، من ضنك وحاجة .

(٢) انظر تفسير : « بشرى » و « بشر » فيما سلف ١ : ٣٨٣ / ٢ : ٣٩٣ / ٣ : ٢٢١ / ٦ : ٢٨٧ .

وأما ما روى عن معاذ الكوفى من الفرق بين معنى التخفيف والتشديد فى ذلك، فلم نجدْ أهل العلم بكلام العرب يعرفونه من وجه صحيح ، فلا معنى لما حُكى من ذلك عنه ، وقد قال جرير بن عطية :

يَا بِشْرُ حُقَّ لِوَجْهِكَ التَّبْشِيرُ هَلاَّ غَضِبْتَ لَنَا ؟ وَأَنْتَ أَمِيرُ ![1]

فقد علم أنه أراد بقوله : « التبشير »، الجمال والنضارة والسرور، فقال « التبشير » ولم يقل « البشر » ، فقد بيَّن ذلك أن معنى التخفيف والتثقيل فى ذلك واحدٌ .

* * *

٦٩٤٨ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة قوله : « إن الله يبشرك بيحيى » ، قال : بشرته الملائكة بذلك .

* * *

وأما قوله : « بيحيى » ، فإنه اسم ، أصله « يفعل » ، من قول القائل : « حيي فلانٌ فهو يحيَى » ، وذلك إذا عاش . « فيحيي » « يفعل » من قولهم « حيي » .

وقيل : إن الله جل ثناؤه سماه بذلك ، لأنه يتأوّل اسمه : أحياه بالإيمان .

* ذكر من قال ذلك :

٦٩٤٩ ــ حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « أنّ الله يبشرُك بيحيى » ، يقول : عبدٌ أحياه الله بالإيمان .

٦٩٥٠ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى

---

(١) ديوانه : ٣٠١ ، وطبقات فحول الشعراء : ٣٧٨ ، وغيرهما . من قصيدته التى قالها لبشر بن مروان ، وكان قدم معه العراق ، سراقة البارق ، وكان بشر يغرى بين الشعراء ، فحمل سراقة على جرير حتى هجاه . فترك جرير بشراً ، بل مدحه ، وأخذ بمجامع سراقة يخنقه حتى فضحه . وعاتب بشراً عتاب من يظهر الجهل بأمر بشر ، وهو يعلمه . وهذا البيت دال على ذلك .

كان فى المطبوعة : « حق لبشرك التبشير » ، وهو من سهو الناشر ، كما سلف من سهوه ، والصواب فى المخطوطة وسائر المراجع .

جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة قوله : « إنّ الله يبشرك بيحيى » ، قال : إنما سمى يحيى ، لأن الله أحياه بالإيمان .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : (١) أن الله يبشرك يا زكريا بيحيى ابناً لك ، = « مصدّقاً بكلمة من الله » ، يعنى : بعيسى بن مريم .

* * *

ونصب قوله : « مصدقاً » على القطع من « يحيى » ، (٢) لأنّ « مصدقاً » نعتٌ له ، وهو نكرة ، و « يحيى » غير نكرة . ١٧٢/٣

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٦٩٥١ – حدثنى عبد الرحمن بن الأسود الطفاوى قال ، حدثنا محمد بن ربيعة قال ، حدثنا النضر بن عربىّ ، عن مجاهد قال : قالت امرأة زكريا لمريم : إنى أجد الذى فى بطنى يتحرّك للذى فى بطنك ! قال : فوضعت امرأةُ زكريا يحيى ، ومريمُ عيسى ، ولذا قال : « مصدِّقاً بكلمة من الله » ، قال : يحيى مصدّق بعيسى .

٦٩٥٢ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن الرقاشى فى قول الله : « يبشرك بيحيى مصدّقاً بكلمة من الله » ، قال : مصدّقاً بعيسى بن مريم .

---

(١) فى المطبوعة : « يعنى بقوله جل ثناؤه » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) القطع : الحال ، كما سلف مراراً ، آخرها ص : ٣٢٧ تعليق ٢ ، والمراجع هناك .

٦٩٥٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

٦٩٥٤ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا سليمان قال، حدثنا أبو هلال قال، حدثنا قتادة في قوله: «مصدقاً بكلمة من الله»، قال: مصدقاً بعيسى.

٦٩٥٥ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: «مصدقاً بكلمة من الله»، يقول: مصدّقاً بعيسى بن مريم، وعلى سُنّته ومنهاجه.(١)

٦٩٥٦ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: «مصدقاً بكلمة من الله»، يعني: عيسى بن مريم.

٦٩٥٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن قتادة: «مصدقاً بكلمة من الله»، يقول: مصدقاً بعيسى ابن مريم، يقول على سننه ومنهاجه.

٦٩٥٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: «مصدقاً بكلمة من الله»، قال: كان أوّلَ رجل صدّق عيسى، وهو كلمة من الله وروح.

٦٩٥٩ – حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدي: «مصدقاً بكلمة من الله»، يصدق بعيسى.

٦٩٦٠ – حدثت عن الحسين قال، سمعت أبا معاذ قال، أخبرنا عبيد بن سليمان قال، سمعت الضحاك يقول في قوله: «إنّ الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله»، كان يحيى أول من صدق بعيسى وشهدَ أنه كلمة من الله، وكان يحيى ابن خالة عيسى، وكان أكبر من عيسى.

---

(١) في المطبوعة: «مصدق . . . وعلى سننه»، وأثبت ما في المخطوطة.

٦٩٦١ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة عن ابن عباس قوله : « مصدقاً بكلمة من الله » ، قال : عيسى بن مريم ، هو الكلمة من الله ، اسمُه المسيح .

٦٩٦٢ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، أخبرني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : قوله : « مصدقاً بكلمة من الله » ، قال : كان عيسى ويحيى ابنَيْ خالة ، وكانت أم يحيى تقول لمريم : إني أجد الذي في بطني يسجدُ للذي في بطنك ! فذلك تصديقه بعيسى : سُجوده في بطن أمه . وهو أول من صدق بعيسى وكلمة عيسى ، ويحيى أكبر من عيسى .(١)

٦٩٦٣ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « أن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله » ، قال : الكلمة التي صدق بها : عيسى .

٦٩٦٤ – حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قال : لقيت أمّ يحيى أمّ عيسى ، وهذه حامل بيحيى ، وهذه حامل بعيسى ، فقالت امرأة زكريا : يا مريم ، استشعرتُ أنّي حبلى ! قالت مريم : ١٧٣/٣
استشعرت أني أيضاً حبلى ! قالت امرأة زكريا : فإني وجدتُ ما في بطني يسجُد لما في بطنك ! فذلك قوله : « مصدّقاً بكلمة من الله » .

٦٩٦٥ – حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد ، عن الحسن في قول الله : « أنّ الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله » ، قال : مصدّقاً بعيسى بن مريم .

* * *

قال أبو جعفر : وقد زعم بعض أهل العلم بلغات العرب من أهل البصرة ،(٢)

(١) السجود هنا : الخضوع والتطامن والخشوع ، لا سجود الصلاة والعبادة . وإنما سجود الصلاة مجاز من هذا الأصل ، وانظر تفسير ذلك فيما سلف ٢ : ١٠٤ ، ١٠٥ .

(٢) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه مجاز القرآن ١ : ٩١ .

أنّ معنى قوله : « مصدقاً بكلمة من الله » ، بكتاب من الله ، من قول العرب : « أنشدنى فلانٌ كلمة كذا » ، يراد به : قصيدة كذا = جهلاً منه بتأويل « الكلمة » ، واجتراءً على ترجمة القرآن برأيه .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَسَيِّدًا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « وسيداً » ، وشريفاً فى العلم والعبادة .

* * *

ونصب « السيد » عطفاً على قوله : « مصدقاً » .

* * *

وتأويل الكلام : أن الله يبشرك بيحيى مصدّقاً بهذا ، وسيداً .

* * *

« والسيد » « الفيعل » من قول القائل : « سادَ يسود » ،(٢) كما : —

٦٩٦٦ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وسيداً » إى والله ، لسيدٌ فى العبادة والحلم والعلم والورَع .

٦٩٦٧ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا مسلم قال ، حدثنا أبو هلال قال ، حدثنا قتادة فى قوله : « وسيداً » ، قال : السيدُ ، لا أعلمه إلاّ قال : فى العلم والعبادة .

---

(١) ترجمة القرآن تفسيره وبيانه ، وانظر ما سلف ١ : ٧٠ ، تعليق : ١ ، وانظر فهرس المصطلحات . وإذا كان أبو جعفر يعد هذا اجتراء على تفسير كتاب الله ، فليت شعرى ماذا يقول فى الذين نصبوا أنفسهم ، من أهل زماننا ، للتهجم على كتاب الله ، بما لا تعد فيه مقالة أبى عبيدة ، إلا تسبيحاً واستغفاراً واجتهاداً فى العبادة ! !

(٢) انظر ما سلف ٣ : ٣١٩ .

٦٩٦٨ – حدثت عن عمار قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة قال : السيد الحليمُ .

٦٩٦٩ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن شريك ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير ، « وسيداً » ، قال : الحليم .

٦٩٧٠ – حدثني المثنى قال ، حدثنا الحماني قال ، حدثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير : « وسيداً » ، قال : السيد التقيّ .

٦٩٧١ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : « وسيداً » ، قال : السيد الكريم على الله .

٦٩٧٢ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل قال : زعم الرّقاشي أنّ السيد ، الكريم على الله .

٦٩٧٣ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك في قول الله عز وجل : « وسيداً » ، قال : السيد الحليم التقي .

٦٩٧٤ – حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن ابن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « وسيداً » ، قال يقول : تقيًّا حليما .

٦٩٧٥ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان في قوله : « وسيداً » ، قال : حليما تقيًّا .

٦٩٧٦ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب ، عن ابن زيد في قوله : « وسيداً » ، قال : السيد الشريف .

٦٩٧٧ – حدثني سعيد بن عمرو السكوني قال ، حدثنا بقية بن الوليد ،

عن عبد الملك ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب فى قول الله عز وجل : « وسيداً » ، قال : السيد الفقيه العالم .

٦٩٧٨ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال : حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وسيداً » ، قال ، يقول : حليما تقيًّا .

٦٩٧٩ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن أبى بكر ، عن عكرمة : « وسيداً » ، قال : السيد الذى لا يغلبُه الغضب .

* * *

١٧٤/٣ القول فى تأويل قوله ﴿ وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (٣٩)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك : ممتنعاً من جماع النساء ، من قول القائل : « حَصِرْتُ من كذا أحْصَر » ، إذا امتنع منه . ومنه قولهم : « حَصِرَ فلان فى قراءته » ، إذا امتنع من القراءة فلم يقدر عليها . وكذلك « حَصْرُ العدوّ » ، حَبْسهم الناسَ ومنعهم إياهم التصرف . ولذلك قيل للذى لا يُخرج مع ندمائه شيئاً ، « حَصُور » ، كما قال الأخطل :

وَشَارِبٍ مُرْبِحٍ بِالكَأْسِ نَادَمَنِى لاَ بِالحَصُورِ وَلاَ فِيهَا بِسَوَّارِ (١)

ويروى : « بسآر » . ويقال أيضاً للذى لا يخرج سره ويكتمه « حصور » ،

---

(١) ديوانه : ١١٦ ، ومجاز القرآن ١ : ٩٢ ، وطبقات فحول الشعراء : ٤٣٢ ، واللسان (حصر) (سأر) (سور) ، من قصيدته التى قالها ليزيد بن معاوية ، لما منعه حين هجا الأنصار فى قصة مشهورة . وفى المخطوطة « مرجح بالكأس » ، وهو خطأ . والمربح : المعطى الربح للتاجر ، يريد أنه يغالى بثمن الخمر لا يبالى بما يبذل فيها . والسوار : الذى تسور الخمر فى دماغه ، فيعربد على إخوانه وندمائه عربدة رديئة ، والخمر عندهم تشف عن غرائز شاربيها . وأما رواية « سآر » التى سيذكرها ، فهى من السؤر : وهو بقية الخمر فى القدح . يريد أنه عرضة شراب ، لا يكف عن الخمر ، ولا يدع فى كأسه سؤراً من قلة صبره ، أو سو احتماله لشدتها .

لأنه يمنع سره أن يظهر ، كما قال جرير :

وَلَقَدْ تَسَاقَطَنِي الوُشَاةُ ، فَصَادَفُوا حَصِرًا بِسِرِّكِ يَاأُمَيْمَ ضَنِينَا[1]

وأصل جميع ذلك واحد ، وهو المنع والحبس .

* * *

وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٦٩٨٠ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن خلف قال ، حدثنا حماد بن شعيب ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله فى قوله : « وسيداً وحصوراً » ، قال : الحصور ، الذى لا يأتى النساء .

٦٩٨١ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن يحيى ابن سعيد ، عن سعيد بن المسيب أنه قال : حدثنى ابن العاص : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كل بنى آدم يأتى يوم القيامة وله ذنبٌ ، إلا ما كان من يحيى بن زكريا . قال : ثم دلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم يدَه إلى الأرض ، فأخذ عُوَيْداً صغيراً ثم قال : وذلك أنه لم يكن له ما للرجال إلا مثل هذا العود ، وبذلك سماه الله « سيداً وحصُوراً » .[2]

---

(١) ديوانه : ٥٧٨ ، ومجاز القرآن ١ : ٩٢ واللسان (حصر) (سقط) ، ورواية هذه الكتب وفى المطبوعة : « تَسَقَّطَنِي » غيروا ما فى المخطوطة ، كما أثبته . وتسقطه واستسقطه : تتبع عثرته وسقطته أن يفرط منه ما يؤخذ عليه . من السقط (بفتحتين) وهو الخطأ فى القول ، أو من السقطة (بفتح فسكون) وهى العثرة والزلة . وأما ما جاء فى المخطوطة : « تساقطنى » ، فإنى أستجيدها . جيد أن يقال « ساقطه » بمعنى « تسقطه واستسقطه » ، وكأن « السقاط » بمعنى العثرة والزلة ، مصدر « ساقطه » ، وقد قال سويد بن أبى كاهل :

كَيْفَ يَرْجُونَ سِقَاطِى ، بَعْدَ مَا جَلَّلَ الرأسَ مشيبٌ وصَلَعْ

كأنه يجاذبه القول ، حتى يسقط ويزل ، وهو نفس المعنى فى « تسقطه واستسقطه » ، وإذا جاز فى صريح العربية ، فلا معنى لاطراحه . وفى المخطوطة ، أسقط الناسخ « أميم » من البيت وترك مكانها بياضاً ، وضع فيه نقطة حمراء .

(٢) الأثر : ٦٩٨١ – أنظر التعليق على الأثر : ٦٩٨٣ .

٦٩٨٢ – حدثني يونس قال، أخبرنا أنس بن عياض ، عن يحيى بن سعيد قال ، سمعت سعيد بن المسيب يقول : ليس أحدٌ إلا يلقى الله يوم القيامة ذا ذَنْب إلا يحيى بن زكريا ، كان حصوراً ، معه مثل الهُدْبة .

٦٩٨٣ – حدثنا أحمد بن الوليد القرشي قال ، حدثنا عمر بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب قال : قال ابن العاص – إما عبد الله ، وإما أبوه – : ما أحد يلقى الله إلا وهو ذو ذنب ، إلا يحيى بن زكريا . قال وقال سعيد بن المسيب : « وسيداً وحصوراً » ، قال : الحصور ، الذى لا يغشى النساء ، ولم يكن ما معه إلاّ مثل هُدْبة الثوب .(١)

٦٩٨٤ – حدثني سعيد بن عمرو السكوني قال، حدثنا بقية بن الوليد ، عن عبد الملك ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب فى قوله : « وحصوراً » قال : الحصور الذى لا يشتهى النساء . ثم ضرب بيده إلى الأرض فأخذ نواة فقال : ما كان معه إلاّ مثل هذه .

٦٩٨٥ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير قال : الحصور ، الذى لا يأتى النساء .

٦٩٨٦ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن عطاء ، عن سعيد مثله .

٦٩٨٧ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء، عن سعيد مثله .

٦٩٨٨ – حدثني عبد الرحمن بن الأسود قال، حدثنا محمد بن ربيعة قال ،

---

(١) الحديث : ٦٩٨٣ – رواه الطبرى قبل ذلك : ٦٩٨١ ، عن سعيد بن المسيب : « حدثني ابن العاص . . . » – فذكره مطولا مرفوعاً . ثم رواه هنا عن ابن المسيب ، عن ابن العاص – مع الشك فى أنه « عبد الله بن عمرو » أو « أبوه » – موقوفاً . وقد ذكره ابن كثير ٢ : ١٣٥ ، من رواية ابن أبى حاتم – بهذا الشك – ولكنه مرفوع . ثم ذكره ص ١٣٥ – ١٣٦ ، من رواية ابن أبى حاتم أيضاً « عن عبد الله بن عمرو بن العاص » – موقوفاً . ووصف المرفوع بأنه « غريب جداً » . ثم قال بعد الموقوف : « فهذا موقوف أصح إسناداً من المرفوع » . وكذلك ذكر السيوطى ٢ : ٢٢ المرفوع والموقوف ، وقال : « وهو أقوى إسناداً من المرفوع » .

حدثنا النضر بن عربى ، عن مجاهد : « وحصوراً » ، قال : الذى لا يأتى ١٧٥/٣
النساء .

٦٩٨٩ ــ حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : الحصور لا يقرَبُ النساء .

٦٩٩٠ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل قال : زعم الرقاشى : « الحصور » الذى لا يقرب النساء .

٦٩٩١ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، حدثنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك : « الحصور » ، الذى لا يولد له ، وليس له ماء .

٦٩٩٢ ــ حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « وحصوراً »، قال : هو الذى لا ماء له .

٦٩٩٣ ــ حدثنا بشر قال، حدثنا سويد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وحصوراً » ، كنا نُحدّث أن الحصور الذى لا يقرب النساء .

٦٩٩٤ ــ حدثنا ابن بشار قال، حدثنا سليمان قال، حدثنا أبو هلال قال ، حدثنا قتادة فى قوله : « وسيداً وحصوراً » ، قال : الحصور الذى لا يأتى النساء .

٦٩٩٥ ــ حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة مثله .

٦٩٩٦ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة مثله .

٦٩٩٧ ــ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن قابوس ، عن أبيه، عن ابن عباس قال : الحصور الذى لا ينزل الماء .

٦٩٩٨ ــ حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب، عن ابن زيد: «وحصوراً »، قال : الحصور الذى لا يأتى النساء .

٦٩٩٩ – حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وحصوراً » ، قال : الحصور ، الذى لا يريد النساء .

٧٠٠٠ – حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد ، عن الحسن : « وحصوراً » ، قال : لا يقرب النساء .

* * *

وأمّا قوله : « ونبيًّا من الصالحين » فإنه يعنى : رسولاً لربه إلى قومه ، ينبئهم عنه بأمره ونهيه ، وحلاله وحرامه ، ويبلّغهم عنه ما أرسله به إليهم .

* * *

ويعنى بقوله : « من الصّالحين » ، من أنبيائه الصالحين .(١)

* * *

وقد دللنا فيما مضى على معنى « النبوّة » وما أصلها ، بشواهد ذلك والأدلة الدالة على الصحيح من القول فيه ، بما أغنى عن إعادته .(٢)

* * *

---

(١) انظر تفسير « الصالح » فيما سلف ٣ : ٩١ .

(٢) انظر تفسير « النبى » فيما سلف ٢ : ١٤٠ – ١٤٢ .

هذا ، وعند هذا الموضع انتهى جزء من التقسيم القديم الذى نقلت عنه نسختنا ، وكتب هنا ما نصه :

« يتلُوهُ ، إن شاء الله ، القولُ فى تأويل قوله :

﴿ قال ربّ أنّى يكون لى غلامٌ وقد بلغنى الكِبَر وامرأتى عاقر ﴾ .

والحمد لله وحده على إحسانه ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلّم »

ثم يتلوه ما نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم

ربّ يسّر

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى »

القول فى تأويل قوله ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾

قال أبو جعفر : يعنى أنّ زكريا قال = إذ نادته الملائكة : « أنّ الله يُبشّرك بيحيى مصدّقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبيًّا من الصالحين » = « أنى يكون لى غلامٌ وقد بلغنى الكبر » ؟ يعنى : مَنْ بلغ من السن ما بلغتُ لم يولد لهُ = « وامرأتى عاقر » .

* * *

« والعاقر » من النساء التى لا تلد . يقال منه : « امرأة عاقر ، ورجلٌ عاقرٌ » ، كما قال عامر بن الطفيل :

لَبِئْسَ الفَتَى ! إنْ كُنْتُ أعْوَرَ عَاقِراً جَبَاناً، فَمَا عُذْرِي لَدَى كُلِّ مَحْضَرِ !!(١)

* * *

وأما « الكبر » فمصدر : « كبِرَ فهو يَكبَرُ كِبَراً » .

وقيل : « بلغنى الكبر » ، وقد قال فى موضع آخر : ﴿قَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ﴾

---

(١) ديوانه ١١٩ ، ومجاز القرآن ١ : ٩٢ ، وحماسة الشجرى : ٧ وغيرها ، وسيأتى فى التفسير ١٦ : ٣٧ (بولاق) . وعامر بن الطفيل ، أحد العوران الأشراف (المحبر : ٣٠٣) ، وقد ذهبت عينه يوم فيف الريح . وأما خبر عقمه ، فإنه صدق قول علقمة بن علاثة فيه ، فقال : « فقد والله صدق : ما لى ولد ، وإنى لعاهر الذكر ، وإنى لأعور البصر » (ديوانه ٩١ ، ٩٢) ، وهذا البيت من أبيات قالها فى يوم فيف الريح ، يذكر صبره فى قتالهم ، وقد ذهبت عينه حين طعنه مسهر بن يزيد الحارثى بالرمح ، ففلق وجنته ، وانشقت عين عامر ففقأها . وذكروا أن عامراً طعن يومئذ بين ثغرة نحره إلى سرته عشرين طعنة ، فقال عامر :

لَعَمْرِي ، وَمَا عَمْرِي عَلَيَّ بِهَيِّنٍ لَقَدْ شَانَ حُرَّ الوَجْهِ طَعْنَةُ مُسْهِرِ

فَبِئْسَ الفَتَى . . . . . .

يقول : من يعذرنى إذا هبت عدوى وأحجمت عن حر الطعان ؟

[سورة مريم: ٨] ، لأن ما بلغك فقد بلغته . وإنما معناه : قد كبرت ، وهو كقول القائل : « قد بلغنى الجهد »[١] بمعنى : إنى فى جهد .

* * *

فإن قال قائل : وكيف قال زكريا وهو نبىّ الله : « ربّ أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر » ، وقد بشرته الملائكة بما بشرته به عن أمر الله إياها به ؟ أشكّ فى صدقهم ؟ فذلك ما لا يجوز أن يوصفَ به أهل الإيمان بالله ! فكيف الأنبياء والمرسلون ؟ أم كان ذلك منه استنكاراً لقدرة ربه ؟ فذلك أعظم فى البلية ! ١٧٦/٣

قيل : كان ذلك منه صلى الله عليه وسلم على غير ما ظننتَ ، بل كان قِيله ما قال من ذلك ، كما : —

٧٠٠١ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : لما سمع النداء — يعنى زكريا ، لما سمع نداء الملائكة بالبشارة بيحيى — جاءه الشيطان فقال له : يا زكريا ، إن الصوت الذى سمعت ليس هو من الله ، إنما هو من الشيطان يسخرُ بك ! ولو كان من الله أوحاه إليك كما يُوحى إليك فى غيره من الأمر ! فشكّ مَكانه ،[٢] وقال : « أنّى يكون لى غلام » ، ذكرٌ ؟ = يقول : من أين ؟ =[٣] « وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر » .

٧٠٠٢ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن أبى بكر ، عن عكرمة قال : فأتاه الشيطان فأراد أن يكدّر عليه نعمةَ ربه فقال : هل تدرى من ناداك ؟ قال : نعم ! نادتنى ملائكةُ ربى ![٤] قال : بل ذلك الشيطان !

---

(١) فى المطبوعة : « وقد بلغنى الجهد » زاد واواً لا خير فيها ، والصواب من المخطوطة .

(٢) قوله : « فشك مكانه » ، أى من ساعته ، من فوره . ويقال : « فعل ذلك على المكان » ، أى من ساعته غير متلبث ولا متصرف ، قبل أن يفارق مكانه .

(٣) فى المطبوعة : « ومن أين » بالواو ، وفى المخطوطة واو أيضاً ، لكنه ضرب عليها .

(٤) فى المطبوعة : « نادانى » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

لو كان هذا من ربك لأخفاه إليك كما أخفيت نداءك ! فقال : « رب اجعل لى آية » .

* * *

= فكان قولهُ ما قال من ذلك ، ومراجعته ربَّه فيما راجع فيه بقوله : « أنى يكون لى غلام » ، للوسوسة التى خالطتْ قلبه من الشيطان حتى خيَّلت إليه أنّ النداء الذى سمعه كان نداءً من غير الملائكة ، فقال : « رب أنَّى يكون لى غلام » ، مستثبتاً فى أمره ، ليتقرّر عنده بآية يريها الله فى ذلك —[1] أنه بشارة من الله على ألسن ملائكته ، ولذلك قال : « رب اجعل لى آية » .

* * *

وقد يجوز أن يكون قيله ذلك ، مسألةً منه ربَّه : من أىّ وجه يكون الولدُ الذى بُشر به ؟ أمن زوجته ؟ فهى عاقر — أم من غيرها من النساء ؟ فيكون ذلك على غير الوجه الذى قاله عكرمة والسدى ومن قال مثلَ قولهما .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ (٤٠)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « كذلك الله » ، أى هو ما وصفَ به نفسه أنه هيِّنٌ عليه أن يخلق ولداً من الكبير الذى قد يَئس من الولد ، ومن العاقر التى لا يُرْجى من مثلها الولادة ، كما خلقك يا زكريا من قبل خلْق الولد منك ولم تك شيئاً ، لأنه الله الذى لا يتعذر عليه خلق شىء أراده ، ولا يمتنع عليه فعل شىء شاءَه ، لأن قدرَته القدرةُ التى لا تُشبهها قدرة ، كما : —

٧٠٠٣ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن

---

(١) فى المطبوعة : « يريه الله فى ذلك » ، والصواب ما فى المخطوطة .

السدى قال : « كذلك الله يفعل ما يشاء » ، وقد خلقتك من قبل ولم تكُ شيئاً .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه، خبراً عن زكريا ، قال زكريا : ربّ إن كان هذا النداء الذى نُوديتُه ، والصوتُ الذى سمعته ، صوتَ ملائكتك وبشارةً منك لى ، فاجعل لى آية = يقول : علامةً = أن ذلك كذلك ، ليزول عنّى ما قد وسوس إلىّ الشيطان فألقاه فى قلبى ، من أنّ ذلك صوتُ غير الملائكة ، وبشارةٌ من عند غيرك ، كما : —

٧٠٠٤ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : « رب اجعل لى آية » ، قال : قال — يعنى زكريا — : يا ربّ ، فإن كان هذا الصوت منكَ ، فاجعل لى آيةً .

* * *

وقد دللنا فيما مضى على معنى « الآية » ، وأنها العلامة ، بما أغنى عن إعادته .(١)

* * *

١٧٧/٣ وقد اختلف أهل العربية فى سبب ترك العرب همْزها ، ومن شأنها همزُ كل « ياء » جاءت بعد « ألف » ساكنة .

فقال بعضهم : ترك همزها ، لأنها كانت « أيَّة » ، فثقُل عليهم التشديد ، فأبدلوه « ألفاً » لانفتاح ما قبل التشديد كما قالوا : « أيْما فلانٌ فأخزاه الله » .(٢)

* * *

وقال آخرون منهم : بل هى « فاعلة » منقوصة .

---

(١) انظر ما سلف ١ : ١٠٦ ، ثم انظر فهرس اللغة مادة (أي) فى الأجزاء السالفة .

(٢) « أيما » ، بمعنى « أما » مشددة الميم .

فسئلوا فقيل لهم : فما بال العرب تصغرها « أُيَيَّة » ، ولم يقولوا «أُوَيَّة» .[١]

فقالوا : قيل ذلك ، كما قيل فى « فاطمة » ، « هذه فُطيمة » .

فقيل لهم : فإنهم إنما يصغرون « فاعلة » ، على « فعيلة » ، إذا كان اسماً فى معنى فلان وفلانة ، فأما فى غير ذلك فليس من تصغيرهم « فاعلة » على « فعيلة » .[٢]

* * *

وقال آخرون : إنه « فَعْلة » صيرت ياؤها الأولى « ألفا » ، كما فعل بـ « حاجة ، وقامة » .

فقيل لهم : إنما تفعل العرب ذلك فى أولاد الثلاثة .[٣]

وقال من أنكر ذلك من قِيلهم : لو كان كما قالوا : لقيل فى « نواة » ناية ، وفى « حَياة » حَاية .[٤]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾

قال أبو جعفر : فعاقبه الله — فيما ذكر لنا — بمسألته الآية ، بعد مشافهة الملائكة إياه بالبشارة ، فجعل آيته = على تحقيق ما سمع من البشارة من الملائكة

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « أوبية » ، والصواب ما أثبت بتشديد الياء .

(٢) قائل ذلك ، هو الكسائى وأصحابه . وسائلوه : هم الفراء وأصحابه . انظر لسان العرب مادة (أيا) .

(٣) أولاد الثلاثة : يعنى الاسم الثلاثى .

(٤) انظر تفصيل ما سلف ، وبعضه بنصه فى لسان العرب ١٨ : ٦٦ ، وهذه الردود كلها للفراء ، كما يظهر من نص اللسان ، وكأن فى نص الطبرى بعض الاضطراب ، فإن قوله : « فقيل لهم : إنما يفعل العرب ذلك فى أولاد الثلاثة » ، إنما هو رد على قول من زعم إنها « فاعلة » منقوصة ، مثل حاجة وقامة ، وأن أصلها حائجة وقائمة . وأخشى أن يكون الناسخ قد أسقط ، أو قدم شيئاً ، فاضطرب الكلام .

بيحيي أنه من عند الله = [١] آية من نفسه، جمعَ تعالى ذكره بها العلامة التى سألها ربَّه على ما يبيِّن له حقيقة البشارة أنها من عند الله، وتمحيصاً له من هفوته وخطإ قِيله ومسألته .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٧٠٠٥ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناسَ ثلاثةَ أيام إلاّ رمزاً » ، إنما عوقب بذلك ، لأن الملائكة شافهته مشافهة بذلك ، فبشَّرته بيحيي ، فسأل الآية بعد كلام الملائكة إياه . فأخِذَ عليه بلسانه، فجعل لا يقدر على الكلام إلا ما أومأ وأشار ، فقال الله تعالى ذكره ، كما تسمعون : « آيتك ألاّ تكلم الناس ثلاثةَ أيام إلا رمزاً » .

٧٠٠٦ — حدثنا الحسن بن يحيي قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « أن الله يبشرك بيحيي مصدِّقاً » ، قال : شافهته الملائكة ، فقال : « رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلاّ رمزاً » ، يقول : إلا إيماءً ، وكانت عقوبةً عُوقب بها ، إذ سأل الآيةَ مع مشافهة الملائكة إياه بما بشرته به .

٧٠٠٧ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه ، عن الربيع فى قوله: « رب اجعل لى آية، قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة

---

(١) فى المطبوعة : « على تخصيص ما سمع . . . » ، وهو فاسد لا معنى له ، وأوقعه فى ذلك أن كاتب المخطوطة كتب أولا تخصيص » ثم عاد فطمس الصاد الأولى ، ووضع عليها نقطتى القاف ، ثم ركب على حوض الصاد (ص) دائرة القاف ، فلم يستطع الناشر الأول أن يقرأ ذلك إلا على الوجه الذى هرب منه الناسخ ! !

وسياق هذه العبارة « فجعل آيته . . . آية من نفسه » وتلك الآية : أنه حبس لسانه فلم يكلم الناس إلا كما أمر ، رمزاً .

أيام إلاّ رمزاً » ، قال : ذكر لنا ، والله أعلم ، أنه عوقب ، لأن الملائكة شافهته مشافهة ، فبشرته بيحيي ، فسأل الآية بعدُ ، فأخِذَ بلسانه .

٧٠٠٨ – حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : ذكر لنا ، والله أعلم ، أنه عوقب ، لأن الملائكة شافهته فبشرته بيحيي ، قالت : « أنّ الله يبشرك بيحيي » ، فسأل بعد كلام الملائكة إياه الآية ، فأخِذ عليه لسانه ، فجعل لا يقدر على الكلام إلاّ رمزاً – يقول : يومئ إيماءً .

٧٠٠٩ – حدثني أبو عبيد الوَصّابي قال ، حدثنا محمد بن حمير قال ، حدثنا صفوان بن عمرو ، عن جُبير بن نُفير في قوله : « قال رب اجعل لي آيةً قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلاّ رمزاً » ، قال : ربا لسانه في فيه حتى ملأه ، ثم أطلقه الله بعد ثلاثٍ .(١) ١٧٨/٣

* * *

قال أبو جعفر : وإنما اختارت القرأةُ النصبَ في قوله : « ألاّ تكلم الناس » ، لأن معنى الكلام : قال آيتك أن لا تكلمَ الناسَ فيما يستقبلُ ثلاثة أيام = فكانت « أن » هي التي تصحب الاستقبال ، دون التي تصحب الأسماء فتنصبها . ولو كان المعنى فيه : آيتك أنك لا تكلم الناس ثلاثة أيام = أي : أنك على هذه الحال ثلاثة أيام = كان وجه الكلام الرفع . لأن « أن » كانت تكون حينئذ بمعنى

---

(١) الأثر : ٧٠٠٩ – « أبو عبيد الوصابي » هو : « محمد بن حفص » ، مضى في التعليق على رقم : ١٢٩ ، ٦٧٨٠ ، وكان في المطبوعة : «الرصافي» ، وفي المخطوطة «الوصافي» ، وكلاهما خطأ . و « محمد بن حمير » مضى أيضاً في : ١٢٩ : ٦٧٨٠ . و « صفوان بن عمرو بن هرم السكسكي الحمصي » روى عن عبد الله بن بسر المازني الصحابي وجبير بن نفير ، وجماعة . كان ثقة مأموناً ، مترجم في التهذيب . و « جبير بن نفير » ، أدرك زمان النبي صلى الله عليه وسلم وكان جاهلياً ، أسلم زمن أبي بكر وروى عن رسول الله وعن أبي بكر مرسلا ، وروى عن أبي ذر وأبي الدرداء وغيرهما من الصحابة . قال أبو حاتم : « ثقة من كبار تابعي أهل الشام » . مترجم في التهذيب . وكان في المطبوعة : « جويبر بن نصير » ! ! وهو خطأ لا شك فيه ، والصواب في المخطوطة .

الثقيلة خففت . ولكن لم يكن ذلك جائزاً ، لما وصفت من أن ذلك بالمعنى الآخر .

* * *

وأما « الرّمز » ، فإنّ الأغلب من معانيه عند العرب : الإيماءُ بالشفتين ، وقد يستعمل فى الإيماء بالحاجبين والعينين أحياناً ، وذلك غير كثير فيهم . وقد يقال للخفى من الكلام الذى هو مثلُ الهمس بخفض الصّوت : « الرمز » ، ومنه قول جُؤيّة بن عائذ : (١)

وَكَانَ تَكَلُّمُ الأَبْطَالِ رَمْزًا وَهَمْهَمَةً لَهُمْ مِثْلَ الهَدِيرِ (٢)

يقال منه : « رَمز فلان فهو يَرْمِزُ ويرمُز رَمزاً = ويترمَّزُ ترمُّزاً » ، ويقال : « ضربه ضربةً فارتمز منها » ، أى اضطرب للموت ، قال الشاعر : (٣)

* خَرَرْتُ مِنْهَا لِقِفَاىَ أَرْتَمِزْ * (٤)

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى عنى الله عز وجل به فى إخباره عن زكريا من قوله : « آيتك ألا تكلم الناس ثلاثةَ أيام إلاّ رمزاً » ، وأىّ معانى « الرمز » عنى بذلك ؟

فقال بعضهم : عنى بذلك : آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلاّ تحريكاً بالشفتين ، من غير أن ترمز بلسانك الكلام .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) فى المطبوعة : « حوبة بن عابد » ، وهو لا معنى له فى الصواب ولا فى الخطأ . وهو فى المخطوطة بهذا الرسم غير منقوط . والصواب ما أثبت .

وهو جؤية بن عائذ النصرى ، فيما روى ابن السكيت فى تهذيب الألفاظ : ١٢٥ . أما الآمدى فى المؤتلف والمختلف : ٨٣ ، فقد سماه : « عائذ بن جؤية بن أسيد بن جرار بن عبد بن عاثرة بن يربوع بن واثلة بن دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن » ، وذكره أيضاً البغدادى فى الخزانة ١ : ٤٧٦ . والعجب لبعض من يعلق على تفسير الطبرى أن يزعم كالقاطع الجازم أنه « جؤية بن عائذ الكوفى النحوى » ! !

(٢) لم أجد البيت فيما بين يدى من الكتب ، ولكنى أذكره . وكان فى المطبوعة : « وكان يكلم » والصواب ما أثبت .

(٣) لم أعرف هذا الراجز .

(٤) اللسان (رمز) .

٧٠١٠ ــ حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا جابر بن نوح ، عن النضر بن عربي ، عن مجاهد في قوله : « إلا رمزاً » ، قال : تحريك الشفتين .

٧٠١١ ــ حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى ؛ عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ثلاثة أيام إلا رمزاً » ، قال : إيماؤه بشفتيه .

٧٠١٢ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

• • •

وقال آخرون : بل عنى الله بذلك : الإيماء والإشارة .

• ذكر من قال ذلك :

٧٠١٣ ــ حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك : « إلاّ رمزاً » ، قال : الإشارة .

٧٠١٤ ــ حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « إلا رمزاً » ، قال : الرمز أن يشير بيده أو رأسه ، ولا يتكلم .

٧٠١٥ ــ حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي، عن أبيه ، عن ابن عباس : « إلا رمزاً »، قال: الرمزُ : أنْ أخذ بلسانه ، فجعل يكلم الناس بيده .

٧٠١٦ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق: « إلا رمزاً » ، قال : والرمز الإشارة .

٧٠١٧ ــ حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله : « رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلاّ رمزاً » ، الآية ، قال :

جعل آيته أن لا يكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً ، إلا أنه يذكر الله . والرّمز : الإشارة ، يشير إليهم .

٧٠١٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « إلاّ رمزاً » ، إلا إيماءً .

١٧٩/٣ ٧٠١٩ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

٧٠٢٠ – حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « إلاّ رمزاً » ، يقول : إشارة .

٧٠٢١ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال عبد الله بن كثير : « إلا رمزاً »، إلا إشارة .

٧٠٢٢ – حدثني محمد بن سنان قال ،حدثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد ، عن الحسن في قوله : « قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلاّ رمزاً » ، قال : أمسكَ بلسانه ، فجعل يومئ بيده إلى قومه : أنْ سبِّحوا بُكرة وعشيًّا .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾ (٤١)

قال أبو جعفر : يعني بذلك : قال الله جل ثناؤه لزكريا : يا زكريا ، « آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلاّ رمزاً » ، بغير خرس ولا عاهة ولا مرض ، = « واذكر ربك كثيراً » ، فإنك لا تمنع ذكرَه ، ولا يحالُ بينك وبين تسبيحه وغير ذلك من ذكره ، [1] وقد : —

---

(١) انظر تفسير « سبح » فيما سلف ١ : ٤٧٢ – ٤٧٤ ، وفهارس اللغة .

٧٠٢٣ ـ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب قال : لو كان الله رخص لأحد في ترك الذكر ، لرخَّص لزكريا حيث قال : «آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً واذكر ربك كثيراً» ، أيضاً .

* * *

وأما قوله : «وسبح بالعشي» ، فإنه يعني : عَظِّم ربك بعبادته بالعشي .

* * *

و«العَشيّ» من حين تزُول الشمس إلى أن تغيب ، كما قال الشاعر : (١)

فَلاَ الظِّلَّ مِنْ بَرْدِ الضُّحَى تَسْتَطِيعَهُ ، وَلاَ الفَيْءَ مِنْ بَرْدِ العَشِيِّ تَذُوقُ (٢)

فالفيء ، إنما تبتدئ أوْبته عند زوال الشمس ، ويَتناهى بمغيبها .

* * *

---

(١) هو حميد بن ثور الهلالي .

(٢) ديوانه : ٤٠ ، وهو من قصيدته الجيدة التي قالها ، لما تقدم عمر بن الخطاب إلى الشعراء ، أن لا يشبب أحد بامرأة إلا جلده ، فخرج من عقوبة عمر بأن ذكر «سرحة» وسماها «سرحة مالك» فشكا أهلها إلى عمر ، فقال لهم :

تجرَّمَ أهْلُوهَا ، لِأَنْ كُنْتُ مُشْعَرًا جُنُوناً بها ! ! ياطُولَ هٰذَا التجَرُّمِ !
وَمَا لِيَ من ذَنْبٍ إِلَيْهِمْ عَلِمْتُهُ سِوَى أنّني قَدْقُلْتُ: «يَاسَرْحَةَ أُسْلَمِي»
بَلَى، فَاسلمِي، ثُمَّ أَسْلَمِي، ثُمَّتَ اسلمي، ثَلاَثَ تَحِيَّاتٍ ، وإن لم تَكَلَّمِي

فكان رحمه الله خفيف الدم (كما يقول المصريون) . أما الأبيات التي منها البيت المستشهد به ، فإنه ذكر السرحة واستسقى لها ، ووصفها واستجاد لصفتها مكارم الصفات ، ثم قال :

فَيَاطِيبَ رَيَّاهَا ، وَيَا بَرْدَ ظِلِّهَا إِذَا حَانَ من حَامِي النَّهارِ وُدُوقُ
وهَلْ أنا إنْ عَلَّلْتُ نَفْسِي بِسَرْحةٍ من السَّرْحِ ، مَسدُودٌ عَلَيَّ طريقُ
حَمَىٰ ظِلَّهَا شَكْسُ الخَلِيقَةِ ، خَائِفٌ عَلَيْهَا غَرَامَ الطَّائِفِينَ ، شَفِيقُ
فَلاَ الظِلَّ مِنْهَا بالضُّحَى تَسْتَطِيعُه وَلَا الفَيْءَ مِنْهَا بالعَشِيِّ تَذُوقُ

مع اختلاف الروايتين كما ترى .

وأما «الإبكار» فإنه مصدر من قول القائل : « أبكر فلان فى حاجة فهو يُبْكِر إبكاراً » ، وذلك إذا خرج فيها من بين مطلع الفجر إلى وقت الضُّحى ، فذلك « إبكار » . يقال فيه : « أبكر فلان » و« بكر يَبكُر بُكوراً » . فمن « الإبكار » ، قول عمر بن أبى ربيعة :

* أَمِنْ آلِ نُعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبْكِرُ *(١)

ومن « البكور » قول جرير :

أَلاَ بَكَرَتْ سَلْمَى فَجَدَّ بُكُورُهَا وَشَقَّ العَصَا بَعْدَ اجْتِمَاعٍ أَمِيرُهَا(٢)

ويقال من ذلك : « بكر النخلُ يَبْكُر بُكوراً = وأبكر يُبكر إبكاراً » ،(٣) و« الباكور» من الفواكه : أوّلها إدراكاً .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٧٠٢٤ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وسبِّح بالعشىّ والإبكار » ، قال :

---

(١) ديوانه : ١ ، من قصيدته النفيسة ، يقولها فى « نعم » ، وهى امرأة من قريش ، من بنى جمح ، كان عمر كثير الذكر لها فى شعره . وكأن شعره فيها من أصدق ما قال فى امرأة ، وهذا الشطر أول القصيدة وتمامه :

« غَدَاةَ غَدٍ ؟ أَمْ رَائِحٌ فَمُهَجِّرُ ؟ »

(٢) ديوانه : ٢٩٣ ، والنقائض : ٧ ، يجيب حكيم بن معية الربعى ، وكان هجا جريراً . قال أبو عبيدة : « شق العصا : التفرق ، ومن هذا يقال للرجل المخالف للجماعة : قد شق العصا . وأميرها : الذى تؤامره ، زوجها أو أبوها » .

(٣) هذا نص خلت منه كتب اللغة ، وحفظه أبو جعفر . وهو صواب ، فإنهم قالوا : « البكيرة والباكورة والبكور » من النخل : التى تدرك فى أول النخل ، فذكروا الصفات ، وتركوا الفعل . فهى زيادة ينبغى تقييدها .

الإبكار أوّل الفجر ، والعشيّ مَيْل الشمس حتى تغيب . (١)

٧٠٢٥ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَـٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَـٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (٤٢)

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : « والله سميعٌ عليم • إذ قالت امرأة عمران ربِّ إني نذرتُ لك ما في بطني محرَّراً » ، « وإذ قالت الملائكة يا مريمُ إن الله اصطفاك » .

* * *

ومعنى قوله : « اصطفاك » ، اختارك واجتباك لطاعته وما خصّك به من كرامته . (٢) ١٨٠/٣

* * *

وقوله : « وطهَّرك » ، يعني : طهَّر دينك من الرِّيب والأدناس التي في أديان نساء بني آدم (٣) .

* * *

= « واصطفاك على نساء العالمين » ، يعني : اختارك على نساء العالمين في زمانك ، (٤) بطاعتك إياه ، ففضَّلك عليهم ، كما روى عن رسول الله صلى الله

---

(١) في المخطوطة « متل الشمس حيا يعيب » ؛ ! ! ! هكذا كتب وأعجم ! !

(٢) انظر معنى « اصطفى » فيما سلف ٣ : ٩١ / ثم ٥ : ٣١٢/٦ : ٣٢٦ .

(٣) انظر معنى « طهر » فيما سلف ٣ : ٣٨ – ٤٠ ، وفهارس اللغة .

(٤) انظر تفسير « العالمين » فيما سلف ١ : ١٤٣ – ١٤٦ / ٢ : ٢٣ – ٢٦ / ثم ٥ : ٣٧٥ .

عليه وسلم أنه قال : « خيرُ نسائها مريم بنت عمران ، وخيرُ نسائها خديجة بنت خويلد » = يعني بقوله : « خير نسائها » ، خير نساء أهل الجنة .

٧٠٢٦ – حدثني بذلك الحسين بن علي الصدائي قال ، حدثنا محاضر بن المورّع قال ، حدثنا هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن جعفر قال : سمعت عليًّا بالعراق يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : خيرُ نسائها مريم بنت عمران ، وخيرُ نسائها خديجة . (١)

٧٠٢٧ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثني المنذر بن عبد الله الحزامي ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : خير نساء الجنة مريم بنت عمران ، وخير نساء الجنة خديجة بنت خويلد . (٢)

---

(١) الحديث : ٧٠٢٦ – محاضر بن المورع الهمداني الكوفي ، وكنيته « أبو المورع » أيضاً : ثقة ، لينة أحمد وأبو حاتم . وترجحنا في المسند : ٣٨٢٣ توثيقه . ووثقه ابن سعد ٦ : ٢٧٨ . و « محاضر » : بضم الميم وفتح الحاء المهملة وكسر الضاد المعجمة . و « المورع » : بضم الميم وفتح الواو وكسر الراء المشددة وآخره عين مهملة .

والحديث رواه أحمد في المسند ، عن عبد الله بن نمير : ٦٤٠ ، وعن وكيع : ١١٠٩ ، وعن محمد ابن بشر : ١٢١١ – ثلاثتهم عن هشام بن عروة . ورواه ابنه عبد الله ، في المسند : ٩٣٨ ، عن طريق أبي خيثمة ، ووكيع ، وأبي معاوية – ثلاثتهم عن هشام بن عروة ، بهذا الإسناد .

ورواه البخاري ٦ : ٣٣٩ ، و ٧ : ١٠٠ – ١١٠ ، ومسلم ٢ : ٢٤٣ ، والترمذي ٤ : ٣٦٥ – كلهم من طريق هشام بن عروة ، به .

ورواه الحاكم في المستدرك ٣ : ١٨٤ ، عن طريق ابن نمير ، ثم من طريق المسند عن وكيع وابن نمير .

وذكره ابن كثير في التفسير ٢ : ١٣٨ ، وفي التاريخ ٢ : ٥٩ ، عن رواية الصحيحين .

وذكره السيوطي ٢ : ٢٣ ، ونسبه أيضاً لابن أبي شيبة ، وابن مردويه .

(٢) الحديث : ٧٠٢٧ – المنذر بن عبد الله بن المنذر الحزامي : ثقة ، كان من سروات قريش وأهل الندى والفضل . ترجمه البخاري في الكبير ٤/١/٣٥٩ ، وابن أبي حاتم ٤/١/٢٤٣ – فلم يذكرا فيه جرحاً .

والحديث هو الحديث السابق . ولكنه هنا من حديث عبد الله بن جعفر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وهناك من حديثه عن عمه علي بن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم . فهو إما مرسل صحابي ، وإما قصر

٧٠٢٨ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : «وإذ قالت الملائكة يامريم إنّ الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين» ، ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : حسبك بمريم بنت عمران وامرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ، من نساء العالمين = قال قتادة : ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : «خيرُ نساء ركبن الإبل صوالحُ نساء قريش ، أحناهُ على ولد فى صغره ، وأرعاهُ على زوج فى ذات يده» = [1] قال قتادة : وذكر لنا أنهُ كان يقول : «لو علمت أنّ مريم ركبت الإبل ، ما فضّلت عليها أحداً» . [2]

الراوى عن هشام ، فترك ذكر على . والأرجح أن يكون عبد الله بن جعفر سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمعه عنه بواسطة على . فرواه على الوجهين . وهو صحيح بكل حال .

(١) من العربية العريقة إعادة الضمير المفرد بعد أفعل التفضيل ، على الجمع ، وقد جاء فى الشعر ، وجاء فى الآثار كقوله : « كان عمار بن ياسر من أطول الناس سكوتاً وأقله كلاماً » . وقد سلف بيان ذلك فى رقم : ٥٩٦٨ ، ٦١٢٩ ، (فانظره) .

(٢) الحديث : ٧٠٢٨ – هو حديث مرسل . بل هو فى حقيقته ثلاثة أحاديث ، يقول قتادة فى أول كل منها : « ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول » :

فأولها – « حسبك بمريم . . . » – : ثبت موصولا . فرواه أحمد فى المسند : ١٢٤١٨ (ج ٣ ص ١٣٥ حلبى) – عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، عن أنس – هو ابن مالك – مرفوعاً ، بنحوه .

وكذلك رواه الحاكم فى المستدرك ٣ : ١٥٧ – ١٥٨ ، عن أبى بكر القطيعى – راوى المسند – عن عبد الله بن أحمد ، عن أبيه ، عن عبد الرزاق . ولكنه ذكر أنه رواه عن القطيعى « فى فضائل أهل البيت ، تصنيف أبى عبد الله أحمد بن حنبل » . فلم يروه من كتاب (المسند) ، إنما رواه من كتاب آخر لأحمد ، والإسناد واحد .

ورواه الترمذى ٤ : ٣٦٦ ، وابن حبان فى صحيحه (٢ : ٣٧٥ من مخطوطة التقاسيم والأنواع) – كلاهما من طريق عبد الرزاق ، به .

وقال الترمذى : « هذا حديث صحيح » . وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه بهذا اللفظ فإن قوله صلى الله عليه وسلم : حسبك من نساء العالمين – يسوى بين نساء الدنيا » .

وقد يوهم كلام الحاكم أن الشيخين رويا من حديث أنس بغير هذا اللفظ . والشيخان لم يرويا من حديث أنس أصلا .

ونقله ابن كثير فى التاريخ ٢ : ٥٩ – ٦٠ ، من رواية المسند ، وفى التفسير ٢ : ١٣٨ – ١٣٩ ،

٧٠٢٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « يا مريم إنّ الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين » ، قال : كان أبو هريرة يحدث أنّ النبى صلى الله عليه وسلم قال : خيرُ نساء ركبن الإبل صُلحُ نساء قُرَيش ، أحناه على ولد، وأرعاه لزوج فى ذات يد= قال أبو هريرة : ولم تركب مريم بعيراً قط .(١)

من رواية الترمذى . وأشار فى الموضعين إلى رواية ابن مردويه إياه من طريق ثابت عن أنس . وسيأتى من رواية ثابت : ٧٠٣٠ . وسنذكره هناك ، إن شاء الله .

وأشار الحافظ فى الفتح ٦ : ٣٤٠ ، إلى رواية الترمذى إياه ، وقال : « بإسناد صحيح » .

وثانيها : « خير نساء ركبن الإبل . . . » – وسيأتى عقب هذا : ٧٠٢٩ ، من رواية قتادة ، عن أبى هريرة . وسيأتى عقب هذا : ونذكر علته وتخريجه هناك، إن شاء الله .

وثالثها : « لو علمت أن مريم ركبت الإبل ، ما فضلت عليها أحداً » . وهو لفظ منكر ، ما علمته ثبت من طريق متصل . والصحيح أنه من كلام أبى هريرة ، كما سيأتى فى الحديث التالى .

(١) الحديث : ٧٠٢٩ – وهذا إسناد منقطع ، لأن قتادة بن دعامة السدوسى لم يدرك أبا هريرة، لأنه ولد سنة ٦١ ، بعد وفاة أبى هريرة . ولذلك قال هنا : « كان أبو هريرة يحدث » ، فهو شبيه فى عبارته بالبلاغ .

ومتن الحديث صحيح :

فرواه أحمد فى المسند : ٧٦٣٧ ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب، عن أبى هريرة ، بنحوه ، مطولا .

ورواه كذلك : ٧٦٩٥ ، بهذا الإسناد ، مختصراً .

ورواه : ٧٦٣٨ ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن أبى هريرة ، مختصراً .

وذكره ابن كثير فى التفسير ٢ : ١٣٨ ، عن الرواية الأولى من المسند ، ثم قال : « ولم يخرجه من هذا الوجه سوى مسلم ، فإنه رواه عن محمد بن رافع وعبد بن حميد – كلاهما عن عبد الرزاق ، به ». وذكره أيضاً فى التاريخ ٢ : ٦٠ ، ثم أشار إلى رواية مسلم .

ورواية مسلم ، هى فى صحيحه ٢ : ٣٧٠ .

ورواه أيضاً البخارى ٦ : ١٠٧ – ١٠٨ ، و ٤٤٨، ومسلم ٢ : ٣٦٩ – ٣٧٠ ، من طرق عن أبى هريرة .

والروايات الصحاح ، هى أن أبا هريرة قال من عند نفسه ، فى آخر الحديث : « ولم تركب مريم بعيراً قط » .

٧٠٣٠ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه قوله : « وإذ قالت الملائكة يا مريم إنّ الله اصطفاك وطهرك واصفاك على نساء العالمين » ، قال : كان ثابت البنانى يحدث ، عن أنس بن مالك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : خير نساء العالمين أربع : مريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد . (١)

٧٠٣١ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا آدم العسقلانى قال ، حدثنا شعبة قال ، حدثنا عمرو بن مرة قال ، سمعت مرة الهمدانى يحدث ، عن أبى موسى الأشعرىّ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كمل من الرّجال كثيرٌ ،

وأما رفع هذا إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، باللفظ الذى فى الحديث السابق – فهو كما قلنا : « لفظ منكر » .

قوله « صلح » – بضمتين : هكذا فى المخطوطة . وكان ناسخها كتب « صوالح » ، ثم ضرب عليها وكتب « صلح » . و « صلح » : جمع « صليح » . يقال : صالح وصلح ، وهو جمع محمول على « فعيل » فى الأسماء ، فقالوا فى جمع الصفات : « نذير ونذر ، وجديد وجدد » ، كما قالوا فى الأسماء « كثيب وكثب » . وهذا حرف لم ينص عليه فى كتب اللغة .

(١) الحديث : ٧٠٣٠ – هذا إسناد ضعيف ، لجهالة الشيخ الذى رواه عنه الطبرى ، إذ قال « حدثت » بالبناء للمجهول .

وابن أبى جعفر : هو عبد الله الرازى . وهو ثقة ، وثقه أبو زرعة ، وأبو حاتم ، وغيرهما . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٢ / ٢ / ١٢٧ .

أبوه « أبو جعفر الرازى : اختلف فى اسمه ، والراجح أنه « عيسى بن ماهان » . وهو ثقة ، وثقه ابن المدينى ، وابن سعد ٧ / ٢ / ١٠٩ ، وغيرهما . ترجم فى التهذيب فى الكنى ، وترجمه ابن أبى حاتم فى ترجمة « عيسى » ٣ / ١ / ٢٨٠ . وقد أشرنا إلى ترجمته فى : ١٦٤ . ولم أستطع أن أجد ما يدل على أنه أدرك ثابتاً البنانى .

ثم هذا الحديث ذكره ابن كثير فى التفسير ٢ : ١٣٩ ، والتاريخ ٢ : ٦٠ أنه رواه ابن مردويه ، من طريق عبد الله بن أبى جعفر الرازى ، عن أبيه ، عن ثابت ، عن أنس . وزاد فى التاريخ أنه رواه ابن عساكر من طريق تميم بن زياد ، عن أبى جعفر الرازى ، ولكنه لم يكشف عن سنده فى ابن مردويه إلى ابن أبى جعفر ، ولا عن سنده فى ابن عساكر إلى تميم بن زياد ، فلا نستطيع أن نتبين صحة هذين الإسنادين أو أحدهما .

وقد مضى فى شرح ٧٠٢٨ ، أنه رواه أحمد ، والترمذى ، وابن حبان فى صحيحه ، والحاكم – من حديث معمر ، عن قتادة ، عن أنس . فأغنى ثبوته من ذاك الوجه الصحيح عن هذا الوجه الضعيف ، أو المشكوك فى صحته . والحمد لله .

ولم يكمل من النساء إلاّ مريم ، وآسية امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد . (١)

٧٠٣٢ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو الأسود المصرى قال ، حدثنا ابن لهيعة ، عن عمارة بن غزية ، عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان : أن فاطمة بنت حسين بن على حدثته : أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً وأنا عند عائشة ، فناجانى فبكيتُ ، ثم ناجانى فضحكت ، فسألتنى عائشة عن ذلك، فقلت : لقد عَجلْتِ ! أخبرُك بسرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ! ! فتركتنى . فلما تُوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتها عائشة فقالت : نعم، ناجانى فقال : جبريلُ كان يعارضُ القرآنَ كلّ عام مرة ، وإنه قد عارضَ القرآنَ مرّتين ؛ وإنه ليس من نبيّ إلاّ عُمِّر نصف عُمر الذى كان قبله، وإن عيسى أخى كان عُمْره عشرين ومئة سنة ، وهذه لى ستون ، وأحسبنى ميتاً فى عامى هذا ، وإنه لم تُرْزأ امرأةٌ من نساء العالمين بمثل ما رُزئتِ ، ولا تكونى دون امرأة صبراً ! قالت : فبكيتُ ، ثم قال : أنت سيدة ١٨١/٣

---

(١) الحديث : ٧٠٣١ – آدم العسقلانى : هو آدم بن أبى إياس ، شيخ البخارى . مضى مراراً .

عمرو بن مرة : هو الجملى المرادى . مضى توثيقه : ١٧٥ . واسم جده « عبدالله بن طارق » . فمرة أبوه، غير «مرة الهمدانى » شيخه هنا . فإنه « مرة بن شراحيل الهمدانى » الثقة التابعى المخضرم . وقد مضى مراراً .

والحديث رواه البخارى ٦ : ٣٤٠ ، عن آدم – وهو ابن أبى إياس العسقلانى ، بهذا الإسناد ، مطولا .

ورواه أيضاً ٦ : ٣٢٠ ، من طريق وكيع ، عن شعبة ، ورواه أيضاً ٧ : ٨٣ ، عن آدم ، وعن عمرو – وهو ابن مرزوق – كلاهما عن شعبة .

ونقله ابن كثير فى التفسير ٢ : ١٣٩ ، عن هذا الموضع من الطبرى ، ثم قال : « وقد أخرجه الجماعة إلا أبا داود ، من طرق عن شعبة ، به » . ثم ذكر أنه استقصى طرقه فى التاريخ . ولكنه لم يفعل، فإنه ذكره فيه ٢ : ٦١ ، منسوباً إلى « الجماعة إلا أبا داود ، من طرق عن شعبة » .

وذكره السيوطى ٢ : ٢٣ ، وزاد نسبته لابن أبى شيبة .

نساء أهل الجنة إلاّ مريم البتول . فتوفى عامه ذلك .[١]

٧٠٣٣ – حدثني المثنى قال حدثنا أبو الأسود قال ، حدثنا ابن لهيعة ، عن عمرو بن الحارث : أن أبا زياد الحميريّ حدثه : أنه سمع عمار بن سعد يقول : قال

---

(١) الحديث : ٧٠٣٢ – أبو الأسود المصرى : هو النضر بن عبد الجبار بن نصير المرادى . وهو ثقة . روى عنه يحيى بن معين ، وأبو حاتم ، وغيرهما .

عمارة بن غزية – بفتح الغين المعجمة وكسر الزاى وتشديد الياء التحتية – بن الحارث ، الأنصارى المازنى المدنى : ثقة ، وثقه ابن سعد ، والدارقطنى ، وغيرهما ، وأخرج له مسلم فى الصحيح .

محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان : ثقة ، وثقه النسائى ، والعجلى ، وغيرهما . وقال ابن سعد : « كان كثير الحديث عالماً » . وكان جواداً ممدحاً . وهو المعروف بالديباج ، لحسنه . وأبوه « عبد الله بن عمرو بن عثمان » : هو المعروف بالمطرف ، لحسنه أيضاً .

ووقع فى المخطوطة والمطبوعة « محمد بن عبد الرحمن بن عمرو بن عثمان » . وهو خطأ يقيناً فى اسم والد « محمد » . فهو « عبد الله » ، لا « عبد الرحمن » .

وفاطمة بنت الحسين بن على بن أبى طالب : تابعية ثقة . كانت تحت ابن عمها « الحسن بن الحسن ابن على بن أبى طالب » ، وأعقبت منه ، فلما مات تزوجت « المطرف عبد الله بن عمرو بن عثمان » . زوجه إياها ابنها عبد الله بن حسن بن حسن ، بأمرها ، فأعقبت منه أولاداً ، منهم « محمد » الراوى عنها هنا . وعمرت فاطمة حتى قاربت التسعين .

وروايتها عن جدتها فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم – رواية منقطعة ، ظاهرة الإرسال ، لأن الزهراء ماتت بعد أبيها بستة أشهر ، وكان ولدها الحسن والحسين صغيرين .

فهذا الحديث ضعيف الإسناد ، لهذا الانقطاع .

ولم أجده فى شىء من الدواوين غير هذا الموضع .

وقد أشار إليه الحافظ فى الفتح مرتين ، لم ينسبه فيهما لغير الطبرى :

فأشار إليه ٦ : ١٠٤ ، وجعله « عند الطبرى من وجه آخر عن عائشة » ، وهو وهم ، فإنه من حديث فاطمة ، كما ترى .

ثم أشار إليه ٧ : ٨٢ ، على الصواب ، من حديث فاطمة .

ووقع فيه فى الموضعين غلط من ناسخ أو طابع .

وأصل هذه القصة ثابت من حديث عائشة ، فى الصحيحين وغيرهما . ولكن ليس فيه ذكر عيسى وعمره ، ولا أنه « لم ترزأ امرأة . . . » .

وعمر عيسى المذكور – فى هذه الرواية – منكر جداً ، لم نجد أحداً قال مثل هذا ، فيما نعلم . وهو من دلائل ضعف هذه الرواية .

وانظر حديث عائشة فى البخارى ٦ : ٤٦٢ ، و ٧ : ٦٣ – ٦٤ ، و ٨ : ١٠٣ – ١٠٤ (فتح) ، ومسلم ٢ : ٢٤٨ – ٢٤٩ ، وابن سعد ٢/٢/٣٩ – ٤٠ ، و ٨ : ١٧ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم : "فضّلت خديجةُ على نساء أمتى ، كما فضلت مريم على نساء العالمين .[١]

* * *

وبمثل الذى قلنا فى معنى قوله : « وطهرك » ، أنه : وطهّر دينك من الدّنس والرّيب ، قاله مجاهد .[٢]

٧٠٣٤ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « إن الله اصطفاك وطهرك » ، قال : جعلك طيبةً إيماناً .

٧٠٣٥ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

٧٠٣٦ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « واصطفاك على نساء العالمين » ، قال : ذلك للعالمين يومئذ .[٣]

* * *

وكانت الملائكة – فيما ذكر ابن إسحق – تقول ذلك لمريم شفاهاً .

٧٠٣٧ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثنى ابن إسحق قال :

---

(١) الحديث : ٧٠٣٣ – هذا إسناد ضعيف بكل حال .

أما أبو زياد الحميرى : فلم نعرف من هو ؟ ولم نجد له ترجمة ولا ذكراً . والغالب أنه محرف عن شىء لا ندريه .

وأما « عمار بن سعد بن عابد المؤذن » : فإنه المعروف أبوه بلقب « سعد القرظ » المؤذن . وعمار هذا تابعى ، نص فى التهذيب على أن روايته عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلة . وقد ترجمه الحافظ فى الإصابة ٥ : ٨٣ ، فى القسم الثانى ، الذين ولدوا فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « قال مجاهد » ، والصواب ما أثبت كما يدل عليه السياق .

(٣) انظر ما سلف ص : ٣٩٣ تعليق : ٤ ، مراجع تفسير « العالمين » .

كانت مريم حبيساً فى الكنيسة ، ومعها فى الكنيسة غُلام اسمه يُوسف ، وقد كانَ أمه وأبوه جعلاه نذيراً حبيساً، فكانا فى الكنيسة جميعاً . وكانت مريم، إذا نَفِدَ ماؤها وماء يوسف ، أخذا قُلَّتيهما فانطلقا إلى المفازة التى فيها الماء الذى يستعذِبان منه ،(١) فيملآن قلتيهما ، ثم يرجعان إلى الكنيسة ، والملائكة فى ذلك مقبلة على مريم : « يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين » ، فإذا سمع ذلك زكريا قال : إنّ لابنة عمرانَ لشأناً ! !

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ (٤٣)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله ــ خبراً عن قِيل ملائكته لمريم : «يا مريم اقنتى لربك »، أخلصى الطاعة لربك وحده .

* * *

وقد دللنا على معنى « القنوت» ، بشواهده فيما مضى قبل .(٢) والاختلافُ بين أهل التأويل فيه فى هذا الموضع ، نحو اختلافهم فيه هنالك . وسنذكر قول بعضهم أيضاً فى هذا الموضع .

فقال بعضهم : معنى « اقنتى »، أطيلى الرُّكود .

* ذكر من قال ذلك :

٧٠٣٨ ــ حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ،

---

(١) يستعذبان : يستقيان ، وأصله من قولهم : « استعذب » : أى استقى أو طلب ماء عذباً . وفى الحديث : « أنه كان يستعذب له من بيوت السقيا » ، أى يحضر له منها الماء العذب .

(٢) انظر ما سلف ٢ : ٥٣٨ ، ٥٣٩ / ثم ٥ : ٢٢٨-٢٣٧/٦ : ٢٦٤ .

عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « يا مريم اقنتي لربك » ، قال : أطيلي الركود ، يعني القنوت .

٧٠٣٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٧٠٤٠ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « اقنتي لربك »، قال قال مجاهد : أطيلي الركود في الصّلاة = يعني القنوت . ١٨٢/٣

٧٠٤١ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد قال : لما قيل لها : « يا مريم اقنتي لربك » ، قامت حتى وَرِم كعباها .

٧٠٤٢ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا عبد الله بن إدريس، عن ليث ، عن مجاهد قال : لما قيل لها: « يا مريم اقنتي لربك » ، قامت حتى ورمت قدَماها .

٧٠٤٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري ، عن ابن أبي ليلى ، عن مجاهد : « اقنتي لربك » ، قال : أطيلي الركود .

٧٠٤٤ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « يا مريم اقنتي لربك » ، قال : القنوت الركود . يقول : قومي لربك في الصلاة . يقول : اركدي لربّك : أي انتصبي له في الصلاة = « واسجدي واركعي مع الراكعين » .

٧٠٤٥ – حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد : « يا مريم اقنتي لربك » ، قال : كانت تصلي حتى تَرِم قدماها .

٧٠٤٦ – حدثني ابن البرقي قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا الأوزاعي : « يا مريم اقنتي لربك » ، قال : كانت تقوم حتى يَسيل القيح من قدميها .

* * *

وقال آخرون : معناه : أخلصي لربك .

* ذكر من قال ذلك :

٧٠٤٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا الحماني قال، حدثنا ابن المبارك ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد : « يا مريم اقنتي لربك » ، قال : أخلصي لربك .

* * *

وقال آخرون : معناه : أطيعي ربك .

* ذكر من قال ذلك :

٧٠٤٨ – حدثني الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « اقنتي لربك » ، قال : أطيعي ربك .

٧٠٤٩ – حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « اقنتي لربك » ، أطيعي ربك .

٧٠٥٠ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا محمد بن حرب قال ، حدثنا ابن لهيعة ، عن درّاج، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كل حرف يذكر فيه القنوت من القرآن ، فهو طاعة الله .(١)

٧٠٥١ – حدثني محمد بن سنان قال، حدثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد بن منصور ، عن الحسن في قوله : « يا مريم اقنتي لربك » ، قال يقول : اعبدي ربك .

* * *

(١) الأثر ٧٠٥٠ – هذا إسناد آخر للخبر السالف رقم : ٥٥١٨ من طريق الربيع بن سليمان ، عن أسد بن موسى ، عن ابن لهيعة .

قال أبو جعفر : وقد بينا أيضاً معنى « الرّكوع » « والسجود » بالأدلة الدالة على صحته ، [١] وأنهما بمعنى الخشوع لله ، والخضوع له بالطاعة والعُبُودة . [٢]

* * *

فتأويل الآية ، إذاً : يا مريم أخلصي عبادةَ ربك لوجهه خالصاً ، واخشعي لطاعته وعبادته مع من خشع له من خلقه ، شكراً له على ما أكرمك به من الاصطفاء والتّطهير من الأدناس ، والتفضيل على نساء عالم دَهرك .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾

قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بقوله ذلك : الأخبارَ التي أخبرَ بها عبادَه عن امرأة عمران وابنتها مريم ، وزكريا وابنه يحيى ، وسائر ما قصّ في الآيات من قوله : « إن الله اصطفى آدم ونوحاً » ، ثم جمعَ جميعَ ذلك تعالى ذكره بقوله : « ذلك » ، فقال : هذه الأنباء من « أنباء الغيب » ، أي : من أخبار الغيب . ١٨٣/٣

ويعني بـ « الغيب » ، أنها من خفيّ أخبار القوم التي لم تطّلع أنت ، يا محمد ، عليها ولا قومك ، ولم يعلمها إلا قليلٌ من أحبار أهل الكتابين ورهبانهم .

ثم أخبر تعالى ذكره نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أنه أوحى ذلك إليه ، حجةً على نبوته ، وتحقيقاً لصدقه ، وقطعاً منه به عذرَ منكري رسالته من كفار أهل الكتابين ، الذين يعلمون أنّ محمداً لم يصل إلى علم هذه الأنباء مع خفائها ، ولم يدرك معرفتها مع خُمولها عند أهلها ، إلا بإعلام الله ذلك إياه . إذ كان معلوماً عندهم أنّ محمداً صلى الله عليه وسلم أميٌّ لا يكتب فيقرأ الكتب ، فيصل إلى علم ذلك من

---

(١) انظر تفسير « السجود » فيما سلف ٢ : ١٠٤ ، ١٠٥ ، ٢٤٢ ، وفهارس اللغة ، وتفسير « الركوع » فيما سلف ١ : ٥٧٤ ، ٥٧٥ / ثم ٣ : ٤٣ ، ٤٤ ، وفهارس اللغة .

(٢) في المطبوعة : « العبودية » ، وأثبت صواب ما في المخطوطة ، والطبري يكثر من استعمالها كذلك . انظر ما سلف : ٢٧١ ؛ والتعليق : ١ .

قِبَل الكتب ، ولا صاحبَ أهل الكتُب فيأخذ علمه من قِبَلهم .

* * *

وأما « الغيْب » فمصدر من قول القائل : « غاب فلان عن كذا فهو يَغيب عنه غَيْباً وَغيبةً » .(١)

* * *

وأما قوله : « نُوحيه إليك » ، فإن تأويله : نُنْزِله إليك .

* * *

وأصل « الإيحاء » ، إلقاء الموحِي إلى الموحَى إليه . وذلك قد يكون بكتاب وإشارة وإيماء ، وبإلهام ، وبرسالة ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾ [سورة النحل : ٦٨] ، بمعنى : ألقى ذلك إليها فألهمها ، وكما قال : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ ﴾ [سورة المائدة : ١١١] ، بمعنى : ألقيت إليهم علمَ ذلك إلهاماً ، وكما قال الراجز :(٢)

* أَوْحَى لَهَا القَرَارَ فاسْتَقَرَّتِ *(٣)

بمعنى ألقى إليها ذلك أمراً ، وكما قال جل ثناؤه : ﴿ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [سورة مريم : ١١] ، بمعنى : فألقى ذلك إليهم إيماء .(٤) والأصل

---

(١) انظر تفسير « الغيب » فيما سلف ١ : ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

(٢) هو العجاج .

(٣) ديوانه ٥ ، واللسان « وَحَى » ، وسيأتي في التفسير ٤ : ١٤٢ (بولاق) ، وغيرها . ورواية ديوانه ، وإحدى روايتي اللسان « وحى » ثلاثياً ، وقال : « أراد أوحى » ، إلا أن من لغة هذا الراجز إسقاط الهمزة مع الحرف » ، وانظر ما سيأتي في تفسير سورة مريم (١٦ : ٤١ بولاق) . والبيت من رجز للعجاج يذكر فيه ربه ويثني عليه بآلائه ، أوله :

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اسْتَقَلَّتِ بِإِذْنِهِ السَّماءُ ، وَاطْمأَنَّتِ
بِإِذْنِهِ الأَرْضُ وما تَعَتَّتِ وَحَى لَهَا القرارَ فَاسْتَقَرَّتِ
وَشَدَّهَا بِالرَّاسِيَاتِ الثُّبَّتِ رَبُّ البِلادِ والعِبَادِ القُنَّتِ

(٤) في المخطوطة ، والمطبوعة : « فألقى ذلك إليهم أيضاً » ، وهو خطأ بين ، والصواب ما أثبته ، وانظر ما سلف قريباً في بيان قوله تعالى : « رمزاً » ، ص : ٣٨٨ ، وما بعدها .

فيه ما وصفتُ، من إلقاء ذلك إليهم . وقد يكون إلقاؤه ذلك إليهم إيماءً ، ويكون بكتاب . ومن ذلك قوله : (١) ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ ﴾ [سورة الأنعام : ١٢١] ، يلقون إليهم ذلك وسوسةً ، وقوله : ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ [سورة الأنعام : ١٩]، (٢) ألقى إلىّ بمجيء جبريل عليه السلام به إلىّ من عند الله عز وجل .

وأما « الوحْى » ، فهو الواقع من الموحِى إلى الموحَى إليه ، ولذلك سمت العرب الخط والكتاب « وحياً » ، لأنه واقع فيما كُتِب ثابتٌ فيه ، كما قال كعب بن زهير :

أَتَى الْعُجْمَ وَالْآفَاقَ مِنْهُ قَصَائِدٌ بَقِينَ بَقَاءَ الْوَحْيِ فِي الْحَجَرِ الْأَصَمِّ (٣)

يعنى به : الكتابَ الثابت فى الحجر . وقد يقال فى الكتاب خاصةً ، إذا كتبه الكاتب : « وحَى » بغير ألف ، ومنه قول رؤبة :

كَأَنَّهُ بَعْدَ رِيَاحٍ تَدْهَمُهْ وَمُرْتَعِنَّاتِ الدُّجُونِ تَثْمُهْ
إِنْجِيلُ أَحْبَارٍ وَحَى مُنَمْنِمُهْ (٤)

* * *

(١) فى المخطوطة : « وذلك قوله » ، والصواب ما فى المطبوعة .

(٢) قوله : « لأنذركم به ومن بلغ » ، ليس فى المخطوطة .

(٣) ديوانه : ٦٤ ، من قصيدة مضى منها بيت فيما سلف ١ : ١٠٦ ، وهى قصيدة جيدة ، يرد فيها ما قاله فيه مزرد ، أخو الشماخ ، حين ذكر كعب الحطيئة فى شعره وقدمه وقدم نفسه ، فغضب مزرد وهجاه ، فقال يفخر بأبيه ثم بنفسه ، بعد البيت السالف فى الجزء الأول فى التفسير :

فَإِنْ تَسْأَلِ الْأَقْوَامَ عَنِّي ، فَإِنَّنِي أَنَا ابْنُ أَبِي سُلْمَى عَلَى رَغْمِ مَنْ رَغِمْ
أَنَا ابْنُ الَّذِي قَدْ عَاشَ تِسْعِينَ حِجَّةً فَلَمْ يَخْزَ يَوْمًا فِي مَعَدٍّ وَلَمْ يُلَمْ
وَأَكْرَمَهُ الْأَكْفَاءُ فِي كُلِّ مَعْشَرٍ كِرَامٍ ، فَإِنْ كَذَّبْتَنِي ، فَاسْأَلِ الْأُمَمْ
أَتَى الْعُجْمَ . . . . . .

(٤) ديوانه : ١٤٩ ، من رجز طويل بارع غريب المعانى والوجوه ، يذكر فيه مآثر أبى العباس

القول فى تأويل قوله ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « وما كنت لديهم » ، وما كنت ، يا محمد ، عندهم فتعلم ما نعلّمكه من أخبارهم التى لم تشهدها ، ولكنك إنما تعلم ذلك فتدركُ معرفته ، بتعريفنا كَهُ .

* * *

ومعنى قوله : « لديهم » ، عندهم .

* * *

ومعنى قوله : « إذ يلقون » ، حينَ يلقون أقلامهم .

* * *

وأما « أقلامهم » ، فسهامهم التى استهم بها المستهمون من بنى إسرائيل على كفالة مريم ، على ما قد بينا قبل فى قوله : « وكفّلها زكريا » .[1] ١٨٤/٣

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٧٠٥٢ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا هشام بن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة فى قوله : « وما كنت لديهم » ، يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم .

٧٠٥٣ ــ حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ،

السفاح . وهو غريب الكلام ، ولكنه حسن المعانى إذا فتشته ، فأقرأه وتأمله . وهذه الأبيات فى مطلع الرجز ، والضمير عائد فيها على ربع دارس طال قدمه ، وعفته الرياح . وقوله : « تدهمه » تغشاه كما يغشى المغير جيشاً فيبيده . وارثعن المطر (بتشديد النون) : كثر وثبت ودام . فهو مرثعن . ووثم المطر الأرض يثمها وثماً : ضربها فأثر فيها ، كما يثم الفرس الأرض بحوافره : أى يدقها ، إلا أن هذا أخفى وأكثر إلحاحاً . ونمنم الكتاب : رقشه وزخرفه وأدق خطه : وقارب بين حروفه الدقاق ، وتلك هى النمنمة .

(١) انظر ما سلف ص : ٣٤٥-٣٥٢

عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « يلقون أقلامهم » ، زكريا وأصحابه ، استهموا بأقلامهم على مريم حين دخلتْ عليهم .

٧٠٥٤ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٧٠٥٥ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : «وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون» ، كانت مريم ابنة إمامهم وسيّدهم، فتشاحّ عليها بنو إسرائيل، فاقترعوا فيها بسهامهم أيُّهم يكفلها، فقرَعهم زكريا ، وكان زوجَ أختها ، « فكفَّلها زكريا » ، يقول : ضمها إليه .(١)

٧٠٥٦ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « يلقون أقلامهم » ، قال : تساهموا على مريم أيُّهم يكفلها ، فقرَعهم زكريا .

٧٠٥٧ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم » ، وإنّ مريم لما وضعت في المسجد ، اقترع عليها أهلُ المصلَّى وهم يكتبون الوَحْي ، فاقترعوا بأقلامهم أيُّهم يكفُلها ، فقال الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم : « وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لدَيهم إذْ يختصمون » .

٧٠٥٨ – حدثت عن الحسين قال، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد

---

(١) قوله : « وكان زوج أختها » ، يعني زوج أخت أم مريم ، لا زوج أخت مريم ، وكأن الخبر لما اختصر ، سقط منه ذكر أم مريم ، وبقي باقي الخبر على حاله ، وقد بينت ذلك فيما سلف ص : ٣٤٩، تعليق : ٤ .

قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم » ، اقترعوا بأقلامهم أيُّهم يكفل مريم ، فقرَعهم زكريا .

٧٠٥٩ – حدثنا محمد بن سنان قال، حدثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد ، عن الحسن فى قوله: « وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم » ، قال : حيث اقترعوا على مريم، وكان غَيباً عن محمد صلى الله عليه وسلم حين أخبرَه الله .

* * *

وإنما قيل : « أيهم يكفل مريم »، لأن إلقاء المستهمين أقلامَهم على مريم ، إنما كان لينظروا أيهم أولى بكفالتها وأحقّ. فى قوله عز وجل: « إذ يلقون أقلامهم»، دلالة على محذوف من الكلام ، وهو : « لينظروا أيهم يكفل، وليتبيَّنوا ذلك ويعلموه ».

* * *

فإن ظن ظانّ أنّ الواجب فى « أيهم » النصبُ، إذ كان ذلك معناه، فقد ظن خطأً . وذلك أن« النظر » و«التبين » و«العلم » مع « أىّ» يقتضى استفهاماً واستخباراً، وحظ « أىّ » فى الاستخبار ، الابتداءُ وبطولُ عمل المسألة والاستخبار عنه . وذلك أن معنى قول القائل: « لأنظُرَنّ أيهم قام »، لأستخبرنَ الناس : أيهم قام ، وكذلك قولهم : « لأعلمن » .

* * *

وقد دللنا فيما مضى قبل أن معنى « يكفل » ، يضمُّ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[1] ١٨٥/٣

* * *

(١) انظر ما سلف فى هذا الجزء : ٣٤٨ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ (٤٤)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وما كنتَ ، يا محمد ، عند قوم مريم ، إذ يختصمون فيها أيُّهم أحقّ بها وأولى .

وذلك من الله عز وجل ، وإن كان خطاباً لنبيه صلى الله عليه وسلم ، فتوبيخٌ منه عز وجل للمكذبين به من أهل الكتابين . يقول : كيف يشكّ أهل الكفر بك منهم وأنت تنبئهم هذه الأنباءَ ولم تشهدْها ، ولم تكن معهم يوم فعلوا هذه الأمورَ ، ولست ممن قرأ الكتب فعَلِم نبأهم ، ولا جالَس أهلها فسمع خبرَهم ؟ كما : —

٧٠٦٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن جعفر بن الزبير : « وما كنت لديهم إذ يختصمون » ، أى ما كنت معهم إذ يختصمون فيها . يخبره بخفىّ ما كتموا منه من العلم عندهم ، لتحقيق نبوته والحجة عليهم لما يأتيهم به مما أخفوا منه .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « إذ قالت الملائكة » ، وما كنت لديهم إذ يختصمون ، وما كنت لديهم أيضاً إذ قالت الملائكة : يا مريم إنّ الله يبشرك .

* * *

(١) الأثر : ٧٠٦٠ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٩ ، وهو من بقية الآثار التى كان آخرها رقم : ٦٩١١ .

« والتبشير » إخبار المرء بما يسره من خبر .(١)

* * *

وقوله : « بكلمة منه » ، يعنى برسالة من الله وخبر من عنده ، وهو من قول القائل : « ألقى فلانٌ إلىّ كلمةً سرّنى بها » ، بمعنى : أخبرنى خبراً فرحت به ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ﴾ [سورة النساء : ١٧١] ، يعنى : بشرى الله مريمَ بعيسى ، ألقاها إليها .

* * *

فتأويل الكلام : وما كنت ، يا محمد ، عند القوم إذ قالت الملائكة لمريم : يا مريم إنّ الله يبشرك ببُشرى من عنده ، هى ولدٌ لك اسمهُ المسيحُ عيسى بن مريم .

* * *

وقد قال قوم — وهو قول قتادة — : إن « الكلمة » التى قال الله عز وجل : « بكلمة منه » ، هو قوله : « كن » .

٧٠٦١ — حدثنا بذلك الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قوله : « بكلمة منه » ، قال : قوله : « كن » .

* * *

فسماه الله عز وجل « كلمته » ، لأنه كان عن كلمته ، كما يقال لما قدّر الله من شىء : « هذا قدَرُ الله وقضاؤُه » ، يعنى به : هذا عن قدر الله وقضائه حدث ، وكما قال جل ثناؤه : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [سورة النساء : ٤٧ / وسورة الأحزاب : ٣٧] ، يعنى به : ما أمر الله به ، وهو المأمور [به] الذى كان عن أمر الله عز وجل .(٢)

* * *

(١) انظر معنى « التبشير » فيما سلف فى هذا الجزء : ٣٦٩ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هنالك . وكان فى المطبوعة هنا « من خير » . وفى المخطوطة غير منقوطة ، وصوابه ما أثبت .

(٢) ما بين القوسين زيادة لا يستقيم الكلام إلا بها .

وقال آخرون : بل هى اسم لعيسى سماه الله بها ، كما سمى سائر خلقه بما شاء من الأسماء .

* * *

وروى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : « الكلمة » هى عيسى .

٧٠٦٢ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قوله : « إذ قالت الملائكة يا مريم إنّ الله يبشرك بكلمة منه » ، قال : عيسى هو الكلمة من الله .

* * *

قال أبو جعفر : وأقربُ الوُجوه إلى الصواب عندى ، القولُ الأول . وهو أنّ الملائكة بشّرت مريمَ بعيسى عن الله عز وجل برسالته وكلمته التى أمرَها أن تُلقيها إليها : أنّ الله خالقٌ منها ولداً من غير بَعْل ولا فَحل ، ولذلك قال عز وجل : « اسمه المسيح » ، فذكّر ، ولم يقُل : « اسمُها » فيؤنث ، و« الكلمة » مؤنثة ، لأن « الكلمة » غير مقصودٍ بها قصدُ الاسم الذى هو بمعنى «فلان» ، وإنما هى بمعنى البشارة ، فذكّرت كنايتها كما تذكر كناية « الذرّية » و« الدابّة » والألقاب ،[1] على ما قد بيناه قبل فيما مضى .[2] ٣/١٨٦

* * *

فتأويل ذلك كما قلنا آنفاً ، من أنّ معنى ذلك : إن الله يبشرك ببشرى = ثم بيّن عن البشرى أنها ولدٌ اسمه المسيح .

* * *

وقد زعم بعض نحويى البصرة أنه إنما ذكر فقال : « اسمه المسيح » ، وقد قال : « بكلمة منه » ، و « الكلمة » ، عنده هى عيسى = لأنه فى المعنى كذلك ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا ﴾ ، ثم قال : ﴿ بلى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا ﴾ [سورة الزمر : ٥٦ - ٥٩] ، وكما يقال : « ذو الثُّدَيَّة » ، لأن يده

---

(١) الكناية : الضمير ، كما سلف مراراً ، وهو من اصطلاح الكوفيين .

(٢) انظر ما سلف ٢ : ٢١٠/ثم هذا الجزء : ٣٦٢، ٣٦٣ ، ومواضع أخرى .

كانت قصيرة قريبة من ثدييه ،[١] فجعلها كأنّ اسمها « ثَدْيَة » ، ولولا ذلك لم تدخل « الهاء » فى التصغير .

* * *

وقال بعض نحويى الكوفة نحوَ قول من ذكرنا من نحويى البصرة : فى أنّ « الهاء » من ذكر « الكلمة » ، وخالفه فى المعنى الذى من أجله ذكر قوله : « اسمه » ، و « الكلمة » ، متقدمة قبله . فزعم أنه إنما قيل : « اسمه » ، وقد قدّمت « الكلمة » ، ولم يقل : « اسمها » ، لأن من شأن العرب أن تفعل ذلك فيما كان من النعوت والألقاب والأسماء التى لم توضَع لتعريف المسمى به ، كـ « فلان » و « فلان » ، وذلك ، مثل « الذرّية » و « الخليفة » و « الدابة » ، ولذلك جاز عنده أن يقال : « ذرية طيبة » و « ذرّيةً طيباً » ، ولم يجز أن يقال : « طلحة أقبلت = ومغيرة قامت » .[٢]

* * *

وأنكر بعضهم اعتلالَ من اعتلّ فى ذلك بـ « ذى الثدية » ، وقالوا : إنما أدخلت « الهاء » فى « ذى الثدية » ، لأنه أريد بذلك القطعة منَ الثَّدْى ، كما قيل : « كنا فى لحمة ونَبيذة » ، يراد به القطعة منه . وهذا القول نحو قولنا الذى قلناه فى ذلك .

* * *

وأما قوله : « اسمهُ المسيح عيسى بن مريم » ، فإنه جل ثناؤه أنبأ عباده عن نسبة عيسى ، وأنه ابن أمّه مريم ، ونفى بذلك عنه ما أضاف إليه الملحدون فى الله جل ثناؤه من النصارى ، من إضافتهم بنوّته إلى الله عز وجل ، وما قَرَفَتْ أمَّه به المفترِيةُ عليها من اليهود ،[٣] كما : —

---

(١) خبر ذى الثدية مشهور معروف ، انظر سنن أبى داود « باب قتال الخوارج » ٤ : ٣٣٤ — ٣٣٨ .

(٢) انظر ما سلف فى هذا الجزء : ٣٦٢، ٣٦٣

(٣) فى المطبوعة : « قذفت به » ، والصواب من المخطوطة . قرف الرجل بسوء : رماه به واتهمه ، فهو مقروف . وقوله : « المفترية » مرفوعة فاعل « قرفت أمه به » ، ويعنى الفئة المفترية .

٧٠٦٣ – حدثني به ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : « إذ قالت الملائكة يا مريم إنّ الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقرّبين » ، أي : هكذا كان أمرُه ، لا ما يقولون فيه .(١)

* * *

وأما « المسيح » ، فإنه « فعيل » صرف من « مفعول » إلى « فعيل » ، وإنما هو « ممسوح » ، يعني : مَسحه الله فطهّره من الذنوب ، ولذلك قال إبراهيم : « المسيح » الصدّيق . . . . . .(٢)

٧٠٦٤ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم مثله .

٧٠٦٥ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن منصور عن إبراهيم مثله .

* * *

وقال آخرون : مُسح بالبركة .

٧٠٦٦ – حدثنا ابن البرقي قال ، حدثنا عمرو بن أبي سلمة قال ، قال سعيد : إنما سمي « المسيح » ، لأنه مُسيح بالبركة .

* * *

---

(١) الأثر : ٧٠٦٣ – سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٩ – ٢٣٠ ، وهو من بقية الآثار التي آخرها : ٧٠٦٠ ، ونصه : « لا كما تقولون فيه » .

(٢) مكان هذه النقط سقط لا شك فيه عندي ، وأستظهر أنه إسناد واحد إلى « إبراهيم » ثم يليه الأثر رقم : ٧٠٦٤ ، فيه أن المسيح هو الصديق ، كما ذكر . وكان في المخطوطة والمطبوعة موضع هذه النقط : « وقال آخرون : مسح بالبركة » ، وهو كلام لا يستقيم ، كما ترى ، فأخرت هذه الجملة إلى مكانها قبل الأثر رقم : ٧٠٦٦ ، واستجزت أن أصنع ذلك ، لأنه من الوضوح بمكان لا يكون معه شك أو لجلجة .

هذا ، وفي تفسير « المسيح » أقوال أخر كثيرة ، لا أظن الطبري قد غفل عنها ، ولكني أظن أن في النسخة سقطاً قديماً ، ولذلك اضطرب الناسخ هنا . هذا إذا لم يكن الطبري قد أغفلها اختصاراً .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ (٤٥)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « وجيهاً » ، ذا وَجْهٍ ومنزلة عالية عند الله ، وشرفٍ وكرامة . ومنه يقال للرجل الذى يَشرُف وتعظمه الملوك والناس « وجيه » ، يقال منه : « ما كان فلان وَجيهاً ، ولقد وَجُهَ وَجاهةً » = « وإن له لَوجْهاً عند السلطان وَجاهاً ووَجاهةً » ، و « الجاه » مقلوب ، قلبت ، واوه من أوّله إلى موضع العين منه ، فقيل : « جاه » ، وإنما هو « وجه » ، و « فعل » من الجاه : « جاهَ يَجوه » . مسموع من العرب : « أخاف أن يجوهنى بأكثر من هذا » ، بمعنى : أن يستقبلنى فى وجهى بأعظم منه . ١٨٧/٣

* * *

وأما نصب « الوجيه » ، فعلى القطع من « عيسى » ، [1] لأن « عيسى » معرفة ، و « وجيه » نكرة ، وهو من نعته . ولو كان مخفوضاً على الردّ على « الكلمة » كانَ جائزاً .

* * *

وبما قلنا [2] = من أنّ تأويل ذلك : وجيهاً فى الدنيا والآخرة عند الله = قال ، فيما بلغنا ، محمد بن جعفر .

٧٠٦٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن جعفر بن الزبير : « وجيهاً » ، قال : وجيهاً فى الدنيا والآخرة عند الله . [3]

* * *

وأما قوله : « ومنَ المقرّبين » ، فإنه يعنى أنه ممن يقرّبه الله يوم القيامة ، فيسكنه فى جواره ويدنيه منه ، كما : —

---

(١) « القطع » ، كما أسلفنا فى مواضع متفرقة ، هو الحال ، انظر ما سلف فى هذا الجزء : ٣٧١ ، تعليق : ٢ ، وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢١٣ .

(٢) فى المطبوعة : « كما قلنا » ، والصواب من المخطوطة .

(٣) الأثر : ٧٠٦٧ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣٠ ، وهو بقية الآثار التى آخرها رقم : ٧٠٦٣ .

٧٠٦٨ – حدثنا بشر بن معاذ قال حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : « ومن المقربين » ، يقول : من المقربين عند الله يوم القيامة .

٧٠٦٩ – حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « ومن المقرّبين » ، يقول : من المقربين عند الله يوم القيامة .

٧٠٧٠ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (٤٦)

قال أبو جعفر : وأما قوله : « ويكلمُ الناس فى المهد » ، فإن معناه : إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً عند الله، ومُكلِّماً الناسَ فى المهد .

= فـ « يكلم » ، وإن كان مرفوعاً، لأنه فى صورة « يفعل » بالسلامة من العوامل فيه ، فإنه فى موضع نصب، وهو نظير قول الشاعر : (١)

بِتُّ أُعَشِّيهَا بِعَضْبٍ بَاتِرِ يَقْصِدُ فِى أَسْوُقِهَا وَجَائِرِ (٢)

* * *

---

(١) لم أعرف قائله .

(٢) معانى القرآن للفراء ١ : ٢١٣ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ١٦٧ ، والخزانة ٢ : ٣٤٥ ،

وأما « المهد » ، فإنه يعنى به : مضجع الصبىّ فى رضاعه ، كما :ـ

٧٠٧١ ـ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباسٍ : « ويكلم الناس فى المهد » ، قال : مضجع الصبى فى رَضَاعه .

* * *

وأما قوله : « وكهلاً » ، فإنه : وُمحتَنِكاً فوق الغُلومة ، [1] ودُون الشيخوخة ، يقال منه : « رجل كهل = وامرأة كهلة » ، كما قال الراجز : [2]

وَلَا أَعُودُ بَعْدَهَا كَرِيًّا أُمَارِسُ الكَهْلَةَ وَالصَّبِيَّا [3]

* * *

واللسان (كهل) . وقد ذكر البغدادى اختلاف رواية الشعر ، « ويعشيها » من العشاء ، وهو طعامها عند العشاء . يصف كرم الكريم ينحر عند مجىء الأضياف إبله فى قراهم ، والعضب : السيف القاطع ، والباتر : الذى يفصم الضريبة . وأسوق جمع ساق. وقصد يقصد : توسط فلم يجاوز الحد . يقول : يضرب سوقها بسيفه لا يبالى أيقصد أم يجور ، من شدة عجلته وحفاوته بضيفه .

هذا ، وانظر تفصيل ما قال أبو جعفر فى معانى القرآن للفراء ١ : ٢١٣ ، ٢١٤ .

(١) يقال : « غلام بين الغلومة والغلومية والغلامية » ، مثل : « الطفولة والطفولية » .

(٢) هو عذافر الفقيمى .

(٣) الجمهرة ٣ : ٣٣٩ ، المخصص ١ : ٤٠ أمالى القالى ٢ : ٢١٥ ، والسمط : ٨٣٦ ، شرح أدب الكاتب لابن السيد : ٢١٧ ، ٣٨٩ ، والجواليقى : ٢٩٥ ، واللسان (كهل) (كرا) (شعفر) (أم) ، وغيرها ، وكان العذافر يكرى إبله إلى مكة ، فأكرى معه رجل من بنى حنيفة ، من أهل البصرة ، بعيراً يركبه هو وزوجته ، وكان اسمها « شعفر » ، فقال يرجز بهما :

لَوْ شَاءَ رَبِّى لَمْ أَكُنْ كَرِيًّا وَلَمْ أَسُقْ بِشَعْفَرَ المطيَّا
بَصْرِيَّةٌ تَزَوَّجَتْ بَصْرِيًّا يُطْعِمُهَا المَالِحَ والطَّرِيَّا
وَجَيِّدَ البُرِّ لَهَا مَقْلِيًّا حَتَّى نَتَتْ سُرَّتُهَا نَتِيَّا
وَفَعَلَتْ ثُنَّتُهَا فَرِيًّا

والرجز المروى بعد هذه الأبيات ، فيما يظهر . والكرى : المكارى ، الذى يستأجر الركاب دابته . وبعد البيتين اللذين رواهما أبو جعفر :

وإنما عنى جل ثناؤه بقوله : « ويكلم الناسَ فى المهد وكهلاً » ، ويكلم الناس طفلاً فى المهد = دلالةً على براءَة أمه مما قَرَفها به المفترون عليها، (١) وحجة له على نبوّته = وبالغاً كبيراً بعد احتناكه، (٢) بوحى الله الذى يوحيه إليه ، وأمره ونهيه ، وما ينزّل عليه من كتابه . (٣)

* * *

وإنما أخبر الله عز وجل عبادَه بذلك من أمر المسيح ، وأنه كذلك كان ، وإن كان الغالب من أمر الناس أنهم يتكلمون كهولاً وشيوخاً = احتجاجاً به على القائلين فيه من أهل الكفر بالله من النصارى الباطلَ ، (٤) وأنه كان = [منذ أنشأه] مولوداً طفلا ، ثم كهلاً = يتقلب فى الأحداث ، (٥) ويتغير بمرُور الأزمنة عليه والأيام ، من صِغر إلى كبر ، ومن حال إلى حال = وأنه لو كان ، كما قال الملحدون فيه ، كان ذلك غيرَ جائز عليه . فكذّب بذلك ما قاله الوفدُ من أهل نجران الذين حاجُّوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه، واحتج به عليهم ٣/١٨٨

* وَالْعَرَبَ الْمُنَفَّهَ الأُمِّيَّا *

والمنفه : الذى قد أعياه السير ونفهه ، فضعف وتساقط . والأمى : العيى الجلف الجافى القليل الكلام .

(١) فى المطبوعة : « قذفها » ، وانظر آنفاً : ص ٤١٣ ، تعليق : ٣ .

(٢) قوله : « وبالغاً » معطوف على قوله آنفاً : « طفلا فى المهد ». ثم قوله : بعد « بوحى الله » جار ومجرور متعلق بقوله آنفاً : « ويكلم الناس . . » .

(٣) فى المطبوعة : « وما تقول عليه » ، ومعاذ الله أن يكون ذلك ! ! والكلمة فى المخطوطة سيئة الكتابة ، مستفسدة مستصلحة ، وهى على ذلك بينة لمن يدرك بعض معانى الكلام ! !

(٤) فى المطبوعة : « بالباطل » ، وهو تبديل لعبارة الطبرى التى يألفها قارئ كتابه . وقوله : « الباطل » منصوب مفعول به لقوله : « القائلين . . »

(٥) فى المطبوعة : « وأنه كان فى معناه أشياء مولوداً . . . » ، وفى المخطوطة : « وأنه كان فى معانيه أشيا مولوداً . . . » ، ولم أستطع أن أجد لشىء من ذلك معنى أرتضيه ، وقد جهدت فى معرفة تصحيفه أو تحريفه زمناً ، حتى ضقت به ، وحتى ظننت أنه سقط من الناسخ شىء يستقيم به هذا الكلام ، مع ترجيح التصحيف والتحريف فيه . فرأيت أن أضع بين القوسين ما يستقيم به الكلام ، وأن أخل الأصل من هذه الجملة . هذا مع اعتقادى أن « معه أشيا » هى « منذ أنشأه » كما أثبتها . والسياق : « أنه كان ... يتقلب فى الأحداث » ، وما بينهما فصل وضعته بين الخطين .

لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وأعلمهم أنه كان كسائر بنى آدم ، إلاّ ما خصه الله به من الكرامة التى أبانه بها منهم ، كما :—

٧٠٧٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن جعفر بن الزبير : « ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين » : يخبرهم بحالاته التى يتقلب بها فى عمره ، كتقلب بنى آدم فى أعمارهم صغاراً وكباراً ، إلا أن الله خصّه بالكلام فى مهده آيةً لنبوته ، وتعريفاً للعباد مواقع قدرته .(١)

٧٠٧٣ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين » ، يقول : يكلمهم صغيراً وكبيراً .

٧٠٧٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « ويكلم الناس فى المهد وكهلا » ، قال : يكلمهم صغيراً وكبيراً .

٧٠٧٥ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وكهلا ومن الصالحين » ، قال : الكهلُ الحليم .

٧٠٧٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : كلمهم صغيراً وكبيراً وكهلا = وقال ابن جريج ، وقال مجاهد : الكهل الحليم .

٧٠٧٧ — حدثنى محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد ، عن الحسن فى قوله : « ويكلم الناس فى المهد وكهلا » ، قال : كلمهم فى المهد صبيًّا ، وكلمهم كبيراً .

* * *

---

(١) الأثر : ٧٠٧٢ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣٠ ، وهو من تمام الآثار التى آخرها رقم : ٧٠٦٧ .

وقال آخرون : معنى قوله : « وكهلاً » ، أنه سيكلمهم إذا ظهر.

* ذكر من قال ذلك :

٧٠٧٨ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، سمعته — يعني ابن زيد — يقول في قوله : « ويكلم الناس في المهد وكهلا » ، قال : قد كلمهم عيسى في المهد ، وسيكلمهم إذا قتل الدجال ، وهو يومئذ كهلٌ .

* * *

ونصب « كهلا » ، عطفاً على موضع « ويكلم الناس » .

* * *

وأما قوله : « ومن الصالحين » ، فإنه يعني : من عِبادهم وأوليائهم ، لأنّ أهل الصلاح بعضهم من بعض في الدين والفضل .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (٤٧)

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه ، قالت مريم = إذ قالت لها الملائكة إنّ الله يبشرك بكلمة منه = : «ربِّ أنّى يكون لي ولد » ، من أيّ وجه يكون لي لي ولد؟[1] أمن قبل زوج أتزوجه وبعل أنكحه ، أمْ تبتدئ فيّ خلقه من غير بعل ولا فحل ،[2] ومن غير أن يمسّني بشر ؟ فقال الله لها = : « كذلك الله يخلق ما يشاء » ، يعني : هكذا يخلق الله منك ولداً لك من غير أن يمسّك بشر ، فيجعله آيةً للناس وعبرة ، فإنه يخلق ما يشاء ويصنعُ ما يريد ، فيعطي الولد

(١) انظر تفسير « أنى » فيما سلف ٤ : ٣٩٨ — ٤١٦ / ٥ : ٣١٢، ٤٤٧/٦ : ٣٥٨ .

(٢) في المخطوطة : « أي تبتدئ » ، وهو خطأ ، وفي المطبوعة : « أو تبتدئ » ، وآثرت الذي أثبت .

من يشاء من غير فحل ومن فحلٍ ، ويحرِمُ ذلك من يشاءُ من النساء وإن كانت ذات بعلٍ ، لأنه لا يتعذر عليه خلق شيء أراد خلقه ، إنما هو أن يأمر إذا أراد شيئاً ما أراد [خلقه] فيقول له : (١) «كن فيكون» ما شاء ، مما يشاء ، وكيف شاء ، كما : — ١٨٩/٣

٧٠٧٩ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : «قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشرٌ قال كذلك الله يخلق ما يشاء» ، يصنع ما أراد ، ويخلق ما يشاء ، من بشر أو غير بشر = «إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن» ، مما يشاء وكيف يشاء = «فيكون» ما أراد . (٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ (٤٨)

قال أبو جعفر : اختلفت القرأةُ فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة الحجاز والمدينة وبعض قرأة الكوفيين : ﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ بالياء ، ردًّا على قوله : «كذلك الله يخلق ما يشاء» ، «ويعلمه الكتاب» ، فألحقوا الخبرَ فى قوله : «ويعلمه» ، بنظير الخبر فى قوله : «يخلق ما يشاء» ، وقوله : «فإنما يقول له كنْ فيكون» .

* * *

(١) ما بين القوسين زيادة استظهرتها من السياق .

(٢) الأثر : ٧٠٧٩ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣٠ من بقية الآثار التى آخرها رقم : ٧٠٧٢ . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : «أى : إذا قضى أمراً . . .» ، وظاهر أن «أى» لا مكان لها هنا، ونص ابن هشام عن ابن إسحق دال على صواب ذلك ، فحذفتها . وكان فى المخطوطة والمطبوعة أيضاً «فإنما يقول له كن فيكون ، مما يشاء . . .» . وظاهر أيضاً زيادة «فيكون» هنا ، لأن السياق يقتضى إغفالها هنا ، ولأنها ستأتى بعد ، كما هو فى نص رواية ابن هشام عن ابن إسحق ، فرفعتها من هذا المكان أيضاً . وفى سيرة ابن هشام «فيكون ، كما أراد» ، وكلاهما صواب .

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفيين وبعض البصريين : ﴿ وَنُعَلِّمُهُ ﴾ بالنون، عطفاً به على قوله : « نوحيه إليك »، كأنه قال : « ذلك من أنباء الغيب نُوحيه إليك » « ونعلمه الكتاب » . وقالوا : ما بعد « نوحيه » فى صلته إلى قوله : « كن فيكون » ، ثم عطف بقوله : « ونعلمه » عليه .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا أنهما قراءتان مختلفتان ، غير مختلفتى المعانى ، فبأيّهما قرأ القارئ فهو مصيب الصوابَ فى ذلك ، لاتفاق معنى القراءتين ، فى أنه خبر عن الله بأنّه يعلم عيسى الكتاب ، وما ذكر أنه يعلمه .

* * *

وهذا ابتداء خبر من الله عز وجل لمريم ما هو فاعلٌ بالولد الذى بشَّرها به من الكرامة ورفعة المنزلة والفضيلة ، فقال : كذلك الله يخلق منك ولداً من غير فحل ولا بعل ، فيعلمه الكتاب ، وهو الخطّ الذى يخطه بيده = والحكمة ، وهى السنة التى يُوحيها إليه فى غير كتاب = والتوراة ، وهى التوراة التى أنزلت على موسى ، كانت فيهم من عهد موسى = والإنجيل . إنجيل عيسى ولم يكن قبله ، ولكن الله أخبر مريمَ قبل خلق عيسى أنه مُوحيه إليه .

وإنما أخبرها بذلك فسمَّاه لها ، لأنها قد كانت علمت فيما نزل من الكتب أن الله باعثٌ نبياً ، يوحى إليه كتاباً اسمه الإنجيل ، فأخبرها الله عز وجل أن ذلك النبى صلى الله عليه وسلم الذى سَمعت بصفته الذى وعد أنبياءه من قبل أنه منزل عليه الكتاب الذى يسمى إنجيلا ، هو الولد الذى وهبه لها وبشَّرها به .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٧٠٨٠ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج : « ونعلمه الكتاب » ، قال : بيده .

٧٠٨١ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ونعلمه الكتاب والحكمة » ، قال : الحكمة السنة .

٧٠٨٢ – حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن قتادة في قوله : « ونعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل »، قال : «الحكمة» السنة = « والتوراة والإنجيل » ، قال : كان عيسى يقرأ التوراةَ والإنجيل .

٧٠٨٣ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج، عن ابن جريج : « ونعلمه الكتاب والحكمة » ، قال : الحكمة السنة .

٧٠٨٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن جعفر بن الزبير قال : أخبرها – يعني أخبر الله مريم – ما يريد به فقال : « ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة » التي كانت فيهم من عهد موسى = « والإنجيل»، كتاباً آخر أحدثه إليه لم يكن عندهم علمه ، إلاّ ذِكرُه أنه كائن من الأنبياء قبله . (١) ١٩٠/٣

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعني بقوله جل ثناؤه : « ورسولا » ، ونجعله رسولا إلى بني إسرائيل ، فترك ذكر « ونجعله » لدلالة الكلام عليه ، كما قال الشاعر :

وَرَأَيْتِ زَوْجَكِ فِي الوَغَى مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحَا (٢)

* * *

(١) الأثر : ٧٠٨٤ – سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣٠ ، من تمام الآثار التي آخرها رقم : ٧٠٧٩ . وفي ابن هشام : « لم يكن عندهم إلا ذكره أنه كائن من الأنبياء بعده » ، أسقط « علمه » ومكان « قبله » « بعده » ، والصواب فيها نص الطبري في روايته عن ابن إسحق .

(٢) مضى البيت وتخريجه في ١ : ١٤٠ .

وقوله : « أنى قد جئتكم بآية من ربكم »، يعنى :[1] ونجعله رسولا إلى بنى إسرائيل بأنه نبيّى وبشيرى ونذيرى[2]= وحجتى على صدقى فى ذلك : « أنى قد جئتكم بآية من ربكم »، يعنى : بعلامة من ربكم تحقق قولى، وتصدق خبرى أنى رسول من ربكم إليكم ، كما :—

٧٠٨٥ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق، عن محمد بن جعفر بن الزبير : « ورسولاً إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم » ، أى : يُحقق بها نبوّتى، أنى رسولٌ منه إليكم .[3]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « ورسولا إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم » ، ثم بين عن الآية ما هى ، فقال : « أنى أخلق لكم » .

* * *

فتأويل الكلام : ورسولاً إلى بنى إسرائيل بأنى قد جئتكم بآية من ربكم ، بأنْ أخلق لكم من الطين كهيئة الطير .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « بمعنى » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « نبى وبشير ونذير » ، والصواب من المخطوطة . هذا ، وقوله : « ولجعله رسولا . . . » ، إلى قوله : « ونذيرى » بيان عن قول الله تعالى لمريم : « رسولا إلى بنى إسرائيل » — ثم ابتدأ فى بيان قول عيسى عليه السلام : « أنى قد جئتكم بآية » ، فقال عيسى عليه السلام : « وحجتى على صدق فى ذلك . . . » . وكان فى المخطوطة والمطبوعة : « على صدق على ذلك » ، وهو لا يستقيم ، خطأ أو سهو من الناسخ ، والصواب ما أثبت .

(٣) الأثر : ٧٠٨٥ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣٠ ، تتمة الآثار التى آخرها رقم : ٧٠٨٤ . وكان فى المطبوعة : تحقق بها نبوتى ، وأنى رسول . . . » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو مطابق لرواية ابن هشام .

« والطير » جمع « طائر » .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأه بعض أهل الحجاز : ﴿ كَهَيْئَةِ الطَّائِرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَائِرًا ﴾، على التوحيد .

* * *

وقرأه آخرون : ﴿ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا ﴾، على الجماع فيهما .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأعجب القراءات إلىّ فى ذلك قراءة من قرأ : «كهيئة الطير فأنفخُ فيه فيكون طيراً » ، على الجماع فيهما جميعاً ، لأن ذلك كان من صفة عيسى أنه يفعل ذلك بإذن الله ، وأنه موافق لخطّ المصحف . واتباعُ خطّ المصحف مع صحّة المعنى واستفاضة القراءة به ، أعجب إلىّ من خلاف المصحف .

* * *

وكان خلق عيسى ما كان يخلق من الطير ، كما : —

٧٠٨٦ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال ، حدثنا ابن إسحق : أنّ عيسى صلوات الله عليه جلسَ يوماً مع غلمان من الكُتّاب ، فأخذ طيناً ثم قال : أجعل لكم من هذا الطين طائراً ؟ قالوا : وتستطيع ذلك ! قال : نعم ! بإذن ربى . ثم هيّأه، حتى إذا جعله فى هيئة الطائر نفخ فيه ، ثم قال: « كن طائراً بإذن الله »، فخرج يطيرُ بين كفيه . فخرج الغلمان بذلك من أمره ، فذكروه لمعلّمهم ،

---

(١) فى المطبوعة : « على الجماع كليهما » ، وفى المخطوطة « كلهما » أيضاً ، دون شرطة الكاف كأنه أراد أن يكتب « كليهما » ، ثم استدرك ، فترك عقدة الكاف على حالها ليعود فيجعلها « فيهما » وكذلك أثبتها .

فأفشوه في الناس . وترعرع ، فهمّت به بنو إسرائيل ، فلما خافت أمه عليه حملته على حُمَيِّر لها ، ثم خرجت به هاربة . (١)

* * *

وذكر أنه لما أراد أن يخلق الطيرَ من الطين سألهم : أيّ الطير أشدّ خلقاً ؟ فقيل له : الخفاش ، كما : —

٣/١٩١ ٧٠٨٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قوله : « أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير » ، قال : أيّ الطير أشدّ خلقاً ؟ قالوا : الخفاش ، إنما هو لحم . قال : ففعل .

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : وكيف قيل : « فأنفخ فيه » ، وقد قيل : « أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير » ؟

قيل : لأن معنى الكلام : فأنفخ في الطير . ولو كان ذلك : « فأنفخ فيها » . كان صحيحاً جائزاً ، كما قال في المائدة ، ﴿فَتَنْفُخُ فِيهَا﴾ [سورة المائدة : ١١٠] : (٢) يريد : فتنفخ في الهيئة . (٣) وقد ذكر أن ذلك في إحدى القراءتين « فأنفخها » ، بغير « في » . (٤) وقد تفعل العرب مثل ذلك فتقول : « رب ليلة قد بتُّها ، وبتُّ فيها » ، قال الشاعر : (٥)

---

(١) « حمير » (بضم الحاء وفتح الميم وتشديد الياء المكسورة) ، تصغير « حمار » ، وهو مضبوط هكذا في المخطوطة ، وهو الصواب .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « فأنفخ فيها » ، وهو مخالف للتلاوة في سورة المائدة ، وهو سهو من الناسخ لقرب عهده بآية آل عمران ، وتابعه الناشرون .

(٣) في المخطوطة والمطبوعة : « فأنفخ » أيضاً ، وهو متابعة للسهو السالف

(٤) هذا نص مقالة الفراء في معاني القرآن ١ : ٢١٤ ، وهو : (وفي إحدى القراءتين : « فأنفخها » وفي قراءة عبد الله بغير « في » ، وهو مما تقوله العرب : رب ليلة قد بت فيها وبتها) . ولعله تصرف واختصار من الطبري نفسه كعادته في الذي ينقله عن الفراء ، وظني أن في نص الفراء خطأ ، وصوابه : « وهي قراءة عبد الله . . . » .

(٥) هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري .

مَا شُقَّ جَيْبٌ وَلَا قَامَتْكَ نَائِحَةٌ وَلَا بَكَتْكَ جِيَادٌ عِنْدَ أَسْلَابِ (١)

بمعنى : ولا قامت عليك ، وكما قال آخر : (٢)

إِحْدَى بَنِي عَيِّذِ اللهِ اسْتَمَرَّ بِهَا حُلْوُ العُصَارَةِ حَتَّى يُنْفَخَ الصُّورُ (٣)

* * *

(١) الأغانى ١٧ : ٦٨ ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٢١٥ . وهو من أبيات من خبرها أن عبيد الله بن زياد ، كان عدواً لابن مفرغ ، فلما قتله أصحاب المختار بن أبي عبيد يوم الزاب ، قال ابن مفرغ فيه ، وفى طغيانه عليه ، وهو عظة لكل جبار طاغية :

إِنَّ الَّذِي عَاشَ خَتَّارًا بِذِمَّتِهِ وعاشَ عبدًا ، قَتِيلُ اللهِ بالزَّابِ
العَبْدُ لِلْعَبْدِ ، لا أَصْلٌ وَلَا طَرَفٌ ، أَلْوَتْ بِهِ ذَاتُ أَظْفَارٍ وأَنْيَابِ
إِنَّ المَنَايَا إِذَا ما زُرْنَ طَاغِيَةً هَتَكْنَ عَنْهُ سُتُورًا بَيْنَ أَبْوَابِ
هَلَّا جُمُوعَ نِزَارٍ إِذْ لَقِيتَهُمُ كُنْتَ امْرَءًا مِنْ نِزَارٍ غَيْرَ مُرْتَابِ
لَا أَنْتَ زَاحَمْتَ عَنْ مُلْكٍ فَتَمنَعَهُ وَلَا مَدَدْتَ إِلَى قَوْمٍ بِأَسْبَابِ
مَا شُقَّ جَيْبٌ وَلا نَاحَتْكَ نَائِحَةٌ . . . . . .

ورواية الأغانى «ناحتك» ، جارية على القياس ، يقال : « ناحت المرأة » ، لازماً ، و « ناحت المرأة زوجها » ، أما رواية الفراء وأبى جعفر ، فهى التى حذف من قوله : « قامتك » حرف الجر ، من « قامت عليك » . والأسلاب جمع سلب (بفتحتين) : وهو ما على المحارب والرجل من ثيابه وثياب الحرب ، فإذا قتل أخذ قاتله سلبه ، أى ما عليه من ثياب وسلاح ، وما معه من دابة . يقول : لست فارساً من أهل الحرب والمعارك ، فيحبك فرسك ، فيبكيك عند مصرعك .

(٢) لم أعرف قائله .

(٣) « بنو عيذ الله » (بتشديد الياء المكسورة) ، وهم بنو عيذ الله بن سعد العشيرة بن مذحج . « استمر بها » : ذهب بها . « حلو العصارة » : حلو الأخلاق . والعصارة والعصير : ما يتحلب من الشيء إذا عصر . يقول : ذهب بها فلن تعود إلى يوم الدين .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « وأبرئ » ، وأشفى . يقال منه : « أبرأ الله المريض » ، إذا شفاه منه ، « فهو يُبرئه إبراءً » ، و « بَرَأ المريض فهو يَبرَأ بَرْأً » ، وقد يقال أيضاً : « بَرئ المريض فهو يبرَأ » ، لغتان معروفتان .

* * *

واختلف أهل التأويل فى معنى « الأكمه » .

فقال بعضهم : هو الذى لا يبصر بالليل ، ويُبصر بالنهار .

* ذكر من قال ذلك :

٧٠٨٨ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « وأبرئ الأكمه » ، قال : الأكمه الذى يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل ، فهو يتكمّه . (١)

٧٠٨٩ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

وقال آخرون : هو الأعمى الذى ولدته أمه كذلك .

* ذكر من قال ذلك :

٧٠٩٠ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كنا نحدّثُ أن « الأكمه » ، الذى ولد وهو أعمى مغموم العينين . (٢)

٧٠٩١ – حدثنى المثنى قال حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة فى قوله : « وأبرئ الأكمه والأبرص » ، قال : كنا نحدّث أن الأكمه الذى يولد وهو أعمى ، مغموم العينين . (٢)

* * *

---

(١) يقال : « خرج يتكه فى الأرض » ، إذا خرج متحيراً متردداً ، راكباً رأسه ، لا يدرى أين يتوجه .

(٢) كان فى المطبوعة : « مضموم العينين » ، وتوشك أن تكون فى المخطوطة : « مغموم العينين » ،

٧٠٩٢ ــ حدثت عن المنجاب قال ، حدثنا بشر ، عن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : الأكمه ، الذى يولد وهو أعمى .

* * *

وقال آخرون : بل هو الأعمى .

* ذكر من قال ذلك :

٧٠٩٣ ــ حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وأبرئ الأكمه » ، هو الأعمى .

٧٠٩٤ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : الأعمى .

٧٠٩٥ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « وأبرئ الأكمه » ، قال : الأكمه الأعمى . ١٩٢/٣

٧٠٩٦ ــ حدثني محمد بن سنان قال، حدثنا أبو بكر الحنفى، عن عباد ابن منصور عن الحسن فى قوله : « وأبرئ الأكمه » ، قال : الأعمى .

* * *

وقال آخرون : هو الأعمش .

* ذكر من قال ذلك :

٧٠٩٧ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا حفص بن عمر ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة فى قوله : « وأبرئ الأكمه » ، قال : الأعمش .

* * *

قال أبو جعفر : والمعروف عند العرب من معنى « الكمه » ، العَمَى . يقال منه : « كَمِهَت عينه فهى تَكْمَه كمهاً ، وأكمهتها أنا » إذا أعميتها ، كما قال سويد بن أبي كاهل :

وأنا أرجح أنها الصواب ، فلذلك أثبتها على قرائى للخط . والأكمه أعمى ، مضموم العينين كان أو غير مضموم ، ولكنه من غم الشيء : إذ ستره ، فهو مغموم : مستور . ومنه الغمامة ، وهى غطاء يشد على عينى الناقة أو الثور أو غيرهما .

كَمَهَتْ عَيْنَيْهِ حَتَّى أُبْيَضَّتَا فَهْوَ يَلْحَى نَفْسَهُ لَمَّا نَزَعْ(١)

ومنه قول رؤبة :

هَرَّجْتُ فَارْتَدَّ ارْتِدَادَ الأَكْمَهِ فِي غَائِلَاتِ الحَائِرِ المُتَهَتِّهِ(٢)

* * *

وإنما أخبر الله عز وجل عن عيسى صلوات الله عليه أنه يقول ذلك لبنى إسرائيل، احتجاجاً منه بهذه العبر والآيات عليهم فى نبوته. وذلك أن : الكَمَه والبرص لا علاج لهما فيقدرَ على إبرائه ذو طِبّ بعلاج. فكان ذلك من أدلته على صدق قيله : إنه لله رسول، لأنه من المعجزات، مع سائر الآيات التى أعطاه الله إياها دلالةً على نبوته.

* * *

فأما ما قال عكرمة من أن «الكمه»، العمش، وما قاله مجاهد : من أنه

---

(١) المفضليات : ٤٠٥، اللسان (كمه) فى المطبوعة : ﴿ كَمِهَتْ عَيْنَاهُ ﴾، وهى رواية المفضليات وفيها «كمهت عيناه لما ابيضتا». والبيت من قصيدته الفذة. يذكر فى هذه الأبيات التى قبل البيت، بعض عدوه، كان يريد سقاطه بعد احتناكه وشدته، وكيف تلقى العداوة عن آبائه، فسعى كما سعى آباؤه فلم يظفر من سويد بشىء، فضرب لنفسه مثلا بالصفاة التى لا ترام، فقال أن عدوه ظل :

مُقْعِياً يَرْدِي صَفَاةً لَمْ تُرَمْ فِي ذُرَى أَعْيَطَ وَعْرِ المُطَّلَعْ
مَعْقِلٌ يَأْمَنُ مَنْ كَانَ بِهِ غَلَبَتْ مَنْ قَبْلَهُ أَنْ تُقْتَلَعْ
غَلَبَتْ عَاداً وَمَنْ بَعْدَهُمْ فَأَبَتْ بَعْدُ، فَلَيْسَتْ تُتَّضَعْ
لَا يَرَاهَا النَّاسُ إِلا فَوْقَهُمْ فَهْيَ تَأْتِي كَيْفَ شَاءَتْ وَتَدَعْ
وَهْوَ يَرْمِيهَا، وَلَنْ يَبْلُغَهَا، رِعَةَ الجَاهِلِ يَرْضَى مَا صَنَعْ
كَمِهَتْ عَيْنَاهُ . . . . . .

يقول : عمى من شدة ما يلقى، أو أعمته هى بشدتها. فلما كف عنها ونزع، ظل يلوم نفسه على تعرضه لها.

(٢) ديوانه : ١٦٦، واللسان (كمه) (هرج) (تهته) ومجاز القرآن ١ : ٩٣، وسيرة ابن هشام

سوء البصر بالليل ، فلا معنى لهما . لأن الله لا يحتج على خلقه بحجة تكون لهم السبيلُ إلى معارضته فيها . ولو كان مما احتجَّ به عيسى على بنى إسرائيل فى نبوته ، أنه يبرئُ الأعمش ، أو الذى يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل ، لقدروا على معارضته بأن يقولوا : « وما فى هذا لك من الحجة ، وفينا خَلقٌ ممن يعالج ذلك ، وليسوا لله أنبياءَ ولا رسلا »

فى ذلك دلالة بينة على صحة ما قلنا ، من أنّ « الأكمه » ، هو الأعمى الذى لا يبصر شيئاً لا ليلاً ولا نهاراً . وهو بما قال قتادة — من أنه المولود كذلك — أشبهُ ، لأن علاجَ مثل ذلك لا يدّعيه أحدٌ من البشر ، إلا من أعطاه الله مثل الذى أعطى عيسى ، وكذلك علاجُ الأبرص .

* * *

القول فى تأويل قوله جلّ ثناؤه ﴿ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : وكان إحياء عيسى الموتى بدعاء الله ، يدعو لهم ، فيستجيب له ، كما : —

٧٠٩٨ — حدثنى محمد بن سهل بن عسكر قال ، حدثنا إسمعيل بن عبد الكريم قال ، حدثنى عبد الصمد بن معقل : أنه سمع وهب بن منبه يقول : لما صار عيسى ابن اثنتى عشرة سنة ، أوحى الله إلى أمه وهى بأرض مصر ، وكانت هربت من قومها حين ولدته إلى أرض مصر : أنِ اطْلُعى به إلى الشام . ففعلت الذى أمرت به . فلم تزل بالشام حتى كان ابن ثلاثين سنة ، وكانت نبوّته ثلاث سنين ، ثم رفعه الله إليه = قال : وزعم وهب أنه ربما اجتمع على عيسى من المرضى

٢ : ٢٣٠ ، من قصيدة يذكر فيها نفسه وأيامه ، وقد سلفت منها أبيات كثيرة ، يذكر قبله خصما له قد بالغ فى ضلاله ، فرده وزجره . « هرج بالسبع » : صاح به وزجره . و « الغائلات » : التى تغوله وتهلكه . و « المتهته » : الذى تهته فى الأباطيل . أى تردد فيها . ورواية الديوان « فى غائلات الخائب ... » ، وهى قريب من قريب .

فى الجماعة الواحدة خمسون ألفاً ، من أطاق منهم أن يبلغه بلغه ، ومن لم يطق منهم ذلك أتاه عيسى يمشى إليه ، وإنما كان يداويهم بالدعاء إلى الله .

* * *

وأما قوله : « وأنبئكم بما تأكلون » ، فإنه يعنى : وأخبرُكم بما تأكلون، مما لم أعاينه وأشاهده معكم فى وقت أكلكموه = « وما تدّخرون » ، يعنى بذلك : وما ترفعونه فتخبّأونه ولا تأكلونه . ١٩٣/٣

=يعلمهم أنّ من حجته أيضاً على نبوّته = مع المعجزات التى أعلمهم أنه يأتى بها حجة على نبوّته وصدقه فى خبره أنّ الله أرسله إليهم : من خلق الطير من الطين ، وإبراءِ الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله ، التى لا يطيقها أحدٌ من البشر ، إلاّ من أعطاه الله ذلك عَلَماً له على صدقه، وآيةً له على حقيقة قوله، من أنبيائه ورسله ومَن أحبّ من خلقه =[1] إنباءَه عن الغيب الذى لا سبيل لأحد من البشر الذين سبيلُهم سبيلُه ، عليه .[2]

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : وما كان فى قوله لهم : « وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم » من الحجة له على صدقه، وقد رأينا المتنجِّمة والمتكهِّنة تخبرُ بذلك كثيراً فتصيب ؟

قيل : إن المتنجِّم والمتكهِّن معلوم منهما عند من يخبرانه بذلك،[3] أنهما ينبئان به عن استخراج له ببعض الأسباب المؤدية إلى علمه . ولم يكن ذلك كذلك من عيسى صلوات الله عليه ومن سائر أنبياء الله ورُسله ، وإنما كان عيسى يخبر به عن غير استخراج ، ولا طلب لمعرفته باحتيال ، ولكن ابتداءً بإعلام الله إياه ،[4]

---

(١) قوله : « إنباءه » خبر « أن » فى قوله آنفاً : « أن من حجته أيضاً على بنوته . . . إنباءه » .

(٢) قوله « عليه » من تمام قوله : « الذى لا سبيل لأحد . . . »

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « عند من يخبره بذلك » وسياق الضمائر يقتضى ما أثبت .

(٤) فى المطبوعة : « ولكن ابتدأ » ، والصواب ما أثبته ، ولم يحسن الناشر قراءة المخطوطة .

من غير أصل تقدّم ذلك احتذاه، أو بنى عليه ، أو فزع إليه ، كما يفزَع المتنجم إلى حسابه ، والمتكهن إلى رئيّه.[1] فذلك هو الفصل بين علم الأنبياء بالغيوب وإخبارهم عنها ، وبين علم سائر المتكذّبة على الله ، أو المدّعية علم ذلك ، كما : —

٧٠٩٩ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال : لما بلغ عيسى تسع سنين أو عشراً أو نحو ذلك ، أدخلته أمه الكتاب ، فيما يزعمون . فكان عند رجل من المكتّبين يعلمه كما يعلّم الغلمان،[2] فلا يذهب يعلمه شيئاً مما يعلمه الغلمان إلا بدره إلى علمه قبل أن يعلمه إياه : فيقول ألا تعجبون لابن هذه الأرْملة ؟ ما أذهب أعلّمه شيئاً إلا وجدته أعلمَ به منى ! !

٧١٠٠ — حدثنى موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدّى : لما كبر عيسى أسلمته أمه يتعلم التوراة ، فكان يلعب مع الغلمان غلمان القرية التى كان فيها ، فيحدّث الغلمان بما يصنع آباؤهم .

٧١٠١ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم . قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا إسمعيل بن سالم ، عن سعيد بن جبير فى قوله : « وأنبئكم بما تأكلون وما تدّخرون فى بيوتكم » ، قال : كان عيسى بن مريم، إذْ كان فى الكتّاب ، يخبرهم بما يأكلون فى بيوتهم وما يدّخرون .

٧١٠٢ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا إسمعيل بن سالم قال ، سمعت سعيد بن جبير يقول : « وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم » ، قال : إن عيسى بن مريم كان يقول للغلام فى الكتّاب :

---

(١) الرئى : هو التابع من الجن ، يراه الإنسان أو الكاهن ، فيؤالفه ويعتاده ويحدثه بما يكذب به من النبأ عن المغيب .

(٢) المكتب (بضم الميم وفتح الكاف وتشديد التاء المكسورة) على وزن «معلم» : هو الذى يعلم الصغار الكتابة . ويقال أيضاً «المكتب» (بضم الميم وسكون الكاف وكسر التاء) على وزن « مبصر » وهو المعلم أيضاً .

« يا فلان ، إن أهلكَ قد خبأوا لك كذا وكذا من الطعام ، فتطعمنى منه » ؟

* * *

قال أبو جعفر : فهكذا فعل الأنبياء وحججها ، إنما تأتى بما أتت به من الحجج بما قد يوصل إليه ببعض الحيل ، على غير الوجه الذى يأتى به غيرها ، بل من الوجه الذى يعلم الخلق أنه لا يوصل إليه من ذلك الوجه بحيلة إلاّ من قِبَل الله .

* * *

وبنحو ما قلناه فى تأويل قوله : « وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم » قال أهل التأويل :

* ذكر من قال ذلك :

١٩٤/٣ ٧١٠٣ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله: « وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم » ، قال : بما أكلتم البارحة ، وما خبأتم منه = عيسى بن مريم يقوله.

٧١٠٤ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٧١٠٥ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال عطاء ابن أبى رباح – يعنى قوله : « وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم » – قال : الطعام والشىء يدخرونه فى بيوتهم ، غيباً علمه الله إياه .

٧١٠٦ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم » ، قال : « ما تأكلون » ، ما أكلتم البارحةَ من طعام ، وما خبأتم منه .

٧١٠٧ – حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدّى قال : كان – يعنى عيسى بن مريم – يحدّث الغلمان وهو معهم فى الكتّاب بما يصنع آباؤهم ، وبما يَرْفعون لهم ، وبما يأكلون . ويقول للغلام :

«انطلق ، فقد رفع لك أهلك كذا وكذا، وهم يأكلون كذا وكذا»، فينطلق الصبي فيبكي على أهله حتى يعطوه ذلك الشيء . (١) فيقولون له : من أخبرك بهذا ؟ فيقول : عيسى ! = فذلك قول الله عز وجل : « وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم » = فحبسوا صبيانهم عنه ، وقالوا : لا تلعبوا مع هذا الساحر ! فجمعوهم في بيت ، فجاء عيسى يطلبهم ، فقالوا : ليس هم ههنا ، فقال : ما في هذا البيت؟ فقالوا : خنازير . قال عيسى : كذلك يكونون ! ففتحوا عنهم ، فإذا هم خنازير . فذلك قوله : ﴿ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ﴾ [سورة المائدة : ٧٨] .

٧١٠٨ – حدثني محمد بن سنان قال، حدثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد ، عن الحسن في قوله : « وما تدخرون في بيوتكم » ، قال : ما تخبأون مخافةَ الذي يمسك أن يخلفه . (٢)

* * *

وقال آخرون : إنما عنى بقوله : « وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم » ، ما تأكلون من المائدة التي تنزل عليكم ، وما تدخرون منها .

* ذكر من قال ذلك :

٧١٠٩ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم » ، فكان القومُ لما سألوا المائدةَ فكانت خِواناً ينزل عليه أينما كانوا ثمَراً من ثمار الجنة ، (٣) فأمر القوم أن

---

(١) « يبكي عليهم » ، يلح عليهم بالبكاء، عدى « بكى » بعلى ، لتضمينه معنى « الإلحاح » .

(٢) في المطبوعة : « ما تخبأون مخافة الذي يمسك أن لا يخلفه شيء » ، زاد في نص المخطوطة « لا » ، و « شيء » . أما المخطوطة ففيها « . . . الذي يمسك أن يخلفه » . وكلاهما لا معنى له . والمخطوطة مضطربة الحروف في هذا الموضع ، وأخشى أن يكون صواب الجملة : « ما تخبأون مخافة عليه ، الذي تمسكون خيفة عليه » . وتركت نص المخطوطة ، على حاله في الأصل .

(٣) في المطبوعة : « فكانت جراباً ينزل عليه » ، وهو خطأ لا شك فيه ، وفي المخطوطة ، « حوابا » غير منقوطة، وصواب قراءتها ما أثبت . والمائدة ، هي الخوان ، وقال أهل اللغة : « لا تسمى مائدة حتى يكون عليها طعام ، وإلا فهي خوان » .

لا يخونوا فيه ولا يخبأوا ولا يدخروا لغد ، بلاءٌ ابتلاهم الله به . فكانوا إذا فعلوا من ذلك شيئاً أنبأهم به عيسى بن مريم ، فقال : « وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم » .

٧١١٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون » ، قال : أنبئكم بما تأكلون من المائدة وما تدخرون منها . قال : فكان أخذ عليهم فى المائدة حين نزلتْ : أن يأكلوا ولا يدّخروا ، فادخروا وخانوا ، فجعلوا خنازير حين ادّخروا وخانوا ، فذلك قوله : ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة المائدة : ١١٥] .

= قال ابن يحيى قال ، عبد الرزاق قال ، معمر ، عن قتادة ، عن خلاس ابن عمرو ، عن عمار بن ياسر ، ذلك .

* * *

وأصل « يدخرون » من « الفعل » ، « يفتعلون » من قول القائل : « ذخرتُ الشيء » بالذّال « فأنا أذخره » . ثم قيل : « يدّخر » ، كما قيل : « يدّكِرُ » من : « ذكرت الشيء » ، يراد به « يذتخر » . فلما اجتمعت « الذال » و « التاء » وهما متقاربتا المخرج ، ثقل إظهارهما على اللسان ، فأدغمت إحداهما فى الأخرى ، وصيرتا « دالاً » مشددة ، صيروها عَدْلاً بين « الذال » و « التاء » .[1] ومن العرب من يغلب « الذال » على « التاء » ، فيدغم « التاء » فى « الذال » ، فيقول : « وما تَذَّخِرون » ، « وهو مذّخَر لك » ، « وهو مُذَّكِر » .

٣/١٩٥

واللغة التى بها القراءةُ ، الأولى ، وذلك إدغام « الذال » فى « التاء » ، وإبدالهما

(١) قوله « عدلا » ، أى متوسطة بينهما ، وهذا نص عبارة الفراء فى معانى القرآن ١ ٢١٥ .

« دالا » مشددة . لا يجوز القراءة بغيرها ، لتظاهر النقل من القرأة بها ، وهى اللغة الجُودَى ،[1] كما قال زهير :

إنّ الكَرِيمَ الَّذِى يُعْطِيكَ نَائِلَهُ عَفْوًا ، وَيُظْلَمُ أَحْيَانًا فَيَطَّلِمُ[2]

يروى « بالظاء » ، يريد : « فيفتعل » من « الظلم » ، ويروى « بالطاء » أيضاً .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (٤٩)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : إنّ فى خلقى من الطين الطيرَ بإذن الله ، وفى إبرائى الأكمهَ والأبرصَ ، وإحيائى الموتى ، وإنبائىَ إياكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ، ابتداءً من غير حساب وتنجيم ، ولا كهانة وعرافة = لعبرةً لكم ومتفكَّراً ، تتفكرون فى ذلك فتعتبرون به أنىّ محق فى قولى لكم : « إنى رسولٌ من ربكم إليكم » ، وتعلمون به أنى فيما أدعوكم إليه من أمر الله ونهيه صادق = « إن كنتم مؤمنين » ، يعنى : إن كنتم مصدّقين حججَ الله وآياته ، مقرّين بتوحيده ، وبنبيه موسى والتوراة التى جاءكم بها .

* * *

---

(١) « الجودى » ، «فعلى» من « الأجود » مثل « أفضل ، وفضلى » ، ولم أرها مستعملة إلا قليلا عند أهل طبقة أبى جعفر . وانظر ما قاله الفراء فى معانى القرآن ١ : ٢١٥ ، ٢١٦ .

(٢) ديوانه : ١٥٢ وسيبويه ٢ : ٤٢١ ، والمخصص ٢ : ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، واللسان (ظلم) وغيرها . هكذا جاء به أبو جعفر ، وصواب روايته ما جاء فى ديوانه ، لأن قبله :

إنّ البَخِيلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ وَلَـ ـكِنّ الجوادَ عَلَى عِلّاتِهِ هَرِمُ
هُوَ الجَوَادُ الَّذِى يُعْطِيكَ نائِلَهُ . . . . . .

وانظر روايات مختلفة للبيت ، وبيان هذه الروايات فى هذه الكتب وغيرها .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وبأنى قد جئتكم بآية من ربكم ، وجئتكم مصدقاً لما بين يدىّ من التوراة ، ولذلك نصب « مصدّقاً » على الحال من « جئتكم » .

والذى يدل على أنه نصب على قوله : « وجئتكم » ، دون العطف على قوله : « وجيهاً » ، قوله : « لما بين يدىّ من التوراة » . ولو كان عطفاً على قوله « وجيهاً » ، لكان الكلام : ومصدّقاً لما بين يديه من التوراة ، وليحل لكم بعض الذى حرم عليكم . (١)

* * *

وإنما قيل : « ومصدّقاً لما بين يدىّ من التوراة » ، (٢) لأن عيسى صلوات الله عليه ، كان مؤمناً بالتوراة مقراً بها ، وأنها من عند الله . وكذلك الأنبياء كلهم ، يصدّقون بكل ما كان قبلهم من كتب الله ورسله . وإن اختلف بعضُ شرائع أحكامهم ، لمخالفة الله بينهم فى ذلك . مع أنّ عيسى كان — فيما بلغنا — عاملاً بالتوراة لم يخالف شيئاً من أحكامها ، إلا ما خفّف الله عن أهلها فى الإنجيل ، مما كان مشدداً عليهم فيها ، كما : —

٧١١١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبدالكريم قال ، حدثنى عبد الصمد بن معقل : أنه سمع وهب بن منبه يقول : إن عيسى كان على شريعة موسى صلى الله عليهما وسلم ، وكان يَسبِت ، ويستقبل بيت المقدس ، فقال لبنى إسرائيل : إنى لم أدعكم إلى خلاف حرف مما فى التوراة ، إلاّ لأحل لكم بعض الذى حرم عليكم ، وأضع عنكم من الآصار . (٣) ١٩٦/٣

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢١٦ .

(٢) انظر تفسير « لما بين يدى » و « لما بين يديه » فيما سلف من هذا الجزء : ١٦٠ ، ١٦١ .

(٣) الآصار جمع إصر (بكسر فسكون) : وهو العهد ، أى ما عقد من عقد ثقيل عليهم ، مثل قتلهم أنفسهم ، وما أشبه ذلك من قرض الجلد إذا أصابته النجاسة ، وغير ذلك من الأحكام المشددة .

٧١١٢ – حدثني بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ومصدقاً لما بين يدىّ من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حُرّم عليكم » ، كان الذى جاء به عيسى ألين مما جاء به موسى ، وكان قد حُرّم عليهم فيما جاء به موسى لحومُ الإبل والثُّروب ، وأشياء من الطير والحيتان . (١)

٧١١٣ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « ومصدّقاً لما بين يدىّ من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم » ، قال : كان الذى جاء به عيسى ألينَ من الذى جاء به موسى . قال : وكان حُرّم عليهم فيما جاء به موسى من التوراة ، لحومُ الإبل والثُّروب ، فأحلها لهم على لسان عيسى – وحرّمت عليهم الشحوم ، وأحلت لهم فيما جاء به عيسى – وفى أشياء من السمك ، وفى أشياء من الطير مما لا صِيصِيَةَ له ، (٢) وفى أشياء حرّمها عليهم وشدّدها عليهم ، فجاءهم عيسى بالتخفيف منه فى الإنجيل . فكان الذى جاء به عيسى ألينَ من الذى جاء به موسى صلوات الله عليه .

٧١١٤ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم » ، قال : لحوم الإبل والشحوم . لما بُعث عيسى أحلّها لهم ، وبُعث إلى اليهود فاختلفوا وتفرّقوا .

٧١١٥ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد بن

---

(١) الثروب جمع ثرب (بفتح فسكون) : وهى الشحم الرقيق الذى يغشى الكرش والأمعاء والمصارين من الذبائح والأنعام .

(٢) صيصية الديك (بكسر الصاد الأولى والثانية وفتح الياء الأخير) ، وجمعها الصياصى : هى الشوكة التى فى رجل الديك . وقرون البقر يقال لها « الصياصى » ، ومنه قيل للحصون « الصياصى » لأن المقاتلين يحتمون بها كما تحتمى البقر بقرونها .

جعفر بن الزبير : « ومصدقاً لما بين يدىّ من التوراة »، أى : لما سبقنى منها — « ولأحلّ لكم بعض الذى حرم عليكم » ، أى : أخبركم أنه كان حراماً عليكم فتركتموه، ثم أحله لكم تخفيفاً عنكم ، فتصيبون يُسْرَه، وتخرجون من تِباعَته .(١)

٧١١٦ — حدثنى محمد بن سنان قال، حدثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد ، عن الحسن : « ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم » ، قال : كان حرّم عليهم أشياء ، فجاءهم عيسى ليحلّ لهم الذى حرّم عليهم ، يبتغى بذلك شُكْرهم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك : وجئتكم بحجة وعبرة من ربكم ، تعلمون بها حقيقةَ ما أقول لكم ، كما : —

٧١١٧ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد : « وجئتكم بآية من ربكم » ، قال : ما بيّن لهم عيسى من الأشياء كلها ، وما أعطاه ربه .

٧١١٨ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد : « وجئتكم بآية من ربكم » ، ما بيّن لهم عيسى من الأشياء كلها .

* * *

ويعنى بقوله : « من ربكم » ، من عند ربكم .

* * *

(١) الأثر : ٧١١٥ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣١ ، وهو من تتمة الآثار التى كان آخرها رقم : ٧٠٨٥ . وقوله « وتخرجون من تباعته » ، أى من إثمه الذى تبعكم إن اقترفتموه . والتبعة والتباعة (بكسر التاء) : ما كان فيه إثم يتبع به مقترفه ، يقال : « ما عليه من الله فى هذا تبعة ، ولا تباعة » .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ ﴿٥١﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك : وجئتكم بآية من ربكم تعلمون بها يقيناً صدقى فيما أقول =« فاتقوا الله »، يا معشرَ بنى إسرائيل، فيما أمركم به ونهاكم عنه فى كتابه الذى أنزله على موسى ، فأوفوا بعهده الذى عاهدتموه فيه =« وأطيعون» ، فيما دعوتكم إليه من تصديقى فيما أرسلنى به إليكم ربى وربكم ، فاعبدوه ، فإنه بذلك أرسلنى إليكم ، وبإحلال بعض ما كان محرّماً عليكم فى كتابكم ، وذلك هو الطريق القويمُ ، والهدى المتينُ الذى لا اعوجاج فيه ، [1] كما : —

٧١١٩ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : « فاتقوا الله وأطيعون إن الله ربى وربكم » ، تبرّياً من الذى يقولون فيه — يعنى : ما يقول فيه النصارى — واحتجاجاً لربه عليهم = « فاعبدوه هذا صراط مستقيم » ، أى : هذا الذى قد حملتُكم عليه وجئتكم به . [2] ١٩٧/٣

* * *

قال أبو جعفر : واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « إن الله ربى وربكم فاعبدوه » .

فقرأته عامة قرأة الأمصار : ﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ﴾ بكسر « ألف» « إنّ » على ابتداء الخبر .

* * *

وقرأه بعضهم : ﴿ أَنَّ اللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ ﴾ ، بفتح « ألف » « أنّ » ، بتأويل :

(١) انظر تفسير « الصراط المستقيم » فيما سلف ١ : ١٧٠ — ١٧٧/٣ : ١٤٠ ، ١٤١.

(٢) الأثر : ٧١١٩ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣١ ، وهو من بقية الآثار التى آخرها رقم : ٧١١٥.

وجئتكم بآية من ربكم ، أنّ الله ربي وربكم ، على ردّ « أن» على « الآية » ، والإبدال منها .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة عندنا ما عليه قرأة الأمصار ، وذلك كسر ألف « إن » على الابتداء ، لإجماع الحجة من القرأة على صحة ذلك . وما اجتمعت عليه فحجةٌ ، وما انفرد به المنفرد عنها فرأيٌ . ولا يعترضُ بالرأى على الحجة .

* * *

وهذه الآية وإن كان ظاهرُها خبراً ، ففيه الحجة البالغة من الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم على الوفد الذين حاجُّوه من أهل نجران ، بإخبار الله عزّ وجل عن أن عيسى كان بريئاً مما نسبه إليه مَن نسبه إلى غير الذى وصفَ به نفسه ، من أنه لله عبدٌ كسائر عبيده من أهل الأرض ، إلا ما كان الله جل ثناؤه خصَّه به من النبوة والحجج التى آتاه دليلاً على صدقه — كما آتى سائرَ المرسلين غيره من الأعلام والأدلة على صدقهم — وحُجةً على نبوته .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله عزوجل ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٥٢)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « فلما أحسّ عيسى منهم الكفر » ، فلما وَجد عيسى منهم الكفر .

* * *

(١) فى المطبوعة : « والحجة على نبوتهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة وهو الصواب وقوله : « وحجة على نبوته » معطوف على قوله : « دليلا على صدقه » ، والضمير لعيسى ، وما بين المعطوف والمعطوف عليه ، فصل .

« والإحساس » ، هو الوجود ، ومنه قول الله عز وجل : ﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ ﴾ [سورة مريم : ٩٨]

فأما « الحَسُّ » ، بغير « ألف » ، فهو الإفناء والقتل ، ومنه قوله : ﴿ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ ﴾ [سورة آل عمران : ١٥٢] .

« والحَسُّ » أيضاً العطف والرقة ، ومنه قول الكميت :

هَلْ مَنْ بَكَى الدَّارَ رَاجٍ أَنْ تَحِسَّ لَهُ ، أَوْ يُبْكِيَ الدَّارَ مَاءُ العَبْرَةِ الخَضِلُ؟[1]

يعني بقوله : « أن تحس له » ، أن ترقّ له .

* * *

فتأويل الكلام : فلما وَجد عيسى — من بني إسرائيل الذين أرسله الله إليهم — جحوداً لنبوّته ، وتكذيباً لقوله ، وصدًّا عما دعاهم إليه من أمر الله ، قال : « مَن أنصاري إلى الله »؟ ، يعني بذلك : قال عيسى : من أعواني على المكذبين بحجة الله ،[2] والمولّين عن دينه ، والجاحدين نبوة نبيه ، = « إلى الله » عز وجل ؟

* * *

ويعني بقوله : « إلى الله » ، مع الله .

وإنما حَسُن أن يقال : « إلى الله » ، بمعنى : مع الله ، لأن من شأن العرب إذا ضموا الشيء إلى غيره ، ثم أرادوا الخبر عنهما بضم أحدهما مع الآخر إذا ضم إليه ، جعلوا مكان « مع » ، « إلى » أحياناً ، وأحياناً تخبر عنهما بـ « مع » فتقول : « الذود إلى الذود إبل » ، بمعنى : إذا ضممتَ الذود إلى الذود صارت إبلا . فأما إذا كان الشيء مع الشيء لم يقولوه بـ « إلى » ، ولم يجعلوا مكان « مع » « إلى » .

---

(١) معاني القرآن للفراء ١ : ٢١٧ ، ومجالس ثعلب : ٤٨٦ ، وإصلاح المنطق : ٢٤٠ ، واللسان (حسس) . والخضل : المتتابع الدائم الكثير الهمول . يتعجب من الباكي على أطلال أحبابه ، وما يرجو منها : أترق له ، أم تبكي لبكائه ؟ يسفه ما يفعل . ثم انظر سائر ما قيل في هذا الحرف من اللغة في المراجع السالفة .

(٢) انظر تفسير « الأنصار » فيما سلف ٢ : ٤٨٩ / ٥ : ٥٨١

غيرُ جائز أن يقال : « قدم فلانٌ وإليه مالٌ » ، بمعنى : ومعه مال . (١)

* * *

وبمثل ما قلنا في تأويل قوله : « مَنْ أنصاري إلى الله » ، قال جماعة من أهل التأويل.

٣/١٩٨ * ذكر من قال ذلك :

٧١٢٠ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قوله : « من أنصاري إلى الله » ، يقول : مع الله . (٢)

٧١٢١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « من أنصاري إلى الله » ، يقول : مع الله .

* * *

وأما سبب استنصار عيسى عليه السلام من استنصر من الحواريين ، فإن بين أهل العلم فيه اختلافاً .

فقال بعضهم : كان سبب ذلك ما : –

٧١٢٢ – حدثني به موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : لما بعث الله عيسى فأمره بالدعوة ، نفتْه بنو إسرائيل وأخرجوه ، فخرج هو وأمُّه يسيحون في الأرض . فنزل في قرية على رجل فضافَهم وأحسن إليهم . وكان لتلك المدينة ملك جبارٌ معتدٍ ، فجاء ذلك الرجل يوماً وقد وقعَ عليه همٌّ وحزن ، فدخل منزله ومريم عند امرأته . فقالت مريم لها : ما شأن زوجك ؟ أراه حزيناً ! قالت : لا تسألي ! قالت : أخبريني ! لعل الله يُفرِّج كربته ! قالت : فإن لنا ملكاً يجعل على كلّ رجل منا يوماً يُطعمه هو وجنودَه

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٢٩٩ ، ثم انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٢١٨ ، وهذا مختصر مقالته .

(٢) الأثر : ٧١٢٠ – مضى هذا الإسناد قديماً برقم : ٢١٠٠ ، « محمد بن الحسين بن موسى ابن أبي حنين الكوفي » ، روى عن عبيد الله بن موسى ، وأحمد بن المفضل ، وأبي غسان مالك بن إسماعيل. وهو صدوق قاله ابن أبي حاتم في كتابه ٣/٢/٢٣٠ . و « أحمد بن المفضل القرشي الأموي » الكوفي الحفري. روى عن الثوري ، وأسباط بن نصر ، وإسرائيل . روى عنه أبو زرعة ، وأبو حاتم ، وغيرهما قال أبو حاتم : « كان صدوقاً ، وكان من رؤساء الشيعة » . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ١/١/٧٧ .

ويسقيهم من الخمر ، فإن لم يفعل عاقبه ، وإنه قد بلغت نَوبتُه اليوم الذى يريد أن نصنع له فيه ، وليس لذلك عندنا سعة ! قالت : فقولى له لا يهتم ، فإنى آمر ابنى فيدعُو له ، فيُكْفَى ذلك . قالت مريم لعيسى فى ذلك ، قال عيسى : يا أمَّهْ ، إنى إن فعلت كان فى ذلك شرٌّ . قالت : فلا تُبالِ ، فإنه قد أحسنَ إلينا وأكرمنا ! قال عيسى : فقولى له : إذا اقترب ذلك ، فاملأ قُدُورك وخوابيك ماء ، ثم أعلمنى .(١) قال : فلما ملأهنَّ أعلمه ، فدعا الله ، فتحوَّل ما فى القدُور لحماً ومَرَقاً وخبزاً ، وما فى الخوابى خمراً لم ير الناس مثله قطّ وإياه طعاماً .(٢) فلما جاء الملك أكل ، فلما شرب الخمرَ سأل : من أين هذه الخمر ؟ قال له : هى من أرض كذا وكذا . قال الملك : فإنَّ خمرى أوتَى بها من تلك الأرض ، فليس هى مثل هذه ! قال : هى من أرض أخرى . فلما خلَّط على الملك اشتدَّ عليه ، قال : فأنا أخبرك ، عندى غلام لا يسأل الله شيئاً إلاَّ أعطاه إياه ، وإنه دعا اللهَ فجعل الماءَ خمراً . قال الملك = وكان له ابنٌ يريد أن يستخلفه فمات قبل ذلك بأيام ، وكان أحب الخلق إليه = فقال : إن رجلا دعا الله حتى جعل الماء خمراً ، ليُستجابَنَّ له حتى يُحيَ ابنى ! فدعا عيسى فكلمه ، فسأله أن يدعو الله فيحيى ابنه ، فقال عيسى : لا تفعلْ ، إنه إن عاش كان شراً . فقال الملك : لا أبالى ، أليس أراه ؟ فلا أبالى .. كان . فقال عيسى عليه السلام : فإن أحييته تتركونى أنا وأمى نذهب أينما شئنا ؟ قال الملك : نعم . فدعا الله فعاش الغلام . فلما رآه أهل

---

(١) الخوابى جمع خابية : وهى الحب (بضم الحاء) ، والحب : جرة ضخمة يجعل فيها الماء والخمر وغيرهما .

(٢) هذه الكلمة « وإياه طعاماً » هكذا هى غير منقوطة فى المخطوطة ، وأما المطبوعة ، فإنها جعلتها « وإياه طعاماً » ، ولم أجد لها وجهاً أرتضيه . وقد رأيت كل من نقل خبر السدى قد أسقط هذه الكلمة من روايته ، فأسقطها الثعلبى فى قصص الأنبياء : ٣٤١ ، والبغوى فى تفسيره (بهامش ابن كثير) ٢ : ١٤٦ ، والدر المنثور ٢ : ٣٤ ، وغيرهم . وأنا أستبعد أن تكون زيادة من الناسخ ، وأقطع بأنها ثابتة فى أصل أبى جعفر ، ولكنى لم أجد لها وجهاً من وجوه التصحيف أحملها عليه ، ولكنها ولا شك تعنى : « وهيأ طعاماً » . وأرجو أن يوفق غيرى إلى معرفة صوابها ، وأسأل الله أن يوفقنى إلى مثله .

مملكته قد عاش ، تنادَوْا بالسلاح وقالوا : أكلنا هذا ، حتى إذا دنا موته يريد أن يستخلف ابنه ، فيأكلنا كما أكلنا أبوه ! ! فاقتتلوا ، وذهب عيسى وأمُّه ، وصحبهما يهودى . وكان مع اليهودى رغيفان ، ومع عيسى رغيف ، فقال له عيسى : شاركنى . فقال اليهودى : نعم . فلما رأى أنه ليس مع عيسى إلاّ رغيف ندم ، فلما ناما جعل اليهودىّ يريد أن يأكلَ الرغيف ، فلما أكل لقمة قال له عيسى : ما تصنع ؟ فيقول : لا شىء ! فيطرحها ، حتى فرغ من الرغيف كله . فلما أصبحا قال له عيسى : هلمَّ طعامك ! فجاء برغيف ، فقال له عيسى : أين الرغيف الآخر ؟ قال : ما كان معى إلاّ واحد . فسكت عنه عيسى ، فانطلقوا ، ١٩٩/٣ فمرّوا براعى غنم ، فنادى عيسى : يا صاحب الغنم ، أجزرْنا شاةً من غنمك .(١) قال : نعم ، أرسل صاحبك يأخذها . فأرسل عيسى اليهودىّ ، فجاء بالشاة فذبحوها وشوَوْها ، ثم قال لليهودى : كل ، ولا تكسِرنّ عظماً . فأكلا .(٢) فلما شبعوا ، قذفَ عيسى العظام فى الجلد ، ثم ضربها بعصاه وقال : قومى بإذن الله ! فقامت الشاة تَتغنُو ، فقال : يا صاحبَ الغنم ، خذ شاتك . فقال له الراعى : من أنتَ ؟ فقال : أنا عيسى بن مريم . قال : أنت الساحر ! وفرّ منه . قال : عيسى لليهودى : بالذى أحيى هذه الشاة بعدَ ما أكلناها ، كم كان معك رغيفاً ؟ فحلف ماكان معه إلاّ رغيف واحد ، فمرُّوا بصاحب بَقر ، فنادى عيسى فقال : يا صاحب البقر ، أجزرنا من بَقرك هذه عجلاً . قال : ابعث صاحبك يأخذه . قال : انطلق يا يهودىّ فجئْ به . فانطلق فجاءَ به . فذبحه وشواه وصاحبُ البقر ينظر ، فقال له عيسى : كُلْ ولا تكسِرَنّ عظماً . فلما فرغوا ، قذف العظام فى الجلد ثم ضربه بعصاه ، = وقال : قم بإذن الله . فقام وله خُوَارٌ ، قال : خُذ

---

(١) فى المخطوطة : « اجزر شاة » ، والصواب ما فى المطبوعة : أجزره شاة : أعطاه شاة تصلح للذبح . وسنأتى مرة أخرى على الصواب فى حديث البقرة الآتى ، فى المخطوطة .

(٢) خالف بين الضمائر ، فقال « فأكلا » يعنى عيسى وصاحبه ، ثم قال : « فلما شبعوا » ، يعنى عيسى وصاحبه وأمه مريم عليهما السلام . وهذا سياق لا بأس به فى مجاز العربية .

عجلك . قال : ومن أنت ؟ قال : أنا عيسى . قال : أنت السحّار ! ثم فر منه . قال اليهودى : يا عيسى أحييته بعد ما أكلناه ! قالَ عيسى : فبالذى أحيَى الشاة بعد ما أكلناها ، والعجلَ بعد ما أكلناه ، كم كان معك رغيفاً ؟ فحلف بالله ما كان معه إلا رغيف واحد . فانطلقا ، حتى نزلا قريةً ، فنزل اليهودى أعلاها وعيسى فى أسفلها ، وأخذ اليهودى عَصا مثل عصا عيسى وقال : أنا الآنَ أحيي الموتى ! وكان ملك تلك المدينة مريضاً شديد المرض، فانطلق اليهودى يُنادى : من يبتغى طبيباً ؟ حتى أتى ملك تلك القرية ، فأخبر بوجعه ، فقال : أدخلونى عليه فأنا أبرئه ، وإن رأيتموه قد مات فأنا أحييه . فقيل له : إن وجع الملك قد أعيَى الأطباء قبلك ، ليس من طبيب يُداويه ولا يُنِىء دواؤه شيئاً إلاّ أمر به فصلب .[1] قال : أدخلونى عليه ، فإنى سأبرئه . فأدخل عليه فأخذ برجل الملك فضربه بعصاه حتى مات ، فجعل يضربه بعصاه وهو ميت ويقول : قُم بإذن الله ! فأخذ ليُصْلب ، فبلغ عيسى ، فأقبل إليه وقد رفع على الخشبة ، فقال : أرأيتم إن أحييت لكم صاحبكم ، أتتركون لى صاحبى؟ قالوا : نعم . فأحيي اللهُ الملكَ لعيسى ، فقام وأنزل اليهودى فقال : يا عيسى أنتَ أعظم الناس علىّ منةً ، والله لا أفارقك أبداً . قال عيسى = فيما حدثنا به محمد بن الحسين بن موسى قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى= لليهودى : أنشُدك بالذى أحيي الشاة والعجلَ بعد ما أكلناهما ، وأحيي هذا بعد ما مات ، وأنزلك من الجِذْع بعد ما رُفعت عليه لتصلب ، كم كان معك رغيفاً ؟ قال : فحلف بهذا كله ما كان معه إلاّ رغيف واحد ، قال : لا بأس ! فانطلقا ، حتى مرّا على كنز قد حفرته السباع والدواب ، فقال اليهودى : يا عيسى ، لمن هذا المال ؟ قال عيسى : دعه ، فإنّ له أهلاً يهلكون عليه . فجعلت نفسُ اليهودى تَطلَّعُ

---

(١) أفا ينىء : رد وأرجع . يعنى : لا يرد عليه عافيته . وفى المخطوطة : « لا ينى » ، وهذا صواب قراءتها .

إلى المال ، ويكره أن يعصي عيسى ، فانطلق مع عيسى . ومرّ بالمال أربعة نَفر ، فلما رأوه اجتمعوا عليه ، فقال : اثنان لصاحبيهما : انطلقا فابتاعا لنا طعاماً وشراباً ودوابَّ نحملُ عليها هذا المال . فانطلق الرجلان فابتاعا دوابَّ وطعاماً وشراباً ، وقال أحدهما لصاحبه : هل لك أن نجعل لصاحبينا فى طعامهما سَمًّا ، فإذا أكلاماتا ، فكان المال بينى وبينك ؟ فقال الآخر : نعم ! ففعلاَ . وقال الآخران : إذا ما أتيانا بالطعام ، فليقم كل واحد إلى صاحبه فيقتله ، فيكون الطعامُ والدوابّ بينى وبينك . فلما جاءا بطعامهما قاما فقتلاهما ، ثم قعدا على الطعام فأكلامنه ، فماتا . وأعْلِم ذلك عيسى ،[1] فقال لليهودى : أخرجه حتى نقتسمه . فأخرجه ، فقسمه عيسى بين ثلاثة ، فقال اليهودى : يا عيسى ، اتق الله ولا تظلمنى ، فإنما هو أنا وأنت ! ! وما هذه الثلاثة ؟ قال له عيسى : هذا لى ، وهذا لك ، وهذا الثلث لصاحب الرغيف . قال اليهودى : فإن أخبرتك بصاحب الرغيف ، تعطينى هذا المال ؟ فقال عيسى : نعم . قال : أنا هو . قال عيسى : خذ حظى وحظَّك وحظَّ صاحب الرغيف ، فهو حظك من الدنيا والآخرة . فلما حمله مَشى به شيئاً ، فخُسِف به .[2] وانطلق عيسى بن مريم ، فمر بالحواريِّين وهم يصطادون السمك ، فقال : ما تصنعون؟ فقالوا : نصطاد السمك . فقال : أفلا تمشون حتى نصطادَ الناس ؟ قالوا : ومن أنت ؟ قال : أنا عيسى بن مريم . فآمنوا به وانطلقوا معه . فذلك قول الله عز وجل : «مَنْ أنصارى إلى الله قال الحواريون نحنُ أنصارُ الله آمنا بالله واشهدْ بأنا مسلمون».

٢٠٠/٣

---

(١) فى المطبوعة : «أعلم ذلك لعيسى» ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٢) قوله : «شيئاً» ، أى قليلا ، كقول سالم بن وابصة الأسدى :

غِنَى النَّفْسِ مَا يَكْفِيكَ مِنْ سَدِّ خَلَّةٍ ... فإن زادَ شيئاً ، عَادَ ذَاكَ الغِنَى فَقْرَا

وكقول عمر بن أبى ربيعة :

وقالت لَهُنَّ : أَرْبَعْنَ شيئاً ، لَعَلَّنِى ... وَإِن لَامَنِى فِيمَا أَرْتَأَيْتَ مُلِيمُ

وهذا من نوادر اللغة ، مما أغفلت بيانه المعاجم .

٧١٢٢ م – حدثنا محمد بن سنان قال، حدثنا أبو بكر الحنفى، عن عباد بن منصور ، عن الحسن فى قوله : « فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله » ، الآية قال : استنصر فنصرَه الحواريون ، وظهر عليهم .

* * *

وقال آخرون : كان سببُ استنصار عيسى من استنصرَ ، لأن من استنصرَ الحواريِّين عليه كانوا أرادُوا قتله .

* ذكر من قال ذلك :

٧١٢٣ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « فلما أحس عيسى منهم الكفر » ، قال : كفروا وأرادُوا قتله ، فذلك حين استنصر قومه = « قال من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصارُ الله » .

* * *

« والأنصار » ، جمع « نصير » ، [1] كما « الأشراف » جمع « شريف » ، « والأشهاد » جمع « شهيد » .

* * *

وأما « الحواريون » ، فإن أهل التأويل اختلفوا فى السبب الذى من أجله سموا « حواريين » .

فقال بعضهم : سموا بذلك لبياض ثيابهم .

* ذكر من قال ذلك :

٧١٢٤ – حدثنى محمد بن عبيد المحاربى قال: مما روى أبى قال ، حدثنا قيس بن الربيع ، عن ميسرة ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير قال : إنما سمُّوا « الحواريين » ، ببياض ثيابهم .

* * *

---

(١) انظر تفسير « الأنصار » فيما سلف قريباً : ٤٤٣ ، تعليق : ٢ . والمراجع هناك .

وقال آخرون : سموا بذلك : لأنهم كانوا قَصّارين يبيِّضون الثياب .

* ذكر من قال ذلك :

٧١٢٥ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن أبي أرطاة قال : « الحواريون » ، الغسالون الذين يحوّرون الثياب ، يغسلونها .

* * *

وقال آخرون : هم خاصّة الأنبياء وصفوتهم .

* ذكر من قال ذلك :

٧١٢٦ – حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن روح بن القاسم : أن قتادة ذكرَ رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال : كان من الحواريين . فقيل له : من الحواريُّون ؟ قال : الذين تصلح لهم الخلافة .

٧١٢٧ – حدثت عن المنجاب قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا بشر ، عن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك في قوله : « إذ قال الحواريون » ، قال : أصفياء الأنبياء .

* * *

قال أبو جعفر : وأشبه الأقوال التي ذكرنا في معنى « الحواريين » ، قولُ من قال : « سموا بذلك لبياض ثيابهم ، ولأنهم كانوا غسّالين » . ٢٠١/٣

وذلك أن « الحوَر » عند العرب شدة البياض، ولذلك سمي « الحُوَّارَى » من الطعام « حُوّارَى » لشدة بياضه ،[1] ومنه قيل للرجل الشديد بياض مقلة العينين « أحور » ، وللمرأة « حوراء » . وقد يجوز أن يكون حواريو عيسى كانوا سُمُّوا بالذي ذكرنا ، من تبييضهم الثيابَ ، وأنهم كانوا قصّارين ، فعرفوا بصحبة عيسى ، واختياره إياهم لنفسه أصحاباً وأنصاراً ، فجرى ذلك الاسم لهم ، واستُعمل

(١) الحوارى (بضم الحاء وتشديد الواو ، وراء مفتوحة) : هو ما حور من الطعام ، أى بيض ، ودقيق حوارى : هو الدقيق الأبيض ، وهو لباب الدقيق وأجوده وأخلصه .

حتى صار كل خاصّة للرجل من أصحابه وأنصاره : « حواريُّه »، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم .

* * *

٧١٢٨ – « إنّ لكلّ نبي حَواريًّا ، وَحوَاريَّ الزبير » .(١)

* * *

= يعني خاصته . وقد تسمى العرب النساء اللواتى مساكنهن القرَى والأمصار « حَوَاريَّات »، وإنما سمين بذلك لغلبة البياض عليهن، ومن ذلك قول أبي جَلْدة اليشكري :(٢)

فَقُلْ لِلْحَوَارِيَّاتِ يَبْكِينَ غَيْرَنَا وَلَا تَبْكِنَا إِلَّا الكِلَابُ النَّوَابِحُ(٣)

* * *

ويعني بقوله : « قال الحواريون » ، قال هؤلاء الذين صفتهم ما ذكرنا ، من تبييضهم الثياب : « آمنا بالله »، صدقنا بالله ، واشهد أنتَ يا عيسى بأننا مسلمون .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا خبرٌ من الله عز وجل أن الإسلامَ دينُه الذى ابتعثَ به

---

(١) الأثر : ٧١٢٨ – ذكره الطبرى بغير إسناد ، وهو من صحيح الحديث . أخرجه البخارى فى مواضع (الفتح ٦ : ٧/٣٩ : ٦٤ ، ٤١٢ /١٣ : ٢٠٣ ، ٢٠٤) ، وأخرجه مسلم فى صحيحه ١٥ : ١٨٨ . وكان فى المطبوعة : « إن لكل نبى حوارى » ، وصوابه ما أثبت . والرواية الأخرى بحذف : « إن » أى : « لكل نبى حوارى » .

(٢) هو أبو جلدة بن عبيد بن منقذ اليشكرى ، من شعراء الدولة الأموية ، كان من أخص الناس بالحجاج ، ثم فارقه وخرج مع ابن الأشعث ، وصار من أشد الناس تحريضاً على الحجاج . فلما قتل وأتى الحجاج برأسه ووضع بين يديه ، مكث ينظر إليه طويلا ثم قال : كم من سر أودعته هذا الرأس فلم يخرج منه حتى أتيت به مقطوعاً ! !

(٣) المؤتلف والمختلف للآمدى : ٧٩ ، والأغانى ١١ : ٣١١، والوحشيات : ٣٦ ، وحماسة ابن الشجرى : ٦٥ ، واللسان (حور) ، و بعده .

بَكَيْنَ إِلَيْنَا خَشْيَةً أَنْ تُبِيحَهَا رِمَاحُ النَّصَارَى والسُّيُوفُ الجوارحُ
بَكَيْنَ لِكَيْمَا يَمْنَعُوهُنَّ مِنْهُمُ وَتَأْبَى قُلُوبٌ أَضْمَرَتْهَا الجَوَانِحُ

يقولها تحريضاً وتحضيضاً على قتال أهل الشام .

عيسى والأنبياءَ قبله ، لا النصرانية ولا اليهوديةَ = وتبرئةٌ من الله لعيسى ممن انتحل النصرانية ودان بها ، كما برّأ إبراهيم من سائر الأديان غير الإسلام . وذلك احتجاجٌ من الله تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم على وفد نجران ، كما : —

٧١٢٩ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : « فلما أحسّ عيسى منهم الكفر » والعدوان[1] = « قال من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله » ، وهذا قولهم الذى أصابوا به الفضلَ من ربهم = « واشهد بأنا مسلمون » ، لا كما يقول هؤلاء الذين يحاجونك فيه — يعنى وفدَ نصارَى نجران .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ (٥٣)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله عز وجل عن الحواريين أنهم قالوا : « ربنا آمنا » ، أى : صدّقنا = « بما أنزلت » ، يعنى : بما أنزلتَ على نبيك عيسى من كتابك = « واتبعنا الرسول » ، يعنى بذلك : صرنا أتباع عيسى على دينك الذى ابتعثته به ، وأعوانه على الحق الذى أرسلتَه به إلى عبادك = وقوله : « فاكتبنا مع الشاهدين » ، يقول : فأثبت أسماءنا مع أسماء الذين شهدوا بالحق ، وأقرّوا لك بالتوحيد ، وصدّقوا رسلك ، واتبعوا أمرك ونهيك ، فاجعلنا فى عدادهم ومعهم فيما تكرمهم به من كرامتك ، وأحِلّنا محلهم ، ولا تجعلنا ممن كفر بك ، وصدّ عن سبيلك ، وخالف أمرك ونهيك .

---

(١) فى سيرة ابن هشام : « والعدوان عليه » .

(٢) الأثر : ٧١٢٩ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣٠ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها رقم : ٧١١٩.

يعرّف خلقه جل ثناؤه بذلك سبيلَ الذين رضى أقوالهم وأفعالهم ، ليحتذوا طريقهم ، ويتبعوا منهاجهم ، فيصلوا إلى مثل الذى وصلوا إليه من درجات كرامته = ويكذّب بذلك الذين انتحلوا من الملل غير الحنيفية المسلمة ، فى دعواهم على أنبياء الله أنهم كانوا على غيرها = ويحتجُّ به على الوفد الذين حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجران : بأنّ قِيلَ مَنْ رضى الله عنه من أتباع عيسى كان خلاف قِيلهم ، ومنهاجهم غير منهاجهم ، كما : — ٢٠٢/٣

٧١٣٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن جعفر بن الزبير : « ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين » ، أى : هكذا كان قولهم وإيمانهم .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾ (٥٤)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ومكر الذين كفروا من بنى إسرائيل ، وهم الذين ذكر الله أنّ عيسى أحسّ منهم الكفر .

* * *

وكان مكرهم الذى وصفهم الله به ، مُواطأة بعضهم بعضاً على الفتك بعيسى وقتْله . وذلك أن عيسى صلوات الله عليه ، بعد إخراج قومه إياه وأمّه من بين أظهُرِهم ، عاد إليهم ، فيما : —

٧١٣١ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : ثم إن عيسى سار بهم = يعنى : بالحواريين الذين كانوا

---

(١) الأثر : ٧١٣٠ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣٠ ، هو تتمة الآثار التى آخرها رقم : ٧١٢٩ .

يصطادون السمك ، فآمنوا به واتبعوه إذ دعاهم = حتى أتى بنى إسرائيل ليلاً ، فصاح فيهم ، فذلك قوله : ﴿ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ ﴾ الآية [سورة الصف : ١٤] .

* * *

وأما مكر الله بهم : فإنه — فيما ذكر السدى — إلقاؤه شبَه عيسى على بعض أتباعه حتى قتله الماكرون بعيسى ، وهم يحسبونه عيسى ، وقد رفع الله عز وجل عيسى قبل ذلك ، كما : —

٧١٣٢ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : ثم إن بنى إسرائيل حصروا عيسى وتسعةَ عشر رجلاً من الحواريين فى بيت، فقال عيسى لأصحابه : من يأخذ صورتى فيقتل وله الجنة ؟ فأخذها رجل منهم ، وصُعِد بعيسى إلى السماء ، فذلك قوله : « ومكرُوا ومكر الله والله خير الماكرين » . فلما خرج الحواريون أبصرُوهم تسعةَ عشر ، فأخبروهم أن عيسى قد صُعد به إلى السماء ، فجعلوا يعدّون القوم فيجدُونهم ينقصون رجلاً من العِدّة، ويرون صورةَ عيسى فيهم، فشكُّوا فيه . وعلى ذلك قتلوا الرجل وهم يُرَوْن أنه عيسى وصَلبوه ، فذلك قول الله عز وجل : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [سورة النساء : ١٥٧] .

* * *

وقد يحتمل أن يكون معنى « مكر الله بهم » ، استدراجُه إياهم ليبلغ الكتاب أجله ، كما قد بينا ذلك فى قوله الله : ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [سورة البقرة : ١٥] .(٢)

* * *

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٣٠١ — ٣٠٦.

القول فى تأويل قوله ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ومكر الله بالقوم الذين حاولوا قتلَ عيسى = مع كفرهم بالله ، وتكذيبهم عيسى فيما أتاهم به من عند ربهم = إذ قال الله جل ثناؤه : « إنى متوفيك » ، فـ «إذ» صلةٌ من قوله : « ومكر الله » ، يعنى : ومكر الله بهم حين قال الله لعيسى إنى متوفيك ورافعك إلىّ ، فتوفاه ورفعه إليه .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى معنى « الوفاة » التى ذكرها الله عز وجل فى هذه الآية .

فقال بعضهم : « هى وفاة نَوْم » ، وكان معنى الكلام على مذهبهم : إنى مُنيمك ورافعك فى نومك .

* ذكر من قال ذلك :

٧١٣٣ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « إنى متوفيك » ، قال : يعنى وفاةَ المنام ، رفعه الله فى منامه = قال الحسن : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهود : إن عيسَى لم يمتْ ، وإنه راجعٌ إليكم قبل يوم القيامة .(١)

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : إنى قابضك من الأرض ، فرافعك إلىّ . قالوا : ومعنى « الوفاة » ، القبض ، كما يقال : « توفَّيت من فلان مالى عليه » ، ٢٠٣/٣
بمعنى : قبضته واستوفيته . قالوا : فمعنى قوله : « إنى متوفيك ورافعك » ، أى : قابضك من

(١) الأثر : ٧١٣٣ – هو أثر مرسل ، خرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٣٦ ، ونسبه لابن جرير وابن أبى حاتم ، وساقه ابن كثير فى تفسيره ٢ : ١٥٠ بإسناد ابن أبى حاتم .

الأرض حيًّا إلى جوارى ، وآخذُك إلى ما عندى بغير موت ، ورافعُك من بين المشركين وأهل الكفر بك .

* ذكر من قال ذلك :

٧١٣٤ – حدثنا على بن سهل قال، حدثنا ضمرة بن ربيعة ، عن ابن شوذب ، عن مطر الورّاق فى قول الله : « إنى متوفيك » ، قال : متوفيك من الدنيا ، وليس بوفاة موت .(١)

٧١٣٥ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الحسن فى قوله : « إنى متوفيك » ، قال : متوفيك من الأرض .

٧١٣٦ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « إنى متوفيك ورافعك إلىّ ومطهرك من الذين كفروا » ، قال : فرفعه إياه إليه، توفّيه إياه ، وتطهيره من الذين كفروا .

٧١٣٧ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح : أن كعب الأحبار قال : ما كان الله عز وجل ليميت عيسى ابن مريم ، إنما بعثه الله داعياً ومبشراً يدعو إليه وحده ، فلما رأى عيسى قلة من اتبعه وكثرة من كذّبه ، شكا ذلك إلى الله عز وجل ، فأوحى الله إليه : « إنى متوفيك ورافعك إلىّ » ، وليس منْ رفعته عندى ميتاً ، وإنى سأبعثك على الأعورّ الدجّال فتقتله ، ثم تعيش بعد ذلك أربعاً وعشرين سنة ، ثم أميتك ميتة الحىّ . قال كعب الأحبار : وذلك يصدّق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث

---

(١) الأثر : ٧١٣٤ – « على بن سهل الرملى » ، ثقة . مضت ترجمته رقم : ١٣٨٤ . « ضمرة ابن ربيعة الفلسطينى الرملى » ، قال ابن سعد : « كان ثقة مأموناً خيراً ، لم يكن هناك أفضل منه » . وقال آدم بن أبى إياس : « ما رأيت أحداً أعقل لما يخرج من رأسه منه » . وهو رواية ابن شوذب . مترجم فى التهذيب . « ابن شوذب » هو : عبد الله بن شوذب الخراسانى . ثقة . مترجم فى التهذيب. و « مطر الوراق » هو : مطر بن طهمان الوراق . مضى فى رقم : ١٩١٣ .

قال : كيف تهلك أمة أنا فى أوّلها ، وعيسى فى آخرها .(١)

٧١٣٨ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : « يا عيسى إنى متوفيك » ، أى : قابضُك .

٧١٣٩ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « إنى متوفيك ورافعك إلىّ » ، قال : « متوفيك » : قابضك = قال : « ومتوفيك » و« رافعك » ، واحدٌ = قال : ولم يمت بعدُ ، حتى يقتل الدجالَ ، وسيموتُ . وقرأ قول الله عز وجل : « ويكلم الناس فى المهد وكهلا » ، قال : رفعه الله إليه قبل أن يكون كهلا = قال : وينزل كهلا .

٧١٤٠ – حدثنا محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد ، عن الحسن فى قول الله عز وجل : « يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلى » ، الآية كلها ، قال : رفعه الله إليه ، فهو عنده فى السماء .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : إنى متوفيك وفاةَ موتٍ .

* ذكر من قال ذلك :

٧١٤١ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « إنى متوفيك » ، يقول : إنى مميتك .

٧١٤٢ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عمن لا يتهم ، عن وهب بن منبه اليمانى أنه قال : توفى الله عيسى بن مريم ثلاثَ ساعات من النهار حتى رفعه إليه .

---

(١) الأثر : ٧١٣٧ – خرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٣٦ ، ونسبه للطبرى وحده ، وقال : « وأخرج ابن جرير بسند صحيح » ، وذكر الأثر ، وحديثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث مرسل ، ومهما كان سنده صحيحاً ، فإن روايته كعب الأحبار إنما هى لا شىء ، ولا يحتج بها . وصدق معاوية فى قوله فى كعب الأحبار : « إن كان لمن أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب ، وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب » ، رواه البخارى .

٧١٤٣ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال : والنصارى يزعمون أنه توفاه سبع ساعات من النهار ، ثم أحياهُ الله .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك . إذ قال الله يا عيسى إنى رافعك إلىّ ومطهِّرك من الذين كفروا ، ومتوفيك بعد إنزالى إياك إلى الدنيا . وقال : هذا من المقدم الذى معناه التأخير ، والمؤخر الذى معناه التقديم .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا، قولُ من قال : « معنى ذلك : إنى قابضك من الأرض ورافعك إلىّ » ، لتواتر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ينزل عيسى بن مريم فيقتل الدجال، ثم يمكث فى الأرض مدة ذكرَها ، اختلفت الرواية فى مبلغها ، ثم يموت فيصلى عليه المسلمون ويدفنونه . ٢٠٤/٣

٧١٤٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن مسلم الزهرى، عن حنظلة بن على الأسلمى ، عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ليهبطنّ اللهُ عيسى بن مريم حَكَماً عدلاً وإماماً مُقسِطاً ، يكسر الصَّليب ، ويقتل الخنزير ، ويضَعُ الجزية ، ويُفيضُ المالَ حتى لا يجد من يأخذه ، وليسلكنّ الرَّوْحاء حاجاً أو معتمراً، أو ليُثَنِّيَنَّ بهما جميعاً . (١)

---

(١) الحديث : ٧١٤٤ – سلمة : هو ابن الفضل الأبرش . رجحنا توثيقه فى : ٢٤٦ .
حنظلة بن على بن الأسقع الأسلمى – ويقال « السلمى » – : تابعى ثقة معروف .
والحديث رواه أحمد فى المسند : ٧٨٩٠ (ج ٢ ص ٢٩٠ – ٢٩١ حلبى) ، بنحوه ، مطولا ، عن يزيد ، وهو ابن هرون ، عن سفيان ، وهو ابن حسين ، عن الزهرى ، عن حنظلة .
ورواه أحمد قبل ذلك ، مختصراً : ٧٢٧١ ، عن سفيان ، وهو ابن عيينة . و : ٧٦٦٧ ، عن عبد الرزاق ، عن معمر – كلاهما عن الزهرى ، عن حنظلة .
ورواه أيضاً مختصراً : ١٠٦٧١ (ج ٢ ص ٥١٣) ، من طريق ابن أبى حفصة . و : ١٠٩٨٧ (ج ٢ ص ٥٤٠) ، من طريق الأوزاعى – كلاهما عن الزهرى ، عن حنظلة .

٧١٤٥ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن الحسن ابن دينار ، عن قتادة ، عن عبد الرحمن بن آدم ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الأنبياء إخوَةٌ لعَلاّتٍ ، أمّهاتهم شتى ودينهم واحد . وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم، لأنه لم يكن بيني وبينه نبي ، وأنه خليفتي على أمتي . وإنه نازل ، فإذا رأيتموه فاعرفوه : فإنه رجل مربوع الخلق، إلى الحمرة والبياض ، سَبط الشعر ، كأن شعرَه يقطُر، وإن لم يصبه بَلل ، بين مُمصَّرَتين ، يدق الصّليبَ ، ويقتل الخنزير ، ويُفيضُ المال ، ويقاتل الناس على الإسلام حتى يهلك الله في زمانه المِللَ كلها ، ويهلك الله في زمانه مسيحَ الضّلالة الكذّاب الدجال ، وتقعُ في الأرض الأمَنَةُ حتى ترتع الأسُود مع الإبل ، والنمر مع البقر ، والذئاب مع الغنم ، وتلعب الغلمانُ بالحيات ، لا يَضرُّ بعضُهم بعضاً ؛ فيثبت في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ، ويصلي المسلمون عليه ويدفنونه . (١)

* * *

وهذه الرواية المختصرة عند أحمد – رواها مسلم ١ : ٣٥٦ – ٣٥٧ .

وروى أحمد معنى هذا الحديث مفرقاً في أحاديث ، من طرق عن أبي هريرة . انظر المسند : ٧٢٦٧ ، ٧٦٦٥ ، ٧٦٦٦ ، ٩١١٠ (ج ٢ ص ٣٩٤) ، ٩٣١٢ (ص ٤١١) ، ١٠٢٦٦ (ص ٤٨٢ – ٤٨٣) ، ١٠٤٠٩ (ص ٤٩٣ – ٤٩٤) ، ١٠٩٥٧ (ص ٥٣٨) .

وذكر ابن كثير كثيراً من طرقه ورواياته ، في التفسير ٣ : ١٥ – ١٦ . وانظر أيضاً تاريخه ٢ : ٩٦ – ١٠١

قوله : « أو ليثنين بهما » – هذا هو الصواب الثابت في المخطوطة ، والصحيح المعنى . ووقع في المطبوعة « أو يدين بهما » ! ! وهو تخليط لا معنى له .

(١) الحديث : ٧١٤٥ – إسناده ضعيف جداً . وأصل الحديث صحيح ، كما سيأتي .

الحسن بن دينار البصري : كذاب لا يوثق به . وقد مضت ترجمته في : ٦٨٢ .

عبد الرحمن بن آدم البصري ، صاحب السقاية ، مولى أم برثن : تابعي ثقة . ذكره ابن حبان في الثقات، وأخرج له مسلم في صحيحه . وترجمنا له في شرح المسند : ٧٢١٣ .

والحديث سيأتي بإسناد آخر صحيح : من رواية سعيد – وهو ابن أبي عروبة – عن قتادة بهذا الإسناد نحوه (ج ٦ ص ١٦ بولاق) .

وقد رواه أحمد في المسند : ٩٢٥٩ (ج ٢ ص ٤٠٦ حلبي) ، عن عفان ، عن همام ، عن قتادة ، به نحوه .

قال أبو جعفر : ومعلوم أنه لو كان قد أماته الله عز وجل ، لم يكن بالذى يميته ميتةً أخرى ، فيجمع عليه ميتتين ، لأن الله عز وجل إنما أخبر عباده أنه يخلقهم ثم يميتهم ثم يحييهم ، كما قال جلّ ثناؤه : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [سورة الروم : ٤٠] .

* * *

وكذلك رواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٥٩٥ ، من طريق عفان . وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبى .

وذكر ابن كثير فى التفسير ٣ : ١٦ ، من رواية أحمد عن عفان . ثم أشار إلى أن أبا داود رواه من طريق همام ، ثم أشار إلى رواية الطبرى الآتية ، من طريق ابن أبى عروبة .

ورواه أحمد أيضاً : ٩٦٣٠ (ج ٢ ص ٤٣٧) ، من طريق سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة ، به نحوه .

ثم رواه : ٩٦٣١ ، من طريق هشام ، و : ٩٦٣٢ ، من طريق شيبان — كلاهما عن قتادة . ولم يذكر لفظه .

ونقله ابن كثير فى التاريخ ٢ : ٩٨ — ٩٩ ، عن رواية ابن أبى عروبة فى المسند ، وأشار إلى روايتى أحمد وأبى داود من طريق همام .

وليس فى هذه الروايات ولا فى رواية الطبرى الآتية — : الكلمة التى هنا فى رواية الحسن بن دينار : « وإنه خليفتى على أمتى » . وهى عندنا كلمة شاذة ، انفرد بروايتها رجل غير موثوق به .

وصدر هذا الحديث رواه أحمد ، والبخارى ، وابن حبان ، من أوجه ، عن أبى هريرة . انظر تفسير ابن كثير ٣ : ١٦ ، وتاريخه ٢ : ٩٨ — ٩٩ .

قوله : « إخوة لعلات » — بفتح العين المهملة وتشديد اللام — قال ابن الأثير : « أولاد العلات : الذين أمهاتهم مختلفة وأبوهم واحد . أراد أن إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة » .

قوله : « وإنه نازل » — لنزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان : مما لم يختلف فيه المسلمون ، لورود الأخبار المتواترة الصحاح عن النبى صلى الله عليه وسلم بذلك . وقد ذكر ابن كثير فى تفسير طائفة طيبة منها ، ج ٣ ص ١٥ — ٢٤ . وذا معلوم من الدين بالضرورة ، لا يؤمن من أنكره .

قوله : « مربوع الخلق » — بفتح الخاء وسكون اللام — المربوع : هو بين الطويل والقصير . يقال : رجل ربعة ومربوع .

« الشعر السبط » : المنبسط المسترسل .

قوله « بين ممصرتين » — الممصرة من الثياب ، بتشديد الصاد المهملة المفتوحة : هى التى فيها صفرة خفيفة .

فتأويل الآية إذاً : قال الله لعيسى : يا عيسى ، إنى قابضك من الأرض ، ورافعك إلىّ ، ومطهرك من الذين كفروا فجحدوا نبوّتك .

* * *

وهذا الخبر ، وإن كان مخرجه مخرجَ خبر ، فإن فيه من الله عز وجل احتجاجاً على الذين حاجُّوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى عيسى من وفد نجرانَ بأن عيسى لم يُقتَل ولم يُصلَب كما زعموا، وأنهم واليهودَ الذين أقرُّوا بذلك وادَّعوا على عيسى – كذَبةٌ فى دعواهم وزعمهم ، كما : –

٧١٤٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق، عن محمد ابن جعفر بن الزبير : ثم أخبرهم– يعنى الوفد من نجران – وردّ عليهم فيما أقرُّوا لليهود بصلبه ،(١) كيفَ رفعه وطهره منهم ، فقال : « إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلىّ » . (٢)

* * *

وأما « مطهِّرك من الذين كفروا » ، فإنه يعنى : منظّفك، فمخلّصك ممن كفر بك ، وجحد ما جئتهم به من الحق من اليهود وسائر الملل غيرها ، كما : –

٧١٤٧ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن جعفر بن الزبير : « ومطهرك من الذين كفروا » ، قال : إذْ همُّوا منك بما همّوا . (٣)

٧١٤٨ – حدثنى محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد ، ٢٠٥/٣

---

(١) فى المطبوعة : « فيما أخبروا هم واليهود بصلبه » ، وما أثبته هو نص المخطوطة ولكن الناسخ أساء كعادته فكتب « أحروا لليهود » كأنها حاء ، فبدل الناشر لما شاء كما شاء . ومع ذلك، فالذى فى المخطوطة هو نص ابن هشام أيضاً على الصواب .

(٢) الأثر : ٧١٤٦ – سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣١ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها رقم : ٧١٣٠ .

(٣) الأثر : ٧١٤٧ – سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣١ ، تتمة الأثر السالف رقم : ٧١٤٦ .

عن الحسن فى قوله : « ومطهرك من الذين كفروا » ، قال : طهّره من اليهود والنصارى والمجوس ومن كفار قومه .

* * *

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وجاعل الذين اتبعوك على منهاجك وملّتك من الإسلام وفطرته، فوق الذين جحدوا نبوّتك وخالفوا سبيلهم [من] جميع أهل الملل ،(١) فكذّبوا بما جئت به وصدّوا عن الإقرار به ، فصيّرهم فوقهم ظاهرين عليهم ، كما : —

٧١٤٩ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة فى قوله : « وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة » ، هم أهلُ الإسلام الذين اتبعوه على فطرته وملته وسُنته ، فلا يزالون ظاهرين على من ناوأهم إلى يوم القيامة .

٧١٥٠ — حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه، عن الربيع فى قوله : « وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة»، ثم ذكر نحوه .

٧١٥١ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن

---

(١) فى المطبوعة : « وخالفوا بسبيلهم جميع أهل الملل »، وفى المخطوطة : « وخالفوا سبيلهم جميع وهل الملل » ، والصواب زيادة [من] ، يعنى : وخالفوا سبيل الذين اتبعوك ، من جميع أهل الملل . أهو صواب المعنى ، إن شاء الله .

ابن جريج : « وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة » ، ثم ذكر نحوه .

٧١٥٢ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة » ، قال : ناصرُ من اتبعك على الإسلام ، على الذين كفروا إلى يوم القيامة .

٧١٥٣ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة » ، أما « الذين اتبعوك » ، فيقال : هم المؤمنون ، = ويقال : بل هم الرّوم . (١)

٧١٥٤ – حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد ، عن الحسن : « وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة » ، قال : جعل الذين اتبعوه فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة . قال : المسلمون من فوقهم ، وجعلهم أعلى ممن ترك الإسلام إلى يوم القيامة .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : وجاعل الذين اتبعوك من النصارى فوق اليهود .

* ذكر من قال ذلك :

٧١٥٥ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قول الله : « ومطهرك من الذين كفروا » ، قال : الذين كفروا من بنى إسرائيل = « وجاعل الذين اتبعوك » ، قال : الذين آمنوا به من بنى إسرائيل وغيرهم = « فوق الذين كفروا » ، النصارى فوقَ اليهود إلى يوم القيامة . قال : فليس بلدٌ فيه أحدٌ من النصارى ، إلاّ وهم فوق يهودَ ، فى شرقٍ ولا غرب ، هم فى البلدان كلّها مستذلون .

* * *

(١) فى المطبوعة : « فيقال هم المؤمنون ، ليس هم الروم » بدل ما فى المخطوطة ، والروم كانوا هم النصارى يومئذ ، ويعنى بالمؤمنين فيما سلف ، أهل الإسلام ممن لم يبدل ولم يقل فى عيسى ما قالت النصارى بعد .

القول فى تأويل قوله ﴿ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (٥٥)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « ثم إلىّ » ، ثم إلى الله ، أيها المختلفون فى عيسى = « مرجعكم » ، يعنى : مصيركم يوم القيامة = « فأحكم بينكم » ، يقول : فأقضى حينئذ بين جميعكم فى أمر عيسى بالحق = « فيما كنتم فيه تختلفون » من أمره .

وهذا من الكلام الذى صُرف من الخبر عن الغائب إلى المخاطبة ، وذلك أن قوله : « ثم إلىّ مرجعكم » ، إنما قُصد به الخبرُ عن متّبعى عيسى والكافرين به . وتأويل الكلام : وجاعلُ الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ، ثم إلىّ مرجعُ الفريقين : الذين اتبعوك ، والذين كفروا بك ، فأحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون . ولكن ردّ الكلام إلى الخطاب لسبوق القول ،[1] على سبيل ما ذكرنا من الكلام الذى يخرج على وجه الحكاية ، كما قال : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ [سورة يونس : ٢٢] .[2]

٢٠٦/٣

* * *

(١) فى المطبوعة : « لسوق القول » وهو خطأ لا معنى له . وفى المخطوطة « لسوق » غير منقوطة ، فلم يحسن قراءتها . والطبرى يكثر استعمال « سبوق » مصدر « سبق » ، كما أشرت إليه فى ٤ : ٢٨٧ ، تعليق : ٤/ ثم ص : ٤٢٧ ، تعليق : ١/ ثم ص : ٤٤٦ ، تعليق : ٤ ، وغيره من المواضع . ويعنى بقوله : « لسبوق القول » مثل ما مضى من قوله فى ١ : ١٥٣ أن من شأن العرب « إذا حكت ، أو أمرت بحكاية خبر يتلو القول ، أن تخاطب ثم تخبر عن غائب ، وتخبر عن غائب ثم تعود إلى الخطاب ، لما فى الحكاية بالقول من معنى الغائب والمخاطب » . والقول هنا هو قوله تعالى : « إذ قال الله يا عيسى . . . » . ومعنى ما قال الطبرى ، أن قوله تعالى : « ثم إلى مرجعكم . . . » إنما هو فى أمر الذين اختلفوا فى أمر عيسى ، وقالوا فيه ما قالوا من اليهود والنصارى وغيرهم ، وأمر الذين قالوا فيه الحق ولم يمتروا فيه أنه عبد الله ورسوله . وذلك بعد أن كان الخطاب إلى عيسى نفسه ، وكان ذكر الذين اتبعوه والذين كفروا به ، غائباً فى خطاب عيسى ، فرد الخطاب إليهم فى آخر الآية .

(٢) انظر ما سلف ١ : ١٥٣ ، ٣/١٥٤ : ٣٠٤ ، ٣٠٥ .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ ، وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ﴿٥٧﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « فأما الذين كفروا » ، فأما الذين جحدوا نبوّتك يا عيسى ، وخالفوا ملتك ، وكذّبوا بما جئتهم به من الحق ، وقالوا فيك الباطلَ ، وأضافوك إلى غير الذى ينبغى أن يُضيفوك إليه ، من اليهود والنصارى وسائر أصناف الأديان ، فإنى أعذبهم عذاباً شديداً ، أما فى الدنيا فبالقتل والسباء والذلة والمسكنة ، وأما فى الآخرة فبنار جهنم خالدين فيها أبداً = «وما لهم من ناصرين» ، يقول : وما لهم من عذاب الله مانعٌ ، ولا عن أليم عقابه لهم دافع بقوة ولا شفاعة ، لأنه العزيز ذُو الانتقام .

* * *

وأما قوله : « وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات » ، فإنه يعنى تعالى ذكره : وأما الذين آمنوا بك يا عيسى — يقول : صدّقوك — فأقروا بنبوتك وبما جئتهم به من الحقّ من عندى ، ودانوا بالإسلام الذى بعثتك به ، وعملوا بما فرضتُ من فرائضى على لسانك ، وشرعتُ من شرائعى ، وسننتُ من سننى ، كما : —

٧١٥٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « وعملوا الصالحات » ، يقول : أدوا فرائضى .

* * *

= « فيوفيهم أجورَهم » ، يقول : فيعطيهم جزاءَ أعمالهم الصالحة كاملا ، لا يُبخسون منه شيئاً ولا يُنقصونه .

* * *

وأما قوله : « والله لا يحب الظالمين » ، فإنه يعني : والله لا يحبُّ من ظلم غيرَه حقاً له ، أو وضع شيئاً في غير موضعه .

فنفى جل ثناؤه عن نفسه بذلك أن يظلم عبادَه ، فيجازي المسيءَ ممن كفر جزاءَ المحسنين ممن آمن به ، أو يجازي المحسنَ ممن آمن به واتبعَ أمره وانتهى عما نهاه عنه فأطاعه ، جزاءَ المسيئين ممن كفر به وكذّب رسله وخالف أمره ونهيه . فقال : إني لا أحبّ الظالمين ، فكيف أظلم خلقي ؟

* * *

وهذا القول من الله تعالى ذكره ، وإن كان خرج مخرج الخبر ، فإنه وعيدٌ منه للكافرين به وبرسله ، (١) ووعد منه للمؤمنين به وبرسله ، (٢) لأنه أعلم الفريقين جميعاً أنه لا يبخسُ هذا المؤمن حقه ، ولا يظلمُ كرامته فيضعها فيمن كفر به وخالف أمره ونهيه ، فيكون لها بوضعها في غير أهلها ظالماً .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْأَيَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ (٥٨)

قال أبو جعفر : يعني بقوله جل ثناؤه : « ذلك » ، هذه الأنباءَ التي أنبأ بها نبيه عن عيسى وأمّه مريم ، وأمّها حَنّة وزكريا وابنه يحيى ، وما قصّ من أمر الحواريين واليهودَ من بني إسرائيل = « نتلوها عليك » ، يا محمد ، يقول : نقرؤها عليك يا محمد على لسان جبريل صلى الله عليه وسلم ، (٣) بوحيناها إليك = « من

---

(١) في المطبوعة : « كأنه وعيد منه » ، وهو خطأ بين ، لم يحسن قراءة المخطوطة لسوء خط الناسخ .

(٢) في المخطوطة : « ووعيد منه للمؤمنين » ، وهو خطأ بين ، والصواب ما في المطبوعة .

(٣) انظر معنى « التلاوة » فيما سلف ٢ : ٤١١ ، ٥٦٩ .

الآيات »، يقول : من العبر والحجج على من حاجَّك من وفد نصارى نجران ، [١] ويهود بنى إسرائيل الذين كذَّبوك وكذبوا ما جئتهم به من الحق من عندى = « والذكر » ، يعنى : والقرآن [٢] = « الحكيم » ، يعنى : ذى الحكمة الفاصلة بين الحقّ والباطل ، [٣] وبينك وبين ناسبى المسيح إلى غير نسبه ، كما : — ٢٠٧/٣

٧١٥٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن جعفر بن الزبير : « ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم » ، القاطع الفاصل الحقّ ، الذى لم يخلطه الباطل من الخبر عن عيسى وعما اختلفوا فيه من أمره ، فلا تقبلنّ خبراً غيره . [٤]

٧١٥٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك : « ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم » ، قال : القرآن .

٧١٥٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ابن صالح ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « والذكر » ، يقول : القرآن = « الحكيم » الذى قد كمَل فى حكمته .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (٥٩)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه : إن شبه عيسى فى خلقى إياه من غير فحل = فأخبرْ به ، يا محمد ، الوفدَ من نصارى نجران = عندى ، كشبه آدمَ الذى

---

(١) انظر معنى « الآيات » ، فيما سلف قريباً ، ومادة (أبى) من فهارس اللغة .

(٢) انظر تفسير « الذكر » فيما سلف ١ : ٩٤ ، ٩٩ .

(٣) انظر تفسير « الحكيم » فيما سلف ، فى مادة (حكم) من فهارس اللغة .

(٤) الأثر : ٧١٥٧ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣١ ، وهو من تتمة الآثار التى آخرها رقم : ٧١٤٧ ، وكان فى المطبوعة : « فلا يقبلن » بالياء ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبت .

خلقتُه من تراب ثم قلت له : « كن » ، فكان من غير فحل ولا ذكر ولا أنثى . يقول : فليس خلق عيسى من أمه من غير فحل ، بأعجب من خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى ، وأمرى إذ أمرته أن يكون فكان لحماً . يقول : فكذلك خلق عيسى : أمرتُه أن يكون فكانَ . (١)

* * *

وذكر أهل التأويل أن الله عز وجل أنزل هذه الآية احتجاجاً لنبيه صلى الله عليه وسلم على الوفد من نصارى نجران الذين حاجُّوه فى عيسىٰ .

* ذكر من قال ذلك :

٧١٦٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن عامر قال : كان أهل نجران أعظم قوم من النصارى فى عيسى قولاً ، فكانوا يجادلون النبى صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية فى سورة آل عمران : « إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » ، إلى قوله « فنجعل لعنةَ الله على الكاذبين » .

٧١٦١ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » ، وذلك أن رهطاً من أهل نجران قدموا على محمد صلى الله عليه وسلم = وكان فيهم السيّد والعاقِب = فقالوا لمحمد : ما شأنك تذكر صاحبنا ؟ فقال : من هو ؟ قالوا : عيسَى ، تزعم أنه عبدُ الله ! فقال محمد :

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « بأعجب من خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى (فكان لحماً يقول) ، وأمرى إذ أمرته أن يكون فكان . فكذلك خلق عيسى . . . » وهى عبارة مضطربة اضطراباً فاسداً جداً ، وذلك أن الناسخ عجل نظره وهو ينسخ فكتب ما وضعته بين القوسين آنفاً فى هذا المكان ثم استمر يكتب ، ثم نسى أن يضرب على هذا الكلام ويعيده إلى مكانه فإن قوله : « وأمرى إذ أمرته » معطوف على قوله « بأعجب من خلق آدم » ، وغير ممكن أن يفصل بينهما بمثل قوله : « فكان لحماً يقول » ، واستظهرت أن مكانها حيث أثبت فى آخر الجملة ، فرددتها إلى مكانها ، فاستقام الكلام إن شاء الله .

أجل ، إنه عبد الله . قالوا له : فهل رأيت مثلَ عيسى ، أو أنبئت به ؟ ثم خرجوا من عنده ، فجاءه جبريل صلى الله عليه وسلم بأمر ربِّنا السميع العليم فقال : قل لهم إذا أتوك : « إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم » ، إلى آخر الآية .

٧١٦٢ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » ، ذكر لنا أنّ سيِّدَيْ أهل نجران وأسقُفَيْهم : السيد والعاقبُ ، لقيا نبيّ الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن عيسى فقالا : كل آدمى له أب ، فما شأن عيسى لا أب له ؟ فأنزل الله عز وجل فيه هذه الآية : « إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » .

٧١٦٣ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « إن مَثَلَ عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب » ، لما بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع به أهل نجران ، أتاه منهم أربعة نفر من خيارهم . منهم : العاقب، والسيد، وما سَرجس، ومار يحز.[1] فسألوه ما يقول ٢٠٨/٣

---

(١) هكذا جاء الاسمان فى المخطوطة والمطبوعة، أما « ماسرجس » فالمشهور « مَارَ سَرْجِسَ » ، وهكذا رأيته فى أشعارهم كقول جرير للأخطل :

قال الأُخَيْطِلُ إِذْ رَأَى رَايَاتِهِمْ ... يَا مَارَ سَرْجِسَ لا نُرِيدُ قِتَالَا

ويقولون فيه أيضاً : « مارسرجيس » بالياء ، كما قال الأخطل :

لَمَّا رَأَوْنَا وَالصَّلِيبَ طَالِعَا ... وَمَارَ سَرْجِيسَ وسمًّا ناقِعَا

وهذا الذى ذكره جرير والأخطل رجل مشهور من قديسيهم . وأما « ماريحز » ، فلم أعرف ضبطه وأظنه غير صحيح ، وكأنه مصحف ، وقد جاء فى الدر المنثور ٢ : ٣٧ « مار بحر » ، وقد ذكر ابن هشام فى سيرته ٢ : ٢٢٤ ، أسماء الأربعة عشر الذين يؤول إليهم وفد نصارى نجران . فلم أجد فيها « مارسرجس » ، ولا « مار يحز » ، وأخشى أن يكون « ماريحنس » فقد ذكر فيهم « يحنس » ، ولكنه رجم لا أحققه .

فى عيسى ، فقال : هو عبد الله ورُوحهُ وكلمته . قالوا هم : لا ! ولكنه هو الله ، نزل من ملكه فدَخل فى جوف مريم ، ثم خرج منها فأرانا قدرته وأمرَه ! فهل رأيتَ قط إنساناً خُلق من غير أب ؟ فأنزل الله عز وجل : « إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » .

٧١٦٤ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة قوله : «إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » ، قال : نزلت فى العاقب والسيد من أهل نجران ، وهما نصرانيان .= قال ابن جريج : بلغنا أنّ نصارى أهل نجران قدم وفدُهم على النبى صلى الله عليه وسلم ، فيهم السيد والعاقبُ ، وهما يومئذ سيدا أهل نجران ، فقالوا : يا محمد ، فيم تشتمُ صاحبنا ؟ قال : من صاحبكما ! قالا : عيسى بن مريم ، تزعم أنه عبد ! قال رسول الله صلى الله عليه : أجل ، إنه عبدُ الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه . فغضبوا وقالوا : إن كنت صادقاً فأرنا عبداً يحيي الموتى ، ويبرئ الأكمه ، ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه ، الآية ، لكنه الله . فسكتَ حتى أتاه جبريلُ فقال : يا محمد : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ [سورة المائدة : ١٧ ، ٧٢] الآية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا جبريل ، إنهم سألونى أن أخبرَهم بمثَل عيسى . قال جبريل : مثلُ عيسى كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له : كُن فيكون . فلما أصبحوا عادُوا ، فقرأ عليهم الآيات .

٧١٦٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن جعفر بن الزبير : « إن مثل عيسى عند الله » ، فاسمع ،[1] « كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين » ، فإن قالوا :

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « فاسمع » ، وفى سيرة ابن هشام : « فاستمع » .

خُلق عيسى من غير ذكر ، فقد خلقت آدمَ من تراب بتلك القدرة من غير أنثى ولا ذكر ، فكان كما كانَ عيسى لحماً ودماً وشعراً وَبشراً ، فليس خلقُ عيسى من غير ذكر بأعجبَ من هذا .(١)

٧١٦٦ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قول الله عز وجل : « إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب » ، قال : أتى نجرانيّان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا له : هل علمتَ أنّ أحداً وُلد من غير ذكر ، فيكون عيسى كذلك ؟ قال : فأنزل الله عز وجل : « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » ، أكان لآدم أب أو أم ! ! كما خلقت هذا في بطن هذه ؟

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : فكيف قال : « كمثل آدم خلقه » ، « وآدم » معرفة ، والمعارفُ لا تُوصَل ؟

قيل : إن قوله : « خلقه من تراب » غير صلة لآدم ،(٢) وإنما هو بيان عن أمره على وجه التفسير عن المثل الذي ضربه ، وكيف كان .(٣)

* * *

وأما قوله : « ثم قال له كن فيكون » ، فإنما قال : « فيكون » وقد ابتدأ الخبر عن خلق آدم ، وذلك خبر عن أمر قد تقضّى ، وقد أخرجَ الخبر عنه مُخرَج الخبر عما قد مضَى فقال جل ثناؤه : « خلقه من تراب ثم قال له كن » ، لأنه بمعنى الإعلام من الله نبيَّه أن تكوينه الأشياء بقوله : « كن » ، ثم قال : « فيكون » ، ٣/٢٠٩

---

(١) الأثر : ٧١٦٥ – سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣١ ، ٢٣٢ ، وهو تتمة الآثار التي آخرها رقم : ٧١٥٧ ، ولكن أبا جعفر اختصر كلام ابن إسحق هنا ، ولكنه سيسوقه وما حذف منه ، برقم : ٧١٦٩ .

(٢) يعني بقوله « صلة » التابع ، وهو النعت بالجملة . فإن شرط النعت بالجملة أن يكون المنعوت نكرة لفظاً أو معنى ، وأن يكون في الجملة ضمير ملفوظ أو مقدر يربطها بالموصوف ، وأن تكون الجملة خبرية . فهذه ثلاثة شروط ، أحدها في المنعوت ، وشرطان في جملة النعت .

(٣) انظر تفصيل ذلك في معاني القرآن للفراء ١ : ٢١٩ .

خبراً مبتدأ ، وقد تناهى الخبر عن أمر آدم عند قوله : « كنْ » .[١]

فتأويل الكلام إذاً : « إن مثَلَ عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن » ، واعلم ، يا محمد ، أن ما قال له ربك « كن » ، فهو كائن .

فلما كان فى قوله : « كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن » ، دلالةٌ على أن الكلام يرادُ به إعلام نبي الله صلى الله عليه وسلم وسائر خلقه أنه كائن ما كوّنه ابتداءً من غير أصل ولا أوّل ولا عُنصر ، استغنى بدلالة الكلام على المعنى ، وقيل : « فيكون » ، فعطف بالمستقبل على الماضى على ذلك المعنى .

* * *

وقد قال بعض أهل العربية : « فيكون » ، رفع على الابتداء ، ومعناه : كن فكان ، فكأنه قال : فإذا هو كائن .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ (٦٠)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : الذى أنبأتك به من خبر عيسى ، وأنّ مثله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له ربه «كن» = هو الحق من ربك ، يقول : هو الخبر الذى هو من عند ربك = « فلا تكن من الممترين » ، يعنى : فلا تكن من الشاكين فى أنّ ذلك كذلك ، [٢] كما : —

٧١٦٧ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « الحق من ربك فلا تكن من الممترين » ، يعنى : فلا تكن فى شكّ من عيسى أنه كمثل آدم ، عبدُ الله ورسوله ، وكلمةُ الله ورُوحه .

---

(١) انظر الفقرتين الآتيتين ، ففيهما تفسير هذه الجملة السالفة . ولقد بين الطبرى عنها بياناً شافياً قل أن تظفر بمثله فى كتاب من كتب التفسير أو غيرها . والمذهب الذى ذهب إليه أبو جعفر فى تفسيره ، هو عندى أرجح من القول الآتى ، وهو الذى اشتهر فى كتب التفسير .

(٢) انظر تفسير « الامتراء » ، وتفسير نظيرة هذه الآية فيما سلف ٣ : ١٩٠ ، ١٩١ .

٧١٦٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله : « الحق من ربك فلا تكن من الممترين » ، يقول : فلا تكن في شكّ مما قصصنا عليك أنّ عيسى عبدُ الله ورسوله ، وكلمةٌ منه ورُوحٌ ، وأنّ مثله عند الله كمثل آدم خلقه من تُراب ثم قال له كن فيكون .

٧١٦٩ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : « الحق من ربك » ، ما جاءك من الخبر عن عيسى = « فلا تكن من الممترين » ، أي : قد جاءك الحق من ربك فلا تمتَرِ فيه .(١)

٧١٧٠ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « فلا تكن من الممترين » ، قال : والممترون الشاكون .

* * *

« والمرية » « والشك » « والريب » ، واحد سواءٌ ، كهيئة ما تقول : « أعطني » « وناولني » « وهلم » ، فهذا مختلف في الكلام وهو واحد .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ (٦١)

قال أبو جعفر : يعني بقوله جل ثناؤه : « فمن حاجك فيه » ، فمن جادلك ، يا محمد ، في المسيح عيسى بن مريم .(٢)

* * *

والهاء في قوله : « فيه » ، عائدة على ذكر عيسى . وجائز أن تكون عائدة

---

(١) الأثر : ٧١٦٩ – سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣١ ، ٢٣٢ ، وهو تتمة الآثار التي آخرها رقم : ٧١٦٥ ، فانظر التعليق على هذا الأثر . وفي سيرة ابن هشام « فلا تمترين فيه » ، وهي أجود .

(٢) انظر تفسير « حاج » فيما سلف ٣ : ١٢٠ ، ١٢١ / ٥ : ٦/٤٢٩ : ٢٨٠

على « الحق » الذى قال تعالى ذكره : « الحقّ من ربك » .

* * *

ويعنى بقوله : « من بعد ما جاءك من العلم » ، من بعد ما جاءك من العلم الذى قد بيّنته لك فى عيسى أنه عبد الله = « فقل تعالوا » ، هلموا فلندع =[1] « أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل » ، يقول : ثم نلتعن .

* * *

يقال فى الكلام : « ماله ؟ بَهَله الله » أى : لعنه الله = « وماله؟ عليه بُهْلةُ الله » ، يريد اللعن ، وقال لبيد ، وذكر قوماً هلكوا فقال :

* نَظَرَ الدَّهْرُ إِلَيْهِمْ فَأَبْتَهِلْ *[2]

يعنى : دعا عليهم بالهلاك .

* * *

= « فنجعل لعنة الله على الكاذبين » منا ومنكم فى أنه عيسى ، [3] كما : —

---

(١) انظر تفسير « تعالوا » فيما يلى ص : ٤٨٣ ، ٤٨٥

(٢) ديوانه قصيدة ٣٩ ، البيت : ٨١ وأساس البلاغة (بهل) ، وأمالى الشريف المرتضى ١ : ٤٥ ، من قصيدة مضى بعض أبياتها ، وهى من شعره الذى رثى فيه أربد :

وَأَرَى أَرْبَدَ قَدْ فَارَقَنِي ... وَمِنَ الأَرْزَاءِ رُزْءٌ ذُو جَلَلْ
مُمْقِرٌ مُرٌّ عَلَى أَعْدَائِهِ ، ... وَعَلَى الأَدْنَيْنَ حُلْوٌ كَالْعَسَلْ
فِي قُرُومٍ سَادَةٍ مِنْ قَوْمِهِ ... نَظَرَ الدَّهْرُ إِلَيْهِمْ فَأَبْتَهَلْ

وهذا التفسير الذى ذكره الطبرى لمعنى بيت لبيد ، جيد . وجيد أيضاً تفسير الزمخشرى فى أساس البلاغة قال : « فاجتهد فى إهلاكهم » . وكأن أجود تفسير للابتهال أن يقال : هو الاسترسال فى الأمر ، والاجتهاد فيه ، ومعنى البيت : فاسترسل فى أمرهم ، واجتهد فى إهلاكهم فأفناهم . وأما قوله : « نظر الدهر إليهم » ، فقد قال الجوهرى وغيره : « نظر الدهر إلى بنى فلان فأهلكهم » ، فقال ابن سيده : « هو على المثل ، وقال : ولست على ثقة منه » . وقال الزمخشرى : « ونظر الدهر إليهم : أهلكهم » ، وهو تفسير سيء ، إذا لم يكن فى نسخة الأساس تحريف . وصواب المعنى أن يقال : « نظر الدهر إليهم » ، نظر إليهم مكبراً أفعالهم ، فحسدهم على مآثرهم وشرفهم . كما يقال : « هو سيد منظور » ، أى ترمقه الأبصار إجلالا وإكباراً . وإنما فسرته بالحسد ، لأنهم سموا الحسد « العين » ، فيقال : « عان الرجل يعينه عيناً ، فهو معين ومعيون » ، والنظر بالعين لا يزال مستعملا فى الناس بمعنى الحسد ، وإنما أغفل شارحو بيت لبيد هذا المعنى .

(٣) فى المطبوعة : « فى آية عيسى » ، وهذا لا معنى له هنا والصواب ما فى المخطوطة ، وإنما أراد :

٣/٢١٠ ٧١٧١ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم » ، أى : فى عيسى : أنه عبدُ الله ورسوله ، من كلمة الله وروحه = « فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم » ، إلى قوله : « على الكاذبين » .

٧١٧٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن جعفر بن الزبير : « فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم » ، أى : من بعد ما قصصت عليك من خبره ، وكيف كان أمره = « فقل تعالوا ندع أبناءَنا وأبناءَكم » ، الآية .(١)

٧١٧٣ – حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم » ، يقول : من حاجك فى عيسى من بعد ما جاءك فيه من العلم .

٧١٧٤ – حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » ، قال : منا ومنكم .

٧١٧٥ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، وحدثنى ابن لهيعة ، عن سليمان بن زياد الحضرمى ، عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدى : أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : ليتَ بينى وبينى أهل نجرانَ حجاباً فلا أراهم ولا يرونى ! من شدّة ما كانوا يمارون النبى صلى الله عليه وسلم .(٢)

* * *

الكاذبين منا ومنكم فى أنه عيسى عبد الله ورسوله ، لا أنه « الله » تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، وقد مضى فى الأثر رقم ٧١٦٤ ، قولهم : « ولكنه الله » .

(١) الأثر : ٧١٧٢ – سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣٢ ، وهو من تتمة الآثار التى آخرها : ٧١٦٩ .

(٢) الحديث : ٧١٧٥ – سليمان بن زياد الحضرمى المصرى : تابعى ثقة ، وثقه ابن معين وغيره . وقال أبو حاتم : « شيخ صحيح الحديث » .

عبد الله بن الحارث بن جزء بن عبد الله الزبيدى : صحابى نزل مصر ، وهو آخر من مات بها من الصحابة .

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ ﴿٦٣﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : إن هذا الذى أنبأتك به ، يا محمد ، من أمر عيسى فقصصته عليك من أنبائه ، وأنه عبدى ورسولى وكلمتى ألقيتها إلى مريم وروح منّى ، لهو القصَص والنبأ الحق ، فاعلم ذلك . واعلم أنه ليس للخلق معبودٌ يستوجبُ عليهم العبادةَ بملكه إياهم إلاّ معبودك الذى تعبُدُه ، وهو الله العزيز الحكيم .

* * *

ويعنى بقوله : « العزيز » ، العزيز فى انتقامه ممن عصاه وخالف أمره ، وادعى معه إلهاً غيرَه ، أو عبد ربًّا سواه [1] = « الحكيم » فى تدبيره ، لا يدخل ما دبره وَهَنٌ ، ولا يلحقه خللٌ . [2]

* * *

« فإن تولوا » ، يعنى : فإن أدبر هؤلاء الذين حاجُّوك فى عيسى ، عما جاءك من الحق من عند رباك فى عيسى وغيره من سائر ما آتاك الله من الهدى والبيان ،

و « جزء » : بفتح الجيم وسكون الزاى بعدها همزة . و « الزبيدى » : بضم الزاى ، نسبة إلى القبيلة .

ووقع هنا فى الإسناد قول ابن وهب : « وحدثنى ابن لهيعة » — ومثل هذا يكون كثيراً فى الأسانيد : يحدث الرجل عن شيوخه بالأحاديث ، فيذكرها بحرف العطف ، عطف حديث على حديث ، وإسناد على إسناد . فإذا حدث السامع عن الشيخ ، فقد يحذف حرف العطف وقد يذكره . والأمر قريب .

والحديث رواه ابن عبد الحكم فى فتوح مصر ، ص : ٣٠١ ، بنحوه ، عن عبد الملك بن مسلمة ، وأبى الأسود النضر بن عبد الجبار — كلاهما عن ابن لهيعة ، بهذا الإسناد .

وذكره السيوطى ٢ : ٣٨ ، عن ابن جرير وحده .

(١) انظر تفسير « العزيز » فيما سلف ٣ : ٨٨/ ٦ : ١٦٥ ، ١٦٨ ، ٢٧١

(٢) انظر تفسير « الحكيم » فيما سلف قريباً : ٤٦٧ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

فأعرضوا عنه ولم يقبلوه =[١] « فإن الله عليم بالمفسدين »، يقول : فإن الله ذو علم بالذين يعصون ربهم، ويعملون فى أرضه وبلاده بما نهاهم عنه، وذلك هو إفسادهم.[٢] يقول تعالى ذكره : فهو عالم بهم وبأعمالهم، يحصيها عليهم ويحفظها، حتى يجازيهم عليها جزاءَهم.

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك :

٧١٧٦ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق، عن محمد بن جعفر بن الزبير : « إنّ هذا لهو القصص الحق »، أى : إن هذا الذى جئتَ به من الخبر عن عيسى، = « لهو القصَص الحقّ »، من أمره.[٣]

٧١٧٧ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج، عن ابن جريج : « إنّ هذا لهو القصص »، إن هذا الذى قُلنا فى عيسى = « لهو القصَص الحق ».

٧١٧٨ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « إنّ هذا لهو القصص الحق »، قال : إن هذا القصصَ الحقّ فى عيسى، ما ينبغى لعيسى أن يتعدّى هذا ولا يُجاوزُه : أنْ يتعدّى أن يكون كلمة الله ألقاها إلى مريم،[٤] وروحاً منه، وعبدَ الله ورسوله. ٢١١/٣

٧١٧٩ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال، حدثنى عمى قال، حدثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس : «إنّ هذا لهو القصص الحق»، إنّ هذا الذى قلنا فى

---

(١) انظر تفسير « تولى » فيما سلف ٢ : ١٦٢ — ١٦٤، ٢٩٨ / ٣ : ١٣١ / ٤ : ٢٣٧ / ٦ : ٢٨٣، ٢٩١.

(٢) انظر معنى « الفساد » فيما سلف ١ : ٢٨٧، ٤١٦ / ٤ : ٢٣٨، ٢٤٣، ٢٤٤ / ٥ : ٣٧٢.

(٣) الأثر : ٧١٧٦ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣٢، هو بقية الآثار التى آخرها رقم : ٧١٧٢.

(٤) فى المطبوعة : « ولا يجاوز أى يتعدى . . . »، والصواب ما فى المخطوطة

عيسى ، هو الحق = « وما من إله إلا الله » ، الآية .

* * *

فلما فصل جل ثناؤه بين نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبين الوفد من نصارى نجران ، بالقضاء الفاصل والحكم العادل ، أمرَه [١] =إن هم تولوا عما دعاهم إليه من الإقرار بوحدانية الله ، وأنه لا ولد له ولا صاحبة ، وأنّ عيسى عبدُه ورسوله ، وأبوا إلاّ الجدلَ والخصومة =[٢] أن يدعوَهم إلى الملاعنة . ففعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انخزلوا فامتنعوا من الملاعنة ، ودعوا إلى المصالحة ، كالذى : —

٧١٨٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن عامر قال : فأمِر — يعنى النبى صلى الله عليه وسلم — بملاعنتهم — يعنى : بملاعنة أهل نجران — بقوله : « فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم » ، الآية . فتواعدوا أن يلاعنوه وواعدوه الغدَ . فانطلقوا إلى السيد والعاقب ، وكانا أعقلهم ، فتابعاهم . فانطلقوا إلى رجل منهم عاقل ، فذكروا له ما فارقوا عليه رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما صنعتم ! ! ونَدَّمهم ،[٣] وقال لهم : إن كان نبيًّا ثم دعا عليكم لا يغضبُه الله فيكم أبداً ، ولئن كان ملِكاً فظهر عليكم لا يستبقيكم أبداً.[٤] قالوا : فكيف لنا وقد واعدنا ! فقال لهم : إذا غدوتم إليه فعرض عليكم الذى فارقتموه عليه ، فقولوا : « نعوذُ بالله » ! فإن دعاكم أيضاً فقولوا له : « نعوذ بالله » ! ولعله أن يعفيَكم من ذلك . فلما غدَوْا غدَا النبيّ صلى الله عليه وسلم محتضِناً حسَناً آخذاً بيد الحسين ، وفاطمة تمشى خلفه . فدعاهم إلى الذى فارقوه عليه بالأمس ،

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « وأمره . . . » بالواو ، وهى زائدة مفسدة ، فأسقطتها .

(٢) سياق الجملة : « أمره . . . أن يدعوهم إلى الملاعنة » ، وما بينهما فصل .

(٣) قوله « ندمهم » (مشددة الدال) لامهم حتى حملهم على الأسف والندم . وهذا لفظ عربى عريق قل أن تظفر به فى كثير من كتب اللغة .

(٤) فى المطبوعة : « لا يستبقينكم » ، بزيادة النون ، والصواب من المخطوطة .

فقالوا : « نعوذ بالله » ! ثم دعاهم فقالوا : « نعوذ بالله » ! مراراً قال : فإن أبيتم فأسلموا ولكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين كما قال الله عز وجل ، فإن أبيتم فأعطوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون كما قال الله عز وجل. قالوا : ما نملك إلا أنفسنا ! قال: فإن أبيتم فإنى أنبذ إليكم على سواء كما قال الله عز وجل . قالوا : ما لنا طاقة بحرب العرب ، ولكن نؤدّى الجزية . قال : فجعل عليهم فى كل سنة ألفى حلة : ألفاً فى رجب ، وألفاً فى صفر . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لقد أتانى البشير بهلكة أهل نجران ،[1] حتى الطير على الشجر = أو : العصافيرُ على الشجر = لو تمُّوا على الملاعنة .[2]

=حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير قال : فقلت للمغيرة : إن الناس يروُون فى حديث أهل نجران أن عليًّا كان معهم ! فقال : أما الشعبى فلم يذكره ، فلا أدرى لسوء رأى بنى أمية فى علىّ ، أو لم يكن فى الحديث ![3]

٧١٨١ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن جعفر بن الزبير : « إنّ هذا لهو القصص الحق » إلى قوله : « فقولوا اشهدُوا بأنا مسلمون » ، فدعاهم إلى النَّصَف،[4] وقطع عنهم الحجة . فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ من الله عنه، والفصلُ من القضاء بينه وبينهم ، وأمره بما أمره به من ملاعنتهم إنْ ردُّوا عليه =[5] دعاهم إلى ذلك، فقالوا: يا أبا القاسم، دعنا ننظر فى أمرنا ، ثم نأتيك بما نُريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه . فانصرفوا عنه ، ثم خلوا بالعاقب، وكان ذا رأيهم،[6] فقالوا: يا عبد المسيح، ما ترى ؟ قال :

(١) فى المطبوعة : « قد أتانى » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) « تم على الشى » استمر عليه وأمضاه .

(٣) هذه الفقرة من تتمة الأثر السالف ، فلذلك لم أفردها بالترقيم .

(٤) النصف والنصفة (كلاهما بفتحتين) : هو الإنصاف ، وإعطاء الحق لصاحبك كالذى تستحق لنفسك .

(٥) فى المخطوطة : « أو ردوا عليه » ، وهو خطأ ، والصواب ما فى المطبوعة مطابقاً لسيرة ابن هشام ، وفيها : « إن ردوا ذلك عليه » .

(٦) « ذو رأيهم » ، صاحب الرأى والتدبير ، يستشار فيما يعرض لهم لعقله وحسن رأيه .

٣/٢١٢ والله يا معشر النصارى ، لقد عرفتم أنّ محمداً لنبيّ مرسل ،(١) ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ، ولقد علمتم : ما لاعن قَوْمٌ نبيًّا قط فبقى كبيرُهم ولا نبتَ صغيرهم ، وإنه للاستئصال منكم إن فعلتم ، فإن كنتم قد أبيتم إلا إلْفَ دينكم ، والإقامةَ على ما أنتم عليه من القول فى صاحبكم ، فوادِعوا الرجلَ ، ثم انصرفوا إلى بلادكم حتى يريكم زمنٌ رَأيه .(٢) فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا أبا القاسم ، قد رأينا أن لا نلاعنَك، وأن نتركك على دينك ، ونرجع على ديننا ، ولكن ابعث معنا رجلا من أصحابك ترضَاهُ لنا ، يحكم بيننا فى أشياء قد اختلفنا فيها من أموالنا ، فإنكم عندنا رِضًى (٣)

٧١٨٢ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا عيسى بن فرقد ، عن أبى الجارود ، عن زيد بن على فى قوله : « تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم » الآية ، قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم وعلىٌّ وفاطمة والحسن والحسين .(٤)

---

(١) فى المطبوعة : « أن محمد نبى مرسل » ، وهو خطأ ، وتحريف لما فى المخطوطة كما أثبتها ، وهو المطابق أيضاً لما فى سيرة ابن هشام .

(٢) قوله : « حتى يريكم زمن رأيه » ليست فى سيرة ابن هشام . ويعنى بذلك : حتى يمضى زمن ، وتتقلب أحوال ، فترون عاقبة أمره ، صلى الله عليه وسلم ، وقد قال شارح السيرة ، السهيلى ، فى الروض الأنف ٢ : ٥٠ « وفى حديث أهل نجران ، زيادة كثيرة عن ابن إسحق ، من غير رواية ابن هشام » .

(٣) الأثر : ٧١٨١ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، وهو بقية الآثار التى آخرها رقم : ٧١٧٦ ، يقال : « رجل رضى من قوم رضى » ، أى مرضى ، وصف بالمصدر مثل رجل عدل ، كما قال زهير :

مَتَى يَشْتَجِرْ قَوْمٌ يَقُلْ سَرَواتُهُمْ : هُمُ بَيْنَنَا ، فَهُمُ رِضًى ، وهُمُ عَدْلُ

(٤) الأثر : ٧١٨٢ — « عيسى بن فرقد المروزى » ، أبو مطهر . روى عنه عمرو بن رافع ، وابن حميد ، قال ابن أبى حاتم « سألت أبى عنه فقال : مروزى . قلت : ما حاله ؟ قال : شيخ » . مترجم فى ابن أبى حاتم ٣/١/٢٨٤ و « أبو الجارود » هو زياد بن المنذر الهمدانى . قال ابن معين : « كذاب ، عدو الله ، ليس يسوى فلساً » وكان رافضياً يضع الحديث فى مثالب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويروى فى فضائل أهل البيت رضى الله عنهم أشياء ما لها أصول . لا يحل كتب حديثه ، وهو من غلاة الشيعة ، وله فرقة تعرف بالجارودية

٧١٨٣ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم » ، الآية ، فأخذ – يعنى النبىّ صلى الله عليه وسلم – بيد الحسن والحسين وفاطمة ، وقال لعلى : اتبعنا . فخرجَ معهم . فلم يخرج يومئذ النصارَى ، وقالوا : إنا نخاف أن يكون هذا هو النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وليس دعوة النبىّ كغيرها ! ! فتخلفوا عنه يومئذ ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لو خرجوا لا حترقوا ! فصالحوه على صلح : على أنّ له عليهم ثمانين ألفاً ، فما عجزت الدراهم ففى العُرُوض : الحُلة بأربعين = وعلى أن له عليهم ثلاثاً وثلاثين درعاً ، وثلاثاً وثلاثين بعيراً ، وأربعة وثلاثين فرساً غازيةً كلّ سنة ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضامنٌ لها حتى نُؤدّيها إليهم .

٧١٨٤ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم دعا وفداً من وفد نجران من النصارى ، وهم الذين حاجوه ، فى عيسى ، فنكصُوا عن ذلك وخافوا = وذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : والذى نفس محمد بيده ، إن كان العذاب لقد تدلّى على أهل نجران ، ولو فعلوا لاستُؤصلوا عن جديد الأرض .[1]

٧١٨٥ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم » ، قال : بلغنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم خرج ليُداعى أهل نجران ،[2] فلما رأوه خرج ، هابوا وفرقوا فرجعوا = قال معمر ، قال قتادة : لما أراد النبى صلى الله عليه وسلم أهلَ نجران ، أخذَ بيد حسن وحسين وقال لفاطمة : اتبعينا . فلما رأى ذلك أعداءُ الله ، رجعوا .

---

(١) جديد الأرض ، وجدها (بفتح الجيم وكسرها) وجددها (بفتحات) : هو وجه الأرض .

(٢) فى المطبوعة : « خرج ليلاعن أهل نجران » ، قرأ « ليداعى » « ليلاعن » ، و « يداعى » من « الدعاء » ، يعنى هذه المباهلة والملاعنة .

٧١٨٦ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن عبد الكريم الجزرى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لو خرج الذين يُباهلون النبيّ صلى الله عليه وسلم لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً .

٧١٨٧ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا زكريا ، عن عدى قال، حدثنا عبيد الله بن عمرو ، عن عبد الكريم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس مثله .

٧١٨٨ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفسى بيده ، لو لاعنونى ما حال الحول وبحضرتهم منهم أحدٌ إلاّ أهلك الله الكاذبين . ٢١٣/٣

٧١٨٩ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثنا ابن زيد قال : قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لو لاعنت القوم ، بمن كنتَ تأتى حين قلت : « أبناءَنا وأبناءَكم » ؟ قال : حسن وحسين .

٧١٩٠ – حدثنى محمد بن سنان قال، حدثنا أبو بكر الحنفى قال ، حدثنا المنذر بن ثعلبة قال ، حدثنا علباء بن أحمر اليشكرى قال : لما نزلت هذه الآية : « فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم » ، الآية ، أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى علىّ وفاطمةَ وابنيهما الحسن والحسين ، ودعا اليهود ليُلاعنهم ، فقال شاب من اليهود ، ويحكم ! أليس عهدُكم بالأمس إخوانُكم الذين مُسخوا قردةً وخنازير ؟ ! لا تُلاعنوا ! فانتهَوْا .(١)

* * *

(١) الأثر : ٧١٩٠ – « المنذر بن ثعلبة بن حرب الطائى» ، ذكره ابن حبان فى الثقات . مترجم فى التهذيب . و « علباء بن أحمر اليشكرى » روى عن عكرمة مولى ابن عباس . قال أحمد : « لا بأس به ، لا أعلم إلا خيراً » ، وذكره ابن حبان فى الثقات . مترجم فى التهذيب .

هذا وأحاديث هذا الباب كلها مرسلة ، كما رأيت ، إلا خبر ابن عباس .

القول فى تأويل قوله ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٦٤)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « قل » . يا محمد ، لأهل الكتاب ، وهم أهل التوراة والإنجيل = «تعالوا » ، هلموا [1] = « إلى كلمة سواء » . يعنى : إلى كلمة عدل بيننا وبينكم ، [2] والكلمة العدل ، هى أن نوحِّد الله فلا نعبد غيره ، ونبرأ من كل معبود سواه ، فلا نشرك به شيئاً .

=وقوله : « ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً » ، يقول : ولا يدين بعضُنا لبعض بالطاعة فيما أمر به من معاصى الله ، ويعظِّمه بالسجود له كما يسجدُ لربه = « فإن تولوا » ، يقول : فإن أعرضوا عما دعوتَهم إليه من الكلمة السواء التى أمرتُك بدعائهم إليها ، [3] فلم يجيبوك إليها = « فقولوا » ، أيها المؤمنون ، للمتولِّين عن ذلك = « اشهدوا بأنا مسلمون » .

* * *

واختلف أهل التأويل فيمن نزلت فيه هذه الآية .

فقال بعضهم : نزلت فى يهود بنى إسرائيل الذين كانوا حوالى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* ذكر من قال ذلك :

٧١٩١ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم دعا يهودَ أهل المدينة إلى الكلمة السواء ، وهم الذين حاجوا فى إبراهيم .

---

(١) انظر تفسير « تعالوا » فيما سلف قريباً : ٤٧٤ ، وسيأتى ص : ٤٨٥

(٢) انظر تفسير « سواء » فيما سلف ١ : ٢/٢٥٦ : ٤٩٥ — ٤٩٧

(٣) انظر معنى « تولى » فيما سلف قريباً ص : ٤٧٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

٧١٩٢ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : ذكر لنا أنّ نبي الله صلى الله عليه وسلم دعا اليهود إلى كلمة السّواء .

٧١٩٣ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : بلغنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم دعا يهودَ أهل المدينة إلى ذلك ، فأبوا عليه ، فجاهدهم = قال : دعاهم إلى قول الله عز وجل : « قل يا أهل الكتاب تعالوْا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم » ، الآية .

* * *

وقال آخرون : بل نزلت في الوفد من نصارى نجران .

* ذكر من قال ذلك :

٧١٩٤ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير : « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم» الآية ، إلى قوله : « فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » ، قال : فدعاهم إلى النّصَف ، وقطع عنهم الحجةَ – يعني وفد نجران .[1]

٧١٩٥ – حدثنا موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قال : ثم دعاهم رُسول الله صلى الله عليه وسلم . – يعني الوفدَ من نصارى نجران – فقال : « يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم » ، الآية .

٢١٤/٣ ٧١٩٦ – حدثني يونس قال ، أخبرني ابن وهب قال ، حدثنا ابن زيد قال قال : يعني جل ثناؤه : « إنّ هذا لهو القصص الحقّ » ، في عيسى = على ما قد بيناه فيما مضى =[2] قال : فأبوا – يعني الوفدَ من نجران – فقال : ادعهم إلى أيسر من هذا ، قل : « يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم » ،

---

(١) الأثر ٧١٩٤ – سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣٢ ، ومضى أيضاً برقم : ٧١٨١ ، وهو من بقية الآثار التي آخرها رقم : ٧١٨١ .

(٢) يعني الأثر السالف رقم : ٧١٧٨ .

فقرأ حتى بلغ : « أرباباً من دون الله » ، فأبوا أن يقبلوا هذا ولا الآخر .

* * *

قال أبو جعفر : وإنما قلنا عنى بقوله : « يا أهل الكتاب » ، أهلَ الكتابين ، لأنهما جميعاً من أهل الكتاب ، ولم يخصص جل ثناؤه بقوله : « يا أهل الكتاب » بعضاً دون بعض . فليس بأن يكون موجَّهاً ذلك إلى أنه مقصود به أهلُ التوراة ، بأولى منه بأن يكون موجهاً إلى أنه مقصود به أهل الإنجيل ، ولا أهل الإنجيل بأولى أن يكونوا مقصودين به دُون غيرهم من أهل التوراة . وإذ لم يكن أحدُ الفريقين بذلك بأولى من الآخر - لأنه لا دلالة على أنه المخصوص بذلك من الآخر ، ولا أثر صحيح - فالواجب أن يكون كل كتابيّ معنيًّا به . لأن إفرادَ العبادة لله وحدَه وإخلاصَ التوحيد له ، واجبٌ على كل مأمور منهيٍّ من خلق الله . واسم « أهل الكتاب » ، يلزم أهل التوراة وأهل الإنجيل ،[1] فكان معلوماً بذلك أنه عنى به الفريقان جميعاً .

* * *

وأما تأويل قوله : « تعالوا » ، فإنه : أقبلوا وهلمُّوا .[2]

وإنما « هو تفاعلوا » من « العلوّ » فكأن القائل لصاحبه : « تعالَ إليّ » ، قائلٌ « تفاعل » من « العلوّ » ،[3] كما يقال : « تَدَانَ مني » من « الدنوّ » ، و « تقارَبْ مني » ، من « القرب » .

* * *

---

(١) في المطبوعة : « وأهل الكتاب يعم أهل التوراة وأهل الإنجيل » ، غير ما في المخطوطة حين لم يحسن قراءة ما فيه من التصحيف ، وكان في المخطوطة : « وأنتم أهل الكتاب يلزم أهل التوراة وأهل الإنجيل » صحف الكاتب فكتب مكان « واسم » ، « وأنتم » ، وصواب قراءتها ما أثبت .

(٢) قد فسر أبو جعفر « تعالوا » في موضعين سلفا ص : ٤٧٤ ، ص : ٤٨٣ ، ولكنه استوفى هنا الكلام في بيانها ، ولا أدري لم يفعل مثل ذلك ، وكان الأولى أن يفسرها أول مرة .

(٣) في المطبوعة : « فكأن القائل تعالى إلى ، فإنه تفاعل من العلو » ، لأنه لم يفهم ما كان في المخطوطة ، فبدله ، ووضع علامة (٣) للدلالة على أنه خطأ لا معنى له ، أو سقط في الكلام . والصواب ما أثبت .

وقوله: « إلى كلمة سواء » . فإنها الكلمة العدلُ، « والسَّواء » من نعتِ « الكلمة » .[١]

* * *

وقد اختلف أهل العربية فى وجه إتباع « سواء » فى الإعراب « الكلمة » ، وهو اسمٌ لا صفة .

فقال بعض نحويى البصرة : جر «سواء» لأنها من صفة « الكلمة » وهى العدل ، وأراد: مستوية . قال: ولو أراد « استواء » ، كان النصب . وإن شاء أن يجعلها على « الاستواء » ويجرّ ، جاز ، ويجعله من صفة « الكلمة » ، مثل « الخلق » لأن « الخلق » هو « المخلوق » . « والخلق » قد يكونُ صفةً واسماً . ويجعل « الاستواء » مثل « المستوى » ، قال عز وجل : ﴿ الَّذِى جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً العَاكِفُ فِيهِ وَالبَادِ ﴾ [سورة الحج ٢٥]، لأن « السواء» للآخر ، وهو اسمٌ ليس بصفة فيجرى على الأول ، وذلك إذا أراد به « الاستواء » . فإن أراد به « مستوياً » جاز أن يُجرَى على الأول . والرفع فى ذا المعنى جيدٌ ،لأنها لا تغيَّر عن حالها ولا تثنى ولا تجمع ولا تؤنث ، فأشبهت الأسماء التى هى مثل « عدل » و«رضًى»و«جُنُب» ، وما أشبه ذلك. وقالوا: [فى قوله] :[٢] ﴿ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ﴾ [سورة الجاثية : ٢١]، فـ«السواء»للمحيا والممات بهذا ، المبتدأ .

وإن شئت أجريته على الأول ، وجعلتَه صفة مقدمة ، كأنها من سبب الأول

---

(١) انظر تفسير « سواء » فيما سلف قريباً ص ٤٨٣ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) الزيادة التى بين القوسين ، زدتها ليستقيم الكلام ويستبين ، وأخشى أن يكون فى هذه الجملة سقط لم أستطع أن أتبينه ، وراجع قول أبى جعفر فى هذه الآية من تفسيره ، ٢٥ : ٨٩ ، ٩٠ (بولاق) .

فجرت عليه . وذلك إذا جعلته فى معنى « مستوى » . والرفع وجه الكلام كما فسَّرتُ لك .

* * *

وقال بعض نحويى الكوفة . « سواء » مصدرٌ وضع موضع الفعل ،[1] يعنى موضع « متساوية » : و«متساو » ،فمرة يأتى على الفعل ، ومرّةً على المصدر . وقد يقال فى « سواء » ، بمعنى عدل : « سِوًى وسُوًى » ، كما قال جل ثناؤه : ﴿مَكَانًا سُوًى﴾ و﴿سِوًى﴾ [سورة طه : ٥٨] ، يراد به : عدل ونصَفٌ بيننا وبينك . وقد روى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه كان يقرأ ذلك ﴿إِلَى كَلِمَةٍ عَدْلٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾.[2]

* * *

٢١٥/٣ وبمثل الذى قلنا فى تأويل قوله : « إلى كلمة سواء بيننا وبينكم » ، بأن « السواء » هو العدل ، قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٧١٩٧ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم » ، عدل بيننا وبينكم = « ألا نعبد إلاّ الله » ، الآية .

٧١٩٨ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلاّ الله ولا نشرك به شيئاً » ، بمثله .[3]

* * *

---

(١) « الفعل » ، يعنى به الصفة المشتقة مثل فاعل ومفعول ، كما هو ظاهر هنا ، وراجع فهرس المصطلحات .

(٢) هذه مقالة الفراء فى معانى القرآن ١ : ٢٢٠ .

(٣) الأثر : ٧١٩٨ – فى المخطوطة : « و . . ولا نشرك به شيئاً » الآية ، وليس فيها « بمثله » ، زادها الناشر أو ناسخ قبله ، لما رأى الأثر غير تام ، وهو صنيع حسن ، وإن كنت لا أرتضيه . وظنى أنه قد سقط من الناسخ الأول بقية التفسير .

وقال آخرون : هو قولُ : « لا إله إلا الله » .

* ذكر من قال ذلك :

٧١٩٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال، قال أبو العالية : «كلمة السواء» ، لا إله إلا الله .

* * *

وأما قوله : « ألاّ نعبُدَ إلا الله »، فإنّ « أنْ» في موضع خفض على معنى : تعالوا إلى أنْ لانعبد إلاّ الله .(١)

* * *

وقد بينا – معنى « العبادة » في كلام العرب فيما مضى ، ودللنا على الصحيح من معانيه بما أغنى عن إعادته .(٢)

* * *

وأما قوله : « ولا يتخذ بعضُنا بعضاً أرباباً » ، فإنّ « اتخاذ بعضهم بعضاً »، ما كان بطاعة الأتباع الرؤساءَ فيما أمروهم به من معاصي الله ،(٣) وتركِهم ما نهوهم عنه من طاعة الله، كما قال جل ثناؤه : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهاً وَاحِداً ﴾ [سورة التوبة : ٣١]، كما : –

٧٢٠٠ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج : « ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله » ، يقول : لا يطع بعضُنا بعضاً في معصية الله . ويقال إنّ تلك الرُّبوبية : أن يطيعَ الناس سادَتهم وقادتهم في غير عبادة، وإن لم يصلُّوا لهم .

* * *

---

(١) هذه مقالة الفراء في معاني القرآن ١ : ٢٢٠ ، فانظر تمامها هناك .

(٢) انظر ما سلف ١ : ١٦٠ ، ١٦١ ، ٣/٣٦٢ : ١٢٠ ، ٣١٧ .

(٣) في المطبوعة : « هو ما كان بطاعة الأتباع . . . » بزيادة « هو » ، وليست في المخطوطة .

وقال آخرون : « اتخاذ بعضهم بعضاً أرباباً » ، سجودُ بعضهم لبعض .

* ذكر من قال ذلك :

٧٢٠١ - حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا حفص بن عمر، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة في قوله : «ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله »، قال : سجود بعضهم لبعض .

* * *

وأما قوله : « فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون »، فإنه يعني : فإن تولّى الذين تدعوهم إلى الكلمة السواء عنها وكفروا، فقولوا أنتم ، أيها المؤمنون ، لهم : اشهدوا علينا بأنا - بما تولّيتم عنه، من توحيد الله ، وإخلاص العبودية له ، وأنه الإلهُ الذي لا شريك له - « مسلمون » ، يعني : خاضعون لله به ، متذلّلون له بالإقرار بذلك بقلوبنا وألسنتنا .

* * *

وقد بينا معنى « الإسلام » فيما مضى ، ودللنا عليه بما أغنى عن إعادته .(١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ (٦٥)

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بقوله : « يا أهل الكتاب » ، يا أهل التوراة والإنجيل - « لم تحاجون » ، لم تجادلون - « في إبراهيم » وتخاصمون فيه ، يعني : في إبراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه .

وكان حِجاجهم فيه: ادّعاءُ كل فريق من أهل هذين الكتابين أنه كان

---

(١) انظر ما سلف ٢ : ٥١٠، ٥١١/٣ : ٧٣ ، ٧٤ ، ٩٢ ، ١١٠/ثم٦ : ٢٧٥، ٢٨٠ .

منهم ، وأنه كان يدين دينَ أهل نِحْلته . فعابهم الله عز وجل بادِّعائهم ذلك ، ودلّ على مُناقضتهم ودعواهم ، فقال : وكيف تدّعون أنه كان على ملتكم ودينكم ، ودينُكم إما يهودية أو نصرانية ، واليهودى منكم يزعُم أنّ دينه إقامةُ التوراة والعملُ بما فيها ، والنصرانى منكم يزعم أنّ دينه إقامةُ الإنجيل وما فيه ، وهذان كتابان لم ينزلا إلاّ بعد حين من مَهلِك إبراهيم ووفاته ؟ فكيف يكون منكم ؟ وما وجه اختصامكم فيه ، [1] وادعاؤكم أنه منكم ، والأمر فيه على ما قد علمتم ؟ ٣/٢١٦

* * *

وقيل : نزلت هذه الآية فى اختصام اليهود والنصارى فى إبراهيم ، وادعاء كل فريق منهم أنه كان منهم .

* ذكر من قال ذلك :

٧٢٠٢ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنى محمد بن إسحق = وحدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق = قال ، حدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال ، حدثنى سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : اجتمعت نصارى نجران وأحبارُ يهود عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنازعوا عنده ، فقالت الأحبار : ما كان إبراهيمُ إلاّ يهوديًّا ! وقالت النصارى : ما كان إبراهيم إلا نصرانيًّا ! فأنزل الله عز وجل فيهم : « يا أهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم وما أنزِلت التوراةُ والإنجيل إلاّ من بعده أفلا تعقلون » ، قالت النصارى : كان نصرانيًّا ! وقالت اليهود : كان يهوديًّا ! فأخبرهم الله أنّ التوراة والإنجيل ما أنزِلا إلا من بعده ، وبعده كانت اليهودية والنصرانية . [2]

---

(١) فى المخطوطة : « فكيف يكون منهم ، أما وجه اختصامكم فيه . . . » ، وهو خطأ من عجلة الناسخ وصححه فى المطبوعة ، ولكنه كتب « فما وجه اختصامكم فيه » ، وهو ليس بشىء ، والصواب ما أثبت .

(٢) الأثر : ٧٢٠٢ – سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠١ ، ٢٠٢ مختصراً ، والأثر الذى قبله فيما روى الطبرى من سيرة ابن إسحق ، هو ما سلف رقم : ٦٧٨٢ .

٧٢٠٣ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يا أهل الكتاب لم تحاجُّون فى إبراهيم » ، يقول : « لم تحاجون فى إبراهيم » وتزعمون أنه كان يهوديًّا أو نصرانيًّا ، = « وما أنزلت التوراة والإنجيل إلاّ من بعده » ، فكانت اليهودية بعد التوراة ، وكانت النصرانية بعد الإنجيل ، = « أفلا تعقلون » ؟

* * *

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية فى دعوى اليهود إبراهيم أنه منهم.

* ذكر من قال ذلك :

٧٢٠٤ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم دعا يهود أهل المدينة إلى كلمة السواء ، وهم الذين حاجُّوا فى إبراهيم ، وزعموا أنه مات يهوديًّا ، فأكذبهم الله عز وجل ونفاهم منه فقال : « يا أهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم وما أنزِلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون » .

٧٢٠٥ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

٧٢٠٦ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله عز وجل : « يا أهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم » ، قال : اليهود والنصارى ، برّأه الله عز وجل منهم ، حين ادعت كل أمة أنه منهم ، [1] وألحق به المؤمنين ، مَنْ كان من أهل الحنيفية .

٧٢٠٧ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « حين ادعى » ، وهو سبق قلم من الناسخ .

وأما قوله : « أفلا تعقلون » فإنه يعنى : «أفلا تعقلون»، تفقّهون خطأ قيلكم : إنّ إبراهيم كان يهوديًّا أو نصرانيًّا، وقد علمتم أنّ اليهودية والنصرانية حدثت من بعد مهلكه بحين ؟

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ حَـٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٦٦)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : «ها أنتم»، القومَ الذين [1] [قالوا فى إبراهيم ما قالوا = « حاججتم »]، [2] خاصمتم وجادلتم [3] = « فيما لكم به علم»، من أمر دينكم الذى وجدتموه فى كتبكم، وأتتكم به رسل الله من عنده، وفى غير ذلك مما أوتيتموه وثبتت عندكم صحته [4] = « فلم تحاجون»، يقول : فلم تجادلون وتخاصمون = « فيما ليس لكم به علم » ، يعنى : فى الذى لا علم لكم به من أمر إبراهيم ودينه ، ولم تجدوه فى كتب الله، ولا أتتكم به أنبياؤكم ، ولا شاهدتموه فتعلموه ؟ كما : — ٢١٧/٣

٧٢٠٨ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجُّون فيما

---

(١) فى المطبوعة : « يعنى بذلك جل ثناؤه : ها أنتم هؤلاء ، القوم . . . » ، ومثله فى المخطوطة ، وليس فيها « هؤلاء » ، وصواب السياق يقتضى أن يكون كما أثبت . وقوله : « القوم » مفعول به لقوله : « يعنى . . . » .

(٢) هذه الزيادة التى بين القوسين ، أو ما يقوم مقامها، لا بد منها ، ولا يستقيم الكلام إلا بها ، وظاهر أن الناسخ قد تخطى عبارة أو سطراً من فرط عجلته أو تعبه . واستظهرتها من نهج أبى جعفر وسياق تفسيره .

(٣) انظر تفسير « حاج » فيما سلف ٣ : ١٢٠ ، ١٢١ ، ٢٠٠/٥ : ٤٢٩/٦ : ٢٨٠، ٤٧٣

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « ومن غير ذلك » ، والصواب ما أثبت ، تصحيف لناسخ .

ليس لكم به علم ، أما « الذى لهم به علم » ، فما حرّم عليهم وما أمروا به . وأما « الذى ليس لهم به علم » ، فشأن إبراهيم .

٧٢٠٩ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة : « ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم »، يقول : فيما شهدتم ورأيتم وعاينتم = « فلم تحاجُّون فيما ليس لكم به علم»، فيما لم تشاهدوا ولم تروا ولم تعاينوا = « والله يعلم وأنتم لا تعلمون » .

٧٢١٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه، عن الربيع مثله .

* * *

وقوله : « والله يعلم وأنتم لا تعلمون »، يقول : والله يعلم ما غاب عنكم فلم تشاهدوه ولم تروه، ولم تأتكم به رسلُه من أمر إبراهيم وغيره من الأمور ومما تجادلون فيه، لأنه لا يغيب عنه شيء . ولا يعزُبُ عنه علم شيء فى السموات ولا فى الأرض = « وأنتم لا تعلمون » ، من ذلك إلا ما عاينتم فشاهدتم ، أو أدركتم علمه بالإخبار والسَّماع .

* * *

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (٦٧)

قال أبو جعفر : وهذا تكذيبٌ من الله عز وجل دعوَى الذين جادلوا فى إبراهيم وملته من اليهود والنصارى ، وادَّعوا أنه كان على ملتهم = وتبرئة لهم منه ، وأنهم لدينه مخالفون = وقضاءٌ منه عز وجل لأهل الإسلام ولأمة محمد صلى الله عليه وسلم أنهم هم أهل دينه، وعلى منهاجه وشرائعه ، دون سائر أهل الملل والأديان غيرهم .

يقول الله عز وجل : = ما كان إبراهيم يهوديًّا ولا نصرانيًّا ولا كان من المشركين ، (١) الذين يعبدون الأصنامَ والأوثانَ أو مخلوقاً دون خالقه الذى هو إله الخلق وبارئهم = « ولكن كان حنيفاً » ، يعنى : متبعاً أمرَ الله وطاعته ، مستقيماً على محجّة الهدى التى أمر بلزومها = « مسلماً » ، يعنى : خاشعاً لله بقلبه ، متذللا له بجوارحه ، مذعناً لما فَرَض عليه وألزمه من أحكامه . (٢)

* * *

وقد بينا اختلاف أهل التأويل فى معنى « الحنيف » فيما مضى ، ودللنا على القول الذى هو أولى بالصحة من أقوالهم ، بما أغنى عن إعادته . (٣)

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك من التأويل قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٧٢١١ — حدثنى إسحق بن شاهين الواسطى قال ، حدثنا خالد بن عبد الله ، عن داود ، عن عامر قال : قالت اليهود : إبراهيم على ديننا . وقالت النصارى : هو على ديننا . فأنزل الله عز وجل : « ما كان إبراهيم يهوديًّا ولا نصرانيًّا » الآية ، فأكذبهم الله ، وأدحض حجتهم — يعنى : اليهودَ الذين ادّعوا أن إبراهيم ماتَ يهوديًّا . (٤)

٧٢١٢ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

---

(١) فى المطبوعة : « ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين » ، ساق الآية كقراءتها ، وذلك لأن ناسخ المخطوطة كان كتب « وكان من المشركين » ثم كتب بين الواو و « كان » « لا » ضعيفة غير بينة ، فلم يحسن الناشر قراءتها ، فساق الآية ، ولم يصب فيما فعل . ورددت عبارة الطبرى إلى صوابها .

(٢) انظر تفسير « الإسلام » فيما سلف قريباً : ٤٨٩ تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر ما سلف ٣ : ١٠٤ — ١٠٨ .

(٤) الأثر : ٧٢١١ — « إسحق بن شاهين الواسطى » ، روى عنه أبو جعفر فى مواضع من تاريخه ، ولم أجد له ترجمة . و « خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن » أبو الهيثم المزنى الواسطى . ثقة حافظ صحيح الحديث . مترجم فى التهذيب ، و « داود » هو : « ابن أبى هند » و « عامر » هو الشعبى .

٧٢١٣ – حدثني يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال، أخبرني يعقوب بن عبد الرحمن الزهري، عن موسى بن عقبة، عن سالم بن عبد الله – لا أراه إلاّ يحدثه عن أبيه – : أنّ زيد بن عمرو بن نفيل خرَج إلى الشام يسأل عن الدِّين ويتبعه، فلقي عالماً من اليهود، فسأله عن دينه وقال : إني لعلِّي أنْ أدين دينكم، فأخبرني عن دينكم. فقال له اليهودي : إنك لن تكون على ديننا حتى ٢١٨/٣ تأخذ بنصيبك من غضب الله. قال زيد: ما أفرّ إلاّ من غضب الله، ولا أحمل من غضب الله شيئاً أبداً وأنا أستطيع. فهل تدلني على دين ليس فيه هذا؟[١] قال: ما أعلمه إلاّ أن يكون حنيفاً![٢] قال: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم، لم يك يهودياً ولا نصرانياً، وكان لا يعبد إلا الله. فخرج من عنده فلقي عالماً من النصارى، فسأله عن دينه فقال : إني لعلِّي أن أدين دينكم، فأخبرني عن دينكم. قال : إنك لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله. قال : لا أحتمل من لعنة الله شيئاً، ولا من غضب الله شيئاً أبداً، وأنا أستطيع،[٣] فهل تدلني على دين ليس فيه هذا؟ فقال له نحواً مما قاله اليهودي: لا أعلمه إلا أن يكون حنيفاً.[٢] فخرج من عنده وقد رَضِي الذي أخبراه والذي اتفقا عليه من شأن إبراهيم، فلم يزل رافعاً يديه إلى الله وقال : [٤]اللهم إني أشهدك أني على دين إبراهيم.[٥]

---

(١) في المطبوعة : «وأنا لا أستطيع»، زاد «لا»، وليست في المخطوطة، وهي خطأ فاحش، ومخالف لرواية الحديث في البخاري كما سيأتي في تخريجه. وفي رواية البخاري : «وأنا أستطيعه، فهل تدلني على غيره؟»

(٢) في المطبوعة : «إلا أن تكون»، بالتاء في الموضعين والصواب بالياء كرواية البخاري.

(٣) في المطبوعة هنا أيضاً : «وأنا لا أستطيع» بزيادة «لا»، وليست في المخطوطة، وانظر التعليق : ١.

(٤) هكذا في المخطوطة والمطبوعة : «فلم يزل رافعاً يديه إلى الله»، وأنا في شك من لفظ هذا الكلام، وأكبر ظني أنه تصحيف من كاتب قديم، ونص رواية البخاري «فلما برز رفع يديه فقال» فجعل «فلما» «فلم»، وجعل «برز» «يزل»، وجعل «رفع» «رافعاً»، والسياق يقتضي مثل رواية البخاري.

(٥) الأثر : ٧٢١٣ – «يعقوب بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الزهري»، سكن الإسكندرية. ثقة، روى له البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي، مترجم في التهذيب.

أخبرنا أبو بكر محمد بن داود بن سليمان قال ، حدثنا محمد بن جرير الطبرى :

* * *

وهذا الخبر ، رواه البخارى (الفتح ٧ : ١٠٩ ، ١١٠) من طريق فضيل بن سليمان ، عن موسى ابن عقبة ، بمثل لفظ الطبرى مع بعض الاختلاف .

* * *

وعند هذا الموضع انتهى جزء من التقسيم القديم ، وفى المخطوطة ما نصه :

« يتلوه القول فى تأويل قوله عزّ وجلّ :

﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

والحمد لله على (. . ! !) وصلى الله على محمد وآله وسلم »

* * *

ثم يتلوه ما نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم

ربّ يسّر

أخبرنا أبو بكر محمد بن داود بن سليمان قال ، حدثنا محمد بن جرير الطبرى »

* * *

وهذا شىء جديد قد ظهر فى هذه النسخة ، فإن ما مضى جميعه ، كان ختام التقسيم القديم ، رواية أبى محمد الفرغانى ، عن أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، ثم بدأت رواية التفسير بإسناد آخر لم نكن نعرفه عن رجل آخر غير أبى محمد الفرغانى ، وهو المشهور برواية التفسير ، فأثبت الإسناد فى صلب التفسير لذلك : فلا بد من التعريف هنا بأبى بكر البغدادى . حتى نرى بعد كيف تمضى رواية التفسير ، أهى رواية أبى محمد الفرغانى إلى آخر الكتاب ، غير قسم منه رواه أبو بكر ، أم انقضت رواية أبى محمد الفرغانى ، ثم ابتدأت رواية أبى بكر من عند هذا الموضع ؟

وراوى هذا التفسير ، من أول هذا الموضع هو : « محمد بن داود بن سليمان سيار بن بيان ، البغدادى ، الفقيه ، أبو بكر » ، نزل مصر ، وحدث بها عن أبى جعفر الطبرى ، وعثمان بن نصر الطائى . روى عنه أبو الفتح عبد الواحد بن محمد بن مسرور البلخى ، كان ثقة . قال الخطيب البغدادى فى تاريخه ٥ : ٢٦٥ بإسناده إلى أبى سعيد بن يونس : « محمد بن داود بن سليمان ، يكنى أبا بكر ، بغدادى ،

القول فى تأويل قوله جَلّ ثناؤه ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٦٨)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله: « إنّ أولى الناس بإبراهيم » ، إنّ أحقّ الناس بإبراهيم ونصرته وولايته = « للذين اتبعوه » ، يعنى : الذين سلكوا طريقَه ومنهاجه ، فوحّدوا الله مخلصين له الدين ، وسنُّوا سُنته ، وشرَعوا شرائعه ، وكانوا لله حنفاء مسلمين غير مشركين به = « وهذا النبي » ، يعنى : محمداً صلى الله عليه وسلم = « والذين آمنوا » ، يعنى : والذين صدّقوا محمداً ، وبما جاءهم به من عند الله = « والله ولى المؤمنين » ، يقول : والله ناصرُ المؤمنين بمحمد ، (١) المصدِّقين له فى نبوّته وفيما جاءهم به من عنده ، على من خالفهم من أهل الملل والأديان .

* * *

وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٧٢١٤ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه » ، يقول : الذين اتبعوه على ملّته وسنّته ومنهاجه وفطرته = « وهذا النبي » ، وهو نبى الله محمد = « والذين آمنوا » معه ، وهم المؤمنون الذين صدّقوا نبيّ الله واتبعوه . كان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين معه من المؤمنين ، أولى الناس بإبراهيم .

قدم مصر ، وكان يتولى القضاء بتنيس ، وكان يروى كتب محمد بن جرير الطبرى عنه . حدث عنه جماعة من البغداديين . وكان نظيفاً عاقلا . وولى ديوان الأحباس بمصر . توفى يوم الخميس لثلاث بقين من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وثلثمئة » .

ولم أجد له غير هذه الترجمة فى تاريخ بغداد ، لا فى قضاة مصر للكندى ، ولا فى غيره من الكتب التى تحت يدى الآن ، ولعلى أجد فى موضع آخر من التفسير ، شيئاً يكشف عن روايته التفسير ، غير هذا القدر الذى وصلت إليه ، والله الموفق .

(١) انظر تفسير « الولى » فيما سلف ١ : ٤٨٩ ، ٥٦٤ / ٥ : ٤٢٤ / ٦ : ١٤٢ ، ٣١٣ .

٧٢١٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع مثله.

٧٢١٦ – حدثنا محمد بن المثنى، وجابر بن الكردى، والحسن بن أبي يحيى المقدسي، قالوا: حدثنا أبو أحمد قال: حدثنا سفيان، عن أبيه، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لكل نبيّ ولاةً من النبيين، وإن وليّي منهم أبي وخليل ربّي، ثم قرأ: «إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين». (١)

---

(١) الحديث: ٧٢١٦ – جابر بن الكردى بن جابر الواسطى البزار: ثقة من شيوخ النسائى، مترجم فى التهذيب.

الحسن بن أبي يحيى المقدسى: لم أصل إلى معرفة من هو؟

أبو أحمد: هو الزبيرى، محمد بن عبد الله بن الزبير الأسدى.

سفيان: هو الثورى.

وأبوه: سعيد بن مسروق الثورى الكوفى، وهو ثقة معروف، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

أبو الضحى: هو مسلم بن صبيح – بالتصغير. مضت ترجمته فى: ٥٤٢٤.

مسروق: هو ابن الأجدع بن مالك الهمدانى. مضت ترجمته فى: ٤٢٤٢.

وهذا إسناد صحيح متصل.

وسيأتى – عقبه – بإسناد منقطع: من طريق أبي نعيم، عن سفيان، عن أبيه، عن أبي الضحى، عن عبد الله – وهو ابن مسعود – منقطعاً، بإسقاط «مسروق» بين أبي الضحى وابن مسعود.

وأبو الضحى لم يدرك ابن مسعود. مات ابن مسعود سنة ٣٣. ومات أبو الضحى سنة ١٠٠.

وهكذا روى هذا الحديث فى الدواوين بالوجهين: متصلا ومنقطعاً. والوصل زيادة ثقة، فهى مقبولة.

فرواه الترمذى ٤: ٨٠ – ٨١، عن محمود بن غيلان، عن أبي أحمد الزبيرى، بهذا الإسناد، متصلا. كمثل رواية الطبرى هذه من طريق أبي أحمد.

وكذلك رواه البزار، من طريق أبي أحمد الزبيرى، فيما نقل عنه ابن كثير ٢: ١٦٣.

ولم ينفرد أبو أحمد الزبيرى بوصله بذكر «مسروق» فى إسناده. تابعه على ذلك راويان ثقتان.

فرواه الحاكم فى المستدرك ٢: ٢٩٢، من طريق محمد بن عبيد الطنافسى، عن سفيان، عن أبيه، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله – مرفوعاً موصولا. وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه». ووافقه الذهبى.

ونقل ابن كثير ٢: ١٦١ – ١٦٢ أنه رواه سعيد بن منصور: «حدثنا أبو الأحوص، عن سعيد بن مسروق [هو والد سفيان] عن أبي الضحى، عن مسروق، عن ابن مسعود...» – فذكره.

٧٢١٧ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين قال، حدثنا سفيان ، عن أبيه ، عن أبي الضحى ، عن عبد الله ، أراه قال : عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه .(١)

٧٢١٨ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي ، عن ابن عباس: يقول الله سبحانه : « إنّ أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه »، وهم المؤمنون . ٢١٩/٣

* * *

وأبو الأحوص سلام بن سليم : ثقة متقن حافظ ، مضى في : ٢٠٥٨ . فقد رواه مرفوعاً متصلا ، عن سعيد الثوري – والد سفيان – كما رواه سفيان عن أبيه .

فهذا يرجح رواية من رواه عن سفيان موصولا ، على رواية من رواه عنه منقطعاً. فإذا اختلفت الرواية على سفيان بين الوصل والانقطاع ، فلم تختلف على أبي الأحوص .

بل الظاهر عندي أن هذا ليس اختلافاً على سفيان . وأن سفيان هذا هو الذي كان يصله مرة ، ويقطعه مرة . ومثل هذا في الأسانيد كثير .

(١) الحديث : ٧٢١٧ – هذه هي الرواية المنقطعة لهذا الحديث . رواه الطبري من طريق أبي نعيم عن سفيان ، منقطعاً .

وكذلك رواه الترمذي ٤ : ٨١ ، عن محمود ، وهو ابن غيلان ، عن أبي نعيم ، بهذا الإسناد .

وتابع أبا نعيم على روايته هكذا منقطعاً رواة آخرون ثقات :

فرواه أحمد في المسند : ٣٨٠٠ ، عن وكيع ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبي الضحى ، عن عبد الله – هو ابن مسعود – مرفوعاً .

وكذلك رواه الترمذي ٤ : ٨١ ، عن أبي كريب ، عن وكيع .

ولكن نقله ابن كثير ٢ : ١٦٣ – ١٦٤ عن تفسير وكيع ، بهذا الإسناد ، وفيه « عن أبي إسحق » بدل « عن أبي الضحى » . وأنا أرجح أن هذا خطأ من بعض ناسخي تفسير وكيع ، ترجيحاً لرواية أحمد عن وكيع ، والترمذي من طريق وكيع – وفيهما : « عن أبي الضحى » .

ورواه أحمد أيضاً : ٤٠٨٨ ، عن يحيى ، وهو القطان ، وعن عبد الرحمن ، وهو ابن مهدي – كلاهما عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبي الضحى ، عن عبد الله ، مرفوعاً .

وقد رجح الترمذي الرواية المنقطعة ، وهو ترجيح بغير مرجح . والوصل زيادة تقبل من الثقة دون شك .

وفي رواية الطبري هذه قوله : « أراه عن النبي صلى الله عليه وسلم » ، مما يفهم منه الشك في رفعه أيضاً . وهذا الشك لعله من ابن المثنى شيخ الطبري ، أو من الطبري نفسه، لأن رواية الترمذي من طريق أبي نعيم ليس فيها الشك في رفعه .

والحديث ذكره السيوطي ٢ : ٤٢ ، دون بيان الروايات المتصلة من المنقطعة – وزاد نسبته لعبد ابن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، ولم يذكر نسبته لمسند أحمد ولا للبزار .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٦٩)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « ودّت » ، تمنت =[١] « طائفة » ، يعنى جماعة = « من أهل الكتاب » ، وهم أهل التوراة من اليهود ، وأهل الإنجيل من النصارى = « لو يضلُّونكم » ، يقولون : لو يصدّونكم أيها المؤمنون ، عن الإسلام ويردُّونكم عنه إلى ما هم عليه من الكفر ، فيهلكونكم بذلك .

* * *

« والإضلال » فى هذا الموضع ، الإهلاكُ ،[٢] من قول الله عز وجل : ﴿ وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِى الأَرْضِ أَئِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [سورة السجدة : ١٠] ، يعنى : إذا هلكنا ، ومنه قول الأخطل فى هجاء جرير :

كُنْتَ القَذَى فِى مَوْجِ أَكْدَرَ مُزْبِدٍ قَذَفَ الأَتِيُّ بِهِ فَصَلّ ضَلَالَا[٣]

يعنى : هلك هلاكاً ، وقول نابغة بنى ذبيان :

فَآبَ مُضِلُّوهُ بِعَيْنٍ جَلِيَّةٍ وَغُودِرَ بِالجَوْلَانِ حَزْمٌ ونَائِلُ[٤]

يعنى : مهلكوه .

* * *

---

(١) انظر تفسير « ود » فيما سلف ٢ : ٤٧٠/٥ : ٥٤٢

(٢) انظر تفسير « ضل » فيما سلف ١ : ١٩٥/٢ : ٤٩٥ ، ٤٩٦ .

(٣) مضى تخريجه وشرحه فى ٢ : ٤٩٦ .

(٤) ديوانه : ٨٣ ، واللسان (ضلل) (جلا) ، من قصيدته الغالية فى رثاء أبى حجر النعمان بن الحارث بن أبى شمر الغسانى ، وقبل البيت :

فإِنْ تَكُ قَدْ وَدَّعْتَ غَيْرَ مُذَمَّمٍ أَوَاسِيَ مُلْكٍ ثَبَّتَتْهُ الأَوَائِلُ
فَلَا تَبْعَدَنْ ، إِنَّ المَنِيَّةَ مَوْعِدٌ ، وَكُلُّ امْرِئٍ يَوْمًا به الحالُ زَائِلُ

= « وما يضلون إلا أنفسهم »، وما يهلكون — بما يفعلون من محاولتهم صدّكم عن دينكم — أحداً غير أنفسهم ، يعنى بـ « أنفسهم » : أتباعهم وأشياعهم على ملّتهم وأديانهم، وإنما أهلكوا أنفسهم وأتباعهم بما حاولوا من ذلك، لاستيجابهم من الله بفعلهم ذلك سخطه ، واستحقاقهم به غضبه ولعنته ، لكفرهم بالله ، ونقضهم الميثاقَ الذى أخذ الله عليهم فى كتابهم ، فى اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وتصديقه ، والإقرار بنبوّته .

ثم أخبر جلّ ثناؤه عنهم أنهم يفعلون ما يفعلون، من محاولة صدّ المؤمنين عن الهدى إلى الضلالة والردى، على جهل منهم بما اللهُ بهم مُحلٌّ من عقوبته ،

فَمَا كَانَ بَيْنَ الخَيْرِ ، لَوْ جَاءَ سَالِماً أَبُو حُجُرٍ ، إِلَّا لَيَالٍ قَلَائِلُ
فَإِنْ تَحْيَ لَا أَمْلَلْ حَيَاتِي ، وَإِنْ تَمُتْ فَمَا فِي حَيَاةٍ بَعْدَ مَوْتِكَ طَائِلُ
فَآبَ مُضِلُّوهُ . . . . . .

وروايةُ الأصمعى وأبى عبيدة : « فآب مصلوه » بالصاد المهملة . وفسرها الأصمعى فقال : « أراد : قدم أول قادم بخبر موته ، ولم يتبينوه ولم يحققوه ولم يصدقوه ، ثم جاء المصلون ، وهم الذين جاءوا بعد الخبر الأول ، وقد جاءوا على أثره ، وأخبروا بما أخبر به ، بعين جلية : أى بخبر متواتر صادق يؤكد موته ، ويصدق الخبر الأول . وإنما أخذه من السابق والمصلى (من الخيل) » وقال أبو عبيدة : « مصلوه : يعنى أصحاب الصلاة ، وهم الرهبان وأهل الدين منهم » .

والذى قاله الأصمعى غريب جداً ، وأنا أرفضه لبعده وشدة غرابته ، واحتياله الذى لا يغنى ، ولو قال : «مصلوه» ، هم مشيعوه الذين سوف يتبعون آثاره عما قليل إلى الغاية التى انتهى إليها ، وهى اللحد — لكان أجود وأعرق فى العربية !! ولكن هكذا تذهب المذاهب أحياناً بأئمة العلم. والذى قال أبو عبيدة ، على ضعفه ، أجود مما قاله الأصمعى ، وأنا أختار الرواية التى رواها الطبرى ، ولها تفسيران : أحدهما الذى قاله الطبرى ، وهو يقتضى أن يكون النعمان مات مقتولا ، ولم أجد خبراً يؤيد ذلك ، فإنه غير ممكن أن يكون تفسيره « مهلكوه » ، إلا على هذا المعنى . والآخر : « مضلوه » أى : دافنوه الذى أضلوه فى الأرض : أى دفنوه وغيبوه ، وهو المشهور فى كلامهم ، كقول المخبل :

أَضَلَّتْ بَنُو قَيْسِ بنِ سَعْدٍ عَمِيدَهَا وفَارِسَهَا فى الدَّهْرِ قَيْسَ بنَ عَاصِمِ

فمعنى قول النابغة : كذب الناس خبر موت النعمان أول ماجاء ، فلما جاء دافنوه بخبر ما عاينوه ، صدقوا الخبر الأول. هذا أجود ما يقال فى معنى البيت . و « الجولان » جبل فى نواحى دمشق ، من عمل حوران . وتبين من شعر النابغة أنه كانت به منازل النعمان وقصوره ودوره .

ومدّخِر لهم من أليم عذابه ، فقال تعالى ذكره : « وما يشعرون » أنهم لا يضلون إلاّ أنفسهم ، بمحاولتهم إضلالكم أيها المؤمنون .

* * *

ومعنى قوله : « وما يشعرون » ، وما يدرون ولا يَعلمون .

* * *

وقد بينا تأويل ذلك بشواهده فى غير هذا الموضع ، فأغنى ذلك عن إعادته .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ (٧٠)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « يا أهل الكتاب » ، من اليهود والنصارى = « لم تكفرون » ، يقول : لم تجحدون = « بآيات الله » ، يعنى : بما فى كتاب الله الذى أنزله إليكم على ألسن أنبيائكم ، من آيه وأدلته = « وأنتم تشهدون » أنه حق من عند ربكم .

* * *

وإنما هذا من الله عز وجل ، توبيخٌ لأهل الكتابين على كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وجحودهم نبوّته ، وهم يجدونه فى كتبهم ، مع شَهادتهم أن ما فى كتبهم حقٌّ ، وأنه من عند الله ، كما : —

٧٢١٩ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون » ، يقول : تشهدون

---

(١) انظر تفسير « شعر » فيما سلف ١ : ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

أن نعتَ محمد نبيّ الله صلى الله عليه وسلم فى كتابكم ، ثم تكفرون به وتنكرونه ولا تؤمنون به ، وأنتم تجدونه مكتوباً عندكم فى التوراة والإنجيل : « النبى الأمىّ الذى يؤمن بالله وكلماته » .

٧٢٢٠ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون » ، يقول : تشهدون أن نعتَ محمد فى كتابكم ، ثم تكفرون به ولا تؤمنون به ، وأنتم تجدونه عندكم فى التوراة والإنجيل : « النبىّ الأمىّ » .

٧٢٢١ — حدثنى محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون » ، « آيات الله » محمد ، وأما « تشهدون » ، فيشهدون أنه الحق ، يجدونه مكتوباً عندهم .

٧٢٢٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قوله : « يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم نشهدون » أنّ الدين عند الله الإسلام ، ليس لله دين غيره .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْـكِتَـٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : يا أهل التوراة والإنجيل = « لم تلبسون » ، يقول : لم تخلطون = « الحق بالباطل » .

* * *

(١) الأثر : ٧٢٢٢ — أسقطت المطبوعة والمخطوطة : « حدثنا القاسم قال » ، فأثبتها ، وهو إسناد دائر فى التفسير من أوله ، أقربه رقم : ٧٢٠٠ ، وسيأتى بعد قليل على الصواب ، رقم : ٧٢٢٦ .

وكان خلطهم الحق بالباطل، إظهارهم بألسنتهم من التصديق بمحمد صلى الله الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله، غيرَ الذى فى قلوبهم من اليهودية والنصرانية .

كما : —

٧٢٢٣ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق ، عن محمد بن أبى محمد ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال عبد الله ابن الصيِّف ، وعدى بن زيد ، والحارث بن عوف ، بعضهم لبعض : تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غُدْوةً ونكفُر به عشيةً ، حتى نلبس عليهم دينهم، لعلهم يصنعون كما نصنعُ فيرجعوا عن دينهم ! فأنزل الله عز وجل فيهم : « يا أهل الكتاب لم تلبسون الحقّ بالباطل » إلى قوله : « والله واسع عليم » .(١)

٧٢٢٤ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل » ، يقول: لم تلبسون اليهودية والنصرانية بالإسلام ،وقد علمتم أنّ دين الله الذى لا يقبل غيرَه ، الإسلام، ولا يجزى إلاّ به ؟

٧٢٢٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بمثله = إلا أنه قال: الذى لا يقبل من أحد غيرَه، الإسلامُ = ولم يقل: « ولا يجزى إلاّ به » .(٢)

٧٢٢٦ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل »، الإسلامَ باليهودية والنصرانية .

* * *

وقال آخرون : فى ذلك ، بما : —

---

(١) الأثر : ٧٢٢٣ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٢ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ٧٢٠٢ .

(٢) فى المطبوعة : « ولم يقبل ولا يجازى إلا به » ، قرأها الناشر كذلك لفساد خط الناسخ فى كتابته ، وصواب قراءتها ما أثبت ، وفى المخطوطة « لا يجزى الآية » ، وهو تصحيف قبيح .

٧٢٢٧ – حدثني به يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قول الله عز وجل : « لم تلبسون الحق بالباطل » ، قال : «الحقّ» التوراة التي أنزل الله على موسى ، و« الباطل » ، الذي كتبوه بأيديهم .

* * *

قال أبو جعفر : وقد بينا معنى « اللبس » فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته .(١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٧١)

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : ولم تكتمون ، يا أهل الكتاب ، الحقّ ؟(٢)

* * *

و« الحق» الذي كتموه : ما في كتُبهم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم ومبعثه ونبوّته ، كما : –

٧٢٢٨ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وتكتمون الحق وأنتم تعلمون » ، كتموا شأنَ محمد ، وهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، يأمرهم بالمعروف وَينهاهم عن المنكر .

٧٢٢٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله: « وتكتمون الحق وأنتم تعلمون » ، يقول : يكتمون شأن محمد صلى الله عليه وسلم، وهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل : ٢٢١/٣
يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر .

٧٢٣٠ – حدثني القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٥٦٧ ، ٥٦٨ .

(٢) انظر تفسير نظيرة هذه الآية والتي قبلها فيما سلف ١ : ٥٦٦ – ٥٧٢ ، والآثار التي رواها هنا قد رويت هناك في مواضعها .

ابن جريج : « تكتمون الحق »، الإسلام ، وأمرَ محمد صلى الله علية وسلم = « وأنتم تعملون » أنّ محمداً رسولُ الله، وأنّ الدين الإسلامُ .

* * *

وأما قوله : « وأنتم تعلمون »، فإنه يعنى به : وأنتم تعلمون أنّ الذى تكتمونه من الحق حقّ ، وأنه من عند الله .

* * *

وهذا القول من الله عز وجل ، خبرٌ عن تعمُّد أهل الكتاب الكفرَ به ، وكتمانِهم ما قد علموا من نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم ووَجدوه فى كتبهم ، وجاءَتهم به أنبياؤهم .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (٧٢)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى صفة المعنى الذى أمرت به هذه الطائفة مَنْ أمرَت به : من الإيمان وجهَ النهار ، وكفرٍ آخره .(١)

فقال بعضهم : كان ذلك أمراً منهم إياهم بتصديق النبى صلى الله عليه وسلم فى نبوّته وما جاء به من عند الله ، وأنه حق، فى الظاهر =(٢) من غير تصديقه فى ذلك بالعزم واعتقاد القلوب على ذلك = وبالكفر به وجحود ذلك كله فى آخره .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) فى المطبوعة : « والكفر آخره » ، غير ما فى المخطوطة ، وهو صواب متمكن .

(٢) سياق قوله : « بتصديق النبى . . . فى الظاهر » .

٧٢٣١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره » ، فقال بعضهم لبعض : أعطوهم الرضى بدينهم أوّل النهار ، واكفروا آخره ، فإنه أجدر أن يصدّقوكم ، ويعلموا أنكم قد رأيتم فيهم ما تكرهون ، وهو أجدَرُ أن يرجعوا عن دينهم .

٧٢٣٢ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا معلى بن أسد قال ، حدثنا خالد ، عن حصين ، عن أبى مالك فى قوله : « آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره » ، قال : قالت اليهود : آمنوا معهم أوّل النهار ، واكفروا آخره ، لعلهم يرجعون معكم .

٧٢٣٣ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون » ، كان أحبارُ قُرَى عربيةَ اثنى عشر حبراً ،[1] فقالوا لبعضهم : ادخلوا فى دين محمد أول النهار ، وقولوا : « نشهد أن محمداً حقّ صادقٌ » ، فإذا كان آخر النهار فاكفروا وقولوا : « إنا رجعنا إلى علمائنا وأحبارنا فسألناهم ، فحدّثونا أن محمداً كاذب ، وأنكم لستم على شىء ، وقد رجعنا إلى ديننا فهو أعجب إلينا من دينكم » ، لعلهم يشكّون ، يقولون : هؤلاء كانوا معنا أوّل النهار ، فما بالهم ؟ فأخبر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك .

٧٢٣٤ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن حصين ، عن أبى مالك الغفارى قال : قالت اليهود بعضهم لبعض : أسلِموا أول النهار وارتدُّوا آخره لعلهم يرجعون . فأطلع الله على سرّهم ، فأنزل الله عز وجل :

---

(١) فى المطبوعة : « قرى عرينة » ، وهى قراءة فاسدة للمخطوطة ، إذ كانت غير منقوطة وجاءت على الصواب فى الدر المنثور ٢ : ٤٢ . وانظر معجم ما استعجم : ٩٢٩ ، فهو اسم مكان .

« وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون » .

* * *

وقال آخرون: بل الذى أمرَت به من الإيمان : الصلاةُ ، وحضورها معهم أول النهار ، وتركُ ذلك آخرَه .

٢٢٢/٣ * ذكر من قال ذلك :

٧٢٣٥ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنى أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله عز وجل : « آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار » ، يهودُ تقوله . صلَّت مع محمد صلاةَ الصبح ، وكفروا آخرَ النهار ، مكراً منهم ، ليُرُوا الناس أن قد بدت لهم منه الضلالةُ ، بعد أن كانوا اتَّبعوه .

٧٢٣٦ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد بمثله .

٧٢٣٧ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار » ، الآية ، وذلك أنّ طائفة من اليهود قالوا : إذا لقيتم أصحابَ محمد صلى الله عليه وسلم أوّل النهار فآمنوا ، وإذا كان آخره فصلوا صلاتكم ، لعلهم يقولون : هؤلاء أهلُ الكتاب ، وهم أعلم منا ! لعلهم ينقلبون عن دينهم ، ولا تُؤمنوا إلاّ لمن تبع دينكم .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام إذاً : « وقالت طائفة من أهل الكتاب » ، يعنى : من اليهود الذين يقرأون التوراة = « آمنوا » صدّقوا = « بالذى أنزل على الذين آمنوا » ، وذلك ما جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم من الدين الحقّ وشرائعه وسننه = « وجه النهار » ، يعنى : أوّل النهار .

* * *

وسمَّى أوّله « وجهاً » له ، لأنه أحسنه ، وأوّلُ ما يواجه الناظرَ فيراه منه ، كما يقال لأول الثوب : « وجهه » ، وكما قال ربيع بن زياد :

مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ فَلْيَأْتِ نِسْوَتَنَا بِوَجْهِ نَهَارِ (١)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٧٢٣٨ — حدثنا بشر قال حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: « وجه النهار »، أوّلَ النهار .

٧٢٣٩ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « وجه النهار » ، أول النهار = « واكفروا آخره » ، يقول : آخر النهار .

٧٢٤٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا

---

(١) مجاز القرآن ١ : ٩٧ ، حماسة أبى تمام ٣ : ٢٦ ، والأغانى ١٦ : ٢٧ ، والخزانة ٣ : ٥٣٨ ، واللسان (وجه) وغيرها ، من أبياته التى قالها حين قتل حميمه مالك بن زهير ، وحمى لقتله ، واستعد لطلب ثأره ، وبعد البيت ، وهو من تمامه .

يَجِدِ النِّسَاءُ حَوَاسِرًا يَنْدُبْنَهُ يَبْكِينَ قَبْلَ تَبَلُّجِ الأَسْحَارِ
قَدْ كُنَّ يَخْبَأْنَ الوُجُوهَ تَسَتُّرًا فَالْيَوْمَ حِينَ بَرَزْنَ لِلنظَّارِ
يَخْمِشْنَ حُرَّاتِ الوُجُوهِ عَلَى امْرِئٍ سَهْلِ الخليقةِ طَيِّبِ الأَخبارِ

قالوا فى معنى البيت الشاهد : « يقول : من كان مسروراً بمقتل مالك ، فلا يشمتن به ، فإنا قد أدركنا ثأره به . وذلك أن العرب كانت تندب قتلاها بعد إدراك الثأر » . ومعنى البيت عندى شبيه بذلك ، إلا أن قوله : «فليأت نسوتنا بوجه نهار» ، أراد به أنه مدرك ثأره من فوره ، فمن شاء أن يعرف برهان ذلك ، فليأت ليشهد المأتم قدقام يبكيه فى صبيحة مقتله. يذكر تعجيله فى إدراك الثأر ، كأنه قد كان . وتأويل ذلك أنه قال هذه الأبيات لامرأته قبل مخرجه إلى قتال الذين قتلوا مالكاً ، فقال لامرأته ذلك ، يعلمها أنه مجد فى طلب الثأر ، وأنه لن يمرض فى طلبه ، بل هو مدركه من فوره هذا

آخره »، قال قال : صلوا معهم الصبح، ولا تصلّوا معهم آخرَ النهار ، لعلكم تستزلُّونهم بذلك .

* * *

وأما قوله: « واكفروا آخره »، فإنه يعنى به ،أنهم قالوا: واجحدوا ما صدّقتم به من دينهم فى وَجه النهار ، فى آخر النهار = « لعلهم يرجعون » : يعنى بذلك : لعلهم يرجعون عن دينهم معكم ويَدَعونه: كما : —

٧٢٤١ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « لعلهم يرجعون »، يقول : لعلهم يدَعون دينهم ، ويرجعون إلى الذى أنتم عليه .

٧٢٤٢ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه، عن الربيع مثله .

٧٢٤٣ — حدثنا محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس: « لعلهم يرجعون » ، لعلهم ينقلبون عن دينهم .

٧٢٤٤ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى: « لعلهم يرجعون »، لعلهم يشكّون .

٧٢٤٥ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج، عن مجاهد قوله : « لعلهم يرجعون » ، قال : يرجعون عن دينهم . ٢٢٣/٣

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ولا تصدّقوا إلا من تبع دينكم فكان يهوديًّا .

* * *

وهذا خبر من الله عن قول الطائفة الذين قالوا لإخوانهم من اليهود : « آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار » .

* * *

و « اللام » التى فى قوله : « لمن تبع دينكم » ، نظيرة « اللام » التى فى قوله : ﴿عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ﴾ ، بمعنى : ردفكم ، ﴿ بَعْضُ الَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [سورة النمل : ٧٢] .

* * *

وبنحو ما قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٧٢٤٦ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ولا تؤمنوا إلاّ لمن تبع دينكم » ، هذا قول بعضهم لبعض .

٧٢٤٧ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

٧٢٤٧م – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولا تؤمنوا إلاّ لمن تبع دينكم » قال : لا تؤمنوا إلاّ لمن تبع اليهودية .

٧٢٤٨ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن يزيد فى قوله :

« ولا تؤمنوا إلاّ لمن تبع دينكم »، قال : لا تؤمنوا إلا لمن آمن بدينكم ، ومَنْ خالفه فلا تؤمنوا له .[١]

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : قوله : « قل إنّ الهدى هدى الله » ، اعتراضٌ به فى وسط الكلام ،[٢] خبرًا من الله عن أن البيان بيانُه والهدى هُداه . قالوا : وسائرُ الكلام بعدَ ذلك متصلٌ بالكلام الأول ، خبراً عن قيل اليهود بعضها لبعض .[٣] فمعنى الكلام عندهم : ولا تؤمنوا إلاّ لمن تبع دينكم ، ولا تؤمنوا أن يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم ، أو أنْ يحاجُّوكم عند ربكم = أى : ولا تؤمنوا أن يحاجّكم أحدٌ عند ربكم . ثم قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد : « إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء »، و « إن الهدى هدى الله » .

« ذكر من قال ذلك :

٧٢٤٩ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم » ، حسداً من يهود أن تكون النبوة فى غيرهم ، وإرادةَ أن يُتّبعوا على دينهم .

---

(١) فى المطبوعة : « لا من خالفه فلا تؤمنوا به » بزيادة «لا » وفى المخطوطة : « من خالفه فلا تؤمنوا به » ، والصواب زيادة الواو كما أثبت ، والصواب أيضاً « تؤمنوا له » ، وذاك تصحيف من الناسخ .

(٢) فى المطبوعة : « اعترض به فى وسط الكلام ، خبر من الله ... » والصواب ما فى المخطوطة كما أثبته .

(٣) فى المطبوعة هنا أيضاً : « خبر عن قيل اليهود » برفع الخبر ، والصواب من المخطوطة .

٧٢٥٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

وقال آخرون: تأويل ذلك: قل يا محمد : «إن الهدى هدى الله »، إنّ البيان بيانُ الله = « أن يؤتى أحدٌ » ، قالوا : ومعناه : لا يؤتى أحدٌ من الأمم مثل ما أوتيتم ، كما قال :﴿ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾ [سورة النساء : ١٧٦]، بمعنى : لا تضلون ، وكقوله :﴿ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ * لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ [سورة الشعراء: ٢٠٠ ، ٢٠١] ، بمعنى : أن لا يؤمنوا = « مثل ما أوتيتم »، يقول: مثل ما أوتيتَ، أنت يا محمد، وأمتك من الإسلام والهدى = « أو يحاجوكم عند ربكم »، قالوا : ومعنى « أو »: « إلاّ »، أيْ : إلا أن « يحاجوكم » ، يعني : إلاّ أن يجادلوكم عند ربكم عند ما فعل بهم ربُّكم .(١)

* ذكر من قال ذلك :

٧٢٥١ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : قال الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم : « قل إنّ الهدى هُدَى الله أن يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم » ، يقول ، مثل ما أوتيتم يا أمة محمد = « أو يحاجوكم عند ربكم »، تقول اليهود: فعل الله بنا كذا وكذا من الكرامة، حتى أنزل علينا المن والسلوى = فإن الذى أعطيتكم أفضلُ فقولوا : « إن الفضْل بيد الله يؤتيه من يشاء »، الآية . ٣/٢٢٤

* * *

فعلى هذا التأويل، جميع هذا الكلام، [أمرٌ] من الله نبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يقوله لليهود،(٢) وهو متلاصق بعضه ببعض لا اعتراض فيه . و« الهدى »

---

(١) انظر تفصيل هذه المقالة فى معانى القرآن للفراء ١ : ٢٢٢ – ٢٢٣ .

(٢) فى المطبوعة : « جميع هذا الكلام من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم » ، وفى المخطوطة « جميع هذا الكلام من الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم » ، ولما رأى الناشر عبارة لا تستقيم ، اجتهد فى

الثانى ردّ على «الهدى» الأول ، و « أن » فى موضع رفع على أنه خبر عن « الهدى » .

* * *

وقال آخرون : بل هذا أمر من الله نبيَّه أن يقوله لليهود .[1] وقالوا : تأويله : «قل» يا محمد « إن الهدى هُدى الله أن يؤتى أحد » من الناس « مثل ما أوتيتم » ، يقول : مثل الذى أوتيتموه أنتُم يا معشر اليهود من كتاب الله ، ومثل نبيكم ، فلا تحسدوا المؤمنين على ما أعطيتهم مثلَ الذى أعطيتكم من فضلى ، فإن الفضل بيدى أوتيه من أشاء .

* ذكر من قال ذلك :

٧٢٥٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « قل إن الهدى هدى الله أن يؤتَى أحدٌ مثل ما أوتيتم » ، يقول : لما أنزل الله كتاباً مثلَ كتابكم ، وبعثَ نبيًّا مثل نبيكم ، حسدتموهم على ذلك = « قلْ إنّ الفضلَ بيد الله » ، الآية .

٧٢٥٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

* * *

وقال آخرون : بل تأويل ذلك : «قل» يا محمد : « إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم » أنتم يا معشر اليهود من كتاب الله . قالوا : وهذا آخر القول الذى أمرَ الله به نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم أن يقوله لليهود من هذه الآية . قالوا : وقوله : «أو يحاجوكم » ، مردود على قوله : « ولا تؤمنوا إلاّ لمن تَبع دينكم » .

وتأويل الكلام — على قول أهل هذه المقالة — : ولا تؤمنوا إلاّ لمن تبع دينكم ، فتتركوا الحقّ : أنّ يحاجُّوكم به عند ربكم من اتبعتم دينه فاخترتموه : أنه محقٌّ ، وأنكم تجدون نعته فى كتابكم . فيكون حينئذ قوله : « أو يحاجوكم » مردوداً على

إصلاحها ، والصواب القريب زيادة ما زدته بين القوسين ، سقط من الناسخ « أمر » لقرب رسمها مما بعدها وهو : « من » . وقد استظهرته مما سيأتى فى أول الفقرة التالية .

(١) فى المطبوعة : « أمر من الله لنبيه » ، زاد لاماً لا ضرورة لها . وانظر التعليق السالف .

على جواب نهى متروك ، على قول هؤلاء .

* ذكر من قال ذلك :

٧٢٥٤ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قوله : « إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم » ، يقول : هذا الأمر الذى أنتم عليه : أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم = « أو يحاجوكم عند ربكم » ، قال قال بعضهم لبعض : لا تخبروهم بما بيَّن الله لكم فى كتابه ، ليحاجُّوكم = قال : ليخاصموكم= به عند ربكم = « قل إن الهدى هدى الله » .

* * *

[قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يكون قوله : « قل إن الهدى هُدى الله »]= معترضاً به ، [1] وسائر الكلام متَّسِقٌ على سياقٍ واحد . فيكون تأويله حينئذ : ولا تؤمنوا إلاّ لمن تبع دينكم ، [2] ولا تؤمنوا أن يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم = بمعنى : لا يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم =[3] « أو يحاجوكم عند ربكم» ، بمعنى : أو أن يحاجوكم عند ربكم . . . . . [4] أحد بإيمانكم ،

---

(١) الزيادة التى بين القوسين لا بد منها كما سترى فى التعليق ص ٥١٦ ، تعليق : ٣ . وكان فى المطبوعة « قل إن الهدى هدى الله ، معترض به » ، وهو لا يستقيم ، وفى المخطوطة مثله إلا أنه كتب « معترضاً به » بالنصب . والظاهر أن الناسخ لما بلغ « قل إن الهدى هدى الله » فى الأثر السالف تخطى بصره إلى نظيرتها فى كلام الطبرى ، فكتب بعده : « معترضاً به » وأسقط ما بينهما كما سيتبين لك فيما بعد .

(٢) فى المطبوعة : « اتبع دينكم » ، والصواب من المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « بمثل ما أوتيتم » ، زاد « باء » ، والصواب من المخطوطة .

(٤) موضع هذه النقط سقط ، لا أشك فيه . وكان فى المطبوعة : « أو أن يحاجكم عند ربكم أحد بإيمانكم » ، وهو غير مستقيم ، وكان فى المخطوطة : « أو أن يحاجوكم عند ربكم أحد بإيمانكم » ، وهو كلام مختل ، حمل ناشر المطبوعة الأولى على تغييره ، كما رأيت . وظاهر أنه سقط من هذا الموضع ، سياق أبى جعفر لهذا التأويل الذى اختاره ، ورد فيه قوله تعالى : « قل إن الهدى هدى الله » ، إلى موضعها بعد قوله : « أو يحاجوكم به عند ربكم » ، كما هو بين من كلامه . وأنا أظن أن قوله : « أحد بما علم » وهكذا كتبت فى المخطوطة غير منقوطة ، صوابها « حسدا لما آتاكم » ، كما يستظهر من الآثار السالفة .

هذا ، وإن شئت أن تجعل الكلام جارياً كله مجرى واحداً على هذا : « أو أن يحاجوكم عند ربكم ، حسداً لما آتاكم ، لأنكم أكرم على الله منهم . . . » ، كان وجهاً ، غير أنى لست أرتضيه ، بل أرجح أن ههنا سقطاً لا شك فيه .

لأنكم أكرمُ على الله بما فضلكم به عليهم .

فيكون الكلام كله خبراً عن قول الطائفة التى قال الله عز وجل : « وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار » سوى قوله : « قُل إن الهدى هدى الله » . ثم يكون الكلام مُبتدأ بتكذيبهم فى قولهم : « قل » ، يا محمد ، للقائلين ما قولوا من الطائفة التى وصفتُ لك قولها لتُبَّاعها من اليهود =[1] : « إن الهدى هدى الله » ، إن التوفيق توفيقُ الله والبيانَ بيانُه ،[2] « إن الفضل بيده يؤتيه من يشاء » ، لا ما تمنيتموه أنتم يا معشر اليهود . ٣/٢٢٥

وإنما اخترنا ذلك من سائر الأقوال التى ذكرناها ،[3] لأنه أصحها معنًى ، وأحسنُها استقامةً ، على معنى كلام العرب ، وأشدُّها اتساقاً على نظم الكلام وسياقه . وما عدا ذلك من القول ، فانتزاع يبعُد من الصحة ، على استكراه شديدٍ للكلام .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٧٣)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « قل » يا محمد ، لهؤلاء اليهود الذين وصفتُ قولهم لأوليائهم = : « إنَّ الفضلَ بيد الله » ، إنَّ التوفيق للإيمان والهدايةَ للإسلام ،[4] بيد الله وإليه ، دونكم ودون سائر خلقه = « يؤتيه من يشاء » من

---

(١) التباع جمع تابع ، مثل : « جاهل وجهال » .

(٢) انظر تفسير « الهدى » فيما سلف ١ : ١٦٦ – ١٧٠ ، ٢٣٠ ، ٢٤٩ ، ٥٤٩ – ٥٥١ / ٣ : ١٠١ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ٤/٢٢٣ : ٢٨٣ .

(٣) من ذكر الطبرى اختياره ، تبين بلا ريب أن فى صدر الكلام سقطاً ، كما أسلف فى ص : ٥١٥ ، تعليق : ١ ، ولعل الزيادة التى أسلفتها ، قد نزلت منزلها من الصواب إن شاء الله .

(٤) انظر تفسير « الفضل » فيما سلف ٢ : ٣٣٤ / ٥ : ٥٧١

خلقه، يعنى : يعطيه من أراد من عباده، [١] تكذيباً من الله عز وجل لهم فى قولهم لتُبّاعهم : « لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم » . فقال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم : قل لهم : ليس ذلك إليكم ، إنما هو إلى الله الذى بيده الأشياء كلها ، وإليه الفضل وبيده ، يُعطيه من يشاء = « والله واسع عليم » ، يعنى : والله ذُو سعةٍ بفضله على من يشاء أن يتفضل عليه = [٢] «عليم »، ذو علم بمن هو منهم للفضل أهل. [٣]

٧٢٥٥ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك قراءةً ، عن ابن جريج فى قوله : « قل إنّ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء »، قال : الإسلام .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (٧٤)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « يختص برحمته من يشاء » ، « يفتعل » من قول القائل : « خصصت فلاناً بكذا، أخُصُّه به » . [٤]

* * *

وأما « رحمته » ، فى هذا الموضع ، فالإسلام والقرآن ، مع النبوّة ، كما : –

٧٢٥٦ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد: « يختص برحمته من يشاء » ، قال : النبوّة ، يخصُّ بها من يشاء .

---

(١) انظر تفسير : « آتى » فيما سلف ١ : ٢/٥٧٤ : ٣١٧ وفهارس اللغة .

(٢) انظر تفسير « واسع » فيما سلف ٢ : ٥/٥٣٧ : ٥١٦، ٥٧٥

(٣) انظر تفسير « عليم » فيما سلف ١ : ٤٣٨ ، ٢/٤٩٦ ، ٣/٥٣٧ : ٣٩٩، وفهارس اللغة

(٤) انظر تفسير « يختص » فيما سلف أيضاً ٢ : ٤٧١ .

٧٢٥٧ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٧٢٥٨ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « يختص برحمته من يشاء » ، قال : يختص بالنبوة من يشاء .

٧٢٥٩ – حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك قراءةً ، عن ابن جريج : « يختص برحمته من يشاء » ، قال : القرآن والإسلام .

٧٢٦٠ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج مثله .

* * *

= « والله ذو الفضل العظيم » ، يقول : ذو فضل يتفضَّل به على من أحبّ وشاء من خلقه . ثم وصف فضله بالعِظَم فقال : « فضله عظيم » ، لأنه غير مشبهه في عِظَم موقعه ممن أفضله عليه [فضلٌ] من إفضال خلقه ،[1] ولا يقاربه في جلالة خطره ولا يُدانيه .

* * *

---

(١) في المطبوعة : « غير مشبه . . . ممن أفضله عليه أفضال خلقه » ، وأما المخطوطة ففيها : « غير مشبهه . . . ممن أفضله عليه من أفضال خلقه » ، فرأيت أنه قد سقط من ناسخ المخطوطة ما زدته بين القوسين ليستقيم الكلام .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ﴾

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله عز وجل : أنّ من أهل الكتاب — وهم اليهود من بنى إسرائيل — أهلَ أمانة يؤدُّونها ولا يخونونها ، ومنهم الخائن أمانته ، الفاجرُ فى يمينه ، المستحِلُّ . (١)

* * *

٣/٢٢٦ فإن قال قائل: وما وجه إخبار الله عز وجل بذلك نبيَّه صلى الله عليه وسلم، وقد علمتَ أنّ الناس لم يزالوا كذلك: منهم المؤدِّى أمانته والخائنُها ؟

قيل : إنما أراد جل وعز بإخباره المؤمنين خبرَهم — على ما بينه فى كتابه بهذه الآيات — تحذيرَهم أن يأتمنوهم على أموالهم ، (٢) وتخويفهم الاغترارَ بهم ، لاستحلال كثير منهم أموالَ المؤمنين .

* * *

فتأويل الكلام : ومن أهل الكتاب الذى إنْ تأمنه ، يا محمد ، على عظيم من المال كثير ، يؤدِّه إليك ولا يخنْك فيه ، ومنهم الذى إن تأمنه على دينار يخنْك فيه فلا يؤدِّه إليك ، إلا أن تلح عليه بالتقاضى والمطالبة .

* * *

---

(١) لعل فى المخطوطة سقطاً ، صوابه : « المستحل أموال الأميين من العرب » أو « المستحل أموال المؤمنين » ، كما يتبين من بقية تفسير الآية .

(٢) فى المخطوطة : « أن يهوهم على أموالهم» غير منقوطة ، والذى قرأه الناشر الأول جيد وهو الصواب .

و« الباء » فى قوله : « بدينار » و«على » يتعاقبان فى هذا الموضع ، كما يقال : « مررت به ، ومررت عليه » .(١)

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « إلاّ ما دمت عليه قائماً » .

فقال بعضهم : « إلاّ ما دمت له متقاضياً » .

* ذكر من قال ذلك :

٧٢٦١ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إلاّ ما دمت عليه قائماً » ، إلا ما طلبته واتبعته .

٧٢٦٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « إلاّ ما دمت عليه قائماً » ، قال : تقتضيه إياه .

٧٢٦٣ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « إلا ما دمت عليه قائماً » ، قال : مواظباً .

٧٢٦٤ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : « إلا ما دمتَ قائماً على رأسه » .(٢)

* ذكر من قال ذلك :

٧٢٦٥ – حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « إلا ما دمت عليه قائماً » ، يقول : يعترف

---

(١) انظر ذلك فيما سلف ١ : ٣١٣ .

(٢) فى المطبوعة : « إلا ما دمت عليه قائماً » بزيادة « عليه » ، وهى فساد ، والصواب من المخطوطة .

بأمانته ما دمت قائماً على رأسه، فإذا قمتَ ثم جئت تطلبهُ كافرك =[1] الذى يؤدِّى ، والذى يجحد .[2]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين بتأويل الآية، قول من قال : « معنى ذلك : إلا ما دمت عليه قائماً بالمطالبة والاقتضاء » . من قولهم : « قام فلان بحقى على فلان حتى استخرجه لى » ، أى عمل فى تخليصه ، وسعى فى استخراجه منه حتى استخرجه . لأن الله عز وجل إنما وصفهم باستحلالهم أموال الأميين ، وأنّ منهم من لا يقضى ما عليه إلا بالاقتضاء الشديد والمطالبة . وليس القيام على رأس الذى عليه الدين ، بموجب له النقلة عما هو عليه من استحلال ما هو له مستحلّ ، ولكن قد يكون — مع استحلاله الذهابَ بما عليه لربّ الحقّ — إلى استخراجه السبيلُ بالاقتضاء والمحاكمة والمخاصمة .[3] فذلك الاقتضاء، هو قيام ربّ المال باستخراج حقه ممن هو عليه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : أنّ من استحلّ الخيانةَ من اليهود ، وجحودَ حقوق العربىّ التى هى له عليه، فلم يؤدّ ما ائتمنه العربىُّ عليه إلاّ ما دامَ له متقاضياً مطالباً — من أجل أنه يقول : لا حرَج علينا فيما أصبنا من أموال العرب

---

(١) كافره حقه : جحده حقه .

(٢) قوله : « الذى يؤدى ، والذى يجحد » بيان عن ذكر الفريقين اللذين ذكرا فى الآية ، أى : هذا الذى يؤدى ، وهذا الذى يجحد .

(٣) سياق العبارة : « قد يكون . . . إلى استخراجه السبيل بالاقتضاء ... » ، وما بينهما فصل .

ولا إثم ، لأنهم على غير الحق، وأنهم مشركون .(١)

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك، فقال بعضهم نحو قولنا فيه .

* ذكر من قال ذلك:

٧٢٦٦ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل » الآية ، قالت اليهود : ليس علينا فيما أصبنا من أموال العرب سبيلٌ .

٧٢٦٧ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله: « ليس علينا فى الأميين سبيل » ، قال : ليس علينا فى المشركين سبيل = يعنون من ليس من أهل الكتاب .

٧٢٦٨ – حدثنا محمد قال، حدثنا أحمد قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل » ، قال: يقال له: ما بالك لا تؤدِّى أمانتك ؟ فيقول: ليس علينا حرج فى أموال العرب، قد أحلَّها الله لنا ! !

٧٢٦٩ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يعقوب القمى، عن جعفر، عن سعيد بن جبير : لما نزلت: « ومن أهل الكتاب مَنْ إن تأمنه بقنطار يؤدّه إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤدّه إليك إلاّ ما دمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيلٌ »، قال النبى صلى الله عليه وسلم: كذبَ أعداءُ الله، ما من شىء كان فى الجاهلية إلاّ وهو تحت قدمىّ، إلاّ الأمانة ، فإنها مؤدّاةٌ إلى البر والفاجر.(٢)

---

(١) انظر تفسير « الأمى » فيما سلف ٢ : ٢٥٧ – ٢٥٩ / ثم ٥ : ٤٤٢ فى كلام الطبرى نفسه / ثم ٦ : ٢٨١ / ثم الآثار رقم : ٥٨٢٧ ، ٦٧٧٤ ، ٦٧٧٥ .

(٢) الأثر : ٧٢٦٩ – « يعقوب بن عبد الله الأشعرى القمى » ، و « جعفر » هو : « جعفر ابن أبى المغيرة الخزاعى القمى » ، مضيا فى رقم : ٦١٧ . قال أخى السيد أحمد فى مثل هذا الإسناد سالفاً : « هو حديث مرفوع، ولكنه مرسل ، لأن سعيد بن جبير تابعى ، وإسناده إليه إسناد جيد » . وخرجه ابن كثير فى تفسيره ٢ : ١٦٩ ، ١٧٠ من تفسير ابن أبى حاتم ، وخرجه فى الدر المنثور ٢ : ٤٤ ، ونسبه أيضاً لعبد بن حميد ، وابن المنذر .

٧٢٧٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا هشام بن عبيد الله، عن يعقوب القمي ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير قال : لما قالت اليهود : « ليس علينا في الأميين سبيل » ، يعنون أخذَ أموالهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر نحوه = إلا أنه قال : إلا وهو تحت قدميّ هاتين ، إلا الأمانة ، فإنها مؤدّاةٌ = ولم يزد على ذلك .

٧٢٧١ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل» ، وذلك أن أهل الكتاب كانوا يقولون : ليس علينا جناح فيما أصبنا من هؤلاء ، لأنهم أمّيّون . فذلك قوله : « ليس علينا في الأميين سبيل » ، إلى آخر الآية .

* * *

وقال آخرون في ذلك ، ما : –

٧٢٧٢ – حدثنا به القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل » ، قال : بايع اليهودَ رجالٌ من المسلمين في الجاهلية ، فلما أسلموا تقاضوهم ثمنَ بُيوعهم ، فقالوا : ليس لكم علينا أمانةٌ ، ولا قضاءَ لكم عندنا ، لأنكم تركتم دينكم الذي كنتم عليه ! قال : وادّعوا أنهم وجدوا ذلك في كتابهم ،[1] فقال الله عز وجل : « ويقولون على الله الكذبَ وهم يعلمون » .

٧٢٧٣ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحق ، عن صعصعة قال : قلت لابن عباس : إنا نغزو أهلَ الكتاب فنصيبُ من ثمارهم؟ قال : وتقولون كما قال أهلُ الكتاب : « ليس علينا في الأميين سبيل ! ! »[2]

---

(١) في المطبوعة : « وادعوا . . . » ، أسقط « قال » ، وأثبتها من المخطوطة .

(٢) الأثر : ٧٢٧٣ – « أبو إسحق الهمداني » كما بين في الأثر التالي . و « صعصعة بن يزيد » ، ويقال « صعصعة بن زيد » ، وذكر البخاري الاختلاف في اسمه ، وأشار إلى رواية هذا الخبر . في الكبير ٢/٢/٣٢١ ، ٣٢٢ ، وابن أبي حاتم ٢/١/٤٤٦ . وانظر التعليق على الأثر التالي .

٧٢٧٤ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن أبي إسحق الهمداني، عن صعصعة : أن رجلا سأل ابن عباس فقال: إنا نصيب في الغزْو = أو : [العذق] ، الشك من الحسن = من أموال أهل الذمة الدجاجةَ والشاة ، فقال ابن عباس : فتقولون ماذا ؟ قال نقول : ليس علينا بذلك بأس ! قال: هذا كما قال أهل الكتاب : « ليس علينا في الأميين سبيل » ! إنهم إذا أدّوا الجزية لم تحلّ لكم أموالهم إلاّ بطِيب أنفسهم .(١)

* * *

(١) الأثر : ٧٢٧٤ – هذا طريق آخر للأثر السالف ، وبلفظ غيره . ورواه أبو عبيد القاسم ابن سلام في كتاب الأموال (ص ١٤٩ ، رقم : ٤١٥) من طريق عبد الرحمن ، عن سفيان ، عن أبي إسحق ، عن صعصعة ، بلفظ آخر . ورواه البيهقي في السنن ٩ : ١٩٨ من طريق « شعبة ، عن أبي إسحق ، عن صعصعة ، قال قلت لابن عباس » ، بلفظ آخر غير كل ما سلف . وخرجه ابن كثير في تفسيره ٢ : ١٦٩ من تفسير عبد الرزاق وفيه « عن أبي صعصعة بن يزيد » وهو خطأ صوابه « صعصعة » . وقال : « وكذا رواه الثوري عن أبي إسحق بنحوه» . وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٤٤ ، ونسبه لابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . وساقه الزمخشري في تفسير الآية ، بنص أبي جعفر ، والقرطبي ٤ : ١١٨ ، ١١٩ ، وأبو حيان في تفسيره من تفسير عبد الرزاق أيضاً ٢ : ٥٠١ ، وفي جميعها « إنا نصيب في الغزو» إلا القرطبي فإن فيه : « إنما نصيب في العمد » ، وأما البيهقي ففيه : « إنا نأتي القرية بالسواد فنستفتح الباب . . . » ، وفي الأموال : « إنا نسير في أرض أهل الذمة فنصيب منهم » .

وكان في أصل المخطوطة والمطبوعة من الطبري : « إنا نصيب في العرف ، أو العذق ، الشك من الحسن » ، ولم أجد ذلك في مكان، وهو لا معنى له أيضاً . وقد أطبق كل من ذكرنا ممن نقل من تفسير عبد الرزاق بهذا الإسناد نفسه ، على عبارة واحدة هي « إنا نصيب في الغزو » ، فأثبتها كذلك، أما ما شك فيه الحسن بن يحيى فقد وضعته بين قوسين ، وهو لا معنى له . وأرجح الظن عندي أنها « أو : الغزوة – الشك من الحسن » ، أو تكون : « أو : القرية – الشك من الحسن » .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٧٥)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : إن القائلين منهم : « ليس علينا فى أموال الأميين من العرب حَرَجٌ أن نختانهم إياه » ، يقولون = بقيلهم إنّ الله أحل لنا ذلك ، فلاحرجَ علينا فى خيانتهم إياه ، وترك قضائهم =[1] الكذبَ على الله عامدين الإثمَ بقيل الكذب على الله ، إنه أحلّ ذلك لهم . وذلك قوله عز وجل : « وهم يعلمون » ، كما : — ٢٢٨/٣

٧٢٧٥ — حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : فيقول على الله الكذب وهو يعلم = يعنى الذى يقول منهم — إذا قيل له : مالك لا تؤدى أمانتك ؟ —: ليس علينا حرج فى أموال العرب ، قد أحلها الله لنا !

٧٢٧٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » ، يعنى : ادّعاءهم أنهم وجدُوا فى كتابهم قولهم : « ليس علينا فى الأميين سبيل » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (٧٦)

قال أبو جعفر : وهذا إخبار من الله عز وجل عمّا لمنْ أدّى أمانته إلى من ائتمنه عليها اتقاءَ الله ومراقبتَه ، عنده .[2] فقال جل ثناؤه : ليس الأمر كما يقول

---

(١) قوله : « الكذب » مفعول « يقولون » ، وما بينهما فصل .

(٢) فى المطبوعة : « هذا إخبار من الله عز وجل عمن أدى أمانته إلى من ائتمنه عليها اتقاء

هؤلاء الكاذبون على الله من اليهود ، من أنه ليس عليهم فى أموال الأميين حرج ولا إثم . ثمّ قال : بلى ، ولكن من أوفى بعهده واتقى – يعنى : ولكن الذى أوفى بعهده ، وذلك وصيته إياهم التى أوصاهم بها فى التوراة ، من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم به .[1]

* * *

و« الهاء » فى قوله : « من أوفى بعهده »، عائدة على اسم « الله » فى قوله : « ويقولون على الله الكذب » .

* * *

يقول : بلى من أوفى بعهد الله الذى عاهده فى كتابه ، فآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وصدّق به وبما جاء به من الله ، من أداء الأمانة إلى من ائتمنه عليها ، وغير ذلك من أمر الله ونهيه = « واتقى » ، يقول : واتقى ما نهاه الله عنه من الكفر به ، وسائر معاصيه التى حرّمها عليه ، فاجتنبَ ذلك مراقبةَ وعيد الله وخوفَ عقابه = «فإنّ الله يحبّ المتقين »، يعنى : فإن الله يحب الذين يتقونه فيخافون عقابه ويحذرون عذابه ، فيجتنبون ما نهاهم عنه وحرّمه عليهم ، ويطيعونه فيما أمرهم به .

* * *

وقد روى عن ابن عباس أنه كان يقول : هو اتقاء الشرك .

٧٢٧٧ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنا معاوية، عن على ، عن ابن عباس قوله : « بلى من أوفى بعهده واتقى » يقول : اتقى الشرك = « فإنّ الله يحب المتقين » ، يقول : الذين يتقون الشرك .

* * *

الله ومراقبته وعيده » ، والذى أثبت هو نص المخطوطة ، وهو الصواب المحض . والسياق : « وهذا إخبار من الله . . . عما لمن أدى أمانته . . . عنده » . وقوله : « واتقاء الله ومراقبته » على النصب فيهما ، مفعول لأجله.

(١) انظر بيان معنى « أوفى » فيما سلف ١ : ٥٥٧ – ٣/٥٥٩ : ٣٤٨ . وانظر تفسير « العهد » فيما سلف ١ : ٤١٠ – ٤١٤ ، ثم ٥٥٧ – ٣/٥٥٩ : ٢٠ – ٢٤ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ .

وقد بينا اختلافَ أهل التأويل فى ذلك والصوابَ من القول فيه، بالأدلة الدّالة عليه، فيما مضى من كتابنا، بما فيه الكفاية عن إعادته. (١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٧٧)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : إنّ الذين يستبدلون — بتركهم عهد الله الذى عهد إليهم، ووصيته التى أوصاهم بها فى الكتب التى أنزلها الله إلى أنبيائه، باتباع محمد وتصديقه والإقرار به وما جاء به من عند الله — وبأيمانهم الكاذبة التى يستحلون بها ما حرّم الله عليهم من أموال الناس التى ائتمنوا عليها (٢) = « ثمناً »، يعنى : عوضاً وبدلا خسيساً من عرض الدنيا وحُطامها (٣) = « أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة » ، يقول: فإن الذين يفعلون ذلك لاحظ لهم فى خيرات الآخرة، ولا نصيب لهم من نعيم الجنة وما أعدّ الله لأهلها فيها دون غيرهم. (٤) ٣/٢٢٩

* * *

وقد بينا اختلاف أهل التأويل فيما مضى فى معنى « الخلاق » ، ودللنا على

---

(١) انظر تفسير « اتق » و « التقوى » فيما سلف ١ : ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢/٣٦٤ : ١٨١ ، ٤/٤٥٧ : ١٦٢ ، ٢٤٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ / ثم ٦ : ٢٦١ .

(٢) سياق الجملة « : إن الذين يستبدلون بتركهم عهد الله . . . وبأيمانهم الكاذبة . . . ثمناً . . .

(٣) انظر تفسير « اشترى » فيما سلف ١ : ٣١١ — ٣١٥ ، ٥٦٥ / ٢ : ٣١٦ ، ٣١٧ ثم ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ثم ٣/٤٥٢ : ٣٢٨ .

وانظر تفسير « ثمناً قليلا » فيما سلف ٢ : ٣/٥٦٥ : ٣٢٨ .

(٤) فى المخطوطة والمطبوعة : « دون غيرها » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

ـى أقوالهم فى ذلك بالصواب ، بما فيه الكفاية .(١)

* * *

وأما قوله : « ولا يكلمهم الله » ، فإنه يعنى : ولا يكلمهم الله بما يسرُّهم = « ولا ينظر إليهم » ، يقول : ولا يعطف عليهم بخير ، مقتاً من الله لهم ، كقول القائل لآخر : « انظُر إلىّ نظر الله إليك » ، بمعنى : تعطف علىّ تعطّف الله عليك بخير ورحمة = وكما يقال للرجل : « لا سمع الله لك دعاءَك » ، يراد : لا استجاب الله لك ، والله لا يخفى عليه خافية ، وكما قال الشاعر :(٢)

دَعَوْتُ اللهَ حَتى خِفْتُ أنْ لَا يَكُونَ اللهُ يَسْمَعُ مَا أقُولُ(٣)

* * *

وقوله : « ولا يُزكيهم » ، يعنى : ولا يطهرهم من دَنس ذنوبهم وكفرهم = « ولهم عذاب أليم » ، يعنى : ولهم عذابٌ موجع (٤)

* * *

واختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله أنزلت هذه الآية ، ومن عنى بها .

فقال بعضهم نزلت فى أحبار من أحبار اليهود .

* ذكر من قال ذلك :

٧٢٧٨ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة قال : نزلت هذه الآية : « إن الذين يشترون بعهد الله

---

(١) انظر ما سلف ٢ : ٤٥٢ — ٤/٤٥٤ : ٢٠١ — ٢٠٣ .

(٢) هو شمير بن الحارث الضبى ، ويقال « سمير » بالمهملة ، مصغراً — وهو جاهلى .

(٣) نوادر أبى زيد : ١٢٤ ، والخزانة ٢ : ٣٦٣ ، واللسان (سمع) ، وبعده :

لِيَحْمِلَنى عَلَى فَرَسٍ ، فَإِنِّى ضَعِيفُ المَشْيِ ، لِلأَدْنَى حَمُولُ

و « يسمع ما أقول » ، يستجيب ، كقولنا : « سمع الله لمن حمده » .

(٤) انظر تفسير « التزكية » فيما سلف ١ : ٥٧٣ ، ٣/٥٧٤ : ٥/٨٨ : ٢٩ = و « أليم » ١ : ٢/٢٨٣ : ١٤٠ ، ٣٧٧ ، ٤٦٩ ، ٣/٥٤٠ : ٣٣٠ ، وغيرها ، فاطلبه فى فهارس اللغة .

وأيمانهم ثمناً قليلاً » ، فى أبى رافع ، وكنانة بن أبى الحقيق ، وكعب بن الأشرف ، وحُيَىّ بن أخطب .

* * *

وقال آخرون : بل نزلت فى الأشعث بن قيس وخصم له .

ذكر من قال ذلك :

٧٢٧٩ – حدثنى أبو السائب سلم بن جنادة قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبى وائل ، عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من حَلف على يمين هو فيها فاجرٌ ليقتطع بها مالَ امرئ مسلم ، لقىَ اللهَ وهو عليه غضبان = فقال الأشعث بن قيس : فىّ والله كان ذلك : كان بينى وبين رجل من اليهود أرضٌ فجحدنى ، فقدّمته إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألك بيّنة ؟ قلت : لا ! فقال لليهودى : احلفْ . قلت : يا رسول الله ، إذاً يحلف فيذهبَ مالى ! فأنزل الله عز وجل : « إنّ الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً » الآية .(١)

---

(١) الحديث : ٧٢٧٩ – أبو وائل : هو شقيق بن سلمة الأسدى .

وهذا الحديث فى الحقيقة حديثان : أوله من حديث عبد الله بن مسعود ، وآخره فى سبب نزول الآية من حديث الأشعث بن قيس .

والأشعث بن قيس بن معد يكرب الكندى ، صحابى معروف .

والحديث رواه أحمد : ٣٥٩٧ ، ٤٠٤٩ ، عن أبى معاوية ، عن الأعمش ، بهذا الإسناد .

ثم رواه بالإسناد نفسه ، فى مسند « الأشعث بن قيس » ، ج ٥ ص ٢١١ (حلبى) .

وكذلك رواه البخارى ٥ : ٥٣ ، ٢٠٦ (فتح البارى) ، من طريق أبى معاوية .

ورواه مسلم ١ : ٤٩ – ٥٠ ، من طريق أبى معاوية ووكيع – كلاهما عن الأعمش .

ورواه أحمد مختصراً ، عن ابن مسعود وحده ، من أوجه أخر : ٣٥٧٦ ، ٣٩٤٦ ، ٤٢١٢ .

ورواه أيضاً ، مختصراً ومطولا ، فى مسند الأشعث بن قيس ، من ثلاثة أوجه أخر ، ج ٥ ص ٢١١ – ٢١٢ (حلبى) .

وكذلك رواه البخارى من أوجه ، مختصراً ومطولا ، فى مواضع غير الموضعين السابقين ٥ : ٢٥ ، ٢٠٧ ، ٢١١ ، و ١١ : ٤٧٣ ، ٤٨٥ – ٤٩٠ (وهنا شرحه الحافظ شرحاً وافياً) ، و ١٣ : ١٥٦ ، ٣٦٤ .

٧٢٨٠ – حدثنا مجاهد بن موسى قال، حدثنا يزيد بن هرون قال، أخبرنا جرير بن حازم، عن عدى بن عدى، عن رجاء بن حيوة والعُرس أنهما حدثاه، عن أبيه عدى بن عميرة قال: كان بين امرئ القيس ورجل من حضرموت خصومةٌ، فارتفعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال للحضرمى: «بيِّنتَك، وإلاّ فيمينه». قال: يا رسول الله، إن حلف ذهب بأرضى! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من حلف على يمين كاذبة ليقتطع بها حقّ أخيه، لقى الله وهو عليه غضبان. فقال امرؤ القيس: يا رسول الله، فما لمن تركها، وهو يعلم أنها حقّ؟ قال: الجنة. قال: فإنى أشهدك أنى قد تركتها = قال جرير: فكنت مع أيوب السختيانى حين سمعنا هذا الحديث من عدى، فقال أيوب، إنّ عديًّا قال فى حديث العُرْس بن عميرة: فنزلت هذه الآية: «إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً» إلى آخر الآية = قال جرير: ولم أحفظ يومئذ من عدى. (١)

ورواه مسلم من وجهين أيضاً ١ : ٥٠.

وذكره ابن كثير ٢ : ١٧٢ – ١٧٣، من رواية المسند عن أبي معاوية، ثم ذكره من روايته الأخيرة فى مسند الأشعث بن قيس.

وذكره السيوطى ٢ : ٤٤، وزاد نسبته لعبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وأبى داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجة، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والبيهقى فى الشعب.

وسيأتى أيضاً: ٧٢٨٢، من رواية منصور، عن شقيق، وهو أبو وائل، به، نحوه.

(١) الحديث: ٧٢٨٠ – عدى بن عدى بن عميرة الكندى: تابعى ثقة معروف، قال البخارى فى الكبير ٤/١/٤٤: «سيد أهل الجزيرة». وهو يروى عن أبيه، ولكنه روى عنه هنا بواسطة عمه العرس بن عميرة ورجاء بن حيوة.

رجاء بن حيوة – بفتح الحاء المهملة والواو بينهما تحتية ساكنة: تابعى ثقة كثير العلم والحديث. وهو من رهط امرئ القيس بن عابس الكندى صاحب هذه الحادثة. جدهما الأعلى: «امرؤ القيس ابن عمرو بن معاوية الأكرمين الكندى».

العرس – بضم العين المهملة وسكون الراء وآخره سين مهملة: هو ابن عميرة الكندى، وهو صحابى، جزم البخارى بصحبته، وروى له حديثاً فى الكبير ٤/١/٨٧. وهو أخو عدى بن عميرة، وعم عدى ابن عدى.

عدى بن عميرة بن فروة الكندى: صحابى معروف، يكنى «أبا زرارة»، له أحاديث فى صحيح مسلم، كما قال الحافظ فى الإصابة.

و «عميرة»: بفتح العين وكسر الميم، كما نص عليه فى المشتبه للذهبى وغيره. وضبط فى طبقات

٧٢٨١ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال آخرون: إن الأشعث بن قيس اختصم هو ورجلٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أرض كانت في يده لذلك الرجل، أخذها لتعزُّزه في الجاهلية، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أقم بينتك. قال الرجل: ليس يشهد لي أحدٌ على الأشعث! قال: فلك يمينه. فقام الأشعث ليحلف، فأنزل الله عز وجل هذه الآية، فنكلَ الأشعثُ وقال: إني أشهد الله وأشهدكم أنّ خصمي صادق. فرد إليه أرضَه، وزاده من أرض نفسه زيادةً كثيرةً، مخافة أن يبقى في يده شيء من حقه، فهي لعقب ذلك الرجل بعده.(١) ٣/٢٣٠

ابن سعد ٦ : ٣٦ بضمة فوق العين. وهو خطأ صرف، فإن اسم «عميرة» بالضم – من أسماء النساء. وضبط في الطبقات على الصواب في ترجمة أخرى لعدي ٧/٢/١٧٦.

ووقع في المخطوطة هنا «عدي بن عمير» و«العرس بن عمير» – بدون هاء في آخره فيهما. وهو خطأ.

والحديث رواه أحمد في المسند ٤ : ١٩١ – ١٩٢ (حلبي)، عن يحيى بن سعيد، عن جرير ابن حازم، بهذا الإسناد، نحوه.

ثم رواه، ص : ١٩٢، عن يزيد، وهو ابن هرون، «حدثنا جرير بن حازم»، بهذا الإسناد. ولم يذكر لفظ الحديث كله. ووقع في نسخة المسند المطبوعة في هذا الموضع سقط قول أحمد : «حدثنا يزيد»، وهو خطأ واضح. وثبت على الصواب في مخطوطة المسند المرموز لها بحرف «م».

وذكره ابن كثير ٢ : ١٧٢، من رواية المسند الأولى، ثم قال : «ورواه النسائي، من حديث عدي بن عدي، به»، وهو يريد بذلك السنن الكبرى، فإنه ليس في السنن الصغرى.

ولذلك ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٤ : ١٧٨، وقال : «رواه أحمد، والطبراني في الكبير، ورجالهما ثقات».

وهو في الدر المنثور ٢ : ٤٤، وزاد نسبته لعبد بن حميد، وابن المنذر، والبيهقي في الشعب، وابن عساكر.

(١) الحديث : ٧٢٨١ – هذا حديث مرسل، لم يذكر ابن جريج من حدثه به. فهو ضعيف الإسناد.

وقول ابن جريج «قال آخرون» – هو ثابت في المخطوطة والمطبوعة. ولم يذكره السيوطي، فلعله اختصره.

ومعناه أن ابن جريج كان يتحدث في شأن نزول الآية، والظاهر أنه تحدث بخبر قبل هذا، ثم قال : «وقال آخرون» – فذكر هذا الحديث. ولعله ذكر الرواية الماضية : ٧٢٧٩ –، أو الآتية : ٧٢٨٢، أو نحو ذلك، ثم أتى بروايته هذه المرسلة.

وهي ضعيفة الإسناد كما قلنا لإرسالها. ثم هي ضعيفة لما فيها من منافاة لتينك الروايتين الصحيحتين :

٧٢٨٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن منصور، عن شقيق، عن عبد الله قال: من حلف على يمين يستحقّ بها مالاً هو فيها فاجرٌ، لقى الله وهو عليه غضبان. ثم أنزل الله تصديق ذلك: «إنّ الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً» الآية. ثم إن الأشعث بن قيس خرج إلينا فقال: ما حدثكم أبو عبد الرحمن؟ فحدثناه بما قال، فقال: صدق، لفيّ أنزلت! كانت بيني وبين رجل خصومة فى بئر، فاختصمنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: شاهداك أو يمينه. فقلت: إذاً يحلف ولا يُبالى! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «من حلف على يمين يستحقّ بها مالاً هو فيها فاجرٌ، لقى الله وهو عليه غضبان»، ثم أنزل الله عز وجل تصديقَ ذلك: «إنّ الذين يشترُون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً»، الآية.(١)

* * *

أن الخصومة كانت بين الأشعث ورجل يهودى، وأن اليهودى كان المدعى عليه الذى عليه اليمين، وأن الأشعث قال: «إذن يحلف». فهى ضعيفة الإسناد، ضعيفة السياق.

وهذه الرواية ذكرها السيوطى ٢ : ٤٤، ولم ينسبها لغير الطبرى.

وقوله: «فقام الأشعث ليحلف» – هذا هو الثابت فى المطبوعة، وهو الصواب إن شاء الله. وفى المخطوطة: «فحلف»، وهو خطأ، يدل على غلطه قوله بعد «فنكل». والنكول إنما يكون عند عرض اليمين أو الهم بالحلف. أما بعد الحلف فلا يكون نكول، بل رجوع إلى الحق، أو إقرار به، ولا يسمى نكولا. وفى الدر المنثور: «فقال الأشعث: نحلف» – والظاهر أنه تصحيف.

(١) الحديث: ٧٢٨٢ – جرير: هو ابن عبد الحميد الضبى. ومنصور: هو ابن المعتمر. وشقيق: هو أبو وائل.

وهذا الحديث هو الحديث السابق: ٧٢٧٩، بنحوه. ذاك من رواية الأعمش عن أبى وائل، وهذا من رواية منصور عن أبى وائل. وقد بينا تخريجه هناك.

ونذكر هنا أن من روايات البخارى إياه، روايته فى ٥ : ٢٠٧ (فتح)، عن عثمان بن أبى شيبة، عن جرير بهذا الإسناد.

وكذلك رواه مسلم ١ : ٥٠، عن إسحق بن إبراهيم – وهو ابن راهويه – عن جرير، به، ولم يذكر لفظه.

ورواه أحمد فى المسند ٥ : ٢١١ (حلبى)، عن زياد البكائى عن منصور.

ورواه البخارى ١١ : ٤٧٣، من طريق شعبة، عن سليمان – وهو الأعمش – ومنصور، كلاهما عن أبى وائل.

ورواه أيضاً ١٣ : ١٥٦، من طريق سفيان، وهو الثورى عن منصور.

وقال آخرون بما : —

٧٢٨٣ — حدثنا به محمد بن المثنى قال : حدثنا عبد الوهاب قال ، أخبرني داود بن أبي هند، عن عامر : أنّ رجلا أقام سلعته أوّل النهار ، فلما كان آخرُه جاء رجل يساومه ، فحلفَ لقد منعها أوّل النهار من كذا وكذا ، ولولا المساء ما باعها به ، فأنزل الله عز وجل : « إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلا » .

٧٢٨٤ — حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا داود ، عن رجل ، عن مجاهد نحوه .

٧٢٨٥ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « إنّ الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً » الآية ، إلى : « ولهم عذاب أليم » ، أنزلهم الله بمنزلة السَّحَرة .

٧٢٨٦ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : أن عمران بن حصين كان يقول : من حَلفَ على يمين فاجرة يقتطع بها مالَ أخيه ، فليتبوّأ مقعده من النار . فقال له قائل : شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال لهم : إنكم لتجدون ذلك . ثم قرأ هذه الآية : « إنّ الذين يشترُون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً » الآية . (١)

٧٢٨٧ — حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال ، حدثنا حسين بن علي ، عن زائدة ، عن هشام قال ، قال محمد ، عن عمران بن حصين : من حلف على يمين مَصْبورَة فليتبوّأ بوجهه مقعده من النار . ثم قرأ هذه الآية كلها : « إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلا » . (٢)

---

(١) الحديث : ٧٢٨٦ — هذا إسناد مرسل ، قتادة — وهو ابن دعامة — : لم يدرك عمران ابن حصين ، مات عمران سنة ٥٢ ، وولد قتادة سنة ٦١ .

وسيأتي الحديث عقب هذا بإسناد آخر متصل .

(٢) الحديث : ٧٢٨٧ — موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، وحسين بن علي الجعفي : ترجمنا لهما فيما مضى : ١٧٤ .

٧٢٨٨ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا ابن المبارك، عن معمر، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب قال: إن اليمين الفاجرة من الكبائر. ثم تلا: « إنّ الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلا ».

٧٢٨٩ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: أن عبد الله بن مسعود كان يقول: كنا نرى ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ من الذنب الذي لا يُغفر: يمين الصَّبر، إذا فجر فيها صاحبها.(١) ٣/٢٣١

* * *

زائدة: هو ابن قدامة الثقفي، مضى في: ٤٨٩٧.

هشام: هو ابن حسان.

محمد: هو ابن سيرين. ووقع هنا في المخطوطة والمطبوعة: « قال محمد بن عمران بن حصين » ! وهو خطأ صرف، حرفت كلمة « عن » إلى « بن ». والصواب ما أثبتنا: « محمد، عن عمران بن حصين ». وهكذا مخرج الحديث، كما سيأتي.

وهذا الحديث ظاهره هنا أنه موقوف. ولكنه في الحقيقة مرفوع، حتى لو كان موقوفاً لفظاً، فإنه – على اليقين – مرفوع حكماً، لأن الوعيد الذي فيه ليس مما يعرف بالرأي ولا القياس، ولا مما يدرك بالاستنباط من القرآن. ثم قد ثبت رفعه صريحاً، من هذا الوجه:

فرواه أحمد في المسند ٤: ٤٣٦، ٤٤١، عن يزيد، وهو ابن هرون: « أخبرنا هشام، عن محمد، عن عمران بن حصين، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: « من حلف على يمين كاذبة مصبورة متعمداً فليتبوأ بوجهه مقعده من النار ». ولم يذكر فيه الاستشهاد بالآية.

وكذلك رواه أبو داود: ٣٢٤٢، عن محمد بن الصباح البزاز، عن يزيد بن هرون، به، نحوه.

وكذلك رواه الحاكم في المستدرك ٤: ٢٩٤، من طريق يزيد بن هرون، به. وقال: « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه ». ووافقه الذهبي.

وذكره المنذري في الترغيب والترهيب ٣: ٤٧، من رواية أبي داود والحاكم.

وذكره السيوطي ٢: ٤٦، بنحو رواية الطبري هنا: موقوفاً لفظاً مع الاستشهاد بالآية – ونسبه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وأبي داود، وابن جرير، والحاكم، مع اختلاف السياق بين الروايتين، كما هو ظاهر. وذلك منه دلالة على أنه لا فرق بين رفعه ووقفه لفظاً، إذ كان مرفوعاً حكماً ولا بد.

« اليمين المصبورة » و « يمين الصبر » – قال القاضي عياض في المشارق ٢: ٣٨ « من الحبس والقهر »، بمعنى « إلزامها والإجبار عليها ».

وقال الخطابي في معالم السنن، رقم: ٣١١٥ من تهذيب السنن: « اليمين المصبورة، هي اللازمة لصاحبها من جهة الحكم، فيصبر من أجلها، أي يحبس. وهي يمين الصبر، وأصل الصبر: الحبس. ومن هذا قولهم: قتل فلان صبراً، أي حبساً على القتل وقهراً عليه ».

(١) الحديث: ٧٢٨٩ – هذا إسناد مرسل. فإن قتادة لم يدرك ابن مسعود. ولد بعد موته بنحو ٢٩ سنة.

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٧٨)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وإنّ من أهل الكتاب = وهم اليهود الذين كانوا حوالى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم على عهده، من بنى إسرائيل.

* * *

و« الهاء والميم » فى قوله : « منهم » ، عائدة على « أهل الكتاب » الذين ذكرهم فى قوله : « ومن أهل الكتاب مَنْ إن تأمنه بقنطار يؤدّه إليك » .

وقوله = « لفريقاً »، يعنى : جماعة[1] = « يلوون » ، يعنى : يحرّفون = « ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب »، يعنى : لتظنوا أن الذى يحرّفونه بكلامهم من كتاب الله وتنزيله .[2] يقول الله عز وجل : وما ذلك الذى لوَوْا به ألسنتهم فحرّفوه وأحدثوه من كتاب الله،[3] ويزعمون أن ما لووا به ألسنتهم من التحريف والكذب والباطل فألحقوه فى كتاب الله = « من عند الله » ، يقول : مما أنزله الله على أنبيائه = « وما هو من عند الله » ، يقول: وما ذلك الذى لووا به ألسنتهم فأحدثوه، مما أنزله الله إلى أحد من أنبيائه، ولكنه مما أحدثوه من قِبَل أنفسهم افتراء على الله .

= يقول عز وجل : « ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون »، يعنى بذلك: أنهم يتعمدون قِيلَ الكذب على الله ، والشهادة عليه بالباطل ، والإلحاقَ بكتاب

والحديث لم أجده إلا عند السيوطى ٢ : ٤٦ ، ونسبه لابن جرير فقط .

(١) انظر تفسير « فريق » فيما سلف ٢ : ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ثم ٣/٤٠٢ : ٥٤٩ .

(٢) فى المطبوعة « لكلامهم » باللام ، ولم يحسن قراءة المخطوطة .

(٣) قوله : « وما ذلك ... من كتاب الله » : ليس ذلك ... من كتاب الله ، هذا هو السياق .

الله ما ليس منه ، طلباً للرياسة والخسيس من حُطام الدنيا .

* * *

وبنحو ما قلنا فى معنى « يلوون ألسنتهم بالكتاب » ، قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٧٢٩٠ – حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد: « وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب » ، قال : يحرفونه .

٧٢٩١ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد مثله .

٧٢٩٢ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب »، حتى بلغ : « وهم يعلمون » ، هم أعداء الله اليهود ، حرّفوا كتابَ الله، وابتدعوا فيه ، وزعموا أنه من عند الله .

٧٢٩٣ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه، عن الربيع مثله .

٧٢٩٤ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه، عن ابن عباس ، قوله : « وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب » ، وهم اليهود ، كانوا يزيدون فى كتاب الله ما لم ينزّل اللهُ .

٧٢٩٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « وإن منهم لفريقاً يلوونَ ألسنتهم بالكتاب » ، قال : فريقٌ من أهل الكتاب = « يلوون ألسنتهم » ، وذلك تحريفهم إياه عن موضعه .

* * *

قال أبو جعفر : وأصل « اللىّ » ، الفَتْل والقلب . من قول القائل : « لوَى

فلانٌ يدَ فلان » ، إذا فتلها وقلبها ، ومنه قول الشاعر : (١)

* لَوَى يَدَهُ ٱللّٰهُ ٱلَّذِى هُوَ غَالِبُهْ *(٢)

يقال منه : « لوى يدَه ولسانه يلوى ليًّا » = « وما لوى ظهر فلان أحد » ، إذا لم يصرعه أحدٌ ، ولم يَفتل ظهره إنسان = « وإنه لألوَى بعيدُ المستمر » ، إذا كان شديد الخصومة ، صابراً عليها ، لا يُغلب فيها ، قال الشاعر : (٣) ٢٣٢/٣

فَلَوْ كَانَ فِى لَيْلَى شَدًّا مِنْ خُصُومَةٍ لَلَوَّيْتُ أَعْنَاقَ ٱلْخُصُومِ الْمَلَاوِيَا(٤)

* * *

---

(١) هو فرعان بن الأعرف السعدى التميمى ، ويقال : فرعان بن أصبح بن الأعرف .

(٢) كتاب العقفة لأبى عبيدة (نوادر المخطوطات : ٧) ص : ٣٦٠ ، الحماسة ٣ : ١٠ ، معجم الشعراء : ٣١٧ ، العينى بهامش الخزانة ٢ : ٣٩٨ ، واللسان (لوى) وسيأتى بتمامه فى التفسير ١٥ : ١٦٠ (بولاق) ، وغيرها ، أبيات يقولها فرعان بن الأعرف فى ابنه منازل ، وكان عق أباه وضربه ، لأنه تزوج على أمه امرأة شابة ، فغضب لأمه ، ثم استاق مال أبيه واعتزل مع أمه ، فقال فيه :

جَزَتْ رَحِمٌ بَيْنِى وَبَيْنَ مُنَازِلٍ جَزَاءً ، كَمَا يَسْتَنْزِلُ الدَّيْنَ طَالِبُهْ
وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ يَكُونَ منازلٌ عَدُوِّى ، وَأَدْنَى شَانِئٍ أَنَا رَاهِبُهْ
حَمَلْتُ عَلَى ظَهْرِى ، وفَدَّيْتُ صَاحِبِى صَغِيرًا ، إِلَى أَنْ أَمْكَنَ الطَّرَّ شَارِبُهْ
وَأَطْعَمْتُه ، حَتَّى إِذَا صَارَ شَيْظَمًا يَكَادُ يُسَاوِى غَارِبَ الفَحْلِ غَارِبُهْ
تَخَوَّنَ مالِى ظَالِماً ، وَلَوَى يَدِى ! لَوَى يَدَه اللّٰهُ الَّذِى هُو غَالِبُهْ

من أبيات كثيرة ، فيقال : إن منازلا ، أصبح وقدلوى الله يده . ثم ابتلاه الله بابن آخر عقه كما عق أباه ، واستاق ماله ، فقال فيه :

تَظَلَّمَنِى مَالِى خَلِيجٌ وعَقَّنِى عَلَى حِينَ كَانَتْ كَالحَنِىِّ عظامى

فى أبيات . وقد أتم البيت أبو جعفر فى التفسير بعد ، وصدره هناك : « تظلمنى مالى كذا ، ولوى يدى » . وهى إحدى الروايات فيه .

(٣) هو مجنون بنى عامر .

(٤) ليس فى ديوانه ، وهو فى الأغانى ٢ : ٣٨ ، مع أبيات ، واللسان (شدا) ، (شذا) ، (لوى) ، وغيرها ، وقبله :

يَقُولُ أُنَاسٌ : عَلَّ مَجْنُونَ عَامِرٍ يَرُومُ سُلُوًّا ! قُلْتُ : إِنِّى لِمَا بِيَا

القول فى تأويل قوله ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وما ينبغى لأحد من البشر .

* * *

و «البشر» جمع بنى آدم لا واحد له من لفظه مثل : «القوم» و «الخلق» . وقد يكون اسماً لواحد = « أن يؤتيه الله الكتاب » يقول : أن ينزل الله عليه كتابه = « والحكم » يعنى : ويعلمه فصْل الحكمة = « والنبوة » ، يقول : ويعطيه النبوّة = « ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله » ، يعنى : ثم يدعو الناس إلى عبادة نفسه دون الله ، وقد آتاه الله ما آتاه من الكتاب والحكم والنبوة . ولكن إذا آتاه الله ذلك ، فإنما يدعوهم إلى العلم بالله ، ويحدوهم على معرفة شرائع دينه ، وأن يكونوا رؤساء فى المعرفة بأمر الله ونهيه ، وأئمةً فى طاعته وعبادته ، بكونهم معلّمى الناس الكتاب ، وبكونهم دارِسيه . (١)

* * *

وَقَدْ لَامَنِى فى حُبِّ لَيْلَى أَقَارِبِى ... أَخِى، وَٱبْنُ عَمِّى، وَٱبْنُ خَالِى، وَخَالِيَا
يَقُولُونَ : لَيْلَى أَهْلُ بَيْتِ عَدَاوة ! ! ... بِنَفْسِى لَيْلَى من عَدُوٍّ ومَالِيَا

ورواية اللسان وغيره : « أعناق المطى » ، ورواية صاحب الأغانى « أعناق الخصوم » كما رواها أبو جعفر ، ولكن من سوء صنيع ناشرى الأغانى أنهم خالفوا أصول الأغانى جميعاً ، لرواية أخرى ، مع صحة الرواية التى طرحوها ، وهى رواية أبى جعفر وأبى الفرج ، وقوله : « شداً من خصومة » ، ويروى « شذاً من خصومة » . والشذا : حد كل شىء . ومن معانيه أيضاً طرف من الشىء ، أو بقية منه . و« الملاوى » جمع « ملوى » مصدر ميمى من « لوى » . يقول : لوخاصمونى فى ليل خصومة حديدة ، لفتلت أعناقهم حتى أذهب بأرواحهم . وأما رواية « المطى » مكان « الخصوم » ، وهى رواية ابن الأعرابى ، فكأنه يقول : لو علمت فى ليل بعض ما يقولون من الخصومة والعداوة لأهل وعشيرتى ، لأعرضت عنها إعراض من يأنف لعشيرته ويحمى لها غضباً وحفيظة ، ولفارقتها .

(١) انظر تفسير « آتى » و « الحكم » ، و « النبوة » فيما سلف من فهارس اللغة مادة (أتى) (حكم) (نبأ) .

وقيل إنّ هذه الآية نزلت فى قوم من أهل الكتاب قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم : أتدعونا إلى عبادتك ؟ كما : —

٧٢٩٦ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال ، حدثنا ابن إسحق ، عن محمد بن أبى محمد ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال أبو رافع القرظى = [١] حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعاهم إلى الإسلام = : أتريد يا محمد أن نعبدك ، كما تعبد النصارَى عيسى بن مريم ؟ فقال رجل من أهل نجران نصرانى يقال له الرُّبَّيس : [٢] أوَ ذاك تريد منا يا محمد، وإليه تدعونا ! أو كما [illegible] = فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : معاذَ الله أن نَعبُد غيرَ الله، أو نأمر بعبادة غيره ، [illegible] لك بعثنى ، ولا بذلك أمرنى = أو كما قال . فأنزل الله عز وجل فى ذلك من قولهم : [٣] « ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوّة » ، الآية إلى قوله : « بعد إذ أنتم مسلمون » .

٧٢٩٧ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنا محمد ابن إسحق قال ، حدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال ، حدثنى سعيد ابن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس قال: قال أبو رافع القرظى ، فذكر نحوه . [٤]

٧٢٩٨ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا

---

(١) أبو رافع القرظى ، هو سلام بن أبى الحقيق اليهودى .

(٢) فى المطبوعة : « الرئيس » ، وفى المخطوطة « الربس » غير منقوطة ، وهو فى سيرة ابن هشام المطبوعة الأوربية والمصرية : « الربيس » مثل « سكيت » (بكسر الراء وتشديد الباء المكسورة) . وربيس السامرة : هو كبيرهم . وفى التعليقات على سيرة ابن هشام . الطبعة الأوربية « الريس، والرئيس » معاً ، وكأن الصواب هو ما جاء فى نص ابن هشام الأول .

(٣) فى سيرة ابن هشام : « من قولها » ، وهى أجود ، ولعل هذه من قلم الناسخ .

(٤) الأثران : ٧٢٩٦، ٧٢٩٧ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، وهما من تتمة الآثار التى آخرها رقم : ٧٢٢٣ ، وفى الطبرى اختلاف فى قليل من اللفظ .

عباداً لى من دون الله »، يقول: ما كان ينبغى لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوةَ، يأمر عبادَه أن يتخذوه ربًّا من دون الله .

٧٢٩٩ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا ابن أبى جعفر، عن أبيه، عن الربيع مثله .

٧٣٠٠ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج، عن ابن جريج قال : كان ناس من يهود يتعبّدون الناسَ من دون ربهم، بتحريفهم كتابَ الله عن موضعه، فقال الله عز وجل : « ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقولَ للناس كونوا عباداً لى من دون الله »، ثم يأمر الناس بغير ما أنزل الله فى كتابه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ ٢٣٣/٣

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بذلك : « ولكن » يقول لهم : « كونوا ربانيين »، فترك « القول »، استغناء بدلالة الكلام عليه .

* * *

وأما قوله : « كونوا ربانيين »، فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله .

فقال بعضهم : معناه : كونوا حكماء علماء .

* ذكر من قال ذلك :

٧٣٠١ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان، عن منصور، عن أبى رزين : « كونوا ربانيين »، قال : حكماء علماء .

٧٣٠٢ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن يمان، عن سفيان، عن منصور، عن أبى رزين : « كونوا ربانيين »، قال : حكماء علماء .

٧٣٠٣ - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن عمرو، عن منصور، عن أبي رزين مثله.

٧٣٠٤ - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن منصور، عن أبي رزين: «ولكن كونوا ربانيين»، حكماء علماء.

٧٣٠٥ - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم، عن عوف، عن الحسن في قوله: «كونوا ربانيين»، قال: كونوا فقهاء علماء.

٧٣٠٦ - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: «كونوا ربانيين»، قال: فقهاء.

٧٣٠٧ - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

٧٣٠٨ - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج، قال أخبرني القاسم، عن مجاهد قوله: «ولكن كونوا ربانيين»، قال: فقهاء.

٧٣٠٩ - حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: «ولكن كونوا ربانيين»، قال: كونوا فقهاء علماء.

٧٣١٠ - حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن منصور بن المعتمر، عن أبي رزين في قوله: «كونوا ربانيين»، قال: علماء حكماء = قال معمر: قال قتادة.

٧٣١١ - حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدي في قوله: «كونوا ربانيين»، أما «الربانيون»، فالحكماء الفقهاء.

٧٣١٢ - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، أخبرنا سفيان، عن

ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : « الربانيون » ، الفقهاء العلماء ، وهم فوق الأحبار .

٧٣١٣ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ولكن كونوا ربانيين » ، يقول : كونوا حكماء فقهاء .

٧٣١٤ – حدثت عن المنجاب، قال، حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبي حمزة الثمالي، عن يحيى بن عقيل في قوله : ﴿ الرَّبَّانِيُّونَ والأَحْبار ﴾[سورة المائدة: ٦٣]، قال : الفقهاء العلماء .

٧٣١٥ – حدثت عن المنجاب قال ، حدثنا بشر ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس مثله .

٧٣١٦ – حدثني ابن سنان القزاز قال ، حدثنا الحسين بن الحسن الأشقر قال ، حدثنا أبو كدينة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : « كونوا ربانيين » ، قال : كونوا حكماء فقهاء .

٧٣١٧ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « كونوا ربانيين » ، يقول : كونوا فقهاء علماء .

* * *

وقال آخرون: بل هم الحكماء الأتقياء .

* ذكر من قال ذلك:

٧٣١٨ – حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي قال، حدثنا فضيل بن عياض ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير قوله : « كونوا ربانيين » ، قال : حكماء أتقياء .

* * *

وقال آخرون : بل هم ولاة الناس وقادتهم .

* ذكر من قال ذلك :

٧٣١٩ – حدثني يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال ، سمعت ابن زيد يقول فى قوله : «كونوا ربانيين »، قال : الربانيون ، الذين يربُّون الناس ، ولاة هذا الأمر ، يربُّونهم : يلونهم ، وقرأ : ﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ ﴾ [سورة : المائدة : ٦٣]، قال : الربانيون الولاة ، والأحبار العلماء .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال عندى بالصواب فى « الربانيين » أنهم جمع « ربانى » ، وأن « الربانى » المنسوب إلى « الرَّبَّان » ، الذى يربُّ الناسَ ، وهو الذى يُصْلح أمورهم ، و« يربّها » ، ويقوم بها، ومنه قول علقمة بن عبدة :

وَكُنْتُ امْرَأً أَفْضَتْ إِلَيْكَ رِبَابَتِى وَقَبْلَكَ رَبَّتْنِى،فَضِعْتُ ، رُبُوبُ (١)

يعنى بقوله : « ربتنى » : ولى أمرى والقيامَ به قبلك من يربه ويصلحه ، فلم يصلحوه ، ولكنهم أضاعونى فضعتُ .

يقال منه : « رَبَّ أمرى فلان، فهو يُربُّه رَبًّا،وهو رَابُّه ».(٢)فإذا أريد به المبالغة فى مدْحه قيل : « هو ربّان » ، كما يقال : « هو نعسان » من قولهم : « نعَس يَنعُس » . وأكثر ما يجيء من الأسماء على « فَعْلان » ما كان من الأفعال ماضيه على « فَعِل » مثل قولهم : « هو سكران ، وعطشان، وريان » من « سَكِر يسكَر ،وعطِش يعطَش، ورَوِى يرْوَى » . وقد يجيء مما كان ماضيه على «فَعَل يَفعُل »، نحو ما قلنا من « نَعَس يَنعُس » و« ربَّ يَرُبّ » . ٢٣٤/٣

فإذا كان الأمر فى ذلك على ما وصفنا = وكان « الربَّان » ما ذكرنا ،

---

(١) سلف البيت وتخريجه وشرحه فى ١ : ١٤٢ .

(٢) انظر تفسير « رب » فيما سلف ١ : ١٤١ ، ١٤٢ .

و« الربّانى » هو المنسوب إلى من كان بالصفة التى وصفتُ = وكان العالم بالفقه والحكمة من المصلحين يَرُبّ أمورَ الناس، بتعليمه إياهم الخيرَ ،ودعائهم إلى ما فيه مصلحتهم = وكان كذلك الحكيمُ التقىُّ لله ، والوالى الذى يلى أمور الناس على المنهاج الذى وَليه المقسطون من المصلحين أمورَ الخلق ، بالقيام فيهم بما فيه صلاحُ عاجلهم وآجلهم ، وعائدةُ النفع عليهم فى دينهم ، ودنياهم = كانوا جميعاً يستحقون أن [يكونوا] ممن دَخل فى قوله عز وجل : « ولكن كونوا ربانيين » . (١)

فـ« الربانيون » إذاً ، هم عمادُ الناس فى الفقه والعلم وأمور الدين والدنيا . ولذلك قال مجاهد : «وهم فوق الأحبار »، لأن « الأحبارَ » هم العلماء ، و« الربانى » الجامعُ إلى العلم والفقه، البصرَ بالسياسة والتدبير والقيام بأمور الرعية ، وما يصلحهم فى دُنياهم ودينهم . (٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ (٧٩)

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأه عامة قرأة أهل الحجاز وبعض البصريين : ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ بفتح « التاء » وتخفيف « اللام »، يعنى : بعلمكم الكتابَ ودراستكم إياه وقراءتكم .

---

(١) فى المطبوعة : « كانوا جميعاً مستحقين أنهم ممن دخل فى قوله . . . » ، وهى عبارة سقيمة غير المخطوطة كما شاء . وفى المخطوطة : « كانوا جميعاً مستحقون أن ممن دخل فى قوله . . . » ، وظاهر أن الناسخ جعل « يستحقون » : « مستحقون » ، وهو خطأ فى الإعراب ، وسقط من عجلته قوله : « يكونوا » ، فزدتها بين القوسين ، فاستقام الكلام .

(٢) هذا التفسير قل أن تجده فى كتاب من كتب اللغة ، وهو من أجود ما قرأت فى معنى « الربانى » ، وهو من أحسن التوجيه فى فهم معانى العربية ، والبصر بمعانى كتاب الله . فرحم الله أبا جعفر رحمة ترفعه درجات عند ربه .

واعتلُّوا لاختيارهم قراءة ذلك كذلك ، بأن الصواب = كذلك ، لو كان التشديد فى « اللام » وضم « التاء » = لكان الصواب فى : « تدرسون » ، بضم « التاء » وتشديد « الراء » .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفيين : ﴿ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ ﴾ بضم « التاء » من « تعلمون » ، وتشديد « اللام » ، بمعنى : بتعليمكم الناسَ الكتابَ ودراستكم إياه .

واعتلوا لاختيارهم ذلك ، بأن مَنْ وصفهم بالتعليم ، فقد وصفهم بالعلم ، إذ لا يعلِّمون إلاّ بعد علمهم بما يعلِّمون . قالوا : ولا موصوف بأنه « يعلم » ، إلاّ وهو موصوف بأنه « عالم » . قالوا : فأما الموصوف بأنه « عالم » ، فغير موصوف بأنه معلِّم غيره . قالوا : فأولى القراءتين بالصواب أبلغهما فى مدح القوم ، وذلك وصفهم بأنهم كانوا يعلمون الناسَ الكتابَ ، كما : —

٧٣٢٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن ابن عيينة ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد أنه قرأ : « بما كنتم تَعلَمون الكتابَ وبما كنتم تَدْرسون » ، مخففةً بنصب « التاء » = وقال ابن عيينة : ما علَّموه حتى علِموه !

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك ، قراءة من قرأه بضم « التاء » وتشديد « اللام » . لأن الله عز وجل وصف القوم بأنهم أهل عمادٍ للناس فى دينهم ودنياهم ، وأهل إصلاح لهم ولأمورهم وتربية .

يقول جل ثناؤه : « ولكن كونوا ربانيين » ، على ما بينا قبل من معنى « الربانى » ،

---

(١) فى المطبوعة : « بأن الصواب لو كان التشديد فى اللام . . . » ، حذف من المخطوطة « كذلك » بعد « بأن الصواب » ، وظاهر أن موضع الخطأ هو سقوط « الواو » قبل قوله : « لو كان التشديد » . فأثبتها ، واستقام الكلام .

ثم أخبر تعالى ذكره عنهم أنهم صاروا أهل إصلاح للناس وتربية لهم بتعليمهم إياهم كتابَ ربِّهم .

* * *

= و« دراستهم » إياه : تلاوته . (١)

* * *

وقد قيل : « دراستهم »، الفقه .

* * *

وأشبه التأويلين بالدراسة ما قلنا : من تلاوة الكتاب ، لأنه عطف على قوله : « تعلمون الكتاب » ، « والكتاب » هو القرآن ، فلأنْ تكون الدراسة معنيًّا بها دراسة القرآن ، أولى من أن تكون معنيًّا بها دراسة الفقه الذى لم يجرِ له ذكرٌ .

* ذكر من قال ذلك : (٢)

٧٣٢١ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، قال يحيى بن آدم قال ، أبو زكريا : كان عاصم يقرؤها : « بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ » ، قال : القرآن = « وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ » ، قال : الفقه .

* * *

فمعنى الآية : ولكن يقول لهم : كونوا، أيها الناس، سادة الناس ، وقادتهم فى أمر دينهم ودنياهم، ربَّانيِّين بتعليمكم إياهم كتاب الله وما فيه من حلال وحرام ، وفرض وندب ، وسائر ما حواه من معانى أمور دينهم ، وبتلاوتكم إياه ودراستكموه .

* * *

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « ودراستهم إياه وتلاوته» ، بزيادة الواو قبل « تلاوته » والسياق بين فى أنه يفسر معنى « الدراسة » ، وأنهما تأويلان ، كما سيأتى ، فحذفت الواو ، وفصلت بين الكلامين .

(٢) أنا أرتاب فى سياق هذا الموضع من التفسير ، وأخشى أن يكون سقط من النساخ شىء .

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (٨٠)

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة قوله : « ولا يأمركم » .

فقرأته عامة قرأة الحجاز والمدينة : ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ ﴾ ، على وجه الابتداء من الله بالخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يأمركم ، أيها الناس ، أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً . واستشهد قارئو ذلك كذلك بقراءة ذكروها عن ابن مسعود أنه كان يقرؤها ، وهى : ﴿ وَلَنْ يَأْمُرَكُم ﴾ ، فاستدلوا بدخول « لن » ، على انقطاع الكلام عما قبله ، وابتداء خبر مستأنف . قالوا : فلما صير مكان « لن » فى فى قراءتنا « لا » ، وجبت قراءته بالرفع . (١)

* * *

وقرأه بعض الكوفيين والبصريين : ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ ﴾ ، بنصب «الراء » ، عطفاً على قوله : « ثم يقولَ للناس » . وكان تأويله عندهم : ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب ، ثم يقولَ للناس ، ولا أن يأمرَكم = بمعنى : ولا كان له أن يأمرَكم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك : « ولا يأمرَكم » ، بالنصب ، على الاتصال بالذى قبله ، بتأويل : (٢) ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتابَ والحكمَ والنبوةَ ، ثم يقولَ للناس كونوا عباداً لى من دون الله = ولا أنْ يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً . لأن الآية نزلت فى سبب القوم الذين قالوا لرسول ٣/٢٢٥

(١) هذا وجه ذكره الفراء فى معانى القرآن ١ : ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « بتأول » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

الله صلى الله عليه وسلم : (١) « أتريد أن نعبدك » ؟ فأخبرهم الله جل ثناؤه أنه ليس لنبيّه صلى الله عليه وسلم أن يدعو الناسَ إلى عبادة نفسه ، ولا إلى اتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً . ولكن الذى له : أنْ يدعوهم إلى أن يكونوا ربانيين .

* * *

فأما الذى ادّعى من قرأ ذلك رفعاً ، (٢) أنه فى قراءة عبد الله : « ولن يأمركم » استشهاداً لصحة قراءته بالرفع ، فذلك خبر غيرُ صحيح سَنَده ، وإنما هو خبر رواه حجاج ، عن هرون الأعور (٣) : أنّ ذلك فى قراءة عبد الله كذلك . ولو كان ذلك خبراً صحيحاً سنده ، لم يكن فيه لمحتجٍّ حجة . لأن ما كان على صحته من القراءة من الكتاب الذى جاءَ به المسلمون وراثةً عن نبيهم صلى الله عليه وسلم ، لا يجوز تركه لتأويلٍ على قراءة أضيفت إلى بعض الصحابة ، (٤) بنقل من يجوز فى نقله الخطأ والسهو .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « فى سب القوم . . . » ، وهو باطل المعنى ، ولم يحسن قراءة المخطوطة ، لأنها غير منقوطة ، يعنى بقوله : « فى سبب القوم . . . » ، من جراء القوم وبسبب قولهم ما قالوا .

(٢) يعنى الفراء كما أسلفنا فى التعليق رقم : ١ ، ص : ٥٤٧ .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة « . . . عن هرون لا يجوز أن ذلك . . . » ، وهو كلام بلا معنى ، جعل الناشرين الأولين للتفسير يكتبون فى وجوه تأويلها وتصويبها خلطاً لا معنى له أيضاً ، والصواب ما أثبت . وهذا من التصحيف الغريب فى نسخ النساخ .

وحجاج ، هو : « حجاج بن محمد المصيصى الأعور » سكن بغداد ، ثم تحول إلى المصيصة قال أحمد : « ما كان أضبطه وأشد تعاهده للحروف » ورفع أمره جداً . كان ثقة صدوقاً ، ثم تحول من المصيصة فعاد إلى بغداد فى حاجة له ، فمات بها سنة ٢٠٦ ، وعند مرجعه هذا إلى بغداد كان قد تغير وخلط ، فرآه يحيى بن معين ، فقال لابنه : « لا تدخل عليه أحداً » ، ولكن روى الحافظ فى ترجمة سنيد ابن داود ما يدل على أن حجاجاً قد حدث فى حال اختلاطه ، حتى ذكره أبو العرب القيروانى فى الضعفاء ، لسبب الاختلاط . وأخشى أن يكون الطبرى ، إنما أشار إلى هذا ، وإلى رواية سنيد عنه فى حال اختلاطه ، فقال إن إسناده غير صحيح ، لأنه من رواية سنيد عنه .

وأما « هرون الأعور » فهو : « هرون بن موسى أبو عبد الله الأعور العتكى » علامة صدوق نبيل ، له قراءة معروفة . وهو من الثقات . وكلاهما مترجم فى التهذيب ، وفى الطبقات القراء لابن الجزرى .

(٤) فى المطبوعة : « لتأويل نحو قراءة . . . » ، وهى عبارة مريضة ، وسبب ذلك أنه لم يحسن قراءة « على » لسوء خط الناسخ ، فكتبها « نحو » ، فمرضت العبارة .

قال أبو جعفر : فتأويل الآية إذاً : وما كان للنبي أن يأمركم، أيها الناس، [1] « أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً » = يعني بذلك آلهة يعبدون من دون الله = ، كما ليس له أن يقول لهم : كونوا عباداً لي من دون الله .

* * *

ثم قال جل ثناؤه = نافياً عن نبيّه صلى الله عليه وسلم أن يأمرَ عباده بذلك = : «أيأمُركم بالكفر» ، أيها الناس ، نبيُّكم ، بجحود وحدانية الله= « بعد إذ أنتم مسلمون» ، يعني : بعد إذ أنتم له منقادون بالطاعة ، متذللون له بالعبودة =[2] : أي أن ذلك غير كائن منه أبداً . وقد : —

٧٣٢٢ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : « ولا يأمركم » النبيُّ صلى الله عليه وسلم = « أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً » .

* * *

---

(١) في المطبوعة : « وما كان للنبي أن يأمر الناس أن يتخذوا . . . » ، وهي عبارة مستقيمة المعنى ، أما المخطوطة فقد كانت فيها عجيبة من عجائب التصحيف — وقد كثر تصحيف الناسخ في هذا الموضع كما ترى وذلك أنه كتب : « وما كان للنبي أن يأمر كما نهى الناس » ، وصل ألف « أيها » بالميم في « يأمركم » ، ثم قرأ « يها » من « أيها » ، « نهى » ، وكتبها كذلك . وكأن الناسخ كان قد تعب وكل ، فكل مع كلالة ذهنه . وجاء الناشر ، فلم يجد لذلك معنى فحذفه . كل هذا أيضاً من كثرة تصحيف الناسخ ! !

(٢) في المطبوعة : « بالعبودية » ، وأثبت ما في المخطوطة ، ولم يدع الناشر كلمة « العبودة » إلا جعلها « العبودية » في كل ما سلف . انظر آخر تعليق على ذلك ص : ٤٠٤ ، تعليق : ٢

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : واذكروا، يا أهل الكتاب، « إذ أخذ الله ميثاق النبيين » ، يعنى : حين أخذ الله ميثاق النبيين = « وميثاقهم »، ما وثقوا به على أنفسهم طاعةَ الله فيما أمرهم ونهاهم .

* * *

وقد بينا أصل « الميثاق » باختلاف أهل التأويل فيه ، بما فيه الكفاية .[1]

* * *

= : « لما آتيتكم من كتاب وحكمة »،[2] فاختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة الحجاز والعراق ﴿لَمَآ ءَاتَيْتُكُمْ﴾ بفتح « اللام » من « لما » ، إلا أنهم اختلفوا فى قراءة : « آتيتكم » .

فقرأه بعضهم : « آتيتكم » على التوحيد .

وقرأه آخرون : ﴿ آتيناكم ﴾ على الجمع .

* * *

ثم اختلف أهل العربية إذا قرئ ذلك كذلك .

فقال بعض نحويى البصرة : « اللام » التى مع « ما » فى أول الكلام « لام الابتداء » ، نحو قول القائل : « لزيدٌ أفضل منك »، لأن « ما » اسم، والذى بعدها صلة لها ،[3] « واللام » التى فى « لتؤمنن به ولتنصرنه » ، لام القسم ، كأنه قال : والله لتؤمنن به = يؤكد فى أول الكلام وفى آخره ، كما يقال : « أما والله أن لو جئتنى

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٢/٤١٤ : ١٥٦ ، ١٥٧ ، ٢٨٨ .

(٢) فى المطبوعة : « اختلفت » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) فى المخطوطة : « لأن لما اسم . . . » ، وهو جيد أيضاً وتركت ما فى المطبوعة على حاله .

لكان كذا وكذا » ، وقد يستغنى عنها . فوكّد فى : « لتؤمنن به » ، باللام فى آخر الكلام .[١] وقد يستغنى عنها ، ويجعل خبر « ما آتيتكم من كتاب وحكمة » « لتؤمنن به » . مثل : « لعبد الله والله لتأتينّه » .[٢] قال : وإن شئت جعلت خبر « ما » « من كتاب » ، يريد : لما آتيتكم ، كتابٌ وحكمة = وتكون « من » زائدة .

* * *

وخطّأ بعضُ نحويى الكوفيين ذلك كله وقال : « اللام » التى تدخل فى أوائل الجزاء، تجابُ بجوابات الأيمان ، يقال : « لَمَن قام لآتينّه » ، «ولَمَن قام ما أحسن»،[٣] فإذا وقع فى جوابها « ما » و«لا»،علم أن اللام ليست بتوكيد للأولى، لأنه يوضع موضعها « ما » و« لا » ، فتكون كالأولى،[٤] وهى جواب للأولى . قال: وأما قوله : « لما آتيتكم من كتاب وحكمة » ، بمعنى إسقاط « من »، غلطٌ . لأن « منْ » التى تدخل وتخرج ، لا تقع مواقع الأسماء ، قال : ولا تقع فى الخبر أيضاً ، إنما تقع فى الجحد والاستفهام والجزاء .[٥]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى تأويل هذه الآية — على قراءة من قرأ ذلك بفتح « اللام » — بالصواب : أن يكون قوله : « لما » بمعنى « لمهما » ، وأن تكون « ما » حرف جزاء أدخلت عليها « اللام »،وصيّر الفعل معها على « فَعَل »،[٦] ثم

---

(١) فى المطبوعة : « فيؤكد فى لتومن به » ، والصواب ما فى المخطوطة . و « وكد » و « أكد » واحد .

(٢) فى المطبوعة : « لا يأتينه » ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « اللام التى تدخل فى أوائل الجزاء لا تجاب بما ولا لا » ، فلا يقال : لمن قام لا تتبعه ، ولا : لمن قام ما أحسن » ، أحدثوا فى نص المخطوطة تغييراً تاماً . فاضطرب الكلام اضطراباً شديداً ، واختلفت معانيه .

(٤) يعنى « ما » و « لا » التى يتلقى بها القسم .

(٥) انظر ذلك فيما سلف ٢ : ١٢٦ ، ١٢٧ ، ٤٤٢ ، ٤٧٠ .

(٦) قوله : « على فعل » ، يعنى على الفعل الماضى ، لا المضارع .

أجيبت بما تجاب به الأيمان، فصارت «اللام» الأولى يميناً، إذ تلقيت بجواب اليمين.

* * *

وقرأ ذلك آخرون: ﴿لِمَا آتَيْتُكُمْ﴾ «بكسر «اللام» من «لما». وذلك قراءة جماعة من أهل الكوفة.

* * *

ثم اختلف قارئو ذلك كذلك في تأويله.

فقال بعضهم: معناه إذا قرئ كذلك: وإذ أخذ الله ميثاق النبيين للذي آتيتكم = فـ «ما» على هذه القراءة، بمعنى «الذي» عندهم. وكان تأويل الكلام: وإذ أخذ الله ميثاق النبيين من أجل الذي آتاهم من كتاب وحكمة =، ثم «جاءكم رسول»، يعني: ثم إن جاءكم رسول، يعني: ذكر محمد في التوراة = «لتؤمنن به»، أي: ليكونن إيمانكم به، للذي عندكم في التوراة من ذكره. ٣٣٦/٣

* * *

وقال آخرون: منهم: تأويل ذلك إذا قرئ بكسر «اللام» من «لما»: وإذ أخذ الله ميثاق النبيين، للذي آتاهم من الحكمة. ثم جعل قوله: «لتؤمنن به» من الأخذ، أخذ الميثاق. كما يقال في الكلام: «أخذت ميثاقك لتفعلن». لأن أخذ الميثاق بمنزلة الاستحلاف. فكان تأويل الكلام عند قائل هذا القول: وإذ استحلف الله النبيين للذي آتاهم من كتاب وحكمة، متى جاءهم رسول مصدق لما معهم، ليؤمنن به ولينصرنه.

* * *

قال أبو جعفر: وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ: «وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم»، بفتح «اللام». لأن الله عز وجل أخذ ميثاق جميع الأنبياء بتصديق كل رسول لله ابتعثه إلى خلقه فيما ابتعثه به إليهم، كان ممن آتاه كتاباً أو ممن لم يؤته كتاباً. وذلك أنه غير جائز وصف أحد من أنبياء الله عز وجل ورسله، بأنه كان ممن أبيح له التكذيب بأحد من رسله. فإذ كان ذلك

كذلك ، وكان معلوماً أن منهم من أنزل عليه الكتابَ ، وأنّ منهم من لم ينزل عليه الكتاب = كان بيناً أن قراءة من قرأ ذلك : « لما آتيتكم » ، بكسر « اللام » ، بمعنى : من أجل الذى آتيتكم من كتاب ، لا وجه له مفهومٌ ، إلا على تأويل بعيد وانتزاع عميق .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فيمن أخذ ميثاقه بالإيمان بمن جاءه من رُسل الله مصدّقاً لما معه .

فقال بعضهم : إنما أخذ الله بذلك ميثاقَ أهل الكتاب دون أنبيائهم . واستشهدوا لصحة قولهم بذلك بقوله : « لتؤمنن به ولتنصرنه » . قالوا : فإنما أمر الذين أرسلتَ إليهم الرّسل من الأمم بالإيمان برسل الله ونُصْرتها على من خالفها . وأما الرسل ، فإنه لا وجه لأمرها بنصرة أحد ، لأنها المحتاجةُ إلى المعونة على من خالفها من كفَرة بنى آدم . فأما هى ، فإنها لا تعين الكفرة على كفرها ولا تنصرها . قالوا : وإذا لم يكن غيرُها وغيرُ الأمم الكافرة ، فمن الذى ينصر النبى ، فيؤخذ ميثاقه بنصرته ؟

* ذكر من قال ذلك :

٧٣٢٣ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « وإذ أخذَ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة » ، قال : هى خطأ من الكاتب ، وهى فى قراءة ابن مسعود : « وإذ أخذَ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب » . (١)

---

(١) يمثل هذا الأثر ، يستدل من يستدل من جهله المستشرقين وأشياعهم ، على الخطأ والتحريف فى كتاب الله المحفوظ . وهم لم يكونوا أول من قال به ، بل سبقهم إليه أسلافهم من غلاة الرافضة وأشباههم من الملحدة . ولم يقصر علماء أهل الإسلام فى بيان ما قالوه ، وفى تعقب آرائهم وبيان فسادها ، ووهن حجتها . ومن أعظم ما قرأت فى ذلك ، كتاب « الانتصار لنقل القرآن » ، للقاضى الباقلانى ، وهو كتاب مخطوط لا يزال ، وهى فى ملك أخى السيد أحمد صقر ، وهو أمين على نشره . وقد عقد القاضى بابا ، بل أبواباً ، فى تعلق القائلين بذلك ، بالشواذ من القراءات ، والزيادات المروية عن السلف رواية

٧٣٢٤ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٧٣٢٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين » ، يقول : وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ، وكذلك كان يقرؤها الربيع : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب » ، إنما هم أهل الكتاب.(١) قال: وكذلك كان يقرأها أبي بن كعب . قال الربيع : ألا ترى أنه يقول : « ثمّ جاءكم رسولٌ مصدقٌ لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه » ؟ يقول : لتؤمنن بمحمد صلى الله عليه وسلم ولتنصرنه . قال : هم أهل الكتاب .

* * *

وقال آخرون : بل الذين أخذ ميثاقهم بذلك ، الأنبياءُ دون أممها .

* ذكر من قال ذلك :

الآحاد ، وكشف عن فساد تعلقهم بذلك فيما راموه من الطعن في نقل المصحف . وقد أطال في ذلك واستوعب ، وذكرها مفصلة ، وذكر الروايات التي رويت في ذلك . ومما قال في باب منه : « وأما نحن ، وإن كنا نوثق جميع من ذكرنا من السلف وأتباعهم ، فإنا لا نعتقد تصديق جميع ما يروى عنهم ، بل نعتقد أن فيه كذباً كثيراً قد قامت الدلالة على أنه موضوع عليهم ، وأن فيه ما يمكن أن يكون حقاً عنهم ، وما يمكن أن يكون باطلا ، ولا يثبت عليهم من طريق العلم البتات ، بأخبار الآحاد . وإذا كان ذلك كذلك ، وكانت هذه القراءات والكلمات المروية عن جماعة منهم ، المخالفة لما في مصحفنا ، مما لا نعلم صحتها وثبوتها ، وكنا مع ذلك نعلم اجتماعهم على تسليم مصحف عثمان ، وقراءتهم وإقراءهم ما فيه، والعمل به دون غيره = لم يجب أن نحفل بشيء من هذه الروايات عنهم ، لأجل ما ذكرنا» .

قلت :والقول الذي ذكره مجاهد ، أنه :« خطأ من الكاتب »، إنما عني به أن قراءة ابن مسعود هي القراءة التي كانت في العرضة الأخيرة ، وأن الكاتب كتب القراءة التي كانت قبل العرضة الأخيرة ، وأنه كان عليه أن يكتب ما كان في العرضة الأخيرة، فأخطأ وكتب القراءة الأولى . ولم يرد بقوله : « خطأ من الكاتب» ، أنه وضع ذلك من عند نفسه . كيف ؟ والقرآن متلقى بالرواية والوراثة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا بما هو مكتوب في الصحف ! ! هذا بيان قد تعجلته ، ولتفصيل هذا موضع غير الذي نحن فيه .

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « إنما هي أهل الكتاب » ، ولها وجه ضعيف ، والصواب ما أثبت .

٧٣٢٦ – حدثني المثنى وأحمد بن حازم قالا، حدثنا أبو نعيم قال، حدثنا سفيان، عن حبيب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: إنما أخذ الله ميثاق النبيين على قومهم.

٧٣٢٧ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه في قوله: «وإذ أخذ الله ميثاق النبيين»، أن يصدّق بعضُهم بعضاً.

٧٣٢٨ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن ابن طاوس، عن أبيه في قوله: «وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم» الآية، قال: أخذ الله ميثاق الأُوَل من الأنبياء، ليصدقن وليؤمنن بما جاء به الآخِرُ منهم.

٧٣٢٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله بن هاشم قال، أخبرنا سيف بن عُمر، [1] عن أبي روق، عن أبي أيوب، عن علي بن أبي طالب قال: لم يبعث الله عز وجل نبيًّا، آدمَ فمن بعدَه – إلا أخذ عليه العهدَ في محمد: لئن بعث وهو حيّ ليؤمنن به ولينصرنّه = ويأمرُه فيأخذ العهدَ على قومه، فقال: «وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة»، الآية.

٧٣٣٠ – حدثنا بشر قال حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: «وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب»، الآية: هذا ميثاق أخذه الله على النبيين أن يصدق بعضُهم بعضاً، وأن يبلّغوا كتاب الله ورسالاته، فبلغت الأنبياء كتاب الله ورسالاته إلى قومهم، وأخذ عليهم – فيما بلّغتهم رُسلهم – أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويصدّقوه وينصروه. ٢٣٧/٣

(١) في المطبوعة: «سيف بن عمرو»، والصواب ما أثبت من المخطوطة: «سيف بن عمر التميمي» صاحب كتاب الردة والفتوح. أكثر الطبري الرواية عنه في تاريخه، قال ابن عدي: «بعض أحاديثه مشهورة، وعامتها منكرة لم يتابع عليها». وقال ابن حبان: «يروي الموضوعات عن الأثبات، وقالوا: إنه كان يضع الحديث. اتهم بالزندقة». وقال الحاكم: «اتهم بالزندقة، وهو في الرواية ساقط».

٧٣٣١ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة » ، الآية . قال : لم يبعث الله عز وجل نبيًّا قطُّ من لدُنْ نوح ، إلاّ أخذ ميثاقه ليؤمننّ بمحمد ولينصرنّه إن خَرَج وهو حىّ ، وإلا أخذ على قومه أن يؤمنوا به ولينصرُنّه إن خَرَج وهم أحياء .

٧٣٣٢ – حدثنى محمد بن سنان قال، حدثنا عبد الكبير بن عبد المجيد أبو بكر الحنفى قال ، حدثنا عباد بن منصور قال ، سألت الحسن عن قوله : « وإذ أخذ الله ميثاقَ النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة » ، الآية كلها ، قال : أخذ الله ميثاق النبيين : ليبلّغن آخرُ كم أولكم ، ولا تختلفوا .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : أنه أخذ ميثاق النبيين وأممهم = فاجتزأ بذكر الأنبياء عن ذكر أممها ، لأن فى ذكر أخذ الميثاق على المتبوع ، دلالةٌ على أخذه على التبّاع ، لأن الأمم تُبّاعُ الأنبياء .(١)

* ذكر من قال ذلك :

٧٣٣٣ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن أبى محمد ، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : ثم ذكر ما أخذ عليهم – يعنى على أهل الكتاب – وعلى أنبيائهم من الميثاق بتصديقه – يعنى بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم – إذا جاءَهم ، وإقرارهم به على أنفسهم . فقال : « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة » إلى آخر الآية .(٢)

٧٣٣٤ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنا محمد ابن إسحق قال ، حدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال ، حدثنى سعيد

---

(١) فى المطبوعة : « هم تباع الأنبياء » ، زاد « هم » بلا ضرورة . والصواب ما فى المخطوطة .

(٢) الأثران : ٧٣٣٣ ، ٧٣٣٤ – سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٣ ، وهما تتمة الآثار التى آخرها رقم : ٧٢٩٦ ، ٧٢٩٧ .

ابن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس مثله .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال فى ذلك بالصواب ، قول من قال : معنى ذلك : الخبرُ عن أخذ الله الميثاقَ من أنبيائه بتصديق بعضهم بعضاً ، وأخذ الأنبياء على أممها وتُبَّاعها الميثاقَ بنحو الذى أخذَ عليها ربُّها من تصديق أنبياء الله ورسله بما جاءتها به . لأن الأنبياء عليهم السلام بذلك أرسلت إلى أممها . ولم يدَّع أحدٌ ممن صدَّق المرسلين ، أن نبيًّا أرسِل إلى أمة بتكذيب أحد من أنبياء الله عز وجل وحُجَجه فى عباده ، بل كلها = وإن كذب بعض الأمم بعض أنبياء الله ، بجحودها نبوّته = مقرّةٌ بأنّ من ثبتت صحّة نبوته ، فعليها الدينونة بتصديقه . فذلك ميثاق مقرٌّ به جميعهم .

* * *

ولا معنى لقول من زعم أن الميثاق إنما أخذ على الأمم دون الأنبياء . لأن الله عز وجل قد أخبر أنه أخذ ذلك من النبيين ، فسواءٌ قال قائل : « لم يأخذ ذلك منها ربها » أو قال : « لم يأمرها ببلاغ ما أرسلت » ، وقد نصّ الله عز وجل أنه أمرها بتبليغه ، لأنهما جميعاً خبرَان من الله عنها : أحدهما أنه أخذ منها ، والآخر منهما أنه أمرَها . فإن جاز الشك فى أحدهما ، جازَ فى الآخر .

* * *

وأما ما استشهد به الربيع بن أنس ، على أن المعنىّ بذلك أهلُ الكتاب من قوله : « لتؤمنن به ولتنصرنه » ، فإن ذلك غير شاهد على صحة ما قال . لأن الأنبياء قد أمر بعضُها بتصديق بعض ، وتصديق بُعضها بعضاً ، نُصرةٌ من بعضها بعضاً .

* * *

ثم اختلفوا فى الذين عُنوا بقوله : « ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه » .

فقال بعضهم : الذين عنوا بذلك ، هم الأنبياء ، أخذت مواثيقهم أن يصدّق

بعضهم بعضاً وأن ينصروه، وقد ذكرنا الرواية بذلك عمن قاله.(١)

* * *

وقال آخرون : هم أهل الكتاب ، أمروا بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم إذا بعثه الله وبنصرته ، وأخذ ميثاقهم فى كتبهم بذلك . وقد ذكرنا الرواية بذلك أيضاً عمن قاله.(٢)

* * *

وقال آخرون = ممن قال: الذين عُنوا بأخذ الله ميثاقه منهم فى هذه الآية هم الأنبياء = قوله : «ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم» ، معنىٌّ به أهل الكتاب .

* ذكر من قال ذلك :

٧٣٣٥ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر قال، أخبرنا ابن طاوس ، عن أبيه فى قوله : «وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة» ، قال أخذَ الله ميثاق النبيين أن يصدّق بعضهم بعضاً ، ثم قال: «ثم جاءكم رسولٌ مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه» ، قال : فهذه الآية لأهل الكتاب، أخذ الله ميثاقهم أن يؤمنوا بمحمد ويصدّقوه .

٧٣٣٦ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنى ابن أبى جعفر ، عن أبيه قال ، قال قتادة : أخذ الله على النبيين ميثاقهم : أن يصدق بعضهم بعضاً ، وأن يبلغوا كتابَ الله ورسالتَه إلى عباده . فبلّغت الأنبياء كتابَ الله ورسالاته إلى قومهم، وأخذوا مواثيقَ أهل الكتاب – فى كتابهم ، فيما بلّغتهم رسلهم – : أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويصدّقوه وينصروه . ٢٣٨/٣

* * *

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال بالصواب عندنا فى تأويل هذه الآية : أنّ جميع ذلك خبرٌ من الله عز وجل عن أنبيائه أنه أخذ ميثاقهم به ، وألزمهم دعاء أممها

---

(١) انظر ما سلف من رقم : ٧٣٢٦ – ٧٣٣٢ .

(٢) انظر ما سلف من رقم : ٧٣٢٣ – ٧٣٢٥ .

إليه ،[١] والإقرار به. لأن ابتداء الآية خبرٌ من الله عز وجل عن أنبيائه أنه أخذ ميثاقهم ، ثم وصف الذى أخذ به ميثاقهم فقال : هو كذا وهو كذا .

وإنما قلنا إنّ ما أخبر الله أنه أخذ به مواثيق أنبيائه من ذلك ، قد أخذت الأنبياءُ مواثيق أممها به ، لأنها أرسلت لتدعو عبادَ الله إلى الدينونة بما أمرت بالدينونة به فى أنفسها ، من تصديق رسل الله ، على ما قدمنا البيانَ قبل .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الآية : واذكرُوا يا معشرَ أهل الكتاب ، إذ أخذَ الله ميثاق النبيين لَمَهْما آتيتكم ، أيها النبيون ، من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول من عندى مصدق لما معكم ، لتؤمنن به = يقول : لتصدقنه = ولتنصرنه .

* * *

وقد قال السدىّ فى ذلك بما : —

٧٣٣٧ — حدثنا به محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « لما آتيتكم » ، يقول لليهود : أخذت ميثاقَ النبيين بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى ذكر فى الكتاب عندكم .

* * *

فتأويل ذلك على قول السدّى الذى ذكرناه : واذكروا ، يا معشر أهل الكتاب ، إذ أخذ الله ميثاق النبيين بما آتيتكم ، أيها اليهود ، من كتاب وحكمة .[٢]

وهذا الذى قاله السدى كان تأويلاً له وجهٌ ،[٣] لو كان التنزيل : « بما آتيتكم » ، ولكن التنزيل باللام « لما آتيتكم » . وغير جائز فى لغة أحد من العرب أن يقال : « أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم » ، بمعنى : بما آتيتكم .

* *

---

(١) فى المطبوعة : « دعاء أممهم » ، وفى المخطوطة « أممها » كما أثبته ، والمخالفة بين الضمائر فى هذا الموضع سياق صحيح ، فرددتها إلى أصل المخطوطة .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « لما آتيتكم » باللام ، والسياق دال على خلافه ، وعلى صواب ما أثبت .

(٣) فى المطبوعة : « كان تأويلا لا وجه غيره » ، وهو تصويب لما جاء فى المخطوطة : « كان

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وإذ أخذ الله ميثاق النبيين بما ذكر ، فقال لهم تعالى ذكره : أأقررتم بالميثاق الذى واثقتمونى عليه :[1] من أنكم مهما أتاكم رسولٌ من عندى مصدق لما معكم = « لتؤمنن به ولتنصرنه » = « وأخذتم على ذلك إصرى » ؟ يقول : وأخذتم = على ما واثقتمونى عليه من الإيمان بالرسل التى تأتيكم بتصديق ما معكم من عندى والقيام بنصرتهم = « إصرى » . يعنى عهدى ووصيتى ، وقبلتم فى ذلك منّى ورضيتموه .

* * *

و« الأخذ » : هو القبول — فى هذا الموضع — والرّضى ، من قولهم : « أخذ الوالى عليه البيعة » ، بمعنى : بايعه وقبل ولايته ورَضى بها .

* * *

وقد بينا معنى « الإصر » باختلاف المختلفين فيه ، والصحيح من القول ذلك فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[2]

* * *

وحذفت « الفاء » من قوله : « قال أأقررتم » ، لأنه ابتداء كلام ، على نحو ما قد بينا فى نظائره فيما مضى .[3]

* * *

تأويلا لا وجه له » ، وهى عبارة لا تستقيم . ورأيت أن الناسخ عجل فكتب « لا وجه له » مكان « له وجه » ، فرددتها إلى هذا ، وخالفت المطبوعة .

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « أقررتم . . » بحذف ألف الاستفهام ، وهو فساد .

(٢) انظر ما سلف فى هذا الجزء ٦ : ١٣٥–١٣٨

(٣) انظر ما سلف ٢ : ١٨٣ .

وأما قوله : « قالوا أقررنا » ، فإنه يعنى به : قال النبيون الذين أخذ الله ميثاقهم بما ذكر فى هذه الآية : أقررْنا بما ألزمتنا من الإيمان برسلك الذين ترسلهم مصدّقين لما معنا من كتبك ، وبنصرتهم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ (٨١)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : قال الله : فاشهدوا ، أيها النبيون ، بما أخذتُ به ميثاقكم من الإيمان بتصديق رسلى التى تأتيكم بتصديق ما معكم من الكتاب والحكمة ، ونُصرتهم على أنفسكم وعلى أتباعكم من الأمم إذا أنتم أخذتم ميثاقهم على ذلك ، وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعليهم بذلك ، كما : —

٧٣٣٨ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن هاشم قال ، قال ، أخبرنا سيف بن عمر ، [1] عن أبى روق ، عن أبى أيوب ، عن على بن أبى طالب فى قوله : « قال فاشهدوا » ، يقول : فاشهدوا على أممكم بذلك = « وأنا معكم من الشاهدين » ، عليكم وعليهم .

* * *

(١) فى المطبوعة هنا أيضاً « سيف بن عمرو » ، مخالفاً لما فى المخطوطة وهو الصواب . وقد سلف تصويب ذلك فى الأثر رقم : ٧٣٢٩ . وسيأتى خطأ فيما يلى ، فى مواضع كثيرة ، سوف أصححه دون إشارة إليه .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ (٨٢)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : فمن أعرَض عن الإيمان برسلى الذين أرسلتهم بتصديق ما كان مع أنبيائى من الكتب والحكمة ، وعن نصرتهم ، فأدبر ولم يؤمن بذلك، ولم ينصر ، ونكث عهدَه وميثاقه = « بعد ذلك » ، يعنى بعد العهد والميثاق الذى أخذَه الله عليه = «فأولئك هم الفاسقون » ، يعنى بذلك : أن المتولين عن الإيمان بالرسل الذين وصف أمرَهم ، ونُصرتهم بعد العهد والميثاق اللذين أخذَا عليهم بذلك = « هم الفاسقون» ، يعنى بذلك : الخارجون من دين الله وطاعة ربهم ، (١) كما : — ٢٣٩/٣

٧٣٣٩ — حدثنا المثنى قال حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن هاشم قال ، قال ، أخبرنا سيف بن عمر ، عن أبى روق ، عن أبى أيوب ، عن على بن أبى طالب : فمن تولى عنك ، يا محمد ، بعد هذا العهد من جميع الأمم = « فأولئك هم الفاسقون » ، هم العاصون فى الكفر .

٧٣٤٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه = قال أبو جعفر : يعنى الرازى =(٢) : « فمن تولى بعد ذلك» يقول : بعد العهد والميثاق الذى أخذَ عليهم = « فأولئك هم الفاسقون » .

---

(١) انظر تفسير « تولى » و « الفاسقون » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) و (فسق) .

(٢) قوله : « قال أبو جعفر» فيما بين الخطين ، هو أبو جعفر الطبرى صاحب هذا التفسير . وقوله « يعنى الرازى » ، يعنى « أبا جعفر الرازى » الذى قال فى الإسناد « حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه » . وبيان الطبرى فى هذا الموضع عن « أبى جعفر الرازى » بعد أن مضى مئات من المرات فى هذا الإسناد وغيره من الأسانيد ، دليل على أن أبا جعفر الطبرى ، قد كتب تفسيره هذا على فترات متباعدة = أو لعل أحداً سأله وهو يملى تفسيره ، فبين له ، وأثبته الذين سمعوه منه كما قاله فى مجلسه ذاك . وقد مضى « ذكر أبى جعفر الرازى » فى التعليق على الأثر رقم : ١٦٤ .

٧٣٤١ــ حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر، [عن أبيه]، عن الربيع مثله.(١)

* * *

قال أبو جعفر : وهاتان الآيتان ، وإن كان مَخرَج الخبر فيهما من الله عز وجل بما أخبر أنه أشهدَ وأخذَ به ميثاق مَنْ أخذَ ميثاقه به، عن أنبيائه ورسله،(٢) فإنه مقصودٌ به إخبارُ من كان حوالَى مهاجَر رسول الله صلى الله عليه وسلم من يهود بنى إسرائيل أيام حياته صلى الله عليه وسلم ، عمَّا لله عليهم من العهد فى الإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم =(٣) ومعنىٌ [به] تذكيرُهم ما كان الله آخذاً على آبائهم وأسلافهم من المواثيق والعهود ، وما كانت أنبياءُ الله عرَّفتهم وتقدّمت إليهم فى تصديقه واتباعه ونُصرته على من خالفه وكذبه = وتعريفهم ما فى كتب الله ، التى أنزلها إلى أنبيائه التى ابتعثها إليهم ، من صفته وعلامته .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (٨٣)

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة ذلك :

فقرأته عامة قرأة الحجاز من مكة والمدينة ، وقرأةُ الكوفة : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ تَبْغُونَ ﴾ ، ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ على وجه الخطاب .

* * *

---

(١) الأثر : ٧٣٤١ – هذا إسناد دائر فى التفسير ، أقربه رقم : ٧٢٣٤ ، أسقط منه الناسخ « عن أبيه » ، فوضعتها بين القوسين فى مكانها .

(٢) السياق : وإن كان مخرج الخبر . . . عن أنبيائه ورسله ، فإن مقصود به . . .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « ومعنى تذكيرهم . . . » ، والصواب الراجح زيادة ما زدت بين القوسين . وسياق هذه الجملة وما بعدها : فإنه مقصود به إخبار من كان حوالى مهاجر رسول الله . . . ومعنى به تذكيرهم ... وتعريفهم ما فى كتب الله . . . من صفته وعلامته » . فصلتها لتسهل قراءتها وتتبعها .

وقرأ ذلك بعض أهل الحجاز ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ ﴾ ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ بالياء كلتيهما ، على وجه الخبر عن الغائب .

* * *

وقرأ ذلك بعض أهل البصرة : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ ﴾ ، على وجه الخبر عن الغائب ، ﴿ وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ، بالتاء على وجه المخاطبة .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى ذلك بالصواب ، قراءةُ من قرأ : « أفغير دين الله تبغون » على وجه الخطاب « وإليه تُرجعون » بالتاء . لأن الآية التى قبلها خطابٌ لهم ، فإتباعُ الخطاب نظيرَه ، أولى من صرف الكلام إلى غير نظيره . وإن كان الوجه الآخر جائزاً ، لما قد ذكرنا فيما مضى قبل : من أن الحكاية يخرج الكلام معها أحياناً على الخطاب كله ، وأحياناً على وجه الخبر عن الغائب ، وأحياناً بعضُه على الخطاب ، وبعضُه على الغيبة ، فقوله : « تبغون » و « إليه ترجعون » فى هذه الآية ، من ذلك .[1]

* * *

وتأويل الكلام : يا معشرَ أهل الكتاب = « أفغيرَ دين الله تبغون » ، يقول : أفغير طاعة الله تلتمسون وتريدون .[2] = « وله أسلم من فى السموات والأرض » ، يقول : وله خشع من فى السموات والأرض ، فخضع له بالعبودة ،[3] وأقرّ له بإفراد الربوبية ، وانقاد له بإخلاص التوحيد والألوهية[4] = « طوْعاً وكرهاً » ، يقول أسلم لله طائعاً من كان إسلامه منهم له طائعاً ، وذلك كالملائكة والأنبياء والمرسلين ،

---

(١) انظر ما سلف : ٤٦٤ والتعليق رقم : ٢ ، والمراجع هناك . وانظر فهرس مباحث العربية .

(٢) انظر تفسير « الدين » فيما سلف ١ : ١١٥ ، ٣/٢٢١ : ٥٧١/ثم ٦ : ٢٧٣ ، ٢٧٤ = ثم معنى « يبغى » فيما سلف ٣ : ٤/٥٠٨ : ١٠٣ / ثم ٦ : ١٩٦ ، تعليق : ٣ .

(٣) فى المطبوعة : « العبودية » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، كما سلف مراراً . انظر قريباً : ص : ٥٤٩ تعليق ٢ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « أسلم » فيما سلف ص : ٤٨٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

فإنهم أسلموا لله طائعين = « وكرهاً » ، من كان منهم كارهاً . (١)

* * *

واختلف أهل التأويل فى معنى إسلام الكاره الإسلام وصفته .

فقال بعضهم : إسلامه ، إقراره بأنّ الله خالقه وربُّه ، وإن أشرك معه فى العبادة غيرَه .

* ذكر من قال ذلك :

٧٣٤٢ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور عن مجاهد : « وله أسلم من فى السموات والأرض » ، قال : هو كقوله : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ ﴾ [سورة الزمر : ٣٨] .

٧٣٤٣ - حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد مثله .

٧٣٤٤ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبى العالية فى قوله : « وله أسلم من فى السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه تُرجعون » ، قال : كل آدمىّ قد أقرّ على نفسه بأن الله ربّى وأنا عبده . فمن أشركَ فى عبادته فهذا الذى أسلم كَرْهاً ، ومن أخلص له العبودة ، (٢) فهو الذى أسلم طوعاً .

* * *

وقال آخرون : بل إسلام الكاره منهم ، كان حين أخذَ منه الميثاق فأقرّ به .

* ذكر من قال ذلك :

٧٣٤٥ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : « وله أسلم من فى السموات والأرض طوعاً وكرهاً » ، قال : حين أخذَ الميثاق .

* * *

---

(١) انظر تفسير « الكره » فيما سلف ٤ : ٢٩٧ ، ٢٩٨ .

(٢) فى المطبوعة : « العبودية » ، وانظر التعليق السالف رقم ص : ٥٦٤ ، رقم : ٣ .

وقال آخرون ؛ عنى بإسلام الكاره منهم ، سُجودَ ظله .

* ذكر من قال ذلك :

٣/٢٤٠ ٧٣٤٦ — حدثنا سوّار بن عبد الله قال ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن ليث ، عن مجاهد فى قول الله عز وجل : « وله أسلم من فى السموات والأرض طوعاً وكرهاً » ، قال : الطائع المؤمن = و« كرهاً » ، ظلّ الكافر .

٧٣٤٧ — حدثنى محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « طوعاً وكرهاً » ، قال : سجود المؤمن طائعاً ، وسجود الكافر وهو كاره .

٧٣٤٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « كَرْهاً » ، قال : سجود المؤمن طائعاً ، وسجود ظلّ الكافر وهو كاره .

٧٣٤٩ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد قال : سجود وجهه طائعاً ، وظله كارهاً . (١)

* * *

وقال آخرون : بل إسلامه بقلبه فى مشيئة الله ، واستقادته لأمره وإن أنكر ألوهته بلسانه .

* ذكر من قال ذلك :

٧٣٥٠ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر : « وله أسلم من فى السموات والأرض » ، قال : استقاد كلهم له . (٢)

* * *

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « سجود وجهه وظله طائعاً » ، وهو لا يستقيم ، واستظهرت من أخبار مجاهد السالفة ، أن هذا هو حق المعنى ، وأنه أولى بالصواب .

(٢) الأثر : ٧٣٥٠ — « جابر » ، هو : « جابر بن يزيد الجعفى » . روى عن أبى الطفيل وأبى الضحى وعكرمة وعطاء وطاوس . روى عنه شعبة والثورى وإسرائيل وجماعة . و « عامر » ، هو الشعبى . وكان فى المخطوطة والمطبوعة : « جابر بن عامر » ، وليس فى الرواة أحد بهذا الاسم .

وقال آخرون : عنى بذلك إسلام من أسلم من الناس كرْهاً ، حذَرَ السيف على نفسه .

* ذكر من قال ذلك :

٧٣٥١ – حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفي قال، حدثنا عباد بن منصور ، عن الحسن في قوله : « وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً » الآية كلها ، فقال : أكره أقوامٌ على الإسلام ، وجاء أقوامٌ طائعين .

٧٣٥٢ – حدثني الحسن بن قزعة الباهلي قال، حدثنا روح بن عطاء ، عن مطر الورّاق في قول الله عز وجل : « وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه ترجعون »، قال : الملائكة طوعاً ، والأنصار طوعاً ، وبنو سُلَيمُ وعبد القيس طوعاً، والناس كلهم كرهاً .

* * *

وقال آخرون معنى ذلك: أنّ أهل الإيمان أسلموا طوعاً ، وأنّ الكافر أسلم في حال المعاينة، حينَ لا ينفعه إسلامٌ، كرهاً .

* ذكر من قال ذلك :

٧٣٥٣ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله: « أفغير دين الله تبغون » ، الآية، فأما المؤمن فأسلم طائعاً فنفعه ذلك وقُبِل منه ، وأما الكافر فأسلم كارهاً حين لاينفعه ذلك ، ولا يقبل منه .

٧٣٥٤ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً » ، قال : أما المؤمن فأسلم طائعاً ، وأما الكافر فأسلم حين رأى بأسَ الله ، ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾ [سورة غافر : ٨٥] .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : أيْ : عبادةُ الخلق لله عز وجل . (١)

* ذكر من قال ذلك :

٧٣٥٥ - حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « أفغير دين الله تبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً » ، قال : عبادتهم لي أجمعين طوعاً وكرهاً ، وهو قوله : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً ﴾ [سورة الرعد : ١٥] .

* * *

وأما قوله : « وإليه تُرجعون » ، فإنه يعني : « وإليه » ، يا معشر من يبتغي غيرَ الإسلام ديناً من اليهود والنصارى وسائر الناس = « ترجعون » ، يقول : إليه تصيرون بعد مماتكم ، فمجازيكم بأعمالكم ، المحسنَ منكم بإحسانه ، والمسيءَ بإساءته .

* * *

وهذا من الله عز وجل تحذيرٌ خلقَه أن يرجع إليه أحدٌ منهم فيصيرُ إليه بعد وفاته على غير ملة الإسلام .

* * *

(١) في المطبوعة : « في عبادة الخلق » ، وفي المخطوطة « أن عبادة الخلق » ، وصوابه قراءتها ما أثبت .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (٨٤)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « أفغير دين الله تبغون » ، يا معشر اليهود ، « وله أسلم مَنْ فى السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه ترجعون » = فإن ابتغوا غيرَ دين الله ، يا محمد ، فقل لهم : « آمنا بالله » ، فترك ذكر قوله : « فإن قالوا : نعم » ، أو ذكر قوله : [1] « فإن ابتغوا غير دين الله » ، لدلالة ما ظهر من الكلام عليه .

وقوله : « قل آمنا بالله » ، يعنى به : قل لهم ، يا محمد ، : صدقنا بالله أنه ربنا وإلهنا ، لا إله غيره ، ولا نعبد أحداً سواه = « وما أنزل علينا » ، يقول : وقل : وصدّقنا أيضاً بما أنزل علينا من وَحيه وتنزيله ، فأقررنا به = « وما أنزل على إبراهيم » ، يقول : وصدقنا أيضاً بما أنزل على إبراهيم خليل الله ، وعلى ابنيه إسمعيل وإسحق ، وابن ابنه يعقوب = وبما أنزل على « الأسباط » ، وهم ولد يعقوب الاثنا عشر ، وقد بينا أسماءَهم بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع [2] = « وما أوتى موسى وعيسى » ، يقول : وصدّقنا أيضاً مع ذلك بالذى أنزل الله على موسى وعيسى من الكتب والوَحْى ، وبما أنزل على النبيين من عنده . ٢٤١/٣

والذى آتى الله موسى وعيسى = مما أمرَ الله عز وجل محمداً بتصديقهما فيه ، والإيمان به = التوراة التى آتاها موسى ، والإنجيل الذى آتاه عيسى .

= « لا نفرق بين أحد منهم » ، يقول : لا نصدّق بعضهم ونكذّب بعضَهم ،

---

(١) فى المطبوعة : « وذكر قوله » ، جعل الواو مكان « أو » ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٢) انظر ما سلف ٢ : ١٢٠ ، ١٢١ / ٣ : ١١١ - ١١٣ .

ولا نؤمن ببعضهم ونكفر ببعضهم ، كما كفرت اليهود والنصارى ببعض أنبياء الله وصدّقت بعضاً ، ولكنا نؤمن بجميعهم ونصدّقهم = « ونحن له مسلمون » . يعني : ونحن ندين لله بالإسلام لا ندين غيره ، بل نتبرأ إليه من كل دين سواه ، ومن كل ملة غيره .

ويعني بقوله : « ونحن له مسلمون » . ونحن له منقادون بالطاعة ، متذللون بالعبودة ، (١) مقرّون لهُ بالألوهة والربوبية ، وأنه لا إله غيره . وقد ذكرنا الروايةَ بمعنى ما قلنا في ذلك فيما مضى ، وكرهنا إعادته . (٢)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (٨٥)

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : ومن يطلب دينا غيرَ دين الإسلام ليدين به ، فلن يقبل الله منه(٣) = « وهو في الآخرة من الخاسرين » ، يقول : من الباخسين أنفسَهم حظوظَها من رحمة الله عز وجل .(٤)

* * *

وذُكر أنّ أهل كل ملة ادّعوا أنهم هم المسلمون ، لما نزلت هذه الآية ، فأمرهم الله بالحج إن كانوا صادقين ، لأن من سُنة الإسلام الحج ، فامتنعوا ، فأدحض الله بذلك حجتهم .

---

(١) في المطبوعة : « بالعبودية » ، كما فعل في سابقتها ، وأثبت ما في المخطوطة ، وانظر ما سلف قريباً ص : ٥٦٥ ، تعليق : ٢ .

(٢) يعني ما سلف ٣ : ١٠٩ – ١١١ ، وهي نظيرة هذه الآية ، وانظر فهارس اللغة « سلم » .

(٣) انظر معنى « يبتغي » فيما سلف ص : ٥٦٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « الخاسرين » فيما سلف ١ : ٢/٤١٧ : ١٦٦ ، ٥٧٢ .

* ذكر الخبر بذلك :

٧٣٥٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح قال ، زعم عكرمة : « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً » ، فقالت الملل : نحن المسلمون ! فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة آل عمران : ٩٧] ، فحجَّ المسلمون ، وقعدَ الكفار .

٧٣٥٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا القعنبي قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن عكرمة قال : « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه » ، قالت اليهود : فنحن المسلمون ! فأنزلَ الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم يحُجُّهم أنْ : ﴿ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ .(١)

٧٣٥٨ – حدثني يونس قال، أخبرنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن عكرمة قال: لما نزلت : « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً » إلى آخر الآية ، قالت اليهود : فنحن مسلمون ! قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم : قل لهم أنْ : ﴿ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ ﴾ من أهل الملل ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾.

* * *

وقال آخرون : في هذه الآية بما : –

٧٣٥٩ – حدثنا به المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني

---

(١) الأثر : ٧٣٥٧ – « القعنبي » ، هو : « عبد الله بن مسلمة بن قعنب القعنبي الحارثي » ، روى عنه الأئمة . قال ابن سعد : « كان عابداً فاضلا ، قرأ عن مالك كتبه » . وقال العجلي : « قرأ عليه مالك نصف الموطأ ، وقرأ هو على مالك النصف الباقي » ، وسئل ابن المديني عنه فقال : « لا أقدم من رواة الموطأ أحداً على القعنبي » .

معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [سورة البقرة : ٦٢] ، فأنزل الله عز وجل بعد هذا : « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه » .

* * *

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ﴿٨٩﴾

اختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية ، وفيمن نزلت .

فقال بعضهم : نزلت فى الحارث بن سويد الأنصارى ، وكان مسلماً فارتدّ بعد إسلامه .

* ذكر من قال ذلك :

٧٣٦٠ – حدثنى محمد بن عبد الله بن بزيع البصرى قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا داود بن أبى هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك ، ثم ندم فأرسل إلى قومه : أرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هل لى من توبة ؟ قال : فنزلت : « كيف يهدى الله قوماً كفروا بعد إيمانهم » إلى قوله : « وجاءهم البينات والله لا يهدى القوم

الظالمين * إلاّ الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم » ، فأرسل إليه قومه فأسلم .

٧٣٦١ – حدثني ابن المثنى قال ، حدثني عبد الأعلى قال ، حدثنا داود ، عن عكرمة بنحوه ، ولم يرفعه إلى ابن عباس = إلاّ أنه قال : فكتب إليه قومه ، فقال : ما كذّبني قومي ! فرجع .

٧٣٦٢ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا حكيم بن جُبير ، عن علي بن مُسْهر، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : ارتد رجل من الأنصار ، فذكر نحوه . (١) ٢٤٢/٣

٧٣٦٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق ، قال ، أخبرنا جعفر بن سليمان قال ، أخبرنا حميد الأعرج ، عن مجاهد قال : جاء الحارث بن سُوَيد فأسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم كفر الحارث فرجع إلى قومه ، فأنزل الله عز وجل فيه القرآن : «كيف يَهدي الله قوماً كفروا بعدَ إيمانهم » إلى « إلاّ الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإنّ الله غفورٌ رحيمٌ » ، قال : فحملها إليه رجل من قومه فقرأها عليه ، فقال الحارث : إنك والله ما علمتُ لصَدُوقٌ ، وإنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصدقُ منك، وإنّ الله عز وجل لأصدق الثلاثة . قال : فرجع الحارث فأسلم فحسن إسلامه .

٧٣٦٤ – حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم وشهدُوا أنّ الرسول حق » ، قال : أنزلت في الحارث بن سُوَيد الأنصاري، كفر بعد إيمانه ، فأنزل الله عز وجل فيه هذه الآيات، إلى : « أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » ،

---

(١) الأثر : ٧٣٦٢ – « حكيم بن جميع الكوفي » ، مترجم في الكبير ٢/١/١٨ ، والجرح ١/٢/٢٠٢ .

ثم تاب وأسلم ، فنسخها الله عنه، فقال: « إلاّ الذين تابوا من بعد ذلك ، وأصلحوا فإنّ الله غفورٌ رحيمٌ » .

٧٣٦٥ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : « كيف يهدى الله قوماً كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءَهم البينات » ، قال : رجلٌ من بني عمرو بن عوف ، كفر بعد إيمانه .

٧٣٦٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٧٣٦٧ – حدثنا القاسم قال ،حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : هو رجل من بني عمرو بن عوف ، كفر بعد إيمانه = قال ابن جريج ، أخبرني عبد الله بن كثير ، عن مجاهد قال : لحق بأرض الرّوم فتنصّر ، ثم كتب إلى قومه : « أرسلوا ، هل لي من توبة ؟» قال: فحسبتُ أنه آمن ، ثم رَجع = قال ابن جريج ، قال عكرمة ، نزلت في أبي عامر الرّاهب ، والحارث بن سويد بن الصامت، ووَحْوَح بن الأسلت = في اثني عشر رجلا رَجعوا عن الإسلام ولحقوا بقريش ، ثم كتبوا إلى أهلهم : هل لنا من توبة ؟ فنزلت : « إلاّ الذين تابوا من بعد ذلك » ، الآيات .

* * *

وقال آخرون : عنى بهذه الآية أهل الكتاب ، وفيهم نزلت .

* ذكر من قال ذلك :

٧٣٦٨ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « كيف يهدى الله قوماً كفرُوا بعد إيمانهم » ، فهم أهلُ الكتاب ، عرَفوا محمداً صلى الله عليه وسلم ثم كفروا به .

٧٣٦٩ – حدثنا محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفي قال ، حدثنا عباد بن منصور ، عن الحسن في قوله : « كيف يهدى الله قوماً كفروا بعد إيمانهم » الآية كلها ، قال : اليهود والنصارى .

٧٣٧٠ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كان الحسن يقول في قوله : « كيف يهدى الله قوماً كفروا بعد إيمانهم » الآية ، هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، رأوا نعتَ محمد صلى الله عليه وسلم في كتابهم وأقرّوا به ، وشهدوا أنه حقٌّ . فلما بُعث من غيرهم حسدوا العربَ على ذلك فأنكروه ، وكفروا بعد إقرارهم ، حسداً للعرب ، حين بُعثَ من غيرهم .

٧٣٧١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الحسن في قوله : « كيف يهدى الله قوماً كفروا بعد إيمانهم » ، قال : هم أهل الكتاب ، كانوا يجدون محمداً صلى الله عليه وسلم في كتابهم ، ويستفتحون به ، فكفروا بعد إيمانهم .

* * *

قال أبو جعفر : وأشبه القولين بظاهر التنزيل ما قال الحسن : منْ أنّ هذه الآية معنيٌّ بها أهل الكتاب على ما قال ، غيرَ أنّ الأخبار بالقول الآخر أكثر ، والقائلين به أعلم ، بتأويل القرآن .(١) وجائز أن يكون الله عز وجل أنزل هذه الآيات بسبب القوم الذين ذُكر أنهم كانوا ارتدّوا عن الإسلام ، فجمع قصّتهم وقصة من كان سبيله سبيلهم في ارتداده عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم في هذه الآيات . ثم عرّف عباده سُنته فيهم ، فيكون داخلاً في ذلك كلّ من كان مؤمناً بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يُبعث ، ثم كفر به بعد أن بُعث ، وكلّ من كان كافراً ثم أسلم على عهده صلى الله عليه وسلم ، ثم ارتد وهو حيٌّ عن ٢٤٣/٣

(١) هذا حكم جيد فاصل في هذه الآية ، وفي غيرها مما اختلف في معانيه المختلفون .

إسلامه . فيكون معنيًّا بالآية جميعُ هذين الصنفين وغيرُهما ممن كان بمثل معناهما ، بل ذلك كذلك إن شاء الله .

* * *

فتأويل الآية إذاً : «كيف يَهدى الله قوماً كفروا بعد إيمانهم » ، يعنى : كيف يُرشد الله للصواب ويوفّق للإيمان ، قوماً جحدُوا نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم = « بعد إيمانهم » ، أى : بعد تصديقهم إياه ، وإقرارهم بما جاءَهم به من عند ربه = « وَشهدوا أن الرسول حقّ » ، يقول : وبعد أن أقرّوا أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خلقه حقًّا = « وجاءهم البينات »، يعنى : وجاءهم الحجج من عند الله والدلائلُ بصحة ذلك؟ = « والله لا يهدى القوم الظالمين » ، يقول : والله لا يوفّق للحق والصّواب الجماعة الظّلمة ، وهم الذين بدّلوا الحق إلى الباطل ، فاختارُوا الكفر على الإيمان .

* * *

وقد دللنا فيما مضى قبل على معنى « الظلم » ، وأنه وضعُ الشيء فى غير موضعه ، بما أغنى عن إعادته . (١)

* * *

= « أولئك جزاؤهم » ، يعنى : هؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم ، وبعد أن شهدوا أن الرسول حَقّ — « جزاؤهم » ، ثوابهم من عملهم الذى عملوه(٢) = « أنّ عليهم لعنة الله »، يعنى : أن يحلّ بهم من الله الإقصاء والبعد،(٣) ومن الملائكة والناس الدعاءُ بما يسوؤهم من العقاب(٤) = « أجمعين »، يعنى : من جميعهم، لا من

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٥٢٣ ، ٥٢٤/ثم باقى المواضع فى فهرس اللغة « ظلم » ، وانظر أيضاً فهارس اللغة فى سائر ألفاظ الآية .

(٢) انظر تفسير « الجزاء » فيما سلف ٢ : ٢٧ ، ٢٨ ، ٣١٤، وغيره فى فهارس اللغة « جزى ».

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « أن حل بهم » ، فعل ماض ، والسياق يقتضى المضارع .

(٤) فى المخطوطة والمطبوعة : « ومن الملائكة والناس إلا مما يسوءهم . . . » ، وهو كلام غير

بعض من سمّاه جل ثناؤه من الملائكة والناس ، ولكن من جميعهم . وإنما جعل ذلك جل ثناؤه ثواب عملهم ، لأن عملهم كان بالله كفراً .

* * *

وقد بينا صفة « لعنة الناس» الكافرَ فى غير هذا الموضع ، بما أغنى عن إعادته .(١)

* * *

= « خالدين فيها » يعنى : ماكثين فيها ، يعنى فى عقوبة الله (٢) = « لا يخفَّف عنهم العذاب » ، لا ينقصون من العذاب شيئًا فى حال من الأحوال ، ولا ينفَّسون فيه (٣) = « ولا هم ينظرون » ، يعنى : ولا هم ينظرون لمعذرة يعتذرون .(٤) وذلك كله عَينُ الخلود فى العقوبة فى الآخرة .(٥)

ثم استثنى جل ثناؤه الذين تابوا ، من هؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم فقال تعالى ذكره: « إلاّ الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا » ، يعنى : إلا الذين تابوا

مستقيم ، وهو تصحيف لما كتبت ، كان فى الأصل « الدعاما يسوهم » بغير همزة « الدعاء » ، وبغير نقط « بما » ، فاشتبهت الحروف على الناسخ ، فحرفها إلى ما ترى .

(١) انظر ما سلف ٢ : ٣٢٨ ، ٣٢٩/ثم ٣ : ٢٥٤ – ٢٥٨ ، ٢٦١ – ٢٦٣ ، وفيها نظير ما فى هذه الآية .

(٢) انظر تفسير « خالدين » فيما سلف ١ : ٣٩٧ ، ٢/٣٩٨ : ٤/٢٨٧ : ٣١٧ ، وفهارس اللغة .

(٣) انظر تفسير « يخفف » فيما سلف ٢ : ٣١٦ ، ٣١٧ ، والتنفيس : والترفيه والتفريج هنا .

(٤) انظر تفسير « ينظرون » فى نظيرة هذه الآية فيما سلف ٣ : ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، وقبله ٢ : ٤٦٧ ، ٤٦٨ .

(٥) فى المخطوطة والمطبوعة : « وذلك كله أعنى الخلود فى العقوبة فى الآخرة » ، وهى جملة فاسدة البناء والمعنى ، أخطأ الناسخ فهم مراد أبى جعفر ، فكتب ما كتب ، والصواب هو ما أثبت . فإن أبا جعفر قد لجأ إلى الاختصار فى مواضع كثيرة من تفسيره ، منها هذا الموضع ، فلم يبين إعراب قوله تعالى : « لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون » ، وأهل الإعراب يعربونها حالا متداخلة – أى حالا من حال – لأن « خالدين » حال من الضمير فى « عليهم » . وأما أبو جعفر ، فهو يعدها جملة مستأنفة ، وهى بذلك بيان عن الخلود فى النار . والدليل على صحة ذلك ، وعلى صحة ما أثبت من الصواب فى نص أبى جعفر هنا ، أنه قال فى تفسير نظيرة هذه الآية من « سورة البقرة : ١٦٢ » فى الجزء ٣ : ٢٦٤ مانصه .

« وأما قوله : « لا يخفف عنهم العذاب » ، فإنه خبر من الله تعالى ذكره عن دوام العذاب أبداً من غير توقيت ولا تخفيف » . فهذا نص قاطع فى أن إعراب الطبرى لهذا الموضع من الآية هو ما ذهبت إليه ، وفى أنه يرى أن معنى هذه الجملة من الآية ، هو معنى « الخلود » بعينه . والحمد لله أولا وآخراً .

من بعد ارتدادهم عن إيمانهم، فراجعوا الإيمان بالله وبرسوله، وصدّقوا بما جاءهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم من عند ربهم = « وأصلحوا » ، يعنى : وعملوا الصالحات من الأعمال = « فإنّ الله غفور رحيم » ، يعنى : فإن الله لمن فعل ذلك بعد كفره = « غفور » ، يعنى : ساتر عليه ذنبه الذى كان منه من الرّدّة ، فتاركٌ عقوبته عليه ، وفضيحته به يوم القيامة ، غيرُ مؤاخذه به إذا مات على التوبة منه = « رحيم » ، متعطّف عليه بالرحمة .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾ (٩٠)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضُهم : عنى الله عز وجل بقوله : « إنّ الذين كفروا » ببعض أنبيائه الذين بعثوا قبل محمد صلى الله عليه وسلم[1] = « بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً » بكفرهم بمحمد = « لن تقبل توبتهم » ، عند حضور الموت وحشرجته بنفسه .

* ذكر من قال ذلك :

٧٣٧٢ — حدثنى محمد بن سنان قال، حدثنا أبو بكر الحنفى قال ، حدثنا عباد بن منصور ، عن الحسن فى قوله : « إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً لن تُقبل توبتهم وأولئك هم الضالون » ، قال : اليهودُ والنصارى ، لن تُقبل توبتهم عند الموت .

٧٣٧٣ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ،حدثنا سعيد ، عن قتادة

---

(١) فى المطبوعة : « أى ببعض أنبيائه » ، زاد ما ليس فى المخطوطة

قوله : « إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً »، أولئك أعداء الله اليهود، كفروا بالإنجيل وبعيسى، ثم ازدادوا كفراً بمحمد صلى الله عليه وسلم والفُرْقان .

٧٣٧٤ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « ثم ازدادوا كفراً »، قال : ازدادوا كفراً حتى حضرهم الموت ، فلم تقبل توبتهم حين حضرهم الموت = قال معمر : وقال مثلَ ذلك عطاءٌ الخراسانى .

٧٣٧٥ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة قوله : « إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون » ، وقال : هم اليهود، كفروا بالإنجيل ، ثم ازدادوا كفراً حين بَعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم، فأنكرُوه وكذبوا به .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : إن الذين كفروا من أهل الكتاب بمحمد ، بعد إيمانهم بأنبيائهم = « ثم ازدادوا كفراً »، يعنى : ذنوباً = « لن تقبل توبتهم » من ذنوبهم ، وهم على الكفر مقيمون . ٢٤٤/٣

* ذكر من قال ذلك :

٧٣٧٦ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا عبد الوهاب ، قال ، حدثنا داود ، عن رفيع : « إنّ الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً » ، ازدادوا ذنوباً وهم كفار = « لن تقبل توبتهم » من تلك الذنوب ، ما كانوا على كفرهم وضَلالتهم .

٧٣٧٧ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا ابن أبى عدى ، عن داود قال : سألت أبا العالية ، قال ، قلت : « إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً لن تُقبل توبتهم » ؟ قال : إنما هم هؤلاء النصارى واليهود الذين كفروا ، ثم ازدادوا كفراً بذنوب أصابوها ، فهم يتوبون منها فى كفرهم .

٧٣٧٨ – حدثنا عبد الحميد بن بيان السُّكرى قال، أخبرنا ابن أبى عدى ،

عن داود قال : سألت أبا العالية عن : الذين آمنوا ثم كفروا ، فذكر نحواً منه .[١]

٧٣٧٩ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا داود قال : سألت أبا العالية عن هذه الآية : « إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً لن تُقبل توبتهم وأولئك هم الضالون » ، قال : هم اليهود والنصارى والمجوس ، أصابوا ذنوباً فى كفرهم ، فأرادوا أن يتوبوا منها ، ولن يتوبوا من الكفر ،[٢] ألا ترى أنه يقول : « وأولئك هم الضالون » ؟

٧٣٨٠ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا سفيان ، عن داود ، عن أبى العالية فى قوله : « لن تقبل توبتهم » ، قال : تابوا من بعضٍ ، ولم يتوبوا من الأصل .

٧٣٨١ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن داود بن أبى هند ، عن أبى العالية قوله : « إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً » ، قال : هم اليهود والنصارى ، يصيبون الذنوبَ فيقولون : « نتوب » ، وهم مشركون . قال الله عز وجل : لن تُقبل التوبة فى الضّلالة .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إن الذين كفروا بعد إيمانهم بأنبيائهم = « ثم ازدادوا كفراً » ، يعنى : بزيادتهم الكفر : تمامُهم عليه ،[٣] حتى هلكوا وهم عليه مقيمون = « لن تقبل توبتهم » ، ان تنفعهم توبتهم الأولى وإيمانهم ، لكفرهم الآخير وموتهم .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) الأثر : ٧٣٧٨ – فى المطبوعة : « عبد الحميد بن بيان اليشكرى » ، وهو خطأ والصواب ما أثبت من المخطوطة . وقد مضت الرواية عنه كثيراً ، ينسبه أحياناً « السكرى » ، وأخرى « القناد » نسبة إلى « القند » ، وهو السكر . وقد مضت ترجمته برقم : ٣٠ ، وسيأتى خطأ مثله فى رقم : ٧٥٨٠ .

(٢) أخشى أن يكون الصواب « ولم يتوبوا من الكفر » ، وانظر التالى .

(٣) فى المطبوعة « بما هم عليه » ، وهو كلام غث . وفى المخطوطة : « ممامهم عليه » غير منقوطة وهذا صواب قراءتها . يقال : « تم على الشىء تماماً » ثبت عليه وأقام ، وأمضى أمره فيه .

٧٣٨٢ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج، عن عكرمة قوله : « ثم ازدادوا كفراً »، قال : تمادوا على كفرهم =[1] قال ابن جريج : « لن تقبل توبتهم » ، يقول : إيمانهم أولَ مرة لن ينفعهم .

* * *

وقال آخرون : معنى قوله : « ثم ازدادوا كفراً » ، ماتوا كفاراً ، فكان ذلك هو زيادتهم من كفرهم . وقالوا : معنى « لن تقبل توبتهم » ، لن تقبل توبتهم عند موتهم .

* ذكر من قال ذلك :

٧٣٨٣ – حدثنا محمد قال، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون »، أمّا « ازدادوا كفراً » ، فماتوا وهم كفار . وأما « لن تقبل توبتهم » فعند موته ، إذا تاب لم تقبل توبته .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب فى تأويل هذه الآية، قولُ من قال : « عنى بها اليهودَ » = وأن يكون تأويله : إن الذين كفروا من اليهود بمحمد صلى الله عليه وسلم عند مَبعثه ، بعد إيمانهم به قبل مبعثه ، ثم ازدادوا كفراً بما أصابوا من الذنوب فى كفرهم ومُقامهم على ضلالتهم ، لن تقبل توبتهم من ذنوبهم التى أصابوها فى كفرهم ، حتى يتوبوا من كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ويراجعوا التوبة منه بتصديقه بما جاء به من عند الله .[2]

* * *

وإنما قلنا : « ذلك أولى الأقوال فى هذه الآية بالصواب » ، لأن الآيات

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « نموا على كفرهم » بالنون ، وهو تصحيف . وانظر التعليق السالف .

(٢) فى المطبوعة « بتصديق ما جاء به من عند الله » وفى المخطوطة « بتصديقه ما جاء به من عند الله » ، وعلى الميم من « ما » فتحة مائلة ، وهى فى الحقيقة « باء » ، فصواب قراءة المخطوطة ما أثبت .

قبلها وبعدها فيهم نزلت، فأولى أن تكون هي في معنى ما قبلها وبعدها ، إذ كانت في سياق واحد .

وإنما قلنا : « معنى ازديادهم الكفر : ما أصابوا في كفرهم من المعاصي » ، لأنه جل ثناؤه قال : « لن تقبل توبتهم » ، فكان معلوماً أن معنى قوله : « لن تقبل توبتهم » ، إنما هو معنيٌّ به : لن تقبل توبتهم مما ازدادوا من الكفر على كفرهم بعد إيمانهم ، لا من كفرهم . لأن الله تعالى ذكره وعد أن يقبل التوبة من عباده فقال : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾[سورة الشورى : ٢٥] ، فمحالٌ أنْ يقول عز وجل : « أقبل» و«لا أقبل » في شيء واحد . وإذْ كان ذلك كذلك = وكان من حُكم الله في عباده أنه قابلٌ توبةَ كل تائب من كل ذنب ، وكان الكفر بعد الإيمان أحدَ تلك الذنوب التي وعد قبول التوبة منها بقوله : « إلاّ الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم » [1] = علم أنّ المعنى الذي لا يقبل التوبةَ منه ، غيرُ المعنى الذي يَقبل التوبة منه .[2] وإذْ كان ذلك كذلك ، فالذي لا يَقبل منه التوبة ، هو الازدياد على الكفر بعد الكفر ، لا يقبل الله توبة صاحبه ما أقام على كفره، لأن الله لا يقبل من مشرك عملاً ما أقام على شركه وضلاله . ٣/٢٤٥
فأما إن تاب من شركه وكفره وأصلح ، فإنّ الله — كما وصف به نفسه — غفورٌ رحيمٌ .

* * *

فإن قال قائل : وما تُنكر أن يكون معنى ذلك كما قال من قال :[3] « فلن تقبل توبته من كفره عند حضور أجله وتوبته الأولى» ؟ [4]

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « إلا الذين تابوا وأصلحوا . . . » ، سها الناسخ فأسقط « من بعد ذلك » من الآية ، وهي الآية السابقة . وسياق الكلام : وإذْ كان ذلك كذلك ، وكان من حكم . . . علم أن المعنى . . . » .

(٢) في المطبوعة : « تقبل . . . تقبل . . » بالتاء، وما في المخطوطة هو السياق . ومثل ذلك فيما سيلي .

(٣) في المطبوعة والمخطوطة : « وما ينكر » بالياء ، وهي بالتاء أجود ، كما يدل عليه الجواب بعد .

(٤) في المخطوطة والمطبوعة : « توبتهم من كفرهم » بالجمع ، والسياق ما أثبت ، وهو الصواب . وفي المطبوعة : « أو توبته الأولى » والصواب بالواو كما في المخطوطة . وقوله هذا رد على القائلين بذلك فيما سلف في الأثر : ٧٣٨٢ ، والترجمة التي قبله، وما قبله من الآثار ، وما يليه في الأثر رقم : ٧٣٨٣ .

قيل : أنكرنا ذلك ، لأن التوبة من العبد غير كائنة إلاّ فى حال حياته ، فأما بعد مماته فلا توبة . وقد وعد الله عز وجل عبادَه قبول التوبة منهم ما دامت أرواحُهم فى أجسادهم . ولا خلاف بين جميع الحجة فى أنّ كافراً لو أسلم قبل خُروج نفسه بطرْفة عين ، أنّ حكمه حكم المسلمين فى الصلاة عليه ، والموارثة ، وسائر الأحكام غيرهما . فكان معلوماً بذلك أنّ توبته فى تلك الحال لو كانت غير مقبولة ، لم ينتقل حكمه من حكم الكفار إلى حكم أهل الإسلام ، ولا منزلةَ بين الموت والحياة ، يجوزُ أن يقال : « لا يقبل الله فيها توبةَ الكافر » . فإذْ صحّ أنها فى حال حياته مقبولة ، ولا سبيلَ بعد الممات إليها ، بطل قولُ الذى زعم أنها غير مقبولة عند حُضُور الأجل .

* * *

وأما قول من زعم أنّ معنى ذلك : « التوبة التى كانت قبل الكفر » ، فقولٌ لا معنى له . لأن الله عز وجل لم يصف القوم بإيمان كان منهم بعد كفر ، ثم كُفْر بعد إيمان = بل إنما وصفهم بكفر بعد إيمان . فلم يتقدم ذلك الإيمانَ كفرٌ كان للإيمان لهم توبة منه ، فيكون تأويل ذلك على ما تأوّله قائل ذلك . وتأويل القرآن على ما كان موجوداً فى ظاهر التلاوة — إذا لم تكن حجة تدل على باطن خاص — أولى من غيره ، وإن أمكن توجيهه إلى غيره .

* * *

وأما قوله : « وأولئك هم الضالون » ، فإنه يعنى بذلك : وهؤلاء الذين كفرُوا بعد إيمانهم ، ثم ازدادوا كفراً ، هم الذين ضلوا سبيل الحقّ فأخطأوا منهجه ، وتركوا نصْف السبيل وهُدَى الدين ، حَيرةً منهم ، وعَمىً عنه . (١)

* * *

(١) فى المطبوعة : « . . . وهدى الله الذى أخبرهم عنه فعموا عنه » ، ولم يقل ذلك أبو جعفر ! وفى المخطوطة : « وهدى الذى حيره منهم وعمى عنه » غير منقوطة ، فلم يستطع الناشر أن يقرأها على وجه صحيح ، ففعل بعبارة الطبرى ما فعل ، وبئس ما فعل ! وصواب قراءتها ما أثبت . وقوله : « نصف السبيل » ، كان أحب إلى أن أقرأها « قصد السبيل » ، ولكنى رجحت أن أبا جعفر يترجم عن معنى قوله تعالى « سواء السبيل » ، وهو وسطه ، وقد بين شرح ذلك فى تفسيره فيما مضى ٢ : ٤٩٧ ، وقال :

وقد بينا فيما مضى معنى « الضلال » بما فيه الكفاية .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴾ (٩١)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « إنّ الذين كفروا » ، أى : جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ولم يصدقوا به وبما جاء به من عند الله من أهل كل ملة ، يهودها ونصاراها ومجوسها وغيرهم = « وماتوا وهم كفار » ، يعنى : وماتوا على ذلك من جحود نبوته وجحود ما جاء به = « فلن يُقبل من أحدهم ملءُ الأرض ذهباً ولو افتدى به » ، يقول : فلن يقبل ممن كان بهذه الصفة فى الآخرة جزاءٌ ولا رِشْوةٌ على ترك عقوبته على كفره ، ولا جُعْلٌ على العفو عنه ،(٢) ولو كان له من الذهب قدرُ ما يملأ الأرضَ من مشرقها إلى مغربها ، فرَشًا وجزًى على ترك عقوبته وفى العفو عنه على كفره عوضاً مما الله مُحلٌّ به من عذابه . لأنّ الرُّشا إنما يقبلها من كان ذا حاجة إلى ما رُشى . فأما من له الدنيا والآخرة ، فكيف يقبل

« . . . الذى إذا ركب محجته السائر فيه ، ولزم وسطه المجتاز فيه ، نجا وبلغ حاجته ، وأدرك طلبته » ، ورأيتهم يقولون : « منصف الطريق » (بفتح الميم ، وسكون النون ، وفتح الصاد) : وسط الطريق و« نصف الطريق » . وجائز أن تكون كانت « منصف الطريق » فى كلام الطبرى ومهما يكن من شىء ، فهى صحيحة المعنى ، جيدة المجاز فى العربية .

(١) انظر ما سلف ١ : ١٨٩ - ٢/١٩٦ : ٤٩٦ ، ٤٩٧/ ٦ : ٦٦

(٢) « الجزاء » هنا : البدل والكفارة . و « الجعل » (بضم الجيم وسكون العين) : الأجر على الشىء . يقول : لا يقبل منه أجر يدفعه على شريطة العفو عنه .

الفدية ، وهو خلاّق كل فدية افتدَى بها مفتدٍ منْ نفسه أو غيره ؟ (١)

* * *

وقد بينا أن معنى « الفدية » العوَضُ ، والجزاء من المفتدى منه = بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . (٢)

* * *

= ثم أخبر عز وجل عما لهم عنده فقال : « أولئك » ، يعنى هؤلاء الذين كفروا وماتوا وهم كفار = « لهم عذاب أليم » ، يقول : لهم عند الله فى الآخرة عذابٌ موجع = « وما لهم من ناصرين » ، يعنى : وما لهم من قريب ولا حميم ولا صديق ينصره فيستنقذه من الله ومن عذابه كما كانوا ينصرونه فى الدنيا على من حاول أذَاه ومكروهه؟(٣) وقد :—

٧٣٨٤ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال، حدثنا أنس بن مالك : أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : يُجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له : أرأيتَ لو كان لك ملءُ الأرض ذهباً ، أكنت مفتدياً به ؟ فيقول : نعم ! قال فيقال : لقد سُئلت ما هو أيسرُ من ذلك ! فذلك قوله : « إنّ الذين كفروا وماتوا وهم كفارٌ فلن يُقبل من أحدهم ملءُ الأرض ذهباً ولو افتدى به » . (٤)

٧٣٨٥ — حدثنى محمد بن سنان قال، حدثنا أبو بكر الحنفى قال ، حدثنا عباد ، عن الحسن قوله : « إنّ الذين كفروا وماتوا وهم كفارٌ فلن يقبل من أحدهم ملءُ الأرض ذهباً » ، قال : هو كل كافر.

* * *

---

(١) فى المخطوطة : « وهو خلاف » ، وهو تصحيف ، وفى المطبوعة : « عن نفسه » ، كأن الناشر استنكر عربية أبى جعفر ، فحولها إلى عربيته .

(٢) انظر ما سلف ٣ : ٤٣٨ — ٤٣٩ .

(٣) اختلاف الضمائر فى هذه العبارة جائز حسن ، وإن أشكل على بعض من يقرؤه .

(٤) الأثر : ٧٣٨٤ — أخرجه البخارى فى صحيحه (الفتح ١١ : ٣٤٨ — ٣٥٠) من طريقين طريق هشام الدستوائى عن قتادة ، ومن طريق سعيد بن أبى عروبة عن قتادة ، كرواية الطبرى هنا . ورواه مسلم (١٧ : ١٤٨ ، ١٤٩) من طريق هشام عن قتادة ، وأشار إلى طريق سعيد ، وذكر اختلافه . وللحديث طرق أخرى بغير هذا اللفظ أخرجها البخارى (الفتح ٦ : ٢٦٢/١١ : ٣٦٧) ومسلم ١٧ : ١٤٨ ، ١٤٩ .

ونصب قوله : « ذهباً » على الخروج من المقدار الذى قبله والتفسير منهُ ، وهو قوله : « ملءُ الأرض » ، كقول القائل : « عندى قدرُ زِقٍّ سمناً = وقدْرُ رطلٍ عسلاً » ، فـ « العسل » مبينٌ به ماذكر من المقدار ، وهو نكرة منصوبةٌ على التفسير للمقدار والخروج منه . (١)

* * *

وأما نحويو البصرة ، فإنهم زعموا أنه نصب « الذهب » لاشتغال « الملء » بـ « الأرض » ، ومجيء « الذهب » بعدهما ، فصار نصبهُا نظيرَ نصب الحال . وذلك أن الحال يجيء بعد فعل قد شُغل بفاعله ، فينصبُ كما ينصب المفعول الذى يأتى بعد الفعل الذى قد شُغل بفاعله . قالوا : ونظير قوله : « ملء الأرض ذهباً » فى نصب « الذهب » فى الكلام : « لى مثلك رجُلاً » بمعنى : لى مثلك من الرجال . وزعموا أن نصب « الرجل » ، لاشتغال الإضافة بالاسم ، فنصب كما ينصب المفعول به ، لاشتغال الفعل بالفاعل . ٢٤٦/٢

* * *

وأدخلت الواو فى قوله : « ولو افتدى به » ، لمحذوف من الكلام بعدَه ، دلّ عليه دخول « الواو » ، وكالواو فى قوله : ﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ [سورة الأنعام : ٧٥] ، وتأويل الكلام : وليكون من الموقنين أريناه ملكوتَ السموات والأرض . فكذلك ذلك فى قوله : « ولو افتدى به » ، ولو لم يكن فى الكلام « واو » ، لكان الكلام صحيحاً ، ولم يكن هنالك متروك ، وكان : فلن يُقبل من أحدهم ملءُ الأرض ذهباً لو افتدى به . (٢)

* * *

---

(١) « التفسير » : هو التمييز ، ويقال له أيضاً « التبيين » ، والمميز هو : « المفسر والمبين » ، وقد سلف ذلك فيما مضى ٢ : ٣٣٨ ، تعليق : ١/٣ : ٩٠ ، تعليق ٢/ وانظر ما فصله الفراء فى معانى القرآن ١ : ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٢٦ .

القول فى تأويل قوله ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ (٩٢)

قال أبو جعفر: يعنى بذلك جل ثناؤه: لن تدركوا ، أيها المؤمنون ، البرّ = وهو « البر » من الله الذى يطلبونه منه بطاعتهم إياه وعبادتهم له ويرجونه منه، وذلك تفضّله عليهم بإدخالهم جنته، وصرف عذابه عنهم .

* * *

ولذلك قال كثير من أهل التأويل « البر » الجنة ، لأن بر الربّ بعبده فى الآخرة، إكرامه إياه بإدخاله الجنة . (١)

* ذكر من قال ذلك:

٧٣٨٦ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع ، عن شريك، عن أبى إسحق، عن عمرو بن ميمون فى قوله: « لن تنالوا البر »، قال: الجنة .

٧٣٨٧ – حدثنى المثنى قال، حدثنا الحمانى قال، حدثنا شريك ، عن أبى إسحق ، عن عمرو بن ميمون فى قوله: « لن تنالوا البر » ، قال : البر الجنة .

٧٣٨٨ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى: « لن تنالوا البر »، أما البر فالجنة .

* * *

قال أبو جعفر: فتأويل الكلام : لن تنالوا ، أيها المؤمنون ، جنة ربكم = « حتى تنفقوا مما تحبون »، يقول: حتى تتصدقوا مما تحبون وتهوَوْن أن يكون لكم ، من نفيس أموالكم ، كما : –

٧٣٨٩ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون »، يقول : لن تنالوا برّ ربكم حتى

(١) انظر تفسير « البر » فيما سلف ٢ : ٣/٨ : ٣٣٦ – ٣٣٨ ، ٤/٥٥٦ : ٤٢٥ . وفى المطبوعة : « وإكرامه إياه » بزيادة « واو » ، وهو خطأ صوابه فى المخطوطة .

تنفقوا مما يعجبكم، ومما تهوَوْن من أموالكم .

٧٣٩٠ – حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر، عن عباد ، عن الحسن قوله: « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » ، قال : من المال .

* * *

وأما قوله : « وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم »، فإنه يعني به : ومهما تنفقوا من شيء فتتصدقوا به من أموالكم،(١) فإنّ الله تعالى ذكرُه بما يتصدّق به المتصدّق منكم ، فينفقه مما يحبّ من ماله في سبيل الله وغير ذلك – « عليم »، يقول : هو ذو علم بذلك كله، لا يعزُبُ عنه شيء منه، حتى يجازي صاحبه عليه جزاءَه في الآخرة ، كما : –

٧٣٩١ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم » ، يقول : محفوظٌ لكم ذلك ، اللهُ به عليمٌ شاكرٌ له .

* * *

وبنحو التأويل الذي قلنا تأوّل هذه الآية جماعةٌ من الصحابة والتابعين .

* ذكر من قال ذلك :

٧٣٩٢ – حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله عز وجل : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » ، قال : كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري أنْ يبتاع له جارية من جَلولاء يوم فُتحت مدائن كسرى في قتال سَعد بن أبي وقاص، فدعا بها عمر بن الخطاب فقال: إن الله يقول : « لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبون »، فأعتقها عمر = وهي مثل قول الله عز وجل: ﴿ ويُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً ويَتِيماً وَأَسِيرًا ﴾ [سورة الإنسان : ٨]، و﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [سورة الحشر : ٩] .

---

(١) انظر « ما » بمعنى « مهما » فيما سلف قريباً ص : ٥٥١ .

٧٣٩٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ، مثله سواء .

٧٣٩٤ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا ابن أبي عدى ، عن حميد ، عن أنس بن مالك قال: لما نزلت هذه الآية : ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾، أو هذه الآية : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً ﴾ [سورة البقرة : ٢٤٥/ الحديد : ١١] ، قال أبو طلحة، يا رسول الله ، حائطي الذى بكذا وكذا صدقة، ولو استطعت أن أجعله سرًّا لم أجعله علانية ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اجعلها فى فقراء أهلك . (١)

٧٣٩٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا الحجاج بن المنهال ، قال حدثنا حماد ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك قال: لما نزلت هذه الآية : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » ، قال أبو طلحة: يا رسول الله ، إنّ الله يسألنا من أموالنا ، اشهدْ أنى قد جعلت أرضى بأريحا لله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اجعلها

---

(١) الحديث : ٧٣٩٤ – حميد : هو ابن أبي حميد الطويل .

والحديث رواه أحمد فى المسند : ١٢١٧٠ ، عن يحيى بن سعيد القطان ، و : ١٢٨٠٩ ، عن محمد بن عبد الله الأنصارى ، و : ١٣٨٠٣ ، عن عبد الله بن بكر – ثلاثتهم عن حميد ، عن أنس ابن مالك (ج ٣ ص ١١٥ ، ١٧٤ ، ٢٦٢ حلبى) .

ورواه الترمذى ٤ : ٨١ ، من طريق عبد الله بن بكر ، عن حميد . وقال : « هذا حديث حسن صحيح » .

وذكره السيوطى ١ : ٥٠ ، وزاد نسبته لعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن مردويه .

وهو اختصار لرواية مطولة ، رواها مالك فى الموطأ ، ص : ٩٩٥ – ٩٩٦ ، عن إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس بن مالك .

ورواها أحمد فى المسند : ١٢٤٦٥ (٣ : ١٤١ حلبى) ، من طريق مالك .

ورواها البخارى ٣ : ٢٥٧ ، ٥ : ٢٩٥ – ٢٩٧ ، و ٨ : ١٦٨ ، ومسلم ١ : ٢٧٤ – كلاهما من طريق مالك أيضاً .

وسيأتى عقب هذا ، مختصراً أيضاً ، من رواية ثابت عن أنس .

الحائط : البستان من النخيل إذا كان عليه حائط ، وهو الجدار .

٢٤٧/٣ فى قرابتك . فجعلها بين حسان بن ثابت وأبىّ بن كعب . (١)

(١) الحديث : ٧٣٩٥ – حماد : هو ابن سلمة .

والحديث رواه أحمد فى المسند : ١٤٠٨١ (٣ : ٢٨٥ حلبى) ، عن عفان ، عن حماد ، به ، نحوه.

ورواه مسلم ١ : ٢٧٤ – ٢٧٥ ، من طريق بهز ، عن حماد بن سلمة ، به ، نحوه .

ورواه أبو داود : ١٦٨٩ ، عن موسى بن إسمعيل ، عن حماد ، وهو ابن سلمة .

وذكره السيوطى ١ : ٥٠ ، وزاد نسبته للنسائى .

وقوله « بأريحا » – هكذا ثبت فى هذه الرواية فى الطبرى وليست تصحيفاً ، ولا خطأ من الناسخين هنا . بل هى ثابتة كذلك فى رواية أبى داود . ونص الحافظ فى الفتح : ٣ : ٢٥٧ ، على أنها ثابتة بهذا الرسم فى رواية أبى داود من حديث حماد بن سلمة .

ورواية مسلم « بيرحا » . واختلف فى ضبط هذا الحرف فيه وفى غيره ، اختلافاً كثيراً . ونذكر هنا كلام القاضى عياض فى مشارق الأنوار ١ : ١١٥ – ١١٦ ، بنصه . ثم نتبعه بكلام الحافظ فى الفتح ٣ : ٢٥٧ ، بنصه أيضاً :

قال القاضى عياض : « بيرحا ، اختلف الرواة فى هـذا الحرف وضبطه . فرويناه بكسر الباء وضم الراء وفتحها ، والمدّ والقصر . وبفتح الباء والراء معاً . ورواية الأندلسيين والمغاربة " بِيرُحَا " — بضم الراء وتصريف حركات الإعراب فى الراء . وكذا وجدتُها بخط الأصيلى . وقالوا : إنها " بير " مضافةٌ إلى " حاء " — اسم مركب . قال أبو عبيد البكرى : " حاء " على وزن حرف الهجاء : بالمدينة ، مستقبلة المسجد ، إليها ينسب " بِيرُحَاء " ، وهو الذى صححه . وقال أبو الوليد الباجِى : أنكر أبو ذَرّ الضم والإعراب فى الراء ، وقال : إنما هى بفتح الراء فى كل حال . قال الباجى : وعليه أدركتُ أهل العلم والحفظ فى المَشْرِق ، وقال لى أبو عبد الله الصُّورِى : إنما هو " بَيْرَحَاء " بفتحهما فى كل حال ، وعلى رواية الأندلسيين ضبطنا الحرف علَى ابن أبى جعفر فى مسلم . وبكسر الباء وفتح الراء والقصر ضبطناها فى الموطأ علَى ابن عتّاب وابن حمدين وغيرهما . وبضم الراء وفتحها معاً قيّده الأصيلى . وهو موضع بقبلىّ المسجد ، يعرف بقَصْر بنى حُدَيْلة ، بحاء مهملة مضمومة . وقد رواه من طريق حماد بن سلمة " بَرِيحا " . هكذا ضبطناه عن شيوخنا : الحُشَنِى ، والأسدى ، والصَّدَفِى — فيما قيّدوه عن العذرى ، والسمرقندى ، والطبرى ، وغيرهم .

٧٣٩٦ – حدثنا عمران بن موسى قال، حدثنا عبد الوارث قال ، حدثنا ليث ، عن ميمون بن مهران : أنّ رجلا سأل أبا ذَرّ : أىّ الأعمال أفضل؟ قال : الصلاة عمادُ الإسلام ، والجهاد سَنامُ العمل ، والصدقة شىء عَجبٌ ! فقال : يا أبا ذر، لقد تركتَ شيئاً هو أوثقُ عملى فى نفسى ، لا أراك ذكرته ! قال : ما هو ؟ قال : الصّيام ! فقال: قُرْبة ، وليس هناك ! وتلا هذه الآية : « لن تنالوا البر حتى تُنفقوا مما تحبُّون » (١)

ولم أسمع من غيرهم فيه خلافاً ، إلّا أنى وجدتُ أبا عبد الله بن أبى نصر الحُميدىّ الحافظ ذَكَر هذا الحرف فى اختصاره ، عن حماد بن سلمة — " بَيْرَحَاء " كما قال الصُّورى . ورواية الرازى فى مسلم ، فى حديث مالك : " بَرِيحا " . وهو وَهَم ، وإنما هـذا فى حديث حماد ، وإنما لمالك " بيرحا " كما قيده فيها الجميع ، على الاختلاف المتقدّم عنهم . وذكر أبو داود فى مصنفه هذا الحرف فى هذا الحديث — بخلاف ما تقدم ، قال : " جعلتُ أرضى بأريحا " . وهـذا كله يدلّ على أنها ليست بِبِيرٍ » .

وقال الحافظ : « وقوله فيه " بَيْرَحَاء " — بفتح الوحدة وسكون التحتانية وفتح الراء و بالمهملة والمدّ . وجاء فى ضبطه أوجُهٌ كثيرة ، جمعها ابن الأثير فى النهاية ، فقال : يروى بفتح الباء و بكسرها ، و بفتح الراء وضمها ، و بالمدّ والقصر . فهذه ثمان لغات . وفى رواية حماد بن سلمة " بَرِيحَا " — بفتح أوله وكسر الراء وتقديمها على التحتانية . وفى سنن أبى داود " بَارِيحَا " — مثله ، لكن بزيادة ألف . وقال الباجى : أفصحها بفتح الباء وسكون الياء وفتح الراء مقصور . وكذا جزم به الصغانى، وقال : إنه "فَيْعَلَى" من " البَرَاح " . قال : ومَن ذكره بكسر الموحدة ، وظنّ أنها بئر من آبار المدينة — فقد صَحَّفَ » .

وانظر الفتح أيضاً ٥ ٢٩٦ ، ومعجم البلدان ٢ ٣٢٧ – ٣٢٨ .

(١) الخبر : ٧٣٩٦ – هذا خبر منقطع الإسناد، لأن ميمون بن مهران لم يدرك أبا ذر ، أبوذر

٧٣٩٧ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني داود بن عبد الرحمن المكي ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين ، عن عمرو بن دينار قال : لما نزلت هذه الآية : « لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبون » ، جاء زيدٌ بفرس له يقال له : « سَبَل » إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : تصدّق بهذه يا رسول الله . فأعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه أسامة بن زيد بن حارثة ، فقال : يا رسول الله ، إنما أردت أن أتصدّق به ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد قُبلتْ صَدَقتك .(١)

٧٣٩٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر عن أيوب وغيره : أنها حين نزلت : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » ، جاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبُّها ، فقال : يا رسول الله ، هذه في سبيل الله . فحملَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليها أسامةَ بن زيد ، فكأنَّ زيداً وَجد في نفسه ، فلما رأى ذلك منه النبي صلى الله عليه وسلم قال : أما إن الله قد قبلها .(٢)

* * *

مات سنة ٣٢ ، وميمون ولد سنة ٤٠ ، ومات سنة ١١٨ ، كما في تاريخي البخاري ، وتهذيب الكمال (مخطوط مصور) .

والخبر ذكره السيوطي ٢ : ٥٠ ، ولم ينسبه لغير الطبري .

قوله : « شيء عجب » – أثبتنا ما في المخطوطة ، والذي في المطبوعة والدر المنثور « عجيب » .

(١) الحديث : ٧٣٩٧ – هذا حديث مرسل ، لأن عمرو بن دينار تابعي .

داود بن عبد الرحمن العطار المكي : ثقة من شيوخ الشافعي . وثقه ابن معين ، وأبو داود ، وغيرهما .

عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين بن الحارث ، المكي النوفلي : ثقة . أخرج له الجماعة . وقد مضى في : ١٤٨٩ .

والحديث أشار إليه السيوطي ٢ : ٥٠ ، ولم يذكر لفظه ، ولم ينسبه لغير الطبري . وذكر قبله حديثاً « مثله » ، عن محمد بن المنكدر . وهو حديث مرسل أيضاً . ونسبه لسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

اسم الفرس : « سبل » – بفتح السين المهملة والباء الموحدة . ولم تنقط في المخطوطة ، ونقطت ياء تحتية في المطبوعة ، ورسمت « شبلة » في الدر المنثور . والصواب ما أثبتنا ، وهكذا جاء اسمها في كتب الخيل وفي الشعر .

(٢) الحديث : ٧٣٩٨ – هو حديث مرسل ، مثل سابقه

وقد ذكره السيوطي ٢ : ٥٠ . ونسبه لعبد الرزاق ، والطبري ، ولم ينسبه لغيرهما .

تم الجزء السادس من تفسير الطبرى

ويليه الجزء السابع ، وأوله :

القول فى تأويل قوله تعالى

« كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ »

الفهارس

فهرس الآيات التى استبدل بها فى غير موضعها من التفسير

السورة / الآية	الصفحة
آيات سورة البقرة	
١، ٢	١٨٠
١٥	٤٥٤
٢٥	١٧٣
٢٦	١٧٧
٢٨	٣٠٩
٦٢	٥٧٢
٧٠	١٧٣
١٨٥	١٣٠
١٩٦	٢٩
٢٢٥	١١٣
٢٤٥	١٦، ٥٨٩
٢٦١	١٦
٢٧٨، ٢٧٩	١٢
٢٨٦	١٠٣–١١٢

* * *

السورة / الآية	الصفحة
آيات سورة آل عمران	
٨	١٨٣
١٥	٢٤٤
٤٤	٣٤٥، ٣٤٧–٣٤٩
٥٩	١٨٧
٦٨	٣٢٦
٨١	١٣٥، ١٣٧
٩٧	٥٧١
آيات سورة آل عمران	
١٣١	٧
١٥٢	٤٤٣
١٧٣	٣٦٤

* * *

السورة / الآية	الصفحة
آيات سورة النساء	
٢٠	٢٥٠
٣١	١١٩
٤٧	٤١١
٥٨	٣٠، ٣١
٥٩	٢٠٥
١٢٣	١١٧
١٥٧	٤٥٤
١٧١	٤١١
١٧٦	٥١٣

* * *

السورة / الآية	الصفحة
آيات سورة المائدة	
٦	٥٤
٨	١٥٩
١٧	٤٧٠
٦٣	٥٤٢، ٥٤٣
٧٢	١٠٠، ٤٧٠
٧٨	٤٣٥

السورة / الآية	الصفحة
آيات سورة المائدة	
٩١	٢٨١
١١٠	٤٢٦
١١١	٤٠٥
١١٢	٢٨١
١١٥	٤٣٦
* * *	
آيات سورة الأنعام	
١٩	٤٠٦
٧٥	٥٨٦
١٢١	٤٠٦
١٢٥	١٧٧
١٥١، ١٥٢	١٧٤
١٥٨	١٨١
* * *	
آيات سورة الأعراف	
٥١	١٣٣
١٠٧	١٧٩
٢٠١	١١
* * *	
آيات سورة الأنفال	
٣٨	٢٢٦
٤١	٢٧٢
٤٤	٢٣٤، ٢٣٩
* * *	
آيات سورة التوبة	
٣١	٤٨٨
٦٧	٣٢٧

السورة / الآية	الصفحة
آيات سورة التوبة	
٧١	٣٢٧
١٠٤	١٦
١١١، ١١٢	٢٦٣
* * *	
آية سورة يونس	
٢٢	٢٣٨، ٤٦٤
* * *	
آيات سورة هود	
١	١٧٨
١٨	١٢٠
٤٠	١٧٩
٤٩	١٧٨
* * *	
آيات سورة الرعد	
١٥	٥٦٨
٢٣، ٢٤	١٢٦
* * *	
آيات سورة الحجر	
٣٠	٤٦
٥٤	٣٦٩
* * *	
آيات سورة النحل	
١٠	٢٥٦
٦٨	٤٠٥
* * *	

السورة / الآية	الصفحة
آيات سورة الإسراء	
٢٣–٣٩	١٧٤
٣٥	٢٠٥
* * *	
آية سورة الكهف	
٤٩	١١٨، ١١٩
* * *	
آيات سورة مريم	
٤–٦	٣٦٠
٥	٣٦٢
٨	٣٨١، ٣٨٢
١١	٤٠٥
٩٨	٤٤٣
* * *	
آيات سورة طه	
٢٠	١٧٩
٥٨	٤٨٧
١١٥	١٣٣
* * *	
آية سورة الأنبياء	
٨٩	٣٦٠
* * *	
آيات سورة الحج	
٢٥	٤٨٦
٧٨	١٣٠
* * *	
آيات سورة المؤمنون	
٢٧	١٧٩
٥٠	١٧١
* * *	

السورة / الآية	الصفحة
آيات سورة الشعراء	
٢٢	١٧٩
٢٠٠، ٢٠١	٥١٣
* * *	
آيات سورة النمل	
١٢	١٧٩
٧٢	٥١١
* * *	
آية سورة القصص	
٣٢	١٧٩
* * *	
آيات سورة الروم	
٣٣	٣٦٤، ٣٦٥
٤٠	٤٦٠
* * *	
آية سورة السجدة	
١٠	٥٠٠
* * *	
آية سورة الأحزاب	
٣٧	٤١١
* * *	
آيات سورة ص	
١٧	٢٤٢
٧٣	٤٦
* * *	
آيات سورة الزمر	
٣٨	٥٦٥
٥٦–٥٩	٤١٢
* * *	

السورة / الآية	الصفحة
آيات سورة الزُّمر	
٣٨	٥٦٥
٥٦ ـ ٥٩	٤١٢
آيات سورة غافر	
٣١	٢٢٤
٤٨	٢١٠
٨٥	٥٦٧
* * *	
آية سورة فصلت	
٤٦	٢١٢، ٢١٣
* * *	
آية سورة الشورى	
٢٥	٥٨٢
* * *	
آية سورة الجاثية	
٢١	٤٨٦
* * *	
آية سورة الأحقاف	
١٦	١١٤
* * *	
آية سورة محمد	
١٧	١٧٧
* * *	
آية سورة الحجرات	
١٤	٢٧٦
* * *	
آية سورة الحديد	
١١	٥٨٩
* * *	

السورة / الآية	الصفحة
آيات سورة المجادلة	
٣، ٤	٥٤
* * *	
آية سورة الحشر	
٩	٥٨٨
* * *	
آيات سورة الصف	
١٠، ١١	٢٨٢
١٤	٤٥٤
* * *	
آية سورة التغابن	
١٦	١٣٠
* * *	
آية سورة الحاقة	
١٩	١١٩
* * *	
آية سورة نوح	
٢٦	١٦٠
* * *	
آية سورة الجن	
١٥	٧٧
* * *	
آية سورة الإنسان	
٨	٥٨٨
* * *	
آية سورة الانفطار	
٨	٣٠٠
* * *	
آيات سورة العصر	
١، ٢	١٢٥

فهرس اللغة

هذا الفهرس مرتب على ترتيب معاجم اللغة ، على أصل الاشتقاق ، وعلى آخر الأصل باباً وأوّله فصلاً .

(برأ) أبرأ المريض : ٤٢٨
برئ المريض : ٤٢٨
(خطأ) الخطأ : ١٣٤
(ذرأ) ذُرّية : ٣٢٧ ، ٣٣٦ ، ٣٦١ ، ٣٦٢
(شيأ) شاء : ٣٨٣
(فيأ) فئة : ٢٣٠
(ملأ) ملْء : ٥٨٤
(نبأ) النبوة ، النبيّ ، النبيّون : ٢٨٤ ، ٣٨٠
أنبأ : ٢٥٩
نبّأ : ٤٣٢
أنباء : ٤٠٤

* * *

(أوب) آب ، يؤوب ، مآباً : ٢٥٨ ، ٢٥٩
(توب) تاب يتوب : ٥٧٧ ، ٥٧٨
توبة : ٥٧٩ — ٥٨٣
(حرب) المحراب ، المحاريب : ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٦٦
(يحسب) حسب يحسب (ظن) : ٥٣٥
يحاسبُ : ١٠١ ، ١٠٢
سريع الحساب : ٢٧٩
بغير حساب : ٣١١ ، ٣٥٩
(دأب) دأْب : ٢٢٣ — ٢٢٥
(ربب) ربّ ، أرباب : ٤٨٣ ، ٤٨٨ ، ٥٤٩
ربّ ، يربّ فهو ربان : ٥٤٣
الربانيون : ٥٤٠ — ٥٤٤
(ريب) ارتاب ، الريبة : ٧٨
الريب : ٢٢١ ، ٢٩٥ ، ٤٧٣
(صحب) أصحاب النار : ١٤
(طيب) الطائبة نفسه ، الطيبة نفسه : ٣١٠
طيبة : ٣٦١
(غيب) الغيب : ٤٠٤ ، ٤٠٥
(قرب) المقربون : ٤١٥
تقارب : ٤٨٥
(قلب) قلب ، قُلُب : ٩٦
(كتب) الكتاب : ١٦٠ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ٥٣٨
(كسب) كسب ، اكتسب : ١٣١ ، ٢٩٥
(لبب) لب ، ألباب : ٢١١
(وهب) وهب ، وهّاب : ٢١٢
هبْ لى : ٣٥٩

* * *

(قنت) القانتون : ٢٦٤ ، ٢٦٥
قنت ، القنوت : ٤٠١–٤٠٣
(موت) الميّت : ٣٠٤ – ٣١٠
الميِّت ، الميْتُ : ٣١٠
(نبت) أنبت نباتاً : ٣٤٤

* * *

(حرث) الحرث : ٢٥٧

* * *

(حجج) حاجّه : ٢٨٠ ، ٤٧٣ ، ٤٨٩ ، ٤٩٢
(ولج) ولج ، أولج : ٣٠٢

* * *

(سبح) سبحانك : ١٢٧
سبّح : ٣٩١
(صلح) أصلح : ٥٧٨
الصالحات : ٢١
الصالحون : ٣٨٠ ، ٤٢٠
الصالحات : ٤٦٥
(مسح) المسيح : ٤١٤

* * *

(رسخ) الرسوخ ، الراسخون : ٢٠٦ – ٢٠٨
(نفخ) نفخ فيه : ٤٢٥ – ٤٢٧

* * *

(أمد) أمد : ٣١٩ ، ٣٢٠
(أيد) أيّد يؤيّد : ٢٤٢
(جدد) جَدٌّ ، وجُدّ : ٩٦
(جهد) الجُهْد : ١٣٠
(جود) الجواد بنفسه ، الجائد بنفسه : ٣١٠
(خلد) الخلود ، خالدون : ١٤ ، ٢٦١ ، ٥٧٧
(خود) خَوْد ، وخُود : ٩٧
(سجد) السجود : ٤٠٤
(سود) سيّد : ٣٧٤ – ٣٧٦
(شهد) شاهد ، شهيد : ٦٠ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣
الشهداء : ٧٥
شهد الله : ٢٦٧ ، ٢٧٢
شهد : ٥٧٦
(عبد) عبد يعبد ، العبادة : ٤٨٨
عبادٌ : ٥٣٨
(عدد) معدودات : ٢٩٢
(عند) عند : ٥٣٥
(عهد) العهد : ٥٢٦
(فسد) المفسد : ٤٧٧
(مهد) المهاد : ٢٢٩
المهد : ٤١٧ – ٤٢٠
(وجد) الوُجْد : ١٣٠
(ودد) ودّ ، يودّ : ٣٢١ ، ٥٠٠
(ورد) وَرْد ، وُرْد : ٩٧
(وعد) الميعاد : ٢٢٢
(وقد) وقود : ٢٢٢

* * *

(أخذ) أخذ ، الأخذ : ٥٥٠ ، ٥٦٠
أخذ الوالى البيعة : ٥٦٠
اتّخذ : ٣١٣ ، ٤٨٣ ، ٤٨٨ ، ٥٤٩
(عوذ) أعاذ ، مَعَاذ : ٣٣٦

* * *

(أجر) أجر ، أجور : ٤٦٥

(أخر) أخرى ، أخّر : ١٧٢ ، ١٧٣
(أصر) الإصرْ : ١٣٥ — ١٣٨ ، ٥٦٠
أصرتني رحم ، الآصرة : ١٣٨
(برر) البرّ : ٥٨٧
(بشر) بَشَر ، بشّر : ٢٨٧ ، ٣٦٨ — ٣٧١
التبشير : ٣٧٠ ، ٤١١
البَشَر : ٥٣٨
(بصر) بصير : ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٨٣
أولى الأبصار : ٢٤٣
(بكر) الإبكار ، البكور : ٣٩٢
(حذر) حذّر : ٣١٧ ، ٣٢١
(حرر) محرّر : ٣٢٩ — ٣٣٣
(حشر) يحشر : ٢٢٩
(حصر) حصر فى قراءته : ٣٧٦
حصره العدوّ : ٣٧٦
حصور : ٣٧٦ — ٣٨٠
(حضر) حاضرة : ٧٩
محضر : ٣١٩
(حور) الحواريون : ٤٤٩ — ٤٥١
الحور : ٤٥٠
الحوّارى : ٤٥٠
(خسر) الخاسرُ : ٥٧٠
(دور) تديرونها بينكم : ٧٩
ديار ، دوّار : ١٦٠
(ذخر) ادخر : ٤٣٢ ، ٤٣٦ — ٤٣٧
(ذكر) تُذكّر ، تُذْكر : ٦٢—٦٨
الذكر : ٦٤
سيف ذكر ، ورجل ذكر : ٦٦
الذّكر : ٤٦٧
اذّكر ، ادّكر : ٢١١ ، ٤٣٦
(زكر) زكريا : ٣٤٧
(سحر) الأسحار : ٢٦٧
(شعر) يشعر : ٥٠٢
(صبر) الصابرون : ٢٦٤ ، ٢٦٥
(صور) صوّر : ١٦٦
(صير) المصير : ١٢٨ ، ٣١٧
(ضرر) ضارّ : ٨٥ — ٩١
(طهّر) طهره : ٣٩٣ ، ٤٠٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢
أزواج مطهرة : ٢٦١ ، ٢٦٢
(عبر) عبرة : ٢٤٢ ، ٢٤٣
(عسر) عُسْرة : ٢٨ ، ٢٩
(عقر) عاقر : ٣٨١
(غفر) غفر ، المغفرة : ١٢٧ ، ١٤٠ ، ٢٦٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥
غفور : ٣٢٥ ، ٥٧٨
المستغفرون بالأسحار : ٢٦٥ — ٢٦٧
غفرانك : ١٢٧ ، ١٢٨
(قدر) قديرٌ : ١٢٣ ، ٣٠١ ، ٣١٨

(قنطرة) قنطار ، قناطير : ٢٤٤ — ٢٤٩ ، ٥١٩
مقنطرة : ٢٤٩ ، ٢٥٠
(كبر) كَبِر ، كبراً : ٣٨١
(كفر) كفر ، الكافر : ١٤٢ ، ١٦٤ ، ٢٢٢ ، ٢٧٩ ، ٢٨٣ ، ٣٧٥ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٥ ، ٥٠٢ ، ٥١٠ ، ٥٤٩ ، ٥٧٦ ، ٥٨٤
كفار : ٥٨٤
ازدادوا كفراً : ٥٧٩—٥٨٤
(مكر) مكر ، مكر الله ، الماكرون : ٤٥٣ ، ٤٥٤
(نذر) نذر : ٣٢٩
النذيرة : ٣٣٠
(نصر) نصير ، أنصار : ٤٤٣ ، ٤٤٩
ناصر : ٢٨٧ ، ٤٦٥ ، ٥٨٥
(نظر) نظِرة : ٢٩
نظر إليه : ٥٢٨
أنظره ، ينظره : ٥٧٧
(وذر) ذروا : ٢٢
(يسر) يسر ، ميسرة : ٢٩

* * *

(رمز) الرمز : ٣٨٨ — ٣٩٠
(عزر) عزيز : ١٦٥ ، ١٦٨ ، ٢٧١ ، ٤٧٦

* * *

(حسس) أحسّ ، إحساساً : ٤٤٢—٤٤٣
حَسَّ ، حسًّا : ٤٤٣
(درس) درس يدرس دراسة : ٥٤٦
(لبس) لَبَس يلبِس : ٥٠٣ ، ٥٠٥
(مسس) المسّ : ٨ — ١١
ممسوس : ١١
مسّ ، يمسّ : ٢٩٢ ، ٤٢٠
(نفس) أنفسهم : ٥٠١

* * *

(خصص) اختصّ : ٥١٧
(قصص) القصص : ٤٧٦

* * *

(بعض) بعض : ٢١٠
بعضها من بعض : ٣٢٧
(عرض) أعرض عنه : ٢٩١

* * *

(ثطط) ثَط ، ثُط : ٩٧
(حبط) حبط : ٢٨٧
(سبط) الأسباط : ٥٦٩
(سرط) صراطٌ : ٤٤١
(قحط) أقحط : ٢٧٤
(قسط) قسط ، أقسط ، القسط : ٧٧ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣ ، ٢٨٦

* * *

(وعظ) موعظة : ١٤

* * *

(بيع) البيع : ١٣

(تبع) تبع : ٥١١
اتّبع : ٤٥٢ ، ٤٦٢ ، ٤٩٧
(ربع) أربع : ٢٧٥
(رجع) تُرْجعون : ٤٢ ، ٥٦٨
مرجع : ٤٦٤
(ركع) الركوع : ٤٠٤
(سمع) سَمِع : ٥٢٨
سميع : ٣٢٨ ، ٣٣٠ ، ٣٦٣
(متع) متاع : ٢٥٨
(وسع) الوُسْع : ١٣٠
واسع : ٥١٧
(وضع) وضعت المرأة : ٣٣٣

* * *

(بلغ) بلغه الكبر ، بلغه الجهد : ٣٨١ ، ٣٨٢
البلاغ : ٢٨٣
(زيغ) زاغ ، زيغ : ١٨٣ ، ١٨٤
أزاغ : ٢١١ ، ٢١٢
(صوغ) صواغ ، صياغ : ١٦٠

* * *

(حنف) الحنيف : ٤٩٤
(خفف) خفّف : ٥٧٧
(خوف) خوف عليهم : ٢١
(رأف) رؤوف : ٣٢١
(سقف) سقف ، سُقُف : ٩٦
(سلف) سلف : ١٤
(طوف) طائفة : ٥٠٠ ، ٥٠٦
(كلف) كلّف : ١٢٩

* * *

(ألق) ألق ، مألوق : ١١
(حقق) الحق : ١٦٠ ، ١٦١
(خلق) خلاق : ٥٢٧ ، ٥٢٨
(رزق) الرزق ، رزق : ٣١١ ، ٣٥٩
(زرق) زرقم : ٢٩٦
(صدق) الصادقون : ٢٦٤ ، ٢٦٥
تصدق : ٣٥
الصدقات : ١٦ — ٢١
(فرق) الفرقان : ١٦٢ — ١٦٤
فرق ، يفرق : ٥٦٩ ، ٥٧٠
فريق : ٥٣٥
(فسق) فسوق : ٩١
الفاسق . ٥٦٢
(محق) يمحق : ١٥
(نفق) المنفقون : ٢٦٥
أنفق ينفق : ٥٨٨
(وثق) ميثاق : ٥٥٠

* * *

(شرك) المشرك : ٤٩٤
(شكك) الشكّ : ٤٧٣
(ملك) الملك : ٣٠٠

* * *

(أجل) الأجل : ٤٣ ، ٧٦
(أكل) أكل الربا : ٧ — ١٢
(أول) آل : ٣٢٦
التأويل : ١٩٩ — ٢٠١ ، ٢٠٤ — ٢٠٦
(بهل) ابتهل : ٤٧٤
بُهْلة الله : ٤٧٤

(حمل) حمّل : ١٣٨
(ضلل) ضل ، الضلال : ٦٦ ، ٥٨٤
أضل ، إضلالا : ٥٠٠، ٥٠١
الضالون : ٥٨٣ ، ٥٨٤
(عدل) العدل : ٥١ ، ٥٩
(عقل) عقل يعقل : ٤٩٢
(فضل) الفضل : ٥١٦ ، ٥١٨
(قبل) تقبل ، قبول : ٣٤٤
(قلل) قليل : ٥٢٧
(كفل) كفل : ٣٤٥ ، ٣٤٨ — ٣٥٣ ، ٤٠٩
(كلل) كُلّ : ٢١٠
(كهل) كهل : ٤١٧ — ٤٢٠
(مثل) مثل ، مثليهم : ٢٣٨ ، ٢٣٩
مَثَل : ٤٦٧
(ملل) أملّ يملّ : ٥٦ ، ٥٧
(نزل) أنزل : ٥٦٩
أُنزل إليه : ١٢٤
(نيل) نال ينال : ٥٨٧

* * *

(أثم) أثيم : ١٣٤
آثم : ٩٩
(ألم) أليم : ٢٨٧ ، ٥٢٨ ، ٥٨٥
(أمم) أمّ الكتاب : ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٨٢
أم القرى : ١٨٢
أم خراسان : ١٨٢
أم المسافرين : ١٨٢
أمّى ، الأميون : ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٥٢١ — ٥٢٣
(حكم) حكم يحكم : ٤٦٤
الحُكْم : ٥٣٨
الحكمة : ٤٢٢ ، ٤٢٣
الحكيم : ١٦٨، ١٦٩ ، ٢٧١ ، ٤٦٧ ، ٤٧٦
محكمات : ١٧٠ ، ١٧٤— ١٨٢
(رجيم) الرجيم : ٣٣٦
(رحم) مَرحمة : ٢٩
رحيم : ٣٢١ ، ٣٢٥ ، ٥٧٨
(سأم) سئم يسأم : ٧٦
(سلم) الإسلام : ٢٧٤ ، ٥٧٠
أسلم : ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٨١ ، ٤٨٩ ، ٥٤٩ ، ٥٦٤ ، ٥٧٠
أسلم وجهه : ٢٨٠
(سوم) المسوّمة : ٢٥١ — ٢٥٧
التسويم : ٢٥٤
أسام الماشية : ٢٥٥
(شأم) مشأمة : ٢٩
(طهم) مطهمة : ٢٥٤
(ظلم) ظلم ، الظلم، الظالم: ٢٨، ٤٢ ، ٢٩٥ ، ٤٦٦ ، ٥٧٦
اظّلم، اطّلم : ٤٣٧
(عظم) عظيم : ٥١٨

(علم) علّم : ٩٣ ، ٥٤٥
علیم : ٩٣ ، ١٠٠ ، ٣٢٨ ، ٣٣٠ ، ٤٧٧ ، ٥١٧
العالَمُون : ٣٢٧، ٣٩٤، ٤٠٠
(قلم) أقلام : ٤٠٧ — ٤٠٩
(قوم) أقام الصلاة : ٢١
أقام من عوجه : ٧٧
قائم : ٥٢٠ ، ٥٢١
قائماً بالقسط : ٢٧٠
القيوم ، القيام ، القيم ، القوّام : ١٥٧ — ١٦٠
أقوم للشهادة : ٧٧
مستقيم : ٤٤١
(كتم) كتم الشهادة : ٩٩
(كلم) تكلم ، كلاماً : ٣٤٤
لا يكلمهم الله : ٥٢٨
كلمة : ٤١٠ — ٤١٢
كلمة من الله : ٣٧١ — ٣٧٤
(نجم) المتنجّم : ٤٣٢ — ٤٣٤
(نعم) الأنعام : ٢٥٧
(نقم) ذو انتقام : ١٦٥

* * *

(أذن) فأذنوا : ٢٤
(أمن) آمن إيماناً : ٢١ ، ٢٢ ، ٤٣ ، ١٢٤ ، ٢٠٨ ، ٢٦٣ ، ٤٥٢ ، ٤٦٥ ، ٤٩٧ ، ٥٠٨ ، ٥١١ ، ٥٥٧ ، ٥٥٩ ، ٥٦٩ ، ٥٧٦
مؤمن : ٤٣٧
(بين) البينات : ٥٧٦
(ثمن) ثمن : ٥٢٧
(جنن) جنة ، جنّات : ٢٦١
(حزن) يحزنون : ٢٢
(دون) من دون : ٣١٣ ، ٥٣٨
(دين) الدين : ٢٧٣ — ٢٧٥ ، ٥٦٤ ، ٥٧٠
دان : ٢٧٤
تداين : ٤٣ ، ٤٦
(رهن) رهن ، رهان : ٩٦ ، ٩٧
(زين) زين : ٢٤٣
(فتن) الفتنة : ١٩٦ — ١٩٨
(كهن) الكاهن : ٣٥١
المتكهّن : ٤٣٢ — ٤٣٤
(كون) كن فيكون : ٤٧١، ٤٧٢
(لعن) لعنة الله : ٥٧٦

* * *

(أله) الله : ١٤٩
إله : ١٤٩ ، ١٥٠
اللهم : ٢٩٥ — ٢٩٩
(جوه) الجاه ، جاه يجوه : ٤١٥
(سته) ستّهم : ٢٩٦
(سفه) السفيه : ٥٧ — ٥٩
(شبه) متشابهات : ١٧٣، ١٧٤— ١٨٢
تشابه : ١٨٥ ، ١٨٦
(فوه) فم : ٢٩٦

(كمه) الأكمه : ٤٢٨ — ٤٣١
كمهت عينه : ٤٢٩ ، ٤٣٠
(وجه) الوجه ، أسلم وجهه : ٢٨٠
وجه النهار : ٥٠٨، ٥٠٩
وَجيه : ٤١٥

* * *

(أتى) آتى ، آتى الزكاة : ٢١ ، ٢٨٨ ، ٢٩٩ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥٣٨ ، ٥٥٠ ، ٥٦٩
(أبي) آية ، آيات : ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٧٠ ، ٢٢٩ ، ٤٢٤ ، ٤٣٧ ، ٤٤٠ ، ٤٦٧ ، ٥٠٢
آية (معناها وتصريفها) : ٣٨٤ ، ٣٨٥
آيات الله : ٢٧٩ ، ٢٨٣
(بدا) أبدى : ١٠١ ، ١١٦ ، ١٢٣ ، ٣١٨
(بغى) البَغْى : ٢٧٦
بَغَى يبغى : ٥٦٤
ابتغى ، ابتغاء : ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٥٧٠
(بنو) ابنم : ٢٩٦
(تلا) تلا يتلو : ٤٦٦
(ثدى) ذو الثدية : ٤١٢ ، ٤١٣
(جزى) جزاء : ٥٧٦
(حيي) الحيّ : ١٥٥ — ١٥٧ ، ٣٠٤ — ٣١٠
الحيّة : ٣٦٢
يحيى : ٣٧٠
(خفى) أخفى : ١٠١ ، ١١٦ ، ١٢٣ ، ٣١٨
(دعا) الدعاء : ٣٦٣
(دنا) أدنى : ٧٨
تدانى : ٤٨٥
(ذرا) ذرية : ٣٢٧ ، ٣٣٦ ، ٣٦١ ، ٣٦٢
(رأى) رأى العين : ٢٣٣ — ٢٤١
رأى رؤية : ٢٤١
رأى رؤيا : ٢٤١
القوم رئاء : ٢٤١
ألم تر ؟ : ٢٨٨
(ربا) ربا يربو ، أربى ، الربا : ٧ ، ١٣ ، ١٥ ، ٢٢
رباوة القوم : ٧
الرابية : ٧
(رضى) ترضون : ٦٢
الرضوان : ٢٦٢
(زكى) زكّى يزكّى : ٥٢٨
(سوى) سواء : ٤٨٣ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧
(شرى) اشترى : ٥٢٧
(صفا) اصطفى : ٣٢٦ ، ٣٩٣
(عشا) العشىّ : ٣٩١
(عفا) عفا يعفو : ١٤٠
(علا) تعالوا : ٤٧٤ ، ٤٨٣ ، ٤٨٥
(غنى) أغنى يغنى : ٢٢٢

(فأو) فئة : ٢٣٠
(فدى) افتدى : ٥٨٤ ، ٥٨٥
الفدية : ٥٨٥
(فرى) افترى : ٢٩٢ ، ٢٩٣
(لدى) لدنك : ٢١٢ ، ٣٦٢
لديهم : ٤٠٧ ، ٤١٠
(لوى) لوّى يلوى : ٥٢٤—٥٣٧
لوى ظهر فلان : ٥٣٧
ألوى بعيد المستمر : ٥٣٧
(مرى) امترى ، الممترون : ٤٧٢
المرية : ٤٧٣
(نسى) النسيان : ١٣٢ — ١٣٤
(نهى) انتهى : ١٤
(هدى) هدى يهدى : ٥٧٦
هُدًى : ١٦١ ، ٥١٦
هدى ، يهدى : ٢١٢ ، ٥٧٦
اهتدى : ٢٨١
(وحى) أوحى إليه ، وله : ٤٠٥ ، ٤٠٦
الوحى : ٤٠٦
(وفى) وفى يوفّى : ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٤٦٥
أوفى : ٥٢٦
تُوَفّى : ٤٢
توفاه الله ، الوفاة : ٤٥٥—٤٦٠
توفّيتُ مالى : ٤٥٥
(وقى) وقى يقى : ٢٦٣ ، ٢٦٤
اتقى ، المتقون : ٢٢ ، ٤١ ، ٥٦ ، ٩٣ ، ٩٧ ، ٢٦١ ، ٤٤١ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧
اتّقى ، تُقاة : ٣١٣—٣١٧
(ولى) ولى ، ولاية : ١٤٢
ولى ، أولياء : ٣١٣ ، ٤٩٧
أولى الناس : ٤٩٧
مولى : ١٤١ ، ١٤٢
تولى : ٢٨٣ ، ٢٩١ ، ٣٢٥ ، ٤٧٦ ، ٤٨٣ ، ٥٩٢
(يدى) بين يديه : ١٦٠ ، ١٦١ ، ٤٣٨

أعلام المترجمين فى التعليق

الأرقام فى هذا الفهرست هى أرقام الآثار ، لا الصفحات

آدم العسقلانى (آدم بن أبى إياس)
آدم بن أبى إياس العسقلانى : ٦٥٣٤، ٧٠٣١
آدم بن سليمان القرشى : ٦٤٥٧
أبان بن أبى عياش (أبان بن فيروز) : ٦٦٢٨
أبان بن فيروز (أبان بن أبى عياش) : ٦٦٢٨
إبراهيم بن بشار الرمادى : ٦٣٢١
إبراهيم بن حاطب (؟؟) : ٦٧٥٥
أبو أحمد الزبيرى (محمد بن عبدالله ابن الزبير الأسدى)
أحمد بن عبد الرحمن الرقى (؟؟) : ٦٦٢٨
أحمد بن عبد الرحمن بن وهب : ٦٦١٣
أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم البرقى (ابن عبد الرحيم البرقى) : ٦٦٢٨
أحمد بن المفضل القرشى الأموى : ٧١٢٠
أبو الأحوص (سلام بن سليم) : ٧٢١٦
أبو إدريس الخولانى (عائذ الله بن عبد الله) : ٦٦٥٥
أبو أسامة (حماد بن أسامة)
أبو إسحق السبيعى (عبد الله بن قيس)
أبو إسحق الكوفى (عبد الله بن ميسرة) : ٦٩٢٠
أبو إسحق الهمدانى : ٧٢٧٣، ٧٢٧٤
إسحق بن سليمان الرازى العبدى : ٦٤٥٦
إسحق بن شاهين الواسطى : ٧٢١١
أسما بنت يزيد بن السكن الأنصارية (أم سلمة) : ٦٦٥٠
إسماعيل بن جعفر بن أبى كثير : ٦٨٨٤
إسماعيل بن سهل بن عامر (خطأ : سهل بن عامر) : ٦٣١٣
إسماعيل بن مسلمة القعنبى : ٦٥٧٩
إسماعيل بن الهيثم (أبو العالية العبدى) : ٦٣٩٥
أبو الأسود المصرى (النضر بن عبد الجبار بن نصير المرادى) : ٧٠٢٢
الأسود بن عبد يغوث : ٦٨٢١
الأشعث بن قيس بن معد يكرب الكندى : ٧٢٧٩
الأعرج (عبد الرحمن بن هرمز)
أمية بنت عبد الله : ٦٤٩٥
أيوب بن بشر (؟؟) : ٦٦٥٥

أيوب بن بشير : ٦٦٥٥
أيوب بن سويد الرملى : ٦٦٥٥
* * *
ابن البرقى (أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم البرقى)
بسر بن عبيد الله الحضرمى : ٦٦٥٥
بشر بن بكر التنيسى : ٦٦٥٥ ، ٦٦٥٦
بشر بن المفضل بن لاحق الرقاشى : ٦٨٢٠
بشر بن أبى عمرو الخولانى : ٦٧٤٣ ، ٦٧٤٤
أبو بكر (محمد بن داود بن سليمان)
أبو بكر الحنفى (عبد الكبير بن عبد المجيد بن عبيد الله بن شريك)
بقية بن الوليد الحمصى : ٦٥٢١ ، ٦٨٩٩
بيان بن بشر الأحمسى : ٦٥٠١
* * *
أبو تميلة (يحيى بن واضح)
* * *
ثابت البنانى : ٧٠٣٠
* * *
ابن جابر (عبد الرحمن بن يزيد بن جابر)
جابر بن الكردى بن جابر الواسطى : ٧٢١٥
جابر بن يزيد الجعفى : ٧٣٥٠
أبو الجارود (زياد بن المنذر الهمدانى) : ٧١٨٢
جبير بن نفير : ٦٦٥٦ ، ٧٠٠٩
ابن جدعان (على بن زيد بن جدعان)
الجراح بن مليح البهرانى : ٦٦٥٦
جرير بن عبد الحميد الضبى : ٧٢٨٢
أبو جعفر الرازى (عيسى بن هامان) : ٧٠٣٠
ابن أبى جعفر (عبد الله بن أبى جعفر الرازى) : ٧٠٣٠
جعفر بن ربيعة بن شرجبيل بن حسنة : ٦٨٩٧
جعفر بن سليمان الضبعى : ٦٤٦١
جعفر بن أبى المغيرة الخزاعى القمى : ٧٢٦٩
جويبر بن سعيد الأزدى : ٦٦٥٦
* * *
الحارث بن نبهان الجرمى : ٦٦٠٩
حاطب (؟؟) : ٦٧٥٥
حاطب بن أبى بلتعة : ٦٧٥٥
حجاج بن محمد المصيصى الأعور : ص ٥٤٨ ، تعليق : ٣
أبو حرة البصرى (واصل بن عبد الرحمن)
حرملة بن عمران التجيبى (ابن عمران) : ٦٨٩٠
الحرورية : ٦٦٠٣
حريث بن أبى مطر الفزارى : ٦٧٥٥
أبو حسان الأعرج : ٦٣٢١
الحسن البصرى : ٦٨٤٤
أبو الحسن مولى بنى أسد (أبو الحسن الأسدى) : ٦٧٨٠
أبو الحسن الأسدى (أبو الحسن : مولى بنى أسد) : ٦٧٨٠

الحسن بن دينار البصرى : ٧١٤٥
الحسن بن أبي يحيى المقدسى : ٧٢١٥
حسين بن على الجعفى : ٧٢٨٧
الحسين بن واقد : ٦٣١١
أبو حفص (عمر بن سعيد التنوخى) : ٦٥٢٩
حفص بن عمر العدنى : ٦٧٩٦
حكيم بن جابر بن طارق بن عوف الأحمسى : ٦٥٠١
حكيم بن جميع الكوفى : ٧٣٦٢
حماد بن أسامة (أبو أسامة) : ٦٦١٠
حماد بن سلمة : ٦٤٧٤ ، ٧٣٩٥
الحمانى (يحيى بن عبد الحميد بن عبد الرحمن)
حميد الأعرج (حميد بن قيس المكى) : ٦٤٦١
حميد الطويل : ٦٤٧٤ ، ٦٦٢٨ ، ٧٣٩٤
حميد بن أبى حميد (حميد الطويل) : ٧٣٩٤
حميد بن قيس المكى (حميد الأعرج) : ٦٤٦١
حميد بن هانئ المصرى (أبو هانئ الخولانى) : ٦٦٥٧
ابن حمير (محمد بن حمير بن أنيس القضاعى)
حنظلة بن على بن الأسقع السلمى : ٧١٤٤
أبو حيان التيمى (يحيى بن سعيد بن حيان)

* * *

خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن المزنى أبو الهيثم) : ٧٢١١
خالد بن نزار المغيرة الأيلى : ٦٦١٤
خالدة (خلدة) بنت الأسود بن عبد يغوث : ٦٨٢١
خلدة (خالدة) بنت الأسود بن عبد يغوث : ٦٨٢١

* * *

داود بن عبد الرحمن العطار : ٧٣٩٧
داوود بن أبى هند : ٦٣٠٩ ، ٧٢١١
الديباج (محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان)

* * *

الربيع بن خثيم : ٦٢٨٠
الربيع بن صبيح السعدى : ٦٤٠٣ ، ٦٤٠٤
ربيعة بن كلثوم بن جبر البصرى : ٦٢٤٠
رجاء بن حيوة : ٧٢٨٠
أبو الردّاد المصرى (عبد الله بن عبد السلام)
رفاعة بن المنذر بن زنبر : ٦٨٢٦
روح بن القاسم التميمى العنبرى : ٦٦١٣
ريحان بن سعيد الناجى : ٦٢٥٥

* * *

زائدة بن قدامة الثقفى : ٧٢٨٧
الزبيدىّ (محمد بن الوليد بن عامر الزبيدى) : ٦٦٥٦
الزبيرى (أبو أحمد) (محمد بن عبد الله بن الزبير)

أبو زرعة (وهب الله بن راشد)
زكريا بن يحيى بن أيوب الضرير : ٦٧٠١
الزهرى : ٦٤٦٠
زهير بن محمد التميمى : ٦٦٢٨
أبو زياد الحميرى (؟؟) : ٧٠٣٣
زياد بن المنذر الهمدانى (أبو الجارود) : ٧١٨٢
زيد بن أبى الزرقاء : ٦٣١٩
أبو زيد عمر بن شبة النميرى : ٦٣١٠

* * *

السبائية : ٦٦٠٣
سبرة بن فاتك الأسدى : ٦٦٥٦
سعيد بن جبير : ٧٢٦٩
سعيد بن عبد العزيز التنوخى : ٦٥٢٩
سعيد بن عبد الله (سعيد ابن مرجانة) ٦٤٥٨ ، ٦٤٥٩
سعيد بن أبى عروبة : ٦٣٠٨ ، ٦٤٩٧
سعيد ابن علاقة الهاشمى (أبو فاختة) : ٦٥٩١
سعيد بن عمرو (؟؟) : ٦٨١٩
سعيد بن عمرو السكونى : ٦٥٢١
سعيد بن مرجانة (سعيد بن عبد الله) : ٦٤٥٨ ، ٦٤٥٩
سعيد بن المسيب : ٦٣٠٨
سعيد بن مسروق الثورى : ٧٢١٦
سفيان الثورى : ٦٣١٨ ، ٧٢١٦
أبو سفيان (طلحة بن نافع) : ٦٦٥٤
سفيان بن حسين الواسطى : ٦٤٦٢
سفيان بن وكيع : ٦٦١٠
سلام بن سالم الخزاعى : ٦٥٢٩
سلام بن سليم (أبو الأحوص) : ٧٢١٦
سلم بن قتيبة (أبو قتيبة) : ٦٣٩٥
أم سلمة (أم المؤمنين) : ٦٦٥٢
أم سلمة (أسماء بنت يزيد بن السكن)
سلمة بن الفضل الأبرش : ٧١٤٤
سليم بن جبير (أبو يونس ، مولى أبى هريرة) : ٦٨٨٩
سليمان التيمى (سليمان بن طرخان)
أبو سليمان المرعشى : ٦٣٢٦
سليمان بن زياد الحضرمى : ٧١٧٥
سليمان بن طرخان التيمى : ٦٨٢٠
سليمان بن عمر بن خالد الأقطع : ٦٢٥٤
سمرة بن فاتك الأسدى : ٦٦٥٦
سهل بن عامر : ٦٣١٣
سيف بن عمر التميمى ص : ٥٥٥ ، تعليق : ١

* * *

شبابة بن سوار الفزارى : ٦٧٠١
شبيب بن سعيد التميمى الحبطى : ٦٦١٣
شراحيل بن مرثد ، (أبو عثمان الصنعانى) : ٦٨٢٠
الشعبى (عامر) : ٦٣٠٩ ، ٧٢١١ ، ٧٣٥٠
شعيب الجبأىّ ، الجندى البجلى (شعيب بن الأسود) : ٦٩١٥
شعيب بن الأسود (شعيب الجبأى) : ٦٩١٥
شعيب بن أبى حمزة الحمصى :

٦٨٨٧ ، ٦٨٩١
شعيب بن خالد البجلى : ٦٨٨٧ ، ٦٨٩١
شقيق بن سلمة الأسدى (أبو وائل) : ٧٢٧٩ ، ٧٢٨٢
شهر بن حوشب : ٦٦٥٠، ٦٦٥١، ٦٦٥٢
ابن شوذب (عبد الله بن شوذب الخراسانى)

* * *

صاحب الحرير (أبو كعب)
صاحب الرقيق (محمد بن محبب بن إسحق)
صاحب السقاية (عبدالرحمن بن آدم)
صالح بن رستم المزنى (أبو عامر الخزاز) : ٦٣٧١ ، ٦٣٨٣ ، ٦٣٨٤ ، ٦٣٨٧، ٦٦١٤
صعصعة بن زيد : ٧٢٧٣ ، ٧٢٧٤
صعصعة بن يزيد : ٧٢٧٣، ٧٢٧٤
صفوان بن عمرو بن هرم السكسكى : ٧٠٠٩
صفوان بن محرز المازنى : ٦٤٩٦

* * *

الضحاك بن عثمان : ٦٢٥٥
أبو الضحى (مسلم بن صبيح) : ٧٢١٦

* * *

طلحة بن نافع (أبو سفيان) : ٦٦٥٤

* * *

عائذ الله بن عبد الله (أبو إدريس الخولانى) : ٦٦٥٥
عاصم الأحول (عاصم بن سليمان)
عاصم بن سليمان (عاصم الأحول) : ٦٣١٠
أبو العالية العبدى (إسماعيل بن الهيثم)
عامر (الشعبى) : ٦٣٠٩، ٧٢١١، ٧٣٥٠
أبو عامر (صالح بن رستم المزنى)
عباد بن منصور الناجى : ٦٢٥٣ ، ٦٨٢٢
ابن عبدالأعلى (محمد بن عبدالأعلى)
عبد الحميد بن بهرام : ٦٦٥٠ ، ٦٦٥١ ، ٦٦٥٢
عبد الحميد بن بيان السكرى القناد : ٧٣٧٨
ابن عبد الرحمن البرقى (؟؟) : ٦٦٢٨
أبو عبد الرحمن الحبلى (عبد الله بن يزيد المعافرى) : ٦٦٥٧
أبو عبد الرحمن المقرئ (عبد الله بن يزيد العدوى) : ٦٧٤٣
عبد الرحمن بن آدم البصرى (صاحب السقاية) : ٧١٤٥
عبد الرحمن بن إبراهيم : ٦٤٥٦
عبد الرحمن بن الأسود بن المأمون : ٦٨٦٠
عبد الرحمن بن أبى حماد (؟؟) : ٦٦٩١
عبدالرحمن بن أبى حماد الكوفى القارئ : ٦٦٩١
عبدالرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر : ٦٦١١
عبد الرحمن بن مهدى : ٧٢١٧
عبد الرحمن بن هرمز الأعرج : ٦٨٩٧

عبدالرحمن بن يزيد بن جابر الأزدى : ٦٦٥٥
ابن عبد الرحيم البرقى (أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم)
عبدالكبير بن عبد المجيد بن عبيد الله بن شريك (أبو بكر الحنفى) : ٦٨٢٢
عبد الله بن أبى جعفر الرازى (ابن أبى جعفر) : ٧٠٣٠
عبد الله بن الحارث بن جزء بن عبد الله الزبيدى : ٧١٧٥
عبد الله بن شوذب الخراسانى (ابن شوذب) : ٧١٣٤
عبد الله بن طارق : ٧٠٣١
عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى حسين النوفلى : ٧٣٩٧
عبد الله بن عبد السلام (أبو الردّاد المصرى) : ٦٤٥٨
عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله بن أبى مليكة (ابن أبى مليكة) : ٦٦٠٥
عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان (المطرف) : ٧٠٣٢
عبد الله بن قيس (أبو إسحق السبيعى) : ٦٥٧٣
عبد الله بن المبارك : ٦٢٥٤ ، ٦٦١٠ ، ٦٦٩١
عبد الله بن مسلمة بن قعنب (القعنبى) : ٦٧٥٩ ، ٧٣٥٧
عبد الله بن ميسرة (أبو إسحق الكوفى) : ٦٩٢٠
عبد الله بن وهب : ٦٦١٣
عبد الله بن يزيد الأودى : ٦٦٣٨
عبد الله بن يزيد العدوى (أبو عبدالرحمن المقرئ) : ٦٧٤٣
عبد الله بن يزيد المعافرى (أبو عبدالرحمن الحبلى) : ٦٦٥٧
عبد الله بن يزيد بن آدم : ٦٦٣٧ ، ٦٦٣٨
عبد الله بن يسار الثقفى (ابن أبى نجيح ٦٣١٨ ، ٦٣١٩
عبد الملك بن أبى نضرة العبدى : ٦٣٣٧
عبد الوارث بن سعيد : ٦٥٨٩ ، ٦٥٩١ ، ٦٨١٩
عبدالوهاب بن عبدالمجيد الثقفى : ٦٦٠٧
عبد ربه بن عبيد الأزدى (أبو كعب صاحب الحرير) : ٦٦٥٢
أبو عبيد الوصّابى (محمد بن حفص الحمصى) : ٦٧٨٠ ، ٧٠٠٩
عبيد بن سليمان : ٦٢٨٦ ، ٦٣١٥
أبو عثمان الصنعانى (شراحيل بن مرثد) : ٦٨٢٠
عجلان ، مولى المشمعلّ : ٦٨٨٨
ابن أبى عدى (محمد بن إبراهيم)
عدىّ بن عدىّ بن عميرة الكندى : ٧٢٨٠
عدى بن عميرة بن فروة الكندى : ٧٢٨٠
العُرْس بن عميرة الكندى : ٧٢٨٠
عصفور الجنة (موسى بن قيس الحضرمى) : ٦٥١٣

علباء بن أحمر اليشكرى : ٧١٩٠
على بن حرب بن محمد بن على الطائى : ٦٢٩٦ ، ٦٥٤٠
على بن سهل الرملى : ٦٦١١ ، ٧١٣٤
على بن زيد بن جدعان : ٦٤٩٥
على بن هرون (؟؟) (يزيد بن هرون) : ٦٥٢١
عمار بن سعد بن عابد المؤذن : ٧٠٣٣
عمارة بن غزية بن الحارث الأنصارى : ٧٠٣٢
عمر بن حوشب الصنعانى : ٦٧٢١
عمر بن سعيد بن سليمان (أبو حفص التنوخى) : ٦٥٢٩
عمر بن شبة (أبو زيد) : ٦٣١٠
عمر بن عبد الملك بن حكيم الطائى : ٦٦٥٦
عمرو (؟؟) : ٦٨٤٤
عمرو بن الحارث بن يعقوب المصرى : ٦٨٨٩
عمرو بن الحسن (؟؟) : ٦٨٤٤
عمرو بن دينار : ٧٣٩٧
عمرو بن أبى سلمة : ٦٦٢٨
عمرو بن أبى قيس الرازى ، الأزرق : ٦٨٨٧
عمرو بن مرة الجملى المرادى : ٧٠٣١
عمران (؟؟) : ٦٨٩٠
ابن عمران (حرملة بن عمران)
عمران بن حصين : ٧٢٨٦
عمران بن موسى القزاز : ٦٥٨٩ ، ٦٥٩١
العوام بن حوشب : ٦٥٧٣
عيسى بن فرقد المروزى : ٧١٨٢
عيسى بن ماهان (أبو جعفر الرازى) : ٧٠٣٠

* * *

أبو فاختة (سعيد بن علاقة الهاشمى) : ٦٥٩١
فاطمة الزهراء بنت رسول الله : ٧٠٣٢
فاطمة بنت الحسين بن على بن أبى طالب : ٧٠٣٢
ابن فضيل (محمد بن فضيل)
فياض بن محمد الرقى : ٦٦٣٧ ، ٦٦٣٨

* * *

القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق : ٦٢٥٣ ، ٦٦١٠
قبيصة بن عقبة : ٦٣١٠
قتادة بن دعامة السدوسى : ٧٠٢٩
أبو قتيبة (سلم بن قتيبة)
القعنبى (عبد الله بن مسلمة بن قعنب) (إسماعيل بن مسلمة ابن قعنب)
قيس بن الربيع الأسدى : ٦٨٩٢

* * *

كعب الأحبار : ٧١٣٧
أبو كعب ، صاحب الحرير ، (عبد ربه بن عبيد الأزدى) : ٦٦٥٢
كلثوم بن جبر : ٦٢٤٠

* * *

ابن المبارك (عبد الله بن المبارك)
محاضر بن المورّع الهمدانى (أبو المورع) : ٧٠٢٦

أبو محمد الفرغانى ص : ٤٩٦
محمد بن إبراهيم (ابن أبى عدى) : ٦٤٩٧
محمد بن بكار بن الريان : ٦٣٠٩
محمد بن ثور الصنعانى : ٦٢٥٦
محمد بن الحسين بن موسى بن أبى حنين الكوفى : ٧١٢٠
محمد بن حفص الحمصى (أبو عبيد الوصابى) : ٦٧٨٠ ، ٧٠٠٩
محمد بن حمير بن أنيس القضاعى (ابن حمير) : ٦٧٨٠، ٧٠٠٩
محمد بن خالد بن خداش : ٦٦٠٥
محمد بن خلف بن عمار العسقلانى : ٦٥٣٤
محمد بن داود بن سليمان بن سيار بن بيان البغدادى (أبو بكر) ، راوى تفسير الطبرى ص: ٤٩٦
محمد بن ربيعة الكلابى الرؤاسى : ٦٨٦٠
محمد بن سنان القزاز : ٦٨٢٢
محمد بن سيرين : ٧٢٨٧
محمد بن شعيب بن شابور : ٦٥٢٩
محمد بن عبد الأعلى الصنعانى (ابن عبد الأعلى) : ٦٦٠٦
محمد بن عبد العزيز بن المبارك المخرّمى (خطأ) : ٦٣١٨
محمد بن عبد الله بن الزبير الأسدى (أبو أحمد الزبيرى) : ٦٤٦٣، ٦٥٣٩ ، ٧٢١٦
محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ابن عفان (الديباج) : ٧٠٣٢
محمد بن عبد الله بن المبارك المخرمى : ٦٣١٨
محمد بن عبد الملك بن زنجويه : ٦٢٥٦
محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب : ٦٢٥٦
محمد بن عبيدة (المددى ، اليمانى) : ٦٦٥٦
محمد بن عمر بن على بن عطاء بن مقدم المقدمى : ٦٢٥٥، ٦٨٠٩
محمد بن فضيل : ٦٤٤٩ ، ٦٥٣٤
محمد بن محبب بن إسحق القرشى : ٦٣٢٠
محمد بن مروان بن قدامة العقيلى : ٦٣٣٧
محمد بن منصور بن داود الطوسى : ٦٦٥٣
محمد بن الوليد بن عامر (الزبيدى) : ٦٦٥٦ ، ٦٨٩٩
محمود بن غيلان : ٧٢١٧
مرة بن شراجيل الهمدانى : ٧٠٣١
ابن المسرل (؟؟؟) : ٦٦٩١
مسروق بن الأجدع بن مالك الهمدانى ٧٢١٦
مسلم بن صبيح (أبو الضحى) : ٧٢١٦
مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير : ٦٤٥٦
مطر الوراق (مطر بن طهمان)
مطر بن طهمان الوراق : ٦٦٠٦ ، ٧١٣٤

المطرف (عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان)
معاذ بن هشام الدستوائى : ٦٣٢١
معتمر بن سليمان : ٦٨٩٤
ابن المعرك (؟؟) : ٦٦٩١
المغيرة بن عبد الرحمن الحزامى : ٦٨٩٧
ابن أبى مليكة (عبد الله بن عبيد الله ابن عبد الله بن أبى مليكة) : ٦٦١٠
المنذر بن ثعلبة بن حرب الطائى : ٧١٩٠
المنذر بن عبد الله بن المنذر الحزامى : ٧٠٢٧
المنذر بن مالك بن قطعة العبدى (أبو نضرة) : ٦٣٣٧
المنذر بن النعمان الأفطس اليمانى : ٦٨٩٤
منصور بن المعتمر : ٧٢٨٢
أبو المورع (محاضر بن المورع)
موسى بن عبد الرحمن (؟!) : ٦٩٣١
موسى بن عبدالرحمن المسروقى : ٧٢٨٧
موسى بن قيس الحضرمى (عصفور الجنة) : ٦٥١٣
ميمون بن مهران : ٧٣٩٦

* * *

نافع بن عمر بن عبد الله بن جميل الجمحى : ٦٦١٢ ، ٦٦١٣
ابن أبى نجيح (عبد الله بن يسار)
النضر بن عبد الجبار بن نصير المرادى (أبو الأسود المصرى) : ٧٠٣٢
أبو نضرة (المنذر بن مالك بن قطعة العبدى)
نعمان بن عمرو : ٦٧٨١
نعيم بن عمرو : ٦٧٨١
النوّاس بن سمعان الكلابى : ٦٦٥٥

* * *

أبو هانئ الخولانى (حميد بن هانئ) : ٦٦٥٧
هارون الأعور (هارون بن موسى)
هارون بن موسى أبو عبد الله (هارون الأعور) ص : ٥٤٨ ، تعليق : ٣
هشام بن حسان : ٧٢٨٧
هشام بن أبى عبد الله الدستوائى : ٦٣٢١ ، ٦٤٩٧
هلال الثقفى : ٦٢٥٩
هياج بن بسطام الهروى : ٦٣٠٩
أبو الهيثم (خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن المزنى)

* * *

أبو وائل (شقيق بن سلمة)
واصل بن عبدالرحمن (أبو حرة البصرى) : ٦٣٨٥
ورقاء بن عمر اليشكرى : ٦٥٣٤
ابن وكيع (سفيان بن وكيع)
الوليد بن مسلم الدمشقى : ٦٦١١
وهب بن سليمان الجندى اليمانى : ٦٩١٥
وهب الله بن راشد (أبو زرعة) : ٦٤٥٨

* * *

يحيى ، القطان : ٦٣٠٨ ، ٧٢١٧
يحيى بن أيوب المقابرى : ٦٣١٨

يحيى بن سعيد بن حيان (أبو حيان التيمى) : ٦٣١٨
يحيى بن الصامت (؟؟) : ٦٣١٨
يحيى بن عبد الحميد بن عبد الرحمن الحمانى) : ٦٨٩٢
يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن الرملى النهشلى : ٦٣١٧
يحيى بن واضح (أبو تميلة) : ٦٣١١
يزيد النحوى (يزيد بن أبى سعيد النحوى)
يزيد بن أبان الرقاشى : ٦٦٢٨
يزيد بن إبراهيم التسترى : ٦٦١٠ ، ٦٦١٤
يزيد بن أبى سعيد النحوى المروزى (يزيد النحوى) : ٦٣١١
يزيدبن عبد الله بن قسيط الليثى : ٦٨٨٤
يزيد بن عويمر (؟؟) : ٦٨١١
يزيد بن هرون : ٦٥٢١
يعقوب بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الزهرى : ٧٢١٣
يعقوب بن عبد الله الأشعرى القمى : ٧٢٦٩
أبو يونس مولى أبى هريرة (سليم ابن جبير)

فهرس المصطلحات

الإجراء: ٢٤١ ، ٣٤٧
أولاد الثلاثة (الفعل الثلاثى): ٣٨٥

التبين (التميز): ٥٨٦
التفسير (التمييز): ٥٨٦

الحروف الستة (حروف الحلق): ٢٢٥
الحكاية : ١٧١ ، ١٧٢ ، ٤٦٤ ، ٥٦٤

الردّ: ٦١ ، ٢٣٢ ، ٢٦٠ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٤١٥ ، ٤٢١

الصلة (التابع ، النعت بالجملة) : ٤٧١
الصفة (حرف الجر): ٣٢٩

فعل ، يفعل (الماضى والمضارع) : ٤١٦ ، ٥٥١
الفعل(الصفة المشتقة ، مثل فاعل): ٤٨٧

الفعل الواقع (الفعل المتعدى) : ٣٦٧
فلان وفلانة (العلم) : ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٨٥ ، ٤١٢

القطع (الحال) : ٢٦١ ، ٢٧٠ ، ٣٢٧ ، ٣٧١ ، ٤١٥

الكناية (الضمير) : ٤١٢

اللقب ، الألقاب : ٤١٢ ، ٤١٣

المردود عليه (الرد) : ٦٣ ، ٩١
المكنىّ (الضمير) : ٣٦٧

النسق : ٦٣ ، ٦٥

الوصل (انظر : صلة) : ٤٧١

الوقوع (التعدى) : ٣١٩ ، ٣٤٧ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧

فهرس الفرق

الردّ على القدرية فى قولهم : إن إزاغة الله قلب العبد ، جور منه سبحانه وتعالى عن ذلك : ٢١٢ ، ٢١٣

مباحث العربية والنحو وغيرهما

* « إذْ » بمعنى « حين » : ٤٠٧ ، ٥٥٠

* « الألف واللام » يراد بهما تعيين الأشخاص : ٧٤

* « الألف واللام » بمعنى استغراق الجنس ، كقوله : « إنّ الإنسان لفى خسر » ، بمعنى : جنس الناس : ١٢٥

* « إلى » بمعنى « مع » ، كقوله : « من أنصارى إلى الله » ، وقولهم : « الذود إلى الذود إبل » . وذلك أن من شأن العرب إذا ضموا الشيء إلى غيره ، ثم أرادوا الخبر عنهما بضم أحدهما مع الآخر ، جعلوا مكان « مع » ، « إلى » أحيانا ، وتخبر عنهما بـ « مع » أحياناً : ٤٤٣

* « إلى » وإذا كان الشيء مع الشيء لم يقولوه بـ « إلى » ، ولم يجعلوا مكان « مع » ، « إلى » . غير جائز أن يقال : « قدم فلان وإليه مال » بمعنى : ومعه مال : ٤٤٣ ، ٤٤٤

* « ألله » همز ألفه تارة ، ووصلها أخرى : ٢٩٧

* « أما » ، إبدال إحدى الميمين ياء فيقولون : « أيما » : ٣٨٤

* « أنْ » فى موضع الجزاء : ٦٣ ، ٦٥

* « أنْ » حلولها محل « كى » : ٦٥

* « أنْ » قلبت عين « عن » ألفاً : ١٧٢

* « أنّ » و « إنّ » فتحها وكسرها : ٢٦٨ — ٢٧٠/٣٦٦، ٣٦٧ / ٤٤١، ٤٤٢

* « أنّى » معناها : ٣٥٨ ، ٤٢٠

* « أو » بمعنى « إلاّ » : ٥١٣

* « أىّ » : « النظر » ، و « التبيّن » و « العلم » مع « أىّ » يقتضى استفهاماً واستخباراً. وحظ « أىّ » فى الاستخبار ، الابتداءُ ، وبطولُ عمل المسألة والاستخبار عنه . وذلك أنّ معنى قول القائل : « لأنظرنّ أيهم قام » ، لأستخبرنّ الناس : أيهم قام . وكذلك « لأعلمن » : ٤٠٩

* « أيما » فى « أما » : ٣٨٤

* « أين ، أين » ؟ فى الاستفهام بمعنى : أقم فلا تبرح : ٢٨١

* « الباء » بمعنى : من أجل ، نحو : « ذلك بأنهم قالوا » بمعنى : من أجل قولهم : ٢٩٢

* « بعض » انظر حكمها وحكم « كُلّ » فى الإخبار ، حين تكون صفة واسماً ، فى « كل » : ٢١٠

* « بلى » تفسير معناها : ٥٢٥

* « التاء » دخولها فى التصغير ، كما فى « ثدى » و « ثديّة » : ٤١٢ ، ٤١٣

* « التاء » للدلالة على القطعة من الشىء ، كقولهم : « كنّ فى لحمة ونبيذة » ، يرادُ به القطعة منه [أو القليل] : ٤١٣

* « ذلك » بمعنى « هذه » : ٤٦٦

* « عن » قلب عينها ألفاً فتقول : « أن » : ١٧٢

* « عند » مجيئها مضمرة مع « من » كقوله : « من ربكم » أى : من عند ربكم : ٤٤٠

* « كان » العرب تنصب النكرات والمنعوتات مع « كان »، وتضمر معها فى « كان » مجهولا لاحتمالها الضمير ، نحو : « إن كان طعاماً طيباً فأتنا به » : ٨٠ ، ٨١

* « كان » العرب إذا جعلوا مع « كان » نكرة مؤنثاً نبعتها أو خبرها ، أنثوا « كان » مرة ، وذكروها أخرى ، فقالوا : « إن كانت جارية صغيرة فاشتروها » و « إن كان جارية صغيرة فاشتروها » : ٨١

* « كان » فعل مكتفٍ بنفسه تام : ٢٩ ، ٨٢

* « كان » ترك خبرها ، إذا كان اسمها نكرة ، نحو : « وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة » : ٢٩ ، وقوله : « إن كان طعام طيب فأتنا به » : ٨٠

* « كان » إتباعُ النكرة خبرها بمثل إعرابها ، كقوله : « إن كان طعام طيب فأتنا به »: ٨٠ ، ٨١

* « كُلّ » إذا كانت اسماً، جاز الإضمارُ فيها ، نحو قوله : « إنا كُلّ فيها » ، بمعنى : إننا كلنا فيها
أما إذا كانت صفة ، لم يجز فيها الإضمار ، لأنه ضعيف لا يتمكن فى كُلّ مكان ، لاتقول : « مررت بالقوم كُلّ » تريد : كلهم : ٢١٠

* « كل » ، وقال بعض الكوفيين ، إنه جائز الإضمار فيها وهى صفة أو اسم ، سواء ، لأنها كافية بنفسها عما كانت تضاف إليه من المضمر : ٢١٠

* « كيف » بمعنى : أىّ حالٍ : ٢٩٤

* « اللام » بمعنى « فى » فى مثل قوله: « ليوم لا ريب فيه » ، بمعنى : فى يوم لا ريب فيه : ٢٢٢

* « اللام » مخالفتها لمعنى « فى » ، لأن مع اللام نيّة فعل ، وخبرٌ مطلوب يترك ذكره ، تجزئ دلالة دخول « اللام »منه ،نحو : «فكيف إذا جمعناهم ليومٍ لا ريب فيه » : ٢٩٤ ، ٢٩٥

[ص ٢٩٤ س : ١٤ ، سقطت « فى » فى الطبع، فتصحح]

- « اللام » الزائدة للاستعانة فى مثل قوله : « عسى أن يكون رَدِف لكم » بمعنى : ردفكم : ٥١١
- « لام الابتداء » : ٥٥٠ ، ٥٥١
- « لام القسم » : ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢
- « اللام » التى تدخل فى أوائل الجزاء ، تجاب بجوابات الأيمان ، يقال : « لَمَنْ قام لآتينّه » ، فإذا وقع فى جوابها « ما » و « لا » علم أن « اللام » ليست بتوكيد للأولى : ٥٥١
- « الميم » زيادتها فى « اللهم » وفى « فم » و « ابنم » و « زرقم » وأشباهها : ٢٩٥ — ٢٩٩
- « الميم » مجيئها خلفاً من النداء فى « اللهم » : ٢٩٦ ، ٢٩٧
- « ما » بمعنى « الذى » ، و « ما » التى بمعنى الجزاء ، وما يفرق بينهما : ٣١٩
  « ما » بمعنى « مهما » : ٥٥١
- « مثل » تقول : « عندى عبد وأحتاج إلى مثله » ، فأنت محتاج إليه وإلى مثله ، ثم تقول : « أحتاج إلى مثليه » ، فتكون محتاجاً إلى ثلاثة : ٢٣٨ ، ٢٣٩
- « مع » مجىء « إلى » بمعناها ، انظر « إلى » : ٤٤٣ ، ٤٤٤
- « من » ، مجىء « عند » مضمرة فى معناها فى مثل قوله : « من ربكم » ، أى : من عند ربكم : ٤٤٠
- « مِنْ » زائدة : ٥٥١
- « مِنْ » الزائدة التى تدخل وتخرج ، لا تقع مواقع الأسماء ، ولا تقع فى الخبر أيضاً ، إنما تقع فى الجحد والاستفهام والجزاء : ٥٥١
- « هلمّ » بيان أصلها : ٢٩٧

- « هنالك » معناها : ٣٥٩

- « الواو » المتحركة ، إذا سبقتها « ياء » ساكنة ، قلبت « الواو » « ياء » ، مثل « القيووم » ، « القيوم » و « القيوام » « القيام » ، و « سيويد » « سيد » : ١٥٩

- « الواو » و « الياء » إذا فتح ما قبلها ، قلبت « ألفاً » نحو « قال » و « المقال » وهو « مَفْعَل » : ٢٥٨

- الأغلب على أهل الحجاز فى ذوات الثلاثة من « الياء » و « الواو » — « الياء »، يقولون : « الصّياغ » فى « الصواغ » : ١٥٩ ، ١٦٠

[وقع خطأ فى هذه الفقرة هناك ، سقطت « الواو » بين قوله : « ذوات الثلاثة من « الياء » و « الواو » فكتبت : « الياء » « الواو » ، فلتصحح] .

* * *

- « أفعال » جمع « فعيل » مثل « نصير » و « أنصار » : ٤٤٩

- « فَعْل » وجمعه « فعال » هو القياس مثل : « حَبْل وحبال » ، و « فَعْل » وجمعه « فُعْل » أو « فُعُل » ، شاذ مثل « رَهن » ، و « رُهْن » و « رُهُن » : ٩٦ ، ٩٧

- « فَعْلان » أكثر ما يجيء من الأسماء على « فَعْلان » ما كان من الأفعال ماضيه على « فَعِل ، يَفعَل » مثل « سكر يسكر » فهو « سكران »
وقد يجيء مما ماضيه على « فَعَل ، يَفْعُل » مثل : « نَعَس ينعُس » فهو « نعسان » : ٥٤٣

- « فَعُول » بفتح الفاء ، مصدر لم يسمع فى كلام العرب إلاّ فى حروف بعينها : ٣٤٤

- « فعيل » جمعه على « أفعال » مثل « نصير ، وأنصار » : ٤٤٩

* « فعيل » بمعنى « مفعول » مثل « مسيح » بمعنى : ممسوح : ٤١٤

* « فيعول »، و « فيعال » و « فيعل »، أبلغ فى المدح من « فاعل »، مثل « قيّوم » و « قيّام » و « قيّم » أبلغ منْ « قائم » : ١٥٩

* « مَفْعَل » المصدر ، تقلب عَيْنه « ألفاً » ، إذا كانت « واواً » أو « ياءاً » ، لنقل حركة عينه إلى فائه : ٢٥٨ ، ٢٥٩

* * *

* المتروك الذى يستغنى بدلالة ما ذكر ، عنه : ١٢٦ ، ٢٢١

* المقدم الذى معناه التأخير ، والمؤخر الذى معناه التقديم : ٦٢ ، ٤٥٨

* خروج الكلام على وجه الخبر ، وتأويله الدعاء والرغبة : ٢٢١

* الجمع بين الخطاب والغائب فى قوله : « قلت للقوم : إنكم مغلوبون » ، و « قلت للقوم : إنهم مغلوبون » : ٢٢٦

* توجيه الكلام إلى ما كان نظيراً لما فى سياق الكلام ، أولى من توجيهه إلى ما كان منعدِلاً عنه : ٩١

* إلحاق الخطاب بمثله ونظيره من الخطاب ، أولى من إلحاق الخطاب بخلافه من الخبر وهو غائب : ٢٢٧ ، ٥٦٤

* قولهم : « إنه ليعجبنى أن يسأل السائل فيُعْطى » ، بمعنى : إنه ليعجبنى أن يعطى السائل إذا سأل ، فالذى يعجبك هو « الإعطاء » ، دون « المسألة » : ٦٣

* نصبُ المصدر إذا وقع موقع الأمر أو أدّت عن معناه ، مثل قولهم : « غفرانك » و « شكراً لله » و « الصلاة ، الصلاةَ » بمعنى : صلّوا .
وكذلك تنصب الأسماء ، مثل « الله اللهَ يا قوم » .
وجائزٌ الرفع فيهما : ١٢٨

* * *

* « الإدغام » إدغام « التاء » فى « الذال » و « الظاء » ، تدغم « التاء » فى «الذال» لتقارب مخرجهما ، وثقل إظهارهما على اللسان ، فتصيّرا « دالا » عدلاً بين « الذال والتاء » فى مثل « ادخر » و « ادكر » .
ومن العرب من يغلّب « الذال » فيقول : « مذّخر » . وكذلك يقول فى « ظلم » « اطّلم » و « اظلم » : ٤٣٦ ، ٤٣٧

* « الاستفهام » يرادُ به الأمر ، نحو « فهل أنتم منتهون » ، بمعنى : انتهوا = وقولهم « أين ، أين » ؟ بمعنى : أقم ، فلا تبرح : ٢٨١

* « الاستفهام يجازى فيه كما يجازى فى الأمر ، نحو قوله : « أأسلمتم ، فإن أسلموا فقد اهتدوا » وقولهم : « هل تقوم ؟ فإن تقم أكرمك » : ٢٨١

* « الإضمار » الإضمارُ ضعيفٌ لا يتمكّن فى كل مكان : ٢١٠

* تحريك ما كان ثانيه من الحروف الستة « حروف الحلق » مثل قولهم : « شعْر ، وشَعَر » : ٢٢٥

* « التذكير والتأنيث » ، العرب تفعل فى جماعة الذكور ، إذا تقدمت أفعالها ، فتؤنث أفعالها ، ولا سيما الأسماء التى فى ألفاظها التأنيث ، تقول : « جاءت الطلحات » : ٣٦٣ ، ٣٦٥

* العرب إذا قدمت على الكثير من الجماعة فعلها ، أنثته ، فقالت : « قالت النساء ، وجائز التذكير فى فعلها بناء على الواحد إذا تقدم فعله ، فيقال : « قال الرجال » : ٣٦٥

* « التصغير » دخول « التاء » فى التصغير ، فى مثل تصغير « ثدى » « ثدية » : ٤١٢ ، ٤١٣ .

* « التصغير » تصغير « فاعلة » على « فعيلة » إذا كان اسماً فى معنى فلان وفلان (أى العلم) مثل : « فاطمة » و « فطيمة » : ٣٨٥

* العرب إذا كررت ، وكان مع المكرّر خبر ، ترد المكرر على إعراب الأول مرة ، وتستأنفه ثانية بالرفع ، وتنصبه فى التامّ من الفعل والناقص ، نحو :

وَكُنْتُ كَذِي رِجْلَيْنِ: رِجْلٌ صحيحة وَرِجْلٌ رَمَى فِيهَا الزَّمَان فشَلَّتِ

٢٣١ ، ٢٣٢

[فى ص ٢٢٢ س : ٧ ، خطأ ، كتب : كنت كذلك رجلين – والصواب : كنت كذى رجلين ، فليصحح]

• الجمع ، الذى يكون فى معنى الواحد ، مثل : « ذريّة » : ٣٦٢

• « الجنس » المفرد الذى يراد به الجنس كله ، كقولهم : « ما أكثر درهم فلان ودينارِه » ، يراد به جنس الدراهم والدنانير : ١٢٥

• « حرف الجر » حذف حرف الجرّ فى مثل قوله : « رب ليلة قد بتّها ، وبتُّ فيها » وقوله :

مَا شُقّ جَيْبٌ ولا قَامَتْك نَائِحَةٌ ولا بكَتْكَ جَيادٌ عِنْدَ أَسْلَابِ

بمعنى : ولا قامت عليك : ٤٢٦ ، ٤٢٧

• « الحكاية » يخرج الكلام معها أحياناً على الخطاب كله ، وأحياناً على وجه الخبر عن الغائب ، وأحياناً بعضه على الخطاب ، وبعضه على الغيبة : ٥٦٤

• « الحكاية » مثل قول الرجل : « مالى أنصار » ، فتقول : « أنا أنصارك » على الإفراد والجمع ، وقولهم : « دعنى من تمرتان » : ١٧٢

• « الصرف » المنع من الصرف فى « أُخر » ، وترك حرف « حمراء » ، وصرف جمعها «حمر » : ١٧٣

• « الصرف » ، « الإجراء » ، أسماء العجم لا تُجْرى : ٣٤٧

• صرف الكلام من الخبر عن الغائب إلى المخاطبة ، لسبوق القول فى كلام خرج على وجه الحكاية : كقوله : « حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريحٍ طيّبة » : ٤٦٤

• الصفات التى لا تثنى ولا تجمع ، مثل « عدل » : ٤٨٦ ، ٤٨٧

- عطف المستقبل على الماضى : ٤٧٢
- الفتحة ، أخفُّ الحركات : ٦٥ ، ٨٦
- « القلب » مثل « الجاه » فى « الوجه » قلبت واوه من أوله إلى موضع العين : ٤١٥
- « المؤنث اللفظى » ، تأنيث فعله ونعته ، وتذكيرهما ، كقوله :

أبوكَ خليفــةٌ ، ولدَتْهُ أُخْرَى وأنت خليفــةٌ ، ذَاكَ الـكمالُ

فقال : « ولدته أخرى » ، فأنث الفعل والصفة ، و « الخليفة » ذكر ، لتأنيث لفظ « الخليفة » : ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٤١٢ ، ٤١٣

- « المعارف » لا توصل = (أى لا تنعت بجملة) : ٤٧١
- « النسق » فى معنى الجزاء ، نحو : « إنه ليعجبنى أن يسأل السائل فيعطى » ، بمعنى : أن يعطى السائل إذا سأل : ٦٣
- « النكرة » يتبعها خبرها : ٨٢
- « النكرات » ، تضمر لها العرب أخبارها ، كقوله : « وإن كان ذُو عسرة فنظرة إلى ميسرة » : ٢٩
- « الهمز » من شأن العرب همز كلّ « ياء » جاءت بعد « ألف » ساكنة : ٣٨٤

* * *

- أمر الله فرض لازم ، إلا أن تقوم حجة بأنه إرشادٌ وندب : ٥٣ ، ٨٤

* * *

- لا يجوز أنه يحمل تأويل القرآن إلاّ على الأظهر الأكثر من الكلام المستعمل فى ألسن العرب ، دون الأقل ، ما وُجد إلى ذلك سبيل . ولم تضطرنا حجة إلى صرف ذلك أنه بمعنى واحد ، فيحتاج إلى طلب المخرج بالخفى من الكلام والمعانى : ٣٦٥

- توجيه معانى كتاب الله إلى الظاهر المستعمل فى الناس ، أولى من توجيهها إلى الخفى القليل فى الاستعمال : ٣٠٩ ، ٣١٧

- تأويل القرآن على ما كان موجوداً فى ظاهر التلاوة — إذا لم تكن حجة تدلّ على باطن خاص — أولى من غيره ، وإن أمكن توجيهه إلى غيره : ٥٨٣

* * *

- لا يجوز ترك قراءة جاء بها المسلمون مستفيضة بينهم ، إلى غيرها : ٦٥

- النقل المستفيض الذى يمتنع منه الخطأ ، حجة على أن ذلك هو القراءة الصحيحة : ٣١٧

- غير جائزة القراءة بحرف يخالف رسمه خطوط مصاحف المسلمين : ٢٩ ، ٩٤ ، ٣٤٨

- القراءة التى لا يجوز غيرها ، هى ما جاءت به قَرَأة المسلمين نقلا مستفيضاً ، من غير تشاعر ولا تواطؤ ، وراثةً ، وما كان مثبتاً فى مصاحف المسلمين : ١٢٧ ، ١٥٥

- كفى شاهداً على خطأ القراءة ، خروجها عن قراءة أهل إسلام : ٢٦٨

- اتباع خط المصحف ، مع صحة المعنى واستفاضة القراءة به ، أولى من خلاف المصحف : ٤٢٥

- لا تجوز القراءة بغير القراءة التى تظاهر النقل من القرأة بها : ٤٣٧

- ما اجتمعت عليه القرأة حجة ، وما انفرد به المنفرد عنها رأىٌ ، ولا يعترض بالرأى على الحجة : ٤٤٢

- لا يعترض بالشاذ على الحجة فى القراءة : ٨٠ ، ١٢٧ ، ٣٣٤ ، ٣٦٨

فهرس التفسير

٣ تصدير الجزء السادس

٧ تفسير آية الرِّبا

٨ مسُّ الشيطان ، وتخبط من مسّه

١١ من عمل فى تجارته بالرِّبا ولم يأكله ، مستحق وعيد آكله ، وأنه سواءٌ العمل بالربا وأكاه وأخذه وإعطاؤه .

١٢ عمل أهل الجاهلية فى الربا .

١٣ زعمهم أن البيع مثل الربا .

١٥ محق الربا ، وإرباء الصدقات .

١٧ إن الله يقبل الصدقة ، ولا يقبل إلاّ الطيب ، وأنه يربيها كما يربى أحدكم فصيله ، والأحاديث فى ذلك .

٢٢ عظة الله لعباده فى ترك الربا ، والآثار فيمن نزلت فيهم هذه الآية .

٢٤ الإيذان من الله بحرب آكل الربا ، والآثار فى ذلك .

٢٧ « إن كلّ ربا موضوع ، وأول ربا يوضع ربا العباس بن عبد المطلب » .

٢٨ إنظارُ ذى العسرة إلى ميسرته ، ومعنى الإعسار والميسرة ، فى الربا وغيره .

٣٣ اختبارُ أبى جعفر فى عموم آية إنظار المعسر ، مع نزولها خاصة فى الربا .

٣٤ أن كل ذى دين فى مال غريمه ، لا فى رقبته ، وأنه لا سبيل لصاحب الدين على رقبة غريمه، بحبسٍ أو غيره .

٣٥ التصدّق بالدين على الغريم ، والآثار فى ذلك .

٣٧ القول فى أن آيات الربا ، هنّ آخر آيات نزلت من القرآن ، والآثار فى ذلك .

٣٩ قوله : « واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله » ، هى أيضاً آخر آية نزلت من القرآن، والآثار فى ذلك .

٤٣ تفسير آية الدين . وكتابته .

٤٣ القرض والسلم ، من الديون المؤجلة إلى أجل مسمى ، إذا كانت آجالها معلومة بحدٍّ موقوف عليه، والآثار فى السلم خاصة .

٤٧ كتابة الدين الذى تداينوه إلى أجل مسمّى ، أهو حق واجبٌ وفرضٌ لازم ، وقول من قال إنه فرضٌ لازم .

٤٨ قول من قال إنّ كتابة الدين فرضٌ ، ثم نسخ ، والآثار فى ذلك .

٥١ اختلافهم فى وجوب الكتابِ على الكاتب إذا استكتب ، والآثار فى ذلك .

٥٢ قول من قال إن وجوب الكتابة منسوخٌ .

٥٣ قول من قال هى واجبة ، ولكنها واجبة على الكاتب فى حال فراغه .

٥٣ ترجيح أبى جعفر أن الكتابة واجبةٌ .

٥٤ القول فى النسخ ، وأن الناسخ لا يكون إلا حيث لا يجوز اجتماع حكمه وحكم المنسوخ فى حال واحدة .

٥٦ القول فى إملال الذى عليه الحقّ .

٥٧ بيان معنى « السفيه » ، وهو بحث نفيس .

٦٠ القول فى استشهاد الشهيدين ، أو رجلٍ وامرأتين .

٦٣ القول فى قوله : « أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى » وبيان معنى ذلك ، وهو فصل جيد جيداً .

٦٨ القول فى إباء الشهداء إذا ما دعوا للشهادة ، واختلافهم فى ذلك .

٧٣ ترجيح أبى جعفر فى إباء الشهداء ، وهو نظرٌ لطيفٌ .

٧٩ القول فى تفسير « التجارة الحاضرة » ، وإسقاط فرض الكتابة عنها .

٨٢ الإشهاد عند التبايع ، واختلافهم فى أنه أمر واجب أو ندبٌ .

٨٤ ترجيح أبى جعفر أنه فرض واجبٌ .

٨٥ النهى عن مضارة الكاتب والشهيد ، والآثار فى ذلك .

٩٠ ترجيح أبى جعفر فيما اختلفوا فيه فى النهى عن مضارة الكاتب والشهيد .

٩٤ الرهان المقبوضة فى السفر ، حيث لا يجد المتداينون كاتباً .

٩٩ النهى عن كتمان الشهادة .

١٠٣ حديث النَّفْس ، وإسقاطُه عن أهل الإيمان ، والأحاديث فى ذلك .

١١٧ حديث معاتبة العبد ربه بما يصيبه من الحمى والنكبة والشوكة .

١١٨ النسخ ، وأنه لا يكون فى حكم ، إلا بنفيه بآخر هو له نافٍ من كلّ وجوهه.

١١٩ تقرير الله عبده يوم القيامه بذنوبه ، والأحاديث فى ذلك .

١٢١ العباد غير مؤاخذين بشىء إلا بفعل ما نهوا عنه ، أو ترك ما أمروا بفعله .

١٣٢ سؤال العباد ربهم أن لا يؤاخذهم بالنسيان والخطأ ، وبيان معنى ذلك ، وهو فصل نفيسٌ .

١٤٢ الآثار فى ختام سورة البقرة ، واستجابة الله لعباده ما سألوه .

١٤٦ آخر تفسير سورة البقرة .

* * *

﴿ سُورَةُ آل عِمْرانَ ﴾

١٤٩ تفسير « سورة آل عمران » .

١٤٩ صدر هذه السورة فى التوحيد .

١٥٠ افتتاحها بنفى الألوهية أن تكون لغيره تعالى ، لنزولها فى وفد نصارى نجران .

١٥١ أخبارُ وفد نصارى نجران ، والآثار فى ذلك .

١٥٧ بيان وصفه تعالى نفسه بالحياة ، بقوله « الحىّ » .

١٦٧ تصوير العباد فى الأرحام ، والآثار فى ذلك .

١٦٩ القول فى المحكم والمتشابه .

١٧٤ اختلاف أهل التأويل فى المحكم والمتشابه ، وهو فصل مستوعب .

١٨٠ بيان أبى جعفر فى المحكم والمتشابه .

١٨٦ آية المحكم والمتشابه ، نزولها فى وفد نصارى نجران .

١٨٧ نزولها فى أبى ياسر بن أخطب .

١٨٧ نزولها فى كل مبتدع فى دينه بدعة .

١٨٧ الأثر فى الحرورية والسبائية .

١٨٩ الذين يجادلون فى الكتاب ، والأمر بالحذر منهم ، والآثار فى ذلك .

٢٠٠ البيان عن معنى « التأويل » .

٢٠١ بيان معنى « الراسخين فى العلم » .

٢١٢ تزييفُ قول القدرية : إن أزاغة الله قلب عبده عن طاعته ، جور منه تعالى.

٢١٤ أحاديث أن القلب بين إصبعين من أصابع الرحمن .

٢٢٧ مقالة اليهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنه لقى نفراً من قريش أغماراً لا يعرفون القتال .

٢٣٥ عدة المسلمين ، وعدة المشركين فى يوم بدر ، والآثار فى ذلك .

٢٦٣ « رضوان الله » والحديث فى بيانه .

٢٦٥ بيان معنى « المستغفرين بالأسحار » .

٢٧٥ بيان معنى « إن الدين عند الله الإسلام » .

٢٧٦ اختلاف أهل الكتاب من بعد ما جاءهم العلم .

٢٨٥ قتل أهل الكتاب الذين يأمرونهم بالقسط .

٢٨٥ خبر أبى عبيدة بن الجراح ، فى قوله : إن أشد الناس عذاباً ، رجل قتل نبيًّا ، أو رجل أمر بالمنكر ونهى عن المعروف .

٢٨٨ دعاء رسول الله بنى إسرائيل إلى الرضى بما فى التوراة .

٢٩٢ مقالة اليهود : لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات .

٣٠٢ الآثار فى إيلاج الليل فى النهار ، وإيلاج النهار فى الليل .

٣٠٤ الآثار فى إخراج الحىّ من الميت ، وإخراج الميت من الحىّ .

٣١٣ نهى المؤمنين عن اتخاذ الكفار أعواناً وأنصاراً وظهوراً .

٣٢٢ زعم بعض أهل الكتاب فى عهد رسول الله أنهم يحبون الله ، واحتجاج الله عليهم فى ذلك .

٣٢٨ نسب امرأة عمران ، أم مريم .

٣٣٠ خبر نذر امرأة عمران ما فى بطنها للكنيسة ، ومعنى « التحرير » .

٣٣٦ الأحاديث فى قوله : « ما من نفس مولود يولد إلا والشيطان يطعنُه طعنة ، إلا ما كان من مريم وولدها » .

٣٤١ خبر مولد عيسى عليه السلام .

٣٤٦ كفالة زكريا مريم .

٣٤٩ الآثار فى كفالة مريم ، واقتراعهم بالأقلام .

٣٥٣ الآثار فى دخول زكريا على مريم ، ووجدانه عندها الرزق .

٣٥٦ خبر من أخبار مريم ، منذ ولادتها إلى أن صارت نذيرة فى الكنيسة .

٣٧١ بيان معنى « مصدقاً بكلمة من الله » ، واختلافهم فى معنى « الكلمة » .

٣٧٧ أخبار يحيى بن زكريا ، وصفته .

٣٨٥ آية زكريا أن لا يكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً .

٣٩٤ حديث : « خير نسائها مريم بنت عمران ، وخير نسائها خديجة » .

٣٩٥ حديث: « خير نساء ركبن الإبل صوالح نساء قريش » .

٣٩٨ خبر فاطمة بنت رسول الله، وما أسره إليه أبوها، بأبى هو وأمى صلى الله عليه وسلم ، قبل وفاته .

٤١٠ بشارة الملائكة مريم ، بولادتها عيسى عليه السلام .

٤١٤ بيان معنى « المسيح » .

٤١٥ صفة عيسى عليه السلام .

٤٢٥ ما كان من أمر عيسى فى خلقه من الطين كهيئة الطير بإذن الله .

٤٣١ آيات عيسى فى إحياء الموتى ، ورحلته إلى أرض مصر .

٤٣٨ ما أحل عيسى لليهود مما حُرّم فى التوراة .

٤٤٤ سبب استنصار عيسى بالحواريين ، واختلاف أهل العلم فى ذلك .

٤٥٥ بيان رفع عيسى ، وكيف كانت وفاتُه ، واختلافهم فى ذلك .

٤٥٨ الأحاديث فى نزول عيسى وقتله الدجال .

٤٦٧ خلق عيسى ، كخلق آدم .

٤٦٨ مقالة وفد نصارى نجران فى أمر عيسى عليه السلام ، والآثار فى ذلك .

٤٦٩ أسماء وفد نصارى نجران .

٤٧٣ تفسير آية المباهلة .

٤٧٨ الآثار فى سبب المباهلة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووفد نصارى نجران .

٤٨٩ محاجة النصارى واليهود فى إبراهيم ، وادعاء كل فريق أنه منهم .

٤٩٣ نفى اليهودية والنصرانية عن إبراهيم عليه السلام .

٤٩٤ تفسير « الحنيف » .

٤٩٥ خبر زيد بن عمرو بن نفيل فى طلب الدين .

٤٩٨ الحديث فى أن إبراهيم هو ولىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٥٠٦ خبر الذين قالوا : «آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره» .

٥٢١ قولهم : «ليس علينا فى الأميين سبيل» ، وكيف كان فعلهم فى ذلك .

٥٢٨ آية : الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلا ، نزولها ، فى أحبار يهود .

٥٢٩ قول من قال إنها نزلت فى الأشعث بن قيس .

٥٢٩ حديث «اليمين الفاجرة» وأنها من الكبائر .

٥٣٨ ظلم من يدعو الناس إلى عبادة نفسه .

٥٤٠ «الربانيون» ، فصلٌ جيد فى بيان معنى هذه الكلمة .

٥٦٥ اختلاف أهل التأويل فى معنى إسلام الكاره .

٥٧٠ تفسير آية الإسلام ، وأن من ابتغى غيره ديناً فلن يقبل منه .

٥٧٢ الذين كفروا بعد إيمانهم ، وقبول توبتهم .

٥٧٨ الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً ، لا تقبل توبتهم ، واختلاف أهل التأويل فى معنى ذلك .

٥٨٢ بيان جيد فى معنى ازديادهم الكفر .

٥٨٧ تفسير آية الحض على الإنفاق .

٥٨٩ أحاديث جزاء الصدقة .

* * *

٥٩٧ فهرس الآيات التى استدل بها فى غير موضعها من التفسير .

٦٠١ فهرس اللغة .

٦١٠ فهرس أعلام المترجمين فى التعليق .

٦٢٠ فهرس المصطلحات .

٦٢١ فهرس الفرق .

٦٢٢ فهرس مباحث العربية والنحو وغيرهما .

٦٣٢ فهرس التفسير .

تم إيداع هذا المصنف بدار الكتب والوثائق القومية
تحت رقم ١٩٨٦/١٩٧١

تراث الإسلام

تفسير الطبري

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ - ٣١٠ هـ

٧

حققه وعلق حواشيه
محمود محمد شاكر

راجعه وخرج أحاديثه
أحمد محمد شاكر

الطبعة الثانية

الناشر
مكتبة ابن تيمية
القاهرة ت ٨٦٤٢٤٠

الجزء السابع

وفيه

تفسير سورة آل عمران

من ٩٣ — ٢٠٠

وتفسير سورة النساء

من ١ — ٧

والآثار من ٧٣٩٩ — ٨٦٥٧

تفسير الطبري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي ذَلَّت لِعزّته الرقابُ ، وسَجَد له ما فى السَّمٰوات والأرضِ طوعًا وكرهًا وظِلالُهُمْ بالغُدُوِّ والآصالِ . خلعنا لله ربِّنَا الأندادَ والشركاءَ ، وأخلصْنَا له وحدَهُ العبادة ، وآمنَّا بما أنزل على عبده النبيِّ العربيّ الأميّ صلى الله عليه وسلم ، جعله رسولاً إلى عبادِه ، ورحمةً مُهْداة إلى خلقِه ، وأمّةً فى العلم بدينه ، حتى هَدَى به العبادَ إلى الحقِّ ، جامعًا له سجايَا الخير من أطرافِهَا ، مُبيناً به عن شَريعته فى أرضه . فعلَّم الناس بعد الجهل ، وسَدّدَ الخُطَى بعد الحيرة ، صلّى الله عليه وسلم صلاة طيبة مباركة ما اختلفَ الليلُ والنهارُ .

اللّهم أنت وحدك مالِكُ الأرضِ ومَنْ عليها ، بيدك مقاليدُ كُلّ شيء ، فافتح لنا ربَّنَا أبوابَ الخير والهدى ، وقنَا شرَّ أنفسنا ، واقبضْ قلوبنا عن معصيتك ، وابسطها فى طاعتك .

اللّهُمّ أنت وحدَكَ مُذِلّ الجبابرةِ ، وقاهرُ البُغاةِ الفَجَرة ، ومنشىء النَّصْر للضعيفِ حتى ينالَ حقّه من القويّ الظالم .

اللّهُمَّ إنَّما نحنُ عبادُك المؤمنون ، عَصَيْناك حتى أظَلَّتنَا عُقُوبتك ، فاللّهم ارفع عَنَّا غَضَبك ، ولا تُخْلِنَا من لطيف رحمتك وعفوِك ، واجعل عاصِينَا مذعناً لك بالطاعة ، وأخْرجْ منَّا منْ ينادى بالحقِّ حتى يستمعَ إليه مَنْ صَمَّ عَنْه .

اللَّهُمَّ هذه أمتك العاصِيَة قد تداعتْ عليها الأُمَم بالعدوانِ والظُّلْم ، فنجأرُ إليك ربّنَا أن تثبِّتَ أقدامنَا حتى نلقَى العدوّ صابرين للبلاء ، مصابرين للملحمة ، مرابطين على ثغور دينك .

اللَّهُمَّ خُذْ بنَواصِى وُلاة أمورِنا إلى ما ترضاه لأمّتك ، وانزع من قلوبِهِم رهبَة عَدُوِّهِمْ وعدُوِّك ، واجمعْ كلمتنا على العمل بأمرِك ، واضمم شملنا على الجهاد فى سبيلك .

اللَّهُمَّ هذه ساعةُ الجهادِ ، فاكتبْ لنا الشهادةَ مقاتلين فى سبيلك ، واكتب لمن بقى منا النَّصْر الذى لا يؤتيه إلَّا ربُّنا الواحد القهّارِ .

ربَّنا عَصَينَا فاغفر لنا ، وتُبْنَا إليك فاصفحْ عنَّا ، ولا تجعلنَا عبيدًا لأعداء دينِكَ بخذلاننا ، وكنْ لنَا حامياً من باغٍ يبغى لأمة العربِ الغوائِل ، وسدِّد خُطى الناطقين بالتوحيد إلى إعلاء كلمتك ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين .

محمود محمد شاكر

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٢/٤
إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِنْ قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ قُلْ فَأْتُوا۟
بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (٩٣)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : أنه لم يكن حرَّم على بنى إسرائيل = وهم ولد يعقوب بن إسحق بن إبراهيم خليل الرحمن = شيئاً من الأطعمة من قبل أن تنزَّل التوراة ، بل كان ذلك كله لهم حلالاً إلاّ ما كان يعقوب حرّمه على نفسه ، فإن ولده حرّموه استناناً بأبيهم يعقوب ، من غير تحريم الله ذلك عليهم فى وحىٍ ولا تنزيل ، ولا على لسان رسولٍ له إليهم ، من قبل نزول التوراة .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى تحريم ذلك عليهم ، هل نزل فى التوراة أم لا ؟

فقال بعضهم : لما أنزل الله عز وجل التوراةَ ، حرّم عليهم من ذلك ما كانوا يحرِّمونه قبل نزولها .

* ذكر من قال ذلك :

٧٣٩٩ – حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « كل الطعام كان حلالا لبنى إسرائيل إلاّ ما حرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزّل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين » ، قالت اليهود : إنما نحرِّم ما حرّم إسرائيل على نفسه ، وإنما حرّم

إسرائيل العرُوق ،[١] كان يأخذه عِرق النَّسا ، كان يأخذه بالليل ويتركه بالنهار ، فحلف لئن الله عافاه منه لا يأكل عِرْقاً أبداً . فحرّمه الله عليهم . ثم قال : « قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين » ، ما حرَّم هذا عليكم غيرى ببغيكم ، فذلك قوله : ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ [سورة النساء : ١٦٠]

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الآية على هذا القول : كل الطعام كان حِلاً لبنى إسرائيل إلاّ ما حرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ، فإن اللهَ حرّم عليهم من ذلك ما كان إسرائيل حرَّمه على نفسه فى التوراة ، ببغيهم على أنفسهم وظلمهم لها . قل يا محمد : فأتوا ، أيها اليهود ، إن أنكرتم ذلك بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين أنّ الله لم يحرم ذلك عليكم فى التوراة ، وأنكم إنما تحرّمونه لتحريم إسرائيل إياه على نفسه . ٣/٤

* * *

وقال آخرون : ما كان شىءٌ من ذلك عليهم حراماً ولا حرّمه الله عليهم فى التوراة ، وإنما هو شىء حرّموه على أنفسهم اتباعاً لأبيهم ، ثم أضافوا تحريمه إلى الله . فكذبهم الله عز وجل فى إضافتهم ذلك إليه ، فقال الله عز وجل لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهم يا محمد : إن كنتم صادقين فأتوا بالتوراة فاتلوها حتى ننظر هل ذلك فيها أم لا ؟ فيتبين كذبهم لمن يجهلُ أمرهم .[٢]

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) العروق هى عروق اللحم ، وهو الأجوف الذى يكون فيه الدم ، وأما غير الأجوف فهو العصب .

(٢) فى المطبوعة : « ليتبين » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

٧٤٠٠ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « إلا ما حرّم إسرائيل على نفسه » ، إسرائيل هو يعقوب ، أخذه عرق النسا فكان لا يَبيتُ الليل من وجعه ،(١) وكان لا يؤذيه بالنهار ، فحلف لئن شفاهُ الله لا يأكل عِرْقاً أبداً، وذلك قبل نزول التوراة على موسى. فسأل نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم اليهود : ما هذا الذى حرم إسرائيل على نفسه ؟ فقالوا : نزلت التوراة بتحريم الذى حرَّم إسرائيل . فقال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم: « قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين » إلى قوله : « فأولئك هم الظالمون » ، وكذبوا وافترَوا ، لم تنزل التوراةُ بذلك .

* * *

وتأويل الآية على هذا القول : كلّ الطعام كان حِلا لبنى إسرائيل من قبل أن تنزَّل التوراة وبعد نزولها، إلاّ ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة = بمعنى : لكن إسرائيل حرّم على نفسه من قبل أن تنزَّل التوراة بعض ذلك.(٢) وكأنّ الضحاك وجّه قوله : « إلا ما حرم إسرائيل على نفسه »، إلى الاستثناء الذى يُسميه النحويون « الاستثناء المنقطع » .

* * *

وقال آخرون : تأويل ذلك : كل الطعام كان حلا لبنى إسرائيل إلاّ ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة، فإنّ ذلك حرامٌ على ولده بتحريم إسرائيل إياه على ولده ، من غير أن يكون الله حرّمه على إسرائيل ولا على ولده .

---

(١) فى المطبوعة : «لا يثبت الليل » ، وليست بشىء ، وسبب ذلك أن ناسخ المخطوطة قد استكثر من النقط على حروف هذه الكلمة ، فاختلط الأمر على الناشر . وليس معنى « يبيت » : ينام ، فإن أهل اللغة قالوا : « بات : دخل فى الليل ، ومن قال : بات فلان ، إذا نام ، فقد أخطأ . ألا ترى أنك تقول : بت أرعى النجوم ؟ معناه : بت أنظر إليها ، فكيف ينام وهو ينظر إليها ؟ » ومعنى « لا يبيت الليل » ، أى يسكن الليل ولا يستريح ، لأن البتوتة هى دخول الليل ، والليل سكن للناس ، فمن ضافه هم ، أو أقلقه ألم ، لم يسكن ، فكأن الليل لم يشمله بهدأته . وفى ألفاظ أخرى لهذا الخبر : « لا ينام الليل من الوجع » . ثم انظر الأثر رقم : ٧٤٠٢ : « لا يبيت بالليل » .

(٢) انظر « إلا » بمعنى « لكن » فيما سلف ٣ : ٢٠٦ .

* ذكر من قال ذلك :

٧٤٠١ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلاّ ما حرم إسرائيل على نفسه » ، فإنه حرّم على نفسه العروقَ ، وذلك أنه كان يشتكي عرق النسا ، فكان لا ينام الليل ، فقال : والله لئن عافاني الله منه لا يأكله لي ولد = وليس مكتوباً في التوراة ! وسأل محمد صلى الله عليه وسلم نفراً من أهل الكتاب فقال : ما شأن هذا حراماً ؟ فقالوا : هو حرام علينا من قِبَل الكتاب. فقال الله عز وجل : « كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل » إلى « إنْ كنتم صادقين » .

٧٤٠٢ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال ابن عباس : أخذه – يعني إسرائيل – عرقُ النسا ، فكان لا يبيتُ بالليل من شدّة الوجع ،[1] وكان لا يؤذيه بالنهار ، فحلف لئن شفاه الله لا يأكل عِرقاً أبداً ، وذلك قبل أن تنزل التوراة . فقال اليهود للنبيّ صلى الله عليه وسلم : نزلت التوراة بتحريم الذي حرم إسرائيل على نفسه. قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم : « قل فأتوا بالتوراةِ فاتلوها إن كنتم صادقين » ، وكذبوا ، ليس في التوراة .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب ، قول من قال : « معنى ذلك : كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل من قبل أن تنزّل التوراة ، إلاّ ما حرم إسرائيل على نفسه من غير تحريم الله ذلك عليه ، فإنه كان حراماً عليهم بتحريم أبيهم إسرائيل ذلك عليهم ، من غير أن يحرمه الله عليهم في تنزيل ولا وحي قبل التوراة ، حتى نزلت التوراةُ ، فحرّم الله عليهم فيها ما شاءَ ، وأحلّ لهم فيها ما أحبّ » .

وهذا قول قالته جماعة من أهل التأويل ، وهو معنى قول ابن عباس الذي ذكرناه قبل .

* ذكر بعض من قال ذلك :

---

(١) في المطبوعة : « لا يثبت » ، وفي المخطوطة : « لا يبيت » ، واضحة . وانظر التعليق السالف رقم : ١ ص : ٩ .

٧٤٠٣ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « كل الطعام كان حلاً لبنى إسرائيل إلاّ ما حرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة » ، وإسرائيل ، هو يعقوب = « قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين » ، يقول : كلّ الطعام كان حلاً لبنى إسرائيل من قبل أن تنزل التوراة . إلاّ ما حرم إسرائيل على نفسه ، فلما أنزل الله التوراة حرّم عليهم فيها ما شاء وأحلّ لهم ما شاء .

٧٤٠٤ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة بنحوه .

* * *

واختلف أهل التأويل فى الذى كان إسرائيل حرّمه على نفسه .

فقال بعضهم : كان الذى حرّمه إسرائيل على نفسه : العُرُوق . ٤/٤

* ذكر من قال ذلك :

٧٤٠٥ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا أبو بشر ، عن يوسف بن ماهَك قال : جاء أعرابى إلى ابن عباس فقال إنه جعل امرأته عليه حراماً ، قال : ليست عليك بحرام . قال : فقال الأعرابى : ولم ؟ والله يقول يقول فى كتابه : « كل الطعام كان حلا لبنى إسرائيل إلاّ ما حرّم إسرائيل على نفسه » ؟ قال : فضحك ابن عباس وقال : وما يدريك ما كان إسرائيل حرّم على نفسه ؟ قال : ثم أقبل على القوم يحدثهم فقال : إسرائيل عرَضتْ له الأنساءُ فأضنته ،[1] فجعل لله عليه إن شفاه الله منها لا يطعم عِرْقاً . قال : فلذلك اليهود تنزع العروق من اللحم .

٧٤٠٦ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ،

---

(١) الأنساء جمع نسا : وهو هذا العرق الذى يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ، ثم يمر حتى يبلغ الكعب . وهو الذى يأخذه المرض المعروف .

عن أبي بشر . قال : سمعت يوسف بن ماهك يحدثُ : أنّ أعرابيًّا أتى ابن عباس ، فذكر رجلاً حرّم امرأته فقال : إنها ليست بحرام . فقال الأعرابي : أرأيت قول الله عز وجل : « كل الطعام كان حِلاًّ لبني إسرائيل إلاّ ما حرم إسرائيل على نفسه » ؟ فقال : إن إسرائيل كان به عِرْق النسا ، فحلف لئن عافاه الله أن لا يأكل العرُوق من اللحم ، وإنها ليست عليك بحرام .

٧٤٠٧ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن سليمان التيمي ، عن أبي مجلز في قوله : « كل الطعام كان حِلاًّ لبني إسرائيل إلاّ ما حرم إسرائيل على نفسه » ، قال : إن يعقوب أخذه وجع عرق النسا ، فجعل لله عليه = أو : أقسم ، أو : آلى = : لا يأكله من الدواب .[1] قال : والعروق كلها تبعٌ لذلك العرق .

٧٤٠٨ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذكر لنا أنّ الذي حرّم إسرائيل على نفسه : أنّ الأنساء أخذته ذ ت ليلة فأسهرته ، فتألّى إنِ الله شفاه لا يطعم نَسأً أبداً ، فتتبعت بنوهُ العروق بعد ذلك يخرجونها من اللحم .[2]

٧٤٠٩ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن قتادة بنحوه = وزاد فيه . قال : فتألّى لئن شفاه الله لا يأكل عرقاً أبداً فجعل بنوه بعد ذلك يتتبعون العروق فيخرجونها من اللحم . وكان « الذي حرّم على نفسه من قبل أن تنزل التوراة » ، العُرُوق .

٧٤١٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « إلاّ ما حرم إسرائيل على نفسه » ، قال : اشتكى

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « أو أقسم أو قال لا يأكله من الدواب » ، وهو غير مستقيم ، وأشبه بالصواب ما أثبت . وانظر الأثر التالي وفيه « تألى » ، أي أقسم ، ومنه استظهرت هذا التصويب .

(٢) في المخطوطة : « يخرجونه » ، فلعل ما قبلها « العرق » مفرداً ، ولكني تركت ما في المطبوعة فهو أجود ، لما في الأثر الذي يليه .

إسرائيل عرق النسا فقال : إن الله شفانى لأحرّمنّ العروق ! فحرّمها .

٧٤١١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا سفيان الثورى ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان إسرائيل أخذه عرق النسا ، فكان يبيتُ له زُقاء ،(١) فجعل لله عليه إن شفاه أن لا يأكل العروق ، فأنزل الله عز وجل : «كلّ الطعام كان حِلاّ لبنى إسرائيل إلاّ ما حرّم إسرائيل على نفسه» = قال سفيان : «له زقاء» ، يعنى : صياحٌ .

٧٤١٢ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : «إلاّ ما حرّم إسرائيل على نفسه» ، قال : كان يشتكى عرق النسا ، فحرّم العروق .

٧٤١٣ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٧٤١٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن حبيب ابن أبى ثابت ، عن ابن عباس فى قوله : «كل الطعام كان حلا لبنى إسرائيل إلاّ ما حرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة» ، قال : كان إسرائيل يأخذه عرق النسا ، فكان يبيت وله زقاء ، فحرّم على نفسه أن يأكل عرقاً .

* * *

وقال آخرون : بل «الذى كان إسرائيل حرّم على نفسه»، لحوم الإبل وألبانُها .

* ذكر من قال ذلك :

٧٤١٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن

---

(١) فى المطبوعة : «يبيت وله زقاء» ، بالواو ، وأثبت ما فى المخطوطة وهو جيد أيضاً . الزقاء : صوت الباكى وصياحه . زقا الصبى يزقو : اشتد بكاؤه وصاح . وسيأتى مشروحاً فى الأثر .

جريج ، عن عبد الله بن كثير قال : سمعنا أنه اشتكى شكوى ، فقالوا : إنه عرق النسا ، فقال : رَبِّ ، إنّ أحب الطعام إلىّ لحومُ الإبل وألبانُها ، فإن شفيتنى فإنى أحرمها علىّ = قال ابن جريج ، وقال عطاء بن أبى رباح : لحومَ الإبل وألبانَها حرّم إسرائيل .

٧٤١٦ – حدثنا محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفى قال ، حدثنا عباد ، عن الحسن فى قوله : « كل الطعام كان حلاً لبنى إسرائيل » ، قال : كان إسرائيل حرّم على نفسه لحومَ الإبل ، وكانوا يزعمون أنهم يجدون فى التوراة تحريم إسرائيل على نفسه لحومَ الإبل ، وإنما كان حرّم إسرائيل على نفسه لحوم الإبل قبل أن تنزل التوراة ، فقال الله : « فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين » ، فقال : لا تجدون فى التوراة تحريم إسرائيل على نفسه ، أى لحم الإبل .[1] ٥/٤

٧٤١٧ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا يحيى بن سعيد قال ، حدثنا سفيان قال ، حدثنا حبيب بن أبى ثابت قال ، حدثنا سعيد ، عن ابن عباس : أنّ إسرائيل أخذَه عرق النسا ، فكان يَبيت بالليل له زُقاء = يعنى : صياح = قال : فجعل على نفسه لئن شفاه الله منه لا يأكله = يعنى : لحوم الإبل = قال : فحرمه اليهود ، وتلا هذه الآية : « كل الطعام كان حلاً لبنى إسرائيل إلاّ ما حرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين » ، أى : إن هذا قبل التوراة .

٧٤١٨ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن حبيب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى : « إلاّ ما حرم إسرائيل على نفسه » ، قال : حرّم العروقَ ولحوم الإبل . قال : كان به عرق النسا ، فأكل من لحومها فباتَ بليلةٍ يَزْقُو ، فحلف أن لا يأكله أبداً .

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « إلا لحم الإبل » وهو لا يستقيم ، وظننتها تحريف « أى » ، فأثبتها كذلك ، ولو حذفت كان الكلام مستقيما .

٧٤١٩ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن مجاهد فى قوله : « إلاّ ما حرم إسرائيل على نفسه » . قال : حرم لحم الأنعام .(١)

* * *

قال أبو جعفر :(٢) وأولى هذه الأقوال بالصواب ، قولُ ابن عباس الذى رواه الأعمش، عن حبيب، عن سعيد عنه : أنّ ذلك، العروقُ ولحوم الإبل . لأنّ اليهود مجمعة إلى اليوم على ذلك من تحريمهما ، كما كان عليه من ذلك أوائلُها .

وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو ذلك خبر ، وهو : ما : –

٧٤٢٠ – حدثنا به أبو كريب قال، حدثنا يونس بن بكير ، عن عبد الحميد ابن بهرام، عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس : أنّ عصابة من اليهود حضرت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا : يا أبا القاسم ، أخبرنا أىّ الطعام حرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزّل التوراة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنشُدكم بالذى أنزل التوراة على موسى ، هل تعلمون أنّ إسرائيل يعقوب مرضَ مرضاً شديداً فطال سقمه منه، فنذر لله نذراً لئن عافاه الله من سُقْمه ليحرّمنّ أحبّ الطعام والشراب إليه، وكان أحبّ الطعام إليه لُحمان الإبل، وأحبّ الشراب إليه ألبانها ؟ فقالوا : اللهم نعم .(٣)

* * *

وأما قوله : « قل فأتوا بالتوراه فاتلوها إن كنتم صادقين » ، فإن معناه : قل ، يا محمد ، للزاعمين من اليهود أنّ الله حرم عليهم فى التوراة العروقَ ولحومَ الإبل وألبانها = : « ائتوا بالتوراة فاتلوها » ، يقول : قل لهم : جيئوا بالتوراة فاتلوها ، حتى يتبين لمن خفى عليه كذبهم وقيلهم الباطلَ على الله من أمرهم : أنّ ذلك ليس مما

---

(١) فى المطبوعة : « لحوم الأنعام » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المخطوطة : « قال أبو جعفر رضى الله عنه » .

(٣) الأثر : ٧٤٢٠ – هذا مختصر الأثر السالف رقم : ١٦٠٥ ، وإسناده صحيح ، وقد مضى تخريجه هناك .

أنزلته فى التوراة = « إن كنتم صادقين »، يقول : إن كنتم محقّين فى دعواكم أنّ الله أنزل تحريمَ ذلك فى التوراة ، فأتونا بها ، فاتلوا تحريمَ ذلك علينا منها .

* * *

وإنما ذلك خبر من الله عن كذبهم ، لأنهم لا يجيئون بذلك أبداً على صحّته ، فأعلم الله بكذبهم عليه نبيَّه صلى الله عليه وسلم ، وجعل إعلامه إياه ذلك حجةً له عليهم . لأن ذلك إذْ كان يخفى على كثير من أهل ملّتهم ، فمحمد صلى الله عليه وسلم وهو أميٌّ من غير ملتهم ، لولا أن الله أعلمه ذلك بوحى من عنده = كان أحرَى أن لا يعلمَه . فكان ذلك له صلى الله عليه وسلم ،[1] من أعظم الحجة عليهم بأنه نبيٌّ لله ، صلى الله عليه وسلم ، إليهم . لأن ذلك من أخبار أوائلهم كان من خفيّ عُلومهم الذى لا يعلمه غير خاصة منهم ، إلاّ من أعلمه الذى لا يخفى عليه خافية من نبى أو رسول ، أو من أطلعه الله على علمه ممن شاء من خلقه .

* *

القول فى تأويل قوله ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ (٩٤)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بذلك : فمن كذَب على الله منا ومنكم ، من بعد مجيئكم بالتوراة وتلاوتكم إياها ، وعَدَميكم ما ادّعيتم من تحريم الله العروقَ ولحومَ الإبل وألبانها فيها = « فأولئك هم الظالمون » ، يعنى : فمن فعل ذلك منهم = « فأولئك » ، يعنى : فهؤلاء الذين يفعلون ذلك = « هم الظالمون » ، يعنى : فهم الكافرون ، القائلون على الله الباطل ، كما : —

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « فكان فى ذلك له صلى الله عليه وسلم » ، و « فى » زيادة لا شك فيها من سبق قلم الناسخ .

٧٤٢١ – حدثنا المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، حدثنا هشيم ، عن زكريا ، عن الشعبي : « فأولئك هم الظالمون » ، قال : نزلت فى اليهود .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (٩٥)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « قل »، يا محمد = « صدق الله » ، فيما أخبرنا به من قوله : « كلّ الطعام كان حلاّ لبنى إسرائيل »، وأن الله لم يحرم ٦/٤
على إسرائيل ولا على ولده العروقَ ولا لحومَ الإبل وألبانَها ، وأنّ ذلك إنما كان شيئاً حرّمه إسرائيل على نفسه وَوَلده بغير تحريم الله إياه عليهم فى التوراة = وفى كل ما أخبر به عباده من خبر ،[1] دونكم . وأنتم، يا معشر اليهود، الكذبةُ فى إضافتكم تحريم ذلك إلى الله عليكم فى التوراة ،[2] المفتريةُ على الله الباطل فى دعواكم عليه غير الحق = « فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين » ، يقول : فإن كنتم ، أيها اليهود ، محقين فى دعواكم أنكم على الدّين الذى ارتضاه الله لأنبيائه ورُسله = « فاتبعوا ملة إبراهيم » ، خليل الله ،فإنكم تعلمون أنه الحق الذى ارتضَاه الله منْ خلقه ديناً ، وابتعث به أنبياءَه ، ذلك الحنيفية – يعنى : الاستقامة على الإسلام وشرائعه – دون اليهودية والنصرانية والمشركة .

* * *

(١) فى المخطوطة « فى كل ما أخبر . . . » بحذف الواو ، والصواب ما فى المطبوعة . وهو معطوف على قوله آنفاً : « صدق الله فيما أخبرنا به . . . » . وقوله : « دونكم » ، سياقه « صدق الله ... دونكم » ، يعنى فأنتم غير صادقين .

(٢) فى المطبوعة : « أنتم يا معشر اليهود الكذبة . . . » والصواب إثبات الواو كما فى المخطوطة . وسياقه « وأنتم . . . الكذبة . . . المفترية . . . » بالرفع فيهما ، خبر « أنتم » .

وقوله : « وما كان من المشركين » ، يقول : لم يكن يشرك فى عبادته أحداً من خلقه . فكذلك أنتم أيضاً ، أيها اليهود ، فلا يتخذ بعضكم بعضاً أرباباً من دون الله تطيعونهم كطاعة إبراهيم ربّه = وأنتم يا معشرَ عبدة الأوثان ، فلا تتخذوا الأوثان والأصنام أرباباً ، ولا تعبدوا شيئاً من دون الله ، فإن إبراهيم خليل الرحمن كان دينُه إخلاص العبادة لربه وحدَه ، من غير إشراك أحد معه فيه . فكذلك أنتم أيضاً ، فأخلصوا له العبادة ولا تشركوا معه فى العبادة أحداً ، فإن جميعكم مقرُّون بأنّ إبراهيم كان على حقّ وَهدْى مستقيم ، فاتبعوا ما قد أجمع جميعُكم على تصويبه من ملته الحنيفية ، ودعوا ما اختلفتم فيه من سائر الملل غيرها ، أيها الأحزاب ، فإنها بِدَع ابتدعتموها إلى ما قد أجمعتم عليه أنه حق ، فإن الذى أجمعتم عليه أنه صوابٌ وحق من ملة إبراهيم ، هو الحق الذى ارتضيتُه وابتعثتُ به أنبيائى ورسلى ، وسائرُ ذلك هو الباطل الذى لا أقبله من أحد من خلقى جاءَنى به يوم القيامة .

* * *

وإنما قال جل ثناؤه : « وما كان من المشركين » ، يعنى به : وما كان من عَدَدهم وأوليائهم . وذلك أن المشركين بعضهم من بعض فى التظاهر على كفرهم . ونصرةِ بعضهم بعضاً . فبرأ الله إبراهيم خليله أن يكون منهم أو [من] نصرائهم وأهل ولايتهم .[1] وإنما عنى جل ثناؤه بالمشركين ، اليهودَ والنصارَى وسائرَ الأديان ، غير الحنيفية . قال : لم يكن إبراهيم من أهل هذه الأديان المشركة ، ولكنه كان حنيفاً مسلماً .

* * *

(١) الزيادة بين القوسين يستقيم بها الكلام على وجهه

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٩٦)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : تأويله : إنّ أول بيت وضع للناس ، يُعبَد الله فيه مباركاً وهُدًى للعالمين ، الذى ببكة . قالوا : وليس هو أوّل بيت وضع فى الأرض ، لأنه قد كانت قبله بيوت كثيرة .

* ذكر من قال ذلك :

٧٤٢٢ – حدثنا هناد بن السرى قال، حدثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن خالد بن عرعرة قال : قام رجل إلى علىّ فقال : ألا تخبرنى عن البيت ؟ أهو أوّل بيت وُضع فى الأرض ؟ فقال : لا ، ولكنه أول بيت وضع فى البركة مقامِ إبراهيم ، ومن دَخَله كان آمناً .(١)

٧٤٢٣ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة، عن سماك قال: سمعت خالدَ بن عرعرة قال : سمعت علياً ، وقيل له : « إن أوّل بيت وضع للناس للذى ببكة » ، هو أوّل بيت كان فى الأرض ؟ قال : لا ! قال : فأين كان قَوْم نُوح ؟ وأين كان قوم هود ؟ قال : ولكنه أوّل بيت وُضع للناس مباركاً وهُدًى .(٢)

---

(١) الأثر ٧٤٢٢ – هو مختصر الأثر السالف رقم : ٢٠٥٨ ، وفى المخطوطة والمطبوعة هنا أيضاً « وضع فى البركة » ، كما كان فى المطبوعة والمخطوطة هناك . ولكنى صححته من المستدرك والدر المنثور : « فيه البركة » ، غير أنى أعود فأقول إنى أرجح أن ما كان هناك صواب ، وأنه غير مستساغ أن يكون هذا الخطأ قد تكرر فى موضعين متباعدين من الكتاب . وإعراب الكلام فيما أرجح « مقام إبراهيم » بالجر ، بدلا من « البركة » ، على غير ما ضبطته هناك برفع « مقام إبراهيم » . هذا ، وقد مضى الكلام على رجال إسناده فى الأثر السالف .

(٢) الأثر : ٧٤٢٣ – مضى إسناده برقم : ٢٠٥٩ ، ولم يذكر لفظه . وقد مضى ذكر رجاله هناك .

٧٤٢٤ – حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية، عن أبي رجاء قال : سأل حفصٌ الحسنَ وأنا أسمع عن قوله : « إنّ أوّل بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً » ، قال : هو أول مسجد عُبد الله فيه فى الأرض .

٧٤٢٥ – حدثنا عبد الجبار بن يحيى الرملى قال، حدثنا ضمرة ، عن ابن شوذب ، عن مطر فى قوله : « إنّ أول بيت وضع للناس للذى ببكة » ، قال : قد كانت قبله بيوتٌ ، ولكنه أوّل بيت وُضع للعبادة .(١)

٧٤٢٦ – حدثني محمد بن سنان قال، حدثنا أبو بكر الحنفى قال ، حدثنا عباد ، عن الحسن قوله : « إن أوّل بيت وضع للناس » ، يُعبد الله فيه = « للذى ببكة » .

٧٤٢٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا الحمانى قال ، حدثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد : « إنّ أوّل بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً » ، قال : وضع للعبادة .

* * *

وقال آخرون : بل هو أوّل بيت وضع للناس .

٧/٤ ثم اختلف قائلو ذلك فى صفة وضعه أوّل .

فقال بعضهم : خُلق قبل جميع الأرَضين، ثم دُحِيت الأرَضون من تحته .

* ذكر من قال ذلك :

٧٤٢٨ – حدثنا محمد بن عمارة الأسدى قال، حدثنا عبيد الله بن موسى قال ، أخبرنا شيبان ، عن الأعمش ، عن بكير بن الأخنس ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو قال : خلق الله البيتَ قبل الأرض بألفى سنة ، وكان – إذ كان عرشه على الماء – زَبَدةً بيضاءَ ، فدحيتُ الأرض من تحته .

---

(١) الأثر : ٧٣٢٥ – « عبد الجبار بن يحيى الرملى » ، شيخ الطبرى ، لم أجد ترجمته فى مكان . وسيأتى برقم : ٧٤٤٦ .

(٢) « الزبدة » : الطائفة من زبد الماء ، الأبيض الذى يعلوه .

٧٤٢٩ – حدثني محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب قال، حدثنا عبد الواحد ابن زياد قال ، حدثنا خصيف قال : سمعت مجاهداً يقول : إنّ أول ما خلق الله الكعبةَ ، ثم دَحى الأرض من تحتها .

٧٤٣٠ – حدثني محمد بن عمرو قال ،حدثنا أبو عاصم، عن عيسى ،عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : « إن أول بيت وضع للناس » ، كقوله : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [سورة آل عمران : ١١٠] .

٧٤٣١ – حدثني محمد قال، حدثنا أحمد قال، حدثنا أسباط ،عن السدى : « إن أوّل بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين» ، أما «أول بيت» ، فإنه يوم كانت الأرض ماء ، كان زَبَدَة على الأرض ، فلما خلق الله الأرضَ خلق البيت معها ، فهو أوّل بيت وضع في الأرض .

٧٤٣٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « إن أوّل بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً » ، قال : أوّل بيت وَضَعه الله عز وجل ، فطاف به آدم ومَنْ بعده .

* * *

وقال آخرون : موضع الكعبة ، موضع أوّل بيت وضعه الله في الأرض .

* ذكر من قال ذلك :

٧٤٣٣ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد،عن قتادة : ذُكر لنا أن البيتَ هبط مع آدم حين هبط ، قال: أهبِط معك بيتي يُطاف حوله كما يطاف حول عرشي . فطاف حوله آدم ومن كان بَعده من المؤمنين ، حتى إذا كان، زمنُ الطوفان، زَمنَ أغرقَ الله قوم نوح، رَفعه الله وطهَّره من أن يصيبه عُقوبة أهل الأرض ، فصار معموراً في السماء . ثم إنّ إبراهيم تتبع منه أثراً بعد ذلك ، فبناه على أساسٍ قديم كان قَبله .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك ما قال جل ثناؤه فيه : إن أول بيت مباركٍ وهُدًى وُضع للناس ، للذى ببكة . ومعنى ذلك : « إن أول بيت وُضع للناس » ، أى : لعبادة الله فيه = « مباركاً وهدًى » ، يعنى بذلك : ومآباً لنُسُك الناسكين وطواف الطائفين ، تعظيماً لله وإجلالاً له = « للذى ببكة » = لصحة الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذلك ، ما : —

٧٤٣٤ — حدثنا به محمد بن المثنى قال ، حدثنا ابن أبى عدى ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن إبراهيم التيمى ، عن أبيه ، عن أبى ذر قال ، قلت : يا رسول الله ، أىُّ مسجد وضع أوّل ؟ قال : المسجدُ الحرام . قال : ثم أىٌّ ؟ قال : المسجد الأقصى . قال : كم بينهما ؟ قال : أربعون سنة .(١)

* * *

فقد بين هذا الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ المسجد الحرام هو أوّل مسجد وضعَه الله فى الأرض ، على ما قلنا . فأما فى موضعه بيتاً ، بغير معنى بيتٍ للعبادة والهدى والبركة ،(٢) ففيه من الاختلاف ما قد ذكرت بعضَه فى هذا الموضع ، وبعضه فى سورة البقرة وغيرها من سُور القرآن ، وبينتُ الصواب من القول عندنا فى ذلك ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .(٣)

* * *

---

(١) الحديث : ٧٤٣٤ — سليمان : هو الأعمش .
إبرهيم التيمى : هو إبرهيم بن يزيد بن شريك . مضى هو وأبوه فى : ٢٩٩٨ .
والحديث رواه أحمد فى المسند ٥ : ١٦٦ — ١٦٧ (حلبى) ، عن محمد بن جعفر ، عن شعبة ، به ، بزيادة فى آخره .
ورواه أيضاً ٥ : ١٥٠ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦٠ (حلبى) ، بأسانيد ، عن الأعمش ، مطولا .
وكذلك رواه مسلم ١ : ١٤٦ — ١٤٧ ، من طريق على بن مسهر ، عن الأعمش .
وذكره ابن كثير ٢ : ١٩٠ ، من رواية المسند (٥ : ١٥٠) ، ثم قال : « وأخرجه البخارى ، ومسلم — من حديث الأعمش ، به » .
وذكره السيوطى ٢ : ٥٢ ، وزاد نسبته لابن أبى شيبة ، وعبد بن حميد ، والبيهقى فى الشعب .
(٢) فى المطبوعة : « فأما فى وضعه بيتاً . . . » ، غيروا ما فى المخطوطة وهو صواب .
(٣) انظر ما سلف ٣ : ٥٧ — ٦٤ .

وأما قوله : « للذى ببكة مباركاً » ، فإنه يعنى : للبيت الذى بمُزْدَحم الناس لطوافهم فى حجهم وعُمَرهم .

* * *

وأصل « البكّ » الزحم ، يقال : منه : « بكّ فلانٌ فلاناً » إذا زحمه وصدمه — « فهو يَبُكه بَكًّا ، وهم يتباكُّون فيه » ، يعنى به : يتزاحمون ويتصادمون فيه . فكأن «بَكَّة» «فَعْلة» من « بَكّ فلان فلاناً» زحمه ، سُميت البقعة بفعل المزدحمين بها .

* * *

فإذ كانت « بكة » ما وصفنا ، وكان موضع ازدحام الناس حَوْل البيت ، وكان لا طوافَ يجوز خارج المسجد = كان معلوماً بذلك أن يكون ما حَوْل الكعبة من داخل المسجد ، وأن ما كان خارجَ المسجد فمكة ، لا « بكة » . لأنه لا معنى خارجَه يوجب على الناس التَّباكَّ فيه . وإذْ كان ذلك كذلك ، كان بيّناً بذلك فسادُ قول من قال : « بكة » اسم لبطن « مكة » ، ومكة اسم للحرم .(١)

* * *

* ذكر من قال فى ذلك ما قلنا : من أن « بكة » موضع مزدحم الناس للطواف :

---

(١) انتهى جزء من التقسيم القديم ، وفى المخطوطة ما نصه :

« يتلوه ذكر مَنْ قال فى ذلك ما قُلنا من أن بكة
موضع مزدحم الناس للطواف
والحمد لله على عونه وإحسانه ، وصلى الله على محمد
وآله الطاهرين وسلم تسليمًا »

ثم يتلو ما نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم
ربّ يَسِّر

أخبرنا أبو بكر محمد بن داود بن سليمان البغدادى قال
حدثنا محمد بن جرير »

فأعاد إسناد المخطوطة التى نقل عنها ، كما سلف فى تعليقنا ٦ : ٤٩٥ ، ٤٩٦ رقم : ٥ ، وهذا هو الموضع الثانى لذكر هذا الإسناد الجديد .

٧٤٣٥ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم ، عن حصين، عن أبي مالك الغفاري في قوله : « إن أوّل بيت وضع للناس للذي ببكة » ، قال : « بكة » موضع البيت ، « ومكة » ما سوى ذلك . ٨/٤

٧٤٣٦ – حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا مغيرة، عن إبراهيم مثله.

٧٤٣٧ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن أبي جعفر قال : مرّت امرأة بين يدي رجل وهو يصلي وهي تطوف بالبيت ، فدفعها . قال أبو جعفر : إنها بَكّةُ ، يبكّ بعضُها بعضاً .

٧٤٣٨ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا عبد الصمد قال ، حدثنا شعبة قال ، حدثنا سلمة ، عن مجاهد قال : إنما سميت « بكة » ، لأن الناس يتباكُّون فيها ، الرجالَ والنساءَ .

٧٤٣٩ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن حماد ، عن سعيد قال : قلت : لأيّ شيء سُميت « بكة » ؟ قال : لأنهم يتباكُّون فيها = قال : يعني : يزدحمون .(١)

٧٤٤٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن الأسود بن قيس، عن أبيه، عن ابن الزبير قال : إنما سميت « بكة »، لأنهم يأتونها حُجّاجاً.(٢)

٧٤٤١ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إنّ أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً » ،فإن الله بَكّ به الناس جميعاً ، فيصلي النساءُ قدّام الرجال ، ولا يصلح ببلد غيره .

٧٤٤٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « بكة »، بكّ الناس بعضُهم بعضاً ، الرجال والنساء ، يصلي بعضُهم بين يدَيْ بعض ، لا يصلح ذلك إلاّ بمكة .

---

(١) في المطبوعة : « يتزاحمون » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) الأثر : ٧٤٤٠ – « الأسود بن قيس العبدي » ، روى عن أبيه وجماعة ، وروى عنه شعبة والثوري وشريك وغيرهم . وأبوه : « قيس العبدي » الكوفي ، مترجم في الكبير ٤/١/١٤٩ . وكان في المطبوعة والمخطوطة : « عن أخيه » ، وهو تصحيف والصواب ما أثبت .

٧٤٤٣ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية العوفي قال : « بكة » ، موضع البيت ، و « مكة » ، ما حولها .

٧٤٤٤ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني يحيى بن أزهر ، عن غالب بن عبيد الله : أنه سأل ابن شهاب عن « بكة » ، قال : « بكة » البيتُ والمسجد . وسأله عن « مكة » ، فقال ابن شهاب : « مكة » ، الحرمُ كله .

٧٤٤٥ – حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حجاج ، عن عطاء ومجاهد قالا : « بكة » ، بكّ فيها الرجالَ والنساءَ .

٧٤٤٦ – حدثني عبد الجبار بن يحيى الرملي قال : قال ضمرة بن ربيعة ، « بكة » المسجد ، و « مكة » ، البيوت .(١)

* * *

وقال بعضهم بما : –

٧٤٤٧ – حدثني به يحيى بن أبي طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك في قوله : « إن أوّل بيت وُضع للناس للذي ببكة » ، قال : هي مكة .

* * *

وقيل : « مباركاً » ، لأنّ الطواف به مغفرةٌ للذّنوب .(٢)

* * *

فأما نصب قوله : « مباركاً » ، فإنه على الخروج من قوله : « وضع » ، لأن في « وضع » ذكراً من « البيت » هو به مشغول ، وهو معرفة ، و« مبارك » نكرة ، لا يصلح أن يتبعه في الإعراب .(٣)

* * *

---

(١) الأثر : ٧٤٤٦ – « عبد الجبار بن يحيى الرملي » شيخ الطبري ، مضى برقم : ٧٤٢٥ .

(٢) هذا كلام الفراء في معاني القرآن ١ : ٢٢٧ .

(٣) « الخروج » هنا ، كأنه الحال ، وقد سلف في ٥ : ٢٥٣ ، ٢٥٤ ما يشبه أن يكون أيضاً بمعنى الحال . وانظر ما سلف ٦ : ٥٨٦ « أن الحال يجيء بعد فعل قد شغل بفاعله ، فينصب كما ينصب المفعول الذي يأتي بعد الفعل الذي شغل بفاعله » .

وأما على قول من قال : « هو أول بيت وضع للناس » ، على ما ذكرنا فى ذلك قولَ من ذكرنا قوله ، فإنه نصبٌ على الحال من قوله : « للذى ببكة » . لأن معنى الكلام على قولهم : إن أول بيت وضع للناس البيتُ [الذى] ببكة مباركاً . فـ « البيت » عندهم من صفته « الذى ببكة » ، و « الذى » بصلته معرفته ، و « المبارك » نكرة ، فنصب على القطع منه ، فى قول بعضهم = وعلى الحال فى قول بعضهم[1] = « وهدى » فى موضع نصب على العطف على قوله : « مباركاً » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[2]

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأه قرأة الأمصار : ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ على جماع « آية » ، بمعنى : فيه علامات بيناتٌ .

* * *

وقرأ ذلك ابن عباس : ﴿ فِيهِ آيَةٌ بَيِّنَةٌ ﴾ ، يعنى بها : مقام إبراهيم ، يراد بها : علامة واحدةٌ .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « فيه آيات بينات » ، وما تلك الآيات ؟

فقال بعضهم : مقامُ إبراهيم والمشعرُ الحرام ونحو ذلك .

* ذكر من قال ذلك :

٧٤٤٨ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ،

---

(١) « القطع » كأنه باب من الحال ، انظر ما سلف ٦ : ٢٧٠ ، ٣٧١ ، ٤١٥ وما قبلها فى فهرس المصطلحات من الأجزاء السالفة .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة ، لم يكن « مقام إبراهيم » ، وأثبت تمام التلاوة .

حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « فيه آيات بينات » ، مقامُ إبراهيم والمشعر .

٧٤٤٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة ومجاهد : « فيه آيات بينات مَقامُ إبراهيم » ، قال : مقامُ إبراهيم ، من الآيات البينات .(١)

* * *

وقال آخرون : « الآيات البينات » ، مقام إبراهيم = « ومن دخله كان آمناً » .

* ذكر من قال ذلك :

٧٤٥٠ – حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفي قال ، حدثنا عباد ، عن الحسن في قوله : « فيه آيات بينات » ، قال : « مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً » .

وقال آخرون : « الآيات البينات » ، هو مقام إبراهيم .

* ذكر من قال ذلك :

٧٤٥١ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قوله : « فيه آيات بَينات مقام إبراهيم » ، أما « الآيات البينات » فمقام إبراهيم .

* * *

قال أبو جعفر : وأما الذين قرأوا ذلك : « فيه آية بينة » على التوحيد ، فإنهم ٩/٤
عنوا بـ « الآية البينة » ، مقام إبراهيم .

* ذكر من قال ذلك :

٧٤٥٢ – حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي

---

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « إسحق بن يحيى » ، والصواب « الحسن بن يحيى » ، وهو إسناد يدور دوراناً في التفسير أقربه رقم : ٧٤٤٢ .

نجيح ، عن مجاهد : « فيه آية بينة »،[١] قال : قدَماهُ فى المقام آية بينة . يقول : « ومن دخله كان آمناً » ، قال : هذا شيء آخر .

٧٤٥٣ — حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن ليث ، عن مجاهد : « فيه آية بينة مقام إبراهيم » ، قال : أثرُ قدميه فى المقام ، آية بينة .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى تأويل ذلك بالصواب ، قولُ من قال : « الآيات البينات ، منهنّ مقام إبراهيم » ، وهو قول قتادة ومجاهد الذى رواه معمر عنهما . فيكون الكلام مراداً فيه « منهن » ، فترك ذكرُه اكتفاء بدلالة الكلام عليها .

* * *

فإن قال قائل : فهذا المقامُ من الآيات البينات ، فما سائر الآيات التى من أجلها قيل : « آيات بينات » ؟

قيل : منهنّ المقام ، ومنهن الحجرُ ، ومنهن الحطيمُ .

* * *

وأصحّ القراءتين فى ذلك قراءة من قرأه :[٢] « فيه آياتٌ بيناتٌ » على الجماع ، لإجماع قرأة أمصار المسلمين على أن ذلك هو القراءة الصحيحة دون غيرها .

* * *

وأما اختلاف أهل التأويل فى تأويل : « مقام إبراهيم » ، فقد ذكرناهُ فى « سورة البقرة » ، وبينا أولى الأقوال بالصواب فيه هنالك ، وأنه عندنا المقامُ المعروف به .[٣]

* * *

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « فيه آيات بينات » ، وهو هنا يذكر قول مجاهد فى قراءة ابن عباس على الإفراد ، فكتبها الناسخ على قراءته بالجمع . ورددتها إلى ما ينبغى ، ودليل ذلك السهو من الناسخ فى الأثر التالى .

(٢) فى المطبوعة : « من قرأ » . وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) انظر ما سلف ٣ : ٣٣ — ٣٧ .

فتأويل الآية إذاً : إنّ أول بيت وُضع للناس مباركاً وهدًى للعالمين ، للّذى ببكة ، فيه علاماتٌ بيناتٌ من قدرة الله وآثار خليله إبراهيم ، منهن أثر قَدَم خليله إبراهيم صلى الله عليه وسلم فى الحجر الذى قامَ عليه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا ﴾

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : تأويله : الخبرُ عن أنّ كل من جرّ فى الجاهلية جريرةً ثم عاذَ بالبيت ، لم يكن بها مأخوذاً .

* ذكر من قال ذلك :

٧٤٥٤ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ومن دخله كان آمناً » ، وهذا كان فى الجاهلية ، كان الرّجل لو جرّ كل جريرة على نفسه ، ثم لجأ إلى حَرَم الله ، لم يُتناول ولم يُطلب . فأما فى الإسلام فإنه لا يمنع من حدود الله ، مَنْ سَرَق فيه قُطع ، ومن زَنى فيه أقيمَ عليه الحدّ ، ومن قَتَل فيه قُتل = وعن قتادة : أن الحسن كان يقول : إنّ الحرم لا يمنع من حدود الله . لو أصاب حدًّا فى غير الحرم ، فلجأ إلى الحرم ، لم يمنعه ذلك أن يُقام عليه الحدّ .

* * *

* ورأى قتادةُ ما قاله الحسن .

٧٤٥٥ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قوله : « ومن دخله كان آمناً » ، قال : كان ذلك فى الجاهلية .

فأما اليوم ، فإن سرق فيه أحدٌ قطع ، وإن قتل فيه قُتل ، ولو قُدِر فيه على المشركين قُتِلوا .

٧٤٥٦ — حدثنا سعيد بن يحيى الأموى قال ، حدثنا عبد السلام بن حرب قال ، حدثنا خصيف ، عن مجاهد = فى الرجل يقتل ثم يدخل الحرم = قال : يؤخَذ ، فيخرج من الحرم ، ثم يقام عليه الحد . يقول : القتل .

٧٤٥٧ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن حماد ، مثل قول مجاهد .

٧٤٥٨ — حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ، حدثنا ابن إدريس قال ، أخبرنا هشام ، عن الحسن وعطاء = فى الرجل يصيب الحدّ ويلجأ إلى الحرم = يُخرج من الحرم ، فيقامُ عليه الحد .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الآية على قول هؤلاء : فيه آيات بينات مقامُ إبراهيم ، والذى دخله من الناس كان آمناً بها فى الجاهلية .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : ومن يَدْخله يكن آمناً بها = بمعنى الجزاء ، كنحو قول القائل : « من قامَ لى أكرمته » ، بمعنى : من يَقم لى أكرمه . وقالوا : هذا أمرٌ كان فى الجاهلية ، كان الحرمُ مَفزَع كل خائف . وملجأ كل جانٍ ، لأنه لم يكن يُهاجُ به ذو جريرة ، ولا يَعرِض الرّجل فيه لقاتل أبيه وابنه بسوء. قالوا : وكذلك هو فى الإسلام ، لأن الإسلام زادَه تعظيماً وتكريماً .

* ذكر من قال ذلك :

٧٤٥٩ — حدثنى محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب قال ، حدثنا عبد الواحد ابن زياد قال ، حدثنا خصيف قال ، حدثنا مجاهد قال ، قال ابن عباس : إذا أصاب الرجل الحدّ : قتل أو سرق ، فدخل الحرم ، لم يُبايع ولم يُؤوَ ، حتى يتبرّم فيخرج من الحرم ، فيقام عليه الحد . قال : فقلت لابن عباس : ولكنى لا أرَى

ذلك ! أرى أن يؤخذ برُمّته ،[١] ثم يخرج من الحرَم ، فيقام عليه الحد ، فإن الحرم لا يزيده إلاّ شدّة .

٧٤٦٠ – حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ، حدثنا ابن إدريس قال ، حدثنا عبد الملك ، عن عطاء قال : أخذَ ابن الزبير سعداً مولى معاوية – وكان في قلعة بالطائف – فأرسل إلى ابن عباس من يُشاوره فيهم : إنهم لنا عَدوّ .[٢] فأرسل إليه ابن عباس : لو وجدت قاتل أبي لم أعرض له . قال : فأرسل إليه ابن الزبير : ألا نخرجهم من الحرم ؟ قال : فأرسل إليه ابن عباس : أفلا قبل أن تدخلهم الحرم ؟ = زاد أبو السائب في حديثه : فأخرجهم فصلبهم ، ولم ينظر إلى قول ابن عباس .[٣]

٧٤٦١ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حجاج ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : من أحدَث حدَثاً في غير الحرم ، ثم لجأ إلى الحرم لم يُعرَض له ، ولم يبايع ، ولم يكلَّم ، ولم يؤوَ ، حتى يخرج من الحرم . فإذا خرج من الحرم ، أخيذ فأقيم عليه الحد . قال : ومن أحدث في الحرم حدَثاً أقيم عليه .[٤]

---

(١) الرمة (بضم الراء وتشديد الميم المفتوحة) : قطعة حبل يشد بها الأسير أو القاتل إذا قيد إلى القتل للقود . وقوله : أخذ برمته (بالبناء للمجهول) : أي أخذ قسراً حتى يقتل .

(٢) في المطبوعة « لنا عين » ، ولا معنى لها . وفي المخطوطة : « لنا عرق » ، ولم أجد لها وجهاً ، وهي مصحفة ، فرأيت أن أقرب ذلك إليها « عدو » فأثبتها ، مع مخافتي أن لا تكون كذلك .

(٣) في المطبوعة : « ولم يصغ إلى قول ابن عباس » ، وفي المخطوطة « لم ينطق إلى قول ابن عباس » وهي لا معنى لها ، وهي مصحفة ، وأقرب ما يكون صوابها ، هو ما أثبته .

هذا ولم أجد هذا الأثر في مكان بعد الجهد ، وقد أشاروا إلى خبر ابن عباس وابن الزبير في كثير من الكتب ، ولكنهم لم يأتوا فيه بهذا النص . وقد روى الأزرقي في أخبار مكة ٢ : ١١١ معنى هذا الأثر فقال : « حدثنا أبو الوليد ، قال حدثني جدي ، عن سعيد بن سالم ، عن ابن جريج ، عن عطاء : أنكر ابن عباس قتل ابن الزبير سعداً مولى عتبة وأصحابه . . . » ولم يقل « مولى معاوية » . وأخشى أن يكون « مولى عتبة » ، يعني : عتبة بن أبي سفيان . وقد ذكر الطبري سعداً مولى معاوية في تاريخه ٦ : ١٨٣ ، ١٨٤ فقال : « وكان على حجابه سعد مولاه » . وهذا يحتاج إلى تحقيق لم يتيسر لي عند كتابة هذا . فأرجو أن أبلغ منه ما أريد إن شاء الله .

(٤) في المطبوعة : « أقيم عليه الحد » ، زاد « الحد » ، وأثبت ما في المخطوطة ، فهو صواب .

٧٤٦٢ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا إبراهيم بن إسمعيل بن نَصر السُّلمى، عن ابن أبى حبيبة ، عن داود بن حصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال : من أحدث حدَثاً ثم استجار بالبيت فهو آمن ، وليس للمسلمين أن يعاقبوه على شىء إلى أن يخرج . فإذا خَرَج أقاموا عليه الحدّ .(١)

٧٤٦٣ – حدثنى يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، حدثنا حجاج ، عن عطاء عن ابن عمر قال : لو وجدتُ قاتل عمر فى الحرَم ، ما هِجْتُه .

٧٤٦٤ – حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا، حدثنا ابن إدريس قال ، حدثنا ليث ، عن عطاء : أن الوليد بن عتبة أرادَ أن يُقيم الحدّ فى الحرم ، فقال له عُبيد بن عمير : لا تقم عليه الحد فى الحرَم ، إلا أن يكون أصابه فيه .

٧٤٦٥ – حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا، حدثنا ابن إدريس قال ، أخبرنا مطرف ، عن عامر قال : إذا أصاب الحدّ ثم هرب إلى الحرم ، فقد أمن . فإذا أصابه فى الحرم ، أقيم عليه الحدُّ فى الحرم .

٧٤٦٦ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا سفيان ، عن فراس ، عن الشعبى قال : من أصاب حدًّا فى الحرم أقيم عليه فى الحرم . ومن أصابه خارجاً من الحرم ثم دخل الحرم، لم يكلَّم ولم يبايع حتى يخرج من الحرم ، فيقام عليه .

٧٤٦٧ – حدثنا سعيد بن يحيى الأموى قال، حدثنا عبد السلام بن حرب قال ، حدثنا عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير= وعن عبد الملك، عن عطاء ابن أبى رباح = فى الرجل يقتل ثم يدخل الحرم = قال : لا يبيعه أهلُ مكة ولا يشترون منه ، ولا يسقونه ولا يطعمونه ولا يؤونه = عدّ أشياء كثيرة = حتى

---

(١) الأثر : ٧٤٦٢ – « إبراهيم بن إسماعيل بن نصر السلمى » هو التبان ، مضى فى مثل هذا الإسناد رقم : ٣٤٣٩ ، ٣٤٨٤ ، ٣٥٢١ . « وابن أبى حبيبة » ، هو إبراهيم بن إسماعيل بن أبى حبيبة الأشهل . مضى فيها وفى رقم : ٤٣١٩ .

يخرج من الحرَم ، فيؤخذ بذنبه .

٧٤٦٨ – حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أنّ الرجل إذا أصاب حدثاً ثم دخل الحرم، أنه لا يُطعَم، ولا يُسقَى، ولا يؤوَى، ولا يكلَّم، ولا يُنكح، ولا يبايع . فإذا خرج منه أقيم عليه الحد .

٧٤٦٩ – حدثني المثنى قال، حدثني حجاج قال، حدثنا حماد ، عن عمرو ابن دينار ، عن ابن عباس قال : إذا أحدث الرجل حدَثاً ثم دخل الحرم ، لم يُؤْوَ ، ولم يجالس ، ولم يبايع ، ولم يطعَم ، ولم يُسْقَ ، حتى يخرج من الحرَم .

٧٤٧٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا حجاج قال ، حدثنا حماد ، عن عطاء ابن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس مثله .

٧٤٧١ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى: أما قوله : « ومن دخله كان آمناً » ، فلو أنّ رجلا قتلَ رجلاً ، ثم أتى الكعبة فعاذَ بها ، ثم لقيه أخو المقتول لم يحلّ له أبداً أن يقتله .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : ومن دخله يَكن آمناً من النار .

* ذكر من قال ذلك :

٧٤٧٢ – حدثنا على بن مسلم قال، حدثنا أبو عاصم قال ، أخبرنا رزيق ابن مسلم المخزومى قال ، حدثنا زياد بن أبي عياش، عن يحيى بن جعدة فى قوله : « ومن دخله كان آمناً » ، قال : آمناً من النار .[1]

* * *

(١) الخبر : ٧٤٧٢ – هذا أثر ليس بحجة فى نفسه على أحد . هو قول فى معنى الآية قاله تابعى ، رأى من الآراء . فإن يحيى بن جعدة بن هبيرة القرشى المخزومى : تابعى ثقة . ولكنه فى هذا الخبر لم يرو شيئاً عن غيره .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك عندنا بالصواب ، قول ابن الزبير ومجاهد والحسن ، ومن قال : « معنى ذلك : ومن دخله من غيره ممن لجأ إليه عائذاً به ، كان آمناً ما كان فيه ، ولكنه يُخرج منه فيقام عليه الحد ، إن كان أصاب ما يستوجبه فى غيره ثم لجأ إليه . وإن كان أصابه فيه أقيمَ عليه فيه » .

* * *

فتأويل الآية إذاً : فيه آيات بينات مقامُ إبراهيم ، ومن يدخله من الناس مستجيراً به ، يكن آمناً مما استجارَ منه ما كان فيه ، حتى يخرج منه .

* * *

فإن قال قائل : وما منعك من إقامة الحد عليه فيه ؟

١١/٤ قيل : لاتفاق جميع السلف على أنّ من كانت جريرته فى غيره ثم عاذ به ،

إنما المشكل هنا رجال الإسناد !

رزيق بن مسلم المخزومى : هكذا ثبت هنا فى المطبوعة والمخطوطة ، ولكن المخطوطة لم تنقط فيها الزاى ، فاحتمل أن يكون « رزيق » بتقديم الراء ، أو « زريق » بتقديم الزاى . ووقع فى ابن كثير ٢ : ١٩٣ ، نقلا عن إسناد هذا الأثر من تفسير ابن أبى حاتم « زريق بن مسلم الأعمى مولى بنى مخزوم » — بتقديم الزاى . وليست مطبوعة ابن كثير بعمدة فى التصحيح .

ولم أجد لهذا الرجل ترجمة بعد طول البحث والعناء . إلا أن الحافظ الذهبى فرق فى المشتبه ، ص : ٢٢٠ — ٢٢٤ بين تقديم الراء وتأخيرها فى هذا الرسم ، مستوعباً كل الأعلام فيه أو يكاد . وتبعه الحافظ فى تحرير المشتبه (مخطوط) . وزاد عليه ما فاته . فقال الذهبى — فى تقديم الراء — : « ورزيق بن هشام ، عن زياد بن أبى عياش » . ثم ذكر آخر ، ثم قال : « ورزيق الأعمى ، عن أبى هريرة . واه » . وهذا الواهى مترجم بإيجاز فى لسان الميزان .

ولم أستطع الجزم بأن هذين أو أحدهما هو المذكور فى هذا الإسناد . فإن اتفاق روايتى الطبرى وابن أبى حاتم على تسميته « رزيق بن مسلم » — يبعد معه الظن بتحريفه عن « رزيق بن هشام » . ولكن اتفاق اسم شيخه عند ابن أبى حاتم مع ما ذكره الذهبى يكاد يرجح أنه هو .

وأما ترجيح أنه بتقديم الراء ، خلافاً لما ثبت فى مطبوعة ابن كثير ، فرده إلى ارتفاع الثقة بتصحيحها .

وشيخه « زياد بن أبى عياش » : لم أجد له ترجمة أيضاً ، إلا ذكره فى المشتبه والتحرير . وثبت فى مطبوعة الطبرى هنا « زياد بن أبى عياض » ، بالضاد . وهو تحريف ، صوابه ما فى ابن كثير عن إسناد ابن أبى حاتم . وكذلك ثبت فى مخطوطة الطبرى ، ولكن بدون نقط على الشين ، كأنه « عباس » . وهو خطأ واضح ، أو تساهل فى إعجام الحرف . ورجح إعجامه ثبوته بالشين معجمة فى المشتبه والتحرير . وزادنا توثيقاً الحافظ حين نص عليه فى تحرير المشتبه ، فقال فيما زاده على الذهبى استكمالا لمن عرف باسم « عياش » — : « وزياد بن أبى عياش ، عن يحيى بن جعدة » .

فإنه لا يؤخذ بجريرته فيه . وإنما اختلفوا فى صفة إخراجه منه لأخذه بها .

فقال بعضهم : صفة ذلك : منعه المعانىَ التى يضطرّ مع منعه وفقدِه إلى الخروج منه .

وقال آخرون : لا صفة لذلك غيرُ إخراجه منه بما أمكن إخراجه من المعانى التى تُوصِّل إلى إقامة حدّ الله عليه معها .

فلذلك قلنا : غيرُ جائز إقامة الحد عليه فيه إلاّ بعد إخراجه منه . فأما من أصاب الحدّ فيه ، فإنه لا خلاف بين الجميع فى أنه يقامُ عليه فيه الحد . فكلتا المسألتين أصل مُجْمَع على حكمهما على ما وصفنا .

* * *

فإن قال لنا قائل : وما دِلالتك على أن إخراج العائذ بالبيت = إذا أتاه مستجيراً به من جريرة جرّها . أو من حدٍّ أصابه = من الحرم ، جائزٌ لإقامة الحد عليه ، وأخذه بالجريرة ، وقد أقررتَ بأن الله عز وجل قد جَعل من دخله آمناً ، ومعنى « الآمن » غير معنى « الخائف » ؟ فبما هما فيه مختلفان ؟[1]

قيل : قلنا ذلك ، لإجماع الجميع من المتقدمين والمتأخرين من علماء الأمة ، على أنّ إخراج العائذ به = من جريرة أصابها أو فاحشة أتاها وجبتْ عليه بها عقوبة منه = ببعض معانى الإخراج لأخذه بما لزمه ، واجبٌ على إمام المسلمين وأهلِ الإسلام معه .[1]

وإنما اختلفوا فى السبب الذى يُخرَج به منه .

فقال بعضهم : السبب الذى يَجوز إخراجه به منه : ترك جميع المسلمين مبايَعته وإطعامَه وسقيه وإيواءَه وكلامه ، وما أشبه ذلك من المعانى التى لا قَرار للعائذ به

---

(١) فى المطبوعة : « فبما هما فيه مختلفان » ، وفى المخطوطة « فما » غير منقوطة ، وصواب قراءتها ما أثبته ، على الاستفهام . يقول : فبم يختلف معنى الآمن ومعنى الخائف فى الحرم ؟

(٢) سياق هذه الجملة : « . . . على أن إخراج العائذ به . . . ببعض معانى الإخراج . . . واجب على إمام المسلمين . . . » .

فيه مع بعضها ، فكيف مع جميعها ؟

وقال آخرون منهم : بل إخراجه لإقامة ما لزمه من العقوبة ، واجبٌ بكل معانى الإخراج .

= فلما كان إجماعاً من الجميع على أنّ حكم الله — فيمن عاذ بالبيت من حدّ أصابه أو جريرة جرّها — إخراجه منه ، لإقامة ما فرض الله على المؤمنين إقامته عليه ، ثم اختلفوا فى السبب الذى يَجوز إخراجُه به منه = كان اللازم لهم ولإمامهم إخراجه منه بأىّ معنى أمكنهم إخراجه منه ، حتى يقيموا عليه الحدّ الذى لزمه خارجاً منه إذا كان لجأ إليه من خارج ، على ما قد بينا قبل .

* * *

وبعدُ ، فإن الله عز وجل لم يضع حدًّا من حُدُوده عن أحد من خلقه من أجل بُقعة وموضع صار إليها من لزمه ذلك ، وقد تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

٧٤٧٣ — « إنى حرمت المدينة كما حرّم إبراهيم مكة » .(١)

* * *

= ولا خلاف بين جميع الأمة أنّ عائذاً لو عَاذَ من عقوبة لزمته بحرَم النبى صلى الله عليه وسلم ، يؤاخذ بالعقوبة فيه . ولولا ما ذكرت من إجماع السلف على أنّ حرَم إبراهيم لا يقام فيه على من عاذَ به من عقوبة لزمته حتى يخرج منه ما لزمه ، لكان أحقّ البقاع أن تؤدّى فيه فرائض الله التى ألزمها عبادَه من قتل أو غيره ، أعظم البقاع إلى الله ، كحرم الله وحرَم رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولكنا أمرنا بإخراج من أمرنا بإخراجه من حَرَم الله لإقامة الحد ، لما ذكرنا من فعل الأمة ذلك وراثةً .

* * *

---

(١) الأثر : ٧٤٧٣ — رواه أبو جعفر بغير إسناد ، وهو حديث صحيح ، ولفظه فى مسلم : ٩ : ١٣٤ والبخارى (الفتح ٤ : ٢٩٠) .

فمعنى الكلام = إذ كان الأمر على ما وصفنا = : ومن دخله كان آمناً ما كان فيه . فإذ كان ذلك كذلك ، فمن لجأ إليه من عقوبة لزمته عائذاً به ، ، فهو آمن ما كان به حتى يخرج منه ، وإنما يصير إلى الخوف بعد الخروج أو الإخراج منه ، فحينئذ هو غيرُ داخله ولا هو فيه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وفرضٌ واجبٌ لله = على من استطاع من أهل التكليف السبيلَ إلى حجّ بيته الحرام = الحج إليه .

* * *

وقد بينا فيما مضى معنى « الحج » ، ودللنا على صحة ما قلنا من معناه ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .(١)

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله عز وجل : « من استطاع إليه سبيلاً » ، وما السبيل التى يجبُ مع استطاعتها فرض الحج ؟

فقال بعضهم : هى الزّاد والراحلة .

* ذكر من قال ذلك :

٧٤٧٤ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا محمد بن بكر قال، أخبرنا ابن جريج قال ، قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: « من استطاع إليه سبيلا »، قال : الزاد والراحلة .

٧٤٧٥ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا محمد بن بكر قال ، أخبرنا ابن

---

(١) انظر ما سلف ٣ : ٢٢٨ ، ٤/٢٢٩ : ٢١ .

جريج قال ، قال عمرو بن دينار : الزاد والراحلة .

٧٤٧٦ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن أبي جناب ، عن الضحاك ، عن ابن عباس في قوله : « من استطاع إليه سبيلاً » ، قال : الزاد والبعير .(١)

٧٤٧٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » ، والسبيل ، أن يصحّ بدن العبد ، ويكون له ثمن زاد وراحلة من غير أن يُجْحف به . ١٢/٤

٧٤٧٨ – حدثنا خلاد بن أسلم قال ،حدثنا النضر بن شميل قال ، أخبرنا إسرائيل ، عن أبي عبد الله البجلي قال : سألت سعيد بن جبير عن قوله : « من استطاع إليه سبيلاً » ، قال قال ابن عباس: من ملك ثلثمئة درهم فهو السبيل إليه .

٧٤٧٩ – حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن إسحق بن عثمان قال : سمعت عطاء يقول : السبيلُ ، الزاد والراحلة .

٧٤٨٠ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدي : أما « من استطاع إليه سبيلا » ، فإن ابن عباس قال : السبيلُ ، راحلةٌ وزادٌ .

٧٤٨١ – حدثني المثنى وأحمد بن حازم قالا، حدثنا أبو نعيم قال، حدثنا سفيان، عن محمد بن سوقة ، عن سعيد بن جبير : « من استطاع إليه سبيلا» ، قال : الزاد والراحلة .

---

(١) الأثر : ٧٤٧٦ – « أبو جناب الكلبي ». هو «يحيى بن أبي حية»، واسم « أبي حية » حي. روى عن أبيه ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، والضحاك بن مزاحم ، والحسن البصري وغيرهم . روى عنه الثوري ، وابن عيينة ، وهشيم ، ووكيع وغيرهم . فتكلم فيه لأنه كان يدلس فأفسد أحاديثه ، كان يحدث بما لم يسمع . مترجم في التهذيب . وكان في المطبوعة : « أبو خباب » ، وهو خطأ ، وفي المخطوطة : « أبو خباب » غير منقوطة .

٧٤٨٢ – حدثنا أحمد بن حازم قال، حدثنا أبو نعيم قال ، أخبرنا الربيع ابن صبيح، عن الحسن ، قال : الزادُ والراحلة .

٧٤٨٣ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير، عن منصور، عن الحسن قال : قرأ النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية : « ولله على الناس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً » ، فقال رجلٌ : يا رسول الله ، ما السبيل ؟ قال : الزاد والراحلة .

* * *

واعتل قائلو هذه المقالة بأخبار رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو ما قالوا فى ذلك .

* ذكر الرواية بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

٧٤٨٤ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا إبراهيم بن يزيد الخوزى قال : سمعت محمد بن عباد بن جعفر يحدث ، عن ابن عمر قال : قام رجلٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما السبيل ؟ قال : الزاد والراحلة .(١)

---

(١) الحديث : ٧٤٨٤ – إبرهيم بن يزيد المكى الخوزى : ضعيف جداً . ضعفه أحمد ، وابن معين ، وأبو زرعة ، وأبو حاتم ، وغيرهم .

« الخوزى » بضم الخاء المعجمة : نسبة إلى « شعب الخوز بمكة » ، كما فى اللباب وغيره .

محمد بن عباد بن جعفر المخزومى المكى : تابعى ثقة .

والحديث جزء من حديث مطول، رواه الترمذى ٤ : ٨١ – ٨٢ ، عن عبد بن حميد ، عن عبد الرزاق ، بهذا الإسناد . وقال : « هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث إبرهيم بن يزيد الخوزى المكى . وقد تكلم بعض أهل العلم فى إبرهيم بن يزيد من قبل حفظه » .

ورواه قبل ذلك ٢ : ٧٩ ، مختصراً ، من طريق وكيع ، عن إبرهيم بن يزيد ، بهذا الإسناد . وقال : « هذا حديث حسن » . ثم ذكر علته بإبرهيم الخوزى .

ورواه الشافعى فى الأم ٢ : ٩٩ – مطولا – عن سعيد بن سالم ، عن إبرهيم الخوزى . وأشار إلى ضعف إسناده . ومن طريقه رواه البيهقى فى السنن الكبرى ٤ : ٣٣٠ .

ورواه ابن ماجة : ٢٨٩٦ – مطولا أيضاً – من طريق وكيع ، عن إبرهيم الخوزى .

وسيأتى عقب هذا ، من رواية أبى حذيفة ، عن سفيان ، وهو الثورى ، عن إبرهيم الخوزى .

وكذلك رواه البيهقى ٤ : ٣٢٧ ، من طريق ثلاثة أحدهم أبو حذيفة ، عن سفيان .

٧٤٨٥ – حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا سفيان ، عن إبراهيم الخوزى ، عن محمد بن عباد ، عن ابن عمر : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فى قوله عز وجل : « من استطاع إليه سبيلا » ، قال : السبيل إلى الحج ، الزاد والراحلة .(١)

٧٤٨٦ – حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا بشر بن المفضل قال، حدثنا يونس = وحدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن يونس = عن الحسن قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً » ، قالوا : يا رسول الله ، ما السبيل ؟ قال : الزادُ والراحلة .(٢)

وذكره السيوطى ٢ : ٥٥ – ٥٦ ، مطولا ، وزاد نسبته لابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن عدى ، وابن مردويه .

وذكره ابن كثير ٢ : ١٩٥ – ١٩٦ ، من رواية الترمذى المطولة . ثم أشار إلى روايته الأخرى ، وإلى رواية ابن ماجة . ثم قال : « لا يشك أن هذا الإسناد رجاله كلهم ثقات ، سوى الخوزى هذا ، وقد تكلموا فيه من أجل هذا الحديث . لكن قد تابعه غيره » . ثم ذكره من رواية ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن عبد العزيز بن عبد الله العامرى ، عن محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثى ، عن محمد ابن عباد بن جعفر ، عن عبد الله بن عمر – بهذا الحديث نحوه ، مختصراً . ثم ذكر أنه « رواه ابن مردويه ، من رواية محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير ، به » .

وهذا الإسناد الآخر الذى نقله ابن كثير عن ابن أبي حاتم وابن مردويه – ضعيف أيضاً :

محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثى المكى : ضعيف جداً . قال البخارى فى الكبير ١/١/١٤٢ : « ليس بذاك الثقة » . وروى ابن أبي حاتم ٣/٢/٣٠٠ عن ابن معين قال : « ليس حديثه بشيء » . وقال النسائى فى الضعفاء ، ص ٢٦ : « متروك الحديث » . وانظر ترجمته فى لسان الميزان ٥ : ٢١٦ – ٢١٧ .

وانظر الأحاديث الآتية : ٧٤٨٥ – ٧٤٩١ .

وانظر أيضاً قول الطبرى ، الآتى ، ص : ٤٥ ، « أنها أخبار فى أسانيدها نظر ، لا يجوز الاحتجاج بمثلها فى الدين » .

(١) الحديث : ٧٤٨٥ – أبو حذيفة : هو النهدى البصرى ، موسى بن مسعود . وقد مضى توثيقه : ٢٨٠ ، ١٦٩٣ .

سفيان : هو الثورى .

والحديث مكرر ما قبله . وقد بينا هناك أن البيهقى رواه ٤ : ٣٢٧ ، من طريق أبي حذيفة – هذا – وغيره ، عن الثورى .

(٢) الحديث : ٧٤٨٦ – هذا حديث مرسل عن الحسن البصرى .

٧٤٨٧ – حدثنا أبو عثمان المقدمى والمثنى بن إبراهيم قالا ، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال ، حدثنا هلال بن عبد الله مولى ربيعة بن عمرو بن مسلم الباهلى قال ، حدثنا أبو إسحق ، عن الحارث ، عن على ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من ملك زاداً وراحلةً تبلغه إلى بيت الله فلم يحجّ ، فلا عليه أن يموتَ يهوديًّا أو نصرانيًّا . وذلك أن الله عز وجل يقول فى كتابه : « ولله على الناس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً » الآية .(١)

٧٤٨٨ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ،

وقد رواه الطبرى هنا بإسنادين من طريق يونس ، عن الحسن .

وسيأتى : ٧٤٨٨ ، ٧٤٩١ ، من رواية قتادة ، عن الحسن .

ثم : ٧٤٩٠ ، من رواية قتادة وحميد ، عن الحسن .

ورواه البيهقى ٤ : ٣٢٧ ، ٣٣٠ ، بأسانيد ، عن الحسن .

وذكره ابن كثير ٢ : ١٩٦ ، من رواية الطبرى عن يعقوب ، التى هنا – ثم قال : « ورواه وكيع فى تفسيره ، عن سفيان ، عن يونس ، به » .

وذكره السيوطى ٢ : ٥٦ ، وزاد نسبته لسعيد بن منصور ، وابن أبى شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، والدارقطنى . ونسى أن ينسبه لوكيع .

ونقل الحافظ فى التلخيص ، ص : ٢٠٢ ، عن أبى بكر بن المنذر ، قال : « لا يثبت الحديث فى ذلك مسنداً . والصحيح من الروايات رواية الحسن المرسلة » . يريد أن أسانيدها إلى الحسن أسانيد صحاح ، لا أن الحديث المرسل صحيح ، لأنه لاشك فى ضعف الأحاديث المراسيل .

(١) الحديث : ٧٤٨٧ – مسلم بن إبرهيم : هو الأزدى الفراهيدى الحافظ . مضى فى : ١٢١٩ .

هلال بن عبد الله ، أبوهاشم ، مولى ربيعة بن عمرو بن مسلم الباهلى : ضعيف جداً . قال البخارى « منكر الحديث » . وقال الترمذى : « مجهول » . ولم يذكروا له رواية إلا هذا الحديث . ولذلك أشار إليه المزى فى التهذيب ، والذهبى فى الميزان . وقال ابن عدى : « هو معروف بهذا الحديث ، وليس هو بمحفوظ » .

ووقع اسم أبيه فى المطبوعة « عبيد الله » . وهو خطأ ، صوابه « عبد الله » بالتكبير .

أبو إسحق : هو السبيعى الهمدانى .

الحارث : هو ابن عبد الله الأعور الهمدانى . وهو ضعيف جداً ، كما بينا فى : ١٧٤ .

والحديث رواه الترمذى ٢ : ٧٨ ، عن محمد بن يحيى القطعى ، عن مسلم بن إبرهيم ، بهذا الإسناد . وقال : « هذا حديث غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وفى إسناده مقال . وهلال بن عبد الله : مجهول . والحارث : يضعف فى الحديث » .

وسيأتى هذا الحديث : ٧٤٨٩ ، من رواية شاذ بن فياض ، عن هلال أبى هاشم ، بهذا الإسناد .

عن الحسن قال : بلغنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال له قائل ، أو رجل : يا رسول الله ، ما السبيل إليه ؟ قال : من وجد زاداً وراحلةً .

٧٤٨٩ – حدثنا أحمد بن الحسن الترمذى قال، حدثنا شاذ بن فياض البصرى قال، حدثنا هلال أبو هاشم ، عن أبي إسحق الهمدانى، عن الحارث ، عن على بن ابن أبي طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من ملك زاداً وراحلة فلم يحجّ ، ماتَ يهوديًّا أو نصرانيًّا . وذلك أن الله يقول فى كتابه : « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً » الآية .(١)

٧٤٩٠ – حدثني أحمد بن حازم قال، حدثنا أبو نعيم قال، حدثنا حماد بن سلمة ، عن قتادة وحميد ، عن الحسن : أن رجلاً قال : يا رسول الله ، ما السبيل إليه ؟ قال : الزاد والراحلة .

٧٤٩١ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا

وقد ذكره ابن كثير ٢ : ١٩٧ ، من رواية ابن مردويه ، من الوجهين اللذين رواه منهما الطبرى : من رواية مسلم بن إبرهيم ، وشاذ بن فياض .

ونقل عن ابن عدى قال : هذا الحديث ليس بمحفوظ » .

(١) الحديث : ٧٤٨٩ – أحمد بن الحسن بن جنيدب ، أبو الحسن الترمذى ، الحافظ العلم الرحال : ثقة من أصحاب أحمد بن حنبل ، ومن شيوخ البخارى والترمذى . مترجم فى التهذيب وطبقات الحنابلة لأبي يعلى ١ : ٣٧ – ٣٨ ، وتذكرة الحفاظ ٢ : ١٠٦ – ١٠٧ .

« جنيدب » : بضم الجيم وفتح النون ، وبعد الدال المهملة باء موحدة . ووقع فى تذكرة الحفاظ « جنيد » بحذف الباء ، وهو خطأ طابع أو ناسخ ، وثبت على الصواب فى التهذيب ، وأصله «تهذيب الكمال» مخطوط ، والتقريب ، والخلاصة .

شاذ بن فياض اليشكرى ، أبو عبيدة البصرى : ثقة ، وثقه أبو حاتم وغيره . وتكلم فيه بعضهم بغير حجة . واسمه « هلال بن فياض » ، و « شاذ » : لقب غلب عليه . وقد ترجمه البخارى فى الكبير ٤/٢/٢١١ ، والصغير ، ص : ٢٣٨ ، وابن أبي حاتم ٤/٢/٧٨ – فى اسم « هلال » .

هلال أبو هاشم : هو هلال بن عبد الله ، مولى ربيعة بن عمرو بن مسلم الباهلى » – كما بينا فى : ٧٤٨٧ . وثبت هنا فى المطبوعة « هلال بن هشام » . وهو خطأ واضح .

والحديث مكرر : ٧٤٨٧ ، وقد أشرنا إليه هناك . وذكر ابن كثير ٢ : ١٩٧ ، أن ابن أبي حاتم رواه « عن أبي زرعة الرازى ، حدثنا هلال بن الفياض ، حدثنا هلال أبو هاشم . . . » – إلخ »

حماد ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله .

* * *

وقال آخرون : السبيل التي إذا استطاعها المرء كان عليه الحج : الطاقةُ للوصول إليه . قالوا : [1] وذلك قد يكون بالمشي وبالركوب ، وقد يكون مع وجودهما العجز عن الوصول إليه : بامتناع الطريق من العدوّ الحائل ، وبقلة الماء ، وما أشبه ذلك . قالوا : فلا بيان في ذلك أبين مما بيّنه الله عز وجل ، بأن يكون مستطيعاً إليه السبيل ، وذلك : الوصولُ إليه بغير مانع ولا حائل بينه وبينه ، وذلك قد يكون بالمشي وحده وإنْ أعوزَه المركب ، وقد يكون بالمركب وغير ذلك . ١٣/٤

* ذكر من قال ذلك :

٧٤٩٢ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ، حدثنا سفيان ، عن خالد بن أبي كريمة ، عن رجل ، عن ابن الزبير قوله : « ولله على الناس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً » ، قال : على قدر القوّة .

٧٤٩٣ – حدثنا يحيى بن أبي طالب قال، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك في قوله : « من استطاع إليه سبيلاً » ، قال : الزاد والراحلة . فإن كان شابًّا صحيحاً ليس له مال، فعليه أن يُؤاجر نفسه بأكله وغُفَّتِه حتى يقضى حجته به، [2] فقال له قائل : كلَّف الله الناسَ أن يمشوا إلى البيت ؟ فقال : لو أنّ لبعضهم ميراثاً بمكة، أكان تاركَه ؟ والله لانطلقَ إليه ولو حَبواً ! ! كذلك يجبُ عليه الحج .

٧٤٩٤ – حدثنا محمد بن بشار قال،حدثنا محمد بن بكر قال ، أخبرنا ابن

---

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « قال » ، والسياق بعد يقتضي ما أثبت .

(٢) في المطبوعة : « بأكله وعقبه حتى يقضى حجته » ، وليس فيها « به » ، وهي في المخطوطة ، ومثل هذا في تفسير القرطبي ٤ : ١٤٨ ، إلا أنه قال : « بأكله أو عقبه » ، ولم أجد لذلك معنى . وهي في المخطوطة « وعمته » غير منقوطة ، فاستظهرت قراءتها « وغفته » . والغفة (بضم الغين ، وتشديد الفاء المفتوحة) : البلغة من العيش والقليل منه . وهي هنا أنسب معنى ، فأثبتها كذلك .

جريج قال ، قال عطاء : من وجد شيئاً يبلّغه ، فقد وَجد سبيلاً ، كما قال الله عز وجل : « من استطاع إليه سبيلاً » .

٧٤٩٥ — حدثنا أحمد بن حازم قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا أبو هانئ قال ، سئل عامر عن هذه الآية : « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً » ؟ قال : السبيلُ ، ما يسّره الله .(١)

٧٤٩٦ — حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفي قال ، حدثنا عباد ، عن الحسن : من وجد شيئاً يُبلّغه ، فقد استطاع إليه سبيلاً .

* * *

وقال آخرون : السبيلُ إلى ذلك ، الصحةُ .

* ذكر من قال ذلك :

٧٤٩٧ — حدثنا محمد بن حميد ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم والمثنى بن إبراهيم قالوا ، حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ قال ، حدثنا حيوة بن شريح وابن لهيعة قالا ، أخبرنا شرحبيل بن شريك المعافرى : أنه سمع عكرمة مولى ابن عباس يقول في هذه الآية : « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً » ، قال : السبيلُ الصحةُ .

* * *

وقال آخرون بما : —

٧٤٩٨ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قول الله عز وجل : « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » ، قال : من وجد قُوّة في النفقة والجسد والحُمْلان .(٢) قال : وإن كان في جَسده ما لا يستطيع

---

(١) الأثر : ٧٤٩٥ — « أبو هانئ » ، هو : « عمر بن بشير أبو هانئ الهمداني » . مضت ترجمته رقم : ٤٤٢٢ ، و « عامر » هو : عامر الشعبي . وكان في المخطوطة والمطبوعة هنا شيء عجيب ، كان « قال حدثنا أبو هانئ » ، قال حدثنا سهل بن عامر » ، زاد « حدثنا » وجعل « سئل » ، « سهل » وزاد بعدها « بن » ، فكان خلطاً عجباً . وسيأتي على الصواب برقم : ٧٥١٦ .

(٢) الحملان (بضم الحاء وسكون الميم) : ما يحمل عليه من الدواب .

الحج ، فليس عليه الحج ، وإن كان له قوة فى مال ، كما إذا كان صحيحَ الجسد ولا يجد مالاً ولا قوة ، يقولون: لا يكلف أن يَمشى .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك عندنا بالصواب، قولُ من قال بقول ابن الزبير وعطاء : إنّ ذلك على قدر الطاقة . لأن « السبيل » فى كلام العرب : الطريقُ، فمن كان واجداً طريقاً إلى الحج لا مانعَ له منه من زَمانة ، أو عَجز ، أو عدوّ ، أو قلة ماء فى طريقه ، أو زاد ، أو ضعف عن المشى ، فعليه فرضُ الحج ، لا يجزيه إلا أداؤه . فإن لم يكن واجداً سبيلاً = أعنى بذلك : فإن لم يكن مطيقاً الحجَّ ، بتعذُّر بعض هذه المعانى التى وصفناها عليه = فهو ممن لا يجدُ إليه طريقاً ولا يستطيعه. لأن الاستطاعة إلى ذلك، هو القدرة عليه. ومن كان عاجزاً عنه ببعض الأسباب التى ذكرنا أو بغير ذلك، فهو غير مطيق ولا مستطيع إليه السبيلَ .

وإنما قلنا : هذه المقالة أولى بالصحة مما خالفها، لأن الله عز وجل لم يخصُص، إذ ألزم الناسَ فرضَ الحج ، بعض مستطيعى السبيل إليه بسقوط فرض ذلك عنه . فذلك على كل مستطيع إليه سبيلاً بعموم الآية .

فأما الأخبار التى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك بأنه : « الزاد والراحلة » ، فإنها أخبار : فى أسانيدها نظر ، لا يجوز الاحتجاج بمثلها فى الدّين .

* * *

قال أبو جعفر : واختلف القرأة فى قراءة « الحج » .

فقرأ ذلك جماعة من قرأة أهل المدينة والعراق بالكسر : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾.

* * *

وقرأ ذلك جماعة أخر منهم بالفتح : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ ﴾ .

* * *

وهما لغتان معروفتان للعرب ، فالكسر لغة أهل نجد ، والفتح لغة أهل العالية . ولم نر أحداً من أهل العربية ادّعى فرقاً بينهما فى معنى ولا غيره ، غير ما ذكرنا من اختلاف اللغتين ؛ إلاّ ما : —

٧٤٩٩ — حدثنا به أبو هشام الرفاعى قال، قال حسين الجعفى « الحَج » . مفتوح ، اسم ، « والحِج » مكسورٌ ، عملٌ .(١)

* * *

وهذا قول لم أرَ أهل المعرفة بلغات العرب ومعانى كلامهم يعرفونه ، بل رأيتهم مجمعين على ما وصفت ، من أنهما لغتان بمعنى واحد .

* * *

والذى نقول به فى قراءة ذلك : أنّ القراءتين = إذ كانتا مستفيضتين فى قراءة أهل الإسلام ، ولا اختلاف بينهما فى معنى ولا غيره = فهما قراءتان قد جاءتا مجيءَ الحجة، فبأىّ القراءتين — أعنى : بكسر « الحاء » من « الحج » أو فتحها — قرأ القارئ ، فمصيبٌ الصوابَ فى قراءته .

* * *

١٤/٤ وأما « مَنْ » التى مع قوله : « من استطاع » ، فإنه فى موضع خفض على الإبدال من « الناس » . لأن معنى الكلام : ولله على من استطاع من الناس سبيلاً إلى حجّ البيت ، حَجُّه . فلما تقدم ذكر « الناس » قبل « مَنْ »، بيّن بقوله : « من استطاع إليه سبيلا » ، الذى عليه فرضُ ذلك منهم . لأن فرضَ ذلك على بعض الناس دون جميعهم .

* * *

(١) الأثر : ٧٤٩٩ — « حسين الجعفى » هو : « حسين بن على بن الوليد » ، سلفت ترجمته برقم : ٢٩ ، ١٧٤ ، وفى المخطوطة والمطبوعة : « حسن الجعفى » ، وهو خطأ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٩٧)

قال أبو جعفر: يعنى بذلك جل ثناؤه : ومن جَحد ما ألزمه الله من فرض حَجّ بيته ، فأنكره وكفر به ، فإن الله غنىّ عنه وعن حجه وعمله ، وعن سائر خَلقه من الجن والإنس ، كما : —

٧٥٠٠ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا عبد الواحد ابن زياد ، عن الحجاج بن أرطاة، عن محمد بن أبى المجالد قال : سمعت مقسماً ، عن ابن عباس فى قوله: « ومن كفر » ، قال : من زعم أنه ليس بفرض عليه .

٧٥٠١ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال،حدثنا هشيم قال، أخبرنا الحجاج، عن عطاء = وجويبر ، عن الضحاك فى قوله : « ومن كفر فإنّ الله غنى عن العالمين » ، قالا : من جحد الحجّ وكفر به .

٧٥٠٢ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا هشيم ، عن الحجاج بن أرطاة، عن عطاء قال : من جحد به .

٧٥٠٣ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا عمران القطان يقول : من زعم أن الحجّ ليس عليه .(١)

٧٥٠٤ — حدثنا محمد بن سنان قال، حدثنا أبو بكر ، عن عباد ، عن الحسن فى قوله : « ومن كفر فإنّ الله غنىّ عن العالمين » ، قال : من أنكره ، ولا يَرَى أن ذلك عليه حقًّا، فذلك كُفرٌ .

٧٥٠٥ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ومن كفر » ، قال: من كفر بالحج .

---

(١) الأثر : ٧٥٠٣ — « عمران القطان » هو : « عمران بن داور العمى » أبو العوام القطان ، كان من أخص الناس بقتادة . روى عنه عبد الرحمن بن مهدى ، وأبو داود الطيالسى ، وأبو عاصم .

٧٥٠٦ – حدثنا عبد الحميد بن بيان قال، أخبرنا إسحق بن يوسف، عن أبي بشر، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: «ومن كفر فإن الله غني عن العالمين»، قال: من كفر بالحج، كفر بالله.

٧٥٠٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا يعلى بن أسد قال، حدثنا خالد، عن هشام بن حسان، عن الحسن في قول الله عز وجل: «ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومَنْ كفر»، قال: من لم يره عليه واجباً.(١)

٧٥٠٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: «ومن كفر»، قال: بالحج.

* * *

وقال آخرون: معنى ذلك: «أن لا يكون معتقِداً في حجه أن له الأجرَ عليه، ولا أن عليه بتركه إثماً ولا عقوبةً».

* ذكر من قال ذلك:

٧٥٠٩ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية قال، أخبرنا ابن جريج قال، حدثني عبد الله بن مسلم، عن مجاهد في قوله: «ومن كفر فإنّ الله غني عن العالمين»، قال: هو ما إن حجّ لم يره برًّا، وإن قعد لم يره مأثماً.

٧٥١٠ – حدثنا عبد الحميد بن بيان قال، أخبرنا إسحق بن يوسف، عن ابن جريج، عن مجاهد قال: هو ما إنْ حجّ لم يره برًّا، وإن قعد لم يره مأثماً.

٧٥١١ – حدثني أحمد بن حازم قال، حدثنا أبو نعيم قال، حدثنا فِطْر، عن أبي داود نفيع قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإنّ الله غني عن العالمين».

---

(١) الأثر: ٧٥٠٧ – «خالد»، هو «خالد بن الحارث الهجيمي». روى عن حميد الطويل وأيوب، وابن عون، وهشام بن حسان، وغيرهم. وروى عنه أحمد، وإسحق بن راهويه، والفلاس وغيرهم.

فقام رجل من هذيل فقال : يا رسول الله ، من تركه كفر ؟ قال : من تركه ولا يخاف عقوبته ، ومن حجّ ولا يرجو ثوابه ، فهو ذاك .(١)

٧٥١٢ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « ومن كفر فإن الله غني عن العالمين » ، يقول : من كفر بالحج ، فلم يَر حجه برًّا ، ولا تركه مأثماً .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : ومن كفر بالله واليوم الآخر .

* ذكر من قال ذلك :

٧٥١٣ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد قال : سألته عن قوله : « ومن كفر فإنّ الله غني عن العالمين » ، ما هذا الكفر ؟ قال : من كفر بالله واليوم الآخر .

٧٥١٤ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد في قوله : « ومن كفر » ، قال : من كفر بالله واليوم الآخر .

٧٥١٥ – حدثنا يحيى بن أبي طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك في قوله : « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » ، قال : لما نزلت آية الحج ، جَمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلَ الأديان كلَّهم فقال : يا أيها الناس ، إن الله عز وجل كتب عليكم الحج فحجُّوا ، فآمنتْ به ملة

---

(١) الأثر : ٧٥١١ – « أبو داود ، نفيع » ، هو : « نفيع بن الحارث ، أبو داود الأعمى الهمداني القاص» . روى عن عمران بن حصين ومعقل بن يسار وابن عباس وابن عمر . روى عنه أبو إسحق والأعمش والثوري . قال أبو حاتم : « منكر الحديث ضعيف الحديث » . وقال النسائي : « ليس بثقة ، ولا يكتب حديثه » . وقال ابن حبان : « يروي عن الثقات الموضوعات توهماً ، لا يجوز الاحتجاج به » وقال ابن عبد البر : « أجمعوا على ضعفه ، وكذبه بعضهم ، وأجمعوا على ترك الرواية عنه » . مترجم في التهذيب . و « فطر » هو « فطر بن خليفة » مضى مراراً . وكان في المطبوعة : « مطر » ، والصواب من المخطوطة .

واحدة ، وهى من صدّق النبيّ صلى الله عليه وسلم، وآمن به ، وكفرَتْ به خمس ملل ، قالوا : لا نؤمن به، ولا نصلى إليه ، ولا نستقبله ، فأنزل الله عز وجل : « ومن كفر فإنّ الله غنى عن العالمين » .

١٠/٤ ٧٥١٦ – حدثني أحمد بن حازم قال، أخبرنا أبو نعيم قال ، حدثنا أبو هانئ قال ، سئل عامر عن قوله : « ومن كفر » ، قال : من كفر من الخلق ، فإن الله غنيّ عنه .(١)

٧٥١٧ – حدثنى محمد بن سنان قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا سفيان ، عن إبراهيم ، عن محمد بن عباد ، عن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قول الله: « ومن كفر » ، قال : من كفر بالله واليوم الآخر .

٧٥١٨ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح، عن عكرمة مولى ابن عباس فى قول الله عز وجل : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِيناً ﴾ [سورة آل عمران : ٨٥] ، فقالت الملل : نحن مسلمون ! فأنزل الله عز وجل: « ولله على الناس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين »، فحج المؤمنون ، وقعد الكفار .(٢)

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك: ومن كفر بهذه الآيات التى فى مقام إبراهيم .

* ذكر من قال ذلك :

٧٥١٩ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين » ، فقرأ : « إنّ أوّل بيت وُضع للناس للذى ببكة مباركاً » ، فقرأ حتى بلغ : « من استطاع إليه سبيلا ومن كفر » ، قال : من كفر بهذه الآيات = « فإن الله غنى عن العالمين » ، ليس كما يقولون : « إذا

---

(١) الأثر : ٧٥١٦ – انظر إسناد الأثر السالف رقم : ٧٤٩٥ والتعليق عليه .

(٢) الأثر : ٧٥١٨ – مضى برقم : ٧٣٥٦ .

لم يحج وكان غنيًّا وكانت له قوة » ، فقد كفر بها .[١] وقال قوم من المشركين : فإنا نكفر بها ولا نفعل ! فقال الله عز وجل : « فإن الله غنى عن العالمين » .

* * *

وقال آخرون بما : —

٧٥٢٠ — حدثنى إبراهيم بن عبد الله بن مسلم قال، أخبرنا أبو عمر الضرير قال ، حدثنا حماد، عن حبيب بن أبى بقية ، عن عطاء بن أبى رباح فى قوله : « ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين » ، قال : من كفر بالبيت .[٢]

* * *

وقال آخرون : كفره به ، تركه إياه حتى يموت .

* ذكر من قال ذلك :

٧٥٢١ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنى أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أما « من كفر » ، فمن وجدَ ما يحج به ثم لم يحجَّ ، فهو كافر .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلات بالصواب فى ذلك قولُ من قال : « معنى « ومن كفر » ، ومن جحد فرضَ ذلك وأنكرَ وُجوبه ، فإن الله غنى عنه وعن حَجه وعن العالمين جميعاً » .

وإنما قلنا ذلك أولى به ، لأن قوله : « ومن كفر » بعقب قوله : « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » ، بأن يكون خبراً عن الكافر بالحج ، أحقُّ منه بأن يكون خبراً عن غيره ، مع أنّ الكافر بفرض الحج على مَن فرضه

---

(١) قوله : « فقد كفر بها » ، أى بهذه الآيات المذكورة فى الآية .

(٢) الأثر : ٧٥٢٠ — « إبراهيم بن عبد الله بن مسلم » ، ، و « أبو عمر الضرير » وهو : « حفص بن عمر البصرى » مضت ترجمتهما برقم : ٣٥٦٢ ، و « حماد » ، هو « حماد بن سلمة » . وأما « حبيب بن أبى بقية » ويقال : « حبيب بن أبى قريبة » فهو : « حبيب المعلم » أبو محمد البصرى . ذكره ابن حبان فى الثقات . وقال أحمد وابن معين وأبو زرعة : « ثقة » ، وقال أحمد : « ما أحتج بحديثه» . مترجم فى التهذيب .

الله عليه ، بالله كافر= وأن « الكفر » أصله الجحود ، ومن كان له جاحداً ، ولفرضه منكراً ، فلا شك إن حج لم يرجُ بحجه برًّا ، وإن تركه فلم يحجّ لم يره مأثماً . فهذه التأويلات ، وإن اختلفت العبارات بها ، فمتقاربات المعانى .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٩٨)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك : يا معشر يهود بنى إسرائيل وغيرهم من سائر من ينتحل الدِّيانة بما أنزلَ الله عز وجل من كتبه ، ممن كفَر بمحمد صلى الله عليه وسلم وجحد نبوَّته : = « لم تكفرون بآيات الله » ، يقول : لم تجحدون حُجج الله التى آتاها محمداً فى كتبكم وغيرها ، التى قد ثبتت عليكم بصدقه ونبوَّته وحُجته .(١) وأنتم تعلمون : يقول : لم تجحدون ذلك من أمره ، وأنتم تعلمون صدقه ؟(٢) فأخبر جل ثناؤه عنهم أنهم متعمِّدون الكفر بالله وبرسوله على علم منهم ، ومعرفةٍ من كفرهم ، وقد : —

٧٥٢٢ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل ، قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله » ، أما « آيات الله » ، فمحمد صلى الله عليه وسلم .

٧٥٢٣ — حدثنى محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر قال ، حدثنا عباد ، عن الحسن فى قوله : « يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات والله شهيد على ما تعملون » ، قال : هم اليهودُ والنصارى .

* * *

(١) هذه العبارة ، هى هى فى المخطوطة والمطبوعة ، وأنا فى شك منها ، وإن كانت قريبة من الاستقامة على بعض وجه الكلام .

(٢) ظاهر أن أبا جعفر وهم ، وترك تفسير بقية هذه الآية ، وفسر مكانها « وأنتم تعلمون » ، وهى ليست من هذه الآية فى شىء .

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٩٩)

قال أبو جعفر: يعنى بذلك جل ثناؤه: يا معشر يهود بنى إسرائيل وغيرهم ممن ينتحل التصديق بكتاب الله: = «لم تصدُّون عن سبيل الله»: يقول: لم تُضِلُّون عن طريق الله ومحجّته التى شرَعها لأنبيائه وأوليائه وأهل الإيمان =[1] «من آمن»، يقول: من صدّق بالله ورَسوله وما جاء به من عند الله = «تبغونها عوجاً»، يعنى: تبغون لها عوجاً.

* * *

«والهاء والألف» اللتان فى قوله: «تبغونها» عائدتان على «السبيل»، وأنثها لتأنيث «السبيل».

* * *

ومعنى قوله: «تبغون لها عوجاً»، من قول الشاعر، وهو سحيم عبدُ بنى الحسحاس

بَغَاكَ، وَمَا تَبْغِيهِ حَتَّى وَجَدْتَهُ كَأَنَّكَ قَدْ وَاعَدْتَهُ أَمْسِ مَوْعِدَا[2] ١٦/٤

يعنى: طلبك وما تطلبه.[3] يقال: «ابغنى كذا»، يراد ابتغِه لى. فإذا أرادوا أعِنِّى على طلبه وابتغِه معى قالوا: «أبغِنى» بفتح الألف. وكذلك يقال: «احلُبْنى» بمعنى: اكفنى الحلب — «وأحلبنى» أعِنِّى عليه. وكذلك جميع ما وَرَد من هذا النوع، فعلى هذا.[4]

* * *

وأما «العِوَج» فهو الأَوَدُ والميْل. وإنما يعنى بذلك: الضلال عن الهدى.

* * *

---

(١) انظر معنى «الصد» فيما سلف ٤ : ٣٠٠ .

(٢) سلف تخريجه فى ٤ : ١٦٣ ، تعليق : ٢ .

(٣) انظر تفسير «بغى» فيما سلف ٣ : ٤/٥٠٨ : ٦/١٦٣ : ١٩٦، ٥٦٤، ٥٧٠

(٤) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

يقول جل ثناؤه : لم تصدُّون عن دين الله مَنْ صَدّق الله ورسوله تبغون دينَ الله اعوجاجاً عن سَننه واستقامته ؟

وخرج الكلام على « السبيل » ، والمعنى لأهله . كأن المعنى : تبغون لأهل دين الله ، ولمن هو على سبيل الحق ، عوجاً = يقول : ضلالاً عن الحق ، وزيغاً عن الاستقامة على الهدى والمحجّة .

* * *

« والعِوج » بكسر أوله : الأوَد فى الدين والكلام . « والعَوَج » بفتح أوله : الميل فى الحائط والقناة وكل شيء منتصب قائم .(١)

* * *

وأما قوله : « وأنتم شهداء » . فإنه يعنى : شهداء على أنّ الذى تصدّون عنه من السبيل حقٌّ ، تعلمونه وتجدونه فى كتبكم = « وما الله بغافل عما تعملون » ، يقول : ليس الله بغافل عن أعمالكم التى تعملونها مما لا يرضاه لعباده وغير ذلك من أعمالكم ، حتى يعاجلكم بالعقوبة عليها معجّلة ، أو يؤخر ذلك لكم حتى تلقَوْهُ فيجازيكم عليها .

* * *

وقد ذكر أن هاتين الآيتين من قوله : « يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله » والآياتُ بعدَهما إلى قوله : « فأولئك لهم عذاب عظيم » ، نزلت فى رجل من اليهود حاول الإغراء بين الحيَّين من الأوس والخزرج بعد الإسلام ، ليراجعوا ما كانوا عليه فى جاهليّتهم من العداوة والبغضاء . فعنّفه الله بفعله ذلك ، وقبّح له ما فعل ووبّخه عليه ، ووعظ أيضاً أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونَهاهم عن الافتراق والاختلاف ، وأمرهم بالاجتماع والائتلاف .

* ذكر الرواية بذلك :

---

(١) انظر مجاز القرآن ١ : ٩٨ .

٧٥٢٤ ــ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق قال ، حدثني الثقة ، عن زيد بن أسلم ، قال : مرّ شأسُ بن قيس = وكان شيخاً قد عَسَا في الجاهلية ،(١) عظيمَ الكفر ، شديد الضِّغن على المسلمين ، شديدَ الحسد لهم = على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج ، في مجلس قد جمعهم يتحدّثون فيه . فغاظه ما رأى من جَماعتهم وألفتهم وصَلاح ذات بينهم على الإسلام ، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية ، فقال : قد اجتمع مَلأ بني قَيْلة بهذه البلاد !(٢) لا والله ما لنا معهم ، إذا اجتمع ملأهم بها ، من قرار !(٣) فأمر فتى شابًّا من يهودَ وكان معه ،(٤) فقال : اعمد إليهم ، فاجلس معهم ، وذَكّرهم يَوْم بعاث وما كان قبله ، وأنشدْهم بعض ما كانوا تقاوَلوا فيه من الأشعار = وكان يوم بُعَاث يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج ، وكان الظفرُ فيه للأوس على الخزرج = ففعل . فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا ، حتى تواثب رجُلان من الحيَّين على الرُّكَب : أوسُ بن قَيْظي ، أحد بني حارثة بن الحارث من الأوس ــ وجبّار بن صخر ، أحد بني سَلمة من الخزرج . فتقاولاَ ، ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئتم والله رَدَدْناها الآن جَذَعَةً !(٥) وغضب الفريقان ، وقالوا : قد فعلنا ، السلاحَ السلاحَ ! ! موعدُكم الظاهرة = والظاهرةُ : الحَرَّة = فخرجوا إليها . وتجاوز الناس .(٦) فانضمت الأوس بعضها إلى بعض ،

---

(١) عسا الشيخ يعسو عسوا وعسياً : كبر وأسن ، ويقال أيضاً في مثله « عتا » . وقوله : « في الجاهلية » ليست في نص ابن هشام عن ابن إسحق .

(٢) الملأ : الرؤساء وأشراف القوم ووجوههم ومقدموهم ، الذين يرجع إلى قولهم ورأيهم . وبنو قيلة : هم الأنصار من الأوس والخزرج ، وقيلة : اسم أم لهم قديمة ، هي قيلة بنت كاهل ، سموا بها .

(٣) في المطبوعة : « والله مالنا » ، أسقط « لا » ، وهي في المخطوطة وابن هشام .

(٤) في المطبوعة : « من اليهود » ، وأثبت ما في المخطوطة وابن هشام .

(٥) ردها جذعة : أي جديدة كما بدأت . والجذع والجذعة : الصغير السن من الأنعام ، أول ما يستطاع ركوبه . يعني أعدناها شابة فتية .

(٦) « تجاوز الناس » ، مثل « تحوز وتحيز وانحاز » ، أي تنحى ناحية وانضم إلى جماعته ،

والخزرج بعضها إلى بعض ، على دعواهم التى كانوا عليها فى الجاهلية . فبلغَ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم فقال : يا معشرَ المسلمين ، اللهَ اللهَ ، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهُرِكم ، بعد إذْ هداكم الله إلى الإسلام وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمرَ الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألّف به بينكم ، ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً ؟ فعرف القوم أنها نَزْغة من الشيطان ، وكيدٌ من عدوهم ، فألقوا السلاح من أيديهم ، وبكَوْا ، وعانقَ الرجال من الأوس والخزرج بعضُهم بعضاً ، ثم انصرفوا مع رَسول الله صلى الله عليه سامعين مطيعين ، قد أطفأ الله عنهم كيدَ عدوِّ الله شَأس بن قيس وما صنع . فأنزل الله فى شأس بن قيس وما صنع : « قل يا أهل الكتاب لم تكفرُون بآيات الله والله شهيدٌ على ما تعملون . قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً »[1] الآية . وأنزل الله عز جل

١٧/٤ فى أوس بن قَيْظىّ وجبّار بن صخر ومَنْ كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا عما أدخل عليهم شأس بن قيس من أمر الجاهلية :[2] « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردُّوكم بعد إيمانكم كافرين » ، إلى قوله : « أولئك لهم عذابٌ عظيم » .[3]

* * *

والذى يلى هذه الكلمة هو تفسيرها قوله : « فانضمت الأوس . . . » وفى المطبوعة : « تحاور » بالراء ، ولا معنى لها هنا . والجملة كلها من أول قوله « وتحاوز . . . » إلى « التى كانوا عليها فى الجاهلية » مما أسقطه ابن هشام من نص ابن إسحق ، وليس فى السيرة . ونص الطبرى هنا أتم من نص ابن هشام فى مواضع من هذا الأثر .

(١) فى المخطوطة والمطبوعة ، أسقط الناسخ « قل » من أول الآيتين سهواً منه .

(٢) فى المطبوعة : « مما أدخل عليهم . . . » ، غيروا ما فى المخطوطة ، وهو المطابق لنص ابن هشام . وقوله : « عما أدخل عليهم » ، أى بسبب ما أدخل عليهم ومن جرائه ومن أجله . و « عن » تأتى بهذا المعنى فى كلامهم .

(٣) الأثر : ٧٥٢٤ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٤ — ٢٠٦ ، وهو بقية الآثار السالفة التى كان آخرها رقم : ٧٣٣٣ ، ٧٣٣٤ .

وقيل إنه عنى بقوله : « قل يا أهل الكتاب لم تصدّون عن سبيل الله » ، جماعة يهود بنى إسرائيل الذين كانوا بين أظهر مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام نزلت هذه الآيات ، والنصارى = وأن صدّهم عن سبيل الله كانَ بإخبارهم من سألهم عن أمر نبيّ الله محمد صلى الله عليه وسلم : هل يجدون ذكره فى كتبهم ؟ أنهم لا يجدون نعتَه فى كتبهم .

* ذكر من قال ذلك :

٧٥٢٥ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « قل يا أهل الكتاب لم تصدّون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً » ، كانوا إذا سألهم أحدٌ : هل تجدون محمداً ؟ قالوا : لا ! فصدّوا عنه الناس ، وبغوْا محمداً عوجاً، هَلاكاً .

٧٥٢٦ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « قل يا أهل الكتاب لم تصدّون عن سبيل الله » ، يقول : لم تصدون عن الإسلام وعن نبى الله، من آمن بالله ، وأنتم شهداء فيما تقرأون من كتاب الله : أن محمداً رسول الله ، وأنّ الإسلام دين الله الذى لا يَقبل غيره ولا يجزى إلا به ، تجدونه مكتوباً عندكم فى التوراة والإنجيل .

٧٥٢٧ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، نحوه .

٧٥٢٨ – حدثنا محمد بن سنان قال، حدثنا أبو بكر قال ، حدثنا عباد ، عن الحسن فى قوله : « قل يا أهل الكتاب لم تصدّون عن سبيل الله » ، قال : هم اليهودُ والنصارى ، نهاهم أنْ يصدّوا المسلمين عن سبيل الله ، ويريدون أن يعدِلوا الناسَ إلى الضلالة .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الآية على ما قاله السدى : يا معشر اليهود ، لم

تصدّون عن محمد، وتمنعون من اتباعه المؤمنين به ، بكتمانكم صفتَه التى تجدونها فى كتبكم ؟ و«محمد » على هذا القول هو « السبيل »، = «تبغونَها عوجاً » ، تبغون محمداً هلاكاً .

وأما سائر الروايات غيره والأقوال فى ذلك، فإنه نحو التأويل الذى بيّناه قبل: من أن معنى « السبيل » التى ذكرها فى هذا الموضع : الإسلام ، وما جاء به محمد من الحقّ من عند الله .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴾ (١٠٠)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فيمن عنى بذلك .

فقال بعضهم : عنى بقوله : « يا أيها الذين آمنوا »، الأوس والخزرج، و« الذين أوتوا الكتاب » ، شأس بن قيس اليهودى، على ما قد ذكرنا قبلُ من خبره عن زيد بن أسلم .(١)

* * *

وقال آخرون ، فيمن عُنى بالذين آمنوا ، مثل قول زيد بن أسلم = غير أنهم قالوا : الذى جرى الكلام بينه وبين غيره من الأنصار حتى همّوا بالقتال ، ووجد اليهودىّ به مغمزاً فيهم : ثعلبة بن عَنَمة الأنصارى .(٢)

* ذكر من قال ذلك :

٧٥٢٩ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا

---

(١) هو الأثر السالف رقم : ٧٥٢٤ .

(٢) فى المطبوعة : « بن غنمة » ، والصواب بالعين المهملة، وهى فى المخطوطة تحتها حرف « ع »، وهو الصواب .

الكتاب يردُّوكم بعد إيمانكم كافرين»، قال: نزلت فى ثعلبة بن عَنمة الأنصارى، (١) كان بينه وبين أناسٍ من الأنصار كلام، فمشى بينهم يهودىٌّ من قَينُقاع، فحمَل بعضَهم على بعضٍ، (٢) حتى همت الطائفتان من الأوس والخزرج أن يحملوا السلاحَ فيقاتلوا، فأنزل الله عز وجل: «إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين»، يقول: إن حملتم السلاحَ فاقتتلتم، كفرتم.

٧٥٣٠ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا جعفر بن سليمان، عن حميد الأعرج، عن مجاهد فى قوله: «يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب»، قال: كان جِماعُ قبائل الأنصار بطنين: الأوس والخزرج، وكان بينهما فى الجاهلية حربٌ ودماء وشنآنٌ، حتى منّ الله عليهم بالإسلام وبالنبى صلى الله عليه وسلم، فأطفأ الله الحرب التى كانت بينهم، وألّف بينهم بالإسلام. قال: فبينا رجل من الأوس ورجلٌ من الخزرج قاعدان يتحدّثان، ومعهما يهوديّ جالسٌ، فلم يزل يذكّرهما أيامهما والعداوةَ التى كانت بينهم، حتى استَبّا ثم اقتتلا. قال: فنادى هذا قومه وهذا قومه، فخرجوا بالسلاح، ٤/١٨ وصفَّ بعضهم لبعض. قال: ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم شاهدٌ يومئذ بالمدينة، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يزل يمشى بينهم إلى هؤلاء وإلى هؤلاء ليسكنهم، حتى رجعوا ووضعوا السلاح، فأنزل الله عز وجل القرآن فى ذلك: «يا أيها الذين آمنوا إن تُطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب» إلى قوله: «عذابٌ عظيم».

* * *

قال أبو جعفر: فتأويل الآية: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، وأقرُّوا بما جاءهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم من عند الله، إن تطيعوا جماعة ممن ينتحل الكتابَ من أهل التوراة والإنجيل، فتقبلوا منهم ما يأمرونكم به، يُضِلُّوكم

---

(١) انظر ص ٥٨ تعليق ٢.

(٢) حمل بنى فلان على بنى فلان: إذا أرش بينهم وأوقع.

فيردّوكم بعد تصديقكم رسولَ ربكم ، وبعد إقراركم بما جاء به من عند ربكم ، كافرين = يقول : جاحدين لما قد آمنتم به وصدّقتموه من الحقّ الذى جاءكم من عند ربكم . فنهاهم جلّ ثناؤه : أن ينتصِحوهم ويقبلوا منهم رأياً أو مشورةً ، ويعلّمهم تعالى ذكره أنهم لهم منطوُون على غِلٍّ وغِش وحسد وبغض، كما : —

٧٥٣١ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ،حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردّوكم بعد إيمانكم كافرين » ، قد تقدّم الله إليكم فيهم كما تسمعون ، وحذّركم وأنبأكم بضلالتهم ، فلا تأتمنوهم على دينكم، ولا تنتصحوهم على أنفسكم ، فإنهم الأعداءُ الحسَدَة الضُّلاّل. كيف تأتمنون قوماً كفروا بكتابهم،وقتلوا رُسلهم، وتحيّروا فى دينهم ، وعجزوا عَنْ أنفسهم ؟ أولئك والله هم أهل التُّهَمة والعداوة !

٧٥٣٢ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ،حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

• • •

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (١٠١)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « وكيف تكفرون » ، أيها المؤمنون بعد إيمانكم بالله وبرسوله ، فترتدّوا على أعقابكم = «وأنتم تتلى عليكم آيات الله » ، يعنى حججُ الله عليكم التى أنزلها فى كتابه على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم = « وفيكم رسوله » ، حجةٌ أخرَى عليكم لله ، مع آى كتابه ، يدعوكم جميع ذلك إلى الحقّ ، ويبصّركم الهدَى والرشاد ، وينهاكم عن الغىّ والضلال ؟ يقول لهم تعالى ذكره : فما وجه عُذْركم عند ربكم فى جحودكم نبوّة نبيّكم ، وارتدادكم على أعقابكم ، ورجوعكم إلى أمر جاهليتكم ، إنْ أنتم راجعتم ذلك وكفرتم ، وفيه هذه الحجج الواضحة والآياتُ البينة على خطأ فعلكم ذلك إن فعلمتوه ؟ كما : —

٧٥٣٣ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله » الآية ، علَمان بيّنان : وُجْدان نبى الله صلى الله عليه وسلم ، وكتابُ الله . فأما نبىّ الله فمضى صلى الله عليه وسلم . وأما كتاب الله ، فأبقاه الله بين أظهُركم رحمة من الله ونعمة ، فيه حلاله وحرامه ، وطاعته ومعصيته .

* * *

وأما قوله : « ومن يعتصم بالله فقد هُدى إلى صراط مستقيم » ، فإنه يعنى : ومن يتعلق بأسباب الله ويتمسّك بدينه وطاعته = « فقد هدى » ، يقول : فقد وُفّق لطريق واضح ، ومحجةٍ مستقيمة غير معوجّة ، فيستقيم به إلى رضى الله ، وإلى النجاة من عذاب الله والفوز بجنته ، كما : —

٧٥٣٤ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قوله : « ومن يعتصم بالله فقد هدى » ، قال : يؤمن بالله .

* * *

وأصل « العَصْم » المنع ، فكل مانع شيئاً فهو « عاصمه» ، والممتنع به « معتصم به » ، ومنه قول الفرزدق :

أَنَا ابنُ العَاصِمِينَ بَنِي تَمِيمٍ إِذَا مَا أَعْظَمُ الحَدَثَانِ نَابَا(١)

ولذلك قيل للحبل « عِصام » ، وللسبب الذى يتسبب به الرجل إلى حاجته « عِصام » ، ومنه قول الأعشى :

إِلَى المَرْءِ قَيْسٍ أُطِيلُ السُّرَى وَآخُذُ مِنْ كُلِّ حَيٍّ عُصُمْ(٢)

يعنى بـ « العُصُم » الأسباب ، أسبابَ الذمة والأمان . يقال منه : « اعتصمت بحبل من فلان » و « اعتصمت حَبلاً منه » و « اعتصمت به واعتصمته » ، وأفصح اللغتين إدخال « الباء » ، كما قال عز وجل : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً ﴾ ، وقد جاء : « اعتصمته » ، كما الشاعر : (٣) ١٩/٤

إِذَا أَنْتَ جَازَيْتَ الإِخاءَ بِمِثْلِهِ وَآسَيْتَنِي، ثُمَّ اعْتَصَمْتَ حِبَالِيَا(٤)

---

(١) ديوانه : ١١٥ ، والنقائض : ٤٥١ ، مطلع قصيدة ينقض بها هجاء جرير .

(٢) ديوانه : ٢٩ من قصيدته فى ثنائه على صاحبه قيس بن معد يكرب الكندى ، وقد مضت منها أبيات فى ١ : ٢٤٢ / ٥ : ٤٢٢ . والسرى : سير الليل كله . والعصم جمع عصام ، وهكذا ضبط فى شعره ، وجائز أن يضبط « عصم » (بكسر العين وفتح الصاد) جمع « عصمة » (بكسر العين وسكون الصاد) وكلاهما مجاز فى معنى العهود . وقوله : « وآخذ من كل حى عصم » ، يعنى أن سطوة قيس فى الأحياء ، ورهبته فى صدورهم ، تجعل له عند كل حى عهداً يأخذه ليجوز به أرضهم آمناً ، لا يمسه أحد ولا ينال منه . وسيأتى مثل هذا المعنى فى بيت آخر يأتى بعد قليل ص : ٧٠ ، تعليق : ٣

(٣) لم أعرف قائله :

(٤) معانى القرآن للفراء ١ : ٢٢٨ ، وضبطه « ثم » هكذا ، وبقى جواب « إذا » فى بيت بعده فيما أرجح . ولو قرأته « ثم » بفتح الثاء ، أى هناك ، كان جواب « إذا » ، « اعتصمت حباليا » . وتم البيت ، وانفرد عما بعده . ولكنى لا أستطيع أن أرجح هذا حتى أعرف بقية الأبيات .

فقال : « اعتصمت حباليا » ولم يدخل « الباء » . وذلك نظير قولهم : « تناولت الخِطام ، وتناولت بالخطام » ، و « تعلّقت به وتعلقته » ، كما قال الشاعر : (١)

تَعَلَّقْتُ هِنْدًا ناشِئًا ذَاتَ مِئْزَرٍ وَأَنْتَ، وَقَدْ قَارَفْتَ، لم تَدْرِ مَا الحِلْمُ (٢)

* * *

وقد بينت معنى « الهدى » ، « والصراط » ، وأنه معنىّ به الإسلام ، فيما مضى قبل بشواهده ، فكرهنا إعادته فى هذا الموضع . (٣)

* * *

وقد ذكر أن الذى نزل فى سبب تحاوُز القبيلين : (٤) الأوس والخزرج ، كان من قوله : (٥) « وكيف تكفرُون وأنتم تتلى عليكم آيات الله » .

* ذكر من قال ذلك :

٧٥٣٥ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا حسن بن عطية قال ، حدثنا قيس ابن الربيع ، عن الأغرّ بن الصبّاح ، عن خليفة بن حُصَين ، عن أبى نصر ، عن ابن عباس قال : كانت الأوس والخزرج بينهم حرب فى الجاهلية كل شهر ، (٦)

---

(١) لم أعرف قائله .

(٢) معانى القرآن ١ : ٢٢٨ : يقال : «غلام ناشىء ، وجارية ناشئة » ، ولكنه وصف « هنداً » على التذكير فقال : « ناشئاً » ، وقد زعم الليث أنه لم يسمع هذا النعت فى الجارية ، فكأن الشاعر وصفها به ، وأمره على التذكير . وقوله : « وقد قارفت » ، أى قاربت ودنوت من الكبر ، والجملة حال معترضة . يقول : تعلقها صغيرة لم تحجب بعد ، وبلغت ما بلغت ، ولم تدر بعد ما الحلم ، وهو الأناة والعقل ومفارقة الصبا وطيش الشباب .

(٣) انظر تفسير « الهدى » فيما سلف ١ : ١٦٦ — ١٧٠ ، وفهارس اللغة / وانظر تفسير « الصراط المستقيم » فيما سلف ١ : ١٧٠ — ١٧٧ وفهارس اللغة .

(٤) فى المطبوعة : « تحاور » ، وقد أسلفت قرائن لهذا الحرف وبيانه فيما سلف : ص٥٥ تعليق : ٦ ، وفى المطبوعة : « القبيلتين » بالتاء ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٥) فى المطبوعة والمخطوطة : « كان منه قوله » ، وهو خطأ ، والصواب ما فى المخطوطة . ويعنى أن الآيات التى نزلت فى شأن تحاوز الأوس والخزرج واقتتالهما ، كان من أول هذه الآية ، لا الآيتين قبلها .

(٦) قوله : « كل شهر » ، هكذا جاء فى المخطوطة واضحاً ، والذى فى الدر المنثور ٢ : ٥٨ : « كانت الأوس والخزرج فى الجاهلية بينهم شر » ، وفى القرطبى ٤ : ١٥٦ : « كان بين الأوس

فبينما هم جلوس إذْ ذكروا ما كان بينهم حتى غضبوا ، فقام بعضهم إلى بعض بالسلاح ، فنزلت هذه الآية : « وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله » إلى آخر الآيتين ، « واذكروا نعمة الله عليكم إذْ كنتم أعداءً » إلى آخر الآية .(١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (١٠٢)

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : يا معشر من صدّق الله ورسوله = « اتقوا الله » ، خافوا الله وَراقبوه بطاعته واجتناب معاصيه = « حقّ تُقاته » ، حقّ خوفه ،(٢) وهو أن يُطاع فلا يُعصى ، ويُشكر فلا يُكفر ، ويُذكر فلا يُنسى =

والخزرج قتال وشر في الجاهلية » ، ويخشى أن يكون ما في المخطوطة : « كل شهر » ، تصحيف « وكل شر » ، ولكن ليس هذا موضع الرأي ، فإن الذين نقلوا هذا الأثر فيما بين يدي ، لم ينقلوه بإسناده هذا ، ولا بتمام لفظه كما هنا .

(١) الأثر : ٧٥٣٥ — « حسن بن عطية بن نجيح القرشي » ، سلفت ترجمته في رقم : ٤٩٦٢ . و « قيس بن الربيع الأسدي » أبو محمد الكوفي . روى عن أبي إسحق السبيعي ، والأغر بن الصباح ، وسماك بن حرب وغيرهم . روى عنه الثوري ، وهو من أقرانه ، وشعبة ، ومات قبله ، وعبد الرزاق ووكيع . تكلموا فيه ، وثقه الثوري وشعبة وغيرهما . وضعفه آخرون وقالوا : « ليس بقوي ، يكتب حديثه ولا يحتج به » . مترجم في التهذيب . و « الأغر بن الصباح التميمي المنقري » . روى عن خليفة ابن حصين ، روى عنه الثوري وقيس بن الربيع ، وأبو شيبة . قال ابن معين والنسائي : « ثقة » ، وقال أبو حاتم « صالح » مترجم في التهذيب . و « خليفة بن حصين بن قيس بن عاصم التميمي المنقري » روى عن أبيه وجده ، وعلي بن أبي طالب ، وزيد بن أرقم ، وأبي نصر الأسدي . وروى عنه الأغر بن الصباح . ثقة . مترجم في التهذيب . و « أبو نصر الأسدي » . روى عن ابن عباس ، وعنه خليفة بن حصين . قال البخاري : « لم يعرف سماعه من ابن عباس » ، وقال أبو زرعة : « أبو نصر الأسدي الذي يروي عن ابن عباس : ثقة » . مترجم في التهذيب ، والكنى للبخاري : ٧٦ ، وأشار إلى هذا الأثر ، وابن أبي حاتم ٤/٢/٤٤٨

(٢) انظر القول في بيان « تقاة » فيما سلف ٦ : ٣١٣ — ٣١٧

« ولا تموتن » ، أيها المؤمنون بالله ورسوله = « إلاّ وأنتم مسلمون » لربكم ، مذعنون له بالطاعة ، مخلصون له الألوهةَ والعبادة .(١)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٧٥٣٦ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان = وحدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى = عن زبيد ، عن مُرّة ، عن عبد الله : « اتقوا الله حق تقاته » ، قال : أن يطاع فلا يُعصى ، ويُذكر فلا يُنسى ، ويُشكر فلا يُكفر.(٢)

٧٥٣٧ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا شعبة ، عن زبيد ، عن مرة الهمدانى، عن عبد الله مثله .

٧٥٣٨ – حدثنا ابن المثنى قال ،حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن زبيد ، عن مرة الهمدانى، عن عبد الله مثله .

٧٥٣٩ – حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا، حدثنا ابن إدريس قال ، سمعت ليثاً ، عن زبيد ، عن مرة بن شراحيل البَكيلىّ ، عن عبد الله بن مسعود مثله .(٣)

٧٥٤٠ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا جرير ، عن زبيد ، عن عبد الله مثله .

---

(١) فى المطبوعة : « الألوهية » ، وهى صواب ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهى صواب أيضاً بمعناها ، ولكن هكذا يكتبها أبو جعفر ، وانظر ما سلف ٦ : ٢٧٥ ، تعليق : ٢ .

(٢) الأثر : ٧٥٣٧ – والآثار التى تليه أسانيد مختلفة لهذا الأثر . وأخرجه الحاكم فى المستدرك من طريق أبى نعيم ، عن مسعر ، وهو الأثر رقم : ٧٥٤١ ، وليس فيه « ويشكر فلا يكفر » ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى .

(٣) الأثر : ٧٥٣٩ – فى المطبوعة : « مرة بن شراحيل الهمدانى » . غير ما فى المخطوطة ، وكلاهما صحيح وصواب ، وانظر الأثر رقم : ٢٥٢١ ، والتعليق عليه .

٧٥٤١ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو نعيم قال، حدثنا مسعر ، عن زبيد ، عن مرة، عن عبد الله مثله .

٧٥٤٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال، أخبرنا هشيم ، عن المسعودى ، عن زبيد الإيامى ، عن مرة ،عن عبد الله مثله .

٧٥٤٣ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور، عن زبيد ، عن مرة، عن عبد الله مثله .

٧٥٤٤ – حدثنا محمد بن سنان قال، حدثنا يحيى، عن سفيان ، عن أبي إسحق،عن عمرو بن ميمون: « اتقوا الله حق تقاته »، قال: أن يطاع فلا يعصى ، ويشكر فلا يكفر ، ويذكر فلا ينسى.(١)

٧٥٤٥ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحق، عن عمرو بن ميمون نحوه .

٧٥٤٦ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا يحيى بن سعيد قال ، حدثنا شعبة قال، حدثنا عمرو بن مرة، عن مرة، عن الربيع بن خُثَيم قال: أن يطاع فلا يعصى ، ويُشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى . ٢٠/٤

٧٥٤٧ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو داود قال ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة قال ، سمعت مرة الهمدانى يحدث ، عن الربيع بن خُثيم فى قول الله عز وجل : « اتقوا الله حق تقاته »، فذكره نحوه .(٢)

٧٥٤٨ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن

---

(١) الأثر : ٧٥٤٤ – « يحيى » هو : « يحيى بن أبي بكير الأسدى » مضى فى رقم : ٥٧٩٧ ، « وسفيان » هو الثورى ، و « أبو إسحق » هو : أبو إسحق السبيعى ، وكان فى المخطوطة والمطبوعة : « حدثنا يحيى بن سفيان » ، وليس فى الرواة من يسمى بهذا ، والصواب ما أثبته .

(٢) الأثران : ٧٥٤٦ ، ٧٥٤٧ – « الربيع بن خثيم الثورى» مضت ترجمته فى رقم : ١٤٣٠ ، وكان فى المطبوعة « بن خيثم »، وهو خطأ مضى مثله فى الأثر الآخر ، وفى مواضع غيره، وصححته من المخطوطة .

قيس بن سعد ، عن طاوس : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته » ، أن يطاع فلا يُعصى .

٧٥٤٩ — حدثنا محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفى قال ، حدثنا عباد ، عن الحسن فى قوله : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حقّ تُقاته » ، قال « حق تقاته » ، أن يطاع فلا يُعصى .

٧٥٥٠ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : ثم تقدم إليهم — يعنى إلى المؤمنين من الأنصار — فقال : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حتّى تقاته ولا تموتن إلاّ وأنتم مسلمون » ، أما « حق تقاته » ، يطاع فلا يعصى ، ويذكر فلا يُنسى ، ويشكر فلا يُكفر .

٧٥٥١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا حجاج بن المنهال قال ، حدثنا همام ، عن قتادة : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته » ، أن يطاع فلا يعصى ، قال : « ولا تموتن إلاّ وأنتم مسلمون » .

* * *

وقال آخرون : بل تأويل ذلك ، كما : —

٧٥٥٢ — حدثنى به المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « اتقوا الله حق تقاته » ، قال : « حق تقاته » ، أن يجاهدوا فى الله حق جهاده ، ولا يأخذهم فى الله لومةُ لائم ، ويقوموا لله بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم .(١)

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى هذه الآية : هل هى منسوخة أم لا ؟

---

(١) الأثر : ٧٥٥٢ — رواه أبو جعفر النحاس فى الناسخ والمنسوخ : ٨٨ ، مع بعض الخلاف فى لفظه . وفى المخطوطة : « أن تجاهد فى الله » بالإفراد ، والسياق يقتضى الجمع ، وجاءت على الصواب فى المطبوعة وفى الناسخ والمنسوخ ، إلا أنه قال : « أن تجاهدوا . . . ولا يأخذكم . . . وتقوموا . . . ولو على أنفسكم وآبائكم وأبنائكم » على الخطاب .

فقال بعضهم : هي محكمة غيرُ منسوخة .

* ذكر من قال ذلك :

٧٥٥٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية ابن صالح، عن علي، عن ابن عباس قوله: « اتقوا الله حق تقاته » أنها لم تنسخ، ولكن « حق تقاته »، أن تجاهدَ في الله حق جهاده = ثم ذكر تأويله الذي ذكرناه عنه آنفاً .(١)

٧٥٥٤ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن قيس بن سعد، عن طاوس: « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته »، فإن لم تفعلوا ولم تستطيعوا، فلا تموتن إلاّ وأنتم مسلمون .

٧٥٥٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قال، قال طاوس قوله: « ولا تموتن إلاّ وأنتم مسلمون »، يقول : إن لم تتقوه، فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون .

* * *

وقال آخرون : هي منسوخة، نسخها قوله : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [سورة التغابن : ١٦] .

* ذكر من قال ذلك :

٧٥٥٦ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلاّ وأنتم مسلمون»، ثم أنزل التخفيف واليُسر، وعاد بعائدته ورحمته على ما يعلم من ضعف خلقه فقال : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾، فجاءت هذه الآية، فيها تخفيفٌ وعافيةٌ ويُسر.

٧٥٥٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا الحجاج بن المنهال الأنماطي قال،

---

(١) الأثر : ٧٥٥٣ – هو الأثر السالف، وفي المخطوطة والمطبوعة : « أن تجاهد »، وانظر التعليق السالف .

حدثنا همام، عن قتادة : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلاّ وأنتم مسلمون » ، قال : نسختها هذه الآية التي في « التغابن » : ﴿ فاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ﴾ ، وعليها بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فيما استطاعوا .

٧٥٥٨ — حدثني المثنى قال ،حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس قال : لما نزلت : « اتقوا الله حق تقاته » ، ثم نزل بعدها ﴿ فاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ ، فنسخت هذه الآية التي في « آل عمران » .

٧٥٥٩ — حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون» ، فلم يطق الناسُ هذا ، فنسخه الله عنهم فقال : ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾

٧٥٦٠ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حقّ تقاته » ، قال : جاء أمر شديد ! قالوا : ومن يعرف قدر هذا أو يبلغه ؟ فلما عرف أنه قد اشتد ذلك عليهم ، نسخها عنهم ، وجاء بهذه الأخرى فقال : ﴿ فاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ ، فنسخها .(١)

* * *

(١) ترك أبو جعفر رضي الله عنه ، ترجيح أحد القولين على الآخر ، وكان حقاً عليه أن يبينه . وقد بينه أبو جعفر النحاس في الناسخ والمنسوخ : ٨٨ ، ٨٩ ، قال بعد سياقه الأثر : ٧٥٤٢ ، وروايته عن قول قتادة : « قال أبو جعفر : محال أن يقال هذا ناسخ ولا منسوخ إلا على حيلة ، وذلك أن معنى نسخ الشيء : إزالته والمجيء بضده ، فمحال أن يقال : « اتقوا الله » منسوخ ، ولا سيما مع قول النبي صلى الله عليه وسلم مما فيه بيان الآية، كما قرأ على أحمد بن محمد بن الحجاج ،عن يحيى بن سليمان قال ، حدثنا أبو الأحوص قال ، حدثنا أبو إسحق ، عن عمرو بن ميمون ، عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد ؟قلت : الله ورسوله أعلم ! قال : أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً » ، أفلا ترى أنه محال أن يقع في هذا نسخ . . . قال أبو جعفر : « فكل ما ذكر في الآية واجب على المسلمين أن يستعملوه ، ولا يقع فيه نسخ ، وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم : « أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً » وكذا على المسلمين — كما قال ابن مسعود : « أن تطيعوا الله فلا تعصوه ، وتذكروه فلا تنسوه ، وأن تشكروه فلا تكفروه ، وأن تجاهدوا فيه حق جهاده . وأما قول قتادة ، مع محله من العلم : أنها نسخت ، فيجوز أن يكون معناه : نزلت : فاتقوا الله ما استطعتم — بنسخه : اتقوا الله حق تقاته ، وأنها مثلها ، لأنه لا يكلف أحداً إلا طاقته » .

وأما قوله : « ولا تموتن الا وأنتم مسلمون » ، فإن تأويله ، كما : —

٧٥٦١ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن قيس بن سعد ، عن طاوس : « ولا تموتن إلاّ وأنتم مسلمون » ، قال : على الإسلام ، وعلى حُرْمة الإسلام .(١) ٢١/٤

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعاً ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وتعلقوا بأسباب الله جميعاً . يريد بذلك تعالى ذكره: وتمسّكوا بدين الله الذى أمركم به ، وعهده الذى عهده إليكم فى كتابه إليكم، من الألفة والاجتماع على كلمة الحق ، والتسليم لأمر الله .

* * *

وقد دللنا فيما مضى قبلُ على معنى « الاعتصام » .(٢)

* * *

وأما « الحبل » ، فإنه السبب الذى يُوصَل به إلى البُغية والحاجة . ولذلك سمى الأمان « حبلا » ، لأنه سبب يُوصَل به إلى زوال الخوف ، والنجاة من الجزَع والذّعر ، ومنه قول أعشى بنى ثعلبة :

وَإِذَا تُجَوِّزُهَا حِبَالُ قَبِيلَةٍ أَخَذَتْ مِنَ الأُخْرَى إِلَيْكَ حِبَالَهَا(٣)

---

(١) انظر تفسير أبى جعفر فى نظيرة هذه الآية فيما سلف ٣ : ٩٦ ، ٩٧ .

(٢) انظر تفسير « الاعتصام » فيما سلف قريباً ص : ٦٢ ، ٦٣

(٣) ديوانه : ٢٤ ، ومشكل القرآن : ٣٥٨ ، والمعانى الكبير : ١١٢٠ ، واللسان (حبل) وغيرها . من قصيدته فى قيس بن معد يكرب ، ومضت منها أبيات فى ٤ : ٢٣٨ ، ٣٢٧ ، وهذا البيت فى ذكر ناقته ، يقول قبله :

فَتَرَكْتُهَا بَعْدَ المِرَاحِ رَذِيَّةً وَأَمِنْتُ عِنْدَ رُكُوبِهَا إِعْجَالَهَا
فَتَنَاوَلَتْ قَيْسًا بِجُرِّ بِلَادِهِ فَأَتَتْهُ بَعْدَ تَنُوفَةٍ فَأَنَالَهَا
فَإِذَا تُجَوِّزُهَا . . . . . .

ومنه قول الله عز وجل : ﴿ إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ ﴾ [سورة آل عمران : ١١٢]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٧٥٦٢ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا العوّام، عن الشعبي ، عن عبد الله بن مسعود أنه قال فى قوله : « واعتصموا بحبل الله جميعاً »، قال : الجماعة .

٧٥٦٣ – حدثنا المثنى قال ،حدثنا عمرو بن عون قال ، حدثنا هشيم ، عن العوّام ، عن الشعبي ، عن عبد الله فى قوله : « واعتصموا بحبل الله جميعاً » ، قال : حبلُ الله ، الجماعة .

* * *

وقال آخرون: عنى بذلك القرآنَ والعهدَ الذى عَهِدَ فيه .

* ذكر من قال ذلك :

٧٥٦٤ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: « واعتصموا بحبل الله جميعاً » ، حبل الله المتين الذى أمر أن يُعتصم به : هذا القرآن .

٧٥٦٥ – حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « واعتصموا بحبل الله جميعاً » ، قال: بعهد الله وأمره .

وقد مضى قبل مثل هذا البيت الأخير ص : ٦٢، تعليق : ٢

إِلَى المرء قيسٍ أُطِيلُ السُّرَى وَآخذُ من كُلِّ حَىٍّ عُصَمْ

يقول : إذا أخذت من قبيلة عهودها حتى أجتاز ديارها آمناً ، أعطتها القبيلة التى تليها عهداً وذماماً أن تخترق ديارها آمنة لا ينالها أحد بسوء . وذلك أن القبائل كلها ترهب قيساً وتخافه، فكل قاصد إليه، اجد الأمان حيث سار ، لأنه بقصده قيساً جار له ، لا يطيق أحد أن يناله بسوء .

٧٥٦٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن منصور، عن شقيق، عن عبد الله قال: إن الصراط مُحْتَضَر، تحضره الشياطين، ينادون: يا عبد الله، هلمّ هذا الطريق! ليصدّوا عن سبيل الله، فاعتصموا بحبل الله، فإن حبلَ الله هو كتاب الله.(١)

٧٥٦٧ – حدثنا محمد قال، حدثنا أحمد بن المفضل، عن أسباط، عن السدى: «واعتصموا بحبل الله جميعاً»، أما «حبل الله»، فكتاب الله.

٧٥٦٨ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد: «بحبل الله»، بعهد الله.

٧٥٦٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء: «بحبل الله»، قال: العهد.

٧٥٧٠ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن أبى وائل، عن عبد الله: «واعتصموا بحبل الله»، قال: حبلُ الله، القرآن.

٧٥٧١ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا أبو زهير، عن جويبر، عن الضحاك فى قوله: «واعتصموا بحبل الله جميعاً»، قال: القرآن.

٧٥٧٢ – حدثنا سعيد بن يحيى قال: حدثنا أسباط بن محمد، عن عبد الملك ابن أبى سليمان العرزمى، عن عطية، عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كتابُ الله، هو حبل الله الممدودُ من السماء إلى الأرض.(٢)

* * *

---

(١) الأثر: ٧٥٦٦ – رواه فى مجمع الزوائد بغير هذا اللفظ، وهو قريب منه. ونسبه إلى الطبرانى وقال: «رواه عن شيخه عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبى مريم، وهو ضعيف». وهذا الذى رواه الطبرى إسناد صحيح.

(٢) الحديث: ٧٥٧٢ – عبد الملك بن أبى سليمان العرزمى – بسكون الراء ثم زاى مفتوحة – أحد الأئمة: مضى توثيقه: ١٤٥٥.

عطية: هو ابن سعد بن جنادة – بضم الجيم – العوفى. وقد بينا فى: ٣٠٥ أنه ضعيف.

وقد سقط من المخطوطة والمطبوعة هنا قوله [عن عطية]. وزدناه من نقل ابن كثير ٢: ٢٠٣،

وقال آخرون : بل ذلك هو إخلاص التوحيد لله .

* ذكر من قال ذلك :

٧٥٧٣ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبي العالية في قوله : « واعتصموا بحبل الله جميعاً » ، يقول : اعتصموا بالإخلاص لله وحده .

٧٥٧٤ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « واعتصموا بحبل الله جميعاً » ، قال : الحبل ، الإسلام . وقرأ : « ولا تفرقوا » .

* * *

عن هذا الموضع من الطبري .

ثم الحديث – من حديث أبي سعيد – يدور في كل ما رأينا من طرقه على عطية العوفي ، كما سيأتي :

فرواه أحمد في المسند : ١١٢٢٩ ، ١١٥٨٢ (ج ٣ ص ٢٦ ، ٥٩ حلبي) ، عن ابن نمير ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد ، بنحوه ، مرفوعاً مطولا .

ورواه أيضاً : ١١١٢٠ (ج ٣ ص ١٤) ، من طريق إسمعيل بن أبي إسحق الملائي ، عن عطية .

ورواه أيضاً : ١١١٤٨ (ج ٣ ص ١٧) ، عن أبي النضر ، عن محمد بن طلحة ، عن الأعمش عن عطية العوفي .

وكذلك رواه الترمذي ٤ : ٣٤٣ ، من طريق محمد بن فضيل ، عن الأعمش ، عن عطية ، عن أبي سعيد – وعن الأعمش ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن زيد بن أرقم ، مرفوعاً ، نحوه مطولا . فهو عنده عن أبي سعيد وعن زيد بن أرقم . ثم قال : « هذا حديث حسن غريب » .

فأما حديث أبي سعيد ، فقد بينا أنه ضعيف ، من أجل عطية العوفي .

وأما حديث زيد بن أرقم ، فإنه حديث صحيح . وهو قطعة من قصة مطولة ، رواها أحمد في المسند ٤ : ٣٦٦ – ٣٦٧ (حلبي) . ورواها مسلم ٢ : ٢٣٧ – ٢٣٨ ، مطولة ومختصرة .

وروى ابن حبان في صحيحه ، رقم : ١٢٣ (بتحقيقنا) – قطعة منه ، فيها أن « كتاب الله ، هو حبل الله » .

ثم نعود لحديث أبي سعيد :

فذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ : ١٦٣ ، مطولا ، بنحو رواية الترمذي . ثم قال : « رواه الطبراني في الأوسط . وفي إسناده رجال مختلف فيهم » !

ولست أدري ، لم ذكره في الزوائد ، وهو في الترمذي ؟ ثم لم ترك نسبته للمسند ، وهو مروي فيه أربع مرات ؟ !

وذكره السيوطي ٢ : ٦٠ ، مختصراً كما هنا . ولم ينسبه إلا لابن أبي شيبة وابن جرير . ثم ذكر الرواية المطولة عن أبي سعيد . ونسبه لابن سعد ، وأحمد ، والطبراني .

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه : بقوله : « ولا تفرقوا » ، ولا تتفرقوا عن دين الله وعهده الذى عهد إليكم فى كتابه ، من الائتلاف والاجتماع على طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والانتهاء إلى أمره ، كما : —

٧٥٧٥ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ولا تفرّقوا واذكروا نعمة الله عليكم » ، إنّ الله عز وجل قد كره لكم الفُرْقة ، وقدّم إليكم فيها ، وحذّركموها ، ونهاكم عنها ، ورضى لكم السمعَ والطاعة والألفة والجماعة ، فارضوا لأنفسكم ما رضى الله لكم إن استعطتم ، ولا قوّةَ إلا بالله .

٧٥٧٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبى العالية : « ولا تفرّقوا » ، لا تعادَوْا عليه ، يقول : على الإخلاص لله ، وكونوا عليه إخواناً .(١) ٢٢/٤

٧٥٧٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ابن صالح : أن الأوزاعى حدثه ، أنّ يزيد الرقاشى حدّثه أنه سمع أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّ بنى إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة ، وإن أمتى ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة ، كلهم فى النار إلا واحدة . قال : فقيل : يا رسول الله ، وما هذه الواحدة ؟ قال : فقبض يدَه وقال : الجماعة ، « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا » .(٢)

---

(١) فى المخطوطة « وتكونوا عليه إخوانا » ، والصواب ما فى المطبوعة ، والدر المنثور ٢ : ٦١

(٢) الحديث : ٧٥٧٧ — يزيد الرقاشى : هو يزيد أبان ، أبو عمرو ، البصرى القاص . وقد أشرنا فى شرح : ٦٦٥٤ ، ٦٧٢٨ إلى أنه ضعيف . وقال البخارى فى الكبير ٣٢٠/٢/٤ : « كان شعبة يتكلم فيه » ، وقال النسائى فى الضعفاء : « متروك » ، وقال ابن سعد ١٣/٢/٧ : « كان ضعيفاً قدرياً »

٧٥٧٨ – حدثني عبد الكريم ابن أبي عمير قال، حدثنا الوليد بن مسلم قال، سمعت الأوزاعي يحدث، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه. (١)

٧٥٧٩ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا المحاربي، عن ابن أبي خالد، عن الشعبي، عن ثابت بن قُطْبَة المدنيّ، عن عبد الله: أنه قال: «يا أيها الناس، عليكم بالطاعة والجماعة، فإنها حبل الله الذي أمرَ به، وإنّ ما تكرهون في الجماعة والطاعة، هو خيرٌ مما تستحبون في الفرقة». (٢)

٧٥٨٠ – حدثنا عبد الحميد بن بيان السكريّ قال، أخبرنا محمد بن يزيد، عن إسمعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، عن ثابت بن قطبَة قال: سمعت ابن مسعود وهو يخطب وهو يقول: يا أيها الناس، ثم ذكر نحوه. (٣)

والحديث رواه ابن ماجة : : ٣٩٩٣ ، من طريق الوليد بن مسلم : « حدثنا أبو عمرو [هو الأوزاعي] ، حدثنا قتادة ، عن أنس . فذكره نحوه مرفوعاً ، ولكن آخره عنده : « كلها في النار إلا واحدة ، وهي الجماعة » .

وقال البوصيري في زوائده : « إسناده صحيح . رجاله ثقات » . وهو كما قال .

فيكون الأوزاعي رواه عن شيخين ، أحدهما ضعيف ، والآخر ثقة . وأن الضعيف – يزيد الرقاشي – زاد الاستشهاد بالآية . ولا بأس بذلك ، فالمعنى قريب .

وذكره السيوطي ٢ : ٦٠ ، وزاد نسبته لابن أبي حاتم .

(١) الحديث : ٧٥٧٨ – هذا الحديث تكرار للحديث قبله .

وعبد الكريم بن أبي عمير – شيخ الطبري : ذكره الذهبي في الميزان ٢ : ١٤٤ بلقب « للدهان » ، وقال : « فيه جهالة . والخبر منكر » . يريد حديثاً آخر ، بينه الحافظ في لسان الميزان ٤ : ٥٠ – ٥١ ، عن تاريخ بغداد . في ترجمة رجل آخر . وهو في تاريخ بغداد ٣ : ٢٤٢ . وفيه اسم هذا الشيخ في ذاك الإسناد : « عبد الكريم بن أبي عمير الدهقان » . ولم أجد له ترجمة ولا ذكراً في موضع آخر .

(٢) الأثر : ٧٥٧٩ – « ثابت بن قطبة المدني الثقفي » ، مترجم في الكبير ١٦٨/٢/١ ، والجرح ٤٥٧/١/١ ، قال البخاري : « سمع ابن مسعود ، روى عنه أبو إسحق ، والشعبي » وزاد ابن أبي حاتم : « وزياد بن علاقة ، وسالم بن أبي الجعد » . وكان في المطبوعة في هذا الموضع وفي الأثرين التاليين « ثابت بن قطنة » بالنون من « قطنة » ، وهو خطأ . وفي المخطوطة في هذا الأثر « قطنه » غير منقوطة ، ونقطت الباء في الأثرين التاليين . وفي المخطوطة والمطبوعة : « المرى » في هذا الأثر وفي رقم : ٧٥٨١ ، والصواب « المدني » كما أثبته ، وثابت ثقفي ، لا مرى .

(٣) الأثر : ٧٥٨٠ – في المطبوعة : « عبد الحميد بن بيان اليشكري » ، وهو خطأ ، والصواب المخطوطة . وقد سلف مثل هذا الخطأ في رقم : ٧٣٧٨ ، فانظر التعليق عليه .

٧٥٨١ – حدثنا إسمعيل بن حفص الأبُلِّيّ قال، حدثنا عبدالله بن نمير أبو هشام قال ، حدثنا مجالد بن سعيد ، عن عامر، عن ثابت بن قطبة المدنى قال: قال عبد الله : عليكم بالطاعة والجماعة ، فإنها حبل الله الذى أمرَ به ، ثم ذكر نحوه .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « واذكروا نعمة الله عليكم » ، واذكروا ما أنعم الله به عليكم من الألفة والاجتماع على الإسلام .

* * *

واختلف أهل العربية فى قوله: « إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم » .

فقال بعض نحويى البصرة فى ذلك : انقطع الكلام عند قوله : « واذكروا نعمة الله عليكم » ، ثم فُسر بقوله : « فألف بين قلوبكم » ، وأخبرَ بالذى كانوا فيه قبل التأليف ، كما تقول : « أمسكَ الحائط أن يميل » .

* * *

وقال بعض نحويى الكوفة قوله: « إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم »، تابع قوله : « واذكروا نعمة الله عليكم » غير منقطعة منها .

* * *

(١) الأثر : ٧٥٨١ – « إسماعيل بن حفص بن عمرو الأبلى ، أبو بكر الأودى البصرى ، و « الأبلى » (بضم الهمزة والباء الموحدة ، واللام المشددة المكسورة) نسبة إلى « الأبلة » . وفى بعض الكتب « الأيلى » بالياء . روى عن أبيه ، وحفص بن غياث ، ومعتمر بن سليمان وغيرهم . روى عنه النسائى وابن ماجة ، وابن خزيمة وجماعة . وسمع منه أبو حاتم ، قال ابن أبى حاتم : « وسألت أبى عنه فقال : كتبت عنه وعن أبيه ، وكان أبوه يكذب ، وهو بخلاف أبيه . قلت : لا بأس به ؟ قال : لا يمكننى أن أقول لا بأس به » . وذكره ابن حبان فى الثقات . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ١/١/١٦٥ .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى أن قوله : « إذ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم » ، متصل بقوله : « واذكروا نعمة الله عليكم » ، غير منقطع عنه .

وتأويل ذلك : واذكروا، أيها المؤمنون، نعمة الله عليكم التى أنعمَ بها عليكم ، حين كنتم أعداء فى شرككم ،(١) يقتل بعضكم بعضاً عصبيةً فى غير طاعة الله ولا طاعة رسوله ، فألف الله بالإسلام بين قلوبكم ، فجعل بعضكم لبعض إخواناً بعد إذ كنتم أعداءً ، تتواصلون بألفة الإسلام واجتماع كلمتكم عليه ، كما : —

٧٥٨٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم »، كنتم تذابحون فيها ، يأكل شديدكم ضعيفكم، حتى جاء الله بالإسلام فآخى به بينكم، وألّف به بينكم . أما والله الذى لا إله إلا هو ، إنّ الألفة لرحمة ، وإن الفرقة لعذابٌ .

٧٥٨٣ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء » ، يقتل بعضكم بعضاً ، ويأكل شديدُكم ضعيفكم ، حتى جاء الله بالإسلام فألف به بينكم ، وجمع جمعكم عليه ، وجعلكم عليه إخواناً .

* * *

قال أبو جعفر : فالنعمة التى أنعم الله على الأنصار التى أمرهم تعالى ذكره فى هذه الآية أن يذكرُوها ، هى ألفة الإسلام ، واجتماع كلمتهم عليها = والعداوةُ التى كانت بينهم التى قال الله عز وجل : « إذ كنتم أعداء »، فإنها عداوة الحروب التى كانت بين الحيين من الأوس والخزرج فى الجاهلية قبل الإسلام ، يزعم العلماء بأيام العرب أنها تطاولت بينهم عشرين ومئة سنة ، كما : —

---

(١) فى المطبوعة : « أى بشرككم » ، وليست بشىء ، وفى المخطوطة « أى شرككم » ولا معنى لها ، وفيها زيادة ألف « أى » ، و « ى » هى « فى » فالذى أثبته هو الصواب والسياق .

٧٥٨٤ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال، قال ابن إسحق : كانت الحرب بين الأوس والخزرج عشرين ومئة سنة ، حتى قام الإسلام وهم على ذلك ، فكانت حربهم بينهم وهم أخوان لأب وأم ، فلم يسمع بقوم كان بينهم من العداوة والحرب ما كان بينهم . ثم إنّ الله عز وجل أطفأ ذلك بالإسلام ، وألف بينهم برسوله محمد صلى الله عليه وسلم . (١) ٢٣/٤

* * *

فذكّرهم جل ثناؤه إذ وعظهم ، عظيمَ ما كانوا فيه فى جاهليتهم من البلاء والشقاء بمعاداة بعضهم بعضاً، وقتل بعضهم بعضاً ، وخوفِ بعضهم من بعض ، وما صارُوا إليه بالإسلام واتباع الرّسول صلى الله عليه وسلم ، والإيمان به وبما جاء به ، من الائتلاف والاجتماع ، وأمن بعضهم من بعض ، ومصير بعضهم لبعض إخواناً ، وكان سبب ذلك ما : –

٧٥٨٥ – حدثنا به ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال ، حدثنى ابن إسحق قال ، حدثنا عاصم بن عمر بن قتادة المدنى ، عن أشياخ من قومه، قالوا : قدم سُوَيد بن صامت، أخو بنى عمرو بن عوف ، مكةَ حاجًّا أو معتمراً . قال : وكان سويد إنما يسميه قومه فيهم : « الكامل »، لجلده وشعره ونسبه وَشرفه . قال : فتصدّى له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به، فدعاه إلى الله عز وجل وإلى الإسلام ، قال : فقال له سويد : فلعل الذى معك مثلُ الذى معى ! قال : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما الذى معك ؟ قال: مجلة لقمان – يعنى : حكمة لقمان – فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اعرضْها علىّ » . فعرضها عليه ، فقال : إن هذا لكلام حَسنٌ، (٢) معى أفضل من هذا ، قرآنٌ أنزله الله علىّ ، هدًى ونورٌ . قال : فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآنَ، ودعاه إلى الإسلام ، فلم يُبعد منه ، وقال : إن هذا لقولٌ حَسن ! ثم

(١) الأثر : ٧٥٨٤ – لم أستطع أن أهتدى إلى مكانه من سيرة ابن هشام فى هذه الساعة .
(٢) فى المطبوعة : « إن هذا الكلام » ، وهو خطأ ، والصواب من المخطوطة وسيرة ابن هشام .

انصرف عنه وقدم المدينةَ، فلم يلبث أن قتلته الخزرج . فإن كان قومه ليقولون : قد قتل وهو مسلم . وكان قتله قبل يوم بُعاثٍ .(١)

٧٥٨٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ،عن محمد بن إسحق قال ، حدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ،(٢) أحد بني عبد الأشهل : أن محمودَ بن لبيد،(٣) أحدَ بني عبد الأشهل قال : لما قدم أبو الحَيْسر أنس بن رافع مكة ،(٤) ومعه فتية من بني عبد الأشهل فيهم إياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج ،(٥) سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتاهم فجلس إليهم فقال : هل لكم إلى خير مما جئتم له ؟ قالوا: وما ذاك ؟ قال : أنا رسولُ الله ، بعثني إلى العباد أدعوهم إلى الله أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً،(٦) وأنزل عليَّ الكتاب . ثم ذكر لهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن، فقال إياس بن معاذ، وكان غلاماً حَدَثاً :(٧) أيْ قوم، هذا والله خير مما جئتم له ! قال : فيأخذ أبو الحَيْسَر أنس بن رافع حَفنةً من البطحاء،(٨) فضرب بها وجه إياس بن معاذ ، وقال : دعنا منك ، فلعمري لقد جئنا لغير هذا ! قال : فصمت إياس بن معاذ ، وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عَنهم، وانصرفوا

---

(١) الأثر : ٧٥٨٥ – سيرة ابن هشام ٢ : ٦٧ – ٦٩ .

(٢) في المطبوعة : « الحسين بن عبد الرحمن . . . » ، وهو خطأ ، صوابه من المخطوطة وسيرة ابن هشام، وهو مترجم في التهذيب .

(٣) في المطبوعة : « محمود بن أسد » ، وهو خطأ ، صوابه في المخطوطة ، ولم يحسن الناشر قراءتها لخلوها من النقط ، وصوابه أيضاً في ابن هشام . و « محمود بن لبيد الأشهلي » تابعي ، واختلف في صحبته . مترجم في التهذيب .

(٤) في المطبوعة والمخطوطة : « أبو الجيش أنس بن رافع » ، وهو خطأ فاحش ، صوابه من سيرة ابن هشام ٢ : ٦٩ ، وسائر كتب التاريخ .

(٥) في المخطوطة والمطبوعة : «على قوم من الخزرج»، والصواب ما في سيرة ابن هشام . كما أثبت .

(٦) في المخطوطة : « أن يعبدون الله . . . » سهو من الناسخ ، وفي ابن هشام « أدعوهم إلى أن يعبدوا الله » .

(٧) غلام حدث (بفتح الحاء وضم الدال) : كثير الحديث حسن السياق له .

(٨) في المطبوعة : « فأخذ أبو الجيش » ، والصواب ما أثبت من سيرة ابن هشام .

إلى المدينة، وكانت وقعة بُعاث بين الأوس والخزرج . قال : ثم لم يلبث إياسُ ابن معاذ أن هلك . قال : فلما أراد الله إظهارَ دينه، وإعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم، وإنجازَ موعده له، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الموسم الذى لقى فيه النفرَ من الأنصار يَعرض نفسه على قبائل العرب ،(١) كما كان يصنع فى كل موسم . فبينا هو عند العقبة، إذ لقى رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً .(٢)

= قال ابن حميد قال ، سلمة قال ، محمد بن إسحق ، فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أشياخ من قومه قالوا: لما لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم : من أنتم ؟ قالوا : نفر من الخزرج . قال : أمن موالى يهود ؟ (٣) قالوا : نعم . قال: أفلا تجلسون حتى أكلمكم؟ قالوا: بلى! قال: فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله، وعرَض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن . قال : وكان مما صَنع الله لهم به فى الإسلام ،(٤) أنّ يهود كانوا معهم ببلادهم ، وكانوا أهلَ كتاب وعلم ، وكانوا أهل شرك أصحابَ أوثان،(٥) وكانوا قد غزوهم ببلادهم . فكانوا إذا كان بينهم شىء قالوا لهم : إنّ نبيًّا الآن مبعوث قد أظلّ زمانه ، نتبعه ونقتلكم معه قتلَ عاد وإرَم ! فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفرَ ودعاهم إلى الله عز وجل ، قال بعضهم لبعض : يا قوم، تعلمون والله إنه للنبى الذى تَوَعَّدُكم به يهود، فلا يسبقُنَّكم إليه ! (٦) فأجابوه فيما دعاهم إليه، بأن صَدّقوه وقبلوا منه

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « خرج رسول الله صلى الله وسلم الموسم . . . » بإسقاط « فى » وأثبتها من ابن هشام . وفى ابن هشام : « فعرض نفسه » بالفاء ، وما فى مخطوطة الطبرى ، جيد .

(٢) فى المطبوعة : « لهم خيراً » ، والصواب من المخطوطة وابن هشام .

(٣) « موالى يهود » : أى من حلفائهم ، والمولى : الحليف .

(٤) هذا هو النص الصحيح ، لما أثبت ناشر سيرة ابن هشام ، مخالفاً أصول السيرة ، وما جاء هنا .

(٥) فى ابن هشام : « وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان » ، وما فى الطبرى صواب أيضاً .

(٦) فى المطبوعة والمخطوطة : « ولا يسبقنكم » بالواو ، وأثبت ما فى سيرة ابن هشام .

ما عَرَض عليهم من الإسلام ، وقالوا له : [١] إنا قد تركنا قومَنا ولا قومَ بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، وعسَى الله أن يجمعهم بك ، وسنَقْدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ، ونعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين ؛ فإن يجمعهم الله عليه فلا رجلَ أعزّ منك . ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى بلادهم ، قد آمنوا وصدّقوا = وهم فيما ذكر لى ستة نفر . قال : فلما قدموا المدينة على قومهم ، ذكرُوا لهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، ودعوهم إلى الإسلام حتى فَشا فيهم ، فلم تَبقَ دارٌ من دور الأنصار إلاّ وفيها ذكرٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم . حتى إذا كان العامُ المقبل ، وافى الموسمَ من الأنصار اثنا عشر رجلاً ، فلقوه بالعقبة ، وهى العقبة الأولى . فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيْعَة النساء ، [٢] وذلك قبل أن تُفترَض عليهم الحرب . [٣]

٧٥٨٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن عكرمة : أنه لقِىَ النبى صلى الله عليه وسلم ستةُ نفرٍ من الأنصار فآمنوا به وصدّقوه ، فأراد أن يذهبَ معهم ، فقالوا : يا رسول الله ، إن

٣٤/٤

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « قالوا » بإسقاط الواو ، والصواب ما فى سيرة ابن هشام .

(٢) بيعة النساء ، هى البيعة المذكورة فى [سورة الممتحنة : ١٢] ، ونصها فيما رواه ابن إسحق بإسناديه عن عبادة بن الصامت أنه قال (ابن هشام ٢ : ٧٥ ، ٧٦) : « بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لَيلَةَ العقبة الأولى على أن لا نُشْرِك بالله شيئاً ، ولا نَسْرِق ، ولا نزنى ، ولا نقتُل أولادَنا ، ولا نأتى ببُهْتانٍ نَفتريهِ من بين أيدينا وأرجُلنا ، ولا نَعْصِيه فى معروفٍ = فإن وَفَيْتُم ، فلكُمُ الجنَّة . وإن غَشِيتُم من ذلك شيئاً فأُخِذتم بحدِّه فى الدنيا ، فهو كفَّارةٌ لكم . وإن سترتُم عليه إلى يوم القيامة ، فأمركم إلى الله ، إن شاء عذب وإن شاء غفر » . وهذه بيعة لم يذكر فيها القتال والجهاد ، مما كتبه الله على الرجال دون النساء ، ولذلك سميت بيعة النساء ، لأنها مطابقة لبيعتهن المذكورة فى سورة الممتحنة .

(٣) الأثر : ٧٥٨٦ — سيرة ابن هشام ٢ : ٦٩ — ٧٣ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ٧٥٨٥

بين قومنا حرباً ، وإنا نخافُ إن جئت على حالك هذه أن لا يتهيأ الذى تريدُ . فوعدوه العامَ المقبلَ ، وقالوا : يا رسول الله ، نذهب ، فلعلّ الله أن يُصْلح تلك الحرب ! قال : فذهبوا ففعلوا ، فأصلح الله عز وجل تلك الحرب ، وكانوا يُرَوْن أنها لا تَصْلُح = وهو يوم بُعاثٍ . فلقوه من العام المقبل سبعينَ رجلاً قد آمنوا ، فأخذ عليهم النقباءَ اثنى عشر نقيباً ، فذلك حين يقول : « واذكروا نعمة الله عليكم إذْ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم » .

٧٥٨٨ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل ، قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أما « إذ كنتم أعداء » ، ففى حرب ابن سُمَير (١) = « فألف بين قلوبكم » ، بالإسلام .

٧٥٨٩ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن أيوب ، عن عكرمة بنحوه = وزاد فيه : فلما كان من أمر عائشة ما كان ، (٢) فتثاوَر = الحيَّان ، فقال بعضهم لبعض : مَوْعدُكم الحَرَّة ! فخرجوا إليها ، فنزلت هذه الآيةُ : « واذكروا نعمةَ الله عليكم إذْ كنتم أعداء فألّف بين

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة « فى حرب فألف . . . » أسقط « ابن سمير » ، وسيأتى نص قول السدى ، كما أثبته بعد ص ٨٣ س : ٣

(٢) يعنى ما كان من حديث الإفك فى أمر عائشة أم المؤمنين ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خطب الناس فذكر لهم رجالا يؤذونه فى أهله ويقولون عليهن غير الحق ، وتولى كبر ذلك رأس النفاق عبد الله بن أبى ابن سلول فى رجال من الخزرج . فقام أسيد بن حضير الأوسى فقال : يا رسول الله ، إن يكونوا من الأوس نكفيكهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج ، فرنا بأمرك ، فو الله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم . فقام سعد بن عبادة الخزرجى ، فقال : كذبت لعمر الله ، لا تضرب أعناقهم ! أما والله ما قلت هذه المقالة إلا لأنك عرفت أنهم من الخزرج ، ولو كانوا من قومك ما قلت هذا ! فقال أسيد ابن الحضير : كذبت لعمر الله : ولكنك منافق تجادل عن المنافقين ! وتثاور الناس حتى كاد أن يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شر (تاريخ الطبرى ٣ : ٦٩) .

هذا ولم أجد ذكر هذا الخبر فى كتاب ، ولم أجد فى كتب أسباب النزول أن هذه الآية نزلت فى شأن عائشة رضى الله عنها ، ولا ما كان يومئذ بين الأوس والخزرج . ولم يذكر ذلك أبو جعفر مصرحاً فى هذا الموضع ، ولا ذكر ذلك فى تفسير سورة النور ، حيث آيات حديث الإفك وبراءة عائشة أم المؤمنين .

قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً » ، الآية . فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل يتلوها عليهم حتى اعتنق بعضهم بعضاً ، وحتى إن لهم لحنيناً = يعنى البكاء . (١)

* * *

« وسُمَير » الذى زعم السدى أن قوله : « إذ كنتم أعداء » عنى به حربه ، هو سُمير بن زيد بن مالك ، (٢) أحد بنى عمرو بن عوف ، الذى ذكره مالك بن العجلان فى قوله :

إنَّ سُمَيْرًا ، أَرَى عَشِيرَتَهُ قَدْ حَدِبُوا دُونَهُ وَقَدْ أَنِفُوا (٣)

إنْ يَكُنِ الظَّنُّ صَادِقِى بَبَنِى النَّجَّارِ لَمْ يَطْعَمُوا الَّذِى عُلِفُوا (٤)

---

(١) فى المطبوعة : « لحنيناً » بالحاء ، وأما فى المخطوطة ، فإن الناسخ على غير عادته نقط حروفها المعجمة جميعاً ، كما أثبتها ، وهو الصواب المحض . والحنين : تردد البكاء فى الأنف والخياشيم حتى يصير فى الصوت مثل الغنة ، لكتمان البكاء من ألم وحياء وخجل . وقد ورد فى كثير من الأحاديث من ذلك : « أنه كان يسمع خنينه فى الصلاة » ، وفى حديث أنس : « فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم ، لهم خنين » .

(٢) فى الأغانى ٣ : ٤٠ « سمير بن يزيد بن مالك » ، وذكر فى ٣ : ٢١ أنه أخو « درهم بن يزيد بن ضبيعة » ، وقد رجحت فى التعليق على طبقات فحول الشعراء لابن سلام : ٢٤٧ تعليق : ٦ أنه « درهم بن يزيد بن مالك » من بنى ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف . وقد جاء فى المطبوعتين « درهم بن زيد » كما جاء هنا فى ذكر أخيه « سمير بن زيد » . .

(٣) جمهرة أشعار العرب : ١٢٢ ، والأغانى ٢٠ ، واللسان (سمر) وهذا البيت والذى يليه كتب فى المطبوعة بالقاف « أبقوا » ثم « علقوا » وهما فى المخطوطة غير منقوطتين ، وأوقعهم فى ذلك النقط ما جاء فى اللسان (سمر) ، « أيقوا » بالياء والقاف ، وهو خطأ محض ينبغى تصحيحه . فقصيدة مالك فائية لاشك فيها . رواها صاحب جمهرة أشعار العرب بطولها ، ورواها أبو الفرج ، وروى معها نقائضها ، لدرهم بن يزيد ، ثم لقيس بن الخطيم ، فيما بعد هذه الحرب بدهر ، ورد حسان ابن ثابت عليه ونقضته له . وخبر هذا الشعر طويل ، هو فى الأغانى ٣ : ١٨ — ٢٦ ، ثم ٣٩ — ٤٢ . ثم انظر ما قاله الطبرى بعد الأبيات .

وقوله : « حدبوا دونه » ، يقال : « حدب عليه » ، إذا تعطف عليه وحنا عليه . وقوله : « دونه » ، عنى أنهم عطفوا عليه وحاموا دونه ليمنعوه . وقوله : « أنفوا » ، يقال : « أنف الرجل من الشىء يأنف أنفاً » ، إذا حمى وغضب ، وأخذته الغيرة من أن يضام . وكان سمير هذا هو الذى قتل الرجل الثعلبى جار مالك بن العجلان — فى خبر الحرب — فطالب مالك بنى عمرو بن عوف أن يرسلوا إليه سميراً ليقتله بجاره ، أو يأخذ الدية كاملة ، فأبى أولئك ، وأبى مالك ، وحدب بنو عمرو بن عوف على صاحبهم سمير ، واستنفر مالك قبائل الخزرج ، فأبت بنو الحارث بن الخزرج أن تنصره ، فقال هذه الأبيات يحرض بنى النجار على نصرته .

(٤) فى رواية الجمهرة والأغانى : « صادقاً » ، وهما سواء . وفى شرح هذا البيت قال أبو الفرج فى

وقد ذكر علماء الأنصار : أنّ مبدأ العداوة التى هيّجت الحروب التى كانت بين قبيلتيها الأوسِ والخزرجِ وأوّلها، كان بسبب قتل مَولى لمالك بن العجلان الخزرجىّ يقال له : « الحرُّ بن سُمَير » من مزينة ، (١) وكان حليفاً لمالك بن العجلان ، ثم اتصلت تلك العداوة بينهم إلى أن أطفأها الله بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم . فذلك معنى قول السدى : « حرْب ابن سمير » .

* * *

وأما قوله : «فأصبحتم بنعمته إخواناً »، فإنه يعنى : فأصبحتم بتأليف الله عز وجل بينكم بالإسلام وكلمة الحق، والتعاون على نصرة أهل الإيمان ، والتآزر على من خالفكم من أهل الكفر، إخواناً متصادقين ، لاضغائن بينكم ولا تحاسد ، كما : —

٧٥٩٠ — حدثنى بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة

أغانيه : « علفوا الضيم : إذا أقروا به . أى ظنى أنهم لا يقبلون الضيم » ، وهذا مجاز قلما تظفر بتفسيره فى كتب اللغة . وقد جاء مثل ذلك فى هذا المعنى من قول سبيع بن زرارة ، أو خالد بن نضلة (الحماسة ١ : ١٨٦) .

إِذَا كُنْتَ فى قومٍ عِدًى لَسْتَ مِنْهُمُ فَكُلْ مَا عُلِفْتُ من خبيثٍ وطيِّبِ

وقول العباس بن مرداس (الحماسة ١ : ٢٢٥)

ولا تَطْعَمَنْ ما يَعْلِفُونَكَ إنَّهُمْ أَتَوْكَ عُلَى قُرْبَاهُمْ ، بِالمُثَمَّلِ

وكأنهم يريدون بذلك : ما يقدم إليك ، مما يكون حسن الظاهر كأنه رعاية وكرم ، خبيث الباطن يراد به الأذى والضيم ، واستعملوا « العلف » لأنه كالاستغفال لمن يقدم إليه ، كأنه بهيمة لا تدرك الخفى الباطن .

هذا وقد ترك ناشرو هذا التفسير هذين البيتين على حالها من التصحيف . ثم جاء بعض المعلقين ، فكتب ما لا قبل لذى عقل بقبوله ، إلا على قول القائل : « فكل ما علفت » !

(١) لست على ثقة من هذا الاسم « الحر بن سمير » ، ولكنى لم أجده فى مكان آخر ، والذى يقولونه فى غير هذا الخبر أن اسمه « كعب بن العجلان » ، ويقال غير ذلك .

قوله : « فأصبحتم بنعمته إخواناً »، وذكر لنا أن رجلاً قال لابن مسعود : كيف أصبحتم ؟ قال: أصبحنا بنعمة الله إخواناً .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « وكنتم على شفا حفرة من النار » ، وكنتم ، يا معشر المؤمنين ، من الأوس والخزرج ، على حرف حُفرةٍ من النار . وإنما ذلك مثَلٌ لكفرهم الذى كانوا عليه قبل أن يهديهم الله للإسلام . يقول تعالى ذكره : وكنتم على طرَف جهنم بكفركم الذى كنتم عليه قبل أن يُنعم الله عليكم بالإسلام، فتصيروا بائتلافكم عليه إخواناً ، ليس بينكم وبين الوقوع فيها إلا أن تموتوا على ذلك من كفركم ، فتكونوا من الخالدين فيها ، فأنقذكم الله منها بالإيمان الذى هداكم له . ٢٥/٤

* * *

و«شفا الحفرة »، طرفها وحرفها، مثل« شفا الركيَّة والبئر »؛ ومنه قول الراجز :

نَحْنُ حَفَرْنَا لِلْحَجِيجِ سَجْلَهْ نَابِتَةٌ فَوْقَ شَفَاهَا بَقْلَهْ(١)

---

(١) لم أجد هذا الرجز بهذه الرواية فى كتاب غير هذا التفسير . أما « سجلة » فهى بئر المطعم ابن عدى بن نوفل بن عبد مناف ، ويقال حفرها عدى بن نوفل ، ويقال حفرها هاشم بن عبد مناف ، ويقال حفرها قصى . وقد ذكرها ابن هشام فى سيرته ٢ : ١٥٧ ، والأزرقى فى تاريخ مكة ١ : ٦٤ ، ٦٥ / ٢ : ١٧٥ ، ١٧٦ ، والبلاذرى فى فتوح البلدان : ٥٥ ، ٥٦ ، والبكرى فى معجم ما استعجم : ٧٢٤ ، ومعجم البلدان (سجلة) ، والروض الأنف ١ : ١٠١ ، وذكرها المصعب فى نسب قريش : ٣٢ ، ١٩٧ ، ولم يذكر اسمها بل قال : « سقاية عدى ، التى بالمشعرين ، بين الصفا والمروة ، وفيها يقول مطرود الخزاعى ، يمدح عدى بن نوفل :

يعنى : فوق حرفها . يقال . « هذا شفا هذه الركية » مقصور « وهما شفواها »

* * *

وقال : « فأنقذكم منها » ، يعنى فأنقذكم من الحفرة، فردّ الخبر إلى « الحفرة »، وقد ابتدأ الخبر عن « الشفا »، لأن « الشفا » من « الحفرة » . فجاز ذلك، إذ كان الخبر عن « الشفا » على السبيل التى ذكرها فى هذه الآية = خبراً عن « الحفرة » ، كما قال جرير بن عطية :

رَأَتْ مَرَّ السِّنِينَ أَخَذْنَ مِنِّى كما أَخَذ السِّرَارُ مِنَ الهِلَالِ (١)

وَمَا النِّيلُ يَأْتِى بالسَّفِينِ يَكُفُّه بأَجْوَدَ سَيْباً من عَدِىّ بن نَوْفَلِ
وأنبطْتَ بين المَشْعَرَيْنِ سِقايةً لِحُجَّاجِ بَيْتِ الله أفْضَلَ مَنْهَلِ

ونسب أبو الفرج فى أغانيه ١٣ : ٥ هذا الشعر لقيس بن الحدادية من أبيات . وأما الرجز الذى يشبه هذا وذكروه فى المراجع السالفة ، فقد اختلف فى نسبته ، إلى قصى ، وإلى خلدة بنت هاشم ، تقول :

نَحْنُ وَهَبْنَا لِعَدِىٍّ سَجْلَهْ فى تُرْبَةٍ ذَاتِ عَذَاةٍ سَهْلَهْ
تُرْوِى الحَجِيجَ زُغْلَةً فزُغْلَهْ

أى جرعة فجرعة . ولم يتيسر لى تحقيق ذلك الآن بأكثر من هذا .

(١) ديوانه : ٤٢٦ ، مجاز القرآن : ٩٨ ، الكامل ١ : ٣٢٤ ، وغيرها ، وسيأتى فى التفسير ١٢ : ١٣/٩٤ : ١٩/١٠٩ : ٣٩ (بولاق)، من قصيدة يهجو الفرزدق ، لم تذكر فى نقائضهما ، يقول قبل البيت :

دَعِينى ، إنَّ شَيْبى قَدْ نَهَانِى وَتَجْرِيبِى ، وَشَيْبِى ، وَاكْتِهَالِى
رَأَتْ مَرَّ السِّنِينِ . . . . . .
وَمَنْ يَبْقَى عَلَى غَرَضِ المَنَايَا وَأَيَّامٍ تَمُرُّ مَعَ اللَّيَالِى ؟!

والسرار (بكسر السين وفتحها) : آخر ليلة من الشهر ، ليلة يستسر القمر ، أى يختفى ، وأراد جرير بالسرار فى هذا البيت : نقصان القمر حتى يبلغ آخر ما يكون هلالا ، حتى يخفى فى آخر ليلة ، فهذا النقصان هو الذى يأخذ منه ليلة بعد ليلة ، أما « السرار » الذى شرحه أصحاب اللغة ، فهو ليلة اختفاء القمر ، وذلك لا يتفق فى معنى هذا البيت

فذكر : « مر السنين » ، ثم رجع إلى الخبر عن « السنين » ، وكما قال العجاج : (١)

طُولُ اللَّيَالِي أَسْرَعَتْ فِي نَقْضِي طَوَيْنَ طولِي وَطَوَيْنَ عَرْضِي (٢)

وقد بيَّنتُ العلة التي من أجلها قيل ذلك كذلك فيما مضى قبل . (٣)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك من التأويل قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٧٥٩١ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته » ، كان هذا الحيُّ من العرب أذلَّ الناس ذُلاًّ ، وأشقاهُ عيشاً ، (٤) وأبيَنَه ضلالة ، وأعراهُ

---

(١) وينسب للأغلب العجلى ، كما سترى فى المراجع ، وقال أبو محمد الأعرابى فى فرحة الأديب . « ليس هذا الرجز للأغلب ، هو لغيره ، من شوارد الرجز » .

(٢) ديوان العجاج : ٨٠ ، سيبويه ١ : ٢٦ ، كتاب المعمرين : ٨٧ ، الأغانى ٨ : ١٦٤ ، والبيان والتبيين ٤ : ٦٠ ، والخزانة ٢ : ١٦٨ ، العينى (هامش الخزانة) ٣ : ٣٩٥ ، وشرح شواهد المغنى : ٢٩٨ وغيرها . وقد اختلف فى رواية الرجز اختلاف كثير . ورواية أبى محمد الأعرابى :

أَصْبَحْتُ لا يَحْمِلُ بَعْضِي بَعْضِي مُنَفَّهاً ، أَرُوحُ مِثْلَ النِّقْضِ

مَرُّ اللَّيالى . . . . . .

مُمَّ التَّحَيْنَ عَنْ عِظامِي نَحْضِي أَقْعَدْنَنِي مِنْ بَعْدِ طُول نَهْضِي

المنفه : الذى غلبه الكلال والإعياء . والنقض : البعير المهزول . التحى العود من الشجر : قشر عنه لحاءه ، وهو قشره . والنحض : اللحم . يقول : تركته الليالى عظاماً ، قد أكلت لحمه .

(٣) ٥ : ٧٧ ، ٧٨

(٤) قوله : « وأشقاه عيشاً ، وأبينه ضلالة . . . » مع عودة الضمير إلى « الناس » ، لأن ضمير المثنى والجمع بعد « أفعل » التفضيل ، يجوز إفراده وتذكيره ، انظر ما سلف من التعليق على الآثار رقم : ٥٩٦٨ ، ٦١٢٩ ، ٧٠٢٨ ، ٧٠٢٩

جلوداً ، وأجوعَه بطوناً ، مَكْعُومين[١] ، على رأس حجر بين الأسدين فارس والروم ، لا والله ما فى بلادهم يومئذ من شىء يحسدون عليه . مَنْ عاش منهم عاش شقياً ، ومن مات رُدِّى فى النار ،[٢] يؤكلون ولا يأكلون ، والله ما نعلم قبيلاً يومئذ من حاضر الأرض كانوا فيها أصغر حظًّا ، وأدق فيها شأناً ، منهم ، حتى جاء الله عز وجل بالإسلام ، فورَّثكم به الكتاب ، وأحل لكم به دار الجهاد ، ووضع لكم به من الرزق ،[٣] وجعلكم به ملوكاً على رقاب الناس. وبالإسلام أعطى الله ما رأيتم ، فاشكروا نِعَمه ، فإن ربكم منعِمٌ يحب الشاكرين ، وإن أهل الشكر فى مزيد الله ، فتعالى ربُّنا وتبارك .

٧٥٩٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس قوله : « وكنتم على شفا حفرة من النار » ، يقول : كنتم على الكفر بالله = « فأنقذكم منها » ، من ذلك ، وهداكم إلى الإسلام

٧٥٩٣ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » ، بمحمد صلى الله عليه وسلم . يقول : كنتم على طرَف النار ، من مات منكم أوبِقَ فى النار ،[٤] فبعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم فاستنقذكم به من تلك الحفرة .

---

(١) فى المطبوعة : « معكومين » ، والصواب من المخطوطة : كعم فم البعير وغيره شد فاه فى هياجه لئلا يعض . ومنه قيل : « كعمه الخوف فهو مكعوم » ، أمسك فاه ، ومنعه من النطق ، وفى حديث على : « فهم بين خائف مقموع ، وساكت مكعوم » ، وفى شعر ذى الرمة يصف صحراء بعيدة الأرجاء ، يخافها سالكها :

بَيْنَ الرَّجَا والرَّجَا من جَنْبِ واصِيَةٍ يَهْمَاء ، خَابِطُهَا بالخوف مَكْعُومُ

(٢) ردى فى النار : ألقى فيها .

(٣) هكذا جاءت الجملتان فى المخطوطة ، ولست على ثقة من صوابهما ، ولا أدرى ما يعنى بقوله : « دار الجهاد » ، والذى نعرف أن الإسلام جاء فأحله للمجاهدين هو « الغنائم » غنائم الحرب والجهاد . فأخشى أن يكون فى الكلام تحريف . وقوله : « ووضع لكم به من الرزق » كأنه يعنى بقوله : « وضع » بسط ، كما فسروه فى حديث التوبة : « إن الله واضع يده لمسىء الليل ليتوب بالنهار ، ولمسىء النهار ليتوب بالليل » ، أى بسط ، كما جاء فى الرواية الأخرى : « إن الله باسط يده . . . » .

(٤) أوبقه : أهلكه ، وقوله : « أوبق » بالبناء للمجهول .

٧٥٩٤ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا حسن بن حيّ : « وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها »، قال: عصبية.(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (١٠٣)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « كذلك »، كما بيّن لكم ربكم فى هذه الآيات ، أيها المؤمنون من الأوس والخزرج، من غِلّ اليهود الذى يضمرونه لكم،(٢) وغشهم لكم، وأمره إياكم بما امركم به فيها، ونهيه لكم عما نهاكم عنه، والحال التى كنتم عليها فى جاهليتكم، والتى صرتم إليها فى إسلامكم=(٣) مُعَرِّفكم فى كل ذلك مواقع نعمة قِبَلكم وصنائعه لديكم=(٤) فكذلك يبين سائر حججه لكم فى تنزيله وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم= « لعلكم تهتدون »، يعنى : لتهتدوا إلى سبيل الرشاد وتسلكوها ، فلا تضِلوا عنها .(٥)

٢٦/٤

* * *

(١) الأثر : ٧٥٩٤ – « الحسن بن حى » ، هو : « الحسن بن صالح بن صالح بن حى ، وهو حيان ، الهمدانى » قال البخارى : « يقال : حى ، لقب » ، وكان فى المطبوعة : « حسن بن يحيى » ، والصواب فى المخطوطة ، وهو مترجم فى التهذيب .

(٢) فى المطبوعة : « من علماء اليهود . . . » ، وهو فاسد جداً ، والصواب فى المخطوطة ، ولكنه لم يحسن قراءتها « من عل » غير منقوطة . والغل (بكسر الغين) : الحقد الدفين .

(٣) سياق الجملة : كما بين لكم فى هذه الآيات . . . من غل اليهود . . . ومن غشهم . . . ومن أمره . . . ومن نهيه . . . ومن الحال التى كنتم عليها . . . » معطوف بعضه على بعض .

(٤) فى المطبوعة : « يعرفكم » بالياء فى أوله ، والصواب ما فى المخطوطة ، وهو منصوب الفاء ، نصب على الحال .

(٥) عند هذا الموضع ، انتهى الجزء الخامس من مخطوطتنا ، وفى آخره ما نصه :

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١٠٤)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « ولتكن منكم » أيها المؤمنون= « أمة » ، يقول : جماعة[1] =« يدعون » الناس = « إلى الخير » ، يعنى إلى الإسلام وشرائعه

« نجز الجزء الخامس من كتاب البيان ، بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه ، أعان الله على ما بعده بمنه وكرمه ، وخفىّ لطفه وسعة رحمته ، إنّه وَلِىّ ذلك والقادرُ عليه . يتلوه فى السادس إنْ شاء الله تعالى : القول فى تأويل قوله : ﴿ وَلْتَكُنْ مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

* * *

وكان الفراغُ منه فى شهر الله المحرّم غُرّة سنة خمس عشرة وسبعمئة ، أحسن الله تَقَضِّيها وخاتمتها فى خيرٍ وعافية ، بمنّه وكرمه ولطفه ــ على يدِ العبد الفقير إلى رحمة مولاه ، الغنىِّ به عمن سواه : علىّ بن محمد بن عباد (أو : عنان) بن عبد الصمد بن صالح الدندبلى (؟؟) الشافعى ، غفر الله له ولوالديه ، ولصاحب هذا الكتاب ، ولمن قرأ فيه ودعا لهم بالتوبة والمغفرة ورضى الله تعالى والجنة ، ولجميع المسلمين . وذلك بالقاهرة المحروسة ، بحارة العطوفة .

الحمد لله ربّ العالمين »

ثم يتلوه الجزء السادس ، وأوله :

« بسم الله الرحمن الرحيم

ربّ أعِنْ »

---

(١) انظر تفسير « أمة » فيما سلف ١ : ٣/٢٢١ : ٧٤ ، ١٠٠ ، ١٢٨ ، ١٤١ ، ٢٧٥ – ٢٧٧ .

التى شرعها الله لعباده[١]=« ويأمرون بالمعروف»، يقول: يأمرون الناس باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ودينه الذى جاء به من عند الله[٢]= « وينهون عن المنكر » ، يعنى : وينهون عن الكفر بالله والتكذيب بمحمد وبما جاء به من عند الله ، بجهادهم بالأيدى والجوارح حتى ينقادوا لكم بالطاعة .

* * *

وقوله: « وأولئك هم المفلحون »، يعنى المنجحون عند الله الباقون فى جناته ونعيمه.

* * *

وقد دللنا على معنى « الإفلاح » فى غير هذا الموضع ، بما أغنى عن إعادته ههنا . [٣]

* * *

٧٥٩٥ — حدثنا أحمد بن حازم قال ، حدثنا أبو نعيم قال، حدثنا عيسى ابن عمر القارئ ، عن أبى عون الثقفى : أنه سمع صُبيحاً قال : سمعت عثمان يقرأ : ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَيَسْتَعِينُونَ اللهَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ ﴾ .[٤]

٧٥٩٦ — حدثنى أحمد بن حازم قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا ابن

---

(١) انظر تفسير «الخير» فيما سلف ٢ : ٥٠٥ .

(٢) انظر تفسير « المعروف » فيما سلف ٣ : ٤/٢٩٣ : ٥٤٧ ، ٥٤٨ / ٥ : ٤٤ ، ٧٦ ، ٩٣ ، ١٣٧ ، ٥٢٠ .

(٣) انظر ما سلف ١ : ٢٤٩ ، ٣/٢٥٠ : ٥٦١ .

(٤) الأثر : ٧٥٩٥ — « عيسى بن عمر الأسدى » المعروف بالهمدانى، القارئ الأعمى صاحب الحروف ، كوفى ثقة . مترجم فى التهذيب وطبقات القراء ١ : ٦١٢. « أبو عون الثقفى » هو : « محمد بن عبيدالله بن سعيد » الأعور ، كوفى تابعى ثقة . مترجم فى التهذيب، وطبقات القراء ٢ : ١٩٤ . أما « صبيح » ، فلم أجد له ترجمة إلا فى الجرح والتعديل لابن أبى حاتم ٢/١/٤٤٩ قال : «صبيح ، قال سمعت عثمان يقرأ : « ولتكن منكم أمة يهدون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون الله على ما أصابهم . روى عيسى بن عمر القارئ ، عن أبى عون ، عنه » . ولم يزد على ذلك ، وفى الجرح كما ترى « يهدون إلى الخير » على غير ما جاء فى الطبرى ، فإنه يوافق القراءة الموروثة. وفى التاريخ الكبير للبخارى « صبيح بن عبد الله العبسى » أنه قال : « استعمل عثمان أبا سفيان بن الحارث على الفروض » ، ولست أستطيع أن أرجح أنهما رجل واحد . وانظر الدر المنثور ٢ : ٦١ ، ٦٢ .

عيينة ، عن عمرو بن دينار قال : سمعت ابن الزبير يقرأ . فذكر مثل قراءة عثمان التي ذكرناها قبل سواءً .

٧٥٩٧ — حدثنا يحيى بن أبي طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » ، قال : هم خاصة أصحابِ رسول الله ، وهم خاصّة الرواة . (١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٠٥)

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : « ولا تكونوا » ، يا معشر الذين آمنوا = « كالذين تفرقوا » من أهل الكتاب = « واختلفوا » في دين الله وأمره ونهيه = « من بعد ما جاءهم البينات » ، من حجج الله فيما اختلفوا فيه ، وعلموا الحق فيه فتعمدوا خلافه ، وخالفوا أمرَ الله ، ونقضوا عهده وميثاقه جراءة على الله = « وأولئك لهم » ، يعني : ولهؤلاء الذين تفرقوا واختلفوا من أهل الكتاب من بعد ما جاءهم = « عذاب » من عند الله = « عظيم » ، يقول جل ثناؤه : فلا تتفرقوا ، يا معشر المؤمنين ، في دينكم تفرُّق هؤلاء في دينهم ، ولا تفعلوا فعلهم ، وتستنوا في دينكم بسنتهم ، فيكون لكم من عذاب الله العظيم مثل الذي لهم ، كما :—

٧٥٩٨ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات » ، قال : هم أهل الكتاب . نهى الله أهل الإسلام أن يتفرقوا ويختلفوا كما

---

(١) الأثر ٧٥٩٧ — رواه ابن كثير في تفسيره ٢ ٢٠٩ ولفظه : « قال الضحاك : هم خاصة الصحابة ، وخاصة الرواة » ثم بينه فقال : « يعني المجاهدين والعلماء »

تفرق واختلف أهل الكتاب . قال الله عز وجل : « وأولئك لهم عذابٌ عظيم » .

٧٥٩٩ — حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ابن صالح ، عن على بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا » ونحو هذا فى القرآن. أمر الله جل ثناؤه المؤمنين بالجماعة ، فنهاهم عن الاختلاف والفرقة . وأخبرهم أنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات فى دين الله .

٧٦٠٠ — حدثني محمد بن سنان قال ،حدثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد ، عن الحسن فى قوله : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم » ، قال : هم اليهود والنصارى .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١٠٧)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : أولئك لهم عذاب عظيم فى يوم تبيض وجوه وتسودُّ وجوه .

* * *

وأما قوله : « فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم » ، فإن معناه : فأما الذين اسودت وجوههم ، فيقال لهم : أكفرتم بعد إيمانكم ؟ فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون . ولا بد لـ « أما » من جواب بالفاء ، فلما أسقط الجواب سقطت « الفاء » معه . وإنما جاز ترك ذكر « فيقال » ، لدلالة ما ذكر من الكلام عليه .

* * *

٢٧/٤ وأما معنى قوله جل ثناؤه : « أكفرتم بعد إيمانكم » ، فإن أهل التأويل اختلفوا فيمن عُنى به .

فقال بعضهم : عنى به أهل قبلتنا من المسلمين

* ذكر من قال ذلك :

٧٦٠١ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يوم تبيض وجوه وتسود وجوه » ، الآية ، لقد كفر أقوامٌ بعد إيمانهم كما تسمعون . ولقد ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « والذى نفس محمد بيده ، ليردنّ على الحوض ممن صحبني أقوامٌ ، حتى إذا رُفعوا إلىّ ورأيتهم ، اختُلِجوا دونى ، فلأقولن : ربّ ! أصحابى ! أصحابى ! فليقالنّ : إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك » ! = وقوله : « وأما الذين ابيضتْ وجوههم ففى رحمة الله » ، هؤلاء أهل طاعة الله ، والوفاء بعهد الله ، قال الله عز وجل : « ففى رحمة الله هم فيها خالدون » .

٧٦٠٢ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يوم تبيضُّ وجوه وتسودُّ وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » ، فهذا من كفر من أهل القبلة حين اقتتلوا .

٧٦٠٣ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن حماد بن سلمة والربيع ابن صبيح ، عن أبى مجالد ، عن أبى أمامة : « فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم » ، قال : هم الخوارج .

* * *

وقال آخرون : عنى بذلك : كلّ من كفر بالله بعد الإيمان الذى آمن ،

---

(١) الأثر : ٧٦٠١ – هذا أثر مرسل ، وقد أخرجه البخارى فى صحيحه بغير هذا اللفظ (الفتح ١١ : ٤٠٨ ، ٤١٢ وما بعدها) ومسلم فى صحيحه ١٧ : ١٩٤ ، وقوله : « رفعوا إلى » ، أى أظهرهم الله له فرآهم من بعيد . واختلج الشيء : نزعه وجذبه .

حين أخذ الله من صلب آدم ذريته وأشهدهم على أنفسهم بما بيَّن فى كتابه.(١)

* ذكر من قال ذلك :

٧٦٠٤ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا على بن الهيثم قال ، أخبرنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، عن أبىّ بن كعب فى قوله : « يوم تبيض وجوه وتسود وجوه » ، قال : صاروا يوم القيامة فريقين ، فقال لمن اسودّ وجهه ، وعيَّرهم : « أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذابَ بما كنتم تكفرون » ، قال : هو الإيمان الذى كان قبل الاختلاف فى زمان آدم ، حين أخذ منهم عهدهم وميثاقهم ، وأقرُّوا كلهم بالعبودية ، وفطرهمْ على الإسلام ، فكانوا أمة واحدة مسلمين. يقول : « أكفرتم بعد إيمانكم » ، يقول : بعد ذلك الذى كان فى زمان آدم . وقال فى الآخرين : الذين استقاموا على إيمانهم ذلك ، فأخلصوا له الدين والعمل ، فبيَّض الله وجوههم ، وأدخلهم فى رضوانه وجنته .

* * *

وقال آخرون : بل الذين عنوا بقوله : « أكفرتم بعد إيمانكم » ، المنافقون .

* ذكر من قال ذلك :

٧٦٠٥ – حدثنى محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد ، عن الحسن : « يوم تبيض وجوه وتسود وجوه » الآية ، قال : هم المنافقون ، كانوا أعطوا كلمةَ الإيمان بألسنتهم ، وأنكروها بقلوبهم وأعمالهم .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال التى ذكرناها فى ذلك بالصواب ، القولُ الذى ذكرناه عن أبى بن كعب أنه عنى بذلك جميع الكفار ، وأنّ الإيمان الذى يوبَّخُون على ارتدادهم عنه ، هو الإيمان الذى أقروا به يوم قيل لهم : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ﴾ [سورة الأعراف : ١٧٢] .

---

(١) يعنى آية « سورة الأعراف : ١٧٢ قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ربكَ مِنْ بنى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ الآية .

وذلك أن الله جل ثناؤه جعل جميعَ أهل الآخرة فريقين أحدهما سوداً وجوهه ، والآخر بيضاً وجوهه.(١) فمعلوم – إذ لم يكن هنالك إلاّ هذان الفريقان – أن جميع الكفار داخلون فى فريق من سُوِّد وجهه ، وأن جميع المؤمنين داخلون فى فريق من بُيِّض وجهه . فلاوجه إذاً لقول قائل: «عنى بقوله : « أكفرتم بعد إيمانكم »، بعض الكفار دون بعض » ، وقد عمّ الله جل ثناؤه الخبرَ عنهم جميعهم . وإذا دخل جميعهم فى ذلك، ثم لم يكن لجميعهم حالة آمنوا فيها ثم ارتدوا كافرين بعدُ إلاحالة واحدة ، كان معلوماً أنها المرادةُ بذلك.(٢)

* * *

فتأويل الآية إذاً : أولئك لهم عذاب عظيمٌ فى يوم تبيضُّ وجوه قوم وتسودُّ وجوه آخرين. فأما الذين اسودت وجوههم ، فيقال : أجحدتم توحيد الله وعهدَه وميثاقَه الذى واثقتموه عليه ، بأن لاتشركوا به شيئاً ، وتخلصوا له العبادة – بعد إيمانكم = يعنى : بعد تصديقكم به ؟ = « فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون »، يقول: بما كنتم تجحدون فى الدنيا ما كان الله قد أخذ ميثاقكم بالإقرار به والتصديق ٢٨/٤
= « وأما الذين ابيضّت وجوههم » . ممن ثبتَ على عهد الله وميثاقه، فلم يبدِّل دينه، ولم ينقلب على عَقِبيه بعد الإقرار بالتوحيد ، والشهادة لربه بالألوهة : وأنه لا إله غيره = « ففى رحمة الله »، يقول: فهم فى رحمة الله، يعنى : فى جنته ونعيمها وما أعد الله لأهلها فيها = « هم فيها خالدون » ، أى : باقون فيها أبداً بغير نهاية ولا غاية .

* * *

(١) فى المطبوعة : « سوداء . بيضاء » والصواب ما فى المخطوطة .
(٢) فى المطبوعة : « أنها المراد » بغير تاء ، والصواب ما فى المخطوطة .

القول فى تأويل قوله ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١٠٨)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « تلك آيات الله » ، هذه آيات الله .

* * *

وقد بينا كيف وضعت العرب « تلك » و « ذلك » مكان « هذا » و « هذه » ، فى غير هذا الموضع فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته .[1]

* * *

وقوله : « آيات الله » ،[2] يعنى مواعظ الله وعبره وحججه = « نتلوها عليك » ،[2] نقرؤها عليك ونقصُّها = « بالحق » ، يعنى بالصدق واليقين .

وإنما يعنى بقوله : « تلك آيات الله » ، هذه الآيات التى ذكر فيها أمورَ المؤمنين من أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمور يهود بنى إسرائيل وأهل الكتاب ، وما هو فاعل بأهل الوفاء بعهده ، وبالمبدِّلين دينه ، والناقضين عهدَه بعد الإقرار به . ثم أخبر عز وجل نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أنه يتلو ذلك عليه بالحق ، وأعلمه أنّ من عاقبَ من خلقه بما أخبر أنه معاقبه [به] :[4] من تسويد وجهه ، وتخليده فى أليم عذابه وعظيم عقابه = ومن جازاه منهم بما جازاه : من تبييض وجهه وتكريمه وتشريف منزلته لديه ، بتخليده فى دائم نعيمه ، فبغير ظلم منه لفريق منهم ، بل بحق استوجبوه ،[5] وأعمال لهم سلفت جازاهم عليها ، فقال تعالى ذكره : « وما الله يريد ظلماً للعالمين » ، يعنى بذلك : وليس الله يا محمد =

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٢٢٥ – ٣/٢٢٨ : ٣٣٥ .

(٢) انظر تفسير « آية » فيما سلف فى فهارس اللغة مادة « أيا » .

(٣) انظر تفسير « تلا » فيما سلف ٢ : ٤٠٩ – ٤١١ ، ٥٦٦ – ٥٧٠ / ٦ : ٤٦٦

(٤) فى المطبوعة : « أن من عاقبه » ، وأثبت ما فى المخطوطة فهو صواب . وما بين القوسين زيادة لا بد منها يقتضيها السياق .

(٥) فى المطبوعة : « بل لحق » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

بتسويد وجوه هؤلاء وإذاقتهم العذاب العظيم ، وتبييض وجوه هؤلاء وتنعيمه إياهم فى جنته = طالباً وضعَ شىء مما فعل من ذلك فى غير موضعه الذى هو موضعه = إعلاماً بذلك عباده أنه لن يصلح فى حكمته بخلقه غير ما وعد أهل طاعته والإيمان به ، وغير ما أوعد أهل معصيته والكفر به = وإنذاراً منه هؤلاء ، وتبشيراً منه هؤلاء .

* * *

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ (١٠٩)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : أنه يعاقب الذين كفروا بعد إيمانهم بما ذكر أنه معاقبهم به من العذاب العظيم وتسويد الوجوه ، ويثيب أهلَ الإيمان به الذين ثبتوا على التصديق والوفاء بعهودهم التى عاهدوا عليها بما وصفَ أنه مثيبهم به من الخلود فى جنانه ، من غير ظلم منه لأحد الفريقين فيما فعل ، لأنه لا حاجة به إلى الظلم . وذلك أن الظالم إنما يظلم غيره ليزداد إلى عزه عزة بظلمه إياه ، أو إلى سلطانه سلطاناً ، أو إلى ملكه ملكاً ،=[1] أو إلى نقصان فى بعض أسبابه يتمم بها ظلم غيره فيه ما كان ناقصاً من أسبابه عن التمام .[2] فأما من كان له جميع ما بين أقطار المشارق والمغارب ، وما فى الدنيا والآخرة ، فلا معنى لظلمه أحداً ، فيجوز أن يظلم شيئاً ، لأنه ليس من أسبابه شىء ناقصٌ يحتاج إلى تمام ، فيتم ذلك بظلم

---

(١) فى المطبوعة : « وإلى ملكه » بالواو ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « وإلى ملكه ملكاً لنقصان فى بعض أسبابه يتمم بما ظلم غيره فيه ما كان ناقصاً من أسبابه عن التمام » ، وهى جملة تشبه أن تكون مستقيمة ، بيد أن الطبرى أراد أن الظالم يظلم ليزداد عزة إلى عزه – أو سلطاناً إلى سلطانه – أو ملكاً إلى ملكه – أو أن يتمم بظلمه ما كان ناقصاً من أسبابه . وعبارة الطبرى التى أثبتها مستقيمة جدا على طريقته فى العبارة .

غيره، تعالى الله علواً كبيراً . ولذلك قال جل ثناؤه عقيب قوله : « وما الله يريد ظلماً للعالمين » ، « ولله ما فى السموات وما فى الأرض وإلى الله ترجع الأمور » .

* * *

واختلف أهل العربية فى وجه تكرير الله تعالى ذكره اسمه مع قوله : « وإلى الله ترجع الأمور » ظاهراً ، وقد تقدم اسمُه ظاهراً مع قوله : « ولله ما فى السموات وما فى الأرض » .

فقال بعض أهل العربية من أهل البصرة : ذلك نظيرُ قول العرب : « أما زيدٌ فذهب زيدٌ » ، وكما قال الشاعر :(١)

لَا أَرَى المَوْتَ يَسْبِقُ المَوْتَ شَيْءٌ ... نَغَّصَ المَوْتُ ذَا الغِنَى وَالفَقِيرَا(٢)

فأظهر فى موضع الإضمار .

* * *

وقال بعض نحويى الكوفة : ليس ذلك نظير هذا البيت ، لأن موضع « الموت »

---

(١) هو عدى بن زيد ، وقد ينسب إلى ولده سوادة بن عدى ، وربما نسب لأمية بن أبى الصلت .

(٢) حماسة البحترى : ٩٨ ، وشعراء الجاهلية : ٤٦٨ ، وسيبويه ١ : ٣٠ ، وخزانة الأدب ١ : ١٨٣ ، ٢ : ٥٣٤ ، ٤ : ٥٥٢ ، وأمالى ابن الشجرى ١ : ٢٤٣ ، ٢٨٨ ، وشرح شواهد المغنى : ٢٩٦ ، وهو من أبيات مفرقة فى هذه الكتب وغيرها من حكمة عدى فى تأمل الحياة والموت ، يقول قبل البيت :

إِنَّ لِلدَّهْرِ صَوْلَةً فَاحْذَرَنْهَا ... لَا تَبِيتَنَّ قَدْ أَمِنْتَ الدُّهُورَا

قَدْ يَنَامُ الفَتَى صَحِيحاً فَيَرْدَى ، ... وَلَقَدْ بَاتَ آمِناً مَسْرُورَا

لَا أَرَى المَوْتَ . . . . . .

. . . . . .

ثم يقول بعد أبيات :

أَيْنَ أَيْنَ الفِرَارُ مِمَّا سَيَأْتِى ... لَا أَرَى طَائِراً نَجَا أَنْ يَطِيرَا

ويقول : غنى الناس وفقيرهم ، فى هم مفسد عليه حياته من مخافة هذا الموت ، وبين ترقبه ، هذا يخاف أن يسبقه الموت إلى ماله الذى جمع ، وذاك يفزع أن يسبقه الردى إلى ما يؤمل من متاع الدنيا . وكان هذا البيت فى المخطوطة فاسداً محرفاً ناقصاً ، وهو فى المطبوعة سوى مستقيم .

الثانى فى البيت موضع كناية ، لأنه كلمة واحدة ،[١] وليس ذلك كذلك فى الآية ، لأن قوله : « ولله ما فى السموات وما فى الأرض » خبرٌ ، ليس من قوله : « وإلى الله ترجع الأمور » فى شىء . وذلك أنّ كلّ واحدة من القصتين مفارقٌ معناها معنى الأخرى ، مكتفية كل واحدة منهما بنفسها ، غير محتاجة إلى الأخرى . وما قال الشاعر : « لا أرى الموت » ، محتاجٌ إلى تمام الخبر عنه .[٢]

* * *

قال أبو جعفر : وهذا القول الثانى عندنا أولى بالصواب ، لأن كتاب الله عز وجل لا توجّهُ معانيه وما فيه من البيان ،[٣] إلى الشواذ من الكلام والمعانى ، وله فى الفصيح من المنطق والظاهر من المعانى المفهوم ، وجهٌ صحيح موجودٌ . ٢٩/٤

* * *

وأما قوله : « وإلى الله ترجع الأمور » فإنه يعنى تعالى ذكره : إلى الله مصير أمر جميع خلقه ، الصالح منهم والطالح ، والمحسن والمسىء ، فيجازى كلاًّ على قدر استحقاقهم منه الجزاء ، بغير ظلم منه أحداً منهم .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » .

فقال بعضهم : هم الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة

---

(١) الكناية : هو الضمير فى اصطلاح بقية النحويين .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « كما قال الشاعر » ، وهو غير مستقيم ، والصواب ما أثبت .

(٣) فى المطبوعة : « لا يؤخذ معانيه » ، وفى المخطوطة : « لاتوحد » غير منقوطة ، وصواب قراءتها ما أثبت ، والناسخ كثير التصحيف كما علمت ، والدال هى الهاء فى آخر الكلمة .

إلى المدينة خاصة ، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* ذكر من قال ذلك :

٧٦٠٦ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن سماك ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال في « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، قال : هم الذين خرجوا معه من مكة .

٧٦٠٧ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن عطية ، عن قيس ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، قال : هم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة .

٧٦٠٨ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » ، قال عمر بن الخطاب : لو شاء الله لقال : « أنتم » فكنا كلنا ، ولكن قال : « كنتم » في خاصة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صنع مثل صنيعهم ، كانوا خير أمة أخرجت للناس ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

٧٦٠٩ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج قال ، عكرمة : نزلت في ابن مسعود ، وسالم مولى أبي حذيفة ، وأبيّ بن كعب ، ومعاذ بن جبل .

٧٦١٠ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا مصعب بن المقدام ، عن إسرائيل ، عن السدى عمن حدثه : قال عمر : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، قال : تكون لأولنا ولا تكون لآخرنا .

٧٦١١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا إسرائيل ، عن سماك بن حرب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، قال : هم الذين هاجروا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة .[1]

---

(١) الأثر : ٧٦١١ – رواه أحمد في المسند رقم : ٢٤٦٣ ، ٢٩٢٨ ، ٢٩٨٩ ، ٣٣٢١ ،

٧٦١٢ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذُكر لنا أن عمر بن الخطاب قال فى حجّة حجّها ورأى من الناس رِعَة سيئة ،(١) فقرأ هذه : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، الآية . ثم قال : يا أيها الناس، من سره أن يكون من تلك الأمة ، فليؤدِّ شرط الله منها.(٢)

٧٦١٣ – حدثنى يحيى بن أبى طالب قال، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، قال : هم أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، يعنى = وكانوا هم الرواة الدعاة الذين أمر الله المسلمين بطاعتهم.(٣)

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : كنتم خير أمة أخرجت للناس ، إذا كنتم بهذه الشروط التى وصفهم جل ثناؤه بها . فكان تأويل ذلك عندهم : كنتم خير أمة تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ، أخرجوا للناس فى زمانكم.

* ذكر من قال ذلك :

٧٦١٤ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن نجيح، عن مجاهد فى قول الله عز وجل: « كنتم خير أمة أخرجت للناس »، يقول: على هذا الشرط : أن تأمرُوا بالمعروف ، وتنهوا عن المنكر وتؤمنوا بالله = يقول : لمن أنتم بين ظهرانيه، كقوله: ﴿ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الدخان: ٣٢].

٧٦١٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن

وإسناده صحيح . وأخرجه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٢٩٤ ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى .

(١) الرعة (بكسر الراء وفتح العين) أصلها من الورع ، مثل « العدة » من « الوعد » . والرعة : الهدى وسوء الهيئة أو حسن الهيئة ، أى هى بمعنى : الشأن والأمر والأدب . وفى حديث الحسن : « ازدحموا عليه فرأى منهم رعة سيئة فقال : اللهم إليك » ، أى سوء أدب ، لم يحسنوا الكف عما يشين .

(٢) قوله : « شرط الله منها » ، أى شرط الله الذى طلبه منها .

(٣) قد مضى تفسير معنى « الرواة » فى الأثر رقم ٧٥٩٧ ، والتعليق عليه .

ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، قال يقول : كنتم خير الناس للناس على هذا الشرط : أن تأمروا بالمعروف ، وتنهوا عن المنكر . وتؤمنوا بالله = يقول : لمن بين ظهريه ، كقوله : ﴿ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الدخان : ٣٢] .

٧٦١٦ — وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن ميسرة ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، قال : كنتم خير الناس للناس ، تجيئون بهم في السلاسل ، تدخلونهم في الإسلام .(١) ٣٠/٤

٧٦١٧ — حدثنا عبيد بن أسباط قال ، حدثنا أبي ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية في قوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، قال : خيرَ الناس للناس .

* * *

وقال آخرون : إنما قيل : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، لأنهم أكثر الأمم استجابة للإسلام .

* ذكر من قال ذلك :

٧٦١٨ — حدثت عن عمار بن الحسن قال ،(٢) حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » ، قال : لم تكن أمة أكثر استجابة في الإسلام من هذه الأمة ، فمن ثَم قال : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » .

* * *

---

(١) الأثر : ٧٦١٦ — أخرجه البخاري من طريق محمد بن سفيان عن ميسرة . (الفتح ٨ : ١٦٩) وقال الحافظ : « ميسرة : هو ابن عمار الأشجعي ، كوفي ثقة ماله في البخاري سوى هذا الحديث وآخر تقدم في بدء الخلق » . و « أبو حازم » هو « سلمان الأشجعي الكوفي » ، وفي الفتح « سليمان » ، وهو خطأ وتصحيف . ولفظ البخاري : « تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم ، حتى يدخلوا في الإسلام » .

وقد استوفى الحافظ في هذا الموضع ، الحديث عن معنى الآية ، وذكر أكثر الآثار التي سلفت ، والتي ستأتي بعد .

(٢) في المطبوعة : « عمار بن الحسين » ، وهو خطأ ، والصواب في المخطوطة .

وقال بعضهم : عنى بذلك أنهم كانوا خير أمة أخرجت للناس .

* ذكر من قال ذلك :

٧٦١٩ – حدثني محمد بن سنان قال، حدثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد ، عن الحسن في قوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » ، قال : قد كان ما تسمعُ من الخير في هذه الأمة .

٧٦٢٠ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كان الحسن يقول : نحن آخرُها وأكرمُها على الله .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ما قال الحسن ، وذلك أن :

٧٦٢١ – يعقوب بن إبراهيم حدثني قال ، حدثنا ابن علية ، عن بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ألا إنكم وفيتم سبعين أمة ، أنتم آخرها وأكرمها على الله .

٧٦٢٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده : أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، قال: أنتم تتمون سبعين أمة . أنتم خيرُها وأكرمها على الله .(١)

---

(١) الحديثان : ٧٦٢١ ، ٧٦٢٢ – هما حديث واحد بإسنادين . وقد مضى بالإسنادين معاً مجموعين ، برقم : ٨٧٣ . وقد خرجناه هناك مفصلا ، وأشرنا إلى مواضعه هنا في طبعة بولاق .

ونزيد هنا أنه رواه أيضاً الحاكم في المستدرك ٤ : ٨٤ ، من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، بالإسناد الثاني هنا . وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبي .

ثم أشار الحاكم إلى متابعة سعيد الجريري ، بروايته إياه عن حكيم بن معاوية . ثم رواه من طريق يزيد بن هرون ، عن الجريري .

ورواية الجريري سبق أن خرجناها هناك من رواية أحمد في المسند .

وذكره الحافظ في الفتح ٨ : ١٦٩ ، مشيراً إلى رواية الطبري إياه ، ثم قال : « وهو حديث حسن صحيح . أخرجه الترمذي وحسنه . وابن ماجة ، والحاكم وصححه » .

وقد ورد معناه أيضاً ، ضمن حديث مطول عن أبي سعيد الخدري ، مرفوعاً ، رواه أحمد في المسند : ١١٦٠٩ (ج ٣ ص ٦١ حلبي) . وإسناده صحيح .

٧٦٢٣ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذُكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم وهو مسند ظهره إلى الكعبة : نحن نكمل يوم القيامة سبعين أمة ، نحن آخرها وخيرُها .

* * *

وأما قوله : « تأمرون بالمعروف » ، فإنه يعني : تأمرون بالإيمان بالله ورسوله ، والعمل بشرائعه = « وتنهون عن المنكر » ، يعني : وتنهون عن الشرك بالله، وتكذيب رسوله ، وعن العمل بما نهى عنه ، كما : –

٧٦٢٤ – حدثنا علي بن داود قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال : حدثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس قوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ، يقول : تأمرونهم بالمعروف : أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، والإقرار بما أنزل الله، وتقاتلونهم عليه ، و « لا إله إلا الله»، هو أعظم المعروف= وتنهونهم عن المنكر ، والمنكر هو التكذيب ، وهو أنكرُ المنكر .

* * *

وأصل « المعروف » كل ما كان معروفاً فعله ، جميلا مستحسناً .(١) غير مستقبح في أهل الإيمان بالله ، وإنما سميت طاعة الله « معروفاً » ، لأنه مما يعرفه أهل الإيمان ولا يستنكرون فعله .(٢)

* * *

وأصل « المنكر » ، ما أنكره الله ، ورآه قبيحاً فعلُه . ولذلك سميت معصية الله « منكراً » ، لأنّ أهل الإيمان بالله يستنكرون فعلها، ويستعظمون رُكوبها .(٣)

* * *

وقوله : « وتؤمنون بالله » ، يعني : تصدّقون بالله، فتخلصون له التوحيد والعبادة .

* * *

---

(١) في المطبوعة : «كل ما كان معروفاً ، ففعله جميل مستحسن » ، غيروا نص المخطوطة . ظناً منهم أنه غير مستقيم ، وهو أحسن استقامة مما أثبتوا ! ! بل هو الصواب المحض .

(٢) انظر تفسير « المعروف » فيما سلف قريباً ص : ٩١ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك

(٣) انظر تفسير « المنكر » فيما سلف قريباً ص : ٩١ .

قال أبو جعفر : فإن سأل سائل فقال : وكيف قيل : « كنتم خير أمة » ، وقد زعمتَ أن تأويل الآية : أنّ هذه الأمة خيرُ الأمم التى مضت ، وإنما يقال : « كنتم خير أمة » ، لقوم كانوا خياراً فتغيَّروا عما كانوا عليه ؟

قيل : إنّ معنى ذلك بخلاف ما ذهبتَ إليه ، وإنما معناه : أنتم خير أمة ، كما قيل : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ ﴾ [سورة الأنفال : ٢٦] ، وقد قال فى موضع آخر : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ﴾ [سورة الأعراف : ٨٦] ، فإدخال « كان » فى مثل هذا وإسقاطها بمعنى واحد، لأن الكلام معروف معناه.(١)

ولو قال أيضاً فى ذلك قائل : « كنتم » ، بمعنى التمام ، كان تأويله : خُلقتم خير أمة = أو : وجدتم خير أمة ، كان معنى صحيحاً .

* * *

وقد زعم بعض أهل العربية أن معنى ذلك : كنتم خير أمة عند الله فى اللوح المحفوظ ، أخرجت للناس .

* * *

والقولان الأولان اللذان قلنا ، أشبهُ بمعنى الخبر الذى رويناه قبلُ .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : كنتم خير أهل طريقة . وقال : « الأمّة » ، الطريقة .(٢)

* * *

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٢٩ .

(٢) انظر تفسير « أمة » فيما سلف ١ : ٢٢١/ثم هذا ص ٩٠ ، والمراجع هناك فى التعليق .

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (١١٠) ٣١/٤

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : ولو صدّق أهل التوراة والإنجيل من اليهود والنصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم به من عند الله ، لكان خيراً لهم عند الله فى عاجل دنياهم وآجل آخرتهم = « منهم المؤمنون » ، يعنى : من أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، المؤمنون المصدّقون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاءهم به من عند الله، وهم: عبد الله بن سلام وأخوه ، وثعلبة بن سَعْيَة وأخوه ،[1] وأشباههم ممن آمنوا بالله وصدّقوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، واتبعوا ما جاءهم به من عند الله = « وأكثرهم الفاسقون »، يعنى : الخارجون عن دينهم.[2] وذلك أن من دين اليهود اتباعُ ما فى التوراة والتصديقُ بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ومن دين النصارى اتباعُ ما فى الإنجيل ، والتصديق به وبما فى التوراة، وفى كلا الكتابين صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ومبعثه،[3] وأنه نبى الله . وكلتا الفرقتين — أعنى اليهود والنصارى — مكذّبة ، فذلك فسقهم وخروجهم عن عن دينهم الذى يدعون أنهم يدينون به، الذى قال جل ثناؤه: « وأكثرهم الفاسقون ».

* * *

وقال قتادة بما : —

---

(١) فى المطبوعة : « ثعلبة بن سعيد » ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبته من المخطوطة و « سعية » بالسين المهملة المفتوحة والياء المنقوطة باثنين . وسيأتى على الصواب فى خبر إسلامه وإسلام أخيه ، بعد قليل ، رقم : ٧٦٤٤ .

(٢) انظر تفسيره « الفسق » فيما سلف ١ : ٤٠٩ ، ٢/٤١٠ : ١١٨ ، ٤/٣٩٩ : ١٣٥ — ٦/١٤١ : ٩١

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « وفى كل الكتابين . . . » ، وهو تحريف ، والصواب ما أثبت .

٧٦٢٥ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون » ، ذم الله أكثر الناس.

* * *

القول فى تأويل قوله : ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : لن يضركم ، يا أهل الإيمان بالله ورسوله ، هؤلاء الفاسقون من أهل الكتاب بكفرهم وتكذيبهم نبيَّكم محمداً صلى الله عليه وسلم شيئاً = « إلا أذى » ، يعنى بذلك: ولكنهم يؤذونكم بشركهم ،وإسماعكم كفرهم ، وقولهم فى عيسى وأمه وعزير ،ودعائهم إياكم إلى الضلالة ،ولن يضروكم بذلك .(١)

* * *

وهذا من الاستثناء المنقطع الذى هو مخالف معنى ما قبله ، كما قيل : « ما اشتكى شيئاً إلا خيراً » ، وهذه كلمة محكية عن العرب سماعاً .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك :

٧٦٢٦ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « لن يضروكم إلاّ أذى »، يقول : لن يضروكم، إلا أذى تسمعونه منهم.

٧٦٢٧ – حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « لن يضروكم إلا أذى » ، قال : أذى تسمعونه منهم .

٧٦٢٨ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن

---

(١) فى المطبوعة : « ولا يضرونكم » ، وفى المخطوطة : « ولا يضروكم »، والصواب هو ما أثبت .

ابن جريج قوله : « لن يضروكم إلا أذى » ، قال : إشراكهم فى عُزير وعيسى والصَّليب .

٧٦٢٩ – حدثنى محمد بن سنان قال، حدثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد ، عن الحسن فى قوله : « لن يضروكم إلا أذى » الآية ، قال : تسمعون منهم كذباً على الله ، يدعونكم إلى الضلالة .

* * *

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ (١١١)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وإن يقاتلكم أهلُ الكتاب من اليهود والنصارى يهزَموا عنكم ، فيولوكم أدبارهم انهزاماً .

* * *

فقوله : « يولوكم الأدبار » ، كناية عن انهزامهم ، لأن المنهزم يحوِّل ظهره إلى جهة الطالب هرباً إلى ملجأ وموئل يئل إليه منه ، خوفاً على نفسه ، والطالبُ فى أثره . فدُبُر المطلوب حينئذ يكون محاذى وجه الطالب الهازِمِه .

* * *

= « ثم لا ينصرون »، يعنى : ثم لا ينصرهم الله ، أيها المؤمنون، عليكم ، لكفرهم بالله ورسوله ، وإيمانكم بما آتاكم نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم . لأن الله عز وجل قد ألقى الرعب فى قلوبهم ، فأيدكم أيها المؤمنون بنصركم .(١)

* * *

(١) فى المطبوعة : « قد ألقى الرعب فى قلوب كائدكم » ، وهو تصحيح لما فى المخطوطة : « قد ألقى الرعب فى قلوب فأيدكم » ، وظاهر أن « قلوب » صوابها « قلوبهم » ، واستقام الكلام على ما فى المخطوطة .

وهذا وعدٌ من الله تعالى ذكره نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم وأهل الإيمان ، نصرَهم على الكفرة به من أهل الكتاب .

* * *

وإنما رفع قوله : « ثم لا ينصرون » وقد جزم قوله : « يولوكم الأدبار » ، على جواب الجزاء، ائتنافاً للكلام ، لأن رؤوس الآيات قبلها بالنون ، فألحق هذه بها ، كما قال : ﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ [سورة المرسلات : ٣٦] ، رفعاً ، وقد قال في موضع آخر : ﴿ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا ﴾ [سورة فاطر : ٣٦] ، إذْ لم يكن رأس آية .(١)

* * *

القول في تأويل قوله : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾

قال أبو جعفر : يعني بقوله جل ثناؤه : « ضُربت عليهم الذلة » ، ألزموا الذلة . و«الذلة» «الفعلة» من «الذل» ،وقد بينا ذلك بشواهده في غير هذا الموضع .(٢) ٤/٣٢

* * *

« أينما ثقفوا » يعني : حيثما لقوا .(٣)

* * *

يقول جل ثناؤه : ألزِم اليهود المكذبون بمحمد صلى الله عليه وسلم الذلة أينما كانوا من الأرض ، وبأي مكان كانوا من بقاعها ، من بلاد المسلمين والمشركين = « إلا بحبل من الله وحبل من الناس » ، كما : —

٧٦٣٠ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا هوذة قال ، حدثنا عوف ، عن

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٢٢٩ .

(٢) انظر تفسير « ضربت عليهم الذلة » فيما سلف ٢ : ١٣٦ .

(٣) انظر تفسير « ثقف » فيما سلف ٣ : ٥٦٤ .

الحسن فى قوله : « ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة » ،(١) قال : أدركتهم هذه الأمة ، وإن المجوس لتجبيهم الجزية .

٧٦٣١ — حدثنى محمد بن سنان قال، حدثنا أبو بكر الحنفى قال، حدثنا عباد ، عن الحسن فى قوله : « ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس » ، قال: أذلهم الله فلا مَنْعة لهم، وجعلهم الله تحت أقدام المسلمين .

* * *

وأما « الحبل » الذى ذكره الله فى هذا الموضع ،(٢) فإنه السبب الذى يأمنون به على أنفسهم من المؤمنين وعلى أموالهم وذراريهم ، من عهد وأمان تقدم لهم عقده قبل أن يُثْقَفوا فى بلاد الإسلام ، كما : —

٧٦٣٢ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « إلا بحبل من الله » ، قال: بعهد = « وحبل من الناس » ، قال : بعهدهم .

٧٦٣٣ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : «ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس »، يقول : إلاّ بعهد من الله وعهد من الناس .

٧٦٣٤ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة مثله .

٧٦٣٥ — حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا يزيد ، عن عثمان بن غياث قال ،(٣) عكرمة يقول : « إلا بحبل من الله وحبل من الناس » ، قال : بعهد من الله وعهد من الناس .

---

(١) سقط من الناسخ : « وباءوا بغضب من الله »، ومضت على ذلك المطبوعة، فأثبت وجه التلاوة .
(٢) انظر تفسير « الحبل » فيما سلف قريباً ص : ٧٠ ، ٧١.
(٣) فى المخطوطة : « عثمان بن عتاب » ، والصواب ما فى المطبوعة .

٧٦٣٦ – حدثنا محمد قال، حدثنا أحمد قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « إلا بحبل من الله وحبل من الناس » ، يقول : إلا بعهد من الله وعهد من الناس .

٧٦٣٧ – حدثت عن عمار قال: حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « إلاّ بحبل من الله وحبل من الناس » ، يقول : إلا بعهد من الله وعهد من الناس .

٧٦٣٨ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس » ، فهو عهد من الله وعهد من الناس ، كما يقول الرجل : « ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم » ، فهو الميثاق .

٧٦٣٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال مجاهد : « أينما ثقفوا إلاّ بحبل من الله وحبل من الناس » ، قال : بعهد من الله وعهد من الناس لهم = قال ابن جريج ، وقال عطاء ، العهدُ حبلُ الله .

٧٦٤٠ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله : « أينما ثقفوا إلاّ بحبل من الله وحبل من الناس »، قال : إلا بعهد، وهم يهود . قال: والحبل العهد . قال : وذلك قول أبي الهيثم بن التَّيِّهان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أتته الأنصار في العقبة : «أيها الرجل، إنا قاطعون فيك حبالاً بيننا وبين الناس »، يقول : عهوداً ، قال : واليهود لا يأمنون في أرضٍ من أرض الله إلا بهذا الحبل الذى قال الله عز وجل . وقرأ : ﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [سورة آل عمران : ٥٥]، قال : فليس بلد فيه أحد من النصارى إلاّ وهم فوق يهود في شرق ولا غرب، هم في البلدان كلها مستذَلُّون ، قال الله: ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ

فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ [سورة الأعراف : ١٦٨] ، يهود .(١)

٧٦٤١ – حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك في قوله : « إلاّ بحبل من الله وحبل من الناس » ، يقول : بعهد من الله وعهد من الناس .

٧٦٤٢ – حدثني يحيى بن أبي طالب قال ، أخبرنا يزيد قال : أخبرنا جويبر ، عن الضحاك مثله .

* * *

قال أبو جعفر : واختلف أهل العربية في المعنى الذي جلب « الباء » في قوله : « إلاّ بحبل من الله وحبل من الناس » ، فقال بعض نحويي الكوفة :(٢) الذي جلب « الباء » في قوله « بحبل » ، فعل مضمر قد تُرك ذكره . قال : ومعنى الكلام : ضُربت عليهم الذلة أينما ثقفوا ، إلاّ أن يعتصموا بحبل من الله = فأضمر ذلك ، واستشهد لقوله ذلك بقول الشاعر :(٣)

٣٣/٤

رَأَتْنِي بِحَبْلَيْهَا فَصَدَّتْ مَخَافَةً وَفِي الْحَبْلِ رَوْعَاءُ الْفُؤَادِ فَرُوقُ(٤)

وقال : أراد : أقبلت بحبليها ، وبقول الآخر :(٥)

---

(١) الأثر : ٧٦٤٠ – مضى مختصراً برقم : ٧١٥٥ .

(٢) هو الفراء ، في معاني القرآن ١ : ٢٣٠ .

(٣) هو حميد بن ثور الهلالي .

(٤) ديوانه : ٣٥ ، ومعاني القرآن للفراء ١ : ٢٣٠ ، واللسان (نسع) و (فرق) وفي رواية البيت في مادة (فرق) خطأ قبيح وتصحيف ، صوابه ما في التفسير هنا . وأما رواية الديوان فهي :

فَجِئْتُ بِحَبْلَيْهَا ، فَرَدَّتْ مَخَافَةً إِلَى النَّفْسِ رَوْعَاءُ الْجَنَانِ فَرُوقُ

و « روعاء الجنان » : شديدة الذكاء ، حية النفس ، شهمة ، كأن بها فزعاً من حدتها وخفة روحها . و « فروق » : شديدة الفزع . لم يرد ذماً ، ولكنه مدح ناقته بحدة الفؤاد ، تفزع لكل نبأة من يقظتها ، كما قالوا في مدحها : « مجنونة » . يقول ذلك في ناقته : رأتني أقبلت بالحبلين ، لأشد عليها رحلي ، فصدت خائفة . يصفها بأنها كريمة لم تبتذلها الأسفار . ثم قال : فلما شددت عليها الرحل ، كانت في الحبل ذكية شهمة ، تتوجس لكل نبأة من يقظتها وتوقدها .

(٥) هو أبو الطمحان القيني ، حنظلة بن الشرق ، من بني كنانة بن القين . وهو أحد المعمرين وينسب هذا الشعر أيضاً لعدي بن زيد ، وللمسحاج بن سباع الضبي .

حَنَنْتِنِي حَانِيَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى كَأَنِّي خَاتِلٌ أَدْنُو لِصَيْدِ (١)
قَرِيبُ الخَطْوِ يَحْسِبُ مَنْ رَآنِي وَلَسْتُ مُقَيَّدًا ، أَنِّي بِقَيْدِ

يريد : مقيداً بقيد .

فأوجب إعمال فعل محذوف ، وإظهار صلته وهو متروك .(٢) وذلك فى مذاهب العربية ضعيف ، ومن كلام العرب بعيد . وأما ما استشهد به لقوله من الأبيات ، فغير دالّ على صحة دعواه ، لأن فى قول الشاعر : « رأتنى بحبليها » دلالة بينة فى أنها رأته بالحبل ممسكاً . فنى إخباره عنها أنها « رأته بحبليها » ، إخبارٌ منه أنها رأته ممسكاً بالحبلين . فكان فيما ظهر من الكلام مستغنًى عن ذكر « الإمساك » ، وكانت «الباء» صلة لقوله : « رأتنى » ، كما قول القائل :(٣) « أنا بالله » ، مكتفٍ بنفسه ، ومعرفةِ السامع معناه ، أن تكون « الباء » محتاجة إلى كلام يكون لها جالباً غير الذى ظهر ، وأن المعنى : « أنا بالله مستعين » .

* * *

(١) كتاب المعمرين : ٥٧ ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٢٣٠ ، والأغانى ٢ : ٣٥٣ ، ٣٥٦ ، وفيه أيضاً ١٢ : ٣٤٧ ، وحماسة البحترى : ٢٠٢ ، وأمالى القالى ١ : ١١٠ ، وأمالى الشريف ١ : ٤٦ ، ٢٥٧ ، ومجموعة المعانى : ١٢٣ ، والمعانى الكبير : ١٢١٤ ، مع اختلاف كبير فى الرواية ، واللسان (ختل) ، وغيرها . هذا ، وقد اقتصرت المطبوعة والمخطوطة على البيت الأول ، وهو عمل فاسد جداً ، وليس من فعل أبى جعفر بلا شك ، ولكنه من سهو الناسخ . لأن أبا جعفر نقل مقالة الفراء فى معانى القرآن ، وإسقاط البيت الثانى ، وهو بيت الشاهد ، فساد عظيم ، فأثبت البيت ، وأثبت أيضاً تعقيب الفراء عليه ، وهو قوله : « يريد مقيداً بقيد » ، ولم أضع هذا بين أقواس ، لأن سهو الناسخ أمر مقطوع به بالدليل البين .

وكان فى المخطوطة والمطبوعة : « أحنو لصيد » ، وهو تصحيف لا شك فيه . ذلك أن أبا جعفر إنما ينقل مقالة الفراء ، وهو فى كتاب الفراء ، وفيما نقله عنه الناقلون فى المراجع السالفة ، هو الذى أثبته . هذا مع ظهور التصحيف وقربه ، ومع فساد معنى هذا التصحيف ، ومع فقدان هذه الرواية الغريبة . وقوله : « خاتل » ، يعنى صائداً ، يقال : « ختل الصيد » ، أى : استتر الصائد بشىء ليرمى الصيد ، فهو فى سبيل ذلك يمشى قليلا قليلا فى خفية ، لئلا يسمع الصيد حسه . فهذا هو الختل والمخاتلة .

(٢) « الصلة » هنا : الجار والمجرور .

(٣) فى المطبوعة : « كما فى قول القائل » بزيادة « فى » ، وهى أشد إفساداً للكلام من تصحيف هذا الناسخ فى بعض ما يكتب . وقوله : « مكتف بنفسه » خبر لقوله : « كما قول القائل » وقوله : « ومعرفة السامع » معطوف على قوله : « بنفسه » أى : مكتف بنفسه وبمعرفة السامع معناه .

وقال بعض نحوي البصرة ، قوله : « إلاّ بحبل من الله » استثناء خارجٌ من أول الكلام . قال : وليس ذلك بأشد من قوله : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ﴾ [سورة مريم : ٦٢]

* * *

وقال آخرون من نحوي الكوفة : هو استثناء متصل ، والمعنى : ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا . أي : بكل مكان = إلاّ بموضع حبل من الله ، كما تقول : ضُربت عليهم الذلة في الأمكنة إلاّ في هذا المكان .

* * *

وهذا أيضاً طلب الحق فأخطأ المفصل . وذلك أنه زعم أنه استثناء متصل ، ولو كان متصلا كما زعم ، لوجب أن يكون القوم إذا ثقفوا بحبل من الله وحبل من الناس غير مضروبة عليهم المسكنة . وليس ذلك صفة اليهود ، لأنهم أينما ثقفوا بحبل من الله وحبل من الناس ، أو بغير حبل من الله عز وجل وغير حبل من الناس ، فالذلة مضروبة عليهم ، على ما ذكرنا عن أهل التأويل قبل . فلو كان قوله : « إلاّ بحبل من الله وحبل من الناس » ، استثناء متصلا ، لوجب أن يكون القوم إذا ثُقفوا بعهد وذمة أن لا تكون الذلةُ مضروبةً عليهم . وذلك خلاف ما وصفهم الله به من صفتهم ، وخلافُ ما نبأ به من الصفة ، فقد تبين أيضاً بذلك فساد قول هذا القائل أيضاً .

* * *

قال أبو جعفر : ولكن القول عندنا أن « الباء » في قوله : « إلاّ بحبل من الله » ، أدخلت لأن الكلام الذي قبل الاستثناء مقتضٍ في المعنى « الباء » . وذلك أن معنى قوله : « ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا » ضربت عليهم الذلة بكل مكان ثقفوا = ثم قال : « إلاّ بحبل من الله وحبل من الناس » على غير وجه الاتصال بالأول ، ولكنه على الانقطاع عنه . ومعناه : ولكن يثقفون بحبل من الله وحبل من الناس ،

كما قيل : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلَّا خَطَأً ﴾ [سورة النساء : ٩٢] ، فالخطأ وإن كان منصوباً بما عمل فيما قبل الاستثناء ، فليس قوله باستثناء متصل بالأول بمعنى : « إلا خطأ » ، فإن له قتله كذلك = ولكن معناه : ولكن قد يقتله خطأ . فكذلك قوله : « أينما ثقفوا إلاّ بحبل من الله ، وإن كان الذى جلب « الباء » التى بعد « إلا » الفعل الذى يقتضيها قبل « إلاّ » ، فليس الاستثناء بالاستثناء المتصل بالذى قبله ، بمعنى : أن القوم إذا لُقوا ، فالذلة زائلة عنهم ، بل الذلة ثابتة بكل حال . ولكن معناه ما بينا آنفاً .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره : « وباؤوا بغضب من الله » ، وتحمّلوا غضب الله فانصرفوا به مستحقّيه . وقد بينا أصل ذلك بشواهده ، ومعنى « المسكنة » وأنها ذل الفاقة والفقر وخُشوعهما ، ومعنى : « الغضب من الله » فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .(١)

* * *

وقوله : « ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله » ، يعنى جل ثناؤه بقوله : « ذلك » ، أى : بوءُهم الذى باؤوا به من غضب الله وضربُ الذلة عليهم ، بدل مما كانوا

---

(١) انظر تفسير « باء » فيما سلف ٢ : ١٣٨ ، ٣٤٥ . وتفسير « غضب الله » ١ : ١٨٨ ، ٢/١٨٩ : ١٣٨ ، ٣٤٥ . وتفسير « ضربت عليهم » ٢ : ١٣٦ / ٧ : ١١٠ وتفسير « المسكنة » ٢ : ١٣٧ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ / ٣ : ٣٤٥ / ٤ : ٢٩٥ .

يكفرون بآيات الله = يقول : مما كانوا يجحدون أعلام الله وأدلته على صدق أنبيائه ، وما فرض عليهم من فرائضه = « ويقتلون الأنبياء بغير حق » ، يقول : وبما كانوا يقتلون أنبياءهم ورسل الله إليهم ، اعتداءً على الله وجرأة عليه بالباطل ، وبغير حق استحقوا منهم القتل . ٤

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام : ألزِموا الذلة بأى مكان لُقوا ، إلا بذمة من الله وذمة من الناس ، وانصرفوا بغضب من الله متحمِّليه ، وألزموا ذل الفاقة وخشوع الفقر ، بدلا مما كانوا يجحدون بآيات الله وأدلته وحججه ، ويقتلون أنبياءه بغير حق ظلماً واعتداء .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ (١١٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فعلنا بهم ذلك بكفرهم ، وقتلهم الأنبياء ، ومعصيتهم ربَّهم ، واعتدائهم أمرَ ربهم .

* * *

وقد بينا معنى « الاعتداء » فى غير موضع فيما مضى من كتابنا بما فيه الكفاية عن إعادته .(١)

* * *

فأعلم ربُّنا جل ثناؤه عبادَه ما فعل بهؤلاء القوم من أهل الكتاب ، من إحلال الذلة والخزى بهم فى عاجل الدنيا ، مع ما ذخر لهم فى الآجل من العقوبة والنكال وأليم العذاب ،(٢) إذ تعدَّوا حدودَ الله واستحلوا محارمه = تذكيراً منه تعالى ذكره

---

(١) انظر ما سلف ٢ : ١٤٢ ، ١٦٧ ، ٣٠٧/٣ : ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٥٦٤ ، ٥٨٠/٤ : ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، وغيرها .

(٢) فى المطبوعة : « مع ما ادخر لهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهما سواء فى المعنى .

لهم، وتنبيهاً على موضع البلاء الذى من قِبَله أتوا لينيبوا ويذّكروا، وعِظة منه لأمتنا أن لا يستنُّوا بسنتهم ويركبوا مناهجهم،(١) فيسلك بهم مسالكهم، ويحل بهم من نقم الله ومثُلاته ما أحل بهم ، كما : —

٧٦٤٣ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة « ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » ، اجتنِبُوا المعصية والعدوان، فإن بهما أهلِك مَنْ أُهْلك قبلكم من الناس .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ (١١٣)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه « ليسوا سواء » ، ليس فريقَا أهل الكتاب، أهل الإيمان منهم والكفر: سواء . يعنى بذلك : أنهم غير متساوين . يقول : ليسوا متعادلين، ولكنهم متفاوتون فى الصلاح والفساد ، والخير والشر .(٢)

* * *

وإنما قيل : « ليسوا سواء » ، لأن فيه ذكر الفريقين من أهل الكتاب اللذين ذكرهما الله فى قوله : ﴿ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ،(٣) ثم أخبر جل ثناؤه عن حال الفريقين عنده ، المؤمنة منهما والكافرة فقال : « ليسوا سواء » ، أى : ليس هؤلاء سواء ، المؤمنون منهم والكافرون . ثم ابتدأ الخبرَ جل ثناؤه عن صفة الفرقة المؤمنة من أهل

---

(١) فى المطبوعة : « منها جهة » . وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو أجود .

(٢) انظر تفسير « سواء » فيما سلف ١ : ٢٥٦ .

(٣) هى الآية السالفة قبل قليل : ١١٠ من سورة آل عمران .

الكتاب ، ومدحَهم وأثنى عليهم ، بعد ما وصف الفِرقة الفاسقة منهم بما وصفها به من الهلع ، ونَخْب الجَنان ،[١] ومحالفة الذل والصغار ، وملازمة الفاقة والمسكنة ، وتحمُّل خزى الدنيا وفضيحة الآخرة ، فقال : « من أهل الكتاب أمَّة قائمةٌ يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون » ، الآيات الثلاث إلى قوله : « والله عليم بالمتقين » .

* * *

فقوله :[٢] « أمة قائمة » مرفوعةٌ بقوله : « من أهل الكتاب » .

* * *

وقد توهم جماعة من نحويي الكوفة والبصرة والمقدَّمين منهم فى صناعتهم :[٣] أن ما بعد « سواء » فى هذا الموضع من قوله : « أمة قائمة » ، ترجمةٌ عن « سواء » وتفسيرٌ عنه ،[٤] بمعنى : لا يستوى من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وأخرى كافرة . وزعموا أنّ ذكر الفرقة الأخرى ، ترك اكتفاء بذكر إحدى الفرقتين ، وهى « الأمة القائمة » ، ومثَّلوه بقول أبى ذؤيب :

عَصَيْتُ إِلَيْهَا القَلْبَ : إِنِّى لِأَمْرِهَا سَمِيعٌ ، فَمَا أَدْرِى أَرُشْدٌ طِلَابُهَا ؟[٥]

ولم يقل : « أم غير رشد » ، اكتفاء بقوله : « أرشد » من ذكر « أم غير رشد » ، وبقول الآخر :[٦]

أَرَاكَ فَلَا أَدْرِى أَهَمٌّ هَمَمْتَه ؟ وَذُو الهَمِّ قِدْماً خَاشِعٌ مُتَضَائِلُ[٧]

* * *

---

(١) النخب (بفتح فسكون) : الجبن وضعف القلب . ورجل منخوب الجنان ونخيب الجنان : جبان لا قلب له ، كأنه منتزع الفؤاد فلا فؤاد له .

(٢) فى المطبوعة : « قوله » بغير فاء فى أولها ، والصواب من المخطوطة .

(٣) يعنى الفراء فى معانى القرآن ١ : ٢٣٠ ، ٢٣١ ، وهذا قريب من نص كلامه ، وبعض شواهده .

(٤) الترجمة : يعنى البدل ، وانظر تفسير ذلك فيما سلف ٢ : ٣٤٠ ، ٣٧٤ ، ٤٢٠ ، ٤٢٤ ، ٤٢٦ ، وغيرها من المواضع فى فهرس المصطلحات .

(٥) سلف البيت وتخريجه وشرحه فيما سلف ١ : ٣٢٧ .

(٦) لم أعرف قائله .

(٧) معانى القرآن للفراء ١ : ٢٣١ . وكان فى المطبوعة : « أزال فلا أدرى . . . » ، وهو

قال أبو جعفر : وهو مع ذلك عندهم خطأٌ قولُ القائل المريد أن يقول : « سواء أقمتَ أم قعدت » = : « سواء أقمت » ، حتى يقول : « أم قعدت » . وإنما يجيزون حذف الثانى فيما كان من الكلام مكتفياً بواحد ، دون ما كان ناقصاً عن ذلك ، وذلك نحو : « ما أبالى » أو « ما أدرى » ، فأجازوا فى ذلك : « ما أبالى أقمت » ، وهم يريدون : « ما أبالى أقمت أم قعدت » ، لاكتفاء « ما أبالى » بواحد = وكذلك فى « ما أدرى » . وأبوا الإجازة فى « سواء » ، من أجل نقصانه ، وأنه غير مكتفٍ بواحد ، فأغفلوا فى توجيههم قوله : « ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة » على ما حكينا عنهم ، إلى ما وجهوه إليه — مذاهبَهم فى العربية = [1] إذْ أجازوا فيه من الحذف ما هو غير جائز عندهم فى الكلام مع « سواء » ، وأخطأوا تأويل الآية . فـ « سواء » فى هذا الموضع بمعنى التمام والاكتفاء ، لا بالمعنى الذى تأوّله من حكينا قوله . ٣٥/٤

* * *

وقد ذكر أن قوله : « من أهل الكتاب أمة قائمة » الآيات الثلاث ، نزلت فى جماعة من اليهود أسلموا فحسن إسلامهم .

* ذكر من قال ذلك :

٧٦٤٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، قال حدثنى محمد بن أبى محمد ، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما أسلم عبد الله بن سلام ، وثعلبة بن سَعْيَة ، وأسَيْد بن سعية ، وأسد ابن عُبيد ، ومن أسلم من يهود معهم ، فآمنوا وصدّقوا ورغبوا فى الإسلام ، ورسخوا

لا معنى له ، والصواب من المخطوطة ومعانى القرآن . ولست أدرى أيخاطب امرأة فيقول لها : إن الهم يغلبنى إذا رأيتك . فأنا له خاشع متضائل = أم هو يريد الهم والفتك ، فيقول : إن الذى يضمر فى نفسه شيئاً يهم به من الفتك ، يخفى شخصه حتى يبلغ غاية ثأره بعدوه . ولا أرجح شيئاً حتى أجد إخوة هذا البيت

(١) قوله : « مذاهبهم » مفعول « فأغفلوا » . والسياق : فأغفلوا فى توجيههم قوله إلى ما وجهوه إليه — مذاهبهم فى العربية . . .

فيه ، [١]قالت أحبار يهود وأهل الكفر منهم : ما آمن بمحمد ولا تبعه إلا أشرارنا ! [٢] ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره ، فأنزل الله عز وجل فى ذلك من قولهم : « ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله » إلى قوله : « وأولئك من الصالحين ». [٣]

٧٦٤٥ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يونس بن بكير ، [٤] عن محمد بن إسحق قال ، حدثنى بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال ، حدثنى سعيد بن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس بنحوه . [٢]

٧٦٤٦ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، « ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة » الآية ، يقول : ليس كل القوم هلك ، قد كان لله فيهم بقية . [٥]

٧٦٤٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج : « أمة قائمة » ، عبد الله بن سلام ، وثعلبة بن سلام أخوه ، وسعية ، [٦] ومبشر ، وأسَيْد وأسد ابنا كعب .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : ليس أهل الكتاب وأمة محمد القائمة بحق الله ، سواء عند الله .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) فى المطبوعة : « ومنحوا فيه » ، وفى المخطوطة : « ومسحوا » غير منقوطة ، وهى تصحيف للذى أثبته من سيرة ابن هشام .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « أشرارنا » كما أثبتها ، والذى فى سيرة ابن هشام « شرارنا » . وهى أجود .

(٣) الأثران : ٧٦٤٤ ، ٧٦٤٥ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٦ .

(٤) فى المخطوطة والمطبوعة : « يونس عن بكير » ، وهو خطأ ، وهذا إسناد كثير الدوران فى التفسير أقربه رقم : ٧٣٣٤ .

(٥) فى المخطوطة « لله فيهم بله » غير منقوطة ، وتركت ما فى المطبوعة ، لأنه وافق ما فى الدر المنثور ٢ : ٦٤ ، ٦٥ .

(٦) فى المطبوعة : « شمية » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

٧٦٤٨ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن الحسن بن يزيد العجلي ، عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقول في قوله : « ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة » ، قال : لا يستوي أهل الكتاب وأمةُ محمد صلى الله عليه وسلم . (١)

٧٦٤٩ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة » ، الآية ، يقول : ليس هؤلاء اليهود ، كمثل هذه الأمة التي هي قائمة .

* * *

قال أبو جعفر : وقد بينا أن أولى القولين بالصواب في ذلك ، قولُ من قال : قد تمت القصة عند قوله : « ليسوا سواء » ، عن إخبار الله بأمر مؤمني أهل الكتاب وأهل الكفر منهم ، وأنّ قوله : « من أهل الكتاب أمة قائمة » ، خبر مبتدأ عن مدح مؤمنهم ووصفهم بصفتهم ، على ما قاله ابن عباس وقتادة وابن جريج .

* * *

ويعني جل ثناؤه بقوله : « أمة قائمة » ، جماعة ثابتةً على الحق .

* * *

وقد دللنا على معنى « الأمة » فيما مضى بما أغنى عن إعادته . (٢)

* * *

وأما « القائمة » ، فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله .

فقال بعضهم : معناها : العادلة .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) الحديث : ٧٦٤٨ – أبو عاصم : هو النبيل ، الضحاك بن مخلد . مضى في : ٢١٥٥ .
عيسى : هو ابن ميمون الجرشي المكي . مضى في : ٢٧٨ .
الحسن بن يزيد العجلي : تابعي ثقة . ذكره ابن حبان في الثقات ، وترجمه البخاري في الكبير ، ١/٢/٣٠٦ ، وابن أبي حاتم ١/٢/٤٢ – فلم يذكرا فيه جرحاً .
وهذا الحديث ذكره ابن كثير ٢ : ٢٢٤ ، عن ابن أبي نجيح ، غير منسوب لتخريج .
وسيأتي له بقية بهذا الإسناد : ٧٦٦٠ . وقد جمعهما السيوطي حديثاً واحداً ٢ : ٦٥ ، كما سيأتي هناك

(٢) انظر ما سلف قريباً ص : ١٠٦ والتعليق : ٢ ، وفيه المراجع .

٧٦٥٠ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « أمة قائمة » ، قال : عادلة .

* * *

وقال اخرون : بل معنى ذلك : أنها قائمة على كتاب الله وما أمر به فيه .

* ذكر من قال ذلك :

٧٦٥١ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة في قوله : « أمة قائمة » ، يقول : قائمة على كتاب الله وفرائضه وحدوده .

٧٦٥٢ – حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « أمة قائمة » ، يقول : قائمة على كتاب الله وحدوده وفرائضه .

٧٦٥٣ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « من أهل الكتاب أمة قائمة » ، يقول : أمة مهتدية ، قائمة على أمر الله ، لم تنزع عنه وتتركه كما تركه الآخرون وضيّعوه .

* * *

وقال آخرون : بل معنى « قائمة » ، مطيعة .

* ذكر من قال ذلك :

٧٦٥٤ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « أمة قائمة » ، الآية ، يقول : ليس هؤلاء اليهود كمثل هذه الأمة التي هي قانتة لله . و« القانتة » ، المطيعة .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل ذلك ، ما قاله ابن عباس وقتادة ومن قال بقولهما على ما روينا عنهم، وإن كان سائر الأقوال الأخر ٤ / ٣٦
متقاربة المعنى من معنى ما قاله ابن عباس وقتادة في ذلك . وذلك أنّ معنى قوله : « قائمة » ، مستقيمة على الهدى وكتاب الله وفرائضه وشرائع دينه ، والعدلُ والطاعةُ

وغير ذلك من أسباب الخير ، [١] من صفة أهل الاستقامة على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ونظير ذلك ، الخبرُ الذى رواه النعمان بن بشير ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

٧٦٥٥ — «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها ، كمثل قوم ركبوا سفينة » ، ثم ضرب لهم مثلا . [٢]

* * *

فالقائم على حدود الله : هو الثابت على التمسك بما أمره الله به ، واجتناب ما نهاهُ الله عنه .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام : من أهل الكتاب جماعة معتصمة بكتاب الله ، متمسكة به ، ثابتة على العمل بما فيه وما سن لهم رسوله صلى الله عليه وسلم .

* * *

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « بالعدل والطاعة . . . » ، وهو خطأ وفساد كبير فى السياق ، والصواب ما أثبت ، لأن الطبرى فسر « قائمة » بمعنى مستقيمة ، ثم ذكر أقوال أهل التأويل التى قالوها قبل من « العدل » و « الطاعة » ، ثم قال إنها « من صفة أهل الاستقامة » . فهى بذلك داخلة فى معنى « قائمة » كما فسرها .

(٢) الحديث : ٧٦٥٥ — هذا حديث صحيح ، أشار إليه الطبرى إشارة ، دون أن يذكره بتمامه ، ولم يذكر إسناده .

وقد رواه أحمد فى المسند ٤ : ٢٦٨ (حلبى) ، عن أبى معاوية ، عن الأعمش ، عن الشعبى ، عن النعمان بن بَشِير ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَثَلُ القائم على حدود الله تعالى ، والمُدْهِن فيها ، كَمَثَلِ قوم اسْتَهَمُوا على سَفِينة فى البحر فأصاب بعضُهم أسْفَلَها ، وأصاب بعضُهم أعْلَاها ، فكان الذين فى أسفلها يَصْعَدُون فيَسْتَقُون الماء ، فيَصُبُّون على الذين فى أعلاها ، فقال الذين فى أعلاها : لا نَدَعُكم تَصْعَدون فتؤذُوننا ، فقال الذين فى أسفلها : فإننا نَنْقُبُها من أسفلها فنَسْتَقِى ! قال : فإن أخَذُوا على أيديهم نَجَوْا جميعاً ، وإن تركوهم غَرِقُوا جميعاً » .

القول فى تأويل قوله ﴿ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ (١١٣)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « يتلون آيات الله » ، يقرأون كتاب الله آناء الليل . ويعنى بقوله : « آيات الله »، ما أنزل فى كتابه من العبَر والمواعظ . يقول : يتلون ذلك آناء الليل ، يقول : فى ساعات الليل فيتدبَّرونه ويتفكرون فيه .

* * *

وأما « آناء الليل » ، فساعات الليل ، واحدها « إنىٌ »، كما قال الشاعر : (١)

حُلْوٌ وَمُرٌّ كَعَطْفِ القِدْحِ مِرَّتُهُ ... فِى كُلِّ إِنْىٍ حَذَاه اللَّيْلُ يَنْتَعِلُ (٢)

ثم رواه أحمد أيضاً ٤ : ٢٦٩ ، عن يحيى بن سعيد ، عن زكريا ، و ٢٧٠ ، عن إسحق بن يوسف ، عن زكريا بن أبى زائدة ، و ٢٧٣ – ٢٧٤ ، عن سفيان ، عن مجالد – كلاهما ، أعنى زكريا ومجالد ، عن الشعبى ، عن النعمان بن بشير ، نحوه .

ورواه البخارى ٥ : ٩٤ (فتح) ، عن أبى نعيم ، عن زكريا ، عن الشعبى .

ثم رواه أيضاً ٥ : ٢١٦ : ٢١٧ ، عن عمر بن حفص بن غياث ، عن أبيه ، عن الأعمش ، عن الشعبى ، به نحوه .

(١) هو المتنخل الهذلى ، ولكنه سيأتى فى الطبرى منسوباً إلى « المنخل اليشكرى » ، وهو خطأ حققته فى موضعه بعد .

(٢) ديوان الهذليين ٢ : ٣٥ ، ومجاز القرآن ١ : ١٠٢ ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٦ ، واللسان « أنى »، وسيأتى من التفسير ١٦ : ١٦٨ (بولاق) ، من قصيدته فى رثاء ابنه أثيلة ، والبيت فى صفة ولده ، وقد رواه ابن الأنبارى ، كما جاء فى اللسان :

السَّالِكُ الثَّغْرَ مَخْشِيًّا مَوَارِدُهُ ... بِكُلِّ إِنْىٍ قَضَاه اللَّيْلُ يَنْتَعِلُ

فذكر الأزهرى رواية ابن الأنبارى ، وقال : وأنشده الجوهرى ، ثم ساق البيت كما هو فى التفسير ، ثم قال : « ونسبه أيضاً للمنخل ، فإما أن يكون هو البيت بعينه ، أو آخر من قصيدة أخرى » . وهذا كلام لا شك فى ضعفه ، والذى رواه ابن الأنبارى خلط خلطه من بيت آخر فى القصيدة ، أخطأ فى روايته . وهو قوله قبل ذلك بأبيات :

السَّالِكُ الثَّغْرَةَ يَقْظَانَ كَالِئُهَا ... مَشْىَ الهَلُوكِ عَلَيْهَا الخَيْعَلُ الفُضُلُ

وقد قيل إنّ واحد« الآناء »، « إنّى » مقصور ، كما واحد « الأمعاء» « مِعًى » .

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : تأويله : ساعات الليل ، كما قلنا .

* ذكر من قال ذلك :

٧٦٥٦ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « يتلون آيات الله آناء الليل »، أى : ساعات الليل .

٧٦٥٧ – حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : « آناء الليل » ، ساعات الليل .

٧٦٥٨ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال ، عبد الله بن كثير : سمعنا العرب تقول : « آناء الليل » ، ساعات الليل .

* * *

وقال آخرون : « آناء الليل » ، جوف الليل .

* ذكر من قال ذلك :

٧٦٥٩ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يتلون آيات الله آناء الليل » ، أما « آناء الليل » ، فجوفُ الليل .

وأما معنى البيت الذى رواه فى التفسير ، فإنه يعنى بقوله : « حلو ومر » ، أنه سهل لمن لاينه ، صعب على من خاشنه . وقوله « كحلف القدح »، يريد أنه يطوى كما يطوى القدح ثم يعود إلى شدته واستقامته . والمرة : القوة والشدة . ورواية الديوان والطبرى « حذاء الليل » ، أى قدامه الليل حذاء ، ومر شرحه فى المعنى بقوله : « قضاء » ، لأن معنى « قضاء » : أى صنعه وقدره وفصله . وانتعل الليل : اشتمله ظلامه ، يعنى سرى فيه ، غير حافل بما يلقى .

هذا ، وقد كان فى المطبوعة من التفسير : « قضاء الليل » ، نقله ناشر من مكان غير التفسير ، لأن فى المخطوطة « حذاء » غير منقوطة ، فلم يعرف معناها ، ولم يعرف صوابها فاستبدل بها ما أثبته من اللسان أو غيره .

وقال آخرون : بل عنى بذلك قومٌ كانوا يصلون العشاء الآخرة . (١)

* ذكر من قال ذلك :

٧٦٦٠ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن الحسن بن يزيد العجلي ، عن عبد الله بن مسعود في قوله : « يتلون آيات الله آناء الليل » ، صلاة العَتَمة ، هم يصلُّونها ، ومَنْ سِواهم من أهل الكتاب لا يصلِّيها . (٢)

٧٦٦١ – حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ، حدثني يحيى بن أيوب ، عن عبيد الله بن زحر ، عن سليمان ، عن زِرّ بن حبيش ، عن عبد الله بن مسعود قال : احتبس علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ، كان عند بعض أهله ونسائه : فلم يأتنا لصلاة العشاء حتى ذهب ليلٌ ، فجاء ومنا المصلي ومنا المضطجع ، فبشَّرنا وقال : إنه لا يصلي هذه الصلاة أحدٌ من أهل الكتاب ! فأنزل الله : « ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون » . (٣)

---

(١) في المطبوعة : « العشاء الأخيرة » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) الحديث : ٧٦٦٠ – هذا تتمة الحديث الماضي بهذا الإسناد : ٧٦٤٨ ، كما أشرنا هناك . وقد جمعهما السيوطي ٢ : ٦٥ حديثاً واحداً ، نسبه للفريابي ، والبخاري في تاريخه . وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

ولم نر من هذه المصادر إلا ابن جرير ، وهو قد رواه مفرقاً حديثين ، كما ترى – وإلا التاريخ الكبير للبخاري ، وهو لم يروه كله . بل روى هذا القسم الأخير وحده موجزاً كعادته ، في ترجمة الحسن بن يزيد ١/٢/٣٠٦ ، قال : «قال محمد بن يوسف ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن الحسن بن يزيد العجلي ، عن ابن مسعود (يتلون آيات الله آناء الليل) ، قال : صلاة العتمة . وروى عمر بن ذر ، عن الحسن بن يزيد العجلي ، مرسلا » .

وانظر الحديثين بعد هذا .

(٣) الحديث : ٧٦٦١ – عبيد الله بن زحر الضمري الإفريقي : ثقة ، وثقه البخاري فيما نقل عنه الترمذي ، كما في التهذيب ، وكذلك وثقه أحمد بن صالح ، فيما روى عنه أبو داود . وضعفه أحمد ، وابن معين ، وابن المديني . وروى ابن أبي حاتم ٢/٢/٣١٥ عن أبيه ، أنه قال : « لين الحديث » . وعن أبي زرعة ، أنه قال : « لابأس به ، صدوق » . ولم يذكره البخاري ولا النسائي في الضعفاء ،

٧٦٦٢ – حدثني يونس قال، حدثنا علي بن معبد، عن أبي يحيى الخراساني، عن نصر بن طريف، عن عاصم، عن زر بن حبيش، عن عبد الله بن مسعود قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن ننتظر العشاء – يريد: العَتَمة – فقال لنا، ما على الأرض أحدٌ من أهل الأديان يتنظر هذه الصلاة في هذا الوقت غيركم! قال: فنزلت: «ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون». (١)

* * *

ونرى أن من تكلم فيه إنما هو من أجل نسخة يرويها عن علي بن يزيد الألهاني، الحمل فيها على علي بن يزيد. وانظر التهذيب.

و «زحر»: بفتح الزاي وسكون الحاء المهملة.

سليمان: هو الأعمش.

وأنا أخشى أن يكون قد سقط من هذا الإسناد «عن عاصم» – بين سليمان الأعمش وزر بن حبيش. فإن الأعمش لم يذكر أنه يروى عن زر، وإنما روايته عنه بواسطة «عاصم بن أبي النجود» وأقرانه من هذه الطبقة.

والحديث سيأتي – نحوه – عقب هذا. وتخريجه هناك.

(١) الحديث: ٧٦٦٢ – علي بن معبد بن شداد العبدي. الرقي، نزيل مصر: ثقة، روى عنه أبو حاتم ووثقه. وقال الحاكم: «شيخ من جلة المحدثين».

أبو يحيى الخراساني: لم أعرف من هو، بعد طول البحث والتتبع. وفي كنية «أبي يحيى»، وفي نسبة «الخراساني» كثرة.

نصر بن طريف، أبو جزي القصاب الباهلي: ضعيف جداً، أجمعوا على ضعفه. ترجمه البخاري في الكبير ٤/٢/١٠٥، وقال: «سكتوا عنه، ذاهب»، وابن سعد ٧/٢/٤١، وقال: «ليس بشيء، وقد ترك حديثه». وقال يحيى: «من المعروفين بوضع الحديث»؛ وذكره الفلاس فيمن «أجمع عليه من أهل الكذب أنه لا يروى عنهم».

وكنيته «أبو جزي»: بفتح الجيم وكسر الزاي، كما ضبطه الذهبي في المشتبه، ص ١٠٤.

والحديث ثابت، بنحوه – بإسناد آخر صحيح، يغني عن إسنادي الطبري هذين:

فرواه أحمد في المسند: ٣٧٦٠، عن أبي النضر وحسن بن موسى، كلاهما عن شيبان، عن عاصم، عن زر، عن ابن مسعود.

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١: ٣١٢. وقال: «رواه أحمد، وأبو يعلى، والبزار، والطبراني في الكبير»، ثم ذكره بنحوه، بلفظ يكاد يكون لفظ الرواية الماضية: ٧٦٦١. ثم قال: «ورجال أحمد ثقات، ليس فيهم غير عاصم بن أبي النجود، وهو مختلف في الاحتجاج به. وفي إسناد الطبراني عبيد الله بن زحر. وهو ضعيف».

وذكره السيوطي ٢: ٦٥، وزاد نسبته للنسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

وقال آخرون : بل عُنى بذلك قومٌ كانوا يصلون فيما بين المغرب والعشاء.

* ذكر من قال ذلك :

٧٦٦٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن منصور قال : بلغنى أنها نزلت : « ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون » ، فيما بين المغرب والعشاء .

* * *

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال التى ذكرتُها على اختلافها، متقاربة المعانى . وذلك أن الله تعالى ذكره وَصف هؤلاء القوم بأنهم يتلون آيات الله فى ساعات الليل ، وهى آناؤه ، وقد يكون تاليها فى صلاة العشاء تالياً لها آناء الليل ، وكذلك ٤/٣٧ من تلاها فيما بين المغرب والعشاء ، ومن تلاها جوفَ الليل، فكلٌّ تالٍ له ساعات الليل . غير أن أولى الأقوال بتأويل الآية، قولُ من قال: « عنى بذلك تلاوةَ القرآن فى صلاة العشاء »، لأنها صلاة لا يصلّيها أحد من أهل الكتاب » ، فوصف الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم بأنهم يصلونها دون أهل الكتاب الذين كفروا بالله ورسوله .

* * *

وأما قوله : « وهم يسجدون » ، فإن بعض أهل العربية زعم أن معنى « السجود » فى هذا الموضع ، اسم للصلاة لا للسجود، (١)لأن التلاوة لاتكون فى السجود ولا فى الركوع . فكان معنى الكلام عنده : يتلون آيات الله آناء الليل وهم يصلون . (٢)

* * *

وليس المعنى على ما ذهب إليه ، وإنما معنى الكلام : من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل فى صلاتهم ، وهم مع ذلك يسجدون فيها ، فـ « السجود » ، هو « السجود » المعروف فى الصلاة .

* * *

(١) فى المطبوعة : « لا السجود » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) هذه مقالة الفراء فى معانى القرآن ١ : ٢٣١ .

القول فى تأويل قوله ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (١١٤)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل وعز : « يؤمنون بالله واليوم الآخر » ، يصدّقون بالله وبالبعث بعد الممات ، ويعلمون أن الله مجازيهم بأعمالهم ، وليسوا كالمشركين الذين يجحدون وحدانية الله ، ويعبدون معه غيره ، ويكذبون بالبعث بعد الممات ، وينكرون المجازاة على الأعمال ، والثوابَ والعقابَ .

* * *

وقوله : « ويأمرون بالمعروف » ، يقول : يأمرون الناس بالإيمان بالله ورسوله ، وتصديق محمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم به [1] = « وينهون عن المنكر » ، يقول : وينهون الناس عن الكفر بالله ، وتكذيب محمد وما جاءهم به من عند الله ، [2] يعنى بذلك : أنهم ليسوا كاليهود والنصارى الذين يأمرون الناس بالكفر وتكذيب محمد فيما جاءهم به ، وينهونهم عن المعروف من الأعمال ، وهو تصديق محمد فيما أتاهم به من عند الله = « ويسارعون فى الخيرات » ، يقول : ويبتدرون فعل الخيرات خشية أن يفوتهم ذلك قبل معاجلتهم مناياهم .

* * *

ثم أخبر جل ثناؤه أن هؤلاء الذين هذه صفتهم من أهل الكتاب ، هم من عداد الصالحين ، [3] لأن من كان منهم فاسقاً ، قد باء بغضب من الله لكفره بالله وآياته ، وقتلهم الأنبياء بغير حق ، وعصيانه ربّه واعتدائه فى حدوده .

* * *

---

(١) انظر تفسير « المعروف » فيما سلف ص : ١٠٥ تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « المنكر » فيما سلف ص : ١٠٥ تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الصالح » فيما سلف ٣ : ٩١ / ٦ : ٣٨٠ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ (١١٥)

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة الكوفة : ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوه ﴾ ، جميعاً، ردًّا على صفة القوم الذين وصفهم جل ثناؤه بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

* * *

وقرأته عامة قرأة المدينة والحجاز وبعض قرأة الكوفة بالتاء فى الحرفين جميعاً : ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ تُكْفَرُوهُ ﴾ ، بمعنى : وما تفعلوا، أنتم أيها المؤمنون، من خير فلن يكفُرَكموه ربُّكم .

* * *

وكان بعض قرأة البصرة يرى القراءتين فى ذلك جائزاً بالياء والتاء ، فى الحرفين .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك عندنا : « وما يفعلوا، من خير فلن يُكفروه » ، بالياء فى الحرفين كليهما ، يعنى بذلك الخبرَ عن الأمة القائمة التالية آيات الله .

وإنما اخترنا ذلك ، لأن ما قبل هذه الآية من الآيات ، خبر عنهم . فإلحاق هذه الآية = إذْ كان لا دلالة فيها تدل على الانصراف عن صفتهم = بمعانى الآيات قبلها ، أولى من صرفها عن معانى ما قبلها . وبالذى اخترنا من القراءة كان ابن عباس يقرأ .

٧٦٦٤ — حدثنى أحمد بن يوسف التغلبىّ قال، حدثنا القاسم بن سلام قال ، حدثنا حجاج ، عن هرون ، عن أبى عمرو بن العلاء قال : بلغنى عن ابن عباس أنه كان يقرأهما جميعاً بالياء .(١)

* * *

(١) الأثر : ٧٦٦٤ — « أحمد بن يوسف التغلبى » سلفت ترجمته فى رقم : ٥٩٥٤ ، وأما المطبوعة

قال أبو جعفر : فتأويل الآية إذاً ، على ما اخترنا من القراءة : وما تفعل هذه الأمة من خير ، وتعمل من عملٍ لله فيه رضًى ، فلن يكفُرهم الله ذلك ، يعنى بذلك : فلن يبطل الله ثوابَ عملهم ذلك ، ولا يدعهم بغير جزاء منه لهم عليه ، ولكنه يُجزل لهم الثواب عليه ، ويُسنى لهم الكرامة والجزاء .

* * *

وقد دللنا على معنى « الكفر » فيما مضى قبل بشواهده ، وأنّ أصله تغطية الشيء .(١)

* * *

فكذلك ذلك فى قوله : « فلن يكفروه » ، فلن يغطّى على ما فعلوا من خير فيتركوا بغير مجازاة ، ولكنهم يُشكرون على ما فعلوا من ذلك ، فيجزل لهم الثواب فيه. ٣٨/٤

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك من التأويل ، تأوّل من تأوّل ذلك من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٧٦٦٥ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة : « وما تفعلوا من خير فلن تكفروه » ، يقول : لن يضلّ عنكم .

٧٦٦٦ – حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بمثله .

* * *

وأما قوله : « والله عليم بالمتقين » ، فإنه يقول تعالى ذكره : والله ذو علم بمن اتقاه ، لطاعته واجتناب معاصيه، وحافظٌ أعمالهم الصالحة حتى يثيبهم عليها ويجازيهم بها ، تبشيراً منه لهم جل ذكره فى عاجل الدنيا، وحضًّا لهم على التمسك بالذى هم عليه من صالح الأخلاق التى ارتضاها لهم .

* * *

فقد حذفت « التغلبى » ، لأن الناشر لم يحسن قراءة الكلمة ، فإنها كانت فيها « العلى » غير منقوطة ولا بينة ، فحذفها الناشر .

(١) انظر ما سلف ١ : ٢٥٥ ، ٣٨٢ ، ٥٥٢ ، ثم ما بعد ذلك فى فهارس اللغة من الأجزاء السالفة .

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (١١٦)

قال أبو جعفر : وهذا وعيدٌ من الله عز وجل للأمة الأخرى الفاسقة من أهل الكتاب ، الذين أخبر عنهم بأنهم فاسقون، وأنهم قد باؤوا بغضب منه، ولمن كان من نظرائهم من أهل الكفر بالله ورسوله وما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله .

يقول تعالى ذكره: « إن الذين كفروا »، يعنى : الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وكذبوا به وبما جاءهم به من عند الله = « لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً » ، يعنى : لن تدفع أمواله التى جمعها فى الدنيا، وأولاده الذين ربَّاهم فيها، شيئاً من عقوبة الله يوم القيامة إن أخرها لهم إلى يوم القيامة، ولا فى الدنيا إنْ عجَّلها لهم فيها .

* * *

وإنما خصّ أولاده وأمواله ، لأن أولاد الرجل أقربُ أنسبائه إليه ، وهو على ماله أقدر منه على مال غيره ،[1] وأمرُه فيه أجوز من أمره فى مال غيره . فإذا لم يغن عنه ولده لصلبه ، وماله الذى هو نافذ الأمر فيه ، فغير ذلك من أقربائه وسائر أنسبائه وأموالهم ، أبعد من أن تغنى عنه من الله شيئاً .

* * *

ثم أخبر جل ثناؤه أنهم هم أهل النار الذين هم أهلها بقوله : « وأولئك أصحاب النار » . وإنما جعلهم أصحابها، لأنهم أهلها الذين لا يخرجون منها ولا يفارقونها،

---

(١) فى المطبوعة : « وهو على ماله أقرب . . . » ، وهى فى المخطوطة شبيهة بها ، إلا أنها سيئة الكتابة ، ولكن لا معنى لها ، والصواب ما أثبت ، فهو حق السياق .

كصاحب الرجل الذى لا يفارقه ، وقرينه الذى لا يزايله . [١] ثم وكد ذلك بإخباره عنهم أنهم « فيها خالدون » ، أنّ صحبتهم إياها صحبة لا انقطاع لها ، [٢] إذْ كان من الأشياء ما يفارق صاحبه فى بعض الأحوال ، ويُزايله فى بعض الأوقات ، وليس كذلك صحبة الذين كفروا النارَ التى أصْلُوها ، ولكنها صحبة دائمة لا نهاية لها ولا انقطاع . نعوذ بالله منها ومما قرّب منها من قول وعمل .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : شَبَهُ ما ينفق الذين كفروا ، أى : شَبَهُ ما يتصدق به الكافرُ من ماله ، [٢] ليعطيه من يعطيه على وجه القُربة إلى ربّه وهو لوحدانية الله جاحد ، ولمحمد صلى الله عليه وسلم مكذب ، فى أن ذلك غير نافعه مع كفره ، وأنه مضمحلّ عند حاجته إليه ، ذاهبٌ بعد الذى كان يرجو من عائدة نفعه عليه = كشبه ريح فيها برد شديد ، أصابت هذه الريح التى فيها البرد الشديد = « حرثَ قوم » ، [٤] يعنى : زرع قوم قد أمّلوا إدراكه ، ورجَوْا رَيْعه وعائدة نفعه = « ظلموا أنفسهم » ، يعنى : أصحاب الزرع ، عصوا الله وتعدّوا حدوده = « فأهلكته » ، يعنى : فأهلكت الريح التى فيها الصرُّ زرعهم ذلك ، بعد الذى كانوا عليه من الأمل ورجاء عائدة نفعه عليهم .

---

(١) انظر تفسير «أصحاب النار» فيما سلف ١ : ٢٨٦ ، ٤/٢٨٧ : ٥/٣١٧ : ٤٢٩ /٦ : ١٤

(٢) فى المطبوعة أسقط «أن» من أول هذه العبارة ، وهى ثابتة فى المخطوطة . وفيهما جميعاً بعد : « إذا كان من الأشياء » ، وصواب السياق « إذ » ، كما أثبتها .

(٣) انظر تفسير «النفقة» فيما سلف ٥ : ٥٥٥ ، ٦/٥٨٠ : ٢٦٥

(٤) انظر تفسير « الحرث » فيما سلف ٤ : ٢٤٠ ، ٣٩٧/ ٦ : ٢٥٧

يقول تعالى ذكره : فكذلك فعل الله بنفقة الكافر وصدقته فى حياته ، حين يلقاه، يبطل ثوابها ويخيب رجاؤه منها . وخرج المثَل للنفقة ، والمراد بـ « المثل » صنيعُ الله بالنفقة . فبيَّن ذلك قوله : « كمثل ريح فيها صرٌّ » ، فهو كما قد بيّنا فى مثله قوله : ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَاراً﴾ [سورة البقرة: ١٧] ، وما أشبه ذلك .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام ، مثل إبطال الله أجرَ ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا ، كمثل ريح فيها صر . وإنما جاز ترك ذكر « إبطال الله أجر ذلك » ، لدلالة آخر الكلام عليه، وهو قوله : « كمثل ريح فيها صرٌّ » ، ولمعرفة السامع ذلك معناه .

* * *

واختلف أهل التأويل فى معنى « النفقة » التي ذكرها فى هذه الآية .

فقال بعضهم : هى النفقة المعروفة فى الناس .

* ذكر من قال ذلك :

٧٦٦٧ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قول الله عز وجل : « مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا » ، قال : نفقة الكافر فى الدنيا . ٣٩/٤

* * *

وقال آخرون : بل ذلك قوله الذى يقوله بلسانه ، مما لا يصدِّقه بقلبه .

* ذكر من قال ذلك :

٧٦٦٨ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنى أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرثَ قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته » ، يقول : مثل ما يقول فلا يقبل

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٣١٨ — ٣٢٨ .

منه ، كمثل هذا الزرع إذا زرعه القوم الظالمون ، فأصابه ريح فيها صر ، أصابته فأهلكته . فكذلك أنفقوا ، فأهلكهم شِرْكهم .

* * *

وقد بينا أولى ذلك بالصواب قبل .

* * *

وقد تقدم بياننا تأويل « الحياة الدنيا » بما فيه الكفاية من إعادته فى هذا الموضع .[1]

* * *

وأما «الصر» فإنه شدة البرد ، وذلك بعُصُوف من الشمال فى إعصار الطَّلّ والأنداء ، فى صبيحة مُعْتمة بعقب ليلة مصحية ،[2] كما : —

٧٦٦٩ — حدثنا حميد بن مسعدة قال ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن عثمان ابن غياث قال ، سمعت عكرمة يقول : « ريح فيها صر » ، قال : بردٌ شديد .

٧٦٧٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال ابن عباس : « ريح فيها صر » ، قال : برد شديد وزمهرير .

٧٦٧١ — حدثنا على بن داود قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « ريح فيها صر » ، يقول : برد .

٧٦٧٢ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن هرون بن عنترة ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « الصر » ، البرد .

٧٦٧٣ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « كمثل ريح فيها صر » ، أى : برد شديد .

٧٦٧٤ — حدثت عن عمار ، عن ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

٧٦٧٥ — حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى فى « الصر » ، البرد الشديد .

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٣١٤ ، ٣١٦ .

(٢) هذا البيان عن معنى « الصر » قلما تصيب مثله فى كتب اللغة .

٧٦٧٦ – حدثنا محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثنا عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه، عن ابن عباس : « كمثل ريح فيها صر » ، يقول : ريح فيها برد .

٧٦٧٧ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: « ريح فيها صر » ، قال : « صر »، باردة أهلكت حرثهم . قال : والعرب تدعوها « الضَّريب » ، تأتي الريح باردة فتصبح ضريباً قد أحرق الزرع ،(١) تقول : « قد ضُرِب الليلة » ، أصابه ضريبُ تلك الصر التي أصابته .

٧٦٧٨ – حدثني يحيى بن أبي طالب قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا جويبر ، عن الضحاك : « ريح فيها صر » ، قال : ريح فيها برد .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (١١٧)

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : وما فعل الله بهؤلاء الكفار ما فعل بهم ، من إحباطه ثواب أعمالهم وإبطاله أجورها ظلماً منه لهم = يعني : وضعاً منه لما فعل بهم من ذلك في غير موضعه وعند غير أهله ، بل وضَع فعله ذلك في موضعه، وفعل بهم ما هم أهله . لأن عملهم الذي عملوه لم يكن لله وهم له بالوحدانية دائنون، ولأمره مُتبعون ، ولرسله مصدقون ، بل كان ذلك منهم وهم به مشركون ، ولأمره مخالفون ، ولرسله مكذبون، بعد تقدُّم منه إليهم أنه لا يقبل عملاً من عامل إلاّ مع إخلاص التوحيد له، والإقرار بنبوة أنبيائه ، وتصديق ما جاؤوهم به، وتوكيده الحجج بذلك عليهم . فلم يكن = بفعله ما فعل بمن كفر به وخالف أمره في ذلك = بعد

(١) الضريب : الصقيع والجليد .

الإعذار إليه، (١) من إحباط وَفْر عمله = له ظالماً ، بل الكافرُ هو الظالم نفسه، لإكسابها من معصية الله وخلاف أمره ، ما أوردها به نار جهنم ، وأصلاها به سعير سقَرَ . (٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ، وأقروا بما جاءهم به نبيهم من عند ربهم = « لا تتخذوا بطانة من دونكم » ، يقول : لا تتخذوا أولياء وأصدقاء لأنفسكم = « من دونكم » يقول : من دون أهل دينكم وملّتكم، يعنى من غير المؤمنين .

* * *

وإنما جعل « البطانة » مثلا لخليل الرجل ، فشبهه بما ولى بطنه من ثيابه ، لحلوله منه — فى اطّلاعه على أسراره وما يطويه عن أباعده وكثير من أقاربه — محلَّ ما وَلِىَ جَسَده من ثيابه .

* * *

فنهى الله المؤمنين به أن يتخذوا من الكفار به أخلاّء وأصفياء ، ثم عرّفهم ما هم عليه لهم منطوون من الغش والخيانة، وبغيهم إياهم الغوائل، فحذرهم بذلك منهم ومن ٤٠/٤

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « الاعتذار إليه » ، وهو خطأ صرف . وأعذر إعذاراً : أى بلغ الغاية فى البلاغ ، ومنه قولهم : «أعذر من أنذر » ، أى بالغ فى الإنذار حتى بان عذره ، إذا أنزل بمن أنذره ما يسوءه . وقوله : « وفر عمله » أى كثير عمله ووافره . و « الوفر » (بفتح فسكون) . وكان فى المطبوعة « وافر عمله » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) سياق الجملة : « فلم يكن ... له ظالما» ، وما بينهما فصل للبيان متعلق بقوله : « ظالماً » ولكنه مقدم عليه .

مخالَّتهم، [١] فقال تعالى ذكره: « لا يألونكم خبالا »، يعنى : لا يستطيعونكم شرًّا، من « ألوت آلو ألواً »، يقال: « ما ألا فلان كذا » ، أى : ما استطاع ، كما قال الشاعر [٢] :

جَهْرَاءُ لا تَأْلُو ، إذَا هِىَ أَظْهَرَتْ ، بَصَرًا ، وَلَا مِنْ عَيْلَةٍ تُغْنِينِى [٣]

يعنى : لا تستطيع عند الظهر إبصاراً .

* * *

وإنما يعنى جل ذكره بقوله : « لا يألونكم خبالا » ، البطانةَ التى نهى المؤمنين

---

(١) فى المطبوعة : « فحذرهم بذلك منهم عن مخالتهم » ، فك إدغام اللام وحذف الواو قبل « عن » ، وفى المخطوطة « وعن مخالتهم » ، والصواب فى قراءتها ما أثبت ، إلا أن يكون سقط من الكلام « نهاهم » فيكون « ونهاهم عن مخالتهم » .

(٢) هو أبو العيال الهذلى .

(٣) ديوان الهذليين ٢ : ٢٦٣ ، الحيوان ٣ : ٥٣٥ ، المعانى الكبير : ٦٩٠ ، اللسان (ألا) (جهر) . من شعر جيد فى مقارضات بينه وبين بدر بن عامر الهذلى، قال بدر بن عامر أبياتاً، حين بلغه أن ابن أخ لأبى العيال، أنه ضلع مع خصمائه، فانتفى من ذلك وزعم أنه ليس ممن يأتى سوءاً إلى أخيه أبى العيال، فكذبه أبو العيال ، فبادر بدر يرده . وكله شعر حسن فى معناه . فشبه أبو العيال شعر بدر فيه وفى الثناء عليه بالشاة فقال له :

أَقْسَمْتَ لا تَنْسَى شَبابَ قَصِيدَةٍ أبداً ! ! فَمَا هٰذا الَّذِى يُنْسِينِى ؟
فَلَسَوْفَ تَنْسَاهَا وَتَعْلَمُ أَنَّها تَبَعٌ لآبِيَةِ العِصَابِ زَبُونِ
وَمَنَحْتَنِى فَرَضِيتُ زِىَّ مَنِيحَتِى فَإذَا بِهَا، وَأَبِيكَ، طَيْفُ جُنُونِ
جَهْرَاءُ لَا تَأْلُو . . . . . .
. . . . . .

والجهراء : هى التى لا تبصر فى الشمس ، وهو ضعف فى البصر . ويقال : « عال يعيل عيلا وعيلة » افتقر . يقول : أهديت لى شعراً وثناء وقولا ، فرضيته ، ثم إذا هو لا شىء إلا قول وكلام ، إذا انكشف الأمر وظهر ، عمى هذا الشعر وانطفأ ، وإذا جد الجد ، لم يغن قولك شيئاً ، بل كنت كما قلت لك آنفاً :

« فَلَقَدْ رَمَقْتُكَ فِى المَجَالِسِ كُلِّهَا فَإذَا ، وأنتَ تُعِينُ من يَبْغِينِى »

عن اتخاذها من دونهم ، فقال : إن هذه البطانة لا تترككم طاقتها خبالا ، أى لا تدع جهدها فيما أورثكم الخبال .(١)

* * *

وأصل « الخبْل» و «الخبال» ، الفساد ، ثم يستعمل فى معان كثيرة ، يدل على ذلك الخبرُ عن النبى صلى الله عليه وسلم :

٧٦٧٩ — « من أصيب بخبْل = أو : جرَاح » .(٢)

* * *

وأما قوله : « ودوا ما عنِتُّم » ، فإنه يعنى : ودوا عنتكم . يقول : يتمنون لكم العنَت والشر فى دينكم وما يسوءكم ولا يسرُّكم .(٣)

* * *

وذكر أن هذه الآية نزلت فى قوم من المسلمين كانوا يخالطون حلفاءهم من اليهود وأهل النفاق منهم ، ويصافونهم المودّة بالأسباب التى كانت بينهم فى جاهليتهم قبل الإسلام ، فنهاهم الله عن ذلك وأن يستنصحوهم فى شىء من أمورهم .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) لقد أبعد أبو جعفر المذهب فى احتياله فى تفسير « لا يألونكم » ، فإن بيان أهل اللغة عن معنى هذا الحرف من العربية ، أصدق وأكل من بيانه ، فقد ذكروا المعنى الذى ذكره ثم قالوا : « ما ألوت ذلك : أى ما استطعته ؛ وما ألوت أن أفعله : أى ما تركت » وقالوا : « هى من الأضداد ؛ ألا : فتر وضعف = وألا : اجتهد » ، فراجع ذلك فى كتب العربية .

(٢) الأثر : ٧٦٧٩ — رواه أبو جعفر غير مسند ؛ ورواه أحمد فى مسنده ٤ : ٣١ ، والبيهقى فى السنن ٨ : ٥٣ ، ورواية أحمد من طريق شيخه « محمد بن سلمة الحرانى ، عن ابن إسحق = ويزيد ابن هرون قال أنبأنا محمد بن إسحق = عن الحارث بن فضيل ، عن فضيل ، عن سفيان بن أبى العوجاء — قال يزيد : السلمى — عن أبى شريح الخزاعى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — وقال يزيد : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول — : من أصيب بدم أو خبل = الخبل : الجراح = فهو بالخيار بين إحدى ثلاث : إما أن يقتص ، أو يأخذ العقل ، أو يعفو ، فإن أراد رابعة فخذوا على يده ، فإن فعل شيئاً من ذلك ثم عدا بعد فقتل ، فله النار خالداً فيها مخلداً » .

يعنى بالدم : قتل النفس — وبالخبل أو الجراح : قطع العضو . وقد تركت ما فى الطبرى على حاله : « أو جراح » وبينت بالترقيم أنها كأنها رواية أخرى فى قوله : «خبل» ، شك من الراوى . ولكن سياق الخبر يرجح عندى أنها : « أى : جراح » ، لأنه قد جاء فى الحديث نفسه تفسير « الخبل » بالجراح .

(٣) انظر تفسير « العنت » فيما سلف ٤ : ٣٥٨ — ٣٦١ .

٧٦٨٠ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، قال ، قال محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان رجال من المسلمين يواصلون رجالا من اليهود، لما كان بينهم من الجوار والحِلْف في الجاهلية، فأنزل الله عز وجل فيهم ينهاهم عن مباطنتهم، (١) تخوُّفَ الفتنة عليهم منهم : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم » إلى قوله : « وتؤمنون بالكتاب كله ». (٢)

٧٦٨١ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا » ، في المنافقين من أهل المدينة . نهى الله عز وجل المؤمنين أن يتولَّوهم .

٧٦٨٢ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم »، نهى الله عز وجل المؤمنين أن يستدخلوا المنافقين، (٣) أو يؤاخوهم، أو يتولوهم من دون المؤمنين. (٤)

٧٦٨٣ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « لا تتخذوا بطانة من دونكم » ، هم المنافقون .

٧٦٨٤ – حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن

---

(١) في المطبوعة : « فنهاهم » بالفاء في أوله ، والصواب من المخطوطة وابن هشام .

(٢) الأثر : ٧٦٨٠ – سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٧ ، وهو تابع الأثرين السالفين رقم : ٧٦٤٤، ٧٦٤٥ .

(٣) قوله : « يستدخلوا » أي يتخذوهم أخلاء . استدخله : اتخذه دخيلا ، مثل قولهم استصحبه : اتخذه صاحباً ، والدخيل والمداخل : الذي يداخل الرجل في أموره كلها . وهذا البناء « استدخله » مما أغفلته كتب اللغة ، وهو عربي معرق كما ترى .

(٤) في المطبوعة : « أي يتولوهم » ، وفي المخطوطة : « أن يتولوهم » ، والصواب ما أثبت .

الربيع قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا » ، يقول لا تستدخلوا المنافقين ، [١] تتولوهم دون المؤمنين .

٧٦٨٥ – حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم قالا ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا العوام بن حوشب ، عن الأزهر بن راشد ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تستضيئوا بنار أهل الشرك ، ولا تنقشوا فى خواتيمكم عربيًّا . قال : فلم ندر ما ذلك ، حتى أتوا الحسن فسألوه ، فقال : نعم ، أما قوله : « لا تنقشوا فى خواتيمكم عربيًّا » ، فإنه يقول : لا تنقشوا فى خواتيمكم « محمد » . وأما قوله : « ولا تستضيئوا بنار أهل الشرك » ، فإنه يعنى به المشركين ، يقول : لا تستشيروهم فى شيء من أموركم . قال قال الحسن : وتصديق ذلك فى كتاب الله ، ثم تلا هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم » . [٢]

---

(١) انظر ص ١٤١ ، تعليق : ٣ .

(٢) الحديث : ٧٦٨٥ – الأزهر بن راشد البصرى : ثقة . ترجمه البخارى فى الكبير ١/١/٤٥٥ ، وابن أبى حاتم ١/١/٣١٣ – فلم يذكر فيه جرحاً .

وهناك راو آخر ، اسمه « الأزهر بن راشد الكاهلى » ، وهو كوفى ، وهو غير البصرى ، ومتأخر عنه . وترجمه البخارى وابن أبى حاتم أيضاً . فإن البصرى يروى عنه « العوام بن حوشب » المتوفى سنة ١٤٨ ، والكوفى الكاهلى يروى عنه « مروان بن معاوية الفزارى » المتوفى سنة ١٩٣ . ومروان ابن معاوية من شيوخ أحمد . والعوام بن حوشب من شيوخ شيوخه . فشتان هذا وهذا .

ومع هذا الفرق الواضح أخطأ الحافظ المزى ، فذكر فى التهذيب الكبير أن أبا حاتم قال فى البصرى : « مجهول » . وتبعه الحافظ فى تهذيب التهذيب ، والذهبى فى الميزان . وزاد الأمر تخليطاً ، فذكر أنه ضعفه ابن معين ! !

وابن معين وأبو حاتم إنما قالا ذلك فى الكاهلى الكوفى . فروى ابن أبى حاتم فى ترجمة « الكاهلى » ١/١/٣١٣ ، رقم : ١١٨٠ ، عن ابن معين ، قال : « أزهر بن راشد ، الذى روى عنه مروان بن معاوية : ضعيف » . ثم قال : « سألت أبى عن أزهر بن راشد ؟ فقال : هو مجهول » .

ولم يحقق الحافظ ابن حجر ، واشتبه عليه الكلام فى الترجمتين ، فقال فى ترجمة « الكاهلى » – بعد ترجمة « البصرى » – : « أخشى أن يكونا واحداً ! لكن فرق بينهما ابن معين » . والفرق بينهما كالشمس .

والحديث رواه أحمد فى المسند : ١١٩٧٨ (ج ٣ ص ٩٩ حلبى) ، عن هشيم ، بهذا الإسناد – دون كلام الحسن ، وهو البصرى .

٧٦٨٦ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم »، أما « البطانة »، فهم المنافقون .

٧٦٨٧ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم » الآية ، قال : لايستدخل المؤمنُ المنافقَ دون أخيه .(١)

٧٦٨٨ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم » الآية ، قال : هؤلاء المنافقون . وقرأ قوله : « قد بدت البغضاء من أفواههم» الآية .

* * *

قال أبو جعفر : واختلفوا فى تأويل قوله : « ودُّوا ما عنِتُّم » . ٤/٠١

فقال بعضهم : معناه : ودوا ما ضللتم عن دينكم .(٢)

* ذكر من قال ذلك:

٧٦٨٩ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ودوا ما عنتم » ، يقول : ما ضللتم .

* * *

ورواه البخارى كذلك فى الكبير ١/١/٤٥٥ – دون كلام الحسن ، عن مسدد ، عن هشيم ، به . ثم فسر البخارى بعضه ، فقال : « قال أبو عبد الله [هو البخارى نفسه] : عربياً ، يعنى « محمد رسول الله » . يقول : لا تكتبوا مثل خاتم النبى : « محمد رسول الله » .

ورواه أبو يعلى مطولا – مثل رواية الطبرى أو أطول قليلا – وفيه كلام الحسن . رواه عن إسحق بن إسرائيل ، عن هشيم ، بهذا الإسناد . نقله عنه ابن كثير ٢ : ٢٢٧ ، ثم قال : « هكذا رواه الحافظ أبو يعلى رحمه الله . وقد رواه النسائى، عن مجاهد بن موسى، عن هشيم ، به . ورواه الإمام أحمد ، عن هشيم، بإسناده مثله، من غير ذكر تفسير الحسن البصرى . وهذا التفسير فيه نظر » – إلى آخر ما قال .

ولم أجده فى سنن النسائى ، فلعله فى السنن الكبرى .

وذكره السيوطى ٢ : ٦٦ ، وزاد نسبته لعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والبيهقى فى الشعب . ولم ينسبه للنسائى ، ولا لتاريخ البخارى .

(١) انظر : ١٤١ ، تعليق : ٣/ص : ١٤٢ ، تعليق : ١ .

(٢) انظر تفسير « العنت » فيما سلف ص ٤ : ٣٥٨ – ٣٦١ .

وقال آخرون بما : —

٧٦٩٠ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « ودوا ما عنتم » ، يقول : في دينكم ، يعني : أنهم يودون أن تعنتُوا في دينكم .

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال لنا قائل : وكيف قيل : « ودوا ما عنتم » ، فجاء بالخبر عن « البطانة » ، بلفظ الماضي في محل الحال ، والقطع بعد تمام الخبر ، والحالات لا تكون إلا بصور الأسماء والأفعال المستقبلة دون الماضية منها ؟[1]

قيل : ليس الأمر في ذلك على ما ظننت من أنّ قوله : « ودوا ما عنتم » حال من « البطانة » ، وإنما هو خبر عنهم ثان منقطعٌ عن الأول غير متصل به . وإنما تأويل الكلام : يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة صفتهم كذا ، صفتهم كذا . فالخبر عن الصفة الثانية غير متصل بالصفة الأولى ، وإن كانتا جميعاً من صفة شخص واحد

* * *

وقد زعم بعض أهل العربية أن قوله : « ودوا ما عنتم » ، من صلة « البطانة » ، وقد وصلت بقوله : « لا يألونكم خبالا » ، فلا وجه لصلة أخرى بعد تمام « البطانة » بصلته .[2]

ولكن القول في ذلك كما بينا قبل ، من أن قوله : « ودوا ما عنتم » ، خبر مبتدأ عن « البطانة » ، غير الخبر الأول ، وغير حال من البطانة ولا قطع منها .[1]

* * *

---

(١) انظر « القطع » فيما سلف ٦ : ٢٧٠ ، تعليق : ٣ ، وسائر فهارس المصطلحات .

(٢) انظر تفسير « الصلة » فيما سلف ٥ : ٢٩٩ ، تعليق : ٥ ، وهو نعت النكرة .

القول فى تأويل قوله ﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : قد بدت بغضاء هؤلاء الذين نهيتكم أيها المؤمنون، أن تتخذوهم بطانة من دونكم لكم = «من أفواههم »، يعنى : بألسنتهم . والذى بدا لهم منهم بألسنتهم،[1] إقامتهم على كفرهم، وعداوتهم من خالف ما هم عليه مقيمونَ من الضلالة . فذلك من أوكد الأسباب فى معاداتهم أهل الإيمان ، لأن ذلك عداوة على الدين، والعداوة على الدين العداوة التى لا زوال لها إلاّ بانتقال أحد المتعاديين إلى ملة الآخر منهما ، وذلك انتقال من هدى إلى ضلالة كانت عند المنتقل إليها ضلالة قبل ذلك . فكان فى إبدائهم ذلك للمؤمنين ، ومقامهم عليه ، أبينُ الدلالة لأهل الإيمان على ما هم عليه لهم من البغضاء والعداوة .

* * *

وقد قال بعضهم : معنى قوله : « قد بدت البغضاء من أفواههم » ، قد بدت بغضاؤهم لأهل الإيمان ، إلى أوليائهم من المنافقين وأهل الكفر ، بإطلاع بعضهم بعضاً على ذلك . وزعم قائلو هذه المقالة أنّ الذين عنوا بهذه الآية أهل النفاق ، دون من كان مصرحاً بالكفر من اليهود وأهل الشرك .

* ذكر من قال ذلك :

٧٦٩١ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد عن قتادة قوله : « قد بدت البغضاء من أفواههم » ، يقول : قد بدت البغضاء من أفواهِ المنافقين إلى إخوانهم من الكفار ، من غشهم للإسلام وأهله ، وبغضهم إياهم .

٧٦٩٢ — حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبى جعفر، عن أبيه ، الربيع : « قد بدت البغضاء من أفواههم » ، يقول : من أفواه المنافقين .

* * *

وهذا القول الذى ذكرناه عن قتادة ، قول لا معنى له . وذلك أن الله تعالى

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « بأفواههم » ، والصواب المطابق لنص هذه الآية ، هو ما أثبت .

ذكره إنما نهى المؤمنين أن يتخذوا بطانة ممن قد عرفوه بالغش للإسلام وأهله والبغضاء، إما بأدلة ظاهرة دالة على أنّ ذلك من صفتهم ، وإما بإظهار الموصوفين بذلك العداوة والشنآنَ والمناصبة لهم . فأما من لم يُثبِتوه معرفةً أنه الذى نهاهم الله عز وجل عن مخالَّته ومباطنته ،(١) فغير جائز أن يكونوا نهوا عن مخالته ومصادقته ، إلا بعد تعريفهم إياهم ، إما بأعيانهم وأسمائهم ، وإما بصفات قد عرفوهم بها .

وإذْ كان ذلك كذلك = وكان إبداء المنافقين بألسنتهم ما فى قلوبهم من بغضاء المؤمنين إلى إخوانهم من الكفار ، غير مدرِك به المؤمنون معرفةَ ما هم عليه لهم ، مع إظهارهم الإيمانَ بألسنتهم لهم والتودد إليهم= كان بيِّناً أن الذى نهى الله المؤمنين عن اتخاذهم لأنفسهم بطانة دونهم ، هم الذين قد ظهرت لهم بغضاؤهم بألسنتهم ، على ما وصفهم الله عز وجل به ، فعرَفهم المؤمنون بالصفة التى نعتهم الله بها ، وأنهم هم الذين وصفهم تعالى ذكره بأنهم أصحاب النار هم فيها خالدون ، ممن كان له ذمةٌ وعهدٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من أهل الكتاب . لأنهم لو كانوا المنافقين ، لكان الأمر فيهم على ما قد بينا . ولو كانوا الكفار ممن قد ناصب المؤمنين الحربَ ، لم يكن المؤمنون متخذيهم لأنفسهم بطانة من دون المؤمنين ، مع اختلاف بلادهم وافتراق أمصارهم،ولكنهم الذين كانوا بين أظهُر المؤمنين من أهل الكتاب أيامَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن كان له من رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وعقدٌ من يهود بنى إسرائيل . ٤٢/٤

* * *

و « البغضاء» ، مصدر. وقد ذكر أنها فى قراءة عبد الله بن مسعود: ﴿ قَدْ بَدَا البَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ على وجه التذكير . وإنما جاز ذلك بالتذكير ولفظه لفظ المؤنث ، لأن المصادر تأنيثها ليس بالتأنيث اللازم ، فيجوز تذكيرُ ما خرج منها

(١) فى المطبوعة : « فأما من لم يتشوه معرفة » ، ولا معنى له ، وفى المخطوطة : « لم سوه معرفة » غير منقوطة ، وصواب قراءتها ما أثبت . يقال : « اثبته معرفة » أى : عرفه حق المعرفة .

على لفظ المؤنث وتأنيثه ، كما قال عز وجل : ﴿ وأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ ﴾ [سورة هود : ٦٧] ، وكما قال : ﴿ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [سورة الأنعام : ١٥٧] ، وفى موضع آخر : ﴿وأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾ ، [سورة هود : ٩٤] ﴿وجَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [سورة الأعراف : ٧٣ ، ٨٥] .(١)

* * *

وقال : « من أفواههم » ، وإنما بدا ما بدا من البغضاء بألسنتهم ، لأن المعنىّ به الكلام الذى ظهر للمؤمنين منهم من أفواههم ، فقال : « قد بدت البغضاء من أفواههم » ، بألسنتهم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : والذى تخفى صدورهم = يعنى : صدور هؤلاء الذين نهاهم عن اتخاذهم بطانة ، فتخفيه عنكم ، أيها المؤمنون = «أكبر » ، يقول : أكبر مما قد بدا لكم بألسنتهم من أفواههم من البغضاء وأعظم ، كما : —

٧٦٩٣ — حدثنا بشر قال : حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : «وما تخفى صدورهم أكبر » ، يقول : وما تخفى صدورهم أكبر مما قد أبدوا بألسنتهم .

٧٦٩٤ — حدثت عن عمار ، عن ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « وما تخفى صدورهم أكبر » ، يقول : ما تكن صدورهم أكبر مما قد أبدوا بألسنتهم .

* * *

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٣١ .

القول فى تأويل قوله ﴿ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (١١٩)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « قد بينا لكم » أيها المؤمنون = « الآيات » ، يعنى بـ«الآيات» العبر . قد بينا لكم من أمر هؤلاء اليهود الذين نهيناكم أن تتخذوهم بطانة من دون المؤمنين . ما تعتبرون وتتعظون به من أمرهم = « إن كنتم تعقلون » ، يعنى : إن كنتم تعقلون عن الله مواعظه وأمره ونهيه ، وتعرفون مواقعَ نفع ذلك منكم ، ومبلغ عائدته عليكم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ها أنتم ، أيها المؤمنون ، الذين تحبونهم ، يقول : تحبون هؤلاء الكفار الذين نهيتكم عن اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين ، فتودونهم وتواصلونهم وهم لا يحبونكم ، بل يبطنون لكم العداوة والغش[1] = « وتؤمنون بالكتاب كله » .

* * *

ومعنى « الكتاب » فى هذا الموضع معنى الجمع ، كما يقال : « كثر الدرهم فى أيدى الناس » ، بمعنى الدراهم .

فكذلك قوله : « وتؤمنون بالكتاب كله » ، إنما معناه : بالكتب كلها ،

---

(١) فى المطبوعة : « بل ينتظرون » ، وفى المخطوطة : « بل سظرون » غير منقوطة ، وصوابها ما أثبت كما استظهره طابع الأميرية .

كتابكم الذى أنزل الله إليكم ، وكتابهم الذى أنزله إليهم ، وغير ذلك من الكتب التى أنزلها الله على عباده .

يقول تعالى ذكره : فأنتم = إذ كنتم ، أيها المؤمنون ، تؤمنون بالكتب كلها ، وتعلمون أنّ الذين نهيتكم عن أن تتخذوهم بطانة من دونكم كفار بذلك كله ، بجحودهم ذلك كله من عهود الله إليهم ، وتبديلهم ما فيه من أمر الله ونهيه =[1] أولى بعداوتكم إياهم وبغضائهم وغشهم ، منهم بعداوتكم وبغضائكم ، مع جحودهم بعضَ الكتب وتكذيبهم ببعضها ، كما : —

٧٦٩٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال ، حدثنى محمد بن أبى محمد ، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس « تؤمنون بالكتاب كله » ، أى : بكتابكم وكتابهم وبما مضى من الكتب قبل ذلك ، وهم يكفرون بكتابكم ، فأنتم أحقّ بالبغضاء لهم ، منهم لكم .[2]

* * *

قال أبو جعفر : وقال : « ها أنتم أولاء » ولم يقل « هؤلاء أنتم » ،[3] ففرق بين « ها » و« أولاء » بكناية اسم المخاطبين ، لأن العرب كذلك تفعل فى « هذا » إذا أرادت به التقريب ومذهب النقصان الذى يحتاج إلى تمام الخبر ،[4] وذلك مثل

---

(١) سياق هذه العبارة : فأنتم . . . أولى بعداوتكم إياهم .

(٢) الأثر : ٧٦٩٥ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٧ ، وهو من تمام الآثار السالفة و آخرها : ٧٦٨٠ .

(٣) فى المخطوطة : « ولم يقل : هذا أنتم » ، والصواب ما فى المطبوعة ، فهو حق السيو

(٤) « التقريب » من اصطلاح الكوفيين ، وقد فسره السيوطى فى همع الهوامع ١ : ١١٣ . فقد [ذهب الكوفيون إلى أن « هذا » و « هذه » ، إذا أريد بها التقريب كانا من أخوات « كان » ، احتياجهما إلى اسم مرفوع وخبر منصوب ، نحو : « كيف أخاف الظلم وهذا الخليفة قادماً ؟ « وكيف أخاف البرد ، وهذه الشمس طالعة ؟ » ، وكذلك كل ما كان فيه الاسم الواقع بعد أسماء الإ لا ثانى له فى الوجود ، نحو : « هذا ابن صياد أسقى الناس » ، فيعربون « هذا » تقريباً ، وا اسم التقريب ، والمنصوب خبر التقريب . لأن المعنى إنما هو عن الخليفة بالقدوم ، وعن الشمس بالطلو وأتى باسم الإشارة تقريباً للقدوم والطلوع . ألا ترى أنك لم تشر إليهما وهما حاضران ؟ وأيضاً ، فالخليفة والشمس معلومان ، فلا يحتاج إلى تبيينهما بالإشارة إليهما . وتبين أن المرفوع بعد اسم الإشارة خبر .

أن يقال لبعضهم : « أين أنت » ، فيجيب المقول ذلك له : « ها أنا ذا »= [١] فتفرق بين التنبيه و« ذا » بمكنىّ اسم نفسه،[٢] ولا يكادون يقولون : « هذا أنا » ، ثم يثنى ويجمع على ذلك . وربما أعادوا حرف التنبيه مع : « ذا » فقالوا : « ها أنا هذا » . ولا يفعلون ذلك إلا فيما كان تقريباً،[٣] فأما إذا كان على غير التقريب والنقصان قالوا : « هذا هو » « وهذا أنت » . وكذلك يفعلون مع الأسماء الظاهرة، يقولون : « هذا عمرو قائماً »، إن كان « هذا » تقريباً .[٤] وإنما فعلوا ذلك فى المكنى مع التقريب،[٣] تفرقة بين « هذا » إذا كان بمعنى الناقص الذى يحتاج إلى تمام ، وبينه إذا كان بمعنى الاسم الصحيح.[٥] ٤٣/٤

* * *

وقوله : « تحبونهم » خبَرٌ للتقريب .[٦]

* * *

قال أبو جعفر : وفى هذه الآية إبانة من الله عز وجل عن حال الفريقين — أعنى المؤمنين والكافرين، ورحمة أهل الإيمان ورأفتهم بأهل الخلاف لهم ، وقساوة قلوب أهل الكفر وغلظتهم على أهل الإيمان ، كما : —

بالمنصوب، لأنك لو أسقطت الإشارة لم يختل المعنى، كما لو أسقطت «كان» من: « كان زيدقائماً »].

(١) فى المطبوعة : « فيفرق » ، والصواب بالتاء ، لأنه يريد « العرب » . وسياق الكلام : « لأن العرب كذلك تفعل . . . فتفرق . . . » .

(٢) فى المخطوطة : « بين التنبيه وأولاء » . والذى فى المطبوعة أجود وأمضى على السياق ، وهو تغيير مستحسن . والظاهر أن الخطأ قديم فى نسخ الطبرى ، بل لعله من فعل أبى جعفر نفسه ، وكأنه لما نقل هذا الكلام ، وهو كلام الفراء ، اختصر أوله فقال : « لأن العرب كذلك تفعل فى هذا » ، واقتصر عليها ، مع أن الفراء ذكر « هذا ، وهذان ، وهؤلاء » . هذا مع اشتغال ذهنه بنص الآية نفسها ، فدخل عليه السهو فيما كتب . هذا ما أرجحه والله ولى التوفيق .

(٣) انظر معنى « التقريب » فيما سلف ص : ١٤٩ تعليق : ٤ .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « وإن كان . . » بالواو ، وإثباتها فساد فى الكلام شديد لأنه يعنى أنهم ينصبون : « قائماً » ، إن كان « هذا » بمعنى التقريب . والجملة الآتية مؤيدة لذلك .

(٥) فى المطبوعة : « وبينه وبين ما إذا كان بمعنى الاسم الصحيح » ، زاد من زاد « وبين ما » ظنا منه أن ذلك أقوم فى الدلالة على المعنى من عبارة أبى جعفر التى ثبتها من المخطوطة . وقد أساء غاية الإساءة !

(٦) يعنى بقوله : « خبر للتقريب » ، أى هو فى موضع نصب خبراً للتقريب ، كما أسلفت بيان ذلك من كلام السيوطى فى ص ١٤٩ ، تعليق : ٤ .

٧٦٩٦ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : «ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله »، فوالله إن المؤمن ليحب المنافق ويأوي له ويرحمه . ولو أن المنافق يقدر على ما يقدر عليه المؤمن منه، لأباد خضراءه . (١)

٧٦٩٧ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : المؤمن خير للمنافق من المنافق للمؤمن ، يرحمه . ولو يقدر المنافق من المؤمن على مثل ما يقدر المؤمن عليه منه ، لأباد خضراءه

* * *

وكان مجاهد يقول : نزلت هذه الآية في المنافقين .

٧٦٩٨ – حدثني بذلك محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾

قال أبو جعفر : يعني بذلك تعالى ذكره : أن هؤلاء الذين نهى الله المؤمنين أن يتخذوهم بطانة من دونهم ، ووصفهم بصفتهم، إذا لقوا المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطوهم بألسنتهم تقيةً حذراً على أنفسهم منهم فقالوا لهم : « قد آمنا وصدقنا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم »، وإذا هم خلوا فصاروا في خلاء حيث لا يراهم المؤمنون، (٢) عضوا – على ما يرون من ائتلاف

(١) أوى له وأوى إليه : رثى له وأشفق عليه ورحمه . ويقال : « أباد خضراءهم» ، أي سوادهم ومعظمهم ، واستأصلهم . وذلك أن الكثرة المجتمعة، ترى من بعيد سوداء ، والعرب تسمي الأخضر ، أسود .

(٢) انظر تفسير « خلا » فيما سلف ١ : ٢٩٨ ، ٢٩٩ .

المؤمنين واجتماع كلمتهم وصلاح ذات بينهم – أناملَهم ، وهى أطراف أصابعهم ، تغيُّظاً مما بهم من الموجدة عليهم ، وأسىً على ظهرٍ يُسنِدون إليه لمكاشفتهم العداوة ومناجزتهم المحاربة . (١)

* • *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٧٦٩٩ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ » ، إذا لقوا المؤمنين قالوا : « آمنا » ، ليس بهم إلاّ مخافة على دمائهم وأموالهم ، فصانعوهم بذلك = « وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ » ، يقول : مما يجدون فى قلوبهم من الغيظ والكراهة لما هم عليه . لو يجدون ريحاً لكانوا على المؤمنين . (٢) فهم كما نعت الله عز وجل .

٧٧٠٠ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بمثله = إلاّ أنه قال : من الغيظ لكراهتهم الذى هم عليه = ولم يقل : « لو يجدون ريحاً » ، وما بعده .

٧٧٠١ – حدثنا عباس بن محمد قال ، حدثنا مسلم قال ، حدثنى يحيى بن عمرو بن مالك النُّكرى قال ، حدثنا أبى قال : كان أبو الجوزاء إذا تلا هذه الآية : « وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ » ، قال : هم الإباضية . (٣)

* * *

---

(١) الظهر : الأعوان والأنصار ، كأنهم لمن ينصرونه ظهر .

(٢) الريح : القوة والغلبة ، ومنه قول تأبط شراً أو السليك بن السلكة :

أَتَنْظُرَانِ قَلِيلاً رَيْثَ غَفْلَتِهِمْ أَوْ تَعْدُوَان ، فَإِنَّ الرِّيحَ لِلعَادِى

(٣) الأثر : ٧٧٠١ – « عباس بن محمد بن حاتم » الدورى ، روى عنه الأربعة . مترجم

و « الأنامل » جمع « أنملة » ويقال « أنملة »،[١] وربما جمعت « أنملا »،[٢] قال الشاعر[٣] :

أَوَدُّ كُما ، مَا بَلَّ حَلْقِيَ رِيقَتِي وَمَا حَمَلَتْ كَفَّايَ أَنْمُلِيَ العَشْرَا[٤]

وهي أطراف الأصابع ، كما : —

٧٧٠٢ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « الأنامل » ، أطراف الأصابع .

٧٧٠٢ م — حدثت عن عمار ، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بمثله .

٧٧٠٣ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل »، الأصابع .

٧٧٠٤ — حدثنا أبوكريب قال ، حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبي

في التهذيب. و« مسلم » هو « مسلم بن إبراهيم الأزدى الفراهيدى» ، مضت ترجمته برقم : ٢٨٦١ . و « يحيى بن عمرو بن مالك النكرى». روى عن أبيه ، وهو منكر الحديث . و « النكرى» بضم النون وتسكين الكاف ، نسبة إلى بنى نكرة بن لكيز من عبد قيس . وأبوه « عمرو بن مالك النكرى » ، ثقة وتكلم فيه البخارى وضعفه . روى عن أبيه وعن أبي الجوزاء . و « أبو الجوزاء » هو « أوس بن عبد الله الربعى من الأزد » ، روى عن أبي هريرة وعائشة وابن عباس . كان عابداً فاضلا . واستضعف البخارى إسناده إلى عائشة وابن مسعود وغيرهما من الصحابة . مترجم في التهذيب .

و « الإباضية » ، فرقة من الحرورية ، وهم أصحاب عبد الله بن إباض التميمى ، الخارج في أيام مروان بن محمد . ومن قولهم : إن مخالفينا من أهل القبلة كفار غير مشركين ، ومناكحتهم جائزة ، وموارثتهم حلال ، وغنيمة أموالهم من السلاح والكراع عند الحرب حلال ، وما سواه حرام ، وإن دار مخالفيهم من أهل الإسلام دار توحيد . وقالوا : إن مرتكب الكبيرة موحد ، لا مؤمن .

(١) يعنى بفتح الهمزة وضم الميم ، وضم الهمزة والميم جميعاً .

(٢) « أنمل » هذا جمع لم تورده كتب اللغة ، وإنما ذكروا « أنملات » ، وقالوا إنه أحد ما كسر وسلم بالتاء، قال ابن سيدة : « إنما قلت هذا ، لأنهم قد يستغنون بالتكسير عن جمع السلامة ، وبجمع السلامة بالتكسير ، وربما جمع الشيء بالوجهين جميعاً » .

(٣) لم أعرف قائله .

(٤) قوله : « أودكما » أى : لا أودكما ، حذفت « لا » مع القسم . والريقة : الريق . وقوله : « ما بل حلق ريق . . . » إلى آخر البيت بمعنى التأبيد ، أي . لا أودكما أبداً ما حييت .

الأحوص ، عن عبد الله قوله : « عضوا عليكم الأنامل من الغيظ » ، قال : عضوا على أصابعهم . (١)

* * *

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (١١٩)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « قل » ، يا محمد ، لهؤلاء اليهود الذين وصفت لك صفتهم ، وأخبرتك أنهم إذا لقوا أصحابك قالوا : آمنا ، وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ = : « موتوا بغيظكم » الذى بكم على المؤمنين لاجتماع كلمتهم وائتلاف جماعتهم . ٤٤/٤

وخرّج هذا الكلام مخرج الأمر ، وهو دعاء من الله نبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم بأن يدعو عليهم بأن يهلكهم الله ، كمَداً مما بهم من الغيظ على المؤمنين ، قبل أن يروا فيهم ما يتمنون لهم من العنت فى دينهم ، والضلالة بعد هداهم ، فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد : اهلكوا بغيظكم = « إن الله عليم بذات الصدور » ،

---

(١) عند هذا آخر قسم من التقسيم القديم ، وفى المخطوطة هنا ما نصه :

« يتلوه القولُ فى تأويل قوله : قُلْ مُوتُوا بِغَيظكم إنّ الله عليمٌ بذات الصُّدُور

وصلى الله على محمد النبى وآله وصحبه وسلم كثيراً »

ثم يتلوه بعد :

« بسم الله الرحمن الرحيم

أخبرنا أبو بكر محمد بن داود بن سليمان ، قال : حدثنا أبو جعفر محمد بن جرير »

ثم انظر ماسلف فى بيان هذا الإسناد الجديد النسخة ، فى ٦ : ٤٩٥ ، ٤٩٦ تعليق : ٥ / ثم ٧ : ٢٣ ، تعليق : ١

يعني بذلك : إنّ الله ذو علم بالذى فى صدور هؤلاء الذين إذا لقوا المؤمنين قالوا : « آمنا »، وما ينطوون لهم عليه من الغِل والغم ، ويعتقدون لهم من العداوة والبغضاء، وبما فى صدور جميع خلقه ، حافظٌ على جميعهم ما هو عليه منطوٍ من خير وشر ، حتى يجازى جميعهم على ما قدّم من خير وشر ، واعتقد من إيمان وكفر ، وانطوى عليه لرسوله وللمؤمنين من نصيحة ، أو غِلّ وغِمْر.[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ (١٢٠)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله تعالى ذكره : « إن تمسسكم حسنة تسؤهم » ، إن تنالوا، أيها المؤمنون ، سروراً بظهوركم على عدوكم ، وتتابع الناس فى الدخول فى دينكم ، وتصديق نبيكم ومعاونتكم على أعدائكم = يسؤهم .[2] وإن تنلكم مساءة بإخفاق سرية لكم، أو بإصابة عدوٍّ لكم منكم ،أو اختلاف يكون بين جماعتكم = يفرحوا بها ، كما : —

٧٧٠٥ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها » ، فإذا رأوا من أهل الإسلام ألفة وجماعة وظهوراً على عدوهم ، غاظهم ذلك وساءهم ، وإذا رأوا من أهل الإسلام فُرقة واختلافاً ، أو أصيب طرف من أطراف المسلمين ، سرّهم

---

(١) الغمر (بكسر الغين وسكون الميم) ، والغمر (بفتحتين) ، الحقد والغل ، الذى يغمر القلب غمراً .

(٢) انظر تفسير « المس » فيما سلف ٥ : ١١٨ .

ذلك وأعجبوا به وابتهجوا به . فهم كلما خرج منهم قَرْنٌ أكذبَ الله أحدوثته، وأوطأ محلّته ، وأبطل حجته ، وأظهر عورته ، فذاك قضاء الله فيمن مضى منهم وفيمن بقى إلى يوم القيامة .

٧٧٠٦ — حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها »، قال : هم المنافقون ، إذ رأوا من أهل الإسلام جماعة وظهوراً على عدوهم ، غاظهم ذلك غيظاً شديداً وساءهم . وإذا رأوا من أهل الإسلام فرقة واختلافاً، أو أصيب طرفٌ من أطراف المسلمين ، سرّهم ذلك وأعجبوا به . قال الله عز وجل : « وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط » .

٧٧٠٧ — حدثنا القاسم قال ،حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قوله: « إن تمسسكم حسنة تسؤهم »، قال: إذا رأوا من المؤمنين جماعة وألفة ساءهم ذلك ، وإذا رأوا منهم فرقة واختلافاً فرحوا .

* * *

وأما قوله : « وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً » ، فإنه يعني بذلك جل ثناؤه: وإن تصبروا ، أيها المؤمنون، على طاعة الله واتباع أمره فيما أمركم به ، واجتناب ما نهاكم عنه: من اتخاذ بطانة لأنفسكم من هؤلاء اليهود الذين وصف الله صفتهم من دون المؤمنين ،وغير ذلك من سائر ما نهاكم= « وتتقوا » ربكم ، فتخافوا التقدم بين يديه فيما ألزمكم وأوجبَ عليكم من حقه وحق رسوله = « لا يضركم كيدهم شيئاً »، أي : كيد هؤلاء الذين وصف صفتهم .

* * *

ويعني بـ « كيدهم » ، غوائلهم التي يبتغونها للمسلمين ، ومكرهم بهم، ليصدّوهم عن الهدى وسبيل الحق

* * *

قال أبو جعفر : واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « لا يضركم » .

فقرأ ذلك جماعة من أهل الحجاز وبعضُ البصريين ﴿ لَا يَضِرْكُمْ ﴾ مخففة بكسر « الضاد » ، من قول القائل : «ضارنى فلان فهو يضيرنى ضيراً » . وقد حكى سماعاً من العرب : « ما ينفعنى ولا يضورنى » ، فلو كانت قرئت على هذه اللغة لقيل : ﴿ لَا يَضُرْكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾ ، ولكنى لا أعلم أحداً قرأ به ».(١)

* * *

وقرأ ذلك جماعة من أهل المدينة وعامة قرأة أهل الكوفة : ﴿ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾ ، بضم « الضاد » وتشديد « الراء » ، من قول القائل : « ضرّنى فلان فهو يضرنى ضراً » .

* * *

وأما الرفع فى قوله : « لا يضركم » ، فمن وجهين .

أحدهما : على إتباع « الراء » فى حركتها = إذْ كان الأصل فيها الجزم ، ولم يمكن جزمها لتشديدها = أقربَ حركات الحروف التى قبلها . وذلك حركة « الضاد » وهى الضمة ، فألحقت بها حركة الراء لقربها منها ، كما قالوا : « مُدُّ يا هذا » . ٤

والوجه الآخر من وجهى الرفع فى ذلك : أن تكون مرفوعة على صحة ، وتكون « لا » بمعنى « ليس » ، وتكون « الفاء » التى هى جواب الجزاء ، متروكة لعلم السامع بموضعها .

وإذا كان ذلك معناه ، كان تأويل الكلام : وإن تصبروا وتتقوا ، فليس يضرُّكم كيدهم شيئاً — ثم تركت « الفاء » من قوله : « لا يضركم كيدهم » ، ووجهت « لا » إلى معنى « ليس » ، كما قال الشاعر(٢) :

فَإِنْ كَانَ لَا يُرْضِيكَ حَتَّى تَرُدَّنِي إِلَى قَطَرِيٍّ ، لَا إِخَالُكَ رَاضِيَا(٣)

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٣٢ .

(٢) هو سوار بن المضرب السعدى التميمى .

(٣) نوادر أبى زيد : ٤٥ ، الكامل ١ : ٣٠٠ ، حماسة ابن الشجرى : ٥٤ ، ٥٥ ، معانى

ولو كانت « الراء » محركة إلى النصب والخفض، كان جائزاً، كما قيل : « مُدَّ ياهذا ، ومُدِّ » .(١)

* * *

وقوله : « إنّ الله بما يعملون محيطٌ » ، يقول جل ثناؤه : إن الله بما يعمل هؤلاء الكفار فى عباده وبلاده من الفساد والصدّ عن سبيله ، والعداوة لأهل دينه ، وغير ذلك من معاصى الله = « محيط » بجميعه ، حافظ له ، لا يعزب عنه شىء منه ، حتى يوفيهم جزاءهم على ذلك كله ، ويذيقهم عقوبته عليه .(٢)

* * *

القرآن للفراء ١ : ٢٣٢ ، من أبيات ضرب بها وجه الحجاج بن يوسف الثقفى ، لما كتب على بنى تميم البعث إلى قتال الخوارج ، فهرب سوار وقال :

أَقَاتِلِى الحَجَّاجُ أَنْ لَمْ أَزُرْ لَهُ ... دَرَابَ ، وَأَتْرُكْ عِنْدَ هِنْدٍ فُؤَادِيَا ؟
فَإِن كُنْتَ لاَ يُرْضِيكَ حَتَّى تَرُدَّنِى ... إِلَى قَطَرِىٍّ ، لاَ إِخَالُكَ رَاضِيَا ! !
إِذَا جَاوَزَتْ دَرْبَ المُجِيزِينَ نَاقَتِى ... فَبِأَسْتِ أَبِى الحَجَّاجِ لَمَّا ثَنَانِيَا
أَيَرْجُو بَنُو مَرْوَانَ سَمْعِى وطَاعَتِى، ... وَدُونِى تَمِيمٌ ، والفَلاَةُ وَرَائِيَا ! !

وقوله : « دراب » يعنى : دراب جرد ، وهى بلدة فى بلاد فارس ، وكان المهلب يومئذ يقاتل بها الخوارج ورأسهم قطرى بن الفجاءة . ثم يقول له فى البيت الثانى : إن كان لا يرضيك إلا ردى إلى قتال قطرى ، فلا أظنك تبلغ رضاك ، فإنك غير مدركى ، ولن تنالنى يدك . يسخر بسطوة الحجاج . وقوله : « درب المجيزين » هم المقيمون على أبواب المدن والثغور . يمنعون الخارج والداخل ، إلا من كان بيده جواز معطى من أميره . يقول : إذا جاوزت الدرب فيا بعد يديك عن أن تنالنى وتثنينى عن وجهتى !

والشاهد عند الطبرى هو فى قوله : « لا إخالك راضياً » ، أى : فلست إخالك راضياً .

(١) الذى سلف هو مقالة الفراء فى معانى القرآن ١ : ٢٣٢ .

(٢) انظر تفسير « الإحاطة » فيما سلف ٢ : ٢٨٤ / ٥ : ٣٩٦ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١٢١)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين » ، وإن تصبروا وتتقوا لا يضرُّكم ، أيها المؤمنون ، كيد هؤلاء الكفار من اليهود شيئاً ، ولكن الله ينصرُكم عليهم إن صبرتم على طاعتى واتباع أمر رسولى ، كما نصرتكم ببدر وأنتم أذلة . وإن أنتم خالفتم ، أيها المؤمنون ، أمرى ولم تصبروا على ما كلفتكم من فرائضى ، ولم تتقوا ما نهيتكم عنه وخالفتم أمرى وأمر رسولى ، فإنه نازل بكم ما نزل بكم بأحُد . واذكروا ذلك اليوم ، إذ غدا نبيكم يبوئ المؤمنين .

=فترك ذكر الخبر عن أمر القوم إن لم يصبروا على أمر ربهم ولم يتقوه ، اكتفاء بدلالة ما ظهر من الكلام على معناه ، إذ ذكر ما هو فاعل بهم من صرف كيد أعدائهم عنهم إن صبروا على أمره واتقوا محارمه ، وتعقيبه ذلك بتذكيرهم ما حلّ بهم من البلاء بأحُد ، إذ خالف بعضهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنازعوا الرأى بينهم .

= وأخرج الخطاب فى قوله : « وإذ غدوت من أهلك » ، على وجه الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمراد بمعناه : الذين نهاهم أن يتخذوا الكفار من اليهود بطانة من دون المؤمنين. فقد بيّن إذاً أن قوله : « وإذ » ، إنما جرّها فى معنى الكلام على ما قد بينت وأوضحت .

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فى اليوم الذى عنى الله عز وجل بقوله : « وإذ غدوت من أهلك تبوّئ المؤمنين مقاعد للقتال » .

فقال بعضهم : عنى بذلك يوم أحُد .

* ذكر من قال ذلك :

٧٧٠٨ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال » ، قال : مشى النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ على رجليه يبوئ المؤمنين .

٧٧٠٩ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال » ، ذلك يوم أحد ، غدا نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم من أهله إلى أحُد يبوئ المؤمنين مقاعد للقتال .

٧٧١٠ – حدثت عن عمار ، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال » ، فغدا النبي صلى الله عليه وسلم من أهله إلى أحُد يبوئ المؤمنين مقاعدَ للقتال .

٧٧١١ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال » ، فهو يوم أحد .

٧٧١٢ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين » ، قال : هذا يوم أحد .

٧٧١٣ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : مما نزل في يوم أحد : « وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين » . (١)

* * *

وقال آخرون : عني بذلك يوم الأحزاب .

* ذكر من قال ذلك :

٧٧١٤ – حدثني محمد بن سنان القزاز قال، حدثنا أبو بكر الحنفي قال ،

---

(١) الأثر : ٧٧١٣ – مختصر من سيرة ابن هشام ٣ : ١١٢ .

حدثنا عباد ، عن الحسن فى قوله : « وإذ غدوتَ من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال » ، قال : يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم ، غدا يبوئ المؤمنين مقاعدَ للقتال يوم الأحزاب . ٤

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذين القولين بالصواب قول من قال : « عنى بذلك يوم أحد » . لأن الله عز وجل يقول فى الآية التى بعدها : ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا ﴾ ، ولا خلاف بين أهل التأويل أنه عُنى بالطائفتين : بنو سلمة وبنو حارثة ، (١) ولا خلاف بين أهل السير والمعرفة بمغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنّ الذى ذكر الله من أمرهما إنما كان يوم أحد ، دون يوم الأحزاب .

* * *

فإن قال لنا قائل : وكيف يكون ذلك يوم أحد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم إنما رَاح إلى أحُد من أهله للقتال يوم الجمعة بعد ما صلى الجمعة فى أهله بالمدينة بالناس ، كالذى حدثكم : —

٧٧١٥ — ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق قال ، حدثنى محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهرى ، ومحمد بن يحيى بن حبان ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، وغيرهم من علمائنا : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم راح حين صلّى الجمعة إلى أحُد ، دخل فلبس لأمته ، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة ، وقد مات فى ذلك اليوم رجل من الأنصار ، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج عليهم وقال : « ما ينبغى لنبىّ إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل » ؟ (٢)

* * *

(١) بنو سلمة (بفتح السين وكسر اللام) ، وليس فى العرب « سلمة » بكسر اللام غيرها ، وسائرها بفتح اللام . وهم بنو سلمة بن سعد بن على بن أسد بن سادرة بن تزيد بن جشم بن الخزرج .

(٢) الأثر : ٧٧١٥ — إسناده فى سيرة ابن هشام ٣ : ٦٤ ، ثم اختصر أبو جعفر خبر ابن إسحق الذى رواه ابن هشام فى السيرة ٣ : ٦٧ ، ٦٨ . واللأمة : هى الدرع الحصينة ، وسائر أداة

قيل : إن النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان خروجه للقوم كان رَواحاً، (١) فلم يكن تبوئته للمؤمنين مقاعدَهم للقتال عند خروجه ، بل كان ذلك قبل خروجه لقتال عدوّه .وذلك أنّ المشركين نزلوا منزلهم من أحُد — فيما بلغنا — يوم الأربعاء، فأقاموا به ذلك اليوم ويومَ الخميس ويومَ الجمعة ، حتى راح رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم يوم الجمعة، بعدما صَلى بأصحابه الجمعة، فأصبح بالشِّعب من أحد يوم السبت للنصف من شوّال .

٧٧١٦ — حدثنا بذلك ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال ، حدثني محمد بن مسلم الزهرى ، ومحمد بن يحيى بن حبان ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، والحصين بن عبد الرحمن وغيرهم . (٢)

* * *

فإن قال : وكيف كانت تبوئته المؤمنين مقاعدَ للقتال غُدُوًّا قبل خروجه ، وقد علمت أن « التبوئة » ، اتخاذ الموضع .

قيل : كانت تبوئته إياهم ذلك قبل مناهضة عدوه ، عند مشورته على أصحابه بالرأى الذى رآه لهم ، بيوم أو يومين ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع بنزول المشركين من قريش وأتباعها أحُداً قال = فيما : —

٧٧١٧ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط عن السدى= لأصحابه : أشيروا علىّ ما أصنع ؟ فقالوا : يا رسول الله، اخرج إلى هذه الأكلُب ! فقالت الأنصار : يا رسول الله، ماغلبنا عدوٌّ لنا أتانا فى ديارنا ، فكيف وأنت فينا ! ! فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبىّ ابن سلول ، ولم يدعه قط قبلها ، فاستشاره، فقال : يا رسول الله، اخرج بنا إلى هذه الأكلب !

الحرب من السلاح كالسيف والرمح . هذا وكان فى المطبوعة والمخطوطة : «ماينبغى للنبى صلى الله عليه وسلم». وهذا غير جيد ، وكأنه عجلة من الناسخ ، وأثبت نص ابن هشام .

(١) الرواح . هو وقت العشى آخر النهار .

(٢) الأثر : ٧٧١٦ — جمعه أبو جعفر من مواضع متفرقة من خبر ابن إسحق فى يوم أحد .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعجبه أن يدخلوا عليه المدينة فيقاتلوا فى الأزقة ، فأتاه النعمان بن مالك الأنصارى فقال : يا رسول الله لا تحرمنى الجنة ، فوالذى بعثك بالحق لأدخلن الجنة ! فقال له : بم ؟ قال : بأنى أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ، وأنى لا أفرُّ من الزحف ! قال : صدقت . فقُتل يومئذ . ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا بدرعه فلبسها ، فلما رأوه وقد لبس السلاح ، ندموا وقالوا : بئسما صنعنا ، نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحى يأتيه ! ! فقاموا واعتذروا إليه ، وقالوا : اصنع ما رأيت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ينبغى لنبىّ أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل . (١)

٧٧١٨ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق قال ، حدثنى ابن شهاب الزهرى ، ومحمد بن يحيى بن حبان ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا ، قالوا : لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون بالمشركين قد نزلوا منزلهم من أحد ، قال ٤٧/٤
رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّى قد رأيتُ بقراً فأوّلتها خيراً ، ورأيت فى ذباب سيفى ثَلْماً ، (٢) ورأيت أنّى أدخلت يدى فى درع حصينة ، فأوّلتها المدينة ، فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها . وكان رأىُ عبد الله بن أبى بن سلول مع رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يرى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك : أن لا يخرج إليهم . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره الخروج من المدينة ، فقال رجال من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد ، وغيرهم ممن كان فاته بدر وحضوره : يا رسول الله ، اخرج بنا إلى أعدائنا ، لا يرون أنا جبُنّا عنهم وضعُفنا ! فقال عبد الله بن أبى ابن سلول : يا رسول الله ، أقم بالمدينة لا تخرج إليهم ، فوالله

---

(١) الأثر : ٧٧١٧ — هو فى تاريخ الطبرى ٣ : ١١ ، ١٢

(٢) ذباب السيف : طرفه المتطرف الذى يضرب به . والثلم : هو الكسر فى حرفه .

ما خرجنا منها إلى عدو لنا قط إلاّ أصاب منا ، ولا دخلها علينا قط إلا أصبنا منه ، فدعْهم يا رسول الله ، فإن أقاموا أقاموا بشرّ محبِس ، وإن دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم ، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وإن رجعوا رَجعوا خائبين كما جاؤوا . فلم يزل الناس برسول الله عليه وسلم ، الذين كان من أمرهم حُبُّ لقاء القوم ، حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبس لأمته . (١)

* * *

فكانت تبوئة رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين مقاعدَ للقتال ، ما ذكرنا من مشورته على أصحابه بالرأى الذى ذكرنا ، على ما وصفه الذين حكينا قولهم .

* * *

يقال منه : « بوّأت القوم منزلا ، وبوّأته لهم ، فأنا أبوّئهم المنزل تبوئة ، وأبوئ لهم منزلا تبوئة » .

وقد ذكر أن فى قراءة عبد الله بن مسعود : ﴿ وإذْ غَدَوْتَ مِنْ أهْلِكَ تُبَوِّئُ للمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ للقتالِ ﴾ ، وذلك جائز ، كما يقال : « رَدِفَكَ ورَدِفَ لك » ، و « نقدت لها صَداقها ونقدتها » ، كما قال الشاعر :

أَسْتغفِرُ اللهَ ذَنْباً لَسْتُ مُحْصِيَــهُ رَبُّ العِبَادِ إِلَيْهِ الوَجْهُ وَالعَمَلُ (٢)

والكلام : أستغفر الله لذنب . (٣)

وقد حكى عن العرب سماعاً : «أبأت القوم منزلا فأنا أبيئهم إباءة » ، ويقال منه : « أبأت الإبل » . إذا رددتها إلى المباءة . و « المباءة » ، المُرَاح الذى تبيت فيه .

* * *

« والمقاعد » جمع « مقعد » ، وهو المجلس .

* * *

---

(١) الأثر : ٧٧١٨ – سيرة ابن هشام ٣ : ٦٦ ، ٦٧ ، وهو السابق مباشرة للأثر السالف رقم : ٧٧١٥ ، وهو من تمامه .

(٢) مضى تخريجه فيما سلف ١ : ١٦٩ ، وهو فى معانى القرآن للفراء ١ : ٢٣٣ .

(٣) هذه الفقرة من معانى القرآن للفراء ١ : ٢٣٣ .

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام : واذكر إذ غدوت ، يا محمد ، من أهلك تتخذ للمؤمنين معسكراً وموضعاً لقتال عدوهم .

* * *

وقوله : « والله سميع عليم » ، يعني بذلك تعالى ذكره : « والله سميع » ، لما يقول المؤمنون لك فيما شاورتهم فيه ، من موضع لقائك ولقائهم عدوّك وعدوّهم ، من قول من قال : « اخرج بنا إليهم حتى نلقاهم خارج المدينة » ، وقول من قال لك : « لا تخرج إليهم وأقم بالمدينة حتى يدخلوها علينا » ، على ما قد بينا قبل — ولما تشير به عليهم أنت يا محمد=(١) « عليم » بأصلح تلك الآراء لك ولهم ، وبما تخفيه صُدور المشيرين عليك بالخروج إلى عدوك ، وصدور المشيرين عليك بالمقام في المدينة ، وغير ذلك من أمرك وأمورهم ، كما : —

٧٧١٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق في قوله : « والله سميع عليم » ، أي : سميع لما يقولون ، عليم بما يخفون .(٢)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١٢٢)

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : والله سميع عليم ، حين همت طائفتان منكم أن تفشلا .

والطائفتان اللتان همتا بالفشل ، ذكر لنا أنهم بنو سَلِمة وبنو حارثة .(٣)

---

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « وبما تشير به . . . » ، والصواب الذي يقتضيه السياق ، هو ما أثبت .

(٢) الأثر : ٧٧١٩ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٢ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ٧٧١٣ .

(٣) انظر ضبط « سلمة » ص : ١٦١ تعليق : ١ .

* ذكر من قال ذلك :

٧٧٢٠ – حدثني محمد بن عمرو قال : حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله: « إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا » ، قال : بنو حارثة ، كانوا نحو أحُد ، وبنو سلِمة نحو سَلْع ، وذلك يوم الخندق.

* * *

قال أبو جعفر : وقد دللنا على أن ذلك كان يوم أحد فيما مضى ، بما فيه الكفاية عن إعادته . (١)

* * *

٧٧٢١ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا » ، الآية ، وذلك يوم أحد ، والطائفتان بنو سلِمة وبنو حارثة ، حيان من الأنصار ، همُّوا بأمر فعصمهم الله من ذلك = قال قتادة : وقد ذكر لنا أنه لما أنزلت هذه الآية قالوا : ما يسرُّنا أنَّا لم نَهُمَّ بالذي هممنا به ، وقد أخبرنا الله أنه ولينا .

٤٨/٤ ٧٧٢٢ – حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « إذ همت طائفتان منكم » الآية ، وذلك يوم أحد ، فالطائفتان بنو سلِمة وبنو حارثة ، حيان من الأنصار .فذكر مثل قول قتادة .

٧٧٢٣ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، ، حدثنا أحمد بن المفضل ، قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد في ألف رجل ، وقد وعدهم الفتحَ إن صبروا . فلما رجع عبد الله بن أبي ابن سلول في ثلثمئة فتبعهم أبو جابر السلمي يدعوهم ، فلما غلبوه وقالوا له : ما نعلم قتالاً ، ولئن أطعتنا لترجعنَّ معنا = وقال[الله عز وجل] : « إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا » ، وهم بنو سلمة وبنو حارثة = هموا بالرجوع حين رجع عبد الله بن أبي ، فعصمهم

(١) انظر ما سلف ص : ١٦١ وما قبلها .

الله ، وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبعمئة .(١)

٧٧٢٤ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال عكرمة : نزلت فى بنى سلِمة من الخزرج ، وبنى حارثة من الأوس ، ورأسهم عبد الله بن أبىّ ابن سلول .

٧٧٢٥ – حدثنى محمد بن سعد قال ،حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال . حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا »، فهم بنو حارثة وبنو سلِمة .

٧٧٢٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا»، والطائفتان: بنو سلمة من جشم بن الخزرج ، وبنو حارثة من النبيت من الأوس ، وهما الجناحان .(٢)

٧٧٢٧ – حدثنى محمد بن سنان قال،حدثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد ، عن الحسن فى قوله : « إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا » الآية ، قال : هما طائفتان من الأنصار همّا أن يفشلا ، فعصمهم الله وهزَم عدوهم

٧٧٢٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول :« إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا » ، قال : هم بنو سلِمة وبنو حارثة ، وما نحبُّ أن لو لم نكن هممنا لقول الله عز وجلّ : « والله وليهما » .(٣)

٧٧٢٩ – حدثنى أحمد بن حازم قال،حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا ابن عيينة ، عن عمرو قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول ، فذكر نحوه .

---

(١) الأثر : ٧٧٢٣ – فى تاريخ الطبرى ٣ : ١٢ ، وهو تمام الأثر السالف رقم : ٧١٧٧ ، والزيادة بين القوسين من التاريخ .

(٢) الأثر : ٧٧٢٦ – سيرة ابن هشام ٣ : ١١٢ ، وهو من تتمة الأثر السالف رقم : ٧٧١٩ .

(٣) الأثر : ٧٧٢٨ – رواه البخارى فى صحيحه (الفتح ٧ : ٨/٢٧٥ : ١٦٩) من طريق على بن عبد الله ، عن سفيان بن عيينة ، بغير هذا اللفظ . وكان فى المطبوعة: « وما نحب أن لو لم تكن همتا » ، وهو خطأ ، والصواب من المخطوطة ، ولكن الناشر لم يحسن قراءتها .

٧٧٣٠ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا » ، قال : هذا يوم أحُد .

* * *

وأما قوله : « أن تفشلا » ، فإنه يعني : همَّا أن يضعفا ويجبنا عن لقاء عدوّهما .

* * *

= يقال منه : « فشل فلان عن لقاء عدوه ويفشل فشلاً » ، كما :–

٧٧٣١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « الفشل » ، الجبن .

* * *

قال أبو جعفر : وكان همُّهما الذي همَّا به من الفشل ، الانصرافَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حين انصرف عنهم عبد الله بن أبيّ ابن سلول بمن معه ، جبناً منهم ، من غير شك منهم في الإسلام ولا نفاق ، فعصمهم الله مما هموا به من ذلك ، ومضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لوجهه الذي مضى له ، وتركوا عبد الله بن أبيّ ابن سلول والمنافقين معه ، فأثنى الله عز وجل عليهما بثبوتهما على الحق ، وأخبر أنه وليُّهما وناصرهما على أعدائهما من الكفار ، [1] كما :–

٧٧٣٢ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « والله وليُّهما » ، أي : المدافع عنهما ما همَّتا به من فشلهما .[2] وذلك أنه إنما كان ذلك منهما عن ضعف ووهن أصابهما ، من غير شك أصابهما في دينهما ، فتولى دفع ذلك عنهما برحمته وعائدته حتى سلمتا من وهنهما وضعفهما ، ولحقتا بنبيِّهما صلى الله عليه وسلم . يقول : « وعلى الله فليتوكل المؤمنون » ، أي : من كان به ضعف من المؤمنين أو وهَن ،

---

(١) انظر تفسير «الولي» فيما سلف ٦ : ٤٩٧ تعليق : ١ . والمراجع هناك .

(٢) في المطبوعة : « الدافع عنهما » ، وأثبت ما في المخطوطة وسيرة ابن هشام . وفي المطبوعة والمخطوطة « ما هما به » ، وهو صواب ، ولكني أثبت نص ابن هشام ، فهو أقوم على السياق ، والتصحيف في مثل هذا قريب ، ولست أظنه من أصل الطبري .

فليتوكل عليّ ، وليستعن بي أعينه على أمره ، وأدفع عنه ، حتى أبلغ به وأقوّيه على نيته .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وذكر أن ابن مسعود رضي الله عنه كان يقرأ : ﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّهُمْ ﴾ ، وإنما جاز أن يقرأ ذلك كذلك ، لأن « الطائفتين » وإن كانتا في لفظ اثنين ، فإنهما في معنى جماع ، بمنزله « الخصمين » و « الحزبين » .(٢)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١٢٣)

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً ، وينصركم ربكم ، = « ولقد نصركم الله ببدر » على أعدائكم وأنتم يومئذ = « أذلة » يعني : قليلون ، في غير منعة من الناس ، حتى أظهركم الله على عدوكم ، مع كثرة عددهم وقلة عددكم ، وأنتم اليوم أكثر عدداً منكم حينئذ ، فإن تصبروا لأمر الله ينصركم كما نصركم ذلك اليوم ، = « فاتقوا الله » ، يقول تعالى ذكره : فاتقوا ربكم بطاعته واجتناب محارمه = « لعلكم تشكرون » ، يقول : لتشكروه على ما منّ به عليكم من النصر على أعدائكم وإظهار دينكم ، ولما هداكم له من الحق الذي ضلّ عنه مخالفوكم ، كما : — ٤٩/٤

(١) الأثر : ٧٧٣٢ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٢ ، ١١٣ ، وهو من سياق الأثر السالف رقم : ٧٧٢٦ .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٢٣٣ .

٧٧٣٣ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة »، يقول : وأنتم أقل عدداً وأضعف قوة = « فاتقوا الله لعلكم تشكرون » ، أى : فاتقون ، فإنه شكر نعمتى .(١)

* * *

واختلف فى المعنى الذى من أجله سمى بدر « بدراً » .

فقال بعضهم : سمى بذلك ، لأنه كان ماء لرجل يسمى « بدراً » ، فسمى باسم صاحبه .

* ذكر من قال ذلك :

٧٧٣٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن زكريا ، عن الشعبى قال : كانت « بدر » لرجل يقال له « بدر » ، فسميت به .

٧٧٣٥ – حدثنى يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا زكريا ، عن الشعبى أنه قال : « ولقد نصركم الله ببدر » ، قال : كانت « بدر » بئراً لرجل يقال له « بدر »، فسميت به .

* * *

وأنكر ذلك آخرون وقالوا : ذلك اسم سميت به البقعة ، كما سمى سائر البلدان بأسمائها .

* ذكر من قال ذلك :

٧٧٣٦ – حدثنا الحارث بن محمد قال، حدثنا ابن سعد قال ، حدثنا محمد ابن عمر الواقدى قال ، حدثنا منصور ، عن أبى الأسود ، عن زكريا ، عن الشعبى قال : إنما سمى « بدراً » ، لأنه كان ماء لرجل من جهينة يقال له « بدر » = وقال الحارث ، قال ابن سعد ، قال الواقدى : فذكرت ذلك لعبد الله بن جعفر ومحمد ابن صالح فأنكراه وقالا : فلأىّ شىء سميت « الصفراء » ؟ ولأى شىء سميت

---

(١) الأثر : ٧٧٣٣ – سيرة ابن هشام ٣ : ١١٣ ، هو بقية الآثار التى آخرها رقم : ٧٧٣٢، وسياق أبى جعفر فى روايته ، أقوم من سياق ابن هشام .

« الحمراء » ؟ ولأىّ شىء سمى « رابغ » ؟ هذا ليس بشىء، إنما هو اسم الموضع= قال: وذكرت ذلك ليحيى بن النعمان الغفارىّ فقال: سمعت شيوخنا من بنى غفار يقولون : هو ماؤنا ومنزلنا ، وما ملكه أحدٌ قط يقال له « بدر » ، وما هو من بلاد جهينة ، إنما هى بلاد غِفار = قال الواقدى : فهذا المعروف عندنا .

٧٧٣٧ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول: « بدر »، ماء عن يمين طريق مكة ، بين مكة والمدينة .

* * *

وأما قوله : « أذلة» ، فإنه جمع « ذليل » ، كما « الأعزة » جمع « عزيز » ، « والألِبَّة » جمع « لبيب » .

* * *

قال أبو جعفر : وإنما سماهم الله عز وجل « أذلة » ، لقلة عددهم ، لأنهم كانوا ثلثمئة نفس وبضعة عشر ، وعدوهم ما بين التسعمئة إلى الألف — على ما قد بينا فيما مضى — فجعلهم لقلة عددهم « أذلة » .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٧٧٣٨ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون » ، وبدر ماء بين مكة والمدينة ، التقى عليه نبى الله صلى الله عليه وسلم والمشركون ، وكان أول قتال قاتله نبى الله صلى الله عليه وسلم = وذكر لنا أنه قال لأصحابه يومئذ : « أنتم اليوم بعدّة أصحاب طالوت يوم لقى جالوت » . فكانوا ثلثمئة وبضعة عشر رجلا ، والمشركون يومئذ ألفٌ ، أو راهقوا ذلك .(١)

---

(١) الأثر : ٧٧٣٨ — مضى بعضه برقم : ٥٧٣٠ ، وانظر عدة أهل بدر فيما سلف من ٥٧٢٤— ٥٧٣٢ . وقوله : « راهقوا ذلك » أى : قاربوا ذلك .

٧٧٣٩ – حدثني محمد بن سنان قال، حدثنا أبو بكر ، عن عباد ، عن الحسن في قوله : « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون » ، قال يقول : « وأنتم أذلة » ، قليل ، وهم يومئذ بضعة عشر وثلثمئة .

٧٧٤٠ – حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، نحو قول قتادة .

٧٧٤١ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة » ، أقل عدداً وأضعف قوة .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأما قوله : «فاتقوا الله لعلكم تشكرون »، فإن تأويله، كالذي قد بيّنت ، كما : –

٧٧٤٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « فاتقوا الله لعلكم تشكرون » ، أي : فاتقوني ، فإنه شكر نعمتي .(٢)

* * *

---

(١) الأثر : ٧٧٤١ – سيرة ابن هشام ٣ : ١١٣ ، وهو بعض الأثر السالف قريباً رقم : ٧٧٣٣ .

(٢) الأثر : ٧٧٤٢ – سيرة ابن هشام ٣ : ١١٣ ، وهو أيضاً بعض الأثر : ٧٧٣٣ . وكان في المطبوعة والمخطوطة هنا « نعمى » ، وأثبت ما مضى في المخطوطة والمطبوعة في الأثر السالف . وهو مطابق نص ابن هشام .

القول فى تأويل قوله ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ (١٢٤) بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ (١٢٥) ٤

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره : ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ، إذ تقول للمؤمنين بك من أصحابك: ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ؟ وذلك يوم بدر .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى حضور الملائكة يوم بدر حربهم، فى أىّ يوم وُعدوا ذلك ؟

فقال بعضهم: إن الله عز وجل كان وعد المؤمنين يوم بدر أن يمدّهم بملائكته، إن أتاهم العدو من فورهم ، فلم يأتوهم ، ولم يُمَدُّوا . (١)

* ذكر من قال ذلك :

٧٧٤٣ — حدثنى حميد بن مسعدة قال، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا داود ، عن عامر قال: حُدِّث المسلمون أن كُرز بن جابر المحاربى يُمِدُّ المشركين، قال : فشق ذلك على المسلمين ، فقيل لهم : « ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين » بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين »، قال: فبلغت كرزًا الهزيمة، فرجع ، ولم يمدّهم بالخمسة .

---

(١) فى المخطوطة : « ولم يعدوا » ، وهو خطأ صرف . هذا والمخطوطة فى هذا الموضع كثيرة الخطأ فيما هو واضح كهذا الحرف الذى أثبته ، ولذلك أغفلت كثيراً من أشباهه ، ونبهت عليه .

٧٧٤٤ – حدثني ابن المثنى قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا داود ، عن عامر قال : لما كان يوم بدر بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم = ثم ذكر نحوه ، إلاّ إنه قال : « ويأتوكم من فورهم هذا » – يعني كرزا وأصحابه – «يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوِّمين» ، قال : فبلغ كرزاً وأصحابه الهزيمة ، فلم يمدهم ، ولم تنزل الخمسة ، وأمِدُّوا بعد ذلك بألف ، فهم أربعة آلاف من الملائكة مع المسلمين .

٧٧٤٥ – حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد عن الحسن في قوله : « إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة » ، الآية كلها ، قال : هذا يوم بدر .

٧٧٤٦ – حدثني يعقوب قال ، حدثنا ابن علية ، عن داود ، عن الشعبي قال : حُدِّث المسلمون أن كرزَ بن جابر المحاربي يريد أن يمدّ المشركين ببدر ، قال : فشق ذلك على المسلمين ؛ فأنزل الله عز وجلّ : « ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم » إلى قوله : « من الملائكة مسوِّمين » ، قال : فبلغته هزيمة المشركين ، فلم يمدّ أصحابه ، ولم يمدُّوا بالخمسة .

* * *

وقال آخرون : كان هذا الوعد من الله لهم يوم بدر ، فصبر المؤمنون واتقوا الله ، فأمدهم بملائكته على ما وعدهم .

* ذكر من قال ذلك :

٧٧٤٧ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحق قال ، حدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن بعض بني ساعدة قال : سمعت أبا أسيد مالك بن ربيعة بعد ما أصيب بصره يقول : لو كنت معكم ببدر الآن

ومعى بَصَرى، لأخبرتكم بالشِّعب الذى خرجت منه الملائكة، لا أشُك ولا أتمارى.

٧٧٤٨ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، قال ابن إسحق ، وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن بعض بنى ساعدة ، عن أبى أسيد مالك بن ربيعة ، وكان شهد بدراً : أنه قال بعد إذ ذهب بصره : لو كنت معكم اليوم ببدر ومعى بصرى ، لأريتكم الشِّعبَ الذى خرجت منه الملائكة ، لا أشك ولا أتمارَى . (١)

٧٧٤٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحق قال ، حدثنى عبد الله بن أبى بكر : أنه حُدِّث عن ابن عباس : أنّ ابن عباس قال : حدثنى رجل من بنى غفار قال : أقبلت أنا وابن عمّ لى حتى أصعدنا فى جبل يُشرف بنا على بدر ، ونحن مشركان ، ننتظر الوقعة، على من تكون الدَّبْرة فننتهِبُ مع من ينتهب . (٢) قال : فبينا نحن فى الجبل ، إذ دنت منا سحابة ، فسمعنا فيها حمحمة الخيل، فسمعت قائلا يقول: أقدِم حيزوم . (٣) قال : فأما ابن عمى فانكشف قناع قلبه فمات مكانه ، (٤) وأما أنا فكدتُ أهلك ، ثم تماسكت . (٥)

٧٧٥٠ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق قال ، وحدثنى الحسن بن عمارة ، عن الحكم بن عتيبة ، عن مقسم مولى عبد الله بن الحارث ، عن عبد الله بن عباس قال: لم تُقاتل الملائكة فى يوم من الأيام سوى يوم بدر ، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عَدداً ومَدداً لا يضربون . (٦)

٧٧٥١ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال ، قال محمد بن إسحق ،

---

(١) الأثران : ٧٧٤٧ ، ٧٧٤٨ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٦ ، وانظره بإسناد آخر يأتى برقم : ٧٧٧٧ مع اختلاف فى لفظه ، ومع نسبته إلى يوم أحد، لا يوم بدر. وانظر التعليق عليه هناك .

(٢) الدبرة (بفتح الدال وسكون الباء ، وبفتحتين أيضاً) والدابرة : الهزيمة فى القتال ، وهى اسم من « الإدبار » . يقال : على من الدبرة ؟ أى الهزيمة . ثم يقال: لمن الدبرة ؟ أى لمن الدولة والظفر.

(٣) قوله : « أقدم » هى كلمة زجر تزجر بها الخيل ، وأمرلها بالتقدم . وحيزوم : اسم فرس من خيل الملائكة يومئذ . ويقال هو فرس جبريل عليه السلام . هذا وفى المخطوطة : « إذ دهب منا سحابة » وهو تصحيف .

(٤) قناع القلب : غشاؤه ، تشبيهها له بقناع المرأة الذى تلبسه .

(٥) الأثر : ٧٧٤٩ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٥ .

(٦) الأثر : ٧٧٥٠ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٦ .

حدثني أبي إسحق بن يسار، عن رجال من بني مازن بن النجار، عن أبي داود المازني ،
٤/٥١ وكان شهد بدراً قال: إني لأتبعُ رجلا من المشركين يوم بدر لأضربه ، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي ، فعرفت أن قد قتله غيري .(١)

٧٧٥٢ — حدثني ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال ، قال محمد ، حدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن عكرمة مولى ابن عباس قال : قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب ، وكان الإسلام قد دخلنا أهلَ البيت ، فأسلم العباس وأسلمتْ أم الفضل وأسلمتُ . وكان العباس يهاب قومه ويكرَهُ أن يخالفهم ، وكان يكتم إسلامه ، وكان ذا مال كثير متفرق في قومه . وكان أبو لهب عدوّ الله قد تخلّف عن بدر وبعث مكانه العاصيَ بن هشام بن المغيرة . وكذلك صنعوا ، لم يتخلّف رجل إلا بعث مكانه رجلا . فلما جاء الخبرُ عن مُصاب أصحاب بدر من قريش كبته الله وأخزاه ، ووجدنا في أنفسنا قوة وعِزًّا .(٢) قال: وكنت رجلا ضعيفاً ، وكنت أعمل القِداح ، أنحتها في حجرة زمزم ، فوالله إني لجالس فيها أنحت القداح وعندي أم الفضل جالسة ، وقد سرَّنا ما جاءنا من الخبر ، إذ أقبل الفاسق أبو لهب يجرُّ رجليه بشرٍّ حتى جلس على طُنُب الحجرة ،(٣) فكان ظهره إلى ظهري . فبينا هو جالس إذ قال الناس : هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم ! قال : قال أبو لهب : هلُمّ إليّ يا ابن أخي ، فعندك الخبر ! قال : فجلس إليه والناس قيام عليه ، فقال : يا ابن أخي أخبرني ، كيف كان أمرُ الناس ؟ قال : لا شيء والله ، إن كان إلاّ أن لقيناهم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاؤوا ! وايم الله ،

---

(١) الأثر : ٧٧٥١ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٦

(٢) في المطبوعة : « قوة وعونة » ، وليست بشيء ، وفي المخطوطة « قوه وعبدا » وصواب قراءتها ما أثبته من سيرة ابن هشام .

(٣) طنب الحجرة : جانبها المسدل . أخذ من طنب الخباء ، وهو الحبل يشد به إلى الأرض .

مع ذلك ما لمتُ الناس ، لقينا رجالاً بيضاً على خيل بلق ما بين السماء والأرض ما تُلِيق شيئاً ،ولا يقوم لها شيء .(١) قال أبو رافع : فرفعت طنب الحجرة بيدى ثم قلت : تلك الملائكة !(٢)

٧٧٥٣ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد قال ، حدثنى الحسن بن عمارة ، عن الحكم بن عتيبة ، عن مقسم ، عن ابن عباس قال : كان الذى أسر العباس أبو اليَسَر كعب بن عمرو أخو بنى سلِمة ،(٣) وكان أبو اليسر رَجلا مجموعاً ،(٤) وكان العباس رجلا جسيما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى اليسر : كيف أسرت العباس أبا اليسر ؟! قال : يا رسول الله ، لقد أعاننى عليه رجلٌ ما رأيته قبل ذلك ولا بعده ، هيئته كذا وكذا !(٥) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أعانك عليه ملك كريم .(٦)

٧٧٥٤ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين » ، أمدوا بألف ، ثم صاروا ثلاثة آلاف ، ثم صاروا خمسة آلاف = « بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوِّمين » ،

---

(١) يقال للكريم : « فلان لا يليق شيئاً » من « ألاق » ، أى : ما يحبس شيئاً ولا يمسكه . ويقال للسيف : « سيف لا يليق شيئاً » ، أى : ما يرد ضربته شيء . وهذا الأخير هو المراد هنا . وكان فى المطبوعة : « ما يليق لها شيء » بدل ما فى المخطوطة ، إذ لم يفهمه . وأثبت ما فى المخطوطة والسيرة .

(٢) الأثر : ٧٧٥٢ – سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠١ ، مع اختلاف يسير فى بعض اللفظ .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « أبا اليسر . . . أخا بنى سلمة » ، وأثبت ما فى التاريخ ، فهو أجود عربية .

(٤) قوله : « مجموعاً » ، يعنى : قد اجتمع خلقه فلم يبسط ، وهو نقيض الجسيم ، كما يظهر من سياق الأثر . ولم أجده فى كتب اللغة التى بين يدى .

(٥) فى المخطوطة : « هيئته كذا ، هيئته كذا » ، وتركت ما فى المطبوعة على حاله ، لأنه مطابق لما فى التاريخ .

(٦) الأثر : ٧٧٥٣ – لم أجده فى المطبوع من سيرة ابن هشام ،وهو فى تاريخ الطبرى ٢ : ٢٨٨، ٢٨٩ .

وذلك يوم بدر، أمدّهم الله بخمسة آلاف من الملائكة .

٧٧٥٥ – حدثت عن عمار ، عن ابن أبي نجيح ، عن أبيه ، عن الربيع بنحوه .

٧٧٥٦ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي ، قال ، حدثني أبي ، [1]عن أبيه ، عن ابن عباس في قوله : « يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين » ، فإنهم أتوا محمداً صلى الله عليه وسلم مسوّمين.

٧٧٥٧ – حدثني محمد بن بشار قال، حدثنا سفيان ، عن ابن خثيم ، عن مجاهد قال : لم تقاتل الملائكة إلاّ يوم بدر.

* * *

وقال آخرون : إن الله عز وجلّ : إنما وعدهم يوم بدر أن يمدّهم إن صبروا عند طاعته وجهاد أعدائه ، واتقوه باجتناب محارمه ، أن يمدهم في حروبهم كلها ، فلم يصبروا ولم يتقوا إلا في يوم الأحزاب ، فأمدّهم حين حاصروا قريظة .

* ذكر من قال ذلك :

٧٧٥٨ – حدثني محمد بن عمارة الأسدي قال ، حدثنا عبيد الله بن موسى قال ، أخبرنا سليمان بن زيد أبو إدام المحاربي ، عن عبد الله بن أبي أوفى قال : كنا محاصري قريظة والنضير ما شاء الله أن نحاصرهم ، فلم يفتح علينا ، فرجعنا ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء فهو يغسل رأسه، [2] إذ جاءه جبريل صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، وضعتم أسلحتكم ولم تضع الملائكة أوزارها ! فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخرقة فلفّ بها رأسه ولم يغسله ، ثم نادى فينا فقمنا

---

(١) « قال حدثني أبي » هذه ، سقطت من المطبوعة ، والصواب من المخطوطة ، وهو إسناد دائر في التفسير .

(٢) في المطبوعة : « فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته يغسل رأسه » ، وهو تصرف لاشك فيه من ناشر أو ناسخ آخر ، فإن الذي في المخطوطة : « فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو يغسل رأسه » ، لما سقط من الجملة قوله : « بماء » ، تصرف الناسخ ، وما كان له أن يفعل ! والصواب كما أثبته ، مطابقاً لما في الخصائص الكبرى للسيوطي . وانظر البغوي (بهامش ابن كثير) ٢ : ٢٣٥ .

كالِّين مُعْيِين لا نعبأ بالسير شيئاً، (١) حتى أتينا قريظة والنضير . فيومئذ أمدنا الله عز وجل بثلاثة آلاف من الملائكة ، وفتح اللهُ لنا فتحاً يسيراً ، فانقلبنا بنعمة من الله وفضل . (٢) ٥٢/٤

* * *

وقال آخرون بنحو هذا المعنى ، غير أنهم قالوا : لم يصبر القوم ولم يتقوا ولم يُمدوا بشيء في أحُد .

* ذكر من قال ذلك :

٧٧٥٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال، حدثني عمرو بن دينار، عن عكرمة، سمعه يقول: « بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا »، قال : يوم بدر. قال : فلم يصبروا ولم يتقوا فلم يمدوا يوم أحد ، ولو مُدُّوا لم يُهزموا يومئذ .

---

(١) في المخطوطة : « فقمنا كالر معين » غير منقوطة ، فلم يحسن الناشر أن يقرأها ، فجعلها في المطبوعة : « كالزمعين » ، فجاء معلق على التفسير ففسر الكلمة تفسيراً لا يصلح أن يكون كلاماً ههنا ، فخرج الكلام تصحيفاً وخلطاً معاً ! ! وأما السيوطي في الخصائص الكبرى ، فالظاهر أنه لم يحسن هو أيضاً قراءة المخطوطة ، أو كانت في نسخة مصحفة عنده كمثل هذا التصحيف ، فأسقط الجملة كلها وساق الكلام هكذا : « فقمنا حتى أتينا بني قريظة » . وكذلك فعل البغوي . وصواب القراءة هو ما أثبت ، وهو مطابق لصفة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مخرجهم إلى بني قريظة . يقال « كل الرجل يكل من المشي فهو كال » : إذا بلغ منه التعب والإعياء . ويقال : « أعيي الرجل والبعير وغيره يعيي إعياء فهو معيي » ، إذا أكله السير وطلحه وبرح به . يقول : فقمنا وقد بلغ منا ومن دوابنا التعب .

(٢) الأثر : ٧٧٥٨ – أخرجه السيوطي في الخصائص الكبرى ١ : ٢٣٣ نقلا عن ابن جرير في تفسيره هذا . و « عبيد الله بن موسى بن أبي المختار العبسي » ، مضت ترجمته برقم : ٥٧٩٦، وكان في المخطوطة والمطبوعة: « عبد الله بن موسى »، وهو خطأ . وأما « سليمان بن زيد أبو إدام المحاربي » فهو مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري ١٥/٢/٢ ، وابن أبي حاتم ١١٧/١/٢ ، قال يحيى بن معين « ليس بثقة ، كذاب ، ليس يسوى حديثه فلساً » . وقال النسائي : « متروك الحديث » . وكان في المطبوعة : « أبو آدم » وهو خطأ ، ومثله في التهذيب في ترجمته ، وهو خطأ أيضاً صوابه ما أثبت من المخطوطة . و « عبد الله بن أبي أوفى الأسلمي » ، شهد بيعة الرضوان ، ومات رضي الله عنه سنة ٨٨ ، كما صححه الذهبي في تاريخه .

وهذا الأثر ، وإن كان إسناده لا يقوم ، فإن معناه يشبه أن يكون حقاً ، لموافقته ما جاءت به الرواية عن غزوة بني قريظة في الروايات الصحيحة عن غير عبد الله بن أبي أوفى .

٧٧٦٠ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار قال : سمعت عكرمة يقول : لم يمدوا يوم أحُد ولا بملك واحد = أو قال : إلا بملك واحد ، أبو جعفر يشك .

٧٧٦١ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال ، سمعت عبيد بن سليمان ، عن الضحاك قوله : « ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف» إلى «خمسة آلاف من الملائكة مسوّمين »، كان هذا موعداً من الله يوم أحُد عرضه على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : أنّ المؤمنين إن اتقوا وصبروا أمدهم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين ؛ ففرّ المسلمون يوم أحد وولّوا مدبرين، فلم يمدهم الله .

٧٧٦٢ – حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله: « بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا» الآية كلها. قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم ينظرون المشركين : يا رسول الله، أليس يمدنا الله كما أمدنا يوم بدر ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين »، وإنما أمدكم يوم بدر بألف؟ قال : فجاءت الزيادة من الله على أن يصبروا ويتقوا ، قال : بشرط أن يأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم ، الآية كلها .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : إن الله أخبرَ عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال للمؤمنين : ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة ؟ فوعدهم الله بثلاثة آلاف من الملائكة مدداً لهم ، ثم وعدهم بعد الثلاثة الآلاف، خمسة آلاف إن صبروا لأعدائهم واتقوا الله . ولا دلالة فى الآية على أنهم أمِدُّوا بالثلاثة آلاف ولا بالخمسة آلاف ، ولا على أنهم لم يمدوا بهم . وقد يجوز أن يكون الله عز وجل أمدهم، على نحو ما رواه الذين أثبتوا أنه أمدهم = وقد يجوز أن يكون لم يمدهم على نحو الذى ذكره من أنكر ذلك ، ولا خبر

عندنا صحٌّ من الوجه الذى يثبت أنهم أمِدوا بالثلاثة الآلاف ولا بالخمسة الآلاف . وغير جائز أن يقال فى ذلك قولٌ إلا بخبر تقوم الحجة به . ولا خبر به كذلك ، فنسلم لأحد الفريقين قوله . غير أنّ فى القرآن دلالةً على أنهم قد أمدوا يوم بدر بألف من الملائكة ، وذلك قوله : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [سورة الأنفال: ٩] ، فأما فى يوم أحُد فالدلالة على أنهم لم يمدوا أبينُ منها فى أنهم أمدوا . وذلك أنهم لو أمدوا لم يهزموا، ويُنال منهم ما نيل منهم . فالصواب فيه من القول أن يقال كما قال تعالى ذكره .

* * *

وقد بينا معنى « الإمداد» فيما مضى ، « والمدد » ، ومعنى « الصبر » و « التقوى ».(١)

* * *

وأما قوله : « ويأتوكم من فورهم هذا »، فإنّ أهل التأويل اختلفوا فيه .

فقال بعضهم : معنى قوله : « من فورهم هذا »، من وجههم هذا .

* ذكر من قال ذلك :

٧٧٦٣ — حدثنا حميد بن مسعدة قال ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن عثمان ابن غياث ، عن عكرمة قال : «ويأتوكم من فورهم هذا» ،قال: من وجههم هذا .

٧٧٦٤ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « من فورهم هذا » ، يقول : من وجههم هذا .

٧٧٦٥ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة مثله .

٧٧٦٦ — حدثنا محمد بن سنان قال،حدثنا أبو بكر الحنفى قال ، حدثنا عباد ، عن الحسن فى قوله : « ويأتوكم من فورهم هذا » ، من وجههم هذا .

---

(١) انظر معنى « الإمداد والمدد » فيما سلف ١ : ٣٠٧ ، ٣٠٨ / و « الصبر » ٢ : ١١ ، ١٢٤ / ٣ : ٢١٤ ، ٣٤٩ ثم فهارس اللغة فيما سلف / و « التقوى » ١ : ٢٣٢ ، ٢٣٣، ٣٦٤/٤ : ١٦٢ ، وفهارس اللغة .

٧٧٦٧ – حدثت عن عمار بن الحسن، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « ويأتوكم من فورهم هذا » ، يقول : من وجههم هذا .

٧٧٦٨ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « ويأتوكم من فورهم هذا » يقول : من وجههم هذا . ٥٣/٤

٧٧٦٩ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال ، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: « ويأتوكم من فورهم هذا »، يقول : من سفرهم هذا = ويقال– يعني عن غير ابن عباس– بل هو: من غضبهم هذا .

٧٧٧٠ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « من فورهم هذا » ، من وجههم هذا .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : من غضبهم هذا .

* ذكر من قال ذلك :

٧٧٧١ – حدثني محمد بن المثنى قال، حدثنا عبد الأعلى قال، حدثنا داود، عن عكرمة في قوله : « ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة » ، قال : « فورهم ذلك »، كان يوم أحد ، غضبوا ليوم بدر مما لقوا .

٧٧٧٢ – حدثني محمد بن عمارة قال ، حدثنا سهل بن عامر قال ، حدثنا مالك بن مغول قال : سمعت أبا صالح مولى أم هانئ يقول : « من فورهم هذا » ، يقول : من غضبهم هذا .

٧٧٧٣ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله: « ويأتوكم من فورهم هذا » ، قال : غضبٌ لهم ، يعني الكفار ، فلم يقاتلوهم عند تلك الساعة ، وذلك يوم أحد .

٧٧٧٤ – حدثني القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال مجاهد : « من فورهم هذا »، قال : من غضبهم هذا .

٧٧٧٥ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال سمعت الضحاك ، فى قوله : « ويأتوكم من فورهم هذا »، يقول : من وجههم وغضبهم .

* * *

قال أبو جعفر : وأصل « الفوْر »، ابتداء الأمر يؤخذ فيه، ثم يوصل بآخر.(١) يقال منه : « فارت القدرُ فهى تفور فوراً وفوراناً »، إذا ابتدأ ما فيها بالغليان ثم اتصل. و « مضيت إلى فلان من فوْرى ذلك » ، يراد به : من وجهى الذى ابتدأت فيه .

* * *

= فالذى قال فى هذه الآية : معنى قوله : « من فورهم هذا »، من « وجههم هذا » = قصد إلى أن تأويله : ويأتيكم كرز بن جابر وأصحابه يوم بدر من ابتداء مخرجهم الذى خرجوا منه لنصرة أصحابهم من المشركين .

* * *

= وأما الذين قالوا : معنى ذلك : من غضبهم هذا = فإنما عنوا أن تأويل ذلك : ويأتيكم كفار قريش وتُبَّاعهم يوم أحد من ابتداء غضبهم الذى غضبوه لقتلاهم الذين قتلوا يوم بدر بها ، بمدكم ربكم بخمسة آلاف .

* * *

ولذلك من اختلاف تأويلهم فى معنى قوله : « ويأتوكم من فورهم هذا » ،(٢) اختلف أهل التأويل فى إمداد الله المؤمنين بأحُد بملائكته .

فقال بعضهم : لم يمدوا بهم ، لأن المؤمنين لم يصبروا لأعدائهم ولم يتقوا الله عز وجل، بترك من ترك من الرماة طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثبوته فى الموضع الذى أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثبوت فيه ، ولكنهم أخلُّوا به

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « يوجد فيه » ، وهو كلام سخيف . يأخذ فى الأمر : شرع وبدأ .

(٢) فى المطبوعة : « وكذلك من اختلاف تأويلهم . . . » ، وهو كلام غير مستقيم . ولم يحسن الناشر قراءة المخطوطة ، لأن من عادة ناسخها أن يترك كثيراً شرطة الكاف ، ويدعها كاللام ، فظنها هنا « كذلك »، ولكنها « لذلك » كما قرأتها لك . يقول الطبرى : ومن أجل اختلافهم فى تأويل : « ويأتوكم من فورهم هذا » ، اختلف أهل التأويل .

طلبَ الغنائم، [١] فقتل من قتل من المسلمين ونال المشركون منهم ما نالوا، [٢]. وإنما كان الله عز وجل وعد نبيه صلى الله عليه وسلم إمدادَهم بهم إن صبروا واتقوا الله .

* * *

= وأما الذين قالوا: كان ذلك يوم بدر بسبب كُرْز بن جابر، فإن بعضهم قالوا: لم يأت كرزٌ وأصحابُه إخوانَهم من المشركين مدداً لهم ببدر، ولم يمد الله المؤمنين بملائكته. لأن الله عز وجل إنما وعدهم أن يمدهم بملائكته إن أتاهم كرز ومدد المشركين من فورهم، ولم يأتهم المددُ .

* * *

= وأما الذين قالوا: إنّ الله تعالى ذكره أمد المسلمين بالملائكة يوم بدر، فإنهم اعتلوا بقول الله عز وجل: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [سورة الأنفال: ٩]، قال: فالألف منهم قد أتاهم مدداً. وإنما الوعد الذى كانت فيه الشروط، فما زاد على الألف، [٣] فأما الألف فقد كانوا أمدُّوا به، لأن الله عز وجل كان قد وعدهم ذلك، ولن يُخلف الله وعده .

* * *

قال أبو جعفر: واختلفت القرأة فى قراءة قوله: « مسوّمين »

فقرأ ذلك عامة قرأة أهل المدينة والكوفة: ﴿ مُسَوَّمِينَ ﴾ بفتح « الواو »، بمعنى أن الله سوَّمها

* * *

وقرأ ذلك بعض قرأة أهل الكوفة والبصرة ﴿ مُسَوِّمِينَ ﴾ بكسر « الواو »، بمعنى أن الملائكة سوَّمتْ لنفسها .

* * *

---

(١) فى المطبوعة: « طلباً للغنائم »، وأثبت ما فى المخطوطة، وهو مثله فى المعنى .

(٢) فى المطبوعة: « فقتل من المسلمين »، وهى غير مستقيمة، وفى المخطوطة: « فى قتل من قتل من المسلمين »، وهى الصواب، إلا فى تصحيف الناسخ وخطئه إذ كتب مكان « فقتل » — « فى قتل » .

(٣) فى المطبوعة: « فيما زاد »، وفى المخطوطة مثلها غير منقوطة، وصواب قراءتها ما أثبت .

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب قراءة من قرأ بكسر « الواو »، لتظاهرُ الأخبار عن [أصحاب] رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل التأويل منهم ومن التابعين بعدهم[1] : بأن الملائكة هى التى سوَّمت أنفسها ، من غير إضافة تسويمها إلى الله عز وجل، أو إلى غيره من خلقه . ٥٤/٤

ولا معنى لقول من قال : إنما كان يُختار الكسرُ فى قوله « مسوِّمين » ، لو كان فى البشر ، فأما الملائكة فوصفهم غيرُ ذلك = ظناً منه بأن الملائكة غير ممكن فيها تسويمُ أنفسها إمكانَ ذلك فى البشر . وذلك أنه غيرُ مستحيل أن يكون الله عز وجل مكنها من تسويم أنفسها نحو تمكينه البشر من تسويم أنفسهم، فسوَّموا أنفسهم نحو الذى سوَّم البشر ،[2] طلباً منها بذلك طاعة ربها ، فأضيف تسويمها أنفسَها إليها . وإن كان ذلك عن تسبيب الله لهم أسبابه . وهى إذا كانت موصوفة بتسويمها أنفسَها تقرُّباً منها إلى ربها ، كان أبلغ فى مدحها ، لاختيارها طاعة الله ، من أن تكون موصوفة بأن ذلك مفعول بها .

* * *

ذكر الأخبار بما ذكرنا : من إضافة من أضاف التسويم إلى الملائكة ، دون إضافة ذلك إلى غيرهم ، على نحو ما قلنا فيه .

---

(١) فى المطبوعة : « لتظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهل التأويل منهم . . . » وهى عبارة فاسدة ، ثم لا تؤيدها الأخبار التى رواها بعد . وفى المخطوطة مثلها ، إلا أنه كتب « بأهل التأويل » ، وهو تحريف وخطأ . والصواب أن الأخبار المتظاهرة التى سيذكرها هى عن أصحاب رسول الله وأهل التأويل منهم ، فلذلك زدت « أصحاب » بين القوسين ، وجعلت « فأهل » ، « وأهل » ، واستقام الكلام . ولو تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان به ولا بأحد حاجة إلى تظاهر الأخبار عن أصحاب رسول الله وأهل التأويل منهم ومن التابعين من بعدهم . فى خبره صلى الله عليه وسلم كفاية من كل خبر ، بأبى هو وأمى .

(٢) فى المطبوعة : « . . . مكنها من تسويم أنفسها بحق تمكينه البشر . . . » ثم « . . . فسوموا أنفسهم بحق الذى سوم البشر » ، وهو كلام لا معنى له . وفى المخطوطة أساء الكاتب فى الكلمة الأولى فنقط الحروف وجمجمها فاختلطت ، وكتب الثانية « محى » غير منقوطة ، وصواب قراءتها فى الموضعين « نحو » كما أثبتها .

٧٧٧٦ — حدثني يعقوب قال، أخبرنا ابن علية قال ، أخبرنا ابن عون ، عن عمير بن إسحق قال : إن أول ما كان الصوف ليومئذ = يعني يوم بدر = قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تسوَّموا ، فإنّ الملائكة قد تسوَّمت . (١)

٧٧٧٧ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا مختار بن غسان قال ، حدثنا عبد الرحمن بن الغسيل ، عن الزبير بن المنذر ، عن جده أبي أسيد — وكان بدرياً — فكان يقول : لو أن بصري فُرِّج منه ، (٢) ثم ذهبتم معي إلى أحُدٍ لأخبرتكم بالشِّعب الذي خرجت منه الملائكة في عمائم صُفر قد طرحوها بين أكتافهم . (٣)

---

(١) الأثر : ٧٧٧٦ — « ابن عون » ، هو : « عبد الله بن عون بن أرطبان المزني » أبو عوف الخراز البصري أحد الفقهاء الكبار . رأى أنس بن مالك ، وروى عن ابن سيرين وإبراهيم النخعي والحسن البصري والشعبي وطبقتهم . وكان في المطبوعة : « ابن عوف » ، وهو خطأ ، والصواب من المخطوطة . و « عمير بن إسحق القرشي » أبو محمد مولى بني هاشم ، روى عن المقداد بن الأسود، وعمرو بن العاص ، وأبي هريرة ، وكان قليل الحديث . وقال أبو حاتم والنسائي : « لا نعلم روى عنه غير ابن عون » قال ابن معين : « ثقة » ، وقال أيضاً : « لا يساوي حديثه شيئاً ، ولكن يكتب حديثه » . فهذا الحديث كما ترى مرسل ، وعن رجل يكتب حديثه ولا يحتج به .

(٢) في المطبوعة : « لو أن بصري معي ، ثم ذهبتم معي » ، وهو تصرف من الطابعين فيما يظهر ، نقلا عن تصرف السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٧٠ . أما المخطوطة ، فكان فيها : « لو أن بصري حرج منه ، ثم ذهبتم معي » فيها « حرج » غير منقوطة ، والظاهر أن السيوطي رآها كذلك ، فعجز عنها ، فاستظهرها من الأثرين السالفين : ٧٧٤٧ ، ٧٧٤٨ ، ولكني حرصت على متابعة ما في المخطوطة ، فوجدت رواية الأثرين السالفين من طريق ابن شهاب عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد : « قال لي أبو أسيد الساعدي ، بعد ما ذهب بصره : يا ابن أخي ، لو كنت أنت وأنا ببدر ثم أطلق الله لي بصري، لأريتك الشعب . . . » (الاستيعاب : ٦٢١) فاستظهرت أن « حرج » تصحيف « فرج » (بتشديد الراء ، والبناء للمجهول) ، وهي بمعنى « أطلقه الله » . وقوله : « فرج منه » ، أي : فرج الله عن بعضه . ولو كانت « فرج عنه » لكان صواباً مطابقاً لرواية سهل بن سعد في المعنى . وأرجو أن أكون قد وفقت إلى الصواب بحمد الله وتوفيقه .

(٣) الأثر : ٧٧٧٧ — « مختار بن غسان التمار الكوفي العبدي » ، روى عن حفص بن عمر البرجمي وإسماعيل بن مسلم . مترجم في التهذيب . و « عبد الرحمن بن الغسيل » ، هو : « عبد الرحمن ابن سليمان بن عبد الله بن حنظلة الأنصاري » سلفت ترجمته في رقم : ٥١٢٣ . أما « الزبير بن المنذر ابن أبي أسيد » فيقال أيضاً أنه « الزبير بن أبي أسيد » ، أن أبا أسيد أبوه لا جده ، وإسناد الطبري مبين عن أنه جده . وقد ذكر ذلك البخاري في الكبير ٣٧٥/١/٢ ، في خبر ساقه عن ابن الغسيل ، وكذلك ابن أبي حاتم ٥٧٩/٢/١ ، وذكره الحافظ في التهذيب وقال : « وفي إسناده اختلاف » ، إشارة إلى هذا الاختلاف في أن أبا أسيد أبوه أو جده .

٧٧٧٨ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين » ، يقول : معلمين ، مجزوزة أذنابُ خيلهم، ونواصيها – فيها الصوف أو العِهْن .(١) وذلك التسويم .

٧٧٧٩ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد في قوله : « بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين » ، قال : مجزوزة أذنابها، وأعرافها فيها الصوف أو العِهْن ، فذلك التسويم .

٧٧٨٠ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « مسوّمين »، ذكر لنا أن سيماهم يومئذ ، الصوف بنواصي خيلهم وأذنابها ، وأنهم على خيل بُلْق .

٧٧٨١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « مسومين » ، قال : كان سيماها صوفاً في نواصيها .

٧٧٨٢ – حدثت عن عمار، عن ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن ليث ، عن مجاهد أنه كان يقول : « مسومين » ، قال : كانت خيولهم مجزوزة الأعراف، معلمة نواصيها وأذنابها بالصوف والعِهْن .

٧٧٨٣ – حدثت عن عمار، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : كانوا يومئذ على خيل بُلْق .

٧٧٨٤ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا

أما خبر أبي أسيد هذا فقد سلف بإسناد أبي كريب وابن حميد : ٧٧٤٧ ، ٧٧٤٨ ، مع اختلاف في بعض اللفظ ، ومع نسبة هذا إلى يوم بدر ، لا يوم أحد . والأول هو الثابت الصحيح . وأخشى أن يكون الذي هنا سهواً من ناسخ أو راو ، وأن صوابه « إلى بدر » .

(١) في المخطوطة : « الصوف ، المهن » ، بحذف « أو » ، وهو صواب . والمهن : هو الصوف المصبوغ الملون .

جويبر ، عن الضحاك وبعض أشياخنا ، عن الحسن ، نحو حديث معمر ، عن قتادة .

٧٧٨٥ – حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « مسومين » ، معلمين .

٧٧٨٦ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين » ، فإنهم أتوا محمداً النبى صلى الله عليه وسلم مسوّمين بالصوف ، فسوّم محمد وأصحابه أنفسهم وخيلهم على سيماهم بالصوف .

٧٧٨٧ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن يمان قال ، حدثنا هشام بن عروة ، عن عباد بن حمزة قال : نزلت الملائكة فى سيما الزبير ، عليهم عمائم صفر . وكانت عمامة الزبير صَفراء .

٧٧٨٨ – حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « مسومين » ، قال : بالصوف فى نواصيها وأذنابها .

٧٧٨٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن هشام بن عروة قال : نزلت الملائكة يوم بدر على خيل بلق ، عليهم عمائم صفر . وكان على الزبير يومئذ عمامة صفراء .

٤/٥٥ ٧٧٩٠ – حدثنى أحمد بن يحيى الصوفى قال ، حدثنا عبد الرحمن بن شريك قال ، حدثنا أبى قال ، حدثنا هشام بن عروة ، عن عروة ، عن عبد الله بن الزبير : أنّ الزبير كانت عليه مُلاءة صفراء يوم بدر ، فاعتم بها ، فنزلت الملائكة يوم بدر على نبىّ الله صلى الله عليه وسلم معمّمين بعمائم صفر. (١)

* * *

(١) الأثر : ٧٧٩٠ – « أحمد بن يحيى الصوفى » روى عن محمد بن بشر ، ومحمد بن عبيد وزيد بن الحباب ، وكتب عنه أبو حاتم ، وقال : « ثقة » ، وروى عنه أبو عوانة الكوفى . مترجم فى ابن أبى حاتم ١/١/٨١ . و « عبد الرحمن بن شريك بن عبد الله النخعى » . روى عن أبيه . روى

قال أبو جعفر : فهذه الأخبار التى ذكرنا بعضها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه : « تسوَّموا فإن الملائكة قد تسوَّمت » ، وقول أبى أسيد : « خرجت الملائكة فى عمائم صفر قد طرحوها بين أكتافهم » ، وقول من قال منهم : « مسوَّمين » معلمين = ينبئ جميعُ ذلك عن صحة ما اخترنا من القراءة فى ذلك ، وأن التسويم كان من الملائكة بأنفسها ، على نحو ما قلنا فى ذلك فيما مضى .

* * *

وأما الذين قرأوا ذلك : « مسوَّمين » ، بالفتح ، فإنهم أُراهم تأوَّلوا فى ذلك ما :—

٧٧٩١ — حدثنا به حميد بن مسعدة قال ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن عثمان ابن غياث ، عن عكرمة : « بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين » ، يقول : عليهم سيما القتال .

٧٧٩٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « بخمسة آلاف من الملائكة مسومين » ، يقول : عليهم سيما القتال ، وذلك يوم بدر ، أمدهم الله بخمسة آلاف من الملائكة مسومين . يقول : عليهم سيما القتال .

* * *

= فقالوا : كان سيما القتال عليهم ، لا أنهم كانوا تسوَّموا بسيما فيضاف إليهم التسويم ، فمن أجل ذلك قرأوا « مسوَّمين » ، بمعنى أن الله تعالى أضاف التسويم إلى مَنْ سوَّمهم تلك السيما .

* * *

و « السيما » العلامة يقال : « هى سيما حسنة ، وسيمياء حسنة » ، كما قال الشاعر : (١)

غُلَامٌ رَمَاهُ اللهُ بِالْحُسْنِ يَافِعاً لَهُ سِيمِيَاءٌ لاَ تَشُقُّ عَلَى البَصَرِ (٢)

عنه البخارى فى الأدب ، وأبو كريب . قال أبو حاتم : « واهن الحديث » ، وذكره ابن حبان فى الثقات وقال : « ربما أخطأ » .

(١) هو أسيد بن عنقاء الفزارى .

(٢) سلف تخريجه وشرحه فى ٥ : ٥٩٤ ، ٥٩٥

يعني بذلك : علامة من حسن،[١] فإذا أعلم الرجل بعلامة يعرف بها في حرب أو غيره قيل : « سوَّم نفسه فهو يسوِّمها تسويماً » .[٢]

* * *

القول في تأويل قوله جل ثناؤه ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ (١٢٦)

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره : وما جعل الله وعده إياكم ما وعدكم من إمداده إياكم بالملائكة الذين ذكر عددهم = « إلا بشرى لكم » ، يعني بشرى ، يبشركم بها = « ولتطمئن قلوبكم به » ، يقول . وكي تطمئن بوعده الذي وعدكم من ذلك قلوبكم ، فتسكن إليه ، ولا تجزع من كثرة عدد عدوكم وقلة عددكم = « وما النصر إلا من عند الله » ، يعني : وما ظفركم إن ظفرتم بعدوكم إلا بعون الله ، لا من قِبَل المدد الذي يأتيكم من الملائكة . يقول : فعلى الله فتوكلوا ، وبه فاستعينوا ، لا بالجموع وكثرة العدد ، فإن نصركم إن كان إنما يكون بالله وبعونه ومعكم من ملائكته خمسة آلاف ،[٣] فإنه إلى أن يكون ذلك بعون الله وبتقويته إياكم على عدوكم ، وإن كان معكم من البشر جموع كثيرة = أحْرَى .[٤] فاتقوا الله واصبروا

---

(١) انظر تفسيره « السيما » فيما سلف ٥ : ٥٩٤

(٢) انظر تفسير « سوم » فيما سلف ٥ : ٢٥١ – ٢٥٧ .

(٣) في المخطوطة والمطبوعة : « وبعونه معكم من ملائكته . . . » بإسقاط الواو من « معكم » ، وهو خلل في الكلام والسياق .

(٤) سياق الكلام : « فإنه إلى أن يكون ذلك بعون الله وبتقويته إياكم . . . أحرى » . ثم انظر إلى هذا الإمام كيف يتحرى في بيان معاني كتاب الله إخلاص التوحيد لله ، ونفي الشرك عنه في صفاته سبحانه ، فأخرج من النصر ما يتوهم المتوهم أن نزول الملائكة كان هو سبب نصر المؤمنين ، فلخص المعنى تلخيصاً كله تقوى لله وإخلاص له ، ونفي للشرك عن صفاته سبحانه ، فبين أن النصر من

على جهاد عدوكم ، فإن الله ناصركم عليهم ، كما :—

٧٧٩٣ — حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وما جعله الله إلا بشرى لكم » ، يقول : إنما جعلهم ليستبشروا بهم وليطمئنوا إليهم ، ولم يقاتلوا معهم يومئذ = يعني يوم أحد = قال مجاهد : ولم يقاتلوا معهم يومئذ ولا قبله ولا بعده إلاّ يوم بدر .

٧٧٩٤ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق: « وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به » ، لما أعرف من ضعفكم ، وما النصر إلا من عندى بسلطانى وقدرتى ،وذلك أنّ العزّ والحكم إلىّ ،(١) لا إلى أحد من خلقى.(٢)

٧٧٩٥ — حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « وما النصر إلاّ من عند الله»، لو شاء أن ينصركم بغير الملائكة فعَل، « العزيز الحكيم ».

* * *

وأما معنى قوله : « العزيز الحكيم » ، فإنه جل ثناؤه يعنى : « العزيز » فى انتقامه من أهل الكفر به بأيدى أوليائه من أهل طاعته = « الحكيم » فى تدبيره لكم ، أيها المؤمنون، على أعدائكم من أهل الكفر ، وغير ذلك من أموره .(٣) يقول :

عند الله للمؤمنين والملائكة جميعاً على عدو الله وعدوهم ، وأنهم إنما كانوا مدداً للمؤمنين ، كما قال ربنا سبحانه . وهذا من فقه أبي جعفر وبصره وتحققه بمعانى هذا الكتاب الذى لا يدرك أحد توحيد الله حق توحيده إلا بتلاوته وفهمه وتفقهه فيه، واتباعه لبيانه العربى المحكم . ورحم الله أبا جعفر ،فإنه كان إماماً فى التفسير ، قيما عليه .

(١) فى المطبوعة : « وذلك أنى أعرف الحكمة التى لا إلى أحد من خلق » ، وهو كلام قد ضل عنه معناه . وفى المخطوطة : « وذلك أن العرف الحكمة التى لا إلى أحد من خلق »، وهوشبيه به فى الخطل. والصواب ما أثبته من نص ابن إسحق فى سيرة ابن هشام .

(٢) الأثر : ٧٩٩٤ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٤ ، وهو تابع للأثرين السالفين : ٧٧٣٣ ، ٧٧٤١ .

(٣) فى المخطوطة : « فى تدبيره ولكم أيها المؤمنون وعلى أعدائكم » ، وهو لا يستقيم مع سياقته ، والصواب ما فى المطبوعة .

فأبشروا أيها المؤمنون ، بتدبيرى لكم على أعدائكم ونصرى إياكم عليهم ، إن أنتم أطعتمونى فيما أمرتكم به ، وصبرتم لجهاد عدوِّى وعدوِّكم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴾ (١٢٧) ٥٦/٤

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ولقد نصركم الله ببدر « ليقطع طرفاً من الذين كفروا » ، ويعنى بـ « الطرف » ، الطائفة والنفر .

* * *

يقول تعالى ذكره : ولقد نصركم الله ببدر ، كيما يُهلك طائفة من الذين كفروا بالله ورسوله ، فجحدوا وحدانية ربهم ، ونبوة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم ، كما : —

٧٧٩٦ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ليقطع طرفاً من الذين كفروا » ، فقطع الله يوم بدر طرفاً من الكفار ، وقتل صناديدهم ورؤساءهم وقادتهم فى الشر .

٧٧٩٧ — حدثت عن عمار ، عن ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع نحوه .

٧٧٩٨ — حدثنى محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد ، عن الحسن فى قوله : « ليقطع طرفاً من الذين كفروا » الآية كلها ، قال : هذا يوم بدر ، قطع الله طائفة منهم وبقيت طائفة .

٧٧٩٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ليقطع طرفاً من الذين كفروا » ، أى : ليقطع طرفاً من المشركين بقتل ينتقم به منهم .(١)

* * *

(١) الأثر : ٧٧٩٩ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٤ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ٧٩٩٤ . هذا وقد أسقطت المخطوطة والمطبوعة « عن ابن إسحق » ، فأثبتها ، فهو إسناد دائر فى التفسير كما ترى .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وما النصر إلا من عند الله ليقطع طرفاً من الذين كفروا . وقال : إنما عنى بذلك من قُتل بأحد .

* ذكر من قال ذلك :

٧٨٠٠ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : ذكر الله قتلى المشركين – يعنى بأحد – وكانوا ثمانية عشر رجلا فقال : « ليقطع طرفاً من الذين كفروا » ، ثم ذكر الشهداء فقال : ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً ﴾ الآية ، [سورة آل عمران : ١٦٩] .

* * *

وأما قوله : « أو يكبتهم » ، فإنه يعنى بذلك : أو يخزيهم بالخيبة مما رجوا من الظفر بكم .

وقد قيل إن معنى قوله : « أو يكبتهم » ، أو يصرعهم لوجوههم . ذكر بعضهم أنه سمع العرب تقول : « كبته الله لوجهه » ، بمعنى صرعه الله . (١)

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام : ولقد نصركم الله ببدر ليهلك فريقاً من الكفار بالسيف ، أو يخزيهم بخيبتهم مما طمعوا فيه من الظفر – « فينقلبوا خائبين » ، يقول : فيرجعوا عنكم خائبين ، لم يصيبوا منكم شيئاً مما رجوا أن ينالوه منكم ، كما :–

٧٨٠١ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « أو يكبتهم فينقلبوا خائبين » ، أو يردهم خائبين ، أى : يرجع من بقى منهم فلاً خائبين ، (٢) لم ينالوا شيئاً مما كانوا يأملون . (٣)

---

(١) هو أبو عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ١٠٣ .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « أو يرجع من بقى . . . » ، والصواب من سيرة ابن هشام . وأما المطبوعة فقد حذفت قوله : « فلا » ، لأن قلم الناسخ قد اضطرب فضرب خطا غير بالغ على قوله : « فلا » ، فظنها الناشر علامة حذف . والصواب إثباتها كما فى سيرة ابن هشام . والفل (بفتح الفاء وتشديد اللام) : المنهزمون ، يقال : « جاء فل القوم » ، أى منهزموهم ، يستوى فيه الواحد والجمع .

(٣) الأثر : ٧٨٠١ – سيرة ابن هشام ٣ : ١١٤ ، وهو تابع الآثار التى آخرها رقم : ٧٧٩٩ .

٧٨٠٢ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « أو يكبتهم » ، يقول : يخزيهم، « فينقلبوا خائبين » .

٧٨٠٣ – حدثت عن عمار ، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ (١٢٨)

قال أبو جعفر : يعني بذلك تعالى ذكره: ليقطع طرفاً من الذين كفروا ، أو يكبتهم ، أو يتوب عليهم ، أو يعذبهم ، فإنهم ظالمون ، ليس لك من الأمر شيء .

* * *

فقوله : « أو يتوب عليهم » ، منصوبٌ عطفاً على قوله : « أو يكبتهم » .

وقد يحتمل أن يكون تأويله : ليس لك من الأمر شيء ، حتى يتوب عليهم – فيكون نصب « يتوب » بمعنى « أو » التي هي في معنى « حتى » . (١)

* * *

قال أبو جعفر : والقول الأول أولى بالصواب ، لأنه لا شيء من أمر الخلق إلى أحدٍ سوى خالقهم ، قبل توبة الكفار وعقابهم وبعد ذلك .

* * *

وتأويل قوله : « ليس لك من الأمر شيء »، ليس إليك، يا محمد، من أمر خلقي إلاّ أن تنفذ فيهم أمري ، وتنتهيَ فيهم إلى طاعتي ، وإنما أمرهم إليّ ، والقضاء فيهم بيدي دون غيري ، أقضي فيهم وأحكمُ بالذي أشاء ، من التوبة على من كفر بي وعصاني وخالف أمري ، أو العذاب إما في عاجل الدنيا بالقتل والنّقَم المبيرة ، وإما في آجل الآخرة بما أعددتُ لأهل الكفر بي ، كما : –

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٢٣٤ .

٧٨٠٤ – حدثني ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : ثم قال لمحمد صلى الله عليه وسلم : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون » ، أي : ليس لك من الحكم شيء في عبادي ، إلاّ ما أمرتك به فيهم ، أو أتوب عليهم برحمتي ، فإن شئتُ فعلتُ ، أو أعذبهم بذنوبهم – [1] « فإنهم ظالمون » ، أي قد استحقوا ذلك بمعصيتهم إياي . [2]

* * *

وذكر أن الله عز وجل إنما أنزل هذه الآية على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنه لما أصابه بأحُد ما أصابه من المشركين ، قال ، كالآيس لهم من الهدى أو من الإنابة إلى الحق : كيف يفلح قومٌ فعلوا هذا بنبيهم ! !

* ذكر الرواية بذلك :

٧٨٠٥ – حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا حميد قال ، قال أنس : قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، وكُسرت رَبَاعيته وشُجَّ فجعل يمسح عن وجهه الدم ويقول : كيف يفلح قوم خضبوا نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم ! ! فأنزلت : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوبَ عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون» . [3] ٤/٥٧

---

(١) في سيرة ابن هشام : « . . . بذنوبهم ، فيحق » .

(٢) الأثر : ٧٨٠٤ – سيرة ابن هشام ٣ : ١١٥ ، وهو تابع الآثار التي آخرها : ٧٨٠١ ، مع اختلاف يسير في بعض ألفاظه .

(٣) الحديث : ٧٨٠٥ – هذا الحديث رواه الطبري متصلا بخمسة أسانيد : ٧٨٠٥ – ٧٨٠٨ ، ٧٨١٠ ، من طريق بشر بن المفضل ، وابن أبي عدي ، وهشيم ، وأبي بكر بن عياش ، وابن علية – الخمسة عن حميد بن أبي حميد الطويل ، عن أنس بن مالك . ورواه : ٧٨٠٩ ، من حديث الحسن البصري ، بنحوه ، مرسلا .

وقد رواه أحمد في المسند : ١١٩٨٠ ، عن هشيم ، و : ١٢٨٦٢ ، عن سهل بن يوسف ، و : ١٣١١٥ ، عن يزيد بن هرون ، و : ١٣١٧٠ ، عن ابن أبي عدي – أربعتهم عن حميد الطويل ، به . (ج ٣ ص ٩٩ ، ١٧٨ – ١٧٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٦ حلبي) .

ورواه الترمذي ٤ : ٨٣ ، عن أحمد بن منيع ، وعبد بن حميد – كلاهما عن يزيد بن هرون ، كرواية المسند : ١٣١١٥ . وقال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح » .

٧٨٠٦ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا ابن أبي عدى ، عن حميد ، عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه .

٧٨٠٧ – حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم ، عن حميد الطويل ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه .

٧٨٠٨ – حدثني يحيى بن طلحة اليربوعى قال، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن حميد الطويل ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين شُجَّ فى جبهته وكسِرت رباعيته : لا يفلح قوم صنعوا هذا بنبيهم ! فأوحى الله إليه : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون » .(١)

٧٨٠٩ – حدثني يعقوب، عن ابن علية قال، حدثنا ابن عون، عن الحسن: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم أحُد : كيف يفلح قوم دمَّوا وجه نبيهم وهو

ورواه أبو جعفر النحاس ، فى الناسخ والمنسوخ ، ص : ٩٠ ، من طريق يزيد بن هرون .

ورواه أحمد أيضاً ، بنحوه : ١٣٦٩٢ (ج ٣ ص ٢٥٣ حلبى) ، عن عفان ، عن حماد – وهو ابن سلمة – عن ثابت ، عن أنس .

وكذلك رواه مسلم ٢ : ٦٧ ، عن عبد الله بن مسلمة القعنبي ، عن حماد بن سلمة ، به .

وذكره البخارى فى الصحيح ٧ : ٢٨١ ، مختصراً ، معلقاً ، من الوجهين . قال : « قال حميد وثابت ، عن أنس . . . » .

وبين الحافظ فى الفتح أن رواية حميد وصلها أحمد ، والترمذى ، والنسائى ، وابن إسحق فى المغازى . وأن رواية ثابت وصلها مسلم .

وذكر ابن كثير ٢ : ٢٣٨ رواية البخارى المعلقة . وفى ص : ٢٣٩ رواية أحمد عن هشيم . ثم أشار إلى رواية مسلم .

وذكره السيوطى ٢ : ٧٠ – ٧١ ، وزاد نسبته لابن أبي شيبة وعبد بن حميد ، والنسائى ، وابن المنذر وابن أبي حاتم ، والبيهقى فى الدلائل .

وانظر ما يأتى : ٧٨١٨ – ٧٨٢١ .

« الرباعية » – على وزن « ثمانية » : الأسنان الأربعة التى تلى الثنايا، بين الثنية والناب .

(١) الحديث : ٧٨٠٨ – يحيى بن طلحة اليربوعى : سبق فى : ٤٢١ أن النسائى ضعفه . والراجح توثيقه . فقد ترجمه ابن أبي حاتم ٤/٢/١٦٠ ، فلم يذكر فيه جرحاً .

يدعوهم إلى الله عز وجل ! ! فنزلت : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون» .(١)

٧٨١٠ – حدثنا يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن حميد ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو ذلك .

٧٨١١ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون »، ذكر لنا أن هذه الآية أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أُحد، وقد جُرح نبي الله صلى الله عليه وسلم في وجهه وأصيبَ بعضُ رباعيته ، فقال وسالم مولى أبي حذيفة يغسل عن وجهه الدم : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم ! فأنزل الله عز وجل : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون » .

٧٨١٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا الحسين ابن واقد ، عن مطر ، عن قتادة قال : أصيب النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحُد وكسِرت رباعيته وفُرِق حاجبه، فوقع وعليه درعان ، والدم يسيل ، فمر به سالم مولى أبي حذيفة، فأجلسه ومسح عن وجهه فأفاق وهو يقول : كيف بقوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى الله ! فأنزل الله تبارك وتعالى : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون » .

٧٨١٣ – حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه قوله : « ليس لك من الأمر شيء » الآية ، قال قال الربيع بن أنس : أنزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحُد، وقد شج رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه وأصيبتْ رباعيته، فهمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعوَ عليهم،

---

(١) الحديث : ٧٨٠٩ – هذه رواية الحسن المرسلة .

وقد ذكر السيوطي ٢ : ٧١ رواية عن الحسن ، مطولة مرسلة أيضاً ، ونسبها لعبد بن حميد ، وحده .

فقال : كيف يفلح قوم أدموا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى الله وهم يدعونه إلى الشيطان ، ويدعوهم إلى الهدى ويدعونه إلى الضلالة ، ويدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار ! فهمّ أن يدعوَ عليهم ، فأنزل الله عز وجل : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون » ، فكفّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء عليهم .

٧٨١٤ — حدثني محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفي قال ، حدثنا عباد ، عن الحسن في قوله : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم » الآية كلها ، فقال : جاء أبو سفيان من الحول غضبان لما صُنع بأصحابه يوم بدر ، فقاتل أصحابَ محمد صلى الله عليه وسلم يوم أحد قتالا شديداً ، حتى قتل منهم بعدد الأسارى يوم بدر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمةً علم الله أنها قد خالطت غضباً : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى الإسلام ! فقال الله عز وجل : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون » .

٧٨١٥ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : أن رباعية النبي صلى الله عليه وسلم أصيبت يوم أحد ، أصابها عتبة بن أبي وقاص ، وشجه في وجهه . وكان سالم مولى أبي حذيفة يغسل عن النبي صلى الله عليه وسلم الدمَ ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : كيف يفلح قوم صنعوا بنبيهم هذا ! ! فأنزل الله عز وجل : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون » . ٥٨/٤

٧٨١٦ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهري وعن عثمان الجزري ، عن مقسم : أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة بن أبي وقاص يوم أحد ، حين كسر رباعيته وَوثأ وجهه ،(١)

(١) وثأه وثأ : فهو أن يضرب حتى يرهص الجلد واللحم ، ويصل الضرب إلى العظم من غير أن ينكسر ، يكسر اللحم ولا يكسر العظم .

فقال : اللهم لا يَحُلْ عليه الحول حتى يموت كافراً ! قال : فما حال عليه الحول حتى مات كافراً .

٧٨١٧ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس: شُج النبي صلى الله عليه وسلم في فرق حاجبه وكسِرت رباعيته = قال ابن جريج : ذكر لنا أنه لما جرح جعل سالم مولى أبي حذيفة يغسل الدم عن وجهه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى الله ! فأنزل الله عز وجل : « ليس لك من الأمر شيء » .

* * *

وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية على النبيّ صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه دعا على قوم ، فأنزل الله عز وجل : ليس الأمر إليك فيهم .

ذكر الرواية بذلك :

٧٨١٨ – حدثني يحيى بن حبيب بن عربي قال ، حدثنا خالد بن الحارث قال ، حدثنا محمد بن عجلان ، عن نافع ، عن ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو على أربعة نفر ، فأنزل الله عز وجل : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون » ، قال : وهداهم الله للإسلام .[1]

---

(١) الحديث : ٧٨١٨ – خالد بن الحارث بن عبيد ، أبو عثمان الهجيمي : ثقة ثبت إمام . وقال أحمد : « إليه المنتهى في التثبت بالبصرة » .

والحديث رواه أحمد في المسند : ٥٨١٣ ، عن يحيى بن حبيب بن عربي – شيخ الطبري هنا – بهذا الإسناد . ولم يذكر لفظه ، إحالة على رواية قبله .

ورواه الترمذي ٤ : ٨٤ عن يحيى بن حبيب بن عربي أيضاً . وقال : « هذا حديث حسن غريب صحيح ، يستغرب من هذا الوجه ، من حديث نافع عن ابن عمر . ورواه يحيى بن أيوب ، عن ابن عجلان » .

ورواه أحمد أيضاً : ٥٨١٢ – قبل الرواية السابقة – : عن أبي معاوية الغلابي ، عن خالد بن الحارث .

ورواه أحمد أيضاً : ٥٩٩٧ ، بنحوه ، عن هرون بن معروف المروزي ، عن ابن وهب ، عن أسامة بن زيد ، عن نافع ، عن ابن عمر .

٧٨١٩ – حدثني أبو السائب سلم بن جنادة قال ، حدثنا أحمد بن بشير ، عن عمر بن حمزة ، عن سالم ، عن ابن عمر قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم العن أبا سفيان ! اللهم العن الحارث بن هشام ! اللهم العن صفوان ابن أمية ، فنزلت : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون » .(١)

وهو متابعة صحيحة لرواية ابن عجلان عن نافع ، التي استغربها الترمذي – فكانت غير غريبة ، بهذه المتابعة الصحيحة .

وذكره ابن كثير ٢ : ٢٣٨ ، من رواية المسند : ٥٨١٢ .

وأشار إليه الحافظ في الفتح ٨ : ١٧٠ ، من روايتي أحمد والترمذي .

وذكره السيوطي ٢ : ٧١ ، ونسبه للترمذي ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، فقط .

وانظر الحديث التالي لهذا .

(١) الحديث : ٧٨١٩ – أحمد بن بشير ، أبو بكر الكوفي ، مولى عمرو بن حريث المخزومي : ثقة ، أخرج له البخاري في صحيحه . وترجمه هو وابن أبي حاتم ، فلم يذكرا فيه جرحاً . ومن نقل فيه جرحاً عن ابن معين فقد وهم . ذاك « أحمد بن بشير » آخر ، كما بينه الخطيب في تاريخ بغداد ٤ : ٤٦ – ٤٨ .

ووقع في المطبوعة هنا اسم أبيه « سفيان » ، وفي المخطوطة « سنين » – وكلاهما خطأ ، ليس في الرواة من يسمى بهذا أو بذاك ، إلا راوياً اسمه « أحمد بن سفيان أبو سفيان النسائي » . وهو متأخر عن هذه الطبقة. وأثبتنا الصواب عن ذلك ، وعن رواية الترمذي هذا الحديث بهذا الإسناد ، كما سيأتي .

عمر بن حمزة بن عبد الله بن عمر بن الخطاب : رجحنا توثيقه في شرح المسند : ٥٦٣٨ ، بأنه أخرج له مسلم في صحيحه ، ويقول الحاكم : « أحاديثه كلها مستقيمة » . وهو يروي هنا عن عمه « سالم بن عبد الله بن عمر » ، عن جده « عبد الله بن عمر » .

والحديث رواه أحمد في المسند : ٥٦٧٤ ، عن أبي النضر ، عن أبي عقيل عبد الله بن عقيل ، عن عمر بن حمزة ، به . وزاد في آخره بعد نزول الآية : « قال : فتيب عليهم » .

ورواه الترمذي ٤ : ٨٣ ، عن أبي السائب سلم بن جنادة بن سلم الكوفي – شيخ الطبري هنا – بهذا الإسناد . وزاد في آخره : « فتاب عليهم ، فأسلموا فحسن إسلامهم » .

وقال الترمذي : « هذا حديث حسن غريب ، يستغرب من حديث عمر بن حمزة عن سالم . وكذا رواه الزهري ، عن سالم ، عن أبيه » .

ورواية الزهري عن سالم – التي أشار إليها الترمذي – رواها أحمد في المسند : ٦٣٤٩ ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن سالم ، عن أبيه .

وكذا رواها أبو جعفر النحاس في الناسخ والمنسوخ ص : ٨٩ ، من طريق عبد الرزاق ، به .

ورواه أيضاً ابن المبارك عن معمر .

٧٨٢٠ - حدثنا مجاهد بن موسى قال، حدثنا يزيد قال ، أخبرنا محمد بن إسحق ، عن عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة ، عن عبد الله بن كعب ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر ، فلما رفع رأسه من الركعة الثانية قال : اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة ، وسلمة بن هشام ، والوليد بن الوليد ! اللهم أنج المستضعفين من المسلمين ! اللهم اشدد وطأتك على مُضَر ! اللهم سنين كسنين آل يوسف ! فأنزل الله : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم » الآية . (١)

فرواه أحمد فى المسند : ٦٣٥٠ ، عن على بن إسحق ، عن ابن المبارك ، عن معمر ، عن سالم . عن أبيه .

وكذلك رواه البخارى ٧ / ٢٨١ ، ٨ : ١٧٠ / و ١٣ : ٢٦٣ - ٢٦٤ ، من طريق عبد الله بن المبارك .

ورواه البخارى أيضاً ٧ : ٢٨١ ، من رواية ابن المبارك ، عن حنظلة بن أبي سفيان الجمحى ، عن سالم بن عبد الله : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو . . . » ، رواه تبعاً لحديث ابن المبارك عن معمر . فقال الحافظ فى الفتح : « والراوى له عن حنظلة ، هو عبد الله بن المبارك » .

ووهم من زعم أنه معلق . وقوله : « سمعت سالم بن عبد الله يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو » ، إلى آخره - : هو مرسل .

وقد ذكره ابن كثير ٢ : ٢٣٨ ، عن رواية المسند : ٥٦٧٤ .

وذكره السيوطى ٢ : ٧١ ، وزاد نسبته للنسائى ، والبيهقى فى الدلائل.

(١) الحديث : ٧٨٢٠ - عبد الله بن كعب : هو الحميرى المدنى ، مولى عثمان بن عفان . وهو ثقة ، أخرج له مسلم فى صحيحه ، وترجمه ابن أبي حاتم ٢/٢/١٤٢ .

وهذا الحديث مرسل ، لأن أبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومى - تابعى - وقد مضت ترجمته فى : ٢٣٥١ . ولم أجد هذا الحديث المرسل فى موضع آخر . ومعناه ثابت صحيح فى الحديث الآتى عقبه : ٧٨٢١ ، وفى حديث أبي هريرة فى المسند : ٧٦٥٦ ، من رواية الزهرى ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن . عن أبي هريرة . ولكن ليس فيه نزول الآية .

ثم وجدته موصولا من طريق أبي بكر بن عبد الرحمن نفسه :

فرواه البخارى ٢ : ٢٤١ - ٢٤٢ ، فى حديث مطول ، عن أبي اليمان ، عن شعيب ، عن الزهرى « قال : أخبرنى أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن : أن أبا هريرة ... قالا : وقال أبو هريرة : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يرفع رأسه . . . » - إلخ .

ورواه البيهقى فى السنن الكبرى ٢ : ٢٠٧ ، مقتصراً على القسم الأخير منه ، من أول قوله : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم » - من طريق عثمان بن سعيد الدارمى ، عن أبي اليمان ، بمثل إسناد البخارى ، ثم قال : « رواه البخارى فى الصحيح ، عن أبي اليمان » .

٧٨٢١ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب أخبره ، عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن : أنهما سمعا أبا هريرة يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين يفرغ ، في صلاة الفجر ، من القراءة ويكبر ويرفع رأسه : سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد . ثم يقول وهو قائم : اللهم أنج الوليد بن الوليد ، وسلمة بن هشام ، وعياش بن أبي ربيعة ، والمستضعفين من المؤمنين ! اللهم اشدد وطأتك على مضر ، واجعلها عليهم كسني يوسف ! اللهم العن لحيان ورِعْلاً وذكوان ، وعُصَيَّة عَصَت الله ورسوله ! ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما نزل قوله : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون » . (١)

* * *

ووجدته أيضاً مرسلا ، مثل رواية الطبري هنا :

فرواه الطحاوي في معاني الآثار ١ : ١٤٢ ، من طريق سلمة بن رجاء ، عن محمد بن إسحق ، بمثل إسناد الطبري هنا . وزاد في آخره بعد الآية : « قال : فما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعاء على أحد » .

(١) الحديث : ٧٨٢١ – روى مسلم في صحيحه ١ : ١٨٧ ، عن أبي الطاهر ، وحرملة بن يحيى – كلاهما عن ابن وهب ، بهذا الإسناد .

ورواه البيهقي في السنن الكبرى ٢ : ١٩٧ ، من طريق بحر بن نصر ، عن ابن وهب ، به . ثم أشار إلى رواية مسلم .

ورواه الطحاوي في معاني الآثار ١ : ١٤٢ ، عن يونس بن عبد الأعلى – شيخ الطبري هنا – بهذا الإسناد ؛ ولكنه اختصر آخره ، فلم يذكر قوله : « ثم بلغنا أنه ترك ذلك . . . » .

ورواه أحمد في المسند : ٧٤٥٨ ، عن أبي كامل ، عن إبرهيم بن سعد ، عن الزهري ، بهذا الإسناد ، نحوه .

وكذلك رواه البخاري ٨ : ١٧٠ – ١٧١ (فتح) ، عن موسى بن إسمعيل ، عن إبرهيم بن سعد ، به .

وكذلك رواه أبو جعفر النحاس في الناسخ والمنسوخ ، ص : ٨٩ ، من طريق الحسن بن محمد ، عن إبرهيم بن سعد .

وكذلك رواه البيهقي ٢ : ١٩٧ ، من طريق محمد بن عثمان بن خالد ، عن إبرهيم بن سعد .

ونقله ابن كثير ٢ : ٢٣٨ ، عن رواية البخاري ، التي أشرنا إليها آنفاً .

وذكره السيوطي ٢ : ٧١ ، وزاد نسبته لابن المنذر ، وابن أبي حاتم . ولم يفرق بين روايتي إبرهيم ابن سعد ويونس ، والفرق بينهما واضح – فنسبه بنحو رواية يونس – للبخاري والنحاس ، وهما لم يروياه بهذا اللفظ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٢٩)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : ليس لك، يا محمد، من الأمر شيء . ولله جميع ما بين أقطار السموات والأرض من مشرق الشمس إلى مغربها ، دونك ودونهم ، يحكم فيهم بما يشاء ، ويقضى فيهم ما أحب ، فيتوب على من أحب من خلقه العاصين أمرَه ونهيه ، ثم يغفر له ، ويعاقب من شاء منهم على جرمه فينتقم منه ، وهو الغفور الذى يستر ذنوب من أحب أن يستر عليه ذنوبه من خلقه بفضله عليهم بالعفو والصفح ، والرحيم بهم فى تركه عقوبتهم عاجلاً على عظيم ما يأتون من المآثم ، كما : —

٧٨٢٢ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « والله غفور رحيم » ، أى يغفر الذنوب، ويرحم العباد ، على ما فيهم . (١)

* * *

وقد قال الحافظ فى الفتح ٧ : ٢٨٢ ، فى شرح حديث ابن عمر ، الذى أشرنا إليه فى شرح : ٧٨١٩ — قال : « ووقع فى رواية يونس ، عن الزهرى ، عن سعيد وأبى سلمة ، عن أبى هريرة ، نحو حديث ابن عمر ، لكن فيه : اللهم العن لحيان ورعلا وذكوان وعصية ، قال : ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما نزلت : (ليس لك من الأمر شيء) . قلت [القائل ابن حجر] . وهذا إن كان محفوظاً احتمل أن يكون نزول الآية تراخى عن قصة أحد . لأن قصة رعل وذكوان كانت بعدها ، كما سيأتى تلو هذه الغزوة ، وفيه بعد . والصواب : أنها نزلت فى شأن الذين دعا عليهم بسبب قصة أحد . والله أعلم . ويؤيد ذلك ظاهر قوله فى صدر الآية (ليقطع طرفاً من الذين كفروا) أى يقتلهم ، (أو يكبتهم) أى يخزيهم ، ثم قال : (أو يتوب عليهم) أى فيسلموا ، (أو يعذبهم) أى إن ماتوا كفاراً » .

وهذا تحقيق نفيس جيد من الطراز العالى .

(١) الأثر : ٧٨٢٢ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٥ ، وهو تابع الآثار التى آخرها رقم : ٧٨٠٤ .

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَـٰٓوٓا۟ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١٣٠) ٤/٥٩

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله ، لا تأكلوا الربا فى إسلامكم بعد إذ هداكم له ، كما كنتم تأكلونه فى جاهليتكم .

* * *

وكان أكلهم ذلك فى جاهليتهم : أنّ الرجل منهم كان يكون له على الرجل مال إلى أجل ، فإذا حلّ الأجل طلبه من صاحبه ، فيقول له الذى عليه المال : أخّر عنى دينك وأزيدك على مالك . فيفعلان ذلك . فذلك هو « الربا أضعافاً مضاعفة » ، فنهاهم الله عز وجل فى إسلامهم عنه ، كما : —

٧٨٢٣ — حدثنا محمد بن سنان قال، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن جريج، عن عطاء قال : كانت ثقيف تدّاين فى بنى المغيرة فى الجاهلية ، فإذا حلّ الأجل قالوا : نزيدكم وتؤخّرون ؟ فنزلت : « لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة » .

٧٨٢٤ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال: « يا أيها الذين آمنوا لا تاكلوا الربا أضعافاً مضاعفة»، أى : لا تأكلوا فى الإسلام إذ هداكم الله له ، [1] ما كنتم تأكلون إذ أنتم على غيره ، مما لا يحل لكم فى دينكم.[2]

٧٨٢٥ — حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ،عن مجاهد فى قول الله عزوجلّ: « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة » ، قال : ربا الجاهلية .

٧٨٢٦ — حدثنى يونس قال، أخبرنا بن وهب قال ، سمعت ابن زيد يقول

---

(١) فى سيرة ابن هشام : « هداكم الله به » .

(٢) الأثر : ٧٨٢٤ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٥ ، من بقية الآثار التى آخرها رقم : ٧٨٢٢ .

فى قوله : « لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة » ، قال : كان أبى يقول : إنما كان الربا فى الجاهلية فى التضعيف وفى السن .[١] يكون للرجل فضل دين ، فيأتيه إذا حل الأجل فيقول له : تقضينى أو تزيدنى؟[٢] فإن كان عنده شىء يقضيه قضى ، وإلاّ حوّله إلى السن التى فوق ذلك= إن كانت ابنة مخاض يجعلها ابنة لبون فى السنة الثانية، ثم حِقّة، ثم جَذَعة، ثم رباعياً.[٣] ثم هكذا إلى فوق = وفى العين يأتيه،[٤] فإن لم يكن عنده أضعفه فى العام القابل، فإن لم يكن عنده أضعفه أيضاً، فتكون مئة فيجعلها إلى قابل مئتين . فإن لم يكن عنده جعلها أربعمئة ، يضعفها له كل سنة أو يقضيه . قال : فهذا قوله : « لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة » .

* * *

وأما قوله: « واتقوا الله لعلكم تفلحون » ، فإنه يعنى : واتقوا الله أيها المؤمنون ، فى أمر الربا فلا تأكلوه ، وفى غيره مما أمركم به أو نهاكم عنه ، وأطيعوه فيه = « لعلكم تفلحون »، يقول: لتنجحوا فتنجوا من عقابه ، وتدركوا ما رغّبكم فيه من ثوابه والخلود فى جنانه ، كما : —

٧٨٢٧ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة عن ابن إسحق : « واتقوا الله لعلكم تفلحون » ، أى : فأطيعوا الله لعلكم أن تنجوا مما حذركم من عذابه ، وتدركوا ما رغبكم فيه من ثوابه .[٥]

* * *

---

(١) السن : العمر . يريد بها أسنان الأنعام، كما سيتبين لك من بقية الأثر .

(٢) فى المخطوطة : « تقضى أو تزدنى » .

(٣) « المخاض » : النوق الحوامل . و « ابن المخاض » و « ابنة المخاض »، ما دخل فى السنة الثانية، لأن أمه لحقت بالمخاض، أى الحوامل . « واللبون » : الناقة ذات اللبن . و «ابن اللبون » و « ابنة لبون »، ما أتى عليه سنتان ، ودخل فى السنة الثالثة . فصارت أمه لبوناً ، أى ذات لبن . و « الحق » و « الحقة » البعير إذا استكمل السنة الثالثة ودخل فى الرابعة . « والجذع » و « الجذعة » ما استكمل أربعة أعوام ودخل فى الخامسة . فإذا طعن البعير فى السادسة فهو « ثنى » ، وقد سقط هذا من الأسنان التى يذكرها . أما « الرباع » للذكر ، و « الرباعية » للأنثى ، فهو الذى دخل فى السابعة .

(٤) العين : المال . من ذهب وفضة وأشباهها .

(٥) الأثر : ٧٨٢٧ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٥ ، وهو تابع الآثار التى آخرها : ٧٨٢٤ ، وفى السيرة « لعلكم تنجون . . . وتدركون » .

القول في تأويل قوله ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ (١٣١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين : واتقوا ، أيها المؤمنين ، النارَ أن تصلوها بأكلكم الربا بعد نهيي إياكم عنه - التي أعددتها لمن كفر بي ، فتدخلوا مَدْخَلَتهم بعد إيمانكم بي ،[1] بخلافكم أمري ، وتركِكم طاعتي ، كما :-

٧٨٢٨ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « واتقوا النار التي أعدت للكافرين » ، التي جعلت دارًا لمن كفر بي .[2]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (١٣٢)

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : وأطيعوا الله ، أيها المؤمنون ، فيما نهاكم عنه من أكل الربا وغيره من الأشياء ، وفيما أمركم به الرسول . يقول : وأطيعوا الرسول أيضاً كذلك - « لعلكم ترحمون » ، يقول : لترحموا فلا تعذبوا .

* * *

وقد قيل إن ذلك معاتبة من الله عز وجل أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين خالفوا أمرَه يوم أحد ، فأخلُّوا بمراكزهم التي أمروا بالثبات عليها .

* ذكر من قال ذلك :

٧٨٢٩ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وأطيعوا

---

(١) في المطبوعة : « مداخلهم » بالجمع ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) الأثر : ٧٨٢٨ - سيرة ابن هشام ٣ : ١١٥ تابع الآثار التي آخرها : ٧٨٢٧ .

الله والرسول لعلكم ترحمون » ، معاتبة للذين عصوا رسوله حين أمرهم بالذى أمرهم به فى ذلك اليوم وفى غيره — يعنى : فى يوم أحُد . (١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٣٣)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وسارعوا » ، وبادروا وسابقوا — (٢) « إلى مغفرة من ربكم » ، يعنى : إلى ما يستر عليكم ذنوبكم من رحمته ، وما يغطيها عليكم من عفوه عن عقوبتكم عليها — « وجنة عرضها السموات والأرض » ، يعنى : وسارعوا أيضاً إلى جنة عرضها السموات والأرض . ٦٠/٤

* * *

ذكر أن معنى ذلك : وجنة عرضها كعرض السموات السبع والأرضين السبع ، إذا ضم بعضها إلى بعض .

* ذكر من قال ذلك :

٧٨٣٠ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وجنة عرضها السموات والأرض » ، قال : قال ابن عباس : تُقرن السموات السبع والأرضون السبع ، كما تُقرن الثياب بعضها إلى بعض ، فذاك عرض الجنة .

* * *

وإنما قيل : « وجنة عرضها السموات والأرض » ، فوصف عرضها بالسموات والأرضين ، والمعنى ما وصفنا : من وصف عرضها بعرض السموات والأرض ،

---

(١) الأثر : ٧٨٢٩ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٥ ، تابع الآثار التى آخرها : ٧٨٢٨ .

(٢) انظر تفسير « سارع » فيما سلف ٧ : ١٣٠

تشبيهاً به فى السعة والعظم ، كما قيل : ﴿ مَا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [سورة لقمان : ٢٨] ، يعنى : إلاّ كبعث نفس واحدة ، وكما قال الشاعر : (١)

كَأَنَّ عَذِيرَهُمْ بِجَنُوبِ سِلَّى نَعَامٌ قَاقَ فِي بَلَدٍ قِفَارِ (٢)

أى : عذيرُ نعام ، وكما قال الآخر : (٣)

حَسِبتَ بُغَامَ رَاحِلَتِي عَنَاقاً ! وَمَا هِي، وَيْبَ غَيْرِكَ، بِالعَنَاقِ (٤)

يريد : صوت عناق .

* * *

قال أبو جعفر : وقد ذكر أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل فقيل له :

---

(١) هو شقيق بن جزء بن رياح الباهلى ، وينسب لأعشى باهلة ، وللنابغة خطأ .

(٢) الكامل ٢ : ١٩٦ ، معجم البلدان (سلى) ، واللسان (فوق) (سلل) ، وكان شقيق بن جزء قد أغار على بنى ضبة بروضة سلى وروضة ساجر ، وهما روضتان لعكل – وضبة وعدى وعكل وتيم حلفاء متجاورون – فهزمهم ، وأفلت عوف بن ضرار ، وحكيم بن قبيصة بن ضرار بعد أن جرح ، وقتلوا عبيدة بن قضيب الضبى ، فقال شقيق :

لَقَدْ قَرَّتْ بِهِمْ عَيْنِي بِسِلَّى وَرَوْضَةِ سَاجِرٍ ذَاتِ القَرَارِ
جَزَيْتُ المُلْجِئِينَ بِمَا أَزَلَّتْ مِنَ البُؤْسَى رِمَاحُ بنى ضِرَارِ
وَأَفْلَتَ من أَسِنَّتِنَا حَكِيمٌ جَرِيضاً مِثْلَ إِفْلَاتِ الحِمَارِ
كَأَنَّ عَذِيرَهُمْ . . . . . .

وفى المعجم « ذات العرار » ، والصواب ما أثبت . والقرار : المكان المنخفض المطمئن يستقر فيه الماء ، فتكون عندها الرياض ، ومنه قوله تعالى : « وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين » . والملجئ الذى قد تحصن بملجأ واعتصم . وأزل إليه زلة : أى أنعم إليه واصطنع عنده صنيعة ، وإنما أراد : ما قدم من السوء ، سخرية منهم . يقول : جزيتهم هؤلاء المعتصمين بأسوأ ما صنعوا . وقوله : « جريضاً » ، أى أفلت وقد كاد يقضى ويهلك . والعذير : الحال . يقول كأن حالهم حال نعام فى أرض قفر يصوت مذعوراً ، هزموا وتصايحوا . والقفار جمع قفر ، يقال : « أرض قفر وأرض قفار » ، يوصف بالجمع .

(٣) هو ذو الخرق الطهوى .

(٤) سلف تخريجه وشرحه فى ٣ : ١٠٣ .

هذه الجنة عرضها السموات والأرض ، فأين النار ؟ فقال : هذا النهار إذا جاء ، أين الليل .

* ذكر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره .

٧٨٣١ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني مسلم بن خالد ، عن ابن خثيم ، عن سعيد بن أبي راشد ، عن يعلى بن مرة قال : لقيت التنوخيّ رسول هرقل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمص ، شيخاً كبيراً قد فُنِّد.(١) قال : قدمتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب هرقل ، فناول الصحيفة رجلا عن يساره . قال قلت : من صاحبكم الذي يقرأ ؟ قالوا : معاوية . فإذا كتاب صاحبي : « إنك كتبت تدعوني إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، (٢) فأين النار ؟» فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سبحان الله ! فأين الليل إذا جاء النهار ؟(٣)

---

(١) في المطبوعة : « قد أقعد » . وهو خطأ لاشك فيه ، وفي تفسير ابن كثير ٢ : ٢٤٠ « قد فسد » ، وهو خطأ أيضاً ، ولكنه رجح عندي أن نص الطبري هنا قد « فند» (بضم الفاء وتشديد النون المكسورة مبنياً للمجهول) بمعنى : قد نسب إلى الفند (بفتحتين) وهو العجز ، والخرف وإنكار العقل من الهرم والمرض ، ولم يرد ذلك إنما أراد الكبر والهرم إلى أقصى العمر . وأهل اللغة يقولون في ذلك « أفند » (بالبناء للمعلوم) ، وأفنده الكبر : إذا أوقعه في الفند ، وأما رواية أحمد في المسند ، فنصها : « شيخاً كبيراً قد بلغ الفند أو قرب » .

(٢) في المطبوعة : « فإذا هو أنك كتبت تدعوني » ، وهو محاولة تصحيح لما في المخطوطة ، وكان فيها : « فإذا كان كتبت تدعوني » ، والصواب الذي أثبته من ابن كثير في تفسيره ٢ : ٢٤١ ، ومثله في خبر أحمد في مسنده .

(٣) الحديث : ٧٨٣١ – «مسلم بن خالد» : هو الزنجي المكي الفقيه ، شيخ الإمام الشافعي . وهو في نفسه صدوق ، ولكنه يخطىء كثيراً في روايته ، حتى قال البخاري : « منكر الحديث » ولذلك رجحنا تضعيفه في المسند : ٦١٣ .

ابن خثيم – بضم الخاء المعجمة ثم فتح الثاء المثلثة : هو عبد الله بن عثمان بن خثيم ، مضت ترجمته في : ٤٣٤١ .

سعيد بن أبي راشد : في التهذيب ٤ : ٢٦ ويقال : ابن راشد . روى عن يعلى بن مرة الثقفي ، وعن التنوخي النصراني رسول قيصر ، ويقال : رسول هرقل . وعنه عبد الله بن عثمان بن خثيم . ذكره ابن حبان في الثقات ، قلت : وفي الرواة سعيد بن أبي راشد ، أو ابن راشد – آخر » .

٧٨٣٢ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ،

ثم نقل طابع التهذيب هامشة عن الأصل الذى يطبع عنه . وجعل رقمها عند قوله « النصرانى » – وهذا نصها : « قال شيخنا : أسلم متأخراً ، عن هذا يقال له أبو محمد المازنى ، السماك ، مذكور فى كتاب الضعفاء . نبهت عليه » ! !

وهذا تخطيط عجيب من الطابع . فالهامشة أصلها هامشتان يقيناً ، كل منهما فى موضع ، كما هو بديهى .

فإن قوله : «أسلم متأخراً » هو المناسب لقوله « النصرانى » . وأما ما بعده ، فإنه يريد به أن « سعيد ابن راشد » أو « ابن أبى راشد » متأخر عن المترجم الذى يروى عن رسول قيصر ، وأن هذا المتأخر هو الذى كنيته « أبو محمد المازنى السماك » . وهو مترجم فى الكبير للبخارى ٤٣١/١/٢ ، وقال فيه : « منكر الحديث » . وترجمه ابن أبى حاتم ١٩/١/٤ – ٢٠ برقم : ٨٠ ، وترجم قبله ، برقم : ٧٩ « سعيد بن أبى راشد » وأنه صحابى ، وترجم بعدهما برقم : ٨١ « سعيد بن راشد المرادى » – وهو متأخر عن هذين .

وترجم الحافظ فى الإصابة ٣ : ٩٦ للصحابى ، ثم قال فى آخر الترجمة : « وأما سعيد بن أبى راشد شيخ عبد الله بن عثمان بن خثيم ، روى عنه عن رسول قيصر حديثاً = فأظنه غير هذا » .

وترجم الذهبى فى الميزان ١ : ٣٧٩ ثلاث تراجم ، فرق بينها ، وبين ضعف « سعيد بن راشد المازنى السماك » . وكذلك صنع الحافظ فى لسان الميزان ٣ : ٢٧ – ٢٨

و « سعيد بن راشد السماك » الضعيف : ترجمه ابن حبان فى المجروحين ، برقم : ٣٩٨ ، وأساء القول فيه .

والراجح عندى أن « سعيد بن أبى راشد » الذى هنا = هو الصحابى . وأنه روى هذا عن التنوخى رسول هرقل .

يعلى بن مرة : هو الثقفى الصحابى المعروف . وعندى أن ذكره فى هذا الإسناد مقحم خطأ ، كما سيأتى .

التنوخى رسول هرقل : لم أجد له ترجمة ، إلا ذكره بهذا الوصف وأنه روى عنه سعيد بن أبى راشد ، كما ذكره الحافظ فى التعجيل ، ص : ٥٣٥ . وإلا الكلمة التى نقلها طابع التهذيب عن هامش أصله بأنه أسلم متأخراً . فهو بهذا لا يعتبر من الصحابة ، لأنه حين لقى النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن مسلماً ، وإنما أسلم بعده . ولا يعتبر من الصحابة إلا من رأى النبى صلى الله عليه وسلم وكان مسلماً حين الرؤية . أما من رآه وكان كافراً حين الرؤية ثم أسلم بعد موته صلى الله عليه وسلم – كالتنوخى هذا – فلا صحبة له. انظر تدريب الراوى ، ص : ٢٠٢ .

ولكن روايته تكون صحيحة مقبولة ، لأنه كان مسلماً حين الأداء ، أعنى التبليغ والتحديث ، وإن كان كافراً حين التحمل ، أعنى الرؤية وسماع ما يرويه . وانظر أيضاً تدريب الراوى ، ص : ١٢٨ .

وهذا الحديث طرف من حديث طويل فى قصة ، رواه الإمام أحمد فى المسند : ١٥٧١٩ (ج ٣ ص ٤٤١ – ٤٤٢ حلبى) ، عن إسحق بن عيسى – وهو الطباع – عن يحيى بن سليم ، وهو الطائفى ، « عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن سعيد بن أبى راشد ، قال : رأيت التنوخى رسول هرقل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بحمص ، وكان جاراً لى ، شيخاً كبيراً ، قد بلغ الفند أو قرب . . . » – إلى آخر القصة .

حدثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب : أنّ ناساً من اليهود سألوا عمر بن الخطاب عن « جنة عرضها السموات والأرض » ، أين النار ؟ قال : أرأيتم إذا جاء الليل ، أين يكون النهار؟ فقالوا : اللهم نَزَعْتَ بمثله من التوراة ! [1]

٧٨٣٣ – حدثني محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب : أن عمر أتاه ثلاثة نفر من أهل نجران ، فسألوه وعنده أصحابه فقالوا : أرأيت قوله: « وجنة عرضها السموات والأرض » ، فأين النار؟ فأحجم الناس، فقال عمر : أرأيتم إذا جاء الليل ، أين يكون النهار؟ وإذا جاء النهار، أين يكون الليل ؟ فقالوا : نزعت مثلها من التوراة .

٧٨٣٤ – حدثنا ابن المثنى قال،حدثنا محمد بن جعفر قال ، أخبرنا شعبة ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن طارق بن شهاب ، عن عمر بنحوه، في الثلاثة الرّهط الذين أتوا عمر فسألوه : عن جنة عرضها كعرض السموات والأرض ، بمثل حديث قيس بن مسلم .

وقد نقله الحافظ ابن كثير في التاريخ ٥ : ١٥ – ١٦ ، عن المسند – بطوله – وبإسناده ، ثم قال : « هذا حديث غريب ، وإسناده لا بأس به . تفرد به أحمد » .

وأشار إليه في التفسير ٢ : ٢٤٠ ، إشارة موجزة .

وقد وقع في نسختي المسند – المطبوعة والمخطوطة : « يحيى بن سليمان » ، بدل « يحيى بن سليم » . وهو خطأ من الناسخين . وثبت على الصواب في تاريخ ابن كثير .

فهذه رواية يحيى بن سليم الطائفي عن ابن خثيم – فيها أن سعيد بن أبي راشد هو الذي لقّى التنوخي وسمع منه هذا الحديث .

ويحيى بن سليم : سبق توثيقه في : ٤٨٩٤ . وقد تكلم فيه بعضهم من قبل حفظه ، ومهما يقل في حفظه فلا نشك أنه كان أحفظ من مسلم بن خالد الزنجي الضعيف ، وخاصة في حديث ابن خثيم ، فقد شهد أحمد ليحيى بن سليم بأنه « كان قد أتقن حديث ابن خثيم » .

فمن ذلك قطعنا بأن زيادة « عن يعلى بن مرة » – في إسناد الطبري هذا – خطأ ووهم . والراجح أن الخطأ من مسلم بن خالد .

ورواية الطبري – هذه – ذكرها ابن كثير في التفسير ٢ : ٢٤٠ – ٢٤١ ، والسيوطي ٢ : ٧١ ، ولم ينسبها لغيره .

(١) في المطبوعة : « مثله من التوراة » ، وفي المخطوطة « فثله » ، وصواب قراءتها ما أثبت . يقال : « انتزع معنى جيداً ونزعه » ، أي استخرجه واستنبطه .

٧٨٣٥ – حدثنا مجاهد بن موسى قال، حدثنا جعفر بن عون قال ، أخبرنا الأعمش ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب قال : جاء رجل من اليهود إلى عمر فقال : تقولون: « جنة عرضها السموات والأرض »، أين تكون النار؟ فقال له عمر : أرأيت النهار إذا جاء أين يكون الليل ؟ أرأيت الليل إذا جاء ، أين يكون النهار؟ فقال : إنه لمثلها فى التوراة ، فقال له صاحبه: لم أخبرته ؟ فقال له صاحبه: دعه ، إنه بكلٍّ موقنٌ .

٧٨٣٦ – حدثنى أحمد بن حازم قال ، أخبرنا أبو نعيم قال، حدثنا جعفر بن برقان قال ، حدثنا يزيد بن الأصم : أن رجلا من أهل الكتاب أتى ابن عباس فقال : تقولون : « جنة عرضها السموات والأرض »، فأين النار ؟ فقال ابن عباس : أرأيت الليل إذا جاء ، أين يكون النهار ؟ وإذا جاء النهار ، أين يكون الليل ؟ (١)

* * *

---

(١) الحديث : ٧٨٣٦ – جعفر بن برقان – بضم الباء الموحدة وسكون الراء – الكلابى الجزرى : ثقة صدوق ، وثقه ابن معين ، وابن نمير ، وغيرهما .

يزيد بن الأصم بن عبيد البكائى: تابعى ثقة ، أمه برزة بنت الحارث، أخت ميمونة أم المؤمنين . وعبد الله بن عباس هو ابن خالته .

ووقع فى المطبوعة هنا « يزيد الأصم » ، وهو خطأ . «الأصم » لقب أبيه ، وليس لقبه .

وهذا الحديث رواه يزيد بن الأصم عن ابن خالته ابن عباس ، موقوفاً عليه من كلامه . والإسناد إليه صحيح .

وقد رواه أيضاً يزيد ، عن أبى هريرة، مرفوعاً ، قال : « جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال : يا محمد ، أرأيت جنة عرضها السموات والأرض ، فأين النار ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أرأيت هذا الليل قد كان ثم ليس شىء ، أين جعل ؟ قال : الله أعلم ، قال : فإن الله يفعل ما يشاء » . رواه ابن حبان فى صحيحه ، رقم : ١٠٣ بتحقيقنا ، والحاكم فى المستدرك ١ : ٣٦ – من حديث يزيد ابن الأصم عن أبى هريرة . وقال الحاكم : « حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ، ولا أعلم له علة » ، ووافقه الذهبى .

وكذلك رواه البزار من حديثه . نقله عنه ابن كثير ٢ : ٢٤١ ، بنحوه .

وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٦ : ٣٢٧ ، وقال : « رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح » .

وذكره السيوطى ٢ : ٧١ ، ونسبه للبزار والحاكم فقط .

وأما الموقوف على ابن عباس ، فقد نقله ابن كثير ٢ : ٢٤١ ، عن هذا الموضع من الطبرى . وذكره السيوطى ٢ : ٧١ ، ونسبه إليه وإلى عبد بن حميد .

قال أبو جعفر : وأما قوله : « أعدت للمتقين » فإنه يعني : أنّ الجنة التي عرضها كعرض السموات والأرضين السبع ، أعدها الله للمتقين ، الذين اتقوا الله فأطاعوه فيما أمرهم ونهاهم ، فلم يتعدوا حدوده ، ولم يقصّروا في واجب حقه عليهم فيضيّعوه ، كما : — /٤

٧٨٣٧ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين »، أي : داراً لمن أطاعني وأطاع رسولي . (١)

* * *

القول في تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٣٤)

قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بقوله : « الذين ينفقون في السراء والضراء »، أعدت الجنة التي عرضها السموات والأرض للمتقين ، وهم المنفقون أموالهم في سبيل الله ، إما في صرفه على محتاج، وإما في تقوية مُضعِف على النهوض لجهاده في سبيل الله . (٢)

* * *

وأما في قوله: « في السراء »، فإنه يعني : في حال السرور، بكثرة المال ورخاء العيش .

* * *

(١) الأثر : ٧٨٣٧ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٥ ، وهو من تمام الآثار التي آخرها : ٧٨٢٩ . وكان في المطبوعة : « أي ذلك لمن أطاعني » ، وهو إن كان مستقيما على وجه ، إلا أن نص ابن هشام أشد استقامة على منهاج المعنى في الآية ، فأثبت نص ابن هشام . هذا مع قرب التصحيف في « داراً » إلى « ذلك » . فمن أجل هذا رجحت ما في سيرة ابن هشام .

(٢) في المطبوعة : « للجهاد » ، بلامين، وأثبت ما في المخطوطة . والمضعف : الذي قد ضعفت دابته .

« والسراء » مصدر من قولهم : « سرني هذا الأمر مسرّة وسروراً »

* * *

« والضراء » مصدر من قولهم : « قد ضُرّ فلان فهو يُضَرّ »، إذا أصابه الضُّر ، وذلك إذا أصابه الضيق ، والجهد في عيشه . (١)

* * *

٧٨٣٨ — حدثنا محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « الذين ينفقون في السراء والضراء » ، يقول : في العسر واليسر .

* * *

فأخبر جل ثناؤه أن الجنة التي وصف صفتها ، لمن اتقاه وأنفق ماله في حال الرخاء والسعة ، (٢) وفي حال الضيق والشدة، في سبيله .

* * *

وقوله : « والكاظمين الغيظ » ، يعني : والجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه .

* * *

يقال منه : « كظم فلان غيظه » ، إذ تجرّعه ، فحفظ نفسه من أن تمضي ما هي قادرةٌ على إمضائه ، باستمكانها ممن غاظها ، وانتصارها ممن ظلمها .

وأصل ذلك من « كظم القربة »، يقال منه : « كظمتُ القربة»، إذا ملأتها ماء . و «فلان كظيمٌ ومكظومٌ »، إذا كان ممتلئاً غمًّا وحزناً . ومنه قول الله عز وجل : ﴿ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [سورة يوسف ٨٤]، يعني : ممتلئٌ من الحزن . ومنه قيل لمجاري المياه : « الكظائم »، لامتلائها بالماء . ومنه قيل : «أخذت بكَظَمِه » يعني : بمجاري نفسه .

* * *

---

(١) انظر تفسير « الضراء » فيما سلف ٣ : ٣٥٠ — ٣٥٢ .

(٢) في المخطوطة : « في حال الرضا » ، وكأنها صواب أيضاً .

و« الغيظ » مصدر من قول القائل : « غاظني فلان فهو يغيظني غيظاً » ، وذلك إذا أحفظه وأغضبه .

* * *

وأما قوله : « والعافين عن الناس » ، فإنه يعني : والصافحين عن الناس عقوبةَ ذنوبهم إليهم وهم على الانتقام منهم قادرون ، فتاركوها لهم .

* * *

وأما قوله : « والله يحب المحسنين » ، فإنه يعني : فإن الله يحب من عمل بهذه الأمور التي وصف أنه أعدَّ للعاملين بها الجنة التي عرضُها السموات والأرض ، والعاملون بها هم « المحسنون » ، وإحسانهم ، هو عملهم بها ، كما : —

٧٨٣٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « الذين ينفقون في السراء والضراء » الآية ، « والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » ، أي : وذلك الإحسان ، وأنا أحب من عمل به . (١)

٧٨٤٠ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » ، قوم أنفقوا في العسر واليسر ، والجهد والرخاء ، فمن استطاع أن يغلب الشر بالخير فليفعل ، ولا قوة إلا بالله . فنِعْمت ، والله يا ابن آدم ، الجرعة تجترعها من صبر وأنت مغيظ ، وأنت مظلومٌ .

٧٨٤١ — حدثني موسى بن عبد الرحمن قال ، حدثنا محمد بن بشر قال ، حدثنا محرز أبو رجاء ، عن الحسن قال : يقال يوم القيامة : ليقم من كان له على الله أجر . فما يقوم إلا إنسان عفا ، ثم قرأ هذه الآية : « والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » . (٢)

---

(١) الأثر : ٧٨٣٩ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٥ وهو من تمام الآثار التي آخرها : ٧٨٣٧ .

(٢) الأثر : ٧٨٤١ — « موسى بن عبد الرحمن المسروق » سلفت ترجمته برقم : ٣٣٤٥ و « محمد بن بشر بن الفرافصة العبدي » مضت ترجمته أيضاً برقم : ٤٥٥٧ . و « محرز » « أبو رجاء » هو « محرز بن عبد الله الجزري » ، مولى هشام بن عبد الملك . ذكره ابن حبان في الثقات وقال : « كان يدلس عن مكحول » .

٧٨٤٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا داود بن قيس ، عن زيد بن أسلم ، عن رجل من أهل الشام يقال له عبد الجليل ، عن عم له ، عن أبي هريرة في قوله : « والكاظمين الغيظ » : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من كظم غيظاً وهو يقدر على إنفاذه ، ملأه الله أمناً وإيماناً . (١)

٧٨٤٣ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: « والكاظمين الغيظ » إلى « والله يحب المحسنين » ، فـ « الكاظمين الغيظ » كقوله : ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾

---

(١) الحديث : ٧٨٤٢ – داود بن قيس الفراء : سبق توثيقه في : ٥٣٩٨ .

زيد بن أسلم : تابعي ثقة معروف ، مضى في ٥٤٦٥ .

وأما عبد الجليل ، الذي ذكر غير منسوب ، إلا بأنه من أهل الشام – : فإنه مجهول . وعمه أشد جهالة منه .

وقد ذكره الذهبي في الميزان ، والحافظ في اللسان ، في ترجمة « عبد الجليل » ، وقالا : « قال البخاري : لا يتابع عليه » .

وترجمه ابن أبي حاتم ٣/١/٣٣ ، وقال : « روى عنه داود بن قيس . وقال بعضهم : عن داود ابن قيس ، عن زيد بن أسلم » . أي كمثل رواية الطبري هنا .

وهذا الإسناد ضعيف ، لجهالة اثنين من رواته .

وقد نقله ابن كثير ٢ : ٢٤٤ ، عن عبد الرزاق ، به .

ونقله السيوطي ٢ : ٧١ – ٧٢ ، ونسبه لعبد الرزاق ، والطبري وابن المنذر .

وذكره في الجامع الصغير : ٨٩٩٧ ، ونسبه لابن أبي الدنيا في ذم الغضب ؛ ولم ينسبه لغيره ، فكان عجباً ! !

وفي معناه حديثان ، رواهما أبو داود : ٤٧٧٧ ، عن سهل بن معاذ بن أنس ، عن أبيه . و : ٤٧٧٨ ، عن سويد بن وهب ، عن رجل من أبناء الصحابة ، عن أبيه .

وقد روى أحمد في المسند : ٦١١٤ ، عن علي بن عاصم ، عن يونس بن عبيد ، أخبرنا الحسن ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله من جرعة غيظ ، يكظمها ابتغاء وجه الله تعالى » .

وهذا إسناد صحيح .

ونقله ابن كثير ٢ : ٢٤٤ ، من تفسير ابن مردويه . من طريق علي بن عاصم ، عن يونس بن عبيد ، به . ثم قال : « رواه ابن جرير . وكذا رواه ابن ماجة ، عن بشر بن عمر ، عن حماد بن سلمة ، عن يونس بن عبيد ، به » .

فنسبه ابن كثير – في هذا الموضع – لرواية الطبري . ولم يقع إلينا فيه في هذا الموضع . فلا ندري : أرواه ابن جرير في موضع آخر ، أم سقط هنا سهواً من الناسخين ؟ فلذلك أثبتناه في الشرح احتياطاً .

[سورة الشورى : ٣٧] ، يغضبون فى الأمر لو وقعوا به كان حراماً، فيغفرون ويعفون، يلتمسون بذلك وجه الله = « والعافين عن الناس » كقوله : ﴿ولاَ يَأْتَلِ أُولُو الفَضْلِ مِنْكُمْ والسَّعَةِ﴾ إلى ﴿أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ﴾ [سورة النور : ٢٢] ، يقول: لا تقسموا على أن لا تعطوهم من النفقة شيئاً ، واعفوا واصفحوا . ٦٣/٤

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١٣٥)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « والذين إذا فعلوا فاحشة »، أن الجنة التى وصف صفتها أعدت للمتقين ، المنفقين فى السراء والضراء ، والذين إذا فعلوا فاحشة . وجميع هذه النعوت من صفة « المتقين » ، الذين قال تعالى ذكره: « وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » ، كما : —

٧٨٤٤ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا جعفر ابن سليمان، عن ثابت البنانى قال : سمعت الحسن قرأ هذه الآية : « الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » ، ثم قرأ : « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم » إلى « أجر العاملين » ، فقال : إن هذين النعتين لنعت رجل واحد .

٧٨٤٥ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد : « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم »، قال : هذان ذنبان، « الفاحشة »، ذنب، « وظلموا أنفسهم » ذنب .

* * *

أما « الفاحشة » ، فهى صفة لمتروك ، ومعنى الكلام : والذين إذا فعلوا فعلة فاحشة .

* * *

ومعنى « الفاحشة »، الفعلة القبيحة الخارجة عما أذِن الله عز وجل فيه . وأصل « الفحش » : القبح ، والخروج عن الحد والمقدار فى كل شىء . ومنه قيل للطويل المفرط الطول : « إنه لفاحش الطول » ، يراد به : قبيح الطول، خارج عن المقدار المستحسن . ومنه قيل للكلام القبيح غير القصد : « كلام فاحش » ، وقيل للمتكلم به : « أفحش فى كلامه » ، إذا نطق بفُحش . (١)

* * *

وقيل : إن « الفاحشة » فى هذا الموضع ، معنىٌّ بها الزنا .

* ذكر من قال ذلك :

٧٨٤٦ — حدثنا العباس بن عبد العظيم قال ، حدثنا حبان قال ، حدثنا حماد ، عن ثابت ، عن جابر : « والذين إذا فعلوا فاحشة »، قال : زنى القوم وربّ الكعبة .

٧٨٤٧ — حدثنا محمد قال، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « والذين إذا فعلوا فاحشة » ، أما « الفاحشة »، فالزنا .

* * *

وقوله : « أو ظلموا أنفسهم » ، يعنى به : فعلوا بأنفسهم غير الذى كان ينبغى لهم أن يفعلوا بها . والذى فعلوا من ذلك، ركوبهم من معصية الله ما أوجبوا لها به عقوبته ، كما : —

٧٨٤٨ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان عن منصور ، عن إبراهيم قوله : « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم » ، قال : الظلم من الفاحشة ، والفاحشة من الظلم .

* * *

---

(١) انظر تفسير « الفحشاء » فيما سلف ٣ : ٣٠٣/٤ : ٥٧١ .

وقوله : « ذكروا الله »، يعنى بذلك : ذكروا وعيد الله على ما أتوا من معصيتهم إياه = « فاستغفروا لذنوبهم »، يقول : فسألوا ربهم أن يستُر عليهم ذنوبهم بصفحه لهم عن العقوبة عليها = « ومن يغفر الذنوب إلا الله »، يقول : وهل يغفر الذنوب — أى يعفو عن راكبها فيسترها عليه — إلاّ الله = « ولم يصروا على ما فعلوا»، يقول : ولم يقيموا على ذنوبهم التى أتوها ، ومعصيتهم التى ركبوها = « وهم يعلمون »، يقول : لم يقيموا على ذنوبهم عامدين للمقام عليها ، وهم يعلمون أنّ الله قد تقدم بالنهى عنها ، وأوعد عليها العقوبةَ من ركبها .

* * *

وذكر أن هذه الآية أنزلت خصوصاً بتخفيفها ويسرها أُمَّتَنا،(١) مما كانت بنو إسرائيل ممتحنة به من عظيم البلاء فى ذنوبها .

٧٨٤٩ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء بن أبى رباح : أنهم قالوا : يا نبى الله، بنو إسرائيل أكرم على الله منا ! كانوا إذا أذنب أحدهم أصبحت كفارة ذنبه مكتوبة فى عتبة بابه : « اجدع أذنك »، « اجدع أنفك » ، « افعل » ! فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزلت : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » إلى قوله : « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبركم بخير من ذلك » ؟ فقرأ هؤلاء الآيات .

٧٨٥٠ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى عمر بن أبى خليفة العبدى قال ، حدثنا على بن زيد بن جدعان قال : قال ابن مسعود : كانت

---

(١) فى المطبوعة : « أمنا » ، مكان « أمتنا » ، أخطأ الناشر الأول قراءتها ، لأنها غير منقوطة فى المخطوطة ، وقوله : « أمتنا » منصوب ، مفعول به لقوله : « خصوصاً » . أى : قد خص الله بتخفيفها ويسرها أمتنا .

بنو إسرائيل إذا أذنبوا أصبح مكتوباً على بابه الذنب وكفارته ، فأعطينا خيراً من ذلك ، هذه الآية . (١)

٦٣/٤ ٧٨٥١ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا جعفر بن سليمان ، عن ثابت البنانى قال : لما نزلت : « ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه » ، بكى إبليس فزعاً من هذه الآية .

٧٨٥٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا جعفر بن سليمان عن ثابت البنانى قال : بلغنى أن إبليس حين نزلت هذه الآية : « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم » ، بكى .

٧٨٥٣ – حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة قال ، سمعت عثمان مولى آل أبى عقيل الثقفى قال : سمعت على بن ربيعة يحدِّث ، عن رجل من فزارة يقال له أسماء – و : ابن أسماء – ، عن على قال : كنت إذا سمعتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً نفعنى الله بما شاء أن ينفعنى [منه] ، فحدثنى أبو بكر – وصدق أبو بكر – عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ما من عبد – قال شعبة : وأحسبه قال : مسلم – يذنب ذنباً ، ثم يتوضأ ، ثم يصلى ركعتين ، ثم يستغفر الله لذلك الذنب [إلاّ غفر له] = وقال شعبة : وقرأ إحدى هاتين الآيتين : ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ ﴿ والَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ . (٢)

---

(١) الأثر : ٧٨٥٠ – « عمر بن أبى خليفة العبدى » ، واسم « أبى خليفة » : « حجاج بن عتاب » ، ثقة مات سنة ١٨٩ ، مترجم فى التهذيب ، وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « عمر بن خليفة » وهو خطأ .

(٢) الحديث : ٧٨٥٣ – عثمان مولى آل أبى عقيل الثقفى : هو عثمان بن المغيرة مولى ثقيف . وسيأتى باسم أبيه فى الحديث التالى لهذا . وهو ثقة ، وثقه أحمد ، وابن معين وغيرهما .

على بن ربيعة بن نضلة الوالبى الأسدى : تابعى ثقة ، روى له الشيخان وأصحاب السنن .

أسماء أو ابن أسماء ؛ هكذا شك فيه شعبة . وغيره لم يشك فيه . وهو أسماء بن الحكم الفزارى ، كما سيأتى فى الإسناد التالى لهذا . وهو تابعى ثقة ، وثقه العجلى وغيره . وترجمه ابن أبى حاتم ١/١/٣٢٥ ، فلم يذكر فيه جرحاً .

٧٨٥٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي= وحدثنا الفضل بن إسحق قال، حدثنا وكيع= عن مسعر وسفيان، عن عثمان بن المغيرة الثقفي، عن علي بن ربيعة الوالبي، عن أسماء بن الحكم الفزاري، عن علي بن أبي طالب قال: كنت إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً نفعني الله بما شاء منه، وإذا حدثني عنه غيره استحلفته، فإذا حلف لي صدّقته. وحدثني أبو بكر، وصدق أبو بكر، أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من رجل يذنب ذنباً، ثم يتوضأ، ثم يصلي= قال أحدهما: ركعتين، وقال الآخر: ثم يصلي= ويستغفر الله، إلا غفر له.(١)

وترجمه البخاري في الكبير ١/٢/٥٥، وأشار إلى روايته هذا الحديث، ثم قال: «ولم يتابع عليه. وقد روى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعضهم عن بعض، فلم يحلف بعضهم بعضاً». وهذا لا يقدح في صحة الحديث، كما قال الحافظ المزي.

والحديث رواه الطيالسي، عن شعبة، بهذا الإسناد. وهو أول حديث في مسنده المطبوع.

ورواه أحمد في المسند، برقم: ٤٨، عن محمد بن جعفر، عن شعبة، به.

ورواه أيضاً، برقم: ٤٧، عن عبد الرحمن بن مهدي، عن شعبة.

ورواه أيضاً، برقم: ٥٦، عن أبي كامل، عن أبي عوانة، عن عثمان بن أبي زرعة، عن علي ابن ربيعة. و «عثمان بن أبي زرعة»: هو عثمان بن المغيرة الثقفي.

وكذلك رواه الترمذي ١: ٣١٣ – ٣١٤ (رقم: ٤٠٦ بشرحنا). عن قتيبة، عن أبي عوانة. وكذلك رواه أيضاً في كتاب التفسير ٤: ٨٤، بهذا الإسناد.

وقال في الموضع الأول: «حديث علي حديث حسن، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، من حديث عثمان بن المغيرة. وروى عنه شعبة وغير واحد، فرفعوه مثل حديث أبي عوانة. ورواه سفيان الثوري ومسعر فأوقفاه، ولم يرفعاه إلى النبي صلى الله عليه وسلم»! وقال نحو ذلك في الموضع الثاني.

كأنه يريد تعليل المرفوع بالموقوف. وما هي بعلة.

ولكنه وهم – رحمه الله – وهماً شديداً فيما نسب إلى مسعر وسفيان. وها هي ذي روايتهما عقب هذه الرواية، مرفوعة أيضاً. ولعل له عذراً أن تكون روايتهما وقعت له موقوفة.

(١) الحديث: ٧٨٥٤ – هو تكرار الحديث السابق، ولكنه مختصر قليلا.

والفضل بن إسحق – شيخ الطبري: لم أعرف من هو؟ ولم أجد له ترجمة. ولعله محرف عن اسم آخر.

والحديث من هذا الوجه رواه أحمد في المسند، برقم: ٢، عن وكيع، عن مسعر وسفيان، بهذا الإسناد، مرفوعاً أيضاً. فهو يرد على الترمذي ادعاءه أن سفيان ومسعراً رويا موقوفاً.

وقد نقله ابن كثير ٢: ٢٤٦، عن رواية المسند هذه. ثم قال: «وهكذا رواه علي بن المديني،

٧٨٥٥ – حدثنا الزبير بن بكار قال، حدثني سعد بن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أخيه، عن جده، عن علي بن أبي طالب أنه قال: ما حدثني أحدٌ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا سألته أن يقسم لي بالله لَهُوَ سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا أبا بكر، فإنه كان لا يكذب. قال علي رضي الله عنه: فحدثني أبو بكر أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما من عبد يذنب ذنباً، ثم يقوم عند ذكر ذنبه فيتوضأ، ثم يصلي ركعتين، ويستغفر الله من ذنبه ذلك، إلا غفره الله له.(١)

* * *

وأما قوله: «ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم»، فإنه كما بينا تأويله.

وبنحو ذلك كان أهل التأويل يقولون:

٧٨٥٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثنا ابن إسحق: «والذين إذا فعلوا فاحشة»، أي: إن أتوا فاحشة = «أو ظلموا أنفسهم» بمعصية،

والحميدي، وأبو بكر بن أبي شيبة، وأهل السنن، وابن حبان في صحيحه، والبزار، والدارقطني – من طرق، عن عثمان بن المغيرة، به».

وذكره السيوطي ٢ : ٧٧، وزاد نسبته لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في الشعب.

وذكره المنذري في الترغيب والترهيب ١ : ٢٤١، مختصراً، ونسبه لبعض من ذكرنا، ثم قال: «وذكره ابن خزيمة في صحيحه بغير إسناد، وذكر فيه الركعتين».

(١) الحديث: ٧٨٥٥ – وهذا إسناد ثالث للحديث السابق. ولكنه إسناد ضعيف جداً.

الزبير بن بكار – شيخ الطبري: ثقة ثبت عالم بالنسب، عارف بأخبار المتقدمين. وهو ابن أخي المصعب بن عبد الله الزبيري، صاحب كتاب «نسب قريش».

سعيد بن سعيد بن أبي سعيد المقبري: قال أبو حاتم – فيما روى عنه ابنه ٢/١/٨٥ : «هو في نفسه مستقيم، وبليته أنه يحدث عن أخيه عبد الله بن سعيد، وعبد الله بن سعيد ضعيف الحديث، ولا يحدث عن غيره. فلا أدري، منه أو من أخيه؟».

وأخوه: هو عبد الله بن سعيد المقبري، وهو ضعيف جداً، رمي بالكذب.

والإسنادان السابقان كافيان كل الكفاية لصحة الحديث، دون هذا الإسناد الواهي.

ذكروا نهى الله عنها ، وما حرّم الله عليهم ، فاستغفروا لها ، وعرفوا أنه لا يغفر الذنوبَ إلا هو . (١)

* * *

وأما قوله : « ومن يغفر الذنوب إلا الله » ، فإن اسم « الله » مرفوع ولا جحد قبله ، وإنما يرفع ما بعد « إلا » بإتباعه ما قبله إذا كان نكرة ومعه جحد ، كقول القائل : « ما فى الدار أحدٌ إلا أخوك » . (٢) فأما إذا قيل : « قام القوم إلاّ أباك » ، فإن وجه الكلام فى « الأب » النصب . و « مَنْ » بصلته فى قوله : « ومن يغفر الذنوب إلاّ الله » ، معرفة . فإن ذلك إنما جاء رفعاً ، لأن معنى الكلام : وهل يغفر الذنوب أحدٌ = أو : ما يغفر الذنوب أحدٌ إلاّ الله . فرفع ما بعد « إلا » من [اسم] الله ، (٣) على تأويل الكلام لا على لفظه .

* * *

وأما قوله : « ولم يصرُّوا على ما فعلوا وهم يعلمون » ؛ فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويل « الإصرار » ، ومعنى هذه الكلمة .

فقال بعضهم : معنى ذلك : لم يثبتوا على ما أتوا من الذنوب ولم يقيموا عليه ، ولكنهم تابوا واستغفروا ، كما وصفهم الله به .

* ذكر من قال ذلك :

٧٨٥٧ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولم يصرُّوا على ما فعلوا وهم يعلمون » ، فإياكم والإصرار ، فإنما هلك المصرُّون ، الماضون قُدُماً ، لا تنهاهم مخافة الله عن حرام حرّمه الله عليهم ، ولا يتوبون من ذنب أصابوه ، حتى أتاهم الموتُ وهم على ذلك . ٤

---

(١) الأثر : ٧٨٥٦ — ابن هشام ٣ : ١١٥ ، ١١٦ — وهو تتمة الآثار التى آخرها رقم : ٧٨٣٩ .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٣٤ .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « ما بعد إلا من الله » ، والصواب زيادة ما بين القوسين .

٧٨٥٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » ؟ قال : قُدُماً قُدُماً فى معاصى الله ! ! لا تنهاهم مخافة الله ، حتى جاءهم أمر الله .

٧٨٥٩ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » ، أى : لم يقيموا على معصيتى ، كفعل من أشرك بى ، فيما عملوا به من كفرٍ بى .(١)

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : لم يواقعوا الذنب إذا همُّوا به .

* ذكر من قال ذلك :

٧٨٦٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال : أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الحسن فى قوله : « ولم يصروا على ما فعلوا » ، قال : إتيان العبد ذنباً إصرارٌ ، حتى يتوب .

٧٨٦١ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله عز وجل: « ولم يصروا على ما فعلوا »، قال : لم يواقعوا .(٢)

* * *

وقال آخرون : معنى « الإصرار »، السكوت على الذنب وترك الاستغفار .

* ذكر من قال ذلك :

٧٨٦٢ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » ، أما « يصروا» فيسكتوا ولا يستغفروا .

* * *

---

(١) الأثر : ٧٨٥٩ – سيرة ابن هشام ٣ : ١١٦ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها: ٧٨٥٦ .

(٢) فى المخطوطة : « قال : لم يصروا » ، لم يفعل غير إعادة لفظ الآية ، والذى فى المطبوعة أشبه بالصواب ، كما سترى فى ترجيح أبى جعفر بعد .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب عندنا ، قول من قال : « الإصرار » ، الإقامة على الذنب عامداً ، وترك التوبة منه .(١) ولا معنى لقول من قال : « الإصرار على الذنب هو مواقعته » ، لأن الله عز وجل مدح بترك الإصرار على الذنب مُواقع الذنب ، فقال : « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفرُ الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » ، ولو كان المواقع الذنب مصرًّا بمواقعته إياه ، لم يكن للاستغفار وجهٌ مفهوم . لأن الاستغفار من الذنب إنما هو التوبة منه والندم ، ولا يعرف للاستغفار من ذنب لم يواقعه صاحبه ، وجهٌ .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما أصرَّ من استغفر ، وإن عاد فى اليوم سبعين مرة » .

٧٨٦٣ — حدثنى بذلك الحسين بن يزيد السبيعى قال ، حدثنا عبد الحميد الحمانى ، عن عثمان بن واقد ، عن أبى نصيرة ، عن مولى لأبى بكر ، عن أبى بكر ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .(٢)

* * *

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « أو ترك التوبة » ، ولا معنى لوضع « أو » هنا والصواب ما أثبت .

(٢) الحديث : ٧٨٦٣ — الحسين بن يزيد السبيعى ؛ مضى الكلام فى : ٢٨٩٢ بالشك فى نسبته « السبيعى » . ولكن هكذا ثبتت هذه النسبة مرة أخرى فى هذا الموضع . فلعله شيخ للطبرى لم تصل إلينا معرفته .

عبد الحميد الحمانى — بكسر الحاء وتشديد الميم : هو عبد الحميد بن عبد الرحمن الحمانى الكوفى ، وهو ثقة ، وثقه ابن معين ، وأخرج له الشيخان .

عثمان بن واقد بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر : ثقة ، وثقه ابن معين . وقال أحمد : « لا أرى به بأساً » .

أبو نصيرة — بضم النون وفتح الصاد المهملة — الواسطى : اسمه مسلم بن عبيد . وهو تابعى ثقة .

والحديث ذكره ابن كثير ٢ : ٢٤٨ ، من رواية أبى يعلى ، من طريق عبد الحميد الحمانى ، بهذا الإسناد ، ووقع فيه تحريف فى كنية « أبى نصيرة » واسمه ونسبته . وهو خطأ مطبعى فيما أرجح .

وقال ابن كثير — بعد ذكره : « ورواه أبو داود ، والترمذى ، والبزار فى مسنده ، من حديث عثمان بن واقد ، وقد وثقه يحيى بن معين — به . وشيخه أبو نصيرة الواسطى ، واسمه مسلم بن عبيد ، وثقه الإمام أحمد ، وابن حبان . وقول على بن المدينى والترمذى : ليس إسناد هذا الحديث بذاك — فالظاهر أنه

= فلو كان مواقع الذنب مصرًّا ، لم يكن لقوله : « ما أصرَّ من استغفر ، وإن عاد فى اليوم سبعين مرة » ، معنى . لأن مواقعةَ الذنب إذا كانت هى الإصرار ، فلا يزيل الاسمَ الذى لزمه معنى غيره ، كما لا يزيل عن الزانى اسم « زان » وعن القاتل اسم « قاتل » ، توبته منه ، ولا معنى غيرها . وقد أبانَ هذا الخبر أن المستغفر من ذنبه غير مصرٍّ عليه ، فمعلوم بذلك أن « الإصرار » غير المواقعة ، وأنه المقام عليه ، على ما قلنا قبل .

* * *

واختلف أهل التأويل ، فى تأويل قوله : « وهم يعلمون » .

فقال بعضهم : معناه : وهم يعلمون أنهم قد أذنبوا .

* ذكر من قال ذلك :

٧٨٦٤ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أما « وهم يعلمون » ، فيعلمون أنهم قد أذنبوا ، ثم أقاموا فلم يستغفروا .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : وهم يعلمون أن الذى أتوا معصية لله . (١)

* ذكر من قال ذلك :

٧٨٦٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وهم يعلمون » ، قال : يعلمون ما حرمت عليهم من عبادة غيرى . (٢)

* * *

قال أبو جعفر : وقد تقدم بياننا أولى ذلك بالصواب .

* * *

لأجل جهالة مولى أبى بكر . ولكن جهالة مثله لا تضر ، لأنه تابعى كبير ، ويكفيه نسبته إلى أبى بكر ، فهو حديث حسن » .

وذكره السيوطى ٢ : ٧٨ ، وزاد نسبته لعبد بن حميد ، وابن أبى حاتم ، والبيهقى فى الشعب .

(١) فى المخطوطة : « معصية الله » ، والصواب ما أثبت .

(٢) الأثر : ٧٨٦٥ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٦ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٧٨٥٩ . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « بما حرمت عليهم » ، وأثبت ما فى ابن هشام ، فهو الصواب .

القول فى تأويل قوله ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾ (١٣٦)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « أولئك » ، الذين ذكر أنه أعد لهم الجنة التى عرضها السموات والأرض ، من المتقين ، ووصفهم بما وصفهم به . ثم قال : هؤلاء الذين هذه صفتهم = « جزاؤهم » ، يعنى : ثوابهم من أعمالهم التى وصفهم تعالى ذكره أنهم عملوها[1] = « مغفرة من ربهم » ، يقول : عفوٌ لهم من الله عن عقوبتهم على ما سلف من ذنوبهم ، ولهم على ما أطاعوا الله فيه من أعمالهم بالحسن منها = « جنات » ، وهى البساتين[2] = « تجرى من تحتها الأنهار » ، يقول : تجرى خلال أشجارها الأنهار وفى أسافلها ، جزاء لهم على صالح أعمالهم[3] = « خالدين فيها » يعنى : دائمى المقام فى هذه الجنات التى وصفها = « ونعم أجر العاملين » ، يعنى : ونعم جزاء العاملين لله ، الجناتُ التى وصفها ، كما : — ٥/٤

٧٨٦٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين » ، أى ثواب المطيعين .[4]

* * *

(١) انظر تفسير : « الجزاء » فيما سلف ٢ : ٢٧ ، ٢٨ ، ٦/٣١٤ : ٥٧٦

(٢) انظر تفسير : « الجنات » فيما سلف ١ : ٥/٣٨٤ : ٥٣٥ ، ٥٤٢ .

(٣) انظر تفسير : « تجرى من تحتها الأنهار » فيما سلف ٥ : ٥٤٢ .

(٤) الأثر : ٧٨٦٦ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٦ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٧٨٦٥

القول فى تأويل قوله ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (١٣٧)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله تعالى ذكره : « قد خلت من قبلكم سنن » ، مضت وسلفت منى فيمن كان قبلكم ،(١) يا معشر أصحاب محمد وأهل الإيمان به ، من نحو قوم عاد وثمود وقوم هود وقوم لوط ، وغيرهم من سُلاَّف الأمم قبلكم(٢) = « سنن » يعنى : مثُلات سيرَ بها فيهم وفيمن كذَّبوا به من أنبيائهم الذين أرسلوا إليهم ، بإمهالى أهلَ التكذيب بهم ، واستدراجى إياهم ، حتى بلغ الكتاب فيهم أجله الذى أجَّلته لإدالة أنبيائهم وأهل الإيمان بهم عليهم ، ثم أحللت بهم عقوبتى ، وأنزلتُ بساحتهم نِقَمى ،(٣) فتركتهم لمن بعدهم أمثالا وعبراً = « فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كانَ عاقبة المكذبين » ، يقول : فسيروا — أيها الظانّون ، أنّ إدالتى مَنْ أدلت من أهل الشرك يوم أحُد على محمد وأصحابه ، لغير استدراج منى لمن أشرك بى ، وكفرَ برسلى ، وخالف أمرى — فى ديار الأمم الذين كانوا قبلكم ، ممن كان على مثل الذى عليه هؤلاء المكذبون برسولى والجاحدون وحدانيتى ، فانظروا كيف كان عاقبة تكذيبهم أنبيائى ، وما الذى آل إليه غِبُّ خلافهم أمرى ،(٤) وإنكارهم وحدانيتى ، فتعلموا عند ذلك أنّ إدالتى من أدلت من المشركين على نبيى محمد وأصحابه بأحد ، إنما هى استدراج وإمهال ليبلغ الكتاب أجله الذى أجلت لهم .

---

(١) انظر تفسير « خلا » فيما سلف ٣ : ١٠٠ ، ٤/١٢٨ : ٢٨٩ .

(٢) « سلاف » على وزن « جهال » جمع « سلف » ، وجمعه أيضاً « أسلاف » ، والسلاف : المتقدمون من الآباء الذين مضوا .

(٣) فى المطبوعة : « نقمتى » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٤) فى المطبوعة : « عن خلافهم أمرى » ، وهى فى المخطوطة « عب » غير منقوطة ، فلم يحسن الناشر قراءتها ، وغب الأمر : عاقبته وآخرته .

ثم إما أن يؤول حالهم إلى مثل ما آل إليه حال الأمم الذين سلفوا قبلهم : من تعجيل العقوبة عليهم ، أو ينيبوا إلى طاعتى واتباع رسولى .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

• ذكر من قال ذلك :

٧٨٦٧ — حدثنا محمد بن سنان قال، حدثنا أبو بكر قال ، حدثنا عباد ، عن الحسن فى قوله : « قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين » ، فقال : ألم تسيروا فى الأرض فتنظروا كيف عذب الله قوم نوح وقوم لوط وقومَ صالح ، والأممَ التى عذَّب الله عز وجل ؟

٧٨٦٨ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « قد خلت من قبلكم سنن » ، يقول : فى الكفار والمؤمنين ، والخير والشرّ .

٧٨٦٩ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد: « قد خلت من قبلكم سنن » ، فى المؤمنين والكفار .

٧٨٧٠ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : استقبل ذكر المصيبة التى نزلت بهم = يعنى بالمسلمين يوم أحد = والبلاء الذى أصابهم ، والتمحيص لما كان فيهم ، واتخاذه الشهداء منهم ، فقال تعزية لهم وتعريفاً لهم فيما صنعوا ، وما هو صانع بهم : « قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين » ، أى: قد مضت منى وقائع نقمة فى أهل التكذيب لرسلى والشرك بى :[1] عادٍ وثمودَ وقوم لوط وأصحاب مدين ، فسيروا فى الأرض تروْا مثُلات قد مضت فيهم ، ولمن كان على مثل ما هم عليه من ذلك

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « والشرك فى عاد وثمود . . . » ، وهو خطأ جداً ، والصواب ما أثبته من سيرة ابن هشام .

منى ،(١) وإن أمْليْتُ لهم ،(٢) أى : لئلا تظنوا أنّ نقمتى انقطعت عن عدوكم وعدوى ،(٣) للدوْلة التى أدلتها عليكم بها، لأبتليكم بذلك،(٤) لأعلم ما عندكم.(٥)

٧٨٧١ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين »، يقول : متّعهم فى الدنيا قليلا ، ثم صيرّهم إلى النار .

* * *

قال أبو جعفر : وأما « السنن» فإنها جمع « سُنَّة » ، « والسُّنَّة » ، هى المثالُ المتبع ، والإمام المؤتمُّ به . يقال منه : « سنّ فلان فينا سُنة حسنة، وسنّ سُنة سيئة » ، إذا عمل عملاً اتبع عليه من خير وشر ، ومنه قول لبيد بن ربيعة :

مِنْ مَعْشَرٍ سَنَّتْ لَهُمْ آباؤُهُمْ، وَلِكلِّ قَوْمٍ سُنَّةٌ وَإِمامُهَا(٦)

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « ما هم عليه مثل ذلك منى » ، والصواب من ابن هشام .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « إن أمكنت لهم » ، والصواب من ابن هشام . والإملاء : الإمهال والاستدراج .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « عن عدوهم وعدوى » ، والصواب من ابن هشام ، وهو مقتضى سياق الضمائر فى عبارته .

(٤) الإدالة الغلبة . يقال : « أديل لنا على عدونا » ، أى نصرنا عليهم، و« أدلنى على فلان » ، أى : انصرنى عليه . والدولة (بضم الدال ، وبفتحها وسكون الواو) : الانتقال من حال إلى حال فى الحرب وغيرها . وانظر ما سيأتى فى تفسير ذلك بعد قليل ص : ٢٣٩

(٥) الأثر : ٧٨٧٠ – سيرة ابن هشام ٣ : ١١٦ ، وهو من تمام الآثار التى آخرها : ٧٨٦٦.

(٦) من معلقته البارعة ، يذكر قومه وفضلهم ، والبيت متعلق بقوله قبل :

إنّا إذَا التَقَتِ المَجَامِعُ ، لم يَزَلْ مِنَّا لِزَازُ عَظِيمَةٍ جَشَّامُهَا
وَمُقَسِّمٌ يُعْطِى العَشِيرَةَ حَقَّهَا ، ومُغَذْمِرٌ لِحُقُوقِهَا هَضَّامُهَا
فَضْلًا، وَذُو كَرَمٍ يُعِينُ عَلَى النَّدَى، سَمْحٌ كَسُوبُ رَغَائِبٍ غَنَّامُهَا
مِنْ مَعْشَرٍ . . . . . .

يقول : هذه العادة سنة وطريقة قد توارثناها ، ولكل سنة إمام قد تقدم الناس فيها فاتبعوه ، فنحن أهل الفضل القديم الذى ابتدعته أوائلنا للناس .

وقولُ سليمان بن قَتَّة : (١) ٤/٠٦

وَإِنَّ الأُلَى بالطَّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ تَآسَوْا، فَسَنُّوا لِلْكِرَامِ التَّآسِيَا(٢)

* * *

وقال ابن زيد فى ذلك ما : —

٧٨٧٢ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « قد خلت من قبلكم سنن » ، قال : أمثالٌ

* * *

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٨)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى أشير إليه بـ « هذا » .

فقال بعضهم : عنى بقوله : « هذا » ، القرآنَ .

* ذكر من قال ذلك :

٧٨٧٣ — حدثنا محمد بن سنان قال، حدثنا أبو بكر الحنفى قال ، حدثنا

---

(١) فى المطبوعة : « سليمان بن قنة » ، وهو تصحيف وقع فى كتب كثيرة ، و « قتة » أمه ، وهو مولى لتيم قريش . وهو من التابعين ، روى عن أبى سعيد الخدرى ، وابن عمر وابن عباس ، وعمرو ابن العاص ، ومعاوية . ترجم له البخارى فى الكبير ٢/٢/٣٣ ، وابن أبى حاتم ٢/١/١٣٦ . وزعم بعضهم أنه « سليمان بن حبيب المحاربى » ، وهو خطأ ، بل هما رجلان ، هذا محاربى ، وهذا تيمى . وهو أحد الشعراء الفرسان ، وهو القائل :

وَقَدْ يَحْرِمُ اللهُ الفَتَى وَهْوَ عَاقِلٌ وَيُعْطِى الفَتَى مَالاً وَلَيْسَ له عَقْلُ

وهو من أول من سن رثاء أهل البيت ، وله فى رثائهم شعر كثير .

(٢) تاريخ الطبرى ٧ : ١٨٤ ، وأنساب الأشراف ٥ : ٣٣٩ ، وأمالى الشجرى ١ : ١٣١ ، واللسان (أسى) ، وغيرها . وهذا البيت ، أنشده مصعب بن الزبير قبل مقتله ، فعلم الناس أن لا يريم حتى يقتل . و « الطف » : أرض من ضاحية الكوفة فى طريق البرية، فيها كان مقتل الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما . وقوله : « تآسوا » ، صار بعضهم أسوة لبعض فى الصبر على المصير إلى الموت بلا رهبة ولا فرق .

عباد ، عن الحسن فى قوله : « هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين » ، قال : هذا القرآن .

٧٨٧٤ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « هذا بيان للناس » ، وهو هذا القرآن، جعله الله بياناً للناس عامة، وهدى وموعظة للمتقين خصوصاً .

٧٨٧٥ — حدثنا المثنى قال،حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال فى قوله : « هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين » ، خاصةً .

٧٨٧٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، حدثنا ابن المبارك ، عن ابن جريج فى قوله : « هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين » ، خاصةً .

* * *

وقال آخرون : إنما أشير بقوله : « هذا » ، إلى قوله : « قد خلت من قبلكم سُنن فسيروا فى الأرض فانظرُوا كيف كان عاقبة المكذبين » ، ثم قال : هذا الذى عرَّفتكم ، يا معشر أصحاب محمد ، بيان للناس .

* ذكر من قال ذلك :

٧٨٧٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق بذلك .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب ، قولُ من قال : قوله : « هذا » ، إشارةٌ إلى ما تقدم هذه الآية من تذكير الله جل ثناؤه المؤمنين ، وتعريفهم حدوده، وحضِّهم على لزوم طاعته والصبر على جهاد أعدائه وأعدائهم . لأن قوله : « هذا » ، إشارة إلى حاضر : إما مرئىّ وإما مسموع ، وهو فى هذا الموضع إلى حاضر مسموع من الآيات المتقدمة .

فمعنى الكلام : هذا الذى أوضحتُ لكم وعرفتكموه ، بيانٌ للناس = يعنى بـ « البيان » ، الشرح والتفسير ، كما : —

٧٨٧٨ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، « هذا بيان للناس » ، أى : هذا تفسير للناس إن قبلوه .(١)

٧٨٧٩ – حدثنا أحمد بن حازم والمثنى قالا ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن بيان، عن الشعبي : « هذا بيان للناس » ، قال : من العَمى .

٧٨٨٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن الشعبي مثله .

* * *

وأما قوله : « وهدى وموعظة » ، فإنه يعنى بـ « الهدى » ، الدلالةَ على سبيل الحق ومنهج الدين =و بـ «الموعظة » ، التذكرة للصواب والرشاد،(٢) كما : –

٧٨٨١ – حدثنا أحمد بن حازم والمثنى قالا، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن بيان ،عن الشعبي : « وهدى» ، قال : من الضلالة = « وموعظة »، من الجهل .

٧٨٨٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن بيان ، عن الشعبي مثله .

٧٨٨٣ – حدثنا ابن حميد قال،حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « للمتقين » ، أى : لمن أطاعنى وعرَف أمرى .(٣)

* * *

---

(١) الأثر : ٧٨٧٨ – سيرة ابن هشام ٣ : ١١٦، وهو تتمة الآثار التى آخرها رقم : ٧٨٧٠ .

(٢) انظر تفسير : « الهدى » فيما سلف ، من فهارس اللغة – وتفسير « الموعظة » ، فيما سلف ٢ : ٦/١٨٠ : ١٤ .

(٣) الأثر : ٧٨٨٣ – سيرة ابن هشام ٣ : ١١٦، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٧٨٧٨ ، والظاهر أنه قد سقط من نص ابن إسحق ، ما أثبته ابن هشام فى تفسير هذه الآية ، وهو قوله قبل الذى رواه أبو جعفر : أى : « نور وأدب للمتقين » . أما ما رواه أبو جعفر فهو تفسير قوله : « للمتقين » ، وهو فى هذا الموضع يفسر « الهدى » ، و « الموعظة » .

القول فى تأويل قوله ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (١٣٩)

قال أبو جعفر : وهذا من الله تعالى ذكره تعزيةٌ لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما أصابهم من الجراح والقتل بأحد .

قال : « ولا تهنوا ولا تحزنوا » ، يا أصحاب محمد ، يعنى : ولا تضعفوا بالذى نالكم من عدوكم بأحد، من القتل والقروح — عن جهاد عدوكم وحربهم .

* * *

= من قول القائل : « وهنَ فلان فى هذا الأمر فهو يهِنُ وَهْناً » .

* * *

= « ولا تحزنوا » ، ولا تأسوْا فتجزعوا على ما أصابكم من المصيبة يومئذ ، فإنكم « أنتم الأعلون »، يعنى : الظاهرُون عليهم ، ولكم العُقبَى فى الظفر والنُّصرة عليهم = « إن كنتم مؤمنين » ، يقول : إن كنتم مصدِّقى نبيى محمد صلى الله عليه وسلم فيما يَعدكم ، وفيما ينبئكم من الخبر عما يؤول إليه أمركم وأمرهم ، كما : —

٧٨٨٤ — حدثنا المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال، أخبرنا ابن المبارك، عن يونس ، عن الزهرى قال : كثر فى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم القتلُ والجراح، حتى خلص إلى كل امرئ منهم البأسُ، فأنزل الله عز وجل القرآن، فآسَى فيه المؤمنين بأحسن ما آسى به قوماً من المسلمين كانوا قبلهم من الأمم الماضية ، ٦٧/٤
فقال : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » إلى قوله: « لبرز الذين كُتب عليهم القتلُ إلى مضاجعهم » .

٧٨٨٥ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » ، يعزّى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كما تسمعون ، ويحثهم على قتال عدوهم ، وينهاهم عن العجز والوَهن فى طلب عدوهم فى سبيل الله .

٧٨٨٦ – حدثني محمد بن سنان قال، حدثنا أبو بكر الحنفي قال ، حدثنا عباد ، عن الحسن في قوله : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » ، قال : يأمر محمداً ، يقول : « ولا تهنوا » ، أن تمضوا في سبيل الله . (١)

٧٨٨٧ – حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : « ولا تهنوا » ، ولا تضعفوا .

٧٨٨٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٧٨٨٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : « ولا تهنوا ولا تحزنوا » ، يقول : ولا تضعفوا .

٧٨٩٠ – حدثني القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « ولا تهنوا » ، قال ابن جريج : ولا تضعفوا في أمر عدوكم = « ولا تحزنوا وأنتم الأعلون » ، قال : انهزم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشِّعب، فقالوا : ما فعل فلان ؟ ما فعل فلان ؟ فنعى بعضهم بعضاً، وتحدَّثوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل، فكانوا في همّ وحزَن . فبينما هم كذلك ، إذ علا خالد بن الوليد الجبلَ بخيل المشركين فوقهم ،وهم أسفلُ في الشِّعب . فلما رأوا النبيّ صلى الله عليه وسلم فرحوا ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم لا قوة لنا إلاّ بك ، وليس يعبدك بهذه البلدة غير هؤلاء النفر » ! قال : وثاب نفرٌ من المسلمين رُماة ، فصعدوا فرموا خيل المشركين حتى هزمهم الله ، وعلا المسلمون الجبلَ . فذلك قوله : « وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين» .

٧٨٩١ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ولا تهنوا » ، أي : لا تضعفوا = « ولا تحزنوا » ، ولا تأسوْا على ما أصابكم (٢) = « وأنتم الأعلون»،

---

(١) في المخطوطة : « وأن تمضوا » ، بزيادة « واو » ، والذي في المطبوعة أظهر .

(٢) في سيرة ابن هشام : « ولا تيئسوا » .

أى : لكم تكون العاقبة والظهور = « إن كنتم مؤمنين » إن كنتم صدقتم نبيى بما جاءكم به عنى .(١)

٧٨٩٢ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : أقبل خالد بن الوليد يريد أن يعلو عليهم الجبل ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « اللهم لا يعلُون علينا » . فأنزل الله عز وجل : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ﴾

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة أهل الحجاز والمدينة والبصرة : ﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ القَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُه ﴾ ، كلاهما بفتح « القاف » ، بمعنى : إن يمسسكم القتل والجراح ، يا معشر أصحاب محمد ، فقد مس القوم من أعدائكم من المشركين قرح = قتلٌ وجراح = مثله .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفة : ﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قُرْحٌ فَقَدْ مَسَّ القَوْمَ قُرْحٌ مِثْلُه ﴾ [كلاهما بضم القاف] .(٢)

* * *

---

(١) الأثر : ٧٨٩١ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٦ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٧٨٧٨ .

(٢) ما بين القوسين زيادة استظهرتها من سياق كلامه . هذا ، وظاهر من ترجيح أبى جعفر بعد ، أن فى الكلام سقطاً من الناسخ ، وذلك تفسير « القرح » بضم القاف ، ولعله كان قد ذكر هنا ما قاله الفراء فى معانى القرآن ١ : ٢٣٤ وذلك قوله :

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ: « إن يمسسكم قَرح فقد مس القوم قَرْح مثله » ، بفتح « القاف » فى الحرفين ، لإجماع أهل التأويل على أن معناه : القتل والجراح . فذلك يدل على أن القراءة هى الفتح .

وكان بعض أهل العربية يزعُمُ أن « القَرح » و « القُرح » لغتان بمعنى واحد . والمعروف عند أهل العلم بكلام العرب ما قلنا . (١)

* * *

* ذكر من قال : إنّ « القَرح » ، الجراح والقتل .

٧٨٩٣ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « إن يمسسكم قَرح فقد مس القوم قرحٌ مثله » ، قال : جراحٌ وقتلٌ .

٧٨٩٤ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله . ٨/٤

٧٨٩٥ — حدثنى محمد بن سنان قال، حدثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد ، عن الحسن فى قوله : « إن يمسسكم قرحٌ فقد مس القوم قرح مثله » ، قال : إن يقتلوا منكم يوم أحد ، فقد قتلتم منهم يوم بدر .

٧٨٩٦ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله » ، والقرح الجراحة ، وذاكم يوم أحد، فشا فى أصحاب نبىّ الله صلى الله عليه وسلم يومئذ القتل والجراحة ، فأخبرهم الله عز وجل أن القوم قد أصابهم من ذلك مثلُ الذى أصابكم ، وأن الذى أصابكم عقوبة .

« وقد قرأ أصحابُ عبد الله « قُرْح » وكأنّ القُرْح : ألم الجراحات ، وكأن القَرْحَ الجراحاتُ بأعيانِها »

(١) انظر التعليق السالف ، فنص قوله هنا دال على خرم فى نص الطبرى

٧٨٩٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : « إن يمسسكم قرحٌ فقد مس القوم قرح مثله » ، قال: ذلك يوم أحد ، فشا في المسلمين الجراح ، وفشا فيهم القتل ، فذلك قوله : « إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله » ، يقول : إن كان أصابكم قرح فقد أصاب عدوّكم مثله = يعزّي أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ويحثّهم على القتال.

٧٨٩٨ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله » ، والقرح هي الجراحات .

٧٨٩٩ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « إن يمسسكم قرح » أي : جراح = « فقد مس القوم قرح مثله » ، أي: جراح مثلها . (١)

٧٩٠٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا حفص بن عمر قال ، حدثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : نام المسلمون وبهم الكلوم = يعني يوم أحد = قال عكرمة : وفيهم أنزلت : «إن يمسسكم قرحٌ فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس»، وفيهم أنزلت ﴿ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لاَ يَرْجُونَ ﴾ [سورة النساء: ١٠٤] .

* * *

وأما تأويل قوله: « إن يمسسكم قرحٌ »، فإنه : إن يصبكم ، (٢) كما: –

٧٩٠١ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه، عن ابن عباس : « إن يمسسكم »، إن يصبكم .

* * *

---

(١) الأثر : ٧٨٩٩ – سيرة ابن هشام ٣ : ١١٦ ، وهو تتمة الآثار التي آخرها: ٧٨٩١ .

(٢) انظر تفسير : « المس » فيما سلف ٢ : ٥/٢٧٤ : ٧/١١٨ : ١٥٥

القول فى تأويل قوله ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره [بقوله] [1] : « وتلك الأيام نداولها بين الناس » ، أيام بدر وأحُد .

* * *

ويعنى بقوله : « نداولها بين الناس » ، نجعلها دُوَلاً بين الناس مصرَّفة . = ويعنى بـ « الناس » ، المسلمين والمشركين . وذلك أن الله عز وجل أدال المسلمين من المشركين ببدر ، فقتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين . وأدال المشركين من المسلمين بأحُد ، فقتلوا منهم سبعين ، سوى من جرحوا منهم .

* * *

يقال منه : « أدال الله فلاناً من فلان ، فهو يُديله منه إدالة » ، إذا ظفر به فانتصر منه مما كان نال منه المُدَال منه .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٧٩٠٢ — حدثنى محمد بن سنان قال ، حدثنا أبو بكر الحنفى ، عن عباد ، عن الحسن : « وتلك الأيام نداولها بين الناس » ، قال جعل الله الأيام دولا ، أدال الكفار يوم أحُد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٧٩٠٣ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وتلك الأيام نداولها بين الناس » ، إنه والله لولا الدُّوَل ما أوذى المؤمنون ، ولكن قد يُدال للكافر من المؤمن ، ويبتلى المؤمن بالكافر ، ليعلم الله من يطيعه ممن يعصيه ، ويعلم الصادقَ من الكاذب .

٧٩٠٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « وتلك الأيام نداولها بين الناس » ، فأظهر الله عز وجل

---

(١) ما بين القوسين زيادة يقتضيها سياق تفسيره .

نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه على المشركين يوم بدر ، وأظهر عليهم عدوّهم يوم أحُد . وقد يدال الكافر من المؤمن ، ويبتلى المؤمن بالكافر ، ليعلم الله من يطيعه ممن يعصيه ، ويعلم الصادق من الكاذب . وأما من ابتلى منهم = من المسلمين = يوم أحد ، فكان عقوبة بمعصيتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٧٩٠٥ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وتلك الأيام نداولها بين الناس » ، يوماً لكم ويوماً عليكم .

٧٩٠٦ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال ابن عباس : « نداولها بين الناس » ، قال : أدال المشركين على النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد .

٧٩٠٧ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنا أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وتلك الأيام نداولها بين الناس » ، فإنه كان يوم أحُد بيوم بدر ، قُتل المؤمنون يومَ أحد ، اتخذ الله منهم شهداء ، وغلب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر المشركين ، فجعل له الدولة عليهم . ٦٩/٤

٧٩٠٨ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا حفص بن عمر قال ، حدثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما كان قتال أحد وأصاب المسلمين ما أصابَ ، صعد النبي صلى الله عليه وسلم الجبل ، فجاء أبو سفيان فقال : يا محمد ! يا محمد ! ألا تخرج ؟ ألا تخرج ؟ الحربُ سجال : يوم لنا ويوم لكم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : أجيبوه ، فقالوا : لا سواء ، لا سواء ، قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار ! فقال أبو سفيان : لنا عُزَّى ولا عُزَّى لكم ! فقال رَسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم . فقال أبو سفيان : اعْلُ هُبَل ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قولوا : الله أعلى وأجل ! فقال أبو سفيان : موعدكم وموعدنا بدرٌ الصغرى = قال عكرمة : وفيهم أنزلت : « وتلك الأيام نداولها بين الناس » .

٧٩٠٩ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، حدثنا ابن المبارك ،

عن ابن جريج ، عن ابن عباس فى قوله : « وتلك الأيام نداولها بين الناس » ، فإنه أدال على النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد .

٧٩١٠ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وتلك الأيام نداولها بين الناس » ، أى نصرّفها للناس ، للبلاء والتمحيص .(١)

٧٩١١ – حدثنى إبراهيم بن عبد الله قال ، أخبرنا عبد الله بن عبد الوهاب الحجبى قال ، حدثنا حماد بن زيد ، عن ابن عون ، عن محمد فى قول الله : « وتلك الأيام نداولها بين الناس » ، قال : يعنى الأمراء .(٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (١٤٠)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء = نداولها بين الناس .

ولو لم يكن فى الكلام « واو » ، لكان قوله : « ليعلم » متصلا بما قباله ، وكان « وتلك الأيام نداولها بين الناس » ، ليعلم الله الذين آمنوا . ولكن لما دخلت « الواو » فيه ، آذنت بأن الكلام متصل بما قبلها ، وأن بعدها خبراً مطلوباً ، واللام التى فى قوله : « وليعلم » ، به متعلقة .(٣)

* * *

(١) الأثر : ٧٩١٠ – سيرة ابن هشام ٣ : ١١٦ ، ١١٧ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٧٨٩٩ .

(٢) الأثر : ٧٩١١ – « إبراهيم بن عبد الله » ، كثير ، والذى نصوا على أن الطبرى روى عنه ، هو : « إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسى ، أبو شيبة بن أبى بكر بن أبى شيبة » توفى سنة ٢٦٥ . مترجم فى التهذيب .

« وعبد الله بن عبد الوهاب الحجبى » ، روى عن مالك وحماد بن زيد . وروى عنه البخارى ، مات سنة ٢٢٨ . مترجم فى التهذيب . و « محمد » هو ابن سيرين .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة « اللام » بغير واو ، والصواب إثباتها . وفى المطبوعة : « متعلقة به » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

فإن قال قائل : وكيف قيل: « وليعلم الله الذين آمنوا » معرفةً ، وأنت لا تستجيز فى الكلام : « قد سألت فعلمتُ عبد الله»، وأنت تريد: علمت شخصه، إلاّ أن تريد : علمت صفته وما هو ؟

قيل : إن ذلك إنما جاز مع « الذين »، لأن فى «الذين» تأويل «مَن» و « أىّ»، وكذلك جائز مثله فى « الألف واللام »، كما قال تعالى ذكره : ﴿ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ ﴾ [سورة العنكبوت : ٣]،(١) لأن فى « الألف واللام » من تأويل « أىّ » و « مَن »، مثل الذى فى « الذى» . ولو جعل مع الاسم المعرفة اسم فيه دلالة على « أىّ »، جاز ، كما يقال: «سألت لأعلم عبد الله مِنْ عمرو »، ويراد بذلك : لأعرف هذا من هذا .(٢)

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام :وليعلم الله الذين آمنوا منكم ، أيها القوم ، من الذين نافقوا منكم ، نداول بين الناس = فاستغنى بقوله : « وليعلم الله الذين آمنوا منكم » ، عن ذكر قوله : « من الذين نافقوا » ، لدلالة الكلام عليه . إذ كان فى قوله : « الذين آمنوا » تأويل « أىّ » على ما وصفنا . فكأنه قيل : وليعلم الله أيكم المؤمن ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ لِنَعْلَمَ أَىُّ الحِزْبَيْنِ أَحْصَى ﴾ [سورة الكهف : ١٢] (٣) غير أن « الألف واللام » ، و «الذى » و « من » إذا وضعت مع العلم موضع « أىّ »، نصبت بوقوع العلم عليه، كما قيل: « وليعلمَنّ الكاذبين»، فأما « أىّ »، فإنها تُرفع .(٤)

* * *

قال أبو جعفر : وأما قوله : « ويتخذ منكم شهداء » ، فإنه يعنى : « وليعلم

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة: « وليعلمن الله » بالواو ، وهو سهو من الناسخ مخالف للتلاوة .

(٢) انظر تفصيل هذا فى معانى القرآن للفراء ١ : ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « ليعلم » بالياء ، وهو سهو من الناسخ مخالف للتلاوة .

(٤) انظر أيضاً معانى القرآن للفراء ١ : ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

الله الذين آمنوا » وليتخذ منكم شهداء ، أى : ليكرم منكم بالشهادة من أراد أن يكرمه بها .

* * *

= « والشهداء » جمع « شهيد » ،[1] كما : —

٧٩١٢ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء » ، أى : ليميِّز بين المؤمنين والمنافقين ، وليكرم من أكرَم من أهل الإيمان بالشهادة .[2]

٧٩١٣ — حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك قراءة على ابن جريج فى قوله : « وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء» ، قال : فإن المسلمين كانوا يسألون ربهم : « ربنا أرنا يوماً كيوم بدر نقاتل فيه المشركين ، ونُبليك فيه خيراً ، ونلتمس فيه الشهادة »! فلقوا المشركين يوم أحد، فاتخذ منهم شهداء .

٧٩١٤ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء » ، فكرَّم الله أولياءه بالشهادة بأيدى عدوِّهم ، ثم تصير حواصل الأمور وعواقبها لأهل طاعة الله . ٧٠/٤

٧٩١٥ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء » ، قال، قال ابن عباس : كانوا يسألون الشهادة، فلقوا المشركين يوم أحد، فاتخذ منهم شهداء .

٧٩١٦ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء »، كان المسلمون يسألون ربهم أن يُريهم يوماً كيوم بدر ، يبلون فيه خيراً، ويرزقون فيه الشهادة ، ويرزقون الجنة والحياة والرزق، فلقوا المشركين

(١) انظر تفسير « الشهداء » فيما سلف ١ : ٣٧٦ — ٣٧٨ / ٣ : ٩٧ ، ٦/١٤٥ : ٧٥ .
(٢) الأثر : ٧٩١٢ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٧ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٧٩١٠ .

يوم أحد ،[١] فاتخذ الله منهم شهداء ، وهم الذين ذكرهم الله عز وجل فقال : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ﴾ الآية ، [سورة البقرة : ١٥٤].

* * *

قال أبو جعفر : وأما قوله : « والله لا يحب الظالمين » ، فإنه يعنى به : الذين ظلموا أنفسهم بمعصيتهم ربهم ، كما : —

٧٩١٧ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « والله لا يحب الظالمين » ، أى : المنافقين الذين يظهرون بألسنتهم الطاعة،وقلوبهم مصرَّة على المعصية .[٢]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (١٤١)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وليمحِّصَ الله الذين آمنوا » ، وليختبرَ الله الذين صدَّقوا الله ورسوله ، فيبتليهم بإدالة المشركين منهم، حتى يتبين المؤمن منهم المخلصَ الصحيحَ الإيمان ، من المنافق ، كما : —

٧٩١٨ — حدثنا محمد بن عمرو قال،حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح،عن مجاهد فى قوله: « وليمحص الله الذين آمنوا »،قال: ليبتلى.[٣]

---

(١) فى المطبوعة : « فلقى المسلمون » ، بدل الناشر ما كان فى المخطوطة : « فلقوا المسلمين » ، أما السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٧٩ ، فحذف « المسلمين » ، وكتب : « فلقوا يوم أحد » لفساد العبارة التى فى مخطوطة الطبرى فيما أستظهر . ولكنى رجحت أن الناسخ الكثير السهو ، سها أيضاً فكتب « المسلمين » مكان « المشركين » ، وأثبت ما رجحت ، لأنه حق الكلام .

(٢) الأثر : ٧٩١٧ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٧ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٧٩١٢ .

(٣) فى المطبوعة : « . . . عن مجاهد مثله فى قوله . . . » ، وزيادة « مثله » فساد ، وليس فى المخطوطة .

٧٩١٩ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٧٩٢٠ – حدثني محمد بن سنان قال، حدثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد ، عن الحسن في قوله : « وليمحص الله الذين آمنوا »، قال : ليمحص الله المؤمن حتى يصدّق .

٧٩٢١ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وليمحص الله الذين آمنوا » ، يقول : يبتلي المؤمنين .

٧٩٢٢ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « وليمحص الله الذين آمنوا »، قال: يبتليهم .

٧٩٢٣ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين »، فكان تمحيصاً للمؤمنين ، ومحقاً للكافرين .

٧٩٢٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، « وليمحص الله الذين آمنوا »، أي: يختبر الذين آمنوا ، حتى يخلّصهم بالبلاء الذي نزل بهم، وكيف صَبْرهم ويقينُهم .(١)

٧٩٢٥ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين »، قال : يمحق من مُحق في الدنيا ، وكان بقية من يمحق في الآخرة في النار .

* * *

وأما قوله : « ويمحق الكافرين »، فإنه يعني به : أنه ينقُصهم ويفنيهم .

* * *

يقال منه : « محقَ فلان هذا الطعام » ، إذا نقصه أو أفناه ، « يمحقه محقاً » ، ومنه قيل لمحاق القمر : « مُحاق » ، وذلك نقصانه وفناؤه ،(٢) كما : –

٧٩٢٦ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن

(١) الأثر : ٧٩٢٤ – سيرة ابن هشام ٣ : ١١٧ ، وهو تتمة الآثار التي آخرها : ٧٩١٧ .
(٢) انظر تفسير « محق » فيما سلف ٦ : ١٥ . و « المحاق » بضم الميم وكسرها .

ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « ويمحق الكافرين » ، قال : ينقصهم .

٧٩٢٧ – حدثني محمد بن سنان قال، حدثنا أبو بكر الحنفي ، عن عباد ، عن الحسن في قوله : « ويمحق الكافرين »، قال: يمحق الكافر حتى يكذّبه .

٧٩٢٨ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق: « ويمحق الكافرين » ، أي : يبطل من المنافقين قولهم بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ، حتى يظهر منهم كفرهم الذي يستترون به منكم .(١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ (١٤٢)

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : « أم حسبتم » ، يا معشر أصحاب محمد ، وظننتم = « أن تدخلوا الجنة » ، وتنالوا كرامة ربكم،وشرف المنازل عنده= « ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم »، يقول : ولما يتبيّن لعبادي المؤمنين المجاهدُ منكم في سبيل الله على ما أمره به . ٧١/٤

* * *

وقد بينت معنى قوله : « ولما يعلم الله »،« وليعلم الله » ، وما أشبه ذلك، بأدلته فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته.(٢)

* * *

وقوله : « ويعلم الصابرين » ، يعني : الصابرين عند البأس على ما ينالهم في ذات الله من جرح وألم ومكروه ، كما : —

---

(١) الأثر : ٧٩٢٨ – سيرة ابن هشام ٣ : ١١٧، وهو تتمة الآثار التي آخرها : ٧٩٢٤ .

(٢) انظر تفسير « لنعلم » فيما سلف ٣ : ١٥٨ – ١٦٢ .

٧٩٢٩ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة » وتصيبوا من ثوابي الكرامة ، ولم أختبركم بالشدة، وأبتليكم بالمكاره، حتى أعلم صِدق ذلك منكم بالإيمان بي، والصبر على ما أصابكم فيّ .[1]

* * *

ونصب « ويعلم الصابرين » ، على الصرف . و « الصرف » ، أن يجتمع فعلان ببعض حروف النسق ، وفي أوله ما لا يحسن إعادته مع حرف النسق ، فينصب الذي بعد حرف العطف على الصرف ، لأنه مصروف عن معنى الأول ، ولكن يكون مع جحد أو استفهام أو نهي في أول الكلام .[2] وذلك كقولهم : « لا يسعني شيء ويضيقَ عنك »، لأن « لا » التي مع « يسعني »، لا يحسن إعادتها مع قوله : « ويضيقَ عنك » ، فلذلك نصب .[3]

والقرأة في هذا الحرف على النصب .

* * *

وقد روي عن الحسن أنه كان يقرأ : ﴿ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ ﴾، فيكسر « الميم » من « يعلم » ، لأنه كان ينوي جزمها على العطف به على قوله : « ولما يعلم الله » .

* * *

---

(١) الأثر : ٧٩٢٩ – سيرة ابن هشام ٣ : ١١٧ ، وهو تتمة الآثار التي آخرها : ٧٩٢٨ . وكان في المطبوعة والمخطوطة : « حتى أعلم أصدق ذلكم الإيمان بي . . . » فرددته إلى الصواب من رواية ابن هشام .

(٢) انظر « الصرف » فيما سلف ١ : ٥٦٩ ، وتعليق : ١/٣ : ٥٥٢ ، تعليق : ١ .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ (١٤٣)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « ولقد كنتم تمنون الموت » ، ولقد كنتم ، يا معشر أصحاب محمد = « تمنون الموت » ، يعنى أسبابَ الموت ، وذلك: القتالُ = « فقد رأيتموه » ، فقد رأيتم ما كنتم تمنونه — و«الهاء» فى قوله : « رأيتموه » عائدة على « الموت » ، والمعنىُّ : [القتال] =(١) « وأنتم تنظرون »، يعنى : قد رأيتموه بمرأى منكم ومنظر ، أى بقرب منكم .

* * *

وكان بعض أهل العربية يزعم أنه قيل: « وأنتم تنظرون »، على وجه التوكيد للكلام ، كما يقال : « رأيته عياناً » و « رأيته بعينى ، وسمعته بأذنى » .

* * *

قال أبو جعفر : وإنما قيل: « ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه »، لأن قوماً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن لم يشهد بدراً ، كانوا يتمنون قبل أحد يوماً مثل يوم بدر ، فيُبْلُوا الله من أنفسهم خيراً ، وينالوا من الأجر مثل ما نال أهل بدر . فلما كان يوم أحد فرّ بعضهم، وصبرَ بعضهم حتى أوفَى بما كان عاهد الله قبل ذلك ، فعاتب الله من فرّ منهم فقال: « ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه »، الآية ، وأثنى على الصابرين منهم والموفين بعهدهم .

* ذكر الأخبار بما ذكرنا من ذلك :

٧٩٣٠ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله: « ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون »، قال : غاب رجال عن بدر، فكانوا

---

(١) فى المطبوعة : « عائدة عل الموت ، ومعنى وأنتم تنظرون »، وهو كلام فاسد . وفى المخطوطة: « عائدة عل الموت ، والمعنى » و بعدها بياض قدر كلمة ، ثم كتب : « وأنتم تنظرون » فوضعت بين القوسين ما استظهرته من كلام أبى جعفر .

يتمنون مثل يوم بدر أن يلقوه ، فيصيبوا من الخير والأجر مثل ما أصابَ أهل بدر. فلما كان يوم أحد ، ولّى من ولّى منهم، فعاتبهم الله = أو: فعابهم ، أو: فعيّبهم = على ذلك .(١) شك أبو عاصم .

٧٩٣١ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد نحوه – إلا أنه قال: « فعاتبهم الله على ذلك » ، ولم يشكّ.

٧٩٣٢ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله: « ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون » ، أناسٌ من المؤمنين لم يشهدوا يوم بدر والذى أعطى الله أهل بدر من الفضل والشرف والأجر ، فكان يتمنون أن يرزقوا قتالاً فيقاتلوا ، فسيق إليهم القتال حتى كان فى ناحية المدينة يوم أحُد ، فقال الله عز وجل كما تسمعون : « ولقد كنتم تمنون الموت » ، حتى بلغ « الشاكرين » .

٧٩٣٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قوله : « ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه » ، قال : كانوا يتمنون أن يلقوا المشركين فيقاتلوهم، فلما لقوهم يوم أحد ولّوا .

٧٩٣٤ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه، عن الربيع قال : إن أناساً من المؤمنين لم يشهدوا يوم بدر والذى أعطاهم الله من الفضل، فكانوا يتمنون أن يروا قتالاً فيقاتلوا ، فسيق إليهم القتال حتى كان بناحية المدينة يوم أحد، فأنزل الله عز وجل : « ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه »، الآية

٧٩٣٥ – حدثني محمد بن بشار قال، حدثنا هوذة قال ، حدثنا عوف، ٧٢/٤

(١) فى المطبوعة : «أوفتيهم» ، وفى المخطوطة « فعيهم » غير منقوطة ، وكأن صواب قراءتها ما أثبت عابه وعيبه : نسبه إلى العيب .

عن الحسن قال : بلغني أن رجالا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون : « لئن لقينا مع النبي صلى الله عليه وسلم لنفعلن ولنفعلن» ، فابتلوا بذلك ، فلا والله ما كلُّهم صَدَق الله ، فأنزل الله عز وجل : « ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون » .

٧٩٣٦ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : كان ناسٌ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لم يشهدوا بدراً ، فلما رأوا فضيلة أهل بدر قالوا : « اللهم إنا نسألك أن ترينا يوماً كيوم بدر نبليك فيه خيراً » ! فرأوا أحداً ، فقال لهم : « ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون » .

٧٩٣٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون » ، أى : لقد كنتم تمنون الشهادة على الذى أنتم عليه من الحق قبل أن تلقوا عدوكم = يعنى الذين استنهضوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على خروجه بهم إلى عدوهم ،[1] لما فاتهم من الحضور فى اليوم الذى كان قبله ببدر ، رغبة فى الشهادة التى قد فاتتهم به . يقول : « فقد رأيتموه وأنتم تنظرون » ، أى : الموتَ بالسيوف فى أيدى الرجال ، قد خلّى بينكم وبينهم ،[2] وأنتم تنظرون إليهم ، فصددتُم عنهم .[3]

* * *

(١) فى المطبوعة : « يعنى الذين حملوا رسول الله . . . » ، غيره الناشر ، وكان فى المخطوطة « اسساصوا » غير منقوطة ، ولولا أن الذى فى سيرة ابن هشام « استنهضوا » ، لقلت إن صواب قراءتها : « استباصوا » بالصاد فى آخره من قولهم : « بصت فلاناً » إذا استعجلته . والبوص (بفتح فسكون) : أن تستعجل إنساناً فى تحميلكه أمراً ، لا تدعه يتمهل فيه . وهذه صفة فعل أصحاب رسول الله الذين لم يشهدوا بدراً ، وأرادوا القتال يوم أحد .

(٢) فى المطبوعة : « قد حل بينكم وبينهم » ، وهى فى المخطوطة غير بينة ، والصواب ما جاء فى سيرة ابن هشام ، وقد أثبته .

(٣) الأثر : ٧٩٣٧ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٧ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٧٩٢٩ . هذا وفى السيرة خطأ بين ، تصحيحه فى رواية الطبرى ، فليراجع . وقد جاء فى السيرة . « ثم صدهم عنكم » مكان « فصددتم عنهم » ، وهما معنيان مختلفان ، ولكنها الرواية ، لا يمكن أن أرجح فيها بغير مرجح ، فكلاهما صواب .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ (١٤٤)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : وما محمد إلا رسول كبعض رسل الله الذين أرسلهم إلى خلقه ، داعياً إلى الله وإلى طاعته ، الذين حين انقضت آجالهم ماتوا وقبضهم الله إليه.[1] يقول جل ثناؤه: فمحمد صلى الله عليه وسلم إنما هو فيما الله به صانعٌ من قبضه إليه عند انقضاء مدة أجله ، كسائر رسله إلى خلقه الذين مضوْا قبله ، [2] وماتوا عند انقضاء مدة آجالهم .

ثم قال لأصحاب محمد، معاتبَهم على ما كان منهم من الهلع والجزع حين قيل لهم بأحُد: « إنّ محمداً قُتل»، ومُقبِّحاً إليهم انصرافَ من انصرفَ منهم عن عدوهم وانهزامه عنهم: أفائنْ مات محمد، أيها القوم، لانقضاء مدة أجله ، أو قتله عدو[3] = « انقلبتم على أعقابكم »، = يعنى : ارتددتم عن دينكم الذى بعث الله محمداً بالدعاء إليه ورجعتم عنه كفاراً بالله بعد الإيمان به، وبعد ما قد وَضَحت لكم صحةُ ما دعاكم محمد إليه، وحقيقةُ ما جاءكم به من عند ربه = « ومن ينقلب على عقبيه »، يعنى بذلك : ومن يرتدد منكم عن دينه ويرجع كافراً بعد إيمانه ، [4]

---

(١) قوله : « الذين حين انقضت آجالهم » ، من صفة « رسل الله » الذين ذكرهم قبل .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « كسائر مدة رسله إلى خلقه » بزيادة « مدة » ، وهى مفسدة للكلام وكأنها سبق قلم من الناسخ ، فلذلك أسقطتها .

(٣) فى المطبوعة : « أو قتله عدوكم » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٤) انظر تفسير « انقلب على عقبيه » فيما سلف ٣ : ١٦٣ .

= « فلن يضر الله شيئاً » يقول: فلن يوهن ذلك عزة الله ولا سلطانه ، ولا يدخل بذلك نقصٌ فى ملكه ،(١) بل نفسه يضر بردّته ، وحظّ نفسه ينقص بكفره = « وسيجزى الله الشاكرين »، يقول : وسيثيب الله من شكره على توفيقه وهدايته إياه لدينه ، بثبوته على ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم إن هو مات أو قتل، واستقامته على منهاجه، وتمسكه بدينه وملته بعده ، كما : —

٧٩٣٨ — حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن هاشم قال، أخبرنا سيف بن عمر ، (٢) عن أبى روق، عن أبى أيوب ، عن على فى قوله : « وسيجزى الله الشاكرين »، الثابتين على دينهم ، أبا بكر وأصحابه . فكان علىّ رضى الله عنه يقول : كان أبو بكر أمين الشاكرين، وأمين أحِباء الله ، وكان أشكرَهم وأحبَّهم إلى الله .

٧٩٣٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن مغيرة، عن العلاء بن بدر قال : إن أبا بكر أمينُ الشاكرين . وتلا هذه الآية : « وسيجزى الله الشاكرين » .(٣)

٧٩٤٠ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « وسيجزى الله الشاكرين » ، أى : من أطاعه وعمل بأمره .(٤)

* * *

وذكر أن هذه الآية أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن انهزم عنه بأحد من أصحابه .

---

(١) فى المطبوعة : « ولا يدخل بذلك » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « سيف بن عمرو » ، وهو خطأ ، والصواب من المخطوطة . وهو : « سيف بن عمر التميمى » صاحب كتاب الردة والفتوح . وقد أكثر أبو جعفر سياق روايته فى تاريخه .

(٣) الأثر : ٧٩٣٩ — « العلاء بن بدر » ، هو : « العلاء بن عبد الله بن بدر الغنوى » ، نسب إلى جده، أرسل عن على . وهو ثقة . مترجم فى التهذيب .

(٤) الأثر : ٧٩٤٠ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٨، وهو من تتمة الآثار التى آخرها : ٧٩٣٧

* ذكر الأخبار الواردة بذلك :

٧٩٤١ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل» إلى قوله: «وسيجزى الله الشاكرين»، ذاكم يوم أحُد، حين أصابهم القَرْح والقتل، ثم تناعَوْا نبي الله صلى الله عليه وسلم تَفِئة ذلك،[1] فقال أناسٌ: «لو كان نبيًّا ما قتل»! وقال أناس من عِلْية أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم: «قاتلوا على ما قاتل عليه محمدٌ نبيكم حتى يفتح الله لكم أو تلحقوا به»! فقال الله عز وجل: «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفائن ماتَ أو قتل انقلبتم على أعقابكم»، يقول: إن مات نبيكم أو قُتل، ارتددتم كفاراً بعد إيمانكم. ٧٣/٤

٧٩٤٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بنحوه = وزاد فيه، قال الربيع: وذكر لنا والله أعلم، أنّ رجلا من المهاجرين مرّ على رجل من الأنصار وهو يتشحّط في دمه،[2] فقال: يا فلان، أشعرت أنّ محمداً قد قتل؟[3] فقال الأنصاري: إن كان محمد قد قتل، فقد بلّغ، فقاتلوا عن دينكم. فأنزل الله عز وجل: «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم»، يقول: ارتددتم كفاراً بعد إيمانكم.

---

(١) في المطبوعة: «ثم تنازعوا نبي الله صلى الله عليه وسلم بقية ذلك»، وهو كلام أهدر معناه. وأما السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٨٠ فقد خفي عليه صواب الكلام، فجعله: «ثم تداعوا نبي الله قالوا قد قتل»، ولعلها رواية الربيع، كما نسبها إليه. أما المخطوطة فإن فيها «تناعوا»، و «نعمه ذلك» غير منقوطة. وصواب قراءتها ما أثبت. وقوله: «تناعوا نبي الله» أي نعاه بعضهم لبعض، قالوا: قتل نبي الله. وكانت العرب تتناعى في الحرب، ينعون قتلاهم ليحرضوهم على القتل وطلب الثأر. وقوله: «تفئة ذلك»، أي: على إثر ذلك. يقال: «أتيته على تفئة ذلك» أي: على حينه وزمانه. وفي الحديث: «دخل عمر فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم دخل أبو بكر على تفئة ذلك»، أي على إثره، وفي ذلك الحين.

(٢) تشحط القتيل في دمه: تخبط فيه واضطرب وتمرغ.

(٣) قوله: «أشعرت»، أي: أعلمت.

٧٩٤٣ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : لما برز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحُد إليهم – يعنى : إلى المشركين – أمر الرماة فقاموا بأصل الجبل فى وجوه خيل المشركين وقال : « لا تبرحوا مكانكم إن رأيتمونا قد هزمناهم ، فإنا لن نزال غالبين ما ثبتُّم مكانكم » . (١) وأمَّر عليهم عبد الله بن جبير ، أخا خوَّات بن جبير . (٢)

= ثم شدّ الزبيرُ بن العوام والمقدادُ بن الأسود على المشركين فهزماهم ، وحمل النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فهزموا أبا سفيان . فلما رأى ذلك خالد بن الوليد ، وهو على خيل المشركين ، كرّ . (٣) فرمته الرماة فانقمع . (٤) فلما نظرَ الرماة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى جوف عسكر المشركين ينتهبونه ، بادرُوا الغنيمة ، فقال بعضهم : « لا نترك أمرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم » ! فانطلق عامتهم فلحقوا بالعسكر . فلما رأى خالد قلة الرماة ، صاح فى خيله ثم حمل ، فقتل الرماة وحَمل على أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم . فلما رأى المشركونَ أنّ خيلهم تقاتل ، تنادوْا ، (٥) فشدُّوا على المسلمين فهزموهم وقتلوهم . (٦)

= فأتى ابن قميئة الحارثى – أحد بنى الحارث بن عبد مناة بن كنانة (٧) – فرمى

---

(١) نص ما فى تاريخ الطبرى : « إن رأيتم قد هزمناهم ، فإنا لا نزال غالبين » ، وهى أجود ، وأخشى أن يكون ما فى التفسير من تصرف الناسخ . ثم انظر ما سيأتى رقم : ٨٠٠٤ .

(٢) بين هذه الفقرة والتى تليها ، كلام قد اختصره أبو جعفر ، وأثبته فى روايته فى التاريخ .

(٣) فى المطبوعة مكان « كر » « قدم » بمعنى أقدم . وهو تصرف كالمقبول من الناشر الأول ، ولكنه فى المخطوطة « لر » وعلى الراء شدة ، وصواب قراءتها ما أثبت . « كر على العدو » رجع وعطف ثم حمل عليه . وأما رواية التاريخ ، ففيها مكان « كر » « حمل » ، وهما سواء فى المعنى ، والأولى أجودهما . وانظر ما سيأتى فى التعليق على الأثر : ٨٠٠٤ .

(٤) انقمع : رجع وارتد وتداخل فرقاً وخوفاً .

(٥) فى المطبوعة : « تبادروا » ، وهو خطأ غث ، والصواب من المخطوطة والتاريخ ، ومن الأثر الآتى : ٨٠٠٤ . وقوله : « تنادوا » تداعوا ونادى بعضهم بعضاً لكى يؤوبوا إلى المعرك .

(٦) إلى هذا الموضع من الأثر ، انتهى ما رواه أبو جعفر فى تاريخه ٣ : ١٤ ، ١٥ ، وسيأتى تخريج بقية الأثر كله فى آخره . وانظر ما سيأتى رقم : ٨٠٠٤ .

(٧) فى المطبوعة والمخطوطة : « بنى الحارث بن عبد مناف » ، وهو خطأ محض . والصواب من التاريخ ومن نسب القوم .

رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسرَ أنفه ورباعيته وشجَّه فى وجهه فأثقله ،(١) وتفرق عنه أصحابه ، ودخل بعضهم المدينة ، وانطلق بعضهم فوق الجبل إلى الصخرة فقاموا عليها . وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس: « إلىَّ عباد الله ! إلى عباد الله! » ، فاجتمع إليه ثلاثون رجلاً ، فجعلوا يسيرون بين يديه ، فلم يقف أحدٌ إلا طلحة وسهل بن حنيف . فحماه طلحة ، فرُمِىَ بسهم فى يده فيبست يده .

= وأقبل أبى بن خلف الجمحى — وقد حلف ليقتلن النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : بل أنا أقتله(٢) — فقال : يا كذاب ، أين تفرّ ؟ فحمل عليه ، فطعنه النبى صلى الله عليه وسلم فى جيب الدرع ،(٣) فجُرح جَرحاً خفيفاً ، فوقع يخور خوار الثور.(٤) فاحتملوه وقالوا : ليس بك جِراحة ! [فما يُجزعك] ؟ (٥) قال: أليس قال : « لأقتلنك » ؟ لو كانت لجميع ربيعة ومضر لقتلتهم ! ولم يلبث إلاّ يوماً وبعض يوم حتى مات من ذلك الجرح .

= وفشا فى الناس أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قُتل ، فقال بعض أصحاب الصخرة: « ليت لنا رسولاً إلى عبدالله بن أبى ، فيأخذ لنا أمَنَةً من أبى سفيان ! ! يا قوم ، إن محمداً قد قتل ، فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم».(٦) قال أنس بن النضر : « يا قوم ، إن كان محمد قد قُتل ، فإن رب محمد لم يقتل ، فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد صلى الله عليه وسلم ، اللهم إنى أعتذر إليك مما

---

(١) الرباعية (مثل ثمانية) : إحدى الأسنان الأربعة التى تلى الثنايا ، بين الثنية والناب .

(٢) فى المطبوعة : « بل أقتلك » ، غير الناشر ما فى المخطوطة ، وهو موافق لما فى التاريخ ، ظناً منه أن أبى بن خلف ، قال ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ، وليس ذلك كذلك ، بل قاله فى مغيبه لا فى مشهده . فلما بلغ ذلك رسول الله قال : بل أنا أقتله .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « جنب الدرع » ، وهو خطأ ، صوابه من التاريخ . وجيب القميص والدرع : الموضع الذى يقور منه ويقطع ، لكى يلبس من ناحيته .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « يخور خوران الثور » ، وهو خطأ صرف ، والصواب من التاريخ . خار الثور يخور خواراً : صاح وصوت أشد صوت . وليس فى مصادره « خوران » .

(٥) الزيادة بين القوسين من التاريخ .

(٦) الأمنة (بفتح الألف والميم والنون) : الأمان .

يقول هؤلاء ، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء » ! ثم شدّ بسيفه فقاتل حتى قتل .

= وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس ، حتى انتهى إلى أصحاب الصخرة. فلما رأوه ، وضع رجُل سهماً فى قوسه فأراد أن يرميه ، فقال : « أنا رسول الله » ! ففرحوا حين وجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيًّا ، وفرحَ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى أنّ فى أصحابه من يمتنع به .[1] فلما اجتمعوا وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذهب عنهم الحزن ، فأقبلوا يذكرون الفتح وما فاتهم منه ، ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا .[2] ٧٤/٤

= فقال الله عز وجل للذين قالوا : « إن محمداً قد قتل ، فارجعوا إلى قومكم » وما محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل أفائن ماتَ أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين » .[3]

٧٩٤٤ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ومن ينقلب على عقبيه » ، قال : يرتدّ .

٧٩٤٥ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن أبيه = وحدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن أبيه = : أنّ رجلا من المهاجرين مرّ على رجل من الأنصار وهو يتشحّط فى دمه ، فقال : يا فلان ، أشعرت أن محمداً قد قتل ! فقال الأنصارى : إن كان محمد قد قتل ، فقد بلّغ ! فقاتلوا عن دينكم .

٧٩٤٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثنى ابن إسحق قال ، حدثنى القاسم بن عبد الرحمن بن رافع ، أخو بنى عدى بن النجار قال : انتهى

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة « من يمتنع » بإسقاط « به » وليست بشىء ، والصواب من التاريخ. وانظر التعليق على الأثر رقم : ٨٠٦٤ ، الآتى .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « ويذكرون أصحابه » ، والصواب من التاريخ .

(٣) الأثر : ٧٩٤٣ — صدره فى التاريخ ٣ : ١٤ ، ١٥ / ثم سائره فيه ٣ : ٢٠ / ثم انظر رقم : ٨٠٠٤ .

أنس بن النضر = عم أنس بن مالك = إلى عمر ، وطلحة بن عبد الله ، فى رجال من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا بأيديهم ،(١) فقال: ما يجلسكم ؟ قالوا : قتل محمدٌ رسول الله ! قال: فما تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله! واستقبل القومَ فقاتل حتى قتل = وبه سمى أنس بن مالك .(٢)

٧٩٤٧ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك قال: نادى منادٍ يوم أحد حين هزم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم : « ألا إنّ محمداً قد قتل ، فارجعوا إلى دينكم الأول » ! فأنزل الله عز وجل : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » ، الآية .

٧٩٤٨ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : ألقى فى أفواه المسلمين يومَ أحد أنّ النبى صلى الله عليه وسلم قد قتل، فنزلت هذه الآية : «وما محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل» الآية .

٧٩٤٩ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتزل هو وعصابة معه يومئذ على أكمة ، والناس يفرُّون ، ورجل قائم على الطريق يسألهم : « ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم » ؟ وجعل كلما مروا عليه يسألهم فيقولون : « والله ما ندرى ما فعل »! فقال : « والذى نفسى بيده ، لئن كان النبى صلى الله عليه وسلم قُتل، لنعطينَّهم بأيدينا، إنهم لعشائرنا وإخواننا » ! وقالوا: « إن محمداً إن كان حيًّا لم يهزم، ولكنه قُتل »! فترخَّصوا فى الفرار حينئذ . فأنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم : « وما محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل » ، الآية كلها .

---

(١) « ألقى بيده » : استسلم ، فبقى لا يصنع شيئاً يأساً أو مللا . وهو مجاز ، كأنه طرح يده طرحاً بعيداً عنه .

(٢) الأثر : ٧٩٤٦ – سيرة ابن هشام ٣ : ٨٨ ، وتاريخ الطبرى ٣ : ١٩ .

٧٩٥٠ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال، سمعت الضحاك يقول فى قوله: « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » الآية، ناس من أهل الارتياب والمرض والنفاق، قالوا يوم فرّ الناس عن نبي الله صلى الله عليه وسلم وشُجّ فوق حاجبه وكُسرت رباعيته: « قُتل محمد، فالحقوا بدينكم الأول »! فذلك قوله: « أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم » .

٧٩٥١ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله: « أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم»، قال: ما بينكم وبين أن تدعوا الإسلام وتنقلبوا على أعقابكم إلاّ أن يموت محمد أو يقتل! فسوف يكون أحد هذين : فسوف يموت، أو يقتل .

٧٩٥٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » ، إلى قوله : « وسيجزى الله الشاكرين » ، أى : لقول الناس : « قتل محمد » ، وانهزامهم عند ذلك وانصرافهم عن عدوهم= أى : أفائن مات نبيكم أو قتل ، رجعتم عن دينكم كفاراً كما كنتم ، وتركتم جهاد عدوكم وكتابَ الله وما قد خلف نبيُّه من دينه معكم وعندكم ، وقد بين لكم فيما جاءكم عنى أنه ميتٌ ومفارقكم ؟ = « ومن ينقلب على عقبيه » ، أى : يرجع عن دينه = « فلن يضر الله شيئاً » ، أى : لن ينقص ذلك من عز الله ولا ملكه ولا سلطانه .(١)

٧٥/٤ ٧٩٥٣ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج : قال أهل المرض والارتياب والنفاق ، حين فرّ الناس عن النبى صلى الله عليه وسلم : « قد قتل محمد، فالحقوا بدينكم الأول »! فنزلت هذه الآية .

* * *

(١) الأثر : ٧٩٥٢ – سيرة ابن هشام ٣ : ١١٧، ١١٨ ، وهو تتمة الآثار السالفة الى آخرها : ٧٩٣٧، ثم تتمة هذا الأثر ، مرت برقم : ٧٩٤٠ .

قال أبو جعفر : ومعنى الكلام : وما محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل، أفتنقلبون على أعقابكم، إن مات محمد أو قتل ؟ ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً = فجعل الاستفهام فى حرْف الجزاء، ومعناه أن يكون فى جوابه . وكذلك كلّ استفهام دخل على جزاء ، فمعناه أن يكون فى جوابه . لأن الجواب خبرٌ يقوم بنفسه ، والجزاء شرط لذلك الخبر ، ثم يجزم جوابه وهو كذلك ومعناه الرفع ، لمجيئه بعد الجزاء ، كما قال الشاعر :(١)

حَلَفْتُ لَهُ : إنْ تُدْلِجِ اللَّيلَ لا يَزَلْ أَمَامَكَ بَيْتٌ مِنْ بُيُوتِي سَائِرُ(٢)

فمعنى « لا يزل » رفع ، ولكنه جزم لمجيئه بعد الجزاء ، فصار كالجواب . ومثله : ﴿ أَفَائِنْ مِتَّ فَهُمُ الخَالِدُونَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٣٤] ، و ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ ﴾ [سورة المزمل : ١٧] ، (٣) ، ولو كان مكان « فهم الخالدون » ، « يخلدون » ، وقيل : « أفائن مت يخلدوا » ، جاز الرفع فيه والجزم . وكذلك لو كان مكان « انقلبتم » ، « تنقلبوا » ، جاز الرفع والجزم ، لما وصفت قبل .(٤) وتركت إعادة الاستفهام ثانية مع قوله : « انقلبتم » ، اكتفاءً بالاستفهام فى أول الكلام ، وأنّ الاستفهام فى أوّله دالٌّ على موضعه ومكانه .

وقد كان بعض القرأة يختار فى قوله : ﴿ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا

---

(١) هو الراعى .

(٢) معانى القرآن للفراء ١ : ٦٩ ، ٢٣٦ ، والمعانى الكبير : ٨٠٥ ، والخزانة ٤ : ٤٥٠ ، وسيأتى فى التفسير ١٣ : ٦٩ (بولاق) ، ورواه ابن قتيبة فى المعانى الكبير : « عائر » مكان « سائر » وقال : « أى بيت هجاء سائر » . وذلك من قولهم : « عار الفرس » ، إذا أفلت وذهب على وجهه ، وذهب وجاء متردداً . ويقال : « قصيدة عائرة » ، أى سائرة فى كل وجه . وكان فى المطبوعة هنا « ساتر » وهو خطأ ، صوابه من المخطوطة ، ومن الموضع الآخر من التفسير ، ومن المراجع .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة « وكيف تتقون . . . » ، وهو خطأ فى التلاوة .

(٤) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٣٦

لَمَبْعُوثُونَ ﴾ [سورة الإسراء : ٨٢/سورة الصافات : ١٦ / سورة الواقعة : ٤٧] ، [١] ترك إعادة الاستفهام مع « أئنا » ، اكتفاء بالاستفهام فى قوله : « أئذا كنا تراباً » ، ويستشهد على صحة وجه ذلك بإجماع القرأة على تركهم إعادة الاستفهام مع قوله : [٢] « انقلبتم » ، اكتفاء بالاستفهام فى قوله : « أفائن مات » ، إذ كان دالاً على معنى الكلام وموضع الاستفهام منه . [٣] وكان يفعل مثل ذلك فى جميع القرآن .

وسنأتى على الصواب من القول فى ذلك إن شاء الله إذا انتهينا إليه . [٤]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : وما يموت محمد ولا غيره من خلق الله إلا بعد بلوغ أجله الذى جعله الله غاية لحياته وبقائه ، فإذا بلغ ذلك من الأجل الذى كتبه الله له ، وأذن له بالموت ، فحينئذ يموت . فأما قبل ذلك ، فلن يموت بكيد كائد ولا بحيلة محتال ، كما : —

٧٩٥٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً » ، أى : إن لمحمد أجلاً هو بالغه ، إذا أذن الله له فى ذلك كان . [٥]

* * *

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « أئذا كنا تراباً وعظاماً » أسقط « متنا » والواو من « وكنا » ، وهو خطأ فى التلاوة .

(٢) فى المطبوعة « باجتماع القراء » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « إذا كان دالا » ، والصواب « إذ » كما أثبتها .

(٤) كأنه يعنى ما سيأتى فى تفسيره ١٣ : ٦٩ (بولاق) ، فإذا وجدت بعد ذلك مكاناً آخر غيره أشرت إليه .

(٥) الأثر : ٧٩٥٤ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٨ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٧٩٤٠ .

وقد قيل إنّ معنى ذلك : وما كانت نفسٌ لتموت إلا بإذن الله .(١)

* * *

وقد اختلف أهل العربية فى معنى الناصب قوله : « كتاباً مؤجّلا » .

فقال بعض نحويى البصرة : هو توكيد ، ونصبه على : « كتب الله كتاباً مؤجّلا » . قال : وكذلك كل شىء فى القرآن من قوله : ﴿ حَقًّا ﴾ إنما هو : أحِقُّ ذلك حقًّا» . وكذلك : ﴿ وَعْدَ الله ﴾ ﴿ ورحمةً من رَبِّك ﴾ ﴿ وصُنْع الله الَّذِى أتْقَنَ كُلَّ شىء ﴾ ، ﴿ وكتابَ الله عليكُم ﴾ ،(٢) إنما هو : صَنَعَ الله هكذا صنعاً . فهكذا تفسير كل شىء فى القرآن من نحو هذا ، فإنه كثيرٌ .

* * *

وقال بعض نحويى الكوفة فى قوله : « وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله » ، معناه : كتب الله آجالَ النفوس ، ثم قيل : « كتاباً مؤجّلا » ، فأخرج قوله : « كتاباً مؤجلا »، نصباً من المعنى الذى فى الكلام ، إذ كان قوله : « وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله »، قد أدّى عن معنى : « كتب » .(٣) قال وكذلك سائر ما فى القرآن من نظائر ذلك ، فهو على هذا النحو .

* * *

وقال آخرون منهم : قول القائل : « زيد قائم حقًّا » ، بمعنى : « أقول زيد قائم حقًّا »، لأن كل كلام «قول»، فأدى المقول عن «القول»، ثم خرج ما بعده منه ، كما تقول : « أقول قولا حقًّا »، وكذلك « ظنًّا » و « يقيناً » وكذلك : « وعدَ الله »، وما أشبهه .

* * *

(١) هو أبو عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ١٠٤ .

(٢) هذه مواضع الآيات من كتاب الله على الترتيب : [سورة النساء : ١٢٢ /سورة يونس : ٤ /سورة لقمان : ٩] / [سورة الكهف : ٨٢ /سورة القصص: ٤٦ /سورة الدخان : ٦] / [سورة النمل : ٨٨] / [سورة النساء : ٢٤] .

(٣) فى المطبوعة : « عن معناه كتب » ، وهو كلام مختل ، والصواب من المخطوطة .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى ، أن كل ذلك منصوب على المصدر من معنى الكلام الذى قبله، لأن فى كل ما قبل المصادر التى هى مخالفة ألفاظُها ألفاظَ ما قبلها من الكلام، معانِيَ ألفاظ المصادر وإن خالفها فى اللفظ ، فنصبها من معانى ما قبلها دون ألفاظه .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ (١٤٥)

٤/٧٦ قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه: ومن يرد منكم، أيها المؤمنون، بعمله جزاءً منه بعضَ أعراض الدنيا، دون ما عند الله من الكرامة لمن ابتغى بعمله ما عنده = « نؤته منها » ، يقول : نعطه منها ، يعنى من الدنيا ، يعنى أنه يعطيه منها ما قُسم له فيها من رزق أيام حياته، ثم لا نصيب له فى كرامة الله التى أعدها لمن أطاعه وطلب ما عنده فى الآخرة = « ومن يرد ثوابَ الآخرة » ، يقول : ومن يرد منكم بعمله جزاءً منه ثواب الآخرة، يعنى : ماعند الله من كرامته التى أعدها للعاملين له فى الآخرة = « نؤته منها »، يقول : نعطه منها ، يعنى من الآخرة . والمعنى : من كرامة الله التى خصَّ بها أهلَ طاعته فى الآخرة. فخرج الكلامُ على الدنيا والآخرة ، والمعنىُّ ما فيهما ، كما : —

٧٩٥٥ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق: « ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها »، أى : فمن كان منكم يريد الدنيا، ليست له رغبة فى الآخرة ، نؤته ما قسم له منها من رزق ،ولا حظ له فى

الآخرة = « ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها » ما وعده، مع ما يُجرى عليه من رزقه فى دنياه .(١)

* * *

وأما قوله : « وسنجزى الشاكرين »، يقول : وسأثيب من شكر لى ما أوليته من إحسانى إليه = بطاعته إياى ، وانتهائه إلى أمرى ، وتجنُّبه محارمى = فى الآخرة مثل الذى وعدت أوليائى من الكرامة على شكرهم إياى .

وقال ابن إسحق فى ذلك بما : —

٧٩٥٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « وسنجزى الشاكرين»، أى: ذلك جزاء الشاكرين ، يعنى بذلك ، إعطاء الله إياه ما وعده فى الآخرة ، مع ما يجرى عليه من الرزق فى الدنيا .(٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ ﴾

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة ذلك :

فقرأه بعضهم : ﴿ وَكَأَيِّنْ ﴾ ، بهمز « الألف » وتشديد « الياء » .

* * *

وقرأه آخرون بمد « الألف » وتخفيف « الياء »

* * *

وهما قراءتان مشهورتان فى قرأة المسلمين ، ولغتان معروفتان، لا اختلاف فى معناهما، فبأىِّ القراءتين قرأ ذلك قارئ فمصيبٌ . لاتفاق معنى ذلك، وشهرتهما فى كلام العرب . ومعناه: وكم من نبى .

* * *

(١) الأثر : ٧٩٥٥ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٨ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٧٩٥٤ . والاختلاف عظيم فى لفظ الأثر .

(٢) الأثر : ٧٩٥٦ — ليس فى سيرة ابن هشام بنصه .

القول فى تأويل قوله ﴿ قَتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾ .

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة قوله : « قتل معه ربيون » .[١]

فقرأ ذلك جماعة من قرأة الحجاز والبصرة : ﴿ قُتِلَ ﴾ ، بضم القاف .

* * *

وقرأه جماعة أخر بفتح « القاف » و« بالألف ».[٢] وهى قراءة جماعة من قرأة الحجاز والكوفة .

* * *

قال أبو جعفر : فأما من قرأ ﴿ قَاتَلَ ﴾، فإنه اختار ذلك، لأنه قال: لو قُتلوا لم يكن لقوله: « فما وهنوا »، وجه معروف . لأنه يستحيل أن يوصفوا بأنهم لم يَهِنوا ولم يضعفوا بعد ماقتلوا .

وأما الذين قرأوا ذلك : ﴿ قُتِلَ ﴾،فإنهم قالوا: إنماعنى بالقتل النبيَّ وبعضَ من معه من الربيين دون جميعهم، وإنما نفى الوهن والضعف عمن بقى من الربيين ممن لم يقتل.

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين فى ذلك عندنا بالصواب ، قراءة من قرأ بضم « القاف » : ﴿ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾ ، لأن الله عز وجل إنما عاتب بهذه الآية والآيات التى قبلها = من قوله : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ ﴾[٣]= الذين انهزموا يوم أحُد وتركوا القتال ، أو سمعوا الصائح يصيح : «إن محمداً قد قتل». فعذلهم الله عز وجل على فرارهم وتركهم القتال فقال : أفائن مات محمد أو قتل، أيها المؤمنون، ارتددتم عن دينكم وانقلبتم على أعقابكم؟ ثم أخبرهم عما كان من فعل كثير من أتباع الأنبياء قبلهم ، وقال لهم: هلاَّ فعلتم كما كان

---

(١) فى المطبوعة : « ربيون كثير » ، واتبعت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « جماعة أخرى» ، وأثبت ما فى المخطوطة

(٣) السياق : إنما عاتب بهذه الآية الذين انهزموا .

أهل الفضل والعلم من أتباع الأنبياء قبلكم يفعلونه إذا قتل نبيهم = من المضى على منهاج نبيهم ، والقتال على دينه أعداءَ دين الله، على نحو ما كانوا يقاتلون مع نبيهم = ولم تهنوا ولم تضعفوا ، كما لم يضعف الذين كانوا قبلكم من أهل العلم والبصائر من أتباع الأنبياء إذا قتل نبيهم، ولكنهم صَبروا لأعدائهم حتى حكم الله بينهم وبينهم؟ وبذلك من التأويل جاء تأويل المتأوِّلين .(١)

* * *

وأما « الربيون » ، فإنهم مرفوعون بقوله: « معه » لا بقوله: « قتل » . وإنما تأويل الكلام : وكأين من نبيّ قُتل،ومعه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله . وفى الكلام إضمار « واو »، لأنها « واو » تدل على معنى حال قَتْل النبى صلى الله عليه وسلم ، غير أنه اجتزأ بدلالة ما ذكر من الكلام عليها من ذكرها ، وذلك كقول القائل فى الكلام : « قتل الأمير معه جيش عظيم »، ٤/٧٧ بمعنى : قتل ومعه جيشٌ عظيم .

* * *

وأما « الربيون »، فإن أهل العربية اختلفوا فى معناه .

فقال بعض نحويى البصرة : هم الذين يعبدون الرَّبَّ، واحدهم « رِبِّى » .

* * *

وقال بعض نحويى الكوفة : لوكانوا منسوبين إلى عبادةالربّ لكانوا « ربَّيون» بفتح « الراء » ، ولكنه: العلماء ، والألوف .

* * *

و« الربيون» عندنا، الجماعات الكثيرة،(٢) واحدهم «رِبِّى»،وهم الجماعة .(٣)

* * *

واختلف أهل التأويل فى معناه .

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « تأويل المتأول » ، ولكن « لام » « المتأول » فى المخطوطة ممدودة فى الهامش ، وتحتها نقطتان ، فهذا صواب قراءتها ، وهو صواب السياق .

(٢) فى المطبوعة : « الجماعة الكثيرة » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « وهم جماعة » ، وكأن الأجود ما أثبت ، إلا أن يكون قد سقط من الناسخ شيء .

فقال بعضهم مثل ما قلنا .

* ذكر من قال ذلك :

٧٩٥٧ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله : الربيون ، الألوف .

٧٩٥٨ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان الثورى ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله مثله .

٧٩٥٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى وابن عيينة ، عن عاصم بن أبى النجود ، عن زر بن حبيش ، عن عبد الله مثله .

٧٩٦٠ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام قال ، حدثنا عمرو ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله مثله .

٧٩٦١ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عوف ، عمن حدثه ، عن ابن عباس فى قوله : « ربيون كثير » ، قال : جموع كثيرة .

٧٩٦٢ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « قاتل معه ربيون كثير » ،[1] قال : جموع .

٧٩٦٣ – حدثني حميد بن مسعدة قال ، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا شعبة ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله : « وكأين من نبى قتل معه ربيون كثير » ، قال : الألوف .

* * *

وقال آخرون بما : –

٧٩٦٤ – حدثني به سليمان بن عبد الجبار قال ، حدثنا محمد بن الصلت

---

(١) فى هذا الموضع من الآثار التالية ، كتب « قاتل معه » ، وسائرها « قتل » ، كالقراءة التى اختارها أبو جعفر ، فتركت قراءة أبى جعفر كما هى فى هذه الآثار ، وإن خالفت القراءة التى عليها مصحفنا وقراءتنا فى مصر وغيرها . وذلك لأن معانى الآثار كلها مطابقة لقراءتها « قتل » بالبناء للمجهول .

قال ، حدثنا أبو كدينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير » ، قال : علماء كثير .

٧٩٦٥ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عوف ، عن الحسن في قوله : « وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير » ، قال : فقهاء علماء .

٧٩٦٦ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن في قوله : « وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير » ، قال : الجموع الكثيرة = قال يعقوب : وكذلك قرأها إسمعيل : ﴿ قُتِلَ مَعَه رِبِّيُّون كَثِيرٌ ﴾ .

٧٩٦٧ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير » ، يقول : جموع كثيرة .

٧٩٦٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الحسن في قوله : « قتل معه ربيون كثير » ، قال : علماء كثير =[1] وقال قتادة : جموعٌ كثيرة .

٧٩٦٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة في قوله : « ربيون كثير » ، قال : جموع كثيرة .

٧٩٧٠ – حدثني عمرو بن عبد الحميد الآملي قال ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن عكرمة مثله .

٧٩٧١ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : « قتل معه ربيون كثير » ، قال : جموع كثيرة .

٧٩٧٢ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

---

(١) في المطبوعة : « علماء كثيرة » ، وأثبت ما في المخطوطة .

٧٩٧٣ – حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « قتل معه ربيون كثير » ، يقول : جموع كثيرة .

٧٩٧٤ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك في قوله : « وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير » ، يقول : جموع كثيرة ، قُتل نبيهم .

٧٩٧٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال، أخبرنا ابن المبارك، عن جعفر بن حبان والمبارك ، عن الحسن في قوله : « وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير » ، قال جعفر : علماء صبروا = وقال ابن المبارك : أتقياء صُبُر .[1]

٧٩٧٦ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « قتل معه ربيون كثير » ، يعني الجموع الكثيرة ، قتل نبيهم .

٧٩٧٧ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد قال، حدثنا أسباط ، عن السدي : « قاتل معه ربيون كثير » ، يقول : جموع كثيرة .

٧٩٧٨ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قوله : « وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير » ، قال : وكأين من نبي أصابه القتل ، ومعه جماعات .[2]

٧٨/٤ ٧٩٧٩ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس : « وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير »، الربيون : هم الجموع الكثيرة .[3]

* * *

وقال آخرون : الربيون ، الأتباع .

---

(١) في المطبوعة : « أتقياء صبروا » والصواب ما في المخطوطة : « صبر » (بضمتين) جمع « صبور »

(٢) الأثر : ٧٩٧٨ – سيرة ابن هشام ٣ : ١١٨ ، وهو من تتمة الآثار التي آخرها : ٧٩٥٥ مع بعض خلاف في لفظه .

(٣) في المطبوعة : « الربيون الجموع » بإسقاط « هم » ، وأثبت ما في المخطوطة .

* ذكر من قال ذلك :

٧٩٨٠ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله : « وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير »، قال : « الربيون » الأتباع ، و« الرّبانيون » الولاة، و« الربّيون » الرعية. وبهذا عاتبهم الله حين انهزموا عنه، [1] حين صاح الشيطان : « إن محمداً قد قتل » = قال : كانت الهزيمة عند صياحه في [سه صاح] : [2] أيها الناس، إنّ محمداً رسول الله قد قُتل ، فارجعوا إلى عشائركم يؤمّنوكم !

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ (١٤٦)

قال أبو جعفر : يعني بقوله تعالى ذكره : « فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله »، فما عجزوا = لما نالهم من ألم الجراح الذي نالهم في سبيل الله، [3] ولا لقتل من قُتل منهم =، عن حرب أعداء الله، ولا نكلوا عن جهادهم = « وما ضعفوا »، يقول : وما ضعفت قواهم لقتل نبيهم = « وما استكانوا »، يعني وما ذلوا فيتخشّعوا لعدوّهم بالدخول في دينهم ومداهنتهم فيه خيفة منهم، ولكن مضوا قُدُماً على بصائرهم ومنهاج نبيّهم ، صبراً على أمر الله وأمر نبيهم، وطاعة لله واتباعاً لتنزيله ووحيه =

---

(١) في المطبوعة : « وهذا عاتبهم » ، وكأن صواب قراءتها في المخطوطة ما أثبت ، وهو السياق .

(٢) الكلمات التي بين القوسين ، هكذا جاءت في المخطوطة غير منقوطة ، أما المطبوعة فقد قرأها « في سننية صاح » ، وهو لا معنى له . وقد جهدت أن أجد هذا الأثر في مكان آخر ، أو أن أعرف وجهاً مرضياً في قراءته ، فأعياني طلب ذلك . وقد بدا لي أنها محرفة عن اسم موضع ، أو ثنية ، وقف عندها إبليس فنادى بذلك النداء ، ولكني لم أجد ما أردت . والمعروف في السير ، أن أزب العقبة إبليس قد تصور متمثلا في شبه جعال بن سراقة ، وصرخ بما صرخ به ، حتى هم أناس بقتل جعال ، فشهد له خوات بن جبير ، وأبو بردة بن نيار ، بأن جعالا كان عندهما وبجنبهما يقاتل ، حين صرخ ذلك الصارخ . فأرجو أن أجد بعد إن شاء الله صواب قراءة هذا الرسم المشكل .

(٣) انظر تفسير « وهن » فيما سلف قريباً : ٢٣٤

« والله يحب الصابرين » ، يقول : والله يحب هؤلاء وأمثالهم من الصابرين لأمره وطاعته وطاعة رسوله فى جهاد عدوه ، لا مَنْ فشل ففرَّ عن عدوه ، ولا من انقلب على عقبيه فذلّ لعدوه لأنْ قُتِل نبيه أو مات ، ولا مَن دخله وهن عن عدوه ، وضعفٌ لفقد نبيه .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٧٩٨١ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا » ، يقول : ما عجزوا وما تضعضعوا لقتل نبيهم = « وما استكانوا » يقول : ما ارتدوا عن بصيرتهم ولا عن دينهم ،[1] بل قاتلوا على ما قاتل عليه نبى الله حتى لحقوا بالله .

٧٩٨٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا » ، يقول : ما عجزوا وما ضعفوا لقتل نبيهم = « وما استكانوا » ، يقول : وما ارتدوا عن بصيرتهم ،[2] قاتلوا على ما قاتل عليه نبى الله صلى الله عليه وسلم حتى لحقوا بالله .

٧٩٨٣ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فما وهنوا » ، فما وهن الربيون = « لما أصابهم فى سبيل الله » من قتل النبى صلى الله عليه وسلم = « وما ضعفوا » ، يقول : ما ضعفوا فى سبيل الله لقتل النبى = « وما استكانوا » ، يقول : ما ذلُّوا حين قال رسول الله صلى الله عليه

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة فى هذا الموضع « عن نصرتهم » ، وهو خطأ لا معنى له . و « البصيرة » : عقيدة القلب ، والمعرفة على تثبت ويقين واستبانة . يريد ما اعتقدوا فى قلوبهم من الدين عن بصر ويقين . وقد سلف منذ أسطر » : ولكن مضوا قدماً على بصائرهم » ، وانظر ما سيأتى فى الأثر التالى ، والتعليق عليه .

(٢) فى المطبوعة : « عن نصرتهم » كما فى الأثر السالف ، وهو خطأ ، وفى المخطوطة « عن نصيرتهم » غير منقوطة ، وهذا صواب قراءتها . انظر التعليق السالف .

وسلم : « اللهم ليس لهم أن يعلونا » — و﴿ وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾. (١)

٧٩٨٤ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « فما وهنوا » لفقد نبيهم = « وما ضعفوا » ، عن عدوهم = « وما استكانوا » ، لما أصابهم فى الجهاد عن الله وعن دينهم ، وذلك الصبر = « والله يحب الصابرين » . (٢)

٧٩٨٥ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « وما استكانوا » ، قال : تخشَّعوا .

٧٩٨٦ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد : « وما استكانوا »، قال : ما استكانوا لعدوهم = « والله يحب الصابرين » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ (١٤٧)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وما كان قولهم » ، وما كان قول الرِّبِّيين — و« الهاء والميم » من ذكر أسماء الربيين = « إلا أن قالوا »، يعنى : ما كان لهم قولٌ سوى هذا القول، إذ قتل نبيهم = وقوله : « ربنا اغفر لنا ذنوبنا »، يقول : لم يعتصموا، إذ قتل نبيهم، إلا بالصبر على ما أصابهم، ومجاهدة عدوهم، وبمسألة

---

(١) فى المطبوعة : « ليس لهم أن يعلونا ولا تهنوا . . . » ، وفى المخطوطة : « ليس لهم أن يعلونا لا تهنوا . . . » ، والصواب ما أثبت ، مع الفصل ، يعنى : ما ذلوا حين قال لهم رسول الله ما قال ، وحين نزل الله على رسوله الآية . وانظر تفسير الآية فيما سلف ص : ٢٣٤، والأثر : ٧٨٩٢ .

(٢) الأثر : ٧٩٨٤ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٨ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٧٩٧٨ .

ربهم المغفرة والنصر على عدوهم . ومعنى الكلام : وما كان قولهم إلاّ أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا .(١)

* * *

وأما « الإسراف » ، فإنه الإفراط فى الشيء : يقال منه : « أسرف فلانٌ فى هذا الأمر »، إذا تجاوز مقداره فأفرط .

* * *

ومعناه ههنا : اغفر لنا ذنوبنا : الصغارَ منها ، وما أسرفنا فيه منها فتخطينا إلى العظام . وكان معنى الكلام : اغفر لنا ذنوبنا ، الصغائر منها والكبائر ، كما :— ٧٩/٤

٧٩٨٧ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس فى قول الله : « وإسرافنا فى أمرنا »، قال : خطايانا .

٧٩٨٨ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وإسرافنا فى أمرنا » ، خطايانا وظلمَنا أنفسنا .

٧٩٨٩ — حدثت عن الحسين قال، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال، سمعت الضحاك فى قوله : « وإسرافنا فى أمرنا »، يعنى الخطايا الكِبار .

٧٩٩٠ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو تميلة ، عن عبيد بن سليمان ، عن الضحاك بن مزاحم قال : الكبائر .

٧٩٩١ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس: « وإسرافنا فى أمرنا » ، قال : خطايانا .

٧٩٩٢ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس قوله : « وإسرافنا فى أمرنا »، يقول: خطايانا .

* * *

وأما قوله : « وثبت أقدامنا » ، فإنه يقول : اجعلنا ممن يثبت لحرب عدوّك

---

(١) هذا نص الآية ؛ وكأن الصواب : « وما كان قولا لهم إلا أن قالوا » ؛ ليبين عن أن « قولهم » خبر « كان » و « أن قالوا » اسمها . وانظر ص : ٢٧٣ ، ٢٧٤

وقتالهم ، ولا تجعلنا ممن ينهزم فيفرّ منهم ولا يثبتُ قدمه فى مكان واحد لحربهم = « وانصرنا على القوم الكافرين » ، يقول : وانصرنا على الذين جحدوا وحدانيتك ونبوة نبيك .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وإنما هذا تأنيب من الله عز وجل عبادَه الذين فرُّوا عن العدو يوم أحد وتركوا قتالهم ، وتأديبٌ لهم . يقول : الله عز وجل: هلاّ فعلتم إذ قيل لكم: « قُتل نبيكم » — كما فعل هؤلاء الرِّبِّيون الذين كانوا قبلكم من أتباع الأنبياء إذ قتلت أنبياؤهم، فصبرتم لعدوكم صبرَهم ، ولم تضعفوا وتستكينوا لعدوكم فتحاولوا الارتداد على أعقابكم ، كما لم يضعف هؤلاء الرِّبِّيون ولم يستكينوا لعدوهم، وسألتم ربكم النصر والظفر كما سألوا ، فينصركم الله عليهم كما نصروا ، فإن الله يحب من صَبر لأمره وعلى جهاد عدوه ، فيعطيه النصر والظفر على عدوه ؟ كما : —

٧٩٩٣ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبِّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين »، أى: فقولوا كما قالوا ، واعلموا أنما ذلك بذنوب منكم، واستغفروا كما استغفروا ، وامضوا على دينكم كما مضوا على دينهم، ولا ترتدُّوا على أعقابكم راجعين ،واسألوه كما سألوه أن يثبِّت أقدامكم ،واستنصروه كما استنصروه على القوم الكافرين . فكل هذا من قولهم قد كان وقد قُتل نبيهم ، فلم يفعلوا كما فعلتم.(٢)

* * *

قال أبو جعفر : والقراءة التى هى القراءة فى قوله : ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ ﴾ النصب، لإجماع قرأة الأمصار على ذلك نقلا مستفيضاً وراثة عن الحجة.(٣) وإنما

---

(١) انظر تفسير نظيرة هذه الآية فيما سلف ٥ : ٣٥٤ .

(٢) الأثر : ٧٩٩٣ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٨ ، ١١٩ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٧٩٨٤

(٣) انظر استعمال « وراثة » ، و « موروثة » فيما سلف ٦ : ١٢٧ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

اختير النصبُ فى « القول » ، لأن « أن » لا تكون إلاّ معرفة ، [١] فكانت أولى بأن تكون هى الاسم ، دون الأسماء التى قد تكون معرفة أحياناً ونكرة أحياناً ، [٢] ولذلك اختير النصبُ فى كل اسم وَلى « كان » ، إذا كان بعده « أن » الخفيفة : كقوله : ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا اقْتُلُوه أَوْ حَرِّقُوهُ ﴾ [سورة العنكبوت : ٢٤] ، [٣] وقوله : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا ﴾ [سورة الأنعام : ٢٣] . [٤] فأمّا إذا كان الذى يلى « كان » اسما معرفة ، والذى بعده مثله ، فسواء الرفعُ والنصبُ فى الذى ولى « كان » . فإن جعلت الذى ولى « كان » هو الاسم ، رفعته ونصبت الذى بعده . وإن جعلت الذى ولى « كان » هو الخبر ، نصبته ورفعت الذى بعده ، وذلك كقوله جل ثناؤه : ﴿ ثم كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُا السُّوأَى ﴾ [سورة الروم : ١٠] . إن جعلت « العاقبة » الاسم رفعتها ، وجعلت « السوأى » هى الخبر منصوبةً . وإن جعلت « العاقبة » الخبر ، نصبت فقلت : « ثم كان عاقبةَ الذين أساؤوا السوأى » ، وجعلت « السوأى » هى الاسم ، فكانت مرفوعة ، وكما قال الشاعر : [٥]

لَقَدْ عَلِمَ الأَقْوَامُ مَا كَانَ دَاءَهَا ... بِثَهْلَانَ إِلَّا الخِزْيُ مِمَّنْ يَقُودُهَا [٦]

وروى أيضاً : « ما كان داؤها بثهلان إلاّ الخزىَ » ، نصباً ورفعاً على ما قد

---

(١) فى المطبوعة : « لأن إلا أن لا تكون إلا معرفة » بزيادة « إلا » الأولى ، وهو فساد مستهجن ، والصواب من المخطوطة ، ولكن الناسخ كان قد أخطأ ، فغير وضرب ، فأخطأ الناشر الأول قراءة ما كتب.

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٣٧ .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « وما كان جواب . . . » بالواو ، وصحيح التلاوة ما أثبت .

(٤) أثبت قراءة النصب كما ذكر الطبرى ، والذى عليه مصحفنا وقراءتنا ، رفع « فتنتهم » .

(٥) لم أعرف قائله .

(٦) سيبويه ١ : ٢٤ ، ولم ينسبه ، قال الشنتمرى : « استشهد به على استواء اسم كان وخبرها فى الرفع والنصب ، لاستوائهما فى المعرفة . وصف كتيبة انهزمت ، فيقول : لم يكن داؤها وسبب انهزامها إلا جبن من يقودها وانهزامه . وجعل الفعل للخزى مجازاً واتساعاً ، والمعنى : إلا قائدها المنهزم الخزيان ، وثهلان : اسم جبل » .

بينت . ولو فُعل مثل ذلك مع « أن » كان جائزاً، غير أن أفصحَ الكلام ما وصفت عند العرب .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْأَخِرَةِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٤٨)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : فأعطى الله الذين وصفهم بما وصفهم ، من الصبر على طاعة الله بعد مقتل أنبيائهم ، وعلى جهاد عدوهم ، ٤
والاستعانة بالله فى أمورهم، واقتفائهم مناهج إمامهم على ما أبلوا فى الله — « ثوابَ الدنيا » ، يعنى : جزاء فى الدنيا ، وذلك: النصرُ على عدوهم وعدو الله، والظفرُ، والفتح عليهم، والتمكين لهم فى البلاد = « وحسن ثواب الآخرة »، يعنى : وخير جزاء الآخرة على ما أسلفوا فى الدنيا من أعمالهم الصالحة، وذلك: الجنةُ ونعيمُها، كما :—

٧٩٩٤ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا » ، فقرأ حتى بلغ « والله يحب المحسنين» ، إى والله ، لآتاهم الله الفتح والظهورَ والتمكينَ والنصر على عدوهم فى الدنيا = « وحسنَ ثواب الآخرة » ، يقول : حسن الثواب فى الآخرة ، هى الجنة .

٧٩٩٥ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « وما كان قولهم » ، ثم ذكر نحوه .

٧٩٩٦ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج فى قوله : « فآتاهم الله ثوابَ الدنيا »، قال : النصر والغنيمة = « وحسن ثواب الآخرة » ، قال : رضوانَ الله ورحمته .

٧٩٩٧ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « فآتاهم الله ثوابَ الدنيا »، الظهورَ على عدوهم =[١] « وحسن ثواب الآخرة »، الجنةَ وما أعدَّ فيها = وقوله : « والله يحب المحسنين » ، يقول تعالى ذكره : فعل الله ذلك بهم بإحسانهم ، فإنه يحب المحسنين، وهم الذين يفعلون مثل الذى وصف عنهم تعالى ذكره أنهم فعلوه حين قتل نبيُّهم .[٢]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَـٰسِرِينَ ﴾ (١٤٩)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : ياأيها الذين صدَّقوا الله ورسوله فى وعد الله ووعيده وأمره ونهيه =« إن تطيعوا الذين كفروا »، يعنى : الذين جحدوا نبوة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى – فيما يأمرونكم به وفيما ينهونكم عنه– فتقبلوا رأيهم فى ذلك وتنتصحوهم فيما يزعمون أنهم لكم فيه ناصحون = « يردوكم على أعقابكم » ، يقول : يحملوكم على الرِّدة بعد الإيمان، والكفر بالله وآياته وبرسوله بعد الإسلام[٣] =« فتنقلبوا خاسرين »، يقول : فترجعوا عن إيمانكم ودينكم الذى هداكم الله له = « خاسرين » ، يعنى : هالكين ، قد خسرتم أنفسكم، وضللتم عن دينكم ، وذهبت دنياكم وآخرتكم .[٤]

---

(١) فى المطبوعة : « حسن الظهور على عدوهم » ، وفى المخطوطة كتب « وحسن الظهور » ثم ضرب على « وحسن » . وفى ابن هشام : « بالظهور » بالباء .

(٢) الأثر : ٧٩٩٧ – سيرة ابن هشام ٣ : ١١٩ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٧٩٩٣ ، مع اختلاف فى اللفظ ، ومع اختصاره .

(٣) انظر تفسير « ارتد على عقبه » فيما سلف قريباً : ٢٥١، تعليق : ٤، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « خسر » فيما سلف ١ : ٢/٤١٧ : ١٦٦ ، ٥٧٢/ ٦ : ٥٧٠

ينهى بذلك أهل الإيمان بالله أن يطيعوا أهل الكفر فى آرائهم وينتصحوهم فى أديانهم ، كما : —

٧٩٩٨ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين » ، أى : عن دينكم ، فتذهب دنياكم وآخرتكم .(١)

٧٩٩٩ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا » ، قال ابن جريج : يقول : لا تنتصحوا اليهود والنصارى على دينكم ، ولا تصدّقوهم بشئ فى دينكم .

٨٠٠٠ — حدثنا محمد قال، حدثنا أحمد قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين » ، يقول : إن تطيعوا أبا سفيان ، يردّكم كفاراً .(٢)

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴾ (١٥٠)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : إن الله مسدّدكم ، أيها المؤمنون ، فمنقذكم من طاعة الذين كفروا .

* * *

(١) الأثر : ٧٩٩٨ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٩ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٧٩٩٧ . وفى سيرة ابن هشام : « أى : عن عدوكم ، فتذهب دنياكم وآخرتكم » ، وهو فاسد المعنى ، تصحيحه من هذا الموضع من الطبرى .

(٢) فى المطبوعة : « يردوكم كفاراً » بالجمع ، وهو غير مستقيم ، والصواب من المخطوطة .

وإنما قيل : « بل الله مولاكم » ، لأن فى قوله : « إن تطيعوا الذين كفروا يردُّوكم على أعقابكم » ، نهياً لهم عن طاعتهم ، فكأنه قال : يا أيها الذين آمنوا لا تُطيعوا الذين كفروا فيردُّوكم على أعقابكم، ثم ابتدأ الخبر فقال : « بل الله مولاكم » ، فأطيعوه ، دون الذين كفروا ، فهو خيرُ من نَصَر. ولذلك رفع اسم « الله » ، ولو كان منصوباً على معنى : بل أطيعوا الله مولاكم ، دون الذين كفروا = كان وجهاً صحيحاً .

* * *

ويعنى بقوله : « بل الله مولاكم » ، وليُّكم وناصركم على أعدائكم الذين كفروا، [1] « وهو خير الناصرين » ، لا من فررتم إليه من اليهود وأهل الكفر بالله . فبالله الذى هو ناصركم ومولاكم فاعتصموا ، وإياه فاستنصروا ، دون غيره ممن يبغيكم الغوائل ، ويرصدكم بالمكاره ، كما : — ٨١/٤

٨٠٠١ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق: «بل الله مولاكم »، إن كان ما تقولون بألسنتكم صدقاً فى قلوبكم = « وهو خير الناصرين »، أى : فاعتصموا به ولا تستنصروا بغيره، ولا ترجعوا على أعقابكم مرتدِّين عن دينكم. [2]

* * *

---

(١) انظر تفسير « المولى » فيما سلف ٦ : ١٤١ .

(٢) الأثر : ٨٠٠١ — سيرة ابن هشام ٣ : ١١٩ ، ١٢٠ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٧٩٩٨ ، مع اختلاف يسير فى اللفظ .

القول فى تأويل قوله ﴿ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (١٥١)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : سيلقى الله، أيها المؤمنون = « فى قلوب الذين كفروا » بربهم ، وجحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ممن حاربكم بأحد = « الرعب » ، وهو الجزع والهلع = « بما أشركوا بالله » ، يعنى : بشركهم بالله وعبادتهم الأصنام ، وطاعتهم الشيطان التى لم أجعل لهم بها حجة = وهى « السلطان » = التى أخبر عز وجل أنه لم ينزله بكفرهم وشركهم .

وهذا وعدٌ من الله جل ثناؤه أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنصر على أعدائهم ، والفلج عليهم ، ما استقاموا على عهده ، وتمسكوا بطاعته . ثم أخبرهم ما هو فاعلٌ بأعدائهم بعد مصيرهم إليه ، فقال جل ثناؤه : « ومأواهم النار » ، يعنى : ومرجعهم الذى يرجعون إليه يوم القيامة ، النارُ = « وبئس مثوى الظالمين » ، يقول : وبئس مقام الظالمين — الذين ظلموا أنفسهم باكتسابهم ما أوجب لها عقابَ الله — النارُ ، كما : —

٨٠٠٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين » ، إنى سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب الذى به كنت أنصركم عليهم ، بما أشركوا بى ما لم أجعل لهم به حجة ، أى : فلا تظنوا أن لهم عاقبة نصر ولا ظهور عليكم ، ما اعتصمتم واتبعتم أمرى ، للمصيبة التى أصابتكم

منهم بذنوب قدمتموها لأنفسكم ، خالفتم بها أمرى ، وعصيتم فيها نبيّ الله صلى الله عليه وسلم .(١)

٨٠٠٣ – حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى ، قال : لما ارتحل أبو سفيان والمشركون يوم أحد متوجّهين نحو مكة ، انطلق أبو سفيان حتى بلغ بعض الطريق . ثم إنهم ندموا فقالوا : بئس ما صنعتم ، إنكم قتلتموهم ، حتى إذا لم يبق إلا الشريد تركتموهم !(٢) ارجعوا فاستأصلوهم ! فقذف الله عز وجل فى قلوبهم الرعب فانهزموا . فلقوا أعرابيًّا ، فجعلوا له جُعْلاً وقالوا له : إن لقيت محمداً فأخبره بما قد جمعنا لهم . فأخبر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم ، فطلبهم حتى بلغ حمراء الأسد ، فأنزل الله عز وجل فى ذلك ، فذكر أبا سفيان حين أراد أن يرجع إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وما قُذف فى قلبه من الرعب فقال : « سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ».(٣)

* * *

(١) الأثر : ٨٠٠٢ – سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٠ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨٠٠١ .

(٢) « الشريد » ، هكذا فى المطبوعة والدر المنثور ٢ : ٨٢ ، وأما المخطوطة ، فاللفظ فيها مضطرب لا يستبين . وانظر أيضاً رقم : ٨٢٣٧ .

(٣) عند هذا الموضع انتهى جزء من التقسيم القديم الذى نقلت عنه نسختنا ، وفيها ما نصه :

« يتلوه القول فى تأويل قوله :

« ولقد صدقكم الله وعده

« وصلى الله على سيدنا محمد النبى وآله وصحبه وسلّم »

ثم يتلوه ما نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم

ربّ يسّر » .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله تعالى ذكره : « ولقد صدقكم الله » ، أيها المؤمنون من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بأحُد، وعدَه الذى وعدهم على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

و « الوعد » الذى كان وعدَهم على لسانه بأحُد، قوله للرماة : « اثبتوا مكانكم ولا تبرحوا، وإن رأيتمونا قد هزمناهم، فإنا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم » . وكان وعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم النصر يومئذ إن انتهوا إلى أمره ، كالذى :—

٨٠٠٤ — حدثنا محمد قال، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : لما برز رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين بأحُد ، أمر الرماة فقاموا بأصل الجبل فى وجوه خيل المشركين وقال : « لا تبرحوا مكانكم إن رأيتمونا قد هزمناهم ، فإنا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم ، » وأمَّر عليهم عبد الله بن جبير ، أخا خوّات بن جبير . ثم إنّ طلحة بن عثمان ، صاحب لواء المشركين، قام فقال: يا معشر أصحاب محمد، إنكم تزعمون أن الله يعجِّلنا بسيوفكم إلى النار، ويعجِّلكم بسيوفنا إلى الجنة! فهل منكم أحد يعجِّله الله بسيفى إلى الجنة! أو يعجِّلنى بسيفه إلى النار؟ فقام إليه على بن أبى طالب فقال: والذى نفسى بيده ، لا أفارقك حتى يعجِّلك الله بسيفى إلى النار ، أو يعجِّلنى بسيفك إلى الجنة ! فضربه على فقطع رجلَه، فسقط ، فانكشفت عورته، فقال: أنشدك الله والرحم، ابنَ عم! فتركه. ٨٢/٤

أخبرنا أبو بكر محمد بن داوود بن سليمان قال ، أخبرنا أبو جعفر محمد بن جرير »

ثم انظر ما سلف فى ص ٦ : ٤٩٥ ، ٤٩٦ التعليق رقم : ٥ / ثم ٧ : ٢١ ، تعليق ١ / ثم ٧ : ١٥٤ ، تعليق : ١

فكبّر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال لعليّ أصحابه : ما منعك أن تجهز عليه ؟ قال : إنّ ابن عمي ناشدني حين انكشفت عورته ، فاستحييت منه .

= ثم شد الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود على المشركين فهزماهم ، وحمل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فهزموا أبا سفيان . فلما رأى ذلك خالد بن الوليد وهو على خيل المشركين حمل ، (١) فرمته الرماة ، فانقمع . فلما نظر الرماة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في جوف عسكر المشركين ينتهبونه ، بادروا الغنيمة ، فقال بعضهم : لا نترك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فانطلق عامتهم فلحقوا بالعسكر . فلما رأى خالد قلة الرماة صاح في خيله ، ثم حمل فقتل الرماة ، ثم حمل على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . فلما رأى المشركون أنّ خيلهم تقاتل ، تنادوا فشدّوا على المسلمين فهزموهم وقتلوهم . (٢)

٨٠٠٥ — حدثنا هرون بن إسحق قال ، حدثنا مصعب بن المقدام قال ، حدثنا إسرائيل قال ، حدثنا أبو إسحق ، عن البراء قال : لما كان يوم أحُد ولقينا المشركين ، أجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم رجالا بإزاء الرماة ، وأمّر عليهم عبد الله بن جبير ، أخا خوات بن جبير ، وقال لهم : « لا تبرحوا مكانكم ، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا ، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تُعينونا » . فلما التقى القوم ، هُزم المشركون حتى رأيت النساء قد رفعن عن سُوقهن وبدت خلاخلهنّ ، فجعلوا يقولون : « الغنيمة ، الغنيمة » ! قال عبد الله : مهلاً ! أما علمتم ما عهدَ إليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فأبوا ، فانطلقوا ، فلما أتوهم صرف الله وجوههم ، فأصيب من المسلمين سبعون قتيلاً .

---

(١) في التعليق على الأثر السالف : ٧٩٤٣ ، ذكرت أن المخطوطة هناك ، كان فيها « لر » غير منقوطة ، واستظهرت مرجحاً أنها « كر » ، ولكنه عاد هنا في المخطوطة ، فكتبها « حمل » واضحة ، فأخشى أن يكون هذا هو الصواب الراجح .

(٢) الأثر : ٨٠٠٤ — الأثر السالف رقم : ٧٩٤٣ ، والتاريخ ٣ : ١٤ ، ١٥ .

٨٠٠٦ – حدثنا سفيان بن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحق ، عن البراء بنحوه .(١)

٨٠٠٧ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسُّونهم بإذنه » ، فإن أبا سفيان أقبل فى ثلاث ليال خلون من شوّال حتى نزل أحُداً ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذّن فى الناس، فاجتمعوا ، وأمّر على الخيل الزبير بن العوام ، ومعه يومئذ المقداد بن الأسود الكندى. وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء رجلا من قريش يقال له : مصعب بن عمير . وخرج حمزة بن عبد المطلب بالحُسَّر ،(٢) وبعث حمزة بين يديه . وأقبل خالد بن الوليد على خيل المشركين ومعه عكرمة بن أبى جهل . فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير وقال : « استقبل خالد بن الوليد فكن بإزائه حتى أوذنك ». وأمر بخيل أخرى فكانوا من جانب آخر ، فقال : « لا تبرحوا حتى أوذنكم » . وأقبل أبو سفيان يحمل اللات والعزى ، فأرسل النبى صلى الله عليه وسلم إلى الزبير أن يحمل ، فحمل على خالد بن الوليد فهزمه ومن معه ، كما قال : « ولقد صدقكم الله وعده إذ تحُسُّونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبُّون » ، وإنّ الله وعد المؤمنين أن ينصرهم وأنه معهم .(٣)

٨٠٠٨ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال ، حدثنى

---

(١) الأثران : ٨٠٠٥ ، ٨٠٠٦ – تاريخ الطبرى ٣ : ١٣ ، ١٤ وانظر مسند أحمد ٤ : ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

(٢) فى المطبوعة : « بالجسر » ، وهو خطأ ، « والحسر » جمع حاسر ، وهم الرجالة الذين لا خيل لهم ، يقال : سموا بذلك لأنهم يحسرون عن أيديهم وأرجلهم . ويقال إنه يقال لهم « حسر » ، لأنه لا بيض لهم ولا دروع يلبسونها .

(٣) الأثر : ٨٠٠٧ – تاريخ الطبرى ٣ : ١٤ .

محمد بن مسلم بن عبيد الله الزهري . ومحمد بن يحيى بن حبان ، [١] وعاصم بن عمر بن قتادة ، والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، وغيرهم من علمائنا — في قصة ذكرها عن أحد — ذكر أن كلهم قد حدّث ببعضها، وأن حديثهم اجتمع فيما ساق من الحديث ، فكان فيما ذكر في ذلك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الشعب من أحُد في عُدوة الوادي إلى الجبل، فجعل ظهره وعسكره إلى أحُد، وقال : « لا يقاتلنّ أحدٌ حتى نأمره بالقتال». [٢] وقد سرّحت قريش الظهر والكُراع ، [٣] في زروع كانت بالصَّمغة من قناة للمسلمين ، [٤] فقال رجل من الأنصار حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال : أتُرعى زروع بني قيلة ولما نُضارِب ! [٥] وتعبّأ رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال وهو في سبعمئة رجل ، [٦] وتعبّأت قريش وهم ثلاثة آلاف ، [٧] ومعهم مائتا فرس قد جنَبوها ، [٨] فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد، وعلى ميسرتها عكرمة ابن أبي جهل . وأمّر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرماة عبد الله بن جبير ، أخا بني عمرو بن عوف ، وهو يومئذ مُعلم بثياب بيض ، والرماةُ خمسون رجلا ، ٨٣/٤

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « أن محمد بن يحيى . . . » ، والصواب من سيرة ابن هشام ٣ : ٦٤ وتاريخ الطبري ٣ : ٩ .

(٢) في المطبوعة : « لا تقاتلوا حتى نأمر بالقتال » ، وفي المخطوطة مثله ، إلا أنه كتب : « نأمره » والصواب من سيرة ابن هشام ، ومن تاريخ الطبري .

(٣) الظهر : الإبل التي يحمل عليها ويركب . والكراع : اسم يجمع الخيل والسلاح ، ويعني هنا الخيل .

(٤) « الصمغة» : أرض في ناحية أحد . و « قناة » واد يأتي من الطائف ، حتى ينتهي إلى أصل قبور الشهداء بأحد .

(٥) بنو قيلة : هم الأوس والخزرج ، الأنصار . وقيلة : أم قديمة لهم ينسبون إليها .

(٦) في المطبوعة : « وصفنا رسول الله . . . » ، وهو خطأ محض ، والصواب من سيرة ابن هشام ، والتاريخ ، والمخطوطة ، وهي فيها غير منقوطة .

(٧) في المطبوعة : « وتصاف قريش . . . » ، وهو خطأ صرف ، والصواب من التاريخ ، ومن المخطوطة وهي فيها غير منقوطة .

(٨) جنب الفرس والأسير يجنبه (بضم النون) جنباً (بالتحريك) فهو مجنوب وجنيب ، وخيل جنائب : إذا قادها إلى جنبه . ويقال : « خيل مجنبة » بتشديد النون مثلها .

وقال : انضح عنا الخيل بالنبل ، لا يأتونا من خلفنا ! إن كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك ، لا نؤتيَنَّ من قبلك » .(١) فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض .(٢) واقتتلوا ، حتى حميت الحرب ، وقاتل أبو دجانة حتى أمعن فى الناس ، وحمزة بن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب ، فى رجال من المسلمين . فأنزل الله عز وجل نصره وصدقهم وعده ، فحسُّوهم بالسيوف حتى كشفوهم ، وكانت الهزيمةَ لا شك فيها .(٣)

٨٠٠٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن جده قال ، قال الزبير : والله لقد رأيتُنى أنظر إلى خَدَم هند ابنة عتبة وصواحبها مشمِّرات هوارب ،(٤) ما دون إحداهن قليلٌ ولا كثير ، إذ مالت الرماة إلى العسكر حين كشفنا القومَ عنه

---

(١) نضح عنه : ذب عنه ، ورد عنه ونافح .

(٢) هذا اختصار مخل جداً ، فإن أبا جعفر لفق كلام ابن إسحق ، والذى رواه ابن هشام مخالف فى ترتيبه لما جاء فى خبر الطبرى هنا . وذلك أنه من أول قوله : « وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرماة . . . » مقدم على قوله : « وتعبأت قريش » ، وذلك فى السيرة ٣ : ٦٩ ، ٧١ . أما قوله : « فلما التقى الناس » فإنه يأتى فى السيرة فى ص ٧٢ ، وسياق الجملة : « فلما التقى الناس ، ودنا بعضهم من بعض ، قامت هند بنت عتبة فى النسوة اللاتى معها ، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرضنهم » ، وساق ما كان من أمرهن ، ثم قال : « قال ابن إسحق : فاقتتل الناس حتى حميت الحرب ، وقاتل أبو دجانة حتى أمعن فى الناس » ، أما قوله بعد ذلك : « وحمزة بن عبد المطلب . . . » ، فهو عطف على « وقاتل أبو دجانة » ، استخرجه الطبرى من سياق سيرة ابن إسحق ٣ : ٧٧ ، لا من نصه . وقد تركت ما فى التفسير على حاله ، لأنه خطأ من أبى جعفر نفسه ولا شك . وأما قوله : « ثم أنزل الله نصره . . . » إلى آخر الأثر فهو فى السيرة ٣ : ٨٢ .

(٣) الأثر : ٨٠٠٨ — هذا أثر ملفق من نص ابن إسحق ، وهو فيما رواه ابن هشام فى سيرته من مواضع متفرقة كما سترى ٣ : ٦٩ ، ٧٠/ثم ص : ٧٢/ثم ص : ٧٧/ثم ص ٨٢ ، وانظر التعليق السالف . ثم انظر تاريخ الطبرى ٣ : ١٣ / ثم ص ١٦ . وقوله : « حسوهم » أى قتلوهم واستأصلوهم ، كما سيأتى فى تفسير الآية بعد .

(٤) فى المخطوطة : « مسموات هوادن » وضبط الكلمة الأولى بالقلم بفتح الميم وضم السين وميم مشددة مفتوحة ! ! وهذا أعجب ما رأيت من السهو والغفلة ! والكلمتان خطأ محض ، وفى المطبوعة : « هوازم » ، والصواب من سيرة ابن هشام وتاريخ الطبرى .

يريدون النهب ، وخلّوا ظهورنا للخيل ، فأتينا من أدبارنا . وصرخ صارخٌ : « ألا إنّ محمداً قد قُتل » ! فانكفأنا ، وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء ،(١) حتى ما يدنو منه أحدٌ من القوم .(٢)

٨٠١٠ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق فى قوله : « ولقد صدقكم الله وعده » ، أى : لقد وفَيتُ لكم بما وعدتكم من النصر على عدوكم .(٣)

٨٠١١ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « ولقد صدقكم الله وعده » ، وذلك يوم أحد ، قال لهم : « إنكم ستظهرون ، فلا أعرِفنّ ما أصبتم من غنائمهم شيئاً ،(٤) حتى تفرُغوا » ! فتركوا أمر نبى الله صلى الله عليه وسلم ، وعصوا ، ووقعوا فى الغنائم ، ونسوا عَهْده الذى عَهِده إليهم ، وخالفوا إلى غير ما أمرهم به .(٥)

* * *

و « الخدم » جمع خدمة : وهى الخلخال ، ويجمع أيضاً « خدام » بكسر الخاء . « شمر تشميراً فهو مشمر » : جد فى السير أو العمل وأسرع ومضى مضياً ، وأصله من فعل العادى إذا جد فى عدوه وشمر عن ساقه وجمع ثوبه فى يده ، ليكون أسرع له .

(١) فى المخطوطة : « بعد أن رأينا أصحابناب » وضرب على « بنا » من « أصحابنا » ، فاجتهد الناشر قراءة هذا الكلام الفاسد فجعل مكان « أصبنا » « هزمنا » ولكنى رددته إلى نص ابن إسحق من رواية ابن هشام فى السيرة ، والطبرى فى التاريخ .

« انكفأ » : مال ورجع وانقلب ، وهو صورة حركة الراجع ، من انكفاء الإناء إذا أملته ناحية ، و « انكفأوا علينا » ، أى مالوا راجعين عليهم .

(٢) الأثر : ٨٠٠٩ – سيرة ابن هشام ٣ : ٨٢ ، وهو تابع آخر الأثر السالف رقم : ٨٠٠٨ ، وفى تاريخ الطبرى ٣ : ١٦ ، ١٧ .

(٣) الأثر : ٨٠١٠ – سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٠ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨٠٠٢ .

(٤) فى المخطوطة : « فلا عرض ما أصبتم » ، وفى المطبوعة : « فلا تأخذوا ما أصبتم » ، تصرف فى طلب المعنى ، وهو خطأ ، وستأتى على الصواب فى الأثر رقم : ٨٠٢٥ ، فى المطبوعة والمخطوطة معاً ، كما كتبتها هنا . وقوله : « فلا أعرفن ما أصبتم ... » ، يعنى : لا يبلغنى أنكم أصبتم من غنائمهم شيئاً . وقولهم : « لا أعرفن كذا » و « ولأعرفن كذا » كلمة تقال عند الوعيد والتهديد والزجر الشديد . وانظر مجيئها فى الأثرين رقم : ٨١٥٨ ، ٨١٦٠ والتعليق عليهما . وانظر الدر المنثور ٢ : ٨٥ .

(٥) انظر الأثر الآتى رقم : ٨٠٢٥ .

القول فى تأويل قوله ﴿ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك: ولقد وَفَى الله لكم، أيها المؤمنون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بما وعدكم من النصر على عدوكم بأحُد ، حين « تحُسُّونهم » ، يعنى : حين تقتلونهم .

* * *

يقال منه : « حسَّه يَحُسُّه حساً » ، إذا قتله،[1] كما : —

٨٠١٢ — حدثنى محمد بن عبد الله بن سعيد الواسطى قال ، حدثنا يعقوب ابن عيسى قال، حدثنى عبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز بن عمر بن عبدالرحمن ابن عوف، عن محمد بن عبد العزيز ، عن الزهرى ، عن عبد الرحمن بن المسور ابن مخرمة ، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن عوف فى قوله: « إذ تحسُّونهم بإذنه » ، قال : الحسُّ القتل.[2]

٨٠١٣ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنا بن أبى الزناد ، عن أبيه قال : سمعت عبيد الله بن عبد الله يقول فى قول الله عز وجل : « إذ تحسُّونهم » ، قال : القتل .

٨٠١٤ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا

---

(١) انظر تفسير « الحس » فيما سلف ٦ : ٤٤٣

(٢) الأثر : ٨٠١٢ — « محمد بن عبد الله بن سعيد الواسطى » ، مضى القول فيه برقم : ٢٨٦٧ ، ٢٨٦٨ ، ٢٨٨٨ ، وفى ٢٨٦٨ « محمد بن عبيد الله بن سعيد » . و « يعقوب بن عيسى » هو : « يعقوب بن محمد بن عيسى الزهرى » ، سلف فى رقم : ٢٨٦٧ . و « عبد العزيز بن عمران ابن عبد العزيز . . . الزهرى » ، هو الأعرج ، المعروف بابن أبى ثابت ، قيل: « ليس بثقة ، إنما كان صاحب شعر »، وقال يحيى : « رأيته ببغداد، كان يشتم الناس ويطعن فى أحسابهم . ليس حديثه بشىء » . مترجم فى التهذيب . و « محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف » قال البخارى : « منكر الحديث » ، وقال أبو حاتم : « هم ثلاثة إخوة : محمد بن عبد العزيز ، وعبد الله بن عبد العزيز . وعمران بن عبد العزيز ، وهم ضعفاء الحديث ، ليس لهم حديث مستقيم ، وليس لمحمد عن أبى الزناد ، والزهرى ، وهشام بن عروة ، حديث صحيح ». مترجم فى الكبير ١/١/١٦٧ ، وابن أبى حاتم ٤/١/٧

عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد: « إذ تحسونهم بإذنه »، قال: تقتلونهم .

٨٠١٥ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : « ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم »، أي : قتلاً بإذنه .

٨٠١٦ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « إذ تحسونهم » ، يقول : إذ تقتلونهم .

٨٠١٧ – حدثت عن عمار ، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه، عن الربيع : « إذ تحسونهم بإذنه » ، والحس القتل .

٨٠١٨ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه » ، يقول : تقتلونهم .

٨٠١٩ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق: « إذ تحسونهم » بالسيوف ، أي : القتل .[1]

٨٠٢٠ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن مبارك ، عن الحسن: « إذ تحسونهم بإذنه » ، يعني : القتل .

٨٠٢١ – حدثني على بن داود قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية ، عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « إذ تحسونهم بإذنه » ، يقول : تقتلونهم .

* * *

وأما قوله : « بإذنه » ، فإنه يعني : بحكمي وقضائي لكم بذلك ، وتسليطي إياكم عليهم ،[2] كما : –

---

(١) الأثر : ٨٠١٩ – سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٠ ، وهو تتمة الآثار التي آخرها : ٨٠١٠ ، وكان في المخطوطة والمطبوعة : « أي : بالقتل » ، والباء زيادة لا خير فيها ، والصواب من سيرة ابن هشام .

(٢) انظر تفسير « الإذن » فيما سلف ٢ : ٤٤٩ ، ٤/٤٥٠ : ٢٨٦ ، ٥/٣٧١ : ٣٥٢ ، ٣٥٥ ، ٣٩٥ .

٨٠٢٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة عن ابن إسحق: إذ تحسونهم بإذنى ، وتسليطى أيديكم عليهم ، وكفّى أيديهم عنكم . (١) ٤/

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « حتى إذا فشلتم » ، حتى إذا جبنتم وضعفتم (٢) = « وتنازعتم فى الأمر » ، يقول : واختلفتم فى أمر الله ، يقول : وعصيتم وخالفتم نبيكم، فتركتم أمره وما عهد إليكم. وإنما يعنى بذلك الرماة الذين كان أمرَهم صلى الله عليه وسلم بلزوم مركزهم ومقعدهم من فم الشِّعب بأحُد بإزاء خالد ابن الوليد ومن كان معه من فرسان المشركين، الذين ذكرنا قبلُ أمرَهم .

= وأما قوله : « من بعد ما أراكم ما تحبون » ، فإنه يعنى بذلك : من بعد الذى أراكم الله ، أيها المؤمنون بمحمد ، من النصر والظفر بالمشركين ، وذلك هو الهزيمة التى كانوا هزموهم عن نسائهم وأموالهم قبل ترك الرماة مقاعدهم التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقعدهم فيها ، وقبل خروج خيل المشركين على المؤمنين من ورائهم .

* * *

وبنحو الذى قلنا تظاهرت الأخبار عن أهل التأويل .

---

(١) الأثر : ٨٠٢٢ – سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٠ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨٠١٩ .

(٢) انظر تفسير « فشل » فيما سلف ٧ : ١٦٨ .

وقد مضى ذكر بعض من قال ، وسنذكر قول بعض من لم يذكر قوله فيما مضى .

* ذكر من قال ذلك :

٨٠٢٣ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر » ، أى اختلفتم فى الأمر = « وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون » ، وذاكم يوم أحد ، عهد إليهم نبى الله صلى الله عليه وسلم وأمرَهم بأمر فنسوا العهد ، وجاوزوا ،[1] وخالفوا ما أمرهم نبى الله صلى الله عليه وسلم ، فقذف عليهم عدوّهم ،[2] بعد ما أراهم من عدوهم ما يحبون .

٨٠٢٤ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ناساً من الناس – يعنى يوم أحُد – فكانوا من ورائهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كونوا ههنا ، فردّوا وجه من فرّ منا ،[3] وكونوا حرساً لنا من قِبل ظهورنا » . وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هزم القوم هو وأصحابه ، قال الذين كانوا جُعلوا من ورائهم ، بعضهم لبعض ،[4] لما رأوا النساء مُصْعِدات فى الجبل ورأوا الغنائم ،

---

(١) فى المطبوعة : « وجاوزوا » ، وهى ضعيفة المعنى هنا . ولم تذكر كتب اللغة « جاوز » لكنهم قالوا : « انحاز القوم وتحوزوا وتحيزوا : تركوا مركزهم ومعركة قتالهم وتنحوا عنه ، ومالوا إلى موضع آخر » . وانظر ما سلف فى التعليق على رقم : ٧٥٢٤ ، من قوله : « تحاوز الناس » .

(٢) فى المطبوعة : « فانصرف عليهم » ، ولا معنى لها ، ولكنه أخذها من الأثر التالى ٨٠٢٥ ، من رسم المخطوطة هناك . وفى الدر المنثور ٢ : ٨٥ « فانصر عليهم » ، ولا معنى لها أيضاً . وهى فى المخطوطة هنا « فصرف » ، فرجحت أن يكون هذا تصحيف « فقذف » ، فأثبتها ، وهى سياق المعنى حين انحطت عليهم خيل المشركين من ورائهم .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « من قدمنا » ، والصواب من تاريخ الطبرى . وفى الدر المنثور ٢ : ٨٤ « من ند منا » ، يقال « ند البعير » ، إذا نفر وشرد وذهب على وجهه ، ولا بأس بمعناها هنا .

(٤) فى المطبوعة : « اختلف الذين كانوا جعلوا من ورائهم فقال بعضهم لبعض » ، زاد الناشر الأول « اختلف » ، أما المخطوطة ، والدر المنثور ٢ : ٨٤ ، فليس فيها « اختلف » ، والكلام بعد كما هو ، وهو مضطرب ، ورددته إلى الصواب من تاريخ الطبرى ، حذفت « فقال » من وسط الكلام ، ووضعت « قال » فى أوله .

قالوا : « انطلقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأدركوا الغنيمة قبل أن تُسبقوا إليها » ! وقالت طائفة أخرى : « بل نطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنثبت مكاننا » ! فذلك قوله : « منكم من يريد الدنيا » ، للذين أرادوا الغنيمة = « ومنكم من يريد الآخرة » ، للذين قالوا : « نطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونثبت مكاننا » . فأتوا محمداً صلى الله عليه وسلم ، فكان فشلاً حين تنازعوا بينهم يقول : « وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون » ، كانوا قد رأوا الفتح والغنيمة .

٨٠٢٥ — حدثت عن عمار ، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « حتى إذا فشلتم » ، يقول : جبنتم عن عدوكم = « وتنازعتم فى الأمر » ، يقول : اختلفتم = « وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون » ، وذلك يوم أحد قال لهم : « إنكم ستظهرون ، فلا أعرفنّ ما أصبتم من غنائمهم شيئاً حتى تفرغوا » ،[1] فتركوا أمر نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وعصوا ، ووقعوا فى الغنائم ، ونسوا عهده الذى عهده إليهم ، وخالفوا إلى غير ما أمرهم به ، فانقذف عليهم عدوهم ،[2] من بعد ما أراهم فيهم ما يحبون .[3]

٨٠٢٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « حتى إذا فشلتم » ، قال ابن جريج ، قال ابن عباس : الفشَل الجبن .

٨٠٢٧ — حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون » ، من الفتح .

---

(١) انظر التعليق على الأثر : ٨٠١١ ، ص : ٢٨٦ ، تعليق : ٤ .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « فانصرف عليهم عدوهم » ، ولا معنى لها ، وفى الدر المنثور ٢ : ٨٥ « فانصر عليهم » ، ولا معنى لها ، وانظر التعليق السالف ص : ٢٩٠ تعليق : ٢ .

(٣) الأثر : ٨٠٢٥ — مضى برقم : ٨٠١١ مختصراً .

٨٠٢٨ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « حتى إذا فشلتم » ، أى : تخاذلتم[١] = « وتنازعتم فى الأمر » ، أى : اختلفتم فى أمرى = « وعصيتم » ، أى : تركتم أمر نبيكم صلى الله عليه وسلم ، وما عهد إليكم ، يعنى الرماة = « من بعد ما أراكم ما تحبون » ، أى : الفتح لا شك فيه ، وهزيمة القوم عن نسائهم وأموالهم .[٢]

٨٠٢٩ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن المبارك ، عن الحسن : « من بعد ما أراكم ما تحبون » ، يعنى : من الفتح . ٨٥/٤

* * *

قال أبو جعفر : وقيل معنى قوله : « حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون » = حتى إذا تنازعتم فى الأمر فشلتم وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون = وأنه من المقدم الذى معناه التأخير ،[٣] وأن « الواو » دخلت فى ذلك ومعناها السقوط ، كما يقال ،[٤] ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ۝ وَنَادَيْنَاهُ ﴾ [سورة الصافات : ١٠٣ ، ١٠٤] معناه : ناديناه . وهذا مقول فى : ﴿ حَتَّى إِذَا ﴾ وفى ﴿ فَلَمَّا أَنْ ﴾ . [لم يأت فى غير هذين] .[٥] ومنه قول الله عز وجل : ﴿ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾ ثم قال : ﴿ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ ﴾ [سورة الأنبياء : ٩٦ : ٩٧] .

---

(١) فى المطبوعة : « تجادلتم » ، وهو خطأ صرف ، والصواب من سيرة ابن هشام .

(٢) الأثر : ٨٠٢٨ – سيرة ابن هشام ٣ : ١٢١ .

(٣) فى المطبوعة : « أنه من المقدم . . . » بإسقاط الواو ، وهو خطأ ، والصواب من المخطوطة .

(٤) فى المطبوعة « كما قلنا فى فلما أسلما . . . » بزيادة « فى » وفى المخطوطة : « كما قلنا فلما أسلما » ، بإسقاط « فى » ، وأثبت ما فى معانى القرآن للفراء ١ : ٢٣٨ ، فهذا نص كلامه .

(٥) فى المطبوعة : « وهذا مقول فى (حتى إذا) وفى (لما) ومنه قول الله . . . » ، وفى المخطوطة : « وهذا مقول فى (حتى إذا) وفى (فلما أن) ، وفلما ، ومنه قول الله عز وجل » . والذى فى المطبوعة تغيير لا خير فيه ، والذى فى المخطوطة خطأ لاشك فيه ، فآثرت إثبات ما فى معانى القرآن للفراء ١ : ٢٣٨ ، فإنه نص مقالته ، وزدت منه ما بين القوسين .

ومعناه : اقترب ،(١) كما قال الشاعر :(٢)

حَتَّى إذَا قَمِلَتْ بُطُونُكُمُ وَرَأَيْتُمُ أَبْنَاءَكُمْ شَبُّوا(٣)
وَقَلَبْتُمْ ظَهْرَ المِجَنِّ لَنَا إنَّ اللَّئِيمَ العَاجِزَ الخَبُّ(٤)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « منكم من يريد الدنيا » ، الذين تركوا مقعدهم الذى أقعدهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشِّعب من أحُد لخيل المشركين ، ولحقوا بعسكر المسلمين طلب النهب إذ رأوا هزيمة المشركين = « ومنكم من يريد الآخرة » ، يعنى بذلك : الذين ثبتوا من الرماة فى مقاعدهم التى

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٣٨ .

(٢) هو الأسود بن يعفر النهشلى ، وهو فى أكثر الكتب غير منسوب .

(٣) معانى القرآن للفراء ١ : ١٠٧ ، ٢٣٨ / اللسان (قمل) والجزء ٢٠ : ٣٨١ / تأويل مشكل القرآن : ١٩٧ ، ١٩٨ / المعانى الكبير : ٥٣٣ / مجالس ثعلب : ٧٤ / أمالى الشجرى ١ : ٣٥٧ ، ٣٥٨ / الإنصاف لابن الأنبارى : ١٨٩ / الخزانة ٤ : ٤١٤ / وهو فى جميعها غير منسوب ، وهو من شعر لم أجده تاماً ، ذكر أبياتاً منه البكرى فى معجم ما استعجم : ٣٧٩ ، فيها البيت الأول وحده ، وبيتان آخران منها فى اللسان (وقب) وتهذيب الألفاظ : ١٩٦ . وهو من شعر يهجو فيه بنى نجيح ، من بنى عبد الله بن مجاشع بن دارم يقول فى هجائهم :

أَبَنِى نَجِيحٍ ، إنَّ أُمَّكُمُ أَمَةٌ ، وإنَّ أَبَاكُمُ وَقْبُ
أَكَلَتْ خَبِيثَ الزَّادِ فَانْخَمَتْ عَنْهُ ، وَشَمَّ خِمَارَهَا الكَلْبُ

وقوله : « قملت بطونكم » ، كثرت قبائلكم . والبطون بطون القبائل .

(٤) يقال : « قلبت له ظهر المجن » — والمجن : الترس ، لأنه يوارى صاحبه — كلمة تضرب مثلا لمن كان لصاحبه على مودة ورعاية ، ثم حال عن ذلك فعاداه . والخب (بفتح الخاء ، وكسرها) الخداع الخبيث المنكر : وفى الحديث : « المؤمن غر كريم ، والكافر خب لئيم » .

أقعدهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واتبعوا أمره ، محافظة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وابتغاء ما عند الله من الثواب بذلك من فعلهم والدار الآخرة ، كما : —

٨٠٣٠ — حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة » ، فالذين انطلقوا يريدون الغنيمة هم أصحاب الدنيا ، والذين بقوا وقالوا : « لا نخالف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، أرادوا الآخرة .

٨٠٣١ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس مثله .

٨٠٣٢ — حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد ابن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « منكم من يريد الدنيا ومنكم يريد الآخرة » ، فإن نبى الله صلى الله عليه وسلم أمر يوم أحد طائفة من المسلمين فقال : « كونوا مَسْلحة للناس » ، [1] بمنزلة أمرَهم أن يثبتوا بها ، وأمرهم أن لا يبرحوا مكانهم حتى يأذن لهم . فلما لقى نبى الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد أبا سفيان ومن معه من المشركين ، هزمهم نبى الله صلى الله عليه وسلم ! فلما رأى المسلحةُ أن الله عز وجل هزم المشركين ، انطلق بعضهم وهم يتنادون : « الغنيمة ! الغنيمة ! لا تفتكم » ! وثبت بعضهم مكانهم ، وقالوا : لا نَريم موضعنا حتى يأذن لنا نبى الله صلى الله عليه وسلم ! فى ذلك نزل : « منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة » ، فكان ابن مسعود يقول : ما شعرت أن أحداً من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كان يريد الدنيا وعرَضَها ، [2] حتى كان يوم أحد .

---

(١) المسلحة : القوم ذوو السلاح يوكلون بثغر من الثغور يحفظونه مخافة أن يأتى منه العدو . وسميت الثغور « مسالح » من ذلك ، وهى مواضع المخافة .

(٢) « ما شعرت » ، أى : ما علمت ، يأتى كذلك فى الأثر التالى .

٨٠٣٣ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج، قال ابن عباس : لما هزم الله المشركين يوم أحد ، قال الرماة : « أدركوا الناسَ ونبيَّ الله صلى الله عليه وسلم لا يسبقوكم إلى الغنائم ، فتكون لهم دونكم » ! وقال بعضهم : « لا نَرِيم حتى يأذن لنا النبي صلى الله عليه وسلم » . فنزلت : « منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة » ، قال : ابن جريج ، قال ابن مسعود : ما علمنا أن أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يريد الدنيا وعرَضَها ، حتى كان يومئذ .

٨٠٣٤ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن المبارك، عن الحسن : « منكم من يريد الدنيا »، هؤلاء الذين يجترُّون الغنائم[1] = « ومنكم من يريد الآخرة » ، الذين يتبعونهم يقتلونهم .

٨٠٣٥ – حدثنا الحسين بن عمرو بن محمد العنقزى قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى ، عن عبد خير قال : قال عبد الله : ما كنت أرى أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى نزل فينا يوم أحد : « منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة » .[2]

٨٠٣٦ – حدثنا محمد قال، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى ، عن عبد خير قال ، قال ابن مسعود : ما كنت أظن فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ أحداً يريد الدنيا ، حتى قال الله ما قال . ٨٦/٤

٨٠٣٧ – حدثت عن عمار، عن ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع

---

(١) فى المطبوعة : « يحيزون الغنائم » ، وهو خطأ ، والكلمة فى المخطوطة غير منقوطة ، والذى أثبته هو صواب قراءتها . واجترّ الشيء : جره ، يعنى يطلبونها إلى أنفسهم .

(٢) الأثر ٨٠٣٥ – « الحسين بن عمرو بن محمد العنقزى » ، مضى مراراً ، وسلف ترجمته فى رقم : ١٦٢٥ ، وكان فى المطبوعة : « العبقرى » ، وهو خطأ ، وفى المخطوطة غير منقوط . وأما « عبد خير » ، فهو « عبد خير بن يزيد الهمدانى » . أدرك الجاهلية ، وروى عن أبى بكر ، وابن مسعود وعلى ، وزيد بن أرقم ، وعائشة . وهو تابعى ثقة . مترجم فى التهذيب .

قال ، قال عبد الله بن مسعود لما رآهم وقعوا فى الغنائم : ما كنت أحسب أن أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى كان اليوم .

٨٠٣٨ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : كان ابن مسعود يقول : ما شعرتُ أن أحداً من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كان يريد الدنيا وعرَضها ، حتى كان يومئذ .(١)

٨٠٣٩ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « منكم من يريد الدنيا » ، أى : الذين أرادوا النهب رغبة فى الدنيا وتركَ ما أمروا به من الطاعة التى عليها ثواب الآخرة = « ومنكم من يريد الآخرة » ، أى : الذى جاهدوا فى الله ولم يخالفوا إلى ما نهوا عنه لعرض من الدنيا رغبة فيها ،(٢) رجاء ما عند الله من حسن ثوابه فى الآخرة .(٣)

• • •

القول فى تأويل قوله ﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ثم صرفكم ، أيها المؤمنون ، عن المشركين بعد ما أراكم ما تحبون فيهم وفى أنفسكم ، من هزيمتكم إياهم وظهوركم عليهم ، فردَّ وجوهكم عنهم لمعصيتكم أمر رسولى ، ومخالفتكم طاعته ، وإيثاركم الدنيا على الآخرة ،

---

(١) الأثر : ٨٠٣٨ – هو من بقية الأثر السالف : ٨٠٢٤ ، ورواه فى تاريخه ٣ : ١٤ .

(٢) فى المطبوعة : « لم يخالفوا » بإسقاط الواو ، وأثبتها من المخطوطة وابن هشام . وفى المطبوعة والمخطوطة : « لعرض من الدنيا رغبة فى رجاء ما عند الله » ، وهو كلام يتلجلج ، والصواب ما فى سيرة ابن هشام ، وهو الذى أثبت .

(٣) الأثر : ٨٠٣٩ – سيرة ابن هشام ٣ : ١٢١ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨٠٢٨ .

– عقوبةً لكم على ما فعلتم، « ليبتليكم » ، يقول : ليختبركم،[1] فيتميز المنافق منكم من المخلص الصادق فى إيمانه منكم ، كما : –

٨٠٤٠ – حدثنا محمد قال، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : ثم ذكر حين مال عليهم خالد بن الوليد : « ثم صرفكم عنهم ليبتليكم » .

٨٠٤١ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن مبارك ، عن الحسن فى قوله : « ثم صرفكم عنهم »، قال : صرف القوم عنهم، فقُتل من المسلمين بعدّة من أسروا يوم بدر، وقُتل عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكسرت رباعيته، وشُجّ فى وجهه، وكان يمسح الدم عن وجهه ويقول : « كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيّهم وهو يدعوهم إلى ربهم » ؟ فنزلت ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [سورة آل عمران : ١٢٨] ، الآية. فقالوا : أليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدنا النصر ؟ فأنزل الله عز وجل : « ولقد صدقكم الله وعده » إلى قوله : « ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم » .

٨٠٤٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة عن ابن إسحق : « ثم صرفكم عنهم ليبتليكم » ، أى : صرفكم عنهم ليختبركم، وذلك ببعض ذنوبكم.[2]

* * *

---

(١) انظر تفسير « ابتل » فيما سلف ٢ : ٣/٤٩ : ٧ ، ٥/٢٢٠ : ٣٣٩ .

(٢) الأثر : ٨٠٤٢ – سيرة ابن هشام ٣ : ١٢١ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨٠٣٩ . وفى سيرة ابن هشام المطبوعة ، سقط بعض الكلام، فاضطرب لفظه ، ويستفاد تصحيحه من هذا الموضع من التفسير .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٥٢)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « ولقد عفا عنكم » ، ولقد عفا الله = أيها المخالفون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتاركون طاعته فيما تقدم به إليكم من لزوم الموضع الذى أمركم بلزومه = عنكم ، فصفح لكم من عقوبة ذنبكم الذى أتيتموه ، عما هو أعظم مما عاقبكم به من هزيمة أعدائكم إياكم ، وصرفِ وجوهكم عنهم ،[1] إذ لم يستأصل جمعكم ، كما : —

٨٠٤٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن مبارك ، عن الحسن فى قوله : « ولقد عفا عنكم » ، قال : قال الحسن ، وصفَّق بيديه : وكيف عفا عنهم ، وقد قُتل منهم سبعون ، وقُتل عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكسرت رباعيته ، وشج فى وجهه ؟ قال : ثم يقول : قال الله عز وجل : « قد عفوت عنكم إذ عصيتمونى ، أن لا أكون استأصلتكم ». قال : ثم يقول الحسن : هؤلاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى سبيل الله ، غضابٌ لله ، يقاتلون أعداء الله ، نهوا عن شىء فصنعوه ، فوالله ما تركوا حتى غُمُّوا بهذا الغم ، فأفسق الفاسقين اليوم يتَجَرْثَمُ كلَّ كبيرة ،[2] ويركب كل داهية ، ويسحبُ عليها ثيابه ، ويزعم أن لا بأس عليه ! ! فسوف يعلم .

٨٠٤٤ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « ولقد عفا عنكم » ، قال : لم يستأصلكم .

---

(١) فى المخطوطة : « وصرف وجوهكم عنه » ، والصواب ما فى المطبوعة .

(٢) فى المطبوعة : « يتجرأ على كل كبيرة » ، تصرف فى نص المخطوطة ، وتجرثم الشىء : أخذ معظمه ، وجرثومة كل شىء : أصله ومجتمعه .

٨٠٤٥ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ولقد عفا عنكم » ، ولقد عفا الله عن عظيم ذلك ، لم يهلككم بما أتيتم من معصية نبيكم ، ولكن عُدْتُ بفضلي عليكم .(١)

• • •

٤/١٠٧ وأما قوله : « والله ذو فضل على المؤمنين » ، فإنه يعني : والله ذو طَوْل على أهل الإيمان به وبرسوله ،(٢) بعفوه لهم عن كثير ما يستوجبون به العقوبة عليه من ذنوبهم، فإن عاقبهم على بعض ذلك، فذو إحسان إليهم بجميل أياديه عندهم، كما :—

٨٠٤٦ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين » ، يقول : وكذلك منّ الله على المؤمنين، إن عاقبهم ببعض الذنوب في عاجل الدنيا أدباً وموعظة ، فإنه غير مستأصل لكل ما فيهم من الحق له عليهم لما أصابوا من معصيته ، رحمةً لهم وعائدة عليهم ، لما فيهم من الإيمان .(٣)

• • •

القول في تأويل قوله ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : ولقد عفا عنكم ، أيها المؤمنون ، إذ لم يستأصلكم إهلاكاً منه جمعكم بذنوبكم وهربكم = « إذ تصعدون ولا تلوون على أحد » .

• • •

(١) الأثر : ٨٠٤٥ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢١ ، وهو تتمة الآثار التي آخرها : ٨٠٤٢ .
(٢) انظر تفسير « الفضل » فيما سلف ٢ : ٥/٣٤٤ : ١٦٤ ، ٦/٥٧١ : ١٥٦ .
(٣) الأثر : ٨٠٤٦ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢١ ، وهو تتمة الآثار التي آخرها : ٨٠٤٥ . وفي سيرة ابن هشام المطبوعة فساد قبيح . يستفاد تصحيحه من هذا الموضع من التفسير .

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأه عامة قرأة الحجاز والعراق والشأم ، سوى الحسن البصرى : ﴿إِذْ تُصْعِدُون﴾ بضم « التاء » وكسر « العين » . وبه القراءة عندنا ، لإجماع الحجة من القرأة على القراءة به ، واستنكارهم ما خالفه .

* * *

وروى عن الحسن البصرى أنه كان يقرأه : ﴿إِذْ تَصْعَدُون﴾ ، بفتح « التاء » و « العين » .

٨٠٤٧ – حدثنى بذلك أحمد بن يوسف قال ، حدثنا القاسم بن سلام قال ، حدثنا حجاج ، عن هرون ، عن يونس بن عبيد ، عن الحسن .

* * *

فأما الذين قرأوا ﴿تُصْعِدُون﴾ بضم « التاء » وكسر « العين » ، فإنهم وجهوا معنى ذلك إلى أنّ القوم حين انهزموا عن عدوّهم ، أخذوا فى الوادى هاربين . وذكروا أنّ ذلك فى قراءة أبىّ ﴿إِذْ تُصْعِدُون فِى الوَادِى﴾ .

٨٠٤٨ – حدثنا [بذلك] أحمد بن يوسف قال ، حدثنا أبو عبيد قال ، حدثنا حجاج ، عن هرون .

* * *

= قالوا : فالهرب فى مستوى الأرض وبطون الأودية والشعاب : « إصعاد » ، لا صعود .[1] قالوا : وإنما يكون « الصعود » على الجبال والسلاليم والدّرج . لأن معنى « الصعود » ، الارتقاء والارتفاع على الشىء عُلواً .[2]

قالوا : فأما الأخذ فى مستوى الأرض والهبوط ، فإنما هو « إصعاد » ، كما يقال : « أصعَدْنا من مكة » ، إذا بتدأت فى السفر منها والخروج = « وأصعدنا

---

(١) فى المطبوعة : « قالوا : الهرب فى مستوى الأرض » . وفى المخطوطة : « بالهرب » ، والصواب ما أثبت .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٠٥ ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٢٣٩ .

من الكوفة إلى خراسان »، بمعنى : خرجنا منها سفراً إليها ، وابتدأنا منها الخروج إليها .

قالوا : وإنما جاء تأويل أكثر أهل التأويل، بأن القوم أخذوا عند انهزامهم عن عدوهم فى بطن الوادى.

• ذكر من قال ذلك :

٨٠٤٩ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة : « ولا تلوون على أحد »، ذاكم يوم أحد، أصعدوا فى الوادى فراراً ،[1] ونبى الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم فى أخراهم: « إلىّ عباد الله ، إلىّ عباد الله » ![2]

• • •

قال أبو جعفر : وأما الحسن، فإنى أراه ذهب فى قراءته: « إذ تَصْعَدون » بفتح « التاء » و « العين »، إلى أن القوم حين انهزموا عن المشركين صعدوا الجبل . وقد قال ذلك عددٌ من أهل التأويل .

• ذكر من قال ذلك :

٨٠٥٠ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد قال، حدثنا أسباط، عن السدى قال: لما شدّ المشركون على المسلمين بأحُد فهزموهم، دخل بعضهم المدينة، وانطلق بعضهم فوق الجبل إلى الصخرة فقاموا عليها ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس: « إلىّ عباد الله، إلىّ عباد الله »! فذكر الله صعودهم على الجبل، ثم ذكر دعاء نبىّ الله صلى الله عليه وسلم إياهم فقال : « إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم فى أخراكم » .[3]

---

(١) فى المخطوطة : « فى الوادى نبى الله » وما بينهما بياض، وما ثبت فى المطبوعة، صواب موافق لما فى الدر المنثور ٢ : ٨٧ ، على خطأ ظاهر فى الدر .

(٢) فى المخطوطة : « قال عباد الله قال عباد الله » ، والذى فى المطبوعة هو الصواب الموافق لما فى الدر المنثور ٢ : ٨٧ ، إلا أن ناشر المطبوعة زاد « قال » قبل : « إلى عباد الله » ، وهو فاسد فحذفتها، فإن الذى فى المخطوطة تصحيف « إلى . . . إلى » . وانظر الأثر التالى : ٨٠٥٠ .

(٣) الأثر : ٨٠٥٠ — هو بعض الأثر السالف : ٧٩٤٣ ، مع زيادة فيه ، وفى تاريخ الطبرى أيضاً ٣ : ٢٠ ، مع زيادة هنا .

٨٠٥١ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: انحازوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فجعلوا يصعدون في الجبل، والرسول يدعوهم في أخراهم.

٨٠٥٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

٨٠٥٣ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قال، قال ابن عباس قوله: «إذ تصعدون ولا تلوون على أحد»، قال صعدوا في أحُد فراراً.

* * *

قال أبو جعفر: وقد ذكرنا أن أولى القراءتين بالصواب، قراءة من قرأ: «إذ تُصعِدون»، بضم «التاء» وكسر «العين»، بمعنى: السبق والهرب في مستوى الأرض أو في المهابط، لإجماع الحجة على أن ذلك هو القراءة الصحيحة. ففي ٨٨/٤
إجماعها على ذلك، الدليلُ الواضح على أنّ أولى التأويلين بالآية، تأويل من قال: «أصْعدوا في الوادي ومضوْا فيه»، دون قول من قال: «صعدوا على الجبل».

* * *

قال أبو جعفر: وأما قوله: «ولا تلوون على أحد»، فإنه يعني: ولا تعطفون على أحد منكم، ولا يلتفت بعضكم إلى بعض، هرباً من عدوّكم مُصْعدين في الوادي.(١)

* * *

ويعني بقوله: «والرسول يدعوكم في أخراكم»، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوكم أيها المؤمنون به من أصحابه = «في أخراكم»، يعني: أنه يناديكم من خلفكم: «إليّ عباد الله، إليّ عبد الله»! (٢) كما: –

(١) انظر تفسير «لوى» فيما سلف: ٦: ٥٣٦، ٥٣٧.
(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١: ١٠٥، ومعاني القرآن للفراء: ١: ٢٣٩.

٨٠٥٤ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « والرسول يدعوكم في أخراكم » ، إلىّ عباد الله ارجعوا ، إلىّ عباد الله ارجعوا !

٨٠٥٥ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « والرسول يدعوكم في أخراكم » ، رأوا نبي الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم : « إلىّ عباد الله » !

٨٠٥٦ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي مثله .

٨٠٥٧ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : أنّبهم الله بالفرار عن نبيهم صلى الله عليه وسلم ، وهو يدعوهم ، لا يعطفون عليه لدعائه إياهم، فقال: « إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم » .[1]

٨٠٥٨ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « والرسول يدعوكم في أخراكم » ، هذا يوم أحد حين انكشف الناسُ عنه .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٥٣)

قال أبو جعفر : يعني بقوله جل ثناؤه : « فأثابكم غمًّا بغم » ، يعني : فجازاكم بفراركم عن نبيكم ،وفشلكم عن عدوكم ، ومعصيتكم ربكم = «غمًّا بغم »، يقول: غمًّا على غم .

* * *

(١) الأثر : ٨٠٥٧ – سيرة ابن هشام ٣ : ١٢١ ، وهو تتمة الآثار التي آخرها : ٨٠٤٦ .

وسمى العقوبة التى عاقبهم بها = من تسليط عدوهم عليهم حتى نال منهم ما نال « ثواباً » ، إذ كان عوضاً من عملهم الذى سخطه ولم يرضه منهم ،(١) فدلّ بذلك جل ثناؤه أنّ كل عوض كان لمعوَّض من شيء من العمل، خيراً كان أو شرًّا = أو العوض الذى بذله رجل لرجل ، أو يد سلفت له إليه، فإنه مستحق اسم « ثواب »، كان ذلك العوض تكرمةً أو عقوبة ، ونظير ذلك قول الشاعر :(٢)

أَخَافُ زِيَاداً أَنْ يَكُونَ عَطَاؤُهُ أَدَاهِمَ سُوداً أَوْ مُحَدْرَجَةً سُمْرَا(٣)

فجعل « العطاء » القيودَ.(٤) وذلك كقول القائل لآخر سلف إليه منه مكروه : « لأجازينّك على فعلك، ولأثيبنك ثوابك » .(٥)

* * *

وأما قوله : « غمًّا بغم »، فإنه قيل: « غمًّا بغم »، معناه: غمًّا على غم، كما قيل: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [سورة طه: ٧١]، بمعنى : ولأصلبنكم على جذوع النخل. وإنما جاز ذلك، لأن معنى قول القائل: « أثابك الله غمًّا على غم »، جزاك الله

---

(١) فى المطبوعة : « إذ كان ذلك من عملهم الذى سخطه » ، وكان فى المخطوطة مكان « ذلك » بياض ، والصواب ما أثبت ، استظهاراً من كلام أبى جعفر التالى .

(٢) هو الفرزدق .

(٣) ديوانه : ٢٢٧ ، النقائض : ٦١٨، طبقات فحول الشعراء : ٢٥٦ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ١٣٩ ، معانى القرآن للفراء ١ : ٢٣٩ ، وغيرها . من شعره فى زياد بن أبى سفيان ، وهو يلى الأبيات التى ذكرتها فى التفسير آنفاً ٢ : ١٩٥ ، تعليق : ١ ، والرواية التى ذكرها الطبرى هنا ، متابعة للفراء ، وهى لا تستقيم مع الشعر ، وأجمع الرواة على أنه :

فلمَّا خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ عَطَاؤُهُ . . . . . .
نَمَيْتُ إِلَى حَرْفٍ أَضَرَّ بِنَيِّهَا سُرَى الْبِيدِ وَاسْتِعْرَاضُهَا الْبَلَدَ الْقَفْرَا

والأداهم جمع أدهم : وهو القيد ، سمى بذلك لسواده . والمحدرجة : السياط . حدرج السوط : فتله فتلا محكماً حتى استوى . وجعلها « سمراً » ، لأدمة جلدها الذى تصنع منه .

(٤) فى المطبوعة : « فجعل العطاء العقوبة » ، والصواب من المخطوطة ، ولا أدرى لم غيره الناشر الأول .

(٥) انظر لما سلف ، معانى القرآن للفراء ١ : ٢٣٩ ، وانظر معنى « الثواب » فيما سلف قريباً : ٢ : ٤٥٨ / ٧ : ٢٧٢ ، وقد نسيت أن أذكر مرجعه هناك .

غمًّا بعد غم تقدَّمه ،[1] فكان كذلك معنى : « فأثابكم غمًّا بغم » ، لأن معناه : فجزاكم الله غمًّا بعقب غمّ تقدمه ،[1] وهو نظير قول القائل : « نزلت ببنى فلان ، ونزلت على بنى فلان » ، « وضربته بالسيف وعلى السيف » .[2]

* * *

واختلف أهل التأويل فى الغم الذى أثيب القوم على الغم ، وما كان غمُّهم الأول والثانى ؟

فقال بعضهم : « أما الغم الأول ، فكان ما تحدَّث به القوم أنّ نبيهم صلى الله عليه وسلم قد قُتل . وأما الغمّ الآخر ، فإنه كان ما نالهم من القتل والجراح » .

* ذكر من قال ذلك :

٨٠٥٩ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فأثابكم غمًّا بغم » ، كانوا تحدَّثوا يومئذ أن نبى الله صلى الله عليه وسلم أصيب ، وكان الغم الآخر قَتل أصحابهم والجراحات التى أصابتهم . قال : وذكر لنا أنه قتل يومئذ سبعون رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ستة وستون رجلا من الأنصار ، وأربعة من المهاجرين= وقوله : « لكيلا تحزنوا على ما فاتكم » ، يقول : ما فاتكم من غنيمة القوم =« ولا ما أصابكم » ، فى أنفسكم من القتل والجراحات .

٨٠٦٠ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « فأثابكم غمًّا بغم » ، قال : فرّة بعد فرّة : الأولى حين سمعوا الصوت أنّ محمداً قد قتل ، والثانية حين رجع الكفار ، فضربوهم مدبرين ، حتى قتلوا منهم سبعين رجلا ، ثم انحازوا إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم فجعلوا يصعدون فى الجبل والرسول يدعوهم فى أخراهم . ٨٩/٤

---

(١) فى المطبوعة : « يقدمه » فى الموضعين ، وهو خطأ لا شك فيه .

(٢) انظر ما سلف ١ : ٢٩٩ ، ٢/٣١٣ : ٤١١ ، ٤١٢ .

٨٠٦١ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد نحوه .

* * *

وقال آخرون : « بل غمهم الأول كان قتْل من قتل منهم وجرح من جرح منهم. والغم الثاني كان من سماعهم صوت القائل : « قُتل محمد » ، صلى الله عليه وسلم .

* ذكر من قال ذلك :

٨٠٦٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « غمًّا بغم » ، قال : الغم الأول الجراحُ والقتل ، والغم الثاني حين سمعوا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قد قتل . فأنساهم الغم الآخر ما أصابهم من الجراح والقتل ، وما كانوا يرجون من الغنيمة، وذلك حين يقول : « لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم » .

٨٠٦٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « فأثابكم غمًّا بغم » ، قال : الغم الأول الجراح والقتل ، والغم الآخر حين سمعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل . فأنساهم الغم الآخر ما أصابهم من الجراح والقتل، وما كانوا يرجون من الغنيمة، وذلك حين يقول الله : « لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم » .

* * *

وقال آخرون : « بل الغم الأول ما كان فاتهم من الفتح والغنيمة ، والثاني إشراف أبي سفيان عليهم في الشِّعب . وذلك أن أبا سفيان – فيما زعم بعض أهل السير – لما أصاب من المسلمين ما أصاب ، وهرب المسلمون ، جاء حتى أشرف عليهم وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في شِعب أحد، الذي كانوا ولَّوْا إليه عند الهزيمة ، فخافوا أن يصطلمهم أبو سفيان وأصحابه » .[1]

---

(١) إذا أبيد القوم من أصلهم واستأصلهم عدوهم قيل : « اصطلموا » بالبناء للمجهول .

* ذكر الخبر بذلك :

٨٠٦٤ - حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ يدعو الناس حتى انتهى إلى أصحاب الصخرة . فلما رأوه، وضع رجل سهماً فى قوسه، فأراد أن يرميَه ، فقال: « أنا رسول الله ! » ، ففرحوا بذلك حين وجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيًّا ، وفرح رسول الله حين رأى أن فى أصحابه من يمتنع.[1] فلما اجتمعوا وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذهب عنهم الحزَن ، فأقبلوا يذكرون الفتح وما فاتهم منه ، ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا .

= فأقبل أبو سفيان حتى أشرف عليهم ، فلما نظروا إليه ، نسوا ذلك الذى كانوا عليه ، وهمَّهم أبو سفيان ،[2] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس لهم أن يعلونا، اللهم إن تقتل هذه العصابة لا تُعبَد »! ثم ندَب أصحابه فرموهم بالحجارة حتى أنزلوهم ، فقال أبو سفيان يومئذ: « اعْلُ هُبَل! حنظلة بحنظلة ، ويوم بيوم بدر»! = وقتلوا يومئذ حنظلة بن الراهب، وكان جُنُباً فغسَّلته الملائكة، وكان حنظلة بن أبى سفيان قتل يوم بدر= وقال أبو سفيان : « لنا العُزَّى ولا عُزَّى لكم » ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : « قل : الله مولانا ولا مولى لكم » ! فقال أبو سفيان : فيكم محمد ؟[3] قالوا : نعم ! قال : « أما إنها قد كانت فيكم مُثْلة ، ما أمرتُ بها ولا نهيتُ عنها ، ولا سرَّتنى ولا ساءتنى » ! فذكر الله إشراف أبى سفيان عليهم فقال : « فأثابكم غمًّا بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم »، الغم الأول : ما فاتهم من الغنيمة والفتح ، والغم الثانى :

---

(١) انظر ما سلف : ٢٥٦ تعليق : ١ ، فإنى زدت « به » من التاريخ ، ولكنه عاد هنا فى المخطوطة فأسقطها ، فاتفقت المخطوطة فى الموضعين ، فتركت هذه على حالها ، وإن كنت لا أرتضيها .

(٢) فى التاريخ « وأهمهم » ، وهمه الأمر وأهمه ، سواء فى المعنى .

(٣) فى التاريخ : « أفيكم محمد » بالألف ، وهما سواء .

إشراف العدوّ عليهم = « لكيلا يحزنوا على ما فاتكم » ، من الغنيمة = « ولا ما أصابكم » من القتل حين تذكرون . فشغلهم أبو سفيان .[١]

٨٠٦٥ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال ، حدثني ابن شهاب الزهري ، ومحمد بن يحيى بن حبان ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، وغيرهم من علمائنا ، فيما ذكروا من حديث أحُد ، قالوا : كان المسلمون في ذلك اليوم – لما أصابهم فيه من شدة البلاء – أثلاثاً ، ثلثٌ قتيل ، وثلثٌ جريح ، وثلثٌ منهزم ، وقد بلغته الحرب حتى ما يدري ما يصنع =[٢] وحتى خلص العدوّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدُثَّ بالحجارة حتى وقع لشِقِّه ، وأصيبتْ رَباعيته ، وشُجَّ في وجهه ، وكُلِمت شفته ، وكان الذي أصابه عتبة بن أبي وقاص[٣] =[٤] وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه لواؤه حتى قتل ، وكان الذي أصابه ابن قميئة الليثي ، وهو يظن أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع إلى قريش فقال : « قتلت محمداً » .[٥]

٨٠٦٦ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : فكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة وقول الناس : « قُتل رسول الله صلى الله عليه وسلم » = كما حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن

---

(١) الأثر ٨٠٦٤ – تاريخ الطبري ٣ : ٢٠ ، ٢١ ، وبعضه في الأثرين السالفين : ٧٩٤٣ ، ٨٠٥٠ ، وكلها سياق واحد في التاريخ .

(٢) هذه الفقرة من الأثر ، لم أجدها في سيرة ابن هشام .

(٣) هذه الفقرة من الأثر في سيرة ابن هشام ٣ : ٨٤ ، وانظر التخريج في آخره . ودثه بالعصا وبالحجر رماه رمياً متتابعاً ، أو ضربه بالعصا ضرباً متقارباً من وراء الثياب حتى يأخذه الألم . والشق : الجنب . والكلم : الجرح .

(٤) الفقرة التالية من الأثر في سيرة ابن هشام ٣ : ٧٧ ، قبل السالفة .

(٥) الأثر : ٨٠٦٥ – هذا أثر ملفق من سيرة ابن إسحق ، كما رأيت في التعليقين السالفين ، وهو فيها من ٣ : ٣/٨٤ : ٧٧/والقسم الأول لم أعثر عليه فيها .

إسحق قال ، حدثني ابن شهاب الزهري = كعبُ بن مالك أخو بني سلِمة قال : عرفتُ عينيه تَزْهَران تحت المغفر ، فناديت بأعلى صوتي : « يا معشر المسلمين : أبشروا ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم » ! فأشار إليّ رسول الله أن أنصت. فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ، ونهض نحو الشعب ، معه عليّ بن أبي طالب ، وأبو بكر بن أبي قحافة ، وعمر بن الخطاب ، وطلحة ابن عبيد الله، والزبير بن العوّام، والحارث بن الصِّمة،[1] في رهط من المسلمين.[2]

= قال فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب ومعه أولئك النفر من أصحابه ، إذ علت عالية من قريش الجبل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يعلونا » ! فقاتل عمرُ بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم عن الجبل . ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صخرة من الجبل ليعلوها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بُدِّن ، فظاهَر بين درعين،[3] فلما ذهب لينهض فلم يستطع ، جلس تحته طلحة بن عبيد الله ، فنهض حتى استوى عليها .[4]

= ثم إن أبا سفيان حين أراد الانصراف ، أشرف على الجبل ثم صرخ بأعلى

---

(١) في المطبوعة : « والحارث بن الصامت » ، والصواب من المخطوطة والمراجع ، ولا أدري فيم غيره الناشر الأول ! !

(٢) هذه الفقرة من الأثر في سيرة ابن هشام ٣ : ٨٨ ، ٨٩ .

(٣) بدن الرجل تبدينا : ألبسه البدن ، أي الدرع . وقد مضى شراح السيرة ، فزعموا أن « بدن » (بالبناء للمعلوم) هنا ، معناها : أسن . قال أبو ذر الخشني في تفسير غريب سيرة ابن هشام : ٢٢٨ « بدن الرجل ، إذا أسن . وبدن ، إذا عظم بدنه من كثرة اللحم » . وكلا التفسيرين خطأ هنا، وإن كان صحيحاً في اللغة ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يوم قاتل في أحد مسناً ولا بلغ في السن ما يضعفه. وأيضاً فإنه، بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم، لم يوصف قط بالبدانة والسمن . وأما قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الصلاة : « إني قد بدنت فلا تبادروني بالركوع والسجود » ، فإنه لم يعن البدانة ، وإنما أراد أن الحركة قد ثقلت عليه ، كما تثقل على الرجل البادن . ولو قرئت في « بدن » بالبناء للمعلوم لكان عربية صحيحة .

وأما قوله : « ظاهر بين درعين » ، أي ليس إحداهما على الأخرى ، وكذلك « ظاهر بين ثوبين ، أو نعلين » ، ليس أحدهما على الآخر .

(٤) هذه الفقرة من الأثر في سيرة ابن هشام ٣ : ٩١ ، وتاريخ الطبري ٣ : ٢١ .

صوته : «أنعمْتَ فعالِ ! إن الحرب سجال ، يوم بيوم بدر، اعْلُ هُبَل » ، أى : أظهر دينك ، [١] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : « قم فأجبه ، فقل : الله أعلى وأجل ! لا سواء ! قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار» ! فلما أجاب عمر رضى الله عنه أبا سفيان ، قال له أبو سفيان : « هلم إلىّ يا عمر » ! فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ائته فانظر ما شأنُه »؟ فجاءه، فقال له أبو سفيان : أنشدك الله يا عمر ، أقتلنا محمداً ؟ فقال عمر : اللهمّ لا ، وإنه ليسمع كلامك الآن ! فقال : أنت أصدقُ عندى من ابن قميئة وأبرُّ !=[٢] لقول ابن قميئة لهم : إنّى قتلت محمداً = ثم نادى أبو سفيان فقال : إنه قد كان فى قتلاكم مُثْلة ، والله ما رضيتُ ولا سخطتُ ، ولا نهيت ولا أمرتُ . [٣]

---

(١) قوله : « أنعمت » ، أى جئت بالسهم الذى فيه « نعم » ، و « عال » ، أى : تجاف عنها — عن الأصنام — ولا تذكرها بسوء . يقال : « عال عنى ، وأعل عنى » ، أى تنح . وذلك أن الرجل من قريش من أهل الجاهلية ، كان إذا أراد ابتداء أمر ، عمد إلى سهمين فكتب على أحدهما « نعم » وعلى الآخر « لا » ، ثم يتقدم إلى الصنم ويجيل سهامه ، فإن خرج سهم « نعم » أقدم ، وإن خرج سهم « لا » امتنع . وكان أبو سفيان لما أراد الخروج إلى أحد ، استقى هبل ، فخرج له سهم الإنعام . فذلك تفسير كلمته . ومن لطيف أخبار الاستقسام بالأزلام . ما فعل امرؤ القيس ، حين قتل أبوه ، فاستقسم عند ذى الخلصة ، فأجال سهامه فخرج له السهم الناهى « لا » ثلاث مرات ، فجمع قداحه وكسرها وضرب بها وجه الصنم وقال له : « مصصت ببظر أمك ! لو أبوك قتل ما عقتنى ! ! » ، ثم خرج فقاتل ، فظفر . فيقال إنه لم يستقسم بعد ذلك بقدح عند ذى الخلصة حتى جاء الاسلام ، وهدمه جرير ابن عبد الله البجلى ، وأبطل الله أمر الجاهلية كله .

وقد قيل لأبى سفيان يوم الفتح : « أين قولك ، أنعمت فعال » ؟ فقال : « قد صنع الله خيراً ، وذهب أمر الجاهلية » .

هذا وقد كان فى المطبوعة : « أنعمت فقال إن الحرب سجال » ، وهو خطأ صرف . والحرب سجال : أى مرة لهذا ، ومرة لهذا . وقوله : « اعل هبل » قد شرحه ابن إسحق ، فيظن بعض من يضبط السيرة أنه « أعل » (بهمز الألف وسكون العين وكسر اللام) وهو خطأ ، والصواب أنه أمر من « علا » ، يريد : زد علواً .

(٢) فى المطبوعة : « وأشار لقول ابن قميئة » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، والصواب منها ومن سيرة ابن هشام . وقوله : « وأبر » ، من « البر » ، وهو الصدق والخير كله .

(٣) الأثر ٨٠٦٦ — هذا الأثر مجموع من مواضع فى السيرة كما أشرت إليه ، وهى فى : سيرة ابن هشام ٣ : ٨٨ ، ٨٩ / ٣ : ٩١ ، وتاريخ الطبرى ٣ : ٢١/والسيرة ٣ : ٩٩ .

٨٠٦٧ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال ، حدثني ابن إسحق « فأثابكم غمًّا بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم »، أي : كربًا بعد كرب، قتلُ من قتل من إخوانكم ، وعلوّ عدوكم عليكم ، وما وقع في أنفسكم من قول من قال : « قُتل نبيكم » ، فكان ذلك مما تتابع عليكم غمًّا بغم = « لكيلا تحزنوا على ما فاتكم »، من ظهوركم على عدوكم بعد أن رأيتموه بأعينكم = « ولا ما أصابكم » من قتل إخوانكم، حتى فرجت بذلك الكرب عنكم = « والله خبير بما تعملون »، وكان الذي فرّج به عنهم ما كانوا فيه من الكرب والغمّ الذي أصابهم ،(١) أن الله عز وجل ردّ عنهم كِذبة الشيطان بقتل نبيهم. فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيًّا بين أظهرهم ، هان عليهم ما فاتهم من القوم بعد الظهور عليهم ، والمصيبة التي أصابتهم في إخوانهم ،(٢) حين صرف الله القتل عن نبيهم صلى الله عليه وسلم .(٣)

٨٠٦٨ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « فأثابكم غمًّا بغم »، قال ابن جريج ، قال مجاهد : أصاب الناس حزن وغم على ما أصابهم في أصحابهم الذين قُتلوا . فلما تولَّجُوا في الشعب وهم مصابون ،(٤) وقف أبو سفيان وأصحابه بباب الشعب ، فظن المؤمنون أنهم سوف يميلون عليهم

---

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « وكان الذي خرج عنهم » بإسقاط « به » والسياق يقتضي إثباتها ، فأثبتها من سيرة ابن هشام .

(٢) في المطبوعة : « فهان الظهور عليهم » ، وفي المخطوطة : « فهذا الظهور عليهم » كتب « فهذا » في آخر « السطر » و « الظهور » في أول السطر التالي ، فلم يحسن الناشر قراءتها ، والصواب من سيرة ابن هشام .

(٣) الأثر : ٨٠٦٧ – سيرة ابن هشام ٣ : ١٢١ ، ١٢٢ ، وهو تتمة الآثار التي آخرها : ٨٠٥٧ .

(٤) في المطبوعة : « فلما تولجوا في الشعب يتصافون » ، وهو لا معنى له ، والصواب من المخطوطة إلا أن كاتبها كان قد سقط من كتابته من أول « وهم مصابون » إلى « باب الشعب » ، فكتبها في الهامش . فاستعجمت على الناشر الأول قراءتها .

فيقتلونهم أيضاً ، فأصابهم حزن فى ذلك أيضاً أنساهم حُزنهم فى أصحابهم ، فذلك قوله : « فأثابكم غمًّا بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم » = قال ابن جريج ، قوله : « على ما فاتكم » ، يقول : على ما فاتكم من غنائم القوم = « ولا ما أصابكم » ، فى أنفسكم .

٩١/٤ ٨٠٦٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج عن ابن جريج . قال ، أخبرنى عبد الله بن كثير ، عن عبيد بن عمير قال : جاء أبو سفيان بن حرب ومن معه حتى وقف بالشعب ، ثم نادى : أفى القوم ابن أبى كبشة ؟[1] فسكتوا ، فقال أبو سفيان : قُتل ورب الكعبة ! ثم قال : أفى القوم ابن أبى قحافة ؟ فسكتوا ، فقال : قُتل ورب الكعبة ! ثم قال : أفى القوم عمر ابن الخطاب؟ فسكتوا ، فقال : قُتل ورب الكعبة ! ثم قال أبو سفيان : اعل هُبل، يوم بيوم بدر ، وحنظلة بحنظلة ، وأنتم واجدون فى القوم مَثْلاً ،[2] لم يكن عن رأى سَراتنا وخيارنا ، ولم نكرهه حين رأيناه ! فقال النبى صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب : قم فناد فقل : الله أعلى وأجل ! نعم هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا أبو بكر ، وها أنا ذا ! لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون ، قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار !

* * *

وقال آخرون فى ذلك ، بما : —

---

(١) « ابن أبى كبشة » ، يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكذلك كان المشركون يذكرون رسول الله . فقيل إن « أبا كبشة » ، رجل من خزاعة ، خالف قريشاً فى عبادة الأوثان وعبد الشعرى العبور ، فذكروه بذلك لمخالفته إياهم إلى عبادة الله تعالى ، كما خالفهم أبو كبشة إلى عبادة الشعرى . ويقال : إنها كنية وهب بن عبد مناف ، جد رسول الله من قبل أمه ، فنسب إليه ، لأنه نزع إليه فى الشبه . ويقال : هى كنية زوج حليمة السعدية التى أرضعته صلى الله عليه وسلم .

(٢) فى المخطوطة : « وأنتم واحد ورق القوم سلا » ، وهو كلام « فاسد » صوابه فى المطبوعة . والمثل (بفتح الميم وسكون الثاء) مصدر « مثل بالقتيل » إذا جدع أنفه ، أو أذنه أو مذاكيره أو شيئاً من أطرافه وجسده ، طلب التشويه لجثته . والاسم « المثلة » (بضم الميم وسكون الثاء) .

٨٠٧٠ – حدثني به محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم » ، فرجعوا فقالوا : والله لنأتينهم ثم لنقتلنهم ! قد جرحوا منا ! [1] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مهلاً ، فإنما أصابكم الذي أصابكم من أجل أنكم عصيتموني ! فبينما هم كذلك إذ أتاهم القوم قد ائتشبوا وقد اختَرطوا سيوفهم ، [2] فكان غمّ الهزيمة، وغمهم حين أتوهم = « لكيلا تحزنوا على ما فاتكم »، من القتل = « ولا ما أصابكم »، من الجراحة = « فأثابكم غمًّا بغم لكيلا تحزنوا » الآية ، وهو يوم أحد .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ، قولُ من قال : « معنى قوله : « فأثابكم غمًّا بغم، » أيها المؤمنون، بحرمان الله إياكم غنيمة المشركين والظفر بهم والنصر عليهم ، وما أصابكم من القتل والجراح يومئذ – بعد الذي كان قد أراكم في كل ذلك ما تحبون – بمعصيتكم ربَّكم وخلافكم أمر نبيكم صلى الله عليه وسلم ، غمّ ظنِّكم أن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قتل ، وميل العدوّ عليكم بعد فلولكم منهم » . [3]

والذي يدل على أن ذلك أولى بتأويل الآية مما خالفه ، قوله : « لكيلا تحزنوا

---

(١) في المطبوعة : « قد خرجوا منا » ، وأسقطها السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٨٧ ، فاستظهر ناشر الطبعة السالفة إسقاطها كما فعل السيوطي، وهي في المخطوطة : « قد حرحوا منا »، غير منقوطة ، كما أثبتها وصواب قراءتها ما أثبت . ومعنى : « جرحوا منا » ، أي أصابوا بعضنا بالجراحات والقتل ، وبلغوا في ذلك مبلغاً . ولم تثبت كتب اللغة ذلك ، ولكنه عربي معرق عتيق ، وما كل اللغة تثبته كتب اللغة ، وخاصة مجاز العبارات .

(٢) في المطبوعة : « قد أنسوا وقد اختَرطوا سيوفهم » ، وفي الدر المنثور ٢ : ٨٧ « قد أيسوا » وفي المخطوطة : « قد اسوا » غير منقوطة ، والذي في المطبوعة والدر لا معنى له ، وقد رجحت قراءتها . تأشب القوم وائتشبوا : انضم بعضهم لبعض واجتمعوا والتفوا ، وفي الحديث « فتأشب أصحابه إليه » ، أي اجتمعوا إليه وطافوا به . وأصله من « أشب الشجر » ، إذا التف وكثر حتى ضاقت فرجه ، وحتى لا مجاز فيه لمجتاز .

(٣) قوله « بعد فلولكم منهم » يعني : بعد هزيمتكم وفراركم منهم ، ولم تصرح كتب اللغة بفعل

على ما فاتكم ولا ما أصابكم »، والفائت، لا شك أنه هو ما كانوا رجَوْا الوصول إليه من غيرهم، إما من ظهور عليهم بغلَبهم، وإما من غنيمة يحتازونها = وأنّ قوله : « ولا ما أصابكم »، هو ما أصابهم : إما فى أبدانهم، وإما فى إخوانهم .

فإذ كان ذلك كذلك، فمعلوم أن « الغم » الثانى هو معنًى غير هذين . لأن الله عز وجل أخبر عباده المؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه أثابهم غمًّا بغم لئلا يحزنهم ما نالهم من الغم الناشىء عما فاتهم من غيرهم، ولا ما أصابهم قبل ذلك فى أنفسهم، وهو الغم الأول، على ما قد بيناه قبل .

* * *

وأما قوله : « لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم »، فإن تأويله على ما قد بيّنت، من أنه : « لكيلا تحزنوا على ما فاتكم »، فلم تدركوه مما كنتم ترجون إدراكه من عدوكم بالظفر عليهم والظهور، وحيازة غنائمهم = « ولا ما أصابكم »، فى أنفسكم : من جرح من جرح وقتل من قتل من إخوانكم .

* * *

وقد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فيه قبلُ على السبيل التى اختلفوا فيه، كما :—

٨٠٧١ — حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم »، قال : على ما فاتكم من الغنيمة التى كنتم ترجون = « ولا تحزنوا على ما أصابكم »، من الهزيمة .

* * *

وأما قوله : « والله خبير بما تعملون »، فإنه يعنى جل ثناؤه : والله بالذى تعملون، أيها المؤمنون — من إصعادكم فى الوادى هرباً من عدوكم، وانهزامكم

ثلاثى لازم مصدره «فلول»، بل قالوا : « فله يفله، فانفل »، ولكن يرجح صواب ما فى نص الطبرى أنه جاء فى أمثالهم : « من فل ذل »، أى من فر عن عدوه ذل . وأما ابن كثير فقد نقل فى تفسيره ٢ : ٢٧٠ نص الطبرى هذا، وفيه « ونبوكم منهم »، وليست بشىء، وكأن الصواب ما فى التفسير، فهو جيد فى العربية .

منهم ، وترككم نبيكم وهو يدعوكم فى أخراكم ، وحزنكم على ما فاتكم من علوكم وما أصابكم فى أنفسكم = ذو خبرة وعلم ، وهو محص ذلك كله عليكم ، حتى يجازيكم به : المحسنَ منكم بإحسانه ، والمسيءَ بإساءته ، أو يعفو عنه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ ٩٢/٤

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ثم أنزل الله ، أيها المؤمنون من بعد الغم الذى أثابكم ربكم بعد غم تقدمه قبله = « أمنة » ، وهى الأمان ، [1] على أهل الإخلاص منكم واليقين ، دون أهل النفاق والشك .

* * *

ثم بين جل ثناؤه ، عن « الأمنة » التى أنزلها عليهم ، ما هى ؟ فقال = « نعاساً » ، بنصب « النعاس » على الإبدال من « الأمنة » .

* * *

ثم اختلفت القرأة فى قراءة قوله : « يغشى » .

فقرأ ذلك عامة قرأة الحجاز والمدينة والبصرة وبعض الكوفيين بالتذكير بالياء : ﴿ يَغْشَى ﴾ .

* * *

وقرأ جماعة من قرأة الكوفيين بالتأنيث : ﴿ تَغْشَى ﴾ بالتاء .

* * *

وذهب الذين قرأوا ذلك بالتذكير ، إلى أن النعاس هو الذى يغشى الطائفة من

---

(١) انظر تفسير « الأمن » فيما سلف ٣ : ٢٩/٤ : ٨٧ .

المؤمنين دون الأمَنة ، فذكَّره بتذكير « النعاس » .

وذهب الذين قرأوا ذلك بالتأنيث ، إلى أنّ الأمَنة هي التي تغشاهم فأنثوه لتأنيث « الأمنة » .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي ، أنهما قراءتان معروفتان مستفيضتان في قرأة الأمصار ، غير مختلفتين في معنى ولا غيره . لأن « الأمنة » في هذا الموضع هي النعاس ، والنعاس هو الأمنة . فسواء ذلك ،[1] وبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيبٌ الحقَّ في قراءته . وكذلك جميع ما في القرآن من نظائره من نحو قوله : ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ ۝ طَعَامُ الأَثِيمِ ۝ كَالْمُهْلِ تَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴾ [سورة الدخان : ٤٣ - ٤٥] و ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ﴾ [سورة القيامة : ٣٧] ، و ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ ﴾ [سورة مريم : ٢٥] .[2]

* * *

فإن قال قائل : وما كان السبب الذي من أجله افترقت الطائفتان اللتان ذكرهما الله عز وجل فيما افترقتا فيه من صفتهما ، فأمِنت إحداهما بنفسها حتى نعست ، وأهمَّت الأخرى أنفسها حتى ظنت بالله غير الحق ظن الجاهلية ؟

قيل : كان سبب ذلك فيما ذكر لنا ، كما : —

٨٠٧٢ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : أن المشركين انصرفوا يوم أحد بعد الذي كان من أمرهم وأمر المسلمين ، فواعدوا النبي صلى الله عليه وسلم بدراً من قابلٍ ، فقال نعم ! نعم ! فتخوف المسلمون أن ينزلوا المدينة ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فقال :

---

(١) في المطبوعة : « وسواء ذلك » بالواو ، والصواب من المخطوطة .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٢٤٠ .

« انظر، فإن رأيتهم قعدوا على أثقالهم وجنَبوا خيولهم،[١] فإن القوم ذاهبون ، وإن رأيتهم قد قعدوا على خيولهم وجنبوا أثقالهم، [٢] فإن القوم ينزلون المدينة، فاتقوا الله واصبروا»، ووطّنهم على القتال . فلما أبصرهم الرسولُ قعدوا على الأثقال سراعاً عجالاً ، نادى بأعلى صوته بذهابهم . فلما رأى المؤمنون ذلك صدّقوا نبي الله صلى الله عليه وسلم فناموا ، وبقى أناس من المنافقين يظنون أنّ القوم يأتونهم . فقال الله جل وعز ، يذكر حين أخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم إن كانوا ركبوا الأثقال فإنهم منطلقون فناموا : « ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحقّ ظن الجاهلية » .

٨٠٧٣ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : أمّنهم يومئذ بنعاس غشّاهم. وإنما ينعُسُ من يأمن = « يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية » .

٨٠٧٤ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا ابن أبي عدى ، عن حميد ، عن أنس بن مالك ، عن أبي طلحة قال : كنت فيمن أنزل عليه النعاس يوم أحد أمنة، حتى سقط من يدى مراراً = قال أبو جعفر : يعنى سوطه ، أو سيفه .

٨٠٧٥ — حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس ، عن أبي طلحة قال : رفعت رأسي يوم أحُد، فجعلت ما أرى أحداً من القوم إلا تحت حجفته يميد من النعاس .[٣]

---

(١) الأثقال جمع ثقل (بفتحتين) : وهو متاع المسافر ، وعنى به الإبل التى تحمل المتاع . وجنب الفرس والأسير وغيره : قاده إلى جنبه .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة والدر المنثور ٢ : ٨٧ : « وجنبوا على أثقالهم » ، والصواب الذى لا شك فيه حذف « على » .

(٣) « الحجفة » : ضرب من الترسة ، تتخذ من جلود الإبل مقورة ، يطارق بعضها على بعض ، ليس فيه خشب ، وهى الحجفة والدرقة . « ماد يميد » : مال وتحرك واضطرب .

٨٠٧٦ – حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا، حدثنا أبو داود قال ، حدثنا عمران ، عن قتادة ، عن أنس ، عن أبي طلحة قال : كنت فيمن صُبَّ عليه النعاس يوم أحد .

٨٠٧٧ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال ، حدثنا أنس بن مالك: عن أبي طلحة : أنه كان يومئذ ممن غشيه النعاس ، قال : كان السيف يسقط من يدى ثم آخذه ، من النعاس . ٩٣/٤

٨٠٧٨ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه ، عن الربيع : ذكر لنا، والله أعلم، عن أنس : أن أبا طلحة حدثهم: أنه كان يومئذ ممن غشيه النعاس، قال: فجعل سيفي يسقط من يدى وآخذه ، ويسقط وآخذه ، ويسقط = والطائفة الأخرى المنافقون ، ليس لهم همَّة إلا أنفسهم ، « يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية » ، الآية كلها .

٨٠٧٩ – حدثنا أحمد بن الحسن الترمذى قال ، حدثنا ضرار بن صُرد قال ، حدثنا عبد العزيز بن محمد ، عن محمد بن عبد العزيز ، عن الزهرى ، عن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة ، عن أبيه قال : سألت عبد الرحمن بن عوف عن قول الله عز وجل: « ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمَنَةً نعاساً » . قال: ألقى علينا النوم يوم أحد .

٨٠٨٠ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً » ، الآية ، وذاكم يوم أحد ، كانوا يومئذ فريقين، فأما المؤمنون فغشّاهم الله النعاس أمنةً منهُ ورحمة .

٨٠٨١ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس نحوه .

٨٠٨٢ – حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن

أبيه ، عن الربيع قوله: « أمنة نعاساً »، قال : ألقى عليهم النعاس ، فكان ذلك أمنةً لهم .

٨٠٨٣ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رزين قال ، قال عبد الله : النعاس في القتال أمنة ، والنعاس في الصلاة من الشيطان .

٨٠٨٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً »، قال : أنزل النعاس أمنة منه على أهل اليقين به ، فهم نيامٌ لا يخافون .(٢)

٨٠٨٥ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله : « أمنة نعاساً »، قال : ألقى الله عليهم النعاس، فكان « أمنة لهم » . وذكر أن أبا طلحة قال : ألقى عليَّ النعاس يومئذ ، فكنت أنعس حتى يسقط سيفي من يدي .

٨٠٨٦ – حدثنا ابن بشار قال،حدثنا إسحق بن إدريس قال ، حدثنا حماد ابن سلمة قال ، أخبرنا ثابت ، عن أنس بن مالك، عن أبي طلحة = وهشام بن عروة، عن عروة،عن الزبير ، أنهما قالا : لقد رفعنا رؤوسنا يوم أحد ، فجعلنا ننظر، فما منهم من أحد إلاّ وهو يميل بجنب حجفته. قال : وتلا هذه الآية : « ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنةً نعاساً » .

* * *

---

(١) الأثر : ٨٠٨٤ – سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٢ ، وهو من تتمة الآثار التي آخرها : ٨٠٦٧ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « وطائفة منكم » ، أيها المؤمنون = « قد أهمتهم أنفسهم » ، يقول : هم المنافقون ، لا همّ لهم غير أنفسهم ، فهم من حذر القتل على أنفسهم وخوف المنية عليها فى شغل ، قد طار عن أعينهم الكرى ، يظنون بالله الظنون الكاذبة ، ظن الجاهلية من أهل الشرك بالله ، شكاً فى أمر الله ، وتكذيباً لنبيه صلى الله عليه وسلم ، وَمَحْسَبَة منهم أن الله خاذل نبيه ومُعْلٍ عليه أهل الكفر به ،[1] يقولون : هل لنا من الأمر من شىء ! كالذى : —

٨٠٨٧ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : والطائفة الأخرى المنافقون ، ليس لهم همٌّ إلا أنفسهم، أجبنُ قوم وأرعبُه وأخذله للحق ، يظنون بالله غير الحق ظنوناً كاذبة ، إنما هم أهل شك وريبة فى أمر الله : ﴿ يَقُولُونَ : لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَىْءٌ مَا قُتِلْنَا هَٰهُنَا قُلْ لَوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾ .

٨٠٨٨ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : والطائفة الأخرى المنافقون ، ليس لهم همة إلا أنفسهم ، يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ، ﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا من الأَمْرِ شَىْءٌ ما قُتِلْنَا هَٰهُنَا ﴾ . قال الله عزوجل: ﴿ قل لَوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾ الآية .

٨٠٨٩ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وطائفة

---

(١) حسب الشىء يحسبه (بكسر السين) حسباناً (بكسر الحاء) ومحسبة ومحسبة (بكسر السين وفتحها) ، ظنه ظناً .

قد أهمتهم أنفسهم » ، قال : أهل النفاق قد أهمتهم أنفسهم تخوُّفَ القتل ، وذلك أنهم لا يرجون عاقبةً (١) .

٨٠٩٠ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وطائفة قد أهمتهم أنفسهم » إلى آخر الآية ، قال : هؤلاء المنافقون . ٤/٩٤

* * *

وأما قوله : « ظنّ الجاهلية » ، فإنه يعني أهل الشرك ، كالذي : –

٨٠٩١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « ظنّ الجاهلية » ، قال : ظن أهل الشرك .

٨٠٩٢ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « ظن الجاهلية » ، قال : ظن أهل الشرك .

* * *

قال أبو جعفر : وفي رفع قوله : « وطائفة » ، وجهان .

أحدهما ، أن تكون مرفوعة بالعائد من ذكرها في قوله : « قد أهمتهم » .

والآخر : بقوله : « يظنون بالله غير الحق » ، ولو كانت منصوبة كان جائزاً ، وكانت « الواو » ، في قوله : « وطائفة » ، ظرفاً للفعل ، بمعنى : وأهمت طائفة أنفسهم ، كما قال ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾ [سورة الذاريات : ٤٧] .(٢)

* * *

---

(١) الأثر : ٨٠٨٩ – سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٢ ، وهو تتمة الآثار التي آخرها : ٨٠٨٤ .

(٢) قد استقصى هذا الباب من العربية ، الفراء في معاني القرآن ١ : ٢٤٠ – ٢٤٢ .

القول فى تأويل قوله ﴿ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ﴾

قال أبوجعفر : يعنى بذلك الطائفة المنافقةَ التى قد أهمَّتهم أنفسهم ، يقولون : ليس لنا من الأمر من شىء ، قل إن الأمر كله لله ، ولو كان لنا من الأمر شىء ما خرجنا لقتال من قاتلنا فقتلونا ، كما : —

٨٠٩٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قيل لعبد الله بن أبىّ : قُتل بنو الخزرج اليوم ! قال : وهل لنا من الأمر من شىء ؟ قيل : إنّ الأمر كله لله ! (١)

* * *

وهذا أمر مبتدأ من الله عز وجل، يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل، يا محمد ، لهؤلاء المنافقين : « إن الأمر كله لله »، يصرفه كيف يشاء ويدبره كيف يحبّ .

ثم عاد إلى الخبر عن ذكر نفاق المنافقين ، فقال : « يُخفون فى أنفسهم ما لا يبدون لك » يقول : يخفى، يا محمد ، هؤلاء المنافقون الذين وصفتُ لك صفتهم ، فى أنفسهم من الكفر والشك فى الله ، ما لا يبدون لك . ثم أظهر نبيَّه صلى الله عليه وسلم على ما كانوا يخفونه بينهم من نفاقهم، والحسرة التى أصابتهم على حضورهم مع المسلمين مشهدهم بأحد، فقال مخبراً عن قيلهم الكفرَ وإعلانهم النفاقَ بينهم : « يقولون لو كان لنا من الأمر شىء ما قتلنا ههنا »، يعنى بذلك، أنّ هؤلاء المنافقين يقولون : لو كان الخروج إلى حرب من خرجنا لحربه من المشركين إلينا ، ما خرجنا

(١) فى المطبوعة : « قل إن الأمر كله لله » كنص الآية ، وأثبت ما فى المخطوطة .

إليهم ، ولا قُتل منا أحد فى الموضع الذى قتلوا فيه بأحد .

* * *

وذكر أن ممن قال هذا القول ، معتّب بن قشير ، أخو بنى عمرو بن عوف .

* ذكر الخبر بذلك :

٨٠٩٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، قال ، قال ابن إسحق ، حدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، عن الزبير قال : والله إنّى لأسمع قول معتّب بن قشير ، أخى بنى عمرو بن عوف ، والنعاسُ يغشانى ، ما أسمعه إلا كالحلم حين قال : لوْ كان لنا من الأمر شىء ما قُتلنا ههنا ! (١)

٨٠٩٥ — حدثنى سعيد بن يحيى الأموى قال ، حدثنى أبى ، عن ابن إسحق قال ، حدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه بمثله .

* * *

قال أبو جعفر : واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة الحجاز والعراق : ﴿ قُلْ إنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ ﴾ ، بنصب «الكل» على وجه النعت لـ « الأمر » والصفة له .

* * *

وقرأه بعض قرأة أهل البصرة : ﴿قُلْ إنَّ الأَمْرَ كُلُّهُ للهِ ﴾ برفع « الكل » ، على توجيه « الكل » إلى أنه اسم ، وقوله « لله » خبره ، كقول القائل : « إن الأمر بعضُه لعبد الله » . (٢)

* * *

وقد يجوز أن يكون « الكل » فى قراءة من قرأه بالنصب ، منصوباً على البدل .

* * *

---

(١) لم أجد نص الخبر فى سيرة ابن هشام ، فى خبر أحد ، ولكنى وجدت معناه والإشارة إليه قبل أحد فى ذكر من اجتمع إلى يهود من منافقى الأنصار ٢ : ١٦٩ .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٤٣ .

قال أبو جعفر : والقراءة التى هى القراءة عندنا ، النصبُ فى « الكل » لإجماع أكثر القرأة عليه، من غير أن تكون القراءة الأخرى خطأ فى معنى أو عربية . ولو كانت القراءة بالرفع فى ذلك مستفيضة فى القرأة ، لكانت سواءً عندى القراءةُ بأىِّ ذلك قرئ ، لاتفاق معانى ذلك بأىّ وجهيه قرئ .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ (١٥٤)

٤/٩٥ قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : قل ، يا محمد، للذين وصفت لك صفتهم من المنافقين : لو كنتم فى بيوتكم لم تشهدوا مع المؤمنين مشهدهم ، ولم تحضروا معهم حرب أعدائهم من المشركين ، فيظهرَ للمؤمنين ما كنتم تخفونه من نفاقكم، وتكتمونه من شككم فى دينكم[1] = « لبرز الذين كُتب عليهم القتل» ، يقول : لظهر للموضع الذى كتب عليه مصرعه فيه ، من قد كتب عليه القتلُ منهم ،[2] ولخرج من بيته إليه حتى يصرع فى الموضع الذى كُتب عليه أن يصرع فيه .[3]

* * *

وأما قوله : « وليبتلى الله ما فى صدوركم » ، فإنه يعنى به : وليبتلى الله ما فى صدوركم، أيها المنافقون ، كنتم تبرزون من بيوتكم إلى مضاجعكم .

* * *

(١) فى المطبوعة : « من شرككم فى دينكم » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « برز » فيما سلف ٥ : ٣٥٤ .

(٣) فى المطبوعة : « ويخرج من بيته » ، لم يحسن قراءة المخطوطة .

ويعنى بقوله : « وليبتلى الله ما فى صدوركم » ، وليختبر الله الذى فى صدوركم من الشك ، فيميِّزكم = بما يظهره للمؤمنين من نفاقكم = من المؤمنين . (١)

* * *

وقد دللنا فيما مضى على أنّ معانى نظائر قوله : « ليبتلى الله » و « ليعلم الله » وما أشبه ذلك ، وإن كان فى ظاهر الكلام مضافاً إلى الله الوصف به ، فمرادٌ به أولياؤه وأهل طاعته = (٢) وأنّ معنى ذلك : وليختبر أولياءُ الله وأهلُ طاعته الذى فى صدوركم من الشك والمرض ، فيعرفوكم ، [فيميّزوكم] من أهل الإخلاص واليقين = « وليمحص ما فى قلوبكم » ، يقول وليتبينوا ما فى قلوبكم من الاعتقاد لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين من العداوة أو الولاية . (٣)

* * *

« والله عليم بذات الصدور » ، يقول : والله ذو علم بالذى فى صدور خلقه من خير وشر ، وإيمان وكفر ، لا يخفى عليه شىء من أمورهم ، سرائرها علانيتها ، وهو لجميع ذلك حافظ ، حتى يجازى جميعهم جزاءهم على قدر استحقاقهم .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك كان ابن إسحق يقول :

٨٠٩٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : ذكر الله تلاوُمَهم — يعنى تلاوُم المنافقين — وحسرتهم على ما أصابهم ، ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل : « لو كنتم فى بيوتكم » ، لم تحضروا هذا الموضع الذى أظهر الله جل ثناؤه فيه منكم ما أظهر من سرائركم ، لأخرج الذين كتب عليهم القتل إلى موطن غيره يصرعون فيه ، حتى يبتلى به ما فى صدوركم = « وليمحص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور » ، أى : لا يخفى عليه ما فى صدورهم ، (٤)

---

(١) انظر تفسير « الابتلاء » فيما سلف ٧ : ٢٩٧ تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر ما سلف قريباً ص : ٢٤٦ ، تعليق ٢ ، / ثم انظر ٣ : ١٦٠ — ١٦٢ .

(٣) انظر تفسير « محص » فيما سلف ص : ٢٤٤ .

(٤) فى المطبوعة « لا يخفى عليه شىء مما فى صدورهم » ، وفى المخطوطة « لا يخفى عليه شىء ما فى

مما اسْتَخْفَوْا به منكم .[١]

٨٠٩٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا الحارث بن مسلم ، عن بحر السقاء ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن قال : سئل عن قوله : « قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم » ، قال : كتب الله على المؤمنين أن يقاتلوا فى سبيله، وليس كل من يقاتل يُقتل، ولكن يُقتل من كَتَب الله عليه القتل.[٢]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (١٥٥)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : إنّ الذين ولّوا عن المشركين، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وانهزموا عنهم .

* * *

وقوله : « تولّوا » ، « تفعّلوا » ، من قولهم : « ولّى فلان ظهره » .[٣]

* * *

صدورهم » ، وضرب بالقلم على « شيء » ، ولكن الناشر آثر إثباتها ، وجعل « ما » « مما » ، والصواب المطابق لنص السيرة هو ما أثبت .

(١) الأثر : ٨٠٩٦ – سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٢ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨٠٨٩ .

(٢) الأثر : ٨٠٩٧ – « الحارث بن مسلم الرازى المقرئ » ، روى عن الثورى ، والربيع ابن صبيح وغيرهما . قال أبو حاتم : « الحارث بن مسلم ، عابد ، شيخ ثقة صدوق . رأيته وصليت خلفه » . مترجم فى ابن أبى حاتم ١/٢/٨٨ .

و « بحر السقاء » ، هو « بحر بن كنيز الباهلى السقاء أبو الفضل » روى عن الحسن ، والزهرى وقتادة . وهو جد « عمرو بن على الفلاس » . وروى عنه الثورى وكناه ولم يسمه ، قال يحيى بن سعيد القطان : « كان سفيان الثورى يحدثنى ، فإذا حدثنى عن رجل يعلم أنى لا أرضاه كناه لى ، فحدثنى يوما قال حدثني أبو الفضل ، يعنى بحراً السقاء » . وقال يحيى بن معين : « بحر السقاء ، لا يكتب حديثه » . وهو متروك . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ١/١/٤١٨ .

(٣) انظر تفسير « تولى » فيما سلف ٢ : ١٦٢ ، ٣/٢٩٩ : ١١٥ ، ٤/١٣١ : ٢٣٧/ ٦ : ٢٨٣ ، ٢٩١ ، ٤٧٧ ، ٤٨٣ .

وقوله : « يوم التقى الجمعان »، يعني : يوم التقى جمعُ المشركين والمسلمين بأحد = « إنما استزلهم الشيطان » ، أي : إنما دعاهم إلى الزّلة الشيطانُ .

* * *

وقوله : « استزل » « استفعل » من « الزلة » . و « الزلة » ، هي الخطيئة . (١)

* * *

= « ببعض ما كسبوا » ، يعني ببعض ما عملوا من الذنوب (٢) = « ولقد عفا الله عنهم »، يقول : ولقد تجاوز الله عن عقوبة ذنوبهم فصفح لهم عنه (٣) = « إن الله غفور » ، يعني به : مغطٍّ على ذنوب من آمن به واتبع رسوله، بعفوه عن عقوبته إياهم عليها = « حليم »، يعني أنه ذو أناة لا يعجل على من عصاه وخالف أمره بالنقمة . (٤)

* * *

ثم اختلف أهل التأويل في أعيان القوم الذين عُنُوا بهذه الآية .

فقال بعضهم : عنى بها كلُّ من ولّى الدُّبُرَ عن المشركين بأحد .

* ذكر من قال ذلك :

٨٠٩٨ – حدثنا أبو هشام الرفاعي قال، حدثنا أبو بكر بن عياش قال ، حدثنا عاصم بن كليب، عن أبيه قال : خطب عمر يوم الجمعة فقرأ « آل عمران » ، وكان يعجبه إذا خطب أن يقرأها ، فلما انتهى إلى قوله : « إنّ الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان » ، قال : لما كان يوم أحد هزمناهم، ففررتُ حتى صعدت الجبل، فلقد رأيتني أنزُو كأنني أرْوَى، (٥) والناس يقولون : « قُتل محمد » ! فقلت : لا أجد أحداً يقول : « قتل محمد » ، إلا قتلتُه ! حتى اجتمعنا على الجبل، فنزلت : ٤/٩٦

(١) انظر تفسير : « زل » فيما سلف ١ : ٥٢٤ ، ٤/٥٢٥ : ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

(٢) انظر تفسير « كسب » فيما سلف ٢ : ٢٧٣ ، ٣/٢٧٤ : ١٠١ ، ٤/١٢٨ : ٤٤٩/ ٦ : ١٣١ ، ٢٩٥ .

(٣) انظر تفسير « عفا » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٤) انظر تفسير « غفور حليم » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٥) « أنزو » : أثبت ، والنزو الوثب . والأروى : أنثى الوعول ، وهي قوية على التصعيد في الجبال .

« إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان » ، الآية كلها . (١)

٨٠٩٩ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : « إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان » ، الآية ، وذلك يوم أحد ، ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تولوا عن القتال وعن نبيّ الله يومئذ ، وكان ذلك من أمر الشيطان وتخويفه ، فأنزل الله عز وجل ما تسمعون : أنه قد تجاوز لهم عن ذلك وعفا عنهم .

٨١٠٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثني عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه، عن الربيع في قوله : « إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان »، الآية ، فذكر نحو قول قتادة .

* * *

وقال آخرون : بل عنى بذلك خاصٌّ ممن ولّى الدبر يومئذ . قالوا : وإنما عنى به الذين لحقوا بالمدينة منهم دون غيرهم .

* ذكر من قال ذلك :

٨١٠١ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : لما انهزموا يومئذ ، تفرّق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) الأثر : ٨٠٩٨ – « أبو هشام الرفاعي » هو « محمد بن يزيد بن محمد بن كثير » ، مضى في رقم : ٣٢٨٦ ، ٤٥٥٧ ، ٤٨٨٨ ، وغيرها. و« أبوبكر بن عياش بن سالم الأسدى الكوفي الخياط» ، قيل اسمه « محمد » ، وقيل : « عبد الله » وقيل وقيل ، ولكن الحافظ قال : « والصحيح أن اسمه كنيته ، كان حافظاً متقناً، ولكنه لما كبر ساء حفظه ، فكان يهم إذا روى ، فالخطأ والوهم شيئان لا ينفك عنهما البشر ، كما قال ابن حبان » . مترجم في التهذيب .

و « عاصم بن كليب بن شهاب الجنون الجرمى » ، روى عن أبيه ، وأبي بردة بن أبي موسى ، ومحمد بن كب القرظي ، وغيرهم . روى عنه ابن عون وشعبة وشريك والسفيانان وغيرهم . قال أحمد : « لا بأس بحديثه » ، وقال النسائي وابن معين : « ثقة » . وكان من العباد ، ولم يكن كثير الحديث . مترجم في التهذيب .

وأبوه : « كليب بن شهاب بن المجنون الجرمى » ، روى عن أبيه ، وعن خاله الفلتان بن عاصم ، وعمر ، وعلي ، وسعد ، وأبي ذر ، وأبي موسى ، وأبي هريرة وغيرهم . قال ابن سعد : « كان ثقة ، ورأيتهم يستحسنون حديثه ويحتجون به » . مترجم في التهذيب .

أصحابه ، فدخل بعضهم المدينة ، وانطلق بعضهم فوق الجبل إلى الصخرة فقاموا عليها ، فذكر الله عز وجل الذين انهزموا فدخلوا المدينة فقال : « إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان »، الآية .

* * *

وقال آخرون : بل نزل ذلك فى رجال بأعيانهم معروفين .

* ذكر من قال ذلك :

٨١٠٢ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال، قال عكرمة قوله : « إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان »، قال : نزلت فى رافع بن المعلّى وغيره من الأنصار ، وأبى حُذيفة بن عتبة ورجل آخر = قال ابن جريج : وقوله : « إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم » ، إذ لم يعاقبهم .

٨١٠٣ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : فرّ عثمان بن عفان ، وعقبة بن عثمان ، وسعد بن عثمان — رجلان من الأنصار — حتى بلغوا الجلْعَب=[1] جبل بناحية المدينة مما يلى الأعوص — فأقاموا به ثلاثاً ، ثم رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم : لقد ذهبتم فيها عريضةً ! ![2]

٨١٠٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قوله : « إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا » الآية ،

---

(١) « الجلعب » ضبطه البكرى بفتح الجيم وسكون اللام وفتح العين ، وضبطه ياقوت بفتح الجيم واللام وسكون العين ، وقال : وقد ثناه بعضهم فى الشعر كعادتهم فى أمثاله فقال (من أبيات صحتها ، فى مطبوعة معجم البلدان خطأ كثير) :

فَمَا فَتِئَتْ ضُبْعُ ٱلْجَلْعَبَيْنِ تَعْتَرِى مَصَارِعَ قَتْلَى فِى التُّرَابِ سِبَالُهَا

(٢) قوله : « لقد ذهبتم فيها عريضة » ، أى واسعة . والضمير فى قوله : « فيها » إلى « الأرض » ، يقول : لقد اتسعت منادح الأرض فى وجوهكم حين فررتم ، فأبعدتم المذهب ، يتعجب من فعلهم . هذا ، ولم أجد الأثر فى سيرة ابن هشام .

والذين استزلهم الشيطان : عثمان بن عفان ، وسعد بن عثمان ، وعقبة بن عثمان ، الأنصاريان، ثم الزُّرَقيَّان .(١)

* * *

وأما قوله : « ولقد عفا الله عنهم » ، فإن معناه : ولقد تجاوز الله عن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان ، أن يعاقبهم بتوليهم عن عدوّهم ، كما : —

٨١٠٥ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج قوله : « ولقد عفا الله عنهم » ، يقول : « ولقد عفا الله عنهم » ، إذ لم يعاقبهم .

٨١٠٦ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله في تولّيهم يوم أحد: « ولقد عفا الله عنهم» ، فلا أدري أذلك العفو عن تلك العصابة، أم عفوٌ عن المسلمين كلهم ؟

* * *

وقد بينا تأويل قوله : « إن الله غفورٌ حليم » ، فيما مضى .(٢)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وأقرُّوا بما جاء به محمد من عند الله، لا تكونوا كمن كفر بالله وبرسوله، فجحد نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم، وقال لإخوانه من أهل الكفر= « إذا ضربوا في الأرض »

---

(١) الأثر : ٨١٠٤ — لم أجد هذا الأثر أيضاً في سيرة ابن هشام .

(٢) انظر ما سلف ٥ : ١١٧ ، ٥٢١ .

فخرجوا من بلادهم سفراً فى تجارة = « أو كانوا غُزًّى »، يقول : أو كان خروجهم من بلادهم غزاةً فهلكوا فماتوا فى سفرهم ، أو قتلوا فى غزوهم = « لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا »، يخبر بذلك عن قول هؤلاء الكفار أنهم يقولون لمن غزا منهم فقتل، أو مات فى سفر خرج فيه فى طاعة الله، أو تجارة : لو لم يكونوا خرجوا من عندنا وكانوا أقاموا فى بلادهم ما ماتوا وما قتلوا = « ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم »، يعنى : أنهم يقولون ذلك ، كى يجعل الله قولهم ذلك حزناً فى قلوبهم وغمًّا، ويجهلون ٤/٩٠٧ أن ذلك إلى الله جل ثناؤه وبيده .

* * *

وقد قيل : إن الذين نهى الله المؤمنين بهذه الآية أن يتشبَّهوا بهم فيما نهاهم عنه من سوء اليقين بالله ، هم عبد الله بن أبى ابن سلول وأصحابه .

* ذكر من قال ذلك :

٨١٠٧ – حدثنى محمد قال، حدثنا أحمد قال، حدثنا أسباط، عن السدى: « يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم » الآية ، قال: هؤلاء المنافقون أصحاب عبد الله بن أبىّ .

٨١٠٨ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا فى الأرض أو كانوا غُزًّى» ، قولُ المنافق عبد الله بن أبىّ ابن سلول .

٨١٠٩ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

وقال آخرون فى ذلك : هم جميع المنافقين .

* ذكر من قال ذلك :

٨١١٠ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « يا أيها

الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم » الآية ، أى : لا تكونوا كالمنافقين الذين ينهون إخوانهم عن الجهاد فى سبيل الله والضرب فى الأرض فى طاعة الله وطاعة رسوله ، ويقولون إذا ماتوا أو قتلوا : لو أطاعونا ما ماتوا وما قُتلوا.(١)

* * *

وأما قوله : « إذا ضربوا فى الأرض » ، فإنه اختلف فى تأويله .(٢)

فقال بعضهم : هو السفر فى التجارة ، والسير فى الأرض لطلب المعيشة .

* ذكر من قال ذلك :

٨١١١ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « إذا ضربوا فى الأرض » ، وهى التجارة .

* * *

وقال آخرون ، بل هو السير فى طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم .

* ذكر من قال ذلك :

٨١١٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « إذا ضربوا فى الأرض » ، الضربُ فى الأرض فى طاعة الله وطاعة رسوله .(٣)

* * *

وأصل « الضرب فى الأرض » ، الإبعاد فيها سيراً .(٢)

* * *

وأما قوله « أو كانوا غُزًّى » ، فإنه يعنى : أو كانوا غزاة فى سبيل الله .

* * *

و « الغُزَّى » جمع « غاز » ، جمع على « فُعَّل » كما يجمع « شاهد » « شُهَّد » ، و « قائل » « قوَّل » ، وقد ينشد بيت رؤبة :

---

(١) الأثر : ٨١١٠ – سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٢ ، ١٢٣ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨٠٩٦ .

(٢) انظر تفسير « ضرب فى الأرض » فيما سلف ٥ : ٥٩٣ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٠٦ .

(٣) الأثر : ٨١١٢ – سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٢ ، ١٢٣ ، وهو بعض الأثر السالف : ٨١١٠ ، وتتمته .

فاليوم قَدْ تَهْتَهِى تَنْهَنُهِى وَأَوْلُ حِلْمٍ لَيْسَ بِالمُسَفَّهِ
وَقَوْلٌ : إِلاَّ دَهِ فَلا دَهِ (١)

وينشد أيضاً :

* وقَوْلُهُمْ : إِلاَّ دَهِ فَلا دَهِ *

* * *

وإنما قيل : « لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا فى الأرض أو كانوا غزى » ، فأصحبَ ماضى الفعل ، الحرفَ الذى لا يصحب مع الماضى منه إلاّ المستقبل، فقيل: « وقالوا لإخوانهم » ، ثم قيل : « إذا ضرَبوا » ، وإنما يقال فى الكلام : « أكرمتك إذْ زرتنى »، ولا يقال : « أكرمتك إذا زرتنى » . لأن « القول » الذى فى قوله: « وقالوا لإخوانهم » ، وإن كان فى لفظ الماضى ، فإنه بمعنى

---

(١) ديوانه : ١٦٦ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٠٦ ، ومشكل القرآن : ٤٣٨ ، وجمهرة الأمثال : ٢٣ ، وأمثال الميدانى ١ : ٣٨ ، والخزانة ٣ : ٩٠ ، واللسان (قول) (دها) ، وغيرها كثير ، وسيأتى فى التفسير ٢٤ : ٦٦ (بولاق) . وهو من قصيدته التى يذكر فيها نفسه وشبابه ، وقد سلفت منها عدة أبيات فى مواضع متفرقة .

« تهتهت فلاناً عن الشىء فتهته » ، أى : زجرته فانزجر ، وكففته فانكف . و « الأول » : الرجوع . يقول : قد كفنى عن الصبا طول عتابى لنفسى وملامتى إياها ، ورجوع عقل لا يوصف بالسفه ، بعد جنون الشباب، ثم قول الناس: « إلا ده ، فلا ده » .

وقد اختلف فى تفسير « إلا ده فلا ده » ، اختلاف كثير ، قال أبو عبيدة : « يقول إن لم يكن هذا فلا ذا . ومثل هذا قولهم : إن لم تتركه هذا اليوم فلا تتركه أبداً ، وإن لم يكن ذاك الآن ، لم يكن أبداً » . وقال ابن قتيبة : « يريدون: إن لم يكن هذا الأمر لم يكن غيره . . . ويروى أهل العربية أن الدال فيه مبدلة من ذال ، كأنهم أرادوا : إن لم تكن هذه ، لم تكن أخرى » .

وقال أبو هلال : « قال بعضهم: يضرب مثلا للرجل يطلب شيئاً ، فإذا منعه طلب غيره . وقال الأصمعى : لا أدرى ما أصله ! وقال غيره : أصله أن بعض الكهان تنافر إليه رجلان فامتحناه ، فقالا له : فى أى شىء جئناك ؟ قال : فى كذا ، قالا : لا ! فأعاد النظر وقال : إلا ده فلا ده — أى : إن لم يكن كذا فليس غيره، ثم أخبرهما . . . وكانت العرب تقول ، إذا رأى الرجل ثأره : إلا ده فلا ده — أى : إن لم يثأر الآن ، لم يثأر أبداً » .

ومهما يكن من أصله ، فإن رؤبة يريد : زجرنى عن ذلك كف نفسى عن الغى ، وأوبة حلم أطاره جنون الشباب ، وقول ناصحين يقول : إن لم ترعو الآن عن غيك ، فلن ترعوى ما عشت !

المستقبل . وذلك أن العرب تذهب بـ « الذين » مذهب الجزاء ، وتعاملها فى ذلك معاملة « من » و « ما » ، لتقارب معانى ذلك فى كثير من الأشياء ، وأن جميعهن أشياء[١] مجهولات غير موقتات توقيت « عمرو » و « زيد » .[٢]

فلما كان ذلك كذلك = وكان صحيحاً فى الكلام فصيحاً أن يقال للرجل : « أكرمْ من أكرمك » « وأكرم كل رجل أكرمك » ، فيكون الكلام خارجاً بلفظ الماضى مع « من » ، و « كلّ » ، مجهولَيْنِ ومعناه الاستقبال ،[٣] إذ كان الموصوف بالفعل غير مؤقت ، وكان « الذين » فى قوله : « لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا فى الأرض » ، غير موقّتين[٤] = أجريت مجرى « من » و « ما » فى ترجمتها التى تذهب مذهب الجزاء ،[٥] وإخراج صلاتها بألفاظ الماضى من الأفعال وهى بمعنى الاستقبال ، كما قال الشاعر فى « ما » :[٦]

وإنّى لَآتِيكُمْ تَشَكُّرَ مَا مَضَى ... مِنَ الأَمْرِ واسْتِيجَابَ مَا كَانَ فِى غَدِ[٧]

فقال : « ما كان فى غد » ، وهو يريد : ما يكون فى غد . ولو كان أراد الماضى لقال : « ما كان فى أمس » ، ولم يجز له أن يقول : « ما كان فى غد » .

ولو كان « الذى » موقّتاً ، لم يجز أن يقال ذلك . خطأ أن يقال : « لتُكرِمن

---

(١) فى المطبوعة : « وأن جمعهن أشياء . . . » ، وهو خطأ صوابه من المطبوعة .

(٢) الموقت ، والتوقيت : هو المعرفة المحددة ، والتعريف المحدد ، وهو الذى يعنى سماه تعييناً مطلقاً غير مقيد ، مثل « زيد » ، فإنه يعين مسماه تعييناً مطلقاً ، أو محدداً . وانظر ما سلف ١ : ١٨١ ، تعليق : ٢/١ : ٣٣٩ . والمجهول : غير المعروف ، وهو النكرة

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة « مع من وكل مجهول » ، والصواب ما أثبت ، ويعنى بقوله « مجهولين » : نكرتين .

(٤) « موقتين » جمع « موقت » بالياء والنون ، وهى المعرفة كما سلف . والسياق « وكان الذين . . . . . غير موقتين » ، لأن « الذين » جمع ، فوصفها بالجمع .

(٥) فى المخطوطة « التى تذهب الجزاء » ، وفى معانى القرآن للفراء ١ : ٢٤٣ : « لأن « الذين » يذهب بها إلى معنى الجزاء ، من : من ، وما» . فالتصرف الذى ذهب إليه الناشر الأول صواب جيد جداً . « والترجمة » هنا : التفسير والبيان .

(٦) هو الطرماح بن حكيم .

(٧) مضى تخريج البيت وشرحه فيما سلف ٢ : ٣٥١ ، تعليق : ٥ .

هذا الذى أكرمك إذا زرته » ،(١) لأن « الذى » ههنا موقّت ، فقد خرج من ٤/١٠
معنى الجزاء . ولو لم يكن فى الكلام « هذا » ، لكان جائزاً فصيحاً ، لأن « الذى » يصير حينئذ مجهولا غير موقت. ومن ذلك قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ ﴾ [سورة الحج : ٢٥] ، فردّ « يصدون » على « كفروا » ، لأن «الذين» غير موقتة . فقوله : « كفروا » ، وإن كان فى لفظ ماض ، فمعناه الاستقبال ، وكذلك قوله : ﴿ إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ﴾ [سورة مريم : ٦٠] ، وقوله : ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ﴾ [سورة المائدة : ٣٤] ، معناه : إلا الذين يتوبون من قبل أن تقدروا عليهم = وإلا من يتوب ويؤمن . ونظائر ذلك فى القرآن والكلام كثير ، والعلة فى كل ذلك واحدة .(٢)

* * *

وأما قوله : « ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم » ، فإنه يعنى بذلك : حزناً فى قلوبهم ،(٣) كما : —

٨١١٣ — حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « فى قلوبهم » ، قال : يحزنهم قولهم ، لا ينفعهم شيئاً .

٨١١٤ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٨١١٥ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم » ، لقلة اليقين بربهم جل ثناؤه .(٤)

* * *

(١) فى المطبوعة : « خطأ أن يقال لك من هذا الذى . . . » أخطأ قراءة المخطوطة فجعل « لتكرمن » « لك من » وهو فاسد ، والصواب ما أثبت ، وهو الذى يدل عليه السياق .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

(٣) انظر تفسير « الحسرة » فيما سلف ٣ : ٢٩٥ — ٢٩٩ .

(٤) الأثر : ٨١١٥ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٣ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨١١٠ ، ٨١١٢ .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (١٥٦)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « والله يحيي ويميت » ، والله المعجِّل الموتَ لمن يشاء من حيث يشاء ،(١) والمميت من يشاء كلما شاء ، دون غيره من سائر خلقه .

وهذا من الله عز وجل ترغيبٌ لعباده المؤمنين على جهاد عدوه والصبر على قتالهم ، وإخراج هيبتهم من صدورهم ، وإن قل عددهم وكثر عدد أعدائهم وأعداء الله = وإعلامٌ منه لهم أن الإماتة والإحياء بيده ، وأنه لن يموت أحدٌ ولا يقتل إلا بعد فناء أجله الذى كتب له = ونهىٌ منه لهم ، إذ كان كذلك ، أن يجزعوا لموت من مات منهم أو قتل من قتل منهم فى حرب المشركين .

* * *

ثم قال جل ثناؤه : « والله بما تعملون بصيرٌ » ، يقول : إن الله يرى ما تعملون من خير وشر ، فاتقوه أيها المؤمنون ، إنه محصٍ ذلك كله ، حتى يجازى كل عامل بعمله على قدر استحقاقه .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال ابن إسحق .

٨١١٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « والله يحيي ويميت » ، أى : يعجل ما يشاء ، ويؤخر ما يشاء من آجالهم بقدرته .(٢)

* * *

---

(١) أخشى أن يكون سقط من الناسخ بعض تفسير الآية ، وكأنه كان : « والله المؤخر أجل من يشاء من حيث شاء ، وهو المعجل . . . » ، وانظر الأثر الآتى رقم : ٨١١٦ .

(٢) الأثر : ٨١١٦ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٣ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨١١٥

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (١٥٧)

قال أبو جعفر : يخاطب جل ثناؤه عباده المؤمنين ، يقول لهم :(١) لا تكونوا، أيها المؤمنون ، فى شك من أن الأمور كلها بيد الله ، وأن إليه الإحياء والإماتة ، كما شك المنافقون فى ذلك ، ولكن جاهدوا فى سبيل الله وقاتلوا أعداء الله ، على يقين منكم بأنه لا يقتل فى حرب ولا يموت فى سفر إلا من بلغ أجله وحانت وفاته . ثم وعدهم على جهادهم فى سبيله المغفرةَ والرحمةَ ، وأخبرهم أن موتاً فى سبيل الله أو قتلاً فى الله ،(٢) خير لهم مما يجمعون فى الدنيا من حُطامها ورغيد عيشها الذى من أجله يتثاقلون عن الجهاد فى سبيل الله ، ويتأخرون عن لقاء العدو ، كما : —

٨١١٧ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون » ، أى : إن الموت كائن لا بد منه ، فموت فى سبيل الله أو قتل ، خير = لو علموا فأيقنوا = مما يجمعون فى الدنيا التى لها يتأخرون عن الجهاد، تخوفاً من الموت والقتل لما جمعوا من زَهرة الدنيا ، وزهادةً فى الآخرة .(٣)

* * *

قال أبو جعفر : وإنما قال الله عز وجل : « لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون » ، وابتدأ الكلام : « ولئن متم أو قتلتم » بحذف جواب « لئن » ،(٤) لأن فى قوله :

---

(١) فى المطبوعة : « فخاطب » ، وأثبت صوابها من المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « وقتلا » وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو أجود .

(٣) الأثر : ٨١١٧ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٣ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨١١٦ . وكان فى المخطوطة والمطبوعة : « لما جمعوا من زهيد الدنيا » وهو تحريف ، والصواب من سيرة ابن هشام . وزهرة الدنيا : حسنها وبهجتها وغضارتها ، وكثرة خيرها ، ورغيد عيشها . وفى سيرة ابن هشام : « زهادة فى الآخرة » ، بغير واو .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة « بحذف جزاء لئن » ، وهو خطأ بين وتصحيف من الناسخ ، سقطت منه باء « جواب » فكتب « جزاء » .

« لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون » معنى جواب للجزاء ،[1] وذلك أنه وَعدٌ خرج مخرج الخبر .

* * *

فتأويل الكلام : ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم ، ليغفرن الله لكم وليرحمنّكم = فدلّ على ذلك بقوله : « لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون » ، وجمع مع الدلالة به عليه ، الخبرَ عن فضل ذلك على ما يؤثرونه من الدنيا وما يجمعون فيها .

* * *

وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة ، أنه إن قيل : كيف يكون : « لمغفرة من الله ورحمة » جواباً لقوله : « ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم »؟ فإن الوجه ٤/٩٩
فيه أن يقال فيه كأنه قال : ولئن متم أو قتلتم فذلك لكم رحمة من الله ومغفرة ، إذ كان ذلك فى سبيلى ،[2] فقال : « لمغفرة من الله ورحمة ، » يقول : لذلك خير مما تجمعون ، يعنى : لتلك المغفرة والرحمة خير مما تجمعون .

* * *

ودخلت اللام فى قوله : «لمغفرة من الله »، لدخولها فى قوله : و «لئن »، كما قيل : ﴿ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ﴾ [سورة الحشر : ١٢].

* * *

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « معنى جواز للجزاء » ، وهو تصحيف لا معنى له ، والصواب ما أثبت .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « فإن [القول] فيه أن يقال فيه : كأنه قال : ولئن متم أو قتلتم [فذكر لهم] رحمة من الله ومغفرة ، إذا كان ذلك فى [السبيل] » ، وقد وضعت الكلمات التى استبدلت بها غيرها بين أقواس . وهذه الجملة التى فى المطبوعة والمخطوطة لا يكاد يكون لها معنى . فالكلمة الأولى « القول » لاشك فى خطئها ، وصوابها ما أثبت . أما « فذكر لهم » ، فإنى أظن أن الناسخ قد أخطأ قراءة المخطوطة القديمة التى نقل عنها فقرأ « فذلك لكم » « فذكر لهم » وأما « السبيل »، فى المخطوطة ضرب خفيف على ألف « السبيل » ، فرجحت قراءتها كما أثبت وهو حق المعنى ، فاستقامت هذه الجملة مع ما بعدها ، والحمد لله

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (١٥٨)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ولئن متم أو قتلتم ، أيها المؤمنون ، فإن إلى الله مرجعكم ومحشركم ، فيجازيكم بأعمالكم ، فآثروا ما يقرّبكم من الله ويوجب لكم رضاه ويقربكم من الجنة ، من الجهاد فى سبيل الله والعمل بطاعته ، على الركون إلى الدنيا وما تجمعون فيها من حُطامها الذى هو غير باقٍ لكم ، بل هو زائلٌ عنكم ، وعلى ترك طاعة الله والجهاد ، فإن ذلك يبعدكم عن ربكم ، ويوجب لكم سخطه ، ويقرّبكم من النار .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال ابن إسحق :

٨١١٨ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ولئن متم أو قتلتم » ، أىُّ ذلك كان = « لإلى الله تحشرون » ، أى : إن إلى الله المرجع ، فلا تغرنّكم الحياة الدنيا ولا تغتروا بها ، وليكن الجهاد وما رغبكم الله فيه منه ، آثر عندكم منها .[1]

* * *

وأدخلت « اللام » فى قوله : « لإلى الله تحشرون » ، لدخولها فى قوله : « ولئن » . ولو كانت « اللام » مؤخرة إلى قوله : « تحشرون » ، لأحدثت « النون » الثقيلة فيه ، كما تقول فى الكلام : « لئن أحسنتَ إلىّ لأحسننّ إليك » بنون مثقّلة . فكان كذلك قوله : ولئن متم أو قتلتم لتحشرن إلى الله ، ولكن لما حِيل بين « اللام » وبين « تحشرون » بالصفة ،[2] أدخلت فى الصفة ، وسلمت « تحشرون » ،

---

(١) الأثر : ٨١١٨ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٣ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨١١٧ .

(٢) فى المطبوعة : « لما حيز بين اللام . . . » ، وفى المخطوطة : « ولما حين . . . » ، وصواب

فلم تدخلها « النون » الثقيلة ، كما تقول فى الكلام : « لئن أحسنتَ إلىّ لإليك أحسن » ، بغير « نون » مثقلة .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « فبما رحمة من الله » ، فبرحمة من الله ، و« ما » صلة .(١) وقد بينت وجه دخولها فى الكلام فى قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ [سورة البقرة : ٢٦] .(٢) والعرب تجعل « ما » صلة فى المعرفة والنكرة ، كما قال : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ ﴾ [سورة النساء : ١٥٥/ سورة المائدة : ١٣] ، والمعنى : فبنقضهم ميثاقهم . وهذا فى المعرفة . وقال فى النكرة ﴿ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴾ [سورة المؤمنون : ٤٠] ، والمعنى : عن قليل . وربما جعلت اسما وهى فى مذهب صلة ، فيرفع ما بعدها أحياناً على وجه الصلة ، ويخفض على إتباع الصلة ما قبلها ، كما قال الشاعر :(٣)

فَكَفَى بِنَا فَضْلًا عَلَى مَنْ غَيْرِنَا حُبُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ إِيَّانَا(٤)

إذا جعلت غير صلة رفعتَ بإضمار « هو » ، وإن خفضت أتبعت « من » ،(٥) فأعربته . فذلك حكمه على ما وصفنا مع النكرات .

قراءتها ما أثبت . و « الصفة » حرف الجر ، انظر ما سلف ١ : ٢٩٩ ، تعليق : ١ ، وسائر فهارس المصطلحات فى الأجزاء السالفة .

(١) « الصلة » ، الزيادة ، انظر ما سلف ١ : ١٩٠/٤٠٥ ، تعليق : ٤/٤٠٦/٥٤٨ ، ثم فهرس المصطلحات فى سائر الأجزاء .

(٢) انظر ما سلف ١ : ٤٠٤ ، ٤٠٥ .

(٣) هو حسان بن ثابت ، أو كعب بن مالك ، أو غيرهما ، انظر ما سلف ١ : ٤٠٤ تعليق : ٥ .

(٤) سلف تخريج البيت فى ١ : ٤٠٤ ، تعليق : ٥ .

(٥) وذلك أن « من » و « ما » حكمهما فى هذا واحد ، كما سلف فى ١ : ٤٠٤ .

فأما إذا كانت الصلة معرفة ، كان الفصيح من الكلام الإتباع ، كما قيل : « فبما نقضهم ميثاقهم » ، والرفع جائز فى العربية .(١)

* * *

وبنحو ما قلنا فى قوله : « فبما رحمة من الله لنت لهم » ، قال جماعة من أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك :

٨١١٩ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة فى قوله : « فبما رحمة من الله لنت لهم » ، يقول : فبرحمة من الله لنت لهم .

* * *

وأما قوله : « ولو كنت فظًّا غليظ القلب لانفضوا من حولك » ، فإنه يعنى بـ « الفظ » الجافى ، وبـ « الغليظ القلب » ، القاسى القلب ، غير ذى رحمة ولا رأفة . وكذلك كانت صفته صلى الله عليه وسلم ، كما وصفه الله به : ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة التوبة : ١٢٨] .

* * *

فتأويل الكلام : فبرحمة الله ، يا محمد ، ورأفته بك وبمن آمن بك من أصحابك = « لنت لهم » ، لتُبَاعك وأصحابك ، فسهُلت لهم خلائقك ، وحسنت لهم أخلاقك ، حتى احتملت أذى من نالك منهم أذاه ، وعفوت عن ذى الجرم منهم جرمه ، وأغضيت عن كثير ممن أردت به وأغلظت عليه لتركك فظاظتك ولم يتبعك ولا ما بُعثت به من الرحمة ، ولكن الله رحمهم ورحمك معهم ، فبرحمة من الله لنت لهم ، كما : — ٤/١٠٠

٨١٢٠ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ولو كنت فظًّا غليظ القلب لانفضوا من حولك » ، إى والله ، لطهّره الله من الفظاظة والغلظة ، وجعله قريباً رحيما بالمؤمنين رؤوفاً = وذكر لنا أن نعت محمد صلى

(١) انظر مقالة الفراء فى معانى القرآن ١ : ٢٤٤ ، ٢٤٥ .

الله عليه وسلم فى التوراة : « ليس بفظ ولا غليظ ولا صخوب فى الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة مثلها ، ولكن يعفو ويصفح » .

٨١٢١ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بنحوه .

٨١٢٢ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق فى قوله : « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظًّا غليظ القلب لانفضوا من حولك » ، قال : ذكر لينه لهم وصبره عليهم = لضعفهم ، وقلة صبرهم على الغلظة لو كانت منه = فى كل ما خالفوا فيه مما افترض عليهم من طاعة نبيِّهم .(١)

* * *

وأما قوله : « لانفضوا من حولك » ، فإنه يعنى : لتفرقوا عنك ، كما : –

٨١٢٣ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس قوله : « لانفضوا من حولك » ، قال : انصرفوا عنك .

٨١٢٤ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « لانفضوا من حولك » ، أى : لتركوك .(٢)

* * *

---

(١) الأثر : ٨١٢٢ – سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٣ ، وهو من تتمة الآثار التى آخرها : ٨١١٨ ، وهو فى السيرة تال للأثر الآتى رقم : ٨١٢٤ .

(٢) الأثر : ٨١٢٤ – سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٣ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨١٢٢ ، ولكنه سابق له فى سيرة ابن هشام .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (١٥٩)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « فاعف عنهم » ، فتجاوز ، يا محمد ، عن تُبِعَاتك وأصحابك من المؤمنين بك وبما جئت به من عندى ، ما نالك من أذاهم ومكروهٍ فى نفسك = « واستغفر لهم » ، وادع ربك لهم بالمغفرة لما أتوا من جُرْم ، واستحقوا عليه عقوبة منه ، كما :—

٨١٢٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « فاعف عنهم » ، أى : فتجاوز عنهم = « واستغفر لهم » ، ذنوبَ من قارف من أهل الإيمان منهم .(١)

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى من أجله أمر تعالى ذكره نبيَّه صلى الله عليه وسلم أن يشاورهم ، وما المعنى الذى أمره أن يشاورهم فيه ؟

فقال بعضهم : أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله : « وشاورهم فى الأمر » ، بمشاورة أصحابه فى مكايد الحرب وعند لقاء العدو ، تطييباً منه بذلك أنفسَهم ، وتألُّفاً لهم على دينهم ، وليروا أنه يسمع منهم ويستعين بهم ، وإن كان الله عز وجل قد أغناه = بتدبيره له أمورَه ، وسياسته إيّاه وتقويمه أسبابه = عنهم .

* ذكر من قال ذلك :

٨١٢٦ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إنّ الله يحب المتوكلين » ،

---

(١) الأثر : ٨١٢٥ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٣ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨١٢٤ ، ولكنه تال للأثر رقم : ٨١٢٢ فى سياق السيرة . وفى سيرة ابن هشام : « ذنوبهم من قارف » ، ولكن طابع السيرة جعل « ذنوبهم » من الآية ، فحصرها بين أقواس مع لفظ الآية ! ! وهو عجب !

أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يشاور أصحابه فى الأمور وهو يأتيه وحى السماء ، لأنه أطيب لأنفس القوم = وأنّ القوم إذا شاور بعضهم بعضاً وأرادوا بذلك وجه الله ، عزم لهم على أرشدِه .

٨١٢٧ – حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « وشاورهم فى الأمر »، قال : أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يشاور أصحابه فى الأمور وهو يأتيه الوحى من السماء، لأنه أطيب لأنفسهم .

٨١٢٨ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وشاورهم فى الأمر » ، أي : لتريهم أنك تسمع منهم وتستعين بهم ، وإن كنت عنهم غنيًّا ، تؤلفهم بذلك على دينهم .(١)

* * *

وقال آخرون : بل أمره بذلك فى ذلك. ليبيِّن له الرأى وأصوبَ الأمور فى التدبير ،(٢) لما علم فى المشورة تعالى ذكره من الفضْل .

* ذكر من قال ذلك :

٨١٢٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك بن مزاحم قوله : « وشاورهم فى الأمر » ، قال : ما أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشورة ، إلا لما علم فيها من الفضل .

٨١٣٠ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا معتمر بن سليمان، عن إياس بن دغفل ، عن الحسن : ما شاور قوم قط إلا هُدُوا لأرشد أمورهم .(٣)

* * *

٤/١٠١ وقال آخرون : إنما أمره الله بمشاورة أصحابه فيما أمرَه بمشاورتهم فيه ، مع

(١) الأثر : ٨١٢٨ – سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٣ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها: ٨١٢٥ .

(٢) فى المطبوعة : « بل أمره بذلك فى ذلك وإن كان له الرأى وأصوب الأمور . . . »، لم يستطع الناشر أن يحسن قراءة المخطوطة ، وصواب قراءتها ما أثبت .

(٣) الأثر : ٨١٣٠ – « إياس بن دغفل الحارثى ، أبو دغفل » ، روى عن الحسن ، وأبى نضرة وعطاء وغيرهم ، وروى عنه معتمر بن سليمان ، وأبو داود الطيالسى ، وأبو عامر العقدى . وهو ثقة . مترجم فى التهذيب .

إغنائه بتقويمه إياه وتدبيره أسبابه عن آرائهم، ليتبعه المؤمنون من بعده فيما حزبهم من أمر دينهم، ويستنُّوا بسنَّته فى ذلك، ويحتذوا المثالَ الذى رأوه يفعله فى حياته من مشاورَته فى أموره = مع المنزلة التى هو بها من الله = أصحابَهُ وتبَّاعَهُ فى الأمر ينزل بهم من أمر دينهم ودنياهم،[1] فيتشاوروا بينهم ثم يصدروا عما اجتمع عليه ملأهم. لأن المؤمنين إذا تشاوروا فى أمور دينهم متبعين الحق فى ذلك، لم يُخْلهم الله عز وجل من لطفه وتوفيقه للصواب من الرأى والقول فيه. قالوا: وذلك نظير قوله عز وجل الذى مدح به أهل الإيمان: ﴿ وأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ [سورة الشورى: ٣٨].

* ذكر من قال ذلك:

٨١٣١ – حدثنا سوَّار بن عبد الله العنبرى قال، قال سفيان بن عيينة فى قوله: «وشاورهم فى الأمر»، قال: هى للمؤمنين، أن يتشاوروا فيما لم يأتهم عن النبى صلى الله عليه وسلم فيه أثر.

* * *

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال بالصواب فى ذلك أن يقال: إن الله عز وجل أمرَ نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه فيما حزبه من أمر عدوه ومكايد حربه، تألُّفاً منه بذلك من لم تكن بصيرته بالإسلام البصيرةَ التى يُؤْمَنُ عليه معها فتنة الشيطان = وتعريفاً منه أمته مأتى الأمور التى تحزُبهم من بعده ومطلبها،[2] ليقتدوا به فى ذلك عند النوازل التى تنزل بهم، فيتشاوروا فيما بينهم، كما كانوا يرونه فى حياته صلى الله عليه وسلم يفعله. فأما النبى صلى الله عليه وسلم، فإن الله كان يعرِّفه مطالب وجوه ما حزبه من الأمور بوحيه أو إلهامه إياه صوابَ ذلك. وأما أمته، فإنهم إذا تشاوروا مستنّين بفعله فى ذلك، على تصادُقٍ وتأخٍّ للحق،[3] وإرادةِ

---

(١) قوله: «أصحابه وتباعه» منصوب مفعول لقوله: «من مشاورته فى أموره...».

(٢) فى المطبوعة: «ما فى الأمور»، والصواب ما فى المخطوطة، ولكن الناشر الأول لم يحسن قراءتها. يريد: الوجه الذى تؤتى منه الأمور وتطلب.

(٣) «توخى الأمر»: تحراه وقصده ويممه، ثم تقلب واوه ألفاً فيقال «تأخيت الأمر»، والشافعى رضى الله عنه يكثر من استعمالها فى كتبه كذلك. ثم انظر تعليق أخى السيد أحمد، على رسالة

جميعهم للصواب ، من غير ميل إلى هوى ، ولا حَيْد عن هدى ، فالله مسدِّدهم وموفِّقهم .

* * *

وأما قوله : « فإذا عزمت فتوكل على الله » ، فإنه يعنى : فإذا صحَّ عزمك بتثبيتنا إياك ، وتسديدنا لك فيما نابك وحزبك من أمر دينك ودنياك ، فامض لما أمرناك به على ما أمرناك به ، وافق ذلك آراء أصحابك وما أشاروا به عليك ، أو خالفها = « وتوكل » ، فيما تأتى من أمورك وتدع ، وتحاول أو تزاول ، على ربك ، فثق به فى كل ذلك ، وارض بقضائه فى جميعه ، دون آراء سائر خلقه ومعونتهم = « فإن الله يحب المتوكلين » ، وهم الراضون بقضائه ، والمستسلمون لحكمه فيهم ، وافق ذلك منهم هوى أو خالفه ، كما :—

٨١٣٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « فإذا عزمت فتوكل على الله إنّ الله يحب المتوكلين » = « فإذا عزمت » ، أى : على أمر جاءك منى ، أو أمر من دينك فى جهاد عدوك لا يصلحك ولا يصلحهم إلا ذلك ، فامض على ما أمرتَ به ، على خلاف من خالفك وموافقة من وافقك = و « توكل على الله » ، [1] أى : ارضَ به من العباد = « إن الله يحب المتوكلين » . [2]

٨١٣٣ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فإذا عزمت فتوكل على الله » ، أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم إذا عزم على أمر أن يمضى فيه ، ويستقيمَ على أمر الله ، ويتوكل على الله .

٨١٣٤ — حدثت عن عمار ، عن ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « فإذا عزمت فتوكل على الله » الآية ، أمره الله إذا عزم على أمر أن يمضى فيه ويتوكل عليه .

* * *

الشافعى ص : ٥٠٤ ، تعليق : ٢ .

(١) هكذا ثبت فى المخطوطة والمطبوعة وسيرة ابن هشام : « وتوكل » بالواو ، وهو جائز ، لأنه فى سياق التفسير ، وأما الآية فهى « فتوكل » بالفاء ، فلذلك جعلت الواو خارج القوس .

(٢) الأثر : ٨١٣٢ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٣ ، ١٢٤ ، وهو من تمام الآثار التى آخرها : ٨١٢٨ .

القول فى تأويل قوله ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١٦٠)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : « إن ينصركم الله » ، أيها المؤمنون بالله ورسوله ، على من ناوأكم وعاداكم من أعدائه والكافرين به = « فلا غالب لكم » من الناس ، يقول : فلن يغلبكم مع نصره إياكم أحد ، ولو اجتمع عليكم مَن بين أقطارها من خلقه ، فلا تهابوا أعداء الله لقلة عددكم وكثرة عددهم ، ما كنتم على أمره واستقمتم على طاعته وطاعة رسوله ، فإن الغلبة لكم والظفر ، دونهم = « وإن يخذُلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده » ، يعنى : إن يخذلكم ربكم بخلافكم أمره وترككم طاعته وطاعة رسوله ، فيكلكم إلى أنفسكم = « فمن ذا الذى ينصركم من بعده » ، يقول : فأيسوا من نصرة الناس ،[1] فإنكم لا تجدون [ناصراً] من بعد خذلان الله إياكم إن خذلكم ،[2] يقول : فلا تتركوا أمرى وطاعتى وطاعة ١٠٢/٤ رسولى فتهلكوا بخذلانى إياكم = « وعلى الله فليتوكل المؤمنون » ، يعنى : ولكن على ربكم ، أيها المؤمنون ، فتوكلوا دون سائر خلقه ، وبه فارضوا من جميع من دونه ، ولقضائه فاستسلموا ، وجاهدوا فيه أعداءه ، يكفكم بعونه ، ويمددكم بنصره ، كما : —

٨١٣٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « إن ينصركم

---

(١) أيست من الشيء آيس يأساً ، لغة فى « يئست منه أيأس يأساً » ، وقد سلف مثل ذلك فى موضع آخر لم أجده الآن .

(٢) فى المطبوعة : « فإنكم لا تجدون امرءاً من بعد خذلان الله » ، وفى المخطوطة : « لا تجدون أمراً » ، ولم أجد لها معنى أرتضيه ، فوضعت « ناصراً » مكان « أمراً » بين القوسين ، استظهاراً من معنى الآية ، وإن كنت أخشى أن يكون قد سقط من الناسخ شيء ، أو كتبت شيئاً مصحفاً لم أهتد لأصله . وانظر سهو الناسخ فى التعليق التالى .

الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون » ، أى : إن ينصرك الله فلا غالب لك من الناس = لن يضرك خذلان من خذلك ، وإن يخذلك فلن ينصرك الناس = « فمن الذى ينصركم من بعده » ، أى : لا تترك أمرى للناس ، وارفض [أمر] الناس لأمرى ، وعلى الله ، [لا على الناس] ، فليتوكل المؤمنون .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾

اختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته جماعة من قرأة الحجاز والعراق : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ﴾ ، بمعنى : أن يخون أصحابه فيما أفاء الله عليهم من أموال أعدائهم . واحتجّ بعض قارئى هذه القراءة : أنّ هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قطيفة فُقدت من مغانم القوم يوم بدر ، فقال بعض من كان مع النبى صلى الله عليه وسلم : « لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها ! » ، ورووا فى ذلك روايات ، فمنها ما : —

٨١٣٦ — حدثنا به محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب قال ، حدثنا عبدالواحد ابن زياد قال ، حدثنا خصيف قال ، حدثنا مقسم قال ، حدثنى ابن عباس : أن هذه الآية : « وما كان لنبىّ أن يغل » ، نزلت فى قطيفة حمراء فقدت يوم بدر ، قال : فقال بعض الناس : أخذها ! قال : فأكثروا فى ذلك ، فأنزل الله عز وجل : « وما كان لنبى أن يغل ومن يغلُل يأت بما غل يوم القيامة » .(٢)

٨١٣٧ — حدثنا ابن أبى الشوارب قال ، حدثنا عبد الواحد قال ، حدثنا

---

(١) الأثر : ٨١٣٥ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٤ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨١٣٢ ، بيد أنه فى سيرة ابن هشام مختصر . لم يرو ابن هشام صدر هذا الخبر ، بل بدأ من قوله : « أى : لا تترك » ، وقد أخطأ الناسخ فيما أرجح فسقط منه ما أثبت من سيرة ابن هشام بين الأقواس .

(٢) الأثر : ٨١٣٦ — « محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب القرشى الأموى » ، روى عنه

خصيف قال ، سألت سعيد بن جبير : كيف تقرأ هذه الآية : « وما كان لنبي أن يغُلّ» أو : « يُغَلّ »؟ قال : لا ، بل « يَغُلّ » ، فقد كان النبي والله يُغَلّ ويُقتل.

٨١٣٨ – حدثني إسحق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال ، حدثنا عتاب ابن بشير ، عن خصيف ، عن مقسم ، عن ابن عباس : « وما كان لنبي أن يغل » ، قال : كان ذلك في قطيفة حمراء فقدت في غزوة بدر ، فقال أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « فلعل النبي أخذها » ! فأنزل الله عز وجل : « وما كان لنبي أن يغُلّ» = [قال سعيد : بلى والله ، إنّ النبي ليُغَلّ ويُقتل] .(١)

٨١٣٩ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا خلاد ، عن زهير ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كانت قطيفة فقدت يوم بدر ، فقالوا : « أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم ! » . فأنزل الله عز وجل : « وما كان لنبيّ أن يغُلّ » .

مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة ، قال النسائي : « لا بأس به » ، وهو ثقة جليل صدوق . و « عبد الواحد ابن زياد العبدي » أحد الأعلام سلفت ترجمته في : ٢٦١٦ . و « خصيف بن عبد الرحمن الجزري » ، رأى أنساً ، وروى عن عطاء ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، ومقسم وغيرهم . قال أحمد « ضعيف الحديث » ، وقال : « شديد الاضطراب في المسند» . وقال ابن عدي : « إذا حدث عن خصيف ثقة ، فلا بأس بحديثه » . وقال ابن حبان : « تركه جماعة من أئمتنا واحتج به آخرون ، وكان شيخاً صالحاً فقيهاً عابداً ، إلا أنه كان يخطىء كثيراً فيما يروى ، وينفرد عن المشاهير بما لا يتابع عليه ، وهو صدوق في روايته ، إلا أن الإنصاف فيه ، قبول ما وافق الثقات ، وترك ما لم يتابع عليه » . مترجم في التهذيب .

والحديث رواه الترمذي في باب تفسير القرآن ، من طريق قتيبة ، عن عبد الواحد بن زياد ، بمثله وقال : « هذا حديث حسن غريب » ، وقد روى عبد السلام بن حرب عن خصيف نحو هذا ، وروى بعضهم هذا الحديث عن خصيف عن مقسم ، ولم يذكر فيه ابن عباس » – يعني مرسلا . ونسبه ابن كثير في تفسيره ٢ : ٢٧٩ ، إلى أبي داود أيضاً ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٩١ إلى أبي داود ، وعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم ، والترمذي ، وابن جرير .

(١) الأثر : ٨١٣٨ – « عتاب بن بشير الجزري » . روى عن خصيف وغيره . قال أحمد : « أرجو أن لا يكون به بأس ، روى بأخرة أحاديث منكرة ، وما أرى إلا أنها من قبل خصيف » . مترجم في التهذيب . وكان في المطبوعة : « بل والله » ، والصواب ما أثبت من المخطوطة ، وأما قوله في آخر الأثر : « قال سعيد : . . . » ، فإني تركته مكانه هنا ، ولكني أرجح أنه من تمام الأثر التالي رقم : ٨١٤٠ ، فوضعته بين القوسين . هذا ، إذا لم يكن قد سقط من الناسخ أثر آخر من رواية سعيد بن جبير .

٨١٤٠ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا مالك بن إسمعيل قال ، حدثنا زهير قال ، حدثنا خصيف ، عن سعيد بن جبير وعكرمة فى قوله : « وما كان لنبي أن يغل » ، قالا : يغُل = قال قال عكرمة أو غيره، عن ابن عباس، قال = كانت قطيفة فقدت يوم بدر، فقالوا: « أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم » ! قال : فأنزل الله هذه الآية: « وما كان لنبي أن يغل » .

٨١٤١ – حدثنا مجاهد بن موسى قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا قزعة بن سويد الباهلى ، عن حميد الأعرج ، عن سعيد بن جبير قال : نزلت هذه الآية: « وما كان لنبي أن يغل » ، فى قطيفة حمراء فقدت يوم بدر من الغنيمة.(١)

٨١٤٢ – حدثنا نصر بن على الجهضمى قال، حدثنا معتمر ، عن أبيه ، عن سليمان الأعمش قال : كان ابن مسعود يقرأ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يُغَلَّ﴾ . فقال ابن عباس : بلى، ويُقْتَل = قال : فذكر ابن عباس أنه إنما كانت فى قطيفة قالوا : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم غَلَّها ، يوم بدر . فأنزل الله : « وما كان لنبيّ أن يَغُل » .

* * *

وقال آخرون ممن قرأ ذلك كذلك ، بفتح « الياء » وضم « الغين » : إنما نزلت هذه الآية فى طلائع كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وجّههم فى وجه ، ثم غنم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقسم للطلائع . فأنزل الله عز وجل هذه الآية على نبيه صلى الله عليه وسلم، يعلمه فيها أن فعله الذى فعله خطأ ، وأنّ الواجب عليه فى الحكم أن يقسم للطلائع مثل ما قسم لغيرهم ، ويعرّفه الواجبَ عليه من الحكم فيما ١٠٢/٤

---

(١) الأثر : ٨١٤١ – « قزعة بن سويد بن حجير الباهلى » ، روى عن أبيه ، وحميد بن قيس الأعرج ، وابن أبى مليكة، وابن أبى نجيح وغيرهم . قال أحمد : « مضطرب الحديث ، وهو شبه المتروك ». وقال أبو حاتم : « ليس بذاك القوى » ، وقال ابن حبان : « كان كثير الخطأ فاحش الوهم ، فلما كثر ذلك فى روايته سقط الاحتجاج بأخباره » . وقال البزار : « لم يكن بالقوى ، حدث عنه أهل العلم » . مترجم فى التهذيب

أفاء الله عليه من الغنائم ، وأنه ليس له أن يخصّ بشيء منها أحداً ممن شهد الوقعة – أو ممن كان رِدْءاً لهم فى غزوهم – دون أحد .(١)

* ذكر من قال ذلك :

٨١٤٣ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وما كان لنبى أن يغل ومن يغلل يأت بما غلّ يوم القيامة » ، يقول : ما كان للنبى أن يقسم لطائفة من المسلمين ويترك طائفة ويجور فى القَسْم ، ولكن يقسم بالعدل ، ويأخذ فيه بأمر الله ، ويحكم فيه بما أنزل الله . يقول : ما كان الله ليجعل نبيًّا يغلُّ من أصحابه ، فإذا فعل ذلك النبى صلى الله عليه وسلم استنُّوا به .(٢)

٨١٤٤ – حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك : أنه كان يقرأ : « ما كان لنبى أن يغلّ » ، قال : أن يعطى بعضاً ويترك بعضاً ، إذا أصاب مغنماً .

٨١٤٥ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم طلائع ، فغنم النبى صلى الله عليه وسلم ، فلم يقسم للطلائع ، فأنزل الله عز وجل : « وما كان لنبىّ أن يغل » .

٨١٤٦ – حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد ابن سليمان ، عن الضحاك : « ما كان لنبى أن يغل » ، يقول : ما كان لنبىّ أن يقسم لطائفة من أصحابه ويترك طائفة ، ولكن يعدل ويأخذ فى ذلك بأمر الله عز وجل ، ويحكم فيه بما أنزل الله .

٨١٤٧ – حدثنى يحيى بن أبى طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا

---

(١) الردء (بكسر فسكون) : الناصر والمعين .

(٢) الأثر : ٨١٤٣ – هذا إسناد دائر فى التفسير ، وانظر الكلام فيه برقم : ٣٠٥ .

جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « وما كان لنبى أن يغل » ، قال : ما كان له إذا أصاب مغنماً أن يقسم لبعض أصحابه ويدع بعضاً ، ولكن يقسم بينهم بالسوية .

* * *

وقال آخرون ممن قرأ ذلك بفتح « الياء » وضم « الغين » : إنما أنزل ذلك تعريفاً للناس أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم لا يكتم من وحى الله شيئاً .

* ذكر من قال ذلك :

٨١٤٨ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وما كان لنبيّ أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » ، أى : ما كان لنبيّ أن يكتم الناس ما بعثه الله به إليهم عن رهبة من الناس ولا رغبة ، ومن يعمل ذلك يأت به يوم القيامة . (١)

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل قراءة من قرأ ذلك كذلك : ما ينبغى لنبى أن يكون غالاً — بمعنى أنه ليس من أفعال الأنبياء خيانة أممهم .

* * *

يقال منه : « غلّ الرجل فهو يغُلُّ » ، إذا خان ، « غُلولا » . ويقال أيضاً منه : « أغلّ الرجل فهو يُغِلُّ إغلالا » ، كما قال شريح : « ليس على المستعير غير المغِلّ ضمان » ، يعنى : غير الخائن . ويقال منه : « أغلّ الجازر » ، إذا سرق من اللحم شيئاً مع الجلد . (٢)

* * *

وبما قلنا فى ذلك جاء تأويل أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٨١٤٩ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا

---

(١) الأثر : ٨١٤٨ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٤ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨١٣٥ ، وفى بعض لفظه اختلاف يسير .

(٢) يعنى عند سلخ الذبيحة ، يسلخها فيترك شيئاً من اللحم ملتزقاً بإهابها

أسباط ، عن السدى : « ما كان لنبى أن يغل » ، يقول : ما كان ينبغى له أن يخون ، فكما لا ينبغى له أن يخون فلا تخونوا .

٨١٥٠ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « ما كان لنبى أن يغل » ، قال : أن يخون .

* * *

وقرأ ذلك آخرون : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يُغَلَّ ﴾ بضم «الياء» وفتح «الغين» ، وهى قراءة عُظم قرأة أهل المدينة والكوفة .

* * *

واختلف قارئو ذلك كذلك فى تأويله .

فقال بعضهم : معناه : ما كان لنبى أن يَغُلَّه أصحابه ، ثم أسقط « الأصحاب » ، فبقى الفعل غير مسمًّى فاعله . وتأويله : وما كان لنبىّ أن يُخان .

* ذكر من قال ذلك :

٨١٥١ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عوف ، عن الحسن أنه كان يقرأ : « وما كان لنبىّ أن يُغَل» ، قال عوف ، قال الحسن : أن يخان .

٨١٥٢ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وما كان لنبى أن يغل » ، يقول : وما كان لنبى أن يغله أصحابه الذين معه من المؤمنين – ذكر لنا أن هذه الآية نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، وقد غَلّ طوائف من أصحابه .

٨١٥٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « وما كان لنبى أن يُغَل » ، قال : أن يغُله أصحابه .

١٠٤/٤

٨١٥٤ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن

الربيع قوله : « وما كان لنبي أن يُغَلَّ » ، قال الربيع بن أنس يقول : ما كان لنبي أن يغله أصحابه الذين معه — قال : ذكر لنا ، والله أعلم : أن هذه الآية أنزلت على نبي الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، وقد غَلَّ طوائف من أصحابه .

* * *

وقال آخرون منهم : معنى ذلك : وما كان لنبي أن يتهم بالغلول فيخوَّن ويسرَّق . وكأن متأولي ذلك كذلك ، وجَّهوا قوله : « وما كان لنبي أن يغل » ، إلى أنه مراد به : « يُغَلَّل » ، ثم خففت «العين» من «يفعَّل» ، فصارت «يفعل» كما قرأ من قرأ قوله : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكْذِبُونَكَ ﴾ [سورة الأنعام : ٣٣] بتأول : يُكَذِّبُونَكَ .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندي ، قراءة من قرأ : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ﴾ بمعنى : ما الغلول من صفات الأنبياء ، ولا يكون نبيًّا من غلَّ .

وإنما اخترنا ذلك ، لأن الله عز وجل أوعد عقيب قوله : « وما كان لنبي أن يغل » أهلَ الغلول فقال : « ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة » ، الآية والتي بعدها . فكان في وعيده عقيب ذلك أهلَ الغلول ، الدليلُ الواضح على أنه إنما نهى بذلك عن الغلول ، وأخبر عباده أن الغلول ليس من صفات أنبيائه بقوله : « وما كان لنبيٍّ أن يغلَّ » . لأنه لو كان إنما نهى بذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغلول ، لعقَّب ذلك بالوعيد على التُّهَمة وسوء الظن برسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا بالوعيد على الغلول . وفي تعقيبه ذلك بالوعيد على الغلول ، بيانٌ بيِّنٌ أنه إنما عرَّف المؤمنين وغيرهم من عباده أن الغلول منتفٍ من صفة الأنبياء وأخلاقهم ، لأنَّ ذلك جرم عظيم ، والأنبياء لا تأتي مثله .

* * *

فإن قال قائل ممن قرأ ذلك كذلك : فأولى منه[١] : «وما كان لنبي أن يخونه أصحابه»، إن كان ذلك كما ذكرت ،[٢] ولم يعقّب الله قوله : « وما كان لنبي أن يغل » إلا بالوعيد على الغلول ، ولكنه إنما وجب الحكمُ بالصحة لقراءة من قرأ : « يغل » بضم « الياء » وفتح «الغين» ، لأن معنى ذلك : وما كان للنبي أن يغله أصحابه فيخونوه فى الغنائم ؟

قيل له : أفكان لهم أن يغلوا غير النبي صلى الله عليه وسلم فيخونوه، حتى خُصوا بالنهى عن خيانة النبي صلى الله عليه وسلم ؟

فإن قالوا : « نعم »، خرجوا من قول أهل الإسلام. لأن الله لم يبح خيانة أحد فى قول أحد من أهل الإسلام قط .

وإن قال قائل : لم يكن ذلك لهم فى نبيّ ولا غيره .

قيل : فما وجه خصوصهم إذاً بالنهى عن خيانة النبي صلى الله عليه وسلم ، وغُلوله وغُلول بعض اليهود بمنزلةٍ فيما حرم الله على الغالّ من أموالهما ، وما يلزم المؤتمن من أداء الأمانة إليهما ؟

وإذ كان ذلك كذلك ، فمعلوم أن معنى ذلك هو ما قلنا ، من أن الله عز وجل نفى بذلك أن يكون الغلول والخيانة من صفات أنبيائه، ناهياً بذلك عبادَه عن الغلول ، وآمراً لهم بالاستنان بمنهاج نبيهم ، كما قال ابن عباس فى الرواية التى ذكرناها من رواية عطية،[٣] ثم عقّب تعالى ذكره نهيَهم عن الغلول بالوعيد عليه فقال : « ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة »، الآيتين معاً .

* * *

---

(١) قوله : « فأولى منه » ، أى فأولى من المذهب الذى ذهبت إليه فى قراءة الآية وتفسيرها = يقوله هذا القائل ، رداً على أبى جعفر .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « إن ذلك كما ذكرت » سقط من الناسخ « كان » فأثبتها ، لأن هذا هو حق المعنى الذى أراده أبو جعفر فى سياق قول من رد عليه قوله .

(٣) يعنى الأثر : ٨١٤٣ ، « وعطية » المذكور ، هو « عطية بن سعد بن جنادة العوفى » ، الذى روى عن ابن عباس ، وهو المذكور فى الإسناد السالف « عن أبيه » . وقد أشكل ذلك على بعض من علق على التفسير ، فقال : لم يمض لعطية هذا ذكر ! ! ولكنه مذكور كما ترى .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : ومن يخُن من غنائم المسلمين شيئاً وفيئهم وغير ذلك ، يأت به يوم القيامة فى المحشر ، كما : —

٨١٥٥ — حدثنا أبو كريب قال : حدثنا ابن فضيل ، عن يحيى بن سعيد أبى حيان ، عن أبى زرعة ، عن أبى هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه قام خطيباً فوعظ وذكّر ثم قال : ألا عسى رجل منكم يجىء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثُغاء ، (١) يقول : يا رسول الله ، أغثنى ! فأقول : لا أملك لك شيئاً ، قد أبلغتك ! ألا هل عسى رجل منكم يجىء يوم القيامة على رقبته فرسٌ لها حمحمة ، (٢) يقول : يا رسول الله ، أغثنى ! فأقول : لا أملك لك شيئاً ، قد أبلغتك ! ألا هل عسى رجل منكم يجىء يوم القيامة على رقبته صامتٌ ، (٣) فيقول : يا رسول الله ، أغثنى ! فأقول : لا أملك لك شيئاً ، قد أبلغتك ! ألا هل عسى رجل منكم يجىء يوم القيامة على رقبته بقرةٌ لها خُوَار ، (٤) يقول : يا رسول الله ، أغثنى ! فأقول : لا أملك لك شيئاً ، قد أبلغتك ! ألا هل عسى رجل منكم يجىء يوم القيامة على رقبته رِقاع تخفِق

١٠٥/٤

---

(١) « الثغاء » : صوت الشاء والمعز والظباء وما شاكلها . « ثغت الشاة تثغو » : صاحت . يقال : « ماله ثاغية ولا راغية » ، الثاغية : الشاء : والراغية : الإبل .

(٢) الحمحمة : صوت الفرس دون الصهيل ، كالذى يكون منه إذا طلب العلف ، أو رأى صاحبه الذى كان ألفه ، فاستأنس إليه .

(٣) « الصامت » : هو الذهب والفضة ، أو ما لا روح فيه من أصناف المال . يقال : « ماله صامت ولا ناطق » ، فالناطق : الحيوان ، كالإبل والغنم وغيرها .

(٤) « الخوار » : صوت الثور ، وما اشتد من صوت البقرة والعجل . « خار الثور يخور » .

يقول : [١] يا رسول الله، أغثني ! فأقول : لا أملك لك شيئاً ، قد أبلغتك ! [٢]

٨١٥٦ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عبد الرحمن ، عن أبي حيّان ، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم، مثل هذا = زاد فيه :

---

(١) « الرقاع » جمع رقعة : وهو الخرقة ، و « تخفق » تضطرب وتلمع إذا حركتها الرياح ، أو إسراع حاملها . يريد الثياب التي يغلها الغال مما يختطفه من الغنائم . وقد فسره كثير من الشراح بأنه أراد الرقاع المكتوبة التي تكون فيها الحقوق والديون ، وخفوقها حركتها ، وأرجح القولين ما قدمت منهما .

(٢) الحديث : ٨١٥٥ – أبو حيان – بفتح الحاء المهملة وتشديد الياء التحتية – يحيى بن سعيد ابن حيان التيمي : مضت ترجمته : ٥٣٨٢ . ووقع في المطبوعة في الإسنادين التاليين لهذا « أبو حبان » بالباء الموحدة ، وهو خطأ .

ووقع هنا في المخطوطة : « عن يحيى بن سعيد ، عن أبي حيان » . وهو خطأ . فإن « أبا حيان » : اسمه « يحيى بن سعيد » – كما ذكرنا . ومحمد بن فضيل بن غزوان سمع منه ، ويروى عنه مباشرة ، كما هو ثابت في ترجمتهما .

نعم : إن « يحيى بن سعيد القطان » روى هذا الحديث عن « أبي حيان يحيى بن سعيد التيمي » ، كما سيأتي في التخريج – ولكن ليس في هذا الإسناد .

أبو زرعة – بضم الزاي وسكون الراء : هو ابن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلي . وهو تابعي ثقة، من علماء التابعين . مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري ٤/٢/٢٤٣ – ٢٤٤ ، فيمن اسمه « هرم » ، وابن أبي حاتم ٢/٢/٢٦٥ – ٢٦٦ ، فيمن اسمه « عبد الرحمن » ، لاختلافهم في اسمه . والظاهر أن اسمه كنيته .

ووقع في المطبوعة ، في الرواية الآتية : ٨١٥٧ – « عن أبي زرعة عن عمرو بن جرير » ، وهو تحريف ، صوابه « بن » بدل « عن » .

والحديث سيأتي عقب هذا بإسنادين : من طريق عبد الرحمن، عن أبي حيان ، ومن طريق ابن علية، عن أبي حيان .

ورواه أحمد في المسند : ٩٤٩٩ (ج ٢ : ص : ٤٢٦ حلبي) . عن إسمعيل – وهو ابن علية – عن أبي حيان .

ورواه مسلم ٢ : ٨٣ ، عن زهير بن حرب ، عن إسمعيل بن إبرهيم ، وهو ابن علية ، به .

ورواه البخاري ٦ : ١٢٩ (فتح) ، عن مسدد ، عن يحيى – وهو ابن سعيد القطان ، عن أبي حيان وهو يحيى بن سعيد التيمي .

ورواه مسلم أيضاً بأسانيد .

وكذلك رواه البيهقي في السنن الكبرى ٩ : ١٠١ بأسانيد .

وروى البخاري قطعة منه ، ضمن حديث ، من وجه آخر ٣ : ٢١٣ (فتح) .

وذكره ابن كثير ٢ : ٢٨١ ، من رواية المسند ، ثم قال : « أخرجاه من حديث أبي حيان ، به » يريد الشيخين .

وذكره السيوطي ٢ : ٩٢ ، وزاد نسبته لابن أبي شيبة ، والبيهقي في الشعب .

لا ألفين أحدكم على رقبته نفسٌ لها صياح . (١)

٨١٥٧ – حدثني يعقوب، قال، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا أبو حيّان ، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير ، عن أبي هريرة قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا يوماً، فذكر الغُلول فعظّمه وعظّم أمره فقال: لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول : يا رسول الله أغثني=(٢)ثم ذكر نحو حديث أبي كريب عن عبد الرحمن . (٣)

٨١٥٨ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا حفص بن بشر ، عن يعقوب القمي قال ، حدثنا حفص بن حميد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا أعرفَنّ أحدَكم يأتي يوم القيامة يحمل شاة لها ثغاء ينادي : يا محمد ! يا محمد ! (٤)فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً، قد بلغتك ! ولا أعرفنّ أحدَكم يأتي يوم القيامة يحمل جملا له رُغاء يقول: يا محمد! يا محمد ! فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً، قد بلغتك! ولا أعرفنّ أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل فرساً له حمحمة ينادي : يا محمد ! يا محمد ! فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً. قد بلغتك ! ولا أعرفنّ أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل قِشْعاً من أَدَمٍ ، (٥)

---

(١) الحديث : ٨١٥٦ – هو تكرار للحديث السابق .

ولكن « عبد الرحمن » – في هذا الإسناد : لم أستطع أن أجزم فيه بشيء . وأخشى أن يكون محرفاً عن « عبد الرحيم » ، فيكون : « عبد الرحيم بن سليمان الأشل » ، فهو الذي يروي عن أبي حيان ، ويروي عنه « أبو كريب » . وهو راوي هذا الحديث – رواه مسلم ٢ : ٨٣ ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن عبد الرحيم بن سليمان .

قوله : « نفس لها صياح » ، قال الحافظ ابن حجر في الفتح : « وكأنه أراد بالنفس ، ما يغله من الرقيق ، من امرأة أو صبي » .

(٢) « الرغاء » : صوت ذوات الخف كالإبل ، وقد يستعار لغيره : « رغا البعير يرغو » .

(٣) الحديث : ٨١٥٧ – هو تكرار للحديثين قبله . وقوله في آخره « ثم ذكر نحو حديث أبي كريب عن عبد الرحمن » أخشى أن يكون محرفاً ، وأن صوابه « عن عبد الرحيم » ، كما بينا من قبل .

(٤) قوله : « لا أعرفن » قد سلف أن بينت في التعليق على الأثر : ٨٠١١ ، ص : ٢٨٦ تعليق : ٤ ، والأثر : ٨٠٢٥ ، أنها كلمة تقال عند التهديد والوعيد والزجر الشديد ، وستأتي أيضاً في رقم : ٨١٦٠ بعد .

(٥) « القشع » : هو النطع الخلق من الجلد ، وهو الفرو الخلق أيضاً . وقال ابن الأثير : أراد القربة البالية. و«الأدم» جمع أديم : وهو الجلد . وفي المطبوعة والمخطوطة وابن كثير « قسما» ، خطأ محض .

ينادى : يا محمد! يا محمد ! فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً، قد بلغتك .[١]

٨١٥٩ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا أسباط بن محمد قال ، حدثنا أبو إسحق الشيبانى ، عن عبد الله بن ذكوان ، عن عروة بن الزبير ، عن أبى حميد قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقاً فجاء بسوادٍ كثير ، قال : فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقبضه منه . فلما أتوه جعل يقول : هذا لى، وهذا لكم . قال فقالوا : من أين لك هذا ؟ قال : أهدى إلىّ ! فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه بذلك ، فخرج فخطب فقال : «أيها الناس، ما بالى أبعث قوماً إلى الصدقة، فيجىء أحدهم بالسواد الكثير ،[٢] فإذا بعثت من يقبضه قال : « هذا لى ، وهذا لكم » ! فإن كان صادقاً، أفلا أهدى له وهو فى بيت أبيه أو فى بيت أمه ؟ ثم قال : «أيها الناس، من بعثناه على عمل فغَلّ شيئاً، جاء به يوم القيامة على عنقه يحمله ، فاتقوا الله أن يأتى أحدكم يوم القيامة على عنقه بعير له رغاء، أو بقرة تخور ، أو شاة تثغو ».[٣]

٨١٦٠ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو معاوية وابن نمير وعبدة بن سليمان ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن أبى حميد الساعدى قال : استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الأزد يقال له «ابن الأُتْبِيَّة» على صدقات

---

(١) الحديث : ٨١٥٨ – حفص بن بشر ، ويعقوب بن عبد الله القمى ، مضيا فى : ٤٨٤٢ .
حفص بن حميد القمى أبو عبيد : مترجم فى التهذيب ، وعند ابن أبى حاتم ١/٢/١٧١ . وهو ثقة ، وثقه النسائى وغيره . وقال ابن معين : « صالح » . وجهله ابن المدينى ، ولئن جهله لقد عرفه غيره . وهذا إسناد صحيح .
والحديث ذكره ابن كثير ٢ : ٢٨٠ ، عن هذا الموضع من الطبرى . وقال : « لم يروه أحد من أهل الكتب الستة » .
ولم أجده فى موضع آخر مما بين يدى من المراجع ، حتى السيوطى لم يذكره فى الدر المنثور .

(٢) « السواد » العدد الكثير من المال ، سمى بذلك لأن الإبل والغنم وغيرها إذا جاءت كثيرة مجتمعة، ترى كأنها سواد فى خافق الأرض . يقال : « لفلان سواد كثير » ، أى مال كثير من إبل وغنم وغيرها . ويقال للشخص الذى يرى من بعيد « سواد » ، وفى الحديث : « إذا رأى أحدكم سواداً بليل ، فلا يكن أجبن السوادين ، فإنه يخافك كما تخافه » ، يعنى بالسواد الشخص .

(٣) انظر التعليق على رقم : ٨١٦١

بني سليم، فلما جاء قال: «هذا لكم، وهذا هدية أهديت لي» . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفلا يجلس أحدكم في بيته فتأتيه هديته ! ثم حمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد ، فإني أستعمل رجالا منكم على أمور مما ولاّني الله ، فيقول أحدهم : هذا الذي لكم ، وهذا هدية أهديت إليّ ! أفلا يجلس في بيت أبيه أو في بيت أمه فتأتيه هديته ؟ والذي نفسي بيده ، لا يأخذ أحدكم من ذلك شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه ، فلا أعرفنّ ما جاء رجل يحمل بعيراً له رغاء،[1] أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيعر ![2] ثم رفع يده فقال : ألاهل بلغت ؟

٨١٦١ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عبد الرحيم ، عن هشام بن عروة عن أبيه ، عن أبي حميد ، حدثه بمثل هذا الحديث = قال : أفلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك ؟ ثم رفع يده حتى إني لأنظر إلى بياض إبطيه، ثم قال : اللهم هل بلغت ؟ = قال أبو حميد : بَصَرُ عيني وسَمْعُ أذني .[3]

٨١٦٢ – حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن هب وقال ، حدثني عمي عبد الله ابن وهب قال ، أخبرني عمرو بن الحارث : أن موسى بن جبير حدثه : أن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحباب الأنصاري حدثه: أن عبد الله بن أنيس حدثه : أنه تذاكر هو وعمر يوماً الصدقة فقال : ألم تسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر ١٠٦/٤

(١) قوله : «فلا أعرفن» ، انظر التعليق السالف ص : ٣٥٨ تعليق : ٤ .

(٢) يعرت العنز تيعر (مثل فتح يفتح) يعاراً (بضم الياء) : صوتت صوتاً شديداً . وكان في المطبوعة : «تثغو» ، وهو وإن كان صواباً في المعنى ، فهو خطأ في الرواية ، صوابه من المخطوطة ، ومن رواية الحديث كما ترى في التخريج .

(٣) الأحاديث : ٨١٥٩ – ٨١٦١ ، هي ثلاثة أسانيد لحديث واحد . وعبد الرحيم – في ثالثها هو ابن سليمان الأشل .

والحديث روا أحمد في المسند ٥ : ٤٢٣ – ٤٢٤ (حلبي) ، عن سفيان ، وهو ابن عيينة ، عن الزهري ، عن عروة بن الزبير ، عن أبي حميد الساعدي ، بنحوه .

وكذلك رواه البخاري ١٣ : ١٤٤ – ١٤٦ ، ومسلم ٢ : ٨٣ – ٨٤ ، من طريق سفيان بن عيينة . ورواه البخاري أيضاً في مواضع أخر .

ورواه مسلم – عقب تلك الرواية – من أوجه أخر ، منها من طريق عبد الرحيم بن سليمان .

وذكره ابن كثير : ٢ : ٢٨٠ – ٢٨١ ، من رواية المسند، ثم قال : «أخرجاه (يعني الشيخين) ،

غلول الصدقة : « من غل منها بعيراً أو شاة ، فإنه يحمله يوم القيامة » ؟ قال عبد الله ابن أنيس : بلى . (١)

٨١٦٣ – حدثنا سعيد بن يحيى الأموى قال، حدثنا أبى قال ، حدثنا يحيى ابن سعيد الأنصارى، عن نافع ، عن ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سعد بن عبادة مصدِّقاً، فقال: إياك ، يا سعد، أنْ تجيء يوم القيامة ببعير تحمله له رغاء ! قال : لا آخذه ولا أجيء به ! فأعفاه . (٢)

من حديث سفيان بن عيينة . . . ومن غير وجه عن الزهرى ، ومن طرق عن هشام بن عروة – كلاهما عن عروة ، به » .

قوله : « بصر عينى ، وسمع أذنى » اختلفوا فى ضبطه ، فروى على أنه فعل « بصر » (بفتح الباء وضم الصاد » « وسمع » فعل . وروى « بصر ، وسمع » اسمان . يراد به : « أعلم هذا الكلام يقيناً ، أبصرت عينى النبى صلى الله عليه وسلم حين تكلم به، وسمعته أذنى فلا شك فى علمى به »، كما قال النووى فى شرح مسلم ١٢ : ٢٢٠ ، ٢٢١ .

(١) الحديث : ٨١٦٢ – موسى بن جبير الأنصارى المدنى : مضت ترجمته وتوثيقه فى : ٢٩٤١ .

عبد الله بن عبد الرحمن بن الحباب الأنصارى المدنى : تابعى ثقة . ترجمه ابن أبى حاتم ٢/٢/٩٦ . ونقل الحافظ فى التهذيب أن البخارى صرح بأنه « سمع عبد الله بن أنيس » .

عبد الله بن أنيس – بالتصغير – الجهنى المدنى ، حليف الأنصار : صحابى معروف ، مترجم فى التهذيب ، والإصابة .

وهذا الحديث من مسند عمر ، ومن مسند عبد الله بن أنيس ، لتصريح كل منهما بأنه سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولكن الإمام أحمد لم يذكره فى مسند عمر ، وذكره فى مسند عبد الله بن أنيس فقط .

فرواه أحمد : ١٦١٣١ (ج ٣ ص ٤٩٨ حلبى)، عن هرون بن معروف ، عن عمرو بن الحارث – بهذا الإسناد .

وكذلك رواه ابنه عبد الله بن أحمد ، عن هرون بن معروف .

ورواه ابن ماجة : ١٨١٠ ، من طريق عبد الله بن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، به .

وقال البوصيرى فى زوائده : « فى إسناده مقال ، لأن موسى بن جبير ذكره ابن حبان فى الثقات وقال : إنه يخطىء . وقال الذهبى فى الكاشف : ثقة ، ولم أر لغيرهما فيه كلاماً وعبد الله بن عبد الرحمن : ذكره ابن حبان فى الثقات . وباقى رجاله ثقات » .

ونقله ابن كثير ٢ : ٢٨٣ ، عن هذا الموضع من تفسير الطبرى ، ثم نسبه أيضاً لابن ماجة ، ولم يزد ! ففاته أن ينسبه للمسند ، وهو أهم .

وذكره السيوطى فى الجامع الصغير : ٨٨٨٢ ، ونسبه لأحمد ، والضياء المقدسى ، عن عبد الله بن أنيس فقط . وهو عنه وعن عمر ، كما بينا .

(٢) الحديث : ٨١٦٣ – سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى : مضيا فى : ٢٢٥٥

يحيى بن سعيد الأنصارى النجارى : مضى مراراً ، آخرها : ٤٨٠٩ .

٨١٦٤ – حدثنا أحمد بن المغيرة الحمصى أبو حميد قال، حدثنا الربيع بن روح قال ، حدثنا ابن عياش قال ، حدثنى عبيد الله بن عمر بن حفص ، عن نافع مولى ابن عمر ، عن عبد الله بن عمر ، عن النبى صلى الله عليه وسلم : أنه استعمل سعد بن عبادة ، فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فسلم عليه ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : إياك، يا سعد، أن تجىء يوم القيامة تحمل على عنقك بعيراً له رغاء ! فقال سعد : فإن فعلتُ يا رسول الله، إن ذلك لكائن ! قال : نعم! قال سعد : قد علمت يا رسول الله أنى أُسْأَل فأُعْطِى ! فأعفنى . فأعفاه . (١)

٨١٦٥ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا زيد بن حبان قال ، حدثنا عبد الرحمن بن الحارث قال ، حدثنى جدى عبيد بن أبى عبيد – وكان أول مولود

وهذا إسناد صحيح ، رجاله رجال الصحيح .

وسيأتى تخريج الحديث فى الذى بعده .

(١) الحديث : ٨١٦٤ – أحمد بن المغيرة ، شيخ الطبرى : مضى فى : ٣٤٧٣ أنى لم أعرفه . وقد زادنا أبو جعفر هنا تعريفاً به ، فنسبه « الحمصى » ، وأن كنيته « أبو حميد » . ولا يزال مع هذا غير معروف لنا .

الربيع بن روح الحمصى ، أبو روح الحضرمى . ثقة ، روى عنه أيضاً أبو حاتم ، وقال : « وكان ثقة خياراً » . مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ٢/١/٢٥٥ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٤٦١ .

ابن عياش : هو إسمعيل بن عياش الحمصى ، مضى توثيقه فى : ٥٤٤٥ .

وهذا إسناد صحيح أيضاً ، لكن إسمعيل بن عياش لم يخرج له شىء فى الصحيحين .

والحديث فى معنى الذى قبله ، أطول فى اللفظ قليلا .

وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٣ : ٨٦ ، من حديث ابن عمر ، بنحو اللفظ السابق . وقال : « رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح » .

وذكره ابن كثير ٢ : ٢٨٣ ، عن الرواية الماضية من الطبرى . ثم قال : « ثم رواه من طريق عبيد الله ، عن نافع ، به . نحوه » .

ولم يروه أحمد فى المسند فى مسند عبد الله بن عمر ، ولكن رواه فى مسند « سعد بن عبادة » ، من حديثه ٥ : ٢٨٥ (حلبى) ، بنحوه – بإسناد صحيح إلى سعيد بن المسيب ، عن سعد بن عبادة . وهو إسناد منقطع بين ابن المسيب وابن عبادة .

فإن سعد بن عبادة توفى سنة ١٥ ، وقيل : سنة ١١ . وسعيد بن المسيب ولد سنة ١٥ ، فلم يدركه يقيناً

وكذلك ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٣ : ٨٥ ، من حديث سعد بن عبادة . وقال : « رواه أحمد، والبزار ، والطبرانى فى الكبير ، ورجاله ثقات ، إلا أن سعيد بن المسيب لم ير سعد بن عبادة » .

بالمدينة – قال : استعملت على صدقة دَوْس، فجاءنى أبو هريرة فى اليوم الذى خرجت فيه، فسلَّم . فخرجت إليه فسلمت عليه فقال : كيف أنت والبعير؟ كيف أنت والبقر ؟ كيف أنت والغنم ؟ ثم قال : سمعت حِبِّى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أخذ بعيراً بغير حقه جاء به يوم القيامة له رغاء ، ومن أخذ بقرة بغير حقها جاء بها يوم القيامة لها خوار ، ومن أخذ شاة بغير حقها جاء بها يوم القيامة على عنقه لها يُعار » ،(١) فإياك والبقر ، فإنها أحدُّ قروناً وأشدُّ أظلافاً .(٢)

٨١٦٦ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا خالد بن مخلد قال ، حدثنى محمد، عن عبد الرحمن بن الحارث ، عن جده عبيد بن أبى عبيد قال : استعملت على صدقة دوس ، فلما قضيت العمل قدمت ، فجاءنى أبو هريرة فسلم على فقال : أخبرنى كيف أنت والإبل = ثم ذكر نحو حديثه عن زيد ، إلا أنه قال: جاء به يوم القيامة على عنقه له رُغاء .(٣)

٨١٦٧ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « وما كان لنبى أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم

---

(١) فى المطبوعة : « لها ثغاء »، وأثبت ما فى المخطوطة . قد سلف «اليعار» ص: ٣٦٠ ، تعليق: ٢

(٢) الحديث : ٨١٦٥ – أبو كريب : هو محمد بن العلاء ، الحافظ الثقة .

زيد بن حبان : هكذا ثبت فى الطبرى . وأكاد أجزم بأنه محرف . فليس فى الرواة – فيما نعلم – إلا زيد بن حبان الرقى ، وهو قديم ، مات سنة ١٥٨ . فلم يدركه أبو كريب المتوفى سنة ٢٤٨ .

والراجح عندى أنه محرف عن « زيد بن الحباب العكلى » ، الذى يروى عنه كريب كثيراً . وهو ثقة ، مضت ترجمته : ٢١٨٥ .

عبد الرحمن بن الحارث بن عبيد بن أبى عبيد : ثقة . قال أبو زرعة : « لابأس به » . وهو مترجم عند ابن أبى حاتم ٢/٢/٢٢٤ ، باسم « عبد الرحمن بن الحارث بن أبى عبيد » . فقصر فى نسبه ، إذ حذف اسم جده الأدنى . وقد ثبت نسبه على الصواب فى ترجمة جده فى التهذيب . ولم أجد لعبد الرحمن هذا ترجمة غيرها .

عبيد بن أبى عبيد الغفارى ، مولى بنى رهم : تابعى ثقة . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٢/٢/٤١١ ، وثقات ابن حبان ، ص : ٢٦٩ (مخطوط مصور) . وقد خلط ابن أبى حاتم فى اسم حفيده « عبد الرحمن ابن الحارث » فذكره فى ترجمة جده ، فى الرواة عنه ، باسم « عبد الرحمن بن عبيد بن الحارث » .

والحديث سيأتى عقبه بإسناد آخر .

(٣) الحديث : ٨١٦٦ – خالد بن مخلد : هو القطوانى البجلى . مضت ترجمته فى : ٢٢٠٦ .

القيامة » ، قال قتادة : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا غنم مغنماً بعث منادياً : « ألا لا يغلُلَّن رجل مِخْيَطاً فما دونه،[1] ألا لا يغالَّن رجل بعيراً فيأتي به على ظهره يوم القيامة له رغاء ، ألا لا يغلنّ رجل فرساً فيأتي به على ظهره يوم القيامة له حَمْحمة » .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (١٦١)

قال أبو جعفر : يعني بقوله جل ثناؤه[2] : « ثم توفى كل نفس » ، ثم تعطى كل نفس جزاء ما كسبت بكسبها ، وافياً غير منقوص مما استحقه واستوجبه من ذلك[3] = « وهم لا يظلمون » ، يقول : لا يفعل بهم إلا الذى ينبغى أن يفعل بهم ، من غير أن يعتدى عليهم فينقصوا عما استحقوه ، كما : —

وقوله « حدثني محمد » — هكذا ثبت في الطبرى . وأكاد أجزم أنه خطأ ، زيادة من الناسخين . فإن « خالدبن مخلد » يروى عن « عبد الرحمن بن الحارث بن عبيد » مباشرة ، كما ثبت في ترجمة « عبد الرحمن » عند ابن أبي حاتم . وفيه : « سئل أبو زرعة عن عبد الرحمن بن الحارث الذى يحدث عنه خالد بن مخلد القطوانى » .

ولو كان هذا الراوى « محمد » ثابتاً في الإسناد ، لبين نسبه أو نحو ذلك ، فإن اسم « محمد » أكثر الأسماء دوراناً ، فلا يذكر هكذا مجهلا ، دون قرينة ترشد عن شخصه .

والحديث مكرر ما قبله .

وقد مضى معناه من حديث أبي هريرة ، من رواية أبي زرعة بن عمرو بن جرير ، عنه : ٨١٥٥ — ٨١٥٧ .

وأما من هذا الوجه ، من رواية عبيد بن أبي عبيد ، عنه — : فإني لم أجده في موضع آخر .

(١) « المخيط » (بكسر الميم وسكون الخاء وفتح الياء) : ما يخاط به ، كالإبرة ونحوها .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « يعني بذلك جل ثناؤه » ، والصواب يقتضى ما أثبت .

(٣) انظر تفسير « وفى » فيما سلف ٦ : ٤٦٥ — وتفسير « كسب » فيما سلف ص : ٣٢٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

٨١٦٨ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » ، ثم يُجزى بكسبه غير مظلوم ولا متعدَّى عليه .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (١٦٢)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك :

فقال بعضهم : معنى ذلك : أفمن اتبع رضوان الله فى ترك الغلول ، كمن باء بسخَط من الله بغُلوله ما غلّ ؟

* ذكر من قال ذلك :

٨١٦٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن مطرف ، عن الضحاك فى قوله : « أفمن اتبع رضوان الله » ، قال : من لم يغلّ = « كمن باء بسخط من الله » ، كمن غل .

٨١٧٠ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى سفيان بن عيينة، عن مطرف بن طريف ، عن الضحاك قوله : « أفمن اتبع رضوان الله » ، قال : من أدّى الخمُس = « كمن باء بسخط من الله » ، فاستوجب سخطاً من الله . ٤/٠٠٧

* * *

وقال آخرون فى ذلك، بما :–

٨١٧١ – حدثنى به ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « أفمن

---

(١) الأثر : ٨١٦٨ – سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٤ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨١٤٨ ، وفى المطبوعة : « معتدى عليه » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو موافق لما فى السيرة .

اتبع رضوان الله »، على ما أحب الناس وسخطوا= « كمن باء بسخط من الله »، لرضى الناس وسخطهم ؟ يقول : أفمن كان على طاعتى فثوابه الجنة ورضوانٌ من ربه ، كمن باء بسخط من الله، فاستوجب غضبه، وكان مأواه جهنم وبئس المصير؟ أسَواءٌ المثلان ؟ أى : فاعرفوا.(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بتأويل الآية عندى ، قولُ الضحاك بن مزاحم. لأن ذلك عَقيب وعيد الله على الغلول ، ونهيه عباده عنه . ثم قال لهم بعد نهيه عن ذلك ووعيده : أسواءٌ المطيع لله فيما أمره ونهاه ، والعاصى له فى ذلك ؟ أى : إنهما لا يستويان، ولا تستوى حالتاهما عنده . لأن لمن أطاع الله فيما أمره ونهاه، الجنةُ، ولمن عصاه فيما أمره ونهاه النار .

* * *

فمعنى قوله : « أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله » إذاً : أفمن ترك الغلول وما نهاه الله عنه من معاصيه ، وعمل بطاعة الله فى تركه ذلك ، وفى غيره مما أمره به ونهاه من فرائضه ، متبعاً فى كل ذلك رضى الله ، ومجتنباً سخطه = « كمن باء بسخط من الله » ، يعنى : كمن انصرف متحمِّلاً سخط الله وغضبه ، فاستحق بذلك سكنى جهنم ؟ يقول : ليسا سواءً.(٢)

* * *

وأما قوله : « وبئس المصير » ، فإنه يعنى : وبئس المصير= الذى يصير إليه ويؤوب إليه من باء بسخط من الله= جهنم .(٣)

* * *

---

(١) الأثر : ٨١٧١ – سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٤ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨١٦٨ ، وفى بعض لفظه اختلاف يسير .

(٢) انظر تفسير « باء » فيما سلف ٢ : ١٣٨ ، ٣٤٥/٣ثم ٧ : ١١٦

(٣) انظر تفسير « المصير » فيما سلف ٣ : ٦/٥٦ : ١٢٨ ، ٣١٧ . وسياق الجملة : « وبئس المصير . . . جهنم » وما بينهما تفسير « المصير » .

القول فى تأويل قوله ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٦٣)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : أنّ من اتبع رضوان الله ومن باء بسخَط من الله، مختلفو المنازل عند الله . فلمن اتبع رضوان الله، الكرامةُ والثواب الجزيل ، ولمن باء بسخط من الله، المهانةُ والعقاب الأليم ، كما :—

٨١٧٢ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون » ، أى : لكلٍّ درجات مما عملوا فى الجنة والنار ، إنّ الله لا يخفى عليه أهل طاعته من أهل معصيته .(١)

٨١٧٣ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه، عن ابن عباس : « هم درجات عند الله »، يقول : بأعمالهم .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : لهم درجات عند الله ، يعنى : لمن اتبع رضوان الله منازلُ عند الله كريمة .

* ذكر من قال ذلك :

٨١٧٤ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « هم درجات عند الله » ، قال : هى كقوله : ﴿ لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ .

٨١٧٥ — حدثنا محمد قال، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « هم درجات عند الله » ، يقول : لهم درجاتٌ عند الله .

* * *

(١) الأثر : ٨١٧٢ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٤ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨١٧١

وقيل : قوله « هم درجات » كقول القائل : « هم طبقات »،[1] كما قال ابن هَرْمة :

أَرَجْماً لِلْمَنُونِ يَكُونُ قَوْمِي لِرَيْبِ الدَّهْرِ، أَمْ دَرَجُ السُّيُولِ؟[2]

* * *

وأما قوله : « والله بصير بما يعملون »، فإنه يعني : والله ذو علم بما يعمل أهل طاعته ومعصيته ، لا يخفى عليه من أعمالهم شيء ، يحصي على الفريقين جميعاً أعمالهم ، حتى توفى كل نفس منهم جزاء ما كسبت من خير وشر ، كما : —

٨١٧٦ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « والله بصير بما يعملون » ، يقول : إن الله لا يخفى عليه أهل طاعته من أهل معصيته .[3]

* * *

---

(١) انظر تفسير درجة فيما سلف ٤ : ٥٣٣ — ٥٣٦ .

(٢) سيبويه ١ : ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ١٠٧ ، والخزانة ١ : ٢٠٣ ، واللسان (درج) ، وروايتهم جميعاً ، غير الطبري وأبي عبيدة :

أَنَصْبٌ لِلْمَنِيَّةِ تَعْتَرِيهِمْ رِجَالِي ، أَمْ هُمُ دَرَجَ السُّيُولِ؟

وكان في المطبوعة : « أإن حم المنون يكون قوم » ، لم يحسن الناشر الأول ، قراء المخطوطة فصرف البيت تحريفاً غثاً بريئاً من المعنى ، ورددته إلى صواب المخطوطة ، على أن فيها « قوم » بدل « قومي » ، والصواب ما أثبت . وقد استشهد بالبيت سيبويه على نصب « درج السيول » على الظرف ، وعلى رفعه خبر « هم » . وكذلك إعرابه على النصب والرفع في رواية الطبري وأبي عبيدة . وقوله : « أرجا للمنون » يعني به ما يعني في الرواية الأخرى ، « أنصب للمنية » . وأصل الرجم « القذف » ، وسمي ما يرجم به « رجماً » (بفتح الراء وسكون الجيم) . ولم تذكر كتب اللغة « الرجم » (بفتح الراء وسكون الجيم) : يعني الشيء المنصوب الذي يرجم ويقذف ، ولكن بيت ابن هرمة شاهد عليه ، وهو صحيح في قياس العربية . و « درج السيل » : مدرجه ومنحدره وطريقه في معاطف الأودية . يتحزن ابن هرمة على قومه وإسراع الهلاك إليهم بكل وجه ، حتى بادوا أو كادوا .

(٣) الأثر : ٨١٧٦ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٤ ، وهو تتمة الآثار التي آخرها : ٨١٧٢ ، وجزء منه .

القول فى تأويل قوله ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (١٦٤)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك : لقد تطوّل الله على المؤمنين= « إذ بعث فيهم رسولا »، حين أرسل فيهم رسولا= «من أنفسهم»، نبيًّا من أهل لسانهم، ولم يجعله من غير أهل لسانهم فلا يفقهوا عنه ما يقول = « يتلو عليهم آياته » ، يقول : يقرأ عليهم آى كتابه وتنزيله[1] = « ويزكيهم »، يعنى : يطهّرهم من ذنوبهم باتباعهم إياه وطاعتهم له فيما أمرهم ونهاهم[2]= « ويعلمهم الكتاب والحكمة » ، يعنى : ٤
ويعلمهم كتاب الله الذى أنزله عليه، ويبين لهم تأويله ومعانيه = « والحكمة » ، ويعنى بالحكمة ، السُّنّةَ التى سنها الله جل ثناؤه للمؤمنين على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبيانَه لهم[3] = « وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين »، يعنى : وإن كانوا من قبل أن يمنّ الله عليهم بإرساله رسوله الذى هذه صفته = «لفى ضلال مبين»، يقول : فى جهالة جهلاء ، وفى حيرة عن الهدى عمياء، لا يعرفون حقًّا، ولا يبطلون باطلا .

* * *

وقد بينا أصل « الضلالة » فيما مضى ، وأنه الأخذ على غير هدى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[4]

* * *

(١) انظر تفسير « يتلو» فيما سلف ٢ : ٤١١ ، ٥٦٩ / ٦ : ٤٦٦ ، تعليق : ٣، وفهارس اللغة « تلا » .

(٢) انظر تفسير « يزكى » فيما سلف ١ : ٥٧٣، ٥٧٤/٣ : ٨٨/٥ : ٢٩/٦ : ٥٢٨

(٣) انظر تفسير « الحكمة » فيما سلف ٣ : ٨٧ ، ٨٨/٥ : ١٥ ، ٣٧١ ، ٥٧٦ – ٥٧٩

(٤) انظر تفسير « الضلالة » فيما سلف ١ : ١٩٥/٢ : ٤٩٥ ، ٤٩٦

= و «المبين»، الذى يبين لمن تأمله بعقله وتدبره بفهمه، أنه على غير استقامة ولا هدى .(١)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٨١٧٧ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم »، منّ الله عليهم من غير دعوة ولا رغبة من هذه الأمة ، جعله الله رحمة لهم ليخرجهم من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى صراط مستقيم = قوله : « ويعلمهم الكتاب والحكمة »، الحكمة ، السنة = « وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » ، ليس والله كما يقول أهل حروراء : « محنة غالبة، من أخطأها أهريق دمه »،(٢) ولكن الله بعث نبيه صلى الله عليه وسلم إلى قوم لا يعلمون فعلّمهم ، وإلى قوم لا أدب لهم فأدّبهم .

٨١٧٨ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال : « لقد منّ الله على المؤمنين » ، إلى قوله : « لفى ضلال مبين » ، أى : لقد منّ الله عليكم، يا أهل الإيمان، إذ بعث فيكم رسولا من أنفسكم يتلو عليكم آياته ويزكيكم فيما أحدثتم وفيما عملتم ،(٣) ويعلمكم الخير والشر ، لتعرفوا الخير فتعملوا به ، والشر فتتقوه ، ويخبركم برضاه عنكم إذا أطعتموه ، لتستكثروا من طاعته ، وتجتنبوا ما سخط منكم من معصيته ، فتتخلصوا بذلك من نقمته، وتدركوا بذلك ثوابه من جنته = « وإن كنتم من قبل لفى ضلال مبين » ، أى : فى عمياء من الجاهلية ،

---

(١) انظر تفسير « مبين » فيما سلف ٣ : ٤/٣٠٠ : ٢٥٨ .

(٢) أهل حروراء : هم الخوارج ، وهذا مذهبهم .

(٣) فى المطبوعة : « فيما أخذتم وفيما عملتم » لم يحسن قراءة المخطوطة ، والصواب منها ومن سيرة ابن هشام .

لا تعرفون حسنة ولا تستغفرون من سيئة ،[١] صمٌّ عن الحق، عُمْيٌ عن الهدى.[٢]

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿أَوَلَمَّا أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٦٥)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : أوَحين أصابتكم ، أيها المؤمنون ، = « مصيبة » ، وهى القتلى الذين قتلوا منهم يوم أحد، والجرحى الذين جرحوا منهم بأحد ، وكان المشركون قتلوا منهم يومئذ سبعين نفراً — « قد أصبتم مثليها » ، يقول : قد أصبتم ، أنتم أيها المؤمنون ، من المشركين مثلى هذه المصيبة التى أصابوا هم منكم ، وهى المصيبة التى أصابها المسلمون من المشركين ببدر ، وذلك أنهم قتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين= « قلتم أنى هذا» ، يعنى : قلتم لما أصابتكم مصيبتكم بأحد = « أنى هذا» ، من أىِّ وجه هذا ؟[٣] ومن أين أصابنا هذا الذى أصابنا ، ونحن مسلمون وهم مشركون ، وفينا نبى الله صلى الله عليه وسلم يأتيه الوحى من السماء ، وعدوُّنا أهل كفر بالله وشرك ؟ = « قل » يا محمد للمؤمنين بك من أصحابك = « هو من عند أنفسكم» ، يقول : قل لهم : أصابكم هذا الذى أصابكم من عند أنفسكم ، بخلافكم أمرى وترككم طاعتى ، لا من عند غيركم ، ولا من قبل أحد سواكم = « إن الله على كل شىء قدير » ، يقول : إن الله على جميع ما أراد بخلقه من عفو وعقوبة ، وتفضل

(١) فى المطبوعة : « تستغيثون من سيئة » ، ولا معنى لها ، وفى المخطوطة « تسمعون » غير منقوطة ، والأرجح أنه خطأ ، صوابه ما فى سيرة ابن هشام . .

(٢) الأثر : ٨١٧٨ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٤ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨١٧٢ ، ٨١٧٦ . والجملة الأخيرة فى ابن هشام : « صم عن الخير ، بكم عن الحق ، عمى عن الهدى » .

(٣) انظر تفسير « أنى » فيما سلف ٤ : ٣٩٨ — ٥/٤١٦ : ١٢ ، ٦/٤٤٧ : ٣٥٨، ٤٢٠

وانتقام = « قدير » ، يعنى : ذو قدرة .(١)

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « قل هو من عند أنفسكم » ، بعد إجماع جميعهم على أن تأويل سائر الآية على ما قلنا فى ذلك من التأويل .

فقال بعضهم : تأويل ذلك : « قل هو من عند أنفسكم » ، بخلافكم على نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ، إذْ أشار عليكم بترك الخروج إلى عدوكم والإصحار لهم حتى يدخلوا عليكم مدينتكم ويصيروا بين آطامكم ،(٢) فأبيتم ذلك عليه ، وقلتم : « اخرج بنا إليهم حتى نُصْحر لهم فنقاتلهم خارج المدينة » .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٩/٤ ٨١٧٩ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا » ، أصيبوا يوم أحد ، قُتل منهم سبعون يومئذ ، وأصابوا مثليها يوم بدر ، قتلوا من المشركين سبعين وأسروا سبعين = « قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم » ، ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوم أحد ، حين قدم أبو سفيان والمشركون ، فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : «أنا فى جُنَّة حصينة » ، يعنى بذلك المدينة ، «فدعوا القوم أن يدخلوا علينا نقاتلهم ».(٣) فقال له ناس من أصحابه من الأنصار : يا نبى الله ، إنا نكره أن نقتل فى طرق المدينة ، وقد كنا نمتنع من الغزو فى الجاهلية ، فبالإسلام أحق أن نمتنع منه !(٤) فابرز بنا إلى القوم . فانطلق رسول الله صلى الله

---

(١) انظر تفسير « قدير » فى فهارس اللغة فيما سلف من الأجزاء .

(٢) « أصحر القوم » : برزوا إلى الصحراء . و « أصحروا لأعدائهم » : برزوا إلى فضاء لا يواريهم ، لكى يقاتلوهم فى الصحراء . و « الآطام » جمع أطم (بضم الهمزة والطاء) : وهو حصن مبنى بالحجارة ، كان أهل المدينة يتخذونها ويسكنونها يحتمون بها .

(٣) « الجنة » (بضم الجيم وتشديد النون) : هو ما وراك من السلاح واستترت به ، كالدروع والبيضة ، وكل وقاية من شىء فهو جنة .

(٤) فى المطبوعة : « وقد كنا نمتنع فى الغزو . . . أن نمتنع فيه » ، وفى المخطوطة : « قد كنا نمتنع من الغزو . . . أن نمتنع فيه » ، والصواب فيما أثبت ، كما فى الدر المنثور ٢ : ٩٤ .

عليه وسلم فلبس لأمته ، فتلاوم القوم فقالوا: عرّض نبيّ الله صلى الله عليه وسلم بأمر وعرّضتم بغيره! اذهب يا حمزة فقل لنبي الله صلى الله عليه وسلم: «أمرُنا لأمرك تبعٌ» . فأتى حمزة فقال له : يا نبي الله، إن القوم قد تلاوموا وقالوا : « أمرنا لأمرك تبع » . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه ليس لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يناجز ،(١) وإنه ستكون فيكم مصيبة . قالوا : يا نبي الله ، خاصة أو عامةً ؟ قال : سترونها = ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم رأى فى المنام أن بقراً تُنحر ، فتأولها قتلاً فى أصحابه = ورأى أن سيفه ذا الفقار انفصم ، فكان قتل عمه حمزة ، قتل يومئذ، وكان يقال له : أسد الله = ورأى أن كبشاً عُتِر ،(٢) فتأوّله كبش الكتيبة، عثمان بن أبى طلحة، أصيب يومئذ، وكان معه لواء المشركين.

٨١٨٠ — حدثت عن عمار ، عن ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بنحوه = غير أنه قال : « قد أصبتم مثليها »، يقول: مثلىْ ما أصيب منكم = « قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم » ، يقول : بما عصيتم .

٨١٨١ — حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : أصيب المسلمون يوم أحد مصيبة ، وكانوا قد أصابوا مثليها يوم بدر ممن قتلوا وأسروا ، فقال الله عز وجل : « أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها » .

٨١٨٢ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن

---

(١) « اللأمة » : الدرع الحصينة ، وسائر أداة الحرب .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « أن كبشاً أغبر » ، ولا معنى له ، ولا هو يستقيم . واستظهرت صوابها كما ترى ، وأن الناسخ صحفها . يقال : « عتر الشاة والظبية يعترها عتراً ، وهى عتيرة » ، ذبحها . ومنا « العتيرة » ، وهى أول نتاج أنعامهم ، كانوا يذبحونه لآلهتهم فى الجاهلية . هذا على أنى لم أجد هذا الخبر بلفظه فى مكان آخر ، ولكن المروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى أنه مردف كبشاً ، فقال : أما الكبش ، فإنى أقتل كبش القوم ، أى حاميهم وحامل لوائهم .

ابن جريج ، عن عمر بن عطاء ، عن عكرمة قال : قتل المسلمون من المشركين يوم بدر سبعين وأسروا سبعين ، وقتل المشركون يوم أحد من المسلمين سبعين ، فذلك قوله : « قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا » إذ نحن مسلمون ، نقاتل غضباً لله وهؤلاء مشركون = « قل هو من عند أنفسكم »، عقوبة لكم بمعصيتكم النبيَّ صلى الله عليه وسلم حين قال ما قال .

٨١٨٣ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن مبارك ، عن الحسن : « أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم » ، قالوا: فإنما أصابنا هذا لأنا قبلنا الفداء يوم بدر من الأسارى ، وعصينا النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، فمن قتل منا كان شهيداً، ومن بقى منا كان مطهَّراً ، رضينا ربَّنا ! (١)

٨١٨٤ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن مبارك ، عن الحسن وابن جريج قالا : معصيتهم أنه قال لهم: « لا تتبعوهم » ، يوم أحد ، فاتبعوهم .

٨١٨٥ — حدثنا محمد قال، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : ثم ذكر ما أصيب من المؤمنين — يعنى بأحد — وقتل منهم سبعون إنساناً = « أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها » ، كانوا يوم بدر أسروا سبعين رجلا وقتلوا سبعين = « قلتم أنى هذا » ، أن : من أين هذا = « قل هو من عند أنفسكم » ، أنكم عصيتم .

٨١٨٦ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها » يقول : إنكم أصبتم من المشركين يوم بدر مثلَى ما أصابوا منكم يوم أحد .

---

(١) فى المطبوعة : « رضينا بالله ربا » ، غير ما فى المخطوطة ، كأنه لم يفهمه ! !

٨١٨٧ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق: ثم ذكر المصيبة التي أصابتهم فقال: « أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم »، أي: إن تك قد أصابتكم مصيبة في إخوانكم، فبذنوبكم. قد أصبتم مثليها قبلُ من عدوكم،[1] في اليوم الذي كان قبله ببدر، قتلى وأسرى، ونسيتم معصيتكم وخلافكم ما أمركم به نبيكم صلى الله عليه وسلم. أنتم أحللتم ذلك بأنفسكم[2] = « إن الله على كل شيء قدير »، أي: إن الله على كل ما أراد بعباده من نقمة أو عفو، قدير.[3] ٤/١٠

٨١٨٨ – حدثت عن الحسين قال، سمعت أبامعاذ يقول، أخبرنا عبيد قال، سمعت الضحاك يقول في قوله: « أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها »، الآية، يعني بذلك: أنكم أصبتم من المشركين يوم بدر مثلي ما أصابوا منكم يوم أحد.

* * *

وقال بعضهم: بل تأويل ذلك: « قل هو من عند أنفسكم »، بإساركم المشركين يوم بدر،[4] وأخذكم منهم الفداء، وترككم قتلهم.

* ذكر من قال ذلك:

٨١٨٩ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن فضيل، عن أشعث بن سوار، عن ابن سيرين، عن عبيدة قال: أسر المسلمون من المشركين سبعين وقتلوا سبعين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اختاروا أن تأخذوا منهم الفداء فتتقوَّوْا به على

---

(١) في المطبوعة: « قتلا من عدوكم » وقبلها رقم (٣) لشك المصحح في صحتها. وفي المخطوطة مثل ذلك غير منقوط، والصواب من سيرة ابن هشام.

(٢) في المخطوطة والمطبوعة: « إنكم أحللتم . . . »، ورجحت رواية ابن هشام، فهي أجود في السياق.

(٣) الأثر: ٨١٨٧ – سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٥، هو تتمة الآثار التي آخرها: ٨١٧٨.

(٤) في المطبوعة: « بإسارتكم » وهو خطأ، أوقعه فيه ناسخ المخطوطة، لأن كتب (تكم)، ولكنه أدخل الراء على التاء، فاختلطت كتابته. والصواب ما أثبت.

عدوكم ، وإن قبلتموه قتل منكم سبعون = أو تقتلوهم . فقالوا : بل نأخذ الفدية منهم ويُقتل منا سبعون . قال : فأخذوا الفدية منهم ، وقتلوا منهم سبعين = قال عبيدة : وطلبوا الخيرتين كلتيهما .

٨١٩٠ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا ابن عون ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة : أنه قال في أساري بدر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن شئتم قتلتموهم ، وإن شئتم فاديتموهم واستُشهد منكم بعدتهم. قالوا : بل نأخذ الفداء فنستمتع به ، ويستشهد منا بعدتهم .

٨١٩١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني إسمعيل ، عن ابن عون ، عن محمد ، عن عبيدة السلماني = وحدثني حجاج ، عن جرير ، عن محمد ، عن عبيدة السلماني = عن علي قال : جاء جبريل إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال له : يا محمد ، إن الله قد كره ما صنع قومك في أخذهم الأساري ، وقد أمرك أن تخيّرهم بين أمرين : أن يقدّموا فتضرب أعناقهم ، وبين أن يأخذوا الفداء على أن يُقتل منهم عدتهم . قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فذكر ذلك لهم ، فقالوا : يا رسول الله ، عشائرنا وإخواننا ! ! لا بل نأخذ فداءهم فنتقوى به على قتال عدونا ، ويستشهد منا عدّتهم ، فليس في ذلك ما نكره ! قال : فقتل منهم يوم أحد سبعون رجلا ، عدة أساري أهل بدر .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : والذى أصابكم « يوم التقى الجمعان »، وهو يوم أحد ، حين التقى جمع المسلمين والمشركين . ويعنى بـ « الذى أصابهم » ، ما نال من القتل مَنْ قُتِل منهم، ومن الجراح من جرح منهم = « فبإذن الله، » يقول : فهو بإذن الله كان = يعنى : بقضائه وقدَره فيكم . (١)

* * *

وأجاب « ما » بالفاء، لأن « ما » حرف جزاء ، وقد بينت نظير ذلك فيما مضى قبل . (٢)

* * *

= « وليعلم المؤمنين ، وليعلم الذين نافقوا »، بمعنى : وليعلم الله المؤمنين ، وليعلم الذين نافقوا ، أصابكم ما أصابكم يوم التقى الجمعان بأحد ، ليميِّز أهلُ الإيمان بالله ورسوله المؤمنين منكم من المنافقين فيعرفونهم ، لا يخفى عليهم أمر الفريقين .

وقد بينا تأويل قوله : « وليعلم المؤمنين » فيما مضى ، وما وجه ذلك ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . (٣)

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال ابن إسحق .

٨١٩٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين » ، أى : ما أصابكم حين التقيتم أنتم وعدوكم ، فبإذنى كان ذلك حين فعلتم ما فعلتم ، بعد أن جاءكم

---

(١) انظر تفسير «الإذن» فيما سلف ٢ : ٤٤٩، ٤٥٠ / ٤ : ٢٨٦ / ٥ : ٣٥٥، ٣٩٥ / ٧ : ٢٨٩

(٢) انظر ما سلف ٥ : ٥٨٥

(٣) انظر ما سلف ٣ : ١٦٠ / ٧ : ٢٤٦ ، ٣٢٥

نصرى ، وصدقتكم وعدى ، (١) ليميز بين المنافقين والمؤمنين ، وليعلم الذين نافقوا منكم ، أى : ليظهروا ما فيهم . (٢)

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ (١٦٧)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك عبدَ الله بن أبىّ ابن سلول المنافق وأصحابَه ، الذين رجعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه ، حين سار نبى الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين بأحد لقتالهم ، فقال لهم المسلمون : تعالوا ١١١/٤ قاتلوا المشركين معنا ، أو ادفعوا بتكثيركم سوادنا ! فقالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون لسرنا معكم إليهم ، ولكنا معكم عليهم ، ولكن لا نرى أنه يكون بينكم وبين القوم قتالٌ ! فأبدوْا من نفاق أنفسهم ما كانوا يكتمونه ، وأبدوا بألسنتهم بقولهم : « لو نعلم قتالا لاتبعناكم » ، غير ما كانوا يكتمونه ويخفونه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل الإيمان به ، كما : —

٨١٩٣ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال ، حدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، ومحمد بن يحيى بن حبان ، وعاصم بن عمر ابن قتادة ، والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، وغيرهم من علمائنا ، كلهم قد حدَّث قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم — يعنى حين خرج إلى أحد — فى ألف رجل من أصحابه ، حتى إذا كانوا بالشوط بين

(١) فى المطبوعة : « وصدقتم وعدى » ، والصواب من المخطوطة وسيرة ابن هشام .

(٢) الأثر : ٨١٩٢ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٥ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨١٨٧ .

أحد والمدينة ، انخزل عنهم عبد الله بن أبيّ ابن سلول بثلث الناس وقال : (١) أطاعهم فخرج وعصاني ! والله ما ندري علامَ نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس ! ! فرجع بمن اتبعه من الناس من قومه من أهل النفاق وأهل الريب ، واتبعهم عبد الله ابن عمرو بن حرام أخو بني سلمة يقول : يا قوم ، أذكّركم الله أن تخذلوا نبيكم وقومكم عند ما حضر من عدوّهم ! فقالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم ، ولكنا لا نرى أن يكون قتال ! فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم ، قال : أبعدَكم الله أعداءَ الله ! فسيُغني الله عنكم ! ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم. (٢)

٨١٩٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا » ، يعني : عبد الله بن أبيّ ابن سلول وأصحابه الذين رجعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار إلى عدوّه من المشركين بأحد = وقوله : « لو نعلم قتالا لاتبعناكم » ، يقول : لو نعلم أنكم تقاتلون لسرنا معكم ، ولدفعنا عنكم ، ولكن لا نظن أن يكون قتال . فظهر منهم ما كانوا يخفون في أنفسهم = يقول الله عز وجل : « هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم » ، يظهرون لك الإيمان ، وليس في قلوبهم (٣) = « والله أعلم بما يكتمون » ، أي : يخفون . (٤)

٨١٩٥ — حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم — يعني يوم أحد — في ألف رجل ، وقد وعدهم الفتحَ إن صبروا . فلما خرجوا ، رجع عبد الله بن أبيّ ابن سلول في ثلثمئة ، فتبعهم أبو جابر السلمي يدعوهم ، فلما غلبوه وقالوا له : ما نعلم قتالاً ، ولئن أطعتنا

(١) في المطبوعة : « فقال » ، والصواب من المخطوطة ، وسيره ابن هشام .

(٢) الأثر : ٨١٩٣ — سيرة ابن هشام ٣ : ٦٨ ، وهو تابع الأثر الماضي رقم : ٧٧١٥ ، وبين رواية الطبري ، ورواية ابن هشام خلاف في بعض اللفظ .

(٣) في المطبوعة والمخطوطة : « هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان ، وليس في قلوبهم » ، وقد اختل الكلام ، وأظنه سقط من سهو الناسخ ، فأتممته من السيرة ، وأتممت الآية وتفسيرها بعدها .

(٤) الأثر : ٨١٩٤ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٥ ، وهو تتمة الآثار التي آخرها : ٨١٩٢ .

لترجعن معنا ! =[1] قال : فذكر الله أصحاب عبد الله بن أبيّ ابن سلول ، وقول عبد الله أبي جابر بن عبد الله الأنصاري حين دعاهم فقالوا : « ما نعلم قتالا ، ولئن أطعتمونا لترجعُنّ معنا »، فقال : ﴿ الذين قالوا لإخوانِهم وَقَعَدُوا لَوْ أطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ ﴾.[2]

٨١٩٦ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال عكرمة : « قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم »، قال : نزلت في عبد الله بن أبيّ ابن سلول = قال ابن جريج ، وأخبرني عبد الله بن كثير ، عن مجاهد : « لو نعلم قتالا» ، قال : لو نعلم أنّا واجدون معكم قتالا ، لو نعلم مكان قتال، لاتبعناكم .

* * *

واختلفوا في تأويل قوله : « أو ادفعوا » .

فقال بعضهم : معناه : أو كثّروا، فإنكم إذا كثرتم دفعتم القوم .

* ذكر من قال ذلك :

١١٢/٤ ٨١٩٧ – حدثنا محمد قال، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « أو ادفعوا »، يقول : أو كثّروا .

٨١٩٨ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « أو ادفعوا » ، قال : بكثرتكم العدو ، وإن لم يكن قتال .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : أو رابِطوا إن لم تقاتلوا .

* ذكر من قال ذلك :

٨١٩٨م – حدثنا إسمعيل بن حفص الأيلي وعلي بن سهل الرملي قالا ، حدثنا

---

(١) في هذا الأثر اختصار مخل ، وقد مضى تمامه برقم ٧٧٢٣ ، وجواب « فلما غلبوه » ، في بقية الأثر وهو : « هموا بالرجوع » ، يعني بني سلمة رهط أبي جابر السلمي . وانظر التخريج بعد .

(٢) الأثر : ٨١٩٥ – مضى بعضه برقم : ٧٧٢٣ ، والتاريخ ٣ : ١٢ .

الوليد بن مسلم قال ، حدثنا عتبة بن ضمرة قال : سمعت أبا عون الأنصارى فى قوله : « قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا » ، قال : رابطوا .(١)

* * *

وأما قوله : « والله أعلم بما يكتمون » ، فإنه يعنى به : والله أعلم من هؤلاء المنافقين الذين يقولون للمؤمنين : « لو نعلم قتالا لاتبعناكم » ، بما يضمرون فى أنفسهم للمؤمنين ويكتمونه فيسترونه من العداوة والشنآن ، وأنهم لو علموا قتالا ما تبعوهم ولا دافعوا عنهم ، وهو تعالى ذكره محيط بما هم مخفوه من ذلك ،(٢) مطلع عليه ، ومحصيه عليهم ، حتى يهتك أستارهم فى عاجل الدنيا فيفضحهم به ، ويُصليهم به الدرك الأسفل من النار فى الآخرة .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (١٦٨)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : « وليعلم الله الذين نافقوا » = « الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا » .

* * *

فموضع « الذين » نصب على الإبدال من « الذين نافقوا » . وقد يجوز أن

---

(١) الأثر : ٨١٩٨م – « إسماعيل بن حفص الأيلى » ، سلفت ترجمته برقم : ٧٥٨١ ، وكان فى المطبوعة هنا أيضاً « الآمل » مكان « الأيلى » ، وهو خطأ ، وفى المخطوطة « الأبلى » غير منقوطة ، وصواب قراءتها ما أثبت . و « الوليد بن مسلم القرشى » ، سلفت ترجمته برقم : ٤٦١٠ . و « عتبة بن ضمرة بن حبيب بن صهيب الزبيدى الحمصى » ، روى عن أبيه ، وعمه المهاجر ، ومحمد بن زياد الألهانى ، وأبى عون الشامى . ذكره ابن حبان فى الثقات . مترجم فى التهذيب ، و « أبو عون الأنصارى الشامى الأعور » روى عن أبى إدريس الخولانى ، ثقة . مترجم فى التهذيب .

(٢) فى المطبوعة : « بما يخفونه من ذلك » ، غير ما فى المخطوطة لغير شىء ! ! ، إلا أن يريدوا أن يدرجوا به على ما ألفوا من الكلام ! !

يكون رفعاً على الترجمة عما فى قوله : « يكتمون » من ذكر « الذين نافقوا » .

* * *

فمعنى الآية : وليعلم الله الذين قالوا لإخوانهم الذين أصيبوا مع المسلمين فى حربهم المشركين بأحد يوم أحد فقتلوا هنالك من عشائرهم وقومهم = « وقعدوا » ، يعنى : وقعد هؤلاء المنافقون القائلون ما قالوا — مما أخبر الله عز وجل عنهم من قيلهم — عن الجهاد مع إخوانهم وعشائرهم فى سبيل الله = « لو أطاعونا » ، يعنى : لو أطاعنا من قتل بأحد من إخواننا وعشائرنا = « ما قتلوا » يعنى : ما قتلوا هنالك = قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « قل » ، يا محمد، لهؤلاء القائلين هذه المقالة من المنافقين = « فادرأوا » ، يعنى : فادفعوا .

* * *

من قول القائل : « درأت عن فلان القتل » ، بمعنى دفعت عنه ، « أدرؤه دَرْءًا »،[1] ومنه قول الشاعر :[2]

تَقُولُ وَقَدْ دَرَأْتُ لَهَا وَضِينِى أَهٰذَا دِينُهُ أَبَدًا وَدِينِى[3]

* * *

يقول تعالى ذكره : قل لهم : فادفعوا = إن كنتم ، أيها المنافقون ، صادقين فى قيلكم : لو أطاعنا إخواننا فى ترك الجهاد فى سبيل الله مع محمد صلى الله عليه وسلم وقتالهم أبا سفيان ومن معه من قريش ، ما قُتلوا هنالك بالسيف ، ولكانوا أحياء بقعودهم معكم ، وتخلّفهم عن محمد صلى الله عليه وسلم وشهود جهاد أعداء الله معه = [عن أنفسكم] الموت،[4] فإنكم قد قعدتم عن حربهم وقد تخلفتم عن جهادهم ، وأنتم لا محالة ميتون ، كما : —

---

(١) انظر تفسير « الدرء » فيما سلف ٢ : ٢٢٢ — ٢٢٨

(٢) هو المثقب العبدى .

(٣) مضى تخريجه وشرحه فيما سلف ٢ : ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، والاستشهاد بهذا البيت لمعنى الدفع ، غريب من مثل أبى جعفر ، فراجع شرح البيت هناك .

(٤) السياق : « قل لهم : فادفعوا . . . عن أنفسكم الموت» ، والزيادة التى بين القوسين زيادة لا بد منها يقتضيها السياق ، وعن نص الآية ، فلذلك أثبتها .

٨١٩٩ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « الذين قالوا لإخوانهم » ، الذين أصيبوا معكم من عشائرهم وقومهم = « لو أطاعونا ما قتلوا » الآية ، أى : إنه لا بد من الموت ، فإن استطعتم أن تدفعوه عن أنفسكم فافعلوا . وذلك أنهم إنما نافقوا وتركوا الجهاد فى سبيل الله ، حرصاً على البقاء فى الدنيا ، وفراراً من الموت . (١)

* * *

* ذكر من قال: الذين قالوا لإخوانهم هذا القول ، هم الذين قال الله فيهم : « وليعلم الذين نافقوا » .

٨٢٠٠ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا » الآية ، ذكر لنا أنها نزلت فى عدوّ الله عبد الله بن أبىّ .

٨٢٠١ – حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : هم عبد الله بن أبىّ وأصحابه .

٨٢٠٢ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : هو عبد الله بن أبىّ الذى قعد وقال لإخوانه الذين خرجوا مع النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد : « لو أطاعونا ما قتلوا » ، الآية = قال ابن جريج ، عن مجاهد قال ، قال جابر بن عبد الله : هو عبد الله بن أبىّ ابن سلول .

٨٢٠٣ – حدثت عن عمار ، عن ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا » الآية ، قال : نزلت فى عدوّ الله عبد الله ابن أبىّ . (٢)

* * *

(١) الأثر : ٨١٩٩ – سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٥ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨١٩٤ .

(٢) عند هذا الموضع ، انتهى جزء من التقسيم القديم الذى نقلت عنه نسختنا ، وفى المخطوطة مانصه :

« يتلوه إن شاء الله : القول فى تأويل قوله جل ثناؤه

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره : « ولا تحسبن » ، ولا تظننّ ، كما : —

٨٢٠٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ولا تحسبن » ، ولا تظنن .(١) ٤/١١٣

* * *

وقوله : « الذين قتلوا فى سبيل الله » . يعنى : الذين قتلوا بأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم = « أمواتاً » ، يقول : ولا تحسبنهم ، يا محمد ، أمواتاً لا يحسُّون شيئاً ولا يلتذُّون ولا يتنعمون ، فإنهم أحياء عندى ، متنعمون فى رزقى ، فرحون مسرورون بما آتيتهم من كرامتى وفضلى ، وحبَوْتهم به من جزيل ثوابى وعطائى ، كما : —

٨٢٠٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق = وحدثنى

ولا تحسبَنَّ الذينَ قتلوا فى سبيلِ الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون .

والحمد لله على إحسانه ونعمته ، وصلى الله على محمد وعلى آله الطاهرين ، وسلَّمَ كثيرًا » .

ثم يتلوه أول الجزء ، وفيها ما نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم

ربّ يسّر يا كريم

أخبرنا أبو بكر محمد بن داود قال ، أخبرنا أبو جعفر محمد بن جرير » .

وانظر التعليق على هذا الإسناد فيما سلف ٦ : ٤٩٦ ، ٤٩٧ / ٧ : ٢٣ ، ١٥٤ ، ٢٨٠ ، ٢٨١

(١) الأثر ٨٢٠٤ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٦ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨١٩٩

يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثنا إسمعيل بن عياش ، عن ابن إسحق = عن إسمعيل بن أمية ، عن أبي الزبير المكي ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما أصيب إخوانكم بأحد ، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر تردُ أنهار الجنة وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب في ظل العرش . فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحُسن مَقيلهم قالوا : ياليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا ! لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب ! [1] فقال الله عز وجل : أنا أبلغهم عنكم . فأنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الآيات . [2]

---

(١) نكل عن عدوه : جبن فنكص على عقبيه ، وانصرف عنه هيبة له وخوفاً .

(٢) الحديث : ٨٢٠٥ – أبو الزبير : هو محمد بن مسلم بن تدرس المكي ، وهو تابعي ثقة ، مضى مراراً . وقيل إنه لم يسمع من ابن عباس ، ففي المراسيل لابن أبي حاتم ، ص : ٧١ ، عن ابن عيينة : « يقولون : ابن المكي لم يسمع من ابن عباس » . وفيه أيضاً : « سمعت أبي يقول : رأى ابن عباس رؤية » .

والحديث رواه أحمد في المسند : ٢٣٨٨ ، عن يعقوب ، وهو ابن إبرهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن ابن إسحق ، بهذا الإسناد .

ثم رواه عقبه : ٢٣٨٩ ، « نحوه » ، عن عثمان بن أبي شيبة ، عن عبد الله بن إدريس ، عن ابن إسحق ، به . وزاد في الإسناد « عن سعيد بن جبير » ، بين أبي الزبير وابن عباس .

وكذلك رواه أبو داود في السنن : ٢٥٢٠ ، عن عثمان بن أبي شيبة ، به .

وكذلك رواه الحاكم في المستدرك ٢ : ٢٩٧ – ٢٩٨ ، من طريق عثمان بن أبي شيبة . وقال : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبي .

وذكره ابن كثير ٢ : ٢٩٠ – ٢٩١ ، من رواية المسند الأولى ، وأشار إلى رواية الطبري هذه ، ثم إلى زيادة سعيد بن جبير في الإسناد ، عند أبي داود والحاكم ، ثم قال : « وهذا أثبت . وكذا رواه سفيان الثوري ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس » .

وذكره السيوطي ٢ : ٩٥ ، وزاد نسبته إلى هناد ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، والبيهقي في الدلائل.

وقوله : « وحسن مقيلهم » – في المسند : « منقلبهم » . ومعناها صحيح أيضاً . ولكن وجدت بعد ذلك في مخطوطة الرياض من المسند (المصور عندي) نسخة أخرى بهامشها « مقيلهم » . وهي أصح وأجود . وهي الموافقة لما في ابن كثير نقلا عن المسند ، والموافقة لروايتي أبي داود والحاكم .

ويؤيد صحتها أنها الموافقة لألفاظ الكتاب العزيز . قال الله تعالى : (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلا) [سورة الفرقان : ٢٤] .

وانظر ما يأتي من حديث ابن مسعود : ٨٢٠٦ – ٨٢٠٨ ، ٨٢١٨ ، ٨٢١٩ . وما يأتي من حديث ابن عباس : ٨٢٠٩ – ٨٢١٣ .

٨٢٠٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير بن عبد الحميد = وحدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة = قالا جميعاً ، حدثنا محمد بن إسحق ، عن الأعمش عن أبي الضحى ، عن مسروق بن الأجدع قال : سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآيات : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله » الآية ، قال : أما إنا قد سألنا عنها فقيل لنا : إنه لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحَهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب فى ظل العرش، فيطَّلع الله إليهم اطِّلاعةً فيقول : يا عبادى، ما تشتهون فأزيدكم ؟فيقولون : ربنا ، لا فوق ما أعطيتنا ! الجنة نأكل منها حيث شئنا ![1] ثلاث مرات = ثم يطلع فيقول : يا عبادى، ما تشتهون فأزيدكم ؟ فيقولون: ربّنا، لافوق ما أعطيتنا ! الجنة نأكل منها حيث شئنا ! إلا أنا نحب أن تُردّ أرواحنا فى أجسادنا ،[2] ثم تردَّنا إلى الدنيا فنقاتل فيك حتى نقتل فيك مرة أخرى .[3]

٨٢٠٧ – حدثنا الحسن بن أبى يحيى المقدسى قال، حدثنا وهب بن جرير قال ، حدثنا شعبة ، عن الأعمش ، عن أبى الضحى ، عن مسروق قال: سألنا

---

(١) قوله : « لافوق ما أعطيتنا » ، أى لاشىء فوق ذلك . و « الجنة » قال أبوذر الخشنى : « يروى هنا بالخفض والرفع ، بخفض الجنة ، على البدل من « ما » فى قوله : ما أعطيتنا – ورفعها على خبر مبتدأ مضمر ، تقديرها هو الجنة » . وجائز أن تكون على النصب أيضاً ، على تقدير « أعطيتنا الجنة » .

(٢) فى المطبوعة : إلا أنا نختار أن ترد أرواحنا . . . » ، وفى المخطوطة : « إلا أنا نختار ترد أرواحنا » ، وهو تصحيف ما فى سيرة ابن هشام « نحب أن ترد » ، فأثبت ما فى السيرة ، وفى رواية مسلم « إلا أنا نريد أن ترد » ، وهما سواء .

(٣) الحديث : ٨٢٠٦ – أبو الضحى : هو مسلم بن صبيح – بالتصغير – الهمدانى . مضى الكلام عليه مراراً ، آخرها : ٧٢١٧ .

والحديث سيأتى عقب هذا ، من رواية الأعمش ، عن أبى الضحى ، عن مسروق .

ويأتى بعده : ٨٢٠٨ ، من رواية سليمان – وهو الأعمش – عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق . فللأعمش فيه شيخان . سمعه منهما عن مسروق .

وسيأتى تخريجه فى الأخير .

عبد الله عن هذه الآية = ثم ذكر نحوه وزاد فيه : إني قد قضيت أن لا ترجعوا .(١)

٨٢٠٨ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا ابن أبي عدى ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن عبدالله بن مرة ، عن مسروق قال : سألنا عبد الله عن أرواح الشهداء ، ولولا عبدالله ما أخبرنا به أحدٌ ! قال : أرواح الشهداء عند الله في أجواف طير خضر في قناديل تحت العرش ، تسرحُ في الجنة حيث شاءت ، ثم ترجع إلى قناديلها ، فيطَّلع إليها ربُّها فيقول : ماذا تريدون ؟ فيقولون : نريد أن نرجع إلى الدنيا فنقتل مرة أخرى .(٢)

٨٢٠٩ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عبد الرحيم بن سليمان وعبدة بن سليمان ، عن محمد بن إسحق ، عن الحارث بن فضيل ، عن محمود بن لبيد ، عن

---

(١) الحديث : ٨٢٠٧ – الحسن بن أبي يحيى المقدسي ، شيخ الطبري : لم أصل إلى الآن إلى معرفته . وقد مضى كذلك من قبل في : ٧٢١٦ .

ووقع اسمه في المطبوعة هنا : « الحسن بن يحيى العبدي » . والتصويب من المخطوطة . ومن السهل جداً على الناسخ أو الطابع سقوط كلمة « أبي » ، وتحريف كلمة « المقدسي » إلى « العبدي » إذا كانت غير واضحة الرسم .

وهذا الحديث تكرار للذي قبله من هذا الوجه ، كما قلنا .

(٢) الحديث : ٨٢٠٨ – سليمان : هو ابن مهران الأعمش .

والحديث مكرر ما قبله باختصار ، من وجه آخر ، من رواية الأعمش عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق .

وعبد الله بن مرة الهمداني الخارفي : تابعي ثقة ، أخرج له الجماعة . مترجم في التهذيب ، وابن سعد ٦ : ٢٠٣ ، وابن أبي حاتم ٢/٢/١٦٥ .

والحديث رواه مسلم ٢ : ٩٨ ، بأسانيد ، من طريق الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، به نحوه – أطول مما هنا .

وكذلك رواه الترمذي ٤ : ٨٤ – ٨٥ ، من رواية الأعمش ، عن عبد الله بن مرة .

ونقله ابن كثير ٢ : ٢٨٩ ، عن صحيح مسلم .

وذكره السيوطي ٢ : ٩٦ ، وزاد نسبته لعبد الرزاق في المصنف ، والفريابي ، وسعيد بن منصور ، وهناد ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والطبراني ، والبيهقي في الدلائل .

ولم يروه أحمد في المسند ، فيما تحقق لدي ، إلا أن يكون أثناء مسند صحابي آخر فيما بعد المسانيد التي حققتها . فالله أعلم .

وسيأتي مرة رابعة : ٨٢١٨ ، من رواية عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، عن عبد الله – وهو ابن مسعود

ويأتي مرة خامسة : ٨٢١٩ ، من رواية أبي عبيد بن عبد الله بن مسعود ، عن أبيه .

ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشهداء على بارق = على نهر بباب الجنة = فى قبة خضراء = وقال عبدة : فى روضة خضراء = يخرج عليهم رزقهم من الجنة بُكرة وعشيًّا .(١)

٨٢١٠ – حدثنا أبو كريب ، وأنبأنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحق قال ، حدثنى الحارث بن فضيل ، عن محمود بن لبيد ، عن ابن عباس ، عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثله = إلا أنه قال : فى قبة خضراء = وقال : يخرج عليهم فيها .

٨٢١١ – حدثنا ابن وكيع ، وأنبأنا ابن إدريس ، عن محمد بن إسحق قال ، حدثنى الحارث بن فضيل ، عن محمود بن لبيد ، عن ابن عباس ، عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله .

٨٢١٢ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، قال محمد بن إسحق ، وحدثنى الحارث بن الفضيل الأنصارى ، عن محمود بن لبيد الأنصارى ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشهداء على بارق = نهر بباب الجنة = فى قبة خضراء ، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيًّا . ٤/١١٤

٨٢١٣ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثنى أيضاً = يعنى إسمعيل بن عياش = عن ابن إسحق ، عن الحارث بن الفضيل ، عن محمود بن لبيد ، عن ابن عباس ، عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه .(٢)

٨٢١٤ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، قال محمد بن إسحق ، وحدثنى بعض أصحابى عن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبى طالب قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أبشرك يا جابر؟

---

(١) الحديث : ٨٢٠٩ – سبق هذا الحديث ، بهذا الإسناد : ٢٣٢٣ . وفصلنا القول فيه هناك . وسيأتى عقبه – هنا – بأربعة أسانيد .

(٢) الأحاديث : ٨٢١٠ – ٨٢١٣ ، هى أربعة أسانيد ، تكراراً للحديث قبلها .

قال قلت : بلى ، يا رسول الله ! قال : إن أباك حيث أصيب بأحد ، أحياه الله ثم قال له : ما تحب يا عبد الله بن عمرو أن أفعل بك ؟ قال : يا رب ، أحب أن تردّني إلى الدنيا ، فأقاتل فيك فأقتل مرة أخرى .(١)

٨٢١٥ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : ذكر لنا أن رجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : ياليتنا نعلم ما فعل

---

(١) الحديث : ٨٢١٤ – هكذا روى ابن إسحق هذا الحديث مجهلا شيخه الذى حدثه ، فأضعف الإسناد بذلك .

وهو فى سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٧ .

وقد ورد معناه عن جابر ، بإسناد آخر صحيح :

فروى أحمد فى المسند : ١٤٩٣٨ (ج ٣ ص ٣٦١ حلبي) ، عن على بن المدينى ، عن سفيان — وهو ابن عيينة — عن محمد بن على بن رُبَيِّعة — بالتصغير — السُّلَمى ، عن عبد الله بن محمد بن عُقيل ، عن جابر ، قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا جابر ، أمَا علمتَ أن الله عز وجل أحيا أباك ، فقال له : تَمَنَّ علىَّ . فقال : أُرَدُّ إلى الدنيا ، فأُقتَل مرة أخرى . فقال : إنى قَضَيْتُ الحكمَ ، أنهم إليها لا يُرْجَعون » .

وهذا إسناد صحيح .

محمد بن على بن ربيعة السلمى : ثقة ، وثقه ابن معين ، وغيره . وترجمه ابن أبى حاتم ٤ / ١ / ٢٦ – ٢٧ . وترجمه البخارى فى الكبير ١ / ١ / ١٨٣ – ١٨٤ باسم « محمد بن على السلمى » . وكذلك ابن سعد فى الطبقات ٦ : ٢٥٧ – فلم يذكروا فيه جرحاً .

والحديث ذكره ابن كثير ٢ : ٢٨٩ من رواية المسند . ثم قال : « تفرد به أحمد من هذا الوجه » .

يشير بهذا إلى أن الترمذى روى معناه مطولا ٤ : ٨٤ ، من وجه آخر ، وقال : « هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه » . ثم قال : « وقد روى عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر – شيئاً من هذا » . وهو إشارة إلى حديث المسند .

وقد ذكر السيوطى الرواية المطولة ٢ : ٩٥ ، ونسبها أيضاً لابن ماجة ، وابن أبى عاصم فى السنة ، وابن خزيمة والطبرانى ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، والبيهقى فى الدلائل .

وانظر المستدرك ٣ : ٢٠٣ – ٢٠٤

ووالد جابر : هو عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصارى ، الخزرجى ، السلمى ، صحابى جليل مشهور ، من أهل العقبة ، وممن شهد بدراً ، وكان من النقباء . استشهد يوم أحد ، رضى الله عنه .

إخواننا الذين قتلوا يوم أحد ! فأنزل الله تبارك وتعالى فى ذلك القرآن : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون» = كنا نحدَّث أن أرواح الشهداء تَعارَفُ فى طير بيض تأكل من ثمار الجنة، وأنّ مساكنهم السِّدرة .(١)

٨٢١٦ – حدثت عن عمار ، وأنبأنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بنحوه = إلا أنه قال : تعارف فى طير خضر وبيض = وزاد فيه أيضاً : وذكر لنا عن بعضهم فى قوله : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء » ، قال : هم قتلى بدر وأحد .

٨٢١٧ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن محمد بن قيس بن مخرمة قال : قالوا : يا رب ، ألا رسول لنا يخبر النبىّ صلى الله عليه وسلم عنا بما أعطيتنا ؟ فقال الله تبارك وتعالى : أنا رسولكم . فأمر جبريل عليه السلام أن يأتى بهذه الآية : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله » ، الآيتين .

٨٢١٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق قال : سألنا عبد الله عن هذه الآيات : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » ، قال : أرواح الشهداء عند الله كطير خضر ، لها قناديل معلقة بالعرش ، تسرح فى الجنة حيث شاءت . قال : فاطلع إليهم ربك اطّلاعة فقال : هل تشتهون من شىء فأزيدكموه ؟ قالوا : ربنا ، ألسنا نسرح فى الجنة فى أيّها شئنا ! ثم اطّلع عليهم الثالثة فقال : هل تشتهون من شىء فأزيدكموه ؟ قالوا : تعيد أرواحنا فى أجسادنا فنقاتل فى سبيلك مرة أخرى ! فسكت عنهم .(٢)

---

(١) الأثر : ٨٢١٥ – مضى مطولا برقم : ٢٣١٩ .

(٢) الحديث : ٨٢١٨ – هذا هو الإسناد الرابع لحديث عبد الله بن مسعود ، الذى مضى بثلاثة أسانيد : ٨٢٠٦ – ٨٢٠٨ .

٨٢١٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله : أنهم قالوا في الثالثة = حين قال لهم : هل تشتهون من شيء فأزيدكموه ؟ = قالوا : تقرئ نبينا عنا السلام ، وتخبره أن قد رضينا ورُضِيَ عنا . (١)

٨٢٢٠ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : قال الله تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، يرغِّب المؤمنين في ثواب الجنة ويهوِّن عليهم القتل : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » ، أي : قد أحييتهم ، فهم عندي يرزقون في رَوْح الجنة وفضلها ، مسرورين بما آتاهم الله من ثوابه على جهادهم عنه . (٢)

رواه هنا من طريق عبد الرزاق . وهو في مصنف عبد الرزاق ٣ : ١١٥ (مخطوط مصور) . بهذا الإسناد وهذا اللفظ .

ولكن ليس في نسخة المصنف كلمة « خضر » في وصف الطير .

وقوله : « ثم اطلع عليهم الثالثة » – هكذا ثبت أيضاً في المصنف ، بحذف الاطلاعة الثانية . فليس ما هنا سقطاً من الناسخين ، بل هو اختصار في الرواية .

(١) الحديث : ٨٢١٩ – هذا هو الإسناد الخامس لحديث عبد الله بن مسعود . وهو من رواية ابنه أبي عبيدة عنه .

وأبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود : تابعي ثقة . الراجح أن اسمه كنيته . وقيل إن اسمه « عامر » . وبه ترجم في التهذيب ، وترجمه ابن سعد ٦ : ١٤٩ بالكنية . وكذلك ترجمه البخاري في الكنى ، رقم : ٤٤٧ ، وابن أبي حاتم ٤/٢/٤٠٣ .

وروايته عن أبيه منقطعة ، مات أبوه وهو صغير . وجزم أبو حاتم وغيره بأنه لم يسمع منه ، انظر المراسيل ، ص : ٩١ – ٩٢ . وروى الترمذي (١ : ٢٦ بشرحنا) ، بإسناد صحيح ، عن عمرو بن مرة ، قال : « سألت أبا عبيدة بن عبد الله : هل تذكر من عبد الله شيئاً ؟ قال : لا » .

والحديث – من هذا الوجه – رواه الترمذي ، عن ابن أبي عمر ، عن سفيان ، وهو ابن عيينة – بهذا الإسناد . ولم يذكر لفظه ، بل جعله تابعاً لرواية الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، كمثل صنيع الطبري هنا ، وقال الترمذي : « هذا حديث حسن » .

وقوله : « ورضي عنا » : هو بالبناء لما لم يسم فاعله . أي : ورضي الله عنا . كما هو ظاهر من السياق ، وكما نص عليه شارح الترمذي .

(٢) الأثر : ٨٢٢٠ – سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٦ ، وهو تمام الآثار التي آخرها : ٨٢٠٤ .

٨٢٢١ – حدثت عن الحسين قال، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك قال : كان المسلمون يسألون ربهم أن يريهم يوماً كيوم بدر ، يبلون فيه خيراً ، ويرزقون فيه الشهادة ، يرزقون فيه الجنة والحياة فى الرزق ، فلقوا المشركين يوم أحد ، فاتخذ الله منهم شهداء ، وهم الذين ذكرهم الله فقال : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً » الآية .

٨٢٢٢ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : ذكر الشهداء فقال : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم » إلى قوله : « ولا هم يحزنون »، زَعم أن أرواح الشهداء فى أجواف طير خضر ،[1] فى قناديل من ذهب معلقة بالعرش ، فهى ترعى بُكرة وعشية فى الجنة ، تبيت فى القناديل ، فإذا سرحن نادى مناد : ماذا تريدون؟ ماذا تشتهون ؟ فيقولون: ربنا، نحن فيما اشتهت أنفسنا! فيسألهم ربهم أيضاً : ماذا تشتهون ؟ وماذا تريدون ؟ فيقولون : نحن فيما اشتهت أنفسنا ! فيسألون الثالثة ، فيقولون ما قالوا: ولكنا نحب أن تردّ أرواحنا فى أجسادنا ! لما رأوا من فضل الثواب.[2] ١١٥/٤

٨٢٢٣ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا عباد قال ، حدثنا إبراهيم بن معمر ، عن الحسن قال: ما زال ابن آدم يتحمَّد،[3] حتى صار حيًّا ما يموت. ثم تلا هذه الآية : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » .

٨٢٢٤ – حدثنا محمد بن مرزوق قال، حدثنا عمر بن يونس، عن عكرمة قال،

---

(١) قوله : « زعم » ، لا يراد به القول الباطل ، بل يراد به القول الحق، والزعم : هو القول ، يكون تاره حقاً ، وتارة باطلا ، وفى شعر أمية بن أبى الصلت :

وَإِنِّى أَذِينٌ لَكُمْ أَنَّهُ سَيُنْجِزُكُمْ رَبُّكُمْ ما زَعَمْ

أى : ما قال وما وعد .

(٢) فى المطبوعة : « لما يرون من فضل الثواب » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) « تحمد الرجل يتحمد » ، إذا طلب بفعله الحمد ، و « فلان يتحمد إلى الناس بفعله » ، أى يلتمس بذلك حمدهم .

حدثنا إسحق بن أبي طلحة قال، حدثني أنس بن مالك في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين أرسلهم نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل بئر معونة ، قال : لا أدري أربعين أو سبعين . قال : وعلى ذلك الماء عامر بن الطفيل الجعفري ، فخرج أولئك النفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حتى أتوا غاراً مشرفاً على الماء قعدوا فيه، ثم قال بعضهم لبعض: أيكم يبلّغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل هذا الماء ؟ فقال — أُراه ابن ملحان الأنصاري — : أنا أبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فخرج حتى أتى حيًّا منهم ، فاحتبى أمام البيوت ثم قال : يا أهل بئر معونة ، إني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكم ، إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله ، فآمنوا بالله ورسوله . فخرج إليه رجل من كِسر البيت برمح فضرب به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر ،[1] فقال: الله أكبر ، فزتُ ورب الكعبة ! فاتبعوا أثره حتى أتوا أصحابه، فقتلهم أجمعين عامر بن الطفيل[2] = قال قال إسحق : حدثني أنس بن مالك : إنّ الله تعالى أنزل فيهم قرآناً ، رُفع بعد ما قرأناه زماناً .[3] وأنزل الله : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » .[4]

---

(١) البيت : يعني الخيمة . وكسر البيت (بكسر الكاف وسكون السين) : أسفل شقة البيت التي تلي الأرض من حيث يكسر جانباه من عن يمين ويسار .

(٢) في المخطوطة : « فقتلوهم أجمعين » ، والصواب من التاريخ وسائر المراجع .

(٣) نص ما في التاريخ :

« أنزل فيهم قرآناً : ﴿ بلِّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عنا وَرَضِينَا عَنْهُ ﴾ ، ثم نُسِخَتْ فرفعت بعد ما قرأناهُ زماناً » .

(٤) الحديث : ٨٢٢٤ — محمد بن مرزوق — شيخ الطبري — هو محمد بن محمد بن مرزوق ، نسب إلى جده . وقد مضت له عنه رواية ، برقم : ٢٨ . مترجم في التهذيب . وله ترجمة جيدة في تاريخ بغداد ٣ : ١٩٩ — ٢٠٠ ، وترجمه ابن أبي حاتم ٤/١/٨٩ — ٩٠ باسم « محمد بن مرزوق » .

عمر بن يونس اليمامي : مضى في : ٤٤٣٥ . ووقع في الأصول هنا باسم « عمرو بن يونس » ، وكذلك في تاريخ الطبري في هذا الحديث ، وكذلك في تفسير ابن كثير ، في نقله الحديث عن هذا الموضع . ولعل الخطأ في هذا يكون من الطبري نفسه، إذ يبعد أن يخطىء الناسخون في هذه المصادر الثلاثة خطأ واحداً.

٨٢٢٥ – حدثنا يحيى بن أبي طالب قال، أخبرنا يزيد قال، أخبرنا جويبر،

وليس فى الرواة – فيما أعلم – من يسمى « عمرو بن يونس » .

ووقع فى الإسناد هنا – فى التفسير – خطأ آخر . فى المخطوطة والمطبوعة ، إذ سقط من الإسناد [عن عكرمة] بين عمر بن يونس وإسحق بن أبي طلحة . وهو ثابت فى التاريخ وتفسير ابن كثير .

وعكرمة هذا : هو عكرمة بن عمار اليمامى ، مضت ترجمته فى : ٢١٨٥ . وعمر بن يونس معروف بالرواية عنه . ولم يدرك أن يروى عن « عكرمة مولى ابن عباس » .

إسحق بن أبي طلحة : هو إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصارى البخارى . نسب إلى جده . وهو تابعى ثقة حجة ، أخرج له الجماعة . مترجم فى التهذيب، والكبير للبخارى ١/١/٣٩٣ – ٣٩٤ ، وابن أبي حاتم ١/١/٢٢٦ .

وأبوه « أبو طلحة » : هو « زيد بن سهل » ، وهو أخو أنس بن مالك لأمه .

وهذا الحديث رواه الطبرى أيضاً فى التاريخ ٣ : ٣٦ ، بهذا الإسناد .

ونقله ابن كثير فى التفسير ٢ : ٢٨٨ ، عن هذا الموضع من التفسير .

وأشار إليه الحافظ فى الفتح ٧ : ٢٩٨ ، حيث قال : « فى رواية الطبرى من طريق عكرمة بن عمار ، عن إسحق بن أبي طلحة . . . » ولكن وقع فيه « عكرمة عن عمار » – وهو خطأ مطبعى واضح .

ووقع فى أصل الطبرى هنا – المخطوط والمطبوع – : « فقال أراه أبو ملحان » . وكذلك فى نقل ابن كثير عن هذا الموضع . وهو خطأ قديم من الناسخين ، صوابه : « ابن ملحان » . وثبت على الصواب فى التاريخ ، ومنه صححناه .

وهو « حرام بن ملحان الأنصارى» ، وهو خال أنس بن مالك ، أخو أمه « أم سليم بنت ملحان » . ولا نعلم أن كنيته « أبو ملحان » – حتى نظن أنه ذكر هنا بكنيته . وهو مترجم فى ابن سعد ٣/٢/٧١ – ٧٢ ، والإصابة .

وهذا الحديث – فى قصة بئر معونة – ثابت عن أنس بن مالك من أوجه ، مختصراً ومطولا .

وقد رواه أحمد فى المسند : ١٣٢٢٨ ، عن عبد الصمد ، و : ١٤١١٩ ، عن عفان – كلاهما عن همام ، عن إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس (المسند ج ٣ ص ٢١٠ ، ٢٨٨ – ٢٨٩ حلبى) .

ورواه أيضاً : ١٢٤٢٩ (٣ : ١٣٧ حلبى) ، من رواية ثابت ، عن أنس .

ورواه البخارى ٧ : ٢٩٧ – ٢٩٩ ، عن موسى بن إسمعيل ، عن همام ، عن إسحق بن عبد الله ابن أبي طلحة »

ورواه قبله وبعده من أوجه أخر .

ورواه ابن سعد فى الطبقات ٣/٢/٧١ – ٧٢ ، عن عفان ، كرواية المسند : ١٤١١٩ .

وقد مضى بعض معناه مختصراً ، فى تفسير الطبرى : ١٧٦٩ ، من رواية قتادة ، عن أنس .

وتفصيل القصة فى تاريخ ابن كثير ٤ : ٧١ – ٧٤

وانظر أيضاً جوامع السيرة لابن حزم ، ص : ١٧٨ – ١٨٠ ، وما أشير إليه من المراجع فى التعليق عليه هناك .

وروى أحمد فى المسند ، بعض هذا المعنى، من حديث ابن مسعود : ٣٩٥٢ .

عن الضحاك قال : لما أصيب الذين أصيبوا يوم أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، لقوا ربَّهم فأكرمهم ، فأصابوا الحياة والشهادة والرزق الطيب ، قالوا : يا ليت بيننا وبين إخواننا من يبلغهم أنا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا ! فقال الله تبارك وتعالى : أنا رسولكم إلى نبيكم وإخوانكم . فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » إلى قوله : « ولا هم يحزنون » . فهذا النبأ الذي بلَّغ الله رسوله والمؤمنين ما قال الشهداء .

* * *

وفي نصب قوله : « فرحين » وجهان .

أحدهما : أن يكون منصوباً على الخروج من قوله : « عند ربهم » . = (١)

والآخر من قوله : « يرزقون » . ولو كان رفعاً بالردّ على قوله : « بل أحياء فرحون » ، كان جائزاً .

* * *

القول في تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١٧٠)

قال أبو جعفر : يعني بذلك تعالى ذكره : يفرحون بمن لم يلحق بهم من إخوانهم الذين فارقوهم وهم أحياء في الدنيا على مناهجهم من جهاد أعداء الله مع رسوله ، لعلمهم بأنهم إن استشهدوا فلحقوا بهم صاروا من كرامة الله إلى مثل الذي صاروا هم إليه ، فهم لذلك مستبشرون بهم ، فرحون أنهم إذا صاروا كذلك =

---

(١) « الخروج » ، نصبها على الخروج ، يعني على خروجها منه على الحال . انظر ما سلف ٥ : ٢٥٣ / ثم ٦ : ٥٨٦ / ٧ : ٢٥ ، تعليق : ٣ . ثم انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٢٤٧ .

= « لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ، يعنى بذلك : [١] لا خوف عليهم ، لأنهم قد أمنوا عقاب الله ، وأيقنوا برضاه عنهم ، فقد أمنوا الخوف الذى كانوا يخافونه من ذلك فى الدنيا ، ولاهم يحزنون على ما خلّفوا وراءهم من أسباب الدنيا ونكد عيشها ، للخفض الذى صارُوا إليه والدعة والزُّلْفة . [٢]

* * *

ونصب « أن لا » بمعنى : يستبشرون لهم بأنهم لا خوف عليهم ولاهم يحزنون . [٣]

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٨٢٢٦ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم » الآية ، يقول : لإخوانهم الذين فارقوهم على دينهم وأمرهم ، لما قدموا عليه من الكرامة والفضل والنعيم الذى أعطاهم . ١١٦/٤

٨٢٢٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم » الآية ، قال ، يقولون : إخواننا يقتلون كما قتلنا ، يلحقونا فيصيبون من كرامة الله تعالى ما أصبنا .

٨٢٢٨ — حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : ذكر لنا عن بعضهم فى قوله : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » ، قال : هم قتلى بدر وأحد ، زعموا أن الله تبارك وتعالى لما قبض أرواحهم وأدخلهم الجنة ، [٤] جُعلت أرواحهم فى طير خضر ترعى فى

---

(١) انظر تفسير نظيرة هذه الآية فيما سلف ١ : ٥٥١ / ٢ : ١٥٠ ، ٥١٢ ، ٥١٣ / ٥ : ٥١٩

(٢) « الخفض » : لين العيش وسعته وخصبه ، يقال : « عيش خفض ، وخافض ، وخفيض ، ومخفوض » : خصيب فى دعة ولين . و « الزلفة » : القربة والدرجة والمنزلة ، عند الله رب العالمين .

(٣) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٤٧ .

(٤) انظر تفسير « زعم » فيما سلف قريباً ص ٣٩٢ تعليق : ١ .

الجنة ، وتأوى إلى قناديل من ذهب تحت العرش. فلما رأوا ما أعطاهم الله من الكرامة قالوا: ليت إخواننا الذين بعدنا يعلمون ما نحن فيه! فإذا شهدوا قتالا تعجّلوا إلى ما نحن فيه ! فقال الله تعالى : إنّى منزل على نبيكم ومخبر إخوانكم بالذى أنتم فيه . ففرحوا به واستبشروا ، وقالوا: يخبر الله نبيكم وإخوانكم بالذى أنتم فيه ، فإذا شهدوا قتالا أتوكم ! قال: فذلك قوله: « فرحين بما آتاهم الله من فضله » إلى قوله: « أجر المؤمنين » .

٨٢٢٩ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق: « ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم »، أى: ويسرون بلحوق من لحق بهم من إخوانهم على ما مضوا عليه من جهادهم ، ليشركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذى أعطاهم، وأذهب الله عنهم الخوف والحزن .(١)

٨٢٣٠ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله: « ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم »، قال: هم إخوانهم من الشهداء ممّن يُستشهد من بعدهم = « لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » حتى بلغ : « وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين » .

٨٢٣١ — حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : أما « يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم » ، فإن الشهيد يؤتى بكتاب فيه من يقدم عليه من إخوانه وأهله ، فيقال : « يقدم عليك فلان يوم كذا وكذا ، ويقدم عليك فلان يوم كذا وكذا » ، فيستبشر حين يقدم عليه ، كما يستبشر أهل الغائب بقدومه فى الدنيا .

* * *

---

(١) الأثر : ٨٢٢٩ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٦ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨٢٢٠ . ونص ابن هشام : « قد أذهب الله . . » ، وهو أجود .

القول فى تأويل قوله ﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٧١)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : « يستبشرون » ، يفرحون = « بنعمة من الله » ، يعنى : بما حباهم به تعالى ذكره من عظيم كرامته عند ورودهم عليه = « وفضل » يقول : وبما أسبغ عليهم من الفضل وجزيل الثواب على ما سلف منهم من طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وجهاد أعدائه = « وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين » ، كما : —

٨٢٣٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، « يستبشرون بنعمة من الله وفضل » الآية ، لما عاينوا من وفاء الموعود وعظيم الثواب .(١)

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين » .

فقرأ ذلك بعضهم بفتح « الألف » من « أنّ » بمعنى : يستبشرون بنعمة من الله وفضل ، وبأنّ الله لا يضيع أجر المؤمنين .

* * *

= وبكسر « الألف » ، على الاستئناف . واحتجّ من قرأ ذلك كذلك بأنها فى قراءة عبد الله : ﴿ وَفَضْلٍ وَاللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . قالوا : فذلك دليل على أن قوله : « وإن الله » ، مستأنف غير متصل بالأول .(٢)

* * *

ومعنى قوله : « لا يضيع أجر المؤمنين » ، لا يبطل جزاء أعمال من صدّق رسله واتبعه ، وعمل بما جاءه من عند الله .

* * *

---

(١) الأثر : ٨٢٣٢ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٦ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨٢٢٩ .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٤٧ .

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب ، قراءة من قرأ ذلك : « وأن الله » بفتح « الألف » ، لإجماع الحجة من القرأة على ذلك .

* * *

القول فى تأويل قوله : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٧٢)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين » ، المستجيبين لله والرسول من بعد ما أصابهم الجراح والكلوم .(١)

* * *

وإنما عنى الله تعالى ذكره بذلك : الذين تبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حَمْراء الأسد فى طلب العدوّ — أبى سفيان ومن كان معه من مشركى قريش — مُنصَرَفهم عن أحد . وذلك أن أبا سفيان لما انصرف عن أحد ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أثره حتى بلغ حمراء الأسد ، وهى على ثمانية أميال من المدينة ، ليرى الناسُ أنّ به وأصحابِه قوةً على عدوهم ، كالذى : — ٤/١٠٧

٨٢٣٣ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق قال ، حدثنى حسين بن عبد الله ،(٢) عن عكرمة قال : كان يوم أحد [يوم] السبت للنصف من شوال ،(٣) فلما كان الغد من يوم أحد ، يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال ، أذّن مؤذّن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس بطلب

---

(١) انظر تفسير « القرح » فيما سلف ٧ : ٢٣٧

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « حسان بن عبد الله » ، وهو خطأ ، والصواب من تاريخ الطبرى . وهو « حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب » . روى عن عكرمة ، وروى عنه هشام ابن عروة ، وابن جريج ، وابن المبارك ، وابن إسحق . وهو ضعيف الحديث . مترجم فى التهذيب .

(٣) ما بين القوسين زيادة من سيرة ابن هشام ومن تاريخ الطبرى .

العدو ، وأذّن مؤذّنه أن : « لا يخرجنّ معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس » . فكلمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام فقال : يا رسول الله ، إنّ أبي كان خلّفني على أخوات لي سبع ، وقال لي : « يا بني ، إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ، ولستُ بالذي أوثرك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسي ! فتخلّف على أخواتك » ، فتخلفت عليهن . فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج معه . وإنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهباً للعدوّ ، ليبلغهم أنه خرج في طلبهم ، ليظنوا به قوة ، وأنّ الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم .(١)

٨٢٣٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحق قال ، فحدثني عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان : أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني عبد الأشهل ، كان شهد أحداً قال : شهدتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً ، أنا وأخ لي، فرجعنا جريحين : فلما أذّن [مؤذّن] رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج في طلب العدوّ ،(٢) قلت لأخي – أو قال لي – : أتفوتنا غزوةٌ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ والله ما لنا من دابة نركبها ، وما منا إلا جريح ثقيل ! فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنت أيسر جرحاً منه، فكنتُ إذا غُلب حملته عُقبة ومشى عُقبة،(٣) حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إلى حمراء الأسد ، وهي من المدينة على ثمانية أميال، فأقام بها ثلاثاً ، الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة .(٤)

---

(١) الأثر : ٨٢٣٣ – سيرة ابن هشام ٣ : ١٠٦ ، ١٠٧ ، وتاريخ الطبري ٣ : ٢٨ .

(٢) ما بين القوسين زيادة من سيرة ابن هشام وتاريخ الطبري .

(٣) « العقبة » : قدر ما يسره الماشي ما استطاع المشي ، يريد : حملته شوطاً ، وسار شوطاً .

(٤) الأثر : ٨٢٣٤ – سيرة ابن هشام ٣ : ١٠٧ ، ١٠٨ ، وتاريخ الطبري ٣ : ٢٨ .

٨٢٣٥ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : فقال الله تبارك وتعالى : « الذين استجابوا لله والرسول من بعدما أصابهم القرحُ » ، أى : الجراح ، وهم الذين ساروُا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغدَ من يوم أحد إلى حمراء الأسد، على ما بهم من ألم الجراح = « للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم ».[1]

٨٢٣٦ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح » الآية ، وذلك يوم أحد، بعد القتل والجراح ، وبعد ما انصرف المشركون – أبو سفيان وأصحابه – فقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه : ألا عِصابة تنتدبُ لأمر الله،[2] تطلب عدوّها ؟ فإنه أنكى للعدو ، وأبعد للسَّمع ! فانطلق عصابة منهم على ما يعلم الله تعالى من الجَهد .

٨٢٣٧ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : انطلق أبو سفيان منصرفاً من أحد ، حتى بلغ بعض الطريق ، ثم إنهم ندموا وقالوا : بئسما صنعتم ![3] إنكم قتلتموهم، حتى إذا لم يبق إلاّ الشريد تركتموهم ! ارجعوا واستأصلوهم . فقذف الله فى قلوبهم الرعب ، فهزموا، فأخبر الله رسوله، فطلبهم حتى بلغ حمراء الأسد، ثم رجعوا من حمراء الأسد، فأنزل الله جل ثناؤه فيهم : « الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح».[4]

٨٢٣٨ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ،

---

(١) الأثر : ٨٢٣٥ – سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٨ .

(٢) فى المطبوعة : « ألا عصابة تشد لأمر الله » ، ولا معنى له ، وفى المخطوطة : ألا عصابة تشدد لأمر الله » ، وهو بلا ريب تصحيف ما أثبت . « ندب القوم إلى الأمر فانتدبوا » : دعاهم إليه وحثهم ، فأسرعوا إليه واستجابوا . وفضلا عن ذلك ، فهذا هو اللفظ الذى كثر وروده فى أخبار حمراء الأسد .

(٣) فى المخطوطة : « بئس ما صنعنا صنعتم » ، وهو سهو ، والصواب ما فى المطبوعة . وانظر ما سلف رقم : ٨٠٠٣

(٤) الأثر : ٨٢٣٧ – مضى برقم : ٨٠٠٣ ، وانظر التعليق هناك .

حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : إن الله جل وعز قذف في قلب أبي سفيان الرعب — يعني يوم أحد — بعد ما كان منه ما كان ، فرجع إلى مكة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن أبا سفيان قد أصاب منكم طرَفاً ، وقد رجع وقذف الله في قلبه الرعب »! وكانت وقعة أحد في شوال ، وكان التجار يقدَمون المدينة في ذي القعدة ، فينزلون ببدر الصغرى في كل سنة مرة ، وإنهم قدموا بعد وقعة أحد ، وكان أصاب المؤمنين القرح ، واشتكوا ذلك إلى نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ، واشتد عليهم الذي أصابهم . وإنّ رسول الله ندب الناس لينطلقوا معه ، ويتّبعوا ما كانوا متّبعين ، وقال : إنما يرتحلون الآن فيأتون الحج ، ولا يقدرون على مثلها حتى عام مقبل ، فجاء الشيطان فخوّف أولياءه ، فقال : « إن الناس قد جمعوا لكم »! فأبى عليه الناس أن يتبعوه ، فقال : « إني ذاهبٌ وإن لم يتبعني أحد » ، لأحضِّضَ الناس . [1] فانتدب معه أبو بكر الصديق ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، والزبير ، وسعد ، وطلحة ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن مسعود ، وحذيفة ابن اليمان ، وأبو عبيدة بن الجراح ، في سبعين رجلا ، فساروا في طلب أبي سفيان ، فطلبوه حتى بلغوا الصفراء ، فأنزل الله تعالى : « الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجرٌ عظيم » .

٤/١١٨

٨٢٣٩ — حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هاشم بن القاسم قال ، حدثنا أبو سعيد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة أنها قالت لعبد الله ابن الزبير : يا ابن أختي ، أما والله إن أباك وجدك — تعني أبا بكر والزبير — لممن قال الله تعالى فيهم : « الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح » . [2]

---

(١) هكذا في المخطوطة والمطبوعة « وتفسير ابن كثير ٢ : ٢٩٨ . أما الدر المنثور ٢ : ١٠١ ، فقد أسقط « لأحضض الناس » ، وأنا أرجح أن صوابها هو : « ليحضض الناس » ، ولا أشك أن هذه الكلمة ليس من لفظه صلى الله عليه وسلم .

(٢) الحديث : ٨٢٣٩ — هاشم بن القاسم : هو أبو النضر الإمام الحافظ ، شيخ الإمام أحمد ،

٨٢٤٠ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : أخبرتُ أن أبا سفيان بن حرب لما راح هو وأصحابه يوم أحد ، قال المسلمون للنبي صلى الله عليه وسلم : إنهم عامدون إلى المدينة ! فقال : إن ركبوا الخيل وتركوا الأثقال ، فإنهم عامدون إلى المدينة ، وإن جلسوا على الأثقال وتركوا الخيل ، فقد رَعَبهم الله ،[1] وليسوا بعامديها . فركبوا الأثقال ، فرعبهم الله . ثم ندب ناساً يتبعونهم ليروا أن بهم قوة ، فاتبعوهم ليلتين أو ثلاثاً ، فنزلت : « الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح » .

٨٢٤١ – حدثني سعيد بن الربيع قال ، حدثنا سفيان ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : قالت لي عائشة : إنْ كان أبواك لمن الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح – تعني أبا بكر والزبير .[2]

وإسحق ، وابن المديني . وهو ثقة ثبت حجة . كان أهل بغداد يفخرون به .

أبو سعيد : هو المؤدب ، واسمه « محمد بن مسلم بن أبي الوضاح القضاعي » . وهو ثقة مأمون .

والحديث رواه الحاكم في المستدرك ٢ : ٢٩٨ ، من طريق العباس بن محمد الدوري ، عن هاشم بن القاسم ، بهذا الإسناد . ووقع في مطبوعة المستدرك « هشام بن القاسم » ، وهو خطأ مطبعي لا شك فيه .

وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبي .

والحديث في الصحيحين ، كما سيأتي في الرواية الآتية : ٨٢٤١ . ولعلهما اعتبراه من المستدرك لقوله في هذه الرواية « أنها قالت لعبد الله بن الزبير » . والذي في الرواية الآتية أنها قالت لعروة بن الزبير . وهما أخوان ، والكلام لهما واحد .

ومع ذلك فإن الحاكم رواه مرة أخرى ، كرواية مسلم ، كما سيأتي .

(١) في المطبوعة : « قد أرعبهم الله » ، وفي المخطوطة « فقد رعبهم » كما أثبته وهو الصواب . يقال « رعبه يرعبه » (على وزن فتح) ، و « رعبه » (مشدد العين) ، وقد نص أهل اللغة أنه لا يقال : « أرعبه » . وستأتي على الصواب في السطر التالي .

(٢) الحديث : ٨٢٤١ – سعيد بن الربيع الرازي – شيخ الطبري : مضت له رواية عنه في : ٣٧٩١ ، ولم نجد له ترجمة .

والحديث تكرار للحديث السابق : ٨٢٣٩ . ولكن في هذا أن خطاب عائشة لعروة بن الزبير ، وهناك خطابها لأخيه عبد الله ، وهما ابنا أختها أسماء بنت أبي بكر .

ورواه مسلم ٢ : ٢٤١ ، بأسانيد ، من طريق هشام بن عروة ، عن أبيه ، ومن رواية إسمعيل بن أبي خالد ، عن البهي – وهو : عبد الله البهي مولى مصعب بن الزبير – عن عروة ، به ، نحوه .

٨٢٤٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم قال : كان عبد الله من الذين استجابوا لله والرسول .

* * *

قال أبو جعفر : فوعد تعالى ذكره ، مُحسنَ من ذكرنا أمره من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح، إذا اتقى الله فخافه، فأدّى فرائضه وأطاعه فى أمره ونهيه فيما يستقبل من عمره = « أجراً عظيما » ، وذلك الثواب الجزيل ، والجزاء العظيم على ما قدم من صالح أعماله فى الدنيا .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ (١٧٣)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره : « وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين » ، « الذين قال لهم الناس إنّ الناس قد جمعوا لكم » .

* * *

ورواه البخارى ٧ : ٢٨٧ ، مطولا ، من طريق أبى معاوية ، عن هشام بن عروة .

ومع ذلك فإن الحاكم رواه مرة أخرى ٣ : ٣٦٣ ، من طريق إسمعيل بن أبى خالد ، عن البهى ، عن عروة – كرواية مسلم . ثم قال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » ! وسقطت هذه الرواية من تلخيص الذهبى ، مخطوطاً ومطبوعاً .

وذكره ابن كثير ٢ : ٢٩٧ – ٢٩٨ رواية البخارى ، ثم أشار إلى رواية الحاكم الأولى ، وتعقبه فى دعواه أن الشيخين لم يخرجاه ، بقوله : « كذا قال » . ثم أشار إلى أنه رواه ابن ماجة، وسعيد بن منصور ، وأبو بكر الحميدى فى مسنده . ثم أشار إلى رواية الحاكم الثانية .

وذكره السيوطى ٢ : ١٠٢ ، مطولا . وزاد نسبته لابن أبى شيبة ، وأحمد ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم . والبيهقى فى الدلائل .

و« الذين » فى موضع خفض مردود على « المؤمنين »، وهذه الصفة من صفة الذين استجابوا لله والرسول .

* * *

و« الناس » الأوّل ، هم قوم – فيما ذكر لنا – كان أبو سفيان سألهم أن يثبّطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين خرجوا فى طلبه بعد منصرفه عن أحد إلى حمراء الأسد .

و« الناس » الثانى ، هم أبو سفيان وأصحابه من قريش ، الذين كانوا معه بأحد .

* * *

ويعنى بقوله : « قد جمعوا لكم » ، قد جمعوا الرجال للقائكم والكرّة إليكم لحربكم = « فاخشوهم » ، يقول : فاحذروهم ، واتقوا لقاءهم ، فإنه لا طاقة لكم بهم = « فزادهم إيماناً » ، يقول : فزادهم ذلك من تخويف من خوّفهم أمرَ أبى سفيان وأصحابه من المشركين ، يقيناً إلى يقينهم ، وتصديقاً لله ولوعده ووعد رسوله إلى تصديقهم ، ولم يثنهم ذلك عن وجههم الذى أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسير فيه ، ولكن ساروا حتى بلغوا رضوان الله منه ، وقالوا = ثقة بالله وتوكلا عليه ، إذ خوّفهم من خوّفهم أبا سفيان وأصحابه من المشركين = : « حسبنا الله ونعم الوكيل » ، يعنى بقوله : « حسبنا الله » ، كفانا الله ، يعنى : يكفينا الله =[1] « ونعم الوكيل » ، يقول : ونعم المولى لمن وليّه وكفّله .

* * *

وإنما وصف تعالى نفسه بذلك ، لأن « الوكيل » ، فى كلام العرب ، هو المسنَد إليه القيام بأمر من أسنِد إليه القيام بأمره . فلما كان القوم الذين وصفهم ٤/١١٩
الله بما وصفهم به فى هذه الآيات ، قد كانوا فوّضوا أمرهم إلى الله ووثِقوا به ، وأسندوا ذلك إليه ، وصف نفسه بقيامه لهم بذلك ، وتفويضهم أمرهم إليه بالوكالة فقال : ونعم الوكيل الله تعالى لهم .

* * *

(١) انظر تفسير « حسب » فيما سلف ٤ : ٢٤٤ .

واختلف أهل التأويل فى الوقت الذى قال من قال لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الناس قد جمعوا لكم » .

فقال بعضهم : قيل ذلك لهم فى وجههم الذين خرجوا فيه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد إلى حمراء الأسد، فى طلب أبى سفيان ومن معه من المشركين .

* ذكر من قال ذلك ، وذكر السبب الذى من أجله قيل ذلك، ومن قائله :

٨٢٤٣ – حدثنا محمد بن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال : مرّ به – يعنى برسول الله صلى الله عليه وسلم – معبدٌ الخزاعىّ بحمراء الأسد = وكانت خزاعة، مسلمُهم ومشركهم، عَيْبةَ نصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامة، (١) صفقتهم معه، (٢) لا يخفون عليه شيئاً كان بها = ومعبد يومئذ مشرك = فقال : والله يا محمد ، أما والله لقد عزّ علينا ما أصابك فى أصحابك ، ولوددنا أن الله كان أعفاك فيهم ! (٣) ثم خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمراء الأسد، (٤) حتى لقى أبا سفيان ابن حرب ومن معه بالرَّوحاء ، قد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقالوا : أصبنا ! حَدَّ أصحابه وقادتهم وأشرافهم ، ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ؟! (٥) لنَكرَّن على بقيَّتهم، فلنفرغنّ منهم». فلما رأى أبو سفيان معبداً

---

(١) العيبة : وعاء من أدم يكون فيه المتاع . ثم أخذوا منه على المثل قولهم : « عيبة الرجل » ، أى موضع سره ، وفى الحديث : « الأنصار كرشى وعيبتى » أى : خاصتى وموضع سرى . ويقال لأهل الرجل « هم عيبته » ، من ذلك .

(٢) الصفقة : البيعة ، ثم استعملت فى العهد والميثاق ، وفى الحديث : « إن أكبر الكبائر أن تقاتل أهل صفقتك » ، وذلك إذا أعطى الرجل عهده وميثاقه ثم يقاتله ، وأصل ذلك كله من الصفق باليد . لأن المتعاهدين والمتبايعين ، يضع أحدهما يده فى يد الآخر . ومنه حديث ابن عمر : « أعطاه صفقة يده ، وثمرة قلبه » . فالصفقة المرة من التصفيق باليد .

(٣) عافاه الله وأعفاه : وهب له العافية من العلل والبلايا . وفى سيرة ابن هشام « عافاك فيهم » ، وهما سواء . وقوله : « عافاك فيهم » ، أى : صانك مما نزل بأصحابك .

(٤) فى المطبوعة : « من حمراء الأسد » ، والصواب من المخطوطة وسيرة ابن هشام ، وتاريخ الطبرى .

(٥) فى المطبوعة : « أصبنا فى أحد أصحابه . . . » ، وهو خطأ ، صوابه من المخطوطة وسيرة

قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمد، قد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثله قط ، يتحرّقون عليكم تحرُّقاً ،[١] قد اجتمع معه من كان تخلّف عنه فى يومكم ، وندموا على ما صنعوا ، فيهم من الحنَق عليكم شىء لم أر مثله قط ![٢] قال : ويلك ! ما تقول ؟ قال : والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصى الخيل ! قال : فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم ! قال : فإنّى أنهاك عن ذلك ، فوالله لقد حملنى ما رأيتُ على أن قلت فيه أبياتاً من شعر ! قال : وما قلت ؟ قال : قلت :

كَادَتْ تُهَدُّ مِنَ الأَصْوَاتِ رَاحِلَتِى ... إِذْ سَالَتِ الأَرْضُ بِالجُرْدِ الأَبَابِيلِ[٣]
تَرْدِى بِأُسْدٍ كِرَامٍ لَا تَنَابِلَةٍ ... عِنْدَ اللِّقَاءِ وَلَا خُرْقٍ مَعَازِيلِ[٤]

ابن هشام والتاريخ . وحد كل شىء : طرف شباته ، كحد السكين والسيف والسنان . ومنه يقال : «حد الرجل» وهو بأسه ونفاذه فى نجدته . و « رجل ذو حد » : أى بأس ماض . وقوله : « أصبنا حد أصحابه » ، أى : كسرنا حدهم وثلمناه كما يثلم السيف ، فصاروا أضعف مما كانوا .

(١) يتحرق : يتلهب من الغيظ كمثل حريق النار .

(٢) فى المطبوعة : « فهم من الحنق عليكم بشىء لم أر مثله قط » ، غير ما فى المخطوطة ، وهو الصواب الموافق لما فى سيرة ابن هشام ، وتاريخ الطبرى .

(٣) هد البناء : ضعضعه وهدمه . ومنه « هده الأمر » إذا بلغ منه فضعضعه وكسره وأوهنه . يقول : كادت تنهار راحلته من الفزع . و « الجرد » جمع أجرد : وهو القصير الشعر من الخيل ، وهو من علامات عتقها وكرمها . و « الأبابيل » الجماعات المتفرقة ، واحدها « إبيل » (بكسر الهمزة وتشديد الباء المكسورة) ، وقيل غير ذلك ، وقيل : هو جمع لا واحد له . وزعم معبد كثرة خيل المسلمين فى مخرجهم إلى حمراء الأسد ، والذى فى السير أن المسلمين كانوا فى أحد ألفاً ، فيهم مئة دارع . وفرسان : أحدهما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والآخر لأبى بردة بن نيار .

(٤) ردت الخيل تردى (على وزن جرى يجرى) : رجمت الأرض بحوافرها فى سيرها أو عدوها . و « التنابل » جمع تنبال وتنبالة (بكسر التاء) ، وهو القصير ، والقصر معيب ، لأن المقاتل القصير لا يطول باعه إذا قاتل بسيف أو رمح . وفى المطبوعة « ولا ميل معازيل » ، كما فى سيرة ابن هشام ، ولكن الذى أثبته هو رواية الطبرى فى التفسير ، وفى التاريخ . و « الخرق » جمع . خرق : وهو الأحمق الذى لا رفق له فى عمل . وأنا أرجح أنه أراد الصفة من قولهم : « خرق الظبى وغيره » : إذا دهش وفزع ، فلصق بالأرض ولم يقدر على النهوض ، والصفة من ذلك « خرق » على وزن « فرح » ، ولكنه جمعه على باب « أفعل » .

وأما « الميل » فهو جمع أميل : وهو الذى يميل على السرج فى جانب ولا يستوى عليه ، لأنه لا يحسن الركوب ولا الفروسية . و « المعازيل » جمع معزال : وهو الذى لا سلاح معه . وأنا أرى أن « الأميل » ،

فَظَلْتُ عَدْوًا ، أَظُنُّ الأَرْضَ مَائِلَةً لَمَّا سَمَوْا بِرَئِيسٍ غَيْرِ مَخْذُولِ (١)
فَقُلْتُ : وَيْلَ ابْنِ حَرْبٍ مِنْ لِقَائِكُمُ إِذَا تَغَطْمَطَتِ البَطْحَاءُ بِالخِيلِ (٢)
إِنِّي نَذِيرٌ لِأَهْلِ البَسْلِ ضَاحِيَةً لِكُلِّ ذِي إِرْبَةٍ مِنْهُمْ وَمَعْقُولِ (٣)
مِنْ جَيْشِ أَحْمَدَ ، لاَ وَخْشٍ قَنَابِلُهُ ، وَلَيْسَ يُوصَفُ مَا أَنْذَرْتُ بِالقِيلِ (٤)

قال : فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه . ومرّ به ركب من عبد القيس . فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة . قال : ولم ؟ قالوا : نريد الميرة . قال : فهل

هو الذى يميل عن عدوه من الخوف و « المعزال » ، الذى يعتزل المعركة من الفرق ، فلا يكاد يقاتل ، ولا ينجد من استغاث به .

(١) قوله : « فظلت عدوا » ، أى : فظللت أعدو عدواً . و « سما الرجل لعدوه » : إذ أشرف له وقصد نحوه ، عالياً عليه .

(٢) « تغطمطت القدر » : اشتد غليانها ، وبان صوتها كصوت اضطراب الأمواج . و « البطحاء » : مسيل الوادى ، فيه دقاق الحصى . و « الخيل » ، ضبطه السهيلى فى الروض الأنف (٢ : ١٤٤) بفتح الخاء وسكون الياء ، وقال : « قوله : بالخيل ، جعل الردف حرف لين ، والأبيات كلها مردفة الروى بحرف مد ولين . وهذا هو السناد . . . ونظيره قول ابن كلثوم : « ألا هبى بصحنك فاصبحينا » ثم قال : « تصفقها الرياح إذا جرينا» . وهو وجه صحيح مقارب . وأما أبو ذر الخشنى فقد ضبطه «الجيل» بكسر الجيم ، وقال : « الجيل : الصنف من الناس ». وهذا لا معنى له . وهو فى مطبوعة سيرة ابن هشام « الجيل » بالجيم ، وكذلك هو فى تاريخ الطبرى . فلو صح أنها بالجيم ، فأنا أرى أنها جماعة الخيل ، وذلك أنهم قالوا : « الجول » (بضم الجيم)و « الجول » بفتحها : هى جماعة الخيل أو الإبل ، وقالوا أيضاً : « الجول » بضم الجيم و « الجال » و « الجيل » ناحية البئر وجانبها . فكأنه قاس هذا على هذا . أو كأنه جمع جائل من قولهم : «جالت الخيل بفرسانها» إذا طافت وذهبت وجاءت ، جمعه كجمع : هائم وهيم ، على شذوذه . فأما إذا كانت الرواية « الخيل » بكسر الخاء ، فهو جمع خائل أيضاً كالذى سلف ، والخائل هو الحافظ للشىء الراعى له ، من خال المال يخوله : إذا ساسه وأحسن القيام عليه ، فهو خائل وخال . يقال : « من خال هذا الفرس » ، أى صاحبها القائم بأمرها .

(٣) قال أبو ذر الخشنى : « البسل : الحرام . وأراد بأهل البسل قريشاً ، لأنهم أهل مكة ، ومكة حرام » . وقوله : « ضاحية » أى علانية من« ضحا » أى برز ، والضاحية من كل شىء ما برز منه . فهو إما مصدر على وزن « عافية » ، أو اسم فاعل قام مقامه . و « الإربة » البصر بالأمور . و « المعقول » مصدر كالمصادر التى جاءت على وزنه ، وهو العقل .

(٤) « الوخش » : رذالة الناس وسقاطهم وصغارهم . و « القنابل » جمع قنبلة (بفتح القاف) وهى الطائفة من الناس والخيل .

أنتم مبلّغون عنى محمداً رسالة أرسلكم بها، وأحمّل لكم إبلكم هذه غداً زبيباً بعكاظ إذا وافيتموها ؟ قالوا . نعم . قال : فإذا جئتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم ! فمر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الأسد ، فأخبروه بالذى قال أبو سفيان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه :[1] « حسبنا الله ونعم الوكيل ».[2]

٨٢٤٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : فقال الله : « الذين قال لهم الناس إنّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » ، و« الناس » الذين قالوا لهم ما قالوا = النفر من عبد القيس الذين قال لهم أبو سفيان ماقال = : إنّ أبا سفيان ومن معه راجعون إليكم ! يقول الله تبارك وتعالى : « فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء » الآية .[3]

٨٢٤٥ – حدثنا محمد قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، ١٢٠/٤
عن السدى قال : لما ندموا = يعنى أبا سفيان وأصحابه = على الرجوع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقالوا : « ارجعوا فاستأصلوهم » ، فقذف الله فى قلوبهم الرعب فهزموا ، فلقوا أعرابيًّا فجعلوا له جُعْلاً ، فقالوا له : إن لقيت محمداً وأصحابه فأخبرهم أنا قد جمعنا لهم ! فأخبر الله جل ثناؤه رسوله صلى الله عليه وسلم ، فطلبهم حتى بلغ حمراء الأسد. فلقوا الأعرابىّ فى الطريق، فأخبرهم الخبر ، فقالوا : « حسبنا الله ونعم الوكيل » ! ثم رجعوا من حمراء الأسد . فأنزل الله تعالى فيهم وفى الأعرابى الذى لقيهم : « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » .

---

(١) أسقطت المطبوعة : « وأصحابه » ، وهى ثابتة فى التاريخ وفى المخطوطة ، وفعل الناشر ذلك ليوافق ما فى سيرة ابن هشام .

(٢) الأثر : ٨٢٤٣ – سيرة ابن هشام ٣ : ١٠٨ – ١١٠ ، وهو بقية الأثر السالف : ٨٢٣٣ ، وتاريخ الطبرى ٣ : ٢٨ – ٢٩

(٣) الأثر : ٨٢٤٤ – سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٨ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨٢٣٥ .

٨٢٤٦ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قال: استقبل أبو سفيان في منصرفه من أحد عِيراً واردةَ المدينة ببضاعة لهم،[1] وبينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم حِبال،[2] فقال: إنّ لكم عليّ رضاكم إن أنتم رددتم عني محمداً ومن معه، إن أنتم وجدتموه في طلبي، وأخبرتموه أنّي قد جمعت له جموعاً كثيرة. فاستقبلت العيرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له:[3] يا محمد إنا نخبرك أنّ أبا سفيان قد جمع لك جموعاً كثيرة، وأنه مقبل إلى المدينة، وإن شئت أن ترجع فافعل! فلم يزده ذلك ومن معه إلاّ يقيناً، وقالوا:[4] «حسبنا الله ونعم الوكيل». فأنزل الله تبارك وتعالى: «الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم» الآية.

٨٢٤٧ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قال: انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصابةٌ من أصحابه بعد ما انصرف أبو سفيان وأصحابه من أحد خلفهم، حتى كانوا بذي الحليفة، فجعل الأعراب والناسُ يأتون عليهم فيقولون لهم: هذا أبو سفيان مائلٌ عليكم بالناس! فقالوا: «حسبنا الله ونعم الوكيل». فأنزل الله تعالى فيهم: «الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل».

* * *

وقال آخرون: بل قال ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من قال ذلك له، في غزوة بدر الصغرى، وذلك في مسير النبي صلى الله عليه وسلم عامَ قابلٍ من وقعة أحد للقاء عدوِّه أبي سفيان وأصحابه، للموعد الذي كان واعده الالتقاءَ بها.

* ذكر من قال ذلك:

---

(١) «العير» (بكسر العين): القافلة من الإبل أو الحمير أو البغال، تحمل عليها الميرة.

(٢) «الحبال» جمع حبل: وهو العهد.

(٣) في المطبوعة: «قالوا له»، بحذف الفاء، والصواب من المخطوطة.

(٤) في المطبوعة: «ولم يزده ذلك» بالواو، والصواب من المخطوطة.

٨٢٤٨ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « الذين قال لهم الناس إنّ الناس قد جمعوا لكم » ، قال : هذا أبو سفيان قال لمحمد : « موعدكم بدرٌ حيث قتلتم أصحابنا » ، فقال محمد صلى الله عليه وسلم : « عسى » ! فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم لموعده حتى نزل بدراً ، فوافقوا السوق فيها وابتاعوا ، فذلك قوله تبارك وتعالى : « فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء »، وهي غزوة بدر الصغرى .

٨٢٤٩ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج، عن مجاهد بنحوه = وزاد فيه : وهي بدر الصغرى = قال ابن جريج : لما عبّى النبي صلى الله عليه وسلم لموعد أبي سفيان،(١) فجعلوا يلقون المشركين ويسألونهم عن قريش، فيقولون : « قد جمعوا لكم »! يكيدونهم بذلك، يريدون أن يَرْعَبوهم ، فيقول المؤمنون: « حسبنا الله ونعم الوكيل»، حتى قدموا بدراً، فوجدوا أسواقها عافية لم ينازعهم فيها أحد .(٢) قال : وقدم رجل من المشركين وأخبر أهل مكة بخيل محمد عليه السلام ، وقال في ذلك :(٣)

نَفَرَتْ قَلُوصِي عَنْ خُيولِ مُحَمَّدٍ وَعَجْوَةٍ مَنْثُورَةٍ كَالعُنْجُدِ
وَاتَّخَذَتْ مَاءَ قُدَيْدٍ مَوْعِدِي

• • •

قال أبو جعفر : هكذا أنشدنا القاسم ، وهو خطأ ، وإنما هو :

---

(١) في المطبوعة : « لما عمد النبي . . . » ، وفي المخطوطة « لما عبد » ، ورجحت أن صحة قراءتها ما أثبت. « عبى الجيش تعبئة » : هيأه وأصلح أمره وجمعه، مثل «عبأه ». ورجحت ذلك ، لأن معناه وارد في الآثار الأخرى .

(٢) قوله: « أسواقهم عافية » ، أي وافرة ،من قولهم : « أرض عافية » : لم يرع أحد نبتها، فوفر نبتها وكثر . يعني أن الأسواق لم يحضرها أحد يزاحمهم في تجارتها . وانظر الأثر الآتي رقم : ٨٢٥٢ .

(٣) هو معبد بن أبي معبد الخزاعي ، كما روى ابن هشام في سيرته ٣ : ٢٢٠ ، ٢٢١ ، والطبري في تاريخه ٣ : ٤١ .

قَدْ نَفَرَتْ مِنْ رُفْقَتَيْ مُحَمَّدِ وَعَجْوَةٍ مِنْ يَثْرِبٍ كَالعُنْجُدِ (١)
٤/١٢١ تَهْوِي عَلَى دِينِ أَبِيهَا الأَتْلَدِ قَدْ جَعَلَتْ مَاءَ قُدَيْدٍ مَوْعِدِي (٢)
وَمَاءَ ضَجْنَانَ لَهَا ضُحَى الغَدِ (٣)

* * *

٨٢٥٠ – حدثني الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة قال : كانت بدر متجراً في الجاهلية ، فخرج ناس من المسلمين يريدونه ، ولقيهم ناسٌ من المشركين فقالوا لهم : « إنّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم » ! فأما الجبان فرجع ، وأما الشجاع فأخذ الأهبة للقتال وأهبة التجارة ، وقالوا : « حسبنا الله ونعم الوكيل » ! فأتوهم فلم يلقوا أحداً ، فأنزل الله عز وجل فيهم : « إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم » = قال ابن يحيى قال ، عبد الرزاق قال ، ابن عيينة : وأخبرني زكريا ، عن الشعبي ، عن عبد الله بن عمرو قال : هي كلمة إبراهيم صلى الله عليه وسلم حين ألقي في النار ، فقال : « حسبنا الله ونعم الوكيل » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك بالصواب ، قول من قال : « إن الذي قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من أنّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، كان في حال خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخروج من خرج معه في أثر أبي سفيان ومن كان معه من مشركي قريش ، مُنْصَرَفهم عن أحد إلى حمراء الأسد » .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٠ ، ٢٢١ ، وتاريخ الطبري ٣ : ٤١ ، ومعجم ما استعجم : ٨٥٦ ، ٨٥٧ . وقوله : « رفقتي محمد » بالتثنية ، يعني المهاجرين والأنصار . و « العجوة » ضرب من أجود التمر بالمدينة ، ونخلته هي « اللينة » المذكورة في قوله تعالى : « ما قطعتم من لينة » ، في سورة الحشر . و « يثرب » مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . و « العنجد » : الزبيب الأسود .

(٢) تهوي : تسرع ، هوت الناقة تهوي : أسرعت إسراعاً . والدين : الدأب والعادة . و « الأتلد » الأقدم ، من التليد ، وهو القديم . و « قديد » : موضع ماء بين مكة والمدينة .

(٣) و « ضجنان » (بفتح أوله وسكون الجيم) : وهو جبل على طريق المدينة من مكة ، بينه وبين قديد ليلة ، كما بينه هذا الشعر . قاله أبو عبيد البكري في معجم ما استعجم .

لأن الله تعالى ذكره إنما مدح الذين وصفهم بقيلهم : « حسبنا الله ونعم الوكيل » ، لما قيل لهم : « إنّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم » ، بعد الذى قد كان نالهم من القروح والكلوم بقوله : « الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح » ، ولم تكن هذه الصفة إلا صفة من تبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جرحى أصحابه بأحد إلى حمراء الأسد .

وأما الذين خرجوا معه إلى غزوة بدر الصغرى ، [1] فإنه لم يكن فيهم جريح إلا جريح قد تقادم اندمال جرحه وبرأ كلمُه . وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما خرج إلى بدر الخرجة الثانية إليها ، لموعد أبى سفيان الذى كان واعده اللقاء بها ، بعد سنة من غزوة أحد ، فى شعبان سنة أربع من الهجرة . وذلك أن وقعة أحد كانت فى النصف من شوال من سنة ثلاث ، وخروج النبى صلى لله عليه وسلم لغزوة بدر الصغرى إليها فى شعبان من سنة أربع ، ولم يكن للنبىّ صلى الله عليه وسلم بين ذلك وقعة مع المشركين كانت بينهم فيها حرب جرح فيها أصحابه ، ولكن قد كان قتل فى وقعة الرَّجيع من أصحابه جماعة لم يشهد أحد منهم غزوة بدر الصغرى . وكانت وقعة الرَّجيع فيما بين وقعة أحد وغزوة النبى صلى الله عليه وسلم بدرًا الصغرى .

* * *

(١) فى المطبوعة : « وأما قول الذين خرجوا معه » ، وهى زيادة فاسدة ، وليست فى المخطوطة .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ (١٧٤)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « فانقلبوا بنعمة من الله » ، فانصرف الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح ،[١] من وجههم الذى توجّهوا فيه — وهو سيرهم فى أثر عدوهم — إلى حمراء الأسد = « بنعمة من الله » ، يعنى : بعافية من ربهم ، لم يلقوا بها عدوًّا [٢] = « وفضل » ، يعنى : أصابوا فيها من الأرباح بتجارتهم التى تَجَرّوا بها ،[٣] الأجر الذى اكتسبوه[٤] = : « لم يمسسهم سوء » يعنى : لم ينلهم بها مكروه من عدوّهم ولا أذى[٥] = « واتبعوا رضوان الله » ، يعنى بذلك : أنهم أرضوا الله بفعلهم ذلك ، واتباعهم رسوله إلى ما دعاهم إليه من اتباع أثر العدوّ ، وطاعتهم = « والله ذو فضل عظيم » ، يعنى : والله ذو إحسان وطَوْل عليهم — بصرف عدوهم الذى كانوا قد هُمُّوا بالكرة إليهم ، وغير ذلك من أياديه عندهم وعلى غيرهم — بنعمه[٦] = « عظيم » عند من أنعم به عليه من خلقه .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٨٢٥١ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ،

---

(١) انظر تفسير « انقلب » فيما سلف ٣ : ١٦٣ .

(٢) انظر تفسير « النعمة » فيما سلف ٤ : ٢٧٢

(٣) فى المطبوعة : « اتجروا بها » ، وأثبت ما فى المخطوطة . « تجر يتجر تجراً وتجارة » : باع واشترى ، ومثله : « اتجر » على وزن (افتعل) . والثلاثى على وزن (نصر وينصر) .

(٤) انظر تفسير « الفضل » فيما سلف ص ٢٩٩ تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٥) انظر تفسير « المس » فيما سلف ٥ : ١١٨ / ٧ : ١٥٥ ، ٢٣٨

(٦) السياق : « والله ذو إحسان وطول . . . بنعمه » .

عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « فانقلبوا بنعمة من الله وفضل » ، قال : والفضل ما أصابوا من التجارة والأجر .

٨٢٥٢ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : وافقوا السوق فابتاعوا ، وذلك قوله : « فانقلبوا بنعمة من الله وفضل » . قال : الفضل ما أصابوا من التجارة والأجر = قال ابن جريج : ما أصابوا من البيع نعمة من الله وفضل، أصابوا عَفْوه وغِرَّته [1] لا ينازعهم فيه أحد = قال : وقوله : « لم يمسسهم سوء » ، قال : قتل = « واتبعوا رضوان الله » ، قال : طاعة النبيّ صلى الله عليه وسلم . ٤/٠٢

٨٢٥٣ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « والله ذو فضل عظيم » ، لما صرف عنهم من لقاء عدوهم .[2]

٨٢٥٤ – حدثنا محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : أطاعوا الله وابتغوا حاجتهم ، ولم يؤذهم أحد ، « فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم » .

٨٢٥٥ – حدثنا محمد قال، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قال : أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم – يعني حين خرج إلى غزوة بدر الصغرى – ببدر دراهم ،[3] ابتاعوا بها من موسم بدر فأصابوا تجارة، فذلك قول الله : « فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله » . أما « النعمة » فهي العافية ، وأما « الفضل » فالتجارة ، و« السوء » القتل .

* * *

(١) في المطبوعة : « وعزته » ، ولا معنى لها ، وفي المخطوطة غير منقوطة . و« الغرة » (بكسر الغين) الغفلة ، يريد خلو السوق ممن يزاحمهم فيها ، كأنهم أتوها والناس في غفلة عنها . وهو مجاز ، ومثله عيش غرير : أي ناعم ، لا يفزع أهله .

(٢) الأثر : ٨٢٥٣ – سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٨ ، وهو تتمة الآثار التي آخرها : ٨٢٤٤ .

(٣) في المطبوعة والدر المنثور « ببدر دراهم » ، وفي المخطوطة « سردراهم » غير منقوطة ، وأخشى أن تكون كلمة مصحفة لم أهتد إليها ، وإن قرأتها « نثر دراهم » ، فلعلها ! وشيء نثر (بفتحتين) متناثر . ولا أدري أيصح ذلك أو لا يصح .

القول فى تأويل قوله ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : إنما الذى قال لكم ، أيها المؤمنون : « إن الناس قد جمعوا لكم »، فخوفوكم بجموع عدوّكم ومسيرهم إليكم ، من فعل الشيطان ألقاه على أفواه من قال ذلك لكم ، يخوفكم بأوليائه من المشركين — أبى سفيان وأصحابه من قريش — لترهبوهم وتجبنوا عنهم ، كما : —

٨٢٥٦ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إنما ذلكم الشيطان يخوّف أولياءه »، يخوف والله المؤمنَ بالكافر ، ويُرهب المؤمن بالكافر .

٨٢٥٧ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج، عن ابن جريج قال ، قال مجاهد: « إنما ذلكم الشيطان يخوّف أولياءه »، قال: يخوّف المؤمنين بالكفار.

٨٢٥٨ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى ، قال حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه » ، يقول : الشيطان يخوّف المؤمنين بأوليائه .

٨٢٥٩ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « إنما ذلكم الشيطان يخوّف أولياءه » ، أى : أولئك الرهط ، يعنى النفر من عبد القيس ، الذين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما قالوا، وما ألقى الشيطان على أفواههم = « يخوّف أولياءه » ، أى : يرهبكم بأوليائه .(١)

٨٢٦٠ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا على بن معبد ، عن عتاب بن بشير مولى قريش ، عن سالم الأفطس فى قوله: « إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه »، قال : يخوفكم بأوليائه .

* * *

(١) الأثر : ٨٢٥٩ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٨ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨٢٥٣ .

وقال آخرون : معنى ذلك ، إنما ذلكم الشيطان يعظّم أمر المشركين ، أيها المنافقون ، فى أنفسكم فتخافونه .

* ذكر من قال ذلك :

٨٢٦١ ــ حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : ذكر أمر المشركين وعظمهم فى أعين المنافقين فقال : « إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه » ، يعظم أولياءه فى صدوركم فتخافونه .

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : وكيف قيل : « يخوف أولياءه » ؟ وهل يخوف الشيطان أولياءه؟ [وكيف] قيل= إن كان معناه يخوّفكم بأوليائه= «يخوف أولياءه» ؟[1]

قيل : ذلك نظير قوله : ﴿ لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا ﴾ [سورة الكهف : ٢] ، بمعنى : لينذركم بأسه الشديد ، وذلك أن البأس لا يُنذر ، وإنما ينذر به .[2]

* * *

وقد كان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول : معنى ذلك : يخوف الناسَ أولياءه ، كقول القائل : « هو يُعطى الدراهم ، ويكسو الثياب » ، بمعنى : هو يعطى الناس الدراهم ويكسوهم الثياب ، فحذف ذلك للاستغناء عنه .

* * *

قال أبو جعفر : وليس الذى شبه [من] ذلك بمشتبه ،[3] لأن « الدراهم » فى قول القائل : « هو يعطى الدراهم » ، معلوم أن المعطَى هى « الدراهم » ، وليس كذلك « الأولياء » ــ فى قوله : « يخوف أولياءه » ــ مخوَّفين ،[4] بل التخويف من الأولياء لغيرهم ، فلذلك افترقا .

* * *

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « وهل يخوف الشيطان أولياءه ؟ قيل إن كان معناه يخوفكم بأوليائه » وهو كلام لا يستقيم ، ورجحت أن الناسخ أسقط ما زدته بين القوسين .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٤٨ .

(٣) فى المطبوعة : « الذى شبه ذلك بمشبه » ، والذى فى المخطوطة مثله إلا أنه كتب « بمشتبه » ورجحت أن الناسخ أسقط « من » فوضعها بين القوسين ، مع إثبات نص المخطوطة ، وهو الصواب .

(٤) السياق : « وليس كذلك الأولياء . . . مخوفين » .

القول فى تأويل قوله: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (١٧٥)

٤/١٢٣ قال أبو جعفر : يقول : فلا تخافوا ، أيها المؤمنون ، المشركين ، ولا يعظُمَن عليكم أمرهم ، ولا ترهبوا جمعهم ، مع طاعتكم إياى ، ما أطعتمونى واتبعتم أمرى ، وإنى متكفّل لكم بالنصر والظفر ،[1] ولكن خافون واتقوا أن تعصونى وتخالفوا أمرى فتهلكوا = « إن كنتم مؤمنين » ، يقول : ولكن خافونِ دون المشركين ودون جميع خلقى ، أنْ تخالفوا أمرى ، إن كنتم مصدِّقى رسولى وما جاءكم به من عندى .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : ولا يحزنك، يا محمد، كفر الذين يسارعون فى الكفر مرتدِّين على أعقابهم من أهل النفاق،[2] فإنهم لن يضروا الله بمسارعتهم فى الكفر شيئاً ، وكما أنّ مسارعتهم لو سارعوا إلى الإيمان لم تكن بنافعته .[3] كذلك مسارعتهم إلى الكفر غير ضارّته ، كما : —

٨٢٦٢ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر » ، يعنى : أنهم المنافقون .[4]

---

(١) فى المخطوطة : « وإنى متكلف لكم بالنصر » ، وهو خطأ فاحش ، تعالى ربنا عن أن يتكلف شيئاً ، وهو القادر الذى لايؤوده شىء . وقد أصاب ناشر الطبعة السالفة فيما فعل .

(٢) انظر تفسير « سارع » فيما سلف ٧ : ١٣٠، ٢٠٧

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « كما أن مسارعتهم » بغير واو ، والصواب إثبات الواو .

(٤) فى المطبوعة : « هم المنافقون » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، ولو قرئت المخطوطة : « فهم المنافقون » ، لكان أجود .

٨٢٦٣ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر » ، أى : المنافقون . (١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْأَخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٧٦)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : يريد الله أن لا يجعل لهؤلاء الذين يسارعون فى الكفر ، نصيباً فى ثواب الآخرة ، فلذلك خذلهم فسارعوا فيه . ثم أخبر أنهم مع حرمانهم ما حرموا من ثواب الآخرة ، لهم عذاب عظيم فى الآخرة ، وذلك عذابُ النار . وقال ابن إسحق فى ذلك بما : —

٨٢٦٤ – حدثنى ابن حميد قال ، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق: « يريد الله أن لا يجعل لهم حظًّا فى الآخرة » ، أن يُحبط أعمالهم . (٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١٧٧)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه المنافقين الذين تقدّم إلى نبيه صلى الله عليه وسلم فيهم : أن لا يحزنه مسارعتهم إلى الكفر ، فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم :

---

(١) الأثر : ٨٢٦٣ – سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٨ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨٢٥٩ .
(٢) الأثر : ٨٢٦٤ – ليس فى سيرة ابن هشام .

إن هؤلاء الذين ابتاعوا الكفر بإيمانهم فارتدوا عن إيمانهم بعد دخولهم فيه،[١] ورضوا بالكفر بالله وبرسوله عوضاً من الإيمان ، لن يضروا الله بكفرهم وارتدادهم عن إيمانهم شيئاً ، بل إنما يضرون بذلك أنفسهم ، بإيجابهم بذلك لها من عقاب الله ما لا قِبل لها به .

* * *

وإنما حث الله جل ثناؤه بهذه الآيات من قوله : ﴿ وما أَصَابكم يَوْمَ الْتَقَى الجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ الله ﴾ إلى هذه الآية ، عبادَه المؤمنين على إخلاص اليقين ، ولانقطاع إليه فى أمورهم ، والرضى به ناصراً وحدَه دون غيره من سائر خلقه = ورغَّب بها فى جهاد أعدائه وأعداء دينه ، وشجَّع بها قلوبهم ، وأعلمهم أن من وليه بنصره فلن يخذل ولو اجتمع عليه جميعُ من خالفه وحادَّه ، وأن من خذله فلن ينصره ناصرٌ ينفعُه نصرُه ، ولو كثرت أعوانه ونصراؤه ،[٢] كما : —

٨٢٦٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان» ، أى : المنافقين= « لن يضروا الله شيئاً ولهم عذاب أليم » ، أى : موجع .[٣]

٨٢٦٦ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : هم المنافقون .

* * *

---

(١) انظر تفسير « الاشتراء » فيما سلف ١ : ٣١٢ — ٢/٣١٥ : ٣٤١ ، ٣/٣٤٢ : ٢٢٨ .

(٢) فى المطبوعة : « أو نصراؤه » ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٣) الأثر : ٨٢٦٥ — سيرة ابن هشام : ٣ : ١٢٨ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨٢٦٣ . وليس فى سيرة ابن هشام تفسير « أليم » .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ (١٧٨)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : ولا يظنن الذين كفروا بالله ورسوله وما جاء به من عند الله ، (١) أن إملاءنا لهم خيرٌ لأنفسهم .

* * *

ويعنى بـ « الإملاء » ، الإطالة فى العمر ، والإنساء فى الأجل ، ومنه قوله جل ثناؤه : ﴿ واهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴾ [سورة مريم : ٤٦] ، أى : حيناً طويلا ، ومنه قيل : « عشتَ طويلا وتمليت حبيباً » . (٢) « والملا » نفسه الدهر ، « والملوان » ، الليل والنهار ، ومنه قول تميم بن مقبل : (٣)

أَلاَ يَا دِيَارَ الحَىِّ بِالسُّبُعَانِ أَمَلَّ عَلَيْهَا بِالبِلَى المَلَوَانِ (٤)

---

(١) انظر تفسير « حسب » فيما سلف قريباً ص : ٣٨٤

(٢) فى المطبوعة : « وتمليت حيناً » ، وهو خطأ ، وفى المخطوطة : « وتمليت حنيناً » ، وهو تصحيف ، والصواب ما أثبت . وهو قول يقال فى الدعاء ، ومثله فى الدعاء لمن لبس ثوباً جديداً : « أبليت جديداً ، وتمليت حبيباً » ، أى : عشت معه ملاوة من دهرك وتمتعت به .

(٣) وينسب البيت لابن أحمر ، وإلى أعرابى من بنى عقيل .

(٤) سيبويه ٢ : ٣٢٢ ، ومجاز القرآن ١ : ١٠٩ ، والأمالى ١ : ٢٣٣ ، والسمط : ٥٣٣ ، والخزانة ٣ : ٢٧٥ ، واللسان (ملل) ، وغيرها ، وسيأتى فى التفسير ١٣ : ١٠٦ (بولاق) . وقد بين صاحب الخزانة نسبة هذه الأبيات وذكر الشعر المختلف فيه ، وقال إن أبيات ابن مقبل بعد هذا البيت :

نَهَارٌ وَلَيْلٌ دَائِبٌ مَلَوَاهُمَا عَلَى كُلِّ حَالِ النَّاسِ يَخْتَلِفَانِ
أَلا يا دِيَارَ الحَىِّ لاَ هَجْرَ بَيْنَنَا وَلَكِنَّ رَوْعَاتٍ مِنَ الحَدَثَانِ
لِدَهْمَاءَ إِذْ لِلنَّاسِ والعَيْشِ غِرَّةٌ وَإِذْ خُلُقَانَا بِالصِّبَا عَسِرَانِ

قال أبو عبيد البكرى : «أمل عليها » : دأب ولازم ، وقال أبو عبيدة : أى رجع عليها حتى أبلاها ، أى : طال عليها . وعندى أن أصله من « الملل » ، يقول : حتى بلغ أقصى الملل والسآمة .

يعني : بـ «الملوان» ، الليل والنهار .

* * *

وقد اختلفت القرأة فى قراءة قوله : « ولا تحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خيرٌ لأنفسهم » . ٤/١٢٤

فقرأ ذلك جماعة منهم : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ﴾ ، بالياء ، وبفتح «الألف» من قوله : ﴿ أَنَّمَا ﴾ ، على المعنى الذى وصفتُ من تأويله .

* * *

وقرأه آخرون : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ﴾ بالتاء و ﴿ أَنَّمَا ﴾ أيضاً بفتح «الألف» من « أنما » بمعنى : ولا تحسبنّ ، يا محمد ، الذين كفروا أنما نملى لهم خير لأنفسهم .

* * *

فإن قال قائل : فما الذى من أجله فتحت «الألف» من قوله : «أنما» فى قراءة من قرأ بالتاء ، وقد علمت أن ذلك إذا قرئ بالتاء فقد أعملت « تحسبن » ، فى « الذين كفروا » ، وإذا أعملتها فى ذلك ، لم يجز لها أن تقع على « أنما » ، لأن « أنما » إنما يعمل فيها عاملٌ يعمل فى شيئين نصباً ؟

قيل : أما الصواب فى العربية ووجهُ الكلام المعروف من كلام العرب ، كسر « إن » إذا قرئت « تحسبن » بالتاء ، لأن « تحسبن » إذا قرئت بالتاء فإنها قد نصبت « الذين كفروا » ، فلا يجوز أن تعمل ، وقد نصبت اسماً ، فى « أن » . ولكنى أظن أنّ من قرأ ذلك بالتاء فى « تحسبن » وفتح الألف من « أنما » ، إنما أراد تكرير تحسبن على « أنما » ، كأنه قصد إلى أنّ معنى الكلام : ولا تحسبن ، يا محمد أنت ، الذين كفروا ، لا تحسبن أنما نملى لهم خيرٌ لأنفسهم ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ﴾ [سورة محمد : ١٨] ، بتأويل : هل ينظرون إلا الساعة ، هل ينظرون إلا أن تأتيهم بغتة .[1] وذلك وإن كان وجهاً

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٤٨ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٠٨ ، ١٠٩ .

جائزاً فى العربية ، فوجه كلام العرب ما وصفنا قبل .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ، قراءة من قرأ : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالياء من «يحسبن» وبفتح الألف من « أنما » ، على معنى الحسبان للذين كفروا دون غيرهم ، ثم يعمل فى « أنما » نصباً لأن « يحسبن » حينئذ لم يشغل بشىء عمل فيه ، وهى تطلب منصوبين .

وإنما اخترنا ذلك لإجماع القرأة على فتح « الألف » من « أنما » ، الأولى ، فدل ذلك على أن القراءة الصحيحة فى « يحسبن » بالياء لما وصفنا .

وأما ألف « إنما » الثانية ، فالكسر على الابتداء، بإجماع من القرأة عليه .

* * *

وتأويل قوله : « إنما نُملى لهم ليزدادوا إثماً » ، إنما نؤخر آجالهم فنطيلها ليزدادوا إثماً ، يقول : ليكتسبوا المعاصى فتزداد آثامهم وتكثر= « ولهم عذاب مهين » ، يقول : ولهؤلاء الذين كفروا بالله ورسوله فى الآخرة عقوبة لهم مهينة مذلة .(١)

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك جاء الأثر .

٨٢٦٧ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان، عن الأعمش ، عن خيثمة ، عن الأسود قال ، قال عبد الله : ما من نفس برة ولا فاجرة إلا والموتُ خير لها . وقرأ : « ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خيرٌ لأنفسهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثماً » ، وقرأ : ﴿ نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴾ [سورة آل عمران : ١٩٨] .(٢)

* * *

---

(١) انظر تفسير « مهين » فيما سلف ٢ : ٣٤٧ ، ٣٤٨

(٢) الحديث : ٨٢٦٧ — عبد الرحمن : هو ابن مهدى . وسفيان : هو الثورى .
خيثمة : هو ابن عبد الرحمن بن أبى سبرة الجعفى . وهو تابعى ثقة ، أخرج له الجماعة كلهم .
الأسود : هو ابن يزيد النخعى .
وهذا الحديث ، وإن كان موقوفاً لفظاً ، فإنه — عندنا — مرفوع حكماً ، لأنه مما لا يدرك بالرأى .

القول فى تأويل قوله ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « ما كان الله ليذر المؤمنين » ، ما كان الله ليدع المؤمنين [1] = « على ما أنتم عليه » من التباس المؤمن منكم بالمنافق، فلا يعرف هذا من هذا = « حتى يميز الخبيث من الطيب » ، يعنى بذلك : « حتى يميز الخبيث » وهو المنافق المستسرُّ للكفر [2] = « من الطيب » ، وهو المؤمن المخلص الصادق الإيمان . [3] بالمحن والاختبار ، كما ميَّز بينهم يوم أحد عند لقاء العدوّ عند خروجهم إليهم .

* * *

واختلف أهل التأويل فى « الخبيث » الذى عنى الله بهذه الآية .

فقال بعضهم فيه ، مثل قولنا .

* ذكر من قال ذلك :

٨٢٦٨ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنى أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « ما كان الله ليذر المؤمنين على

وسيأتى مرة أخرى : ٨٣٧٤ ، من طريق عبد الرزاق ، عن الثورى ، بهذا الإسناد .

ورواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٢٩٨ ، من رواية جرير ، عن الأعمش ، به . وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبى .

وذكره ابن كثير ٢ : ٣٢٨ ، من رواية ابن أبى حاتم ، من طريق أبى معاوية ، عن الأعمش ، به ، نحوه . ثم قال : « وكذا رواه عبد الرزاق ، عن الثورى ، عن الأعمش ، به » .

وذكره السيوطى ٢ : ١٠٤ ، وزاد نسبته لابن أبى شيبة ، وعبد بن حميد ، وأبى بكر المروزى فى الجنائز ، وابن المنذر ، والطبرانى .

وسيأتى نحو معناه ، من حديث أبى الدرداء : ٨٣٧٥ .

(١) انظر تفسير « يذر » فيما سلف ٦ : ٢٢ .

(٢) انظر تفسير « الخبيث » فيما سلف ٥ : ٥٥٩ .

(٣) انظر تفسير « الطيب » فيما سلف ٣ : ٥/٣٠١ : ٥٥٥ ، ٦/٥٥٦ : ٣٦١

ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب » ، قال : ميز بينهم يوم أحد ، المنافقَ من المؤمن .

٨٢٦٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب » ، قال : ابن جريج ، يقول : ليبين الصادق بإيمانه من الكاذب = قال ابن جريج ، قال مجاهد : يوم أحد ، ميز بعضهم عن بعض ، المنافق عن المؤمن .

٨٢٧٠ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب » ، أي : المنافقين.[1]

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : حتى يميز المؤمن من الكافر بالهجرة والجهاد . ٤/د

* ذكر من قال ذلك :

٨٢٧١ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه » ، يعني الكفار . يقول : لم يكن الله ليدع المؤمنين على ما أنتم عليه من الضلالة : « حتى يميز الخبيث من الطيب » ، يميز بينهم في الجهاد والهجرة .

٨٢٧٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « حتى يميز الخبيث من الطيب » ، قال : حتى يميز الفاجر من المؤمن .

٨٢٧٣ – حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي ، « ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من

---

(١) الأثر : ٨٢٧٠ – سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٨ ، وهو جزء من الأثر السالف رقم : ٨٢٦٥ ، وتتمة الآثار التي قبله من تفسير ابن إسحق. وكان في المطبوعة هنا « المنافق » ، والصواب من المخطوطة ، والأثر السالف ، وسيرة ابن هشام .

الطيب » ، قالوا : «إن كان محمدٌ صادقاً، فليخبرنا بمن يؤمن بالله ومن يكفر» ! ! فأنزل الله : « ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب » ، حتى يخرج المؤمن من الكافر .

* * *

قال أبو جعفر : والتأويل الأول أولى بتأويل الآية، لأن الآيات قبلها فى ذكر المنافقين ، وهذه فى سياقتها . فكونها بأن تكون فيهم ، أشبه منها بأن تكون فى غيرهم.

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم بما : —

٨٢٧٤ — حدثنا به محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وما كان الله ليطلعكم على الغيب » ، وما كان الله ليطلع محمداً على الغيب ، ولكن الله اجتباه فجعله رسولا .

* * *

وقال آخرون بما : —

٨٢٧٥ — حدثنا به ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وما كان الله ليطلعكم على الغيب » ، أى : فيما يريد أن يبتليكم به، لتحذروا ما يدخل

عليكم فيه= « ولكنّ الله يجتبي من رسله من يشاء » ، يعلمه .[١]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بتأويله : وما كان الله ليطلعكم على ضمائر قلوب عباده فتعرفوا المؤمنين منهم من المنافق والكافر ، ولكنه يميز بينهم بالمحن والابتلاء= كما ميز بينهم بالبأساء يوم أحد= وجهاد عدوه ، وما أشبه ذلك من صنوف المحن ، حتى تعرفوا مؤمنهم وكافرهم ومنافقهم . غير أنه تعالى ذكره يجتبي من رسله من يشاء فيصطفيه ، فيطلعه على بعض ما فى ضمائر بعضهم ، بوحيه ذلك إليه ورسالته ، كما : —

٨٢٧٦ — حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء » ، قال : يخلصهم لنفسه .

* * *

وإنما قلنا هذا التأويل أولى بتأويل الآية ، لأنّ ابتداءها خبرٌ من الله تعالى ذكره أنه غير تارك عباده[٢] — يعني بغير محن — حتى يفرق بالابتلاء بين مؤمنهم وكافرهم وأهل نفاقهم . ثم عقب ذلك بقوله : « وما كان الله ليطلعكم على الغيب » . فكان فيما افتتح به من صفة إظهار الله نفاق المنافق وكفر الكافر ، دلالةٌ واضحةٌ على أن الذى ولى ذلك هو الخبر عن أنه لم يكن ليطلعهم على ما يخفى عنهم من باطن سرائرهم ، إلا بالذى ذكر أنه مميِّزٌ به نعتَهم ، إلاّ من استثناه من رسله الذى خصه بعلمه .

* * *

---

(١) الأثر : ٨٢٧٥ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٨ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨٢٧٠ ، وكان فى المطبوعة : « يعلمه » بالباء فى أوله ، والصواب من سيرة ابن هشام ، ونصه : « أى : يعلمه ذلك » ، أما المخطوطة ، فالكلمة فيها غير منقوطة .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة « وابتداؤها خبر من الله » ، وهو سياق لا يستقيم ، والظاهر أن ناسخ المخطوطة لما نسخ ، أشكل على بصره ، «الآية » ثم « لأن » بعقبها . فأسقط « لأن » ، وكتب « وابتداؤها » ، ورسم الكلمة فى المخطوطة « وابتداها » ، فلذلك رجحت ما أثبته ، وإن كان ضبط السياق وحده كافياً فى الترجيح .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٧٩)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله :[١] « وإن تؤمنوا » ، وإن تصدّقوا من اجتبيته من رُسلى بعلمى وأطلعته على المنافقين منكم = « وتتقوا » ربكم بطاعته فيما أمركم به نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم وفيما نهاكم عنه = «فلكم أجر عظيم» ، يقول : فلكم بذلك من إيمانكم واتقائكم ربكم ، ثوابٌ عظيم ، كما : —

٨٢٧٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « فآمنوا بالله ورسله وإن تؤمنوا وتتقوا » ، أى : ترجعوا وتتوبوا = « فلكم أجر عظيم ».[٢]

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ﴾

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة ذلك :

فقرأه جماعة من أهل الحجاز والعراق : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ ﴾ بالتاء من « تحسبن » .

* * *

وقرأته جماعة أخر : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ﴾ بالياء .[٣]

* * *

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « يعنى بذلك جل ثناؤه بقوله» ، وإقحام « بذلك » مفسدة وهجنة فى الكلام ، فأسقطتها ، وهى سبق قلم من الناسخ .

(٢) الأثر : ٨٢٧٧ — سيرة ابن هشام ٣ : ١٢٨ ، وهو تتمة الآثار التى آخرها : ٨٢٧٥ .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة فى ذكر هاتين القراءتين ، كتب القراءة الأولى « ولا يحسبن » بالياء ،

ثم اختلف أهل العربية فى تأويل ذلك .

فقال بعض نحويى الكوفة :[١] معنى ذلك : لا يحسبن الباخلون البخلَ هو خيراً لهم = فاكتفى بذكر « يبخلون » من « البخل » ، كما تقول : « قدم فلان فسررت به » ، وأنت تريد : فسررت بقدومه . و« هو » ، عمادٌ .[٢] ٤/١٢٦

* * *

وقال بعض نحويى أهل البصرة : إنما أراد بقوله : « ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم »[٣] = « لا يحسبن البخل هو خيراً لهم » ،[٤] فألقى الاسم الذى أوقع عليه « الحسبان » به ، هو البخل ، لأنه قد ذكر « الحسبان » وذكر « ما آتاهم الله من فضله » ، فأضمرهما إذ ذكرهما .[٥]

والقراءة الثانية « ولا تحسبن » بالتاء . وهو خطأ بين جداً ، لأنه عقب على هذه القراءة الأخيرة بقوله : « ثم اختلف أهل العربية فى تأويل ذلك » ، واختلافهم كما ترى فى قراءة « الياء » لا « التاء » ، فمن أجل ذلك صححت مكان القراءتين ، كما أثبتها ، وهو الصواب المحض إن شاء الله .

(١) هو الفراء .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ١٠٤ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، وهو نص كلامه ، و « العماد » عند الكوفيين ، هو ضمير الفصل عند البصريين ، ويسمى أيضاً « دعامة » و « صفة » ، انظر ما سلف ٢ : ٣١٢ ، تعليق ٢ / ثم ص ٣١٣ / ثم ص : ٣٧٤ .

(٣) فى المطبوعة : « ولا تحسبن » بالتاء ، والصواب بالياء كما أثبتها . وانظر التعليق السالف . وهى فى المخطوطة غير منقوطة .

(٤) وكان فى المطبوعة أيضاً : « ولا تحسبن البخل » ، بالتاء ، والصواب بالياء ، وانظر التعليق السالف .

(٥) هكذا جاءت هذه الجملة من أولها ، وهى مضطربة أشد الاضطراب ، وكان فى المطبوعة : « به وهو البخل » بزياد واو ، ولكنى أثبت ما فى المخطوطة كما هو على اضطراب الكلام . وقد جهدت أن أجد إشارة فى كتب التفسير وإعراب القرآن ، إلى هذا الذى قاله البصرى فيما رواه أبو جعفر ، فلم أجد شيئاً ، وأرجح أن الناسخ قد أسقط من الكلام سطراً أو بعضه ، وأرجح أن سياق الجملة من أولها ، كان هكذا :

« وقال بعض نحويِّى أهل البصرة : إنّما أراد بقوله : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الذين يبخَلُونَ بما آتاهُمُ الله من فَضْله هو خيراً لهم بل هو شَرٌّ لهم ﴾ = : ولا يحسبَنَّ الذين يبخلونَ بما آتاهم الله من فضله ، لا يَحْسَبُنَّ البُخْلَ هو خيراً لهم = فألقى « الحسبان » الثانى ،

قال : وقد جاء من الحذف ما هو أشد من هذا ، قال : ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنْكُمْ مَنْ أَنفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ وَقَاتَلَ ﴾ ولم يقل : « ومن أنفق من بعد الفتح » ، لأنه لما قال : ﴿ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ ﴾ [سورة الحديد : ١٠] ، كان فيه دليل على أنه قد عناهم .

* * *

وقال بعض من أنكر قول من ذكرنا قوله من أهل البصرة : إنّ « مَنْ » فى قوله : ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُمْ مَنْ أَنفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ ﴾ فى معنى جمع . ومعنى الكلام : لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح فى منازلهم وحالاتهم ، فكيف من أنفق من بعد الفتح ؟ فالأول مكتفٍ . وقال : فى قوله : « لا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم » محذوف ، غير أنه لم يُحذف إلاّ وفى الكلام ما قام مقام المحذوف ، لأن « هو » عائد البخل ، و « خيراً لهم » عائد الأسماء ، فقد دل هذان العائدان على أن قبلهما اسمين ، واكتفى بقوله : « يبخلون » من « البخل » .

قال : وهذا إذا قرئ بـ « التاء » ، فـ « البخل » قبل « الذين » ، وإذا قرئ بـ « الياء » ، فـ « البخل » بعد « الذين » ، وقد اكتفى بـ « الذين يبخلون » ، من البخل ، كما قال الشاعر : (١)

وألقى الاسمَ الذى أوقعَ عليه « الحسبان » . وما وقع « الحسبان » به هو البخل = لأنه قد ذكر « الحسبان » ، وذكر « ما آتاهم الله من فضله » ، فأضمرهما إذ ذكرهما » .

ويكون القائل هذا من أهل البصرة ، قد عنى أن هذه الآية شبيهة بأختها الآتية فى سورة آل عمران : ١٨٨ ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ العَذَابِ ﴾

إذ كرر « لا تحسبن » تأكيداً لما طال الكلام ، وهو صحيح كلام العرب وصريحه . فكذلك هو فى هذه الآية ، على ما أرجح أن البصرى قال ، كرر « الحسبان » ، ولكنه حذف « الحسبان » الذى كرره ، وأبقى الأول الذى ألجأ إلى التكرار والتوكيد .

ويعنى بقوله : « أضمرهما » ، « الحسبان » الثانى فى تأويله ، و « البخل » ، ولم أجد وجهاً يستقيم به الكلام غير هذا الوجه ، فإن أصبت فبحمد الله وتوفيقه ، وإن أخطأت ، فأسأل الله المغفرة بفضله .

(١) لم يعرف قائله .

إِذَا نُهِيَ السَّفِيهُ جَرَى إِلَيْهِ وَخَالَفَ ، وَالسَّفِيهُ إِلَى خِلَافِ (١)

كأنه قال : جرى إلى السفه ، فاكتفى عن « السفه » بـ «السفيه» ، كذلك اكتفى بـ « الذين يبخلون » ، من « البخل » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك عندى ، قراءة من قرأ : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ بالتاء ، بتأويل : ولا تحسبن ، أنت يا محمد ، بخل الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم = ثم ترك ذكر « البخل » ، إذ كان فى قوله : « هو خيراً لهم » دلالة على أنه مراد فى الكلام ، إذ كان قد تقدمه قوله : « الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله » .

وإنما قلنا : قراءة ذلك بالتاء أولى بالصواب من قراءته بالياء ، لأن « المحسبة » من شأنها طلب اسم وخبر ، فإذا قرئ قوله : « ولا يحسبن الذين يبخلون » بالياء : لم يكن للمحسبة اسم يكون قوله : « هو خيراً لهم » خبراً عنه . وإذا قرئ ذلك بالتاء ، كان قوله : « الذين يبخلون » اسماً له قد أدّى عن معنى « البخل » الذى هو اسم المحسبة المتروك ، وكان قوله : « هو خيراً لهم » خبراً لها ، فكان جارياً مجرى المعروف من كلام العرب الفصيح . فلذلك اخترنا القراءة بـ « التاء » فى ذلك على ما بيناه ، وإن كانت القراءة بـ « الياء » غير خطأ ، ولكنه ليس بالأفصح ولا الأشهر من كلام العرب .

* * *

قال أبو جعفر : وأما تأويل الآية الذى هو تأويلها على ما اخترنا من القراءة فى ذلك : ولا تحسبن ، يا محمد ، بخل الذين يبخلون بما أعطاهم الله فى الدنيا من الأموال ، فلا يخرجون منه حق الله الذى فرضه عليهم فيه من الزكوات ، هو خيراً

---

(١) معانى القرآن للفراء ١ : ١٠٤ ، ٢٤٩ ، أمالى الشجرى ١ : ٦٨ ، ١١٣ ، ٢/٣٠٥ : ١٣٢ ، ٢٠٩ ، والإنصاف : ٦٣ ، والخزانة ٢ : ٣٨٣ ، وسائر كتب النحاة .

لهم عند الله يوم القيامة ، بل هو شر لهم عنده فى الآخرة ، كما : —

٨٢٧٨ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم » ، هم الذين آتاهم الله من فضله ، فبخلوا أن ينفقوها فى سبيل الله ، ولم يؤدُّوا زكاتها .

* * *

وقال آخرون : بل عنى بذلك اليهود الذين بخلوا أن يبينوا للناس ما أنزل الله فى التوراة من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ونعته .

* ذكر من قال ذلك :

٨٢٧٩ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله » إلى « سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » ، يعنى بذلك أهل الكتاب ، أنهم بخلوا بالكتاب أن يبينوه للناس . ٤/١٢٧

٨٢٨٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله » ، قال : هم يهود ، إلى قوله : ﴿ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ [سورة آل عمران : ١٨٤] . (١)

* * *

وأولى التأويلين بتأويل هذه الآية ، التأويل الأوّل ، وهو أنه معنى بـ « البخل » فى هذا الموضع ، منع الزكاة ، لتظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تأوّل قوله : ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ ، قال : البخيل الذى منع حق الله منه ، أنه يصير ثعباناً فى عنقه = ولقول الله عقيب هذه الآية ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ ، فوصف جل ثناؤه قول المشركين من

---

(١) تركت الآية فى هذه الآثار على قراءة أبى جعفر « ولا تحسبن » بالتاء ، وقراءة مصحفنا اليوم « ولا يحسبن » بالياء .

اليهود الذين زعموا عند أمر الله إياهم بالزكاة ، أن الله فقيرٌ .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « سيطوَّقون » ، سيجعل الله ما بخل به المانعون الزكاةَ ، طوقاً فى أعناقهم كهيئة الأطواق المعروفة ، كالذى : —

٨٢٨١ — حدثنى الحسن بن قزعة قال ، حدثنا مسلمة بن علقمة قال ، حدثنا داود ، عن أبى قزعة ، عن أبى مالك العبدى قال : ما من عبد يأتيه ذُو رَحِمٍ له ، يسأله من فضلٍ عنده فيبخل عليه ، إلاّ أخرِج له الذى بَخِل به عليه شجاعاً أقْرَع .(١) قال : وقرأ « ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوَّقون ما بخلوا به يوم القيامة » إلى آخر الآية .(٢)

---

(١) « الشجاع » : الحية الذكر ، وهو ضرب من الحيات خبيث مارد . و « أقرع » صفة من صفات الحيات الخبيثة ، يزعمون أنه إذا طال عمر الحية ، وكثر سمه ، جمعه فى رأسه حتى تتمعط منه فروة رأسه .

(٢) الحديث : ٨٢٨١ — الحسن بن قزعة بن عبيد الهاشمى ، شيخ الطبرى : ثقة . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ١ / ٢ / ٣٤ .

و « قزعة » : بفتح القاف والزاى ، وقيل : بسكون الزاى . انظر المشتبه ، ص ٤٢٥ . واقتصر الحافظ فى تحريره على الفتح .

مسلمة — بفتح الميم — بن علقمة المازنى : ثقة ، وثقه ابن معين وغيره . وضعفه أحمد . وهو مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ٤ / ١ / ٣٨٨ ، وابن أبى حاتم ٤ / ١ / ٣٦٧ — ٣٦٨ . ولم يذكر فيه البخارى جرحاً . فهو ثقة عنده .

داود : هو ابن أبى هند .

أبو قزعة : هو سويد بن حجير — بالتصغير فيهما — بن بيان ، الباهلى البصرى . وهو تابعى ثقة ، وثقه أحمد ، وابن المدينى ، وغيرهما . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢ / ٢ / ١٤٨ ، وابن أبى حاتم ٢ / ١ / ٢٣٥ — ٢٣٦ .

وسماه الحافظ فى الإصابة ١ : ٣٣١ ، فى ترجمة أبيه ، فذكر أنه « ذهلى » ، والمصادر كلها على أنه « باهلى » .

وسأتى فى : ٨٢٨٣ « عن أبى قزعة حجر بن بيان » ؛ وهو خطأ صرف ؛ كما سنبينه هناك ، إن شاء الله .

أبو مالك العبدى : لا ندرى من هو ؟ ولا ندرى : أهو صحابى أم تابعى ؟ فما علمت أحداً ترجمه ،

٨٢٨٢ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا داود ، عن أبي قزعة ، عن رجل ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما من ذى رحم يأتى ذا رحمه فيسأله من فضل جعله الله عنده ، فيبخل به عليه ، إلاّ أخرج له من جهنم شُجاع يتلمَّظ حتى يطوِّقه .(١)

٨٢٨٣ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا أبو معاوية محمد بن خازم قال ، حدثنا داود ، عن أبي قزعة حجر بن بيان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من ذى رحم يأتى ذا رحمه فيسأله من فضل أعطاه الله إياه ، فيبخل به عليه ، إلاّ أخرج له يوم القيامة شجاع من النار يتلمظ حتى يطوِّقه . ثم قرأ « ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله » حتى انتهى إلى قوله : « سيطوَّقون ما بخلوا به يوم القيامة » .(٢)

إلا الحافظ فى الإصابة ٧ : ١٦٩ ، بنى ترجمته على هذا الحديث عند الطبرى وحده :

فأشار إلى هذه الرواية ، وإلى الرواية التالية «عن أبي قزعة ، عن رجل » ، وذكر أن الثعلبي رواها : « عن رجل من قيس » . وإلى الرواية الثالثة : «عن أبي قزعة ، مرسلا » . ثم قال : « وأبو قزعة : تابعى بصرى مشهور ، لكنه كان يرسل عن الصحابة . فهو على الاحتمال » .

يعنى الحافظ : أنه من المحتمل أن يكون « أبو مالك العبدى » هذا صحابياً ، لأن أبا قزعة يروى عن الصحابة ويرسل الرواية عنهم ! وما بمثل هذا تثبت الصحبة ، ولا بمثله يثبت وجود الشخص والصفة معاً ! ! خصوصاً وأنه فى الرواية التالية « عن رجل » – لم يزعم أنه من الصحابة ، ولم يقل ما يشير لذلك .

فلا يزال – بعد هذا – الحديث ضعيفاً ، لأنه لم يعرف أن راويه عن رسول الله صحابى .

وقد أشار ابن كثير ٢ : ٣٠٧ إلى هذه الروايات الثلاث عند الطبرى ، ولم ينسبها لغيره .

ولا نعلم أحداً رواها غير الطبرى ، إلا إشارة الحافظ فى الإصابة لرواية الثعلبى .

(١) الحديث : ٨٢٨٢ – عبد الأعلى : هو ابن عبد الأعلى ، القرشى السامى ، من بنى « سامة ابن لؤى » . وهو ثقة ، أخرج له الجماعة كلهم .

والحديث مكرر ما قبله .

« تلمظت الحية » ، إذا أخرجت لسانها كتلمظ الآكل ، وهو تحريك اللسان فى الفم ، والتمطق بالشفتين .

(٢) الحديث : ٨٢٨٣ – هكذا ثبت فى المخطوطة والمطبوعة : « عن أبي قزعة حجر بن بيان » ؛ وهو خطأ من وجهين :

فأولا « حجر » ، صوابه « حجير » بالتصغير ، وقد وقع هذا الخطأ فى الإصابة أيضاً ، فى

٨٢٨٤ – حدثني زياد بن عبيد الله المرّي قال ، حدثنا مروان بن معاوية = وحدثني عبد الله بن عبد الله الكلابي قال ، حدثنا عبد الله بن بكر السهمي = وحدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا عبد الواحد بن واصل أبو عبيدة الحداد ، واللفظ ليعقوب = جميعاً ، عن بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة ، عن أبيه ، عن جده قال : سمعت نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يأتي رجل مولاه فيسأله من فضل مال عنده ، فيمنعه إياه ، إلا دُعِيَ له يوم القيامة شجاعٌ يتلمَّظ فضله الذي منع .(١)

ترجمة « أبي مالك العبدي » : « عن أبي قزعة سويد بن حجر » . وهو خطأ ناسخ أو طابع ، لاشك في ذلك لأن الحافظ ترجم لأبي قزعة في التهذيب وغيره على الصواب « سويد بن حجير » .

وثانياً : سقط هنا بين الكنية والاسم كلمة « بن » . لأن « حجير بن بيان » – هو والد أبي قزعة ، وليس اسمه .

وأبوه « حجير بن بيان » : مذكور في الصحابة . مترجم في الاستيعاب ، رقم : ٥٤٣ ، وأسد الغابة ١ : ٣٨٧ ؛ والإصابة ١ : ٣٣٠ – ٣٣١ ، وابن أبي حاتم ١/٢/٢٩٠ . وهو عندهم جميعاً بالتصغير نصاً .

وسها الحافظ ابن كثير ، ولم يراجع المصادر ! فاغتر بهذه الرواية المغلوطة من وجهين – فذكر في هذه الروايات : « عن أبي قزعة ، واسمه حجر بن بيان » ! ! فزاد على الخطأ الذي في أصول الطبري بحذف « بن » – فصرح بأن هذا اسم أبي قزعة ! وما كان ذلك في رواية ولا قول قط .

والسيوطي تبع الحافظ ابن كثير ، ثم زاد خطأ على خطأ ، فذكر الحديث ٢ : ١٠٥ ، ونسبه لابن أبي شيبة في مسنده ، وابن جرير « عن حجر بن بيان » ! !

(٦) الحديث : ٨٢٨٤ – هذا الحديث رواه الطبري عن ثلاثة شيوخ : زياد بن عبيد الله المري ، وعبد الله بن عبد الله الكلابي – وهذان لم أعرفهما ، ولم أجد لواحد منهما ترجمة ولا ذكراً في غير هذا الموضع. ثم إن في المطبوعة بدل « عبد الله بن عبد الله الكلابي » : « محمد بن عبد الله » ! وهو أشد جهالة من ذاك .

وفي لسان الميزان ٢ : ٤٩٥ ، ترجمة : « زياد بن عبد الله بن خزاعي ، عن مروان بن معاوية . قال ابن حبان في الثقات : حدثنا عنه شيوخنا ، ربما أغرب » .

فمن المحتمل أن يكون هذا الشيخ هو شيخ الطبري « زياد بن عبيد الله الكلابي » ، وأن يكون « عبيد الله » محرفاً في طبعة اللسان إلى « عبد الله » .

والشيخ الثالث : يعقوب بن إبرهيم ، وهو الدورقي الحافظ ، مضى مراراً ، آخرها : ٣٧٢٦ .

وأسانيده صحاح ، على الرغم من جهالة شيخي الطبري الأولين ، اكتفاء برواية الحافظ الدورقي . ولأن الحديث ثابت عن شيوخ آخرين عن بهز بن حكيم ، كما سنذكر في التخريج ، إن شاء الله .

وقد بينا فيما مضى رقم : ٨٧٣ صحة إسناد بهز بن حكيم عن أبيه عن جده .

٨٢٨٥ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحق ، عن أبي وائل ، عن عبد الله بن مسعود : « سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » ، قال : ثعبان ينقر رأس أحدهم ، يقول : أنا مالك الذى بخلت به ! (١)

٨٢٨٦ – حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحق قال : سمعت أبا وائل يحدّث : أنه سمع عبد الله قال فى هذه الآية : « سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » ، قال : شجاع يلتوى برأس أحدهم.

٨٢٨٧ – حدثني ابن المثنى قال ، حدثنا ابن أبي عدى ، عن شعبة قال ، حدثنا خلاد بن أسلم قال ، أخبرنا النضر بن شميل قال ، أخبرنا شعبة ، عن أبي إسحق ، عن أبي وائل ، عن عبد الله بمثله – إلا أنهما قالا : قال : شجاع أسود .

٨٢٨٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ،

والحديث رواه أحمد فى المسند ، عن عبد الرزاق عن معمر ، وعن يزيد – وهو ابن هرون ، وعن يحيى بن سعيد : ثلاثتهم عن بهز بن حكيم ، بهذا الإسناد .

ورواه النسائى ١ : ٣٥٨ ، عن محمد بن عبد الأعلى ، عن معتمر ، عن بهز .

ومن عجب أنه – وهو فى المسند وسنن النسائى – لا ينسبه الحافظ ابن كثير ٢ : ٣٠٧ ، إلا لابن جرير وابن مردويه !

وذكره السيوطى ٢ : ١٠٥ ، وزاد نسبته لأبي داود ، والترمذى وحسنه ، والبيهقى فى الشعب .

وذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب ٢ : ٣٣ ، ونسبه لأبي داود ، والترمذى ، والنسائى .

(١) الحديث : ٨٢٨٥ – عبد الرحمن : هو ابن مهدى . وسفيان : هو الثورى . وأبو إسحق : هو السبيعى .

وهذا الحديث لفظه هنا موقوف على ابن مسعود . وهو فى معناه مرفوع . وهو أيضاً مختصر اللفظ .

وقد رواه الطبرى هكذا ، مختصراً موقوفاً ، بأسانيد : ٨٢٨٥ – ٨٢٨٨ ، ٨٢٩٢ . ثم رواه أثناء ذلك : ٨٢٨٩ ، مرفوعاً بلفظ أطول .

ورواه أيضاً الحاكم فى المستدرك ٢ : ٢٩٨ – ٢٩٩ ، من طريق أبي بكر بن عياش ، عن أبي إسحق ، ومن طريق الثورى ، عن أبي إسحق – موقوفاً ، بنحوه . وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبى .

وقد تساهل الحافظ ابن كثير ٢ : ٣٠٦ فأشار إلى رواية الحاكم هذه ، عقب رواية الحديث المرفوع من مسند أحمد – بصيغة توهم أن رواية الحاكم مثل رواية المسند مرفوعة .

ثم زاد القارئ لبساً ، إذ قال عقب ذلك : « ورواه ابن جرير من غير وجه عن ابن مسعود – موقوفاً » ! فهذا السياق عقب ذكر رواية الحاكم ، يوقع فى وهم الناظر أنها مرفوعة ! ! وليست كذلك .

عن أبي إسحق ، عن أبي وائل ، عن ابن مسعود قال : يجيء ماله يوم القيامة ثعباناً فينقر رأسه فيقول : أنا مالك الذى بخلت به ! فينطوى على عنقه :

٨٢٨٩ – حدثت عن سفيان بن عيينة قال ، حدثنا جامع بن أبي راشد وعبد الملك ابن أعين ، عن أبي وائل ، عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من أحد لا يؤدى زكاة ماله ، إلا مثّل له شجاع أقرع يطوقه. (١) ثم قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم » ، الآية . (٢) ٤/١٢٨

---

(١) « مثل له » : انتصب له ماثلا ، قائماً .

(٢) الحديث : ٨٢٨٩ – هكذا أبهم الطبرى شيخه فى هذا الإسناد . ولكن الحديث ثابت برواية الثقات عن ابن عيينة ، كما سنذكر فى التخريج ، إن شاء الله .

جامع بن أبي راشد الكاهلى الصيرفى : ثقة ، وثقه أحمد وغيره ، وأخرج له الجماعة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/٢/٢٤٠ ، وابن أبي حاتم ١/١/٥٣٠ .

ووقع هنا فى نسخ الطبرى : « جامع بن شداد » . وهو خطأ ، فليس لجامع بن شداد فى هذا الحديث رواية ، فيما أعلم – كما يتبين من التخريج .

ثم إن جامع بن شداد قديم الوفاة ، لم يدركه ابن عيينة ولا روى عنه . لأنه ولد سنة ١٠٧ ، وابن شداد مات سنة ١٠٧ وقيل سنة ١٠٨ . وأما ما وقع فى ترجمته فى التهذيب ٢ : ٥٦ ، فى الأقوال فى سنى وفاته ، بين : ١٢٨ ، ١١٨ ، ١٢٧ ، فإنه غلط ، بعضه من الحافظ المزى فى التهذيب الكبير ، وبعضه من نسخ تهذيب التهذيب . وقد ثبتت هذه الأرقام على الصواب بالكتابة بالحروف فى الكبير للبخارى ١/٢/٢٣٩ – ٢٤٠ ، والصغير ، ص : ١٣٢ ؛ وابن سعد ٦ : ٢٢٢ ، ٢٢٦ .

عبد الملك بن أعين الكوفى : تابعى ثقة . وقد تكلم فيه بأنه شيعى ، ولكن لم يدفعه أحد عن الصدق . وأخرج له أصحاب الكتب الستة . مترجم فى التهذيب ، وابن أبي حاتم ٢/٢/٣٤٣ . وذكره البخارى فى الضعفاء ، ص : ٢٢٢ ، فقال : « عبد الملك بن أعين ، وكان شيعياً . روى عنه ابن عيينة وإسمعيل ابن سميع . يحتمل فى الحديث » . فلم يجرحه فى صدقه وروايته ، ولذلك أدخله فى صحيحه .

والحديث رواه أحمد فى المسند : ٣٥٧٧ ، عن سفيان ، وهو ابن عيينة ، عن جامع ، وهو ابن أبي راشد ، عن أبي وائل ، به ، نحوه ، مرفوعاً .

وكذلك رواه الترمذى ٤ : ٨٥ ، وابن ماجة : ١٧٨٤ ، كلاهما عن ابن أبي عمر . والنسائى ١ : ٣٣٣ – ٣٣٤ ، عن مجاهد بن موسى – كلاهما عن سفيان بن عيينة ، به . ولكن زاد الترمذى وابن ماجة فى روايتهما : أنه عن جامع بن أبي راشد وعبد الملك بن أعين – كرواية الطبرى هنا. وقال الترمذى : « هذا حديث حسن صحيح » .

وذكره ابن كثير ٢ : ٣٠٦ ، من رواية المسند ، ثم ذكر أنه رواه الترمذى ، والنسائى ، وابن ماجة وذكره السيوطى ٢ : ١٠٥ ، وزاد نسبته لعبد بن حميد ، وابن خزيمة ، وابن المنذر .

٨٢٩٠ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنى أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أمّا «سيطوقون ما بخلوا به » ، فإنه يُجعل ماله يوم القيامة شجاعاً أقرع يطوّقه ، فيأخذ بعنقه ، فيتبعه حتى يقذفه فى النار .

٨٢٩١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا خلف بن خليفة ، عن أبى هاشم ، عن أبى وائل قال : هو الرجل الذى يرزقه الله مالاً فيمنع قرابته الحق الذى جعل الله لهم فى ماله ، فيُجْعل حية فيطوّقها ، فيقول : مالى ولك ! فيقول : أنا مالك !

٨٢٩٢ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو غسان قال ، حدثنا إسرائيل ، عن حكيم بن جبير ، عن سالم بن أبى الجعد ، عن مسروق قال : سألت ابن مسعود عن قوله : « سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة » ، قال : يطوقون شجاعاً أقرع ينهش رأسه .(١)

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : « سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » ، فيجعل فى أعناقهم طوقاً من نار .

* ذكر من قال ذلك :

٨٢٩٣ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم : « سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » ، قال : طوقاً من النار .

---

(١) الحديث : ٨٢٩٢ – أبو غسان : هو مالك بن إسمعيل بن درهم النهدى الحافظ . مضت ترجمته فى : ٢٩٨٩ .

إسرائيل : هو ابن يونس بن أبى إسحق السبيعى .

حكيم بن جبير الأسدى : ضعيف ، بينا ضعفه فى شرح المسند : ٣٦٧٥ . وهو مترجم فى التهذيب والكبير للبخارى ٢/١/١٦ ، والصغير ، ص : ١٥٠ ، ١٥٢ ؛ والضعفاء له ص : ١٠ ، وللنسائى . ص : ٩ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٢٠١ – ٢٠٢ .

وهذا اللفظ موقوف على ابن مسعود . وضعف إسناده لا يضر ، فقد مضى موقوفاً بأسانيد صحاح : ٨٢٨٥ – ٨٢٨٨ ، ومرفوعاً : ٨٢٨٩ .

٨٢٩٤ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة، عن منصور، عن إبراهيم أنه قال فى هذه الآية: « سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة »، قال: طوقاً من نار.

٨٢٩٥ – حدثنا الحسن قال: أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا الثورى، عن منصور، عن إبراهيم فى قوله: « سيطوقون »، قال: طوقاً من نار.

٨٢٩٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم: « سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة »، قال: طوقاً من نار.(١)

* * *

وقال آخرون: معنى ذلك: سيحمل الذين كتموا نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم من أحبار اليهود، ما كتموا من ذلك.

* ذكر من قال ذلك:

٨٢٩٧ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال، حدثنى عمى قال، حدثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: « سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة »، ألم تسمع أنه قال: ﴿ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ﴾ [سورة النساء: ٣٧/ سورة الحديد: ٢٤]،(٢) يعنى أهل الكتاب، يقول: يكتمون، ويأمرون الناس بالكتمان.

* * *

وقال آخرون: معنى ذلك: سيكلّفون يوم القيامة أن يأتوا بما بخلوا به فى الدنيا من أموالهم.

* ذكر من قال ذلك:

٨٢٩٨ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد فى قوله: « سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة »، قال: سيكلّفون أن يأتوا بما بخلوا به، إلى قوله: « والكتاب المنير ».

---

(١) فى المطبوعة: «طوق»، وأثبت ما فى المخطوطة.

(٢) وإنما عنى آية سورة النساء، لأن تمامها « ويكتمون ما آتاهم الله من فضله ».

٨٢٩٩ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد « سيطوقون » ، سيكلفون أن يأتوا بمثل ما بخلوا بـه من أموالهم يوم القيامة .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بتأويل هذه الآية ، التأويل الذى قلناه فى ذلك فى مبدإ قوله : « سيطوقون ما بخلوا به » ، للأخبار التى ذكرنا فى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أحدَ أعلم بما عَنَى الله تبارك وتعالى بتنزيله ، منه عليه السلام .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (١٨٠)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : أنه الحى الذى لا يموت ، والباقى بعد فَناء جميع خلقه .

* * *

فإن قال قائل : فما معنى قوله : « له ميراث السموات والأرض » ، و« الميراث » المعروف ، هو ما انتقل من ملك مالك إلى وارثه بموته ، ولله الدنيا قبل فناء خلقه وبعده ؟

قيل : إن معنى ذلك ما وصفنا ، من وصفه نفسه بالبقاء ، وإعلام خلقه أنه كتِب عليهم الفناء . وذلك أنّ ملك المالك إنما يصير ميراثاً بعد وفاته ، فإنما قال جل ثناؤه : « ولله ميراث السموات والأرض » ، إعلاماً بذلك منه عبادَه أن أملاك جميع

خلقه منتقلة عنهم بموتهم ، وأنه لا أحد إلاّ وهو فانٍ سواه ، فإنه الذى إذا أهلك جميع خلقه فزالت أملاكهم عنهم ، لم يبق أحدٌ يكون له ما كانوا يملكونه غيره . ٤/١٣٩

وإنما معنى الآية : « لا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » ، بعد ما يهلكون وتزولُ عنهم أملاكهم، فى الحين الذى لا يملكون شيئاً ، وصار لله ميراثه وميراث غيره من خلقه .

ثم أخبر تعالى ذكره أنه بما يعمل هؤلاء الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضل وغيرهم من سائر خلقه، ذو خبرة وعلم ، محيط بذلك كله ، حتى يجازى كلاًّ منهم على قدر استحقاقه ، المحسنَ بالإحسان ، والمسيء على ما يرى تعالى ذكره .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾

قال أبو جعفر : ذكر أن هذه الآية وآيات بعدها نزلت فى بعض اليهود الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* ذكر الآثار بذلك :

٨٣٠٠ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنا محمد بن إسحق قال ، حدثنا محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت، عن عكرمة: أنه حدثه عن ابن عباس قال: دخل أبو بكر الصديق رضى الله عنه بيت المِدْراس، فوجد من يهودَ ناساً كثيراً قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له فِنحاص ، كان من علمائهم وأحبارهم ، ومعه حَبْرٌ يقال له أشْيع . فقال أبو بكر رضى الله عنه

لفنحاص : ويحك يافِنحاص، اتق الله وأسلِم ، فوالله إنك لتعلم أنّ محمداً رسول الله ، قد جاءكم بالحقّ من عند الله . تجدونه مكتوباً عندكم فى التوراة والإنجيل ! قال فنحاص : والله يا أبا بكر ، ما بنا إلى الله من فقر ، وإنه إلينا لفقير ! وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا ، وإنا عنه لأغنياء ، ولو كان عنا غنيًّا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم ! ينهاكم عن الربا ويعطيناه! ولو كان عنا غنيًّا ما أعطانا الربا ![1] فغضب أبو بكر فضرب وجه فنحاص ضربة شديدة ، وقال : والذى نفسى بيده ، لولا العهد الذى بيننا وبينك لضربت عُنقك يا عدو الله! فأكذِبونا ما استطعتم إن كنتم صادقين . فذهب فنحاص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، انظر ما صنع بى صاحبك! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : ما حملك على ما صنعت ؟ فقال : يا رسول الله ، إن عدو الله قال قولا عظيماً ، زعم أنّ الله فقير وأنهم عنه أغنياء ! فلما قال ذلك غضبت لله مما قال ، فضربتُ وجهه . فجحد ذلك فنحاص وقال : ما قلت ذلك! فأنزل الله تبارك وتعالى فيما قال فنحاص ، ردًّا عليه ، وتصديقاً لأبى بكر : « لقد سَمِع الله قول الذين قالوا إنّ الله فقيرٌ ونحن أغنياء سنكتبُ ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق » = وفى قول أبى بكر وما بلغه فى ذلك من الغضب : ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [سورة آل عمران : ١٨٦] .[2]

٨٣٠١ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد

---

(١) كان فى المخطوطة سقط بين ، فيها : « وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا ، وإنا عنه لأغنياء . ولو كان عنا غنياً ما أعطانا الربا . فغضب أبو بكر » ، واستدركت المطبوعة هذا السقط من الدر المنثور فيما أرجح (٢ : ١٠٥) ، فتركته كما هو ، لموافقته لما جاء فى تفسير ابن كثير ٢ : ٣٠٨ ، وإن خالف رواية ابن هشام فى سيرته ، فى بعض ألفاظ .

(٢) الأثران : ٨٣٠٠ ، ٨٣٠١ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ٧٦٩٥ ، مما روى الطبرى من سيرة ابن إسحق .

ابن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة مولى ابن عباس قال : دخل أبو بكر = فذكر نحوه ، غير أنه قال ، « وإنا عنه لأغنياء ، وما هو عنا بغنيٍّ ، ولو كان غنيًّا » ، ثم ذكر سائر الحديث نحوه. (١)

٨٣٠٢ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل ، قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « لقد سمع الله قول الذين قالوا إنّ الله فقير ونحن أغنياء » ، قالها فنحاص اليهوديّ من بنى مَرثد ، لقيه أبو بكر فكلمه فقال له : يا فنحاص ، اتق الله وآمن وصدّق ، وأقرض الله قرضاً حسناً ! فقال فنحاص : يا أبا بكر ، تزعم أن ربنا فقير يستقرِضنا أموالنا ! وما يستقرض إلاّ الفقير من الغنى ! إن كان ما تقول حقًّا ، فإن الله إذاً لفقير ! فأنزل الله عز وجل هذا ، فقال أبو بكر : فلولا هُدنة كانت بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين بنى مَرثد لقتلته .

٨٣٠٣ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : صك أبو بكر رجلا منهم = الذين قالوا : « إنّ الله فقير ونحن أغنياء » ، لم يستقرِضنا وهو غنى ؟! وهم يهود . ٤/١٣٠

٨٣٠٤ – حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح قال : « الذين قالوا إنّ الله فقير ونحن أغنياء »، لم يستقرضنا وهو غنى ؟ = قال شبل : بلغنى أنه فنحاص اليهودى ، وهو الذى قال : « إنّ الله ثالث ثلاثة » و « يدُ الله مغلولة ».

٨٣٠٥ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنى يحيى بن واضح قال ، حدثت عن عطاء ، عن الحسن قال : لما نزلت : ﴿ مَنْ ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضاً حَسَناً ﴾ [سورة البقرة : ٢٤٥/سورة الحديد: ١١] ، قالت اليهود : إنّ ربكم يستقرض منكم ! فأنزل الله : « لقد سمع الله قول الذين قالوا إنّ الله فقير ونحن أغنياء » .

---

(١) انظر خبر فنحاص أيضاً فى الأثر الآتى رقم : ٨٣١٦ .

٨٣٠٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن عمرو، عن عطاء، عن الحسن البصرى قال: لما نزلت: ﴿مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً﴾، قال: عجبت اليهود فقالت: إن الله فقير يستقرض! فنزلت: «لقد سمع الله قول الذين قالوا إنّ الله فقير ونحن أغنياء».

٨٣٠٧ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: «الذين قالوا إنّ الله فقير ونحن أغنياء»، ذكر لنا أنها نزلت فى حُيَىّ ابن أخطب، لما أنزل الله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً﴾ قال: يستقرضنا ربنا، إنما يستقرض الفقير الغنىّ!

٨٣٠٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة قال: لما نزلت: «من ذا الذى يقرضُ الله قرضاً حسناً»، قالت اليهود: إنما يستقرض الفقير من الغنى!! قال: فأنزل الله: «لقد سمع الله قول الذين قالوا إنّ الله فقيرٌ ونحن أغنياء».

٨٣٠٩ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، سمعت ابن زيد يقول فى قوله: «لقد سمع الله قول الذين قالوا إنّ الله فقير ونحن أغنياء»، قال: هؤلاء يهود.(١)

* * *

قال أبو جعفر: فتأويل الآية إذاً: لقد سمع الله قول الذين قالوا من اليهود: «إن الله فقير إلينا ونحن أغنياء عنه»، سنكتب ما قالوا من الإفك والفرية على ربهم، وقتلهم أنبياءهم بغير حق.

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله: «سنكتب ما قالوا وقتلهم».

فقرأ ذلك قرأة الحجاز وعامة قرأة العراق: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ بالنون،

---

(١) فى المطبوعة: «هؤلاء اليهود»، وأثبت ما فى المخطوطة.

« وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِياءَ بغير حقٍّ » بنصب « القتل » .

* * *

وقرأ ذلك بعض قرأة الكوفيين ﴿ سَيُكْتَبُ مَا قَالُوا وَقَتْلُهم الأَنبياء بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ بالياء من « سيكتب » وبضمها ، ورفع « القتل » ، على مذهب ما لم يسمّ فاعله ، اعتباراً بقراءة يذكر أنها من قراءة عبد الله فى قوله : « ونقول ذوقوا » ، يذكر أنها فى قراءة عبد الله : ﴿ ويُقَالُ ﴾ .(١)

فأغفل قارئ ذلك وجه الصواب فيما قصد إليه من تأويل القراءة التى تُنسب إلى عبد الله ، وخالف الحجة من قرأة الإسلام . وذلك أن الذى ينبغى لمن قرأ « سيكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء » على وجه ما لم يسم فاعله ، أن يقرأ : « ويقال » ، لأن قوله : « ونقول » عطف على قوله : « سنكتب » . فالصواب من القراءة أن يوفق بينهما فى المعنى بأن يقرآ جميعاً على مذهب ما لم يسم فاعله ، أو على مذهب ما يسمى فاعله . فأما أن يقرأ أحدهما على مذهب ما لم يسم فاعله ، والآخر على وجه ما قد سُمِّى فاعله ، من غير معنى ألجأه على ذلك ، فاختيار خارج عن الفصيح من كلام العرب .(٢)

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك عندنا : ﴿ سَنَكْتُبُ ﴾ بالنون ﴿ وقَتْلَهُمْ ﴾ بالنصب ، لقوله : ﴿ وَنَقُول ﴾ ولو كانت القراءة فى « سيكتب »

---

(١) هذا كلام الفراء بلا شك ، فى معانى القرآن ١ : ٢٤٩ ، ولكن وقع فى نسخ الفراء خرم لم يتنبه إليه مصححو المطبوعة ، تمامه مما ذكره الطبرى ورواه عنه كعادته . والنص الذى فى المطبوعة من معانى القرآن : « وقرئ : سيكتب ما قالوا ، قرأها حمزة اعتباراً ، لأنها فى مصحف عبد الله » ، وانقطع الكلام ، فظاهر أن فيه سقطاً ، وظاهر أن تمامه ما رواه الطبرى من قراءة عبد الله التى اعتبر بها حمزة فى قراءة « سيكتب » .

(٢) المعروف فى كلامهم « ألجأه إلى كذا » ، واستعمل الطبرى « ألجأه عليه » بمعنى حمله عليه ، على إرادة التضمين ، وهو كلام فصيح لا يعاب ، وهو من النوادر التى لم أجدها فى كتاب ، وإن كنت أذكر أنى قرأتها فى بعض كتب الشافعى رحمه الله ، وغاب اليوم عنى مكانها .

بالياء وضمها ، لقيل : « ويقال » على ما قد بيّنا .

* * *

فإن قال قائل : كيف قيل : « وقتلهم الأنبياء بغير حق » ، وقد ذكرت في الآثار التي رويتَ أن الذين عنوا بقوله : (١) « لقد سمع الله قول الذين قالوا إنّ الله فقيرٌ » ، بعض اليهود الذين كانوا على عهد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن من أولئك أحدٌ قتل نبياً من الأنبياء ، لأنهم لم يدركوا نبياً من أنبياء الله فيقتلوه ؟

قيل : إنّ معنى ذلك على غير الوجه الذى ذهبت إليه . وإنما قيل ذلك كذلك ، لأن الذين عنى الله تبارك وتعالى بهذه الآية ، كانوا راضين بما فعل أوائلهم من قتل من قتلوا من الأنبياء ، وكانوا منهم وعلى منهاجهم من استحلال ذلك واستجازته . فأضاف جلّ ثناؤه فعلَ ما فعله من كانوا على منهاجه وطريقته ، إلى جميعهم ، إذ كانوا أهل ملة واحدة ونحلة واحدة ، وبالرِّضى من جميعهم فعل ما فعل فاعلُ ذلك منهم ، على ما بينا من نظائره فيما مضى قبل . (٢) ٤/١٣١

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ ﴿١٨٢﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « ونقول » للقائلين بأن الله فقيرٌ ونحن أغنياء ، القاتلين أنبياء الله بغير حقّ يوم القيامه = « ذوقوا عذاب الحريق » ، يعنى بذلك : عذاب نار محرقة ملتهبة . (٣)

* * *

(١) فى المطبوعة : « وقد ذكرت الآثار التى رويت » ، أسقطت « فى » ، وهى ثابتة فى المخطوطة .

(٢) انظر ما سلف ٢ : ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ١٦٤ ، ١٦٥ وفهارس المباحث فى الجزء الثانى ص ٦١١ ، « إضافة أفعال الأسلاف إلى الأبناء . . . »

(٣) تفسير « الحريق » كما فسره أبو جعفر ، مما لا تكاد تظفر به فى كتب اللغة ، بل قالوا :

و« النار » اسم جامع للملتهبة منها وغير الملتهبة ، وإنما « الحريق » صفة لما يراد أنها محرقة ، كما قيل : « عذابٌ أليم » يعنى : مؤلم ، و « وجيع » ، يعنى : موجع .

* * *

وأما قوله : « ذلك بما قدمت أيديكم » ، أى : قولنا لهم يوم القيامة ، « ذوقوا عذاب الحريق » ، بما أسلفت أيديكم واكتسبتها أيام حياتكم فى الدنيا ،[1] وبأن الله عدْلٌ لا يجورُ فيعاقب عبداً له بغير استحقاق منه العقوبةَ ، ولكنه يجازى كل نفس بما كسبت ، ويوفّى كل عامل جزاء ما عمل ، فجازى الذين قال لهم [ذلك] يوم القيامة [2] = من اليهود الذين وصف صفتهم ، فأخبر عنهم أنهم قالوا : « إنّ الله فقير ونحن أغنياء » ، وقتلوا الأنبياء بغير حق = بما جازاهم به من عذاب الحريق ، بما اكتسبوا من الآثام ، واجترحوا من السيئات ، وكذبوا على الله بعد الإعذار إليهم بالإنذار . فلم يكن تعالى ذكره بما عاقبهم به من إذاقتهم عذاب الحريق ظالماً ، ولا واضعاً عقوبته فى غير أهلها . وكذلك هو جل ثناؤه ، غيرُ ظلاّم أحداً من خلقه ، ولكنه العادل بينهم ، والمتفضل على جميعهم بما أحبّ من فَوَاضله ونِعمه .

* * *

الحريق : اضطرام النار وتلهبها . والحريق أيضاً اللهب » . وانظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١١٠ ، ونصه : « النار اسم جامع ، تكون ناراً وهى حريق وغير حريق ، فإذا التهبت ، فهى حريق » .

(١) انظر تفسير « بما قدمت أيديهم » فيما سلف ٢ : ٣٦٧ ، ٣٦٨ .

(٢) الزيادة بين القوسين لابد منها لاستقامة الكلام ، ويعنى بقوله : « الذى قال لهم ذلك » ، أى قال لهم : « ذوقوا عذاب الحريق » . وسياق العبارة : « فجازى الذين قال لهم ذلك يوم القيامة . . . بما جازاهم به من عذاب الحريق » .

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (١٨٣)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : لقد سمع الله قول الذين قالوا : « إن الله عهد إلينا أن لا نؤمن لرسول » .

* * *

وقوله : « الذين قالوا إن الله »، فى موضع خفض ردًّا على قوله : « الذين قالوا إن الله فقيرٌ » .

* * *

ويعنى بقوله : « قالوا إن الله عهد إلينا أن لا نؤمن لرسول »، أوصانا، وتقدم إلينا فى كتبه وعلى ألسن أنبيائه[1] = « أن لا نؤمن لرسول »، يقول : أن لا نصدِّق رسولا فيما يقول إنه جاء به من عند الله من أمر ونهى وغير ذلك = « حتى يأتينا بقربان تأكله النار » ، يقول : حتى يجيئنا بقربان : وهو ما تقرَّب به العبد إلى ربه من صدقة .

* * *

وهو مصدر مثل « العدوان » و « الخسران » من قولك : « قرَّبتُ قرباناً » .

* * *

وإنما قال : « تأكله النار »، لأن أكل النار ما قربه أحدهم لله فى ذلك الزمان، كان دليلا على قبول الله منه ما قرَّب له، ودلالة على صدق المقرِّب فيما ادعى أنه محق فيما نازع أو قال ، كما : —

٨٣١٠ — حدثنا محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال، حدثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس قوله : « حتى يأتينا بقربان تأكله النار »،

---

(١) انظر تفسير « عهد إليه » فيما سلف ٣ ٣٨ ، وتفسير « العهد » فى فهارس اللغة .

كان الرجل يتصدق ، فإذا تُقُبِّل منه ، أنزلت عليه نارٌ من السماء فأكلته .

٨٣١١ – حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ يقول، أخبرنا عبيد ، قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « بقربان تأكله النار » ، كان الرجل إذا تصدق بصدقة فتُقُبِّلت منه، بعث الله ناراً من السماء فنزلت على القربان فأكلته .

* * *

= فقال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : [قل، يا محمد، للقائلين : إنّ الله عهد إلينا] أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار : «[قد جاءكم] رسل من قبلى بالبينات» ،[1] يعنى : بالحجج الدالة على صدق نبوتهم وحقيقة قولهم = « وبالذى قلتم » ، يعنى : وبالذى ادّعيتم أنه إذا جاء به لزمكم تصديقه والإقرار بنبوته ، من أكل النار قُربانه إذا قرّب لله دلالة على صدقه،[2] = «فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين » ، يقول له : قل لهم : قد جاءتكم الرسل الذين كانوا من قبلى بالذى زعمتم أنه حجة لهم عليكم ، فقتلتموهم ، فلم قتلتموهم وأنتم مقرون بأن الذى جاؤوكم به من ذلك كان حجة لهم عليكم = « إن كنتم صادقين » فى أن الله عهد إليكم أن تؤمنوا بمن أتاكم من رسله بقُربان تأكله النار حجة له على نبوته ؟

* * *

قال أبو جعفر : وإنما أعلم الله عباده بهذه الآية : أنّ الذين وصف صفتهم من اليهود الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، لن يَعْدوا أن يكونوا ٤

(١) فى المخطوطة : « فقال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار رسل من قبلى بالبينات . . . » ، وقد وضع ناسخ المخطوطة أمام السطرين فى الهامش (ط ط كذا) ، يعنى أنه خطأ كان فى النسخة التى نقل عنها ، فنقله هكذا كما وجده ، فجاء ناشر المطبوعة – أو ناسخ قبله – فأراد أن يصححها ، فزاد صدر الآية : « قل قد جاءكم » بعد قوله : « بقربان تأكله النار » ، ولكن يبقى السياق غير حسن ، فزدت ما بين القوسين ، استظهاراً من نهج أبى جعفر فى بيانه عن معانى آى كتاب الله ، والله الموفق للصواب .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « إذ قرب لله » ، والسياق يقتضى « إذا » .

فى كذبهم على الله وافترائهم على ربهم وتكذيبهم محمداً صلى الله عليه وسلم ، وهم يعلمونه صادقاً محقًّا ، وجحودهم نبوّته وهم يجدونه مكتوباً عندهم فى عهد الله تعالى إليهم أنه رسوله إلى خلقه ، مفروضة طاعته[1] = إلاّ كمن مضى من أسلافهم الذين كانوا يقتلون أنبياء الله بعد قطع الله عذرهم بالحجج التى أيدهم الله بها ، والأدلة التى أبان صدقهم بها ، افتراء على الله ، واستخفافاً بحقوقه .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُوا بِالْبَيِّنَٰتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَٰبِ الْمُنِيرِ ﴾ (١٨٤)

قال أبو جعفر : وهذا تعزية من الله جل ثناؤه نبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم على الأذى الذى كان يناله من اليهود وأهل الشرك بالله من سائر أهل الملل . يقول الله تعالى له : لا يحزنك ، يا محمد ، كذب هؤلاء الذين قالوا : « إن الله فقير » ، وقالوا : « إن الله عهد إلينا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار » ، وافتراؤهم على ربهم اغتراراً بإمهال الله إياهم ، ولا يعظمن عليك تكذيبهم إياك ، وادعاؤهم الأباطيل من عهود الله إليهم ، فإنهم إن فعلوا ذلك بك فكذبوك وكذبوا على الله ، فقد كذّبت أسلافهم من رسل الله قبلك من جاءهم بالحجج القاطعة العذر ، والأدلة الباهرة العقل ، والآيات المعجزة الخلق ، وذلك هو البينات .[2]

* * *

وأما « الزبر » فإنه جمع « زبور » ، وهو الكتاب ، وكل كتاب فهو : « زبور » ، ومنه قول امرئ القيس :

---

(١) فى المطبوعة : « لن يفروا أن يكونوا فى كذبهم على الله » ، وفى المخطوطة : « « لن يقروا » ولا معنى لها ، وصوابهما ما أثبت . وسياق العبارة : « لن يعدوا أن يكونوا فى كذبهم . . . إلا كمن مضى من أسلافهم » .

(٢) انظر تفسير « البينات » فيما سلف ٢ : ٣١٨ ، ٣/٣٥٥ : ٤/٢٤٩ : ٥/٢٥٩ : ٣٧٩ ، وغيرها من المواضع فى فهارس اللغة .

لِمَنْ طَلَلٌ أَبْصَرْتُهُ فَشَجَانِي ؟ كَخَطِّ زَبُورٍ فِي عَسِيبٍ يَمَانِي (١)

* * *

ويعنى : بـ « الكتاب » ، التوراة والإنجيل . وذلك أن اليهود كذّبت عيسى وما جاء به ، وحرّفت ما جاء به موسى عليه السلام من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ، وبدلت عهده إليهم فيه ، وأن النصارى جحدت ما فى الإنجيل من نعته ، وغيرت ما أمرهم به فى أمره .

* * *

وأما قوله : « المنير » ، فإنه يعنى : الذى يُنير فيبين الحق لمن التبس عليه ويوضحه .

* * *

وإنما هو من « النور » والإضاءة ، يقال : « قد أنار لك هذا الأمر » ، بمعنى : أضاء لك وتبين ، « فهو ينير إنارة ، والشىء منيرٌ » ، (٢) وقد :—

٨٣١٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك : « فإن كذبوك فقد كُذّب رسل من قبلك » ، قال : يعزّى نبيه صلى الله عليه وسلم .

٨٣١٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك » ، قال : يعزّى نبيه صلى الله عليه وسلم .

* * *

وهذا الحرف فى مصاحف أهل الحجاز والعراق ﴿وَالزُّبُرِ﴾ بغير « باء » ، وهو فى مصاحف أهل الشام : ﴿ وبالزُّبُرِ ﴾ بالباء ، مثل الذى فى «سورة فاطر» : [٢٥] .

* * *

(١) ديوانه : ١٨٦ ، وهو مطلع قصيدته . قال الشنتمرى فى شرح البيت : « يقول : نظرت إلى هذا الطلل فشجانى ، أى : أحزننى . وقوله : «كخط زبور» ، أى قد درس وخفيت آثاره ، فلا يرى منه إلا مثل الكتاب فى الخفاء والدقة . والزبور : الكتاب . وقوله : « فى عسيب يمان» ، كان أهل اليمن يكتبون فى عسيب النخلة عهودهم وصكاكهم . ويروى : «عسيب يمانى» ، على الإضافة ، أراد : فى عسيب رجل يمان .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « والشىء المنير » ، وعبارة بيان اللغة تقتضى ما أثبت .

القول فى تأويل قوله ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ (١٨٥)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : أن مصير هؤلاء المفترين على الله من اليهود ، المكذبين برسوله ، الذين وصف صفتهم ، وأخبر عن جراءتهم على ربهم = ومصير غيرهم من جميع خلقه تعالى ذكره ، ومرجع جميعهم ، إليه . لأنه قد حتّم الموت على جميعهم ، فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم : لا يحزنك تكذيبُ من كذبك ، يا محمد ، من هؤلاء اليهود وغيرهم ، وافتراء من افترى علىّ ، فقد كُذِّب قبلك رسلٌ جاؤوا من الآيات والحجج من أرسلوا إليه، بمثل الذى جئتَ من أرسلت إليه . فلك فيهم أسوة تتعزى بهم . ومصيرُ من كذّبك وافترى علىّ وغيرهم ومرجعهم إلىّ ، فأوفّى كل نفس منهم جزاء عمله يوم القيامة، كما قال جل ثناؤه : « وإنما توفّون أجوركم يوم القيامة »، يعنى : أجور أعمالكم ،إن خيراً فخيرٌ ، وإن شرًّا فشر = « فمن زحزح عن النار » ، يقول: فمن نُحّى عن النار وأبعد منها [1] = «فقد فاز » ، يقول : فقد نجا وظفر بحاجته .

* * *

يقال منه: « فاز فلان بطلبته ، يفوز فوزاً ومفازاً ومفازة » ، إذا ظفر بها .

* * *

١٣٣/٤ وإنما معنى ذلك : فمن نُحّى عن النار فأبعد منها وأدخل الجنة، فقد نجا وظفر بعظيم الكرامة = « وما الحياة الدنيا إلاّ متاع الغرور» ، يقول : وما لذّات الدنيا وشهواتها وما فيها من زينتها وزخارفها = « إلامتاع الغرور»، يقول : إلا متعة

(١) انظر تفسير « زحزح » فيما سلف ٢ : ٣٧٥ .

يمتعكموها الغرور والخداع المضمحلّ الذى لا حقيقة له عند الامتحان، ولا صحة له عند الاختبار. فأنتم تلتذون بما متعكم الغرور من دنياكم ، ثم هو عائد عليكم بالفجائع والمصائب والمكاره . يقول تعالى ذكره: ولا تركنوا إلى الدنيا فتسكنوا إليها، فإنما أنتم منها فى غرور تمتّعون ، ثم أنتم عنها بعد قليل راحلون.(١)

* * *

وقد روى فى تأويل ذلك ، ما : —

٨٣١٤ — حدثنى به المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن بكير بن الأخنس ، عن عبد الرحمن بن سابط فى قوله : « وما الحياة الدنيا إلاّ متاع الغرور »، قال: كزاد الراعى، تزوّده الكفّ من التمر ، أو الشىء من الدقيق ، أو الشىء يشرب عليه اللبن .

* * *

فكأن ابن سابط ذهب فى تأويله هذا ، إلى أن معنى الآية : وما الحياة الدنيا إلاّ متاعٌ قليلٌ، لا يُبلِّغ مَنْ تمتعه ، ولا يكفيه لسفره . وهذا التأويل، وإن كان وجهاً من وجوه التأويل ، فإن الصحيح من القول فيه هو ما قلنا . لأن « الغرور » إنما هو الخداع فى كلام العرب . وإذ كان كذلك ، فلا وجه لصرفه إلى معنى القلة ، لأن الشىء قد يكون قليلا وصاحبه منه فى غير خداع ولا غرور . وأما الذى هو فى غرور ، فلا القليل يصح له ولا الكثير مما هو منه فى غرور .

* * *

و« الغرور» مصدر من قول القائل: «غرنى فلان فهو يغرُّنى غروراً» بضم «الغين». وأما إذا فتحت « الغين» من « الغرور »، فهو صفة للشيطان الغَرور، الذى يغر ابن آدم حتى يدخله من معصية الله فيما يستوجب به عقوبته .

* * *

وقـــد :

٨٣١٥ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عبدة وعبد الرحيم قالا ، حدثنا

---

(١) انظر تفسير : « المتاع » فيما سلف ١ : ٥٣٩ ، ٥٤٠ / ٣ : ٥٥

محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : موضع سوط فى الجنة، خير من الدنيا وما فيها، واقرأوا إن شئتم : « وما الحياة الدنيا إلاّ متاع الغرور ». (١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ (١٨٦)

قال أبو جعفر يعنى بقوله: تعالى ذكره : (٢)« لتبلون فى أموالكم »، لتختبرن بالمصائب فى أموالكم(٣) = « وأنفسكم»، يعنى : وبهلاك الأقرباء والعشائر من

---

(١) الحديث : ٨٣١٥ – عبدة : هو ابن سليمان الكلابى الكوفى . وعبد الرحيم : هو ابن سليمان المروزى الأشل .

والحديث رواه أحمد فى المسند : ٩٦٤٩ (ج ٢ ص ٤٣٨ حلبى) ، عن يحيى بن سعيد ، عن محمد ابن عمرو – بهذا الإسناد .

وكذلك رواه الترمذى ٤ : ٨٥ ، عن عبد بن حميد وغيره ، عن محمد بن عمرو . وقال : « هذا حديث حسن صحيح » .

وكذلك رواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٢٩٩ ، من طريق شجاع بن الوليد ، عن محمد بن عمرو . وقال : « هذا حديث على شرط مسلم ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبى .

وذكره ابن كثير ٢ : ٣١١ ، من رواية ابن أبى حاتم ، عن أبيه ، عن محمد بن عبد الله الأنصارى ، عن محمد بن عمرو .

ثم قال ابن كثير : « هذا حديث ثابت فى الصحيحين ، من غير هذا الوجه ، بدون هذه الزيادة [يعنى ذكر الآية فى الحديث] . وقد رواه بهذه الزيادة أبو حاتم بن حبان فى صحيحه ، والحاكم فى مستدركه ، من حديث محمد بن عمرو » .

وذكره السيوطى ٢ : ١٠٧ ، وزاد نسبته لابن أبى شيبة ، وهناد ، وعبد بن حميد .

وذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب ٤ : ٢٧٧ ، من رواية الترمذى – ضمن ألفاظ الحديث بمعناه ، عند أحمد ، والبخارى ، والطبرانى فى الأوسط « بإسناد رواته رواة الصحيح » ، وابن حبان فى صحيحه .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة « يعنى بذلك تعالى ذكره » ، وسياق التفسير هنا يقتضى ما أثبت .

(٣) انظر تفسير «الابتلاء» فيما سلف ٢ : ٤٩/٣ : ٧ ، ٢٢٠/ ٥ : ٣٣٩/٧ : ٢٩٧ ، ٢٣٥.

أهل نصرتكم وملتكم[1] = « ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » ، يعني : من اليهود وقولهم : « إن الله فقير ونحن أغنياء » ، وقولهم : « يد الله مغلولة » ، وما أشبه ذلك من افترائهم على الله = « ومن الذين أشركوا » ، يعني النصارى = « أذى كثيراً » ،[2] والأذى من اليهود ما ذكرنا ، ومن النصارى قولهم : « المسيح ابن الله »، وما أشبه ذلك من كفرهم بالله = « وإن تصبروا وتتقوا »، يقول : وإن تصبروا لأمر الله الذى أمركم به فيهم وفى غيرهم من طاعته = « وتتقوا » ، يقول : وتتقوا الله فيما أمركم ونهاكم ، فتعملوا فى ذلك بطاعته = « فإن ذلك من عزم الأمور »، يقول : فإن ذلك الصبر والتقوى مما عزم الله عليه وأمركم به .

* * *

وقيل : إن ذلك كله نزل فى فنحاص اليهودى ، سيد بنى قَيْنُقَاع ، كالذى : —

٨٣١٦ — حدثنا به القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قال : قال عكرمة فى قوله : « لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً » ، قال : نزلت هذه الآية فى النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى أبى بكر رضوان الله عليه ، وفى فنحاص اليهودى سيد بنى قينُقاع قال : بعث النبى صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رحمه الله إلى فنحاص يستمدّه ، وكتب إليه بكتاب ، وقال لأبى بكر : « لا تَفتاتنّ علىّ بشىء حتى ترجع ».[3] فجاء أبو بكر وهو متوشّح السيف ، فأعطاه الكتاب ، فلما قرأه قال : « قد احتاج ربكم أن نمده »! فهمّ أبو بكر أن يضربه بالسيف ، ثم ذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم : « لا تفتاتنّ على بشىء حتى ترجع » ،

---

(١) انظر تفسير « أنفسهم » فيما سلف ٦ : ٥٠١

(٢) انظر تفسير « الأذى » فيما سلف ٤ : ٣٧٤

(٣) كل من أحدث دونك شيئاً ، ومضى عليه ولم يستشرك ، واستبد به دونك ، فقد فاتك بالشىء وافتات عليك به أوفيه . هو « افتعال » من « الفوت » ، وهو السبق إلى الشىء دون ائتمار أو مشورة .

٤/١٣٤ فكف ، ونزلت : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ آتَاهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ﴾ .(١) وما بين الآيتين إلى قوله : « لتبلون فى أموالكم وأنفسكم » ، نزلت هذه الآيات فى بنى قينقاع إلى قوله : « فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك » = قال ابن جريج : يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم ، قال : « لتبلون فى أموالكم وأنفسكم » ، قال : أعلم الله المؤمنين أنه سيبتليهم ، فينظر كيف صبرهم على دينهم . ثم قال : « ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » ، يعنى اليهود والنصارى = « ومن الذين أشركوا أذى كثيراً » ، فكان المسلمون يسمعون من اليهود قولهم : « عزير ابن الله » ، ومن النصارى : « المسيح ابن الله » ، فكان المسلمون ينصبون لهم الحرب إذ يسمعون إشراكهم ،(٢) فقال الله : « وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور » ، يقول : من القوة مما عزم الله عليه وأمركم به .

* * *

وقال آخرون : بل نزلت فى كعب بن الأشرف ، وذلك أنه كان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويتشبّب بنساء المسلمين .

* ذكر من قال ذلك :

٨٣١٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهرى فى قوله : « ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً » ، قال : هو كعب بن الأشرف ، وكان يحرض المشركين على النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى شعره ، ويهجو النبى صلى الله عليه وسلم . فانطلق إليه خمسة نفر من الأنصار ، فيهم محمد بن مسلمة ، ورجل

---

(١) انظر أخبار فنحاص اليهودى فى الآثار السالفة : ٨٣٠٠ — ٨٣٠٢ .

(٢) فى المطبوعة : « ويسمعون إشراكهم » بالواو ، وفى المخطوطة ، هذه الواو كأنها (د) ، فآثرت أن أجعلها « إذ » ، لأنها حق المعنى .

يقال له أبو عبس . فأتوه وهو فى مجلس قومه بالعَوَالى ،[١] فلما رآهم ذعر منهم ، فأنكر شأنهم ، وقالوا : جئناك لحاجة ! قال : فليدن إلىّ بعضكم فليحدثنى بحاجته. فجاءه رجل منهم فقال : جئناك لنبيعك أدراعاً عندنا لنستنفق بها .[٢] فقال : والله لئن فعلتم لقد جُهدتم منذ نزل بكم هذا الرجل! فواعدوه أن يأتوه عشاءً حين هدأ عنهم الناس ،[٣] فأتوه فنادوه ، فقالت امرأته : ما طَرقك هؤلاء ساعتهم هذه لشىء مما تحب! قال : إنهم حدثونى بحديثهم وشأنهم .

[٤] قال معمر : فأخبرنى أيوب ، عن عكرمة : أنه أشرف عليهم فكلمهم فقال : أترهنُونى أبناءكم؟ وأرادوا أن يبيعهم تمراً. قال ، فقالوا : إنا نستحيى أن تعير أبناؤنا فيقال : « هذا رهينة وَسْق ، وهذا رهينة وسقين »! [٥] فقال : أترهنونى نساءكم ؟ قالوا : أنت أجملُ الناس ، ولا نأمنك ! وأى امرأة تمتنع منك لجمالك ! ولكنا نرهنك سلاحنا ، فقد علمت حاجتنا إلى السلاح اليوم . فقال : ائتونى بسلاحكم ، واحتملوا ما شئتم . قالوا : فانزل إلينا نأخذ عليك وتأخذ علينا . فذهب ينزل ،[٦]

---

(١) « العوالى » ، جمع عالية . و« العالية » : اسم لكل ما كان من جهة نجد من المدينة ، من قراها وعمائرها إلى تهامة ، وما كان دون ذلك من جهة تهامة فهو « السافلة » . وعوالى المدينة ، بينها وبين المدينة أربعة أميال ، وقيل ثلاثة ، وذلك أدناها ، وأبعدها ثمانية .

(٢) استنفق بالمال : جعله نفقة يقضى بها حاجته وحاجة عياله .

(٣) هدأ عنهم الناس : سكن عنهم الناس وقلت حركتهم وناموا . وفى المخطوطة : « حين هدىء عنهم الناس » بطرح الهمزة ، وهو صواب جيد ، جاء فى شعر ابن هرمة ، من أبياته الأيمة الموجعة :

لَيْتَ السِّبَاعَ لَنَا كَانَتْ مُجَاوِرَةً ... وَأَنَّنَا لا نَرَى مِمَّنْ نَرَى أَحَدَا

إِنَّ السِّبَاعَ لَتَهْدَا عَنْ فَرَائِسِهَا ... وَالنَّاسُ لَيْسَ بِهَادٍ شَرُّهُمْ أَبَدَا

يريد : « لتهدأ » و« بهادئ شرهم » .

(٤) هذا بدأ سياق آخر للخبر ، منقطع عما قبله من خبر الزهرى ، ولم يتم خبر الزهرى ، بل أتم خبر عكرمة الذى أدخله على سياقه .

(٥) « الوسق » كيل معلوم ، قيل : هو حمل بعير ، وقيل : ستون صاعاً بصاع النبى صلى الله عليه وسلم .

(٦) قوله : « ذهب ينزل » ، أى تحرك لينزل ، و« ذهب » من ألفاظ الاستعانة التى تدخل على الكلام لتصوير حركة ، أو بيان فعل مثل قولهم : « قعد فلان لا يمر به أحد إلا سبه » ، أو « قعد لا يسأله سائل

فتعلقت به امرأته وقالت : أرسل إلى أمثالهم من قومك يكونوا معك . قال : لو وجدنى هؤلاء نائماً ما أيقظونى ! قالت : فكلّمهم من فوق البيت. فأبى عليها ، فنزل إليهم يفوحُ ريحه . قالوا : ما هذه الريح يا فلان ؟ قال : هذا عطرُ أم فلان! امرأته . فدنا إليه بعضهم يشم رائحته، ثم اعتنقه، ثم قال: اقتلوا عدو الله! فطعنه أبو عَبْس فى خاصرته، وعلاه محمد بن مسلمة بالسيف ، فقتلوه ثم رجعوا . فأصبحت اليهود مذعورين ، فجاؤوا إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم فقالوا : قتل سيدنا غيلة! فذكّرهم النبى صلى الله عليه وسلم صَنيعه ، وما كان يحضّ عليهم ويحرض فى قتالهم ويؤذيهم ، ثم دعاهم إلى أن يكتب بينه وبينهم صلحاً ، قال : فكان ذلك الكتابُ مع علىّ رضوان الله عليه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ (١٨٧)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره: واذكر أيضاً من [أمر] هؤلاء اليهود وغيرهم من أهل الكتاب منهم، يا محمد ،(١) إذا أخذ الله ميثاقهم ليبيننّ للناس أمرك الذى أخذ ميثاقهم على بيانه للناس فى كتابهم الذى فى أيديهم ، وهو التوراة والإنجيل ، وأنك لله رسول مرسل بالحق ولا يكتمونه = « فنبذوه وراء

إلا حرمه » ، لا يراد به حقيقة القعود ، بل استمرار ذلك منه واتصاله ، وحاله عند رؤية الناس ، أو طروق السائل . واستعمال « ذهب » بهذا المعنى كثير الورود فى كلامهم ، وإن لم تذكره كتب اللغة.

(١) الزيادة بين القوسين مما لا يستقيم الكلام إلا بها أو بشبهها .

ظهورهم »، يقول : فتركوا أمر الله وضيعوه ،[١] ونقضوا ميثاقه الذى أخذ عليهم بذلك، فكتموا أمرك، وكذبوا بك=«واشتروا به ثمناً قليلا»، يقول : وابتاعوا بكتمانهم ما أخذ عليهم الميثاق أن لا يكتموه من أمر نبوتك ، عوضاً منه خسيساً قليلا من عرض الدنيا[٢] = ثم ذم جل ثناؤه شراءهم ما اشتروا به من ذلك فقال : « فبئس ما يشترون ».[٣] ٤/١٣٥

* * *

واختلف أهل التأويل فيمن عُنى بهذه الآية .

فقال بعضهم : عنى بها اليهود خاصّة .

* ذكر من قال ذلك :

٨٣١٨ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنا محمد بن إسحق قال، حدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت، عن عكرمة : أنه حدثه ، عن ابن عباس : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه » إلى قوله : « عذاب أليم » ، يعنى فنحاص وأشيع وأشباههما من الأحبار .

٨٣١٩ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق، عن محمد ابن أبى محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة مولى ابن عباس مثله .[٤]

---

(١) انظر تفسير « نبذ » فيما سلف ٢ : ٤٠١ = وتفسير « وراء ظهورهم » فيما سلف ٢ : ٤٠٤.

(٢) انظر تفسير « اشترى » فيما سلف ١ : ٣١٢ – ٣١٥/٢ : ٣٤٠ – ٣٤٢ ، ٤٥٥/٣ : ٣٣٠ / ٤ : ٢٤٦ : ٦ : ٥٢٧ /٧ : ٤٢٠

وانظر تفسير « الثمن » فيما سلف ١ : ٥٦٥/٣ : ٣٢٨/٦ : ٥٢٧ بولاق

(٣) انظر بيان معنى « بئس » فيما سلف ٢ : ٣٣٨ – ٣٤٠/٣ : ٥٦

(٤) الأثران : ٨٣١٨ ، ٨٣١٩ – سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٨ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ٨٣٠٠ ، ٨٣٠١

٨٣٢٠ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم » ، كان أمرهم أن يتبعوا النبيّ الأميّ الذي يؤمن بالله وكلماته ، وقال : ﴿ اتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٥٨] . فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم قال : ﴿ أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ [سورة البقرة: ٤٠] ، عاهدهم على ذلك ، فقال حين بعث محمداً : صدّقوه ، وتلقون الذي أحببتم عندي .

٨٣٢١ – حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس» الآية ، قال : إن الله أخذ ميثاق اليهود ليبيننه للناس ، محمداً صلى الله عليه وسلم ، ولا يكتمونه = «فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلا » .

٨٣٢٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري ، عن أبي الجحّاف ، عن مسلم البطين قال : سأل الحجاج بن يوسف جُلساءه عن هذه الآية : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب » ، فقام رجل إلى سعيد بن جبير فسأله فقال : « وإذ أخذ الله ميثاق أهل الكتاب » ، يهود ، « ليبيننه للناس » ، محمداً صلى الله عليه وسلم ، « ولا يكتمونه فنبذوه » .

٨٣٢٣ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قوله : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه» ، قال : وكان فيه أن الإسلام دين الله الذي افترضه على عباده ، وأن محمداً يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل .

* * *

وقال آخرون : عني بذلك كل من أوتي علماً بأمر الدين .

* ذكر من قال ذلك :

٨٣٢٤ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم »الآية، هذا ميثاق أخذه الله على أهل العلم، فمن علم شيئاً فليعلّمه، وإياكم وكتمانَ العلم، فإن كتمان العلم هَلَكة، ولا يتكلّفن رجلٌ ما لا علم له به، فيخرج من دين الله فيكون من المتكلّفين، كان يقال : « مثلُ علم لا يقال به، كمثل كنز لا ينفق منه ! ومثل حكمة لا تخرج، كمثل صنم قائم لا يأكل ولا يشرب » . وكان يقال : « طوبى لعالم ناطق، وطوبى لمستمع واعٍ ». هذا رجلٌ علم علماً فعلّمه وبذله ودعا إليه، ورجلٌ سمع خيراً فحفظه ووعاه وانتفع به .

٨٣٢٥ – حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودى قال، حدثنى أبى، عن أبيه، عن جده، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن أبى عبيدة قال : جاء رجل إلى قوم فى المسجد وفيه عبد الله بن مسعود فقال : إنّ أخاكم كعباً يقرئكم السلام، ويبشركم أن هذه الآية ليست فيكم : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه » . فقال له عبد الله : وأنت فأقره السلام وأخبرهُ أنها نزلت وهو يهوديّ .

٨٣٢٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن أبى عبيدة، بنحوه، عن عبد الله وكعب .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : وإذ أخذ الله ميثاق النبيين على قومهم .

* ذكر من قال ذلك :

٨٣٢٧ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا يحيى بن سعيد، عن سفيان قال، حدثنى يحيى بن أبى ثابت، عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس : إن أصحاب عبد الله يقرأون : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِيثَاقَهُمْ ﴾، قال : من النبيين على قومهم .

٤/١٣٦ ٨٣٢٨ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا قبيصة قال ، حدثنا سفيان : عن حبيب ، عن سعيد قال ، قلت لابن عباس : إن أصحاب عبد الله يقرأون : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب » ، ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ ﴾، قال فقال : أخذ الله ميثاق النبيين على قومهم .

* * *

وأما قوله : « لتبيننه للناس » ، فإنه كما : –

٨٣٢٩ – حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث قال، حدثني أبي قال ، حدثنا محمد بن ذكوان قال ، حدثنا أبو نعامة السعدى قال : كان الحسن يفسر قوله : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه »، لتتكلمن بالحق ، ولتصدقنه بالعمل.(١)

* * *

قال أبو جعفر : واختلف القرأة فى قراءة ذلك :

فقرأه بعضهم : ﴿ لَتُبَيِّنُنَّه لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ ﴾ بالتاء. وهى قراءة عُظْم قرأة أهل المدينة والكوفة ،(٢) على وجه المخاطب ، بمعنى : قال الله لهم : لتُبيننّه للناس ولا تكتمونه .

* * *

وقرأ ذلك آخرون : ﴿ لِيُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ يَكْتُمُونَه ﴾ بالياء جميعاً ، على وجه الخبر عن الغائب ، لأنهم فى وقت إخبار الله نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك عنهم ، كانوا غير موجودين ، فصار الخبر عنهم كالخبر عن الغائب .

* * *

---

(١) كانت الآية فى المطبوعة : « ليبينه للناس ولا يكتمونه » بالياء ، فى جميع الآثار السالفة ، فجعلتها على قراءة مصحفنا بالتاء فى الكلمتين .

(٢) فى المطبوعة : «وهى قراءة أعظم قراء أهل المدينة . . . » وهو خطأ ، صوابه من المخطوطة كما سلف عشرات من المرات . وعظم القوم : أكثرهم ومعظمهم.

قال أبو جعفر : والقول فى ذلك عندنا أنهما قراءتان ، صحيحةٌ وجوههما ، مستفيضتان فى قرأة الإسلام ، غير مختلفتى المعانى ، فبأيتهما قرأ القارئ فقد أصاب الحق والصواب فى ذلك . غير أن الأمر فى ذلك وإن كان كذلك ، فإن أحب القراءتين إلىّ أن أقرأ بها : ﴿ لَيُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ ﴾ ، بالياء جميعاً ، استدلالاً بقوله : « فنبذوه » ،[1] إذ كان قد خرج مخرج الخبر عن الغائب على سبيل قوله : «فنبذوه» = حتى يكون متسقاً كله على معنى واحد ومثال واحد . ولو كان الأول بمعنى الخطاب ، لكان أن يقال : « فنبذتموه وراء ظهوركم » أولى ، من أن يقال : « فنبذوه وراء ظهورهم » .

* * *

وأما قوله : « فنبذوه وراء ظهورهم » ، فإنه مثل لتضييعهم القيام بالميثاق وتركهم العمل به .

وقد بينا المعنى الذى من أجله قيل ذلك كذلك ، فيما مضى من كتابنا هذا فكرهنا إعادته .[2]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٨٣٣٠ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال ، أخبرنا يحيى ابن أيوب البَجَلى ، عن الشعبى فى قوله : « فنبذوه وراء ظهورهم » ، قال : إنهم قد كانوا يقرأونه ، إنما نبذوا العمل به .

٨٣٣١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « استدلالا بقوله فنبذوه ، أنه إذ كان قد خرج مخرج الخبر : . . . » وهو كلام لا يستقيم ، فحذفت : « أنه » ، ويكون السياق : « فإن أحب القراءتين إلى أن أقرأ بها . . . حتى يكون متسقاً كله على معنى واحد » . وما بينهما فصل ، علل به اختيار قراءته .

(٢) انظر ما سلف ٢ : ٤٠٤ ، وما سلف ص : ٤٥٩ ، تعليق : ١

ابن جريج : « فنبذوه وراء ظهورهم » . قال : نبذوا الميثاق .

٨٣٣٢ – حدثني محمد بن سنان قال، حدثنا عثمان بن عمر قال ، حدثنا مالك بن مغول : قال ، نبئت عن الشعبي في هذه الآية : « فنبذوه وراء ظهورهم »، قال : قذفوه بين أيديهم ، وتركوا العمل به .

* * *

وأما قوله : « واشتروا به ثمناً قليلا » ، فإن معناه ما قلنا ، من أخذهم ما أخذوا على كتمانهم الحق وتحريفهم الكتاب ، [1] كما : –

٨٣٣٣ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « واشتروا به ثمناً قليلا »، أخذوا طمعاً ، وكتموا اسم محمد صلى الله عليه وسلم .

* * *

وقوله : « فبئس ما يشترون » ، يقول : فبئس الشراء يشترون في تضييعهم الميثاق وتبديلهم الكتاب ، كما : –

٨٣٣٤ – حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد: « فبئس ما يشترون » ، قال : تبديل اليهود التوراة .

* * *

---

(١) انظر ما سلف ص : ٤٥٩ ، تعليق : ٢ .

القول فى تأويل قوله ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١٨٨)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : عنى بذلك قومٌ من أهل النفاق كانوا يقعدون خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا العدو ، فإذا انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا إليه ، وأحبّوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا .

* ذكر من قال ذلك :

٨٣٣٥ — حدثنا محمد بن سهل بن عسكر وابن عبد الرحيم البرقى قالا ، حدثنا ابن أبى مريم قال ، حدثنا محمد بن جعفر بن أبى كثير قال ، حدثنى زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبى سعيد الخدرى : أن رجالا من المنافقين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج النبى صلى الله عليه وسلم إلى الغزو ، تخلّفوا عنه ، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله . وإذا قدم النبى صلى الله عليه وسلم من السفر اعتذروا إليه ، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا . فأنزل الله تعالى فيهم : « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا » ، الآية .(١) ٤ / ٣٧

٨٣٣٦ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا بن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « لا تحسبن الذين يفرحون بما أوتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا » ، قال : هؤلاء المنافقون ، يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم : لو قد خرجت لخرجنا معك ! فإذا خرج النبى صلى الله عليه وسلم تخلّفوا وكذبوا ، ويفرحون بذلك ، ويرون أنها حيلة احتالوا بها .

* * *

(١) الحديث : ٨٣٣٥ — رواه البخارى من طريق شيخه سعيد بن أبى مريم ، كرواية الطبرى (الفتح : ٨ : ١٧٥) . وقال ابن كثير ٢ : ٣١٧ : « رواه مسلم من حديث ابن أبى مريم بنحوه »

وقال آخرون : عنى بذلك قوم من أحبار اليهود ، كانوا يفرحون بإضلالهم الناس ، ونسبة الناس إياهم إلى العلم .

* ذكر من قال ذلك :

٨٣٣٧ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة مولى ابن عباس أو سعيد بن جبير : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب » إلى قوله : « ولهم عذاب أليم » ، يعني فنحاص وأشيع وأشباههما من الأحبار ، الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زيّنوا للناس من الضلالة = « ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا » ، أن يقول لهم الناس علماء ، وليسوا بأهل علم ، لم يحملوها على هدى ولا خير ،[1] ويحبون أن يقول لهم الناس : قد فعلوا .[2]

٨٣٣٨ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنا محمد بن إسحق قال ، حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة : أنه حدثه عن ابن عباس بنحو ذلك = إلا أنه قال : وليسوا بأهل علم ، لم يحملوهم على هدى .[3]

* * *

وقال آخرون : بل عُنى بذلك قومٌ من اليهود ، فرحوا باجتماع كلمتهم على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ، ويحبون أن يحمدوا بأن يقال لهم : أهل صلاة وصيام .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) سيرة ابن هشام « هدى ولا حق » . وفي المطبوعة : « لم يحملوهم على هدى » غير ما في المخطوطة ، ولكنها الصواب ، ويدل على ذلك الأثر التالي ، فإنه ذكر وجه الخلاف بين الروايتين .

(٢) الأثر : ٨٣٣٧ ، ٨٣٣٨ – سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٨ ، وهو تتمة الأثر السالف رقم : ٨٣١٨ ، والإسناد متصل إلى ابن عباس ، كما مضى مراراً .

(٣) في المطبوعة : « ابن كريب » ، وهو خطأ ، قد مضى على صحته في مئات من المواضع .

٨٣٣٩ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك بن مزاحم يقول فى قوله : « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا » ، فإنهم فرحوا باجتماعهم على كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقالوا : « قد جمع الله كلمتنا ، ولم يخالف أحد منا أحداً [أن محمداً ليس بنبي] » .(١) وقالوا : « نحن أبناء الله وأحباؤه ، ونحن أهل الصلاة والصيام » ، وكذبوا ، بل هم أهل كفر وشرك وافتراء على الله ، قال الله : « يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا » .

٨٣٤٠ – حدثنى يحيى بن أبى طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا » ، قال : كانت اليهود أمر بعضهم بعضاً ،(٢) فكتب بعضهم إلى بعض : « أنّ محمداً ليس بنبي ، فأجمعوا كلمتكم ، وتمسكوا بدينكم وكتابكم الذى معكم » ، ففعلوا ، وفرحوا بذلك ، وفرحوا باجتماعهم على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم .

٨٣٤١ – حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : كتموا اسم محمد صلى الله عليه وسلم ، ففرحوا بذلك ، وفرحوا باجتماعهم على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم .

٨٣٤٢ – حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى

---

(١) هذه الجملة بين القوسين ، كان مكانها فى المطبوعة : « أنه نبى » ، وفى المخطوطة « أن بنبى » ، والذى فى المطبوعة مخالف لما تمالأ عليه اليهود ، والذى فى المخطوطة بين الفساد والخرم ، واستظهرت ما بين القوسين من الأثر الذى رواه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ١٠٩ ونسبه لعبد بن حميد وابن جرير عن الضحاك ، والذى سيأتى فى الأثر التالى ، ونصه : « إن اليهود كتب بعضهم إلى بعض أن محمداً ليس بنبى ، فأجمعوا كلمتكم ، وتمسكوا بدينكم وكتابكم الذى معكم » . فمن هذا استظهرت صواب العبارة التى أثبتها .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « قال : قالت اليهود أمر بعضهم بعضاً » ، وهو كلام غير مستقيم ، صحفت « كانت » إلى « قالت » فأثبتها على الصواب إن شاء الله .

قال : كتموا اسم محمد صلى الله عليه وسلم ، وفرحوا بذلك حين اجتمعوا عليه ، وكانوا يزكون أنفسهم فيقولون : « نحن أهل الصيام وأهل الصلاة وأهل الزكاة ، ونحن على دين إبراهيم صلى الله عليه وسلم » ، فأنزل الله فيهم : « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا »، من كتمان محمد صلى الله عليه وسلم = « ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا » ، أحبوا أن تحمدهم العرب ، بما يزكون به أنفسهم ، وليسوا كذلك .

٨٣٤٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن أبى الجحاف ، عن مسلم البطين قال : سأل الحجاج جلساءه عن هذه الآية : « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا » ، قال سعيد بن جبير : بكتمانهم محمداً = « ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا »، قال : هو قولهم : « نحن على دين إبراهيم عليه السلام » .[1] ٦/١٣٨

٨٣٤٤ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا » ، هم أهل الكتاب ، أنزل عليهم الكتاب فحكموا بغير الحق ، وحرفوا الكلم عن مواضعه ، وفرحوا بذلك ، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا . فرحوا بأنهم كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل الله ، وهم يزعمون أنهم يعبدون الله ويصومون ويصلون ويطيعون الله . فقال الله جل ثناؤه لمحمد صلى الله عليه وسلم : « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا » ، كفراً بالله وكفراً بمحمد صلى الله عليه وسلم[2] = « ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا » ، من الصلاة والصوم ، فقال الله جل وعز لمحمد صلى الله عليه وسلم : « فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم » .

* * *

(١) الأثر : ٨٣٤٣ – انظر الأثر السالف رقم : ٨٣٢٢

(٢) فى المطبوعة : « كفروا بالله ، وكفروا بمحمد » ، والصواب من المخطوطة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك: « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا »، من تبديلهم كتاب الله ، ويحبون أن يحمَدهم الناس على ذلك .

* ذكر من قال ذلك :

٨٣٤٥ — حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تعالى : « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا » ، قال : يهودُ ، فرحوا بإعجاب الناس بتبديلهم الكتاب وحمدهم إياهم عليه ، ولا تملك يهود ذلك .(١)

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : أنهم فرحوا بما أعطى الله تعالى آل إبراهيم عليه السلام .

* ذكر من قال ذلك :

٨٣٤٦ — حدثني محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي المعلى ، عن سعيد بن جبير أنه قال في هذه الآية : « ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا » ، قال : اليهود ، يفرحون بما آتى الله إبراهيم عليه السلام .

٨٣٤٧ — حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا وهب بن جرير قال ، حدثنا شعبة عن أبي المعلى العطّار ، عن سعيد بن جبير قال : هم اليهود ، فرحوا بما أعطى الله تعالى إبراهيم عليه السلام .

* * *

وقال آخرون: بل عُنى بذلك قومٌ من اليهود، سألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه ، ففرحوا بكتمانهم ذلك إياه .

ذكر من قال ذلك :

---

(١) قوله : « ولا تملك يهود ذلك » كأنه يعني : ولا تملك يهود النجاة من عذاب الله ، كما أنذرهم في الآية .

٨٣٤٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن جريج قال ، أخبرني ابن أبي مليكة: أن علقمة بن أبي وقاص أخبره : أن مروان قال لرافع : اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل له : « لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً ، ليعذبنا الله أجمعين » ! فقال ابن عباس : ما لكم ولهذه ! إنما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يهود ، فسألهم عن شيء ، فكتموه إياه ، وأخبروه بغيره ، فأروه أن قد استجابوا لله بما أخبروه عنه مما سألهم ، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إياه . ثم قال : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب » ، الآية .

٨٣٤٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج : أخبرني عبد الله بن أبي مليكة : أن حميد بن عبدالرحمن بن عوف أخبره: أن مروان بن الحكم قال لبوابه : يا رافع ، اذهب إلى ابن عباس فقل له : « لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً ، لنعذبن جميعاً » ! فقال ابن عباس: ما لكم ولهذه الآية ؟ إنما أنزلت في أهل الكتاب ! ثم تلا ابن عباس : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس » إلى قوله : « أن يحمدوا بما لم يفعلوا » . قال ابن عباس : سألهم النبيّ صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه إياه ، وأخبروه بغيره ، فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما قد سألهم عنه ، فاستحمدوا بذلك إليه ، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إياه ما سألهم عنه .[1]

* * *

---

(١) الأثران : ٨٣٤٨ ، ٨٣٤٩ – أخرجهما البخاري في كتاب التفسير ، الأول من طريق : « إبراهيم بن موسى عن هشام ، أن ابن جريج أخبرهم . . . » والآخر من طريق : « ابن مقاتل ، أخبرنا الحجاج ، عن ابن جريج » ، وأخرجه الترمذي في كتاب التفسير . وقد استوفى الحافظ ابن حجر في الفتح ٨ : ١٧٥ ، ١٧٦ ، في هذين الأثرين ، ذكر رافع ، الذي لم يروا له ذكراً في كتب الرواة ، وفي اختلافهم على ابن جريج في شيخ شيخه مرة « علقمة بن أبي وقاص » ، وأخرى « حميد بن عبد الرحمن بن عوف » . وانظر أسباب النزول للواحدي : ١٠١ ، ١٠٢ .

وقال آخرون : بل عنى بذلك قومٌ من يهود، أظهروا النفاق للنبي صلى الله عليه وسلم محبة منهم للحمد، والله عالم منهم خلاف ذلك .

* ذكر من قال ذلك :

٨٣٥٠ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : ذكر لنا أنّ أعداء الله اليهود، يهود خيبر، أتوا نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فزعموا ١٣٩/٤
أنهم راضون بالذى جاء به ، وأنهم متابعوه ، وهم متمسكون بضلالتهم ، وأرادوا أن يحمَدهم نبي الله صلى الله عليه وسلم بما لم يفعلوا ، فأنزل الله تعالى : « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا » ، الآية .

٨٣٥١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : إن أهل خيبر أتوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقالوا : « إنا على رأيكم وسنتكم ،(١) وإنا لكم رِدْء » .(٢) فأكذبهم الله فقال : « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا » الآيتين .

٨٣٥٢ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة قال : جاء رجل إلى عبد الله فقال : إن كعباً يقرأ عليك السلام ويقول : إن هذه الآية لم تنزل فيكم : « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا » ، قال : أخبروه أنها نزلت وهو يهودى .(٣)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب فى تأويل قوله : « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا » الآية، قول من قال: «عنى بذلك أهل الكتاب الذين أخبر

---

(١) فى المطبوعة : « على رأيكم وهيئتكم » ، والذى فى المخطوطة « على رأيكم وسكم » غير منقوطة ، وأرجح أن صواب قراءتها ما أثبت . وأكثر من روى هذا الخبر حذف منه هذه الكلمة . و « السنة » : الطريقة والنهج

(٢) « الردء » : العون والناصر ، ينصره ويشد ظهره .

(٣) الأثر : ٨٣٥٢ – انظر الأثر السالف رقم : ٨٣٢٥ ، « وكعب » هو « كعب الأحبار » .

الله جل وعزّ أنه أخذ ميثاقهم ليبينّ للناس أمر محمد صلى الله عليه وسلم ولا يكتمونه ». لأن قوله : «لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا»، الآية ، فى سياق الخبر عنهم ، وهو شبيه بقصتهم ، مع اتفاق أهل التأويل على أنهم المعنيون بذلك .

فإذْ كان ذلك كذلك ، فتأويل الآية : لا تحسبن، يا محمد، الذين يفرحون بما أتوا من كتمانهم الناس أمرك ، وأنك لى رسول مرسل بالحق ، وهم يجدونك مكتوباً عندهم فى كتبهم ، وقد أخذت عليهم الميثاق بالإقرار بنبوتك، وبيان أمرك للناس، وأن لا يكتموهم ذلك ، وهم مع نقضهم ميثاق الذى أخذت عليهم بذلك ، يفرحون بمعصيتهم إياى فى ذلك ، ومخالفتهم أمرى ، ويحبون أن يحمدهم الناس بأنهم أهل طاعة لله وعبادة وصلاة وصوم ، واتباع لوحيه وتنزيله الذى أنزله على أنبيائه ، وهم من ذلك أبرياء أخلياء ، لتكذيبهم رسوله ، ونقضهم ميثاقه الذى أخذ عليهم ، لم يفعلوا شيئاً مما يحبون أن يحمدهم الناس عليه = « فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم » .

* * *

وقوله : «فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب » ، فلا تظنهم بمنجاة من عذاب الله الذى أعده لأعدائه فى الدنيا ،[1] من الخسف والمسخ والرجف والقتل ، وما أشبه ذلك من عقاب الله ، ولا هم ببعيد منه ،[2] كما : —

٨٣٥٣ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب » ، قال : بمنجاة من العذاب .

* * *

قال أبو جعفر : « ولهم عذاب أليم » ، يقول : ولهم عذابٌ فى الآخرة أيضاً مؤلم ، مع الذى لهم فى الدنيا معجل .[3]

* * *

(١) انظر تفسير « فاز » فيما سلف قريباً ص : ٤٥٢

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٥٠

(٣) أخشى أن يكون صواب العبارة : « ولهم عذاب مؤلم فى الآخرة أيضاً مؤجل ، مع الذى لهم فى الدنيا معجل » .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١٨٩)

قال أبو جعفر : وهذا تكذيب من الله جل ثناؤه الذين قالوا : « إن الله فقير ونحن أغنياء » . يقول تعالى ذكره ، مكذباً لهم : لله ملك جميع ما حوته السموات والأرض . فكيف يكون ، أيها المفترون على الله ، من كان ملك ذلك له فقيراً ؟

ثم أخبر جل ثناؤه أنه القادر على تعجيل العقوبة لقائلى ذلك ، ولكل مكذب به ومفتر عليه ، وعلى غير ذلك مما أراد وأحب ، ولكنه تفضل بحلمه على خلقه = فقال : « والله على كل شىء قدير » ، يعنى : من إهلاك قائلى ذلك ، وتعجيل عقوبته لهم ، وغير ذلك من الأمور .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (١٩٠)

قال أبو جعفر : وهذا احتجاج من الله تعالى ذكره على قائل ذلك ، وعلى سائر خلقه ، بأنه المدبر المصرّف الأشياء والمسخّر ما أحب ، وأن الإغناء والإفقار إليه وبيده ، فقال جل ثناؤه : تدبروا أيها الناس واعتبروا ، ففيما أنشأته فخلقته من السموات والأرض لمعاشكم وأقواتكم وأرزاقكم ، وفيما عقّبت بينه من الليل والنهار ٤/١٤٠ فجعلتهما يختلفان ويعتقبان عليكم ،(١) تتصرفون فى هذا لمعاشكم ، وتسكنون فى

(١) عاقب بين الشيئين : راوح بينهما ، لهذا مرة ولذاك مرة . واستعمل الطبرى « عقب » مشددة القاف ، بنفس المعنى ، كما يقال : « ضاعف وضعف » ، و « عاقد وعقد » . و « اعتقب الليل والنهار » جاء هذا بعد هذا ، دواليك .

هذا راحة لأجسادكم = معتبر ومدّكر وآيات وعظات . فمن كان منكم ذا لُبٍّ وعقل ، يعلم أن من نسبني إلى أنّي فقير وهو غني ، كاذب مفتر ،[1] فإنّ ذلك كله بيدي أقلّبه وأصرّفه ، ولو أبطلت ذلك لهلكتم ، فكيف ينسب إلى فقر من كان كل ما به عيش ما في السموات والأرض بيده وإليه ؟[2] أم كيف يكون غنيًّا من كان رزقه بيد غيره ، إذا شاء رزقه ، وإذا شاء حرّمه ؟ فاعتبروا يا أولى الألباب .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾

قال أبو جعفر : وقوله : « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً » من نعت « أولى الألباب » ، و « الذين » في موضع خفض ردًّا على قوله : « لأولى الألباب » .

* * *

ومعنى الآية : إنّ في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ، الذاكرين الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم = يعني بذلك : قياماً في صلاتهم ، وقعوداً في تشهدهم وفي غير صلاتهم ، وعلى جنوبهم نياماً ، كما : —

٨٣٥٤ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن

---

(١) في المخطوطة : « يعلم أنه أن من نسبي إلى أني فقير وهو غني ، دادب معي » ، وهو كلام مصحف مضطرب ، والذي في المطبوعة أشبه بالصواب إن شاء الله .

(٢) في المطبوعة : « فكيف ينسب فقر إلى من كان . . . » ، أخر « إلى » ، والصواب الجيد تقديمها كما في المخطوطة .

ابن جريج قوله : « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً »الآية ، قال : هو ذكر الله في الصلاة وفي غير الصلاة ، وقراءة القرآن .

٨٣٥٥ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم » ، وهذه حالاتك كلها يا ابن آدم ، فاذكره وأنت على جنبك ، يُسراً من الله وتخفيفاً .

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : وكيف قيل : « وعلى جنوبهم » : فعطف بـ « على » وهي صفة ، [1] على « القيام والقعود » وهما اسمان ؟

قيل : لأن قوله : « وعلى جنوبهم» في معنى الاسم ، ومعناه: ونياماً ، أو: « مضطجعين على جنوبهم »، فحسن عطف ذلك على « القيام » و « القعود » لذلك المعنى ، كما قيل : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا ﴾ [سورة يونس : ١٢] ، فعطف بقوله : « أو قاعداً أو قائماً » على قوله : « لجنبه» ، لأن معنى قوله « لجنبه » ، مضطجعاً ، [2] فعطف بـ « القاعد » و « القائم » على معناه . فكذلك ذلك في قوله : « وعلى جنوبهم » . [3]

* * *

وأما قوله: « ويتفكرون في خلق السموات والأرض » ، فإنه يعني بذلك أنهم يعتبرون بصنعة صانع ذلك ، فيعلمون أنه لا يصنع ذلك إلا مَن ليس كمثله شيء ، ومن هو مالك كل شيء ورازقه ، وخالق كل شيء ومدبره ، ومن هو على كل شيء قدير ، وبيده الإغناء والإفقار ، والإعزاز والإذلال ، والإحياء والإماتة ، والشقاء والسعادة .

* * *

---

(١) « الصفة » : حرف الجر ، كما سلف في مواضع كثيرة ، وانظر ١ : ٢٩٩ ، تعليق : ١ ، وفهرس المصطلحات في الأجزاء السالفة .

(٢) انظر ما سلف ٣ : ٤٧٥

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٢٥٠

القول فى تأويل قوله ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (١٩١)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : « ويتفكرون فى خلق السموات والأرض » قائلين : « ربنا ما خلقت هذا باطلا » ، فترك ذكر « قائلين » ، إذ كان فيما ظهر من الكلام دلالة عليه

* * *

وقوله : «ما خلقت هذا باطلا » ، يقول : لم تخلق هذا الخلق عبثاً ولا لعباً ، ولم تخلقه إلاّ لأمر عظيم من ثواب وعقاب ومحاسبة ومجازاة ، وإنما قال « ما خلقت هذا باطلا» ، ولم يقل : « ما خلقت هذه ، ولا : هؤلاء » ، لأنه أراد بـ « هذا » ، الخلقَ الذى فى السموات والأرض. يدل على ذلك قوله : « سبحانك فقنا عذاب النار» ، ورغبتهم إلى ربهم فى أن يقيهم عذاب الجحيم . ولو كان المعنىّ بقوله : « ما خلقت هذا باطلا » ، السموات والأرض ، لما كان لقوله عقيب ذلك : « فقنا عذاب النار » ، معنى مفهوم . لأن « السموات والأرض» أدلة على بارئها ، لا على الثواب والعقاب ، وإنما الدليل على الثواب والعقاب ، الأمر والنهى .

وإنما وصف جل ثناؤه : « أولى الألباب » الذين ذكرهم فى هذه الآية : أنهم إذا رأوا المأمورين المنهيّين قالوا : «يا ربنا لم تخلُق هؤلاء باطلا عبثاً سبحانك »، يعنى : تنزيهاً لك من أن تفعل شيئاً عبثاً ، ولكنك خلقتهم لعظيم من الأمر ، لجنة أو نار .

١٤١/٤ ثم فزِعوا إلى ربهم بالمسألة أن يجيرهم من عذاب النار ، وأن لا يجعلهم ممن عصاه وخالف أمره ، فيكونوا من أهل جهنم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ (١٩٢)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى ذلك .

فقال بعضهم : معنى ذلك : ربنا إنك من تدخل النار من عبادك فتخلده فيها ، فقد أخزيته . قال : ولا يخزى مؤمن مصيرُه إلى الجنة ، وإن عذِّب بالنار بعض العذاب .

* ذكر من قال ذلك :

٨٣٥٦ – حدثنى أبو حفص الجبيرى ومحمد بن بشار قالا، أخبرنا المؤمل ، أخبرنا أبو هلال ، عن قتادة ، عن أنس فى قوله : « ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته » ، قال : من تُخلد .(١)

٨٣٥٧ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن رجل ، عن ابن المسيب : « ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته » ، قال : هى خاصة لمن لا يخرج منها .

٨٣٥٨ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو النعمان عارم قال ، حدثنا حماد ابن زيد قال ، حدثنا قبيصة بن مروان ، عن الأشعث الحمْلىّ قال، قلت للحسن : يا أبا سعيد ، أرأيت ما تذكر من الشفاعة ، حق هو ؟ قال : نعم، حق . قال ، قلت : يا أبا سعيد ، أرأيت قول الله تعالى : « ربنا إنك من تدخل النار فقد

---

(١) الأثر : ٨٣٥٦ – « أبو حفص الجبيرى »، لم أجده، والذى يروى عنه أبو جعفر هو عمرو ابن على الفلاس ، « أبو حفص الصيرفى» ، وهو فى المخطوطة « الحبرى » غير منقوطة ، ولا أدرى أيقرأ « الجبيرى » أو « الخيبرى» ، ولم أجد هذه النسبة فى ترجمة « عمرو بن على الفلاس» ، . وعمرو بن على الفلاس يروى عن مؤمل بن إسماعيل كما مضى فى مواضع كثيرة منها رقم : ١٨٨٥ ، ١٨٩١ ، ١٨٩٨ ، وغيرها كثير .

أخزيته » و﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا ﴾[(١)] [سورة المائدة : ٣٧] ؟ قال فقال لى : إنك والله لا تسطو على بشىء ،[(٢)] إنّ للنار أهلاً لا يخرجون منها ، كما قال الله . قال قلت : يا أبا سعيد ، فيمن دخلوا ثم خرجوا ؟ قال : كانوا أصابوا ذنوباً فى الدنيا فأخذهم الله بها ، فأدخلهم بها ثم أخرجهم ، بما يعلم فى قلوبهم من الإيمان والتصديق به .[(٣)]

٨٣٥٩ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « إنك من تدخل النار فقد أخزيته » ، قال : هو من يخلد فيها .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : ربنا إنك من تدخل النار ، من مخلد فيها وغير مخلد فيها ، فقد أخزى بالعذاب .

* ذكر من قال ذلك :

٨٣٦٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا الحارث بن مسلم ، عن بحر ، عن عمرو بن دينار قال : قدم علينا جابر بن عبد الله فى عمرة ، فانتهيت إليه أنا وعطاء فقلت : « ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته » ؟ قال :

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة ، أسقط « الواو » بين الآيتين ، والصواب إثباتها كما يدل عليه سياق سؤاله ، وجواب الحسن له .

(٢) فى المطبوعة : « إنك والله لا تستطيع على شىء » ، وهو كلام لا خير فيه ، والصواب ما أثبته من المخطوطة ، غيره الناشرون إذ لم يفهموه . وقوله : « لا تسطو على بشىء » ، أى : إنك لا تحتج على بحجة تقهرنى بها وتغلبنى . وأصله من « السطو » ، وهو البطش والقهر . و « فلان يسطو على فلان » ، أى يتطاول عليه .

(٣) الأثر : ٨٣٥٨ — « قبيصة بن مروان بن المهلب » روى عن والان ، وروى عنه حماد بن زيد . مترجم فى الكبير ٤/١/١٧٧ ، وابن أبى حاتم ٣/٢/١٢٥ . والأشعث الحمل » منسوب إلى جده ، وهو : « الأشعث بن عبد الله بن جابر الحدانى الأعمى » ويقال : « الأزدى » ، و « حدان » بطن من الأزد . روى عن أنس ، والحسن ، وابن سيرين . وروى عنه شعبة ، وحماد بن سلمة ، ويحيى بن سعيد القطان ، مترجم فى التهذيب .

وما أخزاه حين أحرقه بالنار ! وإن دون ذلك لخزياً .[١]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين بالصواب عندى ، قول جابر : « إن من أدخل النار فقد أخزى بدخوله إياها وإن أخرج منها » . وذلك أن « الخزى » إنما هو هتك ستر المخزىّ وفضيحته ،[٢] ومن عاقبه ربه فى الآخرة على ذنوبه ، فقد فضحه بعقابه إياه ، وذلك هو « الخزى » .

* * *

وأما قوله : « وما للظالمين من أنصار » ، يقول : وما لمن خالف أمر الله فعصاه ، من ذى نُصرة له ينصره من الله ، فيدفع عنه عقابه ، أو ينقذه من عذابه .

* * *

---

(١) الأثر : ٨٣٦٠ — « الحارث بن مسلم الرازى » مضى برقم : ٨٠٩٧ ، و « بحر السقاء » ، هو « بحر بن كنيز الباهلى السقاء » مضى أيضاً برقم : ٨٠٩٧ ، وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « الحارث ابن مسلم ، عن يحيى بن عمرو بن دينار » ، وهو خطأ صرف .

وهذا الأثر قد أخرجه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٣٠٠ ، ولم يقل فيه شيئاً ، وقال الذهبى فى تعليقه : « قلت : بحر هالك » ، ورواه بأتم مما هنا ، بيد أن السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ١١١ ، خرجه ، ونسبه للحاكم وابن جرير ، وساق لفظ الأثر بأتم من لفظ أبى جعفر ، ومخالفاً لفظ الحاكم ، ولفظه : « قدم علينا جابر بن عبد الله فى عمرة ، فانتهت إليه أنا وعطاء ، فقلت : « وما هم بخارجين من النار » ؟ قال : أخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم الكفار . قلت لجابر : فقوله : إنك من تدخل النار فقد أخزيته . . . » ، وسائر لفظه مطابق لما فى الطبرى .

وفى المخطوطة : « حين أحروه بالنار » ، والصواب ما فى المطبوعة ، موافقاً لفظ الحاكم والسيوطى . وفى المخطوطة والمطبوعة : « وما إخزاؤه » وهو لا يستقيم ، والصواب ما فى الدر المنثور . وقوله : « ما أخزاه » تعجب . والذى فى الحاكم « قد أخزاه حين أحرقه بالنار » . فهما روايتان تصحح إحداهما معنى الأخرى . ويدل على صواب ذلك ترجيح الطبرى لقول جابر فى الفقرة التالية .

(٢) انظر تفسير « الخزى » فيما سلف ٢ : ٣١٤ ، ٥٢٥ .

القول فى تأويل قوله ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾ (١٩٣)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل « المنادى » الذى ذكره الله تعالى فى هذه الآية .

فقال بعضهم : « المنادى » فى هذا الموضع ، القرآن .

* ذكر من قال ذلك :

٨٣٦١ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا قبيصة بن عقبة قال ، حدثنا سفيان ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب : « إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان » ، قال : هو الكتاب ، ليس كلهم نبى النبى صلى الله عليه وسلم .(١)

٨٣٦٢ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا منصور بن حكيم ، عن خارجة ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظى فى قوله : « ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان » ، قال : ليس كل الناس سمع النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ولكن المنادى القرآن .(٢)

* * *

وقال آخرون : بل هو محمد صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الأثر : ٨٣٦١ – « قبيصة بن عقبة بن محمد السوائى » مضى برقم : ٤٨٩ ، ٢٧٩٢ ، وهو ثقة معروف ، أخرج له الستة ، وتكلم بعضهم فى روايته عن سفيان الثورى : بأنه يخطىء فى بعض روايته ، بأنه سمع من الثورى صغيراً .

و « موسى بن عبيدة بن نشيط الربذى » ، ضعيف جداً ، مضى برقم : ١٨٧٥ ، ١٨٧٦ ، ٣٢٩١

(٢) الأثر : ٨٣٦٢ – « منصور بن حكيم » ، لم أعرفه ولم أجد له ترجمة ، وكذلك « خارجة » لم أعرف من يكون فيمن اسمه « خارجة » ، وأخشى أن يكون فيهما تصحيف أو تحريف .

* ذكر من قال ذلك :

٨٣٦٣ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قوله : « إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان » : قال : هو محمد صلى الله عليه وسلم .

٨٣٦٤ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان » ، قال : ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . ٤/١٤٢

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك بالصواب ، قول محمد بن كعب ، وهو أن يكون « المنادى » القرآن . لأن كثيراً ممن وصفهم الله بهذه الصفة في هذه الآيات ، ليسوا ممن رأى النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا عاينه فسمعوا دعاءه إلى الله تبارك وتعالى ونداءه ، ولكنه القرآن ، وهو نظير قوله جل ثناؤه مخبراً عن الجن إذ سمعوا كلام الله يتلى عليهم أنهم قالوا : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ ﴾ [سورة الجن : ١ ، ٢] .

وبنحو ذلك :–

٨٣٦٥ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان » إلى قوله : « وتوفَّنا مع الأبرار » ، سمعوا دعوة من الله فأجابوها فأحسنوا الإجابة فيها ، وصبروا عليها . ينبئكم الله عن مؤمن الإنس كيف قال ، وعن مؤمن الجن كيف قال . فأما مؤمن الجن فقال : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ وأما مؤمن الإنس فقال : « إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا » ، الآية .

* * *

وقيل : « إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان » ، يعني : ينادى إلى الإيمان ، كما

قال تعالى ذكره : ﴿ الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا ﴾ [سورة الأعراف : ٤٣] ، بمعنى : هدانا إلى هذا ، (١) وكما قال الراجز : (٢)

أَوْحَى لَهَا القَرَارَ فَاسْتَقَرَّتِ وَشَدَّهَا بِالرَّاسِيَاتِ الثُّبَّتِ (٣)

بمعنى : أوحى إليها ، ومنه قوله : ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴾ [سورة الزلزلة : ٥] .

* * *

وقيل : يحتمل أن يكون معناه : إننا سمعنا منادياً للإيمان ، ينادى أن آمنوا بربكم. (٤)

* * *

فتأويل الآية إذاً : ربنا سمعنا داعياً يدعو إلى الإيمان = يقول : إلى التصديق بك ، والإقرار بوحدانيتك ، واتباع رسولك ، وطاعته فيما أمرنا به ونهانا عنه مما جاء به من عندك = « فآمنا ربنا » ، يقول : فصدقنا بذلك يا ربنا = « فاغفر لنا ذنوبنا » ، يقول : فاستر علينا خطايانا ، ولا تفضحنا بها فى القيامة على رؤوس الأشهاد ، بعقوبتك إيانا عليها ، ولكن كفّرها عنا ، وسيئات أعمالنا ، فامحها بفضلك ورحمتك إيانا = « وتوفنا مع الأبرار » ، يعنى بذلك : واقبضنا إليك إذا قبضتنا إليك ، فى عداد الأبرار ، واحشرنا محشرهم ومعهم .

* * *

و « الأبرار » جمع « بَرّ » وهم الذين برُّوا الله تبارك وتعالى بطاعتهم إياه وخدمتهم له ، حتى أرضوه فرضى عنهم . (٦)

* * *

---

(١) انظر ما سلف ١ : ١٦٩ .

(٢) هو العجاج .

(٣) سلف تخريجهما فى ٦ : ٤٠٥ ، تعليق : ٣ .

(٤) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٥٠ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١١١ .

(٥) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١١١ .

(٦) وانظر تفسير «البر» فيما سلف ٢ : ٨/٣ : ٣٣٦ - ٣٣٨ ، ٥٥٦/٤ : ٤٢٥/٦ : ٥٨٧

القول فى تأويل قوله ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ (١٩٤)

قال أبو جعفر : إن قال لنا قائل : وما وجه مسألة هؤلاء القوم ربَّهم أن يؤتيهم ما وعدهم ، وقد علموا أن الله منجز وعده ، وغيرُ جائز أن يكون منه إخلاف موعد ؟

قيل : اختلف فى ذلك أهل البحث .(١)

فقال بعضهم : ذلك قول خرج مخرج المسألة ، ومعناه الخبر . قالوا : وإنما تأويل الكلام : « ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا ، وتوفنا مع الأبرار » ، لتؤتينا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة . قالوا : وليس ذلك على أنهم قالوا : « إن توفيتنا مع الأبرار ، فأنجز لنا ما وعدتنا » ، لأنهم قد علموا أن الله لا يخلف الميعاد ، وأن ما وعد على ألسنة رسله ليس يعطيه بالدعاء ،(٢) ولكنه تفضل بابتدائه ، ثم ينجزه .(٣)

* * *

وقال آخرون : بل ذلك قول من قائليه على معنى المسألة والدعاء لله بأن يجعلهم ممن آتاهم ما وعدهم من الكرامة على ألسن رسله ،(٤) لا أنهم كانوا قد

---

(١) « أهل البحث » ، أهل النظر من المتكلمين ، وانظر ما سلف ٥ : ٣٨٧ ، تعليق ٢ ، وأيضاً : ٤٠٦ ، تعليق : ١ .

(٢) فى المخطوطة : « بعطية » ، وعلى الياء شدة ، وكأن الصواب ما فى المطبوعة على الأرجح .

(٣) فى المطبوعة : « تفضل بإيتائه » ، والصواب ما فى المخطوطة ، يعنى أن الله ابتدأه متفضلا به من غير سؤال ولا دعاء .

(٤) فى المطبوعة : « بل ذلك قول من قائله » على الإفراد ، وصواب السياق الجمع ، كما فى المخطوطة .

استحقوا منزلة الكرامة عند الله فى أنفسهم ، ثم سألوه أن يؤتيهم ما وعدهم بعد علمهم باستحقاقهم عند أنفسهم ، فيكون ذلك منهم مسألة لربهم أن لا يُخلف وعده . قالوا : ولو كان القوم إنما سألوا ربهم أن يؤتيهم ما وعد الأبرار ، لكانوا قد زكَّوْا أنفسهم ، وشهدوا لها أنها ممن قد استوجب كرامة الله وثوابه . قالوا . وليس ذلك صفة أهل الفضل من المؤمنين .

* * *

وقال آخرون : بل قالوا هذا القول على وجه المسألة والرغبة منهم إلى الله أن يؤتيهم ما وعدهم من النصر على أعدائهم من أهل الكفر ، والظفر بهم ، وإعلاء كلمة الحق على الباطل ، فيعجل ذلك لهم . قالوا : ومحال أن يكون القوم = مع وصف الله إياهم بما وصفهم به ، كانوا على غير يقين من أن الله لا يخلف الميعاد ، فيرغبوا إلى الله جل ثناؤه فى ذلك ، ولكنهم كانوا وُعدوا النصرَ ، ولم يوقَّت لهم فى تعجيل ذلك لهم ، لما فى تعجّله من سرور الظفر وراحة الجسد . ٤/١٤٣

* * *

قال أبو جعفر : والذى هو أولى الأقوال بالصواب فى ذلك عندى ، أن هذه الصفة صفة من هاجر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من وطنه وداره ، مفارقاً لأهل الشرك بالله إلى الله ورسوله ، وغيرهم من تُبّاع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين رغبوا إلى الله فى تعجيل نصرتهم على أعداء الله وأعدائهم ، فقالوا : ربنا آتنا ما وعدتنا من نُصرتك عليهم عاجلا ، فإنك لا تخلف الميعاد ، ولكن لا صبر لنا على أناتك وحلمك عنهم ، فعجل [لهم] خزيهم ، ولنا الظفر عليهم .(١)

يدل على صحة ذلك آخر الآية الأخرى ، وهو قوله : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ

(١) فى المطبوعة : « فعجل حربهم » ، وفى المخطوطة ، غير منقوطة ، إلا نقطة على الخاء ، وصواب قراءتها ما أثبت . وزدت «لهم» بين القوسين ، استظهاراً من قوله « ولنا الظفر عليهم » . ولو كان قوله « ولنا» تصحيف « وآتنا » ، لكان جيداً أيضاً ، ولما احتاج الكلام إلى زيادة « لهم » .

بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا ﴾ الآيات بعدها . وليس ذلك مما ذهب إليه الذين حكيت قولهم فى شىء . وذلك أنه غير موجود فى كلام العرب أن يقال : « افعل بنا يارب كذا وكذا » ، بمعنى : « لتفعل بنا كذا وكذا » .[1] ولو جاز ذلك ، لجاز أن يقول القائل لآخر[2] : « أقبل إلىّ وكلمنى » ، بمعنى : « أقبل إلىّ لتكلمنى » ، وذلك غير موجود فى الكلام ولا معروف جوازه .

وكذلك أيضاً غير معروف فى الكلام : « آتنا ما وعدتنا » ، بمعنى : « اجعلنا ممن آتيته ذلك » . وإن كان كل من أعطى شيئاً سنيًّا ، فقد صُيِّر نظيراً لمن كان مثله فى المعنى الذى أعطيه . ولكن ليس الظاهر من معنى الكلام ذلك ، وإن كان قد يؤول معناه إليه .[3]

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام إذاً : ربنا أعطنا ما وعدتنا على ألسن رسلك : أنك تُعلى كلمتك كلمةَ الحق ، بتأييدنا على من كفر بك وحادَّك وعبد غيرك[4] = وعجّل لنا ذلك ، فإنا قد علمنا أنك لا تخلف ميعادك — ولا تخزنا يوم القيامة فتفضحنا بذنوبنا التى سلفت منا ، ولكن كفِّرها عنا ، واغفرها لنا ، وقد : —

٨٣٦٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك » ، قال : يستنجز موعود الله على رُسله .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « بمعنى أفعل بنا لكذا الذى . ولو جاز ذلك ... » ، وهذا خلط ليس له معنى مفهوم . وفى المخطوطة : « بمعنى : افعل بنا كذى الذى . ولو جاز ذلك » ، وهذا خلط أشد فساداً من الأول . والصواب الذى لاشك فيه هو ما أثبته ، لأن هذا رد من أبى جعفر على أصحاب القول الأول الذين قالوا إنها بمعنى : « لتؤتينا ما وعدتنا » فى تفسير « وآتنا ما وعدتنا » ، ولأنه مثل بعد بقوله : « أقبل إلى وكلمنى » ، أنه غير موجود بمعنى « أقبل إلى لتكلمنى » .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « أن يقول القائل الآخر » وهو خطأ لاشك فيه .

(٣) وهذا رد على أصحاب القول الثانى من الأقوال الثلاثة التى ذكرها قبل . وهم الذين قالوا إن قوله : « وآتنا ما وعدتنا » ، على معنى المسألة والدعاء لله بإن يجعلهم ممن آتاهم ما وعدهم

(٤) فى المخطوطة : « بأيدينا على من كفر بك » ، وأرجح ما جاء فى المطبوعة .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره : فأجاب هؤلاء الداعين = بما وصف من أدعيتهم أنهم دعوا به[1] = ربُّهم : بأنى لا أضيع عمل عامل منكم عمل خيراً، ذكراً كان العامل أو أنثى .

* * *

وذكر أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما بال الرجال يُذكرون ولا تذكر النساء فى الهجرة » ؟ فأنزل الله تبارك وتعالى فى ذلك هذه الآية .

٨٣٦٧ــ حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : قالت أم سلمة : يا رسول الله ، تُذكر الرجال فى الهجرة ولا نذكر ؟ فنزلت : « أنّى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى » ، الآية .[2]

---

(١) فى المطبوعة « فأجاب هؤلاء الداعين بما وصف الله عنهم أنهم دعوا به ربهم . . . » وهو كلام لا يستقيم . وفى المخطوطة : « فأجاب الله هؤلاء الداعين بما وصف الله عنهم أنهم دعوه به ربهم..» وهو أيضاً غير مستقيم ، والصواب الراجح ما أثبت . لأن الله عدد أدعيتهم التى دعوه بها قبل فى الآيات السالفة ، فكان صواباً أن يذكرها إجمالا فى بيان تفسير الآية . وغير مستقيم فى العربية أن يقال : « وصف عن فلان كذا » ، فلذلك رجحت قراءتها كما أثبت . والناسخ كما ترى كثير السهو والغلط .

وسياق الكلام « فأجاب هؤلاء الداعين . . . ربهم » برفع «ربهم » ، وما بينهما فصل فى السياق، وهو تأويل قوله : « فاستجاب لهم ربهم » .

(٢) الحديث : ٨٣٦٧ – هذا إسناد صحيح . ومؤمل : هو ابن إسمعيل ، وهو ثقة ، كما ذكرنا فى : ٢٠٥٧ .

سفيان – هنا – : هو الثورى ، وإن كان مؤمل يروى أيضاً عن ابن عيينة . ولكن بين أنه الثورى فى رواية الحاكم ، كما سنذكر فى التخريج ، إن شاء الله .

والحديث رواه الطبرى أيضاً ، فيما يأتى فى تفسير الآية : ٢٥ من سورة الأحزاب (ج ٢٢ ص ٨ بولاق) ، عن ابن حميد ، عن مؤمل ، بهذا الإسناد . وذكره سبباً لنزول تلك الآية .

٨٣٦٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار قال : سمعت رجلا من ولد أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم يقول : قالت أم سلمة : يا رسول الله ، لا أسمع الله يذكر النساء في الهجرة بشيء ؟ فأنزل الله تبارك وتعالى : « فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى » .

٨٣٦٩ – حدثنا الربيع بن سليمان قال ، حدثنا أسد بن موسى قال ، حدثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن رجل من ولد أم سلمة ، عن أم سلمة : أنها

والحديث مروى على أنه سبب في نزول هذه الآية وتلك .

فرواه الحاكم في المستدرك ٢ : ٤١٦ ، من طريق الحسين بن حفص ، عن سفيان بن سعيد [وهو الثوري] ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن أم سلمة ، قالت : « قلت : يا رسول الله ، يذكر الرجال ولا يذكر النساء ؟ فأنزل الله عز وجل : « إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات » الآية ، وأنزل : « أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى » . وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبي .

والحسين بن حفص الهمداني الإصبهاني : ثقة ، كما ذكرنا في شرح : ٢٤٣٥ .

وقد ذكر ابن كثير رواية الطبري الأخرى ، في سورة الأحزاب ٦ : ٥٣٣ ، غير منسوب .

ورواه أحمد في المسند ٦ : ٣٠١ (حلبي) ، سبباً لنزول آية الأحزاب . رواه من وجهين ، جمعهما في إسناد واحد : من رواية عبد الله بن رافع مولى أم سلمة ، ومن رواية عبد الرحمن بن شيبة المكي الحجبي = كلاهما عن أم سلمة .

ثم أعاده مرة أخرى ، ص : ٣٠٥ من الوجهين ، فرقهما إسنادين .

ورواه المزي في تهذيب الكمال ، في ترجمة « عبد الرحمن بن شيبة » ، بإسناده إليه .

وذكر الحافظ في تهذيب التهذيب أن النسائي رواه في التفسير من طريق عبد الرحمن . فهو في السنن الكبرى .

ورواه الطبري ، فيما سيأتي (ج ٢٢ ص ٨ بولاق) ، من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، عن أم سلمة – سبباً لنزول آية الأحزاب .

ويحيى بن عبد الرحمن : تابعي ثقة جليل رفيع القدر .

وذكر ابن كثير ٦ : ٥٣٣ أنه رواه النسائي من طريقه . ثم أشار إلى رواية الطبري إياه .

وانظر أيضاً الدر المنثور ٥ : ٢٠٠ .

فالحديث في الموضعين في الطبري ، من طريق مجاهد = مختصر .

وانظر الروايتين التاليتين لهذا .

قالت : يا رسول الله ، لا أسمع الله ذكر النساء فى الهجرة بشىء ؟ فأنزل الله
٤/١٤٤ تعالى : « فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض » .(١)

* * *

وقيل : « فاستجاب لهم » : بمعنى : فأجابهم ، كما قال الشاعر (٢) :

وَدَاعٍ دَعَا: يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى؟ فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ(٣)

بمعنى : فلم يجبه عند ذاك مجيب .

* * *

---

(١) الحديثان : ٨٣٦٨ ، ٨٣٦٩ – الرجل من ولد أم سلمة : أبهم هنا ، ولكنه عرف من إسناد آخر .

وكذلك ذكره الترمذى فى روايته مبهماً .

فرواه ٤ : ٨٨ ، عن ابن أبى عمر ، عن سفيان – وهو ابن عيينة – بهذا الإسناد .

وكذلك أبهمه سعيد بن منصور : فرواه عن سفيان ، به . فيما نقله عنه ابن كثير فى التفسير ٢ : ٣٢٦ .

وبينه الحاكم فى المستدرك .

فرواه ٢ : ٣٠٠ ، من طريق يعقوب بن حميد : « حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن سلمة بن أبى سلمة : رجل من ولد أم سلمة ، عن أم سلمة » .

وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط البخارى ، ولم يخرجاه . سمعت أبا أحمد الحافظ – وذكر فى بحثين فى كتاب البخارى : يعقوب عن سفيان ، ويعقوب عن الدراوردى = فقال أبو أحمد : هو يعقوب بن حميد » . والذهبى وافق الحاكم على أنه على شرط البخارى .

ويعقوب بن حميد بن كاسب : مضى توثيقه فى : ٤٧٧٩ ، ٤٨٨٠ ، ومضى اعتراض الذهبى على الحاكم فى تصحيح حديثه هناك . فالعجب أن يوافقه هنا !

و « سلمة بن أبى سلمة » هذا : هو « سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبى سلمة » ، نسب إلى جده الأعلى . وبعضهم يذكر نسبه كاملا ، وبعضهم ينسبه لجده ، يقول : « سلمة بن عمر بن أبى سلمة » . وأم سلمة أم المؤمنين : هى أم جده « عمر بن أبى سلمة » .

و « سلمة » هذا : مترجم فى تهذيب التهذيب ، ولم يترجم فى أصله « تهذيب الكمال » . وله ترجمة فى الكبير البخارى ٢/٢/٨١ ، وابن أبى حاتم ٢/١/١٦٦ .

والحديث ذكره السيوطى ٢ : ١١٢ ، دون التقييد بتابعى معين عن أم سلمة ، وزاد نسبته لعبد الرزاق وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والطبرانى .

(٢) كعب بن سعد الغنوى .

(٣) مضى البيت وتخريجه فيما سلف ١ : ٣٢٠ ، تعليق : ١/٣ : ٤٨٣ ، تعليق : ١

وأدخلت «من» في قوله: «من ذكر أو أنثى» على الترجمة والتفسير عن قوله:[1] «منكم»، بمعنى: «لا أضيع عمل عامل منكم»، من الذكور والإناث. وليست «من» هذه بالتي يجوز إسقاطها وحذفها من الكلام في الجحد،[2] لأنها دخلت بمعنى لا يصلح الكلام إلا به.

* * *

وزعم بعض نحويي البصرة أنها دخلت في هذا الموضع كما تدخل في قولهم: «قد كان من حديث»، قال: و«من» ههنا أحسن، لأن النهي قد دخل في قوله: «لا أضيع».

* * *

وأنكر ذلك بعض نحويي الكوفة وقال: = لا تدخل «من» وتخرج إلا في موضع الجَحد.[3] وقال: قوله: «لا أضيع عمل عامل منكم»، لم يدركه الجحد، لأنك لا تقول: «لا أضرب غلام رجل في الدار ولا في البيت»، فتدخل «ولا»،[4] لأنه لم ينله الجحد، ولكن «مِنْ» مفسرة.[5]

* * *

وأما قوله: «بعضكم من بعض»، فإنه يعني: بعضكم = أيها المؤمنون الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم = من بعض، في النصرة والملة والدين،[6] وحكم جميعكم فيما أنا بكم فاعل، على حكم أحدكم في أني لا أضيع عمل ذكرٍ منكم ولا أنثى.

---

(١) «الترجمة»: البدل، كما سلف في ٢: ٣٤٠، تعليق: ١، ص: ٣٧٤، ٤٢٠، ٤٢٤ – ٤٢٦. أما «التفسير»، فكأنه عنى به «التبيين»، ولم يرد التمييز، وانظر فهرس المصطلحات في سائر الأجزاء السالفة.

(٢) انظر زيادة «من» في الجحد فيما سلف ٢: ١٢٦، ١٢٧، ٤٤٢، ٥/٤٧٠: ٥٨٦

(٣) انظر ما سلف ٢: ١٢٧

(٤) في المطبوعة «فيدخل» بالياء، وهو خطأ، وفي المخطوطة غير منقوطة، وهذا صواب قراءتها.

(٥) يعني بقوله «مفسرة» مبينة، وانظر التعليق السالف رقم: ١

(٦) في المطبوعة: «والمسألة والدين»، والصواب من المخطوطة.

القول فى تأويل قوله ﴿ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ (١٩٥)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : «فالذين هاجروا» قومَهم من أهل الكفر وعشيرتهم فى الله ، إلى إخوانهم من أهل الإيمان بالله والتصديق برسوله [١]= «وأخرجوا من ديارهم» ، وهم المهاجرون الذين أخرجهم مشركو قريش من ديارهم بمكة = «وأوذوا فى سبيلى» ، يعنى : وأوذوا فى طاعتهم ربَّهم ، وعبادتهم إياه مخلصين له الدين ، وذلك هو «سبيل الله» التى آذى فيها المشركون من أهل مكة المؤمنين برسول الله صلى الله عليه وسلم من أهلها [٢]= «وقاتلوا» يعنى : وقاتلوا فى سبيل الله = «وقتلوا» فيها [٣]= «لأكفرن عنهم سيئاتهم» ، يعنى : لأمحونها عنهم ، ولأتفضلن عليهم بعفوى ورحمتى ، ولأغفرنها لهم [٤]= «ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ثواباً» ، يعنى : جزاء لهم على ما عملوا وأبلوا فى الله وفى سبيله [٥]= «من عند الله» ، يعنى : من قبل الله لهم [٦] = «والله عنده حسن الثواب» ، يعنى : أن الله عنده من جزاء أعمالهم جميع صنوفه ،

---

(١) انظر تفسير «هاجر» فيما سلف ٤ : ٣١٧ ، ٣١٨ .

(٢) انظر تفسير «سبيل الله» فيما سلف ٣ : ٥٦٣ ، ٥٨٣ ، ٥٩٢ / ٤ : ٣١٨/٥ : ٢٨٠/٦ : ٢٣٠

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : «وقتلوا : يعنى ، وقتلوا فى سبيل الله ، وقاتلوا فيها» قدم وأخر فى سياق الآية ، وفى سياقة المعنى ، والصواب ما أثبت ، وإن كانت إحدى القراءات تجيز ما كان فى المخطوطة ، وانظر القراآت فى الآية بعد .

(٤) انظر تفسير «التكفير» فيما سلف قريباً ص : ٤٨٢

(٥) انظر تفسير «الثواب» فيما سلف ٢ : ٤٥٨/ ٧ : ٢٦٢ ، ٣٠٤ .

(٦) انظر تفسير «عند» فيما سلف ٢ : ٥٠١ .

وذلك ما لا يبلغه وصف واصف ، لأنه مما لا عينٌ رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطَر على قلب بشر ، كما : —

٨٣٧٠ — حدثنا عبد الرحمن بن وهب قال ، حدثنا عمى عبد الله بن وهب قال ، حدثنى عمرو بن الحارث : أن أبا عشانة المعافرى حدثه : أنه سمع عبد الله ابن عمرو بن العاص يقول : لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن أول ثلة تدخل الجنة لفقراء المهاجرين الذين تُتَّقَى بهم المكاره ، إذا أمروا سمعوا وأطاعوا ، وإن كانت لرجل منهم حاجة إلى السلطان ، لم تقض حتى يموت وهى فى صدره ، وأن الله يدعو يوم القيامة الجنة فتأتى بزخرفها وزينتها فيقول : « أين عبادى الذين قاتلوا فى سبيلى وقتلوا ، وأوذوا فى سبيلى ، وجاهدوا فى سبيلى؟ ادخلوا الجنة » ، فيدخلونها بغير عذاب ولا حساب ، وتأتى الملائكة فيسجدون ويقولون : « ربنا نحن نسبح لك الليل والنهار ، ونقدس لك ، مَنْ هؤلاء الذين آثرتهم علينا » فيقول الرب جل ثناؤه : « هؤلاء عبادى الذين قاتلوا فى سبيلى وأوذوا فى سبيلى » . فتدخل الملائكة عليهم من كل باب : ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ .(١)

[سورة الرعد : ٢٤]

* * *

(١) الحديث : ٨٣٧٠ — أبو عشانة ، بضم العين المهملة وتشديد الشين المعجمة ، المعافرى ، بفتح الميم : هو حى بن يؤمن بن عجيل المصرى . تابعى ثقة ، وثقه أحمد ، وابن معين ، وغيرهما . مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ٢/١/١١٠ ، وابن سعد ٧/٢/٢٠١ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٢٧٦

والحديث رواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٧١ — ٧٢ ، من طريق محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، عن ابن وهب — وهو عبد الله — بهذا الإسناد ، وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبى .

ورواه أيضاً الطبرانى ، من طريق أحمد بن صالح ، عن ابن وهب — فيما نقل عنه ابن كثير ٤ : ٥١٩

ورواه أحمد فى المسند ، بنحوه : ٦٥٧٠ ، من طريق معروف بن سويد الجذامى ، عن أبى عشانة المعافرى .

ثم رواه — بنحوه أيضاً : ٦٥٧١ ، من طريق ابن لهيعة ، عن أبى عشانة .

ورواه أبو نعيم فى الحلية — مختصراً — من طريق معروف بن سويد ١ : ٣٤٧

وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٠ : ٢٥٩ ، من روايتى المسند ، وذكر فى الأولى أنه رواه أيضاً البزار ، والطبرانى ، « ورجالهم ثقات » . وذكر فى الثانية أنه رواه أيضاً الطبرانى ، « ورجال الطبرانى رجال الصحيح ، غير أبى عشانة ، وهو ثقة » .

١٤٥ قال أبو جعفر : واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « وقاتلوا وقتلوا » .

• • •

فقرأه بعضهم : ﴿ وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا ﴾ بالتخفيف ، بمعنى : أنهم قتلوا من قتلوا من المشركين .

• • •

وقرأ ذلك آخرون : ﴿ وَقَاتَلُوا وَقُتِّلُوا ﴾ بتشديد «قتّلوا» ، بمعنى : أنهم قاتلوا المشركين وقتّلهم المشركون ، بعضاً بعد بعض ، وقتلا بعد قتل .

• • •

وقرأ ذلك عامة قرأة المدينة وبعض الكوفيين : ﴿ وَقَاتَلوا وَقَتَلُوا ﴾ بالتخفيف ، بمعنى : أنهم قاتلوا المشركين وقتَلوا

• • •

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفيين . ﴿ وَقُتِلُوا ﴾ بالتخفيف . « وقاتلوا » ، بمعنى : أن بعضهم قُتِل ، وقاتل من بقى منهم .

• • •

قال أبو جعفر : والقراءة التى لا أستجيز أن أعدوها ، إحدى هاتين القراءتين ، وهى : « وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا » بالتخفيف ، أو ﴿ وَقَتَلُوا ﴾ بالتخفيف ﴿ وَقَاتَلُوا ﴾ . لأنها القراءة المنقولة نقل وراثة ، وما عداهما فشاذ . وبأىّ هاتين القراءتين التى ذكرت أنى لا أستجيز أن أعدوهما ، قرأ قارىء ، فمصيب فى ذلك الصوابَ من القراءة ، لاستفاضة القراءة بكل واحدة منها فى قرأة الإسلام ، مع اتفاق معنييهما .

• • •

وذكره السيوطى ٢ : ١١٢ ، ونسبه لابن جرير ، وأبى الشيخ ، والطبرانى ، والحاكم « وصححه » ، والبيهقى فى الشعب .

ثم ذكره مرة أخرى ٤ : ٥٧ – ٥٨ ، ونسبه لأحمد ، والبزار ، وابن جرير ، وابن أبى حاتم ، وابن حبان ، وأبى الشيخ ، والحاكم « وصححه » ، وابن مردويه ، وأبى نعيم فى الحلية ، والبيهقى فى شعب الإيمان ولم يذكره ابن كثير فى هذا الموضع ، بل ذكره فى ذاك الموضع ، فى تفسير سورة الرعد ، كما أشرنا إليه .

القول فى تأويل قوله ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ ﴿١٩٧﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « ولا يغرنك » يا محمد = « تقلب الذين كفروا فى البلاد » ، يعنى : تصرفهم فى الأرض وضربهم فيها ، [1] كما : -

٨٣٧١ - حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد » ، يقول : ضربهم فى البلاد .

* * *

= فنهى الله تعالى ذكره نبيّه صلى الله عليه وسلم عن الاغترار بضربهم فى البلاد ، وإمهال الله إياهم ، مع شركهم ، وجحودهم نعمه ، وعبادتهم غيره . وخرج الخطاب بذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ، والمعنىُّ به غيره من أتباعه وأصحابه ، كما قد بينا فيما مضى قبل من أمر الله = ولكن كان بأمر الله صادعاً ، وإلى الحق داعياً .[2]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال قتادة .

٨٣٧٢ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « لا يغرّنك تقلب الذين كفروا فى البلاد » ، والله ما غرُّوا نبيَّ الله ، ولا وَكل إليهم شيئاً من أمر الله حتى قبضه الله على ذلك .

* * *

وأما قوله : « متاع قليل » ، فإنه يعنى : أن تقلبهم فى البلاد وتصرفهم فيها ،

---

(١) انظر تفسير « التقلب » فيما سلف ٣ : ١٧٢

(٢) أخشى أن يكون سقط من هذه العبارة شىء ، وإن كان الكلام مفهوم المعنى ، وكأن أصل العبارة « كما قد بينا فيما مضى قبل - ولم يكل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل الشرك والكفر شيئاً من أمر الله ، ولكن كان بأمر الله صادعاً ، وإلى الحق داعياً » .

متعة يمتّعون بها قليلا حتى يبلغوا آجالهم، فتخترمهم منياتهم = « ثم مأواهم جهنم »، بعد مماتهم .

* * *

و « المأوى » : المصير الذى يأوون إليه يوم القيامة ، فيصيرون فيه[١]

* * *

ويعنى بقوله : « وبئس المهاد » ، وبئس الفراش والمضجع جهنم .[٢]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴾ (١٩٨)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه [٣] : « لكن الذين اتقوا ربهم »، لكن الذين اتقوا الله بطاعته واتّباع مرضاته ، فى العمل بما أمرهم به ، واجتناب ما نهاهم عنه = «لهم جنات» يعنى : بساتين ،[٤] = «تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها »، يقول : باقين فيها أبداً [٥] = «نزلا من عند الله »، يعنى : إنزالا من الله إياهم فيها، أنزلوها .

* * *

ونصب « نزلاً » على التفسير من قوله : « لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار »،

---

(١) انظر تفسير « المأوى » فيما سلف ص : ٢٧٩

(٢) انظر تفسير « المهاد » فيما سلف ٤ : ٦/٢٤٦ : ٢٢٩

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « يعنى بذلك جل ثناؤه » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

(٤) انظر تفسير « الجنة » فيما سلف ١ : ٥/٣٨٤ : ٥٣٥ ، ٦/٥٤٢ : ٢٦١ ، ٢٦٢/ ٧ : ٢٢٧ .

(٥) انظر تفسير « الخلود » فيما سلف ٦ : ٢٦١ : ٢٦٢ تعليق : ١ ، والمراجع هناك ، وفهارس اللغة .

كما يقال : « لك عند الله جنات تجرى من تحتها الأنهار ثواباً »، وكما يقال : « هولك صدقة»: و«هولك هبة » .[١]

* * *

=وقوله: «من عند الله»، يعنى : من قبل الله، [٢]ومن كرامة الله إياهم، وعطاياه لهم .

* * *

وقوله : « وما عند الله خير للأبرار » ، يقول : وما عند الله من الحياة والكرامة وحسن المآب»،= «خير للأبرار»، مما يتقلب فيه الذين كفروا، فإن الذى يتقلبون فيه زائل فانٍ ، وهو قليلٌ من المتاع خسيس ، وما عند الله من كرامته للأبرار ــ[٣] وهم أهل طاعته[٤] ــ باقٍ ، غيرُ فانٍ ولا زائل .

* * *

٨٣٧٣ ــ حدثنى يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال ، سمعت ابن زيد يقول فى قوله : « وما عند الله خير للأبرار»، قال : لمن يطيع الله .

٨٣٧٤ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا الثورى ، عن الأعمش ،عن خيثمة ، عن الأسود ،عن عبد الله قال: ما من نَفْس بَرَّة ٤/١٤٦ ولا فاجرة إلا والموتُ خير لها . ثم قرأ عبد الله :« وما عند الله خير للأبرار » ، وقرأ هذه الآية : ﴿ وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنفُسِهِمْ ﴾ .[٥]

[سورة آل عمران : ١٧٨]

---

(١) « التفسير » ، عند الكوفيين ، هو التمييز عند البصريين ، وانظر ما سلف ٢ : ٣٣٨ ، تعليق : ٣/١ : ٩٠ ، تعليق : ٥/٢ : ٩١ ، تعليق : ٤ وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٥١

(٢) انظر تفسير « عند » فيما سلف قريباً ص : ٤٩٠ ، تعليق ٦ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المطبوعة : « وما عند الله خير من كرامته للأبرار » ، وهو فاسد المعنى ، وكان مثله فى المخطوطة ، إلا أنه ضرب على «خير» بإشارة الحذف، ولكن الناشر لم يدرك معنى الإشارة فأبقاها . فأفسدت الكلام .

(٤) انظر تفسير « الأبرار » فيما سلف قريباً ص : ٤٨٢ ،تعليق : ٦ ، والمراجع هناك .

(٥) الحديث : ٨٣٧٤ ــ مضى برقم : ٨٢٦٧ ، عن محمد بن بشار ، عن عبد الرحمن ــ وهو ابن مهدى ــ عن سفيان .

ورواه ابن أبى حاتم ، من طريق أبى معاوية ، عن الأعمش كما نقله ابن كثير عنه ٢ : ٣٢٨ .

٨٣٧٥ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن فرج بن فضالة ، عن لقمان ، عن أبي الدرداء أنه كان يقول : ما من مؤمن إلا والموت خير له ، وما من كافر إلا والموت خير له ، ومن لم يصدقني فإن الله يقول : « وما عند الله خير للأبرار » ، ويقول : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ﴾ .(١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية .

فقال بعضهم : عنى بها أصحمة النجاشي ، وفيه أنزلت .

* ذكر من قال ذلك :

٨٣٧٦ – حدثنا عصام بن رواد بن الجراح قال ، حدثنا أبي قال ، حدثنا أبو بكر الهذلي ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، عن جابر بن عبد الله : أن

---

(١) الحديث – : ٨٣٧٥ – فرج بن فضالة : ضعيف ، كما بينا في : ١٦٨٨ .

لقمان : هو ابن عامر الوصابي الحمصي . وهو ثقة ، ذكره ابن حبان في الثقات . مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري ٤/١/٢٥١ ، وابن أبي حاتم ٣/٢/١٨٢ – ١٨٣ . ولم يذكرا فيه جرحاً .

و « الوصابي » : بفتح الواو وتشديد الصاد المهملة ، كما ضبطه ابن الأثير في اللباب ، والذهبي في المشتبه ، ووهم الحافظ ابن حجر ، فضبطه في التقريب بتخفيفها .

والحديث ذكره ابن كثير ٢ : ٣٢٨ – ٣٢٩ ، عن هذا الموضع من الطبري . ووقع في طبعته « نوح ابن فضالة » بدل « فرج بن فضالة » ؛ وهو خطأ مطبعي مخيف .

وذكره السيوطي ٢ : ١٠٤ ، عند الآية السابقة : ١٧٨ ، ونسبه أيضاً لسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اخرجوا فصلوا على أخ لكم » . فصلى بنا ، فكبر أربع تكبيرات ، فقال : « هذا النجاشي أصحمة » . فقال المنافقون : انظروا إلى هذا يصلي على عِلْجٍ نصرانى لم يره قط ! [1] فأنزل الله : « وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله » . [2]

٨٣٧٧ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا معاذ بن هشام قال ، حدثنا أبي عن قتادة : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن أخاكم النجاشي قد مات فصلوا عليه . قالوا : يصلّى على رجل ليس بمسلم ! قال : فنزلت : « وإنّ من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله » . قال قتادة : فقالوا : فإنه كان لا يصلي إلى القبلة ! فأنزل الله : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ [سورة البقرة : ١١٥] .

٨٣٧٨ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم » ، ذكر

---

(١) « العلج » : الرجل من كفار العجم ، غير العرب ، والجمع « علوج » و « أعلاج »

(٢) الحديث : ٨٣٧٦ – عصام بن رواد بن الجراح : مضت ترجمته وتوثيقه : ٢١٨٣ . وقع هنا فى المطبوعة « عصام بن زياد بن رواد بن الجراح » ؛ فزيادة اسم « زياد » فى نسبه لا أصل لها . وثبت فى المخطوطة بحذفها ، على الصواب .

أبوه « رواد بن الجراح » : مضت ترجمته وتضعيفه : ١٢٦ ، ٢١٨٣ .

أبو بكر الهذلى : سبق بيان ضعفه جداً ، فى : ٥٩٧ ، وشرح : ٢٥٢٦ .

وهذا الحديث ذكره السيوطى ٢ : ١١٣ ، ولم ينسبه لغير الطبرى .

وذكره ابن كثير ٢ : ٣٣٠ ، عن الطبرى ، ولكن فى روايته خلاف فى بعض لفظه لما هنا ، ولم يذكر أول إسناده . فلعله نقله عن موضع آخر من الطبرى .

وهذا الحديث ضعيف كما ترى ، وسيأتى قول الطبرى ، ص : ٤٩٩ س : ١٥ « قيل : ذلك خبر فى إسناده نظر » .

والضعف إنما هو فى هذا الإسناد لحديث جابر ، أما أصل المعنى ، فى صلاة النبى صلى الله عليه وسلم على النجاشي صلاة الجنازة الغائبة ، فإنه ثابت صحيح لاشك فى صحته . رواه الشيخان وغيرهما من حديث جابر ، ومن حديث أبي هريرة . انظر المنتقى : ١٨٢١ – ١٨٢٤ .

لنا أن هذه الآية نزلت فى النَّجاشى ، وفى ناس من أصحابه آمنوا بنبى الله صلى الله عليه وسلم وصدَّقوا به . قال : وذكر لنا أن نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم استغفر للنجاشى وصلى عليه حين بلغه موته ، قال لأصحابه : « صلّوا على أخ لكم قد مات بغير بلادكم » ! فقال أناس من أهل النفاق : « يصلى على رجل مات ليس من أهل دينه»؟ فأنزل الله هذه الآية : « وإنّ من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب » .

٨٣٧٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « وإنّ من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم » ، قال : نزلت فى النجاشى وأصحابه ممن آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم = واسم النجاشى ، أصْحَمة .

٨٣٨٠ – حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، قال عبد الرزاق ، وقال ابن عيينة : اسم النجاشى بالعربية : عطية .

٨٣٨١ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قال : لما صلى النبى صلى الله عليه وسلم على النجاشى ، طعن فى ذلك المنافقون ، فنزلت هذه الآية : « وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله » ، إلى آخر الآية .

* * *

وقال آخرون : بل عنى بذلك عبد الله بن سَلاَم ومن معه .

* ذكر من قال ذلك :

٨٣٨٢ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : نزلت – يعنى هذه الآية – فى عبد الله بن سلام ومن معه .

٨٣٨٣ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنى ابن زيد فى

قوله : «وإنّ من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم» ، الآية كلها = قال : هؤلاء يهود .

* * *

وقال آخرون : بل عنى بذلك مُسْلِمة أهل الكتاب.

* ذكر من قال ذلك :

٨٣٨٤ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم » ، من اليهود والنصارى ، وهم مسلمة أهل الكتاب . ٤٧/٤

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ما قاله مجاهد . وذلك أنّ الله جل ثناؤه عمّ بقوله : « وإنّ من أهل الكتاب » أهلَ الكتاب جميعاً ، فلم يخصص منهم النصارى دون اليهود ، ولا اليهود دون النصارى . وإنما أخبر أن من « أهل الكتاب » من يؤمن بالله . وكلا الفريقين = أعني اليهود والنصارى = من أهل الكتاب .

* * *

فإن قال قائل : فما أنت قائلٌ في الخبر الذي رويتَ عن جابر وغيره : أنها نزلت في النجاشي وأصحابه ؟

قيل : ذلك خبر في إسناده نظر . ولو كان صحيحاً لا شك فيه ، لم يكن لما قلنا في معنى الآية بخلاف .[1] وذلك أنّ جابراً ومن قال بقوله ، إنما قالوا : « نزلت في النجاشيّ » ، وقد تنزل الآية في الشيء ، ثم يعم بها كل من كان في معناه . فالآية وإن كانت نزلت في النجاشيّ ، فإن الله تبارك وتعالى قد جعل الحكم الذي حكم به للنجاشيّ ، حكماً لجميع عباده الذين هم بصفة النجاشيّ في اتباعهم

(١) في المطبوعة : « خلاف » ، والصواب ما في المخطوطة . وقوله : « بخلاف » ، أي بمخالف

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتصديق بما جاءهم به من عند الله ، بعد الذى كانوا عليه قبل ذلك من اتباع أمر الله فيما أمر به عباده فى الكتابين ، التوراة والإنجيل .

* * *

فإذ كان ذلك كذلك ، فتأويل الآية : « وإن من أهل الكتاب » التوراة والإنجيل = « لمن يؤمن بالله » فيقرّ بوحدانيته =« وما أنزل إليكم » ، أيها المؤمنون، يقول : وما أنزل إليكم من كتابه ووحيه على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم = « وما أنزل إليهم » ، يعنى : وما أنزل على أهل الكتاب من الكتب ، وذلك التوراة والإنجيل والزبور = « خاشعين لله » ، يعنى : خاضعين لله بالطاعة ، مستكينين له بها متذلّلين ،(١) كما : —

٨٣٨٥ — حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنى ابن زيد فى قوله : « خاشعين لله » ، قال : الخاشع ، المتذلل لله الخائف .

* * *

ونصب قوله : « خاشعين لله » ، على الحال من قوله : « لمن يؤمن بالله » ، وهو حال مما فى « يؤمن » من ذكر « من » .(٢)

* * *

= « لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلا» ، يقول : لا يحرّفون ما أنزل إليهم فى كتبه من نعت محمد صلى الله عليه وسلم فيبدّلونه ، ولا غير ذلك من أحكامه وحججه فيه، لعَرَضٍ من الدنيا خسيس يُعطونه على ذلك التبديل ، وابتغاء الرياسة على الجهال ،(٣) ولكن ينقادون للحق ، فيعملون بما أمرهم الله به فيما أنزل إليهم من كتبه، وينتهون عما نهاهم عنه فيها ، ويؤثرون أمرَ الله تعالى على هَوَى أنفسهم .

* * *

---

(١) انظر تفسير « الخشوع » فيما سلف ٢ : ١٦ ، ١٧

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٥١

(٣) انظر تفسير « الاشتراء » وتفسير « الثمن » فيما سلف قريباً : ٤٥٩ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ (١٩٩)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه[١] : «أولئك لهم أجرهم » ، هؤلاء الذين يؤمنون بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم = « لهم أجرهم عند ربهم » ، يعنى : لهم عوض أعمالهم التى عملوها ، وثواب طاعتهم ربَّهم فيما أطاعوه فيه[٢] = «عند ربهم » يعنى : مذخور ذلك لهم لديه ، حتى يصيروا إليه فى القيامة ، فيوفِّيهم ذلك = « إنّ الله سريع الحساب » ، وسرعة حسابه تعالى ذكره : أنه لا يخفى عليه شىء من أعمالهم قبل أن يعملوها وبعد ما عملوها ، فلا حاجة به إلى إحصاء عدد ذلك ، فيقع فى الإحصاء إبطاء ، فلذلك قال : « إن الله سريع الحساب ».[٢]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : معنى ذلك : « اصبروا على دينكم وصابروا الكفار ورابطوهم » .

* ذكر من قال ذلك :

٨٣٨٦ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ،

---

(١) فى المطبوعة : « يعنى بذلك جل ثناؤه » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

(٢) انظر تفسير « الأجر » فيما سلف ٢ : ١٤٨ ، ٥/٥١٢ : ٥١٩

(٣) انظر تفسير « سريع الحساب » فيما سلف ٤ : ٦/٢٠٧ : ٢٧٩

عن المبارك بن فضالة، عن الحسن : أنه سمعه يقول فى قول الله : « يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا »، قال : أمرهم أن يصبروا على دينهم ، ولا يدعوه لشدة ولا رخاء ولا سَرَّاء ولا ضراء، وأمرهم أن يُصابروا الكفار، وأن يُرابطوا المشركين .

٤/١٤٨ ٨٣٨٧ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا » ، أى : اصبروا على طاعة الله، وصابروا أهل الضلالة، ورابطوا فى سبيل الله = « واتقوا الله لعلكم تفلحون ».

٨٣٨٨ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « اصبروا وصابروا ورابطوا » ، يقول : صابروا المشركين ، ورابطوا فى سبيل الله .

٨٣٨٩ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : اصبروا على الطاعة ، وصابروا أعداء الله ، ورابطوا فى سبيل الله .

٨٣٩٠ — حدثنى يحيى بن أبى طالب قال ، أخبرنا يزيد قال، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « اصبروا وصابروا ورابطوا »، قال: اصبروا على ما أمرتم به ، وصابروا العدو ورابطوهم .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك: اصبروا على دينكم ، وصابروا وَعدى إياكم على طاعتكم لى ، ورَابطوا أعداءكم .

* ذكر من قال ذلك :

٨٣٩١ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنى أبو صخر ، عن محمد بن كعب القرظى : أنه كان يقول فى هذه الآية : « اصبروا وصابروا ورابطوا »، يقول : اصبروا على دينكم، وصابروا الوعد الذى وعدتكم ، ورابطوا عدوِّى وعدوَّكم حتى يترك دينه لدينكم . (١)

* * *

(١) الأثر : ٨٣٩١ — « أبو صخر » هو : حميد بن زياد بن أبى المخارق ، أبو صخر الخراط ، صاحب العباء ، سكن مصر . ذكره ابن حبان فى الثقات . مترجم فى التهذيب .

وقال آخرون : معنى ذلك ، اصبروا على الجهاد ، وصابروا عدوكم ورابطوهم .

* ذكر من قال ذلك :

٨٣٩٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا جعفر بن عون قال ، أخبرنا هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم فى قوله : « اصبروا وصابروا ورابطوا» ، قال : اصبروا على الجهاد ، وصابروا عدوّكم ، ورابطوا على عدوكم .

٨٣٩٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا مطرف بن عبد الله المدنىّ قال ، حدثنا مالك بن أنس ، عن زيد بن أسلم قال : كتب أبو عبيدة بن الجراح إلى عمر ابن الخطاب ، فذكر له جموعاً من الروم وما يتخوّف منهم ، فكتب إليه عمر : « أما بعد ، فإنه مهما نزل بعبد مؤمن من منزلة شدة، يجعل الله بعدها فرجاً ، وإنه لن يغلب عُسر يسرين، وإن الله يقول فى كتابه: « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون» . (١)

* * *

---

(١) الأثر : ٨٣٩٣ – « مطرف بن عبد الله بن مطرف بن سليمان الهلالى ، المدنى ، مولى ميمونة أم المؤمنين ، وأمه أخت مالك بن أنس . روى عن خاله مالك بن أنس ، وابن أبي ذئب ، وعبد الله بن عمر العمرى ، وغيرهم . روى عنه البخارى والترمذى ، عن محمد بن أبي الحسن عنه وابن ماجة ، عن الذهلى عنه ، والربيع المرادى ، وأبوحاتم ، وأبو زرعة وآخرون . قال أبو حاتم : « مضطرب الحديث صدوق » . وقال = ابن سعد « كان ثقة ، وبه صمم » . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤ / ١ / ٣٩٧ ، والجرح ٤ / ١ / ٣١٥ . وكان فى المطبوعة : « المرى » ، وفى المخطوطة مثلها ، وتقرأ « المزنى » والصواب « المدنى » أو « المدينى » فى نسبة كما جاء فى المراجع ، وابن كثير ٢ : ٣٣٧ .

وفى ابن كثير ٢ : ٣٣٧ : « مهما ينزل بعبد مؤمن من منزلة شدة » ، وفى الدر المنثور ٢ : ١١٤ « مهما ينزل بعبد مؤمن من شدة » ، وفى المطبوعة والمخطوطة : « مهما نزل بعبد مؤمن منزلة شدة » ، بحذف « من » والصواب إثباتها .

ومن الأخطاء الشائعة أن يقال إن « مهما » لا تدخل على الماضى ، وقد وردت فى الآثار والأخبار والأشعار ، من ذلك قول أبي هريرة للفرزدق : « مهما فعلت فقنطك الناس فلا تقنط من رحمة الله » (الكامل ١ : ٧٠) وقول الأسود بن يعفر (نوادر أبي زيد : ١٥٩) :

أَلَا هَلْ لِهَذَا الدَّهْرِ مِنْ مُتَعَلَّلِ ... سِوَى النَّاسِ ، مَهْمَا شَاءَ بِالنَّاسِ يَفْعَلِ

وهذا الأثر رواه الحاكم مطولا فى المستدرك ٢ : ٣٠٠ بإسناده قال :

وقال آخرون ، معنى : « ورابطوا » ، أى : رابطوا على الصلوات ، أى : انتظروها واحدة بعد واحدة .

* ذكر من قال ذلك :

٨٣٩٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير قال ، حدثنى داود بن صالح قال ، قال لى أبو سلمة بن عبد الرحمن : يا ابن أخى ، هل تدرى فى أى شىء نزلت هذه الآية : « اصبروا وصابروا ورابطوا »؟ قال قلت : لا ! قال : إنه يا ابن أخى لم يكن فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم غزو يُرَابَطُ فيه ، ولكنه انتظار الصلاة خلف الصلاة .(١)

« أخبرنا أبو العباس السبارىّ ، حدثنا عبد الله بن على ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، أنبأنا هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أنه بلغه أن أبا عبيدة حُصِر بالشأم ، وقد تألّبَ عليه القوم ، فكتب إليه عمر : « سلام الله عليك ، أمّا بعد ، فإنه ما ينزلْ بعبد مؤمن من منزلة شدة ، إلا يجعل الله له بعدها فرجاً ، ولن يغلب عُسْرٌ يُسْرين ، ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وصَابِرُوا ورَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

فكتب إليه أبو عبيدة : « سلامٌ عليك ، أما بعد ، فإن الله يقول فى كتابه : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيا لَعِبٌ ولَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى الأَمْوَالِ والأَوْلاَدِ ﴾ — إلى آخرها » .

قال : فخرج عمر بكتابه ، فقعد على المنبر ، فقرأ على أهل المدينة ثم قال : يا أهل المدينة ، إنما يعرّضُ بكم أبو عبيدة : أنِ ارغبوا فى الجهادِ » .

قال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبى .

(١) الأثر : ٨٣٩٤ — « مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير » ، مضت ترجمته برقم : ٦٤٥٦ . و « داود بن صالح التمار المدنى » ، . روى عن أبى أمامة بن سهل بن حنيف ، والقاسم ، وسالم ، وأبى سلمة . قال أحمد : « لا أعلم به بأساً » ، وذكره ابن حبان فى الثقات ، مترجم فى التهذيب .

٨٣٩٥ – حدثني أبو السائب قال، حدثنا ابن فضيل ، عن عبد الله بن سعيد المقبرى ، عن جده ، عن شرحبيل ، عن على قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أدلكم على ما يكفر الله به الذنوب والخطايا؟ إسباغ الوضوء على المكاره ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلك الرباط .(١)

٨٣٩٦ – حدثنا موسى بن سهل الرملى قال، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا محمد بن مهاجر قال ، حدثني يحيى بن يزيد ، عن زيد بن أبى أنيسة ،

و « أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف » من التابعين ، روى عن خلق من الصحابة والتابعين . كان ثقة فقيها كثير الحديث .

والأثر خرجه ابن كثير فى تفسيره ٢ : ٣٣٢ ، وذكر سياق ابن مردويه له (٢ : ٣٣١) من طريق « محمد بن أحمد، حدثنا موسى بن إسحاق ، حدثنا أبو جحيفة على بن يزيد الكوفى، أنبأنا ابن أبى كريمة ، عن محمد بن يزيد ، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال : أقبل على أبو هريرة يوماً فقال : أتدرى ياابن أخى فيم نزلت هذه الآية » ، وساق الخبر بغير هذا اللفظ .

ورواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٣٠١ من طريق سعيد بن منصور ، عن ابن المبارك ، بمثل رواية الطبرى ، إلا أنه قال فى جواب السؤال : « قال : قلت : لا . قال : يا ابن أخى إنى سمعت أبا هريرة يقول : لم يكن فى زمان النبى . . . » بلفظه .

وكذلك خرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ١١٣ ، ونسبه لابن المبارك وابن المنذر ، والحاكم ، وصححه ، والبيهقى فى شعب الإيمان .

وفى جميع هذه المواضع : « انتظار الصلاة بعد الصلاة »، والثابت فى المخطوطة « خلف الصلاة » ، وكان الكاتب قد كتب فيها « بعد » ثم جعل الباء والعين خاء ، ومد الدال وعقد عليها فاء ، فالظاهر أنه كتبها كما كان يحفظها ، ثم استدرك ، لأنه رأى فى النسخة التى كتب عنها « خلف » .

(١) الحديث : ٨٣٩٥ – أبو السائب : هو سلم بن جنادة . وابن فضيل : هو محمد بن فضيل بن غزوان .

عبد الله بن سعيد بن أبى سعيد المقبرى : ضعيف جداً ، رمى بالكذب . وقد مضى فى : ٧٨٥٥ .

شرحبيل : لست أدرى من هو ؟ والإسناد ضعيف من أجل عبد الله بن سعيد ، كما ترى .

ولو صح هذا الإسناد لظننت أنه « شرحبيل بن السمط الكندى » ، من كبار التابعين ، مختلف فى صحبته . وهو معاصر لعلى . ومن المحتمل أن يروى عنه أبو سعيد المقبرى ، الذى يروى عن على مباشرة .

والحديث نقله ابن كثير ٢ : ٣٣٢ ، عن هذا الموضع . ولم ينسبه لغير الطبرى .

وأشار إليه السيوطى ٢ : ١١٤ ، بعد حديث جابر ، الآتى بعد هذا ، فقال : « وأخرج ابن جرير عن على مثله » .

ومعنى الحديث ثابت عن على، من وجه آخر صحيح . ولكن ليس فيه قوله : « فذلك الرباط » – ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢ : ٣٦ ، وقال : « رواه أبو يعلى ، والبزار ، ورجاله رجال الصحيح » .

وذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب ١ : ٩٧ ، وقال : « رواه أبو يعلى والبزار بإسناد صحيح . والحاكم ، وقال : صحيح على شرط مسلم » .

عن شرحبيل ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألاأدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويكفّر به الذنوب ؟ قال : قلنا : بلى ، يارسول الله! قال : إسباغ الوضوء فى أماكنها، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط .(١)

٨٣٩٧ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا خالد بن مخلد قال ، ، حدثنا محمد بن جعفر ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أدلكم على ما يحطّ الله به الخطايا، ويرفع به

---

(١) الحديث: ٨٣٩٦ – محمد بن مهاجر بن أبى مسلم ، الأنصارى الشامى : ثقة ، وثقه أحمد ، وابن معين ، وغيرهما . مترجم فى التهذيب . والكبير للبخارى ١/١/٢٢٩ ، وابن أبى حاتم ٤/١/٩١ .

يحيى بن يزيد الجزرى ، أبو شيبة الرهاوى: قال البخارى فى الكبير ٤/٢/٣١٠ : « لم يصح حديثه» وذكره فى الضعفاء أيضا ، ص : ٣٧ ، وقال مثل ذلك . وقال ابن أبى حاتم ٤/٢/١٩٨ ، عن أبيه : « ليس به بأس ، أدخله البخارى فى كتاب الضعفاء ، يحول من هناك » .

فمثل هذا حديثه حسن . ثم هو لم ينفرد برواية هذا الحديث ، كما سنذكر فى التخريج ، إن شاء الله .

زيد بن أبى أنيسة الجزرى الرهاوى : ثقة ، وثقه ابن معين وغيره . قال ابن سعد ٧/٢/١٨٠ : « كان ثقة كثير الحديث ، فقيها راوية للعلم » . أخرج له الجماعة كلهم .

شرحبيل – هنا – : هو ابن سعد الخطمى المدنى مولى الأنصار. مختلف فيه ، والحق أنه ثقة . إلا أنه اختلط فى آخر عمره ، إذ جاوز المئة . وقد فصلنا القول فيه فى شرح المسند : ٢١٠٤ ، وأخرج له ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما . مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ٢/٢/٢٥٢ ، ولم يذكر فيه جرحاً ، وابن سعد ٥ : ٢٢٨ ، وابن أبى حاتم ٢/١/٣٣٨ – ٣٣٩ .

وقد بين ابن حبان فى صحيحه، فى رواية هذا الحديث ، أنه شرحبيل بن سعد .

والحديث رواه ابن حبان فى صحيحه (٢ : ٣٣٠ من مخطوطة الإحسان)، من طريق أبى عبد الرحيم، عن زيد بن أبى أنيسة ، عن شرحبيل بن سعد ، عن جابر ، به .

وأبو عبد الرحيم : هو خالد بن أبى يزيد الحرانى ، وهو ثقة ، وثقه ابن معين وغيره . فروايته متابعة صحيحة ، توثق رواية يحيى بن يزيد ، التى هنا ، وتؤيدها .

والحديث نقله ابن كثير ٢ : ٣٢٢ ، عن رواية الطبرى هذه .

وذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب ١ : ١٦٠ – ١٦١ ، عن رواية ابن حبان فى صحيحه ، وأشار إليه أيضاً قبل ذلك ، ص : ١٢٨ .

وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢ : ٣٧ ، ونسبه للبزار ، وذكر أن « فى إسناده شرحبيل بن سعد ، وهو ضعيف عند الجمهور ، وذكره ابن حبان فى الثقات ، وأخرج له فى صحيحه هذا الحديث » .

وذكره السيوطى ٢ : ١١٤ ، ونسبه لابن جرير ، وابن حبان .

الدرجات ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ! قال : إسباغ الوضوء عند المكاره ، وكثرة الخُطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرِّباط، فذلكم الرباط .(١)

٨٣٩٨ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا إسمعيل بن جعفر ، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .(٢) ١٤٩/٤

* * *

---

(١) الحديث : ٨٣٩٧ – خالد بن مخلد : هو القطواني . ومحمد بن جعفر : هو ابن أبي كثير .

وقد مضى مثل هذا الإسناد في حديث آخر : ٢٢٠٦ .

والحديث رواه أحمد في المسند : ٧٢٠٨ ، من طريق شعبة ، عن العلاء ، عن أبيه ، دون كلمة «فذلك الرباط» .

ورواه أحمد أيضاً : ٧٧١٥ ، مع هذه الكلمة – من طريق مالك عن العلاء .

ثم رواه ثالثاً : ٨٠٠٨ ، (ج ٢ ص ٣٠٣ حلبي) ، من طريق مالك أيضاً . وفي آخره : « فذلكم الرباط » – ثلاث مرات .

وهو بهذا اللفظ ، في الموطأ ، ص : ١٦١ .

وكذلك رواه النسائي ١ : ٣٤ ، من طريق مالك .

وكذلك رواه ابن حبان في صحيحه (٢ : ٣٢٩ – ٣٣٠ من مخطوطة الإحسان) ، من طريق مالك .

ونقله ابن كثير ٢ : ٣٣١ ، من رواية ابن أبي حاتم ، من حديث مالك ، كرواية الموطأ .

ورواه مسلم ١ : ٨٦ ، من طريق مالك ، ومن طريق شعبة . وذكر أن رواية مالك – عنده – « فذلكم الرباط » مرتين .

وذكره المنذري في الترغيب والترهيب ١ : ٩٧ ، ١٢٨ ، ونسبه لمالك، ومسلم ، والترمذي ، والنسائي .

وذكره السيوطي ٢ : ١١٤ ، وزاد نسبته للشافعي ، وعبد الرزاق .

وانظر الإسناد التالي لهذا .

(٢) الحديث : ٨٣٩٨ – القاسم : هو ابن الحسن ، والحسين : هو ابن داود المصيصي ، ولقبه « سنيد » .

وهذا الإسناد « القاسم، عن الحسين » يدور عند الطبري كثيراً ، في التفسير والتاريخ، فما مضى منه في التفسير : ١٤٤ ، ١٦٥ ، ١٦٨٨ . وفي التاريخ – مثلا – ١ : ٢١ ، ٤١ .

أما « سنيد » فقد ترجمنا له في : ١٤٤ ، ١٦٨٨ .

وأما « القاسم بن الحسن » – شيخ الطبري : فلم أجد له ترجمة . ولكن في تاريخ بغداد ١٢ : ٤٣٢–٤٣٣ ترجمة « القاسم بن الحسن بن يزيد ، أبو محمد الهمذاني الصائغ » ، المتوفى سنة ٢٧٢ . فهذا يصلح أن يكون هو المراد ، ولكن لا أطمئن إلى ذلك ، ولا أستطيع الجزم به ، بل لا أستطيع ترجيحه .

وعسى أن نجد ما يدل على حقيقة هذا الشيخ ، في فرصة أخرى ، إن شاء الله .

قال أبو جعفر : وأولى التأويلات بتأويل الآية ، قول من قال فى ذلك : « يا أيها الذين آمنوا » ، يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ، = « اصبروا » على دينكم وطاعة ربكم . وذلك أنّ الله لم يخصص من معانى « الصبر » على الدين والطاعة شيئاً ، فيجوز إخراجه من ظاهر التنزيل . فلذلك قلنا إنه عنى بقوله : « اصبروا » ، الأمرَ بالصبر على جميع معانى طاعة الله فيما أمر ونهى ، صعبها وشديدها ، وسهلها وخفيفها .(١)

= « وصابروا » ، يعنى : وصابروا أعداءكم من المشركين .

* * *

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ، لأن المعروف من كلام العرب فى « المفاعلة » أن تكون من فريقين ، أو اثنين فصاعداً ، ولا تكون من واحد إلا قليلا فى أحرف معدودة . فإذْ كان ذلك كذلك ، فإنما أمر المؤمنون أن يصابروا غيرهم من أعدائهم ، حتى يظفرهم الله بهم ، ويعلى كلمته ، ويخزى أعداءهم ، وأن لا يكون عدوُّهم أصبر منهم .(٢)

* * *

وكذلك قوله : « ورابطوا » ، معناه : ورابطوا أعداءكم وأعداء دينكم من أهل الشرك ، فى سبيل الله .

* * *

قال أبو جعفر : ورأى أن أصل « الرباط » ، ارتباط الخيل للعدوّ ، كما

إسمعيل : هو ابن جعفر بن أبى كثير الأنصارى القارىء ، وهو ثقة مأمون . مضت الإشارة إليه فى شرح : ٦٨٨٤ .

وهذا الحديث تكرار لما قبله .

وكذلك رواه مسلم ١ : ٨٦ ، والترمذى . (رقم : ٥١ بشرحنا) = كلاهما من طريق إسمعيل بن جعفر . ورواه الترمذى أيضاً : ٥٢ ، من طريق الدراوردى ، عن العلاء . وقال : « حديث أبى هريرة حديث حسن صحيح » .

(١) انظر تفسير « الصبر » فيما سلف ٢ : ١١ ، ٣/١٢٤ : ٢١٤ ، ٥/٣٤٩ : ٣٥٢/ ٦ : ٢٦٤ / ٧ : ١٨١

(٢) فى المطبوعة : « وإلا يكن عددهم » ، وهو خطأ ، صوابه من المخطوطة .

ارتبط عدوهم لهم خيلهم ،[١] ثم استعمل ذلك فى كل مقيم فى ثغر يدفع عمن وراءه من أراده من أعدائهم بسوء ، ويحمى عنهم من بينه وبينهم ممن بغاهم بشر ، كان ذا خيل قد ارتبطها ، أو ذا رُجْلة لا مركب له .[٢]

* * *

وإنما قلنا معنى : « ورابطوا » ، ورابطوا أعداءكم وأعداء دينكم ، لأن ذلك هو المعنى المعروف من معانى « الرباط » . وإنما يوجه الكلام إلى الأغلب المعروف فى استعمال الناس من معانيه ، دون الخفى ، حتى تأتى بخلاف ذلك مما يوجب صرفه إلى الخفى من معانيه = حجة يجب التسليم لها من كتاب ، أو خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو إجماع من أهل التأويل .[٣]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٢٠٠)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : « واتقوا الله » ، أيها المؤمنون ، واحذروه أن تخالفوا أمره أو تتقدموا نهيه[٤] = « لعلكم تفلحون » ، يقول : لتفلحوا فتبقوا فى نعيم الأبد ، وتنجحوا فى طلباتكم عنده ،[٥] كما : —

---

(١) فى المخطوطة : « كما ارتبط عددهم لهم حماهم » ، ولعل صواب قراءتها « جيادهم » ، ولكنى تركت ما فى المطبوعة على حاله ، فهو صواب حسن .

(٢) « الرجلة » (بضم الراء وسكون الجيم) : المشى راجلا غير راكب .

(٣) قوله : « حجة » ، فاعل قوله : « حتى تأتى بخلاف ذلك . . » . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « حتى يأتى بخلاف ذلك ما يوجب صرفه . . . » ، والصواب « مما يوجب » كما أثبتها ، وفى المطبوعة أيضاً : « إلى الخفى من معاينة » ، وهو خطأ ظاهر .

(٤) فى المطبوعة : « وتتقدموا » بالواو ، والصواب من المخطوطة . وقوله : « تتقدموا نهيه » هكذا جاء متعدياً ، وكأنه أراد : أو تسبقوا نهيه ، وسبقهم نهيه . أن يخاطروا بالإسراع إلى المحارم بشهواتهم ، قبل أن يردهم نهى الله عن إتيانها .

(٥) انظر تفسير « لعل » فيما سلف ١ : ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ومواضع أخرى كثيرة . وانظر تفسير « الفلاح » فيما سلف ١ : ٢٤٩ ، ٣/٢٥٠ : ٧/٥٦١ : ٩١ .

٨٣٩٩ – حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، أخبرنى أبو صخر ، عن محمد بن كعب القرظى : أنه كان يقول فى قوله : « واتقوا الله لعلكم تفلحون » ، واتقوا الله فيما بينى وبينكم ، لعلكم تفلحون غداً إذا لقيتمونى .

* * *

* آخر تفسير سورة آل عمران * (١)

---

(١) عند هذا الموضع ، انتهى جزء من التقسيم القديم الذى نقلت عنه نسختنا، وفيها ما نصه :

« يتلوه القول فى تفسير السورة التى يذكر فيها النساء .

وصلى الله على سيدنا محمد النبى وآله وصحبه وسلم كثيرا »

ثم يتلوه ما أثبتناه فى أول تفسير سورة النساء .

تفسير

سورة النساء

﴿ القول فى تفسير السورة التى يذكر فيها النساء ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر

* * *

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله تعالى ذكره : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة »، احذروا، أيها الناس ، ربكم فى أن تخالفوه فيما أمركم وفيما نهاكم ، فيحلّ بكم من عقوبته ما لا قِبَل لكم به .

ثم وصف تعالى ذكره نفسه بأنه المتوحِّد بخلق جميع الأنام من شخص واحد ، مُعَرِّفاً عباده كيف كان مُبتدأ إنشائه ذلك من النفس الواحدة ،(١) ومنبِّهَهم بذلك على أن جميعهم بنو رجل واحد وأم واحدة = وأن بعضهم من بعض ، وأن حق بعضهم على بعض واجبٌ وجوبَ حق الأخ على أخيه ، لاجتماعهم فى النسب إلى أب واحد وأم واحدة = وأن الذى يلزمهم من رعاية بعضهم حق بعض، وإن بَعُدَ التلاقى فى النسب إلى الأب الجامع بينهم ، مثل الذى يلزمهم من ذلك فى النسب

(١) فى المطبوعة والمخطوطة « وعرف عباده . . . » ، واستظهرت من نهج أبى جعفر فى بيانه ، ومن قوله بعد : « ومنبههم » ثم قوله : « وعاطفاً » ، على أن الصواب « وعرفاً » ، وهو مقتضى سياق الكلام بعد ذلك كله .

الأدنى =[١] وعاطفاً بذلك بعضهم على بعض ، ليتناصفوا ولا يتظالموا ، وليبذُل القوى من نفسه للضعيف حقه بالمعروف على ما ألزمه الله له ، فقال : « الذى خلقكم من نفس واحدة » ، يعنى : من آدم ، كما : — ٤/١٥٠

٨٤٠٠ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أمّا « خلقكم من نفس واحدة » ، فمن آدم عليه السلام.[٢]

٨٤٠١ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة » ، يعنى آدم صلى الله عليه .[٣]

٨٤٠٢ — حدثنا سفيان بن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد : « خلقكم من نفس واحدة » ، قال : آدم .

* * *

ونظير قوله : « من نفس واحدة » ، والمعنىُّ به رجل ، قول الشاعر .

أَبُوكَ خَلِيفَةٌ وَلَدَتْهُ أُخْرَى وَأَنْتَ خَلِيفَةٌ ، ذَاكَ الكَمَالُ[٤]

فقال : « ولدته أخرى » ، وهو يريد «الرجل» ، فأنّث للفظ « الخليفة » . وقال تعالى ذكره : « من نفس واحدة » لتأنيث « النفس » ، والمعنى : من رجل واحد . ولو قيل : « من نفس واحد » ، وأخرج اللفظ على التذكير للمعنى ، كان صواباً .[٥]

* * *

---

(١) قوله : « وعاطفاً » ، عطف على قوله : « معرفاً عباده . . . ومنبههم . . . »

(٢) فى المطبوعة : « صلى الله عليه وسلم » ، وأثبت ما فيه المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « « صلى الله عليه وسلم » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٤) سلف البيت وتخريجه فى ٦ : ٣٦٢ .

(٥) هذه مقالة الفراء فى معانى القرآن ١ : ٢٥٢

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « وخلق منها زوجها » ، وخلق من النفس الواحدة زوجها = يعنى بـ « الزوج » ، الثانى لها .[1] وهو فيما قال أهل التأويل ، امرأتها حواء .

* ذكر من قال ذلك :

٨٤٠٣ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « وخلق منها زوجها » ، قال : حواء ، من قُصَيرى آدم وهو نائم ،[2] فاستيقظ فقال : « أنا » = بالنبطية ، امرأة .

٨٤٠٤ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٨٤٠٥ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وخلق منها زوجها » ، يعنى حواء ، خلقت من آدم ، من ضِلَع من أضلاعه .

٨٤٠٦ – حدثنى موسى بن هرون قال ، أخبرنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : أسكن آدمَ الجنة ، فكان يمشى فيها وَحْشاً[3] ليس له زوج يسكن إليها .[2] فنام نومةً ، فاستيقظ ، فإذا عند رأسه امرأة قاعدة ، خلقها

---

(١) انظر تفسير « الزوج » فيما سلف ١ : ٢/٥١٤ : ٤٤٦ ، وأراد بقوله فى تفسير « الزوج » « الثانى لها » ، أن « الزوج » هو « الفرد الذى له قرين » ، فكل واحد من القرينين ، يقال له : « زوج » ، ثم قيل لامرأة الرجل ، وللرجل صاحب المرأة : « زوج » .

(٢) القصرى (بضم القاف وسكون الصاد وفتح الراء) والقصيرى (بضم القاف وفتح الصاد ، على التصغير) : أسفل الأضلاع ، أو هى الضلع التى تلى الشاكلة ، بين الجنب والبطن .

(٣) قوله : « وحشا » ، أى وحده ليس معه غيره .

الله من ضلعه ، فسألها ما أنت ؟ قالت : امرأة . قال : ولم خلقت ؟ قالت : تسكن إلىّ . (١)

٨٤٠٧ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : ألقى على آدم صلى الله عليه وسلم السِّنة – فيما بلغنا عن أهل الكتاب من أهل التوراة وغيرهم من أهل العلم ، عن عبد الله بن العباس وغيره – ثم أخذ ضِلَعاً من أضلاعه ، من شِقّه الأيسر ، ولأم مكانه ، (٢) وآدم نائمٌ لم يهبَّ من نومته ، حتى خلق الله تبارك وتعالى من ضِلَعه تلك زوجته حواء ، فسوّاها امرأة ليسكن إليها ، فلما كُشِفت عنه السِّنة وهبَّ من نومته ، رآها إلى جنبه ، فقال – فيما يزعمون ، والله أعلم – : لحمى ودمى وزوجتى ! فسكن إليها . (٣)

٨٤٠٨ – حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وخلق منها زوجها » . جعل من آدم حواء .

* * *

وأما قوله : « وبثَّ منهما رجالا كثيراً ونساء » ، فإنه يعنى : ونشر منهما ، يعنى من آدم وحواء = « رجالا كثيراً ونساء » ، قد رآهم ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴾ [سورة القارعة : ٤] . (٤)

* * *

يقال منه : « بثَّ الله الخلق ، وأبثهم » . (٥)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

---

(١) الأثر : ٨٤٠٦ – مضى هذا الأثر مطولا برقم : ٧١٠ ، وكان فى المطبوعة هنا : « لتسكن إلى » باللام فى أولها ، وأثبت نص المخطوطة ، وما سلف فى الأثر : ٧١٠

(٢) لأم الشيء لأماً ، ولاءمه ، فالتأم : أصلحه حتى اجتمع وذهب ما كان فيه من الصدع . وفى روايته فى الأثر رقم : ٧١١ : « ولأم مكانه لحما » .

(٣) الأثر : ٨٤٠٧ – مضى هذا الأثر برقم : ٧١١ ، وتخريجه هناك .

(٤) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٥٢ .

(٥) انظر تفسير « بث » فيما سلف ٣ : ٢٧٥

* ذكر من قال ذلك :

٨٤٠٩ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل، قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وبث منهما رجالا كثيراً ونساء » ، وبثَّ ، خلق.

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأه عامة قرأة أهل المدينة والبصرة ﴿ تَسَّاءَلونَ ﴾ بالتشديد، بمعنى : تتساءلون، ثم أدغم إحدى « التاءين » فى « السين » ، فجعلهما « سيناً » مشددة .

* * *

وقرأه بعض قرأة الكوفة : ﴿ تَسَاءَلُونَ ﴾، بالتخفيف، على مثال « تفاعلون » ،

* * *

وهما قراءتان معروفتان ، ولغتان فصيحتان = أعنى التخفيف والتشديد فى قوله : ١٠١/٤
« تساءلون به » = وبأىِّ ذلك قرأ القارئ أصابَ الصواب فيه . لأن معنى ذلك ، بأىّ وجهيه قرئ ، غير مختلف .

* * *

وأما تأويله : واتقوا الله ، أيها الناس، الذى إذا سأل بعضكم بعضاً سأل به ، فقال السائل للمسئول : « أسألك بالله ، وأنشدك بالله، وأعزم عليك بالله»، وما أشبه ذلك . يقول تعالى ذكره : فكما تعظّمون، أيها الناس، ربّكم بألسنتكم حتى تروا أنّ من أعطاكم عهده فأخفركوه ،[1] فقد أتى عظيماً . فكذلك فعظّموه بطاعتكم إياه فيما أمركم،

(١) أخفر الذمة والعهد : نقضه وغدره وخاس به ، ولم يف بعهده .

واجتنابكم ما نهاكم عنه ، واحذروا عقابه من مخالفتكم إياه فيما أمركم به أو نهاكم عنه ، كما : —

٨٤١٠ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك في قوله : « واتقوا الله الذى تساءلون به » ، قال يقول : اتقوا الله الذى تعاقدون وتعاهدون به .

٨٤١١ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « واتقوا الله الذى تساءلون به » ، يقول : اتقوا الله الذى به تعاقدون وتعاهدون .

٨٤١٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس مثله .

٨٤١٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، أخبرنا حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « تساءلون به » ، قال : تعاطفون به .

* * *

وأما قوله : « والأرحام » ، فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله .

فقال بعضهم : معناه : واتقوا الله الذى إذا سألتم بينكم قال السائل للمسئول : « أسألك به وبالرّحِم »

* ذكر من قال ذلك :

٨٤١٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن إبراهيم : « اتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » ، يقول : اتقوا الله الذى تعاطفون به والأرحام . يقول : الرجل يسأل بالله وبالرَّحم .

٨٤١٥ — حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم قال : هو كقول الرجل : « أسألك بالله ، أسألك بالرحم » ، يعني قوله : « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » .

٨٤١٦ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم : « اتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » ، قال يقول : « أسألك بالله وبالرحم » .

٨٤١٧ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا هشيم، عن مغيرة ، عن إبراهيم : هو كقول الرجل : « أسألك بالرحم » .

٨٤١٨ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « اتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » ، قال يقول : « أسألك بالله وبالرحم » .

٨٤١٩ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحمانى قال ، حدثنا شريك ، عن منصور – أو مغيرة – عن إبراهيم فى قوله : « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام »، قال : هو قول الرجل : « أسألك بالله والرحم » .

٨٤٢٠ – حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن الحسن قال : هو قول الرجل : « أنشدك بالله والرحم » .

* * *

قال محمد :(١) وعلى هذا التأويل قول بعض من قرأ قوله: ﴿وَالأَرْحَامِ﴾ بالخفض عطفاً بـ « الأرحام » ، على « الهاء » التى فى قوله : « به » ، كأنه أراد : واتقوا الله الذى تساءلون به وبالأرحام = فعطف بظاهر على مكنىّ مخفوض . وذلك غير فصيح من الكلام عند العرب، لأنها لا تَنسُق بظاهر على مكنىّ فى الخفض، (٢)

---

(١) قوله : « قال محمد » ، يعنى محمد بن جرير الطبرى ، أبا جعفر صاحب التفسير . وهذه أول مرة يكتب فيها الطبرى ، أو أحد تلامذته ، أو بعض ناسخى تفسيره « قال محمد » ، دون كنيته قال « أبو جعفر » . وانظر ما سيأتى ص : ٥٦٩ ، تعليق : ٢ .

(٢) قوله : « تنسق » ، أى تعطف . و « النسق » العطف ، انظر فهارس المصطلحات فى هذه الأجزاء من التفسير ، و « المكنى » الضمير ، انظر فهارس المصطلحات .

إلا فى ضرورة شعر ، وذلك لضيق الشعر. (١) وأما الكلام ، فلا شىء يضطر المتكلم إلى اختيار المكروه من المنطق ، والردىء فى الإعراب منه . ومما جاء فى الشعر من ردّ ظاهر على مكنىّ فى حال الخفض ، قول الشاعر : (٢)

تُعَلِّقُ فِى مِثْلِ السَّوَارِى سُيُوفَنَا وَمَا بَيْنَهَا والكَعْبِ غُوطٌ نَفَانِفُ (٣)

فعطف بـ « الكعب » وهو ظاهر ، على « الهاء والألف » فى قوله : « بينها » وهى مكنية .

* * *

٤/١٥٢ وقال آخرون : تأويل ذلك : واتقوا الله الذى تساءلون به ، واتقوا الأرحام أن تقطعوها .

---

(١) هذه مقالة الفراء فى معانى القرآن ١ : ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، وقد ذكر هذه القراءة بإسنادها إلى إبراهيم بن يزيد النخعى ، وهى قراءة حمزة وغيره .

(٢) هو مسكين الدارمى .

(٣) معانى القرآن للفراء ١ : ٢٥٣ ، الحيوان ٦ : ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، الإنصاف : ١٩٣ ، الخزانة ، ٢ : ٣٣٨ ، العينى (بهامش الخزانة) ٤ : ١٦٤ ، وهو من أبيات ذكرها الجاحظ ، وأتمها العينى ، يمجد نفسه وقومه ، قال :

لَقَدْ عَلِمَتْ قَيْسٌ وَخِنْدِفُ أَنَّنِى بِثَغْرِهِمُ مِنْ عَارِمِ النَّاسِ وَاقِفُ
وَقَدْ عَلِمُوا أَنْ لَنْ يُبَقِّىَ عَدُوُّهُمْ إِذَا قَذَفَتْهُ فى يَدَىَ القَوَاذِفُ
وأنَّ أَبَانَا بِكْرُ آدَمَ ، فَاعْلَمُوا ، وَحَوَّاءَ ، قَرْمٌ ذُو عَثَانِينَ شَارِفُ
كَأَنَّ عَلَى خُرْطُومِهِ مُتَهَافِتاً مِنَ القُطْنِ هَاجَتْهُ الأَكُفُّ النَّوَادِفُ
وَلِلصَّدَأُ المُسْوَدُّ أَطْيَبُ عِنْدَنَا مِنَ المِسْكِ ، دَافَتْهُ الأَكُفُّ الدَّوَائِفُ
تُعَلِّقُ فى مِثْلِ السَّوَارِى سُيُوفَنَا وما بَيْنَهَا والكَعْبِ غُوطٌ نفانِفُ
وَتَضْحَكُ عِرْفَانَ الدرُوعِ جُلُودُنَا إِذَا جَاءَ يَوْمٌ مُظْلِمُ اللَّوْنِ كاسِفُ

فى أبيات أخر ، ورواية الحيوان : « والكعب منا تنائف » ، وفى الطبرى ومعانى القرآن والخزانة « نعلق » بالنون ، وكلتاهما صواب . و « السوارى » جمع سارية ، وهى الأسطوانة . و « الغوط » جمع غائط ، وهو المطمئن من الأرض . و « النفانف » جمع نفنف : وهو الهواء بين شيئين ، وكل شىء بينه وبين الأرض مهوى بعيد فهو نفنف .

* ذكر من قال ذلك :

٨٤٢١ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى فى قوله : « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » ، يقول : اتقوا الله ، واتقوا الأرحام لا تقطعوها .

٨٤٢٢ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إنّ الله كان عليكم رقيباً » ، ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : اتقوا الله ، وصلُوا الأرحام ، فإنه أبقى لكم فى الدنيا ، وخير لكم فى الآخرة .

٨٤٢٣ – حدثنى على بن داود قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس فى قول الله : « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » ، يقول : اتقوا الله الذى تساءلون به ، واتقوا الله فى الأرحام فصِلُوها .

٨٤٢٤ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا هشيم ، عن منصور ، عن الحسن فى قوله : « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » ، قال : اتقوا الذى تساءلون به، واتقوه فى الأرحام .

٨٤٢٥ – حدثنا سفيان قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن عكرمة فى قول الله : « الذى تساءلون به والأرحام » ، قال : اتقوا الأرحام أن تقطعوها .

٨٤٢٦ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الحسن فى قوله : « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » ، قال : هو قول الرجل : « أنشدك بالله والرَّحم » .

٨٤٢٧ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة أنّ النبى صلى الله عليه وسلم قال : اتقوا الله ، وصلوا الأرحام .

٨٤٢٨ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « الذى تساءلون به والأرحام » ، قال : اتقوا الأرحام أن تقطعوها .

٨٤٢٩ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثني أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « الذى تساءلون به والأرحام » ، قال يقول : اتقوا الله فى الأرحام فصلوها .

٨٤٣٠ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » ، قال يقول : واتقوا الله فى الأرحام فصلوها.

٨٤٣١ – حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحق ، عن عبد الرحمن بن أبي حماد – وأخبرنا أبو جعفر الخزاز ، عن جويبر ،عن الضحاك : أن ابن عباس كان يقرأ : « والأرحام » ، يقول : اتقوا الله لا تقطعوها .

٨٤٣٢ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : اتقوا الأرحام .

٨٤٣٣ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : « اتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام »، أن تقطعوها .

٨٤٣٤ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ،قال ابن زيد فى قوله : «واتقوا الله الذى تساءلون به »، واتقوا الأرحام أن تقطعوها = وقرأ: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ [سورة الرعد : ٢١].

* * *

قال أبو جعفر ، وعلى هذا التأويل قرأ ذلك من قرأه نصباً بمعنى : واتقوا الله الذى تساءلون به ، واتقوا الأرحام أن تقطعوها = عطفاً بـ «الأرحام»، فى إعرابها بالنصب

على اسم الله تعالى ذكره .

قال : والقراءة التي لا نستجيز لقارئٍ أن يقرأ غيرها في ذلك ،[1] النصب : ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ ﴾ ، بمعنى : واتقوا الأرحام أن تقطعوها ، لما قد بينا أن العرب لا تعطف بظاهرٍ من الأسماء على مكنيّ في حال الخفض ، إلا في ضرورة شعر ، على ما قد وصفت قبل .[2]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (١)

قال أبو جعفر : يعني بذلك تعالى ذكره : إنّ الله لم يزل عليكم رقيباً .

* * *

ويعني بقوله : « عليكم » ، على الناس الذين قال لهم جل ثناؤه : « يا أيها الناس اتقوا ربكم » ، والمخاطب والغائب إذا اجتمعا في الخبر ، فإن العرب تخرج الكلام على الخطاب ، فتقول : إذا خاطبتْ رجلا واحداً أو جماعة فعلتْ هي وآخرون غُيَّبٌ معهم فعلاً : « فعلتم كذا ، وصنعتم كذا » .

* * *

ويعني بقوله : « رقيباً » ، حفيظاً ، مُحصياً عليكم أعمالكم ، متفقداً رعايتكم حرمةَ أرحامكم وصلتكم إياها ، وقطعكموها وتضييعكم حرمتها ، كما : — ٤/٥٣

٨٤٣٥ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « إن الله كان عليكم رقيباً » ، حفيظاً .

٨٤٣٥ م — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، سمعت ابن زيد في قوله : « إن الله كان عليكم رقيباً » ، على أعمالكم ، يعلمها ويعرفها .

* * *

ومنه قول أبي دُؤاد الإيادِيّ :

---

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « لا نستجيز القارىء أن يقرأ » بتعريف « القارىء » ، وهو خطأ صوابه ما أثبت .

(٢) انظر ما سلف قريباً ص : ٥١٩ ، ٥٢٠ .

كَمَقَاعِدِ الرُّقَبَاءِ لِلضُّرَبَاءِ أَيْدِيهِمْ نَوَاهِدُ[١]

القول فى تأويل قوله ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره أوصياءَ اليتامى. يقول لهم : وأعطوا ، يامعشر أوصياء اليتامى : [اليتامى] أموالهم إذا هم بلغوا الحلم ،[٢] وأونس منهم الرشد[٣] =

(١) تهذيب الألفاظ : ٤٧٥ ، المعانى الكبير : ١١٤٨ ، مجاز القرآن ١ : ١١٣ ، الميسر والقداح : ١٣٣ ، وغيرها ، وهو من أبيات جياد فى نعت الثور الأبيض ، لم أجدها مجتمعة ، منها :

وَقَوَائِمٌ خُذُفٌ ، لَهَا مِنْ خَلْفِهَا زَمَعٌ زَوَائِدْ
كَمَقَاعِدِ الرُّقَبَاءِ لِلضُّرَبَاءِ أَيْدِيهِمْ نَوَاهِدْ
لَهَقٌ كَنَارِ الرَّأْسِ بِالعَلْيَاءِ تُذْكِيهَا الأَعَابِدْ
وَيُصِيخُ أَحْيَاناً كَمَا اسْتَمَعَ المُضِلُّ لِصَوْتِ نَاشِدْ

يصف قوائم هذا الثور ، « خذف » جمع خذوف ، وهى السريعة السير والعدو ، تخذف الحصى بقوائمها . أى تقذفه . و « الزمع » جمع زمعة ، وهى هنة زائدة ناتئة فوق ظلف الشاة والثور ، مدلاة فيها شعر . ثم وصف هذه الزمع الناتئة خلف أظلاف الثور ، وشبه إشرافها على الأظلاف بالرقباء المشرفين على الضرباء ، وقد مدوا أيديهم . وهذا وصف فى غاية البراعة والحسن . و « الرقباء » جمع رقيب ، وهو أمين أصحاب الميسر ، يحفظ ضربهم بالقداح ويرقبهم. و « الضرباء » جمع ضريب ، وهو الضارب بالقداح . وزعم ابن قتيبة أن قوله : « أيديهم » أى : أيدى الضرباء ، وأخطأ ، إنما عنى أيدى الرقباء لا الضرباء . وقوله : « لهق » هو البياض ، يعنى بياض الثور ، فشبه بياضه بياض النار على رأس رابية مشرقة ، تذكى لهيبها العبيد . ثم وصف الثور عند الارتياع ، فقال إنه يصيخ — أى ينصت مميلا رأسه ناحية من الفزع — و « المضل » الذى أضاع شيئاً فهو يترقب أن يجده . « والناشد » ، هو الذى ينشد ضالة ، أى يعرفها ويصفها . فهو يصغى لصوت المنشد المعرف إصغاء من يرجو أن تكون هى ضالته . وهذا من جيد الشعر وبارعه .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة ، أسقط ما وضعته بين القوسين ، ولكن السياق يقتضى إثباتها ، وكأن الناسخ غره التكرار ، فأسقط إحداهما ، فأساء .

(٣) انظر تفسير « آتى » فى فهارس اللغة ، وتفسير « اليتامى » فيما سلف ٢ : ٣/٢٩٢ : ٤/٣٤٥ : ٢٩٥ .

« ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب »، يقول: ولا تستبدلوا الحرام عليكم من أموالهم بأموالكم الحلال لكم ، كما : —

٨٤٣٦ — حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله الله تعالى : « ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب » ، قال : الحلال بالحرام .

٨٤٣٧ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٨٤٣٨ — حدثنا سفيان قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : « ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب » ، قال : الحرام مكان الحلال .

* * *

قال أبو جعفر : ثم اختلف أهل التأويل في صفة تبديلهم الخبيث كان بالطيب ، الذي نهوا عنه ، ومعناه.(١)

فقال بعضهم : كان أوصياء اليتامى يأخذون الجيِّد من ماله والرفيعَ منه ، ويجعلون مكانه لليتيم الردىء والخسيس، فذلك تبديلهم الذي نهاهم الله تعالى عنه .

* ذكر من قال ذلك :

٨٤٣٩ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن يمان، عن سفيان ، عن مغيرة، عن إبراهيم : « ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب» ، قال : لا تعط زيفاً وتأخذ جيِّداً .

٨٤٤٠ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن السدي = وعن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب = ومعمر عن الزهري، قالوا: يعطي مهزولا ويأخذ سميناً .

٨٤٤١ — وبه عن سفيان ، عن رجل ، عن الضحاك قال : لا تعط فاسداً، وتأخذ جيداً .

---

(١) في المطبوعة : « في صفة تبديلهم الخبيث بالطيب » ، أسقط الناشر « كان » لأن عربيته أنكرت عربية أبي جعفر ! ! وهي الصواب المحض ، فأثبتها .

٨٤٤٢ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب » : كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة من غنم اليتيم ويجعل مكانها الشاة المهزولة ، ويقول : « شاة بشاة » ! ويأخذ الدرهم الجيد ويطرح مكانه الزيف ، ويقول : « درهم بدرهم » ! !

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : لا تستعجل الرزق الحرام فتأكله قبل أن يأتيك الذى قُدِّر لك من الحلال .

* ذكر من قال ذلك :

٨٤٤٣ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب » ، قال : لا تعجِّل بالرزق الحرام قبل أن يأتيك الحلال الذى قدِّر لك .

٨٤٤٤ – وبه عن سفيان ، عن إسمعيل ، عن أبى صالح مثله .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك ، كالذى : –

٨٤٤٥ – حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب » ، قال : كان أهل الجاهلية لا يورِّثون النساءَ ولا يورِّثون الصغار ، يأخذه الأكبر = وقرأ ﴿وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ ، قال : إذا لم يكن لهم شىء : ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ﴾ [سورة النساء : ١٢٧] ، لا يورثونهم.(١) قال : فنصيبه من الميراث طيِّب ، وهذا الذى أخذه خبيث .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ، قول من قال : تأويل ذلك : ولا تتبدلوا أموال أيتامكم – أيها الأوصياء – الحرامَ عليكم الخبيثَ لكم ،

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « لا يورثوهم » ، والصواب ما أثبت .

فتأخذوا رفائعها وخيارَها وجيادَها ، بالطيب الحلال لكم من أموالكم = [أى : لا تأخذوا] الردىء الخسيس بدلاً منه .(١)

* * *

وذلك أنّ «تبدل الشيء بالشيء» فى كلام العرب : أخذ شيء مكان آخر غيره ، يعطيه المأخوذ منه أو يجعله مكان الذى أخذ .(٢) ٤/٥٤

* * *

فإذْ كان ذلك معنى « التبدل » و «الاستبدال » ،(٣) فمعلوم أنّ الذى قاله ابن زيد = من أن معنى ذلك : هو أخذ أكبرِ ولد الميت جميع مال ميّته ووالده، دون صغارهم ، إلى ماله — قولٌ لا معنى له. لأنه إذا أخذ الأكبر من ولده جميع ماله دون الأصاغر منهم ، فلم يستبدل مما أخذ شيئاً. فما « التبدل » الذى قال جل ثناؤه: « ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب » ، ولم يتبدّل الآخذ مكان المأخوذ بدلاً ؟

* * *

وأما الذى قاله مجاهد وأبو صالح من أن معنى ذلك : لا تتعجل الرزق الحرام قبل مجيء الحلال = فإنهما أيضاً ، إن لم يكونا أرادا بذلك نحو القول الذى روى عن ابن مسعود أنه قال: « إن الرجل ليحرم الرزق بالمعصية يأتيها » ، ففساده نظير فساد قول ابن زيد . لأن من استعجل الحرام فأكله ، ثم آتاه الله رزقه الحلال ، فلم يبدّل شيئاً مكان شيء . وإن كانا قد أرادا بذلك ،(٤) أن الله جل ثناؤه نهى عباده أن يستعجلوا الحرام فيأكلوه قبل مجيء الحلال ، فيكون أكلُهم ذلك

---

(١) هذا الذى زدته بين القوسين ، استظهار من تأويله الآتى . والجملة بغير هذه الزيادة لا تكاد تستقيم .

ثم انظر تفسير « الخبيث » فيما سلف ٥ : ٧/٥٥٩ : ٤٢٤ = وتفسير « الطيب » فيما سلف ٣ : ٥/٣٠١ : ٦/٥٥٥ : ٧/٣٦١ : ٤٢٤

(٢) انظر تفسير « تبدل » و « استبدل » فيما سلف ٢ : ١١٢ ، ١٣٠ ، ٤٩٤

(٣) فى المطبوعة : « التبديل » ، وأثبت الصواب من المخطوطة .

(٤) فى المطبوعة : « وإن كانا أراد بذلك » بحذف « قد » وفى المخطوطة : « وإن كان قال أراد بذلك » وهو فساد من عجلة الناسخ ، ولكن صواب قراءتها ما أثبت .

سبباً لحرمان الطيِّب منه فذلك وجه معروف ، ومذهب معقول . يحتمله التأويل . غير أن أشبه [القولين] فى ذلك بتأويل الآية ، ما قلنا .(١) لأن ذلك هو الأظهر من معانيه ، لأن الله جل ثناؤه إنما ذكر ذلك فى قصة أموال اليتامى وأحكامها ، فلأن يكون ذلك من جنس حُكمِ أول الآية وآخرها ، [أولى] من أن يكون من غير جنسه .(٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : ولا تخلِطوا أموالهم – يعنى أموال اليتامى بأموالكم – فتأكلوها مع أموالكم ،(٣) كما : –

٨٤٤٦ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم » ، يقول : لا تأكلوا أموالكم وأموالهم ، تخلطوها فتأكلوها جميعاً .

٨٤٤٧ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن مبارك ، عن الحسن قال : لما نزلت هذه الآية فى أموال اليتامى ، كرهوا أن يخالطوهم ، وجعل ولىُّ اليتيم يعزل مالَ اليتيم عن ماله ، فشكوا ذلك إلى النبى صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) فى المطبوعة : « غير أن الأشبه فى ذلك بتأويل الآية ما قلنا » ، وهو غير جيد ، وفى المخطوطة : « غير أن أشبه فى ذلك بتأويل الآية ما قلنا » ، وبين أن الناسخ عاد فسها ، فأسقط « القولين » وهو ما أثبته ما بين القوسين .

(٢) فى المطبوعة : « فلا يكون ذلك من جنس حكم أول الآية ، فأخرجها من أن يكون من غير جنسه » جعل « وآخرها » ، « فأخرجها » ، فأنزل الكلام منزلة من الفساد لا مخرج منها . وأما المخطوطة فكان سياقها : « فلا يكون ذلك من جنس حكم أول الآية وآخرها من أن يكون من غير جنسه » ، وهو سهو من الناسخ وعجلته أفسد الجملة ، صواب « فلا يكون » « فلأن يكون » ، والصواب أيضاً زيادة « أولى » التى وضعتها بين القوسين .

(٣) انظر تفسير « أكل الأموال » فيما سلف ٣ : ٥٤٨ ، ٥٤٩ = وتفسير « إلى » بمعنى « مع » فيما سلف ١ : ٢٩٩/٦ : ٤٤٣ ، ٤٤٤ .

فأنزل الله : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ﴾ [سورة البقرة : ٢٢٠] ، قال : فخالطوهم واتقوا .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ (٢)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره [بقوله] :(٢) « إنه كان حوباً كبيراً »، إن أكلكم أموال أيتامكم ، حوبٌ كبير .

* * *

و « الهاء » فى قوله : « إنه » دالة على اسم الفعل ، أعنى « الأكل » .

* * *

وأما « الحوب »، فإنه الإثم ، يقال منه : « حاب الرجل يَحُوب حَوباً وحُوباً وحِيَابة»، ويقال منه: «قد تحوَّب الرجل من كذا» ، إذا تأثم منه ، ومنه قول أمية ابن الأسكر الليثى :(٣)

وَإِنَّ مُهَاجِرَيْنِ تَكَنَّفَاهُ غَدَاتَئِذٍ ، لَقَدْ خَطِئَا وحَابَا(٤)

ومنه قيل : « نزلنا بحَوبة من الأرض ، وبحِيبَةٍ من الأرض » ، إذا نزلوا بموضع سَوْءٍ منها .

* * *

و « الكبير » العظيم .(٥)

* * *

(١) الآثر : ٨٤٤٧ — هذا الأثر لم يروه أبو جعفر فى تفسير آية سورة البقرة ٤ : ٣٤٩ — ٣٥٥ ، وهو من الدلائل على اختصاره تفسيره هذا .

(٢) الذى بين القوسين زيادة لا يستقيم الكلام بغيرها .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « بن الأسكن » ، وهو خطأ صرف .

(٤) مضى البيت وتخريجه فى ٢ : ١١٠ ، وسيأتى فى ١٣ : ٣٧ (بولاق)، وانظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٣ ، ولم أثبتت هناك، مواضع تكراره فى التفسير ، فليقيد هناك، وروايته هناك : « لعمر الله قد خطئا وخابا » بالخاء ، وأرجح أن أجود الروايتين ، روايته فى هذا الموضع ، بالحاء المهملة ؛ وإن كانت أكثر الكتب قد أثبتها بالخاء المعجمة ، وأرجح أيضاً أنه تصحيف قديم ، ومعنى رواية أبى جعفر أشبه بسياق الشعر إن شاء الله .

(٥) انظر تفسير « كبير » فيما سلف ٢ : ١٥ / ٣ : ١٦٦ / ٤ : ٣٠٠

فمعنى ذلك : إنّ أكلكم أموال اليتامى مع أموالكم ، إثم عند الله عظيم .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٨٤٤٨ – حدثنى محمد بن عمرو وعمرو بن على قالا ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « حوباً كبيراً » ، قال : إثماً .

٨٤٤٩ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى ، عن نجيح مجاهد مثله .

٨٤٥٠ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « إنه كان حوباً كبيراً » ، قال : إثماً عظيما .

٨٤٥١ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « كان حوباً » ، أما « حوبا » فإثماً .

٨٤٥٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله « حوباً » ، قال : إثماً .

٤/١٥٥ ٨٤٥٣ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « إنه كان حوباً كبيراً » ، يقول : ظلماً كبيراً .

٨٤٥٤ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، سمعت ابن زيد يقول فى قوله : « إنه كان حوباً كبيراً » ، قال : ذنباً كبيراً = وهى لأهل الإسلام .

٨٤٥٥ – حدثنا عمرو بن على قال ، حدثنا يحيى بن سعيد قال ، حدثنا قرة بن خالد قال ، سمعت الحسن يقول : « حوباً كبيراً » ، قال : إثماً والله عظيماً .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : معنى ذلك : وإن خفتم ، يا معشر أولياء اليتامى ، أن لا تقسطوا فى صداقهن فتعدلوا فيه ، وتبلغوا بصداقهنّ صدقات أمثالهنّ ، فلا تنكحوهن ، ولكن انكحوا غيرَهن من الغرائب اللواتى أحلّهن الله لكم وطيبهن ، من واحدة إلى أربع ، وإن خفتم أن تجوروا = إذا نكحتم من الغرائب أكثر من واحدة = فلا تعدلوا ، فانكحوا منهن واحدة ، أو ما ملكت أيمانكم .

* ذكر من قال ذلك :

٨٤٥٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة : « وإن خفتم ألاّ تُقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طابَ لكم من النساء » ، فقالت : يا ابن أختى ، هى اليتيمة تكون فى حِجر ولِّيها ، فيرغب فى مالها وجمالها ، ويريد أن ينكحها بأدنى من سُنة صداقها ، فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن فى إكمال الصداق ، وأمروا أن ينكحوا ما سواهُنّ من النساء .(١)

٨٤٥٧ — حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنى يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب قال ، أخبرنى عروة بن الزبير : أنه سأل عائشة

---

(١) الحديث : ٨٤٥٦ — روى الطبرى هذا الحديث — مطولا ومختصراً — بسبعة أسانيد : ٨٤٥٦ — ٨٤٦١ ، ٨٤٧٧ . وهو ثابت صحيح ، فى الصحيحين وغيرهما .

وهذا الإسناد : هو من رواية عبد الله بن المبارك ، عن معمر ، عن الزهرى . وسيأتى : ٨٤٦٠ ، من رواية عبد الرزاق ، عن معمر ، دون ذكر لفظه ، إحالة على هذه الرواية .

وقد رواه البخارى فى صحيحه اثنتى عشرة مرة ، سنشير إليها ، إن شاء الله .

ورواه البيهقى فى السنن الكبرى ٧ : ١٤١ — ١٤٢ ، بأسانيد ، من أوجه متعددة .

زوج النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله تبارك وتعالى : « وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طابَ لكم من النساء » ، قالت : يا ابن أختي ، هذه اليتيمة ، تكون في حجر وليِّها تُشاركه في ماله ، فيعجبه مالها وجمالها . فيريد وليها أن يتزوَّجها بغير أن يُقسِط في صداقها ، فيعطيها مثل مايعطيها غيره ، فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن ، ويبلغوا بهن أعلى سُنَّتهن في الصداق ، وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن = قال يونس بن يزيد قال ربيعة في قول الله : « وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى » ، قال يقول : اتركوهنّ ، فقد أحللت لكم أربعاً .(١)

٨٤٥٨ – حدثنا الحسن بن الجنيد وأخبرنا سعيد بن مسلمة قالا . أنبأنا إسمعيل ابن أمية ، عن ابن شهاب ، عن عروة قال : سألت عائشة أم المؤمنين فقلت : يا أم المؤمنين ، أرأيت قول الله : « وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء » ؟ قالت : يا ابن أختي ، هي اليتيمة تكون في حجر وليها ، فيرغب في جمالها ومالها ، ويريد أن يتزوجها بأدنى من سنة صداق نسائها ، فنهوا عن ذلك : أن ينكحوهن إلاّ أن يقسطوا فيكمِّلوا لهن الصداق ، ثم أمروا أن ينكحوا سواهن من النساء إن لم يكملوا لهن الصداق .(٢)

---

(١) الحديث : ٨٤٥٧ – وهذا من رواية ابن وهب ، عن يونس بن يزيد ، عن الزهري .
وسيأتي : ٨٤٥٩ ، من رواية الليث بن سعد ، عن يونس ، عن الزهري ، دون ذكر لفظه ، إحالة على هذه الرواية .

ورواه البخاري ٥ : ٩٤ – ٩٥ (فتح) ، من طريق الليث ، عن يونس ، عن الزهري .
وقد رواه مسلم ٢ : ٣٩٨ – ٣٩٩ ، من طريق ابن وهب ، عن يونس – أطول مما هنا . لكن ليس فيه ما ذكر في آخره هنا ، من كلام ربيعة الذي رواه عنه يونس . وليس هذا من صلب الحديث .

ورواه البخاري ٩ : ٩١ (فتح) ، من رواية حسان بن إبرهيم ، عن يونس ، عن الزهري – بنحو مما هنا ، مع اختصار قليل . وليس فيه كلمة ربيعة .

وقوله : « أعلى سنتهن في الصداق » – هذا هو الثابت في صحيح مسلم أيضاً . وفي المخطوطة « سبيلهن » بدل « سنتهن » . والظاهر أنه تصحيف من الناسخ .

(٢) الحديث : ٨٤٥٨ – الحسن بن الجنيد بن أبي جعفر البزار البغدادي : ثقة . أخرج عنه ابن خزيمة في صحيحه . وترجمه ابن أبي حاتم ٤/٢/١ ، فلم يذكر فيه جرحاً والخطيب ٧ : ٢٩٢ ،

٨٤٥٩ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني الليث قال ، حدثني يونس ، عن ابن شهاب قال ، حدثني عروة بن الزبير : أنه سأل عائشة زوجَ النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر مثل حديث يونس، عن ابن وهب .

٨٤٦٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهري عن عروة ، عن عائشة ، مثل حديث ابن حميد ، عن ابن المبارك .(١)

٨٤٦١ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : نزل = تعني قوله : « وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى » ، الآية = في اليتيمة تكون عند الرجل ، وهي ذات مال ، فلعله ينكحها لمالها وهي لا تعجبه ، ثم يضربها ويسيء صحبتها ، فوُعظ في ذلك .(٢) ٤/٥٦

* * *

كلاهما في ترجمة « الحسن » . وترجمه الحافظ المزي في التهذيب الكبير باسم « الحسين » . وتبعه الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب ، تبعاً لترتيب الكتاب ، ولكنه صرح بأنه « بفتح الحاء والسين » ، يعني « الحسن » ، وهو الصواب .

سعيد بن مسلمة بن هشام بن عبد الملك بن مروان : ضعيف . قال البخاري في الكبير ٢/١/٤٧٣ : « فيه نظر » . وذكر أن عنده « مناكير » . وقال في الضعفاء ، ص ١٥ : « منكر » . وقال ابن معين : « ليس بشيء » . وقال أبو حاتم : « هو ضعيف الحديث ، منكر الحديث » – ابن أبي حاتم ٢/١/٦٧ .

ووقع في المطبوعة هنا : « الحسن بن جنيد وأبو سعيد بن مسلمة » ، وهو خطأ ، كتب « وأبو » بدل « وأنا » اختصار « وأخبرنا » .

إسمعيل بن أمية الأموي : مضت ترجمته في : ٢٦١٥ .

وضعف هذا الإسناد ، من أجل سعيد بن مسلمة ، لا يمنع صحة الحديث في ذاته من أوجه أخر ، كما مضى ، وكما سيأتي .

(١) الحديثان : ٨٤٥٩ ، ٨٤٦٠ – هما تكرار للحديثين : ٨٤٥٧ ، ٨٤٥٦ . وقد أشرنا إلى كل منهما في موضعه .

(٢) الحديث : ٨٤٦١ – القاسم : هو ابن الحسن . و « الحسين » : هو ابن داود الملقب « سنيد » . انظر ما مضى في الإسناد : ٨٣٩٨ .

حجاج : هو ابن محمد المصيصي الأعور . مضت ترجمته في : ١٦٩١ . وترجم له أخي السيد محمود ، في ج ٦ ص ٥٤٨ ، تعليق : ٣ .

قال أبو جعفر : فعلى هذا التأويل، جواب قوله: « وإن خفتم ألا تقسطوا »، قوله : « فانكحوا » .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : النهى عن نكاح ما فوق الأربع ، حذاراً على أموال اليتامى أن يتلفها أولياؤهم .(١) وذلك أن قريشاً كان الرجل منهم يتزوج العشر من النساء والأكثر والأقل ، فإذا صار معدماً ، مال على مال يتيمه الذى فى حجره فأنفقه أو تزوج به . فنهوا عن ذلك ، وقيل لهم : إن أنتم خفتم على أموال أيتامكم أن تنفقوها = فلا تعدلوا فيها ، من أجل حاجتكم إليها لما يلزمكم من مؤن نسائكم ،

والحديث — من هذا الوجه — رواه البخارى ٨ : ١٧٩ (فتح) . من طريق هشام بن يوسف ، عن ابن جريج ، به ، نحوه . ولكن سياقه يوهم أنها نزلت فى شخص معين . فقال الحافظ : « والمعروف عن هشام بن عروة التعميم . وكذلك أخرجه الإسماعيلى ، من طريق حجاج بن محمد عن ابن جريج . ولفظه : أنزلت فى الرجل يكون عنده اليتيمة ، إلخ » .

أقول : ورواية حجاج ، هى هذه التى فى الطبرى أيضاً .

ورواه البخارى أيضاً ٨ : ١٩٩ (فتح) ، من طريق أبى أسامة ، عن هشام بن عروة ، على الصواب. وكذلك رواه مسلم ، بنحوه ٢ : ٣٩٩ ، من طريق أبى أسامة ، عن هشام .

ورواه البخارى أيضاً ، بنحوه ٩ : ١١٩ ، من طريق عبدة ، وهو ابن سليمان ، عن هشام ابن عروة .

وسيأتى : ٨٤٧٧ ، من رواية وكيع ، عن هشام . ونخرجه هناك ، إن شاء الله .

ونحن ذاكرون هنا باقى طرقه فى الصحيحين — عدا رواية وكيع — تتمة للفائدة :

فرواه البخارى ٥ : ٩٤ — ٩٥ (فتح) ، ومسلم ٢ : ٣٩٩ = كلاهما من طريق صالح ، عن الزهرى ، عن عروة .

ورواه البخارى ٥ : ٢٩٢ (فتح) ، و ٩ : ١٦٩ — ١٧٠ . و ١٢ : ٢٩٨ = من طريق شعيب ، عن الزهرى .

ورواه أيضاً ٩ : ١١٧ ، ١٦٩ — ١٧٠ = من طريق عقيل ، عن الزهرى .

ورواه أيضاً ٩ : ١٦٢ ، من طريق أبى معاوية ، عن هشام بن عروة ، مختصراً .

وابن كثير ذكر حديث عائشة ٢ : ٣٤٢ — ٣٤٣ ، من روايتين من روايات البخارى . ولم يزد فى تخريجه شيئاً .

والسيوطى ذكره بثلاثة ألفاظ ، مطولا ومختصراً ٢ : ١١٨ . وزاد نسبته لعبد بن حميد ، والنسائى ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم .

(١) فى المطبوعة : « حذراً على أموال اليتامى » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

فلا تجاوزوا فيما تنكحون من عدد النساء على أربعٍ = وإن خفتم أيضاً من الأربع أن لا تعدلوا فى أموالهم ، فاقتصروا على الواحدة ، أو على ما ملكت أيمانكم .

* ذكر من قال ذلك :

٨٤٦٢ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن سماك قال ، سمعت عكرمة يقول فى هذه الآية : « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى » ، قال : كان الرجل من قريش يكون عنده النِّسوة ، ويكون عنده الأيتام ، فيذهب ماله ، فيميل على مال الأيتام ، قال : فنزلت هذه الآية : « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء » .

٨٤٦٣ – حدثنا هناد بن السرى قال: حدثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة فى قوله : « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم » ، قال : كان الرجل يتزوج الأربع والخمس والستّ والعشر ، فيقول الرجل : « مايمنعنى أن أتزوج كما تزوج فلان » ؟ فيأخذ مال يتيمه فيتزوج به ، فنهوا أن يتزوجوا فوق الأربع .

٨٤٦٤ – حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنا أبى، عن سفيان ، عن حبيب ابن أبى ثابت ، عن طاوس ، عن ابن عباس قال : قصر الرجال على أربعٍ من من أجل أموال اليتامى .

٨٤٦٥ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى » ، فإن الرجل كان يتزوج بمال اليتيم ما شاء الله تعالى ، فنهى الله عن ذلك .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أن القوم كانوا يتحوّبون فى أموال اليتامى أن لا يعدلوا فيها ، ولا يتحوبون فى النساء أن لا يعدِلوا فيهن، فقيل لهم : كما خفتم أن

لا تعدلوا فى اليتامى ، فكذلك فخافوا فى النساء أن لا تعدلوا فيهن، ولا تنكحوا منهن إلا من واحدة إلى الأربع ، ولا تزيدوا على ذلك . وإن خفتم أن لا تعدلوا أيضاً فى الزيادة عن الواحدة، فلا تنكحوا إلا ما لا تخافون أن تجوروا فيهن من واحدة أو ما ملكت أيمانكم .

* ذكر من قال ذلك :

٨٤٦٦ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير قال : كان الناس على جاهليتهم ، إلاّ أن يؤمروا بشىء أو يُنهوا عنه ، قال : فذكروا اليتامى، فنزلت : «وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم » ، قال : فكما خفتم أن لا تقسطوا فى اليتامى ، فكذلك فخافوا أن لا تقسطوا فى النساء .

٨٤٦٧ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى » ، إلى « أيمانكم » ، كانوا يشددون فى اليتامى ، ولا يشددون فى النساء ، ينكح أحدُهم النسوة فلا يعدل بينهن ، فقال الله تبارك وتعالى : كما تخافون أن لا تعدلوا بين اليتامى ، فخافوا فى النساء، فانكحوا واحدة إلى الأربع . فإن خفتم أن لا تعدلوا، فواحدة أو ما ملكت أيمانكم .

٨٤٦٨ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء » حتى بلغ « أدنى ألا تعولوا » ، يقول : كما خفتم الجور فى اليتامى وهمّكم ذلك ، فكذلك فخافوا فى جمع النساء ،[1] وكان الرجل فى الجاهلية يتزوج العشرة ١٥٧/٤

(١) فى المخطوطة : « جميع النساء » ، والصواب ما فى المطبوعة .

فما دون ذلك ، فأحل الله جل ثناؤه أربعاً ، ثم صيّرهن إلى أربع قوله :[1] « مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة » ، يقول ، إن خفت أن لا تعدل فى أربع فثلاث ، وإلا فثنتين ، وإلا فواحدة . وإن خفت أن لا تعدل فى واحدة ، فما ملكت يمينك .

٨٤٦٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير قوله : « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء » ، يقول : ماأحل لكم من النساء = « مثنى وثلاث ورباع » ، فخافوا فى النساء مثل الذى خفتم فى اليتامى : أن لا تقسطوا فيهنّ .

٨٤٧٠ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا حماد ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير قال : جاء الإسلام والناس على جاهليتهم ، إلا أن يؤمروا بشىء فيتّبعوه ، أو ينهوا عن شىء فيجتنبوه ، حتى سألوا عن اليتامى ، فأنزل الله تبارك وتعالى : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » .

٨٤٧١ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو النعمان عارم قال ، حدثنا حماد ابن زيد ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير قال : بعث الله تبارك وتعالى محمداً صلى الله عليه وسلم والناس على أمر جاهليتهم ، إلا أن يؤمروا بشىء أو ينهوا عنه : وكانوا يسألونه عن اليتامى فأنزل الله تبارك وتعالى : « وإن خفتم ألاتقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » ، قال : فكما تخافون أن لا تقسطوا فى اليتامى ، فخافوا أن لاتقسطوا وتعدلوا فى النساء .

٨٤٧٢ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى » ، قال : كانوا فى الجاهلية ينكحون عشراً من النساء الأيامى ، وكانوا

---

(١) فى المطبوعة : « ثم الذى صيرهن إلى أربع » ، زاد « الذى » ، وما فى المخطوطة صواب جيد .

يعظمون شأن اليتيم ، فتفقدوا من دينهم شأن اليتيم ، وتركوا ما كانوا ينكحون فى الجاهلية ، فقال : « وإن خفتم أن لا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » ، ونهاهم عما كانوا ينكحون فى الجاهلية .(١)

٨٤٧٣ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء » ، كانوا فى جاهليتهم لا يرزأون من مال اليتيم شيئاً ، وهم ينكحون عشراً من النساء ، وينكحون نساء آبائهم ، فتفقدوا من دينهم شأن النساء ، فوعظهم الله فى اليتامى وفى النساء ، فقال فى اليتامى : ﴿ وَلاَ تَتَبَدَّلُوا الخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ﴾ إلى ﴿ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيرًا ﴾ ، ووعظهم فى شأن النساء فقال : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء » الآية ، وقال : ﴿ وَلاَ تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ [سورة النساء : ٢٢] .

٨٤٧٤ – حدثت عن عمار ، عن ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى » إلى « ما ملكت أيمانكم » ، يقول : فإن خفتم الجور فى اليتامى وغمكم ذلك ، فكذلك فخافوا فى جمع النساء ،(٢) قال :

---

(١) الحديث : ٨٤٧٢ – عبد الله بن صالح ، كاتب الليث بن سعد : مضت ترجمته وتوثيقه فى : ١٨٦ .

معاوية بن صالح الحضرمى : سبق توثيقه فى : ١٨٦ . وهو مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ٤/١/٣٣٥ ، والصغير ، ص : ١٩٣ ، وابن سعد ٧/٢/٢٠٧ ، وابن أبى حاتم ٤/١/٣٨٢–٣٨٣ . وتاريخ قضاة قرطبة ، ص : ٣٠ – ٤٠ ، وقضاة الأندلس للنباهى ، ص : ٤٣ .

على بن أبى طلحة : قد بينا فى : ١٨٣٣ أنه لم يسمع من ابن عباس . فيكون هذا الإسناد منقطعاً ، ضعيف الإسناد لانقطاعه .

والحديث رواه البيهقى فى السنن الكبرى ٧ : ١٥٠ ، من طريق عثمان بن سعيد ، عن عبد الله بن صالح ، بهذا الاسناد .

وأشار إليه الحافظ فى الفتح ٨ : ١٧٩ – ١٨٠ ؛ فى شرح حديث عائشة ؛ قال : « وتأويل عائشة هذا ؛ جاء عن ابن عباس مثله . أخرجه الطبرى » .

وذكره السيوطى ٢ : ١١٨ ، ونسبه لابن جرير ، وابن أبى حاتم ، فقط .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة هنا «فى جميع النساء» ، والصواب ما أثبت ، وانظر التعليق السالف ص : ٥٣٦ ، تعليق : ١ .

وكان الرجل يتزوج العشر فى الجاهلية فما دون ذلك ، وأحل الله أربعاً ، وصيَّرهم إلى أربع ، يقول : « فإن خفتم ألاّ تعدلوا فواحدة » ، وإن خفت أن لا تعدل فى واحدة ، فما ملكت يمينك .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : فكما خفتم فى اليتامى ، فكذلك فتخوفوا فى النساء أن تَزْنُوا بهن ، ولكن انكحوا ما طاب لكم من النساء .

* ذكر من قال ذلك :

٨٤٧٥ – حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، أخبرنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى » ، يقول : إن تحرَّجتم فى ولاية اليتامى وأكل أموالهم إيماناً وتصديقاً، فكذلك فتحرّجوا من الزّنا ، وانكحوا النساء نكاحاً طيباً = «مثنى وثلاث ورباع ، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم » . ٤/١٥٨

٨٤٧٦ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى اللاتى أنتم وُلاتهن ، فلا تنكحوهن ، وانكحوا أنتم ما حل لكم منهن .

* ذكر من قال ذلك :

٨٤٧٧ – حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة : « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى » ، قال : نزلت فى اليتيمة تكون عند الرجل، هو وليها ليس لها ولى غيره، وليس أحد ينازعه فيها ، ولا ينكحها لمالها ، فيضربها ويسيء صحبتها .(١)

---

(١) الحديث : ٨٤٧٧ – هذا إسناد ضعيف ، لضعف سفيان بن وكيع ، وقد بينا ضعفه مراراً ، أولها فى : ١٤٢ ، ١٤٣ .

ولكن الحديث فى ذاته صحيح ، كما مضى فى : ٨٤٥٦ – ٨٤٦١ ، وفى الروايات التى خرجناها من الصحيحين .

٨٤٧٨ – حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا يونس ، عن الحسن فى هذه الآية : « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم » أى : ما حَلّ لكم من يتاماكم من قراباتكم = « مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال التى ذكرناها فى ذلك بتأويل الآية ، قول من قال : تأويلها : « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى ، فكذلك فخافوا فى النساء ، فلا تنكحوا منهن إلا ما لا تخافون أن تجورُوا فيه منهن ، من واحدة إلى الأربع . فإن خفتم الجورَ فى الواحدة أيضاً، فلا تنكحوها ، ولكن عليكم بما ملكت أيمانكم، فإنه أحرى أن لا تجوروا عليهن » .

وإنما قلنا إنّ ذلك أولى بتأويل الآية ، لأن الله جل ثناؤه افتتح الآية التى قبلها بالنهى عن أكل أموال اليتامى بغير حقها وخَلطها بغيرها من الأموال ، فقال تعالى ذكره : ﴿ وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيرًا ﴾. ثم أعلمهم أنهم إن اتقوا الله فى ذلك فتحرّجوا فيه ، فالواجب عليهم من اتقاء الله والتحرّج فى أمر النساء ، مثل الذى عليهم من التحرج فى أمر اليتامى. وأعلمهم كيف التخلص لهم من الجور فيهن ،(١) كما عرّفهم المخلص من الجور فى أموال اليتامى ، فقال : انكحوا إن أمنتم الجور فى النساء على أنفسكم ، ما أبحت لكم منهن وحلّلته، مثنى وثُلاث ورباع . فإن خفتم أيضاً الجور على أنفسكم فى أمر الواحدة ، بأن لا تقدروا على إنصافها، فلا تنكحوها،

ثم هو ثابت صحيح من رواية وكيع ، من غير رواية ابنه سفيان عنه .

فرواه البخارى ٩ : ١٦٠ (فتح) ، بأطول مما هنا = عن يحيى ، عن وكيع ، بهذا الإسناد .

ويحيى – شيخ البخارى فى هذا الإسناد – قال الحافظ فى الفتح : « هو ابن موسى ، أو ابن جعفر . كما بينته فى المقدمة » .

والذى فى مقدمة الفتح ، ص : ٢٣٦ ، أن ابن السكن نسبه « يحيى بن موسى » .

(١) لعل الأجود أن يقول : « وأعلمهم كيف المخلص لهم » ، كالتى تليها .

ولكن تسرَّوا من المماليك ، فإنكم أحرى أن لا تجوروا عليهن ، لأنهن أملاككم وأموالكم ، ولا يلزمكم لهن من الحقوق كالذى يلزمكم للحرائر ، فيكون ذلك أقرب لكم إلى السلامة من الإثم والجور .

فى الكلام — إذ كان المعنى ما قلنا — متروك استغنى بدلالة ما ظهر من الكلام عن ذكره . وذلك أن معنى الكلام : وإن خفتم أن لا تقسطوا فى أموال اليتامى فتعدلوا فيها ، فكذلك فخافوا أن لا تقسطوا فى حقوق النساء التى أوجبها الله عليكم ، فلا تتزوجوا منهنّ إلا ما أمنتم معه الجور مثنى وثلاث ورباع . وإن خفتم أيضاً فى ذلك فواحدة . وإن خفتم فى الواحدة ، فما ملكت أيمانكم = فترك ذكر قوله : « فكذلك فخافوا أن لا تقسطوا فى حقوق النساء » ، بدلالة ما ظهر من قوله تعالى : « فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم » .

* * *

فإن قال قائل ، فأين جواب قوله : « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى » ؟

قيل : قوله « فانكحوا ما طاب لكم » . غير أن المعنى الذى يدل على أن المراد بذلك ما قلنا قوله : « فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا » .

* * *

وقد بينا فيما مضى قبلُ أن معنى « الإقساط » فى كلام العرب : العدل والإنصاف = وأن « القسط » : الجور والحيف ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .(١)

* * *

وأما « اليتامى » ، فإنها جمع لذكران الأيتام وإناثهم فى هذا الموضع .(٢)

* * *

---

(١) انظر ما سلف ٦ : ٧٧ ، ٢٧٠

(٢) انظر تفسير « اليتامى » فيما سلف قريباً ص : ٥٢٤ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

وأما قوله : «فانكحوا ماطاب لكم من النساء» ، فإنه يعني : فانكحوا ما حلّ لكم منهن ، دون ما حُرِّم عليكم منهنّ ، كما : —

٨٤٧٩ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا ابن المبارك، عن إسمعيل بن أبي خالد عن أبي مالك قوله : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء » ، ما حلّ لكم .

١٥٩/٤ ٨٤٨٠ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير في قوله : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء » ، يقول : ما حلّ لكم .

* * *

فإن قال قائل : وكيف قيل : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء » ، ولم يقل : « فانكحوا مَنْ طاب لكم » ؟ وإنما يقال : « ما » في غير الناس .

قيل : معنى ذلك على غير الوجه الذي ذهبتَ إليه ، وإنما معناه : فانكحوا نكاحاً طيباً ، كما : —

٨٤٨١ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء » ، فانكحوا النساء نكاحاً طيباً .

٨٤٨١ م — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

فالمعنيّ بقوله : « ما طاب لكم » ، الفعل ، دون أعيان النساء وأشخاصهنّ ، فلذلك قيل« ما » ولم يقل« من »، كما يقال : « خذ من رقيقي ما أردت » ، إذا عنيت : خذ منهم إرادتك . ولو أردت : خذ الذي تريد منهم ، لقلت : « خذ من رقيقي من أردت منهم ».[1] وكذلك قوله : « أو ما ملكت أيمانكم » ، بمعنى : أو ملك أيمانكم .

* * *

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٢٥٣ ، ٢٥٤

وإنما معنى قوله : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » ، فلينكح كل واحد منكم مثنى وثلاث ورباع ، كما قيل : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾ [سورة النور : ٤].

* * *

وأما قوله: «مثنى وثلاث ورباع» ، فإنما تُرك إجراؤهن ، لأنهن معدولات عن « اثنين » ، و « ثلاث » و « أربع » ، كما عدل « عمر » عن « عامر » ، و « زُفَر » عن « زافِر » فترك إجراؤه . وكذلك « أحاد » و « ثناء » و « موْحد » و « مثنى » و « مثْلث » و « مرْبع » ، لا يجرى ذلك كله للعلة التى ذكرت من العدول عن وجوهه . ومما يدلّ على أن ذلك كذلك ، وأن الذكر والأنثى فيه سواء ، ما قيل فى هذه السورة و «سورة فاطر» ، [١] : «مثنى وثلاث ورباع» يراد به «الجناح» ، و «الجناح» ذكر = وأنه أيضاً لا يضاف إلى ما يضاف إليه « الثلاثة » و« الثلاث » وأن « الألف واللام » لا تدخله = فكان فى ذلك دليل على أنه اسم للعدد معرفة ، ولو كان نكرة لدخله« الألف واللام » ، وأضيف كما يضاف« الثلاثة» و«الأربعة» .(١) ومما يبين فى ذلك قول تميم بن أبىّ بن مقبل :

تَرَى النُّعَرَاتِ الزُّرْقَ تَحْتَ لَبَانِهِ أُحَادَ وَمَثْنَى أَصْعَقَتْهَا صَوَاهِلُهْ(٢)

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

(٢) من قصيدة له طويلة نقلتها قديماً . ومعانى القرآن للفراء ١ : ٢٥٥ ، ٣٤٥ والحيوان ٧ : ٢٣٣ . واللسان (نعر) (فرد) (صعق) (ثنى) ، بغيرها ، وسيأتى فى التفسير ٧ : ١٨٤ (بولاق) . يصف فرسه ، وبعد البيت .

فَرِيساً ، وَمَغْشِيًّا عَلَيْهِ ، كَأَنَّهُ خُيُوطَةُ مَارِيٍّ لَوَاهُنَّ فَاتِلُهْ

ويروى البيت : « النعرات الخضر » ، و « أحاد ومثنى » و « قراد ومثنى » . والنعرات جمع نعرة (بضم النون وفتح العين والراء) : وهو ذباب ضخم ، أزرق العين ، أخضر ، له إبرة فى طرف ذنبه يلسع بها ذوات الحافر فيؤذيها ، وربما دخل أنف الحمار فيركب رأسه ، فلا يرده شىء .
و « اللبان » : الصدر من ذى الحافر : و « أصعقتها » : قتلتها . و « صواهله » جمع صاهلة ، وهو مصدر على « فاعلة » ، بمعنى « الصهيل » ، كما يقال : « رواغى الإبل » ، أى رغاءها . وقوله فى البيت

فرد « أحاد ومثنى » ، على « النعرات » وهى معرفة . وقد تجعلها العرب نكرة فتجريها ، كما قال الشاعر : (١)

وَإِنَّ الغُلَامَ المُسْتَهَامَ بِذِكْرِهِ قَتَلْنَا بِهِ مِنْ بَيْنِ مَثْنَى وَمَوْحَدِ (٢)
بِأَرْبَعَةٍ مِنْكُمْ وَآخَرَ خَامِسٍ وَسَادٍ مَعَ الإِظْلَامِ فِى رُمْحِ مَعْبَدِ

ومما يبين أن « ثناء » و « أحاد » غير جارية ، قول الشاعر : (٣)

وَلَقَدْ قَتَلْتُكُمُ ثُنَاءَ وَمَوْحَدًا وَتَرَكْتُ مُرَّةَ مِثْلَ أَمْسِ الدَّابِرِ (٤)

الثانى : « فريساً » ، أى قتيلا ، قد افترسه ودقه وأهلكه ، و « احيوطة » جمع خيط ، كالفحولة والبعولة ، جمع فحل وبعل . « والمارى » : الثوب الخلق . يصف الذباب المغشى عليه ، كأنه من لينه فى تهالكه ، خيوط لواه لاو من ثوب خلق .

(١) لم أعرف قائلهما .

(٢) معانى القرآن للفراء ١ : ٢٥٤ ، وقد كان البيت فى المطبوعة والمخطوطة :

قتلنا بِهِ مِنْ بين مَثْنَى وموْحدٍ بأربعةٍ مِنْكُمْ وآخر خامِسِ

وهو كما ترى ملفق من البيتين اللذين أثبتهما من معانى القرآن ، والذى قاله الطبرى هنا ، هو نص مقالة الفراء فى معانى القرآن . وقوله : « وساد » أى : سادس ، يقولون : « جاء سادساً وسادياً وساتاً » .

(٣) هو صخر بن عمرو السلمى ، أخو الخنساء .

(٤) مجاز القرآن ١ : ١١٥ ، والأغانى ١٣ : ١٣٩ ، والمخصص ٧ : ١٢٤ ، وشرح أدب الكاتب للجواليقى : ٣٩٤ ، والبطليوسى : ٤٦٠ ، والخزانة ٤ : ٤٧٤ . وسيأتى فى التفسير ٢٢ : ٧٦ (بولاق) وغيرها ، إلا أن ابن قتيبة فى أدب الكاتب رواه « كأمس الدابر » وتابعه ناشر التفسير فى هذا الموضع فكتب « كأمس الدابر » ، ولكنه فى المخطوطة ، وفى الموضع الآخر من التفسير ، قد جاء على الصواب . وهما بيتان قالهما فى قتله دريد بن حرملة المرى ، فى خبر مذكور ، وبعده :

وَلَقَدْ دَفَعْتُ إِلَى دُرَيْدٍ طَعْنَةً نَجْلَاءَ تُزْغِلُ ، مِثْلَ عَطِّ المَنْحَرِ

والطعنة النجلاء : الواسعة . و « أزغلت » الطعنة بالدم : دفعته زغلة زغلة ، أى دفعة دفعة . وعط الثوب عطاً : شقه . والمنحر : هو نحر البعير ، أى أعلى صدره ، حيث ينحر ، أى : يطعن فى نحره ، فيتفجر منه الدم .

وأما رواية « كأمس الدابر » فقد ذكر الجواليقى أبياتاً ليزيد بن عمرو الصعق الكلابى هى :

وقول الشاعر :(١)

مَنَتْ لَكَ أَنْ تُلَاقِيَنِى المَنَايَا أُحَادَ أُحَادَ فِى شَهْرٍ حَلَالِ(٢)

ولم يسمع من العرب صرف ما جاوز « الرُّبَّاع » و« المَرْبع » عن جهته . لم يسمع منها «خماس» ولا « المخْمس» ، ولا « السباع » ولا« المسبع » ، وكذلك ما فوق « الرباع » إلا فى بيت للكميت .(٣) فإنه يروى له فى « العشرة » ، « عشار » وهو قوله :

فَلَمْ يَسْتَرِيثُوكَ حَتَّى رَمَيْـ ـتَ فَوْقَ الرِّجَالِ خِصَالاً عُشَارَا(٤)

أَعَقَرْتُمُ جَمَلِى بِرَحْلِىَ قَائِمًا وَرَمَيْتُمُ جَارِى بِسَهْمٍ نَاقِرِ
فَإِذَا رَكِبْتُمْ فَالْبَسُوا أَدْرَاعَكُمْ إِنَّ الرِّمَاحَ بَصِيرَةٌ بِالحَاسِرِ
إِذْ تَظْلِمُونَ وَتَأْكُلُونَ صَدِيقَكُمْ فَالظُّلْمُ تَارِكُكُمْ بِجَاثٍ عَاثِرِ
إِنِّى سَأَقْتُلُكُمْ ثُنَاءَ وَمَوْحَدًا وَتَرَكْتُ نَاصِرَكُمْ كَأَمْسِ الدَّابِرِ

(١) هو عمرو ذى الكلب ، أخو بنى كاهل ، وكان جاراً لهذيل . ونسبه أبو عبيدة فى مجاز القرآن لصخر الغى الهذلى ، وهو خطأ .

(٢) ديوان الهذليين ٣ : ١١٧ ، مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١١٥ ، والمعانى الكبير : ٢٨٤٠ المخصص ١٧ : ١٢٤ ، الأغانى ١٣ : ١٣٩ . ورواية الديوان « فى الشهر الحلال » ، وأخطأ صاحب الأغانى فنسب البيت لصخر بن عمرو ، ورواه « فى الشهر الحرام » . قوله : « منت لك » ، أى : قدرت لك منيتك أن تلقانى فى شهر حلال ، خلوين ، وحدى ووحدك ، فأصرعك لا محالة . وذلك أنه كان قد لقيه قبل ذلك فى شهر حرام ، فلم يستطع أن يرفع إليه سلاحاً . ويقول بعده :

وَمَا لَبْثُ القِتَالِ إِذَا الْتَقَيْنَا سِوَى لَفْتِ اليَمِينِ عَلَى الشِّمَالِ

أى : لا يلبث القتال بينى وبينك إلا بمقدار ما ترد يمين إلى شمال .

(٣) فى المطبوعة : « فى بيت الكميت » ، والصواب من المخطوطة .

(٤) مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١١٦ ، والأغانى ٣ : ١٣٩ ، واللسان (عشر) ، والمخصص ١٧ : ١٢٥ ، والجواليقى ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، والبطليوسى : ٤٦٧ ، والخزانة ١ : ٨٢ ، ٨٣ ، من قصيدة للكميت ، يمدح بها أبان بن الوليد بن عبد الملك ، وقبله :

رَجَوْكَ وَلَم تتكامَلْ سِنُوكَ عَشْرًا ، ولا نَبْتَ فِيكَ اتِّغَارَا

يريد : « عشراً ، عشراً » ، يقال : إنه لم يسمع غير ذلك .[١]

* * *

= وأما قوله : « فإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة » ، فإن نصب « واحدة » ، بمعنى : فإن خفتم أن لا تعدلوا = فيما يلزمكم من العدل فيما زاد على الواحدة من النساء عندكم بنكاح ،[٢] فيما أوجبه الله لهن عليكم = فانكحوا واحدة منهن .

ولو كانت القراءة جاءت في ذلك بالرفع ، كان جائزاً ، بمعنى : فواحدة كافية ، أو : فواحدة مجزئة ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ ﴾[٣] [سورة البقرة : ٢٨٢] .

* * *

٤/١٦٠ وإن قال لنا قائل : قد علمت أن الحلال لكم من جميع النساء الحرائر ، نكاحُ أربع ، فكيف قيل : «فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » ، وذلك في العدد تسع ؟[٤]

قيل : إن تأويل ذلك : فانكحوا ما طاب لكم من النساء ، إما مثنى إن أمنتم الجور من أنفسكم فيما يجب لهما عليكم = وإما ثلاث ، إن لم تخافوا ذلك = وإما أربع ، إن أمنتم ذلك فيهن .

يدل على صحة ذلك قوله : « فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة » ، لأن المعنى :

لِأَدْنَى خَسَاً أَوْ زَكَاً مِنْ سِنِيكَ إلى أَرْبَعٍ ، فَبَقَوْكَ انْتِظَارَا

وقوله : « ولا نبت فيك اتغارا » أي : لم تخلف سناً بعد سن ، فتنبت أسنانك : اتغر الصبي : سقطت أسنانه وأخلف غيرها . وقوله : « خسا أو زكا » ، أي فرداً ، وزوجاً . قوله : « فبقوك » من قولهم : « بقيت فلاناً بقياً » انتظرته ورصدته . و « استرائه » : استبطأه . يقول : تبينوا فيك السؤدد لسنة أو سنتين من مولدك ، فرجوا أن تكون سيداً مطاعاً رفيع الذكر ، فلم تكد تبلغ العشر حتى جازت خصالك خصال السادة من الرجال . وأما قول أبي جعفر « يريد : عشراً عشراً » ، فكأنه يعني كثرة الخصال التي فاق بها الرجال .

(١) انظر هذا الفصل كله في معاني القرآن للفراء ١ : ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ١١٤ - ١١٦ .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « فيما يلزمكم من العدل ما زاد على الواحدة . . . » ، وهو لا يستقيم ، صوابه « فيما زاد » كما أثبتها .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٢٥٥ .

(٤) انظر الناسخ والمنسوخ ، لأبي جعفر النحاس : ٩٢

فإن خفتم فى الثنتين فانكحوا واحدة . ثم قال : وإن خفتم أن لا تعدلوا أيضاً فى الواحدة ، فما ملكت أيمانكم .

* * *

فإن قال قائل: فإن أمر الله ونهيه على الإيجاب والإلزام حتى تقوم حجة بأن ذلك على التأديب والإرشاد والإعلام ، وقد قال تعالى ذكره : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء »، وذلك أمر ، فهل من دليل على أنه من الأمر الذى هو على غير وجه الإلزام والإيجاب ؟

قيل : نعم ، والدليل على ذلك ، قوله : « فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة » . فكان معلوماً بذلك أن قوله : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء » ، وإن كان مخرجه مخرج الأمر ، فإنه بمعنى الدلالة على النهى عن نكاح ما خاف الناكح الجورَ فيه من عدد النساء ، لا بمعنى الأمر بالنكاح ، فإن المعنىّ به : وإن خفتم أن لا تقسطوا فى اليتامى ، فتحرجتم فيهن ، فكذلك فتحرّجوا فى النساء ، فلا تنكحوا إلا ما أمنتم الجورَ فيه منهن ، ما أحللته لكم من الواحدة إلى الأربع .

وقد بينا فى غير هذا الموضع أن العرب تُخرِج الكلام بلفظ الأمر ومعناها فيه النهى أو التهديد والوعيد، كما قال جل ثناؤه : ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [سورة الكهف : ٢٩] ، وكما قال: ﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة النحل : ٥٥/سورة الروم : ٣٤] ، فخرج ذلك مخرج الأمر ، والمقصود به التهديد والوعيدُ والزجر والنهى ،[1] فكذلك قوله : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء » ، بمعنى النهى : فلا تنكحوا إلا ما طاب لكم من النساء .

* * *

وعلى النحو الذى قلنا فى معنى قوله : « أو ما ملكت أيمانكم » قال أهل التأويل .

---

(١) انظر ما سلف ٢ : ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

* ذكر من قال ذلك :

٨٤٨٢ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم » ، يقول : فإن خفت أن لا تعدل فى واحدة ، فما ملكت يمينك .

٨٤٨٣ – حدثنا محمد بن الحسين قال ،حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى: « أو ما ملكت أيمانكم »، السرارى .

٨٤٨٤ –حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « فإن خفتم ألاتعدلوا فواحدة أو ما ملكتأيمانكم» ، فإن خفت أن لا تعدل فى واحدة ، فما ملكت يمينك .

٨٤٨٥ – حدثنى يحيى بن أبى طالب قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا جويبر ، عن الضحاك ، قوله : « فإن خفتم ألا تعدلوا »، قال : فى المجامعة والحب .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴾ (٣)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره[1] : وإن خفتم أن لا تعدلوا فى مثنى أو ثلاث أو رباعَ فنكحتم واحدة ، أو خفتم أن لا تعدلوا فى الواحدة فتسررتم ملك أيمانكم، فهو « أدنى » يعنى : أقرب ، [2]= « ألا تعولوا»، يقول: أن لا تجوروا ولا تميلوا .

* * *

يقال منه: « عال الرجل فهو يعول عَوْلاً وعِيالة » ، إذا مال وجار. ومنه : « عَوْل الفرائض » ، لأن سهامها إذا زادت دخلها النقص .

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « يعنى بقوله تعالى ذكره » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

(٢) انظر تفسير « أدنى » فيما سلف ٦ : ٧٨ .

وأما من الحاجة، فإنما يقال : « عال الرجل عَيْلة »، وذلك إذا احتاج ، كما قال الشاعر :[1]

وَمَا يَدْرِي الفَقِيرُ مَتَى غِنَاهُ وَمَا يَدْرِي الغَنِيُّ مَتَى يَعِيلُ[2]

بمعنى : يفتقر.

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٨٤٨٦ – حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا يونس ، عن الحسن : « ذلك أدنى ألا تعولوا » ، قال : العَوْل الميل فى النساء .

٨٤٨٧ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنى حكام ، عن عنبسة ، عن محمد ابن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبى بزة، عن مجاهد فى قوله: «ذلك أدنى ألا تعولوا »، يقول : لا تميلوا .

٨٤٨٨ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « ذلك أدنى ألا تعولوا » ، أن لا تميلوا .

٨٤٨٩ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٨٤٩٠ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا أبو النعمان محمد بن الفضل

---

(١) هو أحيحة بن الجلاح [illegible]

(٢) جمهرة أشعار العرب : ١٢٥ ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٢٥٥ ، الجمهرة لابن دريد ٢ : ١٩٣ ، وتاريخ ابن الأثير ١ : ٢٧٨ ، اللسان (عيل) ، وسيأتى فى التفسير ١٠ : ٣٠/٧٥ : ١٤٩ (بولاق) ، من قصيدته التى قالها فى حرب بين قومه من الأوس وبنى النجار من الخزرج ، قتل فيها أخوه ، وكانت عنده امرأته سلمى بنت عمرو بن زيد النجارية ، فحذرت قومها مجىء أحيحة وقومه من الأوس ، فضربها حتى كسر يدها وطلقها . وبعد البيت آخر قرين له :

وَمَا تَدْرِي ، إذَا أَجْمَعْتَ أَمْرًا ، بِأَيِّ الأَرْضِ يُدْرِكُكَ المَقِيلُ

وكان فى المخطوطة : « لما يدرى الفقير » ، وهو خطأ من الناسخ ، وكأن صوابها « فما يدرى » .

قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا داود بن أبي هند ، عن عكرمة : « ألا تعولوا » قال : أن لا تميلوا = ثم قال: أما سمعت إلى قول أبي طالب :

« بِمِيزان قِسْطٍ وَزْنُهُ غَيْرُ عَائِلِ » (١)

٨٤٩١ - حدثني المثنى قال ، حدثنا حجاج قال ، حدثنا حماد بن زيد ، عن الزبير ، عن حريث ، عن عكرمة في هذه الآية : « ألا تعولوا » ، قال : أن لا تميلوا = قال : وأنشد بيتًا من شعر زعم أن أبا طالب قاله :

بِمِيزَانِ قِسْطٍ لاَ يُخِسُّ شَعِيرَةً وَوَازِنِ صِدْقٍ وَزْنُهُ غَيْرُ عَائِلِ (١)

* * *

قال أبو جعفر ويروى هذا البيت على غير هذه الرواية :

بِمِيزَانِ صِدْقٍ لاَ يَغُلُّ شَعِيرَةً لَهُ شَاهِدٌ مِنْ نَفْسِهِ غَيْرُ عَائِلِ (١)

* * *

٨٤٩٢ - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم في قوله : « ألا تعولوا » ، قال : أن لا تميلوا .

---

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٢٩٦ ، وغيرها كثير . من القصيدة التي زعموا أن أبا طالب قالها وواجه بها قريشاً في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال فيها إنه غير مسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تاركه لشيء أبداً حتى يهلك دونه . يقول قبل البيت :

جَزَى اللهُ عَنَّا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوْفَلاً عُقُوبَةَ شَرٍّ عَاجِلاً غَيْرَ آجِلِ

ويروى البيت بهذه الرواية التي ذكرها أبو جعفر ، ويروى أيضاً : « لا يحص شعيرة » من حص الشعر إذا أذهبه ، و « شعيرة » في هذه الرواية تصغير « شعرة » ، وأما في سائر الروايات فهي « شعيرة » بفتح الشين ، وكسر العين ، وهي واحدة « الشعير » ، وهو الحب المعروف ، وهو أقل موازين الذهب والفضة ، وهو حبة من شعير متوسطة لم تقشر ، وقد قطع من طرفيها ما امتد ، ويسمونه أيضاً « حبة » ، وانظر ما سلف ٤ : ٥٨٢ ، تعليق : ٢ ، في تفسير « الحبة » ، وهذا معنى لم تقيده كتب اللغة ، فقيده هناك . وقوله: « لا تخس شعيرة »، أي لا تنقص مقدار شعيرة . وقوله : « تغل » من قولهم : « غل يغل غلولا » ، إذا خان أو سرق .

٨٤٩٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم مثله .

٨٤٩٤ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم، عن أبي إسحق الكوفي قال : كتب عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى أهل الكوفة في شيء عاتبوه عليه فيه : « إنّي لست بميزان لا أعول » .

٨٤٩٥ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثّام بن علي قال ، حدثنا إسمعيل ابن أبي خالد ، عن أبي مالك في قوله : « أدنى ألا تعولوا » ، قال : لا تميلوا .(١)

٨٤٩٦ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ذلك أدنى ألا تعولوا » ، أدنى أن لا تميلوا .

٨٤٩٧ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « ألا تعولوا » ، قال : تميلوا .

٨٤٩٨ – حدثت عن عمار قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « ذلك أدنى ألا تعولوا » ، يقول : أن لا تميلوا .

٨٤٩٩ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « ذلك أدنى ألا تعولوا » ، يقول : تميلوا .

٨٥٠٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنا معاوية ابن صالح، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « أدنى ألا تعولوا » ، يعني : أن لا تميلوا .

٨٥٠١ – حدثنا محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « ذلك أدنى ألا تعولوا » ، يقول : ذلك أدنى أن لا تميلوا .

---

(١) الأثر : ٨٤٩٥ – في المطبوعة : « عباد بن علي » ، وكان كاتب المخطوطة قد كتب « عباد » ثم جعل الدال ميما ، ولم ينقط الكلمة ، فاشتبه الأمر على الناشر ، والصواب « عثام » وهو « عثام بن علي العامري » شيخ أبي كريب ، وقد مضى مئات من المرات ، ومضت ترجمته في رقم : ٣٣٧ .

٨٥٠٢ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حصين ، عن أبي مالك في قوله : « ذلك أدنى ألا تعولوا » ، قال : أن لا تجوروا .

٨٥٠٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون ، وعارم أبو النعمان قالا ، حدثنا هشيم، عن حصين ، عن أبي مالك مثله .

٨٥٠٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن يونس ، عن أبي إسحق ، عن مجاهد : « ذلك أدنى ألا تعولوا » ، قال : تميلوا .[1]

٨٥٠٥ – حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « ذلك أدنى ألا تعولوا » ، ذلك أقل لنفقتك ، الواحدة أقل من ثنتين = وثلاث وأربع ، وجاريتُك أهون نفقة من حُرة = « أن لا تعولوا » ، أهون عليك في العيال .[2]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةً ﴾

قال أبو جعفر : يعني بذلك تعالى ذكره : وأعطوا النساء مهورهن عطيّة واجبة ،[3] وفريضة لازمة .

* * *

يقال منه : «نَحَل فلان فلاناً كذا فهو يَنْحَله نِحْلة ونُحْلاً »،[4] كما :–

٨٥٠٦ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا

---

(١) الأثر : ٨٥٠٤ – في المخطوطة والمطبوعة « عن ابن إسحق ، عن مجاهد » ، وهو خطأ ظاهر ، والصواب « عن أبي إسحق » ، وهو أبو إسحق السبيعي ، وقد مضت روايته عن مجاهد في هذا التفسير مئات من المرات .

(٢) في المخطوطة : « أهون عليك في القتال » ، والصواب ما في المطبوعة .

(٣) في المخطوطة : « عليه واجبة » ، ووضع على « عليه » حرف « ط » ، دلالة على الخطأ. والصواب ما كان في المطبوعة .

(٤) « نحلة » (بكسر النون وسكون الحاء) مصدر مثل « حكمة » . و « نحلا » (بضم النون وسكون الحاء) مصدر أيضاً مثل « حكم » (بضم الحاء) .

سعيد ، عن قتادة قوله : « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة » ، يقول : فريضة .

٨٥٠٧ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال : أخبرني معاوية بن ٤/٢ صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة » ، يعني بـ « النحلة » ، المهر .

٨٥٠٨ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قوله : « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة » ، قال : فريضة مسماة .

٨٥٠٩ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، سمعت ابن زيد يقول في قوله : « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة » ، قال : « النحلة » في كلام العرب ، الواجب = يقول : لا ينكحها إلا بشيء واجب لها ، صدقة يسميها لها واجبة ، وليس ينبغي لأحد أن ينكح امرأة ، بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلا بصداق واجب ، ولا ينبغي أن يكون تسمية الصداق كذباً بغير حق .

* * *

وقال آخرون : بل عنى بقوله : « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة » ، أولياء النساء ، وذلك أنهم كانوا يأخذون صَدقاتهن .

* ذكر من قال ذلك :

٨٥١٠ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، حدثنا هشيم ، عن سيار ، عن أبي صالح قال : كان الرجل إذا زوج أيِّمه أخذ صداقها دونها ، [1] فنهاهم الله تبارك وتعالى عن ذلك ، ونزلت : « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة » .

* * *

وقال آخرون : بل كان ذلك من أولياء النساء ، بأن يعطي الرجل أخته لرجل ، على أن يعطيه الآخر أخته ، على أن لا كثير مهر بينهما ، فنهوا عن ذلك . [2]

---

(١) في المطبوعة : « إذا زوج أيمة » بالتاء في آخره ، وهو خطأ . يقال : « امرأة أيم ، ورجل أيم : » . وهي من النساء التي لا زوج لها ، بكراً كانت أو ثيباً = ومن الرجال ، الذي لا امرأة له .

(٢) وذلك هو « الشغار » شغار المتناكحين بغير مهر ، إلا بضع وليته أو أيمه . وكان ذلك من نكاح الجاهلية ، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه .

* ذكر من قال ذلك :

٨٥١١ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه قال : زعم حضرميٌّ أن أناساً كانوا يعطى هذا الرجل أخته، ويأخذ أخت الرجل، ولا يأخذون كثير مهر ، فقال الله تبارك وتعالى : « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلات التى ذكرناها فى ذلك ، التأويل الذى قلناه. وذلك أن الله تبارك وتعالى ابتدأ ذكر هذه الآية بخطاب الناكحين النساءَ ، ونهاهم عن ظلمهنّ والجور عليهن ، وعرّفهم سبيلَ النجاة من ظلمهنّ . ولا دلالة فى الآية على أن الخطاب قد صُرِف عنهم إلى غيرهم . فإذْ كان ذلك كذلك ، فمعلوم أن الذين قيل لهم : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » ، هم الذين قيل لهم : « وآتوا النساء صدقاتهن » = وأن معناه : وآتوا من نكحتم من النساء صدقاتهن نحلة ، لأنه قال فى أوّل [الآية] :[1] « فانكحوا ما طاب لكم من النساء » ، ولم يقل : « فأنكحوا » ، فيكون قوله : « وآتوا النساء صدقاتهن »، مصروفاً إلى أنه معنىّ به أولياء النساء دون أزواجهن .

وهذا أمرٌ من الله أزواجَ النساء المدخول بهن والمسمَّى لهن الصداق، أن يؤتوهن صدُقاتهن، دون المطلقات قبل الدخول ممن لم يسمّ لها فى عقد النكاح صداق .

* * *

(١) فى المخطوطة ، أسقط ذكر « الآية » التى وضعتها بين القوسين ، وفى المطبوعة جعلها « فى الأول » ، والسياق يقتضى الزيادة كما أثبتها .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾ (٤)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : فإن وهب لكم، أيها الرجال، نساؤكم شيئاً من صدقاتهن ، طيبة بذلك أنفسهن ، فكلوه هنيئاً مريئاً ، كما : —

٨٥١٢ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا عمارة ، عن عكرمة : « فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً » ، قال : المهر .

٨٥١٣ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنى حَرَمىّ بن عمارة قال ، حدثنا شعبة ، عن عمارة ، عن عكرمة، [عن عمارة] فى قوله الله تبارك وتعالى : « فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً » ، قال : الصدقات .(١)

٨٥١٤ — حدثنى المثنى قال، حدثنى الحمانى قال ، حدثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد : « فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً »، قال : الأزواج .

٨٥١٥ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن عبيدة قال ، قال لى إبراهيم : أكلتَ من الهنيء المريء ! قلت : ما ذاك ؟ قال : امرأتك أعطتك من صَداقها .

٨٥١٦ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم قال : دخل رجل على علقمة وهو يأكل من طعام بين يديه ، من شيء أعطته امرأته من صداقها أو غيره ، فقال له علقمة : ادْنُ فكل من الهنيء المريء .

---

(١) الأثر : ٨٥١٣ — « حرمى بن عمارة بن أبى حفصة العتكى » . أبو روح ، روى عن شعبة . قال أحمد : « صدوق، كانت فيه غفلة » ، مترجم فى التهذيب . و « عمارة » الراوى عن عكرمة ، هو أبو « حرمى بن عمارة » هذا ، وهو « عمارة بن أبى حفصة العتكى » . ثقة . مترجم فى التهذيب .

أما قوله « عكرمة ، عن عمارة » فلم أعرف فيمن روى عنه عكرمة من يسمى « عمارة » وظنى أنه خطأ من الناسخ ، إما أن يكون كرر « عمارة » ، أو يكون صوابه « عن ابن عباس » ، فسها وكتب « عن عمارة » . ولذلك وضعتها بين قوسين .

٨٥١٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً » ، يقول : إذا كان غيرَ إضرار ولا خديعة ، فهو هنيء مريء ، كما قال الله جل ثناؤه . ٤/١٦٣

٨٥١٨ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : «فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً» ، قال : الصداق ، «فكلوه هنيئاً مريئاً».

٨٥١٩ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، سمعت ابن زيد يقول في قوله : «فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا» بعد أن توجبوه لهن وتُحلُّوه ، = «فكلوه هنيئاً مريئاً» .(١)

٨٥٢٠ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا المعتمر ، عن أبيه قال : زعم حضرميٌّ أن أناساً كانوا يتأثمون أن يُراجع أحدهم في شيء مما ساق إلى امرأته ،(٢) فقال الله تبارك وتعالى : « فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً » .

٨٥٢١ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً » ، يقول : ما طابت به نفساً في غير كَرْه أو هوان ،(٣) فقد أحلّ الله لك ذلك أن تأكله هنيئاً مريئاً .

* * *

وقال آخرون : بل عنى بهذا القول أولياء النساء ، فقيل لهم : إن طابت أنفس النساء اللواتي إليكم عصمة نكاحهن ، بصدقاتهن نفساً ، فكلوه هنيئاً مريئاً .

* ذكر من قال ذلك :

٨٥٢٢ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال، حدثنا سيار ، عن أبي صالح في قوله : « فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً » ، قال : كان الرجل

(١) في المطبوعة : « سمعت ابن زيد يقول في قوله : فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً » ، وهو كلام غير تام ، لم يذكر إلا نص الآية ، وأثبت ما في المخطوطة ، وإن كان سقط من الناسخ « فكلوه » ، فأثبتها .

(٢) في المطبوعة : « أن يرجع أحدهم » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٣) في المخطوطة : « في غير ذكره أو هوان » ، والصواب ما في المطبوعة .

إذا زوّج ابنته ، عمد إلى صداقها فأخذه ، قال : فنزلت هذه الآية فى الأولياء : « فإن طبن لكم عن شىء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً » .

* * *

قال أبو جعفر وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب ، التأويلُ الذى قلنا = وأن الآية مخاطب بها الأزواج . لأن افتتاح الآية مبتدأ بذكرهم ، وقوله : « فإن طبن لكم عن شىء منه نفساً » فى سياقه .

* * *

وإن قال قائل : فكيف قيل : « فإن طبن لكم عن شىء منه نفساً » ، وقد علمت أنّ معنى الكلام : فإن طابت لكم أنفسهن بشىء ؟ وكيف وُحِّدت « النفس » ، والمعنى للجميع ؟ وذلك أنه تعالى ذكره قال : «وآتوا النساء صَدُقاتهن نحلة » .

قيل : أما نقل فعل النفوس إلى أصحاب النفوس ، فإن ذلك المستفيض فى كلام العرب . من كلامها المعروف : «ضِقت بهذا الأمر ذراعاً وذرعاً » = « وقررت بهذا الأمر عيناً » ،والمعنى ! ضاق به ذرعى ، وقرّت به عينى ، كما قال الشاعر : (١)

إِذَا التَّيَّازُ ذُو العَضَلَاتِ قُلْنَا : « إِلَيْكَ ،إِلَيْكَ »! ضَاقَ بِهَا ذِرَاعَا(٢)

---

(١) هو القطامى .

(٢) ديوانه : ٤٤ ، معانى القرآن للفراء ١ : ٢٥٦ ،واللسان (تيز) ، ثم ج ٢٠ : ٣١٩ ، وقداستشهدت به فيما سلف ١ : ٤٤٦ ، تعليق : ٦ ، فانظره ،من قصيدته التى مجد فيها زفر بن الحارث ، وهذا البيت فى صفة ناقته التى أحسن القيام عليها حتى اشتدت وسمنت وامتلأت نشاطاً ، وقبله :

فَلَمَّا أن جَرَى سِمَنٌ عَلَيْهَا كَمَا بَطَّنْتَ بالفَدَنِ السِّيَاعَا
أَمَرْتُ بِهَا الرِّجَالَ لِيَأْخُذُوهَا وَنَحْنُ نَظُنُّ أَنْ لَنْ تُسْتَطَاعَا

« السياع » الطين ، و « الفدن » القصر . وقلب الكلام ، وأصله : كما بطنت الفدن بالسياع ، فصار أملس . يصف سمنها حتى امتلأت واشتدت كأنها قصر مشيد . و « التياز » : الكثير اللحم الغليظ الشديد . وقوله : « إليك ، إليك » ،أى خذها . يقول له : خذها واضبطها ،ولكنه لم يقو عليها ، وضاق بها ذراعاً . وقد رد ابن برى تفسير « إليك إليك » بمعنى : خذها لتركبها وتروضها ، وقال : « هذا فيه إشكال ، لأن سيبويه وجميع البصريين ذهبوا إلى أن « إليك » بمعنى : تنح ، وأنها غير متعدية إلى مفعول ، وعلى ما فسروه فى البيت ، يقتضى أنها متعدية ، لأنهم جعلوها بمعنى : خذها . ورواه أبو عمرو الشيبانى :

فنقل صفة « الذراع » إلى « رب الذراع » ، ثم أخرج « الذراع » مفسِّرة لموقع الفعل .

وكذلك وحد « النفس » فى قوله : « فإن طبن لكم عن شىء منه نفساً » ، إذ كانت « النفس » مفسِّرة لموقع الخبر .(١)

* * *

وأما توحيد « النفس » من النفوس ، لأنه إنما أراد « الهوى » ، و « الهوى » يكون جماعة ، كما قال الشاعر : (٢)

بِهَا جِيَفُ الحَسْرَى، فَأَمَّا عِظَامُهَا فَبِيضٌ ، وأَمَّا جِلْدُهَا فَصَلِيبُ(٣)

وكما قال الآخر : (٤)

* فِى حَلْقِكُمْ عَظْمٌ وَقَدْ شَجِينَا *(٥)

* * *

« لديك لديك » ، عوضاً من « إليك إليك » . قال : وهذا أشبه بكلام العرب وقول النحويين ، لأن « لديك » بمعنى « عندك » و « عندك » فى الإغراء تكون متعدية » .

وعندى أن شرح الشراح فى « إليك » صواب جيد ، وقد استدرك ابن برى اجتهاده ، ولم يصب فيما استدرك .

(١) « التفسير ، والمفسر » : التمييز والمميز ، اصطلاح الكوفيين ، انظر ما سلف فى فهرس المصطلحات . وانظر مقالة الفراء فى معانى القرآن ١ : ٢٥٦ .

(٢) هو علقمة بن عبدة (علقمة الفحل) .

(٣) ديوانه : ٢٧ ، وشرح المفضليات : ٧٧٧ ، وسيبويه ١ : ١٠٧ وسيأتى فى التفسير ١٧ : ١٠ (بولاق) ، من قصيدته فى الحارث بن جبلة بن أبى شمر الغسانى ، حين أسر أخاه شأساً ، فرحل إليه علقمة يطلب فكه . وقوله : « بها جيف الحسرى » ، الضمير عائد إلى « العلوب » فى البيت السابق ، وهى آثار الطريق فى متان الأرض ، و « الحسرى » المعيية ، يتركها أصحابها فتموت ، و « الصليب » : الودك الذى يسيل من جلودها إذا مضى على موتها زمن ، وهى تحت الشمس ووقدتها . يقول : ماتت وتقادم بها العهد ، فابيضت عظامها ، وتفانى جلدها فلم يبق منه على أرض الطريق سوى آثار الودك الذى سال من جلودها . والسياق : وأما جلدها ، فلا جلد ، إنما هو الصليب وحده .

والشاهد فى البيت « جلدها » وقد أراد « جلودها » .

(٤) هو المسيب بن زيد مناة الغنوى .

(٥) سيبويه ١ : ١٠٧ ، وشرح المفضليات : ٧٧٨ ، واللسان (شجا) ، وقبله :

* لا تُنْكِرُوا القَتْلَ وَقَدْ سُبِينَا *

وقال بعض نحويي الكوفة: جائز في « النفس » في هذا الموضع الجمع والتوحيد، «فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً »، و «أنفساً»، و«ضقت به ذراعاً » و « ذَرْعاً » و « أذْرُعاً » ، لأنه منسوب إليك وإلى من تخبر عنه، فاكتفى بالواحد عن الجمع لذلك ، ولم يذهب الوهم إلى أنه ليس بمعنى جمع ، لأن قبله جمعاً .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا ، أن « النفس » وقع موقع الأسماء التي تأتي بلفظ الواحد، مؤدّيةً معناه إذا ذكر بلفظ الواحد، وأنه بمعنى الجمع عن الجميع .

* * *

وأما قوله : «هنيئاً »، فإنه مأخوذ من : «هنأت البعير بالقَطِران»، إذا جَرِب فعُولج به ، كما قال الشاعر :(١)

مُتَبَذِّلاً تَبْدُو مَحَاسِنُهُ يَضَعُ الهِنَاءَ مَوَاضِعَ النُّقْبِ(٢) ٤/١٦٤

* * *

يذكر قوماً سبوا من قومه ، فجاء قومه فقتلوا منهم ، فقال لهم : لا تنكروا قتلنا لكم ، وقد وقع علينا السباء ، فإن نكن قتلنا منكم حتى صار القتل في حلوقكم كالعظم اعترض في مجراها ، ففي حلوقنا نحن أيضاً شجا قد اعترض ، هو سباؤكم من سبيتم منا . يقول : هذه بهذه .

والشاهد قوله : « في حلقكم » ، وقد أراد « حلوقكم » .

(١) هو دريد بن الصمة .

(٢) الشعر والشعراء ٣٠٢ ، والأغاني ١٠ : ٢٢ ، واللسان (نقب) ، وغيرها ، من أبياته التي قالها حين مر بالخنساء بنت عمرو بن الشريد ، وهي تهنأ بعيراً لها ، وقد تبذلت حتى فرغت منه ، ثم نفضت عنها ثيابها فاغتسلت ، ودريد يراها وهي لا تشعر به ، فأعجبته ، فانصرف إلى رحله يقول :

حَيُّوا تُمَاضِرَ وَارْبَعُوا صَحْبِي وَقِفُوا ، فَإِنَّ وُقُوفَكُمْ حَسْبِي
أَخْنَاسَ ، قَدْ هَامَ الفُؤَادُ بِكُمْ وأصابَهُ تَبْلٌ مِنَ الحُبِّ
مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلاَ سَمِعْتُ بِهِ كَاليَوْمَ طَالِبَ أَيْنُقٍ جُرْبِ
مُتَبَذِّلاً ... ...
مُتَحَسِّراً نَضَحَ الهِنَاءَ بِهِ نَضْحَ العَبِيرِ بِرَيْطَةِ العَصْبِ

فكأنّ معنى قوله : « فكلوه هنيئاً مريئاً » ، فكلوه دواء شافياً .

* * *

يقال منه : « هنأني الطعام ومرأني » ، أي صار لي دواء وعلاجاً شافياً ، « وهنِئني ومرِئني » بالكسر ، وهي قليلة . والذين يقولون هذا القول، يقولون : «يهنأني ويمرأني» ، والذين يقولون: « هَنَأني » يقولون : « يَهْنِيني ويَمْرِيني». فإذا أفردوا قالوا : « قد أمرأني هذا الطعام إمراء» . ويقال: «هَنَأت القوم »إذا عُلتهم، سمع من العرب من يقول : « إنما سميت هانئاً لتهنأ » ، بمعنى : لتعول وتكفي .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَلَا تُؤْتُوا ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ ﴾(١)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في « السفهاء » الذين نهى الله جل ثناؤه عباده أن يؤتوهم أموالهم .(٢)

فقال بعضهم : هم النساء والصبيان .

* ذكر من قال ذلك :

٨٥٢٣ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ،

فَسَلِيهِمُ عَنِّي خُنَاسَ ، إِذَا عَضَّ الجَمِيعَ الخَطْبُ: مَا خَطْبِي؟

ثم خطبها إلى أبيها فردته ، فهجاها، وزعم أنها ردته لأنه شيخ كبير ،فقيل للخنساء : ألا تجيبينه ؟ فقالت : لا أجمع عليه أن أرده وأهجوه . و « النقب » : (بضم النون وسكون القاف) و « النقب » (بضم ففتح) جمع نقبة : أول الجرب حين يبدو .

(١) كان في المطبوعة والمخطوطة سياق الآية إلى « قياماً » . ولكن تفسير أبي جعفر شمل بقية الآية « وارزقوهم فيها واكسوهم » كما سيأتي في ص : ٥٧١ ، فأتممتها .

(٢) انظر تفسير « السفه » و « السفهاء » فيما سلف ١/٢٩٣ – ٣/٢٩٥ : ٩٠ ، ٦/١٢٩ – ٥٧ – ٦٠

حدثنا إسرائيل ، عن عبد الكريم ، عن سعيد بن جبير قال : اليتامى والنساء .

٨٥٢٤ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، حدثنا هشيم ، عن يونس ، عن الحسن فى قوله : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، قال : لا تعطوا الصغار والنساء .

٨٥٢٥ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن يونس ، عن الحسن قال : المرأة والصبىّ .

٨٥٢٦ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن شريك ، عن أبى حمزة ، عن الحسن قال : النساء والصغار ، والنساء أسفه السفهاء .

٨٥٢٧ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الحسن فى قوله : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، قال : « السفهاء » ابنك السفيه ، وامرأتك السفيهة . وقد ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اتقوا الله فى الضعيفين ، اليتيم والمرأة » .

٨٥٢٨ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا الحمانى قال ، حدثنا حميد ، عن عبدالرحمن الرؤاسى ، عن السدى = قال : يردّه إلى عبد الله = قال : النساء والصبيان .

٨٥٢٩ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، أما « السفهاء » ، فالولد والمرأة .

٨٥٣٠ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك قوله : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، يعنى بذلك : ولد الرجل وامرأته ، وهى أسفه السفهاء .

٨٥٣١ – حدثنى يحيى بن أبى طالب قال ، حدثنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، قال : « السفهاء » الولد ،

والنساء أسفه السفهاء ، فيكونوا عليكم أرباباً .

٨٥٣٢ – حدثنا أحمد بن حازم الغفارى قال، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك ، قال : أولادكم ونساؤكم .

٨٥٣٣ – حدثنى المثنى قال، حدثنا الحمانى قال ، حدثنا أبى ، عن سلمة ، عن الضحاك قال : النساء والصبيان .

٨٥٣٤ – حدثنا أحمد بن حازم قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، قال : النساء والولدان .

٨٥٣٥ – حدثنا أحمد قال، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا ابن أبى غَنِيّة، عن الحكم : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، قال : النساء والوالدان .(١)

٨٥٣٦ – حدثنا بشر بن معاذ : قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياماً » ، أمر الله بهذا المال أن يخزن فتُحسن خِزانته ، ولا يملكه المرأة السفيهة والغلامُ السفيه .

٨٥٣٧ – حدثنى المثنى قال، حدثنا الحمانى قال ، حدثنا ابن المبارك ، عن إسمعيل ، عن أبى مالك قال : النساء والصبيان .

٨٥٣٨ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم »، قال: امرأتك

---

(١) الأثر : ٨٥٣٥ – « أبو نعيم » ، هو « الفضل بن دكين » . مضت ترجمته برقم : ٢٥٥٤ ، ٣٠٣٥ . و « ابن أبى غنية » (بفتح الغين وكسر النون وياء مشددة مفتوحة) هو : «عبدالملك بن حميد بن أبى غنية ، الخزاعى » ، روى عن أبيه ، وأبى إسحق السبيعى ، وأبى إسحق الشيبانى ، والحكم بن عتيبة . وروى عنه الثورى ، وهو من أقرانه ، ووكيع ، ويحيى بن أبى زائدة ، وعمارة بن بشر ، وأبو نعيم وآخرون. وهو ثقة . وكان فى المطبوعة : « ابن أبى عنبسة »، أما فى المخطوطة ، فإن الناسخ لم يحسن كتابة ما كتب فصارت كأنها « ابن أبى عنية » ، والصواب ما أثبت

و « الحكم » ، هو « الحكم بن عتيبة الكندى » ، مضى مراراً، فى رقم : ٣٢٩٧ .

وبنيك = وقال : « السفهاء » ، الولدان ، والنساء أسفه السفهاء .

* * *

٤/٦٥ وقال آخرون : بل « السفهاء » ، الصبيان خاصة .

* ذكر من قال ذلك :

٨٥٣٩ – حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير في قوله : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، قال : هم اليتامى .

٨٥٤٠ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثني أبي ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد قال : « السفهاء » ، اليتامى .

٨٥٤١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا يونس ، عن الحسن في قوله : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، يقول : لا تَنْحَلوا الصغار .

* * *

وقال آخرون : بل عنى بذلك : السفهاء من ولد الرجل .

* ذكر من قال ذلك :

٨٥٤٢ – حدثنا سعيد بن يحيى الأموي قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن إسمعيل ابن أبي خالد ، عن أبي مالك قوله : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، قال : لا تعط ولدك السفيه مالك فيفسده ، الذي هو قوامك بعد الله تعالى .

٨٥٤٣ – حدثنا محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، يقول : لا تسلط السفيه من ولدك = فكان ابن عباس يقول : نزل ذلك في السفهاء ، وليس اليتامى من ذلك في شيء .(١)

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « وليسوا اليتامى » ، وهي لغة رديئة ، أخشى أن يكون ذلك من سهو الناسخ .

٨٥٤٤ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن فراس ، عن الشعبي ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى الأشعري أنه قال : ثلاثة يدعون الله فلا يستجيب لهم : رجل كانت له امرأة سيئة الخلق فلم يطلّقْها ، ورجل أعطى ماله سفيهاً وقد قال الله : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، ورجل كان له على رجل دين فلم يُشهد عليه .(١)

٨٥٤٥ – حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، سمعت ابن زيد: « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » الآية ، قال: لا تعط السفيه من ولدك رأساً ولا حائطاً، ولا شيئاً هو لك قيماً من مالك .

* * *

وقال آخرون : بل « السفهاء » في هذا الموضع ، النساء خاصة دون غيره .

* ذكر من قال ذلك :

٨٥٤٦ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : زعم حضرميٌّ أن رجلا عمد فدفع ماله إلى امرأته ، فوضعته في غير الحق ، فقال الله تبارك وتعالى : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » .

٨٥٤٧ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن حميد ، عن مجاهد : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، قال : النساء .

٨٥٤٨ – حدثني يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثنا سفيان ، عن الثوري ، عن حميد ، عن قيس ، عن مجاهد في قوله : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، قال : هنّ النساء .

---

(١) الأثر : ٨٥٤٤ – أخرجه الحاكم في المستدرك ٢ : ٢٠٣ من طريق أبي المثنى معاذ بن معاذ العنبري . عن أبيه ، عن شعبة ، مرفوعاً ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، لتوقيف أصحاب شعبة هذا الحديث على أبي موسى ، وإنما أجمعوا على سند حديث شعبة بهذا الإسناد: « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين» وقد اتفقا جميعاً على إخراجه » وقال الذهبي: « ولم يخرجاه ، لأن الجمهور رووه عن شعبة موقوفاً ، ورفعه معاذ بن معاذ عنه » .

٨٥٤٩ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تبارك وتعالى : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً » ، قال : نهى الرجال أن يعطوا النساء أموالهم ، وهنّ سفهاء مَنْ كُنّ ، أزواجاً أو أمهاتٍ أو بنات .

٨٥٥٠ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٨٥٥١ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا هشام ، عن الحسن قال : المرأة .

٨٥٥٢ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال أخبرنا جويبر ، عن الضحاك قال : النساء مِنْ أسفه السفهاء .

٨٥٥٣ – حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن أبي عوانة ، عن عاصم ، عن مورّق قال : مرت امرأة بعبد الله بن عمر لها شارَة وهيْئة ، فقال لها ابن عمر : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً » .

* * *

وقال أبو جعفر : والصواب من القول في تأويل ذلك عندنا ، أن الله جل ثناؤه عم بقوله : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، فلم يخصص سفيهاً دون سفيه . فغير جائز لأحد أن يؤتي سفيهاً ماله ، صبياً صغيراً كان أو رجلا كبيراً ، ذكراً كان أو أنثى .

و« السفيه » الذي لا يجوز لوليه أن يؤتيه ماله ، هو المستحقُّ الحجرَ بتضييعه ٤/١٦٦
مالَه وفسادِه وإفسادِه وسوء تدبيره ذلك .

وإنما قلنا ما قلنا ، من أن المعنيَّ بقوله : « ولا تؤتوا السفهاء » هو من وصفنا دون غيره ، لأن الله جل ثناؤه قال في الآية التي تتلوها : « وابْتَلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم » ، فأمر أولياء اليتامى بدفع أموالهم إليهم إذا

بلغوا النكاح وأونس منهم الرشد ، وقد يدخل فى «اليتامى» الذكور والإناث ، فلم يخصص بالأمر بدفع مالَهُم من الأموال، الذكورَ دون الإناث، ولا الإناث دون الذكور .

وإذْ كان ذلك كذلك، فمعلومٌ أن الذين أمر أولياؤهم بدفعهم أموالهم، إليهم، وأجيز للمسلمين مبايعتهم ومعاملتهم، غير الذين أمر أولياؤهم بمنعهم أموالهم، وحُظِر على المسلمين مداينتهم ومعاملتهم .

فإذْ كان ذلك كذلك ، فبيِّنٌ أن « السفهاء » الذين نهى الله المؤمنين أن يؤتوهم أموالهم ، هم المستحقون الحجرَ والمستوجبون أن يُولى عليهم أموالهم ، وهم من وصفنا صفتهم قبل ، وأن من عدا ذلك فغير سفيه ، لأن الحجر لا يستحقه من قد بلغ وأونس رشده .

* * *

وأما قول من قال : « عنى بالسفهاء النساء خاصة » ، فإنه جعل اللغة على غير وجهها . وذلك أن العرب لا تكاد تجمع « فعيلا » على « فُعَلاء » إلا فى جمع الذكور ، أو الذكور والإناث . وأما إذا أرادوا جمع الإناث خاصة لا ذكران معهم ، جمعوه على : « فعائل » و « فعيلات » ، مثل : « غريبة » ، تجمع « غرائب » و « غريبات » ، فأما « الغُرَباء » ، فجمع « غريب» .(١)

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « أموالكم التى جعل الله لكم قياماً وارْزُقوهم فيها واكسوهم » ،

فقال بعضهم : عنى بذلك : لا تؤتوا السفهاء من النساء والصبيان = على

---

(١) هذه الحجة من حسن النظر فى العربية ومعانى أبنيتها . والذى استنكره أبو جعفر من جعل اللغة على غير وجهها ، وتحميل العربية مالا سبيل إليه فى بنائها وتركيبها ، وتأويل كتاب الله خاصة بالانتزاع الشديد والجرأة على اللغة ، كأنه قد أصبح فى زماننا هذا ، هو القاعدة التى يركب فسادها كل مبتدع فى الدين برأيه ، وكل متورك فى طلب الصوت فى الناس بما يقول فى دين ربه الذى ائتمن عليه من أنزل إليهم كتابه ، ليعلمهم ويهديهم ، فخالفوا طريق العلم ، وجاروا عن سنن الهداية .

ما ذكرنا من اختلاف من حكينا قوله قبل = أيها الرشداء ، أموالكم التى تملكونها ، فتسلّطوهم عليها فيفسدوها ويضيعوها ، ولكن ارزقوهم أنتم منها إن كانوا ممن تلزمكم نفقته ، واكسوهم ، وقولوا لهم قولا معروفاً .

وقد ذكرنا الرواية عن جماعة ممن قال ذلك ، منهم : أبو موسى الأشعرى ، وابن عباس ، والحسن ، ومجاهد ، وقتادة ، وحضرمى ، وسنذكر قول الآخرين الذين لم يذكر قولهم فيما مضى قبل .

٨٥٥٤ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياماً وارزقوهم فيها » ، يقول : لا تعط امرأتك وولدك مالك ، فيكونوا هم الذين يقومون عليك ، وأطعمهم من مالك واكسُهم .

٨٥٥٥ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياماً وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفاً » ، يقول : لا تسلط السفيه من ولدك على مالك ، وأمرَه أن يرزقه منه ويكسوه .

٨٥٥٦ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، قال : لا تعط السفيه من مالك شيئاً هو لك .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : « ولا تؤتوا السفهاء أموالهم » ، ولكنه أضيف إلى الولاة ، لأنهم قُوّامها ومدبِّروها .

* * *

* ذكر من قال ذلك :

٨٥٥٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، حدثنا ابن المبارك ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير فى قوله : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ،

[هو مال اليتيم يكون عندك، يقول: لا تؤته إياه، وأنفقه عليه حتى يبلغ . وإنّما أضاف إلى الأولياء فقال : « أموالكم » ، لأنهم قوّامها ومدبروها] .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وقد يدخل فى قوله : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم »، أموالُ المنهيّين عن أن يؤتوهم ذلك ، وأموال « السفهاء ». لأن قوله: « أموالكم » غير مخصوص منها بعض الأموال دون بعض . ولا تمنع العرب أن تخاطب قوماً خِطاباً، فيخرج الكلام بعضه خبر عنهم ، وبعضه عن غُيَّب ، وذلك نحو أن يقولوا : « أكلتم يا فلان أموالكم بالباطل » ، فيخاطب الواحد خطاب الجمع ، بمعنى : أنك وأصحابك أو وقومك أكلتم أموالكم . فكذلك قوله : « ولا تؤتوا السفهاء »، معناه: لا تؤتوا، أيها الناس، سفهاءكم أموالكم التى بعضها لكم وبعضها لهم ، فيضيعوها. ٤/١٦٧

وإذ كان ذلك كذلك ، وكان الله تعالى ذكره قد عم بالنهى عن إيتاء السفهاء الأموال كلَّها، ولم يخصص منها شيئاً دون شىء، كان بيِّناً بذلك أن معنى قوله : « التى جعل الله لكم قياماً » ، إنما هو التى جعل الله لكم ولهم قياماً ، ولكن السفهاء دخل ذكرهم فى ذكر المخاطبين بقوله : « لكم » .

* * *

وأما قوله : « التى جعل الله لكم قياماً »، فإن « قياماً »و « قِيَمًا » و « قِوَاماً » فى

---

(١) الأثر : ٨٥٥٧ — هذا الذى بين القوسين زيادة ليست فى المطبوعة ولا المخطوطة ، زدتها من تفسير البغوى (بهامش ابن كثير) ٢ : ٣٤٩ . وهى أشبه بنص الطبرى فى ترجمة هذا القول . وقد نسب البغوى هذا القول الذى نقلته ، ورجحت أنها سقطت من ناسخ تفسير الطبرى = إلى سعيد بن جبير وعكرمة . والظاهر أن السيوطى أيضاً وقف على نسخة من تفسير الطبرى فيها هذا السقط ، فأغفل مقالة سعيد بن جبير التى نقلها البغوى ، ونقل عن ابن المنذر وابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير ما نصه :

« عن سعيد بن جبير فى قوله : ﴿ وَلاَ تؤتوا السفهاء ﴾ ، قال : اليتامى — ﴿ أموالكم ﴾ ، قال : أموالهم ، بمنزلة قوله : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ﴾

وبين أن نص البغوى ، أقرب إلى ما ذكر أبو جعفر ، من نص السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ١٢٠ فلذلك أثبته . وأرجو أن لا يكون سقط من كلام أبى جعفر الآتى شىء .

معنى واحد . وإنما « القيام » أصله « القوام » ، غير أن « القاف » التى قبل « الواو » لما كانت مكسورة ، جعلت « الواو » « ياء » لكسرة ما قبلها ، كما يقال : « صُمْتُ صياماً ، « وصُلْتُ صِيالا » ، [1] ويقال منه : « فلان قوام أهل بيته » و« قيام أهل بيته » .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأ بعضهم : ﴿ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً ﴾ بكسر « القاف » وفتح « الياء » بغير « ألف » .

* * *

وقرأه آخرون : ﴿ قِيَاماً ﴾ بألف

* * *

قال محمد : [2] والقراءة التى نختارها : ﴿ قِيَاماً ﴾ بالألف ، لأنها القراءة المعروفة فى قراءة أمصار الإسلام ، وإن كانت الأخرى غير خطأ ولا فاسد . وإنما اخترنا ما اخترنا من ذلك ، لأن القراآت إذا اختلفت فى الألفاظ واتفقت فى المعانى ، فأعجبها إلينا ما كان أظهر وأشهر فى قَرَأة أمصار الإسلام .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله : « قياماً » قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٨٥٥٨ — حدثنا سعيد بن يحيى الأموى قال ، حدثنا ابن المبارك ، عن إسمعيل ابن أبى خالد ، عن أبى مالك : « أموالكم التى جعل الله لكم قياماً » ، التى هى قوامك بعد الله . [3]

٨٥٥٩ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « أموالكم التى جعل الله لكم قياماً » ، فإن المال هو

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « حلت حيالا » بالحاء ، وكأن الصواب ما أثبت .

(٢) هذه هى المرة الثانية التى كتب فيها « قال محمد » — يعنى محمد بن جرير الطبرى أبا جعفر — مكان : « قال أبو جعفر » ، وانظر ٥١٩ تعليق : ١ ، فيما سلف قريباً .

(٣) الأثر : ٨٥٥٨ — هو مختصر الأثر السالف رقم : ٨٥٤٢ .

قيام الناس ، قِوَام معايشهم . يقول : كن أنت قيم أهلك ، فلا تعط امرأتك [وولدك] مالك ، فيكونوا هم الذين يقومون عليك .(١)

٨٥٦٠ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً » ، يقول الله سبحانه : لا تعمد إلى مالك وما خوّلك الله وجعله لك معيشة ، فتعطيه امرأتك أو بَنيك ، ثم تنظر إلى ما في أيديهم . ولكن أمسك مالك وأصلحه ، وكن أنتَ الذي تنفق عليهم في كسوتهم ورزقهم ومؤونتهم . قال : وقوله « قياماً » ، بمعنى : قوامكم في معايشكم .

٨٥٦١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الحسن قوله : « قياماً » ، قال : قيام عيشك .

٨٥٦٢ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا بكر بن شرود ، عن مجاهد : أنه قرأ : « التي جعل الله لكم قياماً » ، بالألف ، يقول : قيام عيشك .(٢)

٨٥٦٣ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله :

---

(١) الأثر : ٨٥٥٩ – هو مختصر الأثر السالف رقم : ٨٥٥٤ ، والزيادة بين القوسين منه وبغيرها لا تستقيم الضمائر . وفي المخطوطة والمطبوعة : « كنت أنت » والصواب « كن أنت » كما أثبتها .

(٢) الأثر : ٨٥٦٢ – « إسحق » في هذا الأثر ، هو « إسحق بن الضيف » ، ويقال : « إسحق ابن إبراهيم بن الضيف ، الباهلي » ، ثقة . مترجم في التهذيب . وأما « بكر بن شرود » فقد ترجم له البخاري في الكبير ٢ / ١ / ٩٠ ، وقال : « صنعاني ، قال ابن معين : رأيته ، ليس بثقة » . أما ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ١ / ١ / ٣٣٨ ، فقد ترجم له باسم : « بكر بن عبد الله بن شروس = ويقال : ابن شرود ، الصنعاني » ، قال : « روى عن معمر . روى عنه إسحق بن إبراهيم بن الضيف . سمعت أبي يقول : هو ضعيف الحديث » . أما الحافظ ابن حجر ، فقد ترجم له في لسان الميزان ٢ : ٥٢ – ٥٤ ، وروى عن ابن معين أنه قال : « كذاب ، ليس بشيء » ، واستوفى الكلام فيه . وأما « مجاهد » فهو « مجاهد ابن جبر التابعي الإمام المشهور . وكان في المطبوعة والمخطوطة : « عن ابن مجاهد » ، وزيادة « ابن » خطأ لاشك فيه . كأن الناسخ ظنه « ابن مجاهد » القارىء ، شيخ الصنعة ، أول من سبع القراءات السبعة ، وهو متأخر الميلاد . ولد سنة ٢٤٥ ، وهو « أبو بكر بن مجاهد » = « أحمد بن موسى بن العباس ابن مجاهد التميمي » .

« أموالكم التى جعل الله لكم قياماً »، قال : لاتعط السفيه من ولدك شيئاً، هو لك قيِّم من مالك .[1]

* * *

وأما قوله : « وارزقوهم فيها واكسوهم » ، فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله .

فأما الذين قالوا : إنما عنى الله جل ثناؤه بقوله : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، [أموالَ] أولياء السفهاء ، لا أموال السفهاء[2] = فإنهم قالوا : « معنى ذلك : وارزقوا، أيها الناس، سفهاءكم من نساءكم وأولادكم، من أموالكم طعامهم، وما لابد لهم منه من مؤَنهم وكسوتهم » .

وقد ذكرنا بعض قائلى ذلك فيما مضى ، وسنذكر من لم يُذكر من قائليه .

٨٥٦٤ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : أمروا أن يرزقوا سفهاءهم — من أزواجهم وأمهاتهم وبناتهم — من أموالهم .

٨٥٦٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٨٥٦٦ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج عن ابن جريج قال، قال ابن عباس قوله : « وارزقوهم »، قال ، يقول : أنفقوا عليهم . ٤/١٦٨

٨٥٦٧ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وارزقوهم فيها واكسوهم » ، يقول : أطعمهم من مالك واكسهم .

* * *

وأما الذين قالوا : « إنما عنى بقوله : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » ، أموالَ السفهاء أن لا يؤتيهموها أولياؤهم » ، فإنهم قالوا : « معنى قوله : « وارزقوهم فيها

---

(١) الأثر : ٨٥٦٣ — انظر الأثر السالف رقم : ٨٥٤٥ ، اختلف لفظاهما مع اتفاق إسنادهما

(٢) هذه الزيادة بين القوسين ، استظهرتها من السياق ، وأثبتها للبيان . وكأن ذلك هو الصواب .

واكسوهم» ، وارزقوا، أيها الولاة ولاةَ أموال السفهاء، سفهاءكم من أموالهم، طعامهم وما لا بد لهم من مؤنهم وكسوتهم . وقد مضى ذكر ذلك. (١)

* * *

قال أبو جعفر : وأما الذى نراه صواباً فى قوله : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » من التأويل ، فقد ذكرناه ، ودللنا على صحة ما قلنا فى ذلك بما أغنى عن إعادته .

* * *

فتأويل قوله : « وارزقوهم فيها واكسوهم » ، على التأويل الذى قلنا فى قوله : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم » = وأنفقوا على سفهائكم من أولادكم ونسائكم الذين تجب عليكم نفقتهم من طعامهم وكسوتهم فى أموالكم ، ولا تسلِّطوهم على أموالكم فيهلكوها = وعلى سفهائكم منهم ، ممن لا تجب عليكم نفقته ، ومن غيرهم الذين تَلُون أنتم أمورهم ، من أموالهم فيما لا بد لهم من مؤنهم فى طعامهم وشرابهم وكسوتهم. (٢) لأن ذلك هو الواجب من الحكم فى قول جميع الحجة ، لا خلاف بينهم فى ذلك ، مع دلالة ظاهر التنزيل على ما قلنا فى ذلك .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ (٥)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك :

فقال بعضهم : معنى ذلك : عِدْهم عِدَةً جميلة من البرّ والصلة .

* ذكر من قال ذلك :

٨٥٦٨ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ،

---

(١) انظر الأثر رقم : ٨٥٥٧ .

(٢) انظر تفسير « الرزق » فيما سلف ٤ : ٥/٢٧٤ : ٦/٤٤ : ٣١١ = وتفسير « الكسوة » فيما سلف ٥ : ٤٤ ، ٤٨٠

عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وقولوا لهم قولا معروفاً » ، قال : أمروا أن يقولوا لهم قولا معروفاً في البر والصلة = يعني النساء ، وهن السفهاء عنده .

٨٥٦٩ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « وقولوا لهم قولا معروفاً » ، قال : عِدَةً تَعِدُهم .(١)

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ادعوا لهم .

* ذكر من قال ذلك :

٨٥٧٠ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وقولوا لهم قولا معروفاً » ، إن كان ليس من ولدك ولا ممن يجب عليك أن تنفق عليه ، فقل لهم قولا معروفاً ، قل لهم : « عافانا الله وإياك » ، « بارك الله فيك » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال في ذلك بالصحة ، ما قاله ابن جريج . وهو أن معنى قوله : « وقولوا لهم قولا معروفاً » ، أي : قولوا ، يا معشر ولاة السفهاء ، قولاً معروفاً للسفهاء : « إن صَلحتم ورشدتم سلَّمنا إليكم أموالكم ، وخلَّينا بينكم وبينها ، فاتقوا الله في أنفسكم وأموالكم » ، وما أشبه ذلك من القول الذي فيه حث على طاعة الله ، ونهي عن معصيته .(٢)

* * *

---

(١) في المطبوعة : « تعدوهم » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « المعروف » فيما سلف ٣ : ٤/٣٧١ : ٥/٥٤٧ : ٧ ، ٤٤ ، ٧٦ ، ٩٣ ٧/١٣٧ : ٩١ ، ١٠٥ ، ١٣٠ = وتفسير « قول معروف » فيما سلف ٥ : ٥٢٠

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وابتلوا اليتامى » ، واختبروا عقول يتاماكم فى أفهامهم ، وصلاحهم فى أديانهم ، وإصلاحهم أموالهم ، كما : —

٨٥٧١ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة والحسن فى قوله : « وابتلوا اليتامى » ، قالا يقول : اختبروا اليتامى.

٨٥٧٢ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أما « ابتلوا اليتامى » ، فجرِّبوا عقولهم .

٨٥٧٣ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « وابتلوا اليتامى » ، قال : عقولهم .

٨٥٧٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وابتلوا اليتامى » ، قال : اختبروهم . ٤/١٦٩

٨٥٧٥ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح » ، قال : اختبروه فى رأيه وفى عقله كيف هو. إذا عُرِف أنه قد اُنِس منه رُشد ، دفع ليه ماله. قال : وذلك بعد الاحتلام .

* * *

قال أبو جعفر : وقد دللنا فيما مضى قبل على أن معنى « الابتلاء » الاختبار ، بما فيه الكفاية عن إعادته .(١)

* * *

وأمّا قوله : « إذا بلغوا النكاح » ، فإنه يعنى : إذا بلغوا الحلم : كما : —

٨٥٧٦ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن

---

(١) انظر تفسير « الابتلاء » فيما سلف ٢ : ٤٩/٣ : ٧ ، ٢٢٠/٥ : ٣٣٩/٧ : ٢٩٧ ، ٣٢٥ ، ٤٥٤

ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « حتى إذا بلغوا النكاح » ، حتى إذا احتلموا .

٨٥٧٧ — حدثني علي بن داود قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « حتى إذا بلغوا النكاح » ، قال : عند الحلم .

٨٥٧٨ — حدثني يونس قال ، أخبرنا بن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « حتى إذا بلغوا النكاح » ، قال : الحلم .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ فَإِنْ ءَانَسْتُمْ مِّنْهُمْ رُشْدًا ﴾

قال أبو جعفر : يعني بقوله : « فإن آنستم منهم رُشداً » ، فإن وجدتم منهم وعرفتم ، كما : —

٨٥٧٩ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « فإن آنستم منهم رشداً » ، قال : عرفتم منهم .

* * *

يقال : « آنست من فلان خيراً — وبِراً » =[1] بمد الألف = « إيناساً » ، و « أنست به آنَسُ أُنْساً » ، بقصر ألفها ، إذا ألِفه .

* * *

وقد ذكر أنها في قراءة عبد الله : ﴿ فَإِنْ أَحْسَيْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا ﴾ ، [2] بمعنى : أحسستم ، أي : وجدتم .

* * *

---

(١) في المطبوعة : « آنست من فلان خيراً وقرئ بمد الألف » ، لم يحسن قراءة « وبراً » في المخطوطة ، فأفسد الكلام إفساداً .

(٢) في معاني القرآن للفراء ١ : ٢٥٧ : « فإن أحسّم » بسين واحدة ساكنة ، وفي بعض نسخه كما في تفسير الطبري ، أما في المخطوطة فقد كتب في الموضعين : « أحسسّم » بسينين ، وهو خطأ . والصواب ما في المطبوعة ، وما في معاني القرآن للفراء .

واختلف أهل التأويل فى معنى : « الرشد » الذى ذكره الله فى هذه الآية .[١]

فقال بعضهم : معنى « الرشد » فى هذا الموضع ، العقل والصلاح فى الدين .

* ذكر من قال ذلك :

٨٥٨٠ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فإن آنستم منهم رشداً»، عقولا وصلاحاً .

٨٥٨١ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فإن آنستم منهم رُشداً » ، يقول : صلاحاً فى عقله ودينه .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : صلاحاً فى دينهم ، وإصلاحاً لأموالهم .

* ذكر من قال ذلك :

٨٥٨٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنى أبى ، عن مبارك ، عن الحسن قال : رشداً فى الدين ، وصلاحاً، وحفظاً للمال .

٨٥٨٣ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس: « فإن آنستم منهم رشداً »، فى حالهم، والإصلاحَ فى أموالهم .

* * *

وقال آخرون : بل ذلك العقلُ، خاصة .

* ذكر من قال ذلك :

٨٥٨٤ – حدثنا محمد بن بشار قال،حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد قال: لا تدفع إلى اليتيم ماله وإن أخذ بلحيته،[٢] وإن كان شيخاً ، حتى يؤنس منه رشده ، العقل .

---

(١) انظر تفسير « الرشد » فيما سلف ٣ : ٥/٤٨٢ : ٤١٦

(٢) قوله : « أخذ بلحيته » يعنى : الشيب أخذ بلحيته ، وانظر الأثر التالى : ٨٥٨٦ .

٨٥٨٥ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا يحيى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد : « آنستم منهم رشداً » ، قال : العقل .

٨٥٨٦ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا أبو شبرمة، عن الشعبي قال : سمعته يقول : إن الرجل ليأخُذُ بلحيته وما بلغ رُشده .[1]

* * *

وقال آخرون : بل هو الصلاح والعلم بما يصلحه .

* ذكر من قال ذلك :

٨٥٨٧ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « فإن آنستم منهم رشداً » ، قال : صلاحاً وعلماً بما يصلحه .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال عندي بمعنى « الرشد » في هذا الموضع ، العقل وإصلاح المال[2] = لإجماع الجميع على أنه إذا كان كذلك ، لم يكن ممن يستحق الحجرَ عليه في ماله ، وحَوْزَ ما في يده عنه ، وإن كان فاجراً في دينه . وإذْ كان ذلك إجماعاً من الجميع ، فكذلك حكمه إذا بلغ وله مال في يَدي وصيٍّ أبيه ، أو في يد حاكم قد وَلي ماله لطفولته = واجبٌ عليه تسليم ماله إليه ، إذا كان عاقلا ، بالغاً ، مصلحاً لماله = غير مفسد ، لأن المعنى الذي به يستحق أن يولّى على ماله الذي هو في يده ، هو المعنى الذي به يستحق أن يمنع يده من ماله الذي هو في يد ولىّ ،[3] فإنه لا فرق بين ذلك . ٤/١٧٠

وفي إجماعهم على أنه غير جائز حيازة ما في يده في حال صحة عقله وإصلاح

---

(١) الأثر : ٨٥٨٦ – « أبو شبرمة » كنية « ابن شبرمة » ، وهو القاضي الفقيه المفتي « عبد الله بن شبرمة بن حسان الضبي » . وكان عفيفاً حازماً عاقلا فقيها ، يشبه النساك ، ثقة في الحديث ، شاعراً ، حسن الخلق ، جواداً . . هكذا وصفوه رحمه الله .

(٢) انظر التعليق السالف ص : ٥٧٦ ، تعليق : ١ ، في مراجع تفسير « الرشد »

(٣) في المخطوطة والمطبوعة : « في يده ولى » ، والصواب حذف هذه الهاء ، فإنه مفسدة للكلام ولو قرئت : « في يد وليه » لكانت جيدة .

ما فى يده ، الدليلُ الواضح على أنه غير جائز منْع يده مما هو له فى مثل ذلك الحال ، وإن كان قبل ذلك فى يد غيره ، لا فرْق بينهما . ومن فرَّق بين ذلك ، عُكِس عليه القول فى ذلك ، وسئل الفرق بينهما من أصل أو نظير ، فلن يقول فى أحدهما قولاً إلا ألزم فى الآخر مثله .

فإذ كان ما وصفنا من الجميع إجماعاً ، (١) فبيِّنٌ أن « الرشد » الذى به يستحق اليتيم ، إذا بلغ فأونس منه ، دَفْعَ ماله إليه ، ما قلنا من صحة عقله وإصلاح ماله.

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره ولاةَ أموال اليتامى . يقول الله لهم : فإذا بلغ أيتامكم الحلم ، فآنستم منهم عقلا وإصلاحاً لأموالهم ، فادفعوا إليهم أموالهم ولا تحبسوها عنهم .

* * *

وأما قوله : « فلا تأكلوها إسرافاً » ، يعنى : بغير ما أباحه الله لك ، (٢) كما : —

٨٥٨٨ — حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة والحسن : « ولا تأكلوها إسرافاً » ، يقول : لا تسرف فيها .

٨٥٨٩ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، (٣) حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا

---

(١) فى المطبوعة : « فإن كان ما وصفنا » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « أباحه الله لكم » بالجمع ، وأثبت ما فى المخطوطة . وانظر تفسير « أكل المال » فيما سلف ٣ : ٥٤٨ — ٥٥١ / ٧ : ٥٢٨ .

(٣) الأثر : ٨٥٨٩ — « محمد بن الحسين بن موسى بن أبى حنين الكوفى » ، مضت ترجمته برقم : ٧١٢٠ ، وكان فى المخطوطة والمطبوعة : « محمد بن الحسن » ، وهو خطأ ، فهذا إسناد دائر فى التفسير .

أسباط ، عن السدى : « ولا تأكلوها إسرافاً » ، قال : يسرف فى الأكل .

* * *

وأصل « الإسراف » : تجاوز الحد المباح إلى ما لم يُبَحْ . وربما كان ذلك فى الإفراط ، وربما كان فى التقصير . غير أنه إذا كان فى الإفراط ، فاللغة المستعملة فيه أن يقال : « أسْرف يُسرف إسرافاً » = وإذا كان كذلك فى التقصير ، فالكلام منه : « سَرِف يَسْرَف سَرَفاً » ، يقال : « مررت بكم فسَرَفْتكم » ، يراد منه : فسهوت عنكم وأخطأتكم ، كما قال الشاعر : (١)

أَعْطَوْا هُنَيْدَةَ يَحْدُوهَا ثَمَانِيَةٌ ... مَا فِى عَطَائِهِمُ مَنٌّ وَلاَ سَرَفُ (٢)

يعنى بقوله : « ولا سرف » ، لا خطأ فيه ، يراد به : أنهم يصيبون مواضع العطاء فلا يخطئونها .

* * *

---

(١) هو جرير .

(٢) ديوانه : ٣٨٩ ، وطبقات فحول الشعراء : ٣٥٩ ، والاشتقاق : ٢٤١ ، واللسان (هند) (سرف) ، وغيرها ، وسيأتى فى التفسير ٨ : ٤٦ / ٣٠ : ١٥٩ (بولاق) ، من قصيدته التى مدح بها يزيد بن عبد الملك ، وهجا آل المهلب ، يقول ليزيد ، قبله :

أَرْجُو الفَوَاضِلَ . إِنَّ اللهَ فَضَّلَكُمْ ... يَا قَبْلَ نَفْسِكَ لاَ قَى نَفْسِيَ التَّلَفُ
مَا مَنْ جَفَانَا إِذَا حَاجَاتُنَا نَزَلَتْ ... كَمَنْ لَنَا عِنْدَهُ التَّكْرِيمُ وَاللُّطْفُ
كَمْ قَدْ نَزَلْتُ بِكُمْ ضَيْفاً ، فَتُلْحِفُنِى ... فَضْلَ اللِّحَافِ ، وَنِعْمَ الفَضْلُ يُلْتَحَفُ

وقوله : « هنيدة » اسم لكل مئة من الإبل ، لا تصرف ، ولا تدخلها الألف واللام ، ولا تجمع ، ولا واحد لها من جنسها . و « هند » مثلها فى المعنى ، وبه سميت المرأة فيما أرجح ، تساق فى مهرها مئة من الإبل ، من كرامتها وعزها ورغبة الأزواج فيها لشرفها . وقوله : « ثمانية » أى ثمانية من العبيد يقومون بأمرها .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « وبداراً » ، ومبادرة .

* * *

وهو مصدر من قول القائل : « بادرت هذا الأمر مبادرة وبِداراً » .

* * *

وإنما يعنى بذلك جل ثناؤه ولاةَ أموال اليتامى . يقول لهم : لا تأكلوا أموالهم إسرافاً — يعنى ما أباح الله لكم أكله — ولا مبادرة منكم بلوغَهم وإيناسَ الرشد منهم ، حذراً أن يبلغوا فيلزمكم تسليمه إليهم ، كما : —

٨٥٩٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « إسرافاً وبداراً » ، يعنى : أكل مال اليتيم مبادراً أن يبلغ ، فيحول بينه وبين ماله .

٨٥٩١ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة والحسن : «ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً» ، يقول : لا تسرف فيها ولا تبادره .(١)

٨٥٩٢ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وبداراً » ، تبادراً أن يكبروا فيأخذوا أموالهم .

٨٥٩٣ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « إسرافاً وبداراً » ، قال : هذه لولى اليتيم يأكله ، جعلوا له أن يأكل معه ، إذا لم يجد شيئاً يضع يده معه ، فيذهب يؤخره ، يقول : « لا أدفع إليه ماله » ، وجعلتَ تأكله تشتهى أكله ، لأنك إذا لم تدفعه إليه لك فيه نصيب ، وإذا دفعته إليه فليس لك فيه نصيب .(٢)

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « ولا تبادر » بغير هاء فى آخره ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) كانت هذه الجملة فى المخطوطة هكذا فاسدة الكتابة غير منقوطة : « هذه لولى اليتيم يأكله جعلوا

وموضع « أن » فى قوله : «أن يكبروا »، نصبٌ بـ « المبادرة »، لأن معنى الكلام: لا تأكلوها مبادرة كِبرهم .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « ومن كان غنيًّا »، من ولاة أموال اليتامى على أموالهم ، فليستعفف بماله عن أكلها — بغير الإسراف والبدار أن يكبروا — بما أباح الله له أكلها به ، كما : — ٤/

٨٥٩٤ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا سفيان ، عن الأعمش = وابن أبى ليلى ، عن الحكم = عن مقسم ، عن ابن عباس فى قوله : « ومن كان غنيًّا فليستعفف »، قال : بغناه من ماله ،(٢) حتى يستغنى عن مال اليتيم .

٨٥٩٥ — وبه قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم فى قوله : « ومن كان غنيًّا فليستعفف » ، بغناه .

٨٥٩٦ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية ، عن ليث ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس فى قوله : « ومن كان غنياً فليستعفف

له أن يأكل معه إذا لم يجد سببا يضع معه يده ، فذهب بوجوه يقول لا أدفع إليه ماله وجعلت تأكله لسهى أكله ، لأنك لم تدفعه إليه . . . » ، وهى فاسدة . أما المطبوعة فقد صححها وكتب : « هذه لولى اليتيم خاصة وجعل له »، وأساء فيما قرأ وفيما كتب . ثم كتب « فيذهب بوجهه » مكان « يؤخره »، وقد أساء . ثم زاد « إن » فى قوله : « لأنك لم تدفعه إليه « فجعلها » «لأنك إن لم تدفعه إليه » ، وقد أصاب ، ولكنى آثرت « إذا » .

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٥٧ .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « لغناه عن ماله » ، والصواب بالباء .

ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، قال : من مال نفسه ، ومن كان فقيراً منهم ، إليها محتاجاً ، فليأكل بالمعروف .

* * *

قال أبو جعفر : ثم اختلف أهل التأويل فى « المعروف » الذى أذن الله جل ثناؤه لولاة أموالهم أكلها به ، إذا كانوا أهل فقر وحاجة إليها .(١)

فقال بعضهم : ذلك هو القرضُ يستقرضه من ماله ، ثم يقضيه .

* ذكر من قال ذلك :

٨٥٩٧ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن سفيان وإسرائيل ، عن أبى إسحق ، عن حارثة بن مُضَرِّب قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إنّى أنزلت مالَ الله تعالى منى بمنزلة مال اليتيم ، إن استغنيت استعففت ، وإن افتقرت أكلت بالمعروف ، فإذا أيسرت قضيت .(٢)

٨٥٩٨ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن عطية ، عن زهير ، عن العلاء ابن المسيب ، عن حماد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى قوله : « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، قال : وهو القرض .

٨٥٩٩ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا المعتمر قال ، سمعت يونس ، عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة السلمانى أنه قال فى هذه الآية : « ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، قال : الذى ينفق من مال اليتيم ، يكون عليه قرضاً .

٨٦٠٠ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا سلمة بن علقمة ، عن محمد بن سيرين قال ، سألت عبيدة عن قوله : « ومن

---

(١) انظر تفسير « المعروف » فيما سلف ص : ٥٧٣ تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) الأثر : ٨٥٩٧ — « حارثة بن مضرب الكوفى » ، روى عن عمر ، وعلى ، وروى عنه أبو إسحق السبيعى . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/١/ ٨٧ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٢٥٥ . وكان فى المخطوطة والمطبوعة : « حارثة بن مصرف » ، وهو خطأ وتصحيف .

كان غنيًّا فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، قال : إنما هو قرض ، ألا ترى أنه قال : « فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم » ؟ قال : فظننت أنه قالها برأيه .

٨٦٠١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا هشام ، عن محمد ، عن عبيدة فى قوله : « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، وهو عليه قرض .

٨٦٠٢ – حدثنى يعقوب قال، حدثنا هشيم ، عن سلمة بن علقمة ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة فى قوله : « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، قال : المعروف القرض ، ألا ترى إلى قوله : « فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم» ؟[1]

٨٦٠٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة = مثل حديث هشام .[2]

٨٦٠٤ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، يعنى القرض .

٨٦٠٥ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « ومن كان غنيًّا فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، يقول : إن كان غنيًّا ، فلا يحل له من مال اليتيم أن يأكل منه شيئاً ، وإن كان فقيراً ، فليستقرض منه ، فإذا وجد مَيْسرة فليعطه ما استقرض منه ، فذلك أكله بالمعروف .

---

(١) الأثر : ٨٦٠٢ – « سلمة بن علقمة التميمى » ، روى عن محمد بن سيرين . ثقة . مترجم فى التهذيب . وكان فى المخطوطة والمطبوعة : « سلمة عن علقمة » ، وهو خطأ ، وانظر الإسناد السالف رقم : ٨٦٠٠ ، جاء على الصواب .

(٢) يعنى رقم : ٨٦٠١ .

٨٦٠٦ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال ، سمعت أبي يذكر ، عن حماد ، عن سعيد بن جبير قال : يأكل قرضاً بالمعروف .(١)

٨٦٠٧ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا حجاج، عن سعيد بن جبير قال : هو القرض ، ما أصاب منه من شيء قضاه إذا أيسر = يعني قوله : « ومن كان غنيًّا فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » . ٤/١٧٢

٨٦٠٨ – حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن هشام الدستوائي قال، حدثنا حماد قال ، سألت سعيد بن جبير عن هذه الآية : « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، قال : إن أخذ من ماله قدر قوته قرضاً ، فإن أيسر بعدُ قضاه ، وإن حضره الموت ولم يوسر ، تحلَّله من اليتيم . وإن كان صغيراً تحلله من وليه .(٢)

٨٦٠٩ – حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا شعبة ، عن حماد ، عن سعيد بن جبير : فليأكل قرضاً .(٣)

٨٦١٠ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن حماد ، عن سعيد بن جبير : « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، قال: هو القرض .

٨٦١١ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن عمرو بن أبي قيس ، عن عطاء بن السائب ، عن الشعبي : « ومن كان غنيًّا فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، قال : لا يأكله إلاّ أن يضطر إليه كما يضطر إلى الميتة ، فإن أكل منه شيئاً قضاه .

---

(١) الأثر: ٨٦٠٦ – « ابن إدريس » هو « عبد الله بن إدريس بن يزيد بن عبد الرحمن الأودي» شيخ أبي كريب ، مضى مراراً . وكان في المطبوعة والمخطوطة « أبو إدريس » ، وهو خطأ . و « أبوه » هو « إدريس بن يزيد بن عبد الرحمن الأودي » ، روى عن أبيه ، وأبي إسحق السبيعي ، وسماك بن حرب وغيرهم. مترجم في التهذيب . وكان في المخطوطة « سمعت أبي بكر » ، والصواب ما في المطبوعة .

(٢) في المخطوطة : « حلله من وليه » ، ولعلها « حلله منه وليه » ، والذي في المطبوعة موافق للسياق .

(٣) في المخطوطة : « فلا يأكل قرضاً » ، وهو خطأ ، والصواب ما في المطبوعة .

٨٦١٢ – حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا شعبة ، عن عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « فليأكل بالمعروف » ، قال : قرضاً .

٨٦١٣ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة، عن عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٨٦١٤ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « فليأكل بالمعروف » ، قال : سَلَفاً من مال يتيمه .

٨٦١٥ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد = وعن حماد ، عن سعيد بن جبير = « فليأكل بالمعروف » ، قالا : هو القرض = قال الثوري : وقاله الحكم أيضاً ، ألا ترى أنه قال : « فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم » ؟

٨٦١٦ – حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، حدثنا حجاج ، عن مجاهد قال: هو القرض ،ما أصاب منه من شيء قضاه إذا أيسر= يعني : « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » .

٨٦١٧ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي، عن أبي جعفر ، عن الربيع، عن أبي العالية : « فليأكل بالمعروف » ، قال: القرض ، ألا ترى إلى قوله : « فإذا دفعتم إليهم أموالهم » ؟

٨٦١٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن أبي وائل قال : قرضاً .

٨٦١٩ – حدثنا ابن حميد قال ،حدثنا جرير ، عن منصور ، عن الحكم ، عن سعيد بن جبير قال : إذا احتاج الولي أو افتقر فلم يجد شيئاً ، أكل من مال

اليتيم وكَتَبه ، فإن أيسر قضاه ، وإن لم يوسر حتى تحضره الوفاة ، دعا اليتيمَ فاستحلَّ منه ما أكل .

٨٦٢٠ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، من مال اليتيم ، بغير إسراف ، ولا قضاءَ عليه فيما أكل منه .

* * *

واختلف قائلو هذا القول في معنى : « أكل ذلك بالمعروف » .

فقال بعضهم : أن يأكل من طعامه بأطراف الأصابع ، ولا يلبس منه .

* ذكر من قال ذلك :

٨٦٢١ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا سفيان، عن السدى قال ، أخبرني من سمع ابن عباس يقول : « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف»، قال: بأطراف أصابعه .

٨٦٢٢ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عبيد الله الأشجعي، عن سفيان، عن السدى ، عمن سمع ابن عباس يقول ، فذكر مثله .(١)

٨٦٢٣ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ومن كان غنيًّا فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف» ، يقول : «فمن كان غنيًّا»، مَنْ وَلِيَ مال اليتيم، فليستعفف عن أكله(٢) = «ومن كان فقيراً»، مَنْ وَلِيَ مال اليتيم ، فليأكل معه بأصابعه ، لا يسرف في الأكل ، ولا يلبس .

---

(١) الأثر : ٨٦٢٢ – « عبيد الله الأشجعي » هو « عبيد الله بن عبيد الرحمن الأشجعي » . قال ابن معين : « ما كان بالكوفة أعلم بسفيان الثورى من الأشجعي » . وهو ثقة مأمون . مترجم في التهذيب . وكان في المطبوعة : « عبد الله الأشجعي » ، وهو خطأ .

(٢) في المطبوعة : « فليستعفف عن ماله » ، وأثبت الصواب من المخطوطة .

٤/٣

٨٦٢٤ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا حرمى بن عمارة قال، حدثنا شعبة ، عن عمارة ، عن عكرمة فى مال اليتيم: يدُك مع أيديهم ، ولا تتخذ منه قَلَنْسُوة .

٨٦٢٥ – حدثنا الحسن بن يحيي قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عطاء وعكرمة قالا ، تضع يدك مع يده .

* * *

وقال آخرون : بل «المعروف» فى ذلك : أن يأكل ما يسدُّ جوعه ، ويلبس ما وارَى العورة .

* ذكر من قال ذلك :

٨٦٢٦ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال،حدثنا هشيم قال ، أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم قال: إن المعروف ليس بِلبس الكتَّان ولا الحُلَل، ولكن ما سدَّ الجوع ووارى العورة .

٨٦٢٧ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم قال : كان يقال : ليس المعروف بلبس الكتان والحلل ، ولكن المعروفَ ما سد الجوع ووارى العورة .

٨٦٢٨ – حدثنا الحسن بن يحيي قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن مغيرة ، عن إبراهيم نحوه .

٨٦٢٩ – حدثنا على بن سهل قال، حدثنا الوليد بن مسلم قال ، حدثنا أبو معبد قال : سئل مكحول عن وَالى اليتيم ، ما أكله بالمعروف إذا كان فقيراً ؟ قال : يده مع يده . قيل له : فالكسوة ؟ قال : يلبس من ثيابه ، فأما أن يتخذ من ماله مالاً لنفسه فلا .

٨٦٣٠ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا الأشجعى ، عن سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم فى قوله : « فليأكل بالمعروف» ، قال : ما سد الجوع ووارى

العورة . أما إنه ليس لَبُوس الكتان والحلل .(١)

* * *

وقال آخرون : بل ذلك «المعروف»، أكل تمْره، وشرب رِسْل ماشيته ،(٢) بقيامه على ذلك ، فأما الذهب والفضة، فليس له أخذ شيء منهما إلا على وجه القرض.

* ذكر من قال ذلك :

٨٦٣١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهرى ، عن القاسم بن محمد قال : جاء رجل إلى ابن عباس فقال : إن فى حجرى أموالَ أيتام ؟ وهو يستأذنه أن يصيب منها ، فقال ابن عباس : ألست تبغى ضالتها ؟ (٣) قال: بلى ! قال : ألست تهنأ جَرْباها ؟(٤) قال: بلى ! قال: ألست تَلُطُّ حياضها ؟(٥) قال : بلى ! قال: ألست تَفْرِط عليها يوم وِرْدها ؟(٦) قال : بلى ! قال : فأصِبْ من رسلها = يعنى : من لبنها .

٨٦٣٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن يحيى بن سعيد ، عن القاسم بن محمد قال : جاء أعرابى إلى ابن عباس فقال : إن فى حجرى أيتاماً ، وإن لهم إبلا ولى إبل ، وأنا أمنح فى إبلى

---

(١) الأثر : ٨٦٣٠ – « الأشجعى » ، هو « عبيد الله بن عبيد الرحمن الأشجعى » ، مضى قريباً فى التعليق على الأثر رقم : ٨٦٢٢ .

(٢) « الرسل » (بكسر الراء وسكون السين) : اللبن .

(٣) « بغى الضالة بغاء وبغية وبغاية » (كلها بضم الباء) : نشدها وطلبها .

(٤) هنأ البعير الأجرب يهنؤه ، إذا طلاه بالهناء (بكسر الهاء) ، وهو القطران ، يعالج به من الجرب .

(٥) « لط الحوض يلطه لطاً » : ألصقه بالطين حتى يسد خلله ، قال ابن الأثير : « كذا جاء فى الموطأ » انظر الموطأ : ٩٣٤ ، ويشير به إلى الرواية الأخرى « تلوط » ، كما ستأتى فى الأثر التالى . وكان فى المطبوعة هنا « تليط » . ، وهى صواب أيضاً ، جاء فى رواية حديث أشراط الساعة : « ولتقومن وهو يليط حوضه ، » أى يطينه أيضاً . ولكنها لم تجىء فى المخطوطة ولا فى مكان غيره أعرفه .

(٦) « فرط يفرط فرطاً » : إذ سبق الواردة الإبل إلى الماء ، فهيأ لها الأرسان والدلاء ، وملأ الحياض واستقى لهم . و « يوم الورد » بكسر الراء ، وهو يومها الذى ترد فيه الماء . وكان فى المطبوعة : « يوم ورودها » ، وهى صحيحة المعنى ، والذى فى المخطوطة هو محض الصواب .

وأفقر ،[١] فماذا يحلّ لى من ألبانها ؟ قال : إن كنت تبغى ضالتها ، وتهنأ جرباها ، وتلوط حوضها ،[٢] وتسقى عليها ،[٣] فاشرب غير مُضرّ بنسل ،[٤] ولا ناهكٍ فى الحلب .[٥]

٨٦٣٣ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا داود ، عن أبى العالية فى هذه الآية : « ومن كان غنيًّا فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، قال : من فَضل الرِّسل والثمرة .[٦]

٨٦٣٤ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا داود ، عن أبى العالية فى والى مال اليتيم قال : يأكل من رسل الماشية ومن الثمرة ، لقيامه عليه، ولا يأكل من المال. وقال: ألا ترى أنه قال: « فإذا دفعتم إليهم أموالهم» ؟

٨٦٣٥ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس قال سمعت داود ، عن رُفيع أبى العالية قال : رُخّص لولى اليتيم أن يصيب من الرِّسل ويأكل من الثمرة، وأما الذهب والفضة فلا بد أن تردّ . ثم قرأ : « فإذا دفعتم إليهم أموالهم » ،

---

(١) « منح الشاة والناقة يمنحها منحاً » : أعارها من لا ناقة له ، يأخذ من لبنها ويرعى عليها . ثم يردها عليه . و « أفقرت فلاناً بعيراً » إذا أعرته بعيراً يركب ظهره فى سفره ثم يرده إليك ، وهو من « فقار » الظهر ، أى ما انتضد من عظام الصلب من لدن الكاهل إلى العجب .

(٢) « لاطه الحوض يلوطه لوطاً » : طلاه بالطين ولمسه . انظر التعليق السالف ص : ٥٨٨ ، رقم : ٥

(٣) فى المخطوطة : « وتسعى عليها » وهو خطأ ، ورواية الموطأ : « وتسقيها يوم وردها » .

(٤) « نهكت الناقة حلباً أنهكها » ، إذا بالغت فى حلبها ونقصها ، فلم يبق فى ضرعها لبن . و « الحلب » (بفتح الحاء واللام) و « الحلب » (بسكون اللام) و « الحلاب » مصدر « حلب الشاء والإبل والبقر يحلبها » : إذا استخرج ما فى ضرعها من اللبن .

(٥) الأثران : ٨٦٣١، ٨٦٣٢ – رواه مالك فى الموطأ من طريق « يحيى بن سعيد ، عن القاسم ابن محمد » كرواية الأثر الثانى هنا ، مع اختلاف فى بعض اللفظ ، وأبو جعفر النحاس فى الناسخ والمنسوخ : ٩٣، ونسبه السيوطى فى الدر المنثور ١ : ١٢٢، إلى مالك ، وسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، والنحاس فى ناسخه .

(٦) فى المطبوعة : « والثمرة » بالثاء المثلثة ، وأثبت ما فى المخطوطة هنا ، وستأتى بالمثلثة فى المخطوطة فى الآثار التالية ، ولكن صوابها « بالتاء » ، وانظر حجتنا فى ذلك فى الأثر رقم : ٨٦٣٦ .

ألا ترى أنه قال : « لابد من أن يدفع » ؟[١]

٨٦٣٦ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عوف ، عن الحسن أنه قال : إنما كانت أموالهم إذْ ذاك النخل والماشية،[٢] فرخّص لهم إذا كان أحدهم محتاجاً أن يصيب من الرِّسْل .

٨٦٣٧ – حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا إسمعيل بن سالم ، عن الشعبي في قوله : « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، قال : إذا كان فقيراً أكل من التمر ،[٣] وشرب من اللبن ، وأصاب من الرسل .

٤/١٧٤ ٨٦٣٨ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، ذكر لنا أن عَمَّ ثابت بن رفاعة = وثابت يومئذ يتيمٌ في حجره = من الأنصار ، أتى نبيّ الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبي الله، إن ابن أخي يتيمٌ في حجري، فما يحلُّ لي من ماله؟ قال : أن تأكل بالمعروف ، من غير أن تقي مالك بماله، ولا تتخذ من ماله وَفْراً.[٤] وكان اليتيم يكون له الحائط من النخل ،[٥] فيقوم وليه على صلاحه وَسقيه ، فيصيب من تمرته ،[٦] أو تكون له الماشية ، فيقوم وليه على صلاحها ، أو يلي علاجها

---

(١) الأثر – ٨٦٣٥ – « رفيع بن مهران الرياحي » ، « أبو العالية » مضى برقم : ٤٤ ، ١٨٤ ومواضع غيرها ، وكان في المخطوطة والمطبوعة هنا « رفيع عن أبي العالية » بزيادة « عن » وهو خطأ محض .

(٢) في المطبوعة : « أدخال النخل والماشية » ، وفي المخطوطة : « ادحال » ، ولم أجد لشيء من ذلك معنى ، مع تقليبها على أكثر وجوه التصحيف ، ثم هديت إلى أن أرجح أن يكون صوابها ما أثبت ، وكأن الناسخ رأى « ذال » : « ذاك » متصلة بألفها فظنها « حاء » ، فكتب « الكاف » المتطرفة « لاماً » والذي أثبته هو حاق السياق إن شاء الله .

(٣) في المطبوعة : « من الثمر » بالثاء المثلثة ، وأثبت ما في المخطوطة ، وانظر التعليق السالف ص : ٥٨٩ ، رقم : ٦ .

(٤) « وفر ماله وفراً » : حاطه حتى يكثر ويصير وافراً ، يعني : أن يتأثل مالا لنفسه ويجمعه من مال يتيمه .

(٥) « الحائط » البستان من النخل ، إذا كان عليه حائط ، وهو الجدار ، فإذا لم يحيط فهو « ضاحية » .

(٦) في المطبوعة : « ثمرته » ، والصواب من المخطوطة ، وانظر ص ٥٨٩ تعليق : ٦ والتعليق السالف : ٣ .

ومؤونتها، فيصيب من جُزَازها وَعوارضها ورِسْلها.[١] فأما رقاب المال وأصول المال،[٢] فليس له أن يستهلكه.[٣]

٨٦٣٩ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ يقول، أخبرنا عبيد بن سليمان قال، سمعت الضحاك يقول فى قوله: «ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف»، يعنى ركوب الدابة وخدمة الخادم. فإن أخذ من ماله قرضاً فى غنى، فعليه أن يؤديه، وليس له أن يأكل من ماله شيئاً.

* * *

وقال آخرون منهم: له أن يأكل من جميع المال، إذا كان يلى ذلك، وإن أتى على المال، ولا قضاء عليه.

* ذكر من قال ذلك:

٨٦٤٠ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا إسمعيل بن صبيح، عن أبى أوَيس، عن يحيى بن سعيد وربيعة جميعاً، عن القاسم بن محمد قال: سئل عمر ابن الخطاب رضى الله عنه عما يصلُح لولىّ اليتيم قال: إن كان غنيًّا فليستعفف، وإن كان فقيراً فليأكل بالمعروف.[٤]

---

(١) الجزاز والجزازة (بضم الجيم) والجزز (بفتحتين) والجزة (بكسر الجيم وتشديد الزاى)، وجمعها جزز (بكسر ففتح): هو ما يجزه من صوف الشاة وغيرها. ورواية اللسان والفائق للزمخشرى «جززها» جمع «جزة». «والعوارض» جمع عارضة، وهى الشاة أو البعير تصيبه آفة أو كسر أو داء فيذبحونها، ومن هجائهم: «بنو فلان لا يأكلون إلا العوارض»، أى: لا ينحرون الإبل إلا من داء يصيبها. «والرسل» اللبن.

(٢) «رقاب المال» يعنى من الأنعام، و «أصول المال» يعنى من النخيل.

(٣) الأثر: ٨٦٣٨ – ذكره الحافظ ابن حجر فى الإصابة، فى ترجمة «ثابت بن رفاعة»، ولم ينسبه لابن جرير، ونسبه لابن مندة، وابن فتحون، من طريق عبد الوهاب، عن سعيد، عن قتادة، وقال: «هذا مرسل، رجاله ثقات».

(٤) الأثر: ٨٦٤٠ – «إسماعيل بن صبيح اليشكرى» مضى برقم: ٢٩٩٦. و «أبو أويس» هو: «عبد الله بن عبد الله بن أويس بن مالك بن أبى عامر الأصبحى»، ابن عم مالك وصهره على أخته، قال ابن معين: «صدوق، وليس بحجة». وقال أبو حاتم: «يكتب حديثه، ولا يحتج به، وليس بالقوى». مترجم فى التهذيب. وكان فى المطبوعة: «عن أبى إدريس»، وهو خطأ، صوابه من المخطوطة.

٨٦٤١ - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنا يحيى بن أيوب ، عن محمد بن عجلان ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه : أن عمر بن الخطاب كان يقول : يحل لولىّ الأمر ما يحلّ لولى اليتيم: « من كان غنيًّا فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » .

٨٦٤٢ - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال، أخبرنا الفضل ابن عطية ، عن عطاء بن أبي رباح في قوله : « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف »، قال : إذا احتاج فليأكل بالمعروف ، فإن أيسر بعد ذلك فلا قضاء عليه .

٨٦٤٣ - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا الحسين ابن واقد، عن يزيد النحوى ، عن عكرمة والحسن البصرى قالا: ذكر الله تبارك وتعالى مال اليتامى فقال : « ومن كان غنيًّا فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، ومعروفُ ذلك : أن يتقى الله فى يتيمه .

٨٦٤٤ - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن إبراهيم : أنه كان لا يرى قضاءً على ولىّ اليتيم إذا أكل وهو محتاجٌ .

٨٦٤٥ - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مغيرة ، عن حماد ، عن إبراهيم : « فليأكل بالمعروف » ، فى الوصى ، قال : لا قضاء عليه.

٨٦٤٦ - حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن منصور ، عن إبراهيم أنه قال فى هذه الآية : « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، قال : إذا عمل فيه ولىُّ اليتيم أكل بالمعروف .

٨٦٤٧ - حدثنا بشر بن محمد قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كان الحسن يقول : إذا احتاج أكل بالمعروف من المال، طُعْمَةً من الله له .(١)

---

(١) « طعمة » (بضم فسكون) : رزق ومأكلة ، يقال : « جعل السلطان ناحية كذا طعمة لفلان» أى : مأكلة يأكل منها كما يأكل من كسبه .

٨٦٤٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن الحسن البصرى قال : قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم : إن فى حجرى يتيماً، أفأضربه ؟ قال : فيما كنت ضارباً منه ولدك ؟ قال : أفأصيب من ماله ؟ قال : بالمعروف، غير متأثّل مالاً ، ولا واقٍ مالك بماله . (١)

٨٦٤٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن ابن أبى نجيح، عن الزبير بن موسى ، عن الحسن البصرى ، مثله (٢)

٨٦٥٠ – حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن عطاء أنه قال : يضع يده مع أيديهم فيأكل معهم ، كقَدْر خدمته وقَدْرِ عمله . ٤/١٧٥

٨٦٥١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : والى اليتيم ، إذا كان محتاجاً ، يأكل بالمعروف ، لقيامه بماله .

٨٦٥٢ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد ، وسألته عن قول الله تبارك وتعالى : « ومن كان غنيًّا فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، قال : إن استغنى كفَّ ، وإن كان فقيراً أكل بالمعروف. قال : أكل بيده معهم، لِقيامه على أموالهم ، وحفظه إياها ، يأكل مما يأكلون منه . وإن استغنى كفَّ عنه ولم يأكل منه شيئاً .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، قول من قال : « المعروف »

---

(١) « تأثل مالا » : اتخذ أصل مال يجمعه ويثبته ويخزنه .

(٢) الأثر : ٨٦٤٩ – « الزبير بن موسى بن ميناء المكى » ، روى عن جابر ، وسعيد بن جبير ، وعمرو بن دينار ، وعمر بن عبد العزيز ، وغيرهم . روى عنه ابن جريج ، والثورى، وابن أبى نجيح . مترجم فى التهذيب . وأخشى أن يكون : « أخبرنا الثورى وابن أبى نجيح » .

الذى عناه الله تبارك وتعالى فى قوله : « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، أكل مال اليتيم عند الضرورة والحاجة إليه ، على وجه الاستقراض منه = فأما على غير ذلك الوجه ، فغير جائز له أكله .(١)

وذلك أن الجميع مجمعون على أن والى اليتيم لا يملك من مال يتيمه إلاّ القيام بمصلحته . فلما كان إجماعاً منهم أنه غير مالكه ،(٢) وكان غيرَ جائز لأحد أن يستهلك مال أحد غيره ، يتيماً كان ربُّ المال أو مدركاً رشيداً = وكان عليه إن تعدَّى فاستهلكه بأكل أو غيره ، ضمانه لمن استهلكه عليه ، بإجماع من الجميع = وكان والى اليتيم سبيلُه سبيل غيره فى أنه لا يملك مال يتيمه =(٣) كان كذلك حكمه فيما يلزمه من قضائه إذا أكل منه ، سبيلُه سبيلُ غيره ، وإن فارقه فى أنّ له الاستقراضَ منه عند الحاجة إليه، كما له الاستقراض عليه عند حاجته إلى ما يستقرض عليه ، إذا كان قيِّماً بما فيه مصلحته .

* * *

ولا معنى لقول من قال : « إنما عنى بالمعروف فى هذا الموضع ، أكل والى اليتيم من مال اليتيم ،لقيامه عليه على وجه الاعتياض على عمله وسعيه » . لأنّ لوالى اليتيم أن يؤاجر نفسه منه للقيام بأموره ، إذا كان اليتيم محتاجاً إلى ذلك ، بأجرة معلومة ، كما يستأجر له غيره من الأُجَراء ، وكما يشترى له مَن يعينه،(٤) غنيًّا كان الوالى أو فقيراً .

وإذ كان ذلك كذلك = وكان الله تعالى ذكره قد دل بقوله : « ومن كان غنيًّا فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ، على أن أكل مال اليتيم إنما أذن لمن أذن له من وُلاته فى حال الفقر والحاجة = وكانت الحالُ التى للولاة

---

(١) فى المخطوطة « له أكلها » ، وهو من سهو الناسخ .

(٢) فى المخطوطة : « إجماعاً منه » ، وهو أيضاً من سهو الناسخ .

(٣) السياق : « فلما كان إجماعاً منهم . . . كان كذلك حكمه . . . » وما بينهما عطف وفصل

(٤) فى المطبوعة : « وكما يشترى له من نصيبه » ، ولا معنى لذلك ، وهى فى المخطوطة غير بينة ، واجتهدت قراءتها كما أثبتها ، أى يشترى له رقيقاً يعينه .

أن يُؤجروا أنفسهم من الأيتام مع حاجة الأيتام إلى الأجراء ، غير مخصوص بها حال غِنًى ولا حال فقر =[1] كان معلوماً أن المعنى الذى أبيح لهم من أموال أيتامهم فى كل أحوالهم ، غير المعنى الذى أبيح لهم ذلك فيه فى حال دون حال .

ومن أبى ما قلنا ، ممن زعم أن لولى اليتيم أكل مال يتيمه عند حاجته إليه على غير وجه القرض ، استدلالاً بهذه الآية = قيل له : أمجمَعٌ على أن الذى قلت تأويل قوله : « ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » ؟

فإن قال : لا !

قيل له : فما برهانك على أن ذلك تأويله ، وقد علمت أنه غيرُ مالك مالَ يتيمه ؟

فإن قال : لأن الله أذن له بأكله !

قيل له : أذن له بأكله مطلقاً أم بشرط ؟[2]

فإن قال : بشرطٍ ، وهو أن يأكله بالمعروف .

قيل له : وما ذلك « المعروف » ؟ وقد علمت القائلين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين أن ذلك هو أكله قرضاً وسلَفاً ؟

ويقال لهم أيضاً مع ذلك : أرأيت المولىَّ عليهم فى أموالهم من المجانين والمعاتيه ، ألولاة أموالهم أن يأكلوا من أموالهم عند حاجتهم إليه على غير وجه القرض لا الاعتياض من قيامهم بها ، كما قلتم ذلك فى أموال اليتامى فأبحتموها لهم ؟

فإن قالوا : ذلك لهم = خرجوا من قول جميع الحجة .

وإن قالوا : ليس ذلك لهم .

قيل لهم : فما الفرق بين أموالهم وأموال اليتامى ، وحكمُ ولاتهم واحدٌ : فى أنهم ولاة أموال غيرهم ؟ ١٧٦/٤

---

(١) السياق : « وإذ كان ذلك كذلك . . . كان معلوماً . . . » ، وما بينهما عطف وفصل .

(٢) فى المخطوطة : « أذن له بأكله مطلقاً بشرط بشرط » ، وهو سهو ناسخ ، والصواب ما فى المطبوعة .

فلن يقولوا فى أحدهما شيئاً إلا ألزموا فى الآخر مثله .(١)

ويُسْأَلون كذلك عن المحجور عليه : هل لمن يلى ماله أن يأكل ماله عند حاجته إليه ؟ نحو سؤالِنَاهُمْ عن أموال المجانين والمعاتيه .

* * *

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وإذا دفعتم ، يا معشرَ ولاة أموال اليتامى ، إلى اليتامى أموا لهم= « فأشهدوا عليهم » ، يقول : فأشهدوا على الأيتام باستيفائهم ذلك منكم ، ودفعكموه إليهم ، كما : —

٨٦٥٣ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم »، يقول: إذا دفع إلى اليتيم ماله، فليدفعه إليه بالشهود ، كما أمره الله تعالى .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ (٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وكفى بالله كافياً من الشهود الذين يشهدهم والى اليتيم على دفعه مال يتيمه إليه ، كما : —

٨٦٥٤ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وكفى بالله حسيباً » ، يقول : شهيداً .

* * *

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « فلن يقولوا فى أحدهم » ، وهو خطأ ، صوابه ما أثبت .

يقال منه : « قد أحسبنى الذى عندى » ، يراد به : كفانى . وسمع من العرب : « لأُحْسِبَنَّكم من الأسودين » = يعنى به : من الماء والتمر[١] = « والمُحْسِب » من الرجال : المرتفع الحسب ، « والمُحْسَب » ، المكفِىُّ .[٢]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً ﴾ (٧)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : للذكور من أولاد الرجل الميِّت حصة من ميراثه ، وللإناث منهم حصة منه ، من قليل ما خلَّف بعده وكثيره ، حصة مفروضة ،[٣] واجبةٌ معلومة مؤقتة .[٤]

* * *

وذكر أن هذه الآية نزلت من أجل أن أهل الجاهلية كانوا يُورِّثون الذكور دون الإناث ، كما : —

٨٦٥٥ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : كانوا لا يورِّثون النساء ، فنزلت : « وللنساء نصيبٌ مما ترك الوالدان والأقربون » .

---

(١) قيل فى شرح هذه الكلمة : « أى : لأوسعن عليكم » ، وهو بمعنى الكفاية .

(٢) وانظر تفسير « حسبه » فيما سلف ٤ : ٢٤٤/٧ : ٤٠٥

(٣) انظر تفسير « الفرض » فيما سلف ٤ : ١٢١/٥ : ١٢٠

(٤) موقتة : مقدرة محددة ، وأصلها من « الوقت » ثم اتسع فى استعمالها فى كل محدود ، ومنه حديث على رضى الله عنه . « فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يوقت فيها شيئاً » ، أى : لم يفرض فى شرب الخمر مقداراً معيناً من الجلد . ومنه أخذ النحويون قولهم فى العلم الشخصى الذى يعين مسماه تعييناً مطلقاً غير مقيد ، مثل « زيد » هو : « معرفة موقتة » ، وانظر شرح ذلك فى ١ : ١٨١ ، تعليق : ١ .

٨٦٥٦ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة قال : نزلت في أم كحلة وابنة كَحْلة، وثعلبة وأوس بن سويد، وهم من الأنصار . كان أحدهم زوجها والآخر عم ولدها، فقالت : يا رسول الله، توفي زوجي وتركني وابنته، فلم نورَّث ! فقال عم ولدها : يا رسول الله، لا تركب فرساً، ولا تحمل كلاًّ، ولا تنكي عدوًّا، يكسب عليها ولا تكتسب ! فنزلت : « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قلَّ منه أو كثر نصيباً مفروضاً » .(١)

---

(١) الأثر : ٨٦٥٦ – خرجه الحافظ ابن حجر في الإصابة في ترجمة « أم كجة »، والسيوطي في الدر المنثور ٢ : ١٢٢، ونسبه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم. أما الحافظ فذكر رواية الطبري وقال فيها : « نزلت في أم كجة، وبنت أم كجة، وثعلبة، وأوس بن ثابت » فخالف نص الطبري في هذا الموضع، في « أم كجة »، و « أوس بن ثابت » كما ترى . وكانت في المطبوعة : « أم كحة » وبنت كحة بالحاء المهملة، والصواب بضم الكاف وتشديد الجيم المفتوحة، كما ضبطها الحافظ في الإصابة . وأما السيوطي فقال : « نزلت في أم كلثوم وابنة أم كحلة، أو أم كحة »، بالحاء المهملة أيضاً وهو خطأ . وأما « أم كحلة » كما جاء في المخطوطة، وكما أثبتها، فقد قال الحافظ في الإصابة أيضاً : « وأما المرأة، فلم يختلف في أنها أم كجة – بضم الكاف وتشديد الجيم – إلا ما حكى أبو موسى عن المستغفري أنه قال فيها : أم كحلة – بسكون المهملة بعدها لام، وإلا ما تقدم من أنها بنت كجة، كما في روايتي ابن جريج، فيحتمل أن تكون كنيتها وافقت اسم أبيها، فيستفاد من رواية ابن جريج أنها أم كلثوم » .

وهذا كأنه ينفي أن تكون رواية الطبري : « أم كحلة »، ولكن المخطوطة أثبتت ذلك واضحاً في الموضعين، فلم أجد سبيلا إلى إغفالها أو تغييرها مع هذه الرواية التي رواها الحافظ عن المستغفري، وثبوتها أيضاً في نص السيوطي، فيما نقله عن الطبري، وابن أبي حاتم، وابن المنذر .

وسيأتي ذكر أم كجة في الأثر رقم : ٨٧٢٥ وأنها امرأة عبد الرحمن أخو حسان بن ثابت، فانظر التعليق على الأثر هناك .

وأما « أوس بن سويد » فكما رأيت، ذكره الحافظ منسوباً إلى ابن جرير « أوس بن ثابت »، ولكن الثابت في أصول التفسير وما نقل عنه، « أوس بن سويد ». وقد ترجم الحافظ لأوس بن ثابت الأنصاري وأوس بن سويد، ولثعلبة بن ثابت الأنصاري، وثعلبة بن سويد، وذكر الاختلاف في اسميهما في هذه القصة نفسها . وقد تركت نص الطبري كما هو، واكتفيت بإثبات الاختلاف الذي ذكر الحافظ ابن حجر، ومن شاء فليستوفه من هناك، ومن مظانه الأخرى .

* * *

وقوله : « لا تحمل كلا » : أي لا تلي أمر العيال والسعي عليهم . « والكل » : العيال، يحتاجون إلى من يحملهم ويرزقهم، كاليتيم وغيره .

وقوله : « ولا تنكي عدواً »، يقال منه : « نكيت العدو أنكي (بكسر الكاف) نكاية »، إذا أصاب

٨٦٥٧ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله: « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون » ، قال : كان النساء لا يورَّثن في الجاهلية من الآباء، [1] وكان الكبير يرث ، ولا يرث الصغير وإن كان ذكراً، فقال الله تبارك وتعالى: «للرجال نصيبٌ مما ترك الوالدان والأقربون» إلى قوله : «نصيباً مفروضاً».

* * *

قال أبو جعفر : ونصب قوله : « نصيباً مفروضاً » ، وهو نعت للنكرة ، لخروجه مخرجَ المصدر ، كقول القائل : « لك عليّ حقّ واجباً » . ولو كان مكان قوله : « نصيباً مفروضاً » اسم صحيح ، لم يجز نصبه . لا يقال : « لك عندي حق درهماً » فقوله : « نصيباً مفروضاً » ، كقوله : نصيباً فريضة وفرضاً ، كما يقال : « عندي درهم هبةً مقبوضة » . [2]

* * *

تم الجزء السابع من تفسير الطبري

ويليه الجزء الثامن ، وأوّله

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾

منهم ، فقتل وأكثر الجراح . ويقال فيه أيضاً : « ونكأت العدو » بالهمز ، بمعناه . وكان في المطبوعة : « ولا تنكأ » بالهمز ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهما صواب جميعاً .

(١) في المطبوعة : « لا يرثن » غير ما في المخطوطة ، وهو ما أثبته .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٢٥٧ ، فهو كنص عبارته .

الفهارس

فهرس الآيات التى استدل بها فى غير موضعها من التفسير

السورة / الآية	الصفحة
آيات سورة البقرة	
١٧	١٣٥
٢٦	٣٤٠
٤٠	٤٦٠
٢٢٠	٥٢٩
٢٤٥	٤٤٣، ٤٤٤
٢٨٢	٥٤٦

* * *

آيات سورة آل عمران	
٥٥	١١٢
٨٥	٥٠
١٠٣	٦٢
١١٠	٢١، ١١٨
١١٢	٧١
١٢٨	٢٩٧
١٦٩	١٩٣
١٧٨	٤٩٥، ٤٩٦
١٨٤	٤٣٢
١٨٦	٤٤٢
١٨٨	٤٣٠
١٩٨	٤٢٣

* * *

السورة / الآية	الصفحة
آيات سورة النساء	
٢٢	٥٣٨
٢٤	٢٦١
٣٧	٤٣٩
١٠٤	٢٣٨
١٢٢	٢٦١
١٢٧	٥٢٦
١٥٥	٣٤٠
١٦٠	٨

* * *

آيات سورة المائدة	
١٣	٣٤٠
٣٤	٣٣٥
٣٧	٤٧٨

* * *

آيات سورة الأنعام	
٢٣	٢٧٤
٣٣	٣٥٤
١٥٧	١٤٧

* * *

السورة / الآية	الصفحة
آيات سورة الأعراف	
٤٣	٤٨٢
٧٣	١٤٧
٨٥	١٤٧
٨٦	١٠٦
١٥٨	٤٦٠
١٦٨	١١٣
١٧٢	٩٥
* * *	
آيات سورة الأنفال	
٩	١٨١، ١٨٤
٢٦	١٠٦
* * *	
آية سورة التوبة	
١٢٨	٣٤١
* * *	
آيات سورة يونس	
٤	٢٦١
١٢	٤٧٥
* * *	
آيات سورة هود	
٦٧	١٤٧
٩٤	١٤٧
* * *	
آية سورة يوسف	
٨٤	٢١٤
* * *	

السورة / الآية	الصفحة
آيات سورة الرعد	
٢١	٥٢٢
٢٤	٤٩١
* * *	
آية سورة النحل	
٥٥	٥٤٧
* * *	
آية سورة الإسراء	
٨٢	٢٥٩، ٢٦٠
* * *	
آيات سورة الكهف	
٢	٤١٧
١٢	٢٤٢
٢٩	٥٤٧
٨٢	٢٦١
* * *	
آيات سورة مريم	
٢٥	٣١٦
٤٦	٤٢١
٦٠	٣٣٥
٦٢	١١٥
* * *	
آية سورة طه	
٧١	٣٠٤
* * *	
آيات سورة الأنبياء	
٣٤	٢٥٩
٩٦، ٩٧	٢٩٢
* * *	

السورة / الآية	الصفحة
آية سورة الحج	
٢٥	٣٣٥
* * *	
آية سورة المؤمنون	
٤٠	٣٤٠
* * *	
آيات سورة النور	
٤	٥٤٣
٢٢	٢١٧
* * *	
آية سورة النمل	
٨٨	٢٦١
* * *	
آية سورة القصص	
٤٦	٢٦١
* * *	
آيات سورة العنكبوت	
٣	٢٤٢
٢٤	٢٧٤
* * *	
آيات سورة الروم	
١٠	٢٧٤
٣٤	٥٤٧
* * *	
آيات سورة لقمان	
٩	٢٦١
٢٨	٢٠٨
* * *	

السورة / الآية	الصفحة
آيات سورة فاطر	
٢٥	٤٥١
٣٦	١١٠
* * *	
آيات سورة الصافات	
١٦	٢٥٩، ٢٦٠
١٠٣، ١٠٤	٢٩٢
* * *	
آيات سورة الشورى	
٣٧	٢١٦، ٢١٧
٣٨	٣٤٥
* * *	
آيات سورة الدخان	
٦	٢٦١
٣٢	١٠٢، ١٠٣
٤٣–٤٥	٣١٦
* * *	
آية سورة محمد	
١٨	٤٢٢
* * *	
آية سورة الذاريات	
٤٧	٣٢١
* * *	
آية سورة الواقعة	
٤٧	٢٥٩، ٢٦٠
* * *	

السورة / الآية	الصفحة
آيات سورة الحديد	
١٠	٤٣٠
١١	٤٤٣، ٤٤٤
٢٤	٤٣٩
* * *	
آية سورة الحشر	
١٢	٣٣٨
* * *	
آية سورة التغابن	
١٦	٦٨، ٦٩
* * *	
آيات سورة الجن	
١ ، ٢	٤٨١
* * *	

السورة / الآية	الصفحة
آية سورة المزمل	
١٧	٢٥٩
* * *	
آية سورة القيامة	
٣٧	٣١٦
* * *	
آية سورة المراسلات	
٣٦	١١٠
* * *	
آية سورة الزلزلة	
٥	٤٨٢
* * *	
آية سورة القارعة	
٤	٥١٦

فهرس اللغة

هذا الفهرس مرتب على ترتيب معاجم اللغة ، على أصل الاشتقاق ، وعلى آخر الأصل باباً ، وأوّله فصلاً .

(بوأ) باء ، يبوء : ١١٦، ٣٦٦
بوّأ يبوّئ : ١٥٩–١٦٤
(درأ) درأ يدرأ : ٣٨٢
(سوأ) سيئة : ١٥٥ ، ٤٩٠
(مرأ) مرىء : ٥٦٠
(هنأ) هنىء : ٥٥٩

* * *

(ثوب) أثاب : ٣٠٣ ، ٣٠٤
ثواب : ٢٦٢ ، ٢٧٥ ، ٤٩٠
(جنب) على جنوبهم : ٤٧٥
(جوب) استجاب : ٣٩٩، ٤٨٦ ، ٤٨٨
(حسب) حسب يحسب : ٢٤٦ ، ٣٨٤ ، ٤٢١ ، ٤٢٨ ، ٤٦٥ ، ٤٧٢
حسيب : ٥٩٦ ، ٥٩٧
أحسبه : ٥٩٧
المحسب : ٥٩٧
حَسْب : ٤٠٥
سريع الحساب : ٥٠١
(حلب) احلبى : ٥٣
(حوب) الحوب : ٥٢٩ ، ٥٣٠
حِيبة من الأرض : ٥٢٩
حاب يحوب : ٥٢٩

(ربب) ربىّ ، ربيّون : ٢٦٤ – ٢٦٩
(رعب) الرعب : ٢٧٩
(رقب) رقيب : ٥٢٣
(صحب) أصحاب النار : ١٣٣ ، ١٣٤
(ضرب) ضرب فى الأرض : ٣٣٠، ٣٣١ ، ٣٣٢
ضربت عليهم الذلة : ١١٠ ، ١١٦
(طيب) طيب : ٤٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦
طاب لكم : ٥٤٢
طاب له عنه : ٥٥٥
(عقب) انقلب على عقبيه : ٢٥١
رده على عقبه : ٢٧٦
عاقبة : ٢٢٨
(غرب) غريب ، غرباء ، غريبة
غرائب ، غريبات : ٥٦٦
(غضب) غضب الله : ١١٦
(قرب) قربان : ٤٤٨
(قلب) انقلب على عقبيه : ٢٥١
انقلب : ٢٧٦ ، ٤١٤
تقلب فى البلاد : ٤٩٣

(كتب) الكتاب : ١٤٨ ، ٢٦٠، ٢٦١ ، ٣٦٩ ، ٤٥١
كتب عليه : ٣٢٤
(كسب) كسب : ٣٢٧ ، ٣٦٤
(لبب) الألباب : ٤٧٣ ، ٤٧٤
لبيب ، ألبة : ١٧١
(نصب) نصيب : ٥٩٧

* * *

(ثبت) ثبت أقدامنا : ٢٧٢
(عنت) : ١٤٠ — ١٤٤
(كبت) كبت يكبت : ١٩٣

* * *

(بثث) بث : ٥١٦
(ثلث) ثلاث : ٥٤٣
(حرث) حرث : ١٣٤
(خبث) الخبيث : ٤٢٤ ، ٥٢٥، ٥٢٦
(ورث) ميراث : ٤٤٠

* * *

(حجج) حج البيت : ٣٧ ، ٤٥، ٤٦
(درج) درجة ، درجات : ٣٦٧، ٣٦٨
(زوج) الزوج : ٥١٥
(عوج) عِوَجٌ : ٥٣ ، ٥٤
عَوَج : ٥٤

* * *

(زحزح) زحزح : ٤٥٢
(سبح) سبحانك : ٤٧٦
(صلح) صالح : ١٣٠
(فلح) أفلح ، مفلح : ٩١ ، ٢٠٥ ، ٥٠٩
(قرح) قرح : ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٣٩٩

* * *

(خلد) خالد : ٩٦ ، ١٣٤ ، ٢٢٧ ، ٤٩٤
(ردد) رده على عقبه : ٢٧٦
(رشد) الرشد : ٥٧٦ — ٥٧٨
(شهد) شهيد ، شهداء : ٤٥ ، ٢٤٣
(صدد) صدّ : ٥٣
(صعد) أصعد ، صعد ، إصعاد، صعود : ٣٠٠ ، ٣٠١
(عند) من عند الله : ٤٩٠ ، ٤٩٥
عند ربهم : ٥٠١
(عهد) عهد إليه : ٤٤٨
(قعد) مقعد ، مقاعد : ١٦٤
(كيد) كيد : ١٥٦
(مدد) المدد ، الإمداد : : ١٨١
(مهد) المهاد : ٤٩٤
(ودد) ودّ : ١٤٠
(نبذ) نبذ : ٤٥٩
نبذه وراء ظهره : ٤٦٣

* * *

(أجر) أجر ، أجور : ٢٢٧ ، ٣٩٨ ، ٤٠٤ ، ٤٢٨ ، ٤٥٢ ، ٥٠١ .
(أخر) اليوم الآخر : ١٣٠
(بدر) بدار ، مبادرة : ٥٨٠

(برر) برّ ، أبرار : ٤٨٢، ٤٩٢
(بشر) استبشر : ٣٩٥ ، ٣٩٨
بشرى : ١٩٠
(بصر) بصير : ٣٣٦
(حسر) حسرة : ٣٣١ ، ٣٣٥
(حشر) يحشر : ٣٣٩
(خبر) خبير : ٤٤١
(خسر) خسران : ٤٤٨
خاسر : ٢٧٦
(خير) الخير : ٩٠
(دبر) الأدبار : ١٠٩
(زبر) زبور ، زبر : ٤٥٠
(سرر) السراء ٢١٣ ، ٢١٤
(شور) شاور : ٣٤٤
(صبر) الصبر : ١٨١ ،
اصبروا : ٥٠١ — ٥٠٨
صابروا : ٥٠١ — ٥٠٨
(صرر) صرٌّ : ١٣٦ ، ١٣٧
أصرّ : ٢١٩ ، ٢٢٣ — ٢٢٦
(صير) المصير : ٣٦٦
(ضرر) الضراء : ٢١٤
ضرّ يضرّ : ٢٥٢
(غرر) الغرور : ٤٥٣
الغَرور : ٤٥٣
غرّه يغرّه : ٤٩٣
(غفر) غفورٌ : ٢٠٣ ، ٣٢٧
مغفرة : ٢٠٧ ، ٢٢٧ ، ٣٣٧
استغفر : ٢١٩ ، ٣٤٣
اغفر : ٤٨٢
(فكر) يتفكر : ٤٧٥
(فور) من فوره : ١٨١ — ١٨٤
(قدر) قدير : ٣٧٢ ، ٤٧٣
(كبر) كبير : ٥٢٩
(كفر) كفر : ٤٧ ، ٥٢ ، ١١٧ ، ١٣٢ ، ١٣٣
كفره الشيءَ : ١٣١ ، ١٣٢
كفَّر عنه : ٤٩٠
(نصر) أنصار : ٤٧٩
(نكر) المنكر : ٩١ ، ١٠٥ ، ١٣٠
(نور) نور ، أنار ينير : ٤٥١
منير : ٤٥١
(هجر) هاجر : ٤٩٠
(وذر) يذر : ٤٢٤

* * *

(برز) برز : ٣٢٤
(عزز) عزز ، أعزة : ١٧١ ، ١٩١
(فوز) فاز يفوز : ٤٥٢
مفازة : ٤٧٢

* * *

(أنس) آنس : ٥٧٥
(حسس) حسّ يحسّ : ٢٨٧ ، ٢٨٨
أحسست ، أحسيت : ٥٧٥
(بأس) بئس : ٢٧٩ ، ٣٦٦ ، ٤٥٩
(مسس) مسّ : ١٥٥ ، ٢٣٨ ، ٤١٤

(نعس) نعاس : ٣١٩
(نفس) نفس : ٥١٣ ، ٥١٤
نفساً : ٥٧٧ ، ٥٧٨
في أنفسكم : ٥٥٤ ، ٥٥٥
من أنفسهم : ٣٦٩
* * *
(فحش) الفاحشة : ٢١٧ ، ٢١٨
* * *
(محص) يمحص : ٢٤٤ ، ٣٢٥
* * *
(بعض) بعضكم من بعض : ٤٨٩
(بغض) البغضاء : ١٤٦
(فرض) مفروض : ٥٩٧
(فضض) الفض : ٣٤٢
* * *
(حوط) محيط : ١٥٨
(ربط) رابطوا : ٥٠٨ ، ٥٠٩
(سخط) سخط : ٣٦٦
(سرط) الصراط : ٦٣
(سلط) سلطان : ٢٧٩
(قسط) أقسط يقسط : ٥٤١
* * *
(حظظ) حظ : ٤١٩
(غلظ) غليظ القلب : ٣٤١
(غيظ) الغيظ : ٢١٥
(فظظ) الفظ : ٣٤١
(وعظ) موعظة : ٢٣٣
* * *
(جمع) جمع له : ٤٠٥
(خشع) خاشع : ٥٠٠
(دفع) دفع يدفع : ٣٨٠ ، ٥٧٨ ، ٥٩٦
(ربع) رُباع : ٥٤٣
(رجع) ترجع الأمور : ١٠٠
(سرع) سارع : ١٣٠ ، ٢٠٧ ، ٤١٨
سريع الحساب : ٥٠١
(سمع) سميع : ١٦٥
(متع) متاع : ٤٥٣ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤
(نزع) تنازع : ٢٨٩
(وجع) وجيع : ٤٤٧
* * *
(ثقف) ثقف : ١١٠
(سرف) الإسراف : ٢٧٢ ، ٥٧٩
السرف : ٥٧٩
(خلف) اختلاف : ٤٧٣
(خوف) خوّف يخوّف : ٤١٦
(طرف) الطرّف : ١٩٢
(عرف) المعروف : ٩١ ، ١٠٥ ، ١٣٠ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٨٢ — ٥٩٦
(عفف) استعف : ٥٨١
* * *
(حرق) حريق : ٤٤٧
(ذوق) ذاق يذوق : ٩٦ ، ٤٤٦
ذائقة الموت : ٤٥٢
(رزق) رزق : ٥٧٢
(صدق) صادقون : ١٦
الصدقات : ٥٥٢
(طوق) يطوّق : ٤٣٣ — ٤٤٠

(فرق) فريق : ٥٩
(فسق) الفاسق : ١٠٧
(محق) محق يمحق : ٢٤٥
(نفق) أنفق : ١٣٤ ، ٢١٣
(وثق) ميثاق : ٤٥٨

* * *

(بكك) بكة : ١٩ — ٢٥
بكّ فلاناً : ٢٣
(مكك) مكة : ٢٥

* * *

(أجل) مؤجل : ٢٦٠
(أكل) أكل الربا : ٢٠٤
أكل الأموال : ٥٢٨ ، ٥٧٨
(بطل) باطل : ٤٧٦
(بخل) البخل ، بخل يبخل : ٤٣٢
(بدل) تبدل ، استبدل : ٥٢٧
(جهل) الجاهلية : ٣٢١
(حبل) حبل : ٧٠ — ٧٣ ، ١١١ — ١١٤
(حلل) حلّ : ٧
(خبل) الخبل ، الخبال : ١٤٠
(خذل) خذل يخذل : ٣٤٧
(دول) داول : ٢٣٩
أدال يديل : ٢٣٩
(ذلل) ذليل ، أذلة : ١٦٩ ، ١٧١
(زلل) استزله : ٣٢٧
(سأل) تساءل به : ٥١٧
(سبل) سبيل الله : ٥٣ ، ٣٣٧، ٣٨٤ ، ٤٩٠
(ضلل) ضلال : ٣٦٩
(عول) عال يعول : ٥٤٨، ٥٤٩— ٥٥٢
(غلل) غلّ يغل : ٣٤٨—٣٦٤
أغلّ يغل : ٣٥٢
(فشل) فشل يفشل : ١٦٨، ٢٨٩
(فضل) فضل : ٢٩٩ ، ٣٩٨ ، ٤١٤ ، ٤٢٩
(نحل) نِحْلة : ٥٥٢
(نزل) نُزُل : ٤٩٤
(نمل) الأنامل : ١٥٣
(وكل) توكل متوكل : ١٦٩ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧
الوكيل : ٤٠٥

* * *

(ألم) أليم : ٤٢٠ ، ٤٤٧ ، ٤٧٢
(أمم) أمة : ٩٠ ، ١٠٦ ، ١١٩
(حكم) حكيم : ١٩١
الحكمة : ٣٦٩
(حلم) حليم : ٣٢٧
(رحم) رحيم : ٢٠٣
رحمه يرحمه : ٢٠٦
(سوم) مسوّمون : ١٨٤ — ١٩٠
السيماء، السيمياء :١٨٩، ١٩٠

(ظلم) الظالم : ١٦ ، ١٣٧ ، ٢٤٤ ، ٢٧٩
ظلم نفسه : ٢١٨
ظلموا أنفسهم : ١٣٤
يظلم : ٣٦٤
(عزم) عزم الأمور : ٤٥٦
(عصم) اعتصم : ٦١ — ٦٣، ٧٠
عصام ، عُصُم : ٦٢
(علم) علم يعلم : ٢٤١ ، ٢٤٢، ٢٤٦ ، ٣٧٧
عليم : ١٦٥ ، ٣٢٥
(غمم) غمّ : ٣٠٥
(قدم) قدمت أيديكم : ٤٤٧
(قوم) قائمة : ١٢٢ — ١٢٤
قيام : ٥٦٨ — ٥٧١
مقام إبراهيم : ٢٨
(كتم) يكتم : ٣٨١
(كظم) كظم الغيظ : ٢١٤
الكظائم : ٢١٤
(نعم) نعمة : ٤١٤
(همم) أهمته نفسه : ٣٢٠
(يتم) يتيم يتامى : ٥٢٤ ، ٥٤١

* * *

(أذن) إذن : ٢٦٠ ، ٢٨٨ ، ٣٧٧
(أمن) آمن : ٥٣ ، ٥٩ ، ٦٤، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٣٠ ، ١٥١ ، ٤٨٢
أمَنة : ٣١٥
(بطن) بطانة : ١٣٨
(بين) بيان : ٢٣١ ، ٢٣٢
البينات : ٤٥٠
مبين : ٣٦٩ ، ٣٧٠
(ثمن) ثمن : ٤٥٩ ، ٤٦٤ ، ٥٠٠
(جنن) جنة ، جنات : ٢٠٧ ، ٢٢٧ ، ٤٩٠ ، ٤٩٤
(حسن) حسنة : ١٥٥
المحسن : ٢١٥ ، ٢٧٦
(دون) من دون : ١٣٨
(سكن) المسكنة : ١١٦
(سنن) سنة سنن : ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣١
(كون) استكان : ٢٦٩
(لين) لان له : ٣٤١
(منن) منّ : ٣٦٩
(وهن) وهن ، يهن : ٢٣٤، ٢٦٩

* * *

(سفه) السفهاء : ٥٦٠ — ٥٦٨
سفيه وسفهاء : ٥٦٦
(فوه) من أفواههم : ١٤٥، ١٤٧

* * *

(أتى) آتى : ٥٢٤ ، ٥٥٢
(أذى) أذى : ١٠٨ ، ١٠٩ ، ٤٥٥
(ألى) ألا يألو : ١٣٩
(أنى) إنى ، آناء : ١٢٥، ١٢٦
(أوى) مأوى : ٢٧٩ ، ٣٦٦ ، ٤٩٤

(أبى) آيات بينات : ٢٦–٢٨
آيات : ٥٢ ، ٦١ ، ١٢٥ ، ١٤٨
(بغى) يبغى : ٥٣
ابغى كذا : ٥٣
(بلا) بلاه يبلوه : ٤٥٤
ابتلى ، الابتلاء : ٢٩٧ ، ٣٢٤ ، ٥٧٤
(تلا) تلا يتلو : ١٢٥ ، ٣٦٩
(ثنى) مثنى : ٥٤٣
(ثوى) مثوى : ٢٧٩
(جبى) اجتبى : ٤٢٧
(جزى) الجزاء : ٢٢٧
جزى يجزى : ٢٥٢ ، ٢٦٣
(خزى) أخزاه الله : ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٥
(خلا) خلا يخلو : ٢٢٨ ، ٢٥١
(رضى) رضوان : ٣٦٥ ، ٤١٤
(زكى) زكى يزكى : ٣٦٩
(سوى) سواء : ١١٨
(شرى) اشترى : ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٥٩ ، ٤٦٤ ، ٥٠٠
(شفا) شفا : ٨٥ ، ٨٦
(عدا) عدوان : ٤٤٨
اعدى : ١١٧
(عفا) عفا يعفو ، فهو عاف : ٢١٥ ، ٢٩٨ ، ٣٢٧ ، ٣٤٣
(غزا) غاز ، غزّى : ٣٣١ ، ٣٣٢
(فرى) افترى : ١٦
(كسا) كساه : ٥٧٢
(لوى) لوى على الشيء : ٣٠٢
(ملا) أملى يملى : ٤٢١
الملا ، الملوان : ٤٢١
(ندى) مناد ، ينادى : ٤٨١ ، ٤٨٢
(هدى) هدى : ٦٣ ، ٢٣٣
اهتدى : ٨٩
(وفى) وفّى يوفّى : ٣٦٤ ، ٤٥٢
توفاه الله : ٤٨٢
(وقى) تقاة : ٦٤
اتقى ، التقوى : ١٥٦ ، ١٨١ ، ٢٠٥ ، ٥١٣
قنا عذاب النار : ٤٧٦
(ولى) ولى ، ١٠٩ ، ١٦٥
أولياء : ٤١٦
تولى ، ٣٢٦
مولى : ٢٧٧ ، ٢٧٨

أعلام المترجمين فى التعليق

الأرقام فى هذا الفهرست هى أرقام الآثار ، لا الصفحات

الإباضية : ٧٧٠١
إبراهيم التيمى (إبراهيم بن يزيد ابن شريك)
إبراهيم بن إسماعيل بن أبى حبيبة الأشهل (ابن أبى حبيبة) : ٧٤٦٢
إبراهيم بن إسماعيل بن نصر السلمى التبان : ٧٤٦٢
إبراهيم بن عبد الله (شيخ الطبرى) : ٧٩١١
إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسى : (أبو شيبة بن أبى بكر بن أبى شيبة) : ٧٩١١
إبراهيم بن عبد الله بن مسلم : ٧٥٢٠
إبراهيم بن يزيد الخوزى : ٧٤٨٤
إبراهيم بن يزيد بن شريك (إبراهيم التيمى) : ٧٤٣٤
أحمد بن بشير الكوفى : ٧٨١٩
أحمد بن الحسن بن جنيدب الترمذى : ٧٤٨٩
أحمد بن المغيرة الحمصى (أبو حميد) (شيخ الطبرى) : ٨١٦٤
أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمى (أبو بكر بن مجاهد) (ابن مجاهد) : ٨٥٦٢
أحمد بن يحيى الصوفى : ٧٧٩٠
أحمد بن يوسف التغلبى : ٧٦٦٤
أبو إدام (سليمان بن زيد المحاربى)
ابن إدريس (عبد الله بن إدريس بن يزيد)
إدريس بن يزيد بن عبد الرحمن الأودى : ٨٦٠٦
الأزهر بن راشد البصرى : ٧٦٨٥
الأزهر بن راشد الكاهلى : ٧٦٨٥
أبو إسحق السبيعى : ٧٤٨٧ ، ٧٥٤٤ ، ٨٢٨٥ ، ٨٥٠٤
إسحق بن إبراهيم بن الضيف الباهلى (إسحق بن الضيف) : ٨٥٦٢
إسحق بن الضيف (إسحق بن إبراهيم بن الضيف الباهلى) : ٨٥٦٢
إسحق بن أبى طلحة (إسحق بن عبد الله بن أبى طلحة)
إسحق بن عبد الله بن أبى طلحة (إسحق بن أبى طلحة) : ٨٢٢٤
إسرائيل (إسرائيل بن يونس بن أبى إسحق)
إسرائيل بن يونس بن أبى إسحق السبيعى : ٨٢٩٢
ابن أسماء (أسماء بن الحكم الفزارى)
أسماء بن الحكم الفزارى (ابن أسماء) : ٧٨٥٣

إسماعيل بن أمية الأموى : ٨٤٥٨
إسماعيل بن جعفر بن أبى كثير الأنصارى : ٨٣٩٨
إسماعيل بن حفص بن عمرو الأبلى : ٧٥٨١ ، ٨١٩٨ م
إسماعيل بن صبيح اليشكرى : ٨٦٤٠
إسماعيل بن عياش الحمصى (ابن عياش) : ٨١٦٤
الأسود بن قيس العبدى : ٧٤٤٠
الأسود بن يزيد النخعى : ٨٢٦٧
أبو أسيد (جد الزبير بن المنذر) : ٧٧٧٧
الأشعث الحملى (الأشعث بن عبد الله بن جابر)
الأشعث بن عبد الله بن جابر الحدانى الأعمى (الأشعث الحملى) : ٨٣٥٨
الأغرّ بن الصباح التميمى المنقرى : ٧٥٣٥
أوس بن ثابت الأنصارى : ٨٦٥٦
أوس بن سويد الأنصارى : ٨٦٥٦
أوس بن عبدالله الربعى (أبو الجوزاء) : ٧٧٠١
أبو أويس (عبد الله بن عبد الله بن أويس بن مالك بن أبى عامر الأصبحى)
إياس بن دغفل الحارثى (أبو دغفل) : ٨١٣٠ .

* * *

بحر السقاء (بحر بن كنيز الباهلى السقاء)
بحر بن كنيز الباهلى (بحر السقاء) : ٨٠٩٧
أبو بكر الهذلى : ٨٣٧٦
بكر بن شرود (بكر بن عبد الله بن شروس) : ٨٥٦٢
أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام المخزومى : ٧٨٢٠
بكر بن عبد الله بن شروس (بكر ابن شرود) : ٨٥٦٢
أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدى : ٨٠٩٨
أبو بكر بن مجاهد (ابن مجاهد) (أحمد بن موسى بن العباس ابن مجاهد)
بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة : ٨٢٨٤

* * *

التنوخى (رسول هرقل) : ٧٨٣١

* * *

ابن أبى ثابت (عبد العزيز بن عمران ابن عبد العزيز)
ثابت بن رفاعة : ٨٦٣٨
ثابت بن قطبة الثقفى المدنى : ٧٥٧٩
ثعلبة بن ثابت الأنصارى : ٨٦٥٦
ثعلبة بن سويد الأنصارى : ٨٦٥٦

* * *

جابر بن عبد الله الأنصارى : ٨٢١٤
جامع بن أبى راشد : ٨٢٨٩
جامع بن شداد : ٨٢٨٩
أبو جزىّ (نصر بن طريف)
جعفر بن برقان الكلابى : ٧٨٣٦

أبو جناب الكلبي (يحيي بن أبي حية) : ٧٤٧٦
أبو الجوزاء (أوس بن عبد الله الربعي)

* * *

الحارث بن عبد الله الأعور الهمدانى : ٧٤٨٧
الحارث بن مسلم الرازى المقرئ : ٨٠٩٧ ، ٨٣٦٠
حارثة بن مضرب الكوفى : ٨٥٩٧
أبو حازم (سلمان الأشجعي الكوفى)
حبيب المعلم (حبيب بن أبى بقية)
حبيب بن أبى بقية (ابن أبى قريبة) (حبيب المعلم): ٧٥٢٠
حبيب بن أبى قريبة (ابن أبى بقية) (حبيب المعلم)
ابن أبى حبيبة (إبراهيم بن إسماعيل ابن أبى حبيبة)
حجاج بن محمد المصيصى الأعور : ٨٤٦١
جحير بن بيان الباهلى : ٨٢٨٣
أبو حذيفة النهدى (موسى بن مسعود)
حرام بن ملحان الأنصارى (ابن ملحان) (أبو ملحان) : ٨٢٢٤
حرمىّ بن عمارة بن أبى حفصة العتكى (أبو روح) : ٨٥١٣
الحسن بن الجنيد بن أبى جعفر البزار : ٨٤٥٨
الحسن بن حىّ (الحسن بن صالح ابن صالح بن حىّ)
الحسن بن صالح بن صالح بن حىّ (حيان) (الحسن بن حىّ) : ٧٥٩٤
حسن بن عطية بن نجيح القرشى : ٧٥٣٥
الحسن بن قزعة بن عبيد الهاشمى (شيخ الطبرى) : ٨٢٨١
الحسن بن أبى يحيي المقدسى (شيخ الطبرى) : ٨٢٠٧
الحسن بن يزيد العجلى : ٧٦٤٨ ، ٧٦٦٠
حسين الجعفى (حسين بن على بن الوليد)
الحسين بن الجنيد بن أبى جعفر البزار : ٨٤٥٨
الحسين بن حفص الهمدانى : ٨٣٦٧
الحسين بن داود المصيصى (سنيد): ٨٣٩٨ ، ٨٤٥٩ ، ٨٤٦٠
حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب : ٨٢٣٣
حسين بن على بن الوليد (حسين الجعفى) : ٧٤٩٩
الحسين بن عمرو بن محمد العنقزى : ٨٠٣٥
الحسين بن يزيد السبيعى : ٧٨٦٣
أبو حفص الجبيرى : ٨٣٥٦
أبو حفص الصيرفى (عمرو بن على الفلاس)
حفص بن بشر : ٨١٥٨
حفص بن حميد القمى : ٨٥١٨

حفص بن عمر البصرى (أبو عمر الضرير) : ٧٥٢٠
الحكم بن عتيبة الكندى : ٨٥٣٥
حكيم بن جبير الأسدى : ٨٢٩٢
أبو حميد (أحمد بن المغيرة الحمصى) (شيخ الطبرى)
حميد بن زياد بن أبى المخارق (أبو صخر الخراط) : ٨٣٩١
حيّ الكلبى (أبو حية) : ٧٤٧٦
حىّ بن يؤمن بن عجيل المصرى (أبو عشانة المعافرى) : ٨٣٧٠
أبو حيان (يحيي بن سعيد التيمى)
أبو حية الكلبىّ (حىّ) : ٧٤٧٦

* * *

خارجة : ٨٣٦٢
خالد بن الحارث بن عبيد الهجيمى (أبو عثمان) : ٧٥٠٧ ، ٧٨١٨
خالد بن مخلد القطوانى البجلى : ٨١٦٦ ، ٨٣٩٧
خالد بن أبى يزيد الحرانى (أبو عبد الرحيم) : ٨٣٩٦
ابن خثيم (عبد الله بن عثمان بن خثيم)
خصيف بن عبد الرحمن الجزرى : ٨١٣٦
خليفة بن حصين بن قيس بن عاصم المنقرى : ٧٥٣٥
خيثمة بن عبد الرحمن بن أبى سبرة الجعفى : ٨٢٦٧

* * *

أبو داود (نفيع) (نفيع بن الحارث)
داود بن صالح التمار المدنى : ٨٣٩٤
داود بن قيس الفراء : ٧٨٤٢
أبو دغفل (إياس بن دغفل)
داود بن أبى هند : ٨٢٨١

* * *

الربيع بن خثيم الثورى : ٧٥٤٦ ، ٧٥٤٧
الربيع بن روح الحمصى (أبو روح الحضرمى) : ٨١٦٤
أبو رجاء (محرز) (محرز بن عبد الله الجزرى)
رزيق الأعمى : ٧٤٧٢
رزيق بن مسلم المخزومى (انظر : زريق) : ٧٤٧٢
رزيق بن هشام : ٧٤٧٢
رفيع بن مهران الرياحى (أبو العالية) : ٨٦٣٥
روّاد بن الجراح : ٨٣٧٦
أبو روح (حرمى بن عمارة بن أبى حفصة)
أبو روح الحضرمى (الربيع بن روح الحمصى)

* * *

أبو الزبير (محمد بن مسلم بن تدرس المكى)
الزبير بن بكار : ٧٨٥٥
الزبير بن المنذر أبى أسيد : ٧٧٧٧
الزبير بن موسى بن ميناء المكى : ٨٦٤٩
زرّ بن حبيش : ٧٦٦١

أبو زرعة بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلي : ٨١٥٥
زريق بن مسلم الأعمى مولى مخزوم (انظر : رزيق) : ٧٤٧٢
زياد بن عبد الله بن خزاعي : ٨٢٨٤
زياد بن عبيد الله المرى : ٨٢٨٤
زياد بن أبي عياش (عباس) : ٧٤٧٢
زيد بن أسلم : ٧٨٤٢
زيد بن أبي أنيسة الجزرى : ٨٣٩٦
زيد بن الحباب العكلي : ٨١٦٥
زيد بن حبان (؟؟) : ٨١٦٥
زيد بن حبان الرقى : ٨١٦٥
زيد بن سهل (أبو طلحة) : ٨٢٢٤

* * *

أبو السائب (سلم بن جنادة)
سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب : ٧٨١٩
سعد بن عبادة : ٨١٦٤
أبو سعيد المؤدب (محمد بن سلم بن أبي الوضاح)
أبو سعيد المقبرى : ٧٨٥٥ ، ٨٣٩٥
سعيد بن راشد : ٧٨٣١
سعيد بن أبي راشد : ٧٨٣١
سعيد بن الربيع الرازى (شيخ الطبرى) : ٨٢٤١
سعيد بن سعيد بن أبي سعيد المقبرى : ٧٨٥٥
سعيد بن أبي مريم (ابن أبي مريم) : ٨٣٣٥
سعيد بن مسلمة بن هشام بن عبد الملك بن مروان : ٨٤٥٨
سعيد بن المسيب : ٨١٦٤
سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى : ٨١٦٣
سفيان الثورى : ٧٤٨٥ ، ٧٥٤٤ ، ٨٢٦٧ ، ٨٢٨٥ ، ٨٣٦٧
سفيان بن وكيع : ٨٤٧٧
سلم بن جنادة (أبو السائب) : ٨٣٩٥
سلمان الأشجعى الكوفى (أبو حازم) : ٧٦١٦
سلمة بن أبي سلمة : ٨٣٦٨، ٨٣٦٩
أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف : ٨٣٩٤
سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة : ٨٣٦٨ ، ٨٣٦٩
سلمة بن علقمة التيمى : ٨٦٠٢
سلمة بن عمر بن أبي سلمة : ٨٣٦٨ ، ٨٣٦٩
سليمان الأعمش (سليمان بن مهران) : ٧٤٣٤ ، ٧٦٦١
سليمان بن زيد المحاربى (أبو إدام) : ٧٧٥٨
سليمان بن مهران (سليمان الأعمش) : ٨٢٠٧ ، ٨٢٠٨
سنيد (الحسين بن داود المصيصى)
سويد بن حجير بن بيان الباهلى (أبو قزعة) : ٨٢٨١
سيف بن عمر التيمى : ٧٩٣٨

* * *

شاذ بن فياض اليشكرى (هلال بن فياض) (أبو عبيدة البصرى) : ٧٤٨٩
ابن شبرمة (أبو شبرمة) (عبد الله ابن شبرمة بن حسان الضبى)
أبو شبرمة (ابن شبرمة)
شرحبيل (؟؟) : ٨٣٩٥
شرحبيل بن سعد الخطمى : ٨٣٩٦
شرحبيل بن السمط الكندى : ٨٣٩٥
شريك بن عبد الله النخعى : ٧٧٩٠
ابن أبى الشوارب (محمد بن عبدالملك ابن أبى الشوارب)
أبو شيبة الرهاوى (يحيى بن يزيد)
أبو شيبة بن أبى بكر بن أبى شيبة (إبراهيم بن عبد الله بن محمد ابن إبراهيم بن عثمان العبسى)

* * *

صبيح (صبيح بن عبد الله العبسى) : ٧٥٩٥
صبيح بن عبد الله العبسى (صبيح) : ٧٥٩٥
أبو صخر الخراط (حميد بن زياد بن أبى المخارق)

* * *

أبو الضحى (مسلم بن صبيح الهمدانى)
الضحاك بن مخلد (أبو عاصم النبيل) : ٧٦٤٨

* * *

أبو طلحة (زيد بن سهل)

* * *

أبو عاصم النبيل (الضحاك بن مخلد)
عاصم بن كليب بن شهاب بن المجنون الجرمى : ٨٠٩٨
أبو العالية (رفيع بن مهران)
عامر الشعبى : ٧٤٩٥
عباس بن محمد بن حاتم الدورى : ٧٧٠١
عبد الأعلى بن عبد الأعلى القرشى السامى : ٨٢٨٢
عبد الجبار بن يحيى الرملى : ٧٣٢٥ ، ٧٤٤٦
عبد الجليل : ٧٨٤٢
عبد الحميد الحمانى (عبد الحميد ابن عبد الرحمن الحمانى)
عبد الحميد بن بيان السكرى : ٧٥٨٠
عبد الحميد بن عبد الرحمن الحمانى : ٧٨٦٣
عبد الرحمن (؟؟) : ٨١٥٦ ، ٨١٥٧
عبد الرحمن بن الحارث بن عبيد بن أبى عبيد : ٨١٦٥ ، ٨١٦٦
عبد الرحمن بن سليمان بن عبد الله بن حنظلة الأنصارى (عبد الرحمن ابن الغسيل) : ٧٧٧٧
عبد الرحمن بن شريك بن عبد الله النخعى : ٧٧٩٠
عبد الرحمن بن عبيد بن الحارث : ٨١٦٥
عبد الرحمن بن الغسيل (عبد الرحمن ابن سليمان بن عبد الله بن حنظلة الأنصارى)
عبد الرحمن بن مهدى : ٨٢٦٧ ، ٨٢٨٥

أبو عبد الرحيم (خالد بن أبي يزيد)
عبد الرحيم بن سليمان الأشل :
٨١٥٦ ، ٨١٥٧ ، ٨١٦١
عبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز
ابن عمر بن عبد الرحمن بن عوف
(ابن أبي ثابت) : ٨١٢
عبد الكريم بن أبي عمير الدهان
(الدهقان) : ٧٥٧٨
عبد الله بن إدريس بن يزيد بن
عبدالرحمن الأودي (ابن إدريس) ٨٦٠٦
عبد الله بن أنيس الجهني : ٨١٦٢
عبد الله بن أوفى الأسلمي : ٧٧٥٨
عبد الله بن سعيد بن أبي سعيد
المقبري : ٧٨٥٥ ، ٨٣٩٥
عبد الله بن شبرمة بن حسان الضبي
(أبو شبرمة) (ابن شبرمة) :
٨٥٨٦
عبد الله بن صالح (كاتب الليث) :
٨٤٧٢
عبد الله بن عبد الرحمن بن الحباب
الأنصاري : ٨١٦٢
عبد الله بن عبد الله الكلابي : ٨٢٨٤
عبد الله بن عبد الله بن أويس بن
مالك بن أبي عامر الأصبحي
(أبو أويس) : ٨٦٤٠
عبد الله بن عبد الوهاب الحجبي :
٧٩١١
عبد الله بن عثمان بن خثيم (ابن
خثيم) : ٧٨٣١
عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري :
٨٢١٤
عبد الله بن عون بن أرطبان المزني
(ابن عون) : ٧٧٧٦
عبد الله بن كعب الحميري : ٧٨٢٠
عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي
مريم : ٧٥٦٦
عبد الله بن مرة الهمداني الخارفي :
٨٢٠٨
عبد الملك بن أعين الكوفي : ٨٢٨٩
عبد الملك بن حميد بن أبي غنية
(أبو غنية) : ٨٥٣٥
عبد الملك بن أبي سليمان العرزمي :
٧٥٧٢
عبد الواحد بن زياد العبدي : ٨١٣٦
عبدة بن سليمان الكلابي : ٨٣١٥
عبد خير بن يزيد الهمداني : ٨٠٣٥
عبيد الله الأشجعي (عبيد الله بن
عبيد الرحمن الأشجعي)
عبيد الله بن زحر الضمري الإفريقي .
٧٦٦١
عبيد الله بن عبيد الرحمن الأشجعي
(عبيد الله الأشجعي) : ٨٦٢٢
عبيد الله بن موسى بن أبي المختار
العبسي : ٧٧٥٨
عبيد الله بن أبي عبيد الغفاري :
٨١٦٥ ، ٨١٦٦
أبو عبيدة البصري (شاذ بن فياض)
أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود :
٨٢١٩
عتاب بن بشير الجزري : ٨١٣٦
عتبة بن ضمرة بن حبيب بن صهيب
الزبيدي : ٨١٩٨ م

عثام بن على العامرى : ٨٤٩٥
عثمان مولى آل أبى عقيل الثقفى (عثمان بن المغيرة)
أبو عثمان الهجيمى (خالد بن الحارث ابن عبيد)
عثمان بن أبى زرعة (عثمان بن المغيرة، مولى ثقيف) : ٧٨٥٣
عثمان بن المغيرة (عثمان مولى ثقيف) : (عثمان بن أبى زرعة) : ٧٨٥٣
عثمان بن واقد بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر : ٧٨٦٣
أبو عشانة المعافرى (حىّ بن يؤمن ابن عجيل المصرى)
عصام بن رواد بن الجراح : ٨٣٧٦
عطية بن سعد بن جنادة العوفى : ٧٥٧٢ ، ٨١٤٣
عكرمة : ٨٥١٣
عكرمة بن عمار اليمامى : ٨٢٢٤
العلاء بن بدر (العلاء بن عبد الله ابن بدر)
العلاء بن عبد الله بن بدر الغنوى (العلاء بن بدر) : ٧٩٣٩
على بن ربيعة بن نضلة الوالبى : ٧٨٥٣
على بن أبى طلحة : ٨٤٧٢
على بن معبد بن شداد العبدى : ٧٦٦٢
عمارة (؟؟) : ٨٥١٣
عمارة بن أبى حفصة العتكى : ٨٥١٣
أبو عمر الضرير (حفص بن عمر البصرى)
عمر بن بشير الهمدانى (أبو هانئ) : ٧٤٩٥ ، ٧٥١٦
عمر بن حجاج بن عتاب العبدى (عمر بن أبى خليفة) : ٧٨٥٠
عمر بن حمزة بن عبد الله بن عمر بن الخطاب : ٧٨١٩
عمر بن أبى خليفة العبدى (عمر بن حجاج بن عتاب العبدى)
عمر بن يونس اليمامى (عمرو بن يونس) : ٨٢٢٤
عمران القطان (عمران بن داور العمى) (أبو العوام)
عمران بن داور العمى (عمران القطان (أبو العوام) : ٧٥٠٣
عمرو بن على الفلاس (أبو حفص الصيرفى) : ٨٠٩٧ ، ٨٣٥٦
عمرو بن مالك النكرى : ٧٧٠١
عمرو بن يونس (عمر بن يونس)
عمير بن إسحق القرشى : ٧٧٧٦
أبو العوام (عمران القطان) (عمران ابن داور)
العوام بن حوشب : ٧٦٨٥
ابن عون (عبد الله بن عون بن أرطبان المزنى)
أبو عون الأنصارى الشامى الأعور : ٨١٩٨ م
أبو عون الثقفى (محمد بن عبيد الله ابن سعيد الأعور)
ابن عياش (إسماعيل بن عياش الحمصى)

عيسى بن عمر الأسدى الهمدانى : ٧٥٩٥

* * *

أبو غسان (مالك بن إسماعيل بن درهم)
ابن أبى غنية (عبد الملك بن حميد بن أبى غنية)

* * *

فرج بن فضالة : ٨٣٧٥
أبو الفضل (بحر السقاء)
الفضل بن إسحق (شيخ الطبرى) : ٧٨٥٤
الفضل بن دكين (أبو نعيم) : ٨٥٣٥
ابن فضيل (محمد بن فضيل بن غزوان)
فطر بن خليفة : ٧٥١١

* * *

القاسم بن الحسن (شيخ الطبرى) : ٨٣٩٨ ، ٨٤٥٩ ، ٨٤٦٠
القاسم بن الحسن بن يزيد ، الهمدانى الصائغ : ٨٣٩٨
قبيصة بن عقبة بن محمد السوائى : ٨٣٦١
قبيصة بن مروان بن المهلب : ٨٣٥٨
أبو قزعة (حجر بن بيان) (سويد ابن جحير)
أبو قزعة (سويد بن جحير بن بيان الباهلى)
قزعة بن سويد بن جحير الباهلى : ٨١٤١
قيس العبدى : ٧٤٤٠
قيس بن الربيع الأسدى : ٧٥٣٥

* * *

أم كجة (أم كحلة) : ٨٦٥٦
أم كحلة (أم كجة) : ٨٦٥٦
أبو كريب (محمد بن العلاء)
كليب بن شهاب بن المجنون الجرمى : ٨٠٩٨

* * *

لقمان بن عامر الوصابى : ٨٣٧٥

* * *

أبو مالك العبدى : ٨٢٨١
مالك بن إسماعيل بن درهم النهدى (أبو غسان) : ٨٢٩٢
مؤمل بن إسماعيل : ٨٣٥٦ ، ٨٣٦٧
ابن مجاهد (أبو بكر بن مجاهد) (أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمى)
مجاهد بن جبر : ٨٥٦٢
محرز (أبو رجاء) (محرز بن عبدالله الجزرى)
محرز بن عبد الله الجزرى (محرز = أبو رجاء) : ٧٨٤١
محمد بن بشر بن الفرافصة العبدى : ٧٨٤١
محمد بن جعفر بن أبى كثير : ٨٣٩٧
محمد بن الحسين بن موسى بن أبى حنين الكوفى : ٨٥٨٩
محمد بن داود بن سليمان (أبو بكر) راوى التفسير ص : ٢٣ ، تعليق ١ /ص : ١٥٤ ، تعليق : ١ /

ص : ٢٨٠، ٢٨١ ، تعليق : ٣/
ص : ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، تعليق : ٢
محمد بن سيرين : ٧٩١١
محمد بن عباد بن جعفر المخزومى : ٧٤٨٤
محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف : ٨٠١٢
محمد بن عبد الله بن سعيد الواسطى : ٨٠١٢
محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثى : ٧٤٨٤
محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب الأموى (ابن أبى الشوارب) : ٨١٣٦
محمد بن عبيد الله بن سعيد الأعور (أبو عون الثقفى) : ٧٥٩٥
محمد بن عبيد الله بن سعيد الواسطى : ٨٠١٢
محمد بن العلاء (أبو كريب) : ٨١٦٥
محمد بن على بن ربيعة السلمى : ٨٢١٤
محمد بن فضيل بن غزوان (ابن فضيل) : ٨٣٩٥
محمد بن محمد بن مرزوق (محمد ابن مرزوق) (شيخ الطبرى) : ٨٢٢٤
محمد بن مرزوق (محمد بن محمد ابن مرزوق) (شيخ الطبرى)
محمد بن مسلم بن تدرس المكى (أبو الزبير) : ٨٢٠٥
محمد بن مسلم بن أبى الوضاح القضاعى (أبو سعيد المؤدب) : ٨٢٣٩
محمد بن مهاجر بن أبى مسلم : ٨٣٦٩
محمد بن يزيد بن محمد بن كثير (أبو هشام الرفاعى) : ٨٠٩٨
مختار بن غسان التمار الكوفى العبدى : ٧٧٧٧
مرة بن شراحيل الهمدانى البكيلى : ٧٥٣٩
مروان بن معاوية الفزارى : ٧٦٨٥
ابن أبى مريم (سعيد بن أبى مريم)
ابن أبى مريم (عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبى مريم)
مسلم بن إبراهيم الأزدى الفراهيدى : ٧٧٠١ ، ٧٤٨٧
مسلم بن خالد الزنجى : ٧٨٣١
مسلم بن صبيح الهمدانى (أبو الضحى) : ٨٢٠٦
مسلم بن عبيد (أبو نصيرة الواسطى) : ٧٨٦٣
مسلمة بن علقمة المازنى : ٨٢٨١
مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير : ٨٣٩٤
مطرف بن عبد الله بن مطرف بن سليمان الهلالى : ٨٣٩٣
معاوية بن صالح الحضرمى : ٨٤٧٢
أبو ملحان (ابن ملحان) (حرام ابن ملحان)
منصور بن حكيم : ٨٣٦٢
موسى بن جبير الأنصارى : ٨١٦٢

موسى بن عبد الرحمن المسروقى : ٧٨٤١
موسى بن عبيدة بن نشيط الربذى : ٨٣٦١
موسى بن مسعود (أبو حذيفة النهدى) : ٧٤٨٥
ميسرة بن عمار الأشجعى : ٧٦١٦

* * *

أبو نصر الأسدى : ٧٥٣٥
نصر بن طريف الباهلى (أبو جزى) : ٧٦٦٢
أبو نصيرة الواسطى (مسلم بن عبيد)
أبو النضر (هاشم بن القاسم)
أبو نعيم (الفضل بن دكين)
نفيع (أبو داود) (نفيع بن الحارث)
نفيع بن الحارث الهمدانى (أبو داود نفيع) : ٧٥١١

* * *

أبو هاشم (هلال بن عبد الله)
هاشم بن القاسم (أبو النضر) : ٨٢٣٩
أبو هانىء : (عمر بن بشير الهمدانى)
أبو هشام الرفاعى (محمد بن يزيد ابن محمد بن كثير)
هشام بن عروة : ٨٤٦١
هلال بن عبد الله (أبو هاشم) : ٧٤٨٧ ، ٧٤٨٩
هلال بن فياض (شاذ بن فياض)

* * *

الوليد بن مسلم القرشى : ٧٥٧٧ ، ٨١٩٨ م

* * *

أبو يحيى الخراسانى : ٧٦٦٢
يحيى بن أبى بكير الأسدى : ٧٥٤٤
يحيى بن جعدة بن هبيرة المخزومى : ٧٤٧٢
يحيى بن جعفر (يحيى بن موسى) : ٨٤٧٧
يحيى بن حبيب بن عربى : ٧٨١٨
يحيى بن أبى حية (أبو جناب الكلبى) : ٧٤٧٦
يحيى بن سعيد الأموى : ٨١٦٣
يحيى بن سعيد الأنصارى : ٨١٦٣
يحيى بن سعيد التيمى (أبو حيان) : ٨١٥٥
يحيى بن سعيد القطان : ٨١٥٥
يحيى بن سليم : ٧٨٣١
يحيى بن طلحة اليربوعى : ٧٨٠٨
يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب : ٨٣٦٧
يحيى بن عمرو بن مالك النكرى : ٧٧٠١
يحيى بن موسى ، (يحيى بن جعفر) : ٨٤٧٧
يحيى بن يزيد الجزرى (أبو شيبة الرهاوى) : ٨٣٩٦
يزيد الرقاشى (يزيد بن أبان)
يزيد بن أبان الرقاشى : ٧٥٧٧
يزيد بن الأصم بن عبيد البكائى : ٧٨٣٦
يعقوب بن إبراهيم الدورقى : ٨٢٨٤

يعقوب بن حميد بن كاسب : ٨٣٦٨، ٨٣٦٩
يعقوب بن عبد الله القمى : ٨١٥٨
يعقوب بن عيسى (يعقوب بن محمد ابن عيسى الزهرى)
يعقوب بن محمد بن عيسى الزهرى (يعقوب بن عيسى) : ٨٠١٢
يعلى بن مرة الثقفى : ٧٨٣١

فهرس المصطلحات

الائتناف (الاستئناف) : ١١٠

الإجراء (الصرف) : ٥٤٤

اسم الفعل : ٥٢٩

أهل البحث : ٤٨٣

البحث (أهل البحث) : ٤٨٣

الترجمة : ١١٩ ، ٣٣٤ ، ٣٨٢ ، ٤٨٩

التفسير : ١١٩ ، ٤٨٩ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٥٨٨

التقريب : ١٤٩ ، ١٥٠

التوقيت : ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٥٩٧

حروف النسق (حروف العطف) : ٢٤٧

الخروج : ٢٥ ، ٢٦١ ، ٣٩٥

الدعامة : ٤٢٩

الردّ : ١٣١ ، ٤٤٨ ، ٤٧٤ ، ٥٢٠

الصرف : ٢٤٧

الصفة (حروف الجر) : ٣٣٩ ، ٤٧٥

الصفة (ضمير الفصل) : ٤٢٩

الصلة (الجارو المجرور) : ١١٤

الصلة (نعت النكرة) : ١٤٤

الصلة (الزيادة) : ٣٤٠ ، ٣٤١

ظرف الفعل : ٣٢١

العماد : ٤٢٩

القطع : ٢٦ ، ١٤٤

الكناية : ١٠٠

مؤقتة (معرفة مؤقتة) : ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٥٩٧

المفسر : ٤٨٩ ، ٥٨٨

المكنى : ١٥٠ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢٣

النسق (العطف) : ٢٤٧ ، ٥١٩

مباحث العربية والنحو وغيرها

- « إذا » و « إذ » يقال : « أكرمتك إذْ زرتنى » ولا يقال : « أكرمتك إذا زرتنى » ، لأن « إذا » لا تصحب مع الماضى إلاّ المستقبل : ٣٣٣
- « الألف واللام » فيما تأويل « مَنْ » و « أىّ » فى مثل قوله : « وليعلمنّ الكاذبين » أى : الكاذب من المؤمن ، أو : أيكم المؤمن : ٢٤٢
- « إلاّ » يرفع ما بعدها بإتباعه ما قبله ، إذا كان نكرة ومعه جحدٌ ، نحو : « ما فى الدار أحدٌ إلاّ أخوك » . فأما إذا قيل : « قام القوم إلاّ أباك » ، فالوجه النصب . فأما قوله : « ومن يغفر الذنوب إلاّ اللهُ » بالرفع ، فلأن معنى الكلام : ما يغفر الذنوب أحدٌ إلاّ الله : ٢٢٣
- « أما » لا بدّ بعدها من جواب بالفاء : ٩٣
- « أنْ » لا تكون إلاّ معرفة ، ولذلك تعرب اسم « كان » فى قوله : « وما كان قولهم إلاّ أن قالوا » ، فكانت أولى بذلك دون الأسماء التى قد تكون معرفة أحياناً ونكرة أحياناً : ٢٧٤

[انظر : « كان »]

- « أو » بمعنى « حتى » : ١٩٤
- « الباء » بمعنى « على » كقوله : « فأثابكم غماً بغم » ، أى على غم ، وقولهم : « نزلت بينى فلان — وعلى بنى فلان » : ٣٠٤ ، ٣٠٥
- « تلك » بمعنى « هذه » : ٩٧
- « ذلك » بمعنى « هذا » : ٩٧

* « الذين » تذهب بها العرب مذهب الجزاء، وتعاملها معاملة « مَنْ » و « ما »، لتقارب معانى ذلك فى كثير من الأشياء ، وأن جميعهن أشياء مجهولات غير موقتات توقيت « عمرو » و « زيد » : ٣٣٤

* « الذين » فيها تأويل « مَنْ » و « أىّ » كقوله : « وليعلم الله الذين آمنوا » بمعنى : ليعلم الذين آمنوا من الذين نافقوا ، أو ليعلم الله أيكم المؤمن : ٢٤٢

* « سواء » مجيئها بمعنى التمام : ١١٩ ، ١٢٠

* « سواء » خطأ أن يقال : « سواء أقمت» وأنت تريد: «سواء أقمت أم قعدت»: ١٢٠

* « الفاء » التى فى جواب الجزاء ، تركها لعلم السامع بموضعها : ١٥٧

* « الفاء » إسقاطها من الكلام إذا سقط الجواب ، كقوله : « فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم » ، اسقط جواب« أما »، وهو : « فيقال لهم » :٩٣

* « فى » بمعنى « على » : ٣٠٤

* « كان » كل اسم ولى « كان » يختار فيه النصبُ ، إذا كان بعد «أن» الخفيفة كقوله : « فما كان جواب قومه إلاّ أن قالوا » .

فأما إذا كان الذى يلى « كان » اسما معرفة ، والذى بعده مثله ، فسواء الرفع والنصب فى الذى ولى « كان » نحو : « ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوأى » برفع « عاقبة » ونصبها : ٢٧٤

* « كان » إدخالها فى الكلام وإسقاطها سواء فى المعنى ، إذا كان الكلام معروفاً معناه ، كقوله « كنتم خير أمة » ، أى : أنتم خير أمة = وقوله : « واذكروا إذ أنتم قليل » وقال أيضاً : « واذكروا إذ كنتم قليلا » : ١٠٦

* « لا » بمعنى « ليس » : ١٥٧

* « ما » مجيئها زائدة فى الكلام فى المعرفة والنكرة، نحو « فبما رحمة من الله »، وقوله : « عما قليل » ، أى : عن قليل : ٣٤٠ ، ٣٤١

* « ما » و « مَنْ » إذا أردت الفعل قلت : « خذ من رقيق ما أردت » بمعنى : خذ إرادتك = وإذا أردت : خذ الذى تريد منهم قلت : « خذ من رقيق من أردت » : ٥٤٢

* « ما أبالى » و « ما أدرى » اكتفاؤهما بواحد ، تقول « ما أبالى أقمت » ، وأنت تريد : « ما أبالى أقمت أم قعدت » : ١٢٠

* « مَنْ » و « ما » و « كل » مجهولات ، تخرج صلاتها بألفاظ الماضى من الأفعال وهى بمعنى الاستقبال ، نحو « أكرم من أكرمك » ، و « أكرم كل رجل أكرمك » ، وقوله :

وَإِنِّى لَآتِيكُمْ تَشَكُّرَ مَا مَضَى مِنَ الأَمْرِ وَاسْتِيجَابَ مَا كَانَ فِى غَدِ

أى : ما يكون فى غد : ٣٣٤

* « مَنْ » بمعنى الترجمة والتفسير : ٤٨٩

* « مِنْ » التى يجوز إسقاطها من الكلام ، لا تكون إلا مع الجحد نحو : « ما بالدار من أحد » : ٤٨٩

* « مِنْ » الزائدة نحو : « قد كان من حديث » : ٤٨٩

* « ها أنتم أولاء » و « ها أنتم هؤلاء » : ١٤٩

* « هذا » تعرف المجهولات غير الموقتة ، مثل « هذا الذى أكرمك » ، عرّفه دخول « هذا » : ٣٣٥

* « هذا » حين يراد بها التقريب ، واحتياجها إلى اسم مرفوع وخبر منصوب نحو : « كيف أخاف الظلم وهذا الخليفة قادماً » ، وقولهم : « هذا عمرو قائماً » : ١٤٩ ، ١٥٠

* « ها أنذا » و « ها أنا هذا » : ١٥٠

* « الواو » مجيئها ظرفاً للفعل ، فى نحو قوله : « والسماء بنيناها بأيد » بنصب « السماء » : ٣٢١

* « الواو » واو الحال وحذفها لدلالة الكلام على معناها نحو : « قتل الأمير معه جيش عظيم » ، بمعنى : ومعه جيش عظيم : ٢٦٥

* « الواو » دخولها فى الكلام ومعناها السقوط ، نحو « فلما أسلما وتله للجبين ونادياه » ، بمعنى : ناديناه : وقول الشاعر :

حتَّى إذا قَمِلَتْ بطونُكُمْ ... وَرَأَيتُمُ أبناءكُمْ شَبُّوا
وقلبتُمُ ظهرَ المجَنّ لنَا ... إنَّ اللئيمَ العاجِزَ الخَبُّ

أى : قلبتم : ٢٩٢ ، ٢٩٣

* * *

* تكرير الظاهر من الأسماء ، كقولهم : « أما زيدٌ فذهب زيدٌ » ، وقال الشاعر :

لاَ أرَى المَوْتَ يَسْبِقُ المَوْتَ شيءٌ ... نغَّص المَوْتُ ذا الغِنَى والفقيرا

فأظهر فى موضع الإضمار : ٩٩ ، ١٠٠

* « التوكيد » فى قولهم : « رأيته بعينى وسمعته بأذنى » : ٢٤٨

* « الجزاء » الاستفهام يكون مع حرف الجزاء ، ومعناه يكون فى جوابه نحو : « أفإن مات أو قتل انقلبتم » ، أى : أفتنقلبون على أعقابكم إن مات محمد أو قتل : ٢٥٩

* الاستئناف فى العطف على جواب الجزاء ورفعه ، كقوله : « وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون » : ١١٠

* « الصرف » يكون مع جحد أو استفهام أو نهى فى أول الكلام، مثل : « لا يسعنى شىء ويضيقَ عنك » فلا يحسن إعادة « لا » مع « ويضيق » فتنصب على الصرف عن معنى الأول : ٢٤٧

* « التأنيث » تأنيث المصادر ليس بالتأنيث اللازم ، فيجوز فيما خرج منها على لفظ المؤنث ، تأنيثه وتذكيره ، تقول : « وقد بدت البغضاء من أفواههم » و « قد بدا البغضاء من أفواههم » : ١٤٦ ، ١٤٧

* « الاستفهام » إذا جاء الاستفهام فى أول الكلام ، ترك اكتفاء بدلالته عليه فى باقيه : ٢٥٩ ، ٢٦٠

* كل استفهام دخل على جزاء ، فمعناه أن يكون فى جوابه ، لأن الجواب خبر يقوم بنفسه ، والجزاء شرط لذلك الخبر ، ثم يجزم جوابه وهو كذلك ومعناه الرفع ، لمجيئه بعد الجزاء ، وجائز أن تقول : أفإن مت يخلدوا ، ويخلدون : ٢٥٩

* « المفاعلة » تكون فى كلام العرب من فريقين ، أو اثنين فصاعداً ، ولا تكون من واحد إلا قليلا فى أحرف معدودة : ٥٠٨

* الأسماء التى تأتى بلفظ الواحد، مؤدية معناه إذا ذكر بلفظ ، وهى بمعنى الجمع عن الجميع : ٥٥٩

* « المعدول » نحو « عمر » عن « عامر » و « زفر » عن « زافر » ، و « مثنى » عن « اثنين » : ٥٤٣

* نصبُ نعت النكرة إذا خرج مخرج المصدر ، كقوله : « لك علىّ حقاً واجباً » : ٥٩٩

* ولا يجوز أن يقال : « لك عندى حق درهماً » ، بالنصب ، لأن « درهم » اسم صحيح : ٥٩٩

* نصب « حقاً » وأشباهها وإعرابها : ٢٦١ ، ٢٦٢

* رفع الفعل فى مثل قوله : « ولا يؤذن لهم فيعتذرون » وقد نصب فى قوله : « لا يقضى عليهم فيموتوا » : ١١٠

* العطف بظاهر على مكنىّ غير فصيح فى كلام العرب ، إلاّ فى ضرورة الشعر : ٥١٩ ، ٥٢٠

* ردّ الضمير إلى الكل بعد ذكر البعض ، كقوله :

رأتْ مَرَّ السِّنِينَ أَخَذْنَ مِنِّى كما أَخَذَ السِّرَارُ من الهِلالِ

ذكر « مر السنين » ثم رجع إلى الخبر عن « السنين » : ٨٦ ، ٨٧

* « العطف » عطف الأسماء على الحروف وما دخلت عليه مثل : « دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً » ، وقوله : « قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم » : ٤٧٥

* خطأ أن يقال : « لتكرمنّ هذا الذى أكرمك إذا زرته » ، لأنّ « الذى » بدخول « هذا » صارت معرفة ، ولو لم يكن « هذا » فى الكلام جاز : ٣٣٤ ، ٣٣٥

* « الاستثناء المنقطع » الذى هو مخالف معنى ما قبله ، كقولهم : « ما اشتكى شيئاً إلاّ خيراً » : ١٠٨

* « الحال » لا تكون إلاّ بصور الأسماء والأفعال المستقبلة دون الماضى منها : ١٤٤

* « الحال » مجىء الخبر بلفظ الماضى فى محل الحال والقطع بعد تمام الخبر : ١٤٤

* « المضاف » حذفه لمعرفة السامع به ، كقوله :

حَسِبْتَ بُغَامَ رَاحِلَتِى عَنَاقاً وَمَا هِىَ وَيْبَ غَيْرِكَ بِالْعَنَاقِ

يريد : صوت عناق : ٢٠٨

* حرف الجرّ ، واجتلاب الفعل المضمر له فى الكلام ، كقوله :

رأتْنى بِحَبْلَيْها فَصَدَّتْ مَخَافَةً وفى الحَبْل رَوْعاء الفُؤادِ فَرُوقُ

أراد : « أقبلت بحبليها » : ١١٣ ، ١١٤

* النكرة ، لا يصلح أن يتبع المعرفة فى الإعراب : ٢٥ ، ٢٦

* نقل فعل النفوس إلى أصحاب النفوس فى نحو قوله : « ضقت بهذا الأمر ذرعاً » والمعنى : ضاق به ذرعى : ٥٥٧

* الاكتفاء بالواحد عن الجمع فى مثل قولك : « ضقتُ به ذرعاً ، وأذرعاً » : ٥٩٩

* المقدم الذى معناه التأخير : ٢٩٢

* * *

* كتاب الله عز وجل ، لا توجه معانيه وما فيه من البيان ، إلى الشواذ من الكلام والمعانى ، وله فى الفصيح من المنطق والظاهر من المعانى المفهوم ، وجه صحيح موجود : ١٠٠

• إنما يوجه الكلام إلى الأغلب المعروف فى استعمال الناس من معانيه ، دون الخفى ، حتى تأتى بخلاف ذلك مما يوجب صرفه إلى الخفى من معانيه — حجة يجب التسليم لها من كتاب ، أو خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو إجماع من أهل التأويل : ٥٠٩

• إذا اختلفت القراآت فى الألفاظ واتفقت فى المعانى ، فأعجبها إلى أبى جعفر ما كان أظهر وأشهر فى قرأة أمصار الإسلام : ٥٦٩

فهرس التفسير

٣ تصدير الجزء السابع

٧ تفسير قوله تعالى : « كل الطعام كان حلا لبنى إسرائيل »

٧ اختلاف أهل التأويل فى الذى حرم إسرائيل على نفسه ، هل نزل فى التوراة أم لا ؟

من قال إنه لم يحرّم فى التوراة بل حرمه إسرائيل فاتبعوه ، وتكذيب الله إياهم فى إضافتهم ذلك إليه سبحانه .

١١ اختلاف أهل التأويل فى الذى حرمه إسرائيل على نفسه = وأنه العروق .

١٣ أنه لحوم الإبل وألبانها .

١٧ الحنيفية ، وأنها الاستقامة على الإسلام وشرائعه .

١٩ بيت الله بمكة . ذكر من قال إنه ليس أول بيت وضع فى الأرض ، وأن قبله بيوتاً كثيرة .

٢٠ ذكر من قال إنه أول بيت وضع للناس او اختلافهم فى صفة وضعه أول .

٢١ ذكر من قال إن موضع الكعبة موضع أول بيت وضعه الله فى الأرض .

٢٣ الفرق بين « بكة » و « مكة » والآثار فى ذلك .

٢٦ الآيات البينات فى البيت الحرام .

٢٩ أمن من دخل الحرم من أهل الجرائر فى الجاهلية ، وأنّ الحرم فى الإسلام لا يمنع حدود الله .

٣٠ أن الحرم كذلك هو فى الإسلام ، لأن الإسلام زاده تعظيما ، وأن صاحب الجريرة يخرج منه ثم يقام عليه الحدّ ، والآثار فى ذلك .

٣٤ اختيار أبى جعفر أن المحدث إذا عاذ بالبيت ، أمن ، ولكن يخرج فيقام عليه الحدّ ، واحتجاجه لذلك .

٣٥ حجة أبى جعفر فى إخراج العائذ بالبيت .

٣٧ تفصيل القول فى السبيل التى يجب مع استطاعتها فرض الحج .

٣٨ القول فى حديث سبيل الحج ، وأنه الزاد والراحلة .

٣٩ بيان أن الكفر بالحج كفر بالله .

٥٤ ذكر الخبر عن اليهودى الذى أغرى بين الأوس والخزرج ، ورسول الله بين أظهرهم ، فى الآثار من ٧٥٢٤ — ٧٥٣٠ ، ثم ٧٥٣٥ .

٧٤ افتراق بنى إسرائيل على إحدى وسبعين فرقة ، والأمر بالطاعة ولزوم الجماعة .

٧٧ أخبار الأوس والخزرج ، وتطاول الحرب بينهم فى الجاهلية عشرين ومئة سنة .

٧٨ خبر سويد بن الصامت ، ومجلة لقمان ، ولقاؤه رسول الله .

٧٩ خبر عرض رسول الله نفسه على القبائل ، ولقاؤه النفر من الأوس فيهم إياس ابن معاذ .

٨٢ خبر حرب ابن سمير ، بين الأوس والخزرج .

٨٧ خبر فى ذكر العرب وما كانوا عليه فى الجاهلية من الشقاء والخوف بين فارس والروم .

١٠٠ معنى قوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » والآثار فى ذلك .

١٠٧ ذكر الذين آمنوا من أهل الكتاب .

١١٠ بيان معنى « الحبل » الذى يأمن به اليهود على أنفسهم من المؤمنين .

١١٢ أن اليهود مستذلون حيث كانوا من البلدان ، وليس بلد فيه أحد من النصارى إلا وهم فوقهم .

١٢٠ الذين أسلموا من يهود فحسن إسلامهم .

١٢٧ الخبر عن صلاة العشاء ، وأنه لا يصلى هذه الصلاة أحدٌ من أهل الكتاب .

١٣٨ النهى عن اتخاذ بطانة من غير المؤمنين .

١٤٠ ما كان من مخالطة المسلمين حلفاءهم من اليهود ، فنهاهم الله عن مصافاتهم واستنصاحهم واستشارتهم .

١٤٢ حديث النهى عن الاستضاءة بنار أهل الشرك ، وعن النقش فى الخواتيم عربياً ، ومعنى ذلك .

١٥٩ ذكر يوم أحد .

١٦١ هم الطائفتين بالفشل كان يوم أحد دون يوم الأحزاب ، وتاريخ غزوة أحد وأخبارها .

١٦٥ الطائفتان هم بنو سلمة وبنو حارثة ، والأخبار فى ذلك .

١٦٩ ذكر يوم بدر ، والسبب الذى من أجله سمىّ المكان « بدراً » .

١٧٣ حضور الملائكة مدداً فى حرب المسلمين ، فى بدر وغيره ، والآثار فى ذلك .

١٧٨ حضور الملائكة مدداً فى غزوة بنى قريظة ، والآثار فى ذلك .

١٨٥ تسويم الملائكة وكيف كان .

١٩٥ شج رسول الله فى يوم أحد ، وما نزل من الآية فى ذلك .

١٩٩ دعاء رسول الله على أربعة نفر ، ونزول الآية فى ذلك .

٢٠٤ أكل الربا فى الجاهلية ، وكيف كان .

٢٠٨ حديث سؤال رسول الله عن الجنة عرضها السموات والأرض ، فقيل : فأين النار ؟

٢١٩ كيف كانت الكفارة فى بنى إسرائيل ، والخبر عن ذلك .

٢٢٠ حديث : « ما من عبد مسلم يذنب ذنباً ، ثم يتوضأ ، ثم يصلى ركعتين ، ثم يستغفر الله ، إلا غفر له » .

٢٢٥ حديث : « ما أصرّ من استغفر ، وإن عاد فى اليوم سبعين مرة » .

٢٣٥ من أخبار أحد وانهزام المسلمين يومئذ .

٢٣٧ ما أصاب المسلمين يوم أحد .

٢٤٠ من أخبار أحد .

٢٤٨ تمنى من غاب عن يوم بدر ، يوماً كيوم بدر .

٢٥٢ خبر من انهزم يوم أحد ، وما فشا فى الناس من أن رسول الله قد قتل .

٢٨١ أخبار الرماة يوم أحد ، وما كان من مخالفتهم أمر رسول الله .

٢٩٠ تتمة القول فى أخبار مخالفة الرماة يوم أحد .

٢٩٤ تتمة أخبار الرماة فى أحد .

٢٩٨ ما أصاب المسلمين من القتل والجراحة فى أحد .

٣٠١ صعود المسلمين الجبل يوم أحد ، ودعاء الرسول : « إلىّ عباد الله »

٣٠٥ تتمة الأخبار عما أصاب المسلمين يوم أحد .

٣٠٨ تتمة فى أخبار أحد ، وما فشا فى الناس أن رسول الله قد قتل .

٣١٦ ذكر الطائفتين ، الطائفة التى غشيها النعاس والأمنة ، فى أحد .

٣٢٠ والطائفة التى ظنت ظنّ الجاهلية ، ومقالتهم : « هل لنا من الأمر شىء » .

٣٤٠ صفة رسول الله فى القرآن ، ثم فى التوراة .

٣٤٤ أمر رسول الله بمشاورة المسلمين ، ومقالة أبى جعفر فى سبب الأمر بالمشاورة .

٣٥٦ الآثار الواردة فى الغلول .

٣٧٢ من أخبار يوم أحد ، ومشاورة رسول الله أصحابه قبل لقاء عدوهم ، ورؤيا رسول الله .

٣٧٤ خبر فداء الأسارى يوم بدر .

٣٧٨ خبر الخروج إلى يوم أحد ، وما كان من خبر من انخزل عن رسول الله .

٣٨٤ أخبار الشهداء يوم أحد ، وأن أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة.

٣٩٩ استجابة المسلمين لرسول الله ، وخروجهم بعد أحد إلى حمراء الأسد .

٤٠٦ تتمة الأخبار فى خروج المسلمين إلى حمراء الأسد .

٤١٣ تحقيق أبى جعفر فى تاريخ غزوة بدر ، وأحد ، وبدر الصغرى ، وحمراء الأسد ، ووقعة الرجيع .

٤١٤ تتمة أخبار حمراء الأسد .

٤٣٣ الآثار الواردة فى الذى يبخل على ذوى رحمه ، وتطويقه يوم القيامة شجاعاً أقرع .

٤٤١ خبر فنحاص اليهودى وغيره ممن قال : « إن الله فقير ونحن أغنياء » .

٤٥٥ تتمة خبر فنحاص اليهودى .

٤٥٦ خبر مقتل كعب بن الأشرف اليهودى .

٤٦٠ الآثار فى كتمان العلم ، والتحذير من كتمانه

٣٦٥ الذين يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا من اليهود وغيرهم .

٤٨٦ حديث أم سلمة إذ قالت : « يا رسول الله ، تذكر الرجال فى الهجرة ولا نذكر » .

٤٩٦ النجاشى ، وصلاة رسول الله عليه بعد موته .

٥٠٣ كتاب أبى عبيدة إلى عمر فى شأن الروم ، ورد عُمر عليه .

٥٠٤ الآثار الواردة فى معنى « الرباط » .

* * *

﴿ تَفْسِيرُ سُورَةِ النِّسَاء ﴾

٥١٣ القول فى تفسير السورة التى يذكر فيها النساء .

٥١٤ خلق آدم وحواء .

٥٣١ الإقساط فى اليتامى ، كيف هو ، والنهى عن نكاح ما فوق الأربع .

٥٣٦ زواج الجاهلية .

٥٧٦ بيان معنى « الرشد » ، وحجة أبى جعفر فى ذلك .

٥٨٨ حديث ابن عباس فيما يحل من أكل مال اليتيم بالمعروف .

٥٩٣ كلام نفيس فى معنى « الأكل من مال اليتيم بالمعروف » .

* * *

٦٠٣ فهرس الآيات التى استدل بها فى غير موضعها من التفسير .

٦٠٧ فهرس اللغة .

٦١٤ فهرس أعلام المترجمين فى التعليق .

٦٢٦ فهرس المصطلحات .

٦٢٧ فهرس مباحث العربية والنحو وغيرها .

٦٤٣ فهرس التفسير .

تم إيداع هذا المصنف بدار الكتب والوثائق القومية
تحت رقم ٤١٨٦ / ١٩٧١

تراث الإسلام

تفسير الطبري

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ - ٣١٠ هـ

٨

حققه وعلق حواشيه
محمود محمد شاكر

راجعه وخرج أحاديثه
أحمد محمد شاكر

الناشر
مكتبة ابن تيمية
القاهرة ت ٨٦٤٢٤٠

الجزء الثامن

وفيه

تفسير سورة النساء

من ٨ — ٨٧

والآثار من ٨٦٥٨ — ١٠٠٤٨

تفسير الطبري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله القاهر فوق عبادِهِ ، بيده ملكوت السموات والأرض ، لا إلهَ إلاّ هو الكبير المُتعَال . والصلاةُ والسلامُ على محمّدٍ نبيّ الملحمة ، أرسلهُ الله ليكون للناسِ إمامًا ، وأنزل معه الكِتابَ والفُرْقانَ ليفصل بهَدْيِهِ بين الحقّ والباطِلِ ، وأيّده بالفئة المؤمنة التى جاهدَت فى الله حقّ جهاده ، حتى كانت كلمةُ الله هى العليَا ، وكَلِمةُ الذين كفروا السُّفْلَى .

اللهُمَّ نَصرَكَ يا ناصِرَ عبادِكَ المؤمنين ، وقاهِرَ الجبابرة المتكبِّرين . اللهُمَّ أيِّدنا بروحٍ منك ، وأنزل على قلوبنا السكينة ، وثبّت أقدامنا فى الرَّوع ، ويسِّرنا لبذل أموالنا وأنفسنا فى جهاد عدوّنا وعدوّك ، واجعل لنا من لدنك سلطاناً نصيرًا .

يومٌ من أيّام البلاء الذى يَبتلى الله به عباده الصابرين ، ليمحِّص قلوبَهم ، ويلزمهم كلمة التقوى ، وكانوا أحقّ بها وأهلَها ، ويُثيبَهم من بعد ذلك فتحاً قريباً .

يومٌ يذكُرُهُ كُلّ مُسْلِمٍ فى الأرضِ ، يومٌ بَغَى فيه أهل البَغْى والفجور على أرضٍ مؤمنةٍ عُدْواناً وظُلْماً ، يومٌ من أيّام مَلاحِمنا الباقية فى تاريخ الأمم ، تعاوَتْ علينا فيه دُوَل الطُّغيانِ البَذِىء الفاجِر بغدْرٍ وخسّةٍ ونذالةٍ .

يومٌ باقٍ فى قلبِ كُلّ مؤمنٍ ، يذكّره بهذه العداوة التى تلتهبُ بها صدور أقوامٍ يخادعوننا فى السِّلْم ، ليغتالونا فى الحربِ . فاللهُمَّ أحيِ فى قلوبنا عداوة أعدائنا وأعدائِك ، وبصِّرنا فى ظُلْمـةِ الفتنِ ، واملأ قلوبنَا صبراً ، وانفثْ فى نفوسنَا ناراً تَبْهَى عدُوّنَا أن يظنَّ بنَا التَّسليم لطغيانه ، والمخافة من بأسِه .

لقد بُغِى علينَا ، فاللهُمَّ حَبِّبْ إلينا الإيمانَ بك ، وثبِّتْنا على التصديق بوعدِك ، واجعَل الشهادةَ فى سبيلك غايتَنَا ، والجهادَ فى سبيل دينِك هادِيَنَا ، وانصرنَا نصراً مؤزَّراً ، واجعَلْ أيدينا نكالاً للباغينَ ، وأنت وحدَك أشدُّ بأسًا وأشدُّ تنكيلاً ، فَنَكِّلْ بهم حيثُ كانوا ، لك العزّةُ فى السموات والأرضِ .

اللهُمَّ اغفر لنا ، وتُبْ علينا ، وانصرنا على القوم الكافرين ؟

محمود محمد شاكر

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ (٨)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى حكم هذه الآية ، هل هو محكم أو منسوخ ؟

فقال بعضهم : هو محكم .

* ذكر من قال ذلك :

٨٦٥٨ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن الشيبانى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : محكمة ، وليست منسوخة = يعنى قوله : « وإذا حضر القسمة أولو القربى » الآية . ٤/١٧٧

٨٦٥٩ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا الأشجعى ، عن سفيان ، عن الشيبانى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس مثله .(١)

٨٦٦٠ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم والشعبى قالا : هى محكمة .(٢)

٨٦٦١ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : واجب ، ما طابت به أنفس أهل الميراث .

---

(١) الأثر : ٨٦٥٩ – هذا الأثر ساقط من المطبوعة ، وخلط بينه وبين الذى يليه .

(٢) الأثر ٨٦٦٠ – كان فى المطبوعة : « حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا الأشجعى ، عن سفيان . . . » ، وضع « الأشجعى » من الإسناد السالف الذى أسقطه ، مكان « ابن يمان » ، فأعدتها إلى الصواب من المخطوطة .

٨٦٦٢ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا الأشجعي ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: « وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين»، قال : هي واجبة على أهل الميراث ، ما طابت به أنفسهم .

٨٦٦٣ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا الأشجعي ، عن سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم والشعبي قالا : هي محكمة ، ليست بمنسوخة .

٨٦٦٤ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا يحيى بن عبد الرحمن ، عن سفيان = وحدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري= عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : هي واجبة على أهل الميراث ، ما طابت به أنفسهم .

٨٦٦٥ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير : أنه سئل عن قوله : « وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفاً » ، فقال سعيد : هذه الآية يتهاون بها الناس . قال : وهما وليّان، أحدهما يرث، والآخر لا يرث. والذي يرث هو الذي أمر أن يرزقهم = قال : يعطيهم = قال : والذي لا يرث هو الذي أمر أن يقول لهم قولاً معروفاً . وهي محكمة وليست بمنسوخة .

٨٦٦٦ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم بنحو ذلك = وقال : هي محكمة وليست بمنسوخة .

٨٦٦٧ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن مطرف ، عن الحسن قال : هي ثابتة ، ولكن الناس بخلوا وشحّوا .

٨٦٦٨ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا منصور والحسن قالا : هي محكمة وليست بمنسوخة .

٨٦٦٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا عباد بن العوّام ، عن الحجاج، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس قال : هي قائمةٌ يعمل بها .

٨٦٧٠ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ،

عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه » ، ما طابت به الأنفس ، حقًّا واجباً .

٨٦٧١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن الحسن والزهري قالا في قوله : « وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه » ، قال : هي محكمة .

٨٦٧٢ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا منصور ، عن قتادة ، عن يحيى بن يعمر قال : ثلاث آيات محكمات مدنيات تركهن الناس : هذه الآية ، وآية الاستئذان : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [سورة النور : ٥٨] ، وهذه الآية ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى ﴾ [سورة الحجرات : ١٣] .

٨٦٧٣ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال ، كان الحسن يقول : هي ثابتة .

* * *

وقال آخرون : منسوخة .

* ذكر من قال ذلك :

٨٦٧٤ – حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ، حدثنا ابن أبي عدي ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد أنه قال في هذه الآية : « وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين » ، قال : كانت هذه الآية قسمة قبل المواريث ، فلما أنزل الله المواريث لأهلها ، جعلت الوصية لذوي القرابة الذين يحزنون ولا يرثون .

٨٦٧٥ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا قرة بن خالد ، عن قتادة قال : سألت سعيد بن المسيب عن هذه الآية « وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين » ، قال : هي منسوخة .

٨٦٧٦ ــ حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب قال : كانت هذه قبل الفرائض وقسمة الميراث ، فلما كانت الفرائض والمواريث ، نُسخت . ٤/١٧٨

٨٦٧٧ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن السدى ، عن أبى مالك قال : نسختها آية الميراث .

٨٦٧٨ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا الأشجعى ، عن سفيان ، عن السدى ، عن أبى مالك مثله .

٨٦٧٩ ــ حدثنا محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنا عمى قال ، حدثنا أبى، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى » الآية، إلى قوله : « قولاً معروفاً »، وذلك قبل أن تنزل الفرائض، فأنزل الله تبارك وتعالى بعد ذلك الفرائض، فأعطى كل ذى حق حقّه، فجعلت الصدقه فيما سمّى المتوفّى.

٨٦٨٠ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك قال : نسختها المواريث .

* * *

وقال آخرون : « هى محكمة وليست بمنسوخة ، غير أنّ معنى ذلك : « وإذا حضر القسمة » ، يعنى بها قسمة الميت ماله بوصيته لمن كان يوصى له به » . قالوا : وأمر بأن يجعل وصيته فى ماله لمن سماه الله تعالى فى هذه الآية .

* ذكر من قال ذلك :

٨٦٨١ ــ حدثنا سعيد بن يحيى الأموى قال، حدثنا ابن المبارك ، عن ابن جريج ، عن ابن أبى مليكة ، عن القاسم بن محمد : أن عبد الله بن عبد الرحمن قَسَم ميراث أبيه ، وعائشة حية ، فلم يدع فى الدار أحداً إلا أعطاه ، وتلا هذه الآية : « وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه » . قال

القاسم : فذكرت ذلك لابن عباس فقال : ما أصاب ، إنما هذه الوصية = يريد الميت ، أن يوصى لقرابته .(١)

٨٦٨٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن جريج قال ، أخبرنى ابن أبى مليكة: أن القاسم بن محمد أخبره ، أن عبد الله ابن عبد الرحمن بن أبى بكر قسم ، فذكر نحوه .

٨٦٨٣ – حدثنا عمران بن موسى الصَّفَّار قال ، حدثنا عبد الوارث بن سعيد قال ، حدثنا داود ، عن سعيد بن المسيب فى قوله : « وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين » ، قال : أمر أن يوصى بثلثه فى قرابته .(٢)

٨٦٨٤ – حدثنا ابن المبارك قال ، حدثنا عبد الأعلى قال، حدثنا داود ، عن سعيد بن المسيب قال : إنما ذلك عند الوصية فى ثلثه .

٨٦٨٥ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا داود ، عن سعيد بن المسيب : « وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه » ، قال : هى الوصية من الناس .

٨٦٨٦ – حدثنا يونس قال ،أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين » ، قال : القسمة الوصية ، كان الرجل إذا أوصى قالوا: «فلان يقسم ماله» . فقال ، « ارزقوهم منه » . يقول : أوصوا لهم . يقول للذى يوصى : « وقولوا لهم قولاً معروفاً» ، فإن لم توصوا لهم فقولوا لهم خيراً.

* * *

(١) الأثر : ٨٦٨١ – « سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى » مضت ترجمته فى : ٢٢٥٥ ، وفى مواضع أخرى . وكان فى المطبوعة : « يحيى بن سعيد الأموى » ، قدم وأخر ، والصواب من المخطوطة . و « عبد الله بن عبد الرحمن » هو : « عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق » ، وهو ابن أخت أم سلمة ، زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) الأثر : ٨٦٨٣ – « عمران بن موسى الصفار » ، مضت ترجمته برقم : ٢١٥٤ ، ولكنه موصوف فى التهذيب وابن أبى حاتم « القزاز » . فهذا اختلاف ينبغى أن يقيد .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصحة ، قول من قال : « هذه الآية محكمة غير منسوخة ، وإنما عنى بها الوصية لأولى قربى الموصى = وعنى باليتامى والمساكين : أن يقال لهم قول معروف » .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصحة من غيره ، لما قد بينا فى غير موضع من كتابنا هذا وغيره ، (١) أن شيئاً من أحكام الله تبارك وتعالى التى أثبتها فى كتابه أو بيّنها على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، غير جائز فيه أن يقال له ناسخ لحكم آخر ، أو منسوخ بحكم آخر ، (٢) إلا والحكمان اللذان قضى لأحدهما بأنه ناسخ والآخر بأنه منسوخ = نافٍ كل واحد منهما صاحبه ، غيرُ جائز اجتماع الحكم بهما فى وقت واحد بوجه من الوجوه ، وإن كان جائزاً صرفه إلى غير النسخ = أو تقولَ بأن أحدهما ناسخ والآخر منسوخ ، حجة يجب التسليم لها .

وإذْ كان ذلك كذلك ، لما قد دللنا فى غير موضع = وكان قوله تعالى ذكره : « وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه » ، محتملا أن يكون مراداً به : وإذا حضر قسمة مالِ قاسمٍ مالَه بوصيةٍ ، أولو قرابته واليتامى والمساكين ، فارزقوهم منه — يراد : فأوصوا لأولى قرابتكم الذين لا يرثونكم منه ، وقولوا لليتامى والمساكين قولا معروفاً ، كما قال فى موضع آخر : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة البقرة : ١٨٠] ، ولا يكون منسوخاً بآية الميراث = (٣) لم يكن لأحد صرفه إلى أنه منسوخ بآية الميراث ، إذ كان لا دلالة على أنه منسوخ بها من كتاب أو سنة ثابتة ، وهو محتمل من التأويل ما بيّنّا .

٤/١٧٥

* * *

(١) انظر ما سلف ٢ : ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٨٢ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥/٣ : ٣٨٥ ، ٥٦٣/٤ : ٥٨٢/٥ : ٤١٤/٦ : ٥٤ ، ١١٨

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « أو منسوخ لحكم » باللام ، والصواب بالباء .

(٣) السياق : « وإذ كان ذلك كذلك ، لما قد دللنا فى غير موضع . . . لم يكن لأحد . . . » وما بينهما عطف وفصل و بيان .

وإذْ كان ذلك كذلك ، فتأويل قوله : « وإذا حضر القسمة » ، قسمة الموصى ماله بالوصية، أولو قرابته = « واليتامى والمساكين فارزقوهم منه »، يقول: فاقسموا لهم منه بالوصية ، يعنى : فأوصوا لأولى القربى من أموالكم = « وقولوا لهم »، يعنى الآخرين، وهم اليتامى والمساكين = « قولا معروفاً » ، يعنى يدعى لهم بخير ، (١) كما قال ابن عباس وسائر من ذكرنا قوله قبلُ .

* * *

وأما الذين قالوا : « إنّ الآية منسوخة بآية المواريث » ، والذين قالوا : « هى محكمة ، والمأمور بها ورثة الميت » = فإنهم وَجّهوا قوله : « وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه » ، يقول : فأعطوهم منه = « وقولوا لهم قولا معروفاً » ، وقد ذكرنا بعضَ من قال ذلك ، وسنذكر بقية من قال ذلك ممن لم نذكره :

٨٦٨٧ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين » ، أمر الله جل ثناؤه المؤمنين عند قسمة مواريثهم أن يَصِلوا أرحامهم ويتاماهم من الوصية ، إن كان أوصَى . وإن لم تكن وصية ، وصَل إليهم من مواريثهم .

٨٦٨٨ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وإذا حضر القسمة أولو القربى » الآية ،يعنى : عند قسمة الميراث .

٨٦٨٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن هشام بن عروة: أن أباه أعطاهُ من ميراث المُصْعب، حين قسم ماله.

٨٦٩٠ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا

---

(١) انظر تفسير « قول معروف » فيما سلف ٧ : ٥٧٢ ، ٥٧٣ تعليق: ٢ = ثم ٥٨٢ ، تعليق: ١ ، والمراجع هناك .

عوف ، عن ابن سيرين قال : كانوا يرضخون لهم عند القسمة .[١]

٨٦٩١ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن مطر ، عن الحسن، عن حِطّان : أن أبا موسى أمر أن يُعْطَوا إذا حضر قسمة الميراث : أولو القربى واليتامى والمساكين والجيرانُ من الفقراء .

٨٦٩٢ – حدثنا محمد بن بشار قال ،حدثنا يحيي بن سعيد وابن أبي عدى ، ومحمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن يونس بن جبير ، عن حطان ابن عبد الله الرقاشي قال : قسم أبو موسى بهذه الآية : « وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين » .

٨٦٩٣ – حدثنا ابن المثنى قال ،حدثنا محمد ويحيي بن سعيد ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن يونس بن جبير ، عن حطّان ، عن أبي موسى فى هذه الآية : « وإذا حضر القسمة » الآية ، قال : قضى بها أبو موسى .

٨٦٩٤ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن العلاء بن بدر فى الميراث إذا قُسِم ، قال : كانوا يعطون منه التابوت والشيء الذى يُستحيي من قسمته .[١]

٨٦٩٥ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا داود ، عن الحسن وسعيد بن جبير ، كانا يقولان : ذاك عند قسمة الميراث .

٨٦٩٦ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن عاصم ،عن أبى العالية والحسن قالا : يرضخون ويقولون قولاً معروفاً ، فى هذه الآية : « وإذا حضر القسمة » .

* * *

ثم اختلف الذين قالوا : « هذه الآية محكمة ، وأن القسمة لأولى القربى

---

(١) رضخ له من ماله رضيخة : أعطاه عطية مقاربة أو قليلة .

(٢) أشكل على قوله : « التابوت » هنا ، وما أراد به

واليتامى والمساكين واجبة على أهل الميراث ، إن كان بعض أهل الميراث صغيراً فقسم عليه الميراث ولىُّ ماله » .

فقال بعضهم : ليس لولىّ ماله أن يقسم من ماله ووصيته شيئاً ، لأنه لا يملك من المال شيئاً ، ولكنه يقول لهم قولاً معروفاً . قالوا : والذى أمرَه الله بأن يقول لهم معروفاً ، هو ولى مال اليتيم إذا قسم مالَ اليتيم بينه وبين شركاء اليتيم ، إلا أن يكون ولى ماله أحد الورثة ، فيعطيهم من نصيبه ، ويعطيهم من يجوز أمره فى ماله من أنصبائهم . قالوا : فأما من مال الصغير ، فالذى يولَّى عليه ماله ، لا يجوز لولىّ ماله أن يعطيهم منه شيئاً ٤ / ١٨٠

* ذكر من قال ذلك :

٨٦٩٧ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن السدى ، عن أبى سعيد قال : سألت سعيد بن جبير ، عن هذه الآية : « وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه » ، قال : إن كان الميت أوصى لهم بشىء ، أنفذت لهم وصيتهم ، وإن كان الورثة كباراً رضخوا لهم ، وإن كانوا صغاراً قال وليهم : إنى لست أملك هذا المال وليس لى ، وإنما هو للصغار . فذلك قوله : « وقولوا لهم قولاً معروفاً » .

٨٦٩٨ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير فى هذه الآية : « وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولاً معروفاً » ، قال : هما وليان ، ولىٌّ يرث ، وولى لا يرث . فأما الذى يرث فيعطَّى ، وأما الذى لا يرث فقولوا له قولاً معروفاً .

٨٦٩٩ — حدثنى ابن المثنى قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنى داود ، عن الحسن وسعيد بن جبير كانا يقولان : ذلك عند قسمة الميراث . إن كان الميراث لمن قد أدرك ، فله أن يكسو منه وأن يطعم الفقراء والمساكين . وإن كان

وبطعام فصنع ، وقال : لولا هذه الآية لأحببت أن يكون من مالى . ثم قرأ هذه الآية : « وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه » ، الآية .

• • •

قال أبو جعفر : فكأن من ذهب من القائلين القولَ الذى ذكرناه عن ابن عباس وسعيد بن جبير ، ومن قال : « يرضخ عند قسمة الميراث لأولى القربى واليتامى والمساكين » ، تأول قوله : « فارزقوهم منه » ، فأعطوهم منه = وكأن الذين ذهبوا إلى ما قال عبيدة وابن سيرين ، تأولوا قوله : « فارزقوهم منه » ، فأطعموهم منه.

• • •

واختلفوا فى تأويل قوله : « وقولوا لهم قولاً معروفاً » .

فقال بعضهم : هو أمرٌ من الله تعالى ذكره ولاةَ اليتامى أن يقولوا لأولى قرابتهم ولليتامى والمساكين إذا حضروا قسمتهم مالَ من وَلُوا عليه ماله من الأموال بينهم وبين شركائهم من الورثة فيها ، أن يعتذروا إليهم ، على نحو ما قد ذكرناه فيما مضى من الاعتذار ، كما : —

٨٧٠٦ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، حدثنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير : « وقولوا لهم قولا معروفاً » ، قال : هو الذى لا يرث ، أمر أن يقول لهم قولا معروفاً . قال يقول : « إن هذا المال لقوم غُيَّب ، أو ليتامى صغار ، ولكم فيه حق ، ولسنا نملك أن نعطيكم منه شيئاً » . قال : فهذا القول المعروف .

• • •

وقال آخرون : بل المأمور بالقول المعروف الذى أمر جل ثناؤه أن يقال له ، هو الرجل الذى يوصى فى ماله = و« القول المعروف » ، هو الدعاء لهم بالرزق والغنى وما أشبه ذلك من قول الخير ، وقد ذكرنا قائلى ذلك أيضاً فيما مضى .[1]

• • •

(١) فى المطبوعة ، زاد بعد قوله : « فيما مضى » = « بما أغنى عن إعادته » ، كأنه استأنس بما أكثر أبو جعفر من تكرار مثل هذه الجملة ، ولكنها ليست فى المخطوطة ، والكلام هنا غنى عنها .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ (٩)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك :

فقال بعضهم : « وليخش » ، ليخف الذين يحضرون موصياً يوصى فى ماله أن يأمره بتفريق ماله وصيةً منه فيمن لا يرثه ،[1] ولكن ليأمره أن يبقى ماله لولده ، كما لو كان هو الموصى ، يسره أن يحثّه من يحضره على حفظ ماله لولده ، وأن لا يدعهم عالة مع ضعفهم وعجزهم عن التصرف والاحتيال .[2]

* ذكر من قال ذلك :

٨٧٠٧ – حدثنى على بن داود قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم » إلى آخر الآية ، فهذا فى الرجل يحضره الموت فيسمعه يوصى بوصية تضر بورثته ، فأمر الله سبحانه الذى سمعه أن يتقى الله ويوفقه ويسدده للصواب ، ولينظر لورثته كما كان يحب أن يُصنع لورثته إذا خشى عليهم الضَّيعة .

٨٧٠٨ – حدثنا على قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم » ، يعنى الذى يحضره الموت فيقال له : « تصدق من مالك وأعتق ، وأعط منه فى سبيل الله » . فنهوا أن يأمروه بذلك = يعنى أن من حضر

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « وصية به » ، والصواب ما أثبت .

(٢) انظر تفسير « الخشية » فيما سلف ١ : ٥٥٩ ، ٢/٥٦٠ : ٢٣٩ ، ٢٤٣ ، تعليق : ٣ = ثم انظر « الذرية » فيما سلف ٣ : ١٩ ، ٥/٧٣ : ٦/٥٤٣ : ٣٢٧ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ = ثم تفسير « الضعفاء » و « الضعاف » ٥ : ٥٤٣ ، ٥٥١ ، والأثر الآتى رقم : ٨٧٠٨ .

منكم مريضاً عند الموت فلا يأمره أن ينفق ماله فى العتق أو الصدقة أو فى سبيل الله ، ولكن يأمره أن يبيِّن ماله وما عليه من دين ، ويوصى فى ماله لذوى قرابته الذين لا يرثون ، ويوصى لهم بالخمس أو الربع . يقول : أليس يكره أحدكم إذا مات وله ولد ضعاف = يعنى صغار = أن يتركهم بغير مال ، فيكونوا عيالاً على الناس ؟ فلا ينبغى أن تأمروه بما لا ترضون به لأنفسكم ولا أولادكم ، ولكن قولوا الحق من ذلك . ٤/١٨٢

٨٧٠٩ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً » ، قال يقول : من حضر ميتاً فليأمره بالعدل والإحسان، ولينهه عن الحَيْف والجور فى وصيته ، وليخش على عياله ما كان خائفاً على عياله لو نزل به الموت .

٨٧١٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر، عن قتادة فى قوله : « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً » ، قال : إذا حضرتَ وصية ميت فمره بما كنت آمراً نفسك بما تتقرَّب به إلى الله ، وخَفْ فى ذلك ما كنت خائفاً على ضَعَفَةٍ ، لو تركتهم بعدك .[1] يقول : فاتّق الله وقل قولاً سديداً إن هو زاغ .

٨٧١١ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً » ، الرجل يحضره الموت ، فيحضره القوم عند الوصية ، فلا ينبغى لهم أن يقولوا له : « أوصِ بمالك كله ، وقدم لنفسك ، فإن الله سيرزق عيالك » ، ولا يتركوه يوصى بماله كله ، يقول للذين حضروا : « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم » ، فيقول : كما

---

(١) فى المطبوعة : « على ضعفتك » ، زاد إضافة الكاف ، وما فى المخطوطة صواب محض ، وعنى بقوله « ضعفة » : صغار .

يخاف أحدكم على عياله لو مات – إذ يتركهم صغاراً ضعافاً لا شيء لهم – الضيعة بعده ،[١] فليخف ذلك على عيال أخيه المسلم، فيقول له القول السديد .

٨٧١٢ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان، عن حبيب قال : ذهبت أنا والحكم بن عتيبة إلى سعيد بن جبير ، فسألناه عن قوله : « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً » الآية ، قال قال : الرجل يحضره الموت ، فيقول له من يحضره : « اتق الله، صلهم ، أعطهم، برّهم »، ولو كانوا هم الذين يأمرهم بالوصية ، لأحبوا أن يُبقوا لأولادهم .[٢]

٨٧١٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن سعيد بن جبير فى قوله : « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً » ، قال: يحضرهم اليتامى فيقولون : « اتق الله ، وصلهم ، وأعطهم » ، فلو كانوا هم، لأحبُّوا أن يبقوا لأولادهم .

٨٧١٤ – حدثنى يحيى بن أبى طالب قال، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً » ، الآية ، يقول : إذا حضر أحدكم من حضره الموتُ عند وصيته ، فلا يقل : «أعتق من مالك، وتصدق »، فيفرِّق ماله ويدع أهله عُيَّلاً ،[٣] ولكن مروه فليكتب ماله من دين وما عليه ، ويجعل من ماله لذوى قرابته خمس ماله ، ويدع سائره لورثته .

٨٧١٥ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « وليخش الذين لو تركوا

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « أن يتركهم صغاراً . . . » ، وهذا لا يستقيم ، فآثرت « إذ يتركهم » ، وصواب أيضاً أن تكون « إن تركهم صغاراً » .

(٢) الأثر : ٨٧١٢ – « الحكم بن عتيبة الكندى »، مضت ترجمته برقم : ٣٢٩٧، وكان فى المطبوعة : « بن عينية » وهو خطأ ، وفى المخطوطة غير منقوط . وانظر التعليق على الأثر : ٨٧١٦ .

(٣) « عيل » (بضم العين وتشديد الياء المفتوحة) و « عالة » جمع « عائل » : وهو الفقير المحتاج .

من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم » الآية ، قال : هذا يفرّق المال حين يقسم ، فيقول الذين يحضرون : « أقللت ، زد فلاناً » ، فيقول الله تعالى : « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم » ، فليخش أولئك ، وليقولوا فيهم مثل ما يحب أحدهم أن يقال فى ولده بالعَدل إذا أكثر : « أبق على ولدك » .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وليخش الذين يحضرون الموصى وهو يوصى = الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً فخافوا عليهم الضيعة من ضعفهم وطفولتهم = أن ينهوه عن الوصية لأقربائه ، وأن يأمروه بإمساك ماله والتحفظ به لولده ، وهم لو كانوا من أقرباء الموصى ، لسرّهم أن يوصى لهم .

* ذكر من قال ذلك :

٨٧١٦ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن حبيب قال : ذهبت أنا والحكم بن عتيبة ، فأتينا مِقْسَماً فسألناه = يعنى عن قوله : « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً » الآية = فقال : ما قال سعيد بن جبير ؟ فقلنا : كذا وكذا . فقال : ولكنه الرجل يحضره الموت ، فيقول له من يحضره : «اتق الله وأمسك عليك مالك ، فليس أحد أحقّ بمالك من ولدك » ، ولو كان الذى يوصى ذا قرابة لهم ، لأحبوا أن يوصى لهم .(١) ٤/١٨٣

٨٧١٧ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن حبيب بن أبى ثابت قال ، قال مِقسم : هم الذين يقولون : « اتق الله وأمسك عليك مالك » ، فلو كان ذا قرابة لهم لأحبوا أن يوصى لهم .

٨٧١٨ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن

---

(١) الأثر : ٨٧١٦ – « مقسم » ، هو « مقسم بن بجرة » . مضت ترجمته رقم : ٤٨٠٦ . وكان فى هذا الموضع أيضاً من المطبوعة « الحكم بن عيينة » ، والصواب كما أثبت ، وانظر التعليق على الأثر : ٨٧١٢ .

أبيه قال : زعم حضرمى وقرأ : « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً » ، قال قالوا : حقيقٌ أن يأمر صاحب الوصية بالوصية لأهلها ، كما أن لو كانت ذرية نفسه بتلك المنزلة ، لأحب أن يوصى لهم ، وإن كان هو الوارث ، فلا يمنعه ذلك أن يأمره بالذى يحق عليه ، فإن ولده لو كانوا بتلك المنزلة أحب أن يُحَثَّ عليه ، فليتق الله هو ، فليأمره بالوصية ، وإن كان هو الوارث ، أو نحواً من ذلك .(١)

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك ، أمرٌ من الله ولاةَ اليتامى أن يلُوهم بالإحسان إليهم فى أنفسهم وأموالهم ، ولا يأكلوا أموالهم إسرافاً وبداراً أن يكبروا ، وأن يكونوا لهم كما يحبون أن يكون ولاة ولده الصِّغار بعدهم لهم بالإحسان إليهم ، لو كانوا هم الذين ماتوا وتركوا أولادهم يتامَى صغاراً .

* ذكر من قال ذلك :

٨٧١٩ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم » ، يعنى بذلك الرجلَ يموت وله أولاد صغارٌ ضعاف ، يخاف عليهم العَيْلة والضيعة ، ويخاف بعده أن لا يحسن إليهم من يليهم ، يقول : فإن ولى مثل ذريته ضعافاً يتامى ، فليحسن إليهم ، ولا يأكل أموالهم إسرافاً وبداراً خشية أن يكبروا ، فليتقوا الله وليقولوا قولا سديداً .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً » ، يكفهم الله أمر ذريتهم بعدهم .

---

(١) فى المخطوطة : « فليق الله هو قلت أمره بالوصية » ، وهو كلام غير مفهوم ، ولم أهتد لصحة وجهه ، فتركت ما فى المطبوعة على حاله ، وإن كانت الجملة كلها عندى غير مرضية فى المخطوطة والمطبوعة جميعاً ، وأخشى أن يكون سقط منها شىء .

* ذكر من قال ذلك :

٨٧٢٠ – حدثنا إبراهيم بن عطية بن رديح بن عطية قال ، حدثني عمي محمد بن رُدَيح ، عن أبيه ، عن السَّيْبانى قال : كنا بالقسطنطينية أيام مسلمة ابن عبد الملك ، وفينا ابن محيريز وابن الديلمى ، وهانئ بن كلثوم ، قال : فجعلنا نتذاكر ما يكون فى آخر الزمان . قال : فضقت ذرعاً بما سمعت . قال : فقلت لابن الدَّيلمى : يا أبا بشر ، بودّى أنه لا يولد لى ولدٌ أبداً ! قال : فضرب بيده على مَنْكبي وقال : يا ابن أخى ، لاتفعل ، فإنه ليست من نسمة كتب الله لها أن تخرج من صلب رجل إلا وهى خارجة ، إن شاء ، وإن أبى . قال : ألا أدلّك على أمرٍ إنْ أنت أدركته نجاك الله منه ، وإن تركت ولدك من بعدك حفظهم اللهُ فيك ؟ قال : قلت : بلى ! قال : فتلا عند ذلك هذه الآية : « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً » .(١)

* * *

(١) الأثر : ٨٧٢٠ – « إبراهيم بن عطية بن رديح بن عطية » لم أجد له ترجمة . و « محمد بن رديح » لم أجد له ترجمة ، ولكنه مذكور فى ترجمة أبيه فى التهذيب أنه روى عنه ابنه « محمد » . وأما « رديح بن عطية القرشى السامى » ، مؤذن بيت المقدس روى عن السيبانى ، ثقة ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/١/٣٠٦ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٥١٨ . وكان فى المطبوعة « دريج » فى الموضعين جميعاً وهو خطأ ، والصواب من المخطوطة .

وأما « السيبانى » فهو : « يحيى بن أبى عمرو السيبانى » بالسين المهملة ، نسبة إلى « سيبان » وهو بطن من حمير . وهو ابن عم الأوزاعى . مترجم فى التهذيب . وكان فى المطبوعة : « الشيبانى » بالشين المعجمة ، والصواب ما فى المخطوطة .

وأما « ابن محيريز » ، فهو : « عبد الله بن محيريز الجمحى » سكن بيت المقدس ، روى عن أبى سعيد الخدرى ، ومعاوية وعبادة بن الصامت وغيرهم من الصحابة . وكان الأوزاعى لا يذكر خمسة من السلف إلا ذكر فيهم ابن محيريز ، ورفع من ذكره وفضله . وهو تابعى ثقة من خيار المسلمين .

وأما « ابن الديلمى » ، فهو « عبد الله بن فيروز الديلمى » أبو بشر ، ويقال : أبو بسر ، بالسين المهملة ، كان يسكن بيت المقدس ، روى عن جماعة من الصحابة ، روى عنه يحيى بن أبى عمر السيبانى . وهو تابعى ثقة . مترجم فى التهذيب .

وأما « هانئ بن كلثوم بن عبد الله بن شريك الكنانى » فهو من فلسطين ، وكان عابداً روى عن

قال أبو جعفر : وأولى التأويلات بالآية ، قول من قال : تأويل ذلك : وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم العَيْلة لو كانوا فرقوا أموالهم فى حياتهم ، أو قسموها وصية منهم بها لأولى قرابتهم وأهل اليُتم والمسكنة ، فأبقوا أموالهم لولدهم خشية العَيْلة عليهم بعدهم ، مع ضعفهم وعجزهم عن المطالب ، فليأمروا من حضروه وهو يوصى لذوى قرابته — وفى اليتامى والمساكين وفى غير ذلك — بماله بالعدل = وليتقوا الله وليقولوا قولا سديداً ، وهو أن يعرّفوه ما أباح الله له من الوصية ، وما اختاره للموصين من أهل الإيمان بالله وبكتابه وسنته . (١)

وإنما قلنا ذلك بتأويل الآية أولى من غيره من التأويلات ، لما قد ذكرنا فيما مضى قبل : (٢) من أن معنى قوله : « وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولاً معروفاً » = وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فأوصوا لهم — بما قد دللنا عليه من الأدلة . ٤/ ١٨٤

فإذ كان ذلك تأويل قوله : « وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين » الآية ، فالواجب أن يكون قوله تعالى ذكره : « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم » ، تأديباً منه عبادَه فى أمر الوصية بما أذِنهم فيه ، إذ كان ذلك عَقِيب الآية التى قبلها فى حكم الوصية ، وكان أظهرَ معانيه ما قلنا ، فإلحاق حكمه بحكم ما قبله أولى ، مع اشتباه معانيهما ، من صرف حكمه إلى غيره بما هو له غير مشبه .

* * *

عمر بن الخطاب ، ومعاوية وغيرهما . ذكره ابن حبان فى الثقات . وكان عطاء الخراسانى إذا ذكر ابن محيريز وهانىء بن كلثوم وغيرهم قال : « قد كان فى هؤلاء من هو أشد اجتهاداً من هانىء بن كلثوم ، لكنه كان يفضلهم بحسن الخلق » . وبعث إليه عمر بن عبد العزيز يستخلفه على فلسطين ، فأبى ، ومات فى ولايته فقال : « عند الله أحتسب صحبة هانىء الجيش » .

هذا وقد كان فى المطبوعة : « يودنى أنه لا يولد لى ولد أبداً » ، والصواب من المخطوطة .

(١) فى المطبوعة : « وما اختاره المؤمنون . . . » وهو اجتهاد فى تصحيح ما كان فى المخطوطة ، وكان فيها : « وما اختاره المؤمنين . . . » ، والسياق يقتضى « للموصين » كما أثبتها ، وهى قريبة فى التصحيف .

(٢) انظر ما سلف : ١٢ وما بعدها .

وبمعنى ما قلنا فى تأويل قوله : « وليقولوا قولا سديداً » ، قال من ذكرنا قوله فى مبتدأ تأويل هذه الآية ، وبه كان ابن زيد يقول .

٨٧٢١ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديداً » ، قال : يقول قولا سديداً ، يذكر هذا المسكين وينفعه ، ولا يجحف بهذا اليتيم وارث المؤدَّى ولا يُضِرّ به ، لأنه صغير لا يدفع عن نفسه ، فانظر له كما تنظر إلى ولدك لو كانوا صغاراً .

* * *

و « السديد » من الكلام ، هو العدل والصواب .

* * *

القول فى تأويل قوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ (١٠)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه ،[1] « إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً » ، يقول : بغير حق ، = « إنما يأكلون فى بطونهم ناراً » يوم القيامة ، بأكلهم أموال اليتامى ظلماً فى الدنيا ، نارَ جهنم[2] = « وسيصلون » بأكلهم = « سعيراً » ، كما : —

٨٧٢٢ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً » ، قال : إذا قام الرجل يأكل مال اليتيم ظلماً ، يُبعث يوم القيامة ولهبُ النار يخرج من فيه ومن مسامعه ومن أذنيه وأنفه وعينيه ، يعرفه من رآه بأكل مال اليتيم .[3]

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « يعنى بذلك . . . » والسياق يقتضى ما أثبت .

(٢) فى المخطوطة : « وإن جهنم » ، وهو فاسد جداً ، والذى فى المطبوعة ، قريب من الصواب .

(٣) فى المطبوعة : « يأكل مال اليتيم » بالياء ، وفى المخطوطة غير منقوطة ، وصواب قراءتها بالباء .

٨٧٢٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر قال ، أخبرنى أبو هرون العبدى ، عن أبى سعيد الخدرى قال : حدثنا النبى صلى الله عليه وسلم عن ليلة أسرى به ، قال : نظرت فإذا أنا بقوم لهم مَشافر كمشافر الإبل، وقد وُكِّل بهم من يأخذ بمشافرهم، ثم يجعل فى أفواههم صخراً من نار يخرج من أسافلهم ، قلت : يا جبريل، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً . (١)

٨٧٢٤ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً » ، قال : قال أبى : إن هذه لأهل الشرك، حين كانوا لا يورِّثونهم، ويأكلون أموالهم .

* * *

وأما قوله: « وسيصلون سعيراً » ، فإنه مأخوذ من « الصَّلا » ، و « الصلا » الاصطلاء بالنار، وذلك التسخن بها ، كما قال الفرزدق : (٢)

وَقَاتَلَ كَلْبُ الْحَىِّ عَنْ نَارِ أَهْلِهِ لِيَرْبِضَ فِيهَا، وَالصَّلَا مُتَكَنَّفُ (٣)

---

(١) الأثر : ٨٧٢٣ – « أبو هرون العبدى » هو : «عمارة بن جوين» . روى عن أبى سعيد الخدرى وابن عمر . وهو ضعيف ، وقالوا : كذاب . قال الدارقطنى : « يتلون ، خارجى وشيعى » وقال ابن حبان : « كان يروى عن أبى سعيد ما ليس من حديثه ، لا يحل كتب حديثه إلا على جهة التعجب » . مترجم فى التهذيب .

والأثر أخرجه ابن كثير فى تفسيره ٢ : ٣٦٠ ، والسيوطى فى الدر المنثور ٢ : ١٢٤ ونسبه لابن جرير وابن أبى حاتم .

(٢) فى اللسان « صلا » ١٩ : ٢٠١ ، ٢٠٢ ، منسوباً لامرئ القيس ، وهو خطأ يصحح .

(٣) ديوانه : ٥٦٠ ، النقائض : ٥٦١ ، اللسان (صلا) ، ومضى بيت من هذه القصيدة فيما سلف ٣ : ٥٤٠ . وهذا البيت من أبيات يصف فيها أيام البرد والجدب، ويمدح قومه ، يقول فى أولها :

إِذَا أَغْبَرَّ آفَاقُ السَّمَاءِ وَكَشَّفَتْ كُسُورَ بُيُوتِ الْحَىِّ حَمْرَاءُ حَرْجَفُ

. . . . . .

وكما قال العجاج :

• وَصَالِيَاتٌ لِلصَّلاَ صُلِيُّ • (١)

ثم استعمل ذلك فى كل من باشر بيده أمراً من الأمور ، من حرب أو قتال أو خصومة ، أو غير ذلك ، كما قال الشاعر : (٢)

وَأَوْقَدَتِ الشِّعْرَى مَعَ اللَّيْلِ نَارَهَا وَأَمْسَتْ مُحُولاً جِلْدُهَا يَتَوَسَّفُ
وَأَصْبَحَ مَوْضُوعُ الصَّقِيعِ كَأَنَّهُ عَلَى مَرَوَاتِ النِّيبِ قُطْنٌ مُنَدَّفُ
وَقَاتَلَ كَلْبُ الْحَيِّ . . . . . .
وَجَدْتَ الثَّرَى فِينَا، إِذَا يَبِسَ الثَّرَى وَمَنْ هُوَ يَرْجُو فَضْلَهُ الْمُتَضَيِّفُ

و«إذا اغبر آفاق السماء» ،جف الثرى ، وثار غبار الأرض من المحل وقلة المطر . والحرجف : الريح الشديدة الهبوب . و « الشعرى » تطلع فى أول الشتاء، و«أوقدت نارها » اشتد ضوءها ، وذلك إيذان بشدة البرد . ومحول جمع محل : وهو المجدب . و « يتوسف » يتقشر . و « جلدها » يعنى جلد السماء ، وهو السحاب . يقول: لا سحاب فيها ، وذلك أشد للبرد فى ليل الصحراء . و « الصقيع » الجليد، و « النيب »مسان الإبل . و «سروات الإبل » أسنمتها . يقول : وقع الثلج على أسنمتها كأنه قطن مندوف . و « قاتل كلب الحى عن نار أهله » ، يقاتلهم على النار مزاحماً لهم من شده البرد ، يريد أن يجثم فى مكان ، و « الصلا » النار ، و « متكنف » قد اجتمعوا عليه وقعدوا حوله . وقوله : « وجدت الثرى فينا » ، يقول :من نزل بنا وجد خصباً وكرماً فى هذا الزمان الجدب ، إذ ذهبت ألبان الإبل واحترق الزرع . يقول : يجد الضيف عندنا ما يكفيه ، فنحن غياث له .

(١) ديوانه : ٦٧ ، من أرجوزته المشهورة ، يقول فى أولها :

بَكَيْتُ وَالْمُحْتَزِنُ الْبَكِيُّ وإِنَّمَا يَأْتِي الصِّبَا الصَّبِيُّ
. . . . . .
مِنْ أَنْ شَجَاكَ طَلَلٌ عَامِيُّ قِدْماً يُرَى مِنْ عَهْدِهِ الْكِرْمِيُّ
مُحْرَنْجَمُ الْجَامِلِ وَالنُّؤِيُّ وصَالِيَاتٌ . . . . . .

وكان فى المطبوعة : « وصاليان » ، وهو خطأ . والصواب من المخطوطة والديوان . و « الصاليات » يعنى : الأثافى التى توضع عليها القدور . و « الصلا » الوقود ، و « صلى » (بضم الصاد وكسر اللام وتشديد الياء) جمع صال ، من قولهم « صلى ، واصطلى» إذا لزم موضعه ، يقول : هى ثوابت خوالد قد لزمت موضعها .

(٢) هو الحارث بن عباد البكرى .

لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا ، عَلِمَ اللهُ ، وَإِنِّي بِحَرِّهَا الْيَوْمَ صَالِي (١)

فجعل ما باشر من شدة الحرب وأذى القتال ، (٢) بمنزلة مباشرة أذى النار وحرّها .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة المدينة والعراق : ﴿ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً ﴾ بفتح « الياء » على التأويل الذى قلناه . (٣)

* * *

وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض الكوفيين : ﴿ وَسَيُصْلَوْنَ ﴾ بضم « الياء » ، بمعنى : يحرقون .

= من قولهم : « شاة مَصْلية » يعنى : مشوية ٤

* * *

قال أبو جعفر : والفتح بذلك أولى من الضم ، لإجماع جميع القرأة على فتح « الياء » من قوله : ﴿ لاَ يَصْلاَهَا إِلاَّ الأَشْقَى ﴾ [سورة الليل : ١٥] ، ولدلالة قوله : ﴿ إِلا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴾ [سورة الصافات : ١٦٣] ، على أن الفتح بها أولى من الضم .

* * *

(١) الفاخر للمفضل بن سلمة : ٧٨ ، والخزانة ١ : ٢٢٦ ، وسائر كتب التاريخ والأدب ، من أبياته المشهورة فى حرب البسوس ، وكان اعتزلها ، ثم خاضها حين أرسل ولده بجيراً إلى مهلهل فقتله مهلهل ، فقال :

قَرِّبَا مَرْبِطَ النَّعَامَةِ مِنِّي لَقِحَتْ حَرْبُ وائِلٍ عَنْ حِيَالِ
لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا . . . . .
لاَ بُجَيْرٌ أَغْنَى فَتِيلاً ، وَلاَ رَهْطُ كُلَيْبٌ تَزَاجَرُوا عَنْ ضَلاَلِ

وكان فى المطبوعة : « لحرها » ، أساء قراءة ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « وإجراء القتال » ، وهو قراءة رديئة لما فى المخطوطة ، ولا معنى له . وفى المخطوطة : « وأحرى القتال » ، ورجحت صواب قراءتها كما أثبته .

(٣) فى المطبوعة : « قلنا » بحذف الهاء ، وأثبت ما فى المخطوطة .

وأما « السعير » فإنه شدة حر جهنم ، ومنه قيل : « استعرت الحرب » إذا اشتدت ، وإنما هو « مَسعور » ، ثم صرف إلى « سعير » ، كما قيل : [1] « كفّ خَضِيب » و « لِحية دهين » ، وإنما هي « مخضوبة » ، صرفت إلى « فعيل » .

* * *

فتأويل الكلام إذاً : وسيصلون ناراً مسعَّرة ، أي : موقودة مشعلة شديداً حرُّها .

وإنما قلنا إنّ ذلك كذلك ، لأن الله جل ثناؤه قال : ﴿ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴾ ، [سورة التكوير : ١٢] ، فوصفها بأنها مسعورة .

ثم أخبر جل ثناؤه أن أكلة أموال اليتامى يصلونها وهي كذلك . فـ « السعير » إذاً في هذا الموضع ، صفة للجحيم على ما وصفنا .

* * *

القول في تأويل قوله : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾

قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بقوله : « يوصيكم الله » ، يعهد الله إليكم ، [2] = « في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين » ، يقول : يعهد إليكم ربكم إذا مات الميت منكم وخلّف أولاداً ذكوراً وإناثاً ، فلولده الذكور والإناث ميراثه أجمع بينهم ، للذكر منهم مثل حظ الأنثيين ، إذا لم يكن له وارث غيرهم ، سواء فيه صغار ولده وكبارهم وإناثهم ، [3] في أن جميع ذلك بينهم ، للذكر مثل حظ الأنثيين .

* * *

(١) في المطبوعة : « قيل » ، بإسقاط « كما » ، والصواب من المخطوطة ، ولكن الكاتب أساء الكتابة . فحذفها الناشر الأول .

(٢) انظر تفسير « أوصى » فيما سلف ٣ : ٩٤ ، ٤٠٥

(٣) في المخطوطة : « وكباره » ، وما في المطبوعة أجود .

ورفع قوله : « مثل » بالصفة ،[١] وهى « اللام » التى فى قوله : « للذكر » ، ولم ينصب بقوله : « يوصيكم الله » ، لأن « الوصية » فى هذا الموضع عهد وإعلامٌ بمعنى القول ، و « القول » لا يقع على الأسماء المخبر عنها .[٢] فكأنه قيل : يقول الله تعالى ذكره لكم : فى أولادكم للذكر منهم مثل حظ الأنثيين .

* * *

قال أبو جعفر : وقد ذكر أن هذه الآية نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم ، تبييناً من الله الواجبَ من الحكم فى ميراث من مات وخلّف ورثة ، على ما بيّن . لأن أهل الجاهلية كانوا لا يقسمون من ميراث الميت لأحد من ورثته بعده ، ممن كان لا يلاقى العدوَّ ولا يقاتل فى الحروب من صغار ولده ، ولا للنساء منهم . وكانوا يخصون بذلك المقاتلة دون الذرية . فأخبر الله جل ثناؤه أن ما خلّفه الميت بين من سمّى وفرض له ميراثاً فى هذه الآية ، وفى آخر هذه السورة ، فقال فى صغار ولد الميت وكبارهم وإناثهم : لهم ميراث أبيهم ، إذا لم يكن له وارث غيرهم ، للذكر مثل حظ الأنثيين .

* ذكر من قال ذلك :

٨٧٢٥ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثلُ حظ الأنثيين » ، كان أهل الجاهلية لا يورّثون الجوارىَ ولا الصغارَ من الغلمان ، لا يرث الرجل من ولده إلاّ من أطاق القتال ، فمات عبد الرحمن أخو حسان الشاعر ، وترك امرأة يقال لها أم كجّة ، وترك خمس أخواتٍ ، فجاءت الورثة يأخذون ماله ، فشكت أم كجّة ذلك إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية :

---

(١) « الصفة » ، هى حرف الجر ، وانظر ما سلف ١ : ٢٩٩ ، تعليق : ١ ، وفهارس المصطلحات فى الأجزاء السالفة .

(٢) « الوقوع » ، هو التعدى إلى المفعول ، كما سلف ٤ : ٢٩٣ ، تعليق : ١ ، وفهارس المصطلحات .

« فإن كُنَّ نساء فوق اثنتين فلهن ثُلُثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف» = ثم قال فى أم كجة : « ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن » .(١)

٨٧٢٦ – حدثنا محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين » ، وذلك أنه لما نزلت الفرائض التى فرض الله فيها ما فرض للولد الذكر والأنثى والأبوين ، كرهها الناس أو بعضهم ، وقالوا : « تعطى المرأة الربع والثمن ، وتعطى الابنة النصف ، ويعطى الغلام الصغير ، وليس من هؤلاء أحد يقاتل القوم ولا يحوز الغنيمة ! ! اسكتوا عن هذا الحديث لعلّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ينساه ، أو نقول له فيغيّره » . فقال بعضهم : يا رسول الله ، أنعطى الجارية نصف ما ترك أبوها ، وليست تركب الفرس ولا تقاتل القوم ، ونعطى الصبيّ الميراث وليس يغنى شيئاً ؟ ! = وكانوا يفعلون ذلك فى الجاهلية ، لا يعطون الميراث إلاّ من قاتل ، يعطونه الأكبر فالأكبر .(٢) ٤/١٨٦

* * *

وقال آخرون : بل نزل ذلك من أجل أنّ المال كان للولد قبل نزوله ، وللوالدين الوصية ، فنسخ الله تبارك وتعالى ذلك بهذه الآية .

* ذكر من قال ذلك :

٨٧٢٧ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد أو عطاء ، عن ابن عباس فى قوله : « يوصيكم

---

(١) الأثر : ٨٧٢٥ – « أم كجة » ، انظر ما سلف فى التعليق على الأثر : ٨٦٥٦ ، وخبرها هناك . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « أم كحة » بالحاء . أما « عبد الرحمن أخو حسان الشاعر » ، فإنه يعنى : حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام الأنصارى ، شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد ذكره الحافظ ابن حجر فى الإصابة ، وساق أثر السدى ، ثم قال : « قلت : ولم أره لغيره ، ولا ذكر أهل النسب لحسان أخاً اسمه عبد الرحمن » .

(٢) فى المطبوعة : « ويعطونه الأكبر » بزيادة واو لا محل لها ، وأثبت ما فى المخطوطة .

الله فى أولادكم » ، قال : كان المال للولد ، وكانت الوصية للوالدين والأقربين ، فنسخ الله من ذلك ما أحبَّ ، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين ، وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس مع الولد، وللزوج الشطر والربع ،وللزوجة الربع والثمن.(١)

٨٧٢٨ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين »، قال : كان ابن عباس يقول : كان المال ، وكانت الوصية للوالدين والأقربين ، فنسخ الله تبارك وتعالى من ذلك ما أحبّ ، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين ، ثم ذكر نحوه .

٨٧٢٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد عن ابن عباس مثله .

* * *

وروى عن جابر بن عبد الله، ما : –

٨٧٣٠ – حدثنا به محمد بن المثنى قال، حدثنا وهب بن جرير قال ، حدثنا شعبة ، عن محمد بن المنكدر قال : سمعت جابر بن عبد الله قال : دخل علىَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مريض، فتوضأ ونضَح علىّ من وَضوئه ، فأفقتُ فقلت : يا رسول الله، إنما يرثنى كَلالَة، فكيف بالميراث؟ فنزلت آية الفرائض.(٢)

---

(١) الأثر : ٨٧٢٧ – رواه البخارى من طريق محمد بن يوسف ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح عن عطاء عن ابن عباس . (الفتح ٨ : ١٨٤ ، ١٢ : ١٩) .

(٢) الحديث : ٨٧٣٠ – رواه البخارى ١ : ٢٦١ (فتح) ، من طريق شعبة ، به . وسيأتى عقب هذا ما رواية ابن جريج ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر . وكذلك رواه البخارى ٨ : ١٨٢ ، من طريق ابن جريج ، ورواه البخارى أيضاً ١٠ : ٩٨ ، و ١٢ : ٢ – من رواية سفيان ، عن محمد بن المنكدر .

وذكره ابن كثير ٢ : ٣٦٢ ، من رواية البخارى – من طريق ابن جريج – ثم قال : « كذا رواه مسلم ، والنسائى ، من حديث حجاج بن محمد الأعور ، عن ابن جريج ، به . ورواه الجماعة كلهم من حديث سفيان بن عيينة ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر » .

وذكره السيوطى ٢ : ١٢٤ – ١٢٥ ، وزاد نسبته لعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والبيهقى فى سننه .

٨٧٣١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، حدثنى محمد بن المنكدر ، عن جابر قال : عادَنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه فى بنى سَلَمة يمشيان، فوجدانى لا أعقِل، فدعا بماءٍ فتوضأ ثم رشّ علىّ ، فأفقتُ فقلت : يا رسول الله ، كيف أصنع فى مالى ؟ فنزلت : « يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين » .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله : ﴿ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « فإن كن » ، فإن كان المتروكات = « نساء فوق اثنتين » ، ويعنى بقوله : « نساءً » ، بنات الميت، « فوق اثنتين » ، يقول : أكثر فى العدد من اثنتين = « فلهن ثلثا ما ترك » ، يقول : فلبناته الثلثان مما ترك بعده من ميراثه ، دون سائر ورثته ، إذا لم يكن الميت خلّف ولداً ذكراً معهن .

* * *

واختلف أهل العربية فى المعنى بقوله : « فإن كنّ نساء » .

فقال بعض نحويّ البصرة بنحو الذى قلنا : فإن كان المتروكات نساء = وهو أيضاً قول بعض نحويّ الكوفة .

* * *

---

(١) الحديث : ٨٧٣١ – هو مكرر الحديث قبله ، كما أشرنا إليه .

وفى المطبوعة « فدعا بوضوء فتوضأ » . وفى المخطوطة « فدعا فتوضأ » . والذى فى البخارى – من هذا الوجه – « فدعا بماء » . فالراجح أنها كانت كذلك عن الطبرى ، وسقطت من الناسخ سهواً كلمة « بماء » ، اشتبه عليه الحرفان الأخيران من « فدعا » ، بكلمة « بما » لأنهم فى الأكثر لا يثبتون الهمزة = فسقطت الكلمة منه .

وفى المطبوعة لم تكمل الآية بعد « فى أولادكم » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

وقال آخرون منهم : بل معنى ذلك ، فإن كان الأولاد نساء ، وقال : إنما ذكر الله الأولاد فقال : « يوصيكم الله فى أولادكم » ، ثم قسّم الوصية فقال : « فإن كنّ نساء »، وإن كان الأولاد [نساءً ،وإن كان الأولاد واحدة] ،(١) ترجمة منه بذلك عن « الأولاد » .

* * *

قال أبو جعفر : والقول الأول الذى حكيناه عمن حكيناه عنه من البصريين ، أولى بالصواب فى ذلك عندى. لأن قوله : « وإن كُنّ »، لو كان معنيًّا به « الأولاد » لقيل : « وإن كانوا »، لأن « الأولاد » تجمع الذكور والإناث. وإذا كان كذلك، فإنما يقال : « كانوا »، لا « كُنّ » .

* * *

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « وإن كانت » ، [وإن كانت] المتروكة ابنة واحدة (٢) = « فلها النصف » ، يقول : فلتلك الواحدة نصف ما ترك الميت من ميراثه ، إذا لم يكن معها غيرها من ولد الميت ذكرٌ ولا أنثى .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « وإن كان الأولاد واحدة ، ترجمة منه . . . » ، وفى المخطوطة : « وإن كان الأولاد واحده » ، ولم أجد لكليهما معنى ، فرجحت نصها كما أثبته بين القوسين ، استظهاراً من معنى هذه الآية كما ذكره آنفاً فى صدر الكلام ، ورجحت أن قوله : « واحدة » مجلوبة من الآية التى تليها « وإن كانت واحدة » ، وفسرها كذلك ، وساقها قبل مجيئها .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « وإن كانت المتروكة ابنة واحدة » ، وهو لا يستقيم ، فرجحت زيادة ما زدته بين القوسين ، على سياقه فى تفسير أخواتها .

فإن قال قائل : فهذا فرضُ الواحدة من النساء وما فوق الاثنتين ، فأين فريضة الاثنتين ؟

قيل : فريضتهم بالسنة المنقولة نقل الوراثة التى لا يجوز فيها الشك . (١)

* * *

وأما قوله : « ولأبويه » ، فإنه يعنى : ولأبوى الميت = «لكل واحد منهما السدس » ، من تَرِكته وما خلَّف من ماله ، سواءٌ فيه الوالدة والوالد ، لا يزداد واحد منهما على السدس = « إن كان له ولد » ، ذكراً كان الولد أو أنثى ، واحداً كان أو جماعة . ٤/١٨٧

* * *

فإن قال قائل : فإن كان كذلك التأويل ، (٢) فقد يجب أن لا يزاد الوالدُ مع الابنة الواحدة على السدس من ميراثه عن ولده الميت . وذلك إن قلته ، قولٌ خلاف لما عليه الأمة مجمعة ، (٣) من تصييرهم باقى تركة الميت = مع الابنة الواحدة بعد أخذها نصيبها منها = لوالده أجمع !

قيل : ليس الأمر فى ذلك كالذى ظننتَ ، وإنما لكل واحد من أبوى الميت السدس من تركته مع ولده ، ذكراً كان الولد أو أنثى ، واحداً كان أو جماعة ، فريضة من الله له مسماة . فإمَّا زيد على ذلك من بقية النصف مع الابنة الواحدة

---

(١) كأنه يعنى بذلك حديث جابر بن عبد الله ، فى خبر موت سعد بن الربيع ، وإعطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بنتيه الثلثين (السنن الكبرى للبيهقى ٦ : ٢٢٩) ، وأخرجه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجة من طرق = وخبر زيد بن ثابت : « إذا ترك رجل وامرأة بنتاً ، فلها النصف ، وإن كانتا اثنتين أو أكثر ، فلهن الثلثان . . . » ، أخرجه البخارى (الفتح ١٢ : ٨) .

هذا ، وعجيب أن يترك أبو جعفر سياق الآثار لحجته فى هذا الموضع ، فأخشى أن يكون قد سقط من النساخ الأوائل شىء من كتابه = أو أن يكون هو قد أراد أن يسوق الآثار ، ثم غفل عنها ، وبقيت النسخ بعده ناقصة من دليل احتجاجه . وهذه أول مرة يخالف فيها أبو جعفر نهجه فى تأليف هذا التفسير .

(٢) فى المطبوعة : « فإذ كان كذلك » ، والجيد ما فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « مجمعون » ، وكذلك كان فى المخطوطة ، إلا أن الناسخ عاد فضرب على النون ، وجعل الواو « تاء » مربوطة منقوطة ، وتبع الناشر الأول خطأ الناسخ ، وأغفل تصحيحه ! ! فرددته إلى الصواب .

إذا لم يكن غيره وغير ابنة للميت واحدة ، [١] فإنما زيدها ثانياً بقرب عصبة الميت إليه ، [٢] إذ كان حكم كل ما أبقته سهام الفرائض ، فلأولى عصَبة الميت وأقربهم إليه ، بحكم ذلك لها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، [٣] وكان الأب أقرب عصَبة ابنه وأولاها به ، إذا لم يكن لابنه الميت ابن .

• • •

القول فى تأويل قوله: ﴿ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « فإن لم يكن له » ، فإن لم يكن للميت = « ولد » ذكر ولا أنثى = « ورثة أبواه » ، دون غيرهما من ولد وارث = « فلأمه الثلث » ، يقول : فلأمه من تركته وما خلف بعده ، ثلث جميع ذلك .

• • •

فإن قال قائل : فمن الذى له الثلثان الآخران .

قيل له : الأب .

فإن قال : بماذا ؟ [٤]

---

(١) فى المطبوعة : « فإن زيد على ذلك من بقية النصف » ، وأثبت ما كان فى المخطوطة ، وهو صواب جيد .

(٢) فى المطبوعة : « لقرب عصبة الميت » وفى المخطوطة « قرب » ، وأجودهما ما أثبت .

(٣) يعنى بذلك ما رواه الشيخان بإسنادهما إلى ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أَلْحِقوا الفرائضَ بِأَهْلِهَا ، فما بَقِى فهو لأَوْلَى رَجُلٍ ذكر »

(الفتح ٢ : ٨ ، ٩/ السنن الكبرى ٦ : ٢٣٤) ، ويروى « لأدنى رجل » ، ومعناه : لأقرب رجل من العصبة .

وهذا أيضاً غريب من أبى جعفر فى ترك ذكر حجته من الحديث ، كشأنه فى جميع ما سلف ، وانظر ص : ٣٦ ، تعليق : ١ ، وكأنه كان يختصر فى هذا الموضع ، وترك ذكر حجته ، لأنه لا بد أن يكون قد استوفاها فى موضعها من كتبه الأخرى .

(٤) فى المطبوعة : « فإن قال قائل : بماذا » ، و « قائل » زيادة لا شك فيها ، والصواب ما فى المخطوطة .

قلت : بأنه أقرب أهل الميت إليه ،[١] ولذلك ترك ذكر تسمية من له الثلثان الباقيان ، إذ كان قد بيّن على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعباده[٢]: أن كل ميّت فأقربُ عصبته به ، أولى بميراثه ، بعد إعطاء ذوى السهام المفروضة سهامهم من ميراثه .

وهذه العلة ، هى العلة التى من أجلها سُمّىَ للأمّ ما سُمّىَ لها ، إذا لم يكن الميت خلّف وارثاً غير أبويه ، لأن الأم ليست بعصبة فى حالٍ للميت . فبيّن الله جل ثناؤه لعباده ما فرض لها من ميراث ولدها الميت ، وترك ذكرَ مَن له الثلثان الباقيان منه معها ، إذ كان قد عرّفهم فى جملة بيانه لهم مَنْ له بقايا تركة الأموال بعد أخذ أهل السهام سهامهم وفرائضهم . وكان بيانه ذلك ، مغنياً لهم عن تكرير حكمه مع كل من قَسَم له حقًّا من ميراث ميت ، وسمى له منه سهماً .[٣]

* * *

القول فى تأويل قوله جل ذكره ﴿ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ﴾

قال أبو جعفر : إن قال قائل : وما المعنى الذى من أجله ذكر حكم الأبوين مع الإخوة ،[٤] وترك ذكر حكمهما مع الأخ الواحد ؟

قلت[٥]: اختلاف حكمهما مع الإخوة الجماعة والأخ الواحد ، فكان فى إبانة

---

(١) فى المخطوطة : « بأنه أقرب ولد الميت إليه » ، وهو خطأ وسهو من الناسخ ، والصواب ، من المطبوعة .

(٢) انظر التعليق السالف ص ٣٧ ، تعليق : ٣ .

(٣) فى المطبوعة : « وكان بيانه ذلك معيناً لهم على تكرير حكمه » ، وهو خطأ محض وتصرف قبيح ، وفى المخطوطة : « معينا لهم عن تكرير حكمه » غير منقوطة ، وصواب قراءتها ما أثبت .

(٤) فى المخطوطة : « حكم أبوين مع الأخوة » ، والصواب ما فى المطبوعة .

(٥) قوله : « قلت » ليست فى المخطوطة ، ولكن السياق يقتضيها ، فأحسن طابع التفسير فى إثباتها .

الله جل ثناؤه لعباده حكمهما فيما يرثان من وَلدهما الميت مع إخوته ، غنًى وكفاية عن أن حكمهما فيما ورثا منه غيرَ متغيِّر عما كان لهما ، ولا أخ للميت ولا وارث غيرهما. إذ كان معلوماً عندهم أن كل مستحق حقًّا بقضاء الله ذلك له ، لا ينتقل حقُّه الذى قضى به له ربه جل ثناؤه عما قَضى به له إلى غيره ، إلا بنقل الله ذلك عنه إلى من نقله إليه من خلقه . فكان فى فرضه تعالى ذكره للأم ما فرض ، إذا لم يكن لولدها الميت وارث غيرها وغير والده ، ولا أخ =[1] الدلالة الواضحة للخلق أن ذلك المفروضَ — وهو ثلث مال ولدها الميت[2] — حق لها واجب ، حتى يغيِّر ذلك الفرض من فَرَض لها . فلما غيَّر تعالى ذكره ما فرض لها من ذلك مع الإخوة الجماعة ، وترك تغييره مع الأخ الواحد ، عُلم بذلك أن فرضها غير متغيِّر عما فرض لها إلا فى الحال التى غيَّره فيها مَن لزم العبادَ طاعتُه ، دون غيرها من الأحوال .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى عدد الإخوة الذين عناهم الله تعالى ذكره بقوله : « فإن كان له إخوة » .

فقال جماعة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم بإحسان ، ومن بعدهم من علماء أهل الإسلام فى كل زمان : عنى الله جل ثناؤه بقوله : ٤/١٨٨ « فإن كان له إخوة فلأمه السدس » ، اثنين كان الإخوة أو أكثر منهما ، أنثيين كانتا أو كن إناثاً ، أو ذكرين كانا أو كانوا ذكوراً ، أو كان أحدهما ذكراً والآخر أنثى . واعتل كثيرٌ ممن قال ذلك ، بأن ذلك قالته الأمة عن بيان الله جل

---

(١) فى المطبوعة : « . . . وغير والده لوائح الدلالة الواضحة . . . » وهو شىء لا يكتبه أبو جعفر ! ! وفى المخطوطة : « وغير والده ولاح الدلالة . . . » ، وصواب قراءتها « ولا أخ » معطوفاً على قوله « إذا لم يكن لولدها الميت وارث . . . » . وقوله : « الدلالة الواضحة » اسم « كان » فى قوله : « وكان فى فرضه تعالى ذكره . . . »

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « هو ثلث مال ولدها الميت » ، بغير « واو » ، والصواب إثباتها . وإلا اختل الكلام .

ثناؤه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، فنقلته أمة نبيه نقلا مستفيضاً قطع العذر مجيئه ، ودفع الشك فيه عن قلوب الخلق وروده .(١)

* * *

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان يقول : بل عنى الله جل ثناؤه بقوله : « فإن كان له إخوة » ، جماعة اقلها ثلاثة . وكان ينكر أن يكون الله جل ثناؤه حجَب الأم عن ثلثها مع الأب بأقل من ثلاثة إخوة . فكان يقول فى أبوين وأخوين : للأم الثلث ، وما بقى فللأب ، كما قال أهل العلم فى أبوين وأخ واحد .

* ذكر الرواية عنه بذلك :

٨٧٣٢ — حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ، حدثنا ابن أبى فديك قال ، حدثنى ابن أبى ذئب ، عن شعبة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس : أنه دخل على عثمان رضى الله عنه فقال : لم صار الأخوان يردّان الأم إلى السدس ، وإنما قال الله : « فإن كان له إخوة » ، والأخوان فى لسان قومك وكلام قومك ليسا بإخوة ؟ فقال عثمان رحمه الله (٢) : هل أستطيع نقض أمر كان قبلى ، وتوارثه الناس ومضى فى الأمصار؟ (٣)

* * *

---

(١) وهذا أيضاً موضع فى النفس منه شىء ، فإن أبا جعفر ترك سياق حجته من الآثار ، كما فعل فى الموضعين السالفين انظر ص : ٣٦ تعليق : ١ / وص : ٣٧ ، تعليق : ٣ ، /ثم انظر السنن الكبرى للبيهقى ٦ : ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

(٢) فى المطبوعة : « رضى الله عنه » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) الأثر : ٨٧٣٢ — أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ٦ : ٢٢٧ من طريق : إسحق ابن إبراهيم ، عن شبابة ، عن ابن أبى ذئب ، عن شعبة مولى ابن عباس ، ونقله عنه ابن كثير فى تفسيره ٢ : ٣٦٧ . وقد عقب ابن كثير عليه بقوله : « وفى صحة هذا الأثر نظر ، فإن شعبة هذا تكلم فيه مالك بن أنس . ولو كان هذا صحيحاً عن ابن عباس ، لذهب إليه أصحابه الأخصاء به ، والمنقول عنهم خلافه . وقد روى عبد الرحمن بن أبى الزناد ، عن خارجة بن زيد ، عن أبيه أنه قال : « الأخوان ، تسمى إخوة » ، وقد أفردت لهذه المسألة جزءاً على حدة » .

أما « شعيب مولى ابن عباس » ، فهو : شعيب بن دينار الهاشمى ، وهو غير الكوفى ، وقد قال فيه ابن حبان : « روى عن ابن عباس ما لا أصل له ، حتى كأنه ابن عباس آخر » ، وانظر

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى ، أن المعنىّ بقوله : « فإن كان له إخوة » ، اثنان من إخوة الميت فصاعداً ، على ما قاله أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دون ما قاله ابن عباس رضى الله عنهما ، لنقل الأمة وراثةً صحةَ ما قالوه من ذلك عن الحجة ، وإنكارهم ما قاله ابن عباس فى ذلك .(١)

* * *

فإن قال قائل : وكيف قيل فى الأخوين « إخوة » ، وقد علمت أن لـ « الأخوين » فى منطق العرب مثالاً لا يشبه مثالَ « الإخوة » ، فى منطقها ؟(٢)

قيل : إنّ ذلك وإن كان كذلك ، فإن من شأنها التأليف بين الكلامين يتقارب معنياهما ،(٣) وإن اختلفا فى بعض وجوههما . فلما كان ذلك كذلك ، وكان مستفيضاً فى منطقها منتشراً مستعملاً فى كلامها : « ضربت من عبد الله وعمرو رؤوسهما ، وأوجعتُ منهما ظهورهما » ، وكان ذلك أشد استفاضة فى منطقها من أن يقال : « أوجعت منهما ظهريهما » ، وإن كان مقولاً : « أوجعت ظهْريهما » ،(٤) كما قال الفرزدق :

بِمَا فِى فُؤَادَيْنَا مِنَ الشَّوْقِ وَالْهَوَى فَيَبْرَأُ مُنْهَاضُ الفُؤَادِ الْمُشَعَّفُ(٥)

اختلاف قولهم فيه فى التهذيب ، وأكثرهم على ترك الاحتجاج به ، وهو مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ٢/٢/٢٤٤ ، وابن أبى حاتم ٢/١/٣٦٧ .

(١) هذا أيضاً موضع كان يجب أن يسوق عنده أبو جعفر حجته ، أو يحيل على حجة سالفة ، ولكنه لم يفعل ، وانظر التعليق السالف ص : ٤٠ تعليق : ١ : والإشارة إلى المواضع السالفة هناك .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « وقد علمت أن الأخوين فى منطق العرب مثالا . . . » ، وهو فاسد ، والصواب « أن للأخوين » ، كما أثبتها بزيادة « اللام » .

(٣) فى المطبوعة : « يتقارب معنييهما » ، غير ما فى المخطوطة ، لأنه قرأ « يتقارب » فعلا ، « يتقارب » اسماً مصدراً .

(٤) فى المطبوعة : « ظهرهما » مكان « ظهريهما » ، وهو خطأ ، لأنه ليس شاهداً فى هذا الموضع ، بل الشاهد ما جاء فى المخطوطة كما أثبته ، على التثنية .

(٥) ديوانه : ٥٥٤ ، والنقائض : ٥٥٣ ، وسيبويه ٢ : ٢٠٢ ، وأمالى الشجرى ١ : ١٢ ، وغيرها . وهو من قصيدته التى مضى بيت منها قريباً ص : ٢٧ ، تعليق : ٣ ، يقول قبله ما لهج به من لهوه وكذبه وعبثه ، ويذكرها صاحبته وأمره معها .

= غير أن ذلك وإن كان مقولاً ، فأفصح منه : « بما فى أفئدتنا » ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ إِنْ تَتُوبَآ إِلَى ٱللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ [سورة التحريم : ٤] .

فلما كان ما وصفت = من إخراج كل ما كان فى الإنسان واحداً إذا ضم إلى الواحد منه آخر من إنسان آخر فصارا اثنين من اثنين ، بلفظ الجميع ، أفصحَ فى منطقها وأشهرَ فى كلامها[1] = وكان « الأخوان » شخصين كل واحد منهما غير صاحبه ، من نفسين مختلفين ، أشبه معنياهما معنى ما كان فى الإنسان من

دَعَوْتُ الَّذِى سَمَّى السَّمَوَاتِ أَيْدُهُ ... وَلَلهُ أَدْنَى مِنْ وَرِيدِى وأَلْطَفُ
لِيَشْغَلَ عَنِّى بَعْلَهَا بِزَمَانَةٍ ... تُدَلِّهُهُ عَنِّى وعَنْهَا فَنُسْعَفُ
بِمَا فى فُؤَادَيْنَا . . . . . .
فَأَرْسَلَ فِى عَيْنَيْهِ ماءً عَلاَهُمَا ... وَقَدْ عَلِمُوا أَنِّى أَطَبُّ وأَعْرَفُ
فَدَاوَيْتُهُ عَامَيْنِ وَهْىَ قَرِيبَةٌ ... أَرَاهَا ، وتَدْنُو لِى مِرَارًا فَأَرْشُفُ

يقول : دعا الله أن يبتلى زوجها بمرض مزمن ، يدلهه ويحيره ، فيبقى دهشاً متغير العقل أو البصر ، فلا يتفقدها ، حتى يصل إلى ما يريد وتريد. فاستجاب دعاءه ، وأنزل على عينيه ماء ، فطلبوا له الأطباء والعرفاء ، وزعم الفرزدق أنهم عرفوا أنه أطب الناس بهذا الداء ، فأدخلوه إليه ، فظل يطببه عامين ، وهى قريبة منه .

وقوله : « منهاض الفؤاد » الذى هاضه الحزن والوجد ، من « هاض العظم » إذا كسره ، يريد شدة ما يجد من اللوعة ، حتى شفه وأمرض قلبه . و « المشعف » ، هو الذى شعفه الحب : إذا أحرق قلبه ، مع لذة يجدها المحب ، ولم يذكر أصحاب المعاجم « شعف » مشددة العين ، ولكنه قياس هذه العربية . وفى المخطوطة والمطبوعة : « المشغف » بالغين المعجمة ، وكأنه صواب أيضاً ، من « شغفه الحب » إذا بلغ شغاف قلبه .

وأما رواية الديوان ، والنقائض ، فهى « المسقف » ، وهى رواية رديئة ، قال أبو عبيدة فى شرحها : « هو الذى عليه خشب الجبائر ، والجبائر : هى السقائف تشد على الكسر » . وهو لا شىء ، وإنما حمله على ذلك ذكر « منهاض » ، وأن « المشغف » من صفته ، و « المنهاض » هو العظم الذى كسر بعد الجبر . ولكن صواب المعنى والرواية ، هو ما ذكرت .

(١) فى المطبوعة : « فلفظ الجمع أفصح فى منطقها » ، والصواب ما أثبته من المخطوطة ، وقوله : « أفصح » منصوب خبر قوله : « فلما كان ما وصفت » .

أعضائه واحداً لا ثانى له ، [١] فأخرج اثناهما بلفظ أنثى العضوين اللذين وصفت ، [٢] فقيل « إخوة » فى معنى « الأخوين » ، كما قيل « ظهور » فى معنى « الظهرين » ، و « أفواه » فى معنى « فوين » ، و « قلوب » فى معنى « قلبين » .

* * *

وقد قال بعض النحويين : إنما قيل « إخوة » ، لأن أقل الجمع اثنان . وذلك أن ذلك ضم شىء إلى شىء صارا جميعاً بعد أن كانا فردين ، [٣] فجمعا ليعلم أن الاثنين جمع .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا وإن كان كذلك فى المعنى ، فليس بعلة تنبئ عن جواز إخراج ما قد جرى الكلام مستعملاً مستفيضًا على ألسن العرب لاثنيه بمثال وصورةٍ غير مثال ثلاثة فصاعداً منه وصورتها . لأن من قال : «أخواك قاما» ، فلاشك أنه قد علم أنّ كل واحد من « الأخوين » فردٌ ضم أحدهما إلى الآخر فصارا جميعاً بعد أن كانا شتى . غير أن الأمر وإن كان كذلك ، [٤] فلا تستجيز العرب فى ٤ /٨٩ كلامها أن يقال : « أخواك قاموا » ، فيخرج قولهم « قاموا » ، وهو لفظ للخبر عن الجميع ، خبراً عن « الأخوين » وهما بلفظ الاثنين . لأن كل ما جرى به الكلام على ألسنتهم معروفاً عندهم بمثال وصورة ، إذا غيّره مغيّر عما قد عرفوه فيهم ،

---

(١) فى المطبوعة : « أشبه معناهما » على الإفراد ، والصواب من المخطوطة مثنى . وقوله : « وكان الأخوان » ، معطوف على قوله : « فلما كان ما وصفت » ، يريد : « ولما كان الأخوان . . . » . وسياق الجملة : « وكان الأخوان شخصين . . . أشبه معنياهما معنى ما كان فى الإنسان من أعضائه واحداً » .

(٢) فى المطبوعة : « فأخرج أنثييهما بلفظ أنثى العضوين » ، وهو كلام لا معنى له ، والصواب من المخطوطة ، فالكلام فى « الاثنين » و « الجمع » ، لا فى « الأنثى » و « الذكر » .

(٣) فى المطبوعة : « وذلك أنه إذا ضم شىء إلى شىء » ، غير ما كان فى المخطوطة كما أثبته ، وهو صواب محض لا يغير .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « بعد أن كانا شتى عنوان الأمر وإن كان كذلك » ، وهو كلام مستهجن لا معنى له ، والناسخ عجل كما رأيت وعلمت ، فكتب « غير أن الأمر » ، «عنوان الأمر» ففسد الكلام ، وأفسد على الناشر الأول فهمه للمعانى .

نكروه .[١] فكذلك « الأخوان » وإن كانا مجموعين ضُمَّ أحدهما إلى صاحبه ، فلهما مثالٌ فى المنطق وصورة ، غير مثال الثلاثة منهم فصاعداً وصورتهم . فغير جائز أن يغيَّر أحدهما إلى الآخر إلاّ بمعنى مفهوم . وإذ كان ذلك كذلك ، فلا قول أولى بالصحة مما قلنا قبل .

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : ولم نُقصت الأم عن ثلثها بمصير إخوة الميت معها اثنين فصاعداً ؟

قيل : اختلفت العلماء فى ذلك .

فقال بعضهم : نُقصت الأم عن ذلك دون الأب ، لأن على الأب مُؤَنهم دون أمهم .

* ذكر من قال ذلك :

٨٧٣٣ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس » ، أضرُّوا بالأم ولا يرثون ،[٢] ولا يحجبها الأخ الواحد من الثلث ، ويحجبها ما فوق ذلك . وكان أهل العلم يرون أنهم إنما حجبوا أمهم من

---

(١) فى المطبوعة : « لأن لكل ما جرى به الكلام على ألسنتهم مثالا معروفاً عندهم وصورة ، إذا غير مغير ما قد عرفوه فيهم أنكره » ، بدل ما كان فى المخطوطة تبديلا ، جعل « بمثال » « مثالا » وقدمها عن مكانها ، وغير سائر الجملة كما رأيت . والذى أوقعه فى ذلك أن الناسخ كتب « لأن لكل ما جرى » ، وصوابه « لأن كل ما جرى » كما أثبته .

أما « نكروه » ، فقد جعلها « أنكروه » وهما صواب جميعاً ، إلا أن الواجب عليه كان يقتضى إثبات ما فى المخطوطة . يقال : « أنكر الشىء إنكاراً ونكره » (على وزن سمع) ، قال الله تعالى فى سورة هود : ٧٠ :

﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾

(٢) فى المطبوعة : « أنزلوا الأم ولا يرثون » ، وفى المخطوطة : «أمروا بالأمر ولا يرثون » وهو تحريف ما أثبته عن الدر المنثور وابن كثير ، كما سترى فى التخريج .

الثلث لأن أباهم يلي نكاحهم والنفقة عليهم دون أمهم .[١]

* * *

وقال آخرون : بل نُقصت الأم السدس ، وقُصِر بها على سدس واحد ، معونةً لإخوة الميت بالسدس الذى حَجَبوا أمهم عنه .

* ذكر من قال ذلك

٨٧٣٤ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : السدس الذى حجبتْه الإخوة الأمَّ لهم ، إنما حجبوا أمهم عنه ليكون لهم دون أمهم .

* * *

وقد روى عن ابن عباس خلاف هذا القول ، وذلك ما : —

٨٧٣٥ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن الحسن بن محمد ، عن ابن عباس قال : الكلالة من لا ولد له ولا والِد .

* * *

قال أبو جعفر ، وأولى ذلك بالصواب أن يقال فى ذلك : إن الله تعالى ذكره فرض للأم مع الإخوة السدس ، لما هو أعلم به من مصلحة خلقه = وقد يجوز أن يكون ذلك كان لما ألزم الآباء لأولادهم = وقد يجوز أن يكون ذلك لغير ذلك . وليس ذلك مما كلّفنا علمه ، وإنما أمرنا بالعمل بما علمنا .

وأما الذى روى عن طاوس عن ابن عباس ، فقول لما عليه الأمة مخالف . وذلك أنه لا خلاف بين الجميع : أنْ لا ميراث لأخى ميت مع والده . فكفى إجماعهم على خلافه شاهداً على فساده .

* * *

(١) الأثر : ٨٧٣٣ — خرجه ابن كثير فى تفسيره ٢ : ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، وقال : «هذا كلام حسن» ، والسيوطى فى الدر المنثور ٢ : ١٢٦ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « من بعد وصية يوصى بها أو دين » ، أنّ الذى قسم الله تبارك وتعالى لولد الميت الذكور منهم والإناث ولأبويه من تركته من بعد وفاته ، إنما يقسمه لهم على ما قسمه لهم فى هذه الآية من بعد قضاء دين الميت الذى مات وهو عليه من تركته ، ومن بعد تنفيذ وصيته فى بابها بعد قضاء دينه كله .[1] فلم يجعل تعالى ذكره لأحد من ورثة الميت ، ولا لأحد ممن أوصى له بشىء ، إلا من بعد قضاء دينه من جميع تركته ، وإن أحاط بجميع ذلك . ثم جعل أهل الوصايا بعد قضاء دينه شركاء ورثته فيما بقى لما أوصى لهم به ، ما لم يجاوز ذلك ثلثه . فإن جاوز ذلك ثلثه ، جعل الخيار فى إجازة ما زاد على الثلث من ذلك أو ردّه إلى ورثته : إن أحبوا أجازوا الزيادة على ثلث ذلك ، وإن شاءوا ردوه . فأما ما كان من ذلك إلى الثلث ، فهو ماضٍ عليهم .

وعلى كل ما قلنا من ذلك ، الأمة مجمعة . وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك خبرٌ ، وهو ما : —

٨٧٣٦ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا يزيد بن هرون قال ، أخبرنا سفيان ، عن أبى إسحق ، عن الحارث الأعور ، عن علىّ رضى الله عنه قال : إنكم تقرأون هذه الآية : «من بعد وصية يُوصى بها أو دين» ، وإنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالدين قبل الوصية .[2] ٤/١٩٠

٨٧٣٧ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا يزيد بن هرون قال ، حدثنا زكريا ابن أبى زائدة ، عن أبى إسحق ، عن الحارث ، عن على رضوان الله عليه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثله .

---

(١) هكذا فى المطبوعة « فى بابها » ، وفى المخطوطة غير منقوطة ، وهى لفظة غريبة ههنا ، لا أظنها مما كان يجرى على ألسنة القوم يومئذ على هذا المعنى ، ولو خيرت لاخترت « فى أهلها » ، ولكنى تركتها على حالها مخافة أن يكون ظنى رجماً .

(٢) فى المطبوعة : « أن رسول الله » بإسقاط الواو ، وأثبت ما فى المخطوطة .

٨٧٣٨ – حدثنا أبو السائب قال، حدثنا حفص بن غياث قال ، حدثنا أشعث ، عن أبي إسحق ، عن الحارث ، عن علي ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله .(١)

٨٧٣٩ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا هرون بن المغيرة ، عن ابن مجاهد ، عن أبيه : « من بعد وصية يوصى بها أو دين » ، قال : يبدأ بالدين قبل الوصية .

* * *

قال أبو جعفر : واختلفت القرأة في قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة أهل المدينة والعراق : ﴿ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾.

* * *

وقرأه بعض أهل مكة والشأم والكوفة ، ﴿ يُوصَى بِهَا ﴾ ، على معنى ما لم يسمَّ فاعله .

* * *

---

(١) الآثار : ٨٧٣٦ ، ٨٧٣٧ ، ٨٧٣٨ – حديث ضعيف ، لضعف « الحارث الأعور » ، وهو : الحارث بن عبد الله الأعور الهمداني ، وهو ضعيف جداً ، وقال الشعبي وغيره : « كان كذاباً » . وقد مضى الكلام عنه في رقم : ١٧٤ فيما كتبه أخي السيد أحمد ، وفي المسند رقم : ٥٦٥ .

وأسانيده الثلاثة تدور على « الحارث الأعور » ، وقد رواه أحمد في مسنده رقم : ٥٩٥ ، ١٠٩١ ، ١٢٢١ مطولا ، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٦ : ٢٦٧ ، والحاكم في المستدرك ٤ : ٣٣٦ ، وابن كثير في تفسيره ٢ : ٣٦٨ ، وقال : « رواه أحمد والترمذي وابن ماجة وأصحاب التفاسير » ، والسيوطي في الدر المنثور ٢ : ١٢٦ ، ونسبه لأبي أبي شيبة ، وأحمد ، وعبد بن حميد ، والترمذي ، وابن ماجة ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والحاكم ، والبيهقي في سننه . ورواه الشافعي في الأم ٤ : ٢٩ ، مختصراً كما رواه الطبري ، قال الشافعي : « وقد روى في تبدئة الدين قبل الوصية حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يثبت أهل الحديث مثله » . وساق الحديث عن سفيان عن أبي إسحق .

قال البيهقي : « امتناع أهل الحديث عن إثبات هذا ، لتفرد الحارث الأعور بروايته عن علي رضي الله عنه ، والحارث لا يحتج بخبره لطعن الحفاظ فيه » .

أما الحاكم ، فقد ذكر مثل هذه العلة في الحارث الأعور ، وقال : « لذلك لم يخرجه الشيخان ، وقد صحت هذه الفتوى عن زيد بن ثابت » ، ثم ساق فتوى زيد بن ثابت بإسناده .

وقال ابن كثير : « ثم قال الترمذي : لا نعرفه إلا من حديث الحارث الأعور . وقد تكلم فيه بعض أهل العلم . قلت (القائل ابن كثير) : لكن كان حافظاً للفرائض معتنياً بها وبالحساب » .

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ ذلك : ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾ على مذهب ما قد سُمِّى فاعله ، لأن الآية كلها خبر عمن قد سمى فاعله . ألا ترى أنه يقول : « ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد » ؟ فكذلك الذى هو أولى بقوله : « يوصى بها أو دين » ، أن يكون خبراً عمن قد سمى فاعله ، لأن تأويل الكلام : ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد = من بعد وصية يوصى بها أو دين = يُقضى عنه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « آباؤكم وأبناؤكم » ، هؤلاء الذين أوصاكم الله به فيهم — من قسمة ميراث ميِّتكم فيهم على ما سمى لكم وبيَّنه فى هذه الآية — آباؤكم وأبناؤكم[1] = « لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً » ، يقول : أعطوهم حقوقهم من ميراث ميتهم الذى أوصيتُكم أن تعطوهموها ، فإنكم لا تعلمون أيهم أدنى وأشد نفعاً لكم فى عاجل دنياكم وآجل أخراكم .

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً » .

---

(١) سياق هذه الجملة : « هؤلاء الذين أوصاكم الله به فيهم . . . آباؤكم وأبناؤكم » ، يريد إعراب « آباؤكم وأبناؤكم » ، وأنه خبر لمبتدأ محذوف . ولم يشر أحد من المفسرين إلى هذا الإعراب . بل قال القرطبى فى تفسيره : « رفع بالابتداء ، والخبر مضمر ، تقديره : هم المقسوم عليهم ، وهم المعطون » . وقال الألوسى فى تفسيره : « الخطاب للورثة ، وآباؤكم مبتدأ ، وأبناؤكم معطوف عليه ، ولا تدرون مع ما فى حيزه خبر له » . وكذلك قال العكبرى فى إعراب القرآن ١ : ٩٤ . وأجود القول ما قال أبو جعفر فى سياق هذه الآية .

فقال بعضهم : يعنى بذلك أيهم أقرب لكم نفعاً فى الآخرة .

* ذكر من قال ذلك :

٨٧٤٠ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً » ، يقول : أطوعكم لله من الآباء والأبناء، أرفعكم درجة يوم القيامة ، لأن الله سبحانه يشفع المؤمنين بعضهم فى بعض .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك ، لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً فى الدنيا .

* ذكر من قال ذلك :

٨٧٤١ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « أيهم أقرب لكم نفعاً » ، فى الدنيا .

٨٧٤٢ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٨٧٤٣ – حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً » ، قال بعضهم : فى نفع الآخرة ، وقال بعضهم : فى نفع الدنيا .

* * *

وقال آخرون فى ذلك بما قلنا .

* ذكر من قال ذلك :

٨٧٤٤ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً »، قال : أيهم خيرٌ لكم فى الدين والدنيا،

الوالد أو الولدُ الذين يرثونكم ، لم يدخِل عليكم غيرهم، فرَضَ لهم المواريث ،[١] لم يأت بآخرين يشركونهم فى أموالكم .

* * *

القول فى تأويل قوله :﴿ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ (١١)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه: « فريضة من الله » ،« وإن كان له إخوة فلأمه السدس » ، فريضةً ، يقول : سهاماً معلومة موقتة بيّنها الله لهم .[٢]

* * *

ونصب قوله : « فريضة » على المصدر من قوله: « يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين »= « فريضة »، فأخرج « فريضة » من معنى الكلام، إذ كان معناه ما وصفت . ٤/١٩١

وقد يجوز أن يكون نصبه على الخروج من قوله : « فإن كان له إخوة فلأمه السدس » = «فريضة »، فتكون« الفريضة » منصوبة على الخروج من قوله:[٣] « فإن كان له إخوة فلأمه السدس » ، كما تقول : « هو لك هبة ، وهو لك صدقة منى عليك» .[٤]

* * *

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « فرضى لهم المواريث » ، وهو تحريف وسوء كتابة من الناسخ ، ولا معنى له ، والصواب ما أثبت .

(٢) قوله : « موقتة » ، أى محددة مقدرة بحد ، وقد سلف شرح هذه الكلمة فيما مضى الجزء ٧ : ٥٩٧ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك ، وفى فهرس المصطلحات .
ثم انظر تفسير « الفرض » و « الفريضة » فيما سلف ٤ : ١٢١/٥ : ١٢٠/٧:٥٩٧

(٣) « الخروج » ، انظر تفسيره فيما سلف ٧ : ٢٥ ، تعليق : ٣ ، كأنه يعنى به خروج الحال المؤكدة .

(٤) انظر ما سلف ٧ : ٥٩٩ .

وأما قوله : « إن الله كان عليماً حكيما »، فإنه يعنى جل ثناؤه : إنّ الله لم يزل ذا علم بما يصلح خلقه ،[١] أيها الناس ، فانتهوا إلى ما يأمركم ، يصلح لكم أموركم = « حكيما » ، يقول : لم يزل ذا حكمة فى تدبيره ، وهو كذلك فيما يقسم لبعضكم من ميراث بعض ، وفيما يقضى بينكم من الأحكام ، لا يدخل حكمه خَلَل ولا زلل ، لأنه قضاء من لا تخفى عليه مواضع المصلحة فى البدء والعاقبة .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه ، « ولكم » أيها الناس = « نصف ما ترك أزواجكم »، بعد وفاتهن من مال وميراث =« إن لم يكن لهن ولد » ، يوم يحدث بهن الموت ،[٢] لا ذكر ولا أنثى = « فإن كان لهن ولد »، أى : فإن كان لأزواجكم يوم يحدث بهن الموت ،[٢] ولد ذكر أو أنثى = « فلكم الربع مما تركن »، من مال وميراث ، ميراثاً لكم عنهن = « من بعد وصية يوصين بها أو دين » ، يقول : ذلكم لكم ميراثاً عنهن ، مما يبقى من تركاتهن وأموالهن ، من بعد قضاء ديونهن التى يمتن وهى عليهن ، ومن بعد إنفاذ وصاياهن الجائزة إن كن أوصين بها .

* * *

---

(١) انظر تفسير « كان » نظيرة ما فى هذه الآية ، فيما سلف : ٧ : ٢٣ .

(٢) فى المطبوعة : « يحدث لهن الموت » باللام فى الموضعين ، والصواب ما فى المخطوطة فى الموضعين .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد » ولأزواجكم ، أيها الناس ، ربع ما تركتم بعد وفاتكم من مال وميراث ، إن حدث بأحدكم حَدَثُ الوفاة ولا ولد له ذكر ولا أنثى = « فإن كان لكم ولد » ، يقول : فإن حدث بأحدكم حدث الموت وله ولد ذكر أو أنثى ، واحداً كان الولد أو جماعة = « فلهن الثمن مما تركتم » ، يقول : فلأزواجكم حينئذ من أموالكم وتركتكم التى تخلفونها بعد وفاتكم ، الثمن من بعد قضاء ديونكم التى حدث بكم حدث الوفاة وهى عليكم ، ومن بعد إنفاذ وصاياكم الجائزة التى توصون بها .

* * *

وإنما قيل : « من بعد وصية توصون بها أو دين » ، فقدم ذكر الوصية على ذكر الدين ، لأن معنى الكلام : إن الذى فرضتُ لمن فرضتُ له منكم فى هذه الآيات ، إنما هو له من بعد إخراج أىّ هذين كان فى مال الميت منكم ،[1] من وصية أو دين . فلذلك كان سواءً تقديم ذكر الوصية قبل ذكر الدين ، وتقديم ذكر الدين قبل ذكر الوصية ، لأنه لم يرد من معنى ذلك إخراج الشيئين : « الدين والوصية » من ماله ، فيكون ذكر الدين أولى أن يُبدأ به من ذكر الوصية .[2]

* * *

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « الميت منكن » ، والصواب « منكم » كما أثبتها .

(٢) فى المطبوعة : « إخراج أحد الشيئين » بزيادة « أحد » ، وهى لا معنى لها هنا ، بل هى إخلال بما أراد ، وبما ذكر قبل من قوله : « إنما هو له من بعد إخراج أى هذين كان فى مال الميت منكم » .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وإن كان رجلٌ أو امرأة يورث كلالةً .

* * *

ثم اختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأ ذلك عامة قرأة أهل الإسلام : ﴿ وإنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً ﴾، يعنى : وإن كان رجل يورث متكلَّل النسب .

* * *

فـ « الكلالة » على هذا القول ، مصدر من قولهم : « تكلَّله النسب تكلُّلا وكلالة » ، بمعنى : تعطف عليه النسب .

* * *

وقرأه بعضهم : ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كَلَالَةً﴾، بمعنى : وإن كان رجل يورِث من يتكلَّله ، بمعنى : من يتعطف عليه بنسبه من أخ أو أخت .

* * *

واختلف أهل التأويل فى « الكلالة »

فقال بعضهم : هى ما خلا الوالد والولد .

* ذكر من قال ذلك :

٨٧٤٥ — حدثنا الوليد بن شجاع السَّكونى قال ، حدثنى على بن مسهر ، عن عاصم ، عن الشعبى قال : قال أبو بكر رحمة الله عليه : إنى قد رأيت فى الكلالة رأيًا = فإن كان صواباً فمن الله وحده لا شريك له ، وإن يك خطأ فمنى ومن الشيطان ،[1] والله منه برىء = : أن الكلالة ما خلا الولد والوالد . فلما ٤/٩٢

(١) فى المطبوعة : « وإن يكن خطأ » ، وأثبت ما فى المخطوطة . وفى المطبوعة : « أبو بكر رضى الله عنه » ، وكذلك لما ذكر « عمر » ، وأثبت ما فى المخطوطة فى هذا الموضع وفيما يليه ، ولم أنبه إليه فيما يلى . وفى المخطوطة والمطبوعة : « فمنى والشيطان » بإسقاط « من » ، والصواب من تفسير ابن كثير والبغوى بهامشه ٢ : ٣٧٠ ، والدر المنثور ٢ : ٢٥٠ .

استخلف عمر رحمة الله عليه قال : إنى لأستحيي من الله تبارك وتعالى أن أخالف أبا بكر فى رأى رآه .(١)

٨٧٤٦ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عاصم الأحول قال ، حدثنا الشعبي : أن أبا بكر رحمه الله قال فى الكلالة : أقول فيها برأيي ، فإن كان صواباً فمن الله : هو ما دون الولد والوالد . قال : فلما كان عمر رحمه الله قال : إنى لأستحيي من الله أن أخالف أبا بكر .

٨٧٤٧ – حدثنا [يونس بن عبد الأعلى] قال، أخبرنا سفيان ، عن عاصم الأحول ، عن الشعبي : أن أبا بكر وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما قالا : الكلالة من لا ولد له ولا والد .(٢)

٨٧٤٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنى أبى ، عن عمران بن حدير ، عن السميط قال : كان عمر رجلا أيسر ، (٣) فخرج يوماً وهو يقول بيده

---

(١) الأثر : ٨٧٤٥ – أخرجه البيهقى فى السنن ٦ : ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، وابن كثير والبغوى ٢ : ٣٧٠ ، والدر المنثور ٢ : ٢٥٠ ، ونسبه أيضاً لعبد الرزاق ، وسعيد بن منصور ، وابن أبى شيبة ، وابن المنذر ، وفى الدر والبيهقى : « فلما طعن عمر » ، وفى ابن كثير : « فلما ولى عمر » ، وإحدى روايتى البيهقى ، ورواية البغوى كرواية الطبرى : « فلما استخلف » .

(٢) الأثر : ٨٧٤٧ – « يونس بن عبد الأعلى الصدفى المصرى » شيخ الطبرى ، روى عنه أبو جعفر شيئاً كثيراً فى تفسيره وفى غيره من كتبه ، وقد مضى برقم : ١٦٧٩ . وكان فى المطبوعة : « أبو بشر بن عبد الأعلى » ، وليس فى الرواة من كان بهذا الاسم ، وخاصة فى شيوخ أبى جعفر . وفى المخطوطة : « أبو بشر عبد الأعلى » ، وهذا أيضاً لا يعرف ، ورجح عندى أنه تصحيف وتحريف من الناسخ ، وأن صوابه « يونس بن عبد الأعلى » شيخ الطبرى ، فأثبته كذلك بين قوسين .

(٣) جاء فى هذا الأثر فى صفة عمر أنه « أيسر » ، والذى جاء فى الآثار من صفته أنه « أعسر يسر (بفتحتين) يعمل بيديه جميعاً » ، وذلك هو الذى يسمونه « الأضبط » ، تكون قوة شماله ، كقوة يمينه فى العمل . فإذا كان يعمل بيده الشمال خاصة فهو « أعسر » ، والرجل إذا كان « أعسر » وليس « يسراً » ، كانت يمينه أضعف من شماله .

هذا ، وكأنه أراد هنا بقوله : « أيسر » أنه يعمل بشماله ، وهو غريب عند أهل اللغة ، وقد جاء أيضاً فى صفة عمر « أعسر أيسر » ، فقال أبو عبيد القاسم بن سلام : « هكذا روى فى الحديث ، وأما كلام العرب، فالصواب أنه «أعسر يسر » . وقال ابن السكيت : « لا تقل أعسر أيسر » . ولكن

هكذا، [١] يديرها، إلا أنه قال: أتى علىّ حين ولست أدرى ما الكلالة، ألاّ وإنّ الكلالة ما خلا الولد والوالد. [٢]

٨٧٤٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى، عن سفيان، عن جابر، عن عامر، عن أبى بكر قال: الكلالة ما خلا الولد والوالد.

٨٧٥٠ – حدثنى يونس قال، أخبرنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن الحسن بن محمد، عن ابن عباس قال: الكلالة من لا ولد له ولا والد.

٨٧٥١ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، سمعت ابن جريج يحدث، عن عمرو بن دينار، عن الحسن بن محمد، عن ابن عباس قال: الكلالة من لاولد له ولاوالد.

٨٧٥٢ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا مؤمل قال، حدثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن الحسن بن محمد بن الحنفية، عن ابن عباس قال: الكلالة ما خلا الولد والوالد. [٣]

٨٧٥٣ – حدثنا ابن بشار وابن وكيع قالا، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا

هكذا جاءت الرواية فيما بين أيدينا من تفسير أبى جعفر، فلا أدرى أأخطأ ناسخها، أم هكذا كانت روايته. ولم أجد الخبر بتمامه فى مكان آخر.

(١) قوله: «يقول بيده هكذا»، أى: يحركها ويشير بها أو يومىء. و «القول» فى كلام العرب يوضع مواضع كثيرة، منها معنى الإشارة والتحريك والإيماء..

(٢) الأثر: ٨٧٤٨ – أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ٦: ٢٢٤ من طريق محمد بن نصر، عن عبد الأعلى، عن حماد، عن عمران بن حدير، عن السميط بن عمير، بغير هذا اللفظ مختصراً، وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢: ٢٥٠ – ٢٥١ مختصراً، ولم ينسبه لغير ابن أبى شيبة.

و «عمران بن حدير السدوسى» مضت ترجمته فيما سلف برقم: ٢٦٣٤.

وأما «السميط» فهو: سميط بن عمير السدوسى، ويقال: سميط بن سمير، ويقال سميط بن عمرو. مترجم فى التهذيب، والكبير للبخارى: ٢/٢/٢٠٤، وابن أبى حاتم ٢/١/٣١٧.

(٣) الآثار: ٨٧٥٠، ٨٧٥١، ٨٧٥٢ – ثلاث طرق، وأخرجه البيهقى فى السنن ٦: ٢٢٥ من طريقين، من طريق أبى سعيد الأعرابى، عن سعدان بن نصر، عن سفيان – ومن طريق محمد بن نصر، عن محمد بن الصباح، عن سفيان، مطولا.

أبي ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن سليم بن عبد ، عن ابن عباس بمثله .[١]

٨٧٥٤ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن سليم بن عبد السلولي ، عن ابن عباس قال : الكلالة ما خلا الولد والوالد .

٨٧٥٥ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة » ، قال : الكلالة من لم يترك ولداً ولا والداً .

٨٧٥٦ – حدثني محمد بن عبيد المحاربي قال ، حدثنا أبو الأحوص ، عن أبي إسحق ، عن سليم بن عبد قال : ما رأيتهم إلاّ قد اتفقوا أن من مات ولم يدع ولداً ولا والداً ، أنه كلالة .

٨٧٥٧ – حدثنا تميم بن المنتصر قال ، حدثنا إسحق بن يوسف ، عن شريك ، عن أبي إسحق ، عن سليم بن عبد قال : ما رأيتهم إلا قد أجمعوا أنّ الكلالة الذي ليس له ولد ولا والد .

٨٧٥٨ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحق ، عن سليم بن عبد قال : الكلالة ما خلا الولد والوالد .

٨٧٥٩ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن فضيل ، عن أشعث ، عن أبي

---

(١) الأثر : ٨٧٥٣ ، ثم الآثار : ٨٧٥٤ ، ٨٧٥٦ ، ٨٧٥٧ ، ٨٧٥٨ ، ٨٧٥٩ – طرق مختلفة لخبر سليم بن عبد السلولي عن ابن عباس وسيرويه أيضاً برقم : ٨٧٦٨ . أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٢ : ٢٢٤ من طريق أخرى ، من طريق يحيى بن يحيى ، عن هشيم ، عن زكريا ابن أبي زائدة ، عن أبي إسحق . وأشار إلى رقم : ٨٧٥٣ ، ٨٧٥٤ ، طريق إسرائيل عن أبي إسحق .

و « سليم بن عبد السلولي » ، ويقال : « سليم بن عبد الله » ، كوفي . مترجم في الكبير للبخاري ١٢٧/٢/٢ ، وابن أبي حاتم ٢١٢/١/٢ ، وتعجيل المنفعة : ١٦٣ ، قال البخاري وأبو حاتم : « روى عن حذيفة ، روى عنه أبو إسحق السبيعي » ، وزاد الحافظ في تعجيل المنفعة « فقط » . وقال : « وثقه ابن حبان وقال : شهد غزوة طبرستان ، وقال العجلي : كوفي ثقة ، هم ثلاثة إخوة : سليم بن عبد ، وعمارة بن عبد ، وزيد بن عبد . ثقات ، سلوليون ، كوفيون » .

هذا وقد أفادنا إسناد الطبري والبيهقي ، أنه روى أيضاً عن غير حذيفة من الصحابة ، روى عن ابن عباس أيضاً كما تسمع .

إسحق ، عن سليم بن عبد قال : أدركتهم وهم يقولون ، إذا لم يدع الرجل ولداً ولا والداً ، ورِث كلالة .

٨٧٦٠ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله: « وإن كان رجل يورَث كلالة أو امرأة » ،والكلالة الذى الذى لا ولد له ولا والد ، لا أب ولا جد ، ولا ابن ولا ابنة ، فهؤلاء الأخوة من الأم .

٨٧٦١ – حدثنى محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن الحكم قال فى الكلالة : ما دون الولد والوالد .

٨٧٦٢ – حدثنا يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : الكلالة كل من لا يرثه والد ولا ولد ، وكل من لا ولد له ولا والد فهو يورث كلالة ، من رجالهم ونسائهم .

٨٧٦٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة والزهرى وأبى إسحق، قال : الكلالة من ليس له ولد ولا والد . ٤/١٩٣

٨٧٦٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا محمد بن محمد ، عن معمر ، عن الزهرى وقتادة وأبى إسحق مثله .

* * *

وقال آخرون : « الكلالة ما دون الولد » ،وهذا قول عن ابن عباس ،وهو الخبر الذى ذكرناه قبل من رواية طاوس عنه : [1] أنه ورَّث الإخوة من الأم السدس مع الأبوين .

* * *

وقال آخرون : الكلالة ما خلا الوالد .

* ذكر من قال ذلك :

٨٧٦٥ – حدثنا ابن المثنى قال،حدثنا سهل بن يوسف ، عن شعبة، قال :

---

(١) هو الأثر رقم : ٨٧٣٤ ، فيما سلف .

سألت الحكم عن الكلالة قال : فهو ما دون الأب .

* * *

واختلف أهل العربية فى الناصب للكلالة .

فقال بعض البصريين : إن شئت نصبت « كلالة » على خبر « كان » ، وجعلت « يورث » من صفة « الرجل » . وإن شئت جعلت « كان » تستغنى عن الخبر نحو « وقع » ، وجعلت نصب « كلالة » على الحال ، أى : يورث كلالة ، [1] كما يقال : « يضرب قائماً » .

* * *

وقال بعضهم قوله : « كلالة » ، خبر « كان » ، لا يكون الموروث كلالة ، وإنما الوارث الكلالةُ .

* * *

قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك عندى أن « الكلالة » منصوب على الخروج من قوله : « يورث » ، وخبر « كان » « يورث » . و« الكلالة » وإن كانت منصوبة بالخروج من « يورث » ، فليست منصوبة على الحال ، ولكن على المصدر من معنى الكلام . لأن معنى الكلام : وإن كان رجل يورَث متكلَّله النسب كلالةً = ثم ترك ذكر « متكلَّله » اكتفاء بدلالة قوله « يورث » عليه .

* * *

واختلف أهل العلم فى المسمَّى « كلالة » .

فقال بعضهم : « الكلالة » الموروث ، وهو الميت نفسه ، يسمى بذلك إذا ورثه غير والده وولده . [2]

* ذكر من قال ذلك :

٨٧٦٦ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا

---

(١) فى المطبوعة : « يورث كلالة » ، وفى المخطوطة يشبه أن تكون « مورث » ، وتلك أجود ، فأثبتها لأنها أحق بالمكان .

(٢) فى المطبوعة : « سمى بذلك » وفى المخطوطة : « سمى » غير منقوطة ، وصواب قراءتها ما أثبت .

أسباط ، عن السدى قوله فى الكلالة ،[١] قال : الذى لا يدع والداً ولا ولداً .

٨٧٦٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن عيينة ، عن سليمان الأحول ، عن طاوس ، عن ابن عباس قال : كنت آخر الناس عهداً بعمر رحمه الله،[٢] فسمعته يقول : القولُ ما قلت .[٣] قلت : وما قلت ؟ قال : الكلالة من لا لا ولد له .[٤]

٨٧٦٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ويحيى بن آدم ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحق ، عن سليم بن عبد ، عن ابن عباس قال : الكلالة من لا ولد له ولا والد .[٥]

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « قولهم فى الكلالة » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو الصواب .

(٢) فى المطبوعة : « رضى الله عنه » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « فسمعته يقول ما قلت » ، أسقط « القول » ، وفى المخطوطة : « فسمعته يقول يقول ما قلت »، وهو عجلة من الناسخ وتحريف، والصواب ما أثبت من السنن الكبرى للبيهقى .

(٤) الأثر : ٨٧٦٧ – « سليمان الأحول » هو : سليمان بن أبى مسلم المكى الأحول ، خال ابن أبى نجيح . وهو ثقة ، روى عنه الستة .

وهذا الأثر أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ٢ : ٢٢٥ من طريق سعدان بن نصر ، عن سفيان (يعنى ابن عيينة) ، عن سليمان الأحول . وقال البيهقى معقباً على روايته : « كذا فى هذه الرواية ، والذى روينا عن عمر وابن عباس فى تفسير الكلالة ، أشبه بدلائل الكتاب والسنة من هذه الرواية ، وأولى أن يكون صحيحاً ، لانفراد هذه الرواية ، وتظاهر الروايات عنهما بخلافها » .

وأشار إليها ابن كثير فى تفسيره ٢ : ٣٧١ قال : « وقد روى عن ابن عباس ما يخالف ذلك ، وهو أنه من لا ولد له ، والصحيح عنه الأول ، ولعل الراوى ما فهم عنه ما أراد » .

هذا ، ولم يغفل أبو جعفر عن ذلك ، فعقب عليه هو أيضاً برواية القول المشهور فى الرواية عن ابن عباس ، فساق خبر سليم بن عبد السلولى عن ابن عباس ، الذى سلف من رقم : ٨٧٥٣ – ٨٧٥٩ ، من طريق أخرى، واكتفى بذلك من التعليق على هذا القول الذى انفرد به طاوس عن ابن عباس .

(٥) الأثر ٨٧٦٨ – هما إسنادان أحدهما « ابن وكيع عن أبيه » ، وقد سلف ٨٧٥٤ ، والآخر : « ابن وكيع عن يحيى بن آدم » ، وهو إسناد لم يذكره مع أسانيد هذا الأثر فيما سلف من رقم : ٨٧٥٣ – ٨٧٥٩ .

وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « سليمان بن عبد » ، وهو خطأ ، بل هو « سليم بن عبد السلولى » كما سلف فى أسانيد الأثر .

وقال آخرون : « الكلالة » ، هى الورثة الذين يرثون الميت ، إذا كانوا إخوة أو أخوات أو غيرهم ، إذا لم يكونوا ولداً ولا والداً ، على ما قد ذكرنا من اختلافهم فى ذلك .

* * *

وقال آخرون : بل « الكلالة » الميت والحى جميعاً .

* ذكر من قال ذلك :

٨٧٦٩ – حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد : الكلالة الميت الذى لا ولد له ولا والد = أو الحى ، كلهم « كلالة » ، هذا يَرِث بالكلالة ، وهذا يورَث بالكلالة .[1]

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى ما قاله هؤلاء ، وهو أن « الكلالة » ، الذين يرثون الميت ، من عَدا ولده ووالده ، وذلك لصحة الخبر الذى ذكرناه عن جابر بن عبد الله أنه قال : قلت يا رسول الله ؟ إنما يرثنى كلالة ، فكيف بالميراث[2] = وبما : –

٨٧٧٠ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن ابن عون ، عن عمرو بن سعيد قال ، كنا مع حميد بن عبد الرحمن فى سوق الرقيق ، قال : فقام من عندنا ثم رجع ، فقال : هذا آخر ثلاثة من بنى سعد حدَّثونى هذا الحديث ، قالوا : مرض سعد بمكة مرضاً شديداً ، قال : فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوده . فقال : يا رسول الله ، لى مال كثير ، وليس لى وارثٌ إلاّ كلالة ، فأوصى بمالى كله ؟ فقال : لا .[3]

---

(١) فى المخطوطة : « هذا يرث بالكلالة ، وهذا يرث بالكلالة » ، وهو سهو من الناسخ ، صوابه ما فى المطبوعة .

(٢) هو الأثر السالف رقم : ٨٧٣٠ .

(٣) الأثر : ٨٧٧٠ – « عمرو بن سعيد القرشى » ، روى عن سعيد بن جبير ، وأبى العالية ، والشعبى ، وحميد بن عبد الرحمن الحميرى ، روى عنه أيوب ، ويونس ، وابن عون ، وغيرهم . وهو ثقة .

٨٧٧١ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا ٤/١٩٤
إسحق بن سويد ، عن العلاء بن زياد قال : جاء شيخٌ إلى عمر رضى الله عنه فقال : إنّى شيخ ، وليس لى وارث إلا كلالةُ أعراب مُتراخٍ نسبُهم ،(١) أفأوصى بثلث مالى ؟ قال : لا .

* * *

= فقد أنبأت هذه الأخبار عن صحة ما قلنا فى معنى « الكلالة » ، وأنها ورثة الميت دون الميت ، ممن عدا والده وولده .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « وله أخ أو أخت » ، وللرجل الذى يورث كلالة أخ أو أخت ، يعنى : أخاً أو أختاً من أمه ، كما : –

٨٧٧٢ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن يعلى بن عطاء ، عن القاسم ، عن سعد أنه كان يقرأ : « وإن كان رجل

و « حميد بن عبد الرحمن الحميرى » ، روى له الستة ، روى عن أبى بكرة وابن عمر ، وأبى هريرة ، وابن عباس ، وثلاثة من ولد سعد بن أبى وقاص (هم المذكورون فى هذا الأثر) وغيرهم . قال ابن سعد : « كان ثقة ، وله أحاديث » . وكلاهما مترجم فى التهذيب .

وخبر سعد بن أبى وقاص فى الوصية ، وقوله : « إنى أورث كلالة » ، رواه ابن سعد فى الطبقات ٣/١/١٠٣ ، وأحمد فى مسنده ٤ : ٦٠ ، كلاهما : عفان بن مسلم ، عن وهيب ، عن عبد الله ابن عثمان بن خثيم ، عن عمرو بن القارى ، عن أبيه ، عن جده عمرو بن القارى .

وأخرجه ابن عبد البر فى الاستيعاب : ٤٤٤ ، وابن الأثير فى أسد الغابة ٤ : ١١٩ وقال : « أخرجه الثلاثة » يعنى ابن منده ، وأبو نعيم ، وابن عبد البر .

(١) قوله « متراخ نسبهم » ، أى : بعيد نسبهم ، من قولهم : « تراخى فلان عنى » ، أى : بعد عنى ، ولم يذكر أصحاب اللغة شاهداً له ، وهذا شاهده .

يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت » ، قال ، سعد : لأمه .

٨٧٧٣ – حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا شعبة ، عن يعلى بن عطاء قال : سمعت القاسم بن ربيعة يقول : قرأت على سعد : « وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت » ، قال ، سعد : لأمه

٨٧٧٤ – حدثنى محمد بن المثنى قال ، حدثنا وهب بن جرير قال ، حدثنا شعبة ، عن يعلى بن عطاء ، عن القاسم بن ربيعة بن قانف[1] قال : قرأت على سعد ، فذكر نحوه .

٨٧٧٥ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، أخبرنا هشيم قال ، أخبرنا يعلى ابن عطاء ، عن القاسم بن ربيعة قال : سمعت سعد بن أبى وقاص قرأ : « وإن كان رجل يورث كلالة وله أخ أو أخت من أمه » .[2]

٨٧٧٦ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وله أخ أو أخت » ، فهؤلاء الإخوة من الأم : إن كان واحداً فله السدس ، وإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث ، ذكرهم وأنثاهم فيه سواء .[3]

٨٧٧٨ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت » ،

---

(١) فى المطبوعة : « القاسم بن ربيعة عن فاتك » ، وهو خطأ محض ، وفى المخطوطة كما أثبتها إلا أن الناسخ أساء كتابتها ونقطها ، فغيرها الناشرون . وانظر التعليق التالى .

(٢) الآثار : ٨٧٧٢ – ٨٧٧٥ – « القاسم بن ربيعة » ، هو : « القاسم بن ربيعة بن قانف الثقفى » منسوباً إلى جده ، فهو : « القاسم بن عبد الله بن ربيعة بن قانف الثقفى » . ثقة ، لم يرو عنه سوى « يعلى بن عطاء العامرى » ، وقد سلفت ترجمته وإسناده فيما مضى رقم : ١٧٥٥ – ١٧٥٧ .

وهذا الخبر عن سعد بن أبى وقاص ، أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ٦ : ٢٢٣ ، والسيوطى فى الدر المنثور ٢ : ١٢٦ ، وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، والدارمى ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم .

(٣) سقط من الترقيم رقم : ٨٧٧٧

فهؤلاء الإخوة من الأم ، فهم شركاء فى الثلث ، سواءٌ الذكر والأنثى .

* * *

قال أبو جعفر : وقوله : « فلكل واحد منهما السدس » ، إذا انفرد الأخ وحده أو الأخت وحدها ، ولم يكن أخ غيره أو غيرها من أمه ، فله السدس من ميراث أخيه لأمه . فإن اجتمع أخ وأخت ، أو أخوان لا ثالث معهما لأمهما ، أو أختان كذلك ، أو أخ وأخت ليس معهما غيرهما من أمهما = فلكل واحد منهما من ميراث أخيهما لأمهما السدس = « فإن كانوا أكثر من ذلك » ، يعنى : فإن كان الإخوة والأخوات لأم الميت الموروث كلالة أكثرَ من اثنين = « فهم شركاء فى الثلث » ، يقول : فالثُّلث الذى فرضت لاثنيهم إذا لم يكن غيرهما من أمهما ميراثاً لهما من أخيهما الميت الموروث كلالة ، شركة بينهم ، إذا كانوا أكثر من اثنين إلى ما بلغ عددهم على عدد رؤوسهم ، لا يفضل ذكر منهم على أنثى فى ذلك ، ولكنه بينهم بالسويّة .

* * *

فإن قال قائل : وكيف قيل : « وله أخ أو أخت » ، ولم يُقَل : « لهما أخ أو أخت » ، وقد ذكر قبل ذلك « رجل أو امرأة » ، فقيل : [1] « وإن كان رجلٌ يورث كلالة أو امرأة » ؟

قيل : إن من شأن العرب إذا قدمت ذكر اسمين قبل الخبر ، فعطفت أحدهما على الآخر » بـ « أو » ، ثم أتت بالخبر ، أضافت الخبر إليهما أحياناً ، وأحياناً إلى أحدهما . وإذا أضافت إلى أحدهما ، كان سواء عندها إضافة ذلك إلى أىّ الاسمين اللذين ذكرتهما أضافته ، فتقول : « من كان عنده غلام أو جارية فليحسن إليه » ، يعنى : فليحسن إلى الغلام — و « فليحسن إليها » ، يعنى : فليحسن إلى الجارية — و « فليحسن إليهما » . [2]

* * *

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « وقد ذكر مثل ذلك » وهو خطأ بين ، وصواب السياق ما أثبت

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

وأما قوله : « فلكل واحد منهما السدس » ، وقد تقدم ذكر الأخ والأخت بعطف أحدهما على الآخر ، والدلالة على أن المراد بمعنى الكلام أحدهما فى قوله : « وله أخ أو أخت » ، فإن ذلك إنما جاز ، لأن معنى الكلام ، فلكل واحد من المذكورين السدس . (١) ٤/ ١٩٥

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴾ (١٢)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « من بعد وصية يوصى بها » ، أى : هذا الذى فرضت لأخى الميت الموروث كلالة وأخته أو إخوته وأخواته من ميراثه وتركته ، إنما هو لهم من بعد قضاء دين الميت الذى كان عليه يوم حدث به حَدَثُ الموت من تركته ، وبعد إنفاذ وصاياه الجائزة التى يوصى بها فى حياته لمن أوصى له بها بعد وفاته ، كما : —

٨٧٧٩ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « من بعد وصية يوصَى بها أو دين » ، والدين أحق ما بدئ به من جميع المال ، فيؤدّى عن أمانة الميت ، ثم الوصية ، ثم يقسم أهل الميراث ميراثهم .

* * *

وأما قوله : « غير مضارّ » ، فإنه يعنى تعالى ذكره : من بعد وصية يوصى بها ، غيرَ مضارّ ورثته فى ميراثهم عنه ، كما : —

٨٧٨٠ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ،

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « ولكل واحد » بالواو ، والسياق يقتضى ما أثبت .

عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « غير مضار » ، قال : في ميراث أهله .

٨٧٨١ – حدثني القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « غير مضار » ، قال : في ميراث أهله .

٨٧٨٢ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « غير مضار وصية من الله » ، وإن الله تبارك وتعالى كره الضرار في الحياة وعند الموت، ونهى عنه ، وقدّم فيه ، فلا تصلح مضارّة في حياة ولا موت .

٨٧٨٣ – حدثني نصر بن عبد الرحمن الأزدي قال ، حدثنا عبيدة بن حميد = وحدثني يعقوب بن إبراهيم قال ،حدثنا ابن علية = جميعاً ،عن داود بن أبي هند، عن عكرمة ، عن ابن عباس في هذه الآية : « غير مضار وصية من الله والله عليم حليم » ، قال : الضرار في الوصية من الكبائر .(١)

٨٧٨٤ – حدثنا ابن أبي الشوارب قال،حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : الضرار في الوصية من الكبائر .

٨٧٨٥ – حدثنا حميد بن مسعدة قال ،حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس مثله .

٨٧٨٦ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : الحيفُ في الوصية من الكبائر .

٨٧٨٧ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا ابن أبي عدي وعبد الأعلى قالا ، حدثنا داود، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: الضرار والحيف في الوصية من الكبائر .(٢)

---

(١) الأثر : ٨٧٨٣ – « نصر بن عبد الرحمن الأزدي » ، مضت ترجمته برقم : ٤٢٣ ، ٨٧٥ ، ٢٨٥٩ ، وقد وقع هنا في المخطوطة والمطبوعة ، كما كان قد وقع هناك فيهما « الأودي » بالواو ، وهو خطأ .

و « عبيدة بن حميد بن صهيب التيمي » ، مضى برقم : ٢٧٨١ .

ثم انظر التعليق في آخر هذه الآثار رقم : ٨٧٨٧ ، ٨٧٨٨ .

(٢) الأثر ٨٧٨٧ – وما قبله ، أثر ابن عباس ، رواه أبو جعفر بخمسة أسانيد موقوفاً عليه ، وسيأتي في الذي يليه مرفوعاً ، وقد أخرجه البيهقي في السنن ٦ : ٢٧١ من طريق سعيد بن منصور ،

٨٧٨٨ - حدثني موسى بن سهل الرملي قال ، حدثنا إسحق بن إبراهيم أبو النضر قال ، حدثنا عمر بن المغيرة قال ، حدثنا داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الضرار في الوصية من الكبائر .(١)

عن هشيم ، عن داود بن أبي هند ، وقال : « هذا هو الصحيح ، موقوف ، وكذلك رواه ابن عيينة وغيره عن داود موقوفاً . وروى من وجه آخر مرفوعاً ، ورفعه ضعيف » ، وهو إشارة إلى الأثر التالي الذي رواه الطبري .

وخرجه ابن كثير في تفسيره ٢ : ٣٧٢ ، ٣٧٣ قال : « رواه النسائي في سننه ، عن علي ابن حجر ، عن علي بن مسهر ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس موقوفاً . . . وكذا رواه ابن أبي حاتم ، عن أبي سعيد الأشج ، عن عائذ بن حبيب ، عن داود بن أبي هند . ورواه ابن جرير من حديث جماعة من الحفاظ ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس موقوفاً » ، ثم قال : « قال ابن جرير : والصحيح الموقوف » . وهذا الذي نسبه ابن كثير لابن جرير ، لم أجده في تفسيره في مظنته في هذا الموضع ، فلا أدري أسقط من الكتاب شيء ، أم وجده ابن كثير في مكان آخر من كتب أبي جعفر ، أم تعجل ابن كثير فأخطأ ؟

هذا ، وقد جاء في هذه الآثار في المخطوطة والمطبوعة : « الحيف في الوصية » ، وفي السنن الكبرى « الجنف » ، وهو مثله في المعنى ، وهو الموافق لما في آية الوصية من سورة البقرة : ١٨٢ « فمن خاف من موص جنفاً أو إثماً » .

(١) الأثر : ٨٧٨٨ - « إسحق بن إبراهيم بن يزيد » أبو النضر الدمشقي الفراديسي ، مولى عمر بن عبد العزيز ، روى عنه البخاري ، وربما نسبه إلى جده يزيد . وهو ثقة ، مترجم في التهذيب .

وأما « عمر بن المغيرة » أبو حفص فهو بصري ، وقع إلى المصيصة ، روى عن داود بن أبي هند والجلد بن أيوب ، وروى عنه بقية بن الوليد ، وهشام بن عمار . قال ابن أبي حاتم : « سألت أبي عنه فقال : شيخ » وقال : « وروى عنه أبو النضر الدمشقي الفراديسي إسحق بن إبراهيم » . وقال البخاري : « عمر بن المغيرة ، منكر الحديث مجهول » . وقال علي بن المديني : « هو مجهول ، لا أعرفه » . مترجم في ابن أبي حاتم ٣/١/١٣٦ ، ولسان الميزان ٤ : ٣٣٢.

وكان في المطبوعة والمخطوطة : « عمرو بن المغيرة » ، والصواب ما أثبته .

وهذا الأثر أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٦ : ٢٧١ من طريق عبد الله بن يوسف التنيسي ، عنه . وخرجه ابن كثير في تفسيره ٢ : ٣٧٢ ، ونسبه لأبي بن حاتم ، عن أبيه ، عن أبي النضر الدمشقي ، عن عمر بن المغيرة .

وقال الحافظ في ترجمة « إسحق بن إبراهيم » في التهذيب ١ : ٢٢٠ = « روى له الأزدي في الضعفاء حديثاً عن عمر بن المغيرة ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس رفعه : الضرار في الوصية من الكبائر . قال الأزدي : المحفوظ من قول ابن عباس ، لا يرفعه . قلت : (القائل هو الحافظ ابن حجر) : عمر ، ضعيف جداً ، فالحمل فيه عليه ، وقد رواه الثوري وغيره عن داود موقوفاً » .

٨٧٨٩ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا أبو عمرو التيمي ، عن أبي الضحى قال : دخلت مع مسروق على مريض ، فإذا هو يوصي قال : فقال له مسروق : اعدل لا تضلل .(١)

* * *

ونصبت « غيرَ مضارّ » ، على الخروج من قوله : « يوصَى بها » .(٢)

* * *

وأما قوله : « وصية » فإن نصبه من قوله : « يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين » ، وسائر ما أوصى به في الاثنين ، ثم قال : « وصية من الله » ، مصدراً من قوله : « يوصيكم » .(٣)

* * *

وقد قال بعض أهل العربية : ذلك منصوب من قوله : « فلكل واحد منهما السدس » = « وصية من الله » ، وقال : وهو مثل قولك : « لك درهمان نفقةً إلى أهلك » .(٤)

* * *

قال أبو جعفر : والذي قلناه بالصواب أولى ، لأن الله جل ثناؤه افتتح ذكر قسمةِ المواريث في هاتين الآيتين بقوله : « يوصيكم الله » ، ثم ختم ذلك بقوله : « وصية من الله » ، أخبر أن جميع ذلك وصية منه به عباده ، فنصْبُ قوله : « وصية » على المصدر من قوله : « يوصيكم » ، أولى من نصبه على التفسير من قوله :(٥) « فلكل واحد منهما السدس » ، لما ذكرنا . ٤/١٩٦

* * *

---

(١) الأثر : ٨٧٨٩ – « أبو عمرو التيمي » ، لم أعرف من هو ؟ وأخشى أن يكون « أبو المعتمر التيمي » وهو « سليمان بن طرخان التيمي » .

(٢) « الخروج » انظر ما سلف ص : ٥٠ ، تعليق : ٣ .

(٣) « المصدر » يعني به المفعول المطلق .

(٤) هذه مقالة الفراء في معاني القرآن ١ : ٢٥٨ .

(٥) « التفسير » هو التمييز ، كما أسلفنا مراراً آخرها في ٦ : ٥٨٦ ، تعليق : ١ .

ويعنى بقوله تعالى ذكره : « وصية من الله » ، عهداً من الله إليكم فيما يجب لكم من ميراث من مات منكم = [١] « والله عليم » ، يقول : والله ذو علم بمصالح خلقه ومضارّهم ، ومن يستحق أن يعطى من أقرباء من مات منكم وأنسبائه من ميراثه ، ومن يحرم ذلك منهم ، ومبلغ ما يستحق به كل من استحق منهم قسماً ، وغير ذلك من أمور عباده ومصالحهم = « حليم » ، يقول : ذو حلم على خلقه ، وذو أناة فى تركه معاجلتهم بالعقوبة على ظلم بعضهم بعضاً ، [٢] فى إعطائهم الميراث لأهل الجلد والقوة من ولد الميت ، وأهل الغناء والبأس منهم ، دون أهل الضعف والعجز من صغار ولده وإناثهم .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (١٣)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « تلك حدود الله » .

فقال بعضهم : يعنى به : تلك شروط الله. [٣]

* ذكر من قال ذلك :

٨٧٩٠ ــ حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا

---

(١) انظر تفسير « الوصية » فيما سلف ص : ٣٠ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « عليم » و « حليم » فى مادتهما من فهارس اللغة فيما سلف .

(٣) انظر تفسير « الحدود » فيما سلف ٣ : ٥٤٦ ، ٤/٥٤٧ : ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٨٣ – ٥٨٥ ، ٥٩٩ ، وفى هذا الموضع تفصيل لم يسبق مثله فيما سلف ، وهو تفصيل فى غاية الجودة والدقة .

أسباط ، عن السدى : « تلك حدود الله » ، يقول : شروط الله .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : تلك طاعة الله .

* ذكر من قال ذلك :

٨٧٩١ – حدثنى المثنى قال : حدثنا أبو صالح قال ، حدثنا معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « تلك حدود الله » ، يعنى : طاعة الله ، يعنى المواريث التى سمّى الله .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : تلك سنة الله وأمره .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : تلك فرائض الله .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب ما نحن مبيّنوه ، وهو أن «حدّ» كل شىء : ما فصّل بينه وبين غيره ، ولذلك قيل لحدود الدار وحدود الأرضين : « حدود » ، لفصلها بين ما حُدّ بها وبين غيره .(١)

فكذلك قوله : « تلك حدود الله » ، معناه : هذه القسمة التى قسمها لكم ربكم ، والفرائض التى فرضها لأحيائكم من موتاكم فى هذه الآية على ما فرض وبيّن فى هاتين الآيتين ، « حدود الله » ، يعنى : فصول ما بين طاعة الله ومعصيته فى قسمكم مواريث موتاكم ، كما قال ابن عباس .(٢) وإنما ترك « طاعة الله » ،(٣) والمعنى

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : «لفصولها بين ما حد بها وبين غيره» كأن « الفصول » مصدر « فصل بين الشيئين يفصل » ، ولكن أهل اللغة لم يجعلوا ذلك مصدراً لهذا المعنى ، بل قالوا مصدره « الفصل » . أما « الفصول » فهو مصدر « فصل فلان من عندى » إذا خرج . والذى قاله أصحاب اللغة هو الصواب المحض .

وأنا أرجح أن الناسخ أسقط من الكلام شيئاً ، وأن أصل عبارة الطبرى : « ولذلك قيل لحدود الدار وحدود الأرضين حدود – وهى فصولها ، لفصلها . . . » ، و « الفصول » هنا ، وكما ستأتى فى عبارته بعد ، جمع « فصل » (بفتح فسكون) ، وهو مثل « الحد » ، وهو الحاجز بين الشيئين .

(٢) يعنى فى الأثر رقم : ٨٧٩١ .

(٣) هكذا فى المخطوطة والمطبوعة : « طاعة الله » ، وإنما المتروك « طاعة » وحدها : فكنت أوثر أن يكون الكلام : « وإنما ترك – طاعة – والمعنى بذلك . . . » .

بذلك : حدود طاعة الله، اكتفاء بمعرفة المخاطبين بذلك بمعنى الكلام من ذكرها. والدليل على صحة ما قلنا فى ذلك قوله : « ومن يطع الله ورسوله » ، والآية التى بعدها : « ومن يعص الله ورسوله ».[1]

* * *

فتأويل الآية إذاً : هذه القسمة التى قسم بينكم ، أيها الناس ، عليها ربكم مواريثَ موتاكم ، فصولٌ فصَل بها لكم بين طاعته ومعصيته ، وحدود لكم تنتهون إليها فلا تتعدَّوها، ليعلم منكم أهلَ طاعته من أهل معصيته،[2] فيما أمركم به من قسمة مواريث موتاكم بينكم، وفيما نهاكم عنه منها .

ثم أخبر جل ثناؤه عما أعدَّ لكل فريق منهم فقال لفريق أهل طاعته فى ذلك : « ومن يطع الله ورسوله » فى العمل بما أمره به ، والانتهاء إلى ما حدَّه له فى قسمة المواريث وغيرها ، ويجتنبْ ما نهاه عنه فى ذلك وغيره = « يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار » .

* * *

= فقوله : « يدخله جنات »، يعنى : بساتين تجرى من تحت غروسها وأشجارها الأنهار = « خالدين فيها » ، يقول : باقين فيها أبداً لا يموتون فيها ولا يفنون ، ولا يُخْرجون منها =[3] « وذلك الفوز العظيم » .

يقول : وإدخال الله إياهم الجنانَ التى وصفها على ما وصف من ذلك =

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « الآية التى بعدها » بإسقاط واو العطف ، وهو فساد ، والصواب إثباتها . وهذه حجة ظاهرة مبينة فى تفسير معنى « حدود الله » ، ورحم الله أبا جعفر وجزاه خيراً عن كتابه .

(٢) فى المطبوعة : « وفصل منكم أهل طاعته من أهل معصيته » ، لم يحسن قراءة ما كان فى المخطوطة فبدله ، وكان فيها : « لسلم منكم أهل طاعته » كأنها رؤوس « سين » ، وصواب قراءتها ما أثبت .

(٣) انظر تفسير « الجنات » ، و « الخلود » فيما سلف من فهارس اللغة .

« الفوز العظيم » ، يعني : الفَلَج العظيم .[١]

* * *

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

٨٧٩٢ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله » الآية ، قال : في شأن المواريث التي ذكر قبل . ٤/٩٧

٨٧٩٣ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « تلك حدود الله » ، التي حدّ لخلقه ، وفرائضه بينهم من الميراث والقسمة ، فانتهوا إليها ولا تعدّوها إلى غيرها .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ (١٤)

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : « ومن يعص الله ورسوله » في العمل بما أمراه به من قسمة المواريث على ما أمراه بقسمة ذلك بينهم وغير ذلك من فرائض الله ، مخالفاً أمرهما إلى ما نهياه عنه = « ويتعدّ حدوده » ، يقول : ويتجاوز فصول طاعته التي جعلها تعالى فاصلة بينها وبين معصيته ،[٢] إلى ما نهاه عنه من قسمة تركات موتاهم بين ورثتهم وغير ذلك من حدوده[٣] = « يدخله ناراً خالداً فيها » ،

---

(١) انظر تفسير « الفوز » فيما سلف : ٧ : ٤٥٢، ٤٧٢ . وقوله « الفلج » (بفتح الفاء واللام معاً) . و « الفلح » و « الفلاح » : الفوز والنجاة والبقاء في النعيم والخير .

(٢) انظر تفسير « الحدود » فيما سلف قريباً ص : ٦٨ ، والتعليق : ٣ .

(٣) في المطبوعة : « بين ورثته » بالإفراد ، والصواب من المخطوطة .

يقول : باقياً فيها أبداً لا يموت ولا يخرج منها أبداً = « وله عذاب مهين » ، يعني : وله عذاب مذِلٌّ من عُذِّب به مُخزٍ له .(١)

* * *

وبنحو ما قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

٨٧٩٤ - حدثنا المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ابن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده » ، الآية ، في شأن المواريث التي ذكر قبل = قال ابن جريج : « ومن يعص الله ورسوله » ، قال : من أصابَ من الذنوب ما يعذب الله عليه .

* * *

فإن قال قائل : أوَ مُخَلَّدٌ في النار من عصى الله ورسوله في قسمة المواريث ؟(٢)

قيل : نعم ، إذا جمع إلى معصيتهما في ذلك شكًّا في أن الله فرض عليه ما فرض على عباده في هاتين الآيتين ، أو علم ذلك فحادَّ الله ورسوله في أمرهما = على ما ذكر ابن عباس من قول من قالَ حين نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قول الله تبارك وتعالى : ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ إلى تمام الآيتين : أيُورَّث من لا يركب الفرس ولا يقاتل العدوَّ ولا يحوز الغنيمة ، نصفَ المال أو جميع المال ؟(٣) استنكاراً منهم قسمةَ الله ما قسم لصغار ولد الميت ونسائه وإناث ولده =(٤) ممن خالف قسمةَ الله ما قسم من ميراث أهل الميراث بينهم على ما قسمه في كتابه ، وخالف حكمه في ذلك وحكم رسوله ، استنكاراً منه حكمهما ، كما استنكره الذين ذكر أمرَهم ابن عباس ممن كان بين أظهُر أصحاب رسول الله

---

(١) انظر تفسير « مهين » فيما سلف ٢ : ٣٤٧ ، ٣٤٨ / ٧ : ٤٢٣ . تعليق : ١ .

(٢) في المطبوعة : « أو يخلد » فعلا ، وأثبت الصواب من المخطوطة .

(٣) يعني خبر ابن عباس الذي سلف برقم : ٨٧٢٦ ، وساق معناه لا لفظه .

(٤) قوله « ممن خالف قسمة الله » صلة قوله آنفاً : « فحاد الله ورسوله في أمرهما . . . » والذي بينهما فصل وضعته بين الخطين .

صلى الله عليه وسلم من المنافقين الذين فيهم نزلت وفى أشكالهم هذه الآية =[١] فهو من أهل الخلود فى النار ، لأنه باستنكاره حكمَ الله فى تلك ، يصير بالله كافراً ، ومن ملة الإسلام خارجاً .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾ (١٥)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « واللاتى يأتين الفاحشة » ، والنساء اللاتى يأتين =[٢] بالزنا ، أى : يزنين[٣] = « من نسائكم » ، وهن محصنات ذوات أزواج أو غير ذوات أزواج = « فاستشهدوا عليهن أربعة منكم » ، يقول : فاستشهدوا عليهن بما أتين به من الفاحشة أربعة رجال من رجالكم ، يعنى : من المسلمين = « فإن شهدوا » عليهن = « فأمسكوهن فى البيوت » ، يقول : فاحبسوهن فى البيوت[٤] = « حتى يتوفاهن الموت » ، يقول : حتى يمتن[٥] = « أو يجعل الله لهن سبيلا » ، يعنى : أو يجعل الله لهن مخرجاً وطريقاً إلى النجاة مما أتين به من الفاحشة .[٦]

* * *

(١) سياق هذه الفقر كلها : « نعم ، إذا جمع إلى معصيتهما فى ذلك شكا فى أن الله فرض عليه ما فرض على عباده فى هاتين الآيتين ، أو علم ذلك فحاد الله ورسوله فى أمرهما . . . ممن خالف قسمة الله ما قسم من ميراث أهل الميراث . . . فهو من أهل الخلود فى النار » .

(٢) قوله فى تفسيره : « يأتين بالزنا » بإدخال الباء على خلاف ما فى الآية سيظهر لك معناه فى ص : ٨١ وتعليق : ١ : وأن قراءة عبد الله : « واللاتى يأتين بالفاحشة » ، بالباء .

(٣) انظر تفسير « الفاحشة » فيما سلف ٣ : ٥/٣٠٣ : ٧/٥٧١ : ٢١٨

(٤) انظر تفسير « الإمساك » فيما سلف ٤ : ٥٤٦ .

(٥) انظر تفسير « التوفى » فيما سلف ٦ : ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، وما بعدها .

(٦) انظر تفسير « السبيل » فيما سلف : ٧ : ٤٩٠ بولاق تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٨٧٩٥ – حدثنا أبو هشام الرفاعى محمد بن يزيد قال ، حدثنا يحيى بن أبى زائدة ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن فى البيوت » ، أمر بحبسهن فى البيوت حتى يمتن = « أو يجعل الله لهن سبيلا » ، قال : الحد . (١) ٤/١٩٨

٨٧٩٦ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم » ، قال : الزنا ، كان أمر بحبسهن حين يشهد عليهن أربعة حتى يمتن = « أو يجعل الله لهنّ سبيلاً » ، والسبيل الحد .

٨٧٩٧ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم » إلى « أو يجعل الله لهن سبيلا » ، فكانت المرأة إذا زنت حبست فى البيت حتى تموت ، ثم أنزل الله تبارك وتعالى بعد ذلك : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِى فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ [سورة النور : ٢] ، فإن كانا محصنين رُجما . فهذا سبيلهما الذى جعل الله لهما .

٨٧٩٨ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « أو يجعل الله لهن سبيلا » ، فقد جعل الله لهنّ ، وهو الجلد والرجم .

---

(١) الأثر : ٨٧٩٥ – « أبو هشام الرفاعى ، محمد بن يزيد » مضت ترجمته برقم : ٢٧٣٩ ، وغيره من المواضع ، وكان فى المطبوعة : « أبو هشام الرفاعى عن محمد بن يزيد » ، بزيادة « عن » وهو خطأ واضح ، وصوابه فى المخطوطة .

بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ من رِيَاضِ الجنَّة». ثم بعد الصلاةَ يزور قبر النبي ﷺ، وقبري صاحبيه، أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - فيقف تجاه قبر النبي ﷺ، بأدب وخفض صوت، ثم يسلم عليه، عليه الصلاة والسلام قائلاً: «**السلام عليك يارسولَ الله ورحمةُ اللهِ وبركاته**».

لما في سنن أبي داود بإسناد حسن عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ، «**ما مِنْ أحَدٍ يُسَلِّم عَلَيَّ إلا رَدَّ الله عليّ روحِي حَتَّى أَرُدَّ عليه السلام**»، وإن قال الزائر في سلامه: «**السلام عليك يانبي الله، السلام عليك ياخيرة الله من خلقه، السلام عليك ياسيد المرسلين وإمام المتقين، أشهد أنك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت في الله حق جهاده**». فلا بأس بذلك لأن هذا كله من أوصافه ﷺ، ويصلي عليه، عليه الصلاة والسلام، ويدعو له، لما قد تقرر في الشريعة من شرعية الجمع بين الصلاة والسلام عليه، عملاً بقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾. [الأحزاب، الآية ٥٦]. ثم يسلم على أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - ويدعو لهما ويترضى عنهما.

مِنْ حَرَجٍ﴾. [الحج، الآية ٧٨]. وقال النبي ﷺ: «يَسِّروا ولا تُعسِّروا» ولأن ذلك لم ينقل عن أصحاب رسول الله ﷺ، حين رموا عن صبيانهم والعاجز منهم، ولو فعلوا ذلك لنقل، لأنه مما تتوافر الهمم على نقله، والله أعلم.

فصل

في وجوب الدم على المتمتع والقارن

ويجب على الحاج إذا كان متمتعًا أو قارنًا - ولم يكن من حاضري المسجد الحرام - دم وهو شاة أو سُبُعُ بدنة أو سُبُعُ بقرة. ويجب أن يكون ذلك من مال حلال وكسب طيب، لأن الله تعالى طيب لا يقبل إلّا طيبًا.

وينبغي للمسلم التعفف عن سؤال الناس هديًا أو غيره سواء كانوا ملوكًا أو غيرهم إذا يسَّر الله له من ماله ما يهديه عن نفسه ويغنيه عما في أيدي الناس لما جاء في الأحاديث الكثيرة عن النبي ﷺ، في ذَمِّ السؤال وعيبه. ومدح من تركه.

٨٧٩٩ – حدثني بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « واللاتى يأتين الفاحشة » ، حتى بلغ : « أو يجعل الله لهن سبيلا » ، كان هذا من قبل الحدود، فكانا يؤذيان بالقول جميعاً ، وبحبس المرأة . ثم جعل الله لهن سبيلاً ، فكان سبيل من أحصن جلدُ مئة ثم رمىٌ بالحجارة، وسبيل من لم يحصن جلد مئة ونفى سنة .

٨٨٠٠ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قال: قال عطاء بن أبى رباح وعبد الله بن كثير : « الفاحشة » ، الزنا ، « والسبيل » الحدّ ، الرجم والجلد .[1]

٨٨٠١ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم » إلى « أو يجعل الله لهن سبيلا » ، هؤلاء اللاتى قد نكحن وأحصنّ . إذا زنت المرأة فإنها كانت تحبس فى البيت ، ويأخذ زوجها مهرَها فهو له ، فذلك قوله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ الزنا[2] ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ

---

(١) فى المطبوعة : « والسبيل الرجم والجلد » ، حذف « الحد » ، وأثبتها من المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « فذلك قوله : [وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ] ، وأحسبه سهواً من الناسخ لا من أبى جعفر ، فإن صدر هذا الذى ساقه من آية أخرى فى سورة البقرة: ٢٢٩ : ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَنْ لَا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾

والعجب للسيوطى ، فإنه خرجه فى الدر المنثور ٢ : ١٢٩ ، ونسبه لابن جرير وحده ، وساقه كما هو فى المخطوطة والمطبوعة ، ولم يتوقف عند هذه الآية المدمجة من آية أخرى ! ! فأثبت نص الآية التى هى موضوع استشهاده .

بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [سورة النساء: ١٩] ، حتى جاءت الحدود فنسختها ، فجُلدت ورُجِمت ، وكان مهرها ميراثاً ، فكان « السبيل » هو الجلد .

٨٨٠٢ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك بن مزاحم يقول فى قوله : « أو يجعل الله لهن سبيلا » ، قال : الحدّ ، نسخ الحدُّ هذه الآية .

٨٨٠٣ – حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ، حدثنا يحيى ، عن إسرائيل ، عن خصيف ، عن مجاهد : « أو يجعل الله لهن سبيلا » ، قال : جلد مئة ، الفاعل والفاعلة .

٨٨٠٤ – حدثنا الرفاعى قال ، حدثنا يحيى ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : الجلد .

٨٨٠٥ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا معاذ بن هشام قال ، حدثنا أبى ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن حطان بن عبد الله الرقاشى ، عن عبادة ابن الصامت ، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه الوحى نكّس رأسه ، ونكّس أصحابه رؤوسهم ، فلما سُرِّى عنه رفع رأسه فقال : قد جعل الله لهنّ سبيلا ، الثيِّبُ بالثيب ، والبكر بالبكر . أما الثيب فتُجلد ثم ترجم ، وأما البكر فتجلد ثم تُنفى . (١)

هذا ، وقد حذف الناشر بعد قوله : « بفاحشة مبينة » كلمة « الزنا » فأثبتها من المخطوطة ، والدر المنثور .

(١) الحديث : ٨٨٠٥ – هذا الحديث رواه الطبرى هنا بخمسة أسانيد : ٨٨٠٥ – ٨٨٠٧ / ٨٨١٠ ، ٨٨١١ . كلها صحيح متصل إلا الأخير منها ، كما سيأتى ، إن شاء الله .

وقد رواه مسلم ٢ : ٣٣ ، عن محمد بن بشار – شيخ الطبرى هنا – بهذا الإسناد . ورواه هو وغيره بأسانيد أخر ، سنشير إليها .

وحطان بن عبد الله الرقاشى البصرى : تابعى ثقة ثبت ، وكان مقرئاً . مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ٢/١/١٠٩ ، وابن سعد ٧/١/٩٣ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٣٠٣ – ٣٠٤ ، وطبقات القراء ١ : ٢٥٣ .

٨٨٠٦ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن حطان بن عبد الله ، عن عبادة بن الصامت قال : قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : خُذوا عني ، قد جعل الله لهن سبيلا ، الثيب بالثيب تجلد مئة وترجم بالحجارة ، والبكر جلد مئة ونفي سنة .(١)

٨٨٠٧ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن حطان بن عبد الله أخي بني رَقاش ، عن عبادة بن الصامت : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه الوحي كُرِب لذلك وتربّد له وجهه ،(٢) فأنزل الله عليه ذات يوم ، فلقي ذلك . فلما سُرِّي عنه قال : خذوا عني ، قد جعل الله لهن سبيلاً : الثيب بالثيب ، جلد مئة ثم رجم بالحجارة ، والبكر بالبكر ، جلد مئة ثم نفي سنة .(٣) ٤/٥٩

٨٨٠٨ – حدثنا يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا

---

(١) الحديث : ٨٨٠٦ – سعيد : هو ابن أبي عروبة .

وقد سقط من الإسناد هنا ، في المخطوطة والمطبوعة ، [عن الحسن] ، بين قتادة وحطان . وهو خطأ من الناسخين . فإن الحديث رواه مسلم ٢ : ٣٣ ، عن ابن بشار – شيخ الطبري هنا – وعن ابن المثنى – كلاهما عن عبد الأعلى ، بهذا الإسناد ، على الصواب . فلذلك أثبتنا ما أسقطه الناسخون .

ثم كل الروايات التي رأينا « عن قتادة » فيها هذه الزيادة ، ومنها الإسناد الذي بعد هذا ، والإسناد : ٨٨١٠ .

وكذلك رواه أحمد في المسند ٥ : ٣١٨ (حلبي) عن محمد بن جعفر ، عن سعيد ، عن قتادة .

وكذلك رواه أبو داود : ٤٤١٥ ، من طريق يحيى ، عن سعيد .

وكذلك رواه البيهقي ٨ : ٢١٠ ، من طريق عبد الوهاب بن عطاء ، عن سعيد .

وكذلك رواه أحمد ٥ : ٣١٧ ، من طريق حماد ، عن قتادة وحميد – كلاهما عن الحسن .

(٢) كان في المخطوطة « كرب لتلك » ، والصواب من روايات الحديث ، وصحته المطبوعة السالفة . وقوله : « كرب » بالبناء للمجهول من « كربه الأمر يكربه » ، غمه واشتد عليه . وقوله : « تربد وجهه » ، تغير لونه إلى الغبرة . وقوله بعد : « سري عنه » بالبناء للمجهول ، تجلى عنه ، كربه ، من قولهم : « سرا الثوب » ، إذا نزعه ، والتشديد للمبالغة .

(٣) الأثر : ٨٨٠٧ – انظر التعليق على الحديث ٨٨٠٥ .

فأمسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً » ، قال يقول : لا تنكحوهن حتى يتوفاهن الموت ، ولم يخرجهن من الإسلام . ثم نسخ هذا ، وجُعِل السبيل أن يجعل لهن سبيلاً ،[١] قال : فجعل لها السبيل إذا زنت وهى محصنة رجمت وأخرجت : وجعل السبيل للبكر جلد مئة .

٨٨٠٩ — حدثنى يحيى بن أبى طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً » ، قال : الجلد والرجم .[٢]

٨٨١٠ — حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن حطان بن عبد الله الرقاشىّ ، عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خذوا عنى ، قد جعل الله لهن سبيلا ، الثيب بالثيب والبكر بالبكر ، الثيب تجلد وترجم ، والبكر تجلد وتنفى .[٣]

---

(١) كان فى المطبوعة : « ثم نسخ هذا وجعل السبيل التى ذكر أن يجعل . . . » زاد « التى ذكر » ، ولا خير فى زيادتها ، والذى فى المخطوطة كما أثبته ، مستقيم بعض الاستقامة ، إذا قرئت «جعل» بالبناء للمجهول ، فتركتها كذلك مخافة أن تكون صواباً محضاً ، وإن كنت الآن فى ريب منه .

(٢) فى المطبوعة : « حدثنى يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا جويبر » ، أسقط من الإسناد « يزيد » ، وهو من المخطوطة ، وهو إسناد دائر فى التفسير .

(٣) الحديث : ٨٨١٠ — [ابن] المثنى : هو « محمد بن المثنى » شيخ الطبرى . وكلمة [ابن] سقطت من المطبوعة خطأ . وهى ثابتة فى المخطوطة .

« محمد بن جعفر » : هو غندر ، صاحب شعبة . ووقع فى المطبوعة « محمد بن أبى جعفر » ! وهو خطأ ظاهر . وثبت على الصواب فى المخطوطة .

والحديث — من هذا الوجه — رواه أحمد فى المسند ٥ : ٣٢٠ ، عن محمد بن جعفر ، عن شعبة .

وكذلك رواه مسلم ٢ : ٣٣ ، عن محمد بن المثنى — شيخ الطبرى هنا — وعن ابن بشار = كلاهما عن شعبة .

ورواه أحمد أيضاً ٥ : ٣٢٠ ، عن يحيى ، عن حجاج ، عن شعبة . ورواه الطحاوى فى شرح معانى الآثار ٢ : ٧٩ ، من طريق أسد بن موسى ، عن شعبة .

وكذلك رواه حماد بن سلمة ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن حطان ، عن عبادة — عند الدارمى فى سننه ٢ : ١٨١ .

وأكثر الرواة الذين رووا هذا الحديث عن الحسن البصرى ، ذكروا أنه « عن الحسن ، عن

٨٨١١ – حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودى قال، حدثنا أبى، عن أبيه، عن جده، عن الأعمش، عن إسمعيل بن مسلم البصرى، عن الحسن، عن عبادة ابن الصامت قال: كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ احمرّ وجهه، وكان يفعل ذلك إذا نزل عليه الوحى، فأخذه كهيئة الغَشْى لما يجد من ثِقَل ذلك، فلما أفاق قال: خذوا عنى، قد جعل الله لهن سبيلاً، البكران يجلدان وينفيان سنة، والثيبان يجلدان ويرجمان.(١)

* * *

حطان الرقاشى، عن عبادة بن الصامت». وقليل منهم لم يذكروا فى الإسناد «عن حطان» – كما سنذكر فى الإسناد التالى لهذا.

فالظاهر أن الحسن سمعه من حطان عن عبادة، وكذلك كان يرويه. وأنه فى بعض أحيانه كان يرسله عن عبادة، فلا يذكر «عن حطان».

فمن رواه عنه موصولا، بإثبات «حطان» فى الإسناد:

المبارك بن فضالة، عند الطيالسى فى مسنده: ٥٨٤.

ومنصور بن زاذان، عند أحمد فى المسند ٥: ٣١٣، وسنن الدارمى ٢: ١٨١، وصحيح مسلم ٢: ٣٣، وسنن أبى داود: ٤٤١٦، والترمذى ٢: ٢٤٢، والمنتقى لابن الجارود، ص: ٣٧١ – ٣٧٢، والطحاوى ٢: ٧٩، وابن النحاس فى الناسخ والمنسوخ، ص: ٩٧، والبيهقى فى السنن الكبرى ٨: ٢٢١ – ٢٢٢.

ولم ينفرد الحسن بروايته عن حطان، بل رواه أيضاً يونس بن جبير.

فرواه ابن ماجة: ٢٥٥٠، من طريق سعيد بن أبى عروبة، عن قتادة، عن يونس بن جبير، عن حطان بن عبد الله، عن عبادة بن الصامت. فكان لقتادة فيه شيخان: الحسن ويونس.

(١) الحديث: ٨٨١١ – هذا هو الإسناد الخامس المنقطع، كما أشرنا فى الإسناد الأول: ٨٨٠٥.

يحيى بن إبراهيم المسعودى – شيخ الطبرى: مضت ترجمته فى رقم: ٨٤ فى الجزء الأول.

إسمعيل بن مسلم البصرى: مضت ترجمته فى: ٥٤١٧.

وهو قد روى هذا الحديث «عن الحسن، عن عبادة» – منقطعاً. لأن الحسن البصرى لم يسمع من عبادة. ولم ينفرد إسمعيل بروايته عن الحسن منقطعاً، بل تابعه غيره على ذلك. مما يدل على أن الحسن كان يصل الحديث مرة عن حطان، ويرسله مرة عن عبادة.

فرواه الشافعى فى الرسالة: ٣٧٨، ٦٣٦ – بشرحنا – وفى اختلاف الحديث (هامش الأم ٧: ٢٥٢)، عن عبد الوهاب، وهو ابن عبد المجيد الثقفى، «عن يونس بن عبيد، عن الحسن، عن عبادة بن الصامت». ثم قال فى الرسالة: ٣٧٩ «أخبرنا الثقة من أهل العلم، عن يونس

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصحة فى تأويل قوله : « أو يجعل الله لهن سبيلاً » ، قول من قال : السبيلُ التى جعلها الله جل ثناؤه للثيبين المحصَنَيْن ، الرجم بالحجارة ، وللبكرين جلد مئة ونفى سنة = لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رَجم ولم يجلد = وإجماعِ الحجة التى لا يجوز عليها فيما نقلته مجمعةً عليه ، الخطأ والسهو والكذب = وصحةِ الخبر عنه أنه قضى فى البكرين بجلد مئة ونفى سنة . فكان فى الذى صح عنه من تركه جلدَ من رُجم من الزناة فى عصره ، دليلٌ واضح على وهَاء الخبر الذى روى عن الحسن ،[1] عن حطان ، عن عبادة ،

ابن عبيد ، عن الحسن ، عن حطان الرقاشى ، عن عبادة بن الصامت » . وقال فى اختلاف الحديث – بعد روايته عن عبد الوهاب – : « وقد حدثنى الثقة : أن الحسن كان يدخل بينه وبين عبادة : حطان الرقاشى . ولا أدرى : أدخله عبد الوهاب بينهما فزال من كتابى حين حولته من الأصل ، أم لا ؟ والأصل – يوم كتبت هذا الكتاب – غائب عنى » .

وقد ذكره فى الأم ٦ : ١٩ ، معلقاً ، جازماً بالزيادة ، فقال : « ثم روى الحسن ، عن حطان الرقاشى ، عن عبادة » . فلا أدرى : أجزم بأن عبد الوهاب « أدخله بينهما » – بعد ، أم أراد رواية ما حدثه به « الثقة » ؟

ولم أجد رواية « يونس بن عبيد » فى موضع آخر ، حتى أستطيع اليقين بأى ذلك كان .

ورواه أيضاً – منقطعاً – : « جرير بن حازم ، عن الحسن ، عن عبادة » – عند الطيالسى : ٥٨٤ ، وأحمد فى المسند ٥ : ٣٢٧ (حلبى) ، والبيهقى فى السنن ٨ : ٢١٠ .

وكذلك رواه – منقطعاً – : « حميد ، عن الحسن ، عن عبادة » – عند أحمد فى المسند ٥ : ٣١٧ (حلبى) .

والحديث صحيح على كل حال . وقد ظهر وصل الروايات المنقطعة بالروايات الموصولة .

وقد ذكره ابن كثير ٢ : ٣٧٥ ، عن بعض روايات أحمد ، والطيالسى ، ومسلم ، وأصحاب السنن .

وذكره السيوطى ٢ : ١٢٩ ، وزاد نسبته لعبد الرزاق ، وابن أبى شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، وابن حبان .

(١) فى المطبوعة : « على وهى الخبر » ، وأثبت ما فى المخطوطة لما سترى بعد . وذلك أنى صححتها فى الجزء ٤ : ١٨ ، فجاءت العبارة « لوهى أسانيدها ، وأنها مع وهى أسانيدها » ، مصدر « وهى الشىء يهى وهياً » ، ثم فعلت ذلك فى الجزء نفسه ص : ١٥٥ ، وقلت فى التعليق : ١ ، إنى أخشى أن يكون ذلك من ناسخ التفسير ، لا من أبى جعفر ، ونقلت قول المطرزى فى المغرب أن قول الفقهاء « وهاء » أنه خطأ ، ولا يعتد به ، ثم فعلت ذلك فى الجزء الرابع نفسه ص : ٣٦١ ، تعليق : ٣ . وكذلك فعلت فى الجزء ٦ : ٨٥ ، تعليق : ٢ . بيد أنى رأيت الآن أن أثبت ما فى المخطوطة ، لأنه تكرر مراراً كثيرة يمتنع معها ادعاء خطأ الناسخ فى نسخه ، هذه واحدة . وأخرى

عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : السبيل للثيب المحصن الجلدُ والرجم .

* * *

وقد ذكر أن هذه الآية فى قراءة عبد الله : ﴿ وَاللاَّتِى يَأْتِينَ بِالْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ ﴾ . والعرب تقول : « أتيت أمرًا عظيماً، وبأمر عظيم » = و « تكلمت بكلام قبيح ، وكلاماً قبيحاً » .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « واللذان يأتيانها منكم » ، والرجل والمرأة اللذان يأتيانها ، يقول : يأتيان الفاحشة . و « الهاء » و « الألف » فى قوله : « يأتيانها » عائدة على « الفاحشة » التى فى قوله : « واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم » . والمعنى : واللذان يأتيان منكم الفاحشة فآذوهما .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بقوله : « واللذان يأتيانها منكم فآذوهما » .

فقال بعضهم : هما البكران اللذان لم يُحْصنا ، وهما غير اللاتى عُنِين بالآية قبلها . وقالوا : قوله : « واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم » ، معنىٌّ به الثيِّبات المحصنات بالأزواج — وقوله : « واللذان يأتيانها منكم » ، يعنى به البكران غير المحصنين . ٤/٢٠٠

* ذكر من قال ذلك :

٨٨١٢ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا

أنه قد وقعت لى أجزاء من كتاب أبى جعفر الطبرى « تهذيب الآثار » وهما قطعتان بخطين مختلفين عتيقين ، فوجدت فيهما أنه يكتب « وهاء » ، لا « وهى » ، فرجحت أن أبا جعفر كذلك كان يكتبها ، وإن كان المطرزى يقول إنه خطأ ، ولا يعتد به .

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٥٨ .

أسباط ، عن السدى : ذكر الجوارى والفتيان اللذين لم ينكحوا فقال : « واللذان يأتيانها منكم فآذوهما » .

٨٨١٣ – حدثنا يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « واللذان يأتيانها منكم » البكرين = « فآذوهما » .(١)

* * *

وقال آخرون : بل عُنى بقوله : « واللذان يأتيانها منكم » ، الرجلان الزانيان .

* ذكر من قال ذلك :

٨٨١٤ – حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ، حدثنا يحيى ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « واللذان يأتيانها منكم فآذوهما » ، قال : الرجلان الفاعلان ، لا يَكْنى .

٨٨١٥ – حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « واللذان يأتيانها منكم » ، الزانيان .

* * *

وقال آخرون : بل عنى بذلك الرجلُ والمرأة ، إلا أنه لم يُقصَد به بكر دون ثيِّب .

* ذكر من قال ذلك :

٨٨١٦ – حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ، حدثنا يحيى ، عن ابن جريج ، عن عطاء : « واللذان يأتيانها منكم فآذوهما » ، قال : الرجل والمرأة .

٨٨١٧ – حدثنا محمد بن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا الحسين ، عن يزيد النحوى ، عن عكرمة والحسن البصرى قالا : « واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم » إلى قوله : « أو يجعل الله لهن سبيلاً » ، فذكر الرجل بعد

---

(١) فى المطبوعة : « البكران » بالرفع ، كأنه استنكر ما كان فى المخطوطة كما أثبته ، وهو الصواب .

المرأة ، ثم جمعهما جميعاً فقال : « واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما إن الله كان تواباً رحيما » .

٨٨١٨ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال عطاء وعبد الله بن كثير ، قوله : « واللذان يأتيانها منكم »، قال : هذه للرجل والمرأة جميعاً .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل قوله : « واللذان يأتيانها منكم » ، قول من قال : « عُنى به البكران غير المحصنين إذا زنيا، وكان أحدهما رجلا والآخر امرأة » ، لأنه لو كان مقصوداً بذلك قصد البيان عن حكم الزناة من الرجال، كما كان مقصوداً بقوله : « واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم » قصد البيان عن حكم الزواني ، لقيل : « والذين يأتونها منكم فآذوهم »، أو قيل : « والذي يأتيها منكم » ، كما قيل في التي قبلها : « واللاتي يأتين الفاحشة » ، فأخرج ذكرهن على الجميع ، ولم يقل : « واللتان يأتيان الفاحشة » .

وكذلك تفعل العرب إذا أرادت البيان على الوعيد على فعل أو الوعد عليه ، أخرجت أسماءَ أهله بذكر الجميع أو الواحد = وذلك أن الواحد يدل على جنسه = ولا تخرجها بذكر اثنين . فتقول : « الذين يفعلون كذا فلهم كذا » ، « والذي يفعل كذا فله كذا » ، ولا تقول : « اللذان يفعلان كذا فلهما كذا » ، إلا أن يكون فعلاً لا يكون إلا من شخصين مختلفين ، كالزنا لا يكون إلا من زانٍ وزانية . فإذا كان ذلك كذلك قيل بذكر الاثنين ، يراد بذلك الفاعل والمفعول به. فأما أن يذكر بذكر الاثنين ، والمراد بذلك شخصان في فعل قد ينفرد كل واحد منهما به ، أو في فعل لا يكونان فيه مشتركين ، فذلك ما لا يُعْرَف في كلامها .

وإذ كان ذلك كذلك ، فبيِّنٌ فسادُ قول من قال : « عنى بقوله : « واللذان يأتيانها منكم الرجلان » = وصحةُ قول من قال : عنى به الرجل والمرأة .[1]

(١) قوله : « وصحة قول من قال » معطوف على قوله « فساد قول من قال » مرفوعاً .

وإذ كان ذلك كذلك ، فمعلوم أنهما غير اللواتى تقدم بيان حكمهن فى قوله : « واللاتى يأتين الفاحشة » ، لأن هذين اثنان ، وأولئك جماعة .

وإذ كان ذلك كذلك ، فمعلوم أن الحبس كان للثيّبات عقوبة حتى يتوفَّين من قبل أن يجعل لهن سبيلاً ، لأنه أغلظ فى العقوبة من الأذى الذى هو تعنيف وتوبيخ أو سب وتعيير ، كما كان السبيل التى جعلت لهن من الرجم ، أغلظ من السبيل التى جعلت للأبكار من جلد المئة ونفى السنة . ٤/٢٠١

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ (١٦)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى « الأذى » الذى كان الله تعالى ذكره جعله عقوبة للذين يأتيان الفاحشة ، من قبل أن يجعل لهما سبيلاً منه .

فقال بعضهم : ذلك الأذى ، أذًى بالقول واللسان ، كالتعيير والتوبيخ على ما أتيا من الفاحشة .

* ذكر من قال ذلك :

٨٨١٩ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فآذوهما » ، قال : كانا يؤذَيَان بالقول جميعاً .

٨٨٢٠ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل ، قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فآذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما » ، فكانت الجارية والفتى إذا زنيا يعنَّفان ويعيَّران حتى يتركا ذلك .

* * *

وقال آخرون : كان ذلك الأذى ، أذًى باللسان ، غير أنه كان سبًّا .

* ذكر من قال ذلك :

٨٨٢١ – حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « فآذوهما » ، يعني : سبًّا .

* * *

وقال آخرون : بل كان ذلك الأذى باللسان واليد .

* ذكر من قال ذلك :

٨٨٢٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية ابن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « واللذان يأتيانها منكم فآذوهما » ، فكان الرجل إذا زنى أوذي بالتعيير وضرب بالنعال .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إنّ الله تعالى ذكره كان أمر المؤمنين بأذى الزانيين المذكورين ، إذا أتيا ذلك وهما من أهل الإسلام . و« الأذى» قد يقع لكل مكروه نال الإنسان، [1] من قول سيء باللسان أو فعل . [2] وليس في الآية بيان أيّ ذلك كان أمر به المؤمنون يومئذ ، [3] ولا خبر به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من نقل الواحد ولا نقل الجماعة الموجب مجيئهما قطعَ العذر .

وأهل التأويل في ذلك مختلفون ، وجائز أن يكون ذلك أذى باللسان أو اليد ، وجائز أن يكون كان أذى بهما . [4] وليس في العلم بأيٍّ ذلك كان من أيٍّ نفعٌ

---

(١) في المطبوعة « قد يقع بكل مكروه » ، والصواب ما في المخطوطة ، ومعنى « يقع » هنا : يجيء ، أو يوضع ، أو ينزل في الاستعمال .

(٢) انظر تفسير « الأذى » فيما سلف ٤ : ٧/٣٧٤ : ٤٥٥ .

(٣) في المطبوعة : « بيان أن ذلك كان » وهو خطأ ، والصواب ما في المخطوطة .

(٤) في المطبوعة : « وجائز أن يكون ذلك أذى باللسان واليد، وجائز أن يكون كان أذى بأيهما» ، وكان في المخطوطة : « أذى بهما » ، فرجحت أن هذا هو الصواب ، وجعلت الأولى « أذى باللسان أو اليد » بدلا من العطف بالواو .

فى دين ولا دنيا ، ولا فى الجهل به مضرة ، [١] إذْ كان الله جل ثناؤه قد نسخ ذلك من مُحكمه بما أوجب من الحكم على عباده فيهما وفى اللاتى قبلهما . فأما الذى أوجب من الحكم عليهم فيهما ، فما أوجب فى «سورة النور : ٢» بقوله : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِى فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ . وأما الذى أوجب فى اللاتى قبلهما ، فالرجم الذى قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما . وأجمع أهل التأويل جميعاً على أن الله تعالى ذكره قد جعل لأهل الفاحشة من الزناة والزوانى سبيلاً بالحدود التى حكم بها فيهم .

* * *

وقال جماعة من أهل التأويل : إن الله سبحانه نسخ بقوله : ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِى فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ [سورة النور : ٢] ، قوله : « واللذان يأتيانها منكم فآذوهما » .

* ذكر من قال ذلك :

٨٨٢٣ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « واللذان يأتيانها منكم فآذوهما » ، قال : كل ذلك نسخته الآية التى فى « النور» بالحدّ المفروض .

٨٨٢٤ — حدثنا أبو هشام قال ، حدثنا يحيى ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « واللذان يأتيانها منكم فآذوهما » الآية ، قال : هذا نسخته الآية فى « سورة النور» بالحدّ المفروض .

٨٨٢٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا أبو تميلة قال ، حدثنا الحسين بن واقد ، عن يزيد النحوى . عن عكرمة والحسن البصرى قالا فى قوله : « واللذان يأتيانها منكم فآذوهما » الآية ، نسخ ذلك بآية الجلد فقال : ﴿الزَّانِيَةُ والزَّانِى ٤/٢٠٢

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « وليس فى العلم بأن ذلك كان من أى نفع » ، وهو خطأ محض ، والصواب ما أثبت ، وهذا تعبير قد سلف مراراً وعلقت عليه آنفاً ١ : ٥٢٠ ، س : ١٦ / ٢ : ٥١٧ ، س : ١٥/٣ : ٦٤ ، تعليق : ٦/١ : ٢٩١ ، تعليق : ١ .

فَاجْلِدُوا كُلَّ واحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ .

٨٨٢٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « واللذان يأتيانها منكم فآذوهما » ، فأنزل الله بعد هذا : ﴿ الزَّانِيَةُ والزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ واحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ ، فإن كانا محصنين رجما في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٨٨٢٧ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم » الآية ، جاءت الحدود فنسختها .

٨٨٢٨ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال، سمعت الضحاك يقول : نسخ الحدّ هذه الآية .(١)

٨٨٢٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة : « فأمسكوهن في البيوت » الآية ، قال : نسختها الحدود ، وقوله : « واللذان يأتيانها منكم » ، نسختها الحدود .(٢)

٨٨٣٠ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « واللذان يأتيانها منكم فآذوهما » ، الآية ، ثم نسخ هذا ، وجعل السبيل لها إذا زنت وهي محصنة ، رجمت وأخرجت ، وجعل السبيل للذكر جلد مئة .

٨٨٣١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت » ، قال : نسختها الحدود .

* * *

---

(١) الأثر : ٨٨٢٨ – في المطبوعة : « عبيد بن سلمان » ، والصواب من المخطوطة ، وفي المخطوطة خطأ آخر كتب « عتبة بن سليمان » ، وهو خطأ ، وهذا إسناد دائر في التفسير .

(٢) الأثر : ٨٨٢٩ – « أبو سفيان المعمري » هو : محمد بن حميد اليشكري ، سلف برقم : ١٧٨٧ ، وهذا الإسناد مضى كثيراً منه : ٥٦٢ ، ١٢٠٠ ، ١٢٥٣ ، ١٥١٦ ، ١٦٩٩ .

وأما قوله : فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما ، فإنه يعني به جل ثناؤه : فإن تابا من الفاحشة التي أتيا فراجعا طاعة الله بينهما = « وأصلحا » ، يقول : وأصلحا دينهما بمراجعة التوبة من فاحشتهما ، والعمل بما يرضى الله = «فأعرضوا عنهما » ، يقول : فاصفحوا عنهما ،[1] وكفوا عنهما الأذى الذى كنت أمرتكم أن تؤذوهما به عقوبة لهما على ما أتيا من الفاحشة ، ولا تؤذوهما بعد توبتهما .

* * *

وأما قوله : « إن الله كان تواباً رحيما » ، فإنه يعني : إن الله لم يزل راجعاً لعبيده إلى ما يحبون إذا هم راجعوا ما يحب منهم من طاعته[2] = « رحيما » بهم ، يعني : ذا رحمة ورأفة .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعني بقوله جل ثناؤه : « إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة » ، ما التوبة على الله لأحد من خلقه ، إلا للذين يعملون السوء من المؤمنين بجهالة = « ثم يتوبون من قريب » ، يقول : ما الله براجع لأحد من خلقه إلى ما يحبه من العفو عنه والصفح عن ذنوبه التي سلفت منه ، إلا للذين يأتون ما يأتونه من ذنوبهم جهالة منهم وهم بربهم مؤمنون ، ثم يراجعون طاعة الله ويتوبون منه إلى ما أمرهم الله به من الندم عليه والاستغفار وترك العود إلى مثله من قبل نزول الموت بهم .

---

(١) انظر تفسير « الإعراض » فيما سلف ٢ : ٢٩٨ ، ٢٩٩ .

(٢) انظر تفسير « كان » بهذا المعنى فيما سلف : ٨ : ٥١/تعليق: ١ / وتفسير « التوبة » فيما سلف من مراجع اللغة .

وذلك هو « القريب » الذى ذكره الله تعالى ذكره فقال : « ثم يتوبون من قريب » .[1]

* * *

وبنحو ما قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل . غير أنهم اختلفوا فى معنى قوله : « بجهالة » .

فقال بعضهم فى ذلك بنحو ما قلنا فيه ، وذهب إلى أنّ عمله السوء ، هو « الجهالة » التى عناها .

* ذكر من قال ذلك :

٨٨٣٢ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبى العالية : أنه كان يحدِّث : أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون : كل ذنب أصابه عبد فهو بجهالة .

٨٨٣٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قوله : « للذين يعملون السوء بجهالة » ، قال : اجتمع أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأوا أن كل شىء عُصِى به فهو « جهالة » ، عمداً كان أو غيره .

٨٨٣٤ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « للذين يعملون السوء بجهالة » ، ٤/٢٠٣
قال : كل من عصى ربه فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته .

٨٨٣٥ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله : « إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة » ، قال : كل من عمل بمعصية الله ، فذاك منه بجهل حتى يرجع عنه .

٨٨٣٦ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا

---

(١) انظر تفسير « القريب » فيما يلى ص : ٩٣ .

أسباط ، عن السدى : « إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة » ، ما دام يعصى الله فهو جاهل .

٨٨٣٧ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا محمد بن فضيل ابن غزوان ، عن أبى النضر ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس : « إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة » ، قال : من عمل السوء فهو جاهل ، من جهالته عمل السوء .

٨٨٣٨ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته = قال ابن جريج : وأخبرنى عبد الله بن كثير ، عن مجاهد قال : كل عامل بمعصية فهو جاهل حين عمل بها = قال ابن جريج : وقال لى عطاء بن أبى رباح نحوه .

٨٨٣٩ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قول الله : « إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب » ، قال : « الجهالة » ، كل امرئ عمل شيئاً من معاصى الله فهو جاهل أبداً حتى ينزع عنها ، وقرأ : ﴿ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ [سورة يوسف : ٨٩] ، وقرأ : ﴿ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [سورة يوسف : ٣٣] . قال : من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته .

* * *

وقال آخرون : معنى قوله : « للذين يعملون السوء بجهالة » ، يعملون ذلك على عمد منهم له .

ذكر من قال ذلك :

٨٨٤٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن مجاهد : « يعملون السوء بجهالة » ، قال : الجهالة : العمد .

٨٨٤١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد مثله .

٨٨٤٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك : « إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة »، قال : الجهالة : العمد .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء في الدنيا .

* ذكر من قال ذلك :

٨٨٤٣ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا معتمر بن سليمان، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة قوله : « إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة » ، قال : الدنيا كلها جهالة .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ، قولُ من قال : تأويلها : إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء ، وعملهم السوء هو الجهالة التي جهلوها ، عامدين كانوا للإثم، أو جاهلين بما أعدّ الله لأهلها . (١)

وذلك أنه غير موجود في كلام العرب تسمية العامد للشيء : « الجاهل به » ، إلاّ أن يكون معنيًّا به أنه جاهل بقدر منفعته ومضرّته ، فيقال : « هو به جاهل »، على معنى جهله بمعنى نفعه وضُرّه . (٢) فأما إذا كان عالماً بقدر مبلغ نفعه وضرّه، قاصداً إليه ، فغيرُ جائز من أجل قصده إليه أن يقال (٣) : « هو به جاهل » ،

---

(١) انظر فيما سلف ٢ : ١٨٣ ، تفسيره « الجاهلون » أنهم : السفهاء .

(٢) لعل الصواب « بمبلغ نفعه وضره » ، وحرفه الناسخ .

(٣) كان في المطبوعة والمخطوطة : « فغير جائز من غير قصده إليه أن يقال : هو به جاهل » وهو بلا شك كلام لا يستقيم مع الذي قبله ولا الذي بعده ، وسهو الناسخ هنا شيء لا ريب فيه أيضاً ، فظني أنه سبق قلمه بأن كتب « من غير » مكان « من أجل » كما أثبتها ، أو تكون كانت « من جراء قصده إليه » فلم يحسن قراءة « من جرا » فكتب « من غير » ، وهو تصحيف قريب جداً ، مر عليك أشد منه .

لأن « الجاهل بالشيء » ، هو الذى لا يعلمه ولا يعرفه عند التقدم عليه = أو [الذى] يعلمه ، فيشبَّه فاعله ، [١] إذ كان خطأً ما فعله ، بالجاهل الذى يأتى الأمر وهو به جاهل ، فيخطىء موضع الإصابة منه ، فيقال : « إنه لجاهل به » ، وإن كان به عالماً ، لإتيانه الأمر الذى لا يأتى مثله إلاّ أهل الجهل به .

وكذلك معنى قوله : « يعملون السوء بجهالة » ، قيل فيهم : « يعملون السوء بجهالة » = وإن أتوه على علم منهم بمبلغ عقاب الله أهله ، عامدين إتيانه ، مع معرفتهم بأنه عليهم حرام = لأن فعلهم ذلك كان من الأفعال التى لا يأتى مثله إلاّ من جَهِل عظيمَ عقاب الله عليه أهلَه فى عاجل الدنيا وآجل الآخرة ، فقيل لمن أتاه وهو به عالم : « أتاه بجهالة » ، بمعنى أنه فعل فعل الجهّال به ، لا أنه كان جاهلاً . ٢٠٤/٤

* * *

وقد زعم بعض أهل العربية أن معناه : أنهم جهلوا كُنْه ما فيه من العقاب ، فلم يعلموه كعلم العالم ، وإن علموه ذنباً ، فلذلك قيل : « يعملون السوء بجهالة » . [٢]

قال أبو جعفر : ولو كان الأمر على ما قال صاحب هذا القول ، لوجب أن لا تكون توبة لمن علم كُنْه ما فيه . وذلك أنه جل ثناؤه قال : « إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب » دون غيرهم . فالواجب على صاحب هذا القول أن لا يكون للعالم الذى عمل سوءًا على علم منه بكنه ما فيه ، ثم تاب من قريب = [٣] توبة ، وذلك خلاف الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أن كل تائب عسى الله أن يتوب عليه = وقوله : « باب التوبة مفتوح ما لم تطلع الشمس

---

(١) فى المخطوطة « أو الذى يعمله فيشبه فاعله » وهو خطأ ، صححه ناشر المطبوعة الأولى « يعلمه » ، وزدت « الذى بين القوسين لكى يستوى جانبا الكلام .

(٢) قائل هذا هو الفراء فى معانى القرآن ١ : ٢٥٩ .

(٣) قوله « توبة » اسم « يكون » فى قوله : « أن لا يكون للعالم . . . » .

من مغربها » =[1] وخلاف قول الله عز وجل : ﴿ إلاَّ مَنْ تَابَ وآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً ﴾ [سورة الفرقان : ٧٠] .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى معنى : « القريب » فى هذا الموضع .

فقال بعضهم : معنى ذلك: ثم يتوبون فى صحتهم قبل مرضهم وقبل موتهم .

* ذكر من قال ذلك :

٨٨٤٤ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ثم يتوبون من قريب » ، والقريب قبلَ الموت ما دام فى صحته .

٨٨٤٥ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا محمد بن فضيل ، عن أبى النضر، عن أبى صالح، عن ابن عباس : « ثم يتوبون من قريب »، قال : فى الحياة والصحة .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ثم يتوبون من قبل معاينة مَلَك الموت .

---

(١) هذان الخبران رواهما أبو جعفر بغير إسناد ، وكأنه ذكر معناهما دون لفظهما ، وكان الأول: « كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللهُ أن يَغْفِره، إلا من مات مشركاً أوْ قتلَ مؤمناً مُتَعمّداً » خرجه السيوطى فى الجامع الصغير ، لأبى داود ، من حديث أبى الدرداء ، وإلى أحمد والنسائى والحاكم فى المستدرك ، من حديث معاوية .

أما الثانى ، فكأنه قوله صلى الله عليه وسلم: « إنَّ اللهَ عزَّ وجَلَّ يبْسُطُ يَدَهُ باللَّيْلِ ليتوبَ مُسِىءُ النهار ، ويَبْسُط يده بالنهار ليتُوبَ مسىء الليل، حتى تطلعَ الشَّمْسُ من مغربها » ،أخرجه مسلم ١٧ : ٧٦ من حديث أبى موسى .

* ذكر من قال ذلك :

٨٨٤٦ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنا معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : «ثم يتوبون من قريب» ، والقريب فيما بينه وبين أن ينظر إلى مَلَك الموت .

٨٨٤٧ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا المعتمر بن سليمان قال ، سمعت عمران بن حدير قال ، قال أبو مجلز : لا يزال الرجل في توبة حتى يُعاين الملائكة .

٨٨٤٨ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن قيس قال : القريب ، ما لم تنزل به آية من آيات الله تعالى ، وينزل به الموت . (١)

٤٨٤٩ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك : « إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب » ، وله التوبة ما بينه وبين أن يعاين ملَك الموت ، فإذا تاب حين ينظر إلى ملك الموت ، فليس له ذاك .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ثم يتوبون من قبل الموت .

* ذكر من قال ذلك :

٨٨٥٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري ، عن رجل ، عن الضحاك ، « ثم يتوبون من قريب» ، قال : كل شيء قبل الموت فهو قريب .

٨٨٥١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا معتمر بن سليمان ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة : « ثم يتوبون من قريب» ، قال : الدنيا كلها قريب .

---

(١) الأثر : ٨٨٤٨ – « محمد بن قيس المدني» ، قاضي عمر بن عبد العزيز ، قال ابن سعد : « كان كثير الحديث عالماً » ، ذكره ابن حبان في الثقات . له حديث واحد في مسلم ، عن أبي صرمة ، عن أبي هريرة . وهو الذي يروي عنه أبو معشر . مترجم في التهذيب .

٨٨٥٢ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله : « ثم يتوبون من قريب » ، قبل الموت .

٨٨٥٣ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا معاذ بن هشام قال ، حدثني أبي ، عن قتادة، عن أبي قلابة قال : ذُكر لنا أن إبليس لما لُعن وأُنظر، قال : وعزتك لا أخرج من قلب ابن آدم ما دام فيه الروح . فقال تبارك وتعالى : وعزتي لا أمنعه التَّوبة ما دام فيه الروح .

٨٨٥٤ – حدثنا ابن بشار قال ،حدثنا أبو داود قال ، حدثنا عمران ، عن قتادة قال : كنا عند أنس بن مالك وثَمَّ أبو قلابة، فحدث أبو قلابة قال : إن الله تبارك وتعالى لما لعن إبليس سأله النَّظِرة، فقال : وعزتك لا أخرج من قلب ابن آدم ! فقال الله تبارك وتعالى : وعزتي لا أمنعه التوبة ما دام فيه الروح . ٥/٤

٨٨٥٥ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا أيوب ، عن أبي قلابة قال: إن الله تبارك وتعالى لما لعن إبليس سأله النَّظِرة، فأنظره إلى يوم الدين ، فقال : وعزتك لا أخرج من قلب ابن آدم ما دام فيه الروح ! قال : وعزتي لا أحجب عنه التوبة ما دام فيه الروح .

٨٨٥٦ – حدثني ابن بشار قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا عوف ، عن الحسن قال : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن إبليس لما رأى آدم أجْوفَ قال : وعزتك لا أخرج من جوفه ما دام فيه الروح ! فقال الله تبارك وتعالى : وعزتي لا أحُول بينه وبين التوبة ما دام فيه الروح . (١)

---

(١) الأحاديث : ٨٨٥٣ – ٨٨٥٦ – هذه أحاديث مرسلة ، أشار إليها ابن كثير في تفسيره ٢ : ٣٨٠، ثم قال : « وقد ورد في هذا حديث مرفوع رواه الإمام أحمد في مسنده ، من طريق عمرو بن أبي عمرو ، وأبي الهيثم العتواري ، كلاهما عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« قال إبليس : يا ربِّ ، وعزّتك وجَلالكَ لا أزال أُغويهم مَا دامتْ أرواحُهُم في أجسادِهم !

فقال الله عز وجلّ : وعزّتي وجَلالي لاَ أزَال أغفِر لهم ما أستغفروا لي »

٨٨٥٧ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا معاذ بن هشام قال ، حدثني أبي ، عن قتادة، عن العلاء بن زياد، عن أبي أيوب بُشَيْر بن كعب : أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله يقبل توبة العبد ما لم يُغَرْغِر . (١)

٨٨٥٨ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن عبادة بن الصامت : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، فذكر مثله . (٢)

٨٨٥٩ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا ابن أبي عدى ، عن عوف ، عن الحسن قال : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله تبارك وتعالى يقبل توبة العبد ما لم يُغَرْغِرْ . (٣)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قولُ من قال : تأويله : ثم يتوبون قبل مماتهم ، في الحال التي يفهمون فيها أمر الله تبارك وتعالى ونهيَه ، وقبل أن يُغلبوا على أنفسهم وعقولهم، وقبل حال اشتغالهم بكرب الحَشْرجة وغمّ الغرغرة، فلا يعرفوا أمر الله ونهيه ، ولا يعقلوا التوبة ، لأن التوبة لا تكون توبة إلا من ندم

---

(١) الأثر : ٨٨٥٧ – « بشير بن كعب بن أبي الحميري ، أبو أيوب العدوي » . ثقة معروف ، روى عن أبي الدرداء ، وأبي ذر ، وأبي هريرة . و « بشير » مصغر .

وهذا حديث آخر مرسل ، رواه الإمام أحمد في مسنده ٦٦١٠ ، ٦٤٠٨ مرفوعاً من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب . من طريق عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان ، عن أبيه ، عن مكحول ، عن جبير بن نفير ، عن ابن عمر ، وهو حديث صحيح . ورواه الترمذي وابن ماجه ، وقال الترمذي : « حسن غريب » . وانظر تخريجه من شرح المسند لأخي السيد أحمد .

و « الغرغرة » : أن يجعل الشراب في فمه ويردده إلى أقصى الحلق ، ثم لا يبلعه . شبهوا تردد الروح قبل خروجها بمنزلة ما يتغرغر به المريض . وهذه صفة عجيبة بلفظ واحد ، لحالة من شهدها شهد للعرب أنهم أهل بيان، وأن لغتهم أدنى اللغات في تصويرها للدقيق المشكل بكلمة واحدة .

(٢) الأثر : ٨٨٥٨ – هذا حديث منقطع ، فإن عبادة بن الصامت مات سنة ٣٤ . وولد قتادة سنة ٦١ ، وانظر التعليق على الأثر السالف .

(٣) الأثر : ٨٨٥٩ – انظر التعليق على الأثر : ٨٨٥٧ .

على ما سلف منه ، وعزم منه على ترك المعاودة ، [١] وهو يعقل الندم ، ويختار ترك المعاودة : فأما إذا كان بكرب الموت مشغولاً ، وبغمّ الحشرجة مغموراً ، فلا إخالُه إلاّ عن الندم على ذنوبه مغلوباً . ولذلك قال من قال : « إن التوبة مقبولة ، ما لم يغرغر العبد بنفسه » ، [٢] فإن كان المرء فى تلك الحال يعقل عقلَ الصحيح ، ويفهم فهم العاقل الأريب ، فأحدث إنابة من ذنوبه ، ورجعةً من شروده عن ربّه إلى طاعته ، كان إن شاء الله ممن دخل فى وعد الله الذى وعد التائبين إليه من إجرامهم من قريب بقوله : « إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (١٧)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه [٣] : « فأولئك » ، فهؤلاء الذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب = « يتوب الله عليهم » ، دون من لم يتب حتى غُلب على عقله ، وغمرته حشرجة ميتته ، فقال وهو لا يفقه ما يقول : « إنى تبت الآن » ، خداعاً لربه ، ونفاقاً فى دينه .

* * *

(١) فى المطبوعة : « إلا ممن ندم على ما سلف منه ، وعزم فيه على ترك المعاودة » ، تصرف فيما كان فى المخطوطة ، لما رأى من تحريفها ، وكان فيها : « إلا من ندم على ما سلف منه ، وعرف فيه على ترك المعاودة » ، والجملة الأولى مستقيمة ، وقد أثبتها ، والثانية تصحيف صواب قراءته ما أثبت .

(٢) قوله : « ولذلك قال من قال » ، دال على أن أبا جعفر . حين روى الأحاديث الثلاثة المرسلة : ٨٨٥٧ — ٨٨٥٩ ، لم يكن عنده ما صح من رفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة « يعنى بذلك جل ثناؤه » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

ومعنى قوله : « يتوب الله عليهم » ، يرزقهم إنابة إلى طاعته ، ويتقبل منهم أوبتهم إليه وتوبتهم التى أحدثوها من ذنوبهم . (١)

• • •

وأما قوله : « وكان الله عليما حكيما » ، فإنه يعنى : ولم يزل الله جل ثناؤه (٢) = « عليماً » بالناس من عباده المنيبين إليه بالطاعة ، بعد إدبارهم عنه ، المقبلين إليه بعد التولية ، وبغير ذلك من أمور خلقه = « حكيما » ، (٣) فى توبته على من تاب منهم من معصيته ، وفى غير ذلك من تدبيره وتقديره ، ولا يدخل أفعاله خلل ، ولا يُخالطه خطأ ولا زلل . (٤)

• • •

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وليست التوبة للذين يعملون السيئات من أهل الإصرار على معاصى الله = « حتى إذا حضر أحدهم الموت » ، يقول : إذا حشرج أحدهم بنفسه ، وعاين ملائكة ربه قد أقبلوا إليه لقبض روحه ، قال = وقد غُلب على نفسه ، وحيل بينه وبين فهمه ، بشغله بكرب حشرجته وغرغرته = ٢٠٦/٤

---

(١) انظر تفسير « التوبة » و « تاب » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٢) انظر معنى « كان » فيما سلف قريباً : ٨٨ تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) كان فى المخطوطة والمطبوعة : « حكيم » ، ورددتها إلى نص الآية والسياق .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « لا يخلطه » . وإنما يقال : « خلط الشىء بالشىء » ، وليس هذا مكانها ، بل الصواب ما أثبت .

وانظر تفسير « عليم » و « حكيم » فيما سلف من فهارس اللغة

« إنى تبت الآن » ، يقول : فليس لهذا عند الله تبارك وتعالى توبة ، لأنه قال ما قال فى غير حال توبة ، كما : —

٨٨٦٠ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن يَعْلَى بن نعمان قال ، أخبرنى من سمع ابن عمر يقول : التوبة مبسوطة ما لم يَسُقْ ، ثم قرأ ابن عمر : « وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموتُ قال إنىّ تبت الآن » ، ثم قال : وهل الحضور إلا السَّوق .(١)

٨٨٦١ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن » ، قال : إذا تبيَّن الموتُ فيه لم يقبل الله له توبة .

٨٨٦٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا محمد بن فضيل ، عن أبى النضر ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس : « وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنّى تبت الآن » ، فليس لهذا عند الله توبة .

٨٨٦٣ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة قال ، سمعت إبراهيم بن ميمون يحدِّث ، عن رجل من بنى الحارث قال ، حدثنا رجل منا ، عن عبد الله بن عمرو أنه قال : من تاب قبل موته بعام تِيبَ عليه ، حتى ذكر شهراً ، حتى ذكر ساعة ، حتى ذكر فُواقاً . قال : فقال رجل : كيف يكون هذا والله تعالى يقول : « وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى

---

(١) الأثر : ٨٨٦٠ — « يعلى بن نعمان » كوفى ثقة . مترجم فى الكبير ٤/٢/٤١٨ ، وابن أبى حاتم ٤/٢/٣٠٤ ، وتعجيل المنفعة : ٤٥٧ ، روى عن عكرمة ، وبلال بن أبى الدرداء . روى عنه العلاء بن المسيب ، والثورى ، والزهرى .

وهذا الأثر خرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ١٣١ ونسبه أيضاً لعبد الرزاق ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والبيهقى .

و« ساق الميت يسوق » و « ساق بنفسه » ، و« ساق نفسه » ، «سوقاً وسياقاً وسووقاً» ، و «حضرت فلاناً فى السوق ، وفى سياق الموت » : وذلك النزع عند إقبال الموت .

إذا حضر أحدهم الموت قال إنّي تبت الآن » ؟ فقال عبد الله : أنا أحدثك ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم .(١)

٨٨٦٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن إبراهيم ابن مهاجر ، عن إبراهيم قال : كان يقال : التوبة ، مبسوطة ما لم يُؤخذ بكَظَمِه .(٢)

* * *

واختلف أهل التأويل فيمن عُنى بقوله : « وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن »

فقال بعضهم : عُنى به أهل النفاق .

* ذكر من قال ذلك :

٨٨٦٥ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب » ، قال : نزلت الأولى في المؤمنين ، ونزلت الوسطى في المنافقين = يعني : « وليست التوبة للذين يعملون السيئات » ، والأخرى في الكفار يعني : « ولا الذين يموتون وهم كفار » .

* * *

وقال آخرون : بل عُنى بذلك أهلُ الإسلام .

---

(١) الأثر : ٨٨٦٣ – أخرجه الإمام أحمد في مسنده رقم : ٦٩٢٠ ، وأبو داود الطيالسي : ٣٠١ ، قال أخي السيد أحمد في شرح المسند : « إسناده ضعيف ، لإبهام الرجل من بني الحارث ، راويه عن التابعي » ، وقد استوفى الكلام في تخريجه هناك .

وقوله : « حتى ذكر فواقاً » ، أي : فواق ناقة . وهذا مما يريدون به الزمن القليل القصير ، وأصل « الفواق » (بضم الفاء وفتح الواو) هو الوقت بين الحلبتين ، إذا فتحت يدك وقبضتها ثم أرسلتها عند الحلب.

(٢) « الكظم » (بفتحتين) وجمعه « كظام » (بكسر الكاف) و « أكظام » ، وهو مخرج النفس عند الحلق . يريد : عند خروج نفسه ، وانقطاع نفسه . ومنه قليل : « كظم غيظه » ، أي رده وحبسه ، و « رجل كظوم » ، شديد الكتمان لما يعتلج في نفسه .

وكان في المخطوطة : « ما أخذ بكظمه » ، وهو خطأ من الناسخ ، وقد رواه ابن الأثير ، وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ١٣١ ، ونسبه لابن جرير وابن المنذر ، باللفظ الذي أثبته ناشر المطبوعة الأولى ، وهو الصواب المحض إن شاء الله .

* ذكر من قال ذلك :

٨٨٦٦ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن سفيان ، قال : بلغنا فى هذه الآية : « وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن » ، قال : هم المسلمون ، ألا ترى أنه قال : « ولا الذين يموتون وهم كفار » ؟

* * *

وقال آخرون : بل هذه الآية كانت نزلت فى أهل الإيمان ، غير أنها نسخت .

* ذكر من قال ذلك :

٨٨٦٧ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار » ، فأنزل الله تبارك وتعالى بعد ذلك : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [سورة النساء : ٤٨ ، ١١٦] ، فحرّم الله تعالى المغفرة على من مات وهو كافر ، وأرجأ أهل التوحيد إلى مشيئته ، فلم يؤيسهم من المغفرة .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب ، ما ذكره الثورى ٤
أنه بلغه أنه فى الإسلام .(٢) وذلك أن المنافقين كفار ، فلو كان معنيًّا به أهل النفاق لم يكن لقوله : « ولا الذين يموتون وهم كفار » معنًى مفهوم ، إذْ كانوا والذين قبلهم فى معنى واحد : من أن جميعهم كفار . ولا وجه لتفريق أحكامهم ، والمعنى

---

(١) الأثر : ٨٨٦٧ – خرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ١٣١ ، ونسبه أيضاً لأبى داود فى ناسخه ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم .

(٢) يعنى الأثر رقم : ٨٨٦٦ ، فيما سلف .

الذى من أجله بطل أن تكون [لهم] توبة ، [١] واحدة . وفى تفرقة الله جل ثناؤه بين أسمائهم وصفاتهم ، بأن سمّى أحد الصنفين كافراً ، ووصف الصنف الآخر بأنهم أهل سيئات ، ولم يسمهم كفاراً = ما دل على افتراق معانيهم . وفى صحة كون ذلك كذلك ، صحةُ ما قلنا وفسادُ ما خالفه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (١٨)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ولا التوبة للذين يموتون وهم كفار = فوضع « الذين » خفض ، لأنه معطوف على قوله : « للذين يعملون السيئات ». [٢]

* * *

وقوله : « أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليما » ، يقول : هؤلاء الذين يموتون وهم كفار = «أعتدنا لهم عذاباً أليما» ، لأنهم من التوبة أبعد، لموتهم على الكفر . [٣] كما :—

---

(١) فى المخطوطة بعد قوله : « معنى مفهوم » ما نصه : « لأنهم إن كانوا الذين قبلهم فى معنى واحد، من أن جميعهم كفار . ولا وجه لتفريق أحكامهم والمعنى الذى من أجله بطل أن تكون توبة واحد » ، وهى عبارة مضطربة أشد الاضطراب ، إلا أن الناسخ ضرب بقلم خفيف على لام « لأنهم » ، فتبين لى أن الذى بعدها « إذ كانوا الذين قبلهم » ، وسقطت الواو من الناسخ الساهى عن كتابته . وسها أيضاً فأسقط « لهم » التى وضعتها بين القوسين . فاستقام الكلام كالذى كتبت .

أما ناشر المطبوعة الأولى فقد أساء غاية الإساءة ، فجعل الجملة هكذا : « لأنهم إن كانوا هم والذين قبلهم فى معنى واحد : من أن جميعهم كفار . فلا وجه لتفريق أحد منهم فى المعنى الذى من أجله بطل أن تكون توبة واحد مقبولة » ، فلم ينتبه لما ضرب عليه الناسخ فى « لأنهم » وزاد فى « كانوا الذين قبلهم » فجعلها « كانوا هم والذين قبلهم » . ثم جعل « ولا جه » ، « فلا وجه » وجعل « أحكامهم » ، « أحد منهم » ثم جعل « والمعنى » « فى المعنى » وزاد « مقبولة » من عنده فى آخر الكلام ، فأفسد الكلام إفساداً آخر . ورحم الله أبا جعفر ، وغفر لناسخ كتابه ، والحمد لله الذى هدى إلى الصواب .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٥٩ .

(٣) وهذا أيضاً عبث آخر من ناشر المطبوعة الأولى ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، لأنها غير

٨٨٦٨ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا محمد بن فضيل ، عن أبي النضر ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس : « ولا الذين يموتون وهم كفار » ، أولئك أبعدُ من التوبة .

* * *

واختلف أهل العربية فى معنى : « أعتدنا لهم » .

فقال بعض البصريين : معنى « أعتدنا » ، «أفعلنا» من« العتَاد » . قال : ومعناها : أعددنا .(١)

* * *

وقال بعض الكوفيين : « أعددنا » و « أعتدنا » ، معناهما واحد .

* * *

فمعنى قوله : « أعتدنا لهم » ، أعددنا لهم = « عذاباً أليما » ، يقول : مؤلماً موجعاً .(٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تبارك وتعالى [بقوله] :(٣) « يا أيها الذين آمنوا » ، يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله = « لا يحل لكم أن ترثوا النساء كَرهاً » ، يقول : لا يحل

منقوطة ، فقلب هذه الجملة قلباً أهدر معناها ، واستأصل المعنى الذى أراده أبو جعفر ، فكتب : « لأنهم أبعدهم من التوبة كونهم على الكفر » ظن « لموهم » كما كتبها الناسخ ، « كونهم » ، فعبث بالكلام عبثاً لا يرتضيه أحد من أهل العلم . وانظر نص الكلام فى الأثر الذى يليه .

(١) هذا البصرى ، هو أبو عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ١٢٠ .

(٢) انظر تفسير « أليم » ، فيما سلف من فهارس اللغة .

(٣) ما بين القوسين زيادة تقتضيها سياقة كلامه .

لكم أن ترثوا نكاحَ نساء أقاربكم وآبائكم كَرْهاً . (١)

* * *

فإن قال قائل : كيف كانوا يرثونهن ؟ وما وجه تحريم وراثتهن ؟ فقد علمت أن النساء مورثات كما الرجال مورثون !

قيل : إن ذلك ليس من معنى وراثتهن إذا هن ميتن فتركن مالاً ، وإنما ذلك أنهن فى الجاهلية كانت إحداهن إذا مات زوجها ، كان ابنه أو قريبُه أولى بها من غيره ، ومنها بنفسها ، إن شاء نكحها ، وإن شاء عضلها فمنعها من غيره ولم يزوّجها حتى تموت . فحرّم الله تعالى ذلك على عباده ، وحظّر عليهم نكاحَ حلائل آبائهم ، ونهاهم عن عضلهن عن النكاح .

* * *

وبنحو القول الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٨٨٦٩ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا أسباط بن محمد قال ، حدثنا أبو إسحق = يعنى : الشيبانى = ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن » ، قال : كانوا إذا مات الرجل ، كان أولياؤه أحقَّ بامرأته ، إن شاء بعضهم تزوجها ، وإن شاؤوا زوّجوها ، وإن شاؤوا لم يزوّجوها ، وهم أحق بها من أهلها ، فنزلت هذه الآية فى ذلك . (٢)

---

(١) انظر تفسير « الكره » فيما سلف ٤ : ٢٩٧ ، ٦/٢٩٨ : ٥٦٥ .

(٢) الأثر : ٨٨٦٩ — « أبو إسحق الشيبانى » ، هو : سليمان بن أبى سليمان ، مضت ترجمته برقم : ١٣٠٧ ، ٣٠٠٣ ، ٣٠٢٣ .

وهذا الأثر أخرجه البخارى فى صحيحه (الفتح ٨ : ١٨٤) ، والبيهقى فى السنن الكبرى ٧ : ١٣٨ ، وأبو داود فى سننه ٢ : ٣١٠ رقم : ٢٠٨٩ ، وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ١٣١ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر ، والنسائى ، وابن أبى حاتم . وقد استوفى الحافظ ابن حجر الكلام فيه فى الفتح . وانظر تفسير ابن كثير ٢ : ٣٨١ — ٣٨٢ .

٨٨٧٠ – وحدثني أحمد بن محمد الطوسي قال ، حدثنا عبد الرحمن بن صالح قال ، حدثني محمد بن فضيل ، عن يحيى بن سعيد ، عن محمد بن أبي أمامة ابن سهل بن حنيف ، عن أبيه قال : لما توفى أبو قيس بن الأسلت ، أراد ابنه أن يتزوج امرأته ، وكان ذلك لهم في الجاهلية ، فأنزل الله : « لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً » . (١)

٨٨٧١ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح ، عن الحسين بن واقد ، عن يزيد النحوي ، عن عكرمة والحسن البصري قالا في قوله : « لا يحل لكم أن ترثوا النساء كَرْهاً ولا تعضُلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلاّ أن يأتين بفاحشة مبيِّنة » ، وذلك أن الرجل كان يرث امرأة ذي قرابته فيعضُلها حتى تموت أو تردّ إليه صداقها ، فأحكم الله عن ذلك = يعني أن الله نهاكم عن ذلك . (٢) ٤/٢٠٨

---

(١) الأثر : ٨٨٧٠ – « أحمد بن محمد الطوسي » ، شيخ الطبري ، روى عنه باسم « أحمد بن محمد بن حبيب » في التاريخ ، وتمام نسبه : « أحمد بن محمد بن نيزك بن حبيب » ، وقد مضت ترجمته برقم : ٣٨٣٣ .

و « عبد الرحمن بن صالح الأزدي العتكي » ، كان رافضياً ، وكان يغشى أحمد بن حنبل ، فيقربه ويدنيه . فقيل له فيه ، فقال : سبحان الله ! رجل أحب قوماً من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ! وهو ثقة . وقال يحيى بن معين : « يقدم عليكم رجل من أهل الكوفة ، يقال له عبد الرحمن ابن صالح ، ثقة صدوق شيعي ، لأن يخر من السماء ، أحب إليه من أن يكذب في نصف حرف » . وقال ابن عدي : « معروف مشهور في الكوفيين ، لم يذكر بالضعف في الحديث ولا اتهم فيه ، إلا أنه محترق فيما كان فيه من التشيع » . مترجم في التهذيب .

و « يحيى بن سعيد » هو الأنصاري ، مضت ترجمته في : ٢١٥٤ ، ٣٣٩٥ ، ٥٠٧٤ .

و « محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف » ، روى عن أبيه = واسم أبيه : « أسعد » – وعن أبان بن عثمان . روى عنه يحيى بن سعيد ، وابن إسحق ، ومالك . ثقة ، وأشار الحافظ ابن حجر في ترجمته إلى هذا الأثر ، أنه رواه النسائي ، والظاهر أنه في السنن الكبرى .

و « أبو أمامة بن سهل بن حنيف الأنصاري » واسمه « أسعد بن سهل . . . » ، ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بعامين ، فيما روى . قال ابن سعد : « ثقة كثير الحديث » .

وهذا الأثر ، خرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ١٣٢ ، وزاد نسبته للنسائي ، وابن أبي حاتم . وخرجه ابن كثير منسوباً إلى ابن مردويه بمثله ٢ : ٣٨٢ .

(٢) الأثر : ٨٨٧١ – رواه أبو داود في سننه ١ : ٣١١ رقم : ٢٠٩٠ ، من طريق

٨٨٧٢ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية ، عن سليمان التيمي ، عن أبي مجلز في قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً » ، قال : كانت الأنصار تفعل ذلك . كان الرجل إذا مات حميمه ، ورث حميمه امرأته ، فيكون أولى بها من ولىّ نفسها .(١)

٨٨٧٣ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس في قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا يحلُّ لكم أن ترثوا النساء كرهاً » الآية ، قال : كان الرجل إذا مات أبوه أو حميمه ، فهو أحق بامرأته ، إن شاء أمسكها ، أو يحبسها حتى تفتدي منه بصداقها ، أو تموت فيذهب بمالها = قال ابن جريج ، فأخبرني عطاء بن أبي رباح : أن أهل الجاهلية كانوا إذا هلك الرجلُ فترك امرأة حبسها أهلهُ على الصبيّ يكون فيهم ، فنزلت : «لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً » الآية = قال ابن جريج ، وقال مجاهد : كان الرجل إذا توفي أبوه ، كان أحق بامرأته ، ينكحها إن شاء إذا لم يكن ابنها ، أو يُنكحها إن شاء أخاه أو ابن أخيه = قال ابن جريج ، وقال عكرمة نزلت في كبيشة بنت معن بن عاصم ، من الأوس، توفّي عنها أبو قيس ابن الأسلت ، فجنح عليها ابنه ، فجاءت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يا نبي الله ، لا أنا ورثت زوجي ، ولا أنا تُركت فأنكح ! فنزلت هذه الآية .(٢)

علي بن حسين بن واقد عن أبيه ، عن يزيد النحوي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس . والدر المنثور ٢ : ١٣١ .

وقوله : « أحكم الله عن ذلك » ، فسره بعد ، وأصله من « حكمت الفرس وأحكمته » إذا قدعته وكففته ، و « حكم الرجل وأحكمه » منعه مما يريد . وفي المخطوطة « فأحكم عن ذلك » ، وأثبتت المطبوعة الأولى نص أبي داود والدر المنثور .

(١) « الحميم » القريب الذي تودّه ويودك ، وتهتم لأمره .

(٢) الأثر : ٨٨٧٣ – خبر كبيشة بنت معن . خرجه ابن الأثير في أسد الغابة ٥ : ٥٣٨ ، ونسبه لأبي موسى – والسيوطي في الدر المنثور ٢ : ١٣٢ ، وزاد نسبته لابن المنذر .

٨٨٧٤ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً » ، قال : كان إذا توفي الرجل، كان ابنه الأكبر هو أحق بامرأته ، ينكحها إذا شاء إذا لم يكن ابنها ، أو يُنكحها من شاء ، أخاه أو ابنَ أخيه .

٨٨٧٥ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن عمرو بن دينار ، مثل قول مجاهد .

٨٨٧٦ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل قال ، سمعت عمرو بن دينار يقول مثل ذلك .

٨٨٧٧ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : أما قوله : « لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً » ، فإن الرّجل في الجاهلية كان يموت أبوه أو أخوه أو ابنه ، فإذا مات وترك امرأته ، فإن سبق وارِث الميت فألقى عليها ثوبه، فهو أحق بها أن ينكحها بمهر صاحبه ، أو ينكحها فيأخذ مهرها . وإن سبقته فذهبت إلى أهلها ، فهم أحق بنفسها .

٨٨٧٨ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ يقول، أخبرنا عبيد بن سليمان الباهلي[1] قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً »، كانوا بالمدينة إذا مات حميم الرجل وترك امرأة ، ألقى الرجل عليها ثوبه ، فورث نكاحها ، وكان أحق بها . وكان ذلك عندهم نكاحاً . فإن

وقوله : « جنح عليها » : بسط عليها جناحه – أو كنفه – ومال عليها ، يعني أنه مال عليها ليحول بين الناس وبينها ، وسيأتي في الأثر رقم : ٨٨٧٧ تفسير جيد لمعنى هذه الكلمة ، وهو قول السدي : « فإن سبق وارث الميت فألقى عليها ثوبه ، فهو أحق بها أن ينكحها » ، فهذا الفعل – أي إلقاء الثوب على المرأة – هو الذي استعمل له عكرمة لفظ « جنح عليها » . ولم أجد في كتب اللغة من أثبت هذا المجاز الجيد ، وهو حقيق أن يثبت فيها مشروحاً . فأثبته هناك إن شئت . وانظر أيضاً إلقاء الثوب على المرأة في الآثار الآتية رقم : ٨٨٧٨ ، ٨٨٨٠ ، ٨٨٨١ ، ٨٨٨٢ .

(١) في المطبوعة : « عبيد بن سلمان » ، وهو خطأ ، صوابه من المخطوطة ، وقد سلف مراراً في هذا الإسناد الدائر في التفسير .

شاء أمسكها حتى تفتدى منه . وكان هذا فى الشِّرك .

٨٨٧٩ – حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً »، قال : كانت الوراثة فى أهل يثرب بالمدينة ههنا . فكان الرجل يموت فيرث ابنه امرأة أبيه كما يرث أمه، لا تستطيع أن تمتنع ،[1] فإن أحبّ أن يتخذها اتخذها كما كان أبوه يتخذها ، وإن كره فارقها ، وإن كان صغيراً حبست عليه حتى يكبر ، فإن شاء أصابها ، وإن شاء فارقها . فذلك قول الله تبارك وتعالى : « لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً » . ٤/٢٠٩

٨٨٨٠ – حدثنا محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس فى قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً » ، وذلك أن رجالا من أهل المدينة كان إذا مات حميم أحدهم ألقى ثوبه على امرأته ، فورث نكاحها ، فلم ينكحها أحد غيره ، وحبسها عنده حتى تفتدى منه بفدية ، فأنزل الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً » .

٨٨٨١ – حدثنى ابن وكيع قال، حدثنى أبى قال ، حدثنا سفيان ، عن على بن بذيمة ، عن مقسم قال : كانت المرأة فى الجاهلية إذا مات زوجها فجاء رجلٌ فألقى عليها ثوبه ، كان أحق الناس بها . قال : فنزلت هذه الآية : « لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً »

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الآية على هذا التأويل : يا أيها الذين آمنوا ، لا يحل لكم أن ترثوا آباءكم وأقاربكم نكاح نسائهم كرها = فترك ذكر « الآباء » و« الأقارب » و« النكاح »، ووجّه الكلام إلى النهى عن وراثة النساء ، اكتفاء بمعرفة المخاطبين بمعنى

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « لا يستطيع أن يمنع » ، وهو خطأ من الناسخ لا يستقيم به الكلام، وصواب قراءتها ما أثبت .

الكلام ، إذ كان مفهوماً معناه عندهم .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لا يحل لكم، أيها الناس، أن ترثوا النساء تَرِكاتهن كرهاً . قال : وإنما قيل ذلك كذلك، لأنهم كانوا يعضلون أيَاماهُنّ ، وهن كارهات للعضل ، حتى يمتن ، فيرثوهن أموالهنّ .

* ذكر من قال ذلك :

٨٨٨٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ،عن على بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً »، قال : كان الرجل إذا مات وترك جارية، ألقى عليها حميمه ثوبه فمنعها من الناس. فإن كانت جميلة تزوجها، وإن كانت دميمة حبسها حتى تموت فيرثها . (١)

٨٨٨٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهري في قوله : « لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً » ، قال : نزلت في ناس من الأنصار ، كانوا إذا مات الرجل منهم ، فأمْلَكُ الناس بامرأته وليُّه ، فيمسكها حتى تموت فيرثها ، فنزلت فيهم .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين بتأويل الآية، القولُ الذي ذكرناه عمن قال : معناه : « لا يحل لكم أن ترثوا نساء أقاربكم » ، (٢) لأن الله جل ثناؤه قد بين مواريث أهل المواريث، فذلك لأهله ، كره وراثتهم إيَّاه الموروثَ ذلك عنه من الرجال أو النساء ، أو رضي . (٣)

---

(١) في المطبوعة : « فإن كانت قبيحة حبسها . . . » ، وفي المخطوطة : « ذميمة » ، والصواب ما أثبت . والدميمة : القبيحة .

(٢) في المطبوعة : « أن ترثوا النساء كرهاً أقاربكم » ، وهو كلام فاسد كل الفساد ، وأساء التصرف في الخطأ الذي كان في المخطوطة ، وكان فيها : « أن ترثوا النساء أقاربكم » ، وهو سبق قلم من الناسخ ، صوابه ما أثبت .

(٣) كان في المخطوطة : « فذلك لأهله نحوه وراثتهم إياه الموروث ذلك عنه من الرجال أو النساء أو رضى » ، فاستعجم على الناشر الأول للتفسير قوله : « نحوه » ، ولم يجد لها معنى ،

فقد علم بذلك أنه جل ثناؤه لم يحظر على عباده أن يرثوا النساء فيما جعله لهم ميراثاً عنهن ، (١) وأنه إنما حظر أن يُكْرَهن موروثات ، بمعنى حظر وراثة نكاحهن ، إذ كان ميِّتهم الذى ورثوه قد كان مالكاً عليهن أمرَهن فى النكاح ملك الرجل منفعة ما استأجر من الدور والأرضين وسائر مالَه منافع . (٢)

فأبان الله جل ثناؤه لعباده : أن الذى يملكه الرجل منهم من بُضْع زوْجه ، (٣) معناه غير معنى ما يملك أحدهم من منافع سائر المملوكات التى تجوز إجارتها . فإن المالك بُضع زوجته إذا هو مات ، لم يكن ما كان له ملكاً من زوجته بالنكاح لورثته بعده ، كما لهم من الأشياء التى كان يملكها بشراء أو هبة أو إجارة بعد موته ، بميراثهم ذلك عنه . (٤)

* * *

وأما قوله تعالى : « ولا تعضُلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن » ، فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله .

فقال بعضهم : تأويله : « ولا تعضلوهن » ، أى : ولا تحبسوا ، يا معشر ورثة من مات من الرجال ، أزواجَهم عن نكاح من أردنَ نكاحه من الرجال ، كيما يمتن = « فتذهبوا ببعض ما آتيتموهن » ، أى : فتأخذوا من أموالهن إذا متن ،

فكتب الجملة : « فذلك لأهله نحو وراثتهم إياه الموروث ذلك عنه من الرجال أو النساء . فقد علم بذلك ... » جعل « نحوه » « نحو » بغير هاء ، وحذف « أو رضى » ليستقيم الكلام فيما يتوهم ، ولكنه أصبح لغواً لا معنى له ! ! والصواب أن يقرأ « نحوه » — « كره » ، فيستقيم الكلام كما فى المخطوطة بغير حذف . وقد أساء ناشر المطبوعة الأولى إلى هذا الكتاب الجليل إساءة بليغة ، بما تصرف فيه ، كما رأيت فى آلاف من تعليقاتى ، وكما سترى . وغفر الله لنا وله .

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « أن يرثوا النساء ما جعله لهم ميراثاً » ، وصواب السياق يقتضى « فيما » كما أثبتها .

(٢) فى المخطوطة : « وسائر ماله نافع » ، والصواب ما فى المطبوعة ، وقوله : « ما له منافع » أى : وسائر الأشياء التى لها منافع ينتفع بها مالكها .

(٣) فى المطبوعة : « زوجته » ، وأثبت ما فى المخطوطة . و « البضع » (بضم الباء وسكون الضاد) : فرج المرأة ، وقيل : هو الجماع ، وقيل : هو عقد النكاح . وكلها متقاربة ، والأول أولاها ، والباقى متفرع عليه .

(٤) فى المخطوطة والمطبوعة : « بميراثه ذلك عنه » بالإفراد ، والصواب الجمع كما أثبته .

ما كان موتاكم الذين ورثتموهم ساقوا إليهن من صدقاتهن .

وممن قال ذلك جماعة قد ذكرنا بعضهم ، منهم ابن عباس والحسن البصرى وعكرمة .(١)

• • •

٤ وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولا تعضُلوا ، أيها الناس ، نساءكم فتحبسوهن ضراراً ، ولا حاجة لكم إليهن ، فتُضِرُّوا بهن ليفتدين منكم بما آتيتموهن من صَدُقاتهن.

• ذكر من قال ذلك :

٨٨٨٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « ولا تعضلوهن » ، يقول : لا تقهروهن = « لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن » ، يعنى ، الرجل تكون له المرأة وهو كاره لصحبتها ولها عليه مهر ، فيَضُرُّ بها لتفتدى .

٨٨٨٥ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « ولا تعضلوهن » ، يقول : لا يحل لك أن تحبس امرأتك ضراراً حتى تفتدى منك = قال وأخبرنا معمر قال ، وأخبرنى سماك بن الفضل ، عن ابن البيلمانى قال : نزلت هاتان الآيتان ، إحداهما فى أمر الجاهلية ، والأخرى فى أمر الإسلام .(٢)

٨٨٨٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر قال ، أخبرنا سماك بن الفضل ، عن عبد الرحمن بن البيلمانى فى قوله : « لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ولا تعضلوهن » ، قال : نزلت هاتان الآيتان :

---

(١) انظر الآثار رقم : ٨٨٧١ ، ٨٨٧٣ ، ٨٨٧٧ ، وما بعدها .

(٢) الأثر : ٨٨٨٥ — « سماك بن الفضل الصنعانى » ، ثقة . قال الثورى : لا يكاد يسقط له حديث لصحته . و « معمر » ، هو معمر بن راشد ، يروى عنه .

و « ابن البيلمانى » ، هو : عبد الرحمن بن البيلمانى ، مولى عمر . ثقة . مضت ترجمته برقم : ٤٩٤٦ ، ٤٩٤٧ .

إحداهما فى الجاهلية ، والأخرى فى أمر الإسلام ، قال عبد الله : لا يحل لكم أن ترثوا النساء فى الجاهلية ، ولا تعضلوهن فى الإسلام .(١)

٨٨٨٧ – حدثنى المثنى قال، حدثنا الحمانى قال، حدثنا شريك، عن سالم، عن سعيد : « ولا تعضلوهن » ، قال : لا تحبسوهن .

٨٨٨٨ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن » ، أما « تعضلوهن » ، فيقول : تضاروهن ليفتدين منكم .

٨٨٨٩ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « ولا تعضلوهن » ، قال : «العضل» ، أن يكره الرجل امرأته فيضرُّ بها حتى تفتدى منه، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ ﴾ [سورة النساء: ٢١] .(٢)

* * *

وقال آخرون : المعنىُّ بالنهى عن عضل النساء فى هذه الآية ، أولياؤهن .

* ذكر من قال ذلك :

٨٨٩٠ – حدثنى محمد بن عمرو قال : حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن أن ينكحن أزواجهن » ، كالعَضْل فى « سورة البقرة » .(٣)

---

(١) الأثر : ٨٨٨٦ – « عبد الله » يعنى عبد الله بن المبارك .

وكان فى المطبوعة : « والأخرى فى الإسلام » بإسقاط « أمر » . وكذلك كتب ناسخ المخطوطة ، ولكنه زاد « أمر » فى الهامش ، فأثبتها .

(٢) فى المطبوعة : « عبيد بن سلمان » ، وهو خطأ يكثر من ناشر المطبوعة السالفة ، والصواب من المخطوطة ، وهو إسناد دائر فى التفسير .

(٣) انظر تفسير الآية رقم : ٢٣٢ ، فى ٥ : ١٧ – ٢٧ . وكان فى المخطوطة : « كالعضل فى سورة » وأسقط « البقرة » .

٨٨٩١ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

وقال آخرون : بل المعنيُّ من ذلك: زوجُ المرأة بعد فراقه إياها. وقالوا : ذلك كان من فعل الجاهلية ، فنهوا عنه في الإسلام .

* ذكر من قال ذلك :

٨٨٩٢ – حدثني يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : كان العضلُ في قريش بمكة ، ينكح الرجل المرأةَ الشريفة فلعلها أن لا توافقه ، [1] فيفارقها على أن لا تتزوج إلا بإذنه ، فيأتي بالشهود فيكتب ذلك عليها ويشهد . فإذا خطبها خاطب ، فإن أعطته وأرضته أذن لها ، وإلاّ عضلها . قال : فهذا قول الله : « ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن » الآية .

* * *

قال أبو جعفر : قد بينا فيما مضى معنى « العضل » وما أصله ، بشواهد ذلك من الأدلة . [2]

* * *

وأولى هذه الأقوال التي ذكرناها بالصحة في تأويل قوله : « ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن » ، قول من قال : نهى الله جل ثناؤه زوج المرأة عن التضييق عليها والإضرار بها ، وهو لصحبتها كاره ولفراقها محبّ ، لتفتدي منه ببعض ما آتاها من الصَّداق .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصحة، لأنه لا سبيل لأحد إلى عضل امرأة إلاّ لأحد رجلين : إما لزوجها بالتضييق عليها وحبسها على نفسه وهو لها كاره ، مضارّة منه لها بذلك، ليأخذ منها ما آتاها بافتدائها منه نفسها بذلك – أو لوليها الذي إليه إنكاحها. ٤/٢٠١

(١) في المطبوعة : « فلعلها لا توافقه » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) انظر ما سلف ٥ : ٢٤ ، ٢٥ ، وما قبل ذلك من الآثار .

وإذا كان لا سبيل إلى عضلها لأحدٍ غيرهما ، وكان الولىُّ معلوماً أنه ليس ممن آتاها شيئاً فيقال إنْ عضلها عن النكاح : « عَضَلها ليذهب ببعض ما آتاها » ، كان معلوماً أن الذى عنى الله تبارك وتعالى بنهيه عن عضلها ، هو زوجها الذى له السبيلُ إلى عضلها ضراراً لتفتدى منه .

وإذا صح ذلك ، = وكان معلوماً أن الله تعالى ذكره لم يجعل لأحد السبيلَ على زوجته بعد فراقه إياها وبينونتها منه ، فيكون له إلى عضلها سبيل لتفتدى منه من عَضْله إياها ، أتت بفاحشة أم لم تأت بها ،=[1] وكان الله جل ثناؤه قد أباح للأزواج عضلهن إذا أتين بفاحشة مبيِّنة حتى يفتدين منه =[2] كان بيِّناً بذلك خطأ التأويل الذى تأوّله ابن زيد ، وتأويلِ من قال : « عنى بالنهى عن العضل فى هذه الآية أولياء الأيامى » ، = وصحةُ ما قلنا فيه .[3]

* * *

[وقوله] : « ولا « تعضلوهن» ،[4] فى موضع نصب ، عطفاً على قوله : « أن ترثوا النساء كرهاً». ومعناه : لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ، ولا أن تعضلوهن .[5]

وكذلك هى فيما ذكر فى حرف ابن مسعود .

ولو قيل : هو فى موضع جزم على وجه النهى ، لم يكن خطأ .[6]

* * *

---

(١) قوله : « وكان الله جل ثناؤه » ، معطوف على قوله : « وكان معلوماً » .

(٢) قوله : « كان بيناً بذلك . . . » جواب « إذا » فى قوله : « وإذا صح ذلك » .

(٣) قوله : « وصحة ما قلنا فيه » مرفوع معطوف على « خطأ » فى قوله : « كان بيناً بذلك خطأ التأويل » .

(٤) زدت ما بين القوسين ، اتباعاً لنهج أبى جعفر فى تفسير الآى السالفة كلها .

(٥) فى المطبوعة والمخطوطة : « ولا تعضلوهن » بإسقاط « أن » ، وهو خطأ ، يدل عليه قوله بعد : « وكذلك هى فى حرف ابن مسعود » — وقراءة ابن مسعود : ﴿وَلَا أَنْ تَعْضُلُوهُنَّ﴾ وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٥٩ .

(٦) انظر أيضاً معانى القرآن للفراء ١ : ٢٥٩ .

القول فى تأويل قوله : ﴿ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : لا يحل لكم ، أيها المؤمنون ، أن تعضُلوا نساءكم ضراراً منكم لهن ، وأنتم لصحبتهن كارهون ، وهن لكم طائعات ، لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن من صدقاتهن = « إلاّ أن يأتين بفاحشة مبينة » ، فيحل لكم حينئذ الضرارُ بهن ليفتدين منكم .(١)

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى معنى « الفاحشة » التى ذكرها الله جل ثناؤه فى هذا الموضع .(٢)

فقال بعضهم : معناها الزنا ، وقال : إذا زنت امرأة الرجل حلّ له عَضْلها والضرارُ بها ، لتفتدى منه بما آتاها من صداقها .

* ذكر من قال ذلك :

٨٨٩٣ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال ، أخبرنا أشعث ، عن الحسن — فى البكر تَفْجُر قال : تضرب مئة ، وتنفى سنة ، وتردّ إلى زوجها ما أخذت منه . وتأوّل هذه الآية : « ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلاّ أن يأتين بفاحشةٍ مبينة » .

٨٨٩٤ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن عطاء الخراسانى — فى الرجل إذا أصابت امرأته فاحشة ، أخذ ما ساق إليها وأخرجها ، فنسخ ذلك الحدود .

---

(١) فى المخطوطة بعد « ليفتدين منكم » ما نصه : « ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن » ، وهو تكرار أحسن الناشر الأول إذ حذفه .

(٢) انظر تفسير « الفاحشة » و « الفحشاء » فيما سلف : ٧٣ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

٨٨٩٥ – حدثنا أحمد بن منيع قال ، حدثنا عبد الله بن المبارك قال، أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن أبي قلابة قال : إذا رأى الرجل من امرأته فاحشة ،[1] فلا بأس أن يضارها ويشق عليها حتى تختلع منه .

٨٨٩٦ – حدثنا ابن حميد قال، أخبرنا ابن المبارك قال ، أخبرني معمر ، عن أيوب ، عن أبي قلابة – في الرجل يطّلع من امرأته على فاحشة، فذكر نحوه.

٨٨٩٧ – حدثنا محمد بن الحسين قال،حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « إلا أن يأتين بفاحشة مبينة » ، وهو الزنا ، فإذا فعلن ذلك فخذوا مهورهن .

٨٨٩٨ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : أخبرني عبد الكريم : أنه سمع الحسن البصري : « إلا أن يأتين بفاحشة » ، قال : الزنا . قال : وسمعت الحسن وأبا الشعثاء يقولان : فإن فعلت ، حلّ لزوجها أن يكون هو يسألها الخُلْع ، تفتدي نفسها .[2]

* * *

وقال آخرون : « الفاحشة المبينة » ، في هذا الموضع ، النشوزُ .

* ذكر من قال ذلك :

٨٨٩٩ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ابن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « إلا أن يأتين بفاحشة مبينة » ، وهو البغض والنُّشوز ، فإذا فعلت ذلك فقد حل له منها الفدية . ٤/٢١٢

٨٩٠٠ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام قال ، حدثنا عنبسة ، عن علي بن بذيمة ، عن مقسم في قوله : ﴿وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ ما آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَنْ يَفْحُشْنَ﴾ في قراءة ابن مسعود . قال: إذا عصتك وآذتك، فقد حل لك

---

(١) في المخطوطة : « إذا رأى الرجل امرأته فاحشة » والصواب ما في المطبوعة .

(٢) في المخطوطة : « تفتدي سلها » غير بينة ، وصواب قراءتها فيما أرجح « نفسها » . أما المطبوعة ، فقد حذف الكلمة كلها ، وجعل الفعل « لتفتدي » .

أخذ ما أخذتْ منك.[١]

٨٩٠١ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن مطرف بن طريف ، عن خالد ، عن الضحاك بن مزاحم : « إلا أن يأتين بفاحشة مبينة » ، قال : الفاحشة ههنا النشوز . فإذا نشزَت ، حل له أن يأخذ خُلْعها منها .[٢]

٨٩٠٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « إلا أن يأتين بفاحشة مبينة » ، قال : هو النشوز .

٨٩٠٣ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال عطاء بن أبى رباح : « إلا أن يأتين بفاحشة مبينة » ، فإن فعلن : إن شئتم أمسكتموهن ، وإن شئتم أرسلتموهن .

٨٩٠٤ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ،[٣] سمعت الضحاك بن مزاحم يقول فى قوله : « إلا أن يأتين بفاحشة مبينة » ، قال : عدَل ربنا تبارك وتعالى فى القضاء ، فرجع إلى النساء فقال : « إلا أن يأتين بفاحشة مبينة » ، و«الفاحشة» : العصيان والنشوز . فإذا كان ذلك من قِبَلها ، فإن الله أمره أن يضربها ، وأمره بالهَجر . فإن لم تدع العصيان والنشوز ، فلا جناح عليه بعد ذلك أن يأخذ منها الفدية .

* * *

---

(١) الأثر : ٨٩٠٠ – مضى برقم : ٤٨٢٨ ، وانظر التعليق عليه هناك . فى المخطوطة : « فقد حل لك ما أخذت منك » وفوق « منك » « ط » علامة الخطأ ، وقد صححه ناشر المطبوعة الأولى من الدر المنثور ٢ : ١٣٢ ، وقد مضى فى الإسناد السالف على الصواب . وكان هنا « إذا عضلت وآذتك » ، وصوابه من الإسناد السالف ، كما بينته هناك .

(٢) الأثر : ٨٩٠١ – « مطرف بن طريف الحارثى » ، روى عن الشعبى وأبى إسحق السبيعى ، وغيرهما ثقة . مترجم فى التهذيب .

« وخالد » هو : «خالد بن أبى نوف السجستانى» ، يروى عن ابن عباس مرسلا ، وروى عن عطاء بن أبى رباح ، والضحاك بن مزاحم . وهو ثقة مترجم فى التهذيب .

(٣) فى المطبوعة : « عبيد بن سلمان » ، وهو خطأ كثر جداً فى المطبوعة ، صوابه من المخطوطة ، وهو إسناد دائر فى التفسير ، فلن أشير إلى تصحيحه بعد هذه المرة .

قال أبو جعفر : وأولى ما قيل فى تأويل قوله : « إلاّ أن يأتين بفاحشة مبينة » ، أنه معنىٌّ به كل « فاحشة » : من بَذاءٍ باللسان على زوجها ، [١] وأذى له ، وزناً بفرجها . وذلك أن الله جل ثناؤه عم بقوله : « إلا أن يأتين بفاحشة مبينة » ، كلَّ فاحشة متبيِّنةٍ ظاهرة . [٢] فكل زوج امرأة أتت بفاحشة من الفواحش التى هى زناً أو نشوز ، [٣] فله عضلُها على ما بين الله فى كتابه ، والتضييقُ عليها حتى تفتدى منه ، بأىِّ معانى الفواحش أتت ، [٤] بعد أن تكون ظاهرة مبيِّنة = [٥] بظاهر كتاب الله تبارك وتعالى ، وصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كالذى :—

٨٩٠٥ — حدثنى يونس بن سليمان البصرى قال ، حدثنا حاتم بن إسمعيل قال ، حدثنا جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اتقوا الله فى النساء ، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، وإن لكم عليهن أن لا يُوطِئْن فُرُشكم أحداً تكرهونه ، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرِّح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف . [٦]

---

(١) فى المطبوعة : « بذاءة » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، و « البذاء » و « البذاءة » واحد .

(٢) فى المطبوعة : « مبينة ظاهرة » ، وهو لفظ الآية ، وفى المخطوطة سيئة الكتابة ، فرأيت الأجود أن تكون « متبينة » ، فأثبتها كذلك .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة « فلكل زوج امرأة » ، والسياق يقتضى « فكل » ، لقوله بعد « فله عضلها » .

(٤) فى المخطوطة : « بأن معانى فواحش أتت » ، وهو تصحيف ، وفى المطبوعة : « بأى معانى فواحش أتت » ، فأصاب ، ولكنه أغفل أن يجعل « فواحش » « الفواحش » لتستقيم عربية الكلام .

(٥) قوله : « بظاهر كتاب الله » متعلق بقوله آنفاً : « فكل زوج امرأة . . . فله عضلها . . . بظاهر كتاب الله » وهكذا السياق .

(٦) الحديث : ٨٩٠٥ — « يونس بن سليمان البصرى » — شيخ الطبرى : هكذا ثبت اسمه فى هذا الموضع . ولم أجد فى شيوخ الطبرى من يسمى بهذا ، بل لم أجد ذلك فى سائر الرواة فيما عندى من المراجع .

والراجح — فيما أرى — بل أكاد أوقن أنه محرف عن « يوسف بن سلمان » . وقد روى عنه الطبرى قطعتين من هذا الحديث ، بهذا الإسناد : ٢٠٠٣ ، ٢٣٦٥ . وهو حديث جابر — الطويل — فى الحج .

٨٩٠٦ – حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقى قال، حدثنا زيد بن الحباب قال ، حدثنا موسى بن عبيدة الربذى قال ، حدثنى صدقة بن يسار ، عن ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أيها الناس ، إن النساء عندكم عَوَانٍ ، أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن حق ، ولهن عليكم حق . ومن حقكم عليهن أن لا يُوطئن فُرُشكم أحداً ، ولا يعصينكم فى معروف ، وإذا فعلن ذلك ، فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف . (١)

* * *

= فأخبر صلى الله عليه وسلم أن من حق الزوج على المرأة أن لا توطىء فراشه أحداً ، وأن لا تعصيه فى معروف ، وأنّ الذى يجب لها من الرزق والكسوة عليه ، إنما هو واجب عليه إذا أدّت هى إليه ما يجب عليها من الحق ، بتركها إيطاء فراشه غيره ، وتركها معصيته فى معروف .

ومعلوم أن معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم : « من حقكم عليهن أن لا يوطئن

وهذا الحديث قطعة من حديث جابر بن عبد الله ، فى صفة حجة الوداع . وقد بينا تخريجه فى : ٢٠٠٣ .

وهذه القطعة ذكرها السيوطى ٢ : ١٣٢ ، منسوبة للطبرى وحده ! ففاته – رحمه الله – أنها قطعة من الحديث الطويل .

(١) الحديث : ٨٩٠٦ – موسى بن عبد الرحمن المسروقى ، شيخ الطبرى : مضت ترجمته فى : ١٧٤ .

وهذا الإسناد ضعيف جداً ، من أجل « موسى بن عبيدة الربذى » ، كما بينا فى : ١٨٧٥ ، ١٨٧٦ .

والحديث ذكره السيوطى ٢ : ١٣٢ ، ولم ينسبه لغير الطبرى . ولم أجده فى مكان آخر . ومعناه ثابت صحيح ، بصحة حديث جابر الذى قبله هنا .

وهو ثابت أيضاً من حديث عمرو بن الأحوص الجشمى ، مرفوعاً . رواه الترمذى وابن ماجة ، وقال الترمذى : « حديث حسن صحيح » . كما فى الترغيب والترهيب ٣ : ٧٣ .

وهو ثابت أيضاً من حديث أبى حرة الرقاشى عن عمه ، مرفوعاً . رواه أحمد فى المسند ٥ : ٧٢ – ٧٣ (حلبى) .

عوان جمع عانية : وهى الأسيرة ، يقول : هى عندكم بمنزلة الأسرى ، وصدق نبى الله . هدى إلى الحق وبينه ، وكان بالمؤمنين رؤوفاً رحيما . و « العانية » من : « عنا الرجل يعنو عنواً وعناء » إذا ذل لك واستأسر ، فهو « عان » .

فرشكم أحداً » ، إنما هو أن لا يمكّنّ من أنفسهن أحداً سواكم .(١)

وإذ كان ما روينا فى ذلك صحيحاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبيّنٌ أن لزوج المرأة إذا أوطأت امرأته نفسها غيرَه وأمكنت من جماعها سواه ، أنّ له من منعها الكسوةَ والرزقَ بالمعروف ، مثلَ الذى له من منعها ذلك إذا هى عصته فى المعروف . وإذ كان ذلك له ، فمعلوم أنه غير مانع لها — بمنعه إياها ماله منعها — حقًّا لها واجباً عليه . وإذ كان ذلك كذلك ، فبيّنٌ أنها إذا افتدت نفسها عند ذلك من زوجها ، فأخذ منها زوجها ما أعطته ، أنه لم يأخذ ذلك عن عَضْل منهىّ عنه ، بل هو أخذ ما أخذ منها عن عَضْل له مباح . وإذ كان ذلك كذلك ، كان بيناً أنه داخل فى استثناء الله تبارك وتعالى الذى استثناه من العاضلين بقوله : « ولا تعضُلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلاّ أن يأتين بفاحشة مبينة » .

٤/٢١٣

وإذْ صح ذلك ، فبيّنٌ فساد قول من قال : « إلا أن يأتين بفاحشة مبينة » ، منسوخ بالحدود ،(٢) لأن الحدّ حق الله جل ثناؤه على من أتى بالفاحشة التى هى زنا . وأما العَضْل لتفتدى المرأة من الزوج بما آتاها أو ببعضه ، فحق لزوجها — كما عضله إياها وتضييقه عليها إذا هى نشزت عليه لتفتدى منه ، حق له . وليس حكم أحدهما يبطل حكم الآخر .

* * *

قال أبو جعفر : فمعنى الآية : ولا يحل لكم ، أيها الذين آمنوا ، أن تعضلوا نساءكم فتضيّقوا عليهن وتمنعوهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن من صَدُقاتكم ، إلاّ أن يأتين بفاحشةٍ من زنا أو بَذاءٍ عليكم ، وخلافٍ لكم فيما يجب عليهن لكم — مبيّنة ظاهرة ، فيحل لكم حينئذ عَضْلهن

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « أن لا يمكن أنفسهن من أحد سواكم » ، وفى المخطوطة كتب « لا » على سين « أنفسهن » ، كأنه كان يرتئى أن يصحح الكلمة ، ثم غفل عنها ، وصواب السياق يقتضى أن تكون الجملة كما أثبتها ، وإنما سها الناسخ .

(٢) انظر ما سلف رقم : ٨٨٩٤ .

والتضييق عليهن ، لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن من صداق إن هنّ افتدين منكم به .

• • •

واختلفت القرّأة فى قراءة قوله : « مبينة » .

فقرأه بعضهم : ﴿ مُبَيَّنَةٍ ﴾ بفتح « الياء » ، بمعنى أنها قد بُيِّنت لكم وأُعلنت وأُظهرت .

وقرأه بعضهم : ﴿ مُبَيِّنَةٍ ﴾ بكسر « الياء » ، بمعنى أنها ظاهرة بينة للناس أنها فاحشة .

• • •

وهما قراءتان مستفيضتان فى قرأة أمصار الإسلام ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب فى قراءته الصوابَ . لأن الفاحشة إذا أظهرها صاحبها فهى ظاهرة بيِّنة . وإذا ظهرت ، فبإظهار صاحبها إياها ظهرت . فلا تكون ظاهرة بيِّنة إلاّ وهى مبيَّنة ، ولا مبيَّنة إلاّ وهى مبيِّنة . فلذلك رأيت القراءة بأيهما قرأ القارئ صواباً .

• • •

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « وعاشروهن بالمعروف » ، وخالقوا ، أيها الرجال ، نساءكم وصاحبوهن = « بالمعروف » ، يعنى بما أمرتكم به من المصاحبة ،[1] وذلك : إمساكهن بأداء حقوقهن التى فرض الله جل ثناؤه لهنّ عليكم إليهن ، أو تسريح منكم لهنّ بإحسان ، كما : —

٨٩٠٧ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا

---

(١) انظر تفسير « المعروف » فيما سلف : ٨ : ١٣ ، والمراجع هناك ، وأتم تعريف له فيما سلف : ٧ : ١٠٥ .

أسباط ، عن السدى : « وعاشروهن بالمعروف » ، يقول : وخالطوهن

* * *

= كذا قال محمد بن الحسين ، وإنما هو « خالقوهن » ، من « العشرة » ، وهى المصاحبة.(١)

* * *

القول فى تأويل قوله : ﴿ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (١٩)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : لا تعضلوا نساءكم لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن من غير ريبة ولا نشوز كان منهن ، ولكن عاشروهن بالمعروف وإن كرهتموهن ، فلعلكم أن تكرهوهن فتمسكوهن ، فيجعل الله لكم = فى إمساككم إياهن على كُره منكم لهن = خيراً كثيراً ، من ولد يرزقكم منهن ، أو عطفكم عليهن بعد كراهتكم إياهن ، كما : —

٨٩٠٨ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً » ، يقول : فعسى الله أن يجعل فى الكراهة خيراً كثيراً .

٨٩٠٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله . ٤/٢١٤

٨٩١٠ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنى أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى فى قوله : « ويجعل الله فيه خيراً كثيراً » ، قال : الولد .

---

(١) هذا التفريق الذى بين « خالقوهن » و « خالطوهن » ، وتصحيح أبى جعفر ، من حسن البصر بافتراق المعانى ، وحقها فى أداء معانى اللغة ، ولا سيما فى تفسير ألفاظها .

٨٩١١ - حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « ويجعل الله فيه خيراً كثيراً » ، والخير الكثير : أن يعطف عليها ، فيرزق الرجل ولدها، ويجعل الله في ولدها خيراً كثيراً.

* * *

و«الهاء» في قوله: « ويجعل الله فيه خيراً كثيراً»، على قول مجاهد الذي ذكرناه، كناية عن مصدر « تكرهوا »، كأنّ معنى الكلام عنده : فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله في كُرْهه خيراً كثيراً .(١)

ولو كان تأويل الكلام : فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله في ذلك الشيء الذي تكرهونه خيراً كثيراً، كان جائزاً صحيحاً .

* * *

القول في تأويل قوله : ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ﴾

قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بقوله : « وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج »، وإن أردتم، أيها المؤمنون، نكاح امرأة مكان امرأة لكم تطلقونها(٢) =« وآتيتم إحداهن » ، يقول : وقد أعطيتم التي تريدون طلاقها من المهر(٣) = « قنطاراً » .

* * *

= و « القنطار» المال الكثير . وقد ذكرنا فيما مضى اختلاف أهل التأويل في مبلغه ، والصوابَ من القول في ذلك عندنا .(٤)

* * *

---

(١) في المخطوطة والمطبوعة: كتب هذه الجملة كنص الآية: « ويجعل الله فيه خيراً كثيراً »، وليس ذلك بشيء ، بل السياق يقتضي أن يجعل « فيه » ، « في كرهه » ، لأنه تأويل معنى قوله إن «الهاء» في « فيه » كناية من مصدر « تكرهوا » .

(٢) انظر تفسير « الاستبدال » فيما سلف ٢ : ١٣٠، ٤٩٤ / ٧ : ٥٢٧ .

(٣) انظر تفسير « الإيتاء » في فهارس اللغة ، فيما سلف .

(٤) انظر تفسير « القنطار » فيما سلف ٦ : ٢٤٤ - ٢٥٠ .

= « فلا تأخذوا منه شيئاً »، يقول: فلا تضرُّوا بهن إذا أردتم طلاقهن ليفتدين منكم بما آتيتموهن ، كما : —

٨٩١٢ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج »، طلاق امرأة مكانَ أخرى ، فلا يحل له من مال المطلقة شيء وإن كثر .

٨٩١٣ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

القول في تأويل قوله : ﴿ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (٢٠)

قال أبو جعفر : يعني بقوله تعالى ذكره : « أتأخذونه »، أتأخذون ما آتيتموهن من مهورهن = « بهتاناً » ، يقول : ظلماً بغير حق = « وإثما مبيناً » ، يعني : وإثماً قد أبان أمرُ آخذه أنه بأخذه إياه لمن أخذَه منه ظالم .[1]

* * *

(١) انظر تفسير « مبين » فيما سلف ٣ : ٣٠٠ / ٤ : ٢٥٨ / ٧ : ٣٧٠ .

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « وكيف تأخذونه » ، وعلى أى وجه تأخذون من نسائكم ما آتيتموهن من صدقاتهن ، إذا أردتم طلاقهن واستبدال غيرهن بهن أزواجاً — « وقد أفضى بعضكم إلى بعض » ، فتباشرتم وتلامستم .

• • •

وهذا كلام وإن كان مخرجه مخرج الاستفهام ، فإنه فى معنى النكير والتغليظ ، كما يقول الرجل لآخر : « كيف تفعل كذا وكذا ، وأنا غير راضٍ به ؟ » ، على معنى التهدد والوعيد .[1]

• • •

وأما « الإفضاء » إلى الشيء ، فإنه الوصول إليه بالمباشرة له ، كما قال الشاعر :[2]

[بَلِينَ] بِلًى أَفْضَى إِلَى [كُلِّ] كُتْبَةٍ • بَدَا سَيْرُهَا مِنْ بَاطِنٍ بَعْدَ ظَاهِرِ[3]

يعنى بذلك أن الفساد والبلى وصل إلى الخُرُز . والذى عُنى به « الإفضاء » فى هذا الموضع ، الجماعُ فى الفرج .

• • •

---

(١) فى المطبوعة : « التهديد » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) لم أعرف قائله .

(٣) كان فى المخطوطة والمطبوعة :

بِلًى أَفْضَى إِلَى كُتْبَةٍ بَدَا سَيْرُها من بَاطِنٍ بَعد ظاهِرِ

بياض فى الأصل بين الكلمات ، وقد زدت ما بين الأقواس اجتهاداً واستظهاراً ، حتى يستقيم الشعر . و « الكتبة » (بضم فسكون) ، هى الخرزة المضمومة التى ضم السير كلا وجهيها ، من المزادة والسقاء والقربة . يقال : « كتب القربة » : خرزها بسيرين . وهذا بيت يصف مزاداً أو قرباً ، قد بليت خرزها بلى شديداً فقطر الماء منها ، فلم تعد صالحة لحمل الماء .

فتأويل الكلام إذ كان ذلك معناه : وكيف تأخذون ما آتيتموهن ، وقد أفضى بعضكم إلى بعض بالجماع .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٨٩١٤ – حدثنى عبد الحميد بن بيان القَنّاد قال ، حدثنا إسحق ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن بكر بن عبد الله ، عن ابن عباس قال : الإفضاء المباشرة ، ولكنّ الله كريم يَكْنِى عما يشاء . ٤/٢١٥

٨٩١٥ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا سفيان ، عن عاصم ، عن بكر ، عن ابن عباس قال : الإفضاء الجماع ، ولكن الله يَكْنِى .

٨٩١٦ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن عاصم ، عن بكر بن عبد الله المزنى ، عن ابن عباس قال : الإفضاء هو الجماع .

٨٩١٧ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وقد أفضى بعضكم إلى بعض » ، قال : مجامعة النساء .

٨٩١٨ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٨٩١٩ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض » ، يعنى المجامعة .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ (٢١)

قال أبو جعفر : أىْ : ما وثَّقتم به لهنّ على أنفسكم ،[1] من عهد وإقرار منكم بما أقررتم به على أنفسكم ، من إمساكهن بمعروف ، أو تسريحهنّ بإحسان .

* * *

وكان فى عقد المسلمين النكاحَ قديماً فيما بلغنا — أن يقال لناكح : « آلله عليك لتمسكن بمعروف أو لتسرِّحن بإحسان » !

٨٩٢٠ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً » . والميثاق الغليظ الذى أخذه للنساء على الرجال : إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان . وقد كان فى عقد المسلمين عند إنكاحهم : « آلله عليك لتمسكنّ بمعروف أو لتسرحن بإحسان » .[2]

* * *

واختلف أهل التأويل فى « الميثاق » الذى عنى الله جل ثناؤه بقوله : « وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً » .

فقال بعضهم : هو إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان .

* ذكر من قال ذلك :

٨٩٢١ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً » ، قال : إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان .

٨٩٢٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، حدثنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك مثله .

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « ما وثقت به لهن على أنفسكم » ، واختلاف الضمائر هنا خطأ ، وصوابه ما أثبت : « وثقتم » . — وانظر تفسير « الميثاق » فيما سلف ١ : ٤١٤ / ٢ : ١٥٦ ، ٢٢٨ ، ٣٥٦ / ٦ : ٥٥٠ .

(٢) فى المطبوعة : « وقد كان فى عهد المسلمين » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

٨٩٢٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً » ، قال : هو ما أخذ الله تبارك وتعالى للنساء على الرجال، فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان. قال : وقد كان ذلك يؤخذ عند عقد النكاح .

٧٩٢٤ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي: أما « وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً »، فهو أن ينكح المرأة فيقول وليها : أنكحناكَها بأمانة الله ، على أن تمسكها بالمعروف أو تسرِّحها بإحسان .

٨٩٢٥ – حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا عبد الأعلى قال، حدثنا سعيد، عن قتادة في قوله : « وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً » ، قال : « الميثاق الغليظ » الذى أخذه الله للنساء : إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان،وكان في عُقْدة المسلمين عند نكاحهن : « أيْمُ الله عليك ، لتمسكن بمعروف ولتسرحَنّ بإحسان » .

٨٩٢٦ – حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا أبو قتيبة قال ، حدثنا أبو بكر الهذلى ، عن الحسن ومحمد بن سيرين في قوله : « وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً » ، قال : إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان .

* * *

وقال آخرون : هو كلمة النكاح التى استحلّ بها الفرجَ .

* ذكر من قال ذلك :

٨٩٢٧ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً » ، قال : كلمة النكاح التى استحلّ بها فروجهن .

٨٩٢٨ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٨٩٢٩ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا يحيى بن سعيد قال ، حدثنا ٤/٢٠٦

سفيان ، عن أبي هاشم المكي ، عن مجاهد في قوله : « وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً » ، قال : قوله : « نكحتُ » .(١)

٨٩٣٠ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام قال ، حدثنا عنبسة ، عن محمد بن كعب القرظي : « وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً » ، قال : هو قولهم : « قد ملكتَ النكاح » .

٨٩٣١ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن سالم الأفطس ، عن مجاهد : « وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً » ، قال : كلمة النكاح .

٨٩٣٢ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً » ، قال : الميثاق النكاح .

٨٩٣٣ – حدثنا عمرو بن علي قال ، حدثنا يحيى بن سعيد قال ، حدثنا سفيان قال ، حدثني سالم الأفطس ، عن مجاهد : « وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً » ، قال : كلمة النكاح ، قوله : « نكحتُ » .

* * *

وقال آخرون : بل عنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : « أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله » .(٢)

* ذكر من قال ذلك :

٨٩٣٤ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر وعكرمة : « وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً » ، قالا : أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله .

٨٩٣٥ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ،

---

(١) الأثر : ٨٩٢٩ – « أبو هاشم المكي » ، هو : إسماعيل بن كثير ، صاحب مجاهد . قال ابن سعد : « ثقة كثير الحديث » . روى عنه سفيان الثوري ، وابن جريج ، ومسعر بن كدام ، وغيرهم . مترجم في التهذيب .

(٢) انظر الأثرين السالفين رقم : ٨٩٠٥ ، ٨٩٠٦ .

عن أبيه، عن الربيع : « وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً» ، والميثاق الغليظ : أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بتأويل ذلك ، قولُ من قال : الميثاق الذى عُنى به فى هذه الآية : هو ما أخذ للمرأة على زوجها عند عُقْدة النكاح من عهدٍ على إمساكها بمعروف أو تسريحها بإحسان، فأقرَّ به الرجل . لأن الله جل ثناؤه بذلك أوصى الرجالَ فى نسائهم .

* * *

وقد بينا معنى « الميثاق » فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .(١)

* * *

واختلف فى حكم هذه الآية : أمحكمٌ أم منسوخ ؟

فقال بعضهم : محكم ، وغير جائز للرجل أخذُ شىء مما آتاها ، إذا أراد طلاقها ، إلا أن تكون هى المريدةَ الطلاقَ .

* * *

وقال آخرون : هى محكمة ، وغير جائز له أخذ شىء مما آتاها منها بحال ، كانت هى المريدةَ للطلاق أو هو . وممن حُكى عنه هذا القول، بكر بن عبد الله المزنى .

٨٩٣٦ – حدثنا مجاهد بن موسى قال، حدثنا عبد الصمد قال ، حدثنا عقبة بن أبى الصهباء . قال : سألت بكراً عن المختلعة ، أيأخذ منها شيئاً ؟ قال : لا ، « وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً » .(٢)

* * *

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٤١٤ / ٢ : ١٥٦ ، ١٥٧ ، ٢٨٨ / ٦ : ٥٥٠ .

(٢) الأثر : ٨٩٣٦ – مضى هذا الأثر برقم : ٤٨٧٧ ، وكان فيه هنا ، كما كان هناك « عقبة بن أبى المهنا » ، فانظر التعليق عليه هناك ، والمراجع مذكورة فيه ، وقد زاد أبو جعفر هناك ، إسناداً آخر ، عن عقبة بن أبى الصهباء ، عن بكر بن عبد الله المزنى ، لهذا الأثر ، وهذا أحد الدلائل على اختصار أبى جعفر لتفسيره هذا .

قال آخرون: بل هي منسوخة، نسخها قوله: ﴿وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلاَّ أَنْ يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٩].

* ذكر من قال ذلك :

٨٩٣٧ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله : « وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج » إلى قوله : « وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً » ، قال: ثم رخص بعدُ فقال: ﴿وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلاَّ أَنْ يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ [سورة البقرة : ٢٢٩] . قال : فنسخت هذه تلك .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب في ذلك ، قولُ من قال: « إنها محكمة غير منسوخة »، وغير جائز للرجل أخذ شيء مما آتاها، إذا أراد طلاقها من غير نشوز كان منها ، ولا ريبة أتت بها .

وذلك أن الناسخ من الأحكام ، ما نَفَى خلافه من الأحكام ، على ما قد بيَّنا في سائر كتبنا .(١) وليس في قوله : « وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج » ، نَفْيُ حكمِ قوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ [سورة البقرة : ٢٢٩] . لأن الذي حرَّم الله على الرجل بقوله : « وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً » ، أخذُ ما آتاها منها إذا كان هو المريدَ طلاقَها . وأما الذي أباح له أخذَه منها بقوله: ٤/٢١٧ ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ ، فهو إذا كانت هي المريدةَ طلاقَه وهو له كاره ، ببعض المعاني التي قد ذكرنا في غير هذا الموضع .(٢)

---

(١) انظر ما سلف ، ما قاله في كتابه هذا في « النسخ » فيما سلف ٣ : ٣٨٥، ٦٣٥ / ٤ : ٥٨٢ / ٦ : ٥٤ ، ١١٨ .

(٢) انظر ما سلف ٤ : ٥٤٩ — ٥٨٥ ، وانظر كلامه في الناسخ والمنسوخ من الآيتين في ص: ٥٧٩ — ٥٨٣ ، من الجزء نفسه .

وليس فى حكم إحدى الآيتين نفى حكم الأخرى .

وإذ كان ذلك كذلك، لم يجز أن يُحكم لإحداهما بأنها ناسخة، وللأخرى بأنها منسوخة ، إلاّ بحجة يجبُ التسليم لها .

وأما ما قاله بكر بن عبد الله المزنى [١]=: من أنه ليس لزوج المختلعة أخذُ ما أعطته على فراقه إياها ، إذا كانت هى الطالبةَ الفرقةَ ، وهو الكاره = فليس بصواب، لصحة الخبرِ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه أمرَ ثابت بن قيس ابن شماس بأخذ ما كان ساق إلى زوجته وفراقِها إذ طلبت فراقه ، [٢]وكان النشوز من قِبَلها . [٣]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ (٢٢)

قال أبو جعفر : قد ذكر أن هذه الآية نزلت فى قوم كانوا يَخْلُفُون على حلائل آبائهم ، فجاء الإسلام وهم على ذلك، فحرّم الله تبارك وتعالى عليهم المُقام عليهن، وعفا لهم عما كان سلف منهم فى جاهليتهم وشِرْكهم من فعل ذلك، لم يؤاخذهم به، إن هم اتقوا الله فى إسلامهم وأطاعوه فيه .

* ذكر الأخبار التى رويت فى ذلك :

٨٩٣٨ — حدثنى محمد بن عبد الله المخرمىّ قال، حدثنا قراد قال ، حدثنا

---

(١) انظر رد أبى جعفر مقاله بكر بن عبد الله المزنى فيما سلف ٤ : ٥٨١ ، ٥٨٢ ، وقال هناك : إنه « قول لا معنى له ، فنتشاغل بالإبانة عن خطئه » .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « إن طلبت فراقه » ، والصواب « إذ » كما أثبته .

(٣) انظر الأحاديث والآثار فيما سلف رقم : ٤٨٠٧ — ٤٨١١ ، والتعليق عليها ، وهو خبر ثابت بن قيس بن شماس .

ابن عيينة وعمرو ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان أهل الجاهلية يحرّمون ما يَحْرُم إلا امرأة الأب ، والجمع بين الأختين. قال : فأنزل الله : « ولا تنكحوا ما نكح أباؤكم من النساء إلا ما قد سلف» = ﴿ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ ﴾.(١)

٨٩٣٩ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة فى قوله : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء » الآية ، قال : كان أهل الجاهلية يحرّمون ما حرّم الله ، إلا أنّ الرجل كان يخلُف على حليلة أبيه ، ويجمعون بين الأختين ، فمن ثَمّ قال الله : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلاّ ما قد سلف »

٨٩٤٠ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة فى قوله : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلاّ ما قد سلف » ، قال : نزلت فى أبى قيس بن الأسلت ، خلفَ على أمّ عبيد بنت صخر ،(٢) كانت تحت الأسلت أبيه = وفى الأسود بن خلف ، وكان خلَف على بنت أبى طلحة بن عبد العُزّى بن عثمان بن عبد الدار ،(٣) وكانت عند أبيه خلف = وفى فاختة بنت الأسود بن المطلب بن أسَد ، وكانت عند أمية بن خلف ، فخلف عليها صفوان بن أمية = وفى منظور بن زبّان ،(٤) وكان خلف على مُليكة ابنة خارجة ، وكانت عند أبيه زبّان بن سيّار .(٥) ٤/٨

---

(١) الأثر : ٨٩٣٨ – « محمد بن عبد الله المخرمى » ، سلفت ترجمته برقم : ٢٧٣٠ ، ٤٩٢٩ ، ٥٤٤٧ .

و « قراد » ، لقب ، وهو : عبد الرحمن بن غزوان » ، سلفت ترجمته برقم : ٥٥٥ .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « بنت ضمرة » ، والصواب من المراجع فيها تخريج الأثر. وانظر التعليق على الأثر فى آخره ، ففيه ذكر الاختلاف فى اسمها .

(٣) اسمها « حينة بنت أبى طلحة » تصغير « حنة » ، كما جاء فى ترجمتها فى المراجع .

(٤) فى المطبوعة : « رباب » فى الموضعين ، وهى فى المخطوطة غير منقوطة ، وصوابه من المراجع بعد ، بالزاى المفتوحة ، وباء مشددة .

(٥) الأثر : ٨٩٤٠ – روى ابن الأثير هذا الخبر ، فى ترجمة أم عبيد بنت صخر ، ثم أشار إليها فى تراجم أصحابها ، ونسب رواية الخبر إلى أبى موسى محمد بن أبى بكر بن أبى عيسى

٨٩٤١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : قلت لعطاء بن أبي رباح : الرجل ينكح المرأة ، ثم لا يراها

الأصفهاني ، في مستدركة على ابن منده . وأشار إليها أيضاً الحافظ ابن حجر في الإصابة ، في تراجم المذكورين في هذا الخبر .

هذا ، ومضى الخبر رقم : ٨٨٧٣ ، وفيه أن أبا قيس بن الأسلت جنح على كبيشة بنت معن ابن عاصم امرأة أبيه ، فأخشى أن يكون الخبر السالف وهذا الخبر ، مجتمعين على أنه جنح على امرأتين من نساء أبيه ، كبيشة بنت معن ، وعلى أم عبيد بنت صخر . ولكن الواحدي في أسباب النزول : ١٠٩ قال إنها نزلت في حصن بن أبي قيس ، تزوج امرأة أبيه كبيشة بن معن ، وهو ما ذكره الثعلبي في تفسيره . ورواه الحافظ في الإصابة في ترجمة «قيس بن صيفي بن الأسلت» (٥ : ٢٥٧) عن الفريابي وابن أبي حاتم من طريق عدي بن ثابت . ثم قال : «وفي سنده قيس ابن الربيع ، عن أشعث بن سوار ، وهما ضعيفان . والخبر مع ذلك منقطع» وقال : «وقد تقدم في ترجمة حصن بن أبي قيس بن الأسلت أن القصة وقعت مع امرأة أبيه كبيشة بنت معن . هكذا سماها ابن الكلبي ، وخالفه مقاتل ، فجعل القصة لقيس . وعند أبي الفرج الأصفهاني (١٥ : ١٥٤) ما يوهم أن قيساً قتل في الجاهلية ، فإنه ذكر أن يزيد بن مرداس السلمي قتل قيس بن أبي قيس ابن الأسلت في بعض حروبهم» .

وهذا أمر يحتاج إلى تحقيق طويل كما ترى ، اكتفيت بهذه الإشارة إليه ، وقد مضى في التعليق على اسم «أم عبيد بنت صخر» ، أنه كان في المطبوعة والمخطوطة «أم عبيد بنت ضمرة» ، وقد تابعت ما جاء في ترجمتها في كتب التراجم ، واستأنست بتسمية أخيه : «جرول بن مالك بن عمرو ابن عزيز» (جمهرة الأنساب : ٣١٥) وأم عبيد هي : (أم عبيد بنت صخر بن مالك بن عمرو ابن عزيز» ، و «الجرول» : الحجر يكون ملء كف الرجل ، فكأن أباه سماه جرولا ، وسمى أخاه صخراً ، على عادة العرب في ذلك . والأنصار أيضاً ، يكثر في أنسابهم «صخر» ، ولم أجد منهم من تسمى «ضمرة» ، فلذلك رجحت ما أثبت . ولكن ابن كثير نقل هذا الأثر في تفسيره ٢ : ٣٨٨ ، وفيه «أم عبيد الله بنت ضمرة» ، ولكن الثقة بنقل ابن كثير في مثل هذا غير صحيحة .

أما الحافظ ابن حجر فقد ذكرها في ترجمة «قيس بن صيفي بن الأسلت» ، فنقل عن سيف من تفسيره ، وسماها «ضمرة أم عبيد الله» ، ثم ترجم «ضمرة زوج أبي قيس بن الأسلت» (الإصابة ٨ : ١٣٤) ، وقال : «ذكرها الطبري فيمن نزلت فيه : ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء» ، وهذا خلط وعجب من العجب ، ولم أجد من ذكر «ضمرة» هذه ، ولا ذكرها الطبري كما سها الحافظ في ذكرها وإفراد ترجمتها ، وأخطأ . وهو من الأدلة على عجلة الحافظ في تأليفه كتاب الإصابة ، وصحة ما قيل من أنه لم يكن إلا مسودة لم يبيضها ، فيمحصها .

وهذا الاختلاف محتاج إلى إطالة ، اقتصرت منه على هذا القدر .

وأما «الأسود بن خلف» ، فهو «الأسود بن خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة الخزاعي» ، وهو غير «الأسود بن خلف بن عبد يغوث» ، كما ذكره الحافظ في الإصابة ، وابن سعد ٥ : ٣٣٩ فإن يكن ذلك ، فهو أخو «عبد الله بن خلف بن أسعد» والد «طلحة الطلحات» . ولم أجد ابن حجر قد أشار في الإصابة إلى خبر خلفه على امرأة أبيه ، مع أنه ذكره في تراجم النساء المذكورات في

حتى يُطلقها ، أتحل لابنه ؟ قال : هي مُرْسَلة ،[1] قال الله تعالى : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء » . قال : قلت لعطاء : ما قوله : « إلا ما قد سلف »؟ قال : كان الأبناء ينكحون نساء آبائهم في الجاهلية .[2]

٨٩٤٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية

الخبر ، وفي ترجمة امرأة أبيه « حمينة بنت أبي طلحة » ، وكذلك لم يذكره بتة ، ابن الأثير ، مع أنه ذكره في ترجمته «حمينة» . وفي الإصابة وابن الأثير : « خلف بن أسد بن عاصم بن بياضة » ، وهو تصحيف ، بل هو « أسعد بن عامر » .

وهذا أيضاً يحتاج إلى تحقيق أوفى ، ليس هذا مكانه .

وأما خبر « منظور بن زبان بن سيار المازني » ، وفي شأن قصته اختلاف ذكره الحافظ ابن حجر في ترجمته وترجمة « مليكة » ، ورجح أن هذه القصة كانت على عهد عمر بن الخطاب ، وأن عمر فرق بينهما ، فاشتد ذلك عليه ، وكان يحبها ، فقال فيها شعراً منه :

لَعَمْرُ أَبِي دِينٍ يُفَرِّقُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكِ قَسْرًا ، إِنَّهُ لَعَظِيمُ

وقصته في الأغاني ١٢ : ١٩٤ (دار الكتب)

(١) هكذا جاءت في المخطوطة والمطبوعة هنا ، وفي رقم : ٨٩٥٧ فيما يلي والدر المنثور ، ٢ : ١٣٤ ، « مرسلة » ، والذي جاء في كتب اللغة « امرأة مراسل » ، قالوا : هي التي فارقها زوجها بأي وجه كان ، مات أو طلقها. وقيل : هي التي يموت زوجها ، أو أحست منه أنه يريد تطليقها ، فهي تزين لآخر . وقيل : هي التي طلقت مرات . وقيل : هي التي تراسل الخطاب . وذلك كله قريب بعضه من بعض ، فإن المرأة إذا مات زوجها أو طلقها ، كانت خليقة أن تراسل الخطاب وتلتمس الطريق إلى زواج . وفي الحديث : « أن رجلا من الأنصار تزوج امرأة مراسلا يعني : ثيباً = فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فهلا بكراً تلاعبها وتلاعبك ! ! » ، فقال أصحاب اللغة : « المراسل : التي قد أسنت وفيها بقية شباب » . وكأن شرح هذا اللفظ يقتضي الجمع بين هذه الأقوال جميعاً فيقال : إنها التي قد فارقت الشباب فات عنها زوجها أو طلقها ، فهي أحوج من ذات الشباب إلى طلب الزينة ومراسلة الخطاب ، لقلة رغبتهم فيها ، كرغبتهم في الأبكار الجميلات الشواب .

وأما في هذا الخبر ، فإن صح أن اللفظ « مرسلة » على الصواب، كان تفسيره: أنها التي أرسلها زوجها ، أي أطلقها ، وإنما عني به : البكر المطلقة التي تنزل في الحكم منزلة الثيب . وإن كان الصواب « هي مراسل » ، فينبغي أن يزاد في معنى « مراسل » أنها البكر التي طلقت ، فهي بمنزلة الثيب . وانظر الأثر التالي .

(٢) سيأتي هذا الأثر برقم : ٨٩٥٧ ، مع اختلاف في لفظه ، انظر التعليق عليه هناك .

ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء » الآية ، يقول : كل امرأة تزوجها أبوك وابنك ، دخل أو لم يدخل ، فهى عليك حرام .

• • •

واختلف فى معنى قوله : « إلا ما قد سلف » .

فقال بعضهم : معناه : لكن ما قد سلف فدعوه . وقالوا : هو من الاستثناء المنقطع .

• • •

وقال آخرون : معنى ذلك : ولا تنكحوا نكاح آبائكم = بمعنى : ولا تنكحوا كنكاحهم ، كما نكحوا على الوجوه الفاسدة التى لا يجوز مثلها فى الإسلام = « إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلا » ، يعنى : أن نكاح آبائكم الذى كانوا ينكحونه فى جاهليتهم ، كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً — إلا ما قد سلف منكم فى جاهليتكم من نكاح ، لا يجوز ابتداء مثله فى الإسلام ، فإنه معفوٌّ لكم عنه .

وقالوا : قوله : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء » ، كقول القائل للرجل : « لا تفعل ما فعلتُ » ، و « لا تأكل ما أكلت » ، بمعنى : لا تأكل كما أكلت ، ولا تفعل كما فعلتُ .

• • •

وقال آخرون : معنى ذلك : ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء بالنكاح الجائز كان عقده بينهم ، إلاّ ما قد سلف منهم من وجوه بالزنا عندهم ، فإنّ نكاحهن لكم حلال ، لأنهن لم يكن لهم حلائل ، وإنما كان ما كان من آبائكم ومنهن من ذلك ، [1] فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً .

• ذكر من قال ذلك .

---

(١) فى المطبوعة : « من آبائكم منهن » بإسقاط الواو ، وهو خطأ ، صوابه من المخطوطة .

٨٩٤٣ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلاّ ما قد سلف » الآية ، قال : الزنا = « إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلا » = فزاد ههنا « المقت » .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، على ما قاله أهل التأويل في تأويله ، أن يكون معناه : ولا تنكحوا من النساء نكاحَ آبائكم ، إلا ما قد سلف منكم فمَضى في الجاهلية، فإنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً = فيكون قوله : « من النساء » من صلة قوله : « ولا تنكحوا » ، ويكون قوله : « ما نكح آباؤكم » بمعنى المصدر، ويكون قوله : « إلا ما قد سلف » بمعنى الاستثناء المنقطع ، لأنه يحسن في موضعه : « لكن ما قد سلف فمضى » = « إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلا » . ٩/٤

* * *

فإن قال قائل : وكيف يكون هذا القول موافقاً قولَ من ذكرت قولَه من أهل التأويل ، وقد علمتَ أن الذين ذكرتَ قولهم في ذلك ، إنما قالوا : أنزلت هذه الآية في النَّهي عن نكاح حلائل الآباء ، وأنت تذكر أنهم إنما نهوا أن ينكحوا نكاحَهم ؟

قيل له : إنما قلنا إن ذلك هو التأويل الموافق لظاهر التنزيل،(٢) إذ كانت « ما » في كلام العرب لغير بني آدم، وأنه لو كان المقصودَ بذلك النهيُ عن حلائل الآباء، دون سائر ما كان من مَناكح آبائهم حراماً ابتداءُ مثله في الإسلام بِنَهْي الله

---

(١) يعني بقوله : « زاد ههنا » ، زاد على ما جاء في « سورة الإسراء : ٣٢ » :

﴿ وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾ .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « وإن قلنا إن ذلك هو التأويل » ، وهو كلام لا يستقيم مع اللتي بعده ، والصواب الموافق للسياق هو ما أثبت .

جل ثناؤه عنه ،[١] لقيل : « ولا تنكحوا مَنْ نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف » ، لأن ذلك هو المعروف فى كلام العرب ، إذ كان « مَنْ » لبنى آدم ، و « ما » لغيرهم = ولم يُقَلْ : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء » .[٢] [وأما قوله تعالى ذكره : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء »] ، فإنه يدخل فى « ما » ،[٣] ما كان من مناكح آبائهم التى كانوا يتناكحونها فى جاهليتهم . فحرَّم عليهم فى الإسلام بهذه الآية ، نكاحَ حلائل الآباء وكلَّ نكاح سواه نهى الله تعالى ذكره [عن] ابتداء مثله فى الإسلام ،[٤] مما كان أهل الجاهلية يتناكحونه فى شِرْكهم.

* * *

ومعنى قوله : « إلا ما قد سلف » ، إلا ما قد مضى[٥] = « إنه كان فاحشة » ، يقول : إن نكاحكم الذى سلف منكم كنكاح آبائكم المحرَّم عليكم ابتداءُ مثله فى الإسلام بعد تحريمى ذلك عليكم = « فاحشة » ، يقول : معصية[٦] = « ومقتاً وساء سبيلا » ،[٧] أى : بئس طريقاً ومنهجاً ،[٨] ما كنتم تفعلون فى

---

(١) فى المطبوعة : « . . . حراماً ابتدىء مثله فى الإسلام » ، ولم يحسن قراءة المخطوطة « ابتدا » فبدلها إلى ما أفسد الكلام إفساداً .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « إذ كان من لبنى آدم ، وما لغيرهم ولا تقل : ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء » ، وهو كلام لا يستقيم البتة ، وصواب قوله « ولا تقل » « ولم يقل » (بالبناء للمجهول) ، وهو معطوف على قوله آنفاً : « لقيل : ولا تنكحوا من نكح آباؤكم » . واختلط على الناسخ تكرار الآية مرتين فسبق بصره ، فأسقط من الكلام ما أثبته بعد بين القوسين ، مما لا يتم الكلام ولا يستقيم إلا بإثباته ، واجتهدت فيه استظهاراً من كلامه وحجته ، كما ترى .

(٣) فى المخطوطة : « فإنه يدخل فيما كان من مناكح آبائهم » ، وهو سهو وخطأ من الناسخ لما اختلط عليه الكلام ، والصواب هو الذى استظهره ناشر المطبوعة الأولى ، كما أثبتها .

(٤) ما بين القوسين زيادة لا بد منها ، ساقطة من المخطوطة والمطبوعة .

(٥) انظر تفسير « سلف » فيما سلف ٦ : ١٤ .

(٦) انظر تفسير « فاحشة » فيما سلف : ١١٥ تعليق : ٢ والمراجع هناك .

(٧) لم يفسر أبو جعفر هنا « المقت » فى هذا الموضع ، ولا فى سائر المواضع التى جاء فيها ذكر « المقت » ، إلا تضميناً . و « المقت » : أشد البغض ، ثم سمى هذا النكاح الذى كانوا يتناكحونه فى الجاهلية « نكاح المقت » ، وسمى المولود عليه « المقتى » على النسبة .

(٨) انظر تفسير « السبيل » فيما سلف : ٣٧ ، تعليق : ٦ ، والمراجع هناك .
وأما « ساء » ، فإن أبا جعفر لم يبين معناها ، ولم يذكر أن أصحاب العربية يعدونها فعلا جامداً

جاهليتكم من المناكح التى كنتم تناكحونها . (١)

* * *

يجرى مجرى « نعم » و « بئس » ، وإن كان تفسيره قد تضمن ذلك . وهذا من الأدلة على أنه اختصر هذا التفسير فى مواضع كثيرة .

(١) حجة أبى جعفر فى هذا الموضع ، حجة رجل بصير عارف بالكلام ومنازله ، متمكن من أصول الاستنباط ، قادر على ضبط ما ينتشر من المعانى ، متابع لسياق الأحكام والأخبار فى كتاب ربه ، خبير بما كان عليه العرب فى جاهليتهم .

وقد رد العلماء على أبى جعفر قوله ، وقال بعضهم : هو قول غير وجيه . وذكروا أن « ما » تقع على أنواع من يعقل ، وإن كانت لا تقع على آحاد من يعقل ، عند من يذهب هذا المذهب . فجعلوا قول الطبرى أن « ما » مصدرية باقية على معنى المصدر ، قولا ضعيفاً . بيد أن مذهب أبى جعفر صحيح مستقيم لا ينال منه احتجاجهم عليه . وإنما ساقهم إلى ذلك ، ترك أبى جعفر البيان عن حجته ، وأنا قائل فى ذلك ما يشفى إن شاء الله .

وذلك أن الذين ردوا مقالة أبى جعفر ، أرادوا أن هذه الآية نص فى تحريم نكاح حلائل الآباء وحده ، وكأنهم حسبوا أن لو جعلوا « ما » مصدرية ، لم يكن فى الآيات نص صريح فى تحريم حلائل الآباء غيرها . والصواب غير ذلك . فإن الله سبحانه وتعالى قد حرم نكاح حلائل الآباء الذى كان أهل الجاهلية يرتكبونه بقوله فى الآية التاسعة عشرة من سورة النساء فيما مضى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾، وقال أبو جعفر فى تفسيرها : « لا يحل لكم أن ترثوا نكاح نساء أقاربكم وآبائكم كرهاً » ، وساق هناك الآثار المبينة عن صورة نكاح حلائل الآباء والأقارب جميعاً . وهذا الذى ساق هناك فيه البيان عن صورة نكاح حلائل الآباء والأقارب بالوراثة ، كما كان أهل الجاهلية يعرفونه . فكانت هذه الآية نصاً قاطعاً بيناً فى تحريم نكاح حلائل الآباء والأقارب بالوراثة ، كما عرفه أهل الجاهلية ، لأنهم لم يعرفوا نكاح حلائل الآباء إلا على هذه الصورة التى بينها الله فى كتابه ، والتى أجمعت الأخبار على صفتها ، أن يخلف الرجل على امرأة أبيه .

وأنا أرجح أن الله تبارك وتعالى إنما قال : « لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً » ، فذكر وراثتهن كرهاً ، ثم أتبع ذلك بالنهى عن عضل النساء عامة ، وبالبيان عن مقصدهم من عضل النساء ، وهو الذهاب ببعض ما أوتين من صدقاتهن = لأن أهل الجاهلية ، إنما تورطوا فى نكاح حلائل الآباء ، لشىء واحد : هو أخذ ما آتاهن الآباء من المال ، ولئلا تذهب المرأة بما عندها من مال آبائهم ، فلذلك أتبعه بالنهى عن العضل عامة ، لأن فعلهم بحلائل آبائهم عضل أيضاً ، ومقصدهم منه هو مقصدهم من عضل نسائهم .

وأيضاً ، فإن أهل الجاهلية لم يرتكبوا نكاح العمات والخالات والأخوات ، كما سترى بعد ، بل استنكروه ، فاستنكارهم نكاح حلائل الآباء – وهن بمنزلة أمهاتهن فى حياة آبائهن – كان خليقاً أن يكون من فعلهم وعادتهم ، ولكن حملهم حب المال على مخالفة ذلك .

ثم أتبع الله ذلك – كما قال أبو جعفر – « بالنهى عن مناكح آبائهم التى كانوا يتناكحونها فى

. . . . . .

الجاهلية ، فحرم عليهم بهذه الآية نكاح حلائل الآباء وكل نكاح سواه ، نهى الله عن ابتداء مثله فى الإسلام ، مما كان أهل الجاهلية يتناكحونه » . وقد ذكرت عائشة رضى الله عنها فى حديث البخارى (الفتح ٩ : ١٥٨) أن نكاح الجاهلية كان على أربعة أنحاء ، منها : « نكاح الناس اليوم » ، ثم عددت ضروب النكاح ووصفتها ، فأقر الإسلام منها نكاحاً واحداً : يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته ، فيصدقها ، ثم ينكحها .

فهذه الآية مبطلة ضروب نكاح الجاهلية جميعاً ، ما كان منها نكاحاً فاسداً ، كالاستبضاع ، ونكاح البغايا ، ونكاح البدل ، والشغار ، فكل ذلك كان : فاحشة ومقتاً وساء سبيلا ، كما تعرفه من صفته فى حديث عائشة ، ويدخل فيه ، كما قال أبو جعفر ، نكاح حلائل الآباء .

ثم أتبع الله سبحانه وتعالى هذه الآية التى حرمت جميع نكاح الجاهلية ، آية أخرى حرمت كل نكاح كان معروفاً فى الأمم الأخرى ، غير العرب ، أو فى الملل الأخرى غير ملة الإسلام فقال : « حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم » إلى آخر الآية . والعرب لم تعرف قط نكاح الأمهات ، أو البنات أو الأخوات أو العمات أو الخالات ، بل كان ذلك فى غيرهم كالمصريين واليهود وأشباههم ، ينكح الرجل أخته أو عمته أو خالته . ومن الدليل على أن العرب لم تعرف نكاح الأخوات ، ولا نكاح العمات أو الخالات ، أنهم كانوا فى جاهليتهم ، يقسمون على طلاق نسائهم أو تحريمهن على أنفسهم ، أو هجرانهن ، بقولهم للزوجة : « أنت على كظهر أختى ، أو كظهر عمتى ، أو كظهر خالتى » ، فكان ذلك عندهم تحريماً على أنفسهم غشيان الزوجة . وهذا باب لم أجد أحداً وفاه حقه ، فعسى أن أوفق فى موضع آخر إلى استيعابه إن شاء الله . وهو باب مهم فى تفسير هذه الآيات ، والله المستعان .

وإذن فهذه الآية الأخيرة ، غير خاصة فى نكاح أهل الجاهلية ، بل هى تحريم لكل نكاح كرهه الله للمؤمنين ، مما كان عند الأمم قبلهم جائزاً أو مرتكباً ، أو كان بعضه عندهم قليلا غير مشهور شهرة أنكحة الجاهلية التى ذكرها الله فى وراثة حلائل الآباء والأقارب ، والتى ذكرتها عائشة فى حديثها ، والتى جاء تحريمها عاماً فى قوله : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء » بمعنى « ما » المصدرية ، كما ذهب إليه أبو جعفر . وكتبه : محمود محمد شاكر .

القول فى تأويل قوله : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (٢٣) ٤/٢٠-

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : حُرّم عليكم نكاح أمهاتكم = فترك ذكر « النكاح » ، اكتفاءً بدلالة الكلام عليه .

* * *

وكان ابن عباس يقول فى ذلك ما : —

٨٩٤٤ — حدثنا به أبو كريب قال ، حدثنا ابن أبى زائدة ، عن الثورى ، عن الأعمش ، عن إسمعيل بن رجاء ، عن عمير مولى ابن عباس ، عن ابن عباس قال : حُرّم من النسب سبعٌ ، ومن الصِّهر سبعٌ . ثم قرأ : « حُرّمت عليكم أمهاتكم » حتى بلغ : « وأن تجمعوا بين الأختين إلاّ ما قد سلف » ، قال : والسابعة : « ولا تنكحوا ما نَكح آباؤكم من النساء » .

٨٩٤٥ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إسمعيل بن رجاء ، عن عمير مولى ابن عباس ، عن ابن عباس قال : يحرم من النسب سبع ، ومن الصهر سبع . ثم قرأ : « حُرّمت عليكم أمهاتكم » إلى قوله : « والمحصنات من النساء إلاّ ما ملكت أيمانكم » .

٨٩٤٦ — حدثنا ابن بشار مرة أخرى قال ، حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال ،

حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إسمعيل بن رجاء ، عن عمير مولى ابن عباس ، عن ابن عباس مثله .(١)

٨٩٤٧ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبي ذئب ، عن الزهري بنحوه .

٨٩٤٨ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن حبيب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : حرم عليكم سبع نَسَباً ، وسبعٌ صهراً : « حُرِّمت عليكم أمهاتكم » الآية .(٢)

٨٩٤٩ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن علي بن صالح ، عن سماك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : « حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم » قال : حَرَّم الله من النسب سبعاً ومن الصهر سبعاً . ثم قرأ : « وأمهات نسائكم وربائبكم » ، الآية .

٨٩٥٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن مطرِّف ، عن عمرو بن سالم مولى الأنصار قال : حُرِّم من النسب سبع ، ومن الصهر سبع : « حُرِّمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت » = ومن الصهر : « أمهاتكم اللاتي أرضَعْنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم

---

(١) الآثار : ٨٩٤٤ — ٨٩٤٦ — « إسماعيل بن رجاء بن ربيعة الزبيدي » ، روى له مسلم والأربعة . ثقة ، كان يجمع صبيان المكاتب ويحدثهم لكي لا ينسى حديثه !

و « عمير مولى ابن عباس » هو : عمير بن عبد الله الهلالي ، مولى أم الفضل . ثقة .

وروى خبر ابن عباس ، الحاكم في المستدرك ٢ : ٣٠٤ من طريق : محمد بن كثير ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن إسماعيل بن رجاء ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي . وأشار إليه الحافظ في الفتح ٥ : ١٣٣ ، ونسبه للطبراني . وابن كثير في التفسير ٢ : ٣٩٠ .

(٢) الأثر : ٨٩٤٨ — رواه بهذا الإسناد ، البخاري في صحيحه (الفتح ٥ : ١٣٢) بغير هذا اللفظ ، ورواه بلفظه البيهقي في السنن الكبرى ٧ : ١٥٨ ، ولفظ البخاري : « حرم من النسب سبع ، ومن الصهر سبع » كالخبر السالف . وانظر تفسير ابن كثير ٢ : ٣٩٠ .

وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جُناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلاّ ما قد سلف » = ثم قال : « والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم » = « ولا تنكِحوا ما نَكح آباؤكم من النساء » .(١)

٤/٢٢١

* * *

قال أبو جعفر : فكل هؤلاء اللواتى سَمّاهن الله تعالى وبيّن تحريمَهن فى هذه الآية ، مُحَرَّمات ، غيرُ جائز نكاحُهن لمن حَرَّم الله ذلك عليه من الرجال ، بإجماع جميع الأمة ، لا اختلاف بينهم فى ذلك : إلاّ فى أمهات نسائِنا اللواتى لم يدخُلْ بهن أزواجُهن ، فإن فى نكاحهن اختلافاً بين بعض المتقدّمين من الصحابة : إذا بانت الابنة قبلَ الدخول بها من زوجها ، هل هُنّ من المُبْهمات ، أم هنّ من المشروط فيهن الدخول ببناتهنّ ؟

فقال جميع أهل العلم متقدمهم ومتأخرهم : من المُبهمات ،(٢) وحرام على من

---

(١) الأثر : ٨٩٥٠ – « عمرو بن سالم » ، هو : « أبو عثمان الأنصارى » قاضى مرو ، مختلف فيه وفى اسم أبيه اختلاف كثير . وقيل : « اسمه كنيته » ، وهو مشهور بكنيته ، ولكن الطبرى جاء به غير مكنى باسمه واسم أبيه .

(٢) « المبهمات » هن من المحرمات : ما لا يحل بوجه ولا سبب كتحريم الأم والأخت وما أشبهه. وقال القرطبى فى تفسيره (٥ : ١٠٧) : « وتحريم الأمهات عام فى كل حال ، لا يتخصص بوجه من الوجوه ، ولهذا يسميه أهل العلم : (المبهم) ، أى لا باب فيه ولا طريق إليه ، لانسداد التحريم وقوته » . وسأسوق لك ما قاله الأزهرى فى تفسيرها قال : « رأيت كثيراً من أهل العلم يذهبون بهذا إلى إبهام الأمر واستبهامه ، وهو إشكاله = وهو غلط . قال : وكثير من ذوى المعرفة لا يميزون بين المبهم وغير المبهم تمييزاً مقنعاً . قال : وأنا أبينه بعون الله .

« فقوله : « حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت » هذا كله يسمى : التحريم المبهم ، لأنه لا يحل بوجه من الوجوه ، ولا سبب من الأسباب ، كالبهيم من ألوان الخيل الذى لا شية فيه تخالف معظم لونه .

قال : ولما سئل ابن عباس عن قوله : « وأمهات نسائكم » ولم يبين الله الدخول بهن ، أجاب فقال : هذا من مبهم التحريم ، الذى لا وجه فيه غير التحريم ، سواء دخلتم بالنساء أو لم تدخلوا بهن . فأمهات نسائكم حرمن عليكم من جميع الجهات .

وأما قوله : « وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن » ، فالربائب ههنا

تزوّج امرأةً أمُّها ،(١) دخل بامرأته التى نكحها أو لم يدخل بها. وقالوا: شرطُ الدخول فى الرَّبيبة دون الأم ، فأما أمُّ المرأة فمُطْلقة بالتحريم . قالوا: ولو جاز أن يكون شرطُ الدخول فى قوله : « وربائبكم اللاتى فى حُجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن » ، يرجع موصولاً به قوله : « وأمهات نسائكم » ،(٢) جاز أن يكون الاستثناء فى قوله : « والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم » من جميع المحرّمات بقوله : « حرّمت عليكم » ، الآية . قالوا: وفى إجماع الجميع على أنّ الاستثناء فى ذلك إنما هو مما وَلِيَه من قوله : « والمحصنات » ، أبينُ الدّلالة على أن الشرط فى قوله : « من نسائكم اللاتى دخلتم بهن » ، مما وَلِيه من قوله : « وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نِسَائكم اللاتى دخلتم بهن » ، دون أمّهات نسائنا .

* * *

وروى عن بعض المتقدّمين أنه كان يقول: حلالٌ نكاح أمّهات نسائنا اللواتى لم ندخل بهن ، وأنّ حكمهن فى ذلك حكم الربائب .

* ذكر من قال ذلك :

٨٩٥١ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا ابن أبى عدى وعبد الأعلى، عن سعيد ، عن قتادة ، عن خلاس بن عمرو ، عن على رضى الله عنه ، فى رجل

لسن من المبهمات ، لأن لهن وجهين مبينين : أحللن فى أحدهما ، وحرمن فى الآخر . فإذا دخل بأمهات الربائب حرمت الربائب ، وإن لم يدخل بأمهات الربائب لم يحرمن »

فهذا تفسير « المبهم » الذى أراده ابن عباس فافهمه » .

وعقب على هذا ابن الأثير فقال : « هذا التفسير من الأزهرى ، إنما هو للربائب والأمهات ، لا الحلائل ، وهو فى أول الحديث إنما جعل سؤال ابن عباس عن الحلائل لا عن الربائب » ، وهو تعقيب غير جيد .

ثم انظر « الإنصاف » للطيوسى : ٢٨ ، ٢٩ .

(١) يعنى : والذى تزوج امرأة فحرام عليه أمها .

(٢) فى المخطوطة : « موضع موصولا به » ، ولا معنى لها ، وفى المطبوعة : « فوضع موصولا به » ولا معنى لها أيضاً ، واستظهرت صحتها « يرجع موصولا به » ، أى أن الشرط راجع إلى أمهات النساء والربائب جميعاً .

تزوّج امرأة فطلّقها قبل أن يدخل بها ، أيتزوّج أمها ؟ قال : هي بمنزلة الربيبة .

٨٩٥٢ – حدثنا حميد بن مسعدة قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد قال ، حدثنا قتادة ، عن خلاس ، عن علي رضي الله عنه قال : هي بمنزلة الربيبة .(١)

٨٩٥٣ – حدثنا حميد قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد قال ، حدثنا قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، عن زيد بن ثابت : أنه كان يقول : إذا ماتت عنده وأخذ ميراثها ، كُرِه أن يخلُف على أمّها . وإذا طلّقها قبل أن يدخُل بها ، فإن شاء فعل .

٨٩٥٤ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، عن زيد بن ثابت قال : إذا طلق الرجل امرأته قبل أن يدخُل بها ، فلا بأس أن يتزوج أمّها .

٨٩٥٥ – حدثنا القاسم قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، أخبرني عكرمة بن خالد : أن مجاهداً قال له : « وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم » ، أريد بهما الدُّخُول جميعاً .(٢) ٤/٢٢٢

* * *

قال أبو جعفر : والقول الأول أولى بالصواب ، أعني قول من قال : « الأمّ من المبهمات » . لأن الله لم يشرط معهن الدخول ببناتهن ، كما شرط ذلك مع

---

(١) الأثران ٨٩٥١ ، ٨٩٥٢ – « خلاس بن عمرو الهجري » ثقة ، تكلموا في سماعه من علي ، وأن حديثه عنه من صحيفة كانت عنده ، ونص البخاري على ذلك في التاريخ الكبير ٢/١/٢٠٨ . فمن أجل ذلك قال القرطبي في هذا الأثر : « وحديث خلاس عن علي لا تقوم به حجة ، ولا تصح روايته عند أهل العلم بالحديث ، والصحيح عنه مثل قول الجماعة » .

(٢) الأثر : ٨٩٥٥ – « عكرمة بن خالد بن العاص بن هشام المخزومي » ، روى عن أبيه وأبي هريرة وابن عباس وابن عمر وغيرهم . وهو ثقة . وقال بعضهم : « منكر الحديث » وإنما خلط بينه وبين « عكرمة بن خالد بن سلمة بن العاص بن هشام المخزومي » ، وهما مختلفان .

وانظر ما قاله ابن كثير في هذا الباب من تفسيره ٢ : ٣٩٢ – ٣٩٤ ، وذكر هذه الآثار .

أمهات الرَّبائب ، مع أن ذلك أيضاً إجماعٌ من الحجة التى لا يجوز خِلافُها فيما جاءت به متفقة عليه . وقد روى بذلك أيضاً عن النبى صلى الله عليه وسلم خبرٌ ، غيرَ أنَّ فى إسناده نظراً ، وهو ما : —

٨٩٥٦ — حدثنا به المثنى قال ، حدثنا حبان بن موسى قال ، أخبرنا ابن المبارك قال ، أخبرنا المثنى بن الصباح ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إذا نكح الرجلُ المرأة ، فلا يحل له أن يتزوج أمَّها ، دخل بالابنة أم لم يدخل . وإذا تزوج الأمَّ فلم يدخل بها ثم طلقها ، فإن شاء تزوَّج الابنة .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وهذا خبر ، وإن كان فى إسناده ما فيه ، فإن فى إجماع الحجة على صحة القول به ، مستغنىً عن الاستشهاد على صِحَّته بغيره .

* * *

٨٩٥٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال لعطاء : الرجل ينكح المرأة لم يَرَها ولم يجامعها حتى يطلقها ،(٢)

---

(١) الحديث : ٨٩٥٦ — المثنى بن الصباح الأبناوى المكى : مضت له ترجمة فى : ٤٦١١ . ونزيد هنا أنا نرى أن حديثه حسن ، لأنه اختلط أخيراً ، كما فصلنا فى شرح المسند ، فى الحديث : ٦٨٩٣ .

ومن أجل الكلام فيه ذهب الطبرى إلى أن فى إسناد هذا الحديث نظراً .

وقد رواه البيهقى أيضاً فى السنن الكبرى ٧ : ١٦٠ ، من طريق ابن المبارك ، عن المثنى بن الصباح . ثم قال البيهقى : « مثنى بن الصباح : غير قوى » .

ولكن المثنى لم ينفرد بروايته . فقد رواه البيهقى أيضاً — عقب رواية المثنى — من طريق ابن لهيعة ، عن عمر بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، بنحوه ، فهذه متابعة قوية للمثنى ، ترفع ما قد يظن من خطئه فى روايته .

والحديث نقله ابن كثير عن رواية الطبرى هذه ٢ : ٣٩٤ ، ضمن ما نقله من كلام الطبرى فى هذا الموضع .

وذكره السيوطى ٢ : ١٣٥ وزاد نسبته لعبد الرزاق ، وعبد بن حميد . ونص على أن البيهقى رواه من طريقين وهما اللتان ذكرناهما .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « لم يرها ولا يجامعها حتى يطلقها » ، وأثبت ما فى الدر المنثور

أيحل له أمها ؟ قال : لا ، هي مُرسلة . قلت لعطاء : أكان ابن عباس يقرأ : «وأمهات نسائكم اللاتى دخلتم بهن »؟ قال : « لا »، تترى =[١] قال حجاج ، قلت لابن جريج : ما « تترى » =[١]؟ قال : كأنه قال : لا ! لا ![٢]

* * *

وأما « الربائب » فإنه جمع « ربيبة » ، وهى ابنة امرأة الرجل . قيل لها « ربيبة » لتربيته إياها ، وإنما هى «مربوبة» صرفت إلى « ربيبة » ، كما يقال : «هى قتيلة» من « مقتولة » .[٣] وقد يقال لزوج المرأة : « هو ربيب ابن امرأته »، يعنى به : « هو رَابُّه » ، كما يقال : « هو خابر ، وخبير » و « شاهد ، وشهيد » .[٤]

* * *

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله : « من نسائكم اللاتى دخلتم بهن » .

فقال بعضهم : معنى « الدخول » فى هذا الموضع ، الجماعُ

* ذكر من قال ذلك :

٨٩٥٨ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية

---

٢ : ١٣٥ ، فهو أجود ، وقد مضى فى الأثر رقم : ٨٩٤١ ، « ثم لا يراها حتى يطلقها » ، وانظر تخريج الأثر .

(١) فى المطبوعة : « لا تبرأ »، ثم فى الذى يليه « ما تبرأ » ، وهو خطأ ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، وفيها : « ترى » غير منقوطة . وصواب قراءتها ما أثبت . وقوله : « تترى » ، أى : متتابعة ، واحدة بعد واحدة ، وقد جاء السؤال عن « تترى » أيضاً فى حديث رواه ابن سعد ٢/٢/١٣١ ، عن قباث بن أشيم الليثى ، وجاء تفسيرها فيه « متفرقين » .

(٢) الأثر : ٨٥٩٧ – مضى هذا الأثر مختصراً بإسناده ، وبغير هذا اللفظ فيما سلف قريباً رقم : ٨٩٤١ ، وانظر التعليق عليه هناك .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « قبيلة من مقبولة » بالباء الموحدة ، وليس صوابا ، بل الصواب ما أثبت ، ولعل الناسخ كتب ما كتب ، لأنهم قالوا : « رجل قتيل ، وامرأة قتيل » ، فهذا هو المشهور ، ولكنه أغفل أنهم إذا تركوا ذكر المرأة قالوا : « هذه قتيلة بنى فلان » وقالوا : « مررت بقتيلة » ، ولم يقولوا فى هذا « مررت بقتيل » .

(٤) فى المطبوعة : « جابر وجبير » بالجيم ، وفى المخطوطة ، أهمل نقط الأولى ، ونقط الثانية جيما ، وهو خطأ ، ليس فى العربية شىء من ذلك ، بل الصواب ما أثبت و « الخابر والخبير » : العالم بالخبر .

ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « من نسائكم اللاتى دخلتم بهن » ، والدخول النكاح .

* * *

وقال آخرون : « الدخول » فى هذا الموضع : هو التّجريد .

* ذكر من قال ذلك :

٨٩٥٩ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج ، قلت لعطاء : قوله : « اللاتى دخلتم بهن » ، ما « الدّخول بهن »؟ قال : أن تُهْدَى إليه فيكشف ويَعْتَسّ ويجلس بين رجليها .[1] قلت : أرأيت إن فعل ذلك فى بيتِ أهلها ؟ قال : هوسواءٌ ، وَحسْبُه ! قد حرّم ذلك عليه ابنتَها . قلت : تحرم الربيبة مِمَّن يصنع هذا بأمها ؟ألاَ يحرُم علىّ من أمّتى إن صنعته بأمها ؟[2] قال : نعم ، سواء . قال عطاء : إذا كشف الرجل أَمته وجلس بين رجليها ، أنهاه عن أمّها وابنتها . ٤/٢٢٣

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين عندى بالصواب فى تأويل ذلك ، ما قاله ابن عباس ، من أنّ معنى : « الدخول » الجماع والنكاح . لأن ذلك لا يخلو معناه من أحد أمرين : إما أن يكون على الظاهر المتعارَف من معانى « الدخول » فى الناس ، وهو الوصول إليها بالخلوة بها – أو يكون بمعنى الجماع . وفى إجماع الجميع على أن خلوة الرجل بامرأته لا يحرّم عليه ابنتها إذا طلّقها قبل مَسيسها ومُباشرتها ، أو قبل النّظر إلى فرجها بالشهوة ، ما يدلّ على أن معنى ذلك هو الوصول إليها بالجماع .

---

(١) فى المطبوعة : « يمس » ، وفى المخطوطة « يعيس » ، وصواب قراءتها ما أثبت . يقال : « اعتس الشىء » ، لمسه وراوده ليعرف خبره . وهو من الألفاظ التى لم تبين معناها كتب اللغة ، ولكن معناها مفرق فى أثناء كلامها .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « ألا ما يحرم على من أمتى » ، وهو غير مستقيم ، وكأن الصواب المحض ما أثبته .

وإذْ كان ذلك كذلك ، فمعلوم أن الصحيح من التأويل فى ذلك ما قلناه .

* * *

وأما قوله : « فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم » ، فإنه يقول : فإن لم تكونوا ، أيها الناس ، دخلتم بأمهات ربائبكم اللاتى فى حجوركم فجامعتموهن حتى طلقتموهن = « فلا جناح عليكم » ، يقول : فلا حرج عليكم فى نكاح من كان من ربائبكم كذلك .(١)

* * *

وأما قوله : « وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم » ، فإنه يعنى : وأزواج أبنائكم الذين من أصلابكم .

* * *

وهى جمع « حليلة » وهى امرأته . وقيل : سميت امرأة الرجل « حليلته » ، لأنها تحلُّ معه فى فراش واحد .

* * *

ولا خلاف بين جميع أهل العلم أن حليلة ابن الرجل ، حرامٌ عليه نكاحها بعقد ابنه عليها النكاح ، دخل بها أو لم يدخل بها .

* * *

فإن قال قائل : فما أنت قائلٌ فى حلائل الأبناء من الرضاع ، فإن الله تعالى إنما حرم حلائل أبنائنا من أصلابنا ؟

قيل : إن حلائل الأبناء من الرضاع وحلائل الأبناء من الأصلاب ، سواء فى التحريم . وإنما قال : « وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم » ، لأن معناه : وحلائل أبنائكم الذين ولدتموهم ، دون حلائل أبنائكم الذين تبنيتموهم ، كما : —

٨٩٦٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قال : قلت لعطاء : قوله : « وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم » ،

---

(١) انظر تفسير « الجناح » فيما سلف ٣ : ٢٣٠ ، ٤/٢٣١ : ١٦٢ ، ٥/٥٦٦ : ٧٠ ، ١١٧ ، ١٣٨ .

قال : كنا نُحدَّث ، [١] والله أعلم ، أنها نزلت في محمد صلى الله عليه وسلم . حين نكح امرأة زَيْد بن حارثة ، قال المشركون في ذلك ، فنزلت : « وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم » ، ونزلت : ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ﴾ [سورة الأحزاب : ٤] ، ونزلت : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾ [سورة الأحزاب : ٤٠] .

* * *

وأما قوله : « وأن تجمعوا بين الأختين » فإن معناه : وحرم عليكم أن تجمعوا بين الأختين عندكم بنكاح = فـ « أن » في موضع رفع ، كأنه قيل : والجمع بين الأختين . [٢]

* * *

= « إلا ما قد سلف » لكن ماقد مضى منكم [٣] = « إن الله كان غفوراً » [٤] لذنوب عباده إذا تابوا إليه منها = « رحيما » بهم فيما كلَّفهم من الفرائض ، وخفَّف عنهم فلم يحمِّلهم فوق طاقتهم . ٤/٢٢٤

يخبر بذلك جل ثناؤه : أنه غفور لمن كان جمع بين الأختين بنكاح في جاهليته ، وقبلَ تحريمه ذلك ، إذا اتقى الله تبارك وتعالى بعدَ تحريمه ذلك عليه ، فأطاعه باجتنابه = رحيمٌ به وبغيره من أهل طاعته من خَلْقِه .

* * *

---

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « كنا نتحدث » ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبت ، لأن عطاء يروى ما سمعه من أهل العلم من شيوخه . وانظر ابن كثير ٢ : ٣٩٦ .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٢٦٠

(٣) انظر تفسير « إلا » ، وتفسير « سلف » فيما سلف قريباً : ١٣٧ ، ١٣٨ ، تعليق : ٥٠

(٤) في المخطوطة والمطبوعة : « فإن الله » ، فأثبتها على منهجه في التفسير ، بذكر نص الآية .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ ٢/٥

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : حرمت عليكم المحصناتُ من النساء إلاّ ما ملكت أيمانكم .

* * *

واختلف أهل التأويل فى « المحصنات » التى عناهن الله فى هذه الآية .

فقال بعضهم : هن ذواتُ الأزواج غير المسبيّات منهن ، و « ملكُ اليمين » : السَّبايا اللواتى فرّق بينهن وبين أزواجهن السَّبَاء ، فحللن لمن صِرْن له بملك اليمين ، من غير طلاق كان من زوجها الحرْبىّ لها .

* ذكر من قال ذلك :

٨٩٦١ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كل ذات زوج ، إتيانها زناً ، إلا ما سَبَيْتَ .

٨٩٦٢ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن عطيّة قال ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس مثله .(١)

---

(١) الأثران : ٨٩٦١ — ٨٩٦٢ — فى الإسناد الأول : « عبد الرحمن » ، هو : عبد الرحمن ابن مهدى ، سلف مراراً . و « إسرائيل » هو : إسرائيل بن يونس بن أبى إسحق السبيعى ، ثقة ، سلف برقم : ١٢٩١ ، ١٩٣٩ وغيرها . و « أبو حصين » هو : عثمان بن عاصم بن حصين الأسدى ، ثقة . سلف برقم : ٦٤٢ ، ٦٤٣ . وفى الإسناد الثانى : « ابن عطية » هو : الحسن بن عطية بن نجيح الكوفى ، سلف برقم : ١٩٣٩ ، ٤٩٦٢ .

وهذا الأثر ، أخرجه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٣٠٤ ، من طريق عبد الوهاب بن عطاء ، عن شعبة ، عن أبى حصين ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » ووافقه الذهبى = وأخرجه من طريقه أيضاً البيهقى فى السنن الكبرى ٧ : ١٦٧ .

٨٩٦٣ - حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : « والمحصنات من النساء إلاّ ما ملكت أيمانكم » ، يقول : كل امرأة لها زوجٌ فهي عليك حرام ، إلاّ أمةً ملكتها ولها زوجٌ بأرض الحربِ ، فهي لك حلال إذا استبرأتَها .(١)

٨٩٦٤ - وحدثني المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن خالد ، عن أبي قلابة في قوله : « والمحصنات من النساء إلاّ ما ملكت أيمانكم » ، قال : ما سبَيْتُم من النساء إذا سبيتَ المرأة ولها زوج في قومها ، فلا بأس أن تطأها .

٨٩٦٥ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « والمحصنات من النساء إلاّ ما ملكت أيمانكم » ، قال : كل امرأة محصنة لها زوج فهي مُحرَّمة ، إلا ما ملكت يمينك من السبي وهي محصنة لها زوج ، فلا تحرُم عليك به . قال : كان أبي يقول ذلك .

٨٩٦٦ - حدثني المثنى قال ، حدثنا عتبة بن سعيد الحمصي قال ، حدثنا سعيد ، عن مكحول في قوله : « والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم » ، قال : السبايا .(٢)

* * *

وأمثلُ قائلي هذه المقالة ، بالأخبار التي رويت أن هذه الآية نزلت فيمن سُبي من أوْطاس .

* ذكر الرواية بذلك :

٣/٥ ٨٩٦٧ - حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن

---

(١) في المخطوطة : « إذا استبريتها » ، كأنه لين الهمزة .

(٢) الأثر : ٨٩٦٦ - « عتبة بن سعيد بن حبان بن الرحض السلمي الحمصي » ، يقال له : « وحين » . ذكره ابن حبان في الثقات .

و « سعيد » الراوي عن مكحول ، كأنه « سعيد بن عبد العزيز بن أبي يحيى التنوخي » ، صاحب مكحول . وقد سلفت روايته عنه برقم : ٣٩٩٧ .

قتادة ، عن أبي الخليل ، عن أبي علقمة الهاشمي ، عن أبي سعيد الخدري : أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين بعثَ جيشاً إلى أوطاس ، فلقوا عدوًّا ، فأصابوا سبايًا لهن أزواجٌ من المشركين ، فكان المسلمون يتأثّمون من غشيانهن ، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية : « والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم » ، أي : هُنّ حلال لكم إذا ما انقضت عِدَدهن .(١)

٨٩٦٨ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن صالح أبي الخليل : أن أبا علقمة الهاشمي حدّث ، أنّ أبا سعيد الخدري حدث : أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم بعث يوم حُنين سريّة ، فأصابوا حيًّا من أحياء العرب يومَ أوطاس ، فهزموهم وأصابوا لهم سبايًا ، فكان ناسٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأثّمون من غشيانهن من أجل أزواجهن ، فأنزل الله تبارك وتعالى : « والمحصنات من النساء إلاّ ما ملكت أيمانكم » منهن ، فحلالٌ لكم ذلك .

٨٩٦٩ – حدثني علي بن سعيد الكناني قال ، حدثنا عبد الرحيم بن سليمان ، عن أشعث بن سوار ، عن عثمان البتي ، عن أبي الخليل ، عن أبي سعيد الخدري قال : لما سبيَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أهلَ أوطاس ، قلنا : يا رسول الله ، كيف نقعُ على نساء قد عرفنا أنسابَهنّ وأزواجَهن ؟ قال : فنزلت هذه الآية : « والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم » .

٨٩٧٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري ، عن عثمان البتي ، [عن أبي الخليل] ، عن أبي سعيد الخدري قال : أصبنا نساءً من سَبْي أوطاس لهنّ أزواج ، فكرهنا أن نقع عليهن ولهنّ أزواج ، فسألنا النبي صلى الله

---

(١) الأحاديث : ٨٩٦٧ – ٨٩٧١ – هذه أسانيد خمسة لحديث واحد . وأبو الخليل : هو صالح بن أبي مريم . مضى توثيقه وترجمته في : ١٨٩٩ . وقد اختلف عليه فيه : بين روايته عن أبي سعيد الخدري مباشرة ، وبين روايته عنه بواسطة أبي علقمة الهاشمي بينهما . بل إن الخلاف

عليه وسلم ، فنزلت : « والمحصنات من النساء إلاّ ما ملكت أيمانكم » ، فاستحللنا فروجَهنّ .

فى ذلك على قتادة ، لا على أبى الخليل ، كما سيأتى ، إن شاء الله .

وأبو علقمة الهاشمى : هو المصرى مولى بنى هاشم . وهو تابعى ثقة .

وسعيد — فى الإسنادين الأولين : هو ابن أبى عروبة .

وعثمان البتّى — فى إسنادين منها — : هو عثمان بن مسلم البصرى . وهو ثقة ، وثقه أحمد ، وابن معين ، وابن سعد ، وغيرهم . و « البتّى » — بفتح الباء الموحدة وتشديد التاء المثناة : نسبة إلى « البت » ، اسم موضع .

وقد جزم المزى فى تهذيب الكمال ، وتبعه الحافظ ابن حجر فى تهذيب التهذيب ، بأن رواية أبى الخليل عن أبى سعيد مرسلة ! هكذا دون دليل ! مع أن مسلماً روى الحديث بالوجهين . أمارة صحتهما عنده . ولذلك قال النووى فى شرحه ١٠ : ٣٤ — ٣٥ فى الخلاف فى إثبات « أبى علقمة » وحذفه : « ويحتمل أن يكون إثباته وحذفه كلاهما صواب ، ويكون أبو الخليل سمع بالوجهين ، فرواه تارة كذا ، وتارة كذا » . وعندى أن هذا هو الحق ، ويكون من المزيد فى متصل الأسانيد .

والحديث رواه أحمد : ١١٧١٤ (ج ٣ ص ٧٢ حلبى) ، عن عبد الرزاق ، عن سفيان — وهو الثورى — عن عثمان البتّى ، عن أبى الخليل ، عن أبى سعيد . كالرواية التى هنا : ٨٩٧٠ .

وكذلك رواه الترمذى ٤ : ٨٦ ، من طريق هشيم ، عن عثمان البتّى . وقال : « هذا حديث حسن . وهكذا روى الثورى ، عن عثمان البتّى ، عن أبى الخليل ، عن أبى سعيد الخدرى ، عن النبى صلى الله عليه وسلم — نحوه وليس فى الحديث « عن أبى علقمة » .

ورواه مسلم ١ : ٤١٧ ، من طريق شعبة ، عن قتادة ، عن أبى الخليل ، عن أبى سعيد — مباشرة .

فهذه الروايات توافق الروايات التى هنا : ٨٩٦٩ — ٨٩٧١ ، التى لم يذكر فيها أبو علقمة .

ورواه الطيالسى : ٢٢٣٩ ، عن هشام ، عن قتادة ، عن صالح — وهو أبو الخليل — عن أبى علقمة .

وكذلك رواه أحمد فى المسند : ١١٨٢٠ ، من طريق ابن أبى عروبة . و : ١١٨٢١ ، من طريق همام — كلاهما عن قتادة ، عن أبى الخليل ، عن أبى علقمة (ج ٣ ص ٨٤ حلبى) .

وكذلك رواه مسلم ١ : ٤١٦ — ٤١٧ ، بإسنادين ، من طريق ابن أبى عروبة ، عن قتادة . ثم من طريق شعبة ، عن قتادة — بزيادة « أبى علقمة » . ومنه يظهر أن شعبة رواه عن قتادة بالوجهين : بإثبات أبى علقمة وحذفه .

وكذلك رواه أبو داود : ٢١٠٥ ، من طريق ابن أبى عروبة ، عن قتادة .

وكذلك رواه النسائى ٢ : ٨٥ ، من طريق ابن أبى عروبة .

وكذلك رواه البيهقى ٧ : ١٦٧ ، من طريق ابن أبى عروبة .

ورواه الترمذى أيضاً ٤ : ٨٦ ، من طريق همام ، عن قتادة . ثم قال : « ولا أعلم أن أحداً ذكر أبا علقمة فى هذا الحديث ، إلا ما ذكر همام عن قتادة » . هكذا قال الترمذى . وما لم يعلمه هو علمه غيره ، فقد تابع هماماً على ذلك — سعيد بن أبى عروبة ، وشعبة ، كما تبين من الروايات

٨٩٧١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة، عن أبي الخليل، عن أبي سعيد قال: نزلت في يوم أوطاس. أصابَ المسلمون سبايًا لهنّ أزواج في الشرك، فقال: «والمحصنات من النساء إلاّ ماملكت أيمانكم»، يقول: إلا ما أفاء الله عليكم. قال: فاستحللنا بها فروجَهن.

* * *

وقال آخرون ممن قال: «المحصنات ذوات الأزواج في هذا الموضع»: بل هُنّ كل ذات زوج من النساء، حرامٌ على غير أزواجهن، إلاّ أن تكون مملوكة اشتراها مشترٍ من مولاها، فتحلُّ لمشتريها، ويُبْطِل بيعُ سيِّدها إياها النكاحَ بينها وبين زوجها.

* ذكر من قال ذلك:

٨٩٧٢ – حدثني أبو السائب سلم بن جنادة قال، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن عبد الله في قوله: «والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم»، قال: كل ذات زوج عليك حرام، إلا أن تشتريها، أو ما ملكت يمينك.

٨٩٧٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن مغيرة، عن إبراهيم: أنه سئل عن الأمة تُباع ولها زوج؟ قال: كان عبد الله يقول: بيعُها طلاقُها، ويتلو هذه الآية: «والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم».(١)

الماضية. وقد تعقب ابن كثير الترمذي بذلك، حين خرج الحديث في تفسيره ٢ : ٣٩٩.
وأيا ما كان، فالحديث صحيح، من الوجهين – كما قلنا – وكما خرجه مسلم في صحيحه منهما.
وقد ذكره السيوطي ٢ : ١٣٧ – ١٣٨، دون بيان الخلاف في الإسناد، وزاد نسبته للفريابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وأبي يعلى، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطحاوي، وابن حبان.
تنبيه: زدنا في الإسناد: ٨٩٧٠ [عن أبي الخليل]، لأنه هو الصواب، وهو الموافق لرواية أحمد: ١١٧١٤، من طريق الثوري. فحذفه من الإسناد هنا خطأ من الناسخين.

(١) الأثر: ٨٩٧٣ – في المطبوعة: وحدثنا أحمد بن جعفر، عن شعبة»، وهو خطأ محض، والصواب من المخطوطة، و «محمد بن جعفر» المعروف بغندر، كان ربيب شعبة، وجالسه نحواً من عشرين سنة، وروى عنه فأكثر، وقد سلف في الأسانيد مئات من المرات.

٨٩٧٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله فى قوله : « والمحصنات من النساء إلاّ ما ملكت أيمانكم » ، قال : كل ذات زوج عليك حرام إلا ما اشتريت بمالك = وكان يقول : بيعُ الأمة طلاقُها .

٨٩٧٥ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهرى ، عن ابن المسيب قوله : « والمحصنات من النساء » ، قال : هنّ ذوات الأزواج، حرّم الله نكاحهن، إلا ما ملكت يمينك ، فبيعُها طلاقُها = قال معمر : وقال الحسن مثل ذلك :

٨٩٧٦ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الأعلى قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن فى قوله : « والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم » ، قال: إذا كان لها زوج ، فبيعُها طلاقُها .

٨٩٧٧ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الأعلى قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : أن أبىّ بن كعب ، وجابرَ بن عبد الله ، وأنسَ بن مالك قالوا : بيعُها طلاقُها .

٨٩٧٨ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : أن أبى بن كعب وجابراً وابن عباس قالوا : بيعُها طلاقُها .

٨٩٧٩ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عمر بن عبيد ، عن مغيرة ، عن إبراهيم قال: قال قال عبد الله : بيعُ الأمة طلاقُها .[1]

٤/٥ ٨٩٨٠ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور = ومغيرة والأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبد الله قال ، بيعُ الأمة طلاقها .

٨٩٨١ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا مؤمّل قال، حدثنا سعيد ، عن

---

(١) الأثر : ٨٩٧٩ – « عمر بن عبيد بن أبى أمية الطنافسى » ثقة . مترجم فى التهذيب .

حماد ، عن إبراهيم ، عن عبد الله مثله .

٨٩٨٢ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن حماد ، عن إبراهيم ، عن عبد الله مثله .

٨٩٨٣ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : طلاق الأمة ستٌّ : بيعها طلاقُها ، وعتْقُها طلاقها ، وهبتُها طلاقها ، وبراءتها طلاقها ، وطلاق زوجها طَلاقُها .(١)

٨٩٨٤ – حدثني أحمد بن المغيرة الحمصي قال ، حدثنا عثمان بن سعيد ، عن عيسى بن أبي إسحق ، عن أشعث ، عن الحسن ، عن أبي بن كعب أنه قال : بيع الأمة طلاقها .(٢)

٨٩٨٥ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الأعلى ، عن عوف ، عن الحسن قال : بيع الأمة طلاقُها ، وبيعُه طلاقُها .

٨٩٨٦ – حدثنا حميد بن مسعدة قال ، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا خالد ، عن أبي قلابة قال : قال عبد الله : مشتريها أحقُّ بِبُضْعها = يعني الأمة تباع ولها زوج .

---

(١) الأثر : ٨٩٨٣ – ابن كثير ٢ : ٤٠٠ ، والدر المنثور ٢ : ١٣٨ . وفي ابن كثير : « خليد ، عن عكرمة » ، والصواب ما في التفسير ، وهو خالد الحذاء : « خالد بن مهران » ، وقد سلف رقم : ١٦٨٣ ، ٣٩١٢ م ، ٥٤٢٧ .

وفي هذه الأصول جميعاً : « طلاق الأمة ست » ، ولم يذكر غير خمس منها ، وفيها جميعاً علامة استشكال وتنبيه على هذا الخرم . وقد استظهرت أن يكون سادسها « وَإِرْثُهَا طَلَاقُهَا » ، وكأنه الصواب إن شاء الله ، فإن وراثة الأمة مطلقة لها .

(٢) الأثر : ٨٩٨٤ – « أحمد بن المغيرة » ، هو : « أحمد بن محمد بن المغيرة بن سيار » = « أبو حميد الحمصي » مضت ترجمته برقم : ٥٧٥٣ ، ٥٧٥٤ .

و« عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار القرشي الحمصي » ، ثقة ، كان يقال : « هو من الأبدال » ، مات سنة ٢٠٩ . مترجم في التهذيب .

وأما « عيسى بن أبي إسحق » فكأنه « عيسى بن يونس بن أبي إسحق السبيعي » وقد رأى جده أبا إسحق السبيعي المتوفى فيما اختلف فيه من سنة ١٢٦ – ١٢٩ ، ولم أجده روى عن « الأشعث بن سوار الكندي » ، المتوفى سنة ١٣٦ ، ولكنه إذ كان رأى جده ، فقد كان إذن خليقاً أن يروي عن الأشعث .

٨٩٨٧ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا المعتمر ، عن أبيه ، عن الحسن قال: طلاق الأمة بيعُها .

٨٩٨٨ – حدثنا حميد قال ، حدثنا سفيان بن حبيب قال، حدثنا يونس ، عن الحسن : أن أُبَيًّا قال: بيعُها طلاقُها .

٨٩٨٩ – حدثنا أحمد قال، حدثنا سفيان ، عن خالد، عن أبي قلابة ، عن ابن مسعود قال : إذا بيعت الأمة ولها زوج ، فسيِّدها أحق ببُضْعِها .

٨٩٩٠ – حدثنا حميد قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثني سعيد، عن قتادة ، عن أبي معشر ، عن إبراهيم قال : بيعُها طلاقُها . قال : فقيل لإبراهيم : فبَيْعُه ؟ قال: ذلك ما لا نقول فيه شيئاً .

* * *

وقال آخرون : بل معنى « المحصنات » في هذا الموضع : العفائف . قالوا : وتأويل الآية : والعفائف من النساء حرام أيضاً عليكم ، إلاّ ما ملكت أيمانكم منهن بنكاح وصداق وسُنّة وشُهودٍ ، من واحدةٍ إلى أربع .(١)

---

(١) قوله : « وسنة » هكذا جاء هنا في المخطوطة والمطبوعة ، وكذلك يأتي في الأثر التالي : ٨٩٩١ ، وخرجه السيوطي في الدر ، مثله ، وفيه « وسنة » أيضاً . وأنا في شك من هذا اللفظ ، ومن اللفظ الذي سيأتي في الأثرين : ٩٠٠٢ ، ٩٠٠٨ ، وهو « وبينة » ، ومجيئها في هذين الأثرين لا يحتمل قط أن تكون « بالسنة » أو « بسنة » ، حتى أقول إن صوابه فيهما « سنة » . أما « سنة » في هذا الموضع ، فيحتمل السياق أن تكون : « وصداق وبينة وشهود » . وأيضاً ، لم أعرف ما « البينة » في النكاح ، كما سترى في التعليق على الأثرين : ٩٠٠٢ ، ٩٠٠٨ .

أما « سنة » في هذا الموضع ، وفي الأثر : ٨٩٩١ ، فإني نظرت فلم أجد أركان النكاح ، سوى الصداق والولي والشهود . وقد اختلف العلماء في « الولي » أشرط هو من شروط صحة النكاح ، أم ليس بشرط – واختلفوا في أنه سنة أو فرض – واختلفوا في أنه من شروط تمام العقد ، أم من شروط صحته . ورأيت سبب اختلافهم أنه لم تأت في « الولي » واشتراطه آية هي نص ظاهر . بل جاء في السنة ، سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا نكاح إلا بولي » ، وإن اختلفوا في محامل هذا الحديث ، وهو اختلاف مفصل في كتب الفقه . فبدالي أن ما جاء في لفظ أبي جعفر ، من خبر أبي العالية رقم : ٨٩٩١ ، إنما سماه أبو العالية « سنة » ، وهو يريد « الولي » ، لأنه مجيئة في السنة ، لا في ظاهر القرآن .

هذا ما استظهرته ، فمن أصاب ، وجهاً غير هذا الوجه فعلمنيه ، فجزاه الله خيراً ، وشكر له ما أفاد . وانظر التعليق على الأثرين : ٩٠٠٢ ، ٩٠٠٨ .

• ذكر من قال ذلك :

٨٩٩١ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن أبي جعفر ، عن أبي العالية قال ، يقول : « انكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » ، ثم حرّم ما حرم من النسب والصهر ، ثم قال : « والمحصناتُ من النساء إلاّ ما ملكت أيمانكم »، قال : فرجع إلى أول السورة ،إلى أربع ، فقال : هن حرامٌ أيضاً إلاّ بصداق وسُنَّةٍ وشهود .(١)

٨٩٩٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة قال : أحلّ الله لك أربعاً في أول السورة ، وحرّم نكاح كلّ محصنة بعد الأربع إلاّ ما ملكت يمينك = قال معمر ، وأخبرني ابن طاوس ، عن أبيه : « إلا ما ملكت يمينك » ، قال: فزوجُك مما ملكت يمينُك ، يقول : حرم الله الزنا، لايحل لك أن تطأ امرأة إلاّ ما ملكت يمينُك .

٨٩٩٣ – حدثني علي بن سعيد بن مسروق الكندي قال، حدثنا عبد الرحيم ابن سليمان ، عن هشام بن حسان ، عن ابن سيرين قال ، سألت عبيدة عن قول الله تعالى : « والمحصنات من النساء إلاّ ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم » ، قال : أربع .

٨٩٩٤ – حدثني علي بن سعيد قال، حدثنا عبد الرحيم ، عن أشعث بن سوار ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة ، عن عمر بن الخطاب مثله .

٨٩٩٥ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير في قوله : « والمحصنات من النساء إلاّ ما ملكت أيمانكم » ، قال : الأربع ، فما بعدهنّ حرام .

---

(١) الأثر : ٨٩٩١ – خرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ١٣٨ ، ونسبه لابن جرير : وعبد بن حميد ، ولفظه : « إلا لمن نكح بصداق . . . » وانظر التعليق السالف .

٨٩٩٦ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قال : سألت عطاء عنها فقال : حرم الله ذوات القرابة . ثم قال : « والمحصنات من النساء إلاّ ما ملكت أيمانكم » ، يقول : حرم ما فوق الأربع منهن .

٨٩٩٧ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « والمحصنات من النساء » ، قال : الخامسةُ حرام كحُرمة الأمهات والأخوات .

* * *

• ذكر من قال : « عنى بالمحصنات فى هذا الموضع ، العفائفَ من المسلمين وأهل الكتاب .

٨٩٩٨ – حدثنى إسحق بن إبراهيم بن حبيب بن الشّهيد قال، حدثنا عتاب ابن بشير ، عن خصيف ، عن مجاهد ، عن ابن عباس فى قوله : « والمحصنات » قال : العفيفة العاقلة ، من مسلمةٍ أو من أهل الكتاب .

٨٩٩٩ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن دريس ، عن بعض أصحابه ، عن مجاهد: « والمحصنات من النساء إلاّ ما ملكت أيمانكم » ، قال: العفائف . ٥/٥

* * *

وقال آخرون : « المحصنات » فى هذا الموضع ، ذوات الأزواج ، غير أن الذى حرّم الله منهن فى هذه الآية ، الزنا بهنّ ، وأباحهن بقوله : « إلاّ ما ملكت أيمانكم » بالنكاح أو الملك .

• ذكر من قال ذلك :

٩٠٠٠ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله تعالى : « والمحصنات » ، قال : نهى عن الزنا .

٩٠٠١ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « والمحصنات من النساء » قال : نهى عن الزنا ، أن تنكِحَ المرأة زوجين .

٩٠٠٢ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ابن صالح، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « والمحصنات من النساء إلاّ ما ملكت أيمانكم » ، قال : كل ذات زوج عليكم حرام ، إلاّ الأربع اللائي ينكحن بالبيِّنَةِ والمهر .(١)

٩٠٠٣ – حدثنا أحمد بن عثمان قال، حدثنا وهب بن جرير قال ، حدثنا أبي قال ، سمعت النعمان بن راشد يحدِّث، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب : أنه سئل عن المحصنات من النساء ، قال : هن ذوات الأزواج .(٢)

٩٠٠٤ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان ، عن حماد ، عن إبراهيم ، عن عبد الله قال : « والمحصنات من النساء إلاّ ما ملكت

---

(١) الأثر : ٩٠٠٢ – لم أعرف ما أراد بقوله : « ينكحن بالبينة » ، وسيأتي مثله في الأثر رقم : ٩٠٠٨ ، وقد وجدت في حديث رواه الإمام أحمد في مسنده ٤ : ٥٨ ، والحاكم في المستدرك ٢ : ١٧٢ – ١٧٤ ، من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله إلى حي من الأنصار ، ليتزوج امرأة منهم قال : « فأكرموني وزوجوني وألطفوني ولم يسألوني البينة . فرجعت حزيناً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بالك ؟ فقلت : يا رسول الله ، أتيت قوماً كراماً فزوجوني وأكرموني ولم يسألوني البينة ! فمن أين لي الصداق ؟ » الحديث . فلا أدري أهذا هذا ؟ !

وقد أشكل علي ما أراد ابن عباس في هذا الحديث ، وفي الذي يليه : ٩٠٠٨ ، بقوله : « بالبينة والمهر » أو « ببينة ومهر » ، كما أشكل علي لفظ « سنة » في ص : ١٥٨ تعليق : ١ ، والأثر : ٨٩٩١ ، فانظره هناك . ورحم الله عبداً علم جاهلا .

وهذا الأثر خرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ١٣٨ ، ونسبه لابن أبي حاتم ، والطبراني .

(٢) الأثر : ٩٠٠٣ – « أحمد بن عثمان بن أبي عثمان النوفلي » المعروف بابن أبي الجوزاء ، روى عنه أبو جعفر في التاريخ ٢ : ٢٠٥ بهذا الإسناد نفسه ، وهو غير « أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي » الذي يروي عنه أبو جعفر أيضاً في غير هذا الموضع ، وقد صرح أبو جعفر في إسناده في التاريخ بأنه « المعروف بابن أبي الجوزاء » . مترجم في التهذيب .

أيمانكم » ، قال : ذوات الأزواج من المسلمين والمشركين . وقال على : ذوات الأزواج من المشركين .

٩٠٠٥ – حدثنى المثنى قال، حدثنا الحمانى قال ، حدثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد ، عن ابن عباس فى قوله : « والمحصنات من النساء » ، قال : كل ذات زوج عليكم حرام.

٩٠٠٦ – حدثنى المثنى قال، حدثنى الحمانى قال ، حدثنا شريك ، عن عبد الكريم ، عن مكحول نحوه .

٩٠٠٧ – حدثنى المثنى قال، حدثنا الحمانى قال ، حدثنا شريك ، عن الصلت بن بهرام ، عن إبراهيم نحوه .[١]

٩٠٠٨ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « والمحصنات من النساء إلاّ ما ملكت أيمانكم » إلى « وأحل لكم ما وراء ذلكم » ، يعنى ذوات الأزواج من النساء ، لا يحل نكاحهنّ . يقول : لا تُخَبِّبْ ولا تَعِدْ ، فتنشُز على زوجها .[٢] وكل امرأة لا تنكح إلاّ ببينة ومَهْرٍ فهى من المحصنات التى حرّم الله = « إلاّ ما ملكت أيمانكم » ، يعنى التى أحلّ الله من النساء ، وهو ما أحلّ من حرائر النساء مثنى وثلاث ورباع .[٣]

* * *

---

(١) الأثر : ٩٠٠٧ – « الصلت بن بهرام التميمى » مضى برقم : ٤٢٢٣ .

(٢) فى المطبوعة : « لا تخلب » ، وهو كأنه من « الخلب » ، وهو من قولهم : « خلب المرأة عقلها » ، سلبها إياه بحلو حديثه وخداعه . وفى المخطوطة « عطب » غير منقوطة ، وكذلك فى الدر المنثور ٢ : ١٣٨ ، ولكنى آثرت قراءتها « تخبب » ، لأنه هو اللفظ المستعمل فى إفساد النساء على أزواجهن . يقال : « خبب عليه امرأته أو عبده أو صديقه » : أفسده عليه بمكره وغشه وخداعه ، قال الفرزدق ، فى قوم اتهمهم بإفساد زوجته النوار عليه :

وَإِنَّ امْرَأً أَمْسَى يُخَبِّبُ زَوْجَتِى كَمَاشٍ إِلَى أُسْدِ الشَّرَى يَسْتَبِيلُهَا
وَمِنْ دُونِ أَبْوَالِ الأُسُودِ بَسَالَةٌ وَبَسْطَةُ أَيْدٍ يَمْنَعُ الضَّيْمَ طُولُهَا

(٣) الأثر : ٩٠٠٨ – خرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ١٣٨ ، ونسبه لابن جرير ،

وقال آخرون : بل هن نساءُ أهل الكتاب .

* ذكر من قال ذلك :

٩٠٠٩ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا عيسى ابن عبيد ، عن أيوب بن أبي العَوْجاء ، عن أبي مجلز في قوله : « والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم » ، قال : نساء أهل الكتاب .(١)

* * *

وقال آخرون : بل هن الحرائر .

* ذكر من قال ذلك :

٩٠١٠ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثني حماد بن مسعدة قال ، حدثنا سليمان ، عن عزرة في قوله : « والمحصنات من النساء » ، قال : الحرائر .(٢)

* * *

وابن أبي حاتم . وانظر التعليق على الأثر : ٩٠٠٢ ، في إشكال معنى « بينة » هنا . وانظر أيضاً ص : ١٥٨ تعليق : ١ ، والتعليق على الأثر : ٨٩٩١ .

(١) الأثر : ٩٠٠٩ – « يحيى بن واضح الأنصاري ، أبو تميلة » ، سلفت ترجمته مراراً منها : ٣٩٢ ، ٤٦١ . و « عيسى بن عبيد بن مالك المروزي – الكندي » ، يروي عن أبي مجلز ، ولكنه روى عنه هنا بواسطة أيوب بن أبي العوجاء . روى عنه أبو تميلة يحيى بن واضح . وذكره ابن حبان في الثقات . مترجم في التهذيب .

و « أيوب بن العوجاء القرشي » ، روى عن عكرمة ، وعلباء ابن أحمر . روى عنه الحسين ابن واقد ، والمبارك بن مجاهد ، وعيسى بن عبيد المروزي ، وأيوب . يعد في الخراسانيين ، وهو مروزي . مترجم في الكبير ١/١/٤٢١ ، وابن أبي حاتم ١/١/٢٥٤ . وكان في المخطوطة والمطبوعة : « أيوب عن أبي العوجاء » ، وهو خطأ ، صوابه ما أثبت . و « أبو مجلز » هو « لاحق بن حميد » سلفت ترجمته في رقم : ٢٦٣٤ .

(٢) الأثر : ٩٠١٠ – « حماد بن مسعدة البصري » ، ثقة ، من شيوخ أحمد . مضى برقم : ٣٠٥٦ .

و « سليمان » : هو : سليمان التيمي .

و « عزرة » هو : عزرة بن عبد الرحمن بن زرارة الخزاعي ، مضى برقم : ٢٧٥٢ ، ٢٧٥٣ ، وفي هذه الأخيرة خطأ (عروة) ، والصواب « عزرة » فليصحح .

وكان في المطبوعة : « سليمان بن عرعرة » ، ولا أدري مَن أين جاء بها الطابع ، وإن كان « سليمان بن عرعرة بن البرند » مترجماً في ابن أبي حاتم ٢/١/١٣٤ ، وكان في المخطوطة « سليمان

وقال آخرون : « المحصنات » هن العفائف وذوات الأزواج ، وحرام كُلٌّ من الصنفين إلاّ بنكاحٍ أو ملك يمين .

* ذكر من قال ذلك :

٩٠١١ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني الليث قال ، حدثني عقيل ، عن ابن شهاب ، وسئل عن قول الله : « والمحصنات من النساء إلاّ ما ملكت أيمانكم » الآية، قال: نرى أنه حرّم في هذه الآية المحصنات من النساء ذوات الأزواج أن ينكحن مع أزواجهن = والمحصنات ، العفائف= ولا يحللن إلاّ بنكاحٍ أو ملك يمين . والإحصان إحصانان: إحصان تزويج ، وإحصانُ عَفافٍ، في الحرائر والمملوكات . كل ذلك حرّم الله ، إلا بنكاح أو ملك يمين.

* * *

وقال آخرون : نزلت هذه الآية في نساء كنّ يهاجرن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن أزواج، فيتزوّجُهن بعض المسلمين، ثم يقدم أزواجُهن مهاجرين، فنهى المسلمون عن نكاحهن .

* ذكر من قال ذلك :

٩٠١٢ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، حدثني حبيب بن أبي ثابت ، عن أبي سعيد الخدري قال : كان النساء يأتيننا ثم يهاجر أزواجهن، فنعناهن = يعني بقوله : « والمحصنات من النساء إلاّ ما ملكت أيمانكم » . (١)

* * *

ابن عزرة » ، وليس في الرواة « سليمان بن عزرة » ، فظاهر أنه « سليمان عن عزرة » وعزرة ، يروى عن سليمان التيمي وقتادة .

(١) الأثر : ٩٠١٢ – « حبيب بن أبي ثابت » هو : « حبيب بن قيس بن دينار » ، ويقال : « حبيب بن قيس بن هند » ، ويقال « حبيب بن هند » . روى عن ابن عمر ، وابن عباس، وأنس بن مالك ، وزيد بن أرقم ، ومجاهد ، وعطاء ، وطاوس . وذكره أبو جعفر الطبري في طبقات الفقهاء . لم يذكر له رواية عن أبي سعيد الخدري . وهو ثقة . مترجم في التهذيب ، والكبير ١/٢/٣١١ ، وابن أبي حاتم ١/٢/١٠٧ .

والأثر خرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ١٣٨ ، ولم ينسبه إلا لابن جرير .

وقد ذكر ابن عباس وجماعة غيره أنه كان ملتبساً عليهم تأويل ذلك .

٩٠١٣ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة قال ، قال رجل لسعيد بن جبير : أما رأيت ابن عباس حين سُئِل عن هذه الآية : « والمحصنات من النساء إلاّ ما ملكت أيمانكم » ، فلم يقل فيها شيئاً ؟ قال فقال : كان لا يعلمها .

٩٠١٤ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى ، عن مجاهد قال : لو أعلم من يفسّر لى هذه الآية ، لضربت إليه أكباد الإبل ، قوله : « والمحصنات من النساء إلاّ ما ملكت أيمانكم » إلى قوله : « فما استمتعتم به منهن » ، إلى آخر الآية .(١)

* * *

قال أبو جعفر : فأما «المحصنات»، فإنّهن جمع « مُحْصَنَة » ، وهى التى قد مُنِع فرجها بزوج . يقال منه : « أحْصَنَ الرجلُ امرأته فهو يُحْصِنها إحصاناً » ؛ « وحَصُنت هى فهى تَحْصُن حَصَانة » ، إذا عفّت = « وهى حاصِنٌ من النساء » ، عفيفة ، كما قال العجاج :

وَحَاصِنٍ مِنْ حَاصِنَاتٍ مُلْسِ عَنِ الأَذَى وَعَنْ قِرَافِ الْوَقْسِ(٢)

---

(١) الأثر : ٩٠١٤ – « عبد الرحمن بن يحيى » ، لم أعرف من يكون ؟
وهذا الأثر خرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ١٣٩ ، لم ينسبه لغير ابن جرير .

(٢) ديوانه : ٧٩ ، واللسان (حصن) (قنس) و(وقس) . وقد سلف من هذه القصيدة أبيات فى ٣ : ٤٠٣ ، يذكر فيها أبا العباس السفاح وخلافته ، وهذا الشعر فى ديوانه ملفق غير متصل ، فلذلك لم أستطع أن أميز الآن ، من على بقوله : « وحاصن » ، وكأنه على أم أبى العباس .
وقوله : « ملس » جمع « ملساء » ، وأراد بها البراءة من كل عيب يذم ، كالشىء الأملس وهو البرىء من الخشونة والعيوب والأبن ، ويقول المتلمس ، وصدق العربى الحر :

فَلاَ تَقْبَلَنْ ضَيْماً مَخَافَةَ مِيتَةٍ ، وَمُوتَنْ بِهَا حُرًّا وَجِلْدُكَ أَمْلَسُ

ويعنى بقوله : « الأذى » العيب . ويروى « من الأذى » ، وهو جيد أيضاً . و « القراف » المخالطة ، مصدر « قارف الشىء مقارفة وقرافاً » داناه وخالطه . فقالوا منه : « قارف الجرب البعير » ،

ويقال أيضاً ، إذا هي عفّت وحفظت فرجها من الفجور : « قد أحصنت فرجها فهي مُحْصِنة » ، كما قال جل ثناؤه : ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [سورة التحريم : ١٢] ، بمعنى : حفظته من الريبة ، ومنعته من الفجور . وإنما قيل لحصون المدائن والقرى : « حُصُون » ، لمنعها من أرادها وأهلها ، وحفظها ما وراءها ممن بغاها من أعدائها . ولذلك قيل للدرع : « درع حَصِينة » .

* * *

فإذ كان أصل « الإحصان » ما ذكرنا من المنع والحفظ ، فبيّن أنّ معنى قوله : « والمحصنات من النساء » ، والممنوعات من النساء حرام عليكم إلاّ ما ملكت أيمانكم .

وإذ كان ذلك معناه ، وكان الإحصان قد يكون بالحرّية ، كما قال جل ثناؤه : ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [سورة المائدة : ٥] = ويكون بالإسلام ، كما قال تعالى ذكره : ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ [سورة النساء : ٢٥] = ويكون بالعفة ، كما قال جل ثناؤه : ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ [سورة النور : ٤] = ويكون بالزوج =[1] ولم يكن تبارك وتعالى خصّ محصَنة دون محصنة في قوله : « والمحصنات من النساء » = [2] فواجبٌ أن تكون كلُّ مُحْصنة بأيّ معاني الإحصان كان إحصانها ، حراماً علينا سفاحاً أو نكاحاً إلاّ ما ملكته أيماننا منهن بشراء ، كما أباحه لنا كتابُ الله جل ثناؤه ، أو نكاح على ما أطلقه لنا تنزيل الله .

داناه شيء منه ، وهو المراد هنا ، أي ملابسة الداء ، و « الوقس » ، الجرب . وضرب الجرب مثلا للفاحشة والعيب .

(١) هذه عطوف متتابعة ، والسياق : وإذ كان ذلك معناه ، وكان الإحصان قد يكون بالحرية . . . ويكون بالإسلام . . . ويكون بالعفة . . . ويكون بالزوج . . .

= ثم عطف مرة أخرى على أول الكلام فكان سياقه : وإذ كان ذلك معناه . . . ولم يكن تبارك وتعالى خص محصنة دون محصنة .

(٢) هذا جواب « إذ » ، والسياق : وإذ كان ذلك معناه . . . فواجب أن تكون كل محصنة .

فالذى أباحه الله تبارك وتعالى لنا نكاحاً من الحرائر : الأربعُ ، سوى اللّواتى حُرِّمن علينا بالنسب والصهر= ومن الإماء : ما سبينا من العدوّ ، سوى اللواتى وافق معناهن معنى ما حُرِّم علينا من الحرائر بالنسب والصهر ، فإنهن والحرائر فيما يحل ويحرُم بذلك المعنى ، متفقاتُ المعانى =وسوى اللّواتى سبيناهنّ من أهل الكتابين ولهن أزواج ، فإن السِّباء يحلُّهن لمن سبَاهن بعد الاستبراء ، وبعد إخراج حق الله تبارك وتعالى الذى جعله لأهل الخُمس منهنّ .

فأما السِّفاح ، فإن الله تبارك وتعالى حرّمه من جميعهن ، فلم يحلّه من حُرّة ولا أمة ، ولا مسلمة ، ولا كافرةٍ مشركة .

وأما الأَمة التى لها زوج ، فإنها لا تحلّ لمالكها إلا بعد طلاق زوجها إياها ، أو وفاته وانقضاء عدتها منه . فأمَّا بيع سيدها إياها ، فغيرُ موجب بينها وبين زوجها فراقاً ولا تحليلاً لمشتريها ، لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :[1] أنه خيَّرَ بَرِيرة إذ أعتقتها عائشة ، بين المُقام مع زوجها الذى كان سادَتُها زوَّجوها منه فى حال رِقِّها ، وبين فراقه = ولم يجعل صلى الله عليه وسلم عِتْق عائشة إيّاها لها طلاقاً . ولو كان عتقُها وزوالُ مِلك عائشة إياها لها طلاقاً ، لم يكن لتخيير النبيّ صلى الله عليه وسلم إياها بين المقام مع زوجها والفراق ، معنًى = ولوجب بالعتق الفراق ،[2] وبزوال ملك عائشة عنها الطلاق . فلما خيَّرها النبي صلى الله عليه وسلم بين الذى ذكرنا وبين المقام مع زوجها والفراق ، كان معلوماً أنه لم يخير بين ذلك إلاّ والنكاح عقدُه ثابت كما كان قبل زوال ملك عائشة عنها . فكان نظيراً للعتق = الذى هو زوال مِلك مالك المملوكة ذات الزوج عنها = البيعُ ، الذى هو زوال ملك مالكها عنها ، إذ كان أحدهما زوالاً ببيع ، والآخر بعتق = فى أن الفُرْقة لا تجب بينها وبين زوجها بهما ولا بواحد منهما ، [ولا يجب بهما ولا بواحدٍ منهما

(١) خبر بريرة ، فى مسلم ١٠ : ١٣٩ – ١٤٨ ، وأخرجه البخارى أيضاً فى مواضع من صحيحه .

(٢) فى المخطوطة : « وقد وجب بالعتق الفراق » ، وهو خطأ بين ، والصواب ما فى المطبوعة .

طلاقٌ] ،(١) وإن اختلفا فى معانٍ أُخر : من أن لها فى العتق الخيارُ فى المقام مع زوجها والفراق ، لعلة مفارقةٍ معنى البيع ، وليس ذلك لها فى البَيْع .

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : وكيف يكون معنيًّا بالاستثناء من قوله : « والمحصنات من النساء » ، ما وراء الأربع ، من الخمس إلى ما فوقهن بالنكاح ، والمنكوحات به غير مملوكاتٍ ؟ . ٥/٧

قيل له : إن الله تعالى لم يخصّ بقوله : « إلاّ ما ملكت أيمانكم » ، المملوكات الرقابَ ، دون المملوك عليها بعقد النكاح أمرُها ، بل عمّ بقوله : « إلاّ ما ملكت أيمانكم » ، كلا المعنيين = أعنى ملك الرقبة ، وملك الاستمتاع بالنكاح = لأن جميع ذلك ملكته أيماننا . أما هذه فملك استمتاع ، وأما هذه فملك استخدام واستمتاع وتصريف فيما أبيح لمالكها منها . ومن ادّعى أن الله تبارك وتعالى عنى بقوله : « والمحصنات من النساء » محصنة وغير محصنة سوى من ذكرنا أولاً ، بالاستثناء بقوله : « إلاّ ما ملكت أيمانكم » ،(٢) بعضَ أملاك أيماننا دون بعض غيرَ الذى دللنا على أنه غير معنىٍّ به = سئل البرهان على دعواه من أصل أو نظير .(٣) فلن يقول فى ذلك قولاً إلاّ أُلزم فى الآخر مثله .

* * *

(١) فى المطبوعة : « فى أن الفرقة لا يجب بها بينهما وبين زوجها بهما ولا بواحد منهما طلاق » وهو كلام فاسد مختل ، غير ما فى المخطوطة إذ كان ما فيها خطأ ، وزاد « بها » فى قوله « لا يجب بها » ، ولا أدرى ما أراد بذلك ! !

وفى المخطوطة : « فى أن الفرقة لاتجب بينها وبين زوجها بهما ، ولا بواحد منها وطلاق » . والجملة الأولى مستقيمة ، وأما « وطلاق » فإن الناسخ فيما أرجح قد اختلط عليه إعادة الجملة كما أثبتها ، فكتب ما كتب . والصواب إن شاء الله هو ما أثبته بين القوسين ، وهو استظهار من سياق الحجة السالفة كما ترى .

هذا ، وجملة أبى جعفر من أول الفقرة ، شديدة التركيب ، ولذلك وضعت لها الخطوط الفواصل ، لتفصل التفسير عن سياق الكلام ، وسياقه كما يلى : « فكان نظيراً للعتق . . . البيع . . . فى أن الفرقة . . . » ، يعنى أن البيع نظير العتق ، ثم فسر فى خلال ذلك معنى « العتق » ومعنى « البيع » .

(٢) قوله : « بعض » منصوب مفعول به لقوله « عنى بقوله » .

(٣) السياق : « ومن ادعى . . . سئل البرهان » .

فإن اعتلّ معتلٌّ منهم بحديث أبي سعيد الخدري أن هذه الآية نزلت في سبايا أوطاس =

= قيل له : إن سبايا أوْطاس لم يُوطأن بالملك والسِّباء دون الإسلام . وذلك أنهن كن مشركاتٍ من عَبَدة الأوثان ، وقد قامت الحجة بأن نساء عبدة الأوثان لا يحللن بالملك دون الإسلام ، وأنهن إذا أسلمن فرّق الإسلام بينهن وبين الأزواج ، سبايا كنّ أو مهاجراتٍ . غير أنهن إذا كُن سبايا ، حللنَ إذا هُنّ أسلمنَ بالاستبراء . فلا حجة لمحتجّ في أن المحصنات اللاتي عناهن بقوله : « والمحصنات من النساء » ، ذوات الأزواج من السبايا دون غيرهن ، بخبر أبي سعيد الخدري أنّ ذلك نزل في سبايا أوطاس . لأنه وإن كان فيهن نزل ، فلم ينزل في إباحة وطئهن بالسِّباء خاصة ، دون غيره من المعاني التي ذكرنا . مع أنّ الآية تنزل في معنًى ، فتعمُّ ما نزلت به فيه وغيرَه ، فيلزم حكمها جميع ما عمّته ، لما قد بيّنا من القول في العموم والخصوص في كتابنا ﴿ كتاب البيان عن أصول الأحكام ﴾ .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره : كتاباً من الله عليكم ، فأخرج « الكتاب » مُصَدَّراً من غير لفظه. (١) وإنما جاز ذلك لأن قوله تعالى : « حرِّمت عليكم أمهاتكم » ، إلى قوله : « كتابَ الله عليكم » ، بمعنى : كَتَب الله تحريم ما حرّم من ذلك وتحليلَ ما حلل من ذلك عليكم ، كتاباً. (٢)

* * *

(١) « المصدر » (بضم الميم وفتح الصاد ودال مشدودة مفتوحة) ، أي مفعولا مطلقاً ، من « التصدير » — وهو الإخراج على معنى المفعول المطلق . وانظر ما سلف ١ : ١١٧ ، تعليق : ١ ، ثم ص ١٣٨ ، تعليق : ٢/٢ : ٢٩٢ تعليق : ١ ، ص : ٥٠٠ .

(٢) انظر ما سلف ٧ : ٢٦١ .

وبما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٩٠١٥ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم قال : « كتاب الله عليكم » ،قال : ما حرَّم عليكم .

٩٠١٦ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : سألت عطاء عنها فقال : « كتابَ الله عليكم » ، قال : هو الذى كتب عليكم الأربعَ ، أن لا تزيدوا .

٩٠١٧ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال،حدثنا ابن علية ، عن ابن عون ، عن محمد بن سيرين قال : قلت لعبيدة : « والمحصنات من النساء إلاّ ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم » ، وأشار ابن عون بأصابعه الأربع .

٩٠١٨ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا هشام ، عن ابن سيرين قال : سألت عبيدة عن قوله : « كتاب الله عليكم » ،قال: أربع .

٩٠١٩ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « كتاب الله عليكم » ، الأربع .

٩٠٢٠ – حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال،قال ابن زيد فى قوله : « كتاب الله عليكم » ، قال : هذا أمرُ الله عليكم . قال: يريد ما حرَّم عليهم من هؤلاء وما أحلَّ لهم . وقرأ : « وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم » ، إلى آخر الآية . قال : « كتاب الله عليكم »،الذى كتَبه، وأمره الذى أمركم به . « كتاب الله عليكم » ، أمرَ الله .(١)

* * *

وقد كان بعض أهل العربية يزعم أنّ قوله : « كتاب الله عليكم » ، منصوب على وجه الإغراء، بمعنى : عليكم كتابَ الله ، الزموا كتابَ الله .

---

(١) انظر تفسير «كتاب» فيما سلف ٣ : ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٤٠٩ ، ٤/٥٠٨ : ٥/٢٩٧ : ٣٠٠ . ومعنى «الكتاب» الفرض والحكم والقضاء .

= والذى قال من ذلك غير مستفيض فى كلام العرب. وذلك أنها لا [تكاد] تَنصب بالحرف الذى تغرِى به ، [إذا أخَّرت الإغراء ، وقدمت المغرَى به].[1] لا تكاد تقول : « أخاك عليك، وأباك دونك »، وإن كان جائزاً .[2]

والذى هو أولى بكتاب الله : أن يكون محمولاً على المعروف من لسان من نزل بلسانه . هذا ، مع ما ذكرنا من تأويل أهل التأويل ذلك بمعنى ما قلنا ، وخلافِ ما وجَّهه إليه من زعم أنه نُصب على وجه الإغراء .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَٰلِكُم ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : معنى ذلك : وأحل لكم ما دون الخمس ، أن تبتغوا بأموالكم على وجه النكاح.

* ذكر من قال ذلك :

٩٠٢١ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وأحل لكم ما وراء ذلكم » ، ما دون الأربع = « أن تبتغوا أموالكم » . ٥

٩٠٢٢ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان، عن هشام ،

---

(١) هذه الجملة التى بين القوسين ، لابد منها لصحة هذا القول ، وقوله : « تكاد » قبلها بين القوسين ، ضرورة زيادتها أيضاً ، وإلا لم يكن لقوله بعد : « وإن كان ذلك جائزاً » معنى ، فإنه يكون قد نفى بمرة واحدة ، أن تنصب العرب بالحرف الذى تغرى به ، إذا أخرته . وهو تناقض . واستظهرت الجملة الثانية مما سلف من كلامه فى ١ : ١٢٠ ، فى الإغراء أيضاً .

(٢) وانظر أيضاً معانى القرآن للفراء ١ : ٢٦٠ .

عن ابن سيرين ، عن عبيدة السلماني : « وأحل لكم ما وراء ذلكم » ، يعني : ما دون الأربع .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وأحل لكم ما وراء ذلكم : مَن سَمَّى لكم تحريمه من أقاربكم .

* ذكر من قال ذلك :

٩٠٢٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قال : سألت عطاء عنها فقال : « وأحل لكم ما وراء ذلكم » ، قال : ما وراء ذات القرابة = « أن تبتغوا بأموالكم » ، الآية .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وأحل لكم ما وراء ذلكم : عددَ ما أحل لكم من المحصنات من النّساء الحرائر ومن الإماء .

* ذكر من قال ذلك :

٩٠٢٤ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة في قوله : « وأحل لكم ما وراء ذلكم » ، قال : ما ملكت أيمانكم .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، ما نحن مبيِّنوه . وهو أن الله جل ثناؤه بيَّن لعباده المحرَّمات بالنسب والصهر ، ثم المحرمات من المحصنات من النساء ، ثم أخبرهم جل ثناؤه أنه قد أحل لهم ما عدا هؤلاء المحرَّمات المبيَّنات في هاتين الآيتين ، أن نَبْتغيه بأموالنا نكاحاً وملك يمين ، لا سفاحاً .

* * *

فإن قال قائل : عرفنا المحلَّلات اللواتي هن وراء المحرَّمات بالأنساب والأصهار ، فما المحلَّلات من المحصَنات والمحرمات منهن ؟

قيل : هو ما دون الخمس من واحدة إلى أربع — على ما ذكرنا عن عبيدة

والسدى – من الحرائر . فأما ما عدا ذوات الأزواج ، فغير عدد محصور بملك اليمين . وإنما قلنا إنّ ذلك كذلك ، لأن قوله : « وأحل لكم ما وراء ذلكم » ، عامّ فى كل محلَّل لنا من النساء أن نبتغيها بأموالنا . فليس توجيه معنى ذلك إلى بعض منهن بأولى من بعض ، إلا أن تقوم بأن ذلك كذلك حجّة يجب التسليم لها . ولا حُجة بأن ذلك كذلك .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « وأحل لكم ما وراء ذلكم » .

* * *

فقرأ ذلك بعضهم : ﴿ وَأُحِلَّ لَكُمْ ﴾ بفتح « الألف » من « أحل » بمعنى : كتب الله عليكم ، وأحل لكم ما وراء ذلكم .

* * *

وقرأه آخرون : ﴿ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ ﴾ ، اعتباراً بقوله : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ ، « وأحل لكم ما وراء ذلكم » .

* * *

قال أبو جعفر : والذى نقول فى ذلك ، أنهما قراءتان معروفتان مستفيضتان فى قرأة الإسلام ، غير مختلفتى المعنى ، فبأىّ ذلك قرأ القارئ فمصيبٌ الحقّ .

* * *

وأما معنى قوله : « ما وراء ذلكم » ، فإنه يعنى : ما عدا هؤلاء اللواتى حرّمتهن عليكم = « أن تبتغوا بأموالكم » ، يقول : أن تطلبوا وتتلمسوا بأموالكم ، [1] إما شراءً بها ، وإما نكاحاً بصداق معلوم ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ ﴾ [سورة البقرة : ٩١] ، يعنى : بما عداه وبما سواه .[2]

* * *

---

(١) انظر تفسير : « ابتغى » فيما سلف ٣ : ٤/٥٠٨ : ٦/١٦٣ : ١٩٦ ، ٥٦٤ ، ٧/٥٧٠ : ٥٣ .

(٢) انظر تفسير « وراء » فيما سلف ٢ : ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٦٠ ، ٢٦١ .

وأما موضع : « أن » من قوله : « أن تبتغوا بأموالكم » فرفعٌ ، ترجمةً عن « ما » التي في قوله : [١] « وأحل لكم ما وراء ذلكم » في قراءة من قرأ « وأحِلَّ » بضم « الألف » = ونصبٌ على ذلك في قراءة من قرأ ذلك : « وأحَل » بفتح « الألف ».

وقد يحتمل النصب في ذلك في القراءتين ، على معنى : وأحلَّ لكم ما وراء ذلكم لأن تبتغوا . فلما حذفت « اللام » الخافضة ، اتصلت بالفعل قبلها فنصبت .[٢]

وقد يحتمل أن تكون في موضع خفض ، بهذا المعنى ،[٣] إذ كانت « اللام » في هذا الموضع معلوماً أن بالكلام إليها الحاجة .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ﴾

قال أبو جعفر : يعني بقوله جل ثناؤه : « محصِنين » ، أعفَّاء بابتغائكم ما وراء ما حرَّم عليكم من النساء بأموالكم[٤] = « غير مسافحين » ، يقول : غير مُزَانين ، كما : —

٩٠٢٥ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « محصنين » ، قال : متناكحين = « غير مسافحين » ، قال : زانين بكل زانية .

٩٠٢٦ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : « محصنين » متناكحين = « غير مسافحين » ، السفاحُ الزِّنا .

---

(١) « الترجمة » هنا هي « التفسير » ، كما ذكره الفراء في معاني القرآن ١ : ٢٦١ .
(٢) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٢٦١ .
(٣) في المخطوطة والمطبوعة : « فهذا المعنى » ، وهو خطأ شديد الفساد .
(٤) انظر تفسير « الإحصان » فيما سلف قريباً : ١٦٥ ، ١٦٦ .

٩٠٢٧ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « محصنين غير مسافحين » ، يقول : محصنين غير زُنَاةٍ .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « فما استمتعتم به منهن » .

* * *

فقال بعضهم : معناه : فما نكحتم منهن فجامعتموهن – يعنى : من النساء = « فآتوهن أجورهن فريضة » ، يعنى : صدقاتهن ، فريضة معلومة .(١)

* ذكر من قال ذلك :

٩٠٢٨ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورَهن فريضة » ، يقول : إذا تزوج الرجل منكم المرأة ، ثم نكحها مرة واحدة ، فقد وجب صَداقها كلُّه = و « الاستمتاع » هو النكاح ، وهو قوله : ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [سورة النساء : ٤] . ٩/٥

٩٠٢٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الحسن فى قوله : « فما استمتعتم به منهن » ، قال : هو النكاح .

٩٠٣٠ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فما استمتعتم به منهن » ، النكاح .

---

(١) انظر تفسير « الاستمتاع » فى « متع » ، و « الإيتاء » فى « أتى » ، و « الفريضة » فى « فرض » من فهارس اللغة ، فى الأجزاء السالفة .

٩٠٣١ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله: « فما استمتعتم به منهن » ، قال : النكاحَ أراد.

٩٠٣٢ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: « فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة » الآية ، قال : هذا النكاح، وما في القرآن إلاّ نكاحٌ. إذا أخذتَها واستمتعت بها ، فأعطها أجرَها، الصداقَ. فإن وضعت لك منه شيئاً ، فهو لك سائغ . فرض الله عليها العدة، وفرض لها الميراث . قال : والاستمتاع هو النكاح ههنا ، إذا دخل بها .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فما تمتَّعتم به منهن بأجرٍ تمتُّعَ اللذة، لا بنكاح مطلق على وجه النكاح الذي يكون بوليٍّ وشهود ومهر .

• ذكر من قال ذلك :

٩٠٣٣ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فآتوهن أجورَهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة » ،[1] فهذه المتعة : الرجل ينكح المرأة بشرط إلى أجل مسمى ، ويشهد شاهدين ، وينكح بإذن وليها ، وإذا انقضت المدة فليس له عليها سبيل ، وهي منه بريَّة ، وعليها أن تستبرئ ما في رحمها ، وليس بينهما ميراث ، ليس يرث واحد منهما صاحبه .

٩٠٣٤ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « فما استمتعتم به منهن » ، قال : يعني نكاحَ المتعة .

٩٠٣٥ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يحيى بن عيسى قال، حدثنا نصير بن أبي الأشعث قال ، حدثني ابن حبيب بن أبي ثابت ، عن أبيه قال :

---

(١) قوله في الآية « إلى أجل مسمى » ، هو في هذا الأثر من سياق الآية عن السدي ، وانظر الآثار التالية : ٩٠٣٥ – ٩٠٤٣ ، وانظر رد الطبري هذه القراءة في آخر تفسير الآية .

أعطاني ابن عباس مصحفاً فقال : هذا على قراءة أبيّ = قال أبو كريب[١] : قال يحيى : فرأيت المصحف عند نصير ، فيه : ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾.[٢]

٩٠٣٦ – حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا داود ، عن أبي نضرة قال، سألت ابن عباس عن متعة النساء. قال: أما تقرأ « سورة النساء » ؟ قال قلت : بلى ! قال : فما تقرأ فيها : ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ ؟ قلت: لا ! لو قرأتُها هكذا ما سألتك ! قال : فإنها كذا .

٩٠٣٧ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثني عبد الأعلى قال ، حدثني داود ، عن أبي نضرة قال : سألت ابن عباس عن المتعة ، فذكر نحوه .

٩٠٣٨ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي سلمة ، عن أبي نضرة قال : قرأت هذه الآية على ابن عباس : « فما استمتعتم به منهن » . قال ابن عباس : « إلى أجل مسمى » . قال قلت : ما أقرؤها كذلك ! قال : والله لأنزلها الله كذلك ! ثلاث مرات .

٩٠٣٩ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا أبو داود قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحق، عن عمير : أن ابن عباس قرأ: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾.

---

(١) في المخطوطة والمطبوعة « أبو بكر » ، مكان « أبو كريب » ، وهو سهو من الناسخ كما ترى .

(٢) الأثر : ٩٠٣٥ – « يحيى بن عيسى الرملي » ، شيخ أبي كريب ، مضت ترجمته رقم : ٦٣١٧ ، ثم ٧٤١٨ . « نصير بن أبي الأشعث » – ويقال : ابن الأشعث – العرادي الأسدي ، روى عن أبي إسحق السبيعي وغيره . مترجم في التهذيب .

و « ابن حبيب بن أبي ثابت » ، لم أستطع أن أثبت أيهم هو ، وهم « عبد الله بن حبيب » و « عبيد الله بن حبيب » ، و « عبد السلام بن حبيب » ، ذكرهم الدارقطني وقال : « بنو حبيب ابن أبي ثابت وكلهم ثقات » . وكان في المطبوعة : « حبيب بن أبي ثابت» أسقط « ابن » ، وهي ثابتة في المخطوطة .

وأبوه : « حبيب بن أبي ثابت » ، روى عن ابن عباس ، سلفت ترجمته قريبا ، رقم : ٩٠١٢ .

٩٠٤٠ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا ابن أبي عدى ، عن شعبة = وحدثنا خلاد بن أسلم قال ، أخبرنا النضر قال ، أخبرنا شعبة = عن أبي اسحق ، عن ابن عباس بنحوه .

٩٠٤١ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الأعلى قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : في قراءة أبيّ بن كعب : ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ .

٩٠٤٢ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن الحكم قال : سألته عن هذه الآية : « والمحصنات من النساء إلاّ ما ملكت أيمانكم » إلى هذا الموضع : « فما استمتعتم به منهن » ، أمنسوخة هي؟ قال : لا = قال الحكم : وقال علي رضي الله عنه : لولا أن عمر رضي الله عنه نهى عن المتعة ما زنى إلاّ شقيٌّ .

٩٠٤٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا عيسى بن عمر القاريّ الأسدي، عن عمرو بن مرة : أنه سمع سعيد بن جبير يقرأ : ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ . ٥/١٠

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين في ذلك بالصواب ، تأويل من تأوّله : فما نكحتموه منهن فجامعتموه ، فآتوهن أجورهن = لقيام الحجة بتحريم الله متعة النساء على غير وجه النكاح الصحيح أو الملك الصحيح على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم .

٩٠٤٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال ، حدثني الرَّبيع بن سبرة الجهني ، عن أبيه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : استمتعوا من هذه النساء = والاستمتاع عندنا يومئذ التزويج .(١)

* * *

(١) الحديث : ٩٠٤٤ – اختصر الطبري رحمه الله ، أو شيخه سفيان بن وكيع – لفظ الحديث ! فأوهم شيئاً آخر غير ما يدل عليه سياقه كاملا .

وقد دللنا على أن المتعة على غير النكاح الصحيح حرام ، فى غير هذا الموضع من كتبنا ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

* * *

وأما ما روى عن أبىّ بن كعب وابن عباس من قراءتهما : ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ ، فقراءة بخلاف ما جاءت به مصاحف المسلمين . وغير جائز لأحد أن يلحق فى كتاب الله تعالى شيئاً لم يأت به الخبرُ القاطعُ العذرَ عمن لا يجوز خلافه .

* * *

وابن وكيع – شيخ الطبرى – : هو سفيان بن وكيع . وهو ضعيف ، كما بينا فيما مضى : ١٤٢ .

والحديث رواه الإمام أحمد فى المسند ، كاملا : ١٥٤١٥ (ج ٣ ص ٤٠٥ – ٤٠٦ حلبى) وشتان بين أحمد وابن وكيع . فرواه عن وكيع ، بهذا الإسناد ، وفيه : «قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : استمتعوا من هذه النساء . قال : والاستمتاع عندنا يومئذ التزويج ، قال : فعرضنا ذلك على النساء ، فأبين إلا أن نضرب بيننا وبينهن أجلا . قال : فذكرنا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : افعلوا» – ثم ذكر القصة فى تمتعه بامرأة لعشرة أيام ، وأنه بات عندها ليلة : «ثم أصبحت غادياً إلى المسجد . فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الباب والحجر ، يخطب الناس يقول : ألا أيها الناس ، قد كنت أذنت لكم فى الاستمتاع من هذه النساء ، ألا وإن الله تبارك وتعالى قد حرم ذلك إلى يوم القيامة» – إلى آخر الحديث .

ورواه البيهقى ٧ : ٢٠٣ ، بنحوه من طريق أبى نعيم ، عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، به.

وروى أحمد فى المسند حديث سبرة بن معبد فى تحريم المتعة ، مطولا ومختصراً ، من أوجه كثيرة (٣ : ٤٠٤ – ٤٠٥) .

وكذلك رواه مسلم ١ : ٣٩٥ – ٣٩٦ ، مطولا ومختصراً .

وقصة سبرة بن معبد هذه كانت فى حجة الوداع ، أو فى غزوة الفتح – على اختلاف الرواية عنه فى ذلك . وقال الحافظ فى الفتح ٩ : ١٤٧ «والرواية عنه بأنها فى الفتح أصح وأشهر» . وعلى كل حال فالنهى فيها هو الناسخ الأخير ، وقد أفاض الحافظ فى بيان النسخ مفصلا ٩ : ١٤٣ – ١٥١ .

وانظر المحلى ٩ : ٥١٩ – ٥٢٠ ، والسنن الكبرى للبيهقى ٧ : ٢٠٠ – ٢٠٧ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ (٢٤)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : معنى ذلك لا حرَج عليكم،[1] أيها الأزواج ، إن أدركتكم عُسرة بعد أن فرضتم لنسائكم أجورَهن فريضة، فيما تراضيتم به من حطٍّ وبراءة ، بعد الفرض الذى سلَف منكم لهن ما كنتم فرضتم .

* ذكر من قال ذلك :

٩٠٤٥ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه قال : زعم حضرمىٌّ : أن رجالاً كانوا يفرضون المهر ، ثم عسى أن تُدرك أحدهم العسرة ، فقال الله : « ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ».

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : ولا جناح عليكم ، أيها الناس ، فيما تراضيتم أنتم والنساء اللواتى استمتعتم بهن إلى أجل مسمى ، إذا انقضى الأجل الذى أجَّلتموه بينكم وبينهن فى الفراق، أن يزدنكم فى الأجل ، وتزيدوا من الأجر والفريضة ،[2] قبل أن يستبرئن أرحامهن .

* ذكر من قال ذلك :

٩٠٤٦ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولاجناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة » ، إن شاء أرضاها من بعد الفريضة الأولى – يعنى الأجرة التى أعطاها على تمتعه بها – قبل

---

(١) انظر تفسير « الجناح » فيما سلف : ١٤٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) فى المخطوطة : « أن يزيدوكم فى الأجل ، وتزيدون من الأجر » ، والذى فى المطبوعة أجود الكلامين .

انقضاء الأجل بينهما ، فقال : « أتمتع منك أيضاً بكذا وكذا » ، فازداد قبل أن يستبرئ رحمها ، ثم تنقضى المدة . وهو قوله : « فيما تراضيتم به من بعد الفريضة » ،

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : ولا جناح عليكم ، أيها الناس ، فيما تراضيتم به أنتم ونساؤكم بعد أن تؤتوهن أجورهن على استمتاعكم بهن من مُقام وفراق .

* ذكر من قال ذلك :

٩٠٤٧ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة » ، والتراضى : أن يوفّيها صداقها ثم يخيّرها .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك ولا جناح عليكم فيما وضَعتْ عنكم نساؤكم من صَدُقاتهن من بعد الفريضة .

* ذكر من قال ذلك :

٩٠٤٨ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا بن وهب قال : قال ابن زيد فى قوله : « ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة » ، قال : إن وضعتْ لك منه شيئاً فهو لك سائغٌ .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب ، قولُ من قال : معنى ذلك : ولاحرج عليكم ، أيها الناس ، فيما تراضيتم به أنتم ونساؤكم من بعد إعطائهن أجورهن على النكاح الذى جرى بينكم وبينهن ، من حطٍّ ما وجب لهنّ عليكم ، أو إبراء ، أو تأخير ووضع . وذلك نظير قوله جل ثناؤه : ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴾ [سورة النساء : ٤] .

فأما الذى قاله السدى : ، فقولٌ لا معنى له ، لفساد القول بإحلال جماع

امرأة بغير نكاح ولا ملك يمين .

* * *

وأما قوله : « إن الله كان عليمًا حكيماً » ، فإنه يعنى : إن الله كان ذا علم بما يُصلحكم . أيها الناس ، فى مناكحكم وغيرها من أموركم وأمور سائر خلقه . = « حكيما » فيما يدبر لكم ولهم من التدبير ، وفيما يأمركم وينهاكم ، لا يدخل حكمته خلل ولا زلل .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى معنى : « الطول » الذى ذكره الله تعالى فى هذه الآية .

١١/٥ فقال بعضهم : هو الفضل والمال والسَّعة .

* ذكر من قال ذلك :

٩٠٤٩ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « ومن لم يستطع منكم طولا » ، قال : الغنى .

٩٠٥٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٩٠٥١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « ومن لم يستطع منكم طولا » ، يقول : من لم يكن له سَعَة .

٩٠٥٢ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ومن لم يستطع منكم طولا » ، يقول : من لم يستطع منكم سعة .

٩٠٥٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال ،

---

(١) انظر تفسير « عليم » و « حكيم » فى فهارس اللغة فيما سلف .

حدثنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير قوله : « ومن لم يستطع منكم طولا » ، قال : الطول الغنى .

٩٠٥٤ – حدثني المثنى قال، حدثنا حبان بن موسى قال ، أخبرنا ابن المبارك قال ، أخبرنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير في قوله : « ومن لم يستطع منكم طولا » ، قال : الطول السعة .(١)

٩٠٥٥ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ومن لم يستطع منكم طولا » ، أما قوله : « طولا »، فسعة من المال .

٩٠٥٦ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « ومن لم يستطع منكم طولا » ، الآية ، قال : « طولا »، لايجد ما ينكح به حرّة .

* * *

وقال آخرون : معنى « الطول » ، في هذا الموضع : الهَوَى .

* ذكر من قال ذلك :

٩٠٥٧ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثني عبد الجبار ابن عمر ، عن ربيعة: أنه قال في قوله الله : « ومن لم يستطع منكم طولا » ، قال: الطول الهوى . قال : ينكح الأمة إذا كان هواهُ فيها .(٢)

٩٠٥٨ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: كان ربيعة يليِّن فيه بعض التليين، كان يقول :إذا خشي على نفسه إذا أحبَّها – أي الأمة – وإن كان يقدر على نكاح غيرها ، فإني أرى أن ينكحها .

---

(١) الأثر : ٩٠٥٤ – في المطبوعة : « حدثنا ابن المثنى » بزيادة « ابن » ، وليست في المخطوطة ، وهو الصواب ، وقد مضت رواية « المثنى » عن « حبان بن موسى»، في مئات من المواضع مثل : ٤٤٩٨ ، ٤٥٢٨ ، ٤٥٤٨ ، وما سيأتي قريباً رقم : ٩٠٥٩ ، ٩٠٦١ .

(٢) الأثر : ٩٠٥٧ – « عبد الجبار بن عمر الأيلي » مضت ترجمته برقم : ٤٠٦٨ . وكان في المطبوعة : « عبد الجبار بن عمرو » ، وهو خطأ .

٩٠٥٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا حبان بن موسى قال، أخبرنا ابن المبارك قال، أخبرنا حماد بن سلمة، عن أبي الزبير، عن جابر: أنه سئل عن الحرّ يتزوج الأمة، فقال: إن كان ذا طول فلا. قيل: إن وقع حبّ الأمة في نفسه؟ قال: إن خشي العَنَت فليتزوجها.

٩٠٦٠ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن منصور، عن عبيدة، عن الشعبي قال: لا يتزوج الحر الأمة، إلاّ أن لا يجد = وكان إبراهيم يقول: لا بأس به.

٩٠٦١ – حدثني المثنى قال، حدثنا حبان بن موسى قال، أخبرنا ابن المبارك قال، أخبرنا بن جريج قال: سمعت عطاء يقول: لا نكره أن ينكح ذُو اليسار اليوم الأمة، إذا خشي أن يشقى بها.[1]

* * *

قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك بالصواب، قولُ من قال: معنى «الطَّوْل» في هذا الموضع، السعة والغنى من المال، لإجماع الجميع على أن الله تبارك وتعالى لم يحرِّم شيئاً من الأشياء = سوى نكاح الإماء لواجد الطول إلى الحرة = فأحلّ ما حرم من ذلك عند غلبة المحرَّم عليه له، لقضاء لذة.[2] فإذْ كان ذلك إجماعاً من الجميع فيما عدا نكاح الإماء لواجد الطول، فمثله في التحريم نكاح الإماء لواجد الطول: لا يُحَلُّ له من أجل غلبة هوًى عنده فيها.[3] لأن ذلك مع وجوده

---

(١) في المطبوعة: «أن يسعى بها»، هكذا قرأ ما في المخطوطة، وصواب قراءتها ما أثبت. وعنى بذلك ما مضى في الآثار السالفة من قوله: «إن خشي العنت».

(٢) استشكل معنى هذه الجملة والتي بعدها على الناشر الأول. والمعنى، أن الله تعالى لم يحرم شيئاً، ثم أحله من أجل غلبة الهوى أو قضاء اللذة. بل أحل المحرم، للضرورة التي يخاف معها المضطر هلاك نفسه. فإذ كان ذلك إجماعاً من الجميع في كل شيء حرمه، فنكاح الإماء مثله، لا يمكن إحلاله من أجل غلبة الهوى.

(٣) في المطبوعة: «من أجل غلبة هوى سره فيها»، وفي المخطوطة: «من أجل غلبة هوى غيره فيها»، وكأن صواب قراءتها ما أثبت. ولولا أن معنى «عنده» جائز صحيح، لآثرت أن تكون «عليه».

الطولَ إلى الحرة منه قضاء لذة وشهوة، وليس بموضع ضرورة ترفع برخصة،[١] كالميتة للمضطر الذى يخاف هلاك نفسه، فيترخص فى أكلها ليحيي بها نفسَه، وما أشبه ذلك من المحرمات اللواتى رخص الله لعباده فى حال الضرورة والخوف على أنفسهم الهلاكَ منه، ما حرم عليهم منها فى غيرها من الأحوال.[٢] ولم يرخص الله تبارك وتعالى لعبدٍ فى حرام لقضاء لذة. وفى إجماع الجميع على أن رجلا لو غلبَه هوى امرأة حرّة أو أمة، أنها لا تحل له إلاّ بنكاح أو شراء على ما أذن الله به، ما يوضّح فساد قول من قال: «معنى الطول، فى هذا الموضع: الهوى»، وأجاز لواجد الطول لحرة نكاحَ الإماء.

* * *

فتأويل الآية = إذ كان الأمر على ما وصفنا = : ومن لم يجد منكم سعة من مالٍ لنكاح الحرائر، فلينكح مما ملكت أيمانكم.

* * *

وأصل «الطول» الإفضال: يقال منه: «طال عليه يطول طَوْلاً»، فى الإفضال = و«طال يطول طُولاً» فى الطَول الذى هو خلاف القِصَر.

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَنْ يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾

قال أبو جعفر: يعنى بذلك: ومن لم يستطع منكم، أيها الناس، طولا= يعنى من الأحرار= «أن ينكح المحصنات»، وهن الحرائر[٣] = «المؤمنات» اللواتى قد ١٢/٥

(١) فى المطبوعة: «وليس بموضع ضرورة تدفع ترخصه»، وليس صواباً فى العبارة، وفى المخطوطة: «ترفع ترخصه» غير منقوطة، وصواب قراءتها ما أثبت.

(٢) جملة قوله: «ما حرم عليهم منها» مفعول لقوله: «رخص الله لعباده».

(٣) انظر تفسير «المحصنات» فيما سلف قريباً: ١٥١ - ١٦٩

صدّقن بتوحيد الله وبما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحق .

* * *

وبنحو ما قلنا فى « المحصنات » قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٩٠٦٢ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ابن صالح، عن على بن أبى طلحة، عن ابن عباس قوله: « أن ينكح المحصنات »، يقول : أن ينكح الحرائر ، فلينكح من إماء المؤمنين .

٩٠٦٣ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله : « أن ينكح المحصنات المؤمنات فما ملكت أيمانكم » ، قال : « المحصنات » الحرائر ، فلينكح الأمة المؤمنة .

٩٠٦٤ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٩٠٦٥ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أما « فتياتكم » ، فإماؤكم .

٩٠٦٦ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، أخبرنا هشيم قال ، أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير : « أن ينكح المحصنات المؤمنات فما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات » ، قال : أما من لم يجد ما ينكح الحرة ، تزوج الأمة .[1]

٩٠٦٧ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « أن ينكح المحصنات المؤمنات فما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات » ، قال : لا يجد ما ينكح به حرة ،[2] فينكح هذه الأمة ، فيتعفف بها ، ويكفيه أهلها

---

(١) فى المطبوعة : « فيتزوج الأمة » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « من لم يجد ما ينكح . . . » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، فهو صواب محض .

مؤونتها . ولم يحلّ الله ذلك لأحد، إلاّ أن لا يجد ما ينكح به حرة فينفق عليها ، ولم يحلّ له حتى يخشى العنت .(١)

٩٠٦٨ – حدثنا المثنى قال، حدثنا حبان بن موسى قال ، أخبرنا ابن المبارك قال ، أخبرنا سفيان ، عن هشام الدستوائى ، عن عامر الأحول ، عن الحسن : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن تنكح الأمة على الحرة ، وتُنكح الحرة على الأمة ، ومن وجد طَوْلا لحرة فلا ينكحْ أمةً .

* * *

قال أبو جعفر : واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته جماعة من قرأة الكوفيين والمكيين : ﴿أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصِنَاتِ﴾ بكسر « الصاد » مع سائر ما فى القرآن من نظائر ذلك ، سوى قوله : ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [سورة النساء : ٢٤] ، فإنهم فتحوا « الصاد » منها، ووجهوا تأويله إلى أنهن محصنات بأزواجهن، وأن أزواجهن هم أحصنوهنّ . وأما سائر ما فى القرآن ، فإنهم تأوّلوا فى كسرهم « الصاد » منه ، إلى أن النساء هنّ أحصنّ أنفسهنّ بالعفة .

* * *

وقرأت عامة قرأة المدينة والعراق ذلك كلّه بالفتح، بمعنى أن بعضهن أحصنهن أزواجُهن ، وبعضهن أحصنهنّ حريتهن أو إسلامهن .

* * *

وقرأ بعض المتقدمين كل ذلك بالكسر، بمعنى أنهن عففن وأحصنّ أنفسهن. وذكرت هذه القراءة – أعنى بكسر الجميع – عن علقمة، على الاختلاف فى الرواية عنه .(٢)

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « . . . إلا لمن لا يجد ما ينكح به حرة ، وينفق عليها » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، فهو الصواب الجيد .

(٢) لم يشر أبو جعفر فى تفسير آية النساء : ٢٤ فيما سلف ، إلى هذه القراءة ، ولم يذكر هذا الاختلاف فى قراءة « المحصنات » ، وذلك من الأدلة على اختصاره التفسير ، كما أسلفت مراراً .

قال أبو جعفر : والصواب عندنا من القول فى ذلك، أنهما قراءتان مستفيضتان فى قرأة الأمصار، مع اتفاق ذلك فى المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيبٌ الصوابَ، إلاّ فى الحرف الأول « من سورة النساء : ٢٤ » وهو قوله : « والمحصنات من النساء إلاّ ما ملكت أيمانكم » ، فإنى لا أستجيز الكسر فى صاده ، لاتفاق قراءة الأمصار على فتحها . [١] ولو كانت القراءة بكسرها مستفيضة استفاضتها بفتحها ، كان صواباً القراءةُ بها كذلك، لما ذكرنا من تصرف «الإحصان» فى المعانى التى بيّناها ، فيكون معنى ذلك لو كسر : والعفائف من النساء حرامٌ عليكم ، إلاّ ما ملكت أيمانكم ، بمعنى أنهن أحصنّ أنفسهن بالعفة .[١]

* * *

وأما « الفتيات » ، فإنهن جمع « فتاة » ، وهن الشوابّ من النساء . ثم يقال لكل مملوكة ذاتِ سنّ أو شابة : « فتاة » ، والعبد : « فتًى » .

* * *

ثم اختلف أهل العلم فى نكاح الفتيات غير المؤمنات ، وهل عنى الله بقوله : « من فتياتكم المؤمنات » ، تحريم ما عدا المؤمنات منهن ، أم ذلك من الله تأديب للمؤمنين ؟ فقال بعضهم : ذلك من الله تعالى ذكره دلالة على تحريم نكاح إماء المشركين.

ذكر من قال ذلك :

٩٠٦٩ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، أخبرنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « من فتياتكم المؤمنات » ، قال : لا ينبغى أن يتزوّج مملوكة نصرانيّةً .

٩٠٧٠ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « من فتياتكم المؤمنات » ، قال : لا ينبغى للحرّ المسلم أن ينكح المملوكة من أهل الكتاب .

---

(١) هذا كله لم يذكر فى تفسير آية النساء الأولى ، وبيان معنى « الإحصان » قد سلف قريباً : ١٦٥ ، ١٦٦

٩٠٧١ – حدثنا على بن سهل قال، حدثنا الوليد بن مسلم قال ، سمعت ٥/٣
أبا عمرو ،وسعيد بن عبد العزيز ، ومالك بن أنس ، وأبو بكر بن عبد الله بن أبى مريم، يقولون: لا يحل لحرّ مسلم ولا لعبد مسلم، الأمةُ النصرانية، لأن الله يقول : « من فتياتكم المؤمنات » ، يعنى بالنكاح .(١)

* * *

وقال آخرون : ذلك من الله على الإرشاد والندب ، لا على التحريم . وممن قال ذلك جماعة من أهل العراق .

* ذكر من قال ذلك :

٩٠٧٢ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير، عن منصور ، عن مغيرة قال، قال أبو ميسرة : أما أهل الكتاب بمنزلة الحرائر .

* * *

= ومنهم أبو حنيفة وأصحابه ،(٢) واعتلوا لقولهم بقول الله : « أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ

---

(١) الأثر : ٩٠٧١ – « الوليد بن مسلم الدمشقى » ، سلفت ترجمته برقم : ٢١٨٤ ، ٦٦١١ و « أبو عمرو » ، هو الأوزاعى ، وكان فى المطبوعة والمخطوطة « أبو عمرو سعيد » كأنه واحد ، أو « أبو عمر » و « سعيد » ، والصواب ما أثبت .

و « سعيد بن عبد العزيز التنوخى » أبو محمد ، مضت ترجمته برقم : ٨٩٦٦ .

وأما « أبو بكر بن عبد الله بن أبى مريم الغسانى » ، كان من العباد المجتهدين ، وكان كثير الحديث ضعيفاً . قال أبو حاتم : « ضعيف الحديث، طرقه لصوص فأخذوا متاعه ، فاختلط » ، مات سنة ١٥٦ ، وفى تهذيب التهذيب خطأ فى سنة وفاته . كتب: « سنة ست وخمسين ومئتين » ، والصواب ، ومئة . وقد ترجمه ابن سعد فى طبقاته ٧/٢/١٧٠ فى الطبقة الخامسة من أهل الشام ، التى منها « سعيد بن عبد العزيز التنوخى » .

هذا ، وقد كان فى المطبوعة والمخطوطة : « ومالك بن عبد الله بن أبى مريم » ، وليس فى الرواة من يسمى بهذا الاسم ، وصوابه ما أثبت ، وأبو بكر بن أبى مريم ، قد روى عنه الوليد بن مسلم ، كما روى عن سائر من ذكر قبله .

(٢) قوله : « ومنهم أبو حنيفة وأصحابه » معطوف على قوله قبل الأثر : « وممن قال ذلك جماعة من أهل العراق . . . » .

قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ [سورة المائدة : ٥] . قالوا : فقد أحل الله محصنات أهل الكتاب عامًّا ، فليس لأحد أن يخُص منهن أمة ولا حرة . قالوا : ومعنى قوله : « فتياتكم المؤمنات » ، غير المشركات من عبدة الأوثان .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك بالصواب ، قول من قال : هو دلالة على تحريم نكاح إماء أهل الكتاب ، فإنهن لا يحللن إلا بملك اليمين . وذلك أن الله جل ثناؤه أحلّ نكاح الإماء بشروط ، فما لم تجتمع الشروط التى سماهن فيهن ،[1] فغير جائز لمسلم نكاحهن .

* * *

فإن قال قائل : فإنّ الآية التى فى « المائدة » تدل على إباحتهن بالنكاح ؟

قيل : إن التى فى « المائدة » ، قد أبان أن حكمها فى خاص من محصناتهم ، وأنها معنىٌّ بها حرائرهم دون إمائهم ، قولُه : « من فتياتكم المؤمنات » . وليست إحدى الآيتين دافعاً حكمها حكمَ الأخرى ،[2] بل إحداهما مبينة حكم الأخرى . وإنما تكون إحداهما دافعة حكم الأخرى ، لو لم يكن جائزاً اجتماع حكميهما على صحة . فأمَّا وهما جائز اجتماع حكميهما على الصحة ،[3] فغير جائز أن يحكم لإحداهما بأنها دافعة حكم الأخرى ، إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو قياس . ولا خبر بذلك ولا قياس . والآية محتملة ما قلنا : والمحصنات من حرائر الذين أوتوا الكتاب من قبلكم دون إمائهم .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « التى سماها فيهن » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، فهو صواب جيد .

(٢) فى المطبوعة : « دافعة حكمها . . . » والصواب ما أثبت من المخطوطة ، وإن كان كاتبها قد أساء الكتابة ، فقرأها الناشر على غير وجهها الصحيح .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة هنا : « حكمهما » على الإفراد ، والصواب ما أثبت ، على التثنية .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ﴾

قال أبو جعفر : وهذا من المؤخر الذى معناه التقديم .

* * *

وتأويل ذلك : « ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات » ، فلينكح بعضكم من بعض = بمعنى : فلينكح هذا فتاة هذا .

* * *

و « البعض » مرفوع بتأويل الكلام . ومعناه ، إذ كان قوله : « فمما ملكت أيمانكم » ، فى تأويل : فلينكح مما ملكت أيمانكم . ثم رد « بعضكم » على ذلك المعنى ، فرفع .

* * *

ثم قال جل ثناؤه : « والله أعلم بإيمانكم » ،[1] أى : والله أعلم بإيمان من آمن منكم بالله ورسوله وما جاء به من عند الله ، فصدق بذلك كله = منكم .[2]

* * *

يقول : فلينكح من لم يستطع منكم طولاً لحرة من فتياتكم المؤمنات . لينكح هذا المقتر الذى لا يجد طولاً لحرة ، من هذا الموسر ، فتاته المؤمنة التى قد أبدت الإيمان فأظهرته ، وكلوا سرائرهن إلى الله ، فإن علم ذلك إلى الله دونكم ، والله أعلم بسرائركم وسرائرهن .

* * *

---

(١) فى المخطوطة أتم الآية هنا : « بعضكم من بعض » ، وقد أحسن الناشر الأول إذ حذف هذه الزيادة هنا ، لأن سياق التفسير على أن قوله : « والله أعلم بإيمانكم » من المقدم على قوله : « بعضكم من بعض » .

(٢) السياق : « والله أعلم . . . منكم »

القول فى تأويل قوله ﴿ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « فانكحوهن » ، فتزوجوهن[1] = وبقوله : « بإذن أهلهن » ، بإذن أربابهن وأمرهم إيّاكم بنكاحهن ورضاهم[2] = ويعنى بقوله : « وآتوهن أجورهن » ، وأعطوهن مهورهن ، [3] كما : —

٩٠٧٣ — حدثنا يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « وآتوهن أجورهن » ، قال : الصداق .

* * *

ويعنى بقوله : « بالمعروف » على ما تراضيتم به ، مما أحلّ الله لكم ، وأباحه لكم أن تجعلوه مهوراً لهن .[4]

* * *

---

(١) انظر تفسير « النكاح » فيما سلف ٧ : ٥٧٤

(٢) انظر تفسير « الإذن » فيما سلف ٢ : ٤٤٩ ، ٤/٤٥٠ : ٢٨٦ ، ٥/٣٧١ : ٣٥٢ ، ٣٥٥ ، ٣٩٥/ ٧ : ٢٨٨، ٣٧٧

(٣) انظر تفسير « الإيتاء » فيما سلف فى فهارس اللغة ، وتفسير « الأجور » فيما سلف قريباً : ١٧٥

(٤) انظر تفسير « المعروف » فيما سلف : ١٢١، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : «محصنات»، [1] عفيفات = «غير مسافحات»، غير مزانيات [2] = « ولا متخذات أخذان »، يقول : ولا متخذات أصدقاء على السفاح.

* * *

وذكر أن ذلك قيل كذلك، [3] لأن «الزوانى» كنّ فى الجاهلية ، فى العرب : المعلنات بالزنا، و « المتخذات الأخدان » : اللواتى قد حبسن أنفسهن على الخليل والصديق ، للفجور بها سرًّا دون الإعلان بذلك .

* ذكر من قال ذلك :

٩٠٧٤ — حدثنا المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان » ، يعنى : تنكحوهن عفائف غير زوانى فى سرّ ولا علانية = « ولا متخذات أخدان » ، يعنى : أخلاّء .

٥/٤

٩٠٧٥ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « غير مسافحات » ، المسافحات المعالنات بالزنا = « ولا متخذات أخدان » ، ذات الخليل الواحد = قال : كان أهل الجاهلية يحرّمون ما ظهر من الزنا، ويستحلون ما خفى، يقولون : « أما ما ظهر منه فهو لؤم، وأما ما خفى فلا بأس بذلك »، فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [سورة الأنعام: ٥١] .

---

(١) انظر تفسير « محصنات » فيما سلف قريباً : ١٥١، ١٦٨، ١٨٥

(٢) انظر تفسير « السفاح » فيما سلف قريباً : ١٧٤

(٣) فى المطبوعة : « وقد ذكر . . . » بزيادة « قد » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

٩٠٧٦ – حدثني محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا معتمر قال ، سمعت داود يحدّث ، عن عامر قال : الزنا زناءان : تزني بالخدن ولا تزني بغيره ، وتكون المرأة سَوْماً ،(١) ثم قرأ : « محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان » .

٩٠٧٧ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أما « المحصنات » فالعفائف ، فلتنكح الأمة بإذن أهلها محصنة = و« المحصنات» العفائف = غير مسافحة =، و« المسافحة»، المعالنة بالزنا = ولا متخذة صديقاً .

٩٠٧٨ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « ولا متخذات أخدان » ، قال : الخليلة يتخذها الرجل ، والمرأة تتخذ الخليل .

٩٠٧٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٩٠٨٠ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة: « محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان» ، «المسافحة» : البغيّ التي تؤاجر نفسها من عَرَض لها . و«ذات الخدن»: ذات الخليل الواحد . فنهاهم الله عن نكاحهما جميعاً .

٩٠٨١ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك بن مزاحم يقول في قوله : « محصنات

---

(١) في المطبوعة : « وتكون المرأة شيئاً » ، وهو كلام لا معنى له هنا ، وهي في المخطوطة : « سوما » غير منقوطة ، وهي الصواب . و « السوم » العرض ، يقال : « عرض على سوم عالة » ، أي عرض ذلك على عرضاً غير مبالغ فيه ، كما يعرض الماء على الإبل شربت مرة بعد مرة . ويضرب مثلا لمن يعرض عليك ما أنت عنه غني ، كالرجل يعلم أنك نزلت دار رجل ضيفاً ، فيعرض عليك القرى . ومنه « السوم » ، وهو عرض السلعة على البيع . وذلك بمعنى ما سيأتي في الأثر رقم : ٩٠٨٠ : « البغي التي تؤاجر نفسها من عرض لها » .

هذا ، ولم يذكر هذا اللفظ مشروحاً في كتب اللغة ، فقيده هناك .

غير مسافحات ولا متخذات أخدان »، أما « المحصنات »، فهن الحرائر، يقول : تزوج حرة. وأما « المسافحات »، فهن المعالنات بغير مهر.[١] وأما « متخذات أخدان » ، فذات الخليل الواحد المستسرَّة به .[٢] نهى الله عن ذلك .

٩٠٨٢ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا إسمعيل بن سالم ، عن الشعبي قال : الزنا وجهان قبيحان ، أحدهما أخبث من الآخر. فأما الذى هو أخبثهما : فالمسافحة، التى تفجر بمن أتاها. وأما الآخر : فذات الخِدن .

٩٠٨٣ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان »، قال : « المسافح » الذى يَلقى المرأة فيفجر بها ثم يذهب وتذهب . و« المخادن » ، الذى يقيم معها على معصية الله وتقيم معه ، فذاك « الأخدان » .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَإِذَآ أُحْصِنَّ ﴾

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأه بعضهم : ﴿ فَإِذَا أُحْصَنَّ ﴾ ، بفتح « الألف »، بمعنى : إذا أسلمن، فصرن ممنوعات الفروج من الحرام بالإسلام .

* * *

وقرأه آخرون : ﴿ فَإِذَا أُحْصِنَّ ﴾ بمعنى : فإذا تزوّجن ، فصرن ممنوعات الفروج من الحرام بالأزواج .

---

(١) فى المطبوعة : « فهن المعلنات » ، وفى المخطوطة : « فهى المعالنة » ، ورجحت أن يكون الصواب ما أثبت .

(٢) المستسرة : المستخفية ، من « السر » .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى ، أنهما قراءتان معروفتان مستفيضتان فى أمصار الإسلام ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيبٌ فى قراءته الصوابَ .

* * *

فإن ظن ظانٌّ أنّ ما قلنا فى ذلك غيرُ جائز ، إذ كانتا مختلفتى المعنى ، وإنما تجوز القراءةُ بالوجهين فيما اتفقت عليه المعانى = فقد أغفل .(١)

وذلك أن معنيي ذلك وإن اختلفا ، فغير دافع أحدُهما صاحبه . لأن الله قد أوجب على الأمّة ذات الإسلام وغير ذات الإسلام على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، الحدَّ .

٩٠٨٤ – فقال صلى الله عليه وسلم : « إذا زَنت أمَةُ أحدكم فليجلدها ، كتابَ الله ، ولا يُثَرِّبْ عليها . ثم إن عادت فليضربها ، كتابَ الله ، ولا يُثرّبْ عليها . ثم إن عادت فليضربها ، كتابَ الله، ولا يُثرّب عليها . ثم إن زَنت الرابعة فليضربها ، كتابَ الله ، وليبعها ولو بحبل من شَعَرٍ » .(٢)

---

(١) قوله : « فقد أغفل » ، جواب الشرط فى قوله : « فإن ظن ظان . . . » .
وقوله : « أغفل » فعل لازم غير متعد، أى : دخل فى الغفلة. وانظر تفسير مثله فيما سلف ١ : ١٥١ ، تعليق : ١/٥ : ٥٢ ، تعليق : ٤ = ثم : ١٦٠ ، تعليق : ١ .

(٢) الأثر : ٩٠٨٤ – حديث صحيح ، رواه من غير إسناد ، وكأنه من مسند أبى هريرة ، رواه البخارى بغير هذا اللفظ (الفتح ٤ : ١٢/٣٥٠ : ١٤٣ – ١٤٧) ومسلم ١٢ : ٢١١/ وأحمد فى مسنده رقم : ٧٣٨٩ ، والبيهقى فى السنن الكبرى ٨ : ٢٤٢ – ٢٤٤ ، من طرق .
وقوله : « كتاب الله » على النصب ، وفى رواية للنسائى « بكتاب الله » .
وقوله صلى الله عليه وسلم : « ولا يثرب عليها » ، أى : لا يعيرها بالزنا ، ولا يبكتها بما أتت ، ولا يعنف عليها باللوم . وهذا أدب نبى الله صلى الله عليه وسلم لأمته : أن لا تعير مرتكباً بما ارتكب ، وأن ترفق به ، وتعرض عن تذكيره بالفاحشة ، لئلا تمتلئ نفسه كداً وغيظاً وحقداً على الناس . ولكنك ترى أهل زماننا ، يستطيلون على كل من أتى جرماً ، فتمتلئ الصحافة بالسب والتعريض ، وقبيح الصفات لكل من أتى جرماً ، كأن أحدهم قد أخذ عهداً على أيامه البواقى أن لا يتورط فى إثم أو جريمة . ومن يدرى ، فلعل أطولهم لساناً فى ذلك ، أكثرهم استخفاء بما هو أشد من ذلك الجرم الذى ارتكبه المرتكب .

٩٠٨٥ – وقال صلى الله عليه وسلم : « أقيموا الحدودَ على ما مَلكت أيمانكم.[١]

* * *

= فلم يخصص بذلك ذات زوج منهن ولا غير ذات زوج . فالحدود واجبةٌ على مَوالى الإماء إقامتها عليهن ، إذا فجرن ، بكتاب الله وأمرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

فإن قال قائل : فما أنت قائلٌ فيما حدثكم به :–

٩٠٨٦ – ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا مالك بن أنس ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن أبى هريرة وزيد بن خالد : أن النبى صلى الله عليه وسلم سُئل عن الأمة تَزنى ولم تُحصَن . قال : اجلدها ، فإن زنت فاجلدها ، فإن زنت فاجلدها ، فإن زنت = فقال فى الثالثة أو الرابعة = فبعْها ولو بضفير = و« الضفيرُ » : الشَّعر .

٩٠٨٧ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن عيينة ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن أبى هريرة وزيد بن خالد : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل = فذكر نحوه .[٢] ٥/٥٠

= فقد بينّ أن الحدّ الذى وجب إقامته بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإماء ، هو ما كان قبل إحصانهن . فأما ما وجب من ذلك عليهنّ بالكتاب ، فبعدَ إحصانهن ؟

قيل له : قد بيّنا أن أحد معانى « الإحصان » الإسلام ، وأن الآخر منه :

---

(١) الأثر : ٩٠٨٥ – رواه أحمد فى مسنده رقم : ٧٣٦ ، ١١٣٧ ، ١١٤٢ ، ١٢٣٠/ والسنن الكبرى للبيهقى ٨ : ٢٤٣ . وانظر تخريجه فى تفسير ابن كثير ٢ : ٤٠٦ .

(٢) الأثران : ٩٠٨٦، ٩٠٨٧ – الإسناد الأول ، رواه مالك فى الموطأ ص : ٨٢٦ ، ٨٢٧ ، مع خلاف فى اللفظ يسير ، وقال فى آخره : « والضفير ، الحبل » ، وهما سواء فى المعنى . وأخرجه البخارى (الفتح ٤ : ١٢/٣٥٠ : ١٤٣ – ١٤٥) ، ومسلم ١٢ : ٢١٢ ، ٢١٣ ، من طرق .

التزويج ، وأن « الإحصان » كلمة تشتمل على معان شتى. [١] وليس فى رواية من روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سُئل « عن الأمة تزنى قبل أن تُحصن » ، بيانُ أن التى سئِل عنها النبىّ صلى الله عليه وسلم هى التى تزنى قبل التزويج ، فيكون ذلك حجة لمحتج فى أن « الإحصان » الذى سنّ صلى الله عليه وسلم حدّ الإماء فى الزنا ، هو الإسلام دون التزويج ، ولا أنه هو التزويجُ دون الإسلام .

وإذ كان لا بيان فى ذلك ، فالصواب من القول : أنّ كل مملوكة زنت فواجب على مولاها إقامةُ الحدّ عليها ، متزوجةً كانت أو غير متزوجة ، بظاهر كتاب الله ، والثابت من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلاّ مَن أخرجه من وُجوب الحد عليه منهنّ بما يجب التسليم له .

وإذْ كان ذلك كذلك ، تبين به صحةُ ما اخترنا من القراءة فى قوله : « فإذا أُحصِن » .

* * *

قال أبو جعفر : فإن ظن ظانّ أن فى قول الله تعالى ذكره : « ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات » ، دلالةً على أن قوله : « فإذا أحصن » ، معناه : تزوّجن ، إذْ كان ذكر ذلك بعد وصفهن بالإيمان بقوله : « من فتياتكم المؤمنات » =[٢] وحسبَ أن ذلك لا يحتمل معنى غير معنى التزويج ، مع ما تقدم ذلك من وصفهن بالإيمان = فقد ظنّ خطأ . [٣]

وذلك أنه غير مستحيل فى الكلام أن يكون معنى ذلك : « ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات » ،

---

(١) انظر ما سلف قريباً ص : ١٥١ – ١٩٦

(٢) قوله : « وحسب » معطوف على قوله : « فإن ظن ظان » .

(٣) قوله : « فقد ظن خطأ » جواب الشرط فى قوله : « فإن ظن ظان » .

فإذا هنّ آمنّ « فإن أتين بفاحشة فعليهن نصفُ ما على المحصنات من العذاب » ، فيكون الخبرُ متبدأ عما يجب عليهنّ من الحدّ إذا أتين بفاحشة بعد إيمانهن ، [1] بعد البيان عما لا يجوز لنا كحهن من المؤمنين من نكاحهن ، وعمن يجوز نكاحه له منهن .

فإذ كان ذلك غير مستحيل فى الكلام ، فغيرُ جائز لأحد صَرْفُ معناه إلى أنه التزويج دون الإسلام ، من أجل ما تقدّم من وصف الله إيّاهن بالإيمان .

* * *

غير أن الذى نختار لمن قرأ : ﴿ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ ﴾ بفتح « الصاد » فى هذا الموضع ، أن يُقرأ : ﴿ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِن أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ ﴾ بضم « الألف » .

ولمن قرأ: ﴿ مُحْصِنَاتٍ ﴾ بكسر « الصاد » فيه، أن يقرأ: ﴿ فَإِذَا أَحْصَنَّ ﴾ بفتح « الألف »، لتأتلف قراءة القارئ على معنًى واحد وسياق واحد، لقرب قوله : « محصنات » من قوله : « فإذا أحصَن » . ولو خالف من ذلك ، لم يكن لحناً ، غيرَ أنّ وجه القراءةِ ما وصفت .

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، نظيرَ اختلاف القرأة فى قراءته .

فقال بعضهم : معنى قوله : « فإذا أحصن » ، فإذا أسلمن .

* ذكر من قال ذلك :

٩٠٨٨ — حدثنى محمد بن عبد الله بن بزيع قال، حدثنا بشر بن المفضل ، عن سعيد ، عن أبى معشر ، عن إبرهيم : أنّ ابن مسعود قال : إسلامها إحصانها . [2]

---

(١) فى المطبوعة : « فيكون الخبر بياناً عما يجب عليهن من الحد » ، غير ما فى المخطوطة بسوء تصرف ، والصواب ما أثبته من المخطوطة . هذا ، ولم يرد بذكر « الخبر » و « مبتدأ » المعنى المصطلح عليه فى النحو ، بل أراد إخبار الله تعالى ، وأنه ابتداء غير متصل بما قبله .

(٢) الأثر : ٩٠٨٨ — « سعيد » هو : سعيد بن أبى عروبة = و « أبو معشر » ، هو زياد بن كليب ، وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « سعيد بن أبى معشر » ، وهو خطأ محض .

٩٠٨٩ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، أخبرني جرير بن حازم : أن سليمان بن مهران حدّثه ، عن إبراهيم بن يزيد ، عن همام بن الحارث : أن النعمان بن عبد الله بن مقرّن ، سأل عبد الله بن مسعود فقال : أمَتي زنت ؟ فقال : اجلدها خمسين جلدة . قال : إنها لم تُحصن ! فقال ابنُ مسعود : إحصانُها إسلامها .

٩٠٩٠ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن حماد، عن إبراهيم : أن النعمان بن مقرّن سأل ابن مسعود عن أمةٍ زنتْ وليس لها زوج ، فقال : إسلامها إحصانها . (١)

٩٠٩١ – حدثني ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن حماد ، عن إبراهيم : أن النعمان قال : قلت لابن مسعود : أمتي زنت ؟ قال : اجلدها . قلت : فإنها لم تُحصن ! قال : إحصانها إسلامها .

٩٠٩٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن علقمة قال ، كان عبد الله يقول : إحصانها إسلامها .

٩٠٩٣ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا إسمعيل بن سالم، عن الشعبي أنه تلا هذه الآية : « فإذا أحصن » قال ، يقول : إذا أسلمن .

٩٠٩٤ – حدثنا أبو هشام الرفاعي قال، حدثنا يحيى بن أبي زائدة ، عن

---

(١) الأثران ٩٠٨٩–٩٠٩٠– في الإسناد الأول: « إبراهيم بن يزيد » هو: إبراهيم النخعي . و « همام بن الحارث النخعي » ، ثقة ، كان من العباد ، وكان لا ينام إلا قاعداً . روى عن ابن مسعود .

وذكر في الإسناد الأول : « النعمان بن عبد الله بن مقرن » ، هكذا في المخطوطة والمطبوعة ، ولم أجد لهذا الاسم ذكراً في الكتب ، وسيأتي في الأثر الذي يليه : « النعمان بن مقرن » ، وقد اختلف في « النعمان بن مقرن » فقيل : « النعمان بن عمرو بن مقرن » ، وقيل هما رجلان ، وذلك مفصل في كتب الرجال ، ولم يذكر أحد منهم « النعمان بن عبد الله بن مقرن » .

هذا ، وقد روى هذا الأثر ، البيهقي في السنن الكبرى ٨ : ٢٤٣ ، وزاد الأمر إشكالا ، فرواه من حديث إبراهيم النخعي ، عن همام بن الحارث ، عن عمرو بن شرحبيل : أن معقل ابن مقرن أتى عبد الله بن مسعود – ولم أستطع أن أقطع بشيء في هذا الاضطراب .

أشعث ، عن الشعبي قال ، قال عبد الله : الأمة إحصانها إسلامها . ١٦/٥

٩٠٩٥ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، مغيرة ، أخبرنا عن إبراهيم أنه كان يقول : « فإذا أحصن » ، يقول : إذا أسلمن .

٩٠٩٦ – حدثنا أبو هشام قال، حدثنا يحيى بن أبي زائدة، عن أشعث ، عن الشعبي قال : الإحصان الإسلام .

٩٠٩٧ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن برد بن سنان ، عن الزهري قال : جلد عمر رضي الله عنه ولائد أبكاراً من ولائد الإمارة في الزنا .[1]

٩٠٩٨ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « فإذا أحصنّ » ، يقول : إذا أسلمن .

٩٠٩٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن سالم والقاسم قالا : إحصانها إسلامها وعفافها في قوله : « فإذا أحصن » .

* * *

وقال آخرون : معنى قوله : « فإذا أحصن » ، فإذا تزوّجن .

* ذكر من قال ذلك :

٩١٠٠ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله : « فإذا أحصن » ، يعني : إذا تزوّجن حرًّا .

٩١٠١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال ،

---

(١) الأثر : ٩٠٩٧ – « برد بن سنان الشامي ، مولى قريش » صاحب مكحول . روى عن عطاء ابن أبي رباح ، والزهري ، ونافع مولى ابن عمر ، وغيرهم . كان صدوقاً في الحديث . مترجم في التهذيب .

وقوله : « من ولائد الإمارة » ، في المخطوطة كتب « الامارة » في الهامش ، وكان قد ضرب على الكلمة في صلب الكلام . ولعله يعني : ولائد من السبي .

أخبرنا حصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه كان يقرأ : ﴿ فَإِذَا أُحْصِنَّ ﴾ . يقول : إذا تزوجن .

٩١٠٢ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن عكرمة : أن ابن عباس كان يقرأ : « فإذا أحصن » ، يقول : تزوجن .

٩١٠٣ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال ، سمعت ليثا ، عن مجاهد قال : إحصان الأَمة أن ينكحها الحرّ ، وإحصان العبد أن ينكح الحرّة .

٩١٠٤ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة : أنه سمع سعيد بن جبير يقول : لا تُضرب الأمةُ إذا زنتْ ، ما لم تتزوّج .

٩١٠٥ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : عن الحسن فى قوله : « فإذا أحصن » . قال : أحصنتهن البُعُولة .

٩١٠٦ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فإذا أحصن » ، قال : أحصنتهن البعولة .

٩١٠٧ – حدثنا يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنى عياض بن عبد الله ، عن أبى الزناد : أن الشعبى أخبره ، أن ابن عباس أخبره : أنه أصاب جاريةً له قد كانت زَنتْ ، وقال : أحصنتها .(١)

* * *

قال أبو جعفر وهذا التأويل على قراءة من قرأ : ﴿ فَإِذَا أُحْصِنَّ ﴾ بضم « الألف » ، وعلى تأويل من قرأ : ﴿ فَإِذَا أَحْصَنَّ ﴾ بفتحها . وقد بينا الصّواب من القول والقراءة فى ذلك عندنا .(٢)

---

(١) فى المخطوطة : « قال : حصنتها » .

(٢) انظر ما سلف : ١٩٥، ١٩٦ / ثم : ١٩٩

القول فى تأويل قوله ﴿ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « فإن أتين بفاحشة » ، فإن أتت فتياتكم — وهنّ إماؤكم — بعد ما أحصَنّ بإسلام، أو أحْصِنّ بنكاح [1] = « بفاحشة » ، وهى الزنا [2] = « فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب » ، يقول : فعليهن نصف ما على الحرائر من الحدّ ، إذا هنّ زَنين قبل الإحصان بالأزواج .

* * *

و « العذاب » الذى ذكره الله تبارك وتعالى فى هذا الموضع ، هو الحدّ ، وذلك النصف الذى جعله الله عذاباً لمن أتى بالفاحشة من الإماء إذا هن أحصن : خمسون جلدة ، ونَفى ستة أشهر ، وذلك نصف عام . لأنّ الواجب على الحرة إذا هى أتت بفاحشة قبل الإحصان بالزوج ، جلد مئة ونفى حَوْلٍ . فالنصف من ذلك خمسون جلدة ، ونفى نصف سنة . وذلك الذى جعله الله عذاباً للإماء المحصنات إذا هن أتين بفاحشة ، كما : —

٩١٠٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب » . . . . . [3]

---

(١) انظر تفسير « أتى بالفاحشة » فيما سلف : ٧٣ ، ٨١

(٢) انظر تفسير « الفاحشة » فيما سلف ٣ : ٣٠٣ / ٥ : ٥٧١ / ٧ : ٢١٨ / ٨ : ٧٣ ، ١١٥ ، ١١٦

(٣) الأثر : ٩١٠٨ — هذا الأثر مبتور فى المخطوطة والمطبوعة ، وإن كان قد ساقه كأنه غير مبتور ، فلذلك وضعت هذه النقط للدلالة على الخرم . ولم أجده فى مكان آخر .

٩١٠٩ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : « فإن أتين بفاحشة فعليهن نصفُ ما على المحصنات من العذاب » ، خمسون جلدةً ، ولا نَفى ولا رَجمَ .

* * *

فإن قال قائل : وكيف [قيل] [1] : « فعليهن نصفُ ما على المحصنات من العذاب » ؟ . وهل يكون الجلدُ على أحد ؟

قيل : إن معنى ذلك : فلازمُ أبدانهنّ أن تجلد نصف ما يَلزم أبدان المحصنات ، كما يقال : « عليّ صلاةُ يوم » ، بمعنى : لازم عليّ أن أصلى صلاة يوم[2] = و« عليّ الحج والصيام » ، مثل ذلك. وكذلك: « عليه الحدّ » ، بمعنى لازم له إمكان نفسه من الحدّ ليقام عليه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ ﴾

قال أبو جعفر: يعنى تعالى ذكره بقوله : « ذلك » ، هذا الذى أبَحْتُ = أيها الناس ، [3] من نكاح فتياتكم المؤمنات لمن لا يستطيع منكم طَوْلاً لنكاح المحصنات المؤمنات = أبحته لمن خشى العنت منكم ، دون غيره ممن لا يخشى العنت

* * *

واختلف أهل التأويل فى هذا الموضع . ١٧/٥

فقال بعضهم : هو الزنا .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) الزيادة بين القوسين ، لابد منها ، وليست فى المخطوطة ولا المطبوعة .

(٢) فى المخطوطة : « لازم إلى أن أصلى » ، والصواب ما فى المطبوعة .

(٣) انظر تفسير « ذلك » بمعنى « هذا » فيما سلف ١ : ٢٢٥ – ٣/٢٢٧ : ٦/٣٣٥ : ٤٦٦

٩١١٠ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس قال ، سمعت ليثاً ، عن مجاهد قوله : « لمن خشى العنت منكم » ، قال : الزنا .

٩١١١ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم، عن العوام ، عمن حدثه ، عن ابن عباس أنه قال : ما اُزْلَحَفَّ ناكح الأمة عن الزنا إلا قليلاً . (١)

٩١١٢ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قال : العنتُ الزنا .

٩١١٣ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ،حدثنا عبيد بن يحيى قال ، حدثنا شريك ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : العنت الزنا .

٩١١٤ – حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال، أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير قال: ما اُزْلَحَفَّ ناكح الأمة عن الزنا إلاّ قليلاً ، « ذلك لمن خشى العنتَ منكم » .

٩١١٥ – حدثنا أبو سلمة قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير نحوه . (٢)

٩١١٦ – حدثني المثنى قال ، حدثنا حبان بن موسى قال ، أخبرنا ابن المبارك قال ، أخبرنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية في قوله : « ذلك لمن خشى العنت منكم » ، قال: الزنا .

٩١١٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي حماد قال ، حدثنا فضيل ، عن عطية العوفي مثله .

---

(١) الأثر : ٩١١١ – ذكر هذا الأثر صاحب اللسان في (زحلف) و (زلحف) ، وقال في « ازحلف » إنه على القلب من « ازلحف »على وزن : « اقشعر » وقراءتهما بسكون الزاى ، وفتح اللام والحاء ، والفاء المشددة . وقوله : « ازلحف » أى : تنحى وتباعد ، شيئاً قليلا . وتمام الأثر في اللسان : « لأن الله عز وجل يقول : وأن تصبروا خير لكم » . وانظر الأثر التالى رقم : ٩١١٤ .

(٢) الأثر : ٩١١٥ – « أبو سلمة » ، لم أعرف من يكون في شيوخ أبي جعفر .

٩١١٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك في قوله : « لمن خشي العنت منكم » ، قال : الزنا .

٩١١٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عبيدة ، عن الشعبي = وجويبر ، عن الضحاك = قالا : العنت الزنا .

٩١٢٠ – حدثنا أحمد بن حازم قال، حدثنا أبو نعيم قال، حدثنا فضيل ابن مرزوق، عن عطية : « ذلك لمن خشي العنت منكم » ، قال : العنت الزنا .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : العقوبة التي تُعْنِته ، وهي الحدّ .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في قوله : « ذلك لمن خشي العنت منكم » ، ذلك لمن خاف منكم ضررًا في دينه وبَدَنِه .

* * *

قال أبو جعفر : وذلك أن « العنت » هو ما ضرّ الرجل . يقال منه : « قد عَنِتَ فلان فهو يَعْنَتُ عَنتاً » ، إذا أتى ما يَضرّه في دين أو دنيا ، ومنه قول الله تبارك وتعالى : « وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ » [سورة آل عمران : ١١٨] . ويقال : « قد أعنتني فلان فهو يُعنِتني » ، إذا نالني بمضرة . وقد قيل : « العنت » ، الهلاك .(١)

* * *

= فالذين وجهوا تأويل ذلك إلى الزنا، قالوا : الزنا ضَرَرٌ في الدين ، وهو من العنت .

= والذين وجّهوه إلى الإثم، قالوا: الآثام كلها ضرر في الدين، وهي من العنت .

= والذين وجهوه إلى العقوبة التي تعنته في بدنه من الحدّ ، فإنهم قالوا : الحد مضرة على بدن المحدود في دنياه ، وهو من العنت .

---

(١) انظر تفسير العنت فيما سلف ٤ : ٧/٣٦٠ : ١٤٠ .

وقد عمّ الله بقوله : « لمن خشى العنت منكم » ، جميعَ معانى العنت . ويجمع جميعَ ذلك الزّنا ، لأنه يوجب العقوبةَ على صاحبه فى الدنيا بما يُعنت بدنه ، ويكتسب به إثماً ومضرّة فى دينه ودنياه . وقد اتفق أهلُ التأويل الذين هم أهله ، على أن ذلك معناه . فهو وإن كان فى عينه لذةً وقضاءَ شهوة ، فإنه بأدائه إلى العنت ، منسوبٌ إليه موصوف به ، إذ كان للعنت سبباً .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢٥)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بذلك : « وأنْ تصبروا » ، أيها الناس ، عن نكاح الإماء = « خير لكم » = « والله غفور » لكم نكاحَ الإماء أنْ تنكحوهن على ما أحلّ لكم وأذن لكم به ، وما سلف منكم فى ذلك ، إن أصلحتم أمورَ أنفسكم فيما بينكم وبين الله = « رحيم » بكم ، إذ أذن لكم فى نكاحهن عند الافتقار وعدم الطول للحرّة .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٩١٢١ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير : « وأن تصبروا خير لكم » ، قال : عن نكاح الأمة .

٩١٢٢ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال ، سمعت ليثاً ،

---

(١) فى المطبوعة : « أن كان للعنت » ، وهو صواب ، ولكن أثبت ما فى المخطوطة .

عن مجاهد : « وأن تصبروا خير لكم » ، قال : عن نكاح الإماء .

٩١٢٣ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وأن تصبروا خير لكم » ، يقول : وأن تصبرَ ولا تنكح الأمة فيكون ولدك مملوكين ، فهو خيرٌ لك .

٩١٢٤ – حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وأن تصبروا خير لكم » ، يقول : وأن تصبروا عن نكاح الإماء ، خيرٌ لكم ، وهو حلّ .

٩١٢٥ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وأن تصبروا خير لكم » ، يقول : وأن تصبروا عن نكاحهن = يعنى نكاح الإماء = خير لكم . ٥/١٨

٩١٢٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا حبان بن موسى قال ، أخبرنا ابن المبارك قال ، أخبرنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية فى قوله : « وأن تصبروا خير لكم » ، قال : أن تصبروا عن نكاح الإماء ، خير لكم .

٩١٢٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا حبان قال ، حدثنا ابن المبارك قال ، أخبرنا ابن جريج قال ، أخبرنا ابن طاوس ، عن أبيه : « وأن تصبروا خير لكم » ، قال : أن تصبروا عن نكاح الأمة خيرٌ لكم .

٩١٢٨ – حدثني على بن داود قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « وأن تصبروا خير لكم » ، قال : وأن تصبروا عن الأمة ، خير لكم .

* * *

و « أن » فى قوله : « وأن تصبروا » فى موضع رفع بـ « خيرٌ » ، بمعنى : والصبرُ عن نكاح الإماء خيرٌ لكم .

القول فى تأويل قوله ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢٦)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « يريد الله ليبين لكم » ، حلاله وحرامَه = « ويَهديكم سُنن الذين من قبلكم » ، يقول : وليسددكم[١] = « سُنن الذين من قبلكم » ، يعنى : سُبل من قبلكم من أهل الإيمان بالله وأنبيائه ، ومناهجهم فيما حرّم عليكم من نكاح الأمهات والبنات والأخوات وسائر ما حرم عليكم فى الآيتين اللتين بيَّن فيهما ما حرّم من النساء[٢] = « ويتوب عليكم » ، يقول : يريد الله أن يرجع بكم إلى طاعته فى ذلك ، مما كنتم عليه من معصيته فى فعلكم ذلك قبلَ الإسلام ، وقبل أن يوحى ما أوحىَ إلى نبيه من ذلك = « عليكم » ، ليتجاوز لكم بتوبتكم عما سلف منكم من قبيح ذلك قبل إنابتكم وتوبتكم = « والله عليم » ، يقول : والله ذو علم بما يصلح عباده فى أدْيانهم ودنياهم وغير ذلك من أمورهم ، وبما يأتون ويذَرون مما أحل أو حرم عليهم ، حافظ ذلك كله عليهم = « حكيم » بتدبيره فيهم ، فى تصريفهم فيما صرّفهم فيه .[٣]

* * *

واختلف أهل العربية فى معنى قوله : « يريد الله ليبين لكم » .

فقال بعضهم : معنى ذلك: يريد الله هذا من أجل أن يبين لكم . وقال: ذلك كما قال : ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ﴾ [سورة الشورى : ١٥] بكسر «اللام»، لأن معناه : أمرت بهذا من أجل ذلك .

* * *

---

(١) انظر تفسير « الهدى » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٢) انظر تفسير « السنة » فيما سلف ٧ : ٢٣٠ ، ٢٣١ ، وانظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٢٤ .

(٣) انظر تفسير سائر ألفاظ الآية فيما سلف ، فى فهارس اللغة .

وقال آخرون : معنى ذلك : يريد الله أنْ يُبين لكم ويهديكم سُننَ الذين من قبلكم . وقالوا : من شأن العرب التعقيبُ بين « كى » و«لام كى » و«أن » ، ووضْعُ كلّ واحدة منهن موضع كلّ واحدة من أختها معَ « أردت » و« أمرت ». فيقولون : « أمرتكَ أن تذهب ، ولتذهب » و«أردت أن تذهب ولتذهب » ، كما قال الله جل ثناؤه : ﴿ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الأنعام: ٧١] ، وقال فى موضع آخر : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ﴾[سورة الأنعام: ١٤]، (١) وكما قال : ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ ﴾ [سورة الصف : ٨] ، ثم قال فى موضع آخر ، ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا ﴾ [سورة التوبة : ٣٢] . واعتلوا فى توجيههم « أن » مع « أمرت » و « أردت » إلى معنى « كى » ، وتوجيه «كى » مع ذلك إلى معنى « أن » ، لطلب « أردت » و « أمرت » الاستقبال ، وأنها لا يصلح معها الماضى ، (٢) لا يقال : « أمرتك أن قمت » ، ولا « أردت أن قمت » . قالوا : فلما كانت « أن » قد تكون مع الماضى فى غير « أردت » و « أمرت » ، وَكَّدُوا لها معنى الاستقبال بما لا يكون معه ماض من الأفعال بحال ، (٣) من« كى» و « اللام » التى فى معنى « كى » . قالوا: وكذلك جمعت العرب بينهن أحياناً فى الحرف الواحد ، فقال قائلهم فى الجمع : (٤)

أَرَدْتَ لِكَيْمَا أَنْ تَطِيرَ بِقِرْبَتِي فَتَتْرُكَهَا شَنًّا بِبَيْدَاءَ بَلْقَعِ (٥)

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « وأمرت أن أكون » ، وهو سهو من الناسخ ، وأثبت نص التلاوة .

(٢) فى المطبوعة : « وأيهما » ، وهى فى المخطوطة غير منقوطة ، وكأنها خطأ مطبعى .

(٣) فى المطبوعة : « ذكروا لها معنى الاستقبال . . . » ، وهو كلام لا معنى له ، صوابه ما أثبته من المخطوطة ، والظاهر أن الناشر استنكر عبارة أبى جعفر فغيرها . وعبارة الفراء فى معانى القرآن : « استوثقوا لمعنى الاستقبال » .

(٤) لا يعرف قائله .

(٥) معانى القرآن للفراء ١ : ٢٦٢ ، الإنصاف : ٢٤٢ ، الخزانة ٣ : ٥٨٥ ، والعينى

فجمع بينهن، لاتفاق معانيهن واختلاف ألفاظهن ، كما قال الآخر : [١]

قَدْ يَكْسِبُ المَالَ الهِدَانُ الجَافِي بِغَيْرِ لَا عَصْفٍ وَلَا اصْطِرَافِ [٢]

فجمع بين « غير » و « لا » توكيداً للنفى . قالوا : إنما يجوز أن يجعل « أن » مكان « كى » ، و « كى » مكان « أن » ، فى الأماكن التى لا يَصْحب جالبَ ذلك ماض من الأفعال أو غير المستقبل . فأما ما صحبه ماض من الأفعال وغير المستقبل ، فلا يجوز ذلك . لا يجوز عندهم أن يقال : « ظننت ليقوم » ، ولا : « أظن ليقوم »، بمعنى : أظن أن يقوم = لأنّ [« أنْ »] ، [٣] التى تدخل مع الظن

(هامش الخزانة) ٤ : ٤٠٥ ، وغيرها، كما قال صاحب الخزانة : « وهذا بيت قلما خلا منه كتاب نحوى » .

« الشن » : الخلق البالى : و « البيداء » : المفازة المهلكة . و « البلقع » : الأرض القفر التى لا شىء بها . يقول : إنما أردت بذلك هلاكى وضياعى فى قفرة مهلكة .

(١) ينسب إلى العجاج ، وإلى رؤبة ، وليس فى ديوانه ، وانظر التعليق التالى .

(٢) ديوان العجاج : ٤٠ ، ٨٢ ، معانى القرآن للفراء ١ : ٢٦٢ ، الإنصاف : ٢٤٢ . واللسان (صرف) (عصف) (هدن) ، والبيت التالى ، هو الوارد فى شعر العجاج :

قَالَ الَّذِى جَمَّعْتَ لِى صَوَافِى مِنْ غَيْرِ لَا عَصْفٍ وَلَا اصْطِرَافِ

وهو من قصيدة يعاتب فيها ولده رؤبة ، فرد عليه ولده رؤبة بقصيدة فى ديوانه : ٩٩ . فظاهر أن هذا هو سبب الخلط فى نسبة هذا الشعر ، والصواب أنه للعجاج ، لأنه من معنى عتابه ولده حين كبر وأرعش ، وظن أن ابنه طمع فى ماله ورجا هلاكه ، وختم قصيدته بقوله :

لَيْسَ كَذَاكُمْ وَلَدُ الأَشْرَافِ أَعْجَلَنِى المَوْتَ وَلَمْ يُكَافِ
سَوْفَ يُجَازِيكَ مَلِيكٌ وَافِ بِالأَخْذِ إِنْ جَازَاكَ ، أَوْ يُعَافِى

و « الهدان » : الجبان ، أو الوخم الثقيل النوام الذى لا يبكر فى حاجة . و « عصف يعصف » و « اعتصف » : طلب وكسب واحتال . و « العصف » : الكسب والاحتيال . و « صرفت الرجل فى أمرى ، فتصرف واصطرف » : أى احتال فى طلب الكسب .

(٣) الزيادة بين القوسين لا بد منها ، استظهرتها من السياق ، ومن معانى القرآن للفراء .

تكون مع الماضى من الفعل ، يقال : « أظن أن قد قام زيد » ، ومع المستقبل ، ومع الأسماء .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك بالصواب عندى ، قولُ من قال : إن « اللام » فى قوله : « يريد الله ليبين لكم » ، بمعنى : يريد الله أنْ يبين لكم ، لما ذكرتُ من علة من قال إنّ ذلك كذلك .

* * *

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ (٢٧)

١٩/٥ قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : والله يريد أن يراجع بكم طاعته والإنابة إليه ، ليعفوَ لكم عما سلف من آثامكم ، ويتجاوز لكم عما كان منكم فى جاهليتكم ، من استحلالكم ما هو حرامٌ عليكم من نكاح حلائل آبائكم وأبنائكم وغير ذلك مما كنتم تستحلونه وتأتونه ، مما كان غير جائز لكم إتيانه من معاصى الله = « ويريد الذين يتبعون الشهوات » ، يقول : ويريد الذين يطلبون لذّات الدنيا وشهوات أنفسهم فيها = « أن تميلوا » عن أمر الله تبارك وتعالى ، فتجوروا عنه بإتيانكم ما حرّم عليكم وركوبكم معاصيه = « ميلا عظيماً » ، جوراً وعدولاً عنه شديداً .

* * *

(١) ومثالها عند الفراء ١ : ٢٦٣ ما نصه «ومع المستقبل ، فتقول : أظن أن سيقوم زيد = ومع الأسماء فتقول : أظن أنك قائم »
وهذا الذى مضى هو مختصر مقالة الفراء فى معانى القرآن ١ : ٢٦١ – ٢٦٣ .

واختلف أهل التأويل فى الذين وصفهم الله بأنهم «يتبعون الشهوات» .

فقال بعضهم : هم الزناة .

* ذكر من قال ذلك :

٩١٢٩ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « ويريد الذين يتبعون الشهوات » ، قال : الزّنا = « أن تميلوا ميلاً عظيماً » ، قال : يريدون أن تزنوا .

٩١٣٠ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً » ، أن تكونوا مثلهم ، تزنون كما يزنون .

٩١٣١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « ويريد الذين يتبعون الشهوات » ، قال : الزنا = « أن تميلوا ميلا عظيماً » ، قال : يزنى أهلُ الإسلام كما يزنون . قال : هى كهيئة : ﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ [سورة القلم : ٩] .

٩١٣٢ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يحيى بن أبى زائدة ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ويريد الذين يتبعون الشهوات » ، قال : الزنا = « أن تميلوا » ، قال : أن تزنوا .

* * *

وقال آخرون ، بل هم اليهودُ والنصارَى .

* ذكر من قال ذلك :

٩١٣٣ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ويريد الذين يتبعون الشهوات » ، قال : هم اليهود والنصارى = « أن تميلوا ميلاً عظيماً » .

* * *

وقال آخرون : بل هم اليهودُ خاصة ، وكانت إرادتهم من المسلمين اتّباعَ شهواتهم فى نكاح الأخوات من الأب . وذلك أنهم يحلون نكاحَهن ، فقال الله تباك وتعالى للمؤمنين : ويريدُ الذين يحلّلون نكاح الأخوات من الأب ، أن تميلوا عن الحق فتستحلّوهن كما استحلوا .

* * *

وقال آخرون . معنى ذلك : كل متبع شهوةً فى دينه لغير الذين أبيح له .

* ذكر من قال ذلك :

٩١٣٤ — حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب قال ، سمعت ابن زيد يقول فى قوله : « ويريد الذين يتبعون الشهوات » الآية ، قال : يريد أهل الباطل وأهل الشهوات فى دينهم ، أن تميلوا فى دينكم ميلاً عظيماً ، تتبعون أمرَ دينهم ، وتتركون أمرَ الله وأمرَ دينكم .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، قولُ من قال : معنى ذلك : ويريد الذين يتبعون شهوات أنفسهم من أهل الباطل وطلاّب الزنا ونكاح الأخوات من الآباء ، وغير ذلك مما حرمه الله = « أن تميلوا » عن الحق ، [1] وعما أذن الله لكم فيه ، فتجورُوا عن طاعته إلى معصيته ، وتكونوا أمثالهم فى اتباع شهوات أنفسكم فيما حرم الله ، وترك طاعته = « ميلاً عظيماً » .

وإنما قلنا ، ذلك أولى بالصواب ، لأن الله عز وجل عمّ بقوله : « ويريد الذين يتبعون الشهوات » ، فوصفهم باتباع شهوات أنفسهم المذمومة ، وعمهم بوصفهم بذلك ، من غير وصفهم باتّباع بعض الشهوات المذمومة . فإذ كان ذلك كذلك ، فأولى المعانى بالآية ما دلّ عليه ظاهرها ، دون باطنها الذى لا شاهد عليه من أصل

---

(١) كان فى المخطوطة والمطبوعة : « أن تميلوا ميلا عظيما عن الحق . . . » ، ولكنى استظهرت من ذكره فى آخر الفقرة : « ميلا عظيما » ، أن قوله هنا « ميلا عظيما » سبق قلم من الناسخ ، جرت تتمة الآية على لسانه فأثبتها ، ولو صح ذلك ، لكانت هذه الأخيرة فى آخر الفقرة لا مكان لها .

أو قياس . وإذ كان ذلك كذلك كان داخلاً فى « الذين يتبعون الشهوات » اليهود ، والنصارى ، والزناة ، وكل متبع باطلاً . لأن كل متَّبع ما نهاه الله عنه ، فمتبع شهوة نفسه . فإذ كان ذلك بتأويل الآية أولى ، وجبتْ صحة ما اخترنا من القول فى تأويل ذلك .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ (٢٨)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « يريد الله أن يخفف عنكم » ، يريد الله أن يُيسر عليكم ،[1] بإذنه لكم فى نكاح الفتيات المؤمنات إذا لم تستطيعوا طولاً لحرة = « وخلق الإنسان ضعيفاً » ، يقول : يسَّر ذلك عليكم إذا كنتم غيرَ مستطيعى الطوْل للحرائر ، لأنكم خُلِقتم ضعفاء عجزةً عن ترك جماع النساء ، قليلى الصبر عنه ، فأذن لكم فى نكاح فتياتكم المؤمنات عند خوفكم العَنَت على أنفسكم ، ولم تجدُوا طولاً لحرة ، لئلا تزنوا ، لقلّة صبركم على ترك جماع النساء . ٥/٢٠

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك .

٩١٣٥ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « يريد الله أن يخفف عنكم » فى نكاح الأمة ، وفى كل شىء فيه يُسر .

٩١٣٦ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال ، حدثنا

---

(١) انظر تفسير « التخفيف » فيما سلف ٦ : ٥٧٧ .

سفيان ، عن ابن طاوس ، عن أبيه : « وخلق الإنسان ضعيفاً » ، قال : فى أمر الجماع .

٩١٣٧ ــ حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن طاوس ، عن أبيه : « وخلق الإنسان ضعيفاً » ، قال : فى أمر النساء .

٩١٣٨ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه : « وخلق الإنسان ضعيفاً » ، قال : فى أمور النساء . ليس يكون الإنسان فى شيء أضعفَ منه فى النساء .

٩١٣٩ ــ حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « يريد الله أن يخفف عنكم » ، قال : رخّص لكم فى نكاح هؤلاء الإماء ، حين اضطُرّوا إليهن = « وخلق الإنسان ضعيفاً » ، قال : لو لم يرخّص له فيها ، لم يكن إلاّ الأمرُ الأول ، إذا لم يجد حرّة .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : [1] « يا أيها الذين آمنوا » ، صدّقوا الله ورسوله = « لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » ، يقول : لا يأكل بعضكم أموالَ بعض بما حرّمَ عليه ، من الربا والقمار وغير ذلك من الأمور التى نهاكم الله عنها [2] = « إلاّ أن تكون تجارةٌ » ، كما :ــ

٩١٤٠ ــ حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « يعنى بذلك جل ثناؤه » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

(٢) انظر تفسير « أكل الأموال بالباطل » فيما سلف ٣ : ٥٤٨ ، ٥٤٩ / ٧ : ٥٢٨ ، ٥٧٨

أسباط ، عن السدى : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلاّ أن تكون تجارة عن تراض منكم » ، أما « أكلهم أموالهم بينهم بالباطل » ، فبالرّبا والقمار والبخس والظلم[1] = « إلا أن تكون تجارة » ، ليربح فى الدرهم ألفاً إن استطاع .

٩١٤١ – حدثنى محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن الفضل أبو النعمان قال ، حدثنا خالد الطحان ، قال ، أخبرنا داود بن أبى هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قوله تعالى : « لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » ، قال : الرجل يشترى السلعة فيردّها ويردّ معها درهماً .[2]

٩١٤٢ – حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس = فى الرجل يشترى من الرجل الثوبَ فيقول : « إن رضيته أخذته وإلاّ رددته ورددت معه درهماً » ، قال : هو الذى قال الله : « لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » .

* * *

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية بالنهى عن أن يأكل بعضهم طعامَ بعض إلاّ بشراء . فأما قِرًى ، فإنه كان محظورًا بهذه الآية ، حتى نسخ ذلك بقوله فى « سورة النور » : ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ ﴾ الآية [سورة النور : ٦١] .

---

(١) فى المطبوعة : « نهى عن أكلهم أموالهم بينهم بالباطل وبالربا . . . » ، ولا أدرى لم غير ما فى المخطوطة !! وهو مطابق لما فى الدر المنثور ٢ : ١٤٣ .

(٢) الأثر : ٩١٤١ – « محمد بن الفضل أبو النعمان » ، هو « عارم » ، سلفت ترجمته برقم : ٣٣٨٧ .

وكان فى المخطوطة : « محمد بن المفضل » . وأما المطبوعة ، فقد أساء الناشر غاية الإساءة ، وخالف الأمانة ، فكتب « أحمد بن المفضل » ، وحذف « أبو النعمان » ، وهذا أسوأ ما يكون من ترك الأمانة .

وأما « خالد الطحان » ، فهو : « خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن الواسطى » سلفت ترجمته برقم : ٤٤٣٣ ، ٥٤٣٤ .

* ذكر من قال ذلك :

٩١٤٣ - حدثني محمد بن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح ، عن الحسن ابن واقد ، عن يزيد النحوى، عن عكرمة والحسن البصرى قالا فى قوله : « لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلاّ أن تكون تجارةً عن تراض منكم » الآية ، فكان الرجل يتحرّج أن يأكل عند أحد من الناس بعد ما نزلت هذه الآية ، فنسخ ذلك بالآية التى فى « سورة النور » ، فقال : ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً ﴾ .[1] فكان الرجل الغنىّ يدعو الرجلَ من أهله إلى الطعام، فيقول: « إنى لأتَجَنَّح » ! = و «التجنح » التحرّج [2] = ويقول : «المساكين أحق به منى» ![3] فأحل من ذلك أن يأكلوا مما ذكر اسم الله عليه ، وأحلّ طعامَ أهل الكتاب .[4]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذين القولين بالصواب فى ذلك، قولُ السّدى . وذلك أن الله تعالى ذكره حرّم أكل أموالنا بيننا بالباطل ، ولا خلاف بين المسلمين أنّ أكل ذلك حرامٌ علينا ، فإنّ الله لم يحلّ قط أكلَ الأموال بالباطل .

وإذْ كان ذلك كذلك ، فلا معنى لقول من قال : « كان ذلك نهياً عن

---

(١) من أعجب العجب ، أن تكون آية سورة النور قد ذكرت قبل أسطر على الصحة ، ثم تتفق المخطوطة والمطبوعة على أن تسوق الآية على الخطأ ، فيكتب : « ليس عليكم جناح أن تأكلوا من بيوتكم . . . » ، وهذا من السهو الشديد ، أعاذنا الله وإياك من مثله ، والله وحده المستعان .

(٢) « التجنح » : التحرج ، هذا معنى جيد عريق فى العربية ، لم تثبته كتب اللغة ، فأثبته هناك .

(٣) فى المطبوعة : « أحق منى به » ، على التأخير ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٤) كأن هذا الأثر فيه بعض النقص ، وقد اختصره السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ١٤٣ ، ١٤٤ ، اختصاراً شديداً .

أكل الرجل طعامَ أخيه قِرًى [على وجه ما أذن له] ، ثم نُسخ ذلك ،[١] لنقل علماء الأمّة جميعاً وجُهّالها : أن قرَى الضيف وإطعام الطعام كان من حميد أفعال أهل الشرك والإسلام التى حَمِدَ الله أهلها عليها وَندبهم إليها ، وأن الله لم يحرّم ذلك فى عصر من العصور ، بل نَدَب الله عباده وحثّهم عليه .

٥/٢١ وإذ كان ذلك كذلك ، فهو من معنى الأكل بالباطل خارج ، ومن أن يكون ناسخاً أو منسوخاً بمعزل . لأن النسخَ إنما يكون لمنسوخ ، ولم يثبت النهى عنه ، فيجوز أن يكون منسوخاً بالإباحة .

وإذ كان ذلك كذلك ، صحّ القول الذى قلناه : من أنّ الباطل الذى نهى الله عن أكل الأموال به ، هو ما وصفنا مما حرمه على عباده فى تنزيله أوْ على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم — وشذّ ما خالفه .[٢]

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « إلاّ أن تكون تجارة عن تراض منكم » .

فقرأها بعضهم : ﴿ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةٌ ﴾ رفعاً ، بمعنى : إلا أن توجد تجارة ، أو : تقع تجارة ، عن تراض منكم ، فيحل لكم أكلها حينئذ بذلك المعنى .

ومذهب من قرأ ذلك على هذا الوجه : « إلاّ أن تكون » تامةً ههنا ،[٣] لا حاجة بها إلى خبر ، على ما وصفت . وبهذه القراءة قرأ أكثر أهل الحجاز وأهل البصرة .

* * *

وقرأ ذلك آخرون ، وهم عامة قرأة الكوفيين : ﴿ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً ﴾ ، نصباً ، بمعنى : إلا أن تكونَ الأموال التى تأكلونها بينكم ، تجارةً عن تراض

---

(١) هذه العبارة التى بين القوسين ، محرفة لا شك فى تحريفها ، ولم أجد لها وجهاً أرتضيه ، فوضعتها بين القوسين ، ولو أسقطها مسقط من الكلام لاستقام على صحة .

(٢) قوله : « وشذ ما خالفه » معطوف على قوله : « صح القول الذى قلناه » .

(٣) فى المطبوعة : « . . . على هذا الوجه أن تكون تامة . . . » ، ورددتها إلى ما كان فى المخطوطة ، فهى صحيحة فى سياقه .

منكم ، فيحل لكم هنالك أكلها . فتكون « الأموال » مضمرة فى قوله : « إلاّ أن تكون » ، و « التجارة » منصوبة على الخبر.[١]

* * *

قال أبو جعفر : وكلتا القراءتين عندنا صوابٌ جائزةٌ القراءةُ بهما ، لاستفاضتهما فى قرأة الأمصار ، مع تقارب معانيهما . غير أن الأمر وإن كان كذلك ، فإن قراءة ذلك بالنصب ، أعجبُ إلىّ من قراءته بالرفع ، لقوة النصب من وجهين :

أحدهما : أن فى « تكون » ذكر من الأموال . والآخر : أنه لو لم يجعل فيها ذكر منها ، ثم أفردت بـ « التجارة » ، وهى نكرة ، كان فصيحاً فى كلام العرب النصبُ، إذ كانت مبنيةً على اسم وخبر . فإذا لم يظهر معها إلاّ نكرة واحدة ، نصبوا ورفعوا ، كما قال الشاعر :

* إِذَا كَانَ طَعْنًا بَيْنَهُمْ وَعِنَاقَا *[٢]

* * *

قال أبو جعفر : فى هذه الآية إبانةٌ من الله تعالى ذكره عن تكذيب قول الجهلة من المتصوِّفة المنكرين طلبَ الأقوات بالتجارات والصناعات ، والله تعالى يقول : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلاّ أن تكون تجارة عن تراض منكم » ، اكتساباً منا ذلك بها ،[٣] كما : —

٩١٤٤ — حدثنا بشر بن معاذ قال ،حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ،عن

---

(١) انظر تفصيل القول فى هاتين القراءتين ، فى نظيرة هذه الآية من سورة البقرة : ٢٨٢ فى ٦ : ٨٠ — ٨٢ ، وإن اختلف وجه التأويل فى الآيتين ، كما يظهر من مراجعة ذلك فى آية سورة البقرة .

(٢) سلف البيت بتمامه فى ٦ : ٨٠ ، ولم أشر إلى مكانه هنا فى الموضع السالف ، لأنى لم أقف عليه أثناء تخريج شعر التفسير ، لإدماجه فى صلب الكلام .

(٣) فى المطبوعة : « اكتساباً أحل ذلك لها » ، غير ما فى المخطوطة ، إذ لم يحسن قراءته . وهو كما أثبته ، إلا أن الناسخ أخطأ فكتب « لها » ، والصواب : « بها » ، أى : بالتجارات والصناعات .

قتادة قوله: «يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلاّ أن تكون تجارة عن تراض منكم» ، قال : التجارةُ رزقٌ من رزق الله ، وحلالٌ من حلال الله، لمن طلبها بصدقها وبرِّها . وقد كنا نحدَّث : أن التاجرَ الأمين الصدوقَ مع السبعة فى ظلّ العرش يوم القيامة .(١)

* * *

وأما قوله : « عن تراض » ، فإنّ معناه كما : —

٩١٤٥ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله تبارك وتعالى : « عن تراض منكم » ، فى تجارة بيع ، أوعطاءٍ يعطيه أحدٌ أحداً .

٩١٤٦ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « عن تراض منكم » فى تجارة ، أو بيع ، أو عطاء يعطيه أحدٌ أحداً .

٩١٤٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن القاسم ، عن سليمان الجعفى ، عن أبيه ، عن ميمون بن مهران قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: البيعُ عن تراضٍ ، والخيارُ بعد الصفقة، ولا يحلّ لمسلم أن يغشّ مسلماً .(٢)

---

(١) يعنى الحديث الصحيح :

« سَبْعَةٌ يظلُّهُم الله فى ظِلّه يومَ لا ظِلّ إلاّ ظِلُّهُ : إمَام عادلٌ ، وشابٌّ نَشَأَ فى عبادة الله ، ورجُلٌ قلبه مُعَلَّقٌ بالمسجِد إذَا خَرَجَ مِنْه حَتَّى يَعُودَ إليه ، ورجلان تَحابَّا فى الله فاجتمعَا على ذلك وافترقَا ، ورجُلٌ ذكر الله خالياً ففاضتْ عيناهُ ، ورجُلٌ دَعَتْهُ امرأة ذات مَنْصِبٍ وجَمالٍ فقال : إنّى أخاف الله رَبَّ العالَمِين ، ورجُلٌ تصدَّق بصدقةٍ ، فأخفَاها حتى لا تَعْلَمَ شِماله ما تنفِقُ يمينُه » . رواه الترمذى من حديث أبى هريرة وصححه : ٣٤٥

(٢) الأثر : ٩١٤٧ — هذا حديث مرسل ، خرجه ابن كثير فى تفسيره ٢ : ٤١٣ والسيوطى فى الدر المنثور ٢ : ١٤٤ ، ولم ينسبه لغير ابن جرير .

٩١٤٨ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج. قال: قلت لعطاء: المماسحة، بيعٌ هي؟[١] قال: لا، حتى يخيِّره، التخييرُ بعد ما يجبُ البيعُ، إن شاء أخذ، وإن شاء ترك.

* * *

واختلف أهل العلم في معنى «التراضي» في التجارة.

فقال بعضهم: هو أن يُخير كل واحد من المتبايعين بعد عقدهما البيعَ بينهما فيما تبايعا فيه، من إمضاء البيع أو نقضه، أو يتفرّقا عن مجلسهما الذي تواجبا فيه البيعَ بأبدانهما، عن تراض منهما بالعقد الذي تعاقداه بينهما قبل التفاسخ.

* ذكر من قال ذلك:

٩١٤٩ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا معاذ بن هشام قال، حدثني أبي، عن قتادة، عن محمد بن سيرين، عن شريح قال: اختصم رجلان باع أحدهما من الآخر بُرْنُساً، فقال: إني بعتُ من هذا برنساً، فاسترضيته فلم يُرْضني!! فقال: أرضه كما أرضاك. قال: إني قد أعطيته دراهم ولم يرضَ! قال: أرضه كما أرضاك. قال: قد أرضيته فلم يرض! فقال: البيِّعان بالخيار ما لم يتفرّقا.[٢]

٩١٥٠ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا مؤمل قال، حدثنا سفيان، عن عبد الله بن أبي السفر، عن الشعبي، عن شريح قال: البيِّعان بالخيار ما لم يتفرّقا.[٣]

٩١٥١ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن الحكم، عن شريح مثله.

---

(١) «تماسح الرجلان»: إذا تبايعا فتصافقا، ومسح أحدهما على يد صاحبه، وذلك من صور بيعهم في الجاهلية.

(٢) «البيع» (بفتح الباء وتشديد الياء المكسورة)، البائع أو المشتري، والبيعان: المتبايعان.

(٣) الأثر: ٩١٥٠ – «عبد الله بن أبي السفر الهمداني الثوري»، واسم «أبي السفر»: سعيد ابن يحمد. وروى عبد الله عن أبيه، وعن الشعبي وغيرهما. ثقة، ليس بكثير الحديث. مترجم في التهذيب.

٩١٥٢ – حدثنا ابن المثنى قال حدثنا محمد قال، حدثنا شعبة، عن جابر قال، حدثني أبو الضحى، عن شريح أنه قال : البيِّعان بالخيار مالم يتفرقا = قال قال أبو الضحى : كان شريح يحدِّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه .(١)

٩١٥٣ – وحدثني الحسين بن يزيد الطحان قال، حدثنا إسحق بن منصور، عن عبد السلام، عن رجل، عن أبي حوشب، عن ميمون قال : اشتريت من ابن سيرين سابريًّا، فسَام عليَّ سَوْمَه، فقلت : أحسن! فقال : إما أن تأخذ وإما أن تدع . فأخذت منه، فلما وزنتُ الثمن وَضَع الدراهم فقال : اختر، إما الدراهم، وإما المتاع . فاخترت المتاع فأخذته .(٢)

٩١٥٤ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا هشيم، عن إسمعيل بن سالم، عن الشعبي أنه كان يقولُ في البيعين : إنهما بالخيار ما لم يتفرقا، فإذا تصادرًا فقد وجب البيع .(٣)

٩١٥٥ – حدثنا محمد بن إسمعيل الأحمسي قال، حدثنا محمد بن عبيد قال، حدثنا سفيان بن دينار، عن ظبية قال : كنت في السوق وعلي رضي الله عنه في السوق، فجاءت جارية إلى بَيِّع فاكهة بدرهم، فقالت : أعطني هذا . فأعطاها إياه، فقالت : لا أريده، أعطني درهمي ! فأبى، فأخذه منه عليّ فأعطاها إياه .(٤)

---

(١) حديث : « البيعان بالخيار . . . » ، حديث صحيح رواه البخاري ومسلم وغيرهما ، وانظر السنن الكبرى للبيهقي ٥ : ٢٦٨ – ٢٧٢ .

(٢) الأثر : ٩١٥٣ – « الحسين بن يزيد الطحان » ، وقد مضى قبل بنسبته « السبيعي » ، انظر ما سلف رقم : ٢٨٩٢ ، ٧٨٦٣ . وكان في المطبوعة والمخطوطة هنا « الحسن بن يزيد » وهو خطأ .

وأما « أبو حوشب » ، فلم أجد في الرواة من هذا كنيته ، وفي الإسناد تصحيف لا شك فيه .

(٣) « تصادرا » انصرف هذا ، وانصرف الآخر ، يقال : « صدر الرجل فهو صادر » ، رجع أو انصرف .

(٤) الأثر : ٩١٥٥ – « محمد بن إسماعيل الأحمسي » مضت ترجمته برقم : ٤٠٥ ، ٧١٨. « محمد بن عبيد الطنافسي » مضت ترجمته برقم : ٤٠٥ .

و « ظبية » ، هكذا اجتهدت قراءتها من المخطوطة ، ولم أعرف من تكون ؟ وكان في المطبوعة : « طيسلة » أخطأ قراءة المخطوطة خطأ عظيما . ولم أجد هذا الأثر في مكان آخر .

٩١٥٦ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن مغيرة، عن الشعبي : أنه أُتِيَ في رجل اشترى من رجل برذَوْناً ووَجبَ له، ثم إنّ المبتاع رَدّه قبل أن يتفرّقا، فقضى أنه قد وَجبَ عليه، فشهدَ عنده أبو الضحى : أنّ شريحاً قضى في مثله أن يردّه على صاحبه. فرجع الشعبي إلى قضاء شُريح.

٩١٥٧ ــ حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال، حدثنا هشام، عن ابن سيرين، عن شريح : أنه كان يقول في البيعين إذا ادّعى المشترى، أنه قد أوجبَ له البيعَ، وقال البائع : لم أُوجب له = قال : شاهدان عدلان أنكما افترقتما عن تراض بعد بيع أو تخاير، وإلاّ فيمين البائع : أنكما [ما] افترقتما عن بيع ولا تخاير.(١)

٩١٥٨ ــ حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية، عن أيوب، عن محمد. قال : كان شريح يقول : شاهدان ذوا عدل أنكما افترقتما عن تراض بعد بيع وتخاير، وإلاّ فيمينه بالله : ما تفرّقتما عن تراض بعد بيع أو تخاير.

٩١٥٩ ــ حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا بشر بن المفضل قال، حدثنا ابن عون، عن محمد بن سيرين، عن شريح أنه كان يقول : شاهدان ذوا عدل أنهما تفرّقا عن تراض بعد بيع أو تخاير.

* * *

وعلة من قال هذه المقالة، ما : ــ

٩١٦٠ ــ حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا يحيى بن سعيد، عن عبيد الله قال، أخبرني نافع، عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كل بَيِّعين فلا بيع بينهما حتى يتفرّقا، إلاّ أن يكونَ خياراً.(٢)

---

(١) الزيادة ما بين القوسين لابد منها للسياق، وانظر الأثر الذى يليه.

(٢) الحديث : ٩١٦٠ ــ يحيى بن سعيد : هو القطان.

عبيد الله : هو ابن عمر بن حفص بن عاصم العمرى. ووقع في المطبوعة (والمخطوطة) « عبد الله » بالتكبير. وهو أخو « عبيد الله ». وهو محتمل أن يكون كذلك. ولكنى أرى أن الصواب « عبيد الله »

٩١٦١ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا مروان بن معاوية قال، حدثني يحيى بن أيوب قال، كان أبو زرعة إذا بايع رجلاً يقول له : خيِّرني ! ثم يقول : قال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا يفترق اثنان إلاّ عن رضى». (١)

٩١٦٢ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية قال، حدثنا أيوب، عن أبي قلابة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أهل البقيع ! فسمعوا صوتَه، ثم قال : يا أهل البقيع ! فاشْرأبُّوا ينظرون، حتى عرفوا أنه صوته، ثم قال : يا أهل البقيع ! لا يتفرقنّ بيِّعان إلاّ عن رضى. (٢)

بالتصغير، أولا : لأن الحديث معروف من روايته. وثانياً : لأن الحافظ المزى لم يذكر فى تهذيب الكمال رواية ليحيى القطان عن «عبد الله»، لا فى ترجمة يحيى، ولا فى ترجمة «عبد الله». وهو من عادته أن يتتبع ذلك ويستقصيه استقصاء تاماً.

والحديث رواه أحمد فى المسند : ٥١٥٨، عن يحيى – وهو القطان، عن عبيد الله، به، نحوه.

ورواه أحمد أيضاً : ٦١٩٣، عن الفضل بن دكين، عن الثورى، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر.

ورواه البخارى ٤ : ٢٨٠ (فتح)، من رواية عبد الله بن دينار، عن ابن عمر. وكذلك رواه مسلم ١ : ٤٤٧، من هذا الوجه.

ورواه أحمد أيضاً : ٤٥٦٦، بنحوه، عن ابن عيينة، عن عبد الله بن دينار.

وسيأتى أيضاً : ٩١٦٤، من رواية أيوب، عن نافع، بمعناه.

وقد خرجناه فى مواضع كثيرة فى المسند. وهو حديث معروف مشهور.

(١) الحديث : ٩١٦١ – يحيى بن أيوب بن أبى زرعة بن عمرو بن جرير البجلى : ثقة. قال ابن معين : «ليس به بأس». ونقل بعضهم عن ابن معين تضعيفه، وترجمه البخارى فى الكبير ٤/٢/٢٦٠، فلم يذكر فيه جرحاً، وترجمه ابن أبى حاتم ٤/٢/١٣٧.

وهو يروى هنا عن جده «أبى زرعة بن عمرو بن جرير» – وهو تابعى ثقة.

والحديث رواه أبو داود : ٣٤٨٥، عن محمد بن حاتم الجرجرائى، عن مروان، وهو ابن معاوية الفزارى – بهذا الإسناد.

ورواه البيهقى فى السنن الكبرى ٥ : ٢٧١، من طريق أبى داود. وذكره السيوطى ١ : ١٤٤ ولم ينسبه لغير الطبرى.

(٢) الحديث : ٩١٦٢ – هذا إسناد مرسل، لأن أبا قلابة تابعى. فلا أدرى أهو هكذا فى الطبرى، أم كان موصولا فسقط اسم الصحابى من الناسخين ؟

فقد رواه البيهقى فى السنن الكبرى ٥ : ٢٧١، من طريق الحسن بن مكرم، عن على بن عاصم، عن خالد الحذاء، عن أبى قلابة، عن أنس، بنحوه. وهذا إسناد جيد.

ولكن السيوطى ذكر رواية الطبرى هذه ١ : ١٤٤، عن أبى قلابة، مرسلا.

٩١٦٣ – حدثني أحمد بن محمد الطوسي قال، حدثنا أبو داود الطيالسي قال ، حدثنا سليمان بن معاذ قال ، حدثنا سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن النبي صلى الله عليه وسلم بايع رجلاً ثم قال له : اختر . فقال : قد اخترت . فقال : هكذا البيع .(١)

* * *

قالوا : فالتجارة عن تراض ، هو ما كان على ما بيّنه النبي صلى الله عليه وسلم من تخيير كل واحد من المشترى والبائع فى إمضاء البيع فيما يتبايعانه بينهما = أو نقضه بعد عقد البيع بينهما وقبل الافتراق = أو ما تفرقا عنه بأبدانهما عن تراض منهما بعد مُواجبة البيع فيه عن مجلسهما . فما كان بخلاف ذلك ، فليس من التجارة التى كانت بينهما عن تراض منهما .

* * *

وقال آخرون : بل التراضى فى التجارة ، تواجُب عقد البيع فيما تبايعه المتبايعان بينهما عن رضى من كل واحد منهما : ما مُلِّك عليه صاحبه ومَلَّك صاحبه عليه، افترقا عن مجلسهما ذلك أو لم يفترقا، تخايرا فى المجلس أو لم يتخايرا فيه بعد عقده .

* * *

وعلة من قال هذه المقالة : أنّ البيع إنما هو بالقول ، كما أن النكاح بالقول . ولا خلاف بين أهل العلم فى الإجبار فى النكاح لأحد المتناكحين على صاحبه ، افترقا أو لم يفترقا عن مجلسهما الذى جرى ذلك فيه . قالوا : فكذلك حكم البيع . وتأولوا قولَ النبي صلى الله عليه وسلم: « البَيِّعان بالخيار ما لم يتفرقا » ، على أنه ما لم

---

(١) الحديث : ٩١٦٣ – سليمان بن معاذ : هو سليمان بن قرم – بفتح القاف وسكون الراء – بن معاذ ، وهو ثقة ، فيما رجحنا فى شرح المسند : ٥٧٥٣ .
والحديث هو من رواية الطيالسى . وهو فى مسنده : ٢٦٧٥ .
وكذلك رواه البيهقى فى السنن الكبرى ٥ : ٢٧٠ ، من طريق الطيالسى .
وفى المستدرك للحاكم ٢ : ١٤ ، حديث لابن عمر وابن عباس – معاً – مرفوعاً ، فى معنى الخيار بين البيعين . وهو شاهد قوى لمعنى هذا الحديث .

٥/٢٣ يتفرّقا بالقول . وممن قال هذه المقالة مالك بن أنس ، وأبو حنيفة ، وأبو يوسف ، ومحمد .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين بالصواب فى ذلك عندنا ، قولُ من قال : إن التجارة التى هى عن تراض بين المتبايعين ، ما تفرّق المتبايعان عن المجلس الذى تواجبَا فيه بينهما عُقدة البيع بأبدانهما ، عن تراض منهما بالعقد الذى جرى بينهما ، وعن تخيير كل واحد منهما صاحبه = لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بما : —

٩١٦٤ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا أيوب = وحدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا أيوب = عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا أو يكون بيعَ خيار » = وربما قال : أو يقول أحدهما للآخر اختر . (١)

* * *

= فإذ كان ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيحاً ، فليس يخلو قول أحد المتبايعين لصاحبه : « اختر » ، من أن يكون قبل عقد البيع ، أو معه ، أو بعده .

---

(١) الحديث : ٩١٦٤ — هذا إسناد من أصح الأسانيد : « أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر » .

وقد رواه الطبرى هنا بإسنادين إلى أيوب : من طريق ابن علية ، ومن طريق عبد الوهاب ، وهو ابن عبد المجيد الثقفى .

وقد رواه مالك فى الموطأ ، ص : ٦٧١ ، بنحوه — عن نافع عن ابن عمر : سلسلة الذهب .

ورواه أحمد فى المسند : ٤٤٨٤ ، عن إسماعيل — وهو ابن علية — عن أيوب ، به .

ورواه البخارى ٤ : ٢٧٤ (فتح) ، من طريق حماد بن زيد ، عن أيوب .

ورواه مسلم ١ : ٤٤٧ ، من رواية مالك ، ومن رواية عبيد الله ، ومن رواية أيوب — وغيرهم — عن نافع .

ورواه البيهقى ٥ : ٢٦٨ — ٢٦٩ ، بأسانيد فيها كثرة .

= فإن يكن قبله ، فذلك الخَلْف من الكلام الذى لا معنى له ،[١] لأنه لم يملك قبل عقد البيع أحدُ المتبايعين على صاحبه ما لم يكن له مالكاً ، فيكون لتخييره صاحبه فيما مَلك عليه وجه مفهوم[٢] = ولا فيهما من يجهلُ أنه بالخيار فى تمليك صاحبه ما هو لهُ غير مالك بعوَض يعتاضُه منه ، فيقال له : « أنت بالخيار فيما تريدُ أن تحدثه من بيع أو شراء » .

= أو يكون — إذْ بطل هذا المعنى[٣] — تخيير كلّ واحد منهما صاحبه مع عقد البيع . ومعنى التخيير فى تلك الحال ، نظيرُ معنى التخيير قبلها . لأنها حالة لم يَزُل فيها عن أحدهما ما كان مالكه قبل ذلك إلى صاحبه ، فيكون للتخيير وجه مفهوم .

= أو يكون ذلك بعد عقد البيع ، إذْ فَسد هذان المعنيان .[٤]

وإذْ كان ذلك كذلك ، صحّ أن المعنى الآخر من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم — أعنى قوله : « مالم يتفرقا » — إنما هو التفرّق بعد عقد البيع ، كما كان التخيير بعده . وإذْ صحّ ذلك ، فسد قولُ من زعم أن معنى ذلك إنما هو التفرق بالقول الذى به يكون البيع . وإذ فسد ذلك ، صحّ ما قلنا من أن التخيير والافتراق إنما هما معنيان بهما يكون تمام البيع بعد عقده ، وصحّ تأويل من قال : معنى قوله : « إلاّ أن تكون تجارة عن تراض منكم » : إلاّ أن يكون أكلكم الأموال التى يأكلها بعضكم لبعض ، عن مِلْك منكم عمن مَلكتموها عليه ، بتجارة تبايعتموها بينكم ، وافترقتم عنها عن تراض منكم بعد عقد البيع بينكم بأبدانكم ، أو تخيير بعضكم بعضاً .[٥]

---

(١) « الخلف » (بفتح الخاء وسكون اللام) : هو الكلام الردىء الخطأ ، يقال : « هذا خلف من القول » ، وفى المثل : « سكت ألفاً ، ونطق خلفاً » ، للذى يطيل الصمت ، فإذا تكلم تكلم بالخطأ .

(٢) فى المطبوعة : « فيما يملك عليه » ، والصواب من المخطوطة .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « إن بطل . . . » ، والأجود ما أثبت .

(٤) فى المطبوعة : « إذا فسد . . . » ، والصواب « إذ » كما فى المخطوطة .

(٥) فى المخطوطة والمطبوعة : « أو يخير بعضكم . . . » ، ورجحت ما أثبت .

القول فى تأويل قوله ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾ (٢٩)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « ولا تقتلوا أنفسكم » ، ولا يقتل بعضكم بعضاً ، وأنتم أهل ملة واحدة ، ودعوة واحدة ، ودين واحد . فجعل جل ثناؤه أهل الإسلام كلهم بعضَهم من بعض . وجعل القاتل منهم قتيلاً = فى قتله إياه منهم = بمنزلة قَتله نفسه ، إذ كان القاتلُ والمقتول أهلَ يد واحدة على من خالف مِلَّتَهُما . (١)

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٩١٦٥ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولا تقتلوا أنفسكم » ، يقول : أهل ملتكم .

٩١٦٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء بن أبى رباح : « ولا تقتلوا أنفسكم » ، قال : قتل بعضكم بعضاً .

* * *

وأما قوله جل ثناؤه : « إن الله كان بكم رحيماً » ، فإنه يعنى : إن الله تبارك وتعالى لم يزل « رحيماً » بخلقه ، (٢) ومن رحمته بكم كفُّ بعضكم عن قتل بعض ، أيها المؤمنون ، بتحريم دماء بعضكم على بعض إلاّ بحقها ، وحظْرِ أكل مال بعضكم على بعض بالباطل ، إلا عن تجارة يملك بها عليه برضاه وطيب نفسه . لولا ذلك هلكتمْ وأهلك بعضكم بعضاً قتلاً وسلباً وغصباً .

---

(١) انظر تفسير « أنفسكم » فى مثل هذا المعنى ٢ : ٦/٣٠١ : ٧/٥٠١ : ٤٥٤ ، ٤٥٥

(٢) انظر تفسير « كان » فى مثل هذا فيما سلف ٧ : ٨/٥٢٣ : ٥١ ، ٨٨ ، ٩٨

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ (٣٠)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « ومن يفعل ذلك عدواناً » .

فقال بعضهم : معنى ذلك : ومن يقتل نفسه ، بمعنى : ومن يقتل أخاه المؤمن = « عدواناً وظلماً فسوف نُصليه ناراً » .

* ذكر من قال ذلك :

٩١٦٧ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : قلت لعطاء : أرأيتَ قوله : « ومن يفعل ذلك عُدْواناً وظلماً فسوف نُصليه ناراً » ، فى كل ذلك ، أو فى قوله : « ولا تقتلوا أنفسكم » ؟ قال : بل فى قوله : « ولا تقتلوا أنفسكم » .

* * *

٥/٢٤ وقال آخرون : بل معنى ذلك : ومن يفعل ما حرَّمته عليه من أول هذه السورة إلى قوله : « ومن يفعل ذلك » = من نكاح من حَرّمت نكاحه ، وتعدِّى حدوده ، وأكل أموال الأيتام ظلماً ، وقتل النفس المحرّم قتلها ظلماً بغير حق .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ومن يأكل مالَ أخيه المسلم ظلماً بغير طيب نفس منه ، وَقتل أخاه المؤمن ظلماً ، فسوف نصليه ناراً .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : معناه : ومن يفعل ما حرّم الله عليه ، من قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ﴾ إلى قوله : « ومن يفعل ذلك » ، من نكاح المحرمات ، وعضل المحرَّم

عضلُها من النساء ، وأكل المال بالباطل، وقتل المحرّم قتله من المؤمنين= لأنّ كلّ ذلك مما وعد الله عليه أهلَه العقوبة .

* * *

فإن قال قائل : فما منعك أن تجعل قوله « ذلك »، معنيًّا به جميع ما أوعدَ الله عليه العقوبة من أول السورة ؟

قيل : منعنى ذلك[1] : أن كلّ فصْل من ذلك قد قُرِن بالوعيد إلى قوله : ﴿ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ ،[2] ولا ذكر للعقوبة من بعد ذلك على ما حرّم الله فى الآى التى بعده إلى قوله : « فسوف نصليه ناراً » . فكان قوله : « ومن يفعل ذلك »، معنيًّا به ما قلنا ، مما لم يُقرَن بالوعيد ، مع إجماع الجميع على أنّ الله تعالى قد توعد على كل ذلك =[3] أولى من أن يكون معنيًّا به ما سلف فيه الوعيد بالنهى مقروناً قبل ذلك .[4]

* * *

وأما قوله : « عدْواناً » ، فإنه يعنى به تجاوزاً لما أباح الله له ، إلى ما حرمه عليه = « وظُلماً » ، يعنى : فعلاً منه ذلك بغير ما أذن الله به، وركوباً منه ما قد نهاه الله عنه[5] = وقوله : « فسوف نُصليه ناراً » ، يقول : فسوف نُورده ناراً يصلَى بها فيحترق فيها[6] = « وكان ذلك على الله يسيراً » ، يعنى : وكان إصلاءُ فاعل ذلك النارَ وإحراقه بها ، على الله سَهْلاً يسيراً ، لأنه لا يقدر على الامتناع على ربه مما أراد به من سوء . وإنما يصعب الوفاءُ بالوعيد لمن توعده، على من كان

---

(١) فى المطبوعة : « منع ذلك » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) آخر الآية الثامنة عشرة من سورة النساء .

(٣) قوله : « أولى » خبر « كان » فى قوله : « فكان قوله . . . »

(٤) هذه حجة واضحة ، وبرهان على حسن فهم أبي جعفر لمعانى القرآن ومقاصد . ونهج صحيح فى ربط آيات الكتاب المبين ، قل أن تظفر بمثله فى غير هذا التفسير .

(٥) انظر تفسير « العدوان » و « الظلم » فيما سلف من فهارس اللغة ، مادة « عدا » و « ظلم » .

(٦) انظر تفسير « الإصلاء » فيما سلف : ٢٧ – ٢٩

إذا حاول الوفاءَ به قدرَ المتوعَّد من الامتناع منه . فأما من كان فى قبضة مُوعِده، فيسيرٌ عليه إمضاءُ حكمه فيه ، والوفاءُ له بوعيده ، غيرُ عسير عليه أمرٌ أراده به . (١)

---

(١) عند هذا الموضع ، انتهى الجزء السادس من مخطوطتنا ، وفى آخرها ما نصه :

« نجز الجزء السادسُ من الكتاب ، بحمد الله تعالى وعونِه وحُسْنِ توفيقه . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

يتلوه فى الجزء السابع إن شاء الله تعالى :

القول فى تأويل قوله : ﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً ﴾

« وكان الفراغُ منه فى بعض شهور سنة خمس عشرة وسبعمئة ، أحسَنَ اللهُ تَقَضِّيها وخاتمتها ، فى خير وعافية بمنّه وكرمِهِ . غفر الله لِصاحبه ولكاتبه ولمؤلّفه ولجميع المسلمين . الحمد لله ربّ العالمين » .

ثم كتب كاتب تحته بخط مغربى ، ما نصه :

« طالعه الفقير إليه سبحانه ، محمد بن محمود بن محمد بن حسين الجزائرى الحنفى ، عفى عنهم بمنّه ، وأتمّه بتاريخ ثانى شهر ربيع الأول من سنة تسع وثلاثين واثنى عشر مئة . وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله »

وهذا الشيخ الجزائرى الذى كتب هذه الخاتمة ، هو الذى مضت له تعليقة على مكان من التفسير ، أثبتها فى مكانها فى الجزء الخامس : ٥١٤ ، تعليق : ٢ .

* * *

ثم بدأ الجزء السابع من مخطوطتنا ، وأوله :

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ
رَبِّ أَعِنْ ﴾

القول فى تأويل قوله ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ (٣١)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى معنى « الكبائر » التى وعد الله جل ثناؤه عبادَه باجتنابها تكفيرَ سائر سيآتهم عنهم .

فقال بعضهم : الكبائر التى قال الله تبارك وتعالى : « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم » ، هى ما تقدّم الله إلى عباده بالنهى عنه من أول « سورة النساء » إلى رأس الثلاثين منها .

* ذكر من قال ذلك :

٩١٦٨ – حدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله قال : الكبائر ، من أول « سورة النساء » إلى ثلاثين منها .

٩١٦٩ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن حماد ، عن إبراهيم ، عن عبد الله بمثله .

٩١٧٠ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا حجاج ، قال ، حدثنا حماد ، عن إبراهيم ، عن ابن مسعود مثله .

٩١٧١ – حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ، حدثنا وكيع قال ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم قال ، حدثنى علقمة ، عن عبد الله قال : الكبائر ، من أول « سورة النساء » إلى قوله : « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه » .

٩١٧٢ – حدثنا الرفاعى قال ، حدثنا أبو معاوية وأبو خالد ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : الكبائر ، من أول « سورة النساء »

إلى قوله : « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه » .

٩١٧٣ – حدثني أبو السائب قال ، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق قال : سئل عبد الله عن الكبائر ، قال : ما بين فاتحة « سورة النساء » إلى رأس الثلاثين .

٩١٧٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن حماد، عن إبراهيم ، عن ابن مسعود قال : الكبائر ، ما بين فاتحة « سورة النساء » إلى ثلاثين آية منها : « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه » .

٩١٧٥ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله أنه قال : الكبائر ، من أول « سورة النساء » إلى الثلاثين منها : « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه » .

٩١٧٦ – حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن ابن عون ، عن إبراهيم قال : كانوا يرون أن الكبائر فيما بين أول هذه السورة « سورة النساء » ، إلى هذا الموضع : « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه » .

٩١٧٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا آدم العسقلاني قال ، حدثنا شعبة ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن زرّ بن حبيش ، عن ابن مسعود قال : الكبائر ، من أول « سورة النساء » إلى ثلاثين آية منها . ثم تلا : « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مُدْخلاً كريماً » . ٥/٢٥

٩١٧٨ – حدثني المثنى قال ، حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا مسعر ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن زر بن حبيش قال ، قال عبد الله : الكبائر ما بين أول « سورة النساء » إلى رأس الثلاثين .(١)

* * *

(١) الآثار : ٩١٦٨ – ٩١٧٨ – هذه الآثار أثر واحد بأسانيد كثيرة ، أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ٤ ، وقال : « رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح » .

وقال آخرون : « الكبائر سبع » .

* ذكر من قال ذلك :

٩١٧٩ – حدثني تميم بن المنتصر قال، حدثنا يزيد قال ، أخبرنا محمد بن إسحق ، عن محمد بن سهل بن أبي حثمة ، عن أبيه قال : إني لفي هذا المسجد ، مسجد الكوفة ، وعلي يخطب الناسَ على المنبر ،[1] فقال : « يا أيها الناس ، إن الكبائر سبعٌ » ، فأصاخ الناس، فأعادها ثلاث مرّات ثم قال: ألا تسألوني عنها ؟ قالوا : يا أمير المؤمنين، ما هي ؟ قال : « الإشراك بالله ، وقتلُ النفس التي حرّم الله ، وقذفُ المحصَنة ، وأكلُ مال اليتيم ، وأكلُ الرّبا، والفرارُ يوم الزحف ، والتعرُّب بعد الهجرة » . فقلت لأبي : يا أبهْ ، ما التعرّب بعد الهجرة ؟[2] كيف لحق ههنا ؟ [3] فقال : يا بنيّ ، وما أعظم من أن يهاجر الرجل ، حتى إذا وقع سَهمه في الفيء ووَجب عليه الجهاد ، خلع ذلك من عنقه ، فرجع أعرابيًّا كما كان ! ![4]

٩١٨٠ – حدثني محمد بن عبيد المحاربي قال، حدثنا أبو الأحوص سلاّم ابن سليم ، عن ابن إسحق ، عن عبيد بن عمير قال : الكبائر سبع ، ليس منهن

---

(١) في المطبوعة وابن كثير : « على رضى الله عنه » وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) في المطبوعة وابن كثير : « يا أبت » ، وهما سواء . و « التعرب » : الرجوع إلى سكنى البادية كالأعراب ، يقال : « تعرب بعد هجرته » ، أي : صار أعرابياً .

(٣) في المخطوطة : « كيف نحن ههنا » ، وهي مضطربة الكتابة ، فتركت ما في المطبوعة على حاله لموافقته ما في تفسير ابن كثير .

(٤) الأثر : ٩١٧٩ – « محمد بن سهل بن أبي حثمة الأنصاري » ، روى عن أبيه وعمه . مترجم في الكبير ١/١/١٠٧ ، وابن أبي حاتم ٣/٢/٢٧٧ ، وتعجيل المنفعة : ٣٦٥ . لم يذكر فيه البخاري جرحاً ، وذكره ابن حبان في الثقات .

وهذا الأثر أشار إليه البخاري في التاريخ الكبير في ترجمته ، وخرجه ابن كثير في تفسيره ٢ : ٤٢٢ ، فذكر ما رواه ابن مردويه من رواية ابن لهيعة ، عن زياد بن أبي حبيب ، عن محمد ابن سهل بن أبي حثمة ، عن أبيه ، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول » ، وساق الخبر مرفوعاً . ثم قال : « وفي إسناده نظر ، ورفعه غلط فاحش ، والصواب ما رواه ابن جرير » ، وساق الخبر .

كبيرة إلا وفيها آية من كتاب الله : الإشراك بالله منهن : ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ [سورة الحج : ٣١]، و ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾ [سورة النساء : ١٠]، و ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ [سورة البقرة : ٢٧٥]، و ﴿ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [سورة النور : ٢٣]، والفرار من الزحف : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴾ [سورة الأنفال : ١٥]، والتعرب بعد الهجرة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ﴾ [سورة محمد : ٢٥]، وقتل النفس .

٩١٨١ - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن ابن إسحق، عن عبيد بن عمير الليثي قال : الكبائر سبع : الإشراك بالله : ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ ، وقتل النفس : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾ الآية، [سورة النساء: ٩٣]، وأكل الربا : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ الآية ، وأكل أموال اليتامى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا ﴾ الآية، وقذف المحصنة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ الآية ، والفرار من الزحف : ﴿ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ ﴾ الآية [سورة الأنفال : ١٦]، والمرتد أعرابياً بعد هجرته : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ﴾ الآية .(١)

---

(١) الأثر : ٩١٨٠ ، ٩١٨١ - في الأثر الأول ، « محمد بن عبيد بن محمد بن واقد

٩١٨٢ – حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية ، عن ابن عون ، عن محمد قال : سألت عبيدة عن الكبائر فقال : الإشراك بالله ، وقتل النفس التى حرم الله بغير حقها ، وفرارٌ يومَ الزحف ، وأكل مال اليتيم بغير حقه ، وأكل الربا، والبهتان . قال : ويقولون: أعرابية بعد هجرة = قال ابن عون : فقلت لمحمد : فالسحر ؟ قال : إن البهتان يجمع شرًّا كثيراً .

٩١٨٣ – حدثنا أبو كريب قال ،حدثنا هشيم قال ، أخبرنا منصور وهشام ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة أنه قال : الكبائر : الإشراك ، وقتل النفس الحرام ، وأكل الربا ، وقذف المحصنة ، وأكل مال اليتيم ، والفرارُ من الزحف ، والمرتدّ أعرابيًّا بعد هجرته .

٩١٨٤ – حدثنى يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، حدثنا هشام ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة بنحوه .

* * *

وعلة من قال هذه المقالة ما : –

٩١٨٥ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال، أخبرنى الليث قال ، حدثنى خالد ، عن سعيد بن أبى هلال ، عن نعيم المُجْمِر قال: أخبرنى صهيب مولى العُتْوارىّ : أنه سمع من أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى يقولان : خطبنا رسول

المحاربى » ، أبو جعفر النحاس الكوفى ، شيخ الطبرى ، روى عنه أبو داود والنسائى والترمذى وأبو حاتم وغيرهم . قال النسائى : « لا بأس به » ، وذكره ابن حبان فى الثقات . وقد مضت روايته عنه فى مواضع كثيرة : ١٩٥٢ ، ٣١٦٧ ، ٣٣٦٦ ، ٤٢٩٢ ، ٨٧٥٦ .

و « أبو الأحوص ، سلام بن سليم » مضت ترجمته برقم : ٢٠٥٨ ، ٣١٦٧ ، ٦١٧٠ ، ٧٢١٦ .

و « ابن إسحق » هو « محمد بن إسحق » ، مضت ترجمته مراراً .

و « عبيد بن عمير بن قتادة بن سعيد الليثى » ، روى عن أبيه ، وله صحبة ، وعمر ، وعلى ، وأبى بن كعب ، وأبى موسى ، وأبى هريرة . تابعى ثقة من كبار التابعين . مترجم فى التهذيب . وكان فى المطبوعة هنا : « عبيدة بن عمير » ، وهو خطأ ، والصواب ما فى المخطوطة .

وانظر الأثر الآتى رقم : ٩١٨٩ ، والتعليق عليه .

الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال : والذى نفسى بيده = ثلاث مرات = ثم أكبَّ ، فأكبَّ كل رجل ، منا يبكى ، [١] لا يدرى على ماذا حلف ، ثم رفع رأسه وفى وجهه البِشر، فكان أحبَّ إلينا من حُمْر النَّعَم، [٢] فقال: ما من عبد يصلى الصلوات الخمس ، ويصوم رَمضان ، ويخرج الزكاة ، ويجتنب الكبائر السبعَ، إلا فتحت له أبواب الجنة، ثم قيل: ادخل بسلام . [٣] ٢٦/٥

٩١٨٦ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل، عن ابن أبى نجيح، عن عطاء قال : الكبائر سبع : قتل النفس، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم، ورمى المحصنة ، وشهادة الزور ، وعقوق الوالدين ، والفرار يوم الزحف .

* * *

(١) أكب الرجل إكباباً : نكس رأسه ونظر إلى الأرض .

(٢) « النعم » : الإبل والشاء وأشباهها ، وأراد به الإبل ههنا . و « حمر النعم » : خير الإبل وأصبرها على الهواجر ، والعرب تقول : « خير الإبل حمرها وصهبها » ، وهى التى لم يخالط حمرتها شىء .

(٣) الحديث : ٩١٨٥ – هذا إسناد صحيح .

خالد : هو ابن يزيد المصرى . مضى توثيقه : ٥٤٦٥ .

نعيم بن عبد الله المجمر – بضم الميم الأولى وكسر الثانية بينهما جيم ساكنة – المدنى ، مولى آل عمر بن الخطاب : تابعى ثقة معروف . أخرج له الجماعة .

صهيب مولى العتوارى : تابعى مدنى ثقة . ترجمه البخارى فى الكبير ٣١٧/٢/٢ . وابن أبى حاتم ٤٤٤/١/٢ .

و « العتوارى » : بضم العين المهملة وسكون التاء المثناة . نسبته إلى « عتوارة » ، بطن من كنانة ، كما قال ابن الأثير . ووقع فى مطبوعة ابن كثير فى هذا الحديث « الصوارى » ! وهو تصحيف مطبعى سخيف .

والحديث رواه البخارى فى الكبير – فى ترجمة صهيب – موجزاً كعادته ، من طريق الليث ، وهو ابن سعد ، بهذا الإسناد .

ورواه النسائى ١ : ٣٣٢ ، من طريق شعيب ، عن الليث ، به .

وذكره ابن كثير ٢ : ٤١٥ ، عن هذا الموضع . وقال : « وهكذا رواه النسائى ، والحاكم فى مستدركه، من حديث الليث بن سعد، به. ورواه الحاكم أيضاً، وابن حبان فى صحيحه – من حديث عبد الله بن وهب، عن عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبى هلال ، به . ثم قال الحاكم: « صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » .

وذكره السيوطى ٢ : ١٤٥ ، وزاد نسبته لابن ماجة ، وابن خزيمة ، والبيهقى فى سننه .

وقال آخرون هي تسع .

* ذكر من قال ذلك :

٩١٨٧ - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا زياد بن مخراق ، عن طيسلة بن مياس قال : كنت مع النَّجَدات ، فأصبت ذنوباً لا أراها إلا من الكبائر ! فلقيت ابن عمر فقلت : أصبتُ ذنوباً لا أراها إلا من الكبائر ! [١] قال : وما هي؟ قلت : أصبت كذا وكذا. [٢] قال : ليس من الكبائر= قال : لشيء لم يسمِّه طيسلة [٣] = قال : هي تسع ، وسأعدُّهن عليك : الإشراك بالله ، وقتل النَّسَمة بغير حِلِّها ، والفرار من الزحف ، وقذفُ المحصنة ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ظلماً ، وإلحادٌ في المسجد الحرام ، والذي يستسحر ، [٤] وبكاء الوالدين

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « إني أصيب ذنوبا » ، « أصيب » في المواضع الثلاثة في المخطوطة ، وفي الأول من المخطوطة : « أصبت » ، وأنا أرجح أن هذه هي الصواب ، فأجريت عليها المواضع الثلاثة ، فجعلتها « أصبت » ، فإنها أوفق لمعنى الخبر ، وهي موافقة لما في ابن كثير .

(٢) أسقط في المطبوعة من هذا الموضع قوله : « أصبت » ، فأثبتها من المخطوطة .

(٣) في المطبوعة : « أشيء لم يسمعه طيسلة » ، والصواب المحض في المخطوطة . يعني أن هذا الذنب ، أو هذه الذنوب ، لم يسمها ، ولم يذكرها طيسلة ، وهي ليست من الكبائر .

(٤) في المطبوعة والأدب المفرد للبخاري وابن كثير : « والذي يستسخر » بالخاء ، وإنما معنى « يستسخر » ، أن يسخر ويستهزئ ، وليس ذلك من الكبائر ، ولم أجده مذكوراً في خبر من الأخبار .

وفي المخطوطة والدر المنثور ٢ : ١٤٦ « يستسحر » ، وهي غير منقوطة الحاء ، وقراءتها بالحاء المهملة هو الصواب المحض فيما أرجح ، وإن كان « استسحر ، يستسحر » غير مذكور في شيء من كتب اللغة التي تحت أيدينا اليوم . وأنا أرجح أنه صواب ، لأن المذكور في الآثار والأحاديث أنه من الكبائر هو « السحر » ، وبناء « استسحر » من « السحر » صحيح في الاشتقاق ، صحيح في معناه ، وأرجح أن معناه : طلبك من الساحر أن يعمل لك بالسحر ، أو أن تطلب منه علم السحر . وهذا موافق لما جاء في حديث طيسلة الذي يلي هذا الأثر وفيه : « والسحر » . هذا وقد جاء في بعض الآثار : « وتعلم السحر » (ابن كثير ٢ : ٤١٨) ، وجاء في خبر ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيمن يغفر له : « ولم يكن ساحراً يتبع السحرة » (مجمع الزوائد ١ : ١٠٤) ، وغيرها .

وصحته من جهة الاشتقاق ، أنهم قالوا في « الطرق » ، وهو الضرب بالحصا ، وهو نوع من الكهانة : « استطرق » : طلب من الكاهن أن يطرق له الحصى ، وأن ينظر له فيه . وأشباه ذلك كثير لا معنى لاستقصائه ههنا .

من العقوق = قال زياد: وقال طيسلة: لما رأى ابن عمر فَرَقِي قال[1] : أتخاف النار أن تدخلها ؟ قلت : نعم ! قال : وتحب أن تدخل الجنة ؟ قلت : نعم ! قال : أحيٌّ والداك ؟ قلت : عندى أمى. قال : فوالله لئن أنت ألَنْتَ لها الكلام ، وأطعمتها الطعامَ ، لتدخلنّ الجنة ما اجتَنَبْتَ الموجِبات .[2]

٩١٨٨ – حدثنا سليمان بن ثابت الخراز الواسطى قال ، أخبرنا سلم بن سلام قال ، أخبرنا أيوب بن عتبة ، عن طيسلة بن على النهدى قال : أتيت ابن عمر وهو فى ظلّ أراكٍ يوم عرفة ، وهو يصب الماء على رأسه ووجهه ، قال قلت : أخبرنى عن الكبائر ؟ قال : هى تسع . قلت : ما هن ؟ قال : الإشراك بالله ، وقذف المحصنة = قال قلت : قبل القتل؟ قال : نعم ، ورَغْمًا = وقتل النفس المؤمنة ، والفرار من الزحف ، والسحر ، وأكلُ الربا ، وأكل مال اليتيم ، وعقوق

---

(١) الفرق : شدة الفزع والخوف .

(٢) الحديث : ٩١٨٧ – هذا إسناد صحيح .

زياد بن مخراق المزنى البصرى : ثقة ، وثقه ابن معين والنسائى وغيرهما . مترجم فى التهذيب . وترجمة البخارى فى الكبير ٣٣٩/٢/٢ ، وابن أبى حاتم ٥٤٥/٢/١ .

طيسلة بن مياس ، وسيأتى فى الإسناد التالى « طيسلة بن على النهدى » – وهما واحد . أبوه اسمه « على » ، ولقبه « مياس » . وقد جزم البخارى فى الكبير ٣٦٨/٢/٢ بأنهما واحد ، وذكر أن صواب نسبته « البهدلى » ، وقال : « وبهدلة من بنى سعد – و « النهدى » لا يصح » . وكذلك جزم ابن أبى حاتم ٥٠١/١/٢ بأنهما واحد ، وبأنه « البهدلى » ، ويقال : السلمى . وروى عن يحيى ابن معين ، قال : « طيسلة بن على البهدلى اليمامى : ثقة » .

والحديث رواه البخارى فى الأدب المفرد ، ص : ٤ ، عن مسدد ، عن إسمعيل بن إبرهيم – وهو ابن علية – بهذا الإسناد .

وذكره ابن كثير ٢ : ٤١٧ ، عن هذا الموضع .

وذكره السيوطى ٢ : ١٤٦ مختصراً ، وفى متنه تحريف . وزاد نسبته لابن راهويه ، وعبد ابن حميد ، وابن المنذر ، والقاضى إسمعيل فى أحكام القرآن .

وقوله : « مع النجدات » : هم قوم من الخوارج ، من الحرورية ، ينسبون إلى « نجدة بن عامر الحرورى الحنفى » ، رجل منهم ، يقال : « هؤلاء النجدات » قاله فى اللسان . وكان فى المطبوعة « الحدثان » ! وهو تصحيف صرف . ورسمت فى المخطوطة دون نقط بما يقارب لفظ « النجدات » . وثبت على الصواب فى الأدب المفرد والمخطوطة الأزهرية من تفسير ابن كثير .

الوالدين المسلمين ، وإلحادٌ بالبيت الحرام ، [١] قبلتكم أحياء وأمواتاً . [٢]

٩١٨٩ - حدثنا سليمان بن ثابت الخراز قال ، أخبرنا سلم بن سلام قال ، أخبرنا أيوب بن عتبة ، عن يحيى ، عن عبيد بن عمير ، عن أبيه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله = إلا أنه قال : بدأ بالقتل قبل القذف . [٣]

* * *

---

(١) في المطبوعة : « والإلحاد » بالتعريف ، وفي المخطوطة : « والحلا » . وظاهر أن الناسخ شبك الدال في الألف من عند مثنى الدال بقلم واحد في الخط . وانظر مثله في الأثر السالف .

(٢) الحديث : ٩١٨٨ - وهذا إسناد آخر للحديث السابق ، بنحوه .

سليمان بن ثابت الخراز الواسطي - شيخ الطبري : لم أعرف من هو ؟ ولم أجد له ترجمة . وثبت في ابن كثير « الجحدري » بدل « الخراز » !

سلم بن سلام : هو أبو المسيب الواسطي . مترجم في التهذيب ٤ : ١٣١ ، وابن أبي حاتم ٢/١/٢٦٨ ، ولم يذكر فيه جرحاً .

أيوب بن عتبة ، أبو يحيى قاضي اليمامة : ضعيف ، ضعفه أحمد ، والبخاري ، وغيرهما .

وهذا الحديث ذكره ابن كثير ٢ : ٤١٧ ، عن هذا الموضع . ثم ذكر أنه رواه علي بن الجعد ، عن أيوب بن عتبة - وساقه مطولا - وقال : « وهكذا رواه الحسن بن موسى الأشيب ، عن أيوب ابن عتبة اليمامي ، وفيه ضعف » .

وأشار الحافظ في التهذيب ٥ : ٣٦ - ٣٧ ، في ترجمة طيسلة ، إلى أنه « أخرجه البغوي في الجعديات ، عن علي بن الجعد ، عن أيوب بن عتبة ، عن طيسلة بن علي . وأخرجه الخطيب في الكفاية ، والخرائطي في مساوي الأخلاق ، والبرديجي في الأسماء المفردة - : من طريق أخرى ، عن أيوب ابن عتبة ، عن طيسلة بن مياس » .

ولكن أيوب بن عتبة لم ينفرد به عن طيسلة . فقد رواه عنه أيضاً عكرمة بن عمار العجلي ، وهو ثقة :

فأشار إليه البخاري - كعادته - إشارة موجزة ، في ترجمة طيسلة ٢/٢/٣٦٨ ، قال : « وقال النضر بن محمد : حدثنا عكرمة بن عمار ، حدثني طيسلة بن علي البهدلي ، سمع ابن عمر . وقال وكيع ، عن عكرمة : طيسلة بن علي النهدي ، أن ابن عمر كان ينزل الأراك يوم عرفة » . وهذه قطعة من هذا الحديث .

وهذه القطعة رواها أبو داود في (مسائل الإمام أحمد) ، ص : ١١٨ ، « حدثنا أحمد ، قال حدثنا وكيع ، عن عكرمة بن عمار ، عن طيسلة بن علي : أن ابن عمر نزل الأراك يوم عرفة » .

وقد قصر السيوطي جداً ، حيث ذكر هذا الحديث ٢ : ١٤٦ ، ولم ينسبه لغير « علي بن الجعد في الجعديات » .

(٣) الحديث : ٩١٨٩ - يحيى : هو ابن أبي كثير . ووقع هنا في المخطوطة والمطبوعة « يحيى بن عبيد بن عمير » ! بتحريف « عن » إلى « بن » . وهو تصحيف من الناسخين .

وقال آخرون : هي أربع .

* ذكر من قال ذلك .

٩١٩٠ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام بن سلم ، عن عنبسة ، عن مطرف ، عن وبرة ، عن ابن مسعود قال : الكبائر : الإشراك بالله ، والقنوط

ثم قد سقط من الإسناد هنا « عبد الحميد بن سنان » بين « يحيى بن أبي كثير » و « عبيد بن عمير » . وليس هذا من الناسخين ، بل هو خطأ من أيوب بن عتبة

عبيد بن عمير الليثي : تابعي معروف من كبار التابعين مضى مراراً

أبوه « عمير بن قتادة الليثي » : صحابي ، شهد الفتح وحجة الوداع

والحديث رواه الحاكم في المستدرك ١ : ٥٩ ، مطولا ، من طريق حرب بن شداد ، عن يحيى ابن أبي كثير ، عن عبد الحميد بن سنان ، عن عبيد بن عمير ، عن أبيه وقال الحاكم « قد احتجا [يعني الشيخين] برواة هذا الحديث ، غير عبد الحميد بن سنان فأما عمير بن قتادة فإنه صحابي . وابنه عبيد متفق على إخراجه والاحتجاج به » وتعقبه الذهبي في مختصره بأنهما لم يحتجا بعبد الحميد « لجهالته ، ووثقه ابن حبان » .

ثم رواه الحاكم مرة أخرى ٤ : ٢٥٩ - ٢٦٠ ، من طريق حرب بن شداد أيضاً - مطولا ثم قال : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » وهنا وافقه الذهبي على تصحيحه ، ولم يتعقبه بشيء .

وقد رواه الحافظ المزي في تهذيب الكمال ، ص : ٧٦٩ (مخطوط مصور) مطولا ، بإسنادين ، من طريق حرب بن شداد ، عن يحيى

ورواه أبو داود ٢٨٧٥ ، من طريق حرب بن شداد ، ولم يذكر لفظه كله

ورواه ابن عبد البر في الاستيعاب ، في ترجمة عمير بن قتادة ، ص : ٤٣٩ بإسناده من طريق أبي داود وساق لفظه ، ولكنه موجز عن روايتي الحاكم

ورواه النسائي ٢ : ١٦٥ ، مختصراً ، من طريق حرب بن شداد ولكن فيه « هن سبع » بدل « تسع »

وذكره ابن كثير ٢ : ٤١٦ ، عن رواية الحاكم الأولى ثم قال : « وقد أخرجه أبو داود ، والنسائي ، مختصراً . . وكذا رواه ابن أبي حاتم ، من حديثه مبسوطاً ثم قال الحاكم رجاله كلهم محتج بهم في الصحيحين ، إلا عبد الحميد بن سنان . قلت وهو حجازي لا يعرف إلا بهذا الحديث ، وقد ذكره ابن حبان في الثقات وقال البخاري في حديثه نظر » .

ثم أشار ابن كثير إلى رواية الطبري هذه ثم قال « ولم يذكر في الإسناد عبد الحميد بن سنان » . وهذا يدل على أن حذف « عبد الحميد بن سنان » من الإسناد - ليس خطأ من الناسخين ، إنما هو من تخليط أيوب بن عتبة

وعبد الحميد بن سنان ترجمه ابن أبي حاتم ٣ / ١ / ١٣٠ ، ولم يذكر فيه جرحاً فهذا توثيق منه له

والحديث ذكره السيوطي ٢ : ١٤٦ ، وزاد نسبته للطبراني ، وابن مردويه

من رحمة الله ، والإياس من رَوْح الله ، والأمن من مكر الله .

٩١٩١ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا مطرف ، عن وبرة بن عبد الرحمن ، عن أبي الطفيل ، قال ، قال عبد الله بن مسعود : أكبر الكبائر : الإشراك بالله ، والإياسُ من رَوْح الله ، والقنوط من رحمة الله ، والأمن من مكر الله .

٩١٩٢ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن وبرة بن عبد الرحمن قال ، قال عبد الله : إن الكبائر : الشرك بالله ، والقنوط من رحمة الله ، والأمن من مكر الله ، والإياس من رَوْح الله .

٩١٩٣ – حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ، حدثنا ابن إدريس قال ، سمعت مطرفاً ، عن وبرة ، عن أبي الطفيل قال ، قال عبد الله : الكبائر أربع : الإشراك بالله ، والقنوط من رحمة الله ، واليأس من رَوْح الله ، والأمن من مكر الله .

٩١٩٤ – حدثني محمد بن عمارة الأسدي قال ، حدثنا عبد الله قال ، أخبرنا شيبان ، عن الأعمش ، عن وبرة ، عن أبي الطفيل قال : سمعت ابن مسعود يقول : أكبر الكبائر ، الإشراك بالله .

٩١٩٥ – حدثني محمد بن عمارة قال ، حدثنا عبد الله قال ، أخبرنا إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن وبرة ، عن أبي الطفيل ، عن عبد الله بنحوه :

٩١٩٦ – حدثني ابن المثنى قال ، حدثني وهب بن جرير قال ، حدثنا شعبة ، عن عبد الملك ، عن أبي الطفيل ، عن عبد الله قال : الكبائر أربع : الإشراك بالله ، والأمن من مكر الله ، والإياس من رَوْح الله ، والقنوط من رحمة الله .(١)

---

(١) الأثر : ٩١٩٦ – « عبد الملك » هو عبد الملك بن سعيد بن حبان بن أبجر ، ويعرف بابن أبجر . كان ثقة ثبتاً في الحديث صاحب سنة . يروى عن أبي الطفيل عامر بن واثلة. وكان في المطبوعة والمخطوطة : « عبد الملك بن أبي الطفيل » ، وهو خطأ ظاهر .

٩١٩٧ – وبه قال ، حدثنا شعبة، عن القاسم بن أبي بزة ، عن أبي الطفيل، عن عبد الله بمثله .

٩١٩٨ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن أبي الطفيل ، عن عبد الله بن مسعود بنحوه .

٩١٩٩ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن أبي الطفيل ، عن ابن مسعود قال : الكبائرُ أربع : الإشراك بالله ، وقتل النفس التي حرم الله ، والأمن لمكر الله ، والإياسُ من رَوْح الله .

٢٧/٥ ٩٢٠٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن المسعودي ، عن فُرات القزاز ، عن أبي الطفيل ، عن عبد الله قال : الكبائر : القنوط من رحمة الله ، والإياس من رَوح الله ، والأمن لمكر الله ، والشرك بالله .(١)

* * *

وقال آخرون : كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة .

* ذكر من قال ذلك :

٩٢٠١ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا هشيم، عن منصور، عن ابن سيرين ، عن ابن عباس قال : ذكرت عنده الكبائر فقال: كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة .

٩٢٠٢ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا أيوب ، عن محمد قال : أنبئت أن ابن عباس كان يقول : كل ما نهى الله عنه

---

(١) الآثار : ٩١٩٠ – ٩٢٠٠ – « فرات القزاز » في الأثر الأخير ، هو : « فرات ابن أبي عبد الرحمن القزاز التميمي » . روى عن أبي الطفيل وغيره، وروى عنه ابنه الحسن بن الفرات، وشعبة والمسعودي وغيرهم . ثقة . مترجم في التهذيب .

وهذا الخبر عن ابن مسعود ، قد ساقه الطبري من طرق كثيرة ، ذكر واحداً منها ابن كثير في تفسيره ٢ : ٤٢٢ ، وقال : « ثم رواه من عدة طرق ، عن أبي الطفيل، عن ابن مسعود ، وهو صحيح إليه بلا شك » . وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ١٤٧ ، ونسبه أيضاً لعبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، والطبراني ، وابن أبي الدنيا في التوبة .

وخرجه ابن كثير أيضاً في تفسيره ٢ : ٤٢١ ، ٤٢٢ ، من حديث ابن عباس مرفوعاً وقال : « في إسناده نظر ، والأشبه أن يكون موقوفاً » .

كبيرة = وقد ذُكرت الطَّرْفة ، قال : هى النظرة .

٩٢٠٣ – حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا معتمر ، عن أبيه ، عن طاوس قال ، قال رجل لعبد الله بن عباس : أخبرنى بالكبائر السبع . قال ، فقال ابن عباس : هى أكثر من سبع وسبع =[1] فما أدرى كم قالها من مرة .

٩٢٠٤ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن سليمان التيمى ،[2] عن طاوس قال : ذكروا عند ابن عباس الكبائر فقالوا : هى سبع . قال : هى أكثر من سبع وسبع ! قال سليمان : فلا أدرى كم قالها من مرّة .

٩٢٠٥ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا محمد بن جعفر وابن أبى عدى ، عن عوف قال : قام أبو العالية الرِّياحى على حَلْقة أنا فيها فقال : إن ناساً يقولون : « الكبائر سبع » ، وقد خفت أن تكون الكبائر سبعين أو يزدن على ذلك .

٩٢٠٦ – حدثنا على قال ، حدثنا الوليد قال ، سمعت أبا عمرو يخبر ، عن الزهرى ، عن ابن عباس : أنه سئل عن الكبائر : أسبع هى ؟ قال : هى إلى السبعين أقرب .

٩٢٠٧ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن قيس ابن سعد ، عن سعيد بن جبير ، أن رجلا قال لابن عباس : كم الكبائر ؟ أسبع هى ؟ قال : إلى سبعمائة أقرب منها إلى سبع ، غير أنه لا كبيرة مع استغفار ، ولا صغيرة مع إصرار .

٩٢٠٨ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن ليث ، عن طاوس قال : جاء رجل إلى ابن عباس فقال : أرأيت الكبائرَ السبع التى ذكرهن الله ؟ ما هن ؟ قال : هن إلى السبعين أدنى منها إلى سبع .

---

(١) فى المخطوطة وابن كثير ٢ : ٤٢٥ : « من سبع وسبع » ، وفى المطبوعة : « من سبع وتسع » ، وأثبت ما فى المخطوطة . وانظر الأثر رقم : ٩٢٠٤ .

(٢) فى المطبوعة : « سليمان التيمى » ، خطأ ، صوابه من المخطوطة .

٩٢٠٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه قال : قيل لابن عباس : الكبائر سبع ؟ قال : هي إلى السبعين أقرب .

٩٢١٠ – حدثنا أحمد بن حازم قال، أخبرنا أبو نعيم قال ، حدثنا عبد الله ابن سعدان ، عن أبي الوليد قال : سألت ابن عباس عن الكبائر ، قال : كل شيء عُصِي الله فيه فهو كبيرة .(١)

* * *

وقال آخرون : هي ثلاث .

* ذكر من قال ذلك :

٩٢١١ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن مسعود قال : الكبائر ثلاث : اليأسُ من رَوْح الله ، والقنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله .(٢)

* * *

وقال آخرون : كل موجِبة ، وكل ما أوعد الله أهلَه عليه النار ، فكبيرة .

* ذكر من قال ذلك :

٩٢١٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله : « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه » ، قال : «الكبائر» ، كل ذنب ختمه الله بنار ،أو غضب، أو لعْنة ، أو عذاب .

٩٢١٣ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا

---

(١) الأثر : ٩٢١٠ – « عبد الله بن سعدان » لم أعرفه ولم أجده – و « أبو الوليد » ، كذلك لم أجده . وأخشى أن يكون فيهما تحريف أو سقط . وأما في ابن كثير ٢ : ٤٢٥ ، فقد كتب « عبد الله بن معدان » ، ولم أجده أيضاً .

(٢) الأثر : ٩٢١١ – انظر الآثار السالفة عن ابن مسعود من ٩١٩٠ – ٩٢٠٠ .

هشام بن حسان ، عن محمد بن واسع قال ، قال سعيد بن جبير : كل موجبة في القرآن كبيرة .

٩٢١٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن محمد بن مِهْزَم الشعاب ، عن محمد بن واسع الأزدي ، عن سعيد بن جبير قال : كل ذنب نسبه الله إلى النار ، فهو من الكبائر .(١)

٩٢١٥ – حدثنا علي بن سهل قال، حدثنا الوليد بن مسلم ، عن سالم : أنه سمع الحسن يقول : كل موجبة في القرآن كبيرة .

٩٢١٦ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله : « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه » ، قال : الموجبات .

٩٢١٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٩٢١٨ – حدثني يحيى بن أبي طالب قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا جويبر ، عن الضحاك قال : الكبائر ، كل موجبة أوجبَ الله لأهلها النار . وكل عمل يقام به الحدُّ ، فهو من الكبائر .

* * *

قال أبو جعفر : والذي نقول به في ذلك ، ما ثبتَ به الخبرُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك ما : –

٩٢١٩ – حدثنا به أحمد بن الوليد القرشي قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ،

---

(١) الأثر : ٩٢١٤ – « محمد بن مهزم الشعاب » ، ويقال « الرمام » لأنه كان يرم القصاع ويشعبها . وثقه ابن معين وابن حبان ، وقال أبو حاتم : « ليس به بأس » . مترجم في الكبير ١/١/٢٣٠ ، وابن أبي حاتم ٤/١/١٠٢ ، وتعجيل المنفعة : ٣٧٩ . وكان في المخطوطة والمطبوعة : « مهرم » وأما « مهزم » (بكسر الميم وسكون الهاء وفتح الزاي) فقال المعلق على التاريخ الكبير : « هكذا شكله في (قط) ، وهكذا ضبط عبد الغني في المؤتلف : ٤٢١ ، وغيره . وشكله في (كو) كمعلم » . وهذا الأثر أخرجه البخاري في ترجمته في التاريخ الكبير .

حدثنا شعبة قال ، حدثني عبيد الله بن أبي بكر قال : سمعت أنس بن مالك
٥/٢٨ قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر = أو : سئل عن الكبائر =
فقال : الشرك بالله ، وقتل النفس ، وعقوقُ الوالدين . فقال : ألا أنبئكم بأكبر
الكبائر ؟ قال : قول الزور= أو قال : شهادة الزور = قال شعبة : وأكبر ظني
أنه قال : شهادة الزور .(١)

٩٢٢٠ – حدثنا يحيى بن حبيب بن عربي قال ، حدثنا خالد بن الحارث قال ، حدثنا شعبة قال ، أخبرنا عبيد الله بن أبي بكر ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في الكبائر قال : الشرك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتلُ النفس ، وقول الزور .

٩٢٢١ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا يحيى بن كثير قال ، حدثنا شعبة ، عن عبيد الله بن أبي بكر ، عن أنس قال : ذكروا الكبائرَ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس . ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قولُ الزور .

٩٢٢٢ – حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ،

---

(١) الحديث : ٩٢١٩ – عبيد الله بن أبي بكر بن أنس بن مالك : تابعي ثقة . يروى عن جده ، ويروى أيضاً عن أبيه عن جده . و « عبيد الله » – بالتصغير . ووقع في ابن كثير في نقل هذا الحديث « عبد الله » ؛ وهو خطأ صرف .

والحديث رواه أحمد في المسند : ١٢٣٦٣ (٣ : ١٣١ حلبي) ، عن محمد بن جعفر ، بهذا الإسناد .

ورواه البخاري ١٠ : ٣٤٥ – ٣٤٦ (فتح) . ومسلم ١ : ٣٧ – كلاهما من طريق محمد بن جعفر ، به .

ورواه البخاري أيضاً ٥ : ١٩٢ (فتح) ، من طريق وهب بن جرير ، وعبد الملك ابن إبرهيم ، كلاهما عن شعبة ، به .

وذكره ابن كثير ٢ : ٤١٨ ، عن رواية المسند . ثم نسبه للصحيحين .

وذكره السيوطي ٢ : ١٤٦ – ١٤٧ ، وزاد نسبته لعبد بن حميد ، والترمذي ، والنسائي ، وابن أبي حاتم .

وسيأتي عقبه ، بإسنادين – بنحوه – من طريق شعبة .

عن فراس ، عن الشعبي ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أكبر الكبائر : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين = أو : قتلُ النفس، شعبة الشاكّ = واليمينُ الغَمُوس .

٩٢٢٣ – حدثنا أبو هشام الرفاعي قال، حدثنا عبيد الله بن موسى قال ، حدثنا شيبان ، عن فراس ، عن الشعبي ، عن عبد الله بن عمرو قال : جاء أعرابيٌّ إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال : ما الكبائر ؟ قال : الشرك بالله . قال : ثم مَهْ؟= قال : وعقوق الوالدين . قال : ثم مَهْ؟ قال : واليمين الغَموس = قلت للشعبي : ما اليمين الغَمُوس ؟ قال : الذى يقتطع مالَ امرئٍ مسلم بيمينه وهو فيها كاذب . (١)

٩٢٢٤ – حدثني المثنى قال ، حدثنا ابن أبي السرى محمد بن المتوكل العسقلاني قال ، حدثنا يحيى بن سعد ، عن خالد بن معدان ، عن أبي رُهْم ، عن أبي أيوب الأنصاري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أقام الصلاة،

---

(١) الحديثان : ٩٢٢٢ ، ٩٢٢٣ – هما إسنادان لحديث واحد ، بمعناه .

و « فراس » – بكسر الفاء وتخفيف الراء : هو ابن يحيى الهمداني الحارثي . وهو ثقة ، أخرج له الجماعة .

عبيد الله بن موسى ، في الإسناد الثاني : هو العبسي الحافظ . مضت ترجمته : ٢٠٩٢ . ووقع في المطبوعة « عبد الله » بالتكبير ، وهو خطأ .

وشيخه « شيبان » : هو النحوي أبو معاوية ، وهو ابن عبد الرحمن . مضت ترجمته : ٢٣٤٠ .

والحديث رواه أحمد في المسند : ٦٨٨٤ ، عن محمد بن جعفر ، عن شعبة – كالإسناد الأول هنا .

ورواه البخاري ١٢ : ١٧٠ (فتح) ، عن محمد بن بشار ، عن محمد بن جعفر ، به .

ورواه أيضاً ١١ : ٤٨٢ – ٤٨٣ ، من طريق النضر بن شميل ، عن شعبة .

والرواية الثانية هنا – رواية عبيد الله بن موسى – أشار إليها الحافظ في الفتح ١١ : ٤٨٣ من رواية ابن حبان في صحيحه .

والحديث رواه أيضاً الترمذي ٤ : ٨٧ – ٨٨ ، والنسائي ٢ : ١٦٥ ، ٢٥٤ ، وأبو نعيم في الحلية ٧ : ٢٠٢ .

وذكره ابن كثير ٢ : ٤١٩ ، من رواية المسند . ونسبه للبخاري ، والترمذي ، والنسائي .

وذكره السيوطي ١ : ١٤٧ ، ونسبه لهؤلاء ، ولأحمد ، والطبري .

وآتى الزكاة ، وصام رمضان ، واجتنب الكبائر ، فله الجنة . قيل : وما الكبائر ؟ قال : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، والفرار يوم الزحف .[1]

٩٢٢٥ – حدثني عباس بن أبي طالب قال ، حدثنا سعد بن عبد الحميد ابن جعفر ، عن ابن أبي جعفر ، عن ابن أبي الزناد ، عن موسى بن عقبة ، عن عبد الله بن سلمان الأغر ، عن أبيه أبي عبد الله سلمان الأغر قال ، قال أبو أيوب

---

(١) الحديث : ٩٢٢٤ – ابن أبي السرى ، محمد بن المتوكل بن عبد الرحمن ، الحافظ العسقلاني : ثقة ، وثقه ابن معين وغيره . مات سنة ٢٣٨ . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ١٠٥/١/٤ ، وتذكرة الحفاظ ٢ : ٥٣ – ٥٤ .

يحيى بن سعيد : هو العطار الأنصاري الحمصي ، مضت ترجمته في : ٥٧٥٣ . وكان في المطبوعة بدله « محمد بن سعد » ، وهو تحريف على اليقين . وما أثبتنا هو الذي في المخطوطة ، على أن كلمة « يحيى » فيها غير واضحة تماماً . وكان من المحتمل هنا أن يكون الاسم « بحير بن سعد » ، لأنه روى هذا الحديث – كما سيأتي . ولكني لم أجد ذكراً لبحير بن سعد في شيوخ ابن أبي السرى ، الذين حصرهم الحافظ المزى في تهذيب الكمال ، كعادته . ولكنه ذكر في شيوخه « يحيى بن سعيد العطار » .

خالد بن معدان الكلاعي : مضى في : ٢٠٧٠ .

أبو رهم – بضم الراء وسكون الهاء – أحزاب بن أسيد السمعي : تابعي قديم ثقة . وذكره بعضهم في الصحابة . والراجح الأول .

والحديث رواه أحمد في المسند ٥ : ٤١٣ (حلبي) ، عن المقرئ ، عن حيوة بن شريح : « حدثنا بقية ، حدثني بحير بن سعد ، عن خالد بن معدان . . . » – فذكره .

ثم رواه ٥ : ٤١٣ – ٤١٤ ، عن زكريا بن عدى ، أخبرنا بقية ، عن بحير ، عن خالد بن معدان . . . » .

وبقية : هو ابن الوليد . وهو ثقة ، وتكلم فيه من تكلم بأنه يدلس ، ولكنه صرح بالتحديث في الإسناد الأول عند أحمد . فزالت شبهة التدليس .

و « بحير بن سعد الحمصي » : ثقة . وثقه أحمد ، وابن سعد ، وغيرهما . و « بحير » : بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة وآخره راء . وأبوه « سعد » : بفتح السين وسكون العين . وقد ثبت على الصواب في تهذيب الكمال للمزى (مخطوط مصور) ، والكبير للبخاري ١٣٧/٢/١ – ١٣٨ ، وابن أبي حاتم ٤١٢/١/١ ، والمشتبه للذهبي ، والمسند ، وغير ذلك . ورسم في تهذيب التهذيب والتقريب والخلاصة « سعيد » . وهو خطأ لاشك فيه .

والحديث نقله ابن كثير ٢ : ٤١٧ – ٤١٨ ، عن الرواية الثانية للمسند . ووقع فيه « يحيى ابن سعيد » بدل « بحير بن سعد » ! وهو خطأ ناسخ أو طابع ، ثم نسبه أيضاً للنسائي .

وذكره السيوطي ٢ : ١٤٦ ، وزاد نسبته لابن المنذر ، وابن حبان ، والحاكم « وصححه » .

وسيأتي عقب هذا بإسناد آخر ، من وجه آخر .

خالد بن أيوب الأنصاري عقبيٌّ بدريٌّ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من عبد يعبد الله لا يشرك به شيئاً ، ويقيم الصلاةَ ، ويؤتي الزكاة ، ويصوم رمضان ، ويجتنب الكبائر ، إلاّ دخل الجنة . فسألوه : ما الكبائر؟ قال : الإشراك بالله ، والفرار من الزحف ، وقتل النفس .(١)

٩٢٢٦ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن قال ، حدثنا عباد بن عباد ، عن جعفر بن الزبير ، عن القاسم ، عن أبي أمامة : أن ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكروا الكبائر وهو متكيء ، فقالوا : الشرك بالله ، وأكل مال اليتيم ، وفرارٌ من الزحف ، وقذف المحصنة ، وعقوق الوالدين ، وقول الزور ، والغُلول ، والسحر ، وأكل الربا : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين تجعلون : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلًا ﴾ ؟ إلى آخر الآية ، [سورة آل عمران : ٧٧] .(٢)

---

(١) الحديث : ٩٢٢٥ – وهذا إسناد آخر من وجه آخر للحديث السابق

عباس بن أبي طالب : مضت ترجمته في : ٨٨٠ .

سعد بن عبد الحميد بن جعفر الأنصاري : مضت ترجمته في : ٣٩٥٩ وقد رجحنا توثيقه هناك . ووقع في المطبوعة (والمخطوطة) « سعد بن عبد الحميد عن جعفر » ! وهو خطأ . وضعت كلمة « عن » بدل « بن » .

وقوله « عن ابن أبي جعفر » : هكذا ثبت هنا ، فإن يكن صواباً يكن « عبد الله بن أبي جعفر الرازي » ، الماضية ترجمته في : ٧٠٣٠ . ولكني أرجح أنه مزيد في الإسناد تخليطاً من الناسخين . فإن « سعد بن عبد الحميد» معروف بالرواية عن ابن أبي الزناد .

وابن أبي الزناد : هو « عبد الرحمن بن أبي الزناد » مضت ترجمته في : ١٦٩٤ .

« عبد الله بن سلمان الأغر » : هكذا ثبت هنا « عبد الله » بالتكبير . وهو ثقة يروى عن أبيه . ولكني أرجح أن يكون صوابه « عبيد الله » بالتصغير . فإنهم لم يذكروا رواية لموسى بن عقبة عن « عبد الله » . وإنما عرف بالرواية عن أخيه « عبيد الله » .

و « عبيد الله بن سلمان الأغر » : ثقة معروف ، يروى عنه مالك ، وموسى بن عقبة ، وغيرهما . أبوه « سلمان الأغر ، أبو عبد الله المدني » : تابعي ثقة معروف ، أخرج له الجماعة .

والحديث سبق تخريجه . أما من هذا الوجه – من رواية سلمان الأغر عن أبي أيوب – : فلم أجده في غير هذا الموضع .

(٢) الحديث : ٩٢٢٦ – هذا إسناد ضعيف منهار .

٩٢٢٧ – حدثنا عبيد الله بن محمد الفريابي قال، حدثنا سفيان ، عن أبي معاوية ، عن أبي عمرو الشيباني ، عن عبد الله قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم : ما الكبائر؟ قال : أن تدعو لله نِدًّا وهو خلقك ، وأن تقتل ولدك من أجل مأكلٍ معك ، أو تزني بحليلة جارك . وقرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ [سورة الفرقان : ٦٨] .(١)

٩٢٢٨ – حدثني هذا الحديث عبد الله بن محمد الزهري فقال ، حدثنا سفيان قال ، حدثنا أبو معاوية النخعي = وكان على السجن = سمعه من أبي عمرو ، عن عبد الله بن مسعود : سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : أيّ العمل شر؟ قال : أن تجعل لله نِدًّا وهو خلقك، وأن تقتل ولدك من أجل أن يأكل معك ، أو تزني بحارتك . وقرأ عليّ : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ﴾ .(٢)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى ما قيل في تأويل « الكبائر » بالصحة ، ما صحّ به الخبر ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دون ما قاله غيره ، وإن كان كل

---

* جعفر بن الزبير الدمشقي : ضعيف جداً . روى عن القاسم ، عن أبي أمامة نسخة موضوعة ، كما بينا فيما مضى : ١٩٣٩ .

والحديث نقله ابن كثير ٢ : ٤٢٣ ، عن هذا الموضع .

وذكره السيوطي ٢ : ١٤٧ ، ولم ينسبه لغير الطبري . وذكر أنه « بسند حسن » ! وهو في هذا مخطىء . فما هو إلا إسناد ضعيف لا تقوم له قائمة .

(١) الحديث : ٩٢٢٧ – عبيد الله بن محمد الفريابي – شيخ الطبري – مضت ترجمته في رقم : ١٧ ، وسيأتي ، ص : ٢٥٤ ، س : ٣ ، أن الطبري يرى أنه غلط في هذا الحديث . يريد غلطاً في المعنى ! ولكنا لا نوافقه على ذلك . فمعنى هذا الحديث والذي بعده واحد . وإنما هو اختلاف في اللفظ .

« سفيان » : هو ابن عيينة .

وانظر الإسناد التالي لهذا .

(٢) الحديث : ٩٢٢٨ – عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة الزهري – شيخ الطبري : ثقة . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٢/٢/١٦٣ .

قائل فيها قولاً من الذين ذكرنا أقوالهم ، قد اجتهد وبالغ فى نفسه ، ولقوله فى الصحة مذهبٌ . فالكبائر إذن : الشرك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس المحرّم قتلها ، وقول الزور = وقد يدخل فى « قول الزور » ، شهادة الزور = وقذف المحصنة ، واليمين الغموسُ ، والسحر = ويدخل فى قتل النفس المحرَّم قتلها ، قتل الرجل ولده من أجل أن يطعم معه = والفرارُ من الزحف ، والزنا بحليلة الجار . ٥/٩

وإذْ كان ذلك كذلك ، صحَّ كل خبر رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى معنى الكبائر ، وكان بعضه مصدِّقاً بعضاً . وذلك أن الذى روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « هى سبع » يكون معنى قوله حينئذ : « هى سبع » على التفصيل = ويكون معنى قوله فى الخبر الذى روى عنه أنه قال : « هى الإشراك بالله ، وقتل النفس ، وعقوق الوالدين ، وقول الزور » على الإجمال ،

أبو معاوية النخعى – فى هذا الإسناد والذى قبله : هو عمرو بن عبد الله بن وهب . وهو ثقة ، وثقه ابن معين وغيره . مترجم فى التهذيب ، وترجمه ابن أبى حاتم ٣/١/٢٤٣ – ٢٤٤ .

أبو عمر الشيبانى : هو سعد بن إياس ، التابعى الكبير . مضت ترجمته فى : ٥٥٢٤ .

والحديث سيأتى فى الطبرى ، عند تفسير الآية : ٧١ من سورة الفرقان (١٩ : ٢٦ بولاق) ، عن عبد الله بن محمد الفريابى ، عن سفيان ، بهذا الإسناد ، ثم رواه هناك بأسانيد أخر .

ورواه أحمد فى المسند ، من رواية أبى وائل شقيق بن سلمة ، عن عبد الله – وهو ابن مسعود – مراراً بأسانيد : ٣٦١٢ ، ٤١٠٢ ، ٤١٣١ – ٤١٣٤ ، ٤٤١١ ، ٤٤٢٣ .

وكذلك رواه البخارى مراراً ، منها ٨ : ١٢٤ ، ١٢ : ١٠١ – ١٠٣ ، و ١٣ : ٤١٣ (فتح) .

وكذلك رواه مسلم ١ : ٣٦ – ٣٧ .

وفى بعض الروايات عندهم زيادة « عمرو بن شرحبيل » فى الإسناد ، بين أبى وائل وابن مسعود . والظاهر عندى أن أبا وائل سمعه من ابن مسعود ، ومن عمرو بن شرحبيل عن ابن مسعود ، فحدث به على الوجهين . ويكون من المزيد فى متصل الأسانيد . وفصل الحافظ القول فى ذلك فى ١٢ : ١٠١ – ١٠٣ .

وذكره ابن كثير ٦ : ١٩٤ – ١٩٥ ، من إحدى روايات المسند ، وإحدى روايات الطبرى الآتية .

وذكره السيوطى ٥ : ٧٧ ، وزاد نسبته للفريابى ، وعبد بن حميد ، والترمذى ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، وابن مردويه ، والبيهقى فى شعب الإيمان .

إذ كان قوله : « وقول الزور » يحتمل معانى شتى ، وأن يجمعَ جميعَ ذلك « قول الزور » .

وأما خبر ابن مسعود الذى حدثنى به الفريابى على ما ذكرت ، فإنه عندى غلط من عبيد الله بن محمد ، لأن الأخبار المتظاهرة من الأوجه الصحاح عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم ،[1] بنحو الرواية التى رواها الزهرى عن ابن عيينة . ولم يقل أحد منهم فى حديثه عن ابن مسعود ، « أن النبى صلى الله عليه وسلم : سئل عن الكبائر » ، فنقلهم ما نقلوا من ذلك عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أولى بالصحة من نقل الفريابى .

* * *

قال أبو جعفر : فمن اجتنب الكبائر التى وعد الله مجتنبَها تكفيرَ ما عداها من سيئاته ، وإدخاله مُدخلا كريماً ، وأدّى فرائضه التى فرضها الله عليه ، وجد الله لما وعده من وعدٍ منجزاً ، وعلى الوفاء له ثابتاً .[2]

* * *

وأما قوله : « نكفر عنكم سيئاتكم » ، فإنه يعنى به : نكفر عنكم ، أيها المؤمنون ، باجتنابكم كبائر ما ينهاكم عنه ربكم ، صغائر سيئاتكم[3] = يعنى : صغائر ذنوبكم ، كما :—

٩٢٢٩ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « نكفر عنكم سيئاتكم » ، الصغائر .[4]

٩٢٣٠ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن ابن عون ، عن الحسن : أن ناساً لقوا عبد الله بن عمرو بمصر ، فقالوا : نرى أشياء من كتاب

---

(١) فى المطبوعة : « من الأوجه الصحيحة » ، ولا أدرى لم غير ما كان فى المخطوطة ! !

(٢) فى المطبوعة : وعلى الوفاء به دائباً » حرف ما فى المخطوطة وكان فيها « وعلى الوفاء له دائما » غير منقوطة ، وهذا صواب قراءتها إن شاء الله .

(٣) انظر تفسير « التكفير » فيما سلف : ٧ : ٤٨٢ ، ٤٩٠ = وتفسير « السيئات » فيما سلف ٢ : ٢٨١ — ٢٨٣ / ٧ : ٤٨٢ ، ٤٩٠

(٤) الأثر : ٩٢٢٩ — فى المطبوعة والمخطوطة « محمد بن الحسن » ، والصواب ما أثبت ، وهو إسناد دائر فى التفسير ، أقربه : ٩١٣٣ .

الله. أمرَ أن يُعمل بها، لا يُعمل بها، [١] فأردنا أن نلقَى أمير المؤمنين فى ذلك ؟ فقدم وقدموا معه ، فلقيه عمر رضى الله عنه فقال : متى قدمت ؟ قال : منذ كذا وكذا . قال : أبإذنٍ قدمت ؟ قال : فلا أدرى كيف ردّ عليه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ ناساً لقونى بمصر فقالوا : « إنا نرى أشياءَ من كتاب الله تبارك وتعالى ، أمر أن يعمل بها لا يعمل بها »، فأحبُّوا أن يلقوك فى ذلك . فقال : اجمعهم لى. قال : فجمعتهم له = قال ابن عون : أظنه قال : فى بَهْوٍ [٢] = فأخذ أدناهم رجلا فقال : أنشدك بالله وبحق الإسلام عليك، أقرأت القرآن كله ؟ قال : نعم. قال : فهل أحصيته فى نفسك؟ [٣] قال، اللهم لا ! = قال : ولو قال : « نعم » لخصَمَه [٤] = قال : فهل أحصيته فى بصرك ؟ هل أحصيته فى لفظك ؟ هل أحصيته فى أثرك ؟ [٥] قال : ثم تتبعهم حتى أتى على آخرهم، فقال : ثكلتْ عمر أمُّه ! أتكلِّفونه أن يقيمَ الناس على كتاب الله؟ قد علم ربنا أن ستكون لنا سيئات. قال : وتلا : « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريماً » . هل علم أهل المدينة = أو قال هل علم أحدٌ = بما قَدِمتم؟ قالوا، لا ! قال : لو علموا لوعَظْتُ بكم. [٦]

(١) فى المخطوطة « أمر أن يعمل بها لا تعمل بها » بالنون فى الثانية ، وما فى المطبوعة وابن كثير هو الصواب ، لأنه جاء فى شكاة عاملهم فى مصر ، كما هو ظاهر من آخر الأثر

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة « فى بهر » ، والصواب من تفسير ابن كثير و « البهو » : البيت المقدم أمام البيوت وكل هواء أو فجوة ، فهو عند العرب « بهو »

(٣) « أحصى الشىء » أحاط به وحفظه ، يعنى هل استوفيتم القيام بكل ما أمر به فى ذلك وحفظتموه وضبطتم العمل به ، ومنه قوله تعالى

﴿ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾

أى أن تضيقوا القيام به

(٤) « خاصمت الرجل فخصمته » أى غلبته بالحجة

(٥) الأثر « ما تتركه فى الأرض من ثقل خطاك عليها ، وأراد به هنا السعى فى الأرض . كما فى قوله تعالى « ونكتب ما قدموا وآثارهم » ، أى خطاهم حيث سعوا فى الأرض

(٦) الأثر ٩٢٣٠ - خرجه ابن كثير فى تفسيره ٢ ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، والسيوطى فى الدر المنثور ٢ ١٤٥ ، وقال ابن كثير : « إسناد صحيح ومتن حسن ، وإن كانت رواية الحسن

٩٢٣١ ــ حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا زياد بن مخراق ، عن معاوية بن قرة قال: أتينا أنس بن مالك، فكان فيما حدثنا قال: لم نر مثل الذى بلغنا عن ربنا ، ثم لم نخرج له عن كل أهل ومال! [1] ثم سكت هنيهة ، ثم قال : والله لقد كلفنا ربنا أهون من ذلك ! لقد تجاوز لنا عما دون الكبائر! فما لنا ولها ؟ ثم تلا: « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه » الآية . [2]

٩٢٣٢ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه » الآية ، إنما وعد الله المغفرة لمن اجتنبَ الكبائر. وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: « اجتنبوا الكبائر ، وسدّدوا ، وأبشروا » .

٩٢٣٣ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن رجل، عن ابن مسعود قال : فى خمس آيات من « سورة النساء » : لَهُنَّ أحب إلىَّ من الدنيا جميعاً: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عنكم سَيِّئَاتِكُمْ﴾، وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا ﴾ [سورة النساء : ٤٠] ،وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ

عن عمر ، وفيها انقطاع ، إلا أن مثل هذا اشتهر ، فتكفى شهرته » . وقال السيوطى : « أخرج ابن جرير بسند حسن » .

وقوله : « لوعظت بكم » ، أى : لأنزلت بكم من العقوبة ، ما يكون عظة لغيركم من الناس . وذلك أنهم جاءوا فى شكاة عاملهم على مصر ، وتشددوا ولم ييسروا ، وأرادوا أن يسير فى الناس بما لا يطيقون هم فى أنفسهم من الإحاطة بكل أعمال الإسلام ، وما أمرهم الله به . وذلك من الفتن الكبيرة . ولم يريدوا ظاهر الإسلام وأحكامه ، وإنما أرادوا بعض ما أدب الله به خلقه . وعمر أجل من أن يتهاون فى أحكام الإسلام . وإنما قلت هذا وشرحته ، مخافة أن يحتج به محتج من ذوى السلطان والجبروت، فى إباحة ترك أحكام الله غير معمول بها ، كما هو أمر الطغاة والجبابرة من الحاكمين فى زماننا هذا

(١) ليس فى المخطوطة « ثم » ، وتركتها لأنها فى الدر المنثور ، وتفسير ابن كثير .

(٢) الأثر : ٩٢٣١ – ابن كثير ٢ : ٤٢٥ . والدر المنثور ٢ : ١٤٥ ، ونسبه أيضاً لابن أبى شيبة ، وعبد بن حميد .

لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [سورة النساء: ٤٨، ١١٦] ، وقوله : ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [سورة النساء : ١١٠] ، وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ٣٠/٥
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [سورة النساء : ١٥٢] . (١)

٩٢٣٤ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني أبو النضر ، عن صالح المرّي ، عن قتادة ، عن ابن عباس قال : ثمانِ آيات نزلت في « سورة النساء » ، هي خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت : أولاهن : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة النساء: ٢٦] ، والثانية : ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾[سورة النساء : ٢٧] ، والثالثة : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ [سورة النساء: ٢٨] ، =ثم ذكر مثل قول ابن مسعود سواء ، وزاد فيه : ثم أقبل يفسرها في آخر الآية : وكان الله للذين عملوا الذنوب غفوراً رحيما . (٢)

* * *

وأما قوله : « وندخلكم مدخلا كريماً » ، فإن القرأة اختلفت في قراءته .

فقرأته عامة قرأة أهل المدينة وبعض الكوفيين : ﴿ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴾

---

(١) الأثر ٩٢٣٣ – خرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ١٤٥ ، ونسبه أيضاً لأبي عبيد القاسم بن سلام ، وسعيد بن منصور في فضائله ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، والطبراني ، والحاكم ، والبيهقي في الشعب .

(٢) الأثر : ٩٢٣٤ – « أبو النضر » ، كأنه : « إسحق بن ابراهيم بن يزيد الدمشقي الفراديسي » ، من شيوخ البخاري وأبي زرعة ، أدركه ولم يكتب عنه ، ولد سنة ١٤١ ، وتوفي سنة ٢٢٧ ، ثقة . مترجم في التهذيب ، وقد مضى في رقم : ٨٧٨٨ .

« وصالح المري » ، هو : صالح بن بشير بن وداع المري » ، القاص . روى عن الحسن ، وابن سيرين ، وقتادة ، وغيرهم . كان رجلا صالحاً ، ولكنه يروي أحاديث مناكير تنكرها الأئمة عليه . وهو متروك الحديث . مات سنة ١٧٢ ، أو سنة ١٧٦ ، مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري ٢/٢/٢٧٤ .

بفتح « الميم » ، وكذلك الذى فى « الحج » : ﴿لَيُدْخِلَنَّهُمْ مَدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ﴾ [سورة الحج : ٥٩] ، فمعنى : « وندخلكم مَدخلا » ، فيدخلون دُخُولا كريماً . وقد يحتمل على مذهب من قرأ هذه القراءة ، أن يكون المعنى فى « المدخل » : المكان والموضع . لأن العرب رُبما فتحت « الميم » من ذلك بهذا المعنى ، كما قال الراجز : (١)

* بِمَصْبَحِ الْحَمْدِ وَحَيْثُ نُمْسِي * (٢)

وقد أنشدنى بعضهم سماعاً من العرب : (٣)

الْحَمْدُ لِلّٰهِ مَمْسَانَا ومَصْبَحَنَا بِالْخَيْرِ صَبَّحَنَا رَبِّى وَمَسَّانَا (٤)

وأنشدنى آخر غيره :

* الْحَمْدُ لِلّٰهِ مُمْسَانا وَمُصْبَحَنَا *

لأنه من « أصبح » « وأمسى » . وكذلك تفعل العرب فيما كان من الفعل بناؤه على أربعة ، تضم ميمه فى مثل هذا فتقول : « دحرجته أدحرجه مُدحرجاً ، فهو مُدحرَج » . (٥) ثم تحمل ما جاء على « أفعل يُفعل » على ذلك . (٦) لأن « يُفعِل » من « يُدْخِل » ، وإن كان على أربعة ، فإن أصله أن يكون على « يؤفعل » ، « يؤدخل » و « يؤخرج » ، فهو نظير « يدحرج » . (٧)

* * *

(١) لم أعرف قائله .

(٢) معانى القرآن للفراء ١ : ٢٦٤ ، اللسان (صبح) .

(٣) هو أمية بن أبى الصلت .

(٤) ديوانه : ٦٢ ، معانى القرآن للفراء ١ : ٢٦٤ ، الخزانة ١ : ١٢٠ ، اللسان (مسى) ، وهو فاتحة هذه القصيدة .

(٥) فى المخطوطة : « دحرجته فهو مدحرج » ، وبينهما بياض بقدر كلمات ، فزاد فى المطبوعة : « مدحرجاً » ، وزدت « أدحرجه » ، لأن السياق فيما يلى يقتضى ذكرها .

(٦) فى المطبوعة : « فعل يفعل » ، والصواب من المخطوطة .

(٧) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفيين والبصريين : ﴿ مُدْخَلاً ﴾ بضم « الميم »، يعنى : وندخلكم إدخالا كريماً .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب ، قراءة من قرأ ذلك : ﴿ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً ﴾ بضم « الميم » ، لما وصفنا ، من أن ما كان من الفعل بناؤه على أربعة فى «فَعَلَ»، [1] فالمصدر منه «مُفْعَل» . وأن «أدخل» و «دحرج» «فَعَلَ» منه على أربعة . [1] فـ « المُدخل » مصدره أولى من « مَفعل »، مع أن ذلك أفصح فى كلام العرب فى مصادر ما جاء على « أفعل » ، كما يقال : « أقام بمكان فطاب له المُقام»، إذ أريد به الإقامة = و « قام فى موضعه فهو فى مَقام واسع »، كما قال جل ثناؤه : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ [سورة الدخان : ٥١] ، من « قام يقوم » . ولو أريد به «الإقامة » لقرئ : « إن المتقين فى مُقام أمين » كما قرئ : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ [سورة الإسراء : ٨٠]، بمعنى « الإدخال » و « الإخراج » . ولم يبلغنا عن أحد أنه قرأ : « مَدخل صدق » ولا « مَخْرج صدق » بفتح « الميم » .

* * *

وأما « المدخل الكريم »، فهو : الطيب الحسن ، المكرَّم بنفى الآفات والعاهات عنه، وبارتفاع الهموم والأحزان ودخول الكدر فى عيش من دَخله ، فلذلك سماه الله كريماً ، كما : —

٩٢٣٥ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل ، قال ،

---

(١) يعنى بقوله : « فعل » هنا فى الموضعين ، الفعل الماضى ، ولا يعنى الوزن الصرفى .

حدثنا أسباط ، عن السدى : « وندخلكم مدخلا كريماً » ، قال : « الكريم » ، هو الحسن فى الجنة .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ولا تتشهوا ما فضل الله به بعضكم على بعض .(٢)

* * *

وذكر أن ذلك نزل فى نساء تمنين منازل الرجال ، وأن يكون لهم ما لهم ، فنهى الله عباده عن الأمانى الباطلة ، وأمرهم أن يسألوه من فضله ، إذ كانت الأمانىّ تورث أهلها الحسد والبغى بغير الحق .(٣)

* * *

(١) الأثر : ٩٢٣٥ – فى المطبوعة : « محمد بن الحسن » ، وهو خطأ ، وانظر التعليق على الأثر السالف رقم : ٩٢٢٩ .

(٢) انظر تفسير « التمنى » فيما سلف ٢ : ٣٦٦

(٣) ولكن هذا باب من القول والتشهى ، قد لج فيه أهل هذا الزمان ، وخلطوا فى فهمه خلطاً لا خلاص منه إلا بصدق النية ، وبالفهم الصحيح لطبيعة هذا البشر ، وبالفصل بين ما هو أمان باطلة لا أصل لها من ضرورة ، وبالخروج من ربقة التقليد للأمم الغالبة ، وبالتحرر من أسر الاجتماع الفاسد الذى يضطرب بالأمم اليوم اضطراباً شديداً . ولكن أهل ملتنا ، هداهم الله وأصلح شئونهم ، قد انساقوا فى طريق الضلالة ، وخلطوا بين ما هو إصلاح لما فسد من أمورهم بالهمة والعقل والحكمة ، وبين ما هو إفساد فى صورة إصلاح . وقد غلا القوم وكثرت داعيتهم من دوى الأحقاد ، الذين قاموا على صحافة زمانهم ، حتى تبلبلت الألسنة ، ومرجت العقول ، وانزلق كثير من الناس مع هؤلاء الدعاة ، حتى صرنا نجد من أهل العلم ، ممن ينتسب إلى الدين ، من يقول فى ذلك مقالة يبرأ منها كل ذى دين . وفرق بين أن تحيى أمة رجالا ونساء حياة صحيحة سليمة من الآفات والعاهات والجهالات ، وبين أن تسقط الأمة كل حاجز بين الرجال والنساء ، ويصبح الأمر كله أمر أمان باطلة ، تورث أهلها الحسد والبغى بغير الحق ، كما قال أبو جعفر لله دره ، ولله بلاؤه . فالله اهدنا سواء السبيل ، فى زمان خانت الألسنة فيه عقولها ! وليحذر الذين يخالفون عن أمر الله ، وعن قضائه فيهم ، أن تصيبهم قارعة تذهب بما بقى من آثارهم فى هذه الأرض ، كما ذهبت بالذين من قبلهم .

* ذكر الأخبار بما ذكرنا :

٩٢٣٦ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا مؤمل ، قال حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : قالت أم سلمة : يا رسول الله ، لا نعطى الميراث ، ولا نغزو في سبيل الله فنُقتل ؟ فنزلت : « ولا تتمنوا ما فضّل الله به بعضكم على بعض » . (١)

٩٢٣٧ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا معاوية بن هشام ، عن سفيان الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : قالت أم سلمة : يا رسول الله ، تغزو الرجال ولا نغزو ، وإنما لنا نصف الميراث ! فنزلت : « ولا تتمنوا ما فضّل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيبٌ مما اكتسَبوا وللنساء نصيبٌ مما اكتسبن » ، ونزلت ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾ [سورة الأحزاب : ٣٥] .

٩٢٣٨ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ابن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « ولا تتمنّوا ما فضل الله به بعضكم على بعض » ، يقول : لا يتمنى الرجل يقول : « ليت أنّ لي مالَ فلان وأهلَه » ! فنهى الله سبحانه عن ذلك ، ولكن ليسأل الله من فضله . ٥/٣١

٩٢٣٩ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض » ، قال : قول النساء : « ليتنا رجالاً فنغزو ونبلُغ ما يبلغ الرجال » ! (٢)

---

(١) الحديث : ٩٢٣٦ – سفيان في هذا الإسناد : يجوز أن يكون الثوري ، وأن يكون ابن عيينة . فمؤمل يروي عنهما ، وكلاهما روى هذا الحديث : الثوري في الرواية عقب هذه : ٩٢٣٧ ، وابن عيينة في الرواية : ٩٢٤١ .

وسيأتي تخريج الحديث في : ٩٢٤١ .

(٢) في المطبوعة : « ليتنا رجال » بالرفع ، وهو الوجه السائر ، أما المخطوطة ، فقد كتب « رجالا » ، وضبطها بالقلم ضبطاً ، ولذلك أثبتها كما هي في المخطوطة ، و « ليت » تنصب الاسم وترفع الخبر ، وبعض النحويين ينصب الاسمين جميعاً ، وأنشدوا :

* يا لَيْتَ أيّامَ الصِّبا رَوَاجِعا *

٩٢٤٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض » ، قولُ النساء يتمنين : « ليتنا رجال فنغزو » ! ثم ذكر مثل حديث محمد بن عمرو.

٩٢٤١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد، قال : قالت أم سلمة : أيْ رسول الله ، أتغزو الرجال ولا نغزو ، وإنما لنا نصفُ الميراث ؟ فنزلت : « ولا تتمنوا ما فضل الله » .(١)

وحكى بعض النحويين : أن بعض العرب يستعمل « ليت » ، بمنزلة « وجدت » ، فيعديها إلى مفعولين ، ويجريها مجرى الأفعال ، فيقول : « ليت زيداً شاخصاً » . فرواية الخبر بالنصب ، صواب كما ترى ، لا معنى لتغييره. ولا يحمل هذا على الخطأ من الناسخ ، فالظاهر أن أبا جعفر أتى بالخبر التالى وفيه : « ليتنا رجال » ، لينبه على هذه الرواية بالنصب . وانظر ص ٢٦٤ ، تعليق : ١ .

(١) الحديث : ٩٢٤١ – هو فى تفسير عبد الرزاق ، ص : ٤١ (مخطوط مصور) ، بهذا الإسناد . وقد سبق بإسنادين آخرين : ٩٢٣٦ ، ٩٢٣٧ .

ورواه أحمد فى المسند ٦ : ٣٢٢ (حلبى) ، عن سفيان ، وهو ابن عيينة ، بهذا الإسناد .

ورواه الترمذى ٤ : ٨٨ ، عن ابن أبي عمر ، عن سفيان . وفيه : « عن مجاهد ، عن أم سلمة : أنها قالت : يغزو الرجال . . . » ، إلخ .

ورواه الحاكم ٢ : ٣٠٥ – ٣٠٦ ، من طريق قبيصة بن عقبة ، عن سفيان – وهو الثورى – عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « عن أم سلمة : أنها قالت . . . » .

ورواه الواحدى فى أسباب النزول ، ص ١١٠ ، من طريق قتيبة ، عن ابن عيينة – كرواية عبد الرازق هنا ، وأحمد فى المسند .

فاختلفت صيغة الرواية عن مجاهد . ففى بعضها : « عن مجاهد ، قال : قالت أم سلمة » . وفى بعضها : « عن مجاهد عن أم سلمة : أنها قالت » .

فالصيغة الأولى ظاهرها الإرسال ، لأن معناها أن مجاهداً يحكى من قبل نفسه ما قالته أم سلمة للنبى صلى الله عليه وسلم ، فيكون مرسلا ، لأنه لم يدرك ذلك .

والصيغة الثانية ظاهرها الاتصال ، لأن معناها أن مجاهداً يذكر هذا رواية عن أم سلمة . ثم يختلفون أيضاً فى وصله دون حجة .

فقد قال الترمذى – بعد روايته « عن مجاهد عن أم سلمة » – : « هذا حديث مرسل . ورواه بعضهم عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ، مرسلا : أن أم سلمة قالت كذا وكذا » .

وقال الحاكم – بعد روايته « عن مجاهد عن أم سلمة » – : « هذا حديث على شرط الشيخين ، إن كان سمع مجاهد من أم سلمة » . ووافقه الذهبي على تصحيحه ، وأعرض عن تعليله فلم يشر إليه .

٩٢٤٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر ، عن شيخ من أهل مكة قوله : « ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض » ، قال : كان النساء يقلن : « ليتنا رجال فنجاهد كما يجاهد الرجال ، ونغزو في سبيل الله » ! فقال الله : « ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض » .

٩٢٤٣ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن قال : تتمنى مالَ فلان ومال فلان ! وما يدريك؟ لعل هلاكه في ذلك المال !

٩٢٤٤ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج، عن عكرمة ومجاهد : أنهما قالا : نزلت في أم سلمة ابنة أبي أمية بن المغيرة . (١)

وعندي – بما أرى من السياق والقرائن – أن الروايتين بمعنى واحد ، وإنما هو اختلاف في اللفظ من تصرف الرواة . وكلها بمعنى « مجاهد عن أم سلمة » . فقد ثبت اللفظان في رواية ابن عيينة . وكذا قد ثبتا في رواية الثوري، هنا في: ٩٢٣٧، وفي رواية الحاكم . وقد نقل ابن كثير ٢ : ٤٢٨ ، عن ابن أبي حاتم أنه قال : « وروى يحيى القطان ووكيع بن الجراح ، عن الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن أم سلمة ، قالت : قلت : يا رسول الله » .

وأما حكم الترمذي في روايته من طريق ابن عيينة – بأنه حديث مرسل ، فإنه جزم بلا دليل .

ومجاهد أدرك أم سلمة يقيناً وعاصرها ، فإنه ولد سنة ٢١ ، وأم سلمة ماتت بعد سنة ٦٠ على اليقين .

والمعاصرة – من الراوي الثقة – تحمل على الاتصال ، إلا أن يكون الراوي مدلساً . ولم يزعم أحد أن مجاهداً مدلس ، إلا كلمة قالها القطب الحلبي في شرح البخاري ، حكاها عنه الحافظ في التهذيب ١٠ : ٤٤ ، ثم عقب عليها بقوله : « ولم أر من نسبه إلى التدليس » . وقال الحافظ أيضاً في الفتح ٦ : ١٩٤ ، رداً على من زعم أن مجاهداً لم يسمع من عبد الله بن عمرو – : « لكن سماع مجاهد بن عبد الله من عمرو ثابت ، وليس بمدلس » .

فثبت عندنا اتصال الحديث وصحته . والحمد لله .

والحديث ذكره ابن كثير ٢ : ٤٢٨ ، من رواية المسند ، ثم أشار إلى روايات الترمذي ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، وابن جرير ، والحاكم .

وذكره السيوطي ٢ : ١٤٩ ، وزاد نسبته لعبد بن حميد ، وسعيد بن منصور ، وابن المنذر .

(١) الأثر : ٩٢٤٤ – ابن كثير ٢ : ٤٢٩ ، والدر المنثور ٢ : ١٤٩ ، ولم ينسبه لغير ابن جرير .

٩٢٤٥ – وبه قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء قال : هو الإنسان ، يقول : « وددت أن لي مال فلان » ! قال : « واسألوا الله من فضله » ، وقول النساء : « ليت أنا رجالا فنغزو ونبلغ ما يبلغ الرجال » ![1]

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لا يتمنَّ بعضكم ما خصَّ الله بعضاً من منازل الفضل .

* ذكر من قال ذلك :

٩٢٤٦ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض » ، فإن الرجال قالوا : «نريد أن يكون لنا من الأجر الضعفُ على أجر النساء ، كما لنا في السهام سهمان ، فنريد أن يكون لنا في الأجر أجران » . وقالت النساء : « نريد أن يكون لنا أجرٌ مثل أجر الرجال ، فإنا لانستطيع أن نقاتل ، ولو كتب علينا القتال لقاتلنا » ! فأنزل الله تعالى الآية ، وقال لهم : سلوا الله من فضله ، يرزقكم الأعمال ، وهو خير لكم .

٩٢٤٧ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن أيوب ، عن محمد قال : نُهيتم عن الأمانيّ ، ودُللتم على ما هو خير منه . « واسألوا الله من فضله » .

٩٢٤٨ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عارم قال ، حدثنا حماد بن زيد ،

---

(١) في المطبوعة : « ليتنا رجال فنغزو » ، على الوجه السائر ، ولكني أثبت ما في المخطوطة ، ولم أغيره ، وهو صواب عند النحاة ، فإنهم يقولون : إن من بعض لغات العرب أن تنصب « أن » الاسم والخبر جميعاً ، قال بذلك أبو عبيد القاسم بن سلام والفراء وابن السيد وابن الطراوة . واستشهدوا بقول الشاعر :

إِذَا الْتَفَّ جِنْحُ اللَّيْلِ ، فَلْتَأْتِ ، وَلْتَكُنْ خُطَاكَ خِفَافًا إِنَّ حُرَّاسَنَا أُسْدَا

وانظر التعليق السالف ص ٢٦١ ، تعليق ٢

عن أيوب قال : كان محمد إذا سمع الرجل يتمنى فى الدنيا قال : قد نهاكم الله عن هذا : « ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض »، ودلكم على خير منه : « واسألوا الله من فضله » .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام على هذا التأويل : ولا تتمنوا ، أيها الرجال والنساء ، الذى فضل الله به بعضكم على بعض من منازل الفضل ودرجات الخير ، وليرض أحدكم بما قسم الله له من نصيب ، ولكن سلُوا الله من فضله .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : معنى ذلك : للرجال نصيب مما اكتسبوا، من الثواب على الطاعة ، والعقاب على المعصية = « وللنساء نصيب » من ذلك مثل ذلك .

* ذكر من قال ذلك :

٩٢٤٩ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيبٌ مما اكتسبوا وللنساء نصيبٌ مما اكتسبن » ، كان أهل الجاهلية لا يورِّثون المرأة شيئاً ولا الصبيَّ شيئاً، وإنما يجعلون الميراث لمن يَحْترف وينفع ويدفع.[1] فلما نَجَزَ للمرأة نصيبها وللصبيّ نصيبه ،[2] وجَعل للذكر مثل حظّ الأنثيين ، قال النساء: « لو

---

(١) احترف لعياله ، وحرف لعياله : سعى لهم فى الكسب وطلب الرزق .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة والدر المنثور ٢ : ١٤٩ « لحق » ، واللام فى المخطوطة مائلة . فرأيت أن « لحق » هنا لا معنى لها ، ولم أجدها من قبل فى كلام معناه كمعنى هذا الكلام ، واجتهدت

كان جعل أنصباءنا فى الميراث كأنصباء الرجال» !وقال الرجال : «إنا لنرجو أن نفضَّل على النساء بحسناتنا فى الآخرة ، كما فضلنا عليهن فى الميراث »! فأنزل الله: « للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن » ، يقول : المرأة تُجزى بحسنتها عشر أمثالها ، كما يُجْزى الرجل، قال الله تعالى : « واسألوا الله من فضله ».

٩٢٥٠ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الرحمن بن أبى حماد قال ، حدثنى أبو ليلى قال ، سمعت أبا حريز يقول : لما نزل : « للذكر مثل حظ الأنثيين » ، قالت النساء: كذلك عليهم نصيبان من الذنوب ، كما لهم نصيبان من الميراث ! فأنزل الله : « للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن » ، يعنى الذنوب = « واسألوا الله »، يا معشر النساء = « من فضله » .[1] ٣٢/٥

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : للرجال نصيب مما اكتسبوا من ميراث موتاهم ، وللنساء نصيب منهم .

* ذكر من قال ذلك :

٩٢٥١ – حدثنا المثنى قال،حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « للرجال نصيب مما

قراءتها ، ورجحت أنها « نجز » . يقال : « نجز حاجته » : إذا قضاها وعجلها ، كأنه قال : فلما عجل للمرأة نصيبها وقضاه .

(١) الأثر : ٩٢٥٠ – « عبد الرحمن بن أبى حماد » انظر ما سلف عنه برقم : ٣١٠٩ ، ٤٠٧٧ ، ٦٦٩١ ، ٨٤٣١ ، ورواية المثنى عنه .

و « أبو ليلى » هو : « عبد الله بن ميسرة الكوفى » ، ويكنى « أبا إسحق » ، وقد سلفت ترجمته برقم : ٦٩٢٠ .

و « أبو حريز » هو : « عبد الله بن الحسين الأزدى » قاضى سجستان . قال ابن حبان فى الثقات : « صدوق » ، وقال ابن أبى عدى : « عامة ما يرويه لا يتابعه عليه أحد » . وقال سعيد ابن أبى مريم : « كان صاحب قياس ، وليس فى الحديث شىء » . مترجم فى التهذيب . وكان فى المطبوعة : « أبو جرير » ، وهو خطأ ، والمخطوطة غير منقوطة .

اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن » ، يعني : ما ترك الوالدان والأقربون : يقول : للذكر مثل حظّ الأنثيين .

٩٢٥٢ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن أبي إسحق ، عن عكرمة أو غيره في قوله : « للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن » ، قال : في الميراث ، كانوا لا يورّثون النساء .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك بتأويل الآية ، قول من قال : معناه : للرجال نصيب من ثواب الله وعقابه مما اكتسبوا فعملوه من خير أو شر ، وللنساء نصيب مما اكتسبن من ذلك كما للرجال .

وإنما قلنا إن ذلك أولى بتأويل الآية من قول من قال : « تأويله : للرجال نصيب من الميراث ، وللنساء نصيب منه » ، لأن الله جل ثناؤه أخبر أن لكل فريق من الرجال والنساء نصيباً مما اكتسب . وليس الميراث مما اكتسبه الوارث ، وإنما هو مال أورثه الله عن ميّته بغير اكتساب ، وإنما « الكسب » العمل ، و « المكتسب » المحترف .[1] فغير جائز أن يكون معنى الآية = وقد قال الله : « للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن » : للرجال نصيبٌ مما ورثوا ، وللنساء نصيب مما ورثن . لأن ذلك لو كان كذلك لقيل : « للرجال نصيب مما لم يكتسبوا ، وللنساء نصيب مما لم يكتسبن » ! !

* * *

---

(١) انظر تفسير « الكسب » و « الاكتساب » فيما سلف ٢ : ٢٧٣ ، ٣/٢٧٤ : ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٢٨ ، ٤/١٢٩ : ٦/٤٤٩ : ١٣١ ، ٧/٢٩٥ : ٣٢٧ ، ٣٦٤

القول فى تأويل قوله ﴿ وَسْئَلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : واسألوا الله من عونه وتوفيقه للعمل بما يرضيه عنكم من طاعته . ففضله فى هذا الموضع : توفيقه ومعونته كما : —[1]

٩٢٥٣ — حدثنا محمد بن مسلم الرازى قال ، حدثنا أبو جعفر النفيلى قال ، حدثنا يحيى بن يمان ، عن أشعث ، عن سعيد : « واسألوا الله من فضله » ، قال : العبادة ، ليست من أمر الدنيا .

٩٢٥٤ — حدثنا محمد بن مسلم قال ، حدثنى أبو جعفر قال ، حدثنا موسى ، عن ليث قال : « فضله » ، العبادة ، ليسَ من أمر الدنيا .[2]

٩٢٥٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا هشام ، عن ليث ، عن مجاهد فى قوله : « واسألوا الله من فضله » ، قال : ليس بعرض الدنيا .

٩٢٥٦ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « واسألوا الله من فضله » ، يرزقكم الأعمال ، وهو خير لكم.

٩٢٥٧ — حدثنا ابن وكيع قال : حدثنا أبى قال ، حدثنا إسرائيل ، عن حكيم ابن جبير ، عن رجل لم يسمه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سلوا الله من فضله ، فإنه يحب أن يسأل ، وإنّ من أفضل العبادة انتظارَ الفرج .[3]

* * *

---

(١) انظر تفسير « الفضل » فيما سلف ٢ : ٣٤٤/٥ : ١٦٤ ، ٥٧١/٦ : ٥١٦/٧ : ٢٩٩ ، ٤١٤

(٢) الأثران : ٩٢٥٣ ، ٩٢٥٤ — « محمد بن مسلم الرازى » ، هو المعروف بابن واره ، واسمه « محمد بن مسلم بن عثمان بن عبد الله » ، الحافظ ، كان أحد المتقنين الأمناء ، قالوا : كان ابن مسلم شيئاً عجباً . وكان أبو زرعة الرازى لا يقوم لأحد ، ولا يجلس أحداً فى مكانه إلا ابن واره . وكان ابن واره فيه بأو شديد وعجب . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٧٩/١/٤ ، وتاريخ بغداد ٣ : ٢٥٦ .

و « أبو جعفر النفيلى » ، هو : « عبد الله بن محمد بن على بن نفيل القضاعى » ، روى له الأئمة . كان حافظاً ، وكان الإمام أحمد إذا رآه يعظمه . مترجم فى التهذيب .

(٣) الأثر : ٩٢٥٧ — « حكيم بن جبير الأسدى » ، تكلموا فيه ، قال أحمد : « ضعيف

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾ (٣٢)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : إنّ الله كان بما يصلح عباده — فيما قسم لهم من خير ، ورفع بعضهم فوق بعض فى الدين والدنيا ، وبغير ذلك من قضائه وأحكامه فيهم = « عليما » ، يقول : ذا علم . فلا تتمنوا[1] غير الذى قضى لكم ، ولكن عليكم بطاعته ، والتسليم لأمره ، والرضى بقضائه ، ومسألته من فضله .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَالِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ﴾

يعنى جل ثناؤه بقوله : « ولكلّ جعلنا موالى » ، ولكلكم ، أيها الناس = « جعلنا موالى » ، يقول : ورثة من بنى عمه وإخوته وسائر عصبته غيرهم .

* * *

والعرب تسمى ابن العم « المولى » ، ومنه قول الشاعر :[2]

الحديث مضطرب » ، وقال أبو حاتم : « ضعيف الحديث ، منكر الحديث ، له رأى غير محمود ، نسأل الله السلامة ، غال فى التشيع » .

وهذا الأثر رواه الترمذى فى كتاب الدعوات : ٥١٤ من طريق : بشر بن معاذ العقدى ، عن حماد بن واقد ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحق ، عن أبى الأحوص ، عن عبد الله بن مسعود ، ثم قال الترمذى : « هكذا روى حماد بن واقد هذا الحديث ، وحماد بن واقد ليس بالحافظ . وروى أبو نعيم هذا الحديث عن إسرائيل ، عن حكيم بن جبير ، عن رجل ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وحديث أبى نعيم أشبه أن يكون أصح » . وقال ابن كثير فى تفسيره ٢ : ٤٣٠ ، ونقل ما قاله الترمذى : « وكذا رواه ابن مردويه من حديث وكيع عن إسرائيل . ثم رواه من حديث قيس بن الربيع ، عن حكيم بن جبير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سلوا الله من فضله ، فإن الله يحب أن يسأل ، وإن أحب عباد الله إلى الله الذى يحب الفرج » .

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « ولا تتمنوا » ، والجيد ما أثبت

(٢) لم أعرف قائله .

وَمَوْلًى رَمَيْنَا حَوْلَهُ وَهُوَ مُدْغِلٌ بِأَعْرَاضِنَا وَالْمُنْدِيَاتِ سَرُوعُ (١)

يعنى بذلك : وابن عم رمينا حوله ، ومنه قول الفضل بن العباس :

مَهْلاً بَنِي عَمِّنَا مَهْلاً مَوَالِينَا لاَ تُظْهِرُنَّ لَنَا مَا كَانَ مَدْفُونَا (٢)

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

* ذكر من قال ذلك :

٩٢٥٨ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو أسامة قال ، حدثنا إدريس قال ، حدثنا طلحة بن مصرف ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى قوله : « ولكل جعلنا موالى »، قال : ورثة .

٩٢٥٩ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ،حدثنى معاوية ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة، عن ابن عباس: « ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان»، قال : الموالى ، العصبة، يعنى = الورثة . ٣٣/٥

٩٢٦٠ ــ حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد فى قوله: « ولكل جعلنا موالى »، قال : الموالى،العصبة .

---

(١) لم أجد البيت فى مكان ، وهو فى المخطوطة .

* بأعواضنا والمدبات سروع *

و « رجل مدغل » : ذوغب مفسد بين الناس . و « المنديات » ، المخزيات ، وأنا بعد ذلك فى شك شديد من « بأعراضنا » و « سروع » ، فتركت البيت على حاله حتى أجده ، أو ألتمس له وجهاً صحيحاً . وقوله : « رمينا حوله » ، أى ناضلنا عنه ، ودافعنا وراميناه من حوله من يراميه .

(٢) مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٢٥ ، والكامل ٢ : ٢٧٩ والمؤتلف والمختلف ، ومعجم الشعراء : ٣٥ ، ٣١٠ ، والحماسة ١ : ١٢١ ، والصداقة والصديق : ١٣٩ ، واللسان (ولى) وغيرها . وراويتهم .

* لاَ تَنْبِشُوا بَيْنَنَا مَا كَانَ مَدْفُونَا *

وهى أجود الروايتين وأحقهما بمعنى الشعر ، وفى اللسان رواية أخرى لا تقوم .

٩٢٦١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى، عن منصور، عن مجاهد قوله: « ولكل جعلنا موالى » ، قال : هم الأولياء .

٩٢٦٢ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ولكل جعلنا موالى » ، يقول : عصبة .

٩٢٦٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « ولكل جعلنا موالى » ، قال : الموالى ، أولياء الأب ، أو الأخ ، [1] أو ابن الأخ ، أو غيرهما من العصبة .

٩٢٦٤ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولكل جعلنا موالى » ، أما « موالى » ، فهم أهل الميراث.

٩٢٦٥ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ولكل جعلنا موالى » ، قال : الموالى ، العصبة . هم كانوا فى الجاهلية الموالى ، فلما دخلت العجم على العرب لم يجدوا لهم اسماً ، فقال الله تبارك وتعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ﴾ [سورة الأحزاب : ٥]، فسموا : «الموالى»، قال: و« المولى » اليوم موليان: مَوْلى يرث ويورث، فهؤلاء ذوو الأرحام – ومولى يورَث ولا يرِث، فهؤلاء العَتَاقة .[2] وقال : ألا ترون قول زكريا: ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي ﴾ [سورة مريم : ٥] ؟ فالموالى ههنا الورثة .

* * *

ويعنى بقوله : « مما ترك الوالدان والأقربون »، مما تركه والداه وأقرباؤه من الميراث .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « الأب الأخ » بإسقاط « أو » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) يقال : « هو مولى عتاقة » ، هو الذى أعتق من الرق ، و « العتاقة » (بفتح العين) مصدر مثل « العتق » (بكسر فسكون) و « عتاق » (بفتح العين) . وقوله : « فهؤلاء العتاقة » ، يعنى : فهؤلاء موالى العتاقة ، فإن لا يكن قد سقط من الناسخ « موالى » ، فهو مصدر وصف به ، بمعنى فهؤلاء المعتقون .

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام : ولكلكم، أيها الناس ، جعلنا عَصَبة يرثون به مما ترك والداه وأقرباؤه من ميراثهم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ﴾(١)

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأه بعضهم : ﴿ والَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ ، بمعنى : والذين عقدت أيمانكم الحلفَ بينكم وبينهم . وهى قراءة عامة قرأة الكوفيين .

* * *

وقرأ ذلك آخرون : ﴿ وَالَّذِينَ عَاقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ ، بمعنى : والذين عاقدت أيمانكم وأيمانهم الحلفَ بينكم وبينهم .

* * *

قال أبو جعفر : والذى نقول به فى ذلك : إنهما قراءتان معروفتان مستفيضتان فى قرأة أمصار المسلمين بمعنى واحد .

* * *

وفى دلالة قوله : « أيمانكم » على أنها أيمان العاقدين والمعقود عليهم الحلف ، مستغنىً عن الدلالة على ذلك بقراءة قوله : «عقدت» ، «عاقدت». وذلك أن الذين قرأوا ذلك : « عاقدت » ، قالوا : لا يكون عَقْد الحلف إلاّ من فريقين ، ولا بد لنا من دلالة فى الكلام على أن ذلك كذلك. وأغفلوا موضعَ دلالة قوله : « أيمانكم » ، على أن معنى ذلك أيمانكم وأيمانُ المعقود عليهم ، وأن العقد إنما هو صفة للأيمان دون

---

(١) لم يذكر فى المخطوطة والمطبوعة : « فآتوهم نصيبهم » فى هذا الموضع ، ولا فيما بعده ، فأثبتها فى مكانها ، لأنه فسرها بعد فى هذا الموضع

العاقدين الحلف ، حتى زعم بعضهم أن ذلك إذا قرئ : « عقدت أيمانكم » ، فالكلام محتاج إلى ضمير صفة تَتِمّ الكلام ،[١] حتى يكون الكلام معناه : والذين عقدت لهم أيمانكم = ذهاباً منه عن الوجه الذى قلنا فى ذلك، من أن الأيمان معنىٌّ بها أيمان الفريقين .

* * *

وأما « عاقدت أيمانكم » ، فإنه فى تأويل : عاقدت أيمانُ هؤلاء أيمانَ هؤلاء، الحلفَ .

فهما متقاربان فى المعنى ، وإن كانت قراءة من قرأ ذلك : « عقدت أيمانكم » بغير « ألف »، أصح معنى من قراءة من قرأه « عاقدت » ، للذى ذكرنا من الدلالة المُغنية فى صفة الأيمان بالعقد ،[٢] على أنها أيمان الفريقين = من الدلالة على ذلك بغيره .[٣]

* * *

وأما معنى قوله : « عقدت أيمانكم » ، فإنه : وَصَلت وشَدّت وَوكّدت =

---

(١) فى المطبوعة : « إلى ضمير صلة فى الكلام » ، وهو خلط لا معنى له . وأثبت ما فى المخطوطة ، وقوله : « ضمير » ، أى : إضمار ، وقد سلف مثل ذلك ١ : ٤٢٧ ، تعليق : ٢/١ : ١٠٧ ، تعليق : ١ . وأما قوله : « صفة » ، فقد سلف مراراً أن « الصفة » هى حرف الجر ، و « حروف الصفات » ، هى حروف الجر (انظر ٦ : ٣٢٩ ، تعليق : ٦ ، والمراجع هناك) ، والمعنى : إضمار حرف جر .

وأما قوله : « تتم الكلام » فهذا لفظ غم على معناه ، وهو فى المخطوطة كما أثبته ، ولعله أراد أن حرف الجر المتعلق بقوله : « عقدت » يتم الجملة من فساد المعنى . ولعل ذلك من قديم عبارتهم ، وإن كنت لا أحققه ، وفوق كل ذى علم عليم .

(٢) فى المطبوعة : « من الدلالة على المعنى — فى صفة الأيمان بالعقد » وهو باطل المعنى ، وفى المخطوطة : « من الدلالة على المعنية فى صفة الأيمان بالعقد » ، والذى لا شك فيه زيادة « على » فى هذه العبارة ، وأن قراءتها « المغنية » . وانظر التعليق التالى .

(٣) تداخلت مراجع حروف الجر فى هذه الجملة ، وأحببت أن ألين سياقها ، فهو يقول : « للذى ذكرنا من الدلالة المغنية فى صفة الأيمان بالعقد . . . من الدلالة على ذلك بغيره » ، فقوله : « من الدلالة » متعلق بقوله : « المغنية » ، يعنى أن صفة الأيمان بالعقد ، دلالة على أنها أيمان الفريقين ، وأن هذه الدلالة مغنية من الدلالة على ذلك المعنى بدلالة غيرها .

« أيمانكم » ، يعنى : مواثيقكم التى واثق بعضكم بعضاً[١]= « فآتوهم نصيبهم » .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى معنى « النصيب » الذى أمر الله أهل الحلف أن يؤتى بعضهم بعضاً فى الإسلام .[٢]

فقال بعضهم : هو نصيبه من الميراث، لأنهم فى الجاهلية كانوا يتوارثون ، فأوجب الله فى الإسلام من بعضهم لبعض بذلك الحلف ، وبمثله فى الإسلام ، من الموارثة مثل الذى كان لهم فى الجاهلية . ثم نسخ ذلك بما فرض من الفرائض لذوى الأرحام والقرابات .

* ذكر من قال ذلك :

٩٢٦٦ – حدثنا محمد بن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح ، عن الحسن ابن واقد ، عن يزيد النحوى ، عن عكرمة والحسن البصرى فى قوله : « والذين عاقدتْ أيمانكم فآتوهم نصيبهم إن الله كان على كل شىء شهيداً »،[٣] قال : كان الرجل يحالف الرجل ليس بينهما نسبٌ ، فيرث أحدهما الآخر ، فنسخ الله ذلك فى « الأنفال » فقال : ﴿وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة الأنفال : ٧٥] .[٤]

٣٤/٥ ٩٢٦٧ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير فى قول الله : « والذين عاقدت أيمانكم » ،

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « واثق بعضهم بعضاً » ، والسياق يقتضى أن تكون : « بعضكم » ، كما أثبتها .

(٢) انظر تفسير « النصيب » فيما سلف ٤ : ٦/٢٠٦ : ٢٨٨ .

(٣) ستأتى القراءة مرة « عاقدت » ومرة « عقدت » فى الآثار التالية ، فتركتها كما هى فى المخطوطة والمطبوعة ، فإن اختلفتا ، أثبت ما فى المخطوطة ، دون إشارة إلى ذلك من فعل .

(٤) أثبت تمام الآية من المخطوطة .

قال : كان الرجل يعاقد الرجل فيرثه ، وعاقد أبو بكر رضى الله عنه مولىً فورثه .

٩٢٦٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم » ، فكان الرجل يعاقد الرجل : أيُّهما مات ورثه الآخر . فأنزل الله : ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٦] ، يقول : إلا أن يوصوا لأوليائهم الذين عاقدوا وصيةً ، فهو لهم جائز من ثلث مال الميت . وذلك هو المعروف .

٩٢٦٩ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم إن الله كان على كل شىء شهيداً » ، كان الرجل يعاقد الرجل فى الجاهلية فيقول : « دمى دمُك ، وهَدَمى هَدَمك ، وترثنى وأرثك ، وتطلب بى وأطلب بك »[1] . فجعل له السدس من جميع المال فى الإسلام ، ثم يقسم أهل الميراث ميراثهم . فنسخ ذلك بعد فى « سورة الأنفال » فقال الله : ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ [سورة الأنفال : ٧٥] .

٩٢٧٠ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا

---

(١) قولهم : « دمى دمك » ، أى : إن قتلنى إنسان طلبت بدمى كما تطلب دم وليك وأخيك . و « الهدم » (بسكون الدال وتحريكها) ، فإذا سكنت الدال ، فمعناه : من هدم لى عزاً وشرفاً فقد هدمه منك ، أو : من أهدر دمى فقد أهدر دمك — أو : ما عفوت أنا عنه من الدم ، فعليك أن تعفو عنه . وأما « الهدم » (بفتح الدال) : فأصله : الشىء الذى انهدم ، وهو قريب المعنى من الأول ، ويقال : هو القبر ، أى : أقبر حيث تقبر . يريدون : لا تفارقنى ولا أفارقك فى الحياة والممات .

وقولهم : « تطلب بى وأطلب بك » ، أى : تطلب الثأر بى ، إذا أصابنى مكروه ، وأفعل ذلك بك . و « الباء » هنا بمعنى : السبب ، أى بسببى ومن جراء ما أصابنى . وهذه الكلمات كلها توثيق فى العهد ، وعقد لازم يوجب على الرجلين أن يتعاونا فى الخير والشر ، لا يفارق أحدهما صاحبه فى المحنة والبلاء .

معمر ، عن قتادة : « والذين عاقدت أيمانكم » ، قال : كان الرجل فى الجاهلية يعاقد الرجل فيقول : « دمى دمك ، وترثنى وأرثك ، وتطلب بى وأطلب بك » .[1] فلما جاء الإسلام بقى منهم ناس ، فأمروا أن يؤتوهم نصيبهم من الميراث ، وهو السدس ، ثم نسخ ذلك بالميراث ، فقال : ﴿وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾.

٩٢٧١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا همام ابن يحيى قال ، سمعت قتادة يقول ، فى قوله : « والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم » ، وذلك أن الرجل كان يعاقد الرجلَ فى الجاهلية فيقول : « هدمى هدمك ودمى دمك ، وترثنى وأرثك ، وتطالب بى وأطلب بك » ،[1] فجعل له السدس من جميع المال ، ثم يقتسم أهل الميراث ميراثهم . فنسخ ذلك بعد فى « الأنفال » فقال : ﴿وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِى كِتَابِ اللَّهِ﴾ ، فصارت المواريث لذوى الأرحام .

٩٢٧٢ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عكرمة قال : هذا حِلْفٌ كان فى الجاهلية ، كان الرجل يقول للرجل : « ترثنى وأرثك ، وتنصرنى وأنصرك ، وتَعْقِل عنى وأعقل عنك » .[2]

٩٢٧٣ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ،[3] سمعت الضحاك يقول فى قوله : « والذين عاقدت أيمانكم » ، كان الرجل يتبع الرجل فيعاقده : « إن ميتٌ ، فلك مثل ما يرث بعض ولدى » ! وهذا منسوخ .

---

(١) انظر التعليق السالف .

(٢) « العقل » (بفتح فسكون) : الدية . « عقل القتيل عقلا » : أدى ديته . و « عقل عنه » : أدى جنايته ، وذلك إذا لزمته دية فأعطاها عنه .

(٣) فى المطبوعة : « عبيد بن سلمان » ، وهو خطأ كثر فى هذه المطبوعة ، تبهت عليه مراراً ، والصواب من المخطوطة ، وهو إسناد دائر فى التفسير ، وسأصححه منذ اليوم ثم لا أشير إليه ثانية .

٩٢٧٤ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والأقربون والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم » ، فإن الرجل فى الجاهلية قد كان يلحق به الرجل فيكون تابعه ، فإذا مات الرجل صار لأهله وأقاربه الميراث ، وبقى تابعه ليس له شيء، فأنزل الله: « والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم » ، فكان يعطى من ميراثه ، فأنزل الله بعد ذلك : ﴿ وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ ﴾ .

* * *

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية فى الذين آخى بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار ، فكان بعضهم يرث بعضاً بتلك المؤاخاة ، ثم نسخ الله ذلك بالفرائض، وبقوله : « ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والأقربون ».

* ذكر من قال ذلك :

٩٢٧٥ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو أسامة قال ، حدثنا إدريس ابن يزيد قال ، حدثنا طلحة بن مصرف ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى قوله : « والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم »، قال: كان المهاجرون حين قَدِموا المدينة ، يرث المهاجرىُّ الأنصارىَّ دون ذوى رحمه ، للأخوة التى آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم . فلما نزلت هذه الآية : « ولكل جعلنا موالى » ، نسخت .(١)

---

(١) الأثر : ٩٢٧٥ – أخرجه البخارى فى صحيحه (الفتح ٨ : ١٨٦) مطولا ، وفرقه الطبرى ، فروى بعضه هنا، وروى سائره برقم : ٩٢٧٧ ، قال الحافظ ابن حجر : « إدريس ، هو ابن يزيد الأودى (بفتح الألف وسكون الواو) والد عبد الله بن إدريس الفقيه الكوفى ، ثقة عندهم ، وما له فى البخارى سوى هذا الحديث . ووقع فى رواية الطبرى عن أبى كريب ، عن أبى أسامة : حدثنا إدريس بن يزيد » ، وقد وقع فى رواية البخارى نقص ، سقط منه « فآتوهم نصيبهم » مع أن قوله : « من النصر » متعلق بقوله: « فآتوهم نصيبهم » لا بقوله : « عاقدت » ، وهو وجه الكلام » ، واستدركه الحافظ فى الفتح من رواية الطبرى هذه .

٩٢٧٦ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله : « والذين عاقدت أيمانكم » ، الذين عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم = « فآتوهم نصيبهم » ، إذا لم تأت رحمٌ تحول بينهم . قال : وهو لا يكون اليوم ، إنما كان في نفر آخىَ بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانقطع ذلك . ولا يكون هذا لأحدٍ إلا للنبي صلى الله عليه وسلم ، كان آخى بين المهاجرين والأنصار ، واليوم لا يؤاخَى بين أحد . ٥/٣٥

* * *

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية في أهل العقد بالحلف ، ولكنهم أمروا أن يؤتى بعضهم بعضاً أنصباءهم من النصرة والنصيحة وما أشبه ذلك ، دون الميراث .

* ذكر من قال ذلك :

٩٢٧٧ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو أسامة قال ، حدثنا إدريس الأودي قال ، حدثنا طلحة بن مصرف ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم » من النصر والنصيحة والرِّفادة ، ويوصى لهم ، وقد ذهبَ الميراث . (١)

٩٢٧٨ – حدثنا محمد ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد : « والذين عقدت أيمانكم » . قال : كان حلفٌ في الجاهلية، (٢) فأمرُوا في الإسلام أن يعطوهم نصيبهم من العقل والمشورة

---

(١) الأثر : ٩٢٧٧ – هو تمام الأثر السالف رقم ٩٢٧٥ ، وقد سلف التعليق عليه . وقد كان في المخطوطة : « وقد الميراث » بينهما بياض ، أتممته المطبوعة على الصواب من رواية البخاري . وفي البخاري زيادة : « وقد ذهب الميراث ، ويوصى له » .

و « الرفادة » (بكسر الراء) : الإعانة بالعطية والصلة ، ومنه « الرفادة » التي كانت قريش ترافد بها في الجاهلية ، يخرج كل إنسان مالا بقدر طاقته ، فيجمعون من ذلك مالا عظيما أيام الموسم ، فيشترون به للحاج الجزر والطعام والزبيب ، فلا يزالون يطعمون الناس حتى تنقضي أيام الحج . وكانت الرفادة والسقاية لبني هاشم .

(٢) « كان » هنا تامة ، لا اسم لها ولا خبر .

والنصرة ، [١] ولا ميراث .

٩٢٧٩ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة ، عن منصور، عن مجاهد أنه قال فى هذه الآية : « والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم » من العوْن والنصر والحِلف .

٩٢٨٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا الثورى ، عن منصور ، عن مجاهد فى قول الله : « والذين عاقدت أيمانكم » ، قال : كان هذا حلفاً فى الجاهلية ، فلما كان الإسلام ، أمروا أن يؤتوهم نصيبهم من النصر والولاء والمشورة ، ولا ميراث .

٩٢٨١ – حدثنا زكريا بن يحيى بن أبى زائدة قال ، حدثنا حجاج ، قال ابن جريج : « والذين عاقدت أيمانكم » ، أخبرنى عبد الله بن كثير : أنه سمع مجاهدا يقول: هو الحلف: « عقدت أيمانكم » . قال: « فآتوهم نصيبهم » ، قال : النصر .

٩٢٨٢ – حدثنى زكريا بن يحيى قال،حدثنا حجاج ، قال ، ابن جريج ، أخبرنى عطاء قال : هو الحلف . قال : « فآتوهم نصيبهم » ، قال : العقل والنصر .

٩٢٨٣ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « والذين عاقدت أيمانكم » ، قال : لهم نصيبهم من النصر والرِّفادة والعقل . [٢]

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « من العقل والنصرة والمشورة » ، ولكن المخطوطة وضعت حرف « م » على كل من « النصرة والمشورة » بمعنى تقديم الثانى على الأول . ففعلت ذلك .
و « العقل » : الدية ، كما سلف شرحها قريباً ص : ٢٧٦ ، تعليق : ٢ .

(٢) الأثر : ٩٢٨٣ – فى المطبوعة : « محمد بن محمد بن عمرو » ، وهو خطأ محض ، صوابه من المخطوطة ، ومع ذلك فهو إسناد كثير الدوران فى التفسير ، أقربه : ٩٢٣٩ .
وانظر تفسير « العقل » ، و « الرفادة » فيما سلف قريباً من التعليقات .

٩٢٨٤ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد نحوه .

٩٢٨٥ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا الحماني قال ، حدثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد : « والذين عقدت أيمانكم » ، قال : هم الحلفاء .

٩٢٨٦ – حدثنا المثنى قال، حدثنا الحماني قال، حدثنا عباد بن العوام ، عن خصيف ، عن عكرمة مثله .

٩٢٨٧ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم » ، أما « عقدت أيمانكم » ، فالحلفُ، كالرجل في الجاهلية ينزل في القوم فيحالفونه على أنه منهم ، يواسونه بأنفسهم ، [1] فإذا كان لهم حق أو قتال كان مثلهم ، وإذا كان له حق أو نصرة خذلوه . فلما جاء الإسلام سألوا عنه ، وأبى اللهُ إلاّ أن يشدّده . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لم يزد الإسلام الحُلفاء إلا شدة » .

* * *

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية في الذين كانوا يتبنون أبناءَ غيرهم في الجاهلية ، فأمروا في الإسلام أنْ يوصوا لهم عند الموت وصيةً . [2]

* ذكر من قال ذلك :

٩٢٨٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني الليث ، عن عقيل، عن ابن شهاب قال ، حدثني سعيد بن المسيَّب : أن الله قال : « ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم » ، قال سعيد بن المسيب : إنما نزلت هذه الآية في الذين كانوا يتبنَّون

---

(١) « آساه بنفسه وواساه بنفسه » ، جعله « أسوة له » . أي : مثلا له . ومنها « المواساة » ، وهي المشاركة والمساهمة في المعاش والرزق .

(٢) في المطبوعة : « فأمروا بالإسلام » وهي سقيمة ، صوابها من المخطوطة .

رجالاً غير أبنائهم ويورّثونهم ، فأنزل الله فيهم ، فجعل لهم نصيباً فى الوصية ، وردّ الميراث إلى الموالى فى ذى الرحم والعصبة ، [١] وأبى الله للمدّعيَن ميراثاً ممن ادّعاهم وتبنّاهم ، ولكنّ الله جعل لهم نصيباً فى الوصية .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب فى تأويل قوله : « والذين عقدت أيمانكم » ، قولُ من قال : « والذين عقدت أيمانكم على المحالفة ، وهم الحلفاء » . وذلك أنه معلوم عند جميع أهل العلم بأيام العرب وأخبارها ، أنّ عقد الحلف بينها كان يكون بالأيمان والعهود والمواثيق ، على نحو ما قد ذكرنا من الرواية فى ذلك .

فإذ كان الله جل ثناؤه إنما وصف الذين عقدت أيمانهم ما عقدوه بها بينهم ، دون من لم تعقد عقداً بينهم أيمانهم [٢] = وكانت مؤاخاة النبى صلى الله عليه وسلم بين من آخى بينه وبينه من المهاجرين والأنصار ، لم تكن بينهم بأيمانهم ، ٥/٣٦
وكذلك التبنى = [٣] كان معلوماً أن الصواب من القول فى ذلك قولُ من قال : « هو الحلف » ، دون غيره ، لما وصفناه من العلة .

* * *

وأما قوله : « فآتوهم نصيبهم » ، فإن أولى التأويلين به ، ما عليه الجميع مجمعون من حكمه الثابت ، وذلك إيتاءُ أهل الحلف الذى كان فى الجاهلية دون الإسلام ، بعضهم بعضاً أنصباءَهم من النصرة والنصيحة والرأى ، دون الميراث . وذلك لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا حلف فى الإسلام ، وما كان من حلف فى الجاهلية ، فلم يزدْهُ الإسلام إلاّ شدّة » .

٩٢٨٩ — حدثنا بذلك أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن شريك ، عن

---

(١) فى المطبوعة : « فى ذوى الرحم » ، وهى صواب ، والذى أثبته من المخطوطة صواب أيضاً .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « دون من لم يعقد عقد ما بينهم أيمانهم » ، وصواب قراءتها ما أثبت . ثم قوله بعد : « وكانت مؤاخاة النبى . . . » معطوف على قوله : « فإذ كان الله . . . » .

(٣) قوله : « كان معلوماً » ، جواب قوله : « فإذ كان الله . . . » ، وما عطف عليه .

سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .(١)

٩٢٩٠ – وحدثنا أبو كريب قال، حدثنا مصعب بن المقدام ، عن إسرائيل ابن يونس ، عن محمد بن عبد الرحمن مولى آل طلحة، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا حلف فى الإسلام ، وكل حلف كان فى الجاهلية فلم يزده الإسلام إلا شدة . وما يسرنى أنّ لى حُمرَ النعم ، وأنى نقضتُ الحلف الذى كان فى دار الندوة .(٢)

٩٢٩١ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن أبيه ، عن شعبة بن التوأم الضبيّ : أن قيس بن عاصم سألَ النبي صلى الله عليه وسلم عن الحلف فقال : لا حلف فى الإسلام ، ولكن تمسكوا بحلف الجاهلية .

---

(١) الحديث : ٩٢٨٩ – إسناده صحيح .

ورواه أحمد فى المسند : ٢٩١١ ، ٣٠٤٦ ، من طريق شريك ، بهذا الإسناد مختصراً ، ليس فيه قوله « لا حلف فى الإسلام » . وهذه الزيادة ثابتة فيه فى رواية أبى يعلى . فقد ذكر الهيثمى فى مجمع الزوائد ٨ : ١٧٣ . كاملا وقال : « رواه أبو يعلى ، وأحمد باختصار . ورجالهما رجال الصحيح » .

وذكره ابن كثير ٢ : ٤٣١ – ٤٣٢ ، عن هذا الموضع من الطبرى .

وذكره السيوطى ٢ : ١٥١ ، مختصراً كرواية المسند . وقصر فى تخريجه جداً ، إذ لم ينسبه لغير عبد بن حميد .

(٢) الحديث : ٩٢٩٠ – وهذا إسناد آخر ، من وجه آخر – لحديث ابن عباس ، بلفظ أطول من الذى قبله .

وهو إسناد صحيح .

محمد بن عبد الرحمن بن عبيد ، مولى آل طلحة : ثقه ، وثقة ابن معين وغيره . مترجم فى التهذيب . والكبير للبخارى ١/١/١٤٦ ، وابن أبى حاتم ٣/٢/٣١٨ .

والزيادة التى هنا – « وما يسرنى أن لى حمر النعم » – ذكرها الهيثمى فى مجمع الزوائد ، حديثاً مستقلا ، ٨ : ١٧٢ . وقال : « رواه الطبرانى . وفيه مرزوق بن المرزبان ، ولم أعرفه ، وبقية رجاله رجال الصحيح » .

وليس إسناد الطبرانى أمامى ، حتى أستطيع أن أقول فيه . ولكن إسناد الطبرى هنا خلا من ذاك الرجل ، فصح الحديث من هذا الوجه .

وذكره ابن كثير ٢ : ٤٣٢ ، عن هذا الموضع ، ولم يزد .

« حمر النعم » ، انظر تفسيرها فيما سلف رقم : ٩١٨٥ .

٩٢٩٢ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا مغيرة ، عن أبيه ، عن شعبة بن التوأم ، عن قيس بن عاصم : أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الحلف ، قال فقال : ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به ، ولا حلف في الإسلام . (١)

٩٢٩٣ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن داود بن أبي عبد الله ، عن ابن جُدْعان ، ، عن جدّته ، عن أمّ سلمة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا حلف في الإسلام ، وما كان من حلف في الجاهلية لم يزده الإسلام إلاّ شدّة . (٢)

---

(١) الحديثان : ٩٢٩١ ، ٩٢٩٢ – مغيرة : هو ابن مقسم الضبي ، مضى في : ٣٣٤٩ .
أبوه « مقسم الضبي » : مترجم في التعجيل ، ص : ٤٠٩ ترجمة موجزة ، وأنه ذكره ابن حبان في الثقات . وهو تابعي ، روى عن النعمان بن بشير . وترجمه البخاري في الكبير ٣٣/٢/٤ . وابن أبي حاتم ٤١٤/١/٤ – ٤١٥ . ولم يذكرا فيه جرحاً .
شعبة بن التوأم الضبي ، ويقال « التميمي » : تابعي ثقة . مترجم في التعجيل ، ص : ١٧٧ – ١٧٨ ، والإصابة ٣ : ٢٣٠ ، والكبير ٢٤٤/٢/٢ ، وابن أبي حاتم ٣٦٨/١/٢ .
والحديث رواه الطيالسي : ١٠٨٤ ، عن جرير بن عبد الحميد ، عن مغيرة ، أي بأول الإسنادين هنا .
ورواه أحمد في المسند ٥ : ٦١ (حلبي) ، عن هشيم ، عن مغيرة . أي بثانيهما .
ونقله ابن كثير ٢ : ٤٣٢ ، عن ثانيهما . ثم أشار إلى رواية أحمد . ثم نقله ثانياً ، ص ٤٣٣ ، من رواية المسند .
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨ : ١٧٢ . وقال : « رواه أحمد » . ثم لم يزد !
وأشار إليه ابن أبي حاتم في ترجمة « شعبة بن التوأم » ، فقال : « روى عن قيس بن عاصم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : لا حلف في الإسلام » .

(٢) الحديث : ٩٢٩٣ – داود بن أبي عبد الله ، مولى بني هاشم : ثقة ، ذكره ابن حبان في الثقات ، كما في التهذيب . وترجمه ابن أبي حاتم ٤١٧/٢/١ ، فلم يذكر فيه جرحاً .
ابن جدعان : المشهور بذلك عند أهل هذا الشأن ، هو « علي بن زيد بن جدعان » . وقد روى الترمذي ٤ : ٢٥ ، بهذا الإسناد : « أبو كريب . . . » – حديث « المستشار مؤتمن » .
فظن الحافظ ابن عساكر – في كتاب الأطراف – أنه هو « علي بن زيد » . وتعقبه الحافظ المزي في تهذيب الكمال ، ص : ٨١٧ – ٨١٨ (مخطوط مصور) ، فقال : « وذلك وهم منه . والصواب : جده عبد الرحمن بن محمد بن زيد بن جدعان » – يعني لقوله في الإسناد : « عن ابن جدعان ، عن جدته » .

٩٢٩٤ – حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا حسين المعلم = وحدثنا مجاهد ابن موسى قال، حدثنا يزيد بن هرون قال ، حدثنا حسين المعلم = وحدثنا حاتم ابن بكر الضبيّ قال ، حدثنا عبد الأعلى ، عن حسين المعلم = قال ، حدثنا أبي ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يوم فتح مكة: فُوا بحلفٍ، فإنه لا يزيده الإسلام إلا شدة ، ولا تُحدثوا حلفاً في الإسلام . (١)

وفي تهذيب الكمال ، وتهذيب التهذيب ، في ترجمة داود ، وفي ترجمة «عبد الرحمن» (٣ : ١٩١ ، و ٦ : ٢٦٧ من تهذيب التهذيب) أن البخاري روى في الأدب المفرد حديث « المستشار مؤتمن » – من طريق داود « عن عبد الرحمن بن محمد» هذا . وأن ذاك هو الدليل على أن المراد بـ « ابن جدعان » هو « عبد الرحمن بن محمد » . والذي رأيته في الأدب المفرد (ص : ٢٩) بهذا الإسناد حديث مطول ، ولكن ليس فيه كلمة « المستشار مؤتمن » . فالظاهر أنهما يريدان أصل الحديث . ولكن رواية البخاري هي التي كشفت عن الصواب في اسم « ابن جدعان » .

وجدة ابن جدعان – هذه – مجهولة ، لم يعرف اسمها . وعندي أن جهالتها لا تضر . فالغالب – فيما أرى – أنها صحابية . لأن عبد الرحمن بن محمد تابعي ، روى عن عائشة ، وعن ابن عمر . فجدته يكاد العارف أن يوقن أنها صحابية ، أو مخضرمة على الأقل . والنساء في تلك العصور لم يعرفن باصطناع الروايات . ولذلك قال الذهبي في الميزان (٣ : ٣٩٥) : « فصل في النسوة المجهولات . وما علمت في النساء من اتهمت ، ولا من تركوها » .

وقوله هنا « عن جدته » – في المطبوعة « عمن حدثه » ! وهو تحريف . وفي مطبوعة ابن كثير ٢ : ٤٣٢ – حين نقل هذا الحديث عن الطبري – « عن ابن جدعان ، حدثه » ! وهو تحريف أيضاً . وصوابه ، كما أثبتنا «عن جدته » . وقد ثبت على الصواب في مخطوطة الأزهر من تفسير ابن كثير (٢ : ٢٧٣ نسخة مصورة عندي) .

والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨ : ١٧٣ . وقال : « رواه أبو يعلى، والطبراني . وفيه جدة ابن أبي مليكة ، ولم أعرفها . وبقية رجاله ثقات » .

و « جدة ابن أبي مليكة» : هي « جدة ابن جدعان » ، لأن ابن جدعان – هنا – : هو « عبد الرحمن بن محمد بن زيد بن جدعان » . فهو ابن أخي « علي بن زيد بن جدعان» ، وقد نسبوا إلى جدهم الأعلى . إذ « علي بن زيد » : هو « علي بن زيد بن عبد الله بن أبي مليكة زهير بن عبد الله ابن جدعان » . وإنما الذي اشتهر عند المحدثين باسم «ابن أبي مليكة » – فهو « عبد الله بن عبيد الله ابن عبد الله بن أبي مليكة زهير . . . » . وهو ابن عم «علي بن زيد » .

(١) الحديث : ٩٢٩٤ – حاتم بن بكر الضبي – شيخ الطبري : هكذا ثبت هنا اسم أبيه « بكر» . وقد مضى في : ٣٢٢٢ بالتصغير « بكير » . وبينا هناك أنه ثبت في التقريب والتهذيب « بكر» ، وفي الخلاصة « بكير » . وها هو ذا الاختلاف وقع في موضعين من الطبري . ثم رجعت

٩٢٩٥ – حدثنا أبو كريب وعبدة بن عبد الله الصفار قالا ، حدثنا محمد ابن بشر قال ، حدثنا زكريا بن أبي زائدة قال ، حدثني سعد بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن جبير بن مطعم : أن النبي صلى الله عليه وسلم . قال : لا حلف في الإسلام ، وأيُّما حِلف كان في الجاهلية ، فلم يزده الإسلام إلاّ شدة . (١)

إلى النسخة المخطوطة المصورة من تهذيب الكمال ، ص : ٢١٤ ، فظهر أن ناسخها أسقط كلمة « بكر » ، فأثبته « حاتم بن غيلان» ، منسوباً إلى جده . وهو سهو من الناسخ يقيناً ، لأنه أثبته قبل ترجمة « حاتم بن حريث » . ولو كان أصله «حاتم بن غيلان » لأخره إلى موضعه في حرف الغين في آباء من اسمه « حاتم» ، فيكون موضعه بعد « حاتم بن العلاء » . فبقي الإشكال في اسم أبيه كما هو ؟

وهذا الحديث رواه الطبري هنا ، مختصراً ، بثلاثة أسانيد : عن « حميد بن مسعدة ، عن حسين المعلم » . ثم عن « مجاهد بن موسى ، عن يزيد بن هرون ، عن حسين المعلم » . ثم عن «حاتم بن بكر الضبي ، عن عبد الأعلى ، عن حسين المعلم » . ثم يقول حسين المعلم « حدثنا أبي ، عن عمرو بن شعيب » .

وفي هذه الأسانيد إشكالان :

أولها : أن «حميد بن مسعدة » مات سنة ٢٤٤ ، فمن المحال أن يروي عن « حسين المعلم » ، ويقول – كما هنا – « حدثنا حسين المعلم» . لأن حسيناً مات سنة ١٤٥ ، فبين وفاتيهما ٩٩ سنة ! ! والراجح عندي أن يكون الناسخون أسقطوا شيخاً بين حميد وحسين .

وثانيهما : أن « حسيناً المعلم » : هو « حسين بن ذكوان » . وهو يروي عن عمرو بن شعيب مباشرة . ولو كان هذا وحده لكان هناك احتمال أن يروي عنه أيضاً بواسطة أبيه . ولكن الإشكال في أن « ذكوان » والد « حسين المعلم » ليس له ذكر في دواوين الرجال بشيء من الرواية ، ولا ذكر أحد أن ابنه يروي عنه . فأنا أرجح أيضاً أن يكون قوله هنا «حدثنا أبي » زيادة خطأ من الناسخين .

ويؤيد أن زيادة «حدثنا أبي » تخليط من الناسخين – أن ابن كثير حين أشار إلى هذا الإسناد ٢ : ٤٣٢ ، قال : «ثم رواه – يعني الطبري – من حديث حسين المعلم ، وعبد الرحمن بن الحارث ، عن عمرو بن شعيب ، به » . فذكر أن حسيناً رواه عن عمرو بن شعيب . ولم يذكر أنه « عن حسين عن أبيه » .

وأما الحديث نفسه ، فإنه سيأتي معناه ، من رواية محمد بن إسحق ، عن عمرو بن شعيب : ٩٢٩٧ ، ٩٢٩٨ ، ومن رواية عبد الرحمن بن الحارث ، عن عمرو : ٩٢٩٩ . ويأتي تخريجه هناك ، إن شاء الله .

(١) الحديث : ٩٢٩٥ – زكريا بن أبي زائدة الهمداني الوادعي : ثقة معروف ، من شيوخ شعبة والثوري . أخرج له الجماعة .

سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، قاضي المدينة : ثقة كثير الحديث ، وهو ثبت لا شك فيه . أخرج له الجماعة .

٩٢٩٦ – حدثنا حميد بن مسعدة ومحمد بن عبد الأعلى قالا، حدثنا بشر ابن المفضل قال ، حدثنا عبد الرحمن بن إسحق = وحدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن عبد الرحمن بن إسحق = عن الزهرى ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن عوف : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : شهدت حلف المطيّبين . وأنا غلام مع عُمومتى ، فما أحبّ أن لى حُمرَ النعم وأنى أنكُثُه = زاد يعقوب فى حديثه عن ابن علية . قال : وقال الزهرى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم يُصب الإسلام حلفاً إلاّ زاده شدة . قال : ولا حلفَ فى الإسلام . قال : وقد ألّف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قُريش والأنصار . (١)

أبوه « إبرهيم بن عبد الرحمن » : تابعى ثقة ، من كبار التابعين . مترجم فى التهذيب . والكبير ١/١/٢٩٥ ، وابن سعد ٥ : ٣٩ – ٤٠ ، وابن أبى حاتم ١/١/١١١ .

« جبير بن مطعم » : صحابى معروف ، من قريش ، من بنى نوفل. قدم المدينة فى فداء أسارى بدر . ثم أسلم بعد ذلك .

والحديث رواه أحمد فى المسند : ١٦٨٣٢ ج ٤ ص ٨٣ حلبى ، من طريق زكريا ، وهو ابن أبى زائدة – بهذا الإسناد .

وكذلك رواه مسلم ٢ : ٢٧٠ ، والبيهقى ٦ : ٢٦٢ – كلاهما من طريق زكريا .

وذكره ابن كثير ٢ : ٤٣٢ – ٤٣٣ ، من رواية المسند . ثم أشار إلى أنه رواه مسلم ، وأبو داود ، وابن جرير ، والنسائى .

(١) الحديث : ٩٢٩٦ – بشر بن المفضل بن لاحق البصرى : ثقة من شيوخ أحمد وإسحق وابن المدينى . أخرج له الجماعة . مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ١/٢/٨٤ ، وابن أبى حاتم ١/١/٣٦٦ .

وهذا الحديث رواه الطبرى بإسنادين من طريق عبد الرحمن بن إسحق .

وهو : « عبد الرحمن بن إسحق بن عبد الله العامرى » . وهو ثقة، وثقه ابن معين وغيره، وأخرج له مسلم . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٢/٢/٢١٢ – ٢١٣ .

« محمد بن جبير بن مطعم » : تابعى ثقة . قال ابن إسحق: «كان من أعلم قريش بأحاديثها » . مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ١/١/٥٢ ، وابن سعد ٥ : ١٥١ – ١٥٢ ، وابن أبى حاتم ٣/٢/٢١٨ .

والحديث رواه أحمد : ١٦٥٥ ، عن بشر بن المفضل ، عن عبد الرحمن بن إسحق – بهذا الإسناد .

ثم روى أوله : ١٦٧٦ ، عن إسمعيل ، وهو ابن علية ، عن عبد الرحمن بن إسحق .

٩٢٩٧ – حدثنا تميم بن المنتصر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا محمد بن إسحق ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، قال : لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عامَ الفتح ، قام خطيباً فى الناس فقال : « يا أيها الناس ، ما كان من حِلف فى الجاهلية فإنّ الإسلام لم يزده إلاّ شدة ، ولا حلف فى الإسلام » .

٩٢٩٨ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يونس بن بكير قال، حدثنا محمد ابن إسحق ، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه .

٩٢٩٩ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا خالد بن مخلد قال، حدثنا سليمان ابن بلال قال ، حدثنا عبد الرحمن بن الحارث، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه .(١)

* * *

وكذلك روى البخارى أوله ، فى الأدب المفرد ، ص : ٨٣ ، من طريق ابن علية . ووقع فيه هناك خطأ مطبعى ، يصحح من هذا الموضع .

وهذا الحديث فى حقيقته حديثان :

أولها : حديث متصل ، من حديث عبد الرحمن بن عوف .

وثانيهما : حديث مرسل . وهو قول الزهرى : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . » – إلى آخره .

وقد فصلنا القول فى ذلك فى المسند : ١٦٥٥ .

(١) الأحاديث : ٩٢٩٧ – ٩٢٩٩ ، هى ثلاثة أسانيد لحديث واحد . وقد مضى بنحوه : ٩٢٩٤ .

يزيد – فى الإسناد الأول : هو يزيد بن هرون .

عبد الرحمن – فى الإسناد الثالث : هو عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة .

والحديث رواه أحمد فى المسند – ضمن حديث مطول : ٦٦٩٢ ، عن يزيد بن هرون ، عن محمد بن إسحق . وأشرنا إلى كثير من أسانيده هناك ، وفى الاستدراك : ٢٨٣٢ .

ورواه البخارى فى الأدب المفرد ، ص : ٨٣ – ٨٤ ، مختصراً كما هنا ، عن خالد بن مخلد ، بالإسناد الأخير هنا .

وذكره ابن كثير ٢ : ٤٣٢ ، عن الرواية : ٩٢٩٨ هنا . ثم أشار إلى الروايتين : ٩٢٩٤ ، ٩٢٩٩ .

٣٧/٥ قال أبو جعفر : فإذ كان ما ذكرنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيحاً = وكانت الآية إذا اختُلف فى حكمها منسوخ هو أم غير منسوخ ،[١] غير جائز القضاء عليه بأنه منسوخ – مع اختلاف المختلفين فيه ، ولوُجوب حكمها ونَفى النسخ عنها وجه صحيحٌ –[٢] إلاّ بحجة يجب التسليم لها ، لما قد بيناّ فى غير موضع من كتبنا الدلالةَ على صحةِ القول بذلك[٣] = [٤] فالواجب أن يكون الصحيح من القول فى تأويل قوله : « والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم » ، هو ما ذكرنا من التأويل ، وهو أن قوله : « عقدت أيمانكم » من الحلف ، وقوله : « فآتوهم نصيبهم » من النصرة والمعونة والنصيحة والرأى ، على ما أمرَ به من ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الأخبار التى ذكرناها عنه = [٥] دون قول من قال : « معنى قوله : فآتوهم نصيبهم ، من الميراث » ، وأن ذلك كان حكماً ثم نُسخ بقوله : « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » ، ودونَ ما سِوَى القول الذى قلناه فى تأويل ذلك .[٦]

وإذْ صَحّ ما قلنا فى ذلك ، وجب أن تكون الآية محكمة لا منسوخةً .[٧]

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « منسوخ هى » ، خطأ ، صوابه ما أثبت .

(٢) سياق العبارة : « غير جائز القضاء عليه بأنه منسوخ . . . إلا بحجة يجب التسليم لها » ، والذى بينهما قيد اعترض به بين طرفى الكلام .

(٣) انظر مقالته فى « الناسخ والمنسوخ » فيما سلف : ١٣١ ، والتعليق ١ . ، والمراجع هناك .

(٤) قوله : « فالواجب . . . » ، جواب قوله آنفاً : « فإذ كان ما ذكرنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيحاً » .

(٥) السياق : « فالواجب أن يكون الصحيح من القول ... هو ما ذكرنا من التأويل . . . دون قول من قال » .

(٦) فى المطبوعة والمخطوطة : « دون ما سوى القول » بلا واو عاطفة ، والصواب إثبات « واو العطف » ، عطفاً على قوله آنفاً : « دون قول من قال » .

(٧) أشكل على ابن كثير هذا الموضع من كلام الطبرى فرواه عنه ثم قال : « وفيه نظر ، فإن من الحلف ما كان على المناصرة والمعاونة ، ومنه ما كان على الإرث ، كما حكاه غير واحد من السلف

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴾ (٣٣)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : فآتوا الذين عقدت أيمانكم نصيبهم من النصرة والنصيحة والرأى، فإن الله شاهد على ما تفعلون من ذلك ، وعلى غيره من أفعالكم، مُرَاعٍ لكل ذلك، حافظٌ ، حتى يجازى جميعكم على جميع ذلك جزاءه ، أما المحسنَ منكم المتبع أمرى وطاعتى فبالحسنى ، وأما المسىءَ منكم المخالفَ أمرى ونهيى فبالسوأى .

* * *

ومعنى قوله : « شهيدا » ، ذو شهادة على ذلك . (١)

وكما قال ابن عباس : كان المهاجرى يرث الأنصارى دون قراباته وذوى رحمه ، حتى نسخ ذلك . فكيف يقول : إن هذه الآية محكمة غير منسوخة ، والله أعلم » .

وهذا الذى تعجب منه ابن كثير ، قد بينه الطبرى ، وأقام عليه كل مذهبه ، فى كل ناسخ ومنسوخ، وقد كرره مرات كثيرة فى تفسيره ، وقد أعاده هنا عند ذكر الناسخ والمنسوخ فقال: إن الآية إذ اختلف فى حكمها منسوخ هو أم غير منسوخ ، واختلف المختلفون فى حكمها ، وكان لنفى النسخ عنها وإثبات أنها محكمة وجه صحيح ، لم يجز لأحد أن يقضى بأن حكمها منسوخ ، إلا بحجة يجب التسليم لها . وقد بين أبو جعفر مراراً أن الحجة التى يجب التسليم لها هى: ظاهر القرآن ، والخبر الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . أما تأويل ابن عباس أو غيره من الأئمة ، فليس حجة فى إثبات النسخ فى آية ، لتأويلها على أنها محكمة وجه صحيح .

فالعجب لابن كثير ، حين عجب من أبى جعفر فى تأويله وبيانه . ولو أنصف لنقض حجة الطبرى فى مقالته فى الناسخ والمنسوخ، لا أن يحتج عليه ويتعجب منه ، لحجة هى منقوضة عند الطبرى ، قد أفاض فى نقضها مراراً فى كتابه هذا ، وفى غيرها من كتبه كما قال ، رحم الله أبا جعفر ، وغفر الله لابن كثير .

(١) انظر تفسير « الشهيد » فيما سلف ١ : ٣٧٦ - ٣/٣٧٨ : ٩٧ ، ٦/١٤٥ : ٦٠ ، ٧/٧٥ : ٢٤٣ .

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه :[1] « الرجال قوّامون على النساء »، الرجال أهل قيام على نسائهم ، فى تأديبهن والأخذ على أيديهن فيما يجب عليهن لله ولأنفسهم = « بما فضّل الله بعضهم على بعض » ، يعنى : بما فضّل الله به الرجال على أزواجهم : من سَوْقهم إليهنّ مهورهن، وإنفاقهم عليهنّ أموالهم ، وكفايتهم إياهن مؤنهنّ . وذلك تفضيل الله تبارك وتعالى إياهم عليهنّ ،ولذلك صاروا قوّاماً عليهن ، نافذى الأمر عليهن فيما جعل الله إليهم من أمورهن .

* * *

وبما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٩٣٠٠ — حدثنى المثنى قال ،حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « الرجال قوّامون على النساء » ، يعنى : أمراء ، عليها أن تطيعه فيما أمرها الله به من طاعته ، وطاعته : أن تكون محسنةً إلى أهله ، حافظةً لماله . وفضّله عليها بنفقته وسعيه .

٩٣٠١ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « الرجال قوّامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض » ، يقول : الرجل قائمٌ على المرأة ، يأمرها بطاعة الله ، فإن أبت فله أن يضربها ضرباً غير مبرّح ، وله عليها الفضل بنفقته وسعيه .

٩٣٠٢ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « يعنى بذلك جل ثناؤه » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

أسباط ، عن السدى : « الرجال قوامون على النساء » ، قال : يأخذون على أيديهن ويُؤدّبونهن .(١)

٩٣٠٣ – حدثنى المثنى قال، حدثنا حبان بن موسى قال ، أخبرنا ابن المبارك قال ، سمعت سفيان يقول : « بما فضل الله بعضهم على بعض » ، قال : بتفضيل الله الرجال على النساء .

* * *

وذُكر أنّ هذه الآية نزلت فى رجل لطم امرأته ، فخوصم إلى النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك ، فقضَى لها بالقصاص .

* ذكر الخبر بذلك :

٩٣٠٤ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الأعلى قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال ، حدثنا الحسن : أنّ رجلا لطمَ امرأته ، فأتت النبى صلى الله عليه وسلم، فأراد أن يُقِصّها منه، فأنزل الله: « الرجالُ قوّامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم »، فدعاه النبىّ صلى الله عليه وسلم فتلاها عليه ، وقال : أردتُ أمراً وأراد الله غيرَه .

٩٣٠٥ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة ٥/٣٨
قوله : « الرجال قوامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم »، ذكر لنا أن رجلاً لطم امرأته، فأتت النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر نحوه .

٩٣٠٦ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « الرّجال قوّامون على النساء » ، قال : صكّ رجل امرأته ، فأتت النبى صلى الله عليه وسلم ، فأراد أن يُقِيدَها منه ، فأنزل الله : « الرجال قوامون على النساء » .

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « ويؤدبوهن » ، وهو سهو من الناسخ ، وفى هامش المخطوطة حرف « ط » دلالة على الخطأ ، أو كأنه كان هكذا فى الأصل الذى نقل عنه ، خطأ أيضاً .

٩٣٠٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن جرير بن حازم ، عن الحسن : أنّ رجلا من الأنصار لطم امرأته ، فجاءت تلتمس القصاص ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم بينهما القصاص ، فنزلت : ﴿ وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾ [سورة طه : ١١٤] ، ونزلت : « الرجال قوّامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض » .(١)

٩٣٠٨ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : لطم رجلٌ امرأته ، فأراد النبيّ صلى الله عليه وسلم القصاص . فبيناهم كذلك ، نزلت الآية .

٩٣٠٩ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : أما « الرجال قوامون على النساء » ، فإن رجلاً من الأنصار كان بينه وبين امرأته كلامٌ فلطمها ، فانطلق أهلها، فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبرهم : « الرجال قوامون على النساء » الآية .

* * *

وكان الزهرى يقول : ليس بين الرجل وامرأته قصاص فيما دون النفس .

٩٣١٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، سمعت الزهرى يقول : لو أن رجلاً شَجَّ امرأته أو جرحها ، لم يكن عليه فى ذلك قَوَدٌ ، وكان عليه العَقل، إلاّ أن يعدُوَ عليها فيقتلها، فيقتل بها .(٢)

* * *

وأما قوله : « وبما أنفقوا من أموالهم » ، فإنه يعنى : وبما ساقوا إليهن من

---

(١) « سورة طه » سورة مكية باتفاق ، فيقول الحسن إنها نزلت فى شأن المرأة الأنصارية ، وذلك بالمدينة ولا ريب ، قول فيه نظر .

(٢) « القود » : القصاص . و « العقل » الدية وما أشبهها .

هذا، وبحسب امرىء مسلم أن يحفظ من صحيح حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما رواه البخارى ومسلم : « أيضرب أحدكم امرأته ، ثم يجامعها فى آخر اليوم » ، وما رواه ابن ماجة : « خياركم خياركم لنسائهم » .

صداق ، وأنفقوا عليهن من نفقة ، كما : —

٩٣١١ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، على على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قال : فضله عليها بنفقته وسعيه .

٩٣١٢ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحاق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك مثله .

٩٣١٣ — حدثني المثنى قال، حدثنا حبان بن موسى قال ، أخبرنا ابن المبارك قال ، سمعت سفيان يقول : « وبما أنفقوا من أموالهم » ، بما ساقوا من المهر .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام إذاً : الرجال قوامون على نسائهم ، بتفضيل الله إياهم عليهن ، وبإنفاقهم عليهن من أموالهم .

* * *

و « ما » التي في قوله : « بما فضل الله » ، والتي في قوله : « وبما أنفقوا » ، في معنى المصدر .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾

قال أبو جعفر : يعني بقوله جل ثناؤه : « فالصالحات » ، المستقيمات الدين ، العاملات بالخير ، [1] كما : —

٩٣١٤ — حدثني المثنى قال، حدثنا حبان بن موسى قال ، حدثنا عبد الله ابن المبارك قال ، سمعت سفيان يقول : « فالصالحات » ، يعملن بالخير .

* * *

(١) انظر تفسير « الصالح » فيما سلف ٣ : ٦/٩١ : ٧/٣٨٠ : ١٣٠

وقوله : « قانتات » ، يعني : مطيعات لله ولأزواجهن ، كما : —

٩٣١٥ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « قانتات » ، قال : مطيعات .

٩٣١٦ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « قانتات » ، قال : مطيعات .

٩٣١٧ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . (١)

٩٣١٨ — حدثني علي بن داود قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ابن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « قانتات » ، مطيعات .

٩٣١٩ — حدثنا الحسن بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « قانتات » ، أي : مطيعات لله ولأزواجهن .

٩٣٢٠ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة قال : « مطيعات » .

٩٣٢١ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدي : « القانتات » ، المطيعات .

٩٣٢٢ — حدثني المثنى قال ، حدثنا حبان بن موسى قال ، أخبرنا ابن المبارك قال : سمعت سفيان يقول في قوله : « قانتات » ، قال : مطيعات لأزواجهن .

* * *

وقد بينا معنى « القنوت » فيما مضى ، وأنه الطاعة ، ودللنا على صحة ذلك من الشواهد بما أغنى عن إعادته . (٢)

* * *

---

(١) الأثر : ٩٣١٧ — هذا الأثر زدته من المخطوطة وقد حذفته المطبوعة ، وقد أحسن في حذفه لأنه تكرار لا معنى له للذي قبله ، ولكني أثبته هنا مخافة أن يكون الناسخ قد تجاوز بصره ، فوضع الإسناد مرة أخرى كما هو ، ويكون في الإسناد خلاف أخطأه نظره .

(٢) انظر ما سلف ٢ : ٥٣٨ ، ٥/٥٣٩ : ٢٢٨ — ٦/٢٣٧ : ٢٦٤ ، ٤٠١ .

وأما قوله : « حافظات للغيب » ، فإنه يعنى : حافظات لأنفسهن عند غيبة أزواجهن عنهن ، فى فروجهن وأموالهم ، وللواجب عليهن من حق الله فى ذلك وغيره ، كما : — ٣٩/٥

٩٣٢٣ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « حافظات للغيب » ، يقول : حافظات لما استودعهن الله من حقه ، وحافظات لغيب أزواجهن .

٩٣٢٤ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « حافظات للغيب بما حفظ الله » ، يقول : تحفظ على زوجها مالَه وفرجَها حتى يرجع ، كما أمرَها الله .

٩٣٢٥ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : قلت لعطاء ما قوله : « حافظات للغيب » ، قال : حافظات للزوج .

٩٣٢٦ — حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة قال ، حدثنا حجاج قال ، قال ابن جريج : سألت عطاء عن « حافظات للغيب » ، قال : حافظات للأزواج .

٩٣٢٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا حبان بن موسى قال ، أخبرنا ابن المبارك قال ، سمعت سفيان يقول : « حافظات للغيب » ، حافظات لأزواجهن ، لما غاب من شأنهن .

٩٣٢٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنا أبو معشر قال ، حدثنا سعيد بن أبى سعيد المقبرى ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خيرُ النساء امرأةٌ إذا نظرتَ إليها سرَّتك ، وإذا أمرتَها أطاعتك ، وإذا غبت عنها حفظتك فى نفسها ومالك . قال : ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الرجال قوامون على النساء » الآية . (١)

* * *

(١) الأثر : ٩٣٢٨ — فى المطبوعة والمخطوطة : « سعيد عن أبى سعيد المقبرى » ، وهو

قال أبو جعفر : وهذا الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدُلّ على صحة ما قلنا فى تأويل ذلك ، وأن معناه : صالحاتٌ فى أديانهن ، مطيعاتٌ لأزواجهن ، حافظات لهم فى أنفسهنّ وأموالهم .

* * *

وأما قوله : « بما حفظ الله » ، فإن القرأة اختلفت فى قراءته .

فقرأته عامة القرأة فى جميع أمصار الإسلام : ﴿ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ ، برفع اسم « الله » ، على معنى : بحفظ الله إياهن إذ صيّرهنّ كذلك ، كما : —

٩٣٢٩ — حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة قال، حدثنا حجاج قال، قال ابن جريج سألت عطاء عن قوله : « بما حفظ الله »، قال يقول : حفظهن الله .

٩٣٣٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا حبان بن موسى قال، أخبرنا ابن المبارك قال : سمعت سفيان يقول فى قوله : « بما حفظ الله » ، قال : بحفظ الله إياها ، أنه جعلها كذلك .

* * *

وقرأ ذلك أبو جعفر يزيد بن القَعْقاع المدنى[1] : ﴿ بِمَا حَفِظَ اللَّهَ ﴾ يعنى :

خطأ ظاهر ، كما سيتبين لك من تخريجه؛ أخرجه أبو داود الطيالسى فى مسنده : ٣٠٦ من حديث أبى معشر ، عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى ، وذكر ابن كثير فى تفسير ٢ : ٤٣٦ ، أن ابن أبى حاتم « رواه عن يونس بن حبيب ، عن أبى دواود الطيالسى، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبى ذئب ، عن سعيد المقبرى، به سواء » . فإن يكن ذلك كذلك ، فقد أخطأ ابن أبى حاتم فى روايته عن أبى داود ، فالثابت فى مسنده أنه من حديثه عن أبى معشر ، ولعله وهم ، فإن الآثار التى قبله مباشرة ، رواها أبو داود من طريق ابن أبى ذئب عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى .

وهذا الأثر نسبه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ١٥١ ، لابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والحاكم ، والبيهقى فى سننه . والذى وجدته فى المستدرك للحاكم ٢ : ١٦١ ، من طريق ابن عجلان ، عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى ، عن أبى هريرة ، بمعناه بغير هذا اللفظ، مختصراً ، وقال : «صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه » . ولم أعرف مكانه من سنن البيهقى .

(١) « أبو جعفر : يزيد بن القعقاع المدنى المخزومى » مولى عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة المخزومى ، أحد القراء العشرة ، تابعى مشهور كبير القدر ، أتوا به إلى أم سلمة أم المؤمنين ، وهو صغير ، فمسحت على رأسه ودعت له بالبركة ، وصلى بابن عمر . كان إمام أهل المدينة فى القراءة فسمى « القارئ » قال ابن معين : « كان ثقة قليل الحديث » . طبقات القراء ٢ : ٣٨٢ — ٣٨٤ .

بحفظهنّ الله فى طاعته وأداء حقه بما أمرهن من حفظ غيب أزواجهن ، كقول الرجل للرجل : «ما حفظتَ اللهَ فى كذا وكذا » ، بمعنى : ما راقبته ولاخفتَه .(١)

* * *

قال أبو جعفر : والصوابُ من القراءة فى ذلك ما جاءت به قرأة المسلمين من القراءة مجيئاً يقطع عذرَ من بَلغه ويُثبِّتُ عليه حُجته ، دون ما انفرد به أبو جعفر فشذّ عنهم . وتلك القراءة برفع اسم « الله » تبارك وتعالى : ﴿ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ ، مع صحة ذلك فى العربية وكلام العرب ، وقُبح نصبه فى العربية ، لخروجه عن المعروف من منطق العرب .

وذلك أن العربَ لا تحذف الفاعلَ مع المصادر ، من أجل أنّ الفاعل إذا حذف معها لم يكن للفعل صاحبٌ معروف .

* * *

وفى الكلام متروك استغنى بدلالة الظاهر من الكلام عليه من ذكره ، ومعناه : فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ، فأحسِنوا إليهن وأصلحوا .

* * *

وكذلك هو فيما ذكر فى قراءة ابن مسعود .

٩٣٣١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن بن أبى حماد قال ، حدثنا عيسى الأعمى ، عن طلحة بن مصرف قال : فى قراءة عبد الله ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ فَأَصْلِحُوا إِلَيْهِنَّ واللاَّتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ ﴾ .

٩٣٣٢ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل . قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ ﴾ ، فأحسنوا إليهنّ .

---

(١) فى المخطوطة : « راقبته ولا خفته » ، وفى المطبوعة : « راقبته ولاحظته » وصواب قراءة المخطوطة ما أثبت ، بزيادة « ما » قبل « راقبته » ، وقوله : « ولا خفته » من الخوف .

٩٣٣٣ – حدثني علي بن داود قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله » ، فأصلحوا إليهن .

٩٣٣٤ – حدثني علي بن داود قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله » ، يعني : إذا كن هكذا ، فأصلحوا إليهنّ .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَٱلَّـٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ ﴾ (١)

اختلف أهلُ التأويل في معنى قوله : « واللاتي تخافون نُشوزهنّ » .

٤٠/٥ فقال بعضهم : معناه : واللاتي تعلمون نشوزهن .

* * *

ووجه صرف « الخوف » ، في هذا الموضع ، إلى « العلم » ، في قول هؤلاء ، نظيرُ صرف « الظن » إلى « العلم » ، لتقارب معنييهما ، إذ كان « الظن » ، شكًّا، وكان « الخوفُ» مقروناً برَجاء ، وكانا جميعاً من فعل المرء بقلبه (٢) ، كما قال الشاعر : (٣)

وَلاَ تَدْفِنَنِّي فِي الْفَلاَةِ فَإِنَّنِي أَخَافُ إِذَا مَا مِتُّ أَنْ لاَ أَذُوقَهَا (٤)

معناه : فإنني أعلم ، وكما قال الآخر : (٥)

---

(١) لم يذكر في المخطوطة والمطبوعة : « فعظوهن » ، مع أنه فسرها بعد ، ولم يفردها عن هذا الموضع .

(٢) انظر تفسير « الخوف » فيما سلف ٣ : ٥٥٠ ، ٥٥١ .

(٣) هو أبو محجن الثقفي .

(٤) سلف البيت وتخريجه في ٣ : ٥٥١ ، وأزيد هنا ، معاني القرآن للفراء ١ : ١٤٦ ، ٢٦٥ ، مع اختلاف يسير في الرواية ، ونسيت هناك أن أرده إلى هذا الموضع ، فألحق ذلك بمكانه هناك .

(٥) هو أبو الغول الطهوي .

أَتَانِي كَلَامٌ عَنْ نُصَيْبٍ يَقُولُهُ وَمَا خِفْتُ ، يَا سَلَّامُ أَنَّكَ عَائِبِي (١)

بمعنى : وما ظننتُ .

* * *

وقال جماعة من أهل التأويل : معنى « الخوف » فى هذا الموضع : الخوف الذى هو خلاف « الرجاء ». قالوا : ومعنى ذلك : إذا رأيتم منهن ما تخافون أن ينشزن عليكم ، من نظر إلى ما لا ينبغى لهن أن ينظرن إليه ، ويَدخُلن ويخرجن ، واسترْبتم بأمرهن ، فعِظُوهن واهجروهنّ . وممن قال ذلك محمد بن كعب . (٢)

* * *

وأما قوله : « نشوزهن » ، فإنه يعنى : استعلاءَهن على أزواجهن ، وارتفاعهن عن فُرُشهم بالمعصية منهن ، والخلاف عليهم فيما لزمهنّ طاعتهم فيه ، بغضاً منهن وإعراضاً عنهم .

* * *

وأصل « النشوز » الارتفاع . ومنه قيل للمكان المرتفع من الأرض : « نَشْز » و « نَشَاز » . (٣)

* * *

= « فعظوهن » ، يقول : ذكّروهن الله ، وخوِّفوهن وعيدَه ، فى ركوبها ما حرّم الله عليها من معصية زوجها فيما أوجب عليها طاعته فيه . (٤)

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

• ذكر من قال : « النشوز » ، البغضُ ومعصيةُ الزوج .

٩٣٣٥ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا

---

(١) سلف تخريجه وشرحه فيما مضى ٣ : ٥٥٠ ، وأزيد هنا معانى القرآن للفراء ١ : ١٤٦ ، ٢٦٥. وكان فى المطبوعة هنا « أنك عاتبى » ، وهو خطأ فاسد ، وهو فى المخطوطة غير منقوط .

(٢) سيأتى خبر محمد بن كعب القرظى ، برقم : ٩٣٤٢ .

(٣) انظر تفسير « النشوز » ، و « النشز » فيما سلف ٥ : ٤٧٥ ، ٤٧٦ .

(٤) انظر تفسير « الوعظ » فيما سلف ٢ : ١٨٠ ، ٦/١٨١ : ٧/١٤ : ٢٣٣ .

أسباط ، عن السدى : « واللاتى تخافون نشوزهن » ، قال : بغضهن .

٩٣٣٦ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « واللاتى تخافون نشوزهن » ، قال : التى تخاف معصيتها . قال : « النشوز » ، معصيته وخِلافه .

٩٣٣٧ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « واللاتى تخافون نشوزهن » ، تلك المرأة تنشز ، (١) وتستخفّ بحق زوجها ولا تطيع أمره . (٢)

٩٣٣٨ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا روح قال ، حدثنا ابن جريج قال ، قال عطاء : « النشوز » ، أن تحبَّ فراقَه ، والرجلُ كذلك .

* * *

* ذكر الرواية عمن قال ما قلنا فى قوله : « فعظوهن » .

٩٣٣٩ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنا معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « فعظوهن » ، يعنى : عظوهن بكتاب الله . قال : أمره الله إذا نشزت أن يعظَها ويذكّرها الله ، ويعظّم حقّه عليها . (٣)

٩٣٤٠ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن » ، قال : إذا نشزت المرأة عن فراش زوجها يقول لها : « اتقى الله وارجعى إلى فراشك » ! فإن أطاعته ، فلا سبيلَ له عليها .

٩٣٤١ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، حدثنا هشيم ،

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « قيل المرأة تنشز » ، وهو كلام فاسد جداً ، والصواب من الدر المنثور ٢ : ١٥٤ ، ١٥٥ ، والسنن الكبرى ٧ : ٣٠٣ .

(٢) الأثر : ٩٣٣٧ – رواه البيهقى فى السنن ٧ : ٣٠٣ ، من طريق عثمان بن سعيد ، عن عبد الله بن صالح ، بمثله مطولا ، وسيروى الطبرى جزءاً منه برقم : ٩٣٣٩ ثم رقم : ٩٣٥٦ .

(٣) الأثر : ٩٣٣٩ – سنن البيهقى ٣ : ٣٠٣ ، وانظر التعليق على الأثر : ٩٣٣٧ .

عن يونس ، عن الحسن قال : إذا نشزت المرأة على زوجها فليعظْها بلسانه . يقول : يأمرها بتقوى الله وطاعته .

٩٣٤٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظي قال : إذا رأى الرجل خِفّةً في بَصرها،[1] ومدخلَها ومخرجَها . قال يقول لها بلسانه : « قد رأيت منك كذا وكذا ، فانتَهِي » ! فإن أعْتَبت ، فلا سبيل له عليها . وإن أبت ، هَجر مَضجعها .[2]

٩٣٤٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا حبان بن موسى قال ، حدثنا ابن المبارك قال ، أخبرنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « فعظوهن » ، قال : إذا نشزت المرأة عن فراش زوجها ، فإنه يقول لها : « اتقي الله وارجعي » .

٩٣٤٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عطاء : « فعظوهن » ، قال : بالكلام .

٩٣٤٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قوله : « فعظوهن » ، قال : بالألسنة .

٩٣٤٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن عمرو بن أبي قيس ، ٤١/٥
عن عطاء ، عن سعيد بن جبير : « فعظوهن » ، قال : عظُوهن باللسان.[3]

---

(١) في المطبوعة : « إذا رأى الرجل تقصيرها في حقه » ، وعلق عليه بقوله : « في بعض النسخ : إذا رأى الرجل خفة في بصرها ، وفي مدخلها ومخرجها » ، والذي في بعض النسخ ، هو الذي في مخطوطتنا ، مع حذف « في » قبل « وفي مدخلها » ، وهذا هو الصواب المحض ، والذي في المطبوعة لاشك في أنه تصرف قبيح من ناسخ . وذلك أن أبا جعفر ذكر هذا آنفاً ص : ٢٩٩ س : ٥ : « إذا رأيتم منهن ماتخافون أن ينشزن، من نظر إلى ما لاينبغي لهن أن ينظرن إليه »، ونسبه إلى محمد ابن كعب القرظي، وهذا هو معنى « وخفة في بصرها»، أي: أنها تطمح ببصرها إلى غيره من الرجال .

(٢) الأثر : ٩٣٤٢ – سيأتي آخره برقم : ٩٣٦٤ . وقوله : « ومدخلها ومخرجها » بالنصب فيهما عطفاً على قوله : « خفة » ، وهي مفعول « رأى » . وقوله : « أعتبت » ، من قولك : « أعتبني فلان » ، إذا ترك ما كنت تجد عليه من أجله ، ورجع إلى ما أرضاك عنه ، بعد إسخاطه إياك عليه .

(٣) الأثر : ٩٣٤٦ – « عمرو بن أبي قيس الرازي » ، مضت ترجمته برقم : ٨٦١١ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : معنى ذلك : فعظوهن فى نشوزهن عليكم ، أيها الأزواج ، فإن أبينَ مراجعة الحقّ فى ذلك والواجب عليهن لكم ، فاهجروهن بترك جماعهنّ فى مضاجعتكم إياهن .

* ذكر من قال ذلك :

٩٣٤٧ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة، عن ابن عباس قوله : « فعظوهن واهجروهن فى المضاجع » ، يعنى : عظوهن، فإن أطعنكم ، وإلاّ فاهجروهنّ .

٩٣٤٨ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « واهجروهن فى المضاجع » ، يعنى بالهجران : أن يكون الرجل وامرأته على فراش واحد لا يجامعها .

٩٣٤٩ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير قال : الهجر هجرُ الجماع .

٩٣٥٠ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : أما « تخافون نشوزهن » ، فإن على زوجها أن يعظها ، فإن لم تقبل فليهجرها فى المضجع . يقول : يرقدُ عندها ويولّيها ظهره ويطؤُها ولا يكلمها = هكذا فى كتابى : « ويطؤها ولا يكلّمها » .[1]

---

(١) قوله : « هكذا فى كتابى » من كلام أبى جعفر الطبرى ، وهذه دقة متناهية ، وأمانة بالغة ، مع مخافة فساد المعنى من وجوه ، ولكنه أثبته كما وجده فى كتابه ، مخافة أن يكون عنى أن الهجر هجر الكلام وحده ، لا هجر الوطء وإن كان الراجح خلاف ذلك ، وإلا لضمه إلى القول التالى ، وذكره مع الآثار التى فى معناه هناك .

٩٣٥١ – حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال، حدثنا هشيم، عن جويبر، عن الضحاك في قوله : « واهجروهن في المضاجع »، قال : يضاجعها، ويهجر كلامها، ويولّيها ظهره .

٩٣٥٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا حبان بن موسى قال، حدثنا ابن المبارك قال، أخبرنا شريك، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس : « واهجروهن في المضاجع »، قال : لا يجامعها .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : واهجروا كلامَهن في تركهن مضاجعتكم،[1] حتى يرجعن إلى مضاجعتكم .

* ذكر من قال ذلك :

٩٣٥٣ – حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا، حدثنا ابن إدريس، عن الحسن بن عبيد الله، عن أبي الضحى، عن ابن عباس في قوله : « واهجروهن في المضاجع »، أنها لا تترك في الكلام، ولكن الهِجران في أمر المضجع .

٩٣٥٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال، حدثنا أبو حمزة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير : « واهجروهن في المضاجع »، يقول : حتى يأتين مضاجعكم .[2]

٩٣٥٥ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن عمرو، عن عطاء، عن سعيد بن جبير : « واهجروهن في المضاجع »، في الجماع .

٩٣٥٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس « واهجروهن في المضاجع »، قال : يعظها، فإن هي قبلت، وإلاّ هجرها في المضجع، ولا يكلمها،

---

(١) في المطبوعة : « واهجروهن واهجروا »، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) الأثر ٩٣٥٤ – هذا الأثر مكرر في المخطوطة بنصه مرة أخرى .

من غير أن يَذَرَ نكاحها ، وذلك عليها شديدٌ .(١)

٩٣٥٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا حبان بن موسى قال، أخبرنا ابن المبارك قال ، أخبرنا شريك ، عن خصيف ، عن عكرمة : « واهجروهن فى المضاجع » ، الكلامَ والحديثَ .

* * *

[وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولا تقربوهن فى فرشهن ، حتى يرجعن إلى ما تحبّون] .(٢)

* ذكر من قال ذلك :

٩٣٥٨ – حدثني الحسن بن زُرَيق الطهوى قال، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن منصور ، عن مجاهد فى قوله : « واهجروهن فى المضاجع » ، قال : لا تضاجعوهن .(٣)

٩٣٥٩ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن مغيرة، عن الشعبي قال : الهجران أن لا يضاجعها .

٩٣٦٠ – وبه قال ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن عامر وإبراهيم قالا : الهجران فى المضجع ، أن لا يضاجعها على فراش .

٩٣٦١ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا مغيرة عن إبراهيم والشعبي أنهما قالا فى قوله : « واهجروهن فى المضاجع » ، قالا : يهجر مضاجعتها حتى ترجع إلى ما يحبّ .

٩٣٦٢ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا

---

(١) الأثر : ٩٣٥٧ – هذا تتمة الأثر السالف رقم : ٩٣٣٧ ، فانظر التعليق عليه هناك .

(٢) ما بين القوسين ، ساقط من المخطوطة والمطبوعة ، واستظهرته من معانى الآثار التالية ، وهو القول الثالث من الأقوال الأربعة فى تفسير الآية .

(٣) الأثر : ٣٥٨ – « الحسن بن زريق الطهوى الكوفى » . روى عن سفيان بن عيينة ، وأبي بكر بن عياش ، وجماعة . قال العقيلى : « يحدث عن ابن عيينة بحديث ليس له أصل من حديث ابن عيينة » يعنى حديث أنس : « يا أبا عمير ، ما فعل النغير » . فاعتدل له ابن عدى فقال : « لم أر له أنكر منه ، فما أدرى : وهم فيه ، أو أخطأ ، أو تعمد ، وبقية أحاديثه مستقيمة » . مترجم فى لسان الميزان ٢ : ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، وابن أبي حاتم ١٥/٢/١ .

شعبة ، عن مغيرة . عن إبراهيم والشعبي أنهما كانا يقولان « واهجروهن في المضاجع » ، قالا يهجرُها في المضجع

٩٣٦٣ – حدثنا المثنى قال، حدثنا حبان قال ، حدثنا ابن المبارك قال ، حدثنا شريك ، عن خصيف، عن مقسم: « واهجروهن في المضاجع » ، قال : هجرها في مضجعها : أن لا يقرب فراشَها .

٩٣٦٤ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظي قال : « واهجروهن في المضاجع » ، قال : يعظها بلسانه ، فإن أعتبت فلا سبيل له عليها ، وإن أبتْ هجر مضجعها .(١)

٩٣٦٥ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن الحسن وقتادة في قوله : « فعظوهن واهجروهن » ، قالا: إذا خاف نشوزَها وعظها . فإن قبلتْ ، وإلا هجر مضجعها . ٥/٤٢

٩٣٦٦ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « واهجروهن في المضاجع » ، قال : تبدأ يا ابن آدم ، فتعظها ، فإن أبت عليك فاهجرها = يعني به : فراشَها .

* * *

وقال آخرون : معنى قوله : « واهجروهن في المضاجع » ، قولوا لهن من القول هُجْراً في تركهنّ مضاجعتكم .

* ذكر من قال ذلك :

٩٣٦٧ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا الثوري ، عن رجل ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس في قوله : « واهجروهن في المضاجع » ، قال : يهجرها بلسانه ، ويُغْلظ لها بالقول ، ولا يدع جماعها .

٩٣٦٨ – وبه قال ، أخبرنا الثوري ، عن خصيف ، عن عكرمة قال : إنما

---

(١) الأثر : ٩٣٦٤ – هو بعض الأثر السالف رقم : ٩٣٤٢

الهجران بالمنطق : أنْ يغلظ لها ، وليس بالجماع .

٩٣٦٩ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا مغيرة ، عن أبي الضحى في قوله : « واهجروهن في المضاجع » ، قال : يهجر بالقول ، ولا يهجر مضاجعتها حتى ترجع إلى ما يريد .

٩٣٧٠ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا حبان بن موسى قال ، أخبرنا ابن المبارك قال ، حدثنا عبد الوارث بن سعيد ، عن رجل ، عن الحسن قال : لا يهجرها إلاّ في البيت ، في المضجع . ليس له أن يهجر في كلام ولا شيء إلاّ في الفراش .

٩٣٧١ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثني يعلى ، عن سفيان في قوله : « واهجروهن في المضاجع » ، قال : في مجامعتها ، ولكن يقول لها : «تعالَيْ ، وافعلي » ، كلاماً فيه غلظة . فإذا فعلتْ ذلك ، فلا يكلّفْها أن تحبه ، فإن قلبها ليس في يديها .

* * *

قال أبو جعفر : ولا معنى لـ « الهجر » في كلام العرب إلاّ على أحد ثلاثة أوجه .

أحدها : « هجر الرجل كلام الرجل وحديثه » ، وذلك رفضه وتركه ، يقال منه : « هَجر فلان أهله يهجرُها هجراً وهجراناً » .

والآخر : الإكثار من الكلام بترديد كهيئة كلام الهازئ ، يقال منه : « هجر فلانٌ في كلامه يَهْجُر هَجْراً » ، إذا هذَى ومدّد الكلمة[1] = « ومازالت تلك هِجّيراه ، وإهْجِيرَاه » ، ومنه قول ذي الرمة :

رَمَى فَأَخْطَأَ ، وَالأَقْدَارُ غَالِبَةٌ فَانْصَعْنَ وَالْوَيْلُ هِجِّيرَاهُ وَالْحَرَبُ[2]

---

(١) هذا التفسير لمعنى « الهجر » ، وهذه الصفة قلما تصيبها في كتب اللغة ، فأثبتها هناك .

(٢) ديوانه : ١٦ ، والبيت من قصيدته الناصعة ، وهو من الأبيات التي وصف فيها حمر الوحش ، وصائدها من قبيلة جلان ، جاءت الحمر ظماء إلى الماء ، وتخفى لها الصائد قد أعد سهامه ، فلما وردت الحمر حين دعاها خرير الماء المنسكب ، ولم تكد تشرب منه نغباً تكسر ما تلقى من حرارة

والثالث : « هَجَرَ البعير » ، إذا ربطه صاحبه بـ « الهِجَار » ، وهو حبل يُربط فى حَقْويها ورُسغها ،[١] ومنه قول امرئ القيس :

رَأَتْ هَلَكاً بِنِجَافِ الْغَبِيطِ فَكَادَتْ تَجُدُّ لِذَاكَ الْهِجَارَا[٢]

فأما القول الذى فيه الغلظة والأذى ، فإنما هو « الإهجار » ، ويقال منه : « أهجر فلان فى منطقه » = إذا قال « الهُجْر »،[٣] وهو الفحش من الكلام = « يُهْجِر إهجاراً وهُجراً » .

* * *

فإذ كان لا وجه لـ « الهَجْر » فى الكلام إلا أحد المعانى الثلاثة[٤] = وكانت المرأة المخوف نشوزُها ، إنما أمر زوجها بوعظها لتنيب إلى طاعته فيما يجب عليها له من موافاته عند دعائه إياها إلى فراشه = فغير جائز أن تكون عظته لذلك حتى تفىء المرأة إلى أمر الله وطاعة زوجها فى ذلك ،[٥] ثم يكون الزوج مأموراً

العطش ، حتى رماها الصائد فأخطأها ، على مهارته وحذقه ، فإن قدر الله غالب كل مقتدر = « فانصعن » أى : تفرقن هاربات ، وبقى الصائد دائباً يدعو على نفسه بالويل والحرب . و « هجيراه » دأبه ، ألح إلحاحاً على ذلك لما أخفق . و « الحرب » نهب مال الإنسان وتركه لا شىء له ، يدعو على نفسه بذلك من الغيظ .

(١) الحقوان ، واحدهما حقو (بفتح فسكون) : الخاصرتان .

(٢) ديوانه : ٩٣ ، معجم ما استعجم : ٩٩١ ، واللسان (هلك) ثانى بيتين ، قالها فى ناقته ، والأول :

أَرَى نَاقَةَ الْقَيْسِ قَدْ أَصْبَحَتْ عَلَى الْأَيْنِ ذَاتَ هِبَابٍ نَوَارَا

« القيس » يعنى نفسه . و « الأين » شدة التعب . و « الهباب » : النشاط : و « النوار » ، النفور من شدة بأسها وقوتها . و « الهلك » (بفتحتين) : ما بين أعلى الجبل وأسفله ، أو المهواة بين الجبلين ، أو الشق الذاهب فى الأرض . و « الغبيط » صحراء متسعة لبنى يربوع ، وسطها منخفض وطرفها مرتفع ، كهيئة الغبيط = وهو الرحل اللطيف = وذكره امرؤ القيس فى كثير من شعره . و « النجاف » جمع « نجف » جمع « نجفة » : وهى أرض مستطيلة مرتفعة لا يعلوها الماء ، تكون فى بطن الوادى شبه جدار ليس بالعريض . وقوله « تجد » أى : تقطع حبل الهجار = وهو حبل يشد فى رسغها = وذلك نفوراً من المهواة التى أفزعتها .

(٣) « الهجر » هنا بضم الهاء وسكون الجيم .

(٤) يعنى « الهجر » بفتح الهاء وسكون الجيم .

(٥) فى المطبوعة : « ثم تصير » ، وفى المخطوطة مثله ، إلا أنه كتب « تصير » بقلم مضطرب ،

بهجرها فى الأمر الذى كانت عظته إياها عليه .

وإذا كان ذلك كذلك ، بطلَ قولُ من قال : « معنى قوله : واهجروهن فى المضاجع ، واهجروا جماعهن » .

= أو يكون — إذ بطل هذا المعنى — بمعنى [1] : واهجروا كلامهن بسبب هجرهنّ مضاجعكم . وذلك أيضاً لاوجه له مفهومٌ . لأن الله تعالى ذكره قد أخبر على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم : أنه لا يَحِل لمسلم أن يهجر أخاه فوْقَ ثلاث . [2] على أن ذلك لو كان حلالاً لم يكن لهجرها فى الكلام معنًى مفهوم . لأنها إذا كانت عنه منصرفةً وعليه ناشزاً ، فمن سُرورها أن لا يكلمها ولا يَرَاها ولا تراه ، فكيف يُؤْمر الرجل = فى حال بُغض امرأته إياه ، وانصرافها عنه = بترك ما فى تركه سُرُورها ، من ترك جماعها ومحادثتها وتكليمها ؟ [3] وهو يؤمر بضربها لترتدع عما هى عليه من ترك طاعته ، إذا دعاها إلى فراشه ، وغير ذلك مما يلزمها طاعته فيه . [4]

والظاهر أن الناسخ لم يستطع قراءة الكلمة على وجهها فاضطرب قلمه . والصواب المحض « تفىء » أى ترجع ، وأما « ثم » فهو سهو منه ، بل هى « حتى » كما أثبتها ، وهى حق السياق .

(١) فى المطبوعة : « فمنى : واهجروا . . . » ، والفاء هنا خطأ لاشك فيه ، ولكن ناسخ المخطوطة كتب « لمعنى » باء ، ثم وضع نقطة النون على الباء ، فأساء الناشر قراءتها .

(٢) هو من حديث أنس بن مالك ، رواه البخارى (الفتح ١٠ : ٤١٣) : « عن أنس ابن مالك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لاَ تَبَاغَضُوا ، ولاَ تَحاسدُوا ، ولا تَدابَرُوا ، وكونوا عِبَاد اللهِ إخواناً ، ولا يحلُّ لامرىء مُسْلِمٍ أنْ يهجُرَ أخاهُ فوق ثلاثٍ » .

وحديث أبى أيوب الأنصارى : « لا يحِلُّ لرجُل أن يهجُرَ أخاهُ فَوقَ ثلاثٍ ، يلتقيانِ ، فيُعْرِض هذا و يُعرِض هذا ، وخيرُهما الذى يبدأ بالسَّلام » ، (الفتح ١٠ : ٤١٣) .

(٣) فى المطبوعة : « مجاذبتها » ، واخترت قراءتها كما أثبتها ، وهى فى المخطوطة غير منقوطة .

(٤) هذه الحجة جيدة جداً ، إذا اقتصر المرء على صورة واحدة من صور النشوز ، وعلة واحدة هى التى ذكرها أبو جعفر . ولكن للنشوز صور عديدة ، وعلله مختلفات ، وهذه الآية

= أو يكون – إذ فسد هذان الوجهان – يكون معناه[١] : واهجروا فى قولكم لهنّ ، بمعنى : ردّدوا عليهن كلامكم إذا كلمتموهن ، بالتغليظ لهن . فإن كان ذلك معناه ، فلا وجه لإعمال « الهجر » فى كناية أسماء النساء الناشزات = أعنى فى «الهاء والنون» من قوله : « واهجروهن » . لأنه إذا أريد به ذلك المعنى ، كان الفعل غير واقع .[٢] إنما يقال : « هَجَرَ فلان فى كلامه » ولا يقال : « هجر فلان فلاناً » . ٥/٤٣

فإذ كان فى كلّ هذه المعانى ما ذكرنا من الخلل اللاحق ، فأولى الأقوال بالصواب فى ذلك أن يكون قوله : « واهجروهن » ، موجّهاً معناه إلى معنى الرّبط بالهجار ، على ما ذكرنا من قيل العرب للبعير إذا ربطه صاحبه بحبل على ما وصفنا : « هَجَرَه فهو يهجره هجْراً » .

* * *

وإذا كان ذلك معناه كان تأويل الكلام : واللاتى تخافون نشوزَهن فعظوهن فى نشوزهن عليكم . فإن اتعظن فلا سبيل لكم عليهنّ ، وإن أبين الأوْبة من نشوزهن فاستوثقوا منهنّ رباطاً فى مضاجعهن = يعنى : فى منازلهن وبيوتهن التى يضطجعن فيها ويُضاجعن فيها أزواجهنّ ، كما : –

٩٣٧٢ – حدثنى عباس بن أبى طالب قال ، حدثنا يحيى بن أبى بكير ، عن شبل قال ، سمعت أبا قزعة يحدث ، عن عمرو بن دينار ، عن حكيم بن معاوية ، عن أبيه : أنه جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ قال : يطعمها ، ويكسوها ، ولا يضرب الوجه ، ولا يقبّح ، ولا يهجر إلا فى البيت .[٣]

أدب عام يعمل به المرء المسلم عند حاجته إليه عند مخافة النشوز أو معرفته ومعرفة أسبابه . وسترى أن أبا جعفر قد أسقط جميع الأقوال ، ليفضى إلى تأويله الذى ذهب إليه ، وسنذكر رد أبى بكر بن العربى عليه فى تعليق يأتى فى آخر مقالة أبى جعفر .

(١) تكرار « يكون » هنا فى هذا السياق عربى جيد .

(٢) « الفعل الواقع » هو الفعل المتعدى ، وانظر فهرس المصطلحات فيما سلف .

(٣) الحديث : ٩٣٧٢ – عباس بن أبى طالب : هو « عباس بن جعفر بن عبد الله » . مضت ترجمته فى : ٨٨٠ .

٩٣٧٣ – حدثنا الحسن بن عرفة قال، حدثنا يزيد بن هرون، عن شعبة بن الحجاج، عن أبي قزعة، عن حكيم بن معاوية، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه. (١)

٩٣٧٤ – حدثني المثنى قال، حدثنا حبان بن موسى قال، حدثنا ابن المبارك قال، أخبرنا بهز بن حكيم، عن جده قال، قلت: يا رسول الله، نساؤنا، ما نأتي منها وما نذر؟ قال: حرثك، فأت حرثك أنّى شئت، غير أن لا تضرب الوجه، ولا تقبّح، ولا تهجر إلا في البيت، وأطعم إذا طعمت، واكس إذا اكتسيت، كيف وقد أفضى بعضكم إلى بعض؟ إلا بما حل عليها. (٢)

* * *

شبل: هو ابن عباد المكي القارىء. مضى في: ٢٨٠.

أبو قزعة – بفتح القاف والزاي والعين: هو سويد بن جحير بن بيان. مضت ترجمته في: ٨٢٨١، ٨٢٨٣.

وقوله هنا: «يحدث عن عمرو بن دينار» – الراجح عندي أنه خطأ ناسخ في زيادة حرف «عن». وأن يكون صوابه «يحدث عمرو بن دينار». أي: أن شبل بن عباد سمع الحديث من أبي قزعة وهو يحدث به عمرو بن دينار. لأن الحديث معروف من حديث أبي قزعة عن حكيم بن معاوية، ليس بينهما واسطة. وأبو قزعة وعمرو بن دينار من طبقة واحدة، فقد يحدث أحدهما عن الآخر. ولكن الواقع هنا – فيما أرى – أن الحديث عن أبي قزعة عن حكيم مباشرة.

ثم استيقنت أن ما استظهرت هو الصواب. فإن هذا الحديث قطعة من حديث مطول، رواه أحمد في المسند ٤: ٤٤٦ – ٤٤٧ (حلبي)، عن عبد الله بن الحارث، وعن يحيى بن أبي بكير – كلاهما عن شبل بن عباد، قال: «سمعت أبا قزعة يحدث عمرو بن دينار، يحدث عن حكيم بن معاوية البهزي . . .» – إلى آخره. فوقع في مطبوعة المسند «يحدث عن عمرو بن دينار»، بزيادة «عن»، كما في نسخة الطبري هنا. ولكن ثبت في مخطوطة الرياض – من المسند – (ج ٣ ص ١٠٧٤)، على الصواب الذي ذكرنا، بحذف كلمة «عن». وهو الصواب إن شاء الله.

حكيم بن معاوية بن حيدة القشيري: مضت ترجمته وترجمة أبيه في: ٨٧٣.

والحديث يأتي تمام تخريجه في الرواية الثالثة: ٩٣٧٤.

(١) الحديث: ٩٣٧٣ – الحسن بن عرفة العبدي البغدادي، شيخ الطبري ثقة. مترجم في التهذيب، وابن أبي حاتم ١/٢/٣١ – ٣٢، وتاريخ بغداد ٧: ٣٩٤ – ٣٩٦. مات سنة ٢٥٧ وقد جاوز ١١٠ سنين.

والحديث رواه أحمد ٤: ٤٤٧ (حلبي)، عن يزيد بن هرون، عن شعبة، بهذا الإسناد.

(٢) الحديث: ٩٣٧٤ – حبان – بكسر الحاء – بن موسى بن سوار السلمي: ثقة من شيوخ البخاري ومسلم. مترجم في التهذيب، والكبير ٢/١/٨٤، وابن أبي حاتم ١/٢/٢٧١.

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال عدّة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٩٣٧٥ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن الحسن قال : إذا نشزت المرأة على زوجها فليعظها بلسانه ، فإن قبلت فذاك ، وإلا ضرَبها ضرباً غير مبرّح . فإن رجعت ، فذاك ، وإلاّ فقد حَلّ له أن يأخذ منها ويُخَلّيها .

٩٣٧٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن أبى الضحى ، عن ابن عباس فى قوله : « واهجروهن فى المضاجع واضربوهن »، قال : يفعل بها ذاك ، ويضربها حتى تطيعه فى المضاجع . فإذا أطاعته فى المضجع ، فليس له عليها سبيل إذا ضاجعته .

٩٣٧٧ – حدثنى المثنى قال، حدثنا حبان قال ، حدثنا ابن المبارك قال ، أخبرنا يحيى بن بشر : أنه سمع عكرمة يقول فى قوله : « واهجروهن فى المضاجع واضربوهن» ضرباً غير مبرح ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اضربوهن

وهذا الحديث هو تكرار للحديثين قبله ، مطولا . وقد جاء بالأسانيد الصحاح بأطول من هذا أيضاً . ورواه عن حكيم بن معاوية ابناه : بهز وسعيد ، وغيرهما .

فرواه أحمد فى المسند ، مطولا ومختصراً ٤ : ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، مراراً ، و ٥ : ٣ ، ٥ (حلبى) .

ورواه أبو داود : ٢١٤٢ – ٢١٤٤ .

ورواه ابن ماجة : ١٨٥٠ ، من طريق يزيد بن هرون ، كالرواية التى قبل هذه .

ورواه البيهقى ٧ : ٢٩٥ ، ٣٠٥ ، مطولا ومختصراً .

وقال المنذرى : ٢٠٥٧ ، من تهذيب السنن : « اختلف الأئمة فى الاحتجاج بهذه النسخة ، فمنهم من احتج بها ، ومنهم من أبى ذلك . وخرج الترمذى منها شيئاً وصححه » . يريد نسخة « بهز ابن حكيم عن أبيه عن جده » . والحق أنها صحيحة إذا صح الإسناد إلى بهز .

وذكره ابن كثير ٢ : ٤٣٧ – مختصراً – دون إسناد ، ونسبه للسنن والمسند .

وقوله: « إلا بما حل عليها » – وفى رواية المسند (ج ٥ ص ٥) : « إلا بما حل عليهن » – يعنى : إلا بما حل لكم عليهن من الضرب الذى أذن الله به لكم إذا خفتم نشوزهن . وهو الذى نص الله عليه فى هذه الآية الكريمة : (واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن) . ولا يتجاوز فى ذلك الحد الذى أذن الله به : (فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) .

إذا عصينكم فى المعروف ضرباً غير مبرّح . [١]

* * *

قال أبو جعفر : فكلّ هؤلاء الذين ذكرنا قولهم : لم يوجبوا للهجر معنى غير الضرب . ولم يوجبوا هجراً = إذ كان هيئة من الهيئات التى تكون بها المضروبة عند الضرب ، [٢] مع دلالة الخبر الذى رواه عكرمة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه أمر بضربهن إذا عصين أزواجهن فى المعروف ، من غير أمر منه أزواجهن بهجرهن = [٣] لما وصفنا من العلة .

* * *

قال أبو جعفر : فإن ظنّ ظانٌّ أن الذى قلنا فى تأويل الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم الذى رواه عكرمة ، ليس كما قلنا ، وصحّ أن تركَ النبى صلى الله عليه وسلم أمرَ الرجل بهجر زوجته إذا عصته فى المعروف وأمره بضربها قبل الهجر ، لو كان دليلاً على صحة ما قلنا من أنّ معنى « الهجر » هو ما بيناه = لوجب أن يكون لا معنى لأمر الله زوجَها أن يَعِظها إذا هى نشزت ، إذ كان لا ذِكر للعظة فى خبر عكرمة عن النبى صلى الله عليه وسلم =

= [٤] فإن الأمر فى ذلك بخلاف ما ظن . وذلك أن قوله صلى الله عليه وسلم : «إذا عصينكم فى المعروف » ، دلالة بينة أنه لم يُبح للرجل ضرب زوجته ، إلا بعد عظتها من نشوزها . وذلك أنه لا تكون لهُ عاصية ، إلاّ وقد تقدّم منه لها أمرٌ أو عِظَة بالمعروف على ما أمرَ الله به . [٥]

---

(١) الأثر : ٩٣٧٧ — الخبر الذى رواه عكرمة ، واحتج به الطبرى بعد ، خبر مرسل . خرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ١٥٥ ، ولم ينسبه لغير ابن جرير .

(٢) يعنى بقوله : « إذ كان هيئة من الهيئات . . . » ، أن المرأة المضروبة لا تضرب إلا لأنها هجرت فراش زوجها ، فالهجر حالة من حالاتها التى تكون عليها حين تضرب .

(٣) السياق : « ولم يوجبوا هجراً . . . لما وصفنا من العلة » ، وفصل بينهما بالسبب الذى من أجله لم يوجبوا الهجر .

(٤) قوله : « فإن الأمر فى ذلك . . . » جواب قوله فى أول الفقرة السالفة : « فإن ظن ظان » ، وفصلت هذه الثانية فقرة مستقلة ، لأنها كالجواب ، ولئلا تختلط معانى الكلام .

(٥) تأويل الطبرى فى هذا الموضع لمعنى « الهجر » ، وأنه الشد بالهجار ، والاستيثاق منهن

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱضْرِبُوهُنَّ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : فعظوهن ، أيها الرجال ، فى نشوزهن ، فإن أبينَ الإياب إلى ما يلزمهن لكم ، فشدّوهن وثاقاً فى منازلهن ، واضربوهن ليؤبن إلى الواجب عليهن من طاعته الله فى اللازم لهنّ من حقوقكم .

* * *

وقال أهل التأويل : صفة الضرب التى أباح الله لزوج الناشز أن يضربها : الضربُ غيرُ المبرِّح . ٤٤/٥

* ذكر من قال ذلك :

٩٣٧٨ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ،

رباطاً فى منازلهن وبيوتهن التى يضطجعن فيها ويضاجعن فيها أزواجهن = تأويل مستغرب جداً ، شذ به عن كل تأويل تأوله المتقدمون . وقد استدرك عليه العلماء بعده ، فمن أجود من قال فى ذلك أبو بكر بن العربى فى كتابه أحكام القرآن ١ : ١٧٥ قال : « يا لها هفوة من عالم بالقرآن والسنة ! ! وإنى لأعجبكم من ذلك : أن الذى جرأه على هذا التأويل ، ولم يرد أن يصرح بأنه أخذه منه ، وهو حديث غريب ، رواه ابن وهب عن مالك : أن أسماء بنت أبى بكر الصديق امرأة الزبير بن العوام . . . » ثم ذكر قصة ضرب الزبير أسماء وضرتها ، وأنه عقد شعر واحدة بالأخرى ، وارتفاع أسماء إلى أبى بكر ، ونصيحة أبى بكر لها أن تصبر ، لأن الزبير رجل صالح ، وعسى أن يكون زوجها فى الجنة = ثم قال ابن العربى : « فرأى الربط والعقد مع احتمال اللفظ ، مع فعل الزبير ، فأقدم على هذا التفسير لذلك . وعجباً له ، مع تبحره فى العلوم وفى لغة العرب ، كيف بعد عليه صواب القول ، وحاد عن سداد النظر » ! !

واستخراج أبى بكر ضمير الطبرى ، إذ ذكر الخبر الذى جرأه على هذا التفسير ، ليس يعجبنى ، ولو كان الطبرى أراده لذكره كعادته . ولكنى أظن أبا جعفر قد تورط فى هذا التأويل ، للعلل التى قدم ذكرها بعد كلامه فى تفسير « الهجر » ، وأنه لو كان الكلام « فاهجروهن فى المضاجع » ، ولم يقل سبحانه قبله « فعظوهن » ، لما احتاج أبو جعفر إلى هذا التأويل . وإذن فالذى دعاه إلى هذا التأويل هو تتابع الكلامين « فعظوهن » و « اهجروهن فى المضاجع » . ثم إنه أيضاً لم يجد مساغاً للجمع بين معنى « النشوز » ، ومعنى « الهجر » ، كما قلت فى ص : ٣٠٨ تعليق : ٤ . ولاستيفاء القول فى ذلك مكان غير هذا المكان .

عن سعيد بن جبير : « واضربوهن » ، قال : ضرباً غير مبرح .

٩٣٧٩ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال، أخبرنا أبو حمزة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير مثله .

٩٣٨٠ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن مغيرة ، عن الشعبي قال : الضرب غير مبرّح .(١)

٩٣٨١ – حدثني المثنى قال، حدثنا حبان بن موسى قال، حدثنا ابن المبارك قال ، أخبرنا شريك ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « واضربوهن » ، قال : ضرباً غير مبرح .

٩٣٨٢ – حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس : « واهجروهن في المضاجع واضربوهن » ، قال : تهجرها في المضجع ، فإن أقبلت ، وإلا فقد أذن الله لك أن تضربها ضرباً غير مبرح ، ولا تكسر لها عظماً . فإن أقبلت ، وإلاّ فقد حلّ لك منها الفدية .

٩٣٨٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن الحسن وقتادة في قوله : « واضربوهن » ، قال : ضرباً غير مبرح .

٩٣٨٤ – وبه قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن جريج قال : قلت لعطاء : « واضربوهن » ؟ قال : ضرباً غير مبرح .

٩٣٨٥ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « واهجروهن في المضاجع واضربوهن » ، قال : تهجرها في المضجع . فإن أبت عليك ، فاضربها ضرباً غير مبرح = أي : غير شائن .

٩٣٨٦ – حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا ابن عيينة ، عن ابن جريج ، عن عطاء قال : قلت لابن عباس : ما الضرب غير المبرّح ؟ قال : السواك وشبهه ، يضربها به .

---

(١) في المطبوعة : « غير المبرح » وأثبت ما في المخطوطة .

٩٣٨٧ – حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري قال، حدثنا ابن عيينة ، عن ابن جريج ، عن عطاء قال ، قلت لابن عباس : ما الضرب غير المبرح ؟ قال : بالسواك ونحوه .

٩٣٨٨ – حدثنا المثنى قال، حدثنا حبان بن موسى قال، أخبرنا ابن المبارك قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن ابن جريج ، عن عطاء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خطبته : « ضرباً غير مبرح » ، قال : السواك ونحوه .[1]

٩٣٨٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تهجروا النساء إلاّ فى المضاجع ، واضربوهن ضرباً غير مبرح = يقول : غير مؤثّر .

٩٣٩٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن إسرائيل، عن جابر ، عن عطاء : « واضربوهن » ، قال : ضرباً غير مبرح .

٩٣٩١ – حدثنا المثنى قال، حدثنا حبان قال، أخبرنا ابن المبارك قال ، حدثنا يحيى بن بشر ، عن عكرمة مثله .

٩٣٩٢ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « واضربوهن » ، قال : إن أقبلت فى الهجران ، وإلاّ ضربها ضرباً غير مبرح .

٩٣٩٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب قال : تهجر مضجعها ما رأيتَ أن تنزع .[2] فإن لم تنزع ، ضربها ضرباً غير مبرح .

٩٣٩٤ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، حدثنا هشيم ، عن يونس ، عن الحسن : « واضربوهن » ، قال : ضرباً غير مبرح .

---

(١) يعنى خطبته صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع ، وقد مضى ذلك برقم : ٨٩٠٥ ، فراجع التخريج هناك .

(٢) « تنزع » أى : تقلع عن نشوزها وتتركه .

٩٣٩٥ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا حبان قال، حدثنا ابن المبارك قال، أخبرنا عبد الوارث بن سعيد، عن رجل، عن الحسن قال: ضرباً غير مبرح، غير مؤثر.

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ﴾

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : فإن أطعنكم ، أيها الناس ، نساؤكم اللاتي تخافون نشوزهن عند وعظكم إياهن ، فلا تهجروهن في المضاجع . فإن لم يطعنكم ، فاهجروهن في المضاجع واضربوهن . فإن راجعنَ طاعتكم عند ذلك وفِئْنَ إلى الواجب عليهن، فلا تطلبوا طريقاً إلى أذاهن ومكروههن ، ولا تلتمسوا سبيلاً إلى ما لا يحل لكم من أبدانهن وأموالهن بالعلل . وذلك أن يقول أحدكم لإحداهن وهي له مطيعة : « إنك لست تحبّيني ، وأنت لي مبغضة » ، فيضربها على ذلك أو يُؤذيها . فقال الله تعالى للرجال : « فإن أطعنكم » أي : على بغضهنّ لكم فلا تجنّوا عليهن، ولا تكلفوهن محبتكم ، فإنّ ذلك ليس بأيديهن ، فتضربوهن أو تؤذوهن عليه .

* * *

٤٥/٥ ومعنى قوله : « فلا تبغوا »، لا تلتمسوا ولا تطلبوا ، من قول القائل : « بغَيتُ الضالة » ، إذا التمستها ، [1] ومنه قول الشاعر في صفة الموت : [2]

بَغَاكَ وَمَا تَبْغِيهِ ، حَتَّى وَجَدْتَهُ كَأَنَّكَ قَدْ وَاعَدْتَهُ أَمْسِ مَوْعِدَا [3]

---

(١) انظر تفسير « بغى » فيما سلف ٣ : ٤/٥٠٨ : ٦/١٦٣ : ١٩٦ ، ٥٦٤ ، ٧/٥٧٠ : ٥٣ .

(٢) هو سحيم عبد بني الحسحاس .

(٣) مضى البيت وتخريجه وشرحه فيما سلف ٤ : ٧/١٦٣ : ٥٣ .

بمعنى : طلبك وما تطلبه .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٩٣٩٦ – حدثنا المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنى معاوية ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس فى قوله : « فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا » ، قال : إذا أطاعتك فلا تتجنّ عليها العلل .

٩٣٩٧ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن الحسن بن عبيد الله ، عن أبى الضحى ، عن ابن عباس قال : إذا أطاعته ، فليس له عليها سبيل إذا ضاجعته .

٩٣٩٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن جريج قوله : « فلا تبغوا عليهن سبيلا » ، قال : العلل .

٩٣٩٩ – وقال أخبرنا عبد الرزاق قال : قال الثورى فى قوله : « فإن أطعنكم » قال : إن أتت الفراش وهى تبغضه .

٩٤٠٠ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا يعلى ، عن سفيان قال : إذا فعلت ذلك لا يكلفها أن تحبه ، لأن قلبها ليس فى يديها .

٩٤٠١ – حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : إن أطاعته فضاجعته، فإن الله يقول : « فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهنّ سبيلا » .

٩٤٠٢ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا » ، يقول : فإن أطاعتك ، فلا تبغ عليها العلل .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ (٣٤)

قال أبو جعفر يقول : إن الله ذو علوّ على كل شيء، فلا تبغوا، أيها الناس، على أزواجكم =إذا أطعنكم فيما ألزمهن الله لكم من حق= سبيلا ، لعلوّ أيديكم على أيديهن ، فإنّ الله أعلى منكم ومن كل شيء عليكم ، منكم عليهن[1] = وأكبر منكم ومن كل شيء، وأنتم فى يده وقبضته، فاتقوا الله أن تظلموهن وتبغوا عليهن سبيلاً . وهن لكم مطيعات، فينتصر لهن منكم ربُّكم الذى هو أعلى منكم ومن كل شيء ، وأكبر منكم ومن كل شيء .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه « وإن خفتم شقاق بينهما » ، وإن علمتم أيها الناس[3] = «شقاق بينهما»، وذلك مشاقة كل واحد منهما صاحبه، وهو إتيانه ما يشق عليه من الأمور . فأما من المرأة ، فالنشوز وتركها أداء حق الله

---

(١) فى المطبوعة : « فإن الله أعلى منكم ومن كل شيء ، وأعلى منكم عليهن » ، وفى المخطوطة . « . . . ، عليهم منكم عليهن » ، فأراد الناشر تصحيحه فأفسده ، والصواب « عليكم ، منكم عليهن » وقوله : « عليكم » من سياق فإن الله أعلى منكم ومن كل شيء عليكم » .

(٢) انظر تفسير « العلى » فيما سلف ٥ : ٤٠٥ .

(٣) انظر تفسير « الخوف » بمعنى العلم فيما سلف قريباً ص : ٢٩٨، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

عليها الذى ألزمها الله لزوجها . وأما من الزوج ، فتركُه إمساكها بالمعروف أو تسريحها بإحسان .

* * *

و « الشقاق » مصدر من قول القائل : « شاقَّ فلان فلاناً » = إذا أتى كل واحد منهما إلى صاحبه ما يشق عليه من الأمور = « فهو يُشاقُّه مشاقَّة وشقاقاً » ، وذلك قد يكون عداوة ، [1] كما : —

٩٤٠٣ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى فى قوله : « وإن خفتم شقاق بينهما » ، قال : إن ضربها فأبت أن ترجع وشاقَّته = يقول : عادته

* * *

وإنما أضيف « الشقاق » إلى « البين» ، لأن « البين » قد يكون اسمًا ، كما قال جل ثناؤه : « لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ » [سورة الأنعام : ٩٤] ، فى قراءة من قرأ ذلك. [2]

* * *

وأما قوله : « فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها » ، فإن أهل التأويل اختلفوا فى المخاطبين بهذه الآية : مَنِ المأمور ببعثة الحكمين ؟ [3]

فقال بعضهم : المأمور بذلك، السلطانُ الذى يرفع ذلك إليه .

* ذكر من قال ذلك :

٩٤٠٤ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا أيوب، عن سعيد بن جبير : أنه قال فى المختلعة : يعظها، فإن انتهت وإلاّ هجرها . فإن انتهت ، وإلا ضربها . فإن انتهت ، وإلاّ رفع أمرَها إلى السلطان ، فيبعث حكماً من أهله وحكماً من أهلها . فيقول الحكم الذى من أهلها : « يفعل بها

---

(١) انظر تفسير « الشقاق » فيما سلف ٣ : ١١٥ ، ١١٦ ، ٣٣٦ .

(٢) هذه القراءة برفع « بينكم » ، بمعنى : وصلكم الذى يصل بينكم .

(٣) فى المطبوعة : « يبعثه الحكمين » ، وهو خطأ فى قراءة المخطوطة ، وهى غير منقوطة .

كذا » ، ويقول الحكم الذى من أهله : « تفعل به كذا » . فأيهما كان الظالم ردّه السلطان وأخذ فوق يديه ، وإن كانت ناشزاً أمره أن يَخْلع .

٩٤٠٥ – حدثنا يحيى بن أبى طالب قال ، حدثنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك : « وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها » ، قال : بل ذلك إلى السلطان .

* * *

وقال آخرون : بل المأمور بذلك : الرجل والمرأة .

* ذكر من قال ذلك :

٤٦/٥ ٩٤٠٦ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها » ، إن ضربها . فإن رجعت ، فإنه ليس له عليها سبيل . فإن أبت أن ترجع وشاقّته ، فليبعث حكماً من أهله ، وتبعث حكماً من أهلها .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فيما يُبعث له الحكمان ، وما الذى يجوز للحكمين من الحكم بينهما ، وكيف وَجْهُ بَعْثِهما بينهما ؟

فقال بعضهم : يبعثهما الزوجان بتوكيل منهما إياهما بالنظر بينهما . وليس لهما أن يعملا شيئاً فى أمرهما إلا ما وكّلاهما به ، أو وكله كل واحد منهما بما إليه ، فيعملان بما وكلهما به مَن وكلهما من الرجل والمرأة فيما يجوز توكيلهما فيه ، أو توكيل من وُكل منهما فى ذلك .

* ذكر من قال ذلك :

٩٤٠٧ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن أيوب ، عن محمد ، عن عبيدة قال : جاء رجل وامرأته بينهما شقاقٌ إلى على رضى الله عنه ، مع كل واحد منهما فِئام من الناس ،[1] فقال على رضى الله عنه : ابعثوا حكماً

(١) « الفئام » : الجماعة الكثيرة .

من أهله وحكماً من أهلها . ثم قال للحكمين : تدريان ما عليكما ؟ عليكما إن رأيتما أن تجمعا أن تجمعا ، وإن رأيتما أن تفرّقا أن تفرقا ، [١] قالت المرأة : رضيت بكتاب الله ، بما عليّ فيه ولى . قال الرجل : أما الفرقة فلا . فقال على رضى الله عنه : كذبتَ والله ، لا تنقلب حتى تقرّ بمثل الذى أقرّت به . [٢]

٩٤٠٨ – حدثنا مجاهد بن موسى قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا هشام ابن حسان وعبد الله بن عون، عن محمد : أن عليًّا رضى الله عنه أتاه رجل وامرأته ، ومع كل واحد منهما فئام من الناس . فأمرهما على رضى الله عنه أن يبعثا حكماً من أهله وحكماً من أهلها ، لينظرا . فلما دنا منه الحكمان ، قال لهما على رضى الله عنه : أتدريان ما لكما ؟ لكما إن رأيتما أن تفرّقا فرقتما ، وإن رأيتما أن تجمعا جمعتما – قال هشام فى حديثه : فقالت المرأة : رضيت بكتاب الله لى وعلىّ ، فقال الرجل : أما الفرقة فلا ! فقال علىّ : كذبتَ والله ، حتى ترضى مثل ما رضيت به – وقال ابن عون فى حديثه : كذبتَ والله ، لا تبرَحُ حتى ترضى بمثل ما رضيت به . [٣]

٩٤٠٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا منصور وهشام ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة قال : شهدت عليًّا رضى الله عنه ، فذكر مثله . [٣]

٩٤١٠ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ،

---

(١) فى المخطوطة : « فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها ، إن رأيتما أن تجمعا ، وإن رأيتما أن تفرقا أن تفرقا » ، سقط من الكلام ما ثبت فى المخطوطة ، وهو نص ما فى المراجع التى سأذكرها بعد .

(٢) الأثر : ٩٤٠٧ – رواه الشافعى فى الأم ٥ : ١٧٧ من طريق عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى ، عن أيوب بن أبى تميمة ، بمثله سواء . وأخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ٧ : ٣٠٥ ، ٣٠٦ . وقال الشافعى : « حديث عل ثابت عندنا » .

(٣) الأثران : ٩٤٠٨ ، ٩٤٠٩ – أخرجه البيهقى فى السنن ٧ : ٣٠٦ ، مختصراً .

عن السدى قال : إذا هجرها فى المضجع وضربها ، فأبت أن ترجع وشاقّته ، فليبعث حكماً من أهله وتبعث حكماً من أهلها . تقول المرأة لحكمها : « قد وليتك أمرى ، فإن أمرتنى أن أرجعَ رجعت ، وإن فرّقت تفرقنا » ، وتخبره بأمرها إن كانت تريد نفقة أو كرهت شيئاً من الأشياء ، وتأمره أن يرفع ذلك عنها وترجع ، أو تخبره أنها لا تريد الطلاق ، ويبعث الرجل حكماً من أهله يوليه أمره ، ويخبره يقول له حاجته : إن كان يريدها أو لا يريد أن يطلقها ، أعطاها ما سألت وزادها فى النفقة ، وإلاّ قال له : « خذ لى منها ما لها علىّ ، وطلقها » ، فيوليه أمره ، فإن شاء طلق ، وإن شاء أمسك . ثم يجتمع الحكمان ، فيخبر كل واحد منهما ما يريد لصاحبه ، ويجهد كل واحد منهما ما يريد لصاحبه . فإن اتفق الحكمان على شىء فهو جائز ، إن طلّقا وإن أمسكا . فهو قول الله : « فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما » . فإن بعثت المرأة حكماً وأبى الرجل أن يبعث ، فإنه لا يقربها حتى يبعث حكماً .

* * *

وقال آخرون : إن الذى يبعث الحكمين هو السلطان ، غير أنه إنما يبعثهما ليعرفا الظالم من المظلوم منهما ، ليحملهما على الواجب لكل واحد منهما قِبَل صاحبه ، لا التفريق بينهما .

* ذكر من قال ذلك :

٩٤١١ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن = وهو قول قتادة = أنهما قالا : إنما يبعث الحكمان ليصلحا ويشهدا على الظالم بظلمه . وأما الفرقة ، فليست فى أيديهما ولم يملّكا ذلك = يعنى : « وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها » .

٩٤١٢ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً

من أهلها » ، الآية ، إنما يبعث الحكمان ليصلحا . فإن أعياهما أن يصلحا ، شهدا على الظالم بظلمه ، وليس بأيديهما فرقة ، ولا يملّكان ذلك . ٤٧/٥

٩٤١٣ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن قيس بن سعد قال : وسألت عن الحكمين ،[1] قال : ابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها ، فما حكم الحكمان من شيء فهو جائزٌ ، يقول الله تبارك وتعالى : « إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما » . قال : يخلو حكم الرجل بالزوج ، وحكم المرأة بالمرأة، فيقول كل واحد منهما لصاحبه: « اصدقني ما في نفسك » . فإذا صَدق كل واحد منهما صاحبه ، اجتمع الحكمان ، وأخذ كل واحد منهما على صاحبه ميثاقاً : « لتصدقني الذي قال لك صاحبك، ولأصدقنك الذي قال لي صاحبي » ، فذاك حين أرادا الإصلاح، يوفق الله بينهما. فإذا فعلا ذلك ، اطّلع كل واحد منهما على ما أفضى به صاحبه إليه ، فيعرفان عند ذلك من الظالم والناشز منهما، فأتيا عليه فحكما عليه . فإن كان المرأة قالا : « أنت الظالمة العاصية ، لا ينفق عليك حتى ترجعي إلى الحق وتطيعي الله فيه ». وإن كان الرجل هو الظالم قالا : « أنت الظالم المضارّ ، لا تدخل لها بيتاً حتى تنفق عليها وترجع إلى الحق والعدل » . فإن أبت ذلك كانت هي الظالمةَ العاصيةَ،[2] وأخذ منها ما لها، وهو له حلال طيب. وإن كان هو الظالمَ المسيءَ إليها المضارَّ لها طلقها، ولم يحلّ له من مالها شيء . فإن أمسكها ، أمسكها بما أمر الله ، وأنفق عليها وأحسن إليها .[3]

---

(١) في المطبوعة : « سألت عن الحكمين » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو صواب ، فالظاهر أنه بعض خبر ، لا بدء خبر ، وانظر التعليق رقم : ٣ .

(٢) في المطبوعة : « وترجع إلى الحق والعدل ، فإن كانت هي الظالمة العاصية أخذ . . . » ، وفسد الكلام : وفي المخطوطة : « وترجع إلى الحق والعدل ما دامت ذلك كانت هي الظالمة العاصية وأخذ . . . » ، وهو تحريف من الناسخ ، وصواب قراءتها « فإن أبت ذلك » ، كما أثبتها . والصواب أيضاً إثبات الواو في « وأخذ » ، لا حذفها ، كما في المطبوعة .

(٣) الأثر : ٩٤١٣ – « قيس بن سعد المكي » مولى نافع بن علقمة ، روى عن طاوس ،

٩٤١٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظي قال : كان على بن أبي طالب رضى الله عنه يبعث الحكمين ، حكماً من أهله وحكماً من أهلها . فيقول الحكم من أهلها : « يا فلان ، ما تنقِم من زوجتك »؟ فيقول : « أنقِم منها كذا وكذا». قال فيقول : « أفرأيت إن نزَعَت عما تكره إلى ما تحب ، هل أنت مُتقٍ الله فيها ، ومعاشرها بالذى يحق عليك فى نفقتها وكسوتها » ؟ فإذا قال : « نعم »، قال الحكم من أهله: « يا فلانة ما تنقمين من زوجك فلان » ؟ فيقول مثل ذلك، فإن قالت: « نعم » ، جمع بينهما. قال : وقال على رضى الله عنه : الحكمان ، بهما يجمع الله وبهما يفرِّق .

٩٤١٥ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر قال ، قال الحسن: الحكمان يحكمان فى الاجتماع ، ولا يحكمان فى الفُرقة .

٩٤١٦ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبي قال، حدثنى عمى قال : حدثنى أبى ، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: « واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن »، وهى المرأة التى تنشز على زوجها ، فلزوجها أن يخلعها حين يأمر الحكمان بذلك ، وهو بعد ما تقول لزوجها : « والله لا أُبرُّ لك قسَمًا ولآذنَنَّ فى بيتك بغير أمرك »! ويقول السلطان : « لا نجيز لك خلعاً » = حتى تقول المرأة لزوجها : « والله لا أغتسل لك من جنابة ، ولا أقيم لك صلاة » ! فعند ذلك يقول السلطان: « اخلع المرأة »!

وعطاء ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير . ثقة . مترجم فى التهذيب .

وكان هذا الإسناد فى المطبوعة : « قال حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن قيس ابن سعد » ، وكان فى المخطوطة مثله ، إلا أن وضع بعد « شبل » إلى أعلى : « لا » وبعد « مجاهد » إلى أعلى « إلى » ، وذلك من إشاراتهم إلى حذف ما بينهما ، استغنوا بذلك عن الضرب عليه بالقلم . فلم يعرف الناشر قاعدتهم فى الكتابة والحلوف ، فأثبت ما حقه الحذف . و « قيس بن سعد » كما ترى يروى عن مجاهد ، وليس مجاهد ممن يروى عنه . وهذا الخبر ، كأنه مما سأل عنه قيس بن سعد مجاهداً أو عطاء ، كما مر فى بعض أسانيده السالفة ، التى غاب عنى مكانها اليوم .

٩٤١٧ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن » ، قال : تعظها ، فإن أبت وغَلَبت ، فاهجرها في مضجعها . فإن غلبت هذا أيضاً ، فاضربها. فإن غلبت هذا أيضاً ، بُعث حكم من أهله وحكم من أهلها . فإن غلبت هذا أيضاً وأرادت غيره ، فإنّ أبي قال = أو : كان أبي يقول [1] : = ليس بيد الحكمين من الفرقة شيء ، إن رأيا الظلم من ناحية الزوج قالا : « أنت يا فلان ظالم ، انزع »! فإن أبى ، رفعا ذلك إلى السلطان . وإن رأياها ظالمة قالا لها : « أنت ظالمة ، انزعي » ! فإن أبت ، رفعا ذلك إلى السلطان . ليس إلى الحكمين من الفراق شيء .

* * *

وقال آخرون : بل إنما يبعث الحكمين السلطانُ ، على أن حكمهما ماضٍ على الزوجين في الجمع والتفريق .

* ذكر من قال ذلك :

٩٤١٨ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها » ، فهذا الرجل والمرأة ، إذا تفاسد الذي بينهما ، فأمر الله سبحانه أن يبعثوا رجلاً صالحاً من أهل الرجل ، ومثله من أهل المرأة . فينظران أيهما المسيء . فإن كان الرجل هو المسيء ، حَجَبوا عنه امرأته وقَصَروه على النفقة ، [2] وإن كانت المرأة هي المسيئة ، قصروها على زوجها ، ومنعوها النفقة . فإن اجتمع رأيهما على أن يفرّقا أو يجمعا ، فأمرهما جائز . فإن رأيا ٤٨/٥

(١) في المطبوعة : « فإن أبي كان يقول » ، وفي المخطوطة : « فإن أبي قال وكان أبي يقول » والصواب ما في المخطوطة ، إلا قوله « وكان أبي يقول » ، فصوابه « أو : كان أبي يقول » ، وقائل هذه الجملة هو : عبد الله بن زيد أسلم – وأبوه هو : زيد بن أسلم .

(٢) « قصره على الشيء » حبسه عليه ، وألزمه إياه ، إجباراً وقهراً ، وفي الحديث : « لتقصرنه على الحق قصراً » ، أي : قهراً وغلبة ، وهو من « القسر » ، وأبدلت السين صاداً ، وهما يتبادلان في كثير من الكلام .

أن يجمعا ، فرضى أحد الزوجين وكره ذلك الآخر ، ثم ماتَ أحدهما ، فإنّ الذى رضى يَرِث الذى كره ، ولا يرث الكارهُ الراضىَ . وذلك قوله : « إن يريدا إصلاحاً » ، قال : هما الحكمان = « يوفق الله بينهما » .

٩٤١٩ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا روح قال ، حدثنا عوف ، عن محمد بن سيرين : أن الحكم من أهلها والحكم من أهله ، يفرّقان ويجمعان إذا رأيا ذلك = « فابعثوا حكماً من أهله وحكماً أهلها » .

٩٤٢٠ – حدثنى محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، قال : سألت سعيد بن جبير عن الحكمين فقال : لم أولد إذ ذاك ! [1] فقلت : إنما أعنى حَكَم الشقاق . قال : يقبلان على الذى جاء التدارى من عنده . [2] فإن فعل ، وإلاّ أقبلا على الآخر . فإن فعل ، وإلا حكما . فما حكما من شىء فهو جائز .

٩٤٢١ – حدثنا عبد الحميد بن بيان قال ، أخبرنا محمد بن يزيد ، عن إسمعيل ، عن عامر فى قوله : « فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها » ، قال : ما قضى الحكمان من شىء فهو جائز .

٩٤٢٢ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن داود ،

---

(١) ذهب سعيد بن جبير حين سأله عمرو بن مرة عن « الحكمين » ، إلى أنه عنى الحكمين فى أمر على ومعاوية رضى الله عنهما ، واجتماعهما بدومة الجندل سنة ٣٧ من الهجرة . فلذلك قال : « لم أولد إذ ذاك » ، لأن سعيد بن جبير رحمه الله قتله الحجاج سنة ٩٥ ، وهو ابن تسع وأربعين سنة ، كأنه ولد سنة ٤٦ من الهجرة ، بعد التحكيم . وروى أن سعيد بن جبير دعا ابنه حين دعى ليقتل ، فجعل ابنه يبكى ، فقال : ما يبكيك ؟ ما بقاء أبيك بعد سبع وخمسين سنة ؟ = فكأنه ولد – على هذه الرواية سنة ٣٨ من الهجرة ، وذلك أيضاً بعد تحكيم الحكمين .

(٢) فى المطبوعة : « الذى جاء الأذى من عنده » لم يحسن قراءة المخطوطة ، لأنها غير منقوطة . وهو من « التدارؤ » ، ترك همزه ، « تداراً الرجلان » ، أى تشاغبا وخالف أحدهما صاحبه . وفى قول بعض الحكماء : « لا تتعلموا العلم الثلاث ، ولا تتركوه لثلاث : لا تتعلموه للتدارى ، ولا للتمارى ، ولا للتباهى = ولا تدعوه رغبة عنه ، ولا رضاً بالجهل ، ولا استحياء من الفعل له » . وعنى بقوله : « التدارى » هنا الخصومة والتداعى . وانظر الأثر التالى رقم : ٩٤٢٨ .

عن إبراهيم قال : ما حكما من شيء فهو جائز . إن فرّقا بينهما بثلاث تطليقات أو تطليقتين ، فهو جائز . وإن فرقا بتطليقة فهو جائز . وإن حكما عليه بجزاء من ماله ، [1] فهو جائز : فإن أصلحا فهو جائز . وإن وضَعا من شيء فهو جائز .

٩٤٢٣ – حدثنا المثنى قال، حدثنا حبان قال ، أخبرنا ابن المبارك قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن المغيرة ، عن إبراهيم فى قوله : « وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها » ، قال : ما صنع الحكمان من شيء فهو جائز عليهما . إن طلقا ثلاثا فهو جائز عليهما . وإن طلقا واحدة وطلقاها على جُعْل ، فهو جائز . [2] وما صنعا من شيء فهو جائز .

٩٤٢٤ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال : إن شاء الحكمان أن يفرقا فرّقا . وإن شاءا أن يجمعا جمعَا .

٩٤٢٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى هشيم ، عن حصين ، عن الشعبى : أن امرأة نشزت على زوجها ، فاختصموا إلى شريح ، فقال شريح : ابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها . فنظر الحكمان فى أمرهما ، فرأيا أن يفرّقا بينهما ، فكره ذلك الرجل ، فقال شريح : ففيم كانا اليوم ؟ وأجاز قولهما . [3]

٩٤٢٦ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن عكرمة بن خالد ، عن ابن عباس قال : بعثت

---

(١) فى المطبوعة : « بهذا من ماله » ، وهى فى المخطوطة غير منقوطة ، وليس لها معنى هنا . ورجحت أن صوابها « بجزاء » ، لأنه سيأتى فى الأثر التالى : « أو طلقاها على جعل » و « الجعل » (بضم فسكون) ، وهو المال المعطى على شيء ، أجراً كان أو غيره . و « الجزاء » البدل ، فكأنه يعطى لها بدلا مما لقيت من إساءته ، وعقوبة للمسيء .

(٢) انظر التعليق السالف .

(٣) الأثر : ٩٤٢٥ – أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ٧ : ٣٠٦ .

أنا ومعاوية حكمين = قال معمر : بلغني أن عثمان رضي الله عنه بعثهما ، وقال لهما : إن رأيتما أن تجمعا جمعتما ، وإن رأيتما أن تفرّقا فرقتما . (١)

٩٤٢٧ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا روح بن عبادة قال ، حدثنا ابن جريج قال ، حدثني ابن أبي مليكة : أن عقيل بن أبي طالب تزوج فاطمة ابنة عتبة ، فكان بينهما كلام . فجاءت عثمان فذكرت ذلك له ، فأرسل ابن عباس ومعاوية ، فقال ابن عباس : لأفرقنّ بينهما ! وقال معاوية : ما كنت لأفرّق بين شيخين من بني عبد مناف ! فأتياهما وقد اصطلحا . (٢)

٩٤٢٨ – حدثني يحيى بن أبي طالب قال ، حدثنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك في قوله : « وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها » ، يكونان عدْلين عليهما وشاهدين . وذلك إذا تداراً الرجل والمرأة وتنازعا إلى السلطان ، (٣) جعل عليهما حكمين : حكماً من أهل الرجل ، وحكماً من أهل المرأة ، يكونان أمينين عليهما جميعاً ، وينظران من أيهما يكون الفساد . فإن كان من قبل المرأة ، أجبرت على طاعة زوجها ، وأمرَ أن يتقي الله ويحسن صحبتها ، وينفق عليها بقدر ما آتاه الله ، إمساكٌ بمعروف أو تسريح بإحسان . وإن كانت الإساءة من قبل الرجل ، أُمر بالإحسان إليها ، فإن لم يفعل قيل له : « أعطها حقها وخلّ سبيلها » . وإنما يلي ذلك منهما السلطان .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب في قوله : « فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها » ، أن الله خاطب المسلمين بذلك ، وأمرهم ببعثة الحكمين عند خوف الشّقاق بين الزوجين للنظر في أمرهما ، ولم يخصص بالأمر بذلك بعضهم دون بعض .

---

(١) الأثر : ٩٤٢٦ – أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٧ : ٣٠٦ .

(٢) الأثر : ٩٤٢٧ – رواه الشافعي في الأم ٥ : ١٧٧ ، ١٧٨ من طريق مسلم بن خالد ، عن ابن جريج ، وأخرجه البيهقي في السنن ٧ : ٣٠٦ .

(٣) انظر تفسير « تداراً » فيما سلف ص : ٣٢٦ ، تعليق : ٢ .

وقد أجمع الجميع على أن بعثة الحكمين فى ذلك ليست لغير الزوجين ، وغير ٤٩/٥
السلطان الذى هو سائس أمر المسلمين ، أو من أقامه فى ذلك مقام نفسه .

واختلفوا فى الزوجين والسلطان ، ومن المأمورُ بالبعثة فى ذلك : الزوجان ، أو السلطان ؟[1] ولا دلالة فى الآية تدل على أن الأمر بذلك مخصوص به أحد الزوجين ، ولا أثر به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأمة فيه مختلفة .

وإذْ كان الأمر على ما وصفنا ، فأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أن يكون مخصوصاً من الآية ما أجمع الجميع على أنه مخصوص منها .[2] وإذْ كان ذلك كذلك ، فالواجب أن يكون الزوجان والسلطان ممن قد شمله حكم الآية ، والأمر بقوله : « فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها » ، إذْ كان مختلفاً بينهما : هل هما معنيّان بالأمر بذلك أم لا ؟ = وكان ظاهر الآية قد عمهما = فالواجبُ من القول ، إذ كان صحيحاً ما وصفنا ، صحيحاً أن يقال[3] : إن بعث الزوجان كل واحد منهما حكماً من قبله لينظر فى أمرهما ، وكان كل واحد منهما قد بعثه من قبله فى ذلك ، لما لَه على صاحبه ولصاحبه عليه ،[4] فتوكيله بذلك من وكّل جائز له وعليه .

وإن وكّله ببعض ولم يوكله بالجميع ، كان ما فعله الحكم مما وكله به صاحبه ماضياً جائزاً على ما وكله به . وذلك أن يوكله أحدهما بما له دون ما عليه .

وإن لم يوكل كل واحد من الزوجين بماله وعليه ،[5] أو بما له ، أو بما عليه

---

(١) فى المخطوطة : « الزوجين أو السلطان » ، وهو خطأ ظاهر .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « من أجمع الجميع » ، وهو خطأ ظاهر ، وفساد ، والصواب ما أثبت .

(٣) فى المطبوعة حذف « صحيحاً » هذه الثانية ، مع أنها مستقيمة لا ضير منها .

(٤) فى المطبوعة : « وكان لكل واحد منهما ممن بعثه من قبله فى ذلك طاقة على صاحبه ولصاحبه عليه » ، وهو كلام لا يستقيم البتة . وفى المخطوطة : « وكان كل واحد منهما من بعثه من قبله فى ذلك لماله على صاحبه ، ولصاحبه عليه » ، وظاهر أن قوله « من بعثه » هى : « قد بعثه » وأما قوله : « فى ذلك لماله » فإنى رجحت أن صوابها « فى ذلك لما له » ، وكأنه عنى أنه قد أرسله ملكاً فى جميع أمره ، فى جميع ماله على صاحبه ، ولصاحبه عليه . واستأنست فى ذلك بالجزء التالى من هذا الكلام .

(٥) فى المطبوعة : « أو لم يوكل كل واحد من الزوجين » مكان ما فى المخطوطة : « وإن لم

إلاّ الحكمين كليهما، [1][لم يجز] إلاّ ما اجتمعا عليه، دون ما انفرد به أحدهما. [2]

وإن لم يوكلهما واحد منهما بشيء ، وإنما بعثاهما للنظر بينهما ، [2] ليعرفا الظالم من المظلوم منهما، [3]ليشهدا عليهما عند السلطان إن احتاجا إلى شهادتهما = لم يكن لهما أن يُحدثا بينهما شيئاً غير ذلك من طلاق ، أو أخذ مال ، أو غير ذلك ، ولم يلزم الزوجين ولا واحداً منهما شيء من ذلك . [4]

* * *

فإن قال قائل : وما معنى الحكمين ، إذ كان الأمر على ما وصفت ؟

قيل : قد اختلف فى ذلك .

فقال بعضهم : معنى « الحكم » ، النظرُ العدلُ ، كما قال الضحاك بن مزاحم فى الخبر الذى ذكرناه ، الذى : —

٩٤٢٩ — حدثنا به يحيى بن أبى طالب ، عن يزيد ، عن جويبر عنه : لا ، أنتما قاضيان تقضيان بينهما =

* * *

= على السبيل التى بيّنّا من قوله . [5]

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : أنهما القاضيان، يقضيان بينهما ما فوّض إليهما الزوجان .

* * *

يوكل » وهو تصرف معيب ، فإنه أفسد الكلام ، وزادها خلطاً على خلط .

(١) فى المطبوعة : « فليس للحكمين . . . » مكان ما فى المطبوعة : « إلا الحكمين » ، وزاد الكلام اضطراباً .

(٢) الذى بين القوسين ، ظاهر جداً أنه سقط من الناسخ ، هو أو ما فى معناه . وبهذا استقامت هذه العبارة التى اقتضت من الجهد ما كنا فى غنى عنه ، لو صحح الناسخ كتابته .

(٣) فى المطبوعة ، حذف قوله : « بينهما » .

(٤) فى المخطوطة : « لم يلزم » بحذف الواو ، والصواب ما فى المطبوعة .

(٥) قوله « على السبيل التى بينا من قوله » ، هذا من كلام الطبرى ، تعليقاً على سائر كلامه السالف . وعنى بذلك قول الضحاك الذى ذكره آنفاً برقم : ٩٤٢٨ . ولو ترك هذا السياق بغير فواصل ، لما استطاع أن يفهمه إلا المصابر على المشقات .

قال أبو جعفر . وأى الأمرين كان ، فليس لهما، ولا لواحد منهما ، الحكم بينهما بالفرقة ، ولا بأخذ مال إلا برضى المحكوم عليه بذلك ، وإلا ما لزم من حق لأحد الزوجين على الآخر فى حكم الله ، وذلك ما لزم الرجلَ لزوجته من النفقة والإمساك بمعروف ، إن كان هو الظالم لها .

فأما غير ذلك ، فليس ذلك لهما، ولا لأحد من الناس غيرهما ، لا السلطان ولا غيره . وذلك أن الزوج إن كان هو الظالمَ للمرأة، فللإمام السبيلُ إلى أخذه بما يجب لها عليه من حق. وإن كانت المرأة هى الظالمةَ زوجها الناشزةَ عليه، فقد أباح الله له أخذَ الفدية منها، وجعل إليه طلاقها، على ما قد بيناه فى «سورة البقرة» .[1]

وإذْ كان الأمرُ كذلك ، لم يكن لأحدٍ الفرقةُ بين رجل وامرأة بغير رضى الزوج ، ولا أخذُ مال من المرأة بغير رضاها بإعطائه ، إلا بحجة يجب التسليم لها من أصل أو قياس .

وإن بعث الحكمين السلطانُ ، فلا يجوز لهما أن يحكما بين الزوجين بفرقة إلا بتوكيل الزوج إياهما بذلك ،[2] ولا لهما أن يحكما بأخذ مال من المرأة إلا برضى المرأة . يدل على ذلك ما قد بيناه قبلُ من فعل على بن أبى طالب رضى الله عنه بذلك ، والقائلين بقوله.[3] ولكن لهما أن يصلحا بين الزوجين ، ويتعرفا الظالم منهما من المظلوم ، ليشهدا عليه إن احتاج المظلوم منهما إلى شهادتهما .

وإنما قلنا : «ليس لهما التفريق»، للعلة التى ذكرناها آنفاً . وإنما يبعث السلطانُ الحكمين إذا بعثهما ، إذا ارتفع إليه الزوجان ، فشكا كل واحد منهما صاحبه ، وأشكلَ عليه المحقّ منهما من المبطل. لأنه إذا لم يشكل المحق من المبطل، فلا وجه لبعثه الحكمين فى أمر قد عرف الحكم فيه .

* * *

(١) انظر ما سلف ٤ : ٥٤٩ — ٥٨٣ .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : «ولا يجوز لهما» بالواو ، والصواب بالفاء .

(٣) انظر الآثار السالفة من ٩٤٠٧ — ٩٤٠٩ .

القول فى تأويل قوله ﴿ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « إن يريدا إصلاحاً » ، إن يرد الحكمان إصلاحاً بين الرجل والمرأة = أعنى : بين الزوجين المخوف شقاقُ بينهما = يقول : « يوفق الله » بين الحكمين فيتفقا على الإصلاح بينهما . وذلك إذا صدق كل واحد منهما فيما أفضى إليه : مَنْ بُعِثَ للنظر فى أمر الزوجين .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٥٠/٥ ٩٤٣٠ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا يحيى ، عن ، سفيان ، عن أبى هاشم ، عن مجاهد فى قوله : « إن يريدا إصلاحاً » ، قال : أمَا إنه ليس بالرجل والمرأة ، ولكنه الحكمان .

٩٤٣١ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير : « إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما » ، قال : هما الحكمان ، إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما .

٩٤٣٢ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما » ، وذلك الحكمان ، وكذلك كل مصلح يوفقه الله للحق والصواب .

٩٤٣٣ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما » ، يعنى بذلك الحكمين .

٩٤٣٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن

سعيد بن جبير : « إن يريدا إصلاحاً » ، قال : إن يرد الحكمان إصلاحاً أصلحا .

٩٤٣٥ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري ، عن أبي هاشم ، عن مجاهد : « إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما » ، يوفق الله بين الحكمين .

٩٤٣٦ – حدثني يحيى بن أبي طالب قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا جويبر ، عن الضحاك قوله : « إن يريدا إصلاحاً » ، قال : هما الحكمان إذا نصحا المرأةَ والرجلَ جميعاً .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ (٣٥)

قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه : « إنّ الله كان عليماً » ، بما أراد الحكمان من إصلاح بين الزوجين وغيره = « خبيرًا » ، بذلك وبغيره من أمورهما وأمور غيرهما ، [1] لا يخفى عليه شيء منه ، حافظ عليهم ، حتى يجازي كلاًّ منهم جزاءه ، بالإحسان إحساناً ، وبالإساءة غفراناً أو عقاباً .

* * *

القول في تأويل قوله جل ذكره ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ ﴾

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : وذلّوا لله بالطاعة ، واخضعوا له بها ، وأفردوه بالربوبية ، وأخلصوا له الخضوع والذلة ، بالانتهاء إلى أمره ، والانزجار

---

(١) انظر تفسير « الخبير » فيما سلف ١ : ٤٩٦/٥ : ٩٤ ، ٥٨٦ .

عن نهيه ، ولا تجعلوا له فى الربوبية والعبادة شريكاً تعظمونه تعظيمكم إياه .[١]

* * *

= « وبالوالدين إحساناً » ، يقول : وأمركم بالوالدين إحساناً = يعنى براً بهما = ولذلك نصب « الإحسان » ، لأنه أمر منه جل ثناؤه بلزوم الإحسان إلى الوالدين ، على وجه الإغراء .[٢]

* * *

وقد قال بعضهم : معناه: «واستوصوا بالوالدين إحساناً » ، وهو قريب المعنى مما قلناه .

* * *

وأما قوله : « وبذى القربى » ، فإنه يعنى : وأمرَ أيضاً بذى القربى = وهم ذوو قرابة أحدنا من قبل أبيه أو أمه ، ممن قربت منه قرابته برحمه من أحد الطرفين[٣] = إحساناً بصلة رحمه .

* * *

وأما قوله : « واليتامى » ، فإنهم جمع « يتيم » ، وهو الطفل الذى قد مات والده وهلك .[٤]

* * *

= « والمساكين» وهو جمع « مسكين » ، وهو الذى قد ركبه ذل الفاقة والحاجة ، فتمسكن لذلك .[٥]

* * *

يقول تعالى ذكره : استوصوا بهؤلاء إحساناً إليهم ، وتعطفوا عليهم ، والزموا وصيتى فى الإحسان إليهم .

* * *

---

(١) انظر تفسير « عبد » فيما سلف ١ : ١٦٠ ، ١٦١ ، ٣/٣٦٢ : ١٢٠ ، ٦/٣١٧ : ٤٨٨.

(٢) انظر تفسير « وبالوالدين إحساناً » فيما سلف ٢ : ٢٩٠ - ٢٩٢ .

(٣) انظر تفسير « ذى القربى » فيما سلف ٢ : ٣/٢٩٢ : ٣٤٤ .

(٤) انظر تفسير « اليتامى » فيما سلف ٢ : ٣/٢٩٢ : ٤/٣٤٥ : ٧/٢٩٥ : ٥٢٤ ، ٥٤١

(٥) انظر تفسير « المساكين » فيما سلف ٢ : ١٣٧ ، ٣/٢٩٣ : ٤/٣٤٥ : ٢٩٥/ ٧ : ١١٦

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : معنى ذلك : والجار ذى القرابة والرحم منك .

* ذكر من قال ذلك :

٩٤٣٧ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « والجار ذى القربى » ، يعنى : الذى بينك وبينه قرابة .

٩٤٣٨ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال، حدثنى عمى قال، حدثنى أبى، عن أبيه ، عن ابن عباس : « والجار ذى القربى »، يعنى : ذا الرَّحم .

٩٤٣٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن قتادة وابن أبى نجيح، عن مجاهد قوله : « والجار ذى القربى » ، قال : جارك ، هو ذو قرابتك .

٩٤٤٠ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن إسرائيل، عن جابر ، عن عكرمة ومجاهد فى قوله: « والجار ذى القربى » ، قالا : القرابة .

٩٤٤١ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال، حدثنا هشيم، عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله: « والجار ذى القربى»، قال: جارك الذى بينك وبينه قرابة .

٩٤٤٢ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « والجار ذى القربى » ، جارك ذو القرابة .

٩٤٤٣ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « والجار ذى القربى » ، إذا كان له جار له رحم، فله حقّان اثنان : حق القرابة ، وحق الجار.

٥/٥١ ٩٤٤٤ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « والجار ذي القربى » ، قال : الجار ذو القربى ، ذو قرابتك .

* * *

وقال آخرون : بل هو جارُ ذي قرابتك .

* ذكر من قال ذلك :

٩٤٤٥ – حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا جرير ، عن ليث ، عن ميمون بن مهران في قوله : « والجار ذي القربى » قال : الرجل يتوسل إليك بجوار ذي قرابتك .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا القول قولٌ مخالفٌ المعروفَ من كلام العرب . وذلك أن الموصوف بأنه « ذو القرابة » في قوله : « والجار ذي القربى » ، « الجار » دون غيره. فجعله قائل هذه المقالة جار ذي القرابة. ولو كان معنى الكلام كما قال ميمون بن مهران لقيل : « وجار ذي القربى » ، ولم يُقَل : « والجار ذي القربى » . فكان يكون حينئذ – إذا أضيف « الجار » إلى « ذي القرابة » – الوصية ببرّ جار ذي القرابة ، [1] دون الجار ذي القربى . وأما و « الجار » بالألف واللام ، فغير جائز أن يكون « ذي القربى » إلا من صفة « الجار » . وإذ كان ذلك كذلك ، كانت الوصية من الله في قوله : « والجار ذي القربى » ببرّ الجار ذي القربى ، [2] دون جار ذي القرابة . وكان بيناً خطأ ما قال ميمون بن مهران في ذلك .

* * *

---

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « الوصية بين جار ذي القرابة » ، وهو كلام لا معنى له ، وهو تصحيف وتحريف ، صوابه ما أثبت

(٢) في المخطوطة والمطبوعة هنا أيضاً : « بين الجار ذي القربى » ، وهو خطأ وتصحيف كما أسلفت .

وقال آخرون : معنى ذلك : والجار ذى القربى منكم بالإسلام .

• ذكر من قال ذلك :

٩٤٤٦ – حدثنى محمد بن عمارة الأسدى قال، حدثنا عبيد الله بن موسى قال ، حدثنا سفيان ، عن أبى إسحق ، عن نَوْف الشامى : « والجار ذى القربى » ، المسلم .(١)

• • •

قال أبو جعفر : وهذا أيضاً مما لا معنى له . وذلك أن تأويل كتاب الله تبارك وتعالى، غير جائز صرفه إلا إلى الأغلب من كلام العرب الذين نزل بلسانهم القرآن، المعروفِ فيهم،(٢) دون الأنكر الذى لا تتعارفه، إلا أن يقوم بخلاف ذلك حجة يجب التسليم لها . وإذ كان ذلك كذلك = وكان معلوماً أن المتعارف من كلام العرب إذا قيل : « فلان ذو قرابة »، إنما يعنى به : أنه قريب الرحم منه ، دون القرب بالدين = كان صرفه إلى القرابة بالرحم ، أولى من صرفه إلى القرب بالدين .

• • •

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : معنى ذلك: والجار البعيد الذى لا قرابة بينك وبينه .

• ذكر من قال ذلك :

---

(١) الأثر : ٩٤٤٦ – « نوف الشامى » ، هو : نوف بن فضالة الحميرى البكالى ، مضت ترجمته برقم : ٣٩٦٥ ، وسيأتى فى رقم : ٩٤٥٦ .

(٢) « المعروف » بالكسر ، صفة لقوله : « إلى الأغلب » . وفى المطبوعة : « المعروف فيهم » ، وهو خطأ فى الطباعة ولا شك .

٩٤٤٧ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « والجار الجنب » ، الذي ليس بينك وبينه قرابة .

٩٤٤٨ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، ، عن أبيه، عن ابن عباس : « والجار الجنب » ، يعني : الجار من قوم جنب .

٤٩٤٩ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « والجار الجنب » ، الذي ليس بينهما قرابة ، وهو جار، فله حق الجوار .

٩٤٥٠ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « والجار الجنب » ، الجار الغريب يكون في القوم .

٩٤٥١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة وابن أبي نجيح ، عن مجاهد: « والجار الجنب » ، جارك من قوم آخرين .

٩٤٥٢ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد « والجار الجنب » ، جارك لا قرابة بينك وبينه ، البعيد في النسب وهو جار .

٩٤٥٣ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عكرمة ومجاهد في قوله : « والجار الجنب » ، قال : المجانب .

٩٤٥٤ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « والجار الجنب » ، الذي ليس بينك وبينه رَحِمٌ ولا قرابة .[1]

---

(١) في المطبوعة : « . . . وجه ولا قرابة » ، وهو لا معنى له ، والصواب من المخطوطة .

٩٤٥٥ – حدثني يحيى بن أبي طالب قال، حدثنا يزيد قال، أخبرنا جويبر، عن الضحاك : « والجار الجنب »، قال : من قوم آخرين .

* * *

وقال آخرون : هو الجار المشرك .

* ذكر من قال ذلك :

٩٤٥٦ – حدثني محمد بن عمارة الأسدي قال ، حدثنا عبيد الله بن موسى قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحق ، عن نوف الشامي : « والجار الجنب » ، قال : اليهوديّ والنصرانيّ .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك بالصواب ، قول من قال : « معنى ، الجنب ، في هذا الموضع : الغريبُ البعيد ، مسلماً كان أو مشركاً، يهوديًّا كان أو نصرانيًّا »، لما بينا قبل من أن « الجار ذي القربى »، هو الجار ذو القرابة والرحم . والواجب أن يكون « الجار ذو الجنابة »، الجار البعيد ، ليكون ذلك وصية بجميع أصناف الجيران قريبهم وبعيدهم .

* * *

وبعد ، فإن « الجُنب » ، في كلام العرب : البعيد ، كما قال أعشى بني قيس :

أَتَيْتُ حُرَيْثًا زَائِرًا عَنْ جَنَابَةٍ فَكَانَ حُرَيْثٌ فِي عَطَائِي جَامِدَا (٢) ٥٢/٥

---

(١) الأثر : ٩٤٥٦ – « عبيد الله بن موسى بن أبي المختار العبسي » ، مضت ترجمته برقم : ٥٧٩٦ ، وهو يروى عن سفيان الثوري ، وعن شيبان بن عبد الرحمن التميمي . وقد جاء في هذا الإسناد في المطبوعة « شيبان ، عن أبي إسحق » ، وكذلك هو في المخطوطة ، ولكنه كتب « شيبان » كتابة سيئة ، كتابة شاك في قراءتها . وقد سلف في الإسناد رقم : ٩٤٤٦ قريباً « سفيان ، عن أبي إسحق » واضحة جداً في المخطوطة ، فرجحتها لذلك ، وأثبتها هنا . وانظر التعليق على الأثر : ٩٤٤٦ .

(٢) ديوانه : ٤٩ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة : ١٢٦ ، الكامل ٢ : ٢٦ ، وسيأتي في التفسير ٢٠ : ٢٦ (بولاق) من قصيدة هجا فيها الحارث بن وعلة بن مجالد بن زبان الرقاشي ، وكان جاء يسأله فقال له : « ولا كرامة !! ألست القائل :

يعني بقوله : « عن جنابة » ، عن بعد وغُربة . ومنه ، قيل : « اجتنب فلان فلاناً » ، إذا بعد منه = « وتجنّبه » ، و « جنّبه خيره » ، إذا منعه إياه .[1] ومنه قيل للجنب : « جُنُب » ، لاعتزاله الصلاة حتى يغتسل .

* * *

فمعنى ذلك : والجار المجانب للقرابة .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في المعنيّ بذلك .

فقال بعضهم : هو رفيق الرجل في سَفره .

* ذكر من قال ذلك :

٩٤٥٧ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني

أَلاَ مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي حُرَيْثًا مُغَلْغَلَةً ؟ أَحَانَ أَمِ ادَّرَانَا ؟

تهجوني وتصفرني ، ثم تسألني !! = فكان مما قال له بعد البيت السالف ، فأوجعه :

لَعَمْرُكَ مَا أَشْبَهْتَ وَعْلَةَ فِي النَّدَى شَمَائِلَهُ ، وَلاَ أَبَاهُ الْمُجَالِدَا
إِذَا زَارَهُ يَوْمًا صَدِيقٌ ، كَأَنَّمَا يَرَى أَسَدًا فِي بَيْتِهِ وَأَسَاوِدَا

في شعر كثير ، و « حريث » تصغير « الحارث » ، تصغير ترخيم ، وقياسه « حويرث » . ورجل « جامد الكف ، وجماد الكف » : بخيل لا تلين صفاته . وكان في المطبوعة هنا : « جاهدا » وهو خطأ ، وفي الموضع الآخر من التفسير : « جاحدا » ، وهو خطأ أيضاً . وروى هنا « في عطائي » ، وروايته في التفسير ٢٠ : ٢٦ « عن عطائي » ، وهي المطابقة لرواية المراجع السالفة جميعاً ، ولا بأس بها .

(١) في المطبوعة : « وتجنبه خيره » ، أسقط : « وجنبه » بين الكلامين ، ففسد السياق ، والصواب من المخطوطة .

معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « والصاحب بالجنب » ، الرفيق .

٩٤٥٨ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا يحيى وعبد الرحمن قالا ، حدثنا سفيان، عن أبى بكير قال : سمعت سعيد بن جبير يقول : «والصاحب بالجنب»، الرفيق فى السفر . (١)

٩٤٥٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة وابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « والصاحب بالجنب » ، صاحبك فى السفر .

٩٤٦٠ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « والصاحب بالجنب» ، وهو الرفيق فى السفر .

٩٤٦١ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « والصاحب بالجنب» ، الرفيق فى السفر ، منزله منزلك ، وطعامه طعامك ، ومسيره مسيرك .

٩٤٦٢ – حدثنا سفيان قال، حدثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عكرمة ومجاهد : « والصاحب بالجنب » ، قالا : الرفيق فى السفر .

٩٤٦٣ – حدثنى المثنى قال، حدثنا الحمانى قال ، حدثنا شريك ، عن جابر ، عن عامر ، عن على وعبد الله قالا : « الصاحب بالجنب » ، الرفيق الصالح .

---

(١) الأثر : ٩٤٥٨ – « أبو بكير التيمى » ، مؤذن لتيم ، واسمه « مرزوق ». روى عن سعيد بن جبير ، وعكرمة ، ومجاهد . وروى عنه ليث بن أبى سليم ، وإسرائيل ، وسفيان الثورى ، وشريك . مترجم فى التهذيب .

وكان فى المطبوعة : « أبو بكر » ، وهو خطأ ، صوابه ما أثبت من المخطوطة . وسيأتى على الصواب فى رقم : ٩٤٦٧ ، ٩٤٦٨ .

٩٤٦٤ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، أخبرني سليم، عن مجاهد قال : « الصاحب بالجنب » ، رفيقك في السفر ، الذي يأتيك ويده مع يدك .

٩٤٦٥ – حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، قراءة على ابن جريج قال ، أخبرنا سليم : أنه سمع مجاهداً يقول : « والصاحب بالجنب » ، فذكر مثله .

٩٤٦٦ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « والصاحب بالجنب » ، الصاحب في السفر .

٩٤٦٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو دكين قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي بكير ، عن سعيد بن جبير ، « والصاحب بالجنب »، الرفيق الصالح .

٩٤٦٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري ، عن أبي بكير ، عن سعيد بن جبير مثله .

٩٤٦٩ – حدثني المثنى قال ،حدثنا عمرو بن عون قال ،أخبرنا هشيم،عن جويبر، عن الضحاك في قوله : « والصاحب بالجنب » ، قال : الرفيق في السفر .

٩٤٧٠ – حدثني يحيى بن أبي طالب قال، حدثنا يزيد قال،أخبرنا جويبر ، عن الضحاك مثله .

* * *

وقال آخرون : بل هو امرأة الرجل التي تكون معه إلى جنبه .

* ذكر من قال ذلك :

٩٤٧١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن جابر ، عن عامر = أو القاسم = عن علي وعبد الله رضوان الله عليهما : « والصاحب بالجنب » ، قالا : هي المرأة . (١)

---

(١) قوله : « رضوان الله عليهما » ، زيادة من المخطوطة .

٩٤٧٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال : حدثنا هشيم ، عن بعض أصحابه ، عن جابر ، عن علي وعبد الله مثله .

٩٤٧٣ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « والصاحب بالجنب » ، يعني : الذي معك في منزلك .

٩٤٧٤ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة، عن هلال، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى : أنه قال في هذه الآية : « والصاحب بالجنب » ، قال : هي المرأة .

٩٤٧٥ – حدثنا ابن بشار قال: حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي الهيثم ، عن إبراهيم : « والصاحب بالجنب » ، قال : المرأة .

٩٤٧٦ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، قال الثوري ، قال أبو الهيثم ، عن إبراهيم : هي المرأة .

٩٤٧٧ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو نعيم قال، حدثنا سفيان ، عن أبي الهيثم ، عن إبراهيم مثله .

٩٤٧٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن محمد بن سوقة ، عن أبي الهيثم ، عن إبراهيم مثله .

٩٤٧٩ – حدثني عمرو بن بَيْذَق قال ، حدثنا مروان بن معاوية ، عن محمد بن سوقة ، عن أبي الهيثم ، عن إبراهيم مثله . (١) ٥٣/٥

* * *

وقال آخرون : هو الذي يلزمك ويصحبك رَجاء نفعك .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) الأثر : ٩٤٧٩ – « عمرو بن بيذق » (بالذال المعجمة) هكذا في المخطوطة ، شيخ الطبري ، لم أعرف له ترجمة ، وقد روى عنه في كتاب تاريخ الصحابة والتابعين ، الملحق بالتاريخ ص : ٨٦ ، وكتبه هناك « عمرو بن بيدق » بالدال المهملة ، وكأن الأول أصح .

٩٤٨٠ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « الصاحب بالجنب » ، الملازم = وقال أيضاً : رفيقك الذى يرافقك .

٩٤٨١ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد : « والصاحب بالجنب » ، الذى يلصق بك ، وهو إلى جنبك ، ويكون معك إلى جنبك رجاءَ خيرك ونفعك .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى تأويل ذلك عندى : أن معنى « الصاحب بالجنب » ، الصاحب إلى الجنب، كما يقال : « فلان يجنَب فلان ، وإلى جنبه »، وهو من قولهم : « جنَب فلانٌ فلاناً فهو يجنُبُه جنْباً »، إذا كان بجنبه .[1] ومن ذلك : « جنَب الخيل »، إذا قاد بعضها إلى جنب بعض . وقد يدخل فى هذا : الرفيقُ فى السفر ، والمرأة ، والمنقطع إلى الرجل الذى يلازمه رجاءَ نفعه ، لأن كلهم بجنب الذى هو معه وقريبٌ منه . وقد أوصى الله تعالى بجميعهم ، لوجوب حق الصاحب على المصحوب ، وقد : —

٩٤٨٢ – حدثنا سهل بن موسى الرازى قال، حدثنا ابن أبى فديك ، عن فلان بن عبد الله ، عن الثقة عنده : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معه رجل من أصحابه وهما على راحلتين ، فدخل النبى صلى الله عليه وسلم فى غَيْضةِ طرفاء،[2] فقطع قَصِيلين ، أحدهما معوجٌّ ، والآخر معتدل،[3] فخرج بهما ،

---

(١) هذا النص من تفسير اللغة ، قلما تجده فى كتاب من كتب اللغة .

(٢) « الغيضة » ، مكان يجتمع فيه الماء ويفيض ، فينبت فيه الشجر ويلتف ، والجمع « غياض » . و « الطرفاء » من شجر العضاه ، وهدبه مثل هدب الأثل ، وليس له خشب ، إنما يخرج عصياً سمحة فى السماء ، وقد تتحمض به الإبل ، إذا لم تجد حمضاً غيره .

(٣) فى المطبوعة : « فصيلين » بالفاء، ولا معنى لها ، وفى المخطوطة : «قصلين » غير منقوطة ،وفى الدر المنثور : « فصلين » وليس لها معنى. و « القصيل » بالقاف : ما اقتصل (أى : اقتطع) من الزرع أخضر ، ومنه : « القصيل » وهو الذى تعلف به الدواب . يقال : « قصل الدابة »، أى : علفها القصيل .

فأعطى صاحبه المعتدل ، وأخذ لنفسه المعوج ، فقال الرجل : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ، أنت أحق بالمعتدل مني ! فقال : كلا يا فلان ، إن كل صاحب يصحب صاحباً ، مسئول عن صحابته ولو ساعة من نهار . (١)

٩٤٨٣ – حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن حيوة قال ، حدثني شرحبيل بن شريك ، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلِيّ ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن خير الأصحاب عند الله تبارك وتعالى ، خيرهم لصاحبه . وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره . (٢)

* * *

قال أبو جعفر : فإذ كان « الصاحب بالجنب » ، محتملا معناه ما ذكرناه : (٣) من أن يكون داخلاً فيه كل من جَنَب رجلا بصحبة في سفر ، (٤) أو نكاح ، أو انقطاع إليه واتصال به= (٥) ولم يكن الله جل ثناؤه خصّ بعضهم مما احتمله ظاهر التنزيل

---

(١) الأثر : ٩٤٨٢ – « سهل بن موسى الرازي » انظر ما كتبت عنه برقم : ٤٣١٩ ، وقبله رقم : ١٨٠. وأما « ابن أبي فديك » فهو : محمد بن إسماعيل بن مسلم بن أبي فديك ، مضت ترجمته برقم : ٤٣١٩ .

وهذا الأثر على إرساله ، ضعيف ، لجهالة من روى عنهم ابن أبي فديك . ولم أجده إلا في الدر المنثور ٢ : ١٥٩ ، ولم ينسبه لغير ابن جرير .

(٢) الأثر : ٩٤٨٣ – رواه أحمد في مسنده رقم : ٦٥٦٦ من طريق عبد الله بن يزيد ، عن حيوة وابن لهيعة ، بمثله ، والحاكم في المستدرك ٤ : ١٦٤ ، والترمذي : ٣ : ١٢٩ ، من طريق عبد الله بن المبارك ، كرواية الطبري . قال أخي السيد أحمد : « إسناده صحيح » .

و « أبو عبد الرحمن الحبلي » ، هو : عبد الله بن يزيد المعافري ، مضت ترجمته برقم : ٦٦٥٧ .

(٣) في المطبوعة : « وإن كان الصاحب بالجنب معناه ما ذكرناه » ، أسقط « محتملا » ، لأنها كتبت في المخطوطة « مصلا » مختلطة الكتابة ، فلم يحسن قراءتها فحذفها ، مع أن الكلام لا يستقيم إلا بها . أما ما كان في المطبوعة والمخطوطة من قوله : « وإن كان » ، فهو خطأ محض لا تستقيم به الجملة ، صوابه ما أثبت : « فإذ كان » .

(٤) في المطبوعة : « يصحبه في سفر » ، وهو خطأ معرق يختل به سياق الكلام . وهو في المخطوطة غير منقوط ، وصواب قراءته ما أثبت .

(٥) قوله : « ولم يكن الله » معطوف على قوله : « فإذ كان الصاحب » .

= [١] فالصواب أن يقال : جميعهم معنيّون بذلك، وكلهم قد أوصى الله بالإحسان إليه . [٢]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : « ابن السبيل »، هو المسافر الذى يجتاز مارًّا.

* ذكر من قال ذلك :

٩٤٨٤ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة = وابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وابن السبيل » ، هو الذى يمر عليك وهو مسافر .

٩٤٨٤ م – حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد وقتادة مثله .

٩٤٨٥ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « وابن السبيل »، قال : هو المارُّ عليك ، وإن كان فى الأصل غنيًّا .

* * *

وقال آخرون : هو الضيف .

* ذكر من قال ذلك :

٩٤٨٦ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن

---

(١) قوله : « فالصواب » ، جواب قوله : « فإذ كان الصاحب . . . فالصواب أن يقال » .

(٢) فى المطبوعة : « وبكلهم قد أوصى . . . » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، والصواب ما أثبت .

ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله . « وابن السبيل » ، قال . الضيف ، له حق في السفر والحضر .

٩٤٨٧ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وابن السبيل » ، وهو الضيف .

٩٤٨٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك : « وابن السبيل » ، قال : الضيف .

٩٤٨٩ – حدثنا يحيى بن أبي طالب قال، حدثنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك مثله .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك : أن « ابن السبيل » ، هو صاحب الطريق= و« السبيل »: هو الطريق، وابنه: صاحبه الضاربُ فيه[1]= فله الحق على من مرّ به محتاجاً منقطعاً به ، إذا كان سفره في غير معصية الله ، أن يعينه إن احتاج إلى معونة ، ويضيفه إن احتاج إلى ضيافة ، وأن يحمله إن احتاج إلى حُمْلان .[2]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : والذين ملكتموهم من أرقائكم = فأضاف « الملك » إلى « اليمين » ، كما يقال : « تكلم فوك » ، و« مشتْ رجلك » ، و« بطشت يدك » ، بمعنى : تكلمتَ ، ومشيتَ ، وبطشتَ . غير أن ما وصف به كل ٥/٥٤

(١) انظر تفسير « ابن السبيل » فيما سلف ٣ : ٣٤٥ – ٤/٣٤٧ : ٢٩٥ = وتفسير « السبيل » في ٢ : ٤٩٧ ، وسائر فهارس اللغة .

(٢) « الحملان » (بضم الحاء وسكون الميم) : ما يحمل عليه من الدواب .

عضو من ذلك ، فإنما أضيف إليه ما وُصف به ،[١] لأنه بذلك يكون، فى المتعارف فى الناس ، دون سائر جوارح الجسد . فكان معلوماً = بوصف ذلك العضو بما وصف به من ذلك = المعنى المراد من الكلام . فكذلك قوله : « وما ملكت أيمانكم »، لأن مماليك أحدنا تحت يديه ،[٢] إنما يَطعم ما تُناوله أيماننا، ويكتسى ما تكسوه ،[٣] وتصرَّفه فيما أحبَّ صرفه فيه بها . فأضيف ملكهم إلى « الأيمان » لذلك .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٩٤٩٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وما ملكت أيمانكم » ، ممّا خوّلك الله . كل هذا أوصى الله به .

* * *

قال أبو جعفر : وإنما يعنى مجاهد بقوله : « كل هذا أوصى الله به » ، الوالدين، وذا القربى ، واليتامى ، والمساكين ، والجار ذا القربى ، والجار الجنب ، والصاحب بالجنب ، وابن السبيل . فأوصى ربنا جل جلاله بجميع هؤلاء عبادَه إحساناً إليهم ، وأمر خلقه بالمحافظة على وصيته فيهم. فحقٌّ على عباده حفظ وصية الله فيهم ، ثم حفظ وصية رسوله صلى الله عليه .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « ما وصفت به » فى الموضعين ، والصواب من المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « يده » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « ونكسى ما يكسوه » ، وهو خطأ صوابه من المخطوطة ، وأضاف هذه الجملة إلى آخرها غير منقوطة فى المخطوطة ، فأساء ناشر المطبوعة وضع النقط عليها ، فاختل معناها ، فقد كان فيها : « . . . نطعم . . . ونكسى . . . وتصرفه » ، والصواب ما أثبت .

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ (٣٦)

قال أبو جعفر: يعنى بقوله جل ثناؤه : « إن الله لا يحبّ من كان مختالا »، إن الله لا يحب من كان ذا خُيَلاء .

* * *

و«المختال : « المفتعل»، من قولك : « خال الرجل فهو يخول خَوْلاً وخَالاً »، (١) ومنه قول الشاعر : (٢)

فَإِنْ كُنْتَ سَيِّدَنَا سُدْتَنَا وإنْ كُنْتَ لِلْخَالِ فَاذْهَبْ فَخُلْ (٣)

ومنه قول العجاج :

وَالْخَالُ ثَوْبٌ مِنْ ثِيَابِ الْجُهَّالْ . (٤)

* * *

---

(١) هذا أحد وجهى الكلام ، والآخر : « خال يخال خيلا وخالا » ، بالياء ، ورجحه بعضهم لأنه من « الخيلاء » .

(٢) هو أنس بن مساحق العبدى ، رجل من عبد القيس .

(٣) حماسة أبى تمام ١ : ١٣٣ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٢٧ ، واللسان (خيل) . وقبل البيت :

أَلاَ أَبْلِغَا خُلَّتِي رَاشِدًا قَدِيمًا ، وصِنْوِى إِذَا ما تَصِلْ
بِأَنَّ الدَّقِيقَ يَهِيجُ الجَلِيلَ وَأَنَّ العَزِيزَ إذا شَاءَ ذَلْ
وَأَنَّ الحَزَامَةَ أَنْ تَصْرِفُوا لِحَيٍّ سِوَانَا صُدُورَ الأَسَلْ

وتقول فى البيت « فخل » بضم الخاء وبفتحها ، أى : اذهب فاختل ما شاءت لك الخيلاء .

(٤) ديوانه : ٨٦ ، ومجاز القرآن ١ : ١٢٧ ، واللسان (خيل) ، من زيادات ديوانه ، وبعد البيت :

وَالدَّهْرُ فِيهِ غَفْلَةٌ لِلْغُفَّالْ وَالْمَرْءُ يُبْلِيهِ بَلاَءَ السِّرْبَالْ
كَرُّ اللَّيَالِى وَاخْتِلاَفُ الأَحْوَالْ

وكان فى المطبوعة : « ثياب الجمال » ، وهو تصحيف ، صوابه فى المخطوطة .

وأما « الفخور » ، فهو المفتخر على عباد الله بما أنعم الله عليه من آلائه ، وبسط له من فضله ، ولا يحمده على ما آتاه من طَوْله ، ولكنه به مختال مستكبر ، وعلى غيره به مُسْتطيل مفتخر ، كما : —

٩٤٩١ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « إنّ الله لا يحب من كان مختالا » ، قال : متكبراً ، = « فخوراً » ، قال : يعدّ ما أُعطى ، وهو لا يشكر الله .

٩٤٩٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا محمد بن كثير ، عن عبد الله بن واقد أبي رجاء الهرويّ قال : لا تجد سيِّئ المِلكة إلا وجدته مختالا فخوراً .[1] وتلا : « وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخوراً » = ولا عاقًّا إلا وجدته جباراً شقيًّا . وتلا ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ . [سورة مريم : ٣٢]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : إن الله لا يحب المختال الفخور ، الذي يبخل ويأمر الناسَ بالبخل .

* * *

= فـ « الذين » يحتمل أن يكون في موضع رفع ، ردًّا على ما في قوله : « فخوراً » ، من ذِكرِ =[2] ويحتمل أن يكون نصباً على النعت لـ « مَنْ » .

* * *

(١) « الملكة » (بفتح الميم واللام) و (بكسر الميم وسكون اللام) ، وهو الذي يسيء إذا ملك شيئاً ، فتجبر وتغطرس ، وفي الحديث : « لا يدخل الجنة سيء الملكة » ، وهو الذي يسيء إلى مماليكه أو إلى ما يقع تحت سلطانه .

(٢) في المطبوعة : « من ذم » ، ولا معنى له البتة . والصواب من المخطوطة ، والمراد بقوله : « ذكر » ، الضمير ، وقد رد هذا الوجه أبو حيان في تفسيره ٣ : ٢٤٧ ، ولم ينسبه للطبري .

و« البخل » فى كلام العرب : منع الرجل سائله ما لديه وعنده ما فضل عنه ،[1] كما : —

٩٤٩٣ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج، عن ابن طاوس ، عن أبيه فى قوله : « الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل » ، قال : البخل أن يبخل الإنسان بما فى يديه = « والشح » أن يشح على ما فى أيدى الناس. قال : يحبّ أن يكون له ما فى أيدى الناس بالحلّ والحرام ، لا يقنع .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « ويأمرون الناس بالبخل » .

فقرأته عامة قرأة أهل الكوفة : ﴿بِالْبَخَلِ﴾ بفتح « الباء » و « الخاء » .

* * *

وقرأته عامة قرأة أهل المدينة وبعض البصريين بضم « الباء » : ﴿بِالْبُخْلِ﴾

* * *

قال أبو جعفر : وهما لغتان فصيحتان بمعنى واحد ، وقراءتان معروفتان غير مختلفتى المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب فى قراءته .

* * *

وقد قيل إن الله جل ثناؤه عنى بقوله : « الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل» ، الذين كتموا اسمَ محمد صلى الله عليه وسلم وصفته من اليهود ولم يبينوه للناس ، وهم يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل .

• ذكر من قال ذلك :

٩٤٩٤ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن الحضرمى : « الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « من فضل عنه » ، وكأن الصواب المحض ما أثبت . وتفسير « البخل » هذا ، قلما تصيبه فى كتب اللغة .

الله من فضله » ، قال : هم اليهود، بخلوا بما عندهم من العلم وكتموا ذلك .

٥٥/٥ ٩٤٩٥ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال : حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل » إلى قوله : « وكان الله بهم عليما » ، ما بين ذلك في يهود .

٩٤٩٦ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٩٤٩٧ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل » ، وهم أعداءُ الله أهلُ الكتاب ، بخلوا بحقّ الله عليهم ، وكتموا الإسلامَ ومحمداً صلى الله عليه وسلم ، وهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوارة والإنجيل .

٩٤٩٨ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أما « الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل »، فهم اليهود – « ويكتمون ما آتاهم الله من فضله » ، اسمَ محمدٍ صلى الله عليه وسلم =[1] وأما : « يبخلون ويأمرون الناس بالبخل » ، يبخلون باسم محمد صلى الله عليه وسلم ، ويأمرُ بعضهم بعضاً بكتمانه .

٩٤٩٩ – حدثنا محمد بن مسلم الرازى قال، حدثني أبو جعفر الرازى قال، حدثنا يحيى ، عن عارم ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير في قوله : « الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل » ، قال : هذا العلم ، ليس للدنيا منه شيء .

٩٥٠٠ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله : « الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل » ، قال : هؤلاء يهود . وقرأ : « ويكتمون ما آتاهم الله من فضله » ، قال : يبخلون بما آتاهم الله من الرزق ،

---

(١) في المطبوعة : « أو : يبخلون . . . » ، وأثبت ما في المخطوطة .

ويكتمون ما آتاهم الله من الكتب. إذا سئلوا عن الشيء وما أنزل الله كتموه . وقرأ : ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ [سورة النساء : ٥٣] من بخلهم .

٩٥٠١ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن محمد ابن أبي محمد ، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان كَرْدَم بن زيد، حليفُ كعب بن الأشرف، وأسامة بن حبيب ، ونافع بن أبي نافع ، وبَحْرِيّ بن عمرو ، وحُيَيّ بن أخطب ، ورفاعة بن زيد بن التابوت ، يأتون رجالاً من الأنصار ،=وكانوا يخالطونهم ، ينتصحون لهم= من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقولون لهم : لا تنفقوا أموالكم ، فإنا نخشى عليكم الفقر فى ذهابها ، ولا تسارعوا فى النفقة ، فإنكم لا تدرون ما يكون ! فأنزل الله فيهم : « الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله »، أى: من النبوة، [1] التى فيها تصديق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم = « وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً » إلى قوله : « وكان الله بهم عليماً » . [2]

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الآية على التأويل الأول: والله لا يحبّ ذوى الخُيلاء

---

(١) فى ابن هشام : « أى : من التوراة » ، وهى أجود الروايتين ، إن لم تكن هذه التى هنا من سهو الناسخ . ولكنى خشيت أن يكون لها وجه ، فتركتها .

(٢) الأثر : ٩٥٠١ – رواه ابن هشام عن ابن إسحق فى سيرته ٢ : ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، وهو تابع الآثار التى آخرها : ٨٣٣٨ فيما مضى قديماً .

أما «كردم بن زيد» فإنه فى سيرة ابن هشام : «كردم بن قيس» ، وهو المذكور فى سيرة ابن هشام ٢ : ١٦٠ ، أيضاً أنه حليف كعب بن الأشرف ، من بنى النضير . أما «كردم بن زيد» فى رواية الطبرى عن ابن إسحق ، فقد ذكره ابن هشام فى سيرته ٢ : ١٦٢ ، وعده من بنى قريظة . هذا ، والذين ذكرهم فى هذا الأثر من اليهود منسوبون فى سيرة ابن هشام ، وهذه نسبتهم : «كردم ابن قيس» و «حيى بن أخطب» من بنى النضير = و «كردم بن زيد» ، وأسامة بن حبيب ، ونافع بن أبى نافع ، من بنى قريظة = وبحرى بن عمرو ، ورفاعة بن زيد بن التابوت ، من بنى قينقاع .

والفخر ، الذين يبخلون بتبيين ما أمرهم الله بتبيينه للناس ، من اسم محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وصفته التى أنزلها فى كتبه على أنبيائه ، وهم به عالمون = ويأمرون الناس الذين يعلمون ذلك مثل علمهم ، بكتمان ما أمرهم الله بتبيينه له ، ويكتمون ما آتاهم الله من علم ذلك ومعرفته مَنْ حرّم الله عليه كتمانه إيّاه .

* * *

وأما على تأويل ابن عباس وابن زيد : « إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً » ، الذين يبخلون على الناس بفضل ما رزقهم الله من أموالهم ، ثم سائر تأويلهما وتأويل غيرهما سواء .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب فى ذلك ، ما قاله الذين قالوا : إن الله وصف هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم فى هذه الآية ، بالبخل بتعريف من جهل أمرَ محمد صلى الله عليه وسلم أنه حقّ ، وأنّ محمداً لله نبيّ مبعوث ، وغير ذلك من الحق الذى كان الله تعالى ذكره قد بيّنه فيما أوحى إلى أنبيائه من كتبه . فبخل بتبيينه للناس هؤلاء ، وأمروا من كانت حاله حالَهم فى معرفتهم به : أن يكتموه من جَهِل ذلك ، ولا يبيّنوه للناس .

وإنما قلنا : هذا القول أولى بتأويل الآية ، لأن الله جل ثناؤه وصفهم بأنهم يأمرون الناس بالبخل ، ولم يبلغنا عن أمة من الأمم أنها كانت تأمرُ الناس بالبخل ديانةً ولا تخلُّقاً ، بل ترى ذلك قبيحاً وتذمّ فاعله ؛ [1] وتمتدح — وإن هى تخلّقت بالبخل واستعملته فى أنفسها — بالسخاء والجود ، [2] وتعدُّه من مكارم

---

(١) فى المطبوعة : « ويذم فاعله » بالياء ، وهو خطأ فى قراءة المخطوطة ، لأنها غير منقوطة ، واستتبع هذا الخطأ من ناشر المطبوعة أن يغير ما كان فى المخطوطة ، إذا اختلطت معانى الكلام عليه ، كما سترى .

(٢) فى المطبوعة : « ولا يمتدح . . . فالسخاء ، تعده . . . » ، لما أخطأ فى قراءة الكلمة السالفة ، غير ما فى المخطوطة كل التغيير زاد « لا » فى « ويمتدح » ، وجعل « بالسخاء » « فالسخاء » ، وجعل « وتعده » ، « تعده » بحذف الواو = أراد أن تستقيم العبارة ففسدت فساداً مطلقاً بلا قيد ولا شرط ! !

الأفعال وتحثُّ عليه . ولذلك قلنا : إنّ بخلهم الذى وصفهم الله به : إنما كان بخلاً بالعلم الذى كان الله آتاهموه فبخلوا بتبيينه للناس وكتموه ، دون البخل بالأموال = إلاّ أن يكون معنى ذلك : الذين يبخلون بأموالهم التى ينفقونها فى حقوق الله وُسبُله ، ويأمرون الناس من أهل الإسلام بترك النفقة فى ذلك . فيكون بخلهم بأموالهم ، وأمرهم الناس بالبخل ، بهذا المعنى [1] — على ذكرنا من الرواية عن ابن عباس — فيكون لذلك وجه مفهومٌ فى وصفهم بالبخل وأمرِهم به . ٥٦/٥

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ (٣٧)

قال أبو جعفر : يعنى : بذلك جل ثناؤه : « وأعتدنا » ، وجعلنا للجاحدين نعمة الله التى أنعم بها عليهم ، [2] من المعرفة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، المكذبين به بعد علمهم به ، الكاتمين نعته وصفته مَنْ أمرَهم الله ببيانه له من الناس = « عذاباً مهيناً » ، يعنى : العقابَ المذلّ مَن عُذّب بخلوده فيه ، [3] عَتاداً له فى آخرته ، إذا قَدِم على ربه وَجدَه ، بما سلف منه من جحوده فرضَ الله الذى فرضَه عليه . [4]

هذا ، وسياق الجملة : « بل ترى ذلك قبيحاً وتذم فاعله ، وتمتدح . . . بالسخاء والجود ، وتعده من مكارم الأخلاق » ، وأتى بقوله : « وإن هى تخلقت بالبخل ، واستعملته فى أنفسها » ، اعتراضاً .

(١) فى المطبوعة والمخطوطة « فهذا المعنى » ، والصواب ما أثبته ، وسياقه : فيكون بخلهم بأموالهم . . . بهذا المعنى . . .

(٢) انظر تفسير « أعتدنا » فيما سلف ٨ : ١٠٣

(٣) انظر تفسير « المهين » فيما سلف ٢ : ٣٤٧ ، ٣٤٨ / ٧ : ٤٢٣ / ٨ : ٧٢ .

(٤) فى المطبوعة : « وآخذه بما سلف . . . » ، والصواب ما فى المخطوطة ، فإن أول هذه الجملة « إذا قدم على ربه ، وجد . . . » ، وهو تفسير « العتاد » .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وأعتدنا للكافرين بالله من اليهود الذين وصف الله صِفَتهم ، عذاباً مهيناً = «والذين ينفقون أموالهم رئاءَ الناس . »

* * *

و« الذين » فى موضع خفضٍ ، عطفاً على « الكافرين » .

* * *

وقوله : « رئاء الناس » ، يعنى : ينفقه مُراءاة الناس ، فى غير طاعة الله أو غير سبيله ، ولكن فى سبيل الشيطان[1] = « ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر » ، يقول : ولا يصدقون بوحدانية الله ، ولا بالمَعَاد إليه يوم القيامة[2] — الذى فيه جزاء الأعمال — أنه كائن .[3]

* * *

وقد قال مجاهد[4] : إن هذا من صفة اليهود ! وهو بصفة أهل النفاق الذين كانوا أهلَ شرك ،[5] فأظهروا الإسلام تقيةً من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهلِ الإيمان به ، وهم على كفرهم مقيمون =[6] أشبه منه بصفة اليهود . لأن اليهود كانت توحِّد الله وتصدّق بالبعث والمعاد . وإنما كان كفرُها ، تكذيبَها بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

* * *

---

(١) انظر تفسير « رئاء » فيما سلف ٥ : ٥٢١ ، ٥٢٢ .

(٢) فى المطبوعة : « ولا بالميعاد » .

(٣) قوله : « أنه كائن » ، سياقه « ولا يصدقون بالمعاد . . . أنه كائن » .

(٤) يعنى فى الأثر رقم : ٩٤٩٥ .

(٥) فى المطبوعة والمخطوطة : « وهو صفة أهل النفاق » ، وهو لا يستقيم ، كما سترى فى التعليق التالى .

(٦) السياق : « وهو بصفة أهل النفاق . . . أشبه منه بصفة اليهود » ، فصح التصحيح السالف . أما ناشر المطبوعة ، فإنه لما رأى الكلام غير مستقيم ، كتب : « أشبه منهم بصفة اليهود » ، فزاد الكلام فساداً .

وبعدُ ، ففى فصل الله بين صفة الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، وصفة الفريق الآخر الذين وصفهم فى الآية قبلها ، وأخبر أنّ لهم عذاباً مهيناً = بـ « الواو » الفاصلة بينهم =[1] ما ينبئ عن أنهما صفتان من نوعين من الناس مختلفى المعانى ، وإن كان جميعهم أهلَ كفر بالله .[2] ولو كانت الصفتان كلتاهما صفة نوع من الناس ، لقيل إن شاء الله : «وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً» ، « الذين ينفقون أموالهم رئاء الناس » ، ولكن فصل بينهم بـ « الواو » لما وصفنا .

* * *

فإن ظن ظان أن دخول « الواو » غير مستنكر فى عطف صفة على صفة لموصوف واحد فى كلام العرب = فإنّ ذلك ،[3] وإن كان كذلك ، فإن الأفصح فى كلام العرب إذا أريد ذلك ، ترك إدخال « الواو » . وإذا أريد بالثانى وصفٌ آخر غير الأوّل ، إدخال « الواو » .[4] وتوجيه كلام الله إلى الأفصح الأشهر من كلام مَنْ نزل بلسانه كتابُه ، أولى بنا من توجيهه إلى الأنكر من كلامهم .

* * *

---

(١) السياق : ففى فصل الله . . . بالواو الفاصلة بينهم ، ما ينبىء » .

(٢) فى المطبوعة : « وإن كان جمعهم » ، وهو خطأ محض ، صوابه من المخطوطة ، وهى غير منقوطة .

(٣) فى المطبوعة : « فى كلام العرب . قيل ذلك وإن كان كذلك » ، والذى دعا ناشر المخطوطة إلى ذلك أن الناسخ كتب « العربفان » وصل « باء » « العرب » ، بفاء « فإن » ، فاجتهد المصحح .

(٤) فى المطبوعة : « أدخل الواو » ، والصواب من المخطوطة .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴾ (٣٨)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ومن يكن الشيطان له خليلاً وصاحباً، يعمل بطاعته، ويتبع أمره ، ويترك أمرَ الله فى إنفاقه ماله رئاء الناس فى غير طاعته، وجحوده وحدانية الله والبعث بعد الممات = « فساء قريناً » ، يقول : فساء الشيطان قريناً .

* * *

وإنما نصب « القرين » ، لأن فى « ساء » ذكراً من الشيطان ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ [سورة الكهف : ٥٠] ، وكذلك تفعل العرب فى «ساء »ونظائرها[1] = ومنه قول عدى بن زيد :

عَنِ الْمَرْءِ لاَ تَسْأَلْ، وأَبْصِرْ قَرِينَهُ فَإِنَّ الْقَرِينَ بِالْمُقَارِنِ مُقْتَدِ (٢)

يريد : بـ « القرين » ، الصّاحبَ والصديق .

---

(١) انظر ما سلف فى « ساء » ٨ : ١٣٨ ، تعليق : ٨ ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٢٦٧ – ٢٦٩ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٢٧ .

(٢) ديوانه ، فى شعراء الجاهلية : ٤٦٦ ، ومجموعة المعانى : ١٤ ، وغيرهما كثير . وقد أثبت البيت كما رواه أبو جعفر ، وكما جاء فى المخطوطة ، أما ناشر المطبوعة فقد غيره ، وأثبت ما درج عليه من الرواية :

عَنِ الْمَرْءِ لاَ تَسْأَلْ وسَلْ عَنْ قَرِينِه فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِن يَقْتَدِى

وهو سوء تصرف لا شك فيه .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيماً ﴾ (٣٩)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وأىّ شىء على هؤلاء الذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر = « لو آمنوا بالله واليوم الآخر » ، لو صدّقوا بأن الله واحدٌ لا شريك له ، وأخلصوا له التوحيد ، وأيقنوا بالبعث بعد الممات ، وصدّقوا بأن الله مُجازيهم بأعمالهم يوم القيامة = « وأنفقوا مما رزقهم الله » ، يقول : وأدّوا زكاة أموالهم التى رزقهم الله وأعطاهموها ، طيبةً بها أنفسهم ، ولم ينفقوها رئاء الناس ، التماس الذكر والفخر عند أهل الكفر بالله ، والمحمدة بالباطل عند الناس = « وكان الله » ، بهؤلاء الذين وصَف صفتهم أنهم ينفقون أموالهم رئاء الناس نفاقاً ، وهم بالله واليوم الآخر مكذّبون = « عليماً » ، يقول : ذا علم بهم وبأعمالهم ، [1] وما يقصدون ويريدون بإنفاقهم ما ينفقون من أموالهم ، وأنهم يريدون ٥/٥٧ بذلك الرِّياء والسُّمعة والمحمدة فى الناس ، وهو حافظ عليهم أعمالهم ، لا يخفَى عليه شىء منها ، حتى يجازيهم بها جزاءهم عند مَعادهم إليه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً ﴾ (٤٠)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم

(١) فى المخطوطة : « ذو علم » بالرفع ، ولا بأس به .

الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله » ، فإن الله لا يبخس أحداً من خلقه أنفق فى سبيله مما رزقه ، من ثواب نفقته فى الدنيا ، ولا من أجرها يوم القيامة = « مثقال ذرّة » ، أى : ما يزنها ويكون على قدر ثقلها فى الوزن ، ولكنه يجازيه به ويُثيبه عليه ، كما : —

٩٥٠٢ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : أنه تلا : « إن الله لا يظلم مثقال ذرّة وإن تك حسنةً يضاعفها » ، قال : لأنْ تفضُل حسناتى فى سيئاتى بمثقال ذرّة ، أحبُّ إلىّ من الدنيا وما فيها .(١)

٩٥٠٣ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كان بعض أهل العلم يقول : لأنْ تفضُل حسناتى على سيئاتى ما يزن ذرّة ، أحب إلىّ من أن تكون لى الدنيا جميعاً .

* * *

وأما « الذرة » فإنه ذكر عن ابن عباس أنه قال فيها ، كما : —

٩٥٠٤ — حدثنى إسحق بن وهب الواسطىّ قال ، حدثنا أبو عاصم قال : حدثنا شبيب بن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قوله : « مثقال ذرة » ، قال : رأس نملة حمراء .(٢)

* * *

=قال أبو جعفر : قال لى إسحق بن وهب : قال يزيد بن هرون : زعموا أن هذه

---

(١) غفرانك اللهم ! إن ناشر المطبوعة يسىء إساءات لا عداد لها فى تحريف الكلام ، وتصرفه على غير أصل من فهم أو أمانة ، فلم يحسن قراءة المخطوطة كما أثبتها ، فجعل ما فيها لغواً وكتب مكانه « لأن تفضل حسناتى ما يزن ذرة ، أحب إلى من الدنيا وما فيها » . ولا أدرى ، ما كان أغناه عن مثل هذا العمل المنكر !

(٢) الأثر : ٩٥٠٤ — « إسحق بن وهب بن زياد العلاف » أبو يعقوب الواسطى . روى عنه البخارى ، وابن ماجة ، وأبو زرعة ، وأبو حاتم . مترجم فى التهذيب .

و « أبو عاصم » هو : الضحاك بن مخلد . مضى مراراً .

و « شبيب بن بشر » روى عن أنس ، وعكرمة ، ثقة لين الحديث ، يخطئ كثيراً . مترجم فى التهذيب .

الذرّة الحمراء ، ليس لها وزن . (١)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك صحّت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٩٥٠٥ — حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار قالا ، حدثنا أبو داود قال ، حدثنا عمران ، عن قتادة ، عن أنس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله لا يظلم المؤمن حسنةً ، يُثابُ عليها الرزق فى الدنيا ، ويجزَى بها فى الآخرة . وأما الكافر فيُطعم بها فى الدنيا ، فإذا كان يومُ القيامة لم تكن له حسنةٌ . (٢)

٩٥٠٦ — حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقى قال ، حدثنا جعفر بن عون قال ، حدثنا هشام بن سعد قال ، أخبرنا زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار : والذى نَفسى بيده ، ما أحدكم بأشدّ مُناشَدَةً فى الحق يراه مصيباً له ، من المؤمنين فى إخوانهم إذا رأوا أن قد خَلَصُوا من النار ، يقولون : « أى ربنا ، إخواننا ، كانوا يصلّون معنا ، ويصومون معنا ، ويحجون معنا ، ويجاهدون معنا ، قد أخذتهم النار » ! فيقول الله لهم : « اذهبوا ، فمن عرفتم صورته فأخرجوه » ! ويحرِّم صورتهم على النار ، فيجدون الرجل قد أخذته النار إلى أنصاف ساقيه ، وإلى ركبتيه ، وإلى حَقْويه ، فيخرجون منها بشراً كثيراً ، ثم يعودون فيتكلمون ، فيقول : « اذهبوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال قيراط خير فأخرجوه » ! فيخرجون منها بشراً كثيراً . ثم

---

(١) فى المطبوعة : « إن هذه الدودة الحمراء » ، وهو خطأ محض ، وفى المخطوطة : « إن هذه الدود الحمراء » ، وهو تحريف .

(٢) الحديث : ٩٥٠٥ — أبو داود : هو الطيالسى .

« عمران » : هو ابن داور القطان .

والحديث فى مسند الطيالسى : ٢٠١١ ، بهذا الإسناد .

ورواه الإمام أحمد فى المسند ، من طريق همام ، عن قتادة : ١٢٢٦٤ ، ١٢٢٩١ ، ١٤٠٦٣ (ج ٣ ص ١٢٣ ، ١٢٥ ، ٢٨٣ حلبى) .

وكذلك رواه مسلم ٢ : ٣٤٤ — ٣٤٥ ، من طريق همام . ثم رواه من طرق أخر .

وذكره ابن كثير ٢ : ٤٥٠ ، من رواية الطيالسى .

وذكره السيوطى ٢ : ١٦٣ ، ونسبه لهؤلاء .

يعودون فيتكلمون ، فلا يزال يقولُ لهم ذلك حتى يقول : « اذهبوا ، فمن وجدتم في قلبه مثقال ذَرّة فأخرجوه » = فكان أبو سعيد إذا حدّث بهذا الحديث قال : إن لم تصدقوا ، فاقرأوا : « إنّ الله لا يظلم مثقال ذَرّة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً » = فيقولون : « ربنا لم نَذَرْ فيها خيراً ».(١)

٩٥٠٧ – وحدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال، حدثني أبي وشعيب ابن الليث ، عن الليث ، عن خالد بن يزيد ، عن ابن أبي هلال ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدريّ ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه .(٢)

* * *

وقال آخرون في ذلك ، بما : –

٩٥٠٨ – حدثني به المثنى قال ، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال ، حدثنا صدقة ابن أبي سهل قال، حدثنا أبو عمرو، عن زاذان قال : أتيت ابن مسعود فقال :

---

(١) الحديث : ٩٥٠٦ – جعفر بن عون بن عمرو بن حريث ، المخزومي الكوفي : ثقة . أخرج له الجماعة .

والحديث قطعة من حديث طويل في الشفاعة . رواه الأئمة في الدواوين من أوجه كثيرة ، عن زيد ابن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري :

فرواه الطيالسي : ٢١٧٩ ، عن خارجة بن مصعب ، عن زيد .

ورواه أحمد في المسند : ١١١٤٤ (٣ : ١٦ – ١٧ حلبي) ، من طريق عبد الرحمن بن إسحق ، عن زيد .

ورواه أيضاً : ١١٩٢٢ (٣ : ٩٤ – ٩٥ حلبي) ، من طريق معمر ، عن زيد .

ورواه مسلم ١ : ٦٦ – ٦٧ ، من طريق حفص بن ميسرة ، عن زيد .

ثم رواه – ولم يذكر لفظه – من طريق جعفر بن عون ، عن هشام بن سعد . وهي الطريق التي رواها الطبري هنا .

وستأتي الإشارة إلى رواية البخاري ، في الحديث التالي .

(٢) الحديث : ٩٥٠٧ – «الليث» : هو ابن سعد . خالد بن يزيد : هو الجمحي المصري.

« ابن أبي هلال » : هو سعيد بن أبي هلال المصري .

والحديث مكرر ما قبله .

ورواه البخاري ١٣ : ٣٥٨ – ٣٦١ (فتح) ، من طريق الليث بن سعد ، بهذا الإسناد .

وذكر ابن كثير ٢ : ٤٤٩ قطعة منه ، نسبها للصحيحين .

إذا كان يومُ القيامة ، جمع الله الأولين والآخرين ، ثم نادى منادٍ من عند الله : « ألا من كان يطلب مظلمةً فليجيء إلى حقه فليأخذه » ! قال : فيفرح والله المرءُ أن يَذُوب له الحقّ على والده ، أو ولده ، أو زوجته ، فيأخذ منه ، وإن كان صغيراً[1] = ومصداق ذلك فى كتاب الله تبارك وتعالى : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [سورة المؤمنون : ١٠١] = فيقال له : « ائت هؤلاء حقوقهم » = أى : أعطهم حقوقهم = فيقول : « أى رب ، من أين وقد ذهبت الدنيا » ؟ فيقول الله للملائكته : « أى ملائكتى ، انظروا فى أعماله الصّالحة ، وأعطوهم منها » ! فإن بقى مثقال ذَرّة من حسنة قالت الملائكة ؛ وهو أعلم بذلك منها : « يا ربنا ، أعطينا كل ذى حق حقه ، وبقى له مثقال ذرة من حسنة » فيقول للملائكة : ٥٨/٥ ضعّفوها لعبدى ، وأدخلوه بفضل رحمتى الجنة » = ومصداق ذلك فى كتاب الله : « إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً » ، أى : الجنة ، يعطيها . وإن فنيت حسناته وبقيت سيئاته ، قالت الملائكة ، وهو أعلم بذلك : « إلهنا ، فنيت حسناته وبقى سيئاته ، وبقى طالبون كثيرٌ » ! فيقول الله : « ضعّفوا عليها من أوزارهم ، واكتبوا له كتاباً إلى النار »[2] = قال صدقة : أو صكًّا إلى جهنم ، شك صَدَقة أيتهما قال .[3]

---

(١) فى المطبوعة : « فيفرح والله الصبى » ، وفى المخطوطة « فيفرح والله الصر أن يذوب » ، وصواب قراءتها « المرء » كما أثبتها من المراجع المذكورة بعد .

« ذاب لى على فلان من الحق كذا ، يذوب » ، أى ثبت له ووجب .

(٢) فى المطبوعة : « ضعوا عليها من أوزارهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة . وانظر الأثر التالى .

(٣) الحديث : ٩٥٠٨ – صدقة بن أبى سهل : مترجم فى التعجيل ، ص : ١٨٥ – ١٨٦ . والكبير ٢/٢/٢٩٨ ، برقم : ٢٨٩١ ، وابن أبى حاتم ٢/١/٤٣٤ – ٤٣٥ ، برقم : ١٩٠٧ . ولم يذكرا فيه جرحاً ، فهو ثقة .

وشيخه « أبو عمرو » : لم أعرف من هو ؟ ففى هذه الكنية كثرة .

« زاذان » : هو الكندى الضرير . وهو تابعى ثقة معروف .

وانظر الإسناد التالى لهذا .

٩٥٠٦ – وحدثت عن محمد بن عبيد ، عن هرون بن عنترة ، عن عبد الله ابن السائب قال : سمعت زاذان يقول : قال عبد الله بن مسعود : يؤخذ بيد العبد والأمة يومَ القيامة ، فينادى مناد على رؤوس الأولين والآخرين : « هذا فلان بن فلان ، من كان له حق فليأت إلى حقه » ! فتفرح المرأة أنْ يَذُوب لها الحق على أبيها ، أو على ابنها ، أو على أخيها ، أو على زوجها ،[1] ثم قرأ ابن مسعود : ﴿ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [سورة المؤمنون : ١٠١] ، فيغفر الله تبارك وتعالى من حقه ما شاء ، ولا يغفر من حقوق الناس شيئاً ، فينصبُ للناس فيقول : « ائتوا إلى الناس حقوقهم » ! فيقول : « رب فنيت الدنيا ، من أين أوتيهم حقوقهم » ؟ فيقول : « خذوا من أعماله الصالحة ، فأعطوا كل ذى حقّ حقه بقدر مَظْلمته » . فإن كان وليًّا لله ، ففضل له مثقال ذرّة ، ضاعفها له حتى يُدخله بها الجنة = ثمّ قرأ علينا : « إنّ الله لا يظلم مثقال ذرة » = وإن كان عبداً شقيًّا ، قال الملك : « رب فنيت حسناته ، وبقى طالبون كثير » ! فيقول : « خذوا من سيئاتهم فأضيفوها إلى سيئاته ، ثم صُكُّوا له صكًّا إلى النار » .[2]

---

(١) انظر تفسير « يذوب » ، فيما سلف ص : ٣٦٣ ، تعليق رقم : ١ .

(٢) الحديث : ٩٥٠٩ – هو تكرار للذى قبله بنحوه . ولكن الطبرى جاء فى أوله بصيغة التجهيل : « حدثت عن محمد بن عبيد » . فضاع هذا الإسناد بهذا التجهيل .

ونقله ابن كثير ٢ : ٤٤٩ – ٤٥٠ ، عن ابن أبى حاتم : « حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا عيسى بن يونس ، عن هرون بن عنترة . . . » ، فزال الضعف عن أول الإسناد .

وهرون بن عنترة : مضى توثيقه وترجمته فى : ٤٠٥ .

عبد الله بن السائب الكندى ، ويقال : الشيبانى ، الكوفى : ثقة معروف . روى عنه الأعمش والثورى . وأخرج له مسلم .

فهذا الإسناد – عند ابن أبى حاتم – إسناد صحيح .

والحديث أثر موقوف على ابن مسعود . ولكنى أراه من المرفوع حكماً . فإن ما ذكره ابن مسعود مما لا يعرف بالرأى . وما كان ابن مسعود ليقول هذا من عند نفسه : وليس هو ممن ينقل عن أهل الكتاب ، ولا يقبل الإسرائيليات .

وقد ذكره ابن كثير – كما قلنا – ثم قال : « ولبعض هذا الأثر شاهد فى الحديث الصحيح »

ونقله السيوطى ٢ : ١٦٣ ، وزاد نسبته لعبد بن حميد .

قال أبو جعفر : فتأويل الآية على تأويل عبد الله هذا : إن الله لا يظلم عبداً وجب له مثقال ذَرّة قِبَل عبد له آخر فى مَعاده ويوم لقائه فما فوقه، [١] فيتركه عليه فلا يأخذه للمظلوم من ظالمه، ولكنه يأخذه منه له، ويأخذ من كل ظالم لكل مظلوم تَبِعَتَهُ قِبَله[٢] = « وإن تك حسنة يضاعفها » ، يقول : وإن تُوجد له حسنة يضاعفها ، بمعنى : يضاعف له ثوابها وأجرها = « ويُؤت من لدنه أجراً عظيماً » ، يقول : ويعطه من عنده أجراً عظيماً ، « والأجر العظيم »[٣] ، الجنة ، على ما قاله عبد الله .

* * *

ولكلا التأويلين وجه مفهوم = أعنى التأويل الذى قاله ابن مسعود ، والذى قاله قتادة = وإنما اخترنا التأويل الأول ، لموافقته الأثرَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع دلالة ظاهر التنزيل على صحته ، إذ كان فى سياق الآية التى قبلها ، التى حث الله فيها على النفقة فى طاعته ، وذمّ النفقة فى طاعة الشيطان . ثم وَصَل ذلك بما وعدَ المنافقين فى طاعته بقوله : « إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً » .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « وإن تك حسنة » .

فقرأت ذلك عامة قرأة العراق : ﴿ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً ﴾ بنصب « الحسنة » ، بمعنى : وإن تك زنةُ الذرّة حسنةً ، يضاعفها .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة المدينة : ﴿ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةٌ ﴾ ، برفع « الحسنة » ، بمعنى :

« الصك » : الكتاب . وقوله : « صكوا » فعل من « الصك » ، أى : اكتبوا له صكاً ، وهذا الفعل ، لم تذكره كتب اللغة ، وهذا شاهده .

(١) السياق : « وجب له مثقال ذرة . . . فما فوقه » .

(٢) « التبعة » (بفتح التاء وكسر الباء) و « التباعة » (بكسر التاء) : ما اتبعت به صاحبك من ظلامة أو حق لك عنده .

(٣) انظر تفسير « الأجر » فيما سلف ٢ : ١٤٨ ، ٥/٥١٢ : ٧/٥١٩ : ٥٠١

وإن توجد حسنةً ، على ما ذكرت عن عبد الله بن مسعود من تأويل ذلك .[١]

* * *

وأما قوله : « يُضَاعفها » ، فإنه جاء بـ «الألف» ، ولم يقل : « يُضعِّفها » ، لأنه أريد به فى قول بعض أهل العربية :[٢] يُضاعفها أضعافاً كثيرة ، ولو أريد به فى قوله[٣] : يضعِّف ذلك ضِعفين لقيل : « يضعِّفها » بالتشديد .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى الذين وعدهم الله بهذه الآية ما وعدهم فيها .

فقال بعضهم : هم جميع أهل الإيمان بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم .

واعتلّوا فى ذلك بما : —

٩٥١٠ — حدثنا الفضل بن الصباح قال ، حدثنا يزيد بن هرون ، عن مبارك بن فضالة ، عن على بن زيد ، عن أبى عثمان النهدى قال : لقيت أبا هريرة فقلت له : إنه بلغنى أنك تقول : إن الحسنة لتُضَاعف ألفَ ألف حسنة ! قال : وما أعجبك من ذلك ؟ فوالله لقد سمعته = يعنى النبى صلى الله عليه وسلم = يقول : إن الله ليضاعف الحسنة ألفى ألف حسنة ![٤]

* * *

وقال آخرون : بل ذلك : المهاجرون خاصة ، دون أهل البوادى والأعراب .

واعتلوا فى ذلك بما : —

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٦٩ .

(٢) يعنى أبا عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ١٢٧ ونصه : « يضاعفها » أضعافاً — و « يضعفها » ضعفين .

(٣) يعنى : فى قول أبى عبيدة .

(٤) الحديث : ٩٥١٠ — رواه أحمد فى المسند : ٧٩٣٢ ، عن يزيد بن هرون ، بهذا الإسناد .

وهو حديث صحيح . فصلنا القول فى تخريجه فى المسند .

وذكره ابن كثير ٢ : ٤٥١ ، عن رواية المسند ، ثم نقله من رواية ابن أبى حاتم بإسنادين .

ثم ذكره مرة أخرى من رواية ابن أبى حاتم ، عند تفسير الآية : ٣٨ من سورة التوبة (ج ٤ ص ١٦٨ — ١٦٩) .

وذكره السيوطى ٢ : ١٦٣ ، وقصر فى تخريجه جداً ، فلم ينسبه لغير الطبرى . وذكر نحو قبله ، ونسبه لابن أبى شيبة فقط .

٩٥١١ – حدثني محمد بن هرون أبو نشيط قال، حدثنا يحيى بن أبي بكير قال ، حدثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية العوفي ، عن عبد الله بن عمير قال : نزلت هذه الآية ، في الأعراب : ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [سورة الأنعام : ٦٠] قال : فقال رجل : فما للمهاجرين ؟ قال ، ما هو أعظم من ذلك : « إنّ الله لا يظلم مثقال ذرّة وإن تَكُ حسنةً يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً » ، وإذا قال الله لشيء : « عظيم » ، فهو عظيم .(١) ٥٩/٥

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك بالصواب، قولُ من قال : « عُني بهذه الآية المهاجرون دون الأعراب ».(٢) وذلك أنه غير جائز أن يكون في أخبار الله أو أخبار رسوله صلى الله عليه وسلم شيء يدفع بعضه بعضاً. فإذْ كان صحيحاً وعْدُ الله من جاء من عباده المؤمنين بالحسنة من الجزاء عشرَ أمثالها ، ومَنْ جاء بالحسنة منهم أن يضاعفها له = وكان الخبرَان اللذان ذكرناهما عنه صلى الله عليه وسلم صحيحين = كان غيرَ جائز إلاّ أن يكون أحدُهما مجملاً والآخر مفسَّراً ، إذ كانت أخبارُه صلى الله عليه وسلم يصدِّق بعضها بعضاً . وإذ كان ذلك كذلك ، صحّ أن خبرَ أبي هريرة معناهُ أنّ الحسنة لَتُضاعف للمهاجرين من أهل الإيمان ألفي ألفُ حسنة ، وللأعراب منهم عشر أمثالها ، على ما رَوَى ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم=وأن قوله : ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ ، يعني : من جاء بالحسنة من أعراب المؤمنين فله عشر أمثالها ، ومن جاء بالحسنة من مهاجريهم

---

(١) الحديث : ٩٥١١ – هذا الإسناد ضعيف ، من أجل « عطية العوفي » . وقد بينا ضعفه فيما مضى : ٣٠٥ .

وأما شيخ الطبري « محمد بن هرون بن إبراهيم الربعي » : فإنه ثقة . مترجم في التهذيب .

والحديث نقله ابن كثير ٢ : ٤٥٠ ، من رواية ابن أبي حاتم ، من طريق فضيل بن مرزوق ، بهذا الإسناد . ولم يذكر شيئاً في تخريجه ، ولا في تعليله .

وذكره السيوطي ٢ : ١٦٢ – ١٦٣ ، وزاد نسبته لسعيد بن منصور ، وابن المنذر والطبراني .

(٢) في المطبوعة : « المهاجرين » ، وأثبت ما في المخطوطة .

يضاعف له ويؤته الله من لدنه أجراً = يعني يعطه من عنده = « أجراً عظيماً » . يعني : عوضاً من حسنته عظيماً ، وذلك « العوض العظيم » ، الجنة ، كما :-

٩٥١٢ - حدثني المثنى قال ، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال ، حدثنا صدقة ابن أبي سهل قال ، حدثنا أبو عمرو ، عن زاذان ، عن ابن مسعود : « ويؤت من لدنه أجراً عظيماً » ، أي : الجنة يعطيها .(١)

٩٥١٣ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، أخبرني عباد بن أبي صالح ، عن سعيد بن جبير قوله : « ويؤت من لدنه أجراً عظيماً » ، قال : الأجرُ العظيم ، الجنة .(٢)

٩٥١٤ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « ويؤت من لدنه أجراً عظيماً » ، قال : « أجراً عظيماً » ، الجنة .

القول في تأويل قوله ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ (٤١)

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : إنّ الله لا يظلم عباده مثقال ذرّة ، فكيف بهم = « إذا جئنا من كل أمة بشهيد » ، يعني : بمن يشهد عليها بأعمالها ، وتصديقها رسلَها أو تكذيبها = « وجئنا بك على هؤلاء شهيداً » ،(٣) يقول : وجئنا بك ،

---

(١) الأثر : ٩٥١٢ - هو من الأثر السالف رقم : ٩٥٠٨ .

(٢) الأثر : ٩٥١٣ - « عباد بن أبي صالح ذكوان ، السمان » هو : « عبد الله بن أبي صالح » . قال البخاري في الصغير : « منكر الحديث » . وقال ابن معين : « ثقة » ، وقال الساجي : « ثقة ، إلا أنه روى عن أبيه ما لم يتابع عليه » . مترجم في التهذيب .

(٣) انظر تفسير « الشهيد » فيما سلف ١ : ٣٧٦ - ٣/٣٧٨ : ٩٧ ، ٦/١٤٥ ، ٦٠ ، ٧٥/... .

يا محمد ، = « على هؤلاء » ، أى : على أمتك = « شهيداً » . يقول شاهداً ، كما : —

٩٥١٥ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً » ، قال : إن النبيين يأتون يوم القيامة ، منهم من أسلم معه من قومه الواحدُ والاثنان والعشَرة ، وأقلُّ وأكثر من ذلك ، حتى يُؤتى بقوم لوط صلى الله عليه وسلم ، لم يؤمن معه إلاّ ابنتاه ، فيقال لهم : هل بلّغتم ما أرسلتُمْ به ؟ فيقولون : نعم . فيقال : من يشهد ، فيقولون : أمة محمد صلى الله عليه وسلم ! فيقال لهم : اشهدوا ، إنّ الرسل أودعوا عندكم شهادة ، (١) فبم تشهدون ؟ فيقولون : ربنا نَشهد أنهم قد بلغوا = كما شهدوا فى الدنيا بالتبليغ . فيقال : من يشهد على ذلك ؟ فيقولون : محمد صلى الله عليه وسلم . فيدعى محمد عليه السلام ، فيشهدُ أن أمته قد صدّقوا ، وأنّ الرسل قد بلّغوا ، فذلك قوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [سورة البقرة : ١٤٣] .

٩٥١٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج قوله : « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد » ، قال : رسولها ، فيشهد عليها أن قد أبلغهم ما أرسله الله به إليهم = « وجئنا بك على هؤلاء شهيداً » ، قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا أتى عليها فاضت عيناه .

٩٥١٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا الحسن ، عن يزيد النحوى ، عن عكرمة فى قوله : ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ [سورة البروج : ٣] ، قال : الشاهد محمد ، والمشهود يوم الجمعة . فذلك قوله : « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً » .

---

(١) فى المطبوعة : « أتشهدون أن الرسل » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

٩٥١٨ – حدثني عبد الله بن محمد الزهري قال، حدثنا سفيان، عن المسعودي، عن جعفر بن عمرو بن حريث، عن أبيه، عن عبد الله : « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً » ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مَادُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد ﴾ .(١)

٦٠/٥ ٩٥١٩ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا إبراهيم بن أبي الوزير قال، حدثنا سفيان بن عيينة، عن المسعودي، عن القاسم : أنّ النبي صلى الله عليه قال لابن مسعود : اقرأ عليّ . قال، أقرأ عليك، وعليك أنزل ؟ قال : إني أحب أن أسمعه من غيري . قال : فقرأ ابن مسعود « النساء » حتى بلغ : « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً » ، قال : استعبر النبي صلى الله عليه وسلم، وكفّ ابن مسعود =

= قال المسعودي، فحدثني جعفر بن عمرو بن حريث، عن أبيه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « شهيداً عليهم ما دمت فيهم، فإذا توفيتني كنتَ أنتَ الرقيبَ عليهم، وأنتَ على كل شيء شهيد » .(٢)

---

(١) الحديث : ٩٥١٨ – سفيان : هو ابن عيينة .
المسعودي – هنا – : هو معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود . وهو ثقة . أخرج له الشيخان . وترجمه البخاري في الكبير ٣٩٠/١/٤ ، وابن أبي حاتم ٢٧٧/١/٤ .
« جعفر بن عمرو بن حريث المخزومي » : ثقة . ترجمه البخاري ١٩٣/٢/١ ، وابن أبي حاتم ٤٨٤/١/١ .
أبوه « عمرو بن حريث » : صحابي .
وهذا الحديث – على صحة إسناده – لم أجده من غير رواية الطبري . وابن كثير لم ينسبه لغيره ٢ : ٤٥٣ ، وكذلك السيوطي ٢ : ١٦٤ .
وانظر الحديث الذي بعده .
والآية ، تضمين لآية سورة المائدة ١١٧ .

(٢) الحديث : ٩٥١٩ – إبراهيم بن أبي الوزير – واسم أبي الوزير : عمر – بن مطرف المكي ، مولى بني هاشم : ثقة ، وثقه محمد بن بشار وغيره . مترجم في التهذيب ، والكبير ٣٣٣/١/١ ،

القول فى تأويل قوله ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾ (٤٢)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : يوم نجيء من كلّ أمة بشهيد ، ونجيء بك على أمتك يا محمد شهيداً = « يود الذين كفروا » ، يقول : يتمنى الذين جحدوا وحدانية الله وعصوا رسوله ، = « لو تُسَوَّى بهم الأرض » . (١)

* * *

وابن أبى حاتم ١/١/١١٤ – ١١٥ .

وهذا الحديث فى الحقيقة حديثان :

أولها : رواية المسعودى – معن بن عبد الرحمن – عن القاسم . والظاهر أن القاسم هذا : هو أخوه « القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود » . وهو تابعى ثقة . ولكنه لم يدرك أن يروى عن جده « عبد الله بن مسعود » ، ولم يذكر هنا أنه « عن ابن مسعود » – حتى يكون إسناداً منقطعاً . فهو حديث مرسل .

ولكن هذا الحديث الأول منهما ثابت صحيح بالأسانيد المتصلة . فقد رواه البخارى ٩ : ٨١ (فتح) ، من طريق الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبيدة ، عن عبد الله . وكذلك رواه أحمد فى المسند : ٣٦٠٦ ، ٤١١٨ ، من طريق الأعمش ، به . ورواه أحمد أيضاً : ٣٥٥٠ ، من رواية أبى حيان الأشجعى ، عن ابن مسعود ، و : ٣٥٥١ ، من طريق أبى رزين ، عن ابن مسعود .

ونقله ابن كثير فى فضائل القرآن ، ص : ٧٧ ، عن البخارى . ثم قال : « وقد رواه الجماعة إلا ابن ماجة ، من طرق ، عن الأعمش . وله طرق يطول بسطها » .

ونقله فى التفسير ٢ : ٤٥٢ – ٤٥٣ ، عن البخارى أيضاً . ثم قال : « وقد روى من طرق متعددة عن ابن مسعود . فهو مقطوع به . ورواه أحمد من طريق أبى حيان ، وأبى رزين ، عنه » .

ونقله السيوطى ٢ : ١٦٣ ، وزاد نسبته لابن أبى شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والبيهقى فى الدلائل .

وثانيهما : رواية المسعودى ، عن جعفر بن عمرو بن حريث ، عن أبيه . وهذا مكرر للحديث السابق : ٩٥١٨ ، ولكنه جعله هنا من حديث عمرو بن حريث ، لم يذكر فيه روايته عن ابن مسعود . فيكون مرسل صحابى . فهو صحيح بكل حال .

وقد رواه الحاكم فى المستدرك ٣ : ٣١٩ ، من طريق جعفر بن عون ، عن المسعودى ، عن جعفر بن عمرو بن حريث ، عن أبيه – مطولا – بقصة قراءة ابن مسعود هذه الآيات على النبى صلى الله عليه وسلم . ولكن فيه النص الذى هنا « شهيداً عليهم ما دمت فيهم . . . » . فأصل الحديث صحيح ثابت . ولذلك قال الحاكم : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبى .

ونقل السيوطى ٢ : ١٦٣ رواية الحاكم ، مختصرة قليلا ، ولم ينسبها لغيره .

(١) انظر تفسير « ود » فيما سلف ٢ : ٥/٤٧٠ : ٥٤٢ .

واختلفت القرآة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة أهل الحجاز ومكة والمدينة : ﴿ لَوْ تَسَّوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ ﴾ « بتشديد » « السين » و « الواو » وفتح « التاء » ، بمعنى : لو تتسوّى بهم الأرض ، ثم أدغمت « التاء » الثانية فى « السين » ، يراد به : أنهم يودّون لو صاروا تراباً فكانوا سواءً هم والأرض .

* * *

وقرأ آخرون ذلك : ﴿ لَوْ تَسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ ﴾ ، بفتح « التاء » وتخفيف « السين » . وهى قراءة عامة قرأة أهل الكوفة بالمعنى الأول ، غير أنهم تركوا تشديد « السين » ، واعتلوا بأن العرب لا تكاد تجمع بين تشديدين فى حرف واحد .

* * *

وقرأ ذلك آخرون : ﴿ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ ﴾ ، بمعنى : لو سوّاهم الله والأرض فصاروا تراباً مثلها بتصييره إياهم ، كما يفعل ذلك بمن ذكر أنه يفعله به من البهائم .

* * *

قال أبو جعفر : وكل هذه القراءات متقاربات المعنى ، وبأىّ ذلك قرأ القارئ فمصيبٌ . لأن من تمنى منهم أن يكون يومئذ تراباً ، إنما يتمنى أن يكون كذلك بتكوين الله إياه كذلك . وكذلك من تمنى أن يكون الله جعله كذلك ، فقد تمنى أن يكون تراباً . على أن الأمر وإن كان كذلك ، فأعجبُ القراءة إلىّ فى ذلك : ﴿ لَوْ تَسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ ﴾ ، بفتح « التاء » وتخفيف « السين » كراهية الجمع بين تشديدين فى حرف واحد - وللتوفيق فى المعنى بين ذلك وبين قوله : ﴿ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴾ [سورة النبأ : ٤٠] . فأخبر الله عنهم جل ثناؤه أنهم يتمنون أن كانوا تراباً ، ولم يخبر عنهم أنهم قالوا : « يا ليتنى كنت تراباً » . فكذلك قوله : « لو تسوّى بهم الأرض » فيسوّوا هم . وهى أعجب إلى ، ليوافق ذلك المعنى الذى أخبرَ عنهم

بقوله : « يا ليتني كنتُ تراباً » .

* * *

وأما قوله : « ولا يكتمون الله حديثاً » ، فإن أهل التأويل تأوّلوه بمعنى : ولا تكتم اللهَ جوارحُهم حديثاً ، وإن جحدتْ ذلك أفواههم .

• ذكر من قال ذلك :

٩٥٢٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام قال ، حدثنا عمرو ، عن مطرف ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير قال : أتى رجلٌ ابن عباس فقال : سمعت الله يقول : ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [سورة الأنعام: ٢٣] ، وقال في آية أخرى: « ولا يكتمونَ الله حديثاً » . فقال ابن عباس : أما قوله : « والله ربنا ما كنا مشركين » ، فإنهم لما رأوا أنه لا يدخل الجنة إلاّ أهلُ الإسلام قالوا : « تعالوا فلنجحد » ! فقالوا : « والله ربنا ما كنا مشركين » ! فختم الله على أفواههم ، وتكلمت أيديهم وأرجلهم ، فلا يكتمون الله حديثاً .

٩٥٢١ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن رجل ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير قال : جاء رجل إلى ابن عباس فقال : أشياءُ تختلفُ عليّ في القرآن ؟ فقال : ما هو ؟ أشك في القرآن ؟ قال : ليس بالشك ، ولكنه اختلاف ! قال : فهات ما اختلف عليك . قال : أسمع الله يقول : ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [سورة الأنعام : ٢٣] ، وقال : « ولا يكتمون الله حديثاً » ، وقد كتموا ! فقال ابن عباس : أما قوله : « ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين » ، فإنهم لما رأوا يوم القيامة أن الله يغفر لأهل الإسلام ويغفر الذنوب ، ولا يغفر شركاً ، ولا يتعاظمه ذنبٌ أن يغفره = جحد المشركون فقالوا : « والله ربنا ما كنا مشركين » ، رجاءَ أن يغفر لهم ، فختم على أفواههم ، وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ، فعند ذلك : « يَودّ الذين كفروا وعَصَوُا الرسول لو تسوّى بهم الأرضُ ولا يكتمون الله حديثاً » .

٦١/٥ ٩٥٢٢ – حدثني المثنى قال ، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال ، حدثنا القاسم قال ، حدثنا الزبير ، عن الضحاك : أن نافع بن الأزرق أتى ابن عباس فقال : يا ابن عباس ، قول الله تبارك وتعالى : « يومئذ يودّ الذين كفروا وعصوا الرّسول لو تسوّى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً » ، وقوله : ﴿ وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِين ﴾ ؟ فقال له ابن عباس : إني أحسبك قمت من عند أصحابك فقلت : « ألقى علىّ ابن عباس مُتَشابه القرآن » ، فإذا رجعت إليهم فأخبرهم أن الله جامع الناس يوم القيامة في بَقيع واحد ، [1] فيقول المشركون : « إن الله لا يقبل من أحد شيئاً إلاّ ممن وحّده » ! فيقولون : « تعالوا نَقُل » ! [2] فيسألهم فيقولون : « والله رَبنا ما كنا مشركين » ، قال : فيختم على أفواههم ، ويستنطق جوارحهم ، فتشهد عليهم جوارحهم أنهم كانوا مشركين ، فعند ذلك تمنوا لو أن الأرض سُوِّيت بهم ولا يكتمون الله حديثاً .

٩٥٢٣ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « يومئذ يود الذين كفروا وعصُوا الرسول لو تسوّى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً » ، يعني : أن تسوّى الأرضُ بالجبال والأرضُ ، عليهم . [3]

* * *

فتأويل الآية على هذا القول الذي حكيناه عن ابن عباس : يومئذ يود الذين

---

(١) « البقيع » : المكان المتسع من الأرض ، يكون فيه بعض الشجر .

(٢) في المطبوعة : « تعالوا نجحد » ، غير ما في المخطوطة ، وهو ما أثبته ، ولم يستطع أن يعرف لها معنى ، وهي صواب ، وإن كانت كتب اللغة قد قصرت في إثبات هذا المعنى . وذلك أن « نقل » هنا من « القول » يراد به الكذب أو التعريض به ، وقد مر بي ذلك في كتب السيرة مراراً منها ، ما قرأته في سيرة ابن هشام ٣ : ٥٨ ، في خبر مقتل كعب بن الأشرف وقول محمد بن مسلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا رسول الله ، لا بد لنا من أن نقول » ! فقال رسول الله : « قولوا ما بدا لكم ، فأنتم في حل من ذلك » . وهو شبيه المعنى بالكذب .

(٣) في المطبوعة : « أن تسوى الأرض بالجبال عليهم » حذف « الأرض » الثانية ، والصواب ما في المخطوطة .

كفروا وعصوا الرسول ، لو تسوّى بهم الأرض ولم يكتموا الله حديثاً[١] = كأنهم تمنوا أنهم سوُّوا مع الأرض ، وأنهم لم يكونوا كتموا الله حديثاً .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : يومئذ لا يكتمون الله حديثاً = ويودّون لو تسوّى بهم الأرض . وليس يمنكم عن الله شيء من حديثهم ، لعلمه جل ذكره بجميع حديثهم وأمرهم ، فإن هم كتموه بألسنتهم فجحدوه ،[٢] لا يخفى عليه شيء منه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه :[٣] « يا أيها الذين آمنوا » ، صدّقوا الله ورسوله = « لا تقربوا الصلاة » ، لا تصلوا = « وأنتم سكارى » ، وهو جمع « سكران » = « حتى تعلموا ما تقولون » ، فى صلاتكم فتميّزون فيها ما أمركم الله به أو ندبكم إلى قيله فيها ،[٤] مما نهاكم عنه وزجركم .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى « السكر » الذى عناه الله بقوله : « لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى » .

فقال بعضهم : عنى بذلك السكر من الشراب .

---

(١) فى المطبوعة : « ولا يكتمون الله حديثاً » ، وهو خطأ فاحش ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « فإنهم إن كتموه بألسنتهم » ، وهو خطأ فاحش أيضاً ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « يعنى بذلك جل ثناؤه » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

(٤) فى المطبوعة : « ويقرأون فيها مما أمركم الله . . . » وهو سياق مضطرب جداً ، وفى المخطوطة : « ويعرفون فيها مما أمركم الله » غير منقوط ، وهو مضطرب أيضاً ، ورجحت أن صواب قراءتها ما أثبت .

• ذكر من قال ذلك :

٩٥٢٤ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان، عن عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن، عن علي : أنه كان هو وعبد الرحمن ورجل آخر شربوا الخمر، فصلى بهم عبد الرحمن فقرأ : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ فخلط فيها، فنزلت : « لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ».

٩٥٢٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا الحجاج بن المنهال قال، حدثنا حماد، عن عطاء بن السائب، عن عبد الله بن حبيب : أن عبد الرحمن بن عوف صنعَ طعاماً وشراباً، فدعا نفراً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فأكلوا وشربوا حتى ثَمِلوا، فقدّموا عليًّا يصلّي بهم المغرب، فقرأ : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ • أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ • وَأَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ • وَأَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ • لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية : « لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ».

٩٥٢٦ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس : « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى»، قبل أن تحرّم الخمر، فقال الله : « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصّلاة وأنتم سكارى »، الآية.

٩٥٢٧ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن مغيرة، عن أبي رزين في قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى »، قال : نزل هذا وهم يشربون الخمر. فقال : وكان هذا قبل أن ينزّل تحريم الخمر.

٩٥٢٨ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن مغيرة، عن أبي رزين قال : كانوا يشربون بعد ما أنزلت التي في « البقرة »، [1] وبعد التي في « النساء »،

---

(١) يعني آية سورة البقرة : ٢١٩ : « يسألونك عن الخمر والميسر ».

فلما أنزلت التي في « المائدة » تركوها .(١)

٩٥٢٩ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » ، قال : نهوا أن يصلوا وهم سكارى ، ثم نسخها تحريمُ الخمر .

٩٥٣٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله . ٦٢/٥

٩٥٣١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى » ، قال : كانوا يجتنبون السكر عند حضور الصلوات ، ثم نسخ بتحريم الخمر .

٩٥٣٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن أبي وائل ، وأبي رزين وإبراهيم في قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى» ، و ﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾ [سورة البقرة : ٢١٩] ، وقوله : ﴿ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ [سورة النحل : ٦٧] ، قالوا : كان هذا قبل أن ينزل تحريم الخمر .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : لا تقربوا الصلاة وأنتم سُكارى من النوم .

* ذكر من قال ذلك :

٩٥٣٣ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك : « لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى » ، قال : ليست لمن يقربها سكران من

---

(١) يعني آية سورة المائدة : ٩٠ ، ٩١ : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه » .

الشراب ، إنما عُنِي بها سكر النوم .»[١]

٩٥٣٤ – حدثنا أحمد بن حازم الغفاري قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سلمة ، عن الضحاك : « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى » ، قال : لم يعن بها سكر الخمر ، وإنما عنى بها سكر النوم .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك بتأويل الآية ، تأويل من قال : ذلك نهيٌ من الله المؤمنين عن أن يقربوا الصلاة وهم سكارى من الشراب قبل تحريم الخمر ، للأخبار المتظاهرة عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن ذلك كذلك ، نهيٌ من الله – وأن هذه الآية نزلت فيمن ذكرت أنها نزلت فيه .

* * *

فإن قال لنا قائل : وكيف يكون ذلك معناه ، والسكران في حال زوال عقله ، نظيرُ المجنون في حال زوال عقله ، وأنت ممن يُحيل تكليف المجانين لفقدهم الفهم لما يُؤمر وينهى ؟[٢]

قيل له : إن السكران لو كان في معنى المجنون ، لكان غير جائز أمرُه ونهيه . ولكن السكران هو الذي يفهم ما يأتي ويذَر ، غير أن الشراب قد أثقل لسانه وأجزاء جسمه وأخدَرها ،[٣] حتى عجز عن إقامة قراءته في صلاته ، وحدودها الواجبة عليه فيها ، من غير زوال عقله ، فهو بما أمر به ونهى عنه عارف فَهِمٌ ، وعن أداء بعضه عاجز بخدَرِ جسمه من الشراب . وأما من صار إلى حدّ لا يعقل ما يأتي ويذر ، فذلك منتقل من السكر إلى الخَبَل ومعاني المجانين ،[٤] وليس ذلك

---

(١) في المطبوعة : « قال : سكر النوم » ، حذف ما بين ذلك ، وكان في المخطوطة : « لمن يقربها سكرا إنما عنى بها سكر النوم » بياض بين الكلام ، ووضع بهامش المخطوطة حرف « ط » بمعنى الخطأ . وقد اجتهدت قراءتها كما أثبتها .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « بما يأمر . . . » ، والصواب « لما » كما أثبته .

(٣) في المطبوعة : « وأحر جسمه وأخدره » غير ما في المخطوطة لأنه كتب « وأحرا جسمه وأخدرها » ، فلم يحسن قراءة « وأجزاء » ، فأفسد الكلام .

(٤) في المطبوعة : « وبعدود في المجانين » ، غير ما في المخطوطة ، وكان فيها : « ومعاني المجانين » ، فلم يحسن قراءتها ، ففعل ما فعل كسابقه .

الذى خوطب بقوله : « لا تقربوا الصلاة » ، لأن ذلك مجنون ، وإنما خوطب به السكران ، والسكرانُ ما وصفنا صفته .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم ، معنى ذلك: « لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون» = « ولا تقربوها جنباً إلا عابرى سبيل » = يعنى : إلاّ أن تكون مجتازى طريق ، أى : مسافرين = « حتى تغتسلوا » .[1]

* ذكر من قال ذلك :

٩٥٣٥ — حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ،حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن أبى مجلز ، عن ابن عباس فى قوله : « ولا جنباً إلاّ عابرى سبيل » ، قال : المسافر = وقال ابن المثنى : فى السفر .

٩٥٣٦ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ولا جنباً إلاّ عابرى سبيل » ، يقول : لا تقربوا الصلاة وأنتم جُنب إذا وجدتم الماء ، فإن لم تجدوا الماء فقد أحللتُ لكم أن تمسّحوا بالأرض .

٩٥٣٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن ابن أبى ليلى ، عن المنهال ، عن عباد بن عبد الله = أو : عن زِرّ = عن على رضى الله عنه : « ولا جنباً إلاّ عابرى سبيل » ، قال : إلا أن تكونوا مسافرين فلم تجدوا الماء ،[2] فتيمموا .[3]

---

(١) انظر تفسير « الجنب » فيما سلف قريباً ص : ٣٤٠

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « فلا تجدوا الماء » ، والصواب ما أثبت .

(٣) الأثر : ٩٥٣٧ — « عباد بن عبد الله الأسدى » . روى عن على . وروى عنه المنهال

٩٥٣٨ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير فى قوله : « ولا جنباً إلاّ عابرى سبيل » ، قال : المسافر.

٩٥٣٩ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا هشام ، عن قتادة ، عن أبى مجلز ، عن ابن عباس بمثله .

٩٥٤٠ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا هرون بن المغيرة، عن عنبسة ، عن ابن أبى ليلى ، عن المنهال بن عمرو ، عن عباد بن عبد الله ، عن على رضى الله عنه قال : نزلت فى السفر : « ولا جنباً إلا عابرى سبيل » ، و « عابر السبيل » ، المسافر ، إذا لم يجد ماء تيمم .

٩٥٤١ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا هرون ، عن ابن مجاهد ، عن أبيه : « ولا جنباً إلا عابرى سبيل »، قال : المسافر، إذا لم يجد الماءَ فإنه يتيمم، فيدخلُه فيصلى .(١)

٩٥٤٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد فى قوله : « ولا جنباً إلاّ عابرى سبيل »، ٦٣/٥
قال : هو الرجل يكون فى السفر ، فتصيبه الجنابة فيتيمم ويصلى .

٩٥٤٣ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ولا جنباً إلاّ عابرى سبيل » ، قال : مسافرين ، لا يجدون ماء فيتيممون صعيداً طيباً، لم يجدوا الماء فيغتسلوا .(٢)

ابن عمرو . قال البخارى : « فيه نظر » ، وذكره ابن حبان فى الثقات ، وتكلم فيه أحمد . مترجم فى التهذيب . وانظر الأثر التالى رقم : ٩٥٤٠ .

(١) فى المطبوعة : « فإنه يتيمم فيصلى » حذف « فيدخله » ، كأنه لم يعرف ماذا عنى بها فحذفها ، وهذا عمل سيء قبيح . وقوله : « فيدخله » يعنى : المسجد .

(٢) فى المطبوعة « حتى يجدوا الماء فيغتسلوا » ، وفى المخطوطة : « لى يجدوا الماء فيغتسلوا » ، وصواب قراءتها ما أثبت .

٩٥٤٤ - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله : « ولا جنباً إلاّ عابري سبيل » ، قال : مسافرين لا يجدون ماء .

٩٥٤٥ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن مسعر، عن بكير بن الأخنس، عن الحسن بن مسلم في قوله : « ولا جنباً إلاّ عابري سبيل » ، قال : إلا أن يكونوا مسافرين ، فلم يجدوا الماء فيتيمموا. (١)

٩٥٤٦ - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن عمرو ، عن منصور ، عن الحكم : « ولا جنباً إلاّ عابري سبيل» ، قال : المسافر تصيبه الجنابة ، فلا يجد ماء فيتيمم .

٩٥٤٧ - حدثني المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال، أخبرنا ابن المبارك، عن سفيان ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير= وعن منصور، عن الحكم= في قوله: « إلاّ عابري سبيل » ، قالا : المسافر الجنبُ ، لا يجد الماء فيتيمم فيصلي .

٩٥٤٨ - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو نعيم قال، حدثنا سفيان، عن سالم، عن سعيد بن جبير : « ولا جنباً إلاّ عابري سبيل » ، إلاّ أن يكون مسافراً .

٩٥٤٩ - حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو نعيم قال، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن الحكم نحوه .

٩٥٥٠ - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير قال : كنا نسمع أنه في السفر .

٩٥٥١ - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، ، قال ابن زيد في قوله : « ولا جنباً إلاّ عابري سبيل » ، قال : هو المسافر الذي لا يجد الماء ، فلا بد

---

(١) في المطبوعة : « فلا يجدون الماء فيتيمموا » ، وأثبت ما في المخطوطة ، إلا « فلم يجدوا » ، فقد كانت فيها « فلا يجدوا » .

له من أن يتيمم ويصلى ، ، فهو يتيمم ويصلى = قال : كان أبي يقولُ هذا .

* * *

وقال آخرون معنى ذلك ، لا تقربوا المصلَّى للصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون = ولا تقربوه جنباً حتى تغتسلوا إلا عابرى سبيل = يعنى : إلا مجتازين فيه للخروج منه .

فقال أهل هذه المقالة : أقيمت « الصلاة » مقام « المصلَّى » و« المسجد » ، إذ كانت صلاة المسلمين فى مساجدهم أيّامئذ ، لا يتخلّفون عن التجميع فيها .[1] فكان فى النهى عن أن يقربوا الصلاة ، كفايةٌ عن ذكر المساجد والمصلَّى الذى يصلون فيه .

* ذكر من قال ذلك :

٩٥٥٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن عبد الكريم الجزرى ، عن أبى عبيدة بن عبد الله ، عن أبيه فى قوله : « ولا جنباً إلا عابرى سبيل » ، قال : هو الممرُّ فى المسجد .[2]

٩٥٥٣ – حدثنا أحمد بن حازم قال، حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن أبى جعفر الرازى ، عن زيد بن أسلم ، عن ابن يسار ، عن ابن عباس : « ولا جنباً إلا عابرى سبيل » : ، قال : لا تقرب المسجد إلاّ أن يكون طريقك فيه ، فتمرّ مارًّا ولا تجلس .[3]

٩٥٥٤ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا معاذ بن هشام قال ، حدثنا أبى ، عن قتادة، عن سعيد فى الجنب : يمر فى المسجد مجتازاً وهو قائم، لا يجلس وليس بمتوضىء . وتلا هذه الآية : « ولا جنباً إلاّ عابرى سبيل » .

---

(١) فى المطبوعة : « التجمع فيها » ، و « التجميع » هو : شهود صلاة الجماعة ، أو إقامة صلاة الجماعة .

(٢) الأثر : ٩٥٥٢ – « أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود » ، أبوه : عبد الله بن مسعود الصحابى . مضت ترجمته فى رقم : ٤٣ ، ٤٥٧٠ ، وغيرهما .

(٣) فى المطبوعة : « فتمر مرأ » ، لم يحسن قراءة ما كان فى المخطوطة ، على سوء كتابتها .

٩٥٥٥ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا هرون، عن نهشل ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : لا بأس للحائض والجنب أن يمرّا فى المسجد ما لم يجلسا فيه .

٩٥٥٦ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا أبو الزبير قال : كان أحدنا يمر فى المسجد وهو جُنب مجتازاً .

٩٥٥٧ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا ابن أبى عدى، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن فى قوله : « ولا جنباً إلاّ عابرى سبيل » ، قال : الجنب يمر فى المسجد ولا يقعُد فيه .

٩٥٥٨ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا أبو أحمد = وحدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو نعيم = قالا جميعاً ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم فى قوله : « ولا جنباً إلا عابرى سبيل » ، قال : إذا لم يجد طريقاً إلا المسجد، يمرّ فيه .

٩٥٥٩ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو غسان مالك بن إسمعيل قال ، حدثنا إسرائيل ، عن منصور ، عن إبراهيم فى هذه الآية : « ولا جنباً إلاّ عابرى سبيل حتى تغتسلوا » ، قال : لا بأس أن يمرّ الجنب فى المسجد ، إذا لم يكن له طريق غيره .

٩٥٦٠ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم مثله .

٩٥٦١ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا [الحمانى] قال ، حدثنا شريك ، عن سالم، عن سعيد بن جبير قال : الجنب يمرّ فى المسجد ولا يجلس فيه . ثم قرأ : ٦٤/٥
« ولا جنباً إلاّ عابرى سبيل » . (١)

---

(١) الأثر : ٩٥٦١ – فى المخطوطة : « حدثنى المثنى قال حدثنا قال حدثنا شريك » ، وهو إسناد ناقص، فجاء فى المطبوعة فجعله «حدثنى المثنى قال حدثنا شريك » ، واستظهرت أن يكون كما أثبته بين القوسين ، من الآثار التى تليه ، ومن رواية المثنى بمثل هذا الإسناد فيما سلف .

٩٥٦٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا الحماني قال، حدثنا شريك، عن عبد الكريم، عن أبي عبيدة مثله.

٩٥٦٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا الحماني قال، حدثنا شريك، عن سماك، عن عكرمة مثله.

٩٥٦٤ – حدثني المثنى قال، حدثنا الحماني قال، حدثنا شريك، عن الحسن بن عبيد الله، عن أبي الضحى مثله.

٩٥٦٥ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا هرون، عن إسمعيل، عن الحسن قال: لا بأس للحائض والجنب أن يمرّا في المسجد، ولا يقعدّا فيه.

٩٥٦٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا هرون، عن عمرو، عن سعيد، عن الزهري قال: رُخِّص للجنب أن يمرّ في المسجد.

٩٥٦٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثني الليث قال، حدثني يزيد بن أبي حبيب عن قول الله: «ولا جنباً إلاّ عابري سبيل»، أنّ رجالا من الأنصار كانت أبوابهم في المسجد، تصيبهم جنابة ولا ماء عندهم، فيريدون الماء ولا يجدون ممراً إلاّ في المسجد، فأنزل الله تبارك وتعالى: «ولا جنباً إلاّ عابري سبيل».

٩٥٦٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال، أخبرنا ابن المبارك، عن شعبة، عن حماد، عن إبراهيم: «ولا جنباً إلاّ عابري سبيل»، قال: لا يجتاز في المسجد، إلا أن لا يجدّ طريقاً غيره.

٩٥٦٩ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا هرون، عن ابن مجاهد، عن أبيه: لا يمر الجنب في المسجد، يتخذّه طريقاً.

* * *

قال أبو جعفر: وأولى القولين بالتأويل لذلك، تأويل من تأوّله: «ولا جنباً إلا عابري سبيل»، إلا مجتازي طريق فيه. وذلك أنه قد بيّن حكم المسافر إذا عدم

الماء وهو جنب فى قوله : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً ﴾ ، فكان معلوماً بذلك أن قوله[1] : « ولا جنباً إلاّ عابرى سبيل حتى تغتسلوا » ، لو كان معنيًّا به المسافر ، لم يكن لإعادة ذكره فى قوله : « وإن كنتم مرضى أو على سفر » معنى مفهوم ، وقد مضى ذكر حكمه قبل ذلك .

* * *

وإذ كان ذلك كذلك ، فتأويل الآية : يا أيها الذين آمنوا ، لا تقربوا المساجد للصلاة مصلِّين فيها وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ، ولا تقربوها أيضاً جنباً حتى تغتسلوا ، إلاّ عابرى سبيل .

* * *

و « العابر السبيل » : المجتازُه مرًّا وقطعاً . يقال منه : « عبرتُ هذا الطريق فأنا أعبُرُهُ عَبْرًا وعبوراً » . ومنه قيل : « عبر فلان النهرَ » ، إذا قطعه وجازه . ومنه قيل للناقة القوية على الأسفار : « هى عُبْر أسفار ، وعَبْر أسفار » ،[2] لقوتها على الأسفار .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « وإن كنتم مرضى » ، من جرح أو جُدَرِىّ وأنتم جنب ، كما : —

٩٥٧٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا أبو

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « فكان معلوم بذلك » ، والصواب ما أثبت .

(٢) فى المطبوعة ، حذف « وعبر أسفار » الثانية ، كأنه ظنها تكراراً . وإنما أراد واحدة بضم العين وسكون الباء ، والأخرى بفتح العين وسكون الباء — وهناك ثالثة بكسر العين وسكون الباء .

المنبّه الفضل بن سليم، [١] عن الضحاك، عن ابن مسعود قوله: «وإن كنتم مرضى أو على سفر»، قال: المريض الذى قد أُرخص له فى التيمم، هو الكسير والجريح. فإذا أصابت الجنابة الكسيرَ اغتسل، ولم يحلّ جبائره. [٢] والجريح لا يحل جراحته، إلا جراحة لا يخشى عليها. [٣]

٩٥٧١ – حدثنا تميم بن المنتصر قال، حدثنا إسحق بن يوسف الأزرق، عن شريك، عن إسمعيل السدى، عن أبى مالك قال، فى هذه الآية: «وإن كنتم مرضى أو على سفر»، قال: هى للمريض الذى به الجراحةُ التى يخاف منها أن يغتسل، فلا يغتسل. فرُخِّص له فى التيمم.

٩٥٧٢ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى: «وإن كنتم مرضى»، و«المرض» هو الجراح. والجراحة التى يتخوّف عليه من الماء، [٤] إن أصابه ضرّ صاحبه، فذلك يتيمم صعيداً طيباً.

٩٥٧٣ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا ابن أبى عدى، عن سعيد، عن قتادة، عن عزرة، عن سعيد بن جبير فى قوله: «وإن كنتم مرضى»، قال: إذا كان به جروح أو قُروح يتيمم. [٥]

٩٥٧٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن عمرو، عن منصور، عن إبراهيم: «وإن كنتم مرضى»، قال: من القروح تكون فى الذراعين.

---

(١) الأثر: ٩٥٧٠ – «أبو المنبه: الفضل بن سليم»، لم أجده، وإنما وجدت «الفضل بن سليم العبدى». روى عن القاسم بن خالد، روى عنه مسلم بن إبراهيم. مترجم فى ابن أبى حاتم ٣/٢/٦٣.

(٢) فى المطبوعة، حذف قوله: «ولم يحل جبائره» كأنه لم يعرف لها معنى!! وهو أشهر من ذلك!

(٣) فى المخطوطة: «والجرح لا يحل جراحته»، والصواب ما فى المطبوعة.

(٤) فى المخطوطة: «التى يتخوف عليه منه الماء»، وفى المطبوعة: «التى يتخوف عليها من الماء»، والصواب بينهما ما أثبت.

(٥) الأثر ٩٥٧٣ – «عزرة بن عبد الرحمن الخزاعى»، مضى برقم: ٢٧٥٢، ٢٧٥٣. وقد كان فى المطبوعة: «عروة»، والصواب من المخطوطة، وإن كانت غير منقوطة.

٩٥٧٥ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا هرون، عن عمرو، عن منصور، عن إبراهيم : « وإن كنتم مرضى » ، قال : القروح فى الذراعين .

٩٥٧٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا هرون ، عن عمرو، عن جويبر ، عن الضحاك قال : صاحب الجراحة التى يتخوّف عليه منها ، يتيمم . ثم قرأ : « وإن كنتم مرضى أو على سفر » . ٦٥/٥

٩٥٧٧ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وإن كنتم مرضى »، و«المرض »، أن يصيب الرجل الجرح والقرح والجدرىّ، [1] فيخاف على نفسه من برد الماء وأذاه ، يتيمم بالصعيد كما يتيمم المسافر الذى لا يجد الماء .

٩٥٧٨ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا معاذ بن هشام قال، حدثنى أبى ، عن قتادة ، عن عاصم = يعنى الأحول = عن الشعبى : أنه سئل عن [قوله] : المجدور تُصيبه الجنابة ؟ قال : ذهب فرسان هذه الآية . [2]

* * *

وقال آخرون فى ذلك ، ما : –

٩٥٧٩ – حدثنى به يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وإن كنتم مرضى أو على سفر فلم تجدوا ماءً فتيمموا »، قال : المريضُ الذى لا يجد أحداً يأتيه بالماء ، ولا يقدر عليه ، وليس له خادم ولا عون ، فإذا لم يستطع أن يتناول الماء، وليس عنده من يأتيه به ، ولا يحبو إليه ، تيمم وصلّى إذا

---

(١) فى المطبوعة : « أو القروح أو الجدرى » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) هكذا فى المخطوطة « عن قوله : المجدور . . . » فأثبتها بين القوسين ، لأنى فى شك منها . وأما قوله : « ذهب فرسان هذه الآية » ، فإنه مما أشكل على معناه، وربما رجحت أنه أراد أن الآية نزلت فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار كانت أبوابهم فى المسجد، تصيبهم الجنابة ولا ماء عندهم ، فيريدون الماء ولا يجدون ممراً إلا فى المسجد ، كما مضى فى الأثر رقم : ٩٥٦٧ . فيكون قوله : « ذهب فرسان هذه الآية » ، عن ذلك الشطر من الآية « ولا جنباً إلا عابرى سبيل » ، وأنهم هم الأنصار من أصحاب رسول الله ، الذين كانت أبوابهم فى المسجد ، وقد مضوا ، لم يبق اليوم منهم أحد . هذا غاية اجتهادى ، وفوق كل ذى علم عليم .

حلّت الصلاة = قال : هذا كله قولُ أبي = إذا كان لا يستطيع أن يتناول الماء وليس عنده من يأتيه به ، لا يترك الصلاة ، وهو أعذَرُ من المسافر .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الآية إذاً : وإن كنتم جَرْحى أو بكم قروحٌ ، أو كسر ، أو علّة لا تقدرون معها على الاغتسال من الجنابة ، وأنتم مقيمون غيرُ مسافرين ، فتيمموا صعيداً طيباً .

* * *

وأما قوله : « أو على سفر » ، فإنه يعنى : أو إن كنتم مسافرين وأنتم أصحّاء جنب ، فتيمموا صعيداً .

* * *

وكذلك تأويل قوله : « أو جاء أحد منكم من الغائط » ، يقول : أو جاء أحدٌ منكم من الغائط ، قد قضى حاجته وهو مسافر صحيح ، فليتيمم صعيداً أيضاً .

* * *

و« الغائط » : ما اتسع من الأودية وتصوَّب . وجعل كناية عن قضاء حاجة الإنسان ، لأن العرب كانت تختار قضاءَ حاجتها فى الغيطان ، فكثر ذلك منها حتى غلب عليهم ذلك ، فقيل لكل من قضى حاجته التى كانت تقضى فى الغيطان ، حيثُ قضاها من الأرض : « مُتَغَوِّط » و« جاء فلان من الغائط » ، يعنى به : قضى حاجته التى كانت تقضى فى الغائط من الأرض .[1]

* * *

وذكر عن مجاهد أنه قال فى « الغائط » : الوادى .

٩٥٨٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « أو جاء أحد منكم من الغائط » ، قال : الغائط ، الوادى .

---

(١) انظر تفسير « الغائط » فيما سلف ٥ : ٣٥٤ .

القول فى تأويل قوله ﴿ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : أو باشرتم النساءَ بأيديكم .

• • •

ثم اختلف أهل التأويل فى « اللمس » الذى عناه الله بقوله : «أو لامستم النساء » .

فقال بعضهم : عنى بذلك الجماع .

• ذكر من قال ذلك :

٩٥٨١ – حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير قال : ذكروا اللمس ، فقال ناس من الموالى : ليس بالجماع . وقال ناس من العرب : اللمس الجماع . قال : فأتيت ابن عباس فقلت : إنّ ناساً من الموالى والعرب اختلفوا فى « اللمس » ، فقالت الموالى : ليس بالجماع ، وقالت العرب : الجماع . قال : من أىّ الفريقين كنت ؟ قلت : كنت من الموالى . قال : غُلِب فريق الموالى ، إن « المس » و « اللمس » و « المباشرة » ، الجماع ، ولكن الله يكنى ما شاء بما شاء .(١)

٩٥٨٢ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة، عن أبى قيس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس مثله .

٩٥٨٣ – حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة ، عن أبى إسحق قال : سمعت سعيد بن جبير يحدِّث عن ابن عباس : أنه قال : « أو لامستم النساء » ، قال : هو الجماع .

٩٥٨٤ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا وهب بن جرير قال ، حدثنا أبى ،

---

(١) الأثر : ٩٥٨١ – أخرجه البيهقى فى السنن ١ : ١٢٥ ، من طريق إبراهيم بن مرزوق ، عن وهب بن جرير ، عن شعبة .

عن قتادة ، عن سعيد بن جبير قال : اختلفتُ أنا وعطاء وعبيد بن عمير فى قوله : « أو لامستم النساء » ، فقال عبيد بن عمير : هو الجماع . وقلت أنا وعطاء : هو اللمس . قال : فدخلنا على ابن عباس فسألناه فقال : غُلِب فريقُ الموالى ، وأصابت العرب ، هو الجماع ، ولكن الله يعفُّ ويكنى .

٩٥٨٥ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا عبد الأعلى قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن عكرمة وسعيد بن جبير وعطاء بن أبى رباح وعبيد بن عمير : اختلفوا فى الملامسة ، فقال سعيد بن جبير وعطاء : الملامسة ما دون الجماع . وقال عبيد : هو النكاح . فخرج عليهم ابن عباس فسألوه ، فقال : أخطأ الموليَان وأصَاب العربىّ ، الملامسة النكاح ، ولكن الله يكنى ويعفّ .

٩٥٨٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا محمد بن بشر ، عن سعيد، عن قتادة قال : اجتمع سعيد بن جبير وعطاء وعبيد بن عمير ، فذكر نحوه .

٥/٦٦ ٩٥٨٧ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن عثمة قال ، حدثنا سعيد ابن بشير ، عن قتادة قال ، قال سعيد بن جبير وعطاء فى التماس : [1] الغمز باليد . وقال عبيد بن عمير : الجماع . فخرج عليهم ابن عباس فقال : أخطأ الموليان وأصابَ العربىُّ ، ولكنه يعفّ ويكنى . [2]

٩٥٨٨ – حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهم قالا، قال ابن عباس : اللمس، الجماع . [3]

٩٥٨٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن علية وعبد الوهاب، عن خالد، عن عكرمة ، عن ابن عباس مثله .

---

(١) هكذا فى المطبوعة والمخطوطة ، ولعل صوابها : « الماس » مصدر « لامس ملامسة ولماساً » ، كما سيأتى فى الآثار التالية .

(٢) الأثر : ٩٥٨٧ – محمد بن عثمة ، هو : « محمد بن خالد بن عثمة » مضى برقم : ٩٠ ، ٥٣١٤ ، ٥٤٨٣ .

(٣) الأثر : ٩٥٨٨ – أخشى أن يكون فى هذا الإسناد خرم .

٩٥٩٠ – حدثني يعقوب بن إبراهم قال، حدثنا هشيم قال، حدثنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : « اللمس » و« المس » و« المباشرة » ، الجماع ، ولكن الله يكني بما شاء .

٩٥٩١ – حدثنا عبد الحميد بن بيان قال، حدثنا إسحق الأزرق ، عن سفيان ، عن عاصم الأحول ، عن بكر بن عبد الله ، عن ابن عباس قال : الملامسة الجماع ، ولكن الله كريم يكني عما شاء .

٩٥٩٢ – حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال، حدثنا أيوب بن سويد ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن بكر بن عبد الله ، عن ابن عباس مثله .

٩٥٩٣ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا ابن أبي عدى ، عن داود ، عن جعفر بن أبي وحشية ، عن سعيد بن جبير قال: اختلفت العرب والموالى فى «الملامسة» على باب ابن عباس ، قالت العرب : الجماع . وقالت الموالى : باليد . قال : فخرج ابن عباس فقال : غُلِب فريق الموالى ، الملامسة الجماع .

٩٥٩٤ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا عبد الوهاب قال، حدثنا داود، عن رجل ، عن سعيد بن جبير قال : كنا على باب ابن عباس ، فذكر نحوه .

٩٥٩٥ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا يزيد بن هرون قال ، أخبرنا داود ، عن سعيد بن جبير قال : قعد قوم على باب ابن عباس ، فذكر نحوه .

٩٥٩٦ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن على بن أبي طلحة، عن ابن عباس فى قوله : « أو لامستم النساء » ، الملامسة هو النكاح .

٩٥٩٧ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن نمير ، عن الأعمش ، عن عبد الملك بن ميسرة ، عن سعيد بن جبير قال : اجتمعت الموالى والعرب فى المسجد، وابن عباس فى الصُّفَّة، فاجتمعت الموالى على أنّ « اللمس » دون الجماع ،

واجتمعت العرب على أنه الجماع . فقال ابن عباس : من أيّ الفريقين أنت ؟ قلت : من الموالى . قال : غُلِبت .

٩٥٩٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان، عن أبى إسحق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : اللمس، الجماع .

٩٥٩٨م = وبه عن سفيان ، عن عاصم ، عن بكر ، عن ابن عباس مثله .

٩٥٩٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حفص، عن الأعمش، عن حبيب، عن سعيد ، عن ابن عباس قال : هو الجماع .

٩٦٠٠ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا مالك، عن زهير ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس مثله .

٩٦٠١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حفص ، عن داود ، عن جعفر ابن إياس، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « أو لامستم النساء »، قال : الجماع .

٩٦٠٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن أشعث ، عن الشعبى ، عن على رضى الله عنه قال : الجماع .

٩٦٠٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبد الأعلى ، عن يونس ، عن الحسن قال : الجماع .

٩٦٠٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا مالك ، عن خصيف قال : سألت مجاهداً فقال ذلك .

٩٦٠٥ – حدثنا بشر بن معاذ قال: حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة والحسن قالا : غشيان النساء .

* * *

وقال آخرون : عنى الله بذلك كلَّ لمسٍ ، بيدٍ كان أو بغيرها من أعضاء جسد الإنسان = وأوجبوا الوضوءَ على من مسَّ بشىء من جسده شيئاً من جسدها مفضياً إليه .

* ذكر من قال ذلك :

٩٦٠٦ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن مخارق ، عن طارق بن شهاب ، عن عبد الله أنه قال ، شيئاً هذا معناه : الملامسة ما دون الجماع .

٩٦٠٧ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال،حدثنا شعبة ، عن منصور ، عن هلال ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله = أو : عن أبي عبيدة، منصورٌ الذى شك= قال : القبلة، من المس .

٩٦٠٨ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن مخارق ، عن طارق ، عن عبد الله قال : اللمس ،ما دون الجماع .

٩٦٠٩ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية ، عن شعبة، عن المغيرة ، عن إبراهيم قال ، قال ابن مسعود : اللمس ، ما دون الجماع .

٩٦١٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله قال : القبلةُ، من اللمس .

٩٦١١ – حدثنا أبو السائب قال ، حدثنا أبو معاوية = وحدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن فضيل = عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله بن مسعود قال : القبلة ، من اللمس ، وفيها الوضوء . ٦٧/٥

٩٦١٢ – حدثنا تميم بن المنتصر قال، أخبرنا إسحق ، عن شريك ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله بن مسعود مثله .

٩٦١٣ – حدثنا أحمد بن عبدة الضبي قال: أخبرنا سليم بن أخضر قال ، أخبرنا ابن عون، عن محمد قال : سألت عبيدة عن قوله : « أو لامستم النساء » ، قال : فأشار بيده هكذا = وحكاه سليم = وأراناه أبو عبد الله ، فضم أصابعه.[1]

---

(١) الأثر : ٩٦١٣ – « سليم بن أخضر البصرى » . روى عن ابن عون ، قال ابن سعد : « كان ألزمهم لابن عون . وكان ثقة » . مترجم فى التهذيب .

٩٦١٤ – حدثني يعقوب وابن وكيع قالا ، حدثنا ابن علية ، عن سلمة ابن علقمة ، عن محمد قال : سألت عبيدة عن قوله : « أو لامستم النساء » ، قال بيده ، فطَبِنْتُ ما عَنَى ، فلم أسأله . (١)

٩٦١٥ – حدثني يعقوب قال ، حدثنا ابن علية ، عن ابن عون قال : ذكروا عند محمد مسّ الفرج ، وأظنهم ذكروا ما قال ابن عمر في ذلك ، فقال محمد : قلت لعبيدة : قوله : « أو لامستم النساء » ، فقال بيده . قال ابن عون بيده ، كأنه يتناوَل شيئاً يقبض عليه . (٢)

٩٦١٦ – حدثني يعقوب قال ، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا خالد ، عن محمد قال ، قال عبيدة : اللمس باليد .

٩٦١٦ م – قال [يعقوب] ، حدثنا ابن علية ، عن هشام ، عن محمد قال : سألت عبيدة عن هذه الآية : « أو لامستم النساء » ، فقال بيده ، وضم أصابعه ، حتى عرفت الذي أراد .

٩٦١٧ – حدثني يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني عبيد الله بن عمر ، عن نافع : أن ابن عمر كان يتوضأ من قُبْلة المرأة ، ويرى فيها الوضوء ، ويقول : هي من اللِّماس . (٣)

٩٦١٨ – حدثنا عبد الحميد بن بيان قال ، أخبرنا محمد بن يزيد ، عن

« وأبو عبد الله » ، هو : « أحمد بن عبدة الضبي » مضى برقم : ٥٥٠٢ .

(١) قوله : « قال بيده » ، أي : أومأ بيده وأشار . وقوله : « فطبنت ما عنى » ، أي : فطنت له وفهمته . يقال : « طبن الشيء يطبن طبنا = وطبن له » أي : فطن له . و « رجل طبن » : فطن حاذق عالم بكل شيء . وفي المطبوعة : « فظننت ما عنى » ، ليست بشيء . وهي في المخطوطة ، سيئة النقط . والصواب ما أثبته ، وسيأتي في الأثر رقم : ٩٦١٦ : « حتى عرفت الذي أراد » ، فهو المعرفة ، لا الظن كما ترى ، وكذلك الأثر رقم : ٩٦٢٦ .

(٢) « قال » في هذا الأثر ، في الموضعين ، بمعنى الإيماء والإشارة ، كما أسلفت في التعليق السالف .

(٣) « اللماس » (بكسر اللام) مصدر « لامسه ملامسة ولماساً » .

إسمعيل ، عن عامر قال : الملامسة ما دون الجماع .

٩٦١٩ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا مُحِلّ ابن محرز ، عن إبراهيم قال : اللمس من شهوة ينقض الوضوء . (١)

٩٦٢٠ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا شعبة ، عن الحكم وحماد أنهما قالا : اللمس ، ما دون الجماع .

٩٦٢١ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا عبد الأعلى قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن عطاء قال : الملامسة، ما دون الجماع .

٩٦٢٢ – حدثنا ابن وكيع قال،حدثنا حفص ، عن أشعث ، عن الشعبي ، عن أصحاب عبد الله ، عن عبد الله قال : الملامسة، ما دون الجماع .

٩٦٢٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن بيان ، عن عامر ، عن عبد الله قال : الملامسة ، ما دون الجماع .

٩٦٢٤ – قال حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله مثله .

٩٦٢٤م – حدثنا ابن وكيع قال،حدثني أبي ، عن سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله مثله .

٩٦٢٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا محمد بن بشر ، عن سعيد ، عن أبي معشر ، عن إبراهيم قال، قال عبد الله=الملامسة، ما دون الجماع . ثم قرأ: « أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء » .

٩٦٢٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن هشام ، عن ابن سيرين قال : سألت عبيدة عن: « أو لامستم النساء »، فقال بيده هكذا، فعرفت ما يعني .

---

(١) الأثر : ٩٦١٩ – « محل بن محرز الضبي الكوفي الأعور » . روى عن أبي وائل : وإبراهيم النخعي ، والشعبي . أدخله البخاري في الضعفاء ، فقال ابن أبي حاتم : « سمعت أبي قال : يحول من هناك » . قال يحيى القطان : « كان وسطا، ولم يكن بذاك » . وهو ثقة . مترجم في التهذيب . و « محل » بضم الميم ، وكسر الحاء ، واللام مشددة .

٩٦٢٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن أبيه = وحسن بن صالح ، عن منصور = عن هلال بن يساف ، عن أبي عبيدة قال : القبلة من اللمس .

٩٦٢٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا مالك بن إسمعيل ، عن زهير ، عن خصيف ، عن أبي عبيدة : القبلة والشيء .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك بالصواب ، قولُ من قال : « عنى الله بقوله : « أو لامستم النساء » ، الجماع دون غيره من معاني اللمس » ، لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قبّل بعض نسائه ثم صلى ولم يتوضأ .

٩٦٢٩ – حدثني بذلك إسمعيل بن موسى السدى قال، أخبرنا أبو بكر بن عياش ، عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن عروة، عن عائشة قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ ثم يقبل ، ثم يصلّي ولا يتوضأ .(٢)

٩٦٣٠ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عروة ، عن عائشة : أن النبي صلى الله عليه وسلم قبّل بعض نسائه ، ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضأ . قلت : من هي إلا أنت ؟ فضحكت .(٢)

---

(١) قوله : « والشيء » ، هكذا هي في المطبوعة ، وفي المخطوطة « السي » غير منقوطة ، وأخشى أن يكون صوابها « والمس» .

(٢) الحديثان : ٩٦٢٩ ، ٩٦٣٠ – عروة، في هذين الإسنادين : هو عروة بن الزبير ، ابن أخت عائشة ، على اليقين ، خلافاً لمن زعم أنه « عروة المزني » ، من أجل كلمة قالها الثوري : « ماحدثنا حبيب إلا عن عروة المزني » ! فإنه إن لم يحدثه عن عروة بن الزبير ، فقد حدث غيره عنه .

والحديث رواه أحمد في المسند ٦ : ٢١٠ (حلبي) ، عن وكيع – بالإسناد الثاني هنا – وفيه صراحة « عن عروة بن الزبير » . وكذلك جاء التصريح بأنه « عروة بن الزبير » ، في رواية ابن ماجة : ٥٠٢ ، من طريق وكيع . فارتفع كل شك وكل إشكال .

وكلمة الثوري رواها أبو داود في سننه ، عقب الحديث : ١٨٠ ، بصيغة التمريض : « روى عن الثوري » . ثم نقضها هو نفسه ، فقال : « وقد روى حمزة الزيات ، عن حبيب ، عن عروة ابن الزبير ، عن عائشة – حديثاً صحيحاً » .

٩٦٣١ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا حفص بن غياث ، عن حجاج ، عن عمرو بن شعيب ، عن زينب السهمية ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه كان يقبِّل ثم يصلي ، ولا يتوضأ .(١)

٩٦٣٢ – حدثنا أبو زيد عمر بن شبة قال، حدثنا شهاب بن عباد قال ، حدثنا مندل ، عن ليث ، عن عطاء ، عن عائشة = وعن أبي روق ، عن إبراهيم التيمي ، عن عائشة = قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينال مني القبلةَ بعد الوضوء، ثم لا يعيد الوضوء .(٢) ٦٨/٥

والحديث رواه أيضاً أبو داود : ١٧٩ ، والترمذي : ٨٦ (بشرحنا) – كلاهما من طريق وكيع ، به . وفيهما « عن عروة » فقط ، كما هنا .

وقد أطال العلماء الكلام في تعليل هذا الحديث ، وخالفهم آخرون ، فأثبتوا صحته « عن عروة ابن الزبير » . وهو الصواب . وفصلنا القول فيه في شرحنا للترمذي ١ : ١٣٣ – ١٤٢ . وأثبتنا صحته ، وترجيح القول بأن « الملامسة » في هذه الآية هي الجماع ، وأن لمس المرأة لا ينقض الوضوء . ولم نر حاجة لتكرار ذلك والإطالة به هنا .

وانظر السنن الكبرى للبيهقي ، ورد ابن التركماني عليه ١ : ١٢٣ – ١٢٧ ، وابن كثير ٢ : ٤٦٥ – ٤٦٦ .

(١) الحديث : ٩٦٣١ – حجاج : هو ابن أرطاة .

زينب السهمية : هي بنت محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص . فهي عمة عمرو بن شعيب . وذكرها ابن حبان في الثقات . وزعم الدارقطني أنها مجهولة !

والحديث في هذه الرواية مرسل ، لأن زينب السهمية تابعية ، لا صحابية .

وقد رواه أحمد في المسند موصولا ٦ : ٦٢ (حلبي) ، عن محمد بن فضيل ، عن الحجاج ، عن عمرو بن شعيب ، عن زينب السهمية ، عن عائشة . فارتفع الإرسال .

وكذلك رواه ابن ماجة : ٥٠٣ ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن محمد بن فضيل ، به ، موصولا .

وأعله بعض الحفاظ بأن الحجاج بن أرطاة مدلس ، وأنه رواه هنا بقوله : « عن عمرو بن شعيب » ، لم يصرح بالتحديث .

(٢) الحديث : ٩٦٣٢ – هذا الحديث يرويه الطبري هنا من وجهين :

فيرويه عن عمر بن شبة ، عن شهاب بن عباد ، عن مندل . ثم يرويه مندل عن ليث ، عن عطاء ، عن عائشة – ويرويه مندل أيضاً عن أبي روق ، عن إبراهيم التيمي ، عن عائشة .

عمر بن شبة أبو زيد : مضت ترجمته في : ٦٣١٠ .

٩٦٣٣ – حدثنا سعيد بن يحيى الأموى قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى

شهاب بن عباد العبدى الكوفى أبو عمر : ثقة من شيوخ البخارى ومسلم . قال ابن عدى : «كان من خيار الناس» . مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ٢/٢/٢٣٦ ، وابن أبى حاتم ٢/١/٣٦٣ . ووقع اسمه محرفاً فى المخطوطة والمطبوعة «سهاد بن عباد» ! ولا يوجد ولو بهذا الاسم . ووقع أيضاً محرفاً تحريفاً آخر فى ابن كثير ٢ : ٤٦٦ «هشام بن عباد» ! نقلا عن هذا الموضع من الطبرى . وثبت على الصواب فى المخطوطة الأزهرية من تفسير ابن كثير (٢ : ٣٠١ نسخة مصورة عندى) .

مندل – بفتح الميم والدال بينهما نون ساكنة – : هو ابن على العنزى ، بفتح النون ، الكوفى . وهو مختلف فيه بين التوثيق والتضعيف . والراجح – عندى – أنه حسن الحديث . وهو مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/٢/٧٣ ، وابن سعد ٦ : ٢٦٥ ، وابن أبى حاتم ٤/١/٤٣٤ – ٤٣٥ .

ليث : هو ابن أبى سليم .

عطاء : هو ابن أبى رباح .

وأبو روق : هو عطية بن الحارث الهمدانى . مضى توثيقه فى : ١٣٧ .

والحديث من الوجه الأول : رواية «عطاء عن عائشة» – رواه أيضاً البزار فى مسنده ، من طريق محمد بن موسى بن أعين ، عن أبيه ، عن عبد الكريم الجزرى ، عن عطاء ، عن عائشة ، به . نقله ابن التركمانى فى الجوهر النقى ١ : ١٢٥ (مع السنن الكبرى) ، والزيلعى فى نصب الراية ١ : ٧٤ (طبعة مصر) . وهذا إسناد صحيح ، ولا علة له .

وقد رواه الدار قطنى ، ص : ٥٠ ، من طريق عبيد الله بن عمرو ، عن عبد الكريم ، عن عطاء ، عن عائشة . وهذا إسناد صحيح أيضاً . ولكن الدار قطنى حاول إعلاله بعلة غير قادحة . فذكر أن الثورى رواه عن عبد الكريم ، عن عطاء ، فقط ، من قوله = يعنى : من كلام عطاء . وقال : «وهو الصواب» ! وهذه علة متهافتة . فالوصل والرفع زيادتان من ثقة ، فهما مقبولتان .

تنبيه : وقع فى الجوهر النقى فى هذا الحديث «عن عبد الكريم ، عن عائشة» ، دون ذكر «عن عطاء» . وهو خطأ مطبعى لا شك فيه . بدلالة نقل الزيلعى ، وبأن باقى الكلام فى الجوهر النقى يدل على أنه «عن عطاء عن عائشة» – يقينا .

والحديث من الوجه الثانى : رواية إبراهيم التيمى ، عن عائشة – رواه أحمد فى المسند ٦ : ٢١٠ (حلبى) ، عن وكيع ، عن سفيان – وهو الثورى – عن أبى روق ، به .

وكذلك رواه أبو داود : ١٧٨ ، والنسائى ١ : ٣٩ ، والدارقطنى ، ص ٥٠ ، ٥١ ، والبيهقى ١ : ١٢٦ – ١٢٧ ، كلهم من طريق الثورى ، عن أبى روق ، به . وقال أبو داود : «هو مرسل . إبراهيم التيمى لم يسمع من عائشة شيئاً» . وقال النسائى : «ليس فى هذا الباب حديث أحسن من هذا الحديث وإن كان مرسلا» . وأشار إليه الترمذى ١ : ١٣٨ (بشرحنا) ، وقال : «وهذا لا يصح أيضاً . ولا نعرف لإبراهيم التيمى سماعاً من عائشة» .

وهذا الحديث قد روى موصولا أيضاً ، من رواية إبراهيم التيمى ، عن أبيه ، عن عائشة . وقد بينت ذلك مفصلا فى شرح الترمذى .

ثم للحديث إسناد آخر صحيح عن عائشة :

يزيد بن سنان ، عن عبد الرحمن الأوزاعى ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن أبى سلمة ، عن أم سلمة : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقبّلها وهو صائم ، ثم لا يفطر ، ولا يحدث وضوءًا .(١)

* * *

= فى صحة الخبر فيما ذكرنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الدلالةُ الواضحة على أنّ « اللمس » فى هذا الموضع ، لمس الجماع ، لا جميع معانى اللمس ، كما قال الشاعر :

وَهُنَّ يَمْشِينَ بِنَا هَمِيسَا إنْ تَصْدُقِ الطَّيْرُ نَنِكْ لَمِيسَا(٢)

يعنى بذلك : ننك لماساً .(٣)

* * *

فرواه الدارقطنى ، ص : ٤٩ ، من طريق سعيد بن بشير ، عن منصور ، عن الزهرى ، عن أبى سلمة ، عن عائشة . ونقله عنه الزيلعى وابن التركانى .

وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ١ : ٢٤٧ ، وقال : « رواه الطبرانى فى الأوسط . وفيه سعيد ابن بشير : وثقه شعبة وغيره ، وضعفه يحيى وجماعة » . و « سعيد بن بشير » رجحنا توثيقه فى : ٥٤٣٩ .

(١) الحديث : ٩٦٣٣ – هذا الحديث ليس فى شىء من الكتب الستة . ولم أجده فى مسند أحمد أيضاً .

ونقله ابن كثير ٢ : ٤٦٦ ، عن الطبرى ، ولم ينسبه لغيره .

وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ١ : ٢٤٧ ، وقال : « رواه الطبرانى فى الأوسط . وفيه يزيد ابن سنان الرهاوى : ضعفه أحمد ويحيى وابن المدينى ، ووثقه البخارى وأبوحاتم ، وثبته مروان ابن معاوية . وبقية رجاله موثقون » . ويزيد هنا ، مختلف فيه كما قال الهيثمى . والراجح عندنا توثيقه . وهو مترجم فى التهذيب ، وترجمه البخارى فى الكبير ٣٣٧/٢/٤ ، فلم يذكر فيه جرحاً ، ولم يذكره فى الضعفاء ، وترجمه ابن أبى حاتم ٢٦٦/٢/٤ .

(٢) مضى تخريجه فى ٤ : ١٢٦ ، تعليق : ١

(٣) قوله : « لماساً » أى ، ملامسة . وكأنه جعل « المميس » مصدراً من « اللمس » ، مثل « المسيس » مصدراً من « المس » . وهو قول غريب لم أجده عند غيره . بل أكثرهم يقول : « لميس : اسم امرأة » ، ومعنى « امرأة لميس » : هى المرأة اللينة الملمس .

وذكر أن هذه الآية نزلت فى قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابتهم جنابة ، وفيهم جراح .[١]

٩٦٣٤ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن محمد ابن جابر ، عن حماد ، عن إبراهيم ، فى المريض لا يستطيع الغُسل من الجنابة ، أو الحائض ، قال : يجزيهم التيمم. وقال : أصاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جراحة ففشت فيهم ،[٢] ثم ابتلوا بالجنابة ، فشكوا ذلك إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فنزلت : « وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط » ، الآية كلها .

* * *

وقال آخرون : نزلت فى قوم من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أعوَزَهم الماء فلم يجدوه فى سفر لهم .

* ذكر من قال ذلك :

٩٦٣٥ – حدثنا ابن عبد الأعلى قال ، حدثنا المعتمر بن سليمان قال ، سمعت عبيد الله بن عمر ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن عائشة أنها قالت : كنت فى مَسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كنا بذات الجيش ضلّ عِقدى ،[٣] فأخبرت بذلك النبى صلى الله عليه وسلم فأمر بالتماسه ، فالتُمِس فلم يوجد ، فأناخ النبى صلى الله عليه وسلم وأناخ الناس ، فباتوا ليلتهم تلك ، فقال الناس : حبست عائشة النبى صلى الله عليه وسلم ! قالت : فجاء إلىّ أبو بكر ورأس النبىّ صلى الله عليه

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « وهم جراح » ، و « جريح » جمعه « جرحى » ، لا يجمع على « جراح » ، ولم أجد من نص عليه ، أو على شذوذ على القياس . ورجحت أن الناسخ كتب « وهم » مكان « وفيهم » فأثبتها كذلك .

(٢) فى المطبوعة « ونال أصحاب رسول الله . . . » مكان : « وقال : أصاب أصحاب رسول الله » ، كأنه أخطأ قراءة المخطوطة .

(٣) « ضل الشىء » : إذا ضاع .

وسلم فى حجرى وهو نائم، فجعل يَهمِزُنى ويَقْرصنى ويقول[١] : من أجل عقدك حبست النبيَّ صلى الله عليه وسلم ! قالت : فلا أتحرك مخافة أن يستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد أوجعنى ، فلا أدرى كيف أصنع ! فلما رآنى لا أُحير إليه، انطلق . [٢] فلما استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم وأراد الصلاة فلم يجد ماء، قالت : فأنزل الله تعالى آية التيمم . قالت : فقال ابن حضير : ما هذا بأول بركتكم يا آل أبى بكر ! [٣]

٩٦٣٦ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية ، عن أيوب ، عن ابن أبى مليكة : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان فى سفر ، ففقدت عائشة قلادة لها ، فأمر الناس بالنزول ، فنزلوا وليس معهم ماء . فأتى أبو بكر على عائشة فقال لها : شَقَقت على الناس ! = وقال أيوب بيده، يصف أنه قرصها [٤] = قال : ونَزلت آية التيمم ، ووُجدت القلادة فى مُناخ البعير ، فقال الناس : ما رأينا قط امرأة أعظم بركة منها ! [٥]

---

(١) همز صاحبه : غمزه بيده ولمزه ونخسه .

(٢) يقال : « أحار عليه جوابه، وأحار له جواباً ، فهو يحير »، إذا رد عليه . ويقال: « ما أحار بكلمة » ، و « ما أحار إلى جواباً » . أى ما رد جواباً . وقولها : « لا أحير إليه » ، أى : ما أجيبه ولا أكلمه .

وكان فى المطبوعة : « لا أجير » بالجيم ، وهو خطأ . والصواب ما أثبت من المخطوطة .

(٣) الحديث : ٩٦٣٥ – عبيد الله بن عمر : هو العمرى ، أحد الفقهاء السبعة .

وهذا الحديث ظاهره الإرسال . لأنه – هنا – من رواية عبد الرحمن بن القاسم عن عائشة . وعبد الرحمن لم يدرك أن يسمع من عمة أبيه عائشة .

وسيأتى بنحوه : ٩٦٤١ ، من رواية عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة – متصلا . ونخرجه هناك ، إن شاء الله .

(٤) قوله : « قال بيده » أى أومأ وأشار ، كما سلف مراراً .

(٥) الحديث : ٩٦٣٦ – وهذا أيضاً مرسل ، لأن ابن أبى مليكة حكى القصة دون أن يذكر من حدثه . وهو تابعى .

وسيأتى نحو معناه : ٩٦٣٩ ، من رواية ابن أبى مليكة ، عن ذكوان حاجب عائشة .

وسيأتى أيضاً : ٩٦٤٢ ، من رواية ابن أبى مليكة ، عن قصة ابن عباس وعائشة ، دون واسطة ذكوان .

٩٦٣٧ – حدثني محمد بن عبد الله الهلالي قال، حدثني عمران بن محمد الحداد قال ، حدثني الربيع بن بدر قال ، حدثني أبي ،عن أبيه ، عن رجل منا ، من بَلَعْرَج ، (١) يقال له الأسلع قال : كنت أخدم النبي صلى الله عليه وسلم وأرحَلُ له ، فقال لي ذات ليلة : يا أسلع ، قم فارحلْ لي . قلت: يا رسول الله، أصابتني جنابة ! فسكت ساعة، ثم دعاني وأتاه جبريل عليه السلام بآية الصعيد ، ووصف لنا ضربتين . (٢)

---

(١) « بلعرج » يعني : بني الأعرج ، كما يقولون في « بني العنبر » « بلعنبر » ، وكان حقه أن يكون « بلأعرج » ، (بفتح الباء وسكون اللام وفتح الهمزة) ، ولكنه عاد فسهل الهمزة ، وألقى حركتها على اللام ، فصارت مفتوحة الباء واللام ساكنة العين . و « بنو الأعرج » هم : بنو الأعرج بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . واسم « الأعرج» :الحارث ، قطعت رجله، كما ذكر أبو عبيدة في النقائض : ١٠٢٥ .

(٢) الحديث : ٩٦٣٧ – محمد بن عبد الله الهلالي – شيخ الطبري – مضى في : ١٢٧٥ ، ٦١٨٠ .

عمران بن محمد الحداد : لم أجد له ترجمة ولا ذكراً في شيء من المراجع .

الربيع بن بدر بن عمرو بن جراد السعدي الأعرجي ، ولقبه « عليلة » : ضعيف مجمع على ضعفه .

أبوه « بدر » ، وجده « عمرو بن جراد » :فيهما جهالة . فلم يرو عنهما غير الربيع بن بدر ، وهو ضعيف كما قلنا .

والحديث رواه الطبري عقب هذا ، من طريق عمرو بن خالد ، عن الربيع ، به ، نحوه .

ورواه ابن سعد في الطبقات ٧/١/٤٥ ، في ترجمة « الأسلع » ، عن مسلم بن إبراهيم ، عن الربيع بن بدر . ووقع عنوان الترجمة فيه هكذا « ميمون بن سنباذ الأسلع » . وهو تخليط من الطابع . فإن « ميمون بن سنباذ » غير « الأسلع » وإنما هي عنوان مستقل ، دون ترجمة ، كما يقع في ابن سعد كثيراً ، ثم « الأسلع » عنوان ترجمة أخرى .

ورواه الدارقطني ، ص : ٦٦ ، والطحاوي في معاني الآثار ١ : ٦٧ – ٦٨ ، والبيهقي في السنن الكبرى ١ : ٢٠٨ –كلهم من طريق الربيع بن بدر . وقال البيهقي : « الربيع بن بدر ضعيف ، إلا أنه غير منفرد به » .

ونقله الزيلعي في نصب الراية ١ : ١٥٣ ، ونقل كلام البيهقي ، وتعقبه بأن هذا لا يكفي في الاحتجاج به حتى يعلم الوجه الآخر ودرجته . وكذلك تعقبه ابن التركماني في الجوهر النقي .

والوجه الآخر الذي أشار إليه البيهقي – نقله ابن كثير ٢ : ٤٧٢ – ٤٧٣ ، من رواية ابن مردويه ، من طريق العباس بن أبي سرية ، « حدثني الهيثم بن رزيق المالكي ، من بني مالك

٩٦٣٨ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، حدثنا عمرو بن خالد قال ، حدثني الربيع بن بدر قال، حدثني أبي ، عن أبيه، عن رجل منا يقال له الأسلع ، قال : كنت أخدم النبي صلى الله عليه وسلم= فذكر مثله إلا أنه قال: فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً [١] = أو قال: ساعةً ، الشك من عمرو = قال : وأتاه جبريل عليه السلام بآية الصعيد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قم يا أسلع فتيمم . قال: فتيممت ثم رَحلت له. قال: فسرنا حتى مررنا بماء ، فقال : يا أسلع ، مَسِّ = أو : أمِسّ = بهذا جلدك . قال: وأراني التيمم ، كما أراه أبوه : ضربة للوجه ، وضربة لليدين والمرفقين . [٢]

٩٦٣٩ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا حفص بن بُغيل قال ، حدثنا زهير بن معاوية قال ، حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم قال ، حدثني عبد الله ابن عبيد الله بن أبي مليكة : أنه حدثه ذكوان أبوعمرو، حاجبُ عائشة: أن ابن عباس دخل عليها في مرضها فقال : أبشري ، كنت أحبَّ نساء رسول الله صلى ٦٩/٥

ابن كعب بن سعد ، وعاش مائة وسبعة عشر سنة ، عن أبيه ، عن الأسلع بن شريك . . . » – فذكر الحديث ، بنحوه .

و « العباس بن أبي سرية » : لم أعرف من هو ؟ ولم أجد له ترجمة .

و « الهيثم بن رزيق » : ترجمه ابن أبي حاتم ٤/٢/٨٣ – ٨٤ ، ولم يذكر فيه جرحاً ، وأشار إلى هذه الرواية . وله ترجمة موجزة في لسان الميزان ٦ : ٢٠٦ ، ولم يذكر أنه يروى عن أبيه . و « رزيق » : بتقديم الراء ، كما في المشتبه ، ص : ٢٢١ ، والمخطوطة الأزهرية من ابن كثير ٢ : ٣٠٧ . ووقع مغلوطاً في المراجع التي نشير إليها .

وأبوه « رزيق » : ترجمه ابن أبي حاتم ١/٢/٥٠٤ (في باب الراء) .

وقد رواه أيضاً الطبراني في الكبير ، من هذا الوجه . ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١ : ٢٦١ – ٢٦٢ ، وقال : « وفيه الهيثم بن رزيق . قال بعضهم : لا يتابع على حديثه » .

وذكر الهيثمي أيضاً رواية الربيع بن بدر ، بلفظين ١ : ٢٦٢ ، ونسبهما للطبراني في الكبير ، وأعلهما بضعف الربيع .

وذكر الحافظ ابن حجر هذه الروايات في الإصابة ١ : ٣٤ – ٣٥ ، في ترجمة « الأسلع » . وفيها فوائد كثيرة .

(١) قوله : « شيئاً » ، أي قليلا ، وقد فسر في هذا الخبر ، « ساعة » ، وقد أسلفت شرح ذلك بشواهده ، وأنه من نوادر اللغة التي أغفلتها المعاجم في ٦ : ٤٤٨ ، تعليق : ٢ .

(٢) في المطبوعة : « إلى المرفقين » ، وأثبت ما في المخطوطة .

الله عليه وسلم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبُّ إلاّ طيباً ، وسقطت قلادتك ليلة الأَبْوَاء ، فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتقطها حتى أصبح فى المنزل ، فأصبح الناس ليس معهم ماء ، فأنزل الله: «تيمموا صعيداً طيباً» ، فكان ذلك من سببك ، وما أذن الله لهذه الأمة من الرخصة .[1]

٩٦٤٠ – حدثنا سفيان بن وكيع قال ، حدثنا ابن نمير ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة : أنها استعارت من أسماء قلادة فهلكت ،[2] فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجالا فى طلبها ، فوجدوها . وأدركتهم الصلاة وليس معهم ماء ، فصلوا بغير وضوء . فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله آية التيمم . فقال أسيد بن حضير لعائشة : جزاك الله خيراً ، فوالله ما نزل بك أمر

---

(١) الحديث : ٩٦٣٩ – حفص بن بغيل الهمدانى المرهبى الكوفى : مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ١/٢/١٧٠ ، ولم يذكر فيه جرحاً ، فهو ثقة . و «بغيل» : بضم الباء الموحدة وفتح الغين المعجمة . ووقع فى المطبوعة «نفيل» . وهو تصحيف . وفى المخطوطة غير منقوط .

عبد الله بن عبيد الله بن أبى مليكة : هو التابعى المعروف . وقد مضت ترجمته فى : ٦٦٠٥ ، ووقع فى المطبوعة «عبد الله بن عبيد عن ابن أبى مليكة» ! جعل راويين . وهو خطأ صرف ، فليس فى شيوخ عبد الله بن عثمان بن خثيم ، ولا فى تلاميذ ابن أبى مليكة – من يسمى «عبد الله بن عبيد» ، بالاستقصاء التام الذى فى تهذيب الكمال (مخطوط مصور) . وابن خثيم يروى عن ابن أبى مليكة مباشرة .

ثم هذا الحديث – بعينه – معروف من روايته عنه ، كما سيأتى .

ذكوان أبو عمرو المدنى ، حاجب عائشة ومولاها : تابعى ثقة . مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ٢/١/٢٣٨ ، وابن سعد ٥ : ٢١٨ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٤٥١ .

والحديث قطعة من حديث طويل ، رواه أحمد فى المسند : ٢٤٩٦ ، عن معاوية بن عمرو ، عن زائدة ، عن ابن خثيم ، عن ابن أبى مليكة ، عن ذكوان .

ثم رواه أيضاً : ٣٢٦٢ ، بمعناه ، عن عبد الرازق ، عن معمر ، عن ابن خثيم .

وسيأتى مختصراً ، بنحوه ، من طريق ابن عيينة : ٩٦٤٢ .

وكان استئذان ابن عباس على عائشة ، حين كانت تموت . ولذلك قال لها ابن عباس حينذاك : «أبشرى ، ما بينك وبين أن تلقى محمداً صلى الله عليه وسلم والأحبة ، إلا أن تخرج الروح من الجسد» . رضى الله عنها وأرضاها .

وقوله : «وما أذن الله لهذه الأمة من الرخصة» – هذا هو الصواب الثابت فى المطبوعة ، وهو الموافق لرواية المسند ٢٤٩٦ . ويؤيده ما فى الرواية الأخرى منه : ٣٢٦٢ : «فكان فى ذلك رخصة للناس عامة فى سببك» . ووقع فى المخطوطة هنا «لهذه الآية» . وهو خطأ لا معنى له .

(٢) قوله : «هلكت» ، أى انقطعت وضاعت وضلت .

تكرهينه إلاّ جعل الله لك وللمسلمين فيه خيراً ! (١)

٩٦٤١ – حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال، حدثني عمي عبد الله ابن وهب قال، أخبرني عمرو بن الحارث : أن عبد الرحمن بن القاسم حدثه ، عن أبيه ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم: أنها قالت : سقطت قلادة لي بالبَيداء، ونحن داخلون إلى المدينة ، فأناخ رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل . فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حِجْري راقد، أقبل أبي فلكزني لَكْزة ثم قال : حبست الناس ! ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم استيقظ وحَضرت الصبح ، فالتمس الماء فلم يوجد، ونزلت : « يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة » الآية . قال أسيد بن حضير : لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر ! ما أنتم إلاّ بركة ! (٢)

٩٦٤٢ – حدثني الحسن بن شبيب قال، حدثنا ابن عيينة قال ، حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن عبد الله بن أبي مليكة قال : دخل ابن عباس على عائشة فقال : كنتِ أعظم المسلمين بركة على المسلمين ! سقطت قلادتك بالأبواء ، فأنزل الله فيك آية التيمم ! (٣)

* * *

---

(١) الحديث : ٩٦٤٠ – رواه أحمد في المسند ٦ : ٥٧ (حلبي) ، عن ابن نمير ، بهذا الإسناد .

وكذلك رواه البخاري ١ : ٣٧٣ (فتح) ، من طريق ابن نمير .

ورواه مسلم ١ : ١٠٩ – ١١٠ ، وأبو داود : ٣١٧ ، وابن ماجة : ٥٦٨ ، والبيهقي في السنن الكبرى ١ : ٢١٤ – من طرق ، عن هشام بن عروة ، نحوه .

ونقله ابن كثير ٢ : ٤٧١ ، عن رواية المسند .

وانظر الحديث التالي لهذا .

(٢) الحديث : ٩٦٤١ – مضى معناه بإسناد منقطع : ٩٦٣٥ ، من رواية عبد الرحمن ابن القاسم ، عن عائشة . وأما هذا فتصل ، يرويه عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه، عن عائشة .

وقد رواه مالك في الموطأ، ص: ٥٣ – ٥٤، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة.

وكذلك رواه أحمد في المسند ٦ : ١٧٩ (حلبي) ، والبخاري ١ : ٣٦٥ – ٣٦٨ (فتح) . ومسلم ١ : ١٠٩ ، والنسائي ١ : ٥٩ – كلهم من طريق مالك .

ونقله ابن كثير ٢ : ٤٧١ – ٤٧٢ ، عن رواية البخاري .

(٣) الحديث : ٩٦٤٢ – الحسن بن شبيب بن راشد بن مطر ، أبو علي المؤدب ، شيخ

واختلفت القرأة في قراءة قوله : « أو لامستم النساء » .

فقرأ ذلك عامة قرأة أهل المدينة وبعض البصريين والكوفيين : ﴿ أَوْ لَامَسْتُمُ ﴾ بمعنى : أو لمستم نساءكم ولَمَسْتُمُوهن .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفيين : ﴿ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ بمعنى : أو لمستم، أنتم أيها الرجال ، نساءكم .

* * *

وهما قراءتان متقاربتا المعنى . لأنه لا يكون الرجل لامساً امرأته إلا وهي لامِستُه. و « اللمس » في ذلك يدل على معنى « اللِّماس »، و « اللماس » على معنى « اللمس » من كل واحد منهما صاحبه . فبأي القراءتين قرأ ذلك القارئ فمصيب ، لاتفاق معنييهما .

* * *

الطبري : ترجمه ابن أبي حاتم ترجمة موجزة ١ / ٢ / ١٨ ، وترجمه الخطيب في تاريخ بغداد ٧ : ٣٢٨ ، والحافظ في لسان الميزان ٢ : ٢١٣ — ٢١٤ . وقال ابن عدي : « حدث عن الثقات بالبواطيل ، ووصل أحاديث هي مرسلة » . وقال الدارقطني : « يعتبر به ، وليس بالقوي » .

وهذا الحديث عن هذا الشيخ فيه غلط يقيناً ، ولعله من تخليطه ! ! فإنه يرويه عن ابن عيينة ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم — مباشرة ، بالتصريح بالسماع . وهذا — في ذاته — ممكن ، لأن ابن عيينة سمع من ابن خثيم . ولكن هذا الحديث بعينه ليس كذلك :

فقد رواه أحمد في المسند : ١٩٠٥ ، بأطول مما هنا — عن سفيان ، وهو ابن عيينة : « عن معمر ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم » . فأثبت الواسطة بين ابن عيينة وابن خثيم . ولا نستسيغ أن نوازن بين الإمام أحمد وهذا الشيخ « الحسن بن شبيب » .

وقد رواه — بنحوه — البخاري ٨ : ٣٧١ — ٣٧٢ ، وابن سعد في الطبقات ٨ : ٥١ ، كلاهما من طريق عمر بن سعيد بن أبي حسين ، عن ابن أبي مليكة .

وفي هذه الروايات الثلاث ، كما في رواية الطبري هنا : أنه من حكاية ابن أبي مليكة للقصة ، دون أن يذكر أنه أخبره بها « ذكوان حاجب عائشة » ، كما مضى في الرواية : ٩٦٣٩ .

والراجح عندي أن تكون هذه الروايات مرسلة ، وأن ابن أبي مليكة لم يشهد احتضار عائشة ودخول ابن عباس عليها ، وأنه سمع ذلك من مولاها ذكوان . ولكن حاول الحافظ في الفتح التكلف في احتمال أن يكون شهد ذلك . وهو تكلف بعيد .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « فلم تجدوا ماء » ، أو لمستم النساء ، فطلبتم الماء لتتطهّروا به فلم تجدوه بثمن ولا غير ثمن = « فتيمموا » يقول : فتعمّدوا .

* * *

= وهو : « تفعّلوا » من قول القائل : « تيممت كذا » = إذا قصدته وتعمدته = « فأنا أتيمّمه » ، وقد يقال منه : « يَمَّمه فلان فهو يُيممه » و « أمّمته أنا » و « أمَمْته » خفيفة ، و « تيممت وتأمّمت » ، ولم يسمع فيها « يَمَمْت » خفيفة.[1] ومنه قول أعشى بنى ثعلبة :

تَيَمَّمْتُ قَيْسًا وَكَمْ دُونَهُ مِنَ الأَرْضِ مِنْ مَهْمَهٍ ذِى شَزَنْ.[2]

يعنى بقوله : « تيمّمت » ، تعمدت وقصدت .[3]

* * *

وقد ذكر أنها فى قراءة عبد الله : ﴿ فَأَمُّوا صَعِيداً ﴾ .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٩٦٤٣ — حدثنى عبد الله بن محمد قال ، حدثنا عبدان قال ، أخبرنا ابن المبارك قال ، سمعت سفيان يقول فى قوله : « فتيمموا صعيداً طيباً » ، قال : تحرّوا وتعمّدوا صعيداً طيباً .[4]

* * *

---

(١) بل روى ذلك اللحيانى فقال : « أمو ، ويموا » .

(٢) سلف البيت وشرحه وتخريجه فى ٥ : ٥٥٨ .

(٣) انظر تفسير « تيمم » فيما سلف ٥ : ٥٥٨ ، ٥٥٩ .

(٤) الأثر : ٩٦٤٣ — « عبد الله بن محمد » هو : « عبد الله بن محمد بن يزيد ، أبو محمد الحنفى » و « عبدان » ، هو : « عبد الله بن عثمان بن جبلة بن أبى رواد الأزدى » .

مضت ترجمتهما برقم : ٥٠٠٠ ، ومضى هذا الإسناد نفسه برقم : ٥٠٠٩ ، ٦١٩٨ ، ٦٢٠٠ ، وانظر الإسناد التالى : ٩٦٤٨ ، ٩٦٧٦ .

وأما « الصعيد » ، فإن أهل التأويل اختلفوا فيه .

فقال بعضهم : هو الأرض الملساء التي لا نَبات فيها ولا غِرَاس .

* ذكر من قال ذلك :

٩٦٤٤ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « صعيداً طيباً » ، قال : التي ليس فيها شجر ولا نبات .

* * *

وقال آخرون : بل هو الارض المستوية .

* ذكر من قال ذلك :

٩٦٤٥ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « الصعيد » ، المستوى .

* * *

وقال آخرون : بل « الصعيد » ، التراب .

* ذكر من قال ذلك :

٥/٧٠ ٩٦٤٦ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا الحكم بن بشير قال ، حدثنا عمرو ابن قيس الملائي قال : الصعيد ، التراب .[1]

* * *

وقال آخرون : « الصعيد » ، وجه الأرض .

* * *

وقال آخرون : بل هو وجه الأرض ذاتِ التراب والغُبَار .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى ذلك بالصواب قول من قال : « هو وجه الأرض الخالية من النبات والغُروس والبناء ، المستوية » ، ومنه قول ذي الرمة :

---

(١) الأثر : ٩٦٤٦ – « الحكم بن بشير بن سلمان » ، مضت ترجمته برقم : ١٤٩٧ ، ٦١٧١ . وكان في المطبوعة والمخطوطة : « الحكم بن بشر » ، وهو خطأ .
« عمرو بن قيس الملائي » مضت ترجمته : ٨٨٦ ، ٦١٧١ .

كَأَنَّهُ بِالضُّحَى تَرْمِي الصَّعِيدَ بِهِ دَبَّابَةٌ فِي عِظَامِ الرَّأْسِ خُرْطُومُ (١)

يعني : تضرب به وجه الأرض .

* * *

وأما قوله : « طيباً » ، فإنه يعني به : طاهراً من الأقذار والنجاسات . (٢)

* * *

واختلف أهل التأويل في معنى قوله : « طيباً »

فقال بعضهم : حلالاً .

* ذكر من قال ذلك :

٩٦٤٧ – حدثني عبد الله بن محمد قال ، حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن المبارك قال ، سمعت سفيان يقول في قوله : « صعيداً طيباً » قال ، قال بعضهم : حلالاً .

* * *

وقال بعضهم بما : –

٩٦٤٨ – حدثني عبد الله قال ، حدثنا عبدان قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن جريج قراءة ، قال : قلت لعطاء : « فتيمموا صعيداً طيباً » ، قال : طيّب ما حولك . (٣) قلت : مكان جَرَدٌ غير بَطِح ، (٤) أيجزئ عني ؟ قال : نعم . (٥)

* * *

---

(١) ديوانه : ٥٧١ ، من قصيدته المحكمة المشهورة . والبيت من أبياته في ذكر ظبية أودعت ولدها الصغير بين أشجار ، فإذا ارتفعت شمس الضحى نال منه التعب ، فانطرح على الأرض ، كأنه سكران أثقله النعاس . وقوله « دبابة » : تدب في أوصال شاربها ، يعني الخمر . وكان في المطبوعة : « وما به » ، وهو خطأ . و « خرطوم » ، صفة للخمر السريعة الإسكار ، تأخذ شاربها حتى يشمخ بخرطومه – أي : أنفه – من شدة السكر وغلبته .

(٢) انظر تفسير « طيب » فيما سلف ٣ : ٥/٣٠١ : ٥٥٥/٧ : ٤٢٤ .

(٣) في المطبوعة : « الطيب ما حولك » ، وكان مثلها في المخطوطة ، إلا أنه ضرب على الألف واللام .

(٤) قوله : « جرد » (بفتح فسكون) : وهي الأرض الفضاء لا نبت فيها ، وكأنه عنى أنها كانت ذات نبات ثم جردها الشتاء والقحط . وقوله : « بطح » على وزن « فرح » ، وهو الرمل في البطحاء ، وهو « الأبطح » ، أيضاً ، وهو أرض ترابها سهل لين فيه دقاق الحصى . وكان في المطبوعة : « غير أبطح » ، ولكني أثبت ما في المخطوطة .

(٥) الأثر : ٩٦٤٨ – انظر التعليق على الإسناد السالف رقم : ٩٦٤٣ .

ومعنى الكلام : فإن لم تجدوا ماء، أيها الناس، وكنتم مرضى، أو على سفر، أو جاء أحد منكم من الغائط، أو لمستم النساء، فأردتم أن تصلّوا = « فتيمموا »، يقول : فتعمدوا وجه الأرض الطاهرة = « فامسحوا بوجوهكم وأيديكم » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : فامسحوا منه بوجوهكم وأيديكم ؛ ولكنه ترك ذكر « منه »، اكتفاء بدلالة الكلام عليه .

* * *

و « المسح منه بالوجه »، أن يضرب المتيمم بيديه على وجه الأرض الطاهر، أو ما قام مقامه، فيمسَح بما علق من الغُبار وجهه . فإن كان الذى علق به من الغُبار كثيراً فنفخ عن يديه أو نفضه، فهو جائز. وإن لم يعلَق بيديه من الغبار شىء وقد ضرب بيديه أو إحداهما الصعيد، ثم مسح بهما أو بها وجهه، أجزأه ذلك، لإجماع جميع الحجَّة على أن المتيمم لو ضرب بيديه الصعيد = وهو أرض رمل = فلم يعلق بيديه منها شىء فتيمم به، أن ذلك مجزئَه، لم يخالف ذلك من يجوز أن يُعْتَدّ خلافاً .[1] فلما كان ذلك إجماعاً منهم، كان معلوماً أن الذى يراد به من ضَرْب الصعيد باليدين، مباشرةُ الصعيد بهما، بالمعنى الذى أمرَ الله بمباشرته بهما، لا لأخْذِ ترابٍ منه .

* * *

وأما « المسح باليدين »، فإن أهل التأويل اختلفوا فى الحدِّ الذى أمر الله بمسحه من اليدين .

---

(١) فى المطبوعة : « أن يعتد بخلافه »، غير ما فى المخطوطة، وهو معرق فى الصواب . وقوله : « يعتد خلافاً » أى : يحسب خلافاً . وأقام « خلافاً » المصدر، صفة مثل « عدل »، ومعناه : الذى يعد خلافه خلافاً .

فقال بعضهم : حدّ ذلك الكفّان إلى الزّندين، وليس على المتيمم مسح ما وراء ذلك من الساعدين .

* ذكر من قال ذلك:

٩٦٤٩ حدثني أبو السائب سلم بن جنادة قال ، حدثنا ابن إدريس ، عن حصين ، عن أبي مالك قال : تيمّم عمّارٌ فضرب بيديه إلى التراب ضربةً واحدة ، ثم مسح بيديه واحدة على الأخرى ، ثم مسح وجهه ، ثم ضرب بيديه أخرى ، فجعل يلوى يَدَه على الأخرى ، ولم يمسح الذراع .[1]

٩٦٥٠ — حدثنا أبو السائب قال، حدثنا ابن إدريس ، عن ابن أبي خالد قال : رأيت الشعبي وصفَ لنا التيمم : فضرب بيديه إلى الأرض ضربة ، ثم نفضهما ومسح وجهه ، ثم ضرب أخرى، فجعل يلوى كفَّيه إحداهما على الأخرى. ولم يذكر أنه مسح الذراع .

٩٦٥١ — حدثنا هناد قال، حدثنا أبو الأحوص ، عن حصين ، عن أبي مالك قال : وضع عمار بن ياسر كفيه فى التراب ، ثم رفعهما فنفخهما، فمسح وجهه وكفيه ، ثم قال : هكذا التيمم .

٩٦٥٢ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا أبو تميلة قال ، حدثنا سلاّم مولى حفص قال ،سمعت عكرمة يقول: التيمم ضربتان :ضربة للوجه،وضربة للكفين .

٩٦٥٣ — حدثنا على بن سهل قال، حدثنا الوليد بن مسلم ، عن الأوزاعى ، وعن سعيد وابن جابر : أن مكحولاً كان يقول : التيمم ضربة للوجه والكفين إلى الكوع = ويتأوّل مكحول القرآن فى ذلك : ﴿ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ﴾ [سورة المائدة : ٦]،وقوله فى التيمم : « فامسحوا بوجوهكم وأيديكم » ، ولم يستثن فيه كما استثنى فى الوضوء « إلى الموافق » = قال مكحول : قال الله

---

(١) الأثر : ٩٦٤٩ — رواه بغير هذا اللفظ ، البيهقى فى السنن الكبرى ١ : ٢١٠ ، وانظر الأثر الآتى رقم : ٩٦٥١ .

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [سورة المائدة : ٦]، فإنما تقطع يد السارق من مَفصِل الكوع .

٩٦٥٤ – حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال، حدثنا بشر بن بكر التنيسي ، عن ابن جابر : أنه رأى مكحولاً يتيمم ، يضرب بيديه على الصعيد ، ثم يمسح بهما وجهه وكفيه بواحدةٍ . ٧١/٥

٩٦٥٥ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية ، عن داود ، عن الشعبي قال : التيمم ضربة للوجه والكفين .

* * *

وعلة من قال هذه المقالة من الأثر ، ما : –

٩٦٥٦ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عبدة ومحمد بن بشر ، عن ابن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى ، عن أبيه ، عن عمار بن ياسر : أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التيمم ، فقال: مرة للكفين والوجه [1] = وفي حديث ابن بشر : أن عماراً سأل النبيّ صلى الله عليه وسلم عن التيمم. [2]

---

(١) في المطبوعة : « على الوجه » ، والصواب ما في المخطوطة .

(٢) الحديث : ٩٦٥٦ – سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى ، مولى خزاعة : تابعي ثقة . أخرج له الجماعة .

أبوه : عبد الرحمن بن أبزى ، له صحبة ، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وصلى معه .

والحديث رواه أحمد في المسند ٤ : ٢٦٣ (حلبي) ، عن عفان ، عن أبان ، عن قتادة ، عن عزرة ، عن سعيد بن عبد الرحمن ، بهذا الإسناد ، نحوه .

فزاد في الإسناد « عن عزرة » بين قتادة وسعيد .

وعزرة : هو ابن عبد الرحمن بن زراة الخزاعي . مضت ترجمته في : ٢٧٥٢ ، ٢٧٥٣ .

وكذلك رواه ابن الجارود في المنتقى ، ص : ٦٧ ، من طريق عفان ، عن أبان .

وكذلك رواه أبو داود : ٣٢٧ ، والترمذي : ١٤٤ بشرحنا – كلاهما من طريق يزيد بن زريع ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن عزرة ، به .

وقال الترمذي : « حديث عمار حديث حسن صحيح . وقد روي عن عمار من غير وجه » .

وكذلك رواه البيهقي ١ : ٢١٠ ، من طريق عبد الوهاب بن عطاء ، عن سعيد بن أبي عروبة .

٩٦٥٧ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عبيد بن سعيد القرشي : عن شعبة ، عن الحكم ، عن ابن أبزى ، قال : جاء رجل إلى عمر فقال : إنّي أجنبت فلم أجد الماء ! فقال عمر : لا تصل . فقال له عمار : أما تذكر أنّا في مسيرٍ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأجنبت أنا وأنت ، فأما أنت فلم تصل ، وأما أنا فتمعّكت في التراب وصلّيت ،(١) فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له ، فقال : « إنما كان يكفيك » ، وضرّب كفّيه الأرض ، ونفخ فيهما ، ومسح وجهه وكفيه مرة واحدة ؟ (٢)

* * *

ثم قال البيهقي : « وكذلك رواه جماعة عن ابن أبي عروبة . ورواه عيسى بن يونس ، عن ابن أبي عروبة – دون ذكر عزرة في إسناده . وكذلك رواه أبان بن يزيد العطار ، عن قتادة ، واختلف عليه في ذكر عزرة في إسناده .

ورواه الدارمي ١ : ١٩٠ ، عن عفان – وهو الشيخ الذي رواه عنه أحمد بن حنبل ، عن أبان ابن يزيد العطار ، عن قتادة ، عن سعيد بن عبد الرحمن – بدون ذكر عزرة في الإسناد .

أفيكون هذا من الاختلاف على « أبان » الذي أشار إليه البيهقي ؟ قد يكون . ولكني أراه بعيداً ، لأن هذا إنما هو في النسخة المطبوعة من الدارمي ، وهي مملوءة بالغلط والتحريف ، لا يعتمد عليها . وقد ثبت ذكر « عن عزرة » في مخطوطة عتيقة صحيحة بدار الكتب ، من كتاب الدارمي . فهي العمدة في ذلك – إلى أن شيخ الدارمي هو شيخ أحمد . وقد رواه عنه بزيادة « عن عزرة » ، كما ذكرنا آنفاً .

وأيا ما كان فالإسناد صحيح ، لأن قتادة يروي أيضاً عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى مباشرة . ولكن الذين زادوا « عزرة » في الإسناد أكثر وأحفظ ممن لم يذكره . وإن صح الإسنادان ، فلعله يكون من المزيد في متصل الأسانيد .

ولكن متن الحديث هنا محرف « مرة بالكفين على الوجه » ! وهذا لا معنى له . وصوابه في المخطوطة : « مرة للوجه والكفين » . وهو الموافق لمعنى الحديث في الروايات الأخر . ولفظ المسند : « ضربة للوجه والكفين » أيضاً .

والحديث ذكره ابن كثير ٢ : ٤٦٩ ، عن رواية المسند . ووقع فيه (مخطوطاً ومطبوعاً) « عروة » بدل « عزرة » . وهو تحريف من الناسخين .

(١) « تمعك في التراب » : تمرغ فيه .

(٢) الحديث : ٩٦٥٧ – عبيد بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاص ، القرشي الأموي : ثقة ، وثقه أحمد ، وابن معين ، وغيرهما . وهو أخو « يحيى بن سعيد الحافظ » .

الحكم : هو ابن عتيبة الكندي .

ابن أبزى : هو سعيد بن عبد الرحمن ، المترجم في الحديث الذي قبل هذا .

وقالوا : أمر الله فى التيمم بمسح الوجه واليدين ، فما مسح من وجهه ويديه فى التيمم أجزأه ، إلا أن يمنع من ذلك ما يجب التسليم له من أصل أو قياس .

* * *

وقال آخرون : حدُّ المسح الذى أمر الله به فى التيمم ، أن يمسح جميع الوجه واليدين إلى المرفقين .

• ذكر من قال ذلك:

٩٦٥٨ – حدثنا عمران بن موسى القزاز قال، حدثنا عبد الوارث بن سعيد قال ، حدثنا أيوب عن نافع : أن ابن عمر تيمم بمربد النعم ، (١) فضرب ضربة فمسح وجهه ، وضرب ضربة فمسح يديه إلى المرفقين .

٩٦٥٩ – حدثنا ابن عبد الأعلى قال ،حدثنا المعتمر قال: سمعت عبيد الله،

والحديث على ظاهر الإسناد الذى هنا – يكون منقطعاً ، فإنه يكون من رواية سعيد بن عبد الرحمن ابن أبزى للحادثة فى عهد عمر ، وهو لم يدرك ذلك يقيناً ، لأنه من صغار التابعين . وهو إنما يروى هذا عن أبيه .

فلا أدرى أوقعت هذه الرواية للطبرى هكذا ، أم هو تخليط من الناسخين .

وأما الحديث فى ذاته فهو صحيح من هذا الوجه :

فقد رواه أحمد فى المسند ٤ : ٢٦٥ (حلبى) ، عن محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن ذر – وهو ابن عبد الله المرهبى الهمدانى – عن ابن عبد الرحمن بن أبزى ، عن أبيه : « أن رجلا أتى عمر . . . » ، إلخ .

وكذلك رواه الطيالسى ، عن شعبة ، بنحوه : ٦٣٨ .

وكذلك رواه البخارى ١ : ٣٧٥ – ٣٧٧ ، بأسانيد من طريق شعبة .

وكذلك رواه مسلم ١ : ١١٠ ، وأبو داود : ٣٢٤ – ٣٢٦ ، والنسائى ١ : ٥٩ – ٦٠ ، و ٦٠ – ٦١ ، وابن ماجة : ٥٦٩ ، والبيهقى فى السنن الكبرى ١ : ٢٠٩ – ٢١٠ ، بأسانيد – كلهم من طريق شعبة ، به ، نحوه .

فنى كل هذه الأسانيد أنه من رواية سعيد عن أبيه . أما زيادة « ذر بن عبد الله المرهبى » فى الإسناد بين الحكم وسعيد . فإنه ثبت عند الشيخين – البخارى ومسلم – تصريح الحكم بأنه سمعه من « ابن عبد الرحمن بن أبى أبزى عن أبيه ، مثل حديث ذر » . فقد سمعه عن سعيد بالواسطة ، ثم سمعه منه مباشرة .

وسيأتى حديثان آخران لعمار فى شأن التيمم : ٩٦٧٠ ، ٩٦٧٢ .

(١) « المربد » (بكسر فسكون) : المكان تحبس فيه الإبل والغنم . و « مربد النعم » بالمدينة .

عن نافع ، عن عبد الله أنه قال : التيمم مسحتان، يضرب الرجل بيديه الأرض يمسح بهما وجهه ، ثم يضرب بهما مرة أخرى فيمسح يديه إلى المرفقين .(١)

٩٦٦٠ – حدثني ابن المثنى قال، حدثنا يحيى بن عبيد الله قال ، أخبرني نافع ، عن ابن عمر في التيمم قال : ضربة للوجه ، وضربة للكفين إلى المرفقين .

٩٦٦١ – حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا، حدثنا ابن إدريس، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : كان يقول في المسح في التيمم : إلى المرفقين .(٢)

٩٦٦٢ – حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا ابن عون قال : سألت الحسن عن التيمم ، فضرب بيديه على الأرض فمسح بهما وجهه، وضرب بيديه فمسح بهما ذراعيه ظاهرَهما وباطنهما .

٩٦٦٣ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا عبد الوهاب قال، حدثنا داود ، عن عامر : أنه قال في هذه الآية : ﴿ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾ [سورة المائدة : ٦]، وقال في هذه الآية ﴿ فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ مِنْهُ ﴾(٣) [سورة المائدة : ٦]، قال: أمر أن يمسح في التيمم ، ما أمر أن يغسل في الوضوء ، وأبطل ما أمر أن يمسح في الوضوء : الرأس والرجلان .

٩٦٦٤ – حدثني يعقوب قال ، حدثنا ابن علية = وحدثنا ابن المثنى قال ، حدثني محمد بن أبي عدي = جميعاً ، عن داود ، عن الشعبي في التيمم قال :

---

(١) في المخطوطة : « ثم يمسح بهما مرة أخرى » ، والصواب ما في المطبوعة .

(٢) الآثار : ٩٦٥٨ – ٩٦٦١ – انظر ما أخرجه البيهقي في سننه ١ : ٢٠٧ من أثر ابن عمر .

(٣) هذه الآية من سورة المائدة ، وفيها « منه » ، أما آية سورة النساء التي نحن فيها ، فليس فيها « منه » ، ولكن ثبت في المخطوطة « منه » ، فرددتها إلى آية المائدة .

ضربة للوجه ، وللبيدين إلى المرفقين .[١]

٩٦٦٥ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبي قال : أمر بالتيمم ، فيما أمر بالغسل .

٩٦٦٦ – حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن أيوب قال : سألت سالم بن عبد الله عن التيمم ، فضرب بيديه على الأرض ضربة فمسح بهما وجهه ، ثم ضرب بيديه على الأرض ضربة أخرى ، فمسح بهما يديه إلى المرفقين .

٩٦٦٧ – حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية قال ، وأخبرنا حبيب بن الشهيد، عن الحسن: أنه سئل عن التيمم فقال: ضربة يمسح بها وجهه، ثم ضربة أخرى يمسح بها يديه إلى المرفقين .

* * *

وعلة من قال هذه المقالة: أن التيمم بدلٌ من الوضوء ، وعلى المتيمم أن يبلغ بالتراب من وجهه ويديه ما كان عليه أن يبلغه بالماء منهما في الوضوء .[٢] واعتلوا من الأثر بما :–

٩٦٦٨ – حدثني به موسى بن سهلٍ الرملي قال، حدثنا نعيم بن حماد قال ، حدثنا خارجة بن مصعب ، عن عبد الله بن عطاء ، عن موسى بن عقبة ، عن الأعرج ، عن أبي جهيم قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبول ، فسلَّمت عليه، فلم يرد عليَّ. فلما فرغ قام إلى حائط فضرب بيديه عليه، فمسح بهما وجهه، ثم ضرب بيديه إلى الحائط فمسح بهما يديه إلى المرفقين ، ثم ردَّ عليَّ السلام .[٣]

* * *

(١) في المطبوعة : «وضربة لليدين» ، زاد «ضربة» ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) في المطبوعة : «على المتيمم» بإسقاط الواو ، وأثبتها من المخطوطة .

(٣) الحديث : ٩٦٦٨ – نعيم بن حماد بن معاوية ، الخزاعي الفارضي : ثقة من شيوخ البخاري ، تكلم فيه بعضهم بما لا يقدح . مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري ٤/٢/١٠٠ ، وابن سعد ٧/٢/٢٠٥ – ٢٠٦ ، وابن أبي حاتم ٤/١/٤٦٣ – ٤٦٤، وتاريخ بغداد ١٣ : ٣٠٦ – ٣١٤ .

وقال آخرون : الحدّ الذى أمر الله أن يبلغ بالتراب إليه فى التيمم : الآباط . ٧٢/٥

خارجة بن مصعب بن خارجة الخراسانى : مختلف فيه جداً . والأكثر على تضعيفه . ولكن أعدل كلمة فيه كلمة الحاكم فى المستدرك ١ : ٤٩٩ ، قال : « خارجة لم ينقم عليه إلا روايته عن المجهولين ، وإذا روى عن الثقات الأثبات فروايته مقبولة » .

عبد الله بن عطاء : إن لم يكن الطائفى المكى فلا أدرى من هو ؟ وأخشى أن يكون من المجهولين الذين يروى عنهم نعيم بن حماد .

الأعرج : هو عبد الرحمن بن هرمز ، التابعى الثقة المشهور . وما رأيت له رواية عن أبى جهيم ، وما إخاله أدركه . وهو يروى هذا الحديث عن « عمير مولى ابن عباس » عن أبى جهيم ، كما سيأتى . فلا أدرى أسقط هذا من نسخ الطبرى ، أم هو هكذا فى هذه الرواية ؟ فيكون من غلط نعيم بن حماد ، أو من غلط شيخه عبد الله بن عطاء !

وقد نقله ابن كثير ٢ : ٤٦٨ – ٤٦٩ ، كما ثبت هنا . فإن كان خطأ فى النسخ ، كان خطأ قديماً .

أبو جهيم – بالتصغير – بن الحارث بن الصمة الأنصارى : صحابى معروف .

والحديث فى أصله ثابت صحيح ، بغير إسناد الطبرى هذا الذى لا يكاد يقوم !

فرواه البخارى ١ : ٣٧٤ – ٣٧٥ (فتح) : « حدثنا يحيى بن بكير ، قال : حدثنا الليث [هو ابن سعد] ، عن جعفر بن ربيعة ، عن الأعرج ، سمعت عميراً مولى ابن عباس ، قال : أقبلت أنا وعبد الله بن يسار مولى ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، حتى دخلنا على أبى جهيم ابن الحارث بن الصمة الأنصارى ، فقال أبو جهيم : أقبل النبى صلى الله عليه وسلم من نحو بئر جمل ، فسلم عليه ، فلم يرد عليه النبى صلى الله عليه وسلم حتى أقبل على الجدار ، فمسح بوجهه ويديه ، ثم رد عليه السلام » .

فهذه هى الرواية الصحيحة . أما ما هنا من زيادة « إلى المرفقين » – فهى زيادة ضعيفة الإسناد كما ترى . وقد أشار الحافظ إلى روايتين أخريين فيهما : « فمسح بوجهه وذراعيه » ، وضعفهما بضعف رواتهما ، وقال « والثابت فى حديث أبى جهيم بلفظ : يديه ، لا ذراعيه » .

وانظر السنن الكبرى للبيهقى ١ : ٢٠٥ .

ورواه أيضاً أبو داود : ٣٢٩ ، والنسائى ١ : ٥٩ – كلاهما من طريق الليث بن سعد ، به .

وذكره مسلم فى صحيحه ١ : ١١٠ – ١١١ تعليقاً ، قال : « وروى الليث بن سعد » – إلخ . ويظهر أنه لم يكن متوثقاً منه . فوقع فيه وهم فى موضعين : « عبد الرحمن بن يسار » ، بدل « عبد الله ابن يسار » . و « أبو جهم » – بالتكبير ، بدل « أبو جهيم » . وقد نص الحافظ فى الفتح على وهمه فى الموضعين .

ورواه أيضاً أحمد فى المسند : ١٧٦١٤ (ج ٤ ص ١٦٩ حلبى) ، عن حسن بن موسى ، عن ابن لهيعة : « حدثنا عن الرحمن الأعرج » ، فذكر الحديث ، كرواية البخارى .

ووقع للحافظ ابن حجر وهم شديد فى هذه الرواية ، فى الإصابة ٧ : ٣٥ ، فى ترجمة أبى جهيم ، فقال : « ورواه ابن لهيعة ، عن عبد الله بن يسار ، عن أبى جهيم ! أخرجه أحمد » ! ورواية أحمد ليست كما قال . بل هى كروايات البخارى وأبى داود والنسائى ، اللاتى ذكرهن من قبل .

* ذكر من قال ذلك :

٩٦٦٩ – حدثني أحمد بن عبد الرحمن البرقي قال ، حدثني عمرو بن أبي سلمة التنيسي ، عن الأوزاعي ، عن الزهري قال : التيمم إلى الآباط .

* * *

وعلة من قال ذلك : أن الله أمر بمسح اليد في التيمم ، كما أمر بمسح الوجه . وقد أجمعوا أن عليه أن يمسح جميع الوجه ، فكذلك عليه جميع اليد ، ومن طرف الكفّ إلى الإبط « يدٌ » . واعتلوا من الخبر بما : –

٩٦٧٠ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا صيفي بن ربعي ، عن ابن أبي ذئب ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن أبي اليقظان قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهلك عقد لعائشة ،[1] فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أضاء الصبح ، فتغيّظ أبو بكر على عائشة ، فنزلت عليه الرخصة ، المسح بالصعيد . فدخل أبو بكر فقال لها : إنك لمباركة ! نزل فيك رخصة ! فضربنا بأيدينا : ضربة لوجوهنا ،[2] وضربة بأيدينا إلى المناكب والآباط .[3]

* * *

---

(١) « هلك العقد » ، انقطع فضاع .

(٢) في المطبوعة : « لوجهنا » بالإفراد ، والصواب من المخطوطة .

(٣) الحديث : ٩٦٧٠ – صيفي بن ربعي الأنصاري : ذكره ابن حبان في الثقات . مترجم في التهذيب . وترجمه ابن أبي حاتم ٢/١/٤٤٨ ، وروى عن أبيه ، قال : « صالح الحديث ، ما أرى بحديثه بأساً » . ووقعت ترجمته في مطبوعة ابن أبي حاتم في ترجمتين برقمين ، اتباعاً لإحدى نسخه المخطوطة . ووهم مصححه الفاضل في ترجيحها على المخطوطة الأخرى التي جعلت فيه ترجمة واحدة .

أبو اليقظان : هو عمار بن ياسر . وهذه كنيته .

والحديث رواه الطيالسي في مسنده : ٦٣٧ ، عن ابن أبي ذئب ، بهذا الإسناد ، مطولا .

وكذلك رواه البيهقي في السنن الكبرى ١ : ٢٠٨ ، من طريق الطيالسي .

ورواه أحمد في المسند ٤ : ٣٢٠ (حلبي) ، عن حجاج ، عن ابن أبي ذئب ، بهذا الإسناد .

ورواه ابن ماجة : ٥٦٥ ، من طريق الليث بن سعد ، عن الزهري ، بهذا الإسناد .

والحديث من هذا الوجه بهذا الإسناد – منقطع ، لأن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود لم يدرك عمار بن ياسر ، وروايته عنه مرسلة .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك : أن الحدّ الذى لا يجزئ المتيمم أن يقصِّر عنه فى مسحه بالتراب من يديه : الكفان إلى الزّندين ، لإجماع الجميع على أن التقصير عن ذلك غير جائز . ثم هو فيما جاوز ذلك مخيّر ، إن شاء بلغ بمسحه المرفقين ، وإن شاء الآباط . والعلة التى من أجلها جعلناه مخيراً فيما جاوز الكفين : أن الله لم يحدّ فى مسح ذلك بالتراب فى التيمم حدًّا لا يجوز التقصير عنه . فما مسح المتيمم من يديه أجزأه ، إلا ما أُجمع عليه ، أو قامت الحجة بأنه لا يجزئه التقصير عنه . وقد أجمع الجميعُ على أن التقصير عن الكفين غير

وقد ثبت أن عبيد الله سمعه من أبيه عن عمار ، وسمعه من ابن عباس عن عمار . فاتصل إسناده من هذين الوجهين :

قال البيهقى – بعد روايته – : « وكذلك رواه معمر بن راشد ، ويونس بن يزيد الأيلى ، والليث ابن سعد ، وابن أخى الزهرى ، وجعفر بن برقان – عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عمار » .

ثم رواه – بنحوه – من طريق مالك ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة « أنه أخبره عن أبيه ، عن عمار بن ياسر » .

وقال أبو داود – بعد الحديث : ٣٢٠ ، الذى سنذكره بعد – قال : « وقال مالك : عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن أبيه ، عن عمار . وكذلك قال أبو أويس ، عن الزهرى » .

ورواه ابن ماجة : ٥٦٦ ، من طريق سفيان بن عيينة ، عن عمرو ، وهو ابن دينار ، عن الزهرى : « عن عبيد الله بن عبد الله ، عن أبيه ، عن عمار بن ياسر » – مختصراً .

وأما من رواية عبيد الله عن ابن عباس : فرواه أحمد فى المسند ٤ : ٢٦٣ – ٢٦٤ ، من طريق صالح – وهو ابن كيسان – عن الزهرى : « حدثنى عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، عن عمار بن ياسر » – فذكره مطولا .

وكذلك رواه البيهقى ١ : ٢٠٨ – ٢٠٩ ، من طريق أحمد فى المسند .

وذكره ابن كثير ٢ : ٤٧٢ ، من رواية المسند .

وكذلك رواه أبو داود : ٣٢٠ ، والنسائى ١ : ٦٠ – كلاهما من طريق صالح ، عن الزهرى ، به – بذكر ابن عباس فى الإسناد .

وقال الطيالسى – بعد الحديث : ٦٣٧ ، الذى ذكرناه آنفاً – : « روى هذا الحديث محمد ابن إسحق ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، عن عمار » .

وكذلك نص أبو داود فى السنن ، والبيهقى – بعد روايتهما الحديث من طريق صالح – على أن ابن إسحق رواه عن الزهرى ، وذكر فيه « عن ابن عباس » .

وأياما كان : فالحديث صحيح . ولسنا نرى هذا اضطراباً ، بل هى طرق متعددة ثابتة ، لا تكون واحدة منها علة لغيرها .

مجزئ، فخرج بذلك بالسنة،[1] وما عدا ذلك فمختلف فيه . وإذا كان مختلفاً فيه، وكان الماسح بكفيه داخلا فى عموم الآية = كان خارجاً مما لزمه من فرض ذلك .

* * *

واختلف أهل التأويل فى الجنب ، هل هو ممن دخل فى رخصة التيمم إذا لم يجد الماء أم لا ؟

فقال جماعة من أهل التأويل من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين : حكم الجنب فيما لزمه من التيمم إذا لم يجد الماء ، حكم من جاء من الغائط وسائر من أحدَث ممن جُعل التيمم له طهوراً لصلاته . وقد ذكرت قول بعض من تأوّل قول الله : « أو لامستم النساء » ، أو جامعتموهن ، وتركنا ذكر الباقين لكثرة من قال ذلك .

واعتلّ قائلو هذه المقالة ، بأن للجنب التيمم إذا لم يجد الماء فى سفره، بإجماع الحجة على ذلك نقلاً عن نبيها صلى الله عليه وسلم، الذى يقطع العذر ويزيل الشك .

* * *

وقال جماعة من المتقدمين : لا يجزئ الجنب غيرُ الاغتسال بالماء، وليس له أن يصلى بالتيمم ، والتيمم لا يطهره . قالوا: وإنما جعل التيمم رخصة لغير الجنب . وتأولوا قول الله: « ولا جنباً إلاّ عابرى سبيل » . قالوا: وقد نهى الله الجنب أن يقرب مصلّى المسلمين إلا مجتازاً فيه حتى يغتسل، ولم يرخّص له بالتيمم . قالوا : وتأويل قوله: « أو لامستم النساء » = أو لامستموهن باليد ، دون الفرج ، ودون الجماع . قالوا : فلم نجد الله رخص للجنب فى التيمم ، بل أمره بالغسل ، وأن لا يقرب الصلاة إلاّ مغتسلاً . قالوا : والتيمم لا يطهّره لصلاته .

* ذكر من قال ذلك :

٩٦٧١ ــ حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا، حدثنا أبو معاوية ، عن

---

(١) فى المطبوعة : « فخرج ذلك بالسنة » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

الأعمش ، عن شقيق قال : كنت مع عبد الله بن مسعود وأبي موسى الأشعري ، فقال أبو موسى : يا أبا عبد الرحمن ، أرأيت رجلا أجنبَ فلم يجد الماء شهراً ، أيتيمم؟ فقال عبد الله : لا يتيمم وإن لم يجد الماء شهراً . فقال أبو موسى : فكيف تصنعون بهذه الآية في «سورة المائدة» : ﴿ فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً ﴾ ؟ [سورة المائدة : ٦] ؟ فقال عبد الله : إن رُخّص لهم في هذا ، لأوشكوا إذا بَرَد عليهم الماء أن يتمموا بالصعيد ! فقال له أبو موسى : إنما كرهتم هذا لهذا ! قال : نعم ! قال أبو موسى : ألم تسمع قول عمار لعمر : « بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة ، فأجنبت فلم أجد الماء ، فتمرَّغت في الصعيد كما تَمَرَّغ الدابة . قال : فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : إنما يكفيك أن تصنع هكذا = وضرب بكفيه ضربة واحدة ، ومسح بهما وجهه ، ومسح كفيه » ؟ قال عبد الله : ألم تر عُمرَ لم يقنع لقول عمار؟ (١)

٩٦٧٢ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن سلمة ، عن أبي مالك ، وعن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى ، عن عبد الرحمن بن أبزى قال : كنا عند عمر بن الخطاب رحمه الله ، (٢) فأتاه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، إنا ٧٣/٥

(١) الحديث : ٩٦٧١ – أبو السائب : هو سلم بن جنادة ، مضت ترجمته في : ٤٨ . شقيق : هو ابن سلمة ، أبو وائل الأسدي ، التابعي الكبير المخضرم .

والحديث رواه أحمد في المسند ٤ : ٢٦٤ – ٢٦٥ (حلبي) ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، بهذا الإسناد .

وكذلك رواه البخاري ١ : ٣٨٦ (فتح) ، ومسلم ١ : ١١٠ ، وأبو داود : ٣٢١ : والنسائي ١ : ٦١ – كلهم من طريق أبي معاوية ، عن الأعمش .

ورواه أحمد أيضاً ٤ : ٢٦٥ ، من طريق عبد الواحد ، وهو ابن زياد العبدي ، عن الأعمش ، به ، بنحوه .

ونقله ابن كثير ٢ : ٢٦٩ عن هذه الرواية من المسند .

وكذلك رواه مسلم ١ : ١١٠ ، من طريق عبد الواحد .

ورواه البيهقي ١ : ٢١١ ، من طريق يعلى بن عبيد ، عن الأعمش . ثم قال : « أخرجه البخاري ومسلم ، من أوجه عن الأعمش . وأشار البخاري إلى رواية يعلى بن عبيد ، وهو أثبتهم سياقة للحديث » وإشارة البخاري هي فيه ١ : ٣٨٧ ، عقب رواية أبي معاوية .

(٢) في المطبوعة : « رضي الله عنه » ، وأثبت ما في المخطوطة .

نمكث الشهر والشهرين لا نجد الماء ! فقال عمر : أمّا أنا ، فلو لم أجد الماء لم أكن لأصلّى حتى أجد الماء . قال عمار بن ياسر : أتذكر يا أمير المؤمنين ، حيث كنا بمكان كذا وكذا ، ونحن نرعى الإبل ، فتعلم أنّا أجنبنا = ؟ قال : نعم ! = فأما أنا فتمرغت فى التراب ، فأتينا النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن كان الصعيد لكافيك ! وضرب بكفّيه الأرض ، ثم نفخ فيهما ، ثم مسح وجهه وبعضَ ذراعيه ؟ فقال : اتق الله يا عمار ! فقال : يا أمير المؤمنين ، إن شئت لم أذكره ! فقال : لا ، ولكن نُوَلّيك من ذلك ما تولّيت . (١)

---

(١) الحديث : ٩٦٧٢ — عبد الرحمن : هو ابن مهدى .

سفيان : هو الثورى .

سلمة : هو ابن كهيل . مضت ترجمته فى ٤٣٩ ، ٢٤٣٥ .

أبو مالك : هو غزوان الغفارى ، وهو تابعى معروف ، مضى مراراً .

عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى : ثقة . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٢/٢/٩٤ ، وهو أخو « سعيد بن عبد الرحمن » المترجم فى : ٩٦٥٦ ، ٩٦٥٧ .

ووقع فى الطبرى هنا من الناسخين يقيناً ، إذ سقط منه مخطوطاً ومطبوعاً [عن عبد الرحمن بن أبزى] . فصار ظاهر الإسناد أن عبد الله بن عبد الرحمن هو الذى كان عند عمر وحكى القصة ! وما كان هذا قط ، لأن عبد الله لم يدرك ذلك ، وليست له رواية إلا عن أبيه . ولا يحتمل السياق هنا أن يكون هذا اختلاف رواية .

ثم مما يقطع بذلك أن النسائى روى هذا الحديث ١ : ٦٠ ، عن محمد بن بشار — شيخ الطبرى هنا — بهذا الإسناد نفسه ، وفيه : [عن عبد الرحمن بن أبزى] ، التى زدناها هنا .

وكذلك رواه أحمد فى المسند ٤ : ٣١٩ (حلبى) ، عن عبد الرحمن بن مهدى — شيخ شيخ الطبرى هنا ، بهذا الإسناد . وفيه هذه الزيادة . ولكن وقع فى مطبوعة المسند خطأ مطبعى « عن أبى ثابت » بدل « عن أبى مالك » ، وصححناه من مخطوطة المسند التى عندنا .

فالحديث يرويه سلمة بن كهيل ، عن شيخين ، هما : أبو مالك ، وعبد الله بن عبد الرحمن ابن أبزى — كلاهما عن عبد الرحمن بن أبزى .

وقد أشار البيهقى ١ : ٢٠٩ — ٢١٠ إلى روايات لسلمة بن كهيل فى هذا الحديث ، زعمها اضطراباً من سلمة ، ولكن الظاهر أنها اختلاف روايات من الرواة عنه .

وقوله — فى متن الحديث — « قال : نعم . فأما أنا فتمرغت . . . » — هذا هو الثابت أيضاً فى رواية النسائى . وفى طبعة مصر « أما أنا » بدون الفاء . وهو سياق صحيح ، على تقدير حذف « قال » بعد قوله « نعم » . لظهور أن قوله « فأما أنا » من كلام عمار بن ياسر ، لا من كلام عمر . ومثل هذا كثير . ولفظ المسند فى هذا الموضع : « قال : نعم ، قال : فإنى تمرغت فى التراب » .

٩٦٧٣ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة، عن الحكم قال : سمعت إبراهيم فى دُكان مسلم الأعور ، فقلت : أرأيت إن لم تجد الماء وأنت جنب ؟ قال : لا أصلى .(١)

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك : أن الجنب ممن أمره الله بالتيمم إذا لم يجد الماء، والصلاةِ ،(٢) بقوله : «أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً». وقد بينا ثَمَّ أن معنى « الملامسة » ، فى هذا الموضع : الجماع ، بنقل الحجة التى لا يجوزُ الخطأ فيما نقلته مجمعةً عليه ، ولا السهو ولا التواطؤ والتشاعر ،(٣) بأن حكم الجنب فى ذلك حكم سائر من أحدث فلزمه التطهر لصلاته = مع ما قد روى فى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأخبار التى قد ذكرنا بعضها ، وتركنا ذكر كثير منها ، استغناءً بما ذكرنا منها عما لم نذكر ، وكراهة منا إطالة الكتاب باستقصاء جميعه .

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « فلم تجدوا ماء فتيمموا » ، وهل ذلك أمر من الله بالتيمم كلما لزمه طلب الماء ،(٤) أم ذلك أمر منه بالتيمم كلما لزمه الطلب وهو محدِثٌ حدثاً يجب عليه منه الوضوء بالماء ، لو كان للماء واجداً ؟

فقال بعضهم : ذلك أمر من الله بالتيمم كلما لزمه فرضُ الطلب بعد الطلب ، محدثاً كان أو غير محدث .

* ذكر من قال ذلك :

٩٦٧٤ – حدثنى يعقوب قال، حدثنا هشيم، عن الحجاج ، عن أبى إسحق،

---

(١) الأثر : ٩٦٧٣ – « مسلم الأعور » ، هو « مسلم بن كيسان الضبى » ، ضعيف يتكلمون فيه ، ولكن ليس له مدخل فى هذا الأثر . و « إبراهيم » هو النخعى .

(٢) قوله : « والصلاة » مجروراً عطفاً على « أمره الله بالتيمم . . . والصلاة » .

(٣) « التشاعر » ، التعالم والتواطؤ . وقد سلفت هذه الكلمة فى ٦ : ١٢٧ ، تعليق : ٢ = و ١٥٥ ، تعليق : ١ . وكان فى المطبوعة : « والتضافر » ، غيرها إذ لم يفهمها .

(٤) فى المطبوعة : « هل ذلك أمر » بحذف الواو ، وأثبت ما فى المخطوطة

عن الحارث ، عن على رضى الله عنه أنه كان يقول : التيمم لكل صلاة .

٩٦٧٥ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك قال ، أخبرنا هشيم قال ، أخبرنا الحجاج ، عن أبى إسحق ، عن الحارث ، عن على مثله .

٩٦٧٦ – حدثنى عبد الله بن محمد قال ، حدثنا عبدان المروزى قال ، أخبرنا ابن المبارك قال ، أخبرنا عبد الوارث قال ، أخبرنا عامر الأحول ، عن نافع : أنه حدثه عن ابن عمر مثل ذلك . (١)

٩٦٧٧ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا جابر بن نوح قال ، أخبرنا مجالد ، عن الشعبى قال : لا يصلى بالتيمم إلا صلاة واحدة .

٩٦٧٨ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن سعيد ، عن قتادة قال : يتيمم لكل صلاة = ويتأوّل هذه الآية : « فلم تجدوا ماء » .

٩٦٧٩ – قال أخبرنا ابن المبارك قال ، حدثنا الفريابى ، عن الأوزاعى ، عن يحيى ابن سعيد وعبد الكريم وربيعة بن أبى عبد الرحمن قالوا : التيمم لكل صلاة . (٢)

٩٦٨٠ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا أبو داود قال ، حدثنا عمران القطان ، عن قتادة ، عن النخعى قال : يتيمم لكل صلاة .

* * *

وقال آخرون : بل ذلك أمرٌ من الله بالتيمم بعد طلب الماء مَنْ لزمه فرض الطلب إذا كان محدثاً . فأما من لم يكن أحدث بعد تطهره بالتراب ، فلزمه فرض الطلب ، فليس عليه تجديد تيممه ، وله أن يصلى بتيممه الأول .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) الأثر : ٩٦٧٦ – انظر التعليق على الأثر : ٩٦٤٣ .

(٢) الأثر : ٩٦٧٩ – « يحيى بن سعيد بن قيس الأنصارى » القاضى ، روى عن أنس . و « عبد الكريم بن أبى المخارق » ، الفقيه روى عن أنس .

« وربيعة بن أبى عبد الرحمن التيمى » ، وهو : ربيعة الرأى ، صاحب الفتوى بالمدينة . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « وعبد الكريم بن ربيعة بن أبى عبد الرحمن » ، وهو خطأ ، ولا يستقيم مع السياق أيضاً .

٩٦٨١ – حدثنا حميد بن مسعدة قال ، حدثنا سفيان بن حبيب ، عن يونس ، عن الحسن قال : التيمم بمنزلة الوضوء .

٩٦٨٢ – حدثنا إسمعيل بن موسى السدى قال ، حدثنا عمر بن شاكر ، عن الحسن قال : يصلى المتيمم بتيممه ما لم يحدث ، فإن وجد الماء فليتوضأ .[1]

٩٦٨٣ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال ، أخبرنا هشام ، عن الحسن قال : كان الرجل يصلى الصلوات كلها بوضوء واحد ما لم يحدث . وكذلك التيمم.

٩٦٨٤ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال ، أخبرنا هشام ، عن الحسن قال : كان الرجل يصلى الصلوات كلها بوضوء واحد .

٩٦٨٥ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا أبو داود قال ، حدثنا أبى ، عن قتاده ، عن الحسن قال: يصلى الصلوات بالتيمم ما لم يحدث .

٩٦٨٦ – حدثنا حميد بن مسعدة قال ، حدثنا سفيان بن حبيب ، عن ابن جريج ، عن عطاء قال: التيمم بمنزلة الوضوء .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك عندنا بالصواب ، قول من قال : « يتيمم المصلى لكل صلاة لزمه طلب الماء للتطهر لها فرضاً » ، لأن الله جل ثناؤه أمر ٥/٧٤ كل قائم إلى الصلاة بالتطهر بالماء ، فإن لم يجد الماء فالتيمم . ثم أخرج القائمَ إلى الصلاة من كان قد تقدم من قيامه إليها الوضوء بالماء[2] = سنةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ،[3] إلا أن يكون قد أحدث حدثاً ينقض طهارته ، فيسقط فرض الوضوء عنه بالسنة . وأما القائم إليها وقد تقدم قيامه إليها التيمم لصلاة قبلها ، ففرض التيمم له لازم بظاهر التنزيل ، بعد طلبه الماء إذا أعوزه .

---

(١) الأثر : ٩٦٨٢ – « عمر بن شاكر البصرى » . يروى عن أنس المناكير . روى عنه إسماعيل بن موسى السدى الفزارى . مترجم فى التهذيب .

(٢) فى المطبوعة : « قد تقدم قيامه إليها » ، بحذف « من » ، وهى صواب فى مكانها ، كما فى المخطوطة .

(٣) قوله : « سنة رسول الله » مرفوع ، فاعل قوله : « ثم أخرج القائم . . . سنة رسول الله »

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ (٤٣)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : إن الله لم يزل[1] = « عفوا » ، عن ذنوب عباده ، [2] وتركه العقوبة على كثير منها ما لم يشركوا به ، كما عفا لكم ، [3] أيها المؤمنون ، عن قيامكم إلى الصلاة التى فرضها عليكم فى مساجدكم وأنتم سكارى = « غفوراً » ، يقول : فلم يزل يستر عليهم ذنوبهم بتركه معاجلتهم العذابَ على خطاياهم ، كما ستر عليكم ، أيها المؤمنون ، بتركه معاجلتكم على صلاتكم فى مساجدكم سكارى . يقول : فلا تعودوا لمثلها ، فينالكم بعودكم لما قد نهيتكم عنه من ذلك ، مُنَكِّلَة. [4]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى معنى قوله جل ثناؤه : « ألم تر إلى الذين » .

فقال قوم : معناه : ألم تخبر ؟

* * *

وقال آخرون : معناه ألم تعلم ؟ [5]

* * *

---

(١) انظر تفسير « كان » بمعنى : لم يزل ، فيما سلف ٧ : ٥٢٣/٨ : ٥١ ، ٨٨ ، ٩٨ ، ٢٢٩ .

(٢) انظر تفسير « العفو » فيما سلف ٧ : ٢١٥ ، ٣٢٧

(٣) فى المطبوعة : « كما عفا عنكم » ، وهو خطأ ، صوابه من المخطوطة .

(٤) قوله : « منكلة » (بضم الميم وفتح النون وتشديد الكاف مكسورة) من التنكيل : وهو إنزال العقاب الشديد ، إذا رآه غير نكل عنه وحذره . ولو قرئت : « منكلة » ، (بفتح الميم وسكون النون واللام المفتوحة) ، لكانت صواباً ، ومثلها : « المنكل » وهو النكال أيضاً .

(٥) انظر تفسير « ألم تر » فيما سلف ٣ : ١٦٠/٥ : ٤٢٩ ، ٤٣٠/٦ : ٢٨٨ = ومعانى القرآن للفراء ١ : ٢٧٠ .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك : ألم تر بقلبك، يا محمد، علماً [١] = « إلى الذين أوتوا نصيباً » . وذلك أن « الخبر » و « العلم » لا يجلبان رؤية، ولكنه رؤية القلب بالعلم . فذلك كما قلنا فيه . [٢]

* * *

وأما تأويل قوله : « إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب » ، فإنه يعنى : إلى الذين أعطوا حظًّا من كتاب الله فعلموه [٣] .

* * *

وذكر أن الله عنى بذلك طائفة من اليهود الذين كانوا حوالَىْ مُهاجَر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* ذكر من قال ذلك :

٩٦٨٧ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل » ، فهم أعداء الله اليهود ، اشتروا الضلالة .

٩٦٨٨ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب » إلى قوله : « يحرّفون الكلم عن مواضعه » ، قال : نزلت فى رفاعة بن زيد بن السائب اليهودى . [٤]

٩٦٨٩ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يونس بن بكير ، عن ابن إسحق

---

(١) فى المخطوطة : « ألم تر بعلمك » ، وهو خطأ ، صوابه ما فى المطبوعة .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « لذلك » ، وصواب السياق ما أثبت .

(٣) انظر تفسير « الإيتاء » فى فهارس اللغة = وتفسير « النصيب » فيما سلف ٤ : ٢٠٦ / ٦ : ٢٨٨ / ٨ : ٢٧٤

(٤) هكذا فى المخطوطة أيضاً « رفاعة بن زيد بن السائب » ، وسترى أنه : « . . . بن زيد ابن التابوت » فى الأثر التالى ، وأسماء يهود مشكلة ، فلم أستطع أن أقطع بخطئها ، فلعل « السائب » اسم جده ، ولقبه « التابوت » .

قال ، [١] حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال ، حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان رفاعة بن زيد بن التابوت من عظمائهم = يعني من عظماء اليهود = إذا كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لوى لسانه وقال : « راعنا سمعك ، يا محمد حتى نفهمك » ! ثم طعن في الإسلام وعابه ، فأنزل الله : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة » إلى قوله : « فلا يؤمنون إلا قليلا » . [٢]

٩٦٩٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، [٣] بإسناده ، عن ابن عباس ، مثله .

• • •

القول في تأويل قوله ﴿ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴾ ﴿٤٥﴾

قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بقوله : « يشترون الضلالة » ، اليهود الذين أوتوا نصيباً من الكتاب ، يختارون الضلالة = وذلك : الأخذ على غير طريق الحق ، وركوبُ غير سبيل الرشد والصواب ، مع العلم منهم بقصد السبيل ومنهج الحق . [٤] وإنما عنى الله بوصفهم باشترائهم الضلالة : مقامهم على التكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وتركهم الإيمان به ، وهم عالمون أنّ السبيل الحقّ الإيمانُ به ،

---

(١) كان في المطبوعة والمخطوطة : « عن أبي إسحق » ، وهو خطأ فاحش .

(٢) الأثر : ٩٦٨٩ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٩ ، وهو تال للأثر السالف رقم : ٩٥٠١ .

(٣) في المطبوعة وحدها : « عن أبي إسحق » ، والمخطوطة صواب هنا .

(٤) انظر تفسير « الاشتراء » فيما سلف ١ : ٣١٢ — ٢/٣١٥ : ٣٤٠ — ٣٤٢ ، ٣/٤٥٥ : ٦/٣٢٨ ، ٥٢٧ = وتفسير « الضلالة » ١ : ١٩٥ ، ٢/٣١٣ ، ٤٩٥ ، ٦/٤٩٦ ، ٦٦ ، ٥٠٠ ، ٧/٥٨٤ : ٣٦٩ .

وتصديقه بما قد وجدوا من صفته فى كتبهم التى عندهم .

* * *

وأما قوله : « ويريدون أن تضلوا السبيل » ، يعنى بذلك تعالى ذكره : ويريد هؤلاء اليهود الذين وصَفهم جل ثناؤه بأنهم أوتوا نصيباً من الكتاب = « أن تضلوا » أنتم ، يا معشر أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، المصدقين به = « أن تضلوا السبيل » ، يقول : أن تزولوا عن قصد الطريق ومَحَجَّة الحق ، فتكذبوا بمحمد ، وتكونوا ضلاّلاً مثلهم .

وهذا من الله تعالى ذكره تحذيرٌ منه عبادَه المؤمنين ، أن يستنصحوا أحداً من أعداء الإسلام فى شىء من أمر دينهم ، أو أن يسمعوا شيئاً من طعنهم فى الحق .

* * *

ثم أخبر الله جلّ ثناؤه عن عداوة هؤلاء اليهود الذين نهى المؤمنين أن يستنصحوهم فى دينهم إياهم ، فقال جل ثناؤه : = « والله أعلم بأعدائكم » ، يعنى بذلك تعالى ذكره : والله أعلم منكم بعداوَة هؤلاء اليهود لكم ، أيها المؤمنون . يقول : فانتهوا إلى طاعتى فيما نهيتكم عنه من استنصاحهم فى دينكم ، [1] فإنى أعلم بما هم عليه لكم من الغشّ ٧٥/٥
والعداوة والحسد ، وأنهم إنما يبغونكم الغوائل ، ويطلبون أن تضلوا عن محجة الحق فتهلكوا .

* * *

وأما قوله : « وكفى بالله وليًّا وكفى بالله نصيراً » ، فإنه يقول : فبالله ، أيها المؤمنون ، فثقوا ، وعليه فتوكلوا ، وإليه فارغبوا ، دون غيره ، يكفكم مهمّكم ، وينصركم على أعدائكم = « وكفى بالله وليًّا » ، يقول : وكفاكم وحسْبكم بالله ربكم وليًّا يليكم ويلى أموركم بالحياطة لكم ، والحراسة من أن يستفزّكم أعداؤكم عن دينكم ، أو يصدّوكم

---

(١) فى المخطوطة : « مما نهيتكم عنه » ، وفى المطبوعة : « عما نهيتكم عنه » ، والصواب ما أثبت .

عن اتباع نبيكم[١] = « وكفى بالله نصيراً » ، يقول : وحسبكم بالله ناصراً لكم على أعدائكم وأعداء دينكم ، وعلى من بغاكم الغوائل ، وبغى دينكم العَوَج .[٢]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾

قال أبو جعفر : ولقوله جل ثناؤه : « من الذين هادوا يحرفون الكلم » ، وجهان من التأويل .

أحدهما : أن يكون معناه : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب » = « من الذين هادوا يحرفون الكلم » ، فيكون قوله : « من الذين هادوا » ، من صلة « الذين » . وإلى هذا القول كانت عامة أهلِ العربية من أهل الكوفة يوجِّهون قوله : « من الذين هادوا يحرِّفون » .[٣]

* * *

والآخر منهما : أن يكون معناه : من الذين هادوا من يُحرِّف الكلم عن مواضعه ، فتكون « مَن » محذوفة من الكلام ، اكتفاء بدلالة قوله : « من الذين هادوا » عليها . وذلك أن « مِن » لو ذكرت فى الكلام كانت بعضاً لـ « مَن » ، فاكتفى بدلالة « مِن » ، عليها . والعرب تقول : « منا يقول ذلك ، ومِنا لا يقوله » ،[٤] بمعنى : منا

---

(١) انظر تفسير « الولى » فيما سلف ٢ : ٤٨٩ ، ٥/٥٦٤ : ٦/٤٢٤ : ١٤٢ ، ٣١٣ ، ٤٩٧ .

(٢) انظر تفسير « النصير » فيما سلف ٢ : ٤٨٩ ، ٥/٥٦٤ : ٦/٥٨١ : ٤٤٣ ، ٤٤٩ .

(٣) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٧١ .

(٤) فى المطبوعة : « والعرب تقول : منا من يقول ذلك » بزيادة « من » وهو خطأ ، والصواب من معانى القرآن للفراء . أما المخطوطة فكان فيها : « والعرب تقول ذلك ومثالا لا يقوله » وهو من حيث الناسخ وإسقاطه .

من يقول ذاك، ومنا من لا يقوله = فتحذف « مَن » اكتفاء بدلالة « مِنْ » عليه ، كما قال ذو الرمة :

فَظَلُّوا ، وَمِنْهُمْ دَمْعُهُ سَابِقٌ لَهُ وَآخَرُ يَثْنِي دَمْعَةَ العَيْنِ بِالهَمْلِ (١)

يعني : ومنهم مَن دمعه ، وكما قال الله تبارك وتعالى ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴾ [سورة الصافات ١٦٤] . وإلى هذا المعنى كانت عامة أهل العربية من أهل البصرة يوجِّهون تأويل قوله : « من الذين هادوا يحرفون الكلم » ، غير أنهم كانوا يقولون : المضمر في ذلك « القوم » ، كأن معناه عندهم : من الذين هادوا قوم يحرِّفون الكلم ، ويقولون : نظير قول النابغة :

كَأَنَّكَ مِنْ جِمَالِ بَنِي أُقَيْشٍ يُقَعْقَعُ خَلْفَ رِجْلَيْهِ بِشَنِّ (٢)

يعني : كأنك جمل من جمال بني أقيش .

* * *

فأما نحويو الكوفة فينكرون أن يكون المضمر مع « مِن » إلا « مَن » أو ما أشبهها. (٣)

---

(١) ديوانه ٤٨٥ ، وقبله : مع اختلاف الرواية :

بَكَيْتُ عَلَى مَيٍّ بِهَا إِذْ عَرَفْتُهَا وَهِجْتُ الْهَوَى حَتَّى بَكَى القَوْمُ مِنْ أَجْلِي
فَظَلُّوا وَمِنْهُمْ دَمْعُهُ غَالِبٌ لَهُ وَآخَرُ يَثْنِي عَبْرَةَ العَيْنِ بِالهَمْلِ
وَهَلْ هَمَلانُ الْعَيْنِ رَاجِعُ مَا مَضَى مِنَ الوَجْدِ، أَوْ مُدْنِيكَ يَا مَيُّ مِنْ أَهْلِي؟

وكان في المطبوعة : « يذرى دمعة العين بالمهل» وهو خطأ ، وتغيير من الطابع ، وفي المخطوطة « يثني » كما في الديوان .

وقوله : « يثني دمعة العين » ، أي يرد هملانها . وقوله « بالهمل » متعلق بقوله « دمعة » ووضع « دمعة » هنا مصدراً لقوله : « دمعت عينه دمعاً ودمعاناً ودموعاً » ، وزاده هو « دمعة » على وزن « رحمة » في المصادر = وكذلك في رواية « عبرة » ، كلاهما مصدر ، ولم تثبته كتب اللغة . يقول : وآخر يرد إرسال العين دمعها منهملا ، يعني : لولا ذلك لسالت دموعه غزاراً .

(٢) مضى تخريجه فيما سلف ١ : ١٧٩ ، تعليق : ٢ ، ونسيت هناك أن أرده إلى هذا المكان ، فأثبته .

(٣) انظر مقالة الفراء في معاني القرآن ١ : ٢٧١ .

قال أبو جعفر : والقول الذى هو أولى بالصواب عندى فى ذلك : قول من قال : قوله : « من الذين هادوا »، من صلة « الذين أوتوا نصيباً من الكتاب » ، لأن الخبرين جميعاً والصفتين ، من صفة نوع واحد من الناس ، وهم اليهود الذين وصفَ الله صفتهم فى قوله : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب » . وبذلك جاء تأويلُ أهل التأويل ، فلا حاجة بالكلام = إذ كان الأمر كذلك = إلى أن يكون فيه متروك .

* * *

وأما تأويل قوله : « يُحَرِّفون الكلِمَ عن مواضعه »، [1] فإنه يقول : يبدِّلون معناها ويغيِّرونها عن تأويله .

* * *

و « الكلم » جماع « كلمة » .

* * *

وكان مجاهد يقول : عنى بـ « الكلم » ، التوراة .

٩٦٩١ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « يحرفون الكلم عن مواضعه» ، تبديل اليهود التوراة .

٩٦٩٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد مثله .

* * *

وأما قوله : « عن مواضعه » ، فإنه يعنى : عن أماكنه ووجوهه التى هى وجوهه .

* * *

---

(١) انظر تفسير « التحريف » فيما سلف ٢ : ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾

يعنى بذلك جل ثناؤه : من الذين هادوا يقولون : سمعنا ، يا محمد ، قولك ، وعصينا أمرك ، كما : —

٩٦٩٣ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد ابن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بزة ، عن مجاهد فى قوله : « سمعنا وعصينا » ، قال : قالت اليهود : سمعنا ما نقول ولا نطيعك .

٩٦٩٤ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٩٦٩٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٩٦٩٦ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد فى قوله : « سمعنا وعصينا » ، قالوا : قد سمعنا ، ولكن لا نطيعك . ٧٦/٥

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ ﴾

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن اليهود الذين كانوا حوالىْ مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عصره : أنهم كانوا يسبّون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤذونه بالقبيح من القول ، ويقولون له : اسمع منا غير مسمع ، كقول القائل للرجل يَسُبُّه : « اسمع ، لا أسمعَك الله » ، كما : —

٩٦٩٧ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « واسمع غير مسمع » ، قال : هذا قول أهل الكتاب يهود ، كهيئة ما يقول الإنسان :

« اسمع لا سمعت » ، أذًى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشتماً له واستهزاءً .

٩٦٩٨ – حدثت عن المنجاب قال ، حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « واسمع غير مسمع » ، قال : يقولون لك : « واسمع لاسمعت » .

* * *

وقد روى عن مجاهد والحسن : أنهما كانا يتأوّلان في ذلك بمعنى : واسمع غير مقبول منك .

– ولو كان ذلك معناه لقيل : « واسمع غير مسموع » ، ولكن معناه : واسمع لا تسمع ، ولكن قال الله تعالى ذكره : « ليًّا بألسنتهم وطعناً في الدين » ، فوصفهم بتحريف الكلام بألسنتهم ، والطعن في الدين بسبّ النبي صلى الله عليه وسلم .

* * *

وأما القول الذي ذكرته عن مجاهد : « واسمع غير مسمع » ، يقول : غير مقبول ما تقول ، فهو كما : –

٩٦٩٩ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « واسمع غير مسمع » ، قال : غير مُسْتمع – قال ابن جريج ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد : « واسمع غير مسمع » ، غير مقبول ما تقول .

٩٧٠٠ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٩٧٠١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الحسن في قوله : « واسمع غير مسمع » ، قال : كما تقول اسمع غير مَسْموع منك .

٩٧٠٢ – وحدثنا موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ،

عن السدى قال : كان ناس منهم يقولون : « اسمع غير مسمع » ، كقولك : اسمع غير صاغرٍ . (١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « وراعنا » ، أى : راعنا سمعك ، افهم عنّا وأفهمنا . وقد بينا تأويل ذلك فى « سورة البقرة » بأدلته ، بما فيه الكفاية عن إعادته . (٢)

* * *

ثم أخبر الله جل ثناؤه عنهم أنهم يقولون ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، « ليًّا بألسنتهم » ، يعنى تحريكاً منهم بألسنتهم بتحريفٍ منهم لمعناه إلى المكروه من معنييه ، (٣) واستخفافاً منهم بحق النبى صلى الله عليه وسلم ، وطعنًا فى الدين ، كما :—

٩٧٠٣ — حدثنى الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرازق قال ، أخبرنا معمر قال ، قال قتادة ، كانت اليهود يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم : « راعنا سمعك » ! يستهزئون بذلك ، فكانت فى اليهود قبيحة أن يقال : (٤) « راعنا سمعك » = « ليًّا بألسنتهم » ، واللىّ : تحريكهم ألسنتهم بذلك = « وطعناً فى الدين » .

٩٧٠٤ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « راعنا ليًّا بألسنتهم » ، كان

---

(١) فى المطبوعة : « غير صاغ » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) انظر ما سلف ٢ : ٤٥٩ — ٤٦٧ .

(٣) انظر تفسير « اللى » و « اللى بالألسنة » فيما سلف ٦ : ٥٣٥ — ٥٣٧ .

(٤) فى المخطوطة والمطبوعة : « فكان فى اليهود قبيحة فقال » ، وهو كلام لا يستقيم البتة ، وصوابه الذى لا شك فيه ما أثبت ، وانظر كونها كلمة قبيحة لليهود فى ٢ : ٤٦٠ .

الرجل من المشركين يقول : « أرعنى سمعك » ! يلوى بذلك لسانه ، يعنى : يحرّف معناه .

٩٧٠٥ – حدثنا محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « من الذين هادوا يحرّفون الكلم عن مواضعه » ، إلى « وطعناً فى الدين » ، فإنهم كانوا يستهزئون ، ويلوون ألسنتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويطعنون فى الدين .

٩٧٠٦ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « وراعنا ليا بألسنتهم وطعناً فى الدين » ، قال : « راعنا » ، طعنهم فى الدين ، وليهم بألسنتهم ليبطلوه ، ويكذبوه. قال : و« الرّاعن » ، الخطأ من الكلام .(١)

٩٧٠٧ – حدثت عن المنجاب قال ، حدثنا بشر قال ، حدثنا أبو روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس فى قوله : « ليا بألسنتهم » ، قال : تحريفاً بالكذب .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ولو أن هؤلاء اليهود الذين وصف الله صفتهم ، قالوا لنبى الله : « سمعنا يا محمد قولك ، وأطعنا أمرك ، وقبلنا ما جئتنا به من عند الله ، واسمع منا ، وانظرنا ما نقول ، وانتظرنا نفهم عنك ما تقول لنا » =«لكان خيراً لهم وأقوم » ، يقول : لكان ذلك خيراً لهم عند الله = « وأقوم » ، يقول : وأعدل وأصوبَ فى القول . ٧٧/٥

* * *

(١) انظر القول فى « الراعن » فيما سلف ٢ : ٤٦٥ ، ٤٦٦ .

وهو من « الاستقامة » من قول الله : ﴿وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ [سورة المزمل : ٦] ، بمعنى : وأصوبُ قيلاً ،[١] كما : —

٩٧٠٨ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيراً لهم » ، قال : يقولون اسمع منا ، فإنا قد سمعنا وأطعنا ، وانظرنا فلا تعجل علينا .

٩٧٠٩ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو تميلة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عكرمة ومجاهد قوله : « وانظُرنا » ، قال : اسمع منا .

٩٧١٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « وانظرنا » ، قال : أفهمنا .

٩٧١١ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، « وانظرنا » ، قال : أفهمنا .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا الذي قاله مجاهد وعكرمة ، من توجيههما معنى : « وانظرنا » إلى : « اسمع منا » = وتوجيه مجاهد ذلك إلى « أفهمنا » = فما لا نعرف في كلام العرب ،[٢] إلا أن يكون أراد بذلك من توجيهه إلى « أفهمنا » ، انتظرنا نفهم ماتقول = أو : انتظرنا نقل حتى تسمع منا = فيكون ذلك معنًى مفهوماً ، وإن كان غير تأويلٍ للكلمة ولاتفسير لها.[٣] ولا نعرف : « انظرنا » في كلام العرب ،[٤] إلا بمعنى : انتظرنا وانظر إلينا = فأما « انظرنا » بمعنى : انتظرنا ، فمنه قول الحطيئة :

وَقَدْ نَظَرْتُكُمُ لَوْ أَنَّ دِرَّتَكُمْ يَوْمًا يَجِيءُ بِهَا مَسْحِي وَإِبْسَامِي[٥]

---

(١) انظر تفسير « أقوم » فيما سلف ٦ : ٧٧ ، ٧٨ .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « ما لا نعرف » بغير فاء ، ولكني زدتها لأنها أعرق في العربية وأقوم للسياق .

(٣) في المخطوطة والمطبوعة : « غير تأويل الكلمة » والصواب ما أثبت .

(٤) في المطبوعة : « فلا نعرف » بالفاء ، والأجود ما في المخطوطة ، كما أثبته .

(٥) ديوانه : ٥٢ ، والكامل ١ : ٣٥١ ، وهذا خطأ لاشك فيه في رواية البيت ، وأثبته

وأما « انظرنا » ، بمعنى : انظر إلينا ، فمنه قول عبد الله بن قيس الرقيات :

ظَاهِرَاتُ الجَمالِ وَالحُسْنِ يَنْظُرْ ... نَ كَمَا يَنْظُرُ الأَرَاكَ الظِّبَاءُ(١)

على حاله ، لأنه دلالة على عجلة أبي جعفر أحياناً في كتابة تفسيره ، ودليل على حفظه الشعر ، ولولا ذلك لم يخلط هذا الخلط . فإن هذه القصيدة ، هي التي هجا بها الزبرقان بن بدر ، ومدح بغيض ابن عامر ، والتي شكاه من أجلها الزبرقان إلى عمر بن الخطاب فحبسه ، يقول للزبرقان لما غضب حين استضافه بغيض :

مَا كَانَ ذَنْبُ بَغِيضٍ لاَ أَبَا لَكُمُ ... فِي بَائِسٍ جَاءَ يَحْدُو آخِرَ النَّاسِ
لَقَدْ مَرَيْتُكُمُ ، لَوْ أَنَّ دِرَّتَكُمْ ... يَوْمًا يَجِيءُ بِهَا مَسْحِي وَإِبْسَاسِي
وَقَدْ مَدَحْتُكُمْ عَمْدًا لِأُرْشِدَكُمْ ... كَيْمَا يَكُونَ لَكُمْ مَتْحِي وَإِمْرَاسِي

ثم يليه بيت الشاهد الذي كان ينبغي أن يذكره هنا أبو جعفر ، كما ذكره فيما سلف في تفسير « انظرنا » من سورة البقرة ٢ : ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، وقد شرحته هناك . ولولا أن أثبت حال أبي جعفر في كتابه ، لألغيت البيت المذكور في المتن ، ولوضعت هذا البيت :

وَقَدْ نَظَرْتُكُمُ أَعْشَاءَ صَادِرَةٍ ... لِلْخِمْسِ ، طَالَ بِهَا حَوْزِي وَتَنْسَاسِي

وقوله : « لقد مريتكم » من قولهم : « مرى الناقة يمريها مرياً » : إذا مسح ضرعها لتدر . و « الدرة » : الدفعة من اللبن . و « المسح » مسح الضرع للحلب . و « الإبساس » : هو صوت الراعي ، يلينه لناقته عند الحلب لتسكن ويسهل حلبها . يقول : لقد ترفقت لكم ، أستخرج خيركم بالمديح الرقيق والقول اللين ، فلم ألق خيراً ، ولم تجودوا به .

وكان في المخطوطة : « يجيء به » وهو خطأ .

(١) ديوانه : ١٧١ ، من قصيدته التي فخر فيها بقريش ، ومدح مصعب بن الزبير ، وذكر نساء عبد شمس بن عبد مناف فقال :

وَحِسَانٌ مِثْلُ الدُّمَى عَبْشَمِيَّا ... تٌ ، عَلَيْهِنَّ بَهْجَةٌ وَحَيَاءُ
لاَ يَبِعْنَ العِيَابَ فِي مَوْسِمِ النَّا ... سِ ، إِذَا طَافَ بِالعِيَابِ النِّسَاءُ
ظَاهِرَاتُ الجَمَالِ وَالسَّرْوِ . . . . . .

و « السرو » : الشرف وكرم المحتد . وهي أجود الروايتين ، وقوله : « كما ينظر الأراك الظباء » ، من حسن التشبيه ، ودقة الملاحظة للعلاقة بين الشرف والسؤدد . وما يكون للمرء من شمائل وسمت وهيأة . ويعني أنهن قد ينصبن أجيادهن ، كأنهن ظباء تعطو الأراك لتناله . وذلك أظهر لجمال أجيادهن ، وحركتهن . والجيد فيه دلالة من دلائل الخلق لا يخطئها بصير .

بمعنى : كما ينظر إلى الأراك الظباء .[١]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَـٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٤٦)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك : ولكن الله تبارك وتعالى أخزى هؤلاء اليهود الذين وصف صفتهم فى هذه الآية، فأقصاهم وأبعدهم من الرشد واتباع الحق[٢] = « بكفرهم »، يعنى : بجحودهم نبوّة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم به من عند ربهم من الهدى والبينات = « فلا يؤمنون إلاّ قليلا »، يقول : فلا يصدقون بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم به من عند ربهم، ولا يقرّون بنبوته = « إلاّ قليلا »، يقول : لا يصدقون بالحق الذى جئتهم به، يا محمد، إلاّ إيماناً قليلا، كما : —

٩٧١٢ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة فى قوله : « فلا يؤمنون إلا قليلا »، قال : لا يؤمنون هم إلا قليلا .

* * *

قال أبو جعفر : وقد بيّنا وجه ذلك بعلله فى « سورة البقرة ».[٣]

* * *

---

(١) انظر تفسير نظيرة هذه الكلمة من آية البقرة : « وقولوا انظرنا » ٢ : ٤٦٧ — ٤٦٩ .

(٢) انظر تفسير « اللعنة » فيما سلف ٢ : ٣/٣٢٨ : ٢٥٤ ، ٦/٢٦١ : ٥٧٧ .

(٣) يعنى تفسير قوله تعالى « فقليلا ما يؤمنون » ٢ : ٣٢٩ — ٣٣١ .

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « يا أيها الذين أوتوا الكتاب » ، اليهود من بنى إسرائيل ، الذين كانوا حوالىَ مهاجَر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال الله لهم : يا أيها الذين أنزل إليهم الكتاب فأعطوا العلم به = « آمنوا » يقول : صدِّقوا بما نزلنا إلى محمد من الفرقان = « مصدقاً لما معكم » ، يعنى : محقِّقاً للذى معكم من التوراة التى أنزلتها إلى موسى بن عمران = « من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها » .

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : « طمسه إياها » ، محوه آثارها حتى تصير كالأقفاء .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك أن نطمس أبصارها فنصيّرها عمياء ، ولكن الخبر خرج بذكر « الوجه » ، والمراد به بصره = « فنردّها على أدبارها » ، فنجعل أبصارَها من قبل أقفائها .

* ذكر من قال ذلك :

٩٧١٣ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنا عمى قال حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا » إلى قوله : « من قبل أن نطمس وجوهاً » ، وطمسها : أن تعمى = « فنردها على أدبارها » ، يقول : أن نجعل وجوههم من قبل أقفيتهم ، فيمشون القهقرى ، ونجعل لأحدهم عينين فى قفاه .

٩٧١٤ – حدثني أبو العالية إسمعيل بن الهيثم العبْدى قال، حدثنا أبو قتيبة ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية العوفى فى قوله : « من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها »، قال : نجعلها فى أقفائها، فتمشى على أعقابها القهقرى .[1] ٥/٧٨

٩٧١٥ – حدثني محمد بن عمارة الأسدى قال، حدثنا عبيد الله بن موسى قال ، حدثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية ، بنحوه = إلا أنه قال : طمْسُها : أن يردّها على أقفائها .

٩٧١٦ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « فنردها على أدبارها »، قال : نحوّل وجوهها قِبَل ظهورها .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك[2] : من قبل أن نعمى قوماً عن الحق = « فنردها على أدبارها » ، فى الضلالة والكفر .

* ذكر من قال ذلك :

٩٧١٧ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ،عن مجاهد فى قوله : « أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها » ، فنردها عن الصراط ، عن الحق[3] = « فنردها على أدبارها »، قال : فى الضلالة .

٩٧١٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « أن نطمس وجوهاً » عن صراط الحق = « فنردها على أدبارها » ، فى الضلالة .

٩٧١٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك قراءة، عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله .

---

(١) الأثر : ٩٧١٤ – « أبو العالية ، إسماعيل بن الهيثم العبدى » ، لم نجده ، وانظر ما سلف رقم : ٩٣٦٥ ، ٩٣٦٦ .
و « أبو قتيبة » هو : سلم بن قتيبة ، مضت ترجمته برقم : ١٨٩٩ ، ١٩٢٤ ، ٩٣٦٥ .
(٢) فى المطبوعة ، أسقط : « بل » .
(٣) فى المطبوعة : « عن الصراط الحق » ، أسقط « عن » الثانية .

٩٧٢٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر قال ، الحسن : « نطمس وجوهاً » ، يقول : نطمسها عن الحق – « فنردها على أدبارها » ، على ضلالتها .

٩٧٢١ – حدثنا محمد بن الحسين قال ،حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يا أيها الذين أوتوا الكتاب » إلى قوله : « كما لعنّا أصحاب السبت » ، قال : نزلت فى مالك بن الصَّيْف ، ورفاعة بن زيد بن التابوت ، من بنى قينقاع . أما « أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها » ، يقول : فنعميها عن الحق ونُرجعها كفاراً .

٩٧٢٢ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها » ، يعنى : أن نردهم عن الهدى والبصيرة ، فقد ردّهم على أدبارهم ، فكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : من قبل أن نمحو آثارهم من وجوههم التى هم بها، وناحيتهم التى هم بها – « فنردها على أدبارها » ، من حيث جاؤوا منه بَدِيًّا من الشام . (١)

* ذكر من قال ذلك :

٩٧٢٣ – حدثنى يونس قال ،أخبرنا ابن وهب قال ،قال ابن زيد فى قوله : « من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها » ، قال : كان أبى يقول : إلى الشأم .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : « من قبل أن نطمس وجوهاً » ، فنمحو آثارها

---

(١) فى المطبوعة : « بدءاً من الشام » ، وأثبت فى المخطوطة ، وكلتاهما صواب . و « بدياً » ، فى بدء أمرهم . وتفسير « الوجوه » هنا : النواحى .

ونسوّيها = « فنردها على أدبارها » ، بأن نجعل الوجوه منابتَ الشَّعر ، كما وجوه القردة منابت للشعر ، لأن شعور بنى آدم فى أدبار وجوههم . فقالوا : إذا أنبت الشعر فى وجوههم ، فقد ردَّها على أدبارها ، بتصييره إياها كالأقفاء وأدبار الوجوه .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، قولُ من قال : معنى قوله : « من قبل أن نطمس وجوها » ، من قبل أن نطمس أبصارَها ونمحو آثارها فنسوّيها كالأقفاء = « فنردها على أدبارها » ، فنجعل أبصارها فى أدبارها ، يعنى بذلك : فنجعل الوجوه فى أدبار الوجوه ، فيكون معناه : فنحوّل الوجوه أقفاءً والأقفاء وجوهاً ، فيمشون القهقرى ، كما قال ابن عباس وعطية ومن قال ذلك .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب : لأن الله جل ثناؤه خاطب بهذه الآية اليهودَ الذين وصف صفتهم بقوله : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة » ، ثم حذرهم جل ثناؤه بقوله : « يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدِّقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها » الآية ، بأسَه وسطوته وتعجيلَ عقابه لهم ،(٢) إن هم لم يؤمنوا بما أمرهم بالإيمان به . ولا شك أنهم كانوا لما أمرهم بالإيمان به يومئذ كفاراً .

* * *

وإذْ كان ذلك كذلك ، فبيِّنٌ فساد قول من قال : تأويل ذلك : أن نعميها عن الحق فنردها فى الضلالة . فما وجْه ردِّ من هو فى الضلالة فيها ؟ ! وإنما يرد فى الشىء من كان خارجاً منه . فأما من هو فيه ، فلا وجه لأن يقال : « نرده فيه » .

* * *

وإذْ كان ذلك كذلك ، وكان صحيحاً أنّ الله قد تهدَّد للذين ذكرهم فى هذه

---

(١) هو الفراء فى معانى القرآن ١ : ٢٧٢ .

(٢) السياق : ثم حذرهم . . . بأسه وسطوته . . .

الآية بردّه وجوهَهم على أدبارهم = كان بيّناً فساد تأويل من قال : معنى ذلك: يهددهم بردّهم فى ضلالتهم .

* * *

٥/٧٩ وأما الذين قالوا : معنى ذلك : من قبل أن نجعل الوجوه منابتَ الشعر كهيئة وجوه القردة ، فقولٌ لقول أهل التأويل مخالف. وكفى بخروجه عن قول أهل العلم من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من الخالفين ، على خطئه شاهداً .

* * *

وأما قول من قال: معناه : من قبل أن نطمس وجوههم التى هم فيها، فنردّهم إلى الشأم من مساكنهم بالحجاز ونجد ، فإنه = وإن كان قولاً له وجه = مما يدل عليه ظاهر التنزيل بعيد .(١) وذلك أن المعروف من « الوجوه » فى كلام العرب ، التى هى خلاف « الأقفاء » ، وكتاب الله يُوَجَّه تأويله إلى الأغلب فى كلام مَن نزل بلسانه ، حتى يدلّ على أنه معنىٌّ به غير ذلك من الوجوه، الذى يجب التسليم له .(٢)

* * *

وأما « الطمس » ، فهو العُفُوّ والدثور فى استواء . منه يقال : « طمست أعلام الطريق تطمِسُ طُموساً » ، إذا دثرت وتعفّت ، فاندفنت واستوت بالأرض ، كماقال كعب بن زهير :

مِنْ كُلِّ نَضَّاحَةِ الذِّفْرَى إذَا عَرِقَتْ عُرْضَتُهَا طَامِسُ الأَعْلَامِ مَجْهُولُ(٣)

يعنى : « طامس الأعلام » ، داثر الأعلام مندفنها. ومن ذلك قيل للأعمى الذى

---

(١) فى المطبوعة : «كما يدل عليه» ، وفيه خطأ ، وفى المخطوطة : « كما يدل على » وفيه خطآن . والصواب ما أثبت .

(٢) فى المطبوعة : « من الوجوه التى ذكرت ، دليل يجب التسليم له » ، زاد فيما كان فى المخطوطة لتستقيم الجملة ، وكان فيها : «من الوجوه التى يجب التسليم له » ، والأمر أهون من ذلك ، أخطأ فكتب « التى » مكان « الذى » ، وهو حق السياق .

(٣) سلف البيت وتخريجه فى ٤ : ٤٢٤ ، تعليق : ٤ .

قد تعفّى غَرُّ ما بين جفنى عينيه فدثر [١] : « أعمى مطموس، وطمْيس » ، كما قال الله جل ثناؤه : ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ ﴾ [سورة يس : ٦٦] .

= قال أبو جعفر : « الغَرُّ » ، الشقّ الذى بين الجفنين .[٢]

* * *

فإن قال قائل : فإن كان الأمر كما وصفت من تأويل الآية ، فهل كان ما توعّدهم به ؟ [٣]

قيل : لم يكن ، لأنه آمن منهم جماعة ، منهم : عبد الله بن سلاَم ، وثعلبة ابن سعية ، وأسد بن سعية ،[٤] وأسد بن عبيد ، ومُخَيْرِق ،[٥] وجماعة غيرهم ، فدفع عنهم بإيمانهم .

ومما يبين عن أن هذه الآية نزلت فى اليهود الذين ذكرنا صفتهم ، ما : —

٩٧٢٤ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يونس بن بكير = وحدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة = جميعاً ، عن ابن إسحق قال ، حدثنى محمد بن أبى محمد

---

(١) فى المطبوعة : « الذى قد تعفى ما بين جفنى . . . » حذف « غر » ، لأنه لم يحسن قراءتها ، وهى فى المخطوطة غير منقوطة ، وانظر شرح أبى جعفر لكلمة « غر » ، والتعليق عليه بعد .

(٢) فى المطبوعة : (العراسق الذى بين الخفين) ، واستدرك عليه الناشر الأول ، وكتب فيه خلطاً شديداً ، نقله عنه آخرون ! ! وأما المخطوطة التى لم يحسن الناشر قراءتها فكان فيها : العر السق الذى بين الحمص » كله غير منقوط ، وصوابه قراءته ما أثبت . وأصل ذلك أن « الغر » (بفتح الغين وتشديد الراء) هو الشق فى الأرض . و « الغر » أيضاً : الكسر يكون فى الثوب ، والغضون فى الجلد ، وهو مكاسر الجلد ، ومنه قيل : « اطو الثوب على غره » أى على كسره . وقد جاءت هذه الكلمة فى تفسير أبى جعفر ٢٣ : ١٧ ، ١٨ مصحفة بالزاى : « والطمس على العين هو أن لا يكون بين جفنى العين (غز) ، وذلك هو الشق الذى بين الجفنين » . وانظر شرح ابن إسحق فى سيرته ، ٢ : ٢١٠ : « المطموس العين : الذى ليس بين جفنيه شق » .

فتبين من هذا صحة قراءتنا وصوابها ، وخلط من لا يحسن أن يخلط ، فضلا عن أن يصيب ! !

(٣) « كان » هنا تامة ، بمعنى : وقع وحدث .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « وأسد بن سعية » ، وعند ابن إسحق : « أسيد بن سعية » (بفتح الألف وكسر السين) . والاختلاف فى اسمه واسم أبيه كثير .

(٥) لم أجد « مخيرق » فى غير هذا الموضع ، وهو فى سائر الكتب وفى ترجمته « مخيريق » ، والاختلاف فى أسماء بنى إسرائيل كثير . فتركته على حاله هنا ، لأنه هكذا ثبت فى المخطوطة .

مولى زيد بن ثابت قال ، حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : كلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤساء من أحبار يهود : منهم عبد الله بن صوريا ، وكعب بن أسد فقال لهم : يا معشر يهود ، اتقوا الله وأسلموا ، فوالله إنكم لتعلمون أن الذى جئتكم به لحقٌّ ! [1] فقالوا : ما نعرف ذلك يا محمد ! وجحدوا ما عرفوا ، وأصرّوا على الكفر ، فأنزل الله فيهم : « يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها » ، الآية . [2]

٩٧٢٥ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا جابر بن نوح ، عن عيسى بن المغيرة قال : تذاكرنا عند إبراهيم إسلامَ كعبٍ ، [3] فقال : أسلم كعب فى زمان عمر ، أقبل وهو يريد بيت المقدس ، فمرّ على المدينة ، فخرج إليه عمر فقال : يا كعب ، أسلم ! قال : ألستم تقرأون فى كتابكم : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ [سورة الجمعة : ٥] ؟ وأنا قد حملت التوراة ! قال : فتركه . ثم خرج حتى انتهى إلى حمص ، قال : فسمع رجلا من أهلها حزيناً وهو يقول : « يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها » ، الآية . فقال كعب : يارب آمنت ، يا رب أسلمت ! مخافة أن تصيبه الآية ، ثم رجع فأتى أهله باليمن ، ثم جاء بهم مسلمين .

* * *

(١) فى المخطوطة : « الذى حكم به لحق » ، وفى هامش النسخة بخط عتيق : « الصواب : بعثت » ، وأخطأ من كتب ، فالصواب ما فى المطبوعة ، وهو نص سيرة ابن هشام .

(٢) الأثر ٩٧٢٤ – سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٩ ، وهو تابع الأثر السالف : ٩٦٨٩ ، ٩٦٩٠ .

(٣) يعنى « كعب الأحبار » .

القول فى تأويل قوله ﴿ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ (٤٧)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « أو نلعنهم » ، أو نلعنكم فنخزيكم ونجعلكم قردة = « كما لعنا أصحاب السبت » ، يقول : كما أخزينا الذين اعتدوا فى السبت من أسلافكم .[1] قيل ذلك على وجه الخطاب فى قوله : « آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم » ، كما قال : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا ﴾ [سورة يونس : ٢٢] .[2]

* * *

وقد يحتمل أن يكون معناه : « من قبل أن نطمس وجوها فنردّها على أدبارها » ، أو نلعن أصحاب الوجوه = فجعل « الهاء والميم » فى قوله : « أو نلعنهم » ، من ذكر أصحاب الوجوه ، إذ كان فى الكلام دلالة على ذلك :

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٩٧٢٦ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يا أيها الذين أوتوا الكتاب » إلى قوله : « أو نلعنهم كما لعنّا أصحاب السبت » ، أى : نحوّلهم قردة . ٨٠/٥

٩٧٢٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الحسن : « أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت » ، يقول : أو نجعلهم قردة .

٩٧٢٨ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا

---

(١) انظر تفسير « اللعنة » فيما سلف قريباً ص : ٤٣٩ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر ما سلف ١ : ٣/١٥٤ : ٣٠٤ ، ٦/٣٠٥ : ٢٣٨ ، ٤٦٤ ، ومواضع أخرى كثيرة فيما سلف .

أسباط ، عن السدى : « أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت » ، أو نجعلهم قردة .

٩٧٢٩ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت » ، قال : هم يهود جميعاً ، نلعن هؤلاء كما لعنّا الذين لعنّا منهم من أصحاب السبت .[1]

* * *

وأما قوله : « وكان أمر الله مفعولا » ، فإنه يعنى : وكان جميع ما أمر الله أن يكون ، كائناً مخلوقاً موجوداً ، لا يمتنع عليه خلق شىء شاء خَلْقه .

* * *

و « الأمر » فى هذا الموضع : المأمور = سمى « أمر الله » ، لأنه عن أمره كان وبأمره .

* * *

والمعنى : وكان ما أمر الله مفعولاً .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم » = وإن الله لا يغفر أن يشرك به ، فإن الله لا يغفر الشرك به والكفر ، ويغفر ما دون ذلك الشرك لمن يشاء من أهل الذنوب والآثام .

* * *

وإذ كان ذلك معنى الكلام ، فإن قوله : « أن يشرك به » ، فى موضع نصب بوقوع « يغفر » عليها[2] = وإن شئت بفقد الخافض الذى كان يخفضها لو كان ظاهراً . وذلك أن يوجّه معناه إلى : إن الله لا يغفر أن يشرك به ، على تأويل الجزاء ،

---

(١) انظر خبر « أصحاب السبت » فيما سلف ٢ : ١٦٦ — ١٧٥ .

(٢) « الوقوع » تعدى الفعل إلى مفعول ، كما سلف مراراً كثيرة .

كأنه قيل : إن الله لا يغفر ذنباً مع شرك ، أو عن شرك .[١]

وعلى هذا التأويل يتوجه أن تكون « أن » فى موضع خفض فى قول بعض أهل العربية .[٢]

* * *

وذكر أن هذه الآية نزلت فى أقوام ارتابوا فى أمر المشركين حين نزلت : ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [سورة الزمر : ٥٣] .

* ذكر الخبر بذلك :

٩٧٣٠ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال ، حدثنى مُجَبَّر ، عن عبد الله بن عمر : أنه قال : لما نزلت : ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾ الآية ، قام رجل فقال : والشرك ، يا نبيَّ الله . فكره ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « إنّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما » .[٣]

---

(١) فى معانى القرآن للفراء ١ : ٢٧٢ : « مع شرك ، ولا عن شرك » ، والصواب فى التفسير .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٧٢ ، فهذه مقالته .

(٣) الحديث : ٩٧٣٠ – ابن أبى جعفر : هو عبد الله بن أبى جعفر الرازى : مضت ترجمته وترجمة أبيه فى : ٧٠٣٠ .

الربيع : هو ابن أنس البكرى . مضت ترجمته فى : ٥٤٨٠ .

مجبر – بضم الميم وفتح الجيم وتشديد الباء الموحدة المفتوحة ، بوزن « محمد » – : هو ابن أخى عبد الله بن عمر . و « مجبر » لقبه ، واسمه : « عبد الرحمن بن عبد الرحمن الأصغر بن عمر ابن الخطاب » . ذكره المصعب فى نسب قريش ، ص : ٣٥٦ ، وابن حزم فى جمهرة الأنساب ، ص : ١٤٦ ، والمشتبه للذهبى ، ص : ٤٦٢ . مترجم فى التعجيل ، ص : ٣٩٢ – ٣٩٣ ، وله ذكر فيه أيضاً فى ترجمة ابنه « عبد الرحمن » ، ص : ٢٥٦ – ٢٥٧ .

وله رواية فى المسند : ١٤٠٢ ، عن عثمان وطلحة . وأظنها رواية منقطعة ، فإن طبقته أصغر من أن يدركهما .

وله ذكر فى الموطأ ، ص : ٣٩٧ : « مالك ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر : أنه لقى رجلا

٩٧٣١ – حدثت عن عمار قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » ، قال : أخبرني مُجَبَّر ، عن عبد الله بن عمر أنه قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ ﴾ الآية ، قام رجل فقال : والشرك يانبي الله . فكره ذلك النبي ، فقال : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » .

٩٧٣٢ – حدثني محمد بن خلف العسقلاني قال، حدثنا آدم قال ، حدثنا الهيثم بن جَمّاز قال ، حدثنا بكر بن عبد الله المزني ، عن ابن عمر قال : كنا معشر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا نَشُكُّ في قاتلِ النفس ، وآكل مال اليتيم ، وشاهد الزور ، وقاطع الرَّحم ، حتى نزلت هذه الآية : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » ، فأمسكنا عن الشهادة .(١)

* * *

وقد أبانت هذه الآية أنّ كل صاحب كبيرة في مشيئة الله ، إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عاقبه عليه ، ما لم تكن كبيرته شركاً بالله .

* * *

من أهله يقال له المجبر ، قد أفاض ولم يحلق ولم يقصر ، جهل ذلك ، فأمره عبد الله أن يرجع ، فيحلق أو يقصر ، ثم يرجع إلى البيت فيفيض » .

ولم أجد له ترجمة غير ذلك . فهذا تابعي عرف شخصه ، ولم يذكر بجرح ، فأقل حالاته أن يكون حديثه حسناً .

والحديث نقله ابن كثير ٢ : ٤٨١ ، عن هذا الموضع . ثم قال : « وقد رواه ابن مردويه من طرق عن ابن عمر » .

وذكره السيوطي ١ : ١٦٩ ، ونسبه أيضاً لابن أبي حاتم .

وسيأتي عقب هذا بإسناد ضعيف ، لإبهام شيخ الطبري .

(١) الحديث : ٩٧٣٢ – آدم : هو ابن أبي إياس العسقلاني . مضت ترجمته في : ١٨٧ ، الهيثم بن جماز البكاء ، الحنفي البصري القاضي : ضعيف ، ضعفه أحمد ، وابن معين ، والنسائي ، وغيرهم . مترجم في لسان الميزان ٦ : ٢٠٤ – ٢٠٥ ، والكبير للبخاري ٤/٢/٢١٦ . وابن أبي حاتم ٤/٢/٨١ ، والضعفاء للنسائي ، ص : ٣٠ .

و « جماز » : بفتح الجيم وتشديد الميم وآخره زاي . ووقع في المخطوطة والمطبوعة « حماد » ، وهو تصحيف . وكذلك وقع مصحفاً في التهذيب ١١ : ١٠٠ ، عند ذكره بترجمة « الهيثم بن أبي الهيثم » .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ (٤٨)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « ومن يشرك بالله » فى عبادته غيره من خلقه = « فقد افترى إثما عظيما » ، يقول : فقد اختلق إثما عظيماً .[1] وإنما جعله الله تعالى ذكره « مفترياً » ، لأنه قال زوراً وإفكاً بجحوده وحدانية الله ، وإقراره بأن لله شريكاً من خلقه وصاحبة أو ولداً . فقائل ذلك مُفترٍ . وكذلك كل كاذب ، فهو مفترٍ فى كذبه مختلقٌ له .

* * *

بكر بن عبد الله المزنى : تابعى ثقة معروف ، أخرج له الجماعة .

والحديث ذكره السيوطى ٢ : ١٦٩ ، ونسبه أيضاً لابن أبى حاتم ، والبزار .

ومعناه ثابت عن ابن عمر من روايات أخر :

فى الدر المنثور ٢ : ١٦٩ « أخرج ابن الضريس ، وأبو يعلى ، وابن المنذر ، وابن عدى — بسند صحيح ، عن ابن عمر ، قال : كنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر ، حتى سمعنا من نبينا صلى الله عليه وسلم : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) ، وقال : إنى ادخرت دعوتى ، شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى ، فأمسكنا عن كثير مما كان فى أنفسنا ، ثم نطقنا بعد ورجونا » . وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧ : ٥ ، وقال : « رواه أبو يعلى ، ورجاله رجال الصحيح ، غير حرب بن سريج ، وهو ثقة » .

وفى مجمع الزوائد ١٠ : ٢١٠ — ٢١١ « عن ابن عمر ، قال : كنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر ، حتى سمعنا نبينا صلى الله عليه وسلم يقول (إن الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) ، وقال : اخرت شفاعتى لأهل الكبائر يوم القيامة . رواه البزار ، وإسناده جيد » . وهو نحو الذى قبله .

وفيه أيضاً روايات بهذا المعنى عن ابن عمر ١٠ : ١٩٣ .

هذا ، وكان فى المخطوطة : « لا نشك فى المؤمن ، وآكل مال اليتيم » : بينهما بياض وقبل « المؤمن » فى أعلاه حرف « ط » ، وهذا دال على أن النسخة التى نقل عنها كانت غير واضحة فأثبتنا ما جاء فى الروايات الأخر .

(١) انظر تفسير « افترى » فيما سلف ٦ : ٢٩٢ .

القول فى تأويل قوله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ألم تر ، يا محمد بقلبك ،[1] الذين يزكون أنفسهم من اليهود فيبرّئونها من الذنوب ويطهرونها .[2]

* * *

واختلف أهل التأويل ، فى المعنى الذى كانت اليهود تُزكى به أنفسها .

فقال بعضهم : كانت تزكيتهم أنفسَهم ، قولهم : « نحن أبناء الله وأحباؤه » .

* ذكر من قال ذلك :

٩٧٣٣ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكى من يشاء ولا يُظلمون فتيلا » ، وهم أعداء الله اليهود ، زكوا أنفسهم بأمر لم يبلغوه ، فقالوا : « نحن أبناء الله وأحِبّاؤه » . وقالوا : « لا ذنوب لنا » . ٨١/٥

٩٧٣٤ — حدثنا الحسن ابن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الحسن فى قوله : « ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم » ، قال : هم اليهود والنصارى ، قالوا : « نحن أبناء الله وأحباؤه » . وقالوا : « لن يدخل الجنة إلاّ من كان هوداً أو نصارى » .

٩٧٣٥ — وحدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا أبو تميلة ، عن عبيد بن سليمان ، عن الضحاك قال : قالت يهود : « ليست لنا ذنوب إلاّ كذنوب أولادنا يوم يولدون ! فإن كانت لهم ذنوب فإنّ لنا ذنوباً ! فإنما نحن

---

(١) انظر تفسير « ألم تر » فيما سلف قريباً : ٤٢٦، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « التزكية » فيما سلف : ٣٦٩ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

مثلهم » ! قال الله تعالى ذكره : ﴿ أُنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا ﴾ .

٩٧٣٦ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: « ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم»، قال : قال أهل الكتاب : « لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى» ، وقالوا : « نحن أبناء الله وأحباؤه » ، وقالوا : « نحن على الذي يحب الله ». فقال تبارك وتعالى : « ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء » ، حين زعموا أنهم يدخلون الجنة ، وأنهم أبناء الله وأحباؤه وأهل طاعته .

٩٧٣٧ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدي : « ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا » ، نزلت في اليهود ، قالوا : « إنا نعلم أبناءنا التوراة صغاراً ، فلا تكون لهم ذنوب ، وذنوبنا مثل ذنوب أبنائنا ، ما عملنا بالنهار كُفِّر عنا بالليل » .

* * *

وقال آخرون : بل كانت تزكيتهم أنفسَهم ، تقديمهم أطفالهم لإمامتهم في صلاتهم ، زعماً منهم أنهم لا ذنوب لهم .

* ذكر من قال ذلك :

٩٧٣٨ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله: « يزكون أنفسهم » ، قال : يهود ، كانوا يقدمون صبيانهم في الصلاة فيؤمُّونهم، يزعمون أنهم لا ذنوب لهم . فتلك التزكية .

٩٧٣٩ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٩٧٤٠ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن الأعرج ، عن مجاهد قال : كانوا يقدمون الصبيان أمامهم في

الدعاء والصلاة يؤمّونهم ، ويزعمون أنهم لا ذنوب لهم . فتلك تزكية = قال ابن جريج : هم اليهود والنصارى .

٩٧٤١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن حصين ، عن أبي مالك في قوله : « ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم » ، قال: نزلت في اليهود، كانوا يقدمون صبيانهم يقولون : « ليست لهم ذنوب » .

٩٧٤٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن أبي مكين ، عن عكرمة في قوله : « ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم » ، قال : كان أهل الكتاب يقدمون الغلمان الذين لم يبلغوا الحِنْث يصلّون بهم ، يقولون : « ليس لهم ذنوب » ! فأنزل الله : « ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم » ، الآية .[1]

* * *

وقال آخرون : بل تزكيتهم أنفسهم ، كانت قولهم : « إن أبناءنا سيشفعون لنا ويزكوننا » .

* ذكر من قال ذلك :

٩٧٤٣ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله: « ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم » ، وذلك أن اليهود قالوا: « إن أبناءنا قد تُوُفُّوا ، وهم لنا قربة عند الله، وسيشفعون ويزكوننا » ! فقال الله لمحمد: « ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم » إلى « ولا يظلمون فتيلا » .

* * *

وقال آخرون : بل ذلك كان منهم ، تزكية من بعضهم لبعض .

* ذكر من قال ذلك :

٩٧٤٤ – حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي قال، حدثنا أبي ، عن أبيه ،

---

(١) الأثر : ٩٧٤٢ – « أبو مكين » هو : نوح بن ربيعة الأنصاري ، مولاهم . مترجم في التهذيب .

عن الأعمش ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب قال : قال عبد الله : إن الرجل ليغدو بدينه ، ثم يرجع وما معه منه شيء ! يلقى الرجل ليس يملك له نفعاً ولا ضرًّا ، فيقول : « والله إنك لذَيْتَ وذَيْتَ » ، ولعله أن يرجع ولم يَحْلَ من حاجته بشيء ،[1] وقد أسخط الله عليه . ثم قرأ : « ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم » الآية.[2]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب ، قول من قال : معنى « تزكية القوم » ، الذين وصفهم الله بأنهم يزكون أنفسهم ، وَصفهم إياها بأنها لا ذنوب لها ولا خطايا ، وأنهم لله أبناء وأحبّاء ، كما أخبر الله عنهم أنهم كانوا يقولونه . لأن ذلك هو أظهر معانيه ، لإخبار الله عنهم أنهم إنما كانوا يزكون أنفسهم دون غيرها .

* * *

وأما الذين قالوا : معنى ذلك : « تقديمهم أطفالهم للصلاة » ، فتأويل لا تدرك صحته إلا بخبر حجة يوجب العلم .

* * *

وأما قوله جل ثناؤه : « بل الله يزكي من يشاء » ، فإنه تكذيب من الله المزكّين ٥/٨٢
أنفسهم من اليهود والنصارى ، المبرّئيها من الذنوب . يقول الله لهم : ما الأمر كما

---

(١) في المطبوعة : « ويجعله أن يرجع » ، وهو خطأ لاشك فيه ، والصواب في المخطوطة . وقوله : « لم يحل من حاجة بشيء » ، أي لم يظفر منها بشيء ، ولم يصب شيئاً مما ابتغى ، وهو لا يستعمل إلا مع النفي والجحد بهذا المعنى .

وقوله : « ذيت وذيت » ، من ألفاظ الكنايات ، بمعنى : « كيت وكيت » .

(٢) الأثر : ٩٧٤٤ - « يحيى بن إبراهيم بن أبي عبيدة بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله ابن مسعود المسعودي » سلفت ترجمته برقم : ٥٣٧٩ .

و « قيس بن مسلم الجدلي العدواني » ، روى عن طارق بن شهاب ، وروى عنه الأعمش ، وسفيان الثوري وآخرون . قال أحمد « ثقة في الحديث ، كان مرجئاً » وقال أحمد عن سفيان : « يقولون : ما رفع رأسه إلى السماء منذ كذا وكذا تعظيما لله » .

و « طارق بن شهاب الأحمسي » ، روى عنه الأربعة . ورأى طارق النبي صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه مرسلا ، وروى عن الخلفاء الأربعة ، وبلال ، وحذيفة ، وخالد بن الوليد .

زعمتم أنه لا ذنوب لكم ولا خطايا ، وأنكم برآء مما يكرهه الله ، ولكنكم أهل فِرْية وكذب على الله ، وليس المزكّى من زكى نفسه ، ولكنه الذى يزكيه الله ، والله يزكى من يشاء من خلقه فيطهره ويبرّئه من الذنوب ، بتوفيقه لاجتناب ما يكرهه من معاصيه ، إلى ما يرضاه من طاعته .

وإنما قلنا إنّ ذلك كذلك ، لقوله جل ثناؤه : « انظر كيف يفترون على الله الكذب » ، وأخبر أنهم يفترون على الله الكذب بدعواهم أنهم أبناء الله وأحباؤه ، وأن الله قد طهرهم من الذنوب .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾ (٤٩)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ولا يظلم الله هؤلاء الذين أخبر عنهم أنهم يزكون أنفسهم ولا غيرهم من خلقه ، فيبخسهم فى تركه تزكيتهم ، وتزكية من ترك تزكيته ، وفى تزكية من زكى من خلقه = شيئاً من حقوقهم ، ولا يضع شيئاً فى غير موضعه ، ولكنه يزكى من يشاء من خلقه ، فيوفّقه ، ويخذل من يشاء من أهل معاصيه . كل ذلك إليه وبيده ، وهو فى كل ذلك غير ظالم أحداً = ممن زكاه أو لم يزكه = فتيلاً .

* * *

واختلف أهل التأويل فى معنى « الفتيل » .

فقال بعضهم : هو ما خرج من بين الإصبعين والكفين من الوسخ ، إذا فتلتَ إحداهما بالأخرى .

* ذكر من قال ذلك :

٩٧٤٥ – حدثنى سليمان بن عبد الجبار [قال ، حدثنا محمد بن الصلت]

قال ، حدثنا أبو كدينة ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : الفتيل ما خرج من بين إصبعيك .(١)

٩٧٤٦ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن أبي إسحق الهمداني ، عن التيمي قال : سألت ابن عباس عن قوله : « ولا يظلمون فتيلا » ، قال : ما فتلت بين إصبعيك .

٩٧٤٧ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن يزيد بن درهم أبي العلاء قال ، سمعت أبا العالية ، عن ابن عباس : « ولا يظلمون فتيلا » ، قال : الفتيل ، هو الذي يخرج من بين إصبعي الرجل .(٢)

٩٧٤٨ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « ولا يظلمون فتيلا » ، والفتيل ، هو أن تدلُك إصبعيك ،(٣) فما خرج بينهما فهو ذلك .

٩٧٤٩ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حصين ،

---

(١) الأثر : ٩٧٤٥ – « سليمان بن عبد الجبار بن زريق الخياط » مضى برقم : ٥٩٩٤ – وكذلك مضت ترجمة : « محمد بن الصلت » ، وترجمة « أبي كدينة : يحيى بن المهلب » . هذا وقد كان الإسناد مخروماً فيما رجحت ، سقط منه ذكر « محمد بن الصلت » كما مضى في ٥٩٩٤ ، ٧٩٦٤ ، وكما سيأتي الإسناد نفسه برقم : ٩٧٩٩ ، ولأن سليمان بن عبد الجبار ، لم يلحق « أبا كدينة » .

و « قابوس » هو : قابوس بن أبي ظبيان الجنبي ، روى عن أبيه حصين بن جندب . وهو ضعيف ، لا يحتج به ، كما قال ابن سعد . قال ابن حبان : « كان رديء الحفظ ، ينفرد عن أبيه بما لا أصل له » .

وأبوه : « حصين بن جندب الجنبي ، أبو ظبيان . روى عن عمر ، وعلي ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وابن عمر وغيرهم من الصحابة والتابعين ، وهو ثقة . مترجم في التهذيب .

(٢) الأثر : ٩٧٤٧ – « يزيد بن درهم ، أبي العلاء العجمي » ، أخو : محمد بن درهم ، روى عن أنس بن مالك ، والحسن ، وهذا هو يروى أيضاً عن أبي العالية ، ولم يذكروه . روى عنه وكيع ، وعبد الصمد بن عبد الوارث . قال الفلاس : « ثقة » ، وقال ابن معين : « ليس بشيء » . وذكره ابن حبان في الثقات وقال : « يخطيء كثيراً » . مترجم في ابن أبي حاتم ٤/٢/٢٦٠ ، ولسان الميزان ٦ : ٢٨٦ . وانظر الأثر التالي : ٩٨١١ ، والتعليق عليه .

هذا ، وكان في المطبوعة : « زيد بن درهم : . . . » ، والصواب من المخطوطة .

(٣) في المطبوعة « تدلك بين إصبعيك » ، زاد « بين » ، وليست في المخطوطة .

عن أبي مالك في قوله : « ولا يظلمون فتيلا » ، قال : الفتيل ، الوَسخ الذي يخرج من بين الكفين .

٩٧٥٠ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي ، قال : الفتيل ، ما فتلت به يديك ، فخرج وَسَخ .

٩٧٥١ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ابن عباس في قوله : « ولا يظلمون فتيلا » ، قال : ما ندلكه في يديك فيخرج بينهما .

* * *

وأناس يقولون : الذي يكون في بَطن النواة .

* ذكر من قال ذلك :

٩٧٥٢ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « فتيلا » ، قال : الذي في بطن النواة .

٩٧٥٣ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن طلحة بن عمرو ، عن عطاء قال : الفتيل ، الذي في بطن النواة .

٩٧٥٤ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثني طلحة بن عمرو : أنه سمع عطاء بن أبي رباح يقول ، فذكر مثله .

٩٧٥٥ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، أخبرني عبد الله بن كثير : أنه سمع مجاهداً يقول : الفتيل ، الذي في شِقّ النواة .

٩٧٥٦ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا محمد بن سعيد قال ، حدثنا سفيان بن سعيد ، عن منصور ، عن مجاهد قال : الفتيل ، في النَّوى .

٩٧٥٧ – حدثنا الحسن بن يحيى قال : أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا

معمر ، عن قتادة فى قوله : « ولا يظلمون فتيلا » ، قال : الفتيل الذى فى شِقّ النواة .

٩٧٥٨ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول : الفتيل ، شق النواة .

٩٧٥٩ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : الفتيل ، الذى فى بطن النواة .

٩٧٦٠ – حدثنى يحيى بن أبى طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك قال : الفتيل ، الذى يكون فى شِقّ النواة .

٩٧٦١ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ولا يظلمون فتيلا » ، فتيل النواة .

٩٧٦٢ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا أبو عامر قال ، حدثنا قرة ، عن عطية قال : الفتيل ، الذى فى بطن النواة .(١) ٨٣/٥

* * *

قال أبو جعفر : وأصل « الفتيل » ، المفتول ، صرف من «مفعول » إلى « فعيل» كما قيل : « صريع » و « دهين » من « مصروع » و « مدهون » .

* * *

وإذ كان ذلك كذلك = وكان الله جل ثناؤه إنما قصد بقوله : « ولا يظلمون فتيلا » ، الخبرَ عن أنه لا يظلم عبادَه أقلَّ الأشياء التى لا خطر لها ، فكيف بما له خطر ؟ = وكان الوسخ الذى يخرج من بين إصبعى الرجل أو من بين كفيه إذا فتل إحداهما على الأخرى ، كالذى هو فى شق النواة وبطنها ، وما أشبه ذلك من

---

(١) الأثر : ٩٧٦٢ – « أبو عامر » هو أبو عامر العقدى ، عبد الملك بن عمرو ، مضت ترجمته برقم : ٤١٤٣

و « قرة » هو قرة بن خالد السدوسى ، روى عن أبى رجاء العطاردى ، وابن سيرين ، والحسن . وروى عنه شعبة ، ويحيى بن سعيد القطان ، وأبو داود الطيالسى ، وغيرهم . مترجم فى التهذيب و « عطية » هو : عطية بن سعد بن جنادة العوفى . مترجم فى رقم : ٣٠٥ .

الأشياء التى هى مفتولة ، مما لا خطر له ، ولا قيمة = فواجبٌ أن يكون كل ذلك داخلاً فى معنى « الفتيل » ، إلا أن يخرج شيئاً من ذلك ما يجب التسليم له ، مما دل عليه ظاهر التنزيل .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (٥٠)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : انظر ، يا محمد ، كيف يفترى هؤلاء الذين يزكون أنفسهم من أهل الكتاب = القائلون : « نحن أبناء الله وأحباؤه » ، وأنه لن يدخل الجنة إلاّ من كان هوداً أو نصارى ، الزاعمون أنه لا ذنوب لهم = الكذبَ والزور من القول ، فيختلقونه على الله = « وكفى به » ، يقول : وحسبهم بقيلهم ذلك الكذبَ والزورَ على الله = « إثماً مبيناً » ، يعنى أنه يبين كذبهم لسامعيه ، ويوضح لهم أنهم أفَكَةٌ فجرة ، [1] كما : —

٩٧٦٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم » ، قال : هم اليهود والنصارى = « انظر كيف يفترون على الله الكذب » . [2]

* * *

(١) انظر تفسير ألفاظ هذه الآية فيما سلف من فهارس اللغة .

(٢) انظر تفسير « ألم تر » ، فيما سلف قريباً : ٤٥٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك = وتفسير « النصيب » فيما سلف : ٤٢٧ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ألم تر بقلبك ، يا محمد، إلى الذين أُعطوا حظًّا من كتاب الله فعلموه = « يؤمنون بالجبت والطاغوت » ، يعنى : يصدِّقون بالجبت والطاغوت ، ويكفرون بالله ، وهم يعلمون أن الإيمان بهما كفر ، والتصديقَ بهما شرك .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى معنى « الجبت » و « الطاغوت » .

فقال بعضهم : هما صنمان كان المشركون يعبدونهما من دون الله .

* ذكر من قال ذلك :

٩٧٦٤ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر قال ، أخبرنى أيوب ، عن عكرمة أنه قال : « الجبت » و « الطاغوت » ، صنمان .

* * *

وقال آخرون : « الجبت » الأصنام ، و « الطاغوت » تراجمة الأصنام .(١)

* ذكر من قال ذلك :

٩٧٦٥ — حدثنى محمد بن سعد ، قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت » ، « الجبت » الأصنام ، و « الطاغوت » ، الذين يكونون بين أيدى الأصنام يعبّرون عنها الكذبَ ليضلوا الناس .

* * *

وزعم رجال أنّ « الجبت » ، الكاهن ، و « الطاغوت » ، رجل من اليهود يدعى

---

(١) يعنى بقوله : « تراجمة الأصنام » ، الكهان ، تنطق على ألسنة الأصنام ، كأنها تقول للناس بلسانهم ، ما قالته تلك بألسنتها .

كعب بن الأشرف ، وكان سيّد اليهود .

* * *

وقال آخرون : « الجبت » ، السحر ، و « الطاغوت » ، الشيطان .

* ذكر من قال ذلك :

٩٧٦٦ – حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن أبي عدى ، عن شعبة ، عن أبي إسحق ، عن حسان بن فائد قال : قال عمر رحمه الله : « الجبت » السحر ، و « الطاغوت » الشيطان .(١)

٩٧٦٧ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي إسحق ، عن حسان بن فائد العبسى ، عن عمر مثله .(٢)

٩٧٦٨ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عبد الملك ، عمن حدثه ، عن مجاهد قال : « الجبت » السحر ، و « الطاغوت » الشيطان .

٩٧٦٩ – حدثني يعقوب قال ، أخبرنا هشيم قال ، أخبرنا زكريا ، عن الشعبي قال : « الجبت » ، السحر ، و « الطاغوت » ، الشيطان .

٩٧٧٠ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « يؤمنون بالجبت والطاغوت » ، قال : « الجبت » السحر ، و « الطاغوت » ، الشيطان في صورة إنسان يتحاكمون إليه ، وهو صاحب أمرهم .

٩٧٧١ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد قال : « الجبت » ، السحر ، و « الطاغوت » ، الشيطان والكاهن .

* * *

---

(١) الأثر : ٩٧٦٦ – « حسان بن فائد العبسى » ، مضى برقم : ٥٨٣٤ ، وكان في المطبوعة في هذا الأثر والذى يليه : « حسان بن قائد العنسى » . ومضى هذا الإسناد برقم : ٥٨٣٥ .

(٢) الأثر : ٩٧٦٧ – مضى برقم : ٥٨٣٤ .

وقال آخرون : « الجبت » ، الساحر ، و« الطاغوت » ، الشيطان .

• ذكر من قال ذلك :

٩٧٧٢ – حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : كان أبي يقول : « الجبت » ، الساحر ، و« الطاغوت » ، الشيطان .

* * *

وقال آخرون : « الجبت » ، الساحر ، و« الطاغوت » ، الكاهن .

• ذكر من قال ذلك : ٨٤/٥

٩٧٧٣ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير في هذه الآية : « الجبت والطاغوت » ، قال : « الجبت » الساحر ، بلسان الحبشة ، و« الطاغوت » الكاهن .

٩٧٧٤ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا داود ، عن رفيع قال : « الجبت » ، الساحر ، و« الطاغوت » ، الكاهن .

٩٧٧٥ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثني عبد الأعلى قال ، حدثنا داود ، عن أبي العالية أنه قال : « الطاغوت » الساحر ، و« الجبت » الكاهن .

٩٧٧٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن داود، عن أبي العالية ، في قوله : « الجبت والطاغوت» ، قال : أحدهما السحر ، والآخر الشيطان .

* * *

وقال آخرون : « الجبت» الشيطان ، و« الطاغوت » الكاهن .

• ذكر من قال ذلك :

٩٧٧٧ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يؤمنون بالجبت والطاغوت » ، كنا نحدّث أن الجبت شيطان ، والطاغوت الكاهن .

٩٧٧٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة مثله .

٩٧٧٩ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : « الجبت » الشيطان ، و « الطاغوت » الكاهن .

* * *

وقال آخرون : « الجبت » الكاهن ، و « الطاغوت » الساحر .[1]

* ذكر من قال ذلك :

٩٧٨٠ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن رجل ، عن سعيد بن جبير قال : « الجبت » الكاهن ، و « الطاغوت » الساحر .

٩٧٨١ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا حماد بن مسعدة قال ، حدثنا عوف ، عن محمد قال فى الجبت والطاغوت ، قال : « الجبت » الكاهن ، والآخر الساحر .

* * *

وقال آخرون : « الجبت » حيى بن أخطب ، و « الطاغوت » ، كعب بن الأشرف .

* ذكر من قال ذلك :

٩٧٨٢ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « يؤمنون بالجبت والطاغوت » ، « الطاغوت » : كعب بن الأشرف ، و « الجبت » : حيى بن أخطب .

٩٧٨٣ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : « الجبت » : حيى بن أخطب ، و « الطاغوت » : كعب ابن الأشرف .

٩٧٨٤ – حدثنى يحيى بن أبى طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « والطاهوت الشيطان » ، وصواب السياق ما أثبت .

جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « الجبت والطاغوت » ، قال : « الجبت » : حيي ابن أخطب ، و « الطاغوت » : كعب بن الأشرف .

* * *

وقال آخرون : « الجبت » كعب بن الأشرف ، و « الطاغوت » الشيطان .

* ذكر من قال ذلك :

٩٧٨٥ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد قال : « الجبت » : كعب بن الأشرف ، و « الطاغوت » : الشيطان ، كان فى صورة إنسان .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى تأويل : « يؤمنون بالجبت والطاغوت » ، أن يقال : يصدّقون بمعبودَين من دون الله ، يعبدونهما من دون الله ، ويتخذونهما إلهين .

وذلك أن « الجبت » و « الطاغوت » : اسمان لكل معظَّم بعبادةٍ من دون الله ، أو طاعة ، أو خضوع له ، كائناً ما كان ذلك المعظَّم ، من حجر أو إنسان أو شيطان . وإذ كان ذلك كذلك ، وكانت الأصنام التى كانت الجاهلية تعبدها ، كانت معظمة بالعبادة من دون الله = فقد كانت جُبوتاً وطواغيت . وكذلك الشياطين التى كانت الكفار تطيعها فى معصية الله ، وكذلك الساحر والكاهن اللذان كان مقبولاً منهما ما قالا فى أهل الشرك بالله . وكذلك حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف ، لأنهما كانا مطاعين فى أهل ملّتهما من اليهود فى معصية الله والكفر به وبرسوله ، فكانا جبتين وطاغوتين .

* * *

وقد بينت الأصل الذى منه قيل للطاغوت : « طاغوت » ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[1]

* * *

(١) انظر ما سلف ٥ : ٤١٩ ، وسائر الآثار فى « الطاغوت » من رقم : ٥٨٣٤ - ٥٨٤٥ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴾ (٥١)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ويقولون للذين جحدوا وحدانية الله ورسالة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم = : « هؤلاء » ، يعنى بذلك : هؤلاء الذين وصفهم الله بالكفر = « أهدى » ، يعنى : أقوم وأعدل = « من الذين آمنوا » ، يعنى : من الذين صدّقوا الله ورسوله وأقرُّوا بما جاءهم به نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم = « سبيلا » ، يعنى : طريقاً .

* * *

قال أبو جعفر : وإنما ذلك مَثَلٌ . ومعنى الكلام : أن الله وصف الذين أوتوا نصيباً من الكتاب من اليهود = بتعظيمهم غير الله بالعبادة والإذعان له بالطاعة = ٨٥/٥
فى الكفر بالله ورسوله ومعصيتهما ، بأنهم قالوا : [1] إن أهل الكفر بالله أولى بالحق من أهل الإيمان به ، وأن دين أهل التكذيب لله ولرسوله ، أعدل وأصوبُ من دين أهل التصديق لله ولرسوله .

* * *

وذكر أن ذلك من صفة كعب بن الأشرف ، وأنه قائل ذلك .

* ذكر الآثار الواردة بما قلنا :

٩٧٨٦ – حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا ابن أبى عدى ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما قدم كعب بن الأشرف مكة ، قالت له قريش : أنت حَبْر أهل المدينة وسيدهم ؟ [2] قال : نعم . قالوا : ألا ترى إلى هذا

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « وأنهم قالوا » بالواو ، والواو متصلة بالألف فى المخطوطة ، والصواب ما أثبته ، وقوله : « بأنهم » متعلق بقوله : « إن الله وصف . . . » .

(٢) فى المطبوعة : « خير أهل المدينة » ، وفى المخطوطة « حبر » ، وإن كانت غير منقوطة

الصُّنبور المنبتر من قومه ،[١] يزعم أنه خير منا ، ونحن أهل الحجيج وأهل السِّدانة وأهل السِّقاية ؟ قال : أنتم خير منه . قال : فأنزلت : ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ [سورة الكوثر : ٣] ، وأنزلت : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت » إلى قوله : « فلن تجد له نصيراً » .

٩٧٨٧ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا داود ، عن عكرمة فى هذه الآية : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب » ، ثم ذكر نحوه .

٩٧٨٨ – وحدثنى إسحق بن شاهين قال ، أخبرنا خالد الواسطى ، عن داود ، عن عكرمة قال : قدم كعب بن الأشرف مكة ، فقال له المشركون : احكم بيننا ، وبين هذا الصنبور الأبتر ، فأنت سيدنا وسيد قومك ! فقال كعب : أنتم والله خيرٌ منه ! فأنزل الله تبارك وتعالى : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب » ، إلى آخر الآية .[٢]

٩٧٨٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر قال ، أخبرنا أيوب ، عن عكرمة : أن كعب بن الأشرف انطلق إلى المشركين من كفار قريش ، فاستجاشهم على النبى صلى الله عليه وسلم ،[٣] وأمرهم أن

فى كثير من المواضع . ووقع فى لسان العرب مادة (صنبر) : « خير » ، وفى مادة (بتر) : « حبر » ، فأثبتها ورجحتها ، لأنهم إنما سألوه عن شأن الدين ، والحبر : العالم من أهل الكتاب ، فهو المسئول عن مثل ما سألوه عنه من أمر خير الدينين .

(١) « الصنبور » : سعفات تنبت فى جذع النخلة ، غير مستأرضة فى الأرض . ثم قالوا للرجل الفرد الضعيف الذليل الذى لا أهل له ولا عقب ولا ناصر « صنبور » . فأراد هؤلاء الكفار من قريش أن محمداً صلى الله عليه وسلم ، بأبى هو وأمى ، صنبور نبت فى جذع نخلة ، فإذا قلع انقطع : فكذلك هو إذا مات ، فلا عقب له . وكذبوا ، ونصر الله رسوله وقطع دابر الكافرين .
و « المنبتر » و « الأبتر » : المنقطع الذى لا عقب له .

(٢) الأثر : ٩٧٨٨ – « إسحق بن شاهين الواسطى » ، مضى برقم : ١٠٢١١ ، ولم نجد له ترجمة . و « خالد الواسطى » ، هو : خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن الواسطى » مضى برقم : ٧٢١١ .

(٣) « استجاش القوم » : طلب منهم أن يجيشوا جيشاً .

يغزوه ، وقال : إنا معكم نقاتله . فقالوا : إنكم أهل كتاب ، وهو صاحب كتاب ، ولا نأمن أن يكون هذا مكراً منكم ! فإن أردت أن نخرج معك ، فاسجد لهذين الصنمين وآمن بهما . ففعل. ثم قالوا: نحن أهدى أم محمد؟ فنحن ننحر الكوماء ،[1] ونسقى اللبن على الماء ، ونصل الرحم، ونقرى الضيف ، ونطوف بهذا البيت، ومحمد قطع رحمه ، وخرج من بلده ؟ قال: بل أنتم خير وأهدى ! فنزلت فيه : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا » .

٩٧٩٠ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : قال : لما كان من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم واليهود من النضير ما كان ،[2] حين أتاهم يستعينهم فى دية العامريَّين ، فهمّوا به وبأصحابه ،[3] فأطلع الله رسوله على ما هموا به من ذلك . ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فهرب كعب بن الأشرف حتى أتى مكة ، فعاهدهم على محمد، فقال له أبو سفيان: يا أبا سعد، إنكم قوم تقرأون الكتابَ وتعلمون ، ونحن قوم لا نعلم ! فأخبرنا ، ديننا خير أم دين محمد ؟ قال كعب : اعرضوا علىّ دينكم . فقال أبو سفيان: نحن قوم ننحر الكوماء، ونسقى الحجيج الماء ، ونقرى الضيف ، ونعمر بيت ربنا ، ونعبد آلهتنا التى كان يعبد آباؤنا ، ومحمد يأمرنا أن نترك هذا ونتبعه ! قال : دينكم خير من دين محمد ، فاثبتوا عليه ، ألا ترون أنّ محمداً يزعم

---

(١) « الكوماء » : هى الناقة المشرفة السنام العاليته ، وهذه خير النوق وأسمنها وأعزها عليهم، والجمع « كوم » .

(٢) فى المطبوعة : « واليهود بنى النضير » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) ذلك فى سنة أربع من الهجرة ، فأرادوا أن يغدروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتمالأوا على أن يلقوا عليه حجراً من فوق جدار البيت الذى كان رسول الله جالساً إلى جنبه ، فأطلعه الله على ذلك من أمرهم ، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة ، ثم أمر بالتهيؤ لحرب بنى النضير ، فحاصرهم ، وأجلاهم ، وفيهم نزلت « سورة الحشر » بأسرها . انظر سيرة ابن هشام ٣ : ١٩٩ – ٢١٣ .

أنه بُعِث بالتواضع ، وهو ينكح من النساء ما شاء ! وما نعلم مُلْكاً أعظم من ملك النساء ! ! [١] فذلك حين يقول : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا » .

٩٧٩١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : نزلت في كعب بن الأشرف وكفار قريش ، قال : كفار قريش أهدى من محمد ! « عليه السلام » = قال ابن جريج : قدم كعب ابن الأشرف ، فجاءته قريش فسألته عن محمد ، فصغّر أمره ويسّره ، وأخبرهم أنه ضالٌّ . قال : ثم قالوا له : ننشدك الله ، نحن أهدى أم هو ؟ فإنك قد علمت أنا ننحر الكُوم ، ونسقي الحجيج ، ونعمر البيت ، ونطعم ما هبّت الريح ؟ [٢] قال : أنتم أهدى .

* * *

وقال آخرون : بل هذه الصفة ، صفة جماعة من اليهود ، منهم : حُيَيّ بن أخطب ، وهم الذين قالوا للمشركين ما أخبر الله عنهم أنهم قالوه لهم .

* ذكر الأخبار بذلك :

٩٧٩٢ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عمن قاله قال ، أخبرني محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان الذين حزّبوا الأحزاب من قريش وغطفان وبني قريظة : حيي ٨٦/٥
ابن أخطب ، وسلاّم بن أبي الحقيق أبو رافع ، [٣] والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق ، [٤]

---

(١) لم تزل هذه مقالة كل طاعن على رسول الله من المستشرقين وأذنابهم في كل أرض ، والكفر كله ملة واحدة ، والذي يلقى على ألسنتهم ، هو الذي ألقى على لسان هذا اليهودي الفاجر ، عدو الله وعدو رسوله .

(٢) قوله : « نطعم ما هبت الريح » ، يراد به معنى الدوام . ولو أرادوا به زمن الشتاء في القحط ، لكان صواباً .

(٣) في المطبوعة : « وأبو رافع » بزيادة الواو ، وهو خطأ : « أبو رافع » كنية سلام ابن أبي الحقيق . والصواب من المخطوطة ، وهو مطابق لما في سيرة ابن هشام .

(٤) في المطبوعة : « والربيع بن أبي الحقيق » أسقط « بن الربيع » ، والصواب من المخطوطة ،

وأبو عمار ،[١] ووَحْوَح بن عامر ، وهوذة بن قيس = فأما وحوح وأبو عمار وهوذة ،[١] فمن بني وائل ، وكان سائرهم من بني النضير = فلما قدموا على قريش قالوا : هؤلاء أحبار يهود وأهل العلم بالكتب الأُوَل ، فاسألوهم : أدينكم خير أم دين محمد ؟ فسألوهم ، فقالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أهدى منه وممن اتبعه ! فأنزل الله فيهم : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت » ، إلى قوله : « وآتيناهم ملكاً عظيماً » .[٢]

٩٧٩٣ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت » ، الآية ، قال : ذُكر لنا أن هذه الآية أنزلت في كعب بن الأشرف ، وحيي ابن أخطب ، ورجلين من اليهود من بني النضير ، لقيا قريشاً بمَوْسم ،[٣] فقال لهم المشركون : أنحن أهدى أم محمد وأصحابه ؟ فإنا أهل السِّدانة والسقاية ، وأهل الحرم ؟ فقالا : لا ، بل أنتم أهدى من محمد وأصحابه ! وهما يعلمان أنهما كاذبان ، إنما حملهما على ذلك حَسَد محمد وأصحابه .

* * *

وقال آخرون : بل هذه صفة حيي بن أخطب وحده ، وإياه عنى بقوله : « ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا » .

* ذكر من قال ذلك :

٩٧٩٤ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب » إلى آخر الآية ، قال : جاء حيي بن

وهو مطابق لما في سيرة ابن هشام .

(١) « أبو عمار » ، في المطبوعة في الموضعين « أبو عامر » ، وهو خطأ ، صوابه من المخطوطة ، وهو مطابق لما في سيرة ابن هشام .

(٢) الأثر : ٩٧٩٢ – سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٠ ، وهو تابع الآثار التي آخرها رقم : ٩٧٢٤ .

(٣) الموسم : مجتمع الناس ، في سوق أو في حج أو غيرهما .

أخطب إلى المشركين فقالوا : يا حيي ، إنكم أصحاب كتب ، فنحن خير أم محمد وأصحابه ؟ فقال : نحن وأنتم خير منهم ! فذلك قوله : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب » إلى قوله : « ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصحة فى ذلك ، قولُ من قال : إن ذلك خبر من الله جل ثناؤه عن جماعة من أهل الكتاب من اليهود . وجائز أن تكون كانت الجماعةَ الذين سماهم ابن عباس فى الخبر الذى رواه محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو سعيد ، = أو يكون حُيَيًّا وآخر معه ،[1] إما كعباً ، وإما غيره .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴾ (٥٢)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « أولئك » ، هؤلاء الذين وصف صفتهم أنهم أوتوا نصيباً من الكتاب وهم يؤمنون بالجبت والطاغوت ، هم « الذين لعنهم الله » ، يقول : أخزاهم الله فأبعدهم من رحمته ، بإيمانهم بالجبت والطاغوت ، وكفرهم بالله ورسوله عناداً منهم لله ولرسوله ، وبقولهم للذين كفروا : « هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا » = « ومن يلعن الله » ، يقول : ومن يخزه الله فيبعده من رحمته = « فلن تجد له نصيراً » ، يقول : فلن تجد له ، يا محمد ، ناصراً ينصره من عقوبة الله ولعنته التى تحلّ به ، فيدفع ذلك عنه ، كما :—

٩٧٩٥ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن

---

(١) فى المطبوعة : « أن يكون » ، وهو خطأ لا ريب فيه ، صوابه ما أثبت .

قتادة قال : قال كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب ما قالا = يعني من قولهما : « هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا » = وهما يعلمان أنهما كاذبان ، فأنزل الله : « أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً » .(١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴾ (٥٣)

قال أبو جعفر : يعني بقوله جل ثناؤه : « أم لهم نصيب من الملك » ، أم لهم حظ من الملك ، يقول : ليس لهم حظ من الملك ،(٢) كما :—

٩٧٩٦ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « أم لهم نصيب من الملك » ، يقول : لو كان لهم نصيب من الملك ، إذاً لم يؤتوا محمداً نقيراً .

٩٧٩٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج قال ، قال ابن جريج : قال الله : « أم لهم نصيب من الملك » ، قال : فليس لهم نصيب من الملك ، [لم يؤتوا الناس نقيراً] = « فإذا لا يؤتون الناس نقيراً » ،(٣) ولو كان لهم نصيب وحظ من الملك ، لم يكونوا إذاً يعطون الناس نقيراً ، من بُخْلهم .

* * *

واختلف أهل التأويل في معنى : « النقير » .

فقال بعضهم : هو النقطة التي في ظهر النواة .

---

(١) انظر تفسير « اللعنة » فيما سلف : ٤٣٩ ، تعليق ٢ ، والمراجع هناك = وتفسير « النصير » فيما سلف : ٤٣٠ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « النصيب » فيما سلف : ٤٦٠ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) في المطبوعة حذف جملة « لم يؤتوا الناس نقيراً » كلها ، وهي في الحقيقة جملة قلقة ، فأثبتها كما هي بين قوسين .

• ذكر من قال ذلك :

٩٧٩٨ – حدثني المثنى قال ، حدثني عبد الله قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « نقيراً » ، يقول : النقطة التي في ظهر النواة .

٩٧٩٩ – حدثني سليمان بن عبد الجبار قال، حدثنا محمد بن الصلت قال ، حدثنا أبو كدينة ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : النقير الذي في ظهر النواة .[1] ٨٧/٥

٩٨٠٠ – حدثني جعفر بن محمد الكوفي المروزي قال ، حدثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : النقير وَسط النواة .[2]

٩٨٠١ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي، عن أبيه ، عن ابن عباس : « فإذًا لا يؤتون الناس نقيراً » ، « النقير » نقيرُ النواة ، وَسطها .

٩٨٠٢ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قوله : « أم لهم نصيب من الملك فإذًا لا يؤتون الناس نقيراً » ، يقول : لو كان لهم نصيب من الملك، إذًا لم يؤتوا محمداً نقيراً = و « النقير » ، النكتة التي في وَسَط النواة .

٩٨٠٣ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثني طلحة بن عمرو : أنه سمع عطاء بن أبي رباح يقول : النقير الذي في ظَهر النواة .

---

(١) الأثر : ٩٧٩٩ – انظر التعليق على الأثر رقم : ٩٧٤٥ .

(٢) الأثر : ٩٨٠٠ – « جعفر بن محمد الكوفي المروزي» ، لم أعرف من هو ، ولكني رأيت أبا جعفر روى عنه في التاريخ ٥ : ١٨ ، دون ذكر « المروزي » ، و « جعفر بن محمد » كثير ، ولكن لم أجد هذه النسب التي ذكرها الطبري . و « عبيد الله » لم أعرفه .

٩٨٠٤ – حدثني يحيى بن أبي طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك قال : « النقير » ، النقرة التي تكون في ظهر النواة .

٩٨٠٥ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا حصين، عن أبي مالك قال : « النقير » ، الذي في ظهر النواة .

* * *

وقال آخرون : « النقير » ، الحبة التي تكون في وَسَط النواة .

* ذكر من قال ذلك :

٩٨٠٦ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ،عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « نقيراً » ، قال : « النقير » ، حبة النواة التي في وَسَطها .

٩٨٠٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « فإذًا لا يؤتون الناس نقيراً »، قال : النقير ، حبة النواة التي في وسطها .

٩٨٠٨ – حدثنا محمد بن بشار قال،حدثنا يحيى بن سعيد قال ، حدثنا سفيان بن سعيد ، عن منصور ، عن مجاهد قال : « النقير » ، في النوى .

٩٨٠٩ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، أخبرني عبد الله بن كثير : أنه سمع مجاهداً يقول : « النقير » ، نقير النواة الذي في وسطها .

٩٨١٠ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ يقول، أخبرنا عبيد بن سليمان قال، سمعت الضحاك بن مزاحم يقول : « النقير» ، نقير النواة الذي يكون في وَسط النواة .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : نَقْرُ الرجل الشيء بطرَف أصابعه .

* ذكر من قال ذلك :

٩٨١١ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن يزيد بن درهم أبي العلاء قال ، سمعت أبا العالية : ووضع ابن عباس طرف الإبهام على ظهر السبابة ، ثم رفعهما وقال : هذا النقير .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله وصف هؤلاء الفرْقة من أهل الكتاب بالبخل باليسير من الشيء الذي لا خطر له ، ولو كانوا ملوكاً وأهلَ قدرة على الأشياء الجليلة الأقدار .

فإذْ كان ذلك كذلك ، فالذي هو أولى بمعنى « النقير » ، أن يكون أصغرَ ما يكون من النُّقر . وإذا كان ذلك أولى به ، فالنقرة التي في ظهر النواة من صغار النُّقر ، وقد يدخل في ذلك كل ما شاكلها من النُّقر .

* * *

ورفع قوله : « لا يؤتون الناس » ، ولم ينصبْ بـ « إذَنْ » ، ومن حكمها أن تنصب الأفعال المستقبلة إذا ابتدئ الكلام بها ،لأن معها « فاء » . ومن حكمها إذا دخل فيها بعضُ حروف العطف ، أن توجه إلى الابتداء بها مرة ، وإلى النقل عنها إلى غيرها أخرى . وهذا الموضع مما أريد بـ « الفاء » فيه ، النقل عن « إذَنْ » إلى ما بعدها ، وأن يكون معنى الكلام : أم لهم نصيب ، فلا يؤتون الناس نقيراً إذَنْ .(٢)

* * *

---

(١) الأثر : ٩٨١١ - « يزيد بن درهم ، أبي العلاء » مضى برقم : ٩٧٤٧ في مثل هذا الإسناد ، وقد علقت عليه هناك . وكان في المطبوعة هنا أيضاً « زيد بن درهم » ، وقد بينت خطأ ذلك هناك . أما المخطوطة هنا ، فكان فيها : « عن ابن در بن درهم » سيئة الكتابة ، متصلة الراءين ، غير منقوطة .

(٢) القول في « إذن » ، استوفاه الفراء في معاني القرآن ١ : ٢٧٣ ، ٢٧٤ .

القول فى تأويل قوله ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « أم يحسدون الناس » ، أم يحسد هؤلاء الذين أوتوا نصيباً من الكتاب من اليهود ، كما : —

٩٨١٢ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « أم يحسدون الناس » ، قال : يهود .

٩٨١٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٩٨١٤ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة مثله .

* * *

وأما قوله : « الناس » ، فإن أهل التأويل اختلفوا فيمن عَنَى الله به .

فقال بعضهم : عنى الله بذلك محمداً صلى الله عليه وسلم خاصةً .

* ذكر من قال ذلك :

٩٨١٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط قال ، أخبرنا هشيم ، عن خالد ، عن عكرمة فى قوله : « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » ، قال : « الناس » فى هذا الموضع ، النبيّ صلى الله عليه وسلم خاصةً .

٨٨/٥ ٩٨١٦ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنى أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » ، يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم .

٩٨١٧ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس مثله.

٩٨١٨ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: «أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله»، قال: «الناس»، محمداً صلى الله عليه وسلم.

٩٨١٩ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ يقول، أخبرنا عبيد بن سليمان قال، سمعت الضحاك يقول، فذكر نحوه.

* * *

وقال آخرون: بل عنى الله به العرب.

* ذكر من قال ذلك:

٩٨٢٠ – حدثنا بشر بن معاذ قال: حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: «أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله»، أولئك اليهود، حسدوا هذا الحيَّ من العرب على ما آتاهم الله من فضله.

* * *

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إنّ الله عاتب اليهودَ الذين وصف صفتهم في هذه الآيات، فقال لهم في قيلهم للمشركين من عبدة الأوثان إنهم أهدى من محمد وأصحابه سبيلاً، على علم منهم بأنهم في قيلهم ما قالوا من ذلك كذَبة =: أتحسدون محمداً وأصحابه على ما آتاهم الله من فضله.[1]

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لأن ما قبل قوله: «أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله»، مضى بذمّ القائلين من اليهود للذين كفروا: «هؤلاء أهدَى من الذين آمنوا سبيلا»، فإلحاق قوله: «أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله» بذمهم على ذلك، وتقريظ الذين آمنوا الذين قيل فيهم ما قيل = أشبهُ

(١) في المطبوعة: «أم يحسدون»، والصواب من المخطوطة.

وأولى ، ما لم تأت دلالة على انصراف معناه عن معنى ذلك .

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل « الفضل » الذى أخبر الله أنه آتى الذين ذكرهم فى قوله : « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » .(١)

فقال بعضهم : ذلك « الفضل » ، هو النبوّة .

* ذكر من قال ذلك :

٩٨٢١ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » ، حسدوا هذا الحىّ من العرب على ما آتاهم الله من فضله . بعث الله منهم نبيًّا ، فحسدوهم على ذلك .

٩٨٢٢ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج : « على ما آتاهم الله من فضله » ، قال : النبوة .

* * *

وقال آخرون : بل ذلك « الفضل » الذى ذكر الله أنه آتاهموه ، هو إباحته ما أباح لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم من النساء ، ينكح منهن ما شاء بغير عدد . قالوا : وإنما يعنى : بـ « الناس » ، محمداً صلى الله عليه وسلم، على ما ذكرتُ قبل .

* ذكر من قال ذلك :

٩٨٢٣ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » الآية ، وذلك أن أهل الكتاب قالوا : « زعم محمد أنه أوتى ما أوتى فى تواضع ، وله تسع نسوة ، ليس همه إلاّ النكاح ! فأىّ ملك أفضَلُ من هذا » ! فقال الله : « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » .

٩٨٢٤ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا

---

(١) انظر تفسير « الفضل » فيما سلف ، فى فهارس اللغة .

أسباط ، عن السدى : « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » ، يعنى : محمداً ، أن ينكح ما شاء من النساء .

٩٨٢٥ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ يقول، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » ، وذلك أن اليهود قالوا : « ما شأن محمد أُعطى النبوّة كما يزعم ، وهو جائع عارٍ ، وليس له هم إلاّ نكاحُ النساء ؟ » ، فحسدوه على تزويج الأزواج . وأحل الله لمحمد أن ينكح منهن ما شاء أن ينكح .[1]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب ، قولُ قتادة وابن جريج الذى ذكرناه قبل : أن معنى « الفضل » فى هذا الموضع : النبوّة التى فضل الله بها محمداً ، وشرّف بها العرب ، إذ آتاها رجلاً منهم دون غيرهم = لما ذكرنا من أن دلالة ظاهر هذه الآية ، تدلّ على أنها تقريظٌ للنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه رحمة الله عليهم ،[2] على ما قد بينا قبل . وليس النكاح وتزويجُ النساء = وإن كان من فضْل الله جل ثناؤه الذى آتاه عباده = بتقريظ لهم ومدح .

---

(١) الأثر : ٩٨٢٥ – فى المخطوطة والمطبوعة : « حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت الضحاك يقول » ، أسقط من الإسناد ما أثبته . وهو إسناد دائر فى التفسير ، أقربه رقم : ٩٨١٩ .

وقد أسلفت أن مقالة اليهود هذه ، قد تلقفها من بعدهم أهل الضغن على محمد رسول الله ، ولا يزالون يبثونها فى كتبهم ، وقد تعلق بها أشياعهم من أهل الضلالة المتعبدين لسادتهم من المستشرقين فى زماننا هذا .

(٢) فى المطبوعة : « رضى الله عنهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وقد فعلت ذلك مراراً دون أن أنبه عليه فى بعض المواضع .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ (٥٤)

٨٩/٥ قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : أم يحسد هؤلاء اليهود = الذين وصف صفتهم فى هذه الآيات = الناسَ على ما آتاهم الله من فضله ، من أجل أنهم ليسوا منهم ؟ فكيف لا يحسدون آل إبراهيم ، فقد آتيناهم الكتاب = ويعنى بقوله : « فقد آتينا آل إبراهيم » ، فقد أعطينا آل إبراهيم ، يعنى : أهله وأتباعه على دينه[1] = « الكتاب » ، يعنى كتاب الله الذى أوحاه إليهم ، وذلك كصحف إبراهيم وموسى والزّبور ، وسائر ما آتاهم من الكتب .

= وأما « الحكمة » ، فما أوحى إليهم مما لم يكن كتاباً مقروءاً[2] = « وآتيناهم ملكاً عظيماً » .

* * *

واختلف أهل التأويل فى معنى « الملك العظيم » الذى عناه الله فى هذه الآية .[3]

فقال بعضهم : هو النبوّة .

* ذكر من قال ذلك :

٩٨٢٦ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « أم يحسدون الناس » ، قال : يهود = « على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب » ، وليسوا منهم = « والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً » ، قال : النبوّة .

---

(١) انظر تفسير « آل » فيما سلف ٢ : ٣/٣٧ : ٢٢٢ ، تعليق : ٦/١ : ٣٢٦ .

(٢) انظر تفسير « الحكمة » فيما سلف ٧ : ٣٦٩ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الملك » فيما سلف ١ : ١٤٨ — ٢/١٥٠ : ٥/٤٨٨ : ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٦/٣٧١ : ٢٩٩ ، ٣٠٠ .

٩٨٢٧ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله = إلا أنه قال : « ملكاً » ، النبوّة .

* * *

وقال آخرون : بل ذلك تحليلُ النساء . قالوا : وإنما عنى الله بذلك : أم يحسدون محمداً على ما أحلّ الله له من النساء ، فقد أحل الله مثل الذى أحله له منهن ، لداود وسليمان وغيرهم من الأنبياء ، فكيف لم يحسدوهم على ذلك ، وحسدوا محمداً عليه السلام ؟

* ذكر من قال ذلك :

٩٨٢٨ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فقد آتينا آل إبراهيم » ، سليمان وداود = « الحكمة » ، يعنى : النبوة = « وآتيناهم ملكاً عظيماً » ، فى النساء ، فما باله حَلّ لأولئك وهم أنبياء : أن ينكح داود تسعاً وتسعين امرأة ، وينكح سليمان مئة ، ولا يحل لمحمد أن ينكح كما نكحوا ؟

* * *

وقال آخرون : بل معنى قوله : « وآتيناهم ملكاً عظيماً » ، الذى آتى سليمان ابن داود .

* ذكر من قال ذلك :

٩٨٢٩ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمى قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وآتيناهم ملكاً عظيماً » . يعنى ملكَ سليمان .

* * *

وقال آخرون : بل كانوا أُيِّدوا بالملائكة .

* ذكر من قال ذلك :

٩٨٣٠ – حدثنا أحمد بن حازم الغفارى قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا

إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن همام بن الحارث : « وآتيناهم ملكاً عظيماً » ، قال : أُيِّدوا بالملائكة والجنود .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية = وهي قوله : « وآتيناهم ملكاً عظيماً » = القولُ الذي رُوي عن ابن عباس أنه قال : « يعني ملك سليمان » . لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب ، دون الذي قال إنه ملك النبوّة ، ودون قول من قال: إنه تحليلُ النساء والملك عليهن .[1] لأن كلام الله الذي خوطب به العرب ، غيرُ جائز توجيهه إلاّ إلى المعروف المستعمل فيهم من معانيه ، إلاّ أن تأتي دلالةٌ أو تقوم حُجة على أن ذلك بخلاف ذلك ، يجبُ التسليم لها .

* * *

القول في تأويل قوله عز وجل ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيراً﴾ (٥٥)

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه: فمن الذين أوتوا الكتاب= من يهود بني إسرائيل ، الذين قال لهم جل ثناؤه : « آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها » = « مَنْ آمن به » ، يقول : من صدّق بما أنزلنا على محمد صلى الله عليه وسلم مصدّقاً لما معهم = « ومنهم من صدّ عنه » ، ومنهم من أعرَض عن التصديق به ،[2] كما : —

٩٨٣١ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « فمنهم من آمن به » ، قال : بما أنزل على محمد من يهود = « ومنهم من صدّ عنه » .

---

(١) انظر تفسير « الملك » فيما سلف ١ : ١٤٨ — ٢/١٥٠ : ٥/٤٨٨ : ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٦/٣٧١ : ٢٩٩ ، ٣٠٠ .

(٢) انظر تفسير « الصد » فيما سلف ٤ : ٧/٣٠٠ : ٥٣ .

٩٨٣٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

قال أبو جعفر : وفي هذه الآية دلالة على أن الذين صدّوا عما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم ، من يهود بني إسرائيل الذين كانوا حوالَيْ مُهاجَر رسول الله صلى الله عليه وسلم ،إنما رَفعَ عنهم وعيدَ الله الذي توعَّدهم به في قوله : ﴿ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولًا ﴾= في الدنيا ،[1] وأخرت عقوبتهم إلى يوم القيامة ، لإيمان من آمن منهم ، وأن الوعيدَ لهم من الله بتعجيل العقوبة في الدنيا ، إنما كان على مقام جميعهم على الكفر بما أنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم . فلما آمن بعضُهم ، خرجوا ٩٠/٥ من الوعيد الذي توعَّده في عاجل الدنيا ، وأخرت عقوبةُ المقيمين على التكذيب إلى الآخرة ، فقال لهم : كفاكم بجهنم سعيراً .[2]

* * *

ويعني بقوله : « وكفى بجهنم سعيراً » ، وحسبكم ،أيها المكذبون بما أنزلت على محمد نبي ورسولي = « بجهنم سعيراً » ، يعني : بنار جهنم ، تُسعَر عليكم = أي : تُوقدُ عليكم .

* * *

= وقيل : « سعيراً » ، أصله « مسعوراً » ، من « سُعِرت تُسعَر فهي مسعورة » ، كما قال الله : ﴿ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴾ [سورة التكوير : ١٢] ، ولكنها صرفت إلى « فعيل » ، كما قيل : « كف خضيب » ، و « لحية دهين » ، بمعنى : مخضوبة ومدهونة – و « السعير » ، الوقود .[3]

---

(١) هي الآية السالفة من « سورة النساء » رقم : ٤٧ .

(٢) انظر ما سلف ص : ٤٤٥ س : ٤ وما بعده .

(٣) انظر تفسير « السعير » فيما سلف : ٣٠ .

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ﴾

قال أبو جعفر : هذا وعيد من الله جل ثناؤه للذين أقاموا على تكذيبهم بما أنزل الله على محمد من يهود بنى إسرائيل وغيرهم من سائر الكفار ، وبرسوله . يقول الله لهم : إن الذين جحدوا ما أنزلتُ على رسولى محمد صلى الله عليه وسلم ، من آياتى = يعنى : من آيات تنزيله ، ووحى كتابه ، وهى دلالاته وحججه على صدق محمد صلى الله عليه وسلم = فلم يصدقوا به من يهود بنى إسرائيل وغيرهم من سائر أهل الكفر به = « سوف نصليهم ناراً » ، يقول : سوف ننضجهم فى نارٍ يُصلون فيها = أي يشوون فيها[1] = « كلما نضجت جلودهم » ، يقول : كلما انشوت بها جلودهم فاحترقت = « بدلناهم جلوداً غيرها » ، يعنى : غير الجلود التى قد نضجت فانشوت ، كما : —

٩٨٣٣ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن ثوير ، عن ابن عمر : « كلما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها » ، قال : إذا احترقت جلودهم بدّلناهم جلوداً بيضًا أمثالَ القراطيس .[2]

٩٨٣٤ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم

---

(١) انظر تفسير « الإصلاء » فيما سلف : ٢٧ — ٢٩ ، ٢٣١

(٢) الأثر : ٩٨٣٣ — « ثوير » ، هو : ثوير بن أبى فاختة سعيد بن علاقة الهاشمى . مضت ترجمته برقم : ٣٢١٢ ، ٥٤١٤ . وفى المطبوعة : « نوير » ، وفى المخطوطة غير منقوط . فى المطبوعة : « جلوداً بيضاء » ، وهو خطأ ، والصواب فى المخطوطة .
و « القراطيس » جمع « قرطاس » : وهو الصحيفة البيضاء التى يكتب فيها .

بدلناهم جلوداً غيرَها » ، يقول : كلما احترقت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرَها.

٩٨٣٥ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : « كلما نضجت جلودهم » ، قال : سمعنا أنه مكتوب في الكتاب الأول : جلدُ أحدهم أربعون ذراعاً،[1] وسِنُّه سبعون ذراعاً، وبطنه لو وضع فيه جبل وَسِعه .[2] فإذا أكلت النار جلودهم بُدّلوا جلوداً غيرها .

٩٨٣٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك قال : بلغني عن الحسن : « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها » ، قال : ننضجهم في اليوم سبعين ألف مرة .

٩٨٣٧ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو عبيدة الحداد ، عن هشام بن حسان، عن الحسن قوله : «كلما نضجت جلودهم بدلناهم غيرها »، قال : تنضج النار كل يوم سبعين ألف جلد . قال : وغلظ جلد الكافر أربعون ذراعاً ، والله أعلم بأيِّ ذراع ![3]

* * *

قال أبو جعفر : فإن سأل سائل فقال : وما معنى قوله جل ثناؤه : « كلما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها » ؟ وهل يجوز أن يبدّلوا جلوداً غير جلودهم التي كانت لهم في الدنيا، فيعذّبوا فيها ؟ فإن جاز ذلك عندك ، فأجز أن يُبدّلوا أجساماً وأرواحاً غير أجسامهم وأرواحهم التي كانت لهم في الدنيا فتعذّب ! وإن أجزت ذلك، لزمك أن يكون المعذبون في الآخرة بالنار ، غيرُ الذين أوعدهم الله العقابَ على كفرهم به ومعصيتهم إياه ، وأن يكون الكفار قد ارتفعَ عنهم العذاب ! !

* * *

---

(١) في المطبوعة : « أن جلده . . . » ، وأثبت ما في المخطوطة . وعنى بذلك غلظ الجلد ، كما سيأتي في رقم : ٩٨٣٧ .

(٢) في المطبوعة : « لوسعه » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٣) الأثر : ٩٨٣٧ – « أبو عبيدة الحداد » ، هو : عبد الواحد بن واصل السدوسي . مضت ترجمته برقم : ٨٢٨٤ .

و « هشام بن حسان القردوسي » مضى برقم : ٢٨٢٧ .

قيل : إن الناس اختلفوا فى معنى ذلك .

فقال بعضهم : العذاب إنما يصل إلى الإنسان الذى هو غير الجلد واللحم ،[١] وإنما يحرق الجلد ليصل إلى الإنسان ألم العذاب . وأما الجلد واللحم ، فلا يألمان . قالوا : فسواء أعيد على الكافر جلدهُ الذى كان له فى الدنيا أو جلدٌ غيره ، إذ كانت الجلود غير آلمة ولا معذَّبة ، وإنما الآلمةُ المعذبةُ : النفسُ التى تُحِس الألم ، ويصل إليها الوجع . قالوا : وإذا كان ذلك كذلك ، فغير مستحيل أن يُخْلق لكل كافر فى النار فى كل لحظة وساعة من الجلود ما لا يحصى عدده ، ويحرق ذلك عليه ، ليصل إلى نفسه ألم العذاب ، إذ كانت الجلود لا تألَمُ .

* * *

وقال آخرون : بل الجلودُ تألم ، واللحمُ وسائرُ أجزاء جِرْم بنى آدم . وإذا أحرق جلدهُ أو غيره من أجزاء جسده ، وصل ألم ذلك إلى جميعه . قالوا : ومعنى قوله : « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها » : بدلناهم جلوداً غير محترقة . وذلك أنها تعاد جديدة ، والأولى كانت قد احترقتْ ، فأعيدت غير محترقة ، ٩١/٥ فلذلك قيل : « غيرها » ، لأنها غير الجلود التى كانت لهم فى الدنيا ، التى عصوا الله وهى لهم . قالوا : وذلك نظيرُ قول العرب للصّائغ إذا استصاغته خاتماً من خاتم مَصُوغ ،[٢] بتحويله عن صياغته التى هو بها ، إلى صياغة أخرى : « صُغْ لى من هذا الخاتم خاتماً غيره » ، فيكسره ويصوغ له منه خاتماً غيره ، والخاتم المصوغ بالصّياغة الثانية هو الأول ، ولكنه لما أعيد بعد كسره خاتماً قيل : « هو غيره » . قالوا : فكذلك معنى قوله : « كلما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها » ، لما

---

(١) فى المخطوطة : « الذى هو الجلد واللحم » ، وهو لا يستقيم ، وأصاب ناشر المطبوعة الأولى فى زيادة « غير » .

(٢) « استصاغه خاتما » : طلب إليه أن يصوغ له خاتماً . وهذه صيغة لم تذكرها كتب اللغة ، وهى عربية معرقة ، وقياس صحيح .

احترقت الجلود ثم أعيدت جديدة بعد الإحراق، [١] قيل: «هي غيرها»، على ذلك المعنى.

* * *

وقال آخرون: معنى قوله: «كلما نضجت جلودهم»، [٢] سرابيلهم، بدلناهم سرابيل من قَطِران غيرها. فجعلت السرابيل [من] القطران لهم جلوداً، [٣] كما يقال للشيء الخاص بالإنسان: «هو جِلدة ما بين عينيه ووجهه»، لخصُوصه به. قالوا: فكذلك سرابيل القطران التي قال الله في كتابه: ﴿ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾[سورة إبراهيم: ٥٠]، لما صارت لهم لباساً لاتفارق أجسامهم، جعلت لهم جلوداً، فقيل: كلما اشتعل القَطِران في أجسامهم واحترق، بدلوا سرابيل من قطران آخر. قالوا: وأما جلود أهل الكفر من أهل النار، فإنها لا تحترق، [٤] لأن في احتراقها = إلى حال إعادتها = فناءَها، [٥] وفي فنائها رَاحتها. قالوا: وقد أخبر الله تعالى ذكره عنها: أنهم لا يموتون ولا يخفف عنهم من عذابها. قالوا: وجلود الكفار أحد أجسامهم، ولو جاز أن يحترق منها شيء فيفنى ثم يعاد بعد الفناء في النار، جاز ذلك في جميع أجزائها. وإذا جاز ذلك، وجب أن يكون جائزاً عليهم الفناء، ثم الإعادة والموت، ثم الإحياء، وقد أخبر الله عنهم أنهم لا يموتون. قالوا: وفي خبره عنهم أنهم لا يموتون، دليل واضح أنه لا يموت شيء من أجزاء أجسامهم، والجلود أحدُ تلك الأجزاء.

* * *

وأما معنى قوله: «ليذوقوا العذاب»، فإنه يقول: فعلنا ذلك بهم، ليجدوا ألم العذاب وكربه وشدته، بما كانوا في الدنيا يكذّبون آيات الله ويجحدونها.

---

(١) في المطبوعة: «الاحتراق»، وأثبت ما في المخطوطة.
(٢) في المطبوعة والمخطوطة: «وقال آخرون: معنى ذلك»، والسياق يقتضي ما أثبت.
(٣) الزيادة التي بين القوسين، لا غنى عنها.
(٤) في المطبوعة: «لا تحرق» والجيد ما في المخطوطة كما أثبته.
(٥) يعني: أنها عندئذ تفنى حتى تعاد مرة أخرى، وفناؤه يوجب فترة يخف فيها عنهم العذاب. وهذا باطل كما سترى في الحجج التالية.

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (٥٦)

قال أبو جعفر : يقول : إن الله لم يزل[1] = «عزيزاً» فى انتقامه ممن انتقم منه من خلقه، لا يقدر على الامتناع منه أحد أرادَه بضرّ، ولا الانتصار منه أحدٌ أحلّ به عقوبة = «حكيماً» فى تدبيره وقضائه .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾ (٥٧)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : «والذين آمنوا وعملوا الصالحات» ، والذين آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وصدّقوا بما أنزل الله على محمد مصدّقاً لما معهم من يهود بنى إسرائيل وسائر الأمم غيرهم = «وعملوا الصالحات» ، يقول : وأدّوا ما أمرهم الله به من فرائضه، واجتنبوا ما حرّم الله عليهم من معاصيه ، وذلك هو «الصالح» من أعمالهم = «سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار» ، يقول : سوف يدخلهم الله يوم القيامة = «جنات» ، يعنى : بساتين[3] = «تجرى من تحتها الأنهار» ، يقول : تجرى من تحت تلك الجنات الأنهار = «خالدين فيها أبداً» ، يقول : باقين فيها أبداً بغير نهاية ولا انقطاع ، دائماً ذلك لهم فيها أبداً = «لهم فيها أزواج» ، يقول : لهم فى تلك الجنات التى وصف صفتها = «أزواج

---

(١) انظر تفسير «كان» بمعنى : لم يزل فيما سلف : ٤٢٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير «عزيز» و «حكيم» فى فهارس اللغة .

(٣) انظر تفسير «جنة» فيما سلف : ٧ : ٤٩٤ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

مطهرة » ، يعني : بريئات من الأدناس والرِّيَب والحيض والغائط والبول والحَبَل والبُصاق ، وسائر ما يكون في نساء أهل الدنيا . وقد ذكرنا ما في ذلك من الآثار فيما مضى قبل ، وأغنى ذلك عن إعادتها .(١)

* * *

وأما قوله: « وندخلهم ظِلاً ظليلا » ، فإنه يقول : وندخلهم ظلا كَنيناً ، كما قال جل ثناؤه: ﴿ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ﴾ [سورة الواقعة : ٣٠] ، وكما : —

٩٨٣٨ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن = وحدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر = قالا جميعاً ، حدثنا شعبة قال، سمعت أبا الضحاك يحدّث، عن أبي هريرة ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : إنّ في الجنة لشجرةً يسيرُ الراكب في ظلّها مئة عام لا يقطعها ، شجرةُ الخلد .(٢)

* * *

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٣٩٥ — ٦/٣٩٧ : ٢٦١ ، ٢٦٢ .

(٢) الحديث : ٩٨٣٨ — عبد الرحمن : هو ابن مهدي .

أبو الضحاك البصري : تابعي ، لم يعرف إلا بهذا الحديث ، ولم يرو عنه أحد غير شعبة . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٤/٢/٣٩٥ .

والحديث رواه أحمد في المسند : ٩٨٧٠ ، عن محمد بن جعفر ، وحجاج ، و : ٩٩٥١ ، عن عبد الرحمن ، وهو ابن مهدي — ثلاثتهم عن شعبة . (المسند ٢ : ٤٥٥ ، ٤٦٢ حلبي) .

وذكر الحافظ المزي في تهذيب الكمال (مخطوط مصور) أنه رواه ابن ماجة في التفسير .

ونقله ابن كثير ٢ : ٤٩٠ ، عن هذا الموضع من الطبري .

وأصل الحديث ثابت عن أبي هريرة ، من أوجه كثيرة ، في المسند والصحيحين وغيرها ، دون زيادة « شجرة الخلد » . انظر المسند : ٧٤٩٠ . وقد أشرنا لكثير من طرقه هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ﴾

٩٢/٥ قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فيمن عُنى بهذه الآية .

فقال بعضهم : عنى بها ولاة أمور المسلمين .

* ذكر من قال ذلك :

٩٨٣٩ – حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن أبى مكين ، عن زيد بن أسلم قال : نزلت هذه الآية : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » ، فى ولاة الأمر . (١)

٩٨٤٠ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال ، حدثنا ليث ، عن شهر قال : نزلت فى الأمراء خاصة : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » .

٩٨٤١ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال ، حدثنا إسمعيل ، عن مصعب بن سعد قال : قال علىّ رضى الله عنه كلمات أصاب فيهن : « حقٌّ على الإمام أن يحكم بما أنزل الله ، وأن يؤدِّىَ الأمانة . وإذا فعل ذلك ، فحقّ على الناس أن يسمعوا ، وأن يُطيعوا ، وأن يجيبوا إذا دُعوا » . (٢)

٩٨٤٢ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا جابر بن نوح قال ، حدثنا إسمعيل ، عن مصعب بن سعد ، عن على بنحوه .

---

(١) الأثر : ٩٨٣٩ – « أبو أسامة » هو : حماد بن أسامة بن زيد القرشى ، مضى برقم : ٥٢٦٥ . و « أبو مكين » هو : نوح بن ربيعة ، مضى برقم : ٩٧٤٢ .

(٢) الأثر : ٩٨٤١ – « مصعب بن سعد بن أبى وقاص الزهرى » . روى عن أبيه ، وعلى ، وطلحة ، وعكرمة ابن أبى جهل ، وغيرهم ، تابعى ثقة ، قال ابن سعد : « كان ثقة كثير الحديث » . مترجم فى التهذيب .

٩٨٤٣ – حدثني محمد بن عبيد المحاربي قال، حدثنا موسى بن عمير، عن مكحول في قول الله : « وأولى الأمر منكم » ، قال : هم أهلُ الآية التي قبلها : « إن الله يأمرُكم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها » ، إلى آخر الآية .

٩٨٤٤ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، أخبرنا ابن زيد قال، قال أبي : هم الوُلاة ، أمرهم أن يؤدّوا الأمانات إلى أهلها .

* * *

وقال آخرون : أمر السلطان بذلك : أن يعِظوا النساء .(١)

* ذكر من قال ذلك :

٩٨٤٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « إن الله يأمرُكم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » ، قال : يعني السلطان، يعظون النساء .(٢)

* * *

وقال آخرون : الذي خوطب بذلك النبيّ صلى الله عليه وسلم في مفاتيح الكعبة ، أمر بردّها على عثمان بن طلحة .

* ذكر من قال ذلك :

٩٨٤٦ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قوله : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » ، قال : نزلت في عُثمان بن طلحة بن أبي طلحة ، قَبض منه النبي صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة ، ودخل به البيت يوم الفتح ،(٣) فخرج وهو يتلو هذه الآية ، فدعا عثمان

---

(١) في المطبوعة : « أن يعطوا الناس » ، غير ما في المخطوطة ، وهو الذي أثبته ، ولكنه كان في المخطوطة غير منقوط ، فلم يحسن قراءته ، فكتب ما لا معنى له . والمقصود بذلك أن على الأمراء أن يعظوا النساء في النشوز وغيره ، حتى يردوهن إلى أزواجهن . وهو القول المنسوب إلى ابن عباس في كتب التفسير .

(٢) في المطبوعة : « يعظون الناس » ، وهو خطأ . وانظر التعليق السالف .

(٣) في المطبوعة : « مفاتيح الكعبة ، ودخل بها البيت » ، وكان في المخطوطة : « مفاتيح

فدفع إليه المفتاح . قال : وقال عمر بن الخطاب لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو هذه الآية : فداهُ أبي وأمي ! [١] ما سمعته يتلوها قبل ذلك !

٩٨٤٧ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا الزنجي بن خالد ، عن الزهري قال : دفعه إليه وقال : أعينوه . [٢]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك عندي ، قولُ من قال : هو خطاب من الله ولاةَ أمور المسلمين بأداء الأمانة إلى من وَلُوا أمره في فيئهم وحقوقهم ، وما ائتمنوا عليه من أمورهم ، بالعدل بينهم في القضية ، والقَسْم بينهم بالسوية . يدل على ذلك ما وَعظ به الرعية [٣] ، في : ﴿ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ ، فأمرهم بطاعتهم ، وأوصى الرّاعي بالرعية ، وأوصى الرعية بالطاعة ، كما :–

٩٨٤٨ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ قال : قال أبي : هم السلاطين . وقرأ ابن زيد : ﴿ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ﴾ [سورة آل عمران : ٢٦] ، وإنما نقول : هم العلماء الذي يُطيفون على

الكعبة ودخل به البيت » ، ورد اللفظ مفرداً « المفتاح » في هذا الأثر والذي يليه ، وكذلك نقله ابن كثير في تفسيره ٢ : ٤٩٢ « مفتاح الكعبة » بالإفراد ، فصححت نص المخطوطة ، كما في ابن كثير .

(١) في المطبوعة : « فداؤه أبي وأمي » ، وأثبت ما في المخطوطة وابن كثير .

(٢) الأثر : ٩٨٤٧ – « الزنجي بن خالد » هو : مسلم بن خالد بن فروة ، أبو خالد الزنجي ، الفقيه المكي . وإنما سموه « الزنجي » قالوا : لأنه كان شديد السواد . وقالوا : لأنه كان أشقر كالبصلة . وقالوا : كان أبيض مشرباً بحمرة ، وإنما سمي « الزنجي » ، لمحبته التمر . قالت له جاريته : « ما أنت إلا زنجي » ، لأكل التمر ، فبقي عليه هذا اللقب .

ومن الزنجي تعلم الشافعي الفقه قبل أن يلقى مالكاً . ولكنهم تكلموا في حديثه ، فقال البخاري : « منكر الحديث ، يكتب حديثه ولا يحتج به » . وذكروا عللا في ضعف حديثه وهو صدوق . مترجم في التهذيب .

(٣) في المطبوعة والمخطوطة : « فدل على ذلك ما وعظ به الرعية » ، وهو كلام فاسد جداً ، أخل بحجة الطبري ، والصواب ما أثبت .

السلطان،[1] ألا ترى أنه أمرهم فبدأ بهم ، بالولاة فقال[2] : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » ؟ و « الأمانات » ، هي الفيء الذي استأمنهم على جمعه وقَسْمه ، والصدقات التي استأمنهم على جمعها وقسمها = « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » الآية كلها . فأمر بهذا الولاة . ثم أقبل علينا نحن فقال : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ .

* * *

وأما الذي قال ابن جريج من أنّ هذه الآية نزلت في عثمان بن طلحة ، فإنه جائز أن تكون نزلت فيه ، وأريد به كل مؤتمن على أمانة ، فدخلَ فيه ولاة أمور المسلمين ، وكلّ مؤتمن على أمانة في دين أو دنيا . ولذلك قال من قال : عُني به قضاءُ الدين ، وردّ حقوق الناس ، كالذي : —

٩٨٤٩ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « إنّ الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » ، فإنه لم يرخص لموسِر ولا معسر أن يُمسكها . ٥/٩٣

٩٨٥٠ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » ، عن الحسن : أن

---

(١) حذف ناشر المطبوعة هذه الجملة إذ لم يفهمها ، وجعل سياق الكلام هكذا : « . . . من تشاء ، ألا ترى أنه أمر فقال : إن الله يأمركم » ، وهذا فساد شديد ، وهجر للأمانة ، وعبث بكلام أهل التأويل . وقائل هذا الكلام هو ابن زيد ، بعد أن ذكر تأويل أبيه زيد بن أسلم .

وقوله : « يطيفون على السلطان » هم الذين يقاربونه ويدنيهم في مجالسه ويستشيرهم . من قوله : « طاف بالشيء وطاف عليه = وأطاف به وأطاف عليه » : دار حوله .

(٢) في المطبوعة : « أنه أمر فقال . . . » كما ذكرت في التعليق السالف . وسياق عبارته أنه أمر العلماء بالولاة — فبدأ بهم ، أي : بالعلماء . والعلماء هم الذين يفتون الولاة في قسمة الفيء والصدقات ، لأنهم هم أهل العلم بها . فهذا خطاب للعلماء الذين ائتمنوا على الدين . ثم قال للولاة : « وإذا حكمتم بين الناس » ، كما ترى في سياق الأثر .

نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : أدّ الأمانة إلى من ائتمنك ، ولا تخن من خانك . (١)

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الآية إذاً = إذ كان الأمر على ما وصفنا = : إن الله يأمركم ، يا معشر ولاة أمور المسلمين ، أن تؤدوا ما ائتمنتكم عليه رعيّتكم من فَيْئهم وحقوقهم وأموالهم وصدقاتهم إليهم ، على ما أمركم الله بأداء كل شيء من ذلك إلى من هو له ، بعد أن تصير فى أيديكم ، لا تظلموها أهلها ، ولا تستأثروا بشيء منها ، ولا تضعوا شيئاً منها فى غير موضعه ، ولا تأخذوها إلاّ ممن أذن الله لكم بأخذها منه قبل أن تصيرَ فى أيديكم = ويأمركم إذا حكمتم بين رعيتكم أن تحكموا بينهم بالعدل والإنصاف ، وذلك حكمُ الله الذى أنزله فى كتابه ، وبيّنه على لسان رسوله ، لا تعدُوا ذلك فتجورُوا عليهم .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ (٥٨)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : يا معشر ولاة أمور المسلمين ، إن الله نعم الشيء يَعظكم به ، ونعمت العظة يعظكم بها فى أمره إياكم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وأن تحكموا بين الناس بالعدل (٢) = « إن الله كان سميعاً » ، يقول : إن الله لم يزل سميعاً بما تقولون وتنطقون ، وهو سميع لذلك منكم إذا حكمتم

(١) الأثر : ٩٨٥٠ – قال ابن كثير فى تفسيره ٢ : ٤٩٠ « وفى حديث الحسن ، عن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أد الأمانة إلى من ائتمنك ، ولا تخن من خانك » . رواه الإمام أحمد ، وأهل السنن » .

(٢) انظر تفسير « نعما » فيما سلف ٥ : ٥٨٢ .

بين الناس ولما تُحاورونهم به[١] = « بصيراً » بما تفعلون فيما ائتمنتم عليه من حقوق رعيتكم وأموالهم ،[٢] وما تقضون به بينهم من أحكامكم : بعدل تحكمون أو جَوْر ، لا يخفى عليه شيء من ذلك ، حافظٌ ذلك كلَّه ، حتى يجازى محسنكم بإحسانه ، ومسيئكم بإساءته ، أو يعفو بفضله .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ربكم فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه ، وأطيعوا رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم ، فإن في طاعتكم إياه لربكم طاعة ، وذلك أنكم تطيعونه لأمر الله إياكم بطاعته ، كما : —

٩٨٥١ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن أطاع أميري فقد أطاعني ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن عصى أميري فقد عصاني .[٣]

* * *

واختلف أهل التأويل في معنى قوله : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول » .

---

(١) في المطبوعة : « ولم تجاوزوهم به » ، ولا معنى لها البتة ، والصواب ما في المخطوطة ، ولكنه لم يفهم ما أراد ، فحرفه وغيره .

(٢) في المطبوعة : « فيما ائتمنتكم عليه » ، غير ما في المخطوطة لغير شيء .

(٣) الحديث : ٩٨٥١ — ورواه أحمد في المسند مراراً ، من طرق مختلفة ، منها : ٧٣٣٠ ، ٧٤٢٨ ، ٧٦٤٣ . ورواه الشيخان وغيرهما ، كما فصلنا هناك .

وذكره ابن كثير ٢ : ٤٩٧ ، بقوله : « وفي الحديث المتفق على صحته » . وهو كما قال .

فقال بعضهم : ذلك أمرٌ من الله باتباع سنته .

* ذكر من قال ذلك :

٩٨٥٢ – حدثنا المثنى قال : حدثنا عمرو قال، حدثنا هشيم ، عن عبد الملك، عن عطاء في قوله : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول »، قال : طاعة الرسول، اتباع سُنته .

٩٨٥٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا يعلى بن عبيد ، عن عبد الملك ، عن عطاء : «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول » ، قال : طاعة الرسول ، اتباع الكتاب والسنة .

٩٨٥٤ – وحدثني المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن عبد الملك، عن عطاء مثله .

* * *

وقال آخرون : ذلك أمرٌ من الله بطاعة الرّسول في حياته .

* ذكر من قال ذلك :

٩٨٥٥ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول »، إن كان حيًّا .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك أن يقال : هو أمرٌ من الله بطاعة رسوله في حياته فيما أمرَ ونهى ، وبعد وفاته باتباع سنته .[1] وذلك أن الله عمّ بالأمر بطاعته، ولم يخصص بذلك في حال دون حال ،[2] فهو على العموم حتى يخصّ ذلك ما يجبُ التسليم له .

* * *

واختلف أهل التأويل في « أولى الأمر » الذين أمر الله عبادَه بطاعتهم في هذه الآية .

---

(١) في المطبوعة : « في اتباع سنته » ، وكان في المخطوطة « في باتباع سنتنا » ، وضرب على « في » .

(٢) في المطبوعة : « لم يخصص ذلك » ، وأثبت ما في المخطوطة .

فقال بعضهم : هم الأمراء .

* ذكر من قال ذلك :

٩٨٥٦ – حدثني أبو السائب سلم بن جنادة قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة في قوله : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » ، قال : هم الأمراء .(١)

٩٨٥٧ – حدثنا الحسن بن الصباح البزار قال ، حدثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج قال ، أخبرني يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس أنه قال : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » ، نزلت في رجل بعثه النبي صلى الله عليه وسلم على سرية .(٢) ٥/٩٤

٩٨٥٨ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن مسلم بن هرمز ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أن هذه الآية نزلت في عبد الله بن حُذافة بن قيس السهمي ، إذ بعثه النبي صلى الله عليه وسلم في السرية .(٣)

---

(١) الحديث : ٩٨٥٦ – هذا موقوف على أبي هريرة . وإسناده صحيح . ومعناه صحيح . وقد ذكره الحافظ في الفتح ٨ : ١٩١ ، وقال : « أخرجه الطبري بإسناد صحيح » .

(٢) الحديث : ٩٨٥٧ – يعلى بن مسلم بن هرمز البصري المكي : ثقة ، أخرج له الشيخان . ووثقه ابن معين وأبو زرعة . مترجم في التهذيب . والكبير للبخاري ٤/٢/٤١٧ ، وابن أبي حاتم ٤/٢/٣٠٢ . وهو أخو « عبد الله بن مسلم » الآتي في الإسناد بعده – كما رجحه البخاري وغيره .

والحديث رواه أحمد في المسند : ٣١٢٤ ، عن حجاج ، وهو ابن محمد ، بهذا الإسناد . وفيه تسمية الرجل ، أنه « عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي السهمي » .

وكذلك رواه البخاري ٨ : ١٩٠ – ١٩١ ، عن صدقة بن الفضل ، عن حجاج بن محمد ، به .

وذكره ابن كثير ٢ : ٤٩٤ ، من رواية البخاري ، ثم قال : « وهكذا أخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجة ، من حديث حجاج بن محمد الأعور ، به . وقال الترمذي : حديث حسن غريب ، ولا نعرفه إلا من حديث ابن جريج » .

وقصة عبدالله بن حذافة رواها أحمد في المسند : ١١٦٦٢ (ج ٣ ص ٦٧ حلبي) ، من حديث أبي سعيد الخدري . وروى معناها أيضاً من حديث علي بن أبي طالب : ٦٢٢ .

(٣) الحديث : ٩٨٥٨ – عبد الله بن مسلم بن هرمز : هو أخو يعلى الذي في الحديث السابق –

٩٨٥٩ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ليث قال : سأل مسلمةُ ميمونَ بن مهران عن قوله : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » ، قال : أصحاب السرايا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم .

٩٨٦٠ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » ، قال . قال أبي : هم السلاطين . قال وقال ابن زيد في قوله : « وأولى الأمر منكم » ، قال أبي : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الطاعةَ الطاعة ، وفي الطاعة بلاء . وقال : ولو شاء لجعل الأمر في الأنبياء [1] = يعني : لقد جعلت [الأمر] إليهم والأنبياء معهم ، [2] ألا ترى حين حكموا في قتل يحيى بن زكريا ؟

٩٨٦١ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سريّة عليها خالد بن الوليد ، وفيها عمار بن ياسر ، فساروا قِبَلَ القوم الذين يريدون ، فلما بلغوا قريباً منهم عرّسوا ، [3] وأتاهم ذو العُيَيْنَتَين فأخبرهم ، [4] فأصبحوا قد هربوا ، [5] غير رجل أمر أهله فجمعوا

على الراجح . وعبد الله هذا : فيه ضعف ، مع أن الثوري يروي عنه ، والثوري لا يروي إلا عن ثقة . فالظاهر أن ضعفه من قبل حفظه . وهو مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٢/٢/١٦٤ — ١٦٥ .

ووقع في المخطوطة والمطبوعة هنا « عبيد الله » ، بدل « عبد الله » وهو خطأ واضح .

والحديث بمعنى الذي قبله .

(١) في المطبوعة : « ولو شاء الله لجعل » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) في المطبوعة : « يعني : لقد جعل إليهم والأنبياء معهم » ، وهو مستقيم ، ولكنه كان في المخطوطة : « لقد جعلت إليهم والأنبياء معهم » ، فاستظهرت سقوط « الأمر » ، فوضعته بين قوسين .

(٣) « عرس القوم تعريساً » : إذا نزلوا في السفر من آخر الليل ، يقعون وقعة للاستراحة ، ثم ينيخون وينامون نومة خفيفة ، ثم يثورون مع انفجار الصبح سائرين .

(٤) « ذو العيينتين » و « ذو العوينتين » ، و « ذو العينين » : الجاسوس .

(٥) في المطبوعة وابن كثير ٢ : ٤٩٦ « وقد هربوا » ، وأثبت ما في المخطوطة .

متاعهم ، [١] ثم أقبل يمشى فى ظلمة الليل حتى أتى عسكر خالد ، فسأل عن عمار بن ياسر ، فأتاه فقال : يا أبا اليقظان ، إنى قد أسلمت وشهدت أن لا إله إلاّ الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وإنّ قومى لما سمعوا بكم هربوا ، وإنى بقيت ، فهل إسلامى نافعى غداً ، وإلا هربت؟ قال عمار : بل هو ينفعك ، فأقم . فأقام ، فلما أصبحوا أغار خالد فلم يجد أحداً غير الرجل ، فأخذه وأخذ ماله . فبلغ عماراً الخبر ، فأتى خالداً ، فقال : خلِّ عن الرجل ، فإنه قد أسلم ، وهو فى أمان منى . فقال خالد : وفيم أنت تجير؟ فاستبّا وارتفعا إلى النبى صلى الله عليه وسلم : فأجاز أمان عمار ، ونهاه أن يجير الثانية على أمير . فاستبّا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال خالد : يا رسول الله ، أتترك هذا العبد الأجدع يسبنى؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا خالد ، لا تسبَّ عماراً ، فإنه من سب عماراً سبه الله ، ومن أبغض عماراً أبغضه الله ، ومن لعن عماراً لعنه الله . فغضب عمار فقام ، فتبعه خالد حتى أخذ بثوبه فاعتذر إليه ، فرضى عنه . فأنزل الله تعالى قوله : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » . [٢]

* * *

وقال آخرون : هم أهل العلم والفقه .

* ذكر من قال ذلك :

٩٨٦٢ — حدثنى سفيان بن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن على بن صالح ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر بن عبد الله . . . . . [٣]

---

(١) فى المخطوطة : « غير رجال من أهله » ، وهو فاسد ، وأثبت ما فى المطبوعة وتفسير ابن كثير .

(٢) الأثر : ٩٨٦١ — أخرجه ابن كثير فى تفسيره ٢ : ٤٩٧ ، ثم قال : « وهكذا رواه ابن أبى حاتم من طريق ، عن السدى مرسلا . ورواه ابن مردويه من رواية الحكم بن ظهير ، عن السدى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، فذكر بنحوه . والله أعلم » .

(٣) الأثر : ٩٨٦٢ — كان هذا الأثر والذى يليه متصلين ، « . . . عن جابر بن عبد الله

٩٨٦٣ — . . . . قال ، حدثنا جابر بن نوح ، عن الأعمش ، عن مجاهد في قوله : أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم» ، قال : أولى الفقه منكم .[1]

٩٨٦٤ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال ، أخبرنا ليث ، عن مجاهد في قوله : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » ، قال : أولى الفقه والعلم.

٩٨٦٥ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح : « وأولى الأمر منكم » ، قال : أولى الفقه في الدين والعقل .

٩٨٦٦ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٩٨٦٧ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ابن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » ، يعني : أهل الفقه والدين .

٩٨٦٨ — حدثني أحمد بن حازم قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن حصين ، عن مجاهد : « وأولى الأمر منكم » ، قال : أهل العلم .

٩٨٦٩ — حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عبد الملك ، عن عطاء بن السائب في قوله : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » ، قال : أولى العلم والفقه .

قال حدثنا جابر بن نوح » وهو خطأ وفساد لا شك فيه . وكأن هذا الأثر كان : « حدثني بذلك سفيان بن وكيع . . . » — أو : « عن جابر بن عبد الله قال : هم أهل العلم والفقه » . أو ما شابه ذلك . ولكني وضعت النقط دلالة على الحزم .

(١) الأثر : ٩٨٦٣ — كأن صواب هذا الإسناد : « حدثني أبو كريب ، قال حدثنا جابر بن نوح » ، فإن أبا كريب هو يروي عن جابر بن نوح ، كما سلف مراراً ، أقربها رقم : ٩٨٤٢ ، ولكني تركته على حاله ، ووضعت مكان ذلك نقطاً .

٩٨٧٠ - حدثني المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال، حدثنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن عطاء : « وأولى الأمر منكم » ، قال : الفقهاء والعلماء .

٩٨٧١ - حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الحسن فى قوله : « وأولى الأمر منكم » ، قال : هم العلماء . ٥/٩٥

٩٨٧٢ - قال ، وأخبرنا عبد الرزاق ، عن الثورى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله : « وأولى الأمر منكم » ، قال : هم أهل الفقه والعلم .

٩٨٧٣ - حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبى العالية فى قوله : « وأولى الأمر منكم » ، قال : هم أهل العلم ، ألاترى أنه يقول : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [سورة النساء : ٨٣] ؟

* * *

وقال آخرون : هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .

* ذكر من قال ذلك :

٩٨٧٤ - حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » ، قال : كان مجاهد يقول : أصحاب محمد = قال : وربما قال : أولى العقل والفقه ودين الله .(١)

* * *

وقال آخرون : هم أبو بكر وعمر رحمهما الله .(٢)

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) فى المطبوعة : « أولى الفضل » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « رضى الله عنهما » .

٩٨٧٥ – حدثنا أحمد بن عمرو البصرى قال ، حدثنا حفص بن عمر العدنى قال ، حدثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » ، قال : أبو بكر وعمر .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، قول من قال : هم الأمراء والولاة = لصحة الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمر بطاعة الأئمة والولاة فيما كان [لله] طاعةً ، وللمسلمين مصلحة ،(٢) كالذى : –

٩٨٧٦ – حدثنى على بن مسلم الطوسى قال، حدثنا ابن أبى فديك قال ، حدثنى عبد الله بن محمد بن عروة، عن هشام بن عروة ، عن أبى صالح السمان ، عن أبى هريرة : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : سيليكم بعدى ولاة ، فيليكم البَرُّ ببِرِّه ، والفاجر بفجوره، فاسمعوا لهم وأطيعوا فى كل ما وافق الحق ، وصلُّوا وراءهم . فإن أحسنوا فلكم ولهم ، وإن أساؤوا فلكم وعليهم .(٣)

---

(١) الأثر : ٩٨٧٥ – « أحمد بن عمرو البصرى » ، لم أجده فى كتب التراجم ، وظننت أنه « أحمد بن عمرو بن عبد الخالق » البزار ، أبو بكر العتكى البصرى ، من أهل البصرة ، قال الخطيب : « كان ثقة حافظاً ، صنف المسند ، وتكلم على الأحاديث ، وبنى عللها ، وقدم بغداد وحدث بها » ومات بالرملة سنة ٢٩١ ، فهو خليق أن يكون رآه أبو جعفر وروى عنه فى بغداد أو فى الرملة . مترجم فى تاريخ بغداد ٤ : ٣٣٤ .

و « حفص بن عمر العدنى » مضت ترجمته برقم : ٦٧٩٦ .

(٢) الزيادة بين القوسين ، أراها زيادة لا غنى عنها .

(٣) الحديث : ٩٨٧٦ – ابن أبى فديك : هو محمد بن إسماعيل بن مسلم بن أبى فديك المدنى . وهو ثقة معروف ، من شيوخ الشافعى وأحمد . أخرج له الجماعة .

عبد الله بن محمد بن عروة : هو عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة بن الزبير المدنى . قال أبو حاتم : « هو متروك الحديث ، ضعيف الحديث جداً » . وقال ابن حبان : « يروى الموضوعات عن الثقات » . مترجم فى لسان الميزان ٣ : ٣٣١ – ٣٣٢ ، وابن أبى حاتم ٢/٢/١٥٨ .

فهذا حديث ضعيف جداً ، لم نجده إلا فى هذا الموضع .

وقد نقله ابن كثير ٢ : ٤٩٥ ، والسيوطى ٢ : ١٧٧ – ولم ينسباه لغير الطبرى .

٩٨٧٧ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا يحيى ، عن عبيد الله قال ، أخبرني نافع ، عن عبد الله ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : على المرء المسلم ، الطاعةُ فيما أحب وكره ، إلاّ أن يؤمر بمعصية ؛ فمن أمر بمعصية فلا طاعة . (١)

٩٨٧٨ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثني خالد ، عن عبيد الله، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه . (١)

* * *

= فإذ كان معلوماً أنه لا طاعة واجبة لأحد غير الله أو رسوله أو إمام عادل ، وكان الله قد أمر بقوله : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » بطاعة ذَوِي أمرنا = كان معلوماً أن الذين أمرَ بطاعتهم تعالى ذكره من ذوى أمرنا ، هم الأئمة ومن ولّوْه المسلمين ، (٢) دون غيرهم من الناس، وإن كان فرضاً القبول من كل من أمر بترك معصية الله ودعا إلى طاعة الله ، وأنه لا طاعة تجب لأحد فيما أمر ونهى فيما لم تقم حجة وجوبه ، إلا للأئمة الذين ألزم الله عباده طاعتهم فيما أمروا به رعيتهم مما هو مصلحة لعامة الرعيّة، فإن على من أمروه بذلك طاعتهم ، وكذلك في كل ما لم يكن لله معصية .

---

(١) الحديثان . ٩٨٧٧ ، ٩٨٧٨ – يحيى في الإسناد الأول : هو ابن سعيد القطان . وخالد – في الإسناد الثاني : هو ابن الحارث الهجيمي البصري . مضت ترجمته في : ٧٨١٨ . عبيد الله – في الإسنادين: هو ابن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، العمري . ووقع في المطبوعة ، في الإسنادين : « يحيى بن عبيد الله » ، « خالد بن عبيد الله » ! وهو خطأ واضح ، صوابه من المخطوطة .

والحديث رواه أحمد في المسند : ٤٦٦٨ ، عن يحيى ، وهو القطان ، بمثل الإسناد الأول هنا . ورواه أيضاً : ٦٢٧٨ ، عن ابن نمير ، عن عبيد الله ، به .

وقد شرحناه شرحاً وافياً ، وخرجناه – في الموضع الأول .

وذكره ابن كثير ٢ : ٤٩٤ ، من رواية أبي داود – من طريق يحيى القطان . ثم نسبه للشيخين من طريق يحيى .

وقصر السيوطي جداً ، إذ ذكره ٢ : ١٧٧ ، ونسبه لابن أبي شيبة ، وابن جرير – فقط ! وهو في المسند والصحيحين وغيرهما .

(٢) في المطبوعة : « ومن ولاه المسلمون » ، وأثبت ما في المخطوطة ، ولم يرد أبو جعفر معنى ما كان في المطبوعة ، بل أراد : ومن ولاه الأئمة أمور المسلمين .

وإذ كان ذلك كذلك ، كان معلوماً بذلك صحة ما اخترنا من التأويل دون غيره .

• • •

القول فى تأويل قوله ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : فإن اختلفتم ، أيها المؤمنون ، فى شىء من أمر دينكم : أنتم فيما بينكم ، أو أنتم وولاة أمركم ، فاشتجرتم فيه[1] — «فردوه إلى الله » ، يعنى بذلك : فارتادوا معرفة حكم ذلك الذى اشتجرتم — أنتم بينكم ، أو أنتم وأولو أمركم — فيه من عند الله ، يعنى بذلك : من كتاب الله ، فاتبعوا ما وجدتم — وأما قوله : « والرسول » ، فإنه يقول : فإن لم تجدوا إلى علم ذلك فى كتاب الله سبيلاً ، فارتادوا معرفة ذلك أيضاً من عند الرسول إن كان حياً ، وإن كان ميتاً فمن سنته — «إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر» ، يقول : افعلوا ذلك إن كنتم تصدقون بالله — « واليوم الآخر » ، يعنى : بالمعاد الذى فيه الثواب والعقاب ، فإنكم إن فعلتم ما أمرتم به من ذلك . فلكم من الله الجزيل من الثواب ، وإن لم تفعلوا ذلك فلكم الأليم من العقاب .

• • •

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل.

• ذكر من قال ذلك :

٩٨٧٩ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس قال ، أخبرنا ليث ، عن مجاهد فى قوله : « فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول » ، قال : فإن تنازع العلماء ردّوه إلى الله والرسول . قال يقول : فردّوه إلى كتاب الله وسنة رسوله . ٩٦/٥

(١) انظر تفسير « تنازع » فيما سلف ٧ : ٢٨٩

ثم قرأ مجاهد هذه الآية : « ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [سورة النساء: ٨٣] .

٩٨٨٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن سفيان، عن ليث ، عن مجاهد في قوله: « فردوه إلى الله والرسول » ، قال: كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم:

٩٨٨١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري ، عن ليث، عن مجاهد في قوله : « فردوه إلى الله والرسول » ، قال : إلى الله » ، إلى كتابه – وإلى « الرسول » ، إلى سنة نبيه .

٩٨٨٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ليث ، قال: سأل مسلمةُ ميمونَ بن مهران عن قوله: « فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول » ، قال: «الله»، كتابه، و« رسوله » سنته، فكأنما ألقمه حجراً .

٩٨٨٣ – حدثنا أحمد ابن حازم قال، حدثنا أبو نعيم قال، أخبرنا جعفر بن مروان، عن ميمون بن مهران: « فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول» ، قال: الرد إلى الله ، الردّ إلى كتابه – والرد إلى رسوله إن كان حياً ، فإن قبضه الله إليه فالردّ إلى السنة .

٩٨٨٤ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله: « فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول » ، يقول: ردوه إلى كتاب الله وسنة رسوله – «إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر» .

٩٨٨٥ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط، عن السدي: « فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول »، إن كان الرسول حياً – « وإلى الله » قال : إلى كتابه .

• • •

القول فى تأويل قوله ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٥٩)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : «ذلك» ، فردُّ ما تنازعتم فيه من شىء إلى الله والرسول ، = « خير » لكم عند الله فى معادكم ، وأصلح لكم فى دنياكم ، لأن ذلك يدعوكم إلى الألفة ، وترك التنازع والفرقة = « وأحسن تأويلا » ، يعنى : وأحمد مَوْئلاً ومغبّة ، وأجمل عاقبة .

* * *

وقد بينا فيما مضى أن «التأويل» « التفعيل » من « تأوّل » ، وأنّ قول القائل : « تأوّل » ، « تفعّل » ، من قولهم : « آل هذا الأمر إلى كذا » ، أى : رجع = بما أغنى عن إعادته . (١)

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

* ذكر من قال ذلك :

٩٨٨٦ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وأحسن تأويلا » ، قال : أحسن جزاء .

٩٨٨٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٩٨٨٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ذلك خير وأحسن تأويلا » ، يقول : ذلك أحسنُ ثواباً ، وخير عاقبةً .

٩٨٨٩ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وأحسن تأويلا » ، قال : عاقبة .

---

(١) انظر ما سلف ٦ : ٢٠٤ — ٢٠٦ .

٩٨٩٠ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « ذلك خير وأحسن تأويلا » ، قال : وأحسن عاقبة = قال : و « التأويل » ، التصديق .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (٦٠)

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : « ألم تر » ، يا محمد، بقلبك ، فتعلم= إلى الذين يزعمون أنهم صدقوا بما أنزل إليك من الكتاب ، وإلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل من قبلك من الكتب ، يريدون أن يتحاكموا في خصومتهم إلى الطاغوت = يعني إلى: من يعظمونه ، ويصدرون عن قوله، ويرضون بحكمه من دون حكم الله ،[1] = « وقد أمروا أن يكفروا به » ، يقول : وقد أمرهم الله أن يكذبوا بما جاءهم به الطاغوتُ الذي يتحاكمون إليه ، فتركوا أمرَ الله واتبعوا أمر الشيطان = « ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيداً » ، يعني : أن الشيطان يريد أن يصدَّ هؤلاء المتحاكمين إلى الطاغوت عن سبيل الحق والهدى ، فيضلهم عنها ضلالا بعيداً= يعني : فيجور بهم عنها جوراً شديداً .[2]

* * *

وقد ذكر أن هذه الآية نزلت في رجل من المنافقين دعا رجلا من اليهود في خصومة كانت بينهما إلى بعض الكهّان ، ليحكم بينهم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهُرهم .

---

(١) انظر تفسير « الطاغوت » فيما سلف ٥ : ٤١٦ – ٤١٩ / ٨ : ٤٦١ – ٤٦٥

(٢) انظر تفسير « الضلال » فيما سلف : ٨ : ٤٢٨ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

• ذكر من قال ذلك :

٩٨٩١ – حدثني محمد بن المثنى قال، حدثنا عبد الوهاب قال، حدثنا داود، عن عامر في هذه الآية: « ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت » ، قال : كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة ، فكان المنافق يدعو إلى اليهود ، لأنه يعلم أنهم يقبلون الرشوة ، وكان اليهودي يدعو إلى المسلمين ، لأنه يعلم أنهم لا يقبلون الرشوة . فاصطلحا أن يتحاكما إلى كاهن من جُهَيْنة ، فأنزل الله فيه هذه الآية : « ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك » حتى بلغ « ويسلموا تسليماً » . ٩٧/٥

٩٨٩٢ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا داود ، عن عامر في هذه الآية: « ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك » ، فذكر نحوه = وزاد فيه : فأنزل الله : « ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك » ، يعني المنافقين= « وما أنزل من قبلك » ، يعني اليهود = «يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت» ، يقول : إلى الكاهن = « وقد أمروا أن يكفروا به » ، أمر هذا في كتابه ، وأمر هذا في كتابه ، أن يكفر بالكاهن .

٩٨٩٣ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية ، عن داود ، عن الشعبي قال : كانت بين رجل ممن يزعم أنه مسلم ، وبين رجل من اليهود، خصومة ، فقال اليهودي : أحاكمك إلى أهل دينك = أو قال : إلى النبي = لأنه قد علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأخذ الرشوة في الحكم ، فاختلفا ، فاتفقا على أن يأتيا كاهناً في جهينة ، قال : فنزلت : « ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك » ، يعني : الذي من الأنصار= « وما أنزل من قبلك » ، يعني : اليهودي[1] = « يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت » ، إلى الكاهن = « وقد أمروا

---

(١) في المخطوطة : « اليهود » .

أن يكفروا به » ، يعنى : أمر هذا فى كتابه ، وأمر هذا فى كتابه . وتلا : « ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيداً » ، وقرأ : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم » إلى « ويسلموا تسليما » .

٩٨٩٤ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه قال : زعم حضرمىٌّ أن رجلا من اليهود كان قد أسلم ، فكانت بينه وبين رجل من اليهود مدارأة فى حق ،[1] فقال اليهودى له : انطلق إلى نبى الله . فعرف أنه سيقضى عليه . قال : فأبى ، فانطلقا إلى رجل من الكهان فتحاكما إليه . قال الله : « ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت » .

٩٨٩٥ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك » ، الآية ، حتى بلغ « ضلالا بعيداً » ، ذُكر لنا أن هذه الآية نزلت فى رجلين : رجل من الأنصار يقال له « بشر » ، وفى رجل من اليهود ، فى مدارأة كانت بينهما فى حق ، فتدارأآ بينهما ، فتنافرا إلى كاهن بالمدينة يحكم بينهما ، وتركا نبى الله صلى الله عليه وسلم . فعاب الله عز وجل ذلك = وذُكر لنا أن اليهودى كان يدعوه إلى النبى صلى الله عليه وسلم ليحكم بينهما ، وقد علم أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم لن يجور عليه . فجعل الأنصارى يأبى عليه وهو يزعم أنه مسلم ، ويدعوه إلى الكاهن ، فأنزل الله تبارك وتعالى ما تسمعون ، فعابَ ذلك على الذى يزعم أنه مسلم ، وعلى اليهودى الذى هو من أهل الكتاب ، فقال : « ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك » إلى قوله : « صدوداً » .

٩٨٩٦ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل

(١) المدارأة : المدافعة والخصومة .

من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت » ، قال : كان ناس من اليهود قد أسلموا ونافق بعضهم . وكانت قُرَيظة والنَّضير فى الجاهلية ، إذا قُتِل الرجل من بنى النضير قتلته بنو قريظة ، قتلوا به منهم . فإذا قُتِل الرجل من بنى قريظة قتلته النضير ، أعطوْا ديتَه ستين وَسْقاً من تمر.[1] فلما أسلم ناس من بنى قريظة والنضير ، قتل رجلٌ من بنى النضير رجلاً من بنى قريظة ، فتحاكموا إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال النضيرى : يا رسول الله ، إنا كنا نعطيهم فى الجاهلية الدية ، فنحن نعطيهم اليوم ذلك . فقالت قريظة : لا ، ولكنا إخوانُكم فى النسب والدين ، ودماؤنا مثل دمائكم ، ولكنكم كنتم تغلبوننا فى الجاهلية ، فقد جاء الله بالإسلام ! فأنزل الله يُعَيِّرهم بما فعلوا فقال : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾ [سورة المائدة : ٤٥] ، فعيَّرهم ، ثم ذكر قول النضيرى : «كنا نعطيهم فى الجاهلية ستين وسقاً ، ونقتل منهم ولا يقتلونا» ، فقال ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ [سورة المائدة : ٥٠]. ٥/٩٨
وأخذ النضيرى فقتله بصاحبه ، فتفاخرت النضير وقريظة ، فقالت النضير : نحن أكرم منكم ! وقالت قريظة : نحن أكرم منكم ! ودخلوا المدينة إلى أبى بُرْدة ،[2] الكاهن الأسلمى ، فقال المنافق من قريظة والنضير : انطلقوا إلى أبى بردَة ينفِّر بيننا ![3]

---

(١) « الوسق » مكيلة معلومة فى زمانهم ، كانت تبلغ حمل بعير .

(٢) فى المطبوعة : « أبو برزة الأسلمى » وهو خطأ محض ، والصواب ما كان فى المخطوطة ، فإن أبا برزة الأسلمى — نضلة بن عبيد — فهو صحابى جليل ، و « برزة » بفتح الباء بعدها راء ساكنة بعدها زاى . وأما « أبو بردة » فهو بالباء المضمومة بعدها راء ساكنة بعدها دال .

وذكر الثعلبى فى تفسيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا أبا بردة الأسلمى إلى الإسلام ، فأبى ، ثم كلمه ابناه فى ذلك ، فأجاب إليه وأسلم . وقال الحافظ ابن حجر : « وعند الطبرانى بسند جيد عن ابن عباس قال : كان أبو بردة الأسلمى كاهناً يقضى بين اليهود ، فذكر القصة فى نزول قوله تعالى : ألم تر إلى الذين يزعمون . . . » الإصابة فى ترجمته . وذكر الهيثمى خبر ابن عباس فى مجمع الزوائد ٧ : ٦ ، وفيه أيضاً « أبو برزة الأسلمى » ، وهو خطأ ، وقال : « رواه الطبرانى ، ورجاله رجال الصحيح » . وكذلك رواه ابن كثير فى تفسيره ٢ : ٥٠٠ وفيه أيضاً « أبو برزة » ، وهو خطأ .

(٣) فى المطبوعة هنا أيضاً « أبو برزة » ، وانظر التعليق السالف . ويقال : « نفر الحاكم أحد المتخاصمين على صاحبه تنفيراً » : أى قضى عليه بالغلبة . وهو من « المنافرة » ، وذلك أن يتفاخر الرجلان كل واحد منهما على صاحبه ، ثم يحكما بينهما رجلا ، يغلب أحدهما على الآخر .

وقال المسلمون من قريظة والنضير : لا ، بل النبي صلى الله عليه وسلم يُنفِّر بيننا ، فتعالوا إليه ! فأبى المنافقون ، وانطلقوا إلى أبي بردة فسألوه ،[1] فقال : أعظِموا اللُّقمة = يقول : أعظِموا الخَطَر[2] = فقالوا : لك عشرة أوساق . قال : لا ، بل مئة وسْق ، ديتي ،[3] فإني أخاف أن أنفِّر النضير فتقتلني قريظة ، أو أنفِّر قريظة فتقتلني النضير ! فأبوا أن يعطوه فوق عشرة أوساق، وأبى أن يحكم بينهم ، فأنزل الله عز وجل : « يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت » = وهو أبو بردة[4] = « وقد أمروا أن يكفروا به » إلى قوله : « ويسلموا تسليما » .

* * *

وقال آخرون : « الطاغوت » ، في هذا الموضع ، هو كعب بن الأشرف .

* ذكر من قال ذلك :

٩٨٩٧ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به » ، و « الطاغوت » رجل من اليهود كان يقال له : كعب بن الأشرف ، وكانوا إذا ما دعوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول ليحكم بينهم قالوا ، بل نحاكمكم إلى كعب ! فذلك قوله : « يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت » ، الآية .

٩٧٩٨ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك » ، قال : تنازع رجلٌ من المنافقين ورجلٌ من

---

(١) في المطبوعة هنا مرة ثالثة : « أبو برزة » .

(٢) « الخطر » هو المال الذي يجعل رهناً بين المتراهنين ، وأراد به الجعل الذي يدفعه كل واحد من المتنافرين إلى الحكم . وسماه « اللقمة » مجازاً ، وهذا كله لم تقيده كتب اللغة ، ولم أجده في أخبار المنافرات . فيستفاد من هذا الخبر ، أن الحكم في المنافرة كانوا يجعلون له جعلا يأخذه بعد استماعه للمنافرة ، وبعد الحكم .

(٣) « أوساق » جمع « وسق » ومضى تفسيره « الوسق » فيما سلف ص: ٥١٠، تعليق : ١ .

(٤) في المطبوعة هنا مرة رابعة « أبو برزة » .

اليهود ، فقال المنافق : اذهب بنا إلى كعب بن الأشرف . وقال اليهودى : اذهب بنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم . فقال الله تبارك وتعالى : « ألم تر إلى الذين يزعمون » الآية ، والتى تليها فيهم أيضاً .(١)

٩٨٩٩ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك » ، فذكر مثله = إلا أنه قال : وقال اليهودى : اذهب بنا إلى محمد .

٩٩٠٠ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس فى قوله : « ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك » إلى قوله : « ضلالا بعيداً » ، قال : كان رجلان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بينهما خصومة ، أحدهما مؤمن والآخر منافق ، فدعاه المؤمن إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف ، فأنزل الله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴾.

٩٩٠١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت » ، قال : تنازع رجل من المؤمنين ورجل من اليهود ، فقال اليهودى : اذهب بنا إلى كعب بن الأشرف . وقال المؤمن : اذهب بنا إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم . فقال الله : « ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك » إلى قوله : « صدوداً » = قال ابن جريج : « يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك » ، قال : القرآن = « وما أنزل من قبلك » ، قال : التوراة . قال :

---

(١) فى المخطوطة : « الآية التى تليها منهم فيهما أيضاً » ، ولا أدرى ما هو ، وما فى المطبوعة أقرب إلى الصواب .

يكون بين المسلم والمنافق الحق ، فيدعوه المسلم إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ليحاكمه إليه ، فيأبى المنافق ويدعوه إلى الطاغوت = قال ابن جريج : قال مجاهد : « الطاغوت »، كعب بن الأشرف .

٩٩٠٢ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت » ، هو كعب بن الأشرف .

* * *

وقد بينا معنى : « الطاغوت » فى غير هذا الموضع ، فكرهنا إعادته .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ (٦١)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ألم تر ، يا محمد ، إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك من المنافقين ، وإلى الذى يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل من قبلك من أهل الكتاب ، يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت = « وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله »، يعنى بذلك: « وإذا قيل لهم تعالوا » ، هلمُّوا إلى حكم الله الذى أنزله فى كتابه ، وإلى الرسول ليحكم بيننا[2] = « رأيت المنافقين يصدون عنك » ، يعنى بذلك : يمتنعون من المصير إليك لتحكم بينهم ، ويمنعون من المصير إليك كذلك غيرهم = « صدوداً » .[3] ٩٩/٥

* * *

وقال ابن جريج فى ذلك بما : —

(١) انظر ما سلف : ٥٠٧ ، والتعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « تعالوا » فيما سلف ٦ : ٤٧٤ ، ٤٨٣ ، ٤٨٥ .
(٣) انظر تفسير « الصد » فيما سلف ٤ : ٧/٣٠٠ : ٨/٥٣ : ٤٨٢

٩٩٠٣ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول » ، قال : دعا المسلمُ المنافقَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحكم ، قال : « رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً » .

* * *

= وأما على تأويل قول من جعل الدَّاعي إلى النبي صلى الله عليه وسلم اليهوديّ ، والمدعوَّ إليه المنافق ، على ما ذكرت من أقوال من قال ذلك في تأويل قوله : « ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك » = فإنه على ما بيَّنت قبل .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴾ (٦٢)

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : فكيف بهؤلاء الذين يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت ، وهم يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك = « إذا أصابتهم مصيبة » ، يعني : إذا نزلت بهم نقمة من الله = « بما قدمت أيديهم » ، يعني : بذنوبهم التي سلفت منهم [1] = « ثم جاؤوك يحلفون بالله » ، يقول : ثم جاؤوك يحلفون بالله كذباً وزوراً = « إن أردنا إلاّ إحساناً وتوفيقاً » . وهذا خبرٌ من الله تعالى ذكره عن هؤلاء المنافقين أنهم لا يردعهم عن النفاق العِبر والنِّقم ، وأنهم إن تأتهم عقوبة من الله على تحاكمهم إلى الطاغوت لم ينيبوا ولم يتوبوا ، [2] ولكنهم يحلفون بالله كذباً وجرأة على الله : ما أردنا باحتكامنا إليه إلاّ الإحسان من بعضنا إلى بعض ، والصوابَ فيما احتكمنا فيه إليه .

* * *

(١) انظر تفسير « قدمت أيديهم » فيما سلف ٢ : ٧/٣٦٨ : ٤٤٧

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « وأنهم وإن تأتهم » ، والأجود حذف الواو .

القول فى تأويل قوله ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴾ (٦٣)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « أولئك » ، هؤلاء المنافقون الذين وصفت لك، يا محمد، صفتهم = « يعلم الله ما فى قلوبهم » فى احتكامهم إلى الطاغوت، وتركهم الاحتكام إليك ، وصدودهم عنك = من النفاق والزيغ ،[1] وإن حلفوا بالله : ما أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً = « فأعرض عنهم وعظهم» ، يقول : فدعهم فلا تعاقبهم فى أبدانهم وأجسامهم، ولكن عظهم بتخويفك إياهم بأسَ الله أن يحلّ بهم، وعقوبته أن تنزل بدارهم ،وحذّرهم من مكروهِ ما هم عليه من الشك فى أمر الله وأمر رسوله = ، « وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغاً » ، يقول : مرهم باتقاء الله والتصديق به وبرسوله ووعده ووعيده .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾

قال أبو جعفر: يعنى بذلك جل ثناؤه : ولم نرسل، يامحمد ، رسولاً إلاّ فرضت طاعته على من أرسلته إليه . يقول تعالى ذكره : فأنت، يامحمد،من الرسل الذين فرضت طاعتهم على من أرسلتُه إليه .

* * *

وإنما هذا من الله توبيخ للمحتكمين من المنافقين = الذين كانوا يزعمون أنهم

(١) السياق : « يعلم الله ما فى قلوبهم . . . من النفاق والزيغ » .

يؤمنون بما أنزل إلى النبي صلى الله عليه وسلم = فيما اختصموا فيه إلى الطاغوت ، صدوداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . يقول لهم تعالى ذكره : ما أرسلتُ رسولاً إلاّ فرضت طاعته على من أرسلته إليه ، فمحمد صلى الله عليه وسلم من أولئك الرسل ، فمن ترك طاعته والرِّضى بحكمه واحتكم إلى الطاغوت ، فقد خالف أمرى ، وضيَّع فرضى .

ثم أخبر جل ثناؤه : أن من أطاع رسله ، فإنما يطيعهم بإذنه = يعنى : بتقديره ذلك وقضائه السابق فى علمه ومشيئته ،[1] كما : —

٩٩٠٤ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « إلا ليطاع بإذن الله » ، واجب لهم أن يطيعهم من شاء الله ، ولا يطيعهم أحد إلاّ بإذن الله .

٩٩٠٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٩٩٠٦ — حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

قال أبو جعفر : إنما هذا تعريض من الله تعالى ذكره لهؤلاء المنافقين ، بأن تركهم طاعة الله وطاعة رسوله والرضى بحكمه ، إنما هو للسابق لهم من خِذْلانه
٥/١٠٠ وغلبة الشقاء عليهم ، ولولا ذلك لكانوا ممن أذن له فى الرضى بحكمه ، والمسارعة إلى طاعته .

* * *

(١) انظر تفسير « الإذن » فيما سلف ٨ : ١٩٢ تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ (٦٤)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ولو أن هؤلاء المنافقين = الذين وصف صفتهم فى هاتين الآيتين ، الذين إذا دعوا إلى حكم الله وحكم رسوله صدّوا صدوداً = ، « إذ ظلموا أنفسهم » ، باكتسابهم إياها العظيم من الإثم فى احتكامهم إلى الطاغوت ، وصدودهم عن كتاب الله وسنة رسوله إذا دعوا إليها = « جاؤوك » ، يا محمد ، حين فعلوا ما فعلوا من مصيرهم إلى الطاغوت راضين بحكمه دون حكمك ، جاؤوك تائبين منيبين ، فسألوا الله أن يصفح لهم عن عقوبة ذنبهم بتغطيته عليهم ، وسأل لهم اللهَ رسولُه صلى الله عليه وسلم مثل ذلك . وذلك هو معنى قوله : « فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول » .

= وأما قوله : « لوجدوا الله تواباً رحيما » ، فإنه يقول : لو كانوا فعلوا ذلك فتابوا من ذنبهم = « لوجدوا الله تواباً » ، يقول : راجعاً لهم مما يكرهون إلى ما يحبون [1] = « رحيماً » بهم ، فى تركه عقوبتهم على ذنبهم الذى تابوا منه .

* * *

وقال مجاهد : عُنِى بذلك اليهودىُّ والمسلم اللذان تحاكما إلى كعب بن الأشرف .

٩٩٠٧ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « ظلموا أنفسهم » إلى قوله : « ويسلموا تسليما » ، قال : إن هذا فى الرجل اليهودى والرجل المسلم اللذين تحاكما إلى كعب ابن الأشرف .

* * *

(١) انظر تفسير « الاستغفار » و « التوبة » فيما سلف من فهارس اللغة .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٦٥)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « فلا »، فليس الأمر كما يزعمون : أنهم يؤمنون بما أنزل إليك ، وهم يتحاكمون إلى الطاغوت ، ويصدّون عنك إذا دعوا إليك يا محمد = واستأنف القسم جل ذكره فقال : « وربك »، يا محمد = « لا يؤمنون » ، أى : لا يصدقون بى وبك وبما أنزل إليك = « حتى يحكموك فيما شجر بينهم » ، يقول : حتى يجعلوك حكماً بينهم فيما اختلط بينهم من أمورهم، فالتبس عليهم حكمه .

* * *

يقال : « شجَر يشجُر شُجوراً وشَجْراً » ،و« تشاجر القوم » ، إذا اختلفوا فى الكلام والأمر ، « مشاجرة وشِجاراً » .

* * *

= « ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت »، يقول : لا يجدوا فى أنفسهم ضيقاً مما قضيت . وإنما معناه : ثم لا تحرَج أنفسهم مما قضيت= أى : لا تأثم بإنكارها ما قضيتَ ، وشكّها فى طاعتك ، وأن الذى قضيت به بينهم حقٌ لا يجوز لهم خلافه ، كما : —

٩٩٠٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « حرجاً مما قضيت » ، قال : شكًّا .

٩٩٠٩ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد ابن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بزة ، عن مجاهد فى قوله : « حرجاً مما قضيت »، يقول : شكًّا .

٩٩١٠ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٩٩١١ – حدثنا يحيى بن أبي طالب قال، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك في قوله : « ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت » ، قال : إثماً = «ويسلموا تسليما » ، يقول : ويسلّموا لقضائك وحكمك ، إذعاناً منهم بالطاعة ، وإقراراً لك بالنبوة تسليماً .

* * *

واختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية ، وفيمن نزلت ؟

فقال بعضهم : نزلت في الزبير بن العوّام وخصم له من الأنصار، اختصما إلى النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الأمور .

* ذكر الرواية بذلك :

٩٩١٢ – حدثني يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا بن وهب قال ، أخبرني يونس والليث بن سعد ، عن ابن شهاب : أن عروة بن الزبير حدّثه : أن عبد الله ابن الزبير حدثه ، عن الزبير بن العوام : أنه خاصم رجلاً من الأنصار قد شهد بدراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في شِراج من الحرّة كانا يسقيان به كلاهما النخل ، (١) فقال الأنصاري : سرّح الماء يمرّ ! (٢) فأبى عليه ، فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم : اسق يا زبير ، ثم أرسل الماء إلى جارك . فغضب الأنصاري وقال : يا رسول الله، أن كان ابن عمتك؟ (٣) فتلوّن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) « الشراج » (بكسر الشين) جمع « شرج » (بفتح فسكون) ، وهو مسيل الماء من الحرة إلى السهل . و « الحرة » موضع معروف بالمدينة ، وهي أرض ذات حجارة سود نخرة ، كأنما أحرقت بالنار . و « الكلأ » هو العشب ترعاه الأنعام . وكان في المطبوعة : « كلاهما » بغير همز ، وهو خطأ يوهم .

(٢) قوله : « سرح الماء » ، أي أطلقه ، لأن الماء كان يمر على أرض الزبير قبل أرض الأنصاري ، فكان يحبسه حتى يسقي أرضه .

(٣) قوله : « أن كان . . . » ، « أن » (بفتح الألف وسكون النون) ، للتعليل ، يقول أمن أجل أنه ابن عمتك ؟ وأم الزبير هي : صفية بنت عبد المطلب ، عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم قال : اسق يا زبير ، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدْر ،[١] ثم أرسل الماء إلى جارك . واستوعَى رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير حقه = قال أبو جعفر : والصواب « استوعب »[٢] = وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك أشار على الزبير برأيٍ أراد فيه الشفقة له وللأنصارى . فلما أحفظَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الأنصاريُّ ،[٣] استوعب للزبير حقه فى صريح الحكم = قال فقال الزبير : ما أحسب هذه الآية نزلت إلاّ فى ذلك : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم » ، الآية .[٤]

١٠١/٥

---

(١) « الجدر » (بفتح الجيم وسكون الدال) ، وهى الحواجز التى تحبس الماء .

(٢) الظاهر أن قول أبى جعفر : « والصواب : استوعب » ، إنما عنى به صواب الرواية فى هذا الخبر بهذا الإسناد ، ولا أظن أبا جعفر ينكر « استوعى » أن تكون صحيحة ، فإن « استوعى » بمعنى : استوعب الحق واستوفاه ، عربى صحيح لا شك فيه .

(٣) « أحفظه » : أغضبه .

(٤) الحديث : ٩٩١٢ – سياق هذا الإسناد ظاهره أنه من حديث « الزبير بن العوام » – لقوله « أن عبد الله بن الزبير حدثه عن الزبير بن العوام » . ويحتمل أن يكون من حديث « عبد الله بن الزبير » حكاية عن القصة . وقد جاء الحديث بسياقات أخر ، بعضها ظاهره أنه من حديث عروة بن الزبير – يحكى القصة ، فيكون ظاهره الإرسال . وبعضها ظاهره أنه من رواية عروة عن أبيه الزبير ، كما سيأتى :

فرواه ابن أبى حاتم – فيما نقل عنه ابن كثير ٢ : ٥٠٣ – بإسناد الطبرى هذا : عن يونس بن عبد الأعلى ، عن ابن وهب ، به .

وكذلك رواه ابن الجارود فى المنتقى ، ص : ٤٥٣ ، عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، عن ابن وهب .

وكذلك رواه الإسماعيلى ، فيما نقله عنه الحافظ فى الفتح ٥ : ٢٦ .

ورواه النسائى ٢ : ٣٠٨ – ٣٠٩ ، كرواية الطبرى هذه . ولكن عن شيخين : يونس بن عبد الأعلى والحارث بن مسكين – كلاهما عن ابن وهب ، بهذا الإسناد – وعند هؤلاء جميعاً – كما هنا : « أن عبد الله ابن الزبير حدثه عن الزبير بن العوام » .

ورواه أحمد فى المسند : ١٦١٨٥ (ج ٤ ص ٤ – ٥ حلبى) ، فى مسند عبد الله بن الزبير – عن هاشم بن القاسم ، عن الليث ، عن ابن شهاب ، « عن عروة بن الزبير ، عن عبد الله بن الزبير ، قال : خاصم رجل من الأنصار الزبير » ، إلخ .

وبنحو ذلك رواه البخارى ٥ : ٢٦ – ٢٨ ، ومسلم ٢ : ٢٢١ ، وأبو داود : ٣٦٣٧ ، والترمذى ٢ : ٢٨٩ – ٢٩٠ ، وابن ماجة : ٢٤٨٠ ، وابن حبان فى صحيحه : ٢٣ (بتحقيقنا) – كلهم من طريق الليث بن سعد ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عبد الله بن الزبير ، حكاية للقصة . وفى بعض

٩٩١٣ – حدثني يعقوب قال ، حدثنا إسمعيل بن إبراهيم ، عن عبد الرحمن ابن إسحق ، عن الزهري عن عروة ، قال : خاصم الزبير رجل من الأنصار في شَرْج من شِراج الحَرَّة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا زبير ، أَشْرِب ، ثم خلِّ سبيل الماء . فقال الذي من الأنصار من بني أمية : (١) اعدل يا نبيَّ الله ، وإن كان ابن عمتك ! قال : فتغيَّر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عُرف

ألفاظهم : « عن عروة : أن عبد الله بن الزبير حدثه » . وظاهر هذه الأسانيد أنه من حديث « عبد الله ابن الزبير » – حكاية للقصة ، ليس فيها التصريح بروايته عن أبيه الزبير بن العوام .

وقال البخاري عقب هذه الرواية : « ليس أحد يذكر : عروة عن عبد الله – إلا الليث فقط » .

وقد تعقبه الحافظ ابن حجر برواية « النسائي وغيره » – المطابقة لرواية الطبري هنا وابن الجارود وابن أبي حاتم – أن يونس بن يزيد الأيلي ذكر فيه « عن عبد الله بن الزبير » ، كما ذكره الليث . بل زاد ابن وهب في روايته هذه عن يونس والليث : أنه « عن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه الزبير بن العوام » .

ورواه أحمد في المسند : ١٤١٩ ، عن أبي اليمان ، عن شعيب ، عن الزهري ، قال ، « أخبرني عروة بن الزبير : أن الزبير كان يحدث أنه خاصم رجلا من الأنصار » – إلخ .

وكذلك رواه البخاري ٥ : ٢٢٧ (فتح) ، عن أبي اليمان ، بهذا الإسناد ، كرواية أحمد .

فهذه الرواية ظاهرها أن عروة يروي الحديث فيها عن أبيه الزبير بن العوام مباشرة .

وقد نقل ابن كثير ٢ : ٥٠٢ – ٥٠٣ هذه الرواية عن المسند . ثم قال : « هكذا رواه الإمام أحمد ، وهو منقطع بين عروة وبين أبيه الزبير ، فإنه لم يسمع منه . والذي يقطع به أنه سمعه من أخيه عبد الله » .

وقد تعقبته في شرح المسند : ١٤١٩ ، فقلت : إن الحديث حديث الزبير ، ولا يبعد أن يكون سمعه منه ابناه عبد الله وعروة ، وأن يكون عروة سمعه أيضاً من أخيه عبد الله ، أو ثبته عبد الله فيه . وأما ادعاء أن عروة لم يسمع من أبيه فالأدلة تنقضه ، فإنه كان مراهقاً أو بالغاً عند مقتل أبيه ، كانت سنه ١٣ سنة . وفي التهذيب ٧ : ١٨٥ : « قال مسلم بن الحجاج في كتاب التمييز : حج عروة مع عثمان ، وحفظ عن أبيه فن دونهما من الصحابة » .

وأزيد هنا أن البخاري صرح في ترجمة « عروة » في التاريخ الكبير ٤/١/٣١ بسماعه من أبيه ، فقال : « سمع أباه وعائشة وعبد الله بن عمر » . وأن الإمام أحمد روى حديثاً آخر قبله : ١٤١٨ ، من طريق هشام بن عروة ، « عن عروة ، قال : أخبرني أبي الزبير » – وإسناده صحيح ، وفيه التصريح بسماع عروة من أبيه ، وأن الحافظ في الفتح ٥ : ٢٦ قال : « وإنما صححه البخاري – مع هذا الاختلاف – اعتماداً على صحة سماع عروة من أبيه » .

ورواه عروة أيضاً من عند نفسه ، حكاية للقصة ، دون أن يذكر أنه عن أخيه أو عن أبيه – فيكون ظاهره أنه حديث مرسل ، كما في الرواية الآتية عقب هذه ، وسيأتي باقي الكلام هناك .

(١) في المطبوعة : حذف قوله : « من بني أمية » ، كأنه ظن أن « بني أمية » هنا هم القرشيون ! ! و « بنو أمية » هنا : هم بنو أمية بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الأوس .

أن قد ساءه ما قال ، ثم قال : يا زبير ، احبس الماء إلى الجدْرِ =أو : إلى الكعبين= ثم خل سبيل الماء . قال : ونزلت : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم » .(١)

٩٩١٤ – حدثني عبد الله بن عمير الرازى قال ، حدثنا عبد الله بن الزبير قال ، حدثنا سفيان قال ، حدثنا عمرو بن دينار ، عن سلمة رجلٍ من ولد أم سلمة ، عن أم سلمة : أن الزبير خاصم رجلاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقضى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير ، فقال الرجل لما قضى للزبير : أن كان ابن عمتك ! فأنزل الله : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم

---

(١) الحديث : ٩٩١٣ – إسمعيل بن إبراهيم : هو ابن علية .

عبد الرحمن بن إسحق بن عبد الله بن الحارث بن كنانة : ثقة ، وثقه ابن معين والبخارى وغيرهما . وأخرج له مسلم فى صحيحه . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٢/٢/٢١٢ – ٢١٣ .

وهذا الحديث صورته صورة الإرسال ، كما أشرنا فى الحديث قبله . لأن عروة بن الزبير – وهو تابعى – يحكى القصة ، دون أن يذكر روايته إياها عن أبيه أو عن أخيه .

وكذلك رواه يحيى بن آدم فى كتاب الخراج ، رقم : ٣٣٧ (بتحقيقنا) ، عن ابن علية ، كرواية الطبرى هذه .

وبهذه الصورة – صورة الإرسال – رواه البخارى ٥ : ٢٩ (فتح) ، من طريق معمر ، عن الزهرى ، عن عروة ، قال : « خاصم الزبير رجلا » .– إلخ . وكذلك رواه مرة أخرى ٨ : ١٩١ ، من طريق معمر .

وكذلك رواه ٥ : ٣٠ ، من طريق ابن جريج ، عن الزهرى – على صوره الإرسال .

وأشار الحافظ فى الفتح ٥ : ٢٦ إلى روايات أخر عن الزهرى توافق روايتى معمر وابن جريج على روايته بصورة الحديث المرسل .

والراجح عندى أن عروة سمع الحديث من أبيه مع أخيه عبد الله ، ولعله لم يتثبت من حفظه تماماً لصغر سنه ، فسمعه مرة أخرى من أخيه . فحدث به على تارات : يذكر أنه عن أخيه عن أبيه . أو يذكر أنه عن أبيه مباشرة . أو يرسل القصة إرسالا دون ذكر واحد منهما لثقته بسماعها واطمئنانه .

ولذلك أخرج البخارى فى صحيحه الرواية التى صورتها صورة الإرسال فى موضعين ، توثيقاً منه لثبوته موصولا . وأيد الحافظ فى الفتح ٥ : ٢٦ صنيع البخارى هذا بقوله : « ثم الحديث ورد فى شىء يتعلق بالزبير ، فداعية ولده متوفرة على ضبطه » .

والحديث – فى أصله – ذكره السيوطى ٢ : ١٨٠ ، وزاد نسبته لعبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، والبيهقى .

لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً » .(١)

* * *

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية فى المنافق واليهودىّ اللذين وصف الله صفتهما فى قوله : « ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت » .

* ذكر من قال ذلك :

٩٩١٥ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما » ، قال : هذا الرجل اليهودىُّ والرجل المسلم اللذان تحاكما إلى كعب بن الأشرف .

---

(١) الحديث : ٩٩١٤ – عبد الله بن عمير الرازى – شيخ الطبرى : لم أجد له ترجمة ولا ذكراً فى شىء من المراجع .

عبد الله بن الزبير بن عيسى الأسدى : هو الحميدى الإمام الثقة المشهور ، من شيوخ البخارى . قال أبو حاتم : « هو أثبت الناس فى ابن عيينة ، وهو رئيس أصحابه ، وهو ثقة إمام » . مات سنة ٢١٩ .

سفيان : هو ابن عيينة .

« سلمة رجل من ولد أم سلمة » : هو « سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبى سلمة » . مضت ترجمته فى : ٨٣٦٨ ، ٨٣٦٩ .

وهذا الحديث فيه القصة السابقة التى رواها عروة بن الزبير .

وقد أشار إليه الحافظ فى الفتح ٥ : ٢٦ ، قال : « وقد جاءت هذه القصة من وجه آخر ، أخرجها الطبرى والطبرانى ، من حديث أم سلمة » .

وقد ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (ج ٧ ص ٤) ، بنحوه . وقال : « رواه الطبرانى ، وفيه يعقوب بن حميد ، وثقه ابن حبان ، وضعفه غيره » .

وليس « يعقوب بن حميد » فى هذا الإسناد – إسناد الطبرى – فهو وجه آخر .

وقد ذكره ابن كثير ٢ : ٥٠٣ – ٥٠٤ من كتاب ابن مردويه ، من طريق الفضل بن دكين ، عن ابن عيينة ، بهذا الإسناد . ولكن فيه : « عن رجل من آل أبى سلمة ، قال : خاصم الزبير رجلا » – إلخ . فلم يذكر فيه « عن أم سلمة » .

وذكره السيوطى ٢ : ١٨٠ ، وزاد نسبته للحميدى – وهو الوجه الذى فى الطبرى هنا – وسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر .

٩٩١٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٩٩١٧ – حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية، عن داود ، عن الشعبي ، بنحوه = إلا أنه قال : إلى الكاهن .[١]

* * *

قال أبو جعفر : وهذا القول = أعني قول من قال : عنى به المحتكمان إلى الطاغوت اللذان وصف الله شأنهما في قوله : « ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك » = أولى بالصواب ، لأن قوله : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم » في سياق قصة الذين ابتدأ الله الخبر عنهم بقوله :[٢] « ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك » ، ولا دلالة تدل على انقطاع قصتهم ، فإلحاق بعض ذلك ببعض = ما لم تأت دلالة على انقطاعه = أولى .

* * *

فإن ظن ظانٌّ أن في الذي روى عن الزبير وابن الزبير من قصته وقصة الأنصاري في شراج الحرة، وقول من قال في خبرهما : « فنزلت فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم » = ما ينبئ عن انقطاع حكم هذه الآية وقصتها من قصة الآيات قبلها ، فإنه غير مستحيل أن تكون الآية نزلت في قصة المحتكمين إلى الطاغوت ،[٣] ويكون فيها بيان ما احتكم فيه الزبير وصاحبه الأنصاري ، إذ كانت الآية دلالة دالة .[٤] وإذ كان ذلك غير مستحيل ، كان إلحاق معنى

(١) وهناك قول آخر ذكر الطبري فيما سلف ، دليله في الأثر رقم : ٥٨١٩ ، أن الآية نزلت في رجل من الأنصار يقال له أبو الحصين ، كان له ابنان فتنصرا . وقد بينت آنفاً في ٥ : ٤١٠ ، تعليق : ٤ ، أن هذا من الأدلة على اختصار أبي جعفر تفسيره هذا .

(٢) في المطبوعة : « الذين أسدى الله الخبر عنهم » ، وهو كلام خلو من كل معنى ، أوقعه فيه أنه لم يحسن قراءة المخطوطة ، ولم يعرف قط قاعدة ناسخها ، فإنه يكتب « ابتدأ » هكذا : « ابتدى » غير منقوطة .

(٣) في المطبوعة : « في حصة المحتكمين » ، وهو خطأ في الطباعة .

(٤) في المطبوعة : « إذ كانت الآية دالة على ذلك » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو صواب.

بعض ذلك ببعض ، أولى ، ما دام الكلام متسقة معانيه على سياق واحد ، إلا أن تأتى دلالة على انقطاع بعض ذلك من بعض ، فيُعْدَل به عن معنى ما قبله .

* * *

وأما قوله : « ويسلموا » ، فإنه منصوب عطفاً ، على قوله : « ثم لا يجدوا فى أنفسهم »= وقوله : « ثم لا يجدوا فى أنفسهم » ، نصبٌ عطفاً على قوله: « حتى يحكموك فيما شجر بينهم » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم » ، ولو أنا فرضنا على هؤلاء الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك ، المحتكمين إلى الطاغوت ، أن يقتلوا أنفسهم وأمرناهم بذلك = أو أن يخرجوا من ديارهم مهاجرين منها إلى دار أخرى سواها[1] = «ما فعلوه » ، يقول : ما قتلوا أنفسهم بأيديهم ، ولا هاجروا من ديارهم فيخرجوا عنها إلى الله ورسوله ، طاعة لله ولرسوله = « إلا قليل منهم » .

١٠٢/٥

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

• ذكر من قال ذلك :

٩٩١٨ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا

---

(١) انظر تفسير « كتب » فيما سلف ص : ٨ : ١٧٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

أنفسكم» ، يهود يعنى = أو كلمة تشبهها = والعربَ ،[1] كما أمر أصحاب موسى عليه السلام .

٩٩١٩ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم » ، كما أمر أصحاب موسى أن يقتل بعضهم بعضاً بالخناجر ، لم يفعلوا إلاّ قليل منهم .

٩٩٢٠ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أواخرجوا من دياركم ما فعلوه إلاّ قليل منهم » ، افتخر ثابت بن قيس بن شماس ورجل من يهود ، فقال اليهودى : والله لقد كتب الله علينا أن اقتلوا أنفسكم ، فقتلنا أنفسنا ! فقال ثابت : والله لو كُتب علينا أن اقتلوا أنفسكم ، لقتلنا أنفسنا ! أنزل الله فى هذا : « ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً » .

٩٩٢١ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن إسمعيل ، عن أبى إسحق السبيعى قال : لما نزلت : « ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلاّ قليل منهم » ، قال رجل : لو أمرنا لفعلنا ، والحمد لله الذى عافانا ! فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إنّ من أمتى لَرِجالاً ، الإيمان أثبت فى قلوبهم من الجبال الرَّواسى.

* * *

واختلف أهل العربية فى وجه الرفع فى قوله : « إلاّ قليل منهم » .

فكان بعض نحويى البصرة يزعم أنه رفع « قليل» ، لأنه جعل بدلاً من الأسماء

---

(١) فى المطبوعة : « هم يهود يعنى والعرب » . ومثلها فى الدر المنثور ٢ : ١٨١ ، وهو تصرف من السيوطى ، وتبعه الناشر الأول . وذلك أنه شك فى معنى « أو كلمة تشبهها » فحذفها ، وزاد فى أول الكلام « هم » . ولكن قوله : « أو كلمة تشبهها » أى : تشبه « يعنى » فى معناها ، كقولك « يريد » ، أو « أراد » .

المضمرة فى قوله : « ما فعلوه » ، لأن الفعل لهم .

* * *

وقال بعض نحويى الكوفة : إنما رفع على نية التكرير ، كأن معناه : ما فعلوه، ما فعله إلاّ قليل منهم ، كما قال عمرو بن معد يكرب : (١)

وَكُلُّ أَخٍ مُفَارِقُهُ أَخُوهُ ، لَعَمْرُ أَبِيكَ ، إِلَّا الفَرْقَدَانِ (٢)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، أن يقال : رفع « القليل » بالمعنى الذى دلّ عليه قوله : « ما فعلوه إلاّ قليل منهم » .وذلك أن معنى الكلام : ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعله إلاّ قليل منهم = فقيل : « ما فعلوه »، على الخبر عن الذين مضى ذكرهم فى قوله : « ألم تر إلى الذين

---

(١) وأصح ، نسبته إلى حضرمى بن عامر الأسدى ، وينسب إلى سوار بن المضرب ، وهو خطأ .

(٢) سيبويه ١ : ٣٧١ / مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٣١ / البيان والتبيين ١ : ٢٢٨ / حماسة البحترى : ١٥١ / الكامل ٢ : ٢٩٨ / المؤتلف والمختلف : ٨٥ / الخزانة ٢ : ٥٢ = ٤ : ٧٩ / شرح شواهد المغنى : ٧٨ . هذا ولم أجد أبيات عمرو بن معديكرب ، وأما شعر حضرمى ، فقبل البيت ، وهو شعر جيد :

وَذِى فَجْعٍ عَزَفْتُ النَّفْسَ عَنْهُ حِذَارَ الشَّامِتِينَ ، وَقَدْ شَجَانِى
أَخِى ثِقَةٍ ، إِذَا مَا اللَّيْلُ أَفْضَى إِلَىَّ بِمُؤْيِدٍ حُبُلَى كَفَانِى
قَطَعْتُ قَرِينَتِى عَنْهُ فَأَغْنَى غِنَاهُ ، فَلَنْ أَرَاهُ وَلَنْ يَرَانِى
وَكُلُّ قَرِينَةٍ قُرِنَتْ بِأُخْرَى ، وَلَوْ ضَنَّتْ بِهَا ، سَتَفَرَّقَانِ
وَكُلُّ أَخٍ . . . . . .
وَكُلُّ إِجَابَتِى إِيَّاهُ أَنِّى عَطَفْتُ عَلَيْهِ خَوَّارَ الْعِنَانِ

وقوله : « وذى فجع » ، أى : صديق يورث فراقه الفجيعة ، ويردى « ووى لطف » ، ويروى « وذى فخم » ، يعنى : ذى كبرياء واستعلاء . و « عزف نفسه عن الشىء » : صرفها . و « شجانى » : أحزننى . و « المؤيد » الداهية العظيمة . « حبل » تلد شراً بعد شر . و « القرينة » النفس التى تقارن صاحبها لا تفارقه ، حتى يموت . و « خوار العنان » صفة الفرس إذا كان سهل المعطف لينه كثير الجرى ، يعنى ، أنه ينصره فى الحرب حين يستغيث به .

يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك » ، ثم استثنى « القليل » ، فرفع بالمعنى الذى ذكرنا ، إذ كان الفعل منفيًّا عنه .

* * *

وهى فى مصاحف أهل الشام : ﴿ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ﴾. وإذا قرئ كذلك، فلا مرْزِئَةَ على قارئه فى إعرابه، [1] لأنه المعروف فى كلام العرب، إذ كان الفعل مشغولاً بما فيه كناية مَنْ قد جرى ذكره ، [2] ثم استثنى منهم « القليل » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾ (٦٦)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بذلك : ولو أن هؤلاء المنافقين الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك ، وهم يتحاكمون إلى الطاغوت، ويصدُّون عنك صدوداً = «فعلوا ما يوعظون به» ، يعنى: ما يذكّرون به من طاعة الله والانتهاء إلى أمره [3] = «لكان خيراً لهم» ، فى عاجل دنياهم، وآجل معادهم= « وأشد تثبيتاً » ، وأثبت لهم فى أمورهم ، وأقوم لهم عليها . [4] وذلك أن المنافق يعمل على شك ، فعمله يذهب باطلاً ، وعناؤه يضمحلّ فيصير هباء ، وهو بشكه يعمل على وناءٍ وضعف . [5]

---

(١) « المرزئة » (بفتح الميم ، وسكون الراء ، وكسر الزاى) ، مثل الرزء، والرزيئة : وهو المصيبة والعناء والضرر والنقص ، وكل ما يثقل عليك ، عافاك الله . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « فلا مرد به على قارئه » ، وهو شىء لا يفهم ولا يقال ! !

(٢) « الكناية » الضمير ، كما سلف مراراً كثيرة . ثم انظر مقالة أبى عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ١٣١ .

(٣) انظر تفسير « الوعظ » فيما سلف ص : ٢٩٩ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « التثبيت » فيما سلف ٥ : ٣٥٤ ، ٥٣١/٧ : ٢٧٢ ، ٢٧٣ . ولو قال : « وأقوى لهم عليها » ، لكان ذلك أرجح عندى ، وكلتاهما صواب .

(٥) « الونا » و « الوناء » : الفترة والكلال والإعياء والضعف .

ولو عمل على بصيرة ، لاكتسب بعمله أجراً ، ولكان له عند الله ذخراً ، وكان على عمله الذى يعمل أقوى ، ولنفسه أشدّ تثبيتاً ، لإيمانه بوعد الله على طاعته ، وعمله الذى يعمله . ولذلك قال من قال : معنى قوله : « وأشد تثبيتاً » ، تصديقاً ، كما : —

٩٩٢٢ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً » ، قال : تصديقاً .

* * *

=لأنه إذا كان مصدّقاً، كان لنفسه أشد تثبيتاً ، ولعزمه فيه أشدّ تصحيحاً . وهو نظير قوله جل ثناؤه : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [سورة البقرة : ٢٦٥] .

وقد أتينا على بيان ذلك فى موضعه ، بما فيه كفاية من إعادته ،[١]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ ﴿٦٨﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم ، لإيتائنا إياهم على فعلهم ما وعِظُوا به من طاعتنا والانتهاء إلى أمرنا = « أجراً » يعنى : جزاء وثواباً عظيماً[٢] = وأشد تثبيتاً لعزائمهم وآرائهم ، وأقوى لهم على أعمالهم ، لهدايتنا إياهم صراطاً مستقيماً = يعنى : طريقاً لا اعوجاج فيه ، وهو دين الله القويم الذى اختاره لعباده وشرعه لهم ، وذلك الإسلام .[٣] ٥/١٠٢

* * *

(١) انظر تفسير الآية فيما سلف ٥ : ٥٣٠ — ٥٣٤ .

(٢) انظر تفسيره « الأجر » فيما سلف ص : ٣٦٥ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الصراط المستقيم » فيما سلف ١ : ١٧٠ — ١٧٧ / ٣ : ١٤٠ ، ١٤١ / ٦ : ٤٤١ .

ومعنى قوله : « ولهديناهم » ، ولوفّقناهم للصراط المستقيم .(١)

* * *

ثم ذكر جل ثناؤه ما وعد أهل طاعته وطاعة رسوله عليه السلام ، من الكرامة الدائمة لديه ، والمنازل الرفيعة عنده ، فقال : ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾ الآية .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴾ ﴿٧٠﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « ومن يطع الله والرسول » بالتسليم لأمرهما ، وإخلاص الرضى بحكمهما ، والانتهاء إلى أمرهما ، والانزجار عما نهيا عنه من معصية الله ، فهو مع الذين أنعم الله عليهم بهدايته والتوفيق لطاعته فى الدنيا من أنبيائه ، وفى الآخرة إذا دخل الجنة = « والصديقين » وهم جمع « صِدِّيق » .

* * *

واختلف فى معنى : « الصديقين » .

فقال بعضهم : « الصديقون » ، تُبَّاع الأنبياء الذين صدّقوهم واتبعوا منهاجهم بعدهم حتى لحقوا بهم . فكأن « الصدِّيق » ، « فِعِّيل » ، على مذهب قائل هذه المقالة ، من « الصدق » ، كما يقال : « رجل سِكِّير » من « السُّكر » ، إذا كان مدمناً على ذلك ، و« شِرِّيبٌ » ، و « خِمِّير » .

* * *

(١) انظر تفسير « الهدى » فيما سلف من فهارس اللغة .

وقال آخرون : بل هو « فِعِّيل » من « الصَّدَقة » ، وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو تأويل من قال ذلك ، وهو ما : —

٩٩٢٣ — حدثنا به سفيان بن وكيع قال ، حدثنا خالد بن مخلد ، عن موسى ابن يعقوب قال ، أخبرتني عمتي قريبة بنت عبد الله بن وهب بن زمعة ، عن أمها كريمة ابنة المقداد ،(١) عن ضباعة بنت الزبير ،(٢) وكانت تحت المقداد ، عن المقداد قال : قلت للنبي صلى الله عليه وسلم : شيء سمعته منك شككت فيه ! قال : إذا شكّ أحدكم في الأمر فليسألني عنه . قال قلت : قولك في أزواجك : « إنّي لأرجو لهن من بعدِيَ الصدِّيقين » قال : من تَعُدُّون الصديقين ؟ (٣) قلت : أولادنا الذين يهلكون صغاراً. قال : لا ، ولكن الصدِّيقين هم المصَّدِّقون .(٤)

* * *

وهذا خبر ، لو كان إسناده صحيحاً ، لم نستجز أن نعدوه إلى غيره ، ولو كان في إسناده بعض ما فيه .

* * *

---

(١) في المخطوطة « كريمة ابنة المقدام » ، وهو خطأ ، والصواب ما في المطبوعة .

(٢) في المخطوطة : « متاعة بنت الزبير » ، خطأ ، صوابه في المطبوعة .

(٣) في المخطوطة والمطبوعة : « من تعنون الصديقين » ، وهو خطأ لا معنى له . والصواب ما أثبت من مختصر هذا الأثر في منتخب كنز العمال (هامش المسند) ٥ : ١١٣ .

(٤) الحديث : ٩٩٢٣ — سفيان بن وكيع بن الجراح — شيخ الطبري : ضعيف ، كما فصلنا في : ١٤٢ ، ١٤٣ .

موسى بن يعقوب بن عبد الله بن وهب بن زمعة بن الأسود ، الزمعي — بسكون الميم — المدني : ثقة ، وثقه ابن معين وابن القطان وغيرهما . وضعفه ابن المديني وغيره . مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري ٤/١/٢٩٨ ، وابن أبي حاتم ٤/١/١٦٧ — ولم يذكرا فيه جرحاً . بل اقتصر ابن أبي حاتم على توثيق ابن معين إياه .

قريبة — بالتصغير — بنت عبد الله بن وهب بن زمعة ، عمة موسى بن يعقوب : مترجمة في التهذيب ، دون جرحها بشيء .

أمها : « كريمة بنت المقداد بن الأسود » : تابعية ثقة . ذكرها ابن حبان في الثقات .

ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب ، بنت عم النبي صلى الله عليه وسلم : صحابية معروفة . كانت زوجاً للمقداد بن الأسود . ولها أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وعن زوجها المقداد .

وهذا الحديث ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢ : ١٨٣ ، مختصراً ، ولم ينسبه لغير ابن جرير .

فإذ كان ذلك كذلك ، فالذى هو أولى بـ « الصديق » ، أن يكون معناه : المصدَّق قوله بفعله . إذ كان «الفعِّيل» فى كلام العرب ، إنما يأتى ، إذا كان مأخوذاً من الفعل ، بمعنى المبالغة ، إما فى المدح ، وإما فى الذم ، ومنه قوله جل ثناؤه فى صفة مريم : ﴿ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾ [سورة المائدة : ٧٥] .

وإذا كان معنى ذلك ما وصفنا ، كان داخلاً من كان موصوفاً بما قلنا فى صفة المتصدقين والمصدقين .

* * *

= « والشهداء » ، وهم جمع « شهيد » ، وهو المقتول فى سبيل الله ، سمى بذلك لقيامه بشهادة الحق فى جَنب الله حتى قتل .(١)

* * *

= « والصالحين » ، وهم جمع « صالح » ، وهو كل من صلحت سريرته وعلانيته .(٢)

* * *

وأما قوله جل ثناؤه : « وحَسُن أولئك رفيقاً » ، فإنه يعنى : وحسن ، هؤلاء الذين نعتهم ووصفهم ،(٣) رفقاء فى الجنة .

* * *

و « الرفيق » فى لفظ واحد بمعنى الجميع ،(٤) كما قال الشاعر :(٥)

ولكنه ذكره فى الجامع الكبير ، المسمى « جمع الجوامع » ، كما يدل عليه ذكره فى كتاب « منتخب كنز العمال » للمتقى الهندى ، المطبوع بهامش مسند أحمد – طبعة الحلبى – ذكره فيه مختصراً (ج ٥ ص ١١٣) ، ونسبه للطبرانى فى الكبير .

وقد أعجزنى أن أجده فى مجمع الزوائد ، لأنه على شرطه . ولست أعرف إذا كانت روايته عند الطبرانى من طريق سفيان بن وكيع ، أو من طريق راو آخر ، فإن يكن من طريق راو غيره ، كان الإسناد جيداً ، لأن جرح سفيان بن وكيع لم يكن من قبل صدقه ، كما بينا فى ترجمته .

(١) انظر تفسير « الشهداء » فيما سلف : ٣٦٨ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الصالح » فيما سلف : ٢٩٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر ما كتبته فى « حسن » ٤ : ٤٥٨ ، تعليق : ٢ .

(٤) فى المطبوعة : « بلفظ الواحد » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٥) هو جرير .

دَعَوْنَ الهَوَى ، ثُمَّ ارْتَمَيْنَ قُلُوبَنَا بِأَسْهُمِ أَعْدَاءٍ ، وَهُنَّ صَدِيقُ(١)

بمعنى : وهن صداقة

* * *

وأما نصب « الرفيق » ، فإن أهل العربية مختلفون فيه .

فكان بعض نحويي البصرة يرى أنه منصوب على الحال ، ويقول : هو كقول الرجل : « كَرُمَ زيد رجلاً » ، ويعدل به عن معنى : « نعم الرجل » ، ويقول : إن « نعم » لا تقع إلا على اسم فيه « ألف ولام » ، أو على نكرة .

* * *

وكان بعض نحويي الكوفة يرى أنه منصوب على التفسير ،(٢) وينكر أن يكون حالاً ، ويستشهد على ذلك بأن العرب تقول : « كرم زيدٌ من رجل » و « حسن أولئك من رفقاء » ، وأن دخول « مِنْ » دلالة على أن « الرفيق » مفسره . قال : وقد حكى عن العرب : « نَعِمتم رجالاً » ، فدل على أن ذلك نظير قوله : « وحسنتم رفقاء » .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا القول أولى بالصواب ، للعلة التي ذكرنا لقائليه .

* * *

---

(١) ديوانه : ٣٩٨ ، وطبقات فحول الشعراء : ٣٥١ ، واللسان (صدق) ، وغيرها كثير . من أبيات ذكر فيهن الحجاج ، قبله أبيات حسان ، تحفظ :

وَبِتُّ أُرَانِي صَاحِبِيَّ تَجَلُّدًا وَقَدْ عَلِقَتْنِي مِنْ هَوَاكِ عَلُوقُ
فَكَيْفَ بِهَا ؟ لاَ الدَّارُ جَامِعَةُ الْهَوَى وَلاَ أَنْتَ عَصْرًا عَنْ صِبَاكَ مُفِيقُ
أَتَجْمَعُ قَلْبًا بِالْعِرَاقِ فَرِيقُهُ ، وَمِنْهُ بِأَظْلاَلِ الأَرَاكِ فَرِيقُ ؟
كَأَنْ لَمْ تَرُقْنِي الرَّائِحَاتُ عَشِيَّةً وَلَمْ يُمْسِ فِي أَهْلِ الْعِرَاقِ وَمِيقُ
أُعَالِجُ بَرْحًا مِنْ هَوَاكِ ، وَشَفَّنِي فُؤَادٌ إِذَا مَا تُذْكَرِينَ خَفُوقُ
أَوَانِسُ ، أَمَّا مَنْ أَرَدْنَ عَنَاءَهُ فَمَانٍ ، وَمَنْ أَطْلَقْنَ فَهُوَ طَلِيقُ
دَعَوْنَ الْهَوَى . . . . . .

وفي المطبوعة : « نصبن الهوى » ، وهي رواية أخرى ، غير التي في المخطوطة والديوان .

(٢) « التفسير » . التمييز ، و « المفسر » : المميز . كما سلف مراراً . انظر فهرس المصطلحات .

وقد ذكر أن هذه الآية نزلت ،[1] لأن قوماً حزنوا على فقد رسول الله صلى الله عليه وسلم حذراً أن لا يروه فى الآخرة . ١٠٤/٥

* ذكر الرواية بذلك :

٩٩٢٤ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يعقوب القمى ، عن جعفر بن أبى المغيرة ، عن سعيد بن جبير قال : جاء رجل من الأنصار إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو محزون ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : يا فلان ، مالى أراك محزوناً ؟ قال : يانبى الله ، شىء فكرت فيه ! فقال : ما هو ؟ قال : نحن نغدو عليك ونروح ، ننظر فى وجهك ونجالسك ، غداً ترفع مع النبيين فلا نصل إليك ! فلم يردّ النبى صلى الله عليه وسلم عليه شيئاً ، فأتاه جبريل عليه السلام بهذه الآية : « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً » . قال : فبعث إليه النبى صلى الله عليه وسلم فبشره .

٩٩٢٥ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن أبى الضحى ، عن مسروق قال : قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، ما ينبغى لنا أن نفارقك فى الدنيا ، فإنك لو قَدْ مِتَّ رُفِعت فوقنا فلم نرك ! فأنزل الله : « ومن يطع الله والرسول » ، الآية .

٩٩٢٦ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين » ، ذكر لنا أن رجالا قالوا : هذا نبى الله نراه فى الدنيا ، فأما فى الآخرة فيرفع فلا نراه ! فأنزل الله : « ومن يطع الله والرسول » إلى قوله : « رفيقاً » .

٩٩٢٧ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم » الآية ، قال : قال ناس من الأنصار : يا رسول الله ، إذا أدخلك الله الجنة فكنت

(١) فى المخطوطة : « وقد ذكرنا أن . . . » ، والصواب ما فى المطبوعة .

فى أعلاها، ونحن نشتاق إليك، فكيف نصنع؟ فأنزل الله « ومن يطع الله والرسول ».

٩٩٢٨ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا ابن أبى جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله : « ومن يطع الله والرسول »، الآية، قال : إن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قالوا : قد علمنا أن النبى صلى الله عليه وسلم له فضله على من آمن به فى درجات الجنة،[1] ممن اتبعه وصدقه، فكيف لهم إذا اجتمعوا فى الجنة أن يرى بعضهم بعضاً؟ فأنزل الله فى ذلك. يقال :[2] إن الأعلَين ينحدرون إلى من هم أسفل منهم فيتجمعون فى رياضها، فيذكرون ما أنعم الله عليهم ويثنون عليه، وينزل لهم أهل الدرجات فيسعون عليهم بما يشتهون وما يدعون به، فهم فى رَوْضه يحبرون ويتنعّمون فيه.[3]

* * *

وأما قوله : « ذلك الفضل من الله »، فإنه يقول : كون من أطاع الله والرسول مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين = « الفضل من الله »، يقول : ذلك عطاء الله إياهم وفضله عليهم، لا باستيجابهم ذلك لسابقة سبقت لهم.[4]

* * *

فإن قال قائل. أو ليس بالطاعة وصلوا إلى ما وصلوا إليه من فضله؟

قيل : إنهم لم يطيعوه فى الدنيا إلا بفضله الذى تفضل به عليهم، فهداهم به لطاعته، فكل ذلك فضل منه تعالى ذكره.

* * *

وقوله : « وكفى بالله عليما »، يقول : وحسب العباد بالله الذى خلقهم = « عليما »

---

(١) فى المطبوعة : « له فضل على من آمن »، وأثبت ما فى المخطوطة.

(٢) فى المطبوعة : « فقال »، والصواب ما فى المخطوطة.

(٣) فى المطبوعة : « فى روضة »، وأثبت ما فى المخطوطة.

(٤) انظر تفسير « الفضل » فيما سلف ٢ : ٣٤٤ / ٥ : ١٦٤، ٥٧١ / ٦ : ٥١٨ / ٧ : ٢٩٩، ٤١٤ / ٨ : ٢٦٨.

بطاعة المطيع منهم ومعصية العاصى ، فإنه لا يخفى عليه شيء من ذلك ، ولكنه يحصيه عليهم ويحفظه ، حتى يجازى جميعهم ، جزاء المحسنين منهم بالإحسان ، والمسيئين منهم بالإساءة ،[1] ويعفو عمن شاء من أهل التوحيد .

• • •

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴾ (٧١)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه :[2] « يا أيها الذين آمنوا »، صدّقوا الله ورسوله = «خذوا حذركم»، خذوا جُنَّتكم وأسلحتكم التى تتقون بها من عدوكم لغزوهم وحربهم = « فانفروا إليهم ثُبات» .

• • •

= وهى جمع « ثبة » ، و« الثبة » ، العصبة .

= ومعنى الكلام : فانفروا إلى عدوكم جماعة بعد جماعة متسلحين .

= ومن « الثبة » قول زهير :

وَقَدْ أَغْدُو عَلَى ثُبَةٍ كِرَامٍ نَشَاوَى وَاجِدِينَ لِمَا نَشَاءُ[3]

---

(١) فى المطبوعة : « فيجزى المحسن منهم بالإحسان ، والمسىء منهم بالإساءة » وفى المخطوطة : « جزاء المحسنين منهم بالإحسان ، والمسىء منهم بالإساءة » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وأثبت صواب السياق على ما يقتضيه صدر الكلام .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « يعنى بذلك . . . » والسياق يقتضى ما أثبت .

(٣) ديوانه : ٧٢ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٣٢ ، واللسان (ثبا) و (نشا) ، وغيرها. من أبيات وصف فيها الشرب ، قد بلغت منهم النشوة، وهم فى ترف من يومهم ، لا يفتقدون شيئاً ثم يقول :

لَهُمْ رَاحٌ ، وَرَاوُوقٌ ، وَمِسْكٌ تُفَلُّ بِهِ جُلُودُهُمُ ، وَمَاءُ

وقد تجمع « الثبة » على « ثُبِين » .[1]

* * *

= « أوانفروا جميعاً »، يقول : أو انفروا جميعاً مع نبيكم صلى الله عليه وسلم لقتالهم .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٩٩٢٩ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « خذوا حذركم فانفروا ثبات » ، يقول : عصباً ، يعنى سَرايَا متفرقين = « أو انفروا جميعاً »، يعنى : كلكم . ١٠٠/٥

٩٩٣٠ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « فانفروا ثبات » ، قال : فرقاً ، قليلا قليلا .

٩٩٣١ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فانفروا ثبات » ، قال : « الثبات » الفرق .

٩٩٣٢ – حدثنا الحسين بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة مثله .

٩٩٣٣ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فانفروا ثبات » ، فهى العصبة ، وهى الثبة = « أو انفروا جميعاً » ، مع النبى صلى الله عليه وسلم .

٩٩٣٤ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا

أَمَشَّى بَيْنَ قَتْلَى قَدْ أُصِيبَتْ نُفُوسُهُمُ ، ولَمْ تَقْطُرَ دِماه
يَجُرُّونَ البُرُودَ وَقَدْ تَمَشَّتْ حُمَيَّا الكَأْسِ فِيهِمْ والغِناه

(١) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٣٢ .

عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « فانفروا ثبات » ، يعنى : عصباً متفرّقين .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴾ (٧٢)

قال أبو جعفر : وهذا نعت من الله تعالى ذكره للمنافقين ، نعتهم لنبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه ووصفهم بصفتهم فقال : « وإن منكم » ، أيها المؤمنون ، يعنى : من عِدَادكم وقومكم ، ومن يتشبَّه بكم ، ويظهر أنه من أهل دعوتكم وملّتكم ، وهو منافق يبطِّئ من أطاعه منكم عن جهاد عدوكم وقتالهم إذا أنتم نفرتم إليهم = « فإن أصابتكم مصيبة » ، [1] يقول : فإن أصابتكم هزيمة ، أو نالكم قتل أو جراح من عدوكم = « قال قد أنعم الله علىّ إذ لم أكن معهم شهيداً » ، فيصيبنى جراح أو ألم أو قتل ، وسَرَّه تخلّفه عنكم ، شماتة بكم ، لأنه من أهل الشك فى وعد الله الذى وعد المؤمنين على ما نالهم فى سبيله من الأجر والثواب ، وفى وعيده . فهو غيرُ راج ثواباً ، ولا خائف عقاباً .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٩٩٣٥ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « وإن منكم لمن ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة » إلى قوله : « فسوف نؤتيه أجراً عظيماً » ، ما بين ذلك فى المنافقين .

---

(١) انظر تفسير « إصابة المصيبة » فيما سلف : ٥١٤ .

٩٩٣٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

٩٩٣٧ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وإن منكم لمن ليبطئن » عن الجهاد والغزو في سبيل الله = « فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله عليّ إذ لم أكن معهم شهيداً » ، قال : هذا قول مكذّب .

٩٩٣٨ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج قال ، قال ابن جريج : المنافق يبطّئ المسلمين عن الجهاد في سبيل الله، قال الله : «فإن أصابتكم مصيبة » ، قال : بقتل العدو من المسلمين = « قال قد أنعم الله عليّ إذ لم أكن معهم شهيداً » ، قال : هذا قول الشامت .

٩٩٣٩ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « فإن أصابتكم مصيبة » ، قال : هزيمةٌ .

* * *

ودخلت « اللام » في قوله : « لمن » ، وفتحت ، لأنها « اللام » التي تدخل توكيداً للخبر مع « إنّ »، كقول القائل: « إنّ في الدار لَمَن يكرمك ». وأما « اللام » الثانية التي في « ليبطئن »، فدخلت لجواب القسم ، كأن معنى الكلام: وإن منكم أيها القوم لمن والله ليبطئن .[1]

* * *

(١) انظر تفصيل ذلك في معاني القرآن للفراء ١ : ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (٧٣)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : « ولئن أصابكم فضل من الله » ، ولئن أظفركم الله بعدوكم فأصبتم منهم غنيمة ، ليقولن هذا المبطِّئُ المسلمين عن الجهاد معكم فى سبيل الله، المنافقُ = « كأن لم يكن بينكم وبينه مودة ياليتنى كنت معهم فأفوز » ، بما أصيب معهم من الغنيمة = « فوزاً عظيماً » .

* * *

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء المنافقين : أنّ شهودهم الحرب مع المسلمين إن شهدوها، لطلب الغنيمة = وإن تخلّفوا عنها، فللشك الذى فى قلوبهم، وأنهم لا يرجون لحضورها ثواباً ، ولا يخافون بالتخلف عنها من الله عقاباً .

* * *

وكان قتادة وابن جريج يقولان : إنما قال من قال من المنافقين إذا كان الظفر للمسلمين : « يا ليتنى كنت معهم » ، حسداً منهم لهم .

١٠٦/٨ ٩٩٤٠ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتنى كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً » ، قال : قول حاسد .

٩٩٤١ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « ولئن أصابكم فضل من الله » ، قال : ظهور المسلمين على عدوهم فأصابوا الغنيمة ، ليقولن : « ياليتنى كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً » ، قال : قول الحاسد .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٧٤)

قال أبو جعفر : وهذا حضٌّ من الله المؤمنين على جهاد عدوه من أهل الكفر به على أحايينهم = غالبين كانوا أو مغلوبين ، والتهاون بأقوال المنافقين فى جهاد من جاهدوا من المشركين ،(١) [وأن لهم فى] جهادهم إياهم — مغلوبين كانوا أو غالبين — منزلة من الله رفيعة .(٢)

يقول الله لهم جل ثناؤه : « فليقاتل فى سبيل الله»، يعنى : فى دين الله والدعاء إليه ، والدخول فيما أمر به أهل الكفر به = « الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة »، يعنى : الذين يبيعون حياتهم الدنيا بثواب الآخرة وما وعد الله أهل طاعته فيها . وبيعُهم إياها بها : إنفاقهم أموالهم فى طلب رضى الله ، لجهاد من أمر بجهاده من أعدائه وأعداء دينه ،(٣) وبَذْلهم مُهَجهم له فى ذلك .

* * *

أخبر جل ثناؤه بما لهم فى ذلك إذا فعلوه فقال : « ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً »، يقول : ومن يقاتل — فى طلب إقامة دين الله وإعلاء كلمة الله — أعداءَ الله = « فيقتل » ، يقول : فيقتله أعداء الله، أو يغلبهم

(١) فى المخطوطة والمطبوعة « والتهاون بأحوال المشركين » ، والذى يدل عليه سياق التفسير ، هو ما أثبت . ويعنى بذلك ما يقوله المنافق عند هزيمة المسلمين : « قد أنعم الله على إذ لم أكن معهم شهيداً » ، وقوله إذا كانت الدولة والظفر للمسلمين : « يا ليتنى كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً » .

وقوله : « والتهاون » عطف على قوله : « وهذا حض من الله المؤمنين على جهاد عدوه » .

(٢) كان مكان ما بين القوسين فى المخطوطة والمطبوعة : « وقع » وهو كلام لا يستقيم البتة ، فاستظهرت أن يكون صواب سياقه ما أثبت ، أو ما يشبهه من القول .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « كجهاد من أمر بجهاده » ، وصواب السياق « لجهاد . . . . . » كما أثبتها .

فيظفر بهم = « فسوف نؤتيه أجراً عظيماً » ، يقول : فسوف نعطيه فى الآخرة ثواباً وأجراً عظيماً . وليس لما سمى جل ثناؤه « عظيماً » ، مقدار يعرِف مبلغَه عبادُ الله .(١)

* * *

وقد دللنا على أن الأغلب على معنى : « شريت » ، فى كلام العرب : بعت ، بما أغنى [عن إعادته] ، (٢) وقد : —

٩٩٤٢ — حدثنا محمد بن الحسين قال ،حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فليقاتل فى سبيل الله الذى يشرون الحياة الدنيا بالآخرة » ، يقول : يبيعون الحياة الدنيا بالآخرة .

٩٩٤٣ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا بن وهب قال، قال ابن زيد : « يشرون الحياة الدنيا بالآخرة » ، فـ « يشرى»: يبيع ، و« يشرى» : يأخذ = وإن الحمقى باعوا الآخرة بالدنيا .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ (٧٥)

---

(١) انظر تفسير « الأجر » فيما سلف : ٥٢٩ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « شرى » و « اشترى » فيما سلف ١ : ٣١٢ — ٣١٥/٢ : ٣٤٠ — ٣٤٢ ، ٣/٤٥٥ : ٤/٣٢٨ : ٦/٢٤٦ : ٥٢٧ / ٧ : ٤٢٠ ، ٤٥٩ / ٨ : ٤٢٨

وزدت ما بين القوسين ، جرياً على نهج عبارته فى مئات من المواضع السالفة ، والظاهر أن الناسخ نسى أن يكتبها ، لأن « بما أغنى » وقعت فى آخر الصفحة ، ثم قلب الورقة إلى الصفحة التالية ، وكتب « وقد » .

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « وما لكم » أيها المؤمنون = « لا تقاتلون فى سبيل الله » ، وفى « المستضعفين » ، يقول : عن المستضعفين منكم = «من الرجال والنساء والولدان » ، فأما من « الرجال » ، فإنهم كانوا قد أسلموا بمكة ، فغلبتهم عشائرهم على أنفسهم بالقهر لهم ، وآذوهم ، ونالوهم بالعذاب والمكاره فى أبدانهم ليفتنوهم عن دينهم ، فحضّ الله المؤمنين على استنقاذهم من أيدى من قد غلبهم على أنفسهم من الكفار ، فقال لهم : وما شأنكم لا تقاتلون فى سبيل الله ، وعن مستضعفى أهل دينكم وملتكم الذين قد استضعفهم الكفار فاستذلوهم ابتغاء فتنتهم وصدّهم عن دينهم؟ « من الرجال والنساء والولدان » = جمع « ولد » : وهم الصبيان = « الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها » ، يعنى بذلك أن هؤلاء المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، يقولون فى دعائهم ربَّهم بأن ينجيهم من فتنة من قد استضعفهم من المشركين : « يا ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها » .

* * *

والعرب تسمى كل مدينة « قرية » = يعنى : التى قد ظلمتنا وأنفسَها أهلُها = وهى فى هذا الموضع ، فيما فسر أهل التأويل ، «مكة» .

* * *

وخفض « الظالم » لأنه من صفة «الأهل» ، وقد عادت « الهاء والألف» اللتان فيه على « القرية » . وكذلك تفعل العرب إذا تقدمت صفة الاسم الذى معه عائد لاسم قبلها ، [1] أتبعت إعرابها إعرابَ الاسم الذى قبلها ، كأنها صفة له ، فتقول : « مررت بالرجلِ الكريمِ أبوه » .

* * *

= « واجعل لنا من لدنك وليًّا » ، يعنى : أنهم يقولون أيضاً فى دعائهم : يا ربنا ، واجعل لنا من عندك وليًّا ، يلى أمرنا بالكفاية مما نحن فيه من فتنة أهل الكفر بك =

(١) فى المخطوطة : « الذى معه عادر لاسم قبلها » ، وهو سهو من الناسخ ، صوابه ما فى المطبوعة .

« واجعل لنا من لدنك نصيراً » ، يقولون : [١] واجعل لنا من عندك من ينصرنا على
١٠٧/٥ من ظلمنا من أهل هذه القرية الظالم أهلها ، [٢] بصدّهم إيانا عن سبيلك ، حتى تظفرنا بهم ، وتعلى دينك .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك .

٩٩٤٤ - حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها » ، قال : أمر المؤمنين أن يقاتلوا عن مستضعفى المؤمنين ، كانوا بمكة .

٩٩٤٥ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان » = الصبيان = « الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها » ، مكة = أمر المؤمنين أن يقاتلوا عن مستضعفين مؤمنين كانوا بمكة .

٩٩٤٦ - حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها » ، يقول : وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله وفى المستضعفين = وأما « القرية » ، فمكة .

٩٩٤٧ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن عثمان بن عطاء ، عن أبيه ، عن ابن عباس فى قوله : « وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين » ، قال : وفى المستضعفين .

---

(١) انظر تفسير « الولى » ، و « النصير » ، فيما سلف من فهارس اللغة .

(٢) فى المطبوعة « من ظلمنا من أهل القرية » ، والصواب من المخطوطة

٩٩٤٨ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، أخبرني عبد الله بن كثير : أنه سمع محمد بن مسلم بن شهاب يقول ، « وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان » ، قال : في سبيل الله وسبيل المستضعفين .

٩٩٤٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الحسن وقتادة في قوله : « أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها » ، قالا : خرج رجل من القرية الظالمة إلى القرية الصالحة ، فأدركه الموت في الطريق ، فنأى بصدره إلى القرية الصالحة ،(١) = فما تلافاه إلاّ ذلك(٢) = فاحتجّت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ،(٣) فأمروا أن يقدُروا أقرب القريتين إليه ، فوجدوه أقرب إلى القرية الصالحة بشبْرٍ = وقال بعضهم : قرّب الله إليه القرية الصالحة ، فتوفّته ملائكة الرحمة .

٩٩٥٠ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان » ، هم أناس مسلمون كانوا بمكة ، لا يستطيعون أن يخرجوا منها ليهاجروا ، فعذرهم الله ، فهم أولئك(٤) = وقوله : « ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها » ، فهي مكة .

٩٩٥٠ م – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله :

---

(١) قوله : « نأى بصدره » أي تباعد به . يعني : تحامل وهو هالك حتى وجه صدره إلى القرية الصالحة ، ابتعاداً وإعراضاً عن القرية الظالمة . ومثله : « نأى بجانبه » .

(٢) قوله : « فما تلافاه إلا ذلك » ، أي : فما تداركه وأنقذه من سوء المصير ، إلا هذه الإعراضة التي أعرضها عن القرية الظالمة . وكانت هذه الجملة غير منقوطة في المخطوطة . فآثر ناشر المطبوعة حذفها ، لما لم يحسن قراءتها وفهمها .

(٣) قوله : « احتجت فيه » ، أي : اختصمت فيه الملائكة ، وألقى كل خصم بحجته ، ولم يرد هذا الوزن بهذا المعنى في كتب اللغة ، وهو صحيح عريق ، وإنما قالوا : « احتج بالشيء » اتخذه حجة ، أما التخاصم والتنازع فقالوا فيه : « تحاج القوم » . فهذا من الزيادات الصحيحة على قيد اللغة .

(٤) في المطبوعة : « وفيهم قوله » ، وأثبت ما في المخطوطة ، فهو صواب محض .

« وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها » ، قال : وما لكم لا تفعلون ؟ تقاتلون لهؤلاء الضعفاء المساكين الذين يدعون الله أن يخرجهم من هذه القرية الظالم أهلها ، فهم ليس لهم قوة ، فما لكم لا تقاتلون حتى يسلم الله هؤلاء ودينهم ؟ [1] قال : و « القرية الظالم أهلها » ، مكة .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ (٧٦)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره : الذين صدقوا الله ورسوله ، وأيقنوا بموعود الله لأهل الإيمان به = « يقاتلون فى سبيل الله » ، يقول : فى طاعة الله ومنهاج دينه وشريعته التى شرعها لعباده [2] = « والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت » ، يقول : والذين جحدوا وحدانية الله وكذبوا رسوله وما جاءهم به من عند ربهم = « يقاتلون فى سبيل الطاغوت » ، [3] يعنى : فى طاعة الشيطان وطريقه ومنهاجه الذى شرعه لأوليائه من أهل الكفر بالله . يقول الله، مقوّياً عزم المؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومحرّضهم على أعدائه وأعداء دينه من أهل الشرك به : « فقاتلوا » أيها المؤمنون ، = « أولياء الشيطان » ، يعنى بذلك: الذين يتولّونه ويطيعون أمره ، فى خلاف طاعة الله ، والتكذيب به ، وينصرونه [4] = « إن كيد الشيطان

(١) فى المطبوعة : « حتى يسلم لله » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، فهو الصواب .
(٢) انظر تفسير « سبيل الله » فيما سلف من فهارس اللغة ، مادة (سبل) .
(٣) انظر تفسير « الطاغوت » فيما سلف ٣ : ٤١٦ — ٨/٤٢٠ : ٤٦١ — ٤٦٥ ، ٥٠٧—٥١٣
(٤) انظر تفسير « ولى » فيما سلف من فهارس اللغة .

كان ضعيفاً » ، يعنى بكيده : ما كاد به المؤمنين ، [1] من تحزيبه أولياءه ١٠٨/٥
من الكفار بالله على رسوله وأوليائه أهل الإيمان به . يقول : فلا تهابوا أولياء الشيطان ، فإنما هم حزبه وأنصاره ، وحزب الشيطان أهل وَهَن وضعف .

* * *

وإنما وصفهم جل ثناؤه بالضعف ، لأنهم لا يقاتلون رجاء ثواب ، ولا يتركون القتال خوف عقاب ، وإنما يقاتلون حميّة أو حسداً للمؤمنين على ما آتاهم الله من فضله . والمؤمنون يقاتل مَن قاتل منهم رجاء العظيم من ثواب الله ، ويترك القتال إن تركه على خوف من وعيد الله فى تركه ، فهو يقاتل على بصيرة بما له عند الله إن قتل ، وبما لَه من الغنيمة والظفر إن سلم . والكافر يقاتل على حذر من القتل ، وإياس من معاد ، فهو ذو ضعف وخوف .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾

قال أبو جعفر : ذكر أن هذه الآية نزلت فى قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا قد آمنوا به وصدقوه قبل أن يفرض عليهم الجهاد ، وقد فرض عليهم الصلاة والزكاة ، وكانوا يسألون الله أن يُفرض عليهم القتال ، فلما فرض عليهم القتال شقّ عليهم ذلك ، وقالوا ما أخبر الله عنهم فى كتابه .

* * *

(١) انظر تفسير « الكيد » فيما سلف ٧ : ١٥٦ .

فتأويل قوله : « ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم » ، ألم تر بقلبك ، يا محمد ، فتعلم[١] = « إلى الذين قيل لهم » ، من أصحابك حين سألوك أن تسأل ربك أن يفرض عليهم القتال = « كفوا أيديكم » ، فأمسكوها عن قتال المشركين وحربهم = « وأقيموا الصلاة » ، يقول : وأدُّوا الصلاة التى فرضها الله عليكم بحدودها[٢] = « وآتوا الزكاة » ، يقول : وأعطوا الزكاة أهلها الذين جعلها الله لهم من أموالكم ، تطهيراً لأبدانكم وأموالكم[٣] = كرهوا ما أمروا به من كف الأيدى عن قتال المشركين وشق ذلك عليهم = « فلما كتب عليهم القتال » ، يقول : فلما فرض عليهم القتال الذى كانوا سألوا أن يفرض عليهم[٤] = « إذا فريق منهم » ، يعنى : جماعة منهم[٥] = « يخشون الناس » ، يقول : يخافون الناس أن يقاتلوهم = « كخشية الله أو أشد خشية » ، أو أشد خوفاً[٦] = وقالوا جزعاً من القتال الذى فرض الله عليهم : « لم كتبت علينا القتال » ، لم فرضت علينا القتال ؟ ركوناً منهم إلى الدنيا ، وإيثاراً للدعة فيها والخفض ،[٧] على مكروه لقاء العدوّ ومشقة حربهم وقتالهم = « لولا أخرتنا » ، يخبر عنهم ، قالوا : هلاّ أخرتنا = « إلى أجل قريب » ، يعنى : إلى أن يموتوا على فُرُشهم وفى منازلهم .[٨]

* * *

---

(١) انظر تفسير : « ألم تر » فيما سلف : ٤٢٦ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير : « إقامة الصلاة » فيما سلف من فهارس اللغة (قوم) .

(٣) انظر تفسير : « إيتاء الزكاة ، فيما سلف من فهارس اللغة (أتى) (زكا) .

(٤) انظر تفسير « كتب » فيما سلف ٥٢٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٥) انظر تفسير « فريق » سلف ٢ : ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٣/٤٠٢ : ٦/٥٤٩ : ٥٣٥ .

(٦) انظر تفسير « الخشية » فيما سلف ١ : ٥٥٩ ، ٢/٥٦٠ : ٢٣٩ ، ٢٤٣ .

(٧) فى المطبوعة : « « وإيثاراً للدعة فيها والحفظ عن مكروه » ، وفى المخطوطة : « والحفظ على مكروه » وكلاهما خطأ فاسد ، والصواب : « والخفض » وهو لين العيش ، وأما قوله : « على مكروه لقاء العدو » فهو متعلق بقوله : « وإيثار للدعة . . . على مكروه . . . » .

(٨) انظر تفسير « الأجل » فيما سلف ٥ : ٦/٧ : ٤٣ ، ٧٦ .

وبنحو الذى قلنا إنّ هذه الآية نزلت فيه ، قال أهل التأويل .

* ذكر الآثار بذلك ، والرواية عمن قاله .

٩٩٥١ – حدثنا محمد بن على بن الحسن بن شقيق قال، سمعت أبى قال ، أخبرنا الحسين بن واقد، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة، عن ابن عباس : أن عبد الرحمن بن عوف وأصحاباً له أتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ، كنا فى عزّ ونحن مشركون ، فلما آمنا صرنا أذِلة ! فقال : إنى أمرت بالعفو . فلا تقاتلوا . فلما حوّله الله إلى المدينة ، أمر بالقتال فكفوا ، فأنزل الله تبارك وتعالى : « ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم » ، الآية .(١)

٩٩٥٢ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة : « ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم » ، عن الناس = « فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم » ، نزلت فى أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم = قال : ابن جريج وقوله : « وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب »، قال : إلى أن نموت موتاً، هو « الأجل القريب » .

٩٩٥٣ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة »، فقرأ حتى بلغ : « إلى أجل قريب » ، قال : كان أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يومئذ بمكة قبل الهجرة، تسرّعوا إلى القتال ، فقالوا لنبى الله صلى

---

(١) الأثر : ٩٩٥١ – « محمد بن على بن الحسن بن شقيق » مضى برقم : ١٥٩١ ، ٢٥٧٥ ، ٢٥٩٤ .

وأبوه : « على بن الحسن بن شقيق بن دينار » مضى برقم : ١٩٠٩ .

وكان فى المطبوعة : « . . . بن الحسين بن شقيق » ، وهو خطأ .

وهذا الخبر ، رواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٣٠٧ مع اختلاف فى لفظه ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى . ورواه البيهقى فى السنن ٩ : ١١ ، ورواه ابن كثير فى تفسيره ٢ : ٥١٤ ، من طريق ابن أبى حاتم ، وخرجه فى الدر المنثور ٢ : ١٨٤ ، ونسبه إلى هؤلاء وزاد نسبته إلى النسائى .

الله عليه وسلم : ذَرْنا نتّخذ معاول فنقاتل بها المشركين بمكة ! فنهاهم نبي الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، قال : لم أومر بذلك . فلما كانت الهجرة ، وأُمر بالقتال ، كره القوم ذلك ، فصنعوا فيه ما تسمعون ، فقال الله تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾ .

١٠٩/٥ ٩٩٥٤ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » ، قال : هم قوم أسلموا قبل أن يُفرض عليهم القتال ، ولم يكن عليهم إلا الصلاة والزكاة ، فسألوا الله أن يفرض عليهم القتال = « فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية » الآية ، إلى « إلى أجل قريبٍ » [1] ، وهو الموت ، قال الله : ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى ﴾ .

* * *

وقال آخرون : نزلت هذه وآيات بعدها ، فى اليهود .

* ذكر من قال ذلك :

٩٩٥٥ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة إلى قوله : « لاتبعتم الشيطان إلاّ قليلا » ، ما بين ذلك فى اليهود .

٩٩٥٦ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم » إلى قوله : « لم كتبت علينا القتال » ، نهى الله تبارك وتعالى هذه الأمة أن يصنعوا صنيعهم .

* * *

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « الآية إلى أجل قريب » ، والسياق يقتضى « إلى » الثانية .

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ (٧٧)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « قل متاع الدنيا قليل » ، قل ، يا محمد، لهؤلاء القوم الذين قالوا : « ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب »= : عيشكم فى الدنيا وتمتعكم بها قليل، لأنها فانية وما فيها فان [1]= « والآخرة خير » ، يعنى : ونعيم الآخرة خير ، لأنها باقية ونعيمها باق دائم . وإنما قيل : « والآخرة خير » ، ومعنى الكلام ما وصفت ، من أنه معنىٌّ به نعيمها — لدلالة ذكر « الآخرة » بالذى ذكرت به ، على المعنى المراد منه= « لمن اتقى » ، يعنى : لمن اتقى الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ، فأطاعه فى كل ذلك= « ولا تظلمون فتيلا » ، يعنى : ولا ينقصكم الله من أجور أعمالكم فتيلا .

* * *

وقد بينا معنى : « الفتيل » ، فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته ههنا . [2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه := حيثما تكونوا يدرككم الموت فتموتوا = « ولو كنتم فى بروج مشيَّدة » ، يقول : لا تجزعوا من الموت ، ولا تهربوا من القتال، وتضعفوا عن لقاء عدوكم، حذراً على أنفسكم من القتل والموت، فإن الموت

(١) انظر تفسير « المتاع » فيما سلف ١ : ٥٣٩ ، ٥٤٠ / ٣ : ٥٥ / ٥ : ٢٦٢ / ٦ : ٢٥٨

(٢) انظر ما سلف : ٤٥٦ — ٤٦٠ .

بإزائكم أين كنتم ، وواصلٌ إلى أنفسكم حيث كنتم ، ولو تحصَّنتم منه بالحصون المنيعة .

* * *

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله : « ولو كنتم فى بروج مشيدة » .

فقال بعضهم : يعنى به : قصور مُحصنة .

* ذكر من قال ذلك :

٩٩٥٧ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ولو كنتم فى بروج مشيدة » ، يقول : فى قصور محصنة .

٩٩٥٨ – حدثنى على بن سهل قال، حدثنا مؤمل بن إسمعيل قال ، حدثنا أبو همام قال ، حدثنا كثير أبو الفضل ، عن مجاهد قال : كان فيمن كان قبلكم امرأة، وكان لها أجيرٌ، فولدت جارية . فقالت لأجيرها : اقتبس لنا ناراً، فخرج فوجد بالباب رجلاً ، فقال له الرجل : ما ولدت هذه المرأة ؟ قال : جارية . قال : أما إنّ هذه الجارية لا تموت حتى تبغى بمئة ، ويتزوجها أجيرها ، [1] ويكون موتها بالعنكبوت . قال : فقال الأجير فى نفسه : فأنا أريد هذه بعد أن تفجر بمئة ! ! فأخذ شفرة فدخل فشق بطن الصبية، وعولجت فبرِئت ، فشبَّت ، وكانت تبغى. فأتت ساحلاً من سواحل البحر ، فأقامت عليه تبغى . ولبث الرجل ما شاء الله، ثم قدم ذلك الساحل ومعه مال كثير ، فقال لامرأة من أهل الساحل : ابغينى امرأة من أجمل امرأة فى القرية أتزوجها ! فقالت : ههنا امرأة من أجمل الناس ، ولكنها تبغى . قال : ائتينى بها . فأتتها فقالت : قد قدم رجل له مال كثير ، وقد قال لى: كذا . فقلت له : كذا . فقالت : إنى قد تركت البغاء، ولكن إن أراد تزوَّجته ! قال : فتزوجها ، فوقعت منه موقعاً . فبينا هو يوماً عندها إذ أخبرها بأمره ، فقالت : أنا تلك الجارية ! = وأرته الشق فى بطنها = وقد كنت

---

(١) « تبغى » من « البغاء » ، « بغت المرأة » : فجرت وزنت .

أبغى ، فما أدرى بمئة أو أقل أو أكثر ! قال : فإنّه قال لى : يكون موتها بعنكبوت .[1] قال : فبنى لها برجاً بالصحراء وشيده . فبينما هما يوماً فى ذلك البرج ، إذا عنكبوت فى السقف ، فقالت : هذا يقتلنى ؟ لا يقتله أحد غيرى ! فحركته فسقط ، فأتته فوضعت إبهام رجلها عليه فشدَخته ، وساحَ سمه بين ظفرها واللحم ، فاسودت رجلها فماتت . فنزلت هذه الآية : « أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة » .[2] ١١٠/٥

٩٩٥٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « ولو كنتم فى بروج مشيدة » ، قال : قصور مشيدة .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : قصورٌ بأعيانها فى السماء .

* ذكر من قال ذلك :

٩٩٦٠ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة » ، وهى قصور بيض فى سماء الدنيا ، مبنية .

٩٩٦١ – حدثنى المثنى قال ،، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن بن سعيد قال ، أخبرنا أبو جعفر ، عن الربيع فى قوله : « أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة » ، يقول : ولو كنتم فى قصور فى السماء .[3]

---

(١) فى المطبوعة : « بالعنكبوت » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) الأثر : ٩٩٥٨ – « كثير أبو الفضل » ، هو : كثير بن يسار الطفاوى ، أبو الفضل البصرى . روى عن الحسن البصرى ، وثابت البنانى وغيرهما . مترجم فى التهذيب .

وهذا الأثر أخرجه ابن كثير فى تفسيره ٢ : ٥١٥ ، من تفسير ابن أبى حاتم ، وذكره السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ١٨٤ ، ونسبه أيضاً لابن أبى حاتم ، وأبى نعيم فى الحلية .

(٣) الأثر : ٩٩٦١ – « عبد الرحمن بن سعد بن عمار بن سعد القرظ » ، مضى برقم : ٢٩٢٩ ، وهذا الإسناد نفسه مضى أيضاً قبله برقم ٢٩١٩ ، وكان فى المخطوطة والمطبوعة هنا « عبد الرحمن بن سعيد » ، كما كان فى رقم : ٢٩٢٩ ، ولكنه سيأتى على الصواب فى المخطوطة والمطبوعة بعد قليل رقم : ٩٩٦٢ ، ٩٩٧٢ .

واختلف أهل العربية فى معنى « المشيدة » .

فقال بعض أهل البصرة منهم : « المشيدة » ، الطويلة . قال : وأما « المشيدُ » ، بالتخفيف ، فأنه المزيَّن . (١)

* * *

وقال آخر منهم نحو ذلك القول ، (٢) غير أنه قال : « المَشِيد » بالتخفيف المعمول بالشِّيد ، و « الشيد » الجِصُّ .

* * *

وقال بعض أهل الكوفة : « المَشيد » و « المُشَيَّد » ، أصلهما واحد ، غير أن ما شدِّد منه ، فإنما يشدد لنفسه ، والفعل فيه فى جمع ، (٣) مثل قولهم : « هذه ثياب مصبَّغة » ، و « غنم مذبَّحة » ، فشدد ؛ لأنها جمع يفرَّق فيها الفعل . وكذلك مثله ، « قصور مشيدة » ، لأن القصور كثيرة تردد فيها التشييد ، ولذلك قيل : « بروج مشيدة » ، ومنه قوله : « وغلَّقت الأبواب » ، وكما يقال : « كسَّرت العودَ » ، إذا جعلته قطعاً ، أى : قطعة بعد قطعة . وقد يجوز فى ذلك التخفيف ، فإذا أفرد من ذلك الواحد ، فكان الفعل يتردد فيه ويكثر تردده فى جمع منه ، جاز التشديد عندهم والتخفيف ، فيقال منه : « هذا ثوب مخرَّق » و « جلد مقطع » ، لتردد الفعل فيه وكثرته بالقطع والخرق . وإن كان الفعل لا يكثر فيه ولا يتردد ، ولم يجيزوه إلاّ بالتخفيف ، وذلك نحو قولهم : « رأيت كبشاً مذبوحاً » ولا يجيزون فيه : « مذبَّحاً » ، لأن الذبح لا يتردد فيه تردد التخرُّق فى الثوب .

وقالوا : فلهذا قيل : « قصر مَشِيد » ، لأنه واحد ، فجعل بمنزلة قولهم :

---

(١) هو أبو عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ١٣٢ .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « وقال آخرون منهم » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

(٣) فى المطبوعة : « فإنما يشدد لتردد الفعل فيه . . . » ، غير ما فى المخطوطة ، وهو ما أثبته وهو صواب المعنى المطابق للسياق .

« كبش مذبوح » . وقالوا : جائز فى القصر أن يقال : « قصر مشيَّد » بالتشديد ، لتردد البناء فيه والتشييد ، ولا يجوز ذلك فى « كبش مذبوح » ، لما ذكرنا . (١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله » ، وإن ينلهم رخاء وظفر وفتح ويصيبوا غنيمة (٢) = « يقولوا هذه من عند الله » ، يعنى : من قبل الله ومن تقديره (٣) = « وإن تصبهم سيئة » ، يقول : وإن تنلهم شدة من عيش وهزيمة من عدو وجراح وألم ، (٤) = يقولوا لك يا محمد : = « هذه من عندك » ، بخطئك التدبير .

* * *

وإنما هذا خبر من الله تعالى ذكره عن الذين قال فيهم لنبيه : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ ﴾ .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٩٩٦٢ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن بن سعد وابن أبى جعفر قالا ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية فى قوله :

---

(١) هذه مقالة الفراء فى معانى القرآن ١ : ٢٧٧ .

(٢) انظر تفسير « الإصابة » فيما سلف : ٥١٤ ، ٥٣٨

وانظر تفسير « الحسنة » فيما سلف ٤ : ٢٠٣ – ٢٠٦ .

(٣) انظر تفسير « عند » فيما سلف : ٢ : ٥٠٠ /٧ : ٤٩٠ ، ٤٩٥

(٤) انظر تفسير « سيئة » فيما سلف : ٢ : ٢٨١ ، ٢٨٢ ، /٧ : ٤٨٢ ، ٤٩٠/٨ : ٢٥٤

« وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك» ، قال : هذه فى السراء والضراء . (١)

٩٩٦٣ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية مثله .

٩٩٦٤ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا بن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك » فقرأ حتى بلغ : « وأرسلناك للناس رسولا » ، قال : إن هذه الآيات نزلت فى شأن الحرب . فقرأ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعاً ﴾ ، فقرأ حتى بلغ : « وإن تصبهم سيئة » ، يقولوا : « هذه من عند محمد عليه السلام ، أساء التدبير وأساء النظر ! ما أحسن التدبير ولا النظر » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « قل كل من عند الله » ، قل ، يا محمد ، لهؤلاء القائلين إذا أصابتهم حسنة : « هذه من عند الله » ، وإذا أصابتهم سيئة : « هذه من عندك » : = كل ذلك من عند الله ، دونى ودون غيرى ، من عنده الرخاء والشدة ، ومنه النصر والظفر ، ومن عنده الفَلُّ والهزيمة ، (٢) كما : –

١١١/٥ ٩٩٦٥ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن

---

(١) الأثر : ٩٩٦٢ – انظر التعليق على الأثر السالف رقم : ٩٩٦١ .

(٢) فى المطبوعة : « القتل والهزيمة » ، وفى المخطوطة : « العال والهزيمة » غير منقوطة ، ورجحت أن صوابها « الفل » ، من قولهم : « فل القوم يفلهم فلا . » : هزمهم وكسرهم .

قتادة : « قل كل من عند الله » ، النعم والمصائب .

٩٩٦٦ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « كل من عند الله » ، النصر والهزيمة .

٩٩٦٧ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً » ، يقول : الحسنة والسيئة من عند الله ، أما الحسنة فأنعم بها عليك ، وأما السيئة فابتلاك بها .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ فَمَالِ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ (٧٨)

قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بقوله : « فمال هؤلاء القوم » ،[1] فما شأن هؤلاء القوم الذين إن تصبهم حسنة يقولوا: « هذه من عند الله »، وإن تصبهم سيئة يقولوا : « هذه من عندك » = « لا يكادون يفقهون حديثاً » ، يقول : لا يكادون يعلمون حقيقة ما تخبرهم به، من أن كل ما أصابهم من خير أو شر، أو ضرّ وشدة ورخاء ، فمن عند الله ، لا يقدر على ذلك غيره ، ولا يصيب أحداً سيئة إلا بتقديره ، ولا ينال رخاءً ونعمة إلا بمشيئته .

* * *

وهذا إعلام من الله عبادَه أن مفاتح الأشياء كلها بيده ، لا يملك شيئاً منها أحد غيره .

* * *

(١) قال الفراء في معاني القرآن ١ : ٢٧٨ : « (فمال) ، كثرت في الكلام حتى توهموا أن اللام متصلة بـ « ما » ، وأنها حرف في بعضه » .

القول فى تأويل قوله ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك »، ما يصيبك، يا محمد، من رخاء ونعمة وعافية وسلامة ، فمن فضل الله عليك ، يتفضل به عليك إحساناً منه إليك = وأما قوله : « وما أصابك من سيئة فمن نفسك »، يعنى : وما أصابك من شدة ومشقة وأذى ومكروه = « فمن نفسك »، يعنى : بذنب استوجبتها به، اكتسبته نفسك،[1] كما :—

٩٩٦٨ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك »، أما « من نفسك » ، فيقول : من ذنبك .

٩٩٦٩ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك »، عقوبة، يا ابن آدم بذنبك . قال : وذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : لا يصيب رجلاً خَدْش عود، ولا عَثْرة قدم، ولا اختلاج عِرْق ، إلاّ بذنب ، وما يعفو الله عنه أكثر .

٩٩٧٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك » ، يقول : « الحسنة » ، ما فتح الله عليه يوم بدر ، وما أصابه من الغنيمة والفتح = و « السيئة » ، ما أصابه يوم أُحُد ، أنْ شُجَّ فى وجهه وكسرت رَبَاعيته .

(١) انظر تفسير « الحسنة » فيما سلف : ٥٥٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
وانظر تفسير « السيئة » فيما سلف : ٥٥٥ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

٩٩٧١ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك » ، يقول : بذنبك = ثم قال : كل من عند الله ، النعم والمصيبات .

٩٩٧٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الرحمن بن سعد، وابن أبي جعفر قالا ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية قوله : « ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك » ، قال : هذه في الحسنات والسيئات .[1]

٩٩٧٣ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية مثله .

٩٩٧٤ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « وما أصابك من سيئة فمن نفسك » ، قال : عقوبةً بذنبك .

٩٩٧٥ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله : « ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك » ، بذنبك ، كما قال لأهل أحد: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [سورة آل عمران : ١٦٥]، بذنوبكم .

٩٩٧٦ – حدثني يونس قال ، حدثنا سفيان ، عن إسمعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح في قوله : « وما أصابك من سيئة فمن نفسك »، قال : بذنبك ، وأنا قدّرتها عليك .

٩٩٧٧ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا يحيى ، عن سفيان ، عن إسمعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح في قوله : « ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك » ، وأنا الذي قدّرتها عليك .

---

(١) انظر التعليق على الأثرين السالفين : ٩٩٦١ ، ٩٩٦٢ .

١١٢/٥ ٩٩٧٨ – حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال، حدثنا محمد بن بشر قال، حدثنيه إسمعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح، بمثله.

* * *

قال أبو جعفر: فإن قال قائل: وما وجه دخول «مِن» في قوله: «ما أصابك من حسنة» و «من سيئة»؟

قيل: اختلف في ذلك أهل العربية.

فقال بعض نحويي البصرة: أدخلت «من» لأن «من» تحسن مع النفي، مثل: «ما جاءني من أحد».[1] قال: ودخول الخبر بالفاء، لأن «ما» بمنزلة «مَن».[2]

* * *

وقال بعض نحويي الكوفة: أدخلت «مِن» مع «ما»، كما تدخل على «إن» في الجزاء، لأنهما حرفا جزاء. وكذلك، تدخل مع «مَن»، إذا كانت جزاء، فتقول العرب: «مَن يزرك مِن أحد فتكرمه»، كما تقول: «إن يَزُرك من أحد فتكرمه». قال: وأدخلوها مع «ما» و «مَنْ» ليعلم بدخولها معهما أنهما جزاء. قالوا: وإذا دخلت معهما لم تحذف، لأنها إذا حذفت صار الفعل رافعاً شيئين. وذلك أن «ما» في قوله: «ما أصابك من سيئة» رفع بقوله: «أصابك»،[3] فلو حذفت «مِن»، رفع قوله: «أصابك» «السيئةَ»، لأن معناه: إن تصبك سيئة = فلم يجز حذف «مِن» لذلك، لأن الفعل الذي هو على «فعل» أو «يفعل»، لا يرفع شيئين.[4] وجاز ذلك مع «مَن»، لأنها تشتبه بالصفات،[5] وهي في موضع اسم. فأما «إن» فإن «مِن» تدخل معها وتخرج، ولا تخرج مع «أيٍّ»، لأنها تعرب فيبين فيها الإعراب. ودخلت مع «ما»، لأن الإعراب لا يظهر فيها.

* * *

(١) انظر ما سلف ٢ : ١٢٦، ١٢٧، ٤٤٢، ٥/٤٧٠ : ٦/٥٨٦ : ٥٥١.

(٢) في المطبوعة والمخطوطة: «ودخول الخبر بالفاء لازما بمنزلة من»، وهو كلام لا معنى له البتة، صواب قراءته ما أثبت، ويعني بدخول الفاء في الخبر قوله: «فمن الله» و «فمن نفسك».

(٣) في المطبوعة والمخطوطة: «ما أصابك من حسنة»، والسياق يقتضي ذكر الأخرى كما أثبتها.

(٤) «فعل» أو «يفعل»، يعني الماضي والمضارع.

(٥) «الصفات»، حروف الجر، كما سلف مراراً، فراجعه في فهارس المصطلحات.

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ (٧٩)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « وأرسلناك للناس رسولا » ، إنما جعلناك ، يا محمد، رسولاً بيننا وبين الخلق ، تبلّغهم ما أرسلناك به من رسالة ، وليس عليك غير البلاغ وأداء الرسالة إلى من أرسلت ، فإن قبلوا ما أرسلت به فلأنفسهم ، وإن ردُّوا فعليها = « وكفى بالله » عليك وعليهم = « شهيداً » ، يقول : حسبك الله تعالى ذكره ، شاهداً عليك فى بلاغك ما أمرتك ببلاغه من رسالته ووحيه ، [1] وعلى من أرسلت إليه فى قبولهم منك ما أرسلت به إليهم ، فإنه لا يخفى عليه أمرك وأمرهم ، وهو مجازيك ببلاغك ما وعدَك ، ومجازيهم ما عملوا من خير وشر، جزاء المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ (٨٠)

قال أبو جعفر : وهذا إعذارٌ من الله إلى خلقه فى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، يقول الله تعالى ذكره لهم : من يطع منكم ، أيها الناس ، محمداً فقد أطاعنى بطاعته إياه ، فاسمعوا قوله وأطيعوا أمرَه ، فإنه مهما يأمركم به من شيء فمن أمرى يأمركم ، وما نهاكم عنه من شيء فمن نهيي ، فلايقولنّ أحدكم: « إنما محمد بشر مثلنا يريد أن يتفضّل علينا » !

---

(١) انظر تفسير « الشهيد » فيما سلف من فهارس اللغة .

ثم قال جل ثناؤه لنبيه : ومن تولى عن طاعتك ، يا محمد ، فأعرض عنك،[1] فإنا لم نرسلك عليهم « حفيظاً » ، يعني : حافظاً لما يعملون محاسباً، بل إنما أرسلناك لتبين لهم ما نزل إليهم ، وكفى بنا حافظين لأعمالهم ، ولهم عليها محاسبين .

* * *

ونزلت هذه الآية ، فيما ذكر ، قبل أن يؤمر بالجهاد ، كما : —

٩٩٧٩ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، سألت ابن زيد عن قول الله : « فما أرسلناك عليهم حفيظاً » ، قال : هذا أول ما بعثه ، قال : ﴿ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ [سورة الشورى : ٤٨] . قال : ثم جاء بعد هذا بأمره بجهادهم والغلظة عليهم حتى يسلموا .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ﴾

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه بقوله : « ويقولون طاعة » ، يعني : الفريق الذين أخبر الله عنهم أنهم لما كتب عليهم القتال خشُوا الناس كخشية الله أو أشد خشية ، يقولون لنبي الله صلى الله عليه وسلم إذا أمرهم بأمر : أمرك طاعة، ولك منا طاعة فيما تأمرنا به وتنهانا عنه = « وإذا برزوا من عندك»، يقول : فإذا خرجوا من عندك ،[2] يا محمد = « بيّت طائفة منهم غير الذي تقول » ، يعني بذلك جل ثناؤه : غيّر جماعة منهم ليلاً الذي تقول لهم

* * *

وكل عمل عُمِل ليلاً فقد « بُيِّت » . ومن ذلك « بيّت العدو »، وهو الوقوع

---

(١) انظر تفسير « تولى » فيما سلف ٧ : ٣٢٠ تعليق ٣ . والمراجع هناك

(٢) انظر تفسير « برز » فيما سلف ٥ : ٣٥٤ / ٧ : ٣٢٤

بهم ليلاً ، ومنه قول عبيدة بن همام (١)

أَتَوْنِي فَلَمْ أَرْضَ مَا بَيَّتُوا ، وَكَانُوا أَتَوْنِي بِشَيْءٍ نُكُرْ (٢)
لِأَنْكِحَ أَيِّمَهُمْ مُنْذِراً ، وَهَلْ يُنْكِحَ الْعَبْدَ حُرٌّ لِحُرْ ؟! (٣)

يعنى بقوله: « فلم أرض ما بيتوا » ، ليلاً ، أى : ما أبرموه ليلاً وعزموا عليه ، ١١٢/٥
ومنه قول النمر بن تولب العُكْلىّ :

هَبَّتْ تَعْذُلُنِي مِنَ اللَّيْلِ أَسْمَعِ ! سَفَهاً تُبَيِّتُكِ الْمَلَامَةُ فَاهْجَعِي (٤)

* * *

(١) عبيدة بن همام ، أخو بنى العدوية ، من بنى مالك بن حنظلة ، من بنى تميم ، وظنه ناشر مجاز القرآن لأبى عبيدة « عبيدة بن همام التغلبى » ، وكلا ، فهذا إسلامى ، وذلك جاهلى ! واستظهرت من نسب « يعلى بن أمية » فى جمهرة الأنساب : ٢١٧ ، وغيرها أنه « عبيدة بن همام بن الحارث بن بكر ابن زيد بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . وخبر هذا الشعر دال على أنه جاهلى ، فقد ذكر الجاحظ فى الحيوان ٤ : ٣٧٦ خبر هذه الأبيات ، فى خبر للنعمان بن المنذر ومثالبه ، وذلك أن أخاه المنذر بن المنذر خطب إلى عبيدة بن همام ، فرده أقبح الرد ، وذكر الأبيات

(٢) مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ ١٣٣ ، الحيوان ٤ ٣٧٦ ، الكامل ٢ ٣٥ ، ١٠٦ ، الأزمنة والأمكنة للمرزوقى ١ ٢٦٣ ، ديوان الأسود بن يعفر النهشلى ، أعشى بنى نهشل ، فى ديوان الأعشين ٢٩٨ ، اللسان (نكر) وروى : « فقد طرقونى بشىء »

« طرقونى » . أتونى ليلا و« نكر » بضمتين ، مثل « نكر » بضم فسكون الأمر المنكر الذى تنكره والبيت يتممه الذى بعده .

(٣) « الأيم » من النساء ، التى لا زوج لها ، بكراً كانت أو ثيباً . و « رجل أيم » ، لا زوجة له . و « منذر » يعنى : المنذر بن المنذر ، أخا النعمان بن المنذر . وقوله : « هل ينكح العبد حر لحر » أى : هل ينكح الحر الذى ولدته الأحرار ، عبداً من العبيد ، وذلك تعريض منه بالمنذر وأخيه النعمان ، الذى جعل امرأته ظئراً لبعض ولد كسرى ، وسماه كسرى « عبداً » . وقوله : « حر لحر » ، أى : حر قد ولدته الأحرار ، كما تقول « هو كريم لكرام ، وحر لأحرار » ، اللام فيه للنسب ، كأنه قال : كريم ينسب إلى آباء كرام ، وحر ينسب إلى آباء أحرار . وهذا الذى قلته لا تجده فى كتاب ، فاحفظه .

وكان فى المخطوطة « لأنكح إليهم منذراً » ، وهو فاسد جداً كما ترى ، وفيها أيضاً : « حر بحر » ، والصواب ما أثبت

(٤) مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ ١٣٣ ، والخزانة ١ ١٥٣ ، والعينى (بهامش الخزانة) ٢ ٥٣٦ ، وشرح شواهد المغنى ١٦١ ، وغيرها وكان فى المطبوعة « بليل اسمع » ، وهو خطأ . ومثله فى المخطوطة « بليل اسمع » . ولكنى أثبت رواية أبى عبيدة فهى أجود الروايات

يقول الله جل ثناؤه : « والله يكتب ما يبيتون » ، يعنى بذلك جل ثناؤه : والله يكتب ما يغيّرون من قولك ليلاً فى كُتُب أعمالهم التى تكتبها حَفَظته .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٩٩٨٠ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيّت طائفة منهم غير الذى تقول » ، قال : يغيّرون ما عهد نبىّ الله صلى الله عليه وسلم :

٩٩٨١ — حدثنى محمد بن عبد الله بن بزيع قال ، حدثنا يوسف بن خالد قال ، حدثنا نافع بن مالك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قوله : « بيّت طائفة منهم غير الذى تقول » ، قال : غيّر أولئك ما قال النبى صلى الله عليه وسلم .

٩٩٨٢ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنى أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذى تقول » ، قال : غيّر أولئك ما قال النبى صلى الله عليه وسلم .

٩٩٨٣ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذى تقول والله يكتب ما يبيتون » ، قال : هؤلاء المنافقون الذين يقولون إذا حضروا النبىّ صلى الله عليه وسلم فأمرهم بأمر قالوا : « طاعة » ، فإذا

وقوله : « اسمع » ، هذا قول امرأته أو أمه التى كانت تلومه على الكرم والسخاء . ويعنى بذلك أنها كانت تكثر من مقالة « اسمع ، واسمع منى » . وقوله : « سفها » ، أى باطلا وخفة عقل . وقوله « تبيتك الملامة » ليس من معنى ما أراد الطبرى ، وإن كان الشراح قد فسروه كذلك . وهو عندى من قولهم : « بات الرجل » إذا سهر ، ومنه : « بت أراعى النجوم » ، أى سهرت أنظر إليها ، فقوله : « تبيتك الملامة » ، أى تسهرك ملامتى وعتابى ، يقول : سهرك المضنى هذا من السفه ، فنامى واهجعى ، فهو أروح لك !

فاستشهاد أبى عبيدة ، والطبرى على أثره ، بهذا البيت ، ليس فى تمام موضعه ، وإن كان الأمر قريب بعضه من بعض .

خرجوا من عنده ، غيّرت طائفة منهم ما يقول النبي صلى الله عليه وسلم = « والله يكتب ما يبيتون »، يقول : ما يقولون .

٩٩٨٤ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال، قال ابن عباس قوله : « ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذى تقول » ، قال : يغيرون ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٩٩٨٥ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله : « ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذى تقول » ، وهم ناس كانوا يقولون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم : « آمنا بالله ورسوله » ، ليأمنوا على دمائهم وأموالهم . وإذا برزوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ،[1] خالفوا إلى غير ما قالوا عنده ، فعابهم الله ، فقال : « بيت طائفة منهم غير الذى تقول » ، يقول : يغيرون ما قال النبي صلى الله عليه وسلم .

٩٩٨٦ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « بيت طائفة منهم غير الذى تقول » ، هم أهل النفاق .

* * *

وأما رفع « طاعة » ، فإنه بالمتروك الذى دلّ عليه الظاهر من القول وهو : أمرُك طاعة ، أو : منا طاعة .[2]

* * *

وأما قوله : « بيت طائفة »، فإن « التاء » من « بيّت » تحرّكها بالفتح عامة قرأة المدينة والعراق وسائر القرأة ، لأنها لام « فعّل » .

* * *

---

(١) في المطبوعة : « فإذا برزوا » بالفاء ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٣٧٨ .

وكان بعض قرأة العراق يسكّنها ، ثم يدغمها فى « الطاء » ، لمقاربتها فى المخرج .[١]

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك ترك الإدغام ، لأنها = أعنى « التاء » و « الطاء » = من حرفين مختلفين . وإذا كان كذلك ، كان ترك الإدغام أفصح اللغتين عند العرب ، واللغة الأخرى جائزةٌ = أعنى الإدغام فى ذلك = محكيّةٌ .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (٨١)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه لمحمد صلى الله عليه وسلم : « فأعرض » ، يا محمد ، عن هؤلاء المنافقين الذين يقولون لك فيما تأمرهم : « أمرك طاعة » ،[٢] فإذا برزوا من عندك خالفوا ما أمرتهم به ، وغيّروه إلى ما نهيتهم عنه ، وخلّهم وما هم عليه من الضلالة ، وارض لهم بى منتقماً منهم = « وتوكل » أنت يا محمد = «على الله » ، يقول : وفوّض أنت أمرك إلى الله ، وثق به فى أمورك ، وولّها إياه[٣] = « وكفى بالله وكيلا » ، يقول : وكفاك بالله = أى : وحسبك بالله = « وكيلا » ، أى : فيما يأمرك ، ووليًّا لها ، ودافعاً عنك وناصراً .[٤]

* * *

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٧٩ .

(٢) انظر تفسير « الإعراض » فيما سلف ٢ : ٢٩٨ ، ٦/٢٩٩ : ٨/٢٩١ : ٨٨

(٣) انظر تفسير « التوكل » فيما سلف : ٧ : ٣٤٦ .

(٤) انظر تفسير « الوكيل » فيما سلف ٧ : ٤٠٥

القول فى تأويل قوله ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ (٨٢)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « أفلا يتدبرون القرآن » ، أفلا يتدبر ١١٤/٥
المبيتون غير الذى تقول لهم ، يا محمد ، كتاب الله ، فيعلموا حجّة الله عليهم فى طاعتك واتباع أمرك ، وأن الذى أتيتهم به من التنزيل من عند ربهم ، لاتّساق معانيه ، وائتلاف أحكامه ، وتأييد بعضه بعضاً بالتصديق ، وشهادة بعضه لبعض بالتحقيق ، فإن ذلك لو كان من عند غير الله لاختلفت أحكامه ، وتناقضت معانيه ، وأبان بعضه عن فساد بعض ، كما : —

٩٩٨٧ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » ، أى : قول الله لا يختلف ، وهو حق ليس فيه باطل ، وإنّ قول الناس يختلف .

٩٩٨٨ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : إن القرآن لا يكذّب بعضه بعضاً ، ولا ينقض بعضه بعضاً ، ما جهل الناس من أمر ، (١) فإنما هو من تقصير عقولهم وجهالتهم ! وقرأ : « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » . قال : فحقٌّ على المؤمن أن يقول : « كل من عند الله » ، ويؤمن بالمتشابه ، ولا يضرب بعضه ببعض = وإذا جهل أمراً ولم يعرفه أن يقول : (٢) « الذى قال الله حق » ، ويعرف أن الله تعالى لم يقل قولاً وينقضه ، (٣) ينبغى

---

(١) فى المطبوعة : « من أمره » ، وهو خطأ محض ، والصواب ما أثبت من المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « إذا جهل أمراً » بإسقاط الواو ، وهو لا يستقيم . وهو معطوف على قوله : « فحق على المؤمن أن يقول . . . » .

(٣) فى المطبوعة : « وينقض » والصواب من المخطوطة .

أن يؤمن بحقيقة ما جاء من الله .[١]

٩٩٨٩ – حدثني يحيى بن أبي طالب قال، حدثنا يزيد قال، أخبرنا جويبر، عن الضحاك قوله : « أفلا يتدبرون القرآن » ، قال : « يتدبرون »، النظر فيه .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ ﴾

قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بقوله : « وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به » ، وإذا جاء هذه الطائفة المبيّتة غير الذي يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم = « أمرٌ من الأمن » ، فالهاء والميم في قوله: « وإذا جاءهم »، من ذكر الطائفة المبيتة = يقول جل ثناؤه : وإذا جاءهم خبرٌ عن سريةٍ للمسلمين غازية بأنهم قد أمنوا من عدوهم بغلبتهم إياهم = « أو الخوف »، يقول: أو تخوّفهم من عدوهم بإصابة عدوهم منهم = « أذاعوا به »، يقول: أفشوه وبثّوه في الناس قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقبل مأتى سرا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢] = و « الهاء » في قوله : « أذاعوا به » ، من ذكر « الأمر » . وتأويله أذاعوا بالأمر من الأمن أو الخوف الذي جاءهم .

* * *

يقال منه : « أذاع فلان بهذا الخبر، وأذاعه » ، ومنه قول أبي الأسود :

أَذَاعَ بِهِ فِي النَّاسِ حَتَّى كَأَنَّهُ ... بِعَلْيَاءَ نَارٌ أُوقِدَتْ بِثَقُوبِ[٣]

* * *

(١) في المطبوعة : « بحقية ما جاء من الله » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) في المطبوعة : « وقبل أمراء سرايا رسول الله » وفي المخطوطة : « وقبل أماما » وجر مع الميم شبه الراء ، فاختلطت الكلمة ، ورجحت صواب قراءتها ما أثبت .

(٣) ديوانه (في نفائس المخطوطات : ٢) : ٤٤ ، والأغاني ١٢ : ٣٠٥، مجاز القرآن

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٩٩٩٠ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به » ، يقول : سارعوا به وأفشوه .

٩٩٩١ ــ حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به » ، يقول : إذا جاءهم أمر أنهم قد أمنوا من عدوهم ، أو أنهم خائفون منهم ، أذاعوا بالحديث حتى يبلغ عدوَّهم أمرُهم .

٩٩٩٢ ــ حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به » ، يقول : أفشوه وسعَوْا به .[1]

لأبى عبيدة ١ : ١٣٣ ، اللسان (ذيع) ، من أبيات قالها أبو الأسود الدؤلى لما خطب امرأة من عبد القيس يقال لها أسماء بنت زياد ، فأسر أمرها إلى صديق له ، فحدث الصديق ابن عم لها كان يخطبها ، فشى ابن عمها إلى أهلها وسألهم أن يمنعوها من نكاحه ، ففعلوا ، وضاروها حتى تزوجت ابن عمها ، فقال أبو الأسود :

أَمِنْتُ أَمْرءًا فِى السِّرِّ لَمْ يَكُ حَازِمًا ... ولكِنَّهُ فِى النُّصْحِ غَيْرُ مُرِيبِ
أَذَاعَ بِهِ فِى النَّاسِ، حَتَّى كَأَنَّهُ ... بِعَلْيَاءَ نَارٌ أُوقِدَتْ بِثَقُوبِ
وَكُنْتَ مَتَى لَمْ تَرْعَ سِرَّكَ تَلْتَبِسْ ... قَوَارِعُهُ مِنْ مُخْطِئٍ وَمُصِيبِ
فَمَا كُلُّ ذِى نُصْحٍ بِمُؤْتِيكَ نُصْحَهُ ... وَمَا كُلُّ مُؤْتٍ نُصْحَهُ بِلَبِيبِ
وَلكِنْ إِذَا مَا اسْتُجْمِعَا عِنْدَ وَاحِدٍ، ... فَحُقَّ لَهُ مِنْ طَاعَةٍ بِنَصِيبِ

وهى أبيات حسان كما ترى ، و « الثقوب » : ما أثقبت به النار ، أى أوقدتها .

(١) فى المطبوعة : « وشنعوا به » ، والصواب من المخطوطة . « سعى بفلان إلى الوالى » ،

٩٩٩٣ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به » ، قال هذا في الأخبار ، إذا غزت سريّة من المسلمين تخبَّر الناس بينهم فقالوا[١] : « أصاب المسلمين من عدوهم كذا وكذا » ، « وأصاب العدو من المسلمين كذا وكذا » ، فأفشوه بينهم ، من غير أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي أخبرهم[٢] = قال ابن جريج : قال ابن عباس قوله : « أذاعوا به » ، قال : أعلنوه وأفشوه .

٩٩٩٤ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « أذاعوا به » ، قال : نشروه . قال : والذين أذاعوا به، قوم: إمّا منافقون، وإما آخرون ضعفوا .[٣]

٩٩٩٥ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال : سمعت أبا معاذ يقول: أفشوه وسَعَوْا به ،[٤] وهم أهل النفاق .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بقوله : « ولو ردوه » ، الأمر الذي نابهم من عدوهم [والمسلمين] ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أولي أمرهم[٥] = يعني : ١١٥/٥

وشى به إليه ، وهذا من مجازه : أي : مشى بالخبر حتى يبلغ العدو ، فكأنه وشى بالسرايا إلى عدوهم . وانظر التعليق التالي رقم : ٤ .

(١) في المطبوعة : « إذا غزت سرية من المسلمين خبر الناس عنها » غير ما في المخطوطة إذ لم يفهمه ! وقوله : « تخبر الناس بينهم » ، أي تساءلوا عن أخبارهم بينهم : يقال : « تخبر الخبر واستخبر » ، إذا سأل عن الأخبار ليعرفها .

(٢) في المطبوعة : « هو الذي يخبرهم به » ، لا أدري لم غير ما في المخطوطة .

(٣) في المطبوعة : « وإما آخرون ضعفاء » وأثبت ما في المخطوطة .

(٤) في المطبوعة : « وشنعوا به » كما سلف في ص ٥٦٩ تعليق : ١ .

(٥) قوله : «والمسلمين» هكذا في المخطوطة والمطبوعة، ولم أدر ما هو ، فتركته على حاله، ووضعته بين القوسين، وأخشى أن يكون سقط من الكلام شيء . وبحذف ما بين القوسين يستقيم الكلام على وجهه .

وإلى أمرائهم = وسكتوا فلم يذيعوا ما جاءهم من الخبر ، حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو ذوو أمرهم ، هم الذين يتولّون الخبر عن ذلك ،[1] بعد أن تثبت عندهم صحته أو بطوله ،[2] فيصححوه إن كان صحيحاً ، أو يبطلوه إن كان باطلا = « لعلمه الذين يستنبطونه منهم » ، يقول : لعلم حقيقة ذلك الخبر الذى جاءهم به ، الذين يبحثون عنه ويستخرجونه = « منهم » ، يعنى : أولى الأمر = « والهاء » « والميم » فى قوله : « منهم » ، من ذكر أولى الأمر = يقول : لعلم ذلك من أولى الأمر من يستنبطه .

* * *

وكل مستخرج شيئاً كان مستتراً عن أبصار العيون أو عن معارف القلوب ، فهو له : « مستنبط » ، يقال : « استنبطت الركية »،[3] إذا استخرجت ماءها ، « ونَبَطتها أنبطها »، و« النَّبَط »، الماء المستنبط من الأرض، ومنه قول الشاعر :[4]

قَرِيبٌ ثَرَاهُ ، ما يَنَالُ عَدُوُّه لَهُ نَبَطاً ، آبِي الهَوَانِ قَطُوبُ[5]

يعنى : بـ « النبط » ، الماء المستنبط .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « هم الذين يقولون الخبر عن ذلك » وهو كلام مريض ، صوابه ما أثبت ، وهو تصحيف ناسخ .

(٢) فى المطبوعة : « ثبتت عندهم » أساء قراءة المخطوطة ، لأنها غير منقوطة . و « البطول » مصدر « بطل الشيء » ومثله « البطلان » .

(٣) « الركية » : البئر تحفر .

(٤) هو كعب بن سعد الغنوى ، أو : غريقة بن مسافع العبسى ، وانظر تفصيل ذلك فى التعليق على الأصمعيات ، وتخريج الشعر هناك .

(٥) الأصمعيات : ١٠٣ ، وتخريجه هناك . وقوله : « قريب الثرى » ، يريدون كرمه وخيره . و « الثرى » : التراب الندى ، كأنه خصيب الجناب . وقوله : « ما ينال عدوه له نبطاً » ، أى لا يرد ماءه عدو ، من عزه ومنعته ، إذا حمى أرضاً رهب عدوه بأسه . « آبى الهوان » لا يقيم على ذل . و « قطوب » : عبوس عند الشر

٩٩٩٦ – حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم »، يقول : ولو سكتوا وردوا الحديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإلى أولى أمرهم حتى يتكلم هو به = « لعلمه الذين يستنبطونه » ، يعنى : عن الأخبار ، وهم الذين يُنَقِّرون عن الأخبار .

٩٩٩٧ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم » ، يقول : إلى علمائهم = « لعلمه الذين يستنبطونه منهم »، لعلمه الذين يفحصون عنه ويهمّهم ذلك .[1]

٩٩٩٨ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « ولو ردوه إلى الرسول »، حتى يكون هو الذى يخبرهم = « وإلى أولى الأمر منهم » ، الفقه فى الدين والعقل .[2]

٩٩٩٩ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : « ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم » ، العلم[3] = « الذين يستنبطونه منهم » ، يتتبعونه ويتحسسونه .

١٠٠٠٠ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال ، أخبرنا ليث ، عن مجاهد : « لعلمه الذين يستنبطونه منهم »، قال : الذين يسألون عنه ويتحسسونه .

١٠٠٠١ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ،

---

(١) فى المخطوطة : « يفصحون عنه » ، وهو تصحيف ، قدم وأخر .

(٢) فى المطبوعة : « أولى الفقه » زاد « أولى » ، والذى فى المخطوطة صواب أيضاً ، على طريقة قدماء المفسرين فى الاختصار ، كما سلف آلافاً من المرات .

(٣) فى المطبوعة : « لعلمه » مكان « العلم » ، والذى فى المخطوطة صواب ، كما سلف فى التعليق السابق ، وهو طريقتهم فى الاختصار ، ويعنى « أولى العلم » .

عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله يستنبطونه » ، قال . قولهم « ما كان » ؟ « ماذا سمعتم » ؟

١٠٠٠٢ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٠٠٠٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : « الذين يستنبطونه » ، قال : يتحسسونه .

١٠٠٠٤ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس: « لعلمه الذين يستنبطونه منهم » ، يقول : لعلمه الذين يتحسسونه منهم .

١٠٠٠٥ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « يستنبطونه منهم »، قال : يتتبعونه .

١٠٠٠٦ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به » حتى بلغ « وإلى أولى الأمر منهم » ، قال : الولاة الذين يَلُون في الحرب عليهم،[1] الذين يتفكرون فينظرون لما جاءهم من الخبر . أصدق ، أم كذب ؟ أباطل فيبطلونه ، أو حق فيحققونه ؟ قال : وهذا في الحرب، وقرأ: « أذاعوا به »، ولو فعلوا غير هذا : وردوه إلى الله وإلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم ، الآية .

* * *

(١) في المطبوعة « الذين يكونون في الحرب عليهم » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، فغير وبدل .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٨٣)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ولولا إنعام الله عليكم ، أيها المؤمنون ، بفضله وتوفيقه ورحمته ،[1] فأنقذكم مما ابتلى به هؤلاء المنافقين = الذين يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمرهم بأمر : « طاعة » ، فإذا برزوا من عنده بيت طائفة منهم غير الذى يقول = لكنتم مثلهم ، فاتبعتم الشيطان إلا قليلا ، كما اتبعه هؤلاء الذين وصف صفتهم .

* * *

وخاطب بقوله تعالى ذكره : « ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان » ، الذين خاطبهم بقوله جل ثناؤه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا جَمِيعًا ﴾ [سورة النساء : ٧١] . ١١٦/٥

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى « القليل » ، الذين استثناهم فى هذه الآية : من هم ؟ ومن أىّ شىء من الصفات استثناهم ؟

فقال بعضهم : هم المستنبطون من أولى الأمر ، استثناهم من قوله : « لعلمه الذين يستنبطونه منهم » ، ونفى عنهم أن يعلموا بالاستنباط ما يعلم به غيرهم من المستنبطين من الخبر الوارد عليهم من الأمن أو الخوف .[2]

* ذكر من قال ذلك :

١٠٠٠٧ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ،

---

(١) انظر تفسير « الفضل » فيما سلف : ٥٣٥ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٧٩ ، ويعنى أن الاستثناء من « الاستنباط » لا من « الإذاعة » .

عن قتادة قال : إنما هو : « لعلمه الذين يستنبطونه منهم » = إلاّ قليلا منهم = « ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان » .

* * *

١٠٠٠٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلاّ قليلا»، يقول: لاتبعتم الشيطان كلّكم = وأما قوله: « إلا قليلا »، فهو كقوله : «لعلمه الذين يستنبطونه منهم» ، إلا قليلا .

١٠٠٠٩ – حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا بن المبارك قراءة ، عن سعيد، عن قتادة : « ولو لافضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا » ، قال يقول : لاتبعتم الشيطان كلكم . وأما « إلاّ قليلا »، فهو كقوله : لعلمه الذين يستنبطونه منهم إلا قليلا .

١٠٠١٠ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج، عن ابن جريج نحوه = يعنى نحو قول قتادة = وقال : لعلموه إلا قليلا .

* * *

وقال آخرون : بل هم الطائفة الذين وصفهم الله أنهم يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « طاعة » ، فإذا برزوا من عنده بيتوا غير الذى قالوا . ومعنى الكلام : وإذا جاءهم أمرٌ من الأمن أو الخوف أذاعوا به = إلاّ قليلا منهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٠١١ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلاّ قليلا » ، فهو فى أول الآية لخبر المنافقين ، قال : « وإذا جاءهم أمر من الأمن أوالخوف أذاعوا به»، يعنى بـ « القليل » ، المؤمنين ، [كقوله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ

عِوَجاً ۝ قَيِّماً ﴾ [سورة الكهف : ٢٢١] يقول : الحمد لله الذى أنزل الكتاب عدلاً قيّما ، ولم يجعل له عوجاً . (١)

١٠٠١٢ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : هذه الآية مقدّمة ومؤخرة ، إنما هى : أذاعوا به إلا قليلا منهم ، ولولا فضل الله عليكم ورحمته لم ينج قليل ولا كثير .

* * *

وقال آخرون : بل ذلك استثناء من قوله : « لاتبعتم الشيطان » . وقالوا : الذين استثنوا هم قوم لم يكونوا همّوا بما كان الآخرون همّوا به من اتباع الشيطان . فعرّف الله الذين أنقذهم من ذلك موقع نعمته منهم ، واستثنى الآخرين الذين لم يكن منهم فى ذلك ما كان من الآخرين .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٠١٣ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك بن مزاحم يقول : فى قوله : « ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلاّ قليلا » ، قال : هم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، كانوا حدّثوا أنفسهم بأمور من أمور الشيطان ، إلاّ طائفة منهم .

* * *

وقال آخرون معنى ذلك : ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان جميعاً .

---

(١) الأثر : ١٠٠١١ – نص هذا الأثر فى المطبوعة : « ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان – فانقطع الكلام ، وقوله : « إلا قليلا » ، فهو فى أول الآية يخبر عن المنافقين ، قال : وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به – إلا قليلا . يعنى بالقليل المؤمنين كقول الحمد لله . . . » إلى آخر الأثر . وهو منقول من الدر المنثور ٢ : ١٨٧ . أما فى المخطوطة ، فهو كمثل الذى أثبته ، إلا أنه قال فى آخره : « يقول الحمد لله الذى أنزل الكتاب عدلا قيما . . . » إلى آخر الكلام .

وقد رجحت أن الذى فى المخطوطة من صدر الكلام هو الصواب ، وأن آخر الخبر قد سقط منه ذكر نص الآية من سورة الكهف ، فأثبتها بين الكلامين .

وقوله : « فهو فى أول الآية لخبر المنافقين » ، يعنى أنه مردود إلى أول الآية فى خبرهم . ثم عقب على ذلك بذكر آية سورة الكهف ، وبين ما فيها من التقديم والتأخير . وكأن الذى رجحت هو الصواب .

قالوا: وقوله: « إلاّ قليلا »، خرج مخرج الاستثناء فى اللفظ ، وهو دليل على الجميع والإحاطة ، وأنه لولا فضل الله عليهم ورحمته لم ينج أحدٌ من الضلالة ، فجعل قوله : « إلا قليلا » ، دليلا على الإحاطة ،[1] واستشهدوا على ذلك بقول الطرِمّاح بن حكيم، فى مدح يزيد بن المهلب :

أَشَمُّ كَثِيرُ يُدِيٌّ النَّوَالِ ، قَلِيلُ المَثَالِبِ وَالقَادِحَهْ[2]

قالوا : فظاهر هذا القول وصف الممدوح بأن فيه المثالب والمعايب ، ومعلوم أن معناه أنه لا مثالب فيه ولا معايب . لأن من وصف رجلا بأنّ فيه معايب ، وإن وصف الذى فيه من المعايب بالقلة، فإنما ذمَّه ولم يمدحه . ولكن ذلك على ما وصفنا من نفى جميع المعايب عنه . قالوا : فكذلك قوله : « لاتبعتم الشيطان إلاّ قليلا » ، إنما معناه : لاتبعتم جميعكم الشيطان .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب فى ذلك عندى، قولُ من قال : عنى باستثناء « القليل » من « الإذاعة » ، وقال: معنى الكلام: وإذا جاءهم أمرٌ من الأمن أو الخوف أذاعوا به إلاّ قليلا ، ولو ردوه إلى الرسول . ١١٧/٥

وإنما قلنا إن ذلك أولى بالصواب ، لأنه لا يخلو القولُ فى ذلك من أحد الأقوال التى ذكرنا . وغير جائز أن يكون من قوله : « لاتبعتم الشيطان » ، لأن من تفضل الله عليه بفضله ورحمته ، فغير جائز أن يكون من تُبَّاع الشيطان .

---

(١) انظر ما قاله فى معنى « قليل » فيما سلف ٢ : ٣٣١/٨ : ٤٣٩، وما كتبته فى الجزء الأول : ٥٥٤ ، تعليق : ١ .

(٢) ديوانه : ١٣٩ . « الأشم » : السيد ذو الأنفة والكبرياء ، من « الشمم » وهو ارتفاع فى قصبة الأنف ، مع استواء أعلاه ، وإشراف الأرنبة قليلا . وهو من صفات الكرم والعتق . وقوله « يدى » (بضم الياء وكسر الدال ، والياء المشددة) أو (بفتح الياء وكسر الدال وتشديد الياء) ، جمع « يد » الأول جمعها على وزن « فعول » ، مثل فلس وفلوس ، والثانى جمعها على وزن « فعيل » مثل عبد وعبيد . كأنه قال : كثير أيدى النوال . وفى ديوانه : « يدى » بفتح الياء والدال وهو خطأ . وفى المخطوطة : « برى النوادى » ، وهو خطأ لا معنى له . و « المثالب » جمع « مثلبة » ، وهى العيوب الجارحة . و « القادحة » يعنى بها : العيوب التى تقدح فى أصله وخلائقه ، سماها بالقادحة ، وهى الدودة التى تأكل الأسنان ، أو الأشجار ، ووضعها اسما للجمع

وغير جائز أن نحمل معانى كتاب الله على غير الأغلب المفهوم بالظاهر من الخطاب فى كلام العرب ، ولنا إلى حمل ذلك على الأغلب من كلام العرب ، سبيل ، فنوجّهه إلى المعنى الذى وجهه إليه القائلون[1] : « معنى ذلك : لاتبعتم الشيطان جميعاً » ، ثم زعم أن قوله : « إلا قليلا » ، دليل على الإحاطة بالجميع . هذا مع خروجه من تأويل أهل التأويل .[2]

وكذلك لا وجه لتوجيه ذلك إلى الاستثناء من قوله : « لعلمه الذين يستنبطونه منهم » ، لأن علم ذلك إذا رُدّ إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم ، فبيّنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولو الأمر منهم بعد وضوحه لهم ، استوى فى علم ذلك كلّ مستنبطٍ حقيقتَه ، [3] فلا وجه لاستثناء بعض المستنبطين منهم ، وخصوص بعضهم بعلمه ، مع استواء جميعهم فى علمه .

وإذْ كان لا قول فى ذلك إلاّ ما قلنا ، ودخَل هذه الأقوال الثلاثة ما بيّنا من الخلل ، [4] فبيّنٌ أن الصحيح من القول فى ذلك هو الرابع ، وهو القول الذى قضينا له بالصواب من الاستثناء من « الإذاعة » . [5]

* * *

(١) فى المطبوعة : « فتوجيهه إلى المعنى » ، كأنه ابتداء كلام ، وهو فساد فى القول ، والصواب ما فى المخطوطة . ومن أجل هذا الخطأ فى قراءة المخطوطة ، زاد الناشر : « لا وجه له » كما سترى فى التعليق التالى . وهو عمل غير حسن .

(٢) فى المطبوعة : « . . . من تأويل أهل التأويل ، لا وجه له » ، فحذفت هذه الكلمة التى زادها الناشر ، ليستقيم له قراءة الكلام . وانظر التعليق السالف .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « كل مستنبط حقيقة » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة « فدخل » ، ولا معنى للفاء هنا ، والصواب ما أثبته

(٥) انظر معانى القرآن للفراء ١ ٢٧٩ ، ٢٨٠

القول فى تأويل قوله ﴿ فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴾ (٨٤)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه :[١] « فقاتل فى سبيل الله لا تكلف إلا نفسك » ، فجاهد ، يا محمد ، أعداء الله من أهل الشرك به = « فى سبيل الله » ، يعنى : فى دينه الذى شرعه لك ، وهو الإسلام ، وقاتلهم فيه بنفسك .[٢]

فأما قوله : « لا تكلف إلا نفسك » فإنه يعنى : لا يكلفك الله فيما فرض عليك من جهاد عدوه وعدوك ، إلا ما حمَّلك من ذلك دون ما حمَّل غيرك منه ، أى : أنك إنما تُتَّبع بما اكتسبته دون ما اكتسبه غيرك ، وإنما عليك ما كُلِّفته دون ما كُلِّفه غيرك .[٣]

ثم قال له : « وحرض المؤمنين » ، يعنى : وحضهم على قتال من أمرتك بقتالهم معك = « عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا » ، يقول : لعل الله أن يكف قتال من كفر بالله وجحد وحدانيته وأنكر رسالتك ، عنك وعنهم ، ونكايتهم .[٤]

* * *

وقد بينا فيما مضى أن « عسى » من الله واجبة ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[٥]

* * *

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « يعنى بذلك جل ثناؤه » ، والسياق ما أثبت .

(٢) انظر تفسير « سبيل الله » فيما سلف ٨ : ٣٤٧٠ ، ٥٤٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « التكليف » فيما سلف ٥ : ٤٥ .

(٤) سياق الكلام « أن يكف ... عنك وعنهم » ثم عطف « ونكايتهم » على قوله : « قتال من كفر بالله » .

(٥) لم أجد هذا الموضع الذى أشار الطبرى ، وأخشى أن لا يكون مضى شىء من ذلك ، وأنه قد وهم .

= «والله أشد بأساً وأشد تنكيلا» ، يقول: والله أشد نكاية فى عدوه، من أهل الكفر به=منهم فيك يا محمد وفى أصحابك، فلا تنكُلَنّ عن قتالهم،[1] فإنى راصِدُهم بالبأس والنكاية والتنكيل والعقوبة ، لأوهن كيدهم ، وأضعف بأسهم ، وأعلى الحق عليهم .

* * *

و« التنكيل »مصدر من قول القائل: «نكلت بفلان »، فأنا أنكّل به تنكيلا »، إذا أوجعته عقوبة ،[2] كما : —

١٠٠١٤ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة، قوله : « وأشد تنكيلاً » ، أى عقوبة .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها » ، من يَصِرْ ، يا محمد ، شفعاً لوتر أصحابك ، فيشفعهم فى جهاد عدوهم وقتالهم فى سبيل الله ، وهو « الشفاعة الحسنة »[3] = « يكن له نصيب منها »، يقول : يكن له من شفاعته تلك نصيب — وهو الحظ[4] — من ثواب الله وجزيل كرامته = « ومن يشفع شفاعة سيئة »، يقول : ومن يشفع وتر أهل الكفر بالله على

---

(١) « نكل عن الشىء » : أحجم وارتد عنه من الفرق . والمعنى : أشد نكاية فى عدوه . . . من نكاية عدوه فيك يا محمد

(٢) انظر تفسير « النكال » و « التنكيل » فيما سلف ٢ : ١٧٦ ، ١٧٧ .

(٣) انظر تفسير « الشفاعة » فيما سلف ٢ : ٣١ ، ٣٢/٥ : ٣٨٢ — ٣٨٤ ، ٣٩٥ .

(٤) انظر تفسير « النصيب » فيما سلف : ٤٧٢ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

المؤمنين به ، فيقاتلهم معهم ، وذلك هو «الشفاعة السيئة » = « يكن له كِفل منها ».

* * *

يعني : بـ « الكفل » ، النصيب والحظ من الوزر والإثم . وهو مأخوذ من « كِفل البعير والمركب » ، وهو الكساء أو الشيء يهيّأ عليه شبيه بالسرج على الدابة . يقال منه : « جاء فلان مكتَفِلاً » ، إذا جاء على مركب قد وطّىء له — على ما بيّنا — لركوبه .(١)

* * *

وقد قيل إنه عنى بقوله : « من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها » الآية ، شفاعة الناس بعضهم لبعض . وغير مستنكر أن تكون الآية نزلت فيما ذكرنا ، ثم عُمّ بذلك كل شافع بخير أو شر . ١١٨/٥

وإنما اخترنا ما قلنا من القول في ذلك ، لأنه في سياق الآية التي أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم فيها بحضّ المؤمنين على القتال ، فكان ذلك بالوعد لمن أجاب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، والوعيد لمن أبى إجابته ، أشبه منه من الحثّ على شفاعة الناس بعضهم لبعض ، التي لم يجر لها ذكر قبل ، ولا لها ذكرٌ بعد .

* * *

* ذكر من قال : ذلك في شفاعة الناس بعضهم لبعض .

١٠٠١٥ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة » ، قال : شفاعة بعض الناس لبعض .

١٠٠١٦ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

١٠٠١٧ — حدثت عن ابن مهدي ، عن حماد بن سلمة ، عن حميد ، عن الحسن قال : « من يُشَفّع شفاعة حسنة كان له فيها أجران ، ولأن الله يقول :

---

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ١٣٥ .

« من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها » ، ولم يقل « يشفَّع » .[1]

١٠٠١٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان، عن رجل، عن الحسن قال : « من يشفع شفاعة حسنة »، كتب له أجرها ما جرَت منفعتها .

١٠٠١٩ – حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، سئل ابن زيد عن قول الله : « من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها »، قال: الشفاعة الصالحة التي يشفع فيها وعمل بها، هي بينك وبينه، هما فيها شريكان = « ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها » ، قال : هما شريكان فيها ، كما كان أهلها شريكين .

* * *

* ذكر من قال : « الكفل » : النصيب .

١٠٠٢٠ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها »، أي حظ منها = « ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها » ، و« الكفل » هو الإثم .

١٠٠٢١ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « يكن له كفل منها » ، أما « الكفل » ، فالحظ .

١٠٠٢٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « يكن له كفل منها » ، قال: حظ منها ، فبئس الحظ .

١٠٠٢٣ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد :

---

(١) الأثر : ١٠٠١٦ – كان في المطبوعة : « كان له أجرها وإن لم يشفع ، لأن الله يقول : . . . » وهو نص ما في الدر المنثور ٢ : ١٨٧ . وأثبت ما في المخطوطة . والظاهر أنه تصرف من السيوطي ، وتبعه ناشر المطبوعة الأولى . والصواب ما في المخطوطة ، إلا أنه ينبغي أن تقرأ « يشفع » الأولى في قول الحسن مشددة الفاء بالبناء للمجهول . ويعني الحسن : أن الشافع لأخيه إذا استجيبت شفاعته كان له أجران ، أجر عن الخير الذي ساقه إلى أخيه ، وأجر آخر هو مثل أجر المشفوع إليه في فعله ما فعل من الخير .

« الكفل » و « النصيب » واحد . وقرأ : ﴿ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾ [سورة الحديد : ٨] .

• • •

القول فى تأويل قوله ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴾ (٨٥)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله: « وكان الله على كل شيء مقيتاً ».

فقال بعضهم تأويله : وكان الله على كل شيء حفيظاً وشهيداً .

• ذكر من قال ذلك :

١٠٠٢٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية، عن على، عن ابن عباس: « وكان الله على كل شيء مقيتاً »، يقول: حفيظاً .

١٠٠٢٥ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن ابى نجيح ، عن مجاهد : « مقيتاً » ، شهيداً .

١٠٠٢٦ — حدثنا ابن وكيع قال ،حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن رجل اسمه مجاهد ،عن مجاهد مثله .

١٠٠٢٧ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « مقيتاً »، قال : شهيداً ، حسيباً ، حفيظاً .

١٠٠٢٨ — حدثنى أحمد بن عثمان بن حكيم قال ، حدثنا عبد الرحمن بن شريك قال ، حدثنا أبى ، عن خصيف، عن مجاهد أبى الحجاج : « وكان الله على كل شيء مقيتاً » ، قال : « المقيت »، الحسيب .

• • •

وقال آخرون : معنى ذلك : القائم على كل شيء بالتدبير .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٠٢٩ - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال عبد الله بن كثير : « وكان الله على كل شيء مقيتاً » ، قال : « المقيت »، الواصب . (١)

* * *

وقال آخرون : هو القدير :

* ذكر من قال ذلك :

١٠٠٣٠ - حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وكان الله على كل شيء مقيتاً » ، أما « المقيت »، فالقدير .

١٠٠٣١ - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وكان الله على كل شيء مقيتاً »، قال : على كل شيء قديراً، « المقيت »القدير .

* * *

قال أبو جعفر والصواب من هذه الأقوال، قولُ من قال : معنى « المقيت »، القدير . وذلك أن ذلك فيما يُذكر ، كذلك بلغة قريش ، وينشد للزبير بن عبد المطلب عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم : (٢)

٥/١١٩ وَذِي ضِغْنٍ كَفَفْتُ النَّفْسَ عَنْهُ وَكُنْتُ عَلَى مَسَاءَتِهِ مُقِيتَا (٣)

أي : قادراً . وقد قيل إن منه قول النبي صلى الله عليه وسلم : —

---

(١) يقال : « وصب الرجل على ماله يصب » (مثل : وعد يعد) : إذا لزمه وأحسن القيام عليه .

(٢) لم أجده للزبير ، بل وجدته لأبي قيس بن رفاعة ، مرفوع القافية في طبقات فحول الشعراء لابن سلام : ٢٤٣ ، ومراجعه هناك . ونسبه في الدر المنثور ٢ : ١٨٧ ، ١٨٨ إلى أحيحة ابن الجلاح الأنصاري .

(٣) اللسان (قوت) ، وانظر طبقات فحول الشعراء : ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، والتعليق عليه هناك .

١٠٠٣٢ – «كفى بالمرء إثما أن يُضيعَ من يُقيت» . (١)

فى رواية من رواها « يُقيت » ، يعنى : من هو تحت يديه وفى سلطانه من أهله وعياله ، فيقدّر له قوته . يقال = منه . « أقات فلان الشيء ، يقيته إقاتة » و «قاته يقوته قياتةً وقُوتاً » ، و «القوت» الاسم . وأما « المقيت » فى بيت اليهودىّ الذى يقول فيه : (٢)

لَيْتَ شِعْرِى ، وَأَشْعُرَنَّ إِذَا مَا قَرَّبُوهَا مَنْشُورَةً وَدُعِيتُ (٣) !
أَلِيَ الْفَضْلُ أَمْ عَلَيَّ إذا حُو سِبْتُ؟ إِنِّى عَلَى الْحِسَابِ مُقِيتُ (٤)

= فإن معناه : فإنّى على الحساب موقوف ، وهو من غير هذا المعنى . (٥)

* * *

(١) الحديث : ١٠٠٣٢ – رواه أحمد فى مسنده ، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رقم : ٦٤٩٥ ، ٦٨١٩ ، ٦٨٢٨ ، ٦٨٤٢ ، والحاكم فى المستدرك ١ : ٤١٥ ، وهو حديث صحيح ، وروايته « يقوت » .

(٢) هو السموأل بن عادياء اليهودى .

(٣) ديوانه : ١٣ ، ١٤ ، والأصمعيات : ٨٥ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٣٥ ، وطبقات فحول الشعراء للجمحى : ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، اللسان (قوت) وغيرها . وقوله : « ليت شعرى » : أى ليتنى أعلم ما يكون . وقوله : « وأشعرن » استفهام ، أى : وهل أشعرن . وقوله : « قربوها منشورة » يعنى : صحف أعماله يوم يقوم الناس لرب العالمين . وفى البيت روايات أخر .

(٤) يعنى بالفضل : الخير والجزاء الحسن والإنعام من الله . « أم على » : أم على الإثم المستحق للعقوبة .

(٥) هذا المعنى الذى قاله أبو جعفر ، هو قول أبى عبيدة ، وهو أحسن ما قيل فى معنى « المقيت » فى هذا البيت . وانظر اعتراض المعترضين على البيت ، واختلافهم فى تفسيره فى مادة (قوت) من لسان العرب .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « وإذا حييتم بتحية » ، إذا دعى لكم بطول الحياة والبقاء والسلامة[1] = «فحيوا بأحسن منها أو ردُّوها » ، يقول : فادعوا لمن دعا لكم بذلك بأحسن مما دعا لكم = « أو ردوها » يقول : أو ردّوا التحية .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى صفة « التحية » التى هى أحسن مما حُيِّىَ به المُحَيَّى ، والتى هى مثلها .

فقال بعضهم : التى هى أحسن منها : أن يقول المسلَّم عليه إذا قيل : « السلام عليكم » ، : « وعليكم السلام ورحمة الله » ، ويزيد على دعاء الداعى له . والرد أن يقول : « السلام عليكم » مثلها . كما قيل له ،[2] أو يقول : « وعليكم السلام »، فيدعو للداعى له مثل الذى دعا له .[3]

* ذكر من قال ذلك :

١٠٠٣٣ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط، عن السدى : « وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها » ، يقول : إذا سلم عليك أحد فقل أنت : « وعليك السلام ورحمة الله » ، أو تقطع إلى « السلام عليك » ، كما قال لك .

١٠٠٣٤ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ،

---

(١) وذلك لأن معنى « التحية » : البقاء والسلامة من الآفات .

(٢) فى المخطوطة ، مكان قوله : «كما قيل له » = « قال قيل له » ، ولا أدرى ما هو ، وتصرف الطابع الأول لا بأس به .

(٣) فى المطبوعة : « فيدعو الداعى له » ، والصواب من المخطوطة ، ولكن أوقعه فى الخطأ ، أن الناسخ كتب : « فيدعوا » بالألف بعد الواو .

عن ابن جريج ، عن عطاء قوله : « وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها » ، قال : فى أهل الإسلام .

١٠٠٣٥ – حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن جريج فيما قرئ عليه ، عن عطاء قال : فى أهل الإسلام .

١٠٠٣٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى، عن سفيان ، عن أبى إسحق ، عن شريح أنه كان يرد : « السلام عليكم » ، كما يسلم عليه .

١٠٠٣٧ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن ابن عون وإسمعيل ابن أبى خالد ، عن إبراهيم أنه كان يرد : « السلام عليكم ورحمة الله » .

١٠٠٣٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان، عن عطية ، عن ابن عمر : أنه كان يرد : « وعليكم » .

* * *

وقال آخرون: بل معنى ذلك : فحيوا بأحسن منها أهلَ الإسلام ، أو ردوها على أهل الكفر .

* ذكر من قالَ ذلك :

١٠٠٣٩ – حدثنى إسحق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال ، حدثنا حميد ابن عبد الرحمن ، عن الحسن بن صالح ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : من سلَّم عليك من خلق الله فاردُدْ عليه وإن كان مجوسيًّا، فإن الله يقول : « وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها » .

١٠٠٤٠ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا سالم بن نوح قال ، حدثنا سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة فى قوله : « وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها » ، للمسلمين = « أو ردوها » ، على أهل الكتاب .

١٠٠٤١ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ،

عن قتادة فى قوله : « وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها » ، للمسلمين= « أو ردوها » ، على أهل الكتاب .

١٠٠٤٢ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها » ، يقول : حيوا أحسن منها ، أى : على المسلمين = « أو ردوها» ، أى : على أهل الكتاب .

١٠٠٤٣ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، ابن زيد فى قوله : « وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها » ، قال : قال أبى : حق على كل مسلم حيّى بتحية أن يحيّى بأحسن منها ، وإذا حياه غير أهل الإسلام ، أن يرد عليه مثل ما قال .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بتأويل الآية ، قولُ من قال : ذلك فى أهل الإسلام ، ووجّه معناه إلى أنه يرد السلام على المسلم إذا حياه تحية أحسن من تحيته أو مثلها . وذلك أن الصّحاح من الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه واجب على كل مسلم ردُّ تحية كل كافر بأخسّ من تحيته . وقد أمر الله بردّ ١٢٠/٥
الأحسن والمثل فى هذه الآية ، من غير تمييز منه بين المستوجب ردّ الأحسن من تحيته عليه ، والمردودِ عليه مثلها ، بدلالة يعلم بها صحة قولُ من قال : « عنى برد الأحسن : المسلم ، وبرد المثل : أهل الكفر » .

والصواب= إذْ لم يكن فى الآية دلالة على صحة ذلك، ولا صحة أثر لازم عن الرسول صلى الله عليه وسلم[1] = أن يكون الخيار فى ذلك إلى المسلَّم عليه : بين رد الأحسن، أو المثل، إلاّ فى الموضع الذى خصّ شيئاً من ذلك سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيكون مسلّماً لها. وقد خصّت السنة أهل الكفر بالنهى عن رد الأحسن

(١) فى المطبوعة : « ولا بصحته أثر لازم » ، وفى المخطوطة : « ولا بصحة أثر لازم » ، وكلتاهما غير مستقيمة ، فرجحت أن يكون ما أثبت أقرب إلى حق السياق .

من تحيتهم عليهم أو مثلها، إلاّ بأن يقال: « وعليكم »، فلا ينبغي لأحد أن يتعدّى ما حدّ في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأما أهل الإسلام ، فإن لمن سلّم عليه منهم في الردّ من الخيار ، ما جعل الله له من ذلك .

* * *

وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تأويل ذلك بنحو الذي قلنا، خَبَرٌ . وذلك ما : —

١٠٠٤٤ — حدثني موسى بن سهل الرملي قال، حدثنا عبد الله بن السري الأنطاكي قال ، حدثنا هشام بن لاحق ، عن عاصم الأحول ، عن أبي عثمان النهدي ، عن سلمان الفارسي قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: السلام عليك يا رسول الله . فقال : وعليك ورحمة الله . ثم جاء آخر فقال : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله . فقال له رسول الله : وعليك ورحمة الله وبركاته . ثم جاء آخر فقال : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته . فقال له : وعليك . فقال له الرجل : يا نبي الله ، بأبي أنت وأمي ، أتاك فلان وفلان فسلّما عليك، فرددتَ عليهما أكثر مما رددت عليّ ! فقال : إنك لم تدع لنا شيئاً ، قال الله: « وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها » ، فرددناها عليك .(١)

* * *

(١) الحديث : ١٠٠٤٤ — عبد الله بن السري المدائني الأنطاكي : ضعيف ، وكان رجلا صالحاً ، كما قالوا . وقال أبو نعيم : « يروى المناكير ، لا شيء » . وقال ابن حبان في كتاب الضعفاء : « روى عن أبي عمران العجائب التي لا يشك أنها موضوعة » . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٢/٢/٧٨ . ولكنه لم ينفرد برواية هذا الحديث عن هشام بن لاحق ، كما سيأتي .

هشام بن لاحق ، أبو عثمان المدائني : مختلف فيه ، قال أحمد : « يحدث عن عاصم الأحول ، وكتبنا عنه أحاديث ، لم يكن به بأس ، ورفع عن عاصم أحاديث لم ترفع ، أسندها هو إلى سلمان » . وأنكر عليه شبابة حديثاً . وهذا خلاصة ما في ترجمته عند البخاري في الكبير ٤/٢/٢٠٠ — ٢٠١ ، وابن أبي حاتم ٤/٢/٦٩ — ٧٠ . وفي لسان الميزان أن النسائي قواه ، وأن ابن حبان ذكره في الثقات وفي الضعفاء . وقال ابن عدي : « أحاديثه حسان ، وأرجو أنه لا بأس به » . فيبدو من كل هذا أن الكلام فيه ليس مرجعه الشك في صدقه ، بل إلى وهم أو خطأ منه — فالظاهر أنه حسن الحديث .

فإن قال قائل : أفواجب رد التحية على ما أمر الله به فى كتابه ؟

قيل : نعم ، و به كان يقول جماعة من المتقدمين .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٠٤٥ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن جريج قال ، أخبرنى أبو الزبير : أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: ما رأيته إلا يوجبه ، قوله : « وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ».(١)

١٠٠٤٦ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن رجل ، عن الحسن قال : السلام تطوع ، والرد فريضة .

* * *

والحديث ذكره ابن كثير ٢ : ٥٢٦ – ٥٢٧ ، عن هذا الموضع من الطبرى . ثم نقل عن ابن أبي حاتم أنه رواه معلقاً من طريق عبد الله بن السرى الأنطاكى ، بهذا الإسناد ، مثله .

ثم قال ابن كثير : «ورواه أبو بكر بن مردويه : حدثنا عبد الباقى بن قانع ، حدثنا عبد الله ابن أحمد بن حنبل ، حدثنا أبى ، حدثنا هشام بن لاحق أبو عثمان – فذكر مثله . ولم أره فى المسند » .

وهو كما قال ابن كثير ، ليس فى المسند .

ولكن السيوطى ذكره فى الدر المنثور ٢ : ١٨٨ ، وأنه رواه أحمد « فى الزهد » . وزاد نسبته أيضاً لابن المنذر ، والطبرانى ، وأنه « بسند حسن » .

وقد ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٨ : ٣٣ ، وقال : « رواه الطبرانى . وفيه هشام بن لاحق ، قواه النسائى ، وترك أحمد حديثه ، وبقية رجاله رجال الصحيح » .

وإطلاقه أن أحمد ترك حديث هشام – ليس بجيد ، فإن النص الثابت عن أحمد عند البخارى وابن أبى حاتم ، لا يدل على ذلك .

(١) أى : يوجب رد السلام .

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴾ (٨٦)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : إن الله كان على كل شىء مما تعملون ، أيها الناس ، من الأعمال ، من طاعة ومعصية ، حفيظاً عليكم ، حتى يجازيكم بها جزاءه ، كما :-

١٠٠٤٧ -حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « حسيباً » ، قال : حفيظاً .

١٠٠٤٨ -حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

وأصل « الحسيب » فى هذا الموضع عندى ، « فعيل » من « الحساب » الذى هو فى معنى الإحصاء ،[1] يقال منه: « حاسبت فلاناً على كذا وكذا» ، و « فلان حاسِبُه على كذا » ، و« هو حسيبه » ، وذلك إذا كان صاحبَ حسابه .

* * *

وقد زعم بعض أهل البصرة من أهل اللغة : أن معنى « الحسيب » فى هذا الموضع ، الكافى . يقال منه: « أحسبنى الشىء يُحسبنى إحساباً » ، بمعنى كفانى ، من قولهم : « حسبى كذا وكذا » .[2]

* * *

وهذا غلط من القول وخطأ . وذلك أنه لا يقال فى« أحسبنى الشىء »،[3]

---

(١) انظر تفسير « الحسيب » فيما سلف ٧ : ٥٩٦ ، ٥٩٧ . = وتفسير « الحساب » فيما سلف ٤ : ٢٠٧ ، ٢٧٤ ، ٦/٢٧٥ : ٢٧٩ .

(٢) هو أبو عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ١٣٥ ، وانظر ما سلف ٧ : ٥٩٦ ، ٥٩٧

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « أحسبت » ، والصواب « أحسبنى » كما دل عليه السياق .

«أحسبَ على الشيء، فهو حسيب عليه»[١]، وإنما يقال: «هو حَسْبه وحسيبه» = والله يقول: «إن الله كان على كل شيء حسيباً».

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ (٨٧)

قال أبو جعفر. يعني جل ثناؤه بقوله: «الله لا إله إلا هو ليجمعنكم»، المعبود الذي لا تنبغي العبودة إلا له،[٢] هو الذي له عبادة كل شيء وطاعة كل طائع.[٣]

وقوله: «ليجمعنكم إلى يوم القيامة»، يقول: ليبعثنّكم من بعد مماتكم، وليحشرنكم جميعاً إلى موقف الحساب الذي يجازي الناس فيه بأعمالهم، ويقضي فيه بين أهل طاعته ومعصيته، وأهل الإيمان به والكفر[٤] = «لا ريب فيه»،[٥]

١٢١/٥ يقول: لا شك في حقيقة ما أقول لكم من ذلك وأخبركم من خبري: أنّي جامعكم إلى يوم القيامة بعد مماتكم[٦] = «ومن أصدق من الله حديثاً»، يعني بذلك: فاعلموا حقيقة ما أخبركم من الخبر، فإني جامعكم إلى يوم القيامة للجزاء والعرض والحساب والثواب والعقاب يقيناً، فلا تشكوا في صحته ولا تمتروا في حقيقته،[٧]

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة: «أحسبت على الشيء»، والصواب ما أثبت.

(٢) انظر ما كتب عن «العبودة» فيما سلف ٦: ٢٧١، تعليق: ١ / ٤٠٤، تعليق ٢ / ٥٤٩، تعليق: ٢ / ٥٦٥، تعليق: ٢.

(٣) انظر تفسير «لا إله إلا هو» فيما سلف ٦: ١٤٩.

(٤) انظر تفسير «القيامة» فيما سلف ٢: ٥١٨.

(٥) انظر تفسير «لا ريب فيه» ١: ٢٢٨، ٦/٣٧٨، ٢٢١، ٢٩٤، ٢٩٥

(٦) في المطبوعة: «أني جامعكم»، أساء قراءة المخطوطة.

(٧) في المطبوعة «في حقيته»، وأثبت ما في المخطوطة

فإن قولى الصدق الذى لا كذب فيه ، ووعدى الصدق الذى لا خُلْف له — « ومن أصدق من الله حديثاً » ، يقول : وأى ناطق أصدق من الله حديثاً ؟ وذلك أن الكاذب إنما يكذب ليجتلب بكذبه إلى نفسه نفعاً ، أو يدفع به عنها ضرًّا. والله تعالى ذكره خالق الضر والنفع ، فغير جائز أن يكون منه كذب ، لأنه لا يدعوه إلى اجتلاب نفع إلى نفسه أو دفع ضر عنها [داعٍ . وما من أحدٍ لا يدعوه داعٍ إلى اجتلاب نفع إلى نفسه ، أو دفع ضر عنها] ، سواه تعالى ذكره ،[1] فيجوز أن يكون له فى استحالة الكذب منه نظيراً ، [فقال] : «ومن أصدق من الله حديثاً » ، وخبراً .

* * *

(١) زدت ما بين القوسين على ما جاء فى المطبوعة ، لأنه حق الكلام . فإن أبا جعفر قدم الحجة الأولى فى الجملة السابقة ، للبيان عن استحالة الكذب على الله سبحانه وتعالى . ثم أتبع ذلك بالبيان عن معنى استعمال التفضيل فى قوله تعالى : « ومن أصدق من الله حديثاً » ، وبين أنه ليس لله سبحانه وتعالى نظير فى ذلك .

وكان فى المطبوعة ، كما أثبته ، خلا ما بين القوسين وهو كلام غير مستقيم . أما المخطوطة ، فقد كان فيها ما نصه : « لأنه لا يدعوه إلى اجتلاب نفع ولا دفع ضر عن نفسه أو دفع ضر عنها ؛ سواه تعالى ذكره ، فيجوز أن يكون . . . » وهو كلام مختلط دال على إسقاط الناسخ من كلام أبى جعفر . فاجتهدت فى وضع هذه الزيادة التى أثبتها ، ليستقيم الكلام على وجه يصح . وزدت أيضاً « فقال » بين قوسين ، لحاجة الكلام إليها .

تمّ الجزء الثامن من تفسير الطبرى

ويليه الجزء التاسع ، وأوّله :

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ ﴾

الفهارس

فهرس الآيات التى استدل بها فى غير موضعها من التفسير

السورة / الآية	الصفحة
آيات سورة البقرة	
٨٨	٤٣٩
٩٠	٣٧٧
٩١	١٧٣
١٤٣	٣٦٩
١٨٠	١٢
٢٢٩	١٣١
٢٦٥	٥٢٩
٢٧٥	٢٣٦

* * *

آيات سورة آل عمران	
٢٦	٤٩٢
٧٧	٢٥١
١١٨	٢٠٦
١٦٥	٥٥٩

* * *

آيات سورة النساء	
٤	١٧٥ ، ١٨١
١٠	٢٣٦
١٩	٧٥ ، ٧٦
٢١	١١٢

السورة / الآية	الصفحة
آيات سورة النساء	
٢٤	١٨٧
٢٥	١٦٦
٢٦	٢٥٧
٢٧	٢٥٧
٢٨	٢٥٧
٤٠	٢٥٦
٤٧	٤٨٣
٤٨	١٠١، ٢٥٦، ٢٥٧
٥٣	٣٥٣
٧١	٥٥٦ ، ٥٧٤
٨٣	٥٠١ ، ٥٠٥
٩٣	٢٣٦
١١٦	١٠١، ٢٥٦، ٢٥٧
١٥٢	٢٥٧

* * *

آيات سورة المائدة	
٥	١٦٦، ١٨٩، ١٩٠
٦	٤١٥ ، ٤٢١
٣٨ (١)	٤١٢
٤٥	٥١٠
٥٠	٥١٠
١١٧	٣٧٠

* * *

(١) كتب رقم الآية خطأ (٦) ، والصواب (٣٨) فليصحح

السورة / الآية	الفصحة
آيات سورة الأنعام	
١٤	٢١٠
٢٣	٣٧٣ ، ٣٧٤
٥١	١٩٣
٦٠	٣٦٧
٧١	٢١٠
٩٤	٣١٩
* * *	
آيات سورة الأنفال	
١٥	٢٣٦
١٦	٢٣٦
٧٥	٢٧٤ — ٢٧٧
* * *	
آية سورة التوبة	
٣٢	٢١٠
* * *	
آية سورة يونس	
٢٢	٤٤٧
* * *	
آية سورة هود	
٧٠	٤٤
* * *	
آيات سورة يوسف	
٣٣	٩٠
٨٩	٩٠
* * *	
آية سورة إبراهيم	
٥٠	٤٨٧
* * *	

السورة / الآية	الصفحة
آية سورة النحل	
٦٧	٣٧٧
* * *	
آيات سورة الإسراء	
٣٢	١٣٧
٨٠	٢٥٩
* * *	
آيات سورة الكهف	
١ ، ٢	٥٧٦
٥٠	٣٥٨
* * *	
آيات سورة مريم	
٥	٢٧١
٣٢	٣٥٠
* * *	
آيات سورة الحج	
٣١	٢٣٦
٥٩	٢٥٨
* * *	
آية سورة المؤمنون	
١٠١	٣٦٣ ، ٣٦٤
* * *	
آيات سورة النور	
٢	٧٤ ، ٨٦ ، ٨٧
٤	١٦٦
٢٣	٢٣٦
٥٨	٩
٦١	٢١٧ ، ٢١٨
* * *	

السورة / الآية	الصفحة
آية سورة الفرقان	
٦٨	٢٥٢
* * *	
آيات سورة الأحزاب	
٤	١٥٠
٥	٢٧١
٦	٢٧٥
٣٥	٢٦١
٤٠	١٥٠
* * *	
آية سورة يس	
٦٦	٤٤٥
* * *	
آيات سورة الصافات	
١٦٣	٢٩
١٦٤	٤٣١
* * *	
آية سورة الزمر	
٥٣	٤٤٩ ، ٤٥٠
* * *	
آيات سورة الشورى	
١٥	٢٠٩
٤٨	٥٦٢
* * *	
آية سورة الدخان	
٥١	٢٥٩
* * *	
آية سورة محمد	
٢٥	٢٣٦
* * *	

السورة / الآية	الصفحة
آية سورة الحجرات	
١٣	٩
* * *	
آية سورة الواقعة	
٣٠	٤٨٩
* * *	
آية سورة الحديد	
٨	٥٨٣
* * *	
آية سورة الصف	
٨	٢١٠
* * *	
آية سورة الجمعة	
٥	٤٤٦
* * *	
آيات سورة التحريم	
٤	٤٢
١٢	١٦٦
* * *	
آية سورة المزمل	
٦	٤٣٧
* * *	
آية سورة النبأ	
٤٠	٣٧٢
* * *	
آية سورة التكوير	
١٢	٣٠ ، ٤٨٣
* * *	

السورة / الآية	الصفحة
آية سورة البروج	
٣	٣٦٩
* * *	
آية سورة الليل	
١٥	٢٩
* * *	
آية سورة الكوثر	
٣	٤٦٧
* * *	
آيات سورة الكافرون	
١ ــ ٦	٣٧٦
* * *	

فهرس اللغة

هذا الفهرس مرتب على ترتيب معاجم اللغة ، على أصل الاشتقاق ، وعلى آخر الأصل باباً ، وأوّله فصلاً .

(بطأ) بطأ ، يبطئ : ٥٣٨
(ذرأ) ذرية : ١٩
(سوأ) السوء : ٨٨
السيئات : ٩٨ ، ٢٥٤
سيئة : ٥٥٥ ، ٥٥٨
ساء : ١٣٨ ، ٢٥٨
* * *
(توب) تاب : ٨٨ ، ٩٣ ، ٩٧
٢٠٩ ، ٢١٢
توّاب : ٨٨ ، ٥١٧
التوبة : ٨٨ ، ٩٨
(جنب) الجار الجنب : ٣٣٧ — ٣٤٠
اجتنبه ، تجنبه : ٢٣٣ ، ٣٤٠
جنابة : ٣٣٩ ، ٣٤٠
الصاحب بالجنب : ٣٤٠ — ٣٤٦
جُنُب : ٣٧٩
(حسب) حسيب : ٥٩١
أحسبني الشيء إحساباً : ٥٩١
حسبي كذا : ٥٩١
هو حسبُه وحسيبه : ٥٩٢
(ذهب) ذهب بالشيء : ١١٠
(ربب) ربيبة ، ربائب : ١٤٧
ربيب ، ربّ : ١٤٧
(ريب) لا ريب فيه : ٥٩٢
(شرب) شريب : ٥٣٠
(صحب) الصاحب بالجنب : ٣٤٠ — ٣٤٦
أصحاب السبت : ٤٤٧
(صلب) من أصلابكم : ١٤٩
(صوب) أصاب : ٥١٤ ، ٥٣٨ ، ٥٤٠ ، ٥٥٥ ، ٥٥٨
مصيبة : ٥١٤ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩
(ضرب) واضربوهن : ٣١٣ — ٣١٦
(طيب) الطيب : ٤٠٩
(غيب) حافظات للغيب : ٢٩٥
(قرب) أولو القربى : ٧ — ١٨
ذو القربى : ٣٣٤
الأقربون : ٣٧١
الجار ذو القربى : ٣٣٥ — ٣٣٧
من قريب : ٨٩ ، ٩٣ — ٩٧
لا تقربوا الصلاة : ٣٧٥
(كتب) كتاب الله : ١٦٩
الكتاب : ٤٨٠
كتب عليه : ٥٢٥ ، ٥٤٨
(كسب) اكتسب : ٢٦٧

(نصب) نصيب : ٢٦٥ ، ٢٧٤
٤٢٧، ٤٦١، ٤٧٢، ٥٨٠

* * *

(بهت) بهتان : ١٢٤
(بيت) بيّت : ٥٦٢ ، ٥٦٣–
٥٦٦
(ثبت) تثبيت : ٥٢٨ ، ٥٢٩
(جبت) الجبت : ٤٦١ – ٤٦٥
(سبت) أصحاب السبت : ٤٤٧
(عنت) العنت : ٢٠٤ – ٢٠٧
عنت فلان ، وأعنته : ٢٠٦
(قنت) قانتات : ٢٩٤
(قوت) مقيت : ٥٨٣ – ٥٨٥
(مقت) مقت : ١٣٨

* * *

(حدث) حديث : ٥٩٢

* * *

(برج) برج، بروج : ٥٥٢، ٥٥٣
(حرج) حرج : ٥١٨
(زوج) أزواج مطهرة : ٤٨٨ ،
٤٨٩
(نضج) نضج الجلد : ٤٨٤

* * *

(جنح) جُناح : ١٨٠
(ذبح) غنم مذبّحة : ٥٥٤
(سفح) مسافح : ١٧٤
مسافحات : ١٩٣
(شحح) الشح : ٣٥١
(صلح) الصالحات : ٢٩٣، ٤٤٨
الصالح : ٥٣٢
إصلاح : ٣٣٢

(مسح) مسح الوجه : ٤١٠
مسح اليدين : ٤١٠
(نكح) نكح : ١٣٢–١٣٦، ١٩٢

* * *

(أبد) أبداً : ٤٨٨
(جلد) جلود : ٤٨٤ – ٤٨٧
(حدد) حدود الله : ٦٨–٧٠، ٧١
(حسد) حسد يحسُد : ٤٧٦
(خلد) خالد : ٧٠، ٧١ ، ٧٢،
٤٤٨
(ردد) ردّها على أدبارها : ٤٤٠
– ٤٤٦
ردّه : ٥٠٤
ردّ التحية : ٥٨٦
رد الأمر إلى كذا : ٥٧٠
(رود) أراد : ٢١٠
(سدد) سديد : ١٩ – ٢٦
(شهد) شاهد ، شهيد : ١٤٧
شهيد : ٢٨٩ ، ٣٦٨ ،
٣٦٩ ، ٥٣٨
شهيد، شهداء : ٥٣٢
استشهد : ٧٣
شهد : ٧٣
(شيد) مشيّدة، مَشيدة : ٥٥٤،
٥٥٥
(صدد) صدّ عنه : ٤٨٢، ٥١٣
(صعد) الصعيد : ٤٠٨ ، ٤٠٩
(عبد) عبد الله : ٣٣٣
(عتد) أعتد : ١٠٣ ، ٣٥٥
(عقد) عقدت أيمانكم : ٢٧٢–
٢٧٤ ، ٢٨١

(عند) عند : ٥٥٥ ، ٥٥٦
(هود) هاد ، يهود : ٤٣٠
(ودد) ودّ يودّ ، مودة : ٣٧١ ، ٥٤٠
(ولد) ولد ، ولدان : ٥٤٣

* * *

(أخذ) خذوا حذركم : ٥٣٦

* * *

(أجر) أجر ، أجور : ١٧٥ ، ١٩٢ ، ٣٦٨ ، ٥٢٩ ، ٥٤٢
الأجر العظيم : ٣٦٨
(أخر) اليوم الآخر : ٣٥٦ ، ٣٥٩ ، ٥٠٤
الآخرة : ٥٥١
(أمر) أمْرٌ : ٥٦٨
أولو الأمر : ٤٩٦–٥٠٤ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ – ٥٧٣
أمر الله : ٤٤٨
(بصر) بصير : ٤٩٥
(جور) الجارذو القربى : ٣٣٥–٣٣٧
الجار الجنب : ٣٣٧–٣٤٠
(حذر) خذوا حذركم : ٥٣٦
(حضر) حضرهُ الموت : ٩٨
(خبر) خابر ، خبير : ١٤٧ ، ٣٣٣
(خمر) خمّير : ٥٣٠
(خير) خير : ١٢٢ ، ٥٥١
(دبر) نردها على أدبارها : ٤٤٠ – ٤٤٦
تدبّر : ٥٦٧
(ذرر) ذرّة : ٣٦٠ ، ٣٦١
(سعر) سعير : ٣٠ ، ٤٨٣
سعرت النار : ٤٨٣
(سكر) سكران ، سكارى : ٣٧٥ – ٣٧٨
سكّير : ٥٣٠
(شجر) شجر ، تشاجر : ٥١٨
(ضرر) ضارّ مضارة ، مضارّ : ٦٤
(طهر) أزواج مطهرة : ٤٨٨ ، ٤٨٩
(ظهر) أوجعت ظهورها ، وظهر يهما : ٤١
(عبر) عابر سبيل : ٣٧٩–٣٨٥
عبر النهر : ٣٨٥
عبر أسفار : ٣٨٥
(عشر) عاشره : ١٢١
(غفر) غفور : ١٥٠ ، ٢٠٧ ، ٤٢٦
غفر يغفر : ٤٤٨
استغفر : ٥١٧
(فخر) فخور : ٣٥٠
(قنطرة) قنطار : ١٢٣
(كبر) الكبائر : ٢٣٣–٢٥٤
كبير : ٣١٨
(كفر) كفّر : ٢٥٤
الكافر : ٣٥٥
كفر : ٣٧١ ، ٤٦٦ ، ٤٨٤ ، ٥٠٧
(نصر) نصير : ٤٣٠ ، ٤٧١ ، ٥٤٤
(نظر) نظر ، انتظر : ٤٣٦ – ٤٣٨
(نفر) نفر ينفر : ٥٣٦
(نقر) نقير : ٤٧٢–٤٧٥
(هجر) هجره : ٣٠٢–٣١٢

هجر فى كلامه : ٣٠٦
هجّيراه : ٣٠٦
هجر البعير بالهجار : ٣٠٧
(يسر) يسير : ٢٣١

* * *

(برز) برز : ٥٦٢
(عزز) عزيز : ٤٨٨
(فوز) الفوز : ٧٠ ، ٧١
فاز فوزاً : ٥٤٠
(نشز) النشوز : ٢٩٩ ، ٣٠٠

* * *

(بأس) بأس : ٥٧٩ ، ٥٨٠
(طمس) طمس يطمس : ٤٤٠ ، ٤٤٤
طامس الأعلام : ٤٤٤
(لمس) لمس ، لامس : ٣٨٩ — ٤٠٦
اللمس ، اللماس : ٣٩٩ ، ٤٠٦
لميس : ٣٩٩
(نفس) ولا تقتلوا أنفسكم : ٢٢٩
(نوس) الناس : ٤٧٦ ، ٤٧٧

* * *

(فحش) الفاحشة : ٧٣ ، ١١٥ ، ١٣٨ ، ٢٠٣
الفاحشة المبينة : ١١٥—١٢١

* * *

(حرض) حرّض : ٥٧٩
(عرض) أعرض عنه : ٨٨ ، ٥١٥ ، ٥٦٦
(فرض) فريضة : ٥٠ ، ١٧٥ . ١٨٠ ، ١٨١
(مرض) مرضى : ٣٨٥

* * *

(سرط) صراط مستقيم : ٥٢٩
(غوط) الغائط : ٣٨٨
(نبط) استنبط : ٥٧١
النبط : ٥٧١

* * *

(حظظ) حظّ : ٣٠
(حفظ) حافظات للغيب : ٢٩٥
بما حفظ الله : ٢٩٦
حفيظ : ٥٦٢
(غلظ) غليظ : ١٢٧ — ١٣٠
(وعظ) وعظه : ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٥١٥ ، ٥٢٨

* * *

(بيع) البيع : ١٦٧ ، ٢٢٦ — ٢٢٨
(تبع) اتّبع يتبع : ٢١٢
(جمع) جمع يجمع : ٥٩٢
(ذيع) أذاعه ، وأذاع به : ٥٦٨
(سمع) سمع : ٤٣٣ ، ٤٣٦
اسمع غير مسمع : ٤٣٣
سميع : ٤٩٤
(شفع) شفع يشفع : ٥٨٠
شفاعة : ٥٨٠ ، ٥٨١
(ضجع) المضاجع : ٣٠٢
(طوع) أطاع : ٤٣٦ ، ٤٩٥ ، ٥١٥ ، ٥٣٠ ، ٥٦١
طاعة : ٥٦٢

(متع) استمتع : ١٧٥
متاع : ٥٥١
(نزع) تنازع : ٥٠٤
(وضع) مواضع : ٤٣٢
* * *
(بلغ) بليغ : ٥١٥
* * *
(حرف) حرّف الكلم : ٤٣٠
(خفف) خفّف : ٢١٥
(خلف) من خلفهم : ١٩ — ٢٥
اختلاف : ٥٦٧
(خوف) الخوف : ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣١٨ ، ٥٦٨
(سلف) سلف : ١٣٨ ، ١٥٠
(ضعف) ضِعَاف : ١٩ ، ٢٠
ضَعيف : ٢١٥
المستضعفون : ٤٥٣
ضاعف : ٣٦٦
(عرف) قول معروف : ١٣—١٨
المعروف : ١٢١، ١٩٢
(طوف) طائفة : ٥٦٢
(كفف) كفّ يكف : ٥٤٨، ٥٧٩
(كلف) كلّف : ٥٧٩
* * *
(خرق) ثوب مخرّق : ٥٥٤
(ذوق) ذاق يذوق : ٤٨٧
(رزق) رزقه يرزقه : ١٨ ، ٣٥٩
(رفق) رفيق : ٥٣٢ ، ٥٣٣
(شقق) شقاق : ٣١٩
(صدق) صدّيق ، صديقون : ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢
مصدّق : ٤٤٠
(عتق) العتق : ١٦٧
(غلق) غلّق الأبواب : ٥٥٤
(فرق) فريق : ٥٤٨
(فوق) فوق : ٣٤
(نفق) أنفق : ٢٩٢، ٣٥٦، ٣٥٩
المنافقون : ٥١٣
(وثق) ميثاق : ١٢٧
(وفق) وفّق يوفّق : ٣٣٢
توفيق : ٥١٤
* * *
(درك) أدرك : ٥٥١
(شرك) أشرك : ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٤٤٨، ٤٥١
(مسك) أمسكه : ٧٣
(ملك) ملكت أيمانكم : ١٦٨ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨
المُلك : ٤٧٢، ٤٨٠، ٤٨٢
* * *
(أجل) أجل : ٥٤٨
(أكل) أكل الأموال : ٢٦ ، ٢١٦ — ٢١٩
(أهل) أهل : ١٩٢
(أول) آل : ٤٨٠
آل إلى كذا : ٥٠٦
تأويل : ٥٠٦
(بخل) البخل : ٣٥١
(بدل) بدّل : ٤٨٤
استبدال : ١٢٣
(بطل) الباطل : ٢١٦ — ٢١٩

(ثقل) مثقال : ٣٦٠
(جهل) جهالة : ٨٩ — ٩٣
الجاهل بالشيء : ٩١، ٩٢
(حلل) حليلة ، حلائل : ١٤٩
(خول) خال يخول خالا : ٣٤٩
مختال : ٣٤٩
(دخل) دخل بالمرأة : ١٤٧ ، ١٤٨
مُدْخل كريم : ٢٥٧—٢٦٠
(رسل) أرسل ، رسول : ٥٦١
(سبل) سبيل : ٧٣ ، ١٣٨ ، ٣١٧ ، ٤٢٩ ، ٤٦٦
سبيل الله : ٥٤١، ٥٤٦، ٥٧٩
ابن السبيل : ٣٤٦ ، ٣٤٧
(ضلل) الضلالة : ٤٢٨
ضلّ ، يضل : ٤٢٩
ضلال بعيد : ٥٠٧
(طول) الطوْل : ١٨٢—١٨٥
(ظلل) ظل ظليل : ٤٨٩
(عدل) العدل : ٤٩٤
(عضل) عضل المرأة : ١١٠
(فتل) فتيل : ٤٥٦—٤٦٠ ، ٥٥١
(فضل) الفضل : ٢٦٨ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩، ٥٣٥، ٥٤٠، ٥٧٤
(فعل) مفعول : ٤٤٨
(قلل) قليل : ٤٣٩ ، ٥٧٤
« إلا قليلا » : ٥٧٤—٥٧٨
(كفل) كِفْل : ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣
(كلل) كلالة : ٥٣ — ٦١
تكلّله النسب : ٥٣
كُلّ : ٢٦٩
(ميل) مال يميل : ٢١٢ ، ٢١٣
(نكل) التنكيل : ٥٨٠
(وكل) وكيل : ٥٦١ ، ٥٦٦
توكل : ٥٦٦
* * *
(أثم) إثم : ١٢٤ ، ٤٥١، ٤٦٠
(ألم) أليم : ١٠٣
(أمم) أمّ ، يؤم : ٤٠٧
(حكم) حكم : ٤٩٤
الحكم : ٣٣٠
الحكمة : ٤٨٠
حكَّم : ٥١٨
تحاكم : ٥٠٧
حكيم : ٥١، ٩٨ ، ١٨٢، ٢٠٩ ، ٤٨٨
(حلم) حليم : ٦٨
(رحم) الرحمة : ٥٧٤
رحيم : ٨٨، ١٥٠، ٢٠٧، ٢٢٩ ، ٥١٧
(عظم) عظيم : ٢١٢
(علم) عليم : ٥١ ، ٦٨ ، ٩٨، ١٨٢ ، ٢٠٩ ، ٢٦٩ ، ٣٣٣، ٣٥٩، ٥٣٥، ٥٣٦
(ظلم) ظلم : ٢٦، ٢٣١، ٣٥٩، ٤٥٦ ، ٥١٧ ، ٥٥١
ظالم : ٥٤٣
(قدم) قدمت أيديهم : ٥١٤
(قسم) القسمة : ٧ — ١٨
(قوم) أقوم : ٤٣٧
إقامة الصلاة : ٥٤٨
قوّام : ٢٩٠
يوم القيامة : ٥٩٢

صراط مستقيم : ٥٢٩
(كرم) كريم : ٢٦٠
(كلم) كلمة ، كَلِم : ٤٣٢
(نعم) أنعم : ٥٣٠ ، ٥٣٨
نعمًا : ٤٩٤
(يتم) اليتامى : ٧–١٨ ، ٣٣٤
(يمم) يمم ، تيمم : ٤٠٧
* * *
(أذن) إذْن : ١٩٢ ، ٥١٦
(أمن) آمن : ١٠٣ ، ٢١٦ ، ٣٥٦ ، ٣٥٩ ، ٣٧٥ ، ٤٤٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٦ ، ٤٨٢ ، ٤٨٨ ، ٤٩٥ ، ٥٠٤ ، ٥٠٧ ، ٥١٨ ، ٥٤٦ ، ٥٦٨
إيمان : ١٩١
المؤمنات : ١٨٥ ، ١٨٦
الأمانات : ٤٩٠ – ٤٩٤
(بين) بَيْنَ : ٣١٩
بيِّنَ : ٢٠٩
مبين : ١٢٤ ، ٤٦٠
مبيِّنة : ١٢١
(جنن) جنات : ٧٠ ، ٤٨٨
(حسن) حَسُن : ٥٣٢
حسنة : ٣٥٩ – ٣٦٥ ، ٥٥٥ ، ٥٥٨ ، ٥٨٠
الإحسان : ٣٣٤ ، ٥١٤
(حصن) المحصنات : ١٥١ – ١٦٨ ، ١٨٥ – ١٨٨ ، ١٩٣
الإحصان: ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٩٥ – ٢٠٢
حاصن : ١٦٥
حصون : ١٦٦
درع حصينة : ١٦٦
محصن : ١٧٤
(خدن) أخدان : ١٩٣ – ١٩٥
مخادن : ١٩٥
(دون) دون : ٤٤٨
(سكن) المساكين: ٧–١٨ ، ٣٣٤
(سنن) سنة ، سنن : ٢٠٩
(ظنن) الظن : ٢٩٨
(قرن) قرين : ٣٥٨
(كون) كان : ٥١ ، ٨٨ ، ٩٨ ، ١٥٠ ، ١٨٢ ، ٢٢٩ ، ٢٦٩ ، ٢٨٩ ، ٣١٨ ، ٣٣٣ ، ٣٥٩ ، ٤٢٦ ، ٤٨٨ ، ٤٩٤ ، ٥٨٣ ، ٥٩١
كان، يكون: ٢١٩ ، ٢٢٠
(لدن) من لدُنه: ٣٦٨ ، ٥٢٩ ، ٥٤٣
(لعن) لعن : ٤٣٩ ، ٤٤٧ ، ٤٧١ ، ٤٧٢
(هون) مُهين : ٧٢ ، ٣٥٥
(يمن) أيمان : ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٨١
* * *
(فقه) فقه، يفقه : ٥٥٧
(كره) الكرهُ : ١٠٤
(وجه) وجه ، وجوه : ٤٤٤
* * *
(أتى) أتى كذا ، وأتى بكذا : ٨١ ، ١١٥ ، ٢٠٣
آتى : ١٢٣ ، ١٧٥ ،

١٩٢ ، ٢٨١ ، ٣٦٨ ،
٤٢٧ ، ٤٤٠ ، ٤٦١ ،
٤٧٢ ، ٤٧٦ ، ٤٨٠ ،
٥٤٢
إيتاء الزكاة : ٥٤٨
(أخو) أخ ، أخوان ، إخوة : ٤١
(أدى) أدّى : ٤٩٠
(أذى) آذاه ، الأذى : ٨٤ ، ٨٥
(أبى) آيات : ٤٨٤
(بغى) بغى يبغى : ٣١٦ ، ٣١٧
(ثبو) ثبة ، ثبات : ٥٣٦ ، ٥٣٧
(حيي) حيّى يحيي : ٥٨٦
تحية : ٥٨٦
(خشى) خشى يخشى : ١٩ ، ٢٠٤ ،
٥٤٨
(رأى) رئاء : ٣٥٦
ألم تر ؟ : ٤٢٦ ، ٤٢٧
٤٥٢ ، ٤٦١ ، ٥٠٧ ، ٥٤٧
(رضى) تراضى : ١٨٠ ، ٢١٩ ،
٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦
(رعى) راعنا : ٤٣٥
(زكى) زكى ، يزكّى : ٤٥٢ ،
آتى الزكاة : ٥٤٨
(سوى) سوّى يسوى : ٣٧٢
(شرى) اشترى : ٤٢٨
شرى ، يشرى : ٥٤١ ، ٥٤٢
(شها) الشهوات : ٢١٢
(صلا) يصلى : ٢٧ — ٢٩
شاة مصلية : ٢٩
الاصطلاء : ٢٧ — ٢٩ ،
٤٨٤

أصلاه النار : ٢٣١
الصلاة ، إقامة الصلاة :
٣٨٢ ، ٥٤٨
(طغا) طاغوت : ٤٦١ — ٤٦٥ ،
٥٠٧ — ٥١٣ ، ٥٤٦
(عدا) عدوان : ٢٣٠ ، ٢٣١
(عسى) عسى : ٥٧٩
(عصى) عَصى : ٤٣٣
(عفا) عفوّ : ٤٢٦
(علا) علىّ : ٣١٨
تعالوا : ٥١٣
(فرى) افترى : ٤٥١ ، ٤٦٠
(فضى) أفضى : ١٢٥
(قرى) قرية : ٥٤٣ — ٥٤٦
(قضى) قضى : ٥١٨
(كفى) كفى : ٤٢٩ ، ٤٣٠ ،
٤٦٠ ، ٤٨٣ ، ٥٣٥ ،
٥٦١ ، ٥٦٦
(لوى) اللى : ٤٣٥ ، ٤٣٦
(منى) تمنى : ٢٦٠
(هدى) هدى ، يهدى : ٢٠٩ ، ٥٣٠
أهدى : ٤٦٦
(ورى) وراء : ١٧٣
(وصى) أوصى : ٣٠ ، ٤٦ ،
٥١ ، ٥٢ ، ٦٤
وصية : ٥١ ، ٥٢ ، ٦٤ ،
٦٨
(وقى) اتقى : ١٩ — ٢٦ ، ٥٥١
(ولى) ولىّ : ٤٢٩ ، ٥٤٣ ، ٥٤٦
مولى موالى : ٢٦٩ ، ٢٧٠
تولّى : ٥٦٢

أعلام المترجين فى التعليق

الأرقام فى هذا الفهرس هى أرقام الآثار ، لا الصفحات

آدم بن أبى إياس العسقلانى : ٩٧٣٢
أبان بن يزيد العطار : ٩٦٥٦
ابن أبجر (عبد الملك بن سعيد بن حبان بن أبجر)
إبراهيم التيمى : ٩٦٣٢
إبراهيم النخعى (إبراهيم بن يزيد) : ٩٦٧٣
إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف : ٩٢٩٥
إبراهيم بن عطية بن رديح بن عطية : ٨٧٢٠
إبراهيم بن عمر (أبى الوزير) بن مطرف : ٩٥١٩
إبراهيم بن أبى الوزير (عمر) بن مطرف : ٩٥١٩
إبراهيم بن يزيد النخعى : ٩٠٨٩ ، ٩٦٧٣
ابن أبزى (سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى) (عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبزى)
أحزاب بن أسيد السمعى (أبو رهم) : ٩٢٢٤
أحمد بن عبدة الضبى (أبو عبد الله) : ٩٦١٣
أحمد بن عثمان بن حكيم الأودى : ٩٠٠٣
أحمد بن عثمان بن أبى عثمان النوفلى (ابن أبى الجوزاء) شيخ الطبرى : ٩٠٠٣
أحمد بن عمرو البصرى (شيخ الطبرى) : ٩٨٧٥
أحمد بن عمرو بن عبدالخالق البزار : ٩٨٧٥
أحمد بن محمد الطوسى (أحمد بن محمد بن حبيب) (أحمد بن محمد نيزك بن حبيب) : ٨٨٧٠
أحمد بن محمد بن حبيب الطوسى (أحمد بن محمد بن نيزك بن حبيب) : ٨٨٧٠
أحمد بن محمد بن المغيرة بن سيار (أحمد بن المغيرة) (أبو حميد الحمصى) : ٨٩٨٤
أحمد بن محمد بن نيزك بن حبيب الطوسى (أحمد بن محمد الطوسى) (أحمد بن محمد بن حبيب الطوسى) : ٨٨٧٠
أحمد بن المغيرة (أحمد بن محمد بن المغيرة بن سيار)
أبو الأحوص (سلام بن سليم)
إدريس بن يزيد الأودى : ٩٢٧٥
أبو أسامة (حماد بن أسامة بن زيد)

أسامة بن حبيب : ٩٥٠١
أبو إسحق السبيعى : ٨٩٨٤
أبو إسحق الشيبانى (سليمان بن أبى سليمان)
إسحق بن إبراهيم بن يزيد الفراديسى (أبو النضر) : ٨٧٨٨ ، ٩٢٣٤
إسحق بن شاهين الواسطى : ٩٧٨٨
إسحق بن وهب بن زياد العلاف : ٩٥٠٤
إسرائيل بن يونس بن أبى إسحق السبيعى : ٨٩٦١ ، ٨٩٦٢
أسعد بن سهل (أبو أمامة بن سهل ابن حنيف)
الأسلع : ٩٦٣٧
إسماعيل بن إبراهيم (ابن علية) : ٩٩١٣
إسماعيل بن رجاء بن ربيعة الزبيدى : ٨٩٤٤ — ٨٩٤٦
إسماعيل بن كثير (أبو هاشم المكى) : ٨٩٢٩
إسماعيل بن مسلم البصرى : ٨٨١١
إسماعيل بن موسى السدى (شيخ الطبرى) : ٩٦٨٢
إسماعيل بن الهيثم العبدى (أبو العالية) شيخ الطبرى : ٩٧١٤
الأسود بن خلف بن أسعد بن عامر الخزاعى : ٨٩٤٠
الأسود بن خلف بن عبد يغوث : ٨٩٤٠
الأعرج (عبد الرحمن بن هرمز)
أبو أمامة : ٩٢٢٦
أبو أمامة بن سهل بن حنيف (أسعد ابن سهل . .) : ٨٨٧٠
أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر (أصح الأسانيد) : ٩١٦٤
أبو أيوب العدوى (بشير بن كعب ابن أبى الحميرى)
أيوب بن عتبة : ٩١٨٨
أيوب بن أبى العوجاء القرشى : ٩٠٠٩

* * *

بحرى بن عمرو : ٩٥٠١
بحير بن سعد الحمصى : ٩٢٢٤
بدر بن عمرو بن جراد السعدى : ٩٦٣٧
برد بن سنان الشامى : ٩٠٩٧
أبو بردة الأسلمى (الكاهن) : ٩٨٩٦
أبو برزة الأسلمى (نضلة بن عبيد) : ٩٨٩٦
أبو بشر بن عبد الأعلى (؟؟) (يونس بن عبد الأعلى) : ٨٧٤٧
بشر بن المفضل بن لاحق : ٩٢٩٦
بشير بن كعب بن أبى الحميرى (أبو أيوب العدوى) : ٨٨٥٧
بقية بن الوليد : ٩٢٢٤
بكر بن عبد الله المزنى : ٨٩٣٦ ، ٩٧٣٢
أبو بكر بن عبد الله بن أبى مريم الغسانى : ٩٠٧١
أبو بكير التميمى (مرزوق) :

٩٤٥٨ ، ٩٤٦٧ ، ٩٤٦٨
ابن البيلمانى (عبد الرحمن بن البيلمانى)

* * *

أبو تميلة (يحيى بن واضح الأنصارى)

* * *

ثوير بن أبى فاختة سعيد بن علاقة الهاشمى : ٩٨٣٣

* * *

جابر بن نوح : ٩٨٦٣
جبير بن مطعم : ٩٢٩٥
جدة ابن جدعان : ٩٢٩٣
ابن جدعان (على بن زيد بن جدعان) (عبد الرحمن بن محمد ابن زيد بن جدعان) (جدة ابن جدعان)
أبو جعفر (يزيد بن القعقاع المدنى) ص : ٢٩٦ تعليق : ١
أبو جعفر النحاس (محمد بن عبيد ابن محمد بن واقد) شيخ الطبرى : ٩١٨٠ ، ٩١٨١
أبو جعفر النفيلى (عبد الله بن محمد ابن على بن نفيل القضاعى)
ابن أبى جعفر (عبد الله بن أبى جعفر الرازى) :
جعفر بن الزبير الدمشقى : ٩٢٢٦
جعفر بن عمرو بن حريث : ٩٥١٩
جعفر بن عون بن عمرو بن حريث المخزومى : ٩٥٠٦
جعفر بن محمد الكوفى المروزى (شيخ الطبرى) : ٩٨٠٠
(أبو جهم بن الحارث (أبو جهيم) : ٩٦٦٨
أبو جهيم بن الحارث بن الصمة الأنصارى : ٩٦٦٨
ابن أبى الجوزاء (أحمد بن عثمان بن أبى عثمان النوفلى) شيخ الطبرى : ٩٠٠٣

* * *

حاتم بن بكر الضبى (. . . بن بكير) شيخ الطبرى : ٩٢٩٤
حاتم بن بكير الضبى (... بن بكر) شيخ الطبرى : ٩٢٩٤
الحارث الأعور (الحارث بن عبدالله الأعور الهمدانى)
الحارث بن عبد الله الأعور الهمدانى (الحارث الأعور) : ٨٧٣٦ — ٨٧٣٨
حبان بن موسى بن سوار السلمى : ٩٠٥٤ ، ٩٣٧٤
حبيب بن أبى ثابت (حبيب بن قيس بن دينار) (حبيب بن قيس بن هند) (حبيب بن هند) : ٩٠١٢ ، ٩٠٣٥
ابن حبيب بن أبى ثابت (عبد الله ابن حبيب) (عبيدالله بن حبيب) ، (عبد السلام بن حبيب) : ٩٠٣٥
حبيب بن قيس بن دينار (حبيب ابن أبى ثابت)
حبيب بن قيس بن هند (حبيب ابن أبى ثابت)
حبيب بن هند (حبيب بن أبى ثابت)
حجاج بن أرطاة : ٩٦٣١

أبو حريز (عبد الله بن الحسين الأزدى)
حسان بن ثابت الأنصارى : ٨٧٢٥
حسان بن فائد العبسى : ٩٧٦٦ ، ٩٧٦٧
الحسن بن زريق الطهوى (شيخ الطبرى) : ٩٣٥٨
الحسن بن شبيب بن راشد بن مطر (شيخ الطبرى) : ٩٦٤٢
الحسن بن عرفة العبدى البغدادى (شيخ الطبرى) : ٩٣٧٣
الحسن بن عطية بن نجيح الكوفى (ابن عطية) : ٨٩٦١ ، ٨٩٦٢
حسين المعلم (حسين بن ذكوان)
حسين بن ذكوان (حسين المعلم) : ٩٢٩٤
الحسين بن يزيد الطحان ، السبيعى ، ٩١٥٣
أبو حصين (عثمان بن عاصم بن حصين الأسدى)
حصين بن جندب الجنبى (أبو ظبيان) : ٩٧٤٥
حطان بن عبد الله الرقاشى : ٨٨٠٥ ، ٨٨٠٦ ، ٨٨٠٧ ، ٨٨١٠ ، ٨٨١١
أبو حفص (عمر بن المغيرة)
حفص بن بغيل الهمدانى : ٩٦٣٩
حفص بن عمر العدنى : ٩٨٧٥
الحكم بن بشير بن سلمان : ٩٦٤٦
الحكم بن عتيبة الكندى : ٨٧١٢ ، ٨٧١٦ ، ٩٦٥٧
حكيم بن جبير الأسدى : ٩٢٥٧
حكيم بن معاوية بن حيدة القشيرى : ٩٣٧٢
حماد بن أسامة بن زيد القرشى (أبو أسامة) : ٩٨٣٩
حماد بن مسعدة البصرى : ٩٠١٠
أبو حميد الحمصى (أحمد بن محمد ابن المغيرة بن سيار)
حميد بن عبد الرحمن الحميرى : ٨٧٧٠
حميد بن مسعدة : ٩٢٩٤
الحميدى (عبد الله بن الزبير بن عيسى الأسدى)
حمينة بنت أبى طلحة : ٨٩٤٠
أبو حوشب (؟؟) : ٩١٥٣
حيى بن أخطب : ٩٥٠١

• • •

خارجة بن مصعب بن خارجة الخراسانى : ٩٦٦٨
خالد الحذاء (خالد بن مهران) : ٨٩٨٣
أبو خالد الزنجى (مسلم بن خالد ابن فروة)
خالد الطحان (خالد بن عبدالله بن عبد الرحمن الواسطى)
خالد الواسطى (خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن)
خالد بن الحارث الهجيمى : ٩٨٧٨
خالد بن عبدالله بن عبدالرحمن الواسطى (خالد الطحان) : ٩١٤١ ، ٩٧٨٨
خالد بن معدان الكلاعى : ٩٢٢٤

خالد بن مهران (خالد الحذاء) : ٨٩٨٣
خالد بن أبي نوف السجستاني : ٨٩٠١
خالد بن يزيد الجمحي المصري : ٩١٨٥ ، ٩٥٠٧
خلاس بن عمرو الهجري : ٨٩٥١ ، ٨٩٥٢
أبو الخليل (صالح بن أبي مريم)

* * *

أبو داود الطيالسي : ٩٥٠٥
داود بن أبي هند : ٨٦٩٩
داود بن أبي عبد الله ، مولى بني هاشم : ٩٢٩٣
ابن الديلمي (عبد الله بن فيروز الديلمي)

* * *

ذر بن عبد الله المرهبي : ٩٦٥٧
ذكوان ، أبو عمر المدني ، حاجب عائشة : ٩٦٣٩

* * *

الربيع بن أنس البكري : ٩٧٣٠
الربيع بن بدر بن عمر بن جراد السعدي (عليلة) : ٩٦٣٧
الربيع بن سبرة الجهني : ٩٠٤٤
ربيعة الرأي (ربيعة بن أبي عبدالرحمن)
ربيعة بن أبي عبد الرحمن التيمي (ربيعة الرأي) : ٩٦٧٩
رديح بن عطية القرشي السامي : ٨٧٢٠
رزيق : ٩٦٣٧
رفاعة بن زيد بن التابوت : ٩٥٠١
أبو رهم (أحزاب بن أسيد السمعي)
أبو روق (عطية بن الحارث الهمداني)

* * *

زاذان الكندي الضرير : ٩٥٠٨
الزبير بن العوام : ٩٩١٢
أبو زرعة بن عمرو بن جرير البجلي : ٩١٦١
زكريا بن أبي زائدة الهمداني : ٩٢٩٥
ابن أبي الزناد (عبد الرحمن بن أبي الزناد)
الزنجي بن خالد (مسلم بن خالد ابن فروة)
زياد بن كليب (أبو معشر) : ٩٠٨٨
زياد بن مخراق المزني : ٩١٨٧
أبو زيد (عمر بن شبة)
زيد بن درهم (؟؟) (يزيد . . .) : ٩٨١١
زيد بن عبد السلولي : ٨٧٥٣
زينب السهمية (زينب بنت محمد ابن عبد الله بن عمرو بن العاص) : ٩٦٣١
زينب بنت محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص (زينب السهمية) : ٩٦٣١

* * *

أبو السائب (سلم بن جنادة)
سبرة بن معبد الجهني : ٩٠٤٤
ابن أبي السري (محمد بن المتوكل ابن عبد الرحمن)
أبو سعد الأرحبي (أبو سعيد) : ٨٧٠٠

سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف : ٩٢٩٥
سعد بن إياس (أبو عمر الشيبانى) : ٩٢٢٨
سعد بن عبد الحميد بن جعفر الأنصارى : ٩٢٢٥
سعد بن أبى وقاص : ٨٧٧٠ ، ٨٧٧٢ — ٨٧٧٥
أبو سعيد (أبو سعد الأرحبى) : ٨٧٠٠
سعيد بن بشير : ٩٦٣٢
سعيد بن جبير ص : ٣٢٦ ، تعليق : ١
سعيد بن أبى سعيد المقبرى : ٩٣٢٨
سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى (ابن أبزى) : ٩٦٥٦، ٩٦٥٧، ٩٦٧٢
سعيد بن عبد العزيز بن أبى يحيى التنوخى : ٨٩٦٦ ، ٩٠٧١
سعيد بن أبى عروبة : ٨٨٠٦ ، ٨٩٦٧ ، ٨٩٦٨ ، ٩٠٨٨
سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى : ٨٦٨١
أبو سفيان المعمرى (محمد بن حميد اليشكرى)
سفيان الثورى : ٩٢٣٦ ، ٩٤٥٦ ، ٩٦٧٢ ، ٩٨٥٨
سفيان بن عيينة : ٩٢٢٧ ، ٩٢٣٦، ٩٩١٤
سفيان بن وكيع بن الجراح : ٩٠٤٤، ٩٩٢٣
سلام بن سليم (أبو الأحوص) : ٩١٨٠ ، ٩١٨١
سلم بن جنادة (أبو السائب) : ٩٦٧١
سلم بن سلام (أبو المسيب الواسطى) : ٩١٨٨
سلم بن قتيبة (أبو قتيبة) : ٩٧١٤
سلمان الأغرّ ، أبو عبدالله المدنى : ٩٢٢٥
سلمة ، من ولد أم سلمة (سلمة ابن عبد الله بن عمر بن أبى سلمة)
أبو سلمة (؟؟) شيخ للطبرى : ٩١١٥
سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبى سلمة : ٩٩١٤
سلمة بن كهيل : ٩٦٧٢
سليم بن أخضر البصرى : ٩٦١٣
سليم بن عبد السلولى (سليم بن عبدالله) ٨٧٥٣ — ٨٧٥٩
سليم بن عبد الله السلولى (سليم بن عبد) : ٨٧٥٣ — ٨٧٥٩
سليمان الأحول (سليمان بن أبى مسلم الأحول)
سليمان التيمى : ٩٠١٠
سليمان بن ثابت الخراز الواسطى (شيخ الطبرى) : ٩١٨٨
سليمان بن أبى سليمان (أبو إسحق الشيبانى) : ٨٨٦٩
سليمان بن طرخان (أبو المعتمر التيمى) : ٨٧٨٩
سليمان بن عبد الجبار بن زريق الخياط : ٩٧٤٥

سليمان بن قرم بن معاذ (سليمان بن معاذ) : ٩١٦٣
سليمان بن أبي مسلم المكى الأحول (سليمان الأحول) : ٨٧٦٧
سليمان بن معاذ (سليمان بن قرم ابن معاذ) : ٩١٦٣
سماك بن الفضل الصنعانى : ٨٨٨٥
السميط (سميط بن عمير السدوسى)
سميط بن سمير السدوسى : ٨٧٤٨
سميط بن عمرو السدوسى : ٨٧٤٨
سميط بن عمير السدوسى : ٨٧٤٨
سهل بن أبي حثمة : ٩١٧٩
سهل بن موسى الرازى : ٩٤٨٢
سويد بن حجير بن بيان (أبو قزعة) : ٩٣٧٢
السيبانى (يحيى بن أبي عمرو السيبانى)

* * *

شبل بن عباد المكى : ٩٣٧٢
شبيب بن بشر : ٩٥٠٤
شعبة بن التوأم الضبى : ٩٢٩١ ، ٩٢٩٢
شعيب مولى ابن عباس (شعيب بن دينار الهاشمى)
شعيب بن دينار الهاشمى (شعيب مولى ابن عباس) : ٨٧٣٢
شقيق بن سلمة الأسدى (أبو وائل) : ٩٦٧١
شهاب بن عباد العبدى أبو عمر : ٩٦٣٢
شيبان النحوى (أبو معاوية) (شيبان ابن عبد الرحمن)
شيبان بن عبد الرحمن النحوى التميمى (أبو معاوية) : ٩٢٢٢، ٩٢٢٣، ٩٤٥٦

* * *

صالح المرى (صالح بن بشير بن وداع المرى)
صالح بن بشير بن وداع المرى (صالح المرى) : ٩٢٣٤
صالح بن أبي مريم (أبو الخليل) : ٨٩٦٧ -- ٨٩٧١
صدقة بن أبي سهل : ٩٥٠٨
الصلت بن بهرام التميمى : ٩٠٠٧
صهيب ، مولى العتوارى : ٩١٨٥
صيفى بن ربعى الأنصارى : ٩٦٧٠

* * *

ضباعة بنت الزبير : ٩٩٢٣
أبو الضحاك البصرى : ٩٨٣٨
الضحاك بن مخلد (أبو عاصم) : ٩٥٠٤

* * *

طارق بن شهاب الأحمسى : ٩٧٤٤
أبو الطفيل (عامر بن واثلة)
طيسلة بن على النهدى (طيسلة بن مياس) : ٩١٨٧ ، ٩١٨٨
طيسلة بن مياس (طيسلة بن على النهدى) : ٩١٨٧، ٩١٨٨

* * *

ظبية (؟؟) : ٩١٥٥
أبو ظبيان (حصين بن جندب)

* * *

أبو عاصم (الضحاك بن مخلد)

أبو العالية (إسماعيل بن الهيثم العبدى)
أبو عامر العقدى (عبد الملك بن عمرو)
عامر بن واثلة (أبو الطفيل) : ٩١٩٦
عباد بن أبى صالح ذكوان السمان (عبد الله بن أبى صالح) : ٩٥١٣
عباد بن عبد الله الأسدى : ٩٥٣٧
عباس بن جعفر بن عبد الله (عباس ابن أبى طالب) : ٩٣٧٢
العباس بن أبى سرية : ٩٦٣٧
عباس بن أبى طالب (عباس بن جعفر بن عبد الله) : ٩٢٢٥ ، ٩٣٧٢
عبد الجبار بن عمر الأيلى : ٩٠٥٧
عبد الحميد بن سنان : ٩١٨٩
عبد الرحمن (أخو حسان بن ثابت) : ٨٧٢٥
أبو عبد الرحمن الحبلى (عبد الله بن يزيد المعافرى)
عبد الرحمن بن أبزى : ٩٦٥٦
عبد الرحمن بن إسحق بن عبد الله بن الحارث بن كنانة العامرى : ٩٢٩٦ ، ٩٩١٣
عبد الرحمن بن البيلمانى (ابن البيلمانى) : ٨٨٨٥
عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله ابن عياش بن أبى ربيعة : ٩٢٩٩
عبد الرحمن بن أبى حماد : ٩٢٥٠
عبد الرحمن بن أبى الزناد (ابن أبى الزناد) : ٩٢٢٥
عبد الرحمن بن سعد بن عمار بن سعد القرظ : ٩٩٦١
عبد الرحمن بن صالح الأزدى العتكى : ٨٨٧٠
عبد الرحمن بن عبد الرحمن الأصغر ابن عمر بن الخطاب (مجبر) : ٩٧٣٠
عبد الرحمن بن غزوان (قراد) : ٨٩٣٨
عبد الرحمن بن القاسم : ٩٦٣٥ ، ٩٦٤١
عبد الرحمن محمد بن زيد بن جدعان (ابن جدعان) : ٩٢٩٣
عبد الرحمن بن مهدى : ٨٩٦١ ، ٨٩٦٢ ، ٩٦٧٢ ، ٩٨٣٨
عبد الرحمن بن هرمز (الأعرج) : ٩٦٦٨
عبد الرحمن بن يحيى (؟؟) : ٩٠١٤
عبد الرحمن بن يسار (؟؟) : ٩٦٦٨
عبد السلام بن حبيب بن أبى ثابت : ٩٠٣٥
عبد الكريم بن أبى المخارق : ٩٦٧٩
أبو عبد الله (أحمد بن عبدة الضبى)
عبد الله بن إدريس الأودى : ٩٢٧٥
عبد الله بن أبى جعفر الرازى : ٩٢٢٥ ، ٩٧٣٠
عبد الله بن حبيب بن أبى ثابت : ٩٠٣٥
عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدى السهمى : ٩٨٥٧

عبد الله بن الحسين الأزدى (أبو حريز) : ٩٢٥٠
عبد الله بن الزبير : ٩٩١٢ ، ٩٩١٣
عبد الله بن الزبير بن عيسى الأسدى (الحميدى) : ٩٩١٤
عبد الله بن السائب الكندى : ٩٥٠٩
عبد الله بن السرى المدائنى الأنطاكى : ١٠٠٤٤
عبد الله بن سعدان (؟؟) : ٩٢١٠
عبد الله بن سعيد بن يحمد (عبد الله ابن أبى السفر) : ٩١٥٠
عبدالله بن أبى السفر الهمدانى : ٩١٥٠
عبد الله بن سلمان الأغر : ٩٢٢٥
عبد الله بن أبى صالح ذكوان السمان (عباد بن أبى صالح) : ٩٥١٣
عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى (ابن أبزى) : ٩٦٧٢
عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق : ٨٦٨١
عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله بن أبى مليكة : ٩٢٩٣ ، ٩٦٣٩
عبد الله بن عثمان بن جبلة بن أبى رواد الأزدى (عبدان) : ٩٦٤٣
عبد الله بن عثمان بن خثيم : ٩٦٤٢
عبد الله بن عطاء (الطائفى) : ٩٦٦٨
عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم العمرى : ٩١٦٠
عبد الله بن عمير الرازى (شيخ الطبرى) : ٩٩١٤
عبد الله بن فيروز الديلمى (ابن الديلمى) : ٨٧٢٠
عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة الزهرى ، شيخ الطبرى : ٩٢٢٨
عبد الله بن محمد بن عروة (عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة بن الزبير)
عبد الله بن محمد بن على بن نفيل القضاعى (أبو جعفر النفيلى) : ٩٢٥٣ ، ٩٢٥٤
عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة ابن الزبير : ٩٨٧٦
عبد الله بن محمد بن يزيد الحنفى (أبو محمد) : ٩٦٤٣
عبد الله بن محيريز الجمحى : ٨٧٢٠
عبد الله بن مسلم بن هرمز : ٩٨٥٧ ، ٩٨٥٨
عبد الله بن معدان (؟؟) : ٩٢١٠
عبد الله بن ميسرة الكوفى (أبو ليلى) : ٩٢٥٠
عبد الله بن يزيد المعافرى (أبو عبد الرحمن الحبلى) : ٩٤٨٣
عبد الله بن يسار : ٩٦٦٨
عبد الملك بن سعيد بن حبان بن أبجر (ابن أبجر) : ٩١٩٦
عبد الملك بن عمرو (أبو عامر العقدى) : ٩٧٦٢
عبد الواحد بن واصل السدوسى (أبو عبيدة الحداد) : ٩٨٣٧
عبدان (عبد الله بن عثمان بن جبلة ابن أبى رواد الأزدى)
عبيد بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاص : ٩٦٥٧

أم عبيد بنت صخر : ٨٩٤٠
عبيد بن عمير بن قتادة بن سعيد الليثى : ٩١٨٠ ، ٩١٨١ ، ٩١٨٩
عبيد الله (؟؟) : ٩٨٠٠
عبيد الله بن حبيب بن أبى ثابت : ٩٠٣٥
عبيد الله بن سلمان الأغر : ٩٢٢٥
عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن ابن مسعود : ٩٦٧٠
عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم ابن عمر بن الخطاب : ٩١٦٠ ، ٩٦٣٥ ، ٩٨٧٧ ، ٩٨٧٨
عبيد الله بن محمد الفريابى ، شيخ الطبرى : ٩٢٢٧
عبيد الله بن موسى بن أبى المختار العبسى : ٩٢٢٣ ، ٩٤٥٦
أبو عبيدة الحداد (عبد الواحد بن واصل السدوسى)
عبيدة بن حميد بن صهيب التميمى : ٨٧٨٣
أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود : ٩٥٥٢
عتبة بن سعيد بن حبان بن الرحض السلمى (وجين) : ٨٩٦٦
أبو عثمان الأنصارى (عمرو بن سالم) : ٨٩٥٠
عثمان البتى (عثمان بن مسلم البصرى)
أبو عثمان المدائنى (هشام بن لاحق)
عثمان بن عاصم بن حصين الأسدى (أبو حصين) : ٨٩٦١، ٨٩٦٢
عثمان بن مسلم البصرى (عثمان البتى) : ٨٩٦٧ — ٨٩٧١
عروة المزنىّ : ٩٦٢٩ ، ٩٦٣٠
عروة بن الزبير : ٩٦٢٩ ، ٩٦٣٠، ٩٩١٢ ، ٩٩١٣
عزرة بن عبدالرحمن بن زرارة الخزاعى : ٩٠١٠ ، ٩٥٧٣ ، ٩٦٥٦
عطاء بن أبى رباح : ٩٦٣٢
ابن عطية (الحسن بن عطية بن نجيح)
عطية بن الحارث الهمدانى (أبو روق) : ٩٦٣٢
عطية بن سعد بن جنادة العوفى : ٩٥١١ ، ٩٧٦٢
عقبة بن أبى الصهباء : ٨٩٣٦
عكرمة بن خالد بن مسلمة بن العاص ابن هشام المخزومى : ٨٩٥٥
عكرمة بن خالد بن العاص بن هشام المخزومى : ٨٩٥٥
أبو العلاء (يزيد بن درهم)
أبو علقمة الهاشمى : ٨٩٦٧ — ٨٩٧١
على بن الحسن بن شقيق بن دينار : ٩٩٥١
على بن زيد بن جدعان (ابن جدعان) : ٩٢٩٣
على بن زيد بن عبد الله بن أبى مليكة : ٩٢٩٣
ابن علية (إسماعيل بن إبراهيم)
عليلة (الربيع بن بدر بن عمرو)
عمار بن ياسر (أبو اليقظان) : ٩٦٧٠

عمارة بن جوين (أبو هارون العبدى) : ٨٧٢٣
عمارة بن عبد السلولى : ٨٧٥٣
أبو عمر الشيبانى (سعد بن إياس)
عمر بن شاكر البصرى : ٩٦٨٢
عمر بن شبة (أبو زيد) : ٩٦٣٢
عمر بن عبد العزيز : ٨٧٢٠
عمر بن عبيد بن أبى أمية الطنافسى : ٨٩٧٩
عمر بن المغيرة (أبو حفص) : ٨٧٨٨
عمران بن حدير السدوسى : ٨٧٤٨
عمران بن داور القطان : ٩٥٠٥
عمران بن محمد الحداد : ٩٦٣٧
عمران بن موسى الصفار (القزاز) : ٨٦٨٣
أبو عمرو (؟؟) : ٩٥٠٨
أبو عمرو الأوزاعى : ٩٠٧١
أبو عمرو التيمى (؟؟) : ٨٧٨٩
عمرو بن بيذق (شيخ الطبرى) : ٩٤٧٩
عمرو بن جراد السعدى : ٩٦٣٧
عمرو بن حريث : ٩٥١٩
عمرو بن دينار : ٩٣٧٢
عمرو بن سالم (أبو عثمان الأنصارى) : ٨٩٥٠
عمرو بن سعيد القرشى : ٨٧٧٠
عمرو بن شرحبيل : ٩٢٢٨
عمرو بن عبد الله بن وهب (أبو معاوية النخعى) : ٩٢٢٨
عمرو بن أبى قيس الرازى : ٩٣٤٦
عمرو بن قيس الملائى : ٩٦٤٦
عمير مولى ابن عباس (عمير بن عبد الله الهلالى) : ٨٩٤٤ — ٨٩٤٦
عمير بن قتادة الليثى : ٩١٨٩
عيسى بن أبى إسحق (عيسى بن يونس بن أبى إسحق) : ٨٩٨٤
عيسى بن عبيد بن مالك المروزى الكندى : ٩٠٠٩
عيسى بن يونس بن أبى إسحق السبيعى (عيسى بن أبى إسحق) : ٨٩٨٤

* * *

غندر (محمد بن جعفر)

* * *

ابن أبى فديك (محمد بن إسماعيل ابن مسلم بن أبى فديك)
فرات القزاز (فرات بن أبى عبد الرحمن التيمى)
فرات بن أبى عبد الرحمن التيمى (فرات القزاز) : ٩٢٠٠
فراس بن يحيى الهمدانى : ٩٢٢٢ ، ٩٢٢٣
أبو الفضل كثير (كثير بن يسار الطفاوى)
الفضل بن سليم (أبو المنبه) : ٩٥٧٠
الفضل بن سليم العبدى : ٩٥٧٠

* * *

قابوس بن حصين بن جندب (قابوس بن أبى ظبيان) : ٩٧٤٥
قابوس بن أبى ظبيان الجنبى (قابوس ابن حصين بن جندب) : ٩٧٤٥

القاسم بن ربيعة بن قانف الثقفى : ٨٧٧٢ — ٨٧٧٥
القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله ابن مسعود : ٩٥١٩
القاسم بن عبد الله بن ربيعة بن قانف الثقفى : ٨٧٧٢ — ٨٧٧٥
أبو قتيبة (سلم بن قتيبة)
قراد (عبد الرحمن بن غزوان)
قرة بن خالد السدوسى : ٩٧٦٢
قريبة بنت عبد الله بن وهب بن زمعة : ٩٩٢٣
أبو قزعة (سويد بن جحير بن بيان)
أبو قلابة : ٩١٦٢
قيس بن سعد المكى ، مولى نافع ابن علقمة : ٩٤١٣
قيس بن مسلم الجدلى العدوانى : ٩٧٤٤

* * *

كبيشة بنت معن : ٨٨٧٣ ، ٨٩٤٠
كثير أبو الفضل (كثير بن يسار الطفاوى)
كثير بن يسار الطفاوى (أبو الفضل) : ٩٩٥٨
أم كجة : ٨٧٢٥
أبو كدينة (يحيى بن المهلب)
كردم بن زيد (كردم بن قيس) : ٩٥٠١
كردم بن قيس (كردم بن زيد) : ٩٥٠١
كريمة بنت المقداد : ٩٩٢٣

* * *

لاحق بن حميد (أبو مجلز) : ٩٠٠٩
الليث بن سعد : ٩٥٠٧
ليث بن أبى سليم : ٩٦٣٢
أبو ليلى (عبد الله بن ميسرة الكوفى)

* * *

المثنى بن الصباح الأنبارى : ٨٩٥٦
مجاهد : ٩٢٤١
مجبر (عبد الرحمن بن عبد الرحمن الأصغر بن عمر بن الخطاب)
أبو مجلز (لاحق بن حميد)
المجمر (نعيم بن عبد الله) : ٩١٨٥
محل بن محرز الضبىّ : ٩٦١٩
أبو محمد الحنفى (عبد الله بن محمد ابن يزيد) : ٩٦٤٣
محمد بن إسحق : ٩١٨٠ ، ٩١٨١
محمد بن إسماعيل الأحمسى : ٩١٥٥
محمد بن إسماعيل بن مسلم بن أبى فديك (ابن أبى فديك) : ٩٤٨٢ ، ٩٨٧٦
محمد بن أبى أمامة بن سهل بن حنيف : ٨٨٧٠
محمد بن جبير بن مطعم : ٩٢٩٦
محمد بن جعفر (غندر) : ٨٨١٠ ، ٨٩٧٣
محمد بن حميد اليشكرى (أبو سفيان المعمرى) : ٨٨٢٩
محمد بن خالد بن عثمة (محمد بن عثمة) : ٩٥٨٧
محمد بن رديح بن عطية : ٨٧٢٠
محمد بن سهل بن أبى حثمة : ٩١٧٩
محمد بن الصلت : ٩٧٤٥

محمد بن عبد الرحمن بن عبيد : ٩٢٨٩
محمد بن عبد الله المخرمى : ٨٩٣٨
محمد بن عبد الله الهلالى (شيخ الطبرى) : ٩٦٣٧
محمد بن عبيد الطنافسى : ٩١٥٥
محمد بن عبيد بن محمد بن واقد المحاربى (أبو جعفر النحاس) شيخ الطبرى : ٩١٨٠ ، ٩١٨١ ، ٩٥٠٩
محمد بن عثمة (محمد بن خالد بن عثمة) : ٩٥٨٧
محمد بن على بن الحسن بن شقيق : ٩٩٥١
محمد بن الفضل (أبو النعمان) : ٩١٤١
محمد بن قيس المدنى : ٨٨٤٨
محمد بن المتوكل بن عبد الرحمن (ابن أبى السرىّ) : ٩٢٢٤
محمد بن مسلم بن عثمان بن عبد الله الرازى (ابن وارة) : ٩٢٥٣ ، ٩٢٥٤
محمد بن مهزم الشعاب ، الرمام : ٩٢١٤
محمد بن هرون بن إبراهيم الربعى (شيخ الطبرى) : ٩٥١١
محمد بن يزيد الرفاعى (أبو هشام الرفاعى) : ٨٧٩٥
ابن محيريز (عبد الله بن محيريز)
مخيرق (مخيريق) ص : ٤٤٥ ، تعليق : ٥
مرزوق (أبو بكير التيمى) : ٩٤٥٨ ، ٩٤٦٧ ، ٩٤٦٨
المسعودى (معن بن عبد الرحمن)
المسعودى (يحيى بن إبراهيم) شيخ الطبرى .
مسلم الأعور (مسلم بن كيسان الضبى)
مسلم بن خالد بن فروة (الزنجى بن خالد) (أبو خالد الزنجى) : ٩٨٤٧
مسلم بن كيسان الضبى (مسلم الأعور) : ٩٦٧٣
أبو المسيب الواسطى (سلم بن سلام)
مصعب بن سعد بن أبى وقاص : ٩٨٤١
مطرف بن طريف الحارثى : ٨٩٠١
أبو معاوية (شيبان بن عبد الرحمن النحوى)
أبو معاوية النخعى (عمرو بن عبدالله ابن وهب)
أبو المعتمر التيمى (سليمان بن طرخان)
أبو معشر (زياد بن كليب)
معمر بن راشد : ٨٨٨٥
معن بن عبد الرحمن المسعودى : ٩٥١٩
مغيرة بن مقسم الضبى : ٩٢٩١ ، ٩٢٩٢
مقسم الضبى : ٩٢٩١ ، ٩٢٩٢
مقسم بن بجرة : ٨٧١٦
أبو مكين (نوح بن ربيعة الأنصارى)
ابن أبى مليكة (عبد الله بن عبيد الله ابن عبد الله بن أبى مليكة)

(على بن زيد بن عبد الله بن أبى مليكة) : ٩٦٣٦
أبو المنبه (الفضل بن سليم) : ٩٥٧٠
مندل بن على العنزى : ٩٦٣٢
منظور بن زبان بن سيار المازنى : ٨٩٤٠
مهزم (ضبطه) : ٩٢١٤
موسى بن عبد الرحمن المسروقى (شيخ الطبرى) : ٨٩٠٦
موسى بن عبيدة الربذى : ٨٩٠٦
موسى بن يعقوب بن عبد الله بن وهب بن زمعة بن الأسود : ٩٩٢٣
ميمون بن سنباذ : ٩٦٣٧

* * *

نافع بن أبى نافع : ٩٥٠١
النجدات : ٩١٨٧
نصر بن عبد الرحمن الأزدى : ٨٧٨٣
نصير بن أبى الأشعث العرداى الأسدى : ٩٠٣٥
أبو النضر الفراديسى (إسحق بن إبراهيم بن يزيد)
نضلة بن عبيد (أبو برزة الأسلمى) : ٩٨٩٦
أبو النعمان (محمد بن الفضل)
النعمان بن عبد الله بن مقرن (النعمان ابن مقرن)
النعمان بن عمرو بن مقرن (النعمان ابن مقرن)
النعمان بن مقرن (النعمان بن عمرو ابن مقرن) (النعمان بن عبد الله ابن مقرن) : ٩٠٨٩ ، ٩٠٩٠
نعيم بن حماد بن معاوية الخزاعى : ٩٦٦٨
نعيم بن عبد الله المجمر : ٩١٨٥
نوح بن ربيعة الأنصارى (أبو مكين) ٩٧٤٢ ، ٩٨٣٩
نوف الشامى (نوف بن فضالة الحميرى) : ٩٤٤٦ ، ٩٤٥٦

* * *

أبو هارون العبدى (عمارة بن جوين)
هارون بن عنترة : ٩٥٠٩
أبو هاشم المكى (إسماعيل بن كثير)
هانئ بن كلثوم بن عبد الله بن شريك الكنانى : ٨٧٢٠
أبو هشام الرفاعى (محمد بن يزيد)
هشام بن حسان القردوسى : ٩٨٣٧
هشام بن لاحق (أبو عثمان المدائنى) : ١٠٠٤٤
همام بن الحارث النخعى : ٩٠٨٩
الهيثم بن جماز البكاء : ٩٧٣٢
الهيثم بن رزيق : ٩٦٣٧

* * *

أبو وائل الأسدى (شقيق بن سلمة)
ابن وارة (محمد بن مسلم بن عثمان ابن عبد الله)
وجين (عتبة بن سعيد بن حبان بن الرحض السلمى)
وكيع (سفيان بن وكيع)
أبو الوليد (؟؟) : ٩٢١٠
الوليد بن مسلم الدمشقى : ٩٠٧١

* * *

يحيى بن إبراهيم بن أبى عبيدة المسعودى

(شيخ الطبرى) : ٨٨١١ ، ٩٧٤٤
يحيى بن أيوب بن أبى زرعة البجلى : ٩١٦١
يحيى بن سعيد الأنصارى : ٨٨٧٠
يحيى بن سعيد العطار : ٩٢٢٤
يحيى بن سعيد القطان : ٩١٦٠ ، ٩٨٧٧
يحيى بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاص : ٩٦٥٧
يحيى بن سعيد بن قيس الأنصارى : ٩٦٧٩
يحيى بن أبى عمرو السيبانى : ٨٧٢٠
يحيى بن عيسى الرملى : ٩٠٣٥
يحيى بن أبى كثير : ٩١٨٩
يحيى بن المهلب (أبو كدينة) : ٩٧٤٥
يحيى بن واضح الأنصارى (أبو تميلة) : ٩٠٠٩
يزيد بن درهم ، أبو العلاء العجمى : ٩٧٤٧ ، ٩٨١١
يزيد بن سنان الرهاوى : ٩٦٣٣
يزيد بن القعقاع المدنى المخزومى ، أبو جعفر : ص ٢٩٦ ، تعليق : ١
يزيد بن هرون : ٩٢٩٧ — ٩٢٩٩
يعقوب بن حميد : ٩٩١٤
يعلى بن مسلم بن هرمز المكى : ٩٨٥٧ ، ٩٨٥٨
يعلى بن نعمان : ٨٨٦٠
أبو اليقظان (عمار بن ياسر)
يوسف بن سلمان (شيخ الطبرى) : ٨٩٠٥
يوسف بن سليمان البصرى (؟؟) (يوسف بن سلمان)
يونس بن عبد الأعلى الصدفى المصرى : ٨٧٤٧

فهرس المصطلحات

الترجمة : ١٧٤

التصدير : ١٦٩

التفسير : ٦٧ ، ١٧٤ ، ٥٣٣

التوقيت : ٥٠

الخروج : ٥٠ ، ٦٧

الصفة (حرف الجر) : ٣١ ، ٢٧٣ ، ٥٦٠

ضمير (بمعنى : إضمار) : ٣٧٣

الكناية (الضمير) : ٥٢٨

المَصْدر (المفعول المطلق) : ٦٧ ، ١٣٧

المُصَدَّر (المفعول المطلق) : ١٦٩

الموقت : ٥٠

الوقوع : ٣١

مباحث العربية والنحو وغيرها

- « إذَن » من حكمها أن تنصب الأفعال المستقبلة ، إذا ابتدئ الكلام بها ، لأن معها « فاءاً » . ومن حكمها إذا دخل فيها بعض حروف العطف أن توجه إلى الابتداء بها مرة ، وإلى النقل عنها إلى غيرها أخرى : ٤٧٥
- « إلاّ » بمعنى « لكن » : ١٣٧ ، ١٥٢
- « أن » المعاقبة بينها وبين « كى » و « لام كى » ، ووضع كل واحدة منهن موضع كل واحدة من أختها مع « أردت » و « أمرت » ، مثل : « أمرتك أن تذهب ، ولتذهب » : ٢١٠
- « أن » و « كى » يجوز أن تجعل إحداهما مكان الأخرى فى الأماكن التى لا يصحب جالبَ ذلك ماض من الأفعال ، أو غير المستقبل . فأما ما صحبه ماض من الأفعال وغير المستقبل ، فلا يجوز ذلك . لا يجوز عندهم أن يقال : « ظننت ليقوم » ولا « أظنّ ليقوم » بمعنى : أظنّ أن يقوم ، لأن « أن » التى تدخل مع « الظنّ » تكون مع الماضى من الفعل ، ومع المستقبل ، ومع الأسماء : ٢١١ ، ٢١٢
- « أن » و « لكى » ، الجمع بينهما فى قوله :

أَرَدْتُ لِكَيْمَا أَنْ تَطِيرَ بِقِرْبَتِى فَتَتْرُكَهَا شَنًّا بِبَيْدَاءَ بَلْقَعِ

فجمع بينهن ، لاتفاق معانيهما ، واختلاف ألفاظهنّ : ٢١٠ ، ٢١١
- « أينما » بمعنى « حيثما » : ٥٥١
- « أىّ » تعرب فيبنى فيها الإعراب ، فلا تخرج معها « من » : ٥٦٠
- « الباء » ، إدخالها وطرحها من الكلام ، نحو « أتيت أمراً عظيما » ، و « أتيت بأمر عظيم » ، و « تكلمت كلاماً قبيحاً » و « بكلام قبيح » : ٨١

- « بئس » و « ساء » : ٣٥٨
- « التاء » و « الطاء » متقاربا المخرج ، يدغم أحدهما فى الآخر : ٥٦٦
- « ساء » و « بئس » : ٣٥٨
- « عسى » ، هى من الله واجبة : ٥٧٩
- « غير » و « لا » النافية ، الجمع بينهما فى الكلام للتوكيد : ٢١١
- « كان » ، جعلها مستغنية عن الخبر نحو ، « وقع » : ٥٨
- « كان » تامة : لا حاجة بها إلى خبر : ٢١٩ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦
- « كى » و « أن » الجمع بينها : ٢١٠ ، ٢١١
- « كى » المعاقبة بينها وبين « لام كى » و « أن » ، ووضع كل واحدة منهن موضع كل واحدة من أختها مع « أردت » و « أمرت » مثل : « أمرتك أن تذهب ، ولتذهب » : ٢١٠ ، ٢١١
- « لام كى » المعاقبة بينها وبين « كى » و « أن » ، ووضع كل واحدة منهن موضع كان واحدة من أختها مع « أردت » و « أمرو » مثل : « أمرتك أن تذهب ، ولتذهب » : ٢١٠ ، ٢١١
- « لا » النافية ، و « غير » ، الجمع بينهما فى قوله :

قَدْ يَكْسِبُ الْمَالَ الْهِدانُ الجَافِى بِغَيْرِ لاَ عَصْفٍ وَلاَ اصْطِرَافِ

توكيداً اللنفى : ٢١١

- « ما » بمعنى المصدر : ٢٩٣ ، ٢٩٦
- « ما » فى كلام العرب لغير بنى آدم : ١٣٧
- « ما » بمعنى المصدر : ١٣٧
- « ما » بمنزلة « من » ، تدخل « الفاء » فى خبرها ، نحو : « ما أصابك من حسنة فمن الله » : ٥٦٠

* « ما » حرف جزاء : ٥٦٠

* « ماذا » بمعنى أى شىء: ٣٥٩

* « مَنْ » لبنى آدم : ١٣٨

* « مِن » تحسن فى النفى ، نحو : « ما جاءنى من أحد » : ٥٦٠

* « مِن » تدخل مع « مَن » إذا كانت جزاء، فتقول العرب : « مَن يزرك مِن أحد فتكرمه »، كما تقول : « إن يزرك من أحد فتكرمه » : ٥٦٠

* « نِعْمَ » لا تقع إلاّ على اسم فيه « ألف ولام » ، أو على نكرة : ٥٣٣

* * *

* « فاعل » صرفه إلى « فعيل » مثل « خابر » و « خبير » : ١٤٧

* « فعل » بمعنى الفعل الماضى : ٥٦٠

* « فعيل » و « فعيلة » صرفهما عن « مفعول » و « مفعولة » نحو « خضيب» ، عن « مخضوب » : ٣٠ ، ١٤٧ ، ٤٨٣

* « فعيل » مصروفاً عن « فاعل » مثل « خابر » و « خبير » ، و « شاهد » و « شهيد » : ١٤٧

* « مفعل » المصدر الميمى من « أفعل » ، فتح ميمه وضمها، مثل « مَصبَح » و « مُصبَح » : ٢٥٨ ، ٢٥٩

* « فِعِّيل » مثل « شرِّيب » و « سكِّير » ، بمعنى الإدمان على ذلك ، وذلك لأن « الفعيل » فى كلام العرب إنما يأتى — إذا كان مأخوذاً من الفعل — بمعنى المبالغة فى المدح أو الذم ، مثل : « سكير » و « صديق » : ٥٣٠ — ٥٣٢

* « مفعول » ، و « مفعولة » صرفهما إلى « فعيل » و « فعيلة » ، مثل « ربيبة » و « ربيب » : ٣٠ ، ١٤٧

* * *

* الواحد يدل على جنسه : ٨٣

- لا تستجيز العرب فى كلامها أن يقال : « أخواك قاموا » ، فيخرج لفظ للخبر عن الجميع ، خبراً عن « الأخوين » ، وهما بلفظ الاثنين ، لأن كل ما جرى به الكلام على ألسنتهم معروفاً عندهم بمثال وصورة ، إذا غيره مغير عما عرفوه فيهم ، نكروه . فكذلك « الأخوان » وإن كانا مجموعين ضم أحدهما إلى صاحبه ، فلهما مثال فى المنطق وصورة ، غير مثال الثلاثة منهم فصاعداً وصورتهم ، فغير جائز أن يغير أحدهما إلى الآخر إلاّ بمعنى مفهوم : ٤٣ ، ٤٤

- « الاثنان » أقل الجمع : ٤٣

- « الجمع » الإخبار به عن « المثنى » ، نحو : « ضربت من عبد الله وعمرو رؤوسهما ، وأوجعت ظهورهما » ، وهو المستفيض المنتشر فى كلام العرب ، وإن كان مقولا : « أوجعت ظهريهما » : ٤١ — ٤٢

- كل ما كان فى الإنسان واحداً ، إذا ضم إلى الواحد منه آخر من إنسان آخر ، فصارا اثنين من اثنين ، فالأفصح الأشهر فى كلام العرب ، أن تخرجه بلفظ الجميع نحو : « إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما » : ٤٢ ، ٤٣

- من شأن العرب التأليف بين الكلامين يتقارب معناهما ، وإن اختلف معناهما : ٤١

- الاستثناء المنقطع : ١٣٦ ، ١٣٧

- « الإغراء » العرب لا تكاد تنصب بالحرف الذى تغرى به ، إذا أخرت الإغراء ، وقدمت المغرى به . لا تكاد تقول : « أخاك عليك ، وأباك دونك » ، وإن كان جائزاً : ١٧١

- « الفاعل » ، لا تحذفه العرب مع المصادر ، من أجل أن الفاعل إذا حذف معها ، لم يكن للفعل صاحب معروف : ٢٩٧

- عطف صفة على صفة لموصوف واحد ، وأن الأفصح فى كلام العرب ترك ، إدخال « الواو » . فإذا أريد بالثانى وصف آخر غير الأول ، أدخلت الواو : ٣٥٧

- إذا أرادت العرب البيان عن الوعيد على فعل ، أو الوعد عليه ، أخرجت أسماء أهله بذكر الجميع أو الواحد ، ولا تخرجها بذكر اثنين ، فتقول : « الذين يفعلون كذا فلهم كذا » ، « والذى يفعل كذا فله كذا » ، ولا تقول : « اللذان يفعلان كذا فلهما كذا » إلا أن يكون فعلا لا يكون إلا من شخصين مختلفين ، كالزنا ، لا يكون إلاّ من زان وزانية : ٨٣

- ولا يعرف فى كلامها أن يذكر بذكر الاثنين ، والمراد بذلك شخصان فى فعل قد ينفرد كل واحد منهما به ، أو فى فعل لا يكونان مشتركين فيه : ٨٣

- إلحاق معنى بعض الكلام ببعض ، أولى — ما دام الكلام متسقة معانيه على سياق واحد ، إلاّ أن تأتى دلالة على انقطاع بعض ذلك عن بعض ، فيعدل به عن معنى ما قبله : ٥٢٤ ، ٥٢٥

• • •

- توجيه كلام الله إلى الأفصح الأشهر من كلام من نزل بلسانه كتابه ، أولى بنا من توجيهه إلى الأنكر من كلامهم : ٣٥٧

- كلام الله الذى خوطب به العرب ، غير جائز توجيهه إلاّ إلى المعروف المستعمل فيهم من معانيه ، إلاّ أن تأتى دلالة أو تقوم حجة على أن ذلك بخلاف ذلك ، يجب التسليم لها : ٤٨٢

- غير جائز أن نحمل معانى كتاب الله على غير الأغلب المفهوم بالظاهر من الخطاب فى كلام العرب ، ولنا إلى حمل ذلك على الأغلب من كلام العرب سبيل : ٥٧٨ .

فهـــــرس التفسير

٣ تصدير الجزء الثامن .

٧ تفسير قوله تعالى : « وإذا حضر القسمة أولو القربى . . » .

٧ القول بأن الآية محكمة .

٩ القول بأنها منسوخة .

١٠ القول بأنها محكمة من وجه آخر .

١٢ ترجيح أبى جعفر أنها محكمة غير منسوخة .

١٢ « النسخ » وأحكامه ، ورد أبى جعفر على من قال إنها منسوخة .

١٤ اختلاف القائلين بأنها محكمة .

١٩ الوصية عند حضور الموت .

٢٧ حديث صفة الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً ، فى ليلة الإسراء .

٣١ خبر أم كحجة ، وأن أهل الجاهلية كانوا لا يورثون الجوارى ولا الصغار والغلمان .

٣٣ خبر جابر بن عبد الله ونزول آية الفرائض .

٣٩ اختلاف أهل التأويل فى عدد الإخوة فى قوله : « فإن كان له إخوة » .

٥٣ تفسير « الكلالة » ، والأخبار فى ذلك .

٦٠ خبر سعد بن أبى وقاص فى الوصية .

٦٥ خبر : « الضرار فى الوصية من الكبائر » .

٧٢ تخليد من عصى الله ورسوله فى قسمة الميراث فى النار .

٧٣ حدّ الزانى والزانية .

٧٦ حديث : « الثيب بالثيب ، تجلد مئة وترجم بالحجارة ، والبكر جلد مئة ونفى سنة » .

٨٤ معنى أذى الزانيين .

٨٦ نسخ أذى الزانيين بالحدود .

٨٩ معنى « الجهالة » فى قوله ، « للذين يعملون السوء بجهالة » .

٩٤ التوبة قبل الموت ، والأخبار فى ذلك .

٩٨ التوبة عند حضور الموت ، والأخبار فى ذلك .

١٠٣ معنى وارثة النساء كرهاً .

١٠٥ كان أهل الجاهلية إذا مات أبو الرجل ، تزوج امرأته ، أو عضلها ، والأخبار فى ذلك .

١١٢ معنى « عضل النساء » ، والمراد بذلك أولياؤهن .

١١٣ معنى « عضل النساء » ، والمراد بذلك أزواجهن قبل فراقهم إياهن .

١١٥ « الفاحشة المبينة » وأنها الزنا .

١١٦ « الفاحشة المبينة » وأنها النشوز .

١١٨ رأى أبى جعفر فى معنى « الفاحشة المبينة » .

١١٨ حديث : « اتقوا الله فى النساء . . . وإن لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه » ، وذلك فى حجة الوداع .

١٢٧ « الميثاق الغليظ » فى أمر النساء ، والأخبار فى ذلك .

١٣٠ الاختلاف فى آية : « وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض» ، أهى محكمة منسوخة .

١٣١ ترجيح أبى جعفر أنها محكمة .

١٣١ « النسخ » وأحكامه .

١٣٢ آية : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء » ، ونكاح أهل الجاهلية نساء آبائهم ، والآثار فى ذلك .

١٣٩ قول أبى جعفر أن معناها : ولا تنكحوا مناكح آبائكم فى الجاهلية — والتعليق على ذلك .

١٤١ بيان ما حرّم من المناكح .

١٤٣ الاختلاف فى نكاح أمهات نسائنا اللواتى لم يدخل بهن أزواجهن ، وإجماع أهل العلم على أنهن من « المبهمات » .

١٤٤ روى عن بعض المتقدمين أنه حلال نكاح أمهات نسائنا اللواتى لم ندخل بهن ، وأنّ حكمهن فى ذلك حكم الربائب .

١٥١ الاختلاف فى معنى « المحصنات » . قول من قال : هنّ ذوات الأزواج غير المسبيات ، و « ملك اليمين » هن السبايا .

١٥٢ خبر أبى سعيد الخدرى فى سبايا جيش أوطاس .

١٥٥ « المحصنات » كل ذات زوج من النساء ، حرام على غير أزواجهن ، إلاّ أن تكون مملوكة اشتراها مشتر من مولاها ، ويبطل بيع سيدها نكاح زوجها .

١٥٦ خبر : « بيع الأمة طلاقها » .

١٥٨ « المحصنات » العفائف .

١٦٠ « المحصنات » العفائف من المسلمين وأهل الكتاب .

١٦٠ « المحصنات » ذوات الأزواج ، غير أن الذى حرم منهن ، الزنا بهن .

١٦٣ « المحصنات » ، هن نساء أهل الكتاب .

١٦٣ « المحصنات » هن الحرائر .

١٦٤ « المحصنات » هن العفائف وذوات الأزواج .

١٦٤ أن الآية نزلت فى نساء كنّ بها جرن إلى رسول الله ولهن أزواج ، فيزوجهن بعض المسلمين ، ثم يقدم أزواجهن مهاجرين ، فنهى المسلمين عن نكاحهم .

١٦٦ ترجيح أبى جعفر فى معنى « المحصنات » .

١٦٧ « السفاح » لم يحله الله من حرة ولا أمة ، ولا مسلمة ولا كافرة مشركة .

١٦٧ الأمة التى لها زوج ، لا تحل لمالكها إلا بعد طلاق زوجها إياها أو وفاته ، وانقضاء عدتها منه .

١٦٧ بيع الأمة وعتقها ، لا يحدث لها طلاقاً .

١٦٧ فرق ما بين « العتق » و « البيع » .

١٦٩ بيان معنى حديث أبى سعيد فى سبايا أوطاس ، وكيف كان نكاحهن .

١٧٦ نكاح المتعة .

١٨٤ إجماع الجميع على أن الله لم يحرم شيئاً من الأشياء — سوى نكاح الإماء لواجد الطول إلى الحرة — فأحل ما حرّم من ذلك عند غلبة المحرم عليه له ، لقضاء لذة .

١٨٦ « المحصنات » الحرائر .

١٨٨ اختلاف أهل العلم فى نكاح الفتيات غير المؤمنات .

١٩٦ خبر الأمة إذا زنت ، وما وجب عليها من الحد .

١٩٩ إحصان الأمة إسلامها .

٢٠٠ إحصان الأمة زواجها .

٢١٦ النهى عن أكل أموالنا بيننا بالباطل .

٢٢٢ حديث : « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا » .

٢٣٣ الاختلاف فى معنى « الكبائر » .

٢٣٣ « الكبائر » من أول سورة النساء إلى رأس الثلاثين منها .

٢٣٥ « الكبائر » سبع .

٢٣٩ « الكبائر » تسع .

٢٤٢ « الكبائر » أربع .

٢٤٤ « الكبائر » كل ما نهى الله عنه فهو « كبيرة » .

٢٤٦ « الكبائر » ، ثلاث .

٢٤٦ « الكبائر » : كل موجبة ، وكل ما أوعد الله أهله عليه النار ، فهو كبيرة .

٢٤٧ مقالة أبى جعفر فى « الكبائر » ، وحديث « الكبائر » .

٢٥٤ حديث عبد الله بن عمرو ، وأن ناساً بمصر قالوا : « نرى أشياء من كتاب الله ، أمر أن يعمل بها ، لا يعمل بها » ، وارتفاعهم فى ذلك إلى عمر بن الخطاب .

٢٦٠ تمنى النساء منازل الرجال ، والنهى عن ذلك .

٢٧٢ معاقدة ايمين ، وكيف كان فى الجاهلية .

٢٨١ خبر : « لا حلف فى الإسلام ، وما كان من حلف فى الجاهلية ، فلم يزده الإسلام إلا شدة » .

٢٩٠ « الرجال قوّامون على النساء » .

٢٩٨ النشوز ، وكيف عظة الناشز .

٣٠٢ معنى الهجر فى المضاجع .

٣١٢ رأى أبى جعفر فى معنى الهجر فى المضاجع ، وغرابته ، وردّ ابن عربى عليه فى التعليق .

٣١٨ الاختلاف فى أمر الحكمين فى الشقاق بين الرجل وامرأته .

٣١٩ المأمور بإرسال الحكمين ، هو السلطان .

٣٢٠ المأمور بذلك الرجل والمرأة .

٣٢٠ الاختلاف فيما يجوز للحكمين ، وكيف وجه بعثهما .

٣٢٨ مقالة أبى جعفر فى أمر بعثة الحكمين ، وما يجوز لهما .

٣٥١ كتمان اليهود اسم محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ، وهم يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل .

٣٦١ حديث : « إن الله لا يظلم المؤمن حسنة » .

٣٦١ حديث مناشدة المؤمنين ربهم يوم القيامة فى إخوانهم الذين كانوا يصلون معهم وقد أخذتهم النار .

٣٧٠ حديث قراءة ابن مسعود القرآن على رسول الله ، وبكاؤه لما قرأ : « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً » .

٣٧٥ الاختلاف فى معنى « السكر » الذى عناه الله بقوله: « لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى » ، وقول من قال: هو سكر الشراب .

٣٧٧ قول من قال: هو سكر النوم .

٣٧٨ مقالة أبى جعفر فى ترجيح أنه سكر الشراب .

٣٧٨ فرق ما بين السكران والمجنون فى زوال عقله .

٣٨٢ الجنب يمرّ فى المسجد ولا يجلس فيه .

٣٨٥ الرخصة للمريض والمسافر فى التيمم .

٣٨٩ الاختلاف فى معنى ملامسة النساء .

٣٩٧ حديث أن رسول الله كان يقبل ولا يتوضأ .

٤٠٠ نزول آية التيمم فى سبب عائشة لما فقدت قلادتها .

٤٠٢ حديث صفة التيمم .

٤٠٩ ما يجزى من الصعيد فى التيمم .

٤١٠ حديث صفة التيمم ، وحدّ المسح ، والاختلاف فيه .

٤٢٠ اختلاف أهل التأويل فى الجنب ، هل هو ممن دخل فى رخصة التيمم أم لا؟

٤٣٠ تحريف اليهود الكلم عن مواضعه .

٤٤٥ خبر جماعة آمنت من اليهود .

٤٤٦ خبر إسلام كعب الأحبار .

٤٥٠ كل صاحب كبيرة فى مشيئة الله ، إن شاء عفا ، وإن شاء عاقب ، ما لم تكن كبيرته شركاً .

٤٥٢ تزكية اليهود أنفسهم .

٤٥٣ تقديم اليهود أطفالهم لإمامتهم فى صلاتهم ، زعماً منهم أنهم لا ذنوب لهم .

٤٦١ اختلاف المختلفين فى معنى « الجبت » و « الطاغوت » .

٤٦٦ مقالة اليهود أن الذين كفروا أهدى من الذين آمنوا .

٤٧٧ حسد اليهود محمداً صلى الله عليه وأصحابه على ما آتاهم الله من فضله .

٤٨٥ صفة تبديل جلود أهل النار .

٤٩٠ تأدية الأمانات إلى أهلها .

٤٩١ خبر عثمان بن طلحة ، ودفع رسول الله له مفتاح الكعبة .

٤٩٦ اختلاف أهل التأويل فى « أولى الأمر » .

٤٩٧ « أولو الأمر » هم الأمراء .

٤٩٨ خبر سرية لخالد بن الوليد .

٤٩٩ « أولو الأمر » هم أهل العلم والفقه .

٥٠١ « أولو الأمر » هم أصحاب رسول الله .

٥٠١ « أولو الأمر » هم أبو بكر وعمر .

٥٠٢ ترجيح أبى جعفر أنهم هم الأمراء والولاة .

٥٠٢ حديث : « سيليكم بعدى ولاة ، فيليكم البرّ ببرّه ، والفاجر بفجوره »

٥٠٣ حديث : « على المرء المسلم الطاعة فيما أحب وكره . . . » .

٥٠٧ خبر الذين تحاكموا إلى الطاغوت ، وبيان معنى « الطاغوت » .

٥١٩ خبر الزبير بن العوام وخصمٍ له من الأنصار فى شراج الحرّة .

٥٣٠ الاختلاف فى معنى « الصديقين » .

٥٣٤ خبر حزن المسلمين مخافة فقد رسول الله ، وحذرهم أن لا يروه فى الآخرة .

٥٤٥ خبر الرجل الذى خرج من القرية الظالمة إلى القرية الصالحة ، فأدركه الموت فى الطريق .

٥٥٢ خبر الجارية التى قيل فيها إنها لا تموت حتى تبغى بمئة ، ويتزوجها أجيرها ، ويكون موتها بالعنكبوت .

٥٨٦ ردّ التحية بأحسن منها أو بمثلها ، والأخبار فى ذلك .

تم إيداع هذا المصنف بدار الكتب والوثائق القومية
تحت رقم ٤٥٥٣ / ١٩٧١

تراث الإسلام

تفسير الطبري

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ - ٣١٠ هـ

٩

حققه وعلق حواشيه
محمود محمد شاكر

راجعه وخرج أحاديثه
أحمد محمد شاكر

الطبعة الثانية

الناشر
مكتبة ابن تيمية
القاهرة ت ٨٦٤٢٤٠

تفسير الطبري

الجزء التاسع

فيه

تفسير سورة النساء

من ٨٨ — ١٧٦

وتفسير سورة المائدة

من ١ — ٥

والآثار من ١٠٠٤٩ — ١١٢٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدُك اللهمَّ حَمْدَ المستغنِي بنعمتِك عن إنْعَام خلقِكَ ، وأستغفرُك استغفارَ الخائفِ من عُقوبتِك دون عقوبة عَبيدِك ، وأُسْلِمُ وَجْهِي إليك متذلِّلاً لطاعتك ، مذعنًا لأمرك ، ضَارعًا لعزتك ، خاشعاً مُخْبِتاً من خشيتك ، فأنت ربِّى لا شريكَ لكَ فى مُلْكِك ، ولا نِدَّ لك فى سلطانك . وأعوذ بك اللهمَّ من فِتْنة المَحْيَى والماتِ ، ومن فتنة القَبْر ، ومن فِتنة المسيحِ الدَّجّال = معاذًا تجعَلُه لى عِصْمةً من عَذَابك ، وسبباً إلى ابتغاء مَرْضاتِك ، وهُدًى إلى سبيل الحقّ الذى ابتَعَثْتَ به نبيَّك محمَّدًا صلى الله عليه وسلم .

اللهمّ هذه معاصينَا نشهَدُ بها على أنفسِنَا شهادةَ حقّ طلباً لمغفرتك ، فاحملنا على سَوَاء السبيل بهدايتك ، فإنه لا يَهْدى إلى الخير إلّا أنتَ ، وأَقِلْ عَثراتِنا فى ظُلْم أنفسِنا ، فإنه لا يُقِيل عَثَرَات خَلْقِكَ إلّا أنتَ ، وأَمْسِك على ألسنة الضَّلَالة بقدْرتك ، فإنه لا يكُفُّ غَرْبَ الألسنة الضَّالة إلّا أنت .

اللهمَّ انزع من قلوبنا الغِشّ لأهل دِينك ، فقد أُلقِينَا فى زمانٍ قَلَّما تَتَورَّع فيه صدورُ كبرائه عن غِشّ من أصارَهم الله ربُّنا لَهُم رعِيَّة ، وبذنوبنا سَلَّطتَ علينَا مَنْ مَرِجَتْ عُهُودُهم ، وأطبقتِ الغِشَاوَة على أفئدتهم . وأنت وحدَك المسئولُ أن تتداركنا برحمتك وعصمتك .

اللهُمَّ أَطْلِق ألسنتنا بالحقّ ، وَأَعقِلْها عن الباطِلِ ، وأَحفَظْنا أن نقول ما لا نَفعل ، فقد نُزِّل علينَا فى الكتابِ أَنْ قد كَبُر مَقْتاً عندك أن يقولَ المؤمنون بك ما لا يفعلون . وقد جِئنا على زمانٍ سادَ فيه من يقولُ ما لا يفعَل ، فلا تُخْلِنَا ربَّنَا من وَازعٍ يَنْهانا عن خلاف طاعتك إلى مُقَارفَة مَقْتِك .

اللهُمَّ نَجِّنا من فِتْنة المحامِدِ وحُبِّها ، فى زمان غلَب على ذوى سلطانه أن يحبُّوا الحمدَ بما لم يفعلُوا ، فكذَبُوا على عبادك ، واستجلبوا الثناء لأنفُسِهم بما ناقضته أعمالُهمْ ، فاستوعَبُوا إليه وإلينا غِشَّ الصُّدور ، واستطلقُوا لنا الألسنة مُتَبَجِّحةً بما لم تفْعل ، وصرفَهُم حَمْدُ الناس بما لم يَفْعَلُوا عن إتيان ما فيه رضاكَ .

اللهُمَّ هذه أُمَّتك قد أَخْليتَ بينها وبَيْنَ عَدُوِّها وعَدُوِّك ، فنسألُك بجَبَرُوتِك الذى لا يُغالبُه جَبَروتٌ ، وبغفرانِك الذى لا يدانيه غفرانٌ ، وبرحمتك السابغة التى وسعت كُلَّ شىءٍ : أنْ تتغمَّد عِصيانَ عاصيها لطَاعةِ مُطِيعِها ، لا يغفر الذنوب إلا أنت ، ولك العُتْبَى حتى ترضَى ، يا من بيده ملكوت السموات والأرضِ ؟

محمود محمد شاكر

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « فما لكم فى المنافقين فئتين »، فما شأنكم، أيها المؤمنون، فى أهل النفاق فئتين مختلفتين[1] = « والله أركسهم بما كسبوا »، يعنى بذلك : والله ردّهم إلى أحكام أهل الشرك ، فى إباحة دمائهم وسَبْى ذراريهم .

* * *

و « الإركاس » ، الردُّ ، ومنه قول أمية بن أبى الصلت :

فَأُرْكِسُوا فِي جَحِيمِ النَّارِ، إِنَّهُمُ ... كَانُوا عُصَاةً وَقَالُوا الإِفْكَ وَالزُّورَا[2]

يقال منه : « أرْكَسهم » و « رَكَسَهم » .

* * *

وقد ذكر أنها فى قراءة عبد الله وأبى : ﴿ وَاللَّهُ رَكَسَهُمْ ﴾ ، بغير « ألف ».[3]

* * *

---

(١) انظر تفسير « فئة » فيما سلف ٥ : ٣٥٢ ، ٦/٣٥٣ : ٢٣٠ .

(٢) ديوانه : ٣٦ ، وليس هذا البيت بنصه هذا فى الديوان ، بل جاء فى شعر من بحر آخر ، هو :

أُرْكِسُوا فِي جَهَنَّمٍ ، أَنَّهُمْ كَانُوا ... عُتَاةً تَقُولُ إِفْكاً وَزُورَا

ولم أجده برواية أبى جعفر فى مكان آخر .

(٣) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٨١ = ثم انظر تفسير « أركسهم » فيما يلى ص: ١٥، ١٦

واختلف أهل التأويل فى الذين نزلت فيهم هذه الآية .

فقال بعضهم : نزلت فى اختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الذين تخلّفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وانصرفوا إلى المدينة ، وقالوا لرسول الله عليه السلام ولأصحابه: ﴿ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لَاتَّبَعْنَاكُمْ ﴾ [سورة آل عمران: ١٦٧].

• ذكر من قال ذلك :

١٠٠٤٩ – حدثنى الفضل بن زياد الواسطى قال، حدثنا أبو داود ، عن شعبة ، عن عدى بن ثابت قال : سمعت عبد الله بن يزيد الأنصارى يحدّث ، عن زيد بن ثابت : أن النبى صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى أحد ، رجعت طائفة ممن كان معه ، فكان أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم فيهم فرقتين ، فرقة تقول : « نقتلهم »، وفرقة تقول : « لا » . فنزلت هذه الآية : « فما لكم فى المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا » الآية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المدينة : إنها طَيْبَة ، وإنها تَنْفى خَبَثَها كما تنفى النار خبثَ الفِضَّة . (١)

١٠٠٥٠ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو أسامة قال ، حدثنا شعبة، عن عدى بن ثابت ، عن عبد الله بن يزيد ، عن زيد بن ثابت قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه . (٢)

١٠٠٥١ – حدثنى زريق بن السخت قال، حدثنا شبابة ، عن عدى بن ثابت ، عن عبد الله بن يزيد ، عن زيد بن ثابت قال : ذكروا المنافقين عند النبى صلى الله عليه وسلم، فقال فريق : « نقتلهم »، وقال فريق: « لا نقتلهم ». فأنزل

---

(١) الحديث : ١٠٠٤٩ – الفضل بن زياد الواسطى : لا أدرى من هو ؟ والترجمة الوحيدة التى وجدتها بهذا الاسم هى « الفضل بن زياد الطساس البغدادى » . وهو من هذه الطبقة . فلعله هو . مترجم فى الجرح ٣/٢/٦٢ . وتاريخ بغداد ١٢ : ٣٦٠ . وله ترجمة غير محررة ، فى لسان الميزان ٤ : ٤٤١ .

أبو داود : هو الطيالسى .

وقد روى الطبرى هذا الحديث بثلاثة أسانيد ، سيأتى تخريجه فى آخرها ، إن شاء الله .

(٢) الحديث : ١٠٠٥٠ – أبو أسامة : هو حماد بن أسامة .

الله تبارك وتعالى : « فما لكم فى المنافقين فئتين » إلى آخر الآية .(١)

* * *

وقال آخرون : بل نزلت فى اختلاف كان بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوم كانوا قدموا المدينة من مكة ، فأظهروا للمسلمين أنهم مسلمون ، ثم رجعوا إلى مكة وأظهروا لهم الشرك .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٠٥٢ – حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فما لكم فى المنافقين فئتين » ، قال : قوم خرجوا من مكة حتى أتوا المدينة يزعمون أنهم مهاجرون ، ثم ارتدُّوا بعد ذلك ، فاستأذنوا

---

(١) الحديث : ١٠٠٥١ – زريق – بتقديم الزاى – بن السخت ، شيخ الطبرى : لم أجد له ترجمة ولا ذكراً ، إلا فى المشتبه للذهبى ، ص : ٢٢٢ ، قال : « زريق بن السخت ، عن إسحق الأزرق . وهو الصحيح ؛ ويقال بتقديم الراء » .

شبابة : هو ابن سوار . مضت ترجمته فى : ٣٧ .

ويجب أن يكون هنا سقط فى الإسناد ، بين شبابة وعدى بن ثابت ، لأن شبابة بن سوار مات سنة ٢٠٤ أو ٢٠٥ ، أو ٢٠٦ ، وهو الذى جزم به البخارى فى الصغير ، ص : ٢٢٨ . وعدى بن ثابت مات سنة ١١٦ ، فبينهما ٩٠ سنة . والظاهر أنه سقط من الإسناد هنا [عن شعبة] .

عدى بن ثابت الأنصارى : ثقة معروف . أخرج له الجماعة . وهو ابن بنت عبد الله بن يزيد – شيخه فى هذا الإسناد .

عبد الله بن يزيد الخطمى – بفتح الخاء المعجمة وسكون الطاء المهملة : صحابى معروف ، شهد الحديبية صغيراً .

والحديث رواه الإمام أحمد فى المسند ٥ : ١٨٤ ، عن بهز ، عن شعبة ، كالرواية الأولى هنا المطولة : ١٠٠٤٩ .

وكذلك رواه البخارى ٤ : ٨٣ ، و ٧ : ٢٧٥ ، و ٨ : ١٩٣ – من طريق شعبة ، به .

ورواه مسلم ١ : ٣٨٩ – ٣٩٠ ، من طريق شعبة أيضاً ، ولكنه روى آخره : « إنها طيبة . . . » فقط .

وذكره ابن كثير ٢ : ٥٢٩ ، من رواية المسند . ثم قال : « أخرجاه فى الصحيحين من طريق شعبة » .

وذكره السيوطى ٢ : ١٨٩ – ١٩٠ ، وزاد نسبته للطيالسى ، وابن أبى شيبة ، وعبد بن حميد ، والترمذى ، والنسائى ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والطبرانى ، والبيهقى فى الدلائل .

وليس فى مسند الطيالسى المطبوع ، لأنه ناقص كما هو معروف .

النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى مكة ليأتوا ببضائع لهم يتّجرون فيها . فاختلف فيهم المؤمنون ، فقائل يقول : « هم منافقون » ، وقائل يقول : « هم مؤمنون » . فبيّن الله نفاقهم فأمر بقتالهم ، فجاؤوا ببضائعهم يريدون المدينة ، فلقيهم على بن عويمر ، أو : هلال بن عويمر الأسلمى ،[1] وبينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم حلف = وهو الذى حَصِر صدره أن يقاتل المؤمنين أو يُقاتل قومه ، فدفع عنهم = بأنهم يَؤُمُّون هلالاً ،[2] وبينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم عهد .

١٠٠٥٣ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله بنحوه = غير أنه قال : فبيّن الله نفاقهم ، وأمر بقتالهم ، فلم يقاتلوا يومئذ، فجاؤوا ببضائعهم يريدون هلالَ بن عويمر الأسلمى، ١٢٢/٥
وبينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم حِلْف .[3]

* * *

وقال آخرون : بل كان اختلافهم فى قوم من أهل الشرك كانوا أظهروا الإسلام بمكة ، وكانوا يعينون المشركين على المسلمين .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٠٥٤ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « فما لكم فى المنافقين فئتين » ، وذلك أن قوماً كانوا بمكة قد تكلّموا بالإسلام، وكانوا يظاهرون المشركين ، فخرجوا من مكة يطلبون حاجةً لهم، فقالوا: إن لقينا أصحابَ محمد « عليه السلام » ، فليس علينا منهم بأس ! وأن المؤمنين لما أخبروا أنهم قد خرجوا من مكة، قالت فئة من

---

(١) أسقط المطبوعة : « على بن عويمر ، أو : » وساق الخبر « فلقيهم هلالٌ . . » وأثبته من المخطوطة . والأثر التالى من رواية أبى جعفر ، هو الذى فيه إسقاط « على بن عويمر » من الخبر .

(٢) فى المطبوعة : « يؤمنون هلالا » ، والصواب من المخطوطة والدر المنثور ٢ : ١٩٠ .

(٣) الأثران : ١٠٠٥٢ ، ١٠٠٥٣ – انظر الأثر التالى : ١٠٠٧١ .

المؤمنين : اركبوا إلى الخبثاء فاقتلوهم ، فإنهم يظاهرون عليكم عدوكم ! وقالت فئة أخرى من المؤمنين : سبحان الله = أو كما قالوا = ، أتقتلون قوماً قد تكلموا بمثل ما تكلّمتم به ؟ أمن أجل أنهم لم يهاجروا ويتركوا ديارَهم ، تستحلّ دماؤهم وأموالهم لذلك ! فكانوا كذلك فئتين ، والرسول عليه السلام عندهم لا ينهى واحداً من الفريقين عن شيء ، فنزلت : « فما لكم فى المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله » ، الآية .

١٠٠٥٥ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فما لكم فى المنافقين فئتين » الآية ، ، ذكر لنا أنهما كانا رجلين من قريش كانا مع المشركين بمكة ، وكانا قد تكلّما بالإسلام ولم يهاجرا إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فلقيهما ناس من أصحاب نبى الله وهما مقبلان إلى مكة ، فقال بعضهم : إن دماءهما وأموالهما حلالٌ ! وقال بعضهم : لا يحلُّ لكم ! فتشاجروا فيهما ، فأنزل الله فى ذلك : « فما لكم فى المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا » حتى بلغ « ولو شاء الله لسلّطهم عليكم فلقاتلوكم » .

١٠٠٥٦ — حدثنا القاسم قال، حدثنا أبو سفيان، عن معمر بن راشد قال : بلغنى أنّ ناساً من أهل مكة كتبوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم أنهم قد أسلموا، وكان ذلك منهم كذباً ، فلقوهم ، فاختلف فيهم المسلمون ، فقالت طائفة : دماؤهم حلال ! وقالت طائفة : دماؤهم حرام ! فأنزل الله: « فما لكم فى المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا » .

١٠٠٥٧ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « فما لكم فى المنافقين فئتين » ، هم ناس تخلّفوا عن نبى الله صلى الله عليه وسلم ، وأقاموا بمكة وأعلنوا الإيمان ولم يهاجروا ، فاختلف فيهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتولاّهم ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتبرأ من ولايتهم آخرون ،

وقالوا: تخلّفوا عن رسول الله صلى الله عليه سلم ولم يهاجروا! فسماهم الله منافقين، وبرّأ المؤمنين من ولايتهم، وأمرهم أن لا يتولّوهم حتى يهاجروا .

* * *

وقال آخرون : بل كان اختلافهم فى قوم كانوا بالمدينة ، أرادوا الخروج عنها نفاقاً .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٠٥٨ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فما لكم فى المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا » ، قال : كان ناس من المنافقين أرادوا أن يخرجوا من المدينة ، فقالوا للمؤمنين : إنّا قد أصابنا أوجاعٌ فى المدينة واتّخمْناها ،[1] فلعلنا أن نخرج إلى الظّهر حتى نتماثل ثم نرجع ،[2] فإنا كنا أصحاب بريّة . فانطلقوا ، واختلف فيهم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، فقالت طائفة : أعداءٌ لله منافقون ![3] وددنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لنا فقاتلناهم ! وقالت طائفة : لا ، بل إخواننا غمّتهم المدينة فاتّخموها ،[4]

---

(١) « اتخمناها » ، « افتعل » من « الوخم » ، يقال : « أرض وخمة ووخيمة » ، وبيئة ، لا يوافق المرء سكنها فيجتويها . و « استوخم القوم المدينة » : استثقلوها ، ولم يوافق هواؤها أبدانهم . والذى ذكرته كتب اللغة بناء « استوخم » « استفعل » متعدياً من « الوخم » ، ولم يذكروا « اتخم » « افتعل » ، وهو صحيح فى قياس العربية . وهذا شاهده .

(٢) « الظهر » : ما غلظ وارتفع من الأرض ، و « البطن » : ما لان منها وسهل ورق واطمأن . ومثله « ظاهر الأرض » ، فسموا ما بعد عن القرية وارتفع فى البرية : « ظهر البلدة وظاهرها » .

(٣) فى المطبوعة : « أعداء الله المنافقون » ، وفى المخطوطة : « أعداء الله منافقون » ، والصواب ما أثبت .

(٤) فى المطبوعة والدر المنثور ٢ : ١٩١ : « تخمتهم المدينة فاتخموها » ، وليس صواباً . وفى المخطوطة : « عمهم المدينة » غير منقوطة ، وهذا صواب قراءتها ، من « الغم » : وهو الكرب وكل ما يكرهه الإنسان فيورثه الضيق والهم . والدليل على صحة هذه القراءة ما جاء فى معانى القرآن ١ : ٢٨٠ « ضجروا منها واستوخموها » وانظر ما سلف تعليق : ١ ، فى تفسير « اتخم » .

فخرجوا إلى الظهر يتنزهون،[١] فإذا بَرَأوا رجعوا. فقال الله : « فما لكم فى المنافقين فئتين » ، يقول : ما لكم تكونون فيهم فئتين = « والله أركسهم بما كسبوا » .

* * *

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية فى اختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمر أهل الإفك .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٠٥٩ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « فما لكم فى المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا » ، حتى بلغ « فلا تتخذوا منهم أولياءَ حتى يهاجروا فى سبيل الله » ، قال : هذا فى شأن ابن أُبَىّ حين تكلم فى عائشة بما تكلم . ١٢٣/٥

١٠٠٦٠ – وحدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : إن هذه الآية حين أنزلت : «فما لكم فى المنافقين فئتين »، فقرأ حتى بلغ « فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله » ، فقال سعد بن معاذ : فإنى أبرأ إلى الله وإلى رسوله من فئته ! = يريد عبد الله بن أبىّ ابن سلول .[٢]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب فى ذلك ، قول من قال : نزلت هذه الآية فى اختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوم كانوا ارتدُّوا عن الإسلام بعد إسلامهم من أهل مكة .

---

(١) « يتنزهون » أى : يتباعدون عن الأرض التى استوخموها ، حتى يبرأوا . و « التنزه » التباعد عن الأرياف والمياه ، حيث لا يكون ماء ولا ندى ولا جمع ناس ، وذلك شق البادية ، وهو أصح للأبدان .

(٢) الأثر : ١٠٠٥٩ ، ١٠٠٦٠ – فى المطبوعة ، ساق هذين الأثرين ، أثراً واحداً ، فجعله هكذا : « حين تكلم فى عائشة بما تكلم ، فقال سعد بن معاذ . . . » وأسقط صدر الأثر : ١٠٠٦٠ ، فرددته إلى الصواب من المخطوطة . والذى أوقع الناشر فى هذا ، سوء صنيع السيوطى فى نقله عن ابن جرير ، وذلك فى الدر المنثور ٢ : ١٩١ .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ، لأنّ اختلاف أهل التأويل فى ذلك إنما هو على قولين :

أحدهما : أنهم قوم كانوا من أهل مكة ، على ما قد ذكرنا الرواية عنهم .

والآخر : أنهم قوم كانوا من أهل المدينة .

= وفى قول الله تعالى ذكره : « فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا » ، أوضح الدّليل على أنهم كانوا من غير أهل المدينة . لأنّ الهجرة كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى داره ومدينته من سائر أرض الكفر . فأما من كان بالمدينة فى دار الهجرة مقيماً من المنافقين وأهل الشرك ، فلم يكن عليه فرضُ هجرة ، لأنه فى دار الهجرة كان وطنُه ومُقامه .

* * *

واختلف أهل العربية فى نصب قوله : « فئتين » .

فقال بعضهم : هو منصوب على الحال ، كما تقول : « مالَك قائماً » ، يعنى : مالك فى حال القيام . وهذا قول بعض البصريين .

* * *

وقال بعض نحويى الكوفيين : هو منصوب على فعل « مالك » ، قال : ولا تُبالِ أكان المنصوب فى « مالك » معرفة أو نكرة .[1] قال : ويجوز فى الكلام أن تقول : « مالك السائرَ معنا » ، لأنه كالفعل الذى ينصب بـ « كان » و « أظن » وما أشبههما . قال : وكل موضع صلحت فيه « فعل » و « يفعل » من المنصوب ، جاز نصب المعرفة منه والنكرة ، كما تنصب « كان » و « أظن » ، لأنهن نواقصُ فى المعنى ، وإن ظننت أنهنّ تامّاتٍ .[2]

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « ولا تبالى كان المنصوب . . . » وفى المخطوطة : « ولا تبال كان المنصوب » ورجحت قراءتها كما أثبتها ، استظهاراً من نص الفراء فى معانى القرآن .

(٢) هذا مختصر نص الفراء فى معانى القرآن ١ : ٢٨١ .

وهذا القول أولى بالصواب فى ذلك ، لأن المطلوب فى قول القائل : « مالك قائماً » ، « القيام » ، فهو فى مذهب « كان » وأخواتها ، و « أظن » وصواحباتها .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « والله أركسهم » .

فقال بعضهم : معناه : ردّهم ، كما قلنا .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٠٦١ — حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس : « والله أركسهم بما كسبوا » ، ردّهم .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : والله أوْقَعهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٠٦٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنى عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « والله أركسهم بما كسبوا » ، يقول : أوقعهم .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : أضلهم وأهلكهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٠٦٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة : « والله أركسهم » ، قال : أهلكهم .

١٠٠٦٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة : « والله أركسهم بما كسبوا » ، أهلكَهم بما عملوا .

---

(١) فى المخطوطة : « والظن وصواحباتها » ، والصواب ما فى المطبوعة .

١٠٠٦٥ - حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « والله أركسهم بما كسبوا » ، أهلكهم .

* * *

وقد أتينا على البيان عن معنى ذلك قبل ، بما أغنى عن إعادته .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾ (٨٨)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله « أتريدون أن تهدوا من أضل الله » ، أتريدون، أيها المؤمنون ، أن تهدوا إلى الإسلام فتوفقوا للإقرار به والدخول فيه، من أضله الله عنه = يعنى بذلك : من خذله الله عنه ، فلم يوفقه للإقرار به ؟ (٢)

وإنما هذا خطاب من الله تعالى ذكره للفئة التى دافعت عن هؤلاء المنافقين الذين وصف الله صفتهم فى هذه الآية . يقول لهم جل ثناؤه : أتبغون هداية هؤلاء الذين أضلّهم الله فخذلهم عن الحق واتباع الإسلام ، بمدافعتكم عن قتالهم من أراد قتالهم من المؤمنين ؟= « ومن يُضلل الله فلن تجد له سبيلاً » ، يقول : ومن خذله عن دينه واتباع ما أمره به ، من الإقرار به وبنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عنده ، فأضلّه عنه = « فلن تجد له » ، يا محمد، « سبيلاً » ، يقول : فلن تجد له طريقاً تهديه فيها إلى إدراك ما خذله الله [عنه] ،(٣) ولا منهجاً يصل منه إلى الأمر الذى قد حرمه الوصول إليه .

* * *

---

(١) انظر ما سلف ص : ٧

(٢) انظر معنى « هدى » ، ومعنى « الضلال » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٣) هذه الزيادة بين القوسين ، يقتضيها السياق اقتضاء . وانظر تفسير « السبيل » فيما سلف . من فهارس اللغة .

القول فى تأويل قوله ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾

قال أبو جعفر: يعنى جل ثناؤه بقوله : «ودوا لو تكفرون كما كفروا»، تمنَّى هؤلاء ١٢٤/٥
المنافقون[1] = الذين أنتم ، أيها المؤمنون ، فيهم فئتان = أن تكفروا فتجحدوا وحدانية ربكم ، وتصديقَ نبيِّكم محمد صلى الله عليه وسلم = « كما كفروا » ، يقول : كما جحدوا هم ذلك = « فتكونون سواء »، يقول : فتكونون كفّاراً مثلهم ، وتستوون أنتم وهم فى الشرك بالله[2] = « فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله » ، يقول[3] : حتى يخرجوا من دار الشرك ويفارقوا أهلها الذين هم بالله مشركون ، إلى دار الإسلام وأهلِها = « فى سبيل الله »، يعنى : فى ابتغاء دين الله ، وهو سبيله ،[4] فيصيروا عند ذلك مثلكم ، ويكون لهم حينئذ حكمكم ، كما : —

١٠٠٦٦ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « ودّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا » ، يقول : حتى يصنعوا كما صنعتم = يعنى الهجرةَ فى سبيل الله .

• • •

---

(١) انظر تفسير « ود » فيما سلف ٢ : ٥/٤٧٠ : ٨/٥٤٢ : ٣٧١ .

(٢) انظر تفسير « سواء » فيما سلف ١ : ٢/٢٥٦ : ٤٩٥ — ٦/٤٩٧ : ٤٨٣ ، ٤٨٦ ، ٧/٤٨٧ ، ١١٨

(٣) انظر تفسير « ولى » و « أولياء » فيما سلف ٨ : ٤٣٠ ، تعليق ١ ، والمراجع هناك

(٤) انظر تفسير « سبيل الله » فيما سلف ٨ : ٥٧٩ ، تعليق ٢ ، والمراجع هناك

القول فى تأويل قوله ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ (٨٩)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : فإن أدبر هؤلاء المنافقون عن الإقرار بالله ورسوله ، وتولوا عن الهجرة من دار الشرك إلى دار الإسلام ومن الكفر إلى الإسلام[1] = « فخذوهم » أيها المؤمنون = « واقتلوهم حيث وجدتموهم » ، من بلادهم وغير بلادهم ، أين أصبتموهم من أرض الله = « ولا تتخذوا منهم وليًّا » ، يقول : ولا تتخذوا منهم خليلاً يواليكم على أموركم ، ولا ناصراً ينصركم على أعدائكم ،[2] فإنهم كفار لا يألونكم خبالاً ، ودُّوا ما عنتُّم .

* * *

وهذا الخبر من الله جل ثناؤه ، إبانةٌ عن صحة نِفاق الذين اختلف المؤمنون فى أمرهم ، وتحذيرٌ لمن دافع عنهم عن المدافعة عنهم .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٠٦٧ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم » ، فإن تولوا عن الهجرة = « فخذوهم واقتلوهم » .

١٠٠٦٨ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم » ، يقول : إذا أظهروا كُفرهم ، فاقتلوهم حيث وجدتموهم .

* * *

---

(١) انظر تفسير « تولى » فيما سلف ٨ : ٥٦٢ تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « ولى » فيما سلف ص ١٧ ، تعليق : ٣ = و « نصير » فيما سلف ٨ : ٤٧٢ تعليق ١ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « إلاّ الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق » ، فإن تولىّ هؤلاء المنافقون الذين اختلفتم فيهم عن الإيمان بالله ورسوله ، وأبوا الهجرة فلم يهاجروا فى سبيل الله ، فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ، سوى من وَصل منهم إلى قوم بينكم وبينهم مُوادعة وعهد وميثاق ، [1] فدخلوا فيهم ، وصاروا منهم ، ورضوا بحكمهم ، فإن لمن وصل إليهم فدخل فيهم من أهل الشرك راضياً بحكمهم فى حقن دمائهم بدخوله فيهم : أن لا تسبى نساؤهم وذراريهم ، ولا تغنم أموالهم ، كما : —

١٠٠٦٩ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق » ، يقول : إذا أظهروا كفرهم فاقتلوهم حيث وجدتموهم ، فإن أحدٌ منهم دخل فى قوم بينكم وبينهم ميثاق ، فأجروا عليه مثل ما تجرُون على أهل الذمة .

١٠٠٧٠ — حدثنى يونس ، عن ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق » ، يصلون إلى هؤلاء الذين بينكم وبينهم ميثاق من القوم ، لهم من الأمان مثل ما لهؤلاء .

١٠٠٧١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج عن ابن جريج ، عن عكرمة قوله : « إلاّ الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق » ، قال نزلت فى هلال بن عويمر الأسلمى ، وسراقة بن مالك بن جعشم ، وخزيمة بن عامر بن عبد مناف . [2]

* * *

(١) انظر تفسير « الميثاق » فيما سلف : ٨ : ١٢٧ تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) الأثر : ١٠٠٧١ — انظر الأثرين السالفين : ١٠٠٥٢ ، ١٠٠٥٣ .

وقد زعم بعض أهل العربية ،[١] أن معنى قوله : « إلا الذين يصلون إلى قوم» ، إلا الذين يتّصلون فى أنسابهم لقوم بينكم وبينهم ميثاق ، من قولهم : « اتّصل الرجل» ، بمعنى : انتمى وانتسب ، كما قال الأعشى فى صفة امرأة انتسبت إلى قوم :

إِذَا اتَّصَلَتْ قَالَتْ : أَبَكْرَ بنَ وَائِلٍ ! وَبَكْرٌ سَبَتْهَا وَالأُنُوفُ رَوَاغِمُ ![٢]

١٢٥/٥ يعنى بقوله : « اتصلت» ، انتسبت .

* * *

قال أبو جعفر : ولا وجه لهذا التأويل فى هذا الموضع ، لأن الانتساب إلى قوم من أهل الموادعة أو العهد ، لو كان يوجب للمنتسبين إليهم مالهم ، إذا لم يكن لهم من العهد والأمان ما لهم ، لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقاتل قريشاً وهم أنسباءُ السابقين الأوّلين . ولأهل الإيمان من الحق بإيمانهم ، أكثر مما لأهل العهد بعهدهم . وفى قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم مشركى قريش = بتركها الدخول فيما دخل فيه أهل الإيمان منهم ، مع قرب أنسابهم من أنساب المؤمنين منهم — الدليلُ الواضح أنّ انتساب من لا عهد له إلى ذى العهد منهم ، لم يكن موجباً له من العهد ما لذى العهد من انتسابه .

فإن ظن ذو غفلة أن قتال النبىّ صلى الله عليه وسلم من قاتل من أنسباء المؤمنين من مشركى قريش ، إنما كان بعد ما نُسخ قوله : « إلاّ الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق » ، فإن أهل التأويل أجمعوا على أن ناسخ ذلك « براءة » ، و « براءة » نزلت بعد فتح مكة ودخول قريش فى الإسلام .[٣]

* * *

(١) هو أبو عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ١٣٦ ، وفى المطبوع من مجاز القرآن تأخير وتقديم لم يمسسه بالتحرير ناشر الكتاب ، فليحرر مكانه .

(٢) ديوانه : ٥٩ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٣٦ والناسخ والمنسوخ : ١٠٩ واللسان (وصل) ، وغيرهما . وفى اللسان « لبكر بن وائل » ، وفسرها « اتصلت » : انتسبت . وفسرها شارح شعر الأعشى : إذا دعت ، يعنى دعت بدعوى الجاهلية ، وهو الاعتزاء . وهذا البيت آخر بيت فى قصيدة الأعشى تلك . يقول : تدعى إليهم وتنتسب ، وهى من إمائهم اللواتى سبين وقد رغمت أنوفهن وأنوف رجالهن الذى كانوا يدافعون عنهن ، ثم انهزموا عنهن وتركوهن للسباء .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « فإن أهل التأويل أجمعوا على أن ذلك نسخ قراءة نزلت بعد

القول فى تأويل قوله ﴿ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « أو جاؤوكم حَصِرَت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم » ، « فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم » = « إلاّ الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق » = أو : إلاّ الذين جاؤوكم منهم قد حصرت صدورهم عن أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم فدخلوا فيكم .

ويعنى بقوله : « حصرت صدورهم » ، ضاقت صدورهم عن أن يقاتلوكم أو أن يقاتلوا قومهم .

* * *

والعرب تقول لكل من ضاقت نفسه عن شيء من فعل أو كلام : « قد حَصِرَ » ، ومنه « الحَصَرُ » فى القراءة .(١)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٠٧٢ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « أو جاؤوكم حصرت صدورهم » ، يقول : رجعوا فدخلوا فيكم = « حصرت صدورهم »، يقول : ضاقت صدورهم= « أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم » .

* * *

فتح مكة ودخول قريش فى الإسلام » ، وهو خطأ لا معنى له ، وخلط فاحش . واستظهرت أن ما كتبته هو الصواب وأنه عنى « سورة براءة » ، من الناسخ والمنسوخ : ١٠٩ ، ومن تفسير أبي حيان ٣ : ٣١٥ ، وتفسير القرطبى ٥ : ٣٠٨ ، وقد نسبوه جميعاً إلى الطبرى أيضاً .

(١) انظر تفسير « الحصر » فيما سلف ٦ : ٣٧٦ ، ٣٧٧ . وانظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ١٣٦ ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٢٨٢ .

وفى قوله : « أو جاؤوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم » ، متروكٌ ، ترك ذكره لدلالة الكلام عليه . وذلك أن معناه : أو جاؤوكم قد حصرت صدورهم ، فترك ذكر « قد » ، لأن من شأن العرب فعل مثل ذلك : تقول : « أتانى فلان ذَهَب عقله » ، بمعنى : قد ذهب عقله . ومسموع منهم : « أصبحت نظرتُ إلى ذات التَّنانير » ، بمعنى : قد نظرت.[1] ولإضمار « قد » مع الماضى ، جاز وضع الماضى من الأفعال فى موضع الحال ، لأن « قد » إذا دخلت معه أدْنته من الحال ، وأشبهت الأسماء .[2]

* * *

وعلى هذه القراءة=أعنى «حَصِرَت» ، قراءة القرأة فى جميع الأمصار ، وبها يقرأ لإجماع الحجة عليها .

* * *

وقد ذكر عن الحسن البصرى أنه كان يقرأ ذلك : ﴿أَوْ جَاؤُوكُمْ حَصِرَةً صُدُورُهُمْ﴾ ، نصباً ،[3] وهى صحيحة فى العربية فصيحة ، غير أنه غير جائزة القراءة بها عندى ، لشذوذها وخروجها عن قراءة قرأة الإسلام .

* * *

---

(١) هذه مقالة الفراء فى معانى القرآن ١ : ٢٨٢ . و « ذات التنانير » : أرض بين الكوفة وبلاد غطفان ، وقال ياقوت فى معجمه : « عقبة بحذاء زبالة » .

(٢) فى المطبوعة : « وأشبه الأسماء » ، وما فى المخطوطة صواب ، يعنى وأشبهت الأفعال الماضية الأسماء .

(٣) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٨٢ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾ (٩٠)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه : « ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم » ، ولو شاء الله لسلّط هؤلاء الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق فيدخلون فى جوارهم وذمتهم ، والذين يجيئونكم قد حصرت صدورهم عن قتالكم وقتال قومهم = عليكم ،[1] أيها المؤمنون ، فقاتلوكم مع أعدائكم من المشركين ، ولكن الله تعالى ذكره كفّهم عنكم . يقول جل ثناؤه : فأطيعوا الذى أنعم عليكم بكفّهم عنكم مع سائر ما أنعم به عليكم ، فيما أمركم به من الكفّ عنهم إذا وصلوا إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق ، أو جاؤوكم حصرت صدورهم عن قتالكم وقتال قومهم . ثم قال جل ثناؤه : « فإن اعتزلوكم » ، يقول : فإن اعتزلكم هؤلاء الذين أمرتكم بالكف عن قتالهم من المنافقين ، بدخولهم فى أهل عهدكم ، أو مصيرهم إليكم حصرت صدورهم عن قتالكم وقتال قومهم=« فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السَّلَم » ، يقول : وصالحوكم .

* * *

و«السَّلَم» ، هو الاستسلام.[2] وإنما هذا مثل ، كما يقول الرجل للرجل : «أعطيتك قيادى» ، و« ألقيت إليك خِطَامى » ، إذا استسلم له وانقاد لأمره . فكذلك قوله : « وألقوا إليكم السلم » ، إنما هو : ألقوا إليكم قيادَهم واستسلموا لكم ، صلحاً منهم لكم وسَلَماً . ومن « السَّلم » قول الطرمّاح : ١٢٦/٥

وَذَاكَ أَنَّ تَمِيماً غَادَرَتْ سَلَماً لِلْأُسْدِ كُلَّ حَصَانٍ وَعْثَةِ اللِّبَدِ

---

(١) السياق : ولو شاء الله لسلط هؤلاء . . . عليكم » .

(٢) انظر تفسير « الإسلام » أيضاً فيما سلف من فهارس اللغة « سلم » .

(٣) ديوانه : ١٤٥ ، من قصيدته التى هجا بها الفرزدق وبيوت بنى دارم وبنى سعد فقال قبله :

يعنى بقوله : « سلماً » ، استسلاماً .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٠٧٣ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا ابن أبى جعفر : عن أبيه ، عن الربيع : « فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم » ، قال : الصلح .

* * *

وأما قوله : « فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً » ، فإنه يقول : إذا استسلم لكم هؤلاء المنافقون الذين وصف صفتهم ، صلحاً منهم لكم = « فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً » ، أى : فلم يجعل الله لكم على أنفسهم وأموالهم وذراريهم ونسائهم طريقاً إلى قتل أو سباء أو غنيمة ، بإباحةٍ منه ذلك لكم ولا إذْنٍ ، فلا تعرّضوا لهم فى ذلك = إلا سبيل خير

* * *

ثم نسخ الله جميع حكم هذه الآية والتى بعدها بقوله تعالى ذكره :

وَدَارِمٌ قد قَذَفْنَا مِنْهُمُ مِئَةً فِى جَاحِمِ النَّارِ ، إذْ يُلْقَوْنَ فِى الخُدَدِ
يَنْزُونَ بِالْمُشْتَوَى مِنْهَا ، ويُوقِدُهَا عَمْرٌو ، وَلَوْلاَ لُحُومُ الْقَوْمِ لَمْ تَقِدِ
وَذَاكَ أنَّ تَمِيماً . . . . . .

فزعم أن عمرو بن المنذر اللخمى ، أحرق بنى دارم رهط الفرزدق ، قال أبو عبيدة : ولم يكن للطرماح بهذا الحديث علم . يعنى حديث يوم أوارة ، وهو يوم غزا عمرو بن المنذر بنى دارم ، فقتل منهم تسعة وتسعين رجلا .

و « الأسد » يعنى عمرو بن المنذر ومن معه . و « الحصان » المرأة العفيفة . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « كل مصان وعثه اللبد » وهو خطأ لا معنى له . وامرأة « وعثة » : كثيرة اللحم ، كأن الأصابع تسوخ فيها من كثرة لحمها ولينها . « وامرأة وعثه الأرداف » ، كذلك . و « اللبد » جمع لبدة (بكسر فسكون) : وهى كساء ملبس يفرش للجلوس عليه . وعنى بذلك أنها وعثة الأرداف ، حيث تجلس على اللبد . فسمى الأرداف لبداً .

يقول : أسلمت تميم نساءها لنا ولجيش عمرو بن المنذر ، وفروا عن أعراضهم ، لم يلفتهم إليهن ضعفهن عن الدفع عن أنفسهن ، وأنساهم الروع كرائم نسائهم ومترفاتهن .

﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة التوبة : ٥].

* * *

* ذكر من قال فى ذلك مثل الذى قلنا :

١٠٠٧٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح ، عن الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة والحسن قالا ، قال : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴾ وقال فى « الممتحنة » : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾، وقال فيها: ﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ﴾ إلى ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [سورة الممتحنة : ٨، ٩]. فنسخ هؤلاء الآيات الأربعة فى شأن المشركين فقال: ﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴾ [سورة التوبة : ١، ٢]. فجعل لهم أربعة أشهر يسيحون فى الأرض ، وأبطل ما كان قبل ذلك . وقال فى التى تليها : ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ ، ثم نسخ واستثنى فقال : ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ ﴾ إلى قوله : ﴿ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ [سورة التوبة : ٥، ٦].

١٠٠٧٥ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « فإن اعتزلوكم » ، قال : نسختها : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ .

١٠٠٧٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا همام بن يحيي قال ، سمعت قتادة : يقول فى قوله : « إلاّ الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق » إلى قوله: « فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً » ، ثم نسخ ذلك بعد فى براءة، وأمر نبيَّه صلى الله عليه وسلم أن يقاتل المشركين بقوله : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾.

١٠٠٧٧ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ، قال ابن زيد فى قوله : « إلاّ الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق » ، الآية ، قال : نسخ هذا كله أجمع ، نسخه الجهاد، ضرب لهم أجل أربعة أشهر : إما أن يسلموا، وإمَّا أن يكون الجهاد .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا﴾

قال أبو جعفر : وهؤلاء فريق آخر من المنافقين ، كانوا يظهرون الإسلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليأمنوا به عندهم من القتل والسباء وأخذ الأموال وهم كفار ، يعلم ذلك منهم قومهم ، إذا لقوهم كانوا معهم وعبدوا ما يعبدونه من دون الله ، ليأمنوهم على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وذراريهم . يقول الله : « كلما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها » ، يعنى : كلما دعاهم [قومهم] إلى الشرك بالله، (١) ارتدُّوا فصاروا مشركين مثلهم .

* * *

واختلف أهل التأويل فى الذين عنوا بهذه الآية .

---

(١) الزيادة بين القوسين لا بد منها لسياق الكلام .

فقال بعضهم : هم ناس كانوا من أهل مكة أسلموا — على ما وصفهم الله به من التقيّة — وهم كفار ، ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم وذراريهم ونسائهم . يقول ١٢٧/٥
الله : « كلما ردُّوا إلى الفتنة أركسوا فيها » ، يعني كلما دعاهم [قومهم] إلى الشرك بالله ، [1] ارتدوا فصاروا مشركين مثلهم ، ليأمنوا عند هؤلاء وهؤلاء .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٠٧٨ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم » ، قال : ناس كانوا يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيسلمون رياء ، ثم يرجعون إلى قريش فيرتكسون في الأوثان ، يبتغون بذلك أن يأمنوا ههنا وههنا . فأمر بقتالهم إن لم يعتزلوا ويُصلحوا .

١٠٠٧٩ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

١٠٠٨٠ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها » ، يقول : كلما أرادوا أن يخرجوا من فتنة أركسوا فيها . وذلك أن الرجل كان يوجد قد تكلم بالإسلام ، فيقرّب إلى العُود والحجَر وإلى العقرب والخنفساء ، فيقول المشركون لذلك المتكلّم بالإسلام : « قل : هذا ربي » ، للخنفساء والعقرب .

* * *

وقال آخرون : بل هم قوم من أهل الشرك كانوا طلبوا الأمان من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليأمنوا عنده وعند أصحابه وعند المشركين .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) الزيادة بين القوسين لا بد منها لسياق الكلام .

١٠٠٨١ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم » ، قال : حيٌّ كانوا بتهامة، قالوا : « يا نبيّ الله ، لا نقاتلك ولا نقاتل قومنا »، وأرادوا أن يأمنوا نبيَّ الله ويأمنوا قومهم ، فأبى الله ذلك عليهم ، فقال : « كلما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها » ، يقول : كلما عرض لهم بلاء هلكوا فيه .

* * *

وقال آخرون : نزلت هذه الآية فى نعيم بن مسعود الأشجعى .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٠٨٢ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى قال: ثم ذكر نعيم بن مسعود الأشجعى وكان يأمن فى المسلمين والمشركين ، ينقل الحديث بين النبى صلى الله عليه وسلم والمشركين ، فقال: « ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا إلى الفتنة »، يقول: إلى الشرك .

* * *

وأما تأويل قوله : « كلما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها » ، فإنه كما : —

١٠٠٨٣ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبى العالية فى قوله : « كلما ردّوا إلى الفتنة أركسوا فيها » ، قال : كلما ابتلُوا بها ، عَمُوا فيها .

١٠٠٨٤ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : كلما عرَض لهم بلاء ، هلكوا فيه .

* * *

والقول فى ذلك ما قد بينت قبلُ ، وذلك أن « الفتنة » فى كلام العرب، الاختبار ، و « الإركاس » الرجوع . (١)

* * *

فتأويل الكلام: كلما ردوا إلى الاختبار ليرجعوا إلى الكفر والشرك ، رجعوا إليه .

* * *

(١) انظر « تفسير الفتنة » فيما سلف ٢ : ٣/٤٤٤ : ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٧٠ ، ٥٧١/ ٤ : ٦/٣٠١ : ١٩٦ ، ١٩٧ – وانظر تفسير « الإركاس » فيما سلف ص : ٧ ، ١٥ ، ١٦

القول فى تأويل قوله ﴿ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴾ (٩١)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : فإن لم يعتزلكم ،[١] أيها المؤمنون ، هؤلاء الذين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم ، وهم كلما دعوا إلى الشرك أجابوا إليه = « ويلقوا إليكم السلم »، ولم يستسلموا إليكم فيعطوكم المقادَ ويصالحوكم ،[٢] كما : —

١٠٠٨٥ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم » ، قال : الصلح .

* * *

= « ويكفوا أيديهم »، يقول : ويكفوا أيديهم عن قتالكم ،[٣] = « فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم »، يقول جل ثناؤه : إن لم يفعلوا ، فخذوهم أين أصبتموهم من الأرض ولقيتموهم فيها،[٤] فاقتلوهم، فإن دماءهم لكم حينئذ حلال = « وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً »، يقول جل ثناؤه: وهؤلاء الذين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم، وهم على ما هم عليه من الكفران ، ولم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم ،[٥] جعلنا لكم حجة فى قتلهم أينما لقيتموهم ، بمقامهم على كفرهم ، وتركهم هجرة دار الشرك = « مبيناً » يعنى : أنها تبين عن استحقاقهم ذلك منكم،

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « فإن لم يعتزلوكم » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

(٢) انظر تفسير « ألقوا السلم » فيما سلف ص ٢٣ ، ٢٤

(٣) انظر تفسير « الكف » فيما سلف ٨ : ٥٤٨ .

(٤) انظر تفسير « ثقف » فيما سلف ٣ : ٥٦٤ .

(٥) فى المطبوعة والمخطوطة : « لم يعتزلوكم » ، بإسقاط الواو ، والأصح إثباتها .

وإصابتكم الحق فى قتلهم . وذلك قوله : « سلطاناً مبيناً » ، و « السلطان » هو الحجة ،[1] كما —

١٢٨/٥ ١٠٠٨٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا قبيصة قال ، حدثنا سفيان ، عن رجل ، عن عكرمة قال : ما كان فى القرآن من « سلطان » ، فهو : حجّة .

١٠٠٨٧ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « سلطاناً مبيناً » أما « السلطان المبين » ، فهو الحجة .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ » ، وما أذن الله لمؤمن ولا أباح له أن يقتل مؤمناً . يقول : ما كان ذلك له فيما جعل له ربه وأذن له فيه من الأشياء البتة ، كما : —

١٠٠٨٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ » ، يقول : ما كان له ذلك فيما أتاه من ربه ، من عهد الله الذى عهد إليه .

* * *

وأما قوله : « إلا خطأ » ، فإنه يقول : إلاّ أن المؤمن قد يقتل المؤمن خطأ ،

---

(١) انظر تفسير « السلطان » فيما سلف ٧ : ٢٧٩ = وتفسير « المبين » فيما سلف ٨ : ١٢٤ تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

وليس له مما جعل له ربه فأباحه له . وهذا من الاستثناء الذى يُسميه أهل العربية « الاستثناء المنقطع » ، كما قال جرير بن عطية :

مِنَ البِيضِ ، لَمْ تَظْعَنْ بَعِيدًا، وَلَمْ تَطَأْ عَلَى الأَرْضِ إِلَّا رَيْطَ بُرْدٍ مُرَحَّلِ (١)

يعنى : ولم تطأ على الأرض إلا أن تطأ ذيل البرد، وليس ذيل البُرْد من الأرض. (٢)

* * *

ثم أخبر جل ثناؤه عباده بحكم من قُتل من المؤمنين خطأ ، فقال : « ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير » ، يقول : فعليه تحرير = « رقبة مؤمنة » ، فى ماله = « ودية مسلمة » ، تؤديها عاقلته (٣) = « إلى أهله إلا أن يصدقوا » ، يقول : إلا أن يصدق أهل القتيل خطأ على من لزمته دية قتيلهم ، فيعفوا عنه ويتجاوزوا عن ذنبه ، فيسقط عنه .

* * *

وموضع « أن » من قوله : « إلا أن يصدقوا » ، نصب ، لأن معناه : فعليه ذلك ، إلا أن يصدّقوا .

* * *

---

(١) ديوانه : ٤٥٧ ، والنقائض : ٧٠٦ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٣٧ ، من قصيدته التى هجا فيها الفرزدق وآل الزبرقان بن بدر ، وهو من أول القصيدة ، وقبله :

أَمِنْ عَهْدِ ذِى عَهْدٍ تَفِيضُ مَدَامِعِى كَأَنَّ قَذَى الْعَيْنَيْنِ مِنْ حَبِّ فُلْفُلِ ؟
فَإِنْ يَرَ سَلْمَى الجِنُّ يَسْتَأْنِسُوا بِهَا ، وَإِنْ يَرَ سَلْمَى رَاهِبُ الطُّورِ يَنْزِلِ

ورواية الديوان وأبى عبيدة فى النقائض :

« إِلَّا نِيرَ مِرْطٍ مُرَحَّلِ »

و « النير » (بكسر النون) : علم الثوب . و « المرط » : إزار خز له علم ، ويكون من صوف أيضاً . وأما « الريط » فهو جمع « ريطة » : وهى الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ، ولم تكن لفقين ، وتكون ثوباً دقيقاً ليناً . و « المرحل » : الموشى ، وهو ضرب من البرود ، وشيه معين كتعيين جديات الرحل . وكان فى المخطوطة والمطبوعة : « مرجل » بالجيم ، وهو خطأ .

(٢) هذه مقالة أبى عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ١٣٦ — ١٣٨ .

(٣) « العاقلة » ، : هم العصبة ، وهم القرابة من قبل الأب ، الذين يعطون دية قتل الخطأ . من « العقل » ، وهى الدية .

وذكر أن هذه الآية نزلت فى عيّاش بن أبى ربيعة المخزومى ، وكان قد قتل رجلاً مسلماً بعد إسلامه ، وهو لا يعلم بإسلامه .

* ذكر الآثار بذلك :

١٠٠٨٩ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلاّ خطأ » ، قال : عياش بن أبى ربيعة ، قتل رجلاً مؤمناً كان يعذّبه مع أبى جهل = وهو أخوه لأمه = فاتّبَع النبى صلى الله عليه وسلم وهو يحسب أن ذلك الرجل كان كما هو . وكان عيّاش هاجر إلى النبى صلى الله عليه وسلم مؤمناً ، فجاءه أبو جهل = وهو أخوه لأمه = فقال : إنّ أمك تناشدك رَحِمها وحقّها أن ترجع إليها = وهى أسماء ابنة مخرّبة ،[1] فأقبل معه ، فربطه أبو جهل حتى قدم مكة . فلما رآه الكفار زادهم ذلك كفرًا وافتتاناً ، وقالوا : إنّ أبا جهل ليقدِرُ من محمدٍ على ما يشاء ويأخذ أصحابه .

١٠٠٩٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد بنحوه = إلا أنه قال فى حديثه : فاتبع النبى صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل ، وعيّاش حَسبه أنه كافر كما هو.[2] وكان عياش هاجر إلى المدينة مؤمناً ، فجاءه أبو جهل = وهو أخوه لأمه — فقال : إن أمك تنشُدك برحمها وحقها إلاّ رجعت إليها . وقال أيضاً : ويأخذ أصحابه فيربطهم .[3]

١٠٠٩١ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن

---

(١) فى المطبوعة : « بنت مخرمة » ، والصواب من المخطوطة : « مخربة » بالراء المشددة المكسورة ، وبالباء . وأسماء من بنى نهشل بن دارم ، تميمية .

(٢) فى المطبوعة : « وعياش محسبه » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « فيأ » بالفاء ، وأثبت ما فى المخطوطة .

ابن جريج ، عن مجاهد بنحوه = قال ابن جريج ، عن عكرمة قال : كان الحارث ابن يزيد بن أنيسة ،[١] = من بنى عامر بن لؤى = يعذِّبُ عياشَ بن أبى ربيعة مع أبى جهل . ثم خرج الحارث بن يزيد مهاجرًا إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فلقيه عياش بالحرّة ، فعلاه بالسيف حتى سكت ،[٢] وهو يحسب أنه كافر . ثم جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره ، ونزلت : « وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلاّ خطأً » ، الآية فقرأها عليه ، ثم قال له : قم فحرِّرْ .

١٠٠٩٢ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأً » ، قال : نزلت فى عياش بن أبى ربيعة المخزومى = وكان أخاً لأبى جهل بن هشام ، لأمه[٣] = وإنه أسلم وهاجر فى المهاجرين الأولين قبل قُدُوم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فطلبه أبو جهل والحارث بن هشام ، ومعهما رجل من بنى عامر بن لؤى . ١٢٩/٥ فأتوه بالمدينة ، وكان عياش أحبَّ إخوته إلى أمه ، فكلَّموه وقالوا : « إنّ أمك قد حلفت أن لا يُظِلَّها بيت حتى تراك ، وهى مضطجعة فى الشمس ، فأتها لتنظر إليك ثم ارجع » ! وأعطوه موثقاً من الله لا يَهيجونه حتى يرجع إلى المدينة ،[٤] فأعطاه بعض أصحابه بعيراً له نجيباً وقال : إن خفت منهم شيئاً ، فاقعد على النجيب . فلما أخرجوه من المدينة ، أخذوه فأوثقوه ، وجَلَده العامرىّ ، فحلف ليقتلنّ العامرى . فلم يزل محبوساً بمكة حتى خرج يوم الفتح ، فاستقبله العامرىّ وقد أسلم ، ولا يعلم عيّاش بإسلامه ، فضربه فقتله . فأنزل الله : « وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلاّ

---

(١) فى المطبوعة : « بن نبيشة » ، وفى المخطوطة بهذا الرسم ، بغير ألف فى أوله ، غير منقوطة . والصواب من الإصابة وأسد الغابة وغيرهما .

(٢) « سكت » سكن ، وانقطعت حركته . وهو مما يزاد من المجاز على نصوص المعاجم .

(٣) فى المطبوعة : « فكان أخا . . . » أساء قراءة المخطوطة .

(٤) فى المطبوعة : « لا يحجزونه » ، وهو خطأ وتغيير لما فى المخطوطة . « هاجه يهيجه » : أزعجه ونفره ، يريد : لا يؤذونه بما يزعجه أو ينفره .

خطأً » ، يقول : وهو لا يعلم أنه مؤمن = « ومن قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا » ، فيتركوا الدية .

* * *

وقال آخرون : نزلت هذه الآية فى أبى الدرداء .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٠٩٣ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأً » ، الآية ، قال : نزل هذا فى رجل قتله أبو الدرداء ، نزل هذا كله فيه .(١) كانوا فى سرية ، فعدل أبو الدرداء إلى شِعْبٍ يريد حاجة له، فوجد رجلاً من القوم فى غنم له، فحمل عليه بالسيف فقال : لا إله إلا الله! قال: فضربه ، ثم جاء بغنمه إلى القوم. ثم وجد فى نفسه شيئاً ، فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا شققتَ عن قلبه! فقال: ما عَسَيْتُ أجِدُ ! (٢) هل هو يا رسول الله إلا دم أو ماء ؟ قال: فقد أخبرك بلسانه فلم تصدقه ؟ قال: كيف بى يا رسول الله ؟ قال: فكيف بلا إله إلا الله ؟ قال: فكيف بى يا رسول الله ؟ قال: فكيف بلا إله إلا الله؟ = حتى تمنّيتُ أن يكون ذلك مبتدأ إسلامى. قال : ونزل القرآن : « وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأً » حتى بلغ « إلا أن يصدقوا » ، قال : إلا أن يَضَعوها .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله عرّف عباده بهذه الآية ما على مَن قتل مؤمناً خطأً من كفّارة ودية. وجائز أن تكون الآية نزلت فى عياش بن أبى ربيعة وقتيله ، وفى أبى الدرداء وصاحبه . وأىّ ذلك كان، فالذى

---

(١) حذفت المطبوعة قوله : « نزل هذا كله فيه » ، ولا أدرى لم فعل ذلك ! !

(٢) قوله : « ما عسيت أجد » ، من « عسى » ، كأنه قال : ماذا أجد بقتل إياه وهو مشرك .

عَنَى الله تعالى بالآية: تعريفَ عباده ما ذكرنا، وقد عرف ذلك من عَقَل عنه من عباده تنزيلَه ،[1] وغير ضائرهم جهلهم بمن نزلت فيه .

* * *

وأما « الرقبة المؤمنة » ، فإن أهل العلم مختلفون فى صفتها .

فقال بعضهم : لا تكون الرقبة مؤمنة حتى تكون قد اختارت الإيمان بعد بلوغها ، وصلّت وصامت ، ولا يستحقّ الطفل هذه الصفة .

• ذكر من قال ذلك :

١٠٠٩٤ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن أبى حيان قال : سألت الشعبي عن قوله : « فتحرير رقبة مؤمنة » ، قال : قد صلّت وعرفت الإيمان .

١٠٠٩٥ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « فتحرير رقبة مؤمنة » ، يعنى بالمؤمنة ، مَن عقل الإيمان وصام وصلّى .

١٠٠٩٦ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن إبراهيم قال: ما كان فى القرآن من « رقبة مؤمنة »، فلا يجزئ إلاّ من صام وصلّى. وما كان فى القرآن من « رقبة » ليست « مؤمنة » ، فالصبيّ يجزئ .

١٠٠٩٧ – حدثت عن يزيد بن هرون ، عن هشام بن حسان ، عن الحسن قال: كل شيء فى كتاب الله : « فتحرير رقبة مؤمنة »، فمن صام وصلى وعقل . وإذا قال : « فتحرير رقبة » ، فما شاء .

١٠٠٩٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن الأعمش، عن إبراهيم قال: كل شيء فى القرآن : « فتحرير رقبة

---

(١) فى المخطوطة . « من عقل عنه عباده وتنزيله » ، وهو غير مستقيم ، والذى فى المطبوعة جيد صحيح .

مؤمنة » ، فالذى قد صلى . وما لم يكن « مؤمنة » ، فتحرير من لم يصلّ .

١٠٠٩٩ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : «فتحرير رقبة مؤمنة »، « والرقبة المؤمنة » عند قتادة من قد صلّى. وكان يكره أن يعتق فى هذا الطفل الذى لم يصلّ ولم يبلغ ذلك .

١٠١٠٠ – حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعى قال، حدثنا فضيل بن عياض، عن مغيرة ، عن إبراهيم فى قوله : « فتحرير رقبة مؤمنة » ، قال : إذا عقل دينه .

١٠١٠١ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة قال فى : « فتحرير رقبة مؤمنة » ، لا يجزئ فيها صبىٌّ .

١٣٠/٥ ١٠١٠٢ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « فتحرير رقبة مؤمنة » ، يعنى بالمؤمنة : من قد عقل الإيمان وصام وصلى . فإن لم يجد رقبة ، فصيام شهرين متتابعين ، وعليه دية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا بها عليه .

* * *

وقال آخرون : إذا كان مولوداً بين أبوين مسلمين فهو مؤمن ، وإن كان طفلاً .

* ذكر من قال ذلك :

١٠١٠٣ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء قال : كلّ رقبة ولدت فى الإسلام ، فهى تجزئ .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين بالصواب فى ذلك ، قال من قال : لا يجزئ فى قتل الخطأ من الرقاب إلا من قد آمن وهو يعقل الإيمان من بالغى الرجال والنساء، [1] إذا كان ممن كان أبواه على مِلّة من الملل سوى الإسلام، وولد بينهما

---

(١) فى المطبوعة ، حذف قوله : « بالغى » وجعلها « من الرجال والنساء » ، وكانت فى المخطوطة : « تابعى » ، وهو خطأ صواب قراءته ما أثبت .

وهما كذلك،[١]، ثم لم يسلما ولا واحدٌ منهما حتى أعتِق فى كفارة الخطأ . وأما من ولد بين أبوين مسلمين ، فقد أجمع الجميع من أهل العلم أنه وإن لم يبلغ حدّ الاختيار والتمييز ، ولم يدرك الُحلُم ، فمحكوم له بحكم أهل الإيمان فى الموارثة ، والصلاة عليه إن مات ، وما يجب عليه إن جَنَى ، ويجب له إن جُنِىَ عليه، وفى المناكحة . فإذْ كان ذلك من جميعهم إجماعاً ، فواجب أن يكون له من الحكم = فيما يجزئ فيه من كفارة الخطأ إن أعتق فيها = من حكم أهل الإيمان ، مثلُ الذى له من حكم الإيمان فى سائر المعانى التى ذكرناها وغيرها . ومن أبَى ذلك ، عُكِس عليه الأمر فيه ، ثم سئل الفرق بين ذلك من أصلٍ أو قياس . فلن يقول فى شىء من ذلك قولاً إلاّ ألزم فى غيره مثله .

* * *

وأما « الدية المسلمة » إلى أهل القتيل ، فهى المدفوعة إليهم ، على ما وجب لهم ، موفَّرة غير منتقصةٍ حقوقُ أهلها منها .[٢]

* * *

وذكر عن ابن عباس أنه كان يقول : هى الموفرة .

١٠١٠٤ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس قوله : «ودية مسلمة إلى أهله »، قال : موفَّرة .

* * *

وأما قوله : « إلاّ أن يصَّدّقوا » ، فإنه يعنى به : إلاّ أن يتَصدقوا بالدية على القاتل ، أو على عاقِلته ، فأدغمت « التاء » من قوله : « يتصدقوا » فى « الصاد » فصارتا « صاداً » .

* * *

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « ولد يتيما وهو كذلك » ، والمخطوطة غير منقوطة ، وهو كلام لا خير فيه ولا معنى له ، وصواب قراءته ما أثبت .

(٢) انظر تفسير « مسلمة » فيما سلف ٢ : ١٨٤ ، ٢١٣ — ٢١٥ .

وقد ذكر أن ذلك فى قراءة أبى ، ﴿ إِلَّا أَنْ يَتَصَدَّقُوا ﴾ .

١٠١٠٥ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا بكر بن الشرود حرف أبى : ﴿ إِلَّا أَنْ يَتَصَدَّقُوا ﴾ .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن »، فإن كان هذا القتيل الذى قتله المؤمن خطأً = ، « من قوم عدو لكم » ، يعنى : من عِدَاد قوم أعداءٍ لكم فى الدين مشركين قد نابَذُوكم الحربَ على خلافكم على الإسلام(٢) = « وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة »، يقول: فإذا قتل المسلم خطأً رجلاً من عِداد المشركين ، والمقتول مؤمن ، والقاتل يحسب أنه على كفره ، فعليه تحرير رقبة مؤمنة .

* * *

واختلف أهل التأويل فى معنى ذلك .

فقال بعضهم : معناه : وإن كان المقتول من قوم هم عدو لكم وهو مؤمن = أى : بين أظهرهم لم يهاجر = فقتله مؤمن ، ، فلا دية عليه ، وعليه تحرير رقبة مؤمنة .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) الأثر : ١٠١٠٥ – « إسحق » هو « إسحق بن إبراهيم بن الضيف » أو « إسحق بن الضيف » = و « بكر بن الشرود » ، مضيا برقم : ٨٥٦٢ .

(٢) فى المطبوعة : « لم يأمنوكم الحرب » وفى المخطوطة : « قد يأمنوكم الحرب » وصواب المعنى يقتضى أن تكون « قد نابذوكم الحرب » كما أثبتها .

١٠١٠٦ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن سفيان ، عن سماك ، عن عكرمة والمغيرة ، عن إبراهيم فى قوله : « وإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن » ، قال : هو الرجل يُسْلم فى دار الحرب فيقتل . قال : ليس فيه دية ، وفيه الكفّارة .

١٠١٠٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة فى قوله: « وإن كان من قوم عدوّ لكم وهو مؤمن»، قال: يعنى المقتول يكون مؤمناً وقومه كفار . قال : فليس له دية ، ولكن تحرير رقبة مؤمنة .

١٠١٠٨ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو غسان قال ، حدثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قوله : « فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن » ، قال : يكون الرجل مؤمناً وقومه كفار ، فلا دية له ، ولكن تحرير رقبة مؤمنة .

١٠١٠٩ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن » فى دار الكفر ، يقول : « فتحرير رقبة مؤمنة » ، وليس له دية .

١٠١١٠ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة » ، ولا دية لأهله ، من أجْل أنهم كفار ، وليس بينهم وبين الله عهدٌ ولا ذِمّة . ١٣١/٥

١٠١١١ – حدثنى المثنى قال : حدثنا الحجاج قال ، حدثنا حماد قال ، أخبرنا عطاء بن السائب ، عن ابن عباس أنه قال فى قول الله : « وإن كان من قوم عدوّ لكم وهو مؤمن » إلى آخر الآية ، قال : كان الرجل يسلم ثم يأتى قومه فيقيم فيهم وهم مشركون ، فيمرّ بهم الجيش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقتل فيمن يقتل ، فيعتق قاتله رقبة ، ولا دية له .

١٠١١٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم : «فإن كان من قوم عدوّ لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة » ، قال: هذا إذا كان الرجل المسلم من قوم عدوّ لكم = أى : ليس لهم عهد – يقتل خطأ ، فإن على من قتله تحريرُ رقبة مؤمنة .

١٠١١٣ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن عُلى ، عن ابن عباس : « فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن » ، فإن كان فى أهل الحرب وهو مؤمن ، فقتله خطأ ، فعلى قاتله أن يكفّر بتحرير رقبة مؤمنة ، أو صيام شهرين متتابعين ، ولا دية عليه .

١٠١١٤ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وإن كان من قوم عدوّ لكم وهو مؤمن » ، القتيل مسلم وقومه كفّار ، فتحرير رقبة مؤمنة ، ولا يؤدّى إليهم الدية فيتقوّون بها عليكم .

* * *

وقال آخرون : بل عنى به الرجلُ من أهل الحرب يقدَم دار الإسلام فيسلم ، ثم يرجع إلى دار الحرب ، فإذا مرَّ بهم الجيش من أهل الإسلام هَرَب قومه ، وأقام ذلك المسلم منهم فيها ، فقتله المسلمون وهم يحسبونه كافراً .

* ذكر من قال ذلك :

١٠١١٥ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة » ، فهو المؤمن يكون فى العدوّ من المشركين ، يسمعون بالسريّة من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، فيفرّون ويثبتُ المؤمن ، فيقتل ، ففيه تحرير رقبة مؤمنة .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾

قال أبو جعفر: يعنى جل ثناؤه بقوله : « وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق» ، وإن كان القتيل الذى قتله المؤمن خطأ = « من قوم بينكم » أيها المؤمنون = « وبينهم ميثاق »، أى : عهدٌ وذمة ، وليسوا أهلَ حرب لكم =« فدية مسلّمة إلى أهله » ، يقول : فعلى قاتله دية مسلمة إلى أهله، يتحملها عاقلته = « وتحرير رقبة مؤمنة » ، كفارة لقتله .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى صفة هذا القتيل الذى هو من قوم بيننا وبينهم ميثاق ، أهو مؤمن أو كافر ؟[1]

فقال بعضهم : هو كافر ، إلاّ أنه لزمت قاتلَه ديته ، لأن له ولقومه عهداً ، فواجب أداءُ دِيته إلى قومه للعهد الذى بينهم وبين المؤمنين ، وأنها مال من أموالهم ، ولا يحلّ للمؤمنين شىء من أموالهم بغير طِيب أنفسهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٠١١٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية، عن على ، عن ابن عباس : « وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق » ، يقول : إذا كان كافراً فى ذمتكم فقتل ، فعلى قاتله الدية مسلمةً إلى أهله، وتحرير رقبة مؤمنة ، أو صيام شهرين متتابعين .

١٠١١٧ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن أيوب قال ، سمعت الزهرى يقول : دية الذمىّ دية المسلم . قال : وكان يتأول : « وإن

---

(١) انظر تفسير « الميثاق » فيما سلف ص : ١٩ ، تعليق ١ ، والمراجع هناك .

كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله » .

١٠١١٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله بن إدريس، عن عيسى بن أبي المغيرة ، عن الشعبي في قوله : « وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله » ، قال : من أهل العهد، وليس بمؤمن .

١٠١١٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن مهدي ، عن هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم : « وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق » ، وليس بمؤمن .

١٠١٢٠ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة » ، بقَتْله ، أي : بالذي أصاب من أهل ذمته وعَهدِه = « فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله » ، الآية .

١٠١٢١ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله » ، يقول : فأدوا إليهم الدية بالميثاق . قال : وأهل الذمة يدخلون في هذا = « وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين » . ١٣٢/٥

* * *

وقال آخرون: بل هو مؤمن ، فعلى قاتله دية يؤدِّيها إلى قومه من المشركين ، لأنهم أهل ذمة .

* ذكر من قال ذلك :

١٠١٢٢ – حدثني ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم : « وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة » ، قال : هذا الرجل المسلم وقومه مشركون لهم عقدٌ ، فتكون ديته لقومه ، وميراثه للمسلمين ، ويَعْقِل عنه قومه ، ولهم دِيَته .

١٠١٢٣ – حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن هشيم ، عن أبي إسحق الكوفي ، عن جابر بن زيد في قوله : « وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق » ، قال : وهو مؤمن .

١٠١٢٤ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن مهدي ، عن حماد بن سلمة ، عن يونس ، عن الحسن في قوله : « وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق » ، قال : كلهم مؤمن .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك بتأويل الآية ، قولُ من قال : عنى بذلك المقتولَ من أهل العهد. لأن الله أبهم ذلك فقال : « وإن كان من قوم بينكم وبينهم » ، ولم يقل : « وهو مؤمن » ، كما قال في القتيل من المؤمنين وأهل الحرب = وعنى المقتولَ منهم وهو مؤمن .(٢) فكان في تركه وصفه بالإيمان الذي وصفَ به القتيلين الماضي ذكرهما قبل ، الدليلُ الواضح على صحة ما قلنا في ذلك .

* * *

فإن ظن ظان أنّ في قوله تبارك وتعالى : « فدية مسلمة إلى أهله » ، دليلاً على أنه من أهل الإيمان ، لأن الدية عنده لا تكون إلاّ لمؤمن = فقد ظن خطأ . وذلك أن دية الذمّيّ وأهل الإسلام سواء ، لإجماع جميعهم على أن ديات عبيدهم الكفار وعبيدِ المؤمنين من أهل الإيمان سواء . فكذلك حكم ديات أحرارهم سواءٌ ، مع أن دياتهم لو كانت على ما قال من خالفنا في ذلك ، فجعلها على النّصف من ديات أهل الإيمان أو على الثلث ، لم يكن في ذلك دليلٌ على أن المعنيّ بقوله : « وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق » ، من أهل الإيمان ، لأن دية المؤمنة لا خلافَ

---

(١) في المطبوعة : « قال : هو كافر » ، مكان « كلهم مؤمن » ، والذي في المطبوعة مناقض للترجمة ، والذي أثبته من المخطوطة مخالف أيضاً للترجمة لقوله : « كلهم مؤمن » أي : أنه هو وقومه مؤمنون . إلا أن يكون أراد بقوله : « كلهم » كل قتيل مر ذكره في الآيات السالفة ، وهذا هو الأرجح عندي ، ولم يعن بقوله : « كلهم » قوم القتيل .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « أو عن المؤمن منهم وهو مؤمن » ، ولا معنى له ، والصواب ما أثبت.

بين الجميع = إلاّ من لا يُعدُّ خلافاً = أنها على النصف من دية المؤمن ، وذلك غير مخرجها من أن تكون دية . فكذلك حكم ديات أهل الذمة ، لو كانت مقصِّرة عن ديات أهل الإيمان ، لم يخرجها ذلك من أن تكون ديات . فكيف والأمر فى ذلك بخلافه ، ودياتهم وديات المؤمنين سواء ؟

* * *

وأما « الميثاق » فإنه العهد والذمة . وقد بينا فى غير هذا الموضع أن ذلك كذلك ، والأصل الذى منه أخذ ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .(١)

* ذكر من قال ذلك :

١٠١٢٥ – حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى فى قوله : « وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق » ، يقول : عهد .

١٠١٢٦ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهرى فى قوله : « وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق » ، قال : هو المعاهدة .

١٠١٢٧ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو غسان قال ، حدثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق » ، عهد .

١٠١٢٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة مثله .

* * *

فإن قال قائل : وما صفة الخطأ، الذى إذا قتل المؤمن المؤمنَ أو المعاهِدَ لزمته ديتُه والكفارة ؟

---

(١) انظر تفسير « الميثاق » فيما سلف : ص : ١٩ ، والتعليق : ١ ، وص : ٤١ ، والتعليق : ١ . والمراجع هناك .

قيل : هو ما قال النَّخَعيّ فى ذلك ، وذلك ما : —

١٠١٢٩ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ، حدثنا سفيان ، عن المغيرة ، عن إبراهيم قال : «الخطأ» ، أن يريد الشيء فيصيبَ غيره .

١٠١٣٠ — حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم قالا، حدثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم قال : « الخطأ »، أن يرمى الشيء فيصيب إنساناً وهو لا يريده ، فهو خطأ ، وهو على العاقِلة .(١)

* * *

فإن قال : فما الدية الواجبة فى ذلك ؟

قيل: أما فى قتل المؤمن، فمئة من الإبل، إن كان من أهل الإبل، على عاقلة قاتله . لا خلاف بين الجميع فى ذلك ، وإن كان فى مبلغ أسنانها اختلافٌ بين أهل العلم .

فمنهم من يقول : هى أرباع : خمس وعشرون منها حِقّة ، وخمس وعشرون جَذَعَةَ ، وخمس وعشرون بَنات مَخَاض ، وخمس وعشرون بنات لَبُون .(٢)

* ذكر من قال ذلك .

١٠١٣١ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن على رضى الله عنه فى الخطأ شبه العمد : ثلاثٌ وثلاثون حِقّة ، وثلاث وثلاثون جَذَعة ، وأربع وثلاثون ثَنِيَّة إلى بازِل عامها .(٣) ١٣٣/٥

وفى الخطأ: خمس وعشرون حِقّة، وخمس وعشرون جَذَعة، وخمس وعشرون بنات مخاض ، وخمس وعشر بناتِ لبون .

---

(١) مضى كثيراً تفسير « العاقلة » ، وهم العصبة الذين يؤدون الدية عن القاتل منهم ، من « العقل » ، وهو الدية .

(٢) البعير إذا استكمل السنة الثالثة ودخل فى الرابعة ، فهو حينئذ « حق » (بكسر الحاء) ، والأنثى « حقة » . فإذا استوفى السنة الرابعة ودخل فى الخامسة ، فهو حينئذ « جذع » (بفتحتين) والأنثى « جذعة » . ثم قبل ذلك يكون البعير فصيلا . فإذا استكمل الفصيل الحول ودخل فى الثانية فهو حينئذ « ابن مخاض » ، والأنثى « ابنة مخاض » فإذا استكمل السنة الثانية وطعن فى الثالثة ، فهو حينئذ « ابن لبون » ، والأنثى « ابنة لبون » .

(٣) البعير إذا استكمل السنة الخامسة وطعن فى السادسة ، فهو حينئذ « ثنى » ، والأنثى

١٠١٣٢ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن فراسٍ والشيبانى ، عن الشعبى ، عن على بن أبى طالب بمثله .

١٠١٣٣ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان ، عن أبى إسحق ، عن عاصم بن ضمرة ، عن على رضى الله عنه بنحوه .

١٠١٣٤ – حدثنى واصل بن عبد الأعلى قال، حدثنا ابن فضيل ، عن أشعث بن سوار ، عن الشعبى ، عن على رضى الله عنه أنه قال فى قتل الخطأ : الدية مئة أرباعاً ، ثم ذكر مثله .

* * *

وقال آخرون : هى أخماس : عشرون حقة ، وعشرون جذعة ، وعشرون بنات لبون ، وعشرون بنى لبون ، وعشرون بنات مخاض .

* ذكر من قال ذلك :

١٠١٣٥ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا ابن أبى عدى ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أبى مجلز ، عن أبى عبيدة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن مسعود قال : فى الخطأ عشرون حقة ، وعشرون جذعة ، وعشرون بنات لبون ، وعشرون بنى لبون ، وعشرون بنات مخاض .[1]

١٠١٣٦ – حدثنى واصل بن عبد الأعلى قال ، حدثنا ابن فضيل ، عن أشعث، عن عامر، عن عبد الله بن مسعود فى قتل الخطأ: مئة من الإبل أخماساً:

« ثنية » . فإذا استكمل السنة الثامنة وطعن فى التاسعة وفطر نابه ، فهو حينئذ « بازل » والأنثى « بازل » بغير هاء . قال ابن الأعرابى : « ليس قبل الثنى اسم يسمى ، ولا بعد البازل اسم « يسمى » يعنى أنه ليس للبعير إذا دخل فى السابعة وطعن فى الثامنة اسم يسمى به . وكأن ذلك لأن البازل ربما بزل فى السنة الثامنة . أما « البازل » فهو أقصى أسنان البعير . ثم يقولون بعد « بازل عام » و « بازل عامين » ، وكذلك ما زاد .

(١) أنكر اللغويون أن يقال « بنو لبون » جمع « ابن لبون » ، وقالوا هى « بنات لبون » للذكر والأنثى ، وهذه الآثار الصحاح دالة على أنه صحيح فى العربية .

خُمْس جِذَاع ، وخُمْس حِقَاق ، [١] وخُمْس بنات لبون ، وخمس بنات مَخَاض ، وخمس بنو مخاض .

١٠١٣٧ – حدثنا مجاهد بن موسى قال، حدثنا يزيد قال ، أخبرنا سليمان التيمى ، عن أبى مجلز ، عن أبى عبيدة، عن عبد الله قال : الدية أخماس : دية الخطأ : خمس بنات مخاض ، وخُمْس بنات لبون ، وخُمْس حقاق ، وخُمْس جِذاع ، وخُمْس بنو مخاض .[٢]

* * *

واعتل قائلو هذه المقالة بحديثٍ =

١٠١٣٨ – حدثنا به أبو هشام الرفاعى ،[٣]قال، حدثنا يحيى بن أبى زائدة وأبو خالد الأحمر ، عن حجاج ، عن زيد بن جبير ، عن الخشف بن مالك ، عن عبد الله بن مسعود : أن النبى صلى الله عليه وسلم قضى فى الدية فى الخطأ أخماساً = قال : أبو هشام ، قال ابن أبى زائدة : عشرون حقة ، وعشرون جذعة ، وعشرون ابنة لبون ، وعشرون ابنة مخاض ، وعشرون بنى مخاض .[٤]

---

(١) « الحقاق » ، و « الجذاع » جمع « حقة » و « جذعة » وقد سلف شرحها فى التعليقات قريباً .

(٢) وقوله: « بنو مخاض » مما أنكره اللغويون، لا يقال عندهم فى الجمع إلا « بنات مخاض » ، و « بنات لبون » ومثله « بنات آوى » ، وهذا الأثر وما بعده دال على صحة قولهم : « بنو مخاض » .

(٣) فى المطبوعة : « أبو هشام الرباعى » ، وهو خطأ ، صوابه من المخطوطة ، وقد مضت ترجمته مراراً فى الأجزاء السالفة .

(٤) الأثر : ١٠١٣٨ – « الخشف بن مالك الطائى » ، روى عن أبيه ، وعمر ، وابن مسعود . روى عنه « زيد بن جبير الجشمى » . قال النسائى: « ثقة » ، وقال الدارقطنى فى السنن: « مجهول » . وقال الأزدى : « ليس بذاك » . مترجم فى التهذيب .

وهذا الأثر أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى(٨ : ٧٥ – ٧٦) من طريقين : طريق سعدان ابن نصر ، عن أبى معاوية محمد بن خازم عن الحجاج ، عن زيد بن جبير ، عن خشف بن مالك ، عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الدية فى الخطأ أخماساً . ولم يزد على هذا .

ثم رواه من طريق أبى داود ، عن مسدد ، عن عبد الواحد ، عن الحجاج ، عن زيد بن جبير ، عن خشف بن مالك ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فى دية

١٠١٣٩ – حدثنا أبو هشام قال، حدثنا يحيى ، عن أبيه ، عن أبي إسحق ، عن علقمة ، عن عبد الله : أنه قضى بذلك .

* * *

وقال آخرون : هي أرباع ، غير أنها ثلاثون حقة ، وثلاثون بنات لبون ، وعشرون بنت مخاض ، وعشرون بنو لبون ذكور.

* ذكر من قال ذلك :

١٠١٤٠ – حدثنا ابن بشار قال، حدثني محمد بن بكر قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن عبد ربه ، عن أبي عياض ، عن عثمان وزيد بن ثابت قالا : في الخطأ شبه العمد: أربعون جذعة خَلِفة،(١) وثلاثون حقة ، وثلاثون بنات مخاض = وفي الخطأ ثلاثون حقة ، وثلاثون جذعة ، وعشرون بنات مخاض ، وعشرون بنو لبون ذكور .

١٠١٤١ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا ابن أبي عدي، عن سعيد ، عن

الخطأ عشرون حقة ، وعشرون جذعة ، وعشرون ابنة مخاض ، وعشرون ابنة لبون ، وعشرون ابن مخاض ذكر = قال أبو داود : هو قول عبد الله – يعني : إنما روى من قول عبد الله موقوفاً غير مرفوع .

ثم نقل البيهقي تعليل هذا الحديث عن أبي الحسن الدارقطني فقال : « لا نعلم رواه إلا خشف ابن مالك، وهو رجل مجهول، لم يرو عنه إلا زيد بن جبير بن حرمل الجشمي . ولا نعلم أحداً رواه عن زيد بن جبير إلا حجاج بن أرطاة . والحجاج رجل مشهور بالتدليس ، وبأنه يحدث عمن لم يلقه ولم يسمع منه . قال: ورواه جماعة من الثقات عن حجاج فاختلفوا عليه فيه »ثم ساق الروايات عن الحجاج ، وأنه جعل في بعضها بني اللبون مكان الحقاق . ثم ذكر أنهم لم يرووا فيه تفسير الأخماس ، ثم قال : « فيشبه أن يكون الحجاج ربما كان يفسر الأخماس برأيه بعد فراغه من الحديث ، فيتوهم السامع أن ذلك في الحديث ، وليس كذلك » .

قال البيهقي : « وكيف ما كان ، فالحجاج بن أرطاة غير محتج به ، وخشف بن مالك مجهول ، والصحيح أنه موقوف على عبد الله بن مسعود . والصحيح عن عبد الله أنه جعل أحد أخماسها بني المخاض في الأسانيد التي تقدم ذكرها ، لا كما توهم شيخنا أبو الحسن الدارقطني رحمنا الله وإياه . وقد اعتذر من رغب عن قول عبد الله رضي الله عنه في هذا بشيئين : أحدهما ضعف رواية خشف بن مالك عن ابن مسعود بما ذكرنا ، وانقطاع رواية من رواه عنه موقوفاً » ثم ساق وجوهها وبين انقطاعها .

(١) « الخلفة » (بفتح الخاء وكسر اللام وفتح الفاء) : الناقة الحامل ، وجمع « خلفة » « مخاض » ، كما قالوا « امرأة » و « نسوة » . أما من لفظها فيقال : « خلفات وخلائف » ،

قتادة، عن سعيد بن المسيب ، عن زيد بن ثابت : فى دية الخطأ : ثلاثون حقة ، وثلاثون بنات لبون ، وعشرون بنات مخاض ، وعشرون بنو لبون ذكور .

١٠١٤٢ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا أبو عثمة قال، حدثنا سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن عبد ربه ، عن أبى عياض ، عن عثمان بن عفان رضى الله عنه = قال وحدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، عن زيد بن ثابت ، مثله .(١)

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك : أن الجميع مجمعون أن فى الخطأ المحض على أهل الإبل: مئة من الإبل .

ثم اختلفوا فى مبالغ أسنانها ، وأجمعوا على أنه لا يقصَّر بها فى الذى وجبت له الأسنان عن أقل ما ذكرنا من أسنانها التى حدَّها الذين ذكرنا اختلافهم فيها ، وأنه لا يجاوز بها فى الذى وَجبت له عن أعلاها .(٢) وإذْ كان ذلك من جميعهم إجماعاً ، فالواجب أن يكون مجزياً من لزمته دية قتيل خطأ ، أىَّ هذه الأسنان التى

وفى الحديث : « ثلاث آيات يقرؤها أحدكم ، خير له من ثلاث خلفات سمان عظام » ، وفى حديث هدم الكعبة : « لما هدموها ظهر فيها مثل خلائف الإبل » أى : صخور عظام فى أساسها كالنوق الحوامل .

(١) الأثر : ١٠١٤٢ — « أبو عثمة » ، هو « محمد بن خالد بن عثمة » ، وهو معروف بابن عثمة . وقد سلف مثل ذلك فى رقم : ٥٣١٤ ، ومضت ترجمته فى رقم : ٩٠ ، ٩١ ، ٥٤٨٣ ، ورقم : ٩٥٨٧ . وكان فى المطبوعة هنا « ابن عثمة » وأثبت ما فى المخطوطة ، لما مضى فى رقم : ٥٣١٤ ، وانظر التعليق عليه هناك .

و « عبد ربه » هو : عبد ربه بن أبى يزيد . قال على بن المدينى : « عبد ربه الذى روى عنه قتادة ، مجهول ، لم يرو عنه غير قتادة » . وقال البخارى فى التاريخ : « نسبه همام » . وقال على : « عرفه ابن عيينة ، قال : كان يبيع الثياب » . مترجم فى التهذيب .

« أبو عياض » هو المدنى، مختلف فى اسمه وفى روايته . انظر ترجمته فى التهذيب . وهو يروى عن عبد الله بن مسعود، ويروى عنه قتادة . ودل هذا الأثر على أنه يروى أيضاً عن عثمان بن عفان .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « وأنه لا يجاوز بها الذى وجب عن أعلاها » ، وهو لا يستقيم ، وجعلتها على سياقة التى قبلها فزدت « فى » و « له » .

اختلف المختلفون فيها ، [١] أدّاها إلى من وجبت له . [٢] لأن الله تعالى لم يحدّ ذلك بحدّ لا يجاوز به ولا يقصّر عنه ولا رسولُه ، إلاّ ما ذكرت من إجماعهم فيما أجمعوا عليه ، فإنه ليس للإمام مجاوزة ذلك فى الحكم بتقصير ولا زيادة ، وله التخيير فيما بين ذلك بما رأى الصلاح فيه للفريقين . ١٣٤/٥

* * *

وإن كانت عاقلة القاتل من أهل الذهب ، فإن لورثة القتيل عليهم عندنا ألف دينار . وعليه علماء الأمصار .

* * *

وقال بعضهم : ذلك تقويم من عمر رحمة الله عليه ، للإبل على أهل الذهب فى عصره . والواجب أن يقوّم فى كل زمان قيمتها ، إذا عدم الإبلَ عاقلةُ القاتل ، واعتلوا بما :—

١٠١٤٣ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن أيوب بن موسى ، عن مكحول قال : كانت الدية ترتفع وتنخفض ، فتوفّى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى ثمانمئة دينار ، فخشى عمر من بعد ، فجعلها اثنى عشر ألف درهم ، وألفَ دينار . [٣]

* * *

وأما الذين أوجبوها فى كل زمان على أهل الذهب ذهباً ألف دينار ، فقالوا : ذلك فريضة فرضها الله على لسان رسوله ، كما فرض الإبل على أهل الإبل. قالوا : وفى إجماع علماء الأمصار فى كل عصر وزمان ، إلاّ من شذ عنهم ، على أنها لا تزاد على ألف دينار ولا تنقص عنها = أوضحُ الدليل على أنها الواجبة على أهل الذهب ، وجوبَ الإبل على أهل الإبل ، لأنها لو كانت قيمة لمئة من الإبل ، لاختلف ذلك بالزيادة والنقصان لتغير أسعار الإبل .

---

(١) فى المطبوعة : « دية قتل خطأ » وفى المخطوطة : « ديته قتيل خطأ » ورجحت المخطوطة بعد تصحيح « ديته » إلى « دية » .

(٢) السياق : « أى هذه الأسنان . . . أداها إلى من وجبت له » .

(٣) انظر السنن الكبرى للبيهقى ٨ : ٧٦ — ٨٠ .

وهذا القول هو الحق فى ذلك، لما ذكرنا من إجماع الحجة عليه .

* * *

وأما من الوَرِق على أهل الوَرِق عندنا ، فاثنا عشر ألف درهم ،[1] وقد بينا العلل فى ذلك فى كتابنا ﴿ كتابِ لطيف القول فى أحكام شرائع الإسلام ﴾ .

* * *

وقال آخرون : إنما على أهل الورق من الورِق عشرة آلاف درهم .

* * *

وأما دية المعاهد الذى بيننا وبين قومه ميثاقٌ، فإن أهل العلم اختلفوا فى مبلغها. فقال بعضهم : ديته ودية الحر المسلم سواءٌ .

* ذكر من قال ذلك :

١٠١٤٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا بشر بن السرى ، عن إبراهيم بن سعد ، عن الزهرى : أن أبا بكر وعثمان رضوان الله عليهما ، كانا يجعلان دية اليهودىّ والنصرانىّ، إذا كانا معاهدين ، كدية المسلم .

١٠١٤٥ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا بشر بن السرى ، عن الدستوائى، عن يحيى بن أبى كثير ، عن الحكم بن عيينة: أن ابن مسعود كان يجعل دية أهل الكتاب ، إذا كانوا أهل ذمّة ، كدية المسلمين .

١٠١٤٦ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن حماد قال : سألنى عبد الحميد عن دية أهل الكتاب ، فأخبرته أنّ إبراهيم قال : إن ديتهم وديتنا سواء .

١٠١٤٧ — حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا أبو الوليد قال ، حدثنا حماد ، عن إبراهيم وداود ، عن الشعبى أنهما قالا : دية اليهودىّ والنصرانىّ والمجوسىّ مثل دية الحرّ المسلم .

---

(١) الورق (بفتح فكسر) و « الورق » (بفتح أو كسر ثم سكون) و « الرقة » (بكسر ففتح) : هى الدراهم المضروبة .

١٠١٤٨ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم قال : كان يقال : دية اليهودى والنصرانى والمجوسىّ كدية المسلم ، إذا كانت له ذمة .

١٠١٤٩ – حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية قال، حدثنا ابن أبي نجيح، عن مجاهد وعطاء أنهما قالا : دية المعاهِد دية المسلم .

١٠١٥٠ – حدثنا سوار بن عبدالله قال، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا المسعودى ، عن حماد ، عن إبراهيم أنه قال : دية المسلم والمعاهد سواء .

١٠١٥١ – حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن أيوب قال : سمعت الزهرى يقول : دية الذمىّ دية المسلم .

١٠١٥٢ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن أبي زائدة ، عن أشعث ، عن عامر قال : دية الذمى مثل دية المسلم .

١٠١٥٣ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن أبي زائدة ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن أبي معشر ، عن إبراهيم مثله .

١٠١٥٤ – حدثني أبو السائب قال، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم مثله .[1]

١٠١٥٥ – حدثنا عبد الحميد بن بيان قال ، أخبرنا محمد بن يزيد، عن إسمعيل ، عن عامر : وبلغه أن الحسن كان يقول : « دية المجوسى ثمانمئة ، ودية اليهودى والنصرانى أربعة آلاف » ، فقال : ديتهم واحدة .

١٠١٥٦ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان ،

---

(١) الأثر : ١٠١٥٤ – كان هذا الإسناد فى المطبوعة والمخطوطة متصلا بالذى بعده هكذا : « عن إبراهيم قال حدثنا عبد الحميد بن بيان » ، وهو خطأ ، « إبراهيم » هو النخعى ، الذى سلف فى الآثار السالفة . و « عبد الحميد بن بيان » هو السكرى القناد ، شيخ أبي جعفر . فرجح عندى أن الناسخ جعل مكان « مثله » ، « قال » فرددتها إلى ما يجب

عن قيس بن مسلم ، عن الشعبي قال : دية المعاهد والمسلم في كفّارتهما سواء .

١٠١٥٧ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم قال : دية المعاهد والمسلم سواء .

* * *

وقال آخرون : بل ديته على النصف من دية المسلم .

* ذكر من قال ذلك : ١٣٥/٥

١٠١٥٨ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا داود ، عن عمرو بن شعيب في دية اليهودي والنصرانيّ ، قال : جعلها عمر بن الخطاب رضي الله عنه نصف دية المسلم ، ودية المجوسي ثمانمئة . فقلت لعمرو بن شعيب : إن الحسن يقول : « أربعة آلاف » ! قال : كان ذلك قبل الغِلْمة .[1] وقال : إنما جعل دية المجوسي بمنزلة العبد .

١٠١٥٩ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عبد الله الأشجعي ، عن سفيان ، عن أبي الزناد ، عن عمر بن عبد العزيز قال : دية المعاهد على النصف من دية المسلم .

* * *

وقال آخرون : بل ديته على الثلث من دية المسلم .

* ذكر من قال ذلك :

١٠١٦٠ – حدثني واصل بن عبد الأعلى قال ، حدثنا ابن فضيل ، عن مطرف ، عن أبي عثمان = قال : وكان قاضياً لأهل مَرْو = قال : جعل عمر رضي الله عنه دية اليهودي والنصراني أربعة آلافٍ ، أربعة آلافٍ .

١٠١٦١ – حدثنا عمار بن خالد الواسطي قال ، حدثنا يحيى بن سعيد ،

---

(١) كان في المطبوعة : « لعله كان ذلك قبل » حذف « الغلمة » ، وزاد في أول الكلام « لعله » ، وهو صنيع سيء . فأثبت ما في المخطوطة كما هو ، ولم أعرف ما أراد ، فتركته لمن يعلمه .

عن الأعمش ، عن ثابت ، عن سعيد بن المسيب قال ، قال عمر : دية النصرانى أربعةُ آلاف ، والمجوسى ثمانمئة .

١٠١٦٢ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا عبد الصمد قال ، حدثنا شعبة عن ثابت قال : سمعت سعيد بن المسيب يقول : قال عمر : دية أهل الكتاب أربعة آلاف ، ودية المجوسى ثمانمئة .

١٠١٦٣ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن ثابت ، عن سعيد بن المسيب : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال ، فذكر مثله .

١٠١٦٤ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا ابن أبى عدى ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أبى المليح : أن رجلاً من قومه رمى يهوديًّا أو نصرانيًّا بسهمٍ فقتله ، فرفع ذلك إلى عمر بن الخطاب ، فأغرمه ديته ، أربعةَ آلاف .

١٠١٦٥ — وبه عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب قال ، قال عمر : دية اليهودىّ والنصرانىّ أربعة آلاف ، أربعة آلاف .

١٠١٦٦ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا بعض أصحابنا ، عن سعيد بن المسيب ، عن عمر مثله .

١٠١٦٧ — قال حدثنا هشيم ، عن ابن أبى ليلى ، عن عطاء ، عن عمر مثله .

١٠١٦٨ — قال حدثنا هشيم قال ، أخبرنا يحيى بن سعيد ، عن سليمان ابن يسار أنه قال : دية اليهودى والنصرانىّ أربعة آلاف ، والمجوسى ثمانمئة .

١٠١٦٩ — حدثنا سوار بن عبد الله قال ، حدثنا خالد بن الحارث قال ، حدثنا عبد الملك ، عن عطاء مثله .

١٠١٧٠ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد قال ، سمعت الضحاك فى قوله : « فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين » ، الصيام لمن لا يجد رقبة ، وأما الدية فواجبةٌ لا يبطلها شىء .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ (٩٢)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين » ، فمن لم يجد رقبةً مؤمنة يحرّرها كفارة لخطئه فى قتله من قتل من مؤمن أو معاهد ، لعُسْرته بثمنها = « فصيام شهرين متتابعين » ، يقول : فعليه صيام شهرين متتابعين .

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم فيه بنحو ما قلنا .

* ذكر من قال ذلك :

١٠١٧١ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين » ، قال : من لم يجد عِتْقاً = أو عتاقة ، شك أبو عاصم[1] = فى قتل مؤمن خطأ ، قال : وأنزلت فى عيّاش بن أبى ربيعة ، قتل مؤمناً خطأ .

* * *

وقال آخرون : صوم الشهرين عن الدية والرقبة . قالوا : وتأويل الآية : فمن لم يجد رقبة مؤمنة ، ولا دِية يسلمها إلى أهلها ، فعليه صوم شهرين متتابعين .

* ذكر من قال ذلك :

١٠١٧٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، حدثنا ابن المبارك ، عن زكريا ، عن الشعبى ، عن مسروق : أنه سئل عن الآية التى فى « سورة النساء » : « فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين » : صيام الشهرين عن

---

(١) « العتاقة » (بفتح العين) مصدر : « عتق العبد يعتق عتقاً وعتاقاً وعتاقة » . وانظر « العتاقة » ، فى التعليق على الأثر السالف رقم : ٩٢٦٥ .

الرقبة وحدَها ، أو عن الدية والرقبة ؟ فقال : من لم يجد ، فهو عن الدية والرقبة .

١٠١٧٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن زكريا ، عن عامر ، عن مسروق بنحوه .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك، أن الصوم عن الرقبة دون الدية، لأن دية الخطأ على عاقلة القاتل، والكفارة على القاتل ، بإجماع الحجّة على ذلك نقلاً عن نبيها صلى الله عليه وسلم،[1] فلا يقضى صومُ صائم عما لزم غيرَه في ماله. ٥/١٣٦

* * *

و « المتابعة » صوم الشهرين ، وأن لا يقطعه بإفطار بعض أيامه لغير علة حائلة بينه وبين صومه .[2]

* * *

ثم قال جل ثناؤه : « توبةً من الله وكان الله عليماً حكيما » ، يعني : تجاوزاً من الله لكم إلى التيسير عليكم ، بتخفيفه عنكم ما خفف عنكم من فرض تحرير الرقبة المؤمنة إذا أعسرتم بها ، بإيجابه عليكم صوم شهرين متتابعين = « وكان الله عليماً حكيماً » ، يقول : ولم يزل الله = « عليماً » ، بما يصلح عباده فيما يكلفهم من فرائضه وغير ذلك = « حكيماً » ، بما يقضي فيهم ويريد .[3]

* * *

---

(١) في المطبوعة : « عن نبينا » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) في المطبوعة : « ولا يقطعه » وأثبت ما في المخطوطة .

(٣) انظر تفسير « التوبة » ، و « كان » ، و « عليم » و « حكيم » في موادها من فهارس اللغة في الأجزاء السالفة .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (٩٣)

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : ومن يقتل مؤمناً عامداً قتله ، مريداً إتلاف نفسه = « فجزاؤه جهنم » ، يقول : فثوابه من قتله إياه[١] = « جهنم » ، يعني : عذاب جهنم = « خالداً فيها » ، يعني : باقياً فيها[٢] = و « الهاء » و « الألف » فى قوله : « فيها » من ذكر « جهنم » = « وغضب الله عليه » ، يقول : وغضب الله عليه بقتله إياه متعمداً[٣] = « ولعنه » يقول : وأبعده من رحمته وأخزاه[٤] = « وأعد له عذاباً عظيماً » ، وذلك ما لا يعلم قدر مبلغه سواه تعالى ذكره .

* * *

واختلف أهل التأويل فى صفة القتل الذى يستحق صاحبُه أن يسمى متعمِّداً ، بعد إجماع جميعهم على أنه إذا ضرب رجلٌ رجلاً بحدِّ حديد يجرح بحدِّه ، أو يَبْضَع ويقطع ،[٥] فلم يقلع عنه ضرباً به حتى أتلف نفسه ، وهو فى حال ضربه إياه به قاصدٌ ضربَه : أنه عامدٌ قتلَه . ثم اختلفوا فيما عدا ذلك .

فقال بعضهم : لا عمدَ إلاّ ما كان كذلك على الصفة التى وصفنا .

* ذكر من قال ذلك :

١٠١٧٤ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن أبى زائدة قال ، أخبرنا ابن جريج قال : قال عطاء : « العَمد » ، السلاح = أو قال : الحديد = قال : وقال سعيد بن المسيب : هو السلاح .

---

(١) انظر تفسير « الجزاء » فيما سلف ٢ : ٢٧ ، ٢٨ ، ٦/٣١٤ : ٥٧٦ .

(٢) انظر تفسير « الخلود » فيما سلف ٦ : ٥٧٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « غضب الله » فيما سلف ١ : ١٨٨ ، ٢/١٨٩ : ١٣٨ ، ٧/٣٤٧ : ٩١٦

(٤) انظر تفسير « اللعنة » فيما سلف ٢ : ٣٢٨ ، ٣/٣٢٩ : ٢٥٤ ، ٦/٢٦١ : ٥٧٧ / ٨ : ٤٣٩ ، ٤٧١

(٥) « بضع اللحم يبضعه » : قطعه .

١٠١٧٥ ـ حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم قالا، حدثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم قال : العمد ما كان بحديدة ، وما كان بدون حديدة ، فهو شبه العمد ، لا قَوَد فيه .

١٠١٧٦ ـ حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن المغيرة، عن إبراهيم قال: العمد ما كان بحديدة، وشبه العمد ما كان بخَشَبة . وشبه العمد لا يكون إلاّ في النفس .(١)

١٠١٧٨ ـ حدثني أحمد بن حماد الدولابي قال، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن طاوس قال: من قتل في عصبيّة، في رمي يكون منهم بحجارة ، أو جلد بالسياط ، أو ضرب بالعصى ، فهو خطأ ، ديته دية الخطأ . ومن قتل عمداً فهو قَوَد يدِه .(٢)

١٠١٧٩ ـ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، ومغيرة ، عن الحارث وأصحابه ، في الرجل يضرب الرجل فيكون مريضاً حتى يموت ، قال : أسأل الشهودَ أنه ضربه ، فلم يزل مريضاً من ضربته حتى ماتَ، فإن كان بسلاح فهو قَوَد ، وإن كان بغير ذلك فهو شِبْه العمد .

* * *

وقال آخرون : كلّ ما عمد الضارب إتلاف نفس المضروب فهو عمد ، إذا كان الذي ضرب به الأغلب منه أنه يقتل .(٣)

* ذكر من قال ذلك :

١٠١٨٠ ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى ، عن حبان بن أبي جبلة ، عن عبيد بن عمير أنه قال : وأى

---

(١) سقط من الترقيم رقم : ١٠١٧٧ .

(٢) في المطبوعة : « قود يديه » ، وأثبت ما في المخطوطة . وقوله : « قود يده » ، أي قود بما جنت يده .

(٣) في المطبوعة والمخطوطة : « إذا كان الذي ضرب الأغلب » ، والسياق يقتضي إثبات « به » حيث أثبتها .

عمد هو أعمد من أن يضرب رجلاً بعصا ، ثم لا يقلع عنه حتى يموت ؟(١)

١٠١٨١ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي هاشم ، عن إبراهيم قال : إذا خنقه بحبل حتى يموت ، أو ضربه بخشبة حتى يموت ، فهو القَوَد .

* * *

وعلة من قال : « كل ما عدا الحديد خطأ » ، ما : –

١٠١٨٢ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن جابر ، عن أبي عازب ، عن النعمان بن بشير قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : كل شيء خطأ إلاّ السيف ، ولكل خطأ أرْش ؟(٢)

* * *

---

(١) الأثر : ١٠١٨٠ – « حبان بن أبي جبلة القرشي ، مولاهم ، المصري . روى عن عمرو بن العاص ، والعبادلة إلا ابن الزبير ، مضت ترجمته برقم : ٢١٩٥ .

أما « عبد الرحمن بن يحيى » ، فلم أعرف من هو ، وأخشى أن يكون « صوابه » عبد الرحمن ابن أنعم ، وهو : « عبد الرحمن بن زياد بن أنعم بن ذرى بن يحمد الإفريقي » ، وسلفت ترجمته برقم ٢١٩٥ ، وروايته أيضاً عن « حبان بن أبي جبلة » .

(٢) الحديث : ١٠١٨٢ – سفيان : هو الثوري .

جابر : هو ابن يزيد الجعفي . وهو ضعيف جداً ، رمي بالكذب ، كما بينا في : ٢٣٤٠ .

أبو عازب : رجل كوفي غير معروف . قيل : اسمه « مسلم بن عمرو » ، وقيل : « مسلم ابن أراك » . لم يرو عنه غير جابر الجعفي – هذا – و « الحارث بن زياد » .

و « الحارث بن زياد » – هذا – : لا يعرف أحداً ، فإنه هو مجهول . ترجمه ابن أبي حاتم ٧٥/٢/١ . وروى عن أبيه أنه قال : « هو مجهول » . ولم يترجم له البخاري .

وأما أبو عازب : فقد ترجم له البخاري في الكبير ٢٦٨/١/٤ ، وابن أبي حاتم ١٩٠/١/٤ – كلاهما في اسم « مسلم بن عمرو » .

وهو – على الرغم من هذا – لا يزال مجهولا ، إذ لم يرو عنه ثقة معروف .

والحديث رواه أحمد في المسند ٤ : ٢٧٢ (حلبي) ، عن وكيع ، بهذا الإسناد . ولكن بلفظ « لكل شيء خطأ » بزيادة اللام في « كل » .

ثم رواه ٤ : ٢٧٥ (حلبي) ، عن أحمد بن عبد الملك ، عن زهير ، عن جابر – وهو الجعفي – به ، بلفظ « كل شيء خطأ إلا السيف ، وفي كل خطأ أرش » .

ورواه البيهقي في السنن الكبرى ٨ : ٤٢ ، بثلاثة أسانيد ، من طريق جابر الجعفي .

ثم رواه بإسناد آخر ، من طريق قيس بن الربيع ، عن أبي حصين ، عن إبرهيم ابن بنت

وعلة من قال : « حكم كلّ ما قتل المضروب به من شيء ، حكم السيف ، في أنّ من قتل به قتيلُ عمد » ، ما : —

١٠١٨٣ — حدثنا به ابن بشار قال، حدثنا أبو الوليد قال ، حدثنا همام ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك : أن يهوديًّا قتل جارية على أوضاحٍ لها بين حجرين ، فأتى به النبي صلى الله عليه وسلم فقتله بين حجرين .(١)

* * *

قالوا : فأقاد النبي صلى الله عليه وسلم من قاتل بحجر ، وذلك غير حديدٍ . قالوا : وكذلك حكم كل من قتل رجلاً بشيء الأغلب منه أنه يقتل مثلَ المقتول به ، نظيرُ حكم اليهوديّ القاتلِ الجارية بين الحجرين .

* * *

١٣٧/٥ قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا ، قولُ من قال : كل من ضرب إنساناً بشيء الأغلب منه أنه يتلفه ، فلم يقلع عنه حتى أتلف نفسَه به : أنه قاتل عمدٍ ، ما كان المضروب به من شيء ،(٢) للذي ذكرنا من الخبر عن

النعمان بن بشير ، عن النعمان . ثم قال : « مدار هذا الحديث على جابر الجعفي ، وقيس بن الربيع ، ولا يحتج بهما » .

وذكره الزيلعي في نصب الراية ٤ : ٣٣٣ ، من رواية المسند . وأعله بما قاله صاحب التنقيح : « وعلى كل حال فأبو عازب ليس بمعروف » . ثم نقل تعليله عن البيهقي في المعرفة بمثل ما أعله به في السنن الكبرى . ولم يعقب عليهما .

(١) الحديث : ١٠١٨٣ — هذا مختصر من حديث صحيح متفق عليه .

رواه البخاري ١٢ : ١٧٤ — ١٧٥ ، ١٨٧ — ١٨٨ ، ومسلم ٢ : ٢٧ — كلاهما من طريق همام ، عن قتادة ، عن أنس .

ورواه البخاري أيضاً ١٢ : ١٧٦ ، ١٨٠ ، ومسلم ٢ : ٢٦ — ٢٧ ، من أوجه أخر عن أنس .

وذكره المجد بن تيمية في المنتقى : ٣٩١٥ ، وقال : « رواه الجماعة » — يعني الإمام أحمد وأصحاب الكتب الستة .

= « الأوضاح » جمع وضح (بفتحتين) ، وهو الدرهم الصحيح . ثم اتخذ حلى من الدراهم الصحاح من الفضة ، فقيل لها « أوضاح » .

(٢) قوله : « ما كان المضروب به من شيء » يعني : أي شيء كان المضروب به .

رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

وأما قوله : « فجزاؤه جهنم خالداً فيها » ، فإن أهل التأويل اختلفوا فى معناه . فقال بعضهم معناه : فجزاؤه جهنم إن جازاه .

* ذكر من قال ذلك :

١٠١٨٤ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال حدثنا ابن علية ، عن سليمان التيمى ، عن أبى مجلز فى قوله : « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم » ، قال : هو جزاؤه ، وإن شاء تجاوز عنه .

١٠١٨٥ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله قال ، حدثنا شعبة ، عن يسار ، عن أبى صالح : « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم » ، قال : جزاؤه جهنم إن جازاه .

* * *

وقال آخرون : عُنِى بذلك رجل بعينه ، كان أسلم فارتدّ عن إسلامه ، وقتل رجلاً مؤمناً . قالوا : فمعنى الآية : ومن يقتل مؤمناً متعمداً مستحلاً قتلَه ، فجزاؤه جهنم خالداً فيها .

* ذكر من قال ذلك :

١٠١٨٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة : أن رجلاً من الأنصار قتل أخا مقيس بن صُبَابة ، فأعطاه النبى صلى الله عليه وسلم الديةَ فقبلها ، ثم وثب على قاتل أخيه فقتله = قال ابن جريج : وقال غيره : ضرب النبىّ صلى الله عليه وسلم ديتَه على بنى النجار ، ثم بعث مقيساً ، وبعث معه رجلا من بنى فهر فى حاجة للنبى صلى الله عليه وسلم ، فاحتمل مقيسٌ الفِهرىّ[1] = وكان أيِّداً[2] = فضرب به الأرض ،

---

(١) « مقيس الفهرى » ، والأشهر « السهمى » ، وهو واحد ، لأنه من بنى سهم بن عمرو ابن هصيص بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر .

(٢) « الأيد » على وزن « سيد » الشديد القوى ، من « الأيد » (بفتح فسكون) وهو القوة .

ورَضخَ رأسه بين حجرين ، ثم ألقى يتغنى :

ثَأَرْتُ بِهِ فِهْرًا ، وَحَمَّلْتُ عَقْلَهُ سَرَاةَ بَنِي النَّجَّارِ أَرْبَابِ فَارِعِ (١)

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أظنّه قد أحدث حدثاً ! أما والله لئن كان فعل ، لا أومِنه فى حِلّ ولا حَرَم ولا سلم ولا حرب ! فقتل يوم الفتح = قال ابن جريج : وفيه نزلت هذه الآية : « ومن يقتل مؤمناً متعمداً » ، الآية .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : إلاّ من تاب .

* ذكر من قال ذلك :

١٠١٨٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن منصور قال ، حدثنى سعيد بن جبير = أو : حدثنى الحكم ، عن سعيد بن جبير = قال : سألت ابن عباس عن قوله : « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم » ، قال : إن الرجل إذا عرف الإسلام وشرائع الإسلام ، ثم قتل مؤمناً متعمداً ، فجزاؤه جهنم ، ولا توبة

---

(١) سيرة ابن هشام ٣ : ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، تاريخ الطبرى ٣ : ٦٦ ، معجم البلدان (فارع) ، وهو آخر أبيات أربعة هى :

شَفَى النَّفْسَ أَنْ قَدْ بَاتَ بِالْقَاعِ مُسْنَدًا تُضَرِّجُ ثَوْبَيْهِ دِمَاءُ الْأَخَادِعِ
وَكَانَتْ هُمُومُ النَّفْسِ مِنْ قَبْلِ قَتْلِهِ تُلِمُّ فَتَحْمِينِي وِطَاءَ الْمَضَاجِعِ
حَلَلْتُ بِهِ وِتْرِي ، وَأَدْرَكْتُ ثُؤْرَتِي وَكُنْتُ إِلَى الْأَوْثَانِ أَوَّلَ رَاجِعِ
ثَأَرْتُ بِهِ فِهْرًا . . . . . .

وكان فى المخطوطة والمطبوعة : «قتلت به فهراً» ، وليس صواباً ، إنما قتل قاتل أخيه هشام ابن صبابة ، قالوا : اسمه « أوس » ، لا « فهر » . أما « فهر » فى قوله : « ثأرت به فهراً » فإنه يعنى أبناء فهر ، وهم رهطه ، أدرك ثأرهم بقتله الأنصارى . وفى مطبوعة تاريخ الطبرى « قهراً » بالقاف ، والصواب بالفاء و « فارع » أطم بالمدينة لبنى النجار ، كان لحسان بن ثابت رحمه الله ، ذكره فى شعره .

له = فذكرت ذلك لمجاهد فقال : إلا من نَدم .

* * *

وقال آخرون : ذلك إيجاب من الله الوعيدَ لقاتل المؤمن متعمّداً ، كائناً من كان القاتل ، على ما وصفه فى كتابه ، ولم يجعل له توبة من فعله . قالوا : فكل قاتل مؤمن عمداً ، فله ما أوعده الله من العذاب والخلود فى النار ، ولا توبة له . وقالوا : نزلت هذه الآية بعد التى فى « سورة الفرقان » .

* ذكر من قال ذلك :

١٠١٨٨ — حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا ، حدثنا جرير ، عن يحيى الجابر ، عن سالم بن أبى الجعد قال : كنا عند ابن عباس بعد ما كُفَّ بصره ، فأتاه رجل فناداه : يا عبد الله بن عباس ، ما ترى فى رجل قتل مؤمناً متعمداً ؟ فقال : « جزاؤه جهنم خالداً فيها وغضبَ الله عليه ولعنه وأعدَّ له عذاباً عظيماً » . قال : أفرأيت إن تاب وآمن وعمِل صالحاً ثم اهتدى ؟ قال ابن عباس : ثكلتْه أمه ! وأنَّى له التوبة والهدى ؟ فوالذى نفسى بيده لقد سمعت نبيّكم صلى الله عليه وسلم يقول : ثكلته أمه ! رجل قتل رجلاً متعمداً جاء يوم القيامة آخذاً بيمينه أو بشماله ، تَشْخَبُ أوداجه دماً ، فى قُبُل عرش الرحمن ، يلزم قاتلَه بيده الأخرى يقول : سلْ هذا فيم قتلنى ؟ ووالذى نفس عبد الله بيده ، لقد أنزلت هذه الآية ، فما نسختها من آية حتى قُبض نبيّكم صلى الله عليه وسلم ، وما نزل بعدها من برهان .(١)

---

(١) الأثر : ١٠١٨٨ — « يحيى الجابر » هو « يحيى بن المجبر » ، وهو : يحيى بن عبد الله ابن الحارث المجبر التيمى وثقه أخى السيد أحمد فى المسند .

ورواه أحمد فى المسند رقم : ٢١٤٢ بطوله ، وهو حديث صحيح ، من طريق محمد بن جعفر عن شعبة ، عن يحيى بن المجبر التيمى . ثم رواه برقم : ٢٠٦٨٣ ، ورواه مختصراً برقم : ١٩٤١ ، ٤٤٤٥ . وانظر ابن كثير ٢ : ٥٣٧ — ٥٣٩ .

وقوله : « تشخب أوداجه دما » ، أى تسيل دماً له صوت فى خروجه ، و « الشخب » ، ما يخرج من تحت يد الحالب عند كل غمزة وعصرة لضرع الشاة ، ويكون لخروجه صوت عند الحلب . و « الأوداج »

١٠١٨٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو خالد : عن عمرو بن قيس، عن يحيى بن الحارث التيمى ، عن سالم بن أبى الجعد ، عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذاباً عظيماً » ، فقيل له : وإن تاب وآمن وعمل وصالحاً ! فقال : وأنّى له التوبة ! (١)

١٠١٩٠ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا موسى بن داود قال ، حدثنا همام ، عن يحيى ، عن رجل ، عن سالم قال : كنت جالساً مع ابن عباس ، فسأله رجل فقال : أرأيت رجلاً قتل مؤمناً متعمداً ، أين منزله ؟ قال: « جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذاباً عظيماً » .قال : أفرأيت إن هو تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى ؟ قال: وأنّى له الهدى، ثكلته أمه ؟ والذى نفسى بيده لسمعته يقول = يعنى النبىّ صلى الله عليه وسلم = يجىء يوم القيامة مُعَلِّقاً رأسه بإحدى يديه ، إما بيمينه أو بشماله ، آخذاً صاحبه بيده الأخرى ، تشخَبُ أوداجه حِيَال عرش الرحمن، يقول: يا رب، سلْ عبدك هذا عَلاَم قتلنى ؟ فما جاء نبىّ بعد نبيّكم ، ولا نزل كتابٌ بعد كتابكم . (٢)

١٣٨/٥

جمع « ودج » (بفتحتين) ، وهى العروق التى تكتنف الحلقوم ، وما أحاط بالعنق من العروق التى يقطعها الذابح .

وقوله : « فى قبل عرش الرحمن » ، « قبل » (بضم فسكون) ، أو (بفتحتين) أو (بضمتين) كل ذلك جائز ، وهو الوجه ، أو ما يستقبلك من شىء ، ويعنى به ما بين يدى العرش حيث يستقبله الناظر .

(١) الأثر : ١٠١٨٩ – « أبو خالد » الأحمر ، هو سليمان بن حيان الأزدى ، مضى برقم : ٣٩٥٦ ، ورواية سفيان بن وكيع عنه برقم : ٢٤٧٢ .

و « عمرو بن قيس الملائى » ، مضى مراراً ، وانظر رقم : ٣٩٥٦ .

و « يحيى بن الحارث التيمى » هو « يحيى الجابر » ، و « يحيى بن عبد الله بن الحارث » نسب إلى جده ، ومضى فى الأثر السالف .

وهذا الأثر مختصر الذى قبله .

(٢) الأثر : ١٠١٩٠ – « موسى بن داود الضبى الطرسوسى » ، من شيوخ أحمد وعلى بن المدينى . ثقة صاحب حديث ، ولى قضاء طرسوس إلى أن مات بها .

١٠١٩١ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا قبيصة قال، حدثنا عمار بن رُزيق ، عن عمار الدهنى ، عن سالم بن أبى الجعد ، عن ابن عباس : بنحوه = إلا أنه قال فى حديثه : فوالله لقد أنزلت على نبيكم ، ثم ما نسخها شىء ، ولقد سمعته يقول : ويل لقاتل المؤمن ، يجىء يوم القيامة آخذاً رأسه بيده = ثم ذكر الحديث نحوه .(١)

١٠١٩٢ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا ابن أبى عدى ، عن سعيد ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير قال: قال لى عبد الرحمن بن أبزى: سئل ابن عباس عن قوله: «ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم » ، فقال : لم ينسخها شىء. وقال فى هذه الآية: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ [سورة الفرقان: ٦٨]. قال : نزلت فى أهل الشرك .

١٠١٩٣ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن منصور ، عن سعيد بن جبير قال : أمرنى عبد الرحمن بن أبزى أن أسأل ابن عباس عن هاتين الآيتين ، فذكر نحوه .(٢)

١٠١٩٤ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا طلق بن غنام ، عن زائدة ، عن منصور قال ، حدثنى سعيد بن جبير = أو : حُدِّثت عن سعيد بن جبير : أن عبد الرحمن بن أبزى أمرَه أن يسأل ابن عباس عن هاتين الآيتين التى فى « النساء » :

و « همام » هو ابن يحيى بن دينار الأزدى ، روى عن عطاء وقتادة وابن سيرين . روى عن الثورى ، وهو من أقرانه . ثقة .

وهذا الأثر طريق آخر للأثر السالف بمعناه ، وجعل بين يحيى الجابر ، وسالم بن أبى الجعد « رجلا » ، ويحيى قد سمع سالماً ، فلا يضر أن يكون سمعه أيضاً من رجل عن سالم .

(١) الأثر : ١٠١٩١ – « عمار بن رزيق الضبى » ، أبو الأحوص . روى عن أبى إسحق السبيعى والأعمش وعطاء بن السائب ، وغيرهم . قال ابن معين : ثقة . مترجم فى التهذيب . وكان فى المطبوعة : « عمان بن زريق » بالنون فى « عمار » وبتقديم الزاى على الراء ، وهو خطأ .

(٢) الأثر : ١٠١٩٢ ، ١٠١٩٣ – رواه مسلم (١٨ : ١٥٨) والبخارى (فتح ٨ : ٣٨٠) من طريق محمد بن بشار ومحمد بن المثنى ، كالإسناد الثانى .

« ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم » إلى آخر الآية = والتى فى « الفرقان » : ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ إلى ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ ، قال ابن عباس : إذا دخل الرجل فى الإسلام وعلم شرائعه وأمره ، ثم قتل مؤمناً متعمداً ، فلا توبة له . وأما التى فى « الفرقان » ، فإنها لما أنزلت قال المشركون من أهل مكة : فقد عدلنا بالله ، وقتلنا النفس التى حرم الله بغير الحق ، وأتينا الفواحش ، فما ينفعنا الإسلام ! قال فنزلت : ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ الآية.(١)

١٠١٩٥ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن المغيرة بن النعمان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى قوله : « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم » ، قال : ما نسخها شىء .

١٠١٩٦ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا شعبة ، عن المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : هى من آخر ما نزلت ، ما نسخها شىء .

١٠١٩٧ — حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن المغيرة بن النعمان ، عن سعيد بن جبير قال : اختلف أهل الكوفة فى قتل المؤمن ، فدخلت إلى ابن عباس فسألته فقال : لقد نزلت فى آخر ما أنزل من القرآن ، وما نسخها شىء .(٢)

١٠١٩٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا آدم العسقلانى قال : حدثنا شعبة قال ، حدثنا أبو إياس معاوية بن قرّة قال ، أخبرنى شهر بن حوشب قال ،

---

(١) الأثر : ١٠١٩٤ — رواه البخارى (فتح ٨ : ٣٧٩) ومسلم (١٨ : ١٥٩) . رواه البخارى من طريق سعد بن حفص ، عن شيبان ، عن منصور . ورواه مسلم من طريق هارون ابن عبد الله ، عن أبى النضر هاشم بن القاسم الليثى ، عن أبى معاوية شيبان .
وأسقطت المخطوطة : « وأتينا الفواحش » . وليس فيها كلمة « الآية » فى آخر الأثر .

(٢) الآثار ١٠١٩٥ — ١٠١٩٧ — هذه الآثار ، رواها البخارى فى صحيحه (فتح ٨ ٣٧٩) ومسلم (١٨ : ١٥٨) . وقد استقصى الحافظ ابن حجر الكلام فيها فى الفتح .
وكان فى المطبوعة : « لقد نزلت فى آخر ما نزل » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

سمعت ابن عباس يقول : نزلت هذه الآية : « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم » بعد قوله : ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ ، بسنة .

١٠١٩٩ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا سلم بن قتيبة قال، حدثنا شعبة، عن معاوية بن قرة ، عن ابن عباس قال : « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم » ، قال : نزلت بعد ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ ﴾ ، بسنة .

١٠٢٠٠ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال ، حدثنا شعبة قال ، حدثنا أبو إياس قال ، حدثني من سمع ابن عباس يقول في قاتل المؤمن : نزلت بعد ذلك بسنة . فقلت لأبي إياس : من أخبرك ؟ فقال : شهر بن حَوْشب .

١٠٢٠١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري ، عن أبي حصين ، عن سعيد ، عن ابن عباس في قوله : « ومن يقتل مؤمناً متعمداً » ، قال : ليس لقاتل توبة ، إلا أن يستغفر الله .

١٠٢٠٢ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ومن يقتل مؤمناً متعمداً » ١٣٩/٥
الآية ، قال عطية : وسئل عنها ابن عباس ، فزعم أنها نزلت بعد الآية التي في « سورة الفرقان » بثمان سنين ، وهو قوله : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ﴾ إلى قوله : ﴿ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ .

١٠٢٠٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن مطرف عن أبي السفر ، عن ناجية، عن ابن عباس قال : هما المبهمتان : الشرك والقتل .[1]

١٠٢٠٤ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قال : أكبر الكبائر الإشراك

(١) يعني بقوله : « المبهمتان » ، يعني : الآيتان اللتان لا مخرج منهما ، كأنها باب مبهم مصمت ، أي : مستغلق لا يفتح ، ولا مأتى له . وذلك أن الشرك والقتل ، جزاؤه التخليد في نار

بالله ، وقتل النفس التي حرم الله ، لأن الله سبحانه يقول : « فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذاباً عظيماً » .

١٠٢٠٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن بعض أشياخه الكوفيين ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن ابن مسعود في قوله : « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم » ، قال : إنها لمحكمة، وما تزداد إلاّ شدة .

١٠٢٠٦ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثمان بن سعيد قال ، حدثني هياج بن بسطام،عن محمد بن عمرو ، عن موسى بن عقبة ، عن أبي الزناد ، عن خارجة بن زيد، عن زيد بن ثابت قال : نزلت « سورة النساء » بعد « سورة الفرقان » بستة أشهر .(١)

١٠٢٠٧ – حدثنا ابن البرقي قال، حدثنا ابن أبي مريم قال ، أخبرنا نافع ابن يزيد قال ، حدثني أبو صخر ، عن أبي معاوية البجلي ، عن سعيد بن جبير قال ، قال ابن عباس : يأتي المقتول يوم القيامة آخذاً رأسه بيمينه وأوداجه تشخَب دماً ، يقول : يا ربِّ ، دمي عند فلان ! فيؤخذان فيسندان إلى العرش، فما أدري ما يقضى بينهما . ثم نزع بهذه الآية : «ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها » الآية.قال ابن عباس : والذي نفسي بيده ، ما نسخها الله جل وعز منذ أنزلها على نبيّكم عليه السلام .(٢)

١٠٢٠٨ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن ابن عيينة ،

جهنم ، أعاذنا الله منها . ومثله في الحديث : « أربع مبهمات : النذر والنكاح والطلاق والعتاق » ، وفسرته رواية أخرى : « أربع مقفلات » ، أي : لا مخرج منها ، كأنها أبواب مبهمة عليها أقفال .

وقد مضى تفسير « المبهم » فيما سلف ٨ : ١٤٣ ، تعليق : ٢ ، بغير هذا المعنى ، فانظره .

(١) الأثر : ١٠٢٠٦ – « هياج بن بسطام الهروي » ، مضت ترجمته برقم : ٩٦٠٣ .

(٢) الأثر : ١٠٢٠٧ – « ابن البرقي » ، هو « أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم البرقي » سلف برقم : ٢٢ . وكان في المطبوعة « ابن الرقي » وهو خطأ .

و « ابن أبي مريم » ، هو « سعيد بن الحكم بن محمد بن سالم الجمحي » ، مضى برقم : ٢٢ ، وغيره من المواضع .

وهذا الأثر ساقط من المخطوطة .

عن أبي الزناد قال: سمعت رجلاً يحدّث خارجة بن زيد بن ثابت ، عن زيد بن ثابت قال ، سمعت أباك يقول: نزلت الشديدةُ بعد الهيِّنة بستة أشهر ، قوله : « ومن يقتل مؤمناً متعمداً » ، إلى آخر الآية ، بعد قوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ﴾ إلى آخر الآية ، [سورة الفرقان ، ٦٨] .

١٠٢٠٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة، عن أبي الزناد قال : سمعت رجلاً يحدّث خارجة بن زيد قال : سمعت أباك فى هذا المكان بمنًى يقول : نزلت الشديدة بعد الهينة = قال : أراه: بستة أشهر ، يعنى : « ومن يقتل مؤمناً متعمداً » بعد: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾ [سورة النساء : ٤٨ ، ١١٦] .

١٠٢١٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك بن مزاحم قال : ما نسخها شيء منذ نزلت ، وليس له توبة .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب ،(١) قول من قال : معناه : ومن يقتل مؤمناً متعمداً ، فجزاؤه إن جزاه جهنم خالداً فيها ، ولكنه يعفو ويتفضّل على أهل الإيمان به وبرسوله ،(٢) فلا يجازيهم بالخلود فيها ، ولكنه عز ذكره إما أن يعفو بفضله فلا يدخله النار ، وإما أن يدخله إيّاها ثم يخرجه منها بفضل رحمته ، لما سلف من وعده عباده المؤمنين بقوله: ﴿ يَا عِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [سورة الزمر : ٥٣] .

* * *

فإن ظن ظان أن القاتل إن وجب أن يكون داخلاً فى هذه الآية ، فقد يجب أن يكون المشرك داخلاً فيه، لأن الشرك من الذنوب ، فإن الله عز ذكرُه قد أخبر

(١) فى المطبوعة : « وأولى القول فى ذلك » ، والصواب من المخطوطة .
(٢) فى المطبوعة : « يعفو أو يتفضل » ، والصواب من المخطوطة .

أنه غير غافر الشرك لأحد بقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [سورة النساء : ٤٨ ، ١١٦] ، والقتل دون الشرك .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (٩٤)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « يا أيها الذين آمنوا » ، يا أيها الذين صدّقوا الله وصدّقوا رسوله فيما جاءهم به من عند ربهم = « إذا ضربتم فى سبيل الله » ، يقول : إذا سرتم مسيراً لله فى جهاد أعدائكم(٢) = « فتبينوا » ، يقول : فتأنّوا فى قتل من أشكل عليكم أمره ، فلم تعلموا حقيقة إسلامه ولا كفره ،(٣) ولا تعجلوا فتقتلوا من التبس عليكم أمره ، ولا تتقدموا على قتل أحد إلاّ على قتل من علمتموه يقيناً حرْباً لكم ولله ولرسوله = « ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السَّلَم » ،(٤) يقول : ولا تقولوا لمن استسلم لكم فلم يقاتلكم ، مظهراً لكم أنه من أهل ملتكم ودَعوتكم(٥) = « لست ١٤٠/٥

---

(١) فى المخطوطة : « ولا نقبل دون الشرك » ، وهو خطأ محض ، والصواب ما فى المطبوعة .

(٢) انظر تفسير « سبيل الله » فيما سلف ص : ١٧ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المخطوطة : « فلما تعلموا » ، وهو خطأ .

(٤) كان فى المطبوعة هنا ، « السلام » ، كقراءتنا اليوم فى مصحفنا ، والسلام التحية ، وهى إحدى القراءتين ، ولكن تفسير أبى جعفر بعد ، هو تفسير « السلم » ، وهو الاستسلام والانقياد ، وهى القراءة الأخرى التى اختارها . فكتابتها هنا « السلام » خطأ . لا يصح به المعنى من تفسيره .

(٥) انظر تفسير « السلم » فيما سلف ص : ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٩ ومادة « سلم » من فهارس اللغة فى الأجزاء السالفة .

مؤمناً »، فتقتلوه ابتغاء = «عرض الحياة الدنيا »، يقول : طلبَ متاعِ الحياة الدنيا، [١] فإن = «عند الله مغانم كثيرة » ، من رزقه وفواضل نِعَمه، فهى خير لكم إن أطعتم الله فيما أمركم به ونهاكم عنه ، فأثابكم بها على طاعتكم إياه ، فالتمسوا ذلك من عنده = « كذلك كنتم من قبل » ، يقول ، كما كان هذا الذى ألقى إليكم السلم فقلتم له [٢] : « لست مؤمناً » فقتلتموه ، كذلك كنتم أنتم من قبل، يعنى : من قبل إعزاز الله دينه بتُبَّاعه وأنصاره، تستخفُون بدينكم، كما استخفى هذا الذى قتلتموه وأخذتم ماله ، بدينه من قومه أن يُظهره لهم ، حذراً على نفسه منهم . وقد قيل إن معنى قوله : « كذلك كنتم من قبل » كنتم كفاراً مثلهم = « فمنَّ الله عليكم » ، يقول : فتفضل الله عليكم بإعزاز دينه بأنصاره وكثرة تُبَّاعه . وقد قيل ، فمنَّ الله عليكم بالتوبة من قتلكم هذا الذى قتلتموه وأخذتم ماله بعد ما ألقى إليكم السلم [٢] = «فتبينوا » ، يقول : فلا تعجلوا بقتل من أردتم قتلَه ممن التبس عليكم أمرُ إسلامه، فلعلَّ الله أن يكون قد مَنَّ عليه من الإسلام بمثل الذى منَّ به عليكم، وهداه لمثل الذى هداكم له من الإيمان [٣] = « إن الله كان بما تعملون خبيراً »، يقول : إن الله كان بقتلكم من تقتلون ، وكَفِّكم عمن تكفُّون عن قتله من أعداء الله وأعدائكم ، وغير ذلك من أموركم وأمور غيركم = « خبيراً » ، يعنى : ذا خبرة وعلم به ، [٤] يحفظه عليكم وعليهم ، حتى يجازى جميعكم به يوم القيامة جزاءه ، المحسن بإحسانه ، والمسيءَ بإساءته . [٥]

* * *

---

(١) انظر تفسير « الابتغاء » فيما سلف ٨ : ٣١٦ تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) فى المطبوعة : « ألقى إليكم السلام » ، وانظر التعليق السالف ص : ٧٠ ، رقم : ٤

(٣) انظر تفسير « من » فيما سلف ٧ : ٣٦٩ .

(٤) انظر تفسير « خبير » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٥) فى المطبوعة : «جزاء المحسن بإحسانه ...» ، وهو غير مستقيم ، والصواب من المخطوطة .

وذكر أن هذه الآية نزلت فى سبب قتيل قتلته سريّة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما قال : «إنىّ مسلم» = أو بعدما شهد شهادة الحق = أو بعدما سلّم عليهم = لغنيمة كانت معه ، أو غير ذلك من ملكه ، فأخذوه منه .

* ذكر الرواية والآثار فى ذلك : (١)

١٠٢١١ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن محمد بن إسحق ، عن نافع ، عن ابن عمر قال (٢) : بعث النبى صلى الله عليه وسلم محلّم بن جثّامة مَبْعثاً ، فلقيهم عامر بن الأضبط ، فحياهم بتحية الإسلام ، وكانت بينهم حِنَةٌ فى الجاهلية ، (٣) فرماه محلم بسهم ، فقتله . فجاء الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتكلم فيه عيينة والأقرع ، فقال الأقرع : يا رسول الله ، سُنّ اليوم وغيّر غداً ! (٤) فقال عيينة : لا والله ، حتى تذوق نساؤه من الثكل ما ذاق نسائى ! (٥) فجاء محلّم فى بُرْدين ، (٦) فجلس بين يدىْ رسول الله ليستغفر له ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : لا غفر الله لك ! فقام وهو يتلقى دموعه ببُرْديه ، فما مضت به سابعة حتى مات ، ودفنوه فلفظته الأرض . فجاؤوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) فى المطبوعة : «والآثار بذلك» ، والصواب من المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : «عن نافع أن ابن عمر» ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : «إحنة فى الجاهلية» ، وهو صواب ، و «الإحنة» : الحقد فى الصدر . من «أحن» وأما «حنة» كما أثبتها من المخطوطة ، فهى من «وحن» ، وهى أيضاً الحقد . وقد سلف التعليق على هذه اللفظة ، حيث وردت فى الأثر رقم ٢١٩٥ ، فى الجزء الثالث : ١٥٢ ، ١٥٣ ، تعليق : ٢ . وقد ذكرت هناك إنكار الأصمعى «حنة» ، وزعم الأزهرى أنها ليست من كلام العرب . وهذا دليل آخر على صواب هذه الكلمة ، وأن الذى قاله الأزهرى ليس بشىء .

(٤) فى ابن كثير ٢ : ٥٤٦ : «سر اليوم وغر غدا» وهو خطأ محض .

(٥) فى المخطوطة : «حتى تذوق بكاؤه» وهو تحريف من الناسخ ، والصواب من السياق ومن تفسير ابن كثير .

(٦) فى المخطوطة : «فى برد» ، والصواب من ابن كثير ، وكما صححه فى المطبوعة من سياق الخبر .

فذكروا ذلك له ، فقال : إن الأرض تقبل من هو شرٌّ من صاحبكم ! ولكن الله جل وعز أراد أن يَعِظكم . ثم طرحوه بين صَدَفَيْ جبل ،(١) وألقوا عليه من الحجارة ، ونزلت : « يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا » ، الآية .(٢)

١٠٢١٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن يزيد ابن عبد الله بن قسيط ،(٣) عن أبى القعقاع بن عبد الله بن أبى حدرد الأسلمى ، عن أبيه عبد الله بن أبى حدرد قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إضَم ،(٤) فخرجت فى نَفَرٍ من المسلمين فيهم أبو قتادة الحارث بن رِبْعىّ ، ومحلّم بن جثّامة بن قيس الليثى . فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضَم ، مرّ بنا عامر بن الأضبط الأشجعى على قَعود له ، معه مُتَيِّعٌ له ، ووَطْبٌ من لبن .(٥) فلما مر بنا سلّم علينا بتحية الإسلام ، فأمسكنا عنه ، وحمل عليه محلّم بن جثّامة الليثى لشىء كان بينه وبينه فقتله ، وأخذ بعيره ومتيّعه . فلما قدِمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرناه الخبر ،(٦) نزل فينا القرآن : « يا أيها الذين آمنوا إذا ضَرَبتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لستَ مؤمناً » ، الآية .(٧)

---

(١) « الصدف » (بفتحتين) : جانب الجبل الذى يقابلك منه . والصدف : كل شىء مرتفع عظيم كالحائط والجبل .

(٢) الأثر : ١٠٢١١ — فى تفسير ابن كثير ٢ : ٥٤٦ ، وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٢٠٠ مختصراً .

(٣) فى المطبوعة : « عن يزيد عن عبد الله بن قسيط » ، وهو خطأ ، صوابه من المخطوطة وسائر المراجع .

(٤) « إضم » : واد يشق الحجاز حتى يفرغ فى البحر ، من عند المدينة ، وهو واد لأشجع وجهينة .

(٥) « القعود » : هو البكر من الإبل ، حين يمكن ظهره من الركوب ، وذلك منذ تكون له سنتان حتى يدخل فى السادسة . و « متيع » تصغير « متاع » : وهو السلعة ، وأثاث البيت ، وما يستمتع به الإنسان من حوائجه أو ماله . و « الوطب » : سقاء اللبن .

(٦) فى المطبوعة : « وأخبرناه » بالواو ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٧) الأثر : ١٠٢١٢ — هذا الأثر رواه ابن إسحق فى سيرته ، سيرة ابن هشام ٤ : ٢٧٥ ، ورواه أحمد فى مسنده ٦ : ١١ ، وابن سعد فى الطبقات ٤/٢/٢٢ و ٢/١/٩٦ (بغير إسناد) ،

١٠٢١٣ – حدثني هرون بن إدريس الأصم قال، حدثنا المحاربي عبد الرحمن

والطبري في تاريخه ٣ : ١٠٦ ، وابن عبد البر في الاستيعاب : ٢٨٥ ، وابن الأثير في أسد الغابة ٣ : ٧٧ ، وابن كثير في تفسيره ٢ : ٥٤٥ ، والحافظ ابن حجر في ترجمة « عبد الله بن أبي حدرد » ، والسيوطي في الدر المنثور ٢ : ١٩٩ ، وزاد نسبته لابن أبي شيبة ، والطبراني ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبي نعيم والبيهقي ، وكلاهما في الدلائل .

وفي إسناد هذا الأثر اضطراب شديد أرجو أن أبلغ في بيانه بعض ما أريد في هذا المكان .

١ – وإسناد محمد بن إسحق في سيرة ابن هشام : « حدثني يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن القعقاع بن عبد الله بن أبي حدرد ، عن أبيه عبد الله بن أبي حدرد » .

٢ – وإسناد أحمد في مسنده : « حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن محمد بن إسحق (وفي المطبوعة : عن إسحق ، خطأ صوابه من تفسير ابن كثير) ، حدثني يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن القعقاع ابن عبد الله بن أبي حدرد ، عن أبيه عبد الله بن أبي حدرد » .

٣ – وإسناد الطبري في تاريخه : « حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن أبي القعقاع بن عبد الله بن أبي حدرد = وقال بعضهم : عن ابن القعقاع = عن أبيه ، عن عبد الله بن أبي حدرد » .

٤ – وإسناد ابن سعد في الطبقات : « أخبرنا محمد بن عمر قال ، حدثنا عبد الله بن يزيد ابن قسيط ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي ، عن أبيه » .

والأسانيد الثلاثة الأولى ، وإسناد الطبري في التفسير ، جميعها من طريق محمد بن إسحق ، وقد اتفق إسناد أحمد وإسناد ابن إسحق في سيرة ابن هشام .

وأما إسنادا الطبري فقد خالف ما اتفق عليه أحمد وابن هشام في السيرة ، فجاء في التفسير هنا « عن أبي القعقاع » لا « عن القعقاع » ، ثم زاد الطبري الأمر إشكالا في التاريخ فقال « عن أبي القعقاع . . . عن أبيه ، عن عبد الله بن أبي حدرد » ، فزاد « عن أبيه » ، ولا ذكر لها في تفسيره ، ولا في سائر الأسانيد ، والظاهر أنه خطأ ، وأن صوابه كما في التفسير « عن أبيه عبد الله بن أبي حدرد » .

وأما إسناد ابن سعد ، فقد خالف هذا كله فجعل مكان « القعقاع » ، أو « أبي القعقاع » « عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي حدرد » ، ولم أجد لعبد الرحمن هذا ذكراً في كتب تراجم الرجال . وجاء ابن عبد البر في الاستيعاب ٢ : ٤٥٢ ، بما هو أغرب من هذا ، فسماه « عبد ربه بن أبي حدرد الأسلمي » ، وليس له ذكر في كتاب . ولكني وجدت في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢/٢/٢٢٨ « عبد الرحمن بن أبي حدرد الأسلمي » ، سمع أبا هريرة . روى عنه أبو مودود عبد العزيز بن أبي سليمان المديني . ولا أظنه هذا الذي في إسناد ابن سعد . (انظر أيضاً تهذيب التهذيب ٦ : ١٦٠) .

وأما « القعقاع بن عبد الله بن أبي حدرد » فقد ترجم البخاري في الكبير ٤/١/١٨٧ ، لصحابي هو « القعقاع بن أبي حدرد الأسلمي » وامرأته « بقيرة » ، وهو كما ذكر الحافظ ابن حجر في الإصابة ، أخو « عبد الله بن أبي حدرد » ثم عقب البخاري على هذه الترجمة بقوله : « ويقال : القعقاع ابن عبد الله بن أبي حدرد ، ولا يصح » ، يعني أنه هذا الأخير لا تصح له صحبة ، وأنه غير الأول . وكذلك فعل ابن أبي حاتم ٣/٢/١٣٦ ، كمثل ما في التاريخ الكبير .

ابن محمد ، عن محمد بن إسحق ، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن ابن أبي حدرد الأسلمي ، عن أبيه بنحوه .(١)

١٠٢١٤ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : لحق ناسٌ من المسلمين رجلاً في غُنَيْمة له ، فقال : السلام عليكم ! فقتلوه وأخذوا تلك الغُنَيْمة ، فنزلت هذه الآية : « ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا » ، تلك الغُنَيْمة .(٢) ١٤١/٥

١٠٢١٥ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عطاء ، عن ابن عباس بنحوه .

١٠٢١٦ – حدثني سعيد بن الربيع قال ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن

أما الحافظ في تعجيل المنفعة : ٣٤٤ ، فقد ترجم للقمقاع بن عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي ووهم في نقله عن البخاري ، فظن البخاري قد ترجم له ، فذكر في ترجمته ما قال البخاري في ترجمة « القمقاع بن أبي حدرد » ، مع أنه صحح ذلك في ترجمة « القمقاع بن عبد الله بن أبي حدرد » في القسم الثالث من الإصابة .

أما ما ذكره الطبري من أنه « أبو القمقاع بن عبد الله بن أبي حدرد » أو « ابن القمقاع » ، فلم أجده في مكان آخر ، ولكني تركت ما كان في نص إسناده في التفسير « أبو القمقاع » ، مع أنه لا ذكر له في الكتب ولا ترجمة ، لأنه وافق ما في التاريخ ، ولأن ما رواه من قوله : « ويقال : ابن القمقاع » ، يستبعد معه كل تحريف أو زيادة من ناسخ أو غيره .

هذا ، وقد جاء في إسناد آخر في التاريخ ٣ : ١٢٥ عن ابن إسحق ، عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة ابن الأخنس بن شريق ، عن ابن شهاب الزهري ، عن ابن عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي ، عن أبيه عبد الله بن أبي حدرد » . فلم يذكر اسمه ، كما ذكر في الإسناد السالف ، كما سيأتي في الإسناد التالي أيضاً : « عن ابن أبي حدرد ، عن أبيه » .

وهذا اضطراب غريب في إسناده ، أردت أن أجمعه في هذا المكان ، لأني لم أجد أحداً استوفى ما فيه ، وعسى أن يتوجه لباحث فيه رأي ، وكتبه محمود محمد شاكر .

(١) الأثر : ١٠٢١٣ – انظر التعليق على الأثر السالف .

« هارون بن إدريس الأصم » شيخ الطبري ، مضى برقم : ١٤٥٥ .

و « المحاربي » « عبد الرحمن بن محمد بن زياد » مضى برقم : ٢٢١ ، ٨٧٥ ، ١٤٥٥ .

(٢) « الغنيمة » تصغير « غنم » ، وهو قطيع من الغنم . وإنما أدخلت التاء في « غنيمة » ، لأنه أريد بها القطعة من الغنم . وانظر ما قاله أبو جعفر في دخول هذه التاء فيما سلف ٦ : ٤١٢ ، ٤١٣ .

عطاء ، عن ابن عباس قال : لحق المسلمون رجلاً ، ثم ذكر مثله . (١)

١٠٢١٧ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عبد الرحيم بن سليمان ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : مرّ رجل من بنى سُلَيم على نفرٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم وهو فى غنم له ، فسلم عليهم ، فقالوا : ما سلّم عليكم إلا ليتعوذَ منكم ! فعَمَدوا إليه فقتلوه وأخذوا غنمه ، فأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا » إلى آخر الآية .

١٠٢١٨ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله . (٢)

١٠٢١٩ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : كان الرجل يتكلم بالإسلام ، ويؤمن بالله والرسول ، ويكون فى قومه ، فإذا جاءت سريّة محمدٍ صلى الله عليه

---

(١) الأثر : ١٠٢١٦ – هذا الأثر ساقط من المخطوطة .
و « سعيد بن الربيع الرازى » مضى برقم : ٣٧٩١ ، ٥٣١٢ .

(٢) الأثران : ١٠٢١٧ ، ١٠٢١٨ – رواه أحمد فى مسنده من طريق يحيى بن أبى بكير ، وحسين بن محمد ، وخلف بن الوليد ، ويحيى بن آدم ، جميعاً عن إسرائيل . وأرقامه فى المسند : ٢٠٢٣ ، ٢٤٦٢ ، ٢٩٨٨ ، وإسناده صحيح . وقال ابن كثير فى تفسيره ٢ : ٥٤٤ : « ورواه ابن جرير من حديث عبيد الله بن موسى ، وعبد الرحيم بن سليمان كلاهما عن إسرائيل به . وقال فى بعض كتبه غير التفسير : وقد رواه من طريق عبد الرحمن فقط (هكذا فى الأصل) . وهذا خبر عندنا صحيح سنده ، وقد يجب أن يكون على مذهب الآخرين سقيما ، لعلل ، منها : أنه لا يعرف له مخرج عن سماك إلا عن هذا الوجه = ومنها : أن عكرمة فى روايته عندهم نظر = ومنها : أن الذى نزلت فيه هذه الآية عندهم مختلف فيه ، فقال بعضهم : نزلت فى محلم بن جثامة . وقال بعضهم : أسامة بن زيد . وقيل غير ذلك . قلت [القائل ابن كثير] : وهذا كلام غريب ، وهو مردود من وجوه ، أحدها : أنه ثابت عن سماك ، حدث به غير واحد من الأئمة الكبار . الثانى : أن عكرمة محتج به فى الصحيح . الثالث : أنه مروى من غير هذا الوجه عن ابن عباس . . . »
وهذا الذى نقله ابن كثير من بعض كتب أبى جعفر ، أرجح ، بل أقطع ، أنه فى كتابه تهذيب الآثار ، وبيانه هذا الذى نقله ابن كثير ، مطابق لنهجه فى تهذيب الآثار ، ونقلت هذا هنا للفائدة ، ولأنه أول نقل رأيته فى تفسير ابن كثير عن تهذيب الآثار فيما أرجح .

وسلم أخبر بها حيّه = يعنى قومه = ففرّوا ، وأقام الرجل لا يخافُ المؤمنين من أجل أنه على دينهم ،حتى يلقاهم فيلقى إليهم السلام ، فيقولُ المؤمنون : « لست مؤمناً » ، وقد ألقى السلام فيقتلونه ، فقال الله تبارك وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا » ، إلى « تبتغون عرض الحياة الدنيا » ، يعنى : تقتلونه إرادةَ أن يحلَّ لكم ماله الذى وجدتم معه — وذلك عرضُ الحياة الدنيا — فإن عندى مغانم كثيرة ،فالتمسوا من فضل الله . وهو رجل اسمه « مِرْداس » ، جَلَا قومه هاربين من خيلٍ بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عليها رجل من بنى لَيْث اسمه « قُليب » ،[1] ولم يجلُ معهم ،[2] وإذْ لقيهم مرداس فسلم عليهم قتلوه ،[3] فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهله بديته ، ورد إليهم ماله ، ونهى المؤمنين عن مثل ذلك .

١٠٢٢٠ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا » ، الآية ، قال : وهذا الحديث فى شأن مرداس ، رجل من غطفان ، ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم بعث جيشاً عليهم غالب اللَّيْثى إلى أهل فَدَك ،وبه ناس من غطفان ، وكان مرداس منهم ، ففرّ أصحابه ، فقال مرداس : « إنى مؤمن ، وإنىّ غيرُ مُتَّبعكم ، فصبَّحته الخيلُ غُدْوة ،[4] فلما لقوه سلم عليهم مرداس ، فرماه

---

(١) انظر الاختلاف فى اسمه « قليب » بالقاف والباء ، أو « فليت » بالفاء والتاء ، فى الإصابة فى موضعه .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « ولم يجامعهم » وظاهر أنه تحريف من الناسخ ، صوابه ما أثبت .

(٣) فى المطبوعة : « إذا لقيهم مرداس فسلم عليهم فقتلوه » وأثبت ما فى المخطوطة إلا أنى جعلت « وإذا » « وإذ » ، لأن السياق يقتضيها .

(٤) « صبحتهم الخيل (بفتحتين) وصبحتهم (بتشديد الباء) » : أتتهم صباحاً ، وكانت أكثر غاراتهم فى الصباح . و « الغدوة » (بضم فسكون) : البكرة ،ما بين صلاة الغداة (الفجر) وطلوع الشمس .

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلوه،[١] وأخذوا ما كان معه من متاع، فأنزل الله جل وعز فى شأنه : « ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً » ، لأن تحية المسلمين السلام ، بها يتعارفون ، وبها يُحَيِّى بعضهم بعضاً .[٢]

١٠٢٢١ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمنّ الله عليكم فتبينوا » ،[٣] بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية عليها أسامة بن زيد إلى بنى ضَمْرة، فلقوا رجلاً منهم يدعى مِرداس بن نهيك ، معه غُنَيْمة له وجمل أحمر . فلما رآهم أوى إلى كهف جبل ، واتّبعه أسامة . فلما بلغ مرداسٌ الكهفَ ، وضع فيه غنمه ، ثم أقبل إليهم فقال : « السلام عليكم، أشهد أن لا إله إلاّ الله ، وأن محمداً رسول الله » . فشدّ عليه أسامة فقتله، من أجل جمله وغُنَيْمته. وكان النبى صلى الله عليه وسلم إذا بعث أسامة أحبَّ أن يُثْنَى عليه خيرٌ، ويسأل عنه أصحابَه . فلما رجعوا لم يسألهم عنه ، فجعل القوم يحدِّثون النبى صلى الله عليه وسلم ويقولون: يا رسول الله ، لو رأيت أسامة ولقيه رجل ، فقال الرجل : « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » ، فشد عليه فقتله ! وهو معرض عنهم . فلما أكثروا عليه، رفع رأسه إلى أسامة فقال: كيفَ أنت ولا إله إلا الله ؟ قال: يا رسول الله ، إنما قالها متعوذاً ، تعوَّذ بها ! فقال ١٤٢/٥

---

(١) فى المخطوطة : « فدعاه » وهو تحريف ، صواب ما أثبت . وفى المطبوعة : « فتلقوه » ، وهو ردىء ، خير منه ما فى الدر المنثور : « فتلقاه » .

(٢) الأثر : ١٠٢٢٠ – خرجه السيوطى فى الدر المنثور ١ : ٢٠٠ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد .

(٣) كان فى المطبوعة : « . . . عرض الحياة الدنيا ، الآية ، قال : بعث . . . » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وإن كان الناسخ قد غفل فأسقط من الآية فى كتابته : « كذلك كنتم من قبل » .

له رسول الله صلى الله عليه وسلم : هَلاَّ شققت عن قلبه فنظرت إليه ؟ قال : يا رسول الله ، إنما قلبه بَضْعة من جسده ! [١] فأنزل الله عز وجل خبر هذا ، وأخبره إنما قتله من أجل جمله وغنمه ، فذلك حين يقول : « تبتغون عرض الحياة الدنيا » ، فلما بلغ : « فمنَّ الله عليكم » ، يقول : فتاب الله عليكم ، فحلف أسامةُ أن لا يقاتل رجلاً يقول : « لا إله إلا الله » ، بعد ذلك الرجل ، وما لقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه .

١٠٢٢٢ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً » ، قال : بلغنى أن رجلاً من المسلمين أغار على رجل من المشركين فَحَمَل عليه ، فقال له المشرك : « إنّى مسلم ، أشهد أن لا إله إلا الله » ، فقتله المسلم بعد أن قالها . فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال للذى قتله : أقتلته ، وقد قال لا إله إلا الله ؟ فقال ، وهو يعتذر : يا نبى الله ، إنما قالها متعوذاً ، وليس كذلك ! فقال النبى صلى الله عليه وسلم : فهلاَّ شققت عن قلبه ؟ ثم ماتَ قاتلُ الرجل فقُبر ، فلفظته الأرض . فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ، فأمرهم أن يقبروه ، ثم لفظته الأرض ، حتى فُعل به ذلك ثلاث مرات . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : إن الأرض أبتْ أن تقبَله ، فألقوه فى غارٍ من الغيران = قال معمر : وقال بعضهم : إن الأرض تَقْبَل من هو شرٌّ منه ، ولكن الله جعله لكم عِبْرَة .

١٠٢٢٣ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن أبى الضحى ، عن مسروق : أن قوماً من المسلمين لقوا رجلاً من المشركين فى غُنَيْمة له ، فقال : « السلام عليكم ، إنّى مؤمن » ، فظنوا أنه يتعوّذ بذلك ، فقتلوه وأخذوا غُنَيْمته . قال : فأنزل الله جل وعز : « ولا تقولوا لمن

---

(١) « البضعة » (بفتح فسكون) : القطعة من اللحم .

ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا»، تلك الغُنَيْمة = «كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا» .

١٠٢٢٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن حبيب ابن أبي عمرة ، عن سعيد بن جبير قوله : «يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا»، قال: خرج المقداد بن الأسود في سريّة ، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال: فمرُّوا برجل في غُنَيْمة له ، فقال : «إنيّ مسلم» ، فقتله المقداد .[1] فلما قدموا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فنزلت هذه الآية : «ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا» ، قال : الغنيمة .[2]

١٠٢٢٥ – حدثني يونس ، قال أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : نزل ذلك في رجل قتله أبو الدرداء =

= فذكر من قصة أبي الدرداء ، نحو القصة التي ذكرت عن أسامة بن زيد ، وقد ذكرت في تأويل قوله : «وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلاّ خطأ»، [3] ثم قال في الخبر :

= ونزل الفرقان : «وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلاّ خطأ»، فقرأ حتى بلغ : «لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا» ، غنمه التي كانت ، عرض الحياة الدنيا = «فعند الله مغانم كثيرة» ، خير من تلك الغنم، إلى قوله : «إن الله كان بما تعملون خبيراً» .

---

(١) في المخطوطة : «فقتله الأسود» ، والصواب ما في المطبوعة ، أو أن تكون : «فقتله ابن الأسود» .

(٢) الأثر : ١٠٢٢٤ – «حبيب بن أبي عمرة» القصاب ، بياع القصب ، ويقال «اللحام» ، أبو عبد الله الحماني . روى عن مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وأم الدرداء . روى عنه الثوري وجماعة . قال ابن سعد : «ثقة قليل الحديث» . مترجم في التهذيب .

(٣) انظر ما سلف رقم : ١٠٢٢١

١٠٢٢٦ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً » ، قال : راعي غنم ، لقيه نفر من المؤمنين فقتلوه ،[1] وأخذوا ما معه ، ولم يقبلوا منه : « السلام عليكم، فإني مؤمن » .

١٠٢٢٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً » ، قال : حرم الله على المؤمنين أن يقولوا لمن شهد أن لا إله إلا الله : « لستَ مؤمناً » ، كما حرم عليهم الميْتَة، فهو آمن على ماله ودَمه ، لا تردّوا عليه قوله .

* * *

قال أبو جعفر : واختلفت القرأة في قراءة قوله : « فَتَبَيَّنُوا » .

فقرأ ذلك عامة قرأة المكيين والمدنيين وبعضُ الكوفيين والبصريين : ﴿ فَتَبَيَّنُوا ﴾ بالياء والنون ، من « التبين » بمعنى ، التأني والنظر والكشف عنه حتى يتَّضح .[2]

* * *

وقرأ ذلك عُظْم قرأة الكوفيين : ﴿ فَتَثَبَّتُوا ﴾، بمعنى التثبُّت، الذي هو خلاف العَجَلة .

* * *

قال أبو جعفر : والقولُ عندنا في ذلك أنهما قراءتان معروفتان مستفيضتان في قرأة المسلمين بمعنى واحد، وإن اختلفت بهما الألفاظ. لأن « المتثبت » متبيّن ، و« المتبيِّن » متثبِّت، فبأي القراءتين قرأ القارئ ، فمصيبٌ صوابَ القراءة في ذلك . ١٤٣/٥

* * *

واختلفت القرأة في قراءة قوله : « ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم » .[3]

(١) في المخطوطة : « بعثه نفر من المؤمنين » ، وهو خطأ ، صوابه ما في المطبوعة .

(٢) انظر تفسير « التبين » فيما سلف ص : ٧٠

(٣) في المطبوعة : « . . . السلام » بالألف ، والصواب إثباتها كرسم المصحف هنا ، حتى يظهر سياق اختلاف القراءة .

فقرأ ذلك عامة قرأة المكيين والمدنيين والكوفيين : ﴿السَّلَمَ﴾ بغير ألف ، بمعنى الاستسلام .

* * *

وقرأ بعض الكوفيين والبصريين : ﴿السَّلَامَ﴾ بألف ، بمعنى التحية .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك عندنا : ﴿لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾، بمعنى : من استسلم لكم ، مذعناً لله بالتوحيد ، مقرًّا لكم بملَّتكم .

وإنما اخترنا ذلك ، لاختلاف الرواية فى ذلك : فمن راوٍ روَى أنه استسلم بأن شهد شهادة الحق وقال : « إنىّ مسلم » = ومن راوٍ روى أنه قال : « السلام عليكم » ، فحياهم تحية الإسلام = ومن راوٍ رَوى أنه كان مسلماً بإسلامٍ قد تقدم منه قبل قتلهم إياه = وكل هذه المعانى يجمعه « السَّلَم » ، لأن المسلم مستسلم ، والمحيي بتحية الإسلام مستسلم ، والمتشهد شهادة الحق مستسلم لأهل الإسلام ، فمعنى « السَّلَم » جامع جميع المعانى التى رُويت فى أمر المقتول الذى نزلت فى شأنه هذه الآية . وليس ذلك فى « السلام »،[1] لأن « السلام » لاوجه له فى هذا الموضع إلا التحية . فلذلك وصفنا « السلم » ، بالصواب .

* * *

قال أبو جعفر : واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « كذلك كنتم من قبل » .

فقال بعضهم : معناه : كما كان هذا الذى قتلتموه بعد ما ألقى إليكم السَّلَم ، مستخفياً فى قومه بدينه خوفاً على نفسه منهم ، كنتم أنتم مستخفين بأديانكم من قومكم حذراً على أنفسكم منهم ، فمنَّ الله عليكم .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٢٢٨ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا

---

(١) فى المطبوعة : « وليس كذلك فى الإسلام » ، والصواب الجيد من المخطوطة .

ابن جريج قال، أخبرني عبد الله بن كثير ، عن سعيد بن جبير في قوله : «كذلك كنتم من قبل » ، تستخفون بإيمانكم ،[١] كما استخفى هذا الراعي بإيمانه .

١٠٢٢٩ ــ حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن حبيب ابن أبي عمرة، عن سعيد بن جبير: « كذلك كنتم من قبل »، تكتمون إيمانكم في المشركين .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : كما كان هذا الذي قتلتموه، بعد ما ألقى إليكم السلم،[٢] كافراً ، كنتم كفاراً ، فهداه كما هداكم .

* ذكر من قال ذلك:

١٠٢٣٠ ــ حدثني يونس، قال أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله : « كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم » ، كفاراً مثله = « فتبينوا » .

* * *

قال أبو جعفر: وأولى هذين القولين بتأويل الآية، القول الأول ، وهو قول من قال : كذلك كنتم تخفون إيمانكم في قومكم من المشركين وأنتم مقيمون بين أظهرهم ، كما كان هذا الذي قتلتموه مقيماً بين أظهر قومه من المشركين مستخفياً بدينه منهم .

وإنما قلنا : « هذا التأويل أولى بالصواب»، لأن الله عز ذكره إنما عاتب الذين قتلوه من أهل الإيمان بعد إلقائه إليهم السلم ولم يُقَدْ به قاتلوه،[٣] للبْس الذي كان دخل في أمره على قاتليه بمقامه بين أظهر قومه من المشركين ، وظنّهم أنه ألقى

---

(١) في المخطوطة : « مستخفون بإيمانكم » ، وما في المطبوعة أجود .

(٢) قوله « كافراً » ليس في المخطوطة ، والسياق يقتضيها كما في المطبوعة ، وانظر اعتراض أبي جعفر بعد ، فهو يوجب إثبات هذه الكلمة في هذا الموضع .

(٣) في المطبوعة في هذا الموضع وما يليه « السلام » مكان « السلم » ، ولكني أثبت ما في المخطوطة ، لأن تفسير أبي جعفر جار على « السلم » لا على « السلام » . وقوله : « لم يقد » بالبناء للمجهول من « القود » (بفتح القاف والواو) وهو القصاص ، وقتل القاتل بدل القتيل ، يقال منه « أقدته به أقيده إقادة » .

السلم إلى المؤمنين تعوّذاً منهم، ولم يعاتبهم على قتلهم إياه مشركاً فيقال: « كما كان كافراً كنتم كفاراً » ، بل لا وجه لذلك ، لأن الله جل ثناؤه لم يعاتب أحداً من خلقه على قتل محارِبٍ لله ولرسوله من أهل الشرك، بعد إذنه له بقتلـه .

* * *

واختلف أيضاً أهل التأويل فى تأويل قوله : « فمنّ الله عليكم » .

فقال بعضهم : معنى ذلك : فمنّ الله عليكم بإظهار دينه وإعزاز أهله ، حتى أظهروا الإسلام بعد ما كانوا يكتتمون به من أهل الشرك .[1]

* ذكر من قال ذلك :

١٠٢٣١ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنى أبى ، عن سفيان ، عن حبيب ابن أبى عمرة ، عن سعيد بن جبير : « فمن الله عليكم » ، فأظهر الإسلام .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : فمن الله عليكم = أيها القاتلون الذى ألقى إليكم السلم،[2] طلبَ عرض الحياة الدنيا = بالتوبة من قتلكم إياه .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٢٣٢ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فمن الله عليكم » ، يقول : تاب الله عليكم .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب ، التأويل الذى ذكرته عن سعيد بن جبير ،لما ذكرنا من الدّلالة على أن معنى قوله: « كذلك كنتم من قبل »، ما وصفنا قبل . فالواجب أن يكون عَقِيب ذلك : « فمن الله عليكم » ،

---

(١) فى المطبوعة : « بعد ما كانوا يكتمونه » ، والجيد ما فى المخطوطة . « يكتتمون به » ، يستخفون به .

(٢) فى المخطوطة : « أيها القاتلو الذى ألقى إليكم السلم » ، وهو لا بأس به .

فرفع ما كنتم فيه من الخوف من أعدائكم عنكم ، بإظهار دينه وإعزاز أهله ، حتى ١٤٤/٥
أمكنكم إظهار ما كنتم تستخفون به من توحيده وعبادته ، حِذَاراً من أهل الشرك .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون » ، لا يعتدل المتخلّفون عن الجهاد فى سبيل الله من أهل الإيمان بالله وبرسوله ، المؤثرون الدعةَ والخَفْضَ والقُعودَ فى منازلهم على مُقاساة حُزُونة الأسفار والسير فى الأرض ، ومشقة ملاقاة أعداء الله بجهادهم فى ذات الله ، وقتالهم فى طاعة الله ، إلاّ أهل العذر منهم بذَهَاب أبصارهم ، وغير ذلك من العِلل التى لا سبيل لأهلها — للضَّرَر الذى بهم — إلى قتالهم وجهادهم فى سبيل الله = « والمجاهدون فى سبيل الله » ، ومنهاج دينه ،[2] لتكون كلمة الله هى العليا ، المستفرغون طاقَتهم فى قتال أعداءِ الله وأعداءِ دينهم = بأموالهم ، إنفاقاً لها فيما أوهَن كيد أعداء أهل الإيمان بالله — وبأنفسهم ، مباشرة بها قتالهم ، بما تكون به كلمة الله العالية ، وكلمة الذين كفروا السافلة .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « غير أولى الضرر » .

فقرأ ذلك عامة قرأة أهل المدينة ومكة والشأم ﴿ غَيْرَ أُولِى الضَّرَرِ ﴾ ، نصباً ، بمعنى : إلاّ أولى الضرر .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة أهل الكوفة والبصرة :[3] ﴿ غَيْرُ أُولِى الضَّرَرِ ﴾ برفع « غير » ،

---

(١) فى المطبوعة : « حذراً » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهما سواء .
(٢) انظر تفسير « فى سبيل الله » فيما سلف . . . ، والمراجع هناك .
(٣) فى المطبوعة : « قرأة أهل العراق والكوفة والبصرة » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

على مذهب النّعت « للقاعدين » .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك عندنا : ﴿ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ ﴾ بنصب « غير » ، لأن الأخبار متظاهرة بأن قوله : «غير أولى الضرر » ، نزل بعد قوله : « لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم » ، استثناءً من قوله : « لايستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون » .

* * *

* ذكر بعض الأخبار الواردة بذلك :

١٠٢٣٣ – حدثنا نصر بن على الجهضمى قال ، حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه ، عن أبى إسحق ، عن البراء : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ائتونى بالكتف واللّوح ، فكتب[1] : « لايستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون » ، وعمرو بن أم مكتوم خلف ظَهره ، فقال : هل لى من رُخصة يا رسول الله؟ فنزلت : « غير أولى الضرر » .[2]

١٠٢٣٤ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبى

---

(١) فى المطبوعة « فكتب » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) الحديث : ١٠٢٣٣ – هذا حديث البراء بن عازب ، فى شأن نزول قوله تعالى (غير أولى الضرر) – وقد رواه الطبرى هنا بسبعة أسانيد . خمسة منها فى نسق : ١٠٢٣٣ – ١٠٢٣٧ ، ثم : ١٠٢٤٨ ، ١٠٢٤٩ .

وأبو إسحق – فيها كلها – : هو أبو إسحق السبيعى .

فهذا الحديث أولها ، « عن نصر بن على الجهضمى » – رواه الترمذى ٣ : ١٩ ، عن نصر ابن على ، بهذا الإسناد .

وكذلك رواه النسائى ٢ : ٥٤ ، عن نصر بن على .

وكذلك رواه ابن حبان فى صحيحه ، رقم : ٤٠ – بتحقيقنا – عن محمد بن عمر بن يوسف ، عن نصر بن على .

وقوله : « فكتب : لا يستوى » – إلخ : يعنى أمر بالكتابة . وهذا هو الثابت فى المطبوعة « فكتب » بالفاء . وهو الموافق لما فى الترمذى ، والنسائى ، وابن حبان ، وفى المخطوطة « وكتب » بالواو . فأثبتنا الموافق دون المخالف ، وإن كان المعنى واحداً .

إسحق ، عن البراء قال : لما نزلت : « لا يستوى القاعدون من المؤمنين » ، جاء ابن أم مكتوم وكان أعمى ، فقال : يا رسول الله ، كيف وأنا أعمى ؟ فما برح حتى نزلت : « غير أولى الضرر » .(١)

١٠٢٣٥ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن أبى إسحق ، عن البراء بن عازب فى قوله : « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر » ، قال : لما نزلت ، جاء عمرو بن أم مكتوم إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان ضريرَ البصر ، فقال : يا رسول الله ، ما تأمرنى ، فإنى ضرير البصر ؟ فأنزل الله هذه الآية ، فقال : ائتونى بالكتف والدواة ، أو : اللوح والدواة .(٢)

١٠٢٣٦ – حدثنى إسمعيل بن إسرائيل الدلال الرَّملى قال ، حدثنا عبد الله ابن محمد بن المغيرة قال ، حدثنا مسعر ، عن أبى إسحق ، عن البراء : أنه لما نزلت : « لا يستوى القاعدون من المؤمنين » ، كلمه ابن أم مكتوم ، فأنزلت : « غير أولى الضرر » .(٣)

---

(١) الحديث : ١٠٢٣٤ – هو تكرار للحديث قبله ، على ما فى سفيان بن وكيع من ضعف . ولكنه سمع من أبى بكر بن عياش ، أبو بكر سمع من أبى إسحق السبيعى .

والحديث فى ذاته صحيح من هذا الوجه :

فقد رواه النسائى ٢ : ٥٤ ، عن محمد بن عبيد ، عن أبى بكر بن عياش ، به .

(٢) الحديث : ١٠٢٣٥ – سفيان بن وكيع لم ينفرد بروايته عن أبيه عن سفيان الثورى :

فقد رواه أحمد فى المسند ٤ : ٢٩٠ ، ٢٩٩ (حلبى) ، عن وكيع ، عن الثورى – بهذا الإسناد .

وكذلك رواه الترمذى ٤ : ٩٠ – ٩١ ، عن محمود بن غيلان ، عن وكيع ، به . وقال : « هذا حديث حسن صحيح . ويقال : عمرو بن أم مكتوم . ويقال : عبد الله بن أم مكتوم . وهو عبد الله بن زائدة . وأم مكتوم : أمه » .

(٣) الحديث : ١٠٢٣٦ – إسمعيل بن إسرائيل الدلال الرملى ، أبو محمد : ثقة من شيوخ ابن أبى حاتم ، ترجمه فى ١٥٨/١/١ ، وقال : « كتبنا عنه ، وهو صدوق » . ولكن عنده « السلال » بدل « الدلال » – ولم نجد مرجحاً ، فأثبتنا ما ثبت هنا فى المخطوطة والمطبوعة . ولكن فيه خطأ فى المطبوعة : « محمد بن إسماعيل » بزيادة « محمد بن » وليست فى المخطوطة ، فحذفناها . ويؤيد ذلك أن الطبرى نفسه روى عنه فى التاريخ ٢ : ٢٧٣ ، بهذا الإسناد ، عن البراء فى عدة أصحاب طالوت ، وسماه هناك « إسمعيل بن إسرائيل الرملى » . وحديث البراء فى عدة أصحاب طالوت ، مضى بأسانيد : ٥٧٢٤ – ٥٧٢٩ ، ولكن ليس فيها هذا الإسناد الذى فى التاريخ .

عبد الله بن محمد بن المغيرة الكوفى ، سكن مصر : ترجمه ابن أبى حاتم ١٥٨/٢/٢ ، وروى عن أبيه ، قال : « ليس بالقوى » . ولم يذكر أنه يروى عن مسعر ، ولكن روايته عنه ثابتة فى تهذيب

١٠٢٣٧ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحق ، أنه سمع البراء يقول في هذه الآية : « لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله » ، قال : فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيداً فجاء بكتف فكتبها . قال : فشكا إليه ابن أم مكتوم ضَرَارته، فنزلت : « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر » .

= قال شعبة ، وأخبرني سعد بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن رجل ، عن زيد في هذه الآية : « لا يستوى القاعدون » ، مثل حديث البراء .(١)

الكمال للحافظ المزي ، ص : ١٣٢٢ (مخطوط مصور) ، في ترجمة مسعر ، في الرواة عنه ، وكذلك ثبت في ترجمته هو في لسان الميزان ٣ : ٣٣٢ – ٣٣٣ أنه يروى عن مسعر . وفي ترجمته هذه ما يدل على جرحه جرحاً شديداً ، يسقط روايته .

والحديث من رواية مسعر – ثابت صحيح ، من غير رواية عبد الله بن محمد بن المغيرة هذا .

فرواه مسلم ٢ : ١٠١ ، عن أبي كريب ، عن ابن بشر ، وهو محمد بن بشر بن الفرافصة العبدي الحافظ ، عن مسعر ، به .

(١) الحديث : ١٠٢٣٧ – أبو إسحق : هو السبيعي ، كما قلنا آنفاً . ووقع في المطبوعة « عن ابن إسحق » ، وهو خطأ يقيناً . وثبت على الصواب في المخطوطة .

والحديث رواه أحمد في المسند ٤ : ٢٨٢ (حلبي) ، عن محمد بن جعفر ، عن شعبة ، به .

ورواه مسلم ٢ : ١٠٠ – ١٠١ ، عن محمد بن المثنى (شيخ الطبري هنا) ، وعن محمد ابن بشار – كلاهما عن محمد بن جعفر ، به .

ورواه أبو داود الطيالسي : ٧٠٥ ، عن شعبة ، به .

ورواه أحمد أيضاً ٤ : ٢٨٤ ، عن عفان، و ٢٩٩ – ٣٠٠ ، عن عبد الرحمن (وهو ابن مهدي) – كلاهما عن شعبة .

ورواه البخاري ٦ : ٣٤ (فتح) ، والدارمي ٢ : ٢٠٩ – كلاهما عن أبي الوليد الطيالسي ، عن شعبة .

وكذلك رواه ابن حبان في صحيحه ، رقم : ٤١ (بتحقيقنا) ، عن أبي خليفة ، عن أبي الوليد الطيالسي ، به .

ورواه البخاري أيضاً ٨ : ١٩٦ (فتح) ، عن حفص بن عمر ، عن شعبة .

وكذلك رواه البيهقي في السنن الكبرى ٩ : ٢٣ ، بإسنادين ، من طريق حفص بن عمر .

وهذا كله عن أصل الحديث ، حديث البراء . وأما الإسناد الآخر الملحق به هنا : « شعبة ، عن سعد بن إبرهيم ، عن أبيه ، عن رجل ، عن زيد » – وهو ابن ثابت : فإنه في الحقيقة حديث آخر بإسناد آخر ، فيه رجل مبهم فيكون إسناده ضعيفاً وحديث زيد بن ثابت – في نفسه – صحيح وسيأتي ١٠٢٣٩ ، ١٠٢٤٠

١٠٢٣٨ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا إسحق بن سليمان ، عن أبي سنان الشيباني، عن أبي إسحق ، عن زيد بن أرقم قال : لما نزلت : « لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله » ، جاء ابن أم مكتوم فقال: يا رسول الله ، ما لى رخصة ؟ قال : لا ! قال ابن أم مكتوم : اللهم إنى ضرير فرخّص ! فأنزل الله : « غير أولى الضرر » ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتبها = يعنى : الكاتب .(١) ١٤٥/٥

وأما من هذا الوجه الضعيف ، فقد رواه مسلم أيضاً ، تبعاً لحديث البراء هذا ، كمثل صنيع الطبرى هنا . وبالضرورة ليس هذا الإسناد على شرط الصحيح عند مسلم . وإنما ساقه تماماً للرواية عن شعبة ، كما سمعه .

ومن العجب أن لم يتحدث عنه النووى فى شرحه ١٣ : ٤٢ ، ولم يذكر علته .

ومن عجب أيضاً أن لم يذكره الحافظ المزى فى باب (المبهمات) من تهذيب الكمال ، ولا ذكره أحد من فروعه – مع أنه فى صحيح مسلم بروايتين : « عن سعد بن إبرهيم ، عن رجل ، عن زيد » ، و « عن سعد بن إبرهيم ، عن أبيه ، عن رجل ، عن زيد » .

ثم لما نعرف هذا الرجل المبهم .

وسعد : هو سعد بن إبرهيم بن عبد الرحمن بن عوف . وأبوه : من كبار التابعين ، فمن المحتمل جداً أن يكون شيخه الرجل المبهم هنا صحابياً . ولكنا لا نستطيع ترجيح ذلك .

(١) الحديث : ١٠٢٣٨ – إسحق بن سليمان الرازى العبدى : مضى توثيقه فى : ٦٤٥٦ .

أبو سنان الشيبانى : هو الأصغر الكوفى ، واسمه « سعيد بن سنان البرجمى » . وهو ثقة ، تكلم فيه من أجل بعض خطئه . وقد مضت ترجمته فى : ١٧٥ .

وقد وهم الحافظ فى الفتح ٨ : ١٩٦ وهماً شديداً ، حين أشار إلى هذا الحديث من رواية الطبرانى – كما سيأتى – فزعم أنه « ضرار بن مرة » ! وهو أبو سنان الشيبانى الأكبر . والذى يروى عن أبى إسحق السبيعى ويروى عنه إسحق بن سليمان الرازى – هو « أبو سنان الشيبانى الأصغر ، سعيد بن سنان » ، كما هو بين من تهذيب الكمال وفروعه . فلم يذكر الحافظ المزى فى ترجمتيهما إلا ما قلنا .

وأبو إسحق : هو السبيعى ، كما ذكرنا آنفاً . ووقع فى المطبوعة « عن ابن إسحق » . وهو خطأ ، صوابه ما أثبتنا عن المخطوطة . وهو الثابت فى الرواية .

والحديث ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ج ٧ ص ٩ ، وقال : « رواه الطبرانى ، ورجاله ثقات » .

وأشار إليه الحافظ فى الفتح ٨ : ١٩٦ – كما قلنا آنفاً . وذكر أنه عند الطبرانى . وعلله بأن « المحفوظ : عن أبى إسحق عن البراء . كذا اتفق الشيخان عليه من طريق شعبة . . . » ، ثم أشار إلى كثير من الروايات التى ذكرها الطبرى هنا وفيما يأتى .

١٠٢٣٩ – حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع ويعقوب بن إبراهيم قالا ، حدثنا بشر بن المفضل ، عن عبد الرحمن بن إسحق ، عن الزهري ، عن سهل بن سعد قال : رأيت مروان بن الحكم جالساً ، فجئت حتى جلست إليه ، فحدثنا عن زيد بن ثابت : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل عليه : « لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله » ، قال : فجاء ابن أم مكتوم وهو يمليها عليّ ، فقال : يا رسول الله ، لو أستطيع الجهاد لجاهدتُ ! قال : فأنزل عليه وفخذُه على فخذي ، فثقلت ، فظننتُ أن تُرَضّ فخذي ، ثم سُرِّيَ عنه ، فقال : « غير أولي الضرر » .(١)

ولسنا نرى هذا علة لذاك ، ولا ذاك علة لهذا ، فالقصة مشهورة وقد رواها أيضاً زيد بن ثابت ، كما سيأتي : ١٠٢٣٩ ، ١٠٢٤٠ .

ورواها أيضاً الفلتان بن عاصم الجرمي الصحابي ، مطولة . ذكرها الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٩ . وقال : « رواه أبو يعلى ، والبزار بنحوه ، والطبراني بنحوه . . . ورجال أبي يعلى ثقات » ؛

وذكره الحافظ في الإصابة ٥ : ٢١٣ في ترجمة الفلتان ، من رواية الحسن بن سفيان في مسنده ، ثم ذكر أنه رواه ابن أبي شيبة ، وأبو يعلى ، وابن حبان في صحيحه .

وذكره السيوطي ٢ : ٢٠٣ – ٢٠٤ ، وزاد نسبته لعبد بن حميد .

ورواها ابن عباس ، كما سيأتي : ١٠٢٤٢ .

(١) الحديث : ١٠٢٣٩ – رواه النسائي ٢ : ٥٤ ، عن محمد بن عبد الله بن بزيع ، أحد شيخي الطبري هنا – بهذا الإسناد .

ورواه أحمد في المسند ٥ : ١٨٤ (حلبي) ، عن يعقوب بن إبرهيم ، عن أبيه ، عن صالح ، عن الزهري ، به ، ولم يذكر لفظه كاملا ، أحاله على رواية قبيصة بن ذؤيب قبله . وهي الرواية التي ستأتي هنا عقب هذا .

ورواه البخاري ٨ : ١٩٥ – ١٩٦ (فتح) ، من طريق إبرهيم بن سعد ، عن صالح ، به .

ورواه الترمذي ٤ : ٩٢ ، والنسائي ٢ : ٥٤ ، وابن الجارود ، ص : ٤٦٠ – كلهم من طريق يعقوب بن إبرهيم بن سعد ، عن أبيه .

ورواه البيهقي ٩ : ٢٣ ، من طريق إبرهيم بن سعد .

وذكره السيوطي ٢ : ٢٠٢ – ٢٠٣ ، وزاد نسبته لابن سعد ، وعبد بن حميد ، وأبي داود ، وابن المنذر ، وأبي نعيم في الدلائل .

« رض الشيء يرضه رضا » : كسره . و « سري عنه » (بالبناء للمجهول) : أي كشف عنه وتجلى ما كان يأخذه من الكرب عند نزول الوحي .

١٠٢٤٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهرى ، عن قبيصة بن ذؤيب ، عن زيد بن ثابت قال : كنت أكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : اكتب : « لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله » ، فجاء عبد الله بن أم مكتوم فقال : يا رسول الله ، إنى أحبُّ الجهاد فى سبيل الله، ولكن بى من الزَّمَانة ما قد ترى ، قد ذهب بصرى ! قال زيد : فثقلت فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذى حتى خشيت أن يَرُضَّها ، ثم قال: اكتب : « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله » .(١)

١٠٢٤١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن جريج قال، أخبرنى عبد الكريم: أن مقسماً مولى عبد الله بن الحارث أخبره : أن ابن عباس أخبره قال: « لا يستوى القاعدون من المؤمنين»، عن بدر، والخارجون إلى بدر .(٢)

---

(١) الحديث : ١٠٢٤٠ – هو فى معنى الحديث السابق عن زيد بن ثابت ، ولكنه من رواية قبيصة بن ذؤيب عنه .

وقبيصة بن ذؤيب بن حلحلة : تابعى كبير ثقة ، كما مضى فى : ٥٤٧١ . وهو مترجم فى التهذيب وغيره ، وفى الإصابة ٥ : ٢٧١ – ٢٧٢ .

والحديث فى تفسير عبد الرزاق ، ص : ٤٨ (مخطوط مصور) .

ورواه أحمد فى المسند ٥ : ١٨٤ (حلبى) ، عن عبد الرزاق .

وذكره ابن كثير ٢ : ٥٤٩ ، من تفسير عبد الرزاق ، ثم قال : « رواه ابن أبى حاتم ، وابن جرير .

وأشار إليه الحافظ فى الفتح ٨ : ١٩٥ ، ونسبه لأحمد فقط .

(٢) الحديث : ١٠٢٤١ – هذا الحديث ليس فى تفسير عبد الرزاق ، فلعله فى المصنف . ولم يروه أحمد فى المسند ، فيما وصل إليه تتبعى .

وقد رواه البخارى ٨ : ١٩٦ – ١٩٧ ، هكذا مختصراً ، من طريق هشام ، عن ابن جريج ، ومن طريق عبد الرزاق ، عن ابن جريج .

وذكره ابن كثير ٢ : ٥٤٩ ، وقال : « انفرد به البخارى دون مسلم » .

وذكره السيوطى ٢ : ٢٠٣ ، وزاد نسبته لعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم . وسيأتى عقيب هذا ، بأطول منه .

١٠٢٤٢ – حدثنا القاسم قال: حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، أخبرني عبد الكريم : أنه سمع مقسماً يحدث عن ابن عباس، أنه سمعه يقول : «لا يستوى القاعدون من المؤمنين» عن بدر ، والخارجون إلى بدر ، لما نزل غزو بدر.(١) قال عبد الله بن أم مكتوم وأبو أحمد بن جحش بن قيس الأسدى: يا رسول الله، إنا أعميان ، فهل لنا رخصة ؟ فنزلت : « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة » .(٢)

١٠٢٤٣ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم » ، فسمع بذلك عبد الله بن أم مكتوم الأعمى ، فأتى رسول

---

(١) فى المطبوعة : « لما نزلت غزوة بدر » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) الحديث : ١٠٢٤٢ – هذا هو السياق المطول للحديث السابق ، وفيه قصة ابن أم مكتوم ، التى مضت مراراً من حديث البراء بن عازب ، ومن حديث زيد بن أرقم ، ومن حديث زيد ابن ثابت – مع بعض زيادات أخر فى القصة .

والحديث – من هذا الوجه – رواه الترمذى ٤ : ٩١ ، وقال : « هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث ابن عباس » .

وقد نقله الحافظ فى الفتح ٨ : ١٩٧ ، من رواية الترمذى ، وأشار إلى رواية الطبرى هنا ، كما سيأتى .

ونقله ابن كثير أيضاً ٢ : ٥٤٩ – ٥٥٠ ، عن رواية الترمذى .

ونقله السيوطى ٢ : ٢٠٣ ، وزاد نسبته للنسائى ، وابن المنذر ، والبيهقى فى سننه .

ووقع فى رواية الترمذى ومن نقل عنه : « وعبد الله بن جحش » . بدل « وأبو أحمد بن جحش » . وجزم الحافظ فى الفتح بأن الصواب ما فى رواية الطبرى « وأبو أحمد بن جحش » ، قال : « فإن عبد الله أخوه . وأما هو فاسمه : « عبد » ، بغير إضافة . وهو مشهور بكنيته » .

و « عبد الله بن جحش » لم يكن أعمى . وقد قتل شهيداً فى غزوة أحد .

وأخوه « أبو أحمد » : مترجم فى الإصابة ٧ : ٣ – ٤ ، وابن سعد ٧/١/٧٦ – ٧٧ . وجزم الحافظ فى الإصابة بأن اسمه « عبد » بدون إضافة ، كما قال فى الفتح . وفى ابن سعد أن اسمه « عبد الله » . وأخشى أن يكون خطأ طابع أو ناسخ .

وقال الحافظ فى الإصابة : « وكان أبو أحمد ضريراً ، يطوف بمكة أعلاها وأسفلها بغير قائد ، وكانت عنده الفارعة بنت أبي سفيان بن حرب . وشهد بدراً والمشاهد » .

الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ، قد أنزل الله فى الجهاد ما قد علمت، وأنا رجل ضرير البصر لا أستطيع الجهاد، فهل لى من رخصة عند الله إن قعدت ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أمرت فى شأنك بشىء ، وما أدرى هل يكون لك ولأصحابك من رخصة ! فقال ابن أم مكتوم: اللهم إنى أنشدك بصرى! فأنزل الله بعد ذلك على رسوله صلى الله عليه وسلم فقال : « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله » إلى قوله : « على القاعدين درجة » .

١٠٢٤٤ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد قال: نزلت: « لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله»، فقال رجل أعمى: يا نبى الله، فأنا أحب الجهادَ ولا أستطيع أن أجاهد! فنزلت : « غير أولى الضرر » .

١٠٢٤٥ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حصين، عن عبد الله بن شداد قال : لما نزلت هذه الآية فى الجهاد : « لا يستوى القاعدون من المؤمنين » ، قال عبد الله بن أم مكتوم : يا رسول الله ، إنّى ضرير كما ترى ! فنزلت : « غير أولى الضرر » .[1]

١٠٢٤٦ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر » ، عذرَ الله أهل العذر من الناس فقال : « غير أولى الضرر » ، كان منهم ابن أم مكتوم = « والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم » .

---

(١) الحديث : ١٠٢٤٥ — حصين : هو ابن عبد الرحمن السلمى .
وهذا الحديث مرسل ، لأن عبد الله بن شداد بن الهاد الليثى : تابعى من كبار التابعين وثقاتهم . ولكنه لم يذكر عمن رواه . وإن كان أصل الحديث فى ذاته صحيحاً ، بما ثبت فى الروايات السابقة .
والحديث ذكره السيوطى ٢ : ٢٠٤ — هكذا مرسلا . ونسبه أيضاً لسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد .

١٤٦/٥ ١٠٢٤٧ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله » إلى قوله : « وكلاً وعد الله الحسنى » ، لما ذكر فضلَ الجهاد ، قال ابن أم مكتوم : يا رسول الله، إنىّ أعمى ولا أطيق الجهاد ! فأنزل الله فيه : « غير أولى الضرر » .

١٠٢٤٨ – حدثنى المثنى قال، حدثنا محمد بن عبد الله النفيلى قال ، حدثنا زهير بن معاوية قال ، حدثنا أبو إسحق ، عن البراء قال : كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ادع لى زيداً، وقل له يأتى = أو : يجىء = بالكتف والدواة = أو : اللوح والدواة = الشك من زهير= اكتب : « لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله »، فقال ابن أم مكتوم : يا رسول الله ، إن بعينى ضرراً ! فنزلت قبل أن يبرَح : « غير أولى الضرر » . (١)

١٠٢٤٩ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن رجاء البصرى قال ، حدثنا إسرائيل، عن أبى إسحق، عن البَرَاء بنحوه = إلا أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ادع لى زيداً ، وليجئنى معه بكتف ودواة = أو : لوح ودواة . (٢)

---

(١) الحديث : ١٠٢٤٨ – هو والذى بعده من روايات حديث البراء ، الذى مضى بالأسانيد : ١٠٢٣٣ – ١٠٢٣٧ ، كما أشرنا إليهما هناك .

وهو من هذا الوجه – رواه أحمد فى المسند ٤ : ٣٠١ (حلبى) ، عن هاشم بن القاسم ، عن زهير ، وهو ابن معاوية ، بهذا الإسناد .

(٢) الحديث : ١٠٢٤٩ – إسرائيل : هو ابن يونس بن أبى إسحق السبيعى ، راوية جده أبى إسحق .

والحديث رواه البخارى ٨ : ١٩٦ ، عن محمد بن يوسف ، عن إسرائيل .

ورواه البخارى أيضاً ٩ : ١٩ (فتح) ، عن عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل .

وكذلك رواه ابن حبان فى صحيحه ، رقم : ٣٩ (بتحقيقنا) ، من طريق محمد بن عثمان العجلى ، عن عبيد الله بن موسى .

١٠٢٥٠ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل ، عن زياد بن فياض ، عن أبي عبد الرحمن قال : لما نزلت : « لا يستوى القاعدون » ، قال عمرو بن أم مكتوم : يا رب ، ابتليتني فكيف أصنع ؟ قال : فنزلت : « غير أولى الضرار ».(١)

* * *

وكان ابن عباس يقول في معنى : « غير أولى الضرر » نحواً مما قلنا .

١٠٢٥١ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « غير أولى الضرر » ، قال : أهل الضرر .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ﴾

قال أبو جعفر : يعني بقوله جل ثناؤه : « فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة » ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم ، على القاعدين من أولى الضرر ، درجة واحدة = يعني : فضيلة واحدة (٢) = وذلك بفضل جهاده بنفسه ، فأما فيما سوى ذلك ، فهما مستويان ، كما : —

---

(١) الحديث : ١٠٢٥٠ – زياد بن فياض الخزاعي الكوفي : مضت ترجمته وتوثيقه في : ١٣٨٢ .

وشيخه « أبو عبد الرحمن » : لم أعرف من هو ، ولم أجد قرينة تعين شيخاً بعينه ؟ و « أبو عبد الرحمن » : كنية واسعة فيها كثرة كثيرة .

وأيا ما كان فهو – على الأكثر – من التابعين ، لأن زياد بن فياض لا يرتفع في روايته فوق التابعين . فيكون الحديث مرسلا غير موصول .

وهكذا ذكره السيوطي ٢ : ٢٠٤ ، على هذا الوجه من الإرسال ، ونسبه لابن سعد ، وعبد ابن حميد ، والطبري .

(٢) انظر تفسير « الدرجة » فيما سلف ٤ . ٥٣٣ – ٥٣٦/٧ : ٣٦٨ .

١٠٢٥٢ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك : أنه سمع ابن جريج يقول فى : « فضّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة » ، قال : على أهل الضرر .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿وَكُلاًّ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٩٥)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه : « وكلاً وعد الله الحسنى » ، وعد الله الكلّ من المجاهدين بأموالهم وأنفسهم ،[1] والقاعدين من أهل الضرر = « الحسنى » ، ويعنى جل ثناؤه : بـ « الحسنى » ، الجنة ، كما : ــ

١٠٢٥٣ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وكلاً وعد الله الحسنى » ، وهى الجنة ، والله يؤتى كل ذى فضل فضلَه .

١٠٢٥٤ ــ حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : « الحسنى » ، الجنة .

* * *

وأما قوله : « وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً » ، فإنه يعنى : وفضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين من غير أولى الضرر ، أجراً عظيماً ، كما : ــ

١٠٢٥٥ ــ حدثنى القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ،

---

(١) انظر ما قاله فى « كل » فيما سلف ٣ : ٥/١٩٥ : ٦/٥٠٩ : ٢١٠ .

عن ابن جريج : « وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً * درجات منه ومغفرة » ، قال : على القاعدين من المؤمنين غير أولى الضرر .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (٩٦)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه : « درجات منه » ، فضائل منه ومنازل من منازل الكرامة .(١)

* * *

واختلف أهل التأويل فى معنى «الدرجات » التى قال جل ثناؤه : « درجات منه » .

فقال بعضهم بما : —

١٠٢٥٦ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « درجات منه ومغفرة ورحمة » ، كان يقال : الإسلام درجة ، والهجرة فى الإسلام درجة ، والجهاد فى الهجرة درجة ، والقتل فى الجهاد درجة .

* * *

وقال آخرون بما : —

١٠٢٥٧ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، سألت ابن زيد عن قول الله تعالى : « وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً * درجات منه » ، « الدرجات » هى السبع التى ذكرها فى « سورة براءة » : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ ﴾ فقرأ حتى بلغ : ١٤٧/٥

(١) انظر تفسير « الدرجة » فيما سلف ٤ : ٥٣٣ ، ٧/٥٣٦ : ٣٦٨ ، وما مضى ص : ٩٥ ، تعليق : ٢

﴿أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة التوبة: ١٢٠، ١٢١] . قال : هذه السبع الدرجات . قال : وكان أول شيء ، فكانت درجة الجهاد مُجْملة ، فكان الذى جاهد بماله له اسمٌ فى هذه ، فلما جاءت هذه الدرجات بالتفصيل أخرج منها، فلم يكن له منها إلا النفقة، فقرأ: ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ﴾ ، وقال : ليس هذا لصاحب النفقة . ثم قرأ: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً﴾ ، قال: وهذه نفقة القاعد .

* * *

وقال آخرون: عنى بذلك درجات الجنة .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٢٥٨ – حدثنا على بن الحسن الأزدى قال، حدثنا الأشجعى ، عن سفيان ، عن هشام بن حسان ، عن جبلة بن سحيم . عن ابن محيريز فى قوله : « فضل الله المجاهدين على القاعدين » ، إلى قوله : « درجات » ، قال : الدرجات سبعون درجة، ما بين الدرجتين حُضْرُ الفرس الجواد المُضَمَّر سبعين سنة .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلات بتأويل قوله : « درجات منه » ، أن يكون معنيًّا به درجات الجنة ، كما قال ابن محيريز . لأن قوله تعالى ذكره: « درجات منه »: ترجمة وبيان عن قوله : « أجراً عظيماً »، ومعلوم أن « الأجر »، إنما هو الثواب والجزاء .(٢)

---

(١) الأثر : ١٠٢٥٨ – « على بن الحسين الأزدى » ، شيخ الطبرى ، لم أجد له ترجمة ، وقد روى عنه فى تاريخه فى مواضع منها ١ : ٤٤ ، ٦/٤٩ : ٧٣ ، ١٤٣ .

و « الأشجعى » ، هو : « عبيد الله بن عبيد الرحمن الأشجعى » مضت ترجمته برقم: ٨٦٢٢ .

و « سفيان » ، هو الثورى .

و « هشام بن حسان القردوسى » مضى برقم ٢٨٢٧ ، ٧٢٨٧ .

و « جبلة بن سحيم » مضى برقم : ٣٠٠٣ .

و « ابن محيريز » ، هو عبد الله بن محيريز ، مضى برقم : ٨٧٢٠ .

و « حضر الفرس » ارتفاعه فى عدوه ، « أحضر الفرس يحضر إحضاراً »، عدا عدواً شديداً .

و « الفرس المضمر » ، وهو الذى أعد إعداداً للسباق والركض .

(٢) انظر تفسير « الأجر » فيما سلف ٨ : ٥٤٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

وإذْ كان ذلك كذلك ، وكانت « الدرجات » و « المغفرة » و « الرحمة » ترجمة عنه ، كان معلوماً أن لا وجه لقول من وجّه معنى قوله : « درجات منه » ، إلى الأعمال وزيادتها على أعمال القاعدين عن الجهاد ، كما قال قتادة وابن زيد:

وإذ كان ذلك كذلك، وكان الصحيح من تأويل ذلك ما ذكرنا، فبيّنٌ أن معنى الكلام : وفضل الله المجاهدين فى سبيل الله على القاعدين من غير أولى الضرر، أجراً عظيماً، وثواباً جزيلاً، وهو درجات أعطاهموها فى الآخرة من درجات الجنة ، رفعهم بها على القاعدين بما أبلوا فى ذات الله .

* * *

= « ومغفرة » يقول: وصفح لهم عن ذنوبهم، فتفضل عليهم بترك عقوبتهم عليها = « ورحمة » ، يقول : ورأفة بهم = « وكان الله غفوراً رحيماً » ، يقول : ولم يزل الله غفوراً لذنوب عباده المؤمنين، يصفح لهم عن العقوبة عليها[1] = « رحيماً » بهم ، يتفضل عليهم بنعمه ، مع خلافهم أمره ونهيه ، وركوبهم معاصيه .[2]

* * *

(١) فى المطبوعة : « فيصفح » بزيادة الفاء ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو الجيد .

(٢) انظر تفسير « المغفرة » ، و « الرحمة » ، و « غفور » و « رحيم » فيما سلف من فهارس اللغة .

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ ﴿٩٩﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « إن الذين توفّاهم الملائكة »، إن الذين تقبض أرواحهم الملائكة[1] = « ظالمى أنفسهم » ، يعنى : مكسبى أنفسهم غضبَ الله وسخطه .

* * *

وقد بينا معنى « الظلم » فيما مضى قبل .[2]

* * *

= « قالوا فيم كنتم » ، يقول : قالت الملائكة لهم : « فيم كنتم »، فى أىّ شىء كنتم من دينكم = « قالوا كنا مستضعفين فى الأرض » ، يعنى : قال الذين توفّاهم الملائكة ظالمى أنفسهم : « كنا مستضعفين فى الأرض»، يستضعفنا أهل الشرك بالله فى أرضنا وبلادنا بكثرة عددهم وقوتهم، فيمنعونا من الإيمان بالله ، واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم، معذرةٌ ضعيفةٌ وحُجّة واهية = « قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها » ، يقول : فتخرجوا من أرضكم ودوركم ،[3] وتفارقوا من يمنعكم بها من الإيمان بالله واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم ، إلى الأرض التى

---

(١) انظر تفسير « التوفى » فيما سلف ٦ : ٤٥٥/٨ : ٧٣ .

(٢) انظر تفسير « الظلم » فيما سلف من فهارس اللغة فى الأجزاء السالفة .

(٣) انظر تفسير « الهجرة » فيما سلف ٤ : ٣١٧ ، ٣١٨/٧ : ٤٩٠ .

يمنعكم أهلها من سلطان أهل الشرك بالله، فتوحّدوا الله فيها وتعبدوه، وتتبعوا نبيَّه ؟

= يقول الله جل ثناؤه: « فأولئك مأواهم جهنم » ، أى: فهولاء الذين وصفت لكم صفتهم = الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم = « مأواهم جهنم » ، يقول : مصيرهم فى الآخرة جهنم ، وهى مسكنهم[1] = « وساءت مصيراً »، يعنى : وساءت جهنم لأهلها الذين صاروا إليها[2] = « مصيراً » ومسكناً ومأوى .[3]

ثم استثنى جل ثناؤه المستضعفين الذين استضعفهم المشركون = « من الرجال والنساء والولدان »، وهم العجزة عن الهجرة = بالعُسْرة، وقلّة الحيلة ، وسوء البصر والمعرفة بالطريق = من أرضهم أرضِ الشرك إلى أرض الإسلام ، من القوم الذين أخبر جل ثناؤه أن مأواهم جهنم : أن تكون جهنم مأواهم ، للعذر الذى هم فيه ، على ما بينه تعالى ذكره .[4]

* * *

ونصب « المستضعفين » على الاستثناء من « الهاء » و«الميم» اللتين فى قوله: ١٤٨/٥
« فأولئك مأواهم جهنم » .[5]

* * *

يقول الله جل ثناؤه : «فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم »، يعنى : هؤلاء المستضعفين ، يقول: لعل الله أن يعفو عنهم ، للعذر الذى هم فيه وهم مؤمنون ، فيفضل عليهم بالصفح عنهم فى تركهم الهجرة ،[6] إذ لم يتركوها اختياراً ولا إيثاراً

---

(١) انظر تفسير « المأوى » فيما سلف ٧ : ٢٧٩ ، ٤٩٤ .

(٢) انظر تفسير « ساء » فيما سلف ٨ : ١٣٨ ، ٣٥٨ .

(٣) انظر تفسير « المصير » فيما سلف ٣ : ٦/٥٦ : ١٢٨ ، ٧/٣١٧ : ٣٦٦ .

(٤) سياق هذه الجملة : « ثم استثنى الله المستضعفين . . . وهم العجزة عن الهجرة . . . من أرضهم . . . ، من القوم . . . أن تكون جهنم مأواهم » ، كثر فيها تعلق حروف الجر بما سلف ، فخشيت أن يتعب القارئ ! !

(٥) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٨٤ . هذا ، وقد خالف أبو جعفر نهجه هذا ، وأخر الكلام فى قوله : « إن الذين توفاهم الملائكة » إلى آخر تفسير الآية ص : . . .

(٦) فى المطبوعة : « فيتفضل » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

منهم لدار الكفر على دار الإسلام ، ولكن للعجز الذى هم فيه عن النّقلة عنها[١] = « وكان الله عفوًّا غفوراً » يقول : ولم يزل الله « عفوًّا » يعنى : ذا صفح بفضله عن ذنوب عباده ، بتركه العقوبة عليها = « غفوراً » ، ساتراً عليهم ذنوبهم بعفوه لهم عنها .[٢]

* * *

وذكر أن هاتين الآيتين والتى بعدهما ، نزلت فى أقوام من أهل مكة كانوا قد أسلموا وآمنوا بالله وبرسوله ، وتخلّفوا عن الهجرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر ، وعُرِض بعضهم على الفتنة فافْتُتِن ،[٣] وشهد مع المشركين حرب المسلمين ، فأبى الله قبول معذرتهم التى اعتذروا بها ، التى بينها فى قوله خبراً عنهم : « قالوا كنا مستضعفين فى الأرض » .

* * *

* ذكر الأخبار الواردة بصحة ما ذكرنا : من نزول الآية فى الذين ذكرنا أنها نزلت فيهم .

١٠٢٥٩ — حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ، حدثنا ابن فضيل قال ، حدثنا أشعث ، عن عكرمة : « إن الذين توفّاهم الملائكة ظالمى أنفسهم » ، قال : كان ناس من أهل مكة أسلموا ، فمن مات منهم بها هلك ، قال الله : « فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً * إلاّ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان » إلى قوله : « عفوًّا غفوراً » = قال ابن عباس : فأنا منهم : وأمّى منهم = قال عكرمة : وكان العباس منهم .

١٠٢٦٠ — حدثنا أحمد بن منصور الرمادى قال ، حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال ، حدثنا محمد بن شريك ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان قوم من أهل مكة أسلموا ، وكانوا يستخفون بالإسلام ، فأخرجهم

---

(١) فى المخطوطة : « ولكن العجز » ، والذى فى المطبوعة أجود .

(٢) انظر تفسير « عفو » و « غفور » فى فهارس اللغة من الأجزاء السالفة .

(٣) « الفتنة » ، التعذيب الشديد الذى ابتلى به المؤمنون .

المشركون يوم بدر معهم ، فأصيب بعضهم ، فقال المسلمون : « كان أصحابنا هؤلاء مسلمين ، وأكرهوا » ! فاستغفروا لهم ، فنزلت : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم » الآية ، قال : فكتب إلى من بقى بمكة من المسلمين بهذه الآية ، لا عذر لهم .[1] قال : فخرجوا فلحقهم المشركون فأعطوهم الفتنة ؛ فنزلت فيهم : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي ٱللهِ ﴾ [سورة العنكبوت : ١٠] ، إلى آخر الآية ، فكتب المسلمون إليهم بذلك ، فحزنوا وأيسوا من كل خير ، ثم نزلت فيهم : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ، [سورة النحل: ١١٠] ، فكتبوا إليهم بذلك : « إن الله قد جعل لكم مخرجاً » ، فخرجوا فأدركهم المشركون ، فقاتلوهم حتى نجا من نجا ، وقُتِل من قتل .[2]

١٠٢٦١ – حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنى حيوة = أو : ابن لهيعة ، الشك من يونس = ، عن أبى الأسود : أنه سمع مولًى لابن عباس يقول عن ابن عباس : إن ناساً مسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سوَاد المشركين على النبى صلى الله عليه وسلم ، فيأتى السهم يرمى به ، فيصيب أحدَهم

---

(١) فى المطبوعة : « وأنه لا عذر لهم » ، بزيادة « وأنه » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو مطابق لما فى تفسير ابن كثير .

(٢) الأثر : ١٠٢٦٠ – « أحمد بن منصور بن سيار بن المعارك الرمادى » ، شيخ الطبرى ، ثقة . مترجم فى التهذيب .

و « أبو أحمد الزبيرى » سلف مراراً عديدة .

و « محمد بن شريك المكى » أبو عمارة قال أحمد وابن معين : « ثقة » . مترجم فى التهذيب .

وهذا الأثر خرجه ابن كثير فى تفسيره ٢ : ٥٥٢ من تفسير ابن أبى حاتم ، عن أحمد بن منصور الرمادى ، وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٢٠٥ ، وزاد نسبته لابن المنذر ، وابن مردويه ، والبيهقى فى سننه . وهو فى السنن الكبرى ٩ : ١٤ ، من طريق سعدان بن نصر ، عن سفيان ، عن عمرو ، عن عكرمة ، بغير هذا اللفظ .

وقوله : « فأعطوهم الفتنة » هكذا جاء فى جميع المراجع ، إلا تفسير ابن كثير ، فإن فيه : « فأعطوهم التقية » ، وهو خطأ ، والصواب ما فى التفسير والمراجع . ومعناها : كفروا بعد إسلامهم . وانظر التعليق على الأثر الآتى رقم : ١٠٢٦٦ .

فيقتله، أو يُضرب فيقتل، فأنزل الله فيهم : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم » حتى بلغ « فتهاجروا فيها » .

١٠٢٦٢ – حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال، حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ قال، أخبرنا حيوة قال، أخبرنا محمد بن عبد الرحمن بن نوفل الأسدى قال : قُطِع على أهل المدينة بَعْث إلى اليمن، فاكتُتِبْتُ فيه ، فلقيت عكرمة مولى ابن عباس . فنهانى عن ذلك أشدّ النهى ، ثم قال : أخبرنى ابن عباس أن ناساً مسلمين كانوا مع المشركين = ثم ذكر مثل حديث يونس ، عن ابن وهب . (١)

١٠٢٦٣ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى

---

(١) الأثران : ١٢٠٦١ ، ١٠٢٦٢ – رواه البخارى (الفتح ٨ : ١٩٧ ، ١٩٨) بالإسناد الثانى : ١٠٢٦٢ ، « عن عبد الله بن يزيد المقرئ ، عن حيوة وغيره ، قالا حدثنا محمد بن عبد الرحمن ، أبو الأسود » . ورواه البيهقى فى السنن ٩ : ١٢ من طريق « محمد بن مسلمة الواسطى ، عن عبد الله بن يزيد المقرئ ، حدثنا حيوة ورجل قالا ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن ابن نوفل الأسدى » وقال : « رواه البخارى فى الصحيح » .

والظاهر أن الرجل المبهم فى إسناد البخارى والبيهقى هو « ابن لهيعة » كما جاء فى الإسناد الأول . هذا وقد نقل الحافظ فى الفتح (٨ : ١٩٨) أن الطبرانى قال : « لم يروه عن أبى الأسود إلا الليث وابن لهيعة » ، فقال الحافظ ابن حجر : « ورواية البخارى من طريق حيوة ، ترد عليه . ورواية ابن لهيعة أخرجها ابن أبى حاتم أيضاً » .

« أبو عبد الرحمن المقرئ » هو « عبد الله بن يزيد العدوى » مضى برقم : ٣١٨ ، ٥٤٥١ ، ٦٧٤٣ .

و « أبو الأسود » هو : « محمد بن عبد الرحمن بن نوفل الأسدى » وهو : « يتيم عروة » ، مضى برقم : ٢٨٩١ .

قوله : « قطع على أهل المدينة بعث » ، قال الحافظ ابن حجر : « أى : جيش ، والمعنى : أنهم ألزموا بإخراج جيش لقتال أهل الشام . وكان ذلك فى خلافة عبد الله بن الزبير على مكة » وأما « اكتتبت » فهى بالبناء للمجهول .

هذا ، وقد كان فى المطبوعة بحذف « إلى اليمن » ، وهى ثابتة فى المخطوطة لا شك فيها ، ولكنها غير موجودة فى سائر روايات الخبر . وهى دالة على أن الحافظ قد أخطأ فى اجتهاده ، إذ زعم أن الجيش خرج لقتال أهل الشأم . وكأنه استخرج ذلك استنباطاً ليبرئ عكرمة مما نسب إليه من رأى الخوارج . قال فى الفتح (٨ : ١٩٨) : « وفى هذه القصة دلالة على براءة عكرمة مما ينسب إليه من رأى الخوارج ، لأنه بالغ فى النهى عن قتال المسلمين وتكفير سواد من يقاتلهم » . وهذا موضع يحتاج إلى فضل تحقيق . كتبه محمود محمد شاكر .

قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم » ، هم قوم تخلّفوا بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، وتركوا أن يخرجوا معه ، فمن مات منهم قبل أن يلحق بالنبي صلى الله عليه وسلم ضربت الملائكة وجهه ودُبُره .

١٠٢٦٤ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة قوله : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم » ، إلى قوله : « وساءت مصيراً » ، قال : نزلت في قيس بن الفاكه بن المغيرة، والحارث بن زمعة بن الأسود، وقيس بن الوليد بن المغيرة، وأبي العاص بن منبّه بن الحجاج ،وعلي بن أمية بن خلف .[1] قال: لما خرج المشركون من قريش وأتباعهم لمنع أبي سفيان بن حرب وعِيرِ قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ،وأنْ يطلبوا ما نِيل منهم يوم نَخْلة ،[2] خرجوا معهم شباب كارهين ،[3] ١٤٩/٥

---

(١) هكذا جاءت أسماؤهم في المخطوطة والمطبوعة، والدر المنثور ٢ : ٢٩٥، واتفاقهم جميعاً جعلني أتحرج في إثبات ما أعرفه صواباً . وهؤلاء الذين قتلوا ببدر معروفة أسماؤهم في السير ، وهذا صوابها من سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٥، وإمتاع الأسماع ١ : ٢٠ .

« أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة »

« أبو قيس بن الوليد بن المغيرة »

« العاص بن منبِّه بن الحجاج »

وأكبر ظني أن هذا خطأ من النساخ ، لا خطأ في الرواية ، وانظر الأثر الآتي رقم ١٠٢٦٦ .

(٢) « يوم نخلة » ، يعني سرية عبد الله بن جحش بن رئاب الأسدي إلى بطن نخلة بين مكة والطائف ، سار إليها عبد الله وأصحابه حتى نزل نخلة ، فمرت به عير لقريش ، فيها عمرو بن الحضرمي ، فقتلوا عمراً، واستأسر من استأسر من المشركين . فأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعير والأسيرين ، حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة . فلما قدموا عليه قال : « ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام » . انظر سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٢ – ٢٥٦ ، وإمتاع الأسماع ١ : ٥٥ – ٥٨ .

(٣) في المطبوعة ، والدر المنثور ٢ : ٢٠٥ ، ٢٠٦ : « بشبان كارهين » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو صواب محض .

كانوا قد أسلموا واجتمعوا ببدر على غير موعد ، فقتلوا ببدر كفاراً ، ورجعوا عن الإسلام ، وهم هؤلاء الذين سميناهم = قال ابن جريج ، وقال مجاهد : نزلت هذه الآية فيمن قتل يوم بدر من الضعفاء من كفار قريش = قال ابن جريج ، وقال عكرمة : لما نزل القرآن في هؤلاء النفر إلى قوله : « وساءت مصيراً » إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان » ، قال : يعني الشيخَ الكبيرَ والعجوزَ والجواري الصغار والغلمان .

١٠٢٦٥ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم » إلى قوله : « وساءت مصيراً »، قال : لما أسر العباس وعقيل ونَوْفل،[1] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس : افد نفسك وابني أخيك .[2] قال : يا رسول الله ، ألم نصَلِّ قبلتك ونشهد شهادتك ؟ قال : يا عباس ، إنكم خاصمتم فَخُصِمتم ![3] ثم تلا هذه الآية : « ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً » ، فيوم نزلت هذه الآية كان من أسلم ولم يهاجر، فهو كافر حتى يهاجر، إلا المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ، حيلةً في المال، و«السبيل» الطريق . قال ابن عباس : كنت أنا منهم ، من الولدان .

١٠٢٦٦ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار قال : سمعت عكرمة يقول : كان ناس بمكة قد شهدوا أن لا إله إلا الله، فلما خرج المشركون إلى بدر أخرجوهم معهم، فقتلوا، فنزلت فيهم : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم » إلى قوله : « أولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوًّا غفوراً » ، فكتب بها المسلمون الذين بالمدينة

---

(١) يعني : العباس بن عبد المطلب ، عم رسول الله صلى الله عليه ، وابني أخويه : عقيل ابن أبي طالب بن عبد المطلب ، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب .

(٢) كان في المطبوعة والمخطوطة : « وابن أخيك » بالإفراد ، وكأن الصواب بالتثنية كما أثبتها ، وإفراد « أخيك » مع أنهما ابني أخويه أبي طالب والحارث ، صواب أيضاً .

(٣) « خصم » بالبناء للمجهول : أي غلب في الخصام ، وهو الجدال والاحتجاج .

إلى المسلمين الذين بمكة . قال: فخرج ناسٌ من المسلمين، حتى إذا كانوا ببعض الطريق طلبهم المشركون، فأدركوهم، فمنهم من أعطى الفتنة ،(١) فأنزل الله فيهم : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي ٱللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللهِ ﴾ [سورة العنكبوت : ١٠] ، فكتب بها المسلمون الذين بالمدينة إلى المسلمين بمكة، وأنزل الله فى أولئك الذين أعطوا الفتنة : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا ﴾ إلى ﴿ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة النحل : ١١٠]. (٢)

= قال ابن عيينة: أخبرنى محمد بن إسحق فى قوله: « إن الذين توفاهم الملائكة »، قال : هم خمسة فتية من قريش : على بن أمية ، وأبو قيس بن الفاكه ، وزمعة ابن الأسود ، وأبو العاص بن منبه ، ونسيت الخامس .(٣)

١٠٢٦٧ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم » الآية، حُدِّثنا أن هذه الآية أنزلت فى أناس تكلّموا بالإسلام من أهل مكة ، فخرجوا مع عدوّ الله أبى جهل ، فقتلوا يوم بدر ، فاعتذروا بغير عذر ، فأبى الله أن يقبلَ منهم . وقوله : « إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً » ، أناسٌ من أهل مكة عذَرهم الله فاستثناهم ، فقال : « أولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوًّا غفوراً » = قال : وكان ابن عباس يقول : كنتُ أنا وأمى من الذين

---

(١) « أعطوا الفتنة » ، أى : كفروا بعد إسلامهم . وانظر التعليق على الأثر السالف رقم : ١٠٢٦٠ .

(٢) انظر الأثر السالف رقم : ١٠٢٦٠ .

(٣) انظر الأثر السالف رقم : ١٠٢٦٤ ، وجاء هنا « أبو قيس بن الفاكه » ، على الصواب ، وانظر التعليق على الأثر السالف . ولكن جاء أيضاً هنا : « أبو العاص بن منبه » ، والصواب : « العاص بن منبه » كما أسلفت فى التعليق على الأثر السالف . وأما خامسهم فى رواية ابن إسحق ، فهو أبو قيس بن الوليد كما سلف . وخبر ابن إسحق هو فى سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً .

١٠٢٦٨ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال: سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم » الآية ، قال : هم أناس من المنافقين تخلّفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يخرجوا معه إلى المدينة ، وخرجوا مع مشركى قريش إلى بدر ، فأصيبوا يومئذ فيمن أصيب ، فأنزل الله فيهم هذه الآية .

١٠٢٦٩ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، سألته = يعنى ابن زيد = عن قول الله : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم » فقرأ حتى بلغ : « إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان » ، فقال : لما بعث النبى صلى الله عليه وسلم وظَهر، ونَبَعَ الإيمان، نَبَعَ النّفاق معه .[1] فأتَى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجال فقالوا : يا رسول الله ، لولا أنّا نخاف هؤلاء القوم يُعَذبوننا ، ويفعلون ويفعلون ، لأسلمنا ، ولكنّا نشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله . فكانوا يقولون ذلك له . فلما كان يوم بدر، قام المشركون فقالوا: لا يتخلّفُ عنا أحد إلا هَدَمنا داره واستبحنا ماله ! فخرج أولئك الذين كانوا يقولون ذلك القول للنبىّ صلى الله عليه وسلم معهم ، فقتلت طائفة منهم وأُسرت طائفة . قال: فأما الذين قتلوا، فهم الذين قال الله فيهم : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم » ، الآية كلها = « ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها » ، وتركوا هؤلاء الذين يستضعفونكم = « أولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً ». قال : ثم عذَر الله أهلَ الصدق فقال : « إلاّ المستضعفين من الرجال والنساء والولدانِ لا يستطيعون حيلةً ولا يهتدون سبيلاً »، يتوجّهون له، لو خرجوا لهلكوا = « فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم » ، إقامتهم بين ظَهْرى المشركين. وقال الذين أسروا: يا رسول الله ، إنك

١٥٠/٥

(١) « نبع » ، من قوله : « نبع الماء » ، إذا جرى وتفجر من بطن الأرض .

تعلم أنا كنا نأتيك فنشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وأن هؤلاء القوم خرجنا معهم خوفاً ! فقال الله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾، صنيعكم الذى صنعتم بخروجكم مع المشركين على النبى صلى الله عليه وسلم = ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ ﴾ خرجوا مع المشركين = ﴿ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة الأنفال: ٧٠، ٧١] .

١٠٢٧٠ – حدثنى محمد بن خالد بن خداش قال ، حدثنى أبى ، عن حماد ابن زيد ، عن أيوب ، عن عبد الله بن أبى مليكة، عن ابن عباس أنه قال : كنت أنا وأمى ممن عذر الله : « إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً » .(١)

١٠٢٧١ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى قوله : « إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان »، قال ابن عباس : أنا من المستضعفين .

١٠٢٧٢ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله: « ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم »، قال : من قتل من ضُعفاء كفار قريش يوم بدر .

---

(١) الأثر : ١٠٢٧٠ – « محمد بن خالد بن خداش بن عجلان المهلبى». روى عن أبيه ، قالوا : « وربما أغرب عن أبيه » ، ذكره ابن حبان فى الثقات . مترجم فى التهذيب . وقد مضى ذكره فى رقم : ٢٣٧٨ .

وأبوه : « خالد بن خداش بن عجلان المهلبى » . روى عن حماد بن زيد . وهو صدوق . مترجم فى التهذيب .

وهذا الأثر رواه البخارى (الفتح ٨ : ١٩٢) من طريق سليمان بن حرب ، عن حماد بن زيد ، ثم من طريق أبى النعمان ، عن حماد بن زيد (الفتح ٨ : ١٩٨) ، والبيهقى فى السنن ٩ : ١٣ .

١٠٢٧٣ – حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد نحوه .

١٠٢٧٤ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن عبيد الله بن أبي يزيد قال : سمعت ابن عباس يقول : كنت أنا وأمي من المستضعفين من النساء والولدان .(١)

١٠٢٧٥ – حدثني المثنى قال ، حدثنا حجاج قال ، حدثنا حماد ، عن علي ابن زيد، عن عبد الله – أو : إبراهيم بن عبد الله القرشي – عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو في دبر صلاة الظهر : « اللهم خلّص الوليد، وسلمة بن هشام ، وعياش بن أبي ربيعة ، وضعفة المسلمين من أيدي المشركين، الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً » .(٢)

١٠٢٧٦ – حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً » ، قال : مؤمنون مستضعفون بمكة ، فقال فيهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم :

---

(١) الأثر : ١٠٢٧٤ – « عبيد الله بن أبي يزيد المكي » ، سلف برقم : ٢٠ ، ٣٧٧٨ وكان في المطبوعة والمخطوطة « عبد الله »، وهو خطأ لاشك فيه

والأثر رواه البخاري (الفتح ٨ : ١٩٢) من طريق عبد الله بن محمد عن سفيان بن عيينة ، عن عبيد الله بن أبي يزيد . والبيهقي في السنن ٩ : ١٣ .

(٢) الأثر : ١٠٢٧٥ – « علي بن زيد بن عبد الله بن أبي مليكة التيمي » . روى عن أنس وسعيد بن المسيب وغيرهم . روى عنه الحمادان والسفيانان وغيرهم . كان كثير الحديث ، وفيه ضعف ، ولا يحتج به . وقال أحمد : « ليس بشيء » . مترجم في التهذيب .

و « عبد الله » هو « عبد الله بن إبراهيم بن قارظ الكناني » حليف بني زهرة ، ويقال هو « إبراهيم بن عبد الله بن قارظ » ، يروى عن أبي هريرة ، مترجم في التهذيب . وذكر الاختلاف في اسمه وكان في المطبوعة والمخطوطة : « عبيد الله » وهو خطأ . وفي تفسير ابن كثير « عبد الله القرشي » ، ولم يذكر الاختلاف ، مع أنه رواه عن ابن جرير .

وهذا الحديث ضعيف ، ولكن قال ابن كثير في تفسيره ٢ : ٥٥٤ : « وهذا الحديث شاهد في الصحيح من غير هذا الوجه » ، يعني ما رواه البخاري (الفتح ٨ : ١٩٨) .

هم بمنزلة هؤلاء الذين قتلوا ببدر ضعفاء مع كفار قريش . فأنزل الله فيهم : « لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً » ، الآية .

١٠٢٧٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد نحوه .

* * *

وأما قوله : « لا يستطيعون حيلة » ، فإن معناه كما : –

١٠٢٧٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة، عن عمرو ، عن عكرمة في قوله: « لا يستطيعون حيلة »، قال: نهوضاً إلى المدينة = « ولا يهتدون سبيلاً »، طريقاً إلى المدينة .

١٠٢٧٩ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ولا يهتدون سبيلا » ، طريقاً إلى المدينة .

١٠٢٨٠ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

١٠٢٨١ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدي : « الحيلة »، المال = و« السبيل » ، الطريق إلى المدينة .(١)

* * *

وأما قوله : « إن الذين توفاهم الملائكة » ، ففيه وجهان : (٢)

أحدهما : أن يكون « توفاهم » في موضع نصب ، بمعنى المضيّ، لأن « فعل » ١٠١/٥
منصوبة في كل حال .(٣)

---

(١) انظر تفسير « السبيل » فيما سلف ١ : ٤٩٧ ، وسائر فهارس اللغة في الأجزاء السابقة ، مادة (سبل) .

(٢) أخر الطبري على غير عادته هذا الفصل من كلامه عن موضعه ، كما أسلفت في موضع آخر .

(٣) يعني بقوله « النصب » ، الفتح . أي : أنه مبني على الفتح لأنه فعل ماض . وقوله : « فعل » أي الفعل الماضي .

والآخر : أن يكون فى موضع رفع بمعنى الاستقبال ، يراد به : إن الذين تتوفاهم الملائكة ، فتكون إحدى « التاءين » من « توفاهم » محذوفةً وهى مرادة فى الكلمة، لأن العرب تفعل ذلك ، إذا اجتمعت تاءان فى أول الكلمة ، ربما حذفت إحداهما وأثبتت الأخرى ، وربما أثبتتهما جميعاً .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (١٠٠)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « ومن يهاجر فى سبيل الله » ، ومن يُفارق أرضَ الشرك وأهلَها هرباً بدينه منها ومنهم ، إلى أرض الإسلام وأهلها المؤمنين(٢)=«فى سبيل الله»، يعنى : فى منهاج دين الله وطريقه الذى شرعه لخلقه ، وذلك الدين القَيِّم(٣) = « يجد فى الأرض مراغماً كثيراً » ، يقول : يجد هذا المهاجر فى سبيل الله= « مراغماً كثيراً » ، وهو المضطرب فى البلاد والمذْهب .

* * *

يقال منه : « راغم فلانٌ قومه مراغماً ومُرَاغمة » ، مصدراً ، ومنه قول نابغة بنى جعدة :

كَطَوْدٍ يُلَاذُ بِأَرْكَانِهِ عَزِيزِ المُرَاغَمِ وَالمَهْرَبِ(٤)

---

(١) انظر هذا كله فى معانى القرآن للفراء ١ : ٢٨٤ .

(٢) انظر تفسير « الهجرة » فيما سلف ص : ١٠٠، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « سبيل الله » فى مراجع اللغة .

(٤) ديوانه ٢٢ ، مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٣٨ ، اللسان (رغم) . والبيت من قصيدته التى فى الديوان ، ولكنه أفرد منها فلم يعرف مكانه . و « الطود » : الجبل العظيم المنيف . ولست أدرى على أى شىء تقع كاف التشبيه .

وقوله : « وسعة »، فإنه يحتمل السَّعة فى أمر دينهم بمكة ،[١] وذلك منعُهم إياهم — كان — من إظهار دينهم وعبادة ربهم علانية .[٢]

* * *

ثم أخبر جل ثناؤه عمن خرج مهاجراً من أرض الشرك فارًّا بدينه إلى الله وإلى رسوله ، إن أدركته منيَّته قبل بلوغه أرضَ الإسلام ودارَ الهجرة فقال : من كان كذلك = « فقد وقع أجرُه على الله » ، وذلك ثوابُ عمله وجزاءُ هجرته وفراق وطنه وعشيرته إلى دار الإسلام وأهل دينه .[٣] يقول جل ثناؤه : ومن يخرج مهاجراً من داره إلى الله وإلى رسوله ، فقد استوجب ثواب هجرته = إن لم يبلغ دارَ هجرته باختِرام المنية إيّاه قبل بلوغه إياها[٤] = على ربه = «وكان الله غفوراً رحيماً»، يقول : ولم يزل الله تعالى ذكره = « غفوراً » يعنى : ساتراً ذنوب عبادهِ المؤمنين بالعفو لهم عن العقوبة عليها = « رحيماً » ، بهم رفيقاً .[٥]

* * *

وذكر أن هذه الآية نزلت بسبب بعض من كان مقيماً بمكة وهو مسلم ،

---

(١) هكذا جاءت هذه العبارة فى المطبوعة والمخطوطة ، وهى غير مستقيمة . وظنى أنه سقط من الناسخ شىء من كلام أبى جعفر ، ولعله يكون هكذا :

« وقوله : « وسعة » ، فإنه يحتمل السَّعةَ فى الرِّزق ، ويحتمل السعة فى أمر دينهم ، من ضيعتهم فى أرض أهل الشرك بمكة ، وذلك منعهم . . . . »

فقوله : « وذلك منعهم » ، تفسير « الضيق » ، كما هو ظاهر من تأويل أبى جعفر . وانظر ما سيأتى فى تأويل معنى « السعة » ص : ١٢٢ .

(٢) فى المطبوعة . أسقط قوله : « كان » الموضوعة هنا بين الخطين ، لظن الناشر أنها خطأ وزيادة . وهو كلام عربى محكم ، يضمون « كان » هذا الموضع للدلالة على الماضى ، فكأنه قال : « وهو ما كان من منعهم إياهم » ، ولكن الناشر أخطأ معرفة معناه ، فحذف « كان » ، فأساء .

(٣) انظر تفسير « الأجر » فيما سلف ص : ٩٨ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٤) « اخترمته المنية » : أخذته من بين أصحابه وقطعته منهم . من « الخرم » وهو الشق والفصم ، يقال : « ما خرمت منه شيئاً » أى : ما نقصت وما قطعت .

(٥) انظر تفسير « كان » ، و « غفور » ، و « رحيم » فى مواضعها من فهارس اللغة فى الأجزاء السالفة .

فخرج لما بلغه أن الله أنزل الآيتين قبلها ، وذلك قوله : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم » إلى قوله : « وكان الله عفوًّا غفوراً » ، فمات فى طريقه قبلَ بلوغه المدينة .

* ذكر الأخبار الواردة بذلك :

١٠٢٨٢ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير فى قوله : « ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله »، قال: كان رجل من خزاعة يقال له ضمرة بن العيص – أو : العيص بن ضمرة بن زنباع – قال : فلما أمروا بالهجرة كان مريضاً ، فأمر أهله أن يفرُشوا له على سريره ويحملوه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ففعلوا ، فأتاه الموتُ وهو بالتَّنعيم ، فنزلت هذه الآية .(١)

١٠٢٨٣ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير أنه قال : نزلت هذه الآية : « ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله » ، فى ضمرة بن العيص بن الزنباع = أو فلان بن ضمرة بن العيص بن الزنباع = حين بلغ التنعيم ماتَ ، فنزلت فيه .

١٠٢٨٤ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال، حدثنا هشيم ، عن العوَّام التيمى ، بنحو حديث يعقوب ، عن هشيم ، قال : وكان رجلاً من خُزاعة .(٢)

---

(١) الأثر : ١٠٢٨٢ – أخرجه البيهقى فى السنن ٩ : ١٤، ١٥ ، وهذه القصة قصة رجل واحد اختلف فى اسمه واسم أبيه على أكثر من عشرة أوجه ، هكذا قال الحافظ ابن حجر فى الإصابة . وقد ساق أبو جعفر هنا من ١٠٢٨٢ – ١٠٢٩٥ أكثر وجوه هذا الاختلاف فى اسمه واسم أبيه . فتركت لذلك الإشارة إلى هذا الاختلاف فى مواضعه من الآثار التالية .

و « التنعيم » موضع فى الحل ، بين مر وسرف ، بينه وبين مكة فرسخان . ومن التنعيم يحرم من أراد العمرة من أهل مكة .

(٢) الأثر : ١٠٢٨٤ – « العوام التيمى » ، لم أجد له ذكراً فى كتب التراجم ، وأخشى

١٠٢٨٥ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغَماً كثيراً وسعة »، الآية ، قال : لما أنزل الله هؤلاء الآيات ، ورجل من المؤمنين يقال له : « ضمرة » بمكة ، قال : « والله إنّ لى من المال ما يُبَلِّغنى المدينة وأبعدَ منها ، وإنّى لأهتدى! أخرجونى » ، وهو مريض حينئذ ، فلما جاوز الحرَم قبضَه الله فمات ، فأنزل الله تبارك وتعالى : « ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله » ، الآية .

١٠٢٨٦ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : لما نزلت : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم » ، قال رجل من المسلمين يومئذٍ وهو مريض : « والله ما لى من عُذْر ، إنى لدليلٌ بالطريق ، وإنّى لموسِر ، فاحملونى »،[1] فحملوه ، فأدركه الموت بالطريق ، فنزل فيه[2] : « ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله » . ١٠٢/٥

١٠٢٨٧ – حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار قال : سمعت عكرمة يقول : لما أنزل الله : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم » الآيتين ، قال رجل من بنى ضَمْرة ، وكان مريضاً : « أخرجونى إلى الرَّوْح » ، [3] فأخرجوه ، حتى إذا كان بالحَصْحاص

أن يكون الصواب « العوام ، عن التيمى » ، يعنى : « العوام بن حوشب الشيبانى » ، وهو يروى عن « إبراهيم التيمى » . و « هشيم » يروى عن « العوام بن حوشب » .

(١) قوله: « لدليل بالطريق »، أى عارف به ، يقال: « دللت بهذا الطريق دلالة » ، أى : عرفته ، فهو « دليل بين الدلالة » .

(٢) فى المطبوعة : « فنزلت فيه » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) قوله : « أخرجونى إلى الروح » (بفتح الراء وسكون الواو) : أى : إلى السعة والراحة وبرد النسيم . هذا تفسيره ، وسيأتى فى رقم: ١٠٢٩٠ « لعل أن أخرج فيصيبنى روح » ، أى : برد النسيم ، وكان يجد الحر فى مكة حتى غمه ، كما سيأتى فى الأثر : ١٠٢٩٤ .

وأما « الحصحاص » ، فهو موضع بالحجاز ، وقال ياقوت « جبل مشرف على ذى طوى » ، يعنى : بناحية مكة . ويقال فيه : « ذو الحصحاص » ، قال شاعر حجازى :

مات ، ، فنزل فيه : « ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله » ، الآية .

١٠٢٨٨ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن المنذر بن ثعلبة ، عن علباء بن أحمر اليشكرى قوله : « ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله » ، قال : نزلت فى رجل من خزاعة .(١)

١٠٢٨٩ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا أبو عامر قال ، حدثنا قرة ، عن الضحاك فى قول الله جل وعز : « ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله » ، قال : لما سمع رجل من أهل مكة أن بنى كنانة قد ضربتْ وجوهَهم وأدبارَهم الملائكةُ ، قال لأهله: « أخرجونى » ، وقد أدنفَ للموت .(٢) قال : فاحتمل حتى انتهى إلى عَقَبَة قد سماها،(٣) فتوفّى، فأنزل الله : « ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله » ، الآية .(٤)

١٠٢٩٠ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ،عن السدى قال: لما سمع هذه(٥) = يعنى : بقوله : «إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم» إلى قوله : « وكان الله عفوًّا غفوراً » = ضمرةُ بن جندب

أَلَا لَيْتَ شِعْرِى هَلْ تَغَيَّرَ بَعْدَنَا ظِبَاءُ بِذِى الْحِصْحَاصِ نُجْلٌ عُيُونُهَا
وَلِى كَبِدٌ مَقْرُوحَةٌ قَدْ بَدَا بِهَا صُدُوعُ الْهَوَى،لَوْ كَانَ قَيْنٌ يَقِينُهَا !

(١) الأثر : ١٠٢٨٨ – « ثعلبة بن المنذر بن حرب الطائى » . و « علباء بن أحمر اليشكرى » ، مضيا برقم : ٧١٩٠ .

(٢) يقال : « دنفت الشمس للمغيب » (على وزن : فرح) و « أدنفت » ، إذا دنت للمغيب واصفرت ، وكذلك يقال المريض : « دنف المريض وأدنف »، أى ثقل ودنا للموت . و « الدنف » (بفتحتين) المرض اللازم المخامر .

(٣) « العقبة » (بفتحات) : طريق فى الجبل وعر = أو : هو الجبل الطويل يعرض للطريق فيأخذ فيه .

(٤) الأثر : ١٠٢٨٩ – هذا الأثر ساقط من المخطوطة .

(٥) فى المطبوعة : « لما سمع بهذه » ، غير ما فى المخطوطة ، لقوله بعد : « يعنى : بقوله . . . » ولا بأس بهذا التغيير ، وإن كان ما فى المخطوطة صواباً أيضاً .

الضمرى ، قال لأهله ،وكان وجعاً : « أرحلوا راحلتى ،فإن الأخشبين قد غمّانى ! » = يعنى : جبَلَى مكة = « لعلى أن أخرج فيصيبنى رَوْح »! [1] فقعد على راحلته، ثم توجه نحو المدينة ، فمات بالطريق ، فأنزل الله : « ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله » . وأما حين توجه إلى المدينة فإنه قال : « اللهم إنى مهاجر إليك و إلى رسولك » .

١٠٢٩١ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة قال : لما نزلت هذه الآية = يعنى قوله : « إن الذين توفاهم الملائكة » ، قال جندب بن ضمرة الجُنْدَعى . « اللهم أبلغتَ فى المعذرة والحجّة ، ولا معذرة لى ولا حُجَّة » ! قال : ثم خرج وهو شيخ كبير ، فمات ببعض الطريق، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: مات قبل أن يهاجر ، فلا ندرى أعلى ولايةٍ أم لا ! فنزلت : « ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله » .

١٠٢٩٢ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال، سمعت الضحاك يقول : لما أنزل الله فى الذين قتلوا مع مشركى قريش ببدر : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم » الآية ، سمع بما أنزل الله فيهم رجل من بنى لَيْثٍ كان على دين النبى صلى الله عليه وسلم مقيماً بمكة ، وكان ممن عَذَر الله ، كان شيخاً كبيراً وَصِباً ، [2] فقال لأهله : « ما أنا ببائت الليلة بمكة ! » ، فخُرِج به، [3] حتى إذا بلغ التَّنعيم من طريق المدينة أدركه

---

(١) انظر التعليق السالف قريباً : ص : ١١٥ ، تعليق : ٣ .

(٢) فى المطبوعة : « وضيئاً » ، وليس له معنى يقبل فى هذا الموضع . وفى المخطوطة : «وصيا » بالياء ، وهو تصحيف ما أثبته . « رجل وصب » ، دام عليه المرض ولزمه وثبت عليه . و « الوصب » (بفتحتين) المرض الموجع الدائم .

(٣) فى المطبوعة: «فخرجوا به مريضاً»، وكأنه تصرف من النساخ أو الناشر الأول . وفى الدر المنثور ٢ : ٢٠٨ : « فخرجوا به » ليس فيه « مريضاً » . وأثبت ما فى المخطوطة : « فخرج به » بالبناء للمجهول .

الموت ، فنزل فيه : « ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله » الآية .

١٠٢٩٣ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مرا غَماً كثيراً وسعة » ، قال : وهاجر رجل من بني كنانة يريد النبي صلى الله عليه وسلم فمات في الطريق ، فسخِر به قومه واستهزأوا به وقالوا : لا هو بلغ الذي يريد ، ولا هو أقام في أهله يقومون عليه ويدفن ! قال : فنزل القرآن : « ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله » .

١٠٢٩٤ – حدثنا أحمد بن منصور الرماديّ قال ، حدثنا أبو أحمد الزبيري قال ، حدثنا شريك ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم » ، فكان بمكة رجل يقال له « ضمرة » ، [1] من بني بكر ، وكان مريضاً ، فقال لأهله : « أخرجوني من مكة ، فإني أجد الحرّ » . فقالوا : أين نخرجك ؟ فأشار بيده نحو المدينة ، فنزلت هذه الآية : « ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله » إلى آخر الآية .

١٠٢٩٥ – حدثني الحارث بن أبي أسامة قال ، حدثنا عبد العزيز بن أبان قال ، حدثنا قيس ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير قال : لما نزلت هذه الآية : « لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر » ، قال : رَخَّص فيها قوم من المسلمين ممن بمكة من أهل الضرر ، [2] حتى نزلت فضيلة المجاهدين على القاعدين ، فقالوا : قد بين الله فضيلةَ المجاهدين على القاعدين ، ورخَّص لأهل الضرر ! حتى نزلت : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم » إلى قوله : « وساءت مصيراً » ، قالوا : هذه موجبة ! حتى نزلت : « إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً » ، فقال ضَمْرة بن العيص ١٥٣/٥

---

(١) في المطبوعة : « وكان بمكة » بالواو ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) في المطبوعة : « ممن كان بمكة » ، وأثبت ما في المخطوطة ، فهو صواب محض .

الزُّرَقى ، أحد بنى ليثٍ ، وكان مُصَاب البصر : « إنىّ لذوحيلة ، لى مال ، ولى رقيق ، فاحملونى » . فخرج وهو مريض ، فأدركه الموت عند التنعيم ، فدفن عند مسجد التنعيم ، فنزلت فيه هذه الآية : « ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت » الآية .(١)

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل « المراغم » .(٢)

فقال بعضهم : هو التحول من أرض إلى أرض .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٢٩٦ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « مراغَماً كثيراً » ، قال : المراغَم ، التحوّل من الأرض إلى الأرض .

١٠٢٩٧ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « مراغماً كثيراً » ، يقول : متحوَّلاً .

١٠٢٩٨ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى

---

(١) الأثر : ١٠٢٩٥ – « الحارث بن أبى أسامة » منسوب إلى جده ، وهو : « الحارث ابن محمد بن أبى أسامة التميمى » ، ولد فى شوال سنة ١٨٦ ، ومات يوم عرفة ضحوة النهار سنة ٢٨٢ ، عن ست وتسعين سنة . وهو ثقة مترجم فى تاريخ بغداد ٨ : ٢١٨ ، ٢١٩ . يروى عنه أبو جعفر الطبرى فى التفسير ، وفى التاريخ ١١ : ٥٧ ، ٥٨ .

و « عبد العزيز بن أبان الأموى » من ولد « سعيد بن العاص » . مترجم فى التهذيب ، وقال ابن معين : « كذاب خبيث يضع الأحاديث » .

و « قيس » ، هو « قيس بن الربيع » ، مضى برقم : ١٥٩ ، ٤٨٤٢ ، وغيرها .

* * *

هذا ، وقد رأيت كيف اختلفوا فى اسم الرجل الذى خرج مهاجراً إلى الله ورسوله ، وقد تركت التنبيه على ذلك ، كما أسلفت ، فإن تحقيق شىء من اسمه واسم أبيه يكاد يكون مستحيلا .

(٢) فى المخطوطة : « فى تأويل الآية » ، والصواب ما فى المطبوعة ، سها الناسخ .

جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « يجد فى الأرض مراغماً كثيراً » ، قال : متحوَّلاً .

١٠٢٩٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، حدثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن الحسن أو قتادة : « مراغماً كثيراً » ، قال : متحوَّلاً .

١٠٣٠٠ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله عز وجل : « يجد فى الأرض مراغماً كثيراً » ، قال : مندوحةً عما يكره .

١٠٣٠١ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : « مراغماً كثيراً » ، قال : مزحزحاً عما يكره .

١٠٣٠٢ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « مراغماً كثيراً » ، قال : متزحزحاً عما يكره .

* * *

وقال آخرون : مبتغَى معيشةٍ .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٣٠٣ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يجد فى الأرض مراغماً كثيراً » ، يقول : مبتغًى للمعيشة .

* * *

وقال آخرون : « المراغَمُ »، المهاجر .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٣٠٤ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى

قوله : « مراغماً » ، المراغَم ، المهاجَر .

* * *

قال أبو جعفر : وقد بينا أوْلَى الأقوال فى ذلك بالصواب فيما مضى قبل .(١)

* * *

واختلفوا أيضاً فى معنى : «السعة» التى ذكرها الله فى هذا الموضع ، فقال : « وسعة » .

فقال بعضهم : هى : السعة فى الرزق .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٣٠٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « مراغماً كثيراً وسعة » ، قال : السعة فى الرزق .

١٠٣٠٦ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « مراغماً كثيراً وسعة » ، قال : السعة فى الرزق .

١٠٣٠٧ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « وسعة » ، يقول : سعة فى الرزق .

* * *

وقال آخرون فى ذلك ما : —

١٠٣٠٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « يجد فى الأرض مراغماً كثيراً وسعة » ، إى والله ، من الضلالة إلى الهدى ، ومن العَيْلة إلى الغِنى .(٢)

* * *

---

(١) انظر ما سلف ص : ١١٢ ، ١١٣ .

(٢) « العيلة » : الفقر .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : إن الله أخبرَ أن من هاجر فى سبيله يجد فى الأرض مضطرَباً ومتَّسعاً . وقد يدخل فى « السعة » ، السعة فى الرزق ، والغنى من الفقر ، ويدخل فيه السعة من ضيق الهمّ والكرب الذى كان فيه أهل الإيمان بالله من المشركين بمكة ، وغير ذلك من معانى « السعة » ، التى هى بمعنى الرَّوْح والفرَج من مكروهِ ما كره الله للمؤمنين بمقامهم بين ظَهْرَى المشركين وفى سلطانهم . ولم يضع الله دِلالة على أنه عنى بقوله : « وسعة » ، بعض معانى « السعة » التى وصفنا . فكل معانى « السعة » التى هى بمعنى الرَّوح والفرج مما كانوا فيه من ضيق العيش ، وغم جِوار أهل الشرك ، وضيق الصدر بتعذّر إظهار الإيمان بالله و إخلاص توحيده وفراق الأنداد والآلهة ، داخلٌ فى ذلك . ١٥٤/٥

* * *

وقد تأول قوم من أهل العلم هذه الآية = أعنى قوله : « ومن يخرُج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله » = أنها فى حكم الغازى يخرج للغزو ، فيدركه الموت بعد ما يخرج من منزله فاصلاً فيموت ، أنّ له سَهْمه من المغنَم ، وإن لم يكن شهد الوقعة ، كما :—

١٠٣٠٩ — حدثنى المثنى قال، حدثنا يوسف بن عدىّ قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب : أن أهل المدينة يقولون : « من خرج فاصلاً وجب سهمه » ، وتأوّلوا قوله تبارك وتعالى : « ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله » .(١)

* * *

(١) الأثر : ١٠٣٠٩ — « يوسف بن عدى بن زريق التيمى » ، كوفى ، نزل مصر ، ومات بها سنة ٢٣٢ . ثقة . مترجم فى التهذيب .

و « يزيد بن أبى حبيب المصرى » سلف برقم : ٤٣٤٨ ، ٥٤٩٣ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ (١٠١)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « وإذا ضربتم فى الأرض » ، وإذا سرتم أيها المؤمنون فى الأرض ،[١] = «فليس عليكم جناح»، يقول : فليس عليكم حرج ولا إثم[٢] = « أن تقصروا من الصلاة » ، يعنى : أن تقصروا من عددها ، فتصلوا ما كان لكم عدده منها فى الحضر وأنتم مقيمون أربعاً، اثنتين، فى قول بعضهم .

وقيل : معناه : لا جناح عليكم أن تقصروا من الصلاة إلى أقلّ عددها فى حال ضربكم فى الأرض = أشار إلى واحدة ، فى قولِ آخرين .

وقال آخرون : معنى ذلك : لا جناح عليكم أن تقصروا من حدود الصلاة .

= « إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا »، يعنى : إن خشيتم أن يفتنكم الذين كفروا فى صلاتكم .[٣] وفتنتهم إياهم فيها : حملهم عليهم وهم فيها ساجدون حتى يقتلوهم أو يأسروهم ، فيمنعوهم من إقامتها وأدائها ، ويحولوا بينهم وبين عبادة الله وإخلاص التوحيد له.[٤]

= ثم أخبرهم جل ثناؤه عما عليه أهل الكفر لهم فقال : « إن الكافرين كانوا لكم عدوًّا مبيناً » ، يعنى : الجاحدين وحدانية الله[٥] = «كانوا لكم عدوًّا مبيناً »،

---

(١) انظر تفسير « الضرب فى الأرض » فيما سلف ٥ : ٥٩٣/٧ : ٣٣٢ .

(٢) انظر تفسير « الجناح » فيما سلف ٨ : ١٨٠، تعليق : ١، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الخوف » فيما سلف ٨: ٢٩٨، ٣١٨، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « الفتنة » فيما سلف ٩ : ٢٨ ، تعليق : ١، والمراجع هناك .

(٥) فى المطبوعة : « يعنى : الجاحدون » بالرفع ، والذى أثبت من المخطوطة ، صواب محض ، وهو الذى جرى عليه أبو جعفر فى مثله من التفسير .

يقول : عدوًّا قد أبانوا لكم عداوتهم بمناصبتهم لكم الحرب على إيمانكم بالله وبرسوله ، وترككم عبادة ما يعبدون من الأوثان والأصنام، ومخالفتكم ما هم عليه من الضلالة .

* * *

واختلف أهل التأويل فى معنى : «القصر» الذى وضع الله الجُناح فيه عن فاعله .

فقال بعضهم : فى السفر، من الصلاة التى كان واجباً إتمامها فى الحضر أربعَ ركعات ،[1] وأذِن فى قصرها فى السفر إلى اثنتين .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٣١٠ — حدثنى عبيد بن إسمعيل الهبّارى قال، حدثنا عبد الله بن إدريس، عن ابن جريج ، عن ابن أبى عمار ، عن عبد الله بن بابيه ، عن يعلى بن منية قال : قلت لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : « فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم»، وقد أمن الناس ! فقال : عجبتُ مما عجبتَ منه، حتى سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال : صدقة تصدّق الله بها عليكم ، فاقبلوا صدَقته .[2]

---

(١) فى المطبوعة : « تمامها » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٠٣١٠ — « عبيد بن إسماعيل الهبارى » ، وهو « عبيد الله بن إسماعيل الهبارى » ، مضى برقم : ٢٨٩٠ ، ٣١٨٥ ، ٣٣٢٥ ، ٤٨٨٨ .

و « ابن إدريس » ، هو « عبد الله بن إدريس الأودى » ، مضى برقم : ٤٣٨ ، ٢٠٣٠ ، ٢٨٩٠ ، وغيرها .

و « ابن أبى عمار » ، هو : عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى عمار القرشى ، هو « القس » صاحب « سلامة » ، التى يقال لها « سلامة القس » . وهو ثقة .

و « عبد الله بن بابيه » ثقة . (وهو بباء ، بعدها ألف ، بعدها باء مفتوحة ، بعدها ياء ساكنة) . ويقال « عبد الله بن باباه » .

و « يعلى بن منية » ، هو « يعلى بن أمية المكى » و « منية » جدته ، نسب إليها . صحابى ، روى عن النبى صلى الله عليه وسلم . وكان فى المطبوعة فى هذا الأثر والذى يليه جميعاً « يعلى بن أمية » ، ولكن المخطوطة فى هذا الأثر وحده ، كان فيها ما أثبته .

وهذا الأثر رواه الإمام أحمد فى مسنده رقم : ١٧٤ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ورواه مسلم فى صحيحه ٥ : ١٩٥ ، ١٩٦ بإسنادين . والبيهقى فى السنن ٣ : ١٣٤، ١٤٠، ١٤١ ، وأبو داود فى سننه

١٠٣١١ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس، عن ابن جريج، عن ابن أبي عمار، عن عبد الله بن بابيه، عن يعلى بن أمية، عن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله.

١٠٣١٢ – حدثنا سعيد بن يحيى الأموى قال، حدثنا محمد بن أبي عدى، عن ابن جريج قال، سمعت عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار يحدث، عن عبد الله بن بابيه يحدّث، عن يعلى بن أمية قال: قلت لعمر بن الخطاب: أعجبُ من قصر الناس الصلاة وقد أمنوا، وقد قال الله تبارك وتعالى: «أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا»! فقال عمر: عجبتُ مما عجبتَ منه، فذكرتُ ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: صدقة تصدّق الله بها عليكم، فاقبلوا صَدَقته.[1]

١٠٣١٣ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا هشام بن عبد الملك قال، حدثنا أبو عوانة، عن قتادة، عن أبي العالية قال: سافرت إلى مكة، فكنت أصلّى ركعتين، فلقيني قُرّاء من أهل هذه الناحية، فقالوا: كيف تصلى؟ قلت ركعتين. قالوا: أسنة أو قرآن؟ قلت: كلٌّ، سنة وقرآن،[2] [فقد] صلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين.[3] قالوا: إنه كان فى حرب! قلت: قال الله: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ ١٠٠/٥

---

٢ : ٤، رقم: ١١٩٩، ورواه ابن ماجة رقم: ١٠٦٥، وخرجه ابن كثير فى تفسيره ٢ : ٥٥٧، ٥٥٨.

وسيأتى بإسنادين آخرين بعد، وهو حديث صحيح. وقال على بن المدينى: «هذا حديث حسن صحيح من حديث عمر، ولا يحفظ إلا من هذا الوجه، ورجاله معروفون».

(١) الأثران: ١٠٣١١، ١٠٢١٢ – صحيحا الإسناد، وهما مكرر الذى قبله.

(٢) فى المطبوعة: «كل ذلك سنة وقرآن»، وأثبت ما فى المخطوطة، والدر المنثور، وهو الصواب. والزيادة من الناسخ أو الناشر.

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة: «قلت صلى رسول الله...»، وقوله «قلت» ليست فى الدر المنثور، فاستظهرت قراءتها كما أثبتها بين القوسين.

رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ [سورة الفتح : ٢٧]، وقال : « وإذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصر وامن الصلاة » ، فقرأ حتى بلغ : « فإذا اطمأننتم » .(١)

١٠٣١٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن هاشم قال ، أخبرنا سيف ، عن أبى روق ، عن أبى أيوب ، عن على قال : سأل قومٌ من التجار رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله، إنا نضرب فى الأرض، فكيف نصلى ؟ فأنزل الله : « وإذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة » ، ثم انقطع الوحى . فلما كان بعد ذلك بِحَوْلٍ ، غزا النبى صلى الله عليه وسلم فصلى الظُّهر ، فقال المشركون : لقد أمْكَنَكم محمد وأصحابه من ظهورهم، هلاَّ شددتم عليهم؟ فقال قائل منهم : إنّ لهم أخرى مثلها فى إثرها ! فأنزل الله تبارك وتعالى بين الصلاتين : « إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إنّ الكافرين كانوا لكم عدوًّا مبيناً * وإذا كنت فيهم فأقمتَ لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك » إلى قوله : « إن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً » ، فنزلت صلاة الخوف.(٢)

* * *

---

(١) الأثر : ١٠٣١٣ — خرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٢٠٩ ، وقصر نسبته إلى ابن جرير وحده .

(٢) الأثر : ١٠٣١٤ — هذا الأثر خرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٢٠٩ ، وابن كثير فى تفسيره ٢ : ٥٦٥ ، ولم ينسباه لغير ابن جرير .

وفى ابن كثير : « قال ابن جرير ، حدثنى ابن المثنى ، حدثنا إسحق . . . » ، مخالفا ما فى المطبوعة والمخطوطة فجعله « ابن المثنى » يعنى « محمد بن المثنى » ، والطبرى يروى عنهما جميعاً ، عن « المثنى بن إبراهيم » ، وعن « محمد بن المثنى » ، ولكنى أرجح أن الصواب ما فى المطبوعة ، لكثرة رواية المثنى عن إسحق بن الحجاج الطاحونى ، كما سلف مئات من المرات .

وكان فى المخطوطة والمطبوعة : « يوسف ، عن أبى روق » ، والصواب « سيف » كما فى تفسير ابن كثير . ومما سيأتى فى كلام أبى جعفر . وهو سيف بن عمر التميمى ، وهو متروك الحديث .

أما « عبد الله بن هاشم » ، فلم أجد له ترجمة ولا ذكراً .

وقد قال ابن كثير بعد أن ساق هذا الأثر : « وهذا سياق غريب جداً ، ولكن لبعضه شاهد من رواية أبى عياش الزرقى ، واسمه زيد بن الصامت » ، ثم ساق الأثر الآتى برقم : ١٠٣٢٣ ، من رواية أحمد وأبى داود ، كما سيأتى .

ورد أبى جعفر الآتى بعد ، دال على تضعيفه هذا الحديث .

قال أبو جعفر : وهذا تأويل للآية حسن ، لو لم يكن فى الكلام « إذا » ، و« إذا » تؤذن بانقطاع ما بعدها عن معنى ما قبلها .[١] ولو لم يكن فى الكلام « إذا » ، كان معنى الكلام – على هذا التأويل الذى رواه سيف عن أبى روق : إن خفتم ، أيها المؤمنون ، أن يفتنكم الذين كفروا فى صلاتكم ، وكنت فيهم ، يا محمد ، فأقمت لهم الصلاة ، « فلتقم طائفة منهم معك » الآية .

* * *

وبعد ، فإن ذلك فيما ذُكر فى قراءة أبىّ بن كعب :[٢] ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ .

١٠٣١٥ – حدثنى بذلك الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا الثورى ، عن واصل بن جيان ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى ، عن أبيه ، عن أبىّ بن كعب ، أنه كان يقرأ : ﴿ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ، ولا يقرأ : « إن خفتم » .[٣]

١٠٣١٦ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا بكر بن شرود عن الثورى ، عن واصل الأحدب ، عن عبد الله بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبىّ بن كعب أنه قرأ : ﴿ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ أَنْ يَفْتِنَكُمُ ﴾ ، قال بكر : وهى فى « الإمام » مصحف عثمان رحمة الله عليه : « إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا » .[٤]

* * *

(١) يعنى بذلك « إذا » فى قوله تعالى : « وإذا كنت فيهم . . . »

(٢) فى المخطوطة : « وبعدد فإن » ، وهو من غريب سهو الناسخ فى كتابته .

(٣) الأثر : ١٠٣١٥ – « الحارث » هو « الحارث بن أبى أسامة » وهو « الحارث بن محمد ابن أبى أسامة » سلف قريباً برقم : ١٠٢٩٥ .

و « عبد العزيز » هو « عبد العزيز بن أبان الأموى » سلف برقم : ١٠٢٩٥ .

و « واصل بن حيان الأحدب » مضى برقم : ١٠ .

(٤) الأثر : ١٠٣١٦ – « بكر بن شرود » مضى برقم : ٨٥٦٢ .

وهذه القراءة تنبيء عن أن قوله : « إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا » ، مواصلٌ قوله : « فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة »[1] = ، وأن معنى الكلام : وإذا ضربتم فى الأرض ، فإن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ، فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة = وأن قوله : « وإذا كنت فيهم » ، قصة مبتدأة غير قصة هذه الآية .

وذلك أن تأويل قراءة أبيٍّ هذه التى ذكرناها عنه : وإذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة أن لا يفتنكم الذين كفروا ، فحذفت « لا » لدلالة الكلام عليها ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾ ، [سورة النساء : ١٧٦] ، بمعنى : أن لا تضلوا .

ففيما وصفنا دلالة بينة على فساد التأويل الذى رواه سيف ، عن أبى روق .

* * *

وقال آخرون : بل هو القصر فى السفر ، غير أنه إنما أذن جل ثناؤه به للمسافر فى حال خوفه من عدوٍّ يخشى أن يفتِنَه فى صلاته .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٣١٧ — حدثنى أبو عاصم عمران بن محمد الأنصارى قال ، حدثنا عبد الكبير بن عبد المجيد قال ، حدثنى محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ابن أبى بكر الصديق قال : سمعت أبى يقول : سمعت عائشة تقول فى السفر : أتموا صلاتكم . فقالوا : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلّى فى السفر ركعتين ؟

---

(١) فى المخطوطة : « وهى فى الإمام مصحف عثمان رحمة الله عليه : « إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا » من أصل قوله : « فليس عليكم جناح » . . . وأن معنى الكلام . . . . » ، وهى عبارة فاسدة مضطربة ، كأن ناسخاً غير ناسخنا ، أو كأن الناشر ، زاد أحدهما « وهذه القراءة . . . » إلخ ، حتى اتصل الكلام واستقام ، فتركت ما فى المطبوعة على حاله ، إلا أنه كتب « تنبئ على أن قوله » ، فجعلتها « تنبئ عن أن قوله . . . » . وتصحيحه « من أصل » فجعلها « مواصل » هو الصواب إن شاء الله .

فقالت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى حرب ، وكان يخاف ، هل تخافون أنتم ؟[١]

١٠٣١٨ – حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ، حدثنا ابن أبى فديك قال ، حدثنا ابن أبى ذئب ، عن ابن شهاب ، عن أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد : أنه قال لعبد الله بن عمر : إنا نجد فى كتاب الله قصْرَ صلاة الخوف ،[٢] ولا نجد قصر صلاة المسافر ؟ فقال عبد الله : إنا وجدنا نبينا صلى الله عليه وسلم يعمل عملاً عملنا به .[٣] ١٥٦/٥

١٠٣١٩ – حدثنا على بن سهل الرملى قال، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا سفيان، عن هشام بن عروة، عن أبيه: أن عائشة كانت تصلى فى السفر ركعتين .

١٠٣٢٠ – حدثنا سعيد بن يحيى قال، حدثنى أبى قال ، حدثنا ابن جريج قال : قلت لعطاء : : أىُّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتم الصلاة فى السفر ؟ قال : عائشة وسعد بن أبى وقاص .

* * *

---

(١) الأثر : ١٠٣١٧ – « أبو عاصم عمران بن محمد الأنصارى » ، شيخ الطبرى ، لم أجد له ترجمة . و « عبد الكبير بن عبد المجيد ، أبو بكر الحنفى » مضى برقم : ٦٨٢٢ .

وأما « محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق » فهو ثقة . مترجم فى التهذيب . وكان فى المطبوعة والمخطوطة والدر المنثور ٢ : ٢١٠ ، «عمر» مكان « محمد »، وهو خطأ، والناسخ كثيراً ما يكتب « محمد » « عمر » كما مر فى مواضع كثيرة .

وأبوه : « عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق » ، المعروف بابن أبى عتيق . روى عن عمة أبيه عائشة ، وروى عنه ابناه ، عبد الرحمن ومحمد (المذكور قبل) .

وهذا الأثر لم أجده فى شىء من دواوين السنة التى بين يدى ، وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ، ولم ينسبه لغير ابن جرير .

(٢) فى المطبوعة : « قصر الصلاة فى الخوف » ، وفى المخطوطة : « قصر الصلاة الخوف » ، وصوابها من تفسير ابن كثير .

(٣) الأثر : ١٠٣١٨ – خرجه ابن كثير فى تفسيره ٢ : ٥٦١ ، والدر المنثور ٢ : ٢١٠ ، ولم ينسباه لغير ابن جرير . وأخرجه البيهقى فى سننه ٣ : ١٣٦ من طريق ابن وهب ، عن يونس ، عن ابن شهاب . وقال البيهقى : « ورواه الليث ، عن ابن شهاب ، عن عبد الله بن أبى بكر ، وأسنده جماعة عن ابن شهاب فلم يقيموا إسناده » .

وقال آخرون : بل عنى بهذه الآية قصر صلاة الخوف ، فى غير حال المُسَايفة . قالوا : وفيها نزل .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٣٢١ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة » ، قال : يوم كان النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه بعُسْفان، والمشركون بضَجْنَان، فتواقفوا ،[1] فصلّى النبى صلى الله عليه وسلم بأصحابه صلاة الظهر ركعتين = أو : أربعاً ، شك أبو عاصم = ركوعهم وسجودهم وقيامهم معاً جميعاً ، فهمّ بهم المشركون أن يغيروا على أمْتعتهم وأثقالهم، فأنزل الله عليه : « فلتقم طائفة منهم معك » ، فصلّى العصر ، فصفّ أصحابه صَفَّين ، ثم كبّر بهم جميعاً ، ثم سجد الأولون سجدة ، والآخرون قيام ، ثم سجد الآخرون حين قام النبى صلى الله عليه وسلم، ثم كبر بهم وركعوا جميعاً ، فتقدم الصف الآخر واستأخر الأوّل ، فتعاقبوا السجود كما فعلوا أول مرة ، وقصَرَ العصرَ إلى ركعتين.

١٠٣٢٢ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة » ، قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه بعُسْفان والمشركون بضَجْنَان ، فتواقفوا،[1] فصلى النبى صلى الله عليه وسلم بأصحابه صلاة الظهر ركعتين ، ركوعهم وسجودهم وقيامهم جميعاً، فهم بهم المشركون أن يغيروا على أمتعتهم وأثقالهم، فأنزل الله تبارك وتعالى: « فلتقم طائفة منهم معك » ، فصلّى بهم صلاة العصر ، فصفّ أصحابه صفّين ، ثم كبر بهم جميعاً ، ثم سجد الأولون لسجوده ،[2] والآخرون قيام

---

(١) « تواقف الفريقان فى القتال » ، كفا ساعة عن القتال . وفى المطبوعة : « توافقوا » بتقديم الفاء على القاف ، وهو خطأ .

(٢) فى المطبوعة : « بسجوده » بالباء وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو جيد .

لم يسجدوا، حتى قام النبي صلى الله عليه وسلم، ثم كبّر بهم وركعوا جميعاً ، فتقدم الصفُّ الآخر واستأخر الصف المقدم ، فتعاقبوا السجود كما دخلوا أوّل مرة ، وقصرت صلاة العصر إلى ركعتين .

١٠٣٢٣ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد، عن أبي عياش الزُّرَقي قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعُسْفان ، وعلى المشركين خالد بن الوليد . قال : فصلّينا الظهر ، فقال المشركون : لقد كانوا على حالٍ ، لو أردنا لأصبنا غِرَّة ، لأصبنا غفلة .(١) فأنزلت آية القَصر بين الظهر والعصر ، فأخذ الناس السلاحَ وصفّوا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم مستقبلي القبلة والمشركون مُسْتَقْبَلَهم ،(٢) فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبّروا جميعاً، ثم ركع وركعوا جميعاً، ثم رفع رأسه فرفعوا جميعاً ، ثم سجد وسجد الصفُّ الذى يليه ، وقام الآخرون يحرسونهم . فلما فرغ هؤلاء من سجودهم سجد هؤلاء ، ثم نكصَ الصفّ الذى يليه وتقدم الآخرون ، فقاموا فى مقامهم ، فركع رسول الله صلى الله عليه وسلم فركعوا جميعاً، ثم رفع رأسه فرفعوا جميعاً، ثم سجد وسجد الصف الذى يليه ، وقام الآخرون يحرسونهم . فلما فرغ هؤلاء من سجودهم سجد هؤلاء الآخرون ، ثم استووْا معه ، فقعدوا جميعاً ، ثم سلم عليهم جميعاً ، فصلاّها بعُسْفان ، وصلاها يوم بنى سُلَيْم .(٣)

١٠٣٢٤ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن شيبان النحوى ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن أبي عياش الزرقى = وعن إسرائيل ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن أبي عياش ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعُسفان ، ثم ذكر نحوه .(٣)

---

(١) فى المطبوعة : « كانوا على حال » ، أسقط « لقد » ، لأن ناسخ المخطوطة كتبها « لو كانوا . . . » ، والصواب ما أثبت

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة « مستقبلهم » (وقراءتها بضم الميم وسكون السين وفتح الباء) ، يعنى : أمامهم . وكان المشركون يومئذ بينهم وبين القبلة .

(٣) الأثر : ١٠٣٢٣ ، ١٠٣٢٤ – ساق أبو جعفر هذا الأثر من ثلاث طرق ، وسيأتى

١٠٣٢٥ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا معاذ بن هشام قال ، حدثنا أبى ، عن قتادة ، عن سليمان اليشكرى : أنه سأل جابر بن عبد الله عن إقصار الصلاة : أى يوم أنزل ؟ أو : أىّ يوم هو ؟ فقال جابر : انطلقنا نتلقى عير قريش آتية من الشأم ، حتى إذا كنا بنخل ، جاء رجلٌ من القوم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ! قال : نعم . قال : هل تخافنى ؟ قال : لا ! قال : فمن يمنعك منى ؟ قال : الله يمنعنى منك ! قال : فسلّ السيف، ثم هدّده وأوعده ، ثم نادى بالرّحيل وأخْذِ السلاح ، ثم نودى بالصلاة ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطائفة من القوم وطائفة أخرى يحرسونهم ، فصلى بالذين يلونه ركعتين، ثم تأخر الذين يلونه على أعقابهم فقاموا فى مصَافّ أصحابهم ، ثم جاء الآخرون فصلى بهم ركعتين والآخرون يحرسونهم ، ثم سلم . فكانت للنبى صلى الله عليه وسلم أربعُ ركعات ، وللقوم ركعتين ركعتين ، فيومئذ أنزل الله فى إقصار الصلاة وأمر المؤمنين بأخْذِ السلاح .(١)

١٥٧/٥

* * *

وقال آخرون : بل عنى بها قصر صلاة الخوف فى حال غير شدة الخوف ،

بإسناد آخر رقم : ١٠٣٨٧ وهو حديث صحيح ، رواه أحمد فى مسنده ٤ : ٥٩ ، ٦٠ من طريقين . من طريق عبد الرازق ، عن الثورى عن منصور = ومن طريق غندر ، عن شعبة عن منصور .

ورواه أبو داود الطيالسى فى مسنده : ١٩١ ، ١٩٢ من طريق ورقاء عن منصور .

ورواه النسائى فى السنن ٣ : ١٧٦ ، ١٧٧ ، من طريق شعبة عن منصور = ومن طريق عبد العزيز بن عبد الصمد عن منصور .

ورواه أبو داود فى سننه ٢ : ١٦ رقم : ١٢٣٦ ، من طريق جرير بن عبد الحميد عن منصور ، كإسناد أبى جعفر الأول .

ورواه الحاكم فى المستدرك ١ : ٣٣٧ وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » . وقال الذهبى : على شرطهما .

ورواه البيهقى فى السنن فى موضعين ٣ : ٢٥٤ من طريق ورقاء عن منصور . ثم ٣ : ٢٥٦ ، من طريق جرير بن عبد الحميد عن منصور .

قال البيهقى : « وهذا إسناد صحيح ، وقد رواه قتيبة بن سعيد ، عن جرير ، فذكر فيه سماع مجاهد من أبى عياش زيد بن الصامت الزرقى » . وقال ابن كثير فى تفسيره ٢ : ٥٦٦ ، ٥٦٧ : « هذا إسناد صحيح وله شواهد كثيرة » .

(١) الأثر : ١٠٣٢٥ – « سليمان اليشكرى » هو : سليمان بن قيس اليشكرى . روى

إلاّ أنه عنى به القصر من صلاة السفر لا من صلاة الإقامة .[1] قالوا : وذلك أن صلاة السفر فى غير حال الخوف ركعتان ، تمامٌ غير قصرٍ ، كما أن صلاة الإقامة أربعُ ركعات فى حال الإقامة . قالوا : فقصرت فى السفر فى حال الأمن غير الخوف عن صلاة المقيم، فجعلت على النصف، وهى تمامٌ فى السفر . ثم قصرت فى حال الخوف فى السفر عن صلاة الأمن فيه ، فجعلت على النصف ، ركعة .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٣٢٦ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا » ، إلى قوله : « عدوًّا مبيناً »، إن الصلاة إذا صليت ركعتين فى السفر فهو تمام .[2] والتقصير لا يحلّ ، إلا أن تخاف من الذين كفروا أن يفتنوك عن الصلاة . والتقصير ركعة : يقوم الإمام ويقوم جنده جندين ، طائفة خلفه ، وطائفة يوازون العدوّ ، فيصلّى بمن معه ركعة ، ويمشون إليهم على أدبارهم حتى يقوموا فى مقام أصحابهم ، وتلك المشية القَهْقرى. ثم تأتى الطائفة الأخرى فتصلى مع الإمام ركعة أخرى، ثم يجلس الإمام فيسلم ، فيقومون فيصلّون لأنفسهم ركعة، ثم يرجعون إلى صفهم ، ويقوم الآخرون فيضيفون إلى ركعتهم ركعة . والناس يقولون : لا ، بل

عن جابر ، وأبى سعيد الخدرى . وروى عنه قتادة ، وعمرو بن دينار ، وأبو بشر جعفر بن أبى وحشية . قال البخارى : « يقال إنه مات فى حياة جابر بن عبد الله ، ولم يسمع منه قتادة ، ولا أبو بشر ، ولا نعرف لأحد منهم سماعاً ، إلا أن يكون عمرو بن دينار ، سمع منه فى حياة جابر » . وقال أبو حاتم : « جالس جابراً فسمع منه وكتب عنه صحيفة ، فتوفى وبقيت الصحيفة عند امرأته . فروى أبو الزبير وأبو سفيان والشعبى عن جابر ، وهم قد سمعوا من جابر ، وأكثره من الصحيفة ، وكذلك قتادة » ، مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ٢/٢/٣٢ ، وابن أبى حاتم ٢/١/١٣٦ .

وهذا الخبر ، رواه أحمد فى مسنده ٣ : ٣٦٤ ، ٣٩٠ ، من طريق أبى عوانة عن أبى بشر ، عن سليمان بن قيس ، بغير هذا اللفظ ، وبمعناه .

وأشار إلى خبر سليمان بن قيس ، أبو داود فى سننه ٢ : ٢٤ ، والبيهقى فى السنن ٣ : ٢٥٩ ، ومعانى الآثار للطحاوى ١ : ١٨٧ .

وقال ابن كثير فى تفسيره ٢ : ٥٦٨ ، وذكر حديث أحمد فى المسند، وقال : « تفرد به من هذا الوجه» .

(١) فى المطبوعة : « القصر فى صلاة السفر ، لا فى صلاة الإقامة » وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « فهى تمام » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب أيضاً .

هي ركعة واحدة ، لا يصلي أحد منهم إلى ركعته شيئاً ، تجزئه ركعة الإمام . فيكون للإمام ركعتان ، ولهم ركعة . فذلك قول الله : « وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة » إلى قوله : « وخذوا حذركم » .

١٠٣٢٧ - حدثني أحمد بن الوليد القرشي قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن سماك الحنفي قال : سألت ابن عمر عن صلاة السفر فقال : ركعتان تمام غير قصر ، إنما القصر صلاة المخافة . فقلت : وما صلاة المخافة ؟ قال : يصلي الإمام بطائفة ركعة ، ثم يجيء هؤلاء مكان هؤلاء ، ويجيء هؤلاء مكان هؤلاء ، فيصلي بهم ركعة ، فيكون للإمام ركعتان ، ولكل طائفة ركعة ركعة .(١)

١٠٣٢٨ - حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا يحيى قال ، حدثنا سفيان ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير قال : كيف تكون قصراً وهم يصلون ركعتين؟ إنما هي ركعة .

١٠٣٢٩ - حدثني سعيد بن عمرو السكوني قال ، حدثنا بقية قال ، حدثنا المسعودي قال ، حدثني يزيد الفقير ، عن جابر بن عبد الله قال : صلاة الخوف ركعة .(٢)

١٠٣٣٠ - حدثني أحمد بن عبد الرحمن قال ، حدثني عمي عبد الله بن وهب قال ، أخبرني عمرو بن الحارث قال ، حدثني بكر بن سوادة : أن زياد بن نافع حدثه عن كعب = وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قُطعت يده يوم اليَمامة = : أن صلاة الخوف لكل طائفة ، ركعة وسجدتان .(٣)

* * *

---

(١) الأثر : ١٠٣٢٧ - رواه البيهقي في السنن ٣ : ٢٦٣ ، وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٢١٠ ، وزاد نسبه إلى عبد بن حميد . وأشار إليه أبو داود في السنن ٢ : ٢٣ .

(٢) الأثر : ١٠٣٢٩ - « يزيد الفقير » هو « يزيد بن صهيب » ، وهذا الأثر بهذا الإسناد ، مضى برقم : ٥٥٦٣ .

(٣) الأثر : ١٠٣٣٠ - « أحمد بن عبد الرحمن بن وهب المصري » و « عبد الله بن وهب » ، مضيا ، برقم : ٢٧٤٧ .

واعتل قائلو هذه المقالة من الآثار بما :—

١٠٣٣١ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا يحيى بن سعيد قال ، حدثنا سفيان قال ، حدثني أشعث بن أبي الشعثاء ، عن الأسود بن هلال ، عن ثعلبة ابن زَهدم اليربوعي قال: كنا مع سعيد بن العاص بطبرستان فقال : أيكم يحفظ صلاةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخوف؟ فقال حذيفة: أنا . فأقامنا خلفه صفًّا ، وصفًّا موازيَ العدو ،(١) فصلى بالذين يلونه ركعة ، ثم ذهب هؤلاء إلى مصافّ أولئك ، وجاء أولئك فصلى بهم ركعة .(٢)

١٠٣٣٢ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا يحيى وعبد الرحمن قالا ، حدثنا

و « عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصاري » مضى برقم : ١٣٨٧ ، ٦٨٨٩ .

و « بكر بن سوادة بن ثمامة الجذامي المصري » . تابعي ثقة ، مترجم في التهذيب .

و « زياد بن نافع التجيبي المصري » ، ذكره ابن حبان في الثقات . مترجم في التهذيب .

و « كعب » الأقطع ، مترجم في الإصابة ، والكبير للبخاري ٤/١/٢٢٢ . وهذا الأثر ساقه الحافظ ابن حجر في ترجمة « كعب الأقطع » ، وقال : « أظن في إسناده انقطاعاً ، فقد علقه البخاري من طريق زياد بن نافع ، عن أبي موسى الغافقي ، عن جابر بن عبد الله . وقال البخاري في التاريخ ، كعب قطعت يده يوم اليمامة ، له صحبة . روى عنه زياد بن نافع » .

(١) في المطبوعة : « وصف موازي العدو » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو الموافق لما في روايات الحديث .

(٢) الأثر : ١٠٣٣١ — وسيأتي بإسناد آخر رقم : ١٠٣٣٣ .

« أشعث بن أبي الشعثاء » هو : أشعث بن سليم بن أسود المحاربي ، من ثقات شيوخ الكوفيين . مترجم في التهذيب .

و « الأسود بن هلال المحاربي » ، كان جاهلياً ، أدرك الإسلام . روى عن معاذ بن جبل ، وعمر ، وابن مسعود . مترجم في التهذيب .

و « ثعلبة بن زهدم الحنظلي » ، مختلف في صحبته ، روى عن حذيفة وأبي مسعود ، وعامة روايته عن الصحابة . مترجم في التهذيب .

وهذا الأثر رواه أحمد في مسنده ٥ : ٣٨٥ ، ٣٩٩ ، ٤٠٤ ، وأبو داود في السنن ٢ : ٢٣ رقم : ١٢٤٦ ، والنسائي في السنن ٣ : ١٦٧ ، ١٦٨ والبيهقي في سننه ٣ : ٢٦١ ، والحاكم في المستدرك ١ : ٣٣٥ وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبي . والطحاوي في معاني الآثار ١ : ١٨٣.

وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٢١٢ ، وزاد نسبته لابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن حبان .

سفيان ، عن الرُّكين بن الربيع ، عن القاسم بن حسان قال : سألت زيد بن ثابت عنه فحدثني ، بنحوه .(١)

١٠٣٣٣ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن الأشعث ، عن الأسود بن هلال ، عن ثعلبة بن زهدم اليربوعي ، عن حذيفة بنحوه .(٢) ١٥٨/٥

١٠٣٣٤ – حدثنا ابن بشار قال، حدثني يحيى قال ، حدثنا سفيان قال ، حدثني أبو بكر بن أبي الجهم ،عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بذي قَرَد ، فصفّ الناس خلفه صفين ، صفًّا خلفه ، وصفًّا موازي العدو ، فصلى بالذين خلفه ركعة، ثم انصرف هؤلاء إلى مكان هؤلاء ، وجاء أولئك ، فصلى بهم ركعة، ولم يَقْضوا .(٣)

---

(١) الأثر : ١٠٣٣٢ – «ركين بن الربيع بن عميلة الفزاري» . ثقة كوفي .

و «القاسم بن حسان العامري» . ذكره ابن حبان في الثقات ، قال الحافظ ابن حجر : في أتباع التابعين ، ومقتضاه أنه لم يسمع من زيد بن ثابت ، ثم وجدته قد ذكره (يعني ابن حبان) في التابعين أيضاً» .

وقد ساق الخبر ،البيهقي في سننه ٣ : ٢٦٢، وفيه تصريح بسماعه عن زيد بن ثابت ، قال : «عن القاسم بن حسان قال : أتيت فلان بن وديعة فسألته عن صلاة الخوف فقال : إيت زيد ابن ثابت فاسأله ، فأتيت زيداً فسألته . . .» وساق الخبر . وانظر معاني الآثار للطحاوي ١ : ١٨٣ .

(٢) الأثر : ١٠٣٣٣ – انظر التعليق على الأثر : ١٠٣٣١ .

(٣) الأثر : ١٠٣٣٤ – «أبو بكر بن أبي الجهم» ، هو : «أبو بكر بن عبد الله ابن أبي الجهم العدوي» نسب إلى جده . كما في التهذيب ، وفي الكنى للبخاري : ١٣ «أبو بكر ابن أبي الجهم بن صخير» ، وفي ابن أبي حاتم ٣٣٨/٢/٤ : «أبو بكر بن عبد الله بن أبي الجهم ابن صخير»، وقال الحافظ ابن حجر في التهذيب : «واسم أبي الجهم ، صخير» ، كان فقيهاً ، ثقة ، قال ابن سعد: «كان قليل الحديث» . مترجم في التهذيب . وانظر ما كتبه أخي السيد أحمد في شرح مسند أحمد .

و «عبيد الله بن عبد الله» هو ابن عتبة بن مسعود الهذلي ، تابعي ، كان عالماً ثقة كثير الحديث والعلم ، تقياً ، شاعراً محسناً ، وكان أحد فقهاء المدينة ، وهو معلم عمر بن عبد العزيز .

وهذا الأثر رواه أحمد في مسنده : ٢٠٦٣ ، ٣٣٦٤ ، وإسناده صحيح . وانظر شرح أخي السيد أحمد هناك . وانظر معاني الآثار للطحاوي ١ : ١٨٢ .

١٠٣٣٥ – حدثنا تميم بن المنتصر قال، أخبرنا إسحق الأزرق ، عن شريك ، عن أبي بكر بن صخير ، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس مثله .(١)

١٠٣٣٦ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا أبو عوانة ، عن بكير بن الأخنس ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : فرض الله الصلاة على لسان نبيكم عليه السلام فى الحضر أربعاً ، وفى السفر ركعتين ، وفى الخوف ركعةً .

١٠٣٣٧ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا أبو عوانة، عن بكير بن الأخنس ، عن مجاهد ، عن ابن عباس مثله .(٢)

١٠٣٣٨ – حدثنا نصر بن عبد الرحمن الأزدىّ قال، حدثنا المحاربى ، عن أيوب بن عائذ الطائى ، عن بكير بن الأخنس ، عن مجاهد، عن ابن عباس مثله .(٣)

١٠٣٣٩ – حدثنا يعقوب بن ماهان قال: حدثنا القاسم بن مالك ، عن أيوب بن عائذ الطائى ، عن بكير بن الأخنس، عن مجاهد، عن ابن عباس مثله .(٣)

---

(١) الأثر : ١٠٣٣٥ – « أبو بكر بن صخير » ، هو « أبو بكر بن أبى الجهم » ، فى الإسناد السابق ، وكان فى المطبوعة والمخطوطة: « ابن صحير » بالحاء المهملة ، وهو خطأ .

(٢) الأثران: ١٠٣٣٦ ، ١٠٣٣٧ – « أبو عوانة » هو: « الوضاح بن عبد الله اليشكرى »، مضى برقم : ٤٤٩٨ .

و « بكير بن الأخنس » كوفى ثقة .

وهذا الأثر رواه أحمد فى المسند رقم : ٢١٢٤ ، ٢٢٩٣ ، وانظر شرح أخى السيد أحمد هناك . ورواه مسلم أيضاً ٥ : ١٩٦ .

(٣) الأثران : ١٠٣٣٨ ، ١٠٣٣٩ – « نصر بن عبد الرحمن الأزدى » سبق برقم : ٤٢٣ ، ٨٧٥ ، ٢٨٥٩ ، وقد بين أخى السيد أحمد أن صحة نسبته « الأزدى » لا « الأودى » بالواو . وكان فى المطبوعة هنا أيضاً « الأودى » . وهذا التكرار يوجب على أن أشك فى أمر هذه النسبة ، وأخشى أن يكون دخل على أخى بعض اللبس فيها ، ولكنى لم أستطع تحقيق هذا الموضع من المراجع التى هى تحت يدى الآن . ومع ذلك فقد تابعته فى تصحيح « الأودى » إلى « الأزدى » .

و « المحاربى » هو « عبد الرحمن بن محمد المحاربى » مضى برقم : ٢٢١ ، ٨٧٥ . و « أيوب ابن عائذ بن مدلج الطائى » ثقة ، مترجم فى الكبير ١/١/٤٢٠ .

وهذا الأثر بهذا الإسناد رواه أحمد فى المسند رقم: ٢١٧٧ من طريق القاسم بن مالك الآتى، وهو إسناد صحيح ، انظر شرح أخى السيد أحمد هناك . ورواه مسلم ٥ : ١٩٧ .

وأما الأثر : ١٠٣٣٩ ، ففيه « يعقوب بن ماهان » وقد مضى برقم : ٤٩٠١ .

وأما « القاسم بن مالك المزنى » ، من شيوخ أحمد ، ثقة . مترجم فى التهذيب .

١٠٣٤٠ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن يزيد الفقير ، عن جابر بن عبد الله : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم صلاة الخوف ، فقام صفٌّ بين يديه وصف خلفه ، فصلى بالذين خلفه ركعةً وسجدتين ، ثم تقدم هؤلاء حتى قاموا مقام أصحابهم ، وجاء أولئك حتى قاموا مقام هؤلاء ، فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة وسجدتين ، ثم سلم ، فكانت للنبي صلى الله عليه وسلم ركعتين ، ولهم ركعة .(١)

١٠٣٤١ – حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال ، حدثني عمي عبد الله ابن وهب قال ، أخبرني عمرو بن الحارث : أن بكر بن سوادة حدثه ، عن زياد ابن نافع حدثه ، عن أبي موسى : أن جابر بن عبد الله حدثهم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم صلاة الخوف يوم محارب وثعلبة ، لكل طائفة ركعة وسجدتين (٢) .

١٠٣٤٢ – حدثني أحمد بن محمد الطوسي قال ، حدثنا عبد الصمد قال ، حدثنا سعيد بن عبيد الهنائي قال، حدثنا عبد الله بن شقيق قال، حدثنا أبو هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بين ضَجْنان وعُسْفان ، فقال المشركون : إن لهؤلاء صلاة هي أحبُّ إليهم من أبنائهم وأبكارهم ، وهي العصر ، فأجمعوا أمركم فميلوا عليهم ميلةً واحدة . وإن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم وأمره أن يقسم

---

(١) الأثر : ١٠٣٤٠ – « يزيد الفقير » ، هو : يزيد بن صهيب ، مضى برقم : ١٠٣٢٩ .
وهذا الأثر ، رواه النسائي في السنن ٣ : ١٧٤ ، ورواه النسائي أيضاً من طريق المسعودي ، عن يزيد الفقير ٣ : ١٧٥ ، والبيهقي في السنن ٣ : ٢٦٣ ، وانظر كلام البيهقي فيه ، وقد أشار إلى طريق الحكم بن عتيبة ، عن يزيد الفقير . وتفسير ابن كثير ٢ : ٥٦٩ .

(٢) الأثر : ١٠٣٤١ – « أبو موسى » هو : « علي بن رباح » ، قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٧ : ٣٢٤ ، و « هو تابعي معروف أخرج له مسلم » ، وقال أيضاً إن أبا موسى في هذا الأثر : « يقال هو الغافقي : مالك بن عبادة ، وهو صحابي معروف أيضاً » . وقد مضى ذكر « علي بن رباح » رقم : ٤٧٤٧ .
وهذا الأثر رواه البخاري (الفتح ٧ : ٣٢٤) .

أصحابه شَطْرين ، فيصلى ببعضهم، وتقوم طائفة أخرى وراءهم فيأخذوا حِذْرهم وأسلحتهم ، ثم يأمر الأخرى فيصلوا معه ، ويأخذ هؤلاء حذرهم وأسلحتهم ، فتكون لهم ركعة ركعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين .(١)

* * *

وقال آخرون : عنى به القصر فى السفر ، إلا أنه عنى به القصر فى شدّة الحرب وعند المسايفة ، فأبيح عند التحام الحرب للمصلى أن يركع ركعة إيماءً برأسه حيث توجّه بوجهه . قالوا : فذلك معنى قوله: « ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا » .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٣٤٣ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وإذا ضربتم فى الأرض » ، الآية، قصرُ الصلاة، إن لقيت العدوّ وقد حانت الصلاة: أن تكبر الله ، وتخفض رأسك إيماء، راكباً كنت أو ماشياً .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال التى ذكرناها بتأويل الآية ، قول من قال : « عنى بالقصر فيها، القصرَ من حدودها . وذلك ترك إتمام ركوعها وسجودها ، وإباحة أدائها كيف أمكن أداؤها، مستقبلَ القبلة فيها ومستدبرَها، وراكباً وماشياً،

---

(١) الأثر : ١٠٣٤٢ – « سعيد بن عبيد الهنائى » ، قال أبو حاتم : « شيخ »، وذكره ابن حبان فى الثقات . مترجم فى التهذيب .

و « عبد الله بن شقيق العقيلى » مضى برقم : ١٩٦ – ١٩٩ .

وهذا الأثر رواه النسائى فى السنن ٣ : ١٧٤ ، والترمذى فى السنن ، فى كتاب التفسير . وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٢١١ ، واقتصر على نسبته لابن جرير والترمذى . وقال الترمذى : « هذا حديث صحيح غريب من حديث عبد الله بن شقيق ، عن أبى هريرة » .

وذلك فى حال السَّلَّة والمسايفة والتحام الحرب وتزاحف الصفوف ،[1] وهى الحالة التى قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾ ،[سورة البقرة: ٢٣٩]، وأذِن بالصلاة المكتوبة فيها راكباً ، إيماءً بالركوع والسجود ، على نحو ما روى عن ابن عباس من تأويله ذلك .

١٥٩/٥ وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات بقوله : « وإذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا »، لدلالة قول الله تعالى: « فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة » ، على أن ذلك كذلك . لأن إقامتها: إتمامُ حدودها من الركوع والسجود وسائر فروضها ، دون الزيادة فى عددها التى لم تكن واجبةً فى حال الخوف .

* * *

فإن ظن ظان أن ذلك أمرٌ من الله بإتمام عددها الواجب عليه فى حال الأمن بعد زوال الخوف ، فقد يجب أن يكون المسافر فى حال قصره صلاته عن صلاة المقيم ،غيرَ مقيم صلاته، لنقص عدد صلاته من الأربع اللازمة كانت له فى حال إقامته إلى الركعتين . وذلك قولٌ إن قاله قائل،[2] مخالف لما عليه الأمة مجمعة : من أن المسافر لا يستحق أن يقال له = إذا أتى بصلاته بكمال حدودها المفروضة عليه فيها ، وقصر عددها عن أربع إلى اثنتين = : « إنه غير مقيم صلاته » .

وإذا كان ذلك كذلك ، وكان الله تعالى قد أمر الذى أباح له أن يقصر صلاته خوفاً من عدوه أن يفتنه ، أن يقيم صلاتَه إذا اطمأن وزال الخوف ، كان معلوماً أن الذى فرض عليه من إقامة ذلك فى حال الطمأنينة ، عين الذى كان أسقط عنه فى حال الخوف . وإذْ كان الذى فرض عليه فى حال الطمأنينة : إقامة

---

(١) فى المطبوعة : « فى حال الشبكة والمسايفة » ، وهو خطأ فارغ ، صوابه من المخطوطة ، ولم يحسن قراءتها . و « السلة » : استلال السيوف ، يقال : « أتيناهم عند السلة » ، أى عند استلال السيوف فى المعركة ، إذا تدانى أهل القتال .

(٢) فى المطبوعة : « فذلك قول » والصواب من المخطوطة .

صلاته ، فالذى أسقط عنه فى غير حال الطمأنينة : ترك إقامتها . وقد دللنا على أن ترك إقامتها ، إنما هو ترك حدودها ، على ما بيّنّا .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وإذا كنت فى الضاربين فى الأرض من أصحابك ، يا محمد ، الخائفين عدوهم أن يفتنهم = « فأقمت لهم الصلاة » ، يقول : فأقمت لهم الصلاة بحدودها وركوعها وسجودها ، ولم تقصرها القصر الذى أبحت لهم أن يقصروها فى حال تلاقيهم وعدوّهم وتزاحف بعضهم على بعض ، من ترك إقامة حدودها وركوعها وسجودها وسائر فروضها = « فلتقم طائفة منهم معك » ، يعنى : فلتقم فرقة من أصحابك الذى تكون أنت فيهم معك فى صلاتك[1] = وليكن سائرهم فى وجوه العدو .

= وترك ذكر ما ينبغى لسائر الطوائف غير المصلّية مع النبى صلى الله عليه وسلم أن يفعله ، لدلالة الكلام المذكور على المراد به ، والاستغناء بما ذكر عما ترك ذكره = « وليأخذوا أسلحتهم » .

* * *

(١) انظر تفسير « طائفة » فيما سلف ٦ : ٥٠٠ ، ٥٠٦ .

واختلف أهل التأويل فى الطائفة المأمورة بأخذ السلاح .

فقال بعضهم : هى الطائفة التى كانت تصلى مع النبى صلى الله عليه وسلم.[1]

قال : ومعنى الكلام : « وليأخذوا » ، يقول : ولتأخذ الطائفة المصلّية معك من طوائفهم = «أسلحتهم »، والسلاح الذى أمروا بأخذه عندهم فى صلاتهم، كالسيف يتقلّده أحدهم ، والسكين ، والخنجر يشدّه إلى درعه وثيابه التى هى عليه ، ونحو ذلك من سلاحه .

* * *

وقال آخرون : بل الطائفة المأمورة بأخذ السلاح منهم : الطائفةُ التى كانت بإزاء العدوّ ، دون المصلية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذلك قول ابن عباس .

١٠٣٤٤ — حدثنى بذلك المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « فإذا سجدوا » ، يقول : فإذا سجدت الطائفة التى قامت معك فى صلاتك تصلّى بصلاتك ففرغت من سجودها = « فليكونوا من ورائكم » ، يقول : فليصيروا بعد فراغهم من سجودهم خلفكم مُصَافّ العدوّ فى المكان الذى فيه سائر الطوائف التى لم تصلّ معك ، ولم تدخل معك فى صلاتك .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم » .

فقال بعضهم : تأويله: فإذا صلّوْا ففرغوا من صلاتهم ، فليكونوا من ورائكم .

* * *

ثم اختلف أهل هذه المقالة .

فقال بعضهم : إذا صلت هذه الطائفة مع الإمام ركعة ، سلمت وانصرفت

---

(١) فى المطبوعة : «مع رسول الله» وأثبت ما فى المخطوطة .

من صلاتها، حتى تأتى مقامَ أصحابها بإزاء العدوّ، ولا قضاء عليها . وقالوا : هم الذين عنى الله بقوله: [١] « فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة » ، أن تجعلوها — إذا خفتم الذين كفروا أن يفتنوكم — ركعة. [٢] ورووا عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ١٦٠/٥ أنه صلى بطائفةٍ صلاة الخوف ركعة ، ولم يقضوا ، وبطائفة أخرى ركعة ولم يقضوا .

وقد ذكرنا بعض ذلك فيما مضى ، وفيما ذكرنا كفاية عن استيعاب ذكر جميع ما فيه .

* * *

وقال آخرون منهم : بل الواجب كان على هذه الطائفة = التى أمرَها الله بالقيام مع نبيِّها إذا أراد إقامة الصلاة بهم فى حال خوف العدو ، وإذا فرغت من ركعتها التى أمرها الله أن تصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم على ما أمرها به فى كتابه = [٣] أن تقوم فى مقامها الذى صلّت فيه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتصلى لأنفسها بقية صلاتها وتسلّم ، وتأتى مصافّ أصحابها ، وكان على النبى صلى الله عليه وسلم أن يثبُت قائماً فى مقامه حتى تفرغ الطائفة التى صلّت معه الركعة الأولى من بقية صلاتها، إذا كانت صلاتها التى صلّت معه مما يجوز قصرُ عددها عن الواجب الذى على المقيمين فى أمن ، وتذهب إلى مصاف أصحابها ، وتأتى الطائفة الأخرى التى كانت مصافَّةَ عدوِّها ، فيصلى بها ركعة أخرى من صلاتها .

* * *

ثم هم فى حكم هذه الطائفة الثانية مختلفون .

فقالت فرقة من أهل هذه المقالة : كان على النبى صلى الله عليه وسلم إذا

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « وهم الذين قالوا عنى الله بقوله » ، أخر « قالوا » عن مكانها ، وكأنه من فعل الناسخ ، فرددتها إلى سياق الكلام ، فى أوله .

(٢) السياق : « أن تجعلوها . . . ركعة » ، تفسيراً لقوله « أن تقصروا من الصلاة » .

(٣) السياق « بل الواجب كان على هذه الطائفة . . . أن تقوم فى مقامها » .

فرغ من ركعتيه ورفع رأسه من سجوده من ركعته الثانية ، أن يقعد للتشهد ، وعلى الطائفة التى صلت معه الركعة الثانية ولم تدرك معه الركعة الأولى لاشتغالها بعدوّها ، أن تقوم فتقضى ركعتها الفائتة مع النبي صلى الله عليه وسلم . وعلى النبي صلى الله عليه وسلم انتظارها قاعداً فى تشهُّده حتى تفرغ هذه الطائفة من ركعتها الفائتة وتتشهد ، ثم يسلم بهم .

* * *

وقالت فرقة أخرى منهم : بل كان الواجب على الطائفة التى لم تدرك معه الركعة الأولى إذا قعدَ النبي صلى الله عليه وسلم للتشهد، أن تقعد معه للتشهد فتتشهد بتشهده . فإذا فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من تشهده سلم .[1] ثم قامت الطائفة التى صلت معه الركعة الثانية حينئذ فقضت ركعتها الفائتة . وكل قائلٍ من الذين ذكرنا قولهم ، روَى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخباراً بأنه كما قال فعَل .

* * *

ذكر من قال : انتظر النبي صلى الله عليه وسلم الطائفتين حتى قضت [كل طائفة] صلاتها ، ولم يخرج من صلاته إلا بعد فراغ الطائفتين من صلاتهما .[2]

١٠٣٤٥ — حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال، أخبرنى مالك ، عن يزيد بن رومان، عن صالح بن خوّات، عمن صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف يوم ذاتِ الرِّقاع : أن طائفة صفّت معه ،[3] وطائفة وجاه العدو.[4] فصلى بالذين معه ركعة، ثم ثبت قائماً فأتموا لأنفسهم . ثم جاءت

---

(١) فى المخطوطة : « بل كان الواجب على الطائفة التى لم تدرك معه الركعة الأولى إذا قعد النبى صلى الله عليه وسلم من تشهده سلم ، ثم قامت الطائفة التى صلت معه الركعة الثانية . . . » ، سقط من الناسخ ما هو ثابت فى المطبوعة ، وهو الصواب إن شاء الله .

(٢) فى المخطوطة : « حتى قضت صلاتها » ، وفى المطبوعة : « حتى قضت صلاتهما » بالتثنية ، أراد أن يصحح سياق المخطوطة فأساء ، ووضعت ما بين القوسين اجتهاداً حتى يستقيم الكلام .

(٣) فى المطبوعة : « أن طائفة صفت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٤) « وجاه » (بكسر الواو وضمها) و « تجاه » (بكسر التاء وضمها) : أى حذاء العدو من تلقاء وجهه . وبجميع هذه الوجوه ، روى هذا الخبر .

الطائفة الأخرى فصلى بهم ، ثم ثبت جالساً فأتموا لأنفسهم ، ثم سلم بهم . (١)

---

(١) الأثر : ١٠٣٤٥ - « يزيد بن رومان الأسدى » أبو روح المدنى ، من شيوخ مالك ، كان عالماً كثير الحديث ثقة .

و « صالح بن خوات بن جبير بن النعمان الأنصارى » ، روى عن أبيه وخاله سهل بن أبى حثمة، وهو تابعى ثقة قليل الحديث . روى له الجماعة حديث صلاة الخوف . مترجم فى الكبير ٢/٢/٢٧٧ .

و « سهل بن أبى حثمة الأنصارى » ، له صحبة ، مات رسول الله وهو ابن ثمان سنين ، وقد حفظ عنه . قال الحافظ فى التهذيب : « قال ابن أبى حاتم . عن أبيه ، بايع تحت الشجرة ، وشهد المشاهد كلها إلا بدراً ، وكان دليل النبى صلى الله عليه وسلم ليلة أحد . قال ابن أبى حاتم : سمعت رجلا من ولده سأله أبى عن ذلك وأخبره به » .

قلت : ولم أجد فى الجرح والتعديل ترجمة « سهل » ، ولا قول ابن أبى حاتم .

ثم قال الحافظ : « وقال ابن القطان : قول أبى حاتم لا يصح عندهم البتة ، والغلط الذى فيه من هذا الرجل الذى لا يدرى من هو . وإنما الذى بعثه النبى صلى الله عليه وسلم خارصاً ، أبوه أبو حثمة ، وهو الذى كان دليل النبى صلى الله عليه وسلم إلى أحد ، كذا ذكره ابن جرير وغيره » .

و« سهل بن أبى حثمة »، مترجم فى التهذيب، وفى الكبير ٢/٢/٩٨، وقد مضى ذكره برقم : ٩١٧٩ .

وهذا حديث صحيح ، رواه مالك فى الموطأ : ١٨٣ ، والشافعى فى الرسالة رقم : ٥٠٩ ، ٦٧٧ ، وفى الأم ١ : ١٨٦ ، والبخارى (الفتح ٧ : ٣٢٥) ، والبخارى فى التاريخ الكبير ٢/٢/٢٧٧، ومسلم ٦ : ١٢٨ ، وأبو داود فى سننه ٢ : ١٨ ، رقم : ١٢٣٨ ، والنسائى ٣ : ١٧١ ، والترمذى ٢ : ٤٥٦ (شرح أخى السيد أحمد) ، والطحاوى فى معانى الآثار ١ : ١٨٤ ، والبيهقى فى سننه ٣ : ٢٥٢ ، وانظر ما كتبه أخى السيد أحمد فى شرح الترمذى ، وشرح رسالة الشافعى . والجصاص فى أحكام القرآن ٢ : ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

وقال الحافظ ابن حجر فى الفتح ٧ : ٣٢٦ : « قوله : عمن شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم ذات الرقاع صلاة الخوف = قيل : إن اسم هذا المبهم ، سهل بن أبى حثمة ، لأن القاسم بن محمد ، روى حديث صلاة الخوف عن صالح بن خوات ، عن سهل بن أبى حثمة . وهذا هو الظاهر من رواية البخارى ، ولكن الراجح أنه أبوه « خوات بن جبير » ، لأن أبا أويس روى هذا الحديث عن يزيد ابن رومان شيخ مالك فيه ، فقال : عن صالح بن خوات ، عن أبيه أخرجه ابن مندة فى معرفة الصحابة من طريقه . وكذلك أخرجه البيهقى (٣ : ٢٥٣) من طريق عبيد الله بن عمر ، عن القاسم ابن محمد ، عن صالح بن خوات ، عن أبيه . وجزم النووى فى تهذيبه بأنه خوات بن جبير ، وقال : إنه محقق من رواية مسلم وغيره » .

وقد أجاد الحافظ فى بيان هذا بعد ذلك فى الفتح(٧ : ٣٢٩)،ودل على أن سهل بن أبى حثمة كان صغيراً فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن رسول الله قبض وهو ابن ثمان سنين ، فأيد بذلك أن المراد بقوله: « عمن صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم » هو خوات بن جبير ، لا سهل بن أبى حثمة .

١٠٣٤٦ – حدثني محمد بن المثنى قال ، حدثني عبيد الله بن معاذ قال ، حدثنا أبي قال ، حدثنا شعبة ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن صالح ابن خوات ، عن سهل بن أبي حثمة قال : صلى النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه في خوف ، فجعلهم خلفه صفين ، فصلى بالذين يلونه ركعة ثم قام ، فلم يزل قائماً حتى صلى الذين خلفه ركعة ، ثم تقدموا وتخلّف الذين كانوا قُدّامهم ، فصلى بهم ركعة ، ثم جلس حتى صلى الذين تخلفوا ركعة ، ثم سلم .(١)

١٠٣٤٧ – حدثنا سفيان بن وكيع قال ، حدثنا روح قال، حدثنا شعبة، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن صالح بن خوّات ، عن سهل بن أبي حثمة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في صلاة الخوف : تقوم طائفة بين يدي الإمام وطائفة خلفه ، فيصلي بالذين خلفه ركعة وسجدتين ، ثم يقعد مكانه حتى يقضوا ركعة وسجدتين ، ثم يتحولون إلى مكان أصحابهم . ثم يتحول أولئك إلى مكان هؤلاء ، فيصلي بهم ركعة وسجدتين ، ثم يقعد مكانه حتى يصلوا ركعة وسجدتين ، ثم يسلم .(٢)

* * *

* ذكر من قال : «كانت الطائفة الثانية تقعد مع النبي صلى الله حتى يفرغ النبي صلى الله عليه وسلم من صلاته ، ثم تقضي ما بقي عليه وسلم عليها بعدُ» .

١٠٣٤٨ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الوهاب قال ، سمعت يحيى ابن سعيد قال سمعت القاسم قال : حدثني صالح بن خوّات بن جبير : أن سهل

---

(١) الأثر : ١٠٣٤٦ – حديث سهل بن أبي حثمة ، من طريق شعبة عن عبد الرحمن ابن القاسم ، هذا والذي يليه ، رواه أحمد في المسند ٤ : ٤٤٨ ، والبخاري في الفتح (٧ : ٣٢٩) ومسلم ٦ : ١٢٨ ، والبيهقي في السنن ٣ : ٢٥٣ ، ٢٥٤ . وانظر التعليق على الأثر السالف ، والأثر التالي رقم : ١٠٣٥١ .

(٢) الأثر : ١٠٣٤٧ – مكرر الذي قبله . رواه أحمد في المسند ٤ : ٤٤٨ ، والبخاري في التاريخ الكبير ٢/٢/٢٧٧ . وهذا هو الحديث المرفوع الذي سيشير إليه في رقم : ١٠٣٥١ .

ابن أبي حثمة حدّثه : أن صلاة الخوف : أن يقوم الإمام إلى القبلة يصلّي ومعه طائفة من أصحابه ، وطائفة أخرى مواجهة العدو ، فيصلي . فيركع الإمام بالذين معه ويسجد ، ثم يقوم ، فإذا استوى قائماً ركع الذين وراءه لأنفسهم ركعة وسجدتين ، ثم سلموا فانصرفوا ، والإمام قائم ، فقاموا إزاء العدوّ ، وأقبل الآخرون فكبروا مكان الإمام ، فركع بهم الإمام وسجد ثم سلم ، فقاموا فركعوا لأنفسهم ركعة وسجدتين ، ثم سلموا .(١) ١٦١/٥

١٠٣٤٩ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا يزيد بن هرون قال ، أخبرنا يحيي ابن سعيد ، عن القاسم بن محمد : أن صالح بن خوّات أخبره ، عن سهل بن أبي حثمة في صلاة الخوف ، ثم ذكر نحوه .(١)

١٠٣٥٠ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا يحيي بن سعيد وسأله قال ، حدثنا يحيي بن سعيد الأنصاري ، عن القاسم بن محمد ، عن صالح ، عن سهل بن أبي حثمة في صلاة الخوف قال : يقوم الإمام مستقبل القبلة ، وتقوم طائفة منهم معه ، وطائفة من قبل العدو وجوههم إلى العدو ، فيركع بهم ركعة ، ثم يركعون لأنفسهم ويسجدون سجدتين في مكانهم ، ويذهبون إلى مقام أولئك ، ويجيء أولئك فيركع بهم ركعة ويسجد سجدتين ، فهي له ركعتان ولهم واحدة . ثم يركعون ركعة ويسجدون سجدتين .(٢)

١٠٣٥١ – قال بندار : سألت يحيي بن سعيد عن هذا الحديث ، فحدثني عن شعبة ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن صالح بن خوّات ، عن سهل بن أبي حثمة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل حديث يحيي بن سعيد ،

---

(١) الأثران : ١٠٣٤٨ ، ١٠٣٤٩ – رواه مالك في الموطأ : ١٨٣ ، والبخاري (الفتح ٧ : ٣٢٨) ، وأبو داود في سننه ٢ : ١٨ رقم : ١٢٣٩ .

(٢) الأثر : ١٠٣٥٠ – « يحيي بن سعيد » هو القطان .

وهذا الأثر رواه البخاري (الفتح ٧ : ٣٢٨) ، والترمذي ٢ : ٤٥٥ (شرح أخي السيد أحمد) ، والبيهقي في سننه ٣ : ٢٥٣ ، والنسائي في سننه ٣ : ١٧٨ .

وقال لى : اكتبه إلى جنبه ، فلست أحفظه، ولكنه مثل حديث يحيى بن سعيد .(١)

١٠٣٥٢ – حدثنا نصر بن على قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا عبيد الله ، عن القاسم بن محمد بن أبى بكر ، عن صالح بن خوات : أن الإمام يقوم فيصفّ صفين ، طائفة مواجهة العدو ، وطائفة خلف الإمام . فيصلى الإمام بالذين خلفه ركعة ، ثم يقومون فيصلون لأنفسهم ركعة ، ثم يسلمون ، ثم ينطلقون فيصفّون. ويجىء الآخرون فيصلى بهم ركعة ثم يسلم، فيقومون فيصلون لأنفسهم ركعة .(٢)

١٠٣٥٣ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا معتمر بن سليمان قال، سمعت عبيد الله ، عن القاسم بن محمد ، عن صالح بن خوّات ، عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : صلاة الخوف : أن تقوم طائفة من خلف الإمام وطائفة يلون العدو ، فيصلّى الإمام بالذين خلفه ركعة ويقوم قائماً ، فيصلى القوم إليها ركعة أخرى، ثم يسلمون فينطلقون إلى أصحابهم، ويجىء أصحابهم والإمام قائم ، فيصلى بهم ركعة ، فيسلم . ثم يقومون فيصلون إليها ركعة أخرى ، ثم ينصرفون = قال عبيد الله : فما سمعت فيما نذكره فى صلاة الخوف بشىء هو أحسن عندى من هذا .(٢)

١٠٣٥٤ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ،

---

(١) الأثر : ١٠٣٥١ – هذا الأثر إشارة ، إلى الأثر السالف رقم : ١٠٣٤٧ ، مرفوعاً .

ورواه الترمذى ٢ : ٤٥٦ ، والبيهقى فى السنن ٣ : ٢٥٣ . وقال الترمذى : « لم يرفعه يحيى ابن سعيد الأنصارى عن القاسم بن محمد، وهكذا روى أصحاب يحيى بن سعيد الأنصارى موقوفاً . ورفعه شعبة عن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد » .

(٢) الأثر : ١٠٣٥٢ ، ١٠٣٥٣ – لم أجد لهذين الخبرين مرجعاً . وحديث عبيد الله، (وهو عبيد الله بن عمر) عن القاسم ، رواه البيهقى فى السنن ٣ : ٢٥٣ من حديث عبد الله بن عمر ، عن أخيه عبيد الله بن عمر ، عن القاسم بن محمد ، عن صالح بن خوات ، عن أبيه قال : صلى النبى صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف . . . » ، فصرح فيه بأنه رواه عن أبيه ، ولم يقل « عن رجل من أصحاب النبى » ، وهو مخالف له فى لفظه كل المخالفة . وانظر التعليق على الأثر رقم : ١٠٣٤٦ .

وكان فى المطبوعة هنا : « فما سمعت فيما نذكره فى صلاة الخوف شيئاً هو أحسن عندى من هذا » بنصب « شيئاً » وفى المخطوطة « شىء » ، فرأيت أن أقرأها « بشىء » .

عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك » ، فهذا عند الصلاة فى الخوف ، يقوم الإمام وتقوم معه طائفة منهم ، وطائفة يأخذون أسلحتهم ويقفون بإزاء العدو . فيصلى الإمام بمن معه ركعة ، ثم يجلس على هيئته ، فيقوم القوم فيصلون لأنفسهم الركعة الثانيةَ والإمام جالس ، ثم ينصرفون حتى يأتوا أصحابهم ، فيقفون موقفهم . ثم يقبل الآخرون فيصلى بهم الإمام الركعة الثانية ، ثم يسلم ، فيقوم القوم فيصلون لأنفسهم الركعة الثانية . فهكذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بطن نخلة .

* * *

وقال آخرون : بل تأويل قوله : « فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم » ، فإذا سجدت الطائفة التى قامت مع النبى صلى الله عليه وسلم حين دخل فى صلاته فدخلت معه فى صلاته ، السجدةَ الثانية من ركعتها الأولى[1] = «فليكونوا من ورائكم» ، يعنى : من ورائك ، يا محمد ، ووراء أصحابك الذين لم يصلوا بإزاء العدو . قالوا : وكانت هذه الطائفة لا تسلِّم من ركعتها إذا هى فرغت من سجدتى ركعتها التى صلت مع النبى صلى الله عليه وسلم ، ولكنها تمضى إلى موقف أصحابها بإزاء العدوّ ، عليها بقية صلاتها .[2] قالوا : وكانت تأتى الطائفة الأخرى التى كانت بإزاء العدوّ حتى تدخل مع النبى صلى الله عليه وسلم فى بقية صلاته ، فيصلى بهم النبى صلى الله عليه وسلم الركعة التى كانت قد بقيت عليه . قالوا : وذلك معنى قول الله عز ذكره : « ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم » . ١٦٢/٥

* * *

ثم اختلف أهل هذه المقالة فى صفة قضاء ما كان تبقّى على كل طائفة من هاتين الطائفتين من صلاتها ، بعد فراغ النبى صلى الله عليه وسلم من صلاته وسلامه من صلاته ، على قول قائلى هذه المقالة ومتأوِّلى هذا التأويل .

---

(١) السياق : « فإذا سجدت الطائفة . . . السجدة الثانية » .

(٢) فى المطبوعة : « عليها بقية صلاتها » بزيادة واو .

فقال بعضهم : كانت الطائفة الثانية التى صلت مع النبي صلى الله عليه وسلم الركعة الثانية من صلاتها ، إذا سلم النبي صلى الله عليه وسلم من صلاته قامت فقضت ما فاتها من صلاتها مع النبي صلى الله عليه وسلم فى مقامها ، بعد فراغ النبي صلى الله عليه وسلم من صلاته ، والطائفة التى صلت مع النبي صلى الله عليه وسلم الركعة الأولى بإزاء العدو بعدُ لم تتم . [1] فإذا هى فرغت من بقية صلاتها التى فاتتها مع النبي صلى الله عليه وسلم ، مضت إلى مصاف أصحابها بإزاء العدو ، وجاءت الطائفة الأولى التى صلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الركعة الأولى إلى مقامها التى كانت صلت فيه خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقضت بقية صلاتها .

* ذكر الرواية بذلك :

١٠٣٥٥ – حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب قال ، حدثنا عبد الواحد ابن زياد قال ، حدثنا خصيف قال ، حدثنا أبو عبيدة بن عبد الله قال ، قال عبدُ الله : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف ، فقامت طائفة منا خلفه ، وطائفة بإزاء = أو : مستقبلى = العدو ، فصلى النبي صلى الله عليه وسلم بالذين خلفه ركعة ، ثم نكصوا فذهبوا إلى مقام أصحابهم . وجاء الآخرون فقاموا خلف النبي صلى الله عليه وسلم ، فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة ، ثم سلم رسول الله . ثم قام هؤلاء فصلوا لأنفسهم ركعة ، ثم ذهبوا فقاموا مقامَ أصحابهم مستقبلى العدوّ ، ورجع الآخرون إلى مقامهم فصلوا لأنفسهم ركعة. [2]

---

(١) فى المطبوعة : « لم تتم صلاتها » ، زاد « صلاتها » ، وأثبت ما فى المخطوطة فهو صواب جيد .

(٢) الأثر : ١٠٣٥٥ – « عبد الواحد بن زياد العبدى » ، أحد الأعلام الثقات ، مضى برقم : ٢٦١٦ .

و « خصيف » هو : خصيف بن عبد الرحمن الجزرى مضى برقم : ٨١٣٦ ، تكلموا فيه ، قال ابن حبان : « تركه جماعة من أئمتنا ، واحتج به آخرون وكان شيخاً صالحاً فقيهاً عابداً ، إلا أنه كان يخطىء كثيراً فيما يروى ، ويتفرد عن المشاهير بما لا يتابع عليه ، وهو صدوق فى روايته ، إلا أن

١٠٣٥٦ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا ابن فضيل قال، حدثنا خصيف، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف ، فذكر نحوه .(١)

١٠٣٥٧ – حدثنا تميم بن المنتصر قال، أخبرنا إسحق قال ، أخبرنا شريك ، عن خصيف ، عن أبي عبيدة ، عن أبيه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه.(١)

* * *

وقال آخرون : بل كانت الطائفة الثانية التي صلّت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الركعة الثانية لاتقضى بقية صلاتها بعد ما يُسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاته ، ولكنها كانت تمضى قبل أن تقضى بقية صلاتها ، فتقف موقفَ أصحابها الذين صلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الركعة الأولى ، وتجيء الطائفة الأولى إلى موقفها الذى صلت فيه ركعتها الأولى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتقضى ركعتها التي كانت بقيت عليها من صلاتها = فقال بعضهم : كانت تقضى تلك الركعة بغير قراءة . وقال آخرون : بل كانت تقضى بقراءة = فإذا قضت ركعتها الباقية عليها هناك وسلمت ، مضت إلى مصاف أصحابها بإزاء العدو ، وأقبلت الطائفة التي صلّت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الركعة الثانية إلى مقامها الذى صلّت فيه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الركعة الثانية من

الإنصاف فيه ، قبول ما وافق الثقات فى الروايات ، وترك ما لم يتابع عليه ، وهو من أستخير الله تعالى فيه » .

و « أبو عبيدة » ، هو : أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود ، مضى برقم : ٤٥٧٠ ، ٤٦٩٤ .

و « عبد الله » هو عبد الله بن مسعود .

وهذا الأثر رواه أبو داود ٢ : ٢٢ رقم : ١٢٢٤ .والبيهقى فى السنن ٣ : ٢٦١ ، من طريق عبد السلام بن حرب عن خصيف ، ومن طريق الثورى عن خصيف ، ومن طريق شريك عن خصيف. وهذا الأخير هو رقم : ١٠٣٥٧ . ولفظه مخالف للفظ حديث عبد الواحد بن زياد عن خصيف ، قال البيهقى : « وهذا الحديث مرسل ، أبو عبيدة لم يدرك أباه ، وخصيف الجزرى ليس بالقوى » .

(١) الأثران : ١٠٣٥٦ ، ١٠٣٥٧ – مكرر الذى قبله . وانظر رواية أبي داود فى السنن ٢ : ٢٢ ، رقم ١٢٢٤ .

صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقضت الركعة الثانية من صلاتها بقراءة ، فإذا فرغت وسلمت ، انصرفت إلى أصحابها .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٣٥٨ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان ، عن حماد ، عن إبراهيم فى صلاة الخوف ،قال : يصف صفًّا خلفه، وصفًّا بإزاء العدو فى غير مصلاّه ، فيصلى بالصف الذى خلفه ركعة ، ثم يذهبون إلى مصاف أولئك ، وجاء أولئك الذين بإزاء العدو ، فصلى بهم ركعة، ثم سلم عليهم ،[1] وقد صلى هو ركعتين ، وصلى كلّ صف ركعة. ثم قام هؤلاء الذين سلم عليهم إلى مصاف أولئك الذين بإزاء العدو ، فقاموا مقامهم ، وجاؤوا فقضوا الركعة ، ثم ذهبوا فقاموا مقام أولئك الذين بإزاء العدو ، وجاء أولئك فصلوا ركعة[2] = قال سفيان : فتكون لكل إنسان ركعتين ركعتين .[3]

١٠٣٥٩ – حدثنا ابن حميد قال ،حدثنا مهران = وحدثني على قال ، حدثنا زيد = جميعاً ، عن سفيان قال: كان إبراهيم يقول فى صلاة الخوف، فذكر نحوه. ١٦٣/٥

١٠٣٦٠ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن عمر بن الخطاب رحمة الله عليه مثل ذلك .[4]

* * *

---

(١) فى المطبوعة : «وجاء أولئك الذين بإزاء العدو ، فيصلى بهم ركعة ثم يسلم عليهم» «يصلى» و «يسلم» مضارعاً ، والصواب الجيد ما أثبته من المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٠٣٥٨ – «الحارث»، هو: «الحارث بن محمد بن أبي سامة» و «عبد العزيز» هو : «عبد العزيز بن أبان الأموى» ، مضيا برقم : ١٠٢٩٥ ، ١٠٣١٥ ، وغيرهما ، وسيأتى برقم : ١٠٣٦٠ .

(٣) فى المطبوعة : «فيكون لكل إنسان ركعتان ركعتان» ، والذى أثبته من المخطوطة ، وهو صواب حسن جداً .

(٤) الأثر : ١٠٣٦٠ – «الحارث بن محمد بن أبي أسامة» ، و «عبد العزيز بن أبان الأموى» ، انظر التعليق على الأثر : ١٠٣٥٨ . وزدت : «رحمة الله عليه» من المخطوطة .

وقال آخرون : بل كل طائفة من الطائفتين تقضى صلاتها على ما أمكنها ، من غير تضييع منهم بعضها .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٣٦١ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية ، عن يونس ابن عبيد ، عن الحسن : أن أبا موسى الأشعرى صلى بأصحابه صلاة الخوف بأصبهان إذ غزاها . قال : فصلى بطائفة من القوم ركعة، وطائفة تحرس . فنكص هؤلاء الذين صلى بهم ركعة، وخلفهم الآخرون فقاموا مقامهم ، فصلى بهم ركعة ثم سلم ، فقامت كل طائفة فصلت ركعةً .

١٠٣٦٢ – حدثنا عمران بن موسى القزاز قال، حدثنا عبد الوارث قال ، حدثنا يونس ، عن الحسن ، عن أبي موسى ، بنحوه .

١٠٣٦٣ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا معاذ بن هشام قال، حدثنا أبي، عن قتادة ، عن أبي العالية ويونس بن جبير قالا ، صلى أبو موسى الأشعرى بأصحابه بالدير من أصبهان،[1] وما بهم يومئذ خوف ،[2] ولكنه أحب أن يعلمهم صلاتهم . فصفّهم بصفّين :[3] صفًّا خلفه ، وصفًّا مواجهة العدوّ مقبلين على عدوهم . فصلى بالذين يلونه ركعة ، ثم ذهبوا إلى مصافّ أصحابهم . وجاء أولئك ، فصفّهم خلفه ، فصلى بهم ركعة ثم سلم . فقضى هؤلاء ركعة ، وهؤلاء ركعة ، ثم سلم بعضهم على بعض. فكانت للإمام ركعتان في جماعة،[4] ولهم ركعة ركعة .[5]

---

(١) في المطبوعة : « صلى أبو موسى بأصحابه بأصبهان » ، غير ما في المخطوطة ، وفي الدر المنثور « بالدار من أصبهان » ، ولم أهتد إلى موضع يقال له « الدير » أو « الدار » من بلاد أصبهان . ومع ذلك فكثير من بلدان هذه الجهات ، قد أغفلت معاجم البلدان ذكرها ، وقلما تظفر بها إلا في ثنايا الأخبار المنثورة في كتب التاريخ والفتوح .

(٢) في الدر المنثور : « وما بهم يومئذ كبير خوف » .

(٣) في المطبوعة « فصفهم صفين » ، وهو صواب في المعنى ، ولكني أثبت ما في المخطوطة .

(٤) في المطبوعة : « ركعتين » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٥) الأثر : ١٠٣٦٣ ، ١٠٣٦٤ – خرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٢١٣ ، ونسبه لابن أبي شيبة وجده ، بغير هذا اللفظ . وأشار إليه البيهقي في السنن ٣ : ٢٥٢ .

١٠٣٦٤ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا ابن أبي عدى ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أبي العالية ، عن أبي موسى ، بمثله .

١٠٣٦٥ – حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية ،عن أيوب،عن نافع ،عن ابن عمر : : أنه قال فى صلاة الخوف: يصلى بطائفة من القوم ركعة، [١] وطائفة تحرس . ثم ينطلق هؤلاء الذين صلى بهم ركعة حتى يقوموا مقام أصحابهم ، ثم يجيء أولئك فيصلى بهم ركعة ، ثم يسلم . فتقوم كل طائفة فتصلى ركعة . [٢]

١٠٣٦٦ – حدثنا نصر بن على قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، بنحوه .

١٠٣٦٧ – حدثنى عمران بن بكّار الكلاعى قال، حدثنا يحيى بن صالح قال ، حدثنا ابن عياش قال ، حدثنا عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه صلى صلاة الخوف ، فذكر نحوه . [٣]

١٠٣٦٨ – حدثنا سعيد بن يحيى الأموى قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنا ابن جريج قال ، أخبرنى الزهرى ، عن سالم ، عن ابن عمر : أنه كان يحدّث أنه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر نحوه . [٤]

١٠٣٦٩ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن عبد الأعلى، عن معمر ، عن الزهرى ، عن سالم ، عن ابن عمر ، عن النبى صلى الله عليه وسلم، بنحوه . [٤]

١٠٣٧٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن عبد الله بن نافع ،

---

(١) فى المطبوعة : « يصلى طائفة » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٠٣٦٥ – والآثار التى تليه: ١٠٣٦٦ ، ١٠٣٦٧ ، ثم ١٠٣٧٠ ، ١٠٣٧١ ، خمسة أسانيد لحديث نافع ، عن ابن عمر . حديث صحيح رواه أحمد فى مسنده برقم : ٦١٥٩ ، وهو إسناد الطبرى رقم : ١٠٣٧١ ، ثم رواه برقم : ٦٤٣١ ، من طريق موسى بن عقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر . وانظر شرح أخى السيد أحمد فى المسند على الأثر : ٦١٥٩ .

(٣) الأثر : ١٠٣٦٧ – « عمران بن بكار الكلاعى » مضى برقم : ٢٠٧١ .

(٤) الأثران : ١٠٣٦٨ ، ١٠٣٦٩ – خبر سالم عن ابن عمر حديث صحيح ، رواه أحمد فى مسنده : ٦٣٥١ ، وانظر شرح أخى السيد أحمد هناك .

عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم فى صلاة الخوف : يقوم الأمير وطائفة من الناس فيسجدون سجدة واحدة ، وتكون طائفة منهم بينهم وبين العدو ، ثم ذكر نحوه .(١)

١٠٣٧١ - حدثنا محمد بن هرون الحربى قال، حدثنا أبو المغيرة الحمصى قال ، حدثنا الأوزاعى ، عن أيوب بن موسى ، عن نافع ، عن ابن عمر : أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الخوف بإحدى الطائفتين ركعة ، ثم ذكر نحوه .(١)

١٠٣٧٢ - حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة » إلى قوله : « فليصلوا معك » ، فإنه كانت تأخذ طائفة منهم السلاح ، فيقبلون على العدو ، والطائفة الأخرى يصلون مع الإمام ركعة ، ثم يأخذون أسلحتهم فيستقبلون العدو ، ويرجع أصحابهم فيصلون مع الإمام ركعة، فيكون للإمام ركعتان، ولسائر الناس ركعة واحدة ، ثم يقضون ركعة أخرى . وهذا تمام الصلاة .

* * *

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية فى صلاة الخوف والعدو يومئذ فى ظهر القبلة بين المسلمين وبين القبلة ، فكانت الصلاة التى صلى بهم يومئذ النبى صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف ، إذ كان العدو بين الإمام والقبلة .

---

(١) الأثران : ١٠٣٧٠ ، ١٠٣٧١ - انظر التعليق على رقم : ١٠٣٦٥ .

« محمد بن هرون الحربى » ، المعروف بأبى نشيط ، بغدادى ، ونسبته فى التهذيب « الربعى » ، وهى نسبة إلى القبيلة ، أما « الحربى » فنسبة إلى « الحربية » ، وهى محلة كبيرة ببغداد عند « باب حرب » مقبرة بشر الحافى وأحمد بن حنبل ، تنسب إلى أحد قواد أبى جعفر المنصور ، وكان يتولى شرطة بغداد ، وهو « حرب بن عبد الله البلخى » ، نسب إليها طائفة كبيرة من أهل العلم ببغداد . ولم أجد هذه النسبة - نسبة محمد بن هرون - إلا فى التفسير .

و « أبو المغيرة الحمصى » هو : « عبد القدوس بن الحجاج الخولانى » ، ثقة ، من شيوخ أحمد ، روى عنه البخارى ، وروى له هو والباقون بواسطة إسحق بن الكوسج وأحمد بن حنبل وغيرهم . مات سنة ٢١٢ ، وصلى عليه أحمد بن حنبل .

* ذكر الأخبار المنقولة بذلك :

١٠٣٧٣ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثني يونس بن بكير ، عن النضر أبي عمر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة ، فلقي المشركين بعسفان ، فلما صلى الظهر فرأوه يركع ويسجد هو وأصحابه ، قال بعضهم لبعض يومئذ : كان فرصة لكم، لو أغرتم عليهم ما علموا بكم حتى تواقعوهم ! قال قائل منهم : فإنّ لهم صلاة أخرى هي أحبّ إليهم من أهلهم وأموالهم ، فاستعدوا حتى تغيروا عليهم فيها . فأنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم : « وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة » إلى آخر الآية ، وأعلمه ما ائتمر به المشركون . فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر وكانوا قبالته في القبلة ، فجعل المسلمين خلفه صفين ، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبروا جميعاً ، ثم ركع وركعوا معه جميعاً . فلما سجد سجد معه الصف الذين يلونه ، وقام الصف الذين خلفهم مقبلين على العدو ، فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سجوده وقام ، سجد الصف الثاني ثم قاموا ، وتأخر الذين يلون رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم الآخرون ، فكانوا يلون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما ركع ركعوا معه جميعاً ، ثم رفع فرفعوا معه ، ثم سجد فسجد معه الذين يلونه ، وقام الصف الثاني مقبلين على العدو ، فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سجوده وقعد الذين يلونه ، سجد الصفّ المؤخر ، ثم قعدوا فتشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جميعاً ، فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم سلّم عليهم جميعاً . فلما نظر إليهم المشركون يسجد بعضهم ويقوم بعض ينظر إليهم ، قالوا : لقد أخبروا بما أردنا ! (١)

١٦٤/٥

---

(١) الأثر : ١٠٣٧٣ – « النضر أبو عمر » هو : « نضر بن عبد الرحمن الخزاز » ، مضى برقم : ٧١٨ ، وهو ضعيف الحديث ، سئل عنه أبو نعيم فقال : « لا يسوى هذا – ورفع شيئاً من الأرض – كان يجيء فيجلس عند الحماني ، وكل شيء يسأل عنه يقول : عكرمة عن ابن عباس » .

١٠٣٧٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا الحكم بن بشير قال ، حدثنا عمر ابن ذر قال ، حدثني مجاهد قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم بعسفان والمشركون بضجنان بالماء الذي يلي مكة ، فلما صلى النبيّ صلى الله عليه وسلم الظهرَ فرأوه سجدَ وسجد الناس ، قالوا : إذا صلى صلاة بعد هذه أغرنا عليه! فحذره الله ذلك . فقام النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة فكبّر وكبر الناس معه ، فذكر نحوه .

١٠٣٧٥ – حدثني عمران بن بكار قال، حدثنا يحيى بن صالح قال، حدثنا ابن عياش قال ، أخبرني عبيد الله بن عمرو ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله قال : كنت مع النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فلقينا المشركين بنخل ، فكانوا بيننا وبين القبلة . فلما حضرت صلاة الظهر ،(١) صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن جميع . فلما فرغنا، تذامر المشركون،(٢) فقالوا: لو كنا حملنا عليهم وهم يصلون! فقال بعضهم: فإن لهم صلاة ينتظرونها تأتي الآن ، هي أحبّ إليهم من أبنائهم، فإذا صلوا فميلوا عليهم . قال : فجاء جبريل إلى رسول الله صلى الله عليهما بالخبر ،(٣) وعلّمه كيف يصلي . فلما حضرت العصر ، قام نبي الله صلى الله عليه وسلم مما يلي العدوّ، وقمنا خلفه صفين، فكبر نبي الله وكبرنا معه جميعاً، ثم ذكر نحوه .(٤)

وهذا الأثر رواه الحاكم في المستدرك ٣ : ٣٠ ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط البخاري ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبي . وهذا عجب ، فإن البخاري قال في ترجمة « النضر » : « منكر الحديث » ! ! فكيف يكون هذا الخبر على شرطه ! ! ومن أجل مثل هذا لم يبال العلماء بتصحيح الحاكم غفر الله له . وخرجه السيوطي في الدر المنثور ١ : ٢١٣ ، وزاد نسبته للبزار .

(١) في المطبوعة : « فلما حضرت الظهر » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) قوله : « تذامر المشركون » أي : تلاوموا على ترك الفرصة ، وقال بعضهم : « قد تكون بمعنى تحاضوا على القتال » . ولكن الأجود، هو المعنى الأول ، فإن « التذامر » – فيما أرى – يحمل معنى التلاوم والحض على انتهاز الفرصة من العدو . وفي الدر المنثور : « تآمر المشركون » ، والصواب ما في المخطوطة والمطبوعة . وقد ذكره ابن الأثير بهذا اللفظ ، ونقله صاحب اللسان « تذامر المشركون » في حديث صلاة الخوف ، يعني هذا الحديث بلا شك .

(٣) في المطبوعة : « . . . إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، وأثبت ما في المخطوطة . « عليهما » ، يعني رسول الله وجبريل .

(٤) الأثر : ١٠٣٧٥ – « عمران بن بكار الكلاعي » ، مضى قريباً رقم : ١٠٣٦٧ .

١٠٣٧٦ – حدثني محمد بن معمر قال ، حدثنا حماد بن مسعدة، عن هشام بن أبي عبد الله ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بنحوه .

١٠٣٧٧ – حدثنا مؤمل بن هشام قال، حدثنا إسمعيل بن إبراهيم ، عن هشام ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه .

١٠٣٧٨ – حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ، حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن أبي عياش الزرقي قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان ، فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاةَ الظهر ، وعلى المشركين خالد بن الوليد . فقال المشركون : لقد أصبنا منهم غرة ، ولقد أصبنا منهم غفلة ! ! فأنزل الله صلاة الخوف بين الظهر والعصر ،فصلى

« يحيى بن صالح الوحاظي» ثقة من أهل الشام . مات سنة ٢٢٢، روى عن عبيد الله بن عمرو الرقي ، وإسماعيل بن عياش وغيرهما .

و « ابن عياش » هو : إسماعيل بن عياش بن سلم العنسي . ثقة حافظ ، وقد تكلموا فيه . مترجم في التهذيب .

و« عبيد الله بن عمرو الرقي الجزري » أبو وهب . مضى برقم : ١٥٦٦ ، ٤٩٦٤ ، وكان في المطبوعة والمخطوطة هنا « عبيد الله بن عمر » ، وهو خطأ لا شك فيه ، فإنه هو الذي يروي عن أبي الزبير .

و « أبو الزبير » هو : محمد بن مسلم بن تدرس . مضى برقم : ٢٠٢٩ ، ٨٠٢٥ .

وهذا الأثر رواه ابن جرير بثلاثة أسانيد ، هذا والإسنادان التاليان . وحديث أبي الزبير عن جابر ، رواه مسلم ٥ : ١٢٧ من طريق أحمد بن عبد الله بن يونس ، عن زهير ، عن أبي الزبير . ورواه النسائي في السنن ٣ : ١٧٦ من طريق عمرو بن علي ، عن عبد الرحمن ، عن سفيان ، عن أبي الزبير . وأشار إليه البخاري (الفتح ٧ : ٣٢٦) . وأفاض الحافظ ابن حجر في مواضع في بيان حديث أبي الزبير عن جابر ، ورواه البخاري من طريق هشام بن أبي عبد الله الدستوائي ، وهما إسنادا أبي جعفر رقم : ١٠٣٧٧ ، ١٠٣٧٨ ، وأبو داود الطيالسي في مسنده : ٢٤٠ ، من طريق هشام أيضاً . وأخرجه البيهقي في السنن ٣ : ٢٥٨ ، وكلهم اختصره .

وقصر السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٢١٤ ، فاقتصر على نسبته لابن أبي شيبة وابن جرير . ورواية ابن جرير مطولة .

بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ، [ففرّقنا] = يعنى فرقتين =[1] فرقة تصلى مع النبى صلى الله عليه وسلم ، وفرقة تصلى خلفهم يحرسونهم . ثم كبر فكبروا جميعاً ، وركعوا جميعاً ، ثم سجد الذين يلون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قام فتقدم الآخرون فسجدوا ، ثم قام فركع بهم جميعاً، ثم سجد بالذين يلونه، حتى تأخر هؤلاء فقاموا فى مصافّ أصحابهم ، ثم تقدم الآخرون فسجدوا ، ثم سلم عليهم . فكانت لكلهم ركعتين مع إمامهم .وصلى مرة أخرى فى أرض بنى سليم.[2]

* * *

١٦٥/٥ قال أبو جعفر : فتأويل الآية ، على قول هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة ورووا هذه الرواية = : وإذا كنت يا محمد، فيهم = يعنى : فى أصحابك خائفاً = «فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك » ، يعنى : ممن دخل معك فى صلاتك = « فإذا سجدوا » يقول : فإذا سجدت هذه الطائفة بسجودك ، ورفعت رؤوسها من سجودها = « فليكونوا من ورائكم» ، يقول : فليَصِرْ مَنْ خلفك خلف الطائفة التى حرستك وإياهم إذا سجدت بهم وسجدوا معك[3] = «ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا »، يعنى : الطائفةَ الحارسة التى صلت معه، غير أنها لم تسجد بسجوده . فمعنى قوله : « لم يصلوا » — على مذهب هؤلاء — : لم يسجدوا بسجودك = « فليصلوا معك » ،

---

(١) فى المطبوعة : « صلاة العصر يعنى فرقتين » ، وهو لا يكاد يستقيم ، فزدت ما بين القوسين من النسائى ، ونصه هناك « ففرقنا فرقتين » ليس فيه (يعنى) .

(٢) الأثر : ١٠٣٧٨ — « عمرو بن عبد الحميد الآملى » شيخ الطبرى، مضى برقم : ٣٧٥٩ ، وقد قال أخى هناك : « لم أعرف من هو ؟ ولم أجد له ترجمة ، ولعله محرف عن شىء لا أعرفه » . والذى قاله لا يصح ، فقد جاء هنا أيضاً « عمرو بن عبد الحميد » ، وروى عنه أبو جعفر فى التاريخ فى موضع واحد ١ : ١٨٤ ، قال : « حدثنا عمرو بن عبد الحميد الآملى قال ، حدثنا أبو أسامة » ، فثبت أنه غير محرف .

وخبر « أبى عياش الزرقى »، مضى من طريق منصور ، عن مجاهد، عن أبى عياش بثلاثة أسانيد: ١٠٣٢٣ ، ١٠٣٢٤ ، وطريق عبد العزيز بن عبد الصمد ، هو الذى رواه النسائى فى السنن ٣ : ١٧٧ وهذا الأثر غير موجود فى المخطوطة .

(٣) فى المخطوطة : « وليصر من خلفك وخلف الطائفة . . . » بالواو فى « ليصر » ، وبالواو قبل « خلف الطائفة » ، وصححها فى المطبوعة : « فليصر من خلفك خلف » فجعل الأولى فاء ، وحذف الثانية ، وهو الصواب إن شاء الله .

يقول : فليسجدوا بسجودك إذا سجدت ، ويحرُسك وإياهم الذين سجدوا بسجودك في الركعة الأولى = وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم » ، يعني الحارسة .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال التي ذكرناها بتأويل الآية ، قول من قال : معنى ذلك : فإذا سجدت الطائفة التي قامت معك في صلاتها = « فليكونوا من ورائكم » ، يعني : من خلفك وخلف من يدخل في صلاتك ممن لم يصلِّ معك الركعة الأولى بإزاء العدو ، وبعد فراغها من بقية صلاتها[1] = « ولتأت طائفة أخرى » ، وهي الطائفة التي كانت بإزاء العدو = « لم يصلوا » ، يقول : لم يصلوا معك الركعة الأولى = « فليصلوا معك » ، يقول : فليصلوا معك الركعة التي بقيت عليك = « وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم » ، لقتال عدوهم ، بعد ما يفرغون من صلاتهم .

وذلك نظير الخبر الذي روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه فعله يوم ذات الرقاع ، والخبر الذي روى سهل بن أبي حثمة .[2]

وإنما قلنا : ذلك أولى بتأويل الآية ، لأن الله عز ذكره قال : « وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة » ، وقد دللنا على أن « إقامتها » ، إتمامها بركوعها وسجودها ، ودللنا مع ذلك على أن قوله : « فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا » ، إنما هو إذنٌ بالقصر من ركوعها وسجودها في حال شدة الخوف .

فإذْ صح ذلك ، كان بيِّناً أنْ لا وجه لتأويل من تأول ذلك : أن الطائفة الأولى إذا سجدت مع الإمام فقد انقضت صلاتها ، لقوله : « فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم » ،

---

(١) في المطبوعة : « . . . بإزاء العدو بعد فراغها . . . » بحذف الواو من « وبعد » ، والصواب ما في المخطوطة .

(٢) يعني الخبر رقم : ١٠٣٤٥ ، ثم خبر سهل بن أبي حثمة من : ١٠٣٤٦ — ١٠٣٥٣ .

لاحتمال ذلك من المعانى ما ذكرتُ قبل = ولأنه لا دلالة فى الآية على أن القصر الذى ذكر فى الآية قبلَها ، عُنِىَ به القصر من عدد الركعات .

وإذ كان لا وجه لذلك ، فقول من قال : « أريد بذلك التقدم والتأخر فى الصلاة ، على نحو صلاة النبى صلى الله عليه وسلم بعسفان »، أبعد .[1] وذلك أنّ الله جل ثناؤه يقول : « ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك » ، وكلتا الطائفتين قد كانت صَلَّت مع النبى صلى الله عليه وسلم ركعته الأولى فى صلاته بعسفان . ومحالٌ أن تكون التى صلَّت مع النبى صلى الله عليه وسلم هى التى لم تصلِّ معه .

فإن ظن ظان أنه أريد بقوله : « لم يصلوا » ، لم يسجدوا = فإن ذلك غير الظاهر المفهوم من معانى « الصلاة » ، وإنما توجه معانى كلام الله جل ثناؤه إلى الأظهر والأشهر من وجوهها ، ما لم يمنع من ذلك ما يجب التسليم له .

وإذْ كان ذلك كذلك = ولم يكن فى الآية أمر من الله تعالى ذكرهُ للطائفة الأولى بتأخير قضاء ما بقى عليها من صلاتها إلى فراغ الإمام من بقية صلاته ،[2] ولا على المسلمين الذين بإزاء العدوّ فى اشتغالها بقضاء ذلك ضرر[3] = لم يكن لأمرها بتأخير ذلك ، وانصرافها قبل قضاء باقى صلاتها عن موضعها ، معنًى .

غير أن الأمر وإن كان كذلك ، فإنا نرى أن من صلاَّها من الأئمة فوافقت صلاته بعض الوجوه التى ذكرناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صلاَّها، فصلاته مجزئة عنه تامة ، لصحّة الأخبار بكل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه

---

(١) قوله : « أبعد » خبر قوله : « فقول من قال » ، والسياق : فقول من قال . . . أبعد .

(٢) فى المطبوعة : « ولم يكن فى الآية أمر من الله عز ذكره للطائفة الأولى » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) قوله : « ولا على المسلمين . . . » معطوف على قوله : « ولم يكن فى الآية أمر . . . » والمعنى : ولم يكن على المسلمين الذين بإزاء العدو . . . ضرر . . . فى اشتغالها بقضاء ذلك .
وسياق الجملة التالية : « وإذ كان ذلك كذلك . . . لم يكن لأمرها بتأخير ذلك . . . معنى » .

وسلم ، وأنه من الأمور التي علّم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته ، ثم أباح لهم العمل بأيّ ذلك شاؤوا .

* * *

قال أبو جعفر : وأما قوله : « ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم » ، فإنه يعني : تمنى الذين كفروا بالله[1] = « لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم » ، يقول: لو تشتغلون بصلاتكم عن أسلحتكم التي تقاتلونهم بها ، وعن أمتعتكم التي بها بلاغكم في أسفاركم فتسهون عنها[2] = « فيميلون عليكم ميلة واحدة » ، يقول : فيحملون عليكم وأنتم مشاغيل بصلاتكم عن أسلحتكم وأمتعتكم حملة واحدة ، فيصيبون منكم غِرّة بذلك ، فيقتلونكم ويستبيحون عسكركم . ١٦٦/٥

يقول جل ذكره : فلا تفعلوا ذلك بعد هذا ، فتشتغلوا جميعكم بصلاتكم إذا حضرتكم صلاتكم وأنتم مواقفو العدو ،[3] فتمكنوا عدوّكم من أنفسكم وأسلحتكم وأمتعتكم، ولكن أقيموا الصلاة على ما بيّنت لكم ، وخذوا من عدوكم حِذْركم وأسلحتكم .

* * *

---

(١) انظر تفسير « ود » فيما سلف ص : ١٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك

(٢) انظر تفسير « غفل » فيما سلف ٢ : ٢٤٤ ، ٣/٣١٦ : ١٢٧ ، ١٨٤ .

(٣) في المطبوعة هنا أيضاً : « موافقو العدو » بتقديم الفاء على القاف ، وهو خطأ ، صوابه ما أثبت ، وقد سلف شرح ذلك فيما مضى ص : ١٣٠ تعليق : ١ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ (١٠٢)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « ولا جناح عليكم » ، ولا حرج عليكم ولا إثم[١] = « إن كان بكم أذى من مطر » ، يقول : إن نالكم [أذى] من مطر تمطرونه وأنتم مواقفو عدوّكم[٢] = « أو كنتم مرضى » ، يقول : أو كنتم جرحى أو أعلاّء[٣] = « أن تضعوا أسلحتكم » ، إن ضعفتم عن حملها ، ولكن إن وضعتم أسلحتكم من أذى مطر أو مرض ، فخذوا من عدوكم = « حذركم » ، يقول : احترسوا منهم أن يميلوا عليكم وأنتم عنهم غافلون غارّون = « إن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً » ، يعنى بذلك : أعدّ لهم عذاباً مُذِلاً يبقون فيه أبداً ، لا يخرجون منه . وذلك هو عذاب جهنم .[٤]

* * *

وقد ذكر أن قوله : « أو كنتم مرضى » نزل فى عبد الرحمن بن عوف ، وكان جريحاً .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٣٧٩ — حدثنا عباس بن محمد قال ، حدثنا حجاج قال ، قال ابن جريج ، أخبرنى يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « إن كان بكم أذًى من مطر أو كنتم مرضى » ، عبد الرحمن بن عوف ، كان جريحاً .

* * *

---

(١) انظر تفسير « جناح » فيما سلف ص : ١٢٣ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) ما بين القوسين زيادة يقتضيها السياق ، وكان فى المطبوعة : « موافقو عدوكم » ، وانظر التعليق السالف ص : ١٦٢ تعليق : ٣ .

(٣) « أعلاء » جمع « عليل » . وكان فى المطبوعة : « يقول : جرحى » ، وأثبت الزيادة من المخطوطة .

(٤) انظر تفسير « مهين » فيما سلف ٨ : ٣٥٥ تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : فإذا فرغتم ، أيها المؤمنون ، من صلاتكم وأنتم مواقفو عدوّكم = التى بيّنّاها لكم ،(١) فاذكروا الله على كل أحوالكم = قياماً وقعوداً ومضطجعين على جنوبكم ، بالتعظيم له ، والدعاء لأنفسكم بالظفر على عدوكم ، لعل الله أن يظفركم وينصركم عليهم . وذلك نظير قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [سورة الأنفال : ٤٥] ، وكما :—

١٠٣٨٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله: « واذكروا الله كثيراً » ،(٢) يقول : لا يفرض الله على عباده فريضة إلا جعل لها حدًّا معلوماً ،(٣) ثم عذر أهلها فى حال عذرٍ ، غيرَ الذكر ، فإن الله لم يجعل له حدًّا ينتهى إليه ، ولم يعذر أحداً فى تركه إلاّ مغلوباً على عقله ، فقال : « فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم » ، بالليل والنهار ، فى البر والبحر ، وفى السفر والحضر ، والغنى والفقر ، والسقم والصحة ، والسرّ والعلانية ، وعلى كل حالٍ .

* * *

(١) انظر تفسير « قضى » فيما سلف ٢ : ٥٤٢ ، ٥٤٣/٤ : ١٩٥ .
وقوله : « التى بينها لكم » ، صفة قوله : « من صلاتكم » .
وكان فى المطبوعة هنا أيضاً : « موافقو عدوكم » ، خطأ . انظر التعليق السالف ص ١٦٣ ، تعليق : ٢

(٢) فى المطبوعة: « فاذكر الله قياماً » ، مكان قوله تعالى : « واذكروا الله كثيراً » ، وهو فى ظنى تصرف من الناشر ، والصواب من المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « إلا جعل لها جزاء معلوماً » ، وهو خطأ ، والصواب « حداً » كما يدل عليه سياق الكلام ، وسياق المعنى .

وأما قوله : « فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة » ، فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله .

فقال بعضهم : معنى قوله : « فإذا اطمأننتم » ، فإذا استقررتم فى أوطانكم وأقمتم فى أمصاركم[1] = « فأقيموا »، يعنى : فأتموا الصلاة التى أذن لكم بقصرها فى حال خوفكم فى سفركم وضربكم فى الأرض .[2]

* ذكر من قال ذلك :

١٠٣٨١ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد فى قوله : « فإذا اطمأننتم » ، قال : الخروج من دارِ السفر إلى دار الإقامة .

١٠٣٨٢ - حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله : « فإذا اطمأننتم » ، يقول : إذا اطمأننتم فى أمصاركم ، فأتموا الصلاة .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : فإذا استقررتم » = «فأقيموا الصلاة» ، أى: فأتموا حدودَها بركوعها وسجودها .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٣٨٣ - حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فإذا اطمأننتم » ، قال: فإذا اطمأننتم بعد الخوف .

١٠٣٨٤ - وحدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة» ، قال : فإذا اطمأننتم فصلُّوا الصلاة ، لا تصلُّها راكباً ولا ماشياً ولا قاعداً .[3]

---

(١) وانظر تفسير « الاطمئنان » فيما سلف ٥ : ٤٩٢ .

(٢) فى المخطوطة : « فأقيموا الصلاة التى أذن . . . » ليس فيها « يعنى : فأتموا » .

(٣) انظر تفسير « إقامة الصلاة » فيما سلف ١ : ٢٤١ ، وفهارس اللغة فى الأجزاء السالفة .

١٠٣٨٥ – حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله: « فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة »، قال : أتموها . ١٦٧/٥

١٠٣٨٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بتأويل الآية ، تأويل من تأوّله : فإذا زال خوفكم من عدوكم وأمنتم ، أيها المؤمنون ، واطمأنت أنفسكم بالأمن = « فأقيموا الصلاة » ، فأتموا حدودَها المفروضة عليكم ، [1] غير قاصريها عن شيء من حدودها .

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية، لأن الله تعالى ذكره عرّف عباده المؤمنين الواجبَ عليهم من فرض صلاتهم بهاتين الآيتين في حالين :

إحداهما : حالُ شدة خوف، أذن لهم فيها بقصر الصلاة، على ما بيّنت من قصر حدودها عن التمام .

والأخرى : حالُ غير شدة الخوف ، أمرهم فيها بإقامة حدودها وإتمامها ، على ما وصفه لهم جل ثناؤه، من معاقبة بعضهم بعضاً في الصلاة خلف أئمتهم ، وحراسة بعضهم بعضاً من عدوهم . وهي حالة لا قصر فيها ، لأنه يقول جل ثناؤه : لنبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الحال : « وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة ». فمعلوم بذلك أن قوله : « فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة » ، إنما هو : فإذا اطمأننتم من الحال التي لم تكونوا مقيمين فيها صلاتكم ، فأقيموها . وتلك حالة شدة الخوف، لأنه قد أمرهم بإقامتها في حال غير شدة الخوف بقوله: « وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة » الآية .

* * *

(١) في المطبوعة : « فأتموها بحدودها » ، غير ما في المخطوطة مسيئاً في تغييره .

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾ (١٠٣)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : معناه : إن الصلاة كانت على المؤمنين فريضة مفروضة .(١)

* ذكر من قال ذلك :

١٠٣٨٧ – حدثنى أبو السائب قال، حدثنا ابن فضيل ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية العوفى فى قوله : « إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً »، قال : مفروضاً .(٢)

١٠٣٨٨ – حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله: « إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً »، قال : مفروضاً، « الموقوت »، المفروض .(٣)

١٠٣٨٩ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : أما « كتاباً موقوتاً »، فمفروضاً .

١٠٣٩٠ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد : « كتاباً موقوتاً » ، قال : مفروضاً .(٤)

---

(١) انظر تفسير « كتاب » فيما سلف ٣ : ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٤/٤٠٩ : ٢٩٥ ، ٥/٢٩٧ : ٣٠٠ ، وغيرها من المواضع فى فهارس اللغة .

(٢) فى المطبوعة : « كتاباً موقوتاً ، قال : فريضة مفروضة » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) الأثر : ١٠٣٨٨ – كان إسناد هذا الأثر فى المطبوعة : « حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى على ، عن ابن عباس : إن الصلاة . . . » . وأثبت الإسناد الذى فى المخطوطة .

ومع ذلك فالإسناد الذى فى المطبوعة فيه خطأ ، فإنه أسقط بين « حدثنا عبد الله بن صالح » وبين « قال حدثنى على » ما لا ينبغى إسقاطه وهو : « قال حدثنى معاوية » ، فهذا إسناد دائر فى التفسير ، أقربه رقم : ١٠٣٨٠ .

(٤) الأثر : ١٠٣٩٠ – هذا الأثر مقدم على الذى قبله فى المخطوطة .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : إن الصلاة كانت على المؤمنين فرضاً واجباً .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٣٩١ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية ، عن أبي رجاء، عن الحسن في قوله :« إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً »، قال : كتاباً واجباً .

١٠٣٩٢ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « كتاباً موقوتاً » ، قال : واجباً .

١٠٣٩٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

١٠٣٩٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن معمر بن سام ، عن أبي جعفر في قوله : « كتاباً موقوتاً » ، قال : مُوجَبًا . (١)

---

(١) الأثر : ١٠٣٩٤ – « معمر بن سام » ، يقال هو منسوب إلى جده وهو « معمر ابن سام بن موسى » أو : « معمر بن يحيي بن سام »، روى عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ، وعن أخيه أبان بن يحيي بن سام ، وفاطمة بنت علي . روى عنه وكيع ، وأبو أسامة ، وأبو نعيم . سئل أبو زرعة عن « معمر بن يحيي بن سام » فقال: كوفي ثقة . مترجم في التهذيب، وفي الكبير ٤/١/٣٧٧ « معمر بن يحيي بن سام » ، وفي ٤/١/٣٧٨ « معمر بن موسى بن سام » ، وهما ترجمة واحدة . وفي الجرح والتعديل ٤/١/٢٥٨ وسيأتي في رقم : ١٠٣٩٦ ، « معمر بن يحيي » .

وكان في المطبوعة : « معمر بن هشام » وهو خطأ محض ، وفي المخطوطة « معمر بن شام » ، والصواب ما أثبت .

و « أبو جعفر » هو: أبو جعفر الباقر « محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب » ، كان ثقة كثير الحديث ، وذكره النسائي في فقهاء أهل المدينة من التابعين . وقال الزبير بن بكار : « كان يقال لمحمد : باقر العلم » .

وكان في المخطوطة : « موقوتا قال : موجوبا » وهي غريبة لا يجيزها الاشتقاق ، وكأن الناسخ سها ، وغلب عليه وزن « موقوتا » ، فكتب « موجوبا » ، والذي في المطبوعة هو الصواب إن شاء الله . أو تكون كما يجيء في الأثر رقم : ١٠٣٩٦ « موقوتاً : وجوبها » فكتبها الناسخ « موجوبا » ، وقرأها كذلك خطأ أو سهواً .

١٠٣٩٥ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً » ، و« الموقوت »، الواجب .

١٠٣٩٦ – حدثني أحمد بن حازم قال، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا معمر ابن يحيى قال ، سمعت أبا جعفر يقول : « إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً » ، قال : وجوبها .(١)

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً ، منجَّماً يؤدُّونها في أنجمها .(٢)

* ذكر من قال ذلك :

١٠٣٩٧ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً » ، قال : قال ابن مسعود : إن للصلاة وقتاً كوقت الحجّ .

١٠٣٩٨ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن زيد بن أسلم في قوله : « إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً » ، قال: منجَّماً ، كلما مضى نجم جاء نَجْم آخر. يقول: كلما مضى وقت جاء وقت آخر .

١٠٣٩٩ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن

---

(١) الأثر : ١٠٣٩٦ – « معمر بن يحيى » هو « معمر بن سام » الذي سلف في الأثر : ١٠٣٩٤ ، وانظر التعليق السالف .

(٢) « النجم » هو الوقت المضروب ، يقال : « جعلت مالي على فلان نجوماً منجمة ، يؤدي كل نجم في شهر كذا » ، وهو القسط أو الوظيفة يؤديها عند حلول وقتها مشاهرة أو مساناة . وجمع « نجم » « نجوم » و « أنجم » ، و « نجم المال والدين ينجمه تنجيماً » . وانظر تفسير ذلك في الأثر التالي رقم : ١٠٣٩٨ .

١٦٨/٥ أبي جعفر الرازي ، عن زيد بن أسلم ، بمثله .

* * *

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال قريب معنى بعضها من بعض . لأن ما كان مفروضاً فواجب ، وما كان واجباً أداؤه في وقت بعد وقت فمنجَّم .

غير أن أولى المعاني بتأويل الكلمة ، قول من قال : « إن الصلاة كانت على المؤمنين فرضاً منجَّماً » ، لأن « الموقوت » إنما هو « مفعول » من قول القائل : « وَقَّتَ الله عليك فرضه فهو يَقِّته » ، ففرضه عليك « موقوت » ، إذا أخرته ، جعل له وقتاً يجب عليك أداؤه .[1] فكذلك معنى قوله : « إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً » ، إنما هو : كانت على المؤمنين فرضاً وقَّت لهم وقتَ وجوب أدائه ، فبيَّن ذلك لهم .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾

قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بقوله : « ولا تهنوا » ، ولا تضعفوا .

* * *

من قولهم : « وهَنَ فلان في هذا الأمر يَهِن وَهْنًا ووُهُونًا » .[2]

* * *

وقوله : « في ابتغاء القوم » ، يعني : في التماس القوم وطلبهم ،[3] و « القوم »

---

(١) في المطبوعة : « إذا أخبر أنه جعل له وقتاً . . . » وهو كلام غسيل من كل معنى . وفي المخطوطة : « إذا احرامه » غير منقوطة ، وبزيادة ألف بعد الراء ، وصواب قراءتها ما أثبت ، وهو صواب المعنى أيضاً .

(٢) انظر تفسير « وهن » فيما سلف ٧ : ٢٣٤ ، ٢٦٩ ، و « الوهون » مصدر لم تنص عليه أكثر كتب اللغة ، ولم يذكره أبو جعفر فيما سلف ٧ : ٢٣٤ .

(٣) انظر تفسير « الابتغاء » فيما سلف ص : ٧١ تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

هم أعداء الله وأعداء المؤمنين من أهل الشرك بالله = « إن تكونوا تألمون » ، يقول : إن تكونوا أيها المؤمنون، تَيْجعون مما ينالكم من الجراح منهم فى الدنيا،[1] = « فإنهم يألمون كما تألمون »، يقول: فإن المشركين يَيْجعون مما ينالهم منكم من الجراح والأذى مثل ما تَيجعون أنتم من جراحهم وأذاهم فيها = « وترجون »، أنتم أيها المؤمنون = « من الله » من الثواب على ما ينالكم منهم= « ما لا يرجون »هم على ما ينالهم منكم . يقول: فأنتم = إذ كنتم موقنين من ثواب الله لكم على ما يصيبكم منهم،[2] بما هم به مكذّبون = أولى وأحرَى أن تصبروا على حربهم وقتالهم ،منهم على قتالكم وحربكم ،وأن تجِدُّوا فى طلبهم وابتغائهم ،لقتالهم على ما يَهنون فيه ولا يَجِدّون، فكيف على ما جَدُّوا فيه ولم يهنوا ؟ [3]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٤٠٠ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ولا تَهنوا فى ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون » ، يقول : لا تضعفوا فى طلب القوم، فإنكم إن تكونوا تيجعون ، فإنهم ييجعون كما تيجعون ، وترجون من الله من الأجر والثواب ما لا يرجون .

---

(١) يقال : « وجع الرجل يوجع وييجع وياجع وجعا » ، كله صواب جيد .

(٢) فى المطبوعة : « إن كنتم موقنين » ، وهو خطأ ، صوابه ما فى المخطوطة . وهذه الجملة بين الخطين ، معترضة بين المبتدأ والخبر . والسياق : « فأنتم . . . أولى وأحرى أن تصبروا » .

(٣) فى المطبوعة : « فإن تجدوا من طلبهم وابتغائهم لقتالهم على ما تهنون هم فيه ولا تجدون ، فكيف على ما وجدوا فيه ولم يهنوا » ، وهو كلام لا معنى له ، وضع عليه ناشر الطبعة الأولى رقم (٣) دلالة على اضطراب الكلام .

وفى المخطوطة : « وإن تجدوا من طلبهم وابتغائهم لقتالهم على ما يهنون ولا تجدون ، فكيف على فاجدوا فيه ولم يهنوا » ! وهى أشد اضطراباً وفساداً لعدم نقطها . وصواب قراءتها ما أثبت .

وسياق هذه العبارة كلها: « فأنتم . . . أولى وأحرى أن تصبروا على حربهم وقتالهم . . . وأن تجدوا فى طلبهم وابتغائهم ، لقتالهم على ما يهنون ... » أى : لكى يقاتلوهم على الأمر الذى لا يجدون فيه جداً لا وهن معه .

١٠٤٠١ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولا تهنوا فى ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون » ، قال يقول : لا تضعفوا فى طلب القوم ، فإن تكونوا تيجعون الجراحات ، [1] فإنهم يَيْجعون كما تيجعون .

١٠٤٠٢ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ولا تهنوا فى ابتغاء القوم » ، لا تضعفوا .

١٠٤٠٣ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « ولا تهنوا » ، يقول : لا تضعفوا . [2]

١٠٤٠٤ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ولا تهنوا فى ابتغاء القوم »، قال يقول : لا تضعفوا عن ابتغائهم =« إن تكونوا تألمون » القتال = « فإنهم يألمون كما تألمون » . وهذا قبل أن تصيبهم الجراح [3] = إن كنتم تكرهون القتال فتألمونه = « فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون » ، يقول : فلا تضعفوا فى ابتغائهم بمكان القتال . [4]

١٠٤٠٥ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « إن تكونوا تألمون »، توجعون .

١٠٤٠٦ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج « إن تكونوا تألمون » ، قال : توجعون لما يصيبكم منهم ، فإنهم يوجعون

---

(١) فى المطبوعة : « تيجعون من الجراحات » بزيادة « من » ، والذى فى المخطوطة صواب .

(٢) هذا الأثر لم يتم فى المخطوطة ، فقد انتهت الصحيفة بقوله تعالى « فلا تهنوا »، ثم قلب الوجه الآخر وكتب « فى ابتغاء القوم ... »، وساق بقية الخبر التالى وأسقط إسناده . وتركت ما فى المطبوعة على حاله ، وهو الصواب بلا شك .

(٣) فى المطبوعة : « قال : وهذا . . . » بزيادة « قال » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٤) فى المطبوعة : « مكان القتال » ، وفى المخطوطة : « بمكان القتال » ، وهذا صواب قراءتها ، يعنى : بجدهم فى التماس القوم فى المعركة .

كما توجعون ، وترجون أنتم من الثواب فيما يصيبكم ما لا يرجون .

١٠٤٠٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا حفص بن عمر قال ، حدثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما كان قتال أُحُد ، وأصابَ المسلمين ما أصاب ، صعد النبيّ صلى الله عليه وسلم الجبل، فجاء أبو سفيان فقال: « يا محمد، ألا تخرج ؟ ألا تخرج ؟[1] الحرب سِجَال، يوم لنا ويوم لكم » . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : أجيبوه . فقالوا : « لا سواء، لا سواء ،[2] قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار». فقال أبو سفيان: « عُزَّى لنا ولا عُزَّى لكم »،[3] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قولوا له: « الله مولانا ولا مولى لكم » . قال أبو سفيان: « أُعْلُ هُبَل، أُعْلُ هبل » ![4] فقال ١٦٩/٥ رسول الله صلى الله عليه وسلم : قولوا له: « الله أعلى وأجل» ! فقال أبو سفيان: « موعدنا وموعدكم بدر الصغرى » ، ونام المسلمون وبهم الكلوم[5] = وقال عكرمة: وفيها أنزلت : ﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [سورة آل عمران : ١٤٠]، وفيهم أنزلت : « إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليماً حكيماً » .[6]

١٠٤٠٨ – حدثني يحيى بن أبي طالب قال، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون » ،

---

(١) فى المطبوعة : « لا جرح إلا بجرح »، أساء قراءة المخطوطة إذ كانت غير منقوطة ، فكتبها كما كتب !! ولا معنى له . وقوله : « الحرب سجال » ، أى : مرة لهذا ومرة لهذا .

(٢) فى المطبوعة ، حذف « لا سواء » الثانية ، لأن الناسخ كان قد كتب شيئاً ثم ضرب عليه ، فاختلط الأمر على الناشر الأول ، فحذف .

(٣) « العزى » صنم كان لقريش وبنى كنانة .

(٤) و « هبل » صنم كان فى الكعبة لقريش . وقد مضى تفسير « اعل هبل » ٧ : ٣١٠ ، وخطأ من ضبطه « أعل » بهمز الألف وسكون العين وكسر اللام ، وأن الصواب أنها من « علا يعلو » .

(٥) « الكلوم » جمع « كلم » (بفتح وسكون) : الجرح . و « الكليم » : الجريح .

(٦) الأثر : ١٠٤٠٧ – مضى برقم : ٧٠٩٨ ، وجاء فيه على الصواب ، ومنه ومن المخطوطة صححت ما سلف .

قال : يبجعون كما تبجعون .

* * *

وقد ذُكر عن بعضهم أنه كان يتأول ،(١) قوله : « وترجون من الله ما لا يرجون » ، وتخافون من الله ما لا يخافون ، من قول الله : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ ﴾ [سورة الجاثية : ١٤] ، بمعنى : لا يخافون أيام الله .

* * *

وغير معروف صرف « الرجاء » إلى معنى « الخوف » فى كلام العرب ، إلا مع جحد سابق له ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً ﴾ [سورة نوح : ١٣] ، بمعنى : لا تخافون لله عظمة ، وكما قال الشاعر :(٢)

لَا تَرْتَجِى حِينَ تُلَاقِى الذَّائِدَا أَسْبَعَةً لَاقَتْ مَعًا أُمْ وَاحِدَا(٣)

وكما قال أبو ذؤيب الهُذَلىّ :

إِذَا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَهَا وَخَالَفَهَا فِى بَيْتِ نُوبٍ عَوَامِلِ(٤)

---

(١) فى المطبوعة : « وقد ذكرنا عن بعضهم » وهو خطأ لا شك فيه ، صوابه فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « الشاعر الهذلى » ، وهو خطأ نقل نسبة أبى ذؤيب فى البيت بعده إلى هذا المكان . ولم أعرف هذا الراجز من يكون ، وإن كنت أخشى أن يكون الرجز لأبى محمد الفقعسى .

(٣) معانى القرآن للفراء ١ : ٢٨٦ ، والأضداد لابن الأنبارى : ٩ ، واللسان (رجا) .

(٤) ديوانه : ١٤٣ ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٢٨٦ ، وسيأتى فى التفسير ١١ : ٦٢/٢٥ : ٨٣/٢٩ : ٦٠ (بولاق) . يروى : « إذا لسعته الدبر » ، وتأتى روايته فى التفسير « نوب عواسل » أيضاً .

وهذا البيت من قصيدة له ، وصف فيها مشتار العسل من بيوت النحل ، فقال قبل هذا البيت :

تَدَلَّى عَلَيْهَا بِالْحِبَالِ مُوَثَّقًا شَدِيدُ الْوِصَاةِ نَابِلٌ وَابْنُ نَابِلِ

فَلَوْ كَانَ حَبْلاً مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً وَسَبْعِينَ بَاعاً ، نَالَهَا بِالْأَنَامِلِ

يقول : تدلى على هذه النحل مشتار موثق بالحبال ، شديد الوصاة والحفظ لما ائتمن عليه ، حاذق وابن حاذق بما مرن عليه وجربه . ثم ذكر أنه لا يخاف لسع النحل ، إذا هو دخل عليها فهاجت عليه لتلسعه .

وقوله : « فخالفها » ، أى دخل بيتها ليأخذ عسلها ، وقد خرجت إليه حين سمعت حسه ، فخالفها إلى بيوت عسلها غير هياب لسعها . ويروى « حالفها » بالحاء ، أى : لازمها ، ولم يخش لسعها . و « النوب » جمع « نائب » وهو صفة النحل ، أى : إنها ترعى ثم تنوب إلى بيتها لتضع عسلها ، تجىء وتذهب . و « العواسل » ، هى التى تعمل العسل . و « العواسل » النحل التى تصنع العسل ، أو ذوات العسل .

وهي فيما بلغنا – لغةٌ لأهل الحجاز يقولونها، بمعنى : ما أبالي، وما أحفِلُ .[١]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (١٠٤)

يعني بذلك جل ثناؤه : ولم يزل الله = « عليماً » بمصالح خلقه = « حكيماً » في تدبيره وتقديره .[٢] ومن علمه، أيها المؤمنون، بمصالحكم عرّفكم = عند حضور صلاتكم وواجب فرض الله عليكم ، وأنتم مواقفو عدوكم[٣] = ما يكون به وصولكم إلى أداء فرض الله عليكم ، والسلامة من عدوكم . ومن حكمته بصّركم ما فيه تأييدكم وتوهينُ كيد عدوكم .[٤]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا (١٠٥) وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (١٠٦)

قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بقوله : « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله »، « إنا أنزلنا إليك » يا محمد = « الكتاب »، يعني : القرآن = « لتحكم بين الناس »، لتقضي بين الناس فتفصل بينهم = « بما أراك الله »،

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٢٨٦ .

(٢) انظر تفسير « كان » و « عليم » و « حكيم » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٣) في المطبوعة : « موافقوا عدوكم »، وقد مضى مثل هذا الخطأ مراراً فيما سلف ص : ١٤٦ ، تعليق : ١ .

(٤) في المطبوعة : « بصركم بما فيه » بزيادة الباء ، وأثبتنا ما في المخطوطة ، وهو صواب .

يعنى : بما أنزل الله إليك من كتابه = « ولا تكن للخائنين خصيما » ، يقول : ولا تكن لمن خان مسلماً أو معاهداً فى نفسه أو ماله = « خصيما » تخاصم عنه ، وتدفع عنه من طالبه بحقّه الذى خانه فيه = « واستغفر الله »، يا محمد، وسَلْه أن يصفح لك عن عقوبة ذنبك فى مخاصمتك عن الخائن من خان مالاً لغيره = « إن الله كان غفوراً رحيماً »، يقول: إن الله لم يزل يصفح عن ذنوب عباده المؤمنين ، بتركه عقوبتهم عليها إذا استغفروه منها = « رحيما » بهم . [1]فافعل ذلك أنت، يا محمد ، يغفر الله لك ما سلف من خصومتك عن هذا الخائن .

* * *

وقد قيل إن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن خاصم عن الخائن ، ولكنه همّ بذلك ، فأمره الله بالاستغفار مما همّ به من ذلك .

* * *

وذكر أن الخائنين الذين عاتب الله جلّ ثناؤه نبيه صلى الله عليه وسلم فى خصومته عنهم : بنو أُبَيْرِق .

* * *

واختلف أهل التأويل فى خيانته التى كانت منه ، فوصفه الله بها .

فقال بعضهم : كانت سرقةً سرقها .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٤٠٩ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله » إلى قوله: « ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله» ، فيما بين ذلك ، فى ابن أبيرق ، [2] ودرعه من حديد ، من يهود ، التى سرق ، [3]

(١) انظر تفسير « الاستغفار » ، و « كان » و « غفور » و « رحيم » فيما سلف فى فهارس اللغة .

(٢) فى المطبوعة : « طعمة بن أبيرق » ، وسيأتى ذكر « طعمة بن أبيرق » فى رقم : ١٠٤١٢ ، ولكنه فى المخطوطة هنا « ابن أبيرق » ، وسترى الاختلاف فى الآثار فى بنى أبيرق هؤلاء .

(٣) قوله « من يهود » أثبتها من المخطوطة .

وقال أصحابه من المؤمنين للنبي : « اعذره فى الناس بلسانك » ، ورموا بالدّرع رجلاً من يهود بريئاً .

١٠٤١٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد نحوه .(١)

١٠٤١١ – حدثنا الحسن بن أحمد بن أبي شعيب أبو مسلم الحرانى قال ، حدثنا محمد بن سلمة قال، حدثنا محمد بن إسحق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن أبيه ، عن جده قتادة بن النعمان قال : كان أهل بيت منا يقال لهم بنو أبيرق: بشر ،وبَشِير ، ومُبَشِّر ،وكان بشير رجلاً منافقاً، وكان يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ينحله إلى بعض العرب ، ثم يقول : « قال فلان كذا »،و«قال فلان كذا »، فإذا سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الشعر قالوا : والله ما يقول هذا الشعر إلا الخبيث ! فقال :(٢) ١٧٠/٥

أَوَ كُلَّمَا قَالَ الرِّجَالُ قَصِيدَةً أُضِمُّوا وَقَالُوا : ابْنُ الأُبَيْرِقِ قَالَهَا!(٣)

قال : وكانوا أهل بيت فاقةٍ وحاجة فى الجاهلية والإسلام ، وكان الناس

---

(١) الأثر : ١٠٤١٠ – هذا الأثر غير ثابت فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « إلا هذا الخبيث » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) فى المخطوطة: « نحلت وقالوا »، وتركت ما فى المطبوعة على حاله ، وقد جاء هذا البيت فى المستدرك للحاكم خطأ :

... ... ضموا إلى بان أبيرق قالها

والذى هنا هو صوابه ، وأنشد بعده هناك :

مُتَخَمِّطِينَ كَأَنَّنِي أَخْشَاهُمُ جَدَعَ الإِلٰهُ أُنُوفَهُمْ فَأَبَانَهَا

هكذا جاء على الإقواء ، على الخلاف بين القافية فى « قالها » و « أبانها » وهو عيب جاء مثله فى الشعر ، لتقارب مخرج اللام والنون ، وأعانه على ذلك وجود الهاء والألف صلة للقافية .

وقوله : « أضموا » أى : غضبوا عليه وحقدوا . وقوله: « متخمطين »، قد غضبوا وهدروا وثاروا وأجلبوا . رجل متخمط : شديد الغضب له ثورة وجلبة . وفى المستدرك : « متخطمين » بتقدم الطاء على الميم ، وهو خطأ ، صوابه ما أثبت .

إنما طعامهم بالمدينة التمر والشَّعير ، وكان الرجل إذا كان له يَسَار فقدمت ضَافِطة من الشأم بالدَّرْمَك ، (١) ابتاع الرجل منها فخصَّ به نفسه . (٢) فأما العِيال ، فإنما طعامهم التمر والشَّعير . فقدمت ضافطة من الشأم ، فابتاع عمى رِفاعة بن زيد حملاً من الدَّرمك ، فجعله فى مَشْرُبة له ، (٣) وفى المشربة سلاح له : دِرْعَان وسيفاهما وما يصلحهما . فعُدِى عليه من تحت الليل ، (٤) فنُقِبَت المشربة ، وأُخِذَ الطعام والسِّلاح . فلما أصبح ، أتانى عمى رفاعة فقال : يا ابن أخى ، تعلَّم أنه قد عُدى علينا فى ليلتنا هذه ، (٥) فنقبت مشرُبتنا ، فذُهِب بسلاحنا وطعامنا ! قال : فتحسَّسنا فى الدار ، (٦) وسألنا ، فقيل لنا : قد رأينا بنى أبيرق استوقدوا فى هذه الليلة ، ولا نرى فيما نراه إلاَّ على بعض طعامكم .

= قال : وقد كان بنو أبيرق قالوا ونحن نسأل فى الدار : والله ما نرى صاحبكم إلاَّ لبيد بن سهل ! = رجلاً منا له صلاح وإسلام . (٧) فلما سمع بذلك لبيد ، اخترط سيفه ثم أتى بنى أبيرق فقال : (٨) والله ليخالطنكم هذا السيف ، أو لتُبَيِّنُنَّ هذه

---

(١) الضافطة : كانوا قوماً من الأنباط يحملون إلى المدينة الدقيق والزيت وغيرهما . ثم قالوا للذى يجلب الميرة والمتاع إلى المدن ، والمكارى الذى يكرى الأحمال « الضافطة » و « الضفاط » . و « الدرمك » هو الدقيق النقى الحوارى ، الأبيض .

(٢) فى المطبوعة : « ابتاع الرجل منهم » ، وفى المخطوطة : « منا » ، وأثبت ما فى المراجع .

(٣) « المشربة » (بفتح الميم وسكون الشين وفتح الراء أو ضمها) : وهى الغرفة ، أو العلية ، أو الصفة بين يدى الغرفة . والمشارب : العلالى .

(٤) فى المراجع الأخرى : « من تحت البيت » ، وكأن الذى فى الطبرى هو صواب الرواية .

(٥) « تعلم » (بتشديد اللام) ، بمعنى : اعلم .

(٦) فى المطبوعة والمخطوطة : « فتجسسنا » بالجيم ، وهى صواب ، وأجود منها بالحاء ، كما فى سائر المراجع . « تحسس الخبر » : تطلبه وتبحثه ، وفى التنزيل : « يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه » .

و « الدار » هنا : المحلة التى تنزلها القبيلة أو البطن منها ، ويعنى بها القبيلة أو البطن ، كما جاء فى الحديث : « ألا أنبئكم بخير دور الأنصار ؟ دور بنى النجار ، ثم دور بنى عبد الأشهل ، وفى كل دور الأنصار خير » . يعنى القبيلة المجتمعة فى محلة تسكنها .

(٧) فى المطبوعة : « رجل » بالرفع ، كأنه استنكر النصب ! وهو صواب محض عال .

(٨) « اخترط سيفه » : سله من غمده .

السرقة . قالوا : إليك عنا أيها الرجل ، فوالله ما أنت بصاحبها ! فسألنا فى الدار حتى لم نشك أنهم أصحابها ، فقال عمى : يا ابن أخى ، لو أتيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له !

= قال قتادة : فأتيت رَسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقلت : يا رسول الله ، إن أهل بيت منا أهلَ جفاءٍ ، [1] عَمَدُوا إلى عمى رفاعة فنقبوا مشرُبة له ، وأخذوا سلاحه وطعامه ، فليردّوا علينا سلاحنا ، فأما الطعام فلا حاجة لنا فيه . [2] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنظر فى ذلك . [3] فلما سمع بذلك بنو أبيرق ، أتوا رجلاً منهم يقال له : « أسير بن عروة » ، فكلموه فى ذلك . واجتمع إليه ناس من أهل الدار ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ، إن قتادة بن النعمان وعمه عَمَدوا إلى أهل بيت منا أهلَ إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بَيِّنةٍ ولا ثَبَتٍ . [4]

= قال قتادة : فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمته ، فقال : عَمدت إلى أهل بيت ذُكر منهم إسلام وصلاح ، ترميهم بالسرقة على غير بينة ولا ثَبَت ! ! قال : فرجعت ولودِدْتُ أنّى خرجت من بعض مالى ولم أكلِّم رَسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك . فأتيت عمى رفاعة ، فقال : يا ابن أخى ، ما صنعت ؟ فأخبرته بما قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : الله المستعان !

= فلم نلبث أن نزل القرآن : « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً » ، يعنى : بنى أبيرق = « واستغفر الله » ، أى : مما قلت لقتادة = « إن الله كان غفوراً رحيماً » ولا تجادل عن الذين يختانون

---

(١) « الجفاء » غلظ الطبع .

(٢) فى المخطوطة : « فلا حاجة لنا به » ، وهما سواء .

(٣) فى المطبوعة : « سأنظر فى ذلك » ، وفى الترمذى وابن كثير : « سآمر فى ذلك » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٤) « الثبت » (بفتحتين) : الحجة والبينة والبرهان .

أنفسهم»، أى : بنى أبيرق= «إن الله لا يحب من كان خوّاناً أثيماً ، يستخفون من الناس إلى قوله : « ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً »، أى : إنهم إن يستغفروا الله يغفر لهم = « ومن يكسب إثماً فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليماً حكيماً ، ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يَرْمِ به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً »، قولهم للبيد = « ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طاعة منهم أن يضلوك » ، يعنى : أسيراً وأصحابه = « وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرُّونك من شىء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة » إلى قوله : « فسوف نؤتيه أجراً عظيماً » .

١٧١/٥ فلما نزل القرآن، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسلاح فردَّه إلى رفاعة .

= قال قتادة : فلما أتيتُ عمى بالسلاح ، وكان شيخاً قد عَسَا فى الجاهلية ، (١) وكنت أرى إسلامه مَدْخولاً ، (٢) فلما أتيته بالسلاح قال : يا ابن أخى ، هو فى سبيل الله . قال : فعرفت أن إسلامه كان صحيحاً . فلما نزل القرآن، لحق بشير بالمشركين ، فنزل على سلافة ابنة سعد بن شُهَيد، (٣) فأنزل الله فيه : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ

---

(١) « عسا فى الجاهلية » أى : كبر وأسن ، من قولهم : « عسا العود » أى : يبس واشتد وصلب .

(٢) « المدخول » ، من « الدخل » (بفتحتين) وهو العيب والفساد والغش ، يعنى أن إيمانه كان فيه نفاق . ورجل مدخول : أى فى عقله دخل وفساد .

(٣) فى المطبوعة : « سلافة بنت سعد بن سهل » ، وفى المخطوطة : « . . . بنت سعد بن سهيل » ، وفى الترمذى وابن كثير « بنت سعد بن سمية » وفى المستدرك : « سلامة بنت سعد بن سهل ، أخت بنى عمرو بن عوف ، وكانت عند طلحة بن أبى طلحة بمكة » .

والصواب الذى لا شك فيه هو ما أثبته ، وقد جاءت على الصواب فى الدر المنثور ، ثم جاءت كذلك فى ديوان حسان بن ثابت .

و « سلافة بنت سعد بن شهيد » أنصارية من بنى عوف بن عمرو بن مالك بن الأوس ، استظهرت نسبها : « سلافة بنت سعد بن شهيد بن عمرو بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو ابن عوف بن مالك بن الأوس » . وذلك من جمهرة الأنساب لابن حزم، ص: ٣١٤، إذ ذكر « عويمر بن سعد بن شهيد بن عمرو . . . » وقال : « له صحبة ، ولاه عمر فلسطين » . ولم أجد فى تراجم الصحابة وسائر المراجع « عويمر بن سعد بن شهيد ». هذا، ولكن نقل ابن حزم صحيح بلا شك . فإن يكن ذلك، فعويمر هذا أخو سلافة هذه .

الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾. فلما نزل على سلافة ، رماها حسان ابن ثابت بأبيات من شعر ،(١) فأخذت رحله فوضعته على رأسها، ثم خرجت فرمتْ به فى الإبطح ،(٢) ثم قالت : أهديتَ إلىّ شعر حسان ! ما كنت تأتينى بخير ! (٣)

و « سلافة بنت سعد بن شهيد الأنصارية » معروفة غير منكورة ، فهى زوج طلحة بن أبى طلحة ، وهى أم مسافع، والجلاس ، وكلاب، بنو طلحة بن أبى طلحة (ابن هشام ٣ : ٦٦) ، وقد قتلوا يوم أحد هم وأبوهم ، قتل مسافعاً والجلاس ، عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح ، حمى الدبر ، فنذرت سلافة : لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن فى قحفه الخمر ! فمنعته الدبر (النحل) حين أرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعوه من سلافة (ابن هشام ٣ : ١٨٠) .

فهذا تحقيق اسمها إن شاء الله ، يصحح به ما فى الترمذى والمستدرك ومن نقل عنهما .

(١) شعر حسان هذا فى ديوانه : ٢٧١ يقول فى أوله يذكر سلافة بالسوء من القول ، قال :

وَمَا سَارِقُ الدِّرْعَيْنِ إِنْ كُنْتَ ذَاكِراً بذى كَرَمٍ من الرجالِ أُوَادِعُهْ
فَقَدْ أَنْزَلَتْهُ بِنْتُ سَعْدٍ ، فَأَصْبَحَتْ يُنَازِعُهَا جِلْدَ اسْتِهَا وَتُنَازِعُهْ

(٢) فى المطبوعة : « فرمته بالأبطح » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو مطابق لما فى الترمذى . و « الأبطح » ، هو أبطح مكة ، أو : بطحاء مكة ، وهو مسيل واديها .

(٣) الأثر : ١٠٤١١ — « الحسن بن أحمد بن أبى شعيب عبد الله بن مسلم الأموى » أبو مسلم الحرانى . من أهل حران ، سكن بغداد . قال الخطيب : « ثقة مأمون » . وذكره ابن حبان فى الثقات وقال: « يغرب » . روى عن محمد بن سلمة . مترجم فى التهذيب، وابن أبى حاتم ١/٢/٢،وتاريخ بغداد ٧ : ٢٦٦ .

وهذا الأثر رواه الترمذى فى السنن ، فى تفسير هذه الآية ، بإسناد الطبرى نفسه ، أعنى عن الحسن بن أحمد بن أبى شعيب . ورواه الحاكم فى المستدرك ٤ : ٣٨٥ ، وخرجه ابن كثير فى تفسير ٢ : ٥٧٤ — ٥٧٦ ، والسيوطى فى الدر ٢ : ٢١٤ ، ٢١٥ ، وزاد نسبته لابن أبى حاتم ، وأبى الشيخ .

وإسناد الحاكم فى المستدرك : « حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس بن بكير ، حدثنى محمد بن إسحق ... »، وساق إسناده مرفوعاً إلى قتادة بن النعمان ، كما فى التفسير والترمذى .

وأشار الخطيب البغدادى إلى هذا الخبر بإسناده : « أخبرنا عثمان بن محمد بن يوسف العلاف ، أخبر محمد بن عبد الله الشافعى قال ، حدثنا عبد الله بن الحسن بن أحمد بن أبى شعيب (وهو أبو شعيب)، حدثنا جدى وأبى جميعاً فقالا ، حدثنا محمد بن سلمة » وساقه كإسناد أبى جعفر .

١٠٤١٢ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله » ، يقول : بما أنزل الله عليك وبيّن لك = «ولا تكن للخائنين خصيماً» ، فقرأ إلى قوله : « إن الله لا يحب من كان خواناً أثيماً » . ذُكر لنا أن هؤلاء الآيات أنزلت فى شأن طُعْمة بن أبيرق، وفيما همّ به نبى الله صلى الله عليه وسلم من عذره ، وبين الله شأن طعمة بن أبيرق ، ووعظ نبيّه وحذّره أن يكون للخائنين خصيماً .

= وكان طعمة بن أبيرق رجلاً من الأنصار ، ثم أحدبنى ظفر ، سرق درعاً لعمّه كانت وديعة عنده ، ثم قذفها على يهودى كان يغشاهم ،[1] يقال له : « زيد بن السمين ».[2] فجاء اليهودى إلى نبى الله صلى الله عليه وسلم يُهْنِف ،[3] فلما رأى ذلك قومه بنو ظفر ، جاؤوا إلى نبى الله صلى الله عليه وسلم ليعذروا صاحبهم ،

وقد ذكر الحافظ بن حجر فى التهذيب أن أبا مسلم الحرانى (الحسن بن أحمد) روى عن أبيه وجده ، وأخشى أن يكون وهم ، وجاءه الوهم من هذا الإسناد لقوله « حدثنى جدى وأبى جميعاً » ، وإنما قائل ذلك هو عبد الله بن الحسن بن أحمد ، لا الحسن بن أحمد .

ثم قال الخطيب البغدادى : « قال أبو شعيب : « قال أبى (يعنى الحسن بن أحمد) : سمعه منى يحيى ابن معين ببغداد فى مسجد الجامع ، وأحمد بن حنبل ، وعلى بن المدينى ، وإسحق بن أبى إسرائيل » . وأما فى ابن كثير ، فقائل هذا : « محمد بن سلمة » ، وهو الصواب .

وقال الحاكم فى المستدرك (ولفظه مخالف لفظ الطبرى) : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه » .

أما الترمذى فقد قال : « هذا حديث غريب ، لا نعلم أحداً أسنده غير محمد بن سلمة الحرانى . وروى يونس بن بكير وغير واحد هذا الحديث عن محمد بن إسحق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، مرسلا ، لم يذكروا فيه : عن أبيه عن جده » .

غير أن الحاكم : رواه كما ترى من طريق يونس بن بكير ، مرفوعاً إلى قتادة بن النعمان .

(١) فى المخطوطة والدر المنثور : « فقدمها » والصواب ما فى المطبوعة .

(٢) فى أسباب النزول للواحدى : ١٣٤ : « زيد بن السمير » بالراء ، وسائر الكتب كما هنا فى المطبوعة والمخطوطة .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « يهتف » بالتاء ، كأنه أراد يصيح ويدعو رسول الله ويناشده . ولكنى رجحت قراءتها بالنون ، من قولهم : « أهنف الصبى إهنافاً » ، إذا تهيأ للبكاء وأجهش . ويقال للرجال : « أهنف الرجل » ، إذا بكى بكاء الأطفال من شدة التذلل . وهذا هو الموافق لسياق القصة فيما أرجح .

وكان نبي الله عليه السلام قد همّ بعُذْره، حتى أنزل الله فى شأنه ما أنزل ، فقال: « ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم » إلى قوله: « ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة » ، يعنى بذلك قومه = « ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً » ، وكان طعمة قذف بها بريئاً . فلما بيّن الله شأن طعمة، نافق ولحق بالمشركين بمكة، فأنزل الله فى شأنه:

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ .

١٠٤١٣ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً » ، وذلك أن نفراً من الأنصار غزوا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض غزواته ، فسرقت درع لأحدهم ، فأظنّ بها رجلاً من الأنصار ،[1] فأتى صاحب الدرع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنّ طعمة بن أبيرق سرق درعى . فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما رأى السارق ذلك، عَمَد إليها فألقاها فى بيت رجل برىء ، وقال لنفر من عشيرته : إنى قد غيّبْتُ الدرعَ وألقيتها فى بيت فلان، وستوجد عنده . فانطلقوا إلى نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ليلاً ،[2] فقالوا : يا نبىّ الله، إن صاحبنا برىء ، وإن سارق الدرع فلان ، وقد أحطْنا بذلك علماً ، فاعذر صاحبنا على رؤوس الناس وجادل عنه، فإنه إلاّ يعصمه الله بك يهلك ![3] فقام رسول الله صلى الله

---

(١) « ظننت الرجل ، وأظننته » ، اتهمته . و « الظنة » (بالكسر) : التهمة .

(٢) « ليلا » غير موجودة فى المخطوطة ، ولكن سيأتى بعد أسطر ما يدل على صواب إثباتها .

(٣) فى المطبوعة : « إن لم يعصمه الله » ، والذى فى المخطوطة ، صواب عريق .

عليه وسلم فبرأه وعذره على رؤوس الناس ، فأنزل الله : « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً » ، يقول : احكم بينهم بما أنزل الله إليك فى الكتاب = « واستغفر الله إنّ الله كان غفوراً رحيماً * ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم » الآية . ثم قال للذين أتوا رسول الله عليه السلام ليلاً : « يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله » إلى قوله : « أم من يكون عليهم وكيلاً » ، يعنى : الذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفين يجادلون عن الخائن = ثم قال : « ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً » ، يعنى : الذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفين بالكذب[1] = ثم قال : « ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً » ، يعنى : السارقَ والذين يجادلون عن السارق .

١٠٤١٤ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله » الآية ، قال : ١٧٢/٥
كان رجل سرق درعاً من حديد فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم وطرحه على يهودى ، فقال اليهودى : والله ما سرقتها يا أبا القاسم ، ولكن طرحت علىّ ! وكان للرجل الذى سرق جيرانٌ يبرّئونه ويطرحونه على اليهودى ويقولون : يا رسول الله ، إن هذا اليهودى الخبيث يكفر بالله وبما جئت به ! قال : حتى مال عليه النبى صلى الله عليه وسلم ببعض القول ، فعاتبه الله عز وجل فى ذلك فقال : « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً * واستغفر الله » بما قلت لهذا اليهودى = « إن الله كان غفوراً رحيماً » = ثم أقبل على جيرانه فقال : « ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا » فقرأ حتى بلغ « أم من يكون عليهم وكيلاً » . قال : ثم عرض التوبة فقال : « ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم

---

(١) فى المطبوعة ، سقط من الناشر من أول قوله : « يجادلون عن الخائن » إلى قوله : « بالكذب » ، فأثبتها من المخطوطة .

يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً * ومن يكسب إثماً فإنما يكسبه على نفسه »، فما أدخلكم أنتم أيها الناس ، على خطيئة هذا تكلّمون دونه = « وكان الله عليماً حكيماً * ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً » ، وإن كان مشركاً = « فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً »، فقرأ حتى بلغ : « لا خير فى كثير من نجواهم »، [1] فقرأ حتى بلغ : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى». قال : أبى أن يقبل التوبة التى عرَض الله له، وخرج إلى المشركين بمكة، فنقب بيتاً يسرقه، [2] فهدمه الله عليه فقتله . فذلك قول الله تبارك وتعالى [3] : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى»، فقرأ حتى بلغ « وساءت مصيراً » = ويقال : هو طعمة بن أبيرق ، وكان نازلاً فى بنى ظَفر .

* * *

وقال آخرون : بل الخيانة التى وصف الله بها من وصفه بقوله : « ولا تكن للخائنين خصيماً » ، جحودُه وديعة كان أودِعها .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٤١٥ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً » ، قال : أما « ما أراك الله » ، فما أوحى الله إليك . قال : نزلت فى طعمة بن أبيرق ، استودعه رجل من اليهود دعاً ، فانطلق بها إلى داره ، فحفر لها اليهودى ثم دفنها . فخالف إليها طعمة فاحتفر عنها فأخذها . فلما جاء اليهودى يطلب درعه ، كافره عنها .[4] فانطلق إلى ناس من

---

(١) سقط من المطبوعة : « فقرأ حتى بلغ : لا خير فى كثير من نجواهم » ، وزاد فى التى بعدها : « حتى بلغ إلى قوله » . وأثبت نص المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « ليسرقه » ، والذى فى المخطوطة صواب معرق .

(٣) فى المطبوعة : « فذلك قوله » ، وأثبت نص المخطوطة .

(٤) « كافره حقه » : جحده ، و « كافره عنه » ، عربى صريح .

اليهود من عشيرته فقال : انطلقوا معى ، فإنى أعرف موضع الدرع . فلما علم بهم طعمة ، أخذ الدرع فألقاها فى دار أبى مُلَيْلٍ الأنصارى . فلما جاءت اليهود تطلب الدرع فلم تقدر عليها ، وقع به طعمة وأناس من قومه فسبُّوه ، وقال : أتخوِّنونى ! فانطلقوا يطلبونها فى داره . فأشرفوا على بيت أبى مليل ، فإذا هم بالدرع . وقال طعمة : أخذها أبو مليل ! وجادلت الأنصار دون طعمة ، وقال لهم : انطلقوا معى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا له يَنْضَح عنى ويكذِّب حجة اليهودى ،[1] فإنى إن أكذِّب كذب على أهل المدينة اليهودى ! فأتاه أناس من الأنصار فقالوا : يا رسول الله ، جادل عن طعمة وأكذب اليهودى . فهمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل ، فأنزل الله عليه : « ولا تكن للخائنين خصيماً * واستغفر الله » مما أردت = « إن الله كان غفوراً رحيماً * ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوّاناً أثيما » = ثم ذكر الأنصار ومجادلتهم عنه فقال : « يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيِّتون ما لا يرضى من القول » ، يقول : يقولون ما لا يرضى من القول[2] = « ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة » = ثم دعا إلى التوبة فقال : « ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً » = ثم ذكر قوله حين قال : « أخذها أبو مليل » فقال : « ومن يكسب إثماً فإنما يكسبه على نفسه » = « ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً » = ثم ذكر الأنصار وإتيانها إياه :[3] أن ينضح عن صاحبهم ويجادل عنه ، فقال : « لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شىء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة » ، يقول : النبوة = ثم ذكر مناجاتهم فيما يريدون ١٧٣/٥

(١) « نضح عنه » : أى ذب عنه ودفع بحجة تنفى عنه ما اتهم به .

(٢) قوله : « يقولون ما لا يرضى من القول » ، غير موجودة فى المخطوطة ، وأخشى أن تكون زيادة من ناسخ . وسيأتى معنى « التبييت » على وجه الدقة فيما يلى ص : ١٩١، ١٩٢ .

(٣) فى المطبوعة : « وإتيانهم إياه » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

أن يكذّبوا عن طعمة، فقال : « لا خير فى كثير من نجواهم إلاّ من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس » . فلما فضح الله طعمة بالمدينة بالقرآن ، هرب حتى أتى مكة، فكفر بعد إسلامه ، ونزل على الحجاج بن عِلاَط السُّلَمى ، فنقب بيت الحجاج ، فأراد أن يسرقه ، فسمع الحجاج خشخشة فى بيته وقعقعةَ جلودٍ كانت عنده ،[1] فنظر فإذا هو بطعمة فقال : ضيفى وابنَ عمى وأردتَ أن تسرقنى ! ! فأخرجه ، فمات بحرّة بنى سُلَيم كافراً ،[2] وأنزل الله فيه : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نُوَلِّه ما تولّى » إلى « وساءت مصيراً » .

١٠٤١٦ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ، قال : استودع رجل من الأنصار طعمةَ بن أبيرق مشرُبة له فيها درع ،[3] وخرج فغاب . فلما قدم الأنصارى فتح مشربته، فلم يجد الدرع ، فسأل عنها طعمة بن أبيرق ، فرمى بها رجلاً من اليهود يقال له زيد بن السمين : فتعلّق صاحب الدرع بطُعمة فى درعه . فلما رأى ذلك قومه ، أتوا النبى صلى الله عليه وسلم فكلموه ليدْرأ عنه ، فهمّ بذلك ، فأنزل الله تبارك وتعالى : « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً ، واستغفر الله إن الله كان غفوراً رحيماً ، ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم »، يعنى : طعمة بن أبيرق وقومه = « ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم فى

---

(١) « الخشخشة » : صوت حركة، تكون من السلاح إذا احتك، والثوب الجديد، ويبيس النبات . و « القعقعة » : أشد من الخشخشة ، صوت يكون من الجلد اليابس ، والسلاح إذا ارتطم بعضه ببعض .

(٢) « حرة بنى سليم » فى عالية نجد . و « الحرة » أرض ذات حجارة سود نخرة ، كأنها أحرقت بالنار .

(٣) المشربة : الغرفة ، كما أسلفت فى التعليق .

الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلاً » ، محمد صلى الله عليه وسلم وقوم طعمة = « ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً » ، محمد وطعمة وقومه = قال : « ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه » الآية ، طعمة = « ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً » ، يعنى زيد بن السمين = « فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً » ، طعمة بن أبيرق = « ولولا فضل الله عليك ورحمته » يا محمد = « لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء » ، قوم طعمة بن أبيرق = « وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً » يا محمد[1] = « لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف » ، حتى تنقضى الآية للناس عامة = « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غيرَ سبيل المؤمنين » الآية . قال : لما نزل القرآن فى طعمة بن أبيرق ، لحق بقريش ورجع فى دينه ، ثم عدا على مشرُبة للحجاج بن عِلاَط البَهْزِىّ ثم السُّلمى ، [2] حليفٌ لبنى عبد الدار ، فنقبها ، فسقط عليه حجر فلَحِج . [3] فلما أصبح أخرجوه من مكة . فخرجَ فلقى ركباً من بَهْرَاء من قضاعة ، فعرض لهم فقال : ابن سبيل مُنْقَطَعٌ به ! فحملوه ، حتى إذا جنَّ عليه الليل عَدَا عليهم فسرقهم ، ثم انطلق . فرجعوا فى طلبه فأدركوه ، فقذفوه بالحجارة حتى مات = قال ابن جريج : فهذه الآيات كلها فيه نزلت إلى قوله : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » ، أنزلت فى طعمة بن أبيرق = ويقولون : إنه رمى بالدرع فى دار أبى مليل

---

(١) فى المطبوعة : « محمد صلى الله عليه وسلم » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة « البهزى » ، وهو تصحيف . ولا يعجبنى هذا ، بل الصحيح أن يقال : « السلمى ثم البهزى » بالتقديم والتأخير ، فإنه « بهز بن امرىء القيس بن بهثة بن سليم بن منصور » ، فبهز بطن من سليم بن منصور .

(٣) « لحج بالمكان » : نشب فيه ولزمه وضاق عليه أن يخرج منه . و « لحج السيف » : نشب فى الغمد فلم يخرج .

ابن عبد الله الخَزْرجي ، فلما نزل القرآن لحق بقريش، فكان من أمره ما كان .

١٠٤١٧ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « لتحكم بين الناس بما أراك الله » ، يقول : بما أنزل عليك وأراكه فى كتابه . ونزلت هذه الآية فى رجل من الأنصار استُودع درعاً فجحد صاحبها ، فخوّنه رجال من أصحاب نبى الله صلى الله عليه وسلم ، فغضب له قومه، وأتوا نبى الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: خوّنوا صاحبنا ، وهو أمين مسلم ، فاعذره يانبى الله وازْجُر عنه ! فقام نبى الله فعذره وكذّب عنه، وهو يرى أنه برىء، وأنه مكذوب عليه ، فأنزل الله بيان ذلك فقال: « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله » إلى قوله : « أم من يكون عليهم وكيلاً »، فبين الله خيانته ، فلحق بالمشركين من أهل مكة وارتدّ عن الإسلام ، فنزل فيه : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى » إلى ١٧٤/٥
قوله : « وساءت مصيراً » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين فى ذلك بما دل عليه ظاهر الآية ، قول من قال : كانت خيانته التى وصفه الله بها فى هذه الآية ، جحودَه ما أودع ، لأن ذلك هو المعروف من معانى « الخيانات » فى كلام العرب . وتوجيه تأويل القرآن إلى الأشهر من معانى كلام العرب ما وجد إليه سبيل ، أولى من غيره .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ (١٠٧)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « ولا تجادل » يا محمد ، فتخاصم = «عن الذين يختانون أنفسهم » ، يعنى : يخوّنون أنفسهم ، يجعلونها خوَنة بخيانتهم ما خانوا من أموال من خانوه مالَه ، وهم بنو أبيرق . يقول : لا تخاصم عنهم من يطالبهم بحقوقهم وما خانوه فيه من أموالهم = « إن الله لا يحب من كان خوّاناً أثيماً » ، يقول : إنّ الله لا يحب من كان من صفته خيَانة الناس فى أموالهم ، وركوب الإثم فى ذلك وغيره مما حرَّمه الله عليه .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل : وقد تقدم ذكر الرواية عنهم .

١٠٤١٨ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم » ، قال : اختان رجل عمَّاله درعاً ، فقذف بها يهوديًّا كان يغشاهم ، فجادل عمُّ الرجل قومه ، فكأن النبي صلى الله عليه وسلم عذره . ثم لحق بأرض الشرك ، فنزلت فيه : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى » الآية .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ (١٠٨)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « يستخفون من الناس » ، يستخفى هؤلاء الذين يختانون أنفسهم، ما أتَوْا من الخيانة ، وركبوا من العار والمعصية[1]= « من الناس » ، الذين لا يقدرون لهم على شىء ، إلا ذكرهم بقبيح ما أتَوْا من فعلهم،[1] وشنيع ما ركبوا من جُرْمهم إذا اطلعوا عليه، حياءً منهم وحذراً من قبيح الأحدوثة = « ولا يستخفون من الله » الذى هو مطلع عليهم ، لا يخفى عليه شىء من أعمالهم ،وبيده العقاب والنَّكال وتعجيل العذاب ،وهو أحق أن يُستحى منه من غيره ، وأولى أن يعظَّم بأن لا يراهم حيث يكرهون أن يراهم أحد من خلقه = « وهو معهم »،يعنى : والله شاهدهم = « إذ يبيتون ما لا يرضى من القول »، يقول : حين يسوُّون ليلاً ما لا يرضى من القول ، فيغيِّرونه عن وجهه ، ويكذبون فيه .

* * *

وقد بينا معنى « التبييت » فى غير هذا الموضع ، وأنه كل كلام أو أمرٍ أصلح ليلاً .[2]

وقد حكى عن بعض الطائيين أن « التبييت » فى لغتهم : التبديل، وأنشد للأسود ابن عامر بن جُوَين الطائى فى معاتبة رجل :[3]

---

(١) فى المطبوعة فى الموضعين : « ما أوتوا » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) انظر ما سلف ٨ : ٥٦٢، ٥٦٣

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « . . . بن جرير » ، والصواب ما أثبت ، والأسود بن عامر ابن جوين الطائى، أبو عامر بن جوين الطائى ، الذى نزل به امرؤ القيس (الأغانى ٨ : ٩٠ ، ٩٥)، وقد ذكرهما ابن دريد فى الاشتقاق : ٢٣٣ وقال : « كانا سيدين رئيسين » ، وذكرهما ابن حزم فى الجمهرة : ٣٧٩ ، وقال فى الأسود بن عامر : « شاعر » ، ثم قال : « فولد الأسود هذا : قبيصة بن الأسود ، وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وَبَيَّتَّ قَوْلِيَ عَبْدَ الْمَلِيـــكِ. قاتلَكَ اللهُ عَبْدًا كَنُودَا ! ![1]

بمعنى : بدّلت قولى .

* * *

وروى عن أبى رزين أنه كان يقول فى معنى قوله : « يبيتون » ، يؤلّفون .

١٠٤١٩ ــ حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى رزين : « إذ يبيتون ما لا يرضى من القول » ، قال : يؤلّفون ما لا يرضى من القول

١٠٤٢٠ ــ حدثنا أحمد بن سنان الواسطى قال ، حدثنا أبو يحيى الحمانى ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى رزين بنحوه .

١٠٤٢١ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن الأعمش ، عن أبى رزين ، مثله .[2]

* * *

قال أبو جعفر : وهذا القول شبيه المعنى بالذى قلناه . وذلك أن « التأليف » هو التسوية والتغيير عما هو به ، وتحويلُه عن معناه إلى غيره .

* * *

وقد قيل : عنى بقوله : « يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله » ، الرهطَ الذين مشوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسألة المدافعة عن ابن أبيرق والجدال عنه ،[3] على ما ذكرنا قبل فيما مضى عن ابن عباس وغيره .

* * *

= « وكان الله بما يعملون محيطاً » يعنى جل ثناؤه : وكان الله بما يعمل هؤلاء

---

(١) لم أجد البيت فى مكان ، وكنت أعرفه ولكن غاب عنى مكانه ، فأرجو أن أجده وألحق به بيانه فى طبعة أخرى ، أو فى كتاب آخر .

(٢) الآثار : ١٠٤١٩ – ١٠٤٢١ – « أبو رزين » هو « أبو رزين الأسدى » : « مسعود بن مالك » ، مضى برقم : ٤٢٩١ – ٤٢٩٤ ثم : ٤٧٩١ – ٤٧٩٣ .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « بنى أبيرق » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

المستخفون من الناس، فيما أتَوْا من جرمهم، حياءً منهم، من تبييتهم ما لا يرضى ١٧٥/٥
من القول، وغيره من أفعالهم = « محيطاً »، محصياً لا يخفى عليه شيء منه، حافظاً لذلك عليهم، حتى يجازيهم عليه جزاءهم.[١]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ (١٠٩)

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: « ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا »، ها أنتم الذين جادلتم،[٢] يا معشر من جادل عن بني أبيرق = « في الحياة الدنيا » = و« الهاء » و« الميم » في قوله: « عنهم » من ذكر الخائنين.

= « فمن يجادل الله عنهم »، يقول: فمن ذا يخاصم الله عنهم = « يوم القيامة »، أي: يوم يقوم الناس من قبورهم لمحشرهم،[٣] فيدافع عنهم ما الله فاعل بهم ومعاقبهم به. وإنما يعني بذلك: إنكم أيها المدافعون عن هؤلاء الخائنين أنفسهم، وإن دافعتم عنهم في عاجل الدنيا، فإنهم سيصيرون في آجل الآخرة إلى من لا يدافع عنهم عنده أحد فيما يحلُّ بهم من أليم العذاب ونكال العقاب.

= وأما قوله: « أم من يكون عليهم وكيلاً »، فإنه يعني: ومن ذا الذي يكون على هؤلاء الخائنين وكيلاً يوم القيامة = أي: ومن يتوكل لهم في خصومة ربهم عنهم يوم القيامة.

* * *

وقد بينا معنى: « الوكالة »، فيما مضى، وأنها القيام بأمر من توكل له.[٤]

* * *

(١) انظر تفسير « الإحاطة » و« محيط » فيما سلف ٢ : ٥/٢٨٤ : ٧/٣٩٦ : ١٥٨.
(٢) انظر ما قاله : في « ها أنتم أولاء » و« ها أنتم هؤلاء » فيما سلف ٧ : ١٥٠، ١٥١.
(٣) انظر تفسير « يوم القيامة » فيما سلف ٢ : ٨/٥١٨ : ٥٩٢.
(٤) انظر تفسير « الوكيل » فيما سلف ٧ : ٨/٤٠٥ : ٥٦٦.

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (١١٠)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ومن يعمل ذنباً ، وهو « السوء »[١]= « أو يظلم نفسه » ، بإكسابه إياها ما يستحق به عقوبة الله= «ثم يستغفر الله » ، يقول : ثم يتوب إلى الله بإنابته مما عمل من السوء وظُلْم نفسه ، ومراجعته ما يحبه الله من الأعمال الصالحة التى تمحو ذنبه وتذهب جرمه =« يجد الله غفوراً رحيماً » ، يقول : يجد ربه ساتراً عليه ذنبه بصفحه له عن عقوبة جرمه ، رحيماً به .[٢]

* * *

واختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية .

فقال بعضهم : عنى بها الذين وصفهم الله بالخيانة بقوله : « ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم » .

* * *

وقال آخرون : بل عنى بها الذين كانوا يجادلون عن الخائنين ،[٣] الذين قال الله لهم : « ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا » ، وقد ذكرنا قائلى القولين كليهما فيما مضى .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا : أنه عنى بها كل من عمل سوءاً أو ظلم نفسه ، وإن كانت نزلت فى أمر الخائنين والمجادلين عنهم الذين ذكر الله أمرَهم فى الآيات قبلها .

* * *

---

(١) انظر تفسير « السوء » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٢) انظر تفسير « استغفر » ، « غفور » ، « رحيم » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٣) فى المطبوعة « الذين يجادلون عن الخائنين » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٤٢٢ – حدثنى محمد بن المثنى قال ، حدثنا ابن أبى عدى ، عن شعبة ، عن عاصم ، عن أبى وائل قال ، قال عبد الله : كانت بنو إسرائيل إذا أصابَ أحدهم ذنباً أصبح قد كُتِب كفارة ذلك الذنب على بابه . وإذا أصاب البولُ شيئاً منه ، قَرَضه بالمقراض .(١) فقال رجل : لقد آتى الله بنى إسرائيل خيراً ! فقال عبد الله : ما آتاكم الله خيرٌ مما آتاهم ، جعل الله الماءَ لكم طهوراً وقال : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾ [سورة آل عمران : ١٣٥] ، وقال : « ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً » .

١٠٤٢٣ – حدثنى يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، حدثنا ابن عون ، عن حبيب بن أبى ثابت قال : جاءت امرأة إلى عبد الله بن مُغَفَّل ، فسألته عن امرأة فَجرت فَحبِلت ، فلما ولدتْ قتلت ولدها ؟ فقال ابن مغفل : ما لها ؟ لها النار ! فانصرفت وهى تبكى ، فدعاها ثم قال : ما أرى أمرَك إلا أحدَ أمرين : « من يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً » ، قال : فَمَسَحت عينها ثم مضت .(٢)

١٠٤٢٤ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم

---

(١) « قرضه » : قصه . و « المقراض » : المقص .

(٢) الأثر : ١٠٤٢٣ – « حبيب بن أبى ثابت الأسدى » مضى برقم : ٩٠١٢ ، ٩٠٣٥ . و « عبد الله بن مغفل المزنى » من مشاهير الصحابة ، وهو أحد البكائين فى غزوة تبوك . وهو أحد العشرة الذين بعثهم عمر ليفقه الناس بالبصرة .

وهذا الخبر من محاسن الأخبار الدالة على عقل الفقيه ، وبصره بأمر دينه ، ونصيحته للناس فى أمور دنياهم .

يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً » ، قال : أخبر الله عبادَه بحلمه وعفوه وكرمه، وسعةِ رحمته ومغفرته ، فمن أذنب ذنباً صغيراً كان أو كبيراً ، ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً ، ولو كانت ذنوبه أعظم من السموات والأرض والجبال .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (١١١)

١٧٦/٥ قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ومن يأت ذنباً على عَمْدٍ منه له ومعرفة به، فإنما يجترح وَبَال ذلك الذنب وضُرّه وخِزْيه وعاره على نفسه، دون غيره من سائر خلق الله .[1] يقول : فلا تجادلوا ، أيها الذين تجادلون، عن هؤلاء الخونة ، فإنكم وإن كنتم لهم عشيرةً وقرابةً وجيراناً ، برآء مما أتوه من الذنب ومن التَّبِعة التى يُتَّبعون بها، وإنكم متى دافعتم عنهم أو خاصمتم بسببهم،[2] كنتم مثلَهم ، فلا تدافعوا عنهم ولا تخاصموا .

=وأما قوله : « وكان الله عليماً حكيماً » ، فإنه يعنى : وكان الله عالماً بما تفعلون ، أيها المجادلون عن الذين يختانون أنفسهم ، فى جدالكم عنهم وغير ذلك من أفعالكم وأفعال غيركم ، وهو يحصيها عليكم وعليهم ، حتى يجازى جميعكم بها = « حكيماً » يقول : وهو حكيم بسياستكم وتدبيركم وتدبير جميع خلقه .[3]

* * *

وقيل : نزلت هذه الآية فى بنى أبيرق. وقد ذكرنا من قال ذلك فيما مضى قبل .[4]

* * *

---

(١) انظر تفسير « كسب » فيما سلف ٨ : ٢٦٧ تعليق : ١ ، والمراجع هناك = وتفسير « الإثم » فيما سلف ٤ : ٣٢٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « فإنكم متى دافعتم . . . » والسياق يقتضى « وإنكم » .

(٣) انظر تفسير « عليم » و « حكيم » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٤) يعنى الآثار السالفة من ١٠٤٠٩ - ١٠٤١٨ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (١١٢)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ومن يعمل خطيئة ، وهى الذنب = « أو إثماً » ،وهو ما لا يحلّ من المعصية .(١)

* * *

وإنما فرق بين « الخطيئة » و « الإثم » ،لأن « الخطيئة » ، قد تكون من قبل العَمْد وغير العمد ، و « الإثم » لا يكون إلاّ من العَمْد، ففصل جل ثناؤه لذلك بينهما فقال: ومن يأت « خطيئة » على غير عمد منه لها = « أو إثماً » على عمد منه .

* * *

=«ثم يرم به بريئاً» ،(٢) يعنى : ثم يُضيف ماله من خطئه أو إثمه الذى تعمده(٣) = «بريئاً» مما أضافه إليه ونحله إياه = «فقد احتمل بُهتاناً وإثماً مبيناً » ،يقول :(٤) فقد تحمّل بفعله ذلك فريَة وكذباً وإثماً عظيماً = يعنى ، وجُرْماً عظيماً ، على علم منه وعمدٍ لما أتى من معصيته وذنبه .

* * *

واختلف أهل التأويل فيمن عنى الله بقوله : « بريئاً » ، بعد إجماع جميعهم على أن الذى رمى البرىءَ من الإثم الذى كان أتاه ، ابن أبيرق الذى وصفنا شأنه قبل .

---

(١) انظر تفسير « خطيئة » فيما سلف ٢ : ١١٠ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

(٢) فى المطبوعة زيادة حذفتها ، كان الكلام : « ثم يرم به بريئاً ، يعنى بالذى تعمده بريئاً ، يعنى . . .» وهو فساد فى التفسير ، فحذفته لذلك وتابعت المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « ثم يصف ما أتى من خطئه . . . » وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو الصواب .

(٤) انظر تفسير « البهتان » فيما سلف ٥ : ٨/٤٣٢ : ١٢٤ .

فقال بعضهم : عنى الله عز وجل بالبرىء ، رجلاً من المسلمين يقال له : « لبيد بن سهل » .(١)

* * *

وقال آخرون : بل عنى رجلاً من اليهود يقال له : « زيد بن السمين » ، وقد ذكرنا الرواية عمن قال ذلك فيما مضى .(٢)

* * *

وممن قال : « كان يهوديًّا » ، ابنُ سيرين .

١٠٤٢٥ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا غندر ، عن شعبة ، عن خالد الحذاء ، عن ابن سيرين : « ثم يرم به بريئاً » ، قال : يهوديًّا .

١٠٤٢٦ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا بدل بن المحبر قال ، حدثنا شعبة ، عن خالد ، عن ابن سيرين، مثله .(٣)

* * *

وقيل : « يرم به بريئاً » ، بمعنى : ثم يرم بالإثم الذى أتى هذا الخائن ، من هو برىء مما رماه به = فـ « الهاء » فى قوله : « به » عائدة على « الإثم » . ولو جعلت كناية من ذكر « الإثم » و « الخطيئة » ، كان جائزاً ، لأن الأفعال وإن اختلفت العبارات عنها ، فراجعة إلى معنى واحد بأنها فعلٌ .(٤)

* * *

=وأما قوله : «فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً » ، فإن معناه : فقد تحمل — هذا الذى رمَى بما أتى من المعصية وركب من الإثم الخطيئة ، مَنْ هو برىء مما رماه به

---

(١) انظر الأثر رقم : ١٠٤١١ .

(٢) انظر رقم : ١٠٤١٢ ، ١٠٤١٦ .

(٣) الأثر : ١٠٤٢٦ — « بدل بن المحبر بن المنبه التميمى اليربوعى » روى عن شعبة ، والخليل بن أحمد صاحب العروض ، وغيرهما . وروى عنه البخارى ، والأربعة بواسطة محمد بن بشار . ثقة .

و « بدل » بفتحتين .

(٤) هذا مختصر مقالة الفراء فى معانى القرآن ١ : ٢٨٦ ، ٢٨٧ .

من ذلك= «بهتاناً»، وهو الفرية والكذب[١]= « وإثماً مبيناً»، يعنى : وِزْراً « مبيناً » ، يعنى : أنه يبين عن أمر متحمِّله وجراءته على ربه ،[٢] وتقدّمه على خلافه فيما نهاه عنه لمن يعرف أمرَه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (١١٣)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « ولولافضل الله عليك ورحمته » ، ولولا أن الله تفضل عليك ، يا محمد ،[٣] فعصمك بتوفيقه وتبيانه لك أمر هذا الخائن، فكففت لذلك عن الجدال عنه ، ومدافعة أهل الحق عن حقهم قِبَلَه = «لهمت طائفة منهم »، يقول : لهمت فرقة منهم،[٤] يعنى : من هؤلاء الذين يختانون أنفسهم = « أن يضلوك » ، يقول: يزلُّوك عن طريق الحق ،[٥] وذلك لتلبيسهم أمر الخائن عليه صلى الله عليه وسلم ، وشهادتهم للخائن عنده بأنه برىء مما ادعى عليه ، ومسألتهم إياه أن يعذره ويقوم بمعذرته فى أصحابه ، فقال الله تبارك وتعالى : وما يضل هؤلاء الذين هموا بأن يضلوك عن الواجب من الحكم فى أمر هذا الخائن درعَ جاره ، « إلا أنفسهم » .

* * *

(١) انظر تفسير «البهتان» فيما سلف ص : ١٩٧ ، تعليق : ٤ .
(٢) انظر تفسير « مبين » فيما سلف ص: ٣، تعليق : ١، والمراجع هناك . وكان فى المطبوعة : « يبين عن أمر عمله » ، والصواب من المخطوطة .
(٣) انظر تفسير « الفضل » فيما سلف من فهارس اللغة .
(٤) انظر تفسير « طائفة » فيما سلف ١٤١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٥) انظر تفسير « الإضلال » فيما سلف ٨ : ٥٠٧ ، تعليق : ١، والمراجع هناك .

فإن قال قائل : ما كان وجه إضلالهم أنفسَهم ؟

١٧٧/٥ قيل : وجهُ إضلالهم أنفسهم : أخذهم بها فى غير ما أباح الله لهم الأخذَ بها فيه من سبله . وذلك أن الله جل ثناؤه قد كان تقدّم إليهم فيما تقدّم فى كتابه على لسان رسوله إلى خلقه ، بالنهى عن أن يتعاونوا على الإثم والعدوان ، والأمر بالتعاون على الحق . فكان من الواجب لله فيمن سعى فى أمر الخائنين الذين وصف الله أمرهم بقوله : « ولا تكن للخائنين خصيماً » ، معاونة من ظلموه ، دون من خاصمهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلب حقه منهم . فكان سعيهم فى معونتهم ، دون معونة من ظلموه ، أخذاً منهم فى غير سبيل الله . وذلك هو إضلالهم أنفسهم الذى وصفه الله فقال : « وما يضلون إلاّ أنفسهم » .

* * *

= « وما يضرونك من شىء » ، وما يضرك هؤلاء الذين هموا لك أن يزلّوك عن الحق فى أمر هذا الخائن من قومه وعشيرته = « من شىء » ، لأن الله مثبِّتك ومسدِّدك فى أمورك ، ومبيِّن لك أمر من سعوا فى إضلالك عن الحق فى أمره وأمرهم ، ففاضِحُه وإياهم .

=وقوله : « وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة » ، يقول : ومن فضل الله عليك ، يا محمد ، مع سائر ما تفضَّل به عليك من نعمه ، أنه أنزل عليك « الكتاب » ، وهو القرآن الذى فيه بيان كل شىء وهدًى وموعظة = « والحكمة » ، يعنى : وأنزل عليك مع الكتاب الحكمة ، وهى ما كان فى الكتاب مجملاً ذكره ، من حلاله وحرامه ، وأمره ونهيه ، وأحكامه ، ووعده ووعيده[1] = « وعلمك ما لم تكن تعلم » من خبر الأولين والآخرين ، وما كان وما هو كائن ، فكل ذلك من فضل الله عليك ، يا محمد ، مُذْ خلقك ،[2] فاشكره على ما أولاك من إحسانه إليك ، بالتمسك بطاعته ،

---

(١) انظر تفسير « الحكمة » فيما سلف ٣ : ٨٧ ، ٨٨ ، ٥/٢١١ : ١٥ ، وغيرها من المواضع فى فهارس اللغة .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : «وما كان وما هو كائن قبل ذلك من فضل الله عليك» ، وهو غير مستقيم ، والصواب ما أثبت ، « فكل » مكان « قبل » .

والمسارعة إلى رضاه ومحبته ، ولزوم العمل بما أنزل إليك فى كتابه وحكمته ، ومخالفة من حاول إضلالك عن طريقه ومنهاج دينه ، فإن الله هو الذى يتولاّك بفضله ، ويكفيك غائلة من أرادك بسوء وحاول صدّك عن سبيله ، كما كفاك أمر الطائفة التى همت أن تضلك عن سبيله فى أمر هذا الخائن . ولا أحد دونه ينقذك من سوءٍ إن أراد بك ، إن أنت خالفته فى شىء من أمره ونهيه ، واتبعت هوى من حاول صدّك عن سبيله .

* * *

وهذه الآية تنبيهٌ من الله نبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم على موضع خطئه ،[1] وتذكيرٌ منه له الواجبَ عليه من حقه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١١٤)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « لا خير فى كثير من نجواهم » ، لا خير فى كثير من نجوى الناس جميعاً = « إلا من أمر بصدقة أو معروف » ، و«المعروف» ، هو كل ما أمر الله به أو ندب إليه من أعمال البر والخير ،[2] = «أو إصلاح بين الناس» ، وهو الإصلاح بين المتباينين أو المختصمين ، بما أباح الله الإصلاح بينهما ،

---

(١) فى المطبوعة : « موضع حظه » ، وهى فى المخطوطة غير منقوطة ، وهذا صواب قراءتها موافقا لسياق القصة .

(٢) انظر تفسير « المعروف » فيما سلف ٣ : ٧/٣٧١ : ١٠٥ ، وغيرهما من المواضع فى فهارس اللغة .

ليتراجعا إلى ما فيه الألفة واجتماع الكلمة ، على ما أذن الله وأمر به .

= ثم أخبر جل ثناؤه بما وعد من فعل ذلك فقال : « ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاةِ الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً » ، يقول : ومن يأمر بصدقة أو معروف من الأمر ، أو يصلح بين الناس = « ابتغاء مرضاة الله » ، يعنى : طلب رضى الله بفعله ذلك[1] = « فسوف نؤتيه أجراً عظيماً » ، يقول : فسوف نعطيه جزاءً لما فعل من ذلك عظيماً ،[2] ولاحدَّ لمبلغ ما سمى الله «عظيماً » يعلمه سواه .[3]

* * *

واختلف أهل العربية فى معنى قوله : « لا خير فى كثير من نجواهم إلاّ من أمر بصدقة » .

فقال بعض نحويي البصرة : معنى ذلك : لا خير فى كثير من نجواهم ، إلاّ فى نجوى من أمر بصدقة = كأنه عطف بـ « مَنْ » على « الهاء والميم » التى فى « نجواهم » .[4]

وذلك خطأ عند أهل العربية ، لأن « إلاّ » لا تعطف على « الهاء والميم » فى مثل هذا الموضع ، من أجل أنه لم ينله الجحد .

* * *

وقال بعض نحويي الكوفة : قد تكون « مَنْ » فى موضع خفض ونصب . أما الخفض ، فعلى قولك : لا خير فى كثير من نجواهم إلا فيمن أمر بصدقة . فتكون « النجوى » على هذا التأويل ، هم الرجال المناجون ، كما قال جل ثناؤه : ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [سورة المجادلة : ٧] ، وكما قال ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾ [سورة الإسراء : ٤٧] .

---

(١) انظر تفسير « الابتغاء » فيما سلف ص : ١٧٠ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الأجر » فيما سلف ص : ١١٣ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « عظيم » فيما سلف ٦ : ٥١٨ .

(٤) فى المطبوعة : « كأنه عطف من » بحذف الباء ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب .

وأما النصب ، فعلى أن تجعل « النجوى » فعلاً ،[1] فيكون نصباً ، لأنه ١٧٨/٥
حينئذ يكون استثناء منقطعاً ، لأن «مَنْ »خلاف « النجوى » ،[2] فيكون ذلك نظير قول الشاعر .[3]

....وَمَا بِالرَّبْعِ مِنْ أَحَدِ
إِلَّا أَوَارِيَّ لَأْيًا مَا أُبَيِّنُهَا .....[4]

وقد يحتمل « مَنْ » على هذا التأويل أن يكون رفعاً ، كما قال الشاعر :[5]

وَبَلْدَةٍ لَيْسَ بِهَا أَنِيسُ إِلَّا اليَعَافِيرُ وَإِلَّا العِيسُ[6]

* * *

(١) قوله : « فعلا » أى مصدراً .

(٢) فى المطبوعة : « لأنه من خلاف النجوى » ، والصواب المحض من المخطوطة .

(٣) هو النابغة الذبيانى .

(٤) مضى الشعر وتخريجه وتمامه فيما سلف ١ : ١٨٣ ، ٥٢٣ ، وهو فى معانى القرآن للفراء ١ : ٢٨٨ .

(٥) هو جران العود النميرى .

(٦) ديوانه : ٥٢ ، سيبويه ١ : ١٣٣ ، ٣٦٥ ، معانى القرآن للفراء ١ : ٢٨٨ ، ومجالس ثعلب : ٣١٦ ، ٤٥٢ ، الخزانة ٤ : ١٩٧ ، والعينى (هامش الخزانة) ٣ : ١٠٧ ، وسيأتى فى التفسير ١٢ : ٢٧/٢٨ : ٣٩ (بولاق)، ثم فى مئات من كتب النحو والعربية. ورواية هذا الشعر فى ديوانه :

قَدْ نَدَعُ المَنْزِلَ يا لَمِيسُ يَعْتَسُّ فيه السَّبُعُ الجَرُوسُ
الذِّئْبُ ، أو ذُ لِبَدٍ هَمُوسُ بَسَا بِسًا ، لَيْسَ بِهِ أَنِيسُ
إِلَّا اليَعَافِيرُ وَإِلَّا العِيسُ وَبَقَرٌ مُلَمَّعٌ كُنُوسُ
كَأَنَّمَا هُنَّ الجَوَارِى المِيسُ

« يعتس » : يطلب ما يأكل ، « الجروس » هنا الشديد الأكل ، وأخطأ صاحب الخزانة فقال : « من الجرس ، وهو الصوت الخفى » ، وليس ذلك من صفات الذئب ، وحسبه عواؤه إذا جاع ، نفياً لوصفه بخفاء الصوت ! ، وقد بين فى البيت الثالث أنه يعنى « الذئب » . و « ذو لبد » هو الأسد و « اللبدة » ما بين كتفيه من الوبر . « هموس » من صفة الأسد ، يقال تارة : هو الذى يمشى مشياً يخفيه ، فلا يسمع صوت وطئه . ويقال تارة أخرى : شديد الغمز بضرسه فى أكله . وهذا

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب فى ذلك، أن تجعل « من » فى موضع خفض ، بالردّ على « النجوى » = وتكون « النجوى » بمعنى جمع المتناجين، خرج مخرج « السكرى » و « الجرحى » و « المرضى » . وذلك أن ذلك أظهر معانيه .

* * *

فيكون تأويل الكلام : لا خير فى كثير من المتناجين، يا محمد، من الناس ، إلا فيمن أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ، فإن أولئك فيهم الخير .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ (١١٥)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « ومن يشاقق الرسول »، ومن يباين الرسولَ محمداً صلى الله عليه وسلم ، معادياً له ، فيفارقه على العداوة له[1] = « من بعد ما تبين له الهدى » ، يعنى : من بعد ما تبين له أنه رسول الله ، وأن ما جاء به من عند الله يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم = « ويتبع غير سبيل المؤمنين » ، يقول : ويتبع طريقاً غير طريق أهل التصديق ، ويسلك منهاجاً غير

هو المراد هنا ، فإنه أراد ذكر خلاء هذه الديار ، وما فيها من المخاوف. « بسابس » قفار خلاء . وأما رواية : « وبلدة » فإن « البلدة » هنا : هى الأرض القفر التى يأوى إليها الحيوان . و « اليعافير » جمع « يعفور » ، وهو الظبي فى لون التراب . و « العيس » جمع « أعيس » وهو الظبى الأبيض فيه أدمة . « كنوس » جمع « كانس » ، وهو الظبى أو البقر إذا دخل كناسه ، وهو بيته فى الشجر يستتر فيه . و « الميس » جمع « ميساء » ، وهى التى تتبختر وتختال كالعروس فى مشيتها .

ثم انظر الخزانة ، ومجالس ثعلب . وانظر ما سلف كله فى معانى القرآن للفراء ١ : ٢٨٧ ، ٢٨٨ .

(١) انظر تفسير « الشقاق » فيما سلف ٣ : ١١٥ ، ١١٦ ، ٨/٣٣٦ : ٣١٩

منهاجهم ، وذلك هو الكفر بالله ، لأن الكفر بالله ورسوله غير سبيل المؤمنين وغير منهاجهم = « نولّه ما تولّى »، يقول : نجعل ناصره ما استنصره واستعان به من الأوثان والأصنام ،[١] وهى لا تغنيه ولا تدفع عنه من عذاب الله شيئاً ، ولا تنفعه ، كما :—

١٠٤٢٧ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « نوله ما تولى » ، قال : من آلهة الباطل .

١٠٤٢٨ — حدثنى ابن المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

= « ونصله جهنم »، يقول: ونجعله صِلاءَ نار جهنم ،[٢] يعنى : نحرقه بها.

* * *

وقد بينا معنى « الصلى» فيما مضى قبل، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[٣]

* * *

= «وساءت مصيراً » ، يقول وساءت جهنم[٤] = « مصيراً »، موضعاً يصير إليه من صار إليه .[٥]

* * *

ونزلت هذه الآية فى الخائنين الذين ذكرهم الله فى قوله : « ولا تكن للخائنين خصيماً » ، لما أبى التوبة من أبى منهم ، وهو طعمة بن الأبيرق ، ولحق بالمشركين من عبدة الأوثان بمكة مرتدًّا ، مفارقاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه .

* * *

---

(١) انظر تفسير « ولى » فيما سلف ص : ١٧ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) فى المطبوعة : « صلى » بتشديد اليماء ، والصواب من المخطوطة . و « الصلاء » (بكسر الصاد) : الشواء ، لأنه يصلى بالنار .

(٣) انظر ما سلف فى تفسير « الإصلاء » ٨ : ٢٧ — ٢٩ ، ٢٣١ ، ٤٨٤ .

(٤) انظر تفسير « ساء » فيما سلف ص ١٠١ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٥) انظر تفسير « مصير » فيما سلف ص : ١٠١ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ (١١٦)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : إن الله لا يغفر لطعمة إذ أشرك ومات على شركه بالله ، ولا لغيره من خلقه بشركهم وكفرهم به = « ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء »، يقول : ويغفر ما دون الشرك بالله من الذنوب لمن يشاء . يعنى بذلك جل ثناؤه : أن طعمة لولا أنه أشرك بالله ومات على شركه ، لكان فى مشيئة الله على ما سلف من خيانته ومعصيته ، وكان إلى الله أمره فى عذابه والعفو عنه = وكذلك حكم كل من اجترم جُرْماً ، فإلى الله أمره، إلاّ أن يكون جرمه شركاً بالله وكفراً ، فإنه ممن حَتَمٌ عليه أنه من أهل النار إذا مات على شركه (١) = فأما إذا مات على شركه ، فقد حرَّم الله عليه الجنة ومأواه النار .

* * *

وقال السدى فى ذلك بما :—

١٠٤٢٩ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفصل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » ، يقول : من يجتنب الكبائر من المسلمين .

* * *

١٧٩/٥ وأما قوله : « ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً » ، فإنه يعنى : ومن يجعل لله فى عبادته شريكاً ، فقد ذهب عن طريق الحق وزال عن قصد السبيل ،

---

(١) هذه العبارة التى وضعتها بين الخطين ، معترضة فى سياق الجملة ، وسياقها : أن طعمة لولا أنه مات على شركه . لكان فى مشيئة الله على ما سلف من خيانته ومعصيته ، وكان إلى الله أمره فى عذابه والعفو عنه . . . فإما إذا مات على شركه . . . » . ولما أخطأ ناشر المطبوعة الأولى قراءة هذه العبارة ، فقد كتب هكذا : « فإنه حتم عليه أنه من أهل النار إذا مات على شركه ، فإذا مات على شركه . . . » فصار الكلام كله لغواً وغلطاً .

ذهاباً بعيداً وزوالاً شديداً ، وذلك أنه بإشراكه بالله فى عبادته قد أطاع الشيطان وسلك طريقه ، [١] وترك طاعة الله ومنهاج دينه . فذاك هو الضلال البعيد والخُسران المبين .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ - إِلَّآ إِنَٰثًا ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : معنى ذلك : إن يدعون من دونه إلا اللاّت والعزى ومَناة ، فسماهن الله « إناثاً » ، بتسمية المشركين إياهنّ بتسمية الإناث .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٤٣٠ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال أخبرنا حصين، عن أبى مالك فى قوله : « إن يدعون من دونه إلا إناثاً » ، قال : اللات والعزى ومناة ، كلها مؤنث .

١٠٤٣١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال، حدثنا هشيم ، عن حصين ، عن أبى مالك بنحوه = إلا أنه قال : كلهنّ مؤنث .

١٠٤٣٢ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « إن يدعون من دونه إلاّ إناثاً » ، يقول : يسمونهم « إناثاً » : لاتٌ ومَنَاة وعُزَّى .

١٠٤٣٣ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد فى قوله : « إن يدعون من دونه إلاّ إناثاً » ، قال : آلهتهم، اللات والعزى ويَسَاف

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « فقد أطاع الشيطان » بزيادة الفاء ، ولا معنى لها هنا .

ونائلة ،[١] إناث ، يدعونهم من دون الله . وقرأ : « وإن يدعون إلاّ شيطاناً مريداً » .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : إن يدعون من دونه إلاّ مَواتاً لا رُوح فيه .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٤٣٤ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « إن يدعون من دونه إلاّ إناثاً »، يقول : مَيْتًا .

١٠٤٣٥ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « إن يدعون من دونه إلاّ إناثاً» ، أي : إلا ميتاً لا رُوح فيه .[٢]

١٠٤٣٦ – حدثني المثنى قال ، حدثنا الحجاج قال ، حدثنا مبارك بن فضالة ، عن الحسن : « إن يدعون من دونه إلاّ إناثاً »، قال :و« الإناث» كل شي ميت ليس فيه روح : خشبة يابسة أو حجر يابس ، قال الله تعالى : « وإن يدعون إلاشيطاناً مريداً » إلى قوله : « فليبتكن آذان الأنعام » .

* * *

وقال آخرون: عنى بذلك أن المشركين كانوا يقولون: «الملائكة بنات الله» .[٣]

* ذكر من قال ذلك :

١٠٤٣٧ – حدثني يحيى بن أبي طالب قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا

---

(١) « إساف » (بكسر الهمزة وفتحها) و « يساف » (بكسر الياء وفتحها) واحد . زعموا أن إساف بن عمرو ، ونائلة بنت سهل ، من جرهم ، وجدا خلوة في الكعبة ، ففجرا فيها ، فمسخهما الله حجرين ، عبدتهما قريش بعد . ويقال : صنمان وضعهما عمرو بن لحي على الصفا والمروة ، وكان يذبح عليهما تجاه الكعبة .

(٢) في المخطوطة : « لا أرواح فيه » بالجمع .

(٣) في المطبوعة : « إن الملائكة . . . » وأثبت ما في المخطوطة .

جويبر ، عن الضحاك في قوله : « إن يدعون من دونه إلاّ إناثاً » ، قال : الملائكة، يزعمون أنهم بنات الله .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : أن أهل الأوثان كانوا يسمون أوثانهم « إناثاً » ، فأنزل الله ذلك كذلك .

* ذكر من قال ذلك : (١)

١٠٤٣٨ – حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنا يزيد بن هرون ، عن نوح ابن قيس ، عن أبي رجاء ، عن الحسن قال :كان لكل حي من أحياء العرب صنم، يسمونها : « أنثى بني فلان » ، (٢) فأنزل الله « إن يدعون من دونه إلاّ إناثاً » .

١٠٤٣٩ – حدثني المثنى قال ، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال، حدثنا نوح ابن قيس قال، حدثنا محمد بن سيف أبو رجاء الحُدّاني قال، سمعت الحسن يقول : كان لكل حي من العرب ، فذكر نحوه . (٣)

* * *

وقال آخرون : « الإناث » في هذا الموضع ، الأوثان .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٤٤٠ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « إناثاً » قال : أوثاناً .

---

(١) من أول الأثر رقم : ١٠٤٣٧ ، إلى هذا الموضع ، ساقط من المخطوطة .

(٢) في كتاب المحتسب لابن جني ، في المسألة رقم : ١٤٣ (وهو مخطوط عندي) عن الحسن : « وهو اسم صنم لحي من العرب ، كانوا يعبدونها ويسمونها : أنثى بني فلان » . فأخشى أن يكون سقط من الناسخ هنا [كانوا يعبدونها] .

(٣) الأثران : ١٠٤٣٨ ، ١٠٤٣٩ – « أبو رجاء » ، « محمد بن سيف الحداني » ، أدرك أنساً ، وروى عن الحسن ، وابن سيرين ، ومطر الوراق ، وعكرمة ، وغيرهم . ثقة . مترجم في التهذيب .

وكان في المطبوعة « الحراني » بالراء ، والصواب من المخطوطة ، بضم الحاء والدال المشددة .

١٠٤٤١ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٠٤٤٢ – حدثنا سفيان قال، حدثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : كان في مصحف عائشة : ﴿ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أُوثَانًا ﴾.

* * *

قال أبو جعفر : روى عن ابن عباس أنه كان يقرؤها : ﴿ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ أُثُنًا ﴾ بمعنى جمع «وثن» فكأنه جمع «وثناً» «وُثُناً»، (١) ثم قلب الواو همزة مضمومة ، كما قيل : « ما أحسن هذه الأُجُوه » ، بمعنى الوجوه = وكما قيل : ﴿ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ » [سورة المرسلات : ١١]، بمعنى : وُقِّتت. (٢)

* * *

وذكر عن بعضهم أنه كان يقرأ ذلك : ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ أُنُثًا﴾ كأنه أراد جمع « الإناث » فجمعها « أنثا » ، كما تجمع « الثمار » « ثُمُرًا ». (٣)

* * *

قال أبو جعفر : والقراءة التي لا نستجيز القراءة بغيرها ، (٤) قراءة من قرأ: ﴿ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا ﴾ ، بمعنى جمع « أنثى »، لأنها كذلك في مصاحف المسلمين ، ولإجماع الحجة على قراءة ذلك كذلك . ١٨٠/٥

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلات التي ذكرت بتأويل ذلك ، إذ كان الصواب عندنا من القراءة ما وصفت ، تأويل من قال : عنى بذلك الآلهة التي كان مشركو العرب يعبدونها من دون الله ويسمونها الإناث من الأسماء، (٥) كاللاّت والعُزَّى ونائلة ومناة ، وما أشبه ذلك .

---

(١) « أثن » (بضم الهمزة والثاء) و « وثن » بجمع « وثنا » (بضم فسكون) و « ووثنا » (بضمتين) ، و « أوثان».

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٢٨٨

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٢٨٩ . و « الثمر » بضم الثاء والميم

(٤) في المطبوعة : « لا أستجيز » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٥) في المطبوعة : « ويسمونها بالإناث» ، وما في المخطوطة أجود عربية .

وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية ، لأن الأظهر من معانى « الإناث » فى كلام العرب ، ما عُرِّف بالتأنيث دون غيره . فإذ كان ذلك كذلك ، فالواجب توجيه تأويله إلى الأشهر من معانيه .

* *

وإذ كان ذلك كذلك ، فتأويل الآية : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبيَّن له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولِّه ما تولى ونُصْله جهنم وساءت مصيراً » إن يدعون من دونه إلاّ إناثاً » ، يقول : ما يدعو الذين يشاقّون الرسول ويتبعون غير سبيل المؤمنين شيئاً = « من دون الله » ، بعد الله وسواه ، [1] = « إلاّ إناثاً » ، يعنى : إلا ما سموه بأسماء الإناث كاللات والعزى وما أشبه ذلك . يقول جل ثناؤه : فحسب هؤلاء الذين أشركوا بالله ، وعبدوا ما عبدوا من دونه من الأوثان والأنداد ، حجّة عليهم فى ضلالتهم وكفرهم وذهابهم عن قصد السبيل ، أنهم يعبدون إناثاً ويدعونها آلهة وأرباباً ، والإناث من كل شىء أخسُّه ، فهم يقرون للخسيس من الأشياء بالعبودة ، على علم منهم بخساسته ، ويمتنعون من إخلاص العبودة للذى له ملك كل شىء ، وبيده الخلق والأمر . [2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴾ (١١٧)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً » ، وما يدعو هؤلاء الذين يدعون هذه الأوثان الإناث من دون الله بدعائهم إياها =

---

(١) انظر تفسير « دون » فيما سلف ٢ : ٦/٤٨٩ : ٣١٣ .

(٢) فى المطبوعة : « بالعبودية » و « العبودية » ، فى الموضعين وأثبت ما فى المخطوطة . و « العبودة » هى العبادة ، وقد سلف استعمال الطبرى لهذه اللفظة على هذا البناء ، وتغيير الناشر لها فى كل مرة . انظر ٣ : ٣٤٧ ، تعليق : ٦/١ : ٢٧١ ، تعليق : ١ ، ٤٠٤ تعليق : ٢ ، ٥٤٩ : ٢ ، ٥٦٤ ، تعليق : ٨/٣ : ٥٩٢ ، تعليق : ٢ .

« إلا شيطاناً مريداً » ، يعني : متمرداً على الله في خلافه فيما أمره به ، وفيما نهاه عنه ، كما : —

١٠٤٤٣ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً » ، قال : تمرَّد على معاصي الله .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ (١١٨)

قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بقوله : « لعنه الله » ، أخزاه وأقصاه وأبعده .

* * *

ومعنى الكلام : « وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً » ، قد لعنه الله وأبعده من كل خير .

* * *

= « وقال لأتخذن» ، يعني بذلك : أن الشيطان المريد قال لربه إذ لعنه : «لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً » .

* * *

= يعني بـ « المفروض » ، المعلوم ،[1] كما : —

١٠٤٤٤ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن جويبر ، عن الضحاك : « نصيباً مفروضاً » ، قال : معلوماً .

* * *

فإن قال قائل : وكيف يتّخذ الشيطانُ من عباد الله نصيباً مفروضاً .

قيل : يتخذ منهم ذلك النصيب، بإغوائه إياهم عن قصد السبيل، ودعائه

---

(١) انظر تفسير « نصيب » فيما سلف ٤ : ٢٠٦ / ثم ٨ : ٥٨ : تعليق : ٤ ، والمراجع هناك = وتفسير : « الفرض » فيما سلف ٤ : ٥/١٢١ : ٧/١٢٠ : ٥٩٧ — ٨/٥٩٩ : ٥٠ .

إياهم إلى طاعته ، وتزيينه لهم الضلالَ والكفر حتى يزيلهم عن منهج الطريق ، فمن أجاب دعاءَه واتّبع ما زينه له ، فهو من نصيبه المعلوم ، وحظّه المقسوم .

* * *

وإنما أخبر جل ثناؤه فى هذه الآية بما أخبر به عن الشيطان من قيله : « لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً » ، ليعلم الذين شاقّوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى ، أنهم من نصيبِ الشيطان الذى لعنه الله ، المفروضِ ،[1] وأنهم ممن صدق عليهم ظنّه .[2]

* * *

وقد دللنا على معنى « اللعنة » فيما مضى ، فكرهنا إعادته .[3]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : مخبراً عن قيل الشيطان المريد الذى وصف صفته فى هذه الآية : « ولأضلنهم » ، ولأصدّن النصيب المفروض الذى أتخذه من عبادك عن محجة الهدى إلى الضلال ، ومن الإسلام إلى الكفر = « ولأمنينهم » ، يقول : لأُزيغنّهم — بما أجعل فى نفوسهم من الأمانى — عن طاعتك وتوحيدك ، إلى طاعتى والشرك بك ، = « ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام » ، يقول : ولآمرن النصيبَ المفروض لى من عبادك ، بعبادة غيرك من الأوثان والأنداد

---

(١) « المفروض » صفة قوله : « نصيب الشيطان » .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « وأنه ممن صدق . . . » والسياق يقتضى « وأنهم » .

(٣) انظر تفسير « اللعنة » فيما سلف ص : ٥٧ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

حتى يَنْسُكوا له ،[١] ويحرِّموا ويحلاوا له ، ويشرعوا غيرَ الذى شرعته لهم ، فيتبعونى ويخالفوك .

* * *

و«البتك» ، القطع ، وهو فى هذا الموضع : قطع أذن البَحِيرة ليعلم أنها بَحِيرة.[٢]

* * *

وإنما أراد بذلك الخبيثُ أنه يدعوهم إلى البحيرة ، فيستجيبون له ، ويعملون بها طاعةً له .

* * *

١٨١/٥ وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٤٤٥ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « فليبتكن آذان الأنعام » ، قال : البتك فى البحيرة والسَّائبة ، كانوا يبتّكون آذانها لطواغيتهم .

١٠٤٤٦ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : قوله : « ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام » ، أما « يبتكن آذان الأنعام » ، فيشقونها ، فيجعلونها بَحيرة .

١٠٤٤٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، أخبرنى القاسم بن أبى بزة ، عن عكرمة : « فليبتكن آذان الأنعام » ، قال : دينٌ شرعه لهم إبليس ، كهيئة البحائر والسُّيَّب .[٣]

* * *

---

(١) « نسك ينسك » ، إذا ذبح نسيكة ، أى ذبيحة . وانظر تفسير ذلك فيما سلف ٣ : ٧٥ — ٤/٨٠ : ٨٦ ، ١٩٥ .

(٢) « البحيرة » من الأنعام ، من عقائد أهل الجاهلية ، أبطلها الإسلام ، وذلك الشاة أو الناقة تشق أذنها ، ثم تترك فلا يمسها أحد .

(٣) « السائبة » أم « البحيرة » ، وذلك أن الرجل كان ينذر نذراً : إذا قدم من سفر بعيد ، أو برىء من علة ، أو نجاه شىء من مشقة أو حرب فيقول : « ناقتى هذه سائبة » ، أى : تسيب

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى معنى قوله : « فليغيرن خلق الله » .

فقال بعضهم : معنى ذلك : ولآمرنهم فليغيرن خلق الله من البهائم، بإخصائهم إياها .(١)

* ذكر من قال ذلك :

١٠٤٤٨ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن عمار بن أبى عمار ، عن ابن عباس : أنه كره الإخصاء وقال : فيه نزلت : « ولآمرنهم فليغيِّرُن خلقَ الله » .

١٠٤٤٩ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الله بن داود قال : حدثنا أبو جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ، عن أنس : أنه كره الإخصاء وقال : فيه نزلت : « ولآمرنهم فليغيرن خلق الله » .

١٠٤٥٠ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ابن أنس ، عن أنس بن مالك قال : هو الإخصاء ، يعنى قول الله : « ولآمرنهم فليغيِّرن خلق الله » .

١٠٤٥١ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن فضيل ، عن مطرف قال :

فلا ينتفع بظهرها ، ولا تحلأ عن ماء ، ولا تمنع من كلأ ، ولا تركب . وجمع « سائبة » « سيب » (بضم السين والياء المشددة المفتوحة) مثل « نائم ونوم » ، و « نائحة ونوح » .

وهكذا جاءت على الصواب فى المخطوطة ، ولكن ناشر المطبوعة جعلها « السوائب » كأنه استنكر هذا الجمع ، فأساء غاية الإساءة فى تبديل الصواب ، وإن كانت « السوائب » صواباً أيضاً ، فإن هذه الآثار حجة فى اللغة .

(١) « خصى الفحل يخصيه خصاء » (بكسر الخاء) : سل خصييه . والفقهاء القدماء يقولون : « الإخصاء » ولم تذكره كتب اللغة ، وقال المطرزى فى المغرب ١ : ١٥٩ « خصاء على فعال ، والإخصاء فى معناه ، خطأ » . وهذا موضع إشكال ، فإنك سترى مستفيضاً فى الآثار التالية ، وهى نص صحيح فى جواز « الإخصاء » ، وبمثل هذه الآثار احتج أصحاب معاجم اللغة ، وكيف لا يحتج به ، وقد جاء فى كلام ابن عباس ، كما ترى فى الأثر : ١٠٤٥١ .

حدثني رجل ، عن ابن عباس قال: إخصاء البهائم مُثْلَةٌ! ثم قرأ : « ولآمرنهم فليغيرن خلق الله » .

١٠٤٥٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا أبو جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس قال : من تغيير خلق الله ، الإخصاءُ .

١٠٤٥٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا جعفر بن سليمان قال ، أخبرنى شبيل : أنه سمع شهر بن حوشب قرأ هذه الآية : « فليغيرن خلق الله »، قال : الخِصَاء، قال: فأمرت أبا التَّيَّاح فسأل الحسن عن خِصَاء الغنم ، فقال : لا بأس به .[1]

١٠٤٥٤ – حدثنا الحسن قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، حدثنا عمى وهب ابن نافع ، عن القاسم بن أبى بزة قال : أمرنى مجاهد أن أسأل عكرمة عن قوله : « فليغيرن خلق الله » ، فسألته ، فقال : هو الخصاء .

١٠٤٥٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنى أبى ، عن عبد الجبار بن ورد ، عن القاسم بن أبى بزة قال ، قال لى مجاهد : سل عنها عكرمة : « ولآمرنهم فليغيرن خلق الله » ، فسألته فقال : الإخصاء = قال مجاهد : ماله، لعنة الله ! فوالله لقد علم أنه غير الإخصاء = ثم قال : سله ، فسألته فقال عكرمة: ألم تسمع إلى قول الله تبارك وتعالى : ﴿ فِطْرَةَ اللهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ﴾ .

---

(١) الأثر : ١٠٤٥٣ – « جعفر بن سليمان الضبعى » مضى برقم : ٢٩٠٥ ، ٦٤٦١ . و « شبيل » هو « شبيل بن عزرة بن عمير الضبعى » ، يروى ن شهر بن حوشب وروى عنه جعفر ابن سليمان . ثقة . روى له أبو داود حديثاً واحداً . وكان شبيل من أئمة العربية ، وهو ختن قتادة . وذكره الجاحظ فى البيان ١ : ٣٤٣ فقال : « ومن علماء الخوارج شبيل بن عزرة الضبعى ، صاحب الغريب ،وكان راوية خطيباً، وشاعراً ناسباً، وكان سبعين سنة رافضياً ، ثم انتقل خارجياً صفرياً » .وقال البلاذرى: « لم يكن خارجياً،وإنما كان يقول أشعاراً فى ذلك على سبيل التقية » . مترجم فى التهذيب .
وكان فى المطبوعة : « شبل » وهو خطأ ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، لأنها غير منقوطة .
و « أبو التياح » ، هو : « يزيد بن حميد الضبعى » ، روى عن أنس والحسن البصرى . وهو ثبت ثقة معروف . مترجم فى التهذيب .

[سورة الروم : ٣٠] ؟قال : لدين الله = فحدّثت به مجاهداً فقال : ما له أخزاه الله ! (١)

١٠٤٥٦ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا حفص ، عن ليث قال ، قال عكرمة : « فليغيرن خلق الله » ، قال : الإخصاء .

١٠٤٥٧ – حدثني المثنى قال ، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال ، حدثنا هرون النحوي قال ، حدثنا مطر الوراق قال : سئل عكرمة عن قوله : « ولآمرنهم فليغيرن خلق الله » ، قال : هو الإخصاء .

١٠٤٥٨ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن إسمعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ، قال : الإخصاء

١٠٤٥٩ – حدثنا عمرو بن علي قال ، حدثنا وكيع قال ، حدثنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس قال : سمعت أنس بن مالك يقول في قوله : « ولآمرنهم فليغيرن خلق الله » ، قال : منه الخصاء .

١٠٤٦٠ – حدثنا عمرو قال ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، بمثله .

١٠٤٦١ – حدثنا ابن سلمة ، عن عمار بن أبي عمار ، عن ابن عباس ، بمثله . (٢)

١٠٤٦٢ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا معاذ بن هشام قال ، حدثني أبي ،

---

(١) الأثر : ١٠٤٥٥ – « عبد الجبار بن الورد بن أغر بن الورد المخزومي » ، ثقة ، لا بأس به . مترجم في التهذيب . وقد مضى في الإسناد رقم : ٤٦٣١ ، ولم يترجم هناك .

وقول مجاهد في عكرمة : « ماله لعنه الله » ، و « ماله أخزاه الله » ، أراد مجاهد اضطراب عكرمة في روايته ، وكان مجاهد سيئ الرأي فيه ، كما كان مالك ابن أنس سيئ الرأي فيه ، يقول : « لا أرى لأحد أن يقبل حديثه » . وقد قيل إنه كان مضطرب الحديث ، وأنه كان قليل العقل ! ! روى الحافظ في التهذيب ٧ : ٢٦٩ « قال الأعمش عن إبراهيم : لقيت عكرمة فسألته عن : البطشة الكبرى . قال : يوم القيامة . فقلت : إلا عبد الله ، كان يقول : يوم بدر . فأخبرني من سأله بعد ذلك فقال : يوم بدر » . وهذا شبيه بهذا الخبر الذي بين أيدينا . وانظر أيضاً الأثر التالي رقم : ١٠٤٦٩ .

وانظر ترجمة عكرمة البربري في التهذيب ، فقد استوفى الحافظ القول في عدالته وتوثيقه ، ورواية الأئمة عنه .

(٢) الأثر : ١٠٤٦١ – هو من تتمة الأثر السالف ، ولكنه جرى مفرداً في الترقيم خطأ .

عن قتادة ، عن عكرمة : أنه كره الإخصاء ، قال : وفيه نزلت : « ولآمرنهم فليغيرن خلق الله » .

* * *

١٨٢/٥ وقال آخرون : معنى ذلك : ولآمرنهم فليغيرن دينَ الله .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٤٦٣ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي، عن ابن عباس قوله : « ولآمرنهم فليغيرن خلق الله »، قال : دين الله .

١٠٤٦٤ ــ حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن وأبو أحمد قالا ، حدثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن إبراهيم : « ولآمرنهم فليغيرن خلق الله» ، قال: دين الله .

١٠٤٦٥ ــ حدثنا ابن بشار قال،حدثنا يحيى بن سعيد قال ، حدثنا سفيان قال ، حدثني قيس بن مسلم ، عن إبراهيم ، مثله .

١٠٤٦٦ ــ حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا أبو نعيم ، عن سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن إبراهيم ، مثله .

١٠٤٦٧ ــ حدثنا ابن حميد قال،حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم، مثله .

١٠٤٦٨ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، حدثنا عمي ، عن القاسم بن أبي بزة قال، أخبرت مجاهداً بقول عكرمة في قوله: « فليغيرن خلق الله » ، قال : دين الله .

١٠٤٦٩ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال ، حدثنا هرون النحوي قال ، حدثنا مطر الوراق قال : ذكرت لمجاهد قول عكرمة في قوله :

« فليغيرن خلق الله» ، فقال : كذب العبدُ ! « ولآمرنهم فليغيرن خلق الله » ، قال : دين الله .(١)

١٠٤٧٠ – حدثنا ابن وكيع وعمرو بن على قالا، حدثنا أبو معاوية ، عن ابن جريج ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد وعكرمة قالا : دين الله .

١٠٤٧١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا المحاربي وحفص ، عن ليث ، عن مجاهد قال : دين الله . ثم قرأ : ﴿ ذَٰلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ ﴾، [سورة الروم : ٣٠].

١٠٤٧٢ – حدثنا محمد بن عمرو وعمرو بن على قالا، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « فليغيرن خلق الله » ، قال : الفطرة دين الله .

١٠٤٧٣ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « فليغيرن خلق الله » ، قال : الفطرة ، الدين .

١٠٤٧٤ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، أخبرني عبد الله بن كثير : أنه سمع مجاهداً يقول : « ولآمرنهم فليغيرن خلق الله » ، قال : دين الله .

١٠٤٧٥ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ولآمرنهم فليغيرن خلق الله »، أى: دين الله، فى قول الحسن وقتادة .

١٠٤٧٦ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « فليغيرن خلق الله » ، قال : دين الله .

١٠٤٧٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا إسمعيل بن عبدالملك، عن عثمان بن الأسود ، عن القاسم بن أبي بزة فى قوله : « فليغيرن خلق الله » ، قال : دين الله .

---

(١) الأثر : ١٠٤٦٩ – انظر التعليق على الأثر السالف رقم : ١٠٤٥٥ .

١٠٤٧٨ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولآمرنهم فليغيرن خلق الله » ، قال : أما « خلق الله » ، فدين الله .

١٠٤٧٩ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « فليغيرن خلق الله » ، قال : دين الله ، وهو قول الله: ﴿ فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ﴾ ، [سورة الروم : ٣٠] ، يقول : لدين الله .

١٠٤٨٠ – حدثنا يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال، سمعت ابن زيد يقول فى قوله : « ولآمرنهم فليغيرن خلق الله » ، قال : دين الله . وقرأ : ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ﴾ ، قال : لدين الله .

١٠٤٨١ – حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا يحيى بن سعيد قال ، حدثنا سفيان قال ، حدثنا قيس بن مسلم ، عن إبراهيم: « ولآمرنهم فليغيرن خلق الله »، قال : دين الله

١٠٤٨٢ – حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا معاذ بن معاذ قال ، حدثنا عمران بن حدير ، عن عيسى بن هلال قال : كتب كثير مولى ابن سمرة إلى الضحاك بن مزاحم يسأله عن قوله : « ولآمرنهم فليغيرن خلق الله » ، فكتب : « إنه دين الله » .(١)

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : « ولآمرنهم فليغيرن خلق الله » بالوشم .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٤٨٣ – حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ،

---

(١) الأثر : ١٠٤٨٢ – «معاذ بن معاذ بن نصر حسان العنبرى » الحافظ . وكان فى المطبوعة : « معاذ » ، وحذف بقية الاسم ، وهو ثابت فى المخطوطة .

حدثنا حماد بن سلمة ، عن يونس ، عن الحسن فى قوله : « ولآمرنهم فليغيرن خلق الله » ، قال : الوشْم .

١٠٤٨٤ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يزيد ، عن نوح بن قيس ، عن خالد بن قيس ، عن الحسن : « فليغيرن خلق الله » ، قال : الوشم .(١)

١٠٤٨٥ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى هشيم قال ، أخبرنا يونس بن عبيد أو غيره ، عن الحسن : « فليغيرن خلق الله » ، قال : الوشم .

١٠٤٨٦ – حدثنا أحمد بن حازم قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا أبو هلال الراسبي قال : سأل رجل الحسنَ : ما تقول فى امرأة قَشَرت وجهها ؟ قال : ما لها ، لعنها الله ! غيَّرت خلقَ الله !(٢) ١٨٣/٥

١٠٤٨٧ – حدثنى أبو السائب قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم قال : قال عبد الله : لعن الله المُتَفَلِّجات والمُتَنَمِّصات والمُسْتَوْشِمَات المغيِّرات خلق الله .

١٠٤٨٨ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : لعن الله الوَاشِرَات والمُسْتَوْشِمَات والمُتَنَمِّصات والمُتَفَلِّجات للحسن المغيِّرات خلق الله .

١٠٤٨٩ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ،

---

(١) الأثر : ١٠٤٨٤ – « يزيد » ، هو « يزيد بن هارون » مضى مراراً .
و « نوح بن قيس بن رباح الأزدى الحدانى » ، مضى برقم : ١٢١٨ .
و « خالد بن قيس بن رباح الأزدى الحدانى » ، أخو « نوح بن قيس » . ثقة . مترجم فى التهذيب .
وكان فى المطبوعة : « حدثنا يزيد بن نوح ، عن قيس ، عن خالد بن قيس » وهو خطأ محض ، صوابه من المخطوطة .

(٢) « قشر الوجه » : دواء قديم بالغمرة تعالج به المرأة وجهها أو وجه غيرها ، وكأنها تقشر أعلى الجلد . و « الغمرة » (بضم فسكون) ، قالوا : هو الزعفران ، وقالوا : هو الجص . وقالوا : هو تمر ولبن يطلى به وجه المرأة ويداها ، حتى ترق بشرتها ويصفو لونها . والظاهر أنه كان يخلط به شيء يقشر أعلى البشرة ، ومن أجل ذلك نهى عنه ، وفى الحديث : « لعنت القاشرة والمقشورة » .

عن منصور ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : لعن الله المُتَنَمِّصات والمتَفَلِّجات = قال شعبة : وأحسبه قال : المغيِّرات خلق الله .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب فى تأويل ذلك ، قولُ من قال : معناه : «ولآمرنهم فليغيرن خلق الله » ، قال : دين الله . وذلك لدلالة الآية الأخرى على أن ذلك معناه ، وهى قوله : ﴿ فِطْرَةَ اللهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ ﴾ ،[سورة الروم : ٣٠] .

وإذا كان ذلك معناه ، دخل فى ذلك فعل كل ما نهى الله عنه : من خِصَاءِ ما لا يجوز خصاؤه ، ووشم ما نهى عن وشمه وَوَشْرِه ، وغير ذلك من المعاصى= ودخل فيه ترك كلِّ ما أمر الله به . لأن الشيطان لاشك أنه يدعو إلى جميع معاصى الله وينهى عن جميع طاعته. فذلك معنى أمره نصيبَه المفروضَ من عباد الله، بتغيير ما خلق الله من دينه .

* * *

قال أبو جعفر : فلا معنى لتوجيه من وجَّه قوله : « ولآمرنهم فليغيرن خلق الله » ، إلى أنه وَعْد الآمر بتغيير بعض ما نهى الله عنه دون بعض ، أو بعض ما

---

(١) الآثار : ١٠٤٨٧ – ١٠٤٨٩ – هو حديث صحيح ، رواه البخارى (الفتح ١٠ : ٣١٣ ، ٣١٧) من طريق منصور عن إبراهيم ، ورواه به أحمد فى المسند مطولا : ٤١٢٩ ، ٤٢٣٠ ، ٤٤٣٤ .

وفى الإسناد الأول ١٠٤٨٧ لم يذكر علقمة ، فقال الحافظ ابن حجر فى الفتح : « ومن أصحاب الأعمش من لم يذكر عنه علقمة فى السند » .

وطريق محمد بن جعفر ، عن شعبة (١٠٤٨٩) رواه أحمد : ٤٤٣٤ ، ونصه « لعن الله المتوشمات والمتنمصات . . . » ، فأخشى أن يكون سقط من الناسخ « المتوشمات » .

و « المتفلجة » التى تصنع الفلج بأسنانها إذا كانت متلاصقة ، وذلك بأن تحك ما بينهما بالمبرد حتى يتسع ما بين أسنانها .

و « المتنمصة » و « النامصة » التى تزيل شعر حاجبها بالمنقاش حتى ترققه وترفعه وتسويه .

و « المستوشمة » و « الواشمة » ، و « الوشم » أن تغرز إبرة فى الجلد حتى يسيل الدم ، ثم يحشى بالنورة أو غيرها فيخضر . ويقال : « هو أن تجعل خالا فى وجهها بالكحل » . ويفعلونه أيضاً فى الشفاه والثنات ، وكل ذلك داخل فى الذى نهى الله عنه ، ولعن عليه .

أمر به دون بعض . فإن كان الذى وجه معنى ذلك إلى الخصاء والوشم دون غيره ، [١] إنما فعل ذلك لأن معناه كان عنده أنه عنى تغيير الأجسام ، [٢] فإن فى قوله جل ثناؤه إخباراً عن قيل الشيطان : « ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام » ، ما ينبئ أن معنى ذلك على غير ما ذهب إليه . لأن تبتيك آذان الأنعام من تغيير خلق الله الذى هو أجسام . وقد مضى الخبر عنه أنه وَعَدَ الآمر بتغيير خلق الله من الأجسام مفسَّراً ، فلا وجه لإعادة الخبر عنه به مجملاً ، [٣] إذ كان الفصيح فى كلام العرب أن يُترجم عن المجمل من الكلام بالمفسر ، وبالخاص عن العام ، دون الترجمة عن المفسر بالمجمل ، وبالعام عن الخاص . وتوجيه كتاب الله إلى الأفصح من الكلام ، أولى من توجيهه إلى غيره ، ما وجد إليه السبيل .

* * *

= و « الواشرة » التى تحدد أسنانها وترققها بالمنشار ، وهو المبرد .

وكل هذا الذى لعن الله فاعله ، تفعله نساؤنا المسلمات اليوم ، متبرجات به ، موغلات فيه ، مقلدات لمن كفر بالله ورسوله . فمن أجل عصيانهن واستخفافهن — بل من أجل عصياننا جميعاً أمر الله — أحل الله بنا العقوبة التى أنذرنا بها رسول الله ، بأبى هو وأمى ، فجعل الله بأسنا بيننا ، وسلط علينا شرارنا ، وجمع علينا الأمم لتأكلنا . فاللهم اهد ضالنا ، وخذ بنواصى عصاتنا ، واغفر لنا وارحمنا ، عليك نتوكل ، وبك نستجير ، وإليك نلجأ .

(١) فى المطبوعة : « فإذا كان الذى وجه . . . » والصواب من المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « عنى به » بزيادة « به » ، وهو فساد ، والصواب من المخطوطة .

(٣) سقط سطر من المخطوطة ، فكان فيها : « وقد مضى الخبر عنه مجملا ، إذ كان الفصيح » ، وهو مضطرب ، والذى فى المطبوعة هو الصواب إن شاء الله . ولا أدرى أهو اجتهاد من ناسخ أو ناشر ، أم هذا كلام أبى جعفر كما كتبه ؟

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ ﴿١٢٠﴾

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله جل ثناؤه ، عن حال نصيب الشيطان المفروضِ الذين شاقوا الله ورسوله من بعد ما تبين لهم الهدى.[١] يقول الله : ومن يتبع الشيطان فيطيعه فى معصية الله وخلاف أمره ، ويواليه فيتخذه وليًّا لنفسه ونصيراً من دون الله[٢] = « فقد خسر خسراناً مبيناً » ، يقول : فقد هلك هلاكاً ، وبخس نفسه حظَّها فأوبقها بخساً «مبيناً» = يبين عن عَطَبه وهلاكه ،[٣] لأن الشيطان لا يملك له نصراً من الله إذا عاقبه على معصيته إياه فى خلافه أمرَه ، بل يخذُله عند حاجته إليه . وإنما حاله معه ما دام حيًّا ممهَلاً بالعقوبة ، كما وصفه الله جل ثناؤه بقوله : « يعدهم ويمنّيهم وما يعدهم الشيطان إلاّ غروراً » ، يعنى بذلك جل ثناؤه : يعد الشيطان المَرِيد أولياءَه الذين هم نصيبُه المفروض : أن يكون لهم نصيراً ممن أرادهم بسوء ، وظهيراً لهم عليه ، يمنعهم منه ويدافع عنهم ، ويمنيهم الظفر على من حاول مكروههم والفَلَج عليهم .[٤]

= ثم قال : « وما يعدهم الشيطان إلاّ غروراً » يقول : وما يعد الشيطان أولياءَه الذين اتخذوه وليًّا من دون الله = « إلاّ غروراً » يعنى : إلاّ باطلاً .[٥]

وإنما جعل عِدَته إياهم جل ثناؤه ما وعدهم « غروراً » ، لأنهم كانوا يحسبون

---

(١) فى المطبوعة : « من الذين شاقوا . . . » بزيادة « من » ، والصواب حذفها كما فى المخطوطة .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « ونصيراً دون الله » بإسقاط « من » ، وهو سهو من الناسخ فى عجلته ، فزدتها لدلالة الآية على مكانها .

(٣) انظر تفسير « خسر » فيما سلف ١ : ٢/٤١٧ : ١٦٦ ، ٦/٥٧٢ : ٧/٥٧٠ : ٢٧٦ = وتفسير « مبين » فيما سلف ص : ١٩٩ تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٤) « الفلج » (بفتحتين) : الظفر والفوز والعلو على الخصم .

(٥) انظر تفسير « الغرور » فيما سلف ٧ : ٤٥٣ .

أنهم فى اتخاذهم إياه وليًّا على حقيقة من عِدَاته الكذب وأمانيه الباطلة،[١] حتى إذا حصحص الحق، وصاروا إلى الحاجة إليه ، قال لهم عدوّ الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ ﴾ ،[سورة إبراهيم : ٢٢].

وكما قال للمشركين ببدر ، وقد زيَّن لهم أعمالهم : ﴿ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ ﴾، وحصحص الحقّ ، وعاين جِدّ الأمر ونزول عذاب الله بحزبه[٢]= : ﴿ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ ،[سورة الأنفال : ٤٨] ، فصارت عِدَاته ، عدُوّ الله إياهم عند حاجتهم إليه غروراً[٣] : ﴿ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ﴾. [سورة النور : ٣٩] .

٥/١٨٤

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴾ (١٢١)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « أولئك » ، هؤلاء الذين اتخذوا الشيطان وليًّا من دون الله= « مأواهم جهنم » ، يعنى : مصيرهم الذين يصيرون إليه جهنم ،[٤]

---

(١) فى المطبوعة : « على حقيقته » ، والصواب من المخطوطة . وفى المطبوعة : « عداته الكاذبة » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب محض .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « حد الأمر » بالحاء : أى شدته وبأسه . ولو قرئ « جد » لكان صواباً أيضاً ، بل هو الأرجح ، ولذلك أثبته .

(٣) قوله : « عدو الله » منصوب على الذم ، وفصل به بين المصدر ومفعوله .

(٤) انظر تفسير « المأوى » فيما سلف ٧ : ٢٧٩ ، ٤٩٤ .

= « ولا يجدون عنها محيصاً » ، يقول : لا يجدون عن جهنم – إذا صيّرهم الله إليها يوم القيامة – مَعْدِلاً يعدلون إليه .

* * *

يقال منه : « حاص فلان عن هذا الأمر يَحِيص حَيْصاً وحُيُوصاً » ، إذا عدل عنه .

ومنه خبر ابن عمر أنه قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سريّة كنت فيهم ، فلقينا المشركين فحِصْنا حَيْصة ،[1] = وقال بعضهم : « فجاضوا جيضة » . و« الحَيص » و« الجَيْض » ، متقاربا المعنى .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ (١٢٢)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « والذين آمنوا وعملوا الصالحات » ، والذين صدّقوا الله ورسوله ، وأقرُّوا له بالوحدانية ، ولرسوله صلى الله عليه وسلم بالنبوة = « وعملوا الصالحات » ، يقول : وأدّوا فرائض الله التى فرضها عليهم[3] = « سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار » ، يقول : سوف ندخلهم يوم القيامة إذا صاروا إلى الله ، جزاءً بما عملوا فى الدنيا من الصالحات = « جنات » ، يعنى :

---

(١) فى المطبوعة : « بعثنا رسول الله » ، والصواب من المخطوطة . ولم أستطع أن أقف على بقية خبر ابن عمر ، وإن كنت أظنه مشهوراً .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : أساء نقط « جاض وحاص » ، فرددتها إلى صوابها .

(٣) انظر تفسير « عملوا الصالحات » فيما سلف : ٨ : ٤٨٨ .

بساتين[١] = « تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً » ، يقول : باقين فى هذه الجنات التى وصفها[٢] = « أبداً » ، دائماً .

= وقوله : « وعد الله حقًّا » ، يعنى : عِدَةٌ من الله لهم ذلك فى الدنيا = «حقًّا» ، يعنى : يقيناً صادقاً ،[٣] لا كعدة الشيطان الكاذبة التى هى غرور مَنْ وُعِدها من أوليائه ، ولكنها عدة ممن لا يكذب ولا يكون منه الكذب ،[٤] ولا يخلف وعده .

وإنما وصف جل ثناؤه وعده بالصدق والحق فى هذه ، لما سبق من خبره جل ثناؤه عن قول الشيطان الذى قصه فى قوله : « وقال لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً * ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام » ، ثم قال جل ثناؤه : « يعِدُهم ويمنيهم وما يَعِدهم الشيطان إلاّ غروراً » ، ولكن الله يعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنه سيدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ، وعداً منه حقًّا ، لا كوعد الشيطان الذى وَصَف صفته .

فوصف جل ثناؤه الوعدَين والوَاعِدَيْن ، وأخبر بحكم أهل كل وعد منهما ، تنبيهاً منه جل ثناؤه خلقَه على ما فيه مصلحتهم وخلاصهم من الهلكة والمعطبة ،[٥] لينزجروا عن معصيته ويعملوا بطاعته ، فيفوزوا بما أعدّ لهم فى جنانه من ثوابه .

ثم قال لهم جل ثناؤه : « ومن أصدق من الله قيلاً » ، يقول : ومن أصدق ، أيها الناس ، من الله قيلاً ، أى : لا أحد أصدق منه قيلاً ! فكيف تتركون العمل بما وعدكم على العمل به ربكم جناتٍ تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ، وتكفرون به وتخالفون أمره ، وأنتم تعلمون أنه لا أحد أصدق منه قيلاً ، وتعملون

---

(١) انظر تفسير « جنات » فى مادة (جنن) فيما سلف من فهارس اللغة

(٢) انظر تفسير « الخلود » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٣) انظر تفسير « الحق » فيما سلف ٧ : ٩٧ .

(٤) فى المطبوعة : « ولكن عدة . . . » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٥) فى المطبوعة : « والعطب » ، وهى صواب ، وفى المخطوطة : « والعطبة » ، فآثرت كتابتها كما رجحت قراءتها ، والمعطب والمعطبة ، جمعها معاطب .

بما يأمركم به الشيطان رجاءً لإدراك ما يعدُكم من عداته الكاذبة وأمانيه الباطلة، وقد علمتم أن عداته غرورٌ لا صحة لها ولا حقيقة، وتتخذونه وليًّا من دون الله، وتتركون أن تطيعوا الله فيما يأمركم به وينهاكم عنه ، فتكونوا له أولياء ؟

* * *

ومعنى « القيل » و « القول » واحدٌ .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى الذين عُنوا بقوله : « ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب » .

فقال بعضهم : عُنى بقوله : « ليس بأمانيكم » ، أهل الإسلام .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٤٩٠ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة ، عن منصور ، عن أبى الضحى ، عن مسروق قال : تفاخر النصارى وأهلُ الإسلام، فقال هؤلاء: نحن أفضل منكم! وقال هؤلاء : نحن أفضل منكم! قال : فأنزل الله: « ليس بأمانيكم ولا أمانىّ أهل الكتاب » . ١٨٥/٥

١٠٤٩١ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى الضحى ، عن مسروق قال : لما نزلت : « ليس بأمانيكم ولا أمانىّ أهل الكتاب » ، قال : أهل الكتاب : نحن وأنتم سواء ! فنزلت هذه الآية : « ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن » .

١٠٤٩٢ — حدثنى أبو السائب وابن وكيع قالا ، حدثنا أبو معاوية ، عن

الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق فى قوله : « ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب » ، قال : احتجَّ المسلمون وأهل الكتاب ، فقال المسلمون : نحن أهدى منكم ! وقال أهل الكتاب : نحن أهدى منكم ! فأنزل الله : « ليس بأمانيكم ولا أمانىّ أهل الكتاب » ، قال : ففلَج عليهم المسلمون بهذه الآية :[1] « ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن »، إلى آخر الآيتين .

١٠٤٩٣ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذُكر لنا أن المسلمين وأهل الكتاب افتخروا ، فقال أهل الكتاب : نبيّنا قبل نبيكم،وكتابنا قبل كتابكم ، ونحن أولى بالله منكم ! وقال المسلمون : نحن أولى بالله منكم ، نبيُّنا خاتم النبيين ، وكتابنا يقضى على الكتب التى كانت قبله ! فأنزل الله : « ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءًا يُجزَ بِه »، إلى قوله: « ومن أحسنُ ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتَّبع ملَّة إبراهيم حنيفاً » ، فأفلج الله حُجَّة المسلمين على من ناوأهم من أهل الأديان .

١٠٤٩٤ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجزبه » ، قال : التقى ناس من اليهود والنصارى ، فقالت اليهود للمسلمين : نحن خير منكم ، ديننا قبل دينكم ، وكتابنا قبل كتابكم ، ونبينا قبل نبيكم ، ونحن على دين إبراهيم ، ولن يدخل الجنة إلا من كان هوداً ! وقالت النصارى مثل ذلك ، فقال المسلمون : كتابنا بعد كتابكم ، ونبينا بعد نبيكم ، وقد أمرتم أن تتبعونا وتتركوا أمركم ، فنحن خير منكم ، نحن على دين إبراهيم وإسمعيل وإسحق ، ولن يدخل الجنة إلاّ من كان على ديننا ! فردّ الله عليهم قولهم فقال : « ليس بأمانيكم ولا أمانىّ أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجزَ به » ، ثم فضل الله

---

(١) « الفلج » : الفوز والظفر والعلو على الخصم .

المؤمنين عليهم فقال : « ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً » .

١٠٤٩٥ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « ليس بأمانيكم ولا أمانىّ أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به » ، تخاصم أهل الأديان ، فقال أهل التوراة : كتابنا أول كتاب وخيرُها ، ونبينا خيرُ الأنبياء ! وقال أهل الإنجيل نحواً من ذلك ، وقال أهل الإسلام : لا دين إلا دين الإسلام، وكتابنا نَسَخ كل كتاب ، ونبينا خاتم النبيين ، وأمرنا أن نعمل بكتابنا ونؤمن بكتابكم ! فقضى الله بينهم فقال : « ليس بأمانيكم ولا أمانىّ أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به »، ثم خيَّر بين أهل الأديان ففضل أهل الفضل فقال : « ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن » إلى قوله : « واتخذ الله إبراهيم خليلاً » .

١٠٤٩٦ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب » ، إلى : « ولا نصيراً » ، تحاكم أهل الأديان ،[1] فقال أهل التوراة : كتابنا خير الكتب ، [2] أنزل قبل كتابكم ، ونبينا خير الأنبياء ! وقال أهل الإنجيل مثل ذلك ، وقال أهل الإسلام : لا دين إلا الإسلام ، كتابنا نسخ كل كتاب ، ونبينا خاتم النبيين ، وأمرتم وأمرنا أن نؤمن بكتابكم ، ونعمل بكتابنا ! فقضى الله بينهم فقال : « ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به » ، وخيَّر بين أهل الأديان فقال : « ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً واتخذ الله إبراهيم خليلاً » .

١٠٤٩٧ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا يَعلى بن عبيد

---

(١) « التحاكم » و « المحاكة » : التخاصم والمخاصمة .

(٢) فى المطبوعة : « خير من الكتب » ، والصواب ما أثبت .

وأبو زهير ، عن إسمعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح قال : جلس أناس من أهل التوراة وأهل الإنجيل وأهل الإيمان ، فقال هؤلاء : نحن أفضل ! وقال هؤلاء : نحن أفضل ! فأنزل الله : « ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به » . ثم خصّ الله أهل الإيمان فقال : « ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن » . ١٨٦/٥

١٠٤٩٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة ، عن إسمعيل ، عن أبي صالح قال : جلس أهل التوراة وأهل الإنجيل وأهل الزبور فتفاخروا ،(١) فقال هؤلاء : نحن أفضل ! وقال هؤلاء : نحن أفضل ! وقال هؤلاء : نحن أفضل !(٢) فأنزل الله : « ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يُظلمون نقيراً » .

١٠٤٩٩ – حدثنا يحيى بن أبي طالب قال، حدثنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك في قوله : « ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب » ، قال : افتخر أهل الأديان ، فقالت اليهود : كتابنا خير الكتب وأكرمها على الله، ونبينا أكرم الأنبياء على الله ، موسى كلّمه الله قَبَلاً ،(٣) وخَلاَ به نجياً ، وديننا خير الأديان ! وقالت النصارى : عيسى بن مريم خاتم الرسل ، وآتاه الله التوراة والإنجيل ، ولو أدركه موسى لاتّبعه ، وديننا خير الأديان ! وقالت المجوس وكفار العرب : ديننا أقدم الأديان وخيرها ! وقال المسلمون : محمد نبينا خاتم النبيين

---

(١) زاد في المطبوعة : « وأهل الإيمان » ، وليست في المخطوطة وحذفتها ، لأن السياق لا يحتاج إليها كما سترى في التعليق التالي .

(٢) في المطبوعة ، حذف « وقال هؤلاء : نحن أفضل » الثالثة ، وهي ثابتة في المخطوطة ، والفرق التي تفاخرت ثلاث فرق ، كما رأيت قبل .

(٣) « قبلا » (بفتحتين) و « قبلا » (بكسر وفتح) و « قبيلا » ، أي : عيانا ومقابلة لا من وراء حجاب . وقد مضت هذه الكلمة في الآثار : ٧١١ ، ٤٠٣٩ ، وفسرت هناك . وكان في المطبوعة : « قيلا » بالياء المثناة التحتية ، وهي في المخطوطة غير منقوطة .

وسيد الأنبياء ، والفُرقان آخر ما أنزل من الكتب من عند الله ، وهو أمين على كل كتاب ، والإسلام خير الأديان ! فخيَّر الله بينهم فقال : « ليس بأمانيكم ولا أمانيّ أهل الكتاب » .

* * *

وقال آخرون : بل عنى الله بقوله : « ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب »، أهلَ الشرك به من عَبَدة الأوثان .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٥٠٠ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد فى قوله : « ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب »، قال : قريش ، قالت : « لن نُبْعث ولن نعذَّب » .

١٠٥٠١ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ليس بأمانيكم » ، قال : قالت قريش : « لن نبعث ولن نعذب » ، فأنزل الله : « من يعمل سوءاً يجزَ به » .

١٠٥٠٢ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به »، قال: قالت العرب : « لن نبعث ولن نعذَّب »، وقالت اليهود والنصارى: ﴿ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾ [سورة البقرة: ١١١] ، أو قالوا : ﴿ لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ﴾، [سورة البقرة: ٨٠] = شك أبو بشر.(١)

١٠٥٠٣ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « ليس بأمانيكم ولا أمانيّ أهل الكتاب » ، قريشٌ

---

(١) الأثر : ١٠٥٠٢ – « أبو بشر » هو « ابن علية » ، وهو : « إسماعيل بن إبراهيم ابن مقسم الأسدى » ، سيد المحدثين ، الثقة المشهور . سلف مراراً .

وكعبُ بن الأشرف[1] = « من يعمل سوءاً يجز به » .

١٠٥٠٤ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال : سمعت ابن زيد يقول في قوله : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب » إلى آخر الآية ، قال : جاء حُيَيّ بن أخطب إلى المشركين فقالوا له : يا حُيَيّ ، إنكم أصحاب كتب ، فنحن خير أم محمد وأصحابه ؟ فقال : نحن وأنتم خير منه ! [2] فذلك قوله : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾ إلى قوله : ﴿وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ [سورة النساء: ٥١، ٥٢] . ثم قال للمشركين : « ليس بأمانيكم ولا أمانيّ أهل الكتاب » ، فقرأ حتى بلغ : « ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن » ، رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه = « فأولئك يدخلون الجنة ولا يُظلمون نقيراً » ، قال : ووعد الله المؤمنين أن يكفر عنهم سيئاتهم ، ولم يعد أولئك ، وقرأ : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة العنكبوت : ٧] . [3]

١٠٥٠٥ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد ابن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد في قوله : « ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به » ، قال : قالت قريش : « لن نُبعث ولن نعذَّب » ! [4]

• • •

(١) في المطبوعة : « قال قريش وكعب بن الأشرف » ، فحذفت « قال » ، كما في المخطوطة . وفي المخطوطة : « كعب بن الأشرف نحوه » ، ولم أجد لهذه الزيادة معنى ، ولا وجهاً في التحريف أو التصحيف أهتدي إليه .

(٢) في المطبوعة : « أنتم خير منه » ، وفي المخطوطة : « نحن خير منه » ، وأثبت الصواب من الأثر السالف رقم : ٩٧٩٤ .

(٣) الأثر : ١٠٥٠٤ – مضى مختصراً برقم : ٩٧٩٤ .

(٤) الأثر : ١٠٥٠٥ – كان في المطبوعة : « حدثنا أبو كريب » ، مكان « حدثنا ابن حميد » ، والذي في المخطوطة هو الصواب .

وقال آخرون : عُنى به أهل الكتاب خاصّة .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٥٠٦ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان قال ، سمعت الضحاك يقول : « ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب» الآية ، قال : نزلت فى أهل الكتاب حين خالفوا النبي صلى الله عليه وسلم .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بالصواب فى ذلك ، ما قال مجاهد : من أنه عُنى بقوله : « ليس بأمانيكم » ، مشركى قريش .

١٨٧ وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ، لأن المسلمين لم يجر لأمانيهم ذكر فيما مضى من الآى قبل قوله : « ليس بأمانيكم » ، وإنما جرى ذكر أمانىّ نصيب الشيطان المفروض ، وذلك فى قوله : « ولأمنيّنّهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام »،وقوله : « يعدهم ويمنيهم » ، فإلحاق معنى قوله جل ثناؤه : « ليس بأمانيكم » بما قد جرى ذكره قبل، أحقُّ وأولى من ادّعاء تأويلٍ فيه، لا دلالة عليه من ظاهر التنزيل ، ولا أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا إجماع من أهل التأويل .

وإذ كان ذلك كذلك ، فتأويل الآية إذاً : ليس الأمر بأمانيكم ، يا معشر أولياء الشيطان وحزبه ، التى يمنيكموها وليُّكم عدوّ الله ، من إنقاذكم ممن أرادكم بسوءٍ ، ونصرتكم عليه وإظفاركم به = ولا أمانى أهل الكتاب الذين قالوا اغتراراً بالله وبحلمه عنهم : ﴿ لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ﴾ وَ ﴿ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾ ، فإن الله مجازى كل عامل منكم جزاءَ عمله، مَن يعمل منكم سوءاً، ومن غيركم، يجز به، ولا يجدْ له من دون الله وليًّا ولا نصيراً، ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة .

(١) الأثر : ١٠٥٠٦ - فى المطبوعة : « حدثنا أبي ، عن أبي أسيد » ، ولا أدرى من أين جاء بهذا !! وفى المخطوطة : « حدثنا أبي سفيان » ، والصواب « عن سفيان » ، وهو الثورى . وهذا إسناد مضى مثله .

ومما يدلّ أيضاً على صحة ما قلنا فى تأويل ذلك ، وأنه عُنى بقوله : « ليس بأمانيكم » مشركو العرب ، كما قال مجاهد : أن الله وصف وعدَ الشيطان ما وعدَ أولياءهُ وأخبرَ بحال وعده ، ثم أتبع ذلك بصفة وعدِه الصادق بقوله : « والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً وعد الله حقًّا » ، وقد ذكر جل ثناؤه مع وصفه وعد الشيطان أولياءه ، تمنيتَه إياهم الأمانىّ بقوله : [1] « يعدهم ويمنيهم » ، كما ذكر وعده إياهم . فالذى هو أشبهُ : أن يتبع تمنيتَه إياهم من الصفة ، بمثل الذى أتبع عِدَته إياهم به من الصفة .

وإذ كان ذلك كذلك ، صحَّ أن قوله : « ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به » الآية ، إنما هو خبر من الله عن أمانى أولياء الشيطان ، وما إليه صائرة أمانيهم = مع سيء أعمالهم من سوء الجزاء ، وما إليه صائرةٌ أعمال أولياء الله من حسن الجزاء . وإنما ضمَّ جل ثناؤه أهلَ الكتاب إلى المشركين فى قوله : « ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب » ، لأن أمانى الفريقين من تمنية الشيطان إياهم التى وعدهم أن يمنّيهموها بقوله : « ولأضلنهم ولأمنينّهم ولآمرنهم » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : عنى بـ « السوء » كل معصية لله . وقالوا : معنى الآية : من يرتكب صغيرةً أو كبيرة من مؤمن أو كافر من معاصى الله ، يجازه الله بها .

• ذكر من قال ذلك :

---

(١) فى المطبوعة : « وتمنيته » بالواو ؛ والصواب حذفها كما فى المخطوطة . وذلك أن معنى الكلام ذكر تمنيتهم مع وصف وعد الشيطان .

١٠٥٠٧ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : أن الربيع بن زياد سأل أبي بن كعب عن هذه الآية : « من يعمل سوءاً يجز به »، فقال : ما كنت أراك إلا أفقه مما أرى ! النكبةَ والعودَ والخدْش .(١)

١٠٥٠٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا غندر ، عن هشام الدستوائي قال، حدثنا قتادة، عن الربيع بن زياد قال: قلت لأبي بن كعب : قول الله تبارك وتعالى: « من يعمل سوءاً يجز به »، والله إن كان كل ما عملنا جُزينا به هلكنا ! قال : والله إن كنتُ لأراك أفقهَ مما أرى ! لا يصيب رجلاً خدشٌ ولا عثرةٌ إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر ، حتى اللَّدغة والنَّفْحة .(٢)

١٠٥٠٩ – حدثنا القاسم بن بشر بن معروف قال، حدثنا سليمان بن حرب قال ، حدثنا حماد بن زيد ، عن حجاج الصواف ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أبي المهلب قال : دخلت على عائشة كي أسألها عن هذه الآية : « ليس

---

(١) الأثر : ١٠٥٠٧ – « الربيع بن زياد بن أنس الحارثي » ، روى عن أبي بن كعب ، وكعب الأحبار . روى عنه أبو مجلز ، ومطرف بن عبد الله بن الشخير ، وحفصة بنت سيرين . ولم يذكر ابن أبي حاتم ولا الحافظ ابن حجر رواية قتادة عنه . وذكرها البخاري فقال : « ربيع ابن زياد، سمع أبي بن كعب (من يعمل سوءاً يجز به). قال معاذ بن فضالة ، عن هشام ، عن قتادة أن الربيع = وقالت حفصة عن الربيع بن زياد : سمع كعباً » .

ولم يذكر البخاري فيه جرحاً . وكان الربيع عامل معاوية على خراسان . مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري ٢/١/٢٤٥ ، وابن أبي حاتم ١/٢/٤٦٠ .

وكان في المطبوعة والمخطوطة ، والدر المنثور : « زياد بن الربيع » ، وهو خطأ ، سيأتي على الصواب في الأثر التالي ، وتبين ذلك بما رواه البخاري في الكبير أيضاً . نصححته من أجل ذلك .

وهذا الأثر أشار إليه البخاري كما رأيت ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٢٢٧، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد ، وابن أبي الدنيا ، والبيهقي .

و « النكبة » هي ما يصيب الرجل إذا ناله حجر اصطدم به . وفي الحديث : « إنه نكبت إصبعه »، أي نالتها الحجارة وأصابتها .

(٢) الأثر : ١٠٥٠٨ – « الربيع بن زياد »، انظر التعليق على الأثر السالف. وهذا الخبر هو الذي أشار إليه البخاري في التاريخ الكبير ، كما ذكرت في التعليق السالف .

و « النفحة » بالحاء المهملة ، كأنه من « نفحت الدابة برجلها » إذا رمحت بها ، وفي حديث شريح : « إنه أبطل النفح » ، أراد نفح الدابة برجلها ، وهو الرفس .

بأمانيكم ولا أمانيّ أهل الكتاب من يعمل سوءًا يجز به » ، قالت : ذاك ما يصيبكم في الدنيا .(١)

١٠٥١٠ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قال ، أخبرني خالد : أنه سمع مجاهداً يقول في قوله : « من يعمل سوءًا يجز به » ، قال : يجزبه في الدنيا . قال قلت : وما تبلُغ المصيبات؟ قال : ما تكره .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : من يعمل سوءًا من أهل الكفر ، يجز به .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٥١١ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يزيد بن هرون ، عن حماد بن سلمة ، عن حميد ، عن الحسن : « من يعمل سوءًا يجز به » ، قال : الكافر ، ثم قرأ : ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سورة سبأ : ١٧] ، قال : من الكفار .

---

(١) الأثر : ١٠٥٠٩ – « القاسم بن بشر بن معروف » شيخ للطبري ، وستأتي روايته عنه برقم : ١٠٥٣١ وروى عنه مراراً في التاريخ ١ : ١٢ ، ٢٣ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٢/١٠٦ : ١٩ ، وفي هذا الموضع من التاريخ قال : « حدثني القاسم بن بشر بن معروف ، عن سليمان بن حرب » .

ولم أجد له ترجمة في غير تاريخ بغداد ١٢ : ٤٢٧ « القاسم بن بشر بن أحمد بن معروف ، أبو محمد البغدادي » ، سمع يحيى بن سليم الطائفي ، وسفيان بن عيينة ، وأبا داود الطيالسي . روى عنه عبد الله بن أبي سعد الوراق ، ومحمد بن إسحق بن خزيمة النيسابوري . ثم لم يذكر رواية أبي جعفر الطبري عنه . وأخشى أن يكون هو شيخ الطبري ، وأرجو أن يأتي بعد ما يدل على وجه الصواب .

وكان في المطبوعة والمخطوطة ، هنا « القاسم بن بشر بن معرور » ، دل على صوابه إسناد أبي جعفر في مخطوطة التفسير فيما سيأتي رقم : ١٠٥٣١ ، وفي التاريخ .

و « سليمان بن حرب بن بجيل الأزدي » سكن مكة ، وكان قاضيها . روى عن شعبة ، ومحمد ابن طلحة بن مصرف ، والحمادين ، وجرير بن حازم . روى عنه البخاري وأبو داود ، وروى له الباقون بواسطة أبي بكر بن أبي شيبة ، وعلي بن نصر الجهضمي ، وعمرو بن علي الفلاس ، وغيرهم . مترجم في التهذيب .

و « أبو المهلب » هو « معاوية بن عمرو » أو « عمرو بن معاوية » ، مختلف في اسمه ، وهو عم أبي قلابة الجرمي ، روى عن عمر وعثمان وأبي بن كعب ، وغيرهم من الصحابة . مترجم في التهذيب .

وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢ : ٣٠٨ من طريق سليمان بن حرب ، ووضع الذهبي علامة (خ ، م) ، أنه على شرط مسلم والبخاري .

١٠٥١٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا سهل، عن حميد، عن الحسن، مثله .

١٠٥١٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا أبو همام الأهوازي، عن يونس بن عبيد، عن الحسن : أنه كان يقول : « من يعمل سوءًا يجز به »، و﴿ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾، [سورة سبأ : ١٧]، يعني بذلك الكفار، لا يعني بذلك أهلَ الصلاة . ١٨٨/٥

١٠٥١٤ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا مبارك، عن الحسن في قوله : «من يعمل سوءًا يجز به »، قال : والله ما جازى الله عبداً بالخير والشر إلاّ عذّبه .[1] قال : ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾، [سورة النجم : ٣١] . قال : أما والله لقد كانت لهم ذنوب، ولكنه غفرها لهم ولم يجازهم بها، إن الله لا يجازي عبده المؤمن بذنب، إذاً توبقه ذنوبه .

١٠٥١٥ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، سمعت ابن زيد يقول في قوله : « من يعمل سوءاً يجز به »، قال : وعد الله المؤمنين أن يكفر عنهم سيئآتهم، ولم يعد أولئك = يعني : المشركين .

١٠٥١٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو معاوية، عن عاصم، عن الحسن : « من يعمل سوءًا يجز به »، قال : إنما ذلك لمن أراد الله هوانه، فأما من أراد كرامته، فإنه من أهل الجنة : ﴿ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾، [سورة الأحقاف : ١٦]

١٠٥١٧ – حدثني يحيى بن أبي طالب قال، أخبرنا يزيد قال، أخبرنا جويبر، عن الضحاك : « من يعمل سوءًا يجز به »، يعني بذلك : اليهود والنصارى

---

(١) هكذا في المطبوعة، وفي المخطوطة : « إلا عدبه » غير منقوطة . وأنا في شك منها . ولكن ربما وجه معناها إلى أن الله تعالى لو جازى العبد المؤمن بالخير، وجازاه بالشر، لكان جزاء الشر مفضياً إلى طول عذابه، فما من امرئ إلا وله ذنوب، والذنوب توبق أصحابها، وعسى أن لا يقوم لها ما قدم العبد من الخير .

والمجوس وكفار العرب = « ولا يجدون لهم من دون الله وليًّا ولا نصيراً » .

* * *

وقال آخرون : معنى « السوء » فى هذا الموضع : الشرك . قالوا : وتأويل قوله : « من يعمل سوءًا يجز به » ، من يشرك بالله يجزَ بشركه = « ولا يجد له من دون الله وليًّا ولا نصيراً » .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٥١٨ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية، عن على، عن ابن عباس قوله : « من يعمل سوءًا يجز به »، يقول : من يشرك يجز به = وهو « السوء » = « ولا يجد له من دون الله وليًّا ولا نصيراً » ، إلاّ أن يتوب قبل موته ، فيتوب الله عليه .

١٠٥١٩ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ابن أبى ليلى، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير : « من يعمل سوءًا يجز به » ، قال : الشرك .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلات التى ذكرناها بتأويل الآية ، التأويلُ الذى ذكرناه عن أبى بن كعب وعائشة : وهو أن كل من عمل سوءًا صغيراً أو كبيراً من مؤمن أو كافر ، جوزى به .

وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية : لعموم الآية كلَّ عامل سوء ، من غير أن يُخَصَّ أو يستثنى منهم أحد. فهى على عمومها، إذ لم يكن فى الآية دلالة على خصوصها، ولا قامت حجة بذلك من خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

* * *

فإن قال قائل: وأين ذلك من قول الله: ﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ . [سورة النساء : ٣١] ؟ وكيف يجوز أن يجازِى على ما قد وعد تكفيره ؟

قيل : إنه لم يعد بقوله : « نكفر عنكم سيئآتكم » ، تركَ المجازاة عليها ، وإنما وعدَ التكفير بترك الفضيحة منه لأهلها فى معادهم ، كما فضح أهلَ الشرك والنفاق . فأما إذا جازاهم فى الدنيا عليها بالمصائب ليكفرها عنهم بها ، ليوافوه ولا ذنب لهم يستحقون المجازاة عليه ، فإنما وفّى لهم بما وعدهم بقوله : « نكفر عنكم سيئاتكم » ، وأنجز لهم ما ضمن لهم بقوله : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ ، [سورة النساء : ١٢٢] .

• • •

وينحو الذى قلنا فى ذلك : تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

• ذكر الأخبار الواردة بذلك :

١٠٥٢٠ — حدثنا أبو كريب وسفيان بن وكيع ونصر بن على وعبد الله بن أبى زياد القطوانى قالوا ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن ابن محيصن ، عن محمد بن قيس بن مخرمة ، عن أبى هريرة قال : لما نزلت هذه الآية : « من يعمل سوءًا يجز به » ، شقّت على المسلمين ، وبلغت منهم ما شاء الله أن تبلغ ، فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : قاربوا وسدّدوا ، ففى كل ما يصابُ به المسلم كفارةٌ ، حتى النكبةُ ينكبها ، أو الشَّوكة يُشَاكها .(١)

١٠٥٢١ — حدثنى عبد الله بن أبى زياد وأحمد بن منصور الرمادى قالا ، حدثنا زيد بن حباب قال ، حدثنا عبد الملك بن الحسن الحارثى قال ، حدثنا

---

(١) الأثر : ١٠٥٢٠ — « نصر بن على » هو الجهضمى ، مضى برقم : ٢٨٦١ ، ٢٣٧٦ و « عبد الله بن أبى زياد القطوانى » مضى برقم : ٥٧٩٦ .

و « ابن محيصن » هو : عمر بن عبد الرحمن بن محيصن السهمى القرشى ، من أهل مكة . وانظر بقية ترجمته ومراجعها فى شرح مسند أحمد .

و « محمد بن قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف » ، تابعى ثقة . وانظر شرح المسند . وكان فى المخطوطة والمطبوعة : « محمد بن قيس عن مخرمة » وهو خطأ محض .

وهذا الأثر رواه بهذا الإسناد أحمد فى مسنده : ٧٣٨٠ ، واستوفى أخى السيد أحمد التعليق عليه ، وأزيد أن البيهقى خرجه فى السنن ٣ : ٣٧٣ .

« النكبة » : هى إصابة الحجر الإصبع ، إذا عثر الرجل عثرة ، أو ما كانت .

محمد بن زيد بن قنفذ ، عن عائشة ، عن أبي بكر قال : لما نزلت : « من يعمل سوءًا يجز به » ، قال أبو بكر: يا رسول الله ، كل ما نَعْمل نؤاخذ به ؟ فقال: يا أبا بكر ، أليس يُصيبك كذا وكذا ؟ فهو كفارته .(١)

١٠٥٢٢ – حدثني إبراهيم بن سعيد الجوهري قال، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن زياد الجصاص ، عن علي بن زيد، عن مجاهد قال ، حدثني عبد الله ابن عمر : أنه سمع أبا بكر يقول : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « من يعمل سوءًا يجز به » في الدنيا .(٢) ١٨٩/٥

١٠٥٢٣ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن إسمعيل ، عن أبي بكر ابن أبي زهير ، عن أبي بكر الصديق أنه قال : يا نبي الله ، كيف الصلاح بعد

---

(١) الأثر : ١٠٥٢١ – « عبد الله بن أبي زياد القطواني » سلف في رقم : ١٠٥٢٠ .
و « أحمد بن منصور الرمادي » ، مضت ترجمته رقم : ١٠٢٦٠ .
و « زيد بن حباب العكلي » مضى برقم : ٢١٨٥ ، ٥٣٥٠ ، ٨١٦٥ ، وكان في المطبوعة : « يزيد بن حيان » ، وهو خطأ محض ، صوابه من المخطوطة .
و «عبد الملك بن الحسن بن أبي حكيم الحارثي» ، ويقال : « الجاري » ، « أبو مروان الأحول » . قال أحمد : « لا بأس به » ، وقال ابن معين : « ثقة » . مترجم في التهذيب .
و « محمد بن زيد بن قنفذ » هو : « محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ التيمي الجدعاني القرشي » رأى ابن عمر رؤية ، وابن عمر مات سنة ٧٣ ، وعائشة أم المؤمنين ماتت سنة ٥٨ ، فهو لم يرها بلا شك ، فحديثه عنها منقطع . مترجم في التهذيب ، والكبير ١/١/٨٤ ، وابن أبي حاتم ٣/٢/٢٥٥ .
وهذا الأثر ذكره ابن كثير في التفسير ٢ : ٥٨٧ ، والسيوطي في الدر المنثور ٢ : ٢٦٦ ، ولم ينسباه لغير ابن جرير .

(٢) الأثر : ١٠٥٢٢ – « إبراهيم بن سعيد الجوهري الطبري » ، مضى برقم : ٣٣٥٥ ، ٣٩٥٩ .
و « عبد الوهاب بن عطاء الخفاف » مضى برقم : ٥٤٢٩ ، ٥٤٣٢ .
و « زياد بن أبي زياد الجصاص » ، ضعيف جداً ، ليس بشيء .
و « علي بن زيد » هو ابن جدعان . ثقة ، سيئ الحفظ . مضى برقم : ٤٠ ، ٤٨٩٧ ، ٦٤٩٥ .
وهذا الأثر رواه أحمد في المسند : ٢٣ ، وقال أخي السيد أحمد : « إسناده ضعيف » .
وخرجه ابن كثير في تفسيره ٢ : ٥٨٧ ، مطولا عن أبي بكر بن مردويه ، عن محمد بن هشام ابن جهيمة ، عن يحيى بن أبي طالب ، عن عبد الوهاب بن عطاء ، ثم قال : « ورواه أبو بكر البزار في مسنده عن الفضل بن سهل ، عن عبد الوهاب بن عطاء ، به مختصراً » .
وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٢٦٦ ، وزاد نسبته للخطيب في المتفق والمفترق .

هذه الآية ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أيّة آية ؟ قال يقول الله : « ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءًا يجز به »، فما عملناه جزينا به ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : غفر الله لك يا أبا بكر ! ألست تمرض ؟ ألست تحزن ؟ ألست تُصيبك اللأواء ؟ قال : فهو ما تجزون به ! (١)

١٠٥٢٤ – حدثنا يونس قال، حدثنا سفيان ، عن إسمعيل بن أبي خالد = قال : أظنه عن أبي بكر الثقفي ، عن أبي بكر قال : لما نزلت هذه الآية : « من يعمل سوءاً يجز به » ، قال أبو بكر : كيف الصلاح ؟ = ثم ذكر نحوه ، إلا أنه زاد فيه : ألست تُنْكب ؟(٢)

١٠٥٢٥ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، حدثنا إسمعيل بن أبي خالد ، عن أبي بكر بن أبي زهير : أن أبا بكر قال للنبي صلى الله عليه وسلم : كيف الصلاح ؟ فذكر مثله .(٣)

١٠٥٢٦ – حدثني محمد بن عبيد المحاربي قال ، حدثنا أبو مالك الجنبي ، عن إسمعيل بن أبي خالد ، عن أبي بكر بن أبي زهير الثقفي قال ، قال أبو بكر : يا رسول الله ، فذكر نحوه = إلاّ أنه قال : فكل سوء عملناه جُزينا به ؟ وقال أيضاً: ألست تمرض؟ ألست تَنْصب؟(٤) ألست تحزن ؟ أليس تصيبك اللأواء ؟ قال : بلى ، قال : هو ما تجزون به !

١٠٥٢٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن ابن أبي خالد ، عن

---

(١) الأثر : ١٠٥٢٣ – هذا الأثر وما يليه إلى رقم: ١٠٥٢٨، ستة أسانيد لخبر واحد ، وسيأتي الكلام عليها في آخرها .

« اللأواء » : الشدة وضيق المعيشة والمشقة .

(٢) الأثر : ١٠٥٢٤ – هذا الأثر ساقط من المخطوطة .

و « نكب الرجل ينكب » بالبناء للمجهول ، أصابه حجر فثلم إصبعه أو ظفره .

(٣) في المطبوعة : « فذكر نحوه » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٤) « نصب الرجل ينصب نصباً » (المصدر بفتحات) : أعيي وتعب .

أبي بكر بن أبي زهير الثقفي قال : لما نزلت هذه الآية : « ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءًا يجز به »، قال: قال أبو بكر : يا رسول الله ، وإنا لنجزى بكل شيء نعمله ؟ قال : يا أبا بكر ، ألست تنصب ؟ ألست تحزن ؟ ألست تصيبك اللأواء ؟ فهذا مما تجزون به .

١٠٥٢٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن سعيد قال ، حدثنا ابن أبي خالد قال ، [١] حدثني أبو بكر بن أبي زهير الثقفي ، عن أبي بكر ، [٢] فذكر مثله . [٣]

١٠٥٢٩ – حدثنا أبو السائب وسفيان بن وكيع قالا، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم قال : قال أبو بكر : يا رسول الله ، ما أشد هذه الآية : « من يعمل سوءًا يجز به » ؟ قال : يا أبا بكر ، إنّ المصيبة في الدنيا جزاء . [٤]

---

(١) في المخطوطة : « قال حدثنا أبي عن خالد » ، وهو خطأ صوابه ما في المطبوعة .

(٢) في المطبوعة : « فذكر مثل ذلك » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٣) الآثار : ١٠٥٢٣ – ١٠٥٢٨ – خبر واحد ، « أبو بكر بن أبي زهير الثقفي » ، من صغار التابعين ، وهو مستور ، لم يذكر بجرح ولا تعديل. ولذلك قال أخي السيد أحمد في المسند رقم : ٦٨ ، « إسناده ضعيف لانقطاعه »، ثم قال: « وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي ، وهو عجب منهما ، فإن انقطاع إسناده بين » .

رواه أحمد في المسند : ٦٨ – ٧١ ، والبيهقي في السنن ٣ : ٣٧٣ ، والحاكم في المستدرك ٣ : ٧٤ ، ٧٥ ، وخرجه ابن كثير في تفسيره : ٢ : ٥٨٧ ، والسيوطي في الدر المنثور ٢ : ٢٦٦ ، وزاد نسبته إلى هناد ، وعبد بن حميد ، والحكيم الترمذي ، وأبي يعلى ، وابن المنذر ، وابن حبان ، وابن السني في عمل اليوم والليلة ، والبيهقي في شعب الإيمان .

(٤) الأثر : ١٠٥٢٩ – « أبو معاوية » هو « محمد بن خازم التميمي » أبو معاوية الضرير ، مضى برقم : ٢٧٨٣ .

و « الأعمش » هو « سليمان بن مهران » مضى : ٢٩١٨ ، ٣٢٩٥ ، ٨٢٠٧ ، ٨٢٠٨ .

و « مسلم » هو : « مسلم بن صبيح الهمداني » مضى برقم : ٥٤٢٤ ، ٧٢١٦ ، ٨٢٠٦ .

وهذا الأثر خرجه ابن كثير في تفسيره ٢ : ٥٨٨ عن ابن مردويه : « حدثنا محمد بن أحمد ابن إسحق العسكري ، قال حدثنا محمد بن عامر السعدي ، قال حدثنا يحيى بن يحيى ، حدثنا فضيل ابن عياض ، عن سليمان بن مهران ، عن مسلم بن صبيح ، عن مسروق ، قال قال أبو بكر » ، وساق الحديث بأطول مما هنا ، وبغير هذا اللفظ .

وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٢٢٦ ، ٢٢٧ بلفظ ابن مردويه ، عن مسروق عن أبي بكر ، ونسبه لابن جرير ، وأبي نعيم في الحلية ، وهناد ، وسعيد بن منصور .

١٠٥٣٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا روح بن عبادة قال ، حدثنا أبو عامر الخزاز ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة قالت ، قلت : إني لأعلم أيُّ آية في كتاب الله أشدُّ ؟ فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم : أيّ آية ؟ فقلت : « من يعمل سوءاً يجز به » ! قال : « إن المؤمن ليجازى بأسوإ عمله في الدنيا » ، ثم ذكر أشياء منهن المرض والنَّصبُ ، فكان آخره أنه ذكر النكبة ،(١) فقال : « كلُّ ذي يجزى به بعمله، يا عائشة ،(٢) إنه ليس أحدٌ يحاسب يوم القيامة إلاّ يعذَّب » . فقلت : أليسَ يقول الله: ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيرًا ﴾ ، [سورة الانشقاق : ٨] ؟ فقال : ذاك عند العرض ، إنه من نُوقش الحسابَ عُذِّب(٣) = وقال بيده على إصبعه ،(٤) كأنه يَنْكُتُه .(٥)

بيد أن خبر الطبري ليس فيه ذكر « مسروق » ، وهو « مسروق بن الأجدع الوداعي الهمداني » ، مضى برقم : ٢٤٢ ، ٧٢١٦ ، فأخشى أن يكون سقط من النساخ ذكر « مسروق » في هذا الإسناد .

(١) في المطبوعة : « أن ذكر النكبة » ، وأثبت ما في المخطوطة . و « النكبة » كما أسلفت : إصابة الحجر إصبع المرء أو ظفره .

(٢) في المطبوعة : « يجزى بعمله » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٣) « ناقشه الحساب مناقشة » : استقصى في محاسبته حتى لا يترك منه شيء ، من قولهم : « نقش الشوكة » : إذا استقصى استخراجها من جسمه .

(٤) « قال بيده » : أشار بها وأومأ . و « القول » لفظ مستعمل في معاني عدة .

وفي المطبوعة : « كأنه ينكت » بغير هاء في آخره ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو موافق لما يأتي في التفسير ٣٠ : ٨٤ (بولاق) حيث روى هذا الأثر مختصراً .

(٥) الأثر : ١٠٥٣٠ – « روح بن عبادة القيسي » ، ثقة ، مضت ترجمته برقم : ٣٠١٥ ، ٣٣٥٥ ، ٣٩١٢ .

« أبو عامر الخزاز » ، هو : « صالح بن رستم المزني » ، مضى برقم : ٥٤٥٨ ، ٦٣٧١ ، ٦٣٨٣ ، ٦٣٨٤ ، ٦٣٨٧ ، ٦٦١٤ . و « الخزاز » بمعجمات ، وكان في المطبوعة : « الخراز » ، وفي المخطوطة غير منقوطة .

و « ابن أبي مليكة » هو : « عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله بن أبي مليكة » سمع عائشة وغيرها من الصحابة . مضى برقم : ٦٦٠٥ ، ٦٦١٠ .

وهذا الأثر رجاله جميعاً ثقات . وسيأتي برقم : ١٠٥٣٢ ، من طريق هشيم عن أبي عامر الخزاز ، بغير هذا اللفظ مختصراً .

ورواه البخاري بغير هذا اللفظ من طريق سعيد بن أبي مريم ، عن نافع بن عمر ، عن ابن أبي مليكة عن عائشة (الفتح ١ : ١٧٦) .

١٠٥٣١ ــ حدثني القاسم بن بشر بن معروف قال ، حدثنا سليمان بن حرب قال ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن أمية قالت : سألت عائشة عن هذه الآية : ﴿ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ ، [سورة البقرة : ٢٨٤] ، و «ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به » . قالت : ما سألني عنها أحد منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها ،(١)

ثم رواه (الفتح ٨ : ٥٣٥) بغير هذا اللفظ من ثلاث طرق : من طريق يحيى القطان ، عن عثمان بن الأسود ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة .

ثم من طريق حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة .

ثم من طريق يحيى ، عن أبي يونس حاتم بن أبي صغيرة ، عن ابن أبي مليكة ، عن القاسم ابن محمد ، عن عائشة .

ثم عاد فرواه (الفتح ١١ : ٣٤٧ ، ٣٤٨) من سبع طرق ، واستوفى الحافظ ابن حجر الكلام فيه في هذه المواضع الثلاثة من صحيح البخاري .

ورواه مسلم في صحيحه (١٧ : ٢٠٨) من أربع طرق : من طريق ابن علية ، عن أيوب ، عن عبد الله بن أبي مليكة ، عن عائشة .

ومن طريق حماد بن زيد ، عن أيوب ، بهذا الإسناد نحوه

ومن طريق يحيى بن سعيد القطان ، عن أبي يونس القشيري ، عن ابن أبي مليكة ، عن القاسم ، عن عائشة .

ومن طريق يحيى القطان ، عن عثمان بن الأسود عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة ، بمثل حديث أبي يونس .

ثم رواه أبو داود في السنن ٣ : ٢٥٠ رقم : ٣٠٩٣ ، بغير هذا اللفظ من طريق عثمان بن عمر ، عن أبي عامر الخزاز ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة .

ثم رواه الترمذي مختصراً في (باب ما جاء في العرض) وفي (تفسير سورة الانشقاق) من طريق عثمان بن الأسود ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة ، وقال : « هذا حديث حسن صحيح » .

وسيأتي في تفسير أبي جعفر ، بعدة طرق في تفسير سورة الانشقاق : ٣٠ : ٧٤ (بولاق) وسنتكلم في أسانيدها هناك .

وخرجه مختصراً ابن كثير في تفسيره ٢ : ٥٨٩ ، والسيوطي في الدر المنثور ٢ : ٢٢٧ ، وقصرا في نسبته ، وزاد السيوطي نسبته لابن أبي حاتم ، والبيهقي .

وقوله : « ينكته » من قولهم : « نكت الأرض بقضيب أو بإصبع » : أي ضرب بطرفه في الأرض حتى يؤثر فيها . وهو إشارة مناقشة الحساب ، وهو كما أسلفنا استقصاء الحساب ، كأن المحاسب ينقش عن شوكة استخفت تحت الجلد فهو يستخرجها من باطن اللحم . يقول صلى الله عليه وسلم : هكذا يفعل بالمرء إذا نوقش واستقصيت ذنوبه .

(١) في مسند أحمد ٦ : ٢١٨ « عنهما » ، وهي أجود ، ولكن ثبت في المخطوطة : « عنها » بالإفراد ولا بأس بذلك في العربية .

فقال : يا عائشة ، ذاك مَشَابَةُ الله للعبد بما يصيبه من الحمَّى والكِبر ،[١] والبِضَاعة يضعها فى كُمِّه فيفقدها ، فيفزع لها ، فيجدها فى كمه ،[٢] حتى إن المؤمن ليخرج من ذنوبه كما يخرج التِّبْر الأحمر من الكِير .[٣]

١٠٥٣٢ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا أبو عامر الخزاز قال ، حدثنا ابن أبى مليكة ، عن عائشة قالت : قلت يا رسول الله ، إنى لأعلم أشدَّ آية فى القرآن ! فقال : ما هى يا عائشة ؟ قلت : هى هذه الآية يا رسول الله : « من يعمل سوءًا يجز به » ، فقال : هو ما يصيب العبدَ المؤمن ، حتى النكبة يُنْكبها .[٤]

١٠٥٣٣ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن الربيع ابن صبيح ، عن عطاء قال : لما نزلت : « ليس بأمانيكم ولا أمانىّ أهل الكتاب

---

(١) فى المطبوعة : « مشابة الله العبد » بغير لام فى « العبد » وأثبت ما فى المخطوطة . وفى المخطوطة : « مشابة » منقوطة ظاهرة . وقد مضت فى الأثر : ٦٤٩٥ « متابعة الله العبد » ، ومثلها فى المسند ٦ : ٢١٨ ، وفى الطيالسى : ٢٢١ « معاتبة » .

فإن صح ما فى المخطوطة ، وكأنه صواب جيد . فإن « المثابة » من « ثاب إليه يثوب » ، أى : رجع ، يقول : فذاك رجوع الله للعبد بالمغفرة . وذلك معنى « الثواب » ، وهو الجزاء أيضاً . أى : فهذا جزاء الله عبده .

وقد سلف فى رقم : ٦٤٩٥ ، تفسير « المتابعة » و « المعاتبة » فراجعه .

(٢) هكذا هنا « فيجدها فى كمه » وفى الأثر : ٦٤٩٥ ، « فى ضبنه » ، وفى الطيالسى : ٢٢١ « فى جيبه » ، وهى قريب من قريب .

وفى سائر الأثر اختلاف فى بعض اللفظ .

(٣) الأثر : ١٠٥٣١ — « القاسم بن بشر بن معروف » ، مضى برقم : ١٠٥٠٩ ، وكان هنا فى المطبوعة : « بن معرور » بالراء فى آخره ، كما كان هناك فى المخطوطة والمطبوعة ، ولكن جاء هنا فى المخطوطة على الصواب « بن معروف » بالفاء .

و « سليمان بن حرب » مضى أيضاً برقم : ١٠٥٠٩ .

وهذا الأثر رواه الطبرى آنفاً برقم ٦٤٩٥ ، من طريق الربيع ، عن أسد بن موسى ، عن حماد بن سلمة ، بمثله ، مع خلاف يسير فى لفظه ، وقد خرجه أخى السيد أحمد هناك مستوفى ، وشرحت هناك ألفاظه وغريبه .

(٤) الأثر : ١٠٥٣٢ — سلف تخريج هذا الأثر برقم : ١٠٥٣٠ . وكان هنا أيضاً فى المطبوعة : « الخراز » ، بالراء ، وصوابه ما أثبت .

من يعمل سوءا يجز به » ، قال أبو بكر : يا رسول الله ، ما أشد هذه الآية ؟ قال : يا أبا بكر ، إنك تمرض ، وإنك تحزن ، وإنك يُصيبك أذًى ، فذاك بذاك .[1] ١٩٠/٥

١٠٥٣٤ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قال ، أخبرني عطاء بن أبي رباح قال : لما نزلت قال أبو بكر : جاءت قاصمة الظهر ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما هي المصيبات في الدنيا .[2]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ (١٢٣)

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : ولا يجد الذي يعمل سوءاً من معاصي الله وخلاف ما أمره به = « من دون الله » ، يعني : من بعد الله ، وسواه[3] = « وليًّا » يلي أمره ،[4] ويحمي عنه ما ينزل به من عقوبة الله[5] = « ولا نصيراً » ، يعني : ولا ناصراً ينصره مما يحلّ به من عقوبة الله وأليم نكاله .[6]

* * *

---

(١) الأثر : ١٠٥٣٣ – هذا أثر مرسل ، عطاء بن أبي رباح ، لم يسمع أبا بكر . « الربيع بن صبيح السعدي » ، مضت ترجمته برقم : ٦٤٠٣ ، ٦٤٠٤ ، ٧٤٨٢ ، ٧٦٠٣ ، وهو ضعيف . وترجم له البخاري في الكبير ٢/١/٢٥٤ .
وكان في المطبوعة والمخطوطة « بن صبيح » ، وهو خطأ محض .

(٢) الأثر : ١٠٥٣٤ – هذا أثر مرسل . ولم أجده في مكان .

(٣) انظر تفسير « من دون » فيما سلف ص : ٢١١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٤) في المخطوطة : « وليا ، ولي يلي أمره » ، بزيادة « ولي » .

(٥) انظر تفسير : « ولي » فيما سلف ص : ٢٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٦) انظر تفسير « نصير » فيما سلف ص : ١٨ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ (١٢٤)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : الذين قال لهم : « ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب » ، يقول الله لهم : إنما يدخل الجنة وينعم فيها فى الآخرة ، من يعمل من الصالحات من ذكوركم وإناثكم ، وذكور عبادى وإناثهم ، وهو مؤمن بى وبرسولى محمد ، مصدق بوحدانيتى وبنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عندى = لا أنتم أيها المشركون بى ، المكذبون رسولى ، فلا تطمعوا أن تحلّوا ، وأنتم كفار ، محلّ المؤمنين بى ، وتدخلوا مداخلهم فى القيامة ، وأنتم مكذّبون برسولى ، كما :—

١٠٥٣٥ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن » ، قال : أبى أن يقبل الإيمان إلاّ بالعمل الصالح ، وأبَى أن يقبل الإسلام إلاّ بالإحسان .

* * *

وأما قوله : « ولا يظلمون نقيراً » ، فإنه يعنى : ولا يظلم الله هؤلاء الذين يعملون الصالحات من ثوابِ عملهم ، مقدارَ النُّقرة التى تكون فى ظهر النَّواة فى القلة ، فكيف بما هو أعظم من ذلك وأكثر ؟ وإنما يخبر بذلك جل ثناؤه عبادَه أنه لا يبخَسهم من جزاء أعمالهم قليلاً ولا كثيراً ، ولكن يُوفّيهم ذلك كما وعدهم .(١)

* * *

(١) انظر تفسير « النقير » فيما سلف : ٨ : ٤٧٢ — ٤٧٥

وبالذى قلنا فى معنى « النقير » ، قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٥٣٦ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد : « ولا يظلمون نقيراً » ، قال : النقير ، الذى يكون فى ظهر النواة .

١٠٥٣٧ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا أبو عامر قال ، حدثنا قرة ، عن عطية قال : النقير ، الذى فى وسط النواة .(١)

* * *

فإن قال لنا قائل : ما وجه دخول : «مِن» فى قوله : « ومن يعمل من الصالحات » ، ولم يقل : « ومن يعمل الصالحات » ؟

قيل : لدخولها وجهان :

أحدهما : أن يكون الله قد علم أن عبادَه المؤمنين لن يُطيقوا أن يعملوا جميع الأعمال الصالحات ، فأوجب وَعده لمن عمل ما أطاق منها ، ولم يحرمه من فضله بسبب ما عجزتْ عن عمله منها قوّته .(٢)

والآخر منهما : أن يكون تعالى ذكره أوجب وعدَه لمن اجتنب الكبائر وأدّى الفرائض ، وإن قصر فى بعض الواجب له عليه ، تفضلاً منه على عباده المؤمنين ، إذ كان الفضل به أولى ، والصفح عن أهل الإيمان به أحرَى .

* * *

وقد تقوّل قوم من أهل العربية ،(٣) أنها أدخلت فى هذا الموضع بمعنى الحذف ،

---

(١) من أول قوله : « وبالذى قلنا فى معنى النقير » إلى آخر هذا الأثر ، ساقط من المخطوطة . وهذان الأثران : ١٠٥٣٦ ، ١٠٥٣٧ ، لم يذكرا هناك (٨ : ٤٧٢ – ٤٧٥) فى الآثار التى جاء فيها تفسير « النقير » . وهذا أحد ضروب اختصار أبى جعفر تفسيره .

(٢) فى المخطوطة : « منها قوله » ، وفوق « قوله » « كذا » ، دليلا على أنها كانت كذلك فى الأصل الذى نقل الناسخ عنه . وصواب قراءتها ما أثبت . وفى المطبوعة : « قواه » بالجمع ، وهى أيضاً حسنة .

(٣) ليس فى المخطوطة : « قوم » ، وإثباتها لا بأس به ، وهذا الذى سيسوقه رأى بعض أهل البصرة ، كما أشار إليه مراراً فيما سلف .

ويتأوّله : ومن يعمل الصالحاتِ من ذكر أو أنثى وهو مؤمن .[١]

وذلك عندى غير جائز ، لأن دخولها لمعنًى ، فغير جائز أن يكون معناها الحذف .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾

قال أبو جعفر : وهذا قضاء من الله جل ثناؤه للإسلام وأهله بالفضل على سائر الملل غيره وأهلِها ، يقول الله : « ومن أحسن ديناً » أيها الناس، وأصوبُ طريقاً ، وأهدى سبيلاً = « ممن أسلم وجهه لله » ، يقول : ممن استسلم وجهه لله فانقاد له بالطاعة ، مصدقاً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من عند ربه[٢] = « وهو محسن » ، يعنى : وهو عاملٌ بما أمره به ربه ، محرِّم حرامه ومحلِّل حلاله[٣] = « واتَّبع ملة إبراهيم حنيفاً »، يعنى بذلك: واتبع الدين الذى كان عليه إبراهيم خليل الرحمن ، وأمر به بنيه من بعده وأوصاهم به[٤] = « حنيفاً » ، يعنى : مستقيماً على منهاجه وسبيله .

* * *

وقد بينا اختلاف المختلفين فيما مضى قبل فى معنى « الحنيف » ، والدليل على الصحيح من القول فى ذلك بما أغنى عن إعادته .[٥]

* * *

---

(١) انظر زيادة « من » فى الجحد والإثبات فيما سلف ٢ : ١٢٦ ، ١٢٧ ، ٤٤٢ ، ٥/٤٧٠ : ٦/٥٨٦ : ٧/٥٥١ : ٤٨٩ .

(٢) انظر تفسير « أسلم وجهه » فيما سلف ٢ : ٥١٠ - ٦/٥١٢ : ٢٨٠ .

(٣) انظر تفسير « الإحسان » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٤) انظر تفسير « ملة » فيما سلف ٢ : ٣/٥٦٣ : ١٠٤ .

(٥) انظر تفسير « حنيف » فيما سلف ٣ : ١٠٤ - ٦/١٠٨ : ٤٩٤ .

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

وممن قال ذلك أيضاً الضحاك . ١٩١/٥

١٠٥٣٨ – حدثنى يحيى بن أبى طالب قال، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك قال : فضّل الله الإسلام على كل دين فقال : « ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن » إلى قوله : « واتخذ الله إبراهيم خليلاً » ، وليس يقبل فيه عملٌ غير الإسلام ، وهى الحنيفيّة .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ (١٢٥)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : واتخذ الله إبراهيم وليًّا .

* * *

فإن قال قائل : وما معنى « الخُلّة » التى أعطيها إبراهيم ؟

قيل : ذلك من إبراهيم عليه السلام : العداوةُ فى الله والبغض فيه ، والولاية فى الله والحب فيه، على ما يعرف من معانى « الخلة » . وأما من الله لإبراهيم، فنُصرته على من حاوله بسوءٍ ، كالذى فعل به إذْ أراده نمرود بما أرادَه به من الإحراق بالنار فأنقذَه منها ، أو على حجته عليه إذ حاجّه = وكما فعل بملك مصر إذ أراده عن أهله[1] = وتمكينه مما أحب= وتصييره إماماً لمن بعدَه من عباده ، وقدوةً لمن خلفه فى طاعته وعبادته . فذلك معنى مُخالّته إياه .

وقد قيل: سماه الله « خليلاً » ، من أجل أنه أصابَ أهلَ ناحيته جدْبٌ ، فارتحل إلى خليلٍ له من أهل الموصل = وقال بعضهم : من أهل مصر = فى امتيار طعام لأهله من قِبله، فلم يصب عنده حاجته . فلما قرُب من أهله مرَّ بمفازة ذات رمل، فقال: لو ملأت غرائرى من هذا الرمل،[2] لئلا أغُمَّ أهلى برجوعى إليهم

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « ملك مصر » بغير باء ، والسياق يقتضى ما أثبت .

(٢) « الغرائر » جمع « غرارة » (بكسر الغين) : وهى الجوالق الذى يوضع فى التبن والقمح وغيرهما .

بغير ميرة، وليظنوا أنى قد أتيتهم بما يحبون! ففعل ذلك، فتحوّل ما فى غرائره من الرمل دقيقاً ، فلما صار إلى منزله نام . وقام أهله ، ففتحوا الغرائر ، فوجدوا دقيقاً ، فعجنوا منه وخبزوا . فاستيقظ ، فسألهم عن الدقيق الذى منه خبزوا ، فقالوا : من الدقيق الذى جئت به من عند خليلك ! فعلم ، فقال : نعم ! هو من خليلى الله ! قالوا : فسماه الله بذلك « خليلاً » . (١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴾ (١٢٦)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « واتخذ الله إبراهيم خليلاً » ، لطاعته ربَّه، وإخلاصه العبادة له ،والمسارعةِ إلى رضاه ومحبته، لا من حاجةٍ به إليه وإلى خُلَّته . وكيف يحتاج إليه وإلى خلَّته ، وله ما فى السموات وما فى الأرض من قليل وكثير مِلْكاً، والمالك الذى إليه حاجة مُلْكه، دون حاجته إليه؟ يقول: (٢) فكذلك حاجة إبراهيم إليه ، لا حاجته إليه فيتخذه من أجل حاجته إليه خليلاً ، ولكنه اتخذه خليلاً لمسارعته إلى رضاه ومحبته . يقول : فكذلك فسارعوا إلى رضاىَ ومحبتى لأتخذكم لى أولياء = « وكان الله بكل شىء محيطاً » ، ولم يزل الله محصياً لكل ما هو فاعله عبادُه من خير وشرّ ، عالماً بذلك ، لا يخفى عليه شىء منه ، ولا يعزب عنه منه مثقال ذرَّة . (٣)

* * *

(١) هذا دليل آخر على اختصار أبى جعفر تفسيره فى مواضع ، كما قيل فى ترجمته . فلولا الاختصار ، لساق أخبار إبراهيم عليه وعلى نبينا صلى الله عليهما السلام . وقد سلفت أخبار إبراهيم فى مواضع متفرقة من التفسير .

(٢) قوله : « يقول » ليست فى المطبوعة ، وهى ثابتة فى المخطوطة .

(٣) انظر تفسير « كان » بمعنى : لم يزل، فيما سلف فى فهارس اللغة (كون) = وتفسير « الإحاطة » و « محيط » فيما سلف ص : ١٩٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « ويستفتونك فى النساء »، ويسألك ، يا محمد ، أصحابك أن تفتيهم فى أمر النساء ، والواجب لهن وعليهن = فاكتفى بذكر « النساء » من ذكر « شأنهن » ، لدلالة ما ظهر من الكلام على المراد منه .

= « قل الله يفتيكم فيهن » ، قل لهم : يا محمد ، الله يفتيكم فيهن، يعنى : فى النساء = « وما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن » .

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « وما يتلى عليكم فى الكتاب » .

فقال بعضهم : يعنى بقوله : « وما يتلى عليكم » ، قل الله يفتيكم فيهن ، وفيما يتلى عليكم . قالوا : والذى يتلى عليهم ، هو آيات الفرائض التى فى أول هذه السورة .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٥٣٩ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام بن سلم ، عن عمرو بن أبى قيس ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب » ، قال : كان أهل الجاهلية لا يورِّثون المولود حتى يكبر ، ولا يورِّثون المرأة . فلما كان الإسلام ، قال : « ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب » فى أول

السورة فى الفرائض = اللاتى لا تؤتونهن ما كتب الله لهن .(١)

١٠٥٤٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن هشام بن عروة، عن أبيه ، عن عائشة : « وما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن » ، قالت : هذا فى اليتيمة تكون عند الرجل ، لعلها أن تكون شريكتَه فى ماله ، وهو أولى بها من غيره ، فيرغب عنها أن ينكحها و يعضُلها لمالها ، ولا يُنكحها غيره كراهيةَ أن يشركه أحد فى مالها .(٢) ١٩٢/٥

١٠٥٤١ – حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا ، حدثنا جرير ، عن عطاء ابن السائب، عن سعيد بن جبير قال : كانوا لا يورِّثون فى الجاهلية النساءَ والفتى حتى يحتلم ، فأنزل الله : « ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء » ، فى أول « سورة النساء » من الفرائض .(٣)

١٠٥٤٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير، عن أشعث، عن جعفر، عن شعبة قال : كانوا فى الجاهلية لا يورِّثون اليتيمة ، ولا ينكحونها ويَعْضلونها ، فأنزل الله : « ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن » إلى آخر الآية .

١٠٥٤٣ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، أخبرنى الحجاج، عن ابن جريج قال ، أخبرنى عبد الله بن كثير : أنه سمع سعيد بن جبير يقول فى قوله : « ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب فى

---

(١) الأثر : ١٠٥٣٩ – « عمرو بن أبى قيس الرازى » الأزرق ، مضى برقم ٦٨٨٧ ، وفى الأسانيد : ٨٦١١ ، ٩٣٤٦ .

و « عطاء » ، هو « عطاء بن السائب » ، مضى مراراً .

وسيأتى هذا الأثر من طريق أخرى رقم : ١٠٥٤١ .

(٢) الأثر : ١٠٥٤٠ – حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، روى من وجوه . رواه البخارى (الفتح ٨ : ١٧٩ ، ١٩٩)، ومضى مثله فى التفسير رقم : ٨٤٥٧ .

(٣) الأثر : ١٠٥٤١ – أخرجه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٣٠٨، مرفوعاً إلى ابن عباس بغير هذا اللفظ ، وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » .

وكان فى المطبوعة : « النساء والصبى » ، وأثبت ما فى المخطوطة . وسيأتى فى الأثر التالى : « الرجل الصغير » ، وهو الفتى .

يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كُتِب لهن وترغبون أن تنكحوهن » ، الآية ، قال : كان لا يرث إلاّ الرجل الذى قد بلغ ، لا يرث الرجل الصغير ولا المرأة . فلما نزلت آية المواريث فى « سورة النساء » ، شَقّ ذلك على الناس وقالوا : يرث الصغير الذى لا يعمل فى المال ولا يقوم فيه ، والمرأة التى هى كذلك ، فيرثان كما يرث الرجل الذى يعمل فى المال ! فرجوا أن يأتى فى ذلك حَدَثٌ من السماء ، فانتظروا. فلما رأوا أنه لا يأتى حَدَث قالوا : لئن تمّ هذا ، إنه لواجبٌ ما منه بدٌّ ! ثم قالوا : سَلُوا . فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله : « ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب » فى أول السورة = « فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن » . قال سعيد بن جبير : وكان الولىّ إذا كانت المرأة ذات جمال ومال رغب فيها ونكحها واستأثر بها ، وإذا لم تكن ذات جمال ومال أنكحها ولم يَنْكِحها .(١)

١٠٥٤٤ — حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم : « ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كُتب لهن وترغبون أن تنكحوهن » ، قال : كانوا إذا كانت الجارية يتيمةً دميمةً لم يعطوها ميراثَها ، وحبسوها من التزويج حتى تموت ، فيرثوها . فأنزل الله هذا .

١٠٥٤٥ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم فى قوله : « ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن » ، قال : كان الرجل منهم تكون له اليتيمة بها الدَّمامة والأمر الذى يرغب عنها فيه ، ولها مال . قال : فلا يتزوَّجها ولا يزوِّجها ، حتى تموت فيرثها . قال : فنهاهم الله عن ذلك .

١٠٥٤٦ — حدثنا سفيان بن وكيع قال ، حدثنا عبد الله ، عن إسرائيل ،

---

(١) الأثر : ١٠٥٤٣ — خرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٢٣١ ، وزاد نسبته لابن المنذر .

عن السدى ، عن أبى مالك : « وما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن » ، قال : كانت المرأة إذا كانت عند ولىّ يرغب عنها ، حبسها إن لم يتزوجها ، ولم يدع أحداً يتزوَّجها .

١٠٥٤٧ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن » ، قال : كان أهل الجاهلية لا يورِّثون النساء ولا الصبيان شيئاً ، كانوا يقولون : لا يغزُون ولا يغنَمون خيراً ! ففرض الله لهن الميراث حقًّا واجباً ليتنافس = أو : لِيَنْفس = الرجل فى مال يتيمته إن لم تكن حسنة .(١)

١٠٥٤٨ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد بنحوه .

١٠٥٤٩ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنا أبى قال ، حدثنا عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب » ، يعنى : الفرائض التى افترض فى أمر النساء = « اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن » ، قال : كانت اليتيمة تكون فى حِجْر الرجل فيرغبُ أن ينكحها أو يجامعها ،(٢) ولا يعطيها ما لها ، رجاءَ أن تموت فيرثها . وإن ماتَ لها حَميمٌ لم تعط من الميراث شيئاً .(٣) وكان ذلك فى الجاهلية ، فبيَّن الله لهم ذلك . ١٩٣/٥

(١) فى المطبوعة : « إن تكن حسنة » ، أسقط « لم » ففسد الكلام ، وهى ثابتة فى المخطوطة .
قوله : « ليتنافس فى مال يتيمته » ، كأنه استعمل « يتنافس » لازماً على وجه المفرد . وهو صواب فى العربية . والمنافسة والتنافس : الرغبة فى الشىء للانفراد به ، على وجه المغالبة .
وأما « لينفس الرجل فى مال يتيمته » فهو من قولهم : « نفس بالشىء » إذا ضن به واستأثر ، و « نفس فيه » : رغب فى الاستئثار به . ويقال : « هذا أمر منفوس فيه » ، أى : مرغوب فيه .
(٢) قوله : « يرغب أن ينكحها » ، هو على حذف « عن » أى : يرغب عن أن ينكحها . « رغب عن الشىء » ، تركه متعمداً ، وزهد فيه ، وكرهه ولم يرده . وحذف حرف الجر ، هنا جائز ، لدلالة الكلام عليه .
(٣) « الحميم » : القريب الدانى القرابة .

١٠٥٥٠ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن » حتى بلغ « وترغبون أن تنكحوهن» ، فكان الرجل تكون فى حجره اليتيمة بها دَمَامة، ولها مال ، فكان يرغب عنها أن يتزوّجها ، ويحبسها لمالِها ، فأنزل الله فيه ما تسمعون .

١٠٥٥١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن»، قال : كانت اليتيمة تكون فى حجر الرجل فيها دمامة ، فيرغب عنها أن ينكحها ، ولا يُنكحها رغبةً فى مالها .

١٠٥٥٢ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « وما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن » ، إلى قوله : « بالقسط » ، قال : كان جابر بن عبد الله الأنصارى ثم السُّلَمى له ابنة عَمّ عمياء، وكانت دميمة ، وكانت قد ورثت عن أبيها مالاً ، فكان جابرٌ يرغب عن نكاحها ، ولا يُنكحها رهبة أن يذهب الزوج بمالها ، فسأل النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك = وكان ناس فى حجورهم جوارٍ أيضاً مثل ذلك = فجعل جابر يسأل النبى صلى الله عليه وسلم : أترثُ الجارية إذا كانت قبيحة عمياء ؟ فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يقول : نعم ! ! فأنزل الله فيهن هذا .(١)

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن وفيما يتلى عليكم فى الكتاب ، فى آخر « سورة النساء » ، وذلك قوله : ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ إلى آخر السورة [سورة النساء : ١٧٦] .

---

(١) الأثر : ١٠٥٥٢ – انظر خبر جابر بن عبد الله وابنة عمه ، على غير هذا الوجه ، فيما سلف ، الأثر رقم : ٤٩٣٩ .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٥٥٣ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سلام ابن سليم، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير قال : كان أهل الجاهلية لا يورِّثون الولدان حتى يحتلموا، فأنزل الله: « ويستفتونك فى النساء »، إلى قوله « فإن الله كان به عليماً » . قال : ونزلت هذه الآية : ﴿ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ ﴾، [سورة النساء : ١٧٦] ، الآية كلها .(١)

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن وفيما يتلى عليكم فى الكتاب = يعنى : فى أول هذه السورة ، وذلك قوله : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ [سورة النساء : ٣]

* ذكر من قال ذلك :

١٠٥٥٤ – حدثني يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنى يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب قال ، أخبرنى عروة بن الزبير : أنه سأل عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ ، قالت : يا ابن أختى، هى اليتيمة تكون فى حجر الرجل وَلِيِّها،(٢) تشاركه فى ماله، فيعجبه مالها وجمالها ، فيريد وليُّها أن يتزوجها بغير أن يُقسط فى صداقها، فيعطيها مثل ما يعطيها غيره . فنهوا أن ينكحوهن إلاّ أن يقسطوا لهنّ، ويبلغوا بهن أعلى سُنَّتهن من الصداق . وأمروا

(١) الأثر : ١٠٥٥٣ – « الحارث » هو « الحارث بن محمد بن أبي أسامة » ، مضى برقم : ١٠٢٩٥ ، وما بعده .

و « عبد العزيز »، هو « عبد العزيز بن أبان الأموى » مضى أيضاً رقم : ١٠٢٩٥ ، وما بعده . وكان فى المخطوطة : « كان أهل الجاهلية الولدان » وفى هامشها (ط) ، دلالة على الخطأ، وقد أحسن ناشر المطبوعة الأولى فيما زاد .

(٢) فى المطبوعة : « فى حجر وليها » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وإن كانت (الرجل) غير موجودة فى هذا الأثر حيث رواه أبو جعفر برقم : ٨٤٥٧ .

أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن . قال عروة : قالت عائشة : ثم إن الناس استفتَوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية فيهن، فأنزل الله : « ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن » . قالت : والذى ذكر الله أنه يُتلى فى الكتاب : الآية الأولى التى قال فيها : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِى الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾.(١)

١٠٥٥٥ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى الليث قال ، حدثنى يونس ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة مثله .(٢)

* * *

قال أبو جعفر : فعلى هذه الأقوال الثلاثة التى ذكرناها، « ما » التى فى قوله : « وما يتلى عليكم » ، فى موضع خفض بمعنى العطف على « الهاء والنون » التى فى قوله: « يفتيكم فيهن » . فكأنهم وجّهوا تأويل الآية: قل الله يفتيكم، أيها الناس ، فى النساء ، وفيما يتلى عليكم فى الكتاب .(٣)

* * *

وقال آخرون : نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوم من أصحابه ، سألوه عن أشياء من أمر النساء ، وتركوا المسألة عن أشياء أخر كانوا يفعلونها ، فأفتاهم الله فيما سألوا عنه ، وفيما تركوا المسألة عنه . ٥/ ١٩٤

* ذكر من قال ذلك :

١٠٥٥٦ – حدثنا محمد بن المثنى وسفيان بن وكيع = قال سفيان ، حدثنا عبد الأعلى = وقال ابن المثنى ، حدثنى عبد الأعلى = قال، حدثنا داود ، عن

---

(١) الأثر : ١٠٥٥٤ – رواه أبو جعفر مختصراً فيما سلف برقم : ٨٤٥٧ ، وخرجه أخى السيد أحمد هناك .

(٢) الأثر : ١٠٥٥٥ – مضى برقم : ٨٤٥٩ ، إحالة على الأثر السالف .

(٣) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٩٠ .

محمد بن أبي موسى فى هذه الآية : « ويستفتونك فى النساء » ، قال : استفتوا نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم فى النساء ، وسكتوا عن شيء كانوا يفعلونه ، فأنزل الله : « ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب » ، ويفتيكم فيما لم تسألوا عنه . قال : كانوا لا يتزوجون اليتيمة إذا كان بها دمامة ، ولا يدفعون إليها مالها فتنفق ، فنزلت : « قل الله يفتيكم فى النساء وما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء اللاتى لاتؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن » ، قال : « والمستضعفين من الولدان » ، قال : كانوا يورِّثون الأكابر ولا يورثون الأصاغر . ثم أفتاهم فيما سكتوا عنه فقال : « وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خيرٌ » = ولفظ الحديث لابن المثنى .(١)

* * *

قال أبو جعفر : فعلى هذا القول : « الذى يتلى علينا فى الكتاب » ، الذى قال الله جل ثناؤه : « قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم » : « وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً » ، الآية . والذى سأل القوم فأجيبوا عنه فى يتامى النساء : اللاتى كانوا لا يؤتونهن ما كتب الله لهن من الميراث عمَّن ورثنه عنه .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال التى ذكرنا عمن ذكرناها عنه بالصواب ، وأشبهها بظاهر التنزيل ، قول من قال : معنى قوله : « وما يتلى عليكم فى الكتاب » ، وما يتلى عليكم من آيات الفرائض فى أول هذه السورة وآخرها .

---

(١) الأثر : ١٠٥٥٦ — « محمد بن أبي موسى » ترجم البخارى فى الكبير ١/١/٢٣٦ ، لرجل بهذا الاسم ، ظاهر أنه قد روى عنه داود بن أبي هند . وقال : « قال لنا الحميدى ، حدثنا سفيان ، عن أبي سعد ، عن محمد بن أبي موسى ، عن ابن عباس . وقال فى التهذيب « محمد بن أبي موسى ، عن ابن عباس قوله . . . وعنه أبو سعيد البقال » قلت [القائل ابن حجر] : فى طبقته : محمد بن أبي موسى ، روى عن زياد الأنصارى ، عن أبي بن كعب . وعنه داود بن أبي هند » . كأنهما عنده رجلان .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ، لأن الصَّداق ليس مما كُتب للنساء إلاّ بالنكاح ، فما لم تنكح فلا صداق لها قِبَل أحد. وإذا لم يكن ذلك لها قِبَل أحدٍ ، لم يكن مما كتب لها. وإذا لم يكن مما كتب لها ، لم يكن لقول قائل : [١] عنى بقوله : « وما يتلى عليكم فى الكتاب » ، الإقساطَ فى صدقات يتامى النساء[٢] = وَجْهٌ . لأن الله قال فى سياق الآية ، مبيِّناً عن الفتيا التى وعدنا أن يفتينا ها : « فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن » ، فأخبر أن بعض الذى يفتينا فيه من أمر النساء ، أمرُ اليتيمة المَحُولِ بينها وبين ما كتب الله لها.[٣] والصداق قبل عقد النكاح ، ليس مما كتب الله لها على أحد . فكان معلوماً بذلك أن التى عنيت بهذه الآية ، هى التى قد حيل بينها وبين الذى كتب لها مما يتلى علينا فى كتاب الله . فإذا كان ذلك كذلك ، كان معلوماً أن ذلك هو الميراث الذى يوجبه الله لهن فى كتابه .

* * *

فأما الذى ذكر عن محمد بن أبى موسى ،[٤] فإنه مع خروجه من قول أهل التأويل ، بعيدٌ مما يدل عليه ظاهر التنزيل . وذلك أنه زعم أن الذى عنى الله بقوله : « وما يتلى عليكم فى الكتاب » ، هو : « وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً » . وإذا وجِّه الكلام إلى المعنى الذى تأوّله ، صار الكلام مبتدأ من قوله : « فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن » ، ترجمةً بذلك عن قوله : « فيهن » ،[٥] ويصير معنى الكلام : قل الله يفتيكم فيهن ، فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن = ولا دلالة

---

(١) سقط من المخطوطة ، بين كلامين ، كان فيها : « فما لم تنكح فلا صداق لها قبل أحد ، وإذا لم يكن ذلك لها لم يكن لقول قائل . . . » ، فتركت ما فى المطبوعة على حاله .

(٢) سياق الجملة : « لم يكن لقول قائل . . . وجه » .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « المحولة بينها » ، والصواب ما أثبت ، يعنى : التى قد حيل بينها وبين ما كتب الله لها .

(٤) يعنى الأثر السالف رقم : ١٠٥٥٦ .

(٥) « الترجمة » ، البدل والبيان والتفسير .

فى الآية على ما قاله ، ولا أثر عمن يُعلم بقوله صحةُ ذلك، وإذ كان ذلك كذلك ، كان وصل معانى الكلام بعضه ببعض أولى ،ما وُجِد إليه سبيل. فإذ كان الأمر على ما وصفنا ، فقوله : «فى يتامى النساء»، بأن يكون صلةً لقوله: « وما يتلى عليكم »، أولى من أن يكون ترجمة عن قوله : « قل الله يفتيكم فيهن » ، لقربه من قوله : « وما يتلى عليكم فى الكتاب » ، وانقطاعه عن قوله : « يفتيكم فيهن » .

* * *

وإذ كان ذلك كذلك ، فتأويل الآية : ويستفتونك فى النساء ، قل الله يفتيكم فيهن وفيما يتلى عليكم فى كتاب الله الذى أنزله على نبيه فى أمر يتامى النساء اللاتى لا تعطونهن ما كتب لهن = يعنى : ما فرض الله لهن من الميراث عمن ورثنه ،(١) كما : —

١٠٥٥٧ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « لا تؤتونهن ما كتب لهن » ، قال : لا تورِّثونهن .

١٠٥٥٨ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم قوله : « لا تؤتونهن ما كتب لهن » ، قال : من الميراث . قال : كانوا لا يورِّثون النساء = « وترغبون أن تنكحوهن » . ٥/ ١٩٥

* * *

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله : « وترغبون أن تنكحوهن » .

فقال بعضهم : معنى ذلك : وترغبون عن نكاحهن . وقد مضى ذكر جماعة ممن قال ذلك ، وسنذكر قول آخرين لم نذكرهم .

١٠٥٥٩ — حدثنا حميد بن مسعدة السَّامى قال، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا عبيد الله بن عون ، عن الحسن : « وترغبون أن تنكحوهن » ، قال : ترغبون عنهن .(٢)

---

(١) انظر تفسير « كتب » فيما سلف ٨ : ٥٤٨ ، تعليق ٤ ، والمراجع هناك .

(٢) الأثر : ١٠٥٥٩ — « حميد بن مسعدة السامى » ، نسبه إلى « سامة بن لؤى » بالسين ،

١٠٥٦٠ – حدثنا يعقوب وابن وكيع قالا، حدثنا ابن علية، عن ابن عون، عن الحسن، مثله.

١٠٥٦١ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، أخبرني يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، عن عروة قال: قالت عائشة في قول الله: «وترغبون أن تنكحوهن»، رغبة أحدكم عن يتيمته التي تكون في حجره حين تكون قليلة المال والجمال، فنُهوا أن ينكحوا من رَغبوا في مالها وجمالها من يتامى النساء إلاّ بالقسط، من أجل رغبتهم عنهنّ.(١)

١٠٥٦٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله = يعني ابن صالح = قال، حدثني الليث قال، حدثني يونس، عن ابن شهاب قال، قال عروة، قالت عائشة، فذكر مثله.(٢)

* * *

وقال آخرون: معنى ذلك: وترغبون في نكاحهن. وقد مضى ذكر جماعة ممن قال ذلك قبل، ونحن ذاكرو قول من لم نذكر منهم.

١٠٥٦٣ – حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا بشر بن المفضل قال، حدثنا ابن عون، عن محمد، عن عبيدة: «وترغبون أن تنكحوهن»، قال: وترغبون فيهن.

١٠٥٦٤ – حدثني يعقوب بن إبراهيم وابن وكيع قالا، حدثنا ابن علية، عن ابن عون، عن محمد قال: قلت لعبيدة: «وترغبون أن تنكحوهن»، قال: ترغبون فيهن.

مضى برقم: ١٩٦، ٥٨٤٢. وكان في المطبوعة بالشين «الشامي» وهو خطأ. وهذه النسبة ليست في المخطوطة.

و «عبد الله بن عون بن أرطبان» مضى برقم: ٤٠٠٣، ٧٧٧٦، وكان في المطبوعة: «عبيد الله»، والصواب من المخطوطة.

(١) الأثر: ١٠٥٦١ – هذا تتمة الأثر السالف: ٨٤٥٧، ثم نظيره رقم: ١٠٥٥٤، وقد رواه البخاري بعقبه بإسناده (الفتح ٨: ١٧٩، ١٨٠).

(٢) الأثر: ١٠٥٦٢ – هو الأثر السالف: ٨٤٥٩، ثم نظيره رقم: ١٠٥٥٥.

١٠٥٦٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس في قوله : « في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن »، فكان الرجل في الجاهلية تكون عنده اليتيمة فيلقي عليها ثوبه، فإذا فعل بها ذلك لم يقدر أحد أن يتزوّجها أبداً . فإن كانت جميلة وهَوِيها، تزوّجها وأكل مالها . وإن كانت دميمة منعها الرجل أبداً حتى تموت، فإذا ماتت ورثها . فحرّم الله ذلك ونهى عنه .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين بتأويل الآية، قول من قال : معنى ذلك، « وترغبون عن أن تنكحوهن » . لأن حبسهم أموالهن عنهن مع عضلهم إياهن، إنما كان ليرثوا أموالهن، دون زوج إن تزوجن . ولو كان الذين حبسوا عنهن أموالهن، إنما حبسوها عنهن رغبة في نكاحهن، لم يكن للحبس عنهن وجهٌ معروف، لأنهم كانوا أولياءهن، ولم يكن يمنعهم من نكاحهن مانع، فيكون به حاجة إلى حبس مالها عنها، ليتّخذ حبسها عنها سبباً إلى إنكاحها نفسها منه .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ﴾

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن = وفيما يتلى عليكم في الكتاب = وفي المستضعفين من الولدان = وفي أن تقوموا لليتامى بالقسط .

وقد ذكرنا الرواية بذلك عمن قاله من الصحابة والتابعين فيما مضى، والذين

---

(١) الأثر : ١٠٥٦٥ – انظر خبر ابن عباس فيما سلف، بمثل هذا الإسناد رقم : ٨٨٨٢ .

أفتاهم فى أمر المستضعفين من الولدان أن يؤتوهم حقوقهم من الميراث ،[1] لأنهم كانوا لا يورّثون الصغار من أولاد الميت ، وأمرهم أن يقسطوا فيهم ، فيعدلوا ويعطوهم فرائضهم على ما قسم الله لهم فى كتابه ، كما : —

١٠٥٦٦ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « والمستضعفين من الولدان » ، كانوا لا يورّثون جارية ولا غلاماً صغيراً ، فأمرهم الله أن يقوموا لليتامى بالقسط . و « القسط » : أن يعطى كل ذى حق منهم حقه ، ذكراً كان أو أنثى ، الصغير منهم بمنزلة الكبير .

١٠٥٦٧ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن » ، قال : لا تورّثوهن مالاً = « وأن تقوموا لليتامى بالقسط » ، قال : فدخل النساء والصغير والكبير فى المواريث ، ونسخت المواريث ذلك الأول .

١٠٥٦٨ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وأن تقوموا لليتامى بالقسط » ، أمروا لليتامى بالقسط ، بالعدل . ٥ / ١٩٦

١٠٥٦٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

١٠٥٧٠ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عبد الله ، عن إسرائيل ، عن السدى ، عن أبى مالك : « والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط » ، قال : كانوا لا يورثون إلاّ الأكبر فالأكبر .

١٠٥٧١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « والمستضعفين من الولدان » ، فكانوا فى الجاهلية

(١) فى المطبوعة : « والذى أفتاهم فى أمر المستضعفين » ، والصواب من المخطوطة .

لا يورّثون الصغار ولا البنات ، فذلك قوله : « لا تؤتونهن ما كتب لهن » ، فنهى الله عن ذلك ، وبيّن لكل ذى سهم سهمه ، فقال : ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ ﴾ [سورة النساء : ١١ ، ١٧٦] ، صغيراً كان أو كبيراً .

١٠٥٧٢ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : « والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط » ، وذلك أنهم كانوا لا يورثون الصغير والضعيف شيئاً ، فأمر الله أن يعطَى نصيبه من الميراث .

١٠٥٧٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم : أن عمر بن الخطاب كان إذا جاءه ولىُّ اليتيمة ، فإن كانت حسنة غنية قال له عمر : زوِّجها غيرك ، والتمس لها من هو خير منك . وإذا كانت بها دمامة ولا مال لها ، قال : تزوجها فأنت أحق بها !

١٠٥٧٤ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا يونس بن عبيد ، عن الحسين بن الفرج قال : جاء رجل إلى على بن أبى طالب فقال : يا أمير المؤمنين ، ما أمرى وما أمرُ يتيمتى ؟ قال : فى أىّ بالكما؟[1] قال : ثم قال على : أمتزوّجها أنت غنيةً جميلةً ؟ قال : نعم ، والإله ! قال : فتزوّجها دميمة لا مال لها ! ثم قال على : خِرْ لها[2] ، فإن كان غيرك خيراً لها فألحقها بالخير .[3]

---

(١) « البال » : الشأن والأمر والحال ، ومنه الحديث : « كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أبتر » ، و « أمر ذو بال » أى : ذو شأن ، شريف يحتفل له ويهتم به .

(٢) فى المطبوعة : « ثم قال على : تزوجها إن كنت خيراً لها » ، لم يفهم ما فى المخطوطة فغيره وبدله ، وبئس ما فعل ! وقوله : « خر لها » من قولهم : « خار له » ، أى اختار له خير الأمرين ، ومنه قولهم : « خار الله لك » ، أى : أعطاك ما هو خير لك .

(٣) الأثر : ١٠٥٧٤ — « يونس بن عبيد بن دينار العبدى » ، مضى برقم : ٢٦١٦ ، ٤٩٣١ ، ٨٠٤٧ .

أما « الحسين بن الفرج » فلم أجد فى طبقته من الرواة من يقال له : « الحسين بن الفرج » ،

قال أبو جعفر : فقيامهم لليتامى بالقسط ، كانَ العدلَ فيما أمرَ الله فيهم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴾ (١٢٧)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ومهما يكن منكم ،[1] أيها المؤمنون ، من عدل فى أموال اليتامى ، التى أمركم الله أن تقوموا فيهم بالقسط ، والانتهاء إلى أمر الله فى ذلك وفى غيره وإلى طاعته = « فإن الله كان به عليماً » ، لم يزل عالماً بما هو كائن منكم ، وهو محصٍ ذلك كله عليكم ، حافظ له ، حتى يجازيكم به جزاءكم يوم القيامة .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وإن خافت امرأة من بعلها ، يقول : علمت من زوجها [3] =« نشوزاً » ، يعنى : استعلاءً بنفسه عنها إلى غيرها ،

وكان فى المطبوعة مكانه « الحسن » ، يعنى الحسن البصرى . وأظنه تصرفاً من ناسخ أو ناشر . ونعم ، يروى يونس بن عبيد عن الحسن البصرى ، ولكن أرجح ذلك عندى أن فى اسمه تصحيفاً ، وأخشى أن يكون هو :

« الحصين بن أبى الحر » ، وهو « الحصين بن مالك بن الخشخاش العنبرى » ، روى عنه يونس ابن عبيد . مترجم فى التهذيب . ونرجو أن يأتى فى التفسير ما يدل على الصواب من ذلك .

(١) انظر « ما » بمعنى « مهما » فيما سلف ٦ : ٥٥١ .

(٢) انظر تفسير « كان » و « عليم » فيما سلف فى فهارس اللغة .

(٣) انظر تفسير « الخوف » فيما سلف ٤ : ٥٥٠ / ثم تفسيره بمعنى : العلم فيما سلف ٨ : ٢٩٨ ، ٢٩٩ .

أثَرةً عليها، وارتفاعاً بها عنها، إما لبغْضة، وإما لكراهة منه بعض أسبابها[١]: إما دَمامتها، وإما سنها وكبرها، أو غير ذلك من أمورها[٢]= « أو إعراضاً » ، يعنى : انصرافاً عنها بوجهه أو ببعض منافعه التى كانت لها منه[٣]= « فلا جناح عليهما أن يصْلحا بينهما صلحاً »، يقول : فلا حرج عليهما ، يعنى : على المرأة الخائفة نشوز بعلها أو إعراضه عنها[٤] = « أن يصلحا بينهما صلحاً » ، وهو أن تترك له يومها ، أو تضعَ عنه بعض الواجب لها من حقّ عليه ، تستعطِفه بذلك وتستديم المُقام فى حباله ، والتمسك بالعقد الذى بينها وبينه من النكاح = يقول : « والصلح خير » ، يعنى : والصلح بترك بعض الحقّ استدامةً للحُرْمة ، وتماسكاً بعقد النكاح ، خيرٌ من طلب الفرقة والطلاق .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٥٧٥ — حدثنا هناد بن السرى قال، حدثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن خالد بن عرعرة : أن رجلاً أتى عليًّا رضى الله عنه يستفتيه فى امرأة خافتْ من بعلها نشوزاً أو إعراضاً ، فقال : قد تكون المرأة عند الرجل فتنبُو عيناه عنها من دمامتها أو كبرها أو سوء خلقها أو فقرها ، فتكره فراقه . فإن وضعت له من

وانظر تفسير « بعل » فيما سلف ٤ : ٥٢٦ .

(١) فى المطبوعة : « بعض أشياء بها » ، وهو كلام سخيف ، لم يحسن فهم ما فى المخطوطة . و « الأسباب » جمع « سبب » ، وأصله الحبل ، ثم استعير لكل ما يتوصل به إلى شىء . ثم استعمله أهل القرنين الثانى والثالث وما بعدهما بمعنى : كل ما يتصل بشىء أو يتعلق به . وقد مضى فى مواضع من كلام أبى جعفر أخشى أن أكون أشرت إليها فى التعليق ، ثم غابت عنى الآن .

(٢) انظر تفسير « النشوز » فيما سلف ٣ : ٤٧٥ ، ٨/٤٧٦ : ٢٩٩ .

(٣) انظر تفسير « الإعراض » فيما سلف ٢ : ٢٩٨ ، ٦/٢٩٩ : ٨/٢٩١ : ٨٨ ، ٥٦٦ .

(٤) انظر تفسير « الجناح » فيما سلف ص : ١٦٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هنالك .

مهرها شيئاً حلّ له ، وإن جعلت له من أيامها شيئاً فلا حرج .

١٠٥٧٦ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن سماك بن حرب ، عن خالد بن عرعرة قال : سئل على رضى الله عنه : « وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً » ، قال : المرأة الكبيرة ، أو الدميمة ، أو لا يحبها زوجها، فيصطلحان. ٥/١٩٧

١٠٥٧٧ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا أبو داود قال ، حدثنا شعبة وحماد ابن سلمة وأبو الأحوص كلهم ، عن سماك بن حرب ، عن خالد بن عرعرة ، عن على رضى الله عنه، بنحوه .

١٠٥٧٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن خالد بن عرعرة : أن رجلاً سأل علياً رضى الله عنه عن قوله : « فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً » ، قال : تكون المرأة عند الرجل دميمة ، فتنبو عينُه عنها من دمامتها أو كبرها، فإن جعلت له من أيامها أو مالها شيئاً فلا جناح عليه .(١)

١٠٥٧٩ – حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا ،حدثنا جرير ، عن أشعث ، عن ابن سيرين قال: جاء رجل إلى عمر فسأله عن آية، فكره ذلك وضربه بالدِّرّة، فسأله آخر عن هذه الآية: « وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً »، فقال: عن مثل هذا فسَلوا ! ثم قال: هذه المرأة تكون عند الرجل قد خلا من سنها ،(٢) فيتزوج المرأة الشابّة يلتمس ولدَها ، فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائزٌ .

١٠٥٨٠ – حدثنا عمرو بن على قال ، حدثنا عمران بن عيينة قال ، حدثنا عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى قوله : « وإن امرأة

---

(١) فى المطبوعة : « فليس عليه جناح » ، وهما سواء ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المخطوطة : « هذه الامرأة » وهو الأصل فى إدخال التعريف على « امرأة » ، ولكنه قل فى كلامهم ، وحكاه أبو على الفارسى، وهذا شاهده . ولم أثبته، وتركت ما فى المطبوعة، لئلا أغرب على القارىء ! !

و « خلا من سنها » ،أى: كبرت ومضى معظم عمرها . من قولهم : «خلا قرن وزمان» أى: مضى .

خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً » ، قال : هى المرأة تكون عند الرجل حتى تكبر ، فيريد أن يتزوج عليها ، فيتصالحان بينهما صلحاً ،[١] على أن لها يوماً ، ولهذه يومان أو ثلاثة .[٢]

١٠٥٨١ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عمران ، عن عطاء ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، بنحوه = إلا أنه قال : حتى تلد أو تكبر = وقال أيضاً : فلا جناح عليهما أن يَصَّالحا على ليلة والأخرى ليلتين .

١٠٥٨٢ – حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا ، حدثنا جرير ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير قال : هى المرأة تكون عند الرجل قد طالت صحبتها وكبرت ، فيريد أن يستبدل بها ، فتكره أن تفارقه ، ويتزوج عليها فيصالحها على أن يجعل لها أياماً ،[٣] وللأخرى الأيام والشهر .

١٠٥٨٣ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عمرو بن أبى قيس ، عن عطاء ، عن سعيد ، عن ابن عباس : « وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً » ، قال : هى المرأة تكون عند الرجل فيريد أن يفارقها ، فتكره أن يفارقها ، ويريد أن يتزوج فيقول : « إنّى لا أستطيع أن أقسم لك بمثل ما أقسم لها » ، فتصالحه على أن يكون لها فى الأيام يوم ، فيتراضيان على ذلك ، فيكونان على ما اصطلحا عليه .

١٠٥٨٤ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة : « وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما

---

(١) فى المطبوعة : « فيتصالحا » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٠٥٨٠ – « عمران بن عيينة بن أبى عمران الهلالى » أخو « سفيان بن عيينة » قال ابن معين وأبو زرعة : « صالح الحديث » ، وذكره ابن حبان فى الثقات ، وهو صدوق . وقال أبو حاتم : « لا يحتج بحديثه لأنه يأتى بالمناكير » . مترجم فى التهذيب . وقد مضى فى رقم : ٤١٨٩ » ، بمثل هذا الإسناد .

(٣) فى المطبوعة : « فيتزوج عليها فيصالحا على أن يجعل . . . » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خيرٌ» ، قالت : هذا فى المرأة تكون عند الرجل ، فلعله أن يكون يستكبر منها ، ولا يكون لها ولد ويكون لها صحبة ،(١) فتقول : لا تطلقنى ، وأنت فى حِلٍّ من شأنى .(٢)

١٠٥٨٥ — حدثنى المثنى قال، حدثنا حجاج بن المنهال قال ، حدثنا حماد ابن سلمة ، عن هشام بن عروة ، عن عروة ، عن عائشة فى قوله : « وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً » ، قالت : هذا الرجل يكون له امرأتان : إحداهما قد عجزت ، أو هى دميمة وهو لا يستكثر منها ، فتقول : لا تطلّقنى ، وأنت فى حلٍّ من شأنى .

١٠٥٨٦ — حدثنى المثنى قال، حدثنا حبان بن موسى قال ، أخبرنا ابن

---

(١) فى المطبوعة : « فلعله لا يكون تستكثر منها ، ولا يكون لها ولد ولها صحبة » ، غير ما فى المخطوطة . وأثبت ما فى المخطوطة ، لأنه صواب فى معناه ، قوله : « يستكبر منها » أى : يرى أنها بلغت من السن والكبر مبلغاً ، يحمله على طلب الشواب . وقوله : « ولا يكون لها ولد يكون لها صحبة » ، أى : ولد يدعوه إلى صحبتها وترك مفارقتها . والذى دعا الناشر أن يصححه هو أن حديث عائشة فى روايات أخرى ، تقول : « الرجل عنده المرأة ليس بمستكثر منها ، يريد أن يفارقها» ، وهو لفظ البخارى ، وكما سيأتى فى الأثر التالى : ١٠٥٨٥ . ولكن ذلك ليس داعية إلى مثل هذا التغيير ، فإن المعنى الذى ذكرته ، قد جاء عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة فى الأثر : ١٠٥٨٥ ، ١٠٥٨٨ ، وهو : « فى المرأة إذا دخلت فى السن » . فلا معنى لتغيير رواية إلا بعد التحقق من خطأ معناها ، أو صواب روايتها فى مكان آخر . وانظر تخريج هذا الأثر فى التعاليق التالية .

(٢) الأثر : ١٠٥٨٤ — خبر هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، رواه أبو جعفر من ثلاث طرق متتابعة ، ومن طريق مفردة رقم : ١٠٥٨٨ .

ورواه البخارى بغير هذا اللفظ (الفتح ٩ : ٢٦٦) من طريق ابن سلام ، عن أبى معاوية ، عن هشام . ثم رواه بلفظ آخر (الفتح ٨ : ١٩٩) .

ورواه البخارى بغير هذا اللفظ (الفتح ٨ : ١٩٩) من طريق محمد بن مقاتل ، عن عبد الله ابن المبارك ، عن هشام عن عائشة وهو إسناد أبى جعفر رقم : ١٠٥٨٦ . ثم رواه بلفظ آخر (الفتح ٩ : ٢٦٦) من طريق ابن سلام ، عن أبى معاوية ، عن هشام .

ورواه مسلم (١٨ : ١٥٧) من طريق أبى كريب، عن أبى أسامة،عن هشام ، ولفظه أقرب إلى اللفظ الذى أقره ناشر المطبوعة الأولى ، وذلك : « نزلت فى المرأة تكون عند الرجل ، فلعله أن لا يستكثر منها ، وتكون لها صحبة وولد ، فتكره أن يفارقها » الحديث . وأخرجه البيهقى فى السنن ٧ : ٢٩٦ بلفظ آخر .

المبارك ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة بنحوه = غير أنه قال : فتقول : أجعلك من شأنى فى حل ! فنزلت هذه الآية فى ذلك .(١)

١٠٥٨٧ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ،عن ابن عباس فى قوله : « وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً »، فتلك المرأة تكون عند الرجل، لا يرى منها كبير ما يحبُّ ،(٢) وله امرأة غيرها أحبّ إليه منها ، فيؤثرها عليها . فأمره الله إذا كان ذلك ، أن يقول لها : « يا هذه، إن شئت أن تقيمى على ما ترين من الأثرة، فأواسيك وأنفق عليك فأقيمى ، (٣) وإن كرهت خلّيت سبيلك ! » ، فإن هى رضيت أن تقيم بعد أن يخيِّرها فلا جناح عليه ، وهو قوله : « والصلح خيرٌ » ، وهو التخيير .

١٠٥٨٨ – حدثنا الربيع بن سليمان وبحر بن نصر قالا، حدثنا ابن وهب قال ، حدثنى ابن أبى الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : أنزل الله هذه الآية فى المرأة إذا دخلت فى السنّ ،(٤) فتجعل يومها لامرأة أخرى . قالت فى ذلك أنزلت : « فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً ».(٥) ١٩٨/٥

١٠٥٨٩ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا هشام ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة قال : سألته عن قول الله : « وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً » ، قال : هى المرأة تكون مع زوجها ، فيريد أن يتزوج

---

(١) الأثران – ١٠٥٨٥ ، ١٠٥٨٦ – هما مكرر الأثر السالف من طريقين .

(٢) فى المطبوعة : « كثير ما يحب » ، وهى فى المخطوطة غير منقوطة ، فرجحت قراءتها كما أثبت .

(٣) « المواساة » من « الأسوة » ، أصلها الهمزة ، فقلبت واوا تخفيفاً . وهى المشاركة والمساهمة فى المعاش والرزق .

(٤) قولها : « دخلت فى السن » ، أى : كبرت وارتفعت سنها .

(٥) الأثر : ١٠٥٨٨ – « بحر بن نصر بن سابق الخولانى » المصرى ، ثقة صدوق . روى عن ابن وهب ، والشافعى ، وأسد بن موسى . روى عنه أبو جعفر الطحاوى . مترجم فى التهذيب . هذا ، والإسناد فى المخطوطة ، ليس فيه « بحر بن نصر » ، بل هو مفرد بذكر الربيع . ولم أجد الخبر من هذا الوجه فى مكان آخر .

عليها ، فتصالحه من يومها على صلح . قال : فهما على ما اصطلحا عليه . فإن انتقضت به ،[1] فعليه أن يعدِل عليها ، أو يفارقها .

١٠٥٩٠ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم : أنه كان يقول ذلك .

١٠٥٩١ – حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حجاج ، عن مجاهد : أنه كان يقول ذلك .

١٠٥٩٢ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية ، عن أيوب ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة في قوله : « وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً » إلى آخر الآية ، قال : يصالحها على ما رضيت دون حقها ، فله ذلك ما رضيت . فإذا أنكرت ، أو قالت : « غِرْت » ، فلها أن يعدل عليها ، أو يرضيها، أو يطلّقها .

١٠٥٩٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبد الوهاب ، عن أيوب ، عن محمد قال : سألت عبيدة عن قول الله : « وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً »، قال : هو الرجل تكون له امرأة قدْ خلا من سنها،[2] فتصالحه عن حقها على شيء ، فهو له ما رضيت . فإذا كرهت ، فلها أن يعدل عليها ، أو يرضيها من حقها ، أو يطلقها .

١٠٥٩٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن هشام ، عن ابن سيرين قال : سألت عبيدة عن قوله : « وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً » ، فذكر نحو ذلك = إلا أنه قال : فإن سخطت ، فله أن يرضيها ، أو يوفيها حقّها كله ، أو يطلقها .

---

(١) في المطبوعة : « انتقصت به » بالصاد ، وأنا في شك لازم منها ، وهي في المخطوطة غير منقوطة ، فرجحت قراءتها كما أثبت ، من قولهم : « نقض الأمر بعد إبرامه ، وانتقض وتناقض » ، واستعمال « به » مع « انتقضت » عربي جيد ، كأنه يحمل معنى « خاس به » ، أي نقضه .

(٢) « خلا من سنها » ، كبرت ومضى أطيب عمرها .

١٠٥٩٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن مغيرة قال ، قال إبراهيم : إذا شاءت كانت على حقها ، وإن شاءت أبت فردّت الصلح ، فذاك بيدها . فإن شاء طلقها ، وإن شاء أمسكها على حقها .(١)

١٠٥٩٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن مغيرة، عن إبراهيم: « وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما » ، قال قال على : تكون المرأة عند الرجل الزّمان الكثير ، فتخاف أن يطلّقها ، فتصالحه على صلح ما شاء وشاءت = يبيت عندها فى كذا وكذا ليلة ، وعند أخرى ، ما تراضيا عليه = وأن تكون نفقتها دون ما كانت . وما صالحته عليه من شيء فهو جائز .

١٠٥٩٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن عبد الملك ، عن أبيه ، عن الحكم : « وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً »، قال : هى المرأة تكون عند الرجل ، فيريد أن يخلّى سبيلها . فإذا خافت ذلك منه ، فلا جناح عليهما أن يصطلحا بينهما صلحاً ، تدع من أيامها إذا تزوج .(٢)

١٠٥٩٨ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً » ، إلى قوله : « والصلح خير » ، وهو الرجل تكون تحته المرأة الكبيرة ، فينكح عليها المرأة الشابة ، فيكره أن يفارق أم ولده ، فيصالحها على عطيّةٍ من ماله ونفسه فيطيب له ذلك الصلح .

١٠٥٩٩ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن

---

(١) الأثر : ١٠٥٩٥ – هذا الأثر ساقط من المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٠٥٩٧ – « يحيى بن عبد الملك بن حميد بن أبى غنية الخزاعى » أبو زكرياء : ثقة . مترجم فى التهذيب .

وأبوه : « عبد الملك بن حميد بن أبى غنية » وهو « ابن أبى غنية » ، مضى برقم : ٨٥٣٥ .

قتادة قوله : « وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً »، فقرأ حتى بلغ « فإن الله كان بما تعملون خبيراً » ، وهذا فى الرجل تكون عنده المرأة قد خلاَ من سنها ، وهان عليه بعض أمرها ، فيقول : « إن كنت راضيةً من نفسي ومالى بدون ما كنت ترضَيْنَ به قبل اليوم ! » ، [1] فإن اصطلحا من ذلك على أمر ، فقد أحلّ الله لهما ذلك ، وإن أبت ، فإنه لا يصلح له أن يحبسها على الخَسْف. [2]

١٠٦٠٠ – حدثت عن الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار : أنّ رافع ابن خديج كان تحته امرأة قد خلاَ من سنها، فتزوج عليها شابة ، فآثر الشابة عليها . فأبت امرأته الأولى أن تقيم على ذلك ، فطلقها تطليقة . حتى إذا بقى من أجلها يسير قال : إن شئت راجعتك وصبرتِ على الأثرة ، وإن شئت تركتك حتى يخلو أجلك ! قالت : بل راجعنى وأصبر على الأثرة ! فراجعها ، ثم آثر عليها ،فلم تصبر على الأثرة ، فطلّقها أخرى وآثر عليها الشابة . قال : فذلك الصلح الذى بلغنا أن الله أنزل فيه : « وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً » . ١٩٩/٥

= قال الحسن قال، عبد الرزاق قال، معمر ،وأخبرنى أيوب ،عن ابن سيرين عن عبيدة ، بمثل حديث الزهرى = وزاد فيه : فإن أضرّبها الثالثة ، فإنّ عليه أن يوفّيها حقها ، أو يطلّقها . [3]

---

(١) جواب الشرط محذوف ، لدلالة الكلام عليه ، أى : إن كنت راضية بذلك ، فذلك ، وإلا فارقتك .

(٢) « على الخسف » : أى على النقيصة ، وتحميلها ما تكره .

(٣) الأثر : ١٠٦٠٠ – هذا الأثر رواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٣٠٨ بهذا اللفظ من طريق إسحق بن إبراهيم، عن عبد الرزاق ، مرفوعاً إلى رافع بن خديج . وقال الحاكم : « حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى .

ورواه البيهقى فى السنن ٧ : ٢٩٦ من طريق أخرى مطولا ، من طريق أبى اليمان ، عن شعيب ابن أبى حمزة، عن الزهرى .

١٠٦٠١ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « من بعلها نشوزاً أو إعراضاً » ، قال : قول الرجل لامرأته : « أنت كبيرة ، وأنا أريد أن أستبدل امرأة شابّة وضيئة ، فقَرِّي على ولدك، فلا أقسم لك من نفسي شيئاً ». فذلك الصلح بينهما ، وهو أبو السَّنابل بن بَعْكك. (١)

١٠٦٠٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح : « من بعلها نشوزاً أو إعراضاً » ، ثم ذكر نحوه = قال شبل : فقلت له : فإن كانت لك امرأة فتقسم لها ولم تقسم لهذه؟ قال : إذا صالحتْ على ذلك ، (٢) فليس عليه شيء .

١٠٦٠٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر قال : سألت عامراً عن الرجل تكون عنده المرأة يريد أن يطلقها، فتقول : « لا تطلقني ، واقسم لي يوماً ، وللتي تزوّج يومين » ، قال : لا بأس به ، هو صلح .

١٠٦٠٤ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير » ، قال : المرأة ترى

ورواه مالك في الموطأ : ٥٤٨ « عن ابن شهاب ، عن رافع بن خديج : أنه تزوج بنت محمد بن مسلمة الأنصاري » الحديث ، وهو قريب من لفظ معمر ، عن الزهري .

وروى الشافعي خبر رافع بن خديج ، مختصراً من طريق سفيان بن عيينة ، عن الزهري (الأم ٥ : ١٧١) .

(١) الأثر : ١٠٦٠١ – « أبو السنابل بن بعكك بن الحارث بن عميلة بن السباق بن عبد الدار القرشي » ، هو صحابي من مسلمة الفتح ، أخرج له الترمذي ، والنسائي وابن ماجة .

و « بعكك » (بفتح فسكون ففتح) على وزن « جعفر » .

(٢) في المطبوعة : « إذا صالحته » ، وأثبت ما في المخطوطة .

من زوجها بعض الحطّ ،[١] وتكون قد كبرت ، أو لا تلد ، فيريد زوجها أن ينكح غيرها ، فيأتيها فيقول : « إنى أريد أن أنكح امرأة شابة أشبّ منك ،[٢] لعلها أن تَلِدَ لى وأوثرها فى الأيام والنفقة » ، فإن رضيت بذلك ، وإلاّ طلقها ، فيصطلحان على ما أحبّا .

١٠٦٠٥ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً » ، قال : نشوزاً عنها ، غَرِضَ بها .[٣] الرجل تكون له المرأتان = « أو إعراضاً » ، بتركها = « فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً » ، إما أن يرضيها فتحلله ، وإما أن ترضِيَه فتعطِفُه على نفسها .

١٠٦٠٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً » ، يعنى : البغض .

١٠٦٠٧ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً » ، فهو الرجل تكون تحته المرأة الكبيرة ، فيتزوج عليها المرأة الشابة ، فيميل إليها ، وتكون أعجب إليه من الكبيرة ، فيصالح الكبيرة على أن يعطيها من ماله و يقسم لها من نفسه نصيباً معلوماً .

١٠٦٠٨ — حدثنا عمرو بن على وزيد بن أخزم قالا ، حدثنا أبو داود قال ،

---

(١) فى المطبوعة : « بعض الجفاء » ، غير ما فى المخطوطة . و « الحط » الوضع والإنزال . ويريد : بعض البخس من حقها ، والفتور فى مودتها .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « أنسب منك » ، وهو تصحيف ، صواب قراءته ما أثبت .

(٣) « غرض بها » (بالغين المفتوحة وكسر الراء) : ضجر بها وملها . وفى المخطوطة والمطبوعة بالعين المهملة ، وهو خطأ صوابه ما أثبت . ثم قوله بعد ذلك : « الرجل تكون له المرأتان » ، يعنى : أن ذلك فى الرجل تكون له المرأتان . وهو كلام مبتدأ لا يتعلق بالفعل الذى قبله .

حدثنا سليمان بن معاذ ، عن سماك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : خشيت سَوْدة أن يطلّقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : لا تطلّقني على نسائك ، ولا تَقسم لي . ففعل ، فنزلت : « وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً ».(١)

* * *

واختلفت القرأة في قراءة قوله : « أن يصلحا بينهما صلحاً» .(٢)

فقرأ ذلك عامة قرأة أهل المدينة وبعض أهل البصرة بفتح « الياء » وتشديد « الصاد » ، بمعنى : أن يتصالحا بينهما صلحاً ، ثم أدغمت « التاء » في « الصاد » ، فصُيِّرتا « صاداً » مشددة .(٣)

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة أهل الكوفة : ﴿ أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً ﴾ ، بضم « الياء » وتخفيف « الصاد » ، بمعنى : أصلح الزوج والمرأة بينهما .

* * *

---

(١) الأثر : ١٠٦٠٨ – « زيد بن أخزم الطائي النبهاني » الحافظ ، روى عن أبي داود الطيالسي ، ويحيى القطان ، وابن مهدي ، وأبي عامر العقدي . روى عنه الجماعة ، سوى مسلم . قال النسائي : « ثقة » . ذبحه الزنج في الفتنة سنة ٢٥٧ . مترجم في التهذيب .

و « أخزم » بالخاء المعجمة ، والزاي . وكانا في المطبوعة : « أخرم » ، وهو خطأ . وهذا الأثر ساقط من المخطوطة .

والأثر في مسند أبي داود : ٣٤٩ رقم : ٢٦٨٣ ، وفي الترمذي في كتاب التفسير ، والبيهقي في السنن ٣ : ٢٩٧ ، واتفقت روايتهم جميعاً :

« . . . . فقالَتْ : لا تُطَلِّقني وأمسكني ، واجعل يومي لعائشة . ففعل ، فنزلت هذه الآية : وَإِن امرأةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزاً أو إعراضاً ، الآية ، فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز » .

فلا أدري من أين جاء هذا الاختلاف في لفظ الخبر ؟ وأرجو أن لا يكون تصرفاً من ناسخ سابق .

وقال الترمذي بعقب روايته : « هذا حديث حسن صحيح غريب » .

(٢) في المخطوطة والمطبوعة : « أن يصالحا بينهما » بالألف ، وصواب كتابتها ما أثبت ، على رسم المصحف ، حتى يحتمل الرسم القراءتين جميعاً .

(٣) هكذا رسم هذه القراءة : ﴿ أَنْ يَصَّالَحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ﴾ .

قال أبو جعفر : وأعجب القراءتين فى ذلك إلىّ قراءة من قرأ ﴿ أَنْ يَصَّالَحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً ﴾ ،[1] بفتح « الياء » وتشديد « الصاد » ، بمعنى : يتصالحا . لأن « التصالح » فى هذا الموضع أشهر وأوضح معنى ، وأفصح وأكثرُ على ألسن العرب من « الإصلاح » . و« الإصلاح » فى خلاف « الإفساد » أشهر منه فى معنى « التصالح » .

فإن ظن ظان أن فى قوله : « صلحاً » ، دلالة على أن قراءة من قرأ ذلك ﴿ يُصْلِحَا ﴾ بضم « الياء » أولى بالصواب ، فإن الأمر فى ذلك بخلاف ما ظن . وذلك أن « الصلح » اسم وليس بفعل ، فيستدلّ به على أولى القراءتين بالصواب فى قوله : « يصلحا بينهما صلحاً » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (١٢٨)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : معناه : وأحضرت أنفس النساء الشح على أنصبائهن من أنفس أزواجهن وأموالهم .[2] ٢٠٠/٥

* ذكر من قال ذلك :

١٠٦٠٩ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عمران بن عيينة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وأحضرت الأنفس الشح » ، قال : نصيبها منه .

١٠٦١٠ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا أبو أحمد = وحدثنا ابن وكيع قال ،

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة معاً : « إلا أن يصالحا » ، زاد الناسخ « إلا » سهواً ، وتابعه الناشر .

(٢) فى المطبوعة : « وأموالهن » ، والصواب من المخطوطة .

حدثنا ابن يمان = قالا جميعاً ، حدثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد ابن جبير : « وأحضرت الأنفس الشح » ، قال : فى الأيَّام .

١٠٦١١ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء : « وأحضرت الأنفس الشح » ، قال : فى الأيام والنفقة .

١٠٦١٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن مهدى وابن يمان ، عن سفيان، عن ابن جريج ، عن عطاء ، قال : فى النفقة .

١٠٦١٣ – حدثنا ابن وكيع ..... قال، حدثنا روح ، عن ابن جريج، عن عطاء قال : فى النفقة .[1]

١٠٦١٤ – وحدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء : « وأحضرت الأنفس الشح » ، قال : فى الأيام .[2]

١٠٦١٥ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير فى هذه الآية : « وأحضرت الأنفس الشح » ، قال : نفس المرأة على نصيبها من زوجها ، من نفسه وماله .

١٠٦١٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير ، بمثله .

١٠٦١٧ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا حبان بن موسى قال ، أخبرنا ابن المبارك ، قال ، حدثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير ، مثله .

١٠٦١٨ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن رجل ، عن سعيد بن جبير : فى النفقة .

---

(١) الأثر : ١٠٦١٣ – أخشى أن يكون صواب إسناده « حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى قال ، حدثنا روح » سقط منه « حدثنا أبى قال » .

(٢) الأثر : ١٠٦١٤ – هذا الأثر ساقط من المخطوطة .

١٠٦١٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن مهدى ، عن سفيان ، عن الشيبانى ، عن بكير بن الأخنس ، عن سعيد بن جبير قال : فى الأيام والنفقة .

١٠٦٢٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن مهدى ، عن سفيان ، عن الشيبانى ، عن سعيد بن جبير قال : فى الأيام والنفقة .

١٠٦٢١ – حدثنى المثنى قال، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال ، حدثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير فى قوله : « وأحضرت الأنفس الشح » ، قال : المرأة تشحُّ على مال زوجها ونفسه .

١٠٦٢٢ – حدثنا المثنى قال، أخبرنا حبّان بن موسى قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير قال : جاءت المرأة حين نزلت هذه الآية : « وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً » ، قالت : « إنى أريد أن تقسم لى من نفسك » ! وقد كانت رضيت أن يدَعها فلا يطلّقها ولا يأتيها ، فأنزل الله : « وأحضرت الأنفس الشحَّ » .

١٠٦٢٣ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وأحضرت الأنفس الشح » ، قال : تطّلع نفسها إلى زوجها وإلى نفقته . قال : وزعم أنها نزلت فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى سودة بنت زمعة : كانت قد كبرت، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطلّقها، فاصطلحا على أن يمسكها ، ويجعل يومها لعائشة ، فشحّت بمكانها من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : وأحضرت نفسُ كل واحدٍ من الرجل والمرأة ، الشحَّ بحقه قِبَل صاحبه .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٦٢٤ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال، سمعت ابن زيد

يقول فى قوله : « وأحضرت الأنفس الشح » ، قال : لا تطيب نفسُه أن يعطيها شيئاً ، فتحلله = ولا تطيب نفسُها أن تعطيه شيئاً من مالها ، فتعطفه عليها .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك بالصواب ، قول من قال : عنى بذلك : أحضرت أنفس النساء الشحَّ بأنصبائهن من أزواجهن فى الأيام والنفقة .

* * *

و « الشح » : الإفراط فى الحرص على الشىء ، وهو فى هذا الموضع : إفراط حرصِ المرأة على نصيبها من أيامها من زوجها ونفقتها .

* * *

فتأويل الكلام : وأحضرت أنفس النساء أهواءَهن ، من فرط الحرص على حقوقهن من أزواجهن ، والشح بذلك على ضَرائرهن .

* * *

وبنحو ما قلنا فى معنى « الشح » ذكر عن ابن عباس أنه كان يقول :

١٠٦٢٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « وأحضرت الأنفس الشح » ، والشح ، هواه فى الشىء يحرِص عليه .

* * *

٢٠١/٥ وإنما قلنا هذا القول أولى بالصواب ، من قول من قال : « عُنى بذلك : وأحضرت أنفس الرجال والنساء الشح » ، على ما قاله ابن زيد = لأن مصالحة الرجل امرأته بإعطائه إياها من ماله جُعْلاً على أن تصفح له عن القسم لها ، غير جائزة . وذلك أنه غير معتاض عوضاً من جُعْله الذى بذله لها . والجُعل لا يصح إلا على عِوَض : إما عين ، وإما منفعة . والرجل متى جعل للمرأة جُعْلاً على أن تصفح له عن يومها وليلتها ، فلم يملك عليها عيناً ولا منفعة . وإذْ كان ذلك كذلك ، كان ذلك من معانى أكل المال بالباطل . وإذْ كان ذلك كذلك ، فمعلوم أنه لا وجه لقول من قال : « عنى بذلك الرجل والمرأة » .

فإن ظن ظانّ أن ذلك إذْ كان حقًّا للمرأة ، ولها المطالبة به، فللرجل افتداؤه منها بجُعل ، فإن شفعة المستشفع فى حصة من دارٍ اشتراها رجل من شريك له فيها حق ، له المطالبة بها ، فقد يجب أن يكون للمطلوب افتداءُ ذلك منه بجُعل . وفى إجماع الجميع على أن الصلح فى ذلك على عِوض غيرُ جائز ، إذ كان غير مُعتاض منه المطلوب فى الشفعة عيناً ولا نفعاً = ما يدل على بُطول صلح الرجل امرأته على عوض ، على أن تصفح عن مطالبتها إياه بالقسمة لها .

وإذا فسد ذلك ، صَح أن تأويل الآية ما قلنا . وقد أبان الخبر الذى ذكرناه عن سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار [١] : أنّ قوله : « وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً »، الآية: نزلت فى أمر رافع بن خديج وزوجته ، إذ تزوج عليها شابة، فآثر الشابَّة عليها، فأبت الكبيرة أن تَقِرَّ على الأثرة ، فطلقها تطليقة وتركها. فلما قارب انقضاء عِدَّتها خيَّرها بين الفراق والرجعة والصبر على الأثرة ، فاختارت الرجعة والصبر على الأثرة . فراجعها وآثر عليها، فلم تصبر ، فطلقها. ففى ذلك دليل واضحٌ على أن قوله : « وأحضرت الأنفس الشح»، إنما عُنى به : وأحضرت أنفس النساء الشحَّ بحقوقهن من أزواجهن ، على ما وصفنا .

* * *

قال أبو جعفر : وأما قوله « وإن تحسنوا وتتقوا »، فإنه يعنى : وإن تحسنوا، أيها الرجال ، فى أفعالكم إلى نسائكم ، [٢] إذا كرهتم منهن دَمامة أو خُلُقاً أو بعضَ ماتكرهون منهن بالصبر عليهن، وإيفائهن حقوقهن وعشرتهن بالمعروف . « وتتقوا » ، يقول : وتتقوا الله فيهن بترك الجَوْر منكم عليهن فيما يجب لمن كرهتموه منهن عليكم ، من القسمة له ، والنفقة ، والعشرة بالمعروف [٣] = « فإن الله كان

---

(١) هو الأثر رقم : ١٠٦٠٠ .

(٢) انظر تفسير « الإحسان » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٣) انظر تفسير « التقوى » فيما سلف من فهارس اللغة .

بما تعملون خبيراً » ، يقول : فإن الله كان بما تعلمون فى أمور نسائكم ، أيها الرجال ، من الإحسان إليهن والعشرة بالمعروف ، والجور عليهن فيما يلزمكم لهنّ ويجب = «خبيراً » ، يعنى : عالماً خابراً ، لايخفى عليه منه شىء ، بل هو به عالم ، وله محصٍ عليكم ، حتى يوفّيكم جزاءَ ذلك : المحسنَ منكم بإحسانه ، والمسىءَ بإساءته.(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء » ، لن تطيقوا ، أيها الرجال ، أن تسوُّوا بين نسائكم وأزواجكم فى حُبِّهن بقلوبكم حتى تعدِلوا بينهنّ فى ذلك ، فلايكون فى قلوبكم لبعضهن من المحبة إلا مثلُ ما لصواحبها ، لأن ذلك مما لا تملكونه ، وليس إليكم = « ولوحرصتم » ، يقول : ولو حرصتم فى تسويتكم بينهن فى ذلك ، كما : —

١٠٦٢٦ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » ، قال : واجبٌ ، أن لا تستطيعوا العدل بينهن .

* * *

= « فلا تميلوا كلَّ الميل » ، يقول : فلا تميلوا بأهوائكم إلى من لم تملكوا محبته منهن كلَّ الميل ، حتى يحملكم ذلك على أن تجوروا على صواحبها فى ترك أداء الواجب لهن عليكم من حق : فى القسم لهن ، والنفقة عليهن ، والعشرة بالمعروف(٢) =

(١) انظر تفسير « خبير » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٢) انظر تفسير « الميل » فيما سلف ٨ : ٢١٢ .

« فتذروها كالمعلقة » يقول : فتذروا التى هى سوى التى ملتم بأهوائكم إليها = « كالمعلقة » ، يعنى : كالتى لا هى ذات زوج، ولا هى أيِّمٌ .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ما قلنا فى قوله : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » .

١٠٦٢٧ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة: « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » ، قال : بنفسه فى الحب والجماع . ٢٠٢/٥

١٠٦٢٨ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ،عن يونس، عن محمد بن سيرين،عن عبيدة : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » ، قال : بنفسه .

١٠٦٢٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حفص ، عن أشعث وهشام ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة قال : سألته عن قوله : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » ، فقال : فى الجماع

١٠٦٣٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن هشام ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة قال : فى الحب والجماع .

١٠٦٣١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا سهل ، عن عمرو ، عن الحسن : فى الحب .

١٠٦٣٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن هشام ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة قال : فى الحب والجماع .

١٠٦٣٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، قال أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة فى قوله : « ولن تستطيعوا أن

تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » ، قال : فى المودة ، كأنه يعنى الحبّ .

١٠٦٣٤ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » ، يقول : لاتستطيع أن تعدل بالشهوة فيما بينهن ولو حرصت .

١٠٦٣٥ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة = وحدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة = قال : ذكر لنا أن عمر بن الخطاب كان يقول : اللهم أمَّا قلبي فلا أملك ! وأما سِوَى ذلك ، فأرجو أن أعدل !

١٠٦٣٦ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم» ، يعنى : فى الحب والجماع .

١٠٦٣٧ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية = وحدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الوهاب = قالا جميعاً ، حدثنا أيوب ، عن أبى قلابة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فيعدل ، ثم يقول : اللهم هذا قَسْمِي فيما أملك ، فلا تَلُمنى فيما تَملك ولا أملك .(١)

---

(١) الأثر : ١٠٦٣٧ – هذا الأثر رواه أبو داود فى سننه ٢ : ٣٢٦ رقم : ٢١٣٤ من طريق حماد ، عن أيوب ، عن أبى قلابة ، عن عبد الله بن يزيد (الخطمى) ، عن عائشة ، وانظر التعليق على الأثر رقم : ١٠٦٥٧ .

ورواه من هذه الطريق أيضا مرفوعا ، النسائى فى السنن ٧ : ٦٣ ، ٦٤ .

وبه أيضاً ، ابن ماجة من سننه ١ : ٦٣٤ ، رقم : ١٩٧١ .

وبه أيضاً ، الترمذى فى سننه (باب ما جاء فى التسوية بين الضرائر) .

ورواه البيهقى فى السنن الكبرى ٧ : ٢٩٨ .

وسيرويه أبو جعفر بإسنادين آخرين ، أحدهما من طريق حماد بن زيد مرسلا ، وهو رقم : ١٠٦٥٦ ، مع اختلاف يسير فى اللفظ .

والآخر ، من طريق عبد الوهاب ، عن أيوب ، عن أبى قلابة ، عن عبد الله بن يزيد ، عن عائشة ، مرفوعاً ، كما فى السنن الأربعة ، وهو رقم : ١٠٦٥٧ .

١٠٦٣٨ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا حسين بن على ، عن زائدة ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن ابن أبى مليكة قال : نزلت هذه الآية فى عائشة : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء » .

١٠٦٣٩ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : فى الشهوة والجماع .

١٠٦٤٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : فى الجماع .

١٠٦٤١ – حدثنا على بن سهل قال،حدثنا زيد بن أبى الزرقاء قال ، قال سفيان فى قوله : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » ، قال : فى الحب والجماع .

١٠٦٤٢ – حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله: « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » ، قال: ما يكون من بدنه وقلبه ، فذلك شيء لا يستطيع يَمْلكه . (١)

* * *

* ذكر من قال ما قلنا فى تأويل قوله: « فلا تميلوا كلَّ الميل » .

١٠٦٤٣ – حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا

وأشار إليه الحافظ فى الفتح (٩ : ٢٧٤) وقال : « وقد روى الأربعة ، وصححه ابن حبان والحاكم » . وقال الترمذى بعقبه : « حديث عائشة ، هكذا رواه غير واحد : عن حماد بن سلمة ، عن أيوب ، عن أبى قلابة، عن عبد الله بن يزيد ، عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقسم = ورواه حماد بن زيد وغير واحد ، عن أيوب ، عن أبى قلابة ، مرسلا : أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقسم = وهذا أصح من حديث حماد بن سلمة» . وزاد الطبرى هنا طريقين فى روايته مرسلا : ابن علية ، عن أيوب = وعبد الوهاب ، عن أيوب .

ثم قال الترمذى ومعنى قوله : « لا تلمنى فيما تملك ولا أملك » = إنما يعنى به الحب والمودة ، كذا فسره بعض أهل العلم » .

وقال أبو داود فى سننه : « يعنى القلب » .

(١) حذفت « أن » ، وسياقه « لا تستطيع أن تملكه » . وحذف « أن » قبل المضارع ، جائز صحيح ، كثير فى كلام العرب ، وكثير فى كلام القدماء من العلماء والكتاب .

ابن عون، عن محمد قال : قلت لعبيدة : « فلا تميلوا كل الميل » ، قال : بنفسه .

١٠٦٤٤ – حدثنا سفيان قال، حدثنا ابن علية ، عن ابن عون، عن محمد، عن عبيدة، مثله .

١٠٦٤٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة ، عن هشام ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة : « فلا تميلوا كل الميل »، قال هشام: أظنه قال : فى الحب والجماع .

١٠٦٤٦ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا حبان بن موسى قال ، أخبرنا ابن المبارك قال، أخبرنا هشام ، عن ابن سيرين، عن عبيدة فى قوله : « كل الميل » ، قال: بنفسه .

١٠٦٤٧ – حدثنا بحر بن نصر الخولانى قال، حدثنا بشر بن بكر قال ، أخبرنا الأوزاعى ، عن ابن سيرين قال : سألت عبيدة عن قول الله : « فلا تميلوا كل الميل » ، قال: بنفسه .(١)

١٠٦٤٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا سهل بن يوسف، عن عمرو، عن الحسن : « فلا تميلوا كل الميل » ، قال : فى الغشيان والقَسْم .(٢)

١٠٦٤٩ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فلا تميلوا كل الميل » ، لا تعمّدوا الإساءة .

١٠٦٥٠ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٠٦٥١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج

---

(١) الأثر : ١٠٦٤٧ – « بحر بن نصر الخولانى » ، مضى قريباً برقم : ١٠٥٨٨ . وهذا الأثر ساقط من المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٠٦٤٨ – « سهل بن يوسف الأنماطى » ، ثقة ، من شيوخ أحمد . مترجم فى التهذيب ، وقد مضى فى الأسانيد : ٢٩٦٦ ، ٣٢٦٠ ، ٤٨٧٦ ، ٨٧٦٥ .

قال : بلغني عن مجاهد : « فلا تميلوا كلَّ الميل » ، قال : يتعمد أن يسيء ويظلم.[١]

١٠٦٥٢ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى بن ميمون ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . ٢٠٣/٥

١٠٦٥٣ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « فلا تميلوا كل الميل » ، قال : هذا في العمل في مبيته عندها ، وفيما تصيب من خيره .

١٠٦٥٤ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « فلا تميلوا كل الميل » ، يقول : يميل عليها ، فلا ينفق عليها ، ولا يقسم لها يوماً .

١٠٦٥٥ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال مجاهد : « فلا تميلوا كل الميل » ، قال : يتعمد الإساءة ، يقول : « لا تميلوا كل الميل » ، قال : بلغني أنه الجماع .

١٠٦٥٦ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن أبي قلابة قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ، ويقول : اللهم هذه قِسْمتي فيما أملك ، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك ![٢]

١٠٦٥٧ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عبد الوهاب ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن عبد الله بن يزيد ، عن عائشة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بمثله .[٣]

---

(١) الأثر : ١٠٦٥١ – « محمد بن بكر بن عثمان البرساني » ، ثقة . مضى برقم : ٥٤٣٨ .

(٢) الأثر : ١٠٦٥٦ – انظر التعليق على الأثر السالف رقم : ١٠٦٣٧ .

(٣) الأثر : ١٠٦٥٧ – « عبد الله بن يزيد » هو : رضيع عائشة . روى عن عائشة . وعنه أبو قلابة الجرمي . ذكره ابن حبان في الثقات . وكان في المطبوعة والمخطوطة « عبد الله بن زيد » ، وهو خطأ كما سترى .

هذا وقد جاء في سنن أبي داود وحدها « عبد الله بن يزيد الخطمي » ، والآخرون لم يقولوا : « الخطمي » ، اقتصروا على اسمه وحده . وهذا هو الصواب ، فإن « عبد الله بن يزيد بن زيد

١٠٦٥٨ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن همام بن يحيى ، عن قتادة ، عن النضر بن أنس ، عن بشير بن نَهيك ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من كانت له امرأتان يَميل مع إحداهما على الأخرى ، جاء يوم القيامة أحدُ شِقَّيه ساقط. (١)

* * *

* ذكر من قال ما قلنا في تأويل قوله : « فتذروها كالمعلقة » .

١٠٦٥٩ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « فتذروها كالمعلقة » ، قال : تذروها لا هي أيِّم ، ولا هي ذات زوج. (٢)

١٠٦٦٠ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يحيى بن يمان ، عن أشعث ، عن

الخطمي » ، لم يذكر في تراجمه أنه روى عن عائشة ، ولا أن أبا قلابة الجرمي قد روى عنه .

والذي يروى عن عائشة : عبد الله بن يزيد ، رضيع عائشة . وقد نص الحافظ ابن حجر في ترجمته في التهذيب (٦ : ٨٠) أنه له عند الأربعة : « اللهم هذا قسمي فيما أملك » ، فثبت على اليقين ، أن الذي في النسخ المطبوعة من سنن أبي داود ، خطأ محض ، وأن الصواب حذف « الخطمي » من إسنادها . والله الموفق للصواب . كتبه محمود محمد شاكر .

(١) الأثر : ١٠٦٥٨ – هذا الأثر ، رواه أبو داود الطيالسي عن همام ، في مسنده : ٣٢٢ رقم : ٢٤٥٤ ، باختلاف يسير في لفظه .

ورواه أبو داود في السنن ٢ : ٣٢٦ ، رقم : ٢١٣٣ ، من طريق أبي الوليد الطيالسي ، عن همام ، ولفظه : « وشقه مائل » .

ورواه النسائي ٧ : ٦٣ ، من طريق عمرو بن علي ، عن عبد الرحمن ، عن همام ، ولفظه : « أحد شقيه مائل » .

ورواه ابن ماجة في سننه ١ : ٦٣٣ رقم : ١٩٦٩ ، من طريق أبي بكر بن أبي شيبة ، عن وكيع ، بلفظ الطبري .

ورواه الترمذي في السنن ، في باب (ما جاء في التسوية بين الضرائر) ، من طريق عبد الرحمن ابن مهدي ، عن همام .

ورواه البيهقي ٧ : ٢٩٧ من طرق .

قال الترمذي : « وإنما أسند هذا الحديث همام بن يحيى ، عن قتادة . ورواه هشام الدستوائي عن قتادة ، قال : « كان يقال » . ولا نعرف هذا الحديث مرفوعاً إلا من حديث همام » .

(٢) في المطبوعة : « ولا ذات زوج » ، وأثبت ما في المخطوطة .

جعفر ، عن سعيد بن جبير : « فتذروها كالمعلقة » ، قال : لا أيِّمًا ولا ذات بعل .

١٠٦٦١ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن يمان ، عن مبارك ، عن الحسن : « فتذروها كالمعلقة » ، قال : لا مطلقة ولا ذات بعل .

١٠٦٦٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا سهل بن يوسف ، عن عمرو ، عن الحسن، مثله .

١٠٦٦٣ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فتذروها كالمعلقة » ، أى كالمحبوسة ، أو كالمسجونة .

١٠٦٦٤ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « فتذروها كالمعلقة » ، قال : كالمسجونة .[1]

١٠٦٦٥ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام بن سلم، عن أبى جعفر ، عن الربيع فى قوله : « فتذروها كالمعلقة » ، يقول : لا مطلقة ولا ذات بعل .

١٠٦٦٦ – حدثنى المثنى قال، حدثنى إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن بن سعد قال ، أخبرنا أبو جعفر ، عن الربيع بن أنس فى قوله : « فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة » ، لا مطلقة ولا ذات بعل .[2]

١٠٦٦٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا محمد بن بكر، عن ابن جريج قال : بلغنى عن مجاهد : « فتذروها كالمعلقة » ، قال : لا أيما ولا ذات بعل .

---

(١) فى المخطوطة ، « كالمسجونة ، كالمحبوسة » ، ووضع فوق الأولى حرف (ط) وفوق الأخرى (كذا) ، ولا أدرى ما الذى أراد باستشكاله هذا . أما المطبوعة ، فقد حذفت « كالمحبوسة » واقتصرت على واحدة ، وكأنه ظن أنه أراد حذف التى عليها (ط) ، وإبقاء الأخرى ، ولعله أصاب ، فتركت ما فى المطبوعة على حاله .

وأراد بقوله : « المسجونة » و« المحبوسة » ، أن زوجها سجنها ، أو حبسها فلم يرسلها ، ولم يسرحها بالطلاق .

(٢) الأثر : ١٠٦٦٦ – عبد الرحمن بن سعد : هو : « عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد ابن عثمان الرازى» . روى عن أبيه ، وأبى خيثمة ، وعمرو بن أبى قيس الرازى ، وأبى جعفر الرازى . ثقة . مترجم فى التهذيب .

١٠٦٦٨ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبوحذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح : « فتذروها كالمعلقة » ، ليست بأيم ولا ذات زوج .

١٠٦٦٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا المحاربي وأبو خالد وأبو معاوية ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : لا تدعها كأنها ليس لها زوج .

١٠٦٧٠ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فتذروها كالمعلقة » ، قال : لا أيِّمًا ولا ذات بعل .

١٠٦٧١ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « فتذروها كالمعلقة » ، قال : « المعلقة » ، التى ليست بمُخَلاَّة ونفسها فتبتغى لها ، وليست متهيئة كهيئة المرأة من زوجها ، لا هى عند زوجها ، ولا مفارقة ، فتبتغى لنفسها . فتلك « المعلقة » .

* * *

قال أبو جعفر : وإنما أمر الله جل ثناؤه بقوله : « فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة » ، الرجالَ بالعدل بين أزواجهن فيما استطاعوا فيه العدل بينهن من القسمة بينهن ، والنفقة ، وترك الجور فى ذلك بإرسال إحداهن على الأخرى فيما فرض عليهم العدلَ بينهن فيه، إذ كان قد صفح لهم عمّا لا يطيقون العدلَ فيه بينهنّ مما فى القلوب من المحبة والهوى .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (١٢٩)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « وإن تصلحوا » أعمالكم ، أيها الناس، فتعدلوا فى قسمكم بين أزواجكم ، وما فرض الله لهن عليكم من النفقة والعشرة بالمعروف، فلا تجوروا فى ذلك = « وتتقوا » ، يقول : وتتقوا الله فى الميل الذى نهاكم ٢٠٤/٥

عنه، بأن تميلوا لإحداهن على الأخرى ، فتظلموها حقها مما أوجبه الله لها عليكم = « فإن الله كان غفوراً » ، يقول : فإن الله يستر عليكم ما سلف منكم من ميلكم وجوركم عليهن قبل ذلك، بتركه عقوبتكم عليه ، ويغطّى ذلك عليكم بعفوه عنكم ما مضى منكم فى ذلك قبل = « رحيمًا »، يقول : وكان رحيمًا بكم، إذ تاب عليكم، فقبل توبتكم من الذى سلف منكم من جوركم فى ذلك عليهن، وفى ترخيصه لكم الصلح بينكم وبينهن، بصفحهن عن حقوقهن لكم من القَسْم على أن لا يطلّقن.[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴾ (١٣٠)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : فإن أبت المرأة التى قد نشز عليها زوجها = إذ أعرض عنها بالميل منه إلى ضرّتها لجمالها أو شبابها ، أو غير ذلك مما تميل النفوس له إليها[2] = الصلحَ بصفحها لزوجها عن يومها وليلتها ،[3] وطلبت حقَّها منه من القسم والنفقة، وما أوجب الله لها عليه = وأبى الزوج الأخذَ عليها بالإحسان الذى ندبه الله إليه بقوله : « وإن تُحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً » ، وإلحاقَها فى القسم لها والنفقة والعشرة بالتى هو إليها مائل ،[4] فتفرقا

---

(١) انظر تفسير « التقوى » و « غفور » ، و « رحيم » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٢) فى المطبوعة : « أو أعرض عنها . . . مما تميل النفوس به إليها » ، غير « إذ » ، و « له » ، وهما نص المخطوطة ، وهو الصواب . ويعنى : مما تميل النفوس من أجله إلى هذه المرأة التى وصف .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « الصلح لصفحها » والصواب ما أثبت ، وقوله : « الصلح » منصوب ، مفعول به لقوله : « فإن أبت المرأة . . . الصلح » ، هكذا السياق .

(٤) قوله : « وإلحاقها » معطوف فى السياق على قوله : « وأبى الزوج الأخذ عليها بالإحسان . . . وإلحاقها . . . » .

بطلاق الزوج إياها = « يُغْنِ الله كلاً من سعته » ، يقول : يغن الله الزوجَ والمرأة المطلقة من سعة فضله . أما هذه ، فبزوج هو أصلح لها من المطلِّق الأول ، أو برزق أوسع وعصمة . وأما هذا ، فبرزق واسع وزوجة هي أصلح له من المطلقة ،[1] أو عفة = « وكان الله واسعاً » ، يعني : وكان الله واسعاً لهما ، في رزقه إياهما وغيرهما من خلقه[2] = « حكيماً » ، فيما قضى بينه وبينها من الفرقة والطلاق ، وسائر المعاني التي عرفناها من الحكم بينهما في هذه الآيات وغيرها ، وفي غير ذلك من أحكامه وتدبيره وقضاياه في خلقه .[3]

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٦٧٢ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « وإن يتفرقا يغن الله كلاً من سعته » ، قال : الطلاق .[4]

١٠٦٧٣ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

---

(١) انظر تفسير « السعة » فيما سلف ص : ١٢١

وقوله : « أو عفة » يعني : فبرزق واسع . . . أو بعفة .

(٢) انظر تفسير « واسع » فيما سلف ٢ : ٥/٥٣٧ : ٥١٦ ، ٦/٥٧٥ : ٥١٧ .

(٣) انظر تفسير « حكيم » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٤) في المطبوعة : « قال: الطلاق، يغني الله كلا من سعته »، وليس ذلك كله في المخطوطة بل سقط منها بقية الخبر . فاقتصرت على ما جاء في الدر المنثور ٢ : ٢٣٤ ، عن مجاهد وهو : « قال : الطلاق » ، كما أثبته .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾ (١٣١)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ولله جميع مُلْك ما حوته السموات السبع والأرَضون السبع من الأشياء كلها . وإنما ذكر جل ثناؤه ذلك بعقب قوله : « وإن يتفرّقا يغن الله كلاً من سعته » ، تنبيهاً منه خلقَه على موضع الرغبة عند فراق أحدهم زوجته ، ليفزعوا إليه عند الجزع من الحاجة والفاقة والوَحْشة بفراق سَكَنه وزوجته = وتذكيراً منه له أنه الذى له الأشياء كلها ، وأن من كان له ملك جميع الأشياء ، فغير متعذّر عليه أن يغنيَه وكلّ ذى فاقة وحاجة ، ويؤنس كلّ ذى وحشة .

* * *

ثم رجع جل ثناؤه إلى عذل من سعى فى أمر بنى أبيرق وتوبيخهم ، ووعيدِ من فعل ما فعل المرتدّ منهم ، فقال[1] : « ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم » ، يقول : ولقد أمرنا أهل الكتاب ، وهم أهل التوراة والإنجيل = « وإياكم » ، يقول : وأمرناكم وقلنا لكم ولهم : « اتقوا الله » ، يقول : احذروا الله أن تعصوه وتخالفوا أمره ونهيه[2] = « وإن تكفروا » ، يقول : وإن تجحدوا وصيته إياكم ، أيها المؤمنون ، فتخالفوها = « فإنّ لله ما فى السموات وما فى الأرض » ، يقول : فإنكم لا تضرُّون بخلافكم وصيته غير أنفسكم ، ولا تَعْدُون فى كفركم ذلك أن تكونوا أمثالَ اليهود والنصارى ، فى نزول عقوبته بكم ، وحلول غضبه عليكم ، كما حلّ بهم إذ بدّلوا عهده ونقضوا ميثاقه ، فغيّر بهم ما كانوا فيه من خَفْض

(١) انظر تفسير الآيات السالفة ، من الآية : ١٠٥ — ١١٦ .

(٢) انظر تفسير « وصى » فيما سلف ٣ : ٩٣ — ٩٦ ، ٨/٤٠٥ : ٣٠ ، ٦٨ وانظر مقالته فى « أن » مع « وصى » فيما سلف ٣ : ٩٤ ، ٩٥ .

العيش وأمن السِّرب ،[١] وجعل منهم القردة والخنازير . وذلك أن له ملك جميع ما حوته السموات والأرض ، لا يمتنع عليه شيء أراده بجميعه وبشيء منه ، من إعزاز من أراد إعزازه ، وإذلال من أراد إذلاله ، وغير ذلك من الأمور كلها ، لأن الخلق خلقه ، بهم إليه الفاقة والحاجة ، وبه قواهم وبقاؤهم ، وهلاكهم وفناؤهم = ٢٠٥/٥
وهو « الغنى » الذى لا حاجة تحلّ به إلى شيء ، ولا فاقة تنزل به تضطرُّه إليكم ، أيها الناس ، ولا إلى غيركم[٢] = « والحميدُ » الذى استوجب عليكم أيها الخلق الحمدَ بصنائعه الحميدة إليكم ، وآلائه الجميلة لديكم.[٣] فاستديموا ذلك ، أيها الناس ، باتقائه ، والمسارعة إلى طاعته فيما يأمركم به وينهاكم عنه ، كما :—

١٠٦٧٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن هاشم قال ، أخبرنا سيف ، عن أبى روق ، عن على رضى الله عنه : « وكان الله غنيًّا حميداً » ، قال : غنيًّا عن خلقه = « حميداً » ، قال : مستحمداً إليهم .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « وأمن الشرب » بالشين المعجمة ، وهو خطأ صرف ، وهو فى المخطوطة على الصواب . و « السرب » (بكسر السين وسكون الراء) : النفس والمال والأهل والولد . يقال : « أصبح فلان آمناً فى سربه » أى فى نفسه وأهله وماله وولده . وتفتح السين ، فيقال : « أصبح آمناً فى سربه » ، أى : فى مذهبه ووجهه حيث سار وتوجه .

و « خفض العيش » : لينه وخصبه .

(٢) انظر تفسير « الغنى » فيما سلف ٥ : ٥٢١ ، ٥٧٠ .

(٣) انظر تفسير « حميد » فيما سلف ٥ : ٥٧٠ .

القول فى تأويل قوله ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ (١٣٢)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ولله مِلك جميع ما حوته السموات والأرض ، وهو القيمُ بجمعيه ، والحافظ لذلك كله ، لا يعزب عنه علم شيء منه ، ولا يؤوده حفظه وتدبيره ، كما : —

١٠٦٧٥ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة : « وكفى بالله وكيلاً » ، قال : حفيظاً . (١)

* * *

فإن قال قائل : وما وجه تكرار قوله : « ولله ما فى السموات وما فى الأرض » فى آيتين ، إحداهما فى إثر الأخرى؟

قيل : كرّر ذلك ، لاختلاف معنى الخبرين عما فى السموات والأرض فى الآيتين . وذلك أن الخبر عنه فى إحدى الآيتين : ذكرُ حاجته إلى بارئه ، وغنى بارئه عنه — وفى الأخرى: حفظ بارئه إياه ، وعلمه به وبتدبيره . (٢)

فإن قال : أفلا قيل : « وكان الله غنيًّا حميداً » ، وكفى بالله وكيلاً ؟

قيل : إن الذى فى الآية التى قال فيها : « وكان الله غنيًّا حميداً » ، مما صلح أن يختم ما ختم به من وصف الله بالغنى وأنه محمود ، ولم يذكر فيها ما يصلح أن يختم بوصفه معه بالحفظ والتدبير . فلذلك كرّر قوله : « ولله ما فى السموات وما فى الأرض » .

* * *

---

(١) انظر تفسير « الوكيل » فيما سلف ٧ : ٨/٤٠٥ : ٩/٥٦٦ : ١٩٣

(٢) فى المطبوعة : « حفظ بارئه إياه به ، وعلمه به وتدبيره » ، والصواب كله من المخطوطة .

القول في تأويل قوله ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴾ (١٣٣)

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : إن يشأ الله ، أيها الناس ، = « يذهبكم » ، أي : يذهبكم بإهلاككم وإفنائكم = « ويأت بآخرين » ، يقول : ويأت بناس آخرين غيركم لمؤازرة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ونصرته = « وكان الله على ذلك قديراً » ، يقول : وكان الله على إهلاككم وإفنائكم واستبدال آخرين غيركم بكم = « قديراً » ، يعني : ذا قدرة على ذلك .(١)

* * *

وإنما وبخ جل ثناؤه بهذه الآيات ، الخائنين الذين خانوا الدِّرع التي وصفنا شأنها ، الذين ذكرهم الله في قوله : « ﴿ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴾ [سورة النساء : ١٠٥] = وحذر أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن يكونوا مثلهم ، وأن يفعلوا فعل المرتدّ منهم في ارتداده ولحاقه بالمشركين = وعرّفهم أن من فعل فعله منهم ، فلن يضر إلا نفسه ، ولن يوبق بردّته غير نفسه ، لأنه المحتاج — مع جميع ما في السموات وما في الأرض — إلى الله ، والله الغني عنهم . ثم توعّدهم في قوله : « إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين » ، بالهلاك والاستئصال ، إن هم فعلوا فعل ابن أبيرق طُعْمة المرتدّ(٢) = وباستبدال آخرين غيرهم بهم ، لنصرة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وصحبته ومؤازرته على دينه ، كما قال في الآية الأخرى : ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ ، [سورة محمد : ٣٨] .

* * *

(١) انظر تفسير « القدير » فيما سلف ١ : ٢/٣٦١ : ٤٨٤ ، ٥٠٤ .
(٢) « طعمة » هو اسم « ابن أبيرق » كما سلف في الأثر رقم : ١٠٤١٦

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنها لما نزلت ، ضرب بيده على ظهر سلمان فقال : « هم قوم هذا » ، يعني عجم الفرس = كذلك :-

١٠٦٧٦ - حُدِّثت عن عبد العزيز بن محمد ، عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .(١)

* * *

وقال قتادة في ذلك بما :-

١٠٦٧٧ - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة في قوله « إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديراً » ، قادرٌ واللهِ ربُّنا على ذلك: أن يهلك من يشاء من خلقه ، ويأتي بآخرين من بعدهم .

* * *

القولُ في تأويل قوله ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (١٣٤)

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : « من كان يريد » ، ممن أظهرَ الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم من أهل النفاق ،(٢) الذين يستبطنون الكفر

---

(١) الأثر : ١٠٦٧٦ - « عبد العزيز بن محمد بن عبيد بن أبي عبيد الدراوردي » . متكلم فيه . مترجم في التهذيب .

و « سهيل بن أبي صالح » . متكلم فيه . مترجم في التهذيب .

و « أبوه : « ذكوان السمان » ، « أبو صالح » ، ثقة ثبت في حديثه عن أبي هريرة . مترجم في التهذيب ، مضى برقم : ٣٠٤ ، ٣٢٢٦ ، ٥٣٨٧ .

وهذا الأثر ، خرجه السيوطي في الدر المنثور ٦ : ٦٧ ، ونسبه لابن جرير ، وسعيد بن منصور ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه .

وسيأتي بأسانيد أخرى في تفسير « سورة محمد » ، في آخرها ٢٦ : ٤٢ (بولاق) سنتكلم عنها هناك .

(٢) في المطبوعة : « لمحمد صلى الله عليه وسلم » ، والصواب من المخطوطة .

وهم مع ذلك يظهرون الإيمان = « ثواب الدنيا » ، يعنى : عَرَض الدنيا ،[١] بإظهاره ما أظهر من الإيمان بلسانه[٢] = « فعند الله ثواب الدنيا » ، يعنى : جزاؤه في الدنيا منها وثوابه فيها ، وهو ما يصيبُ من المغنم إذا شَهِد مع النبي مشهداً ،[٣] وأمنُه على نفسه وذريته وماله ، وما أشبه ذلك . وأما ثوابه في الآخرة ، فنارُ جهنم .

٥/ ٢٠٦

* * *

فمعنى الآية : من كان من العاملين في الدنيا من المنافقين يريد بعمله ثوابَ الدنيا وجزاءَها من عمله ، فإن الله مجازيه به جزاءَه في الدنيا من الدنيا ،[٤] وجزاءه في الآخرة من الآخرة من العقاب والنكال . وذلك أن الله قادر على ذلك كله ، وهو مالك جميعه ، كما قال في الآية الأخرى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة هود : ١٥ ، ١٦] .

* * *

وإنما عنى بذلك جل ثناؤه : الذين تَتَيَّعُوا في أمر بني أبيرق ،[٥] والذين وصفهم في قوله : ﴿ وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً . يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ القَوْلِ ﴾ [سورة النساء : ١٠٧ ، ١٠٨] ، ومن كان من نظرائهم في أفعالهم ونفاقهم .

* * *

---

(١) انظر تفسير « ثواب » فيما سلف ٢ : ٧/٤٥٨ : ٢٦٢ ، ٣٠٤ ، ٤٩٠ .

(٢) في المطبوعة : « بإظهار » بغير هاء ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٣) في المطبوعة : « وثوابه فيها هو . . . » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٤) قوله : « مجازيه به » ، كان في المخطوطة : « مجازيه بها » ، وفي المطبوعة ، حذف « بها » ، والصواب ما أثبت .

(٥) في المطبوعة : « الذين سعوا في أمر بني أبيرق » ، وفي المخطوطة ، كما كتبتها غير منقوطة . يقال : « تتيع فلان في الأمر وتتايع » : إذا أسرع إليه وتهافت فيه من غير فكر ولا روية . ولا يكون ذلك إلا في الشر ، لا يقال في الخير . والذي في المطبوعة صواب في المعنى والسياق والخبر ، ولكني تبعت رسم المخطوطة ، فهو موافق أيضاً لسياق قصتهم .

وقوله : « وكان الله سميعاً بصيراً » ، يعنى : وكان الله سميعاً لما يقول هؤلاء المنافقون الذين يريدون ثواب الدنيا بأعمالهم ، وإظهارهم للمؤمنين ما يظهرون لهم إذا لَقُوا المؤمنين ، وقولهم لهم : « آمنا »[1] = « بصيراً » ، يعنى : وكان ذا بصر بهم وبما هم عليه منطوون للمؤمنين ،[2] فيما يكتمونه ولا يبدونه لهم من الغش والغِلّ الذى فى صدورهم لهم .[3]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ﴾

وهذا تقدُّم من الله تعالى ذكره إلى عباده المؤمنين به وبرسوله[4] : أن يفعلوا فعل الذين سَعَوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمر بنى أبيرقٍ أن يقوم بالعذر لهم فى أصحابه ، وذَبِّهم عنهم ، وتحسينَهم أمرهم بأنهم أهل فاقة وفقر . يقول الله لهم : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط » ، يقول : ليكن من أخلاقكم وصفاتكم القيام بالقسط[5] = يعنى : بالعدل = « شهداء لله » .

* * *

= و « الشهداء » جمع « شهيد » .[6]

* * *

(١) انظر تفسير « سميع » فيما سلف ٦ : ٣٦٣ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « بصير » فيما سلف ٦ : ٢٨٣ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المطبوعة ، حذف « لهم » من آخر هذه الجملة .

(٤) يقال : « تقدم إليه فى كذا » أى أمره بأمر أو نهى ، وأراد هنا معنى النهى .

(٥) انظر تفسير « القسط » فيما سلف ٦ : ٧٧ ، ٧/٢٧٠ : ٥٤١ .

(٦) انظر تفسير « شهيد » و « شهداء » فيما سلف من فهارس اللغة .

ونصبت « الشهداء » على القطع مما فى قوله : « قوامين » من ذكر « الذين آمنوا » ،[١] ومعناه : قوموا بالقسط لله عند شهادتكم = أو : حين شهادتكم .

=« ولو على أنفسكم » ، يقول : ولو كانت شهادتكم على أنفسكم ، أو على والدين لكم أو أقربيكم ،[٢] فقوموا فيها بالقسط والعدل ، وأقيموها على صحتها بأن تقولوا فيها الحق ، ولا تميلوا فيها لغنىٍّ لغناه على فقير ، ولا لفقير لفقره على غنىّ ، فتجوروا . فإن الله الذى سوّى بين حكم الغنىّ والفقير فيما ألزمكم ، أيها الناس ، من إقامة الشهادة لكل واحد منهما بالعدل = « أولى بهما »، وأحق منكم ،[٣] لأنه مالكهما وأولى بهما دونكم ، فهو أعلم بما فيه مصلحة كلّ واحد منهما فى ذلك وفى غيره من الأمور كلها منكم ، فلذلك أمركم بالتسوية بينهما فى الشهادة لهما وعليهما = « فلا تتبعوا الهوى أن تَعْدِلوا »، يقول : فلا تتبعوا أهواءَ أنفسكم فى الميل فى شهادتكم إذا قمتم بها — لغنى على فقير ، أو لفقير على غنى — إلى أحد الفريقين ، فتقولوا غير الحق ، ولكن قوموا فيه بالقسط ، وأدُّوا الشهادة على ما أمركم الله بأدائها ، بالعدل لمن شهدتم له وعليه .

* * *

فإن قال قائل : وكيف يقوم بالشهادة على نفسه الشاهدُ بالقسط ؟ وهل يشهد الشاهد على نفسه ؟[٤]

قيل : نعم ،وذلك أن يكون عليه حق لغيره فيقرّ له به ، فذلك قيام منه له بالشهادة على نفسه .

* * *

قال أبو جعفر : وهذه الآية عندى تأديبٌ من الله جل ثناؤه عبادَه المؤمنين أن يفعلوا ما فعله الذين عذَروا بنى أبيرق = فى سرقتهم ما سرقوا ، وخيانتهم ما خانوا

---

(١) « القطع » ، باب من الحال ، انظر ما سلف فى فهارس المصطلحات .
(٢) فى المطبوعة : « أو على والديكم » ، وأثبت ما فى المخطوطة .
(٣) انظر تفسير « أولى » فيما سلف ٦ : ٤٩٧ .
(٤) فى المطبوعة : « وهل يشهد الشاهد » ، وفى المخطوطة : « وبما يشهد » .

ممن ذكرنا قبل [١]= عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهادتهم لهم عنده بالصلاح . فقال لهم : إذا قمتم بالشهادة لإنسان أو عليه ، فقولوا فيها بالعدل ، [٢] ولو كانت شهادتكم على أنفسكم وآبائكم وأمهاتكم وأقربائكم ، ولا يحملنكم غِنَى من شهدتم له أو فقره أو قرابته ورَحِمُه منكم ، [٣] على الشهادة له بالزور ، ولا على ترك الشهادة عليه بالحق وكتمانها .

* * *

وقد قيل إنها نزلت تأديباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٦٧٨ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى فى قوله : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله » ، قال : نزلت فى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، واختصم إليه رجلان : غنىٌّ وفقير ، وكان ضِلَعه مع الفقير ، يرى أن الفقير لا يظلم الغنىَّ ، فأبى الله إلاّ أن يقوم بالقسط فى الغنى والفقير ، فقال : « إن يكن غنيًّا أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا » ، الآية . ٢٠٧/٥

* * *

وقال آخرون : فى ذلك نحو قولنا : إنها نزلت فى الشهادة ، أمراً من الله المؤمنين أن يسوُّوا – فى قيامهم بشهاداتهم – لمن قاموا بها ، [٤] بين الغنى والفقير .

وأرجح أن ما فى المطبوعة هو الصواب ، لقوله فى جوابه « نعم » ، وكدت أقرؤها : « وبم يشهد الشاهد » ، لولا أن جواب أبى جعفر دل على غير ذلك .

(١) فى المطبوعة : « وخيانتهم ما خافوا من ذكر ما قيل عند رسول الله . . . » ، وهو كلام فاسد ، غير ما فى المخطوطة ، وهو كما أثبت ، إلا أنه كتب « من ذكرنا قبل » ووضع فتحة على الميم من « من » ، وهو خطأ فى نسخ الناسخ ونقله ، إنما هذه الفتحة ميم أخرى فى « ممن » أساء قراءتها ، فأساء نقلها . وقد مضى مثل هذا فى مثل هذا الحرف ، مراراً فيما سلف ونبهت إليه .

(٢) فى المطبوعة : « فقوموا فيها بالعدل » ، والذى فى المخطوطة صواب محض .

(٣) فى المطبوعة « فلا يحملنكم » ، والجيد ما أثبت من المخطوطة .

(٤) فى المطبوعة : « لمن قاموا له بها » زاد « له » ، وهى مفسدة للكلام ، غمض عليه السياق . وإنما سياق الكلام : أمراً من الله المؤمنين . . . لمن قاموا بها » أى : لمن قام من المؤمنين بالشهادة ، وذكرها معترضة فى كلام آخر ، وهو قوله : « فى قيامهم بشهاداتهم » .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٦٧٩ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين » ، قال : أمر الله المؤمنين أن يقولوا الحقّ ولو على أنفسهم أو آبائهم أو أبنائهم ، ولا يحابوا غنيًّا لغناه ، ولا يرحموا مسكيناً لمسكنته ، وذلك قوله : « إن يكن غنيًّا أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا » ، فتذروا الحق ، فتجوروا .

١٠٦٨٠ – حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن يونس ، عن ابن شهاب في شهادة الوالد لولده وذي القرابة قال : كان ذلك فيما مضى من السُّنة في سلف المسلمين ، وكانوا يتأولون في ذلك قول الله : «يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيًّا أو فقيراً فالله أولى بهما» الآية ، فلم يكن يُتَّهَمُ سلفُ المسلمين الصالحُ في شهادة الوالد لولده ، ولا الولد لوالده ، ولا الأخ لأخيه ، ولا الرجل لامرأته ، ثم دَخِلَ الناسُ بعد ذلك ،[1] فظهرت منهم أمور حملت الولاةَ على اتهامهم ، فتركت شهادةُ من يتهم ، إذا كانت من أقربائهم . وصار ذلك من الولد والوالد ، والأخ والزوج والمرأة ، لم يتهم إلاّ هؤلاء في آخر الزمان .[2]

١٠٦٨١ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله » إلى آخر الآية ، قال : لا يحملك فقرُ هذا على أن ترحمه فلا تقيم عليه الشهادة . قال : يقول هذا للشاهد .

---

(١) « دخل » على وزن « فرح » ، يقال : « دخل أمره دخلا (بفتحتين) » : أي فسد ، و « الدخل » (بفتحتين) : الغش والفساد . و « فلان مدخول الإسلام » ، إذا كان فيه غش وفساد ، وهو النفاق .

(٢) فليت شعري ما كان يقول ابن شهاب لو أدرك زماننا الذي نحن فيه !! نسأل السلامة ، ونستهديه في القيام بما أمرنا به في كتابه .

١٠٦٨٢ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله» الآية، هذا فى الشهادة . فأقم الشهادة ، يا ابن آدم، ولو على نفسك ، أو الوالدين ، أوعلى ذوى قرابتك، أو شَرَفِ قومك . [1] فإنما الشهادة لله وليست للناس ، وإن الله رضى العدل لنفسه ، والإقساط والعدل ميزانُ الله فى الأرض ، به يردُّ الله من الشديد على الضعيف ، ومن الكاذب على الصادق ، ومن المبطل على المحق . وبالعدل يصدِّق الصادقَ ، ويكذِّب الكاذبَ ، ويردُّ المعتدى ويُرَنِّخُه ، [2] تعالى ربنا وتبارك . وبالعدل يصلح الناس، يا ابن آدم = « إن يكن غنيًّا أو فقيراً فالله أولى بهما »، يقول : أولى بغنيكم وفقيركم . قال : وذكر لنا أن نبيَّ الله موسى عليه السلام قال: « ياربِّ، أى شىء وضعت فى الأرض أقلّ ؟ »، قال : « العدلُ أقلُّ ما وضعت فى الأرض » . فلا يمنعك غِنى غنىً ولا فقر فقير أن تشهد عليه بما تعلم ، فإن ذلك عليك من الحق ، وقال جل ثناؤه : « فالله أولى بهما » .

* * *

وقد قيل : « إن يكن غنيًّا أو فقيراً»، الآية، أريد : فالله أولى بغنى الغنى وفقر الفقير . لأن ذلك منه لا من غيره ، فلذلك قال : « بهما » ، ولم يقل « به » .

* * *

وقال آخرون : إنما قيل : « بهما »، لأنه قال : « إن يكن غنيًّا أوفقيراً »، فلم يقصد فقيراً بعينه ولا غنيًّا بعينه، وهو مجهول . وإذا كان مجهولاً جاز الردُّ منه بالتوحيد والتثنية والجمع . [3]

* * *

(١) فى المطبوعة : « أو أشراف قومك » ، كأنه ظن « شرفاً » خطأ ، وهو محض صواب ، يجمع « شريف » على « أشراف » و « شرفاء » و « شرف » (بفتح الشين والراء). كما قالوا : « رجل كريم » و « قوم كرم » . ولو قيل : هو وصف بالمصدر مثل « عدل » لكان صواباً .

(٢) فى المطبوعة : « ويوبخه » والتوبيخ لا معنى له هنا . وفى المخطوطة غير منقوطة . وصواب قراءتها ما أثبت . يقال : « رنخ الرجل » : ذلله . ولو قرئت « يريخه » بالياء لكان صواباً ، يقال : « ضربوا فلاناً حتى ريخوه » ، أى أوهنوه وأذلوه . هذا وقتادة السدوسى ، كان يكثر فى كلامه غريب اللغة .

(٣) فى المطبوعة : « الرد عليه بالتوحيد . . . » ، والذى أثبت من المخطوطة هو محض الصواب .

وذكر قائلو هذا القول ، أنه فى قراءة أبىّ : ﴿فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمْ﴾ .

* * *

وقال آخرون : « أو » بمعنى « الواو » فى هذا الموضع .(١)

* * *

وقال آخرون : جاز تثنية قوله : « بهما » ، لأنهما قد ذكرا ، كما قيل . ﴿وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا﴾ [سورة النساء : ١٢] .

* * *

وقيل : جاز ، لأنه أضمر فيه « مَن » ،كأنه قيل : إن يكن مَن خاصم غنيًّا أو فقيرًا = بمعنى : غنيين أو فقيرين = « فالله أولى بهما » .

* * *

وتأويل قوله : « فلاتتبعوا الهوى أن تعدلوا » ، أى : عن الحق ، فتجوزوا بترك إقامة الشهادة بالحق . ولو وُجِّه إلى أن معناه : فلاتتَّبعوا أهواء أنفسكم هرباً من أن تعدلوا عن الحق فى إقامة الشهادة بالقسط ، لكان وجهاً .(٢)

* * *

٥ / ٢٠٨ وقد قيل : معنى ذلك : فلا تتبعوا الهوى لتعدلوا = كما يقال : «لا تتبع هواك لترضىَ ربك » ، بمعنى : أنهاك عنه ، كيما ترضى ربّك بتركه .(٣)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿وَإِن تَلْوُوا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (١٣٥)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : عنى : « وإن تلووا » ، أيها الحكام، فى الحكم لأحد الخصمين

---

(١) انظر « أو » بمعنى « الواو » فيما سلف ١ : ٣٣٦ ، ٢/٣٣٧ : ٢٣٧ .

(٢) فى المطبوعة : «كان وجها » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٩١ .

على الآخر= « أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً » .

ووجهوا معنى الآية إلى أنها نزلت فى الحكام ، على نحو القول الذى ذكرنا عن السدّى من قوله : إن الآية نزلت فى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكرنا قبل .(١)

* ذكر من قال ذلك :

١٠٦٨٣ – حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا، حدثنا جرير ، عن قابوس ابن أبى ظبيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس فى قول الله : « وإن تلووا أو تعرضوا » ، قال: هما الرجلان يجلسان بين يدى القاضى ، فيكون لَىُّ القاضى وإعراضُه لأحدهما على الآخر .(٢)

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : وإن تلووا ، أيها الشهداء ، فى شهاداتكم فتحرّفوها ولا تقيموها = أو تعرضوا عنها فتتركوها .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٦٨٤ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية، عن على بن أبى طلحة، عن ابن عباس قوله : «وإن تلووا أو تعرضوا »، يقول : إن تلووا بألسنتكم بالشهادة ، أو تعرضوا عنها .

١٠٦٨٥ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله » إلى قوله : « وإن تلووا أو تعرضوا » ، يقول : تلوى

---

(١) هو الأثر السالف رقم : ١٠٦٧٨ .

(٢) الأثر : ١٠٦٨٣ – « قابوس بن أبى ظبيان الجنبى »، روى عن أبيه « حصين بن جندب » وآخرين . قال ابن معين : « ثقة ، ضعيف الحديث » . وقال ابن حبان : « ينفرد عن أبيه بما لا أصل له ، فربما رفع المرسل ، وأسند الموقوف . وأبوه ثقة » . وانظر ما سلف رقم : ٩٧٤٥ .

وأبوه : « أبو ظبيان » ، هو : « حصين بن جندب » . روى عن عمر ، وعلى ، وابن مسعود . ثقة ، انظر ما سلف رقم : ٩٧٤٥ .

لسانك بغير الحق، وهي اللَّجلجة، فلا تقيم الشهادة على وجهها. و« الإعراض» ، الترك.

١٠٦٨٦ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « وإن تلووا » ، أي تبدّلوا الشهادة = « أو تعرضوا » ، قال : تكتموها .

١٠٦٨٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد: « وإن تلووا »، قال: بتبديل الشهادة، و« الإعراض » كتمانها .

١٠٦٨٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وإن تلووا أو تعرضوا » ، قال : إن تحرفوا أو تتركوا .

١٠٦٨٩ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة: « وإن تلووا أو تعرضوا » ، قال : تلجلجوا ، أو تكتموا . وهذا في الشهادة .

١٠٦٩٠ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وإن تلووا أو تعرضوا »، أما « تلووا » ، فتلوى للشهادة فتحرفها حتى لا تقيمها = وأما « تعرضوا » فتعرض عنها فتكتمها، وتقول: ليس عندي شهادة !

١٠٦٩١ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « وإن تلووا » ، فتكتموا الشهادة، يلوى ببعض منها[1] = أو يُعرض عنها فيكتمها، فيأبى أن يَشهد عليه، يقول: أكتم عنه لأنه مسكين أرحَمُه! فيقول: لا أقيم الشهادة عليه . ويقول: هذا غنيٌّ أبقّيه وأرجو ما قِبَله ، فلا أشهد عليه ! فذلك قوله: « إن يكن غنيًّا أو فقيراً » .

---

(١) في المطبوعة : « تلوى تنقص منها » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو صواب جيد . من قولهم : « لوى عنه الخبر » ، إذا طواه ، أو أخبره به على غير وجهه .

وكان سياق الكلام في المطبوعة بالتاء على معنى الخطاب، « تلوى » « تعرض » الخ ، فأثبت ما هو في المخطوطة منقوطاً كذلك .

١٠٦٩٢ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: « وإن تلووا »، تحرّفوا = « أو تعرضوا »، تتركوا.[١]

١٠٦٩٣ – حدثنا محمد بن عمارة قال، حدثنا حسن بن عطية قال، حدثنا فضيل ابن مرزوق ، عن عطية في قوله : « وإن تلووا » ، قال : إن تلجلجوا في الشهادة فتفسدوها = « أو تعرضوا » ، قال : تتركوها .[٢]

١٠٦٩٤ – حدثنا المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك في قوله : « وإن تلووا أو تعرضوا »، قال : إن تلووا في الشهادة ، أن لا تقيمها على وجهها[٣] = « أو تعرضوا » ، قال : تكتموا الشهادة .

١٠٦٩٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي حماد قال ، حدثنا شيبان، عن قتادة: أنه كان يقول : « وإن تلووا أو تعرضوا » ، يعني : تلجلجوا = « أو تعرضوا » ، قال : تدعها فلا تشهد .

١٠٦٩٦ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال، سمعت الضحاك يقول في قوله: « وإن تلووا أو تعرضوا»، أما « تلووا »، فهو أن يلوي الرجل لسانَه بغير الحق . يعني : في الشهادة .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بالصواب في ذلك، تأويلُ من تأوله، أنه لَيٌّ الشاهد شهادته لمن يشهد له وعليه، وذلك تحريفه إياها بلسانه ،[٤] وتركه إقامتها ، ليبطل بذلك شهادته لمن شهد له ، وعمن شهد عليه .[٥] ٥ / ٢٠٩

---

(١) في المخطوطة : « تحرفوا أو تحرفوا » مكررة ، لا أظنه تحريفاً .

(٢) في المطبوعة : « فتتركوها » ، والجيد ما في المخطوطة .

(٣) في المطبوعة : « أن لا تقيموها » بالجمع ، والذي في المخطوطة حسن جيد .

(٤) في المطبوعة : « لسانه » بغير باء ، والصواب من المخطوطة .

(٥) انظر تفسير « اللي » فيما سلف ٦ : ٥٣٥ – ٥٣٧ / ٨ : ٤٣٥ .

وأما إعراضه عنها ، فإنه تركه أداءَها والقيام بها ، فلا يشهد بها .(١)

وإنما قلنا : هذا التأويل أولى بالصواب ، لأن الله جل ثناؤه قال : « كونوا قوامين بالقسط شهداء الله » ، فأمرهم بالقيام بالعدل شهداء . وأظهر معانى « الشهداء » ، ما ذكرنا من وصفهم بالشهادة .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « وإن تلووا » .

فقرأ ذلك عامة قرأة الأمصار سوى الكوفة : ﴿ وَإِنْ تَلْوُوا ﴾ بواوين ، من : « لوانى الرجل حقى ، والقوم يلوننى دَيْنى » = وذلك إذا مطلوه = « ليًّا » .

* * *

وقرأ ذلك جماعة من قرأة أهل الكوفة : ﴿ وَإِنْ تَلُوا ﴾ بواو واحدة .

* * *

ولقراءة من قرأ ذلك كذلك وجهان :

أحدهما : أن يكون قارئها أراد همز « الواو » لانضمامها ، ثم أسقط الهمز ، فصار إعراب الهمز فى اللام إذْ أسقطه ، وبقيت واو واحدة . كأنه أراد : « تَلْؤُوا » ثم حذف الهمز . وإذا عنى هذا الوجه ، كان معناه معنى من قرأ : « وإن تلووا » ، بواوين ، غير أنه خالف المعروف من كلام العرب . وذلك أن « الواو » الثانية من قوله : « تلووا » واو جمع ، وهى علم لمعنى ، فلا يصح همزها ، ثم حذفها بعد همزها ، فيبطل علَم المعنى الذى له أدخلت « الواو » المحذوفة .(٢)

والوجه الآخر : أن يكون قارئها كذلك ، أراد : أن « تلوا » من « الولاية » ، فيكون معناه : وأن تلوا أمور الناس وتتركوا . وهذا معنى = إذا وجّه القارئ قراءته على ما وصفنا ، إليه = خارج عن معانى أهل التأويل ، وما وجّه إليه أصحاب رسول الله صلى

---

(١) انظر تفسير « الإعراض » فيما سلف ص : ٢٦٨ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

(٢) هذا موضع وهم غريب من مثل أبى جعفر ، فإن الهمز فى « تلؤوا » على واو الفعل ، وهى عين الفعل « لوى » ، والحذف بعد طرح الهمزة ، واقع بواو الفعل لا بواو الجماعة ، وهى أصل ، لم تدخل لمعنى . فكيف أخطأ أبو جعفر فظنها واو الجماعة ! ! وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٩١ .

الله عليه وسلم والتابعون ، تأويلَ الآية .

* * *

قال أبو جعفر : فإذْ كان فساد ذلك واضحاً من كلا وجهيه ، فالصواب من القراءة الذى لا يصلح غيره أن يقرأ به عندنا : ﴿ وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا ﴾ ، بمعنى : « اللى » الذى هو مطل .

* * *

فيكون تأويل الكلام : وإن تدفعوا القيام بالشهادة على وجهها لمن لزمكم القيامُ له بها ، فتغيروها وتبدلوا ، أو تعرضوا عنها فتتركوا القيام له بها ، كما يلوى الرجل دينَ الرجل فيدافعه بأدائه إليه على ما وجب عليه له مطلاً منه له ،[1] كما قال الأعشى :

يَلْوِينَنِي دَيْنِي النَّهارَ ، وأَقْتَضِي دَيْنِي إذَا وَقَذَ النُّعَاسُ الرُّقَّدَا[2]

* * *

وأما تأويل قوله : « فإن الله كان بما تعملون خبيراً » ، فإنه أراد : « فإن الله كان بما تعملون » ، من إقامتكم الشهادة وتحريفكم إياها ، وإعراضكم عنها

---

(١) انظر مراجع تفسير « اللى » فيما سلف ص : ٣٠٩ ، تعليق : ٥
وفى المطبوعة « على ما أوجب عليه » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) ديوانه : ١٥١ ، واللسان (لوى) و (وقذ) ، من أبيات ، جياد أولها فيما قبله :

وَأَرَى الغَوَانِي حِينَ شِبْتُ هَجَرْنَنِي أَنْ لَا أَكُونَ لَهُنَّ مِثْلِيَ أَمْرَدَا
إنَّ الغَوَانِي لَا يُوَاصِلْنَ امْرَءًا فَقَدَ الشَّبَابَ ، وَقَدْ يَصِلْنَ الأَمْرَدَا
بَلْ لَيْتَ شِعْرِي ! هَلْ أَعُودَنْ نَاشِئًا مِثْلِي زُمَيْنَ أَحُلُّ بُرْقَةَ أَنْقُدَا
إذْ لِمَّتِي سَوْدَاءُ أَتْبَعُ ظِلَّهَا دَدَنًا قُعُودَ غَوَايَةٍ أَجْرِي دَدَا
يَلْوِينَنِي دَيْنِي . . . . . .

هذا ، ورواية الديوان : « وأجتزى دينى » ، يقال : « اجتزى دينه » أى : تقاضاه ، ومثله « تجازى دينه » . و « وقذه » : ضربه حتى استرخى وأشرف على الموت . و « وقذه النعاس » مجاز منه ، أى صاروا كأنهم سكارى قد استرخوا وهدوا من النعاس .

بكتمانكموها = « خبيراً » ، يعني ذا خبرة وعلم به ، يحفظ ذلك منكم عليكم ، حتى يجازيكم به جزاءكم فى الآخرة ، المحسنَ منكم بإحسانه ، والمسيء بإساءته . يقول : فاتقوا ربكم فى ذلك .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ (١٣٦)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « يا أيها الذين آمنوا » ، بمن قبل محمد من الأنبياء والرسل ، وصدّقوا بما جاؤوهم به من عند الله = « آمنوا بالله ورسوله » ، يقول : صدّقوا بالله وبمحمد رسوله ، أنه لله رسولٌ ، مرسل إليكم وإلى سائر الأمم قبلكم = « والكتاب الذى نزل على رسوله » ، يقول : وصدّقوا بما جاءكم به محمد من الكتاب الذى نزّله الله عليه ، وذلك القرآن = « والكتاب الذى أنزل من قبل » ، يقول : وآمنوا بالكتاب الذى أنزل الله من قبل الكتاب الذى نزله على محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو التوراة والإنجيل .

* * *

فإن قال قائل : وما وجه دعاء هؤلاء إلى الإيمان بالله ورسوله وكتبه ، وقد سماهم « مؤمنين » ؟

قيل : إنه جل ثناؤه لم يسمّهم « مؤمنين » ، وإنما وصفهم بأنهم « آمنوا » ، وذلك وصف لهم بخصوصٍ من التصديق . وذلك أنهم كانوا صنفين : أهل توراة مصدّقين

---

(١) انظر تفسير « الخبير » فيما سلف من فهارس اللغة .

بها وبمن جاء بها ، وهم مكذبون بالإنجيل والقرآن وعيسى ومحمد صلوات الله عليهما = وصنف أهل إنجيل ، وهم مصدّقون به وبالتوراة وسائر الكتب ، مكذّبون بمحمد صلى الله عليه وسلم والفرقان ، فقال جل ثناؤه لهم : « يا أيها الذين آمنوا » ، يعنى : بما هم به مؤمنون من الكتب والرسل = « آمنوا بالله ورسوله » محمد صلى الله عليه وسلم = « والكتاب الذى نزّل على رسوله » ، فإنكم قد علمتم أن محمداً رسول الله ، تجدون صفته فى كتبكم = وبالكتاب الذى أنزل من قبلُ الذى تزعمون أنكم به مؤمنون ، فإنكم لن تكونوا به مؤمنين وأنتم بمحمد مكذبون ، لأن كتابكم يأمركم ٥/٤١٠ بالتصديق به وبما جاءكم به ، فآمنوا بكتابكم فى اتّباعكم محمداً ، وإلا فأنتم به كافرون. فهذا وجه أمرهم بالإيمان بما أمرهم بالإيمان به ، بعد أن وصفهم بما وصفهم بقوله : « يا أيها الذين آمنوا ».(١)

* * *

وأما قوله : « ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر » ، فإن معناه : ومن يكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم فيجحد نبوّته فقد ضلّ ضلالاً بعيداً.

وإنما قال تعالى ذكره : « ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر » ، ومعناه : ومن يكفر بمحمد وبما جاء به من عند الله(٢) = لأن جحود شىء من

---

(١) كان ينبغى أن يذكر أبو جعفر هنا ، اختلاف المختلفين فى قراءة «أَنْزَلَ» و «أُنْزِلَ» = و «نَزَّلَ» و «نُزِّلَ» ، وظاهر أنه نسى أن يذكرها هنا ، فأخرها إلى الموضع الآتى فى ص : ٣٢٣ ، تعليق : ١ .

(٢) كان فى المطبوعة : « ومن يكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم فيجحد نبوته ، فهو يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، لأن جحود شىء من ذلك . . . » ، أسقط من نص المخطوطة ما أثبت ، لأنه قد وقع فى المخطوطة خطأ اضطرب معه الكلام ، فلم يحسن الناشر تصحيحه ، فحذف حتى يصل بعض الكلام ببعض ، فأساء غاية الإساءة .

والخطأ الذى كان فى المخطوطة هو أنه ساق الجملة كما كتبتها ، إلا أن كتب : « وإنما قال تعالى ذكره : ومن يكفر بالله فهو يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله » وبين أن « فهو يكفر » سبق قلم من الناسخ ، والصواب إسقاطها فيستقيم الكلام كما أثبته .

وسياق الجملة : « وإنما قال تعالى ذكره كذا وكذا ... ومعناه . . . كذا وكذا ، لأن جحود شىء من ذلك بمعنى جحود جميعه » .

ذلك بمعنى جحود جميعه، ولأنه لا يصح إيمان أحدٍ من الخلق إلا بالإيمان بما أمره الله بالإيمان به،[١] والكفر بشيء منه كفر بجميعه، فلذلك قال: « ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر » ، بعقب خطابه أهل الكتاب وأمره إياهم بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ، تهديداً منه لهم ، وهم مقرّون بوحدانية الله والملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر ، سوى محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من الفرقان .

* * *

وأما قوله : « فقد ضل ضلالاً بعيداً » ، فإنه يعنى : فقد ذهب عن قصد السبيل، وجار عن محجّة الطريق ، إلى المهالك = ذهاباً وجوراً بعيداً . لأن كفر من كفر بذلك ، خروجٌ منه عن دين الله الذى شرعه لعباده . والخروج عن دين الله ، الهلاك الذى فيه البوار ، والضلال عن الهدى هو الضلال .[٢]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴾ (١٣٧)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : تأويله : إن الذين آمنوا بموسى ثم كفروا به ، ثم آمنوا = يعنى : النصارى = بعيسى ثم كفروا به ، ثم ازدادوا كفراً بمحمد = « لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً » .

---

(١) لما أدخل الناشر الأول ذلك الحذف على الكلام ، اضطر فى هذا الموضع أن يجعل العبارة : « وذلك لأنه لا يصح إيمان أحد من الخلق . . . » فزاد « ذلك » فى الكلام .

(٢) انظر تفسير « الضلال البعيد » فيما سلف ص: ٢٠٦، ٢٠٧ ومعنى « الضلال » ١ : ١٩٥/ ٢ : ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، وغيرهما فى فهارس اللغة .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٦٩٧ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً »، وهم اليهود والنصارى . آمنت اليهود بالتوراة ثم كفرت ، وآمنت النصارى بالإنجيل ثم كفرت. وكفرهم به : تركهم إياه = ثم ازدادوا كفراً بالفرقان وبمحمد صلى الله عليه وسلم . فقال الله : « لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً »، يقول : لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريق هدًى ، وقد كفروا بكتاب الله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

١٠٦٩٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « إن الذين آمنوا ثم كفروا » ، قال : هؤلاء اليهود ، آمنوا بالتوراة ثم كفروا . ثم ذكر النصارى ، ثم قال : « ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً » ، يقول : آمنوا بالإنجيل ثم كفروا به ، ثم ازدادوا كفراً بمحمد صلى الله عليه وسلم .

* * *

وقال آخرون : بل عنى بذلك أهل النفاق، أنهم آمنوا ثم ارتدوا ، ثم آمنوا ثم ارتدوا ، ثم ازدادوا كفراً بموتهم على الكفر .(١)

* ذكر من قال ذلك :

١٠٦٩٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً » ، قال : كنا نحسبهم المنافقين ، ويدخل فى ذلك من كان مثلهم = « ثم ازدادوا كفراً » ، قال : تَمُّوا على كفرهم حتى ماتوا .(٢)

---

(١) فى المطبوعة : « على كفرهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « نموا على كفرهم » بالنون ، والصواب ما أثبت . « تم على الشىء » : أقام عليه ولزمه .

١٠٧٠٠ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: « ثم ازدادوا كفراً » ، قال : ماتوا .(١)

١٠٧٠١ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « ثم ازدادوا كفراً » ، قال: حتى ماتوا .(٢)

١٠٧٠٢ – حدثنا يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « إن الذين آمنوا ثم كفروا » الآية ، قال : هؤلاء المنافقون ، آمنوا مرتين، وكفروا مرتين ، ثم ازدادوا كفراً بعد ذلك .(٣)

* * *

وقال آخرون : بل هم أهل الكتابين ،التوراةِ والإنجيل، أتوا ذنوباً في كفرهم فتابوا ، فلم تقبل منهم التوبة فيها ، مع إقامتهم على كفرهم .

* * *

* ذكر من قال ذلك :

١٠٧٠٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو خالد ، عن داود بن أبي هند ، عن أبي العالية : « إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً » ، قال : هم اليهود والنصارى ، أذنبوا في شركهم ثم تابوا ، فلم تقبل توبتهم . ولو تابوا من الشرك لقُبِل منهم .

* * *

٢١١/٥ قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ، قول من قال : عنى بذلك أهلَ الكتاب الذين أقرُّوا بحكم التوراة ، ثم كذَّبوا بخلافهم إياه ، ثم أقرّ من أقرّ منهم بعيسى والإنجيل، ثم كذّب به بخلافه إياه ، ثم كذّب بمحمد صلى الله عليه وسلم والفرقان ، فازدادَ بتكذيبه به كفراً على كفره .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب في تأويل هذه الآية ، لأن الآية قبلها في قصص

(١) يعني بقوله : « ماتوا » ، أي : ماتوا عليه ، وهذا من الاختصار في الحديث .
(٢) في المخطوطة : « حين ماتوا » ، أي : حين ماتوا عليه ، وهي صواب أيضاً .
(٣) انظر تفسير « ثم ازدادوا كفراً » فيما سلف ٦ : ٥٧٩ – ٥٨٢ .

أهل الكتابين= أعني قوله: « يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله » = ولا دلالة تدلُّ على أن قوله : « إن الذين آمنوا ثم كفروا » ، منقطع معناه من معنى ما قبله ، فإلحاقه بما قبله أولى ، حتى تأتي دلالة دالَّة على انقطاعه منه .

* * *

وأما قوله : « لم يكن الله ليغفر لهم » ، فإنه يعني : لم يكن الله ليسترَ عليهم كفرهم وذنوبهم ، بعفوه عن العقوبة لهم عليه ، ولكنه يفضحهم على رؤوس الأشهاد= « ولا ليهديهم سبيلاً » » يقول : ولم يكن ليسدِّدهم لإصابة طريق الحق فيوفقهم لها ، ولكنه يخذلهم عنها ، عقوبة لهم على عظيم جُرمهم ، وجرأتهم على ربهم .

* * *

وقد ذهب قوم إلى أن المرتد يُستتاب ثلاثاً ، انتزاعاً منهم بهذه الآية ،(١) وخالفهم على ذلك آخرون .

* ذكر من قال : يستتاب ثلاثاً .

١٠٧٠٤ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا حفص ، عن أشعث ، عن الشعبي ، عن علي عليه السلام قال : إن كنتُ لمستتيبَ المرتدّ ثلاثاً . ثم قرأ هذه الآية : « إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا » .

١٠٧٠٥ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن جابر ، عن عامر ، عن علي رضي الله عنه : يستتاب المرتد ثلاثاً . ثم قرأ : « إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً » ، .

١٠٧٠٦ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن عبد الكريم ، عن رجل ، عن ابن عمر قال : يستتاب المرتد ثلاثاً .

* * *

وقال آخرون : يستتابُ كلما ارتدّ .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) يقال : « انتزع معنى آية من كتاب الله » ، إذا استنبطه واستخرجه .

١٠٧٠٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن عمرو بن قيس ، عمن سمع إبراهيم قال : يستتاب المرتدّ كلما ارتدّ.

* * *

قال أبو جعفر : وفي قيام الحجة بأن المرتد يستتاب المرّة الأولى ، الدليل الواضح على أن حكم كلّ مرة ارتدّ فيها عن الإسلام حكمُ المرة الأولى ، في أن توبته مقبولة ، وأن إسلامه حقَن له دمه . لأن العلة التي حقنت دمه في المرة الأولى إسلامُه ، فغير جائز أن توجد العلة التي من أجلها كان دمه مَحْقُوناً في الحالة الأولى ، ثم يكون دمه مباحاً مع وجودها ، إلاّ أن يفرّق بين حكم المرة الأولى وسائر المرات غيرها ، ما يجب التسليم له من أصل محكمٍ ، فيخرج من حكم القياس حينئذ .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (١٣٨)

قال أبو جعفر : يعني بقوله[1] : جل ثناؤه : « بشر المنافقين » ، أخبر المنافقين .

* * *

وقد بيّنّا معنى « التبشير » فيما مضى بما أغنى عن إعادته .[2]

* * *

=« بأن لهم عذاباً أليماً » ، يعني : بأن لهم يوم القيامة من الله على نفاقهم= « عذاباً أليماً » ، وهو المُوجع ، وذلك عذاب جهنم .[3]

* * *

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « يعني بذلك » ، والصواب ما أثبت .

(٢) انظر ما سلف ١ : ٢/٣٨٣ : ٣/٣٩٣ : ٦/٢٢١ : ٢٨٧ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٤١١ .

(٣) انظر تفسير « أليم » فيما سلف من فهارس اللغة .

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ (١٣٩)

قال أبو جعفر : أما قوله جل ثناؤه : « الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين » ، فمن صفة المنافقين . يقول الله لنبيه : يا محمد ، بشر المنافقين الذين يتخذون أهل الكفر بى والإلحاد فى دينى «أولياء» =يعنى : أنصاراً وأخِلاّء[1] = « من دون المؤمنين » ، يعنى : من غير المؤمنين[2] = « أيبتغون عندهم العزة » ، يقول : أيطلبون عندهم المنعة والقوة ،[3] باتخاذهم إياهم أولياء من دون أهل الإيمان بى؟ = « فإن العزة لله جميعاً » ، يقول : فإن الذين اتخذوهم من الكافرين أولياء ابتغاءَ العزة عندهم ، هم الأذلاء الأقِلاّء ، فهلاّ اتخذوا الأولياء من المؤمنين ، فيلتمسوا العزّة والمنعة والنصرة من عند الله الذى له العزة والمنعة ، الذى يُعِزّ من يشاء ويذل من يشاء ، فيعزُّهم ويمنعهم ؟

* * *

وأصل « العزة » ، الشدة . ومنه قيل للأرض الصلبة الشديدة ، « عَزَاز » . وقيل : «قد استُعِزّ على المريض» ،[4] إذا اشتدّ مرضه وكاد يُشفى . ويقال : «تعزز اللحمُ» ، إذا اشتد . ومنه قيل : « عزّ علىّ أن يكون كذا وكذا » ، بمعنى : اشتد علىّ .[5]

* * *

(١) انظر تفسير « الولى » فيما سلف ص : ٢٤٧ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « من دون » فيما سلف ص : ٢٤٧ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « الابتغاء » فيما سلف ص : ٢٠٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٤) « استعز » بالبناء للمجهول ، وفى الحديث : « أنه استعز برسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه » ، أى : اشتد به المرض وغلبه وأشرف على الموت .
وقوله : « وكاد يشفى » ، أى : يشرف على الهلاك ، أشفى يشفى إشفاء .
(٥) انظر تفسير « العزة » و « عزيز » فيما سلف ٣ : ٤/٨٨ : ٦/٢٤٤ : ١٦٨ ،

القول فى تأويل قوله ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ (١٤٠) ٢١٢/٥

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « بشر المنافقين » = الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، = « وقد نزل عليكم فى الكتاب » ، يقول : أخبر من اتخذ من هؤلاء المنافقين الكفار أنصاراً وأولياءَ بعد ما نزل عليهم من القرآن ، « أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره » ، يعنى : بعد ما علموا نَهْىَ الله عن مجالسة الكفار الذين يكفرون بحجج الله وآيِ كتابه ويستهزئون بها = « حتى يخوضوا فى حديث غيره » ، يعنى بقوله : « يخوضوا » ، يتحدثوا حديثاً غيره = « بأن لهم عذاباً أليماً » .(١)

وقوله : « إنكم إذاً مثلهم » ، يعنى : وقد نزل عليكم أنكم إن جالستم من يكفر بآيات الله ويستهزئ بها وأنتم تسمعون ، فأنتم مثله = يعنى : فأنتم إن لم تقوموا عنهم فى تلك الحال ، مثلُهم فى فعلهم ، لأنكم قد عصيتم الله بجلوسكم معهم وأنتم تسمعون آياتِ الله يكفر بها ويستهزأ بها ، كما عصوه باستهزائهم بآيات الله . فقد أتيتم من معصية الله نحو الذى أتَوْه منها ، فأنتم إذاً مثلهم فى ركوبكم معصية الله ، وإتيانكم ما نهاكم الله عنه .

* * *

٢٧١ ، ٤٧٦ . هذا ، ولم يفسر أبو جعفر معنى « العزة » تفسيراً مطولا إلا فى هذا الموضع ، وهذا دليل آخر على طريقته فى اختصار تفسيره هذا .

(١) أراد أبو جعفر بهذه الفقرة أن يبين أن قوله فى الآية الأولى : « بأن لهم عذاباً أليماً » ، مقدم ومعناه التأخير ، فلذلك قال فى أول الكلام « بشر المنافقين » ثم استطرد فى ذكر الآيتين بعدها ، ثم ختمها بختام الأولى .

وفى هذه الآية ، الدلالة الواضحة على النهى عن مجالسة أهل الباطل من كل نوع ، من المبتدعة والفسَقة ، عند خوضهم فى باطلهم .

* * *

وبنحو ذلك كان جماعة من الأئمة الماضين يقولون ، (١) تأوُّلاً منهم هذه الآية أنه مرادٌ بها النهى عن مشاهدة كل باطل عند خوض أهله فيه .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٧٠٨ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا يزيد بن هرون ، عن العوام بن حوشب ، عن إبراهيم التيمى ، عن أبى وائل ، قال : إن الرجل ليتكلم بالكلمة فى المجلس من الكَذب ليُضحك بها جلساءَه ، فيسخط الله عليهم . قال : فذكرت ذلك لإبراهيم النخعى ، فقال : صدق أبو وائل ، أو ليس ذلك فى كتاب الله : «أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره إنكم إذاً مثلهم » ؟

١٠٧٠٩ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن إدريس ، عن العلاء بن المنهال ، عن هشام بن عروة قال : أخذ عمر بن عبد العزيز قوماً على شرابٍ فضربهم ، وفيهم صائم ، فقالوا : إنّ هذا صائم ! فتلا : « فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره إنكم إذاً مثلُهم » .

١٠٧١٠ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها » ، وقوله : ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ ، [سورة الأنعام : ١٥٣] ، وقوله : ﴿أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [سورة الشورى : ١٣] ، ونحو هذا من القرآن . قال : أمر الله المؤمنين بالجماعة ، ونهاهم عن الاختلاف

(١) فى المطبوعة : « كان جماعة من الأمة الماضية » ، والصواب من المخطوطة .

والفرقة ، وأخبرهم : إنما هلك من كان قبلكم بالمِراء والخصومات في دين الله .

* * *

وقوله : « إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً » ، يقول : إن الله جامع الفريقين من أهل الكفر والنفاق في القيامة في النار ، فموفِّق بينهم في عقابه في جهنم وأليم عذابه ، كما اتفقوا في الدنيا فاجتمعوا على عداوة المؤمنين ، وتوازرُوا على التخذيل عن دين الله = وعن الذي ارتضاهُ وأمر به = وأهلِه .[1]

* * *

واختلفت القرأة في قراءة قوله : « وقد نزل عليكم في الكتاب » .

فقرأ ذلك عامة القرأة بضم « النون » وتثقيل « الزاي » وتشديدها ، على وجْه ما لم يُسَمَّ فاعله .

* * *

وقرأ بعض الكوفيين بفتح « النون » وتشديد « الزاي » ، على معنى : وقد نَزَّل الله عليكم .

* * *

وقرأ بعض المكيين : ﴿ وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ ﴾ بفتح « النون » ، وتخفيف « الزاي » ، بمعنى : وقد جاءكم من الله أن إذا سمعتم .

* * *

قال أبو جعفر : وليس في هذه القراآت الثلاث وجه يبعد معناه مما يحتمله الكلام . غير أن الذي أختارُ القراءة به ، قراءة من قرأ : ﴿ وَقَدْ نُزِّلَ ﴾ بضم « النون » وتشديد « الزاي » ، على وجه ما لم يسم فاعله . لأن معنى الكلام فيه التقديم على ما وصفت قبل ،[2] على معنى : « الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين » = « وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها » إلى قوله : « حديث غيره » = « أيبتغون عندهم العزة » . فقوله : « فإن العزة لله جميعاً » ، يعني التأخير ،

---

(١) قوله : « وأهله » مجرور معطوف على قوله « عن دين الله » والسياق : « عن دين الله ... وعن أهله » .

(٢) انظر ما سلف ص : ٣٢٠ وتعليق : ١ .

فلذلك كان ضم « النون » من قوله : « نزّل » أصوب عندنا فى هذا الموضع . ٥/٢١٣

* * *

وكذلك اختلفوا فى قراءة قوله[١] : « والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل » .

فقرأه بفتح ﴿ نَزَّلَ ﴾ و﴿ أَنْزَلَ ﴾ أكثر القرأة ، بمعنى : والكتاب الذى نزّل الله على رسوله ، والكتاب الذى أنزل من قبل .

* * *

وقرأ ذلك بعض قرأة البصرة بضمه فى الحرفين كليهما ،[٢] بمعنى ما لم يسم فاعله .

* * *

وهما متقاربتا المعنى . غير أن الفتح فى ذلك أعجبُ إلىّ من الضم ، لأن ذكر الله قد جرى قبل ذلك فى قوله : « آمنوا بالله ورسوله » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ (١٤١)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « الذين يتربصون بكم » ، الذين ينتظرون ، أيها المؤمنون ،[٣] بكم = « فإن كان لكم فتح من الله » ، يعنى : فإن فتح الله

---

(١) فى المطبوعة : « وكذا اختلفوا » ، وأثبت ما فى المخطوطة . وذكر هذه القراءة ، كان ينبغى أن يكون فى موضعه عند آخر تفسير الآية ، كما جرى عليه منهجه فى كل ما سلف . وانظر ص : ٣١٣ تعليق : ١ .

(٢) فى المطبوعة : « كلاهما » ، والصواب فى المخطوطة .

(٣) انظر تفسير « التربص » فيما سلف ٤ : ٤٥٦ ، ٥/٥١٥ : ٧٩ .

عليكم فتحاً من عدوكم ، فأفاء عليكم فَيْئاً من المغانم = « قالوا » لكم = « ألم نكن معكم » ، نجاهد عدوّكم ونغزوهم معكم ، فأعطونا نصيباً من الغنيمة ، فإنا قد شهدنا القتال معكم = « وإن كان للكافرين نصيب » ، يعنى : وإن كان لأعدائكم من الكافرين حظّ منكم ، بإصابتهم منكم [1] = « قالوا » ، [2] يعنى : قال هؤلاء المنافقون للكافرين = « ألم نستحوذ عليكم » ، ألم نغلب عليكم حتى قهرتم المؤمنين = « ونمنعكم » منهم ، بتخذيلنا إياهم ، حتى امتنعوا منكم فانصرفوا = « فالله يحكم بينكم يوم القيامة » ، يعنى : فالله يحكم بين المؤمنين والمنافقين يوم القيامة ، فيفصل بينكم بالقضاء الفاصل ، [3] بإدخال أهل الإيمان جنّته ، وأهل النفاق مع أوليائهم من الكفار ناره = « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً » ، يعنى : حجة يوم القيامة . [4]

وذلك وعدٌ من الله المؤمنين أنه لن يدخل المنافقين مدخلَهم من الجنة ، ولا المؤمنين مدخَل المنافقين ، فيكون بذلك للكافرين على المؤمنين حجة بأن يقولوا لهم ، إن أدخلوا مدخلهم : ها أنتم كنتم فى الدنيا أعداءَنا ، وكان المنافقون أولياءنا ، وقد اجتمعتم فى النار ، فجمع بينكم وبين أوليائنا ! فأين الذى كنتم تزعمون أنكم تقاتلوننا من أجله فى الدنيا؟ فذلك هو « السبيل » الذى وعد الله المؤمنين أن لا يجعلها عليهم للكافرين .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٧١١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « فإن كان لكم فتح من الله » . قال : المنافقون يتربّصون بالمسلمين = « فإن كان لكم فتح » ، قال : إن أصاب المسلمون من عدوهم غنيمة

(١) انظر تفسير « نصيب » فيما سلف ص ٢١٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) فى المطبوعة وحدها : « وقالوا ألم نكن معكم » ، وهو سهو من الناشر الأول .
(٣) انظر تفسير « الحكم » فيما سلف ص : ١٧٥ .
(٤) انظر تفسير « السبيل » فيما سلف من فهارس اللغة .

قال المنافقون : « ألم تكن معكم » ، قد كنا معكم فأعطونا غنيمة مثل ما تأخذون = « وإن كان للكافرين نصيب » ، يصيبونه من المسلمين ، قال المنافقون للكافرين : « ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين » ، قد كنا نثبِّطهم عنكم .

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « ألم نستحوذ عليكم » .

فقال بعضهم : معناه : ألم نغلب عليكم .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٧١٢ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى فى قوله : « ألم نستحوذ عليكم » ، قال : نغلب عليكم .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : ألم نبيِّن لكم أنّا معكم على ما أنتم عليه .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٧١٣ – حدثنا القاسمَ قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « ألم نستحوذ عليكم » ، ألم نبين لكم أنّا معكم على ما أنتم عليه .

* * *

قال أبو جعفر : وهذان القولان متقاربا المعنى . وذلك أن من تأوله بمعنى : « ألم نبين لكم » ، إنما أراد – إن شاء الله – : ألم نغلب عليكم بما كان منا من البيان لكم أنا معكم .

* * *

وأصل « الاستحواذ » فى كلام العرب ، فيما بلغنا ، الغلبة ، ومنه قول الله جل ثناؤه : ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ ﴾ ، [سورة المجادلة : ١٩] ، بمعنى : غلب عليهم . يقال منه : « حاذ عليه واستحاذ ، يحيذ ويستحيذ ، وأحاذ[1]

(١) قوله : « أحاذ يحيذ » ، لم أجده فى معاجم اللغة ، وهو صحيح فى العربية ، وقالوا مكانه : « أحوذ ثوبه » إذا ضمه ، وجاءوا ببيت لبيد الآتى شاهداً عليه . وانظر ما سيأتى بعد بيت لبيد .

يحيذ » . ومن لغة من قال : « حاذ » ، قول العجاج فى صفة ثور وكلب :

* يَحُوذُهُنَّ وَلَهُ حُوذِيّ * (١)

وقد أنشد بعضهم :

* يَحُوزُهُنَّ وَلَهُ حُوزِيُّ * (٢)

وهما متقاربا المعنى . ومن لغة من قال «أحاذ» ، قول لبيد فى صفة عَيْرٍ وأتُنٍ : (٣)

٥/٢١٤ إِذَا اجْتَمَعَتْ وَأَحْوَذَ جَانِبَيْهَا وَأَوْرَدَهَا عَلَى عُوجٍ طِوَالِ (٤)

يعنى بقوله : « وأحوذ جانبيها » ، غلبها وقهرَها حتى حاذ كلا جانبيها ، فلم يشذّ منها شىء .

وكان القياس فى قوله : ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ﴾ أن يأتى : «استحاذ عليهم» ، لأن «الواو» إذا كانت عين الفعل وكانت متحركة بالفتح وما قبلها ساكن ، جعلت العرب حركتها فى « فاء » الفعل قبلها ، وحوّلوها « ألفاً » ، متبعة حركة ما قبلها ، كقولهم : « استحال هذا الشىء عما كان عليه » ، من « حال يحول » = و « استنار

(١) ديوانه : ٧١ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٤١ ، واللسان (حوذ) (حوز) ، ورواية الديوان :

يَحُوذُها وَهْوَ لَهَا حُوذِيُّ خَوْفَ الخِلَاطِ فَهْوَ أَجْنَبِيُّ
كَمَا يَحُوذُ الفِئَةَ الكَمِيُّ

وفسروا « يحوذها » : يسوقها سوقاً شديداً ، ومثله « يحوزها » فى الرواية الآتية .

(٢) انظر اللسان (حوذ) و (حوز) .

(٣) « العير » حمار الوحش ، و « الأتن » جمع « أتان » ، وهى أنثاه .

(٤) ديوانه : القصيدة : ١٧ ، البيت : ٣٩ ، واللسان (حوذ) ، وقوله : « إذا اجتمعت » يعنى إناث حمار الوحش حين دعاها إلى الماء ، فضمها من جانبيها ، يأتيها من هذا الجانب مرة ، ومن هذا مرة حتى غلبها ولم شتاتها ، و « العوج الطوال » قوائمه ، وبعد البيت :

رَفَعْنَ سُرَادِقاً فى يَوْمِ رِيحٍ يُصَفَّقُ بين مَيْلٍ واعْتِدالِ

يعنى غبارها ، ارتفع كأنه سرادق تصفقه الريح وتميله مرة هكذا ومرة هكذا ، فهو يميل ويعتدل .

فلان بنور الله »، من « النور » = و « استعاذ بالله » من « عاذ يعوذ » . وربما تركوا ذلك على أصله كما قال لبيد : « وأحوذ » ، ولم يقل «وأحاذ»، وبهذه اللغة جاء القرآن في قوله : ﴿ أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ﴾ .

* * *

وأما قوله : « فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً » ، فلا خلاف بينهم في أن معناه : ولن يجعل الله للكافرين يومئذ على المؤمنين سبيلاً .

* ذكر الخبر عمن قال ذلك :

١٠٧١٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن ذَرّ، عن يُسَيْع الحضرمي قال : كنت عند علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، فقال رجل : يا أمير المؤمنين، أرأيت قول الله : « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً »، وهم يقاتلوننا فيظهرون ويقتلون؟ قال له عليّ : ادْنُه، ادْنُهْ! ثم قال: « فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً » ، يوم القيامة .

١٠٧١٥ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري، عن الأعمش، عن ذَرّ، عن يسيع الكندي في قوله: « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً »، قال : جاء رجل إلى علي بن أبي طالب فقال : كيف هذه الآية : « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً » ؟ فقال علي: ادْنُهْ ، « فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله » ، يوم القيامة ، « للكافرين على المؤمنين سبيلاً » .

١٠٧١٦ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن ذر ، عن يُسيع الحضرمي، عن علي بنحوه .

١٠٧١٧ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا غندر ، عن شعبة قال : سمعت

سليمان يحدّث ، عن ذر ، عن رجل ، عن عليّ رضى الله عنه أنه قال فى هذه الآية : « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً » ، قال : فى الآخرة .[1]

١٠٧١٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن السدى ، عن أبى مالك : « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً » ، يوم القيامة .

١٠٧١٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس : « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً » ، قال : ذاك يوم القيامة .

* * *

وأما « السبيل » ، فى هذا الموضع ، فالحجة ،[2] كما :–

١٠٧٢٠ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى فى قوله : « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً » ، قال : حجةً .

* * *

---

(١) الآثار : ١٠٧١٤ – ١٠٧١٧ – « ذر » (بفتح الذال) هو : « ذر بن عبد الله المرهبى » ثقة ، أخرج له أصحاب الكتب الستة . مضى برقم : ٢٩١٨ .
و « يسيع بن معدان الحضرى ، والكندى » ، تابعى ثقة . مضى برقم : ٢٩١٨ . وكان فى المطبوعة هنا : « نسيع » بالنون ، وهو خطأ صرف .

(٢) انظر تفسير « السبيل » فيما سلف قريباً ص: ٣٢٤ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١٤٢)

قال أبو جعفر : قد دللنا فيما مضى قبل على معنى « خداع المنافق ربه » ، ووجه « خداع الله إياهم » ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع ، مع اختلاف المختلفين فى ذلك .(١)

* * *

فتأويل ذلك : إنّ المنافقين يخادعون الله ، بإحرازهم بنفاقهم دماءهم وأموالهم ، والله خادعهم بما حكَم فيهم من منع دِمائهم بما أظهروا بألسنتهم من الإيمان ، مع علمه بباطن ضمائرهم واعتقادهم الكفرَ ، استدراجاً منه لهم فى الدنيا ، حتى يلقوه فى الآخرة ، فيوردهم بما استبطنوا من الكفر نارَ جهنم ، كما : —

١٠٧٢١ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم » ، قال : يعطيهم يوم القيامة نوراً يمشون به مع المسلمين كما كانوا معهم فى الدنيا ، ثم يسلبهم ذلك النور فيطفئه ، فيقومون فى ظلمتهم ، ويُضرب بينهم بالسُّور .

١٠٧٢٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج : « إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم » ، قال : نزلت ٢١٥/٥
فى عبد الله بن أبىّ ، وأبى عامر بن النعمان ،(٢) وفى المنافقين = « يخادعون الله وهو خادعهم » ، قال : مثل قوله فى « البقرة » : ﴿ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٢٧٢ — ٢٧٧ ، ثم : ٣٠١ — ٣٠٦ ، تضميناً .

(٢) « أبو عامر بن النعمان » ، هكذا هو فى المخطوطة والمطبوعة ، وأظنه قد أسقط الناسخ من اسمه ما أنا مثبته ، فإن المذكور مع عبد الله بن أبى بن سلول فى المنافقين هو : « أبو عامر عبد عمرو بن صيفى بن النعمان ، أحد بنى ضبيعة بن زيد ، وهو الذى يقال له « أبو عامر الراهب » ،

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ ﴾ [سورة البقرة : ٩] . [١] قال : وأما قوله : « وهو خادعهم » ، فيقول : في النور الذي يعطَى المنافقون مع المؤمنين ، فيعطون النور ، فإذا بلغوا السور سُلب ، وما ذكر الله من قوله [٢] : ﴿ انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُورِكُمْ ﴾ [سورة الحديد : ١٣] . قال قوله : « وهو خادعهم » .

١٠٧٢٣ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يزيد بن هرون ، عن سفيان بن حسين ، عن الحسن : أنه كان إذا قرأ : « إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم » ، قال : يُلقَى على كل مؤمن ومنافق نورٌ يمشونَ به ، حتى إذا انتهوا إلى الصراط طَفِئَ نورُ المنافقين ، ومضى المؤمنون بنورهم ، فينادونهم : ﴿ انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُورِكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ [سورة الحديد : ١٣ ، ١٤] . قال الحسن : [٣] فذلك خديعة الله إياهم . [٤]

* * *

وأما قوله : « وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس » ، فإنه يعني : أن المنافقين لا يعملون شيئاً من الأعمال التي فرضها الله على المؤمنين على وجه التقرُّب بها إلى الله ، لأنهم غير موقنين بمعادٍ ولا ثواب ولا عقاب ، وإنما يعملون ما عملوا

وهو أبو « حنظلة الغسيل » يوم أحد . وكان أبو عامر قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح ، وكان في قومه من الأوس شريفاً مطاعاً . فلما جاء الله بالإسلام ، أبى إلا الكفر والفراق لقومه الأوس ، فخرج مفارقاً للإسلام ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله : « لا تقولوا : الراهب ، ولكن قولوا : الفاسق » . انظر سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

هذا ، ولم أجد أحداً غيره في المنافقين أو غيرهم يقال له : « أبو عامر بن النعمان » ، فثبت عندي أن ما قلته هو الصواب .

(١) في المطبوعة : « وما يخادعون إلا أنفسهم » ، وهي إحدى قراءتين ، وأثبت قراءتنا في مصحفنا ، وهي أيضاً القراءة التي أوجب لها الصحة أبو جعفر فيما سلف ١ : ٢٧٧ .

(٢) في المخطوطة : « وما ذكر منه انظرونا نقتبس من نوركم » ، وهو ناقص ، والذي في المطبوعة مقارب للصواب .

(٣) في المطبوعة : « فتلك خديعة الله » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو صواب .

(٤) الأثر : ١٠٧٢٣ — « سفيان بن حسين بن الحسن الواسطي » ، مضى برقم : ٣٤٧١ ، ٣٨٧٩ ، ٦٤٦٢ .

من الأعمال الظاهرة إبقاءً على أنفسهم ،[١] وحذاراً من المؤمنين عليها أن يُقتلوا أو يُسلبوا أموالهم . فهم إذا قاموا إلى الصلاة التى هى من الفرائض الظاهرة ، قاموا كسالى إليها ، رياءً للمؤمنين ليحسبوهم منهم وليسوا منهم، لأنهم غير معتقدى فرضها ووجوبها عليهم ، فهم فى قيامهم إليها كسالى ،[٢] كما : —

١٠٧٢٤ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى » ، قال : والله لولا الناسُ ما صَلَّى المنافق ، ولا يصلِّى إلا رياء وسُمْعة .

١٠٧٢٥ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس » ، قال : هم المنافقون ، لولا الرياء ما صلُّوا .

* * *

وأما قوله : « ولا يذكرون الله إلا قليلاً » ، فلعل قائلاً أن يقول : وهل من ذكر الله شىء قليل ؟ .

قيل له : إن معنى ذلك = بخلاف ما ذهبت = : ولا يذكرون الله إلا ذكر رياء،[٣] ليدفعوا به عن أنفسهم القتل والسباء وسلبَ الأموال، لا ذكر موقن مصدّق بتوحيد الله ، مخلص له الربوبية . فلذلك سماه الله « قليلاً » ، لأنه غير مقصود به الله ، ولا مبتغًى به التقرّب إلى الله ، ولا مرادٌ به ثواب الله وما عنده. فهو ، وإن كثر ، من وجه نَصَب عامله وذاكره ،[٤] فى معنى السراب الذى له ظاهرٌ بغير حقيقة ماء .

* * *

(١) فى المطبوعة : « بقاء على أنفسهم » ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « الرياء » فيما سلف ٥ : ٥٢١ ، ٨/٥٢٢ : ٣٥٦ .

(٣) فى المطبوعة : « إن معنى ذلك بخلاف ما إليه ذهبت ، وإنما معناه : ولا يذكرون الله إلا ذكراً رياء » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، فإنه صواب ، وقوله : « بخلاف ما ذهبت » اعتراض فى الكلام ، وضعته بين خطين .

(٤) « النصب » (بفتحتين) : التعب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٧٢٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة ، عن أبى الأشهب قال : قرأ الحسن : « ولا يذكرون الله إلا قليلاً » ، قال : إنما قلّ لأنه كان لغير الله .

١٠٧٢٧ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ولا يذكرون الله إلا قليلاً » ، قال : إنما قلّ ذكر المنافق ، لأن الله لم يقبله . وكل ما ردّ الله قليل ، وكل ما قبلَ الله كثير .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾ (١٤٣)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « مذبذبين » ، مردّدين .

* * *

وأصل « التذبذب » ، التحرك والاضطراب ، كما قال النابغة :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَعْطَاكَ سُورَةً ... تَرَى كُلَّ مَلْكٍ دُونَهَا يَتَذَبْذَبُ (١)

* * *

وإنما عنى الله بذلك : أن المنافقين متحيِّرون فى دينهم ، لا يرجعون إلى اعتقاد شىء على صحة، فهم لا مع المؤمنين على بصيرة، ولا مع المشركين على جهالة، ولكنهم حيارَى بين ذلك ، فمثلهم المثلُ الذى ضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى : –

(١) مضى البيت وتخريجه وشرحه ، فى ١ : ١٠٥ .

١٠٧٢٨ – حدثنا به محمد بن المثنى قال، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : مَثَلُ المنافق كمثل الشَّاة العائرة بين الغنمين ، تَعِير إلى هذه مرة ، وإلى هذه مرة ، لا تدرى أيَّهُما تَتْبع !

١٠٧٢٩ – وحدثنا به محمد بن المثنى مرة أخرى ، عن عبد الوهاب ، فوقفه على ابن عمر ، ولم يرفعه قال ، حدثنا عبد الوهاب مرتين كذلك .(١) ٥/٢١٦

١٠٧٣٠ – حدثني عمران بن بكار قال ، حدثنا أبو روح قال ، حدثنا ابن عياش قال ، حدثنا عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله .(٢)

* * *

(١) الأثران : ١٠٧٢٨ ، ١٠٧٢٩ – إسناده صحيح .
« عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى » ثقة . مضى مراراً كثيرة .
« عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم » ثقة ، مضى مراراً .
وهذا الأثر رواه مسلم ١٧ : ١٢٨ ، من طريق محمد بن المثنى ، عن عبد الوهاب الثقفى ، بلفظه ، إلا أنه لم يذكر فيه : « لا تدرى أيهما تتبع » .
ورواه أيضاً من طريق محمد بن عبد الله بن نمير ، عن أبيه ، عن عبيد الله .
ومن طريق أبي بكر بن أبي شيبة ، عن أبي أسامة ، عن عبد الله .
ورواه أحمد فى المسند : ٥٠٧٩ ، من طريق إسحق بن يوسف ، عن عبيد الله ، مع اختلاف يسير فى لفظه .
ورواه أيضاً فى المسند : ٥٧٩٠ ، من طريق محمد بن عبيد ، عن عبيد الله ، بمثل لفظ أبي جعفر .
ورواه بمعناه فى المسند ، الآثار رقم : ٤٧٢ ، ٥٣٥٩ ، ٥٥٤٦ ، ٥٦١٠ .
واستوفى تخريجه أخى السيد أحمد فى شرح المسند ، وزاد فى تخريجه الحافظ ابن كثير فى تفسيره ٢ : ٦١١ ، فراجعه هناك .
وكان فى المطبوعة : « لا تدرى أيتهما تتبع » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو مطابق لرواية أحمد فى المسند .
« الشاة العائرة » : هى المترددة بين قطيعين لا تدرى أيهما تتبع . من قولهم : « عار الفرس والكلب وغيرهما يعير عياراً » ، ذهب كأنه منفلت من صاحبه ، فهو يتردد هنا وهنا .
وقوله : « تعير إلى هذه مرة » ، أى : تذهب فى ترددها إلى هذه مرة ، وإلى هذه مرة .
(٢) الأثر : ١٠٧٣٠ – مكرر الأثرين السالفين . « عمران بن بكار الكلاعى » شيخ

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٧٣١ - حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء » ، يقول : ليسوا بمشركين فيظهروا الشرك ، وليسوا بمؤمنين .

١٠٧٣٢ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء » ، يقول : ليسوا بمؤمنين مخلصين ، ولا مشركين مصرّحين بالشرك. قال : وذُكر لنا أن نبيّ الله عليه السلام كان يضرب مَثَلا للمؤمن والمنافق والكافر ، كمثل رَهْط ثلاثة دَفعوا إلى نهر ، فوقع المؤمن فقَطع ، ثم وقع المنافق حتى إذا كاد يصل إلى المؤمن ناداه الكافر : أن هلم إلىّ ، فإنىّ أخشى عليك ! وناداه المؤمن : أن هلم إلىّ ، فإن عندى وعندى ! يحصى له ما عنده . فما زال المنافق يتردّد بينهما حتى أتى عليه آذِىٌّ فغرّقه.[1] وإن المنافق لم يزل فى شك وشبهة ، حتى أتى عليه الموت وهو كذلك . قال : وذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : مثل المنافق كمثل ثاغِيَة بين غنمين ،[2] رأت غَنماً على نَشَزٍ

الطبرى ، ثقة ، مضى برقم : ٢٠٧١ ، وروى عنه الطبرى فى مواضع كثيرة سالفة .

و « أبو روح » هو : « الربيع بن روح الحمصى » ، أبو روح الحضرمى ثقة . مضى برقم : ٨١٦٤ .

و « ابن عياش » : هو : « إسماعيل بن عياش الحمصى » ، مضى برقم ٥٤٤٥ ، ٨١٦٤ . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « ابن عباس » ، وهو خطأ .

وطريق ابن عياش ، عن عبيد الله ، مرفوعاً ، أشار إليها الحافظ ابن كثير فى تفسيره ٢ : ٦١١ .

(١) فى المطبوعة : « حتى أتى عليه الماء فغرقه » ، وفى المخطوطة : « حتى أتى عليه أذى يغرقه » ، وصواب ذلك كله ما أثبت .

« الآذى » : الموج الشديد . وقال ابن شميل : « آذى الماء » ، الأطباق التى تراها ترفعها من متنه الريح ، دون الموج .

(٢) « الثاغية » : الشاة . « ثغت الشاة تثغو ثغاء » : صاحت .

فأتتها فلم تعرف ، [١] ثم رأت غنماً على نَشَزٍ فأتتها وشامَّتها فلم تعرف . [٢]

١٠٧٣٣ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « مذبذبين » ، قال : المنافقون .

١٠٧٣٤ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء » ، يقول : لا إلى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا إلى هؤلاء اليهود .

١٠٧٣٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله : « مذبذبين بين ذلك » ، قال : لم يخلصوا الإيمان فيكونوا مع المؤمنين ، وليسوا مع أهل الشرك .

١٠٧٣٦ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « مذبذبين بين ذلك » ، بين الإسلام والكفر = « لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء » .

* * *

وأما قوله : « ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً » ، فإنه يعني : من يخذُله الله عن طريق الرشاد ، وذلك هو الإسلام الذي دعا الله إليه عباده . يقول : من يخذله الله عنه فلم يوفقه له = « فلن تجد له » ، يا محمد = « سبيلاً » ، يعني : طريقاً يسلُكه إلى الحق غيره . وأيّ سبيل يكون له إلى الحق غير الإسلام ؟ وقد أخبر الله جل ثناؤه : أنه من يبتغ غيره ديناً فلن يُقبل منه ، ومن أضله الله عنه فقد غَوَى فلا هادي له غيره . [٣]

* * *

---

(١) « النشز » : المتن المرتفع من الأرض أو الوادي ، كأنه رابية .

(٢) « شامتها » : دنت إليها وشمتها لتعرف أهي أخواتها أم غيرها . ومنه قيل « شامت فلاناً » إذا قاربته ، ابتغاء أن تعرف ما عنده بالاختبار والكشف . وهو « مفاعلة » من « الشم » .

(٣) انظر تفسير : « الضلال » ، و « السبيل » فيما سلف من فهارس اللغة .

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴾ (١٤٤)

قال أبو جعفر : وهذا نهى من الله عباده المؤمنين أن يتخلّقوا بأخلاق المنافقين ، الذين يتخذون الكافرين أولياءَ من دون المؤمنين ، فيكونوا مثلهم فى ركوب ما نهاهم عنه من موالاة أعدائه .

يقول لهم جل ثناؤه : يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله ، لا توالوا الكفّار فتؤازروهم من دون أهل ملّتكم ودينكم من المؤمنين ، فتكونوا كمن أوجبت له النار من المنافقين .

ثم قال جل ثناؤه : متوعداً من اتخذ منهم الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، إن هو لم يرتدع عن موالاته ، وينزجر عن مُخالّته[1] = أن يلحقه بأهل ولايتهم من المنافقين الذين أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بتبشيرهم بأن لهم عذاباً أليماً = : « أتريدون » ، أيها المتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ممن قد آمن بى وبرسولى = « أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً » ، يقول : حجة ، [2] باتخاذكم الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، فتستوجبوا منه ما استوجبه أهلُ النفاق الذين وصف لكم صفتهم ، وأخبركم بمحلّهم عنده = « مبيناً » ، [3] يعنى : يبين عن صحتها وحقيقتها . [4] يقول : لا تعرّضوا لغضب الله ، بإيجابكم الحجة على أنفسكم فى تقدمكم على ما نهاكم ربكم من موالاة أعدائه وأهلِ الكفر به .

* * *

(١) السياق : « ثم قال جل ثناؤه متوعداً . . . أن يلحقه . . . »

(٢) انظر تفسير « سلطان » فيما سلف ٧ : ٢٧٩ .

(٣) انظر تفسير « مبين » فيما سلف ص ٢٢٤ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٤) فى المطبوعة : « عن صحتها وحقيتها » ، والصواب من المخطوطة . وكأن الناشر كان

٥/٢١٧ وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٧٣٧ - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً » ، قال : إن لله السلطان على خلقه ، ولكنه يقول : عذراً مبيناً .

١٠٧٣٨ - حدثنى المثنى قال، حدثنا قبيصة بن عقبة قال ، حدثنا سفيان ، عن رجل ، عن عكرمة قال : ما كان فى القرآن من « سلطان » ، فهو حجّة .

١٠٧٣٩ - حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « سلطاناً مبيناً » ، قال : حُجَّة .

١٠٧٤٠ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ (١٤٥)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار » ، إن المنافقين فى الطَّبَق الأسفل من أطباق جهنم .

* * *

يستنكر أن تكون « الحقيقة » بمعنى أنها حق ! ! ولكنها صواب بلا شك ، ومن أجل هذا كان الناشر يضع مكان « حقيقتها » « حقيتها » فى كثير من المواضع ، أشرت إليها فيما سلف من التعليقات . وانظر ما سيأتى ص : ٣٦٠ ، تعليق : ٤ .

(١) هذه الآثار فى بيان معنى « السلطان » ، هنا ، دالة على أن أبا جعفر كان يختصر تفسيره ، فإن تفسير « سلطان » بمعنى « حجة » قد سلف ٧ : ٢٧٩ ، فلم يأت كعادته بالأخبار الدالة على تفسيره كذلك هناك .

وكل طبَق من أطباق جهنم : « درك ». وفيه لغتان، « دَرَك » ، بفتح « الراء » و« دَرْك » بتسكينها . فمن فتح « الراء » ، جمعه فى القلة « أدْرَاك » ، وإن شاء جمعه فى الكثرة « الدروك » .ومن سكن « الراء » قال : « ثلاثة أدرُك » ، وللكثير « الدروك ».

* * *

وقد اختلفت القرأة فى قراءة ذلك :

فقرأته عامة قرأة المدينة والبصرة ﴿ فِى الدَّرَكِ ﴾ بفتح « الراء » .

* * *

وقرأته عامة قرأة الكوفة بتسكين « الراء » .

* * *

قال أبو جعفر : وهما قراءتان معروفتان ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، لاتفاق معنى ذلك ، واستفاضة القراءة بكل واحدة منهما فى قرأة الإسلام . غير أنى رأيت أهل العلم بالعربيّة يذكرون أن فتح « الراء » منه فى العرب ، أشهر من تسكينها . وحكوا سماعاً منهم : « أعطنى دَرَكاً أصل به حبلى » ،[1] وذلك إذا سأل ما يصل به حَبْله الذى قد عجز عن بلوغ الركيّة .[2]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٧٤١ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن سلمة ابن كهيل ، عن خيثمة ، عن عبد الله : « إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار » ، قال : فى توابيت من حديد مُبْهَمة عليهم .[3]

١٠٧٤٢ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا وهب بن جرير ، عن شعبة،

---

(١) هذه مقالة أبى عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ١٤٢ . وعجيب من أبى جعفر أن يستدل بهذا ، ويجعله أشهر فى كلام العرب . فإن « الدرك » هنا بمعنى : الحبل ، لأنه يدرك به قعر البئر ، وهو عن معنى « الدرك » ، وهو الطبق ، بمعزل !!

(٢) « الركية » : البئر .

(٣) « مبهمة » : مصمتة مغلقة ، لا يهتدى لمكان فتحها ، أو إلى مخرج منها .

عن سلمة ، عن خيثمة ، عن عبد الله قال : إن المنافقين فى توابيتَ من حديد مقفلةٍ عليهم فى النار .

١٠٧٤٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن ذكوان ، عن أبى هريرة : « إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار » ، قال : فى توابيت تُرْتَجُ عليهم .(١)

١٠٧٤٤ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنا معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار » ، يعنى : فى أسفل النار .

١٠٧٤٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال، قال لى عبد الله بن كثير قوله : « فى الدرك الأسفل من النار » ، قال : سمعنا أن جهنم أدْراك ، منازل .(٢)

١٠٧٤٦ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل، عن خيثمة ، عن عبد الله : « إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار » ، قال ، توابيت من نار تُطْبَقُ عليهم .

* * *

وأما قوله : « ولن تجد لهم نصيراً » ، فإنه يعنى : ولن تجد لهؤلاء المنافقين ، يا محمد، من الله = إذا جعلهم فى الدرك الأسفل من النار = ناصراً ينصرهم منه ، فينقذهم من عذابه ، ويدفع عنهم أليمَ عقابه .(٣)

* * *

(١) « أرتج الباب يرتجه » : أغلقه إغلاقاً وثيقاً .

(٢) قوله : « منازل » تفسير « أدراك » جمع « درك » .

(٣) انظر تفسير « نصير » فيما سلف ص : ٢٤٧ ، تعليق : ٦ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١٤٦)

قال أبو جعفر : وهذا استثناء من الله جل ثناؤه ، استثنى التائبين من نفاقهم إذا أصلحوا ، وأخلصوا الدين لله وحده ، وتبرأوا من الآلهة والأنداد ، وصدّقوا رسوله ، أن يكونوا مع المصرِّين على نِفاقهم حتى تُوَافيهم مناياهم — فى الآخرة ،[1] وأن يدخلوا مدَاخلهم من جهنم . بل وعدهم جل ثناؤه أن يُحلَّهم مع المؤمنين محلَّ الكرامة ، ويسكنهم معهم مساكنهم فى الجنة .[2] ووعدهم من الجزاء على توبتهم الجزيلَ من العطاء فقال : « وسوف يؤتى الله المؤمنين أجراً عظيماً » . ٥/٢١٨

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الآية : « إلا الذين تابوا » ، أى : راجعوا الحق ،[3] وآبوا إلى الإقرار بوحدانية الله وتصديق رسوله وما جاء به من عند ربه من نفاقهم[4] = « وأصلحوا » ، يعنى : وأصلحوا أعمالهم ، فعملوا بما أمرهم الله به ، وأدّوا فرائضه ، وانتهوا عما نهاهم عنه ، وانزجروا عن معاصيه[5] = « واعتصموا بالله » ، يقول : وتمسّكوا بعهد الله .

* * *

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « حتى يوفيهم مناياهم » ، وهو كلام بلا معنى . « وافته منيته » : أتته وأدركته وبلغته ، وسياق هذه الجملة : « أن يكونوا مع المصرين . . . فى الآخرة » .

(٢) فى المطبوعة : « يسكنهم » بغير واو ، وهو سهو من ناسخ أو طابع .

(٣) انظر تفسير « التوبة » فيما سلف ١ : ٢/٥٤٧ : ٧٢ ، ٧٣ ، وغيرها من المواضع فى فهارس اللغة .

(٤) فى المطبوعة : « وأبو إلا الإقرار » ، وهو لا شىء ، وإنما الصواب ما أثبت من المخطوطة . « آبوا » : رجعوا .

(٥) انظر تفسير « الإصلاح » فيما سلف ٨ : ٨٨ ، وما سلف من فهارس اللغة .

وقد دللنا فيما مضى قبل على أن « الاعتصام » التمسك والتعلق .[١] فالاعتصام بالله: التمسك بعهده وميثاقه الذى عهد فى كتابه إلى خلقه، من طاعته وترك معصيته .

* * *

= « وأخلصوا دينهم لله » ، يقول: وأخلصوا طاعتَهم وأعمالهم التى يعملونها لله، فأرادوه بها ، ولم يعملوها رئاءَ الناس ، ولا على شك منهم فى دينهم ، وامتراءٍ منهم فى أن الله محصٍ عليهم ما عملوا ، فمجازى المحسن بإحسانه ،[٢] والمسىء بإساءته = ولكنهم عملوها على يقين منهم فى ثواب المحسن على إحسانه ، وجزاء المسىء على إساءته ، أو يتفضَّل عليه ربه فيعفو = متقرِّبين بها إلى الله ، مريدين بها وجه الله . فذلك معنى : « إخلاصهم لله دينهم » .

= ثم قال جل ثناؤه : « فأولئك مع المؤمنين » ، يقول : فهؤلاء الذين وصف صفتَهم من المنافقين بعد توبتهم وإصلاحهم واعتصامهم بالله وإخلاصهم دينهم = أى : مع المؤمنين فى الجنة ،[٣] لا مع المنافقين الذين ماتوا على نفاقهم ، الذين أوعدهم الدَّرَك الأسفل من النار .

= ثم قال : « وسوف يؤتى الله المؤمنين أجراً عظيماً » ، يقول : وسوف يُعطى الله هؤلاء الذين هذه صفتهم ،[٤] على توبتهم وإصلاحهم واعتصامهم بالله وإخلاصهم دينهم له ، وعلى إيمانهم ،[٥] ثواباً عظيماً[٦] = وذلك : درجات فى الجنة ، كما أعطى الذين ماتوا على النِّفاق منازل فى النار ، وهى السفلى منها . لأن الله جل ثناؤه وعد عباده المؤمنين أن يؤتيهم على إيمانهم ذلك ، كما أوعد المنافقين على نفاقهم

---

(١) انظر تفسير « الاعتصام » فيما سلف ٨ : ٦٢ ، ٦٣ ، ٧٠ .

(٢) فى المطبوعة : « فيجازى » وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « وإخلاصهم له مع المؤمنين . . . » ، وأثبت الصواب من المخطوطة ، ولا معنى لتبديله .

(٤) انظر تفسير « آتى » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٥) فى المطبوعة والمخطوطة : « على إيمانهم » بغير واو ، والصواب إثباتها .

(٦) انظر تفسير « الأجر » فيما سلف ص : ٢٠٢ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

ما ذكر فى كتابه .

* * *

وهذا القول هو معنى قول حذيفة بن اليمان ، الذى :—

١٠٧٤٧ — حدثنا به ابن حميد وابن وكيع قالا ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم قال ، قال حذيفة : ليدخلن الجنة قوم كانوا منافقين ! فقال عبد الله : وما علمك بذلك ؟ فغضب حذيفة ، ثم قام فتنحّى . فلما تفرّقوا ، مرّ به علقمة فدعاه فقال : أمَا إنّ صاحبك يعلم الذى قلت ! ثم قرأ : « إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤتى الله المؤمنين أجراً عظيماً » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ (١٤٧)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم » ، ما يصنع الله ، أيها المنافقون ، بعذابكم ، إن أنتم تُبتم إلى الله ورجعتم إلى الحق الواجب لله عليكم ، فشكرتموه على ما أنعم عليكم من نعمه فى أنفسكم وأهاليكم وأولادِكم ، بالإنابة إلى توحيده ، والاعتصام به ، وإخلاصكم أعمالَكم لوجهه ، وترك رياء الناس بها ، وآمنتم برسوله محمد صلى الله عليه وسلم فصدّقتموه ، وأقررتم بما جاءكم به من عنده فعملتم به ؟

يقول : لا حاجة بالله أن يجعلكم فى الدَّرك الأسفل من النار ، إن أنتم أنبتم إلى طاعته ، وراجعتم العمل بما أمركم به ، وترك ما نهاكم عنه . لأنه لا يجتلب بعذابكم إلى نفسه نفعاً ، ولا يدفع عنها ضُرًّا ، وإنما عقوبته من عاقب من خلقه ، جزاءٌ منه له على جرَاءته عليه ، وعلى خلافه أمره ونهيه ، وكفرانِه شكر نعمه عليه . فإن

أنتم شكرتم له على نعمه ، وأطعتموه فى أمره ونهيه ، فلا حاجة به إلى تعذيبكم ، بل يشكر لكم ما يكون منكم من طاعةٍ له وشكر ، بمجازاتكم على ذلك بما تقصر عنه أمانيكم ، ولم تبلغه آمالكم[1] = « وكان الله شاكراً » لكم ولعباده على طاعتهم إياه ، بإجزاله لهم الثوابَ عليها ، وإعظامه لهم العِوَض منها = « عليماً » بما تعملون ، أيها المنافقون ، وغيركم من خير وشر ، وصالِح وطالح ، محصٍ ذلك كله عليكم ، محيط بجميعه ، حتى يجازيكم جزاءَكم يوم القيامة ، المحسنَ بإحسانه ، والمسيءَ بإساءته . وقد : — ٥/ ٢١٩

١٠٧٤٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكراً عليماً » ، قال : إن الله جل ثناؤه لا يعذِّب شاكراً ولا مؤمناً .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾ (١٤٨) ٦/ ٢

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة الأمصار بضم « الظاء » .

* * *

وقرأه بعضهم : ﴿ إِلاَّ مَنْ ظَلَمَ ﴾ ، بفتح « الظاء » .

* * *

ثم اختلف الذين قرأوا ذلك بضم « الظاء » فى تأويله .

فقال بعضهم : معنى ذلك : لا يحب الله تعالى ذكره أن يجهر أحدُنا بالدعاء على أحد ، وذلك عندهم هو « الجهر بالسوء إلا من ظلم » ، يقول : إلا من ظلم فيدعو على ظالمه ، فإن الله جل ثناؤه لا يكره له ذلك ، لأنه قد رخص له فى ذلك.

(١) فى المطبوعة : « فلم تبلغه » بالفاء ، والصواب ما فى المخطوطة .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٧٤٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « لا يحب الله الجهر بالسوء من القول » ، يقول : لا يحب الله أن يدعوَ أحدٌ على أحد ، إلا أن يكون مظلوماً ، فإنه قد أرخَص له أن يدعو على من ظلمه ، وذلك قوله : « إلا من ظلم » ، وإن صبر فهو خير له .

١٠٧٥٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله قال، حدثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس قوله : « لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلاّ من ظلم » ، فإنه يحب الجهر بالسوء من القول .

١٠٧٥١ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعاً عليماً » ، عذر الله المظلوم كما تسمعون : أن يدْعو .

١٠٧٥٢ – حدثني الحارث قال، حدثنا أبو عبيد قال ، حدثنا هشيم ، عن يونس، عن الحسن قال : هو الرجل يظلم الرجل فلا يدْعُ عليه ، ولكن ليقل : « اللهم أعنِّي عليه، اللهم استخرج لي حقي ، اللهم حُلْ بينه وبين ما يريد » ،[1] ونحوه من الدعاء .

* * *

= فـ « مَنْ » ، على قول ابن عباس هذا ، في موضع رفع . لأنه وجّهه إلى أن الجهر بالسوء في معنى الدعاء ، واستثنى المظلوم منه . فكان معنى الكلام على قوله : لا يحب الله أن يُجْهر بالسوء من القول ، إلا المظلوم، فلا حرج عليه في الجهر به .

وهذا مذهب يراه أهل العربية خطأ في العربية . وذلك أن « مَن » لا يجوز

---

(١) في المخطوطة : « اللهم حل بيني وبين ما يريد » ، وما في المطبوعة أشبه بالصواب .

أن يكون رفعاً عندهم بـ « الجهر » ، لأنها في صلة « أنْ » ولم ينله الجحد ، فلا يجوز العطف عليه .[1] من خطأ عندهم أن يقال :[2] « لا يعجبني أن يقوم إلاّ زيد » . ٦ / ٣

وقد يحتمل أن تكون « من » نصباً، على تأويل قول ابن عباس، ويكون قوله : « لا يحب الله الجهر بالسوء من القول » ، كلاماً تامًّا، ثم قيل: « إلا من ظلم فلا حرج عليه »، فيكون من استثناء من الفعل، وإن لم يكن قبل الاستثناء شيء ظاهر يستثنى منه، كما قال جل ثناؤه :﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ * إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾، [سورة الغاشية : ٢٢ ، ٢٣] ، وكقولهم : « إني لأكره الخصومة والمِراء ، اللهم إلا رجلاً يريد الله بذلك » ، ولم يذكر قبله شيء من الأسماء .[3]

* * *

و « مَن » ، على قول الحسن هذا ، نصبٌ ، على أنه مستثنى من معنى الكلام ، لا من الاسم، كما ذكرنا قبل في تأويل قول ابن عباس، إذا وُجِّه « مَن» ، إلى النصب ، وكقول القائل : « كان من الأمر كذا وكذا ، اللهم إلا أن فلاناً جزاه الله خيراً فعَل كذا وكذا » .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لا يحب الله الجهرَ بالسوء من القول ، إلا من ظُلم فيخبر بما نِيلَ منه .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٧٥٣ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو معاوية ،عن محمد بن إسحق، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : هو الرجل ينزل بالرجل فلا يحسن ضيافته ، فيخرج من عنده فيقول : أساءَ ضيافتي ولم يُحسن !

١٠٧٥٤ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن

---

(١) في المطبوعة : « لأنها في صلة « أن » ، و « أن » لم ينله الجحد » ، بزيادة « أن » ، وما في المخطوطة صواب محض .

(٢) في المطبوعة : « من الخطأ عندهم » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

ابن جريج ، عن مجاهد : « إلا من ظلم » ، قال : إلا من أثَر ما قيل له . [١]

١٠٧٥٥ – حدثني المثنى قال ، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا حماد ، عن محمد بن إسحق ، عن عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد : « لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم » ، قال : هو الضيف المحوَّل رحلُه ، فإنه يجهر لصاحبه بالسوء من القول .

* * *

وقال آخرون : عنى بذلك ، الرجلَ ينزل بالرجل فلا يقريه ، فينالُ من الذى لم يقرِه .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٧٥٦ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « إلاّ من ظلم » ، قال : إلا من ظلم فانتصر ، يجهر بالسوء .

١٠٧٥٧ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، مثله .

١٠٧٥٨ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن إبراهيم بن أبي بكر ، عن مجاهد = وعن حميد الأعرج ، عن مجاهد : « لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلاّ من ظلم » ، قال : هو الرجل ينزل بالرجل فلا يحسن إليه ، فقد رخص الله له أن يقول فيه . [٢]

---

(١) فى المطبوعة : « آثر » بمد الهمزة ، وهو خطأ . « أثر الحديث يأثره » : حكاه ورواه وتحدث به . ومنه : « قول مأثور » ، أى : يخبر الناس به بعضهم بعضاً ، وينقله خلف عن سلف .

(٢) الأثر : ١٠٧٥٨ – « إبراهيم بن أبي بكر المكى الأخنسى » ، سمع طاوسا ومجاهداً . وروى عنه ابن أبي نجيح وابن جريج . مترجم فى التهذيب .

وكان فى المخطوطة : « إبراهيم عن أبي بكير » ، وفى الإسناد الذى يليه : ١٠٧٥٩ : « إبراهيم ابن أبي بكير » . وهذا اختلاف مشكل .

فى الإسناد الأول كما فى المخطوطة ، لم أعرف من يكون « إبراهيم » .

١٠٧٥٩ – وحدثني أحمد بن حماد الدولابي قال، حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن إبراهيم بن أبي بكر ، عن مجاهد ، « لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم » ، قال : هو في الضيافة ، يأتي الرجل القوم ، فينزل عليهم ، فلا يضيفونه . رخّص الله له أن يقول فيهم .(١)

١٠٧٦٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا المثنى بن الصباح ، عن مجاهد في قوله : « لا يحب الله الجهر بالسوء من القول » الآية ، قال: ضاف رجل رجلاً فلم يؤدِّ إليه حق ضيافته، فلما خرج أخبر الناس، فقال : « ضفتُ فلاناً فلم يؤدِّ حق ضيافتي » ! فذلك جهرٌ بالسوء إلاّ من ظلم ، حين لم يؤدِّ إليه ضيافته .

١٠٧٦١ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال مجاهد : إلاّ من ظلم فانتصر ، يجهر بسوء . قال مجاهد : نزلت في رجل ضاف رجلاً بفلاةٍ من الأرض فلم يضفه، فنزلت: « إلا من ظلم »، ذكر أنه لم يضفه، لا يزيد على ذلك .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : إلاّ من ظلم فانتصر من ظالمه ، فإن الله قد أذن له في ذلك .

أما « أبو بكير »، ففيهم « أبو بكير مرزوق التيمي الكوفي »، يروى عن مجاهد ، مضى برقم : ٤٣٠٥ ، وليس هذا فيما أرجح .

وأما « إبراهيم بن أبي بكير » في الإسناد الثاني، فهم : « إبراهيم بن أبي بكير » ذكره البخاري في الكبير ١/١/٢٧٧ في ترجمة « إبراهيم أبو بكير » ، وكأنه خطأ من ناسخ حذف « بن » = و « إبراهيم بن أبي بكير بن إبراهيم » مترجم في ابن أبي حاتم ١/١/٩٠ ، وكلاهما لم يذكر لأحد منهما رواية عن مجاهد .

فمن أجل هذا صح عندي أنه الذي في المطبوعة هو الصواب إن شاء الله ؛ لرواية « إبراهيم بن أبي بكر » عن مجاهد ، ورواية ابن نجيح عنه .

(١) الأثر : ١٠٧٥٩ – كان في المخطوطة : « إبراهيم بن أبي بكير » . وانظر التعليق على الأثر السالف .

• ذكر من قال ذلك :

١٠٧٦٢ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى: « لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم »، يقول : إن الله لا يحب الجهر بالسوء من أحدٍ من الخلق، ولكن من ظلم فانتصر بمثل ما ظُلم، فليس عليه جناح .

* * *

= فـ « مَن »، على هذه الأقوال التى ذكرناها، سوى قول ابن عباس، فى موضع نصب على انقطاعه من الأول . والعرب من شأنها أن تنصب ما بعد « إلاّ » فى الاستثناء المنقطع .

* * *

فكان معنى الكلام على هذه الأقوال، سوى قول ابن عباس : لا يحب الله الجهر بالسوء من القول، ولكن من ظلم فلا حرج عليه أن يخبر بما نِيل منه، أو ينتصر ممن ظلمه .

* * *

٦ / ٤ وقرأ ذلك آخرون بفتح « الظاء » : ﴿ إِلاَّ مَنْ ظَلَمَ ﴾، وتأولوه : لا يحب الله الجهرَ بالسوء من القول، إلا من ظلم فلا بأس أن يُجْهر له بالسوء من القول .

• ذكر من قال ذلك :

١٠٧٦٣ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد : كان أبى يقرأ : ﴿ لاَ يُحِبُّ اللهُ الجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ القَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ﴾، قال ابن زيد : يقول : إلا من أقام على ذلك النفاق، فيُجهر له بالسوء حتى ينزع . قال : وهذه مثل : ﴿ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الفُسُوقُ ﴾، أن تسميه بالفسق= ﴿ بَعْدَ الإِيمَانِ ﴾، بعد إذ كان مؤمناً= ﴿ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ ﴾، من ذلك العمل الذى قيل له= ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾، [سورة الحجرات: ١١]، قال : هو شرٌّ ممن قال ذلك. (١)

---

(١) فى المطبوعة : « هو أشر ممن قال ذلك له »، والذى فى المخطوطة صواب محض .

١٠٧٦٤ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم » ، فقرأ : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ حتى بلغ ﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً ﴾ . ثم قال بعد ما قال : هم في الدرك الأسفل من النار = ﴿ مَا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللهُ شَاكِراً عَلِيماً ﴾ ، ﴿ لاَ يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ ﴾ ، قال : لا يحب الله أن يقول لهذا : « ألست نافقت ؟ ألست المنافق الذي ظلمتَ وفعلت وفعلت ؟ » ، من بعد ما تاب = « إلا من ظلم » ، إلا من أقام على النفاق . قال : وكأن أبي يقول ذلك له ، ويقرأها : ﴿ إِلاَّ مَنْ ظَلَمَ ﴾ . .

* * *

= فـ « مَنْ » على هذا التأويل نَصْبٌ لتعلقه بـ « الجهر » .

* * *

وتأويل الكلام ، على قول قائل هذا القول : لا يحب الله أن يجهر أحد لأحد من المنافقين بالسوء من القول ، إلا من ظلم منهم فأقام على نفاقه ، فإنه لا بأس بالجهر له بالسوء من القول .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأ : ﴿ إِلاَّ مَنْ ظُلِمَ ﴾ بضم « الظاء » ، لإجماع الحجة من القرأة وأهل التأويل على صحتها ، وشذوذ قراءة من قرأ ذلك بالفتح .

* * *

فإذ كان ذلك أولى القراءتين بالصواب ، فالصواب في تأويل ذلك : لا يحب الله ، أيها الناس ، أن يجهر أحدٌ لأحد بالسوء من القول = « إلا من ظلم » ، بمعنى : إلا من ظلم ، فلا حرج عليه أن يخبر بما أسيء عليه .(١) .

وإذا كان ذلك معناه ، دخل فيه إخبار من لم يُقْرَ ، أو أسيء قراه ، أو نيل بظلم

---

(١) في المطبوعة : « أسيء إليه » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو صواب لأنه أراد أن يضمن « يسيء » ، معنى « يبغى عليه » ، فألحق بها حرف الثانية ، كأنه قال : بما أسيء إليه بغياً عليه .

فى نفسه أو ماله = غيرَه من سائر الناس .[١] وكذلك دعاؤه على من ناله بظلم : أن ينصره الله عليه ، لأن فى دعائه عليه إعلاماً منه لمن سمع دعاءه عليه بالسوء له .

* * *

وإذْ كان ذلك كذلك، فـ « مَن » فى موضع نصب ، لأنه منقطع عما قبله، وأنه لا أسماء قبله يستثنى منها ، فهو نظير قوله : ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ • إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ [سورة الغاشية: ٢٢ ، ٢٣] .

* * *

وأما قوله : « وكان الله سميعاً عليماً » ، فإنه يعنى : « وكان الله سميعاً » ، لما تجهرون به من سوء القول لمن تجهرون له به ، وغير ذلك من أصواتكم وكلامكم = « عليماً » ، بما تخفون من سوء قولكم وكلامكم لمن تخفون له به فلا تجهرون له به، محص كل ذلك عليكم، حتى يجازيكم على ذلك كله جزاءَكم ، المسيء بإساءته ، والمحسن بإحسانه .[٢]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ (١٤٩)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه[٣] : « إن تبدوا » أيها الناس = « خيراً » ، يقول : إن تقولوا جميلاً من القول لمن أحسن إليكم ، فتظهروا ذلك شكراً منكم له على ما كان منه من حسن إليكم[٤] = ، « أو تخفوه » ، يقول : أو تتركوا إظهار ذلك

---

(١) فى المطبوعة : « عنوة من سائر الناس » ، وهو لا معنى له . والصواب ما فى المخطوطة . وقوله : « غيره » منصوب مفعول به للمصدر « إخبار » ، وسياق الكلام : دخل فيه إخبار من لم يقر . . . غيره من سائر الناس » ، أى يخبر غيره من سائر الناس بما أصابه ونيل منه .

(٢) انظر تفسير « سميع » و « عليم » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « يعنى بذلك » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

(٤) انظر تفسير « الإبداء » فيما سلف ٥ : ٥٨٢ .

فلا تبدوه [١] = « أو تعفوا عن سوء » ، يقول : أو تصفحوا لمن أساءَ إليكم عن إساءته ، فلاتجهروا له بالسوء من القول الذى قد أذنت لكم أن تجهروا له به = « فإن الله كان عفوًّا » ، يقول : لم يزل ذا عفوٍ عن خلقه ، يصفح عمن عصاه وخالف أمره [٢] = « قديراً » ، يقول : ذا قدرة على الانتقام منهم . [٣]

وإنما يعنى بذلك : أن الله لم يزل ذا عفو عن عباده ، مع قدرته على عقابهم على معصيتهم إيّاه .

يقول : فاعفوا ، أنتم أيضاً، أيها الناس، عمن أتى إليكم ظلماً ، ولا تجهروا له بالسوء من القول ، وإن قدرتم على الإساءة إليه ، كما يعفو عنكم ربكم مع قدرته على عقابكم ، وأنتم تعصونه وتخالفون أمره .

* * *

وفى قوله جل ثناؤه : « إن تبدوا خيراً أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفواً قديراً »، الدلالةُ الواضحةُ على أن تأويل قوله: « لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم » ، بخلاف التأويل الذى تأوله زيد بن أسلم ، [٤] فى زعمه أن معناه : لا يحب الله الجهر بالسوء من القول لأهل النفاق ، إلا من أقام على نفاقه ، فإنه لا بأس بالجهر له بالسوء من القول . وذلك أنه جل ثناؤه قال عقيب ذلك: « إن تبدوا خيراً أو تخفوه أو تعفوا عن سوء »، ومعقولٌ أن الله جل ثناؤه لم يأمر المؤمنين بالعفو عن المنافقين على نفاقهم ، ولا نهاهم أن يسمُّوا من كان منهم معلنَ النفاق «منافقاً». بل العفو عن ذلك، مما لا وجه له معقول . لأن « العفو » المفهوم، ٦/٥

---

(١) انظر تفسير « الإخفاء » فيما سلف ٥ : ٥٨٢ .

(٢) انظر تفسير « عفا » و « عفو » فيما سلف ٢ : ٣/٥٠٣ : ٧/٣٧١ : ٢١٥ ، ٨/٣٢٧ : ٤٢٦ / ٩ : ١٠٢ . وفى المطبوعة والمخطوطة : « يصفح لهم عمن عصاه » ، والصواب حذف « لهم » ، إذ لا مكان لها .

(٣) انظر تفسير « قدير » فيما سلف ص : ٢٩٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر الأثران رقم : ١٠٧٦٣ ، ١٠٧٦٤ .

إنما هو صفح المرء عما له قبل غيره من حق . وتسمية المنافق باسمه ليس بحق لأحد قِبَله ، فيؤمر بعفوه عنه، وإنما هو اسم له . وغير مفهوم الأمرُ بالعفو عن تسمية الشيء بما هو اسمه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ ﴿١٥١﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « إن الذين يكفرون بالله ورسله »، من اليهود والنصارى= « ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله »، بأن يكذبوا رسل الله الذين أرسلهم إلى خلقه بوحيه ، ويزعموا أنهم افتروا على ربهم .[1] وذلك هو معنى إرادتهم التفريقَ بين الله ورسله، بنِحْلتهم إياهم الكذب والفريةَ على الله، وادِّعائهم عليهم الأباطيل=« ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض »، يعنى[2] : أنهم يقولون: «نصدِّق بهذا ونكذِّب بهذا»، كما فعلت اليهود من تكذيبهم عيسى ومحمداً صلى الله عليهما وسلم ، وتصديقهم بموسى وسائر الأنبياء قبله بزعمهم . وكما فعلت النصارى من تكذيبهم محمداً صلى الله عليه وسلم، وتصديقهم بعيسى وسائر الأنبياء قبله بزعمهم = « ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً »، يقول : ويريد المفرِّقون بين الله ورسله ، الزاعمون أنهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، أن يتخذوا بين أضعاف

---

(١) فى المطبوعة : « ويزعمون أنهم . . . » والصواب من المخطوطة .

(٢) « ونكفر ببعض » تمام الآية ، لم يكن فى المخطوطة ولا المطبوعة ، ولكن سياقه يقتضى إثباتها .

قولهم : « نؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعض» = « سبيلاً »، يعنى : طريقاً إلى الضلالة التى أحدثوها ، والبدعة التى ابتدعوها ، يدعون أهل الجهل من الناس إليه . (١)

فقال جل ثناؤه لعباده ، منبهاً لهم على ضلالتهم وكفرهم : « أولئك هم الكافرون حقًّا »، يقول : أيها الناس ، هؤلاء الذين وصفت لكم صفتهم ، هم أهل الكفر بى، المستحقون عذابى والخلود فى نارى حقًّا. فاستيقنوا ذلك ، ولا يشككنّكم فى أمرهم انتحالهم الكذب ، ودعواهم أنهم يقرُّون بما زعموا أنهم به مقرُّون من الكتب والرسل، فإنهم فى دعواهم ما ادعوا من ذلك كَذَبَةٌ. وذلك أن المؤمن بالكتب والرسل ، هو المصدّق بجميع ما فى الكتاب الذى يزعم أنه به مصدق ، وبما جاء به الرسول الذى يزعم أنه به مؤمن . فأما من صدّق ببعض ذلك وكذّب ببعض ، فهو لنبوة من كذب ببعض ما جاء به جاحد ، ومن جحد نبوة نبى فهو به مكذب. وهؤلاء الذين جحدوا نبوة بعض الأنبياء ، وزعموا أنهم مصدقون ببعض، مكذبون من زعموا أنهم به مؤمنون ، لتكذيبهم ببعض ما جاءهم به من عند ربهم ، فهم بالله وبرسله = الذين يزعمون أنهم بهم مصدقون ، والذين يزعمون أنهم بهم مكذبون = كافرون، (٢) فهم الجاحدون وحدانية الله ونبوّة أنبيائه حق الجحود، المكذبون بذلك حق التكذيب . فاحذروا أن تغتروا بهم وببدعتهم، فإنا قد أعتدنا لهم عذاباً مهيناً.

* * *

وأما قوله : « وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً » ، فإنه يعنى : « وأعتدنا » لمن جحد بالله ورسوله جحودَ هؤلاء الذين وصفت لكم، أيها الناس، أمرَهم من أهل الكتاب، ولغيرهم من سائر أجناس الكفار (٣) = « عذاباً »، فى الآخرة = « مهيناً »،

---

(١) انظر تفسير « السبيل » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٢) سياق هذه الجملة : « فهم بالله وبرسله . . . كافرون » ، وما بينها فصل فى صفة هؤلاء الرسل .

(٣) انظر تفسير « أعتد » فيما سلف ٨ : ١٠٣ ، ٣٥٥ .

يعني : يهين من عُذِّب به بخلوده فيه .[1]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٧٦٥ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرِّقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً * أولئك هم الكافرون حقًّا وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً » ، أولئك أعداء الله اليهود والنصارى. آمنت اليهود بالتوراة وموسى ، وكفروا بالإنجيل وعيسى . وآمنت النصارى بالإنجيل وعيسى ، وكفروا بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم . فاتخذوا اليهودية والنصرانية ، وهما بدعتان ليستا من الله، وتركوا الإسلام وهو دين الله الذى بعث به رُسله . ٦/٦

١٠٧٦٦ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله » ، يقولون: محمد ليس برسولٍ لله! وتقول اليهود: عيسى ليس برسولٍ لله ![2] فقد فرَّقوا بين الله وبين رسله = « ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض » ، فهؤلاء يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض .

١٠٧٦٧ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج قوله : « إن الذين يكفرون بالله ورسله » إلى قوله : « بين ذلك سبيلاً » ، قال: اليهود والنصارى . آمنت اليهود بعُزَير وكفرت بعيسى ، وآمنت النصارى بعيسى وكفرت بعزَيز . وكانوا يؤمنون بالنبيّ ويكفرون بالآخر = « ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً » ، قال : ديناً يدينون به الله .

* * *

(١) انظر تفسير « مهين » فيما سلف : ص ١٦٣ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

(٢) فى الموضعين ، فى المخطوطة والمطبوعة : « برسول الله » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَـٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (١٥٢)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : والذين صدقوا بوحدانية الله ، وأقرّوا بنبوة رسله أجمعين ، وصدّقوهم فيما جاؤوهم به من عند الله من شرائع دينه = « ولم يفرقوا بين أحد منهم » ، يقول : ولم يكذّبوا بعضهم ويصدقوا بعضهم ، ولكنهم أقرُّوا أن كل ما جاؤوا به من عند ربهم حق = « أولئك » ، يقول : هؤلاء الذين هذه صفتهم من المؤمنين بالله ورسله = « سوف يؤتيهم » ، يقول : سوف يعطيهم[1] = « أجورهم » ، يعنى : جزاءهم وثوابهم على تصديقهم الرسل فى توحيد الله وشرائع دينه ، وما جاءت به من عند الله[2] = « وكان الله غفوراً » ، يقول : ويغفر لمن فعل ذلك من خلقه ما سلف له من آثامه ، فيستر عليه بعفوه له عنه ، وتركه العقوبة عليه ، فإنه لم يزل لذنوب المنيبين إليه من خلقه غفوراً = « رحيماً » ، يعنى ولم يزل بهم رحيماً ، بتفضله عليهم بالهداية إلى سبيل الحق ، وتوفيقه إياهم لما فيه خلاص رقابهم من النار .[3]

* * *

(١) انظر تفسير « الإيتاء » فيما سلف من فهارس اللغة .
(٢) انظر تفسير « الأجر » فيما سلف ص : ٣٤١ ، تعليق : ٦ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « غفور » و « رحيم » فيما سلف من فهارس اللغة .

القول فى تأويل قوله ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴾ (١٥٣)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : «يسألك » يا محمد =« أهل الكتاب »، يعنى بذلك : أهل التوراة من اليهود = « أن تنزّل عليهم كتاباً من السماء » .

* * *

واختلف أهل التأويل فى « الكتاب » الذى سألَ اليهودُ محمداً صلى الله عليه وسلم أن ينزّل عليهم من السماء .

فقال بعضهم : سألوه أن ينزل عليهم كتاباً من السماء مكتوباً ، كما جاء موسى بنى إسرائيل بالتوراة مكتوبةً من عند الله .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٧٦٨ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء » ، قالت اليهود : إن كنت صادقاً أناك رسول الله ، فآتنا كتاباً مكتوباً من السماء ، كما جاء به موسى .

١٠٧٦٩ — حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظى قال : جاء أناس من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : إن موسى جاء بالألواحِ من عند الله ، فأتنا بالألواح من عند الله حتى نصدّقك ! فأنزل الله: « يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء »، إلى قوله : « وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً » .

* * *

وقال آخرون : بل سألوه أن ينزل عليهم كتاباً ، خاصّة لهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٧٧٠ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يسألك أهل الكتاب أن تنزّل عليهم كتاباً من السماء » ، أى كتاباً ، خاصةً = « فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة » .

* * *

وقال آخرون : بل سألوه أن ينزّل على رجال منهم بأعيانهم كتباً بالأمر بتصديقه واتّباعه .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٧٧١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج قوله : « يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء » ، وذلك أن اليهود والنصارى أتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : « لن نتابعك على ما تدعونا إليه ، حتى تأتينا بكتاب من عند الله إلى فلان [1] : أنك رسول الله ، ٦ / ٧
وإلى فلان بكتاب أنك رسول الله » ! قال الله جل ثناؤه : « يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : إن أهل التوراة سألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يسأل ربه أن ينزّل عليهم كتاباً من السماء ، آيةً معجزةً جميعَ الخلق عن أن يأتوا بمثلها ، شاهدةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالصدق ، آمرة لهم باتباعه .

وجائز أن يكون الذى سألوه من ذلك كتاباً مكتوباً ينزّل عليهم من السماء إلى جماعتهم = وجائز أن يكون ذلك كتباً إلى أشخاص بأعينهم . بل الذى هو أولى

---

(١) فى المخطوطة : « من عبد الله ، من الله إلى فلان » ، والذى فى المطبوعة هو الصواب ، إلا أن يكون الناسخ كتب « من عند الله » ثم ، غيرها « من الله » ، ثم لم يضرب على أولاهما .

بظاهر التلاوة ، أن تكون مسألتهم إياه ذلك كانت مسألة لتنزيل الكتاب الواحد إلى جماعتهم ، [١] لذكر الله تعالى فى خبره عنهم « الكتاب » بلفظ الواحد بقوله : « يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء » ، [٢] ولم يقل « كتباً » .

* * *

وأما قوله : « فقد سألوا موسى أكبر من ذلك » ، فإنه توبيخ من الله جل ثناؤه سائلى الكتابَ الذى سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزله عليهم من السماء ، فى مسألتهم إياه ذلك = وتقريعٌ منه لهم . يقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم : يا محمد، لا يعظُمَنَّ عليك مسألتهم ذلك، فإنهم من جهلهم بالله وجراءتهم عليه واغترارهم بحلمه ، لو أنزلت عليهم الكتاب الذى سألوك أن تنزّله عليهم ، لخالفوا أمر الله كما خالفوه بعد إحياء الله أوائلهم من صعقتهم ، فعبدوا العجل واتخذوه إلهاً يعبدونه من دون خالقهم وبارئهم الذى أراهم من قدرته وعظيم سلطانه ما أراهم ، لأنهم لن يعدُوا أن يكونوا كأوائلهم وأسلافهم .

* * *

ثم قصّ الله من قصتهم وقصة موسى ما قصّ ، يقول الله : « فقد سألوا موسى أكبرَ من ذلك » ، يعنى : فقد سأل أسلافُ هؤلاء اليهود وأوائلهم موسى عليه السلام ، أعظم مما سألوك من تنزيل كتاب عليهم من السماء ، فقالوا له : « أرنا الله جهرة » ، أى : عياناً نعاينه وننظر إليه .

* * *

وقد أتينا على معنى « الجهرة » ، بما فى ذلك من الرواية والشواهد على صحة ما قلنا فى معناه فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . [٣]

* * *

وقد ذكر عن ابن عباس أنه كان يقول فى ذلك ، بما :—

---

(١) فى المطبوعة : « لينزل الكتاب » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « يقول : يسألك . . . » ، والصواب من المخطوطة .

(٣) انظر تفسير « جهرة » فيما سلف ٢ : ٨٠ — ٨٢ .

١٠٧٧٢ – حدثني به الحارث قال ، حدثنا أبو عبيد قال ، حدثنا حجاج ، عن هرون بن موسى ، عن عبد الرحمن بن إسحق ، عن عبد الرحمن بن معاوية ، عن ابن عباس في هذه الآية قال : إنهم إذا رأوه فقد رأوه ، إنما قالوا جهرةً : « أرنا الله » . قال : هو مقدّم ومؤخر .

* * *

وكان ابن عباس يتأول ذلك : أن سؤالهم موسى كان جهرة . (١)

* * *

وأما قوله : « فأخذتهم الصاعقة » ، فإنه يقول : « فصُعقوا » = «بظلمهم» أنفسهم . وظلمهم أنفسهم ، كان مسألتهم موسى أن يريهم ربهم جهرة ، لأن ذلك مما لم يكن لهم مسألته .

* * *

وقد بينا معنى : « الصاعقة » ، فيما مضى باختلاف المختلفين في تأويلها ، والدليل على أولى ما قيل فيها بالصواب . (٢)

* * *

وأما قوله : «ثم اتخذوا العجل » ، فإنه يعني: ثم اتخذ=هؤلاء الذين سألوا موسى ما سألوه من رؤية ربهم جهرةً ، بعد ما أحياهم الله فبعثهم من صعقتهم = العجلَ الذي كان السامريُّ نبذ فيه ما نبذ من القبْضة التي قبضها من أثر فرس جبريل عليه السلام = إلهاً يعبدونه من دون الله . (٣)

* * *

وقد أتينا على ذكر السبب الذي من أجله اتخذوا العجل ، وكيف كان أمرهم وأمره ، فيما مضى بما فيه الكفاية . (٤)

* * *

---

(١) هذا القول الذي نسب إلى ابن عباس ، لم يمض مثله في تفسير آية سورة البقرة ٢ : ٨٠ – ٨٢ ، وهذا أحد الأدلة على اختصار هذا التفسير .

(٢) انظر تفسير « الصاعقة » فيما سلف ٢ : ٨٢ – ٨٤ .

(٣) سياق هذه الفقرة : ثم اتخذ هؤلاء . . . العجل . . . إلها . . . » .

(٤) انظر ما سلف ٢ : ٦٣ – ٦٨ .

وقوله : « من بعد ما جاءتهم البينات » ، يعنى : من بعد ما جاءت هؤلاء الذين سألوا موسى ما سألوا، البينات من الله، والدلالاتُ الواضحات بأنهم لن يروا الله عياناً جهاراً .

وإنما عنى بـ « البينات » : أنها آيات تبين عن أنهم لن يروا الله فى أيام حياتهم فى الدنيا جهرة. [١] وكانت تلك الآيات البينات لهم على أن ذلك كذلك : إصعاقُ الله إياهم عند مسألتهم موسى أن يريهم ربه جهرة، ثم إحياءه إياهم بعد مماتهم، مع سائر الآيات التى أراهم الله دلالةً على ذلك .

* * *

=يقول الله، مقبِّحاً إليهم فعلهم ذلك ، وموضحاً لعباده جهلهم ونقص عقولهم وأحلامهم : ثم أقرُّوا للعجل بأنه لهم إله ، وهم يرونه عياناً، وينظرون إليه جِهَاراً، بعد ما أراهم ربهم من الآيات البينات ما أراهم : أنهم لا يرون ربهم جهرة وعِياناً فى حياتهم الدنيا ، فعكفوا على عبادته مصدِّقين بألوهته ! ! ٦ / ٨

* * *

وقوله : «فعفونا عن ذلك »، يقول : فعفونا لعبدة العجل عن عبادتهم إياه، [٢] وللمصدقين منهم بأنه إلههم بعد الذى أراهم الله أنهم لا يرون ربهم فى حياتهم من الآيات ما أراهم = عن تصديقهم بذلك، [٣] بالتوبة التى تابوها إلى ربّهم بقتلهم أنفسهم، وصبرهم فى ذلك على أمر ربهم = « وآتينا موسى سلطاناً مبيناً » ، يقول : وآتينا موسى حجة تبين عن صدقه ،وحقيقة نبوّته ، [٤] وتلك الحجة هى : الآيات البينات التى آتاه الله إياها . [٥]

* * *

(١) انظر تفسير « البينات » فيما سلف ٧ ٤٥٠ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « العفو » فيما سلف ص : ٣٥١ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) السياق : « فعفونا لعبدة العجل . . . عن تصديقهم بذلك » .

(٤) فى المطبوعة : « وحقية نبوته » ، غير ما فى المخطوطة عن وجهه ، ظناً منه أنه خطأ ، وقد أشرنا إلى مثل ذلك من فعله فيما سلف ص : ٣٣٦ ، تعليق : ٤ ، وما سيأتى بعد قليل ص : ٣٦٣ ، تعليق ٢ .

(٥) انظر تفسير « الإيتاء » فيما سلف من فهارس اللغة .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ (١٥٤)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « ورفعنا فوقهم الطور » ، يعنى : الجبل ،[١] وذلك لما امتنعوا من العمل بما فى التوراة وقبول ما جاءهم به موسى فيها = « بميثاقهم » ، يعنى : بما أعطوا الله الميثاق والعهد : لنعملن بما فى التوراة[٢] = « وقلنا لهم ادخلوا الباب سجداً » ، يعنى « باب حِطّة » ، حين أمروا أن يدخلوا منه سجوداً ، فدخلوا يزحفون على أستاههم[٣] = « وقلنا لهم لا تعدوا فى السبت » ، يعنى بقوله : « لا تعدوا فى السبت » ، لا تتجاوزوا فى يوم السبت ما أبيح لكم إلى ما لم يبح لكم ،[٤] كما :

١٠٧٧٣ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وقلنا لهم ادخلوا الباب سجداً » ، قال : كنا نحدّث أنه باب من أبواب بيت المقدس .[٥]

* * *

= «وقلنا لهم لا تعدوا فى السبت» ، أمر القوم أن لا يأكلوا الحِيتان يوم السبت ولا يعرضوا لها ، وأحل لهم ما وراء ذلك .[٤]

* * *

وتفسير « السلطان » فيما سلف ٧ : ٩/٢٧٩ : ٣٣٦ ، ٣٣٧.

وتفسير « مبين » فيما سلف ص : ٣٣٦ تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(١) انظر تفسير « الطور » فيما سلف ٢ : ١٥٧ – ١٥٩ .

(٢) انظر تفسير « الميثاق » فيما سلف : ٤١ ، ٤٤ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة » فيما سلف ٢ : ١٠٣ – ١٠٩ .

(٤) انظر تفسير « السبت » ، و « اعتداؤهم فى السبت» فيما سلف ٢ : ١٦٦ – ١٧٤ .

(٥) هذا الأثر لم يذكر فى تفسير « الباب » فيما سلف ٢ : ١٠٣ – ١٠٩ ، وهو أحد الأدلة على اختصار أبى جعفر تفسيره ، ومنهجه فى الاختصار .

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة أمصار الإسلام : ﴿ لاَ تَعْدُوا فى السَّبْتِ ﴾ ، بتخفيف « العين » من قول القائل : « عدوت فى الأمر » ، إذا تجاوزت الحق فيه ، « أعدُو عَدْوًا وعُدُوًّا وعدواناً وعَدَاءً » . (١)

* * *

وقرأ ذلك بعض قرأة أهل المدينة : ﴿ وَقُلْنَا لَهُمْ لا تَعَدُّوا ﴾ بتسكين « العين » وتشديد « الدال » ، والجمع بين ساكنين ، بمعنى : تعتدوا ، ثم تدغم « التاء » فى « الدال » فتصير « دالاً » مشددة مضمومة ، كما قرأ من قرأ ﴿ أَمْ مَنْ لَا يَهِدِّى ﴾ [سورة يونس : ٣٥] ، بتسكين « الهاء » .

* * *

وقوله : « وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً » ، يعنى : عهداً مؤكداً شديداً ، بأنهم يعملون بما أمرهم الله به ، وينتهون عما نهاهم الله عنه ، مما ذكر فى هذه الآية ، ومما فى التوراة . (٢)

* * *

وقد بينا فيما مضى ، السببَ الذى من أجله كانوا أمروا بدخول الباب سجداً ، وما كان من أمرهم فى ذلك وخبرهم وقصتهم = وقصة السبت ، وما كان اعتداؤهم فيه ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . (٣)

* * *

---

(١) انظر تفسير « عدا » فيما سلف ٢ : ١٤٢ ، ١٦٧ ، ٣/٣٠٧ : ٥٧٣ ، ٥٨٢ / ٧ : ١١٧ ، والمراجع هناك .

وقد أسقط فى المطبوعة هنا « وعدوا » (بضم العين والدال مشددة الواو) ، وهى ثابتة فى المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « الميثاق » فيما سلف ص ٣٦١ ، التعليق رقم : ٢ .

وتفسير « غليظ » فيما سلف ٨ : ١٢٧ .

(٣) انظر التعليقين السالفين ص : ٣٦١ ، تعليق : ٣ ، ٤ .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١٥٥)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه : فبنقض هؤلاء الذين وصفتُ صفتهم من أهل الكتاب=«ميثاقهم»، يعنى : عهودهم التى عاهدوا الله أن يعملوا بما فى التوراة[١]= « وكفرهم بآيات الله » ، يقول : وجحودهم = « بآيات الله » ، يعنى : بأعلام الله وأدلته التى احتج بها عليهم فى صدق أنبيائه ورسله[٢]، وحقيقة ما جاؤوهم به من عنده[٣]= « وقتلهم الأنبياء بغير حق » ، يقول : وبقتلهم الأنبياء بعد قيام الحجة عليهم بنبوّتهم = « بغير حق » ، يعنى : بغير استحقاق منهم ذلك لكبيرة أتوها ، ولا خطيئة استوجبوا القتل عليها[٤] = « وقولهم قلوبنا غلف » ، يعنى : وبقولهم « قلوبنا غلف »، يعنى : يقولون : عليها غِشاوة وأغطِية عما تدعونا إليه ، فلا نفقه ما تقول ولا نعقله .

* * *

وقد بينا معنى : « الغلف » ، وذكرنا ما فى ذلك من الرواية فيما مضى قبل.[٥]

* * *

=« بل طبع الله عليها بكفرهم »، يقول جل ثناؤه : كذبوا فى قولهم : « قلوبنا غلف » ، ما هى بغلف ، ولا عليها أغطية ، ولكن الله جل ثناؤه جعل عليها طابعاً بكفرهم بالله .

* * *

(١) انظر تفسير « الميثاق » آنفاً ص : ٣٦٢ ، تعليق : ٢ .
(٢) انظر تفسير « الآيات » فيما سلف من فهارس اللغة ، مادة (أي) .
(٣) فى المطبوعة : « وحقية ما جاؤوهم به » ، بدل ما فى المخطوطة . وانظر التعليق السالف ص : ٣٦٠ ، تعليق : ٢ .
(٤) انظر تفسير « قتل الأنبياء بغير حق » فيما سلف ٧ : ١١٦ ، ١١٧ ، ٤٤٦ .
(٥) انظر تفسير « غلف » فيما سلف ٢ : ٣٢٤ - ٣٢٨ .

وقد بينا صفة « الطبع على القلب » ، فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته . (١)

* * *

=« فلا يؤمنون إلا قليلاً » ، يقول : فلا يؤمن — هؤلاء الذين وصف الله صفتهم ، لطبعه على قلوبهم ، فيصدقوا بالله ورسله وما جاءتهم به من عند الله — إلا إيماناً قليلاً ، يعنى : تصديقاً قليلاً ،

وإنما صار « قليلا » ، (٢) لأنهم لم يصدقوا على ما أمرهم الله به ، ولكن صدّقوا ببعض الأنبياء وببعض الكتب ، وكذبوا ببعض . فكان تصديقهم بما صدّقوا به قليلاً ، لأنهم وإن صدقوا به من وجه ، فهم به مكذبون من وجه آخر ، وذلك ٦ / ٩
من وجه تكذيبهم من كذّبوا به من الأنبياء وما جاؤوا به من كتب الله ، ورسلُ الله يصدّق بعضهم بعضاً . وبذلك أمر كل نبي أمته . وكذلك كتب الله يصدق بعضها بعضاً ، ويحقق بعض بعضاً . فالمكذب ببعضها مكذب بجميعها ، من جهة جحوده ما صدقه الكتاب الذى يقرّ بصحته . فلذلك صار إيمانهم بما آمنوا من ذلك قليلاً . (٣)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٧٧٤ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة فى قوله : «فبما نقضهم ميثاقهم » ، يقول : فبنقضهم ميثاقهم لعنّاهم =« وقولهم قلوبنا غلف » ، أى لا نفقه = ، « بل طبع الله عليها بكفرهم » ، ولعنهم حين فعلوا ذلك .

* * *

---

(١) انظر تفسير « الطبع » فيما سلف ١ : ٢٥٨ . ولم يمض ذكر « الطبع » بهذا اللفظ فى آية قبل هذه الآية ، ولكنه نسى ، إنما الذى مضى ما هو فى معناه وهو « ختم الله على قلوبهم » ، و « الختم » هو « الطبع » .

(٢) انظر تفسير « قليل » فيما سلف ٢ : ٣٢٩ — ٨/٣٣١ : ٤٣٩ ، ٥٧٧

(٣) تفسير « قليل » فيما سلف من الآيات التى أشرنا إليها ، فهو أجود مما هنا .

واختلف فى معنى قوله : « فبما نقضهم » ، الآية ، هل هو مواصلٌ لما قبله من الكلام ، أو هو منفصل منه . (١)

فقال بعضهم : هو منفصل مما قبله ، ومعناه : فبنقضهم ميثاقهم ، وكفرهم بآيات الله ، وقتلهم الأنبياء بغير حق ، وقولهم قلوبنا غلف ، طبع الله عليها بكفرهم ولعنهم . (٢)

* ذكر من قال ذلك :

١٠٧٧٥ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فلا يؤمنون إلا قليلاً » ، لما ترك القوم أمرَ الله ، وقتلوا رسله ، وكفروا بآياته ، ونقضوا الميثاق الذى أخذ عليهم ، طبع الله عليها بكفرهم ولعنهم .

* * *

وقال آخرون : بل هو مواصل لما قبله . قالوا : ومعنى الكلام : فأخذتهم الصاعقة بظلمهم = فبنقضهم ميثاقهم ، وكفرهم بآيات الله ، وبقتلهم الأنبياء بغير حق ، وبكذا وكذا أخذتهم الصاعقة . قالوا : فتبع الكلام بعضه بعضاً ، ومعناه : مردود إلى أوله . وتفسير « ظلمهم » ، الذى أخذتهم الصاعقة من أجله ، بما فسر به تعالى ذكره ، من نقضهم الميثاق ، وقتلهم الأنبياء ، وسائر ما بيَّن من أمرهم الذى ظلموا فيه أنفسهم .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أن قوله : « فبما نقضهم ميثاقهم » وما بعده ، منفصل معناه من معنى ما قبله ، وأن معنى الكلام : فبما نقضهم ميثاقهم ، وكفرهم بآيات الله ، وبكذا وبكذا ، لعناهم وغضبنا عليهم = فترك ذكر « لعناهم » ،

---

(١) وانظر زيادة « ما » فى قوله « فبما نقضهم ميثاقهم » فيما سلف ٧ : ٣٤٠ . وترك أبى جعفر بيان ذلك هنا ، أحد الأدلة على منهاجه فى اختصار هذا التفسير .

(٢) فى المطبوعة : « بل طبع الله عليها » كنص الآية ، وهو لا يستقيم ، والصواب ما فى المخطوطة .

لدلالة قوله : « بل طبع الله عليها بكفرهم » ، على معنى ذلك . إذ كان من طبع على قلبه ، فقد لُعِن وسُخِط عليه .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ، لأن الذين أخذتهم الصاعقة ، إنما كانوا على عهد موسى = والذين قتلوا الأنبياء ، والذين رموا مريم بالبهتان العظيم ، وقالوا : «قتلنا المسيح » ، كانوا بعد موسى بدهر طويل . ولم يدرك الذين رموا مريم بالبهتان العظيم زمان موسى ، ولا من صُعق من قومه .

وإذ كان ذلك كذلك ، فمعلوم أنّ الذين أخذتهم الصاعقة ، لم تأخذهم عقوبةً لرميهم مريم بالبهتان العظيم ، ولا لقولهم : « إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم » . وإذ كان ذلك كذلك ، فبيّنٌ أن القوم الذين قالوا هذه المقالة ، غير الذين عوقبوا بالصاعقة . وإذ كان ذلك كذلك ، كان بيّنًا انفصال معنى قوله : « فبما نقضهم ميثاقهم » ، من معنى قوله : « فأخذتهم الصاعقة بظلمهم » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾ (١٥٦)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وبكفر هؤلاء الذين وصف صفتهم = « وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً » ، يعنى : بفريتهم عليها ، ورميهم إياها بالزنا ، وهو « البهتان العظيم » ، لأنهم رموها بذلك ، وهى مما رموها به بغير ثَبَتٍ ولا برهان بريئة ، فبهتوها بالباطل من القول .[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) انظر تفسير « البهتان » فيما سلف ٥ : ٤٣٢ / ٨ : ١٢٤ / ٩ ، ١٩٧

١٠٧٧٦ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً » ، يعني : أنهم رموها بالزنا .

١٠٧٧٧ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قوله : « وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً » ، حين قذفوها بالزنا .

١٠٧٧٨ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا يعلى بن عُبَيد ، عن جويبر في قوله : « وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً » ، قال : قالوا : « زنت » .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ .

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : وبقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله . ثم كذبهم الله في قيلهم ، فقال : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » ، يعني : وما قتلوا عيسى وما صلبوه ولكن شبه لهم . ٦ / ١٠

* * *

واختلف أهل التأويل في صفة التشبيه الذي شبه لليهود في أمر عيسى .

فقال بعضهم : لما أحاطت اليهود به وبأصحابه ، أحاطوا بهم وهم لا يثبتون معرفة عيسى بعينه ، وذلك أنهم جميعاً حُوِّلوا في صورة عيسى ، فأشكل على الذين كانوا يريدون قتل عيسى ، عيسى من غيره منهم ، وخرج إليهم بعض من كان في البيت مع عيسى ، فقتلوه وهم يحسبونه عيسى .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٧٧٩ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يعقوب القمى ، عن هرون بن عنترة، عن وهب بن منبه قال : أُتِى عيسى ومعه سبعة عشر من الحواريين فى بيت ، وأحاطوا بهم . فلما دخلوا عليهم صوَّرهم الله كلهم على صورة عيسى ، فقالوا لهم: سحرتمونا ! لتبرزنّ لنا عيسى أو لنقتلنكم جميعاً ! فقال عيسى لأصحابه : من يشترى نفسه منكم اليوم بالجنة ؟ فقال رجل منهم: أنا ! فخرج إليهم، فقال : أنا عيسى = وقد صوّره الله على صورة عيسى ، فأخذوه فقتلوه وصلبوه. فمن ثَمّ شُبِّه لهم ، وظنوا أنهم قد قتلوا عيسى ، وظنت النصارى مثل ذلك أنه عيسى ، ورفع الله عيسى من يومه ذلك .

* * *

وقد روى عن وهب بن منبه غير هذا القول ، وهو ما : —

١٠٧٨٠ — حدثنى به المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم قال ، حدثنى عبد الصمد بن معقل : أنه سمع وهباً يقول : إن عيسى ابن مريم عليه السلام لما أعلمه الله أنه خارج من الدنيا ، جزع من الموت وشقّ عليه ، فدعا الحواريّين فصنع لهم طعاماً ،[1] فقال : احضرونى الليلة ، فإن لى إليكم حاجة . فلما اجتمعوا إليه من الليل ، عشّاهم وقام يخدمهم . فلما فرغوا من الطعام أخذ يغسل أيديهم ويوضّئهم بيده ، ويمسح أيديهم بثيابه ، فتعاظموا ذلك وتكارهوه ، فقال : ألا مَن ردّ على شيئاً الليلة مما أصنع ، فليس منى ولا أنا منه ! فأقرُّوه ، حتى إذا فرغ من ذلك قال : أمّا ماصنعت بكم الليلة، مما خدمتكم على الطعام وغسلت أيديكم بيدى ، فليكن لكم بى أسوة ، فإنكم ترون أنّى خيركم ، فلا يتعظّم بعضكم على بعض ، وليبذل بعضكم لبعض نفسه ، كما بذلت نفسى لكم . وأما حاجتى التى استعنتكم عليها ، فتدعون لى الله وتجتهدون فى الدعاء : أن يؤخّر أجلى . فلما نَصَبوا أنفسهم للدعاء وأرادوا أن يجتهدوا ، أخذهم النوم حتى

---

(١) فى المطبوعة : « وصنع » بالواو ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وتاريخ الطبرى .

لم يستطيعوا دعاءً. فجعل يوقظهم ويقول: سبحان الله ! ما تصبرون لى ليلة واحدة تعينونى فيها ! [١] قالوا : والله ما ندرى ما لنا ! لقد كنا نسمر فنكثر السَّمَر ، وما نطيق الليلة سمراً ، وما نريد دعاء إلا حيل بيننا وبينه! فقال : يُذْهَب بالراعى وتتفرق الغنم! وجعل يأتى بكلام نحو هذا ينعَى به نفسه. ثم قال: الحقَّ ، ليكفرنَّ بى أحدكم قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات ، وليبيعنَّى أحدكم بدراهم يسيرة ، وليأكلن ثمنى ! فخرجوا فتفرقوا ، [٢] وكانت اليهود تطلبه ، فأخذوا شمعون أحد الحواريين ، فقالوا : هذا من أصحابه ! فجحد وقال : ما أنا بصاحبه ! فتركوه ، ثم أخذه آخرون فجحد كذلك. ثم سمع صوت ديك فبكى وأحزنه ، فلما أصبح أتى أحدُ الحواريين إلى اليهود فقال: ما تجعلون لى إن دللتكم على المسيح؟ فجعلوا له ثلاثين درهماً ، فأخذها ودلَّهم عليه. وكان شبَّه عليهم قبل ذلك ، فأخذوه فاستوثقوا منه ، وربطوه بالحبل ، فجعلوا يقودونه ويقولون له : أنت كنت تحيي الموتى ، وتنتهر الشيطان ، وتبرئ المجنون ، أفلا تنجّى نفسك من هذا الحبل ؟ ! ويبصقون عليه ، ويلقون عليه الشوك ، حتى أتوا به الخشبة التى أرادوا أن يصلبوه عليها ، فرفعه الله إليه ، وصلبوا ما شبَّه لهم ، فمكث سبعاً .

= ثم إنَّ أمَّه والمرأة التى كان يداويها عيسى فأبرأها الله من الجنون ، جاءتا تبكيان حيث المصلوب ، [٣] فجاءهما عيسى فقال : علام تبكيان ؟ قالتا : عليك! فقال : إنى قد رفعنى الله إليه ، ولم يصبنى إلاَّ خير ، وإن هذا شىء شبَّه لهم ،

---

(١) فى المطبوعة : « أما تصبرون » ، وأثبت ما فى التاريخ والمخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « وتفرقوا » بالواو ، وأثبت ما فى التاريخ والمخطوطة .

(٣) فى المطبوعة « حيث كان المصلوب» ، وفى التاريخ : « عند المصلوب » ، وفى المخطوطة « حسب » غير منقوطة ، وعليها حرف (ط) ، كأن الناسخ عدها خطأ ، لقلة إضافة « حيث » إلى الاسم المفرد ، لأنها تضاف إلى الجملة الفعلية والجملة الاسمية ، ولكن لإضافتها إلى المفرد شواهد كثيرة ، منها قول الشاعر :

وَنَحْنُ سَقَيْنَا المَوْتَ بِالسَّيْفِ مَعْقِلاً وقَدْ كانَ مِنْهُمْ حَيْثُ لِئُ العَمَائِمِ

فأمَرَا الحواريين أن يلقونى إلى مكان كذا وكذا . فلقوه إلى ذلك المكان أحد عشر. وفقَد الذى كان باعه ودلّ عليه اليهود،[١] فسأل عنه أصحابه، فقالوا: إنه ندم على ما صنع، فاختنق وقتل نفسه . فقال: لو تابَ لتابَ الله عليه ! ثم سألهم عن غلام يتبعهم يقال له: يُحَنَّى[٢]، فقال: هو معكم، فانطلقوا، فإنه سيصبح كلّ إنسان منكم يحدّث بلغة قوم، فلينذِرْهم ولْيدعهم .[٣] ١١/٦

* * *

وقال آخرون: بل سأل عيسى من كان معه فى البيت أن يلقى على بعضهم شَبهه، فانتدب لذلك منهم رجل، فأُلقى عليه شبهه، فقتل ذلك الرجل، ورفع عيسى بن مريم عليه السلام .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٧٨١ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: « إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه » إلى قوله: « وكان الله عزيزاً حكيماً »، أولئك أعداء الله اليهود ائتمروا بقتل عيسى ابن مريم رسول الله،[٤] وزعموا أنهم قتلوه وصلبوه . وذكر لنا أن نبى الله عيسى ابن مريم قال لأصحابه: أيكم يُقْذف عليه شبهى، فإنه مقتول ؟ فقال رجل من أصحابه: أنا، يا نبى الله ! فقتل ذلك الرجل، ومنع الله نبيه ورفعه إليه .

١٠٧٨٢ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة فى قوله: « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم »، قال: ألقى شبهه على رجل من الحواريين فقتل . وكان عيسى بن مريم عرض ذلك عليهم، فقال: أيكم ألقى شبهى عليه، وله الجنة ؟ فقال رجل: علىّ .

---

(١) « فقده » و « افتقده » : لم يجده، فسأل عنه .

(٢) فى التاريخ : « يقال له يحيى » .

(٣) الأثر : ١٠٧٨٠ — رواه أبو جعفر فى التاريخ ٢ : ٢٢، ٢٣ .

(٤) فى المطبوعة : « اشتهروا بقتل عيسى »، ولا معنى لها هنا، وهى فى المخطوطة غير بينة الحروف، وصواب قراءتها ما أثبت .

١٠٧٨٣ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى : أن بنى إسرائيل حَصروا عيسى وتسعةَ عشر رجلاً من الحواريين فى بيت، فقال عيسى لأصحابه : من يأخذ صورتى فيقتل وله الجنة ؟ فأخذها رجل منهم، وصُعِد بعيسى إلى السماء . فلما خرج الحواريون أبصروهم تسعة عشر، فأخبروهم أن عيسى عليه السلام قد صُعِد به إلى السماء، فجعلوا يعدّون القوم فيجدونهم ينقصون رجلاً من العدّة، ويرون صورة عيسى فيهم، فشكّوا فيه . وعلى ذلك قتلوا الرجل وهم يرون أنه عيسى وصلبوه . فذلك قول الله تبارك وتعالى : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم »، إلى قوله : « وكان الله عزيزاً حكيماً » .

١٠٧٨٤ – حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبى نجيح، عن القاسم بن أبى بزة : أن عيسى بن مريم قال : أيكم يلقى عليه شبهى فيقتل مكانى ؟ فقال رجل من أصحابه : أنا، يا رسول الله ! فألقى عليه شبهه فقتلوه . فذلك قوله : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » .

١٠٧٨٥ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال : كان اسم ملك بنى إسرائيل الذى بعث إلى عيسى ليقتله، رجلاً منهم يقال له داود . فلما أجمعوا لذلك منه، لم يَفْظَعْ عبدٌ من عباد الله بالموت = فيما ذكر لى = فظَعَه،[1] ولم يجزع منه جزعه، ولم يدع الله فى صرفه عنه دعاءَه، حتى إنه ليقول، فيما يزعمون : « اللهم إن كنت صارفاً هذه الكأس عن أحد من خلقك فاصرفها عنى ! »، وحتى إن جلده من كَرْب ذلك ليتفصّد دماً . فدخل المدخل الذى أجمعوا أن يدخلوا عليه فيه ليقتلوه هو وأصحابه، وهم ثلاثة عشر بعيسى . فلما أيقن أنهم داخلون عليه، قال لأصحابه من الحواريين[2] = وكانوا اثنى عشر رجلاً :

---

(١) « فظع بالأمر يفظع فظعاً (مثل فرح، يفرح، فرحا) : كرهه واستبشعه ورآه فظيعاً .

(٢) قول المسيح لأصحابه من الحواريين، سيأتى فى الفقرة التى تلى الفقرة الآتية، وذلك قوله : « يا معشر الحواريين، أيكم يحب أن يكون رفيقى فى الجنة » . وما بين الكلامين، فصل فيه ذكر عدة الحواريين .

فطرس،[١] ويعقوب بن زبدى، ويحنس أخو يعقوب، وأندراييس،[٢] وفيلبس، وأبرثلما، ومتى، وتوماس، ويعقوب بن حلفيا،[٣] وتداوسيس، وقنانيا،[٤] ويودس زكريايوطا.[٥]

= قال ابن حميد، قال سلمة، قال ابن إسحق: وكان فيهم، فيما ذكر لى، رجل اسمه سرجس، فكانوا ثلاثة عشر رجلاً سوى عيسى، جحدته النصارى، وذلك أنه هو الذى شبِّه لليهود مكان عيسى. قال: فلا أدرى ما هو؟ من هؤلاء الاثنى عشر، أم كان ثالث عشر، فجحدوه حين أقرُّوا لليهود بصلب عيسى، وكفروا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الخبر عنه. فإن كانوا ثلاثة عشر فإنهم دخلوا المدخل حين دخلوا وهم بعيسى أربعة عشر، وإن كانوا اثنى عشر، فإنهم دخلوا المدخل حين دخلوا وهم بعيسى ثلاثة عشر.

= حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال، حدثنى رجل كان نصرانيًّا فأسلم: أن عيسى حين جاءه من الله: «إنى رافعك إلىَّ» قال: يامعشر الحواريين، أيُّكم يحبّ أن يكون رفيقى فى الجنة، على أن يشبه للقوم فى صورتى فيقتلوه مكانى؟[٦] فقال سرجس: أنا، يا روح الله! قال: فاجلس فى مجلسى.

---

(١) فى المطبوعة: «بطرس»، وأثبت ما فى المخطوطة.

(٢) فى المطبوعة: «اندراوس»، وأثبت ما فى المخطوطة.

(٣) فى المطبوعة: «حلقيا»، وفى المخطوطة بالفاء.

(٤) فى المطبوعة: «فتاتيا»، والمخطوطة أشبه بأن تكون كما نقطتها.

(٥) سأذكر هذه الأسماء، كما هى فى كتب القوم، من الإصحاح العاشر من إنجيل متى، على تتابعها هنا، وهى كما يلى:

﴿ بطرس ﴾، و﴿ يعقوب بن زبدى ﴾، و ﴿ يوحنّا ﴾ أخو يعقوب، و﴿ أندارَاوس ﴾ — أخو بطرس —، و﴿فيلبس﴾، و﴿ برثولماوس ﴾، و﴿ متى ﴾، و ﴿ توما ﴾، و ﴿ يعقوب بن حلفى ﴾ و﴿ لبَّاوس ﴾، الملقب ﴿ تدّاوس ﴾، و﴿ سمعان القانوى ﴾، و﴿ يهوذا الأسخريوطى ﴾.

(٦) فى المطبوعة: «حتى يشبه للقوم»، وأثبت ما فى المخطوطة.

فجلس فيه ، ورُفع عيسى صلوات الله عليه . فدخلوا عليه فأخذوه فصلبوه ، فكان هو الذى صلبوه وشُبِّه لهم به . وكانت عِدّتهم حين دخلوا مع عيسى معلومة ، قد رأوهم وأحصوا عدّتهم.[1] فلما دخلوا عليه ليأخذوه ، وجدوا عيسى فيما يُرَوْن ١٢/٦ وأصحابه ، وفقدوا رجلاً من العدة ، فهو الذى اختلفوا فيه ، وكانوا لا يعرفون عيسى ، حتى جعلوا ليودس زكريا يوطا ثلاثين درهماً على أن يدلّهم عليه ويعرِّفهم إياه ، فقال لهم : إذا دخلتم عليه ، فإنى سأقبله ، وهو الذى أقبِّل ، فخذوه . فلما دخلوا عليه وقد رُفع عيسى ، رأى سرجس فى صورة عيسى ، فلم يشكّك أنه هو عيسى ،[2] فأكبَّ عليه فقبّله ، فأخذوه فصلبوه . ثم إن يودس زكريا يوطا ندم على ما صنع ، فاختنق بحبل حتى قتل نفسه . وهو ملعون فى النصارى ، وقد كان أحد المعدودين من أصحابه . وبعض النصارى يزعم أن يودس زكريا يوطا هو الذى شبه لهم ، فصلبوه وهو يقول : «إنى لست بصاحبكم ! أنا الذى دللتكم عليه» ! والله أعلم أىُّ ذلك كان .

١٠٧٨٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج : بلغنا أن عيسى بن مريم قال لأصحابه : أيُّكم ينتدب فيُلقَى عليه شبهى فيقتل ؟ فقال رجل من أصحابه : أنا ، يا نبى الله . فألقى عليه شبهه فقتل ، ورفع الله نبيّه إليه .

١٠٧٨٧ — حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « شبه لهم » ، قال : صلبوا رجلاً غير عيسى ، يحسبونه إيّاه .

١٠٧٨٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ولكن شبه لهم » ، فذكر نحوه .[3]

---

(١) فى المطبوعة : « فأحصوا » بالفاء ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « فلم يشك » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « فذكر مثله » .

١٠٧٨٩ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : صلبوا رجلاً شبَّهوه بعيسى ، يحسبونه إياه ، ورفع الله إليه عيسى حيًّا .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب ، أحدُ القولين اللذين ذكرناهما عن وهب بن منبه :[1] من أن شَبَّه عيسى ألقى على جميع من كان فى البيت مع عيسى حين أحيط به وبهم ، من غير مسألة عيسى إياهم ذلك . ولكن ليخزى الله بذلك اليهود ، وينقذ به نبيه عليه السلام من مكروهِ ما أرادوا به من القتل ، ويبتلى به من أراد ابتلاءه من عباده فى قِيله فى عيسى ، وصدق الخبر عن أمره .

= أو : القول الذى رواه عبد الصمد عنه .[2]

وإنما قلنا ذلك أولى القولين بالصواب ، لأن الذين شهدوا عيسى من الحواريين ، لو كانوا فى حال ما رُفِع عيسى وأُلقى شبهه على من ألقى عليه شَبَهه ، كانوا قد عاينوا وهو يرفع من بينهم ،[3] وأثبتوا الذى ألقى عليه شبهه ، وعاينوه متحوِّلاً فى صورته بعد الذى كان به من صورة نفسه بمحضَرٍ منهم ، لم يخفَ ذلك من أمر عيسى وأمر من ألقى عليه شبهه عليهم ، مع معاينتهم ذلك كله ، ولم يلتبس ولم يشكل عليهم ، وإن أشكل على غيرهم من أعدائهم من اليهود أن المقتول والمصلوب كان غير عيسى ، وأن عيسى رفع من بينهم حيًّا .

وكيف يجوز أن يكون كان أشكل ذلك عليهم ، وقد سمعوا من عيسى مقالته : « من يلقى عليه شبهى ، ويكون رفيقى فى الجنة » ، إن كان قال لهم ذلك ، وسمعوا

---

(١) هو الأثر رقم : ١٠٧٧٩ .

(٢) هو الأثر رقم : ١٠٧٨٠ ، وكان فى المخطوطة « الذى رواه عبد العزيز عنه » ، وليس فى الرواة عن ابن منبه فيما سلف « عبد العزيز » بل « عبد الصمد بن معقل » ، وكأنه سهو من الناسخ ، وعجلة أخذته .

(٣) فى المطبوعة : « عاينوا عيسى وهو يرفع » بالزيادة ، وأثبت ما فى المخطوطة ، فهو مستقيم .

جواب مُجيبه منهم : « أنا » ، وعاينوا تحوُّل المجيب فى صورة عيسى بعقب جوابه ؟ ولكن ذلك كان = إن شاء الله = على نحو ما وصف وهب بن منبه : إما أن يكون القوم الذين كانوا مع عيسى فى البيت الذى رفع منه من حواريه ، حوَّلهم الله جميعاً فى صورة عيسى حين أراد الله رفعه ، فلم يثبتوا عيسى معرفةً بعينه من غيره لتشابه صور جميعهم ، فقتلت اليهود منهم من قتلت وهم يُرَونه بصورة عيسى ، ويحسبونه إياه ، لأنهم كانوا به عارفين قبل ذلك . وظنّ الذين كانوا فى البيت مع عيسى مثل الذى ظنت اليهود ، لأنهم لم يميِّزوا شخصَ عيسى من شخص غيره ، لتشابه شخصه وشخص غيره ممن كان معه فى البيت . فاتفقوا جميعهم = يعنى : اليهود والنصارى[1] = من أجل ذلك على أن المقتول كان عيسى ، ولم يكن به ، ولكنه شُبِّه لهم ، كما قال الله جل ثناؤه : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » .

= أو يكون الأمر فى ذلك كان على نحو ما روى عبد الصمد بن معقل ، عن وهب بن منبه : أن القوم الذين كانوا مع عيسى فى البيت ، تفرقوا عنه قبل أن يدخل عليه اليهود ، وبقى عيسى ، وألقى شبهه على بعض أصحابه الذين كانوا معه فى البيت بعد ما تفرق القوم غيرَ عيسى ، وغيرَ الذى ألقى عليه شَبَهه . ورفع عيسى ، فقتل الذى تحوّل فى صورة عيسى من أصحابه ، وظن أصحابُه واليهود أن ١٣/٦
الذى قتل وصلب هو عيسى ، لما رأوا من شبهه به ، وخفاء أمر عيسى عليهم . لأن رفعه وتحوّل المقتول فى صورته ، كان بعد تفرق أصحابه عنه ، وقد كانوا سمعوا عيسى من الليل ينعَى نفسه ، ويحزن لما قد ظنّ أنه نازل به من الموت ، فحكوا ما كان عندهم حقًّا ، والأمر عند الله فى الحقيقة بخلاف ما حكوا . فلم يستحق الذين حكوا ذلك من حواريّيه أن يكونوا كذبة ، إذ حكوا ما كان حقًّا عندهم فى الظاهر ،[2]

---

(١) فى المطبوعة : « أعنى » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « أوحكوا » ، وفى المخطوطة : « إذا حكوا » ، والصواب ما أثبت .

وإن كان الأمر كان عند الله فى الحقيقة بخلاف الذى حكوا .[١]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾ (١٥٧)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « وإنّ الذين اختلفوا فيه » ، اليهودَ الذين أحاطوا بعيسى وأصحابه حين أرادوا قتله . وذلك أنهم كانوا قد عرفوا عدة من فى البيت قبل دخولهم ، فيما ذكر . فلما دخلوا عليهم ، فقدوا واحداً منهم ، فالتبس أمرُ عيسى عليهم بفقدهم واحداً من العدّة التى كانوا قد أحصوها ، وقتلوا من قتلوا على شك منهم فى أمر عيسى .

وهذا التأويل على قول من قال : لم يفارق الحواريون عيسى حتى رفع ودخل عليهم اليهود .

* * *

وأما تأويله على قول من قال : تفرّقوا عنه من الليل، فإنه : « وإن الذين اختلفوا » ، فى عيسى ، هل هو الذى بقى فى البيت منهم بعد خروج من خرج منهم من العدّة التى كانت فيه، أم لا ؟= « لفى شك منه »، يعنى : من قتله، لأنهم كانوا أحصوا من العدّة حين دخلوا البيت أكثر ممن خرج منه ومن وجد فيه ، فشكوا فى الذى قتلوه : هل هو عيسى أم لا ؟ من أجل فقدهم من فقدوا من العدد الذى كانوا أحصوه ، ولكنهم قالوا : « قتلنا عيسى » ، لمشابهة المقتول عيسى فى الصورة . يقول الله جل ثناؤه : « ما لهم به من علم » ، يعنى : أنهم قتلوا من قتلوه على شك منهم فيه واختلافٍ ، هل هو عيسى أم هو غيره ؟ من غير أن يكون لهم

(١) فى المخطوطة : « وإن كان الأمر عند الله » ، حذف « كان » الثانية ، وقد أثبتها ناسخ المخطوطة فى هامش النسخة .

بمن قتلوه علم ، من هو ؟ هو عيسى أم هو غيره ؟ = « إلا اتباع الظن » ، يعنى جل ثناؤه : ما كان لهم بمن قتلوه من علم ، ولكنهم اتبعوا ظنهم فقتلوه ، ظنًّا منهم أنه عيسى ، وأنه الذى يريدون قتله ، ولم يكن به = « وما قتلوه يقيناً » ، يقول : وما قتلوا — هذا الذى اتبعوه فى المقتول الذى قتلوه وهم يحسبونه عيسى — يقيناً أنه عيسى ولا أنه غيره ، ولكنهم كانوا منه على ظنّ وشبهةٍ .

* * *

وهذا كقول الرجل للرجل : « ما قتلت هذا الأمر علماً ، وما قتلته يقيناً » ، إذا تكلّم فيه بالظن على غير يقين علم . فـ « الهاء » فى قوله : « وما قتلوه » ، عائدة على « الظن » .[1]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك .

١٠٧٩٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وما قتلوه يقيناً » ، قال : يعنى لم يقتلوا ظنّهم يقيناً .

١٠٧٩١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا يعلى بن عبيد ، عن جويبر فى قوله : « وما قتلوه يقيناً » ، قال : ما قتلوا ظنهم يقيناً .

* * *

وقال السدى فى ذلك ما :—

١٠٧٩٢ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وما قتلوه يقيناً » ، وما قتلوا أمره يقيناً أن الرجل هو عيسى ، « بل رفعه الله إليه » .

* * *

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٩٤ .

القول فى تأويل قوله ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (١٥٨)

قال أبو جعفر : أما قوله جل ثناؤه : « بل رفعه الله إليه » ، فإنه يعنى : بل رفع الله المسيح إليه . يقول : لم يقتلوه ولم يصلبوه ، ولكن الله رفعه إليه فطهّره من الذين كفروا .

* * *

وقد بيّنا كيف كان رفع الله إياه إليه فيما مضى ، وذكرنا اختلاف المختلفين فى ذلك، والصحيحَ من القول فيه بالأدلة الشاهدة على صحته، بما أغنى عن إعادته .[1]

* * *

وأما قوله : « وكان الله عزيزاً حكيماً » ، فإنه يعنى : ولم يزل الله منتقماً من أعدائه ،[2] كانتقامه من الذين أخذتهم الصاعقة بظلمهم ، وكلعنه الذين قصّ قصتهم بقوله: « فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله » = « حكيماً » ، يقول: ذا حكمة فى تدبيره وتصريفه خلقَه فى قضائه .[3] يقول: فاحذروا أيها السائلون محمداً أن ينزل عليكم كتاباً من السماء ، من حلول عقوبتى بكم ، كما حل بأوائلكم الذين فعلوا فعلكم ، فى تكذيبهم رسلى وافترائهم على أوليائى ، وقد : —

١٠٧٩٣ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا محمد بن إسحق بن أبى سارة الرُّؤَاسىّ ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى قوله : « وكان الله عزيزاً حكيماً » ، قال : معنى ذلك : أنه كذلك .[4]

* * *

(١) انظر ما سلف ٦ : ٤٥٥ — ٤٦٠ .

(٢) انظر تفسير « عزيز » و « عزة » فيما سلف ص: ٣١٩ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك.

(٣) انظر تفسير « حكيم » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٤) الأثر : ١٠٧٩٣ — « محمد بن إسحق بن أبى سارة الرؤاسى » ، لم أعرف له ترجمة ،

(١) القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ ١٤/٦

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك :

فقال بعضهم : معنى ذلك : « وإن من أهل الكتاب إلاّ ليؤمنن به »، يعنى : بعيسى = « قبل موته » ، يعنى : قبل موت عيسى = يوجّه ذلك إلى أنّ جميعهم يصدّقون به إذا نزل لقتل الدجّال، فتصير الملل كلها واحدة ، وهى ملة الإسلام الحنيفيّة ، دين إبراهيم صلى الله عليه وسلم .

ولا وجدت له ذكراً فيما بين يدى من الكتب ، وأخشى أن يكون فى اسمه تحريف أو تصحيف . وقول ابن عباس فى تفسير الآية « معنى ذلك أنه كذلك » ، يريد أن الله كان ولم يزل عزيزاً حكيما .

* * *

وعند هذا الموضع انتهى الجزء السابع من مخطوطتنا وفى آخرها ما نصه :

« نَجَز الجزء السابع من كتاب البيان ، بحمد الله وعونه وحُسن توفيقه . وصلى الله عَلَى سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

الحمد لله ربّ العالمين

يتلوه فى أول الثامن إن شاء الله تعالى ، القول فى تأويل قوله :

﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾

وكان الفراغ منه فى شهر ربيع الأول سنة خمس عشرة وسبعمئة .

غفر الله لمؤلفه ولصاحبه ، ولكاتبه ، ولمن طالعَ فيه ودعا لهم بالمغفرة ورضى الله تعالى والجنة ، ولجميع المسلمين .

آمين ، يا ربّ العالمين » .

(١) هذا بدء الجزء الثامن من المخطوطة ، وأوله :

« بِسمِ الله الرَّحمٰنِ الرَّحِيم »

« رَبِّ يَسِّر برَحْمَتِك يا كَرِيم »

* ذكر من قال ذلك :

١٠٧٩٤ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وإن من أهل الكتاب إلاّ ليؤمنن به قبل موته » ، قال : قبل موت عيسى بن مريم .

١٠٧٩٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وإن من أهل الكتاب إلاّ ليؤمنن به قبل موته » ، قال : قبل موت عيسى .

١٠٧٩٦ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حصين ، عن أبي مالك في قوله : « إلاّ ليؤمنن به قبل موته » ، قال : ذلك عند نزول عيسى بن مريم ، لا يبقى أحدٌ من أهل الكتاب إلا ليؤمننّ به .(١)

١٠٧٩٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا الحجاج بن المنهال، قال، حدثنا حماد بن سلمة، عن حميد، عن الحسن قال: « قبل موته»، قال : قبل أن يموت عيسى بن مريم .

١٠٧٩٨ – حدثني يعقوب قال ، حدثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن في قوله: « وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته » ، قال: قبل موت عيسى . والله إنه الآن لحيٌّ عند الله ، ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون .

١٠٧٩٩ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة في قوله : « وإن من أهل الكتاب إلاّ ليؤمنن به قبل موته » ، يقول : قبل موت عيسى .

١٠٨٠٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة: « وإن من أهل الكتاب إلاّ ليؤمنن به قبل موته » ، قال: قبل موت عيسى .(٢)

---

(١) الأثر : ١٠٧٩٦ – في المخطوطة ، هذا الأثر مبتور ، مع جريانه في سياق الكتابة .

(٢) الأثر : ١٠٨٠٠ – هذا الأثر مكرر الذي يليه مختصراً ، وليس في المخطوطة ، فأخشى أن يكون من سهو الناسخ ، كتب ، ثم وقف ، ثم أعاد الكتابة .

١٠٨٠١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « وإن من أهل الكتاب إلاّ ليؤمنن به قبل موته » ، قال : قبل موت عيسى ، إذا نزل آمنت به الأديان كلها .

١٠٨٠٢ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن أبى جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ، عن الحسن قال : قبل موت عيسى .

١٠٨٠٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة ، عن عوف ، عن الحسن : « إلا ليؤمنن به قبل موته » ، قال عيسى ، ولم يمت بعدُ .

١٠٨٠٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمران بن عيينة ، عن حصين ، عن أبى مالك قال : لا يبقى أحدٌ منهم عند نزول عيسى إلاّ آمن به .

١٠٨٠٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن حصين ، عن أبى مالك قال : قبل موت عيسى .

١٠٨٠٦ – حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وإن من أهل الكتاب إلاّ ليؤمنن به قبل موته » ، قال : إذا نزل عيسى ابن مريم فقتل الدجال ، لم يبق يهودىٌّ فى الأرض إلاّ آمن به . قال : فذلك حين لا ينفعهم الإيمان .(١)

١٠٨٠٧ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وإن من أهل الكتاب إلاّ ليؤمنن به قبل موته » ، يعنى : أنه سيدرك أناسٌ من أهل الكتاب حين يبعث عيسى ، فيؤمنون به ، « ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً » .

١٠٨٠٨ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة، عن منصور بن زاذان ، عن الحسن أنه قال فى هذه الآية : « وإن من أهل

---

(١) فى المطبوعة : « وذلك حين . . . » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

الكتاب إلاّ ليؤمنن به قبل موته » = قال أبو جعفر : أظنه إنما قال : إذا خرج عيسى آمنت به اليهود .

* * *

وقال آخرون : يعنى بذلك : وإن من أهل الكتاب إلاّ ليؤمنن بعيسى ، قبل موت الكتابى. يوجّه ذلك إلى أنه إذا عاين علم الحق من الباطل،(١) لأن كل من نزل به الموت لم تخرج نفسُه حتى يتبين له الحق من الباطل فى دينه .

* [ذكر من قال ذلك] :(٢)

١٠٨٠٩ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وإن من أهل الكتاب إلاّ ليؤمنن به قبل موته » ، قال : لا يموت يهودى حتى يؤمن بعيسى .

١٠٨١٠ – حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد : « وإن من أهل الكتاب إلاّ ليؤمنن به قبل موته » ، قال : لا تخرج نفسه حتى يؤمن بعيسى ، وإن غرق ، أو تردّى من حائط ، أو أىّ ميتة كانت .

١٠/٦ ١٠٨١١ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « إلاّ ليؤمنن به قبل موته » ، كل صاحب كتاب ليؤمنن به ، بعيسى ، قبل موته ، موتِ صاحب الكتاب .(٣)

١٠٨١٢ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ليؤمنن به » ، كل صاحب كتاب ، يؤمن بعيسى =

---

(١) فى المطبوعة : « ذكر من كان يوجه ذلك . . . » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وانظر التعليق التالى .

(٢) زدت هذه الزيادة بين القوسين ، على نهج أبى جعفر فى سائر تفسيره .

(٣) فى المخطوطة : « قبل موته صاحب صاحب كتاب » ، اجتهد الناشر الأول ، ولو كتب « قبل موت كل صاحب كتاب » ، لكان صواباً أيضاً .

« قبل موته » ، قبل موت صاحب الكتاب = قال ابن عباس : لو ضُربت عنقه ، لم تخرج نفسُه حتى يؤمن بعيسى .

١٠٨١٣ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا أبو تميلة يحيى بن واضح قال ، حدثنا الحسين بن واقد ، عن يزيد النحوى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لا يموت اليهودى حتى يشهد أنّ عيسى عبد الله ورسوله ، ولو عُجِّل عليه بالسِّلاح .

١٠٨١٤ – حدثنى إسحق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال ، حدثنا عتاب بن بشير ، عن خصيف، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وإن من أهل الكتاب إلاّ ليؤمنن به قبل موته » ،قال: هى فى قراءة أبىّ : ﴿قَبْلَ مَوْتِهِمْ﴾ ، ليس يهودى يموت أبداً حتى يؤمن بعيسى . قيل لابن عباس : أرأيت إن خرّ من فوق بيت ؟ قال : يتكلم به فى الهُوِىِّ .[1] فقيل : أرأيت إن ضربَ عنق أحد منهم ؟[2] قال : يُلجلج بها لسانُهُ .[3]

١٠٨١٥ – حدثنى المثنى قال ، حدثنى أبو نعيم الفضل بن دكين قال، حدثنا سفيان ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « وإن من أهل الكتاب إلاّ ليؤمنن به قبل موته » ، قال : لا يموت يهودى حتى يؤمن بعيسى بن مريم . قال: وإن ضُرب بالسيف، يتكلم به. قال: وإن هوى، يتكلم به وهو يَهْوِى.[4]

١٠٨١٦ – وحدثنى ابن المثنى قال، حدثنى محمد بن جعفر قال ، حدثنا

---

(١) « الهوى » (بضم الهاء ، وكسر الواو ، والياء المشددة) ، مصدر « هوى يهوى » ، إذا سقط من فوق إلى أسفل .

(٢) فى المطبوعة : « إن ضربت عنقه » ، و « العنق » يذكر ويؤنث ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) « لجلج » أى تردد بها وأدارها على لسانه . وفى المطبوعة : « يتلجلج » بزيادة التاء ، وهى بمعناها .

(٤) فى المطبوعة ، غير ما فى المخطوطة وزاد فيها ، وجعل ذلك سؤالا وجواباً ، وكتب : « قيل : وإن ضرب بالسيف ؟ قال : يتكلم به . قيل : وإن هوى ؟ قال : يتكلم به وهو يهوى » ، وأجود ذلك ما فى المخطوطة .

شعبة، عن أبي هرون الغنوى، عن عكرمة، عن ابن عباس أنه قال فى هذه الآية : « وإن من أهل الكتاب إلاّ ليؤمنن به قبل موته » ، قال: لو أن يهودياً وقع من فوق هذا البيت ، لم يمت حتى يؤمن به = يعنى : بعيسى .(١)

١٠٨١٧ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا عبد الصمد قال ، حدثنا شعبة ، عن مولى لقريش قال : سمعت عكرمة يقول : لو وقع يهودىٌّ من فوق القَصر ، لم يبلغ إلى الأرض حتى يؤمن بعيسى .

١٠٨١٨ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان، عن أبي هاشم الرمانى ، عن مجاهد : « ليؤمنن به قبل موته » ، قال : وإن وقع من فوق البيت ، لا يموت حتى يؤمن به .(٢)

١٠٨١٩ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن عمرو بن أبي قيس ، عن منصور ، عن مجاهد : « وإن من أهل الكتاب إلاّ ليؤمنن به قبل موته » . قال : لا يموت رجل من أهل الكتاب حتى يؤمن به ، وإن غرق ، أو تردّى ، أو مات بشيء .

١٠٨٢٠ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية، عن ليث ، عن مجاهد فى قوله: « وإن من أهل الكتاب إلاّ ليؤمنن به قبل موته »، قال: لا تخرج نفسه حتى يؤمن به .

---

(١) الأثر : ١٠٨١٦ – « أبو هرون الغنوى » ، هو : « إبراهيم بن العلاء» . روى عن عكرمة ، وأبي مجلز ، وحطان بن العلاء . وروى عنه شعبة ، وحماد بن سلمة ، ويزيد بن إبراهيم ، ويزيد بن زريع ، وابن المبارك ، مترجم فى الكبير ٣٠٧/١/١ ، وابن أبي حاتم ١٢٠/١/١ ، ولم يذكرا فيه جرحاً . وأشار إليه الحافظ ابن حجر فى باب الكنى من تهذيب التهذيب ، وقال : « تقدم » ، ولم أجده فى الأعلام ، فكأن فى التهذيب نقصاً .

(٢) الأثر : ١٠٨١٨ – « أبو هاشم الرمانى الواسطى » ، قيل اسمه : « يحيى بن دينار » وقيل : « ابن الأسود » ، وقيل : « ابن أبي الأسود » ، وقيل : « ابن نافع » . رأى أنساً ، وروى عن أبي وائل، وأبي مجلز، وأبي العالية، وعكرمة، وغيرهم . كان فقيهاً صدوقاً ، ثقة . مترجم فى التهذيب .

١٠٨٢١ – حدثنا ابن وكيع قال : حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن عكرمة : « وإن من أهل الكتاب إلاّ ليؤمنن به قبل موته » ، قال : لا يموت أحدهم حتى يؤمن به = يعني : بعيسى = وإن خرّ من فوق بيت ، يؤمن به وهو يهوِى.

١٠٨٢٢ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : ليس أحدٌ من اليهود يخرج من الدنيا حتى يؤمن بعيسى .

١٠٨٢٣ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن فرات القزاز ، عن الحسن في قوله : « وإن من أهل الكتاب إلاّ ليؤمنن به قبل موته » ، قال : لا يموت أحد منهم حتى يؤمن بعيسى صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت = [يعني : اليهود والنصارى] .(١)

١٠٨٢٤ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا إسرائيل ، عن فرات ، عن الحسن في قوله : « وإن من أهل الكتاب إلاّ ليؤمنن به قبل موته » ، قال : لا يموت أحدٌ منهم حتى يؤمن بعيسى قبل أن يموت .(٢)

١٠٨٢٥ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا الحكم بن عطية ، عن محمد بن سيرين : « وإن من أهل الكتاب إلاّ ليؤمنن به قبل موته » ، قال : موتِ الرجل من أهل الكتاب .(٣)

١٠٨٢٦ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإن من أهل الكتاب إلاّ ليؤمنن به قبل موته » ، قال : قال ابن عباس : ليس من يهودى [يموت] حتى يؤمن بعيسى بن مريم .(٤)

---

(١) في المطبوعة : « حتى يؤمن بعيسى ، يعني اليهود والنصارى » ، وأثبت ما في المخطوطة ، ولكن ليس فيها : « يعني اليهود والنصارى » ، فتركتها على حالها من المطبوعة ، ووضعتها بين قوسين .

(٢) الأثر : ١٠٨٢٤ – هذا الأثر غير موجود في المخطوطة .

(٣) الأثر : ١٠٨٢٥ – « الحكم بن عطية العيشى » . متكلم فيه ، روى عن عاصم الأحول ، والحسن ، وابن سيرين ، وروى عنه ابن المبارك ، وعبد الرحمن بن مهدى ، وأبو نعيم ، وغيرهم . مترجم في التهذيب .

(٤) في المطبوعة : « ليس من يهودى ولا نصرانى يموت حتى يؤمن » ، وفي المخطوطة :

فقال له رجل من أصحابه : كيف ، والرجل يغرق ، أو يحترق ، أو يسقط عليه الجدار ، أو يأكله السَّبُع ؟ فقال : لا تخرج روحه من جسده حتى يقذف فيه الإيمان بعيسى .

١٦/٦ ١٠٨٢٧ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال : سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « وإن من أهل الكتاب إلاّ ليؤمنن به قبل موته » ، قال : لا يموت أحد من اليهود حتى يشهد أن عيسى رسول الله = صلى الله عليه وسلم .

١٠٨٢٨ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا يعلى ، عن جويبر فى قوله : « ليؤمنن به قبل موته » ، قال : فى قراءة أبىّ : ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِمْ ﴾.(١)

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : وإن من أهل الكتاب إلاّ ليؤمنن بمحمد صلى الله عليه وسلم ، قبل موت الكتابى .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٨٢٩ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا حماد ، عن حميد قال ، قال عكرمة : لا يموت النصرانى واليهودىُّ حتى يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم = يعنى فى قوله : « وإن من أهل الكتاب إلاّ ليؤمنن به قبل موته » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصحة والصواب ، قول من قال : تأويل ذلك : « وإن من أهل الكتاب إلاّ ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى » .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب من غيره من الأقوال ، لأن الله جل ثناؤه حكم لكل مؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم بحكم أهل الإيمان ، فى الموارثة والصلاة عليه ،

« ليس من يهودى ولا نصرانى حتى يؤمن » ، وضرب الناسخ على « ولا نصرانى » ، وليس فى المخطوطة « يموت » ، فتركتها على حالها من المطبوعة ، ووضعتها بين قوسين .

(١) الأثر : ١٠٨٢٨ – انظر الأثر السالف رقم : ١٠٨١٤ .

وإلحاق صغار أولاده بحكمه فى الملة . فلو كان كل كتابىّ يؤمن بعيسى قبل موته ، لوجب أن لا يرث الكتابىّ إذا مات على مِلّته إلاّ أولاده الصغار ، أو البالغون منهم من أهل الإسلام ، إن كان له ولد صغير أو بالغ مسلم . وإن لم يكن له ولد صغير ولا بالغٌ مسلم ، كان ميراثه مصروفاً حيث يصرف مال المسلم يموت ولا وارث له ، وأن يكون حكمه حكم المسلمين فى الصلاة عليه وغَسْله وتقبيره .[1] لأن من مات مؤمناً بعيسى ، فقد مات مؤمناً بمحمد وبجميع الرسل . وذلك أن عيسى صلوات الله عليه ، جاء بتصديق محمد وجميع المرسلين صلوات الله عليهم ، فالمصدّق بعيسى والمؤمن به ، مصدق بمحمد وبجميع أنبياء الله ورسله. كما أن المؤمن بمحمد ، مؤمن بعيسى وبجميع أنبياء الله ورسله . فغير جائز أن يكون مؤمناً بعيسى من كان بمحمد مكذّباً .

* * *

فإن ظن ظانٌّ أنّ معنى إيمان اليهودى بعيسى الذى ذكره الله فى قوله : « وإن من أهل الكتاب إلاّ ليؤمنن به قبل موته » ، إنما هو إقراره بأنه لله نبيٌّ مبعوث ، دون تصديقه بجميع ما أتى به من عند الله = فقد ظن خطأ .

وذلك أنه غير جائز أن يكون منسوباً إلى الإقرار بنبوّة نبى ، من كان له مكذباً فى بعض ما جاء به من وحْى الله وتنزيله . بل غير جائز أن يكون منسوباً إلى الإقرار بنبوة أحد من أنبياء الله ، لأن الأنبياء جاءت الأمم بتصديق جميع أنبياء الله ورسله . فالمكذب بعض أنبياء الله فيما أتى به أمّته من عند الله ، مكذّب جميع أنبياء الله فيما دعوا إليه من دين الله عبادَ الله . وإذْ كان ذلك كذلك = وكان الجميع من أهل الإسلام مجمعين على أن كلّ كتابى مات قبل إقراره بمحمد صلوات الله

---

(١) قوله : « وتقبيره » أى دفنه حيث يدفن ، وكأنه من ألفاظ الفقهاء على عهد أبى جعفر ، والذى فى اللغة « قبره يقبره » دفنه ، و « أقبره » جعل له قبراً . أما « قبر يقبر تقبيراً » بهذا المعنى ، فلم أجدها فى معاجم اللغة .

عليه وما جاء به من عند الله،[١] محكوم له بحكم الملّة التى كان عليها أيام حياته،[٢] غيرُ منقولٍ شيء من أحكامه فى نفسه وماله وولده صغارهم وكبارهم بموته ، عما كان عليه فى حياته = دلّ الدليل على أن معنى قول الله :[٣] « وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته » ، إنما معناه : إلاّ ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى ، وأن ذلك فى خاصٍّ من أهل الكتاب ، ومعنىٌّ به أهل زمان منهم دون أهل كل الأزمنة التى كانت بعد عيسى ، وأن ذلك كائن عند نزوله ، كالذى :—

١٠٨٣٠ — حدثنى بشر بن معاذ قال، حدثنى يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن عبد الرحمن بن آدم ، عن أبى هريرة : أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم قال : الأنبياء إخوة لعَلاّتٍ، أمهاتهم شتّى ودينهم واحدٌ . وإنّى أولى الناس بعيسى بن مريم ، لأنه لم يكن بينى وبينه نبىٌّ . وإنه نازلٌ ، فإذا رأيتموه فاعرفوه ، فإنه رجل مربُوع الخَلق ، إلى الحمرة والبياض، سَبْط الشعر، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بَلل ، بين ممصَّرتين ، فيدُقّ الصليب ، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية ، ويفيض المال ، ويقاتل الناس على الإسلام حتى يهلك الله فى زمانه الملل كلَّها غير الإسلام ، ويهلك الله فى زمانه مسيحَ الضلالة الكذابَ الدجال ، وتقع الأمَنَة فى الأرض فى زمانه ، حتى ترتع الأسود مع الإبل ، والنمور مع البقر ، والذئاب مع الغنم ، وتلعب الغِلمان = أو : الصبيان = بالحيات ، لا يضرُّ بعضهم بعضاً . ثم يلبث فى الأرض ما شاء الله = وربما قال : أربعين سنة = ثم يتوفّى ، ١٧/٦

---

(١) فى المطبوعة : « وإذ كان ذلك كذلك كان فى إجماع الجميع من أهل الإسلام على أن كل كتابى . . . » غير ما فى المخطوطة ، ليصلح الخطأ الذى وقع فيها . كما سترى فى التعليق : ٣ .

(٢) فى المطبوعة : « بحكم المسألة التى كان عليها . . . » ، والصواب من المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « أدل الدليل على معنى قول الله » ، والصواب يقتضى ما أثبت . وسياق العبارة : « وإذ كان ذلك كذلك ، وكان الجميع من أهل الإسلام مجمعين . . . دل الدليل على أن معنى قول الله . . . إنما معناه . . . » . فهذا هو السياق الذى يدل على صواب ما صححته فى المطبوعة والمخطوطة .

ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه .[١]

* * *

وأما الذى قال : عنى بقوله : « ليؤمنن به قبل موته » ، ليؤمنن بمحمد صلى الله عليه وسلم قبلَ موت الكتابى – فما لا وجه له مفهوم ، لأنه = مع فساده من الوجه الذى دَللنا على فساد قول من قال : « عنى به : ليؤمنن بعيسى قبل موت الكتابى » = يزيده فساداً أنه لم يجر لمحمد عليه السلام فى الآيات التى قبلَ ذلك ذكر ، فيجوز صرف « الهاء » التى فى قوله : « ليؤمنن به » ، إلى أنها من ذكره . وإنما قوله : « ليؤمنن به » ، فى سياق ذكر عيسى وأمه واليهود . فغير جائز صرف الكلام عما هو فى سياقه إلى غيره ، إلاّ بحجة يجب التسليم لها من دلالة ظاهر التنزيل ، أو خبر عن الرسول تقوم به حُجَّة . فأما الدَّعاوى ، فلا تتعذر على أحد .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الآية = إذْ كان الأمر على ما وصفنا[٢] = : وما من أهل الكتاب إلاّ من ليؤمنن بعيسى ، قبل موت عيسى = وحذف « مَن » بعد « إلاّ » ، لدلالة الكلام عليه ، فاستغنى بدلالته عن إظهاره ، كسائر ما قد تقدم من أمثاله التى قد أتينا على البيان عنها .

* * *

---

(١) الأثر : ١٠٨٣٠ – هذا الحديث ، مضى برقم : ٧١٤٥ ، من طريق ابن حميد ، عن سلمة ، عن ابن إسحق ، عن الحسن بن دينار ، عن قتادة ، بمثله ، إلا بعض اختلاف يسير جداً فى لفظه . وهو حديث صحيح ، خرجه أخى السيد أحمد فى موضعه هناك ، وأشار إلى طريق الطبرى هذه فى هذا الموضع ، فراجعه هناك .

(٢) فى المطبوعة : « ما وصفت » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ (١٥٩)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : ويوم القيامة يكون عيسى على أهل الكتاب « شهيداً » ، يعنى : شاهداً عليهم بتكذيب من كذّبه منهم ، وتصديق من صدقه منهم ، فيما أتاهم به من عند الله ، وبإبلاغه رسالة ربه ،[1] كالذى : —

١٠٨٣١ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج : « ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً » ، أنه قد أبلغهم ما أُرسل به إليهم.[2]

١٠٨٣٢ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً » ، يقول : يكون عليهم شهيداً يوم القيامة على أنه قد بلغ رسالة ربه ، وأقرّ بالعبوديّة على نفسه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (١٦١)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : فحرّمنا على اليهود الذين نقضوا ميثاقهم الذى واثقوا ربهم، وكفروا بآيات الله ، وقتلوا أنبياءهم ، وقالوا البهتان على مريم ، وفعلوا ما وصفهم الله فى كتابه = طيباتٍ من المآكل وغيرها ، كانت لهم

---

(١) انظر تفسير « شهيد » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٢) فى المطبوعة : « أرسله به » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

حلالاً ، عقوبة لهم بظلمهم ، الذى أخبر الله عنهم فى كتابه ،[١] كما : —

١٠٨٣٣ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم » الآية ، عوقب القوم بظلم ظلموه وبَغْيٍ بَغَوْه ، حرمت عليهم أشياء ببغيهم وبظلمهم .

* * *

وقوله: « وبصدّهم عن سبيل الله كثيراً »، يعنى : وبصدّهم عبادَ الله عن دينه وسبله التى شرعَها لعباده، صدًّا كثيراً .[٢] وكان صدُّهم عن سبيل الله: بقولهم على الله الباطل ، وادعائهم أن ذلك عن الله ، وتبديلهم كتاب الله ، وتحريف معانيه عن وجوهه . وكان من عظيم ذلك: جحودهم نبوة نبيِّنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وتركهم بيانَ ما قد علِموا من أمره لمن جَهِل أمره من الناس .[٣]

* * *

وبنحو ذلك كان مجاهد يقول :

١٠٨٣٤ — حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنى أبو عاصم قال ، حدثنى عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « وبصدّهم عن سبيل الله كثيراً » ، قال : أنفسَهم وغيرَهم عن الحق .

١٠٨٣٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

وقوله: « وأخذهم الربا »، وهو أخذهم ما أفضلوا على رؤوس أموالهم، لفضل تأخير فى الأجل بعد مَحِلِّها، وقد بينت معنى «الربا» فيما مضى قبل، بما أغنى عن إعادته.[٤]

---

(١) انظر تفسير « هاد » فيما سلف ٢ : ١٤٣ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ .
وتفسير « الطيبات » فيما سلف ٣ : ٥/٣٠١ : ٦/٥٥٥ : ٧/٣٦١ : ٨/٤٢٤ : ٤٠٩.

(٢) فى المطبوعة : « التى شرحها لعبادة » وهو خطأ ظاهر .

(٣) انظر تفسير « الصد » فيما سلف ٤ : ٧/٣٠٠ : ٨/٥٣ : ٤٨٢ ، ٥١٣
وتفسير « السبيل » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٤) انظر تفسير « الربا » فيما سلف ٦ : ٧ ، ٨ ، ١٣ ، ١٥ ، ٢٢ .

* * *

= « وقد نهوا عنه » يعنى : عن أخذ الربا .

* * *

وقوله : « وأكلهم أموالَ الناس بالباطل » ، يعنى ما كانوا يأخذون من الرُّشَى على الحكم ، كما وصفهم الله به فى قوله : ﴿ وَتَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة المائدة : ٦٢] . وكان من أكلهم أموال الناس بالباطل ، ما كانوا يأخذون من أثمان الكتب التى كانوا يكتبونها بأيديهم ، ثم يقولون : « هذا من عند الله » ، وما أشبه ذلك من المآكل الخسيسة الخبيثة . فعاقبهم الله على جميع ذلك ، بتحريمه ما حرَّم عليهم من الطيبات التى كانت لهم حلالاً قبل ذلك .

١٨/٦ وإنما وصفهم الله بأنهم أكلوا ما أكلوا من أموال الناس كذلك بالباطل ، [١] لأنهم أكلوه بغير استحقاق ، [٢] وأخذوا أموالهم منهم بغير استيجاب .

* * *

وقوله : « وأعتدنا الكافرين منهم عذاباً أليماً » ، [٣] يعنى : وجعلنا للكافرين بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم من هؤلاء اليهود ، [٤] العذاب الأليم = وهو الموجع [٥] = من عذاب جهنم عنده ، [٦] يصلونها فى الآخرة ، إذا وردوا على ربهم ، فيعاقبهم بها .

* * *

---

(١) انظر تفسير « أكل الأموال بالباطل » فيما سلف ٣ : ٥٤٨/٧ : ٥٢٨ ، ٥٧٨/ ٨ : ٢١٦ .

(٢) فى المطبوعة : « بأنهم أكلوه . . . » ، والصواب من المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « فقوله : . . . » ، والصواب من المخطوطة .

(٤) انظر تفسير « أعتد » فيما سلف ٨ : ١٠٣ ، ٣٥٥/٩ : ٣٥٣ .

(٥) انظر تفسير « الأليم » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٦) فى المطبوعة : « من عذاب جهنم عدة يصلونها . . . » والصواب من المخطوطة .

القول فى تأويل قوله ﴿ لَّـٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١٦٢)

قال أبو جعفر : هذا من الله جل ثناؤه استثناء ، استثنَى من أهل الكتاب من اليهود الذين وصَف صفتهم فى هذه الآيات التى مضت، من قوله : « يسألك أهل الكتاب أن تُنزل عليهم كتاباً من السماء » .

ثم قال جل ثناؤه لعباده ، مبيِّناً لهم حكم من قد هداه لدينه منهم ووفقه لرشده : ما كلُّ أهل الكتاب صفتهم الصفة التى وصفت لكم ، « لكن الراسخون فى العلم منهم » ، وهم الذين قد رَسخوا فى العلم بأحكام الله التى جاءت بها أنبياؤه، وأتقنوا ذلك ، وعرفوا حقيقته .

* * *

وقد بينا معنى « الرسوخ فى العلم » ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[1]

* * *

= « والمؤمنون » يعنى : والمؤمنون بالله ورسله ، هم يؤمنون بالقرآن الذى أنزل الله إليك ، يا محمد ، وبالكتب التى أنزلها على من قبلك من الأنبياء والرسل ، ولا يسألونك كما سألك هؤلاء الجهلة منهم :[2] أن تنزل عليهم كتاباً من السماء ، لأنهم قد علموا بما قرأوا من كتب الله وأتتهم به أنبياؤهم، أنك لله رسول ، واجبٌ عليهم اتباعك، لا يَسعهم غير ذلك ، فلا حاجة بهم إلى أن يسألوك آية معجزة ولا دلالة غير الذى قد علموا من أمرك بالعلم الراسخ فى قلوبهم من إخبار أنبيائهم إياهم

(١) انظر تفسير « الراسخون فى العلم » فيما سلف ٦ : ٢٠١ - ٢٠٨ .
(٢) فى المطبوعة : « كما سأل هؤلاء » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

بذلك، وبما أعطيتك من الأدلّة على نبوتك، فهم لذلك من علمهم ورسوخهم فيه، يؤمنون بك وبما أنزل إليك من الكتاب، وبما أنزل من قبلك من سائر الكتب، كما :—

١٠٨٣٦ — حدثنا بشر بن معاذ قال: حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : « لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك »، استثنى الله أُثْبِيَّةً من أهل الكتاب، (١) وكان منهم من يؤمن بالله وما أنزل عليهم، وما أنزل على نبى الله، يؤمنون به ويصدّقون، ويعلمون أنه الحق من ربهم.

* * *

ثم اختلف فى « المقيمين الصلاة »، أهم الراسخون فى العلم، أم هم غيرهم ؟.

فقال بعضهم : هم هم.

* * *

ثم اختلف قائلو ذلك فى سبب مخالفة إعرابهم إعراب « الراسخون فى العلم » وهما من صفة نوع من الناس.

فقال بعضهم : ذلك غلط من الكاتب، (٢) وإنما هو : لكن الراسخون فى العلم منهم والمقيمون الصلاة.

* ذكر من قال ذلك :

١٠٨٣٧ — حدثنى المثنى قال، حدثنا الحجاج بن المنهال قال، حدثنا حماد ابن سلمة، عن الزبير قال : قلت لأبان بن عثمان بن عفان: ما شأنها كتبت :

---

(١) فى المطبوعة : « ثنية »، ولا معنى لها، وفى المخطوطة كما كتبتها، ولكن أخطأ فى نقطها، ووضع الألف قبلها مضطربة، كأنه شك فى قراءة الكلمة.

و « الأثبية » (بضم الألف وسكون الثاء، وكسر الباء، بعدها ياء مفتوحة مشددة) و « الثبة » (بضم الثاء، وفتح الباء) : الجماعة من الناس، وجمع الأولى «أثابى» (بتشديد الياء)، وجمع الثانية « ثبات » (بضم الثاء) و « ثبون » (بضم الثاء وكسرها).

(٢) انظر رد أبى جعفر هذه المقالة فيما سيأتى ص: ٣٩٧، ٣٩٨، وهو من أحكم الردود التى احتكم فيها إلى حسن التمييز.

« لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة »؟قال : إن الكاتب لما كتب : « لكن الراسخون فى العلم منهم » ، حتى إذا بلغ قال : ما أكتب ؟ قيل له : اكتب : « والمقيمين الصلاة » ، فكتب ما قيل له.

١٠٨٣٨ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه : أنه سأل عائشة عن قوله : « والمقيمين الصلاة » ، وعن قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ ﴾ [سورة المائدة : ٦٩] ، وعن قوله : ﴿إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾ [سورة طه : ٦٣] ، فقالت : يا ابن أختى ، هذا عمل الكاتب ، (١) أخطأوا فى الكتاب .

* * *

وذكر أن ذلك فى قراءة ابن مسعود : ﴿ وَالْمُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ .

* * *

وقال آخرون ، وهو قول بعض نحويى الكوفة والبصرة : «والمقيمون الصلاة » ، من صفة « الراسخين فى العلم » ، ولكن الكلام لما تطاول ، واعترض بين « الراسخين فى العلم » ، « والمقيمين الصلاة » ما اعترض من الكلام فطال ، نصب « المقيمين » على وجه المدح . قالوا : والعرب تفعل ذلك فى صفة الشيء الواحد ونعته ، إذا تطاولت بمدح أو ذم ، خالفوا بين إعراب أوله وأوسطه أحياناً ، ثم رجعوا بآخره إلى إعراب أوله . وربما أجروا إعراب آخره على إعراب أوسطه . وربما أجروا ذلك على نوع واحد من الإعراب . واستشهدوا لقولهم ذلك بالأبيات التى ذكرتها فى قوله : (٢) ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِى الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾(٣) [سورة البقرة : ١٧٧]. ١٩/٦

(١) فى المطبوعة : « عمل الكتاب » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب محض .

(٢) فى المطبوعة : « بالآيات التى ذكرناها » ، وهو خطأ محض ، والصواب من المخطوطة ، ومن مراجعة المرجع الذى أشار إليه .

(٣) انظر ما سلف ٣ : ٣٥٢ — ٣٥٤ . ثم انظر معانى القرآن الفراء ١ : ١٠٥ — ١٠٨ .

وقال آخرون : بل « المقيمون الصلاة » من صفة غير « الراسخين فى العلم » فى هذا الموضع ، وإن كان « الراسخون فى العلم » من « الميقيمين الصلاة » .

* * *

وقال قائلو هذه المقالة جميعاً : موضع « المقيمين » فى الإعراب ، خفض .

فقال بعضهم : موضعه خفض على العطف على « ما » التى فى قوله : « يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك » ، ويؤمنون بالمقيمين الصلاة .

* * *

ثم اختلف متأوّلو ذلك هذا التأويل فى معنى الكلام .(١)

فقال بعضهم : معنى ذلك : « والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك »، وبإقام الصلاة . قالوا : ثم ارتفع قوله : « والمؤتون الزكاة » ، عطفاً على ما فى « يؤمنون » من ذكر «المؤمنين»، كأنه قيل : والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك ، هم والمؤتون الزكاة .

* * *

وقال آخرون : بل « المقيمون الصلاة » ، الملائكة . قالوا : وإقامتهم الصلاة، تسبيحهم ربَّهم، واستغفارهم لمن فى الأرض . قالوا : ومعنى الكلام : « والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك » ، وبالملائكة .

* * *

وقال آخرون منهم : بل معنى ذلك : « والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك »، ويؤمنون بالمقيمين الصلاة ، هم والمؤتون الزكاة، كما قال جل ثناؤه : ﴿ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة التوبة : ٦١] .

* * *

وأنكر قائلو هذه المقالة أن يكون: « المقيمين » منصوباً على المدح . وقالوا : إنما تنصب العربُ على المدح من نعت من ذكرته بعد تمام خبره . قالوا : وخبر

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « متأولو ذلك فى هذا التأويل » ، و « فى » زائدة من الناسخ بلا شك عندى .

«الراسخين فى العلم» قوله: « أولئك سنؤتيهم أجراً عظيماً » . قال : فغير جائز نصب « المقيمين » على المدح ، وهو فى وسط الكلام ، ولمّا يتمّ خبر الابتداء .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : لكن الراسخون فى العلم منهم ، ومن المقيمين الصلاة . وقالوا : موضع « المقيمين » ، خفض .

* * *

وقال آخرون : معناه : والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك، وإلى المقيمين الصلاة .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا الوجه والذى قبله، منكرٌ عند العرب ، ولا تكاد العرب تعطف بظاهر على مكنيّ فى حال الخفض ،[1] وإن كان ذلك قد جاء فى بعض أشعارها .[2]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال عندى بالصواب ، أن يكون « المقيمين » فى موضع خفض، نسقاً على« ما »، التى فى قوله: «بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك» = وأن يوجه معنى « المقيمين الصلاة » ، إلى الملائكة .

فيكون تأويل الكلام: « والمؤمنون منهم يؤمنون بما أنزل إليك »، يا محمد، من الكتاب = « وبما أنزل من قبلك » ، من كتبى ، وبالملائكة الذين يقيمون الصلاة . ثم يرجع إلى صفة « الراسخين فى العلم »، فيقول : لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون بالكتب والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر .

* * *

وإنما اخترنا هذا على غيره ، لأنه قد ذكر أن ذلك فى قراءة أبىّ بن كعب ﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ﴾ ، وكذلك هو فى مصحفه، فيما ذكروا. فلو كان ذلك خطأ من الكاتب ، لكان الواجب أن يكون فى كل المصاحف = غير مصحفنا الذى

---

(١) فى المطبوعة : « لظاهر » باللام ، والصواب من المخطوطة .

(٢) انظر ما سلف ٧ : ٥١٩ ، ٥٢٠ .

كتبه لنا الكاتب الذى أخطأ فى كتابه = بخلاف ما هو فى مصحفنا . وفى اتفاق مصحفنا ومصحف أبىٍّ فى ذلك ، ما يدل على أنّ الذى فى مصحفنا من ذلك صواب غير خطأ . مع أن ذلك لو كان خطأ من جهة الخطّ ، لم يكن الذين أخذ عنهم القرآن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعلِّمون من علَّموا ذلك من المسلمين على وجه اللحن ، ولأصلحوه بألسنتهم ، ولقَّنوه الأمة تعليماً على وجه الصواب.(١)

وفى نقل المسلمين جميعاً ذلك قراءةً ، على ما هو به فى الخط مرسوماً ، أدلُّ الدليل على صحة ذلك وصوابه ، وأن لا صنع فى ذلك للكاتب .(٢)

* * *

وأما من وجَّه ذلك إلى النصب على وجه المدح لـ « الراسخين فى العلم » ، = وإن كان ذلك قد يحتمل على بُعدٍ من كلام العرب ، لما قد ذكرت قبل من العلة ،(٣) وهو أن العرب لا تعدِل عن إعراب الاسم المنعوت بنعت فى نَعْته إلا بعد تمام خبره . وكلام الله جل ثناؤه أفصح الكلام ، فغير جائز توجيهه إلا إلى الذى هو [أولى] به من الفصاحة .(٤)

* * *

وأما توجيه من وجّه ذلك إلى العطف به على « الهاء » و « الميم » فى قوله : « لكن الراسخون فى العلم منهم » = أو : إلى العطف به على « الكاف » من قوله : « بما أنزل إليك » = أو : إلى « الكاف » من قوله : « وما أنزل من قبلك » ، فإنه أبعد من الفصاحة من نصبه على المدح ، لما قد ذكرت قبل من قُبْح ردِّ الظاهر على المكنىّ فى الخفض.

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « ولقنوه للأمة » باللام ، وهو تغيير سيء قبيح .

(٢) هذه الحجة التى ساقها إمامنا أبو جعفر رضى الله عنه ، هى حجة فقيه بمعانى الكلام ، ووجوه الرأى . وهى حجة رجل عالم محيط بأساليب العلم ، عارف بما توجبه شواهد النقل ، وأدلة العقل . وقد تناول ذلك جمهور من أئمتنا ، ولكن لا تزال حجة أبى جعفر أقوم حجة فى رد هذه الرواية التى نسبت إلى عائشة أم المؤمنين .

(٣) فى المطبوعة : « لما قد ذكرنا . . . » ؛ وأثبت ما فى المخطوطة

(٤) الزيادة بين القوسين ، يستوجبها السياق .

٦/٢٠ وأما توجيه من وجه « المقيمين » إلى « الإقامة » ، فإنه دعوى لا برهان عليها من دلالة ظاهر التنزيل ، ولا خبر تثبت حجته . وغير جائز نقل ظاهر التنزيل إلى باطن بغير برهان .

* * *

وأما قوله : « والمؤتون الزكاة » ، فإنه معطوف به على قوله : « والمؤمنون يؤمنون » ، وهو من صفتهم .

* * *

وتأويله : والذين يعطون زكاة أموالهم مَن جعلها الله له وصرفها إليه = « والمؤمنون بالله واليوم الآخر » ، يعني : والمصدّقون بوحدانية الله وألوهته ،[1] والبعث بعد الممات ، والثواب والعقاب = « أولئك سنؤتيهم أجراً عظيماً » ، يقول : هؤلاء الذين هذه صفتهم = « سنؤتيهم » ، يقول : سنعطيهم = « أجراً عظيماً » ، يعني : جزاءً على ما كان منهم من طاعة الله واتباع أمره ، وثواباً عظيماً ، وذلك الجنة .[2]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ (١٦٣)

قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بقوله : « إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح » ، إنا أرسلنا إليك ، يا محمد ، بالنبوة كما أرسلنا إلى نوح ، وإلى سائر الأنبياء الذين سمّيتهم لك من بعده ، والذين لم أسمّهم لك ،[3] كما :—

(١) في المطبوعة : « وألوهيته » ، وأثبت ما في المخطوطة .
(٢) انظر تفسير « الإيتاء » و « الأجر » فيما سلف من فهارس اللغة .
(٣) انظر تفسير « أوحى » فيما سلف ٦ : ٤٠٥ ، ٤٠٦ .

١٠٨٣٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن منذرٍ الثورى ، عن الربيع بن خُثَيم فى قوله : « إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده » ، قال : أوحى إليه كما أوحى إلى جميع النبيين من قبله .(١)

* * *

وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن بعض اليهود لما فضحهم الله بالآيات التى أنزلها على رسوله صلى الله عليه وسلم = وذلك من قوله : « يسألك أهل الكتاب أن تنزّل عليهم كتاباً من السماء » = فتلا ذلك عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : « ما أنزل الله على بشر من شىء بعد موسى » ! فأنزل الله هذه الآيات ، تكذيباً لهم ، وأخبر نبيَّه والمؤمنين به أنه قد أنزل عليه بعد موسى وعلى من سماهم فى هذه الآية، وعلى آخرين لم يسمِّهم، كما :–

١٠٨٤٠ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يونس بن بكير = وحدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة = عن محمد بن إسحق قال ، حدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال ، حدثنى سعيد بن جبير = أو عكرمة ، عن ابن عباس قال ، قال سُكَين وعدى بن زيد: يا محمد، ما نعلم الله أنزل على بشر من شىء بعد موسى ! فأنزل الله فى ذلك من قولهما : « إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده » إلى آخر الآيات .(٢)

* * *

---

(١) الأثر : ١٠٨٣٩ – « منذر الثورى » هو « منذر بن يعلى الثورى » أبو يعلى . روى عن محمد بن على بن أبى طالب، والربيع بن خثيم ، وسعيد بن جبير ، وغيرهم . روى عنه ابنه الربيع ابن المنذر ، والأعمش ، وفطر بن خليفة وغيرهم . ثقة قليل الحديث . مترجم فى التهذيب .

(٢) الأثر : ١٠٨٤٠ – سيرة ابن هشام ٢ : ٢١١ ، وهو تابع الآثار التى آخرها قديماً : ٩٧٩٢ وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « عدى بن ثابت » ، وهو خطأ بلا شك ، ففى سيرة ابن هشام وغيرها « عدى بن زيد » ، ولم أجد فى أسماء الأعدا من يهود « عدى بن ثابت » .

و « سكين بن أبى سكين » ، و « عدى بن زيد » من بنى قينقاع ، ذكرهم ابن هشام فى السيرة فى الأعداء من يهود ٢ : ١٦١ .

وقال آخرون : بل قالوا = لما أنزل الله الآيات التى قبل هذه فى ذكرهم = : «ما أنزل الله على بشر من شيء ، ولا على موسى ، ولا على عيسى» ! فأنزل الله جل ثناؤه : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾، [سورة الأنعام : ٩١] ، ولا على موسى ولا على عيسى .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٨٤١ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا أبو معشر، عن محمد بن كعب القرظى قال: أنزل الله : « يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء» إلى قوله : « وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً »، فلما تلاها عليهم = يعنى : على اليهود = وأخبرهم بأعمالهم الخبيثة، جحدوا كل ما أنزل الله ، وقالوا : « ما أنزل الله على بشر من شيء ، ولا على موسى ولا على عيسى ! ! وما أنزل الله على نبي من شيء » ! قال : فحلَّ حُبْوَته وقال: [1] ولا على أحد ! ! فأنزل الله جل ثناؤه: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [سورة الأنعام : ٩١]

* * *

وأما قوله : « وآتينا داود زبوراً » ، فإن القرأة اختلفت فى قراءته .

فقرأته عامة قرأة أمصار الإسلام، غير نفر من قرأة الكوفة: ﴿ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً ﴾ ، بفتح « الزاى » على التوحيد، بمعنى : وآتينا داود الكتاب المسمى « زبوراً» .

* * *

وقرأ ذلك بعض قرأة الكوفيين : ﴿وآتَيْنَا دَاوُدَ زُبُوراً﴾ ، بضم « الزاى » جمع « زَبْرٍ » .

كأنهم وجهوا تأويله : وآتينا داود كتباً وصحفاً مَزْبورة .

* * *

(١) « الحبوة » (بضم الحاء وفتحها ، وسكون الباء) : الثوب الذى يحتبى به . و « الاحتباء » : أن يضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ، ويشده عليها . وقد يكون « الاحتباء » باليدين عوض الثوب .

=من قولهم : «زَبَرت الكتاب أزْبُره زَبْرًا» و«ذَبَرته أذْبُره ذَبْرًا»، إذا كتبته.(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب عندنا ، قراءة من قرأ : ﴿وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ ، بفتح « الزاى »، على أنه اسم الكتاب الذى أوتيه داود ، كما سمى الكتاب الذى أوتيه موسى « التوراة » ، والذى أوتيه عيسى « الإنجيل » ، والذى أوتيه محمد « الفرقان »، لأن ذلك هو الاسم المعروف به ما أوتى داود . وإنما تقول العرب : « زَبُور داود » ، بذلك تعرف كتابَه سائرُ الأمم .

* * *

٦/٢١ القول فى تأويل قوله ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ (١٦٤)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : إنا أوحينا إليك ، كما أوحينا إلى نوح وإلى رسل قد قصصناهم عليك ، ورسل لم نقصصهم عليك .

* * *

فلعل قائلاً يقول : فإذ كان ذلك معناه، فما بال قوله: « ورسلاً » منصوباً غير مخفوض ؟

قيل : نصب ذلك إذ لم تعد عليه « إلى » التى خفضت الأسماء قبله ، وكانت الأسماء قبلها ، وإن كانت مخفوضة ، فإنها فى معنى النصب . لأن معنى الكلام : إنا أرسلناك رسولاً كما أرسلنا نوحاً والنبيين من بعده ، فعُطفت «الرسل» على معنى الأسماء قبلها فى الإعراب ، لانقطاعها عنها دون ألفاظها، إذ لم يعد عليها ما خفضها، كما قال الشاعر .(٢)

---

(١) انظر تفسير « الزبور » فيما سلف ٧ : ٤٥٠ ، ٤٥١ ، وبين هنا ما أجمله هناك ، وهذا من ضروب اختصاره التفسير .

(٢) لم أعرف قائله .

لَوْ جِئْتَ بِالْخُبْزِ لَهُ مُنَشَّرَا وَالْبَيْضَ مَطْبُوخاً مَعاً والسُّكَّرَا
لَمْ يُرْضِهِ ذٰلِكَ حَتَّى يَسْكَرَا (١)

* * *

وقد يحتمل أن يكون نصب « الرسل » ، لتعلق « الواو » بالفعل ، بمعنى : وقصصنا رسلاً عليك من قبل ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ [سورة الإنسان : ٣١] . (٢)

* * *

وقد ذكر أن ذلك فى قراءة أبىّ ﴿ وَرُسُلٌ قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلٌ لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾ ، فرفعُ ذلك، إذ قرئ كذلك ، بعائد الذكر فى قوله : « قصصناهم عليك » . (٣)

* * *

وأما قوله : « وكلم الله موسى تكليماً » ، فإنه يعنى بذلك جل ثناؤه : وخاطب الله بكلامه موسى خطاباً ، وقد :—

١٠٨٤٢ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال، حدثنا نوح ابن أبى مريم، وسئل : كيف كلم الله موسى تكليماً ؟ فقال : مشافهة . (٤)

* * *

---

(١) فى المخطوطة : « لو جيت لنا بالخير مبشراً » ، وهو فاسد جداً ، والصواب ما فى المطبوعة . وقوله : « منشراً » أى مبسوطاً بسطاً ، كما يبسط الثوب ، كأنه يعنى الرقاق بعضه على بعض .

(٢) قد بين أبو جعفر ذلك فى تفسير « سورة الإنسان » ٢٩ : ١٤٠ (بولاق) فقال : و « نصب (الظالمين) لأن الواو ظرف لـ « أعد » . والمعنى : وأعد للظالمين عذاباً أليماً » .

(٣) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٩٥ .

(٤) الأثر : ١٠٨٤٢ — « نوح بن أبى مريم » ، أبو عصمة القرشى ، قاضى مرو . كان أبوه مجوسياً ويقال له : « نوح الجامع » ، وسمى « الجامع » ، لأنه أخذ الفقه عن أبى حنيفة وابن أبى ليلى ، والحديث عن حجاج بن أرطاة وطبقته ، والتفسير عن الكلبى ومقاتل ، والمغازى عن ابن إسحق ، وكان مع ذلك عالماً بأمور الدنيا . وكان شديداً على الجهمية والرد عليهم ، تعلم منه نعيم بن حماد الرد على الجهمية . ولكنه كان مع ذلك كله ذاهب الحديث ، ليس بثقة ، لا يجوز الاحتجاج به . وقال ابن حبان : « نوح الجامع : جمع كل شىء إلا الصدق » !! مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/٢/١١١ ، وابن أبى حاتم ٤/١/٤٨٤ .

وفى المخطوطة إشكال ، وذلك أن فيها : « نوح بن أبى هند » ، واضحة الكتابة جداً ، ولكنى

وقد :—

١٠٨٤٣ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن ابن مبارك ، عن معمر ويونس ، عن الزهرى ، عن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال ، أخبرنى جزى بن جابر الخثعمى قال : سمعت كعباً يقول : إن الله جل ثناؤه لما كلم موسى ، كلمه بالألسنة كلها قبل كلامه = يعنى : كلام موسى = فجعل يقول : يا رب ، لا أفهم ! حتى كلمه بلسانه آخر الألسنة ، فقال : يا رب هكذا كلامك ؟ قال : لا ، ولو سمعت كلامى = أى : على وجهه = لم تك شيئاً !

= قال ابن وكيع : قال أبو أسامة (! !) : وزادنى أبو بكر الصغانى فى هذا الحديث أن موسى قال : يارب ، هل فى خلقك شىء يشبه كلامك ؟ قال : لا ، وأقرب خلقى شبهاً بكلامى ، أشدُّ ما تسمع الناسُ من الصواعق .(١)

لم أجد « نوح بن أبى هند » ، ولم أستطع أن أجد له تصحيفاً أو تحريفاً . فأبقيت ما فى المطبوعة على حاله ، وأثبت هذا الذى فى المخطوطة ، عسى أن أوفق بعد إلى الصواب فى هذا الإسناد .

(١) الأثر : ١٠٨٤٣ — « أبو أسامة » ، هو : حماد بن زيد بن أسامة » مضى برقم : ٢٦٥ ، والاختلاف فى اسمه . و « أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام » ، مضت ترجمته رقم : ٢٣٥١ ، ٧٨٢٠ .

و « جزى بن جابر الخثعمى » ، ترجم له البخارى فى الكبير ٢٥٤/٢/١ ، ٢٥٥ ، باسم « جرز بن جابر الخثعمى » وقال : « قاله أبو اليمان ، عن شعيب ، عن أبى بكر بن عبد الرحمن » . ثم قال : « وقال عبد الرزاق ، عن معمر : جريز بن جابر الخثعمى » [قلت : الصواب « جزى » ، كما فى مخطوطة الطبرى ، وكما نص عليه ابن أبى حاتم كما سيأتى] . ثم قال البخارى : « وقال يونس وابن أخى الزهرى والزبيدى : جزء » . ثم قال أيضاً : « وقال إسماعيل ، عن أخيه سليمان عن ابن أبى عتيق : جرو بن جابر » [قلت : وهو الإسناد الآتى رقم : ١٠٨٤٦] .

أما ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل ٥٤٦/١/١ ، ٥٤٧ ، فقد ترجم له باسم : « جزء ابن جابر الخثعمى » ، وقال : « فى رواية شعيب بن أبى حمزة ، عن الزهرى » ، فدل هذا على أن ترجمة البخارى له ، جائز أن تكون باسم « جزء بن جابر » ، بل أرجح أن ذلك هو الصواب إن شاء الله .

ثم قال ابن أبى حاتم : « وفى رواية معمر : جزى بن جابر ، وهو وهم تابعه عليه الزبيدى » ، فوافق البخارى فى رواية معمر ، وخالفه فى متابعة الزبيدى ، فإن البخارى قال عنه فى روايته « جزء » . ثم قال أيضاً : « ويقال : حزن بن جابر » سمعت أبى يقول ذلك » ، وأخشى أن يكون فى نسخة ابن أبى حاتم تحريف ، وأن يكون صوابها كما فى البخارى : « جرو » بالراء ، أو « جزو » بالزاى . وكل هذا مشكل لا يهتدى فيه إلى اليقين ، إنما هو النقل . ثم انظر الآثار من رقم : ١٠٨٤٥ — ١٠٨٤٧ .

١٠٨٤٤ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن عمر بن حمزة ابن عبد الله بن عمر قال، سمعت محمد بن كعب القرظي يقول : سئل موسى : ما شبهت كلام ربك مما خلق ؟ فقال موسى : الرعد الساكب .(١)

١٠٨٤٥ – حدثني يونس بن عبد الأعلى قال، حدثنا عبد الله بن وهب

وكان في المطبوعة : « جزء بن جابر » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو الصواب الذي يدل عليه كلام البخاري وابن أبي حاتم ، لأن هذه هي رواية معمر .

ثم يأتي إشكال آخر ، ففي المخطوطة : « قال ابن كعب ، قال أبو أسامة ، وزادني أبو بكر الصغاني . . . » .

أما « ابن كعب » ، فخطأ ظاهر لا شك فيه ، إنما هو كما في المطبوعة : « ابن وكيع » ، وسها الناسخ ، لذكر « كعب الأحبار » في الخبر ، فضللته الكافات في « وكيع » و « كعب » حتى نسي فكتب « ابن كعب » .

وأما الإشكال ، فإن « أبا بكر الصغاني » ، هو « محمد بن إسحق بن جعفر » الحافظ الرحلة ، وهو شيخ الطبري ، مضت روايته عنه في مواضع ، انظر رقم : ٤٠٧٤ ، وفيها ترجمته ، ورقم : ٤٣٣٠ . وروى عنه في المنتخب من ذيل المذيل (الملحق بتاريخه) ص : ١٠٤ ، كما أشرت إليه . ولا شك في أن « أبا أسامة حماد بن زيد » ، لم يرو عنه قط . فواضح أن القائل : « وزادني أبو بكر الصغاني » هو أبو جعفر محمد بن جرير نفسه .

وإذن ، فما قوله : « قال ابن وكيع، قال أبو أسامة » ؟ لا أدري على التحقيق ، فإما أن يكون سقط من الناسخ شيء . وإما أن يكون المملي (أبو جعفر ، أو غيره) ، أراد أن ينتقل إلى الإسناد التالي رقم : ١٠٨٤٤ ، فأملى صدر الإسناد ، ثم عاد لما فاته من تتمة كلام أبي جعفر في الخبر ١٠٨٤٣ ، وهو قوله : « وزادني أبو بكر الصغاني » ، ولم ينتبه الكاتب عنه لما وقع فيه المملي من التردد . هذا غاية ما أجد من تفسير ذلك . هذا، والمخطوطة لا يعتمد عليها في هذا الموضع كل الاعتماد ، لأن فيها خرماً أو حذفاً كما سترى في الأسانيد : ١٠٨٤٥ – ١٠٨٤٧ ، ولله وحده العلم . وكتبه : محمود محمد شاكر .

وقد كان في المطبوعة : « أشد ما تسمع » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(١) الأثر : ١٠٨٤٤ – « عمر بن حمزة بن عبد الله بن عمر بن الخطاب » ، مضى برقم : ٧٨١٩ . وقد كان في المخطوطة : « . . . عبد الله بن عمرو » ، وهو خطأ بين .

وقوله : « الرعد الساكب » ، هكذا قرأتها ، وفي المخطوطة والمطبوعة : « الرعد الساكن » بالنون في آخره ، ولست أجد لها معنى يعقل . أما « الساكب » ، فإنه الوصف المعقول في صفة شدة صوت الرعد ، وذلك تتابعه وانسياحه . وفي الحديث : « فإذا سكب المؤذن بالأولى من صلاة الفجر ، قام فركع ركعتين خفيفتين » ، وذلك صفة المؤذن إذا أذن ، فأطال في أذانه ورددّه ورجعه ، وأصله من « سكب الماء » ، ثم استعير « السكب » للإفاضة في الكلام أو غيره من الأصوات ، كما يقال : « أفرغ في أذني حديثاً » ، أي : ألق وصب .

قال ، أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب قال ، أخبرنى أبو بكر بن عبد الرحمن : أنه أخبره عن جزء بن جابر الخثعمى قال : لما كلّم الله موسى بالألسنة كلها قبل لسانه ، فطفق يقول : والله يا رب ، ما أفقه هذا !! حتى كلمه بلسانه آخر الألسنة بمثل صوته ، فقال موسى : يا ربِّ هذا كلامك ؟ قال : لا . قال : هل فى خلقك شىء يشبه كلامك ؟ قال : لا ، وأقرب خلقى شبهاً بكلامى ، أشد ما يسمع الناس من الصواعق .(١)

١٠٨٤٦ – حدثنى أبو يونس المكى قال ، حدثنا ابن أبى أويس قال ، أخبرنى أخى ، عن سليمان ، عن محمد بن أبى عتيق ، عن ابن شهاب ، عن أبى بكر ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام : أنه أخبره جزء بن جابر الخثعمى : أنه سمع [كعب] الأحبار يقول : لما كلم الله موسى بالألسنة كلها قبل لسانه ، فطفق موسى يقول : أى رب ، والله ما أفقه هذا !! حتى كلمه آخر الألسنة بلسانه بمثل صوته ، فقال موسى : أى رب ، أهكذا كلامك ؟ فقال : لو كلمتك بكلامى لم تكن شيئاً ! قال : أى رب ، هل فى خلقك شىء يشبه كلامك ؟ فقال : لا ، وأقرب خلقى شبهاً بكلامى ، أشدّ ما يسمع من الصواعق .(٢)

---

(١) الأثر : ١٠٨٤٥ – « جزء بن جابر الخثعمى » ، هذا هو الصواب ، لأنه رواية يونس عن ابن شهاب الزهرى ، التى أشار إليها البخارى ، كما أثبته فى التعليق على الأثر رقم : ١٠٨٤٣ .

(٢) الأثر : ١٠٨٤٦ – « أبو يونس المكى » شيخ الطبرى ، لم أعرفه ، ولم أجده ، ولم تمر بى قبل ذلك له رواية عنه .

و « ابن أبى أويس » هو : « إسماعيل عبد الله بن أويس بن مالك الأصبحى » مضت ترجمته برقم : ٤٥ .

و « أخوه » هو : « أبو بكر : عبد الرحمن بن عبد الله بن أويس » ، مضى أيضاً برقم : ٤٥ .

و « سليمان » ، هو : « سليمان بن بلال التيمى القرشى » . مضى برقم : ٤٣٣٣ ، ٤٩٢٣ .

و « ابن أبى عتيق » أو « محمد بن أبى عتيق » ، هو : « محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ابن أبى بكر الصديق » ، مضت ترجمته برقم : ٤٩٢٣ ، ١٠٣١٧ .

وهذا هو الإسناد الذى أشار إليه البخارى ، كما ذكرت فى التعليق على الأثر رقم : ١٠٨٤٣ ، وأن روايته فيه « جرو بن جابر » ، وذكره ابن أبى حاتم أيضاً ، فانظر ما قلت فيه هناك .

١٠٨٤٧ – حدثنا ابن عبد الرحيم قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا زهير ، عن يحيى ، عن الزهرى ، عن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، عن جزء بن جابر : أنه سمع كعباً يقول : لما كلم الله موسى بالألسنة قبل لسانه ، طفق موسى يقول : أى رب ، إنى لا أفقه هذا !! حتى كلمه الله آخر الألسنة بمثل لسانه ، فقال موسى : أى رب ، هذا كلامك ؟ قال الله : لو كلمتك بكلامى لم تكن شيئاً ! قال ، يا رب ، فهل من خلقك شيء يشبه كلامك ؟ قال : لا ، وأقرب خلقى شبهاً بكلامى ، أشدُّ ما يسمع من الصواعق .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (١٦٥) ٦ / ٢٢

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بذلك : إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ، ومن ذكر من الرسل(٢)= « رسلاً » ، فنصب « الرسل » على القطع من أسماء الأنبياء الذين ذكر أسماءهم(٣)= «مبشرين» ، يقول : أرسلتهم رسلاً إلى خلقى وعبادى ، مبشرين بثوابى من أطاعنى واتبع أمرى وصدّق رسلى ، ومنذرين

وكان فى المطبوعة هنا : « أنه سمع الأحبار تقول » ، ولكن تدل الروايات السالفة والآتية ، وما أشار إليه البخارى وابن أبى حاتم ، أن صواب ذلك « كعب الأحبار » ، فزدت « كعب » بين القوسين ، وهو الصواب المحض إن شاء الله .

(١) الأثر : ١٠٨٤٧ – هذا إسناد لم يشر إليه البخارى ، ولا ابن أبى حاتم .

هذا ، والأخبار الثلاثة الأخيرة من رقم : ١٠٨٤٥ – ١٠٨٤٧ ، ليست فى المخطوطة . فكأن الناسخ قد اختصر فى كتابه .

ومهما يكن من أمر هذا الخبر ، فإن صفة ربنا تعالى ذكره وتقدست أسماؤه ، مما لا يؤخذ عن كعب الأحبار وأشباهه ، بل الأمر فيها لله وحده ، هو كما يثنى على نفسه ، وكما بلغ عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا كعب الأحبار ومن لف لفه .

(٢) فى المخطوطة : « ومن ذكر الرسل » ، باسقاط « من » ، والصواب ما فى المطبوعة .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « فنصب به الرسل » ، بزيادة « به » ، والصواب حذفها . انظر معنى « القطع » فيما سلف من فهارس المصطلحات .

عقابي من عصاني وخالف أمري وكذب رسلي = « لئلاّ يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » ، يقول : أرسلت رسلي إلى عبادي مبشرين ومنذرين ، لئلا يحتجّ من كفر بي وعبد الأنداد من دوني ، أو ضل عن سبيلي بأن يقول إن أردتُ عقابه : ﴿لَوْلاَ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾ [سورة طه : ١٣٤] . فقطع حجة كلّ مبطل ألحدَ في توحيده وخالف أمره، بجميع معاني الحجج القاطعة عذرَه ، إعذاراً منه بذلك إليهم ، لتكون لله الحجة البالغة عليهم وعلى جميع خلقه .

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٨٤٩ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » ، فيقولوا : ما أرسلت إلينا رسلاً .

* * *

= « وكان الله عزيزاً حكيماً » ، يقول : ولم يزل الله ذا عِزة في انتقامه ممن انتقم [منه] من خلقه، (١) على كفره به، ومعصيته إياه، بعد تثبيته حجّتَه عليه برسله وأدلّتَه = « حكيماً » ، في تدبيره فيهم ما دبّره . (٢)

* * *

(١) الزيادة بين القوسين لابد منها لسياق الكلام .

(٢) انظر تفسير « عزيز » فيما سلف : ص ٤٠٨ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك = وتفسير « حكيم » فيما سلف من فهارس اللغة .

القول فى تأويل قوله ﴿ لَّـٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ (١٦٦)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : إن يكفر بالذى أوحينا إليك ، يا محمد ، اليهود الذين سألوك أن تنزل عليهم كتاباً من السماء ، وقالوا لك : « ما أنزل الله على بشر من شيء » فكذبوك ، فقد كذبوا. ما الأمر كما قالوا : لكن الله يشهد بتنزيله إليك ما أنزل من كتابه ووحيه ، أنزل ذلك إليك بعلم منه بأنك خيرته من خلقه ، وصفيه من عباده ، ويشهد لك بذلك ملائكته ، فلا يحزنك تكذيبُ من كذّبك ، وخلافُ من خالفك = « وكفى بالله شهيداً » ، يقول : وحسبك بالله شاهداً على صدقك دون ما سواه من خلقه ، فإنه إذا شهد لك بالصدق ربك ، لم يَضِرْك تكذيب من كذّبك.

* * *

وقد قيل : إن هذه الآية نزلت فى قوم من اليهود ، دعاهم النبى صلى الله عليه وسلم إلى اتباعه ، وأخبرهم أنهم يعلمون حقيقة نبوّته ، فجحدوا نبوّته وأنكروا معرفته .

* ذكر الخبر بذلك :

١٠٨٥٠ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يونس ، عن محمد بن إسحق قال ، حدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال ، حدثنى سعيد بن جبير = أو عكرمة = عن ابن عباس قال : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من يهود ، فقال لهم : إنى والله أعلم إنكم لتعلمون أنّى رسول الله ! فقالوا : ما نعلم ذلك ! فأنزل الله : « لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً ».

١٠٨٥١ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثنى ابن إسحق قال ، حدثنى محمد بن أبى محمد ، عن عكرمة وسعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم عِصابة من اليهود ، ثم ذكر نحوه .(١)

---

(١) الأثران : ١٠٨٥٠ ، ١٠٨٥١ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢١١ مع اختلاف فى لفظه ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٠٨٤٠ .

١٠٨٥٢ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً » ، شهودٌ والله غير مُتَّهمة .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلاً بَعِيدًا ﴾ (١٦٧)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : إنّ الذين جحدوا، يا محمد، نبوتك بعد علمهم بها ، من أهل الكتاب الذين اقتصصت عليك قصتهم ، وأنكروا أن يكون الله جل ثناؤه أوحى إليك كتابه = « وصدوا عن سبيل الله » ، يعنى : عن الدين الذى بعثك الله به إلى خلقه، وهو الإسلام . وكان صدهم عنه ، قيلُهم للناس الذين يسألونهم عن محمد من أهل الشرك : « ما نجد صفة محمد فى كتابنا ! » ، وادعاؤهم أنهم عُهِد إليهم أن النبوّة لا تكون إلا فى ولد هرون ومن ذرية داود ، وما أشبه ذلك من الأمور التى كانوا يثبِّطون الناس بها عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم والتصديق به وبما جاء به من عند الله .

* * *

وقوله : «قد ضلُّوا ضلالاً بعيداً » ، يعنى : قد جاروا عن قصد الطريق جوراً شديداً ، وزالوا عن المحجّة .(١)

وإنما يعنى جل ثناؤه بجورهم عن المحجة وضلالهم عنها ، إخطاءَهم دين الله الذى ارتضاه لعباده ، وابتعث به رسله. يقول : من جحد رسالة محمد صلى الله ٦ / ٢٣

(١) انظر تفسير « الصد » فيما سلف ص : ٣٩١ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك . وانظر تفسير « سبيل الله » فى فهارس اللغة .

عليه وسلم ، وصدّ عما بُعث به من الملة من قَبِل منه ، فقد ضلّ فذهب عن الدين الذى هو دين الله الذى ابتعث به أنبياءه ، ضلالاً بعيداً .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ ﴿١٦٩﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : إن الذين جحدوا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، فكفروا بالله بجحود ذلك ، وظلموا بمُقامهم على الكفر على علم منهم ، بظلمهم عبادَ الله ، وحسداً للعرب ، وبغياً على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم = « لم يكن الله ليغفر لهم » ، يعنى : لم يكن الله ليعفو عن ذنوبهم بتركه عقوبتهم عليها ، ولكنه يفضحهم بها بعقوبته إياهم عليها(٢) = «ولا ليهديهم طريقاً» ، يقول : ولم يكن الله تعالى ذكره ليهدى هؤلاء الذين كفروا وظلموا ، الذين وصفنا صفتهم ، فيوفقهم لطريق من الطرق التى ينالون بها ثوابَ الله ، ويصلون بلزومهم إياه إلى الجنة ، ولكنه يخذلهم عن ذلك ، حتى يسلكوا طريق جهنم . وإنما كنى بذكر « الطريق » عن الدين . وإنما معنى الكلام : لم يكن الله ليوفقهم للإسلام ، ولكنه يخذلهم عنه إلى «طريق جهنم» ، وهو الكفر ، يعنى : حتى يكفروا بالله ورسله ، فيدخلوا جهنم = «خالدين فيها أبداً » ، يقول : مقيمين فيها أبداً = « وكان ذلك على الله يسيراً » ، يقول : وكان تخليدُ هؤلاء الذين وصفت لكم صفتهم فى جهنم ،

---

(١) انظر تفسير «ضل ضلالا بعيداً» فيما سلف ص : ٣١٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) فى المطبوعة : « إياهم عليهم » ، والصواب من المخطوطة .

على الله يسيراً ، لأنه لا يقدر من أراد ذلك به على الامتناع منه ، ولا له أحد يمنعه منه ، ولا يستصعب عليه ما أراد فعله به من ذلك ، وكان ذلك على الله يسيراً ، لأن الخلق خلقُه ، والأمرَ أمرُه .

• • •

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (١٧٠)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « يا أيها الناس » ، مشركى العرب ، وسائرَ أصناف الكفر = « قد جاءكم الرسول » ، يعنى : محمداً صلى الله عليه وسلم ، قد جاءكم = « بالحق من ربكم » ، يقول : بالإسلام الذى ارتضاه الله لعباده ديناً ، يقول : = « من ربكم » ، يعنى : من عند ربكم [1] = « فآمنوا خيراً لكم » ، يقول : فصدّقوه وصدّقوا بما جاءكم به من عند ربكم من الدين ، فإن الإيمان بذلك خير لكم من الكفر به = « وإن تكفروا » ، يقول : وإن تجحدوا رسالتَه وتكذّبوا به وبما جاءكم به من عند ربكم ، فإن جحودكم ذلك وتكذيبكم به ، لن يضرّ غيركم ، وإنما مكروهُ ذلك عائدٌ عليكم ، دون الذى أمركم بالذى بعث به إليكم رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم ، [2] وذلك أن لله ما فى السموات والأرض ، ملكاً وخلقاً ، لا ينقص كفركم بما كفرتم به من أمره ، وعصيانكم إياه فيما عصيتموه فيه ، من ملكه وسلطانه شيئاً [3] = « وكان الله عليماً حكيماً » ، يقول : « وكان الله عليماً » ، بما

---

(١) انظر تفسير « من ربكم » بمثله ، فيما سلف ٦ : ٤٤٠ .

(٢) فى المطبوعة : « دون الله الذى أمركم . . . » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) السياق : لا ينقص كفركم . . . من ملكه وسلطانه شيئاً » .

أنتم صائرون إليه من طاعته فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه ، ومعصيته فى ذلك ، على علم منه بذلك منكم ، أمركم ونهاكم[١] = « حكيماً » يعنى : حكيماً فى أمره إياكم بما أمركم به ، وفى نهيه إياكم عما نهاكم عنه ، وفى غير ذلك من تدبيره فيكم وفى غيركم من خلقه .[٢]

* * *

واختلف أهل العربية فى المعنى الذى من أجله نصب قوله : « خيراً لكم » .

فقال بعض نحويى الكوفة : نصب «خيراً» على الخروج مما قبله من الكلام ،[٣] لأن ما قبله من الكلام قد تمّ ، وذلك قوله : « فآمنوا » . وقال : قد سمعت العرب تفعل ذلك فى كل خبر كان تامًّا ، ثم اتصل به كلام بعد تمامه ، على نحو اتصال « خير » بما قبله . فتقول : « لتقومن خيراً لك » و « لو فعلت ذلك خيراً لك » ، و«اتق الله خيراً لك » . قال : وأما إذا كان الكلام ناقصاً ، فلا يكون إلاّ بالرفع ، كقولك : «إن تتق الله خير لك» ، و ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [سورة النساء : ٢٥] .

* * *

وقال آخر منهم : جاء النصب فى « خير » ، لأن أصل الكلام : فآمنوا هو خيرٌ لكم ، فلما سقط «هو» ، الذى [هو كناية] ومصدرٌ ،[٤] اتّصل الكلام بما قبله ، والذى قبله معرفة ، و« خير » نكرة ، فانتصب لاتصاله بالمعرفة . . . لأن الإضمار من الفعل «قم فالقيام خير لك» ،[٥] و«لا تقم فترك القيام خير لك» . فلما سقط اتصل

---

(١) فى المطبوعة : « وعلى علم . . . » بزيادة الواو ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « عليم » و « حكيم » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٣) انظر « الخروج » فيما سلف من فهارس المصطلحات .

(٤) فى المطبوعة : « الذى هو مصدر » ، وفى المخطوطة « الذى مصدر » ، ورجحت أن الصواب ما أثبت ، لأن تأويل الكلام ، على مذهبه هذا : فالإيمان خير لكم ، فالضمير « هو » كناية عن « الإيمان » ، وهو مصدر .

(٥) أخشى أن يكون سقط قبل قوله : « لأن الإضمار من الفعل : « قم فالقيام خير لك . . . » إلى آخر الكلام ، ما يصلح أن يكون هذا تابعاً له ، كأنه ضرب مثلين هما : « قم خير لك » و « لا تقم خير لك » . ومع ذلك فقد تركت الكلام على حاله ، ووضعت بينه نقطاً للدلالة على ذلك . . .

بالأول . وقال : ألا ترى أنك ترى الكناية عن الأمر تصلح قبل الخبر ، فتقول للرجل: «اتق الله هو خير لك » ، أى :الاتقاء خير لك . وقال : ليس نصبه على إضمار « يكن » ، لأن ذلك يأتى بقياس يُبْطل هذا . ألا ترى أنك تقول : «اتق الله تكن محسناً » ، ولا يجوز أن تقول : « اتق الله محسناً » ، وأنت تضمر « كان » ، ٦ / ٢٤
ولا يصلح أن تقول : « انصرنا أخانا » ، وأنت تريد : « تكن أخانا » ؟[1] وزعم قائل هذا القول أنه لايجيز ذلك إلا فى « أفعل » خاصة، [2] فتقول : « افعل هذا خيراً لك »، و«لاتفعل هذا خيراً لك»، و «أفضل لك». ، ولاتقول : «صلاحاً لك». وزعم أنه إنما قيل مع « أفعل » ، لأن « أفعل » يدل على أن هذا أصلح من ذلك.

* * *

وقال بعض نحويى البصرة: نصب «خيراً »، لأنه حين قال لهم: « آمنوا »، أمرهم بما هو خيرٌ لهم ، فكأنه قال: اعملوا خيراً لكم ، وكذلك: ﴿ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ ﴾ [سورة النساء : ١٧١] . قال : وهذا إنما يكون فى الأمر والنهى خاصة ، ولا يكون فى الخبر= لا تقول : « أن أنتهى خيراً لى»؟[3] ولكن يرفع على كلامين ، لأن الأمر والنهى يضمر فيهما = فكأنك أخرجته من شىء إلى شىء ، لأنك حين قلت له: « انته» ، [4] كأنك قلت له: « اخرج من ذا ، وادخل فى آخر» ، [5] واستشهد بقول الشاعر عمر بن أبى ربيعة :

---

(١) من أول قوله : « ألا ترى أنك ترى الكناية . . . » إلى هذا الموضع ، هو نص كلام الفراء فى معانى القرآن ١ : ٢٩٥ ، ٢٩٦ . فظاهر إذن أن هذه مقالة الفراء ، ما قبل هذا ، وما بعده . إلا أنى لم أجده فى هذا الموضع من معانى القرآن ، فلعل أبا جعفر جمعه من كتابه فى مواضع أخر ، عسى أن أهتدى إليها فأشير إليها بعد .

(٢) فى المخطوطة : « أفعال خاصة » ، وهو خطأ ظاهر .

(٣) فى المطبوعة : « أنا أنتهى » والصواب من المخطوطة .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « اتقه » بالقاف ، والصواب « انته » ، لأن المثال قبله : « أن أنتهى خيراً لى » .

(٥) فى المخطوطة « وأخرج فى آخر » ، خطأ ظاهر .

وهذا القول الذى ذكره هو قول سيبويه فى الكتاب ١ : ١٤٣ ، وبسط القول فيه ، واختصره أبو جعفر .

فَوَاعِدِيهِ سَرْحَتَيْ مَالِكٍ أَوِ الرُّبَى بَيْنَهُمَا أَسْهَلَا[١]

كما تقول : « واعديه خيراً لك ». قال : وقد سمعت نصبَ هذا فى الخبر ، تقول العرب : « آتى البيت خيراً لى ، وأتركه خيراً لى » ، وهو على ما فسرت لك فى الأمر والنهى.[٢]

* * *

وقال آخر منهم : نصب « خيراً » ، بفعل مضمر ، واكتفى من ذلك المضمر بقوله :[٣] « لاتفعل هذا » أو « افعل الخير » ، وأجازه فى غير « أفعل » ، فقال : « لاتفعل ذاك صلاحاً لك » .

* * *

وقال آخر منهم : نصب « خيراً » على ضمير جواب « يكن خيراً لكم » .[٤] وقال : كذلك كل أمر ونهى .[٥]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « يا أهل الكتاب » ، يا أهل الإنجيل من النصارى = « لاتغلوا فى دينكم » ، يقول : لا تجاوزوا الحق فى دينكم فتفرطوا فيه ، ولا تقولوا فى عيسى غير الحق ، فإن قيلكم فى عيسى إنه ابن الله ، قول منكم

---

(١) ديوانه : ١٣١ ، سيبويه ١ : ١٤٣ ، الخزانة ١ : ٢٨٠ وغيرها كثير ، وبعد البيت :

وَلْيَأْتِ إِنْ جَاءَ عَلَى بَغْلَةٍ إِنِّى أَخَافُ الْمَهْرَ أَنْ يَصْهَلَا !

وقوله : « أسهلا » ، أى : ائت أسهل الأمرين عليك . هذا تفسيره على مقالة سيبويه .

(٢) هذا تمام كلام سيبويه ، ولكن أعيانى أن أجد مكانه فى الكتاب .

(٣) فى المطبوعة : « كقوله : لا تفعل هذا » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٤) قوله : « ضمير » هو ، الإضمار ، مصدر — لا بمعنى مضمر فى اصطلاح سائر النحاة . وانظر ما سلف ١ : ٤٢٧ ، تعليق : ١/٢ : ١٠٧ ، تعليق : ١/٨ : ٢٧٣ ، تعليق : ١ .

(٥) هذه مقالة أبى عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ١٤٣ .

على الله غير الحق . لأن الله لم يتخذ ولداً فيكون عيسى أو غيره من خلقه له ابناً = « ولا تقولوا على الله إلاّ الحق » .

* * *

وأصل «الغلو»، فى كل شىء مجاوزة حده الذى هو حدّه . يقال منه فى الدين: «قد غلا فهو يغلو غلوًّا»، و « غَلاَ بالجارية عظمها ولحمها»، إذا أسرعت الشباب فجاوزت لِدَاتها = « يغلو بها غُلُوًّا، وغَلاَءً »، ومن ذلك قول الحارث بن خالد المخزومى :

خُمْصَانَةٌ قَلِقٌ مُوَشَّحُها رُؤْدُ الشَّبَابِ غَلَا بِهَا عَظْمُ(١)

* * *

وقد : —

١٠٨٥٣ — حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ،

---

(١) الأغانى ٩ : ٢٢٦ ، مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٤٣ ، اللسان (غلا) . وفى الأغانى « علا » بالعين المهملة ، وهو خطأ يصحح .

وقد مضى بيت من هذه القصيدة فى ١ : ١١٦ ، تعليق : ٣ ، وذكرت خبرها هناك ، وهو من أبيات يذكر فيها صاحبته وما مضى من أيامه وأيامها :

إِذْ وُدُّهَا صَافٍ ، وَرُؤْيَتُهَا أُمْنِيَّةٌ ، وَكَلاَمُهَا غُنْمُ
لَفَّاءُ مَمْلُوءٌ مُخَلْخَلُهَا عَجْزَاءُ لَيْسَ لِعَظْمِهَا حَجْمُ
خُمْصَانَةٌ . . . . . .
وَكَأَنَّ غَالِيَةً تُبَاشِرُهَا تَحْتَ الثِّيَابِ ، إِذَا صَفَا النَّجْمُ

وهو شعر جيد ، وصفة حسنة للمرأة . « لفاء » ، ملتفة الفخذين ، مكتنز لحمها ، وهو حسن فى النساء ، قبيح فى الرجال . « مملوء مخلخلها » ، موضع خلخالها ، خفيت عظامها تحت اللحم ، وهو صفة حسنة ، لم تظهر عظامها كأنها دقت بالمسامير . « عجزاء » : حسنة العجيزة . « خمصانة » (بفتح الخاء وضمها) : ضامرة البطن . « قلق موشحها » ، قد استوى خلقها ، فالوشاح يجول عليها من ضمورها ، لم يمتلىء لحماً يجعلها لحمة واحدة!! « رؤد الشباب »: شابة حسنة تهتز من النعمة وإشراق اللون . و « الغالية » : ضرب من الطيب . « صفا النجم » : مال للمغيب ، وذلك فى مطلع الفجر ، حين تتغير أفواه البشر وأبدانهم ، وتظهر لها رائحة لا تستحب . وقل فى الناس من يكون بهذه الصفة !!

عن أبيه ، عن الربيع قال : صاروا فريقين : فريق غلَوا فى الدين ، فكان غلوهم فيه الشك فيه والرغبة عنه ، وفريق منهم قصَّروا عنه ، ففسقوا عن أمر ربهم .

• • •

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « إنما المسيح عيسى بن مريم » ، ما المسيح ، أيها الغالون فى دينهم من أهل الكتاب ، بابن الله ، كما تزعمون ، ولكنه عيسى بن مريم ، دون غيرها من الخلق ، لا نسب له غير ذلك . ثم نعته الله جل ثناؤه بنعته ووصفه بصفته فقال : هو رسول الله أرسله الله بالحق إلى من أرسله إليه من خلقه .

• • •

وأصل « المسيح » ، « الممسوح » ، صرف من « مفعول » إلى « فعيل » . وسماه الله بذلك لتطهيره إياه من الذنوب . وقيل : مُسِح من الذنوب والأدناس التى تكون فى الآدميين ، كما يمسح الشىء من الأذى الذى يكون فيه ، فيطهر منه . ولذلك قال مجاهد ومن قال مثل قوله : « المسيح » ، الصدّيق .(١)

• • •

وقد زعم بعض الناس أنّ أصل هذه الكلمة عبرانية أو سريانية « مشيحا » ، فعربت فقيل : « المسيح » ، كما عرب سائر أسماء الأنبياء التى فى القرآن مثل :

---

(١) انظر ما سلف ٦ : ٤١٤ ، فهناك تجد قول مجاهد هذا . وقد علقت هناك ، وأشرت إلى اختصار أبى جعفر ، ورجحت ما فى الكلام نقص . وهذا الموضع من كلامه يدل على أن أبا جعفر نفسه هو الذى اختصر الكلام اختصاراً هناك ، من النسيان فيما أرجح ، أو لأنه ألف تفسيره على فترات تباعدت عليه . ولولا ذلك لأشار هنا — كعادته — إلى الموضع السالف الذى فسر فيه معنى « المسيح » .

« إسمعيل » و « إسحق » و « موسى » و « عيسى » .

* * *

قال أبو جعفر : وليس ما مثّل به من ذلك لـ « المسيح » بنظير . وذلك أن « إسمعيل » و « إسحق » وما أشبه ذلك ، أسماء لا صفات ، و « المسيح » صفة . وغير جائز أن تخاطب العرب ، وغيرها من أجناس الخلق ، فى صفة شىء إلا بمثل ما تفهم عمّن خاطبها . ولو كان « المسيح » من غير كلام العرب ، ولم تكن العرب تعقل معناه ، ما خوطبت به . وقد أتينا من البيان عن نظائر ذلك فيما مضى بما فيه الكفاية عن إعادته .(١)

* * *

وأما «المسيح الدجال» ، فإنه أيضاً بمعنى : الممسوح العين ، صرف من « مفعول» إلى « فعيل » . فمعنى : « المسيح » فى عيسى صلى الله عليه وسلم : الممسوح البدن من الأدناس والآثام = ومعنى : « المسيح » فى الدجال : الممسوح العين اليمنى أو اليسرى ،
٢٥/٦ كالذى روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك .(٢)

* * *

وأما قوله : « وكلمته ألقاها إلى مريم » ، فإنه يعنى : بـ « الكلمة » ، الرسالة التى

---

(١) انظر ما سلف ١ : ١٣ - ٢٤ .

(٢) هو ما جاء فى الأحاديث الصحاح عن جماعة من الصحابة فى صفة المسيح الدجال ، أعاذنا الله من فتنته . من ذلك حديث حذيفة (مسلم ١٨ : ٦٠) قال :

﴿ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الدَّجَّالُ أعورُ العَيْنِ اليُسْرَى ، جُفَال الشَّعَرَ ، معهُ جنَّةٌ ونارٌ ، فَنَارُهُ جَنَّةٌ ، وجَنَّتُه نارٌ ﴾ .

وحديث ابن عمر :

﴿ أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذكر الدجّال بين ظَهْرَانَى الناس فقال : إنّ الله ليسَ بأعْور ، ألاَ وإنّ المسيحَ الدَّجَّالَ أعْوَرُ العين اليُمْنَى ، كأن عينه عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ ﴾ .

وأحاديث الدجال كثيرة ، مختلفة الألفاظ ، مختصرة ومطولة . فاللهم إنى أعوذ بك من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة المسيح الدجال .

أمرَ الله ملائكته أن تأتى مريم بها ،بشارةً من الله لها ، التى ذكر الله جل ثناؤه فى قوله : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ ﴾ [سورة آل عمران : ٤٥] ، يعنى : برسالة منه ، وبشارة من عنده .

* * *

وقد قال قتادة فى ذلك ما : —

١٠٨٥٤ — حدثنا به الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « وكلمته ألقاها إلى مريم » ، قال : هو قوله : « كن » ، فكان .

* * *

وقد بينا اختلاف المختلفين من أهل الإسلام فى ذلك فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[1]

* * *

وقوله : « ألقاها إلى مريم » ، يعنى : أعلمها بها وأخبرها ، كما يقال : « ألقيت إليك كلمة حسنة » ، بمعنى : أخبرتك بها وكلّمتك بها .[2]

* * *

وأما قوله : « وروح منه » ، فإن أهل العلم اختلفوا فى تأويله .

فقال بعضهم : معنى قوله : « وروح منه » ، ونفخة منه ، لأنه حدث عن نفخة جبريل عليه السلام فى دِرْع مريم بأمر الله إياه بذلك ،[3] فنسب إلى أنه « روح من الله »، لأنه بأمره كان . قال: وإنما سمى النفخ « روحاً »، لأنها ريح تخرج من الرُّوح، واستشهدوا على ذلك من قولهم بقول ذى الرمة فى صفة نار نعتها :

---

(١) انظر تفسير « الكلمة » فيما سلف ٦ : ٤١١ ، ٤١٢ .

(٢) هذا معنى يقيد فى كتب اللغة ، فإنك قلما تصيبه فيها ، وهو بيان واضح جداً .

(٣) « درع المرأة » : قميصها الذى يحميها أعين الفساق ، كما تحمى الدرع لابسها . وبعيد أن يسمى شىء من لباس المرأة اليوم « درعاً » ، فإنها لا تدرع من شىء ، والرجل لا يتورع عن شىء !! والله المستعان .

فَلَمَّا بَدَتْ كَفَّنْتُهَا ، وَهْيَ طِفْلَةٌ ، بِطَلْسَاءَ لَمْ تَكْمُلْ ذِرَاعاً وَلاَ شِبْرَا(١)

---

(١) ديوانه : ١٧٦ ، واللسان (روح) ، والمزهر ١ : ٥٥٦ ، وغيرها . هذا ، وليس فى المخطوطة غير الأبيات الثلاثة الأولى ، وزادت المطبوعة ، بيتاً رابعاً ، لكن قبله فى شعر ذى الرمة بيت ، فزدته من ديوانه ، ووضعته بين قوسين ، لأنه من تمام معنى الأبيات .

وقبل هذه الأبيات ، أبيات فى صفة استخراج سقط النار من الزند بالقدح ، فلما اقتدحها كفنها كما ذكر فى سائر الشعر . فقوله : « فلما بدت » ، أى بدا سقط النار من الزند الأعلى عند القدح ، « كفنها » ضمنها خرقة وسخة ، لم تبلغ ذراعاً ولا شبراً ، وهى التى سماها « طلساء » ، لسوادها من وسخها . وكانت « طفلة » لأنها سقطت من أمها لوقتها فتلقاها فى الخرقة التى جعلها لها كفناً . وإنما جعلها « كفناً » : لها ، لأن السقط يسقط من الزند يزهر ويضىء حياً ، فإذا وقع فى قلب القطنة ، لم تر له ضوءاً ، فكأنه السقط قد مات . ولكنه عاد يتابع السقط حتى يحييه مرة أخرى فقال لصاحبه : « ارفعها إليك » ، أى خذها بيدك ، وارفعها إلى فك ، ثم « أحيها بروحك » ، أى انفخ لها نفخاً يسيراً ، « واقتته لها قيتة قدراً » ، يأمره بالرفق والنفح القليل شيئاً فشيئاً ، كأنه جعل النفخ قوتاً لهذا الوليد ، يقدر له تقديراً ، شيئاً بعد شىء حتى يكتمل .

ثم لما فرغ من ذلك ، ونمت النار بعض النمو ، قال له : « ظاهر لها من يابس الشخت » ، أى اجعل دقيق الحطب اليابس بعضه على بعض ، وأطعم هذا الوليد = و « الشخت » : الدقيق من كل شىء ، = وذلك لتكون النار فيه أسرع . ثم يقول له : استقبل بها ريح الصبا ليكون ذلك لها نماء ، « واجعل يديك لها ستراً » ، أى : ليسترها من النواحى الأخرى حتى تضربها الصبا ، فلا تموت مرة أخرى .

ثم عاد فوصف نموها يقول : « ولما تنمت » وارتفعت ، « تأكل الرم » ، تأكل ما يبس من أعواد الشجر ، لم تدع بعد ذلك يابساً ولا أخضر مما ظلوا يجمعونه لها ، وذلك حين استوت وبلغت أشدها . فلما رأوا النار تجرى بعد ذلك فى « الجزل » — وهو ما غلظ من الحطب ويبس — كأن ضوءها سنا البرق ، رفعوا أيديهم شكراً للذى خلقهم وخلق النار .

وهذا شعر جيد مستقيم على النهج .

ومما يقيد هنا ، ما رواه السيوطى فى المزهر ، عن أبى عبيد فى الغريب المصنف أن الأصمعى قال : أخبرنى عيسى بن عمر ، قال : أنشدنى ذو الرمة :

* وَظَاهِرْ لَهَا من يَابِسِ الشَّخْتِ *

ثم أنشد بعد هذا :

* مِنْ يَابِسِ الشَّخْتِ *

قال أبو عبيد : فقلت له : إنك أنشدتنى « من يابس الشخت » ؟ فقال : اليبس من البؤس .
قال السيوطى : وذلك إسناد متصل صحيح ، فإن أبا عبيد سمعه من الأصمعى .
وكان فى المطبوعة : « جرت للجزل » و « لخالقها » ، وأثبت رواية الديوان .

وَقُلْتُ لَهُ أَرْفَعْهَا إِلَيْكَ ، وَأَحْيِهَا بِرُوحِكَ ، وَأُقْتَتَهُ لَهَا قِيتَةً قَدْرَا
وَظَاهِرْ لَهَا مِنْ يَابِسِ الشَّخْتِ ، وَاسْتَعِنْ عَلَيْهَا الصَّبَا ، وَاجْعَلْ يَدَيْكَ لَهَا سِتْرَا
[وَلَمَّا تَنَمَّتْ تَأْكُلُ الرِّمَّ لَمْ تَدَعْ ذَوَابِلَ مِمَّا يَجْمَعُونَ ولا خُضْرَا]
فَلَمَّا جَرَتْ فِي الْجَزْلِ جَرْيًا كَأَنَّهُ سَنَا الْبَرْقِ ، أَحْدَثْنَا لِخَالِقِهَا شُكْرَا

وقالوا : يعنى بقوله : « أحيها بروحك » ، أى : أحيها بنفخك .

* * *

وقال بعضهم يعنى بقوله : « وروح منه » إنه كان إنساناً بإحياء الله له بقوله : « كن » . قالوا : وإنما معنى قوله : « وروح منه » ، وحياة منه ، بمعنى إحياءِ الله إياه بتكوينه .

* * *

وقال آخرون :[1] معنى قوله : « وروح منه » ، ورحمة منه ، كما قال جل ثناؤه فى موضع آخر : ﴿ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾ [سورة المجادلة : ٢٢] . قالوا : ومعناه فى هذا الموضع : ورحمة منه .[2] قالوا : فجعل الله عيسى رحمة منه على من اتبعه وآمن به وصدّقه ، لأنه هداهم إلى سبيل الرشاد .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : وروح من الله خلقها فصورها ، ثم أرسلها إلى مريم فدخلت فى فيها ، فصيَّرها الله تعالى روحَ عيسى عليه السلام .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٨٥٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد قال ، أخبرنى أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، عن أبىّ ابن كعب فى قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ ، [سورة الأعراف : ١٧٢] ، قال : أخذهم فجعلهم أرواحاً ، ثم صوَّرهم ، ثم

---

(١) فى المطبوعة : « وقال بعضهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة .
(٢) فى المطبوعة : « قال » بالإفراد ، وأثبت ما فى المخطوطة .

استنطقهم ، فكان روح عيسى من تلك الأرواح التى أخذ عليها العهد والميثاق ، فأرسل ذلك الروح إلى مريم ، فدخل فى فيها ، فحملت الذى خاطبها ، وهو روح عيسى عليه السلام .(١)

* * *

وقال آخرون : معنى « الروح » ههنا ، جبريل عليه السلام . قالوا : ومعنى الكلام : وكلمته ألقاها إلى مريم ، وألقاها أيضاً إليها روح من الله . قالوا : فـ « الروح » معطوف به على ما فى قوله : « ألقاها » من ذكر الله ، بمعنى : أنّ إلقاء الكلمة إلى مريم كان من الله ، ثم من جبريل عليه السلام .

* * *

قال أبو جعفر : ولكل هذه الأقوال وجه ومذهب غير بعيدٍ من الصواب .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « فآمنوا بالله ورسله » ، فصدّقوا ، يا أهل الكتاب ، بوحدانية الله وربوبيته ، وأنه لا ولد له ، وصدّقوا رسله فيما جاؤوكم به من عند الله ، وفيما أخبرتكم به أن الله واحد لا شريك له ، ولا صاحبة له ، لا ولد له = « ولا تقولوا ثلاثة » ، يعنى : ولا تقولوا : الأربابُ ثلاثة .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « فحملت ، والذى خاطبها هو روح عيسى . . . » حذف ، الواو من آخر الجملة ، وأثبتها فى أولها ، فرددته إلى أصله فى المخطوطة ، وهو الصواب . ويعنى قوله تعالى فى سورة مريم ٢٤ : ﴿ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ .

وهذا الأثر لم يرد فى تفسير آية الأعراف فى موضعه هناك ، وهو أحد الأدلة على اختصار أبى جعفر تفسيره ، وأحد وجوه منهجه فى الاختصار .

ورفعت « الثلاثة » ، بمحذوف دلّ عليه الظاهر ، وهو « هم » . ومعنى الكلام : ولا تقولوا هم ثلاثة . وإنما جاز ذلك ، لأن « القول » حكاية ، والعرب تفعل ذلك فى الحكاية ، ومنه قول الله : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾، ٢٦/٦ [سورة الكهف : ٢٢] . وكذلك كل ما ورد من مرفوع بعد « القول » لا رافع معه ، ففيه إضمار اسم رافع لذلك الاسم .

* * *

ثم قال لهم جل ثناؤه: متوعداً لهم فى قولهم العظيم الذى قالوه فى الله: « انتهوا »، أيها القائلون : الله ثالث ثلاثة، عما تقولون من الزور والشرك بالله ، فإن الانتهاء عن ذلك خير لكم من قيله، لما لكم عند الله من العقاب العاجل لكم على قيلكم ذلك ، إن أقمتم عليه ، ولم تُنيبوا إلى الحق الذى أمرتكم بالإنابة إليه = والآجلِ فى معادكم .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (١٧١)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « إنما الله إله واحد » ، ما الله، أيها القائلون : الله ثالث ثلاثة ، كما تقولون ، لأن من كان له ولد ، فليس بإله . وكذلك من كان له صاحبة، فغير جائز أن يكون إلهاً معبوداً . ولكن الله الذى له الألوهة والعبادة، إله واحد معبود ، لا ولد له ، ولا والد ، ولا صاحبة ، ولا شريك .

ثم نزّه جل ثناؤه نفسه وعظّمها ورفعها عما قال فيه أعداؤه الكَفرة به فقال: « سبحانه أن يكون له ولد » ، يقول: علا الله وجل وعز وتعظّم وتنزّه عن أن يكون له ولد أو صاحبة .(٢)

---

(١) قوله : « والآجل فى معادكم » معطوف على قوله : « من العقاب العاجل لكم . . . »

(٢) انظر تفسير « سبحان » فيما سلف ١ : ٤٧٤ – ٤٧٦ ، ٢/٤٩٥ : ٥٣٧ .

ثم أخبر جل ثناؤه عباده: أن عيسى وأمَّه ومن فى السموات ومن فى الأرض ، عبيدُه وإماؤه وخِلقه ، [١] وأنه رازقهم وخالقهم ، وأنهم أهل حاجة وفاقة إليه = احتجاجاً منه بذلك على من ادّعى أن المسيح ابنه ، وأنه لو كان ابنه كما قالوا ، لم يكن ذا حاجة إليه ، ولا كان له عبداً مملوكاً ، فقال : « له ما فى السموات وما فى الأرض » ، يعنى : لله ما فى السموات وما فى الأرض من الأشياء كلها ملكاً وخلقاً ، وهو يرزقهم ويَقُوتهم ويدبِّرهم ، فكيف يكون المسيح ابناً لله ، وهو فى الأرض أو فى السموات ، غيرُ خارج من أن يكون فى بعض هذه الأماكن ؟

وقوله : « وكفى بالله وكيلاً » ، يقول : وحسب ما فى السموات وما فى الأرض بالله قَيِّماً ومدبِّراً ورازقاً ، من الحاجة معه إلى غيره . [٢]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾

يعنى جل ثناؤه بقوله : « لن يستنكف المسيح » ، لن يأنف ولن يستكبر المسيح = « أن يكون عبداً لله » ، يعنى : من أن يكون عبداً لله ، كما :—

١٠٨٥٦ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون » ، لن يحتشم المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « وملكه وخلقه » ، وفى المخطوطة : « وإماله وخلقه » فرجحت قراءتها كما أثبتها .

(٢) انظر تفسير « الوكيل » فيما سلف : ص : ٢٩٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

وأما قوله : « ولا الملائكة المقربون » ، فإنه يعنى : ولن يستنكف أيضاً من الإقرار لله بالعبودة والإذعان له بذلك ، رسلُه «المقربون » ، الذين قرّبهم الله ورفع منازلهم على غيرهم من خلقه .

* * *

وروى عن الضحاك أنه كان يقول فى ذلك ، ما : —

١٠٨٥٧ — حدثنى به جعفر بن محمد البزورى قال ، حدثنا يعلى بن عبيد ، عن الأجلح قال : قلت للضحاك : ما « المقربون » ؟ قال : أقربهم إلى السماء الثانية .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً ﴾ (١٧٢)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بذلك : ومن يتعظّم عن عبادة ربه ، ويأنفْ من التذلل والخضوع له بالطاعة من الخلق كلهم ، ويستكبر عن ذلك = « فسيحشرهم إليه جميعاً » ، يقول : فسيبعثهم يوم القيامة جميعاً، فيجمعهم لموعدهم عنده .(٢)

---

(١) الأثر : ١٠٨٥٧ — « جعفر بن محمد البزورى » لم أجده بهذه النسبة ، والذى وجدته فى تهذيب التهذيب ، ممن يروى عن يعلى بن عبيد « جعفر بن محمد الواسطى الوراق » ، نزيل بغداد مات سنة ٢٦٥ ، وهو خليق أن يروى عنه أبو جعفر . ثم راجع تاريخ بغداد ، فى « جعفر بن محمد » كثرة ، ولكن لم أجد بينهم « البزورى » . وعسى أن تكشف الأسانيد الآتية عن الذى يعنيه أبو جعفر .

و « الأجلح » ، هو « الأجلح بن عبد الله بن حجية الكندى » ، « أبو حجية »، قيل اسمه « يحيى » و « الأجلح » لقب . سمع عبد الله بن الهذيل ، وابن بريدة والشعبى ، وعكرمة . روى عنه الثورى ، وابن المبارك . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٦٨/٢/١ .

(٢) انظر تفسير « الحشر » فيما سلف ٤ : ٦/٢٢٨ : ٢٢٩ .

القول في تأويل قوله ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (١٧٣)

قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بذلك : فأما المؤمنون المقرّون بوحدانية الله ، الخاضعون له بالطاعة، المتذلّلون له بالعبودية ، والعاملون الصالحات من الأعمال ، وذلك : أن يَرِدُوا على ربهم قد آمنوا به وبرسله ، وعملوا بما أتاهم به رسله من عند ربهم ، من فعل ما أمرهم به ، واجتناب ما أمرهم باجتنابه = «فيوفّيهم أجورهم» ، يقول : فيؤتيهم جزاءَ أعمالهم الصالحة وافياً تامًّا[1] = «ويزيدهم من فضله» ، يعني جل ثناؤه : ويزيدهم على ما وعدهم من الجزاء على أعمالهم الصالحة والثواب عليها ، من الفضل والزيادة ما لم يعرّفهم مبلغه،[2] ولم يحدّ لهم منتهاه . وذلك أن الله وعد من جاء من عباده المؤمنين بالحسنة الواحدة عشرَ أمثالها من الثواب والجزاء . فذلك هو أجر ٢٧/٦
كلّ عامل على عمله الصالح من أهل الإيمان المحدود مبلغه ، والزيادة على ذلك تفضُّل من الله عليهم ، وإن كان كل ذلك من فضله على عباده . غيرَ أن الذى وعد عبادَه المؤمنين أن يُوفيهم فلا ينقصهم من الثواب على أعمالهم الصالحة ، هو ما حَدَّ مبلغه من العَشْر ، والزيادة على ذلك غير محدود مبلغها ، فيزيد من شاء من خلقه على ذلك قدر ما يشاء ، لا حدّ لقَدْره يوقف عليه .

* * *

وقد قال بعضهم : الزيادة إلى سبعمئة ضعف .

وقال آخرون : إلى ألفين .

---

(١) انظر تفسير «يوفيهم أجورهم» فيما سلف ٦ : ٧/٤٦٥ : ٣٦٤ .

(٢) انظر تفسير «الفضل» فيما سلف من فهارس اللغة .

وقد ذكرت اختلاف المختلفين فى ذلك فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .(١)

* * *

وقوله : « وأما الذين استنكفوا واستكبروا » ، فإنه يعنى : وأما الذين تعظّموا عن الإقرار لله بالعبودة ، والإذعان له بالطاعة ، واستكبروا عن التذلّل لألوهته وعبادته، وتسليم الربوبيّة والوحدانية له = « فيعذبهم عذاباً أليماً »، يعنى : عذاباً موجعاً = «ولا يجدون لهم من دون الله وليًّا ولا نصيراً » ، يقول: ولا يجد المستنكفون من عبادته والمستكبرون عنها ، إذا عذبهم الله الأليم من عذابه، سوى الله لأنفسهم وليًّا ينجيهم من عذابه وينقذهم منه = « ولا نصيراً » ، يعنى : ولا ناصراً ينصرهم فيستنقذهم من ربهم، ويدفع عنهم بقوّته ما أحلّ بهم من نقمته، كالذى كانوا يفعلون بهم إذا أرادهم غيرهم من أهل الدنيا فى الدنيا بسوء ، من نصرتهم والمدافعة عنهم .(٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ (١٧٤)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم » ، يا أيها الناس من جميع أصناف الملل ، يهودِها ونصاراها ومشركيها ، الذين قص جل ثناؤه قَصَصهم فى هذه السورة = « قد جاءكم برهان من ربكم » ، يقول: قد جاءتكم حجة من الله تبرهن لكم بُطُولَ ما أنتم عليه مقيمون من أديانكم ومللكم،(٣) وهو محمد صلى الله عليه وسلم، الذى جعله الله عليكم حجة قطع بها

(١) انظر ما سلف ٥ : ٥١٢ — ٥١٦ .
(٢) انظر تفسير « ولى » و « نصير » فيما سلف من فهارس اللغة .
(٣) انظر تفسير « البرهان » فيما سلف ٢ : ٥٠٩ .

عذركم ، وأبلغ إليكم فى المعذرة بإرساله إليكم ، مع تعريفه إياكم صحة نبوته ، وتحقيق رسالته = «وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً » ، يقول : وأنزلنا إليكم معه «نوراً مبيناً » ، يعنى : يبين لكم المحجّة الواضحة ، والسبل الهادية إلى ما فيه لكم النجاة من عذاب الله وأليم عقابه ، إن سلكتموها واستنرتم بضوئه .(١)

وذلك « النور المبين » ، هو القرآن الذى أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم.

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٨٥٨ — حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « برهان من ربكم » ، قال : حجة .

١٠٨٥٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٠٨٦٠ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم » ، أى : بينة من ربكم = « وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً » ، وهو هذا القرآن .

١٠٨٦١ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « قد جاءكم برهان من ربكم » ، يقول : حجة .

١٠٨٦٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « برهان » ، قال : بينة = « وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً » ، قال : القرآن .

* * *

---

(١) انظر تفسير «مبين» فيما سلف ص : ٣٦٠ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ (١٧٥)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : فأما الذين صدّقوا الله وأقرّوا بوحدانيته، وما بعث به محمداً صلى الله عليه وسلم من أهل الملل = « واعتصموا به »، يقول : وتمسكوا بالنور المبين الذى أنزله إلى نبيه ،[1] كما : —

١٠٨٦٣ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « واعتصموا به » ، قال : بالقرآن .

* * *

= «فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل»، يقول: فسوف تنالهم رحمته التى تنجيهم من عقابه ، وتوجب لهم ثوابه ورحمته وجنته ،[2] ويلحقهم من فضله ما لحق أهل الإيمان به والتصديق برسله[3]= « ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً » ، يقول: ويوفقهم لإصابة فضله الذى تفضل به على أوليائه ، ويسدّدهم لسلوك منهج من أنعم عليه من أهل طاعته ، ولاقتفاء آثارهم واتباع دينهم ، وذلك هو « الصراط المستقيم » ، وهو دين الله الذى ارتضاه لعباده ، وهو الإسلام .[4]

* * *

ونصب « الصراط المستقيم » على القطع من « الهاء » التى فى قوله : « إليه ».[5] ٢٨/٦

* * *

(١) انظر تفسير « الاعتصام » فيما سلف ٧ : ٦٢ ، ٩/٧٠ : ٣٤١

(٢) قوله : « وجنته » ليست فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « ما ألحق أهل الإيمان » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٤) انظر تفسير « الصراط المستقيم » فيما سلف ١ : ١٧٠ — ٣/١٧٧ : ١٤٠ ، ٦/١٤١ : ٨/٤٤١ : ٥٢٩

(٥) « القطع » الحال ، أو باب منه ، انظر ما سلف من فهارس المصطلحات .

القول فى تأويل قوله ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله : « يستفتونك » ، يسألونك، يا محمد، أن تفتيهم فى الكلالة .(١)

* * *

وقد بينا معنى : « الكلالة » فيما مضى بالشواهد الدالة على صحته ، وقد ذكرنا اختلاف المختلفين فيه، فأغنى ذلك عن إعادته، وبيّنا أن « الكلالة » عندنا : ما عدا الولد والوالد .(٢)

* * *

= « إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك »، يعنى بقوله : « إن امرؤ هلك »، إن إنسان من الناس مات ،(٣) كما :—

١٠٨٦٤ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « إن امرؤ هلك » ، يقول : مات .

* * *

= « ليس له ولد » ذكر ولا أنثى = « وله أخت » ، يعنى : وللميت أخت لأبيه وأمه ، أو لأبيه = « فلها نصف ما ترك » ، يقول : فلأخته التى تركها بعده بالصفة التى وَصَفنا ، نصف تركته ميراثاً عنه ، دون سائر عصبته . وما بقى فلعصبته .

* * *

وذكر أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم همّهم شأن الكلالة ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيها هذه الآية .

---

(١) انظر تفسير « يستفتى » فيما سلف ص: ٢٥٣

(٢) انظر ما سلف فى « الكلالة » ٨ : ٥٣ — ٦١ .

(٣) انظر تفسير « المرء » فيما سلف ٢ : ٤٤٦ .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٨٦٥ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة » ، فسألوا عنها نبيّ الله ، فأنزل الله فى ذلك القرآن : « إن امرؤ هلك ليس له ولد » ، فقرأ حتى بلغ : « والله بكل شيء عليم » . قال : وذكر لنا أنّ أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال فى خطبته : ألا إنّ الآية التى أنزل الله فى أول « سورة النساء» فى شأن الفرائض ، أنزلها الله فى الولد والوالد . والآية الثانية أنزلها فى الزوج والزوجة والإخوة من الأم . والآية التى ختم بها «سورة النساء» ، أنزلها فى الإخوة والأخوات من الأب والأم . والآية التى ختم بها «سورة الأنفال» ، أنزلها فى أولى الأرحام ، بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله مما جرّت الرحِم من العَصَبة .[1]

١٠٨٦٦ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن الشيبانى ، عن عمرو ابن مرة ، عن سعيد بن المسيب قال : سأل عمر بن الخطاب النبيّ صلى الله عليه وسلم عن الكلالة ، فقال : أليس قد بيّن الله ذلك ؟ قال : فنزلت : « يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة » .[2]

١٠٨٦٧ – حدثنا مؤمل بن هشام أبو هشام قال ، حدثنا إسمعيل بن إبراهيم ، عن هشام الدستوائى قال ، حدثنا أبو الزبير ، عن جابر بن عبد الله قال : اشتكيت وعندى تسع أخوات لى = أو : سبْع ، أنا أشكّ[3] = فدخل علىّ النبيّ صلى الله عليه وسلم فنفخ فى وجهى ، فأفقت وقلت : يا رسول الله ، ألا أوصى لأخواتى بالثلثين ؟[4] قال : أحسن ! قلت : الشطر ؟ قال : أحسن ! ثم خرج وتركنى ، ثم رجع إلىّ فقال :

---

(١) الأثر : ١٠٨٦٥ – هذا الأثر رواه البيهقى فى السنن ٦ : ٣١ ، وذكره ابن كثير فى التفسير ٢ : ٤٢ ، والدر المنثور ٢ : ٢٥١ .

(٢) الأثر : ١٠٨٦٦ – ذكره ابن كثير فى تفسير ٢ : ٤٢ ، ولم ينسبه لغير ابن جرير .

(٣) فى المطبوعة : « أبو جعفر الذى يشك » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٤) فى المطبوعة : « بالثلث » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو الموافق لرواية البيهقى ، أما رواية أبى داود فى سننه ، فهى التى أثبتت فى المطبوعة .

يا جابر ، إنى لا أراك ميتاً من وجعك هذا ، [١] وإن الله قد أنزل فى الذى لأخواتك فجعل لهن الثلثين . قال : فكان جابر يقول : أنزلت هذه الآية فىّ : « يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة » . [٢]

١٠٨٦٨ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا ابن أبى عدى ، عن هشام = يعنى الدستوائى = عن أبى الزبير ، عن جابر ، عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله . [٣]

١٠٨٦٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن ابن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله قال : مرضت ، فأتانى النبى صلى الله عليه وسلم يعودُنى هو وأبو بكر وهما ماشيان ، فوجدونى قد أغمى علىّ ، [٤] فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم صبَّ علىّ من وَضوئه ، فأفقت فقلت : يا رسول الله ، كيف أقضى فى مالى = أو : كيف أصنع فى مالى؟ وكان له تسع أخوات ، ولم يكن له والد ولا ولد.

---

(١) « لا أراك » بالبناء للمجهول (بضم الهمزة) : أى لا أظنك .

(٢) الأثر : ١٠٨٦٧ — « مؤمل بن هشام اليشكرى » ، هو « أبو هشام » . روى عن إسماعيل بن علية ، وكان صهره . روى عنه البخارى وأبو داود والنسائى وغيرهم . مترجم فى التهذيب.
و « إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم الأسدى » هو «ابن علية» سلف مراراً كثيرة و « أبو الزبير » المكى ، هو : «محمد بن مسلم بن تدرس الأسدى » ، مضى برقم : ٢٠٢٩ ، ٣٥٨١ ، ٨٢٠٥ .
وهذا الأثر رواه أبو داود فى السنن ٣ : ١٦٤ من طريق كثير بن هشام ، عن هشام الدستوائى بلفظه .

ورواه البيهقى فى السنن ٦ : ٢٣١ من طرق ، مطولا مختصراً .
ورواه أبو داود الطيالسى فى مسنده : ٢٤٠ ، مختصراً وفيه « الثلثين » كما فى مخطوطة الطبرى .
وذكره السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٢٥٠ ، وزاد نسبته لابن سعد والنسائى .

(٣) الأثر : ١٠٨٦٨ — هو مكرر الأثر السالف ، من طريق ابن أبى عدى ، عن هشام .

وهذا الخبر رواه الواحدى فى أسباب النزول : ١٣٩ ، وساق لفظه ، مع اختلاف يسير عن لفظ الأثر السالف .

(٤) قوله : « فوجدونى » هكذا ثبت فى المطبوعة والمخطوطة ، وهى فى ألفاظ أخر « فوجدنى » . والذى فى المخطوطة والمطبوعة صواب ، لأنه يعنى أبا بكر ورسول الله ، ومن كان معهما ، أو من كان فى البيت . ولو حمله على الجمع وهو مثنى ، لكان له وجه فى العربية .

قال : فلم يجبني شيئاً حتى نزلت آية الميراث : « يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة » إلى آخر السورة = قال ابن المنكدر : قال جابر : إنما أنزلت هذه الآية فىّ .(١)

* * *

وكان بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن هذه الآية هى آخر آية نزلت من القرآن .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٨٧٠ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا الحسين بن واقد ، عن أبى إسحق ، عن البراء بن عازب قال : سمعته يقول : إن آخر آية نزلت من القرآن : « يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة » .(٢)

---

(١) الأثر : ١٠٨٦٩ – خبر « محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله » ، روى من طرق كثيرة ، مضى من طريق شعبة ، عن محمد بن المنكدر ، مختصراً برقم : ٨٧٣٠ ، ثم من طريق ابن جريج ، عن محمد بن المنكدر رقم : ٨٧٣١ ، بغير هذا اللفظ ، مختصراً ، وانظر تخريجهما هناك . أما هذا ، فرواه البخارى (الفتح ١٢ : ٢) بمثله ، مع خلاف يسير فى لفظه ، وقد بين الحافظ ابن حجر فى شرحه ، ما فيه من الاختلاف .

ورواه مسلم من طرق كثيرة ، منها طريق سفيان ، فى صحيحه ١١ : ٥٤ – ٥٦ .

ورواه أبو داود فى سننه ٣ : ١٦٤ من طريق أحمد بن حنبل ، عن سفيان .

ورواه الترمذى فى السنن (فى كتاب التفسير) ، وقال : « هذا حديث حسن صحيح ، رواه غير واحد ، عن محمد بن المنكدر» . ثم ساقه من طريق « الفضل بن صباح البغدادى ، عن سفيان ابن عيينة ، عن محمد بن المنكدر »، ثم قال : « وفى حديث الفضل بن صباح كلام أكثر من هذا » . وحديث الفضل بن صباح ، رواه الترمذى قبل ذلك فى (كتاب الفرائض) مطولا ، وقال : « هذا حديث صحيح » .

ورواه البيهقى فى السنن ٦ : ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ثم قال البيهقى : « وجابر بن عبد الله الذى نزلت فيه آية الكلالة ، لم يكن له ولد ولا والد ، لأن أباه قتل يوم أحد . وهذه الآية نزلت بعده ».

وذكره ابن كثير فى تفسيره ٢ : ٤١ ، والسيوطى فى الدر ٢ : ٢٤٩ ، وزاد نسبته لابن سعد . وابن ماجة ، وابن المنذر .

(٢) الأثر : ١٠٨٧٠ – يأتى برقم : ١٠٨٧١ ، ١٠٨٧٣ ، من طريق أبى إسحق ، عن البراء .

١٠٨٧١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن ابن أبي خالد، عن أبي إسحق، عن البراء قال: آخر آية نزلت من القرآن: « يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ».(١)

٢٩/٦ ١٠٨٧٢ – حدثنا محمد بن خلف قال، حدثنا عبد الصمد بن النعمان قال، حدثنا مالك بن مغول، عن أبي السفر، عن البراء قال: آخر آية نزلت من القرآن: « يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ».(٢)

١٠٨٧٣ – حدثنا هرون بن إسحق الهمداني قال، حدثنا مصعب بن المقدام قال، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحق، عن البراء قال: آخر سورة نزلت كاملة « براءة »، وآخر آية، نزلت خاتمة «سورة النساء»: « يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ».(٣)

* * *

---

(١) الأثر: ١٠٨٧١ – رواه مسلم في صحيحه ١١ : ٥٨ عن علي بن خشرم، عن وكيع، بمثله. ثم ساقه من طرق أخرى، عن أبي إسحق عن البراء.

والبيهقي في السنن ٦ : ٢٢٤.

(٢) الأثر: ١٠٨٧٢ – « محمد بن خلف بن عمار العسقلاني »، شيخ الطبري، مضى برقم: ١٢٦، ٦٥٣٤.

و « عبد الصمد بن النعمان البزاز ». ترجم له ابن أبي حاتم ٣/١/٥١، ٥٢ وقال، « سئل أبي عنه فقال: صالح الحديث صدوق ».

و « مالك بن مغول »، ثقة، مضى برقم: ٥٤٣١.

و « أبو السفر » هو: « سعيد بن يحمد الثوري » أو « سعيد بن أحمد »، مضى برقم: ٣٠١٠.

والخبر رواه مسلم ١١ : ٥٩ من طريق عمرو الناقد، عن أبي أحمد الزبيري، عن مالك بن مغول.

ورواه الترمذي في كتاب التفسير، من طريق عبد بن حميد، عن أبي نعيم، عن مالك بن مغول، وقال: « هذا حديث حسن ».

(٣) الأثر: ١٠٨٧٣ – مكرر الأثرين السالفين: ١٠٨٧٠، ١٠٨٧١.

« هرون بن إسحق الهمداني » شيخ الطبري، مضى برقم: ٣٠٠١.

و « مصعب بن المقدام الخثعمي »، مضى برقم: ١٢٩١، ٣٠٠١.

وهذا الأثر من طريق إسرائيل، عن أبي إسحق، رواه البخاري في صحيحه (الفتح ١٢ : ٢٢).

وفي المخطوطة هنا « خاتم سورة البقرة »، والصواب ما في المطبوعة.

واختلف فى المكان الذى نزلت فيه الآية .

فقال جابر بن عبد الله: نزلت فى المدينة . وقد ذكرت الرواية بذلك عنه فيما مضى ، بعضها فى أول السورة عند فاتحة آية المواريث ، وبعضها فى مبتدإ الأخبار عن السبب الذى نزلت فيه هذه الآية .(١)

* * *

وقال آخرون : بل أنزلت فى مسيرٍ كان فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٨٧٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا محمد بن حميد ، عن معمر ، عن أيوب ، عن ابن سيرين قال : نزلت : « يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة » ، والنبيّ فى مسير له ، وإلى جنبه حذيفة بن اليمان، فبلّغها النبى صلى الله عليه وسلم حُذيفة، وبلّغها حذيفة عمر بن الخطاب وهو يسير خلفه . فلما استُخلف عمر سأل عنها حذيفة، ورجا أن يكون عنده تفسيرها ، فقال له حذيفة: والله إنك لعاجز إن ظننت أن إمارتك تحملنى أن أحدّثك فيها بما لم أحدّثك يومئذ! فقال عمر : لم أرِد هذا ، رحمك الله!

١٠٨٧٥ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن ابن سيرين بنحوه = إلا أنه قال فى حديثه : فقال له حذيفة : والله إنك لأحمق إن ظننتَ .

١٠٨٧٦ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا ابن عون ، عن محمد بن سيرين قال : كانوا فى مسير ، ورأسُ راحلة حذيفة عند رِدْف راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم،(٢) ورأس راحلة عمر عند رِدْف

---

(١) يعنى ما سلف رقم : ٨٧٣٠ ، ٨٧٣١ ، ثم ما سلف قريباً من : ١٠٨٦٧ – ١٠٨٦٩ .

(٢) « ردف الراحلة » : كفل الدابة .

راحلة حذيفة. قال: ونزلت: « يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة »، فلقّاها رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة، فلقّاها حذيفة عمر. فلما كان بعد ذلك، سأل عمرُ عنها حذيفةَ فقال: والله إنك لأحمق إن كنت ظننت أنه لقّانيها رسول الله فلقّيْتُكها كما لقّانيها،(١) والله لا أزيدك عليها شيئاً أبداً! قال: وكان عمر يقول: اللهم مَن كنتَ بيّنتها له،(٢) فإنها لم تُبَيَّن لى.(٣)

* * *

واختلف عن عمر فى الكلالة، فروى عنه أنه قال فيها عند وفاته: « هو من لا ولد له ولا والد ». وقد ذكرنا الرواية عنه بذلك فيما مضى فى أول هذه السورة فى آية الميراث.(٤)

* * *

---

(١) فى المطبوعة: « فلقنتكها » من « التلقين »، وهو صواب فى المعنى، ولكن السياق يقتضى ما أثبته من المخطوطة، وهى فيها منقوطة. و « لقاه الآية »: علمه الآية، ولقنه إياها.

(٢) فى المطبوعة وابن كثير « إن كنت »، وأثبت ما فى المخطوطة والدر المنثور، وهى صواب محض، وانظرها كذلك فى الأثر الآتى رقم: ١٠٨٩٢.

(٣) الآثار: ١٠٨٧٤ - ١٠٨٧٦، ذكر الأثر الأخير منها ابن كثير فى تفسيره ٣: ٤٤، ثم قال: « كذا رواه ابن جرير، ورواه أيضاً عن الحسن بن يحيى، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن أيوب، عن ابن سيرين، كذلك بنحوه. وهو منقطع بين ابن سيرين وحذيفة. وقد قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو البزار فى مسنده: حدثنا يوسف بن حماد المعنى، ومحمد ابن مرزوق، قالا، حدثنا عبد الأعلى بن عبد الأعلى، حدثنا هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن أبى عبيدة بن حذيفة، عن أبيه قال: نزلت آية الكلالة . . . » وساق الخبر، ثم قال: « قال البزار: وهذا الحديث لا نعلم أحداً رواه إلا حذيفة، ولا نعلم له طريقاً عن حذيفة إلا هذا الطريق، ولا رواه عن هشام إلا عبد الأعلى ». قال ابن كثير: « وكذا رواه ابن مردويه ».

وخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧: ١٣، وقال: « رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح، غير أبى عبيدة بن حذيفة، ووثقه ابن حبان ».

وذكره السيوطى فى الدر المنثور ٢: ٢٥٠ قال: « أخرج العدنى والبزار فى مسنديهما، وأبو الشيخ فى الفرائض، بسند صحيح عن حذيفة » ثم ذكر الخبر.

وعاد فخرجه فى ٢: ٢٥١، ونسبه لابن جرير، وعبد الرزاق، وابن المنذر، عن ابن سيرين، منقطعاً.

(٤) انظر رقم: ٨٧٤٥ - ٨٧٤٨، ٨٧٦٧

وروى عنه أنه قال قبل وفاته : هو ما خلا الأب .[١]

* ذكر من قال ذلك :

١٠٨٧٧ – حدثنا الحسن بن عرفة قال، حدثنا شبابة قال ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن معدان بن أبي طلحة اليعمرى قال ، قال عمر بن الخطاب : ما أغلظ لى رسول الله صلى الله عليه وسلم = أو : ما نازعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شيء ما نازعته فى آية الكلالة ، حتى ضرب صَدرى وقال: يكفيك منها آية الصيف التى أنزلت فى آخر «سورة النساء» :[٢] « يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة » ، وسأقضى فيها بقضاء يعلمه من يقرأ ومن لا يقرأ ، هو ما خلا الأب = كذا أحسب قال ابن عرفة = قال شبابة: الشك من شعبة .[٣]

* * *

وروى عنه أنه قال : «إنى لأستحيي أن أخالف فيه أبا بكر» ، وكان أبو بكر يقول : « هو ما خلا الولد والوالد » . وقد ذكرنا الرواية بذلك عنه فيما مضى فى أول السورة .[٤]

* * *

وروى عنه أنه قال عند وفاته : « قد كنت كتبت فى الكلالة كتاباً ،

---

(١) انظر رقم : ٨٧٤٥ – ٨٧٤٨ ، ٨٧٦٧ .

(٢) قوله : « التى أنزلت فى آخر سورة النساء » غير ثابت فى المخطوطة ، وهو ثابت فى روايات الحديث التى ستأتى فى التخريج .

(٣) الأثر : ١٠٨٧٧ – خبر سالم بن أبي الجعد ، عن معدان ، عن عمر سيرويه أبو جعفر من أربع طرق أخرى فيما سيأتى من رقم : ١٠٨٨٤ – ١٠٨٨٧ .

وروى هذا الخبر من طريق شبابة بن سوار ، عن شعبة ، عن قتادة ، مسلم فى صحيحه ١١ : ٥٧ ، إشارة .

ورواه البيهقى فى السنن ٦ : ٢٢٤ بلفظه ، وقال : « رواه مسلم عن زهير بن حرب » . وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٢٥١ ، ولم ينسبه لغير ابن جرير ، فقصر فى نسبته . وانظر تخريج الآثار التالية التى أشرت إليها .

(٤) انظر ما سلف رقم : ٨٧٤٥ – ٨٧٤٩ .

وكنت أستخير الله فيه ، وقد رأيت أن أترككم على ما كنتم عليه » ، وأنه كان يتمنى فى حياته أن يكون له بها علم .

* ذكر الرواية عنه بذلك :

١٠٨٧٨ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا محمد بن حميد المعمرى ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب : أن عمر بن الخطاب كتب فى الجدّ والكلالة كتاباً ، فكث يستخير الله فيه يقول : « اللهم إن علمت فيه خيراً فأمضه » ، حتى إذا طُعِن ، دعا بكتاب فَمُحى ،[1] فلم يدر أحدٌ ما كتب فيه ، فقال : « إنى كنت كتبت فى الجدّ والكلالة كتاباً ، وكنت أستخير الله فيه ، فرأيت أن أترككم على ما كنتم عليه » .[2]

١٠٨٧٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب ، عن عمر ، بنحوه .[2] ٣٠/٦

١٠٨٨٠ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان قال ، حدثنا عمرو بن مرة ، عن مرة الهمدانى قال ، قال عمر : ثلاث لأن يكون النبى صلى الله عليه وسلم بيّنهن لنا ، أحبُّ إلىّ من الدنيا وما فيها : الكلالة ، والخلافة ، وأبواب الربا .[3]

---

(١) فى المطبوعة : « بالكتاب فحى » ؛ بالتعريف ، وهو كذلك فى الدر المنثور ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو موافق لرواية ابن كثير فى تفسيره .

(٢) الأثر : ١٠٨٧٨ – ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٤٥ عن هذا الموضع من التفسير ، وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٢٥٠ ، ونسبه لعبد الرزاق ، ولم ينسبه لابن جرير ، وقد رواه الطبرى بنحوه فى الأثر التالى : ١٠٨٧٩ .

(٣) الأثر : ١٠٨٨٠ – رواه أبو داود الطيالسى من طريق شعبة ، عن عمرو بن مرة ، مع اختلاف يسير فى لفظه ، مطولا .

ورواه البيهقى فى السنن من طريق أبى داود الطيالسى ٦ : ٢٢٥ .

ورواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٣٠٤ من طريق سفيان ، عن عمرو بن مرة ، بلفظ الطبرى ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى .

وذكره ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٤٥ ، ولم ينسبه لغير الحاكم .

١٠٨٨١ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثام قال ، حدثنا الأعمش قال : سمعتهم يذكرون ، ولا أرى إبراهيم إلاّ فيهم ، عن عمر قال : لأن أكون أعلم الكلالة ، أحبُّ إلىّ من أن يكون لى مثل جزية قصور الروم .(١)

١٠٨٨٢ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثام قال ، حدثنا الأعمش ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب قال : أخذ عمر كتِفاً وجمع أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : لأقضين فى الكلالة قضاءً تحدَّثُ به النساء فى خدورهن ! فخرجت حينئذ حيَّة من البيت ، فتفرَّقوا ، فقال : لو أراد الله أن يتم هذا الأمر لأتمَّه .(٢)

١٠٨٨٣ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا أبو حيان قال ، حدثنى الشعبى ، عن ابن عمر قال : سمعت عمر بن الخطاب يخطب على منبر المدينة ، فقال : أيها الناس ، ثلاثٌ ودِدت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفارِقنا حتى يعهد إلينا فيهن عهداً يُنتهى إليه : الجدّ ، والكلالة ، وأبواب الربا .(٣)

وخرجه السيوطى فى الدر ٢ : ٢٥١ ، ٢٥٢ ، وزاد نسبته لعبد الرزاق ، والعدنى ، وابن ماجه ، والساجى .

وقوله : « أبواب الربا » ، أى : وجوه الربا وطرقه ، وهذا اللفظ ليس فيما ذكرت من المراجع ، فيها جميعاً « والربا » . وانظر الأثر الآتى : ١٠٨٨٣ ، والتعليق عليه .

(١) الأثر : ١٠٨٨١ – خرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٢٥١ ، ولم ينسبه لغير ابن جرير ، وفيه « قصور الشأم » ، وهما سواء فى المعنى ، ولكن العجب أنه نقله عن هذا الموضع من التفسير ، وكتب مكان « الروم » « الشأم » .

(٢) الأثر . ١٠٨٨٢ – رواه البيهقى فى السنن ٦ : ٢٤٥ ، من طريق جرير عن الأعمش . مع اختلاف فى لفظه .

وذكره ابن كثير فى تفسير ٣ : ٤٤ ، ٤٥ ، ثم قال : « وهذا إسناد صحيح » .

وخرجه السيوطى ٢ : ٢٥٠ ، ولم ينسبه لغير ابن جرير .

وفى المخطوطة : « النساء فى خدورها » ، وهما سواء .

(٣) الأثر : ١٠٨٨٣ – « أبو حيان » هو : « يحيى بن سعيد التيمى » ، مضى برقم : ٥٣٨٢ ، ٥٣٨٣ ، ٦٣١٨ ، ٨١٥٥ .

١٠٨٨٤ – حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن سالم بن أبي الجعد، عن معدان بن أبي طلحة: أن عمر بن الخطاب قال: ما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء أكثر مما سألت عن الكلالة، حتى طعن بإصبعه في صدري وقال: تكفيك آية الصيف التي في آخر «سورة النساء».(١)

١٠٨٨٥ – حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري قال، حدثنا عبد الله بن بكر السهمي، عن سعيد، عن قتادة، عن سالم بن أبي الجعد، عن معدان، عن عمر قال: لن أدع شيئاً أهمّ عندي من أمر الكلالة، فما أغلظ لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء ما أغلظ لي فيها، حتى طعن بإصبعه في صدري = أو قال: في جنبي = فقال: تكفيك الآية التي أنزلت في آخر «النساء».(٢)

وهذا الخبر رواه البخاري مطولا (الفتح ١٠ : ٣٩ – ٤٣) من طريق يحيى بن سعيد القطان عن أبي حيان التيمي.

ورواه مسلم في صحيحه ١٨ : ١٦٥ من أربع طرق، من طريق علي بن مسهر، عن أبي حيان، ومن طريق ابن إدريس عن أبي حيان، ومن طريق ابن علية عن أبي حيان، ومن طريق عيسى ابن يونس عن أبي حيان.

ورواه البيهقي في السنن ٦ : ٨/٢٤٥ : ٢٨٩.

وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٢٤٩، وزاد نسبته لعبد الرزاق، وابن المنذر.

وفي جميع المراجع: «وأبواب من أبواب الربا»، وانظر شرح ذلك في التعليق على الأثر : ١٠٨٨٠.

(١) الأثر : ١٠٨٨٤ – خبر سالم بن أبي الجعد، عن معدان، مضى برقم : ١٠٨٧٧ من طريق شعبة عن قتادة. وأشار إليه مسلم في صحيحه ١١ : ٥٧ من طريق ابن علية عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة.

ورواه أحمد في المسند رقم: ٣٤١ من طريق محمد بن جعفر، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة مطولا.

ورواه أيضاً مطولا رقم : ٨٩ من طريق عفان، عن همام بن يحيى، عن قتادة.

ورواه مختصراً رقم : ١٧٩ من طريق إسماعيل، عن سعيد بن أبي عروبة.

وخرجه ابن كثير في تفسيره ٢ : ٢٤١ من هذه الأخيرة من مسند أحمد، ولم يذكر شيئاً عن الطرق الأخرى، بل قال: «هكذا رواه مختصراً، وأخرجه مسلم مطولا أكثر من هذا»، مع أن أحمد أخرجه في مواضع مطولا كما ترى، وكما سيأتي في التعليق على رقم : ١٠٨٨٧.

(٢) الأثر : ١٠٨٨٥ – «إبراهيم بن سعيد الجوهري»، شيخ الطبري، ثقة، مضى

١٠٨٨٦ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا ابن أبي عدى ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن سالم بن أبي الجعد، عن معدان بن أبي طلحة: أن عمر بن الخطاب خطب الناس يوم الجمعة فقال: إنيّ والله ما أدع بعدى شيئاً هو أهمّ إليّ من أمر الكلالة ، وقد سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما أغلظ لى فى شيء ما أغلظ لى فيها، حتى طعن فى نحرى وقال : «تكفيك آية الصيف التى أنزلت فى آخر سورة النساء »، وإن أعِش أقض فيها بقضية لا يختلف فيها أحدٌ قرأ القرآن .(١)

١٠٨٨٧ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا يحيى بن سعيد قال ، حدثنا هشام ، عن قتادة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن معدان بن أبي طلحة ، عن عمر بن الخطاب بنحوه .(٢)

١٠٨٨٨ – حدثنا محمد بن على بن الحسن بن شقيق قال ، سمعت أبي يقول ، أخبرنا أبو حمزة ، عن جابر ، عن الحسن بن مسروق ، عن أبيه قال : سألت عمر وهو يخطب الناس عن ذى قرابة لى وَرِث كلالة ، فقال : الكلالة ، الكلالة، الكلالة!! وأخذ بلحيته، ثم قال : والله لأن أعلمَها أحبَّ إلى من أن يكون لى ما على الأرض من شيء ، سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ألم تسمع الآية التى أنزلت فى الصيف ؟ فأعادها ثلاث مرات .(٣)

برقم : ٣٣٥٥ ، ٣٩٥٩ .

و «عبد الله بن بكر بن حبيب السهمى» ، ثقة صدوق مأمون ، من شيوخ أحمد . مترجم فى التهذيب . ومضى فى الإسناد رقم : ٨٢٨٤ ، وهذا طريق آخر للأثر السالف .

وفى المطبوعة : «لم أدع» ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(١) الأثر : ١٠٨٨٦ – هذه طريق أخرى للأثرين السالفين ، طريق سعيد بن أبي عروبة .

(٢) الأثر : ١٠٨٨٧ – رواه من هذه الطريق مسلم فى صحيحه ١١ : ٥٦ .

ورواه أحمد مطولا فى المسند برقم : ١٨٦ ، وانظر التعليق على الآثار السالفة .

(٣) الأثر : ١٠٨٨٨ – «محمد بن على بن الحسن بن شقيق» ثقة ، مضى برقم : ١٥٩١، ٢٥٧٥ .

١٠٨٨٩ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة، عن زكريا ، عن أبي إسحق ، عن أبي سلمة قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الكلالة، فقال: ألم تسمع الآية التي أنزلت في الصيف: ﴿ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً ﴾ إلى آخر الآية ؟ (١)

١٠٨٩٠ – حدثني محمد بن خلف قال، حدثنا إسحق بن عيسى قال، حدثنا ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي الخير : أن رجلاً سأل عُقبة عن الكلالة ، فقال : ألا تعجبون من هذا؟ يسألني عن الكلالة ، وما أعضل بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء ، ما أعضلت بهم الكلالة ! (٢)

* * *

وأبوه «علي بن الحسن بن شقيق» ثقة ، مضى أيضاً برقم : ١٥٩١ ، ١٩٠٩ .

و «أبو حمزة» هو السكري : «محمد بن ميمون» ثقة إمام ، مضى برقم : ١٥٩١ .

و «جابر» هو «جابر الجعفي» : جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي ، مضى برقم : ٧٦٤ ، ٨٥٨ ، ٢٣٤٠ ، ومواضع أخرى كثيرة . وهو ضعيف جداً ، رمى بالكذب .

أما «الحسن بن مسروق» ، فلم أجد في الرواة من يسمى بهذا الاسم ، وأما أبوه فكأنه يعني : «مسروق بن الأجدع الهمداني الوداعي» . أحد المقرئين والمفتين.. روى عن أبي بكر وعمر وعثمان وكثير من الصحابة . وليس في الرواة عن مسروق من اسمه «الحسن» ، ولا وجدت له ولداً يقال «الحسن له ابن مسروق» .

ففي هذا الإسناد ما فيه من البلاء .

وهذا الأثر ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٢٥١ ، عن الحسن بن مسروق ، عن أبيه كما هنا ، ونسبة للطبري وحده .

(١) الأثر : ١٠٨٨٩ – «أبو أسامة» هو : «حماد بن أسامة بن زيد الكوفي» ، مضى برقم : ٢٩ ، ٥١ ، ٢٢٣ ، ٢٩٩٥ ، ٥٢٦٥ .

و «زكريا» هو : «زكريا بن أبي زائدة» مضى برقم : ١١٢ ، ١٢١٩ .

و «أبو إسحق» هو السبيعي .

و «أبو سلمة» هو : «أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري» ، مضى برقم : ٨ ، ٦٧ ، ٣٠١٥ ، ٨٣٩٤ .

وهذا الأثر رواه البيهقي في السنن ٦ : ٢٢٤ ، من طريق يحيى بن آدم ، عن عمار بن رزيق ، عن أبي إسحق ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وقال : «حديث أبي إسحق عن أبي سلمة منقطع ، وليس بمعروف» .

(٢) الأثر : ١٠٨٩٠ – «إسحق بن عيسى بن نجيح» هو أبو يعقوب ، ابن الطباع ، مضى برقم : ٢٨٣٦ .

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : فما وجه قوله جل ثناؤه : « وإن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك » ، ولقد علمت اتفاق جميع أهل القبلة = ما خلا ابن عباس وابن الزبير رحمة الله عليهما = على أن الميت لو ترك ابنةً وأختاً ، أن لابنته النصف، وما بقى فلأختِه، إذا كانت أخته لأبيه وأمه، أو لأبيه؟ وأين ذلك من قوله : « إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك » ، وقد ورَّثوها النصف مع الولد ؟ ٣١/٦

قيل : إنّ الأمر فى ذلك بخلاف ما ذهبتَ إليه . إنما جعل الله جل ثناؤه بقوله : « إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك » ، إذا لم يكن للميت ولد ذكر ولا أنثى ، وكان موروثاً كلالة ، النصفَ من تركته فريضةً لها مسمَّاة. فأما إذا كان للميت ولد أنثى ، فهى معها عصبة ، يصير لها ما كان يصير للعصبة غيرها ، لو لم تكن . وذلك غير محدود بحدٍّ ، ولا مفروض لها فرضَ سهام أهل الميراث بميراثهم عن ميِّتهم . ولم يقل الله فى كتابه : « فإن كان له ولد فلا شىء لأخته معه » ، فيكون لما روى عن ابن عباس وابن الزبير فى ذلك وجهٌ يوجَّه إليه . وإنما بيَّن جل ثناؤه، مبلغ حقِّها إذا وُرث الميت كلالةً ، وترك بيان ما لها من حق إذا لم يورث كلالةً فى كتابه ، وبيَّنه بوحيه على لسان رسوله صلى الله عليه

و « ابن لهيعة » مضى مراراً .

و « يزيد بن أبى حبيب المصرى» ثقة مضى برقم : ٤٣٤٨ ، ٥٤٩٣ .

و « أبو الخير » هو : « مرثد بن عبد الله اليزنى » الفقيه المصرى ، روى عن عقبة بن عامر الجهنى ، وكان لا يفارقه ، وعمرو بن العاص ، وعبد الله بن عمرو ، وغيرهم من الصحابة . تابعى ثقة ، مترجم فى التهذيب .

وهذا الأثر رواه الدارمى فى سننه ٢ : ٣٦٦ ، من طريق عبد الله بن يزيد ، عن سعيد ابن أبى أيوب ، عن يزيد بن أبى حبيب . وفى النسخة المطبوعة من الدارمى خطأ قال فيها « عن يزيد ابن عبد الله اليزنى » ، والصواب « مرثد بن عبد الله » ، وهو أبو الخير ، كما سلف .

وذكره السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٢٥٠ ، وزاد نسبته لابن أبى شيبة .

« أعضل الأمر » و « أعضل به الأمر » : ضاق وأشكل ، وضاق به ذرعاً لإشكاله .

وسلم ، فجعلها عصبة مع إناث ولد الميت . وذلك معنًى غير معنى وراثتها الميت ، إذا كان موروثاً كلالةً .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بذلك: وأخو المرأة يرثها إن ماتت قبله، إذا وُرِثت كلالة، [1] ولم يكن لها ولد ولا والد .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوٓاْ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾

قال أبو جعفر: يعنى جل ثناؤه بقوله: « فإن كانتا اثنتين » ، فإن كانت المتروكة من الأخوات لأبيه وأمه أو لأبيه = « اثنتين» فلهما ثلثا ما ترك أخوهما الميت، إذا لم يكن له ولد ، وورث كلالة = « وإن كانوا إخوة » ، يعنى : وإن كان المتروكون من إخوته = « رجالاً ونساء فللذكر » منهم بميراثهم عنه من تركته = « مثل حظ الأنثيين » ، يعنى : مثل نصيب اثنتين من أخواته .[2] وذلك إذا ورث كلالةً ، والإخوة والأخوات إخوته وأخواته لأبيه وأمه ، أو : لأبيه .

* * *

(١) فى المطبوعة : « إذا ورث كلالة » ، والصواب ما أثبت من المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « مثل حظ الأنثيين » فيما سلف : ٨ : ٣٠ - ٣٤ .

القول فى تأويل قوله ﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : يبين الله لكم قسمة مواريثكم، وحكم الكلالة، وكيف فرائضهم = «أن تضلوا»، بمعنى : لئلا تضلوا فى أمر المواريث وقسمتها، أى : لئلا تجوروا عن الحق فى ذلك وتخطئوا الحكم فيه ، فتضلّوا عن قصد السبيل ،[1] كما : —

١٠٨٩١ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « يبين الله لكم أن تضلوا » ، قال : فى شأن المواريث .

١٠٨٩٢ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا محمد بن حميد المعمرى = وحدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق = قالا جميعاً ، أخبرنا معمر، عن أيوب، عن ابن سيرين قال : كان عمر إذا قرأ : « يبين الله لكم أن تضلوا » قال : اللهم مَنْ بَيَّنت له الكلالة ، فلم تُبَيِّن لى .[2]

* * *

قال أبو جعفر : وموضع « أن » فى قوله : «يبين الله لكم أن تضلوا » ، نصبٌ، فى قول بعض أهل العربية ، لاتصالها بالفعل .

* * *

وفى قول بعضهم : خفضٌ ، بمعنى : يبين الله لكم بأن لا تضلوا ، ولئلا تضلوا = وأسقطت « لا » من اللفظ وهى مطلوبة فى المعنى ، لدلالة الكلام عليها . والعرب تفعل ذلك ، تقول : «جئتك أن تلومنى »، بمعنى : جئتك أن لا تلومنى ، كما قال القطامى فى صفة ناقة :

---

(١) انظر تفسير « الضلال » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٢) الأثر : ١٠٨٩٢ — انظر الأثر السالف رقم : ١٠٨٧٦ .

رَأَيْنَا مَا يَرَى الْبُصَرَاءُ فِيهَا فَآلَيْنَا عَلَيْهَا أَنْ تُبَاعَا[١]

بمعنى : أن لا تباع .

• • •

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١٧٦)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : « والله بكل شىء » من مصالح عباده فى قسمة مواريثهم وغيرها ، وجميع الأشياء = « عليم » ، يقول : هو بذلك كله ذو علم .[٢]

﴿ آخر تفسير سورة النساء ﴾

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على محمد وآله وسلم

---

(١) ديوانه ٤٣ ، وقد سلف من هذه القصيدة أبيات فى ١ : ١١٦/٧ : ٥٥٧ ، يصف ناقته لما بلغت مبلغها واستوت كما وصفها ، فيقول : لما رأينا كرمها وحسنها حلفنا عليها أن لا تباع ، لنفاستها علينا .

(٢) انظر تفسير « عليم » فيما سلف من فهارس اللغة .

تفسير

سورة المائدة

﴿ تفسير سورة المائدة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

وبه نستعين

القول فى تأويل قوله عزّ ذكره ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا »، يا أيها الذين أقرّوا بوحدانية الله، وأذعنوا له بالعبودية، وسلموا له الألوهة،[1] وصدّقوا رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم فى نبوته وفيما جاءهم به من عند ربهم من شرائع دينه = « أوفوا بالعقود »، يعنى : أوفوا بالعهود التى عاهدتموها ربّكم، والعقود التى عاقدتموها إياه، وأوجبتم بها على أنفسكم حقوقاً، وألزمتم أنفسكم بها لله فروضاً، فأتمّوها بالوفاء والكمال والتمام منكم لله بما ألزمكم بها، ولمن عاقدتموه منكم، بما أوجبتموه له بها على أنفسكم، ولا تنكُثُوها فتنقضوها بعد توكيدها.[2] ٣٢/٦

* * *

واختلف أهل التأويل فى « العقود » التى أمر الله جل ثناؤه بالوفاء بها بهذه الآية، بعد إجماع جميعهم على أن معنى « العقود »، العهود.

فقال بعضهم : هى العقود التى كان أهل الجاهلية عاقد بعضهم بعضاً على النُّصرة والمؤازرة والمظاهرة على من حاول ظلمه أو بغاه سوءاً، وذلك هو معنى « الحلف » الذى كانوا يتعاقدونه بينهم.

* ذكر من قال : معنى « العقود »، العهود.

١٠٨٩٣ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبدالله بن صالح قال، حدثنى

---

(١) فى المطبوعة : « الألوهية »، وأثبت ما فى المخطوطة.

(٢) انظر تفسير « أوفى » فيما سلف ١ : ٣/٥٥٧ : ٦/٣٤٨ : ٥٢٦.

معاوية بن صالح ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « أوفوا بالعقود » ، يعنى : بالعهود .

١٠٨٩٤ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله جل وعز : « أوفوا بالعقود » ، قال : العهود .

١٠٨٩٥ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٠٨٩٦ – حدثنا سفيان قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد ، مثله .(١)

١٠٨٩٧ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عبيد الله ، عن أبى جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس قال : جلسنا إلى مطرّف بن الشخّير وعنده رجل يحدثهم ، فقال : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » ، قال : هى العهود .(٢)

١٠٨٩٨ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « أوفوا بالعقود » ، قال : العهود

١٠٨٩٩ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن جويبر ، عن الضحاك : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » ، قال : هى العهود .

١٠٩٠٠ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول : « أوفوا بالعقود » ، بالعهود .

---

(١) الأثر : ١٠٨٩٦ – فى المخطوطة : « حدثنا سفيان قال ، حدثنا ابن أبى سفيان ، عن رجل . . . » وهو خطأ وسهو ، وهو إسناد دائر فى التفسير : سفيان بن وكيع ، عن أبيه وكيع ، عن سفيان الثورى .

(٢) الأثر : ١٠٨٩٧ – « عبيد الله » ، هو « عبيد الله بن موسى بن أبى المختار العبسى » « باذام » ، مضت ترجمته برقم : ٢٠٩٢ ، ٢٢١٩ ، ٥٧٩٦ ، ٧٧٥٨ . وكان فى المطبوعة هنا : « عبيد الله عن ابن أبى جعفر الرازى » ، وهو خطأ سيأتى على الصواب فى الأسانيد التالية رقم : ١٠٩٣٥ ، ١٠٩٥٧ ، ١٠٩٦٣ .

١٠٩٠١ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة في قوله : « أوفوا بالعقود » ، قال : بالعهود .

١٠٩٠٢ ــ حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « أوفوا بالعقود » ، قال : هى العهود .

١٠٩٠٣ ــ حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، سمعت الثورى يقول : « أوفوا بالعقود » ، قال : بالعهود .

١٠٩٠٤ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

قال أبو جعفر : و« العقود » جمع « عَقْدٍ » . وأصل « العقد » ، عقد الشيء بغيره ، وهو وصله به ، كما يعقد الحبل بالحبلِ ، إذا وصل به شدًّا . يقال منه : « عقد فلان بينه وبين فلان عقداً ، فهو يعقده » ، ومنه قول الحطيئة :

قَوْمٌ إذَا عَقَدُوا عَقْدًا لِجَارِهِمُ شَدُّوا العِنَاجَ وَشَدُّوا فَوْقَهُ الكَرَبَا(١)

---

(١) ديوانه : ٦ ، مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ١٤٥ ، اللسان (كرب) (عنج) ، من قصيدته التي قالها في الزبرقان بن بدر ، وبغيض بن عامر من بني أنف الناقة ، فمدح بغيضاً وقومه فقال :

قَوْمٌ هُمُ الأَنْفُ ، وَالأَذْنَابُ غَيْرُهُمُ ، وَمَنْ يُسَوِّى بِأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنَبَا !
قَوْمٌ يَبِيتُ قَرِيرَ العَيْنِ جَارُهُمُ إذَا لَوَى بِقُوَى أَطْنَابِهِمْ طُنُبَا
قَوْمٌ إذَا عَقَدُوا . . . . . .

هذا مثل ضربه يقول : إذا عقدوا للجار عقداً وذماماً ، أحكموا على أنفسهم العقد ، حتى يكون أقر عيناً بنصرتهم له ، وحمايتهم لعرضه وماله . وضرب المثل بالدلو ، التي يستقى بها وينتفع . و « العناج » : خيط يشد في أسفل الدلو ، ثم يشد في عروتها ، أو في أحد آذانها ، فإذا انقطع حبل الدلو ، أمسك العناج الدلو أن تقع في البئر . و « الكرب » الحبل الذى يشد على الدلو بعد « المنين » وهو الحبل الأول ، فإذا انقطع المنين بقى الكرب . فهذا هو المثل ، استوثقوا له بالعهد ، كما استوثقوا لدلوه بالحبل بعد الحبل حتى تكون بمأمن من القطع .

وذلك إذا وَاثقه على أمر وعاهده عليه عهداً بالوفاء له بما عاقده عليه، من أمان وذِمَّة ، أو نصرة ، أو نكاح ، أو بيع ، أو شركة ، أو غير ذلك من العقود .

* * *

ذكر من قال المعنى الذى ذكرنا عمن قاله فى المراد من قوله : « أوفوا بالعقود » .

١٠٩٠٥ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة فى قوله : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » ، أى : بعقد الجاهلية . ذُكر لنا أن نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : أوفوا بعقد الجاهلية ، ولا تحدثوا عقداً فى الإسلام . وذكر لنا أن فرات بن حيَّان العِجلى ، سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حلف الجاهلية ، فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم : لعلك تسأل عن حِلْف لخْمٍ وتَيْم الله ؟ فقال : نعم ، يا نبى الله ! قال : لا يزيده الإسلام إلاّ شدة .

١٠٩٠٦ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، حدثنا معمر ، عن قتادة : « أوفوا بالعقود » ، قال : عقود الجاهلية ، الحِلْف .

* * *

وقال آخرون : بل هى الحلف التى أخذ الله على عباده بالإيمان به وطاعته ، فيما أحل لهم وحرم عليهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٩٠٧ — حدثنى المثنى قال ، أخبرنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « أوفوا بالعقود » ، يعنى : ما أحل وما حرّم ، وما فرض ، وما حدَّ فى القرآن كله ، فلا تغدِروا ولا تنكُثوا . ثم شدَّد ذلك فقال : ﴿ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ﴾ إلى قوله : ﴿ سُوءُ الدَّارِ ﴾ [سورة الرعد : ٢٥] . ٣٣/٦

١٠٩٠٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن

ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « أوفوا بالعقود » ، ما عقد الله على العباد مما أحل لهم وحرّم عليهم .

* * *

وقال آخرون : بل هي العقود التي يتعاقدها الناس بينهم ، ويعقدها المرء على نفسه .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٩٠٩ – حدثنا سفيان بن وكيع قال ، حدثني أبي ، عن موسى بن عبيدة ، عن أخيه عبد الله بن عبيدة قال : العقود خمس : عُقدة الأيمان ، وعُقدة النكاح ، وعقدة العَهد ، وعقدة البيع ، وعقدة الحِلْف .

١٠٩١٠ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا وكيع ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظي = أو عن أخيه عبد الله بن عبيدة ، نحوه .

١٠٩١١ – حدثني يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا بن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » ، قال : عقد العهد ، وعقد اليمين وعَقد الحِلْف ، وعقد الشركة ، وعقد النكاح . قال : هذه العقود ، خمس .

١٠٩١٢ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عتبة بن سعيد الحمصي قال ، حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال ، حدثنا أبي في قول الله جل وعز : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » ، قال : العقود خمس : عقدة النكاح ، وعقدة الشركة ، وعقد اليمين ، وعقدة العهد ، وعقدة الحلف .[1]

* * *

وقال آخرون : بل هذه الآية أمرٌ من الله تعالى لأهل الكتاب بالوفاء بما أخذ به ميثاقهم ، من العمل بما في التوراة والإنجيل في تصديق محمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم به من عند الله .

---

(١) الأثر ١٠٩١٢ – « عتبة بن سعيد الحمصي » مضى برقم : ٨٩٦٦ .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٩١٣ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « أوفوا بالعقود » ، قال : العهود التي أخذها الله على أهل الكتاب : أن يعملوا بما جاءهم .

١٠٩١٤ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال، حدثني الليث قال، حدثني يونس قال ، قال محمد بن مسلم : قرأت كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كتب لعمرو بن حزم حين بعثه على نَجْران ،[1] فكان الكتاب عند أبي بكر بن حزم ، فيه : « هذا بيان من الله ورسوله : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » ، فكتب الآيات منها حتى بلغ « إن الله سريع الحساب » .[2]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب، ما قاله ابن عباس، وأن معناه: أوفوا، يا أيها الذين آمنوا ، بعقود الله التي أوجبَهَا عليكم ، وعقدها فيما أحلّ لكم وحرم عليكم ، وألزمكم فرضه ، وبيّن لكم حدوده .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب من غيره من الأقوال ، لأن الله جل وعز أتبع ذلك البيانَ عما أحل لعباده وحرم عليهم ، وما أوجب عليهم من فرائضه . فكان معلوماً بذلك أن قوله: « أوفوا بالعقود » ، أمرٌ منه عبادَه بالعمل بما ألزمهم من فرائضه وعقوده عقيب ذلك، ونَهْيٌ منه لهم عن نقض ماعقده عليهم منه ، مع أن قوله : « أوفوا بالعقود »، أمرٌ منه بالوفاء بكل عقد أذن فيه، فغير جائز أن يخصّ منه شيء حتى تقوم حجة بخصوص شيء منه يجب التسليم لها . فإذْ كان الأمر في ذلك كما وصفنا ، فلا معنى لقول من وجّه ذلك إلى معنى الأمر بالوفاء ببعض العقود التي أمرَ الله بالوفاء بها دون بعض .

* * *

(١) في المطبوعة : « بعثه إلى نجران » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٠٩١٤ – روى كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبو جعفر في التاريخ ٣ : ١٥٧ ، وهو في سيرة ابن هشام ٤ : ٢٤١ ، وفتوح البلدان للبلاذري : ٧٧ ، وغيرها .

وأما قوله : « أوفوا » فإن للعرب فيه لغتين :

إحداهما : « أوفوا »، من قول القائل : « أوفيت لفلان بعهده ، أو فى له به » .

والأخرى من قولهم : « وفيت له بعهده أفى » .[1]

و « الإيفاء بالعهد »، إتمامه على ما عقد عليه من شروطه الجائزة .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى « بهيمة الأنعام » التى ذكر الله عز ذكره فى هذه الآية أنه أحلها لنا .

فقال بعضهم : هى الأنعام كلها .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٩١٥ — حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنا عبد الأعلى ، عن عوف ، عن الحسن قال : بهيمة الأنعام ، هى الإبل والبقر والغنم .

١٠٩١٦ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « أحلت لكم بهيمة الأنعام » ، قال : الأنعام كلها .

١٠٩١٧ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا ابن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « أحلت لكم بهيمة الأنعام » ، قال : الأنعام كلها .

١٠٩١٨ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس فى قوله : « أحلت لكم بهيمة الأنعام » ، قال : الأنعام كلها .[2]

١٠٩٢٠ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ،

---

(١) انظر تفسير « أوفى » فيما سلف ١ : ٥٥٧ — ٣/٥٥٩ : ٦/٣٤٨ : ٥٢٦ .

(٢) سقط من التعليق ، رقم : ١٠٩١٩ .

٣٤/٦ أخبرنا عبيد بن سليمان قال، سمعت الضحاك يقول في قوله: «بهيمة الأنعام»، هي الأنعام.

* * *

وقال آخرون: بل عنى بقوله: «أحلت بهيمة الأنعام»، أجنة الأنعام التي توجد في بطون أمهاتها - إذا نحرت أو ذبحت - ميتةً.

* ذكر من قال ذلك:

١٠٩٢١ - حدثني الحارث بن محمد قال، حدثنا عبد العزيز قال، أخبرنا أبو عبد الرحمن الفزاري، عن عطية العوفي، عن ابن عمر في قوله: «أحلت لكم بهيمة الأنعام». قال: ما في بطونها. قال قلت: إن خرج ميتاً آكله؟ قال: نعم.

١٠٩٢٢ - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا يحيى بن زكريا، عن إدريس الأودي، عن عطية، عن ابن عمر نحوه = وزاد فيه قال: نعم، هو بمنزلة رئتها وكبدها.

١٠٩٢٣ - حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا، حدثنا جرير، عن قابوس، عن أبيه، عن ابن عباس قال: الجنين من بهيمة الأنعام، فكلوه.

١٠٩٢٤ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن مسعر = وسفيان، عن قابوس = عن أبيه، عن ابن عباس: أن بقرة نحرت فوُجد في بطنها جنين، فأخذ ابن عباس بذنَب الجنين فقال: هذا من بهيمة الأنعام التي أحلّت لكم.

١٠٩٢٥ - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن يمان، عن سفيان، عن قابوس، عن أبيه، عن ابن عباس قال: هو من بهيمة الأنعام.

١٠٩٢٦ - حدثنا ابن بشار قال، حدثنا أبو عاصم ومؤمل قالا، حدثنا سفيان، عن قابوس، عن أبيه قال: ذبحنا بقرة، فإذا في بطنها جنين، فسألنا ابن عباس فقال: هذه بهيمة الأنعام.

* * *

قال أبو جعفر: وأولى القولين بالصواب في ذلك، قول من قال: عنى

بقوله: « أحلت لكم بهيمة الأنعام »، الأنعام كلها : أجنّتها وسِخَالها وكبارها .[١] لأن العرب لا تمتنع من تسمية جميع ذلك « بهيمة وبهائم »، ولم يخصص الله منها شيئاً دون شيء . فذلك على عمومه وظاهره، حتى تأتى حجة بخصوصه يجب التسليم لها .

* * *

وأما « النعم » فإنها عند العرب ، اسم للإبل والبقر والغنم خاصة ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ ، [سورة النحل : ٥] ، ثم قال : ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ [سورة النحل : ٨] ، ففصل جنس النعم من غيرها من أجناس الحيوان .[٢]

وأما « بهائمها »، فإنها أولادها. وإنما قلنا يلزم الكبار منها اسم «بهيمة»، كما يلزم الصغار ، لأن معنى قول القائل: « بهيمة الأنعام»، نظير قوله: « ولد الأنعام » . فلما كان لا يسقط معنى الولادة عنه بعد الكبر، فكذلك لا يسقط عنه اسم البهيمة بعد الكبر.

* * *

وقد قال قوم: « بهيمة الأنعام »، وحشيُّها ، كالظباء وبقر الوحش والحُمر.[٣]

* * *

القولُ فى تأويل قوله ﴿ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى الذى عناه الله بقوله: « إلا ما يتلى عليكم».

فقال بعضهم: عنى الله بذلك: أحلت لكم أولاد الإبل والبقر والغنم، إلا ما بيّن الله لكم فيما يتلى عليكم بقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ﴾ ، الآية [سورة المائدة: ٣].

* ذكر من قال ذلك :

١٠٩٢٧ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا

---

(١) « السخال » جمع « سخلة » (بفتح فسكون) : وهى ولد الشاة من المعز والضأن ، ذكراً كان أو أنثى .

(٢) انظر تفسير « الأنعام » فيما سلف ٦ : ٢٥٤ .

(٣) هى مقالة الفراء فى معانى القرآن ١ : ٢٩٨ .

عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « بهيمة الأنعام إلاّ ما يتلى عليكم » ، إلا الميتة وما ذكر معها .

١٠٩٢٨ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « أحلت لكم بهيمة الأنعام إلاّ ما يتلى عليكم » ، أى : من الميتة التى نهى الله عنها ، وقدّم فيها .

١٠٩٢٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « إلاّ ما يتلى عليكم » ، قال : إلا الميتة وما لم يذكر اسم الله عليه .

١٠٩٣٠ – حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « إلا ما يتلى عليكم » ، الميتة والدم ولحم الخنزير .

١٠٩٣١ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « أحلت لكم بهيمة الأنعام إلاّ ما يتلى عليكم » ، الميتة ولحم الخنزير .

١٠٩٣٢ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « أحلت لكم بهيمة الأنعام إلاّ ما يتلى عليكم » ، هى الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهِلّ لغير الله به .

* * *

وقال آخرون : بل الذى استثنى الله بقوله : « إلاّ ما يتلى عليكم » ، الخنزير .

* ذكر من قال ذلك .

١٠٩٣٣ – حدثنى عبد الله بن داود قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « إلاّ ما يتلى عليكم » ، قال : الخنزير .

١٠٩٣٤ – حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد ابن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « إلاّ ما يتلى عليكم » ، يعنى : الخنزير .

* * *

٥/٦ قال أبو جعفر : وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب ، تأويل من قال : « عنى بذلك : إلا ما يتلى عليكم من تحريم الله ما حرّم عليكم بقوله : «حرمت عليكم الميتة» ، الآية . لأن الله عز وجل استثنى مما أباح لعباده من بهيمة الأنعام ، ما حرّم عليهم منها . والذى حرّم عليهم منها ، ما بيّنه فى قوله : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ ﴾ [سورة المائدة : ٣] . وإن كان حرّمه الله علينا ، فليس من بهيمة الأنعام فيستثنى منها . فاستثناء ما حرّم علينا مما دخل فى جملة ما قبل الاستثناء ، أشبهُ من استثناء ما حرّم مما لم يدخل فى جملة ما قبل الاستثناء .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : معنى ذلك : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » = « غير محلى الصيد وأنتم حرم» = « أحلت لكم بهيمة الأنعام ». فذلك ، على قولهم ، من المؤخر الذى معناه التقديم . فـ « غير » منصوب = على قول قائلى هذه المقالة = على الحال مما فى قوله : « أوفوا » من ذكر « الذين آمنوا » .

وتأويل الكلام على مذهبهم : أوفوا ، أيها المؤمنون ، بعقود الله التى عقدها عليكم فى كتابه ، لا محلّين الصيد وأنتم حرم .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : أحلت لكم بهيمة الأنعام الوحشية من الظباء والبقر والحمر = « غير محلى الصيد » ، غير مستحلّى اصطيادها ، « وأنتم حرم إلا

ما يتلى عليكم » . فـ « غير » ، على قول هؤلاء ، منصوب على الحال من « الكاف والميم » اللتين فى قوله : « لكم » ، بتأويل : أحلت لكم ، أيها الذين آمنوا ، بهيمة الأنعام ، لا مستحلّى اصطيادها فى حال إحرامكم .(١)

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : أحلت لكم بهيمة الأنعام كلها = « إلاّ ما يتلى عليكم » ، إلا ما كان منها وحشيًّا ، فإنه صيد ، فلا يحل لكم وأنتم حرم . فكأن من قال ذلك ، وجّه الكلام إلى معنى : أحلت لكم بهيمة الأنعام كلها = « إلاّ ما يتلى عليكم » ، إلا ما يبين لكم من وحشيها ، غيرَ مستحلى اصطيادها فى حال إحرامكم . فتكون « غير » منصوبة ، على قولهم ، على الحال من « الكاف والميم » فى قوله : « إلا ما يتلى عليكم » .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٩٣٥ — حدثنا سفيان بن وكيع قال ، حدثنا عبيد الله ، عن أبى جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس قال : جلسنا إلى مطرِّف بن الشخير ، وعنده رجل ، فحدّثهم فقال : « أحلت لكم بهيمة الأنعام » صيدًا = « غير محلى الصيد وأنتم حرم » ، فهو عليكم حرام . يعنى : بقر الوحش والظباءَ وأشباهه .(٢)

١٠٩٣٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس فى قوله : « أحلت لكم بهيمة الأنعام إلاّ ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم » ، قال : الأنعام كلها حِلٌّ ، إلا ما كان منها وحشيًّا ، فإنه صيد ، فلا يحل إذا كان مُحْرِماً .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب = على ما تظاهر به تأويل

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٩٨ .

(٢) انظر الإسناد السالف رقم : ١٠٨٩٧ ، وكان هناك عن « ابن أبى جعفر الرازى » ، وهذا هو الإسناد الصحيح ، صححت ذلك عليه وسيأتى برقم ١٠٩٥٧ ، ١٠٩٦٣ .

أهل التأويل فى قوله : « أحلت لكم بهيمة الأنعام » ، من أنها الأنعام وأجنّتها وسخالها ، وعلى دلالة ظاهر التنزيل = قولُ من قال : معنى ذلك : أوفوا بالعقود ، غيرَ محلى الصيد وأنتم حرم ، فقد أحلت لكم بهيمة الأنعام فى حال إحرامكم أو غيرها من أحوالكم ، إلا ما يتلى عليكم تحريمه من الميتة منها والدم ، وما أهل لغير الله به .

وذلك أن قوله : « إلا ما يتلى عليكم » ، لوكان معناه : « إلا الصيد » ، لقيل : « إلاّ ما يتلى عليكم من الصيد غير محليه » . وفى ترك الله وَصْلَ قوله : « إلا ما يتلى عليكم » بما ذكرت ، وإظهار ذكر الصيد فى قوله : « غير محلى الصيد » ، أوضحُ الدليل على أن قوله : « إلا ما يتلى عليكم » ، خَبَرٌ متناهية قصته ، وأن معنى قوله : « غير محلى الصيد » ، منفصل منه .

وكذلك لو كان قوله : « أحلت لكم بهيمة الأنعام » ، مقصوداً به قصد الوحش ، لم يكن أيضاً لإعادة ذكر الصيد فى قوله : « غير محلى الصيد » وَجْهٌ ، وقد مضى ذكره قبل ، ولقيل : « أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلّيه وأنتم حرم » . وفى إظهاره ذكر الصيد فى قوله : « غير محلى الصيد » ، أبينُ الدلالة على صحة ما قلنا فى معنى ذلك .

* * *

فإن قال قائل : فإن العرب ربما أظهرت ذكر الشيء باسمه وقد جرى ذكره باسمه؟

قيل : ذلك من فعلها ضرورة شعر ، وليس ذلك بالفصيح المستعمل من كلامهم . وتوجيه كلام الله إلى الأفصح من لغات من نزل كلامه بلغته ، أولى = ما وُجد إلى ذلك سبيل = من صرفه إلى غير ذلك .

* * *

قال أبو جعفر : فمعنى الكلام إذاً : يا أيها الذين آمنوا أوفوا بعقود الله التى عقد عليكم مما حرّم وأحلّ ، لامحلين الصيد فى حرمكم ، ففيما أحلّ لكم من بهيمة الأنعام المذكّاة دون ميتتها ، متّسع لكم ومستغنًى عن الصيد فى حال إحرامكم . ٣٦/٦

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ (١)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : إن الله يقضى فى خلقه ما يشاء ،[1] من تحليل ما أراد تحليله ، وتحريم ما أراد تحريمه ، وإيجاب ما شاء إيجابه عليهم ، وغير ذلك من أحكامه وقضاياه = فأوفوا ، أيها المؤمنون ، له بما عقدَ عليكم من تحليل ما أحل لكم وتحريم ما حرّم عليكم ، وغير ذلك من عقوده ، فلا تنكثوها ولا تنقضوها ، كما : —

١٠٩٣٧ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إن الله يحكم ما يريد » ، إن الله يحكم ما أراد فى خلقه ، وبيّن لعباده ، وفرض فرائضه ، وحدّ حدوده ، وأمر بطاعته ، ونهى عن معصيته .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى معنى قول الله : « لا تحلوا شعائر الله».

فقال بعضهم معناه : لا تحلوا حُرُمات الله ، ولا تتعدّوا حدوده = كأنهم وجهوا «الشعائر» إلى المعالم ، وتأولوا «لا تحلوا شعائر الله» ، معالم حدود الله ، وأمرَه ونهيَه وفرائضَه.

* [ذكر من قال ذلك] :[2]

١٠٩٣٨ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عبد الوهاب الثقفى قال ، حدثنا حبيب المعلم ، عن عطاء : أنه سئل عن « شعائر الله » فقال : حُرُمات الله ، اجتناب سَخَطِ الله ، واتباع طاعته ، فذلك « شعائر الله » .

* * *

(١) انظر تفسير « حكم » فيما سلف : ص ٣٢٤ : تعليق : ٣ .

(٢) ما بين القوسين زيادة ليست فى المخطوطة ولا المطبوعة ، وأثبتها على نهج أبى جعفر فى تفسيره .

وقال آخرون : معنى ذلك : [1] لا تحلوا حَرَم الله = فكأنهم وجهوا معنى قوله : « شعائر الله » ، أى : معالم حرم الله من البلاد .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٩٣٩ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله » ، قال : أما « شعائر الله » ، فحرَم الله .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : لا تحلّوا مناسك الحج فتضيعوها = وكأنهم وجّهوا تأويل ذلك إلى : لا تحلوا معالم حدود الله التى حدّها لكم فى حجّكم .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٩٤٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال ابن عباس قوله : « لا تحلوا شعائر الله » ، قال : مناسك الحج .

١٠٩٤١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنا معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله » ، قال : كان المشركون يحجّون البيت الحرام ، ويهدُون الهدايا ، ويعظّمون حرمة المشاعر ، ويتّجرون فى حجهم ، فأراد المسلمون أن يُغَيِّروا عليهم ، فقال الله عز وجل : « لا تحلوا شعائر الله » .

١٠٩٤٢ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « شعائر الله » ، الصفا والمروة ، والهَدْى ، والبُدْن ، كل هذا من « شعائر الله » .

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « معنى قوله » ، وهو لا يستقيم ، وما أثبت أشبه بالصواب .

١٠٩٤٣ – حدثني المثنى قال ، حدثني أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : لا تحلوا ما حرّم الله عليكم في حال إحرامكم .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٩٤٤ – حدثنا محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « لا تحلوا شعائر الله » ، قال : « شعائر الله » ، ما نهى الله عنه أن تصيبه وأنت محرِم

* * *

= وكأن الذين قالوا هذه المقالة ، وجّهوا تأويل ذلك إلى : لا تحلوا معالم حدود الله التي حرّمها عليكم في إحرامكم .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلات بقوله : « لا تحلوا شعائر الله » ، قول عطاء الذي ذكرناه،[1] من توجيهه معنى ذلك إلى : لا تحلوا حرمات الله ولا تضيعوا فرائضه .

* * *

لأن « الشعائر » جمع « شعيرة » ، « والشعيرة » « فعيلة » من قول القائل : « قد شعر فلان بهذا الأمر »، إذا علم به . فـ « الشعائر » ، المعالم ، من ذلك .[2]

* * *

وإذا كان ذلك كذلك ، كان معنى الكلام : لا تستحلوا، أيها الذين آمنوا ، معالم الله = فيدخل في ذلك معالم الله كلها في مناسك الحج : من تحريم ما حرّم الله إصابته فيها على المحرم ، وتضييع ما نهى عن تضييعه فيها ، وفيما حرّم من استحلال حُرمات حَرَمه ، وغير ذلك من حدوده وفرائضه، وحلاله وحرامه ، لأن

---

(١) هو الأثر السالف رقم : ١٠٩٣٨ .

(٢) انظر تفسير « شعائر الله » فيما سلف ٣ : ٢٢٦ – ٢٢٨ .

كل ذلك من معالمه وشعائره التى جعلها أماراتٍ بين الحق والباطل ، يُعْلَم بها حلالُه وحرامه ، وأمره ونهيه .

وإنما قلنا ذلك القول أولى بتأويل قوله تعالى : « لا تحلوا شعائر الله » ، لأن الله نهى عن استحلال شعائره ومعالم حدوده وإحلالها نهياً عامًّا ، من غير اختصاص شيء من ذلك دون شيء ، فلم يَجُز لأحد أن يوجِّه معنى ذلك إلى الخصوص إلا بحجة يجب التسليم لها ، ولا حجة بذلك كذلك . ٣٧/٦

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « ولا الشهر الحرام » ، ولا تستحلوا الشهر الحرام بقتالكم فيه أعداءَكم من المشركين ،[1] وهو كقوله : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾ [سورة البقرة : ٢١٧] .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال ابن عباس وغيره .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٩٤٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « ولا الشهر الحرام » ، يعنى : لا تستحلوا قتالا فيه.

١٠٩٤٦ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : كان المشرك يومئذ لا يُصَدُّ عن البيت ، فأمروا أن لا يقاتلوا فى الشهر الحرام ولا عند البيت .

* * *

(١) فى المطبوعة : « بقتالكم به » ، والصواب من المخطوطة .

وأما « الشهر الحرام » الذى عناه الله بقوله : « ولا الشهر الحرام » ، فرجب مُضَر ، وهو شهر كانت مضر تحرِّم فيه القتال .

* * *

وقد قيل : هو فى هذا الموضع « ذو القعدة » .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٩٤٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة قال : هو ذو القعدة .

* * *

وقد بينا الدلالة على صحة ما قلنا فى ذلك فيما مضى ، وذلك فى تأويل قوله : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه » .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ ﴾

قال أبو جعفر : « أما الهدى » ، فهو ما أهداه المرء من بعيرٍ أو بقرة أو شاة أو غير ذلك ، إلى بيت الله ، تقرُّباً به إلى الله ، وطلبَ ثوابه .(٢)

* * *

يقول الله عز وجل : فلا تستحلوا ذلك ، فتغصبوه أهله غَلَبةً ،(٣) ولا تحولوا بينهم وبين ما أهدوا من ذلك أن يبلُغوا به المحِلَّ الذى جعله الله جل وعزّ محِلَّه من كعبته .

* * *

(١) انظر ما سلف فى « الشهر الحرام » ٤ : ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، وما بعدها ، وهو الموضع الذى ذكره ، ثم قبله ٣ : ٥٧٥ — ٥٧٩ .

وتفسير « الشهر » فيما سلف ٣ : ٤٤٠ .

(٢) انظر تفسير « الهدى » فيما سلف ٤ : ٢٤ ، ٢٥ .

(٣) فى المطبوعة : « فتغصبوا أهله عليه » ، وفى المخطوطة كما كتبتها ، إلا أن كتب « عليه » بالياء ، ووضع فتحة على العين ، وفتحة على اللام ، وظاهر أن « الياء » إنما هى « باء » ، وأن الناسخ لما رآها مضبوطة فى النسخة الأم نقل الشكل ، ووضع الإعجام من عند نفسه . هذا وصواب الكلام يقتضى أيضاً ما أثبت .

وقد روى عن ابن عباس أن « الهدى » إنما يكون هدياً ما لم يُقَلَّد .

١٠٩٤٨ – حدثني بذلك محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ولا الهدى » ، قال : الهدى ما لم يقلَّد ، وقد جعل على نفسه أن يهديه ويقلِّده .

* * *

وأما قوله : « ولا القلائد » ، فإنه يعني : ولا تحلوا أيضاً القلائد .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل في « القلائد » التي نهى الله عز وجل عن إحلالها .

فقال بعضهم : عنى بـ « القلائد » ، قلائدَ الهدى . وقالوا : إنما أراد الله جل وعز بقوله : « ولا الهدى ولا القلائد » ، ولا تحلوا الهدايا المقلَّدات منها وغير المقلَّدات. فقوله : « ولا الهدى »، ما لم يقلّد من الهدايا = « ولا القلائد » ، المقلّد منها . قالوا : ودلّ بقوله : « ولا القلائد » ، على معنى ما أراد من النهي عن استحلال الهدايا المقلّدة .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٩٤٩ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ولا القلائد » ، القلائد ، مقلَّدات الهدى . وإذا قلَّد الرجل هديه فقد أحرم . فإن فعل ذلك وعليه قميصه ، فليخلَعْه .

* * *

وقال آخرون : يعني بذلك : القلائد التي كان المشركون يتقلدونها إذا أرادوا الحج مقبلين إلى مكة، من لِحَاء السَّمُر [1] = وإذا خرجوا منها إلى منازلهم منصرفين منها ، من الشَّعَر.

---

(١) « لحاء الشجرة » (بكسر اللام) : قشرها . و « السمر » (بفتح السين وضم الميم) : ضرب من الشجر ، صغار الورق ، قصار الشوك ، وله برمة صفراء يأكلها الناس ، وليس في العضاه شيء أجود خشباً منه . ينقل إلى القرى ، فتغمى به البيوت .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٩٥٠ ــ حدثني الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام » ، قال : كان الرجل في الجاهلية إذا خرج من بيته يريد الحج ، تقلّد من السَّمُر ، فلم يعرض له أحد . فإذا رجع تقلّد قِلادة شَعَر ، فلم يعرض له أحد .

* * *

وقال آخرون : بل كان الرجل منهم يتقلّد = إذا أراد الخروج من الحرم ، أو خرج = من لحاء شجر الحرم ، فيأمن بذلك من سائر قبائل العرب أن يعرضوا له بسوء.

* ذكر من قال ذلك :

١٠٩٥١ ــ حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن مالك بن مغول ، عن عطاء : « ولا القلائد » ، قال : كانوا يتقلدون من لحاء شجر الحرم ، يأمنون بذلك إذا خرجوا من الحرم ، فنزلت : « لا تحلوا شعائر الله » ، الآية ، « ولا الهدى ولا القلائد » .

١٠٩٥٢ ــ حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ولا القلائد » ، قال : « القلائد » ، اللحاء في رقاب الناس والبهائم ، أمْنٌ لهم .

١٠٩٥٣ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٠٩٥٤ ــ حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « ولا الهدى ولا القلائد » ، قال : إن العرب كانوا يتقلدون من لحاء شجر مكة ، فيقيم الرجل بمكانه ، حتى إذا انقضت الأشهر الحرم ، فأراد أن يرجع إلى أهله ، قلّد نفسه وناقته من لحاء الشجر ، فيأمن حتى يأتي أهله . ٣٨/٦

١٠٩٥٥ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « ولا القلائد »، قال : « القلائد » ، كان الرجل يأخذ لحاء شجرة من شجر الحرم ، فيتقلدها ، ثم يذهب حيث شاء ، فيأمن بذلك . فذلك « القلائد » .

* * *

وقال آخرون : إنما نهى الله المؤمنين بقوله : « ولا القلائد » ، أن ينزعوا شيئاً من شجر الحرم فيتقلّدوه ، كما كان المشركون يفعلونه في جاهليتهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٩٥٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن عبد الملك ، عن عطاء في قوله : « ولا الهدى ولا القلائد » ، كان المشركون يأخذون من شجر مكة ، من لحاء السَّمُر ، فيتقلدونها ، فيأمنون بها من الناس . فنهى الله أن ينزع شجرها فَيُتَقَلَّد .

١٠٩٥٧ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عبيد الله ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس قال: جلسنا إلى مُطرِّف بن الشخير ، وعنده رجل فحدّثهم في قوله : « ولا القلائد » ، قال : كان المشركون يأخذون من شجر مكة ، من لِحاء السمر ، فيتقلدون فيأمنون بها في الناس . فنهى الله عز ذكره أن يُنزع شجرها فيتقلَّد .

* * *

قال أبو جعفر : والذي هو أولى بتأويل قوله : « ولا القلائد » = إذ كانت معطوفة على أول الكلام ، ولم يكن في الكلام ما يدلّ على انقطاعها عن أوله ، ولا أنه عنى بها النهي عن التقلد أو اتخاذ القلائد من شيء = أن يكون معناه : ولا تُحِلّوا القلائد .

فإذ كان ذلك بتأويله أولى، فمعلوم أنه نَهْيٌ من الله جل ذكره عن استحلال حرمة المقلَّد ، هدياً كان ذلك أو إنساناً، دون حرمة القلادة . وإن الله عز ذكره، إنما دلّ بتحريمه حرمة القلادة، على ما ذكرنا من حرمة المقلَّد ، فاجتزأ بذكره

« القلائد» من ذكر « المقلد»، إذ كان مفهوماً عند المخاطبين بذلك معنى ما أريد به .

* * *

فمعنى الآية = إذ كان الأمر على ما وصفنا = : يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ، ولا الشهر الحرام، ولا الهدى ، ولا المقلِّد نفسَه بقلائد الحرم . (١)

* * *

وقد ذكر بعض الشعراء فى شعره ما ذكرنا عمن تأوّل « القلائد » أنها قلائد لحاء شجر الحرم الذى كان أهل الجاهلية يتقلّدونه ، فقال وهو يعيب رجلين قتلا رجلين كانا تقلّدا ذلك : (٢)

أَلَمْ تَقْتُلَا الْحِرْجَيْنِ إِذْ أَعْوَرَا كُمَا ... يُمِرَّانِ بِالْأَيْدِى اللِّحَاءَ الْمُضَفَّرَا (٣)

و « الحرجان » ، المقتولان كذلك . ومعنى قوله : « أعوراكما » ، أمكناكما من عورتهما . (٤)

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « ولا المقلد بقسميه » ، وهو لا معنى له، والصواب ما فى المخطوطة . يعنى : الذى يقلد نفسه قلادة من شجر أو شعر ، ليأمن ، كما ذكر آنفاً ، وانظر الفقرة التالية .

(٢) القائل هو حذيفة بن أنس الهذلى .

(٣) أشعار الهذليين ٣ : ١٩ ، والمعانى الكبير : ١١٢٠ ، واللسان (حرج) . و « الحرج » (بكسر الحاء وسكون الراء) : الودعة ، قالوا : عنى بالحرجين : رجلين أبيضين كالودعة ، فإما أن يكون البياض لونهما ، وإما أن يكون كنى بذلك عن شرفهما . وقال شارح ديوانه : « ويكون أيضاً الحرجان ، رجلين يقال لهما : الحرجان » . و « أمر الحبل يمره » : فتله . و « اللحاء » ، قشر الشجر . و « المضفر » الذى جدل ضفائر .

هذا وقد ذكر أبو جعفر أن الشعر فى رجلين قتلا رجلين ، وروى « ألم تقتلا » ، والذى فى المراجع « ألم تقتلوا » ، وهو الذى يدل عليه سياق الشعر ، فإن أوله قبل البيت :

أَلَا أَبْلِغَا جُلَّ السَّوَارِى وَجَابِراً ... وَأَبْلِغْ بَنِى ذِى السَّهْمِ عَنِّى وَيَعْمَرَا

وَقُولَا لَهُمْ عَنِّى مَقَالَةَ شَاعِرٍ ... أَلَمْ بِقَوْلٍ ، لَمْ يُحَاوِلْ لِيَفْخَرَا

لَعَلَّكُمْ لَمَّا قَتَلْتُمْ ذَكَرْتُمُ ... وَلَنْ تَتْرُكُوا أَنْ تَقْتُلُوا ، مَنْ تَعَمَّرَا

فالشعر كله بضمير الجمع . وسببه أن جندباً ، أخو البريق بن عياض اللحيانى ، قتل قيساً وسالماً ابنى عامر بن عريب الكنانيين ، وقتل سالم جندباً ، اختلفا ضربتين .

(٤) رواية أبى جعفر كما شرحها « أعوراكما »، ورواية الديوان « أعورا لكم »، وهى فى سياق

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ﴾ (١)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله عز ذكره : « ولا آمين البيت الحرام » ، ولا تحلُّوا قاصدى البيت الحرام العامديه . (٢)

* * *

تقول منه : « أممت كذا » ، إذا قصدته وعمدته ، وبعضهم يقول : « يَمَمْته » ، (٣) كما قال الشاعر : (٤)

إنِّى كَذَاكَ إذَا مَا سَاءَنِى بَلَدٌ يَمَمْتُ صَدْرَ بَعِيرِى غَيْرَهُ بَلَدَا (٥)

* * *

« والبيت الحرام » ، بيت الله الذى بمكة ، وقد بينت فيما مضى لم قيل له « الحرام » . (٦)

* * *

= « يبتغون فضلاً من ربهم » ، يعنى : يلتمسون أرباحاً فى تجاراتهم من الله

لمشعر ، ورواية اللسان : « أعرضا لكم » ، ويروى « عورا لكم » بتشديد الواو . هذا على أن هذه الرواية : « أعور » متعدياً ، والذى كتب فى اللغة « أعور لك الشىء فهو معور » .

(١) كان فى المطبوعة والمخطوطة : « ولا آمين البيت الحرام » ، ولم يأت بقية ما شرح من الآية فى هذا الموضع . فزدت ما شرحه هنا . هذا على أنه سيعود إلى شرحه مرة أخرى فى ص : ٤٧٩ . وهذا غريب جداً ، لا أدرى كيف وقع لأبى جعفر ، فلعله نسى ، أو أخذه ما يأخذه الناس من التعب عند هذا الموضع ، ثم عاد إليه فلم يغير ، ثم ابتدأ الكلام فى تفسير بقية الآية ، وترك ما مضى .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « ولا تحلوا قاصدين البيت » ، وهو خطأ ، كما يدل عليه السياق . والصواب ما أثبته .

(٣) انظر تفسير « أم يؤم » فيما سلف ٥ : ٨/٥٥٨ : ٤٠٧ .

وقوله : « يممته » ثلاثى ، بفتح الياء والميم الأولى وسكون الثانية : مثل « ضربت » .

(٤) لم أعرف قائله .

(٥) مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٤٦ .

(٦) انظر ما سلف ٣ : ٤٤ — ٥١ .

= « ورضواناً » ، يقول : وأن يرضى الله عنهم بنسكهم .

* * *

وقد قيل : إن هذه الآية نزلت فى رجل من بنى ربيعة يقال له : « الُحطَمُ » .

• ذكر من قال ذلك :

١٠٩٥٨ ـ حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : أقبل الُحطم بن هند البكرى ، ثم أحد بنى قيس ابن ثعلبة ، [1] حتى أتى النبى صلى الله عليه وسلم وحده ، وخلّف خيله خارجة من المدينة . فدعاه ، فقال : إلام تدعو ؟ فأخبره = وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : يدخل اليوم عليكم رجل من ربيعة ، يتكلم بلسان شيطان ! = فلما أخبره النبى صلى الله عليه وسلم قال : أنظر ، ولعلّى أسلم ، [2] ولى من أشاوره . فخرج من عنده ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقد دخل بوجه كافر ، وخرج بعَقِب غادرٍ ! فمرّ بسَرْح من سَرْح المدينة فساقه ، فانطلق به وهو يرتجز : [3]

---

(١) « الحطم » لقب ، واسمه : « شريح بن ضبيعة بن شرحبيل بن عمرو بن مرثد بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، من بكر بن وائل » (جمهرة الأنساب : ٣٠١) ، وهذا « الحطم » ، خرج فى الردة ، فى السنة الحادية عشرة ، فيمن تبعه من بكر بن وائل ، ومن تأشب إليه من غير المرتدين ممن لم يزل كافراً ، فخرج بهم حتى نزل القطيف وهجر ، واستغوى الخط ، ومن فيها من الزط والسيابجة . وحاصر المسلمين حصاراً شديداً . فتجمع المسلمون جميعاً إلى العلاء ابن الحضرمى ، وتجمع المشركون كلهم إلى الحطم . ثم بيتهم المسلمون وقتلوا الحطم ومن معه فى خبر طويل (انظر تاريخ الطبرى ٣ : ٢٥٤ — ٢٦٠) .

وقوله هنا : « الحطم بن هند » ، أتى بذكر أمه من الشعر الآتى ، واسم أبيه هو ما مر بك آنفاً ، وهى : « هند بنت حسان بن عمرو بن مرثد » (رغبة الآمل ٤ : ٧٥) .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « انظروا لعلى أسلم » ، وليس بشىء ، والصواب ما أثبت ، ويؤيده كلامه الآتى فى الخبر التالى .

(٣) اختلفوا فى نسبة هذا الشعر اختلافاً كثيراً ، فنقل التبريزى فى شرح الحماسة (١ : ١٨٥) خبر رشيد بن رميض العنزى (بفتح العين ، وسكون النون) من بنى عنز بن وائل ، بلا شك عندى فى ذلك . قال التبريزى : « قالها فى غارة الحطم ، وهو شريح بن شرحبيل بن عمرو بن مرثد ، أغار على اليمن ، فقتل وليعة بن معد يكرب ، أخا قيس ، وسبى بنت قيس بن معد يكرب ، أخت الأشعث ابن قيس ، فبعث الأشعث يعرض عليه فى فدائها ، بكل قرن من قرونها (ضفائرها) مئة من الإبل . فلم يفعل الحطم ، وماتت عنده عطشاً . (وانظر غير ذلك فى الأغانى ١٤ : ٤٤) .

قَدْ لَفَّهَا اللَّيْـــلُ بِسَوَّاقٍ حُطَمْ لَيْسَ بِرَاعِى إِبِلٍ وَلاَ غَنَمْ
وَلاَ بِجَزَّارٍ على ظَهْرِ الوَضَمْ بَاتُوا نِيَاماً وَابْنُ هِنْـدٍ لَمْ يَنَمْ
بَاتَ يُقَاسِـيهَا غُلاَمٌ كَالزَّلَمْ خَدَلَّجُ السَّاقَيْنِ مَمْسُوحُ القَدَمْ (١)

٣٩/٦ ثم أقبل من عام قابلٍ حاجًّا قد قلَّد وأهدى ، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث إليه ، فنزلت هذه الآية ، حتى بلغ : « ولا آمين البيت الحرام » . قال له ناس من أصحابه : يا رسول الله ، خلِّ بيننا وبينه ، فإنه صاحبنا ! قال : إنه قد قلَّد ! قالوا : إنما هو شيء كنا نصنعه فى الجاهلية ! فأبى عليهم ، فنزلت هذه الآية .

١٠٩٥٩ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة قال : قدم الحُطَم ، أخو بنى ضُبيعة بن ثعلبة البكرى ، المدينةَ فى عِير له يحمل طعاماً ، فباعه . ثم دخل على النبى صلى الله عليه وسلم

ونسبت أيضاً للأغلب العجلى ، وللأخنس بن شهاب ، ولجابر بن حنى التغلبى . وانظر ذلك فى تحقيق أستاذنا الراجكوتى ، سمط اللآلئ : ٧٢٩ . ولعل « الحطم » أنشده مدحاً لنفسه فيما فعل من سوق السرح .

(١) البيان والتبين ٢ : ٣٠٨ ، الأغانى ١٤ : ٤٤ ، حماسة أبى تمام ١ : ١٨٤ ، حماسة ابن الشجرى : ٣٨ ، الكامل ١ : ٢٢٤ (ونسبه للحطم فى ص : ٢٢٧) ، الخيل لابن الأعرابى ٨٦ ، واللسان (حطم) وغيرها ، وقبل هذا الرجز :

* هذَا أوانُ الشَّدِّ ، فَاشْتَدِّى زِيَمْ *

و « زيم » اسم فرس . وقوله : « حطم » شديد الحطم ، فقالوا : للسائق الذى لا يبقى شيئاً من السير والإسراع « حطم » . و « الوضم » ما يوقى به اللحم عند تقطيعه من خشب أو غيره . و « الزلم » (بفتح الزاى واللام ، أو بضم الزاى) ، واحد « الأزلام » ، وهى قداح الميسر . يعنى : هو كالقدح فى صلابته ونحافته وملاسته . و « خدلج الساقين » : ممتلئ الساقين ، وهذا غير حسن فى الرجال ، وإنما صواب روايته ما رواه ابن الأعرابى :

* مُهَفْهَفُ الْـكَشْحَيْنِ خَفَّاقُ القَدَمْ *

أى ضامر الخصر . و « خفاق القدم » ، لأقدامه خفق متتابع على الأرض من سرعته وهو يحدو بالإبل . ورواية أبى جعفر « ممسوح القدم » : أى ليس لباطن قدمه أخمص ، فأسفل قدمه مستو أملس لين ، ليس فيهما تكسر ولا شقاق . وقد جاء فى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مسيح القدمين » .

فبايعه وأسلم . فلما ولى خارجاً ، نظر إليه فقال لمن عنده : لقد دخل علىّ بوجهِ فاجرٍ ، وولّى بقفا غادرٍ ! فلما قدم اليمامة ارتدّ عن الإسلام، وخرج فى عير له تحمل الطعام فى ذى القعدة يريد مكة . فلما سمع به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، تهيّأ للخروج إليه نفر من المهاجرين والأنصار ليقتطعوه فى عيره، فأنزل الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله »، الآية ، فانتهى القوم .

= قال ابن جريج قوله : « ولا آمين البيت الحرام »، قال: ينهى عن الحجاج أن تُقطع سبلهم . قال : وذلك أن الحطم قدِم على النبى صلى الله عليه وسلم ليرتاد وينظر ، فقال : إنى داعية قوم ، [1] فاعرض علىّ ما تقول . قال له : أدعوك إلى الله أن تعبده ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم شهر رمضان ، وتحج البيت . قال الحطم : فى أمرك هذا غلظة ، أرجع إلى قومى فأذكر لهم ما ذكرت، فإن قبلوه أقبلتُ معهم ، وإن أدبروا كنت معهم . قال له: ارجع . فلما خرج قال : لقد دخل علىّ بوجه كافرٍ، وخرج من عندى بعَقِبَىْ غادر ، وما الرجل بمسلم ! فمرّ على سَرْح لأهل المدينة فانطلق به، فطلبه أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ففاتهم، وقدم اليمامة ، وحضر الحج ، فجهّز خارجاً ، وكان عظيم التجارة ، فاستأذنوا أن يتلقّوه ويأخذوا ما معه ، فأنزل الله عز وجل : « لا تحلّوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام » .

١٠٩٦٠ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « ولا آمين البيت الحرام» الآية، قال: هذا يوم الفتح، جاء ناسٌ يؤمّون البيت من المشركين يُهِلّون بعمرة، فقال المسلمون: يا رسول الله، إنما هؤلاء مشركون كمثل هؤلاء، [2] فلن ندعهم إلاّ أن نغير عليهم . فنزل القرآن: « ولا آمين البيت الحرام » .

١٠٩٦١ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى

---

(١) فى المطبوعة : « داعية قومى » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهما سواء .

(٢) فى المطبوعة : « فمثل هؤلاء » ، وصواب قراءتها من المخطوطة ، كما أثبت .

قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « ولا آمين البيت الحرام » ، يقول : من توجّه حاجًّا .

١٠٩٦٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك في قوله : « ولا آمين البيت الحرام » ، يعني : الحاج.(١)

١٠٩٦٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس قال : جلسنا إلى مطرّف بن الشخّير وعنده رجل ، فحدثهم فقال : « ولا آمين البيت الحرام » ، قال : الذين يريدون البيت .

* * *

ثم اختلف أهل العلم فيما نسخ من هذه الآية ، بعد إجماعهم على أن منها منسوخاً .

فقال بعضهم : نسخ جميعها .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٩٦٤ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن بيان ، عن عامر قال : لم ينسخ من المائدة إلا هذه الآية : « لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد » .

١٠٩٦٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يزيد بن هرون ، عن سفيان ابن حسين ، عن الحكم، عن مجاهد: « يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله » ، نسختها ، ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ ، [سورة التوبة : ٥] .

١٠٩٦٦ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا

---

(١) الأثر : ١٠٩٦٢ – « عمرو بن عون بن أوس الواسطي » ، مضت ترجمته برقم : ٥٤٣٥ ، ومضى في آثار أخرى كثيرة ، رواية المثنى عنه ، عن هشيم فيما سلف ، مثل : ٣١٥٩ ، ٣٨٧٩ . وكان في المخطوطة والمطبوعة : «عمرو بن عوف » ، وهو تحريف . وسيأتي على الصواب قريباً برقم : ١٠٩٦٩ .

الثوري ، عن بيان ، عن الشعبي قال ، لم ينسخ من سورة المائدة غير هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله » .

١٠٩٦٧ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام » الآية ، قال: منسوخ . قال: كان المشرك يومئذ لا يُصَدُّ عن البيت، فأمروا أن لا يقاتلوا في الأشهر الحُرم ، ولا عند البيت، فنسخها قوله : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾.(١)

١٠٩٦٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو معاوية ، عن جويبر ، عن الضحاك: « لا تحلوا شعائر الله » إلى قوله : « ولا آمين البيت الحرام » ، قال: نسختها «براءة» : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ .

١٠٩٦٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، حدثنا هشيم، عن الضحاك ، مثله . ٤٠/٦

١٠٩٧٠ – حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن حبيب بن أبي ثابت: « لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد » ، قال : هذا شيء نهي عنه ، فترك كما هو .(٢)

١٠٩٧١ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام » ، قال : هذا كله منسوخ ، نسخ هذا أمرُه بجهادهم كافة .(٣)

* * *

(١) الأثر : ١٠٩٦٧ – هو تمام الأثر السالف رقم : ١٠٩٥٠ وسيأتي برقم : ١٠٩٧٦ ، خبراً واحداً ، ورواه أبو جعفر النحاس في الناسخ والمنسوخ : ١١٥ .

(٢) الأثر : ١٠٩٧٠ – « جرير » ، هو « جرير بن عبد الحميد الضبي » ، مضى مراراً . وكان في المطبوعة : « جويبر » ، وهو خطأ فاحش ، والصواب من المخطوطة .

(٣) يعني قوله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾ [سورة التوبة : ٣٦]

وقال آخرون : الذى نسخ من هذه الآية قوله : « ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام » .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٩٧٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبدة بن سليمان قال ، قرأت على ابن أبى عروبة فقال : هكذا سمعته من قتادة : نسخ من «المائدة» : « آمين البيت الحرام »، نسختها «براءة» قال الله : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ ، وقال : ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ ﴾ [سورة التوبة : ١٧] ، وقال : ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴾ [سورة التوبة : ٢٧]، وهو العام الذى حج فيه أبو بكر ، فنادى فيه بالأذان .(١)

١٠٩٧٣ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا همام ابن يحيى ، عن قتادة قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله » الآية ، قال : فنسخ منها : « آمين البيت الحرام »، نسختها «براءة»، فقال : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ ، فذكر نحو حديث عبدة .

١٠٩٧٤ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : نزل فى شأن الحطم : « ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام » ، ثم نسخه الله فقال : ﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾(٢) [سورة البقرة : ١٩١].

١٠٩٧٥ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن

---

(١) فى المخطوطة : « فنادى عليه بالأذان » وفوق « عليه » « فيه » . ويعنى بالأذان ، قوله تعالى : ﴿ وَأَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ ، [سورة التوبة : ٢] .

(٢) انظر خبر « الحطم » فيما سلف رقم : ١٠٩٥٨ ، ١٠٩٥٩ .

على ، عن ابن عباس قوله : « لا تحلوا شعائر الله » إلى قوله : « ولا آمين البيت » ، [فكان المؤمنون والمشركون يحجون إلى البيت] جميعاً ، فنهى الله المؤمنين أن يمنعوا أحداً أن يحجّ البيت أو يعرضوا له ، من مؤمن أو كافر ، ثم أنزل الله بعد هذا : ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ﴾ ، وقال : ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ ﴾ ، وقال : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ [سورة التوبة : ١٨] ، فنفى المشركين من المسجد الحرام .(١)

١٠٩٧٦ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام » ، الآية ، قال : منسوخ ، كان الرجل فى الجاهلية إذا خرج من بيته يريد الحج ، تقلّد من السَّمُر فلم يعرض له أحد . وإذا رجع ، تقلّد قلادة شَعَرٍ فلم يعرض له أحد . وكان المشرك يومئذ لا يُصَدُّ عن البيت . وأمروا أن لا يقاتلوا فى الأشهر الحُرُم ، ولا عند البيت ، فنسخها قوله : « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » .(٢)

* * *

وقال آخرون : لم ينسخ من ذلك شيء ، إلا القلائد التى كانت فى الجاهلية يتقلّدونها من لِحَاء الشجر .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٩٧٧ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام » ، الآية ، قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم : هذا كله من عمل الجاهلية فعله وإقامته ، فحرّم الله ذلك كله بالإسلام ، إلا لحاء القلائد ، فترك

---

(١) الأثر : ١٠٩٧٥ – ما بين القوسين ، زيادة من رواية أبى جعفر النحاس فى الناسخ والمنسوخ : ١١٥ ، حيث روى هذا الأثر بهذا الإسناد نفسه ، والكلام بغيرها لا يستقيم .

(٢) الأثر : ١٠٩٧٦ – هو ما جاء فى الأثرين السالفين : ١٠٩٥٠ ، ١٠٩٦٧ .

ذلك[١] = « ولا آمين البيت الحرام » ، فحرم الله على كل أحد إخافتهم .

١٠٩٧٨ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصحة ، قول من قال : نسخ الله من هذه الآية قوله : « ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام » ، لإجماع الجميع على أن الله قد أحلّ قتال أهل الشرك في الأشهر الحرم وغيرها من شهور السنة كلها . وكذلك أجمعوا على أن المشرك لو قلّد عنقه أو ذراعيه لحاء جميع أشجار الحرم ، لم يكن ذلك له أماناً من القتل ، إذا لم يكن تقدّم له عقد ذمة من المسلمين أو أمان = وقد بينا فيما مضى معنى « القلائد » في غير هذا الموضع[٢] .

وأما قوله : « ولا آمين البيت الحرام » ، فإنه محتمل ظاهره : ولا تحلوا حُرْمة آمّين البيت الحرام من أهل الشرك والإسلام ، لعمومه جميع من أمّ البيت . وإذا احتمل ذلك ، فكان أهل الشرك داخلين في جملتهم ، فلا شك أن قوله : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ ، ناسخٌ له . لأنه غير جائز اجتماع الأمر بقتلهم وترك قتلهم في حال واحدة ووقت واحد . وفي إجماع الجميع على أن حكم ٤١/٦
الله في أهل الحرب من المشركين قتلُهم ، أمُّوا البيت الحرام أو البيت المقدس ، في أشهر الحرم وغيرها = ما يُعلم أن المنع من قتلهم إذا أموا البيت الحرام منسوخٌ . ومحتمل أيضاً : ولا آمين البيت الحرام من أهل الشرك .

وأكثر أهل التأويل على ذلك .

وإن كان عُنى بذلك المشركون من أهل الحرب ، فهو أيضاً لاشك منسوخ .

* * *

(١) يعني فجعلها الله إحلالها حراماً في الإسلام إلا لحاء القلائد ، فإنه قد نسخ .

(٢) انظر ما سلف ص : ٤٦٧ – ٤٧٠

وإذْ كان ذلك كذلك = وكان لا اختلاف فى ذلك بينهم ظاهر ، وكان ما كان مستفيضاً فيهم ظاهراً حجةً = فالواجب ، وإن احتمل ذلك معنى غير الذى قالوا ، التسليمُ لما استفاض بصحته نقلهم .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « يبتغون » ، يطلبون ويلتمسون = و « الفضل » الأرباح فى التجارة = و « الرضوان » ، رضَى الله عنهم ، فلا يحل بهم من العقوبة الدنيا ما أحلّ بغيرهم من الأمم فى عاجل دنياهم ، بحجّهم بيتَه .(٢)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٩٧٩ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، حدثنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « يبتغون فضلاً من ربهم ورضواناً » ، قال : هم المشركون ، يلتمسون فضل الله ورضوانه فيما يصلح لهم دُنياهم .

١٠٩٨٠ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عبدة بن سليمان قال ، قرأت على ابن أبى عروبة فقال : هكذا سمعته من قتادة فى قوله : « يبتغون فضلاً من ربهم ورضواناً » ، والفضل والرضوان اللذان يبتغون : أن يصلح معايشهم فى الدنيا ، وأن لا يعجّل لهم العقوبة فيها .

---

(١) سياق هذه الفقرة : « وإذ كان ذلك كذلك ، وكان لا اختلاف . . . فالواجب . . . التسليم لما استفاض بصحته نقلهم » .

(٢) مضى تفسير هذه الآية ص ٤٧١ ، ٤٧٢ ، كما أسلفت فى التعليق : ١ ، ص ٤٧١
وانظر تفسير « الابتغاء » فيما سلف ٩ : ٣١٩ ، تعليق ٣ ، والمراجع هناك .
وتفسير « الفضل » فيما سلف من فهارس اللغة
وتفسير « الرضوان » فيما سلف ٦ ٢٦٢ .

١٠٩٨١ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثني معاوية ، عن ابن عباس : « يبتغون فضلاً من ربهم ورضواناً » ، يعني : أنهم يترضّون الله بحجهم .

١٠٩٨٢ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عبيد الله ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس قال : جلسنا إلى مطرّف بن الشّخّير ، وعنده رجل فحدثهم في قوله : « يبتغون فضلاً من ربهم ورضواناً » ، قال : التجارة في الحج ، والرضوان في الحج .

١٠٩٨٣ – حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي أميمة قال ، قال ابن عمر في الرجل يحج ويحمل معه متاعاً ، قال : لا بأس به = وتلا هذه الآية : « يبتغون فضلاً من ربهم ورضواناً » .(١)

١٠٩٨٤ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « يبتغون فضلاً من ربهم ورضواناً » ، قال : يبتغون الأجر والتجارة .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ﴾

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : وإذا حللتم فاصطادوا الصيد الذي نهيتكم أن تُحِلّوه وأنتم حرم . يقول : فلا حرج عليكم في اصطياده ، واصطادوا إن شئتم حينئذ ، لأن المعنى الذي من أجله كنت حرّمته عليكم في حال إحرامكم قد زال .

* * *

(١) الأثر : ١٠٩٨٣ – « أبو أميمة التيمي » وهو « أبو أمامة التيمي » ، قال ابن معين : « ثقة ، لا يعرف اسمه » ، وقال البخاري في الكنى : « أبو أمامة ، قال شعبة : أبو أميمة سمع ابن عمر . روى عنه العلاء ، وشعبة . يقال اسمه : عمرو بن أسماء » . مترجم في التهذيب ، والكنى للبخاري : ٤ ، وابن أبي حاتم في باب « أبو أمامة » ، و « أبو أميمة » . ترجمتان ٤/٢/٣٣٠، ٣٣١.

وبما قلنا فى ذلك قال جميع أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٠٩٨٥ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال، حدثنا حصين، عن مجاهد أنه قال : هى رخصة = يعنى قوله : « وإذا حللتم فاصطادوا » .

١٠٩٨٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن حجاج ، عن القاسم، عن مجاهد قال: خمس فى كتاب الله رخصة، وليست بعَزْمة ، فذكر: « وإذا حللتم فاصطادوا » ، قال : من شاء فعل ، ومن شاء لم يفعل .

١٠٩٨٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو خالد ، عن حجاج ، عن عطاء ، مثله .

١٠٩٨٨ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى، عن سفيان ، عن حصين ، عن مجاهد : « وإذا حللتم فاصطادوا » ، قال : إذا حلّ ، فإن شاء صاد ، وإن شاء لم يصطد .

١٠٩٨٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن إدريس ، عن ابن جريج ، عن رجل ، عن مجاهد : أنه كان لا يرى الأكل من هَدْى المتعة واجباً ، وكان يتأول هذه الآية : « وإذا حللتم فاصطادوا » = ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ [سورة الجمعة : ١٠] .(١)

* * *

(١) يعنى بقوله : « يتأول هذه الآية » ، أى يفسرها كتفسير الآية الأخرى : فإذا قضيت الصلاة ، فمن شاء خرج من المسجد ، ومن شاء جلس ، رخصة من الله .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « ولا يجرمنكم » ، ولا يحملنكم ، كما :-

١٠٩٩٠ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « ولا يجرمنكم شنآن قوم » ، يقول : لا يحملنكم شنآن قوم .

١٠٩٩١ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولا يجرمنكم شنآن قوم » ، أى : لا يحملنكم .

* * *

وأما أهل المعرفة باللغة فإنهم اختلفوا فى تأويلها .

فقال بعض البصريين : معنى قوله : « ولا يجرمنكم » ، لا يُحِقَّنَّ لكم ، لأن قوله : ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ ﴾ [سورة النحل : ٦٢] ، هو : حقٌّ أن لهم النار .(١)

* * *

وقال بعض الكوفيين : معناه : لا يحملنَّكم . وقال : يقال : « جرمنى فلان على أن صنعت كذا وكذا » ، أى : حملنى عليه . ٤٢/٦

* * *

واحتج جميعهم ببيت الشاعر :(٢)

وَلَقَدْ طَعَنْتَ أَبَا عُيَيْنَةَ طَعْنَةً ... جَرَمَتْ فَزَارَةُ بَعْدَهَا أَنْ يَغْضَبُوا(٣)

---

(١) هذه مقالة الأخفش ، كما ذكر ذلك صاحب لسان العرب ، مادة (جرم) .

(٢) هو أبو أسماء بن الضّريبة . ويقال : هو لعطية بن عفيف ، ونسبه سيبويه للفزارى مجهلا .

(٣) سيبويه ١ : ٤٦٩ ، مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٤٧ ، مشكل القرآن : ٤١٨ ، والفاخر : ٢٠٠ ، الجواليقى : ١٦٣ ، البطليوسى : ٣١٣ ، الخزانة ٤ : ٣١٠ ، اللسان (جرم) . وسبب الشعر أن كرزاً العقيلى ، قتل أبا عيينة حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى يوم حاجر ، فلما قتل كرز ، قال الشاعر يرثيه ويخاطبه :

فتأول ذلك كل فريق منهم على المعنى الذى تأوله من القرآن . فقال الذين قالوا : « لا يجرمنكم »، لا يُحِقَّن لكم = معنى قول الشاعر : « جرمت فزارة » ، أحقَّت الطعنةُ لفزارة الغضبَ .

وقال الذين قالوا : معناه : لا يحملنكم = معناه فى البيت : « جرمت فزارة أن يغضبوا » ، حملت فزارة على أن يغضبوا .

* * *

وقال آخر من الكوفيين : معنى قوله : « لا يجرمنكم » ، لا يكسبنكم شنآن قوم .

وتأويل قائل هذا القول قولَ الشاعر فى البيت : « جرمت فزارة » ، كسبت فزارة أن يغضبوا . قال : وسمعت العرب تقول : « فلان جريمة أهله »، بمعنى : كاسبهم = « وخرج يجرمهم » ، يكسبهم .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال التى حكيناها عمن حكيناها عنه ، متقاربة المعنى . وذلك أن من حمل رجلاً على بغض رجل ، فقد أكسبه بغضه . ومن أكسبه بغضه ، فقد أحقَّه له .

فإذ كان ذلك كذلك ، فالذى هو أحسن فى الإبانة عن معنى الحرف ، ما قاله ابن عباس وقتادة ، وذلك توجيههما معنى قوله : « ولا يجرمنكم شنآن قوم » ، ولا يحملنكم شنآن قومٍ على العدوان .

* * *

يَا كُرْزُ ، إِنَّكَ قَدْ قُتِلْتَ بِفَارِسٍ بَطَلٍ إِذَا هَابَ الكُمَاةُ وَجَبَّبُوا

« جبب الرجل تجبيباً » : إذا فر ومضى مسرعاً . وروى البكرى فى معجم ما استعجم أنه قال :

يَا كُرْزُ إِنَّكَ قد فَتَكْتَ بِفَارِسٍ بَطَلٍ إِذَا هَابَ الكُمَاةُ مُجَرَّبِ

وكأنه شعر غير هذا الشعر .

(١) قائل هذا هو الفراء فى معانى القرآن ١ : ٢٩٩ .

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة الأمصار : ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ بفتح « الياء » من : « جَرَمْتُه أجْرِمُه »

* * *

وقرأ ذلك بعض قرأة الكوفيين ،[1] وهو يحيى بن وثّاب ، والأعمش : ما : —

١٠٩٩٢ — حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا ، حدثنا جرير ، عن الأعمش أنه قرأ: ﴿وَلَا يُجْرِمَنَّكُمْ﴾ مرتفعة « الياء » ، من : « أجرمته أجرمه ، وهو يُجْرِمنى » .

* * * *

قال أبو جعفر : والذى هو أولى بالصواب من القراءتين ، قراءة من قرأ ذلك: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُم﴾ بفتح « الياء » ، لاستفاضة القراءة بذلك فى قرأة الأمصار ، وشذوذ ما خالفها ، وأنها اللغة المعروفة السائرة فى العرب ، وإن كان مسموعاً من بعضها : « أجرم يُجْرِم » على شذوذه . وقراءة القرآن بأفصح اللغات ، أولى وأحق منها بغير ذلك . ومن لغة من قال « جَرَمْتُ » ، قول الشاعر :[2]

يَا أَيُّهَا المُشْتَكِي عُكْلاً وَمَا جَرَمَتْ إلى القَبَائِلِ مِنْ قَتْلٍ ، وإبْآسُ[3]

* * *

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٢٩٩ .

(٢) ينسب للفرزدق ، وليس فى ديوانه .

(٣) مجالس ثعلب : ٤٩ ، ٥٠ ، والأضداد لابن الأنبارى : ٨٥ ، والبيت مرفوع القافية وبعد البيت :

إنّا كَذَاكَ ، إذَا كانَتْ هَمَرَّجَةٌ نَسْبِي ونَقْتُلُ حَتَّى يُسْلِمَ النَّاسُ

« همرجة » : اختلاط وفتنة . وروى ثعلب هذين البيتين . ثم قال ، ولم يبين لمن كان هذا الخبر : « قلت له (يعنى : للفرزدق) : لم قلت : من قتل ، وإبآس ؟ قال : كيف أصنع وقد قلت : حتى يسلم الناس ؟ قال قلت : فيم رفعته ؟ قال : بما يسوءك وينوءك ! »

ثم قال أبو العباس ثعلب : « وإنما رفعه ، لأن الفعل لم يظهر بعده ، كما تقول : ضربت زيداً وعمرو — لم يظهر الفعل فرفعت ، وكما تقول : ضربت زيداً وعمرو مضروب » .

القول فى تأويل قوله ﴿ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ ﴾

اختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأه بعضهم : ﴿ شَنَـَٔانُ ﴾ بتحريك « الشين والنون » إلى الفتح ، بمعنى : بغض قوم ، توجيهاً منهم ذلك إلى المصدر الذى يأتى على « فَعَلاَن » ، نظير « الطيران » و « النَّسَلان » و « العَسَلان » و « الرَّمَلان » .

* * *

وقرأ ذلك آخرون : ﴿ شَنْـَٔانُ قَوْمٍ ﴾ بتسكين « النون » وفتح « الشين » بمعنى : الاسم ، توجيهاً منهم معناه إلى : لا يحملنكم بَغِيض قوم ،[1] فيخرج « شَنْـَٔان » على تقدير « فَعْلان » ، لأن « فَعَل » منه على « فَعِل » ،[2] كما يقال : « سكران » من « سكر » ، و « عطشان » من « عطش » ، وما أشبه ذلك من الأسماء .

* * *

قال أبو جعفر : والذى هو أولى القراءتين فى ذلك بالصواب ، قراءة من قرأ : ﴿ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ ﴾ بفتح « النون » محركة ، لشائع تأويل أهل التأويل على أن معناه : بغض قوم = وتوجيههم ذلك إلى معنى المصدر دون معنى الاسم .

وإذْ كان ذلك موجَّهاً إلى معنى المصدر ، فالفصيح من كلام العرب فيما جاء من المصادر على « الفَعلان » بفتح « الفاء » ، تحريك ثانيه دون تسكينه ، كما وصفت من قولهم : « الدَّرَجَان » و « الرَّمَلان » ، من « درج » و « رمل » ، فكذلك « الشنآن » من « شنئته أشنَؤُه شنآناً » ، ومن العرب من يقول : « شَنَـَٔانٌ » على تقدير « فعال » ، ولا أعلم قارئاً قرأ ذلك كذلك ، ومن ذلك قول الشاعر :[3]

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « بغض قوم » ، والصواب ما أثبت ، كما يدل عليه السياق .

(٢) قوله : « فعل » الأولى ، يعنى الفعل الماضى ، أما الثانية ، فهى الميزان الصرفى ، على وزن « سكر » بكسر العين .

(٣) هو الأحوص بن محمد الأنصارى .

وَمَا العَيْشُ إلَّا مَا تَلَذُّ وتَشْتَهِي وَإنْ لَامَ فِيهِ ذُو الشَّنَانِ وَفَنَّدَا(١)

وهذا فى لغة من ترك الهمز من « الشنآن » ، فصار على تقدير « فعال » وهو فى الأصل « فَعَلَان » .

* * *

* ذكر من قال من أهل التأويل : « شنآن قوم » ، بغض قوم .

١٠٩٩٣ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « ولا يجرمنكم شنآن قوم » ، لا يحملنكم بغض قوم .

١٠٩٩٤ – وحدثنى به المثنى مرة أخرى بإسناده، عن ابن عباس فقال : لا يحملنكم عداوة قوم أن تعتدوا .

١٠٩٩٥ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ،حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ولا يجرمنكم شنآن قوم » ، لا يجرمنكم بغض قوم . ٤٣/٦

١٠٩٩٦ – حدثنى يونس قال ،أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « ولا يجرمنكم شنآن قوم » ، قال : بغضاؤهم ،أن تعتدوا .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ﴾

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأه بعض أهل المدينة وعامة قرأة الكوفيين : ﴿ أَنْ صَدُّوكُمْ ﴾ بفتح « الألف »

---

(١) طبقات فحول الشعراء : ٥٣٩ ، الأغانى ١٣ : ١٥١ – ١٥٣ ، مصارع العشاق : ٦٢ ، ٧٥ ، والشعر والشعراء : ٥٠١، واللسان (شنأ) ، وقلما يخلو منه كتاب بعد .

من « أن » ، بمعنى : لا يجرمنكم بغض قوم بصدّهم إياكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا .

* * *

وكان بعض قرأة الحجاز والبصرة يقرأ ذلك: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ إِنْ صَدُّوكُمْ ﴾ ، بكسر « الألف » من « إن » ، بمعنى : ولا يجرمنكم شنآن قوم إن هم أحدثوا لكم صدًّا عن المسجد الحرام أن تعتدوا = فزعموا أنها فى قراءة ابن مسعود: ﴿ إِنْ يَصُدُّوكُمْ ﴾ ، فقرأوا ذلك كذلك اعتباراً بقراءته .(١)

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى ، أنهما قراءتان معروفتان مشهورتان فى قرأة الأمصار ، صحيح معنى كل واحدة منهما .

وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم صُدّ عن البيت هو وأصحابه يوم الحديبية ، وأنزلت عليه «سورة المائدة» بعد ذلك، فمن قرأ ﴿ أَنْ صَدُّوكُمْ ﴾ بفتح « الألف » من « أن » ، فمعناه : لا يحملنكم بغض قوم ، أيها الناس ، من أجل أن صدوكم يوم الحديبية عن المسجد الحرام ، أن تعتدوا عليهم .

ومن قرأ : ﴿ إِنْ صَدُّوكُمْ ﴾ بكسر « الألف » ، فمعناه : لا يجرمنكم شنآن قوم إن صدوكم عن المسجد الحرام إذا أردتم دخوله . لأن الذين حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من قريش يوم فتح مكة ، قد حاولوا صدّهم عن المسجد الحرام . فتقدم الله إلى المؤمنين = فى قول من قرأ ذلك بكسر « إن » = بالنهى عن الاعتداء عليهم ، إن هم صدوهم عن المسجد الحرام ، قبل أن يكون ذلك من الصادّين .

غير أن الأمر ، وإن كان كما وصفت ، فإن قراءة ذلك بفتح « الألف » ، أبينُ معنى . لأن هذه السورة لا تَدَافُعَ بين أهل العلم فى أنها نزلت بعد يوم الحديبية.

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٠٠ .

وإذ كان ذلك كذلك ، فالصدُّ قد كان تقدم من المشركين ، فنهى الله المؤمنين عن الاعتداء على الصادِّين من أجل صدِّهم إياهم عن المسجد الحرام .(١)

* * *

وأما قوله : « أن تعتدوا » ، فإنه يعنى : أن تجاوزوا الحدَّ الذى حدَّه الله لكم فى أمرهم .(٢)

* * *

فتأويل الآية إذاً : ولا يحملنكم بغض قوم، لأن صدوكم عن المسجد الحرام، أيها المؤمنون، أن تعتدوا حكم الله فيهم، فتجاوزوه إلى ما نهاكم عنه، ولكن الزموا طاعة الله فيما أحببتم وكرهتم .

* * *

وذكر أنها نزلت فى النهى عن الطلب بذُحول الجاهلية .(٣)

* ذكر من قال ذلك :

١٠٩٩٧ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله: « أن تعتدوا » ، رجل مؤمن من حلفاء محمد ، قتل حليفاً لأبى سفيان من هذيل يوم الفتح بعرفة ، لأنه كان يقتل حلفاء محمد، فقال محمد صلى الله عليه وسلم : لعن الله من قتل بذَحْل الجاهلية .

١٠٩٩٨ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد، مثله .

* * *

وقال آخرون : هذا منسوخ

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) انظر تفسير « الصد » فيما سلف ص : ٤١٠، تعليق : ١، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الاعتداء » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٣) « الذحول » جمع « ذحل » (بفتح فسكون) : وهو الثأر .

١٠٩٩٩ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله: « ولا يجرمنكم شنآن قوم أن تعتدوا » ، قال: بغضاؤهم، حتى تأتوا ما لا يحل لكم . وقرأ : « أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا » ، وقال : هذا كله قد نسخ ، نسخه الجهاد .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك بالصواب ، قول مجاهد أنه غير منسوخ، لاحتماله: أن تعتدوا الحقّ فيما أمرتكم به . وإذا احتمل ذلك ، لم يجز أن يقال : « هو منسوخ » ، إلا بحجة يجب التسليم لها .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾

قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بقوله : « وتعاونوا على البر والتقوى » ، وليعن بعضكم، أيها المؤمنون، بعضاً = «على البر» =، وهو العمل بما أمر الله بالعمل به[1] = « والتقوى » ، هو اتقاء ما أمر الله باتقائه واجتنابه من معاصيه .[2]

* * *

وقوله: « ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » ، يعني : ولا يعن بعضكم بعضاً = « على الإثم »، يعني : على ترك ما أمركم الله بفعله = « والعدوان » ، يقول: ولا على أن تتجاوزوا ما حدّ الله لكم في دينكم ، وفرض لكم في أنفسكم وفي غيركم .[3]

---

(١) انظر تفسير « البر » فيما سلف ٢ : ٣/٨ : ٣٣٦ – ٣٣٨ ، ٤/٥٥٦ : ٦/٤٢٥ : ٥٨٧ .

(٢) انظر تفسير « التقوى » فيما سلف من فهارس اللغة ، مادة (وق) .

(٣) انظر تفسير « الإثم » و « العدوان » فيما سلف من فهارس اللغة (أثم) (عدا) .

وإنما معنى الكلام : ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا، ولكن ليعن بعضكم بعضاً بالأمر بالانتهاء إلى ما حدّه الله لكم فى القوم الذين صدّوكم عن المسجد الحرام وفى غيرهم ، والانتهاء عما نهاكم الله أن تأتوا فيهم وفى غيرهم ، وفى سائر ما نهاكم عنه ، ولا يعن بعضكم بعضاً على خلاف ذلك . ٦/٤٤

* * *

وبما قلنا فى « البر والتقوى » قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١١٠٠٠ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « وتعاونوا على البر والتقوى » ، « البر » ما أمرت به ، و« التقوى » ما نهيت عنه .

١١٠٠١ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبى العالية فى قوله : « وتعاونوا على البر والتقوى » قال : « البر » ما أمرت به ، و« التقوى » ما نهيت عنه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (٢)

قال أبو جعفر : وهذا وعيد من الله جل ثناؤه وتهدّد لمن اعتدى حدّه وتجاوز أمره .(١) يقول عز ذكره : « واتقوا الله » ، يعنى : واحذروا الله ، أيها المؤمنون ، أن تلقوه فى معادكم وقد اعتديتم حدّه فيما حدّ لكم ، وخالفتم أمره فيما أمركم به ، أو نهيه فيما نهاكم عنه ، فتستوجبوا عقابه ، وتستحقوا أليم عذابه . ثم وصف عقابه بالشدة فقال عز ذكره : إن الله شديدٌ عقابه لمن عاقبه من خلقه ، لأنها نار

(١) فى المطبوعة : « وتهديد لمن اعتدى » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

لا يطفأ حرُّها ، ولا يخمد جمرها ، ولا يسكن لهبها ، نعوذ بالله منها ومن عمل يقرِّبنا منها .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : حرَّم الله عليكم ، أيها المؤمنون، الميتة .

* * *

و « الميتة » : كل ما له نفس سائلة من دواب البر وطيره، مما أباح الله أكلها، أهليَّها ووحشيَّها ، فارقتها روحها بغير تذكية .(١)

وقد قال بعضهم : « الميتة » ، هو كل ما فارقته الحياة من دوابِّ البر وطيره بغير تذكية ، مما أحل الله أكله .(٢)

وقد بيّنا العلة الموجبة صحة القول بما قلنا فى ذلك ، فى كتابنا ﴿ كتاب لطيف القول فى الأحكام ﴾ .(٣)

* * *

وأما « الدم »، فإنه الدم المسفوح ، دون ما كان منه غير مسفوح، لأن الله جل ثناؤه قال : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ ﴾ [سورة الأنعام : ١٤٥] ، فأما ما كان قد صار فى معنى اللحم ، كالكبد والطحال ، وما كان فى اللحم غير

---

(١) « التذكية » : الذبح .

(٢) انظر تفسير « الميتة » فيما سلف ٣ : ٣١٨ ، ٣١٩ .

(٣) مر اسم هذا الكتاب مراراً ، ومر فى بعضها باسم « اللطيف فى أحكام شرائع الإسلام » ، ١ : ١٠٩ ، وكان هنا فى المخطوطة والمطبوعة : « كتاب اللطيف القول فى الأحكام» ، وهو غير مستقيم .

منسفح ، فإن ذلك غير حرام، لإجماع الجميع على ذلك .

* * *

وأما قوله : « ولحم الخنزير » ، فإنه يعنى : وحُرِّم عليكم لحم الخنزير ، أهليُّه وبَرِّيّه .

فالميتة والدم مخرجهما فى الظاهر مخرج عموم، والمراد منهما الخصوص . وأما لحم الخنزير ، فإن ظاهره كباطنه، وباطنه كظاهره، حرام جميعه، لم يخصص منه شىء .

* * *

وأما قوله: « وما أهلّ لغير الله به » ، فإنه يعنى : وما ذكر عليه غير اسم الله .

* * *

وأصله من « استهلال الصبى » ، وذلك إذا صاح حين يسقط من بطن أمه . ومنه « إهلال المحرم بالحج » ، إذا لبّى به ،[1] ومنه قول ابن أحمر :

يُهِلُّ بالفَرْقَدِ رُكْبَانُهَا كَمَا يُهِلُّ الرَّاكِبُ المُعْتَمِرُ[2]

* * *

وإنما عنى بقوله : « وما أهل لغير الله به » ، وما ذبح للآلهة وللأوثان ، يسمى عليه غير اسم الله .[3]

* * *

(١) انظر تفسير « الإهلال » فيما سلف ٣ : ٣١٩ ، ٣٢٠ .

(٢) مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٥٠ ، الجمهرة ٢ : ٣٨٧ ، اللسان (عمر) (هلل) . يصف مفازة لا يهتدى فيها . و « المعتمر » ، المعتّم بعمامة . و « الفرقد » ، أراد « الفرقدان » ، وهما كوكبان من بنات نعش الصغرى ، أو هما نجمان فى السماء لا يغربان ، ولكنهما يطوفان بالجدى .

وفى شرح البيت قولان . قال الأصمعى : « إذا انجلى لهم السحاب عن الفرقد ، أهلوا ، أى : رفعوا أصواتهم بالتكبير ، كما يهل الراكب الذى يريد عمرة الحج ، لأنهم كانوا يهتدون بالفرقد » .

وقال غيره : « يريد أنهم فى مفازة بعيدة من المياه ، فإذا رأوا فرقداً — وهو ولد البقرة الوحشية — أهلوا ، أى : كبروا ، لأنهم قد علموا أنهم قد قربوا من الماء » .

قلت : والعرب تتخذ « الفرقدين » دليلا فى الاهتداء بهما ، لأنهما لا يطلبان فى وقت من الليل إلا وجدا ، قال الراعى :

لاَ يَتَّخِذْنَ إذَا عَلَوْنَ مَفَازَةً إلا بَيَاضَ الفَرْقَدَيْنِ دَلِيلاَ

(٣) انظر ما سلف ٣ : ٣٢١ .

وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، وقد ذكرنا الرواية عمن قال ذلك فيما مضى ، فكرهنا إعادته .[١]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى صفة « الانخناق » الذى عنى الله جل ثناؤه بقوله : « والمنخنقة » .

فقال بعضهم بما : —

١١٠٠٢ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى: « والمنخنقة » ، قال : التى تدخل رأسها بين شُعْبتين من شجرة ، فتختنق فتموت.

١١٠٠٢م — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن جويبر ، عن الضحاك فى المنخنقة ، قال : التى تختنق فتموت .

١١٠٠٣ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، حدثنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « والمنخنقة » ، التى تموت فى خِنَاقها .[٢]

* * *

وقال آخرون : هى التى توثق فيقتلها بالخناق وَثَاقها .

* ذكر من قال ذلك :

١١٠٠٤ — حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « والمنخنقة » ، قال : الشاة توثق ، فيقتلها خِنَاقها ، فهى حرام .

* * *

---

(١) انظر الآثار السالفة من رقم : ٢٤٦٨ — ٢٤٧٧ .

(٢) « الخناق » (بكسر الخاء) : الحبل الذى يختنق به ، وأراد الحبل الذى ربطت فيه من عند عنقها .

وقال آخرون : بل هى البهيمة من النَّعم ، كان المشركون يخنقونها حتى تموت ، فحرَّم الله أكلها .

* ذكر من قال ذلك :

١١٠٠٥ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « والمنخنقة » التى تُخْنَق فتموت .(١)

١١٠٠٦ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: « والمنخنقة » ، كان أهل الجاهلية يخنقون الشاة ، حتى إذا ماتت أكلوها .(٢) ٤٥/٦

* * *

وأولى هذه الأقوال بالصواب، قول من قال: « هى التى تختنق، إما فى وثاقها ، وإما بإدخال رأسها فى الموضع الذى لا تقدر على التخلص منه، فتختنق حتى تموت » .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب فى تأويل ذلك من غيره ، لأن « المنخنقة » ، هى الموصوفة بالانخناق ، دون خنق غيرها لها ، ولو كان معنيًّا بذلك أنها مفعول بها ، لقيل : « والمخنوقة » ، حتى يكون معنى الكلام ما قالوا .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلْمَوْقُوذَةُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « والموقوذة » ، والميتة وقيذاً .

* * *

يقال منه : « وقَذَهُ يَقِذُه وقْذاً »، إذا ضربه حتى أشرف على الهلاك ، ومنه قول الفرزدق :

---

(١) فى المطبوعة : « تختنق فتموت » ، وهو خطأ صرف مفسد لاستدلال الطبرى ، والصواب من المخطوطة .

(٢) الأثر : ١١٠٠٦ – « بشر بن معاذ » ، مضى ، ومضى إسناده هذا مئات من المرات ، أقربه رقم : ١٠٩٩٥ ، ولكن كان فى المخطوطة والمطبوعة هنا: « حدثنا أنس قال ، حدثنا يزيد » وهو خطأ صرف .

شَغَّارَةٍ تَقِذُ الفَصِيلَ بِرِجْلِهَا فَطَّارَةٍ لِقَوَادِمِ الأَبْكَارِ (١)

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

• ذكر من قال ذلك :

١١٠٠٧ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « والموقوذة » ، قال : الموقوذة ، التى تضرب بالخشب حتى توقَذَ بها فتموت .(٢)

١١٠٠٨ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « والموقوذة » ، كان أهل الجاهلية يضربونها بالعِصىّ ، حتى إذا ماتت أكلوها .

١١٠٠٩ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا روح قال ، حدثنا شعبة ، عن قتادة فى قوله : « والموقوذة »، قال : كانوا يضربونها حتى يقذوها، ثم يأكلونها .

---

(١) ديوانه : ٤٥٢ ، النقائض : ٣٣٢ ، من هجائه جريراً ، قبله :

كَمْ خَالَةٍ لَكَ ، يا جَرِيرُ ، وعَمَّةٍ فَدْعَاءَ قَدْ حَلَبَتْ عَلَى عِشَارِى
كُنَّا نُحَاذِرُ أَنْ تُضِيعَ لِقَاحَنَا وَلَهاً ، إِذَا سَمِعَتْ دُعَاءَ يَسَارِ

يقول : عماته وخالاته رعاة أجلاف ، واستجاد لهن شر الصفات ، فزعمها « فدعاء » ، أى فى الرسغ من أقدامها ميل وعوج ، من المهنة فى العمل منذ ولدت . وزعم أنهن كن عنده يحلبن « عشاره » ، وهى النوق الحديثة العهد بالولادة ، وأنفس الإبل عند أهلها إذا كانت عشاراً ، وهى « اللقاح » أيضاً .

و « يسار » اسم راع من عبيده . يقول : إذا سمعت صوت يسار ساورها الشبق إليه ، فطاش عقلها ولهاً وصبابة ، فكانوا يخافون أن تهمل اللقاح حتى تهلك وتضيع .

ثم وصفها بالغلظة ، بأقبح وصف ، فزعم أنها إذا قامت تحلب الناقة ، ثم دنا الفصيل من أمه ، شغرت برجلها = رفعتها ، كما يرفع الكلب رجله وهو يبول إلى خلف = فضربته ضربة يشرف بها على الهلاك ، كأن ساقها رمح أو هراوة .

وأما قوله : « فطارة لقوادم الأبكار » ، فالأبكار جمع « بكر » ، وهى الناقة التى ولدت بطناً واحداً ، فأخلافها صغار قصار ، لا يستمكن الحالب أن يحلبها ضباً ، وهو الحلب بالكف كلها ، بل تحلب فطراً ، أى بالسبابة والوسطى ، ويستعان بطرف الإبهام . و « القوادم » من النوق ، لكل ناقة « قادمان » ، وهما خلفا الضرع المقدمان .

(٢) فى المطبوعة : « حتى تقذها فتموت » ، وفى المخطوطة : « حتى توقذها فتموت » ،

١١٠١٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر، عن قتادة فى قوله : « والموقوذة » ، التى توقذ فتموت .

١١٠١١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : « الموقوذة » ، التى تضرب حتى تموت .

١١٠١٢ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « والموقوذة » ، قال : هى التى تضرب فتموت .

١١٠١٣ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « والموقوذة »، كانت الشاة أو غيرها من الأنعام تضرب بالخشب لآلهتهم ، حتى يقتلوها فيأكلوها .

١١٠١٤ – حدثنا العباس بن الوليد قال، أخبرنى عقبة بن علقمة ، حدثنى إبراهيم بن أبى عبلة . قال ، حدثنى نعيم بن سلامة ، عن أبى عبد الله الصنابحى قال : ليست « الموقوذة » إلا فى مالك ، وليس فى الصيد وقيذ .[1]

* * *

وصواب قراءتها ما أثبت . وقوله : « بها » أى بالخشبة ، وانظر الآثار التالية ، فهى دالة على صواب هذه القراءة .

(١) الأثر : ١١٠١٤ – « العباس بن الوليد بن مزيد الآملى » ، شيخ الطبرى ، مضى برقم : ٨٩١ .

و « عقبة بن علقمة بن حديج المعافرى » ، من أصحاب الأوزاعى ، كان خياراً ثقة . مترجم فى التهذيب .

و « إبراهيم بن أبى عبلة ، شمر ، بن يقظان الرملى » . روى عنه مالك ، والليث ، وابن المبارك . ثقة . قال ضمرة بن ربيعة : « ما رأيت أفصح منه » ، وكان يقول الشعر الحسن . مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ١/١/٣١٠ .

و « نعيم بن سلامة الأزدى » ، ويقال : « نعيم بن سلامان » . كان على خاتم سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز . لم يذكروا فيه جرحاً . مترجم فى الكبير ٤/٢/٩٨ ، وابن أبى حاتم ٤/١/٤٦٢ ، وتعجيل المنفعة : ٤٢٣ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وحرمت عليكم الميتة تردِّياً من جبل أو فى بئر ، أو غير ذلك .

* * *

و « تردِّيها » ، رميُها بنفسها من مكان عالٍ مشرف إلى سُفْله .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

• ذكر من قال ذلك :

١١٠١٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « والمتردية » ، قال : التى تتردَّى من الجبل .

١١٠١٦ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « والمتردية » ، كانت تتردى فى البئر فتموت ، فيأكلونها .

١١٠١٧ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا روح قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « والمتردية » ، قال : التى تردَّت فى البئر .

١١٠١٨ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى فى قوله : « والمتردية » ، قال : هى التى تَرَدَّى من الجبل ، أو فى البئر ، فتموت .

١١٠١٩ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن جويبر ،

و « أبو عبد الله الصنابحى » ، هو : « عبد الرحمن بن عسيلة بن عسل بن عسال المرادى » . رحل إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فوجده قد مات قبله بخمس ليال أو ست . كان ثقة قليل الحديث . أخرج الطبرانى من طريق ابن محيريز قال : « عدنا عبادة بن الصامت ، فأقبل أبو عبد الله الصنابحى ، فقال عبادة : من سره أن ينظر إلى رجل عرج به إلى السماء ، فنظر إلى أهل الجنة وأهل النار ، فرجع وهو يعمل على ما رأى ، فلينظر إلى هذا » .

عن الضحاك : « المتردية » ، التي تردّى من الجبل فتموت .

١١٠٢٠ - حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ يقول ، حدثنا عبيد قال، سمعت الضحاك يقول في قوله : « والمتردية »، قال : التي تَخِرُّ في ركيٍّ ، أو من رأس جبل ، فتموت . (١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَٱلنَّطِيحَةُ ﴾

قال أبو جعفر : يعني بقوله : « النطيحة » ، الشاة التي تنطحها أخرى فتموت من النطاح بغير تذكية . فحرم الله جل ثناؤه ذلك على المؤمنين ، إن لم يدركوا ذكاته قبل موته .

* * *

وأصل « النطيحة » ، « المنطوحة » ، صرفت من « مفعولة » إلى « فعيلة » .

* * *

فإن قال قائل : وكيف أثبتت « الهاء » هاء التأنيث فيها ، وأنت تعلم أن العرب لا تكاد تثبت « الهاء » في نظائرها إذا صرفوها صرف « النطيحة » من « مفعول » إلى « فعيل » ، إنما تقول : « لحية دهين » و « عين كحيل » و « كف خضيب » ، ولا يقولون : كف خضيبة ، ولا عين كحيلة ؟ (٢)

قيل : قد اختلف أهل العربية في ذلك .

فقال بعض نحويي البصرة : أثبتت فيها « الهاء » = أعني في « النطيحة » = لأنها جعلت كالاسم مثل : « الطويلة » و « الطريقة » . ٤٦/٦

فكأن قائل هذا القول ، وجه « النطيحة » إلى معنى « الناطحة » .

---

(١) « الركي » : البئر .

(٢) انظر ما سلف ٢ : ٣٢٨ ، ٦/٤٠١ : ٤١٤ ، ومواضع أخرى غابت عني .

فتأويل الكلام على مذهبه : وحرمت عليكم الميتة نطاحاً ، كأنه عنى : وحرمت عليكم الناطحة التى تموت من نطاحها .

* * *

وقال بعض نحويى الكوفة : إنما تحذف العرب « الهاء » من « الفعيلة » المصروفة عن « المفعول » ، إذا جعلتها صفة لاسم قد تقدمها ، فتقول : « رأينا كفاً خضيباً ، وعيناً كحيلاً » . فأما إذا حذفت « الكف » و « العين » والاسم الذى يكون « فعيل » نعتاً لها ، واجتزأوا بـ « فعيل » منها ، أثبتوا فيه هاء التأنيث ، ليعلم بثبوتها فيه أنها صفة للمؤنث دون المذكر ، فتقول : « رأينا كحيلةً وخضيبة » و « أكيلة السبع » . قالوا : ولذلك أدخلت « الهاء » فى « النطيحة » ، لأنها صفة المؤنث ، ولو أسقطت منها لم يُدْرَ أهى صفة مؤنث أو مذكر .

* * *

وهذا القول هو أولى القولين فى ذلك بالصواب ، لشائع أقوال أهل التأويل ،[1] بأن معنى : « النطيحة » ، المنطوحة .

* ذكر من قال ذلك :

١١٠٢١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « والنطيحة » ، قال : الشاة تنطح الشاة .

١١٠٢٢ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أحمد الزبيرى ، عن قيس ، عن أبى إسحق ، عن أبى ميسرة قال : كان يقرأ : ﴿ وَالمَنْطُوحَةُ ﴾ .

١١٠٢٣ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن جويبر ، عن الضحاك : « والنطيحة » ، الشاتان ينتطحان فيموتان .

١١٠٢٤ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « والنطيحة » ، هى التى تنطحها الغنم والبقر فتموت .

---

(١) فى المطبوعة : « بالصواب الشائع من أقوال أهل التأويل » ، وهو عبث وتغيير فاسد ، والصواب من المخطوطة . وانظر شبيهة هذه العبارة فيما سلف ص : ٤٨٦ سطر : ١١ ، « لشائع تأويل أهل التأويل » ، وهذا التعبير ، هو الثانى فيما مر على من تفسير أبى جعفر فيما سلف .

يقول : هذا حرام ، لأن ناساً من العرب كانوا يأكلونه . (١)

١١٠٢٥ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « والنطيحة » ، كان الكبشان ينتطحان ، فيموت أحدهما ، فيأكلونه .

١١٠٢٦ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا روح قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « والنطيحة » ، الكبشان ينتطحان ، فيقتل أحدهما الآخر ، فيأكلونه .

١١٠٢٧ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد قال ، سمعت الضحاك ، يقول فى قوله : « والنطيحة » ، قال : الشاة تنطح الشاة فتموت .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « وما أكل السبع » ، وحرّم عليكم ما أكل السبع غير المعلَّم من الصوائد .

* * *

وكذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١١٠٢٨ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « وما أكل السبع » ، يقول : ما أخذ السبع .

١١٠٢٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن جويبر ، عن الضحاك : « وما أكل السبع » ، يقول : ما أخذ السبع .

١١٠٣٠ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة :

---

(١) الأثر : ١١٠٢٤ – يأتى بتمامه برقم : ١١٠٤٧ .

« وما أكل السبع »، قال : كان أهل الجاهلية إذا قتل السبع شيئاً من هذا أو أكل منه ، أكلوا ما بقى .

١١٠٣١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أحمد الزبيرى، عن قيس ، عن عطاء بن السائب، عن أبى الربيع ، عن ابن عباس أنه قرأ: ﴿ وَأَكِيلُ السَّبُعِ ﴾ .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « إلا ماذكّيتم »، إلا ما طهرتموه بالذبح الذى جعله الله طهوراً .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فيما استثنى الله بقوله : « إلاّ ماذكيتم » .

فقال بعضهم : استثنى من جميع ما سمى الله تحريمه من قوله : « وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع » .

* ذكر من قال ذلك :

١١٠٣٢ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « إلا ماذكيتم » ، يقول : ما أدركتَ ذكاته من هذا كله ، يتحرّك له ذنب ، أو تطرِف له عين ، فاذبح واذكر اسم الله عليه ، فهو حلال .

١١٠٣٣ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن فضيل ، عن أشعث ، عن الحسن: « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ماذكيتم » ، قال الحسن : أىّ هذا

أدركتَ ذكاته فذكّه وكُلْ . فقلت : يا أبا سعيد، كيف أعرف ؟ قال : إذا طرَفت بعينها ، أو ضربت بذَنَبها .

١١٠٣٤ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « إلا ماذكيتم » ، قال : فكلُّ هذا الذى سماه الله عز وجل ههنا ، ما خلا لحم الخنزير ، إذا أدركتَ منه عيناً تطرف ، أو ذنباً يتحرك ، أو قائمة تركض ،(١) فذكّيته ، فقد أحلّ الله لك ذلك .

١١٠٣٥ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « إلا ماذكيتم »، من هذا كله . فإذا وجدتها تطرف عينها ، أو تحرك أذنها من هذا كله ، فهى لك حلال . ٤٧/٦

١١٠٣٦ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى هشيم وعباد قالا، أخبرنا حجاج ، عن حصين ، عن الشعبى ، عن الحارث ، عن على قال : إذا أدركت ذكاة الموقوذة والمتردية والنطيحة، وهى تحرك يداً أو رجلاً ، فكلها.

١١٠٣٧ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا معمر ، عن إبراهيم قال : إذا أكل السبع من الصيد، أو الوقيذة أو النطيحة أو المتردية ، فأدركت ذكاته ، فكُل .

١١٠٣٨ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا مصعب بن سلاّم التميمى قال ، حدثنا جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن على بن أبى طالب قال : إذا ركضت برجلها ، أو طرفت بعينها ، وحركت ذنبها ، فقد أجزأ .(٢)

---

(١) « الركض » : حركة الرجل واضطرابها ، أو الضرب بها . و «ارتكض الشيء» : إذا اضطرب .

(٢) الأثر : ١١٠٣٨ – « مصعب بن سلام التميمى » مضت ترجمته برقم : ٥٣٨٢ .
و « جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب » ، هو « جعفر الصادق » ، مضت ترجمته برقم : ٢٠٠٣ .
و « أبوه » : « محمد بن على بن الحسين » ، وهو « محمد الباقر » مضى برقم : ٥١٢٣ ، ٥٤٦٣ .

١١٠٣٩ – حدثنا ابن المثنى وابن بشار قالا ، حدثنا أبو عاصم قال، أخبرنا ابن جريج قال ، أخبرني ابن طاوس، عن أبيه قال: إذ ذبحت فَمَصَعَت بذنبها، أو تحركت ، فقد حلّت لك = أو قال : فَحَسْبه .(١)

١١٠٤٠ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا حماد ، عن حميد، عن الحسن قال : إذا كانت الموقوذة تطرف ببصرها، أو تركض برجلها ، أو تمصَع بذنبها ، فاذبح وكُل .

١١٠٤١ – حدثني المثنى قال ، حدثنا الحجاج قال ، حدثنا حماد ، عن قتادة ، بمثله .

١١٠٤٢ – حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن جريج ، عن أبي الزبير : أنه سمع عبيد بن عمير يقول : إذا طرفت بعينها ، أو مصعت بذنبها ، أو تحركت ، فقد حلّت لك .

١١٠٤٣ – حدثت عن الحسين قال، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد ابن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول : كان أهل الجاهلية يأكلون هذا ، فحرّم الله في الإسلام إلا ما ذُكّي منه ، فما أُدرك فتحرّك منه رجل أو ذنب أو طَرْف ، فذكّي ، فهو حلال .

١١٠٤٤ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير » ، وقوله : « والمنخنقة والموقوذة والمتردّية والنطيحة » ، الآية « وما أكل السبع إلا ما ذكيتم » ، قال : هذا كله محرّم ، إلا ما ذكيّ من هذا .

* * *

فتأويل الآية على قول هؤلاء: حرمت الموقوذة والمتردّية، إن ماتت من التردّي والوقذ والنطح وفَرْس السبع ، إلا أن تدركوا ذكاتها ، فتدركوها قبل موتها ، فيكون حينئذ حلالاً أكلُها .

* * *

(١) « مصعت بذنبها » : حركته وضربت به . وكان في المطبوعة : « أو قال : فحسب » ، والصواب من المخطوطة ، أي : ذلك حسبه وكافيه ومجزئه ، يعني من أراد أكلها .

وقال آخرون : هو استثناء من التحريم ، وليس باستثناء من المحرَّمات التى ذكرها الله تعالى فى قوله : « حرمت عليكم الميتة » ، لأن الميتة لا ذكاة لها ، ولا للخنزير . قالوا : وإنما معنى الآية : حرمت عليكم الميتة والدم وسائر ما سمينا مع ذلك ، إلاّ ماذكيتم مما أحلّه الله لكم بالتذكية ، فإنه لكم حلال . وممن قال ذلك جماعة من أهل المدينة .

* ذكر بعض من قال ذلك :

١١٠٤٥ – حدثنى يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال ، قال مالك ، وسئل عن الشاة التى يخرِق جوفها السبع حتى تخرجَ أمعاؤها ، فقال مالك : لا أرى أن تذكَّى ، ولا يؤكل أى شىء يذكَّى منها .

١١٠٤٦ – حدثنى يونس ، عن أشهب قال : سئل مالك عن السبع يَعْدُو على الكبش فيدقُّ ظهره ، أترى أن يذكَّى قبل أن يموت فيؤكل ؟ قال : إن كان بلغ السَّحْر ،[1] فلا أرى أن يؤكل . وإن كان إنما أصاب أطرافه ، فلا أرى بذلك بأساً . قيل له : وثب عليه فدقّ ظهره ؟ قال : لا يعجبنى أن يؤكل ، هذا لا يعيش منه . قيل له : فالذئب يعدو على الشاة فيشق بطنها ولا يشق الأمعاء ؟ قال : إذا شق بطنها ، فلا أرى أن تؤكل .

* * *

وعلى هذا القول يجب أن يكون قوله : « إلا ما ذكيتم » ، استثناء منقطعاً .

=فيكون تأويل الآية : حرمت عليكم الميتة والدم وسائر ما ذكرنا ، ولكن ما ذكيتم من الحيوانات التى أحللتها لكم بالتذكية حلال .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك عندنا بالصواب ، القول الأول ، وهو أن قوله : « إلاّ ما ذكيتم » استثناء من قوله : « وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع » ، لأن كل ذلك مستحق الصفة التى

(١) « السحر » (بفتح فسكون) : هو الرئة ، أو ما التزق بالحلقوم والمرىء من أعلى البطن .

هو بها قبل حال موته، [1] فيقال لما قرّب المشركون لآلهتهم فسموه لهم : « هو ما أهل لغير الله به »، بمعنى سمى قرباناً لغير الله . وكذلك « المنخنقة » ، إذا انخنقت وإن لم تمت، فهى منخنقة . وكذلك سائر ما حرمه الله جل وعز بعد قوله : « وما أهل لغير الله به » ، إلا بالتذكية ، فإنه يوصف بالصفة التى هو بها قبل موته ، فحرمه الله على عباده إلاّ بالتذكية المحللة ، دون الموت بالسبب الذى كان به موصوفاً . ٤٨/٦

فإذ كان ذلك كذلك ، فتأويل الآية : وحرم عليكم ما أهل لغير الله به والمنخنقة وكذا وكذا وكذا ، إلا ما ذكيتم من ذلك .

فـ « ما » = إذ كان ذلك تأويله = فى موضع نصب بالاستثناء مما قبلها . وقد يجوز فيه الرفع .

وإذ كان الأمر على ما وصفنا، فكل ما أدركت ذكاتُه من طائر أو بهيمة قبل خروج نفسه، ومفارقة روحه جسدَه، فحلال أكله، إذا كان مما أحلّه الله لعباده.

* * *

فإن قال لنا قائل : فإذ كان ذلك معناه عندك ، فما وجه تكريره ما كرّر بقوله : « وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية »، وسائر ما عدّد تحريمه فى هذه الآية ، وقد افتتح الآية بقوله : « حرمت عليكم الميتة » ؟ وقد علمت أن قوله : « حرمت عليكم الميتة » ، شامل كل ميتة ، كان موته حتف أنفه من علة به من غير جناية أحد عليه ، أو كان موته من ضرب ضاربٍ إياه ، أو انخناق منه، أو انتطاح، أو فَرْس سبع؟ وهلاّ كان قوله = إن كان الأمر على ما وصفت فى ذلك ، من أنه معنىٌّ بالتحريم فى كل ذلك: الميتة بالانخناق والنطاح والوقذ وأكل السبع أو غير ذلك ، دون أن يكون معنيًّا به تحريمه إذا تردّى أو انخنق أو فرسه السبع ، فبلغ ذلك منه ما يعلم أنه لا يعيش مما أصابه منه إلاّ باليسير من الحياة =[2]

(١) فى المخطوطة : « موتها » ، وهما سواء .

(٢) سياق هذه العبارة المطولة : « وهلا كان قوله . . . : حرمت عليكم الميتة ، مغنياً من تكرير ما كرر . . . وتعداده ما عدد » ، وما بينهما فصل وضعته بين خطين .

« حرمت عليكم الميتة » ، مغنياً من تكرير ما كرر بقوله : « وما أهل لغير الله به والمنخنقة » ، وسائر ما ذكر مع ذلك ، وتَعْدادِه ما عدَّد ؟

قيل : وجه تكراره ذلك = وإن كان تحريم ذلك إذا مات من الأسباب التى هو بها موصوف ، وقد تقدم بقوله : « حرمت عليكم الميتة » = أن الذين خوطبوا بهذه الآية كانوا لا يعدُّون « الميتة » من الحيوان ، إلاّ ما مات من علة عارضة به غير الانخناق والتردّى والانتطاح وفرس السبع . فأعلمهم الله أن حكم ذلك ، حكم ما مات من العلل العارضة = وأن العلة الموجبة تحريم الميتة ، ليست موتها من علة مرض أو أذى كان بها قبل هلاكها ، ولكن العلة فى ذلك أنها لم يذبحها من أجل ذبيحته بالمعنى الذى أحلها به ،[1] كالذى : —

١١٠٤٧ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى فى قوله : « والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلاّ ما ذكيتم » ، يقول : هذا حرام ، لأن ناساً من العرب كانوا يأكلونه ولا يعدّونه ميتاً ، إنما يعدون الميت الذى يموت من الوجع . فحرمه الله عليهم ، إلاّ ما ذكروا اسم الله عليه ، وأدركوا ذكاته وفيه الروح .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « وما ذبح على النصب » ، وحرم عليكم أيضاً الذى ذبح على النُّصُب .

فـ «ما» فى قوله : «وما ذبح» ، رفعٌ ، عطفاً على «ما» التى فى قوله : «وما أكل السبع» .

* * *

(١) فى المطبوعة : « من أحل ذبيحته » ، والصواب ما فى المخطوطة ، وهى فيها منقوطة . ويعنى : من أجل أن تكون ذبيحة له يأكلها .

(٢) الأثر : ١١٠٤٧ — هو تمام الأثر السالف رقم : ١١٠٢٤ .

و« النصب »، الأوثان من الحجارة، جماعة أنصاب كانت تجمع فى الموضع من الأرض ، فكان المشركون يقرِّبون لها ، وليست بأصنام .

وكان ابن جريج يقول فى صفته ما : —

١١٠٤٨ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج : « النصب »ليست بأصنام، « الصنم »يصوَّر وينقش، وهذه حجارة تنصب، ثلثمئة وستون حجراً، (١) منهم من يقول ثلثمئة منها لخزاعة (٢)=فكانوا إذا ذبحوا نضحوا الدم على ما أقبل من البيت، (٣) وشرَّحوا اللحم وجعلوه على الحجارة. (٤) فقال المسلمون : يا رسول الله ، كان أهل الجاهلية يعظمون البيت بالدم ، فنحن أحقُّ أن نعظمه ! فكأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكره ذلك ، فأنزل الله : ﴿ لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا ﴾[سورة الحج : ٣٧] .

* * *

ومما يحقق قول ابن جريج فى أن «الأنصاب» غير « الأصنام »، ما : —

١١٠٤٩ — حدثنا به ابن وكيع قال : حدثنا ابن عيينة، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد : « وما ذبح على النصب »، قال : حجارة كان يذبح عليها أهل الجاهلية.

١١٠٥٠ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد فى قول الله : « النصب »، قال : حجارة حول الكعبة ،يذبح عليها أهل الجاهلية، ويبدِّلونها إذا شاؤوا بحجارة أعجب إليهم منها .

---

(١) قوله : « ثلثمئة وستون حجراً » ، يعنى عدة الأنصاب التى كانت حول الكعبة ، انظر ابن سعد ٢/١/٩٨ : « وطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحول الكعبة ثلثمئة وستون صنما » ، ولكن هذه أصنام لا أنصاب كما ترى .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « بخزاعة » بالباء ، والصواب ما أثبت .

(٣) « نضح الدم أو الماء » : رشه به .

(٤) « شرح اللحم » ، وهو أن يقطع بضعة من اللحم ويرققها ، حتى تشف من رقتها . و « الشريحة » : القطعة المرققة منه كذلك .

١١٠٥١ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

١١٠٥٢ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: «وما ذبح على النصب»، و«النصب»: حجارة كان أهل الجاهلية يعبدونها، ويذبحون لها، فنهى الله عن ذلك.

١١٠٥٣ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: «وما ذبح على النصب»، يعني: أنصابَ الجاهلية. ٤٩/٦

١١٠٥٤ ــ حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثني معاوية، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: «وما ذبح على النصب»، و«النصب»، أنصاب كانوا يذبحون ويُهِلُّون عليها.

١١٠٥٥ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد ابن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد قوله: «وما ذبح على النصب»، قال: كان حول الكعبة حجارة كان يَذبح عليها أهل الجاهلية، ويبدِّلونها إذا شاؤوا بحجر هو أحبّ إليهم منها.

١١٠٥٦ ــ حدثت عن الحسين قال، سمعت أبا معاذ يقول، أخبرنا عبيد قال، سمعت الضحاك بن مزاحم يقول: «الأنصاب»، حجارة كانوا يهلّون لها، ويذبحون عليها.

١١٠٥٧ ــ حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: «وما ذبح على النُّصب»، قال: «ما ذبح على النصب» و«ما أهل لغير الله به»، وهو واحد.[1]

* * *

(١) في المطبوعة: «هو واحد»، بغير واو، والذي في المخطوطة أجود.

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « وأن تستقسموا بالأزلام » ، وأن تطلبوا علم ما قُسِم لكم أو لم يقسم ، بالأزلام .

* * *

وهو « استفعلت » من « القَسْم » قَسْم الرزق والحاجات. وذلك أن أهل الجاهلية كان أحدهم إذا أراد سفراً أو غزواً أو نحو ذلك، أجال القداح= وهى « الأزلام » وكانت قِداحاً مكتوباً على بعضها : « نهانى ربّى » ، وعلى بعضها : « أمرنى ربّى »= فإن خرج القدح الذى هو مكتوب عليه : « أمرنى ربى » ، مضى لما أراد من سفر أو غزو أو تزويج وغير ذلك . وإن خرج الذى عليه مكتوب : « نهانى ربى » ، كفّ عن المضى لذلك وأمسك، فقيل : « وأن تستقسموا بالأزلام » ، لأنهم بفعلهم ذلك كانوا كأنهم يسألون أزلامهم أن يَقْسِمن لهم، ومنه قول الشاعر مفتخراً بترك الاستقسام بها : (١)

• وَلَمْ أَقْسِمْ فَتَرْبُثَنِي القُسُومُ • (٢)

* * *

وأما « الأزلام » ، فإن واحدها « زَلَم » ، ويقال : « زُلَم » ، وهى القداح التى وصفنا أمرها . (٣)

* * *

---

(١) أعيانى أن أعرف قائله ، وهو شبيه بكلام أمية بن أبى الصلت ، وليس فى ديوانه .

(٢) مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٥٢ ، وقوله « لم أقسم » ، من « قسمت أمرى أقسمه قسما » ، أى : قدرته ونظرت، وميلت فيه أن أفعله أو لا أفعله . وقالوا : « تركت فلاناً يقتسم ، وتركته يستقسم » : أى يفكر ويروى بين أمرين . وكذلك فعل من يستقسم بالأزلام ، فاستعمل « أقسم » بمعنى « الاستقسام بالأزلام » فى هذا البيت. و « القسوم » جمع « قسم » (بكسر القاف وسكون السين) : الحظ ، وجمعه « أقسام » ، ولكنه جمع على « قسوم » ، كجمع « حلم » على « حلوم » و « أحلام » .

(٣) « زلم » (بفتحتين) و « زلم » (بضم الزاى وفتح اللام) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١١٠٥٨ – حدثنا محمد بن بشار وابن وكيع قالا ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ، عن سفيان ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير : « وأن تستقسموا بالأزلام » ، قال : القداح ، كانوا إذا أرادوا أن يخرجوا فى سفر جعلوا قداحاً للجلوس والخروج . فإن وقع الخروج خرجوا ، وإن وقع الجلوس جلسوا .

١١٠٥٩ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن شريك ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير : « وأن تستقسموا بالأزلام » ، قال : حصًى بيضٌ كانوا يضربون بها .

= قال أبو جعفر : قال لنا سفيان بن وكيع : هو الشطرنج . (١)

١١٠٦٠ – حدثنى يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عباد بن راشد البزّار ، عن الحسن فى قوله : « وأن تستقسموا بالأزلام » ، قال : كانوا إذا أرادوا أمراً أو سفراً ، يعمَدون إلى قداح ثلاثة ، على واحد منها مكتوب : « أؤمرنى » ، وعلى الآخر : « انهنى » ، ويتركون الآخر محلّلاً بينهما ليس عليه شىء . ثم يجيلونها ، فإن خرج الذى عليه « أؤمرنى » مضوا لأمرهم . وإن خرج الذى عليه « انهنى » كفُّوا ، وإن خرج الذى ليس عليه شىء أعادوها . (٢)

١١٠٦١ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن عيينة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وأن تستقسموا بالأزلام » ، حجارة كانوا يكتبون عليها ، يسمونها « القِداح » .

---

(١) هذا قول فى غاية الغرابة ! ! كأنه كان يجهل ما الشطرنج = أو كأنه كان يرى أنهم يفعلون ذلك بقطع الشطرنج ، دون أن يكون هذا الفعل هو اللعب بالشطرنج .

(٢) الأثر : ١١٠٦٠ – « عباد بن راشد التميمى البزار » ، ابن أخت داود بن أبى هند . روى عن ثابت البنانى ، والحسن البصرى ، وداود بن أبى هند ، وقتادة . روى عنه هشيم ، وعبد الرزاق ، وأبو عامر العقدى ، وغيرهم . ذكره البخارى فى الضعفاء ، وروى له مقروناً بغيره ، متكلم فيه . مترجم فى التهذيب .

١١٠٦٢ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « بالأزلام » ، قال : القداح ، يضربون لكل سفر وغزوٍ وتجارة .

١١٠٦٣ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١١٠٦٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن آدم ، عن زهير ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد : « وأن تستقسموا بالأزلام » ، قال : كِعابُ فارس التي يقمُرون بها ، وسهام العرب .

١١٠٦٥ – حدثني أحمد بن حازم الغفاري قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا زهير ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد : « وأن تستقسموا بالأزلام »، قال : سهام العرب ، وكعاب فارس والروم ، كانوا يتقامرون بها .

١١٠٦٦ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « وأن تستقسموا بالأزلام » ، قال : كان الرجل إذا أراد أن يخرج مسافراً ، كتب في قدح : « هذا يأمرني بالمكث » و « هذا يأمرني بالخروج »، وجعل معهما منيحة،[1] شيء لم يكتب فيه شيئاً، ثم استقسم بها حين يريد أن يخرج . فإن خرج الذي يأمر بالمكث مكث ، وإن خرج الذي يأمر بالخروج خرج ، وإن خرج الآخر أجالها ثانية حتى يخرج أحد القِدْحين . ٥٠/٦

١١٠٦٧ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وأن تستقسموا بالأزلام » ، وكان أهل الجاهلية إذا أراد أحدهم خروجاً ، أخذ

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « معها » ، والصواب التثنية . وفي المطبوعة : « منيحاً » ، وهو صواب في المعنى . ولكني أثبت ما في المخطوطة . وذلك أن « المنيح » – كما في المطبوعة – هو القدح المستعار من قداح الميسر ، وهو الغفل الذي لا نصيب له ، إلا أن يمنح صاحبه شيئاً ، فيستعار ويتيمن به . وأما « المنيحة » ، فهي الناقة أو الشاة المعارة أيضاً ، فنظر إلى معنى المستعار فسمى هذا الشيء الذي لا أمر له في الاستقسام « منيحة » ، كما سموا شبيهه في الميسر « منيحاً » وهو المستعار .

قدحاً فقال : « هذا يأمر بالخروج » ، فإن خرج فهو مصيب فى سفره خيراً ، ويأخذ قِدحاً آخر فيقول : « هذا يأمر بالمكوث » ، فليس يصيب فى سفره خيراً ، و« المنيح » بينهما . فنهى الله عن ذلك وقدّم فيه .

١١٠٦٨ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « وأن تستقسموا بالأزلام » ، قال : كانوا يستقسمون بها فى الأمور .

١١٠٦٩ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « الأزلام » ، قداح لهم . كان أحدهم إذا أراد شيئاً من تلك الأمور كتب فى تلك القداح ما أراد ، فيضرب بها ، فأى قدح خرج = وإن كان أبغض تلك = ارتكبه وعمل به .

١١٠٧٠ – حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل ، قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وأن تستقسموا بالأزلام » ، قال : « الأزلام » ، قداح كانت فى الجاهلية عند الكهنة ، فإذا أراد الرجل أن يسافر ، أو يتزوج ، أو يحدث أمراً ، أتى الكاهن فأعطاه شيئاً ، فضرب له بها . فإن خرج منها شىء يعجبه ، أمره ففعل . وإن خرج منها شىء يكرهه ، نهاه فانتهى ، كما ضرب عبد المطلب على زمزم ، وعلى عبد الله والإبل . (١)

١١٠٧١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير قال : سمعنا أنّ أهل الجاهلية كانوا يضربون بالقداح فى الظَّعْن والإقامة أو الشىء يريدونه ، فيخرج سهم الظعن فيظعنون ، والإقامة فيقيمون .

* * *

وقال ابن إسحق فى « الأزلام » ، ما : –

١١٠٧٢ – حدثنى به ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال :

---

(١) انظر خبر عبد المطلب وعبد الله فى سيرة ابن هشام ١ : ١٦٠ – ١٦٤ .

كانت هُبَل أعظم أصنام قريش بمكة، وكانت على بئر فى جوف الكعبة، وكانت تلك البئر هى التى يجمع فيها ما يُهدى للكعبة . وكانت عند هبل سبعة أقْدُح ، (١) كل قِدْح منها فيه كتاب . قدح فيه : « العقل »، (٢) إذا اختلفوا فى العقل من يحمله منهم، ضربوا بالقداح السبعة، [فإن خرج العقل، فعلى من خرج حمله]. (٣) وقدح فيه : « نعم » للأمر إذا أرادوه ، يضرب به ، فإن خرج قدح « نعم » عملوا به . وقدح فيه : « لا » ، فإذا أرادوا أمراً ضربوا به فى القداح ، فإذا خرج ذلك القدح ، لم يفعلوا ذلك الأمر . وقِدْح فيه : « منكم » . وقدح فيه : « مُلْصَق ». (٤) وقدح فيه : « من غيركم » . وقدح فيه « المياه »، إذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقداح وفيها ذلك القدح ، فحيثما خرج عملوا به. وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلاماً، (٥) أو أن ينكحوا مَنكحاً ، أو أن يدفنوا ميتاً، أو شكوا فى نسب واحد منهم، (٦) ذهبوا به إلى هبل وبمئة درهم ، وبجَزور ، فأعطوها صاحب القداح الذى يضربها ، ثم قرّبوا صاحبهم الذى يريدون به ما يريدون ، ثم قالوا : « يا إلهنا، هذا فلان بن فلان ، قد أردنا به كذا وكذا ، فأخرج الحق فيه ». ثم يقولون لصاحب القداح : « اضرب »، فيضرب . فإن [خرج عليه « منكم »، كان وسيطاً. وإن] خرج عليه : «من غيركم» كان حليفاً، (٧) وإن خرج «ملصق» كان على منزلته منهم، لا نسب له ولا حلف ،

---

(١) فى المطبوعة : « أقداح »، وأثبت ما فى المخطوطة ، وجمع « قدح » : أقداح، وقداح ، وأقدح ، كله صواب .

(٢) « العقل » الدية .

(٣) هذه الزيادة بين القوسين من ابن هشام ، ولا بد من زيادتها لتمام الكلام .

(٤) فى المخطوطة : « يلصق » ، وفوقها « كذا » ، أى هو كذلك فى التى نسخ عنها ، والصواب ما فى المطبوعة ، وسيرة ابن هشام .

(٥) فى المطبوعة : « أن يجتبوا غلاماً » ، وهو لا معنى له ، والمخطوطة غير منقوطة ، والصواب فى سيرة ابن هشام ، كما أثبتها .

(٦) فى المطبوعة : « أو يشكوا » مضارعاً ، وأثبت ما فى سيرة ابن هشام .

(٧) ما بين القوسين زيادة من ابن هشام ، وهى السياق بغير شك . و « الوسيط » : هو الخالص النسب ، الشريف فى قومه .

وإن خرج فيه شيء سوى هذا مما يعملون به « نعم » ، عملوا به . وإن خرج « لا » ، أخّروه عامهم ذلك حتى يأتوا به مرة أخرى. ينتهون فى أمورهم إلى ذلك مما خرجت به القداح .(١)

١١٠٧٣ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « وأن تستقسموا بالأزلام » ، يعنى : القداح ، كانوا يستقسمون بها فى الأمور .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « ذلكم » ، هذه الأمور التى ذكرها، وذلك: أكل الميتة ، والدم، ولحم الخنزير، وسائر ما ذكر فى هذه الآية مما حرم أكله، والاستقسام بالأزلام، = « فسق » ، يعنى : خروج عن أمر الله عز ذكره وطاعته ، إلى ما نهى عنه وزجر ، إلى معصيته ،(٢) كما : –

١١٠٧٤ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « ذلكم فسق » ، يعنى : من أكل من ذلك كله فهو فسق .

* * *

---

(١) الأثر : ١١٠٧٢ – سيرة ابن هشام ١ : ١٦٠ ، ١٦١ .

(٢) انظر تفسير « الفسق » فيما سلف ١ : ٤٠٩ ، ٤١٠ / ٢ : ١١٨ ، ٤/٣٩٩ : ١٣٥ – ٦/١٣٧ : ٩١ ، ٧/٩٢ : ١٠٧ .

وفى المطبوعة : « وزجر ، وإلى معصيته » بزيادة الواو ، وكلتاهما صواب .

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ ﴾

٥١/٦ قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « اليوم يئس الذين كفروا من دينكم »، الآن انقطع طمع الأحزاب وأهل الكفر والجحود ، أيها المؤمنون ،=« من دينكم »، يقول : من دينكم أن تتركوه فترتدُّوا عنه راجعين إلى الشرك ، كما : —

١١٠٧٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « اليوم يئس الذين كفروا من دينكم » ، يعنى : أن ترجعوا إلى دينهم أبداً .

١١٠٧٦ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « اليوم يئس الذين كفروا من دينكم » ، قال: أظنُّ ، يئسوا أن ترجعوا عن دينكم . (١)

* * *

فإن قال قائل : وأىُّ يوم هذا اليوم الذى أخبرَ الله أن الذين كفروا يئسوا فيه من دين المؤمنين ؟

قيل : ذكر أن ذلك كان يوم عرفة ، عام حج النبى صلى الله عليه وسلم حجة الوداع ، وذلك بعد دخول العرب فى الإسلام .

• ذكر من قال ذلك :

١١٠٧٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال مجاهد : « اليوم يئس الذين كفروا من دينكم » ، « اليوم أكملت لكم دينكم » ، هذا حين فعلت . قال ابن جريج : وقال آخرون ،(٢) ذلك يوم

---

(١) أنا فى شك من قوله : « أظن » هنا ، وهى فى المخطوطة غير منقوطة .

(٢) قوله : « وقال آخرون » هو من قول ابن جريج فيما أرجح ، ولذلك جعلته فى الخبر .

عرفة ، فى يوم جمعة ، لما نظر النبي صلى الله عليه وسلم فلم ير إلاّ موحِّداً ، ولم ير مشركاً ، حمد الله، فنزل عليه جبريل عليه السلام : « اليوم يئس الذين كفروا من دينكم » ، أن يعودوا كما كانوا .

١١٠٧٨ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « اليوم يئس الذين كفروا من دينكم » ، قال : هذا يوم عرفة .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك : فلا تخشوا ، أيها المؤمنون ، هؤلاء الذين قد يئسوا من دينكم أن ترجعوا عنه من الكفار ، ولا تخافوهم أن يظهروا عليكم ، فيقهروكم ويردُّوكم عن دينكم = « واخشون » ، يقول : ولكن خافونِ ، إن أنتم خالفتم أمرى واجترأتم على معصيتى ، وتعدَّيتم حدودى ، أن أُحِلَّ بكم عقابى ، وأنزل بكم عذابى ، (٢) كما : –

١١٠٧٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « فلا تخشوهم واخشون » ، فلا تخشوهم أن يظهروا عليكم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : يعنى جل ثناؤه بقوله : « اليوم أكملت لكم دينكم » ، اليوم

---

(١) انظر تفسير « الخشية » فيما سلف ١ : ٥٥٩ ، ٢/٥٦٠ : ٢٣٩ ، ٢٤٣ / ٨ : ٥٤٨ .

أكملت لكم ، أيها المؤمنون ، فرائضى عليكم وحدودى ، وأمرى إياكم ونهيى ، وحلالى وحرامى ، وتنزيلى من ذلك ما أنزلت منه فى كتابى ، وتبيانى ما بيّنت لكم منه بوحيى على لسان رسولى ، والأدلة التى نصبتُها لكم على جميع ما بكم الحاجة إليه من أمر دينكم ، فأتممت لكم جميع ذلك ، فلا زيادة فيه بعد هذا اليوم . قالوا : وكان ذلك فى يوم عرفة ، عام حجّ النبى صلى الله عليه وسلم حجة الوَدَاع . وقالوا : لم ينزل على النبى صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية شىء من الفرائض ، ولا تحليل شىء ولا تحريمه ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يعش بعد نزول هذه الآية إلاّ إحدى وثمانين ليلة .

• ذكر من قال ذلك :

١١٠٨٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « اليوم أكملت لكم دينكم » ، وهو الإسلام . قال أخبر الله نبيَّه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الإيمان ، فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً ، وقد أتمه الله عز ذكره فلا ينقصه أبداً ، وقد رضيه الله فلا يَسْخَطه أبداً .

١١٠٨١ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « اليوم أكملت لكم دينكم » ، هذا نزل يوم عرفة ، فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام . ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات . فقالت أسماء بنت عُمَيس : حججت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الحجة ، فبينما نحن نسير ، إذ تجلّى له جبريل صلى الله عليه وسلم على الرَّاحلة ، فلم تطق الراحلة من ثِقْل ما عليها من القرآن ، فبركت ، فأتيته فسجَّيت عليه برداء كان على . (١)

١١٠٨٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن

---

(١) « سجاه بالثوب تسجية » : غطاه به .

ابن جريج قال : مكث النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما نزلت هذه الآية ، إحدى وثمانين ليلة ، قوله : « اليوم أكملت لكم دينكم » . ٥٢/٦

١١٠٨٣ – حدثنا سفيان قال، حدثنا ابن فضيل، عن هرون بن عنترة، عن أبيه قال : لما نزلت : « اليوم أكملت لكم دينكم »، وذلك يوم الحج الأكبر ، بكى عمر ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ما يبكيك ؟ قال : أبكاني أنّا كنا في زيادة من ديننا ، فأما إذ كمل، فإنه لم يكمل شيء إلا نقص ! فقال : صدقت.[1]

١١٠٨٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أحمد بن بشير ، عن هرون بن أبي وكيع ، عن أبيه ، فذكر نحو ذلك .[2]

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : « اليوم أكملت لكم دينكم » ، حجكم، فأفردتم بالبلد الحرام تحُجُّونه ، أنتم أيها المؤمنون، دون المشركين، لا يخالطكم في حَجِّكم مشرك .

* ذكر من قال ذلك :

١١٠٨٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن أبي غَنِيَّة، عن أبيه، عن الحكم : « اليوم أكملت لكم دينكم » ، قال : أكمل لهم دينهم ، أن حجوا ولم يحجّ معهم مشرك .[3]

---

(١) إنما عنى بنقصان الدين ، أهل الدين ، فإنهم إذا تطاول عليهم الأمد، قست قلوبهم ، وقل تمسك بعضهم بما أمر به . ومعاذ الله أن يعني عمر ، نقصان الدين نفسه . ومثله قوله صلى الله عليه وسلم « بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء » .

(٢) الأثر : ١١٠٨٤ – « أحمد بن بشير الكوفي » ، مضى برقم : ٧٨٦٩ .
و « هرون بن أبي وكيع » ، هو : « هرون بن عنترة بن عبد الرحمن » الماضي في الأثر قبله ، ومضت ترجمته برقم : ٤٠٥ .
وأبوه : « عنترة بن عبد الرحمن » وكنيته « أبو وكيع » ، مضى أيضاً برقم : ٤٠٥ .

(٣) الأثر : ١١٠٨٥ – « يحيى بن أبي غنية » هو : « يحيى بن عبد الملك بن حميد بن أبي غنية » ، مضى برقم : ١٠٥٩٧ ، وهو هذا الإسناد نفسه .
وأبوه « عبد الملك بن حميد بن أبي غنية » ، مضى أيضاً برقم : ٨٥٣٥ ، ١٠٥٩٧

١١٠٨٦ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « اليوم أكملت لكم دينكم » ، قال : أخلص الله لهم دينهم ، ونفى المشركين عن البيت .

١١٠٨٧ – حدثنا أحمد بن حازم قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا قيس ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير : « اليوم أكملت لكم دينكم » ، قال : تمام الحج ، ونفى المشركين عن البيت .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، أن يقال : إن الله عز وجل أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به ، أنه أكمل لهم = يوم أنزل هذه الآية على نبيه = دينَهم ، بإفرادهم البلدَ الحرام ،[1] وإجلائه عنه المشركين ، حتى حجَّه المسلمون دونهم لا يخالطهم المشركون .

فأما الفرائض والأحكام ، فإنه قد اختلف فيها : هل كانت أكملت ذلك اليوم ، أم لا ؟

فروى عن ابن عباس والسدّى ما ذكرنا عنهما قبل .[2]

وروى عن البراء بن عازب أن آخر آية نزلت من القرآن : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ﴾ [سورة النساء : ١٧٦] .[3]

= ولا يدفع ذو علم أن الوحى لم ينقطع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن

و « الحكم » هو « الحكم بن عتيبة » مضى مراراً .

وكان فى المخطوطة والمطبوعة : « يحيى بن أبي عتبة » ، وهو تصحيف .

(١) فى المطبوعة : « بإفرادهم بالبلد الحرام » بالباء ، وهو الذى تقوله كتب اللغة ، وأما الذى فى المخطوطة ، وهو ما أثبته . فله وجه صحيح فى العربية ، فيما أرى ، فتركته على حاله . وظنى أنى قرأته كذلك متعدياً فى بعض كتب أبي جعفر أو غيره ، فإن عثرت عليه أثبته إن شاء الله .

(٢) يعنى ما سلف رقم : ١١٠٨٠ ، ١١٠٨١ .

(٣) انظر ما سلف رقم : ١٠٨٧٠ – ١٠٨٧٣ .

قُبِض ، بل كان الوحى قبل وفاته أكثر ما كان تتابعاً . فإذ كان ذلك كذلك = وكان قوله : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِى الكَلَالَةِ ﴾ آخرَها نزولاً ، وكان ذلك من الأحكام والفرائض = كان معلوماً أن معنى قوله : « اليوم أكملت لكم دينكم » ، على خلاف الوجه الذى تأوّله من تأوّله = أعنى : كمال العبادات والأحكام والفرائض.

* * *

فإن قال قائل : فما جعل قولَ من قال : « قد نزل بعد ذلك فرض » ، أولى من قول من قال : « لم ينزل » ؟

قيل : لأن الذى قال : « لم ينزل » ، مخبر أنه لا يعلم نزول فرض ، والنفى لا يكون شهادة ، والشهادة قول من قال : « نزل » . وغير جائز دفع خبر الصادق فيما أمكن أن يكون فيه صادقاً .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بذلك : وأتممت نعمتى ، أيها المؤمنون ، بإظهاركم على عدوّى وعدوكم من المشركين ، ونفيى إياهم عن بلادكم ، وقطعى طمعهم من رجوعكم وعودكم إلى ما كنتم عليه من الشرك .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١١٠٨٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قال : كان المشركون والمسلمون يحجُّون جميعاً ، فلما نزلت « براءة » ، فنفى المشركين عن البيت ، وحجَّ المسلمون لا يشاركهم فى البيت الحرام

أحد من المشركين ، فكان ذلك من تمام النعمة : « وأتممت عليكم نعمتي » .

١١٠٨٩ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي » الآية ، ذكر لنا أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عرفة ، يوم جمعة ، حين نفى الله المشركين عن المسجد الحرام، وأخلص للمسلمين حجّهم .

١١٠٩٠ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال، حدثنا داود ، عن الشعبي قال : نزلت هذه الآية بعرفات ، حيث هدم مَنار الجاهلية ،[1] واضمحلّ الشرك ، ولم يحج معهم في ذلك العام مشرك .

١١٠٩١ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا داود ، عن عامر في هذه الآية : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي » ، قال ، نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفات ، وقد أطاف به الناس ، وتهدّمت مَنار الجاهلية ومناسكهم ، واضمحلّ الشرك، ولم يَطُف حول البيت عُرْيان ، فأنزل الله : « اليوم أكملت لكم دينكم » . ٥٣/٦

١١٠٩٢ – حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية، عن داود، عن الشعبي ، بنحوه.

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾

قال أبو جعفر : يعني بذلك جل ثناؤه : ورضيت لكم الاستسلام لأمري ، والانقياد لطاعتي ، على ما شرعت لكم من حدوده وفرائضه ومعالمه[2] = « ديناً » ، يعني بذلك : طاعة منكم لي .[3]

* * *

(١) « المنار » : علم الطريق ، وحدود الأرض . وأراد به شرائع أهل الجاهلية .

(٢) انظر تفسير « الإسلام » فيما سلف من فهارس اللغة ، مادة (سلم) .

(٣) انظر تفسير « الدين » فيما سلف ١ : ١٥٥ ، ٣/٢٢١ : ٥٧١ ، ٦/٥٧٢ : ٢٧٣ – ٢٧٥ ، ٥٦٤ ، ٥٧٠ .

فإن قال قائل: أوَ ما كان الله راضياً الإسلامَ لعباده إلا يوم أنزل هذه الآية ؟

قيل: لم يزل الله راضياً لخلقه الإسلام ديناً ، ولكنه جل ثناؤه لم يزل يصرِّف نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى درجات الإسلام ومراتبه درجة بعد درجة، ومرتبة بعد مرتبة ، وحالاً بعد حال ، حتى أكمل لهم شرائعه ومعالمه ، وبلغ بهم أقصى درجاته ومراتبه ، ثم قال حين أنزل عليهم هذه الآية : « ورضيت لكم الإسلام » بالصفة التى هو بها اليوم،[1] والحال التى أنتم عليها اليوم منه = « ديناً » فالزموه ولا تفارقوه .

* * *

وكان قتادة يقول فى ذلك ، ما : —

١١٠٩٣ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذكر لنا أنه يَمْثُل لأهل كل دين دينهم يوم القيامة، فأما الإيمان فيبشر أصحابه وأهله ويعدهم فى الخير ، حتى يجىء الإسلام فيقول : « رب ، أنت السلام وأنا الإسلام » ، فيقول : « إياك اليوم أقبل، وبك اليوم أجزى » .[2]

* * *

= وأحسب أن قتادة وجّه معنى « الإيمان » بهذا الخبر إلى معنى التصديق والإقرار باللسان ، لأن ذلك معنى « الإيمان » عند العرب[3] = ووجّه معنى « الإسلام » إلى استسلام القلب وخضوعه لله بالتوحيد ، وانقياد الجسد له بالطاعة

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « ورضيت لكم الإسلام ديناً ، بالصفة . . . . . » ، والصواب حذف « ديناً » من هذا الموضع ، لأنها ستأتى بعد ، وهو سهو من عجلة الناسخ .

(٢) الأثر : ١١٠٩٣ — روى أبو داود الطيالسى فى مسنده : ٣٢٤ من حديث أبى هريرة : « حدثنا عباد بن راشد قال ، حدثنا الحسن قال ، حدثنا أبو هريرة ونحن إذ ذاك فى المدينة قال : يجىء الإسلام يوم القيامة ، فيقول الله عز وجل : « أنت الإسلام وأنا السَّلام ، اليومَ بك أُعْطِى و بك آخُذ » .

(٣) انظر تفسير « الإيمان » فيما سلف من فهارس اللغة ، مادة (أمن) .

فيما أمر ونهى ، فلذلك قيل للإسلام : « إياك اليوم أقبل ، وبك اليوم أجزى » .

* * *

ذكر من قال : نزلت هذه الآية بعرفة فى حجة الوداع على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١١٠٩٤ – حدثنا محمد بن بشار وابن وكيع قالا ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب قال ، قالت اليهود لعمر : إنكم تقرأون آية لو أنزلت فينا لاتخذناها عيداً ! فقال عمر : إنى لأعلم حين أنزلت ، وأين أنزلت ، وأين رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزلت : أنزلت يوم عرفة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة = قال سفيان : وأشك ، كان يوم الجمعة أم لا = « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً » . (١)

١١٠٩٥ – حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ، حدثنا ابن إدريس قال ، سمعت أبى ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب قال ، قال يهودى لعمر : لو علمنا معشر اليهود حين نزلت هذه الآية : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً » ، لو نعلم ذلك اليوم ، اتخذنا ذلك اليوم عيداً ! فقال عمر : قد علمت اليوم الذى نزلت فيه ، والساعة ، وأين رسول

---

(١) الأثر : ١١٠٩٤ – رواه أحمد فى المسند رقم : ٢٧٢ عن عبد الرحمن ، عن سفيان بمثله . ورواه البخارى (الفتح ٨ : ٢٠٣) عن محمد بن بشار ، عن عبد الرحمن ، كطريق أبى جعفر ، ورواه مسلم ١٨ : ١٥٢ ، عن محمد بن المثنى وزهير بن حرب ، عن عبد الرحمن .

وفيها جميعاً « لأعلم حيث أنزلت » ، و « وأين رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أنزلت » ، وقد أشار إلى ذلك الحافظ فى الفتح .

وذكره الحافظ ابن كثير فى تفسيره ٢ : ٦٧ ، وزاد نسبته للترمذى والنسائى . ثم قال : « وشك سفيان رحمه الله . إن كان فى الرواية فهو تورع ، حيث شك هل أخبره شيخه بذلك أم لا . وإن كان شكا فى كون الوقوف فى حجة الوداع كان يوم جمعة ، فهذا مالا إخاله يصدر عن الثورى رحمه الله ، فإن هذا أمر معلوم مقطوع به ، لم يختلف فيه أحد من أصحاب المغازى والسير ولا الفقهاء . وقد وردت فى ذلك أحاديث متواترة لا يشك فى صحتها ، والله أعلم » .

الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت : نزلت ليلة الجمعة ، ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفات= لفظ الحديث لأبي كريب ، وحديث ابن وكيع نحوه . (١)

١١٠٩٦ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جعفر بن عون ، عن أبي العميس ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق ، عن عمر ، نحوه . (٢)

١١٠٩٧ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن حماد بن سلمة ، عن عمار مولى بني هاشم قال : قرأ ابن عباس : « اليوم أكملت لكم دينكم » ، وعنده رجل من أهل الكتاب فقال : لو علمنا أيَّ يوم نزلت هذه الآية ، لاتخذناه عيداً ! فقال ابن عباس : فإنها نزلت يوم عرفة ، يوم جمعة . (٣)

١١٠٩٨ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا قبيصة قال ، حدثنا حماد بن

---

(١) الأثر : ١١٠٩٥ – رواه من هذه الطريق مسلم في صحيحه ١٨ : ١٥٣ ، عن أبي بن أبي شيبة وأبي كريب ، عن عبد الله بن إدريس .

وفيه : « نزلت ليلة جمع » . قال النووي في شرحه : « هكذا هو في النسخ ، الرواية : ليلة جمع = وفي نسخة ابن ماهان : : ليلة جمعة . وكلاهما صحيح . فمن روى « ليلة جمع » ، فهي ليلة المزدلفة ، وهو المراد بقوله : « ونحن بعرفات » في يوم جمعة ، لأن ليلة جمع ، هي عشية يوم عرفات ، ويكون المراد بقوله : « ليلة جمعة » ، يوم جمعة . ومراد عمر رضي الله عنه : إنا قد اتخذنا ذلك اليوم عيداً من وجهين ، فإنه يوم عرفة ، ويوم جمعة ، وكل واحد منهما عيد لأهل الإسلام » .

(٢) الأثر : ١١٠٩٦ – هذا الحديث ، رواه البخاري (الفتح ١ : ٩٧) من طريق الحسن بن الصباح ، عن جعفر بن عون ، عن أبي العميس .

ورواه أحمد في المسند رقم : ١٨٨ ، من طريق جعفر بن عون ، عن أبي عميس .

ورواه مسلم في صحيحه ١٨ : ١٥٤ ، من طريق عبد بن حميد ، عن جعفر بن عون ، والنسائي في السنن ٨ : ١١٤ .

هذا ، وقد بين الحافظ ابن حجر في الفتح (١ : ٩٧) أن هذا الرجل من اليهود : « هو كعب الأحبار ، بين ذلك مسدد في مسنده ، والطبري في تفسيره ، والطبراني في الأوسط ، كلهم من طريق رجاء ابن أبي سلمة ، عن عبادة بن نسي (بضم النون ، وفتح المهملة) ، عن إسحق بن خرشة ، عن قبيصة بن ذؤيب ، عن كعب » . وهذا هو الأثر الآتي رقم : ١١١٠٠ (انظر التعليق عليه ، وما فيه من الخطأ) وأشار في الموضع الآخر (الفتح ٨ : ٢٠٣) إلى احتمال أن سؤال كعب وقع قبل إسلامه ، لأن إسلامه كان في خلافة عمر على المشهور ، وأطلق عليه ذلك باعتبار ما مضى .

(٣) الأثر : ١١٠٩٧ – خرجه أبو داود الطيالسي في مسنده : ٣٥٣ ، رواه عن حماد ، عن عمار بن أبي عمار ، وسيأتي بطريق أخرى في الذي يليه .

سلمة ، عن عمار : أن ابن عباس قرأ : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » ، فقال يهودي : لو نزلت هذه الآية علينا ، لاتخذنا يومها عيداً ! فقال ابن عباس : فإنها نزلت في يوم عيدين اثنين : يوم عيد ، ويوم جمعة . (١)

١١٠٩٩ – حدثني المثنى قال ، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا حماد ، عن عمار بن أبي عمار ، عن ابن عباس ، نحوه .

١١١٠٠ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا رجاء بن أبي سلمة قال ، أخبرنا عبادة بن نسيّ قال ، حدثنا أميرنا إسحق = قال أبو جعفر : إسحق ، هو ابن خَرَشة = عن قبيصة قال ، قال كعب : لو أن غير هذه الأمة نزلت عليهم هذه الآية ، لنظروا اليوم الذي أنزلت فيه عليهم ، فاتخذوه عيداً يجتمعون فيه ! فقال عمر : أيُّ آية يا كعب ؟ فقال : « اليوم أكملت لكم دينكم » . فقال عمر : قد علمت اليوم الذي أنزلت فيه ، والمكان الذي أنزلت فيه : يوم جمعة ، ويوم عرفة ، وكلاهما بحمد الله لنا عيدٌ . (٢) ٥٤/٦

---

(١) الأثر : ١١٠٩٨ – خرجه الترمذي في كتاب التفسير ، من طريق عبد بن حميد ، عن يزيد بن هرون ، عن حماد ، وفيه : « نزلت في يوم عيدين ، في يوم الجمعة ، ويوم عرفة » . وقال الترمذي : « هذا حديث حسن غريب من حديث ابن عباس » .

وأشار إليه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٢٥٨ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد ، والطبراني ، والبيهقي في الدلائل .

(٢) الأثر : ١١١٠٠ – « رجاء بن أبي سلمة مهران » ، « أبو المقدام » الفلسطيني . روى عن عمر بن عبد العزيز ، وعمرو بن شعيب والزهري وغيرهم . وروى عنه ابن عون ، وهو من شيوخه ، والحمادان ، وابن علية . ثقة ، كان من أفاضل أهل زمانه . مترجم في التهذيب .

و « عبادة بن نسي الكندي » ، الشامي الأردني ، قاضي طبرية . روى عن أوس بن أوس الثقفي ، وشداد بن أوس ، وعبادة بن الصامت ، وكعب بن عجرة ، وغيرهم . روى عنه رجاء بن أبي سلمة ، وغيره . قال ابن سعد في تابعي أهل الشام : « ثقة » . وقال البخاري : « عبادة بن نسي الكندي » سيدهم . قال مسلمة بن عبد الملك : « إن في كندة لثلاثة نفر ، إن الله لينزل بهم الغيث ، وينصر بهم على الأعداء : عبادة بن نسي ، ورجاء بن حيوة ، وعدي بن عدي » . مات سنة ١١٨ . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٣/١/٩٦ .

١١١٠١ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن عيسى ابن جارية الأنصاري قال : كنا جلوساً في الديوان ، فقال لنا نصراني : يا أهل الإسلام ، لقد نزلت عليكم آية لو نزلت علينا ، لاتخذنا ذلك اليوم وتلك الساعة عيداً ما بقي منا اثنان : « اليوم أكملت لكم دينكم » ! فلم يجبه أحد منا ، فلقيت محمد بن كعب القرظي ، فسألته عن ذلك فقال : ألا رددتم عليه ؟ فقال : قال عمر بن الخطاب : أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو واقف على الجبل يوم

و « نسى » بضم النون ، وفتح السين ، والياء المشددة » . وأما « إسحق » ، فإن أبا جعفر زعم أنه ابن خرشة ، ولم أجد في الرواة ولا في الأمراء « إسحق بن خرشة » . وأما « ابن خرشة » ، فهو : « عثمان بن إسحق بن خرشة (بفتح الخاء والراء) القرشي » روى عنه الزهري ، ولم يذكر لعبادة بن نسي رواية عنه ، ولا هو كان أميراً . ونسبه كما رواه ابن سعد ٥ : ١٨٠ هو : « عثمان ابن إسحق بن عبد الله بن أبي خرشة بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن جذيمة بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي » ، ونسبه أيضاً المصعب في نسب قريش : ٤٣٢ ، وقال : « روى عنه ابن شهاب ، عن قبيصة بن ذؤيب حديث الجدة » ، وهو الحديث الذي رواه أصحاب السنن الأربعة (سنن أبي داود ٣ : ١٦٧ رقم : ٢٨٩٤) ، من طريق مالك في الموطأ : ٥١٣ بروايته عن « ابن شهاب ، عن عثمان بن إسحق بن خرشة ، عن قبيصة بن ذؤيب » .

فلست أشك أن أبا جعفر قد وهم ، فأراد تعريف « إسحاق » في إسناده هذا ، فسبق إلى وهمه « ابن خرشة » ، وهو « عثمان بن إسحق بن خرشة » لا « إسحاق بن خرشة » .

أما « إسحق » في هذا الخبر ، فلست أشك أنه « إسحق بن قبيصة بن ذؤيب » ، يرويه عن أبيه « قبيصة بن ذؤيب » .

وذلك ، أولا : لأن « إسحق بن قبيصة بن ذؤيب الخزاعي » ، يروى عن أبيه ، وعن كعب الأحبار .

ثانياً : أن « عبادة بن نسي » الأردني ، قاضي طبرية ، مذكور في ترجمته ، وأنه يروى عن إسحق بن قبيصة بن ذؤيب .

ثالثاً : أن « إسحق بن قبيصة بن ذؤيب » هو الذي كان أميراً ، كان عامل هشام على الأردن ، كما قال أبو زرعة الدمشقي . وقال ابن سميع : « كان على ديوان الزمني في أيام الوليد » . وعبادة بن نسي قاض من قضاة الأردن كما ذكرت .

فالذي لا شك فيه عندي ، أن « إسحق » في هذا الإسناد : هو إسحق بن قبيصة بن ذؤيب ، يروى عن أبيه ، وأن أبا جعفر قد وهم في بيانه ، وخلط .

وقد أشرت في التعليق على الأثر رقم : ١١٠٩٦ ، ما نقله الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١ : ٩٧) ، نقلا عن هذا الموضع من الطبري ، ولكنه نسبه أيضاً إلى مسدد في مسنده ، وإلى الطبراني في الأوسط ، وليسا عندي ، ولكن إذا كان ذلك في واحد منهما ، فإن الخطأ فيه ، أقدم من أبي جعفر .

وكتبه محمود محمد شاكر .

وفي المطبوعة هنا : « وكلاهما بحمد الله » ، وفي المخطوطة : « وكليهما » ، ولها وجه في العربية .

عرفة ، فلا يزال ذلك اليوم عيداً للمسلمين ما بقى منهم أحد . (١)

١١١٠٢ – حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا داود ، عن عامر قال : أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً » ، عشيّة عرفة ، وهو فى الموقف .

١١١٠٣ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا داود قال : قلت لعامر : إن اليهود تقول : كيف لم تحفظ العرب هذا اليوم الذى أكمل الله لها دينها فيه ؟ فقال عامر : أوما حفظته ؟ قلت له : فأىّ يوم ؟ قال : يوم عرفة ، أنزل الله فى يوم عرفة .

١١١٠٤ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : بلغنا أنها نزلت يوم عرفة ، ووافق يوم الجمعة .

١١١٠٥ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن حبيب ، عن ابن أبى نجيح ، عن عكرمة : أن عمر بن الخطاب قال : نزلت « سورة المائدة » يوم عرفة ، ووافق يوم الجمعة .

١١١٠٦ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن ليث، عن شهر بن حوشب قال : نزلت « سورة المائدة » على النبى صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة على راحلته، فتنوّخَتْ لأن يُدَقّ ذراعها . (٢)

---

(١) الأثر : ١١١٠١ – « حكام » هو « حكام بن سلم الكنانى » ، ثقة ، روى عنه الطبرى فأكثر فيما سلف ، و « عنبسة » هو : عنبسة بن سعيد بن الضريس الأسدى ، مضى مراراً أيضاً ، ترجم فى رقم : ٢٢٤ ، ٣٣٥٦ ، ٥٣٨٥ .

و « عيسى بن جارية الأنصارى » ، روى عن جرير البجلى ، وجابر بن عبد الله ، وابن المسيب ، وغيرهم ، وروى عنه يعقوب القمى ، وعنبسة بن سعيد . تكلم فيه ابن معين قال : « عنده مناكير » . وقال أبو داود : « منكر الحديث » . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣/١/٢٧٣ .

وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « عيسى بن حارثة » ، وهو خطأ .

(٢) « أنخت البعير فاستناخ » ، و « نوخته ، فتنوخ » : أى برك . قال ابن الأعرابى : « يقال

١١١٠٧ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن ليث، عن شهر بن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد قالت : نزلت « سورة المائدة » جميعاً وأنا آخذة بزمام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء . قالت : فكادت من ثقلها أن يُدَقّ عضد الناقة . (١)

١١١٠٨ – حدثني أبو عامر إسمعيل بن عمرو السكوني قال، حدثنا هشام ابن عمار قال ، حدثنا ابن عياش قال ، حدثنا عمرو بن قيس السكوني : أنه سمع معاوية بن أبي سفيان على المنبر ينتزع بهذه الآية : « اليوم أكملت لكم دينكم » ، حتى ختمها ، فقال : نزلت في يوم عرفة ، في يوم جمعة . (٢)

* * *

تنوخ البعير ، ولا يقال : ناخ ، ولا أناخ » .

وقوله : « لأن يدق ذراعها » ، أي : مخافة أن يدق ذراعها .

(١) الأثر : ١١١٠٧ – « أسماء بنت يزيد بن السكن » الأنصارية الأشهلية، « أم سلمة »، كانت فيمن جهز عائشة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وزفها ، وكانت تخدم النبي ، وبايعته ، وشهدت اليرموك .

وهذا الحديث رواه أحمد في مسنده ٦ : ٤٥٥ من طريق أبي النضر ، عن شيبان ، عن ليث . وفيه : « وكادت من ثقلها تدق . . . » ليس فيه « أن » .

ثم رواه أيضاً ص: ٤٥٨ من طريق إسحق بن يوسف ، عن سفيان ، عن ليث ، وفيه: « إن كادت من ثقلها لتكسر الناقة » .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ١٣ ، وقال : « رواه أحمد والطبراني ، وفيه شهر بن حوشب ، وهو ضعيف ، وقد وثق » ، وقد مضى مراراً توثيق أخي السيد أحمد لشهر .

(٢) الأثر : ١١١٠٨ – « إسماعيل بن عمرو السكوني » ، أبو عامر ، الحمصي المقرئ ، إمام مسجد حمص . روى عن علي بن عياش ، والربيع بن روح ، ويحيى بن صالح الوحاظي ، قال ابن أبي حاتم : « سمعت منه ، وهو صدوق » . مترجم في ابن أبي حاتم ١/١/١٩٠ .

و « هشام بن عمار بن نصير السلمي » ، أبو الوليد الدمشقي . روى عند البخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجة . ثقة . مترجم في التهذيب .

و « ابن عياش » ، هو : إسماعيل بن عياش ، مضى مراراً .

و « عمرو بن قيس بن ثور بن مازن بن خيثمة الكندي السكوني » ، أبو ثور الشامي الحمصي . روى عن جده « مازن بن خيثمة » ، وله صحبة، وعن عبد الله بن عمرو ، ومعاوية ووفد عليه مع أبيه . قال إسماعيل بن عياش : و« أدرك سبعين من الصحابة أو أكثر » . ثقة، صالح الحديث . مترجم في التهذيب .

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية = أعني قوله : « اليوم أكملت لكم دينكم » = يوم الاثنين . وقالوا : أنزلت « سورة المائدة » بالمدينة .

• ذكر من قال ذلك :

١١١٠٩ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، أخبرنا محمد بن حرب قال ، حدثنا ابن لهيعة ، عن خالد بن أبي عمران ، عن حنش ، عن ابن عباس : ولد نبيكم صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، وخرج من مكة يوم الاثنين ، ودخل المدينة يوم الاثنين ، وأنزلت : « سورة المائدة » يوم الاثنين : « اليوم أكملت لكم دينكم » ، ورفع الذكر يوم الاثنين . (١)

وهذا الخبر ، خرجه الهيثمي في مجمع الزوائد مطولا ، ثم قال : « رواه الطبراني ، ورجاله ثقات » .

وقوله : « انتزع بهذه الآية » ، أي تمثل بها وقرأها .

(١) الأثر : ١١١٠٩ – « محمد بن حرب الخولاني » الأبرش . قال أحمد : « ليس به بأس » ، وقال ابن معين : « ثقة » . مترجم في التهذيب .

و « ابن لهيعة » هو « عبد الله بن لهيعة » ، مضى برقم : ١٦٠ ، ٢٩٤١ ، ٥٣٥٥ ، ٥٥١٨ ، ومضى توثيق أخي السيد أحمد له .

و « خالد بن أبي عمران التجيبي » ، قاضي إفريقية . ثقة ، وثقه ابن سعد والعجلي ، وغيرهما .

و « حنش » هو : « حنش بن عبد الله السبائي الصنعاني » مضى برقم : ١٩١٤ ، وهو تابعي ثقة .

وهذا الخبر استوهاه الطبري كما سيأتي في آخر كلامه ، وذلك لما قالوا من ضعف ابن لهيعة ، وترك بعضهم الاحتجاج به .

وروى هذا الخبر أحمد في مسنده برقم : ٢٥٠٦ من طريق موسى بن داود ، عن ابن لهيعة ، ونصه : « ولد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، واستنبئ يوم الاثنين ، وتوفي يوم الاثنين ، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ، وقدم المدينة يوم الاثنين ، ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين » .

وقال أخي السيد أحمد في التعليق عليه : « إسناده صحيح . والحديث ذكره ابن كثير في التاريخ ٢ : ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، عن هذا الموضع ، وقال : « تفرد به أحمد » ، وهو في مجمع الزوائد ١ : ١٩٦ ، ونسبه لأحمد والطبراني في الكبير وقال الهيثمي : « وفيه ابن لهيعة ، وهو ضعيف ! وبقية رجاله ثقات من أهل الصحيح » .

وليس في خبر أحمد « وأنزلت سورة المائدة . . . . » ، ولذلك لما ذكره ابن كثير في تفسيره ٢ : ٦٨ ، عن هذا الموضع من تفسير الطبري ونسبه للطبراني وابن مردويه ، ثم قال : « أثر غريب ، وإسناده ضعيف ، وقد رواه الإمام أحمد . . . » ثم ساق حديث أحمد ، ثم قال : « هذا لفظ أحمد ، ولم يذكر نزول المائدة يوم الاثنين ، فالله أعلم . ولعل ابن عباس أراد أنها نزلت « يوم عيدين اثنين » ، كما تقدم (يعني في الأثر رقم : ١١٠٩٨) ، فاشتبه على الراوي » .

١١١١٠ - حدثني المثنى قال ، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا همام ، عن قتادة قال : « المائدة » مدنيّة .

* * *

وقال آخرون : نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسيره فى حجة الوداع .

* ذكر من قال ذلك :

١١١١٢ - حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس قال : نزلت « سورة المائدة » على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسير فى حجة الوداع ، وهو راكب راحلته ، فبركت به راحلته من ثقلها . (١)

* * *

وقال آخرون : ليس ذلك بيوم معلوم عند الناس ، وإنما معناه : اليوم الذى أعلمه أنا دون خلقى ، أكملت لكم دينكم .

* ذكر من قال ذلك :

١١١١٣ - حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمى قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « اليوم أكملت لكم دينكم » ، يقول : ليس بيوم معلوم يعلمه الناس

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى وقت نزول الآية ، القولُ الذى روى عن عمر ابن الخطاب : أنها نزلت يوم عرفة يوم جمعة ، لصحة سنده ، ووَهْيِ أسانيد غيره. (١)

* * *

وهذا توجيه غير مرتضى ، وربما كان الأرجح أنه غلط من أحد الرواة عن ابن لهيعة ، فإن رواية أحمد ، لاشك فى قوتها وضبطها .

وقوله : « رفع الذكر يوم الاثنين » ، يعنى وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بأبى هو وأمى ، وانقطاع الوحى من بعد قبضه ولحاقه بالرفيق الأعلى .

(١) سقط من الترقيم رقم : ١١١١١ .

(٢) قوله : « ووهى أسانيد غيره » . سلف فى ٨ : ٨٠ تعليق ١ ، أن الذى فى المخطوطة هناك

القول فى تأويل قوله ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « فمن اضطر » ، فمن أصابه ضُرٌّ[1] = « فى مخمصة » ، يعنى : فى مجاعة . ٦/٥٥

* * *

= وهى « مفعلة » ، مثل « المجبنة » و « المبخلة » و « المنجبة » ، من « خَمَصِ البطنِ » ، وهو اضطماره ، وأظنه هو فى هذا الموضع معنىٌّ به : اضطماره من الجوع وشدة السَّغَب . وقد يكون فى غير هذا الموضع اضطمارا من غير الجوع والسَّغب ، ولكن من خلقة ، كما قال نابغة بنى ذبيان فى صفة امرأة بخَمَص البطن :[2]

وَالبَطنُ ذُو عُكَنٍ خَمِيصٌ لَيِّنٌ ... وَالنَّحْرُ تَنْفُجُهُ بِثَدْيٍ مُقْعَدِ[3]

« وهاء » ، ولذلك أثبتها ، لأنى وجدتها أيضاً فى تهذيب الآثار للطبرى « وهاء » ، ثم هذه مرة أخرى ، أجد فى المخطوطة « وهى » ، فاختلفت المخطوطة كما ترى فى كتابتها فى موضع آخر . راجع ما كتبته فى التعليق هناك .

(١) انظر تفسير « اضطر » فيما سلف ٣ : ٥٦ ، ٣٢١ .

(٢) « خمص » (بفتح الخاء والميم) . وهذا تفصيل جيد فى معنى « الخمص » و « المخمصة » ، لا تصيب مثله فى معاجم اللغة .

(٣) ديوانه : ٦٦ واللسان (قعد) وروايته : « لطيف طيه » ، ولا شاهد فيه عندئذ . وهو من قصيدته التى استجاد فيها صفة المتجردة ، صاحبة النعمان بن المنذر ، والتى أفضت إلى ما كان بينهما من المهاجرة .

و « العكن » : أطواء البطن لا من السمن فحسب ، كما يقول أصحاب اللغة ، فإن هذا البيت شاهد على خلافه . وإنما « العكن » هنا ماتثنى من أطواء البطن من رقة جلدها ونعومته ، ورخاصة جسدها ولينه ، فلذلك يتثنى . ولو كان ذلك من « السمن » ، كما يقول أهل اللغة ، لم يقل بعد « خميص لين » ، ويصفه بالضمور والرقة (فى رواية أبى جعفر) ، ولا « لطيف طيه » ، وهو كناية عن الضمور والرقة أيضاً ، وذلك من صفتها ضد السمن . فمن شرح « العكن » فى هذا البيت وأشباهه بأنها من السمن ، فقد أخطأ ، وأحال معانى الشعر عن وجوهها .

وقوله : « والنحر تنفجه » ، « النحر » : أعلى الصدر ، وهو موضع القلادة منها . وكل ما ارتفع فقد « نفج وانتفج وتنفج » ، و « نفجه الرجل ينفجه نفجاً » . ويقال : « نفج ثدى المرأة قميصها » :

فمعلوم أنه لم يرد صفتها بقوله : « خميص » بالهزال والضرّ من الجوع ، ولكنه أراد وصفها بلطافة طيّ ما على الأوراك والأفخاذ من جسدها ، لأن ذلك مما يحمد من النساء . ولكن الذى فى معنى الوصف بالاضطمار والهزال من الضر من ذلك ، قول أعشى بنى ثعلبة :

تَبِيتُونَ فِى المَشْتَى مِلَاءً بُطُونُكُمْ وَجَارَاتُكُمْ غَرْثَى يَبِتْنَ خَمَائِصَا(١)

يعنى بذلك : يبتن مضطمرات البطون من الجوع والسغب والضرّ . فمن هذا المعنى قوله : « فى مخمصة » .

* * *

وكان بعض نحويى البصرة يقول : « المخمصة » ، المصدر من « خَمَصَه الجوع » .

* * *

إذا رفعه . وأسند إليها أنها تنفج نحرها بثدييها ، وإن كان ذلك خلقة لا فعل لها فيه ، لأنه نظر إلى ما يساور المرأة حين تختال لتفتن الناظرين ، فتتخذ سمتاً وهيأة تذهب بحلم الحليم . فأصاب النابغة غاية الإصابة فى الإشارة إلى سر المرأة فى حركتها وشمائلها .

ولكن الذين تعرضوا لتفسير مثل هذا الشعر ، أساءوا إليه من حيث أرادوا الإحسان ، فقال الوزير أبو بكر فى شرحه ديوان النابغة : « ويروى : والإتب تنفجه ، — والإتب ثوب تلبسه — وهو أليق بالمعنى ، لأن الثدى ينفخ الثوب ، أى يرفعه ويعظمه » . ثم قال أيضاً : « وروى : والنحر تنفجه » أى ترفعه عن الثوب » ، وهذا مثل على الخلط فى فهم الشعر ، وإفساد لمعانيه . والذى استحسنه الوزير ، معنى مغسول سخيف فى مثل هذا الموضع من شعر النابغة ، أضاع به تعب الشاعر فى شعره .

و « ثدى مقعد » : ناتئ على النحر ، إذا كان ناهداً لم ينثن بعد .

(١) ديوانه : ١٠٩ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٥٣ ، من إحدى قصائده التى قالها فى خبر المنافرة بين علقمة بن علاثة ، وعامر بن الطفيل (الأغانى ١٥ : ٥٠) ، وبعد البيت :

يُرَاقِبْنَ مِنْ جُوعٍ خِلَالَ مَخَافَةٍ نُجُومَ الشِّتَاءِ العَاتِمَاتِ الغَوَامِصَا

« غرثى » ، جياع ، ويروى « جوعى » . ووصف النجوم بقوله : « العاتمات » أراد أنها تظلم من الغبرة التى فى السماء ، وذلك فى الجدب (وهو الشتاء) ، لأن نجوم الشتاء أشد إضاءة لنقاء السماء ، فهن يلتمسن وقت خفائها . و « الغوامص » يعنى : التى قل ضوءها من الغبرة . وقال شارح ديوانه : « يبتن جياعاً خائفات ينتظرن طلوع النجوم السحرية ، ليخرجن يطلبن شيئاً ، كيلا يعرفن » . وقوله : « خلال مخافة » من أحسن الكلام فى هذا البيت .

وكان غيره من أهل العربية يرى أنها اسم للمصدر ، وليست بمصدر ، ولذلك تقع « المفعلة » اسماً فى المصادر للتأنيث والتذكير .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١١١١٤ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « فمن اضطر فى مخمصة » ، يعنى : فى مجاعة .

١١١١٥ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فمن اضطر فى مخمصة » ، أى : فى مجاعة .

١١١١٦ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة، مثله . [1]

١١١١٧ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فمن اضطر فى مخمصة » ، قال : ذكر الميتة وما فيها، فأحلها فى الاضطرار ، [2]= « فى مخمصة » ، يقول : فى مجاعة .

١١١١٨ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال : سمعت ابن زيد يقول فى قوله : « فمن اضطر فى مخمصة » ، قال ، المخمصة ، الجوع .

* * *

---

(١) الأثر : ١١١١٦ – فى المطبوعة والمخطوطة : « حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا معمر » وهو إسناد ناقص ، سقط منه « قال أخبرنا عبد الرزاق » ، وهو إسناد دائر فى التفسير ، أقربه رقم : ١١١٠٤ .

(٢) فى المطبوعة : « وأحلها » بالواو ، وفى المخطوطة : « فأكلها » ، وهو تحريف .

القول فى تأويل قوله ﴿ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : فمن اضطر فى مخمصة إلى أكل ما حرَّمتُ عليه منكم، أيها المؤمنون، من الميتة ، والدم ولحم الخنزير وسائر ما حرمت عليه بهذه الآية = « غير متجانف لإثم » ، يقول : لا متجانفاً لإثم . (١)

* * *

= فلذلك نصب «غير» لخروجها من الاسم الذى فى قوله : « فمن اضطر »، (٢) وهى بمعنى : « لا » ، فنصب بالمعنى الذى كان به منصوباً « المتجانف »، لو جاء الكلام : « لا متجانفاً » . (٣)

* * *

وأما « المتجانف للإثم » ، فإنه المتمايل له ، المنحرف إليه . وهو فى هذا الموضع مراد به المتعمِّد له ، القاصد إليه ، من « جَنَفَ القوم علىّ » ، إذا مالوا . وكل أعوج فهو « أجنف » ، عند العرب .

* * *

وقد بينا معنى « الجنف » بشواهده فى قوله : ﴿ فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا ﴾ [سورة البقرة : ١٨٢] ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . (٤)

* * *

وأما تجانف آكل الميتة فى أكلها وفى غيرها مما حرم الله أكله على المؤمنين

---

(١) فى المطبوعة : « إلا متجانفاً » فأفسد المعنى إفساداً ، والصواب من المخطوطة ، وفيها : « لامتجانف » ، والصواب ما أثبت .

(٢) « الخروج » ، الحال ، كما سلف فى فهارس المصطلحات .

(٣) فى هذين الموضعين أيضاً فى المطبوعة : « وهى بمعنى : إلا » ثم : « لوجاء الكلام : إلا متجانفاً » ، وهو خطأ محض ، والصواب ما أثبته من المخطوطة .

وانظر تفسير « غير » بمعنى « لا » فيما سلف ٣ : ٣٢٢ ، فى تفسير قوله تعالى من سورة البقرة : ١٧٣ : « غير باغ ولا عاد » ، بمعنى : لا باغياً ولا عادياً = منصوباً على الحال .

(٤) انظر تفسير « الجنف » فيما سلف ٣ : ٤٠٥ – ٤٠٨ .

= وتفسير « الإثم » فيما سلف من فهارس اللغة ، مادة (أثم) .

بهذه الآية ، للإثم فى حال أكله ،[١] فهو : تعمده أكل ذلك لغير دفع الضرورة النازلة به ،[٢] ولكن لمعصية الله ، وخلاف أمره فيما أمره به من ترك أكل ذلك .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١١١١٩ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لإثم » ، يعنى : إلى ما حُرِّم ، مما سمَّى فى صدر هذه الآية = « غير متجانف لإثم » ، يقول : غير متعمد لإثم .

١١١٢٠ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « غير متجانف لإثم » ، غير متعمد لإثم . قال : إلى حِرْم الله، ما حَرَّم.[٣] رخّص للمضطر إذا كان غير متعمد لإثم، أن يأكله من جهد . فمن بَغَى ،أو عدا، أو خرج فى معصيةٍ لله، فإنه محرم عليه أن يأكله .

١١١٢١ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « غير متجانف لإثم » ، أى : غير متعرِّض لمعصية .

١١١٢٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « غير متجانف لإثم » ، غير متعمد لإثم ، غير متعرِّض .

٥٦/٦ ١١١٢٣ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « غير متجانف لإثم » ، يقول : غير متعرض لإثم، أى : يبتغى فيه شهوة ، أو يعتدى فى أكله .

---

(١) السياق : « وأما تجانف آكل الميتة . . . للإثم فى حال أكله . . . »

(٢) فى المطبوعة : « فهو تعمده الأكل لغير دفع الضرورة » ، غير ما فى المخطوطة بلا معنى .

(٣) « حرم الله » (بكسر الحاء ، وسكون الراء) ، هو الحرام نقيض الحلال . وقوله بعد ذلك : « ما حرم » ، تفسير لقوله : « حرم الله » .

١١١٢٤ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « غير متجانف لإثم » ، لا يأكل ذلك ابتغاءَ الإثم ، ولا جراءة عليه .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٣)

قال أبو جعفر : وفي هذا الكلام متروك ، اكتفى بدلالة ما ذكر عليه منه . وذلك أن معنى الكلام : فمن اضطر في مخمصة إلى ما حرمت عليه مما ذكرت في هذه الآية ، غير متجانف لإثم فأكله ، فإن الله له غفور رحيم = فترك ذكر « فأكله »، وذكر « له » ،(١) لدلالة سائر ما ذكر من الكلام عليهما .

* * *

وأما قوله : « فإن الله غفور رحيم » ، فإن معناه : فإن الله لمن أكل ما حرمت عليه بهذه الآية أكله ، في مخمصة ، غير متجانف لإثم = « غفور رحيم » ، يقول: يستر له عن أكله ما أكل من ذلك ، بعفوه عن مؤاخذته إياه ، وصفحه عنه وعن عقوبته عليه = « رحيم » ، يقول: وهو به رفيق . ومن رحمته ورفقه به،(٢) أباح له أكل ما أباح له أكله من الميتة وسائر ما ذكر معها في هذه الآية ، في حال خوفه على نفسه من كَلَب الجوع وضُرِّ الحاجة العارضة ببدنه .

* * *

فإن قال قائل : وما الأكل الذي وعد الله المضطر إلى الميتة وسائر المحرَّمات معها بهذه الآية ، غفرانَهُ إذا أكل منها ؟

قيل : ما : —

---

(١) يعني بقوله : « وذكر : له » ، معطوف على قوله : « وترك ذكر : فأكله » ، والمعنى : وترك ذكر : « إلى ما حرمت عليه فأكله » . وكان الأجود عندي أن يبين ذلك فيذكره كما ذكرته . وأما قوله : « وذكر : له » ، يعني في قوله : « فإن الله له غفور . . . » .

(٢) في المطبوعة : « من رحمته » بإسقاط الواو ، وأثبتها من المخطوطة .

١١١٢٥ - حدثني عبد الأعلى بن واصل الأسدى قال، حدثنا محمد بن القاسم الأسدى ، عن الأوزاعى ، عن حسان بن عطية، عن أبى واقد الليثى قال : قلنا : يا رسول الله، إنا بأرض تصيبنا فيها مخمصة، فما يصلح لنا من الميتة ؟ قال : إذا لم تصطبحوا ، أو تغتبقوا ، أو تحتفئوا بقلاً ، فشأنكم بها . (١)

---

(١) الأثر : ١١١٢٥ - خبر الأوزاعى، عن حسان بن عطية ، يرويه الطبرى بعد برقم : ١١١٣٢ ، عن الأوزاعى ، عن حسان مرسلا . ثم يرويه برقم : ١١١٣٣، عن الأوزاعى ، عن حسان ، عن رجل قد سمى له . وهى خبر واحد .

« عبد الأعلى بن واصل بن عبد الأعلى بن هلال الأسدى » ، شيخ الطبرى ، روى له الترمذى ، والنسائى ، وأبو حاتم . قال أبو حاتم : « صدوق » ، وقال النسائى : « ثقة » . مترجم فى التهذيب .

و « محمد بن القاسم الأسدى » رمى بالكذب والوضع . قال أبو داود : « غير ثقة ولا مأمون ، أحاديثه موضوعة »، وتكلم فيه أحمد بن حنبل وضعفه ، روى محمد بن القاسم، عن الأوزاعى . مترجم فى التهذيب .

و « الأوزاعى » هو الإمام المشهور .

و « حسان بن عطية المحاربى » ، كان من أفاضل أهل زمانه ، وثقه أحمد ، وابن معين ، والعجلى ، روى عن أبى أمامة ، وعنبسة بن أبى سفيان ، وسعيد بن المسيب . ونصوا على أنه أرسل عن أبى واقد الليثى ، وكأنهم يعنون هذا الخبر بعينه .

و « أبو واقد الليثى » قيل اسمه : « الحارث بن مالك » ، وقيل : « الحارث بن عوف » ، وقيل : « عوف بن الحارث بن أسد » ، من بنى ليث بن بكر بن عبد مناة ، من كنانة . صحابى ، روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وعن أبى بكر وعمر . وروى عنه أبناه عبد الملك وواقد ، وعبيد الله بن عبد الله ابن عتبة، وعطاء بن يسار ، وعروة بن الزبير ، وغيرهم .

وإسناد أبى جعفر هذا ، إسناد ضعيف ، لضعف محمد بن القاسم ، ولكنه روى من وجه صحيح ، كما سترى فى التخريج .

فرواه أحمد فى مسند ٥٥ : ٢١٨ (حلبى) عن محمد بن القاسم ، عن الأوزاعى ، وهو نفس إسناد الطبرى ، فهو ضعيف .

ثم رواه مرة أخرى فى نفس الصفحة ، عن الوليد بن مسلم ، عن الأوزاعى . (قلت : فى المسند : حدثنا الوليد ، حدثنا مسلم، حدثنا الأوزاعى = وهو خطأ لا شك فيه، صوابه : الوليد بن مسلم، كما نقله عن هذا الموضع من المسند ، ابن كثير فى تفسيره ٢ : ٦٩) .

وقال ابن كثير بعد نقله هذا الخبر الثانى من خبرى أحمد : « تفرد به أحمد من هذا الوجه ، وهو إسناد صحيح على شرط الصحيحين » .

ولكن الهيثمى خرجه فى مجمع الزوائد ٤ : ١٦٥ ، وقال : « رواه أحمد بإسنادين ، رجال أحدهما رجال الصحيح [يعنى الحديث الثانى من حديثى أحمد] ، إلا أن المزى قال : لم يسمع حسان بن عطية من أبى واقد ، والله أعلم » .

١١١٢٦ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا هشيم ، عن الخصيب بن زيد التميمي قال ، حدثنا الحسن : أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إلى متى يحلُّ لى الحرام ؟ قال فقال : إلى أن يروَى أهلك من اللبن ، أو تجيء ميرتُهم .(١)

ثم خرجه الهيثمى أيضاً فى مجمع الزوائد ٥ : ١٦٥ وقال : « رواه الطبرانى ، ورجاله ثقات » . ولم يذكر مقالة المزى ، ولا انقطاع الخبر .

ورواه الحاكم فى المستدرك ٤ : ١٢٥ ، من طريق أبى قلابة الرقاشى ، عن أبى عاصم ، عن الأوزاعى ، عن حسان بن عطية ، عن أبى واقد ، بمثله . وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » . وتعقبه الذهبى فقال : « فيه انقطاع » ، إشارة ما قاله المزى ، فيما رواه صاحب مجمع الزوائد .

ورواه البيهقى فى السنن ٩ : ٣٥٦ من ثلاث طرق : محمد بن القاسم الأسدى ، عن الأوزاعى ، كرواية أحمد والطبرى .

ومن طريق أبى عبيد ، عن محمد بن كثير ، عن الأوزاعى ، عن حسان ، عن أبى واقد .

ثم رواه من طريق الوليد بن مسلم (وهو طريق أحمد الثانى) ، ولكن فيه زيادة ، وذلك أنه رواه عن إسحق بن إبراهيم الحنظلى ، عن الوليد بن مسلم ، عن الأوزاعى ، عن حسان بن عطية ، عن ابن مرثد = او أبى مرثد = عن أبى واقد الليثى .

وإلى هذه الطريق أشار ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٦٩ ، بعد أن روى حديث أحمد فى المسند فقال : « ولكن رواه بعضهم عن الأوزاعى ، عن حسان بن عطية ، عن مسلم بن يزيد ، عن أبى واقد ، به ، ومنهم من رواه عن الأوزاعى ، عن حسان ، عن مرثد = أو أبى مرثد = عن أبى واقد ، به » ، فخالف ما فى سنن البيهقى ، قال : « مرثد » ، والذى فيها « ابن مرثد » .

ولم أجد ذكراً فى كتب الرجال لمسلم بن يزيد ، أو مرثد ، أو ابن مرثد . فإسناد هذا الخبر ، كما كما ترى ، هو على صحته منقطع .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٢٥٩ ، ولم ينسب لغير أحمد والحاكم .

* * *

وقوله : « إذا لم تصطبحوا » ، أى : إذا لم تجدوا صبوحاً ، و « الصبوح » (بفتح الصاد) : هو ما يحلب من اللبن بالغداة ويشرب عندئذ . و « اصطبح القوم » : شربوا الصبوح . و « صبح الرجل ضيفه » : سقاه الصبوح بالغداة .

وقوله : « أو تغتبقوا » ، أى : إذا لم تجدوا غبوقاً ، و « الغبوق » (بفتح الغين) : هو ما يحلب من اللبن بالعشى ، ويشرب عندئذ . « غبق الرجل ضيفه » ، سقاه غبوقاً . و « اغتبق القوم » : شربوا الغبوق بالعشى .

أما « تحتفئوا » ، فسيأتى تفسيرها بعد الأثر رقم : ١١١٣٣ ، ص : ٥٤٢ ، تعليق : ٢ .

(١) الأثر : ١١١٢٦ – « الخصيب بن زيد التميمى » ، سمع عن الحسن ، مرسل ، روى عنه هشيم ، هكذا قال البخارى فى الكبير ٢/١/٢٠١ . وفى التهذيب : « وثقه أحمد » ، وذكره ابن

١١١٢٧ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا خصيب بن زيد التميمي قال ، حدثنا الحسن : أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر مثله = إلا أنه قال : أو تُجْبَى ميرتهم .(١)

١١١٢٨ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال، حدثني عمر بن عبد الله بن عروة ، عن جده عروة بن الزبير ، عمن حدثه : أن رجلاً من الأعراب أتى النبي صلى الله عليه وسلم يستفتيه في الذي حرّم الله عليه ، والذي أحل له ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : تحل لك الطيبات ، وتحرُم عليك الخبائث، إلاّ أن تفتقر إلى طعام [لا يحل لك]،(٢) فتأكل منه حتى تستغني عنه. فقال الرجل : وما فقري الذي يُحِلّ لي ؟ وما غناي الذي يغنيني عن ذلك ؟(٣) فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إذا كنت ترجو نتاجاً ، فتبلّغ بلحوم ماشيتك إلى نِتاجك ، أو كنت ترجو غنًى تطلبه ، فتبلّغ من ذلك شيئاً ،(٤) فأطعم أهلك ما بدا لك حتى تستغني عنه . فقال الأعرابي : ما غِناي الذي أدعه إذا وجدته ؟

حبان في الثقات . وفي ابن أبي حاتم ١/٢/٣٩٦ ، كتب « خصيب بن بدر التميمي » ، والصواب « خصيب ابن زيد » كما قال البخاري .

و « الميرة » (بكسر الميم) : هو جلب الطعام . وفي المخطوطة : « وتجيء » بالواو ، وأثبت ما في المطبوعة ، وابن كثير ٣ : ٦٩ .

(١) في المطبوعة : « أو تحيا ميرتهم » ، من « الحياة » ، وفي المخطوطة : « تحى » غير منقوطة ، فرأيت أن أقرأها كذلك ، من « جبى الماء في الحوض يجبيه » : جمعه ، و « جبى الخراج » جمعه . ولو قرئت : « يجنى » من « جنى يجنى » ، كما تجنى الثمرة ، لكان مجازا . وللذي في المطبوعة : « يحيي » ، وجه . ولكني رجحت ما أثبت . ولم أجد الخبر في مكان آخر بهذه الرواية .

(٢) الزيادة بين القوسين ، لا يتم الكلام إلا بها ، من مجمع الزوائد .

(٣) نص ما رواه في مجمع الزوائد : « ما فقري ، وما الذي آكل من ذلك إذا بلغته ؟ وما غناي الذي يغنيني عنه » .

(٤) « تبلغ بشيء من الطعام أو غيره » : اكتفى به . وقوله : « شيئاً » ، أي : قليلا ، غير مفرط فيه .

وانظر تفسير « شيء » بمعنى « قليل » فيما سلف ٦ : ٤٤٨ ، تعليق ٢/٨ : ٤٠٣ ، تعليق : ١ .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إذا أرويت أهلك غَبُوقاً من الليل،[١] فاجتنب ما حرَّم الله عليك من طعام. [وأمّا] مالُك،[٢] فإنه ميسور كله، ليس فيه حرام.[٣]

١١١٢٩ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية ، عن ابن عون قال : وجدت عند الحسن كتاب سمرة، فقرأته عليه ، وكان فيه : ويُجْزى من الاضطرار غَبُوق أو صَبُوح .[٤]

١١١٣٠ – حدثنا هناد وأبو هشام الرفاعي قالا ، حدثنا يحيى بن أبي زائدة ، عن ابن عون قال : قرأت في كتاب سَمُرة بن جندب : يكفي من الاضطرار = أو : من الضرورة = غبوقٌ أو صبوح .[٥]

١١١٣١ – حدثني علي بن سعيد الكندي وأبو كريب قالا ، حدثنا عبد الله ابن إدريس ، عن هشام بن حسان ، عن الحسن قال : إذا اضطر الرجل إلى الميتة ، أكل منها قوتَه = يعني : مُسْكَتَه .[٦]

---

(١) في مجمع الزوائد : « غبوقاً من اللبن » ، وما في الطبري أجود .

(٢) الزيادة بين القوسين ، لا يتم الكلام إلا بها ، زدتها من مجمع الزوائد ، ومن الدر المنثور . وأما قوله بعد : « ميسور كله » ، أي : موسع عليك فيه .

(٣) الأثر : ١١١٢٨ – خرجه الهيثمي في مجمع الزوائد مطولا ، من « حديث سمرة بن جندب ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أتاه رجل من الأعراب » ، ثم قال : « رواه الطبراني في الكبير ، والبزار باختصار . وفي إسناد الطبراني مساتير ، وإسناد البزار ضعيف » .

وذكره ابن كثير من تفسيره ٣ : ٧٠ عن هذا الموضع من التفسير ، وفيه : « عروة بن الزبير ، عن جدته » ، والصواب ما في الطبري، والدر المنثور، وبما تبين من أن الخبر من حديث سمرة بن جندب .

وخرجه في الدر المنثور ٢ : ٢٦٠ ، ولم ينسبه لغير الطبري .

(٤) الأثر : ١١١٢٩ – « سمرة » ، هو « سمرة بن جندب بن هلال الفزاري » ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكتابه هذا هو رسالته إلى بنيه ، قال ابن سيرين : « في رسالة سمرة إلى بنيه ، علم كثير » . وانظر الأثر التالي .

(٥) الأثر : ١١١٣٠ – هذا الأثر، رواه البيهقي في السنن عن أبي عبيد ، عن معاذ، عن ابن عون : قال : « رأيت عند الحسن كتب سمرة لبنيه : أنه يجزئ من الاضطرار – أو الضارورة . . . » و « الضرورة » و « الضارورة » ، واحد ، وهما اسم لمصدر « الاضطرار » .

(٦) « المسكة » (بضم الميم وسكون السين) : هي ما يمسك الأبدان من الطعام والشراب .

١١١٣٢ – حدثنا هنّاد بن السرى قال، حدثنا ابن مبارك، عن الأوزاعى، عن حسان بن عطية قال: قال رجل: يا رسول الله، إنا بأرض مَخْمصة، فما يحلّ لنا من الميتة ؟ ومتى تحلّ لنا الميتة ؟ قال : إذا لم تصطبحوا ، أو تغتبقوا ، ولم تحتفئوا بقلاً ، فشأنكم بها . (١)

١١١٣٣ – حدثنا هناد بن السرى قال، حدثنا عيسى بن يونس ، عن الأوزاعى، عن حسان بن عطية، عن رجل قد سمى لنا : أن رجلاً قال للنبى صلى الله عليه وسلم : إنا نكون بأرض مخمصة ، فمتى تحل لنا الميتة ؟ قال : إذا لم تغتبقوا ، ولم تصطبحوا ، ولم تحتفئوا بقلاً ، فشأنكم بها .(١)

* * *

قال أبو جعفر : يروى هذا على أربعة أوجه: «تحتفئوا» بالهمزة = و«تحتفيوا» بتخفيف « الياء » و « الحاء » = و « تحتفّوا » ، بتشديد الفاء = و « تحتفوا » بالحاء ، والتخفيف ، ويحتمل الهمز .(٢) ٥٧/٦

* * *

وكذلك « القوت » : هو ما يقوم به بدن الإنسان من الطعام ، وما يمسك الرمق من الرزق .

(١) الأثران : ١١١٣٢ ، ١١١٣٣ – هما خبر أبى واقد الليثى الذى مضى برقم : ١١١٢٥ ، وانظر التعليق عليه هناك .

(٢) ما ذكره أبو جعفر هو روايات هذا الحرف بالحاء ، ولكنه روى أيضاً بالجيم مهموزاً : « تجتفئوا » من قولهم : « جفأ البقل يجفؤه جفأ ، واجتفأه » : إذا اقتلعه من أصله .

وروى بالجيم غير مهموز « تجتفوا » ، بمعنى المهموز : « جفيت البقل واجتفيته » .

وروى بالخاء المعجمة : « « تختفوا » من « أخفى الشىء » إذا أظهره بعد خفائه ، كأنه قد أزال خفاءه .

وأما ما رواه الطبرى بالحاء ، فتفسير « تحتفئوا » من «الحفأ » وهو البردى. يقال : « احتفا الحفأ » : اقتلعه من منبته .

وأما « تحتفيوا » (بكسر الفاء وضم الياء) من قولهم : « احتفى الحفأ، البقل » إذا اقتلعه من وجه الأرض بالأظافير ، وأصله الهمز .

وأما « تحتفوا » بتشديد الفاء ، فمن قولهم : « احتف الطعام » إذا أكل جميع ما فى القدر ، ومن قولهم : « احتفت المرأة » : أزالت شعر وجهها نتفاً بخيطين ، فكأنهم ينتفون البقل من وجه الأرض لصغره .

القول فى تأويل قوله ﴿ يَسْئَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : يسألك، يا محمد، أصحابك : ما الذى أحل لهم أكله من المطاعم والمآكل ؟ فقل لهم : أحِل لكم منها = «الطيبات» ، وهى الحلال الذى أذن لكم ربكم فى أكله من الذبائح ،(١) وأحل لكم أيضاً مع ذلك ، صيدُ ما علّمتم من « الجوارح » ، وهن الكَواسب من سباع البهائم .

* * *

والطير سميت «جوارح» ، لجرحها لأربابها ، وكسبها إيّاهم أقواتَهم من الصيد. يقال منه : « جرح فلان لأهله خيراً » ، إذا أكسبهم خيراً ، و«فلان جارِحَة أهله » ، يعنى بذلك : كاسبهم ، و « لا جارحة لفلانة » ، إذا لم يكن لها كاسب ، (٢) ومنه قول أعشى بنى ثعلبة .

ذاتَ حَدٍّ مُنْضِجٍ مِيسَمُهَا تُذْكِرَ الجَارِحَ مَا كَانَ اجْتَرَحْ.(٣)

وأما « تحتفوا » فمن « احتفى البقل » : إذا اقتلعه ، وهو غير مهموز .

هذا ، وقد قال الأزهرى : « قال أبو سعيد : صوابه : تحتفوا ، بتخفيف الفاء من غير همز. وكل شىء استؤصل فقد احتفى ، ومنه : إحفاء الشعر. قال : واحتفى البقل : إذا أخذه من وجه الأرض بأطراف أصابعه من قصره وقلته = قال : ومن قال : تحتفئوا ، بالهمز ، من الحفأ ، البردى ، فهو باطل ، لأن البردى ليس من البقل . والبقول : ما نبت من العشب على وجه الأرض مما لا عرق له . قال : ولا بردى فى بلاد العرب = ويروى : ما لم تجتفئوا ، بالجيم . قال : والاجتفاء أيضاً بالجيم باطل ، لأن الاجتفاء : كب الآنية إذا جفأتها = ويروى : ما لم تحتفوا ، بتشديد الفاء ، من : احتففت الشىء ، إذا أخذته كله ، كما تحف المرأة وجهها من الشعر» .

(١) انظر تفسير « الطيبات » فيما سلف ٣ : ٥/٣٠١ : ٦/٥٥٥ : ٨/٣٦١ : ٤٠٩/ ٩ : ٣٩١

(٢) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٥٤ .

(٣) ديوانه : ١٦٤ ، وهى من قصيدة له طويلة ، مجد فيها إياس بن قبيصة الطائى ، ملك الحيرة . ثم ختم القصيدة بذكر الخمر ، وذكر شبابه وما كان فيه من لهو ومروءة وبأس، فقال يصف لاذع قوله فيمن يعاديه (برواية الديوان) :

يعنى : اكتسب .

وترك من قوله : « وما علمتم » ، « وصيد » ما علمتم من الجوارح ، اكتفاء بدلالة ما ذكر من الكلام على ما تُرِك ذكره .

* * *

وَلَقَدْ أَمْنَحُ مَنْ عَادَيْتُهُ كَلِماً يَحْسِمْنَ مِنْ داءِ الكَشَحْ
وقطَعْتُ نَاظِرَيْهِ ظاهِراً لاَ يكونُ مِثْلَ لَطْمٍ وكَمَحْ
ذَا حَبَارٍ مُنْضِجٍ مِيسَمُهُ يُذْكِرُ الجَارِمَ مَا كَانَ اجْتَرَحْ

قوله : « كلما » جمع « كلمة » ، يعنى به : هجاءه وشعره . وفى الديوان : « كلما » مضبوطة بضم الكاف وتشديد اللام المفتوحة ، ونقل عن الديوان « كل ما » ، وهو خطأ فيما أرجح . و « حسم الداء يحسمه » : قطعه بالدواء . و « حسم العرق » : قطعه ، ثم كواه لئلا يسيل دمه . و « الكشح » (بفتح الكاف والشين) : داء يصيب الإنسان فى كشحه فيكوى . « الكشح » (بفتح فسكون) : ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف ، وهما كشحان فى الإنسان . و « طوى فلان كشحه » : أى أعرض وولاك كشحه ، من البغض والعداوة . وأراد بقوله : « داء الكشح » ، العداوة والبغضاء . يقول : أهجوه هجاء يشفيه من داء البغض !

وقوله : « وقطعت ناظريه » أى : كويته كية ظاهرة فى وسط جبينه ، بين عينيه إلى أنفه : وقوله : « ظاهراً » صفة لمحذوف ، أى كيا ظاهر الأثر . ليس أثره كأثر اللطم أو الكمح . و « الكمح » (بفتحتين) : هو أثر كمح الفرس باللجام ، أى رده وجذبه باللجام ليقف ، فيترك ذلك أثراً حيث موقع اللجام . وهو حرف لم تذكره كتب اللغة ، وشرحته من سياق معنى الشعر . يقول : أثر اللطم غير بين فهو يزول ، وأثر كمح اللجام سهل يأتى متتابعاً فلا يؤذى ، أما هذا الظاهر فهو مكواة من النار (كما يبينه البيت الثالث) . وأنا فى شك من رواية هذا البيت .

وقوله : « ذا حبار » ، أى ذا أثر ، صفة ثانية لقوله : « ظاهراً » ، و « الحبار » (بفتح الحاء) الأثر فى الجلد من ضرب أو كى أو غيرهما . ومثله « الحبر » (بكسر فسكون) . وفى الديوان « ذا جبار » (بضم الجيم) ، وهو لا معنى له ، صواب إنشاده ما أثبت . و « الميسم » : الحديدة التى يكوى بها . يشبه هجاءه بالمكواة الحامية تنضج الجلد ، وتبقى فيه أثراً لا يزول ، ولا تزال تذكره بما اجترم .

وأما رواية أبى جعفر ، فهى فى المخطوطة : « ذات حد » (بالحاء المفتوحة) ، فإن صحت كذلك فهى صفة لقوله : « كلما يحسمن » ، و « الحد » : صلابة الشىء وشدته ونفاذه ، كما يقال « حد الظهيرة » ، أى : أشد حرها . وإن صحت روايته كما كان فى المطبوعة : « ذات خد » ، (بالخاء المعجمة) : من « الخد » و « الأخدود » ، وهو الشق ، و « خدت الضربة جلده » إذا شقته وتركت فيه خداً . و « أخاديد السياط » ، آثارها فى الجلد . وكلتاهما جيدة المعنى .

* * *

تنبيه : ديوان الأعشى المطبوع فى أوربة ، ديوان كثير الخطأ والتحريف والتصحيف ، فمن أجل ذلك اجتهدت فى تصحيح هذا الشعر ، وفى كثير غيره مما سلف من شعر الأعشى .

وذلك أن القوم ، فيما بلغنا ، كانوا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمرهم بقتل الكلاب، عما يحلّ لهم اتخاذه منها وصَيْده ، فأنزل الله عز ذكره فيما سألوا عنه من ذلك هذه الآية . فاستثنى مما كان حرّم اتخاذه منها، وأمر بقُنْيَة كلاب الصيد ،[1] وكلاب الماشية ، وكلاب الحرث ، وأذن لهم باتخاذ ذلك .

* ذكر الخبر بذلك :

١١١٣٤ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا زيد بن حباب العكلى قال ، حدثنا موسى بن عبيدة قال ، أخبرنا أبان بن صالح، عن القعقاع بن حكيم ، عن سلمى أم رافع ، عن أبى رافع قال : جاء جبريل إلى النبى صلى الله عليه وسلم يستأذن عليه، فأذن له فقال : قد أذنّا لك يا رسول الله ![2] قال: أجل ، ولكنا لا ندخل بيتاً فيه كلب! قال أبو رافع : فأمرنى أن أقتل كل كلب بالمدينة، فقتلت حتى انتهيت إلى امرأة عندها كلب ينبح عليها، فتركته رحمة لها، ثم جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فأمرنى فرجعت إلى الكلب فقتلته . فجاؤوا فقالوا : يا رسول الله، ما يحل لنا من هذه الأمة التى أمرت بقتلها ؟ قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله: « يسألونك ماذا أحِل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علّمتم من الجوارح مكلبين » .[3]

---

(١) « القنية » (بضم القاف ، أو بكسرها ، وسكون النون) : اقتناء الأشياء واتخاذها لما ينتفع بها فيه .

(٢) يعنى بقوله : « رسول الله » ، جبريل رسول الله بوحيه إلى النبى صلى الله عليهما .

(٣) الأثر : ١١١٣٤ – « زيد بن الحباب العكلى » ، مضى برقم: ٢١٨٥ ، ٥٣٥٠ ، ٨١٦٥ ، وهو ثقة ، من شيوخ أحمد .

و « موسى بن عبيدة بن نشيط الربذى » ، مضى برقم : ١٨٧٥ ، ١٨٧٦ ، ٣٢٩١ ، ٨٣٦١ ، وهو ضعيف جداً . قال أحمد : « منكر الحديث ، لا تحل الرواية عنه » . وفى تفسير ابن كثير : « يونس بن عبيدة » ، وهو خطأ يصحح .

و « أبان بن صالح بن عمير بن عبيد » ، ثقة . مضى برقم : ٤٣٣٧ ، ٤٣٣٨ ، وكان فى المطبوعة هنا : « حدثنا موسى بن عبيدة ، قال أخبرنا صالح ، وفى المخطوطة : « قال أنا صالح » ، وهو خطأ فى كلتيهما، والصواب ما أثبته ، عن الحاكم ، والبيهقى ، وابن كثير .

١١١٣٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ،عن عكرمة : أنّ النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبا رافع في قتل الكلاب ، فقتل حتى بلغ العوالي ،[1] فدخل عاصم بن عدي ، وسعد بن خيثمة ، وعويم بن ساعدة ، فقالوا : ماذا أحلّ لنا يا رسول الله ؟ فنزلت : « يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلّبين » .

١١١٣٦ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن الزبير قال ، حدثونا عن محمد بن كعب القرظي قال : لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب ، قالوا : يا رسول الله ، فماذا يحل لنا من هذه الأمة ؟ فنزلت : « يسألونك ماذا أحل لهم » ، الآية .

* * *

و « القعقاع بن حكيم الكناني » ، تابعي ثقة ، مضى برقم : ٣٠٤ .

و « سلمى أم رافع » ، مولاة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي زوجة أبي رافع ، روت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وعن فاطمة الزهراء .

و « أبو رافع » مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وإسناد هذا الخبر ضعيف ، لضعف موسى بن عبيدة الربذي . ورواه ابن أبي حاتم أيضاً من طريق حجاج بن حمزة ، عن زيد بن حباب ، عن موسى بن عبيدة ، كما نقله ابن كثير في تفسير ٣ : ٧٢ ، ٧٣ . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٤ : ٤٢ ، ٤٣ ، وقال : « رواه الطبراني في الكبير ، وفيه موسى ابن عبيدة الربذي ، وهو ضعيف » .

أما البيهقي في السنن ٩ : ٢٣٥ ، والحاكم في المستدرك ٢ : ٣١١ ، فقد رويا مختصراً من طريق معلى بن منصور ، عن ابن أبي زائدة ، عن محمد بن إسحق ، عن أبان بن صالح ، وهو أصح من أسناد أبي جعفر وابن أبي حاتم . وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

وقد روى حديث أبي رافع ، بغير هذا النقط ، من طرق . انظر الهيثمي في مجمع الزوائد ٤ : ٤٢ ، ٤٣ ، ومسند أحمد ٦ : ٨ – ١٠ ، ٣٩١ .

وقوله : « عندها كلب ينبح عليها » ، أي : يرد عنها بنباحه ما تخاف من سبع ، وينذرها بمجيء ضيف إن استروح رائحته . وجاء بيانه في الأثر الذي رواه أحمد في مسنده ٦ : ٣٩١ : « قالت : إني امرأة مضيعة ، وإن هذا الكلب يطرد عني السبع ، ويؤذنني بالجائي » .

(١) « العوالي » : أماكن بأعلى أراضي المدينة ، وأدناها من المدينة على أربعة أميال ، وأبعدها من جهة نجد ثمانية أميال .

ثم اختلف أهل التأويل فى « الجوارح » التى عنى الله بقوله : « وما علمتم من الجوارح » .

فقال بعضهم : هو كل ما عُلِّم الصيدَ فتعلّمه ، من بهيمة أو طائر.

* ذكر من قال ذلك :

١١١٣٧ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا ابن المبارك، عن إسمعيل بن مسلم، عن الحسن فى قوله: « وما علمتم من الجوارح مكلبين »، قال: كل ما عُلِّم فصادَ، من كلب أو صقر أو فهدٍ أو غيره .

١١١٣٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن فضيل، عن إسمعيل بن مسلم، عن الحسن : « مكلبين » ، قال: كل ما علم فصاد من كلب أو فهد أو غيره .

١١١٣٩ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا ابن المبارك، عن معمر ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد فى صيد الفهد قال : هو من الجوارح .

١١١٤٠ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عنبسة، عن محمد ابن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبى بزة ، عن مجاهد فى قوله : « وما علمتم من الجوارح مكلبين » ، قال : الطير والكلاب .

١١١٤١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو خالد الأحمر، عن الحجاج ، عن عطاء ، عن القاسم بن أبى بزة ، عن مجاهد، مثله .

١١١٤٢ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن عيينة، عن حميد ، عن مجاهد : « مكلِّبين » ، قال : من الكلاب والطير .

١١١٤٣ – حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « من الجوارح مكلبين » ، قال : من الطير والكلاب .

١١١٤٤ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد ، مثله . ٦/٥٨

١١١٤٥ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية قال، حدثنا شعبة = ح، وحدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن شعبة =، عن الهيثم، عن طلحة بن مصرف قال، قال خيثمة بن عبد الرحمن : هذا ما قد بيّنت لك : أن الصقر والبازى من الجوارح .[1]

١١١٤٦ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة قال، سمعت الهيثم يحدث، عن طلحة الإيامى، عن خيثمة قال : بيّنت لك :[2] أن الصقر والباز والكلب من الجوارح .[1]

١١١٤٧ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا عبد الله ابن عمر، عن نافع، عن على بن حسين قال : الباز والصقر من الجوارح .

١١١٤٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن يمان، عن شريك، عن جابر، عن أبى جعفر قال : الباز والصقر من« الجوارح مكلّبين ».[3]

١١١٤٩ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله قال، حدثنى معاوية، عن على، عن ابن عباس قوله : « وما علمتم من الجوارح مكلبين »، يعنى بـ« الجوارح »، الكلابَ الضوارىَ والفهود والصقور وأشباهها .

١١١٥٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه : « وما علمتم من الجوارح مكلبين »، قال : من الكلاب، وغيرها من الصقور والبيزان،[4] وأشباهِ ذلك مما يعلّم .

---

(١) الأثر : ١١١٤٥، ١١١٤٦ – « الهيثم » هو : « الهيثم بن حبيب »، وهو « الهيثم ابن أبى الهيثم » الصيرفى الكوفى . أثنى عليه أحمد وقال : « ما أحسن أحاديثه وأشد استقامتها » . مترجم فى التهذيب .
و « طلحة بن مصرف الإيامى »، مضى برقم : ٥٤٣١ .
و « خيثمة بن عبد الرحمن بن أبى سبرة الجعفى » تابعى ثقة، مضى برقم : ٨٢٦٧ .

(٢) فى المطبوعة : « أنبئت أن الصقر »، وفى المخطوطة : « أتيت لك أن الصقر »، وكأن الصواب ما أثبت، استظهاراً من الأثر السالف .

(٣) فى المطبوعة : « من الجوارح المكلبين »، وأثبت ما فى المخطوطة، وهو صواب .

(٤) « البيزان » (بكسر الباء) جمع « باز »، بغير ياء فى آخره، ويجمع أيضاً على « أبواز » . وقولهم « باز » لغة فى « بازى » . وجمع « بازى » « بزاة » و « بواز » .

١١١٥١ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله: « وما علمتم من الجوارح مكلبين »، الجوارح : الكلاب والصقور المعلَّمة .

١١١٥٢ – حدثني سعيد بن الربيع الرازيّ قال، حدثنا سفيان ، عن عمرو ابن دينار ،سمع عبيد بن عمير يقول في قوله: «من الجوارح مكلبين »، قال : الكلاب والطير .

* * *

وقال آخرون : إنما عنى الله جل ثناؤه بقوله : « وما علمتم من الجوارح مكلبين » ، الكلابَ دون غيرها من السِّباع .

* ذكر من قال ذلك :

١١١٥٣ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا أبو تميلة قال، حدثنا عبيد ، عن الضحاك : « وما علمتم من الجوارح مكلبين » ، قال : هي الكلاب .

١١١٥٤ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدي قوله : « وما علمتم من الجوارح مكلبين » ، يقول : أحل لكم صيد الكلاب التي علَّمتموهن .

١١١٥٥ – حدثنا هناد قال، حدثنا ابن أبي زائدة قال، أخبرنا ابن جريج، عن نافع ،عن ابن عمر قال: أمَّا ما صاد من الطير= والبُزاةُ من الطير= فما أدركت فهو لك ، وإلا فلا تطعمه.[1]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين بتأويل الآية قول من قال : «كل ما صاد من الطير والسباع فمن الجوارح ، وأنّ صيد جميع ذلك حلال إذا صادَ بعد التعليم »،

(١) في المطبوعة : « فلا تطعمه » ، وهو خطأ في الطباعة .

لأن الله جل ثناؤه عم بقوله: « وما علمتم من الجوارح مكلبين »، كلّ جارحة ، ولم يخصص منها شيئاً . فكل « جارحة » ، كانت بالصفة التي وصف الله من كل طائر وسبع ، فحلالٌ أكل صيدها .

* * *

وقد روى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم بنحو ما قلنا في ذلك خبرٌ ، مع ما في الآية من الدلالة التي ذكرنا على صحة ما قلنا في ذلك ، وهو ما :—

١١١٥٦ — حدثنا به هناد قال، حدثنا عيسى بن يونس، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن عدى بن حاتم قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صيد البازى فقال : ما أمسك عليك فكُل. (١)

* * *

(١) الأثر : ١١١٥٦ — « هناد » هو « هناد بن السرى بن مصعب الدارمى » ، ثقة . مضى برقم : ٢٠٥٨ ، ٢٧٥٨ ، ٢٩٩٨ ، ٣٩٦٠ .

و « عيسى بن يونس بن أبي إسحق السبيعى» ، الفقيه ابن الفقيه ابن الفقيه ، ثقة حافظ رضى ، مات سنة ١٨٧ . مترجم في التهذيب .

و « مجالد » هو : « مجالد بن سعيد بن عمير الهمدانى » ، مضى برقم : ١٦١٤ ، ٢٩٨٧ ، ٢٩٨٨ وقد مضى أنه ثقة، ضعفه بعض الأئمة ، وأن الراجح في شأنه ، تصحيح حديث القدماء عنه، وأن أعدل ما قيل فيه ، قول عبد الرحمن بن مهدى : « حديث مجالد عند الأحداث ، يحيى بن سعيد وأبي أسامة ، ليس بشيء . ولكن حديث شعبة وحماد بن زيد وهشيم ، وهؤلاء القدماء » ، وقول ابن أبي حاتم : « يعنى أنه تغير حفظه في آخر عمره . مات سنة ١٤٤ » .

وخبر الشعبى عن عدى بن حاتم ، رواه مسلم والبخارى عن طريق زكريا بن أبي زائدة ، عن الشعبى ، عن عدى بن حاتم ، أن عديا سأل رسول الله عن صيد الكلب . فقال : أمسك عليك فكل ، الحديث (انظر سنن البيهقى ٩ : ٢٣٥ ، ٢٣٦) .

ورواه الأئمة أيضاً من طريق عبدالله بن أبي السفر عن الشعبى، ومن طريق عاصم الأحول، عن الشعبى = ومن طريق بيان عن الشعبى . ورووه أيضاً من طرق عن عدى بن حاتم ، وليس فيها ذكر « الباز » . (انظر السنن الكبرى للبيهقى ٩ : ٢٣٥ — ٢٣٨) ، وانظر ما سيأتى رقم : ١١٢١٠ .

ثم روى البيهقى بإسناده عن عبد الله بن نمير ، عن مجالد، عن الشعبى ، عن عدى بن حاتم : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما علمت من كلب أو باز ثم أرسلته ، وذكرت اسم الله ، فكل مما أمسك عليك ، الحديث . ثم قال البيهقى : « . . . إلا أن ذكر البازى في هذه الرواية ، لم يأت به الحفاظ الذين قدمنا ذكرهم عن الشعبى ، وإنما أتى به مجالد ، والله أعلم » .

ورواية عيسى بن يونس ، عن مجالد ، تعد من رواية القدماء عن مجالد قبل أن يتغير حفظه . وعيسى ابن يونس ثقة ثبت ، فكأن أبا جعفر صحح هذا الحديث واحتج به ، لأنه رواية ثقة، عن ثقة قبل تغيره .

= فأباح صلى الله عليه وسلم صيد البازى وجعله من الجوارح. فنى ذلك دلالة بيّنة على فساد قول من قال : « عنى الله بقوله : « وما علمتم من الجوارح » ، ما علمنا من الكلاب خاصة ، دون غيرها من سائر الجوارح » .

* * *

فإن ظن ظانّ أن فى قوله : « مكلبين » ، دلالةً على أن الجوارح التى ذكرت فى قوله : « وما علمتم من الجوارح » ، هى الكلاب خاصة ، فقد ظن غير الصواب .

وذلك أن معنى الآية : قل أحِلّ لكم ، أيها الناس ، فى حال مصيركم أصحابَ كلاب= الطيباتُ، وصيدُ ما علمتوه الصيد من كواسب السباع والطير . فقوله : « مكلبين » ، صفة للقانص ، وإن صاد بغير الكلاب فى بعض أحيانه . وهو نظير قول القائل يخاطب قوماً : « أحلّ لكم الطيباتُ وما علمتم من الجوارح مكلبين مؤمنين ». فمعلوم أنه إنما عنى قائل ذلك، إخبارَ القوم أنّ الله جل ذكره أحل لهم، فى حال كونهم أهلَ إيمان، الطيبات وصيد الجوارح التى أعلَمهم أنه لا يحل لهم منه إلا ما صادوه به .[1] فكذلك قوله : « أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين» لذلك نظيره، فى أن التكليب للقانص = بالكلاب كان صيده أو بغيرها = لا أنه إعلام من الله عز ذكره أنه لا يحل من الصيد إلا ما صادته الكلاب . ٥٩/٦

(١) فى المطبوعة : « ما صادوه بها » ، وما فى المخطوطة صواب أيضاً .

القول فى تأويل قوله ﴿ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : «تعلمونهن» ، تؤدّبون الجوارح فتعلمونهن طلب الصيد لكم =« مما علمكم الله » ، يعنى بذلك : من التأديب الذى أدّبكم الله ، والعلم الذى علمكم .(١)

* * *

وقد قال بعض أهل التأويل : معنى قوله : « مما علمكم الله » ، كما علمكم الله.

* ذكر من قال ذلك :

١١١٥٧ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « تعلمونهن مما علمكم الله » ، يقول : تعلمونهن من الطّلب كما علمكم الله .

* * *

= ولسنا نعرف فى كلام العرب « من » بمعنى « الكاف » ، لأن « من » تدخل فى كلامهم بمعنى التبعيض ، و « الكاف » بمعنى التشبيه . وإنما يوضع الحرف مكان آخر غيره ، إذا تقارب معنياهما . فأما إذا اختلفت معانيهما ، فغير موجود فى كلامهم وضع أحدهما عقيب الآخر . وكتاب الله وتنزيله أحرَى الكلام أن يجنَّب ما خرج عن المفهوم والغاية فى الفصاحة من كلام من نزل بلسانه . . . . . (٢)

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٠٢ .

(٢) أرجح أنه قد سقط قبل هذا الخبر ، كلام من كلام أبى جعفر ، وذلك بدلالة قوله بعد : « قيل : اختلف أهل التأويل فى ذلك » . والذى أستظهره من كلامه فى آخر سياقة هذه الأقوال من اختلاف الأئمة (ص : ٥٦٤) ، أن أبا جعفر ساق سؤالا كعادته ، عن معنى « تعليم الجوارح » ، ثم أجاب عنه بذكر اختلاف أهل التأويل . ولم أستجز أن أضع شيئاً مكان النقط التى وضعتها للدلالة على هذا السقط ، لأنى أخشى أن أخطىء فى وصل الكلام بالخبر الذى رواه بعده برقم : ١١١٥٨ « انظر ص : ٥٥٣ ، تعليق : ٢ ، ٣ .

١١١٥٨ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا إسمعيل بن صُبيح قال، حدثنا أبو هانئ عمر بن بشير قال ، حدثنا عامر : أن عدى بن حاتم الطائى قال : أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله عن صيد الكلاب ، فلم يدر ما يقول له ، حتى نزلت هذه الآية : « تعلمونهن مما علمكم الله » .(١)

* * *

قيل : اختلف أهل التأويل فى ذلك .(٢)

فقال بعضهم(٣) : هو أن يَسْتَشْلِى لطلب الصيد إذا أرسله صاحبه،(٤)

---

(١) الأثر : ١١١٥٨ – « إسماعيل بن صبيح اليشكرى » ، ثقة مضى برقم : ٢٩٩٦ ، ٨٦٤٠ .

و « أبوهانئ » « عمر بن بشير الهمدانى » ، قال أحمد : « صالح الحديث » . وقال يحيى بن معين : « ضعيف » . وذكره ابن حبان فى الثقات ، وقال أبو حاتم الرازى : « ليس بقوى ، يكتب حديثه ، وجابر الجعفى أحب إلى منه » . وذكره ابن شاهين ، والعقيلى فى الضعفاء . مترجم فى ابن أبى حاتم ٣/١/١٠٠ ، ولسان الميزان ٤ : ٢٨٧ ، ومضى أيضاً برقم : ٤٤٢٢ .

وكان فى المطبوعة : « حدثنا أبوهانئ عن أبى بشر » ، وهو خطأ محض ، وتغيير سيء لما كان فى المخطوطة : « حدثنا أبوهانئ عمر بن بشر » ، والصواب ما أثبت .

و « عامر » هو الشعبى .

وهو حديث ضعيف لضعف « أبى هانئ » . وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٢٦٠ ، ونسبه أيضاً لعبد بن حميد ، والقصة فيه : « أن عدى بن حاتم الطائى ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

(٢) انظر التعليق السالف ص : ٥٥٢ ، تعليق : ٢ ، والتعليق التالى .

(٣) فى المخطوطة : « فقال بعضهم هو جوارحاً صيدها ، فقال لنا : وما علمتم من الجوارح مكلبين أن يستشلى . . . » ، ووضع الناسخ بين « هو » و « جوارحاً » من فوق حرف « لا » وبعد « مكلبين » من فوق ، حرف « إلى » ، وهى طريقتهم قديماً إذا أرادوا حذف ما بين « لا » و « « إلى » ، والظاهر أن قوله : « جوارحا صيدها ، فقال لنا : من الجوارح مكلبين » هو بعض الجملة التى سقطت فى موضع النقط التى وضعتها آنفاً ، وأشرت إليها فى التعليق السالف ، وما قبله : ص ٥٥٢ ، تعليق : ٢

(٤) قوله : « يستشلى » ، بالبناء للمعلوم ، أراد به هنا : أن يغرى بطلب الصيد . وقد ذكر أهل اللغة : «أشلى الكلب واستشلاه » إذا دعاه باسمه ، وقد أنكر ثعلب أن « أشلى الكلب» بمعنى أغراه بالصيد ، وأجازه غيره . ومن أجازه فقد أصاب ، وقد قال الشافعى فى الأم ٢ : ١٩١ :

« الكلب المعلّم : الذى إذَا أُشْلِىَ اُسْتَشْلَى »

فاستعمل « استشلى » مطاوعاً لقوله : « أشلى الكلب » بمعنى : أغراه بالصيد . ثم عاد الشافعى فاستعمل « استشلى الكلب » بمعنى : « أشلى الكلب » غير مطاوع ، فقال فى الأم ٢ : ١٩٢ :

ويمسك عليه إذا أخذه فلا يأكل منه ، ويستجيب له إذا دعاه ، ولا يفرُّ منه إذا أراده . فإذا تتابع ذلك منه مراراً كان «معلَّماً» . وهذا قول جماعة من أهل الحجاز وبعض أهل العراق .

• ذكر من قال ذلك :

١١١٥٩ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا أبو عاصم قال، أخبرنا ابن جريج قال ، قال عطاء : كل شيء قتله صائدك قبل أن يعلَّم ويُمسك ويصيد ، فهو ميتة . ولا يكون قتله إياه ذكاة، حتى يعلَّم ويُمسك ويصيد . فإن كان ذلك ثم قتل ، فهو ذكاته .

١١١٦٠ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : إن المعلم من الكلاب : أن يمسك صيدَه فلا يأكل منه حتى يأتيه صاحبه . فإن أكل من صيده قبل أن يأتيه صاحبه فيدرك ذكاته ، فلا يأكل من صيده .

١١١٦١ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن طاوس ، عن ابن عباس قال : إذا أكل الكلب فلا تأكل ، فإنما أمسك على نفسه .

« وتعليمُ الطائر كلُّه واحد ، البازي والصقر والشاهين وغيرها : وهو أن يجمع أن يُدْعَى فيجيب ، ويُسْتَشْلَى فيطير » .

ثم عاد فاستعمل « استشل » بالمعنيين جميعاً ، مطاوعاً وغير مطاوع ، في جملة طويلة في الأم ٢ : ١٩٣ أثبت بعضها :

« . . . وإذا أُسْتَشْلَى الرجُل كلبه على الصَّيْد — قريباً كان منه أو بعيدًا — فانزجَرَ وأُسْتَشْلَى باستشلائه . . . » .

نصح بذلك ما استعمله أبو جعفر ، هذا بخلاف ما جاء في الشعر ، مما يسقط اعتراض ثعلب على « أشل » بمعنى : أغرى .

١١١٦٢ – حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم قالا، حدثنا إسمعيل بن إبراهيم قال ، حدثنا أبو المعلى ، عن سعيد بن جبير قال ، قال ابن عباس : إذا أرسل الرجل الكلبَ فأكل من صيده فقد أفسده ، وإن كان ذكر اسم الله حين أرسله = فزعم أنه إنما أمسك على نفسه [١]= والله يقول : « من الجوارح مكلّبين تعلمونهن مما علمكم الله » ، فزعم أنه إذا أكل من صيده قبل أن يأتيه صاحبه أنه ليس بمعلَّم ، وأنه ينبغي أن يُضرب ويعلَّم حتى يترك ذلك الخُلُق .[٢]

١١١٦٣ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا معمر الرقى، عن حجاج ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : إذا أخذ الكلب فقتَل فأكل، فهو سَبُع .[٣]

١١١٦٤ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنى عبد الأعلى قال، حدثنا داود ، عن عامر، عن ابن عباس قال: لا يأكل منه، فإنه لو كان معلَّماً لم يأكل منه ، ولم يتعلم ما علَّمتَه . إنما أمسك على نفسه ، ولم يُمسك عليك .

١١١٦٥ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا يزيد بن هرون قال، أخبرنا داود، عن الشعبي ، عن ابن عباس، بنحوه .

١١١٦٦ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن حماد ، عن إبراهيم ، عن ابن عباس قال : إذا أكل الكلب فلا تأكل .[٤]

---

(١) قوله : « فزعم أنه إنما أمسك على نفسه » ، هذا من قول سعيد بن جبير ، حكاية لقول ابن عباس . و « زعم » فى هذا الموضع بمعنى : قال . لا بمعنى« زعم » فيما يذم من القول والظن . وهو يأتى كثيراً فى كلامهم ، فاحفظه .

(٢) الأثر : ١١١٦٢ – « أبو المعلى » العطار ، هو : « يحيى بن ميمون الضبى » ، ثقة كثير الحديث مترجم فى التهذيب ، وقد مضى فى الإسنادين رقم : ٨٣٤٦ ، ٨٣٤٧ .

(٣) الأثر : ١١١٦٣ – « معمر الرقى » ، هو : « معمر بن سليمان النخعى ، الرقى » . وثقه أحمد . مترجم فى التهذيب .

(٤) فى المطبوعة : « إذا أكلت الكلاب » بالجمع ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وإن كان الناسخ كتب أولا : « أكلت » ثم عاد فمجمج الحروف حتى جعل اللام والتاء فى « أكلت » « أكل » .

١١١٦٧ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحق ، عن الشعبي ، عن ابن عباس، بمثله .

١١١٦٨ – حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا ابن عون قال : قلت لعامر الشعبي : الرجل يرسل كلبَه فيأكل منه ، أنأكل منه ؟ قال : لا ، لم يتعلَّم الذى علَّمته .

١١١٦٩ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن ادريس، عن ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عمر قال : إذا أكل الكلب من صيده فاضربه ، فإنه ليس بمعلَّم .

١١١٧٠ – حدثنا سوّار بن عبد الله قال، حدثنا يحيى بن سعيد، عن ابن جريج ، عن ابن طاوس ، عن أبيه قال : إذا أكل الكلب فهو ميتة ، فلا تأكله . ٦ / ٦٠

١١١٧١ – حدثنا الحسن بن عرفة قال، حدثنا هشيم، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير = وسيَّار ، عن الشعبي = ومغيرة، عن إبراهيم = أنهم قالوا فى الكلب إذا أكل من صيده : فلا تأكل ، فإنما أمسك على نفسه .

١١١٧٢ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، أخبرنا ابن جريج قال، قال عطاء : إن وجدت الكلب قد أكل من الصيد، فما وجدتَه ميتاً فدعه ، فإنه مما لم يمسك عليك صيداً . إنما هو سبع أمسك على نفسه ولم يمسك عليك ، وإن كان قد عُلِّم .

١١١٧٣ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى ، بنحوه .

* * *

وقال آخرون نحو هذه المقالة ، غير أنهم حدُّوا لمعرفة الكلاَّب بأن كلبه قد قَبِل التعليم وصار من الجوارح الحلال صيدها[1] : أن يفعل ذلك كلبه مرات

(١) « الكلاب » (بتشديد اللام) : هو صاحب الكلاب . و « المكلب » (بتشديد اللام

ثلاثاً . وهذا قول محكيٌّ عن أبي يوسف ومحمد بن الحسن .

* * *

وقال آخرون ممن قال هذه المقالة : لا حدَّ لعلم الكلاَّب بذلك من كلبه ، أكثر من أن يفعل كلبه ما وصفنا أنه له تعليم. قالوا: فإذا فعل ذلك فقد صار معلَّماً حلالاً صيده . وهذا قول بعض المتأخرين .

وفرَّق بعض قائلي هذه المقالة بين تعليم البازى وسائر الطيور الجارحة وتعليم الكلب وضارى السِّباع الجارحة ، فقال : جائز أكل ما أكل منه البازى من الصيد . قالوا: وإنما تعليم البازى أن يطير إذا استُشْلِى ، ويجيب إذا دُعِى ، ولا ينفر من صاحبه إذا أراد أخذَه . قالوا : وليس من شروط تعليمه أن لا يأكل من الصيد .

* ذكر من قال ذلك :

١١١٧٤ – حدثنا هناد بن السرى قال، حدثنا هشيم، عن مغيرة ، عن إبراهيم وحجاج ، عن عطاء قال : لا بأس بصيد البازى وإن أكل منه .

١١١٧٥ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أسباط قال، حدثنا أبو إسحق الشيبانى ، عن حماد ، عن إبراهيم ، عن ابن عباس أنه قال فى الطير : إذا أرسلتَه فقتل، فكُل . فإن الكلبَ إذا ضربته لم يَعُدْ. وإن تعليم الطير أن يرجع إلى صاحبه، وليس يضرب إذا أكل من الصيد ونتف من الريش . (١)

١١١٧٦ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا أبو حمزة ، عن جابر ، عن الشعبي قال : ليس البازى والصقر كالكلب، فإذا أرسلتهما فأمسكا فأكلا ، فدعوتهما فأتياك ، فكل منه .

المكسورة) : هو الذى يعلم الكلاب أخذ الصيد . ولكنه وضع « الكلاب » هنا موضع « المكلب » . وهو جيد صحيح .

(١) فى المطبوعة : « فإذا أكل من الصيد ونتف من الريش فكل » ، بزيادة « فكل » ، عن المخطوطة، وكان فيها مثل ما فى المطبوعة : « فإذا أكل . . . » ، ورجحت أن الصواب « إذا أكل . . . » بحذف الفاء ، ويستقيم الكلام على ما فى الترجمة .

١١١٧٧ – حدثنا هناد قال ، حدثنا أبو زبيد، عن مطرف، عن حماد ، قال إبراهيم : كُلْ صيد البازى وإن أكل منه .

١١١٧٨ – حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن حماد ، عن إبراهيم = وجابر ، عن الشعبي ، قالا : كُلْ من صيد البازِ وإن أكل .(١)

١١١٧٩ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن مغيرة، عن حماد ، عن إبراهيم : إذا أكل البازى والصقر من الصيد ، فكُل ، فإنه لا يعلَّم .(٢)

١١١٨٠ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان ، عن حماد ، عن إبراهيم قال : لا بأس بما أكل منه البازى .

١١١٨١ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن حماد: أنه قال فى البازى إذا أكل منه ، قال : كُلْ .(٣)

* * *

وقال آخرون منهم : سواء تعليم الطير والبهائم والسباع ، لا يكون نوع من ذلك معلَّماً إلا بما يكون به سائر الأنواع معلَّماً . وقالوا : لا يحل أكل شىء من الصيد الذى صادته جارحة فأكلت منه ،(٤) كائنة ما كانت تلك الجارحة ، بهيمةً ، أو طائراً .(٥) قالوا : لأن من شروط تعليمها الذى يحل به صيدها : أن تمسك ما صادت على صاحبها ، فلا تأكل منه .

• ذكر من قال ذلك :

١١١٨٢ – حدثنا هناد وأبو كريب قالا ، حدثنا بن أبى زائدة قال ، حدثنا

---

(١) فى المطبوعة : « صيد البازى » بالياء آخره ، والذى فى المخطوطة صواب . وانظر ـ ما سلف ص : ٥٤٨ ، تعليق : ٤ .

(٢) يعنى : فإنه لا يعلم أن لا يأكل من الصيد كما يعلم الكلب .

(٣) فى المطبوعة : « إذا أكل منه فكل » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، فهو صواب محض .

(٤) فى المخطوطة : « لا يحمل كل شىء من الصيد . . . » ، والصواب ما فى المطبوعة .

(٥) فى المخطوطة : « بهيمة أو طائر » بالرفع ، والصواب ، ما فى المطبوعة .

محمد بن سالم، عن عامر قال: قال علي: إذا أكل البازي من صيده فلا تأكل.[١]

١١١٨٣ - حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا ابن جعفر، عن شعبة، عن مجالد بن سعيد، عن الشعبي قال: إذا أكل البازي منه فلا تأكل.

١١١٨٤ - حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع، عن سفيان، عن سالم، عن سعيد بن جبير قال: إذا أكل البازي فلا تأكل.

١١١٨٥ - حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع، عن عمر بن الوليد الشنّي قال: سمعت عكرمة قال: إذا أكل البازي فلا تأكل.[٢]

١١١٨٦ - حدثنا ابن بشار قال، حدثنا أبو عاصم قال، أخبرنا ابن جريج قال، قال عطاء: الكلب والبازي كلُّه واحد، لا تأكل ما أكل منه من الصيد، إلا أن تدرك ذكاته فتذكّيه. قال قلت لعطاء: البازي ينتف الريش؟ قال: فما أدركته ولم يأكل فكل. قال ذلك غير مرّة. ٦١/٦

* * *

وقال آخرون: تعليم كل جارحة من البهائم والطير واحد. قالوا: وتعليمه الذي يحلُّ به صيده: أن يُشْلَى على الصيد فيَسْتَشلي ويأخذ الصيد،[٣] ويدعوه صاحبه فيجيب، ولا يفرّ منه إذا أخذه[٤]. قالوا: فإذا فعل الجارح ذلك كان «معلماً»[٥]

---

(١) الأثر: ١١١٨٢ - «محمد بن سالم الهمداني»، أبو سهل الكوفي. ضعيف الحديث متروك. مترجم في التهذيب. ومضى في الإسناد رقم: ٤٨٢٤.

(٢) الأثر: ١١١٨٥ - «عمر بن الوليد الشني»، أبو سلمة العبدي، من عبد القيس. روى عن عكرمة، وشهاب بن عباد العصري. روى عنه وكيع، وأبو نعيم. قال أبو حاتم: «ما أرى بحديثه بأساً، وعامة حديثه عن عكرمة فقط، ما أقل ما يجاوز به إلى ابن عباس». وقال يحيى القطان: «ليس هو عندي ممن أعتمد عليه، ولكنه لا بأس به». مترجم في ابن أبي حاتم ٣/١/١٣٩، ولسان الميزان ٤: ٣٣٧.

وكان في المطبوعة: «عمرو بن الوليد السهمي»، وليس صواباً، غير ما في المخطوطة وهو الذي أثبت.

(٣) انظر ما سلف ص: ٥٥٣، تعليق: ٤.

(٤) في المطبوعة والمخطوطة: «أولا يفر منه»، والصواب بالواو كما أثبته.

(٥) في المطبوعة والمخطوطة: «قال» بالإفراد، والذي قبله والذي بعده يقتضي أن تكون «قالوا».

داخلاً في المعنى الذى قال الله : « وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم » . قالوا : وليس من شرط تعليم ذلك أن لا يأكل من الصيد . قالوا : وكيف يجوز أن يكون ذلك من شرطه ، وهو يؤدّب بأكله ؟

* ذكر من قال ذلك .

١١١٨٧ – حدثنا ابن أبي الشوارب قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد = أو سعد = ، عن سلمان قال : إذا أرسلت كلبك على صيد ، وذكرتَ اسم الله ، فأكل ثلثيه وبقى ثلثه ، فكل ما بقى .(١)

١١١٨٨ – حدثنا حميد بن مسعدة قال ، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا حميد قال ، حدثنى القاسم بن ربيعة ، عمن حدثه ، عن سلمان = وبكر بن عبد الله ، عمن حدثه ، عن سلمان = : أن الكلب يأخذ الصيد فيأكل منه ، قال : كل ، وإن أكل ثلثيه ، إذا أرسلته وذكرت اسم الله ، وكان معلماً .(٢)

١١١٨٩ – حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ، حدثنا محمد بن جعفر قال ،

---

(١) الأثر : ١١١٨٧ – « سعيد » الأول ، هو « سعيد بن أبي عروبة » .
و « سعيد » الثانى ، هو « سعيد بن المسيب » .

و « سلمان » ، هو ابن الإسلام ، « سلمان الخير الفارسى » ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان فى المخطوطة فى هذا الأثر ، والذى يليه « سليمان » ، ثم استقامت المخطوطة على الصواب . وسيأتى بعد الأثر رقم ١١٢١١ ، فى تعقيب أبي جعفر أن سعيد بن المسيب ، غير معلوم له سماع من سلمان الفارسى .

أما قوله : « أو سعد » ، فلم أعرف ما أراد به ، ولم أعرف من يكون « سعد » الذى يروى عنه قتادة ، والذى يروى عن سلمان . وسيأتى فى الآثار التالية ، رواية مثل ذلك عن « سعد بن أبي وقاص » . فأخشى أن يكون فى الإسناد تقديم وتأخير : « قتادة ، عن سعيد ، عن سلمان ، أو سعد » . وأنا فى شك من ذلك أيضاً .

وهذا الأثر رواه البيهقى فى السنن ٩ : ٢٣٧ .

(٢) الأثر : ١١١٨٨ – « بكر بن عبد الله المزنى » ، مضى برقم : ٤٨٧٧ ، ٤٨٧٨ ، ٨٩٣٦ ، ٩٧٣٢ .

وكان فى هذا الموضع من المخطوطة أيضاً « سليمان » ، وانظر التعليق على الأثر السالف .

حدثنا شعبة قال ، سمعت قتادة يحدث ، عن سعيد بن المسيب قال ، قال سلمان : كل ، وإن أكل ثلثيه = يعني : الصيدَ إذا أكل منه الكلب .

١١١٩٠ – حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع ، عن شعبة، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، عن سلمان، نحوه .

١١١٩١ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا ابن أبي عدى وعبد العزيز بن عبد الصمد ، عن شعبة = ح وحدثنا هناد قال ، حدثنا عبدة = جميعاً ، عن سعيد ، عن قتادة : عن سعيد بن المسيب قال ، قال سلمان : إذا أرسلت كلبك المعلَّم وذكرت اسمَ الله ، فأكل ثلثيه وبقى ثلثه ، فكل .(١)

١١١٩٢ – حدثنا هناد قال، حدثنا عبدة ، عن سعيد، عن قتادة ، عن سعيد ، عن سلمان، نحوه .

١١١٩٣ – حدثنا مجاهد بن موسى قال، حدثنا يزيد، عن بكر بن عبد الله المزنى والقاسم : أن سلمان قال: إذا أكل الكلب فكل ، وإن أكل ثلثيه .

١١١٩٤ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية، عن داود ابن أبي الفرات ، عن محمد بن زيد ، عن سعيد بن المسيب قال : قال سلمان : إذا أرسلت كلبك المعلَّم أو بازَك، فسمَّيت فأكل نصفه أو ثلثيه ، فكل بقيَّته .(٢)

١١١٩٥ – حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال، أخبرنى مخرمة ابن بكير ، عن أبيه ، عن حميد بن مالك بن خثيم الدؤلى : أنه سأل سعد بن أبي وقاص عن الصيد يأكل منه الكلب ، فقال : كل ، وإن لم يبق منه إلا حِذْية – يعني : بَضْعة .(٣)

---

(١) فى المطبوعة : « فأكل ثلثه فكل » ، أسقط من الكلام ما ثبت فى المخطوطة .

(٢) الأثر : ١١١٩٤ – « داود بن أبي الفرات » هو « داود بن عمر بن الفرات الكندى » . ثقة ، يروى عن « محمد بن زيد بن على الكندى » . مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ٢/١/٢١٥ .
و « محمد بن زيد بن على الكندى » ويقال « العبدى » ، قاضى مرو ، ثقة صالح الحديث . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/١/٨٤ .

(٣) الأثر : ١١١٩٥ – « مخرمة بن بكير بن عبد الله بن الأشج » ، مضى برقم : ٣٣٥٩ .

١١١٩٦ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنى عبد الصمد قال، حدثنا شعبة ، عن عبد ربه بن سعيد قال : سمعت بكير بن الأشج يحدّث، عن سعد قال : كُل ، وإن أكل ثلثيه .(١)

١١١٩٧ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا سعيد بن الربيع قال، حدثنا شعبة ، عن عبد ربه بن سعيد قال : سمعت بكير بن الأشج ، عن سعيد بن المسيب = قال شعبة : قلت : سمعته من سعيد ؟ قال : لا = قال : كل وإن أكل ثلثيه = قال : ثم إن شعبة قال فى حديثه : عن سعد . قال كل ، وإن أكل نصفه .

١١١٩٨ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنى عبد الأعلى قال، حدثنا داود ، عن عامر ، عن أبى هريرة قال : إذا أرسلت كلبك فأكل منه ، فإن أكل ثلثيه وبقى ثلثه ، فكل .

١١١٩٩ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا يزيد بن هرون قال، أخبرنا داود ابن أبى هند ، عن الشعبى ، عن أبى هريرة ، بنحوه .

١١٢٠٠ – حدثنا هناد قال، حدثنا أبو معاوية، عن داود بن أبى هند ، عن الشعبى ، عن أبى هريرة ، نحوه .

١١٢٠١ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنى سالم بن نوح العطار ،عن عمر = يعنى : ابن عامر = عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، عن سلمان قال : إذا

وأبوه « بكير بن عبد الله بن الأشج » ، أو « بكير بن الأشج » ، مضى برقم : ٢٧٤٧ ، و «حميد بن مالك بن خثيم الدؤلى » أو : « حميد بن عبد الله بن مالك » وسيأتى كذلك فى الأثرين : ١١٢٠٧ ، ١١٢٠٨ ، تابعى ثقة ، روى عن أبى هريرة وسعد بن أبى وقاص . مترجم فى التهذيب .

و « الحذية » و « الحذوة » (بكسر الحاء) : هو ما قطع من اللحم طولا ، أو القطعة الصغيرة من اللحم . وأما « البضعة » فهى بفتح الباء وسكون الضاد . وكان فى المخطوطة : « يعنى بعضه » ، والصواب ما فى المطبوعة .

(١) الأثر : ١١١٦٩ – « عبد ربه بن سعيد بن قيس بن عمرو الأنصارى » ، روى عن جده قيس بن عمرو . ثقة . مترجم فى التهذيب .

أرسلت كلبك المعلَّم فأخذ فقتل ، فكل ، وإن أكل ثلثيه .[1]

١١٢٠٢ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا المعتمر قال، سمعت عبيد الله[2] = ح وحدثنا هناد قال، حدثنا عبدة، عن عبيد الله بن عمر = عن نافع ، عن عبد الله بن عمر قال : إذا أرسلت كلبك المعلَّم وذكرت اسم الله ، فكل ما أمسك عليك ، أكل أو لم يأكل .

١١٢٠٣ – حدثنا ابن المثنى ، قال ، حدثنا عبد الوهاب قال، حدثنا عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، بنحوه .

١١٢٠٤ – حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، أخبرني ابن أبي ذئب : أن نافعاً حدَّثهم : أن عبد الله بن عمر كان لا يرى بأكل الصيد بأساً ، إذا قتله الكلب أكل منه . ٦ / ٦٢

١١٢٠٥ – حدثني يونس به مرة أخرى فقال، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثني عبيد الله بن عمرو ، ابن أبي ذئب ، وغير واحد : أن نافعاً حدَّثهم ، عن عبد الله أبن عمر ، فذكر نحوه .

١١٢٠٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال، حدثنا محمد ابن أبي ذئب ، عن نافع ، عن ابن عمر : أنه كان لا يرى بأساً بما أكل الكلبُ الضاري .

١١٢٠٧ – حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع ، عن ابن أبي ذئب، عن بكير ابن عبد الله بن الأشج ، عن حميد بن عبد الله ، عن سعد قال : قلت لنا : كلاب ضوارٍ يأكلن ويبقين ؟ قال : كل، وإن لم يبق إلا بَضْعة .

١١٢٠٨ – حدثنا هناد قال، حدثنا قبيصة، عن سفيان ، عن ابن أبي

---

(١) الأثر : ١١٢٠١ – « سالم بن نوح العطار » = و « عمر بن عامر السلمي » ، مضيا برقم : ٢٨٥٢ .

(٢) في المطبوعة : « عبد الله » ، والصواب من المخطوطة ، وهي غير منقوطة .

ذئب ، عن يعقوب بن عبد الله بن الأشج ، عن حميد قال : سألت سعداً ، فذكر نحوه .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب عندنا فى تأويل قوله : « تعلمونهن مما علمكم الله » : أن « التعليم » الذى ذكره الله فى هذه الآية للجوارح ، إنما هو أن يعلِّم الرجل جارحَه الاستشلاء إذا أُشلى على الصيد ،(٢) وطلبه إياه إذا أغرى ، أو إمساكه عليه ، إذا أخذه من غير أن يأكل منه شيئاً ، وأن لا يفرّ منه إذا أراده ، وأن يجيبه إذا دعاه . فذلك ، هو تعليم جميع الجوارح ، طيرها وبهائمها . فإن أكل من الصيد جارحةُ صائد ،(٣) فجارحته حينئذ غير معلَّم .(٤) فإن أدرك صيده صاحبُه حيًّا فذكّاه ، حلّ له أكله . وإن أدركه ميتاً ، لم يحلّ له أكله ، لأنه مما أكله السَّبُع الذى حرمه الله تعالى بقوله : ﴿ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ ﴾ ، ولم يدرك ذكاته .

وإنما قلنا : ذلك أولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، لتظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بما : —

١١٢٠٩ — حدثنا به ابن حميد قال ، حدثنا ابن المبارك ، عن عاصم بن سليمان الأحول ، عن الشعبى ، عن عدى بن حاتم : أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الصيد فقال : إذا أرسلتَ كلبك فاذكر اسم الله عليه ، فإن أدركته وقد قتل وأكل منه فلا تأكل منه شيئاً ، فإنما أمسكَ على نفسه .(٥)

---

(١) الأثران : ١١٢٠٧ ، ١١٢٠٨ — « حميد بن عبد الله » ، هو « حميد بن مالك بن خثيم » الذى مضى فى الأثر : ١١١٩٥ ، وانظر التعليق عليه هناك .

و « يعقوب بن عبد الله بن الأشج » أخو « بكير بن عبد الله بن الأشج » الذى سلف برقم : ١١١٩٥ وهو ثقة . مترجم فى التهذيب .

(٢) انظر القول فى « الإشلاء » و « الاستشلاء » فيما سلف ص : ٥٥٣ ، تعليق : ٤ .

(٣) فى المطبوعة : « وإن أكل . . . » بالواو ، والجيد ما فى المخطوطة ، بالفاء .

(٤) فى المطبوعة : « فجارحه » بغير تاء التأنيث ، والجيد ما فى المخطوطة .

(٥) الأثر : ١١٢٠٩ — حديث صحيح . رواه البخارى (الفتح ٩ : ٥٢٧) ، ومسلم ١٣ :

١١٢١٠ – حدثنا أبو كريب وأبو هشام الرفاعي قالا، حدثنا محمد بن فضيل، عن بيان بن بشر، عن عامر، عن عدى بن حاتم قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: إنا قوم نتصيَّد بهذه الكلاب؟ فقال: إذا أرسلت كلابك المعلَّمة وذكرت اسم الله عليها، فكل ما أمسكن عليك وإن قتلن، إلا أن يأكل الكلبُ، فإن أكل فلا تأكل، فإنى أخاف أن يكون إنما حبَسه على نفسه.(١)

* * *

فإن قال قائل: فما أنت قائل فيما حدثك به: –

١١٢١١ – عمران بن بكّار الكلاعى قال، حدثنا عبد العزيز بن موسى قال، حدثنا محمد بن دينار، عن أبى إياس، عن سعيد بن المسيب، عن سلمان الفارسى، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: إذا أرسل الرجل كلبه على الصيد فأدركه وقد أكل منه، فليأكل ما بقى.(٢)

٧٨، ٧٩، وأحمد فى المسند ٤: ٢٥٧، ٣٧٩، وأبو داود فى سننه ٣: ١٤٥ رقم: ٢٨٤٩، والبيهقى فى السنن ٩: ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٤٢، ٢٤٤ من طرق، مطولا.

(١) الأثر: ١١٢١٠ – حديث صحيح. رواه البخارى من طريق قتيبة بن سعيد، عن محمد بن فضيل (الفتح ٩: ٥٢٧، ٥٢٨)، ومسلم من طريق أبى بكر بن أبى شيبة، عن محمد بن فضيل ١٣: ٧٥، وأحمد فى مسنده ٤: ٢٥٨، والبيهقى فى السنن ٩: ٢٣٦، ٢٣٧، وأبو داود فى سنن ٣: ١٤٥، رقم: ٢٨٤٨ مطولا.

(٢) الأثر: ١١٢١١ – «عمران بن بكار الكلاعى»، شيخ الطبرى. مضى برقم: ١٤٩، ٢٠٧١.

و «عبد العزيز بن موسى بن روح اللاحونى»، أبو روح، البهرانى الحمصى. قال أبو حاتم: «صدوق ثقة مأمون». مترجم فى التهذيب.

و «محمد بن دينار الأزدى الطاحى»، وهو «ابن أبى الفرات»، و «أبو بكر بن أبى الفرات» قال النسائى: «ليس به بأس»، وقال فى موضع آخر: «ضعيف»، وقال أبو داود: «تغير قبل أن يموت»، وقال الدارقطنى: «ضعيف»، وقال مرة: «متروك». مترجم فى التهذيب.

و «أبو إياس»، هو «معاوية بن قرة بن إياس المزنى»، تابعى ثقة. مترجم فى التهذيب.

وهذا الأثر قد تكلم الطبرى فى إسناده فيما يلى، ونقل ابن كثير فى تفسيره ٣: ٧٥، ما قاله الطبرى، ثم عقب عليه بقوله: «وهذا الذى قاله ابن جرير صحيح، ولكن قد روى هذا المعنى مرفوعاً من وجوه أخر، فقال أبو داود: حدثنا محمد بن المنهال الضرير، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا حبيب المعلم، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده...» وساق حديث أبى داود فى سننه ٣: ١٤٧، رقم:

قيل : هذا خبر فى إسناده نظر ، فإن « سعيداً » غير معلوم له سماع من « سلمان » ، والثقات من أهل الآثار يقفون هذا الكلام على سلمان ، ويروونه عنه من قِبَله غير مرفوع إلى النبى صلى الله عليه وسلم . والحفّاظ الثقات إذا تتابعوا على نقل شىء بصفة، فخالفهم واحد منفردٌ ليس له حفظهم ، كانت الجماعة الأثبات أحقّ بصحة ما نقلوا من الفرد الذى ليس له حفظهم .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وإذا كان الأمر فى الكلب على ما ذكرتُ : من أنه إذا أكل من الصيد فغيرُ معلَّم ، فكذلك حكم كل جارحة : فى أن ما أكل منها من الصيد فغير معلَّم ، لا يحل له أكل صيده إلا أن يدرك ذكاته .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « فكلوا مما أمسكن عليكم » ، فكلوا ، أيها الناس ، مما أمسكت عليكم جوارحكم .

* * *

واختلف أهل التأويل فى معنى ذلك .

فقال بعضهم : ذلك على الظاهر والعموم كما عممه الله ، حلال أكل كلّ ما أمسكت علينا الكلاب والجوارح المعلَّمة من الصيد الحلال أكله ، أكل منه الجارح والكلاب أو لم يأكل منه ، أدركتْ ذكاته فذُكّى أو لم تدرَك ذكاته حتى قتلته الجوارح بجرحها إياه أو بغير جَرْح .

٢٨٥٧ ، ثم قال ابن كثير : « هكذا رواه أبو داود ، وقد أخرجه النسائى . وكذا رواه أبو داود من طريق يونس بن سيف ، عن أبى إدريس الخولانى ، عن أبى ثعلبة . . . » ثم ساق حديث أبى داود فى سننه ٣ : ١٤٧ ، رقم : ٢٨٥٦ ، ثم قال : « وهذان إسنادان جيدان » .

(١) انظر التعليق على الأثر السالف ، رقم : ١١٢١١ .

وهذا قول الذين قالوا : « تعليم الجوارح الذى يحلّ به صيدها أن تعلّم الاستشلاء على الصيد ، وطلبه إذا أشْليت عليه ، وأخذه ، وترك الهرب من صاحبها ، دون ترك الأكل من صيدها إذا صادته » . وقد ذكرنا قول قائلى هذه المقالة والرواية عنهم بأسانيدها الواردة آنفاً. (١)

* * *

٦ / ٦٣ وقال آخرون : بل ذلك على الخصوص دون العموم . قالوا : ومعناه : فكلوا مما أمسكن عليكم من الصيد جميعه دون بعضه . قالوا : فإن أكلت الجوارح منه بعضاً وأمسكت بعضاً ، فالذى أمسكت منه غير جائز أكلُه وقد أكلت بعضه ، لأنها إنما أمسكت ما أمسكت من ذلك الصيد بعد الذى أكلت منه ، على أنفسها لا علينا ، والله تعالى ذكره إنما أباح لنا أكلَ ما أمسكته جوارحنا المعلمة علينا بقوله : « فكلوا مما أمسكن عليكم » ، دون ما أمسكته على أنفسها . وهذا قول من قال : « تعليم الجوارح الذى يحلُّ به صيدها : أن تَستشلى للصيد إذا أشليت ، فتطلبه وتأخذه ، فتمسكه على صاحبها فلا تأكل منه شيئاً ، ولا تفر من صاحبها » . وقد ذكرنا ممن قال ذلك فيما مضى منهم جماعة كثيرة ، (٢) ونذكر منهم جماعة أخَر فى هذا الموضع . (٣)

١١٢١٢ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « فكلوا مما أمسكن عليكم » ، يقول : كلوا مما قتلن . =قال على : وكان ابن عباس يقول : إن قتل وأكل فلا تأكل ، وإن أمسك فأدركته حيًّا فذكّه .

١١٢١٣ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ،

---

(١) انظر ما سلف من الآثار من رقم : ١١١٨٧ ، وما بعده .

(٢) انظر ما سلف من الآثار ، من رقم : ١١١٨٢ ، وما بعده .

(٣) فى المطبوعة : « جماعة آخرين » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : إن أكل المعلَّم من الكلاب من صيده قبل أن يأتيه صاحبه فيدرك ذكاته ، فلا يأكل من صيده .

١١٢١٤ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فكلوا مما أمسكن عليكم »، إذا صادَ الكلب فأمسكه وقد قتله ولم يأكل منه ، فهو حِلٌ . فإن أكل منه، فيقال : إنما أمسك على نفسه ، [1] فلا تأكل منه شيئاً، إنه ليس بمعلَّم .

١١٢١٥ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة : « يسألونك ماذا أحل لهم » إلى قوله : « فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه »، قال : إذا أرسلت كلبك المعلَّم أو طيرك أو سهمك ، فذكرت اسم الله ، فأخذ أو قتل ، فكل .

١١٢١٦ – حدثت عن الحسين قال، سمعت أبا معاذ يقول، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول : إذا أرسلت كلبك المعلَّم فذكرت اسم الله حين ترسله ، فأمسك أو قتل ، فهو حلال . فإذا أكل منه فلا تأكل ، فإنما أمسكه على نفسه .

١١٢١٧ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا أبو معاوية ، عن عاصم ، عن الشعبي ، عن عدىّ قوله : « فكلوا مما أمسكن عليكم » ، قال : قلت يا رسول الله، إن أرضي أرضُ صيد ؟ قال : إذا أرسلت كلبك وسميت ، فكل مما أمسك عليك كلبُك وإن قتل . فإن أكل فلا تأكل ، فإنه إنما أمسك على نفسه . [2]

* * *

(١) في المخطوطة : « إنما أمسك فلا تأكل . . . . . » أسقط « على نفسه » ، والصواب إثباتها كما في المطبوعة :

(٢) الأثر : ١١٢١٧ – حديث صحيح ، أخرجه البخاري (الفتح ٩ : ٥٢٧) ، نحواً من لفظه . ورواه بهذا اللفظ مطولا ، أحمد في مسنده ٤ : ٢٥٧ ، وانظر التعليق على الأثر السالف رقم : ١١٢٠٩ .

وقد بينا أولى القولين فى ذلك بالصواب قبلُ ، فأغنى ذلك عن إعادته وتكراره . (١)

* * *

فإن قال قائل : وما وجه دخول « من » ، فى قوله : « فكلوا مما أمسكن عليكم » ، وقد أحل الله لنا صيد جوارحنا الحلالِ ، و« من » إنما تدخل فى الكلام مبعِّضَة لما دخلت فيه ؟

قيل : قد اختلف فى معنى دخولها فى هذا الموضع أهل العربية .

فقال بعض نحويى البصرة : دخلت « من » فى هذا الموضع لغير معنًى ، كما تدخله العرب فى قولهم : « كان من مطر » و« كان من حديث » . قال : ومن ذلك قوله : ﴿ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ [سورة البقرة : ٢٧١] ، وقوله : ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ ﴾ [سورة النور : ٤٣] ، قال : وهو فيما فسَّر : وينزّل من السماء جبالاً فيها برد . قال : وقال بعضهم : و« ينزل من السماء من جبال فيها من برد » ، أى : من السماء من برد ، بجعل « الجبال من برد » فى السماء ، وبجعل الإنزال منها . (٢)

* * *

وكان غيره من أهل العربية ينكر ذلك ويقول : لم تدخل « من » إلا لمعنى مفهوم ، لا يجوز الكلام ولا يصلح إلا به . وذلك أنها دالة على التبعيض . وكان يقول : معنى قولهم « قد كان من مطر » و« كان من حديث » ؛ هل كان من من مَطَرٍ مَطَرَ عندكم؟ وهل من حديث حُدِّث عندكم ؟ (٣) ويقول : معنى : ﴿ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ ، أى : ويكفر عنكم من سيِّئاتكم ما يشاء ويريد = وفى قوله : ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ ﴾ ، فيجيز

---

(١) انظر ما سلف ص : ٥٦٤ .

(٢) انظر ما سلف ٢ : ١٢٦ ، ٥/١٢٧ : ٦/٥٨٦ : ٧/٥٥١ : ٤٨٩ .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « حديث حديث عندكم » ؛ والصواب ما أثبت . ويعنى قائل ذلك أن قوله « قد كان من مطر » إلخ ، إنما هو جواب لقول القائل : هل كان من مطر مطر عندكم ؟

حذف « من » من « من برد » ، [١] ولا يجيز حذفها من « الجبال » ، ويتأول معنى ذلك : وينزل من السماء أمثالَ جبالٍ بردٍ ، ثم أدخلت « من » فى « البرد » ، لأن « البرد » مفسَّر عنده من « الأمثال » ، [٢] أعنى : « أمثال الجبال » ، وقد أقيمت « الجبال » مقام « الأمثال » و « الجبال » وهى « جبال برد » فلا يجيز حذف « من » من « الجبال » ، لأنها دالة على أن الذى فى السماء الذى أنزل منه البرد ، أمثالُ جبالٍ بردٍ . وأجاز حذف « من » من « البرد » ، لأن « البرد » مفسَّر عن « الأمثال » ، كما تقول : « عندى رطلان زيتاً » و « عندى رطلان من زيت » ، وليس عندك « الرطل » ، وإنما عندك المقدار . فـ « من » تدخل فى المفسَّر وتخرج منه . وكذلك عند قائل هذا القول : من السماء ، من أمثال جبال ، وليس بجبال . وقال : وإن كان : « أنزل من جبال فى السماء من برد جبالاً » ، ثم حذف « الجبال » الثانية ، و « الجبال » الأول فى السماء ، جاز . تقول : « أكلت من الطعام » ، تريد : أكلت من الطعام طعاماً ، ثم تحذف « الطعام » ولا تسقط « من » .

٦ / ٦٤

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك : أن « من » لا تدخل فى الكلام إلا لمعنى مفهوم ، وقد يجوز حذفها فى بعض الكلام وبالكلام إليها حاجة ، لدلالة ما يظهر من الكلام عليها . فأما أن تكون فى الكلام لغير معنى أفادته بدخولها ، فذلك قد بيَّنا فيما مضى أنه غير جائز أن يكون فيما صحّ من الكلام . [٣]

ومعنى دخولها فى قوله : « فكلوا مما أمسكن عليكم » ، للتبعيض ، إذ كانت الجوارح تمسك على أصحابها ما أحل الله لهم لحومه ، وحرَّم عليهم فَرْثه ودمَه ، فقال جل ثناؤه : « فكلوا » = مما أمسكتْ عليكم جوارحكم [٤] = الطيبات التى أحللت

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « حذف من من برد » ، والصواب زيادة « من » الثالثة كما أثبتها .

(٢) « المفسر » : المميز . و « التفسير » : التمييز . وانظر فهارس المصطلحات .

(٣) انظر المواضع السالفة التى أشرنا إليها فى التعليق : ٢ ، ص ٥٦٩ .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « مما أمسكن عليكم جوارحكم » ، والصواب الجيد ما أثبت ، إنما خلط النساخ بين (النون) ، و « التاء » .

لكم من لحومها ، دون ما حرمت عليكم من خبائثه من الفرث والدم وما أشبه ذلك ، مما لم أطيبه لكم . فذلك معنى دخول « من » فى ذلك .

وأما قوله : ﴿ وَيُكَفِّرْ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ ، فقد بينا وجه دخولها فيه فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته . (١)

وأما دخولها فى قوله : ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ ﴾ ، فسنبينه إذا أتينا عليه إن شاء الله . (٢)

القول فى تأويل قوله ﴿ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « واذكروا اسم الله عليه » ، (٣) على ما أمسكت عليكم جوارحكم من الصيد ، كما : —

١١٢١٨ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « واذكروا اسم الله عليه » ، يقول : إذا أرسلت جوارحك فقل : « بسم الله » ، وإن نسيت فلا حَرَج .

١١٢١٩ — حدثنا محمد قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « واذكروا اسم الله عليه » ، قال : إذا أرسلته فسَمِّ عليه حين ترسله على الصيد .

---

(١) انظر ما سلف ٥ : ٥٨٦ ، والمواضع الأخرى فى التعليق السالف ص : ٥٦٩ ، رقم : ٢ .

(٢) انظر ج ١٨ : ١١٨ ، ١١٩ (بولاق) من هذا التفسير ، ولم يف أبو جعفر بما وعد ، فلم يبينه بياناً كافياً حيث أشار إليه .

وقد كان فى المطبوعة هنا : « إن شاء الله تعالى » . وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « واذكروا اسم الله على ما أمسكت . . . » والصواب إثبات « عليه » من تمام الآية ، وبما بعده تفسير قوله : « عليه » .

القول في تأويل قوله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٤)

قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه : واتقوا الله، أيها الناس ، فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه ، فاحذروه في ذلك أن تقدموا على خلافه ، وأن تأكلوا من صيد الجوارح غير المعلَّمة، أو مما لم تمسك عليكم من صيدها وأمسكته على أنفسها ، أو تطعَمُوا ما لم يسمِّ الله عليه من الصيد والذبائح مما صادَه أهل الأوثان وعبدة الأصنام ومن لم يوحِّد الله من خلقه ، أو ذبحوه ، فإن الله قد حرَّم ذلك عليكم فاجتنبوه .

ثم خوَّفهم إن هم فعلوا ما نهاهم عنه من ذلك ومن غيره. فقال : اعلموا أن الله سريعٌ حسابه لمن حاسبه على نِعَمه عليه منكم،(١) وشكرِ الشاكر منكم ربَّه على ما أنعم به عليه بطاعته إياه فيما أمر ونهى ، لأنه حافظ لجميع ذلك فيكم ، فيحيط به ، لا يخفى عليه منه شيء ، فيجازي المطيعَ منكم بطاعته ، والعاصيَ بمعصيته ، وقد بيَّن لكم جزاء الفريقين .(٢)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾

قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بقوله : « اليوم أحل لكم الطيبات » ، اليوم أحل لكم ، أيها المؤمنون، الحلالُ من الذبائح والمطاعم دون الخبائث منها .

وقوله : « وطعام الذين أوتوا الكتاب حلٌّ لكم » ، وذبائحُ أهل الكتاب من

---

(١) في المطبوعة : « على نعمته » . . . . » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « سريع الحساب » فيما سلف ٧ : ٥٠١ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

اليهود والنصارى = وهم الذين أوتوا التوراة والإنجيل وأنزل عليهم، فدانُوا بهما أو بأحدهما = « حل لكم » ، [1] يقول : حلالٌ لكم، أكله دون ذبائح سائر أهل الشرك الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب وعبدة الأوثان والأصنام . فإن من لم يكن منهم مِمَّن أقرَّ بتوحيد الله عزَّ ذكره ودان دين أهل الكتاب، فحرام عليكم ذبائحهم .

* * *

ثم اختلف فيمن عنى الله عز ذكره بقوله : « وطعام الذين أوتوا الكتاب » ، من أهل الكتاب .

فقال بعضهم : عنى الله بذلك ذبيحة كل كتابي ممن أنزل عليه التوراة والإنجيل، أو ممن دخل في مِلَّتهم فدان دينهم، وحرَّم ما حرَّموا، وحلَّل ما حللوا، منهم ومن غيرهم من سائر أجناس الأمم .

* ذكر من قال ذلك :

١١٢٢٠ – حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب قال ، حدثنا عبد الواحد قال ، حدثنا خصيف قال ، حدثنا عكرمة قال : سئل ابن عباس عن ذبائح نصارى بني تغلب، فقرأ هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ ﴾ ٦ / ٦٥
إلى قوله : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾، الآية [سورة المائدة : ٥١] . [2]

١١٢٢١ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان : عن عاصم الأحول ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، مثله .

١١٢٢٢ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا ابن عثمة قال، حدثنا سعيد بن بشر ، عن قتادة، عن الحسن وعكرمة : أنهما كانا لا يريان بأساً بذبائح نصارى

---

(١) انظر تفسير « حل » و « حلال » فيما سلف ٣ : ٣٠٠ ، ٤٨٧ .

(٢) الأثر : ١١٢٢٠ – هذا الأثر مؤخر بعد الذي يليه في المخطوطة ، فلا أدري أهو مؤخر ، أم سقط قبل الأثر رقم ١١٢٢١ ، أثر آخر ، فاجتهد ناشر الكتاب أو ناسخ سابق ، فقدم وأخر .

بنى تغلب ، ويتزوّج نسائهم ، ويتلوان : ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾.

١١٢٢٣ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا ابن أبي عدى، عن سعيد، عن قتادة ، عن الحسن وسعيد بن المسيب : أنهما كانا لا يريان بأساً بذبيحة نصارى بنى تغلب .

١١٢٢٤ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان ، عن أبي حصين، عن الشعبي : أنه كان لا يرى بأساً بذبائح نصارى بنى تغلب، وقرأ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾، [سورة مريم : ٦٤] .

١١٢٢٥ – حدثني ابن بشار وابن المثنى قالا، حدثنا أبو عاصم قال ، أخبرنا ابن جريج قال ، حدثني ابن شهاب عن ذبيحة نصارى العرب ، قال . تؤكل من أجل أنهم فى الدين أهلُ كتاب، ويذكرون اسمَ الله .

١١٢٢٦ – حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا ابن جريج قال ، قال عطاء : إنما يقرُّون بدين ذلك الكتاب .(١)

١١٢٢٧ – حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية قال، حدثنا شعبة قال : سألت الحكم وحماداً وقتادة عن ذبائح نصارى بنى تغلب ، فقالوا : لابأس بها. قال: وقرأ الحكم: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ ، [سورة البقرة : ٧٨] .

١١٢٢٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا الحجاج قال، حدثنا حماد ، عن عطاء بن السائب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كلوا من ذبائح بنى تغلب، وتزوّجوا من نسائهم ، فإن الله قال فى كتابه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [سورة المائدة : ٥١] ، فلو لم يكونوا منهم إلا بالولاية ، لكانوا منهم .

---

(١) فى المطبوعة : « إنما يقرأون ذلك الكتاب » ، وفى المخطوطة : « إنما يقرون بين ذلك الكتاب ورأيت أن صواب قراءتها كما أثبت ، أى : أنهم يدينون بدين ذلك الكتاب .

١١٢٢٩ – حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال ، حدثنا ابن علية ، عن ابن أبي عروبة ، عن قتادة : أن الحسن كان لا يرى بأساً بذبائح نصارى بني تغلب ، وكان يقول : انتحلوا ديناً ، فذاك دينهم .

* * *

وقال آخرون : إنما عنى بالذين أوتوا الكتاب في هذه الآية ، الذين أنزل عليهم التوراة والإنجيل من بني إسرائيل وأبنائهم ، فأما من كان دخيلاً فيهم من سائر الأمم ممن دان بدينهم وهم من غير بني إسرائيل ، فلم يعن بهذه الآية ، وليس هو ممن يحل أكل ذبائحه ، لأنه ليس ممن أوتي الكتاب من قَبْل المسلمين . وهذا قول كان محمد بن إدريس الشافعي يقوله = حدثنا بذلك عنه الربيع = ويتأول في ذلك قول من كره ذبائح نصارى العرب من الصحابة والتابعين . (١)

* * *

* ذكر من حرَّم ذبائح نصارى العرب .

١١٢٣٠ – حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن أيوب ، عن محمد ، عن عبيدة قال ، قال علي رضوان الله عليه : لا تأكلوا ذبائح نصارى بني تغلب ، فإنهم إنما يتمسكون من النصرانية بشرب الخمر . (٢)

١١٢٣١ – حدثنا يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا هشام ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة ، عن علي قال : لا تأكلوا ذبائح نصارى بني تغلب ، فإنهم لم يتمسكوا بشيء من النصرانية إلا بشرب الخمر .

١١٢٣٢ – حدثنا الحسن بن عرفة قال ، حدثنا عبد الله بن بكر قال ، حدثنا هشام ، عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة قال : سألت علياً عن ذبائح نصارى العرب ، فقال : لا تؤكل ذبائحهم ، فإنهم لم يتعلَّقوا من دينهم إلا بشرب الخمر .

١١٢٣٣ – حدثني علي بن سعيد الكندي قال ، حدثنا علي بن عابس ،

---

(١) انظر الأم ٢ : ١٩٦ .

(٢) الأثر : ١١٢٣٠ – رواه الشافعي في الأم ٢ : ١٩٦ ، والبيهقي في السنن ٩ : ٢٨٤ ، وأشار إليه الحافظ ابن حجر في (الفتح ٩ : ٥٤٩) ، وقال : «أخرجه الشافعي وعبد الرزاق بأسانيد صحيحة» .

عن عطاء بن السائب ، عن أبي البختري قال : نهانا عليٌّ عن ذبائح نصارى العرب .[١]

١١٢٣٤ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي حمزة القصاب قال : سمعت محمد بن علي يحدث ، عن علي : أنه كان يكره ذبائح نصارى بني تغلب .

١١٢٣٥ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن ليث ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال ، لا تأكلوا ذبائح نصارى العرب ، وذبائح نصارى أرْمينية .

• • •

قال أبو جعفر : وهذه الأخبار عن عليّ رضوان الله عليه ، إنما تدل على أنه كان ينهى عن ذبائح نصارى بني تغلب ، من أجل أنهم ليسوا على النصرانية ، لتركهم تحليل ما تحلّل النصارى ، وتحريم ما تُحَرّم ، غير الخمر . ومن كان منتحلاً ملّة هو غير متمساك منها بشيء ،[٢] فهو إلى البراءة منها أقرب منه إلى اللحاق بها وبأهلها .[٣] فلذلك نهى عليٌّ عن أكل ذبائح نصارى بني تغلب ، لا من أجل أنهم ليسوا من بني إسرائيل .

٦ / ٦٦ فإذ كان ذلك كذلك ، وكان إجماعاً من الحجة أن لا بأس بذبيحة كل نصرانيّ ويهوديّ دان دين النصرانيّ أو اليهودي ،[٤] فأحل ما أحلّوا وحرّم ما حرموا ،

---

(١) الأثر : ١١٢٣٣ – « علي بن سعيد بن مسروق الكندي » ، مضى برقم : ١١٨٤ ، ٢٧٨٤ . و « علي بن عابس الأسدي » ، ضعيف ، يعتبر به . مترجم في التهذيب و « أبو البختري » ، هو : « سعيد بن فيروز الطائي » مضى برقم : ١٧٥ ، ١٤٩٧ .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « من كان منتحلا . . . » بغير واو في أوله الكلام ، وهو فساد ، والصواب إثباتها .

(٣) في المخطوطة والمطبوعة : « فهو إلى البراءة منها أقرب إلى اللحاق . . . » ، بإسقاط « منه » ، وهو اختلال شديد ، والصواب إثباتها .

(٤) في المطبوعة : « وكان إجماعاً من الحجة إحلال ذبيحة كل نصراني ويهودي انتحل دين النصارى أو اليهودي ، فأحل . . . » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، فوضع مكان ما حذف منها ما وضع . وكان في المخطوطة : « وكان إجماعاً من الحجة ألا بأس فذبيحة كل نصراني ويهودي دان دين النصراني أو اليهودي » ، وظاهر أن صواب قراءة صدر هذه الجملة هو ما أثبته ، وهو مطابق لما جاء في الآثار السالفة من ١١٢٢٢ – ١١٢٢٩ .

من بنى إسرائيل كان أو من غيرهم=[١] فبيِّنٌ خطأ ما قال الشافعى فى ذلك، وتأويله الذى تأوّله فى قوله : « وطعام الذين أوتوا الكتاب حِلٌّ لكم »، أنه ذبائح الذين أوتوا الكتابَ التوراةَ والإنجيلَ من بنى إسرائيل =[٢] وصوابُ ما خالف تأويله ذلك ، وقولِ من قال : إن كل يهودى ونصرانى فحلال ذبيحتُه ، من أىِّ أجناس بنى آدم كان .

* * *

وأمَّا « الطعام » الذى قال الله : « وطعام الذين أوتوا الكتاب » ، فإنه الذبائح .

* * *

وبمثل ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١١٢٣٦ — حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ، حدثنا ابن إدريس، عن ليث ، عن مجاهد : « وطعام الذين أوتوا الكتاب حلّ لكم » ، قال : الذبائح .

١١٢٣٧ — حدثنا ابن حميد قال : حدثنا حكام، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بزة ، عن مجاهد فى قوله : « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم » ، قال : ذبائحهم .

١١٢٣٨ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .

١١٢٣٩ — حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو نعيم وقبيصة قالا، حدثنا سفيان، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .

١١٢٤٠ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا إسحق بن سليمان الرازى، عن أبى سنان، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .[٣]

---

(١) السياق : وإذ كان ذلك كذلك ، وكان إجماعاً من الحجة . . . فبين خطأ ما قال الشافعى . . .

(٢) السياق : فبين خطأ ما قال الشافعى . . . . وصواب ما خالف تأويله ذلك .

(٣) الأثر : ١١٢٤٠ — « إسحق بن سليمان الرازى العبدى ، سلف برقم : ٦٤٥٦ .
و « أبو سنان » هو : « سعيد بن سنان الشيبانى » ، مضى برقم : ١٧٥ .

١١٢٤١ – حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

١١٢٤٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة، قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: «وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم»، قال: ذبيحة أهل الكتاب.

١١٢٤٣ – حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم، عن مغيرة، عن إبراهيم في قوله: «وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم»، قال: ذبائحهم.

١١٢٤٤ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان، عن المغيرة، عن إبراهيم، بمثله.

١١٢٤٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن سفيان، عن مغيرة، عن إبرهيم، مثله.

١١٢٤٦ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا الثوري، عن مغيرة، عن إبراهيم، مثله.

١١٢٤٧ – حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو نعيم وقبيصة قالا، حدثنا سفيان، عن مغيرة، عن إبراهيم، مثله.

١١٢٤٨ – حدثنا المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: «وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم»، قال: ذبائحهم.

١١٢٤٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا المعلى بن أسد قال، حدثنا خالد، عن يونس، عن الحسن، مثله.[1]

---

(١) الأثر: ١١٢٤٩ – «المعلى بن أسد العمي» الحافظ الثقة، روى عنه البخاري، والباقون بالواسطة. مترجم في التهذيب، ومضى غير مترجم برقم: ٧٢٣٢.

١١٢٥٠ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم » ، أى : ذبائحهم .

١١٢٥١ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ،عن السدى : « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم » ، أما طعامهم، فهو الذبائح .

١١٢٥٢ – حدثت عن الحسين قال، سمعت أبا معاذ يقول، حدثنا عبيد قال، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم » ، قال : أحل الله لنا طعامهم ونساءَهم .

١١٢٥٣ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ،عن أبيه ، عن ابن عباس : أما قوله : « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم » ، فإنه أحلّ لنا طعامهم ونساءهم .

١١٢٥٤ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، سألته = يعنى ابن زيد[1]= عما ذبح للكنائس وسُمّى عليها، فقال : أحل الله لنا طعام أهل الكتاب، ولم يستثن منه شيئاً .

١١٢٥٥ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثنى معاوية ، عن أبى الزاهرية حدير بن كريب ،=عن أبى الأسود ، عن عُمَير بن الأسود : أنه سأل أبا الدرداء عن كبش ذُبح لكنيسة يقال لها «جرجس»، أهدوه لها، أنأكل منه ؟ فقال أبو الدرداء: اللهم عفواً ! إنما هم أهل كتاب ، طعامهم حلٌّ لنا ، وطعامنا حل لهم ! وأمره بأكله .[2]

* * *

(١) فى المطبوعة : « يعنى ابن يزيد » ، وهو خطأ ، محض ، وهو إسناد دائر فى التفسير .

(٢) الأثر : ١١٢٥٥– « معاوية » ، هو « معاوية بن صالح بن حدير الحمصى الحضرمى »، مضى برقم : ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢٠٧٢ ، ٨٤٧٢ .

و « أبو الزاهرية » ، وهو « حدير بن كريب الحضرمى = أو الحميرى » . روى عن حذيفة ،

وأما قوله : « وطعامكم حل لهم » ، فإنه يعني : ذبائحكم ، أيها المؤمنون ، حِلٌ لأهل الكتاب.

• • •

وأبي الدرداء، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وغيرهم من الصحابة. روى عنه معاوية بن صالح ، وغيره . قال ابن سعد : « وكان ثقة إن شاء الله ، كثير الحديث » . مترجم في التهذيب ، والكبير ٢/١/٩١ .

وفي هذا الإسناد إشكال . فإن ظاهره أن أبا الزاهرية حدير بن كريب ، روى الأثر عن « أبي الأسود ، عن عمير بن الأسود » ، وهذا محال . فإن أبا الزاهرية يروى مباشرة عن أبي الدرداء . فأكبر ظني أن في أصول التفسير سقطاً أو خرماً في هذا الموضع ، وأن الإسناد انتهى عند قوله « حدير بن كريب » وسقط أثر حدير بن كريب عن أبي الدرداء ، وبدأ إسناد آخر – لا ندري ما هو – ينتهي إلى أبي الأسود عن عمير بن الأسود ، أنه سأل أبا الدرداء . . . إلخ . وسيظهر صواب ذلك فيما يأتي .

و « أبو الأسود » في هذا الإسناد التالي ، لم أعرف من يكون فيمن يكنى بأبي الأسود .

وأما « عمير بن الأسود العنسي » ، فزعم ابن حجر ، أنه هو « عمرو بن الأسود » وبذلك ترجم له في التهذيب (٨ : ٤) وأنهما رجل واحد ، وقال : روى عن عمر ، وابن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وعبادة بن الصامت ، وغيرهم من الصحابة . وقال ابن أبي حاتم ٣/١/٣٧٥ : « عمير بن الأسود العنسي الشامي » ، سمع عبادة ، وأبا الدرداء ، وأم حرام . روى عنه خالد بن معدان ، سمعت أبي يقول ذلك » . وترجم أيضاً « عمرو بن الأسود القيسي » ، وقال : « روى عن عمر بن الخطاب ، وابن مسعود ، وعبادة بن الصامت . روى عنه مجاهد، وخالد بن معدان . . . » ، ففرق تفريقاً ظاهراً بين « عمرو بن الأسود القيسي » ، و « عمير بن الأسود العنسي » .

وكذلك فعل ابن سعد في الطبقات ١٥٣/٢/٧ ، ففرق بينهما قال : « عمير بن الأسود : سأل أبا الدرداء عن طعام أهل الكتاب . وروى عن معاذ بن جبل، وكان قليل الحديث ثقة » .

ثم عقد ترجمة أخرى : «وعمرو بن الأسود السكوني : روى عن عمر ومعاذ ، وله أحاديث » .

فلا أدري من أين جعلهما الحافظ ابن حجر ، رجلا واحداً ! !

وقد ثبت بما رواه ابن سعد ، أن هذا الأثر ، إنما هو من حديث عمير بن الأسود ، أنه سأل : أبا الدرداء ، وأنه حديث آخر ، غير حديث حدير بن كريب أبي الزاهرية .

هذا ، ولم أجد هذا الأثر – أو هذين الأثرين – في مكان آخر ، وقد أغفل ابن كثير روايته في تفسيره ، وأغفله أيضاً السيوطي في الدر المنثور . وكتبه : محمود محمد شاكر .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « والمحصنات من المؤمنات »، أحل لكم، أيها المؤمنون ، المحصنات من المؤمنات = وهن الحرائر منهن [١] = أن تنكحوهن = « والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم »، يعنى : والحرائر من الذين أعطوا الكتاب ، [٢] وهم اليهود والنصارى الذين دانوا بما فى التوراة والإنجيل من قبلكم ، ٦٧/٦ أيها المؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم من العرب وسائر الناس ، أن تنكحوهن أيضاً = « إذا آتيتموهن أجورهن »، يعنى : إذا أعطيتم من نكحتم من محصناتكم ومحصناتهم [٢] = « أجورهن » ، وهى مهورُهن . [٣]

* * *

واختلف أهل التأويل فى المحصنات اللاتى عناهن الله عز ذكره بقوله : « والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » .

فقال بعضهم : عنى بذلك الحرائرَ خاصة ، فاجرةً كانت أو عفيفةً . وأجاز قائلو هذه المقالة نكاح الحرة ، مؤمنة كانت أو كتابية من اليهود والنصارى ، من أىِّ أجناس الناس كانت [٤]، بعد أن تكون كتابية ، فاجرة كانت أو عفيفةً .

---

(١) انظر تفسير « المحصنات » ، و « الإحصان » فيما سلف ٨ : ١٥١ - ١٦٩/ ثم ٨ : ١٨٥ - ١٩٠ .

(٢) انظر تفسير « آتى » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٣) انظر تفسير « الأجور » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « من أى أجناس كانت » ، وزدت « الناس » ، لأن السياق

وحرّموا إماء أهل الكتاب أن يُتَزَوَّجن بكل حال،(١) لأن الله جل ثناؤه شرطَ فى نكاح الإماء الإيمانَ بقوله : ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾، [سورة النساء : ٢٥].

• ذكر من قال ذلك :

١١٢٥٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو داود، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب » ، قال : الحرائر .

١١٢٥٧ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » ، قال : من الحرائر .

١١٢٥٨ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب : أن رجلاً طلّق امرأته وخُطِبَت إليه أخته، وكانت قد أحدثت ، فأتى عمر فذكر ذلك له منها ، فقال عمر : ما رأيت منها ؟ قال : ما رأيت منها إلا خيراً ! فقال : زوّجها ولا تُخْبِر .

١١٢٥٩ – حدثنا ابن أبى الشوارب قال، حدثنا عبد الواحد قال، حدثنا سليمان الشيبانى قال، حدثنا عامر قال : زنت امرأة منّا من همدان ، قال : فجلدها مُصَدِّق رسول الله صلى الله عليه وسلم الحدّ،(٢) ثم تابت. فأتوا عمر فقالوا :

يقتضيها اقتضاء لا شك فيه . ولو قلت مكانها : « من أى أجناس اليهود والنصارى كانت » ، لكان صواباً أيضاً .

(١) فى المطبوعة : « أن نتزوجهن » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) « المصدق » هو العامل على الصدقات ، يجمعها من أهلها .

فزوّجها، وبئسَ ما كان من أمرها ! قال عمر : لئن بلغني أنكم ذكرتم شيئاً من ذلك ، لأعاقبنكم عقوبةً شديدة .

١١٢٦٠ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب : أن رجلاً أراد أن يزوّج أخته ، فقالت : إني أخشى أن أفضَح أبي ، فقد بَغَيْتُ ! فأتى عمر ، فقال : أليس قد تابت ؟ قال : بلى ! قال : فزوّجها .

١١٢٦١ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا أبو داود قال ، حدثنا شعبة ، عن إسمعيل بن أبي خالد، عن الشعبي : أن نُبَيْشة، امرأةً من همدان، بغتْ، فأرادت أن تذبح نفسها، قال : فأدركوها، فداووها فبرئت ، فذكروا ذلك لعمر ، فقال : أنكحوها نكاحَ العفيفة المسلمة .

١١٢٦٢ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا داود ، عن عامر : أن رجلاً من أهل اليمن أصابت أختُه فاحشة، فأمرَّت الشَّفرة على أوداجها، فأُدْرِكت، فدُووِي جُرْحها حتى برئت. ثم إن عمها انتقل بأهله حتى قدم المدينة، فقرأت القرآن ونَسَكت، حتى كانت من أنسك نسائهم. فخطبت إلى عمها، وكان يكره أن يدلّسها، ويكره أن يفشي على ابنة أخيه . فأتى عمر فذكر ذلك له، فقال عمر : لو أفشيت عليها لعاقبتك ! إذا أتاك رجل صالح ترضاه فزوّجها إيّاه .

١١٢٦٣ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا داود ، عن عامر : أن جارية باليمن يقال لها : « نبيشة » ، أصابت فاحشة ، فذكر نحوه .

١١٢٦٤ – حدثنا تميم بن المنتصر قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا إسمعيل ، عن عامر قال : أتى رجل عمر فقال : إن ابنةً لي كانت وُئِدت في الجاهلية ، فاستخرجتها قبل أن تموت ، فأدركت الإسلام، فلما أسلمت أصابت حدًّا من

حدود الله، فعمدتْ إلى الشفرة لتذبح بها نفسها ، فأدركتها وقد قطعت بعض أوداجها، فداويتها حتى برئت، ثم إنها أقبلت بتوبة حسنة ، فهي تخطب إليّ يا أمير المؤمنين، فأخبر من شأنها بالذى كان ؟ فقال عمر : أتخبر بشأنها ؟ تعمد إلى ماستره الله فتبديه! والله لئن أخبرت بشأنها أحداً من الناس لأجعلنك نكالاً لأهل الأمصار ، بل أنكحها بنكاحِ العفيفة المسلمة .(١)

١١٢٦٥ – حدثنا أحمد بن منيع قال، حدثنا مروان، عن إسمعيل ، عن الشعبي قال : جاء رجل إلى عمر ، فذكر نحوه .

١١٢٦٦ – حدثنا مجاهد قال ، حدثنا يزيد قال، أخبرنا يحيي بن سعيد، عن أبي الزبير : أن رجلاً خطب من رجل أخته، فأخبره أنها قد أحدثتْ . فبلغ ذلك عمر بن الخطاب ، فضرب الرجل وقال : مالك والخبر ! أنكح واسكُت .(٢) ٦٨/٦

١١٢٦٧ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا سليمان بن حرب قال، حدثنا أبو هلال، عن قتادة ، عن الحسن قال : قال عمر بن الخطاب : لقد هممت أن لا أدع أحداً أصابَ فاحشة فى الإسلام أن يتزوج مُحْصنة ! فقال له أبيّ ابن كعب : يا أمير المؤمنين ، الشرك أعظم من ذلك ، وقد يقبل منه إذا تاب !

* * *

وقال آخرون : إنما عنى الله بقوله: « والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » ، العفائفَ من الفريقين ، إماءً كنّ أو حرائر. فأجاز قائلو هذه المقالة نكاحَ إماء أهل الكتاب الدائنات دينَهم بهذه الآية ،

---

(١) « الأوداج » جمع « ودج » (بفتحتين) : وهو عرق متصل من الرأس إلى النحر ، والأوداج : عروق تكتنف الحلقوم .

(٢) هذه الأخبار السالفة ، أدب من آداب هذا الدين عظيم ، وهدى من هدى أهل الإيمان ، أمروا به ، ومضوا عليه . حتى خلفت من بعدهم الخلوف ، فجهلوا أمر دينهم ، وغالوا غلوا فاحشاً فى استبشاع زلة من زل من أهل الإيمان ، فقتل الرجل منهم بنته وأخته ومن له عليها الولاية . وما فعلوا ذلك ، إلا بعد أن فارقوا جادة الإيمان فى سائر ما أمرهم الله به ، فاستمسكوا بالغلو الفاحش ، وظنوا ذلك من تمام دياناتهم ومروءاتهم . وهذا دليل على أن كل تفريط فى الدين ، يقابله فى الجانب الآخر غلو فى التدين بغير دين ! ورحم الله عمر بن الخطاب ، ما كان أبصره بالناس وأرحمه بهم .

وحرّموا البغايا من المؤمنات وأهل الكتاب .

* ذكر من قال ذلك :

١١٢٦٨ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس ، عن ليث، عن مجاهد فى قوله : « والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » ، قال : العفائف .

١١٢٦٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن ليث، عن مجاهد ، مثله .

١١٢٧٠ – حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا، حدثنا جرير، عن مطرف ، عن عامر : « والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » ، قال : إحصان اليهودية والنصرانية : أن لا تزنى ، وأن تغتَسِل من الجنابة .

١١٢٧١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن فضيل، عن مطرف ، عن عامر : « والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم »، قال : إحصان اليهودية والنصرانية : أن تغتسل من الجنابة ، وأن تحصن فرجَها .

١١٢٧٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن عنبسة، عن مطرف ، عن رجل ، عن الشعبي فى قوله : « والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » ، قال : إحصان اليهودية والنصرانية : أن لا تزنى ، وأن تغتسل من الجنابة .

١١٢٧٣ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال، أخبرنا هشيم ، عن مطرف ، عن الشعبي فى قوله : « والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم »، قال : إحصانها : أن تغتسل من الجنابة ، وأن تحصن فرجها من الزنا .

١١٢٧٤ – حدثنى المثنى قال، حدثنا معلى بن أسد قال ، حدثنا خالد قال ، أخبرنا مطرف ، عن عامر ، بنحوه .

١١٢٧٥ – حدثنا المثنى قال، حدثنا سويد قال، أخبرنا ابن المبارك قال : سمعت سفيان يقول فى قوله : « والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب »، قال : العفائف.

١١٢٧٦ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى : « والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم »، قال : أما « المحصنات »، فهنّ العفائف .

١١٢٧٧ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الأعلى قال، حدثنا سعيد، عن قتادة : أن امرأة اتخذت مملوكها،[1] وقالت : تأوّلت كتابَ الله : «وما ملكت أيمانكم»، قال : فأتى بها عمر بن الخطاب، فقال له ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : تأوّلت آية من كتاب الله على غير وجهها . قال فغرّب العبد وجزّ رأسه .[2] وقال : أنتِ بعده حرام على كل مسلم .

١١٢٧٨ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة، عن إبراهيم أنه قال : فى التى تزنى قبل أن يُدْخل بها،[3] قال : ليس لها صداق، ويفرّق بينهما .

١١٢٧٩ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن دريس قال، حدثنا أشعث، عن الشعبي، فى البكر تفجُر،[4] قال : تضرب مئة سوط، وتنفى سنة، وتردّ على زوجها ما أخذت منه .

١١٢٨٠ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس قال، حدثنا أشعث، عن أبى الزبير، عن جابر، مثل ذلك .

١١٢٨١ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس قال، أخبرنا أشعث عن الحسن، مثل ذلك .

---

(١) قوله : « اتخذت مملوكها »، أى أمكنته من نفسها، وتسرت به كأنه زوج لها .

(٢) فى المطبوعة : « فقرب العبد » بالقاف، وهو فى المخطوطة كما أثبته غير منقوط، وصواب قراءته ما أثبت . و « التغريب » : النفى . و « جز رأسه » : أى قص شعره . ولم يرد القتل .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « تسرى قبل أن يدخل بها »، وكأن الصواب ما أثبت . وانظر الأثر التالى .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « فى البكر تهجر »، ولا معنى لذلك، والصواب ما أثبت .

١١٢٨٢ – حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية، عن يونس : أن الحسن كان يقول : إذا رأى الرجل من امرأته فاحشةً فاستيقن ، فإنه لا يمسكها .

١١٢٨٣ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن مغيرة، عن أبي ميسرة قال: مملوكات أهل الكتاب بمنزلة حرائرهم .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى حكم قوله عز ذكره : « والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » ، أعام أم خاصٌّ ؟

فقال بعضهم: هو عامٌّ فى العفائف منهن ، لأن « المحصنات »، العفائف . وللمسلم أن يتزوج كل حرة وأمة كتابيةٍ ، حربيةً كانت أو ذميَّةً .

واعتلُّوا فى ذلك بظاهر قوله تعالى : « والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » ، وأن المعنىَّ بهن العفائف ، كائنة من كانت منهن . وهذا قول من قال : عنى بـ « المحصَّنات » فى هذا الموضع : العفائف .

* * *

وقال آخرون : بل اللواتى عنى بقوله جل ثناؤه : « والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم »، الحرائرَ منهن، والآية عامة فى جميعهن . فنكاح جميع الحرائر اليهود والنصارى جائز ، حربيّات كنّ أو ذميات، من أىٍّ أجناس اليهود والنصارى كنّ . وهذا قول جماعة من المتقدمين والمتأخرين . ٦٩/٦

* ذكر من قال ذلك :

١١٢٨٤ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا ابن أبى عدى ، عن سعيد، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب والحسن : أنهما كانا لا يريان بأساً بنكاح نساء اليهود والنصارى ، وقالا : أحلَّه الله على علم .

* * *

وقال آخرون منهم : بل عنى بذلك نكاحَ بنى إسرائيل الكتابياتِ منهن

خاصة ، دون سائر أجناس الأمم الذين دانوا باليهودية والنصرانية . وذلك قول الشافعي ومن قال بقوله . (١)

• • •

وقال آخرون : بل ذلك معنيٌّ به نساءُ أهل الكتاب الذين لهم من المسلمين ذمّة وعهدٌ . فأما أهل الحرب ، فإن نساءهم حرام على المسلمين .

• ذكر من قال ذلك :

١١٢٨٥ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا محمد بن عقبة، قال ، حدثنا الفزاري ، عن سفيان بن حسين ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس قال : من نساء أهل الكتاب من يحلُّ لنا، ومنهم من لا يحلُّ لنا، ثم قرأ: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾،[سورة التوبة: ٢٩]. فمن أعطى الجزية حلَّ لنا نساؤه، ومن لم يعط الجزية لم يحل لنا نساؤه — قال الحكم: فذكرت ذلك لإبراهيم ، فأعجبه . (٢)

• • •

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب ، قولُ من قال :

---

(١) انظر الأم ٥ : ٦ قوله : « ولا يحل نكاح حرائر من دان من العرب دين اليهودية والنصرانية ، لأن أصل دينهم كان الحنيفية ، ثم ضلوا بعبادة الأوثان ، وإنما انتقلوا إلى دين أهل الكتاب بعده ، لا بأنهم كانوا الذين دانوا بالتوراة والإنجيل فضلوا عنهما وأحدثوا فيها، إنما ضلوا عن الحنيفية ، ولم يكونوا كذلك، لا تحل ذبائحهم ، وكذلك كل أعجمي كان أصل دين من مضى من آبائه عبادة الأوثان ، ولم يكن من أهل الكتابين المشهورين التوراة والإنجيل ، فدان دينهم ، لم يحل نكاح نسائهم » .

وانظر سنن البيهقي ٧ : ١٧٣ .

(٢) الأثر : ١١٢٨٥ — « محمد بن عقبة بن المغيرة الشيباني » ، « أبو عبد الله الطحان » . روى عن أبي إسحق الفزاري ، وسوار بن مصعب ، وغيرهما . روى عنه البخاري وأبو كريب وغيرهما . قال البخاري « معروف الحديث » ، وقال أبو حاتم « ليس بالمشهور » ، وذكره ابن حبان في الثقات . قال ابن حجر : « وماله في البخاري سوى حديثين: أحدهما في الجمعة، متابعة. والآخر في الاعتصام ، مقروناً » . مترجم في التهذيب . والكبير ١/١/٢٠٠ .

و « الفزاري » ، هو « أبو إسحق الفزاري » : « إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة الفزاري » ، الإمام الثقة . مضى برقم : ٣٨٣٣ .

و « سفيان بن حسين الواسطي » ، مضى برقم : ٣٤٧١ ، ٦٤٦٢ .

عنى بقوله : « والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » ، حرائرَ المؤمنين وأهل الكتاب . لأن الله جل ثناؤه لم يأذن بنكاح الإماء الأحرارِ فى الحال التى أباحهن لهم ، إلا أن يكنَّ مؤمنات ، فقال عز ذكره : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [سورة النساء: ٢٥] ، فلم يبح منهن إلا المؤمنات . فلو كان مراداً بقوله : « والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب » ، العفائفَ ، لدخل العفائف من إمائهم فى الإباحة ، وخرج منها غير العفائف من حرائرهم وحرائر أهل الإيمان . وقد أحل الله لنا حرائر المؤمنات ، وإن كن قد أتين بفاحشة بقوله : ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾ [سورة التوبة : ٢٩] . وقد دللنا على فساد قول من قال : « لا يحلُّ نكاح من أتى الفاحشة من نساء المؤمنين وأهل الكتاب للمؤمنين » ، فى موضع غير هذا ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . (١)

= فنكاح حرائر المسلمين وأهل الكتاب حلال للمؤمنين ، كن قد أتين بفاحشة أو لم يأتين بفاحشة ، ذميةً كانت أو حربيّةً ، بعد أن تكون بموضع لا يخافُ الناكح فيه على ولده أن يُجْبر على الكفر ، بظاهر قول الله جل وعز : « والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » .

* * *

فأما قول الذى قال : « عنى بذلك نساء بنى إسرائيل ، الكتابيّات منهن خاصة » ، (٢) فقول لا يوجب التشاغل بالبيان عنه ، لشذوذه والخروج عما عليه علماء الأمة ، من تحليل نساء جميع اليهود والنصارى . وقد دللنا على فساد قول قائل

---

(١) انظر ما سلف ٨ : ١٨٩ ، ١٩٠

(٢) يعنى قول الشافعى فيما سلف ص ٥٨٧ ، ٥٨٨ : تعليق : ١ .

هذه المقالة من جهة القياس فى غير هذا الموضع بما فيه الكفاية ، فكرهنا إعادته .[١]

* * *

وأما قوله : « إذا آتيتموهن أجورهن » ، فإن « الأجر » : العوض الذى يبذله الزوج للمرأة للاستمتاع بها ، وهو المهر ،[٢] كما : —

١١٢٨٦ — حدثنى المثنى قال : حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس فى قوله : « آتيتموهن أجورهن » ، يعنى : مهورهن .

القول فى تأويل قوله ﴿ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : أحل لكم المحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ، وأنتم محصنون غير مسافحين ولا ولا متخذى أخدان .

ويعنى بقوله جل ثناؤه : « محصنين » ، أعفّاء = « غير مسافحين » ، يعنى : لا معالنين بالسفاح بكل فاجرة ، وهو الفجور = « ولا متخذى أخدان » ، يقول : ولا منفردين ببغيّة واحدة ، قد خادنها وخادنته ، واتخذها لنفسه صديقة يفجر بها .

* * *

وقد بينا معنى « الإحصان » ووجوهه = ومعنى « السفاح » و « الخدن » فى غير هذا الموضع ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع ،[٣] وهو كما : — ٧٠/٦

---

(١) انظر ما سلف ٤ : ٣٦٢ — ٣٦٩ .

(٢) انظر تفسير « الأجر » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٣) انظر تفسير « الإحصان » فيما سلف ٨ : ١٥١ — ١٦٩ / ثم ٨ : ١٨٥ — ١٩٠ =

١١٢٨٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله قال، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « محصنين غير مسافحين » ، يعني : ينكحوهن بالمهر والبينة ، [١] غير مسافحين متعالنين بالزنا = « ولا متخذي أخدان » ، يعني : يسرُّون بالزنا.

١١٢٨٨ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : أحل الله لنا محصنتين : محصنة مؤمنة ، ومحصنة من أهل الكتاب = ولا « متخذي أخدان » : ذات الخدن ، ذات الخليل الواحد .

١١٢٨٩ – حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن سليمان بن المغيرة ، عن الحسن قال : سأله رجل : أيتزوّج الرجل المرأة من أهل الكتاب ؟ قال : ماله ولأهل الكتاب ، وقد أكثر الله المسلمات ! فإن كان لا بد فاعلاً فليعمد إليها حَصاناً غير مسافحة . قال الرجل : وما المسافحة ؟ قال : هي التي إذا لَمَح الرجل ، إليها بعينه اتّبعته . [٢]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (٥)

قال أبو جعفر : يعني بقوله جل ثناؤه : « ومن يكفر بالإيمان » ، ومن يجحد ما أمر الله بالتصديق به، من توحيد الله ونبوّة محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به

وتفسير « السفاح » فيما سلف ٨ : ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٩٣ – ١٩٥ = وتفسير « الخدن » فيما سلف ٨ : ١٩٣ – ١٩٥ .

(١) « البينة » ، سلف ذكرها في الأثرين رقم ٩٠٠٢ ، ٩٠٠٨ (انظر ٨ : ١٦١ ، تعليق : ١ = ثم ص : ١٦٢ ، تعليق : ٢) . وقد بدا لي هنا أنه عنى بقوله « البينة » ، إعلان النكاح . فراجع ما كتبته هناك ، فإني في شك من ذلك كله .

(٢) الأثر : ١١٢٨٩ – « سليمان بن المغيرة القيسي » ، « أبو سعيد البصري » ، روى عن أبيه ، وثابت البناني ، والحسن ، وابن سيرين ، وغيرهم . روى عنه الثوري وشعبة ، وماتا قبله ، ثم جماعة كثيرة من الثقات ، من ثقات أهل البصرة . مترجم في التهذيب .

من عند الله = وهو « الإيمان » ، الذى قال الله جل ثناؤه : « ومن يكفر بالإيمان فقد حَبِطَ عمله »=يقول : فقد بَطل ثواب عمله الذى كان يعمله فى الدنيا ، يرجو أن يدرك به منزلة عند الله[1] = « وهو فى الآخرة من الخاسرين » ، يقول : وهو فى الآخرة من الهالكين ، الذين غَبَنوا أنفسَهم حظوظها من ثواب الله بكفرهم بمحمد ، وعملهم بغير طاعة الله .[2]

* * *

وقد ذكر أن قوله : « ومن يكفر بالإيمان » ، عنى به أهل الكتاب ، وأنه أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل قوم تحرَّجوا نكاح نساءِ أهل الكتاب لما قيل لهم : « أحِل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حِلٌّ لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » .

* ذكر من قال ذلك :

١١٢٩٠ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذكر لنا أن ناساً من المسلمين قالوا : كيف نتزوّج نساءهم = يعنى : نساء أهل الكتاب = وهم على غير ديننا ؟ فأنزل الله عز ذكره : « ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين » ، فأحل الله تزويجهن على علم .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى تأويل « الإيمان » قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١١٢٩١ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء : « ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله » ، قال : « الله » ، الإيمان .[3]

---

(١) انظر تفسير « حبط » فيما سلف ٤ : ٦/٣١٧ : ٢٨٧ .

(٢) انظر تفسير « الخاسر » ، و « الخسران » فيما سلف ٩ : ٢٢٤ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المطبوعة : « قال : بالإيمان ، بالله » ، غير ما فى المخطوطة ، وهو صواب .

١١٢٩٢ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يحيى بن يمان، عن واصل، عن عطاء : « ومن يكفر بالإيمان » ، قال : « الإيمان » ، التوحيد .

١١٢٩٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى، عن سفيان، عن ابن جريج، عن مجاهد : « ومن يكفر بالإيمان » ، قال : بالله .

١١٢٩٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

١١٢٩٥ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بزة ، عن مجاهد فى قوله : « ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله » ، قال : من يكفر بالله .

١١٢٩٦ – حدثنا محمد قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « ومن يكفر بالإيمان » ، قال : من يكفر بالله .

١١٢٩٧ – حدثنا محمد قال ، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « ومن يكفر بالإيمان » ، قال : الكفر بالله .

١١٢٩٨ – حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة . قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١١٢٩٩ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله قال، حدثنى معاوية ، عن على ، ، عن ابن عباس قوله : « ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله » ، قال : أخبر الله سبحانه أن « الإيمان » هو العروة الوثقى ، وأنه لا يقبل عملاً إلا به ، ولا يحرِّم الجنة إلاّ على من تركه .

* * *

فإن قال لنا قائل : وما وجه تأويل مَنْ وجَّه قوله: « ومن يكفر بالإيمان »، إلى معنى : ومن يكفر بالله ؟

قيل : وجه تأويله ذلك كذلك، أن « الإيمان » هو التصديق بالله وبرسله وما ابتعثهم به من دينه، و « الكفر » جحود ذلك . قالوا : فمعنى « الكفر بالإيمان »، هو جحود الله وجحود توحيده. ففسروا معنى الكلمة بما أريد بها ، وأعرضوا عن تفسير الكلمة على حقيقة ألفاظها وظاهرها فى التلاوة .

فإن قال قائل : فما تأويلها على ظاهرها وحقيقة ألفاظها ؟

٧١/٦ قيل : تأويلها : ومن يأبَ الإيمان بالله ، ويمتنع من توحيده والطاعة له فيما أمره به ونهاه عنه، فقد حبط عمله. وذلك أن « الكفر » هو الجحود فى كلام العرب، و « الإيمان » التصديق والإقرار . ومن أبى التصديق بتوحيد الله والإقرار به ، فهو من الكافرين .(١) فذلك تأويل الكلام على وجهه .

* * *

تمّ الجزء التاسع منْ تفسير الطبرىّ

ويليه الجزء العاشر، وأوّله

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾

---

(١) انظر تفسير « الكفر » و « الإيمان » فى فهارس اللغة .

الفهارس

فهرس الآيات التى استدل بها فى غير موضعها من التفسير

السورة / الآية	الصفحة
آيات سورة البقرة	
٩	٣٣٠
٧٨	٥٧٤
٨٠	٢٣٢
١١١	٢٣٢
١٧٧	٣٩٥
١٨٢	٥٣٥
١٩١	٤٧٧
٢١٧	٤٦٥
٢٣٩	١٤٠
٢٧١	٥٦٩، ٥٧١
٢٨٤	٢٤٥
• • •	
آيات سورة آل عمران	
٤٥	٤١٩
١٣٥	١٩٥
١٤٠	١٧٣
١٦٧	٨
• • •	
آيات سورة النساء	
٣	٢٥٨، ٢٥٩
١١	٢٦٦
١٢	٣٠٦
٢٥	٤١٣، ٥٨٢، ٥٨٩
٣١	٢٣٩
٤٨	٦٩، ٧٠
٥١، ٥٢	٢٣٣
١٠٥	٢٩٨
١٠٧، ١٠٨	٣٠٠
١١٦	٦٩، ٧٠
١٢٢	٢٤٠
١٧١	٤١٤
١٧٦	١٢٨، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٦، ٥٢٠، ٥٢١
• • •	
آيات سورة المائدة	
٣	٤٥٧، ٤٥٩
٥١	٥٧٣، ٥٧٤
٦٢	٣٩٢
٦٩	٣٩٥
• • •	
آيات سورة الأنعام	
٩١	٤٠١
١٤٥	٤٩٢
١٥٣	٣٢١
• • •	
آية سورة الأعراف	
١٧٢	٤٢١
• • •	

السورة / الآية	الصفحة
آيات سورة الأنفال	
٤٥	١٦٤
٤٨	٢٢٥
* * *	
آيات سورة التوبة	
١ ، ٢	٢٥
٥	٢٥، ٤٧٥–٤٧٧، ٤٧٩
٥ ، ٦	٢٥، ٢٦
١٧	٤٧٧
١٨	٤٧٨
٢٩	٥٨٨، ٥٨٩
٦١	٣٩٦
١٢٠، ١٢١	٩٧، ٩٨
* * *	
آية سورة يونس	
٣٥	٣٦٢
* * *	
آيات سورة هود	
١٥، ١٦	٣٠٠
* * *	
آية سورة الرعد	
٢٥	٤٥٢
* * *	
آية سورة إبراهيم	
٢٢	٢٢٥
* * *	
آيات سورة النحل	
٥	٤٥٧
٨	٤٥٧

السورة / الآية	الصفحة
٦٢	٤٨٣
١١٠	١٠٣، ١٠٧
* * *	
آية سورة الإسراء	
٤٧	٢٠٢
* * *	
آية سورة الكهف	
٢٢	٤٢٣
* * *	
آية سورة مريم	
٦٤	٥٧٤
* * *	
آية سورة طه	
١٣٤	٤٠٨
* * *	
آية سورة الحج	
٣٧	٥٠٨
* * *	
آيات سورة النور	
٣٩	٢٢٥
٤٣	٥٦٩، ٥٧١
* * *	
آية سورة الفرقان	
٦٨	٦٥، ٦٦، ٦٨
* * *	
آيات سورة العنكبوت	
٧	٢٣٣
١٠	١٠٣، ١٠٧
* * *	

السورة / الآية	الصفحة
آية سورة الروم	
٣٠	٢١٦، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٢
* * *	
آية سورة سبأ	
١٧	٢٣٧، ٢٣٨
* * *	
آية سورة الزمر	
٥٣	٦٩
* * *	
آية سورة الشورى	
١٣	٣٢١
* * *	
آية سورة الجاثية	
١٤	١٧٤
* * *	
آية سورة الأحقاف	
١٦	٢٣٨
* * *	
آية سورة محمد	
٣٨	٢٩٨
* * *	
آية سورة الفتح	
٢٧	١٢٥، ١٢٦
* * *	
آية سورة الحجرات	
١١	٣٤٨
* * *	
آية سورة النجم	
٣١	٢٣٨

السورة / الآية	الصفحة
آيات سورة الحديد	
١٣، ١٤	٣٣٠
* * *	
آيات سورة المجادلة	
٧	٢٠٢
١٩	٣٢٥–٣٢٧
٢٢	٤٢١
* * *	
آيات سورة الممتحنة	
٨ ، ٩	٢٥
* * *	
آية سورة الجمعة	
١٠	٤٨٢
* * *	
آية سورة نوح	
١٣	١٧٤
* * *	
آية سورة الإنسان	
٣١	٤٠٣
* * *	
آية سورة المرسلات	
١١	٢١٠
* * *	
آيات سورة الانشقاق	
٨	٢٤٤
* * *	
آيات سورة الغاشية	
٢٢، ٢٣	٣٤٥، ٣٥٠

فهرس اللغة

هذا الفهرس مرتب على ترتيب معاجم اللغة ، على أصل الاشتقاق ، وعلى آخر الأصل باباً ، وأوّله فصلاً .

(برأ) برىء : ١٩٧
(خطأ) خطأ : ٣٠
خطيئة : ١٩٧
(سوأ) ساء : ١٠١ ، ٢٠٥
السوء : ١٩٤ ، ٢٣٥ — ٢٤٧ ، ٣٤٣ — ٣٥٠
(شنأ) شنآن : ٤٨٦ ، ٤٨٧
(شيأ) شاء : ٢٩٨
(فيأ) فئة : ٧
(مرأ) امرؤ : ٤٣٠
(هزأ) استهزأ : ٣٢٠

• • •

(بوب) الباب : ٣٦١
(توب) توبة : ٥٦ ، ٣٤٠
(ثوب) ثواب : ٣٠٠
(جنب) وعلى جنوبكم : ١٦٤
(خضب) خضيب : ٤٩٩
(ذبب) يذبذب : ٣٣٢
التذبذب : ٣٣٢
(ذهب) أذهبه : ٢٩٨
(رقب) رقبة : ٣١ ، ٣٥ ، ٣٨
(صلب) صلب : ٣٦٧
(ضرب) ضرب فى سبيل الله : ٧٠
ضرب فى الأرض : ١٢٣
(طيب) طيبات : ٣٩١ ، ٥٤٣ ، ٥٧٢
(عذب) عذاب : ٥٧ ، ١٦٣ ، ٣١٨ ، ٣٥٣
(غضب) غضب الله : ٥٧
(قرب) الأقربون : ٣٠٢
الملائكة المقربون : ٤٢٤ ، ٤٢٥
(كتب) كتب ، كتاب : ٢٩٢
الكتاب : ١٦٧ ، ١٧٥ ، ٢٠٠
(كسب) كسب : ٧ ، ١٩٦ ، ١٩٧
(كلب) مكلّب : ٥٥١
(نجب) منجبة : ٥٣٢
(نصب) نصيب : ٢١٢ ، ٣٢٤
النُّصُب : ٥٠٨ ، ٥٠٩

• • •

(بهت) بهتان : ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٣٦٦
(بيت) بيّت : ١٩١ ، ١٩٢
البيت الحرام : ٤٧١
(ثبت) تثبّت : ٨١
(سبت) السبت : ٣٦١

(ميت) الميتة : ٤٩٢
(وقت) موقوت : ١٦٧ — ١٧٠
وقت عليه يقت : ١٧٠
* * *
(أنث) إناث : ٢٠٧ — ٢١١
* * *
(حرج) الحرجان : ٤٧٠
(درج) درجة : ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٨
* * *
(جرح) الجوارح : ٥٤٣ — ٥٥١
جارحة أهله : ٥٤٣
جرَح : ٥٤٣
اجترح : ٥٤٣ ، ٥٤٤
(جنح) جُناح : ١٢٣ ، ١٦٣ ، ٢٦٨
(روح) روح : ٤١٩ — ٤٢٢
(سبح) سبحانه : ٤٢٣
(سفح) مسافح : ٥٩٠
(سلح) أسلحة : ١٤١ ، ١٦٣
(شحح) الشحّ : ٢٧٩ — ٢٨٢
(صلح) أصلح : ٢٩٢ ، ٣٤٠
إصلاح بين الناس : ٢٠١
أصلح صلحاً : ٢٦٨ — ٢٧٩
اصّالح ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ :
الصالحات ، عمل الصالحات :
٢٢٦ ، ٢٤٨ ، ٤٢٦
(فتح) فتح : ٣٢٣ ، ٣٢٤
(مسح) المسيح : ٣٦٧ ، ٤١٧ ، ٤١٨
المسيح الدجال : ٤١٨
(نطح) النطيحة : ٤٩٩ — ٥٠١
* * *
(رسخ) الراسخ فى العلم : ٣٩٣
* * *
(أبد) أبداً : ٢٢٧ ، ٤١١
(بعد) ضلال بعيد : ٢٠٦ ، ٣١٤ ، ٤١١
(جهد) مجاهد : ٨٥ ، ٩٥ ، ٩٦
(حمد) حميد : ٢٩٦
(خلد) خالد : ٥٧ ، ٢٢٧ ، ٤١١
(ردّد) ردّ : ٢٦
(رود) يريد : ٤٦٢
(شهد) شهيد ، شهداء : ٣٠١ ، ٣٩٠ ، ٤٠٩
شهد الله : ٤٠٩
(صدد) صدّ : ٣٩١ ، ٤١٠ ، ٤٨٨
(عبد) عبد : ٤٢٤
عبادة : ٤٢٥
(عند) أعتد : ٣٥٣ ، ٣٩٢
(عدد) أعدّ : ٥٧ ، ١٦٣
(عقد) عقد ، عقود : ٤٤٩
(عمد) متعمّد : ٥٧
(قعد) القاعد : ٨٥ ، ٩٥ ، ٩٦
(قلد) القلائد : ٤٦٧
(مرد) مريد : ٢١٢
(هود) هاد : ٣٩١
(ودد) ودّ : ١٧ ، ١٦٢
(ولد) الوِلْدان : ١٠١ ، ٢٦٤

(أخذ) أخذه : ١٨ ، ٣٥٩
اتخذ : ١٧ ، ١٨ ، ٢١٢ ، ٢٢٤ ، ٢٥١ ، ٣١٩ ، ٣٣٦ ، ٣٥٢ ، ٣٥٩
متّخذ : ٥٩٠
(حوذ) استحوذ: ٣٢٤ — ٣٢٧
حاذ : ٣٢٦
أحوذ : ٣٢٦ ، ٣٢٧
(عوذ) عاذ ، يعوذ ، استعاذ : ٣٢٧
(وقذ) الموقوذة : ٤٩٥ — ٤٩٧
وقذه يقذه : ٤٩٥

* * *

(أجر) أجر : ٩٦ ، ٢٠٢ ، ٣٤١ ، ٣٥٥ ، ٣٩٩ ، ٤٢٦
(أخر) اليوم الآخر : ٣١٤ ، ٣٩٩
(برر) البرّ : ٤٩٠
(بشر) بشّره : ٣١٨
مبشر : ٤٠٧
(بصر) بصير : ٣٠١
(ثمر) ثِمار ، ثُمُر : ٢١٠
(جهر) الجهر : ٣٤٣
جهرة : ٣٥٨
(حذر) أخذ الحِذْر : ١٤١، ١٦٣
(حرر) تحريرَ : ٣١ ، ٣٨
(حشر) يحشرهم : ٤٢٥
(حصر) حصرت صدورهم : ٢١، ٢٢
(حضر) أحضرت : ٢٧٩
(خبر) خبير : ٧١ ، ٢٨٤ ، ٣١١ ، ٣١٢
(خزر) خنزير : ٤٩٣
(خسر) خسر ، خسران : ٢٢٤
خاسر : ٥٩٢
(خنزر) لحم الخنزير : ٤٩٣
(زبر) زبور : ٤٠١
زبر الكتاب : ٤٠٢
(شعر) شعائر الله ٤٦٢ — ٤٦٥
(شكر) شكر : ٣٤٢
شاكر : ٣٤٣
(شهر) الشهر الحرام : ٤٦٥ ، ٤٦٦
(صير) مصير : ١٠١ ، ٢٠٥
(ضرر) ضرّه ، يضره : ١٩٩ ، ٢٠٠
أولو الضرر : ٨٥
اضطُرّ : ٥٣٢
(طور) الطور : ٣٦١
(عور) أعوره : ٤٧٠
(غرر) غرور : ٢٢٤
(غفر) غفر يغفر : ٢٠٦، ٣١٧، ٤١١
مغفرة : ٩٩
غفور : ٩٩ ، ١٠٢ ، ١١٣ ، ١٧٦ ، ١٩٤ ، ٢٩٣ ، ٣٥٥ ، ٥٣٧
استغفر : ١٧٦ ، ١٩٤
(غير) غيّر : ٢١٥

تغير خلق الله : ٢١٥ — ٢٢٣
(قدر) قدير : ٢٩٨ ، ٣٥١
(قصر) قصر الصلاة : ١٢٣ ، ١٢٤ — ١٤٠
(كبر) استكبر : ٤٢٥ — ٤٢٧
(كفر) كفر ، كافر : ١٧ ، ١٢٣ ، ١٦٣ ، ٢٩٥ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٣٦ ، ٣٥٢ ، ٣٦٣ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٥٩١ ، ٥٩٤
ازدادوا كفراً : ٣١٥ ، ٣١٦
(نذر) منذر : ٤٠٨
(نصر) نصير : ١٨ ، ٢٤٧ ، ٣٣٩ ، ٤٢٧
(نقر) نقير : ٢٤٨ ، ٢٤٩
(نور) نور : ٤٢٨
استنار : ٣٢٦ ، ٣٢٧
(هجر) هاجر : ١٧ ، ١٠٠ ، ١١٢
(يسر) يسير : ٤١١ ، ٤١٢

* * *

(عزز) العزّة : ٣١٩
عزاز : ٣١٩
تعزّز اللحم : ٣١٩
استعزّ على المريض : ٣١٩
عزّ على : ٣١٩
عزيز : ٣٧٨ ، ٤٠٨
(نشز) نشوز : ٢٦٧ ، ٢٦٨

* * *

(ركس) أركس : ٧ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٨
(يأس) يئس : ٥١٦

* * *

(حرص) حرص : ٢٨٤
(حيص) حاص ، يحيص : ٢٢٦
محيص : ٢٢٦
(خلص) أخلص دينه : ٣٤١
(خمص) مخمصة : ٥٣٢
خمص البطن : ٥٣٢
خميص ، خمائص : ٥٣٢ ، ٥٣٣
(ربص) تربّص : ٣٢٣

* * *

(خوض) خاض : ٣٢٠
(عرض) أعرض ، إعراض : ٢٦٨ ، ٣١٠ ، ٣١١
عرض الحياة : ٧١
(فرض) مفروض : ٢١٢ ، ٢١٣
(مرض) مرضى : ١٦٣
(نقض) نقض الميثاق : ٣٦٣

* * *

(حبط) حبط : ٥٩٢
(حوط) محيط : ١٩٣ ، ٢٥٢
(سرط) صراط مستقيم : ٤٢٩
(سلط) سلط : ٢٣
سلطان : ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٦٠
(قسط) القسط : ٢٦٥ ، ٣٠١

* * *

(حظظ) حظ : ٤٤٤

(غلظ) غليظ : ٣٦٢
• • •
(تبع) اتبع : ٢٠٤ ، ٢٥٠ ، ٣٠٢ ، ٣٧٦
متتابع : ٥٥
(خدع) خداع المنافق ربه : ٣٢٩
(سبع) ما أكل السبع : ٥٠١
(سمع) سميع : ٣٠١ ، ٣٥٠
(طبع) الطبع على القلب : ٣٦٤
(طوع) استطاع : ٢٨٤
(متع) أمتعة : ١٦٢
(معع) مع : ١٩١
(وسع) سعة : ١١٣ ، ١٢١ ، ٢٩٤
واسع : ٢٩٤
(وقع) وقع أجره : ١١٣
• • •
(ثقف) ثقف : ٢٩
(جنف) متجانف : ٥٣٥
جنف : ٥٣٥
(حنف) حنيف : ٢٥٠
(خوف) خاف ، الخوف : ١٢٣ ، ١٧٤ ، ٢٦٧
(ضعف) مستضعف ١٠٠ ، ١٠١ ، ٢٦٤
(طوف) طائفة : ١٤١ ، ١٩٩
(عرف) معروف : ٢٠١
(غلف) غلف : ٣٦٣
(كفف) كفّ يده : ٢٩
(نكف) استنكف : ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٧
(حقق) الحق : ١٧٥ ، ٤١٢
بغير حق : ٣٦٣
حقًّا : ٢٢٧ ، ٣٥٣
(خلق) خلق الله : ٢١٥
(خنق) المنخنقة : ٤٩٤
(شقق) شاقّه : ٢٠٤
(صدق) تصدق : ٣١ ، ٣٧
صدقه : ٢٠١
من أصدق من الله قيلا : ٢٢٧
(صعق) الصاعقة : ٣٥٩
(طرق) الطريق : ٤١١
(علق) المعلقة : ٢٩٠ — ٢٩٢
(فرق) فرّق : ٣٥٢ ، ٣٥٥
يتفرقا : ٢٩٤
(فسق) فسق : ٥١٥
(نفق) المنافق : ٧
(وثق) ميثاق : ١٩ ، ٤١ ، ٣٦١ ، ٣٦٢
• • •
(بتك) بتك : ٢١٤
(درك) الدرك : ٣٣٧ — ٣٣٩
أدركه الموت : ١١٣
(شرك) أشرك : ٢٠٦
(شكك) شك : ٣٧٦
(مسك) أمسك عليك : ٥٦٦ ، ٥٧١
(هلك) هلك : ٤٣٠
• • •
(أكل) أكل أموال الناس : ٣٩٢
ما أكل السبع : ٥٠١

أكيلة السبع : ٥٠٢
(بخل) مبخلة : ٥٣٢
(بطل) الباطل : ٣٩٢
(بعل) بعل : ٢٦٧
(جدل) جادل : ١٩٠ ، ١٩٣
(حلل) حلّ : ٤٨١
أحلت : ٤٥٥
غير محلى الصيد : ٤٥٩
أحلّ : ٤٦٢
(حمل) احتمل : ١٩٧ ، ١٩٨
(حول) حال ، يحول ، استحال : ٣٢٦
(حيل) حيلة : ١٠١ ، ١١١
(خلل) خليل : ٢٥١
خلة : ٢٥١
(سبيل) سبيل : ٢٣ ، ١٠١ ، ١١١ ، ٢٠٤ ، ٣١٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٥ ، ٣٥٣ ، ٣٩١
سبيل الله : ١٧ ، ٧٠ ، ٨٥ ، ١١٢ ، ٤١٠
(ضلل) ضل ، ضلال : ٢٠٦ ، ٣١٤ ، ٤١٠
أضل ، يضل : ١٩٩ ، ٢١٣ ، ٣٣٥ ، ٤٤٥
(عدل) عدل ، يعدل : ٢٨٤ ، ٣٠٢ ، ٣٠٦
(عزل) اعتزل : ٢٣ ، ٢٩
(غفل) غفل يغفل : ١٦٢
(فضل) فضل : ٤٢٩ ، ٤٧١ ، ٤٨٠
فضل الله : ١٩٩ ، ٤٢٦
فضّل : ٩٥ ، ٩٦
(قتل) قتله علماً ويقيناً : ٣٧٧
(قلل) إلا قليلا : ٣٦٤
(قول) قيل ، قول : ٢٢٨
(كحل) كحيل : ٤٩٩
(كسل) كسالى : ٣٣٠
(كلل) كُلٌّ : ٩٦
الكلالة : ٤٣٠ — ٤٤٤
(كمل) أكملت لكم دينكم : ٥١٧
(ملل) ملة : ٢٥٠
(ميل) مال عليه ميلة : ١٦٢
مال كل الميل : ٢٨٤ — ٢٩٠
(هلل) أهل لغير الله به : ٤٩٣
استهلال الصبي : ٤٩٣
(وصل) وصل ، اتصل : ٢٠
(وكل) وكيل : ١٩٣ ، ٢٩٧ ، ٤٢٤

* * *

(أثم) إثم : ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٤٩٠ ، ٥٣٥
أثيم : ١٩٠
(ألم) ألمّ ، يألم : ١٧١ — ١٧٤
أليم : ٣١٨ ، ٣٩٢ ، ٤٢٧
(أمم) أمّ يؤم : ٤٧١
(بهم) بهيمة الأنعام : ٤٥٥ — ٤٥٧
(تمم) أتممت عليكم نعمتي : ٥٢١

(جرم) لا يجرمنّكم : ٤٨٣ — ٤٨٥
جرمني على كذا : ٤٨٣
(جهنم) جهنّم : ٥٧ ، ١٠١ ، ٢٠٥ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٣٢٢ ، ٤١١
(حرم) حُرُم : ٤٦٠
الشهر الحرام : ٤٦٥ ، ٤٦٦
البيت الحرام : ٤٧١
(حكم) حكم ، يحكم : ١٧٥ ، ٤٦٢
الحكمة : ٢٠٠
حكيم : ٥٦ ، ١٧٥ ، ١٩٦ ، ٢٩٤ ، ٣٧٨ ، ٤٠٨ ، ٤١٣
(خصم) خصيم : ١٧٦
(رحم) رحمة : ٩٩ ، ١٩٩ ، ٤٢٩
رحيم : ٩٩ ، ١١٣ ، ١٧٦ ، ١٩٤ ، ٢٩٣ ، ٣٥٥ ، ٥٣٧
(رغم) مراغم : ١١٢ ، ١١٩ — ١٢١
(زلم) زلم ، أزلام : ٥١٠
الاستقسام بالأزلام : ٥١٠ — ٥١٥
(سلم) ألقى السلم : ٢٣ ، ٢٩
أسلم وجهه : ٢٥٠
الإسلام : ٥٢٢ ، ٥٢٣
مسلّمة : ٤١
(صوم) صيام شهرين : ٥٥
(طعم) طعام أهل الكتاب : ٥٧٧ — ٥٨٠
(ظلم) ظلم : ٢٤٨ ، ٣٥٩ ، ٣٩١ ، ٤١١
ظلم نفسه : ١٠٠ ، ١٩٤
(عصم) اعتصم : ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٤٢٩
(عظم) عظيم : ٢٠٢ ، ٣٤١
عذاب عظيم : ٥٧
(علم) عليم : ٥٦ ، ١٧٥ ، ١٩٦ ، ٢٦٧ ، ٣٤٣ ، ٣٥٠ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤٤٦
تعليم الجوارح : ٥٥٢
(غنم) مغانم : ٧١
(قسم) استقسم : ٥١٠
(قوم) أقام الصلاة : ١٤١ ، ١٦٥
المقيمون الصلاة : ٣٩٣ — ٣٩٦
يوم القيامة : ١٩٣
قوّام : ٣٠١
صراط مستقيم : ٤٢٩
(كلم) كلمه تكليما : ٤٠٣
كلمة الله : ٤١٨
(نعم) نعم ، أنعام : ٢١٤ ، ٤٥٧
أتممت عليكم نعمتي : ٥٢١
(همم) همّ : ١٩٩
(يتم) اليتامى : ٢٦٤

* * *

(أمن) أمن : ٣٦
آمن : ٧٠ ، ٢٢٦ ، ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣٣٦ ، ٣٤٢ ، ٣٥٢ ، ٣٥٥ ، ٣٦٤ ، ٣٩٣ ، ٤١٢ ، ٤٢٢ ، ٤٢٩ ، ٤٣٦ ، ٤٤٩ ، ٤٦٢
الإيمان : ٥٢٣ ، ٥٩١ — ٥٩٤
مؤمن : ٢٤٨ ، ٣١٩ ، ٣٩٣ ، ٣٩٦

* * *

(بين) تبين : ٧٠ ، ٧١ ، ٨١ ، ٢٠٤ ، ٤٤٥
البينات : ٣٦٠
مبين : ٢٩ ، ٣٠ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٩٧ — ١٩٩ ، ٢٢٤ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٦٠ ، ٤٢٨
(جبن) مجبنة : ٥٣٢
(جنن) جنات : ٢٢٦
(حسن) أحسن : ٢٨٣
أحسن ديناً : ٢٥٠
الحسنى : ٩٦
محسن : ٢٥٠
(حصن) المحصنات : ٥٨١ — ٥٩٠
مُحصن : ٥٩٠
الإحصان : ٥٩٠
(خدن) خدن ، أخدان : ٥٩٠ ، ٥٩١
(خون) الخائن : ١٧٦
الخيانة : ١٨٩
اختان : ١٩٠
خوان : ١٩٠
(دهن) دهين : ٤٩٩
(دون) من دون : ٢٤٧ ، ٣١٩ ، ٣٣٦ ، ٤٢٧
(دين) دين : ٥٢٢
(طمن) اطمأن : ١٦٥
(ظن) ظن : ١٤ ، ٣٧٦
(عون) تعاون : ٤٩٠
(فتن) يفتن : ١٢٣
الفتنة : ٢٨
(كون) كان : ١٤ ، ٥٦ ، ٧١ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١١٣ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٩٢ ، ١٩٦ ، ٢٥٢ ، ٢٦٧ ، ٢٨٤ ، ٢٩٣ — ٢٩٥ ، ٢٩٨ ، ٣٠١ ، ٣١١ ، ٣٤٣ ، ٣٥١ ، ٣٧٨ ، ٤٠٨ ، ٤١٢
(لعن) لعن : ٥٧ ، ٢١٢ ، ٢١٣
(منن) منّ : ٧١ ، ٨٤
(هون) مهين : ١٦٣ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤
(وثن) وثن ، وُثن ، أثُن : ٢١٠
(وهن) وهن ، يهن : ١٧٠
(يقن) يقين : ٣٦٧

* * *

(بره) برهان : ٤٢٧
(شبه) شبه لهم : ٣٦٧ — ٣٧٦

* * *

(أتى) آتى : ٢٠٢ ، ٢٩٥ ، ٣٤١ ، ٣٥٥ ، ٣٦٠ ، ٣٩٩ ، ٤٠١
آتى الزكاة : ٣٩٩
(أذى) أذى : ١٦٣
(أوى) مأوى : ١٠١ ، ٢٢٥
(أبى) آيات الله : ٣٦٣
(بدا) أبدى : ٣٥٠
(بغى) ابتغى ، ابتغاء : ٧١ ، ١٧٠ ، ٢٠٢ ، ٣١٩ ، ٤٧١ ، ٤٨٠
(تلا) تلاه يتلوه : ٢٥٣ — ٢٦٣ ، ٤٥٧ — ٤٥٩
(جزا) جزى ، يجزى : ٢٣٥
جزاء : ٥٧
(خشى) خشى : ٥١٧
(خفى) أخفى : ٣٥٠ ، ٣٥١
استخفى : ١٩١
(دمى) الدم : ٤٩٢
(ذكى) ذكّى ، تذكية : ٥٠٢
(رأى) أراك الله : ١٧٥ ، ١٧٦
(ربا) الربا : ٣٩١
(رجا) رجا ، يرجو : ١٧١ — ١٧٥
(ردى) المتردية : ٤٩٨
(رضى) رضى : ٥٢٢
رضوان : ٤٧٢ ، ٤٨٠
مرضاة الله : ٢٠٢
(رمى) رمى به بريئا : ١٩٧
(سوى) سواء : ١٧
استوى : ٨٥
(صلا) أصلاه يصليه : ٢٠٥
(عدا) عدا ، يعدو : ٣٦١
العدوان : ٤٩٠
اعتدى : ٤٨٩
عدوّ : ٣٨ ، ١٢٣
(عسى) عسى : ١٠١
(عفا) عفا ، يعفو : ١٠١ ، ٣٥١ ، ٣٦٠
عفوّ : ١٠٢ ، ٣٥١
(غلا) غلا ، يغلو : ٤١٥ ، ٤١٦
(غنى) أغنى : ٢٩٤
غنى : ٢٩٦
(فأو) فئة : ٧
(فتى) استفتى : ٢٥٣ ، ٤٣٠
أفتى : ٢٥٣ ، ٤٣٠
(قضى) قضى الصلاة : ١٦٤
(كفى) كفى : ٢٩٧ ، ٤٠٩ ، ٤٢٤
(لقى) ألقى السلام : ٧٠
ألقى السلم : ٧٠ ، ٨١ ، ٨٢
ألقاها : ٤١٩
(لوى) لوى ، يلوى : ٣٠٦ — ٣١١
(منى) منّاه ، يمنّيه : ٢١٣ ، ٢٢٤
أمانى : ٢٢٨ — ٢٣٥
(نجا) نجوى : ٢٠١ ، ٢٠٤
(نهى) انتهى : ٤٢٣

(هدى) يهدى : ٣١٧ ، ٤١١ ، ٤٢٩
الهُدَى : ٢٠٤
الهَدْى : ٤٦٦
اهتدى : ١٠١
(هوى) الهوى : ٣٠٢
(وحى) أوحى : ٣٩٩
(ودى) دية : ٤١
(وصى) وصى : ٢٩٥
(وفى) أوفى : ٤٤٩ ، ٤٥٥
وَفَى : ٤٥٥
وفّى : ٤٢٦
توفاه الله : ١٠٠
(وقى) اتقى : ٢٨٣ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ ، ٤٩٠
التقوى : ٤٩٠
(ولى) ولىّ ، أولياء : ١٧ ، ١٨ ، ٢٢٤ ، ٢٤٧ ، ٣٣٦ ، ٤٢٧
أوْلَى : ٣٠٢
ولاّه : ٢٠٥
تولّى : ١٨ ، ٢٠٥

أعلام المترجمين فى التعليق

الأرقام فى هذا الفهرست هى أرقام الآثار ، لا الصفحات

أبان بن صالح بن عمير بن عبيد : ١١١٣٤

إبراهيم التيمى : ١٠٢٨٤

إبراهيم النخعى : ١٠١٥٤

إبراهيم بن أبى بكر المكى الأخنسى : ١٠٧٥٨ ، ١٠٧٥٩

إبراهيم بن أبى بكير (؟؟) : ١٠٧٥٨ ، ١٠٧٥٩

إبراهيم بن سعيد الجوهرى الطبرى (شيخ الطبرى) : ١٠٥٢٢ ، ١٠٨٨٥

إبراهيم بن شمر (أبى عبلة) بن يقظان الرملى : ١١٠١٤

إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف : ١٠٢٣٧

إبراهيم بن عبد الله بن قارظ القرشى الكنانى : ١٠٢٧٥

إبراهيم بن أبى عبلة (شمر) بن يقظان الرملى : ١١٠١٤

إبراهيم بن العلاء (أبو هرون الغنوى) : ١٠٨١٦

إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء ابن خارجة الفزارى (أبو إسحق الفزارى) ١١٢٨٥

الأبرش (محمد بن حرب الخولانى) :

ابن أبيرق (طعمة بن أبيرق) : ١٠٤٠٩ ، ١٠٤١٢

الأجلح بن عبد الله بن حجية الكندى (يحيى بن عبد الله) : ١٠٨٥٧

أبو أحمد الزبيرى : ١٠٢٦٠

أحمد بن بشير الكوفى : ١١٠٨٤

أبو أحمد بن جحش : ١٠٢٤٢

أحمد بن عبد الرحمن بن وهب المصرى : ١٠٣٣٠

أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم البرقى (ابن البرقى) : ١٠٢٠٧

أحمد بن منصور بن سيار بن المعارك الرمادى (شيخ الطبرى) : ١٠٢٦٠ ، ١٠٥٢١

ابن إدريس (عبد الله بن إدريس) :

أبو أسامة (حماد بن أسامة بن زيد)

أبو أسامة (حماد بن زيد بن أسامة)

أبو إسحق السبيعى : ١٠٢٣٣ ، ١٠٢٣٧ ، ١٠٢٤٩ ، ١٠٨٨٩

أبو إسحق الفزارى (إبراهيم بن محمد ابن الحارث بن أسماء بن خارجة)

إسحق بن إبراهيم بن الضيف (إسحق ابن الضيف) : ١٠١٠٥

إسحق بن الحجاج الطاحونى : ١٠٣١٤

إسحق بن خرشة (؟؟) ١١١٠٠
إسحق بن سليمان الرازى العبدى : ١٠٢٣٨ ، ١١٢٤٠
إسحق بن الضيف (إسحق بن إبراهيم ابن الضيف)
إسحق بن عيسى بن نجيح (أبو يعقوب) (ابن الطباع) : ١٠٨٩٠
إسحق بن قبيصة بن ذؤيب الخزاعى : ١١١٠٠
إسرائيل بن يونس بن أبى إسحق السبيعى : ١٠٢٤٩
ابن الإسلام (سلمان الخير الفارسى)
أسماء بنت مخربة : ١٠٠٨٩
أسماء بنت يزيد بن السكن الأشهلية الأنصارية (أم سلمة) : ١١١٠٧
إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم الأسدى (ابن علية) (أبو بشر) : ١٠٥٠٢ ، ١٠٨٦٧
إسماعيل بن إسرائيل الدلال الدملى : ١٠٢٣٦
إسماعيل بن صبيح اليشكرى : ١١١٥٨
إسماعيل بن عبد الله بن أويس بن مالك الأصبحى (ابن أبى أويس) ١٠٨٤٦
إسماعيل بن عمرو السكونى (أبو عامر) (شيخ الطبرى) : ١١١٠٧
إسماعيل بن عياش بن سلم العنسى (ابن عياش) : ١٠٣٧٥ ، ١٠٧٣٠ ، ١١١٠٨
أبو الأسود (؟؟) : ١١٢٥٥
أبو الأسود (محمد بن عبد الرحمن ابن نوفل)
الأسود بن عامر بن جوين الطائى : ص : ١٩١ ، تعليق : ٣
الأسود بن هلال المحاربى : ١٠٣٣١ ، ١٠٣٣٣
الأشجعى (عبيد الله بن عبيد الرحمن الأشجعى)
أشعث بن سليم بن أسود المحاربى (أشعث بن أبى الشعثاء) : ١٠٣٣١ ، ١٠٣٣٣
أشعث بن أبى الشعثاء (أشعث بن سليم بن أسود)
الأعمش (سليمان بن مهران)
أبو أمامة التيمى : ١٠٩٨٣
أبو أميمة التيمى : ١٠٩٨٣
ابن أنعم (عبد الرحمن بن زياد بن أنعم)
الأوزاعى : ١١١٢٥
ابن أبى أويس (إسماعيل بن عبد الله ابن أويس)
أبو إياس (معاوية بن قرة بن إياس المزنى)
أيوب بن عائذ بن مدلج الطائى : ١٠٣٣٨ ، ١٠٣٣٩

* * *

باذام (عبيد الله بن موسى بن أبى المختار)
الباقر ، أبو جعفر (محمد بن على بن الحسين)

بحر بن نصر بن سابق الخولانى : ١٠٥٨٨ ، ١٠٦٤٧
أبو البخترى (سعيد بن فيروز الطائى)
بدل بن المحبر بن المنبه التميمى اليربوعى : ١٠٤٢٦
البراء بن عازب : ١٠٢٣٣
ابن البرقى (أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم)
ابن بشر (محمد بن بشر بن الفرافصة)
أبو بشر (إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم) (ابن علية)
بشر بن معاذ : ١١٠٠٦
أبو بكر الحنفى (عبد الكبير بن عبد المجيد)
أبو بكر الصغانى (محمد بن إسحق ابن جعفر)
أبو بكر بن أبى الجهم (أبو بكر ابن عبد الله بن أبى الجهم)
أبو بكر بن أبى الجهم بن صخير : ١٠٣٣٤ ، ١٠٣٣٥
أبو بكر بن أبى زهير الثقفى : ١٠٥٢٣ — ١٠٥٢٨
بكر بن سوادة بن ثمامة الجذامى المصرى : ١٠٣٣٠
بكر بن الشرود : ١٠١٠٥ ، ١٠٣١٦
أبو بكر بن صخير (أبو بكر بن أبى الجهم)
أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام : ١٠٨٤٣
بكر بن عبد الله المزنى : ١١١٨٨
أبو بكر بن عبد الله بن أبى الجهم العدوى : ١٠٣٣٤
أبو بكر بن أبى الفرات (ابن أبى الفرات) (محمد بن دينار الأزدى)
أبو بكير (مرزوق التيمى)
بكير بن الأخنس : ١٠٣٣٦ ، ١٠٣٣٧
بكير بن الأشج (بكير بن عبد الله ابن الأشج)
بكير بن عبد الله بن الأشج : ١١١٩٥

* * *

أبو التياح (يزيد بن حميد الضبعى) التيمى (إبراهيم)

* * *

ثعلبة بن زهدم الحنظلى اليربوعى : ١٠٣٣١ ، ١٠٣٣٣
أبو ثور الشامى (عمرو بن قيس بن ثور)

* * *

جابر ، الجعفى (جابر بن يزيد بن الحارث)
جابر بن يزيد بن الحارث الجعفى : ١٠١٨٢ ، ١٠٨٨٨
جبلة بن سحيم : ١٠٢٥٨
ابن جدعان (على بن زيد)
جُرْز بن جابر الخثعمى : ١٠٨٤٣
جرو بن جابر الخثعمى : ١٠٨٤٣
جرير بن عبد الحميد الضبى : ١٠٩٧٠
جريز بن جابر الخثعمى : ١٠٨٤٣

جزء بن جابر الخثعمي : ١٠٨٤٣ ، ١٠٨٤٥
جزئ بن جابر الخثعمي : ١٠٨٤٣
أبو جعفر الباقر (محمد بن على بن الحسين)
جعفر الصادق (جعفر بن محمد بن على بن الحسين)
جعفر بن سليمان الضبعى : ١٠٤٥٣
جعفر بن محمد البزورى (شيخ الطبرى) : ١٠٨٥٧
جعفر بن محمد الواسطى الوراق : ١٠٨٥٧
جعفر بن محمد بن على بن الحسين ابن على بن أبى طالب (جعفر الصادق) : ١١٠٣٨

* * *

الحارث بن أبى أسامة (الحارث بن محمد بن أبى أسامة)
الحارث بن عوف (أبو واقد الليثى) : ١١١٢٥
الحارث بن مالك (أبو واقد الليثى) : ١١١٢٥
الحارث بن محمد بن أبى أسامة (الحارث بن أبى أسامة) : ١٠٢٩٥ ، ١٠٣١٥ ، ١٠٣٥٨ ، ١٠٣٦٠ ، ١٠٥٥٣
الحارث بن يزيد بن أنيسة : ١٠٩١
حبان بن أبى جبلة القرشى : ١٠١٨٠
حبيب بن أبى ثابت الأسدى : ١٠٤٢٣
حبيب بن أبى عمرة القصاب ، اللحام (أبو عبد الله الحمانى) : ١٠٢٢٤
أبو خثمة الأنصارى : ١٠٣٤٥
حجاج بن أرطأة : ١٠١٣٨
أبو حجية (الأجلح بن عبد الله)
ابن أبى حدرد (عبد الله بن أبى حدرد) : ١٠٢١٢ ، ١٠٢١٣
حدير بن كريب الحضرمى ، الحميرى (أبو الزاهرية) : ١١٢٥٥
حسان بن عطية المحاربى : ١١١٢٥
الحسن بن أحمد بن أبى شعيب عبدالله ابن مسلم الأموى (أبو مسلم الحرانى) : ١٠٤١١
الحسن بن مسروق (؟؟) : ١٠٨٨٨
الحسين بن الفرج (؟؟) : ١٠٥٧٤
حصين بن جندب (أبو ظبيان) : ١٠٦٨٣
الحصين بن أبى الحر (الحصين بن مالك بن الخشخاش)
حصين بن عبد الرحمن السلمى : ١٠٢٤٥
الحصين بن مالك بن الخشخاش العنبرى (الحصين بن أبى الحر) : ١٠٥٧٤
الحطم (شريح بن ضبيعة بن شرحبيل)
حكام بن سلم الكنانى : ١١١٠١
الحكم بن عتيبة : ١١٠٨٥
الحكم بن عطية العيشى : ١٠٨٢٥
حماد بن أسامة بن زيد (أبو أسامة)
(حماد بن زيد بن أسامة) : ١٠٠٥٠ ، ١٠٨٤٣ ، ١٠٨٨٩
حماد بن زيد بن أسامة (أبو أسامة) :

(حماد بن أسامة بن زيد) :
١٠٠٥٠ ، ١٠٨٤٣ ، ١٠٨٨٩
الحمانى (حبيب بن أبى عمرة)
أبو حمزة ، السكرى (محمد بن ميمون)
حميد بن عبد الله بن مالك (حميد بن مالك بن خثيم) : : ١١١٩٥ ، ١١٢٠٧ ، ١١٢٠٨
حميد بن مالك بن خثيم الدؤلى (حميد ابن عبد الله بن مالك) : ١١١٩٥ ، ١١٢٠٧ ، ١١٢٠٨
حميد بن مسعدة السامى : ١٠٥٥٩
حنش بن عبد الله السبائى الصنعانى : ١١١٠٩
أبو حيان (يحيى بن سعيد التيمى)

* * *

أبو خالد الأحمر (سليمان بن حيان)
خالد بن خداش بن عجلان المهلبى : ١٠٢٧٠
خالد بن أبى عمران التجيبى : ١١١٠٩
خالد بن قيس بن رباح الأزدى الحدانى : ١٠٤٨٤
ابن خرشة (عثمان بن إسحق بن خرشة القرشى)
الخشف بن مالك الطائى : ١٠١٣٨
الخصيب بن زيد التيمى : ١١١٢٦
خصيف بن عبد الرحمن الجزرى : ١٠٣٥٥
خوات بن جبير : ١٠٣٤٥
خيثمة بن عبد الرحمن بن أبى سبرة الجعفى : ١١١٤٥ ، ١١١٤٦
أبو الخير (مرثد بن عبد الله اليزنى)

* * *

أبو داود الطيالسى : ١٠٠٤٩
داود بن عمر بن الفرات الكندى (داود بن أبى الفرات) : ١١١٩٤
داود بن أبى الفرات (داود بن عمر ابن الفرات)
أبو الدرداء : ١١٢٥٥

* * *

ذرّ بن عبد الله المرهبى : ١٠٧١٤ — ١٠٧١٧
ذكوان السمان (أبو صالح) : ١٠٦٧٦

* * *

أبو رافع ، مولى رسول الله : ١١١٣٤
الربيع بن روح الحضرمى الحمصى (أبو روح) : ١٠٧٣٠
الربيع بن زياد بن أنس الحارثى : ١٠٥٠٧ ، ١٠٥٠٨
الربيع بن صبيح السعدى : ١٠٥٣٣
أبو رجاء (محمد بن سيف الحدانى)
رجاء بن أبى سلمة مهران (أبو المقدام) ١١١٠٠
رضيع عائشة (عبد الله بن يزيد)
ركين بن الربيع بن عميلة الفزارى : ١٠٣٣٢
الرمادى (أحمد بن منصور بن سيار)
أبو روح (عبد العزيز بن موسى ابن روح اللاحونى)
أبو روح الحضرمى (الربيع بن روح الحمصى)

أبو روح المدنى (يزيد بن رومان)
روح بن عبادة القيسى : ١٠٥٣٠

* * *

أبو الزاهرية (حدير بن كريب الحضرمى)
أبو الزبير المكى (محمد بن مسلم ابن تدرس)
زريق بن السخت (شيخ الطبرى) : ١٠٠٥١
زكريا بن أبى زائدة : ١٠٨٨٩
زياد بن أبى زياد الجصاص : ١٠٥٢٢
زياد بن فياض الخزاعى : ١٠٢٥٠
زيادة بن نافع التجيبى المصرى : ١٠٣٣٠
زيد بن أخزم الطائى النبهانى : ١٠٦٠٨
زيد بن جبير الطائى : ١٠١٣٨
زيد بن حباب العكلى : ١٠٥٢١ ، ١١١٣٤
زيد بن الصامت (أبو عياش الزرقى) : ١٠٣١٤ ، ١٠٣٢٣ ، ١٠٣٢٤ ، ١٠٣٧٨

* * *

سالم بن أبى الجعد : ١٠٨٧٧ ، ١٠٨٨٤
سالم بن نوح العطار : ١١٢٠١
سعد (؟؟) : ١١١٨٧
سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف : ١٠٢٣٧
سعد بن أبى وقاص : ١١١٨٧
أبو سعيد البصرى (سليمان بن المغيرة القيسى)
سعيد بن الحكم بن محمد بن سالم الجمحى (ابن أبى مريم) : ١٠٢٠٧
سعيد بن الربيع الرازى : ١٠٢١٦
سعيد بن سنان البرجمى (أبو سنان الشيبانى ، الأصغر) : ١٠٢٣٨ ، ١١٢٤٠
سعيد بن عبيد الهنائى : ١٠٣٤٢
سعيد بن أبى عروبة : ١١١٨٧
سعيد بن فيروز الطائى (أبو البخترى) ١١٢٣٣
سعيد بن المسيب : ١١١٨٧
سعيد بن يحمد الثورى (أبو السفر) : ١٠٨٧٢
أبو السفر (سعيد بن يحمد الثورى)
سفيان الثورى : ١٠١٨٢ ، ١٠٢٥٨
سفيان بن حسين بن الحسن الواسطى : ١٠٧٢٣ ، ١١٢٨٥
سكين بن أبى سكين اليهودى : ١٠٨٤٠
سلافة بنت سعد بن شهيد الأنصارية ص : ١٨٠ ، تعليق : ٣
سلامة القس : ١٠٣١٠
سلمى ، أم رافع : ١١١٣٤
سلمان الخير الفارسى (ابن الإسلام) : ١١١٨٧
أبو سلمة العبدى (عمر بن الوليد الشنى)

أم سلمة (أسماء بنت يزيد بن السكن)
أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف : ١٠٨٨٩
سليمان اليشكرى (سليمان بن قيس)
سليمان بن بلال التيمى القرشى : ١٠٨٤٦
سليمان بن حرب : ١٠٥٠٩
سليمان بن حرب من بجيل الأزدى : ١٠٥٠٩
سليمان بن حيان الأزدى (أبو خالد الأحمر) : ١٠١٨٩
سليمان بن قيس اليشكرى (سليمان اليشكرى) : ١٠٣٢٥
سليمان بن المغيرة القيسى (أبو سعيد البصرى) : ١١٢٨٩
سليمان بن مهران (الأعمش) : ١٠٥٢٩
سمرة بن جندب بن هلال الفزارى : ١١٢٨ — ١١١٣٠
أبو السنابل بن بعكك بن الحارث ابن عميلة بن السباق القرشى : ١٠٦٠١
أبو سنان الشيبانى ، الأصغر (سعيد ابن سنان)
أبو سنان الشيبانى ، الأكبر (ضرار ابن مرة)
أبو سهل الكوفى (محمد بن سالم الهمدانى)
سهل بن أبى حثمة الأنصارى : ١٠٣٤٥ — ١٠٣٥٢
سهل بن يوسف الأنماطى : ١٠٦٤٨
سهيل بن أبى صالح ذكوان السمان: ١٠٦٧٦

* * *

شبابة بن سوار : ١٠٠٥١
شبيل بن عزرة بن عمير الضبعى : ١٠٤٥٣
شريح بن ضُبيعة بن شرحبيل بن عمرو بن مرثد(الحُطَم) :١٠٩٥٨، ١٠٩٥٩
الشعبى (عامر)
أبو شعيب (عبد الله بن الحسن بن أحمد بن أبى شعيب)

* * *

أبو صالح (ذكوان السمان)
صالح بن رستم المزنى (أبو عامر الخزاز) : ١٠٥٣٠ ، ١٠٥٣٢

* * *

ضرار بن مرة (أبو سنان الشيبانى الأكبر) : ١٠٢٣٨
ضمرة بن العيص بن زنباع : ١٠٢٨٢

* * *

ابن الطباع (أبو يعقوب) إسحق بن عيسى بن نجيح)
طلحة بن أبى طلحة ص : ١٨٠ ، تعليق : ٣
طلحة بن مصرف الإيامى : ١١١٤٥، ١١١٤٦

* * *

أبو ظبيان (حصين بن جندب)
* * *
أبو عازب (مسلم بن عمرو) (مسلم ابن أراك)
العاص بن منبه بن الحجاج : ١٠٢٦٤ ، ١٠٢٦٦
أبو عاصم (عمران بن محمد الأنصارى)
أبو عامر (إسماعيل بن عمرو السكونى) (شيخ الطبرى)
أبو عامر الخزاز (صالح بن رستم المزنى)
أبو عامر الراهب ص : ٣٢٩ ، تعليق : ٢
عامر الشعبي : ١١١٥٨
عامر بن جوين الطائى ص : ١٩١ ، تعليق : ٣
عباد بن راشد التميمى البزار : ١١٠٦٠
عبادة بن نسىّ الكندى : ١١٠٩٦ ، ١١١٠٠
العباس بن الوليد بن مزيد الآملى (شيخ الطبرى) : ١١٠١٤
عبد الأعلى بن واصل بن عبد الأعلى ابن هلال الأسدى (شيخ الطبرى) : ١١١٢٥
عبد الجبار بن الورد بن أغرّ بن الورد المخزومى : ١٠٤٥٥
عبد الحميد بن بيان القناد السكرى : ١٠١٥٤
أبو عبد الرحمن (؟؟) : ١٠٢٥٠
أبو عبد الرحمن المقرئ (عبد الله بن يزيد)
عبد الرحمن بن أنعم (عبد الرحمن بن زياد بن أنعم) (ابن أنعم)
عبد الرحمن بن زياد بن أنعم بن ذرى ابن يحمد : (عبد الرحمن بن أنعم) (ابن أنعم) : ١٠١٨٠
عبد الرحمن بن سعد (عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد بن عثمان الرازى)
عبد الرحمن بن عبد الله بن أويس الأصبحى : ١٠٨٤٦
عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد بن عثمان الرازى (عبد الرحمن بن سعد) : ١٠٦٦٦
عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى عمار القرشى : (القس) (ابن أبى عمار) : ١٠٣١٠
عبد الرحمن بن عسيلة بن عسل بن العسال المرادى (أبو عبد الله الصنابحى) : ١١٠١٤
عبد الرحمن بن محمد بن زياد المحاربى (المحاربى) ١٠٢١٣ ، ١٠٣٣٨ ، ١٠٣٣٩
عبد الرحمن بن يحيى (؟؟) : ١٠١٨٠
عبد الصمد بن النعمان البزار : ١٠٨٧٢
عبد العزيز بن أبان الأموى : ١٠٢٩٥ ، ١٠٣١٥ ، ١٠٣٥٨ ، ١٠٣٦٠ ، ١٠٥٥٣
عبد العزيز بن محمد بن عبيد بن أبى عبيد الدراوردى : ١٠٦٧٦
عبد العزيز بن موسى بن روح اللاحونى (أبو روح) : ١١٢١١

عبد القدوس بن الحجاج الخولانى (أبو المغيرة الحمصى) : ١٠٣٧١
عبد الكبير بن عبد المجيد الحنفى (أبو بكر) : ١٠٣١٧
أبو عبد الله الصنابحى (عبد الرحمن ابن عسيلة بن عسل)
أبو عبد الله الطحان (محمد بن عقبة ابن المغيرة)
عبد الله بن إبراهيم بن قارظ الكنانى القرشى : ١٠٢٧٥
عبد الله ابن إدريس الأودى : ١٠٣١٠
عبد الله بن بابيه (باباه) : ١٠٣١٠
عبد الله بن بكر بن حبيب السهمى ١٠٨٨٥
عبد الله بن جحش : ١٠٢٤٢
عبد الله بن أبى حدرد : ١٠٢١٢ ، ١٠٢١٣
ابن عبد الله بن أبى حدرد : ١٠٢١٢ ١٠٢١٣
عبد الله بن الحسن بن أحمد بن أبى شعيب الأموى (أبو شعيب) : ١٠٤١١
عبد الله بن زائدة (عبد الله بن أم مكثوم) : ١٠٢٣٥
عبد الله بن أبى زياد القطوانى : ١٠٥٢٠ ، ١٠٥٢١
عبد الله بن شقيق العقيلى : ١٠٣٤٢
عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله بن أبى مليكة (ابن أبى مليكة) : ١٠٥٣٠
عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم : ١٠٣٥٢ ، ١٠٣٥٣
عبد الله بن عون بن أرطبان : ١٠٥٥٩
عبد الله بن لهيعة : ١٠٨٩٠، ١١١٠٩
عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق (ابن أبى عتيق) : ١٠٣١٧
عبد الله بن محمد بن المغيرة الكوفى : ١٠٢٣٦
عبد الله بن محيريز (ابن محيريز) : ١٠٢٥٨
عبد الله بن مسعود : ١٠٣٥٥
عبد الله بن مغفل المزنى : ١٠٤٢٣
عبد الله بن أم كلثوم (ابن أم كلثوم) (عبد الله بن زائدة) : ١٠٢٣٥
عبد الله بن وهب : ١٠٣٣٠
عبد الله بن يزيد (رضيع عائشة) : ١٠٦٥٧
عبد الله بن يزيد الخطمى : ١٠٠٥١، ١٠٦٥٧
عبد الله بن يزيد العدوى المقرئ (أبو عبد الرحمن المقرئ) : ١٠٢٦١ ، ١٠٢٦٢
عبد الملك بن الحسن بن أبى حكيم الحارثى : (أبو مروان الأحول) : ١٠٥٢١
عبد الملك بن حميد بن أبى غنية الخزاعى (ابن أبى غنية) : ١٠٥٩٧ ، ١١٠٨٥

عبد الواحد بن زياد العبدى : ١٠٣٥٥
عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى : ١٠٧٢٨ ، ١٠٧٢٩
عبد الوهاب بن عطاء الخفاف : ١٠٥٢٢
عبد ربّه بن سعيد بن قيس بن عمرو الأنصارى : ١١١٩٦
عبد ربّه بن أبى يزيد : ١٠١٤٢
عبيد بن إسماعيل الهبارى (عبيد الله) : ١٠٣١٠
عبيد الله بن إسماعيل الهبارى (عبيد ابن إسماعيل) : ١٠٣١٠
عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود : ١٠٣٣٤
عبيد الله بن عبيد الرحمن الأشجعى : ١٠٢٥٨
عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم : ١٠٣٥٢ ، ١٠٣٥٣ ، ١٠٧٢٨ ، ١٠٧٢٩
عبيد الله بن عمرو الرقى الجزرى (أبو وهب) : ١٠٣٧٥
عبيد الله بن موسى بن أبى المختار العبسى (باذام) : ١٠٨٩٧ ، ١٠٩٣٥
عبيدالله بن أبى يزيد المكى : ١٠٢٧٤
أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود : ١٠٣٥٥
عتبة بن سعيد الحمصى : ١٠٩١٢
ابن أبى عتيق (عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر) (محمد ابن عبد الله بن محمد بن عبدالرحمن)
عثمان بن إسحق بن خرشة القرشى (ابن خرشة) : ١١١٠٠
عثمان بن إسحق بن عبد الله بن أبى خرشة : ١١١٠٠
ابن عثمة (محمد بن خالد بن عثمة)
أبو عثمة (محمد بن خالد بن عثمة)
عدى بن ثابت (؟؟) : ١٠٨٤٠
عدىّ بن ثابت الأنصارى : ١٠٠٥١
عدى بن حاتم : ١١١٥٦
عدى بن زيد اليهودى : ١٠٨٤٠
أبو عصمة القرشى (نوح بن أبى مريم)
عطاء بن أبى رباح : ١٠٥٣٣
عقبة بن علقمة بن حديج المعافرى : ١١٠١٤
عكرمة (براءته من رأى الخوارج) : ١٠٢٦١ ، ١٠٢٦٢ ، ١٠٤٥٥ ، ١٠٤٦٩
على بن الحسن بن شقيق : ١٠٨٨٨
على بن الحسين الأزدى (شيخ الطبرى) : ١٠٢٨٥
على بن رباح (أبو موسى) : ١٠٣٤١
على بن زيد بن عبد الله بن أبى مليكة التيمى : (ابن جدعان) : ١٠٢٧٥ ، ١٠٥٢٢
على بن سعيد بن مسروق الكندى : ١١٢٣٣
على بن عابس الأسدى : ١١٢٣٣

علي بن عويمر الأسلمي : ١٠٠٥٢
ابن علية (أبو بشر) (إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم)
ابن أبي عمار (عبد الرحمن بن عبدالله ابن أبي عمار) (القس)
أبو عمارة (محمد بن شريك المكي)
أبو عمر ، النضر (نضر بن عبدالرحمن)
عمير بن بشير الهمداني (أبو هانئ) : ١١١٥٨
عمر بن حمزة بن عبد الله بن عمر بن الخطاب : ١٠٨٤٤
عمر بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي القرشي : ١٠٥٢٠
عمر بن الوليد الشني (أبو سلمة العبدي) : ١١١٨٥
عمران بن بكار الكلاعي : ١٠٣٦٧ ، ١٠٣٧٥ ، ١٠٧٣٠ ، ١١٢١١
عمران بن عيينة بن أبي عمران الهلالي : ١٠٥٨٠
عمران بن محمد الأنصاري (أبو عاصم) (شيخ الطبري) : ١٠٣١٧
عمرو بن الأسود (عمير بن الأسود) : ١١٢٥٥
عمرو بن الأسود السكوني : ١١٢٥٥
عمرو بن الأسود القيسي : ١١٢٥٥
عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصاري : ١٠٣٣٠
عمرو بن عامر السلمي : ١١٢٠١
عمرو بن عبد الحميد الآملي (شيخ الطبري) : ١٠٣٧٨
عمرو بن عون بن أوس الواسطي : ١٠٩٦٢
عمرو بن قيس بن ثور بن مازن السكوني (أبو ثور) : ١١١٠٨
عمرو بن معاوية (معاوية بن عمرو) (أبو المهلب) : ١٠٥٠٩
عمرو بن أم مكتوم (ابن أم مكتوم) (عبد الله بن زائدة) : ١٠٢٣٥
عمير بن الأسود العنسي (عمرو بن الأسود) : ١١٢٥٥
عنبسة بن سعيد بن الضريس الأسدي ١١١٠١
عنترة بن عبد الرحمن (أبو وكيع) : ١١٠٨٣ ، ١١٠٨٤
العوام التيمي (؟؟) : ١٠٢٨٤
العوام بن حوشب الشيباني : ١٠٢٨٤
أبو عوانة (الوضاح بن عبد الله اليشكري)
عوف بن الحارث بن أسد (أبو واقد الليثي) : ١١١٢٥
ابن عياش (إسماعيل بن عياش بن سلم الحمصي)
أبو عياش الزرقي (زيد بن الصامت)
أبو عياض المدني : ١٠١٤٢
عيسى بن جارية الأنصاري : ١١١٠١
عيسى بن يونس بن أبي إسحق السبيعي : ١١١٥٦
العيص بن ضمرة بن زنباع : ١٠٢٨٢

* * *

الغافقي (مالك بن عبادة)

ابن أبي غنية (عبد الملك بن حميد ابن أبي غنية) (يحيي بن عبد الملك ابن حميد)

* * *

ابن أبي الفرات (أبو بكر بن أبي الفرات) (محمد بن دينار الأزدى)
الفزارى (أبو إسحق الفزارى)
الفضل بن زياد الطساس البغدادى : ١٠٠٤٩
الفضل بن زياد الواسطى : ١٠٠٤٩
الفضل بن الصباح : ١٠٨٦٩
الفلتان بن عاصم الجرمى : ١٠٢٣٨

* * *

قابوس بن أبي ظبيان الجنبي : ١٠٦٨٣
القاسم بن بشر أحمد بن معروف البغدادى (شيخ الطبرى) : ١٠٥٠٩ ، ١٠٥٣١
القاسم بن بشر بن معروف (القاسم ابن بشر بن أحمد بن معروف)
القاسم بن حسان العامرى : ١٠٣٣٢
القاسم بن مالك المزنى : ١٠٣٣٩
قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة الخزاعى : ١٠٢٤٠ ، ١١١٠٠
القسّ (عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار)
ابن القعقاع : ١٠٢١٢ ، ١٠٢١٣
أبو القعقاع (عبد الرحمن عبد الله بن أبي حدرد)
القعقاع بن أبي حدرد الأسلمى : ١٠٢١٢ ، ١٠٢١٣
القعقاع بن حكيم الكنانى : ١١١٣٤
القعقاع بن عبد الله بن أبي حدرد : ١٠٢١٢
قيس بن الربيع : ١٠١٨٢ ، ١٠٢٩٥
أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة : ١٠٢٦٤ ، ١٠٢٦٦
أبو قيس بن الوليد بن المغيرة : ١٠٢٦٤ ، ١٠٢٦٦

* * *

كعب الأحبار : ١١٠٩٦
كعب الأقطع : ١٠٣٣٠

* * *

ابن لهيعة (عبد الله بن لهيعة)

* * *

مؤمل بن هشام اليشكرى (أبو هشام) : ١٠٨٦٧
مازن بن خيثمة : ١١١٠٨
مالك بن عبادة الغافقى (أبو موسى) : ١٠٣٤١
مالك بن مغول : ١٠٨٧٢
المثنى بن إبراهيم : ١٠٣١٤
مجالد بن سعيد بن عمير الهمدانى : ١١١٥٦
المحاربى (عبد الرحمن بن محمد بن زياد)
محمد الباقر (محمد بن على بن الحسين)
محمد بن إسحق بن جعفر (أبو بكر الصغانى) : ١٠٨٤٣

محمد بن إسحق بن أبي سارة الرؤاسي : ١٠٧٩٣
محمد بن بشر بن الفرافصة العبدى (ابن بشر) : ١٠٢٣٦
محمد بن بكر بن عثمان البرسانى : ١٠٦٥١
محمد بن حرب الخولانى (الأبرش) : ١١١٠٩
محمد بن خالد بن خداش المهلبى : ١٠٢٧٠
محمد بن خالد بن عثمة (ابن عثمة) (أبو عثمة) : ١٠١٤٢
محمد بن خلف بن عمار العسقلانى (شيخ الطبرى) : ١٠٨٧٢
محمد بن دينار الأزدى الطاحى (ابن أبى الفرات) (أبو بكر بن أبى الفرات) : ١١٢١١
محمد بن زيد بن على الكندى ، العبدى : ١١١٩٤
محمد بن زيد بن قنفذ (محمد بن زيد ابن المهاجرين قنفذ)
محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ الجدعانى : ١٠٥٢١
محمد بن سالم الهمدانى (أبو سهل الكوفى) : ١١١٨٢
محمد بن سيف الحدانى (أبو رجاء) : ١٠٤٣٨ ، ١٠٤٣٩
محمد بن شريك المكى (أبو عمارة) : ١٠٢٦٠
محمد بن عبد الرحمن بن نوفل الأسدى (يتيم عروة) (أبو الأسود) : ١٠٢٦١ ، ١٠٢٦٢
محمد بن عبد الله بن بزيع : ١٠٢٣٩
محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق (ابن أبى عتيق) : ١٠٣١٧، ١٠٨٤٦
محمد بن أبى عتيق (محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن)
محمد بن عقبة بن المغيرة الشيبانى (أبو عبد الله الطحان) : ١١٢٨٥
محمد بن على بن الحسن بن شقيق : ١٠٨٨٨
محمد بن على بن الحسين بن على ابن أبى طالب (محمد الباقر) (أبو جعفر الباقر) : ١٠٣٩٤، ١١٠٣٨
محمد بن القاسم الأسدىّ : ١١١٢٥
محمد بن قيس بن مخرمة بن المطلب : ١٠٥٢٠
محمد بن المثنى : ١٠٣١٤
محمد بن مسلم بن تدرس (أبو الزبير المكى) : ١٠٣٧٥ ، ١٠٨٦٧
محمد بن المنكدر : ١٠٨٦٩
محمد بن أبى موسى : ١٠٥٥٦
محمد بن ميمون السكرى (أبو حمزة) : ١٠٨٨٨
محمد بن هرون الربعى الحربى (أبو نشيط) : ١٠٣٧١
ابن محيريز (عبد الله بن محيريز)
ابن محيصن (عمر بن عبد الرحمن ابن محيصن)

مخرمة بن بكير بن عبد الله بن الأشج : ١١١٩٥
مرثد : ١١١٢٥
ابن مرثد : ١١١٢٥
أبو مرثد : ١١١٢٥
مرثد بن عبد الله اليزنى المصرى (أبو الخير) : ١٠٨٩٠
مرزوق التيمى (أبو بكير) : ١٠٧٥٨ ، ١٠٨٥٩
أبو مروان الأحول (عبد الملك ابن الحسن بن أبى حكيم)
ابن أبى مريم (سعيد بن الحكم ابن محمد بن سالم الجمحى)
مسروق بن الأجدع الهمدانى : ١٠٥٢٩ ، ١٠٨٨٨
أبو مسلم الحرانى (الحسن بن أحمد ابن أبى شعيب)
مسلم بن أراك (أبو عازب) : ١٠١٨٢
مسلم بن صبيح الهمدانى : ١٠٥٢٩
مسلم بن عمرو (أبو عازب) : ١٠١٨٢
مصعب بن سلام التميمى : ١١٠٣٨
مصعب بن المقدام الخثعمى : ١٠٨٧٣
معاذ بن معاذ بن نصر بن حسان العنبرى : ١٠٤٨٢
معاوية بن صالح بن حدير الحضرمى الحمصى : ١١٢٥٥
معاوية بن عمرو (عمرو بن معاوية) (أبو المهلب) : ١٠٥٠٩
معاوية بن قرة بن إياس المزنى (أبو إياس) : ١١٢١١
أبو المعلى ، العطار (يحيى بن ميمون الضبى)
المعلى بن أسد العمى : ١١٢٤٩
معمر الرقى (معمر بن سليمان النخعى)
معمر بن سام (معمر بن سام ابن موسى) (معمر بن يحيى ابن سام)
معمر بن سام بن موسى : ١٠٣٩٤
معمر بن سليمان النخعى (معمر الرقى) : ١١١٦٣
معمر بن يحيى بن سام (معمر ابن سام) : ١٠٣٩٤ ، ١٠٣٩٦
أبو المغيرة الحمصى (عبد القدوس ابن الحجاج)
أبو المقدام (رجاء بن أبى سلمة مهران)
مقيس الفهرى ، السهمى : ١٠١٨٦
ابن أم مكتوم (عمرو بن أم مكتوم) (عبد الله بن أم مكتوم)
ابن أبى مليكة (عبد الله بن عبيد الله ابن عبد الله بن أبى مليكة) (على ابن زيد بن عبد الله بن أبى مليكة)
منذر الثورى (منذر بن يعلى الثورى)
منذر بن يعلى الثورى : ١٠٨٣٩
أبو المهلب (معاوية بن عمرو) (عمرو بن معاوية) : ١٠٥٠٩
أبو موسى (على بن رباح)
أبو موسى (مالك بن عبادة الغافقى)

موسى بن داود الضبى الطرسوسى : ١٠١٩٠
موسى بن عبيدة بن نشيط الربذىّ : ١١١٣٤

* * *

أبو نشيط (محمد بن هرون)
نصر بن عبد الرحمن الأزدى : ١٠٣٣٨ ، ١٠٣٣٩
نصر بن على الجهضمى : ١٠٢٣٣ ، ١٠٥٢٠
النضر ، أبو عمر (نضر بن عبد الرحمن)
نضر بن عبد الرحمن الخزاز (النضر ، أبو عمر) : ١٠٣٧٣
نعيم بن سلامان الأزدى : ١١٠١٤
نعيم بن سلامة الأزدى : ١١٠١٤
نوح الجامع (نوح بن أبى مريم)
نوح بن قيس بن رباح الحدانى : ١٠٤٨٤
نوح بن أبى مريم (نوح الجامع) (أبو عصمة القرشى) : ١٠٨٤٢
نوح بن أبى هند (؟ ؟) : ١٠٨٤٢

* * *

أبو هرون الغنوى (إبراهيم بن العلاء)
هرون بن إدريس الأصم (شيخ الطبرى : ١٠٢١٣
هرون بن إسحق الهمدانى (شيخ الطبرى) : ١٠٨٧٣
هرون بن عنترة بن عبد الرحمن (هرون ابن أبى وكيع) : ١١٠٨٣ ، ١١٠٨٤
هرون بن أبى وكيع (هرون بن عنترة ابن عبد الرحمن)
أبو هاشم الرمانى الواسطى (يحيى ابن دينار) (يحيى بن الأسود) (يحيى بن أبى الأسود) (يحيى ابن نافع)
أبو هانئ (عمر بن بشير الهمدانى)
أبو هاشم (مؤمل بن هشام اليشكرى)
هشام بن حسان القردوسى : ١٠٢٥٨
هشام بن عمار بن نصير السلمى (أبو الوليد الدمشقى) : ١١١٠٨
هلال بن عويمر الأسلمى : ١٠٠٥٢
همام بن يحيى بن دينار الأزدى : ١٠١٩٠
هناد بن السرى بن مصعب الدارمى : ١١١٥٦
هياج بن بسطام الهروى : ١٠٢٠٦
الهيثم بن حبيب الصيرفى (الهيثم ابن أبى الهيثم): ١١١٤٥ ، ١١١٤٦
الهيثم بن أبى الهيثم (الهيثم بن حبيب)

* * *

واصل بن حيان الأحدب : ١٠٣١٥
أبو واقد الليثى (الحارث بن مالك) (الحارث بن عوف) (عوف ابن الحارث بن أسد) : ١١١٢٥
الوضاح بن عبد الله اليشكرى (أبو عوانة) : ١٠٣٣٦، ١٠٣٣٧
أبو وكيع (عنترة بن عبد الرحمن)
أبو الوليد الدمشقى (هشام بن عمار ابن نصير)

الوليد بن مسلم : ١١١٢٥
أبو وهب (عبيد الله بن عمرو الرقى)

* * *

يتيم عروة (محمد بن عبد الرحمن ابن نوفل)
يحيى الجابر (يحيى بن المجبرّ) (يحيى بن عبد الله بن الحارث ابن المجبر)
يحيى بن الأسود (. . . أبى الأسود) (أبو هاشم الرمانى) : ١٠٨١٨
يحيى بن دينار (أبو هاشم الرمانى) ١٠٨١٨
يحيى بن سعيد القطان : ١٠٣٥٠
يحيى بن سعيد اليتمى (أبو حيان) : ١٠٨٨٣
يحيى بن صالح الوحاظى : ١٠٣٧٥
يحيى بن عبد الله بن الحارث بن المجبر التيمى(يحيى بن المجبر) (يحيى الجابر): ١٠١٨٨ ، ١٠١٨٩ ، ١٠١٩٠
يحيى بن عبد الله بن حجية الكندى (الأجلح) : ١٠٨٥٧
يحيى بن عبد الملك بن حميد ابن أبى غنية (يحيى بن أبى غنية) : ١٠٥٩٧ ، ١١٠٨٥
يحيى بن أبى غنية (يحيى بن عبد الملك ابن حميد)
يحيى بن المجبر (يحيى بن عبد الله ابن الحارث بن المجبر) (يحيى الجابر)
يحيى بن ميمون الضبى (أبو المعلى ، العطار) : ١١١٦٢
يحيى بن نافع (أبو هاشم الرمانى) : ١٠٨١٨
يزيد الفقير (يزيد بن صهيب)
يزيد بن أبى حبيب المصرى : ١٠٣٠٩ ، ١٠٨٩٠
يزيد بن حميد الضبعى (أبو التياح) : ١٠٤٥٣
يزيد بن رومان الأسدى (أبو روح المدنى) : ١٠٣٤٥
يزيد بن صهيب (يزيد الفقير) : ١٠٣٢٩ ، ١٠٣٤٠
يزيد بن هارون : ١٠٤٨٤
يسيع بن معدان الحضرمى: ١٠٧١٤ — ١٠٧١٧
أبو يعقوب (إسحق بن عيسى بن نجيح) (ابن الطباع)
يعقوب بن ماهان : ١٠٣٣٩
يعلى بن أمية (يعلى بن منية) : ١٠٣١٠
يعلى بن منية (يعلى بن أمية) : ١٠٣١٠
يوسف بن عدىّ بن زريق التيمى : ١٠٣٠٩
أبو يونس المكى (شيخ الطبرى) : ١٠٨٤٦
يونس بن عبيد بن دينار العبدى : ١٠٥٧٤

فهرس المصطلحات

الباطن : ٣٩٩

الترجمة : ٩٨ ، ٢٦١ ، ٢٦٢

التفسير : ٥٧٠

الخروج : ٤١٣

ضمير (إضمار) : ٤١٥

الفعل (المصدر) : ١٤ ، ٢٠٣ ، ٢٧٩

« يفعل » و « يفعل » (الماضي والمضارع) : ١٤ ، ١١١

القطع : ٤٢٩

كناية (ضمير) : ٤١٣ ، ٤١٤

المفسّر : ٥٧٠

المكنيّ (الضمير) : ٣٩٧

مباحث العربية والنحو وغيرهما

• « الحروف » إنما يوضع الحرفُ مكان غيره ، إذا تقارب معنياهما . فأما إذا اختلفت معانيهما ، فغير موجود فى كلامهم وضع أحدهما عَقِيبَ الآخر : ٥٥٢

• « الحروف » قد يجوز حذفها فى بعض الكلام وبالكلام إليها حاجة ، لدلالة ما يظهر من الكلام عليها ، فأما أن تكون فى الكلام لغير معنًى أفادته بدخولها ، فغير جائز أن يكون فيما صحّ من الكلام : ٥٧٠

• • •

• « إذا » ، تؤذن بانقطاع ما بعدها عما قبلها : ١٢٧

• « أظن » و « كان » نواقص فى المعنى ، وإن ظننت أنهن تامّات : ١٤

• « إلاّ » بعض أحكامها : ٣٤٤ ، ٣٤٥

• « إلاّ » رفع المستثنى ونصبه ، نحو قوله نصباً :

. . . . . وَمَا بالرَّبْعِ مِنْ أَحَدِ
إلَّا أوارىَّ لَأْيًا ما أبيِّنُها . . . . . .

وقوله رفعاً :

وَبَلْدَةٍ لَيْسَ بِهَا أَنِيسُ إلَّا اليَعَافِيرُ وإلَّا العِيسُ

• « التاء » ، إدغامها فى الدال كقوله : « أم من لا يهدّى » : ٣٦٢

• « التاء » ، إدغامها فى « الصاد » فى قوله : « إلاّ أن يصدقوا » : ٣٧

• « التاء » ، إذا اجتمعت تاءان فى أول الكلمة فإن العرب ربما حذفت إحداهما وأثبتت الأخرى ، وربما أثبتتهما جميعاً ، نحو « توفاهم » و « تتوفاهم » : ١١٢

• « غير » بمعنى « إلا » : ٨٥

• « فيم » بمعنى : فى أىّ شىء : ١٠٠

- « قد » حذفها وإضمارها مع الماضى فى مثل قوله : « أو جاؤوكم حصرت صدورهم » ،ومسموع من العرب : « أصبحت نظرت إلى ذات التنانير » : ٢٢
- « قد » إذا دخلت مع الماضى أدنته من الحال، فلذلك جاز وضع الماضى من الأفعال فى موضع الحال : ٢٢
- « كان » و « أظن » نواقص فى المعنى ، وإن ظننت أنهن تامّات : ١٤
- « لا » إسقاطها من الكلام وهى مطلوبة فى المعنى ، لدلالة الكلام عليها ، كقوله : « يبين الله لكم أن تضلوا » ، وقولك : « جئتك أن تلومنى » ، وقول القطامى :

رَأَيْنَا مَا يرَى البُصَرَاءُ فيها فَآلَينَا عَلَيْهَا أَنْ تُبَاعَا

بمعنى : أن لا تباع : ٤٤٥ ، ٤٤٦
- « ما » زيادتها ، فى مثل قوله : « فبما نقضهم » : ٣٦٥
- « مالك » بمعنى : ما شأنك ؟ : ٧
- « مالك » نصب ما بعدها على فعلها ، ولا تبالى أكان المنصوب معرفة أو نكرة تقول : « مالك السائرَ معنا » . وهو كالفعل الذى ينصب بـ « كان » و « أظن » : ١٤
- « مالك » المطلوب فى قولك : « مالك قائماً » هو « القيام » ، فهو فى مذهب « كان » و « أظن » وصواحباتهما : ١٥
- « مِنْ » إدْخالها فى الكلام بمعنى الحذف ، وإبطال ذلك : ٢٤٩ ، ٢٥٠
- « من » إنما تدخل فى الكلام مُبعضةً لما دخلت فيه : ٥٦٩
- « مِنْ » دخولها من مثل قولهم : « كان من مطر » ، و « كان من حديث » بمعنى : هل كان من مطرٍ مَطَرٍ عندكم ؟ــ وهل من حديث حُدِّث عندكم ؟ : ٥٦٩
- « منْ » ، دخولها فى التمييز وطرحها ، نحو قوله : « عندى رطلان زيتاً » ، و « عندى رطلان من زيت » : ٥٧٠

• « الواو » قلبها همزة وهى مضمومة : نحو « وُثُن » و« أثُن » « ووُجُوه » و «أجوه» ، و « وإذ الرسل أقّتت» ، أى : وقتت : ٢١٠

• « الواو » إذا كانت « عين » الفعل ، وكانت متحركه بالفتح وما قبلها ساكن ، جعلت العرب حركتها فى « فاء » الفعل التى قبلها ، وحوّلوها ألفاً ، متبعة حركة ما قبلها ، كقولهم : « استحال » ، من « حال يحول » . وربما تركوا ذلك على أصله ، نحو قوله تعالى : « استحوذ عليهم الشيطان » : ٣٢٦ ، ٣٢٧

* * *

• « أفعل » التفضيل ، ومعناه ، وأحكامه : ٤١٤ ، ٤١٥

• « فعل » ، فهو « فعلان » مثل « سكر » فهو « سكران » : ٤٨٦

• « فعلان » من المصادر نحو « الطيران » و « الرملان » ، بفتح الفاء والعين ، والفصيح فى كلام العرب تحريك ثانيه دون تسكينه : ٤٨٦

• « فعيل » ، بمعنى « مفعول » تسقط منه التاء فى المؤنث ، إذا كان نعتاً ، نحو : « كف خضيب » ، و « عين كحيل » ، فإذا حذفوا « الكف » و « العين» أدخلوا « التاء » نحو : « رأينا كحيلة وخضيبة » : ٥٠٠

* * *

• « الفعل الماضى » تدنيه « قد » من الحال ، فلذلك جاز وضع الماضى من الأفعال فى موضع الحال : ٢٢

• كل موضع صلحت فيه «فعل» و«يفعل » من المنصوب ، جاز نصب المعرفة منه والنكرة : ١٤

• « نصب الصفة » ، العربُ تنصب صفة الشيء الواحد ونعته . إذا تطاولت بمدح أو ذم ، خالفوا بين إعراب أوله وأوسطه أحياناً ، ثم رجعوا بآخره إلى إعراب أوّله . وربما أجروا إعراب آخره على إعراب أوسطه . وربما أجروا ذلك على نوع واحد من الإعراب : ٣٩٥

• وقال آخرون : إنما تنصب العرب على المدح من نعت ما ذكرته بعد تمام خبره . وغير جائز نصب نعت فى وسط الكلام ، ولما يتم خبر الابتداء : ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨

- النصب فى قولك : « اتق الله خيراً لك »، ليس على إضمار « يكن »، ألا ترى أنك تقول : « اتق الله تكن محسناً »، ولا يجوز أن تقول : « اتق الله محسناً » ، وأنت تضمر « كان » : ٤١٤
- قال : وزعم قائل هذا القول أنه لا يجوز ذلك إلا فى « أفعل » خاصة ، فتقول : « افعل هذا خيراً لك»، و « أفضَلَ لك » ، ولا تقول: « صلاحاً لك »: ٤١٤
- نصبُ « أفعل » فى الأمر والنهى خاصة ، ولا يكون فى الخبر ، لا تقول : « أن أنتهى خيراً لى » ، وإنما تقول : « انته خيراً لك » ، فكأنك أخرجته من شىء إلى شىء ، لأنك حين قلت له : « انته » ، كأنك قلت له : « اخرج من ذا وادخل فى آخر » ، قال عمر بن أبى ربيعة :

فَوَاعِدِيهِ سَرْحَتَىْ مَالِكٍ أَوِ الرُّبَى بينَهُمَا أَسْهَلَا

وقد سمع فى الخبر من العرب : «آتى البيتَ خيراً لى ، وأتركه خيراً لى »: ٤١٤، ٤١٥
- « الاستثناء المنقطع » : ٣١
- « الاستثناء » من معنى الكلام ، نحو قول القائل : « كان من الأمر كذا وكذا، إلاّ أن فلاناً جزاه الله خيراً ، فعل كذا وكذا » : ٣٤٥
- تقول : « عندى رطلان زيتاً » ، و « عندى رطلان من الزيت » ، وليس عندك « الرطل » ، وإنما عندك المقدار : ٥٧٠
- لا تكاد العرب تعطف بظاهر على مكنىّ فى حال الخفض ، وإن كان ذلك قد جاء فى بعض أشعارها : ٣٩٧ ، ٣٩٨
- « العطف »على مخفوضٍ نصباً، إذا كان المخفوض فى معنى النصب ، كقول الشاعر :

لَوْ جِئْتَ بالخُبْزِ لَهُ مُنشَّرَا وَالبَيْضَ مَطْبوخاً مَعاً والسُّكَّرَا
لَمْ يُرْضِهِ ذَلِكَ حَتَّى يَسْكَرَا

فنصبت « والبيض » ، وهو معطوف على مجرور : ٤٠٢ ، ٤٠٣

- إذا أسقط من الكلام ضمير الكناية عن مصدر نصبت ، إذا كان ما قبله معرفة ، فيتصل الكلام بما قبله ، وينتصب النكرة لاتصاله بالمعرفة ، نحو : « فآمنوا خيراً لكم » ، لأن أصل الكلام : فآمنوا هو خيرٌ لكم ، فلما سقط « هو » ، الذى هو كناية عن مصدر « الإيمان » ، جرى ذلك على النصب : ٤١٣
- «الكناية» عن الأمر تصلح قبل الخبر ، تقول : « اتق الله هو خيرٌ لك » ، أى : الاتقاء خير لك .
- «المعرفة والنكرة» ، نصبها فى كل موضع صلحت فيه « فعل » و « يفعل » ، ١٤ .

* * *

- وصل معانى الكلام بعضه ببعض ، أولى ما وجد إليه سبيل : ٢٦٢
- الفصيح فى كلام العرب أن يترجم عن المجمل من الكلام بالمفسر ، وبالخاص عن العام — دون الترجمة عن المفسر بالمجمل ، وبالعام عن الخاص : ٢٢٣
- غير جائز أن تخاطب العرب ، وغيرها من أجناس الخلق ، فى صفة شىء إلاّ بمثل ما تفهم عمن خاطبها : ٤١٨

* * *

- « الإمام » ، وهو مصحف عثمان : ١٢٧
- كل ما كان مستفيضاً عند الحجة من العلماء ، ظاهراً فيهم ، مستفيضاً بصحته نقلهم ، فهو حجة : ٤٨٠
- قراءة القرآن بأفصح اللغات ، أولى وأحقّ منها بغير ذلك : ٤٨٥
- توجيه تأويل القرآن إلى الأشهر من معانى كلام العرب ما وجد إليه سبيل ، أولى من غيره : ١٨٩
- توجيه كتاب الله إلى الأفصح من الكلام ، أولى من توجيهه إلى غيره ، ما وجد إليه السبيل : ٢٢٣

* كلام الله جل ثناؤه أفصح الكلام ، فغير جائز توجيهه إلاّ إلى الذى هو أولى به من الفصاحة : ٣٩٨
* كتاب الله وتنزيله أحرى الكلام أن يجنّب ما خرج عن المفهوم والغاية فى الفصاحة من كلام من نزل بلسانه : ٥٥٢
* غير جائز نقل ظاهر التنزيل إلى باطن بغير برهان : ٣٩٩
* الكلام على عمومه وظاهره ، حتى تأتى حجة بخصوصه يجب التسليم لها : ٤٥٧
* غير جائز صرف الكلام عما هو فى سياقه إلى غيره ، إلا بحجّة يجب التسليم لها من دلالة ظاهر التنزيل ، أو خبر عن الرسول تقوم به الحجة . فأما الدعاوى فلا تتعذّر على أحد : ٣٨٩
* الحفاظ الثقات إذا تتابعوا على نقل شىء بصفة ، فخالفهم واحدٌ منفردٌ ليس له حفظهم ، كانت الجماعة الأثباتُ أحق بصحة ما نقلوا ، من الفرد الذى ليس له حفظهم : ٥٦٦

فهرس التفسير

٣ تصدير الجزء التاسع .

٧ تفسير قوله تعالى : « فما لكم فى المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا » .

٨ خبر « أحد » ، وتخلّف من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومرجعهم إلى المدينة .

٨ حديث مدينة رسول الله وقوله : « إنها طيبة ، وإنها تنفى خبثها كما تنفى النار خبث الحديد » .

٩ خبر قوم كانوا قدموا المدينة من مكة ، فأظهروا الإسلام ، ثم رجعوا إلى مكة وأظهروا الشرك .

١٠ خبر قوم من أهل الشرك أظهروا الإسلام بمكة ، وكانوا يعينون المشركين على المسلمين .

١٢ خبر قوم كانوا بالمدينة ، وأرادوا الخروج عنها نفاقاً .

١٣ أخبار فى أهل « الإفك » .

١٧ النهى عن اتخاذ المنافقين أولياء ، حتى يهاجروا فى سبيل الله .

١٩ حكم من دخل من أهل الشرك فى قوم بيننا وبينهم ميثاق .

٢٠ قتال رسول الله مشركى قريش ، مع قرب أنسابهم من أنساب المسلمين .

٢٠ « سورة براءة » نزلت بعد فتح مكة ، ودخول قريش فى الإسلام .

٢٧ إسلام ناس من أهل مكة وهم كفار ، ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم وذراريهم ونسائهم .

٢٧ خبر تعذيب المسلمين ، وتقريب أحدهم إلى العود والحجر والعقرب ، ليقول : « هذا ربى » !

٣٠ آية النهى عن القتل .

٣١ قتل الخطأ ، وتحرير الرقبة وأداء الدية .

٣٢ خبر عياش بن أبي ربيعة ، وقتله رجلا مؤمناً كان يعذبه مع أبي جهل .

٣٤ خبر أبي الدرداء ، وقتله رجلا قال له « لا إله : إلاّ الله » .

٣٥ اختلاف أهل العلم فى صفة « الرقبة المؤمنة » .قول من قال : لا تكون مؤمنة حتى تكون قد اختارت الإيمان بعد بلوغها ، وصلت وصامت ، ولا يستحق الطفل هذه الصفة .

٣٦ قول من قال : إذا كان مولوداً بين أبوين مسلمين ، فهو « رقبة مؤمنة » ، وإن كان طفلا .

٣٦ ترجيح أبي جعفر أنه لا يجزىء من الرقاب إلاّ من آمن وهو يعقل الإيمان من بالغى الرجال والنساء .

٣٧ بيان « الدية المسلمة » .

٣٨ بيان قتل من قتل خطأ ، وهو من قوم عدوّ لنا ، وهو مؤمن . واختلاف العلماء فى معنى ذلك .

٤١ بيان من قتل خطأ ، من قوم بيننا وبينهم ميثاق ، وصفة هذا القتيل : أهو مؤمن أو كافر ؟ واختلاف أهل العلم فى ذلك .

٤٢ دية الذمىّ وأهل الإسلام سواء ، لإجماع جميعهم على أن ديات عبيدهم الكفار وعبيد المؤمنين من أهل الإيمان سواء .

٤٤ بيان صفة « الخطأ » ، الذى إذا قتل المؤمنُ المؤمنَ أو المعاهدَ ، لزمته ديته والكفارة .

٤٥ بيان « الدية » الواجبة فى قتل الخطأ ، وأنه لا خلاف بين الجميع فى أن دية المؤمن مئة من الإبل ، إذا كان من أهل الإبل ، على عاقلة قاتله ، واختلاف أهل العلم فى أسنان الدية .

٤٥ قول من قال : هى أرباع : خمس وعشرون ، خمسٌ وعشرون .

٤٦ قول من قال : هى أخماس : عشرون ، عشرون .

٤٨ قول من قال : هى أرباع ، ولكن : ثلاثون ، ثلاثون ، ثم عشرون ، عشرون .

٤٩ ترجيح أبى جعفر فى أسنان الديات .

٥٠ ديته إذا كانت عاقلته من أهل الذهب : ألف دينار ، كما قوّمها عمر ابن الخطاب ، وإجماع علماء الأنصار ، إلا من شذّ ، على أنها لا تزاد على ألف دينار ولا تنقص .

٥١ ديته ، إذا كانت عاقلته من أهل الورق (الفضة) : اثنا عشر ألف درهم .

٥١ اختلاف أهل العلم فى دية « المعاهد » . قول من قال : ديته ودية الحرّ المسلم سواء .

٥٣ قول من قال : ديته على النصف من دية المسلم .

٥٣ قول من قال : ديته على الثلث من دية المسلم .

٥٥ صيام الشهرين المتتابعين عن الدية أو الرقبة .

٥٧ صفة القتل الذى يستحقّ صاحبه أن يسمى « متعمّداً » ، واختلاف العلماء فى ذلك . قول من قال : إنه السلاح والحديد .

٥٨ قول من قال : كل ما عمد الضارب إتلاف نفس المضروب فهو « عمد » .

٥٩ علة من قال : « كل ما عدا الحديد خطأ » .

٦٠ خبر اليهودى الذى قتل جارية على أوضاح لها بين حجرين .

٦١ خبر مقيس بن صبابة ، وقتله الفهرىّ .

٦١ القول فى وعيد القاتل الخلود فى النار ، وما اختلفوا فى توبته

٧٢ خبر السرية التى قتلت رجلا حياهم بتحية الإسلام ، وهى سرية « محلم ابن جثامة » .

٧٧ سرية غالب الليثى إلى أهل فدك .

٧٨ سرية أسامة بن زيد إلى بنى ضمرة .

٨٠ سرية المقداد بن الأسود .

١٠٣ أخبار فى خروج من خرج من المسلمين يكثّرون سواد المشركين يوم بدر .

١١٣ خبر من خرج من مكة مهاجراً ثم مات فى طريقه .
١٢٤ قصر الصلاة فى السفر عامة ، والأخبار فى ذلك ، واختلاف العلماء فيها .
١٢٨ قصر الصلاة فى السفر ، فى حال خوف عدوّ أن يفتنه فى صلاته ، والأخبار فى ذلك .
١٣٠ قصر الصلاة فى الخوف ، فى غير حال المسايفة ، والأخبار فى ذلك .
١٣٢ قصر الصلاة فى الخوف فى السفر ، دون الإقامة ، فى حال غير شدة الخوف .
١٣٥ صفة صلاة الخوف ، والأخبار فى ذلك .
١٣٩ قصر الصلاة فى الخوف عند المسايفة ، والأخبار فى ذلك .
١٣٩ حجة أبى جعفر فى ترجيح مقالته فى تفسير الآية .
١٤١ تفصيل وجوه صلاة الخوف ، والأخبار الواردة فيها ، وهو فصل طويل .
١٧٣ أخبار يوم أحُد .
١٧٦ أخبار الخائنين الذين عاتب الله رسوله فى خصومته عنهم ، وهم بنو أبيرق ، وفيه أخبار كثيرة ، من ١٤٠٩ — ١٠٤١٨ .
١٩٥ خبر كفارة الذنوب فى بنى إسرائيل .
١٩٥ خبر امرأة زنت ، جاءت إلى عبد الله بن مغفل تستفتيه .
٢١٥ تغير خلق الله ، واختلاف العلماء فيه . وقول ما قال : هو الخصاء .
٢١٨ قول من قال : هو دين الله .
٢٢٠ قول من قال : هو الوشم ، والأخبار فى ذلك .
٢٢٢ ترجيح أبى جعفر بين هذه الأقوال .
٢٢٣ قاعدة مهمة فى « المجمل » و « المفسر » ، و « الخاص » و « العام » .
٢٢٩ تفاخر المسلمين وأهل الكتاب ، والأخبار فى ذلك .
٢٣٦ كل ما أصاب المؤمن فهو كفارة لذنوبه ، والأخبار فى ذلك .

٢٤٠ كل ما أصاب المؤمن فهو كفارة لذنوبه ، والأخبار فى ذلك .
٢٥٣ آية الاستفتاء فى النساء ، ونزول آية المواريث .
٢٥٣ كان أهل الجاهلية لا يورثون المرأة ، ولا المولود حتى يكبر .
٢٦٧ نشوز الرجل عن امرأته ، والأخبار الواردة فى ذلك .
٣٠٢ كيف تكون شهادة الشاهد على نفسه .
٣١٧ استتابة المرتد ، وقول من قال : يستتاب ثلاثاً — وقول من قال : يستتاب كلما ارتدّ .
٣٢٩ صفات المنافقين .
٣٣٣ حديث : « مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين » .
٣٤٣ الجهر بالسوء من القول ، النهى عنه ، إلا من ظُلم ، وتأويل ذلك .
٣٥٦ ما سأله أهل الكتاب من تنزيل كتاب من السماء .
٣٥٨ سؤالهم أن يروا الله جهرة .
٣٥٩ أخذ الصاعقة لمن سأل ذلك .
٣٥٩ اتخاذهم العجل .
٣٦١ رفع الطور ، وعدوانهم فى السبت .
٣٦٣ نقض اليهود ميثاق الله ، وكفرهم بآيات الله ، وقتلهم الأنبياء ، وقولهم : قلوبنا غلف ، وطبع الله على قلوبهم .
٣٦٦ مقالتهم على مريم بهتاناً عظيما .
٣٦٧ قولهم : إنا قتلنا المسيح . واختلاف أهل التأويل فى « التشبيه » الذى شبه لليهود فى أمر عيسى ، والأخبار الطوال فى ذلك .
٣٧٩ اختلافهم فى الإيمان بعيسى قبل موته ، ومعنى ذلك .
٣٨٢ إيمان الكتابى قبل موته بعيسى ، والأخبار فى ذلك .
٣٨٦ إيمان الكتابى بمحمد قبل موته .
٣٨٨ حديث نزول عيسى ، ودقه الصليب ، وقتله الخنزير .

٣٩٤ خبر من قال إن فى آية من القرآن غلطًا من الكاتب .
٣٩٧ ردّ أبى جعفر على من زعم أن ذلك خطأ من الكاتب .
٤٠٤ أخبار فى تكليم الله عبده موسى صلى الله عليه .
٤١٩ تفسير « الكلمة » ، و « الروح » فى أمر عيسى عليه السلام .
٤٣٠ تفسير آية « الكلالة » ، وهى « آية الصيف » ، والأخبار الواردة فى ذلك .

* * *

﴿ تَفْسِير سُورَةِ المَائدةِ ﴾

٤٤٩ آية الوفاء بالعقود . اختلاف أهل التأويل فى « العقود » التى أمرنا بالوفاء بها ، وقول من قال : هى عقود أهل الجاهلية ، وهى « الحلف » .
٤٥٢ قول من قال : هى الحلف الذى أخذه الله على عباده .
٤٥٣ قول من قال : هى العقود التى يتعاقدها الناس بينهم .
٤٥٤ ترجيح أبى جعفر بين أقوال أهل التأويل .
٤٥٥ اختلاف العلماء فى « بهيمة الأنعام » ، وقول من قال : هى الأنعام كلها .
٤٥٦ قول من قال : هى أجنة الأنعام التى توجد فى بطون أمهاتها ميتة .
٤٥٩ النهى عن إحلال الصيد ونحن حُرُم .
٤٦٢ النهى عن إحلال « شعائر الله » ، وبيان معنى « شعائر الله » .
٤٦٥ النهى عن إحلال الشهر الحرام ، وهو « رجب مضر » أو « ذو القعدة » ، والصحيح من ذلك .
٤٦٦ تفسير « الهدى » .
٤٦٧ تفسير « القلائد » ، واختلاف العلماء فى معناها ، وترجيح أبى جعفر فى صحيح معناها .

٤٧١ النهى عن إحلال « آمّين البيت الحرام » .
٤٧٢ خبر « الحطم بن هند البكرى » .
٤٧٥ اختلاف العلماء فيما نسخ من آية « المائدة » ، بعد إجماعهم على أن منها منسوخاً . قول من قال : نسخ جميعها .
٤٧٧ قول من قال : نسخ منها بعضها .
٤٧٨ قول من قال : لم ينسخ منها إلا « القلائد » .
٤٩٢ آية ما حُرّم علينا من الطعام .
٥١٠ أخبار الاستقسام بالأزلام .
٥١٧ آية إكمال الدين ، وما جاء من الأخبار فى نزولها وموعد نزولها فى يوم عرفة .
٥٣٢ الاضطرار المبيح لأكل ما حرّم الله من الطعام .
٥٣٧ بيان الأكل الذى وعد الله المضطر إلى الميتة وسائر المحرمات — غفرانه إذا أكل منها .
٥٣٨ حديث أبى واقد الليثى ، وسؤاله رسول الله عن الاضطرار .
٥٤٣ بيان معنى « الجوارح » .
٥٤٥ حديث الأمر بقتل الكلاب .
٥٤٧ اختلافهم فى معنى « الجوارح » ، وقول من قال : هو كلّ ما علّم الصيد فتعلمه من بهيمة أو طائر .
٥٤٩ قول من قال : هى الكلاب دون غيرها من السباع ، وترجيح أبى جعفر .
٥٥٠ خبر عدىّ بن حاتم وسؤاله عن صيد البازى .
٥٥٢ بيان تعليم « الجوارح » .
٥٥٣ اختلاف أهل التأويل فى « تعليم الجوارح » .
٥٦٤ خبر عدى بن حاتم فى الكلاب .
٥٧٢ إحلال طعام أهل الكتاب للمؤمنين .

٥٧٣ الاختلاف فى « طعام أهل الكتاب » ، قول من قال : هو ذبيحة كل كتابىّ .

٥٧٤ قول من قال : هو ذبيحة الذين أنزل عليهم التوراة والإنجيل من بنى إسرائيل وأبنائهم ، دون من دان بدينهم من غيرهم .

٥٧٥ تحريم ذبائح نصارى العرب .

٥٧٦ ترجيح أبى جعفر للصواب من ذلك .

٥٧٧ بيان أن « الطعام » هو « الذبائح » .

٥٨١ آية إحلال المحصنات من المؤمنات والمحصنات من أهل الكتاب .

٥٨١ اختلاف أهل التأويل فى « المحصنات » . قول من قال : هن الحرائر خاصة ، فاجرة كانت أو عفيفة .

٥٨٢ خبر المرأة التى زنت من همدان ، ثم تابت ، ونهى عمر بن الخطاب أخاها أن يذكر من أمرها شيئاً لمن جاء يخطبها .

٥٨٤ قول من قال : هن العفائف من الفريقين ، إماءً كن أو حرائر .

٥٨٧ اختلاف أهل التأويل فى « المحصنات من الذين أوتوا الكتاب » ، أعامٌّ أو خاصٌّ ؟ وقول من قال : هو عام فى العفائف منهن .

٥٨٧ قول من قال : هن الحرائر منهنّ ، من أى أجناس اليهود والنصارى كن .

٥٨٧ قول من قال : هنّ بنات إسرائيل الكتابيات خاصة ، دون من دان بدينهم من غيرهم .

٥٨٨ قول من قال : هن نساء أهل الكتاب اللواتى لهن ذمة وعهد .

٥٨٨ ترجيح أبى جعفر للصواب عنده من ذلك .

تم إيداع هذا المصنف بدار الكتب والوثائق القومية
تحت رقم ١٩٧٢/٣٠٧٨

تراث الإسلام

تفسير الطبري

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري
٢٢٤ - ٣١٠ هـ

١٠

حققه وعلق حواشيه
محمود محمد شاكر

راجعه وخرج أحاديثه
أحمد محمد شاكر

الناشر
مكتبة ابن تيمية
القاهرة ت ٨٦٤٢٤٠

تفسير الطبري

الجزء العشرة

فيه

تفسير سورة المائدة

من ٦ – ٩٤

والآثار من ١١٣٠٠ – ١٢٥٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذى أنزَلَنا بالإسْلامِ لَهُ منزلةَ العبودِيّة لعظَمَته ، ورفَعَنا بالإيمانِ بهِ عن التذلُّلِ لغيْرِ سلطانِه ، وجعَلَ إسلامَنا له وإيماننَا بِهِ عِتْقاً لِرِقابِ عبادِه من نَار جَهَنَّمَ .

اللهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ على المُصْطفَى من خلقك ، المُجْتَبَى من رُسُلِك ، أنقذْتَنا به من تِيهِ الضَّلالة ، وشَفَيتَنا به من عَمَى الجهالَة ، وجعلتَه لنا نبيًّا ورسولًا ، وجعلتَ أهل الإقرار بنبوّته شُهَداء على النّاسِ . فمن زاغَ منهم عن طاعته وعن العمل بما جَاء به ، فقد زاغَ عَن الهُدَى وضلَّ ، وخرج من منزلة الشَّهادة على الخلق ، إلى منزِلَة العُصَاةِ المُؤَاخَذين بذنوبِهم يوم يَقُوم النَّاسُ لربِّ العالَمينَ ، فيشهَد عليهم سمعُهم وأبصارُهم وجلودُهم بما كانوا يعملون .

اللهُمَّ أقِمْنا على الطريق ، ولا تُزِغْ قلوبَنا عن هَدْيك ، واجعلْ صِيامَنا زُلْفَةً تُدْنينَا من رِضْوانِك ، وتُبْعِدنَا من مَعاصِيك ، واغْفرْ لنا ذنوبَنَا وإنْ جَلَّتْ ، أنْتَ أهل التّقْوى وأهلُ المَغْفِرة .

وبعدُ ، فقد كنتُ أشرتُ فى تصدير الجزء الرابع ، أنّى شاركت أخى السيد أحمد فى بيان حال رجال الآثار ، وخرَّجت ما اتّفق منها . ثم كثر ذلك حتّى صرتُ أوَقِّع باسمى فى ذيل بعض التعليق الذى أخشى أن يحمل على أخى وعلى علمه .

أمّا منذ الجزء التاسع ، فقد انفردت بالعمل كله ، فخرّجتُ عامّة أحاديث الجزء التاسع والعاشر ، وتركت الإشارة إلى ذلك ، ولكنّى وجدتُ فى نفسى أنى خالفت حق العلم ، وأمانة النسبة ، فإن قارئ التفسير ، يعلم من عنوانه أنّ أخى قد راجعه وخرّج أحاديثه ، وهو لكثرة مشاغله لم يفعل . فكتبت هذه الكلمة حتى لا ينسبُ أحدٌ قولًا إلى أخى لم يقُلْه ، وعسى أن أقع فى خطأ أخى برىء مِنْه . هذا مع الفرق الواضح بين تخريج إمامٍ قد استقلّ بمذهبه ، ومُشَارِكٍ فى عِلْم يتعثّر ويلتمس من الناس الإقالة .

اللهُمّ أيّدنَا بقوّتك ، وأَعِنَّا بقدرتك ، وعلِّمنَا من علمك ، وأَهْدِنا بهُداك ، واجعل عملى فى هذا الكتابِ وَسِيلةً أنالُ بها رضاكَ ، وأنجو بها من عقابك ، وأتزلّفُ بها إليكَ فى أبتغاء مغفرتك ، وأستعيذ بها من مَكْر الشيطان بِى فى التماسِى طاعتك . ربّ أغْفِر وارحَمْ وأنت خَيْرُ الراحمين ؟

محمود محمد شاكر

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : يا أيها الذين آمنوا ، إذا قمتم إلى الصلاة ، وأنتم على غير طهرِ الصلاة، فاغسلوا وجوهكم بالماء وأيديكم إلى المرافق .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى قوله: « إذا قمتم إلى الصلاة »، أمرادٌ به كلّ حال قام إليها ، أو بعضها ؟ وأىّ أحوال القيام إليها ؟

فقال بعضهم فى ذلك بنحو ما قلنا فيه ، من أنه معنىٌّ به بعضُ أحوال القيام إليها دون كل الأحوال، وأنّ الحال التى عُنى بها، حالُ القيام إليها على غير طُهْر

* ذكر من قال ذلك :

١١٣٠٠ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال، حدثنا عبيد الله قال : سئل عكرمة عن قول الله: « إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق » ، فكلّ ساعة يتوضأ ؟ فقال: قال ابن عباس : لا وضوء إلاّ من حَدَثٍ .

١١٣٠١ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة قال ، سمعت مسعود بن على الشيبانى قال ، سمعت عكرمة قال : كان

سعد بن أبي وقاص يُصلّي الصلوات بوضوءٍ واحد .(١)

١١٣٠٢ – حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا سفيان بن حبيب ، عن مسعود بن على ، عن عكرمة قال : كان سعد بن أبي وقاص يقول : صلّ بطهورك ما لم تحدث .(٢)

١١٣٠٣ – حدثنا أحمد بن عبدة الضبي قال، أخبرنا سليم بن أخضر قال ، أخبرنا ابن عون ، عن محمد قال : قلت لعبيدة السلماني : ما يوجب الوضوء ؟ قال : الحدَث .

١١٣٠٤ – حدثنا حميد بن مسعدة قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن واقع بن سحبان، عن يزيد بن طريف = أو : طريف بن يزيد = : أنهم كانوا مع أبي موسى على شاطئ دجلة ، فتوضأوا ، فصلّوا الظهر ، فلما نودى بالعصر ، قام رجال يتوضأون من دجلة، فقال: إنه لا وضوء إلا على من أحدث .

١١٣٠٥ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا ابن أبي عدى ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن طريف بن زياد = أو : زياد بن طريف = عن واقع بن سحبان : أنه شهد أبا موسى صلى بأصحابه الظهر ، ثم جلسوا حِلَقاً على شاطئ دجلة ، فنودى بالعصر ، فقام رجال يتوضأون ، فقال أبو موسى : لا وضوء إلا على من أحدث .

---

(١) الأثر : ١١٣٠١ – « مسعود بن على الشيباني » ، قال البخاري : « سمع عكرمة ، مرسل . روى عنه يحيى القطان وقال : لم يكن به بأس » . وقال ابن أبي حاتم : « روى عنه شعبة ، ويحيى بن سعيد القطان » . الكبير للبخاري ٤/١/٤٢٣ ، وابن أبي حاتم ٤/١/٢٨٣ . وسيأتي في الأثر التالي . وفي الأثرين رقم : ١١٣٢٢ ، ١١٣٢٣ . وفي الأثر التالي ، والأثر : ١١٣٢٢ ، أنه قد روى عنه « سفيان بن حبيب » . وانظر التعليق على الأثر التالي .

(٢) الأثر : ١١٣٠٢ – « سفيان بن حبيب البصري » ، كان عالما بحديث شعبة وابن أبي عروبة . مترجم في التهذيب ، والكبير ٢/٢/٩١ ، وابن أبي حاتم ٢/١/٢٢٨ ، ولم يذكر في ترجمته أنه روى عن « مسعود بن على الشيباني » . وخبر مسعود هذا من رواية شعبة ، كما مر في الأثر السالف ، فأخشى أن يكون إسناده « سفيان بن حبيب ، عن شعبة ، عن مسعود بن على » .

وانظر التعليق على الأثر السالف ، وتعليق الأثر الآتي : ١١٣٢٢ .

١١٣٠٦ – حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة قال ، سمعت قتادة يحدث ، عن واقع بن سحبان ، عن طريف بن يزيد = أو : يزيد بن طريف = قال : كنت مع أبي موسى بشاطئ دجلة ، فذكر نحوه .

١١٣٠٧ – حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن واقع بن سحبان ، عن طريف بن يزيد = أو : يزيد بن طريف = ، عن أبي موسى ، مثله .(١)

١١٣٠٨ – حدثنا حميد بن مسعدة قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا أبو خالد قال : توضأت عند أبي العالية الظهرَ أو العصر ، فقلت : أصلى بوضوئى هذا ، فإنى لا أرجع إلى أهلى إلى العَتَمة ؟ قال أبو العالية : لا حرج. وعلّمنا :

---

(١) الآثار ١١٣٠٤ – ١١٣٠٧ – أربعة أسانيد لخبر واحد ، اتفقت ثلاثة منها فى الراوى عن أبي موسى ، وهو « طريف بن يزيد » ، على ما فى اسمه من الاختلاف ، وانفرد رقم : ١١٣٠٥ ، فجعل الراوى عن أبي موسى هو « واقع بن سحبان » ، وكأنه إسناد مقلوب ، إذ جعل الراوى عن أبي موسى هو الراوى عن « طريف بن يزيد » فى الأسانيد الثلاثة الأخرى .

وأما « واقع بن سحبان » ، فقد ترجم له البخارى فى الكبير ١٨٩/٢/٤ ، وقال : « يعد فى البصريين ، أبو عقيل . روى عنه قتادة ، وثابت البنانى » ، ولم يزد . وأما ابن أبي حاتم ٤٩/٢/٤ ، فإنه قال : « روى عن أسير بن جابر . روى عنه قتادة ، وثابت البنانى ، وحميد الطويل . وكان ابن المبارك يقول : « واقع بن سحبا » ، بغير نون ، ولا يقول : سحبان . سمعت أبي يقول ذلك » .

وأما « طريف بن يزيد الحنفى » ، فقد ترجم له فى لسان الميزان ٣ : ٢٠٩ ، والبخارى فى الكبير ٣٥٨/٢/٢ ، لم يزد على أن قال : « طريف بن يزيد الحنفى ، عن أبي موسى » . وترجم له ابن أبي حاتم ٤٩٣/١/٢ ، وفى ترجمته بياض مكانه نقط ، قال : « روى عن أبي موسى ، روى عنه . . . سمعت أبي يقول : هما مجهولان » . وقال الحافظ فى لسان الميزان : « طريف بن يزيد ، عن أبي موسى » مجهول ، وكذا شيخه . انتهى . وذكره ابن حبان فى الثقات فى التابعين ، فقال : الحنفى ، روى عنه أهل اليمامة . فقتضى ذكره فى التابعين ، أن يكون شيخه أبو موسى ، هو الأشعرى . وليس فى كتاب ابن أبي حاتم أن شيخ طريف « مجهول » . واعتراض ابن حجر صحيح ، فإن المجهول هو الراوى عن طريف ، لا شيخه .

ولم يذكر فى سائر الكتب الاختلاف فى اسمه « يزيد بن طريف » ، أو « طريف بن زياد » أو « زياد بن طريف » ، فهذه مما أفادها تفسير أبي جعفر .

وقد تبين من كتب التراجم أن الإسناد : ١١٣٠٥ ، مقلوب لا شك فيه .

إذا توضأ الإنسان فهو فى وضوئه حتى يحدث حدثاً .

١١٣٠٩ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا ابن هلال، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب قال: الوضوء من غير حدث اعتداء .(١)

١١٣١٠ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا أبو داود، حدثنا أبو هلال ، عن قتادة ، عن سعيد ، مثله .(١)

١١٣١١ – حدثني أبو السائب قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش قال : رأيت إبراهيم صلّى بوضوء واحد، الظهرَ والعصرَ والمغربَ .

١١٣١٢ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثام قال ، حدثنا الأعمش قال : كنت مع يحيى ، فأصلّى الصلوات بوضوء واحد . قال : وإبراهيم مثل ذلك .

١١٣١٣ – حدثنا سوّار بن عبد الله قال، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا يزيد بن إبراهيم قال : سمعت الحسن سئل عن الرجل يتوضأ فيصلى الصلوات كلها بوضوء واحد ، فقال : لا بأس به ما لم يُحْدث .

١١٣١٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا عبيد ، عن الضحاك ، قال : يصلّى الصلوات بالوضوء الواحد ما لم يحدث .

١١٣١٥ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا زائدة ، عن الأعمش ، عن عمارة قال : كان الأسود يصلى الصلوات بوضوء واحدٍ .(٢)

٧٢/٦ ١١٣١٦ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ،

---

(١) الأثر : ١١٣٠٩ ، ١١٣١٠ – هذان الأثران ، ذكرهما ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٨٤ قال : « وأما ما رواه أبو داود الطيالسى، عن أبى هلال ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب أنه قال : الوضوء من غير حدث اعتداء = فهو غريب عن سعيد بن المسيب ، ثم هو محمول على أن من اعتقد وجوبه فهو معتد . وأما مشروعيته استحباباً ، فقد دلت السنة على ذلك » .

(٢) الأثر : ١١٣١٥ – « الأعمش » هو : « سليمان بن مهران » ، مضى مراراً كثيرة . و « عمارة » ، هو: « عمارة بن عمير التيمى » ، مضى برقم : ٣٢٩٤ ، ٥٧٨٩ .
و « الأسود » هو : « الأسود بن يزيد النخعى » ، مضى برقم : ٣٢٩٩ ، ٤٨٨٨ ، ٨٢٦٧ .

حدثنا أسباط ، عن السدى : «يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة» ، يقول: قمتم وأنتم على غير طهر.

١١٣١٧ – حدثنا أبو السائب قال، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمارة، عن الأسود : أنه كان له قَعبٌ قدرَ رِيِّ رجل ،(١) فكان يتوضأ ، ثم يصلى بوضوئه ذلك الصلوات كلها .

١١٣١٨ – حدثنا محمد بن عباد بن موسى قال، أخبرنا زياد بن عبد الله ابن الطفيل البكائى قال ، حدثنا الفضل بن المبشر قال : رأيت جابر بن عبد الله يصلى الصلوات بوضوء واحد ، فإذا بال أو أحدثَ ، توضأ ومسح بفضل طَهوره الخفين. فقلت : أبا عبد الله ، أشىء تصنعه برأيك ؟ قال : بل رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنعه ، فأنا أصنعه كما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع .(٢)

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم من نومكم إلى الصلاة .

* ذكر من قال ذلك :

١١٣١٩ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى من سمع مالك

---

(١) «القعب» : قدح صغير من خشب مقعر ، وهو يروى الرجل .

(٢) الأثر : ١١٣١٨ – «محمد بن عباد بن موسى الختلى» ، شيخ الطبرى . روى عن هشام بن محمد الكلبى ، والوليد بن صالح ، روى عنه أبو بكر بن أبى الدنيا . مترجم فى ابن أبى حاتم ١٥/١/٤ . روى عنه أبو جعفر فى التاريخ ٦ : ٢١ .

و «زياد بن عبد الله بن الطفيل البكائى» . قال أحمد : «ليس به بأس ، حديثه حديث أهل الصدق» . وقال وكيع: «هو أشرف من أن يكذب» . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٣٢٩/١/٢ .

و «الفضل بن المبشر الأنصارى» ، سمع جابر بن عبد الله ، وسالم بن عبد الله بن عمر . قال ابن معين: «ضعيف» ، وقال ابن عدى : «عامة أحاديثه لا يتابع عليها» . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١١٤/١/٤ ، وابن أبى حاتم ٦٦/٢/٣ .

والحديث رواه ابن ماجه ١ : ١٧٠ رقم : ٥١١ ، عن إسماعيل بن توبة ، عن زياد بن عبد الله ، به . وانظر ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٨٣ .

ابن أنس ، يحدث عن زيد بن أسلم قوله : « يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة » ، قال : يعني : إذا قمتم من النوم .

١١٣٢٠ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب : أن مالك بن أنس أخبره عن زيد بن أسلم ، بمثله .(١)

١١٣٢١ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم » ، قال فقال : قمتم إلى الصلاة من النوم .

* * *

وقال آخرون : بل ذلك معنىٌّ به كل حال قيام المرء إلى صلاته ، أن يجدِّد لها طُهراً .

* ذكر من قال ذلك :

١١٣٢٢ – حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا سفيان بن حبيب ، عن مسعود بن على قال : سألت عكرمة ، قال قلت : يا أبا عبد الله ، أتوضأ لصلاة الغداة ، ثم آتى السوق فتحضر صلاة الظهر ، فأصلى ؟ قال : كان على بن أبي طالب رضوان الله عليه يقول : « يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق » .(٢)

١١٣٢٣ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة قال ، سمعت مسعود بن على الشيبانى قال ، سمعت عكرمة يقول : كان على رضى الله عنه يتوضأ عند كل صلاة، ويقرأ هذه الآية: « يا أيها الذين آمنوا إذا

---

(١) الأثران : ١١٣١٩ ، ١١٣٢٠ – انظر الموطأ ص : ٢١ .

(٢) الأثر : ١١٣٢٢ – « سفيان بن حبيب » و « مسعود بن على الشيبانى » . انظر التعليق على الأثرين السالفين : ١١٣٠١ ، ١١٣٠٢ .

وقوله فى جواب السؤال : « قال كان على بن أبي طالب رضوان الله عليه ... » ، وتلاوته الآية بعد ذلك ، دون أن يذكر فعل على ، جائز فى مثل هذا السياق . كأنه قال : كان على بن أبي طالب يفعل مثل ذلك ويقرأ هذه الآية . وانظر الأثر التالى

قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم » ، الآية .[١]

١١٣٢٤ – حدثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة قال ، حدثنا أزهر ، عن ابن عون ، عن ابن سيرين : أن الخلفاء كانوا يتوضأون لكل صلاة .

١١٣٢٥ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا ابن أبي عدى ، عن حميد ، عن أنس قال : توضأ عمر بن الخطاب وضوءاً فيه تجوّزٌ ، خفيفاً ، فقال : هذا وضوء من لم يحدث .[٢]

١١٣٢٦ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثني وهب بن جرير قال ، أخبرنا شعبة ، عن عبد الملك بن ميسرة ، عن النزّال قال : رأيت عليًّا صلى الظهر ثم قعد للناس في الرَّحْبة ، ثم أتِيَ بماء فغسل وجهه ويديه ، ثم مَسَح برأسه ورجليه وقال : هذا وضوء من لم يحدِث .[٣]

١١٣٢٧ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن

---

(١) الأثر : ١١٣٢٣ – « مسعود بن على الشيبانى » انظر التعليق على الأثر السالف .

وهذا الأثر ساقه ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٨٣ ، ٨٤ ، وساق معه الأثرين ١١٣٢٦ ، ١١٣٢٧ ، وقال : « هذه طرق جيدة عن على ، يقوى بعضها بعضاً » .

(٢) الأثر : ١١٣٢٥ – « ابن أبي عدى » ، هو : « محمد بن إبراهيم بن أبي عدى » ، مضى برقم : ٥٤٤٠ ، ٦٤٩٧ .

و « حميد » ، هو « حميد الطويل » ، مضى مراراً كثيرة .

و « أنس » ، هو أنس بن مالك .

وهذا الأثر ، نقله ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٨٤ ، عن هذا الموضع من الطبرى ، وقال : « وهذا إسناد صحيح » .

(٣) الأثر : ١١٣٢٦ – « عبد الملك بن ميسرة الهلالى الزراد » ، ثقة ، من صغار التابعين . مضى برقم : ٥٠٣ ، ٥٠٤ .

و « النزال » ، هو : « النزال بن سبرة الهلالى » ، مختلف فى صحبته . روى عن رسول الله – يقال هو مرسل – وعن عثمان ، وعلى ، وابن مسعود وغيرهم . ثقة من كبار التابعين .

وهذا خبر إسناده صحيح ، وانظر التعليق على الأثر السالف : ١١٣٢٣ . خرجه ابن كثير فى تفسير ٣ : ٨٣ ، ٨٤ . ورواه أحمد فى مسنده من طرق ، بالأرقام : ٥٨٣ ، ١٠٠٥ ، ١١٧٣ ، ١١٧٤ ، ١٢٢٢ ، ١٣١٥ ، ١٣٦٦ ، وخرجه أخى السيد أحمد هناك .

إبراهيم: أن علياً اكتال من حُبٍّ ، فتوضأ وضوءاً فيه تجوُّزٌ، فقال: هذا وضوء من لم يحدث .(١)

* * *

وقال آخرون : بل كان هذا أمراً من الله عز ذكره نبيَّه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به : أن يتوضَّأوا لكل صلاة ، ثم نُسخ ذلك بالتخفيف .

* ذكر من قال ذلك :

١١٣٢٨ – حدثني عبد الله بن أبي زياد القطواني قال، حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا أبي ، عن ابن إسحق قال ، حدثني محمد بن يحيى بن حبان الأنصاري = ثم المازني ، مازن بني النجار = فقال لعبيد الله بن عبد الله بن عمر: أخبرني عن وضوء عبد الله لكل صلاة ، طاهراً كان أو غير طاهر ، عمَّن هو ؟ قال : حدثتنيه أسماء ابنة زيد بن الخطاب : أن عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر ، الغسيل حدَّثها: أن النبي صلى الله عليه وسلم أُمِرَ بالوضوء عند كل صلاة، فشق ذلك عليه ، فأمِر بالسواك ، ورفع عنه الوضوء إلاَّ من حدَث . فكان عبد الله يرى أنَّ به قوة عليه ، فكان يتوضأ .(٢)

---

(١) الأثر : ١١٣٢٧ – انظر التعليق على الأثر السالف : ١١٣٢٣ . وخرجه ابن كثير في تفسيره ٣ : ٨٤ .

« اكتال » ، مأخوذ من « كيل الطعام وغيره » ، وأراد به هنا أنه أخذ من الماء مقدار ما يكفي في وضوئه . وهو عربي صحيح المجاز .

و « الحب » (بضم الحاء) : هو الجرة الضخمة ، أو الجابية التي يجعل فيها الماء .

(٢) الأثر : ١١٣٢٨ – « عبد الله بن أبي زياد القطواني » ، هو « عبد الله بن الحكم ابن أبي زياد » ، مضى برقم : ٢٢٤٧ ، ٥٧٩٦ .

و « يعقوب بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري » ، مضى برقم : ٤٣١٤ ، ٥٤٩٣ .

وأبوه « إبراهيم بن سعد بن إبراهيم الزهري » ، مضى برقم : ٤٣١٤ ، وكان من أكثر أهل المدينة حديثاً في زمانه . قال البخاري : « قال لي إبراهيم بن حمزة : كان عند إبراهيم بن سعد ، عن ابن إسحق ، نحو من سبعة عشر ألف حديث في الأحكام ، سوى المغازي » . مترجم في التهذيب .

و « ابن إسحق » هو : « محمد بن إسحق » صاحب المغازي ، مضى مراراً ، ومضى توثيق أخي

١١٣٢٩ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة بن الفضل ، عن ابن إسحق ،

السيد أحمد له . وكان فى المخطوطة والمطبوعة هنا : « عن أبى إسحق » ، وهو خطأ ، صوابه من سنن أبى داود ، وابن كثير .

و « محمد بن يحيى بن حبان الأنصارى المازنى » ، فقيه ثقة كثير الحديث ، روى له الأئمة . مترجم فى التهذيب .

و « عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب » ، ثقة قليل الحديث ، يقال إنه كان أسن من أخيه « عبد الله بن عبد الله بن عمر » . لم يذكروا فى ترجمته أنه روى عن أسماء بنت زيد بن الخطاب ، ولا أن محمد بن يحيى بن حبان روى عنه ، بل ذكروا ذلك فى ترجمته أخيه « عبد الله » كما سترى فى التخريج .

وأما أخوه « عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب » ، فقد روى عن أسماء بنت زيد بن الخطاب ، وروى عنه محمد بن يحيى بن حبان . قال ابن سعد : « ثقة قليل الحديث » ، وقيل : كان أكبر ولد « عبد الله بن عمر » ، وكان من أشراف قريش . ووجوهها . مترجم فى التهذيب .

وأما « أسماء بنت زيد بن الخطاب » ، فقد روت عن « عبد الله بن حنظلة » ، وروى عنها : « عبد الله بن عبد الله بن عمر » . وكانت زوج ابن عمها « عبد الله بن عمر بن الخطاب » . فلما قتل ، لم تتزوج بعده حتى ماتت . وذكرها ابن حبان وابن مندة فى الصحابة . ولكن الحافظ ابن حجر رد ذلك ، وانظر ترجمتها فى الإصابة فى القسم الثانى من تراجم النساء . مترجمة فى التهذيب .

و « عبد الله بن حنظلة بن أبى عامر الراهب » ، فأبوه « حنظلة » ، هو غسيل الملائكة ، غسلته يوم قتل فى أحد . وكان الأجود أن يقال : « . . . بن حنظلة بن أبى عامر ، ابن الغسيل » . فإن أبا عامر هو الراهب ، الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم « الفاسق » . و « عبد الله بن حنظلة » ، مترجم فى التهذيب .

وكان فى المخطوطة والمطبوعة : « عبد الله بن زيد بن حنظلة . . . » ، بزيادة « ابن زيد » ، وهو خطأ محض ، لعله سهو من الناسخ .

وأما « عبد الله » المذكور فى هذا الأثر غير منسوب ، والمسئول عن وضوئه ، فهو « عبد الله ابن عمر بن الخطاب » ، صاحب رسول الله .

وهذا الأثر ، رواه أبو داود فى سننه ١ : ٤٣ ، رقم : ٤٨ ، من طريق محمد بن عوف الطائى ، عن أحمد بن خالد ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن يحيى بن حبان ، عن عبد الله ابن عبد الله بن عمر . ثم قال أبو داود : « إبراهيم بن سعد ، رواه عن محمد بن إسحق قال : عبيد الله ابن عبد الله » . يعنى هذا الرواية التى رواها أبو جعفر فى هذا الإسناد ، عن عبيد الله بن عبد الله ابن عمر .

وأخرجه البيهقى فى سننه ١ : ٣٧ ، ٣٨ . وقد خرجه ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٨٣ من رواية أحمد بن حنبل ، عن يعقوب بن إبراهيم ، عن أبيه إبراهيم بن سعد ، بمثل رواية الطبرى : « عبيد الله ابن عبد الله بن عمر » ، وساق رواية أبى داود « عبد الله بن عبد الله بن عمر » ثم قال : « وأيا ما كان ، فهو إسناد صحيح ، وقد صرح فيه ابن إسحق بالتحديث والسماع من محمد بن يحيى بن حبان ،

عن محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة قال ، حدثني محمد بن يحيى بن حبان الأنصاري قال : قلت لعبيد الله بن عبد الله بن عمر : أخبرني عن وضوء عبد الله لكل صلاة ، ثم ذكر نحوه . (١)

١١٣٣٠ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا يحيى وعبد الرحمن قالا ، حدثنا سفيان، عن علقمة بن مرثد ، عن سليمان بن بريدة ، عن أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ لكل صلاة . فلما كان عام الفتح ، صلّى الصلوات بوضوء واحد، ومسح على خفيه، فقال عمر : إنك فعلت شيئاً لم تكن تفعله ! قال: عمداً فعلته . (٢) ٧٣/٦

فزال محذور التدليس . لكن قال الحافظ ابن عساكر رواه سلمة بن الفضل ، وعلى بن مجاهد ، عن ابن إسحق ، عن محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة ، عن محمد بن يحيى بن حبان ، به . والله أعلم » .

وهذا الإسناد الذى ذكره ابن عساكر ، هو الإسناد التالى .

(١) الأثر : ١١٣٢٩ – مكرر الذى قبله .

« محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة بن عبد يزيد بن المطلب بن عبد مناف » . قال أبو داود وابن معين : « ثقة » ، وقال ابن سعد : « كان قليل الحديث » . مترجم فى التهذيب . انظر التعليق على الأثر السالف .

(٢) الأثر : ١١٣٣٠ – « يحيى » ، هو : « يحيى بن سعيد القطان » .

و « عبد الرحمن » ، هو « عبد الرحمن بن مهدى » .

و « سفيان » ، هو الثورى .

و « علقمة بن مرثد الحضرمى »، روى عن زر بن حبيش ، وطارق بن شهاب ، وسليمان بن بريدة وغيرهم . روى عنه شعبة ، وسفيان الثورى ، ومسعر . ثقة ثبت فى الحديث . مترجم فى التهذيب .

و « سليمان بن بريدة بن الحصيب الأسلمى » . أخو « عبد الله بن بريدة » . روى عن أبيه ، وعمران بن حصين ، وعائشة . روى عنه علقمة بن مرثد ، ومحارب بن دثار ، وغيرهم . قال أحمد : عن وكيع : « يقولون إن سليمان بن بريدة كان أصح حديثاً من أخيه وأوثق» . ثقة ، مترجم فى التهذيب .

وأبوه : « بريدة بن الحصيب الأسلمى » ، أسلم قبل بدر ، ولم يشهدها ، وشهد خيبر وفتح مكة . استعمله النبى صلى الله عليه وسلم على صدقات قومه . وسكن المدينة ، ثم انتقل إلى البصرة ، ثم إلى مرو ، فمات بها .

وهذا الأثر ، سيرويه أبو جعفر من طريق أخرى رقم : ١١٣٣٣ .

رواه أحمد فى مسنده ٥ : ٣٥٠ ، من طريق يحيى بن سعيد ، عن سفيان ، به و ٥ : ٣٥٨ ، من طريق عبد الرحمن بن مهدى ، عن سفيان بمثله ، ورواه أيضاً ٥ : ٣٥١ ، من طريق وكيع ، عن سفيان ، بمثله .

١١٣٣١ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن محارب بن دثار ، عن سليمان بن بريدة ، عن أبيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ لكل صلاة . فلما كان يوم فتح مكة ، صلى الصلوات كلها بوضوء واحد .(١)

١١٣٣٢ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ،

ورواه مسلم ٣ : ١٧٦ ، ١٧٧ ، من طريق عبد الله بن نمير ، عن سفيان = ومن طريق محمد بن حاتم = واللفظ له ، عن يحيى بن سعيد ، عن سفيان ، بمثله .

ورواه أبو داود فى سننه ١ : ٨٢ ، رقم : ١٧٢ ، من طريقه مسدد ، عن يحيى بن سعيد ، بمثله .

ورواه النسائى ١ : ٨٦ ، من طريق عبيد الله بن سعيد ، عن يحيى ، بمثله .

ورواه البيهقى فى السنن ١ : ١٦٢ من طريق ابن وهب ، عن سفيان ، بمثله ومن طريق الضحاك بن مخلد ، عن سفيان . ثم رواه أيضاً ١ : ٢٧١ من طريق أبى داود فى سننه . ومن طريق على بن قادم ، عن سفيان .

ورواه الترمذى فى السنن ١ : ٨٩ ، ٩٠ (شرح أخى السيد أحمد) ، وعلق عليه الترمذى ، وذكر اختلاف الرواة فيه ، كما سيأتى . ولكن حديث الثورى عن علقمة بن مرثد ، مرفوع موصول ، لم يختلف فيه أحد من الرواة ، وإنما اختلفوا فى حديث الثورى ، عن محارب بن دثار ، كما سيأتى .

(١) الأثر : ١١٣٣١ – « محارب بن دثار بن كردوس السدوسى » . ثقة ، روى له الأربعة . قال سماك بن حرب : « كان أهل الجاهلية إذا كان فى الرجل ست خصال سودوه : الحلم ، والصبر ، والسخاء ، والشجاعة ، والبيان ، والتواضع ، ولا يكملن فى الإسلام إلا بالعفاف . وقد كملن فى هذا الرجل – يعنى محارب بن دثار » .

وهذا الأثر ، رواه أبو جعفر مرفوعاً موصولا من طريقين ، هذا ، ورقم : ١١٣٣٤ .

ورواه ابن ماجة ١ : ١٧٠ ، رقم : ٥١٠ ، من طريق وكيع ، عن سفيان ، عن محارب ابن دثار ، مرفوعاً موصولا .

وتكلم فى رواية سفيان ، عن محارب بن دثار ، الترمذى فى سننه ١ : ٨٩ ، ٩٠ ، فأشار إلى روايتها مرفوعة موصولة ، ومرسلة ، من طريق عبد الرحمن بن مهدى وغيره، عن سفيان ، عن محارب ابن دثار ، وقال : « وهذا أصح من حديث وكيع » . وزاد الطبرى فى الأثر ١١٣٣٤ ، روايته من طريق معاوية بن هشام ، عن سفيان ، مرفوعاً موصولا . و « معاوية بن هشام » ، ثقة .

قال أخى السيد أحمد : « وهذه الرواية جعلها الترمذى مرجوحة ، ورأى أن رواية من رواه عن الثورى ، عن محارب ، عن سليمان مرسلا – : أصح . ولسنا نوافقه على ذلك ، لأن الحديث معروف عن سليمان عن أبيه . ووكيع ثقة حافظ . فالظاهر أن الثورى كان تارة يروى الحديث عن محارب موصولا ، كما رواه عنه وكيع ، وتارة مرسلا ، كما رواه عنه غيره » .

عن محارب بن دثار ، عن سليمان بن بريدة : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ ، فذكر نحوه . (١)

١١٣٣٣ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا معاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن علقمة بن مرثد ، عن ابن بريدة ، عن أبيه قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات كلها بوضوء واحد ، فقال له عمر : يا رسول الله ، صنعت شيئاً لم تكن تصنعه ؟ فقال : عمداً فعلته ، يا عمر . (٢)

١١٣٣٤ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا معاوية ، عن سفيان ، عن محارب بن دثار ، عن سليمان بن بريدة ، عن أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ لكل صلاة . فلما فتح مكة ، صلى الظهرَ والعصرَ والمغرب والعشاء بوضوء واحد . (٣)

١١٣٣٥ – حدثنا محمد بن عبيدالمحاربي قال ،حدثنا الحكم بن ظُهَير ، عن مِسْعر ، عن محارب بن دثار ، عن ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء بوضوء واحد . (٤)

* * *

---

(١) الأثر : ١١٣٣٢ – هذه هي الرواية المرسلة للأثر السالف ، والتي أشار إليها الترمذي كما أسلفنا .

(٢) الأثر : ١١٣٣٣ – هذه طريق أخرى للأثر السالف رقم : ١١٣٣٠ ، وقد أشرنا إليها في التخريج هناك .

و « معاوية بن هشام الأسدي القصار » ، مضى برقم : ٢٩٩٧ ، ثقة ، وثقه أبو داود وابن حبان . وقال أحمد : « هو كثير الخطأ » .

(٣) الأثر : ١١٣٣٤ – هذه طريق أخرى ، لحديث وكيع ، عن سفيان ، التي خرجناها في رقم : ١١٣٣١ ، وأشرنا إليها هناك .

(٤) الأثر : ١١٣٣٥ – حديث ضعيف الإسناد جداً .

« الحكم بن ظهير الفزاري » ، مضى برقم: ٢٤٩ ، ٥٥٢٣ ، ٥٧٩٢ . رمى بوضع الحديث ، تركوه . قال ابن حبان : « كان يشتم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، يروي عن الثقات الأشياء الموضوعات » .

و « مسعر » ، هو « مسعر بن كدام » ، ثقة معروف ، أحد الأعلام . مضى برقم : ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ١٩٧٤ ، ٥٧٢٩ ، ٦١٧٢ .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك عندنا بالصواب ، قولُ من قال : إن الله عنى بقوله : « إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا » ، جميعَ أحوال قيام القائم إلى الصلاة ، غير أنه أمرُ فرضٍ بغسل ما أمر الله بغسله القائمَ إلى صلاته ، بعد حَدَثٍ كان منه ناقضٍ طهارتَه ، وقبل إحداث الوضوء منه = وأمر ندب لمن كان على طهر قد تقدم منه ، ولم يكن منه بعده حدث ينقض طهارته . ولذلك كان عليه السلام يتوضأ لكل صلاة قبل فتح مكة ، ثم صلىّ يومئذ الصلوات كلها بوضوء واحد ، ليعلّم أمّته أن ما كان يفعل عليه السلام من تجديد الطهر لكل صلاة ، إنما كان منه أخذاً بالفضل ، وإيثاراً منه لأحب الأمرين إلى الله ، ومسارعةً منه إلى ما ندبه إليه ربّه = لا على أن ذلك كان عليه فرضاً واجباً .

فإن ظنّ ظانٌّ أن فى الحديث الذى ذكرناه عن عبد الله بن حنظلة أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر بالوضوء عند كل صلاة ،(١) دلالةً على خلاف ما قلنا من أن ذلك كان ندباً للنبى عليه السلام وأصحابه = وخُيِّل إليه أن ذلك كان على الوجوب = فقد ظنّ غير الصواب .(٢)

وذلك أن قول القائل : « أمرَ الله نبيه صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا » ، محتملٌ من وجوه لأمر الإيجاب ، والإرشاد ، والندب ، والإباحة ، والإطلاق . وإذ كان محتملاً ما ذكرنا من الأوجه ، كان أولى وجوهه به ما على صحته الحجة مجمعة ، دون ما لم يكن على صحته برهان يوجب حقيقة مدّعيه .(٣) وقد أجمعت الحجة على أنّ الله عز وجل لم يوجب على نبيه صلى الله عليه وسلم ولا على عباده ، فرضَ

---

(١) انظر الأثر رقم : ١١٣٢٨ .

(٢) سياق هذه الجملة : فإن ظن ظان . . . وخيل إليه أن ذلك كان على الوجوب ، فقد ظن غير الصواب » .

(٣) قوله : « حقيقة مدعيه » ، أى : حق مدعيه . واستعمال « حقيقة » بمعنى « حق » ، قد سار عليه أبو جعفر فى كتابه هذا ، وسار الناشرون على تغيير « حقيقة » ، إلى « حقية » ، كما جاء هنا فى المطبوعة ، مخالفاً للمخطوطة . وانظر ما سلف ٨ : ٥٦٨ ، تعليق : ١ = ثم : ٥٩٢ ، تعليق : ٧ = ثم ٩ : ٣٣٦ ، تعليق : ٤ = ثم : ٣٦٠ ، تعليق : ٤ .

الوضوء لكل صلاة ، ثم نسخ ذلك . ففى إجماعها على ذلك ، الدلالةُ الواضحةُ على صحة ما قلنا : من أن فعل النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يفعل من ذلك، كان على ما وصفنا، من إيثاره فعلَ ما ندبه الله عز ذكره إلى فعله وندبَ إليه عباده المؤمنين بقوله : « يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق » الآية = وأن تركه فى ذلك الحال الذى تركه،[1] كان ترخيصاً لأمته، وإعلاماً منه لهم أن ذلك غير واجب ولا لازم له ولا لهم، إلاّ من حدَثٍ يوجب نقضَ الطهر .

* * *

وقد روى بنحو ما قلنا فى ذلك أخبار :

١١٣٣٦ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنى وهب بن جرير قال ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن عامر ، عن أنس : أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بقَعْبٍ صغير فتوضأ . قال : قلت لأنس : أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ عند كل صلاة ؟ قال : نعم ! قلت : فأنتم ؟ قال : كنا نصلى الصلوات بوضوء واحد .[2]

---

(١) فى المخطوطة : « فى ذلك الحال التى تركه » ، والصواب ما أثبته ، يريد : وأن تركه الذى تركه ، كان ترخيصاً . . .

(٢) الأثر : ١١٣٣٦ – « عمرو بن عامر الأنصارى » ، روى عن أنس بن مالك . وعنه أبو الزناد ، وشعبة ، وسفيان الثورى ، ومسعر ، وشريك . ثقة صالح الحديث . روى له الأربعة . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣/١/٢٤٩ . وانظر بقية التعليق .

وهذا الأثر رواه البخارى (الفتح ١ : ٢٧٢ ، ٢٧٣) ، من طريق محمد بن يوسف الفريابى ، عن سفيان الثورى ، عن عمرو بن عامر = ومن طريق مسدد ، عن يحيى ، عن سفيان الثورى .

ورواه أبو داود فى السنن ١ : ٨١، رقم : ١٧١ ، من طريق محمد بن عيسى ، عن شريك ، عن عمرو بن عامر البجلى = قال محمد: هو أبو : « أسد بن عمرو » = قال سألت أنس ، بمثله . هذا ، و « عمرو بن عامر البجلى » ، هو غير « عمرو بن عامر الأنصارى » ، وكأن محمد بن عيسى قد أخطأ . وانظر التهذيب فى « عمرو بن عامر البجلى » .

ورواه الترمذى ١ : ٨٨ (شرح أخى السيد أحمد) من طريق محمد بن بشار ، عن يحى ابن سعيد ، وعبد الرحمن بن مهدى ، عن سفيان ، عن عمرو بن عامر ، قال الترمذى : « هذا حديث حسن صحيح » .

١١٣٣٧ – حدثنا سليمان بن عمر بن خالد الرقّى، حدثنا عيسى بن يونس، عن عبد الرحمن بن زياد الإفريقى ، عن أبى غطيف قال : صليت مع ابن عمر الظهر، فأتى مجلساً فى داره فجلس وجلست معه . فلما نُودى بالعصر ، دعا بوضوء فتوضأ ، ثم خرج إلى الصلاة ، ثم رجع إلى مجلسه . فلما نودى بالمغرب ، دعا بوضوء فتوضأ ، فقلت : أسنة ما أراك تَصنع ؟ قال: لا ، وإن كان وَضوئى لصلاة الصبح كافىَّ الصلوات كلها مالم أحدِث ،[1] ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من توضأ على طهرٍ، كتب له عشر حسنات » ،[2] فإنما رغبت فى ذلك .[3] ٧٤/٦

ورواه النسائى فى سننه ١ : ٨٥ ، من طريق خالد ، عن شعبة ، عن عمرو بن عامر كمثل طريق أبى جعفر هذا .

ورواه ابن ماجه ١ : ١٧٠ ، رقم : ٥٠٩ ، من طريق شريك ، عن عمرو بن عامر .

والبيهقى فى السنن ١ : ١٦٢ من طريق الفريابى ، عن سفيان .

ورواه أحمد ، من طريق عبد الرحمن بن مهدى ، عن سفيان ، عن عمرو بن عامر الأنصارى ، انظر تفسير ابن كثير (٣ : ٨٤) .

(١) فى المطبوعة « كاف للصلوات كلها » ، غير ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « فأنا رغبت » ، غير ما فى المخطوطة .

(٣) الأثر : ١١٣٣٧ – « سليمان بن عمر بن خالد الرق ، الأقطع » ، مضت ترجمته برقم : ٦٢٥٤ .

و « عيسى بن يونس بن أبى إسحق السبيعى » ، رأى جده أبا إسحق ، روى عن أبيه وأخيه ، وعن كثير . ثقة ، روى له الأئمة . مترجم فى التهذيب .

و « عبد الرحمن بن زياد بن أنعم المعافرى الإفريقى » ، هو « ابن أنعم » ، و « الإفريقى » ، مضى برقم : ٢١٩٥ ، ١٠١٨٠ ، تكلم فيه بعض العلماء ، ولكن وثقه أخى السيد أحمد فى رقم : ٢١٩٥ .

و « أبو غطيف الهذلى » ، ويقال : « غطيف » ، ويقال : « غضيف » . قال أبو زرعة : « لا يعرف اسمه » . ضعفه الترمذى . مترجم فى التهذيب .

وهذا الحديث ، رواه أبو داود فى سننه ١ : ٤٨ ، رقم : ٦٢ ، من طريق محمد بن يحيى ابن فارس ، عن عبد الله بن يزيد المقرىء ، ومن طريق مسدد ، عن عيسى بن يونس ، جميعاً عن عبد الرحمن بن زياد ، مختصراً .

ورواه ابن ماجه ١ : ١٧٠ ، ١٧١ ، رقم : ٥١٢ ، من طريق محمد بن يحيى ، عن عبد الله ابن يزيد المقرىء ، مطولا .

والبيهقى فى السنن ١ : ١٦٢ .

والترمذى فى السنن ١ : ٨٧ ، ٨٨ (شرح أخى السيد أحمد) ، وقد ضعف الترمذى هذا الإسناد ،

١١٣٣٨ – حدثني أبو سعيد البغدادي قال ، حدثنا إسحق بن منصور ، عن هريم ، عن عبد الرحمن بن زياد ، عن أبي غطيف ، عن ابن عمر قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من توضأ على طُهْرٍ كتب له عشر حسنات .(١)

* * *

وقد قال قوم : إن هذه الآية أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إعلاماً من الله له بها أنْ لا وضوء عليه إلا إذا قام إلى صلاته ، دون غيرها من الأعمال كلها . وذلك أنه كان إذا أحدث امتنع من الأعمال كلِّها حتى يتوضأ ، فأذن الله بهذه الآية أن يفعل كل ما بدا له من الأفعال بعد الحدث عدَا الصلاة ، توضأ أو لم يتوضأ ، وأمره بالوضوء إذا قام إلى الصلاة قبل الدخول فيها .

* ذكر من قال ذلك :

١١٣٣٩ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا معاوية بن هشام ، عن شيبان ، عن جابر ، عن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم ، عن عبد الله بن علقمة ابن الفغواء ، عن أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراق البول نكلمه فلا يكلمنا ، ونسلم عليه فلا يرد علينا ، حتى يأتي منزله فيتوضأ كوضوئه للصلاة . فقلنا : يا رسول الله ، نكلمك فلا تكلمنا ، ونسلم عليك فلا ترد علينا ؟ قال : حتى نزلت آية الرخصة : « يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة » ، الآية .(٢)

* * *

وقال البخاري في حديث أبي غطيف هذا : « لم يتابع عليه » . وانظر شرح السنن .

(١) الأثر : ١١٣٣٨ – « أبو سعيد البغدادي » ، مضى برقم : ٦٦٨٤ ، « أبو سعيد ابن يوشع البغدادي » ، ولم أجد له ترجمة ، ثم مضى برقم : ٦٦٩٠ « أبو سعيد البغدادي » كالذي هنا .

و « إسحق بن منصور السلولي » . ثقة ، مضت ترجمته برقم : ٤٩٢٥ ، ومضت رواية أبي سعيد البغدادي عنه في : ٦٦٨٤ ، ٦٦٩٠ .

و « هريم بن سفيان البجلي » ، ثقة . مترجم في التهذيب .

وهذا الأثر ، مختصر الأثر السالف . ونقله ابن كثير في تفسير ٣ : ٨٤ ، عن هذا الموضع من التفسير .

(٢) الأثر : ١١٣٣٩ – هذا خبر مشكل ، وهو مع إشكاله ضعيف الإسناد ، لضعف جابر بن يزيد الجعفي ، فهو ضعيف جداً ، رمي بالكذب ، كما بينه أخي السيد أحمد في رقم : ٢٣٤٠ .

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى حدّ « الوجه » الذى أمر الله بغسله القائمَ إلى الصلاة بقوله : « إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم » .

فأول ذلك أن إسناده فى المطبوعة كان هكذا : « معاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن جابر ابن عبد الله بن أبى بكر ، عن عمرو بن حزم ، عن عبد الله بن علقمة بن وقاص ، عن أبيه » .

وفى المخطوطة : « معاوية بن هشام ، عن شيبان ، عن جابر بن عبد الله بن أبى بكر ، عن عمرو ابن حزم ، عن عبد الله بن علقمة بن الفغواء ، عن أبيه » .

فخالفت المطبوعة المخطوطة ، فجعلت مكان « شيبان » ، « سفيان » = ومكان « عبد الله ابن علقمة بن الفغواء » ، عبد الله بن علقمة بن وقاص » ، ولا أدرى من أين أتى به ناسخ تفسير أبى جعفر ، فإن ابن كثير فى تفسيره قد نقله ولا شك عن نسخة من تفسير أبى جعفر ، وفيها « عبد الله ابن علقمة بن وقاص » .

وسأبدأ بذكر ما وجدته فيما بين يدى من الكتب ، من ذكر هذا الخبر وإسناده .

١ = فرواه الطحاوى فى معانى الآثار ١ : ٥٣ بروايته عن ابن أبى داود قال : « حدثنا أبو كريب ، قال حدثنا معاوية بن هشام ، عن شيبان ، عن جابر ، عن عبد الله بن محمد ، عن أبى بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم ، عن عبد الله بن علقمة بن الفغواء ، عن أبيه . . . »

٢ = ونقله ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٨٤ ، من تفسير ابن جرير فقال : « حدثنا أبو كريب ، حدثنا معاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن جابر ، عن عبد الله بن أبى بكر بن عمرو بن حزم ، عن عبد الله بن علقمة بن وقاص ، عن أبيه . . . » .

ثم قال : « ورواه ابن أبى حاتم ، عن محمد بن مسلم ، عن أبى كريب ، به نحوه » .

٣ = ورواه الجصاص فى أحكام القرآن ٢ : ٣٢٩ ، فقال : « روى سفيان الثورى ، عن جابر ، عن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن عبد الله بن علقمة، عن أبيه ...»

٤ = وذكره الحافظ ابن حجر فى الإصابة ، فى ترجمة « علقمة بن الفغواء الخزاعى » ، فقال : « أخرجه مطين ، والطحاوى ، والدارقطنى من طريق جابر الجعفى ، عن عبد الله بن محمد ابن حزم ، عن عبد الله بن علقمة بن الفغواء ، عن أبيه . . . »

٥ = وذكره ابن الأثير فى أسد الغابة ٤ : ١٤ فى ترجمة « علقمة بن الفغواء الخزاعى » فقال : « روى أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن عبد الله بن علقمة بن الفغواء ، عن أبيه . . »

٦ = وخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ١ : ٢٧٦ فقال : « وعن علقمة بن الفغواء . . . رواه الطبرانى فى الكبير ، وفيه جابر الجعفى ، وهو ضعيف » .

٧ = وذكره أبو جعفر النحاس فى الناسخ والمنسوخ : ١١٩ قال : « حديث علقمة بن الفغواء ، عن أبيه أنه قال : . . . » ، وهذا خطأ لاشك فيه ، فإن المطبوع من الناسخ والمنسوخ ردىء الطبع

. . . . . .

جداً . والصواب « حديث عبد الله بن علقمة بن الفغواء ، عن أبيه ... » . وفى المطبوعة : « علقمة ابن القعوى» ، وهو تحريف لاشك فى خطئه .

٨ = وخرجه السيوطى فى الدر المنثور فقال : « وأخرج ابن جرير ، وابن أبى حاتم ، والطبرانى ، بسند ضعيف ، عن علقمة بن صفوان . . . » .

فهذا ، كما ترى ، اختلاف شديد جداً فى أسانيد هذا الأثر .

فالاختلاف الأول : فى الذى روى عنه معاوية بن هشام ، ففى المطبوعة ، وابن كثير ، وأحكام القرآن للجصاص أنه رواه عن « سفيان » ، وهو الثورى كما صرح به الجصاص . وفى المخطوطة ، ومعانى الآثار للطحاوى أنه رواه عن « شيبان » ، وهو النحوى . ومعاوية بن هشام يروى عنهما جميعاً . وسفيان الثورى ، وشيبان النحوى ، يرويان جميعاً عن جابر بن يزيد الجعفى . فجائز أن يكون معاوية بن هشام رواه عنهما جميعاً ، عن جابر ، مرة عن هذا ، ومرة عن هذا .

والاختلاف الثانى : فى الذى رواه عنه « سفيان » أو « شيبان » . ففى المطبوعة والمخطوطة : « جابر بن عبد الله بن أبى بكر ، عن عمرو بن حزم » ، وهو خطأ لاشك فيه ، لأن الحديث مداره على « جابر بن يزيد الجعفى » ، كما جاء فى المراجع جميعاً .

والاختلاف الثالث : فى الذى رواه عنه « جابر الجعفى »، فذكر الطحاوى فى معانى الآثار . أنه عن : « عبد الله بن محمد ، عن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم » فكأن جابراً رواه عن « عبد الله بن محمد » هذا ، عن « أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، كما قال ابن الأثير فى أسد الغابة ، وأما ما نقله ابن كثير عن نسخة من تفسير أبى جعفر من أنه : « عبد الله بن أبى بكر بن عمرو ابن حزم» ، فاتفق مع ما جاء فى أحكام القرآن للجصاص ، وفى الإصابة لابن حجر – مع اختلاف لا يضر فى اختصار اسمه .

فانفرد الطحاوى بأن زاد « عبد الله بن محمد » فى هذا الإسناد ، ولا ندرى من يكون . فأخشى أن يكون فى النسخة المطبوعة من معانى الآثار ، خطأ .

والاختلاف الرابع : متعلق بالاختلاف الثالث، فى الراوى عن « عبد الله بن علقمة ابن الفغواء » أهو : « عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم » = كما جاء فى تفسير ابن كثير ، وفى أحكام القرآن للجصاص ، والإصابة = أم هو أبوه « أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم » ، كما جاء فى إسناد الطحاوى ، وكما ذكر ابن الأثير فى أسد الغابة ؟

والاختلاف الخامس : فإن المطبوعة ، وابن كثير فى تفسيره ، جعلا التابعى الراوى عن أبيه « عبد الله بن علقمة بن وقاص » ، وانفرد السيوطى فى الدر المنثور بأن جعل أباه الصحابى هو « علقمة بن صفوان » ، وكلاهما خطأ لا شك فيه ، بدليل إجماع سائر الرواة على أن هذا الخبر من حديث « علقمة بن الفغواء الخزاعى » .

من أجل ذلك كله ، غيرت ما فى المطبوعة ، فجعلت « شيبان » مكان « سفيان » ، مطابقاً لما فى المخطوطة ومعانى الآثار . وجعلت « جابر ، عن عبد الله بن أبى بكر بن عمرو بن حزم » ، مطابقاً لما فى تفسير ابن كثير ، وأحكام القرآن للجصاص ، والإصابة لابن حجر . وجعلت

فقال بعضهم : هو ما ظهر من بَشرة الإنسان ، من قُصَاص شعر رأسه ، [١] منحدراً إلى منقطع ذَقَنه طولاً ، وما بين الأذنين عرضاً . قالوا : فأمّا الأذن وما بطن من داخل الفم والأنف والعين ، فليس من الوجه . وغير واجب غسلُ ذلك ولا غسل شيء منه فى الوضوء. [٢] قالوا : وأما ما غطاه الشعر منه ، كالذقن الذى غطاه شعر اللحية ، والصُّدغين اللذين قد غطاهما عِذَار اللحية ، فإن إمرار الماء على ما على ذلك من الشعر ، مجزئ من غسل ما بطن منه من بشرة الوجه ، [٣] لأن « الوجه »

« عبد الله بن علقمة بن الفغواء » ، مكان « عبد الله بن علقمة بن وقاص» مطابقاً لما فى سائر الأخبار ، سوى ابن كثير ، والسيوطى .

أما رجال الإسناد ، فهم :

« معاوية بن هشام الأسدى القصار » ، ثقة . مضى برقم : ٢٩٩٧ .

و « سفيان » – كما أسلفنا فى الاختلاف الأول – هو سفيان الثورى الإمام الثقة ، مضى مراراً .

وأما « شيبان » ، فهو « أبو معاوية ، شيبان النحوى » ، وهو : « شيبان بن عبد الرحمن التميمى » ، إمام ثقة. مضى مراراً، رقم : ٢٣٤٠ ، ٤٨٩٨ ، ٥٢٨٠ ، ٩٢٢٢ ، ٩٢٢٣ ، ٩٤٥٦ .

وأما « جابر»، فهو: «جابر بن يزيد بن الحارث الجعفى » ، ضعيف جداً ، رمى بالكذب . مضى برقم : ٧٦٤ ، ٨٥٨ ، ٢٣٤٠ ، ٣٠٧٤ ، ٥٤٢٣ ، ٧٣٥٠ .

و « عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى » ، ثقة ، مضى برقم : ٤٨٠٨ .

وأما أبوه : « أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم » ، فتابعى ثقة . مضى برقم : ٢٠٣١ .

و « عبد الله بن علقمة بن الفغواء الخزاعى » ، روى عن أبيه . روى عنه زيد بن أسلم ، ومسلم ابن نبهان . مترجم فى ابن أبى حاتم ١٢١/٢/٢ .

وأبوه : « علقمة بن الفغواء الخزاعى » ، دليل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك . سمع النبى صلى الله عليه وسلم . روى عن عمر . روى عنه ابنه عبد الله . مترجم فى الإصابة ، وأسد الغابة ، وطبقات ابن سعد ٣٢/٢/٤ ثم ٥ : ٣٤٠ ، والكبير للبخارى ٣٩/١/٤ ، وابن أبى حاتم ٤٠٤/١/٣ .

ومضى تخريج الأثر فيما سلف مما كتبناه ، وهو بمثل لفظ الطبرى ، إلا فى بعض حروف يسيرة ، وإلا ما جاء فى رواية الجصاص فى أحكام القرآن . كتبه محمود محمد شاكر .

(١) « قصاص الشعر » (بضم القاف وكسرها وفتحها) : نهاية منبته من مقدم الرأس .

(٢) فى المطبوعة : « فليس من الوجه ولا غيره ولا أحب غسل ذلك » ، كان فى المخطوطة : « فليس من الوجه وغيره اجب غسل ذلك » مع وصل راء « غير » بما يشبه الهاء المفردة ، ففعل الناشر ما فعل فى إفساد هذه العبارة ، بلا أمانة ولا عقل .

(٣) فى المطبوعة : « مجزىء عن غسل » ، وما فى المخطوطة ، هو الجيد الذى سار عليه القدماء .

عندهم : هو ما عَنَّ لعين الناظر من ذلك فقابلها ،[١] دون غيره .

• ذكر من قال ذلك :

١١٣٤٠ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عمر بن عبيد ، عن مغيرة ، عن إبراهيم قال : يجزئ اللحية ما سال عليها من الماء .[٢]

١١٣٤١ – حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا شعبة قال ، حدثنا المغيرة ، عن إبراهيم قال : يكفيه ما سال من الماء من وجهه على لحيته .

١١٣٤٢ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا ابن أبي عدى ، عن شعبة، عن المغيرة ، عن إبراهيم ، بنحوه .

١١٣٤٣ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا أبو داود، عن شعبة ، عن مغيرة، عن إبراهيم ، بنحوه .

١١٣٤٤ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن مغيرة فى تخليل اللحية قال : يجزيك ما مرَّ على لحيتك .

١١٣٤٥ – حدثنا هرون بن إسحق الهمدانى قال، حدثنا مصعب بن المقدام قال ، حدثنا زائدة ، عن منصور قال : رأيت إبراهيم يتوضأ فلم يخلِّل لحيته .[٣]

---

(١) فى المخطوطة : « فهو باطن لعين الناظر » ، وهو تحريف ، وصححها فى المطبوعة : « ما ظهر لعين الناظر » ، ورأيت قراءتها كما أثبتها يقال : « عن الشيء يعن عنناً وعنوناً » : عرض وظهر أمامك .

(٢) الأثر : ١١٣٤٠ – فى المخطوطة : « عن معمره » ، وفى المطبوعة : « عن معمر » ، والصواب ما أثبته .

« عمر بن عبيد بن أبي أمية الطنافسى » ، مضى برقم : ٨٩٧٩ .

و « مغيرة » ، هو « مغيرة بن مقسم الضبى » ، مضى مراراً كثيرة ، وروايته عن « إبراهيم النخعى » ، دائرة فى التفسير ، وانظر الآثار التالية لهذا .

وقد مضى هذا الإسناد نفسه برقم : ٨٩٧٩ .

(٣) الأثر : ١١٣٤٥ – « هارون بن إسحق الهمدانى » و « مصعب بن المقدام » ، مضيا برقم : ٣٠٠١ .

١١٣٤٦ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس، عن سعيد الزبيدى، عن إبراهيم قال : يجزيك ما سال عليها من أن تخللها .(١)

١١٣٤٧ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن يونس قال : كان الحسن إذا توضأ مسح لحيته مع وجهه .

١١٣٤٨ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس قال، حدثنا هشام، عن الحسن : أنه كان لا يخلّل لحيته .

١١٣٤٩ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا ابن المبارك، عن هشام، عن الحسن : أنه كان لا يخلل لحيته إذا توضأ .

١١٣٥٠ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا هرون، عن إسمعيل، عن الحسن، مثله .

١١٣٥١ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم، عن أشعث، عن ابن سيرين قال : ليس غسلُ اللحية من السنة .

١١٣٥٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا هرون، عن عيسى بن يزيد، عن عمرو، عن الحسن : أنه كان إذا توضأ لم يبلّغ الماء فى أصول لحيته .

١١٣٥٣ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا هرون، عن أبى شيبة سعيد بن عبد الرحمن الزبيدى قال : سألت إبراهيم : أخلّل لحيتى عند الوضوء بالماء؟ فقال : لا، إنما يكفيك ما مرّت عليه يدك .(١)

١١٣٥٤ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية قال، سألت شعبة عن تخليل اللحية فى الوضوء، فقال : قال المغيرة، قال إبراهيم : يكفيه ما سال من الماء من وجهه على لحيته . ٧٥/٦

---

(١) الأثر : ١١٣٤٦، ١١٣٥٣ – «سعيد الزبيدى»، هو «سعيد بن عبد الرحمن الزبيدى» «أبو شيبة»، وثقه أبو داود، وابن حبان، وقال البخارى : «لا يتابع فى حديثه» . مترجم فى التهذيب وسيأتى فى الأثر رقم : ١١٣٥٣ .

١١٣٥٥ – حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال، حدثنا حجاج ابن رشدين قال ، حدثنا عبد الجبار بن عمر : أن ابن شهاب وربيعة توضآ فأمرّا الماء على لحاهما ، ولم أر واحداً منهما خلّل لحيته .

١١٣٥٦ – حدثنا أبو الوليد الدمشقي قال، حدثنا الوليد بن مسلم قال : سألت سعيد بن عبد العزيز ، عن عَرْك العارضين في الوضوء ، فقال : ليس ذلك بواجب ، رأيت مكحولاً يتوضأ فلا يفعل ذلك .(١)

١١٣٥٧ – حدثنا أبو الوليد أحمد بن عبد الرحمن القرشي قال ، حدثنا الوليد قال، أخبرني سعيد بن بشير ، عن قتادة، عن الحسن قال: ليس عَرْك العارضين في الوضوء بواجب .(٢)

١١٣٥٨ – حدثنا أبو الوليد قال ، حدثنا الوليد قال ، أخبرني إبراهيم بن محمد ، عن المغيرة ، عن إبراهيم قال : يكفيه ما مرّ من الماء على لحيته .(٣)

١١٣٥٩ – حدثنا أبو الوليد القرشي قال، حدثنا الوليد قال، أخبرني ابن لهيعة، عن سليمان بن أبي زينب قال : سألت القاسم بن محمد : كيف أصنع بلحيتي إذا توضأت ؟ قال : لستُ من الذين يغسلون لحاهم .(٤)

---

(١) الأثر : ١١٣٥٦ – «أبو الوليد الدمشقي» ، هو «أبو الوليد القرشي» ، كما في الأثر : ١١٣٥٩ ، وهو : «أحمد بن عبد الرحمن بن بكار بن عبد الملك بن الوليد بن بسر بن أرطاة القرشي» ، ويقال في نسبته «البسري» ، نسبة إلى جده ، ويقال «العامري» ، لأنه من ولد «معيص بن عامر بن لؤي» . ثقة صدوق . مترجم في التهذيب .

(٢) الأثر : ١١٣٥٧ – «سعيد بن بشير الأزدي» ، مضى برقم : ١٢٦ ، ٥٤٣٩ ، ٩٦٣٢ .

(٣) الأثر : ١١٣٥٨ – «إبراهيم بن محمد» هو : «إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء ابن خارجة» ، «أبو إسحق الفزاري» ، مضى برقم : ٣٨٣٣ ، ١١٢٨٥ .

(٤) الأثر : ١١٣٥٩ – «سليمان بن أبي زينب السبأي الشامي» ، روى عنه سعيد بن أبي أيوب المصري . مترجم في الكبير ٢/٢/١٥ ، وابن أبي حاتم ٢/١/١١٨ . وكان في المخطوطة والمطبوعة : «سلمان بن أبي زينب» ، وهو خطأ لا شك فيه .

١١٣٦٠ – حدثنا أبو الوليد قال، حدثنا الوليد قال، قال أبو عمرو : ليس عَرْك العارضين وتشبيك اللحية بواجب فى الوضوء .(١)

* * *

* ذكر من قال ما حكينا عنه من أهل هذه المقالة فى غسل ما بَطَن من الفم والأنف .

١١٣٦١ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان، عن عبد الملك بن أبى بشير، عن عكرمة، عن ابن عباس قال : لولا التلمُّظ فى الصلاة ما مضمضتُ .(٢)

١١٣٦٢ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس قال، سمعت عبد الملك يقول : سئل عطاء عن رجل صلى ولم يتمضمض، قال : ما لم يسمَّ فى الكتاب يجزئه .

١١٣٦٣ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم، عن مغيرة، عن إبراهيم قال : ليس المضمضة والاستنشاق من واجب الوضوء .

١١٣٦٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا الصباح، عن أبى سنان قال : كان الضحاك ينهانا عن المضمضة والاستنشاق فى الوضوء فى رمضان .

١١٣٦٥ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس قال، سمعت هشاماً، عن الحسن قال : إذا نسى المضمضة والاستنشاق، قال : إن ذكر وقد دخل فى الصلاة فليمض فى صلاته . وإن كان لم يدخل تمضمض واستنشق .

---

(١) «عرك اللحية» : دلكها . وأما «تشبيك اللحية» فقلما تصيب صفته فى كتب اللغة، وهو بين فى الآثار . روى البيهقى فى السنن ١ : ٥٥، عن ابن عمر : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا توضأ عرك عارضيه بعض العرك، ثم شبك لحيته بأصابعه من تحتها»، يعنى أنه أنشب فيها أصابعه منفرجة، فشبكها فيها .

(٢) الأثر : ١١٣٦١ – «عبد الملك بن أبى بشير البصرى»، روى عن عكرمة وعبد الله ابن مساور، وغيرهما . روى عنه ليث بن أبى سليم، وسفيان الثورى، وزهير بن معاوية، وغيرهم ثقة . مترجم فى التهذيب .

و «التلمظ» : تحريك اللسان فى الفم بعد الأكل، كأنه يتتبع بقية الطعام بين أسنانه .

١١٣٦٦ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن شعبة قال : سألت الحكم وقتادة عن رجل ذكر وهو فى الصلاة أنه لم يتمضمض ولم يستنشق ، فقال : يمضى فى صلاته .

* * *

* ذكر من قال ما حكينا عنه من أهل هذه المقالة : من أن الأذنين ليستا من الوجه .

١١٣٦٧ – حدثني يزيد بن مخلد الواسطى قال ، حدثنا هشيم ، عن غيلان قال : سمعت ابن عمر يقول : الأذنان من الرأس .(١)

١١٣٦٨ – حدثنا عبد الكريم بن أبي عمير قال ، حدثنا أبو مطرف [. . .] قال ، حدثنا غيلان مولى بني مخزوم قال : سمعت ابن عمر يقول : الأذنان من الرأس .(٢)

١١٣٦٩ – حدثنا الحسن بن عرفة قال ، حدثنا محمد بن يزيد ، عن محمد ابن إسحق ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : الأذنان من الرأس ، فإذا مسحت الرأس فامسحهما .

---

(١) الأثر : ١١٣٦٧ – « يزيد بن مخلد الواسطى » ، « أبو خداش » ، روى عن هشيم ، وبشر بن مبشر . روى عنه إبراهيم بن يوسف الهسنجانى ، وعلى بن الحسين بن الجنيد . مترجم فى ابن أبي حاتم ٢٩١/٢/٤ .

« غيلان » هو : « غيلان بن عبد الله الواسطى » مولى قريش (مولى بنى مخزوم). سمع ابن عمر . سمع منه شعبة وهشيم . روى ابن أبي حاتم ، عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : « سمعت أبي يقول : غيلان بن عبد الله مولى قريش ، الذى حدثنا عنه هشيم ، روى عنه شعبة ، هو أحب إلى من سهيل ابن ذكوان » . مترجم فى الكبير ١٠٥/١/٤ ، وابن أبي حاتم ٥٣/٢/٣ . ثم انظر ذكره فى الآثار الآتية : ١١٣٦٨ ، ١١٣٧٠ .

(٢) الأثر : ١١٣٦٨ – « عبد الكريم بن أبي عمير الدهان – أو الدهقان » ، شيخ الطبرى . مضى برقم : ٧٥٧٨ . و « أبو مطرف » ، المعروف بذلك هو « ابن أبي الوزير » : « محمد بن عمر ابن مطرف الهاشمى » ، روى عن شريك وهشيم وغيرهما ، ثقة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١٧٨/١/ ، وابن أبي حاتم ٢٠/١/٤ .

وقد وضعت نقطاً بعده ، لأنى أرجح أنه روى ذلك عن « هشيم » ، كما فى الأثر السالف ، والأثر : ١١٣٧٠ ، فإن مدار هذا الخبر على « هشيم » ، عن غيلان » .

وانظر « غيلان ، مولى بنى مخزوم » ، فى التعليق على الأثر السالف .

١١٣٧٠ – حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرني غيلان بن عبد الله مولى قريش قال : سمعت ابن عمر سأله سائل قال : إنه توضأ ونسي أن يمسح أذنيه ، قال فقال ابن عمر : الأذنان من الرأس . ولم ير عليه بأساً .(١)

١١٣٧١ – حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ، حدثنا أيوب بن سويد = ح ، وحدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن = جميعاً، عن سفيان، عن سالم أبي النضر، عن سعيد بن مرجانة ، عن ابن عمر : أنه قال : الأذنان من الرأس .

١١٣٧٢ – حدثني ابن المثنى قال ، حدثني وهب بن جرير قال ، حدثنا شعبة ، عن رجل ، عن ابن عمر قال : الأذنان من الرأس .

١١٣٧٣ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس قال : الأذنان من الرأس .(٢)

١١٣٧٤ – حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن وسعيد بن المسيب قالا : الأذنان من الرأس .

١١٣٧٥ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا ابن أبي عدي ، عن سعيد ، عن قتادة قال : الأذنان من الرأس = عن الحسن وسعيد .

---

(١) الأثر : ١١٣٧٠ – « غيلان بن عبد الله ، مولى قريش »، انظر التعليق على الأثرين السالفين .

(٢) الأثر : ١١٣٧٣ – « علي بن زيد بن عبد الله بن أبي مليكة بن زهير بن عبد الله ابن جدعان » ، أو : « علي بن زيد بن جدعان » منسوباً إلى جده . مضى برقم : ٤٠ ، ٤٨٩٧ ، ٦٤٩٥ ، ٩٢٩٣ ، ١٠٢٧٥ .

و « يوسف بن مهران البصري » ، روى عن ابن عباس ، وابن عمر ، وجابر . روى عنه علي ابن زيد بن جدعان قال أحمد : «لا يعرف ، ولا أعرف أحداً روى عنه إلا علي بن زيد » . وقال ابن سعد : « ثقة قليل الحديث » . مترجم في التهذيب ، والكبير ٤/٢/٣٧٥ ، وابن سعد ٧/١/١٦١، وابن أبي حاتم ٤/٢/٢٢٩ .

٧٦/٦ ١١٣٧٦ – حدثنا أبو الوليد الدمشقي قال، حدثنا الوليد بن مسلم قال، أخبرني أبو عمرو، عن يحيى بن أبي كثير، عن ابن عمر قال: الأذنان من الرأس.

١١٣٧٧ – حدثنا أبو الوليد قال، حدثنا الوليد قال، أخبرني ابن لهيعة، عن أبي النضر، عن ابن عمر، مثله.[1]

١١٣٧٨ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا هرون، عن عيسى بن يزيد، عن عمرو، عن الحسن قال: الأذنان من الرأس.

١١٣٧٩ – حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع قال، حدثنا حماد بن زيد، عن سنان بن ربيعة، عن شهر بن حوشب، عن أبي أمامة = أو: عن أبي هريرة، شك ابن بزيع =: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الأذنان من الرأس.

١١٣٨٠ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا معلى بن منصور، عن حماد بن زيد، عن سنان بن ربيعة، عن شهر بن حوشب، عن أبي أمامة قال: الأذنان من الرأس = قال حماد: لا أدري هذا عن أبي أمامة، أو: عن النبي صلى الله عليه وسلم.

١١٣٨١ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو أسامة قال، حدثني حماد ابن زيد قال، حدثني سنان بن ربيعة أبو ربيعة، عن شهر بن حوشب، عن أبي أمامة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الأذنان من الرأس.[2]

---

(١) الأثران ١١٣٧٦، ١١٣٧٧ – «أبو الوليد الدمشقي» هو: «أحمد بن عبد الرحمن القرشي»، وانظر الآثار السالفة: ١١٣٥٦ – ١١٣٦٠.

(٢) الآثار: ١١٣٧٩ – ١١٣٨١ – «معلى بن منصور الرازي»، في الإسناد الثاني، روى عن مالك، ومحمد بن ميمون الزعفراني، وحماد بن زيد، وهشيم، وغيرهم. روى عنه البخاري، وذكره في الكبير، ولم يذكر فيه جرحاً. ووثقه ابن معين، وأبو حاتم وابن حبان، وغيرهم. وقد تكلموا فيه. مترجم في التهذيب.

و «سنان بن ربيعة الباهلي، أبو ربيعة صاحب السابري»، روى عن أنس، وشهر بن حوشب، وغيرهما. روى عنه الحمادان. قال ابن معين: «ليس بالقوي»، وقال أبو حاتم: «شيخ مضطرب الحديث». وذكره ابن حبان في الثقات. روى له البخاري مقروناً بغيره في الصحيح.

و «شهر بن حوشب الأشعري»، تابعي، وثقه أخي السيد أحمد فيما سلف رقم: ١٤٨٩، ٥٢٤٤، ٦٦٥٠ – ٦٦٥٢.

١١٣٨٢ – حدثنا أبو الوليد الدمشقي قال، حدثنا الوليد بن مسلم قال، أخبرني ابن جريج وغيره، عن سليمان بن موسى : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الأذنان من الرأس .(١)

١١٣٨٣ – حدثنا الحسن بن شبيب قال، حدثنا علي بن هاشم بن البريد قال، حدثنا إسمعيل بن مسلم، عن عطاء، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الأذنان من الرأس .(٢)

١١٣٨٤ – حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا سفيان بن حبيب، عن يونس : أن الحسن قال : الأذنان من الرأس .

* * *

وقال آخرون : « الوجه » ، كل ما دون منابت شعر الرأس إلى منقطع الذقن

وهذا الخبر رواه أحمد في المسند ٥ : ٢٥٨ ، ٢٦٤ ، ٢٦٨ . مطولا ، وأبو داود في سننه ١ : ٦٨ ، رقم : ١٣٤ ، وابن ماجه ١ : ١٥٢ ، رقم : ٤٤٤ ، والبيهقي في السنن ١ : ٦٦ ، ٦٧ ، والترمذي في السنن (شرح أخي السيد أحمد) ١ : ٥٣ – ٥٥ ، به ، بنحوه . وقال : « وقد أطال العلماء البحث في هذه الكلمة ، وهل هي مدرجة من كلام أبي أمامة أو مرفوعة ؟ ورجح كثير منهم الإدراج . انظر التلخيص (ص : ٣٣) ، ونصب الراية (١ : ١٠ – ١٢) ، والراجح عندي أن الحديث صحيح . فقد روى من غير وجه بأسانيد بعضها جيد ، ويؤيد بعضها بعضاً » ، ثم أفاض في الكلام فيه .

وأما شك ابن بزيع – في الأثر الأول – فالظاهر أنه خطأ من ابن بزيع ، وأن الصواب أنه عن أبي أمامة ، لا عن أبي هريرة ، وسيأتي خبر أبي هريرة بعد ، رقم : ١١٣٨٣ .

(١) الأثر : ١١٣٨٢ – « سليمان بن موسى الأموي » ، أبو هشام الأشدق ، فقيه أهل الشام في زمانه . ثقة ثبت ، ولكنه يروي أحاديث ينفرد بها لا يرويها غيره . مترجم في التهذيب .

وهذا الخبر مرسل ، وإن كان سليمان بن موسى قد روى عن أبي أمامة .

(٢) الأثر : ١١٣٨٣ – « الحسن بن شبيب بن راشد بن مطر » ، أبو علي المؤدب ، شيخ الطبري ، مضى برقم : ٩٦٤٢ ، وهو ليس بالقوي .

و « علي بن هاشم بن البريد البريدي العائذي » . له في مسلم حديثان . روى عنه جماعة من الأئمة ، ووثقوه ، وضعفه بعضهم . مترجم في التهذيب .

و « إسماعيل بن مسلم المكي » ، مضى توثيقه ، برقم : ٥٤١٧ .

وروى ابن ماجه ١ : ١٥٢ ، رقم : ٤٤٥ ، خبر أبي هريرة ، من طريق عمرو بن الحصين ، عن محمد بن عبد الله بن علاثة ، عن عبد الكريم الجزري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة . وقد ضعفوه ، لضعف عمرو بن الحصين ، ومحمد بن عبد الله بن علاثة .

طولاً ، ومن الأذن إلى الأذن عرضاً ، ما ظهر من ذلك لعين الناظر وما بَطَن منه من منابت شعر اللحية النابت على الذَّقَن وعلى العارضين ، وما كان منه داخل الفم والأنف ، وما أقبل من الأذنين على الوجه . كل ذلك عندهم من « الوجه » الذى أمر الله بغسله بقوله : « فاغسلوا وجوهكم » . وقالوا : إن ترك شيئاً من ذلك المتوضِّئ فلم يغسله ، لم تُجْزِه صلاته بوضوئه ذلك .

* ذكر من قال ذلك :

١١٣٨٥ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنى محمد بن بكر وأبو عاصم قالا ، أخبرنا ابن جريج قال ، أخبرنى نافع : أن ابن عمر كان يبُلّ أصول شعر لحيته ، ويغلغِل بيده فى أصول شعرها حتى يَكثُر القَطَرانُ منها .(١)

١١٣٨٦ — حدثنا حميد بن مسعدة قال ، حدثنا سفيان بن حبيب ، عن ابن جريج قال ، أخبرنى نافع مولى ابن عمر : أن ابن عمر كان يغلغل يديه فى لحيته حتى يَكثُر منها القَطَران .(١)

١١٣٨٧ — حدثنا عمران بن موسى قال ، حدثنا عبد الوارث ، عن سعيد قال ، حدثنا ليث ، عن نافع ، عن ابن عمر : كان إذا توضأ خلَّل لحيته حتى يبلغ أصول الشعر .

١١٣٨٨ — حدثنا ابن أبى الشوارب قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا معلى ابن جابر اللقيطى قال ، أخبرنى الأزرق بن قيس قال : رأيت ابن عمر توضأ فخلَّل لحيته .(٢)

---

(١) فى المطبوعة فى الأثرين جميعاً « حتى تكثر القطرات » ، والصواب من المخطوطة . « قطر الماء يقطر قطراً وقطوراً وقطراناً » : سال وتتابع .

(٢) الأثر : ١١٣٨٨ — « يزيد » ، هو « يزيد بن زريع » ، مضى مراراً .
و « معلى بن جابر مسلم اللقيطى » ، وثقه ابن حبان ، ولم يذكر البخارى فيه جرحاً . مترجم فى الكبير ٣٩٤/١/٤ ، وابن أبى حاتم ٣٣٢/١/٤ ، وتعجيل المنفعة : ٤٠٩ .
و « الأزرق بن قيس الحارثى » ، ثقة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٦٩/٢/١ ، وابن أبى حاتم ٣٣٩/١/١ .

١١٣٨٩ – حدثنا يعقوب قال، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا ليث ، عن نافع : أن ابن عمر كان يخلّل لحيته بالماء حتى يبلغ أصول الشعر .

١١٣٩٠ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا محمد بن بكر قال ، حدثنا ابن جريج قال : أخبرنى عبد الله بن عبيد بن عمير : أن أباه عبيد بن عمير كان إذا توضأ غَلغل أصابعه فى أصول شعر الوجه ، يغلغلها بين الشعر فى أصوله ، يدلك بأصابعه البشرة = فأشار لى عبد الله كما أخبره الرجل ، كما وصف عنه .(١)

١١٣٩١ – حدثنا أبو الوليد قال، حدثنا الوليد قال ، حدثنا أبو عمرو ، عن نافع ، عن ابن عمر : أنه كان إذا توضأ عرَك عَارضيه بعض العرك ، وشبّك لحيته بأصابعه أحياناً، ويترك أحياناً .(٢)

١١٣٩٢ – حدثنا أبو الوليد وعلى بن سهل قالا، حدثنا الوليد قال ، قال أبو عمرو ، وأخبرنى عبدة ، عن أبى موسى الأشعرى ، نحو ذلك .

١١٣٩٣ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن مسلم قال : رأيت ابن أبى ليلى توضأ ، فغسل لحيته ، وقال : من استطاع منكم أن يُبْلغ الماء أصولَ الشعر فليفعل .

١١٣٩٤ – حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا سفيان بن حبيب ، عن ابن جريج ، عن عطاء قال: حقٌّ عليه أن يبلّ أصول الشعر.

١١٣٩٥ – حدثنا ابن أبى الشوارب قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا شعبة ، عن الحكم قال : كان مجاهد يخلّل لحيته .

---

(١) الأثر : ١١٣٩٠ – « محمد بن بكر بن عثمان البرسانى » ، مضى برقم : ٥٤٣٨ . وأما قوله : « كما أخبره الرجل . كما وصف عنه » فإنى فى شك منها ، ولكن هكذا جاءت فى المخطوطة أيضاً .

(٢) الأثر : ١١٣٩١ – رواه البيهقى فى السنن ١ : ٥٥ ، من طريق عبد الواحد بن قيس، عن نافع ، بمثله . وانظر تفسير « تشبيك اللحية » فيما سلف ص : ٢٩ ، تعليق : ١ ، فى الأثر : ١١٣٦٠ .

٦ /٧٧ ١١٣٩٦ – حدثنا حميد قال، حدثنا سفيان ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد : أنه كان يخلّل لحيته إذا توضأ .

١١٣٩٧ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، مثله .

١١٣٩٨ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا ابن أبي عدى ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، مثله .

١١٣٩٩ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو داود الحفرى ، عن سفيان ، عن ابن شبرمة ، عن سعيد بن جبير قال : ما بال اللحية تغسل قبل أن تنبت ، فإذا نبتت لم تغسَل ؟[1]

١١٤٠٠ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا عبد الوهاب قال، حدثنا عبيدالله ، عن نافع ، عن ابن عمر : أنه كان يخلل لحيته إذا توضأ .

١١٤٠١ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا هرون ، عن عنبسة ، عن ليث ، عن طاوس : أنه كان يخلّل لحيته .

١١٤٠٢ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا هرون ، عن إسمعيل ، عن ابن سيرين : أنه كان يخلل لحيته .

١١٤٠٣ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا ابن المبارك ، عن هشام ، عن ابن سيرين ، مثله .

١١٤٠٤ – حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية قال ، سألت شعبة عن تخليل اللحية فى الوضوء ، فذكر عن الحكم بن عتيبة : أن مجاهداً كان يخلل لحيته .

---

(١) الأثر : ١١٣٩٩ – « أبو داود الحفرى » ، (بالحاء المهملة) هو : « عمر بن سعد ابن عبيد » ، مضى برقم : ٨٦٣ .

١١٤٠٥ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا هرون، عن عمرو ، عن معروف قال : رأيت ابن سيرين توضأ فخلّل لحيته .

١١٤٠٦ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس قال، حدثنا هشام ، عن ابن سيرين ، مثله .

١١٤٠٧ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن الزبير بن عدى ، عن الضحاك قال : رأيته يخلل لحيته .

١١٤٠٨ – حدثنا تميم بن المنتصر قال ، أخبرنا محمد بن يزيد ، عن أبى الأشهب ، عن موسى بن أبى عائشة، عن زيد الخدرى ، عن يزيد الرقاشى ، عن أنس بن مالك قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم توضأ فخلّل لحيته ، فقلت : لم تفعل هذا يا نبى الله ؟ قال : أمرنى بذلك ربى .(١)

١١٤٠٩ – حدثنا تميم قال، أخبرنا محمد بن يزيد، عن سلام بن سَلْم، عن

---

(١) الأثر : ١١٤٠٨ – « محمد بن يزيد الكلاعى » ، الواسطى ، روى عن إسماعيل ابن أبى خالد ، وأبى الأشهب جعفر بن حيان السعدى ، وغيرهما . روى عنه أحمد ، وابن معين ، وغيرهما من الأئمة . قال أحمد : « كان ثبتاً فى الحديث » . مترجم فى التهذيب .

و « أبو الأشهب » هو : « جعفر بن حيان السعدى العطاردى » ، روى عن أبى رجاء العطاردى ، والحسن البصرى ، وغيرهما . ثقة . مترجم فى التهذيب .

« وموسى بن أبى عائشة المخزومى» ، روى عبد الله بن شداد بن الهاد ، وعمرو بن الحارث ، وسعيد بن جبير ، روى عنه شعبة والسفيانان وغيرهم . ثقة مترجم فى التهذيب .

وأما « زيد الخدرى » ، فلم أجد له ترجمة ، ولم أعرف من يكون . وأخشى أن يكون فى الإسناد خلط ، أو أن يكون فى هذا الاسم تحريف .

وأما « يزيد الرقاشى » ، فهو : « يزيد بن أبان الرقاشى » ، ضعيف ، مضى برقم : ٦٦٥٤ ، ٦٧٢٨ ، ٧٧٥٧ .

وستأتى رواية هذا الخبر عن يزيد الرقاشى عن أنس ، فى رقم : ١١٤٠٩ ، ١١٤١١ .

ومدار هذا الخبر على يزيد الرقاشى ، فهو إسناد ضعيف .

وهذا الخبر رواه ابن ماجة فى سننه ١ : ١٤٩ ، رقم : ٤٣١ من طريق يحيى بن كثير ، أبو النضر ، صاحب البصرى ، عن يزيد الرقاشى ، عن أنس ، بغير هذا اللفظ . ورواه الحاكم فى المستدرك مرسلا عن أنس ، من طريق موسى بن أبى عائشة أيضاً عن أنس . وأشار إليه البيهقى فى السنن ١ : ٥٤ .

زيد العمى ، عن معاوية بن قرة=أو : يزيد الرقاشى= عن أنس قال : وضّأت النبى صلى الله عليه وسلم ، فأدخل أصابعه من تحت حَنَكه فخلّل لحيته وقال : بهذا أمرنى ربى جل وعز .(١)

١١٤١٠ – حدثنا محمد بن إسمعيل الأحمسى قال ، حدثنا المحاربى ، عن سلام بن سَلْم المدينى قال ، حدثنا زيد العمى ، عن معاوية بن قرة ، عن أنس ابن مالك ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، نحوه .(٢)

١١٤١١ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا أبو عبيدة الحداد قال ، حدثنا موسى بن ثروان ، عن يزيد الرقاشى ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هكذا أمرنى ربى » ! وأدخل أصابعه فى لحيته فخلّلها .(٣)

---

(١) الأثر : ١١٤٠٩ – طريق أخرى ، لخبر يزيد الرقاشى ، عن أنس .

و « سلام بن سلم المدائنى » ويقال : « سلامة بن سليم » ، « وابن سليمان » ، والصواب الأول ، هو « سلام الطويل » ، أكثر روايته عن « زيد العمى » . وروى عنه عبد الرحمن بن محمد المحاربى . قال أحمد : « روى أحاديث منكرة » . وقال البخارى : «تركوه» ، وقال النسائى : « ليس بثقة ، ولا يكتب حديثه » . مترجم فى التهذيب .

وكان فى المطبوعة : « سلام بن سليم » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

و « زيد العمى » هو « زيد بن الحوارى » ، قاضى هراة . روى عن أنس ، وسعيد بن المسيب ، وعكرمة ، والحسن ، ومعاوية بن قرة وغيرهم . متكلم فيه . مترجم فى التهذيب .

و « معاوية بن قرة المزنى » ، أبو إياس ، تابعى ثقة ، كان من عقلاء الرجال . مترجم فى التهذيب .

وهذا الحديث ضعيف لضعف ، سلام بن سلم .

و « الحنك » : ما تحت الذقن من الإنسان وغيره .

(٢) الأثر : ١١٤١٠ – « محمد بن إسماعيل الأحمسى » شيخ الطبرى ، مضى برقم : ٤٠٥ ، ٧١٨ ، ٩١٥٥ .

و « المحاربى » ، هو « عبد الرحمن بن محمد بن زياد » ، ثقة . مضى برقم : ٢٢١ ، ٨٧٥ .

و « سلام بن سلم المدينى » ، هو الذى مضى فى الأثر السالف ، ونسب فى المراجع « المدائنى » .

وكان فى المخطوطة هنا : « سلم بن سلام المدينى » ، وهو سهو من الناسخ لا شك فيه .

وهذا أيضاً ضعيف الإسناد ، كالذى قبله .

(٣) الأثر : ١١٤١١ – هو مكرر الأثرين السالفين : ١١٤٠٨ ، ١١٤٠٩ ، من طريق أخرى .

١١٤١٢ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا معاوية بن هشام وعبيد الله بن موسى ، عن خالد بن إلياس ، عن عبد الله بن رافع ، عن أم سلمة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ فخلّل لحيته .(١)

١١٤١٣ – حدثنا على بن الحسين بن الحر قال، حدثنا محمد بن ربيعة ، عن واصل بن السائب، عن أبي سورة ، عن أبي أيوب قال : رأينا النبيّ صلى الله عليه وسلم توضأ وخلّل لحيته .(٢)

« أبو عبيدة الحداد » ، هو : « عبد الواحد بن واصل السدوسى » ، ثقة ، من شيوخ أحمد ، مضى برقم : ٣٠٢٣ ، ٩٨٣٧ .

« موسى بن ثروان العجلى » (بالثاء المثلثة) ، ويقال : « موسى بن سروان » ، و « موسى ابن فروان » (بالفاء). ثقة . مترجم فى التهذيب، والكبير ٢٨١/١/٤ ، وابن أبى حاتم ١٣٨/١/٤. وكان فى المخطوطة والمطبوعة « شروان » (بالشين المعجمة) ، وهو خطأ .

وهذا الخبر ضعيف ، لضعف يزيد الرقاشى .

(١) الأثر : ١١٤١٢ – « معاوية بن هشام » و « عبيد الله بن موسى بن أبى المختار العبسى » ، مضيا مراراً كثيرة .

و « خالد بن إلياس بن صخر القرشى العدوى ، المدنى » ، من ولد عامر بن لؤى . قال البخارى : « ليس بشىء» . وقال أحمد : « متروك الحديث » . مترجم فى ميزان الاعتدال للذهبى ١ : ٢٩٥ ، والكبير للبخارى ١٢٩/١/٢ ، وابن أبى حاتم ٣٢١/٢/١ .

و « عبد الله بن رافع المخزومى » ، مولى أم سلمة ، تابعى ثقة . مضى برقم : ٥٣٩٨ .

وهذا الخبر خرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ١ : ٢٣٥ ، وقال : « رواه الطبرانى فى الكبير . وفيه : خالد بن إلياس ، ولم أر من ترجمه » . فقصر ، فقد ذكرنا من ترجمه قبل .

(٢) الأثر : ١١٤١٣ – « على بن الحسين بن الحر» هو « على بن الحسين بن إبراهيم ابن الحر بن زعلان » المعروف بابن أشكاب الأكبر ، ثقة ، مترجم فى تاريخ بغداد ١١ : ٣٩٢ ، وابن أبى حاتم ١٧٩/١/٣ .

و « محمد بن ربيعة الكلابى الرؤاسى » ، ثقة ، مضى برقم : ١٨١ ، ٦٨٦٠ .

و « واصل بن السائب الرقاشى » ، قال ابن معين : « ليس بشىء » ، وقال البخارى : « منكر الحديث » . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١٧٣/٢/٤ ، وابن أبى حاتم ٣٠/٢/٤ .

و « أبو سورة » ، ابن أخى أبى أيوب الأنصارى . قال البخارى : « منكر الحديث ، يروى عن أبى أيوب مناكير لا يتابع عليها » . وقال الترمذى فى العلل عن البخارى : « لا يعرف لأبى سورة سماع من أبى أيوب» . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣٨٨/٢/٤ .

وهذا خبر ضعيف ، لضعف واصل بن السائب ، وأبى سورة .

١١٤١٤ – حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ، حدثنا زيد بن حباب قال ، حدثنا عمر بن سليمان ، عن أبي غالب ، عن أبي أمامة : أن النبي صلى الله عليه وسلم خلّل لحيته .(١)

١١٤١٥ – حدثنا محمد بن عيسى الدامغاني قال، حدثنا سفيان ، عن عبد الكريم أبي أمية : أن حسان بن بلال المزني رأى عمار بن ياسر توضأ وخلل لحيته ، فقيل له : أتفعل هذا؟ فقال : إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله.(٢)

رواه ابن ماجة في السنن ١ : ١٤٩ ، رقم : ٤٣٣ ، من طريق إسماعيل بن عبد الله الرقي ، عن محمد بن ربيعة ، به ، نحوه . وضعفه الزيلعي في نصب الراية ١ : ٢٤ .

وسيأتي هذا الخبر بإسناد آخر رقم : ١١٤١٨ .

(١) الأثر : ١١٤١٤ – « زيد بن حباب العكلي » ، ثقة . مضى برقم : ٢١٨٥ ، ٥٣٥٠ ، ٨١٦٥ . وكان في المطبوعة : « زيد بن حبان » ، وهو خطأ محض .

و « عمر بن سليمان » ، هكذا جاء في المطبوعة ، وفي نصب الراية : « عمر بن سليمان الباهلي » ، وفي المخطوطة « عمرو بن سليمان » . ولا أدري كيف اتفق ذلك في التفسير ، وفي نصب الراية ، نقلا عن الطبراني في معجمه ، وابن أبي شيبة في مصنفه ! ! فإنه يكاد يكون من المقطوع به أنه « عمر ابن سليم الباهلي» ، فهو الذي يروي عن أبي غالب ، صاحب أبي أمامة ، وهو الذي يروي عنه زيد ابن الحباب ، كما في ترجمته في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٣/١/١١٢ ، ١١٣ . قال أبو زرعة : « صدوق » ، وذكره ابن حبان في الثقات . فلا أدري أجائز أن يكون فاتهم أن في اسم أبيه اختلافاً : « سليم » أو « سليمان » ؟

و « أبو غالب » صاحب أبي أمامة ، معروف بكنيته ، قال ابن معين : «صالح الحديث » ، وحسن الترمذي بعض أحاديثه ، وصحح بعضها ، وقال ابن حبان : « لا يجوز الاحتجاج به إلا فيما وافق الثقات » . وضعفه بعضهم . مترجم في التهذيب .

وهذا الخبر خرجه الزيلعي في نصب الراية ١ : ٢٥ ، فقال : « رواه الطبراني في معجمه ، وابن أبي شيبة في مصنفه ، والطبراني : حدثنا عنبسة بن غنام ، قال حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا زيد بن الحباب ، حدثنا عمر بن سليمان الباهلي ، عن ابن غالب (والصواب : عن أبي غالب) ، عن أبي أمامة . . . » . الحديث .

وخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ١ : ٢٣٥ ، وقال : « رواه الطبراني في الكبير ، وفيه الصلت ابن دينار ، وهو متروك » . فهذا إسناد آخر للطبراني ، فيما يظهر ، غير الذي خرجه الزيلعي في نصب الراية .

(٢) الأثر : ١١٤١٥ – « محمد بن عيسى الدامغاني » ، شيخ الطبري ، مضى برقم : ٣٢٢٥ . و « سفيان » هو ابن عيينة .

و « عبد الكريم أبو أمية » ، هو « عبد الكريم بن أبي المخارق » ، روى عن أنس بن مالك ،

١١٤١٦ – حدثنا أبو الوليد قال ، حدثنا الوليد قال ، حدثنا أبو عمرو قال ، أخبرني عبد الواحد بن قيس ، عن يزيد الرقاشي وقتادة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا توضأ عرّك عارضيه ، وشبك لحيته بأصابعه .(١)

١١٤١٧ – حدثنا أبو الوليد قال ، حدثنا الوليد قال ، أخبرني أبو مهدي سعيد بن سنان ، عن أبي الزاهرية ، عن جبير بن نفير ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، نحوه .(٢)

١١٤١٨ – حدثنا محمد بن إسمعيل الأحمسي قال ، حدثنا محمد بن عبيد الطنافسي أبو عبد الله قال ، حدثني واصل الرقاشي ، عن أبي سودة = هكذا قال

وطاوس ، وحسان بن بلال ، وغيره . وهو ضعيف ، متكلم فيه . وأنكر البخاري وابن عيينة سماع عبد الكريم من حسان بن بلال حديث التخليل . مترجم في التهذيب .

و « حسان بن بلال المزني » روى عن عمار بن ياسر . مترجم في التهذيب .

وهذا الخبر رواه ابن ماجة ١ : ١٤٨ ، رقم : ٤٢٩ ، والحاكم في المستدرك ١ : ١٤٩ ، وأبو داود الطيالسي رقم : ٦٤٥ ، والترمذي في السنن ١ : ٤٤ (شرح أخي السيد أحمد) ، وقد استوفى أخي الكلام فيه هناك . وانظر أيضاً نصب الراية للزيلعي ١ : ٢٤ .

(١) الأثر : ١١٤١٦ – « أبو الوليد » : هو : « أحمد بن عبد الرحمن القرشي » ، انظر ما مضى في التعليقات على الآثار : ١١٣٥٦ – ١١٣٦٠ .

و « الوليد » ، هو « الوليد بن مسلم » ، انظر ما سلف أيضاً .

و « عبد الواحد بن قيس السلمي » الأفطس النحوي . روى عن أبي أمامة ، ونافع مولى ابن عمر ، ويزيد الرقاشي . وروى عنه أبو عمرو الأوزاعي . تكلموا فيه . مترجم في التهذيب .

وانظر تفسير « تشبيك اللحية » فيما سلف : ١١٣٦٠ ، ١١٣٩١ .

(٢) الأثر : ١١٤١٧ – « أبو مهدي » ، « سعيد بن سنان الحنفي » ، روى عن أبيه ، وأبي الزاهرية ، وغيرهما . روى عنه بشر بن بكر التنيسي ، وابن المبارك ، والوليد بن مسلم ، وغيرهم ، قال أحمد : « ضعيف » ، وقال ابن معين : « ليس بثقة » . وقال الجوزجاني : « أخاف أن تكون أحاديثه موضوعة ، لا تشبه أحاديث الناس » . وقال مسلم في الكنى : « منكر الحديث » . مترجم في التهذيب .

و « أبو الزاهرية » ، هو : « حدير بن كريب الحضرمي » ، روى عن حذيفة ، وأبي الدرداء ، وعبد الله بن عمرو بن العاص . ثقة . مضى برقم : ١١٢٥٥ .

و « جبير بن نفير الحضرمي » ، ثقة من كبار التابعين ، كان جاهلياً . مضى برقم : ٧٠٠٩ . وهذا الخبر مرسل .

الأحمسي = عن أبي أيوب قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا توضأ تمضمض ومسح لحيته من تحتها بالماء .(١)

* * *

* ذكر من قال ما حكينا عنه من أهل هذه المقالة فى غسل ما بَطن من الأنف والفم .

١١٤١٩ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح قال : سمعت مجاهداً يقول : الاستنشاق شَطْر الوضوء . ٧٨/٦

١١٤٢٠ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن شعبة قال : سألت حماداً عن رجل ذكر وهو فى الصلاة أنه لم يتمضمض ولم يستنشق ، قال حماد : ينصرف فيتمضمض ويستنشق .

١١٤٢١ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا الصباح، عن أبي سنان قال : قدمت الكوفة فأتيت حماداً فسألته عن ذلك = يعني : عمن ترك المضمضة والاستنشاق وصلى = فقال : أرى عليه إعادة الصلاة .

١١٤٢٢ – حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا شعبة قال : كان قتادة يقول : إذا ترك المضمضة، أو الاستنشاق ، أو أذنه، أو طائفة من رجله ، حتى يدخل فى صلاته ، فإنه ينفتِلُ ويتوضأ ويعيد صلاته .(٢)

* * *

---

(١) الأثر : ١١٤١٨ – « محمد بن إسماعيل الأحمسي» ، مضى قريباً رقم : ١١٤١٠ .
و « محمد بن عبيد الطنافسي » أبو عبد الله الأحدب ، ثقة معروف ، مضى برقم : ٤٠٥ ، ٩١٥٥ .
و « واصل الرقاشي » ، هو : « واصل بن السائب الرقاشي » ، مضى برقم : ١١٤١٣ .
و « أبو سودة » ، إنما هو « أبو سورة » (بالراء) كما سلف فى رقم : ١١٤١٣ ، وإنما قال ذلك محمد بن إسماعيل الأحمسي ، شيخ الطبري ، وأخطأ . وكان فى المطبوعة « أبو سورة» بالراء، وهو تصحيح لا معنى له . والصواب من المخطوطة ، وإن كان خطأ على الحقيقة .
وهذا الخبر رواه أحمد فى مسنده ٥ : ٤١٧ ، عن محمد بن عبيد الطنافسي ، بمثله ، مطولا . وهو ضعيف الإسناد ، كأخيه السالف رقم : ١١٤١٣ .

(٢) فى المطبوعة : « فإنه ينتقل » ، وهو خطأ محض ، وهو فى المخطوطة كما أثبته غير منقوط .

* ذكر من قال ما حكينا عنه من أهل هذه المقالة ، من أن ما أقبل من الأذنين فمن الوجه ، وما أدبر فمن الرأس .

١١٤٢٣ – حدثنا أبو السائب قال، حدثنا حفص بن غياث قال ، حدثنا أشعث ، عن الشعبي قال : ما أقبل من الأذنين فمن الوجه ، وما أدبر فمن الرأس .

١١٤٢٤ – حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثني شعبة ، عن الحكم وحماد ، عن الشعبي في الأذنين : باطنهما من الوجه ، وظاهرهما من الرأس .

١١٤٢٥ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن الشعبي قال : مقدَّم الأذنين من الوجه ، ومؤخَّرهما من الرأس .

١١٤٢٦ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن الحكم وحماد ، عن الشعبي ، بمثله = إلا أنه قال : باطن الأذنين .

١١٤٢٧ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن حماد ، عن الشعبي ، بمثله = إلا أنه قال : باطن الأذنين .

١١٤٢٨ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن حماد ، عن الشعبي ، بمثله.

١١٤٢٩ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبي قال : باطن الأذنين من الوجه ، وظاهرهما من الرأس .

١١٤٣٠ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا أبو تميلة = ح ، وحدثني يعقوب ابن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية = قالا ، جميعاً ، حدثنا محمد بن إسحق قال ، حدثني محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة ، عن عبيد الله الخولاني ، عن ابن

يقال : « انفتل فلان عن صلاته ، أو من صلاته » ، أي : انصرف . ويقال : « فتل وجهه عن القوم » : صرفه ولفته .

عباس قال : قال على بن أبى طالب : ألا أتوضأ لكم وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال قلنا : نعم ! فتوضأ ، فلما غسل وجهه ألقمَ إبهاميه ما أقبل من أذنيه . قال : ثم لما مسح برأسه ، مسح أذنيه من ظهورهما .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب فى ذلك عندنا ، قولُ من قال : « الوجه » الذى أمر الله جل ذكره بغسله القائمَ إلى صلاته : كل ما انحدر عن منابت شَعَر الرأس إلى مُنقطع الذَّقَن طولاً ، وما بين الأذنين عرضاً ، مما هو ظاهر لعين الناظر ، دون ما بطن من الفم والأنف والعين ، ودون ما غطاه شعر اللحية والعارضين والشاربين فستره عن أبصار الناظرين ، ودون الأذنين .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب = وإن كان ما تحت شعر اللحية والشاربين قد كان « وجهاً » يجب غسله قبل نبات الشعر الساتر عن أعين الناظرين ، على القائم إلى صلاته = لإجماع جميعهم على أن العينين من الوجه، ثم هم — مع إجماعهم على ذلك — مجمعون على أن غسلَ ما علاهما من أجفانهما دون إيصال الماء إلى ما تحت الأجفان منهما ، مجزئ .

فإذْ كان ذلك منهم إجماعاً بتوقيف الرسول صلى الله عليه وسلم أمته على ذلك، فنظير ذلك كل ما علاه شىء من مواضع الوضوء من جسد ابن آدم من نفس خلقه ساترِه ، لا يصل الماء إليه إلا بكلفة ومؤونة وعلاج ، قياساً لما ذكرنا من حكم العينين فى ذلك .

---

(١) الأثر : ١١٤٣٠ — « محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة » . ثقة ، مضى برقم : ١١٣٢٩ .

و « عبيد الله الخولانى » ، هو « عبيد الله بن الأسود » ، ويقال : « عبيد الله بن الأسد » ربيب ميمونة ، روى عنها ، وعن ابن عباس . ثقة .

وهذا الخبر رواه أبو داود فى السنن ١ : ٦٤ ، رقم : ١١٧ ، ورواه أحمد فى المسند رقم : ٦٢٥ ، مطولاً ، وقد ضعف البخارى هذا الحديث وقال : « ما أدرى ما هذا » ، ولكن أخى السيد أحمد صححه فى شرح هذا الخبر فى المسند .

فإذا كان ذلك كذلك ، فلا شك أن مثلَ العينين فى مؤونة إيصال الماء إليهما عند الوضوء، ما بطن من الأنف والفم وشَعَر اللحية والصدغين والشاربين ، لأن كل ذلك لا يصل الماء إليه إلا بعلاجٍ لإيصال الماء إليه ، نحو كلفة علاج الحدقتين لإيصال الماء إليهما أو أشدّ .

وإذا كان ذلك كذلك ، كان بيِّناً أن غسل مَنْ غسل من الصحابة والتابعين ما تحت منابت شعر اللحية والعارضين والشاربين ، وما بطن من الأنف والفم ، إنما كان إيثاراً منه لأشق الأمرين عليه : من غسل ذلك ، وترك غسله ، كما آثر ابن عمر غسل ما تحت أجفان العينين بالماء بصبِّه الماء فى ذلك = لا على أنّ ذلك كان عليه عنده فرضاً واجباً . ٧٩/٦

فأما من ظنّ أن ذلك من فعلهم كان على وجه الإيجاب والفرض ، فإنه خالف فى ذلك بقوله منهاجَهم ، وأغفل سبيلَ القياس ، لأن القياس هو ما وصفنا من تمثيل المختلف فيه من ذلك ، بالأصل المجمع عليه من حكم العينين = وأنْ لا خبر عن واحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أوجب على تارك إيصال الماء فى وضوئه إلى أصول شعر لحيته وعارضيه ، وتارك المضمضة والاستنشاق ، إعادةَ صلاته إذا صلى بطهره ذلك . فى ذلك أوضح الدليل على صحة ما قلنا من أن فعلهم ما فعلوا من ذلك ، كان إيثاراً منهم لأفضل الفعلين ، من الترك والغسل .

فإن ظن ظان أن فى الأخبار التى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

١١٤٣١ — « إذا توضأ أحدكم فليستنثر ».(١)

= دليلاً على وجوب الاستنثار ، فإن فى إجماع الحجة على أن ذلك غيرُ فرض واجب ، يجب على من تركه إعادة الصلاة التى صلاها قبل غسله ، ما يغنى عن إكثار القول فيه.

* * *

(١) الأثر : ١١٤٣١ — هذا خبر لم يذكر إسناده ، وانظر مثل لفظه فى البخارى (فتح ١ : ٢٢٩) .

وأما الأذنان ، فإن فى إجماع جميعهم على أن ترك غسلهما ، أو غسل ما أقبل منهما مع الوجه ، غيرُ مفسد صلاةَ من صلى بطهره الذى ترك فيه غسلهما = مع إجماعهم جميعاً على أنه لو ترك غسل شىء مما يجب عليه غسله من وجهه فى وضوئه ، أن صلاته لا تجزئه بطهوره ذلك = ما ينبئ عن أنّ القول فى ذلك ما قاله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين ذكرنا قولهم :[1] إنهما ليسا من الوجه = دون ما قاله الشعبى .

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى « المرافق » ، هل هى من اليد الواجب غسلها ، أم لا ؟ بعد إجماع جميعهم على أن غسل اليد إليها واجب .

فقال مالك بن أنس = وسئل عن قول الله : « فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق» ، أترى أن يخلف المرفقين فى الوضوء ؟ = قال : الذى أمر به أن يُبْلغ « المرفقين » ، قال تبارك وتعالى : «فاغسلوا وجوهكم» ، فذهب هذا يغسل خلفه ! ![2] فقيل له : فإنما يغسل إلى المرفقين والكعبين لا يجاوزهما ؟ فقال : لا أدرى « ما لا يجاوزهما » ، أما الذى أمر به أن يبلغ به فهذا : إلى المرفقين والكعبين = حدثنا يونس ، عن أشهب ، عنه .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « ما ينبئ عن القول فى ذلك مما قاله أصحاب رسول الله . . . » ، وهو مضطرب ، وفى المخطوطة مثله ، إلا أنه كتب « ما قاله أصحاب رسول الله . . . » ، وصواب السياق يقتضى أن يكون : « ما ينبئ عن أن القول . . . » بزيادة « أن » .

(٢) فى المطبوعة : « مذهب هذا يغسل خلفه » ، وقد استشكلها ناشر المطبوعة الأولى ، وحق له . وهى فى المخطوطة مثلها سيئة الكتابة ، وصوابها « فذهب » ، وهذه الجملة ، تعجب ممن قيل له : « فاغسلوا وجوهكم » ، فراح يغسل ما خلف الوجه ، أى القفا .

وقال الشافعي : « لم أعلم مخالفاً في أن المرافق فيما يغسل » ، كأنه يذهب إلى أن معناها : فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى أن تُغْسَل المرافق = حدثنا بذلك عنه الربيع .(١)

* * *

وقال آخرون : إنما أوجب الله بقوله : « وأيديكم إلى المرافق » ، غسلَ اليدين إلى المرفقين ، فالمرفقان غايةٌ لما أوجب الله غسله من آخر اليد ، والغاية غير داخلة في الحدّ ، كما غير داخل الليلُ فيما أوجب الله تعالى على عباده من الصوم بقوله : ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ ، [سورة البقرة : ١٨٧] . لأن الليل غاية لصوم الصائم ، إذا بلغه فقد قضى ما عليه . قالوا : فكذلك المرافق في قوله : « فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق » ، غاية لما أوجب الله غسلَه من اليد . وهذا قول زُفَر بن الهذيل .(٢)

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا : أن غسل اليدين إلى المرفقين من الفرض الذي إن تركه أو شيئاً منه تارك ، لم تجزه الصلاة مع تركه غسلَه . فأما المرفقان وما وراءهما ، فإن غسل ذلك من الندب الذي ندبَ إليه صلى الله عليه وسلم أمته بقوله :

١١٤٣٢ — « أمتي الغرُّ المحجلون من آثار الوضوء ، فمن استطاع منكم أن يُطيل غُرَّته فليفعل ».(٣)

---

(١) هذا كله نص الشافعي في الأم ١ : ٢٢ ، إلا أن فيه : « كأنهم ذهبوا إلى أن معناها . . . »

(٢) « زفر بن الهذيل بن قيس العنبري » ، أبو الهذيل ، صاحب أبي حنيفة . كان من أصحاب الحديث ، ثم غلب عليه الرأي ، فكان من أصحاب أبي حنيفة .

(٣) هذا حديث صحيح ، لم يذكر إسناده ، ورواه البخاري (الفتح ١ : ٢٠٧ ، ٢٠٨) ولفظه : « إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجلين » ، بمثله .

و « الغر » جمع « أغر » ، أي ذو غرة (بضم الغين وتشديد الراء) ، وهي لمعة بيضاء ، تكون في جبهة الفرس ، وأراد بذلك النور الذي يكون في وجوه أهل الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به ، واهتدوا بهديه .

و « المحجلون » من « التحجيل » ، وهو بياض يكون في ثلاث قوائم من قوائم الفرس . وهذه سيما المؤمنين الذين اتبعوه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة .

= فلا تفسد صلاة تاركِ غسلِهما وغسلِ ما وراءهما، لما قد بينا قبل فيما مضى : من أن كل غاية حُدَّت بـ « إلى » ، فقد تحتمل فى كلام العرب دخول الغاية فى الحدّ وخروجها منه . وإذا احتمل الكلام ذلك ، لم يجز لأحد القضاء بأنها داخلة فيه، إلا لمن لا يجوز خلافه فيما بيَّن وحكم = ولا حُكم بأن المرافق داخلة فيما يجب غسله عندنا = ممن يجب التسليم بحكمه .

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى صفة « المسح » الذى أمر الله به بقوله : « وامسحوا برؤوسكم » .

فقال بعضهم : وامسحوا بما بدا لكم أن تمسحوا به من رؤوسكم بالماء ، إذا قمتم إلى الصلاة .

* ذكر من قال ذلك :

١١٤٣٣ — حدثنا نصر بن على الجهضمى قال، حدثنا حماد بن مسعدة، عن عيسى بن حفص قال : ذكر عند القاسم بن محمد مسحُ الرأس فقال : يا نافع ، كيف كان ابن عمر يمسح ؟ فقال : مسحةً واحدة = ووصف أنه مسح مقدَّم رأسه إلى وجهه = فقال القاسم : ابن عمر أفقهُنا وأعلمُنا . ٨٠/٦

١١٤٣٤ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الوهاب قال : سمعت يحيى ابن سعيد يقول: أخبرنى نافع : أن ابن عمر كان إذا توضأ ردَّ كفيه إلى الماء ووضعهما فيه ، ثم مسح بيديه مقدَّم رأسه .

١١٤٣٥ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا محمد بن بكير، قال أخبرنا ابن جريج قال، أخبرنى نافع : أن ابن عمر كان يضع بطن كفه اليمنى على الماء ،(١) ثم

(١) فى المطبوعة : « كان يضع بطن كفيه على الماء » ، ليت شعرى كيف استجاز الناشر

لاينفضها، ثم يمسح بهاما بين قَرْنيه إلى الجبين واحدةً ، ثم لا يزيد عليها. فى كل ذلك مسحةٌ واحدة ، مقبلةً من الجبين إلى القرن . (١)

١١٤٣٦ – حدثنا تميم بن المنتصر قال، حدثنا إسحق قال، أخبرنا شريك ، عن يحيي بن سعيد الأنصارى، عن نافع ، عن ابن عمر : أنه كان إذا توضأ مسح مقدَّم رأسه .

١١٤٣٧ – حدثنا تميم بن المنتصر قال، أخبرنا إسحق قال، أخبرنا شريك ، عن عبد الأعلى الثعلبي ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : يجزيك أن تمسح مقدَّم رأسك إذا كنت معتمراً .(٢) وكذلك تفعل المرأة .

١١٤٣٨ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عبد الله الأشجعى ، عن سفيان ، عن ابن عجلان ، عن نافع قال : رأيت ابن عمر مسح بيَافوخه مسحةً = وقال سفيان : إن مسح شعرةً أجزأه = يعنى واحدةً .

١١٤٣٩ – حدثنا أبو هشام قال، حدثنا عبد السلام بن حرب قال ، أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم قال : أىّ جوانب رأسك أمْسَسْتَ الماء أجزأك .(٣)

١١٤٤٠ – حدثنا أبو هشام قال، حدثنا على بن ظبيان قال ، حدثنا إسمعيل ابن أبى خالد ، عن الشعبى ، قال : أى جوانب رأسك أمسست الماء أجزأك .(٤)

١١٤٤١ – حدثنا الرفاعى قال، حدثنا وكيع ، عن إسمعيل الأزرق، عن الشعبى ، مثله .(٥)

أن يجعل «كفه اليمنى» «كفيه» ؟ أمن أجل أن الناسخ كتب فى الجملة التالية : «ثم لا ينفضهما ، ثم تمسح بهما» بالتثنية ؟ ولقد أخطأ الناسخ فى تثنية الضمير ، فرددته إلى الصواب بإفراد الضمير .

(١) «القرن» هو حد الرأس وجانبها ، وهما قرنان عن يمين وشمال .

(٢) «اعتمر الرجل يعتمر ، فهو معتمر» : إذا تعمم بعمامة ، فهو معتم . و «العمارة» (بفتح العين) : كل شىء على الرأس ، من عمامة ، أو قلنسوة ، أو تاج ، أو غير ذلك .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : «مسست الماء» ، وهو خطأ ، انظر الخبر التالى .

(٤) الأثر : ١١٤٤٠ – كان فى المطبوعة : «... عن الشعبى ، مثله» ، ولم يثبت نص الخبر ، وهو ثابت فى المخطوطة . فرددته إلى مكانه .

(٥) الأثر : ١١٤٤١ – هذا الأثر ، أخره ناشر المطبوعة السالفة ، فوضعه بعد الأثر التالى ، وقد أساء .

١١٤٤٢ – حدثني يعقوب قال ، حدثنا ابن علية قال، أخبرنا أيوب، عن نافع قال : كان ابن عمر يمسح رأسه هكذا = فوضع أيوب كفّه وسط رأسه ، ثم أمرّها على مقدّم رأسه .

١١٤٤٣ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا زيد بن الحباب ، عن سفيان قال : إن مسح رأسه بإصبع واحدة أجزأه .(١)

١١٤٤٤ – حدثنا أبو الوليد الدمشقي قال، حدثنا الوليد بن مسلم قال: قلت لأبي عمرو : ما يجزئ من مسح الرأس ؟ قال : أن تمسح مقدّم رأسك إلى القفا أحبُّ إليّ .

١١٤٤٥ – حدثني العباس بن الوليد، عن أبيه ، عنه، نحوه .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : فامسحوا بجميع رؤوسكم . قالوا : إن لم يمسح بجميع رأسه بالماء ، لم تجزه الصلاة بوضوئه ذلك .

* ذكر من قال ذلك:

١١٤٤٦ – حدثني يونس بن عبد الأعلى قال، حدثنا أشهب قال ، قال مالك: من مسح بعضَ رأسه ولم يعمّ، أعاد الصلاة، بمنزلة من غسل بعضَ وجهه أو بعضَ ذراعه . قال: وسئل مالك عن مسح الرأس، قال: يبدأ من مقدّم وجهه، فيدير يديه إلى قفاه، ثم يردُّهما إلى حيث بدأ منه .

* * *

وقال آخرون : لا يجزئ مسح الرأس بأقلّ من ثلاث أصابع . وهذا قول أبي حنيفة ، وأبي يوسف، ومحمد .

* * *

---

(١) الأثر : ١١٤٤٣ – « زيد بن الحباب » ، مضى قريباً برقم : ١١٤١٤ ، وكان في المخطوطة والمطبوعة : « يزيد بن الحباب » ، وهو خطأ .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا ، أن الله جل ثناؤه أمر بالمسح برأسه القائمَ إلى صلاته ، مع سائر ما أمره بغسله معه أو مسحه ، ولم يحدّ ذلك بحدٍّ لا يجوز التقصير عنه ولا يجاوزه . وإذ كان ذلك كذلك ، فما مسح به المتوضئ من رأسه فاستحقّ بمسحه ذلك أن يقال : « مسح برأسه » ، فقد أدّى ما فرض الله عليه من مسح ذلك ، لدخوله فيما لزمه اسم «ماسح برأسه» إذا قام إلى صلاته.(١)

* * *

فإن قال لنا قائل : فإن الله قد قال فى التيمم : ﴿ فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ﴾ ، [سورة النساء : ٤٣] ، أفيجزىء المسحُ ببعض الوجه واليدين فى التيمم ؟

قيل له : كلّ ما مسح من ذلك بالتراب ، فيما تنازعت فيه العلماء = فقال بعضهم : « يجزيه ذلك من التيمم » ، وقال بعضهم : « لا يجزيه » = فهو مجزئه ، لدخوله فى اسم « الماسحين به » .

وما كان من ذلك مجمعاً على أنه غير مجزئه ، فمسلَّم لما جاءت به الحجة نقلاً عن نبيّها صلى الله عليه وسلم . ولا حجة لأحد علينا فى ذلك ، إذ كان من قولنا : إن ما جاء فى آى الكتاب عامًّا فى معنىً ، فالواجب من الحكم أنه على عمومه ،(٢) حتى يخصه ما يجب التسليم له . فإذا خُصّ منه شىء ، كان ما خُصّ منه خارجاً من ظاهره وحكم سائره على العموم .(٣)

وقد بيّنا العلة الموجبة صحة القول بذلك فى غير هذا الموضع ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .(٤) ٨١/٦

* * *

و « الرأس » الذى أمر الله جل وعز بالمسح به بقوله : « وامسحوا برؤوسكم

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « اسم ماسح » ، وصواب قراءتها ما أثبت .

(٢) فى المطبوعة : « فالواجب الحكم به على عمومه » ، وأسقط « من » . وفى المخطوطة : « فالواجب من الحكم به على عمومه » ، وهو الصواب ، مع جعل « به » « أنه » ، كما أثبتها .

(٣) انظر تفسير آية التيمم فى ٨ : ٤١٠ — ٤٢٥ .

(٤) انظر القول فى الخصوص والعموم فيما سلف ٢ : ٢٠٧ ، ٤/٥٣٩ : ٥/١٣٤ : ٤٠ ، ١٣٠ ، وفى مواضع أخرى كثيرة متفرقة

وأرجلكم إلى الكعبين » ، هو منابت شعر الرأس ، دون ما جاوز ذلك إلى القفا ممَّا استدبر ، ودون ما انحدر عن ذلك مما استقبلَ من قِبل وجه إلى الجبهة .

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأه جماعة من قرأة الحجاز والعراق : ﴿ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾ ، نصباً ، فتأويله : إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأرجلكم إلى الكعبين ، وامسحوا برؤوسكم . وإذا قرئ كذلك ، كان من المؤخر الذى معناه التقديم ، وتكون « الأرجل » منصوبة عطفاً على « الأيدى » . وتأول قارئو ذلك كذلك ، أن الله جل ثناؤه : إنما أمر عباده بغسل الأرجل دون المسح بها .

* * *

* ذكر من قال : عنى الله بقوله : « وأرجلكم إلى الكعبين » ، الغسلَ .

١١٤٤٧ — حدثنا حميد بن مسعدة قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا خالد الحذاء ، عن أبى قلابة أن رجلاً صلى وعلى ظهر قدمه موضع ظُفُر ، فلما قضى صلاته قال له عمر : أعدْ وضوءك وصلاتَك .

١١٤٤٨ — حدثنا حميد قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا إسرائيل قال ، حدثنا عبد الله بن حسن قال ، حدثنا هزيل بن شرحبيل ، عن ابن مسعود قال : خلِّلوا الأصابع بالماء ، لا تخلِّلها النارُ .(١)

---

(١) الأثر : ١١٤٤٨ — « عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب » ، روى له الأربعة ، ثقة . وكان من العباد ، له شرف وعارضة وهيبة ولسان شديد ، وكان ذا منزلة من عمر بن عبد العزيز . مترجم فى التهذيب .

و « هزيل بن شرحبيل الأودى » ، الأعمى ، أخو الأرقم بن شرحبيل ، روى عن أخيه ، وعثمان ، وعلى ، وطلحة ، وسعد ، وابن مسعود ، وغيرهم . تابعى ثقة ، من أصحاب عبد الله بن مسعود . ويقال : أدرك الجاهلية . مترجم فى التهذيب .

١١٤٤٩ – حدثنا عبد الله بن الصباح العطار قال، حدثنا حفص بن عمر الحوضى قال ،حدثنا مُرجَّى = يعنى : ابن رجاء اليشكرى= قال ،حدثنا أبو روح عمارة بن أبى حفصة ، عن المغيرة بن حنين : أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً يتوضأ وهو يغسل رجليه، فقال : بهذا أمرت .(١)

١١٤٥٠ – حدثنا ابن بشار قال،حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن واقد مولى زيد بن خليدة قال : سمعت مصعب بن سعد يقول : رأى عمر ابن الخطاب قومًا يتوضأون فقال : خلِّلوا .(٢)

١١٤٥١ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الوهاب قال : سمعت يحيى قال ، سمعت القاسم قال : كان ابن عمر يخلع خفَّيه ، ثم يتوضأ فيغسل رجليه ، ثم يخلِّل أصابعه .

١١٤٥٢ – حدثنا ابن بشار قال،حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ،

---

(١) الأثر : ١١٤٤٩ – «عبد الله بن الصباح بن عبد الله الهاشمى ، العطار» شيخ الطبرى ، روى عنه الجماعة ، سوى ابن ماجه . ثقة . مترجم فى التهذيب .

و «حفص بن عمر الحوضى ، النمرى» ، أبو عمر الحوضى . روى عنه البخارى وأبو داود . قال أحمد : «ثبت ، ثبت ، متقن ، لا يؤخذ عليه حرف واحد» . مترجم فى التهذيب .

و «مرجى بن رجاء اليشكرى» ، ضعيف ، قال ابن معين : «ليس حديثه بشىء» . مترجم فى التهذيب .

و «أبو روح» : «عمارة بن أبى حفصة العتكى» . ثقة . مضى برقم : ٨٥١٣ .

و «مغيرة بن حنين» ، تابعى ، روى عن على . روى عنه عمارة بن أبى حفصة . ذكره البخارى فى الكبير ٣١٨/١/٤ ، وابن أبى حاتم ٢٢٠/١/٤ ، لم يزيدا على ذلك شيئاً ، لا جرحاً ولا تعديلا .

وهذا خبر مرسل ، ضعيف لضعف ، مرجى بن رجاء .

(٢) الأثر : ١١٤٥٠ – «واقد ، مولى زيد بن خليدة» كوفى . روى عن زاذان ، وسعيد ابن جبير . روى عنه سفيان الثورى ، وشعبة . قال الثورى : «كان شيخ صدق» . مترجم فى التهذيب .

و «مصعب بن سعد بن أبى وقاص الزهرى» ، أبو زرارة ، تابعى ثقة ، مضى برقم ٩٨٤١ . وكان فى المخطوطة والمطبوعة هنا : «مصعب بن سعيد» ، وليس فى التابعين من يقال له : «مصعب ابن سعيد» ، وبعيد أن يكون تابعياً يروى عنه ، ثم يغفلونه . فثبت عندى أنه «مصعب بن سعد» .

عن الزبير بن عدى ، عن إبراهيم قال : قلت للأسود : رأيتَ عمر يغسل قدميه غَسْلاً ؟ قال : نعم .

١١٤٥٣ – حدثنى محمد بن خلف قال ، حدثنا إسحق بن منصور قال ، حدثنا محمد بن مسلم ، عن إبراهيم بن ميسرة ، عن عمر بن عبد العزيز : أنه قال لابن أبى سويد : بلغنا عن ثلاثة كلهم رأوا النبى صلى الله عليه وسلم يغسل قدميه غسلاً ، أدناهم ابن عمك المغيرة .(١)

١١٤٥٤ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا الصباح ، عن محمد = وهو ابن أبان = عن أبى إسحق ، عن الحارث ، عن على قال : اغسلوا الأقدام إلى الكعبين .

١١٤٥٥ – حدثنى يعقوب قال ، حدثنا ابن علية ، عن خالد ، عن أبى قلابة : أن عمر بن الخطاب رأى رجلاً قد ترك على ظهر قدمه مثل الظُفُر ، فأمره أن يعيد وضوءه وصلاته .

١١٤٥٦ – حدثنى يعقوب قال ، حدثنا ابن علية ، عن محمد بن إسحق ، عن شيبة بن نِصاح قال : صحبت القاسم بن محمد إلى مكة ، فرأيته إذا توضأ للصلاة يُدخل أصابع رجليه يصب عليها الماء ، قلت : يا أبا محمد ، لم تصنع هذا ؟ قال : رأيت ابن عمر يصنعه .(٢)

١١٤٥٧ – حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ، حدثنا ابن إدريس قال : سمعت أبى ، عن حماد ، عن إبراهيم فى قوله : : « فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين » ، قال : عاد الأمرُ إلى الغسل .

١١٤٥٨ – حدثنى الحسين بن على الصدائى قال ، حدثنا أبى ، عن حفص

---

(١) الأثر : ١١٤٥٣ – « ابن أبى سويد » هو : « محمد بن أبى سويد الثقفى الطائفى » . روى عن عثمان بن العاص ، وعمر بن عبد العزيز . روى له الترمذى حديثاً واحداً . مترجم فى التهذيب . و « المغيرة » ، يعنى : « المغير بن شعبة الثقفى » ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) الأثر : ١١٤٥٦ – « شيبة بن نصاح بن سرجس المخزومى » ، مولى أم سلمة ، أتى به إليها وهو صغير ، فمسحت رأسه . كان قاضياً بالمدينة . ثقة قليل الحديث . مترجم فى التهذيب . « نصاح » بكسر النون .

الغاضرى ، عن عامر بن كليب ، عن أبى عبد الرحمن قال : قرأ علىّ الحسن والحسين رضوان الله عليهما ، فقرآ : ﴿ وَأَرْجُلِكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾ ، فسمع على رضى الله عنه ذلك = وكان يقضى بين الناس = فقال : ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ ، هذا من المقدم والمؤخر من الكلام .(١)

١١٤٥٩ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عبد الوهاب بن عبد الأعلى ، عن خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أنه قرأها : ﴿ فَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ ﴾ بالنصب ، وقال : عاد الأمر إلى الغسل .(٢)

١١٤٦٠ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عبدة وأبو معاوية ، عن هشام ابن عروة ، عن أبيه : أنه قرأها : ﴿ وَأَرْجُلَكُمْ ﴾ ، وقال : عاد الأمر إلى الغسل .

١١٤٦١ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن المبارك ، عن قيس ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله : أنه كان يقرأ : ﴿ وَأَرْجُلَكُمْ ﴾ ، بالنصب .

١١٤٦٢ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، ٨٢/٦

---

(١) الأثر : ١١٤٥٨ – « الحسين بن على بن يزيد بن سليم الصدائى » ، مضى مراراً منها : ٢٠٩٣ ، ٥٤٢٧ ، ٥٤٣٧ .

وأبوه : « على بن يزيد بن سليم الصدائى » ، مضى برقم : ٢٠٩٣ .

و « حفص الغاضرى » هو : « حفص بن سليمان الأسدى الغاضرى » ، متروك الحديث ، مضى برقم : ٥٧٥٣ .

و « عاصم بن كليب بن شهاب بن المجنون الجرمى » ، مضى برقم : ٨٠٩٨ ، ثقة قليل الحديث .

و « أبو عبد الرحمن » هو : « أبو عبد الرحمن السلمى » : « عبد الله بن حبيب بن ربيعة » ، الضرير ، مقرئ الكوفة . ولد فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولأبيه صحبة . إليه انتهت القراءة تجويداً وضبطاً . أخذ القراءة عرضاً عن عثمان ، وعلى ، وعبد الله بن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وأبى بن كعب . وأخذ القرأة عنه أئمة التابعين ، منهم الحسن والحسين ، رضى الله عنهما . أقرأ القرآن فى المسجد الأعظم بالكوفة ، أربعين سنة ، من زمن عثمان رضى الله عنه إلى أن توفى سنة ٧٤ ، رحمه الله . وقد مضى برقم : ٨٢ .

(٢) الأثر : ١١٤٥٩ – « عبد الوهاب بن عبد الأعلى » (! !) ، لم أجد له ذكراً فى شىء من الكتب ، ولا مر بنا قبل ذلك . ولكن هكذا هو فى المخطوطة والمطبوعة .

والذى يروى عن « خالد الحذاء » ممن اسمه « عبد الوهاب » : « عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى » ، و « عبد الوهاب بن عطاء الخفاف » ، فأخشى أن يكون أحدهما ، وسها الناسخ أو أخطأ المملى .

حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين » ، أما « وأرجلكم إلى الكعبين » ، فيقول : اغسلوا وجوهكم ، واغسلوا أرجلكم ، وامسحوا برؤوسكم . فهذا من التقديم والتأخير .

١١٤٦٣ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا حسين بن على ، عن شيبان قال : أثبتُّ لى عن على أنه قرأ : ﴿ وَأَرْجُلَكُمْ ﴾ .(١)

١١٤٦٤ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن هشام ابن عروة ، عن أبيه : « وأرجلكم » ، رجع الأمر إلى الغسل .

١١٤٦٥ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن خالد ، عن عكرمة ، مثله .

١١٤٦٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحمانى قال ، حدثنا شريك ، عن الأعمش قال : كان أصحاب عبد الله يقرأونها : ﴿ وَأَرْجُلَكُمْ ﴾ ، فيغسلون .

١١٤٦٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن أبى إسحق ، عن الحارث ، عن على قال : اغسل القدمين إلى الكعبين .

١١٤٦٨ — حدثنى عبد الله بن محمد الزهرى قال ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن أبى السوداء ، عن ابن عبد خير ، عن أبيه قال : رأيت عليًّا توضأ فغسل ظاهر قدميه ، وقال : لولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعَل ذلك ، ظننت أن بَطْنَ القدم أحقُّ من ظاهرها .(٢)

---

(١) الأثر : ١١٤٦٣ — « حسين بن على بن الوليد الجعفى » ، مضى فى مواضع كثيرة ، منها رقم : ٢٩ ، ١٧٤ ، ٤٤١ ، ٧٢٨٧ ، ٧٤٩٩ .

و « شيبان » النحوى ، هو : « شيبان بن عبد الرحمن » ، أبو معاوية . مضى كثيراً ، من ذلك رقم : ٢٣٤٠ ، ٤٨٩٨ ، ٥٢٨٠ ، ٩٢٢٢ ، ٩٢٢٣ ، ٩٤٥٦ .

و « شيبان النحوى » ، روى القراءة عن عاصم ، وروى القراءة عنه : « حسين بن على الجعفى » ، انظر طبقات القراء للجزرى ١ : ٣٢٩ ، رقم : ١٤٣٥ .

(٢) الأثر : ١١٤٦٨ — « عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن المسور الزهرى » ، شيخ الطبرى ، روى عن سفيان بن عيينة ، وعبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى ، وأبى عامر العقدى ، وغيرهم .

١١٤٦٩ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن يمان قال، حدثنا عبد الملك، عن عطاء قال : لم أر أحداً يمسح على القدمين.

١١٤٧٠ – حدثني المثنى قال، حدثني الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا حماد، عن قيس بن سعد، عن مجاهد أنه قرأ : ﴿ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾ ، فنصبها وقال : رجع إلى الغسل .

١١٤٧١ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا جابر بن نوح قال ، سمعت الأعمش يقرأ : ﴿ وأَرْجُلَكُمْ ﴾ ، بالنصب .

١١٤٧٢ – حدثني يونس قال، أخبرنا أشهب قال : سئل مالك عن قول الله: « وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين »، أهي : « أرجلَكم » أو : « أرجلِكم »، فقال : إنما هو الغسل ، وليس بالمسح ، لا تُمْسح الأرجل، إنما تُغسل . قيل له : أفرأيت من مسح، أيجزيه ذلك ؟ قال : لا .

١١٤٧٣ – حدثنا أحمد بن حازم قال، حدثنا أبو نعيم قال، حدثنا سلمة ، عن الضحاك : « وامسحوا برؤوسكم وأرجلَكم » ، قال : اغسلوها غسلاً .

* * *

وقرأ ذلك آخرون من قرأة الحجاز والعراق : ﴿ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ ﴾ ، بخفض « الأرجل » . وتأول قارئو ذلك كذلك : أنّ الله إنما أمر عباده بمسح الأرجل

روى عنه الجماعة ، سوى البخاري . وروى عنه أبو جعفر في التاريخ ٢ : ٤٠ « عبد الله بن محمد الزهري ، عن سفيان » . مترجم في التهذيب .

وكان في المطبوعة : « عبد الله بن محمد الزبيري » ، لم يحسن قراءة ما في المخطوطة .

و « أبو السوداء » هو : « عمرو بن عمران النهدي » ، ثقة . مضى برقم : ٥٨٥٠ ، ٥٨٥١ .

و « ابن عبد خير »، هو « المسيب بن عبد خير بن يزيد الهمداني » . ثقة . مترجم في التهذيب، والكبير ٤/١/٤٠٨ .

وأبوه : « عبد خير بن يزيد الخيواني الهمداني »، مخضرم، تابعي ثقة . مضى برقم : ٨٠٣٥ .

وهذا خبر صحيح الإسناد رواه أحمد في مسنده من طريق المسيب بن عبد خير ، عن أبيه برقم : ٩١٨ ، ١٠١٤ ، ١٠١٥ ، مع اختلاف في لفظه . ورواه من طريق أبي إسحق ، عن عبد خير ، برقم : ٧٣٧ ، ٩١٧ ، ١٠١٣ ، ١٢٦٣ ، ومن طريق السدي ، عن عبد خير برقم : ٩٤٣ . مطولا .

فى الوضوء دون غسلها ، وجعلوا « الأرجل » عطفاً على « الرأس » ، فخفضوها لذلك .

* ذكر من قال ذلك من أهل التأويل .

١١٤٧٤ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا محمد بن قيس الخراسانى، عن ابن جريج ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : الوضوء غَسْلتان ومَسْحتان .(١)

١١٤٧٥ – حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا بشر بن المفضل ، عن حميد= ح ، وحدثنا يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا حميد = قال ، قال موسى بن أنس لأنس ونحن عنده : يا أبا حمزة ، إن الحجاج خطبَنا بالأهواز ونحن معه ، فذكر الطَّهور فقال : « اغسلوا وجوهكم وأيديكم ، وامسحوا برؤوسكم، وأرجلَكم ، وإنه ليس شيء من ابن آدم أقرَب إلى خبَثه من قدميه، فاغسلوا بطونهما وظهورَهما وعَرَاقيبهما » . فقال أنس: صدق الله وكذبَ الحجاج ، قال الله : « وامسحوا برؤوسكم وأرجلِكم »، قال : وكان أنس إذا مسح قدميه بلَّهما .(٢)

١١٤٧٦ – حدثنا على بن سهل قال، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا حماد قال ، حدثنا عاصم الأحول ، عن أنس قال : نزل القرآن بالمسح، والسنة الغسلُ .(٣)

١١٤٧٧ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا ابن أبى عدى، عن حميد، عن موسى

---

(١) الأثر : ١١٤٧٤ – « محمد بن قيس الخراسانى » ، لم أجد له ذكراً ، ولم أعرف من يكون . وعسى أن يكون محرفاً .

(٢) الأثر : ١١٤٧٥ – « موسى بن أنس بن مالك الأنصارى » ، قاضى البصرة . روى عن أبيه أنس بن مالك ، وعبد الله بن عباس . روى عنه ابنه حمزه ، وعطاء بن أبى رباح ، وحميد الطويل ، وغيرهم . قال ابن سعد : « كان ثقة قليل الحديث » . مترجم فى التهذيب .

وسيأتى هذا الخبر بلفظ آخر برقم : ١١٤٧٧ ، فانظر تخريجه هناك .

و « الخبث » (بفتحتين) : النجس ، يعنى البول والغائط ، ويقال لهما « الأخبثان » .

(٣) الأثر : ١١٤٧٦ – فى المطبوعة : « حدثنا ابن سهل » ، أسقط « على » ، وهى ثابتة فى المخطوطة .

ابن أنس قال : خطب الحجاج فقال : « اغسلوا وجوهكم وأيديكم وأرجلَكم ، ظهورَهما وبطونَهما وعراقيبَهما ، فإن ذلك أدنى إلى أخبثيكم » . قال أنس : صدق الله وكذب الحجاج ، قال الله : « وامسحوا برؤوسكم وأرجلِكم إلى الكعبين » .(١)

١١٤٧٨ – حدثني يعقوب قال ، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا عبيد الله العتكي ، عن عكرمة قال : ليس على الرجلين غسل ، إنما نزل فيهما المسح .(٢)

١١٤٧٩ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا هرون ، عن عنبسة ، عن جابر ، عن أبي جعفر قال : امسح على رأسك وقدميك .

١١٤٨٠ – حدثني أبو السائب قال ، حدثنا ابن إدريس ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي قال : نزل جبريل بالمسح . قال : ثم قال الشعبي : ألا ترى أن « التيمم » ، أن يمسح ما كان غسلاً ، ويُلغِي ما كان مسحاً ؟

١١٤٨١ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبي قال : أُمر بالتيمم فيما أُمر به بالغسل . ٨٣/٦

١١٤٨٢ – حدثني يعقوب قال ، حدثنا ابن علية ، عن داود ، عن الشعبي أنه قال : إنما هو المسح على الرجلين ، ألا ترى أنه ما كان عليه الغسل ، جعل عليه المسح ، وما كان عليه المسح أهمل ؟

١١٤٨٣ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا داود ، عن عامر أنه قال : أمر أن يمسح في التيمم ، ما أمر أن يغسل في الوضوء ، وأبطل

---

(١) الأثر : ١١٤٧٧ – انظر الأثر السالف رقم : ١١٤٧٥ .
وفي المخطوطة : « أدنى إلى أخبثكم » ، بإفراد « أخبث » ، وإنما جاء على التثنية : « الأخبثان » ، وهما البول والغائط . وأما في المطبوعة ، فإنه جعلها « خبثكم » فأسقط الألف . والصواب ما أثبت .
وهذا الخبر رواه البيهقي في السنن ١ : ٧١ ، من طريق يحيى بن أبي طالب ، عن عبد الوهاب ابن عطاء ، عن حميد ، به نحوه .

(٢) الأثر : ١١٤٧٨ – « عبيد الله العتكي » هو : « عبيد الله بن عبد الله العتكي » ، أبو المنيب . مضى برقم : ١٦٣٤ ، ٤٢٦٨ ، ٥٥٠٠ . وكان في المطبوعة والمخطوطة « عبد الله العتكي » ، والصواب ما أثبته ، مصغراً .

ما أمر أن يُمسح فى الوضوء : الرأس والرجلان .

١١٤٨٤ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا ابن أبى عدى ، عن داود ، عن الشعبى قال : أمر أن يمسح بالصعيد فى التيمم ، ما أمر أن يغسل بالماء . وأهمِل ما أمر أن يمسح بالماء .

١١٤٨٥ – حدثنا ابن أبى زياد قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا إسمعيل قال : قلت لعامر : إن ناساً يقولون إن جبريل صلى الله عليه وسلم نزَل بغسل الرجلين ! فقال : نزل جبريل بالمسح .(١)

١١٤٨٦ – حدثنا أبو بشر الواسطى إسحق بن شاهين قال، حدثنا خالد بن عبد الله ، عن يونس قال ، حدثنى من صحب عكرمة إلى واسط قال : فما رأيته غسل رجليه ، إنما يمسح عليهما ، حتى خرج منها .(٢)

١١٤٨٧ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلِكم إلى الكعبين » ، افترض الله غَسلتين ومسحتين.

١١٤٨٨ – حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا، حدثنا جرير، عن الأعمش ، عن يحيى بن وثّاب، عن علقمة : أنه قرأ: ﴿ وَأَرْجُلِكُمْ ﴾، مخفوضة «اللام» .(٣)

١١٤٨٩ – حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا، حدثنا جرير، عن الأعمش ، مثله .

---

(١) الأثر : ١١٤٨٥ – « ابن أبى زياد » ، هو : « عبد الله بن عبد الحكم بن أبى زياد القطوانى » ، مضى برقم : ٢٢٤٧ ، ٥٧٩٦ ، وغيرهما .

(٢) الأثر : ١١٤٨٦ – « إسحق بن شاهين الواسطى » ، « أبو بشر الواسطى » ، مضى برقم: ٧٢١١ ، ٩٧٨٨ .

و « خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن الواسطى » ، مضى أيضاً : ٤٤٣٣ ، ٧٢١١ ، ٩١٤١ ، ٩٧٨٨ .

(٣) الأثر : ١١٤٨٨ – « يحيى بن وثاب الأسدى » المقرئ . روى عن ابن عمر ، وابن عباس ، وعلقمة . ثقة . قال الأعمش : « كان يحيى بن وثاب من أحسن الناس قراءة ، وكان إذا قرأ لا يسمع فى المسجد حركة » . مترجم فى التهذيب .

١١٤٩٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو الحسين العكلى، عن عبد الوارث، عن حميد، عن مجاهد : أنه كان يقرأ: ﴿ وَأَرْجُلِكُمْ ﴾ .(١)

١١٤٩١ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا جابر بن نوح قال، حدثنا إسمعيل بن أبى خالد قال، كان الشعبى يقرأ : ﴿ وَأَرْجُلِكُمْ ﴾ ، بالخفض .

١١٤٩٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى، عن الحسن بن صالح، عن غالب، عن أبى جعفر : أنه قرأ : ﴿ وَأَرْجُلِكُمْ ﴾ ، بالخفض .(٢)

١١٤٩٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى، عن سلمة، عن الضحاك : أنه قرأ : ﴿ وَأَرْجُلِكُمْ ﴾ ، بالكسر .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول عندنا فى ذلك، أن الله عزّ ذكره أمر

---

(١) الأثر : ١١٤٩٠ – «أبو الحسين العكلى» ، هو «زيد بن الحباب العكلى» ، مضى برقم : ٢١٨٥ ، ٥٣٥٠ ، ٨١٦٥ ، وغيرها . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : «أبو الحسن» وهو خطأ .

و «عبد الوارث» هو : «عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان العنبرى» . إمام حافظ مقرئ . مضى برقم : ٢١٥٤ ، ٦٥٨٩ ، ٦٥٩١ ، ٦٨١٩ . ومترجم أيضاً فى طبقات القراء للجزرى ١ : ٤٧٨ ، رقم : ١٩٨٩ ، أخذ القراءة عرضاً على أبى عمرو بن العلاء ، ورافقه فى العرض على حميد بن قيس المكى .

و «حميد» هو «حميد الأعرج» ، «حميد بن قيس المكى الأسدى» القارئ ، مضى برقم : ٣٣٥٢ ، ٦٤٦١ ، ومترجم أيضاً فى طبقات القراء للجزرى ١ : ٢٦٥ ، رقم : ١٢٠٠ . أخذ القراءة عن «مجاهد بن جبر» . روى القراءة عنه سفيان بن عيينة ، وأبو عمرو بن العلاء ، وعبد الوارث ابن سعيد . توفى سنة ١٣٠ .

(٢) الأثر : ١١٤٩٢ – «الحسن بن صالح بن حى الثورى» ، مضى برقم : ١٧٨ ، ٥٣٤٧ ، ٧٥٩٤ .

وأما «غالب» ، فكأنه يعنى «غالب بن فائد الأسدى» المقرئ ، روى عن سفيان الثورى ، وإسرائيل ، وأبى بكر بن عياش ، وعرض القراءة على حمزة الزيات . قال أبو حاتم : «هو مقرئ ليس به بأس» . وقال أبو زرعة : «هو شيخ كوفى ، لا أعرفه» . مترجم فى ابن أبى حاتم ٣/٢/٤٩ .

وأما «أبو جعفر» ، فهو «أبو جعفر المخزومى» : «يزيد بن القعقاع» ، الإمام القارئ ، أحد القراء العشرة ، تابعى مشهور كبير القدر . مترجم فى طبقات القراء للجزرى ٢ : ٣٨٢ ، رقم : ٣٨٨٢ .

بعموم مسح الرجلين بالماء فى الوضوء ، كما أمر بعموم مسح الوجه بالتراب فى التيمم . وإذا فعل ذلك بهما المتوضئ ، كان مستحقًّا اسم « ماسحٍ غاسلٍ » ، لأن « غسلهما » ، إمرار الماء عليهما أو إصابتهما بالماء ، و« مسحهما » ، إمرار اليد أو ما قام مقام اليد عليهما . فإذا فعل ذلك بهما فاعل فهو « غاسل ماسح » .

ولذلك = من احتمال « المسح » المعنيين اللذين وصفتُ من العموم والخصوص ، اللذين أحدهما مسح ببعض ، والآخر مسح بالجميع = اختلفت قراءة القرأة فى قوله : « وأرجلكم » ، فنصبها بعضهم = توجيهاً منه ذلك إلى أن الفرض فيهما الغسل ، وإنكاراً منه المسح عليهما ، مع تظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعموم مسحهما بالماء .

= وخفضها بعضهم ، توجيهاً منه ذلك إلى أن الفرض فيهما المسح .

ولما قلنا فى تأويل ذلك = إنه معنىّ به عموم مسح الرجلين بالماء = كره من كره للمتوضئ الاجتزاءَ بإدخال رجليه فى الماء دون مسحهما بيده أو بما قام مقام اليد ، توجيهاً منه قوله : « وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين » ، إلى مسح جميعهما عامًّا باليد ، أو بما قام مقام اليد ، دون بعضهما ، مع غسلهما بالماء ، كما :—

١١٤٩٤ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان = قال ، حدثنا نافع ، عن ابن عمر = عن الأحول ، عن طاوس ، أنه سئل عن الرجل يتوضأ ويدخل رجليه فى الماء . قال : ما أعدُّ ذلك طائلاً .(١)

---

(١) الأثر ١١٤٩٤ — فى هذا الإسناد خطأ لم أهتد إلى صوابه ، فإن « سفيان بن عيينة » لم يرو عن « نافع » مولى « ابن عمر » .

وأخشى أن يكون صوابه « قال حدثنا عبد الرحمن ، قال حدثنا سفيان = وحدثنا نافع بن عمر = عن الأحول . . . » .

فإن « عبد الرحمن بن مهدى » ، يروى عن « نافع بن عمر بن عبد الله بن جميل الجمحى » ، ولكن لا أدرى ، أروى « نافع بن عمر » هذا عن « الأحول » أم لم يرو عنه .

وأما « الأحول » ، فهو « سليمان بن أبى مسلم المكى » ، روى عنه سفيان بن عيينة . ومضى برقم : ٧٨٦٧.

وقوله : « ما أعد ذلك طائلا » ، أى مغنياً أو مجزئا . وأصل « الطائل » : النفع والفائدة . يقال : « هذا أمر لا طائل فيه » ، إذا لم يكن فيه غناء ولا مزية .

* * *

وأجاز ذلك من أجاز ، توجيهاً منه إلى أنه معنيٌّ به الغسل ، كما :—

١١٤٩٥ — حدثني أبو السائب قال، حدثنا ابن إدريس قال : سمعت هشاماً يذكر ، عن الحسن ، في الرجل يتوضأ في السفينة ، قال : لا بأس أن يغمس رجليه غمساً .

١١٤٩٦ — حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال : أخبرني أبو حرّة ، عن الحسن، في الرجل إذا توضأ على حرف السفينة ، قال: يخضخِضُ قدميه في الماء .(١)

* * *

= فإذا كان « المسحَ» المعنيان اللذان وصفنا: من عموم الرجلين بالماء، وخصوص بعضهما به = وكان صحيحاً بالأدلّة الدالة التي سنذكرها بعدُ ، أنّ مراد الله من مسحهما العموم، وكان لعمومهما بذلك معنى «الغسل » و « المسح» = فبيِّنٌ صواب قرأة القراءتين جميعاً(٢) = أعني النصب في « الأرجل » والخفض . لأن في عموم الرجلين بمَسحهما بالماء غسلُهما، وفي إمرار اليد وما قام مقام اليد عليهما مسحُهما . ٨٤/٦

فوجهُ صواب قراءة من قرأ ذلك نصباً ، لما في ذلك من معنى عمومها بإمرار الماء عليهما .(٣)

ووجهُ صواب قراءة من قرأه خفضاً ، لما في ذلك من إمرار اليد عليهما ، أو ما قام مقام اليد ، مسحاً بهما .

---

(١) الأثر : ١١٤٩٦ — « أبو حرة » البصري ، هو « واصل بن عبد الرحمن » ، مضى مثل هذا الإسناد برقم : ٦٣٨٥ . وكان في المطبوعة هنا : « أبو حمزة » ، وهو خطأ محض . و « خضخض الماء » : حركه .

(٢) في المطبوعة : « صواب القراءتين جميعاً » ، خالف المخطوطة وحذف . « قرأة » (بفتح القاف والراء والهمزة) ، جمع « قارئ » ، كما سلف مئات من المرات .

(٣) في المطبوعة : « معنى عمومهما » بالتثنية ، والصواب من المخطوطة .

غير أنّ ذلك وإن كان كذلك ، وكانت القراءتان كلتاهما حسناً صواباً ، فأعجب القراءتين إلىّ أن أقرأها ، قراءة من قرأ ذلك خفضاً ، لما وصفت من جمع « المسح » المعنيين اللذين وصفت ، ولأنه بعد قوله : « وامسحوا برؤوسكم » ، فالعطف به على « الرؤوس » مع قربه منه ، أولى من العطف به على « الأيدى » ، وقد حيل بينه وبينها بقوله : « وامسحوا برؤوسكم » .

* * *

فإن قال قائل : وما الدليلُ على أن المراد بالمسح فى الرجلين العموم ، دون أن يكون خصوصاً ، نظيرَ قولك فى المسح بالرأس ؟

قيل : الدليل على ذلك ، تظاهرُ الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ويل للأعقاب وبُطون الأقدام من النار » . ولو كان مسح بعض القدم مجزئاً من عمومها بذلك ، [1] لما كان لها الويل بترك ما تُرك مسحه منها بالماء بعد أن يُمسح بعضها . لأن من أدّى فرض الله عليه فيما لزمه غسلُه منها ، لم يستحق الويل ، بل يجب أن يكون له الثواب الجزيل . وفى وجوب الويل لعَقِب تارك غسل عَقِبه فى وضوئه ، [2] أوضحُ الدليل على وجوب فرض العموم بمسح جميع القدم بالماء ، وصحةِ ما قلنا فى ذلك ، وفسادِ ما خالفه .

* * *

* ذكر بعض الأخبار المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذكرنا .

١١٤٩٧ — حدثنا حميد بن مسعدة قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا شعبة ، عن محمد بن زياد قال : كان أبو هريرة يمرُّ ونحن نتوضأ من المَطْهَرة ، فيقول : [3] أسبغوا الوضوء ، أسبغوا الوضوء ، قال أبو القاسم : ويلٌ للعراقيبِ من النار .

---

(١) فى المطبوعة : « مجزئا عن عمومها » ، والصواب من المخطوطة ، وكأن الناشر قد اعتاد أن يضع « عن » ، مكان « من » فى مثل هذا ، انظر ما سلف : ص : ٢٥ ، تعليق : ٣ .

(٢) فى المطبوعة : « فوجوب الويل » ، وهو فاسد . وفى المخطوطة : « فى وجوب الويل » ، سقط من الناسخ « الواو » من أول الكلام ، فأثبتها .

(٣) « المطهرة » (بفتح الميم ، وكسرها) : الإناء الذى يكون فيه الماء ، ليتوضأ منه .

١١٤٩٨ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع ، عن شعبة، عن محمد ابن زياد، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، نحوه = إلا أنه قال : ويل للأعقاب من النار .(١)

١١٤٩٩ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا ابن أبي عدى ، عن شعبة ، عن محمد بن زياد قال: كان أبو هريرة يمرّ بأناس يتوضأون يُسيئون الطهور ،(٢) فيقول: أسبغوا الوضوء ، فإني سمعت أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول : ويلٌ للعَقِب من النار .

١١٥٠٠ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو أسامة ، عن شعبة ، عن محمد بن زياد ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

١١٥٠١ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع ، عن حماد بن سلمة ، عن محمد بن زياد ، عن أبي هريرة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه.

١١٥٠٢ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع ، عن حماد بن سلمة ، عن محمد بن زياد ، عن أبي هريرة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : ويل للأعقاب من النار .(٣)

١١٥٠٣ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا خالد بن مخلد قال ، حدثني سليمان بن بلال قال ، حدثني سهيل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال

---

(١) في المخطوطة : « ويل للعراقيب » ، كالذى قبله ، ولا يستقيم ذلك ، فالظاهر أن الصواب هو ما ثبت في المطبوعة .

(٢) في المطبوعة : « مسرعين الطهور » ، وفي المخطوطة : « يسوون الطهور » فكأن قراءتها كما أثبت . ولو قرئت: ﴿ يُسوُون الطّهور ﴾ ، لكان صواباً ، فقد حكى ابن خالويه أنه يقال : « أسوى » بمعنى : أساء .

(٣) الآثار ١١٤٩٧ – ١١٥٠٢ – ست طرق ، لخبر محمد بن زياد ، عن أبي هريرة . و « محمد بن زياد القرشي الجمحي » ، تابعي ثقة .

والحديث ، رواه البخاري (الفتح ١ : ٢٣٣) ومسلم ٣ : ١٣١ ، وأحمد في المسند رقم : ٧١٢٢ ، من طريق شعيب ، عن محمد بن زياد ، وبرقم : ٧٨٠٣ ، من طريق معمر ، عن محمد بن زياد . وانظر تعليق أخي السيد أحمد عليه هناك . وهو حديث صحيح .

رسول الله صلى الله عليه وسلم : ويل للأعقاب من النار يوم القيامة .[١]

١١٥٠٤ – حدثني إسحق بن شاهين وإسمعيل بن موسى قالا، حدثنا خالد ابن عبد الله ، عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ويلٌ للأعقاب من النار= وقال إسمعيل في حديثه : ويلٌ للعراقيب من النار .[٢]

١١٥٠٥ – حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا حسين المعلم ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن سالم الدوسي قال : دخلت مع عبد الرحمن بن أبي بكر على عائشة، فدعا بوضوء ، فقالت عائشة : يا عبد الرحمن، أسبغ الوضوء، فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ويل للأعقاب من النار .[٣]

١١٥٠٦ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا عمر بن يونس الحنفي قال، حدثنا عكرمة بن عمار قال ، حدثنا يحيى بن أبي كثير قال ، حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن قال ، حدثني أبو سالم مولى المَهْرِي= هكذا قال عمر بن يونس = قال : خرجت أنا وعبد الرحمن بن أبي بكر في جنازة سعد بن أبي وقاص، قال :

---

(١) الأثر : ١١٥٠٣ – «خالد بن مخلد القطواني» ، صدوق في الرواية ، مضى برقم : ٢٢٠٦ ، ٤٥٧٧ ، ٨١٦٦ ، ٨٣٩٧ .
و «سليمان بن بلال التيمي» ، ثقة ، مضى برقم : ٤٣٣٣ ، ٤٩٢٣ ، ١٠٨٤٦ .
و «سهيل بن أبي صالح ذكوان السمان» . ثقة ، مضى برقم : ١٠٦٧٦ .
وأبوه : «أبو صالح ذكوان السمان» . مضى برقم : ٣٠٤ ، ٣٢٢٦ ، ٥٣٨٧ .
حديث صحيح ، رواه مسلم ١ : ١٣١ ، من طريق جرير ، عن سهيل ، بنحوه . ورواه أحمد في مسنده رقم : ٧٧٧٨، من طريق معمر ، عن سهيل ، بمثله . وسيأتي في الذي يليه بإسناد آخر .

(٢) الأثر : ١١٥٠٤ – «إسحق بن شاهين الواسطي» ، مضى قريباً برقم : ١١٤٨٦ .
و «إسماعيل بن موسى الفزاري» شيخ الطبري ، مضى برقم : ٨٤٩ ، ٩٦٨٢ .
و «خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن الواسطي الطحان» ، مضى برقم : ٤٤٣٣ ، ٧٢١١ ، ٩١٤١ ، ٩٧٨٨ .
وهذا إسناد آخر للحديث السالف .

(٣) الأثر : ١١٥٠٥ – «يحيى بن أبي كثير الطائي» ، روى عن أنس ، وأبي سلمة

فمررت أنا وعبد الرحمن على حُجرة عائشة أخت عبد الرحمن ، فدعا عبد الرحمن بوضوء ، فسمعت عائشة تناديه : يا عبد الرحمن ، أسبغ الوضوء ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ويل للأعقاب من النار.(١) ٨٥/٦

١١٥٠٧ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا أبو عامر قال ، حدثنا على بن المبارك ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن سالم مولى دَوْس قال : سمعت عائشة تقول لأخيها عبد الرحمن : يا عبد الرحمن ، أسبغ الوضوء ، فإنّى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ويل للأعقاب من النار.(٢)

ابن عبد الرحمن بن عوف ، وعن سالم مولى دوس . ثقة مترجم فى التهذيب .

وهذا الخبر رواه يحى بن أبى كثير مرتين هنا وفى رقم : ١١٥٠٧ ، عن « سالم » مباشرة ، ثم عنه بواسطة أبى سلمة بن عبد الرحمن ، فى الأثر التالى .

و « سالم الدوسى » هو « سالم بن عبد الله النصرى » ، و « أبو عبد الله مولى شداد » ، و « سالم مولى شداد بن الهاد » ، وهو « سالم مولى النصريين » ، و « سالم سبلان » ، و « سالم مولى مالك ابن أوس بن الحدثان النصرى » و « سالم مولى المهرى » ، و « سالم مولى دوس » ، هذه كلها جاءت فى أخباره ، كما قال النووى فى شرح مسلم . قال أبو حاتم : « كان سالم من خيار المسلمين » ، وكانت عائشة تستعجب بأمانته ، تستأجره . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/٢/١١٠ .

وسيأتى تخرج حديث « سالم » فى رقم : ١١٥١٠ .

(١) الأثر : ١١٥٠٦ – « عمر بن يونس الحنفى اليمامى » ، ثقة ثبت . مضى برقم : ٤٤٣٥ ، ٨٢٢٤ .

و « عكرمة بن عمار العجلى » ، ثقة ، مضى برقم : ٨٤٩ ، ٢١٨٥ .

و « أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى » ، ثقة . مضى برقم : ٨ ، ٦٧ ، ٣٠١٥ ، ٨٣٩٤ .

و « أبو سالم مولى المهرى » ، هو « سالم الدوسى » الذى مضى فى الأثر السالف . وقول الطبرى : « هكذا قال عمر بن يونس » ، يعنى فى روايته عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ، فإن ابن حجر نقل فى التهذيب فى ترجمته : « وقال عبد الغنى بن سعيد فى إيضاح الإشكال : وهو الذى روى عنه أبو سلمة فقال : حدثنا أبو سالم ، أو سالم ، مولى المهرى » .

وقال البخارى فى الكبير ٢/٢/١١٠ : « وقال عكرمة ، عن يحيى ، حدثنى أبو سلمة ، حدثنى أبو سالم المهرى – ولا يصح » . وهو يعنى هذا الإسناد نفسه .

و « المهرى » (بالراء والياء المشددة) ، وكان فى المطبوعة والمخطوطة بالدال ، وهو خطأ محض . وسيأتى فى التخريج فى الأثر رقم : ١١٥١٠ .

(٢) الأثر : ١١٥٠٧ – « على بن المبارك الهنائى » ثقة . قال أحمد : « كانت عنده كتب

١١٥٠٨ – حدثني يعقوب وسوار بن عبد الله قالا، حدثنا يحيى القطان ، عن ابن عجلان ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن أبي سلمة ، أن عائشة رأت عبد الرحمن يتوضأ فقالت : أسبغ الوضوء ، فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ويل للأعقاب من النار .(١)

١١٥٠٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن عيينة ويحيى بن سعيد القطان ، عن ابن عجلان ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن أبي سلمة قال : رأت عائشة عبد الرحمن يتوضأ، فقالت : أسبغ الوضوء، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ويلٌ للعراقيب من النار .(١)

١١٥١٠ – حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال: أخبرنا أبو زرعة وهب الله بن راشد قال: أخبرنا حيوة بن شريح قال، أخبرنا أبو الأسود : أنّ أبا عبد الله مولى شدّاد بن الهاد حدّثه: أنه دخل على عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وعندها عبد الرحمن ، فتوضأ عبد الرحمن ، ثم قام فأدبر ، فنادته عائشة فقالت : يا عبد الرحمن ! فأقبل عليها ، فقالت له : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ويلٌ للأعقاب من النار .(٢)

عن يحيى بن أبي كثير ، بعضها سمعها ، وبعضها عرض » . مترجم في التهذيب .

وهذا الخبر أيضاً من رواية يحيى بن أبي كثير ، عن سالم ، دون واسطة ، كما أشرت إليه في التعليق على الأثر : ١١٥٠٥ .

(١) الأثران : ١١٥٠٨ ، ١١٥٠٩ – « أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف » روى عن عائشة بغير واسطة . وهذان الخبران لم يصرح فيهما أبو سلمة بسماعه من عائشة ، وقد مضى برقم : ١١٥٠٦ ، أنه سمع ذلك من سالم مولى المهرى .

(٢) الأثر : ١١٥١٠ – « أبو زرعة ، وهب الله بن راشد المصرى » ، مؤذن الفسطاط . مضى برقم : ٢٣٧٧ ، ٢٨٩١ ، ٥٠٠٥ ، ٥٣٨٦ ، ٦٤٥٨ . وكان في المطبوعة هنا : « أخبرنا أبو رواحة وعبد الله بن راشد قالا » ، تصرف في نص المخطوطة تصرفاً قبيحاً ، وجعل الرجل الواحد رجلين ، ووضع مكان « قال » ، « قالا » وليس في العبث بالأمانة أقبح من هذا الفعل .

و « حيوة بن شريح » ، مضى برقم : ٢٨٩١ ، ٣١٧٩ .

١١٥١١ – حدثني محمد بن المثنى قال، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن شعبة قال ، حدثني أبو إسحق ، عن سعيد = أو : شعيب = بن أبي كرب قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ويل للعراقيب من النار. (١)

١١٥١٢ – حدثنا خلاد بن أسلم قال، حدثنا النضر قال ، أخبرنا شعبة ،

و « أبو الأسود » ، هو « يتيم عروة » : « محمد بن عبد الرحمن بن نوفل بن الأسود الأسدى » مضى برقم : ٢٨٩١

وكان فى المطبوعة : « أخبرنا عبد الله مولى شداد بن الهاد » ، وفى المخطوطة : « أنا عبد الله مولى شداد بن الهاد » . والصواب بينهما ما أثبته بزيادة « أن » ، كما فى مسلم ٣ : ١٢٨ .

وهذا الخبر : ١١٥١٠ ، أخرجه مسلم فى صحيحه ٣ : ١٢٨ ، من طريق حرملة بن يحيى ، عن ابن وهب ، عن حيوة، عن محمد بن عبد الرحمن، ولم يذكر لفظه . والطحاوى فى شرح معانى الآثار ١ : ٢٣، وأخرجه البخارى فى التاريخ الكبير ٢/٢/١١١ ، مختصراً .

وأما الحديث : ١١٥٠٦ ، فقد أخرجه مسلم فى صحيحه ٣ : ١٢٨ ، من طريق « محمد بن حاتم، وأبو معن الرقاشى ، قال حدثنا عمر بن يونس ، حدثنا عكرمة بن عمار ، حدثنى يحيى بن أبى كثير ، قال حدثنى أو حدثنا أبو سلمة بن عبد الرحمن ، حدثنى سالم مولى المهرى » ، ولم يقل عمر بن يونس فيه « أبو سالم المهرى » ، كما قال الطبرى إنه كذلك فى رواية « عمر بن يونس » . وقد مضى أن البخارى قال فى قوله : « أبو سالم المهرى » ، إنه لا يصح .

وحديث سالم ، أخرجه مسلم أيضاً (٣ : ١٢٧ ، ١٢٨) من طريق عبد الله بن وهب ، عن مخرمة بن بكير ، عن سالم . وأخرجه البيهقى فى السنن ١ : ٦٩ ، والطيالسى : ٢١٧ ، رقم : ١٥٥٢ ، من طريق ابن أبى ذئب ، عن عمران بن بشير ، عن سالم سبلان ، وفيه زيادة : « ويل للأعقاب من النار يوم القيامة » ، وعنه البيهقى فى السنن ١ : ٦٩ . ورواه الطحاوى فى شرح معانى الآثار ١ : ٢٣ .

(١) الأثر : ١١٥١١ – « أبو إسحق » هو السبيعى .

« سعيد بن أبى كرب (أو كريب) الهمدانى » ، سئل أبو زرعة عنه فقال : « كوفى ثقة » ، وذكره ابن حبان فى الثقات . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/١/٤٦٧ ، وابن أبى حاتم ٢/١/٥٧ .

كان فى المطبوعة والمخطوطة هنا « أبو إسحق ، عن سعد = أو : سعيد = ابن أبى كرب » . وهو خطأ لاشك فيه، فإن البخارى قد نص على أن شعبة قد روى عن أبى إسحق « عن سعيد = أو شعيب » . وكذلك روى أحمد فى مسنده ٣ : ٣٦٩ « عن أبى إسحق أنه سمع سعيد بن أبى كريب » أو : شعيب بن أبى كريب » . وهكذا جاء فى المسند ، « كريب » مصغراً ، ومثله فى التهذيب ، وابن ماجة .

وهذا الخبر رواه الطبرى هنا من ثلاث طرق عن أبى إسحق ، إلى رقم : ١١٥١٦ ، وسأذكر بقية تخريجه فى الأثر الأخير .

عن أبي إسحق قال ، سمعت ابن أبي كرب قال ، سمعت جابر بن عبد الله قال ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ويل للعَقِب= أو : العراقيب = من النار .(١)

١١٥١٣ – حدثني إسمعيل بن محمود الحجيري قال ، حدثنا خالد بن الحارث قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحق قال ، سمعت سعيداً يقول ، سمعت جابراً يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ويل للأعقاب من النار .(٢)

١١٥١٤ – حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحق ، عن سعيد بن أبي كرب ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ويل للعراقيب من النار .(٣)

١١٥١٥ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا الصباح بن محارب ، عن محمد ابن أبان ، عن أبي إسحق ، عن سعيد بن أبي كرب ، عن جابر بن عبد الله قال : سَمِع أذني من النبي صلى الله عليه وسلم : ويل للعراقيب من النار .(٤)

---

(١) الأثر : ١١٥١٢ – « خلاد بن أسلم » ، أبو بكر الصفار ، شيخ الطبري ، مضى برقم : ٣٠٠٤ .

و « النضر » هو : « النضر بن شميل المازني » النحوي البصري ، روى له الأئمة ، كان أروى الناس عن شعبة . وكان النضر إماماً في العربية والحديث . مترجم في التهذيب .

وهذا الخبر مكرر الذي سلف .

(٢) الأثر : ١١٥١٣ – « إسماعيل بن محمود الحجيري » شيخ الطبري . لم أجد له ترجمة ولا ذكراً فيما بين يدي من الكتب ، ولا أدري أهو « الحجيري » أم « الجحيري » ، فإنه في المخطوطة غير منقوط .

و « خالد بن الحارث بن عبيد الهجيمي » ، سلف برقم : ٧٥٠٧ ، ٧٨١٨ ، ٩٨٧٨ . وهذا الخبر مكرر الخبرين السالفين .

(٣) الأثر : ١١٥١٤ – هذا الخبر من طريق سفيان عن أبي إسحق ، رواه الطحاوي في معاني الآثار ١ : ٣٣ من طريق مؤمل بن إسماعيل ، عن سفيان ، عن أبي إسحق ، بزيادة في آخره : « أسبغوا الوضوء » .

(٤) الأثر : ١١٥١٥ ، ١١٥١٦ – « الصباح بن محارب التيمي » الكوفي ثقة ، لم يرو له سوى ابن ماجة . قال أبو زرعة ، وأبو حاتم : « صدوق » . وقال العقيلي : « يخالف في بعض حديثه » . مترجم في التهذيب .

١١٥١٦ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا الصباح بن محارب ، عن محمد ابن أبان ، عن أبي إسحق ، عن سعيد بن أبي كرب ، عن جابر بن عبد الله قال : سمع أذني من النبي صلى الله عليه وسلم : ويلٌ للعراقيب من النار ! أسبغوا الوضوء .(١)

١١٥١٧ – حدثني الحسين بن علي الصدائي قال ، حدثنا الوليد بن القاسم ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر بن عبد الله قال : أبصر النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يتوضأ وبقي من عَقِبِه شيء ، فقال : ويلٌ للعراقيب من النار .(٢)

١١٥١٨ – حدثني علي بن مسلم قال ، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال ، حدثنا حفص ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى قوماً يتوضأون لم يُصب أعقابَهم الماءُ ، فقال : ويل للعراقيب من النار .(٢)

١١٥١٩ – حدثنا أبو سفيان الغنوي يزيد بن عمرو قال ، حدثنا خلف ابن الوليد قال ، حدثني أيوب بن عتبة ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن معيقيب قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ويل للعراقيب من النار .(٣)

= و « محمد بن أبان بن صالح بن عمير الجعفي » ، تزوج في الجعفيين ، فنسب إليهم . ضعفوه ، متكلم في حفظه . مضى برقم : ٢٧٢٠ .

هذا ، وأثر أبي إسحق ، عن سعيد بن أبي كرب ، رواه أحمد في المسند ٣ : ٣٩٠ من طريق إسرائيل ، عن أبي إسحق ، وبمثله الطحاوي في معاني الآثار ١ : ٠٣٣ ثم رواه أحمد في ٣ : ٣٩٣ من طريق يزيد بن عطاء ، عن أبي إسحق . ورواه ابن ماجة في سننه ١ : ١٥٥ ، رقم : ٤٥٤ ، من طريق الأحوص ، عن أبي إسحق .

(١) الأثر : ١١٥١٦ – انظر التعليق على الأثر السالف .

(٢) الأثران : ١١٥١٧ ، ١١٥١٨ – « أبو سفيان » هو : « طلحة بن نافع القرشي » ، ثقة ، مضى برقم : ٦٦٥٤ .

وهذا الخبر رواه أحمد في المسند ٣ : ٣١٦ من طريق أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، بنحوه .

(٣) الأثر : ١١٥١٩ – « أبو سفيان الغنوي » ، « يزيد بن عمرو » ، شيخ الطبري ، لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من الكتب .

و « معيقيب » ، هو : « معيقيب بن أبي فاطمة الدوسي » ، ويقال : « معيقب » ، أسلم قديماً بمكة ، وهاجر الهجرتين ، وشهد بدراً . روى عنه أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف .

١١٥٢٠ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن هلال بن يساف ، عن أبي يحيى ، عن عبد الله بن عمرو قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوماً يتوضأون ، فرأى أعقابهم تلوح ، فقال : ويلٌ للأعقاب من النار ! أسبغوا الوضوء .(١)

١١٥٢١ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن منصور ، عن هلال بن يساف ، عن أبي يحيى الأعرج ، عن عبد الله ابن عمرو قال : أبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم قوماً يتوضأون لم يتمُّوا الوضوء ، ٨٦/٦
فقال : أسبغوا الوضوء ، ويلٌ للعراقيب = أو : الأعقاب = من النار(١) !

١١٥٢٢ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن رجل من أهل مكة ، عن عبد الله بن عمرو : أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى قوماً يتوضأون فلم يتمُّوا الوضوء ، فقال : ويلٌ للأعقاب من النار .(٢)

وهذا الخبر رواه أحمد في مسنده ٣ : ٤٢٦ ، ثم ٥ : ٤٢٥ ، من طريق خلف بن الوليد بإسناده ولفظه . وقال ابن كثير في تفسيره ٣ : ٩٢ : « تفرد به أحمد » .

(١) الأثر : ١١٥٢٠ – هذا الخبر رواه أبو جعفر من طريق سفيان ، عن منصور ، هنا ، ورقم : ١١٥٢٣ ، ورواه برقم : ١١٥٢١ من طريق شعبة ، عن منصور ، ورواه برقم ١١٥٢٤ ، من طريق إسرائيل ، عن منصور . وسيأتي تخريجه في آخرها .

(٢) الأثر : ١١٥٢٢ – « أبو بشر » ، « جعفر بن إياس » ، وهو « ابن أبي وحشية » ، سلف مراراً كثيرة .

وهذا الخبر أخرجه أحمد في مسنده برقم : ٦٩١١ ، من هذه الطريق نفسها ، بلفظه . قال أخي السيد أحمد : « الرجل من أهل مكة الذي رواه عنه أبو بشر ، هو : « يوسف بن ماهك . . . ، كما نص عليه الحافظ في التعجيل : ٥٥١ » .

و « يوسف بن ماهك بن مهران الفارسي المكي » ، ثقة عدل روى له الأئمة . مترجم في التهذيب . والحديث المصرح فيه بذكر « يوسف بن ماهك » ، رواه البخاري (الفتح ١ : ١٣٢ ، ١٧٠ ، ٢٣٢) ، ومسلم في صحيحه ٣ : ١٣٠ ، ١٣١ . ز

وكان في المخطوطة في هذا الخبر « عن رجل من أهل مكة ، عن عبد الرحمن بن عمرو » ، وهو خطأ لا شك فيه ، أحسن ناشر المطبوعة الأولى في تصحيحه وأصاب .

١١٥٢٣ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن هلال بن يساف ، عن أبي يحيى ، عن عبد الله بن عمرو : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى قوماً يتوضأون وأعقابُهم تلوح ، فقال : ويلٌ للأعقاب من النار ! أسبغوا الوضوء .(١)

١١٥٢٤ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن منصور ، عن هلال ، عن أبي يحيى مولى عبد الله بن عمرو ، عن عبد الله بن عمرو قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مكة والمدينة ، فسبقنا ناس فتوضأوا ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى أقدامهم بيضاً من أثر الوضوء فقال : ويلٌ للعراقيب من النار ! أسبغوا الوضوء .(١)

١١٥٢٥ – حدثني على بن عبد الأعلى قال ، حدثنا المحاربي ، عن مطرح ابن يزيد، عن عبيد الله بن زَحْر ، عن على بن يزيد، عن القاسم ، عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ويل للأعقاب من النار ! قال : فما بقي في المسجد شريفٌ ولا وضيع إلاّ نظرتُ إليه يقلّب عُرْقوبيه ينظر إليهما .(٢)

---

(١) الآثار : ١١٥٢٠ – ١١٥٢٤ ، خلا الحديث (١١٥٢٢) – خبر منصور ، عن هلال بن يساف ، رواه الأئمة من طرق . رواه مسلم في صحيحه ٣ : ١٢٨ – ١٣٠ ، وأحمد في مسنده من طرق رقم : ٦٥٢٨ ، ٦٨٠٩ ، ٦٨٨٣، والنسائي في سننه ١ : ٧٧ ، ٧٨ ، وابن ماجة ١ : ١٥٤، رقم : ٤٥٠ ، والطحاوي في شرح معاني الآثار ١ : ٣٣ ، والبيهقي في السنن ١ : ٦٩ . وانظر تخريجه في شرح المسند رقم : ٦٥٢٨ .

وقوله : « تلوح » : أي تلمع ، من بياضها . وأتى في الأثر : ١١٥٢٤، « فرأى أقدامهم بيضاً من أثر الوضوء » .

(٢) الأثر : ١١٥٢٥ – « مطرح بن يزيد الأسدي الكناني » ، أبو المهلب . روى عن عبيد الله بن زحر . ضعيف قال أبو حاتم : « ليس بالقوي ، هو ضعيف الحديث . يروي أحاديث ابن زحر عن على بن يزيد ، فلا أدري من على بن يزيد أو منه » . مترجم في التهذيب ، والكبير ٤/٢/١٩ ، وابن أبي حاتم ٤/١/٤٠٩ .

و « عبيد الله بن زحر الضمري الإفريقي » ، وثقه أخي السيد أحمد فيما سلف رقم : ٧٦٦٠ ، وقال : « ضعفه أحمد ، وابن معين ، وابن المديني . . . ولم يذكره البخاري ولا النسائي في الضعفاء . ونرى أن من تكلم فيه ، إنما هو من أجل نسخة يرويها عن على بن يزيد الألهاني ، الحمل فيها على على بن يزيد » . وانظر التهذيب .

١١٥٢٦ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا حسين، عن زائدة، عن ليث قال، حدثني عبد الرحمن بن سابط، عن أبي أمامة = أو: أخي أبي أمامة = أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبصر أقواماً يتوضأون وفي عَقِب أحدهم = أو: كعب أحدهم = مثلُ موضع الدرهم = أو: موضع الظفُر = لم يمسَّه الماء، فقال: ويلٌ للأعقاب من النار! فقال: فجعل الرجل إذا رأى في عقبه شيئاً، لم يصبه الماء، أعادَ وضوءه.(١)

* * *

قال أبو جعفر: فإن قال قائل: فما أنت قائل فيما حدّثكم به: –

١١٥٢٧ – محمد بن المثنى قال، حدثنا يحيى بن سعيد، عن شعبة، عن يعلى بن عطاء، عن أبيه، عن أوس بن أبي أوس قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ ومسح على نعليه، ثم قام فصلى.(٢)

* * *

و «علي بن يزيد الألهاني». ضعيف بمرة. روى عن القاسم بن عبد الرحمن، صاحب أبي أمامة، نسخة كبيرة. روى عن عبيد الله بن زحر، ومطرح بن يزيد، وآخرين. ضعفه أحمد. وقال ابن معين: «علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة»، «ضعاف كلها» وقال: «أحاديث عبيد الله ابن زحر وعلي بن يزيد، ضعيفة». وقال البخاري: «منكر الحديث ضعيف».

«القاسم»، هو «القاسم بن عبد الرحمن الشامي»، اختلف فيه، قال أخي السيد أحمد: «والراجح أنه ثقة، وأن ما أنكر عليه، إنما جاء من الرواة عنه الضعفاء. وقد بينا ذلك في شرح المسند: ٥٩٨، وما علقنا به على تهذيب السنن للمنذري: ٢٣٧٦». مضى ذلك برقم: ١٩٣٩.

فهذا حديث ضعيف لضعف رواته.

(١) الأثر: ١١٥٢٦ – «عبد الرحمن بن سابط»، واختلف في اسمه فقيل هو: «عبد الرحمن ابن عبد الله بن سابط» انظر ما سلف رقم: ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٩٩، ٤٣٤١. وهو تابعي ثقة. قيل ليحيى بن معين: «سمع عبد الرحمن من سعد بن أبي وقاص؟ قال: لا. قيل: من أبي أمامة؟ قال: لا. قيل: من جابر؟ قال: لا، هو مرسل»، فهذا خبر مرسل.

(٢) الأثر: ١١٥٢٧ – «يعلى بن عطاء العامري الطائفي». روى عن أبيه، وأوس بن أبي أوس، وغيرهما. وروى عنه شعبة، والثوري، وحماد بن سلمة، وشريك، وهشيم. ثقة. مترجم في التهذيب.

وأبوه «عطاء العامري الطائفي». روى عن أوس بن أبي أوس، وابن عمرو بن العاص، وابن عباس. وروى عنه ابنه يعلى. ذكره ابن حبان في الثقات.

= وما حدثك به : —

١١٥٢٨ — عبد الله بن الحجاج بن المنهال قال ، حدثني أبي قال ، حدثنا جرير بن حازم قال ، سمعت الأعمش ، عن أبي وائل ، عن حذيفة قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم سُبَاطة قوم فبال عليها قائماً، ثم دعا بماء ، فتوضأ ومسح على نعليه . (١)

* * *

= وما حدثك به : —

١١٥٢٩ — الحارث قال ، حدثنا القاسم بن سلام قال ، حدثنا هشيم قال ، حدثنا يعلى بن عطاء ، عن أبيه ، عن أوس بن أبي أوس قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى سُبَاطة قوم ، فتوضأ ومسح على قدميه . (٢)

* * *

و « أوس بن أبي أوس الثقفي » ، هو « أوس بن حذيفة » الصحابي .

وانظر الاختلاف في اسم أبيه ، في التهذيب ، والإصابة ، والكبير للبخاري ١٦/٢/١ ، ١٧ ، وابن أبي حاتم ٣٠٣/١/١ .

وسيأتي هذا الخبر برقم : ١١٥٢٩ من طريق هشيم ، عن يعلى بن عطاء . وسنخرجه هناك .

(١) الأثر : ١١٥٢٨ — « جرير بن حازم الأزدي العتكي » ، مضى برقم : ٥٩٧ ، إمام حافظ ، قال قراد : « قال لي شعبة : عليك بجرير بن حازم فاسمع منه . وقال ابنه وهب بن جرير : كان شعبة يأتي أبي فيسأله عن حديث الأعمش ، فإذا حدثه قال : هكذا والله سمعته من الأعمش » . فجرير يروى عن الأعمش ، مباشرة ، ثم من طريق شعبة عنه . بيد أن أبا جعفر الطبري ، قال بعد في (ص: ٨٠) إن هذا الخبر لم ينقله عن الأعمش بهذا اللفظ غير جرير بن حازم ، وإن أصحاب الأعمش الحفاظ الثقات ، رووه عنه بغير هذا اللفظ . (انظر رقم : ١١٥٣١ — ١١٥٣٦) . وقد نقله ابن كثير في تفسيره ٣ : ٩٤ ، وقال : « وهو حديث صحيح » ثم قال عن هاتين الروايتين = رواية جرير بن حازم ، ورواية الحفاظ من أصحاب الأعمش = : « ويحتمل الجمع بينهما بأن يكون في رجليه خفان ، وعليهما نعلان » .

(٢) الأثر : ١١٥٢٩ — انظر التعليق على الأثر السالف رقم : ١١٥٢٨ .

وهذا الحديث رواه أبو داود في سننه ١ : ٧٨ ، رقم : ١٦٠ ، من طريق مسدد وعباد بن موسى ، عن هشيم . ورواه أحمد في مسنده مختصراً ٤ : ٨ عن هشيم . ولفظ أبي داود : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ ومسح على نعليه وقدميه = وقال عباد: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى كظامة قوم — يعني الميضأة ، ولم يذكر مسدد : الميضأة ، والكظامة — ثم اتفقا : فتوضأ ومسح على نعليه وقدميه » .

= وما أشبه ذلك من الأخبار الدالة على أن المسح ببعض الرجلين فى الوضوء مجزئ ؟

قيل له : أما حديث أوس بن أبى أوس ، فإنه لا دلالة فيه على صحة ذلك ، إذ لم يكن فى الخبر الذى روى عنه ذكر أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم توضأ بعد حدَثٍ يوجب عليه الوضوء لصلاته ، فمسح على نعليه أو على قدميه . وجائز أن يكون مسحه على قدميه ، الذى ذكره أوس ، كان فى وضوء توضأه من غير حدث كان منه وجب عليه من أجله تجديد وضوئه ، لأن الرواية عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا توضأ لغير حدث ، كذلك يفعل ، يدل على ذلك ما : —

١١٥٣٠ — حدثنى محمد بن عبيد المحاربى قال ، حدثنا أبو مالك الجنبى ، عن مسلم ، عن حبة العرنى قال : رأيت علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه شرب فى الرحبة قائماً ، ثم توضأ ومسح على نعليه وقال : هذا وضوء من لم يحدث ، هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع .(١)

* * *

وأما رواية أحمد فى المسند : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى كظامة قوم فتوضأ » .

وأما ما جاء فى الخبر هنا « سباطة قوم » ، فإنه خالف رواية أبى داود عن هشيم أنه قال « كظامة » ، ومن العجيب أن ابن كثير نقل الخبر عن هذا الموضع من سنن أبى داود فكتب أيضاً « سباطة قوم » ، مع أن « الكظامة » (بكسر الكاف) جاءت مفسرة فى حديث أبى داود أنها الميضأة . وأما « السباطة » (بضم السين) ، فهى الكناسة ، أو الموضع الذى يرمى فيه التراب والأوساخ وما يكنس من المنازل .

وأما « الكظامة » ، فإن أبا داود فسرها بأنها الميضأة ، وهو تفسير بالمعنى ، وإلا فإنها قناة فى باطن الأرض يجرى الماء فيها .

وعجب آخر ، أن ابن كثير كتب : « أتى سباطة قوم فبال » ، فزاد « فبال » ، وهى ليست فى حديث هشيم هذا ، فى سنن أبى داود . ولا فى المسند ، فلا أدرى من أين جاء بها ؟ وأخشى أن تكون عجلة منه أو من ناسخ تفسيره ، اشتبه عليه حديث «أبى وائل» عن حذيفة الآتى فى رقم : ١١٥٣١ وما بعدها ، فعجل فكتبه كذلك .

(١) الأثر : ١١٥٣٠ — « محمد بن عبيد بن محمد بن واقد المحاربى » شيخ الطبرى ، مضت روايته عنه كثيراً منها : ١٩٥٢ ، ٣١٦٧ ، ٣٣٦٦ ، ٤٢٩٤ ، ٨٧٥٦ ، ٩١٨٠ . روى

= فقد أنبأ هذا الخبر عن صحة ما قلنا فى معنى حديث أوس .

* * *

فإن قال : فإن حديث أوس ، وإن كان محتملاً من المعنى ما قلت ، فإنه محتمل أيضاً ما قاله من قال إنه معنىٌّ به المسح على النعلين أو القدمين فى وضوء توضأه رسول الله صلى الله عليه وسلم من حدثٍ ؟

قيل : أحسن حالات الخبر ما حُمِّل ما قلتَ ،[1] إن سلم له ما ادَّعى من احتماله ما ذكر من المسح على القدم أو النعل بعد الحدث ، وإن كان ذلك غير محتمله عندنا ، إذ كان غير جائز أن تكون فرائضُ الله وسنن رسوله صلى الله عليه وسلم متنافيةً متعارضةً ، وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم ، الأمرُ بعموم غسل القدمين فى الوضوء بالماء ، بالنقل المستفيض القاطع عذرَ من انتهى إليه وبلَغه . وإذْ كان

عنه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة ، وآخرون . قال النسائى : « لابأس به » ، وذكره ابن حبان فى الثقات . مترجم فى التهذيب .

و « أبو مالك الجنبى » : هو : « عمرو بن هاشم الجنبى الكوفى » . قال أحمد : « صدوق ، ولم يكن صاحب حديث » . وقال البخارى : « فيه نظر » ، وقال أبو حاتم : « لين الحديث ، يكتب حديثه » . قال ابن سعد : « كان صدوقاً ، ولكنه كان يخطىء كثيراً » ، وضعفه مسلم ، وقال ابن حبان : « لا يجوز الاحتجاج بخبره » . مترجم فى التهذيب .

و « مسلم » و « مسلم الأعور » وهو : « مسلم بن كيسان الضبى الملائى » الأعور . مضى برقم : ٩٦٧٣ . روى عن أنس بن مالك ، ومجاهد وسعيد بن جبير ، وحبة العرنى ، وغيرهم . قال البخارى : « يتكلمون فيه » ، وقال أيضاً : « ضعيف » ذاهب الحديث ، لا أروى عنه » . وقال عمرو بن على : « كان يحيى بن سعيد ، وابن مهدى ، لا يحدثان عن مسلم الأعور ، وكان شعبة وسفيان يحدثان عنه ، وهو منكر الحديث جداً » . مترجم فى التهذيب .

و « حبة العرنى » هو « حبة بن جوين بن على بن عبدنهم العرنى البجلى » . روى عن ابن مسعود ، وعلى ، وعمار . روى عنه سلمة بن كهيل ، والحكم بن عتيبة ، ومسلم الأعور . قال ابن معين « حبة العرنى ، ليس بشىء » . وقال البخارى : « فيه نظر ، يذكر عنه سوء مذهب » ، وقال النسائى : « ليس بالقوى » ، وقال ابن سعد : « يضعف » ، ونقل عن أحمد أنه وثقه ، وقال العجلى : « كوفى تابعى ثقة » . وقال ابن حبان : « كان غالياً فى التشيع ، واهياً فى الحديث » . مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ٨٦/١/٢ ، وابن أبى حاتم ٢٥٣/٢/١ .

وهذا خبر ضعيف كما ترى ، بضعف رواته .

(١) فى المطبوعة : « ما احتمل ما قلت » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، فإنه لا بأس به .

٨٧/٦ ذلك عنه صحيحاً، فغير جائز أن يكون صحيحاً عنه إباحةُ ترك غسل بعض ما قد أوجبَ فرضاً غَسْلَه، فى حال واحدة ووقت واحد . لأن ذلك إيجاب فرض وإبطاله فى حال واحدة . وذلك عن أحكام الله وأحكام رسوله صلى الله عليه وسلم منتفٍ .

غير أنا إذا سلّمنا لمن ادّعى، فى حديث أوس ما ادعى = من احتماله مسح النبيّ صلى الله عليه وسلم على قدمه فى حال وضوء من حدَث، ثقةً منا بالفَلَج عليه، بأنه لا حجة له فى ذلك = [1] قلنا : فإذ كان محتملاً ما ادّعيت ، أفمحتمل هو ما قلناه إنّ ذلك كان من النبى صلى الله عليه وسلم فى حال وضوئه من غير حدث؟ [2]

فإن قال : «لا»، ثبتت مكابرته، لأنه لا بيان فى خبر أوس أن النبى صلى الله عليه وسلم فعل ذلك فى وضوء من حدث .

وإن قال : « بل هو محتمل ما قلتَ ، ومحتمل ما قلنا » .

قيل له : فما البرهان على أن تأويلك الذى ادّعيتَ فيه، أولى به من تأويلنا ؟ فلن يدّعى برهاناً على صحة دعواه فى ذلك، إلاّ عُورض بمثله فى خلاف دعواه .

* * *

وأما حديث حذيفة فإن الثّقات الحفّاظ من أصحاب الأعمش حدثوا به ، عن الأعمش، عن أبى وائل، عن حذيفة : « أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى سُبَاطة قوم فبال قائماً ، ثم توضأ ومسح على خفيه » .

١١٥٣١ — حدثنا بذلك أحمد بن عبدة الضبى قال، حدثنا أبو عوانة ، عن

---

(١) فى المطبوعة : « . . . فى حال وضوء من حدث ، ففيه نبأ بالفلج عليه ، فإنه لا حجة له فى ذلك » ، وهو خلف من الكلام ردىء لا معنى له . وكان فى المخطوطة : « . . . نفه منا بالفلج عليه فإنه لا حجة له فى ذلك » ، وصواب قراءة ذلك ما أثبته ، وأخطأ ناسخ المخطوطة ، فجعل « بأنه » ، « فإنه » بالفاء . والصواب المحض هو ما أثبته . يقول : إذا سلمنا له ذلك ثقة منا بالفلج عليه . . . قلنا : واستقام الكلام ، والحمد لله وحده .

(٢) فى المطبوعة : « فى حال وضوئه لا من حدث » ، وفى المخطوطة : « فى حال وضوئه من حدث » خطأ أسقط « غير » ، وصوابه ما أثبت ، استظهاراً من نهجه فى عبارته فيما سلف ، وإن كان ما فى المطبوعة صواب مستعمل .

الأعمش ، عن أبي وائل ، عن حذيفة .

١١٥٣٢ – ح ، حدثني المثنى قال، حدثنا ابن أبي عدى ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن أبي وائل ، عن حذيفة .

١١٥٣٣ – ح ، حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ، حدثنا ابن إدريس، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن حذيفة .

١١٥٣٤ – ح ، حدثني أبو السائب قال، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن شقيق ، عن حذيفة .

١١٥٣٥ – ح ، حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي قال، حدثنا عمي يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن شقيق ، عن حذيفة .

١١٥٣٦ – ح ، حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي وائل ، عن حذيفة .(١)

* * *

(١) الآثار : ١١٥٣١ – ١١٥٣٦ – « أبو أوائل » هو « شقيق بن سلمة الأسدى » ، من كبار التابعين الثقات ، لا يسأل عن مثله . مضى كثيراً، منها رقم : ١٧٧ ، ٣٩٥٦ ، ٤٢٢٣ ، ٤٥٢٦ ، ٧٢٧٩ ، ٧٢٨٢ ، ٩٦٧١ .

وهذا الحديث رواه الأئمة من طرق عن الأعمش ، عن أبي وائل شقيق بن سلمة ، عن حذيفة ، بمثله . رواه البخارى (الفتح ١ : ٢٨٢) ، ليس فيه زيادة « ومسح على خفيه » ، ولكن رواها مسلم فى صحيحه ٣ : ١٦٥ ، لأنها زيادة من حافظ . وانظر تفصيل ذلك فيما قاله ابن حجر فى الفتح ، وما كتبه أخى السيد أحمد فى شرح الترمذى ١ : ١٩ ، ٢٠ .

هذا ، وقد جاء الأثر : ١١٥٣٥ ، فى المطبوعة : « حدثنا عيسى بن عثمان بن عيسى الرملى ، قال حدثنا عمرو بن يحيى بن سعيد » ، وفى المخطوطة : « عمر بن يحيى بن سعيد » ، وكل ذلك خطأ لا شك فيه .

فإن « عيسى بن عثمان بن عيسى الرملى » ، مضت ترجمته برقم ٣٠٠ ، ٢٨١٣ ، وهو يروى عن عمه « يحيى بن عيسى الرملى » ، كما مضى هناك ، ولم يذكر أنه روى عن غير عمه هذا .

وعمه « يحيى بن عيسى الرملى » . مضى برقم : ٣٠٠ ، ٦٣١٧ ، ٩٠٣٥ ، وأما « عمر بن يحيى ابن سعيد » ، كما فى المخطوطة، فليس فى الرواة من سمى بذلك . وأما ما غيره ناشر المطبوعة « عمرو بن يحيى ابن سعيد » ، فإن فى الرواة « عمرو بن يحيى بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص » ، روى عن جده « سعيد بن عمرو » وروى عنه ابن عيينة وروح بن عبادة ، وهذه الطبقة ، لا يدرك « عيسى

= وكل هؤلاء يحدّث ذلك عن الأعمش بالإسناد الذى ذكرنا عن حذيفة : « أن النبي صلى الله عليه وسلم مسح على خفيه » ، وهم أصحاب الأعمش . ولم ينقل هذا الحديث عن الأعمش غير جرير بن حازم .[1] ولو لم يخالفه فى ذلك مخالف ، لوجب التثبت فيه لشذوذه ، فكيف والثّقات من أصحاب الأعمش يخالفونه فى روايته ما روى من ذلك ! ! ولو صح ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان جائزاً أن يكون مسح على نعليه وهما ملبوستان فوق الجوربين . وإذا جاز ذلك ، لم يكن لأحد صرفُ الخبر إلى أحد المعانى المحتمِلِها الخبَرُ إلا بحجة يجب التسليم لها .

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾

قال أبو جعفر : واختلف أهل التأويل فى « الكعب » .

فقال بعضهم بما : —

١١٥٣٧ — حدثنى أحمد بن حازم الغفارى قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا القاسم بن الفضل الحدّانى قال ، قال أبو جعفر : أين « الكعبين » ؟ فقال القوم : ههنا . فقال : هذا رأس الساق ! ولكن « الكعبين » هما عند المفصل .[1]

ابن عثمان الرملى » أن يروى عنه . وظاهر أن الناسخ كتب مكان « عمى » « عمر » وزاد بعده « بن » ، وأخطأ فى قراءة « عيسى » ، فكتب « سعيد » ، فرددت الإسناد إلى صوابه .

(١) انظر ماسلف فى التعليق على الأثر : ١١٥٢٨ .

(٢) الأثر : ١١٥٣٧ — « القاسم بن الفضل بن معدان بن قريط الحدانى ، الأزدى » ، أبو المغيرة . لم يكن حدانياً ، كان نازلا فيهم ، هو أزدى من بنى الحارث بن مالك . روى عن أبيه وابن سيرين ، ومعاوية بن قرة ، وأبى جعفر محمد بن على بن الحسين . وغيرهم . ثقة ثبت . قال يحيى القطان : « كان منكراً » ، يعنى من فطنته . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١٦٩/١/٤ ، وابن أبى حاتم ١١٦/٢/٣ .

و « أبو جعفر » هو الباقر : « محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب » ، مضى برقم : ٥١٢٣ ، ٥٤٦٣ .

وفى المطبوعة هنا : « أين الكعبان » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، فهو صواب محض ، استفهم عن « الكعبين » فى لفظ الآية .

١١٥٣٨ – حدثني يونس قال ، أخبرنا أشهب قال ، قال مالك : « الكعب » الذى يجب الوضوء إليه ، هو الكعب الملتصق بالساق المحاذِى العقب ، وليس بالظاهر فى ظاهر القدم.

* * *

وقال آخرون بما : –

١١٥٣٩ – حدثنا الربيع قال ، قال الشافعى : لم أعلم مخالفاً فى أن « الكعبين » اللذين ذكرهما الله فى كتابه فى الوضوء ، هما الناتئان ، وهما مجمع مَفْصِل الساق والقدم .(١)

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك، أن « الكعبين »، هما العظمان اللذان فى مفصل الساق والقدم، تسمِّيهما العرب « المِنْجَمين ».(٢) وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول : هما عظما الساق فى طرفها.(٣)

* * *

واختلف أهل العلم فى وجوب غسلهما فى الوضوء ، وفى الحدّ الذى ينبغى أن يبلغ بالغسل إليه من الرجلين ، نحو اختلافهم فى وجوب غسل المرفقين ، وفى الحد الذى ينبغى أن يبلغ بالغسل إليه من اليدين . وقد ذكرنا ذلك ، ودللنا على الصحيح من القول فيه بعلله فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته .(٤)

* * *

---

(١) هذا فى الأم للشافعى ١ : ٢٣ مع خلاف يسير فى لفظه ، قال الشافعى « لم أسمع مخالفاً فى أن الكعبين اللذين ذكر الله عز وجل فى الوضوء هما الكعبان الناتئان . . . » .

وكان فى المطبوعة هنا « مجمع فصل الساق والقدم » ، وهو خطأ لاشك فيه .

(٢) « المنجم » (بكسر الميم وسكون النون وفتح الجيم) و (بفتح الميم وسكون النون وكسر الجيم) مثل : « منبر » و « مجلس » ، ويقال مثل : « مقعد » (بفتحتين) : وهو الكعب والعرقوب ، وكل ما نتأ .

(٣) لم أعرف قائل هذا ، وهو صواب محض .

(٤) انظر ما سلف قريباً ص : ٤٧ ، ٤٨ .

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « وإن كنتم جنباً » ، وإن كنتم أصابتكم جنابة قبل أن تقوموا إلى صلاتكم فقمتم إليها = « فاطَّهَّروا » ، يقول : فتطهّروا بالاغتسال منها قبل دخولكم فى صلاتكم التى قمتم إليها .[1] ٨٨/٦

* * *

ووحَّد « الجُنب » وهو خبر عن الجميع ، لأنه اسم خرج مخرج الفعل ،[2] كما قيل : « رجل عَدْل ، وقوم عدل » ، و« رجل زَوْرٌ ، وقوم زَوْرٌ » ، وما أشبه ذلك ، لفظ الواحد والجميع والاثنين والذكر والأنثى فيه واحد .

يقال منه : « أجنَب الرجل » و « جَنُب » و « اجتَنَب » ،[3] والفعل « الجنابة » ، و « الاجناب » .[2]

وقد سمع فى جمعه « أجناب » ، وليس ذلك بالمستفيض الفاشى فى كلام العرب ، بل الفصيح من كلامهم ما جاء به القرآن .[4]

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : إن كنتم جرحى أو مُجَدَّرين ،[5] وأنتم

---

(١) انظر تفسير « التطهر » فيما سلف ٤ : ٣٨٣ - ٣٨٧ .

(٢) « الفعل » هنا ، يعنى به المصدر ، كما سلف مراراً . انظر فهارس المصطلحات .

(٣) « اجتنب » ، زيادة عما جاء فى كتب اللغة ، وعندهم أيضاً : « تجنب » و « استجنب » فى هذا المعنى .

(٤) انظر تفسير « الجنب » ، فيما سلف ٨ : ٣٤٠ ، ٣٧٩ ، ولم يشرح أبو جعفر هناك هذا الحرف ، ثم استوفاه فى هذا الموضع . وهو من اختصاره فى تفسيره .

(٥) يقال : « جدر الرجل ، جدراً » (بالبناء للمجهول ، بضم أوله وكسر ثانيه) « فهو جدير » . و « جدر » (بالبناء للمجهول مشدد الدال) « فهو مجدر » ، إذا أصابه الجدرى .

جنب = وقد بيّنا أن ذلك كذلك فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته[١] .

* * *

وأما قوله : « أو على سفر » ، فإنه يقول : وإن كنتم مسافرين وأنتم جنب[٢] = «أو جاء أحد منكم من الغائط » ، يقول : أو جاء أحدكم من الغائط وقد قضى حاجته فيه وهو مسافر . وإنما عنى بذكر مجيئه منه ، قضاء حاجته فيه[٣] = « أو لامستم النساء » ، يقول أو جامعتم النساء وأنتم مسافرون . وقد ذكرنا اختلاف المختلفين فيما مضى قبل فى « اللمس » ، وبينا أولى الأقوال فى ذلك بالصواب فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته .[٤]

* * *

فإن قال قائل : وما وجه تكرير قوله : «أو لامستم النساء » ، إن كان معنى «اللمس» الجماع ، وقد مضى ذكر الواجب عليه بقوله : « وإن كنتم جنباً فاطّهروا » ؟

قيل : وجه تكرير ذلك ، أن المعنى الذى ألزمه تعالى ذكره من فرضه ،[٥] بقوله : « وإن كنتم جنباً فاطهروا» ، غيرُ المعنى الذى ألزمه بقوله : « أو لامستم النساء » . وذلك أنه بيّن حكمه فى قوله : « وإن كنتم جنباً فاطهروا » ، إذا كان له السبيل إلى الماء الذى يطهّره ، ففرض عليه الاغتسال به .[٦] ثم بيّن حكمه إذا أعوزه الماء فلم يجد إليه السبيلَ وهو مسافر غير مريض مقيم ، فأعلمه أن التيمم بالصعيد له حينئذ الطهور .

* * *

---

(١) انظر ما سلف ٨ : ٣٨٥ — ٣٨٨ .

(٢) انظر تفسير « على سفر » فيما سلف ٨ : ٣٨٨ .

(٣) انظر تفسير « الغائط » فيما سلف ٥ : ٨/٣٥٤ : ٣٨٨ . وفى المطبوعة : « بعد قضاء حاجته » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وكان فيها « فقد قضى » .

(٤) انظر تفسير « الملامسة » و « اللمس » فيما سلف ٨ : ٣٨٩ — ٤٠٦ .

(٥) فى المطبوعة : « أن المعنى الذى ذكره تعالى من فرضه » ، وكان فى المخطوطة : « أن المعنى الذى تعالى ذكره » ، سقط منها « ألزمه » ، استظهرتها من تمام الجملة .

(٦) فى المطبوعة : « فرض » حذف الفاء ، وهو خطل .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً » ، فإن لم تجدوا = أيها المؤمنون ، إذا قمتم إلى الصلاة وأنتم مرضى مقيمون ، أو على سفر أصحّاء ، أوقد جاء أحد منكم من قضاء حاجته ، أو جامع أهلَه فى سفره = « ماء فتيمموا صعيداً طيباً » ، يقول : فتعمّدوا واقصدوا وجه الأرض = « طيباً » ، يعنى : طاهراً نظيفاً غير قذر ولا نجس ، جائزاً لكم حلالاً = « فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه » ، يقول : فاضربوا بأيديكم الصعيد الذى تيممتموه وتعمدتموه بأيديكم ، فامسحوا بوجوهكم وأيديكم مما علِق بأيديكم = « منه » ، يعنى : من الصعيد الذى ضربتموه بأيديكم ، من تُرابه وغباره .

وقد بينا فيما مضى كيفية « المسح بالوجوه والأيدى منه » = واختلاف المختلفين فى ذلك = والقول فى معنى « الصعيد » و « التيمم » ، ودللنا على الصحيح من القول فى كل ذلك ، بما أغنى عن تكريره فى هذا الموضع .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج » ، ما يريد الله = بما فرض عليكم من الوضوء إذا قمتم إلى صلاتكم ، والغُسل

---

(١) انظر تفسير « المسح بالوجوه والأيدى » فيما سلف ٨ : ٤١٠ - ٤٢٥ = وتفسير « التيمم » فيما سلف ٨ : ٤٠٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك = وتفسير « الصعيد » فيما سلف ٨ : ٤٠٨ ، ٤٠٩ = وتفسير « الطيب » فيما سلف ٨ : ٤٠٩ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

من جنابتكم، والتيمم صعيداً طيباً عند عدمكم الماء = « ليجعل عليكم من حرج » ، ليلزمكم فى دينكم من ضيق ولا ليعنتكم فيه .

* * *

وبما قلنا فى معنى « الحرج » قال أهل التأويل .[1]

* ذكر من قال ذلك :

١١٥٤٠ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن خالد بن دينار ، عن أبى العالية = وعن أبى مكين ، عن عكرمة فى قوله : « من حرج » ، قالا : من ضيق .

١١٥٤١ – حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « من حرج » ، من ضيق .

١١٥٤٢ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٦)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « ولكن يريد ليطهركم » ، ولكن الله يريد أن يطهّركم ، بما فرض عليكم من الوضوء من الأحداث ، والغسلِ من الجنابة ، والتيمم عند عدم الماء ، فتنظّفوا وتطهّروا بذلك أجسامكم من الذنوب ،[2] كما :–

١١٥٤٣ – حدثنا حميد بن مسعدة قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد قال ، حدثنا قتادة ، عن شهر بن حوشب ، عن أبى أمامة : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الوضوء يكفّر ما قبله ، ثم تصير الصلاة نافلة . قال قلت : أنت سمعت ٨٩/٦

(١) انظر تفسير « الحرج » فيما سلف ٨ : ٥١٨ ، وما سلف من فهارس اللغة .
(٢) انظر تفسير « التطهر » فيما سلف قريباً ص : ٨٢ ، تعليق : ١ .

ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم، غيرَ مرة ولا مرتين ولا ثلاث ولا أربع ولا خمس .(١)

١١٥٤٤ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا معاذ بن هشام قال ، حدثني أبي ، عن قتادة ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي أمامة صدىّ بن عجلان ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، نحوه .(٢)

١١٥٤٥ – حدثنا أبو كريب ومحمد بن المثنى ويحيي بن داود الواسطي قالوا، حدثنا إبراهيم بن يزيد بن مردانبه القرشي قال ، أخبرنا رقبة بن مصقلة العبدى، عن شمر بن عطية ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي أمامة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من توضأ فأحسن الوضوء ، ثم قام إلى الصلاة ، خرجت ذنوبه من سمعه وبصره ويديه ورجليه .(٣)

---

(١) الأثر : ١١٥٤٣ – «سعيد» ، هو : سعيد بن أبي عروبة .

و «شهر بن حوشب» ، تابعى ثقة ، مضى توثيقه برقم : ١٤٨٩ ، ٥٢٤٤ ، ٦٦٥٠ – ٦٦٥٢ . فهو حديث صحيح الإسناد ، وسيأتى بإسنادين آخرين بعد .

وهذا الخبر رواه أحمد فى مسنده ٥ : ٢٥١ ، من طريق محمد بن بشر ، عن سعيد = وفى ص ٢٦١ ، من طريق محمد بن جعفر ، عن سعيد . بمثله .

هذا ، وقد كان فى المخطوطة والمطبوعة : «لا مرة ولا مرتين . . .» ، وهذا غير جائز ، إلا أن يقول : «لا ثلاثاً ، ولا أربعاً ، ولا خمساً» بالنصب . فن أجل ذلك ، ومن أجل رواية أحمد فى الموضعين ، ورواية الطيالسى فى مسنده : ١٥٤ ، جعلت «غير» مكان «لا» . كما فى روايتهم .

(٢) الأثر : ١١٥٤٤ – «معاذ بن هشام بن أبي عبد الله الدستوائى» ، مضى مراراً وأبوه «هشام الدستوائى» ، مضى مراراً .

وهذا إسناد آخر للخبر السالف ، من طريق هشام الدستوائى ، عن قتادة . رواه أبو داود الطيالسى فى مسنده من هذه الطريق نفسها ص : ١٥٤ ، رقم : ١١٢٩ .

وخبر أبي أمامة هذا ، رواه أحمد من طرق أخرى . فرواه من طريق أبي خريم ، عقبة بن أبي الصهباء ، عن أبي غالب الراسبى ، عن أبي أمامة (٥ : ٢٥٤) = ومن طريق سليم بن حيان ، عن أبي غالب ، عن أبي أمامة (٥ : ٢٥٥) = ومن طريق حماد بن سلمة ، عن أبي غالب ، عن أبي أمامة (٥ : ٢٥٦) ، بغير هذا اللفظ . ومن هذه الطريق رواه أبو داود الطيالسى فى مسنده ص : ١٥٥ رقم : ١١٣٥ ، بمثله .

(٣) الأثر : ١١٥٤٥ – «يحيى بن داود بن ميمون الواسطى» ، شيخ الطبرى . ذكره

١١٥٤٦ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا معاوية بن هشام، عن سفيان، عن منصور ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن كعب بن مرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من رجل يتوضأ فيغسل يديه = أو : ذراعيه = إلاّ خرجت خطاياه منهما ، فإذا غسل وجهه خرجت خطاياه من وجهه، فإذا مسح رأسه خرجت خطاياه من رأسه ، وإذا غسل رجليه خرجت خطاياه من رجليه .(١)

ابن حبان فى الثقات وقال: « مستقيم الحديث » ، مات سنة ٢٤٤ . مضت رواية الطبرى عنه برقم : ٤٤٥١ . مترجم فى التهذيب .

« إبراهيم بن يزيد بن مردانبه القرشى المخزومى » ، مولى عمرو بن حريث . قال أبو حاتم : « شيخ ، يكتب حديثه ولا يحتج به » . مترجم فى التهذيب ، والخلاصة ، والكبير ٣٣٦/١/١ .

وكان فى المطبوعة : « إبراهيم بن يزيد يزرانبه » (بالياء فى أوله) ، كما فى الخلاصة ، وبحذف (بن) . وضبطه فى الخلاصة : « بفتح التحتانية ، والمهملة ، بينهما زاى ساكنة ، ثم نون بعد الألف ، وموحدة » .

أما فى المخطوطة ففيها : « يزيد بن مردانيه » بإثبات « بن » وبياء منقوطة ، والصواب بالباء . وهكذا جاء فى التهذيب ، وفى تاريخ البخارى ، وذكره البخارى أيضاً بالذال « مرذانبه » ، وضبطه فى التقريب « بنون ، ثم موحدة » . فأثبت ما اتفقت عليه المخطوطة ، وتاريخ البخارى ، وضبط التقريب .

و « رقبة بن مصقلة بن عبد الله العبدى » ، قال أحمد : « شيخ ثقة من الثقات ، مأمون » وكان مفوهاً ، يعد من رجالات العرب ، وكانت فيه دعابة . مترجم فى التهذيب .

و « شمر بن عطية الأسدى الكاهلى » ، روى عنه أبو إسحق السبيعى ، وهو أكبر منه ، والأعمش ، وعاصم بن بهدلة ، وغيرهم . قال ابن سعد : « ثقة ، وله أحاديث صالحة » .

وهذا الخبر رواه أحمد من طريق وكيع ، عن الأعمش ، عن شمر ، عن شهر ، فى مسنده ٥ : ٢٥٢ ، ٢٥٦ ، وخرجه فى مجمع الزوائد ، وقال : « رواه أحمد والطبرانى فى الكبير بنحوه ، وإسناده حسن » . وفيه فى رواية الخبر زيادة فى آخره : « فإن قعد قعد مغفوراً له » .

ثم رواه أحمد فى المسند من طرق أخرى ، من طريق أبى النضر ، عن عبد الحميد بن بهرام ، عن شهر بن حوشب ، عن أبى أمامة (٥ : ٢٦٣) ، مطولا ، وخرجه صاحب مجمع الزوائد (١ : ٢٢٢) ، وقال : « رواه أحمد والطبرانى فى الكبير والأوسط . وفى إسناد أحمد : عبد الحميد ابن بهرام ، عن شهر . واختلف فى الاحتجاج بهما ، والصحيح أنهما ثقتان ، ولا يقدح الكلام فيهما » .

ثم رواه أحمد أيضاً فى المسند (٥ : ٢٦٤) من طريقين ، عن زائدة ، عن عاصم بن أبى النجود ، عن شهر بن حوشب .

(١) الأثر : ١١٥٤٦ – « كعب بن مرة البهزى السلمى » أو « مرة بن كعب » ، اختلف فى ذلك ، وهكذا ذكره أحمد فى إسناد هذا الخبر . وانظر ما قاله ابن حجر فى الترجمتين من الإصابة .

١١٥٤٧ - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثمان بن سعيد قال ، حدثنا حاتم ، عن محمد بن عجلان ، عن أبي عبيد مولى سليمان بن عبد الملك ، عن عمرو بن عبسة : أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا غسل المؤمن كفّيه انتثرت الخطايا من كفّيه ، وإذا تمضمض واستنشق خرجت خطاياه من فيه ومنخريه ، وإذا غسل وجهه خرجت من وجهه حتى تخرج من أشفار عينيه ، فإذا غسل يديه خرجت من يديه ، فإذا مسح رأسه وأذنيه خرجت من رأسه وأذنيه ، فإذا غسل رجليه خرجت حتى تخرج من أظفار قدميه . فإذا انتهى إلى ذلك من وضوئه ، كان ذلك حظّه منه . فإن قام فصلى ركعتين مقبلاً فيهما بوجهه وقلبه على ربه ، كان من خطاياه كيوم ولدته أمّه .(١)

وهذا الخبر رواه أحمد فى مسنده ٤ : ٢٣٤ مطولا من طريق : « محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن منصور ، عن سالم بن أبي الجعد = قال شعبة ، قال : قد حدثنى به منصور ، وذكر ثلاثة بينه وبين مرة بن كعب = ثم قال بعد : عن منصور ، عن سالم ، عن مرة ، أو عن كعب » .

ثم عاد أحمد فرواه أيضاً (٤ : ٣٢١) من طريق : « سفيان ، عن منصور ، عن سالم ابن أبي الجعد ، عن رجل ، عن كعب بن مرة البهزى » .

و « سالم بن أبي الجعد الأشجعى » ، مات سنة ٩٧ ، ٩٨ ، وسمع جابراً وأنساً ، وعبد الله ابن عمرو ، وهو تابعى ثقة . قال ابن حجر فى التهذيب: روى عن كعب بن مرة، وقيل : « لم يسمع منه » .

ومع انقطاعه ، قال ابن كثير فى تفسيره (٣ : ٩٧) بعد أن ذكر حديث أحمد : « وهذا إسناد صحيح » . وخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد (١ : ٢٢٤ ، ٢٢٥) ثم قال : « رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح » .

هذا ، وقد كان سياق الخبر هكذا فى المطبوعة : « ما من رجل يتوضأ فيغسل وجهه إلا خرجت خطاياه من وجهه ، وإذا غسل يديه أو ذراعيه ، خرجت خطاياه من ذراعيه . . . » ، وهذا تغيير من الناشر الأول ، لأن الخبر جاء فى المخطوطة هكذا : « ما من رجل يتوضأ فيغسل يديه أو ذراعيه إلا خرجت خطاياه من وجهه ، فإذا مسح رأسه . . . » ، سقط من كلامه ما أثبته من رواية ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٩٧ ، عن هذا الموضع من تفسير ابن جرير .

(١) الأثر : ١١٥٤٧ - « عثمان بن سعيد بن مرة القرشى » ، روى عنه أبو كريب ، مترجم فى التهذيب .

وهناك أيضاً « عثمان بن سعيد الزيات الأحول » ، يروى عنه أبو كريب ، مضى برقم : ١٣٧ ، فلا أدرى أيهما هو .

١١٥٤٨ – حدثنا أبو الوليد الدمشقي قال، حدثنا الوليد بن مسلم قال، أخبرني مالك بن أنس، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا توضأ العبد المسلم = أو: المؤمن = فغسل وجهه، خرجت من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء، أو مع آخر قطرة من الماء، أو نحو هذا. وإذا غسل يديه، خرجت من يديه كل خطيئة بطشت بها يداه مع الماء، أو مع آخر قطرة من الماء، حتى يخرج نقيًّا من الذنوب.(١)

١١٥٤٩ – حدثنا عمران بن بكار الكلاعي قال، حدثنا علي بن عياش قال، حدثنا أبو غسان قال: حدثنا زيد بن أسلم، عن حمران مولى عثمان قال،

و «حاتم»، هو: «حاتم بن إسماعيل المدني»، ثقة، روى له الجماعة، مضى برقم: ٢٠٠٣.

و «محمد بن عجلان المدني»، أحد العلماء العاملين الثقات، مضى برقم: ٣٠٤، ٤١٧٠، ٥٥٨٩.

و «أبو عبيد المذحجي» مولى سليمان بن عبد الملك، مختلف في اسمه. ثقة من أتباع التابعين، روى عن عمر بن عبد العزيز، ورجاء بن حيوة. مترجم في التهذيب. وكان في المخطوطة هنا «عن أبي عبيدة»، والصواب ما في المطبوعة.

و «عمرو بن عبسة السلمي»، أسلم قديماً بمكة، وكان أخاً لأبي ذر لأمه. وكان في الجاهلية يعتزل عبادة الأصنام، فلما أسلم يومئذ كان ربع الإسلام، كان المسلمون يومئذ: رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر، وبلال، كما قال في حديثه. وكان في المخطوطة: «ابن عنبسة»، وهو خطأ صرف.

وهذا الخبر الذي رواه أبو جعفر منقطع، لم يسمع أبو عبيد من عمرو بن عبسة، وقد روى من طرق صحاح. رواه مسلم في صحيحه ٦: ١١٤ – ١١٦، ورواه أحمد في مسنده ٤: ١١٢، ١١٣، ٣٨٥ – ٣٨٨، ورواه ابن سعد في الطبقات ٤/١/١٥٨، ١٥٩، مطولا، وهو حديث إسلام عمرو بن عبسة بطوله، بغير هذا اللفظ.

(١) الأثر: ١١٥٤٨ – رواه مالك في الموطأ ص ٣٢، رقم: ٣١، ومسلم في صحيحه ٣: ١٣٢، ١٣٣، وخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ١: ٢٢٦ مطولا بلفظ آخر وقال: «رواه الطبراني في الأوسط، وهو في الصحيح باختصار، ورجاله موثقون». وانظر ابن كثير ٣: ٩٧.

وخبر أبي جعفر هنا مختصر، والزيادة في الموطأ ومسلم: «فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء».

وفي المخطوطة والمطبوعة: «مع آخرة قطرة من الماء» في الموضعين، وهو في مسلم والموطأ: «مع آخر قطر الماء».

أتيت عثمان بن عفان بوضوء وهو قاعد ، فتوضأ ثلاثاً ثلاثاً ، ثم قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ كوضوئي هذا . ثم قال : من توضأ وضوئي هذا ، كان من ذنوبه كيوم ولدته أمّه ، وكانت خُطاه إلى المساجد نافلة .(١)

* * *

وقوله : « وليتم نعمته عليكم » ، فإنه يقول : ويريد ربكم = مع تطهيركم من ذنوبكم بطاعتكم إياه فيما فرض عليكم من الوضوء والغسل إذا قمتم إلى الصلاة ، بالماء إن وجدتموه ، وتيممكم إذا لم تجدوه = أن يتم نعمته عليكم بإباحته لكم التيمم ، وتصييره لكم الصعيد الطيب طهوراً ، رخصةً منه لكم في ذلك ، مع سائر نِعَمه التي أنعم بها عليكم ،(٢) أيها المؤمنون= «لعلكم تشكرون » ، يقول : لكي تشكروا الله على نعمه التي أنعمها عليكم ، بطاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم.(٣)

* * *

---

(١) الأثر : ١١٥٤٩ – « علي بن عياش بن مسلم الألهاني الحمصي» ، ثقة حجة متقن ، من شيوخ أحمد ، روى له الأربعة ، مترجم في التهذيب .

و « أبو غسان » هو : « محمد بن مطرف الليثي المدني » ، أحد الأعلام الأثبات ، مضى برقم : ٢٩٩٠ .

وهذا الخبر من طريق زيد بن أسلم ، عن حمران ، عن عثمان ، رواه مسلم في صحيحه بنحو من لفظه ٣ : ١١٣ .

وقد روى من طرق أخرى كثيرة ، عن حمران بن أبان مولى عثمان ، عن عثمان مختصراً ومطولا ، انظر مسلم في صحيحه ٣ : ١٠٥ – ١١٧ ، ١٣٣ ، وسنن أبي داود ١ : ٦٠ ، رقم : ١٠٦ ، وأحمد في المسند بالأرقام : ٤٠٦ ، ٤١٥ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢١ ، ٤٢٨ ، ٤٣٠ ، ٤٥٩ ، ٤٧٦ ، ٤٧٨ ، ٤٨٤ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٩ ، ٤٩٣ ، ٥٠٣ .

(٢) انظر تفسير « إتمام النعمة » فيما سلف من فهارس اللغة ، مادة (تمم) (نعم) .

(٣) في المطبوعة : « يقول : تشكرون الله على نعمه . . . » ، وفي المخطوطة : « تشكروا الله . . . » ، والصواب ما أثبت . وانظر ما سلف في مواضع كثيرة ، في تفسير « لعل » بمعنى « لكي » ، منها ١ : ٣٦٤ ، ٢/٣٦٥ : ٦٩ ، ٢ ، ٨٥ .

القول في تأويل قوله عز ذكره ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَـٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ (٧)

قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بذلك :[1] واذكروا نعمة الله عليكم ، أيها المؤمنون ، بالعقود التي عقدتموها لله على أنفسكم ، واذكروا نعمته عليكم في ذلك بأن هداكم من العقود لما فيه الرضى ، ووفقكم لما فيه نجاتكم من الضلالة والرَّدَى ، في نِعم غيرها جَمّة ، كما :—

١١٥٥٠ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « واذكروا نعمة الله عليكم » ، قال : النعم ، آلاءُ الله .

١١٥٥١ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

وأما قوله : « وميثاقه الذي واثقكم به » ، فإنه يعني : واذكروا أيضاً ، أيها المؤمنون ، ٦ / ٩٠
في نعم الله التي أنعم عليكم = « ميثاقه الذي واثقكم به » ، وهو عهده الذي عاهدكم به .[2]

* * *

واختلف أهل التأويل في « الميثاق » الذي ذكر الله في هذه الآية ، أيَّ مواثيقه عَنى ؟

فقال بعضهم : عنى به ميثاقَ الله الذي واثقَ به المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين بايعوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « يعني جل ثناؤه بقوله » ، والسياق يقتضي ما أثبت .
(٢) انظر تفسير « الميثاق » فيما سلف : ٩ ٣٦٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

له فيما أحبّو وكرهوا ، والعمل بكل ما أمرهم الله به ورسوله .

* ذكر من قال ذلك :

١١٥٥٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي، عن ابن عباس قوله: « واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا » الآية ، يعني : حيث بعث الله النبيّ صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه الكتاب ،(١) فقالوا: « آمنا بالنبي صلى الله عليه وبالكتاب ،(٢) وأقررنا بما في التوراة » ، فذكّرهم الله ميثاقَه الذي أقروا به على أنفسهم ، وأمرهم بالوفاء به .

١١٥٥٣ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا » ، فإنه أخذ ميثاقنا فقلنا : سمعنا وأطعنا على الإيمان والإقرار به وبرسوله .

* * *

وقال آخرون : بل عنى به جلّ ثناؤه ، ميثاقه الذي أخذ على عباده حين أخرجهم من صُلب آدم صلى الله عليه وسلم ، وأشهدهم على أنفسهم : ألستُ بربكم ؟ فقالوا : بلى شهدنا .

* ذكر من قال ذلك :

١١٥٥٤ – حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا

---

(١) « حيث » هنا ، استعملت في موضع « حين » . وقد قال الأصمعي : « ومما تخطئ فيه العامة والخاصة ، باب « حين » و « حيث » ، غلط فيه العلماء ، مثل أبي عبيدة وسيبويه » . وقال أبو حاتم : « رأيت في كتاب سيبويه أشياء كثيرة ، يجعل حين : حيث » ، وكذلك في كتاب أبي عبيدة بخطه . قال أبو حاتم : واعلم أن « حين » و « حيث » ظرفان، فحين طرف للزمان، وحيث ظرف للمكان ، ولكل واحد منهما حد لا يجاوزه ، والأكثر من الناس جعلوهما معاً : حيث » .

ثم انظر مقالة الأخفش أن « حيث » ظرف للزمان ، في الخزانة ٣ : ١٦٢ . والأمر يحتاج إلى زيادة بحث . ليس هذا موضعه .

(٢) في المطبوعة : « بالنبي والكتاب » ، وأثبت ما في المخطوطة .

عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « وميثاقه الذى واثقكم به » ، قال : الذى واثق به بنى آدم فى ظهر آدم .

١١٥٥٥ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب فى تأويل ذلك ، قولُ ابن عباس ، وهو أن معناه : « واذكروا » ، أيها المؤمنون = « نعمة الله عليكم » ، التى أنعمها عليكم بهدايته إياكم للإسلام = « وميثاقه الذى واثقكم به » ، يعنى : وعهده الذى عاهدكم به حين بايعتم رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة له فى المنشَط والمكرَه والعُسر واليُسر = « إذ قلتم سمعنا » ما قلت لنا ، وأخذت علينا من المواثيق ، وأطعناك فيما أمرتنا به ونهيتنا عنه . وأنعم عليكم أيضاً بتوفيقكم لقبول ذلك منه بقولكم له : « سمعنا وأطعنا » ، يقول : ففُوا لله ، أيها المؤمنون بميثاقه الذى واثقكم به ، ونعمته التى أنعم عليكم فى ذلك بإقراركم على أنفسكم بالسمع له والطاعة فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه ، يَفِ لكم بما ضمن لكم الوفاءَ به إذا أنتم وفيتم له بميثاقه ، من إتمام نعمته عليكم ، وبإدخالكم جنته ، وإنعامكم بالخلود فى دار كرامته ، وإنقاذكم من عقابه وأليم عذابه .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب من قول من قال : « عنى به الميثاق الذى أخذ عليهم فى صلب آدم صلوات الله عليه » ، لأن الله جل ثناؤه ذكرَ بعقب تذكرة المؤمنين ميثاقَه الذى واثقهم به ، ميثاقَه الذى واثق به أهل التوراة = بعد ما أنزل كتابه على نبيه موسى صلى الله عليه وسلم فيما أمرهم به ونهاهم = فيها ،[1] فقال : ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً﴾ ، الآيات بعدها ، [سورة المائدة : ١٢ ، ١٣] = مُنبِّهاً بذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) قوله : « فيها » ، أى فى التوراة ، والسياق : « ميثاقه الذى واثق به أهل التوراة . . . فيها » .

محمدٍ على مواضع حظوظهم من الوفاء لله بما عاهدهم عليه = ومعرِّفَهم سوء عاقبة أهل الكتاب فى تضييعهم ما ضيعوا من ميثاقه الذى واثقهم به فى أمره ونهيه، وتعزير أنبيائه ورسله = زاجراً لهم عن نكث عهودهم ، فيُحلّ بهم ما أحلّ بالناكثين عهوده من أهل الكتاب قبلهم .

فكان = إذْ كان الذى ذكرهم فوعظهم به ونهاهم عن أن يركبوا من الفعل مثلَه ، ميثاقَ قوم أخذ ميثاقهم بعد إرسال الرسول إليهم وإنزال الكتاب عليهم[1] = واجباً أن يكون الحال التى أخذ فيها الميثاق والموعوظين ، نظيرَ حال الذين وعظوا بهم . وإذا كان ذلك كذلك ، كان بيِّناً صحة ما قلنا فى ذلك، وفسادُ خلافه .

وأما قوله : « واتقوا الله إنّ الله عليم بذات الصدور » ، فإنه وعيد من الله جل اسمه للمؤمنين كانوا برسوله صلى الله عليه وسلم من أصحابه ،[2] وتهدُّداً لهم أن ينقضوا ميثاق الله الذى واثقهم به فى رسوله ،[3] وعهدهم الذى عاهدوه فيه = بأن يضمروا له خِلاف ما أبدوا له بألسنتهم .[4]

٦ / ٩١ يقول لهم جل ثناؤه : واتقوا الله، أيها المؤمنون، فخافوه أن تبدِّلوا عهده وتنقضوا ميثاقه الذى واثقكم به ، أو تخالفوا ما ضمنتم له بقولكم : « سمعنا وأطعنا » ، بأن تضمروا له غير الوفاء بذلك فى أنفسكم ، فإن الله مطلع على ضمائر صدوركم ،[5] وعالم بما تخفيه نفوسكم ، لا يخفى عليه شىء من ذلك ، فيُحلّ بكم من عقوبته ما لا قبل لكم به، كالذى حلّ بمن قبلكم من اليهود من المسخ وصنوف النّقم ، وتصيروا فى معادِكم إلى سخط الله وأليم عقابه .

* * *

(١) سياق هذه العبارة : « فكأن . . . واجباً أن يكون الحال . . . » ، وأما الجملة التى بينهما فهى معترضة ، فمن أجل ذلك وضعتها بين خطين .

(٢) فى المطبوعة : « . . . للمؤمنين الذين أطافوا برسوله » ، غير ما فى المخطوطة ، وهو صواب محض وعربى عريق ، وضع مكان « كانوا » : « الذى أطافوا » .

(٣) فى المطبوعة : « وتهديداً لهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب محض .

(٤) قوله : « بأن يضمروا . . . » متعلق « أن ينقضوا ميثاق الله . . . » ، بأن يضمروا .

(٥) انظر تفسير « ذات الصدور » فيما سلف ٧ : ١٥٥ ، ٣٢٥ .

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله محمد، ليكن من أخلاقكم وصفاتكم القيامُ لله شهداء بالعدل فى أوليائكم وأعدائكم، (١) ولا تجوروا فى أحكامكم وأفعالكم فتجاوزوا ما حددت لكم فى أعدائكم لعداوتهم لكم، ولا تقصِّروا فيما حددت لكم من أحكامى وحدودى فى أوليائكم لولايتهم لكم، (٢) ولكن انتهوا فى جميعهم إلى حدِّى، واعملوا فيه بأمرى .

* * *

وأما قوله : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا » ، فإنه يقول : ولا يحملنكم عداوةُ قوم على أن لا تعدلوا فى حكمكم فيهم وسيرتكم بينهم ، فتجوروا عليهم من أجل ما بينكم وبينهم من العداوة .

* * *

وقد ذكرنا الرواية عن أهل التأويل فى معنى قوله : ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ﴾ [سورة النساء : ١٣٥] ، وفى قوله : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ ﴾ ، [سورة المائدة : ٢] ، واختلاف المختلفين فى قراءة ذلك ، والذى هو أولى بالصواب من القول فيه والقراءة = بالأدلة الدالة على صحته ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . (٣)

* * *

وقد قيل : إن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين همت اليهود بقتله .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) فى المطبوعة : « لولايتهم » ، وأسقط « لكم » ، وأثبتها من المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « القسط » فيما سلف ٩ : ٣٠١ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر ما سلف ٩ : ٣٠١ ، الآية الأولى = ثم الثانية ٩ : ٤٨٣ – ٤٨٧ .

١١٥٥٦ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى » ، نزلت في يهود خيبر ، أرادوا قتل النبيّ صلى الله عليه وسلم = وقال ابن جريج، قال عبد الله بن كثير : ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يهود يستعينهم في دية، فهمّوا أن يقتلوه، فذلك قوله : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا »، الآية .

* * *

القول في تأويل قوله عز ذكره ﴿ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٨)

قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بقوله : « اعدلوا »، أيها المؤمنون ، على كل أحد من الناس ، وليًّا لكم كان أو عدوًّا، فاحملوهم على ما أمرتكم أن تحملوهم عليه من أحكامي ، ولا تجوروا بأحد منهم عنه .

* * *

وأما قوله : « هو أقرب للتقوى » ، فإنه يعني بقوله : « هو » ، العدلُ عليهم أقرب لكم، أيها المؤمنون ، إلى التقوى ، يعني : إلى أن تكونوا عند الله باستعمالكم إياه من أهل التقوى ، وهم أهل الخوف والحذر من الله أن يخالفوه في شيء من أمره ، أو يأتوا شيئاً من معاصيه . (١)

* * *

وإنما وصف جل ثناؤه «العَدْل» بما وصفه به من أنه «أقرب للتقوى» من الجور ، لأن من كان عادلاً ، كان لله بعدله مطيعاً ، ومن كان لله مطيعاً ، كان لا شك

(١) انظر تفسير « العدل » ، و « التقوى » ، فيما سلف من فهارس اللغة .

من أهل التقوى ، ومن كان جائراً كان لله عاصياً ، ومن كان لله عاصياً ، كان بعيداً من تقواه .

* * *

وإنما كنى بقوله : « هو أقرب » ، عن الفعل .[١] والعرب تكنى عن الأفعال إذا كَنَتْ عنها بـ « هو » ، وبـ « ذلك » ، كما قال جل ثناؤه : ﴿فهو خَيْرٌ لَكُمْ﴾،[٢] [سورة البقرة : ٢٧١] و﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾[سورة البقرة : ٢٣٢].[٣] ولو لم يكن فى الكلام « هو » لكان « أقرب » ، نصباً ، ولقيل : « اعدلوا أقربَ للتقوى » ، كما قيل : ﴿ ٱنتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ﴾ [سورة النساء : ١٧١] .[٤]

* * *

وأما قوله : « واتقوا الله إنّ الله خبير بما تعملون » ، فإنه يعنى : واحذروا ، أيها المؤمنون ، أن تجوروا فى عباده فتجاوزوا فيهم حكمه وقضاءَه الذى بيّن لكم ، فيحلّ بكم عقوبته ، وتستوجبوا منه أليم نكاله = « إن الله خبير بما تعملون » ، يقول : إن الله ذو خبرة وعلم بما تعملون ، أيها المؤمنون ، فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه ، من عمل به أو خلافٍ له ، مُحْصٍ ذلكم عليكم كلّه ، حتى يجازيكم به جزاءَكم ، المحسنَ منكم بإحسانه ، والمسيءَ بإساءته ، فاتقوا أن تسيئوا .[٥]

---

(١) « الفعل » ، يعنى مصدر الفعل ، كما سلف قريباً ص : ٨٢ ، تعليق : ٢ ، وانظر فهرس المصطلحات .

(٢) كان فى المطبوعة : « هو خير لكم » ، وفى المخطوطة بإسقاط « هو » ، وهذا الذى أثبته هو نص آية البقرة : ٢٧١ ، وراجع ذلك فى ٥ : ٥٨٢ مما سلف . وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٠٣ .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « ذلك أذكى » ، وأثبت نص آية البقرة . وانظر ما سلف ٥ : ٢٩ .

(٤) انظر ما سلف ٩ : ٤١٣ — ٤١٥ .

(٥) انظر تفسير « خبير » فيما سلف من فهارس اللغة .

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (٩)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : «وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات»، وعد الله ، أيها الناس ، الذين صدّقوا الله ورسوله ، وأقرّوا بما جاءهم به من عند ربهم ، وعملوا بما واثقهم الله به ، وأوفوا بالعقود التى عاقدَهم عليها بقولهم : « لنسمعن ولنطيعنّ الله ورسوله » ، فسمعوا أمر الله ونهيه وأطاعوه ، فعملوا بما أمرهم الله به ، وانتهوا عما نهاهم عنه .[1] ٩٢/٦

ويعنى بقوله : « لهم مغفرة » ، لهؤلاء الذين وفوا بالعقود والميثاق الذى واثقهم به ربهم = « مغفرة » ، وهى ستر ذنوبهم السالفة منهم عليهم وتغطيتها ، بعفوه لهم عنها ، وتركه عقوبتهم عليها وفضيحتهم بها[2] = « وأجر عظيم » ، يقول : ولهم مع عفوه لهم عن ذنوبهم السالفة منهم ، جزاءً على أعمالهم التى عملوها ، ووفائهم بالعقود التى عاقدوا ربهم عليها = « أجر عظيم » . و « العظيم » من خيره غير محدود مبلغه ، ولا يعرف منتهاه غيره تعالى ذكره .[3]

* * *

فإن قال قائل : إن الله جل ثناؤه أخبر فى هذه الآية أنه وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ولم يخبر بما وعدهم ، فأين الخبر عن الموعود ؟

قيل : بلى ،[4] إنه قد أخبرَ عن الموعود ، والموعود هو قوله : «لهم مغفرة وأجر عظيم».

---

(١) انظر تفسير « الصالحات » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٢) انظر تفسير « المغفرة » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٣) انظر تفسير « الأجر » و « عظيم » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٤) « بلى » تكون جواباً للكلام الذى فيه الجحد كقوله : « ألست بربكم قالوا بلى » . هكذا قالوا ، وقال ابن هشام فى المغنى فى باب « بلى » : « ولكن وقع فى كتب الحديث أنها يجاب بها الاستفهام المجرد ، ففى صحيح البخارى فى كتاب الإيمان : أنه عليه الصلاة والسلام قال لأصحابه : أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة ؟ قالوا : بلى = وفى صحيح مسلم فى كتاب الهبة : أيسرك أن يكونوا

فإن قال : فإن قوله : « لهم مغفرة وأجر عظيم » ، خبرٌ مبتدأ ، ولو كان هو الموعود لقيل : «وعدَ الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات مغفرة وأجراً عظيماً» ، ولم يدخل فى ذلك « لهم » ، وفى دخول ذلك فيه ، دلالة على ابتداء الكلام ، وانقضاء الخبر عن الوعد !

قيل : إن ذلك وإن كان ظاهره ما ذكرتَ ، فإنه مما اكتُفى بدلالة ما ظهر من الكلام على ما بطن من معناه = من ذكر بعضٍ قد ترك ذكره فيه . وذلك أن معنى الكلام : وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن يغفر لهم ويأجرهم أجراً عظيماً = لأن من شأن العرب أن يُصْحِبوا «الوعد» « أن » ويعملوه فيها ، فتركت « أن» إذ كان « الوعد » قولاً . ومن شأن « القول » أن يكون ما بعده من جمل الأخبار مبتدأ ، وذكر بعده جملة الخبر اجتزاءً بدلالة ظاهر الكلام على معناه ، وصرفاً للوعد = الموافق للقول فى معناه ، وإن كان للفظه مخالفاً = إلى معناه ،[1] فكأنه قيل : « قال الله : للذين آمنوا وعملوا الصالحات مغفرة وأجر عظيم » .

* * *

وكان بعض نحويى البصرة يقول ، إنما قيل : « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم» ، فى الوعد الذى وُعِدوا[2] = فكأن معنى الكلام على تأويل قائل هذا القول : وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، لهم مغفرة وأجر عظيم ، [فيما وعدهم به] .[3]

* * *

لك فى البر سواء ؟ قال : بلى ! قال : فلا إذن = وفيه أيضاً أنه قال : أنت الذى لقيتنى بمكة ؟ فقال له : بلى » .

فمن أجل ذلك استعمله الطبرى فى جواب الاستفهام الذى لا جحد فيه ، فكأنه عد سؤال السائل جحداً لذكره فى الآية ، فقال فى جوابه « بلى » ، بمعنى : ليس ذلك كما تزعم ، وانظر ما سلف ٢ : ٢٨٠ ، ٥١٠ ، وما سيأتى فى الأثر رقم : ١١٨١٨ .

(١) السياق : « وصرفا للوعد . . . إلى معناه » ، أى : إلى معنى القول .

(٢) فى المطبوعة : « الوعد الذى وعدوا » بإسقاط « فى » ، وهى فى المخطوطة مكتوبة بسن القلم بين « عظيم » و « الوعد » .

(٣) اقتصر فى هذا الموضع فى المطبوعة والمخطوطة على نص الآية ، واستظهرت تمام الكلام من تفسير القرطبى ٦ : ١١٠ ، وقد عقب عليه بقوله : « وهذا المعنى عن الحسن » ، فلا أدرى أأصبت فى ذلك ، أم أخطأنى التوفيق !

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ (١٠)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « والذين كفروا » ، والذين جحدوا وحدانية الله ونقضوا ميثاقه وعقودَه التى عاقدوها إياه = « وكذبوا بآياتنا » ، يقول : وكذبوا بأدلّة الله وحججه الدالة على وحدانيته التى جاءت بها الرسل وغيرها = « أولئك أصحاب الجحيم » ، يقول : هؤلاء الذين هذه صفتهم = أهل « الجحيم » ، يعنى : أهل النار الذين يخلُدون فيها ولا يخرجون منها أبداً .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه :(٢) « يا أيها الذين آمنوا » ، يا أيها الذين أقرُّوا بتوحيد الله ورسالة رسوله صلى الله عليه وسلم وما جاءهم به من عند ربهم = « اذكروا نعمة الله عليكم » ، اذكروا النعمة التى أنعم الله بها عليكم ، فاشكروه عليها بالوفاء له بميثاقه الذى واثقكم به . والعقود التى عاقدتم نبيكم صلى الله عليه وسلم عليها . ثم وصف نعمته التى أمرهم جل ثناؤه بالشكر عليها مع سائر نعمه ، فقال : هى كفُّه عنكم أيدى القوم الذين همُّوا بالبطش بكم ، فصرفهم عنكم ،

---

(١) انظر تفسير « الكفر » و « الآيات » و « أصحاب الجحيم » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٢) كان فى المطبوعة والمخطوطة : « يعنى بذلك جل ثناؤه : يا أيها الذين آمنوا أقروا . . . » ، فأثبت ما يقتضيه سياق أبى جعفر فى سائر تفسيره ، وهو فى أغلب الظن اختصار سىء من الناسخ .

وحال بينهم وبين ما أرادوه بكم .(١)

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى صفة هذه النعمة التى ذكّر الله جل ثناؤه أصحابَ نبيه صلى الله عليه وسلم بها ، وأمرهم بالشكر له عليها .

فقال بعضهم : هو استنقاذ الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم وأصحابَه مما كانت اليهود من بنى النضير همُّوا به يوم أتوهم يستحملونهم دية العامريَّين اللذين قتَلهما عمرو بن أمية الضمرى .(٢)

* ذكر من قال ذلك :

١١٥٥٧ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر قالا : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى النضير ليستعينَهم على دية العامريَّين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضَّمرى . فلما جاءهم ، خلا بعضهم ببعض فقالوا : إنكم لن تجدوا محمداً أقرب منه الآن ! فمَن رجلٌ يظهر على هذا البيت ، فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه ؟ فقال عمرو بن جحاش بن كعب : أنا .(٣) فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ وانصرف عنهم ، فأنزل الله عز ذكره فيهم وفيما أرادَ هو وقومه : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذْ همَّ قومٌ أن يبسطوا إليكم أيديهم » ، الآية .(٤) ٦/٩٣

---

(١) انظر تفسير « الكف » فيما سلف ٨ : ٩/٥٤٨ : ٢٩ = وقد مضى « الهم » غير مشروح أيضاً فيما سلف ٩ : ١٩٩ .

(٢) « الحمالة » (بفتح الحاء) : الدية والغرامة التى يحملها قوم عن قوم ويكفلون دفعها يقال : « تحمل الحمالة » و « استحمل القوم » ، طلب إليهم أن يعينوه فى « حمالته » ، وهى الدية التى تكفل بها .

(٣) « ظهر على البيت » : علاه ، أى ركب ظهره . وكان فى المطبوعة : « فروا رجلا يظهر » وليس فيها ولا فى المخطوطة : « أنا » ، فلذلك غيرها الناسخ ، لفساد خط الناسخ فى هذا الموضع . والصواب من سيرة ابن هشام .

(٤) الأثر : ١١٥٥٧ – هو فى سيرة ابن هشام ٢ : ٢١١ ، ٢١٢ ، ثم يأتى فيها بغير هذا اللفظ ٣ : ١٩٩ – ٢٠٠ .

١١٥٥٨ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم » ، قال: اليهود ، دخل عليهم النبي صلى الله عليه وسلم حائطاً لهم ،[1] وأصحابُه من وراء جداره ، فاستعانهم في مغرَم دية غَرِمها، ثم قام من عندهم ، فائتمروا بينهم بقتله . فخرج يمشي القَهقَرى ينظر إليهم ، ثم دعا أصحابه رجلاً رجلاً حتى تتَامُّوا إليه .

١١٥٥٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : «اذكروا نعمة الله عليكم إذ همَّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكفَّ أيديهم عنكم » ، يهودُ ، حين دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائطاً لهم ، وأصحابه من وراء جدار لهم، فاستعانهم في مغرم ، في الدية التي غرمها ،[2] ثم قام من عندهم فائتمروا بينهم بقتله ، فخرج يمشي معترضاً ينظرُ إليهم خِيفتَهم[3]. ثم دعا أصحابه رجلاً رجلاً حتى تتامُّوا إليه ، قال الله جل وعز : « فكف أيديهم عنكم واتَّقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .

١١٥٦٠ – حدثنا هناد بن السري قال، حدثنا يونس بن بكير قال، حدثني أبو معشر ، عن يزيد بن أبي زياد قال : جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النَّضير يستعينهم في عَقْلٍ أصابه ،[4] ومعه أبو بكر وعمر وعلي، فقال: أعينوني في عَقْلٍ أصابني . فقالوا : نعم، يا أبا القاسم ، قد آن لك أن تأتينا وتسألنا حاجة ! اجلس حتى نطعمَك ونعطيَك الذي تسألنا ! فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) « الحائط » : البستان من النخيل ، قد أحاطوه بجدار .

(٢) في المطبوعة : « في مغرم في دية غرمها » كما في الدر المنثور ١ : ٢٦٦ . وفي المخطوطة : « في الدية » بالتعريف فرجحت أنه قد سقط من الكلام « التي » فأثبتها .

(٣) « معترضاً » ، أي يأخذ يمنة ويسرة ، يميل بوجهه إليهم ينظر ، ويمشي هكذا وهكذا ، لا تستقيم مشيته على الطريق .

(٤) « العقل » هو : الدية

وأصحابُه ينتظرونه ، وجاء حُيَيّ بن أخطب ، وهو رأس القوم ، وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ، فقال حيي لأصحابه : لا ترونه أقربَ منه الآن ، اطرحوا عليه حجارة فاقتُلوه ، ولا ترون شرًّا أبداً ! فجاؤوا إلى رحًى لهم عظيمة ليطرحوها عليه ، فأمسك الله عنها أيديهم ، حتى جاءه جبريل صلى الله عليه وسلم فأقامه من ثَمّ ، فأنزل الله جل وعز : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذْ همّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكفّ أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون » ، فأخبر الله عزّ ذكره نبيّه صلى الله عليه وسلم ما أرادوا به .

١١٥٦١ — حدثني القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ همّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم » الآية ، قال : يهودُ ، دخلَ عليهم النبي صلى الله عليه وسلم حائطاً فاستعانهم فى مَغْرَمٍ غرمه ، فائتمروا بينهم بقتله ، فقام من عندهم فخرج معترِضاً ينظر إليهم خيفتَهم ، (١) ثم دعا أصحابه رجلاً رجلاً حتى تتامُّوا إليه .

١١٥٦٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو الأنصارى = أحدَ بنى النجار ، وهو أحدُ النُّقباء ليلة العقبة = فبعثه فى ثلاثين راكباً من المهاجرين والأنصار ، فخرجوا فلقوا عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر على بئر معونة ، وهى من مياه بنى عامر ، فاقتتلوا . فقُتل المنذرُ وأصحابُه إلاّ ثلاثةَ نَفَرٍ كانوا فى طلب ضَالة لهم ، فلم يرعهم إلاّ والطيرُ تحُوم فى السماء ، يسقط من بين خراطيمها عَلَقُ الدم . (٢) فقال أحد النفر : قُتِل أصحابنا والرحمنِ ! ثم تولّى يشتدُّ حتى لقى رجلاً ، (٣) فاختلفا ضربتين ، فلما خالطته الضربة رفع رأسه إلى السماء ففتح

---

(١) « معترضاً » أى يأخذ يمنة ويسرة ، يميل بوجهه إليهم ينظر ، ويمشى هكذا وهكذا ، لا تستقيم مشيته على الطريق .

(٢) « العلق » (بفتحتين) : قطع الدم الغليظ الجامد قبل أن ييبس .

(٣) « اشتد » : عدا عدواً شديداً .

عينيه ثم قال : الله أكبر ، الجنةُ وربّ العالمين ! ! فكان يُدْعى « أعنَق ليَمُوت » ، (١) ورجع صاحباه فلقيا رجلين من بنى سليم . وبين النبى صلى الله عليه وسلم وبين قومهما مُوَادعة ، فانتسبا لهما إلى بنى عامر ، فقتلاهما . وقدِم قومهما إلى النبى صلى الله عليه وسلم يطلبون الدية ، فخرج ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلىٌّ وطلحة وعبد الرحمن بن عوف ، حتى دخلوا على كعب بن الأشرف ويهود النضير ، ٩٤/٦ فاستعانهم فى عَقْلهما . قال : فاجتمعت اليهودُ لقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، واعتَلُّوا بصنيعة الطعام . (٢) فأتاه جبريل صلى الله عليه وسلم بالذى أجمعت عليه يهودُ من الغَدر ، (٣) فخرج ، ثم دعا عليًّا فقال : لا تبرح مَقامك ، فمن خرج عليك من أصحابى فسألك عنّى فقل : « وجّه إلى المدينة فأدركوه » . (٤) قال : فجعلوا يمرُّون على علىّ فيأمرهم بالذى أمرَه ، حتى أتى عليه آخرُهم ، ثم تبعهم ، فذلك قوله : ﴿ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ ﴾ [سورة المائدة : ١٣] .

١١٥٦٣ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا إسرائيل ، عن السدى ، عن أبى مالك فى قوله : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكفّ أيديهم عنكم » ، قال : نزلت فى كعب ابن الأشرف وأصحابه ، حين أرادوا أن يغدِروا برسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

وقال آخرون : بل النعمة التى ذكرها الله فى هذه الآية ، فأمر المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشُّكر له عليها : أنّ اليهود كانت هَمَّت بقتل النبىّ صلى الله عليه وسلم فى طعامٍ دعوه إليه ، فأعلم الله عز وجل نبيّه صلى

---

(١) « أعنق ليموت » و « المعنق ليموت » ، يقال هو « المنذر بن عمرو الأنصارى » ، ويقال هو « حرام بن ملحان النجارى » . = « أعنق الرجل إعناقاً » : سارع وأسرع إسراعاً شديداً حتى يسبق الناس . سمى بذلك ، لأنه أسرع إلى مصرعه ، رضى الله عنه .

(٢) « الصنيعة » و « الصنيع » : الطعام يصنع ويهيأ للحفاوة والإكرام .

(٣) فى المطبوعة : « اجتمعت عليه » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٤) فى المخطوطة : « وجه المدينة » ، أسقط « إلى » ، والجيد ما فى المطبوعة .

الله عليه وسلم ما همُّوا به ، فانتهى هو وأصحابه عن إجابتهم إليه .

* ذكر من قال ذلك :

١١٥٦٤ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم » إلى قوله : « فكف أيديهم عنكم » ، وذلك أن قوماً من اليهود صَنَعوا لرسول الله وأصحابه طعاماً ، ليقتلوه إذا أتى الطعام ، فأوحى الله إليه بشأنهم ، فلم يأتِ الطعام ، وأمرَ أصحابه فلم يأتوه .(١)

* * *

وقال آخرون : عنى الله جل ثناؤه بذلك : النعمةَ التي أنعمها على المؤمنين بإطلاع نبيّه صلى الله عليه وسلم على ما همَّ به عدوّه وعدوُّهم من المشركين يوم بَطْن نَخْلٍ ، من اغترارهم إياهم والإيقاع بهم ، إذا هُم اشتغلوا عنهم بصلاتهم ، فسجدوا فيها = وتعريفه نبيَّه صلى الله عليه وسلم الحِذارَ من عدوّه في صَلاته ، بتعليمه إيَّاه صلاة الخوف .

* ذكر من قال ذلك :

١١٥٦٥ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسُطوا إليكم أيديهم» الآية ، ذكر لنا أنها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ببَطْنِ نخل في الغَزْوة السابعة ،(٢) فأراد بنو ثعلبة وبنو محارب أن يفتكوا

---

(١) في المطبوعة : « وأمر أصحابه فأبوه » ، و « أبوه » هنا سقيمة المنزل . وفي المخطوطة : « فأتوه » معجمة . وهو مخالف لما في الترجمة ، إذ قال : « فانتهى هو وأصحابه عن إجابتهم إليه » ، فآثرت أن أثبت نص ما في الدر المنثور ١ : ٢٦٦ ، فهو المطابق للترجمة . ونقله السيوطي عن ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، من هذه الطريق نفسها .

(٢) هكذا قال : « في الغزوة السابعة » ، وهي في كثير من الروايات « الغزوة التاسعة » ، وهي « غزوة ذي أمر » بنجد ، انظر ابن سعد ٢/١/٢٤ ، وإمتاع الأسماع للمقريزي ١ : ١١٠ ، ١١١ . وانظر التعليق على الأثر التالي ، والأثر السالف رقم : ١٠٣٤٠ ، والذي جاء في الأخبار أن صلاة الخوف كانت في السنة السابعة .

به ، فأطلعه الله على ذلك. ذكر لنا أن رجلاً انتدب لقتله ، فأتى نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم وسيفُه موضوع ، فقال : آخذه ، يا نبي الله ؟ قال : خذه ! قال : أستلُّه ؟ قال : نعم ! فسلَّه ، فقال : من يمنعك منِّي؟ قال : الله يمنعُني منك! فهدّده أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأغلظوا له القول ، فشامَ السَّيف ،[1] وأمر نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم أصحابَه بالرحيل ، فأنزلت عليه صلاة الخوف عند ذلك .[2]

١١٥٦٦ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهرى ، ذكره عن أبى سلمة ، عن جابر : أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم نزل منزلاً ، وتفرّق الناس فى العِضاه يستظِلُّون تحتها ،[3] فعلّق النبي صلى الله عليه وسلم سلاحَه بشجرةٍ ، فجاء أعرابى إلى سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذه فسلَّه ، ثم أقبل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : من يمنعك منى ؟ والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: « الله » ! فشامَ الأعْرابى السيف ،[1] فدعا النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه فأخبرهم خبرَ الأعرابيّ، وهو جالس إلى جنبه لم يعاقبه = قال معمر : وكان قتادة يذكر نحو هذا ، وذكر أنّ قوماً من العرب أرادُوا أن يفتكوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسلوا هذا الأعرابى ، وتأوّل : «اذكروا نعمة الله عليكم إذ همّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم »، الآية .[4]

* * *

---

(١) « شام السيف » : أغمده . وهو من الأضداد ، ويقال أيضاً : « شام السيف » : إذا سله .

(٢) الأثر : ١١٥٦٥ – هذا الخبر عن « صلاة الخوف »، لم يذكره أبو جعفر فى صلاة الخوف فيما سلف ٥ : ٢٣٧ – ٢٥٠ ، ولا فى ٩ : ١٢٣ – ١٦٦ .

(٣) « العضاه » (بكسر العين) : اسم يقع على ما عظم من شجر الشوك وطال واشتد شوكه ، فاستظل به الناس .

(٤) الأثر : ١١٥٦٦ – « أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف » مضى مراراً . وكان فى المطبوعة والمخطوطة « ابن أبي سلمة » بزيادة « ابن » ، والصواب حذفها كما فى تفسير ابن كثير ٣ : ١٠١ .

وهذا الخبر عن الزهرى ، عن أبي سلمة ، عن جابر فى مسند أحمد ٣ : ٣١١ ، عن عبد الله ابن أحمد بن حنبل ، قال : « حدثنا عبد الله قال : وجدت هذا الحديث فى كتاب أبي بخط يده ، =

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصحة فى تأويل ذلك ، قولُ من قال : عنى الله بالنعمة التى ذكر فى هذه الآية، نعمتَه على المؤمنين به وبرسوله التى أنعم بها عليهم ، فى استنقاذه نبيّهم محمداً صلى الله عليه وسلم مما كانت يهود بنى النضير همت به من قتله وقتل من معه ، يومَ سار إليهم نبىّ الله صلى الله عليه وسلم فى الدية التى كان تحمّلها عن قتيلى عمرو بن أمية .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصحة فى تأويل ذلك لأن الله جل ثناؤه عقّب ذكر ذلك برمى اليهود بصنائعها وقبيح أفعالها ، وخيانتها ربّها وأنبياءها ، ثم أمر نبيّه صلى الله عليه وسلم بالعفو عنهم ، والصفح عن عظيم جهلهم . فكان معلوماً بذلك أنه ٩٥/٦
صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بالعفو عنهم والصفح عَقِيبَ قوله : « إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم » ، وغيرُهم كان يبسط الأيدى إليهم .(١) لأنه لو كان الذين همُّوا ببسط الأيدى إليهم غيرَهم ، لكان حريًّا أن يكون الأمر بالعفو والصفح عنهم ، لا عمَّن لم يجر لهم بذلك ذكر= ولكان الوصف بالخيانة فى وصفهم فى هذا الموضع ،

=وسمعته فى موضع آخر : حدثنا أبو اليمان قال ، أخبرنى شعيب ، عن الزهرى ، حدثنى سنان بن أبى سنان الدؤلى ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن : أن جابر بن عبد الله الأنصارى » ، وساق الخبر بغير هذا اللفظ مطولا .

ثم رواه أحمد أيضاً ٣ : ٣٦٤ ، من طريق عفان بن أبان ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن أبى سلمة ابن عبد الرحمن ، عن جابر ، بغير ذاك اللفظ .

وروى أحمد خبر جابر مطولا مفصلا ، من طريق أبى بشر ، عن سليمان بن قيس ، عن جابر قال : قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم محارب خصفة بنخل = فى المسند ٣ : ٣٦٤ ، ٣٦٥ ثم : ٣٩٠ .

ورواه البخارى فى صحيحه (الفتح ٧ : ٣٢٩ - ٣٣١) ، بأسانيد . ورواه مسلم فى صحيحه ١٥ : ٤٤ ، ٤٥ ، بإسناد الطبرى وأحمد .

وانظر أيضاً ما رواه أبو جعفر من حديث جابر فيما سلف برقم : ١٠٣٢٥ .

وقال ابن كثير فى تفسيره ٣ : ١٠١ ، بعد أن ساق خبر أبى جعفر عن هذا الموضع من التفسير : « وهذا الأعرابى ، هو غورث بن الحارث ، ثابت فى الصحيح » .

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « ومن غيرهم كان يبسط الأيدى إليهم » بزيادة « من » ، وهو فساد فى الكلام شديد ، والصواب حذف « من » ، كما يدل عليه سياق الكلام . والواو فى « وغيرهم » واو الحال .

لا فى وصف من لم يجر لخيانته ذكر ، ففى ذلك ما ينبئ عن صحة ما قضينا له بالصحة من التأويلات فى ذلك ، دون ما خالفه .

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١١) (١)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه : واحذرُوا الله ، أيها المؤمنون ، أن تخالفوه فيما أمركم ونهاكم ، وأن تنقضوا الميثاق الذى واثقكم به ، فتستوجبوا منه العقابَ الذى لا قبل لكم به = « وعلى الله فليتوكل المؤمنون » ، يقول : وإلى الله فليُلْقِ أزمّة أمورهم ، ويستسلم لقضائه ، ويثقْ بنصرته وعونه (٢) = المقرّون بوحدانيّة الله ورسالة رسوله ، العاملون بأمره ونهيه ، فإن ذلك من كمال دينهم وتمامِ إيمانهم = وأنّهم إذا فعلوا ذلك كلأهم ورعاهم ، وحفظهم ممن أرادهم بسوء ، كما حفظكم ودافع عنكم ، أيها المؤمنون ، اليهودَ الذين همُّوا بما همُّوا به من بسط أيديهم إليكم ، كلاءَةً منه لكم ، إذ كنتم من أهل الإيمان به وبرسوله ، دون غيره ، (٣) فإن غيره لا يطيق دَفْع سوءٍ أراد بكم ربُّكم ، ولا اجتلابَ نفعٍ لكم لم يقضه لكم .

* * *

(١) سقط من المخطوطة والمطبوعة صدر بقية الآية ، وهو قوله : « واتقوا الله » ، فأثبتها .

(٢) انظر تفسير « التوكل » فيما سلف ٨ : ٥٦٦ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٣) قوله : « دون غيره » ، أى : كما حفظكم ودافع عنكم دون غيره .

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾

قال أبو جعفر : وهذه الآية أنزلتْ إعلاماً من الله جلّ ثناؤه نبيَّه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به ، أخلاقَ الذين همُّوا ببسط أيديهم إليهم من اليهود ، كالذى :—

١١٥٦٧ — حدثنا الحارث بن محمد قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا مبارك ، عن الحسن فى قوله : « ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل» ، قال : اليهود من أهل الكتاب .

* * *

=[1] وأن الذى هموا به من الغدر ونقض العهد الذى بينهم وبينه ، من صفاتهم وصفات أوائلهم وأخلاقِهم وأخلاقِ أسلافهم قديماً =[2] واحتجاجاً لنبيه صلى الله عليه وسلم على اليهود ، بإطلاعه إيَّاه على ما كان علمه عندَهم دون العرب ، من خفىّ أمورهم ومكنون علومهم = وتوبيخاً لليهود فى تماديهم فى الغىّ وإصرارهم على الكفر ، مع علمهم بخطأ ما هم عليه مقيمون .

يقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم : لا تستعظموا أمرَ الذين همُّوا ببسط أيديهم إليكم من هؤلاء اليهود بما همُّوا به لكم ، ولا أمرَ الغدر الذى حاولوه وأرادوه بكم ، فإن ذلك من أخلاق أوائلهم وأسْلافهم ، لا يَعْدُون أن يكونوا على منهاج أوَّلهم وطريق سَلَفِهم .

ثم ابتدأ الخبر عز ذكره عن بعضِ غَدَراتهم وخياناتهم ، وجراءَتهم على ربهم ، ونقضهم ميثاقَهم الذى واثقَهم عليه بَارِئُهم ،[3] مع نعمه التى خصَّهم بها ،

---

(١) قوله : « وأن الذى هموا به . . . » معطوف على قوله : « إعلاماً منه نبيه . . . أخلاق الذين هموا . . . وأن الذى هموا به . . . » ، هذا سياق الجملة .

(٢) قوله « واحتجاجاً . . . » ، معطوف على قوله آنفاً : « وهذه الآية أنزلت إعلاماً . . . » .

(٣) فى المطبوعة : « الذى واثقهم عليه بأدائهم » ، لم يحسن قراءة المخطوطة إذ كانت غير معجمة ، فحرفها تحريفاً أفضى إلى هلاك العبارة كلها .

وكراماته التى طوّقهم شكرها ، فقال : ولقد أخذ اللهُ ميثاق سَلَف من همّ ببسط يده إليكم من يهود بنى إسرائيل ، يا معشر المؤمنين ، بالوفاء له بعهوده ، وطاعته فيما أمرهم ونهاهم ،[1] كما :—

١١٥٦٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا آدم العسقلانى قال ، حدثنا أبو جعفر الرازى ، عن الربيع ، عن أبى العالية فى قوله : « ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل» ، قال : أخذ الله مواثيقهم أن يخلصوا له ، ولا يعبدُوا غيره .

* * *

=« وبعثنا منهم اثنى عشر نقيباً » يعنى بذلك : وبعثنا منهم اثنى عشر كفيلاً ، كفلوا عليهم بالوفاء لله بما واثقوه عليه من العهود فيما أمرهم به وفيما نهاهم عنه .

* * *

و« النقيب » فى كلام العرب ، كالعَرِيف على القوم ، غير أنه فوق « العريف» . يقال منه : « نَقَب فلان على بنى فلان فهو ينقُبُ نَقْباً » ،[2] فإذا أريد أنه لم يكن نقيباً فصار نقيباً قيل : « قد نَقُبَ فهو ينقُب نَقَابة» = ومن« العريف » : « عَرُف عليهم يَعْرُف عِرَافَةً » . فأما « المناكب» ، فإنهم كالأعوان يكونون مع العُرفاء ، واحدهم « مَنْكِب » .

وكان بعض أهل العلم بالعربية يقول : هو الأمين الضامن على القوم .[3]

* * *

فأما أهل التأويل فإنهم قد اختلفوا بينهم فى تأويله .

---

(١) انظر تفسير « أخذ الميثاق » فيما سلف ص : ٩١ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) هكذا جاء فى المخطوطة والمطبوعة : « نقباً » ، وهذا مصدر غريب جداً ، ولم تذكره كتب العربية ، وهو جائز على ضعف شديد . وأنا أخشى أن يكون ذلك خطأ من النساخ ، وأن الصواب هو الذى أجمعت عليه كتب اللغة « نقابة » (بكسر النون) فى مصدر هذا الفعل . أما مصدر الفعل الذى يليه فهو بفتح النون . وقال سيبويه : « النقابة بالكسر الاسم ، وبالفتح المصدر ، مثل الولاية والولاية » .

(٣) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٥٦ .

فقال بعضهم : هو الشاهد على قومه .

* ذكر من قال ذلك :

١١٥٦٩ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيباً » ، من كل سِبْط رجل شاهد على قومه .

* * *

وقال آخرون : « النقيب » ، الأمين

* ذكر من قال ذلك :

١١٥٧٠ – حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : « النقباء » ، الأمناء . ٦٩/٦

١١٥٧١ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، مثله .

* * *

وإنما كان الله عز ذكره أمر موسى نبيّه صلى الله عليه وسلم ببعثة النقباء الاثنى عشر من قومه بنى إسرائيل إلى أرض الجبابرة بالشأم ، ليتحسَّسوا لموسى أخبارَهم ، (١) إذْ أراد هلاكهم ، وأن يورِّث أرضَهم وديارَهم موسى وقومَه ، وأن يجعلها مساكن لبنى إسرائيل ، بعد ما أنجاهم من فرعون وقومه ، وأخرجهم من أرض مصر . فبعث مُوسى الذين أمرَه الله ببعثهم إليها من النقباء ، كما : –

١١٥٧٢ – حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : أمر الله بنى إسرائيل بالسير إلى أرْيَحَا ، وهى أرض بيت المقدس ، فساروا حتى إذا كانوا قريباً منهم ، بعث موسى اثنى عشر نقيباً من جميع أسباط بنى إسرائيل . فساروا يريدون أن يأتوه بخبر الجبابرة ، فلقيهم رجل

---

(١) فى المطبوعة : « ليتجسسوا » بالجيم ، و « التجسس » بالحاء : تطلب الخبر وتبحثه . وفى التنزيل : « يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه » .

من الجبّارين يقال له « عاج » ، فأخذ الاثنى عشر فجعلهم فى حُجْزَته ،[١] وعلى رأسه حَمْلَةُ حطب.[٢] فانطلق بهم إلى امرأته فقال : انظرى إلى هؤلاء القوم الذين يزعمون أنهم يريدون أن يقاتلونا ! ! فطرَحَهم بين يديها ، فقال : ألا أطْحَنُهم برجلى ! فقالت امرأته : بل خلّ عنهم حتى يخبروا قومَهم بما رأوا . ففعل ذلك . فلما خرج القومُ ، قال بعضهم لبعض : يا قوم ، إنكم إن أخبرتم بنى إسرائيل خبرَ القوم ، ارتدُّوا عن نبىّ الله عليه السلام ، ولكن اكتموه وأخبروا نَبِيَّى الله ، فيكونان هما يَرَيان رأيهما ![٣] فأخذ بعضهم على بعض الميثاق بذلك ليكتموه ، ثم رجعوا . فانطلق عشرة منهم فنكثوا العهدَ ، فجعل الرجل يخبر أخاه وأباه بما رأى من [أمر] « عاج » ،[٤] وكتم رجلان منهم ، فأتوا موسى وهرون فأخبروهما الخبرَ ، فذلك حين يقول الله[٥] : « ولقد أخذ الله ميثاقَ بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيباً » .[٦]

١١٥٧٣ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « اثنى عشر نقيباً » ، من كل سبط من بنى إسرائيل رجل ، أرسلهم موسى إلى الجبارين ، فوجدوهم يدخل فى كُمّ أحدهم اثنان منهم يُلقونهم إلقاءً ،[٧] ولا يحمل عنقود عنبهم إلا خمسة أنفس

---

(١) « الحجزة » (بضم فسكون) : موضع شد الإزار . وسبحان الله ! ! كيف كان يبالغ هؤلاء الرواة من أصحاب الإسرائيليات ! !

(٢) فى المطبوعة : « حزمة حطب » ، لم يحسن قراءة المخطوطة مع وضوحها . وأثبتها لما طابقت المخطوطة تاريخ الطبرى . وما سيأتى برقم : ١١٦٥٦ .

و « الحملة » (بفتح الحاء) : هى مقدار ما يحمله الحامل ، كما يقال : « قبضة » ، لمقدار ما تقبض عليه الكف . وهذا حرف لم أجد النص عليه فى كتاب .

(٣) « نبيى الله » ، يعنى موسى وهرون عليهما السلام . وكان فى المطبوعة : « فيما يريان » ، والصواب من المخطوطة والتاريخ .

(٤) هذه الزيادة بين القوسين ، من تاريخ الطبرى .

(٥) انظر ما كتبته فى ص : ٩٢ ، تعليق : ١ ، فى أمر « حيث » و « حين » .

(٦) الأثر : ١١٥٧٢ — هو من بقية الأثر الذى رواه أبو جعفر قديماً برقم : ٩٩١ ، وهو فى تاريخ الطبرى ١ : ٢٢١ ، ٢٢٢ . وسيأتى صدره برقم : ١١٦٥٦ .

(٧) فى المخطوطة « يلعونهم العا » غير واضحة ولا منقوطة ، وفى المطبوعة هنا « يلفونهم

منهم فى خشبة ،[١] ويدخل فى شطر الرمانة إذا نُزع حبُّها خمسة أنفس أو أربع . فرجع النقباء كلٌّ منهم يَنْهى سِبْطه عن قتالهم ، إلا يوشع بن نون وكلاب بن يافنة ،[٢] يأمران الأسباط بقتال الجبابرة وبجهادهم ، فعصوا هذين وأطاعُوا الآخرين .

١١٥٧٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه = إلا أنه قال : من بنى إسرائيل رجالٌ = وقال أيضاً : يلقونهما .[٣]

١١٥٧٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : أمر موسى أن يسير ببنى إسرائيل إلى الأرض المقدّسة ، وقال : إنى قد كتبتها لكم داراً وقراراً ومنزلاً ، فاخرج إليها ، وجاهد من فيها من العدوّ ، فإنى ناصركم عليهم ، وخُذ من قومك اثنى عشر نقيباً ، من كل سبط نقيباً يكون على قومه بالوفاء منهم على ما أمروا به ، وقل لهم : إن الله يقول : لكم : ﴿ إِنِّى مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاَةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ . وأخذ موسى منهم اثنى عشر نقيباً اختارهم من الأسباط كفلاء على قومهم بما هم فيه ، على الوفاء بعهده وميثاقه . وأخذ من كل سبط منهم خيرَهم وأوفاهم رجلاً ، يقول الله عز وجل : « ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيباً » ، فسار بهم موسى إلى الأرض المقدّسة بأمر الله ، حتى إذا نزل التيه بين مصر والشام = وهى بلاد ليس فيها خَمَرٌ

لفاً » ، وسيأتى برقم : ١١٦٦٠ ، كما أثبتها ، فى المخطوطة والمطبوعة معاً . وانظر الأثر التالى : ١١٥٧٤ ، والتعليق عليه .

(١) فى المخطوطة : « خمسة أنفاس بينهم فى خشبة » ، وفى المطبوعة : « خمسة أنفس بينهم فى خشبة » ، وأثبت ما فى تفسير البغوى (هامش ابن كثير ٣ : ١٠٤) ، فهو أقرب إلى هذا السياق . وانظر ما سيأتى ، الأثر رقم : ١١٥٧٣ .

(٢) فى المطبوعة : « وكالب بن يوفنا » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو فيها هنا « يافنة » غير منقوطة ، ولكنه سيأتى فى المخطوطة ، فى رقم : ١١٦٦٦ ، كما أثبته هنا . وانظر ما مضى ٥ : ٢٧٢ . وفى التاريخ ١ : ٢٢٢ : « كالوب بن يوفنة ، وقيل : كلاب بن يوفنة ختن موسى » . وسيأتى بعض هذا الأثر مختصراً برقم : ١١٦٦٠ .

(٣) فى المطبوعة : « يلففونها » ، مع أنها فى المخطوطة كما أثبتها واضحة منقوطة ، وانظر التعليق على الأثر السالف ص : ١١٢ ، تعليق : ٧ ، وانظر الأثر التالى : ١١٦٦٠ .

ولا ظلّ [١] = دعا موسى ربه حين آذاهم الحرّ، فظلّل عليهم بالغمام ، ودعا لهم بالرزق ، فأنزل الله عليهم المنّ والسلوى. [٢] وأمر الله موسى فقال : أرْسل رجالاً يتحسسّون إلى أرض كنعان التى وهبت لبنى إسرائيل ، [٣] من كل سبط رجلاً . فأرسل موسى الرؤوس كلهم الذين فيهم ، [فبعث الله جل وعزّ من برّية فاران بكلام الله ، وهم رؤوس بنى إسرائيل]. [٤] وهذه أسماء الرّهط الذين بعث الله جل ثناؤه من بنى إسرائيل إلى أرض الشام ، فيما يذكر أهل التوراة ، ليجوسوها لبنى إسرائيل [٥] : من سبط روبيل : « شامون بن زكوّر » [٦] = ومن سبط شمعون : « شافاط بن حُرّى » [٧] = ومن سبط يهوذا : « كالب بن يوفنّا » [٨] = ومن سبط

---

(١) فى المطبوعة : « شجر ولا ظل » ، وفى المخطوطة : « حمر » ، والصواب ما أثبته ، كما مضى فى الأثر : ٩٩٢ ، و « الخمر » (بفتحتين) : كل ما سترك من شجر أو بناء أو غيره .

(٢) إلى هذا الموضع مضى قديماً فى الأثر رقم : ٩٩٢ .

(٣) فى المخطوطة : « وهب » ، والصواب ما فى المطبوعة . وفى المطبوعة : « يتجسسون » بالجيم ، وانظر ص : ١١١ ، تعليق : ١ .

(٤) هذه الجملة التى بين القوسين ، من المخطوطة ، وحذفها ناشر المطبوعة . وهى عبارة غير مفهومة ، ولم أستطع أن أهتدى إلى صوابها ، ولا استطعت أن أصل الكلام بعضه ببعض . والذى فى كتاب القوم ، فى العهد القديم ، فى سفر العدد ، فى الإصحاح الثالث عشر : « فأرسلهم موسى من برية فاران حسب قول الرب » . وكل وجه من التصحيف ، أو التحريف ، أو النقص فى العبارة ، أردت أن أحمل عليه هذه الجملة ، حتى تستقيم ، خرج معى وجهاً ضعيف التركيب ، فتركت ذلك لمن يحسن أن يقيمه ، أو لمن يهتدى إلى صوابه من مرجع آخر ، غير المراجع التى بين يدى .

(٥) هذه الأسماء مذكورة فى كتاب القوم ، فى سفر العدد ، فى الإصحاح الثالث عشر . ونقلها عن هذا الموضع من الطبرى ، ابن كثير فى تفسيره ٣ : ١٠٣ . وذكرها ابن حبيب فى « المحبر » ص : ٤٦٤ ، ونقلها عنه القرطبى فى تفسيره ٦ : ١١٣ ، فسأذكر بعد ، ما اختلف فيه من الأسماء ، عن هذه المراجع ، ونصها فى كتاب القوم .

(٦) فى كتاب القوم : « من سبط رأُوبين : شموع بن زكُّور » ، كما فى المحبر . وفى المطبوعة وابن كثير « بن ركون » ، وفى القرطبى « ركوب » . وفى المخطوطة ، تقرأ كما كتبتها .

(٧) فى كتاب القوم: « . . . . بن حورى » . وفى المحبر : « شرفوط بن حورى » ، وفى القرطبى : « شوقوط بن حورى » .

(٨) فى كتاب القوم : « . . . . بن يُفُنّة » ، وفى المحبر : « كولب . . . » ، وفى القرطبى : « يوقنا » .

أس : « يجائل بن يوسف »[١]= ومن سبط يوسف : وهو سبط أفرائيم : « يوشع بن نون »[٢]= ومن سبط بنيامين « فلط بن رفون »[٣]= ومن سبط زبالون : « جدى بن سودى »[٤]= ومن سبط منشا بن يوسف : « جدى بن سوسا »[٥] = ومن سبط دان : « حملائل بن جمل »[٦] = ومن سبط أشر : « ساتور بن ملكيل »[٧]= ومن ٩٧/٦

---

(١) فى كتاب القوم : « ومن سبط يسّاكرَ : يجآل بن يوسف » ، وكان فى المطبوعة هنا « ومن سبط كاذ : ميخائيل بن يوسف » ، ولا أدرى من أين جاء به ناشر المطبوعة . وفى ابن كثير : « ومن سبط أتين : ميخائيل بن يوسف » ، ولم أجد فى الأسباط « أتين » ، ولكن هكذا كتب فى مخطوطة التفسير كما كتبته غير منقوط ، وفيها أيضاً « محايل » غير منقوطة ، والذى أثبته هو صواب قراءتها . أما فى المحبر فهو : « ومن سبط إساخر : يغوول بن يوسف » ، وفى القرطبى : « ومن سبط الساحر : يوغول بن يوسف » . وهذا السبط ، ذكره الطبرى عن محمد بن إسحق فيما سلف رقم : ٢١٠٧ : « يشجر » ، وهو « يساكر » ، فالذى لا شك فيه أن « أدس » التى فى مخطوطة التفسير ، هى « يشجر » ، أو « أشجر » ، ولكنى تركتها كما هى فى المخطوطة .

(٢) فى كتاب القوم : « من سبط أفرايم : هو شع بن نون » ، ولكن كتب فى مخطوطة التفسير « يوشع » هنا ، وكان الأجود أن يكتب هنا « هوشع » ، لأنه سيأتى فى آخر الخبر أنه يومئذ سمى « هوشع » ، « يوشع » .

(٣) فى كتاب القوم : « من سبط بنيامين فَلطى بن رافو » وفى المخطوطة : « بن دفون » ، وفى المطبوعة : « بن ذنون » ، وفى ابن كثير : « فلطم بن دفون » ، وفى المحبر : « يلطى بن ردفوا » ، وفى القرطبى : « يلطى بن روقو » .

(٤) فى كتاب القوم : « من سبط زبولون : جَدّ يئيل بن سودى » ، وفى المخطوطة « جدى بن سوشى » ، ولكن ابن كثير نقله فى تفسيره عن الطبرى : « جدى بن شورى » ، فتبين أن « سوشى » تحريف « سودى » . وكان فى المطبوعة « كرابيل بن سودى » ، وفى المحبر « كداييل بن شوذى » ، وفى القرطبى : « كرابيل بن سورا » .

(٥) فى كتاب القوم : « من سبط يوسف ، من سبط منسى : جدّى بن سوسى » ، وفى ابن كثير : « بن موسى » ، خطأ . وفى المحبر : « كدى بن سوسى » ، وفى القرطبى والمطبوعة : « سوشا » .

(٦) فى كتاب القوم : « . . . . . عميئيل بن جملّى » وفى ابن كثير : « خلائيل بن حمل » ، وفى المحبر : « عماييل بن كلى » ، وفى القرطبى : « عمائيل بن كسل » .

(٧) فى كتاب القوم : « من سبط أشير : ستور بن ميخائيل » ، وفى المطبوعة : « أشار : سابور » ، فأثبت ما فى المخطوطة ، وهى غير منقوطة . وفى ابن كثير : « أشار : ساطور بن ملكيل » . وفى المحبر « ومن سبط أوشير : شتور بن ميخاييل » ، « شير : ستور » .

سبط نفتالى : « نحى بن وفسى »[١] = ومن سبط جاد : « جولايل بن ميكى ».[٢]

=فهذه أسماء الذين بعثهم موسى يتحسّسون له الأرض=[٣] ويومئذ سمى « هوشع ابن نون » : « يوشع بن نون »[٤] = فأرسلهم وقال لهم : ارتفعوا قِبَل الشمس، فارقوا الجبل، وانظروا ما فى الأرض ، وما الشعب الذى يسكنونه : أقوياء هم أم ضعفاء ، أقليل هم أم كثير ؟ وانظروا أرضهم التى يسكنون : أسمينة هى [أم هزيلة] ؟ أذات شجر أم لا ؟ اجتازوا ، واحملوا إلينا من ثمرة تلك الأرض . وكان ذلك فى أول ما أشجن بكر ثمرة العنب .[٥]

---

(١) فى كتاب القوم « من سبط نفتالى : نحيى بن وفسى » ، وفى المطبوعة : « محر ابن وقسى » ، وفى المخطوطة : « ومن سبط ثفشا أبى محر بن وفسى » ، وصواب قراءتها ما أثبت . وفى ابن كثير : « بحر بن وقسى » . وفى المحبر : « يحيى بن وقسى » وفى القرطبى : « يوحنا بن وقوشا » .

(٢) فى كتاب القوم: « من سبط جاد : جأوئيل بن ماكى » وفى المخطوطة: « ومن سبط دار : جولائل بن منكد » ، وفى المطبوعة : « ومن سبط يساخر : حولايل بن منكد » ، وفى تفسير ابن كثير: « ومن سبط يساخر : لايل بن مكيد » ، وفى المحبر : « ومن سبط جاذ : كوآءل بن موخى » . وفى القرطبى : « ومن سبط كاذ : كوال بن موخى » . فأثبت « جاد » مكان « دار » فى المخطوطة ، من أسماء الأسباط فى رواية ابن إسحق فيما سلف فى الأثر رقم : ٢١٠٧ . وقرأت « منكد » «ميكى»، لأنها أقرب إلى « ماكى » و « موخى » .

* * *

هذا ، وقد نقل ابن كثير فى تفسيره ٣ : ١٠٣ أسماء هؤلاء النقباء ، وقال : « وقد رأيت فى السفر الرابع من التوراة ، تعداد النقباء على أسباط بنى إسرائيل ، وأسماء مخالفة لما ذكره ابن إسحق ، والله أعلم » . ولكن اتضح من المراجعة أن الذى ذكره ابن إسحق ، هو الموجود فى النسخة التى بين أيدينا من التوراة . أما الذى نقله ابن كثير فهو مخالف كل المخالفة لما فى رواية ابن إسحق ، ولما جاء فى كتاب القوم . فلا ريب أن التوراة التى كانت فى يد ابن كثير ، هى غير التى فى أيدينا من كتاب القوم .

(٣) فى المطبوعة : « يتجسسون » بالجيم ، وانظر ما سلف ص : ١١١ ، تعليق : ١ ، و ص : ١١٤ ، تعليق : ٣ .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة فى هذا الاسم الأول « يوشع » ، ولكن المخطوطة غير منقوطة ، والصواب أن تكون « هوشع » كما أثبتها . انظر ص : ١١٥ ، تعليق : ٢ .

(٥) فى المطبوعة : « . . . أشمسة هى أم ذات شجر ، واحملوا إلينا من ثمرة تلك الأرض » ، رأى ما فى المخطوطة لا يقرأ ، فحذفه . وكان فى المخطوطة : « أسمسه هى أم ذات شجر أم لا احماروا واحملوا إلينا . . . » . ورأيت أن أقرأها كذلك ، استظهاراً مما جاء فى كتاب القوم ، فى سفر العدد ،

١١٥٧٦ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً » ، فهم من بني إسرائيل ، بعثهم موسى لينظُروا له إلى المدينة ، فانطلقوا فنظروا إلى المدينة فجاؤوا بحبّة من فاكهتهم، وقِرْ رجلٍ ،(١) فقالوا : اقدُروا قوة قوم وبأسهم ، هذه فاكهتهم ! ! فعند ذلك فُتِنوا فقالوا : لا نستطيع القتال، ﴿ فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَٰهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ [سورة المائدة : ٢٤] .

١١٥٧٧ – حدثت عن الحسين بن الفرج المروزي قال: سمعت أبا مُعاذ الفضلَ بن خالد يقول في قوله : « وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً » ، أمر الله بني إسرائيل أن يسيروا إلى الأرض المقدّسة مع نبيهم موسى صلى الله عليه وسلم ، فلما كانوا قريباً من المدينة قال لهم موسى : ادخلوها! فأبوا وجَبُنوا، وبعثُوا اثني عشر نقيباً لينظروا إليهم، فانطلقوا فنظروا، فجاؤوا بحبة من فاكهتهم بوِقْرِ الرجل، فقالوا:

في الإصحاح الثالث عشر : «وكيف هي الأرض : أسمينة أم هزيلة ؟ أفيها شجر أم لا ؟ وتشددوا فخذوا من ثمر الأرض» .

يقال : «أرض سمينة» ؛ جيدة التّرب ، قليلة الحجارة ، قوية على ترشيح النبت . ويقال : «أرض مهزولة» ، رقيقة . و «المهازل» : الجدوب ، فلذلك آثرت وضع «هزيلة» كما جاءت في كتاب القوم بهذا المعنى ، وإن أغفلتها كتب اللغة ، أو أغفلت النص عليها .

وكان في المطبوعة : «وكان في أول ما سمى لهم من ذلك ثمرة العنب» ، وهو تصرف ردىء مستهجن . فإن الذي في المخطوطة هو : «وكان ذلك في أول ما سمى بكر ثمرة العنب» لم يحسن قراءة «سمى» ، فتصرف بلا ورع . والذي في كتاب القوم ما نصه : «وأما الأيام فكانت أيام باكورات العنب» . فاستظهرت منها صواب ما في المخطوطة ، وقرأت : «أول ما سمى» : «أول ما أشجن بكر ثمرة العنب» .

و «الشجنة» (بكسر فسكون) : الشعبة من عنقود العنب تدرك كلها . يقال منها «أشجن الكرم» ، أدركت عناقيده وطابت .

وقوله «بكر العنب» ، فإن «بكر كل شيء» ، أوله . وهو صحيح في العربية ، وإن كانوا قد خصوا الثمار التي أدركت في أول إدراكها بقولهم : «باكورة الثمرة» .

(١) «الوقر» (بكسر الواو وسكون القاف) : الحمل . وفي حديث عمر بن الخطاب والمجوس : «فألقوا وقر بغل أو بغلين» ، أي : حمل بغل أو بغلين .

اقدروا قوة قوم وبأسهم ،[١] هذه فاكهتهم ! ! فعند ذلك قالوا لموسى : ﴿ اذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا ﴾.

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وقال الله لبنى إسرائيل : « إنى معكم »، يقول : إنى ناصركم على عدوّكم وعدوّى الذين أمرتكم بقتالهم ،[٢] إن قاتلتموهم ووفيتم بعهدى وميثاقى الذى أخذته عليكم .

* * *

وفى الكلام محذوف ، استغنى بما ظهر من الكلام عما حذف منه . وذلك أن معنى الكلام : وقال الله لَهُم إنى معكم= فترك ذكر « لهم »، استغناء بقوله : « ولقد أخذ الله ميثاقَ بنى إسرائيل » ، إذ كان مُتقدّم الخبر عن قوم مسمَّين بأعيانهم، فكان معلومًا أن ما فى سياق الكلام من الخبر عنهم،[٣] إذ لم يكن الكلام مصروفاً عنهم إلى غيرهم .

* * *

ثم ابتدأ ربُّنا جل ثناؤه القسمَ فقال : قسماً لئن أقمتم، معشر بنى إسرائيل ، الصلاة = « وآتيتم الزكاة »، أى : أعطيتموها من أمرتكم بإعطائها[٤] = « وآمنتم برسلى »، يقول : وصدّقتم بما أتاكم به رسلى من شرائع دينى .

* * *

---

(١) فى المطبوعة فى الموضعين : « قدروا » ، والجيد من المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « مع » فيما سلف ٣ : ٢١٣ - ٥/٢١٤ : ٣٥٣ .

(٣) فى المطبوعة : « كان معلوماً » ، والسياق يقتضى « فكان » بالفاء .

(٤) انظر فهارس اللغة فيما سلف فى تفسير « إقامة الصلاة » ، و « إيتاء الزكاة » .

وكان الربيع بن أنس يقول : هذا خطاب من الله للنقباء الاثنى عشر.

١١٥٧٨ — حدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس : أنّ موسى صلى الله عليه وسلم قال للنقباء الاثنى عشر : سيروا إليهم = يعني : إلى الجبارين = فحدثوني حديثهم ، وما أمْرهم ، ولا تخافوا ، إن الله معكم ما أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزّرتموهم ، وأقرضتم الله قرضاً حسناً .

* * *

قال أبو جعفر : وليس الذى قاله الربيع فى ذلك ببعيد من الصواب ، غيرَ أن من قضاءِ الله فى جميع خلقه أنه ناصرٌ من أطاعه، وولىّ من اتّبع أمره وتجنّب معصيتَه ، وتحامَى ذنوبه .[1] فإذ كان ذلك كذلك ، وكان من طاعته إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، والإيمان بالرسل ، وسائر ما ندب القوم إليه = كان معلوماً أن تكفير السيئات بذلك وإدخال الجنات به ، لم يخصص به النقباء دون سائر بنى إسرائيل غيرهم . فكان ذلك بأن يكون ندباً للقوم جميعاً، وحضًّا لهم على ما حضَّهم عليه ، أحق وأولى من أن يكون ندباً لبعضٍ ، وحضًّا لخاصّ دون عامّ .

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « وعزرتموهم » .

فقال بعضهم : تأويل ذلك : ونصرتموهم .

* ذكر من قال ذلك :

١١٥٧٩ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « وعزرتموهم » ، قال : نصرتموهم . ٦/٩٨

---

(١) فى المطبوعة : « وجافى ذنوبه » ، وفى المخطوطة : « وعامى ذنوبه » فرأيت أن أقرأها « تحامى » ، فهى عندى أجود وأبين فى معنى اتقاء الذنوب والتباعد عنها .

١١٥٨٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد، مثله .

١١٥٨١ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « وعزرتموهم » ، قال : نصرتموهم بالسيف .

* * *

وقال آخرون : هو الطاعة والنصرة .

* ذكر من قال ذلك :

١١٥٨٢ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، سمعت عبد الرحمن بن زيد يقول في قوله: « وعزرتموهم » ، قال: « التعزيز » و « التوقير »، الطاعة والنصرة .

* * *

واختلف أهل العربية في تأويله .

فذكر عن يونس [الحرمرى] أنه كان يقول[1] : تأويل ذلك: أثنيتم عليهم .

١١٥٨٣ – حدثت بذلك عن أبي عبيدة معمر بن المثنى عنه .[2]

* * *

وكان أبو عبيدة يقول : معنى ذلك : نصرتموهم ، وأعنتموهم ، ووقّرتموهم ، وعظمتوهم ، وأيّدتموهم ، وأنشد في ذلك : [3]

وَكَمْ مِنْ مَاجِدٍ لَهُمُ كَرِيمٍ وَمِنْ لَيْثٍ يُعَزَّرُ فِي النَّدِيِّ[4]

---

(١) قوله : « يونس [الحرمرى] » ، هكذا جاء في المخطوطة والمطبوعة ، وهو مشكل ، فإنه إما أن يكون نسبة نسب إليها ، ونسبة « يونس بن حبيب » ، هي « النحوى » ونسبته في ولائه « الضبي » ، وهو مولى « بلال بن هرمى من بني ضبيعة بن بجالة » (النقائض : ٣٢٣) ، ولا أظنه محرفاً عن شيء من ذلك = وإما أن يكون نسبة إلى مكان ، ويونس من أهل جبل (بفتح الجيم وتشديد الباء مضمومة) (انظر طبقات النحويين للزبيدى : ٤٨) . وليس تحريفاً لهذا أيضاً . ولعل باحثاً يهتدى إلى صوابه ، فتركته كما هو . هذا مع أن أبا عبيدة في مجاز القرآن ، لم يذكر غير اسمه ، والطبرى يروى هذا عن أبي عبيدة .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ١٥٧ .

(٣) لم أعرف قائله .

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ١٥٧ . و « الندى » : مجلس القوم ، ما داموا مجتمعين فيه، فإذا تفرقوا عنه فليس بندى . ومثله « النادى » .

وكان الفراء يقول : « العَزْر » ، الردُّ . « عَزَرته » ، رددته ، إذا رأيته يظلم فقلت : « اتق الله » ، أو نهيته ، فذلك « العزر »

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال عندى فى ذلك بالصواب ، قول من قال : « معنى ذلك : نصرتموهم » . وذلك أن الله جل ثناؤه قال فى « سورة الفتح » : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ [سورة الفتح : ٨ ، ٩] ، فـ « التوقير » هو التعظيم . وإذْ كان ذلك كذلك كان القول فى ذلك إنما هو بعضُ ما ذكرنا من الأقوال التى حكيناها عمن حكينا عنه . وإذا فسد أن يكون معناه : التعظيم = وكان النصر قد يكون باليد واللسان ، فأما باليد فالذبُّ بها عنه بالسيف وغيره ، وأما باللسان فحُسْن الثناء والذبّ عن العرض = صحّ أنه النصر ، إذ كان النصر يحوى معنى كلّ قائلٍ قال فيه قولاً مما حكينا عنه .

* * *

وأما قوله : « وأقرضتم الله قرضاً حسناً » ، فإنه يقول : وأنفقتم فى سبيل الله ، وذلك فى جهاد عدوه وعدوكم = « قرضاً حسناً » ، يقول : وأنفقتم ما أنفقتم فى سبيله ، فأصبتم الحق فى إنفاقكم ما أنفقتم فى ذلك ، ولم تتعدوا فيه حدودَ الله وما ندبكم إليه وحثّكم عليه ، إلى غيره .(١)

* * *

فإن قال لنا قائل : وكيف قال : « وأقرضتم الله قرضاً حسناً » ، ولم يقل : « إقراضاً حسناً » ، وقد علمت أن مصدر « أقرضت » « الإقراض » ؟

قيل : لو قيل ذلك كان صواباً ، ولكن قوله : « قرضاً حسناً » ، أخرج

ومن العجب العاجب شرح من شرح هذا البيت فقال ! « واللهم ، بكسر اللام وسكون الهاء ، الثور المسن . . . ولعل الكلمة محرفة عن كلمة شهم » . وهذا خلط لا يعلى عليه ، فتجنب مثله .

(١) انظر تفسير « القرض » ، و « القرض الحسن » فيما سلف ٥ : ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، — وقوله : « إلى غيره » متعلق بقوله « ولم تتعدوا فيه . . . » .

مصدراً من معناه لا من لفظه . وذلك أن فى قوله : « أقرض » ، معنى « قرض »، كما فى معنى « أعطى » « أخذ ». فكان معنى الكلام : وقَرَضْتم الله قرضاً حسناً. ونظير ذلك : ﴿ وَاللهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ [سورة نوح : ١٧] ، إذ كان فى « أنبتكم » معنى : « فنبتم » ، وكما قال امرؤ القيس :

• وَرُضْتُ فَذَلَّتْ صَعْبَةً أَيَّ إِذْلالِ •(١)

إذْ كان فى « رضت » معنى « أذللت »، فخرج « الإذلال » مصدراً من معناه لا من لفظه .(٢)

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ لَأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بذلك بنى إسرائيل ، يقول لهم جل ثناؤه : لئن أقمتم الصلاة ، أيها القوم الذين أعطونى ميثاقهم بالوفاء بطاعتى واتباع أمرى ، وآتيتم الزكاة ، وفعلتم سائرَ ما وعدتكم عليه جنّتى = « لأكفرن عنكم سيآتكم »،

---

(١) ديوانه : ١٤١ ، وغيره ، وقبل البيت ، يقول لصاحبته بعد ما سما إليها سمو حباب الماء :

حَلَفْتُ لَهَا بِاللهِ حَلْفَةَ فَاجِرٍ لَنَامُوا، فَمَا إِنْ من حَدِيثٍ ولا صَالِي
فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْحَدِيثَ وأَسْمَحَتْ ، هَصَرْتُ بِغُصْنٍ ذِي شَمَارِيخَ مَيَّالِ
وَصِرْنَا إِلَى الحُسْنَى ، وَرَقَّ كَلَامُنَا ورُضْتُ ، فَذَلَّتْ صَعْبَةً أَيَّ إِذْلَالِ !!

و « راض الدابة أو غيرها يروضها » : وطأها وذللها وعلمها السير .

(٢) انظر ما سلف ٥ : ٥٣٣ ، ٥٣٤ . هذا وقد سلف فى ٥ : ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، « يقرض الله قرضاً حسناً » ، فلم يستوف الكلام هناك . وهذا باب من أبواب اختصار أبى جعفر تفسيره .

يقول : لأغطين بعفوى عنكم – وصفحى عن عقوبتكم ، على سالف أجرامكم التى أجرمتموها فيما بينى وبينكم[١] – على ذنوبكم التى سلفت منكم من عبادة العجل وغيرها من موبقات ذنوبكم[٢]= « ولأدخلنكم » مع تغطيتى على ذلك منكم بفضلى يوم القيامة = « جنات تجرى من تحتها الأنهار » .

* * *

فـ « الجنات » ، البساتين .[٣]

* * *

وإنما قلت معنى قوله : « لأكفرّن » ، لأغطين ، لأن « الكفر » ، معناه الجحود ، والتغطية ، والستر ، كما قال لبيد :

* فِى لَيْلَةٍ كَفَرَ النُّجُومَ غَمَامُهَا *[٤]

يعنى : غطاها ، فـ « التكفير » « التفعيل » من « الكَفْر » .

* * *

واختلف أهل العربية فى معنى « اللام » التى فى قوله : « لأكفرن » .

فقال بعض نحويى البصرة : « اللام » الأولى على معنى القسم = يعنى « اللام » التى فى قوله : « لئن أقمتم الصلاة » . قال : والثانية معنى قسمٍ آخر . ٩٩/٦

* * *

وقال بعض نحويى الكوفة : بل « اللام » الأولى وقعت موقع اليمين ، فاكتفى بها عن اليمين = يعنى بـ « اللام الأولى » : « لئن أقمتم الصلاة » . قال : و « اللام » الثانية = يعنى قوله : « لأكفرنّ عنكم سيآتكم » = جواب لها ، يعنى « اللام » التى فى قوله : « لئن أقمتم الصلاة » ، واعتلّ لقيله ذلك بأن قوله : « لئن أقمتم الصلاة »

---

(١) سياق الجملة : « لأغطين بعفوى عنكم . . . على ذنوبكم . . . »

(٢) انظر تفسير « التكفير » و « السيئات » فيما سلف من فهارس اللغة ، مادة (كفر) و (سوأ) .

(٣) انظر تفسير « الجنات » فيما سلف من فهارس اللغة (جنن) .

(٤) سلف البيت وتمامه وتخريجه فى ١ : ٢٥٥ .

غير تام، ولا مستغنٍ عن قوله : « لأكفرن عنكم سيآتكم ». وإذ كان ذلك كذلك، فغير جائز أن يكون قوله : « لأكفرنّ عنكم سيآتكم » قسماً مبتدأ ، بل الواجب أن يكون جواباً لليمين ، إذْ كانت غير مستغنية عنه .

* * *

وقوله : « تجرى من تحتها الأنهار » ، يقول : تجرى من تحت أشجار هذه البساتين التى أدخلكموها ، الأنهارُ .

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (١٢)

قال أبو جعفر : يقول عز ذكره : فمن جحد منكم ، يا معشر بنى إسرائيل ، شيئاً مما أمرته به فتركه ، أو ركب ما نهيته عنه فعمله ، بعد أخذى الميثاق عليه بالوفاء لى بطاعتى واجتناب معصيتى = « فقد ضلّ سواء السبيل » ، يقول : فقد أخطأ قصدَ الطريق الواضح ، وزلّ عن منهج السبيل القاصد .

* * *

« والضلال » ، الركوب على غير هدى ، وقد بينا ذلك بشواهده فى غير هذا الموضع .(١)

* * *

وقوله « سواء » يعنى به : وسط = : و « السبيل » ، الطريق .

* * *

وقد بيّنا تأويل ذلك كله فى غير هذا الموضع ، فأغنى عن إعادته فى هذا الموضع .(٢)

* * *

---

(١) انظر تفسير « الضلال » فيما سلف ٢ : ٤٩٥ ، ٦/٤٩٦ : ٦٦ ، ٥٨٤ ، ومواضع غيرها ، التمسها فى فهارس اللغة .

(٢) انظر تفسير « سواء السبيل » فيما سلف ٢ : ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، وفهارس اللغة فى (سوى) و (سبل) .

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، لا تعجبن من هؤلاء اليهود الذين همُّوا أن يبسطوا أيديهم إليك وإلى أصحابك ، ونكثوا العهدَ الذى بينك وبينهم ، غدراً منهم بك وبأصحابك ، فإن ذلك من عاداتهم وعادات سَلَفهم ، ومن ذلك أنِّى أخذت ميثاق سلفهم على عهد موسى صلى الله عليه وسلم على طاعتى ، وبعثت منهم اثنى عشر نقيباً قد تُخُيِّرُوا من جميعهم ليتحسَّسُوا أخبار الجبابرة ، ووعدتهم النصرَ عليهم ، وأن أورثهم أرضَهم وديارهم وأموالهم ، بعد ما أريتهم من العِبرَ والآيات — بإهلاك فرعون وقومِه فى البحر ، وفلق البحر لهم ، وسائر العبر — ما أريتهم ،[1] فنقضوا مِيثاقهم الذى واثقونى ، ونكثوا عهدى ، فلعنتهم بنقضهم ميثاقهم . فإذْ كان ذلك من فعل خيارهم ، مع أيادىَّ عندهم ، فلا تستنكروا مثله من فعل أرَاذلهم .

* * *

= وفى الكلام محذوف ، اكتُفِى بدلالة الظاهر عليه. وذلك أن معنى الكلام : « فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل » — فنقضوا الميثاق ، فلعنتهم = « فبما نقضْهم ميثاقهم لعناهم » ، فاكتفى بقوله : « فبما نقضهم ميثاقهم » من ذكر « فنقضوا » .[2]

* * *

ويعنى بقوله جل ثناؤه : « فبما نقضهم ميثاقهم » ، فبنقضهم ميثاقهم ، كما قال قتادة .

١١٥٨٤ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة :

---

(١) السياق : « بعد ما أريتهم من العبر والآيات . . . ما أريتهم » ، وما بين الخطين فصل مفسر .

(٢) انظر تفسير « النقص » فيما سلف ٩ : ٣٦٣

« فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم » ، يقول : فبنقضهم ميثاقهم لعناهم .[١]

١١٥٨٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس: « فبما نقضهم ميثاقهم » ، قال : هو ميثاق أخذه الله على أهل التوراة فنقضوه .

* * *

وقد ذكرنا معنى « اللعن » في غير هذا الموضع .[٢]

* * *

و « الهاء والميم » من قوله: « فبما نقضهم»، عائدتان على ذكر بني إسرائيل قبل.

* * *

القول في تأويل قوله عز ذكره ﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة في قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة أهلِ المدينة وبعض أهل مكة والبصرة والكوفة : ﴿قَاسِيَةً﴾ بالألف =

* * *

= على تقدير « فاعلة » من « قسوة القلب»، من قول القائل: « قَسَا قلبه، فهو يقسُو، وهو قاسٍ »، وذلك إذا غلظ واشتدّ وصار يابساً صلباً،[٣] كما قال الراجز :

* وَقَدْ قَسَوْتُ وَقَسَتْ لِدَاتِي *[٤]

* * *

= فتأويل الكلام على هذه القراءة : فلعنَّا الذين نقضوا عهدي ولم يفُوا بميثاق من بني إسرائيل ، بنقضهم ميثاقهم الذي واثقوني = « وجعلنا قلوبهم قاسية » ،

---

(١) الأثر : ١١٥٨٤ – في المطبوعة والمخطوطة : « حدثنا كثير ، قال حدثنا يزيد » ، وهو خطأ ، وهو إسناد دائر في التفسير .

(٢) انظر تفسير « اللعن » فيما سلف ٩ : ٢١٣ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « القسوة » فيما سلف ٢ : ٢٣٣ .

(٤) مر تخريجه فيما سلف ٢ : ٢٣٣ ، وانظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ١٥٨ .

غليظة يابسةً عن الإيمان بى ، والتوفيق لطاعتى ، منزوعةً منها الرأفةُ والرحمة .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفيين : ﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَسِيَّةً ﴾ .

* * *

ثم اختلف الذين قرأوا ذلك كذلك فى تأويله .

فقال بعضهم : معنى ذلك معنى « القسوة » ، لأن « فعيلة » ، فى الذم أبلغ من « فاعلة » ، فاخترنا قراءتها « قسية » على « قاسية » ، لذلك .

* * *

وقال آخرون منهم : بل معنى « قسيَّة » غير معنى « القسوة » ، وإنما « القسية » فى هذا الموضع : القلوبُ التى لم يخلص إيمانها بالله ، ولكن يخالط إيمانها كُفْر ، كالدراهم « القَسِيَّة » ، وهى التى يخالط فضّتها غشٌّ من نحاس أو رَصاص وغير ذلك ، كما قال أبو زُبَيْد الطائى :

لَهَا صَوَاهِلُ فِى صُمِّ السِّلَامِ ، كَمَا صَاحَ الْقَسِيَّاتُ فِى أَيْدِى الصَّيَارِيفِ (١) ١٠٠/٦

---

(١) المعانى الكبير : ١٠٢٤ ، ١٠٢٥ ، وأمالى القالى ١ : ٢٨ ، وسمط اللآلئ : ١٢٨ ، ٩٣١ ، واللسان (أمر) (صهل) من قصيدته فى رثاء أمير المؤمنين المقتول ظلماً ، ذى النورين عثمان بن عفان ، يقول فيها :

يَالَهْفَ نَفْسِى إِنْ كَانَ الَّذِى زَعَمُوا حَقًّا ، وَمَاذَا يَرُدُّ الْيَوْمَ تَلْهِيفِى !!
إِنْ كَانَ عُثْمَانُ أَمْسَى فَوْقَهُ أُمَرٌ كَرَاقِبِ الْعُونِ فَوْقَ الْقُنَّةِ الْمُوفِى

« الأمر » (بفتحتين) : الحجارة . و « العون » جمع « عانة » ، وهى حمر الوحش . « وراقب العون » : الفحل الذى يحوطها ويحرسها على مرباة عالية ، ينتظر مغيب الشمس فيرد بها الماء .

ثم يقول بعد ذلك :

يَا بُؤْسَ لِلْأَرْضِ ، مَا غَالَتْ غَوَائِلُهَا مِنْ حُكْمِ عَدْلٍ وَجُودٍ غَيْرِ مَكْفُوفِ !!
عَلَى جَنَابَيْهِ مِنْ مَظْلُومَةٍ قِيَمٌ تَعَاوَرَتْهَا مَسَاحٍ كَالْمَنَاسِيفِ
لَهَا صَوَاهِلُ فِى صُمِّ السِّلَامِ ، كَمَا صَاحَ الْقَسِيَّاتُ فِى أَيْدِى الصَّيَارِيفِ
كَأَنَّهُنَّ بِأَيْدِى الْقَوْمِ فِى كَبَدٍ طَيْرٌ تَكَشَّفُ عَنْ جُونٍ مَزَاحِيفِ

يصف بذلك وقع مَسَاحى الذين حفروا قبر عثمان على الصخور ، وهى « السِّلام » .

* * *

قال أبو جعفر : وأعجبُ القرءتين إلىّ فى ذلك، قراءة من قرأ: ﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَسِيَّةً ﴾على « فعيلة »،لأنها أبلغ فى ذم القوم من« قاسية » . وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب ، تأويل من تأوله : « فعيلة » من « القسوة » ، كما قيل : « نفس زكيّة» و«زاكية »،و«امرأة شاهدة»، و«شهيدة »،لأن الله جل ثناؤه وصف القوم بنقضهم ميثاقَهم وكفرِهم به، ولم يصفهم بشىء من الإيمان،فتكون قلوبهم موصوفة بأنّ إيمانها يخالطه كفر ، كالدراهم القَسِيَّة التى يخالط فضَّتها غشٌّ .

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾

قال أبو جعفر : يقول عز ذكره : وجعلنا قلوب هؤلاء الذين نقضوا عهودَنا من بنى إسرائيل قَسِيَّة ، منزوعاً منها الخير، مرفوعاً منها التوفيق ، فلا يؤمنون ولا يهتدون ، فهم لنزعِ الله عز وجل التوفيقَ من قلوبهم والإيمانَ، يحرّفون كلام

قوله : « جنابيه » أى : جانبيه . « مظلومة » : حفرت ولم تكن حفرت من قبل ، يعنى أرض لحده . « قيم » جمع « قامة » : يعنى ما ارتفع من ركام تراب القبر . و « المساحى » جمع « مسحاة » : وهى المجرفة من الحديد . و « المناسيف » جمع « منسفة » ، وهى آلة يقلع بها البناء وينسف ، أصلب وأشد من المسحاة . و « الصواهل » جمع « صاهلة » مصدر على « فاعلة » ، بمعنى « الصهيل » : وهو صوت الخيل الشديد، وكل صوت يشبهه . و « الصم » جمع « أصم »، يعنى أنها حجارة صلبة تصهل منها المساحى . و « السلام » (بكسر السين) الصخور . و « الصياريف » هم « الصيارف » ، وزاد الياء للإشباع . و « الكبد » : الشدة . و « الجون » : السود . و « مزاحيف » ، تزحف من الإعياء ، يعنى إبلاً قد هلكت من الإعياء . شبه المساحى بأيدى القوم وهم يحفرون قبره ، بنسور تقع على الإبل المعيية ، ثم تنهض ، ثم تعود فتسقط عليها . وكان قبر عثمان فى حرة المدينة ذات الحجارة السود ، فلذلك قال : « عن جون مزاحيف » .

ربهم الذى أنزله على نبيهم موسى صلى الله عليه وسلم ، وهو التوراة ، فيبدلونه ، ويكتبون بأيديهم غير الذى أنزله الله جل وعز على نبيهم ، ثم يقولون لجهال الناس : [1] « هذا هو كلام الله الذى أنزله على نبيه موسى صلى الله عليه وسلم ، والتوراة التى أوحاها إليه » . [2] وهذا من صفة القرون التى كانت بعد موسى من اليهود ، ممن أدرك بعضهم عصر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولكن الله عز ذكره أدخلهم فى عداد الذين ابتدأ الخبر عنهم ممن أدرك موسى منهم ، إذ كانوا من أبنائهم ، وعلى منهاجهم فى الكذب على الله ، والفرية عليه ، ونقض المواثيق التى أخذها عليهم فى التوراة ، كما : —

١١٥٨٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « يحرفون الكلم عن مواضعه » ، يعنى : حدود الله فى التوراة ، ويقولون : إن أمركم محمد بما أنتم عليه فاقبلوه ، وإن خالفكم فاحذروا .

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله : « ونسوا حظًّا » ، وتركوا نصيباً ، وهو كقوله : ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [سورة التوبة : ٦٧] ، أى : تركوا أمر الله فتركهم الله . [3]

* * *

وقد مضى بيان ذلك بشواهده فى غير هذا الموضع ، فأغنى ذلك عن إعادته . [4]

* * *

وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

---

(١) فى المطبوعة : « ويقولون » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « تحريف الكلم عن مواضعه » فيما سلف ٢ : ٨/٢٤٨ : ٤٣٠ — ٤٣٢ .

(٣) انظر تفسير « النسيان » فيما سلف ٢ : ٩ ، ٥/٤٧٦ : ٦/١٦٤ : ١٣٣ — ١٣٥ .

(٤) انظر التعليق السالف ، وتفسير « حظ » فيما سلف من فهارس اللغة .

* ذكر من قال ذلك :

١١٥٨٧ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى: « ونسوا حظًّا مما ذكروا به »، يقول: تركوا نصيباً.

١١٥٨٨ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا مبارك ابن فضالة، عن الحسن فى قوله: « ونسوا حظًّا مما ذكروا به»، قال: تركوا عُرَى دينهم، ووظائفَ الله جل ثناؤه التى لا تُقْبل الأعمال إلاّ بها.(١)

* * *

. . . . . .

(٢) . . . . . .

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾

قال أبو جعفر: يقول تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ولا تزال يا محمد، تَطَّلِع من اليهود = الذين أنبأتك نبأهم، من نقضهم ميثاقى، ونكثهم

---

(١) « الوظائف » جمع « وظيفة »، وهى من كل شىء، ما يقدر له فى كل يوم من رزق أو طعام أو علف أو شراب. ثم قالوا: « وظف الشىء على نفسه توظيفاً »، أى: ألزمها إياه، وقالوا: « عليه كل يوم وظيفة من عمل »، أى: ما ألزم عمله فى يومه هذا. وعنى الحسن بقوله « وظائف الله »، فروضه التى ألزمها عباده فى الإيمان به، وطاعته، وإخلاص النية له سبحانه. وهذا حرف ينبغى تقييده فى كتب اللغة، من كلام الحسن رضى الله عنه.

(٢) وضعت هذه النقط دلالة على سقط أو خرم فى نسخ ناسخ المخطوطة. وذلك أنه كتب فى أول تفسير هذا الجزء من الآية: « ونسوا حظاً »، ثم ساق كلام أبى جعفر إلى آخر الخبر رقم: ١١٥٨٨.

ثم بدأ بعد ذلك هكذا: « القول فى تأويل قوله عز ذكره: «مما ذكروا به» = ثم ساق تفسير الجزء التالى من الآية، وهو: « ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم ». ولم يكتب هذا الجزء من الآية، والتفسير تفسيرها. فاتضح من ذلك أن الناسخ نسى تفسير « مما ذكروا » فسقط منه. ولم يذكر الآية التى يفسرها كلام أبى جعفر.

هذا، وانظر معنى « التذكير » فيما سلف ٥ : ٦/٥٨٠ : ٦٢ – ٦٥، ٢١١.

عهدى ، مع أيادىَّ عندهم ، ونعمتى عليهم = على مثل ذلك من الغدر والخيانة = « إلا قليلاً منهم» ، إلا قليلاً منهم [لم يخونوا] .(١)

* * *

و « الخائنة » فى هذا الموضع : الخيانة ، وُضع — وهو اسمٌ — موضع المصدر ، كما قيل : « خاطئة » ، للخطيئة ،(٢) و «قائلة » ، للقيلولة .

* * *

وقوله : « إلا قليلا منهم » ، استثناء من « الهاء والميم » اللتين فى قوله : « على خائنة منهم » .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١١٥٨٩ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « ولا تزال تطلع على خائنة منهم » ، قال : على خيانة وكذبٍ وفجور .

١١٥٩٠ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله جل وعزّ : « ولا تزال تطلع على خائنة منهم » ، قال : هم يهودُ ، مِثْلُ الذى هموا به من النبى صلى الله عليه وسلم يوم دخل حائطهم .

---

(١) فى المطبوعة ، وقف عند قوله : « إلا قليلا منهم» ، وأسقط : « إلا قليلا منهم لم يخونوا » . وفى المخطوطة سقط من الناسخ « لم يخونوا » فكتب « إلا قليلا منهم ، إلا قليلا منهم » . واستظهرت « لم يخونوا » ووضعتها بين قوسين ، من قوله بعد : إنه استثناء من الهاء والميم فى «خائنة منهم » .

(٢) فى المطبوعة : «خاطئة ، للخطأة » ، كأنه استنكرها ، وسيأتى فى تفسير أبى جعفر ٢٩ : ٣٣ (بولاق) فى تفسير قوله تعالى : « والمؤتفكات بالخاطئة » ، قال : « بالخاطئة ، يعنى بالخطيئة » . وهكذا كتب أبو جعفر كما ترى ، وإن كان لا يعجبنى هذا التمثيل ، بل كنت أوثر أن يقول إنه مصدر جاء على فاعلة ، مثل « العافية » . إلا أن يكون أبو جعفر أراد أن « الخطيئة » مصدر على « فعيلة » كالشبيبة والفضيحة ، وأشباهها ، وهى قليلة .

١١٥٩١ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

١١٥٩٢ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال مجاهد وعكرمة قوله : « ولا تزال تطلع على خائنة منهم»، من يهود ، مثلُ الذى همُّوا بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم دخل عليهم . ٦/١٠١

* * *

وقال بعض القائلين :[1] معنى ذلك : ولا تزال تطلع على خائن منهم .قال : والعرب تزيد « الهاء » فى آخر المذكر ، كقولهم :« هو راوية للشعر » ، و« رجل علامة » ، وأنشد :[2]

حَدَّثْتَ نَفْسَكَ بِالوَفَاءِ ، ولَمْ تَكُنْ لِلغَدْرِ خَائِنَةً مُغِلَّ الإِصْبَعِ[3]

---

(١) ما أشد استنكار أبي جعفر لمقالات أبي عبيدة معمر بن المثنى ، حتى يذكره مجهلا بأساليب مختلفة !! وهذا الآتى هو نص كلام أبي عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ١٥٨ .

(٢) هو رجل من السواقط ، من بنى أبي بكر بن كلاب . و « السواقط » هم الذين يردون اليمامة لامتيار التمر .

(٣) الكامل للمبرد ١ : ٢١١ ، مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ١٥٨ ، وإصلاح المنطق : ٢٩٥ ، واللسان (صبع) (غلل) (خون) . وهذا من شعر له خبر . وذلك أن هذا الشاعر لما ورد اليمامة كان معه أخ له جميل ، فنزل جاراً لعمير بن سلمى ، فقال قرين أخو عمير للكلابي : « لا تردن أبياتنا بأخيك هذا » ، مخافة جماله ، فرآه قرين بين أبياتهم بعد ، وأخوه عمير غائب ، فقتله . فجاء الكلابي قبر سلمى (أبي عمير ، وقرين) فاستجار به وقال :

وَإِذَا اسْتَجَرْتَ مِنَ اليَمَامَةِ فَاسْتَجِرْ زَيْدَ بن يَرْبُوعٍ وَآلَ مُجَمِّعِ
وَأَتَيْتُ سُلْمِيًّا فَعُذْتُ بِقَبْرِهِ وَأَخُو الزَّمَانَةِ عَائِذٌ بِالأَمْنَعِ
أَقَرِينُ إِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ فَوَارِسِي بِعَمَايَتَيْنِ إِلَى جَوَانِبِ ضَلْفَعِ
حَدَّثْتَ نَفْسَكَ . . . . . .

فلجأ قرين إلى وجوه بنى حنيفة (وهم زيد بن يربوع ، وآل مجمع) ، فحملوا إلى الكلابي ديات مضاعفة ، فأبى أن يقبلها . فلما قدم عمير ، فقالت له أمه : « لا تقتل أخاك ، وسق إلى الكلابي جميع ماله » ، فأبى الكلابي أن يقبل . فأخذ عمير أخاه قريناً فقتله ، وقال :

فقال: « خائنة » ، وهو يخاطب رجلاً .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من التأويل فى ذلك، القولُ الذى رويناه عن أهل التأويل . لأنّ الله عنى بهذه الآية ، القوم من يهود بنى النضير الذين همُّوا بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، إذ أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينهم فى دية العامريّين، فأطلعه الله عز ذكره على ما قد همُّوا به . ثم قال جل ثناؤه بعد تعريفه أخبار أوائلهم، وإعلامه منهج أسلافهم، وأنّ آخرَهم على منهاج أوّلهم فى الغدر والخيانة، لئلاّ يكبُر فعلُهم ذلك على نبىّ الله صلى الله عليه وسلم، فقال جل ثناؤه: ولا تزال تطّلع من اليهود على خيانة وغدرٍ ونقضِ عهد = ولم يرد أنّه لا يزال يطلع على رجل منهم خائنٍ . وذلك أن الخبر ابتُدِئ به عن جماعتهم فقيل: « يا أيها الذين آمنوا اذكرُوا نعمة الله عليكم إذ همّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم» ، ثم قيل : « ولا تزال تطلع على خائنة منهم»، فإذ كان الابتداء عن الجماعة، فالختْمُ بالجماعة أولى .

* * *

قَتَلْنَا أَخَانَا لِلْوَفَاءِ بِجَارِنَا وَكَانَ أَبُونَا قَدْ تُجِيرُ مَقَابِرُهْ

وقالت أم عمير لعمير :

تَعُدُّ مَعَاذِراً لا عُذْرَ فِيهَا وَمَنْ يَقْتُلْ أَخَاهُ فَقَدْ أَلاَمَا

وقوله : « أخو الزمانة » ، هى العاهة ، يريد ضعفه عن درك ثأره . و « عمايتان » و « ضلفع » مواضع من بلاد هذا الكلابى . وقوله « مغل الإصبع » ، كناية عن الخيانة والسرقة . « أغل يغل » : خان الأمانة خلسة . ويقول بعضهم : « مغل الإصبع » ، منصوب على النداء .

(١) فى المطبوعة : « فلتختم بالجماعة أولى » ، ولست أدرى فيم يغير الصواب المستقيم !

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٣)

قال أبو جعفر : وهذا أمر من الله عز ذكره نبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم بالعفو عن هؤلاء القوم الذين همُّوا أن يبسطوا أيديهم إليه من اليهود . يقول الله جل وعز له : اعف، يا محمد، عن هؤلاء اليهود الذين همُّوا بما هموا به من بسط أيديهم إليك وإلى أصحابك بالقتل، واصفح لهم عن جُرْمهم بترك التعرُّض لمكروههم، فإنى أحب من أحسنَ العفو والصَّفح إلى من أساء إليه .(١)

* * *

وكان قتادة يقول: هذه منسوخة. ويقول: نسختها آية «براءة»: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ ، الآية [سورة التوبة : ٢٩] .

١١٥٩٣ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « فاعف عنهم واصفح » ، قال : نسختها : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ ﴾ .

١١٥٩٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا حجاج بن المنهال قال ، حدثنا همام، عن قتادة: « فاعف عنهم واصفح إنّ الله يحب المحسنين »، ولم يؤمر يومئذٍ بقتالهم، فأمره الله عز ذكره أن يعفو عنهم ويصفح . ثم نسخ ذلك فى « براءة » فقال : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [سورة التوبة : ٢٩] ، وهم أهل الكتاب ، فأمر الله

---

(١) انظر تفسير « العفو » فيما سلف من فهارس اللغة = وتفسير « الصفح » فيما سلف ٢ : ٥٠٣ = و تفسير « المحسنين » ، فيما سلف من فهارس اللغة .

جل ثناؤه نبيَّه صلى الله عليه وسلم أن يقاتلهم حتى يسلموا أو يقرُّوا بالجزية .

١١٥٩٥ — حدثنا سفيان بن وكيع قال ، حدثنا عبدة بن سليمان قال ، قرأت على ابن أبي عروبة ، عن قتادة ، نحوه .

* * *

قال أبو جعفر : والذى قاله قتادة غير مدفوع إمكانهُ ، غيرَ أن الناسخ الذى لا شك فيه من الأمر ، هو ما كان نافياً كلَّ معانى خلافه الذى كان قبله ، فأمَّا ما كان غير نافٍ جميعَه ، فلا سبيل إلى العلم بأنه ناسخ إلاَّ بخبر من الله جل وعز أو من رسوله صلى الله عليه وسلم. وليس فى قوله : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ ، دلالةٌ على الأمر بنفى معانى الصَّفح والعفو عن اليهود .

وإذ كان ذلك كذلك = وكان جائزاً ، مع إقرارهم بالصَّغار وأدائهم الجزية بعد القتال ، الأمرُ بالعفو عنهم فى غَدْرة همُّوا بها ، أو نكثة عزموا عليها ، ما لم يَنْصِبُوا حرباً دون أداء الجزية ،(١) ويمتنعوا من الأحكام اللاَّزمَتِهم (٢) = لم يكن واجباً أن يحكم لقوله : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ الآية ، بأنه ناسخ قوله : « فاعف عنهم واصفح إنَّ الله يحب المحسنين » .

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ ١٠٢/٦

قال أبو جعفر : يقول عز ذكره : وأخذنا من النصارى الميثاقَ على طاعتى وأداء فرائضى ، واتباع رسلى والتصديق بهم ، فسلكوا فى ميثاق الذى أخذتُه عليهم

(١) فى المطبوعة : « ما لم يصيبوا حرباً » ، والصواب المحض من المخطوطة . يقال : « نصب له الحرب نصباً » : وضعها وأظهرها ، وأعلنها . و « ناصبه الحرب والعداوة » : أى أظهرها ولج فى إظهارها .

(٢) فى المطبوعة : « اللازمة منهم » ، غير صواب المخطوطة ، إلى ما درج عليه كلام أمثاله . وقد مضى مثل ذلك مراراً ، ومضى مثل ذلك من فعل الناشر .

منهاج الأمة الضالة من اليهود ، فبدلوا كذلك دينَهم ، ونقضوه نقضَهم ،[١] وتركوا حظّهم من ميثاق الذى أخذته عليهم بالوفاء بعهدى ، وضيّعوا أمرى ،[٢] كما :—

١١٥٩٦ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : «ومن الذين قالوا إنّا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظًّا مما ذكروا به » ، نسوا كتاب الله بين أظهرهم ، وعهدَ الله الذى عهده إليهم ، وأمرَ الله الذى أمرهم به .

١١٥٩٧ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : قالت النصارى مثل ما قالت اليهود ، ونسوا حظًّا مما ذكروا به .

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « فأغرينا بينهم » ، حرّشنا بينهم وألقينا ، كما تغرى الشىء بالشىء .

يقول جل ثناؤه : لما ترك هؤلاء النصارى، الذين أخذتُ ميثاقهم بالوفاء بعهدى، حظَّهم مما عهدتُ إليهم من أمرى ونهيى ، أغريتُ بينهم العداوة والبغضاء .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى صفة « إغراء الله عز ذكره بينهم العداوة ، والبغضاء » .[٣]

---

(١) فى المطبوعة : « ونقضوا » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « أخذ الميثاق » فيما سلف ص : ١١٠ ، تعليق: ١ ، والمراجع هناك = وتفسير « النسيان » و « الحظ » فيما سلف ص : ١٢٩ ، تعليق : ٣ ، ٤ ، والمراجع هناك = وتفسير « التذكير » فيما سلف ص : ١٣٠، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « البغضاء » فيما سلف ٧ : ١٤٦ .

فقال بعضهم : كان إغراؤه بينهم بالأهواء التى حدَثت بينهم .

* ذكر من قال ذلك :

١١٥٩٨ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال : أخبرنا العوام ابن حوشب ، عن إبراهيم النخعى فى قوله : « فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء » ، قال : هذه الأهواء المختلفة والتباغُض ، فهو الإغراء .

١١٥٩٩ – حدثنا سفيان بن وكيع قال ، حدثنا يزيد بن هرون ، عن العوام ابن حوشب قال : سمعت النخعى يقول : « فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء » ، قال : أغرى بعضهم ببعض بخصُومات بالجدال فى الدين .

١١٦٠٠ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى هشيم قال ، أخبرنا العوام بن حوشب ، عن إبراهيم النخعى والتّيمى قوله : « فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء » ، قال : ما أرى « الإغراء » فى هذه الآية إلاّ الأهواء المختلفة = وقال معاوية بن قرة : الخصومات فى الدين تُحْبِط الأعمال .

* * *

وقال آخرون : بل ذلك هو العداوة التى بينهم والبغضاء .

* ذكر من قال ذلك :

١١٦٠١ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة » الآية ، إنّ القوم لما تركوا كتابَ الله ، وعصَوْا رسله ، وضَيّعوا فرائضه ، وعطّلوا حدُوده ، ألقى بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ، بأعْمالهم أعمالِ السوء ، ولو أخذ القوم كتاب الله وأمرَه ، ما افترقوا ولا تباغَضُوا .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأولين فى ذلك عندنا بالحق ، تأويلُ من قال : « أغرى بينهم بالأهواء التى حدثت بينهم » ، كما قال إبراهيم النخعى ، لأن عداوة النصارى

بينَهم ، إنما هى باختلافهم فى قولهم فى المسيح ، وذلك أهواءٌ ، لا وحىٌ من الله .

* * *

واختلف أهل التأويل فى المعنىّ بـ « الهاء والميم » اللتين فى قوله : « فأغرينا بينهم » .

فقال بعضهم : عنى بذلك اليهود والنصارى . فمعنى الكلام على قولِهم وتأويلهم : فأغرينا بين اليهود والنصارى ، لنسيانهم حظًّا مما ذكّروا به .

* ذكر من قال ذلك :

١١٦٠٢ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : وقال فى النصارى أيضاً : « فنسوا حظًّا مما ذكروا به » ، فلما فعلوا ذلك ، أغرى الله عز وجل بينَهم وبين اليهود العداوةَ والبغضاءَ إلى يوم القيامة .

١١٦٠٣ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة » ، قال : هم اليهود والنصارى . قال ابن زيد : كما تُغْرى بين اثنين من البهائم .

١١٦٠٤ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء » ، قال : اليهود والنصارى .

١١٦٠٥ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١١٦٠٦ – حدثنى القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة قال : هم اليهود والنصارى ، أغرى الله بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة . ١٠٣/٦

* * *

وقال آخرون : بل عنى الله بذلك النصارَى وحدَها . وقالوا : معنى ذلك : فأغرينا بين النصارى ، عقوبةً لها بنسيانها حظًّا مما ذكرت به . قالوا : وعليها عادت

« الهاء والميم » فى « بينهم » ، دون اليهود .

* ذكر من قال ذلك :

١١٦٠٧ – حدثنى المثنى بن إبراهيم قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله ابن أبى جعفر ،(١) عن أبيه ، عن الربيع ، قال : إن الله عز ذكره تقدّم إلى بنى إسرائيل: أن لا تشتروا بآيات الله ثمنًا قليلاً ، وعلموا الحكمة ولا تأخذوا عليها أجراً ، فلم يفعل ذلك إلا قليل منهم ، فأخذُوا الرّشوة فى الحكم ، وجاوزوا الحدود ، فقال فى اليهود حيث حكموا بغير ما أمر الله: ﴿ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾[سورة المائدة : ٦٤]، وقال فى النصارى: « فنسوا حظًّا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأولين بالآية عندى ما قاله الربيع بن أنس، وهو أنّ المعنىّ بالأغراء بينهم ، النصارى ، فى هذه الآية خاصة = وأنّ «الهاء والميم» عائدتان على النصارى دون اليهود ، لأن ذكر « الإغراء » فى خبر الله عن النصارى، بعد تقضّى خبره عن اليهود، وبعد ابتدائه خبرَه عن النصارى ، فلأَنْ يكون ذلك معنيًّا به النصارى خاصّةً ،(٢) أولى من أن يكون معنيًّا به الحزبان جميعاً، لما ذكرنا .

* * *

فإن قال قائل : وما العداوة التى بين النصارى، فتكون مخصوصة بمعنى ذلك ؟

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « عبيد الله بن أبى جعفر »، والصواب « عبد الله » كما أثبته، وهو « عبد الله بن أبى جعفر الرازى » ، مضى مئات من المرات فى الأسانيد السالفة .

(٢) فى المطبوعة : « فأن لا يكون ذلك معنياً به إلا النصارى خاصة » ، وهو كلام برىء من العربية . وفى المخطوطة : « فلا يكون ذلك معنياً به إلا النصارى خاصة » ، وهو مثله ، ولكنه سهو من الناسخ وغفلة ، أخطأ فكتب « فلأن يكون » « فلا يكون » ، ثم زاد « إلا » . وهذا كله فساد ، صوابه ما أثبت .

قيل : ذلك عداوة النسطورية واليعقوبية ، الملكية = والملكية ، النسطورية واليعقوبية .[1] وليس الذى قاله من قال : « معنىٌّ بذلك : إغراء الله بين اليهود والنصارى » ببعيد ، غير أن هذا أقرب عندى ، وأشبهُ بتأويل الآية ، لما ذكرنا .

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ (١٤)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه لنبيه محمّد صلى الله عليه وسلم : اعفُ عن هؤلاء الذين همُّوا ببسط أيديهم إليك وإلى أصحابك واصفح ، فإن الله عز وجل من وراء الانتقام منهم ، وسينبئهم الله عند ورودهم عليه فى معادهم ، بما كانوا فى الدنيا يصنعون ، من نقضهم ميثاقه ، ونكثهم عهده ، وتبديلهم كتابه ، وتحريفهم أمره ونهيه ، فيعاقبهم على ذلك حسب استحقاقهم .

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾

قال أبو جعفر : يقول عز ذكره لجماعة أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين كانوا فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أهل الكتاب » من اليهود والنصارى = « قد جاءكم رسولنا » ، يعنى محمّداً صلى الله عليه وسلم ، كما : —

(١) فى المطبوعة : « ذلك عداوة النسطورية واليعقوبية والملكية النسطورية واليعقوبية » . وهو كلام خال من المعنى ، صوابه من المخطوطة . يعنى عداوة هؤلاء لهؤلاء = وعداوة هؤلاء لهؤلاء .

١١٦٠٨ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا » ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم .

* * *

وقوله : « يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب » ، يقول : يبين لكم محمّد رسولنا ، كثيراً مما كنتم تكتمونه الناسَ ولا تُبينونه لهم ممّا فى كتابكم . وكان مما يخفونه من كتابهم فبيّنه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للناس : رَجْمُ الزّانيين المحصنين .

* * *

وقيل : إن هذه الآية نزلت فى تبيين رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك للناس ، من إخفائهم ذلك من كتابهم .

* ذكر من قال ذلك :

١١٦٠٩ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا الحسين ابن واقد ، عن يزيد النحوى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : من كفر بالرجم ، فقد كفر بالقرآن من حيث لا يحتسب . قوله : « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولُنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب » ، فكان الرجمُ مما أخفوا . (١)

١١٦١٠ – حدثنا عبد الله بن أحمد بن شبّويه ، أخبرنا على بن الحسن قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا يزيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، مثله . (٢)

---

(١) الأثر : ١١٦٠٩ – « يحيى بن واضح » ، أبو تميلة ، مضى مراراً ، منها : ٣٩٢ . « الحسين بن واقد المروزى » ، ثقة . مضى برقم : ٤٨١ ، ٦٣١١ .

و « يزيد النحوى » ، هو « يزيد بن أبى سعيد النحوى المروزى » ، ثقة ، مضى برقم : ٦٣١١ . وهذا إسناد صحيح ، وسيأتى تخريجه فى الأثر التالى .

(٢) الأثر : ١١٦١٠ – « عبد الله بن أحمد بن شبويه الخزاعى » ، ثقة مضى برقم : ١٩٠٩ ، ٤٦١٢ ، ٤٩٢٣ .

و « على بن الحسن بن شقيق بن دينار » ، ثقة ، من شيوخ أحمد ، مضى برقم : ١٥٩١ ، ١٩٠٩ ، ٩٩٥١ ، وكان فى المخطوطة والمطبوعة هنا : « على بن الحسين » ، وهو خطأ محض .

وهذا إسناد صحيح أيضاً ، مكرر الذى قبله . وهذا الخبر أخرجه الحاكم فى المستدرك ٤ : ٣٥٩ من طريق على بن الحسن بن شقيق ، بمثله ، وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ، و وافقه الذهبى .

١١٦١١ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الوهاب الثقفي ، عن خالد الحذاء ، عن عكرمة في قوله : « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم » ، إلى قوله : « صراط مستقيم »، قال : إنّ نبيّ الله أتاه اليهود يسألونه عن الرجم، واجتمعوا في بيتٍ ، قال : أيُّكم أعلم ؟ فأشاروا إلى ابن صُوريا ؛ فقال : أنت أعلمهم ؟ قال : سل عما شئت ! قال : أنت أعلمهم ؟ قال : إنهم ليزعمون ذلك ! قال : فناشده بالذي أنزل التوراة على موسى ، والذي رفع الطُّور ، وناشده بالمواثيق التي أُخذت عليهم ، حتى أخذه أفكَل ،[1] فقال : إن نساءنا نساء حسان ، فكثر فينا القتل فاختصرنا أُخْصورةً ،[2] فجلدنا مئة ، وحلقنا الرؤوس ، وخالفنا بين الرؤوس إلى الدواب[3] = أحسبه قال : الإبل = قال : فحكم عليهم بالرجم ، فأنزل الله فيهم : « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم » ، الآية = وهذه الآية : ﴿ وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ ١٠٤/٦

وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٢٦٩ ، وزاد نسبته إلى ابن الضريس ، والنسائي ، وابن أبي حاتم .

* * *

فائدة : راجع أحاديث الرجم فيما سيأتي برقم ١١٩٢١ – ١١٩٢٤ .

(١) « أفكل » (على وزن أفعل) : رعدة تعلو الإنسان من برد أو خوف أو غيرهما ، وليس له فعل ، وأنشد ابن بري :

بِعَيْشِكِ هَاتِي فَغَنِّي لَنَا ... فَإِنَّ نَدَامَاكِ لَمْ يَنْهَلُوا
فَبَاتَتْ تُغَنِّي بِغِرْبَالِهَا ... غِنَاءً رُوَيْدًا لَهُ أَفْكَلُ

(٢) قوله : « فاختصرنا أخصورة » ، هكذا جاءت في المخطوطة أيضاً . وفي تفسير أبي حيان ٣ : ٤٤٧ « فاختصرنا فجلدنا مئة مئة » ، وحذف « أخصورة » . ولم أجد لها في اللغة ذكراً ، بمعنى : شيئاً من الاختصار . والذي في الكتب « الخصيري » (بضم الخاء وفتح الصاد وسكون الياء بعدها راء مفتوحة)، وهي : حذف الفضول من كل شيء، مثل « الاختصار » . فلعل صواب العبارة : « فاختصرنا خصيري » ، أي اختصاراً من حكم الرجم . وتركت ما في المطبوعة والمخطوطة ، مخافة أن يكون في الكلمة تحريف لم أهتد إليه

(٣) في تفسير أبي حيان « وخالفنا بين الرؤوس على الدبرات » ، وكأنه خطأ .

لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾ [سورة البقرة : ٧٦] .(١)

* * *

وقوله : « ويعفو عن كثير » ، يعنى بقوله : « ويعفو » ، ويترك أخذكم بكثير مما كنتم تخفون من كتابكم الذى أنزله الله إليكم ، وهو التوراة ، فلا تعملون به حتى يأمره الله بأخذكم به .(٢)

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ (١٥)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه لهؤلاء الذين خاطبهم من أهل الكتاب : « قد جاءكم » ، يا أهل التوراة والإنجيل = « من الله نور » ، يعنى بالنور ، محمداً صلى الله عليه وسلم الذى أنار الله به الحقّ ، وأظهر به الإسلام ، ومحق به الشرك ، فهو نور لمن استنار به يبيِّن الحق . ومن إنارته الحق ، تبيينُه لليهود كثيراً مما كانوا يخفون من الكتاب .(٣)

* * *

وقوله : « وكتاب مبين » ، يقول : جل ثناؤه : قد جاءكم من الله تعالى النور الذى أنار لكم به معالم الحقّ ، = « وكتاب مبين » ، يعنى كتاباً فيه بيان ما اختلفوا فيه بينهم : من توحيد الله ، وحلاله وحرامه ، وشرائع دينه ، وهو القرآن الذى أنزله

---

(١) الأثر : ١١٦١١ – فى هذا الأثر ، ذكر سبب نزول آية « سورة البقرة » : ٧٦ ، ولم يذكره أبو جعفر فى تفسير الآية هناك (٢ : ٢٥٠ – ٢٥٤) ، مع أنه يصلح أن يكون وجهاً آخر فى تفسير الآية ، وأن يكون مراداً بها « الرجم » . فهذا دليل آخر على اختصار أبى جعفر تفسيره ، وهو أيضاً وجه من وجوه منهجه فى اختصاره .

(٢) انظر تفسير « العفو » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٣) انظر تفسير « نور » فيما سلف ٩ : ٤٢٨

على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، يبين للناس جميع ما بهم الحاجةُ إليه من أمر دينهم ، ويوضحه لهم ، حتى يعرفوا حقَّه من باطله . (١)

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى عز ذكره : يهدى بهذا الكتاب المبين الذى جاء من الله جل جلاله = ويعنى بقوله : « يهدى به الله » ، يرشد به الله ويسدِّد به ، (٢) = و « الهاء » فى قوله : « به » عائدة على « الكتاب » = « من اتبع رضوانه » ، يقول : من اتبع رِضَى الله . (٣)

* * *

واختلف فى معنى « الرضى » من الله جل وعز .

فقال بعضهم : « الرضى منه بالشىء » ، القبول له والمدح والثناء . قالوا : فهو قابل الإيمان ، ومُزَكٍّ له ، ومثنٍ على المؤمن بالإيمان ، وواصفٌ الإيمانَ بأنه نور وهُدًى وفصْل . (٤)

* * *

وقال آخرون : معنى « الرضى » من الله جل وعز ، معنى مفهوم ، هو خلاف السخط ، وهو صفة من صفاته على ما يعقل من معانى : « الرضى » الذى هو

---

(١) انظر تفسير « مبين » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٢) انظر تفسير « يهدى » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٣) انظر تفسير « الرضوان » فيما سلف ٦ ٩/٢٦٢ ٤٨٠

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة « وفضل » بالضاد المعجمة . و « الفصل » هنا هو حق المعنى ، لأنه يفصل بين الحق والباطل

خلاف السخط ، وليس ذلك بالمدح ، لأن المدح والثناء قولٌ ، وإنما يثنى ويمدح ما قد رُضِي . قالوا : فالرضى معنىً ، و« الثناء » و « المدح » معنىً ليس به .

* * *

ويعنى بقوله : « سُبُل السلام »، طرق السلام[1] = و « السلام » ، هو الله عزّ ذكره .

١١٦١٢ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « من اتبع رضوانه سبل السلام »، سبيل الله الذى شرعه لعباده ودعاهم إليه ، وابتعث به رسله ، وهو الإسلام الذى لا يقبل من أحد عملاً إلا به ، لا اليهودية ولا النصرانية ولا المجوسية .

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ ﴾

قال أبو جعفر : يقول عز ذكره : يهدى الله بهذا الكتاب المبين ، من اتبع رضوان الله إلى سبل السلام وشرائع دينه = « ويخرجهم » ، يقول : ويخرج من اتبع رضوانه =و« الهاء والميم » فى : « ويخرجهم » إلى من ذُكر = « من الظلمات إلى النور »، يعنى : من ظلمات الكفر والشرك ، إلى نور الإسلام وضيائه[2] = « بإذنه » ، يعنى : بإذن الله جل وعز . و« إذنه » فى هذا الموضع : تحبيبه إياه الإيمان برفع طابَع الكفر عن قلبه ، وخاتم الشرك عنه ، وتوفيقه لإبصار سُبُل السّلام.[3]

* * *

(١) انظر تفسير « سبيل » فيما سلف من فهارس اللغة .
(٢) انظر تفسير « من الظلمات إلى النور » فيما سلف ٥ : ٤٢٤ – ٤٢٦ .
(٣) انظر تفسير « الإذن » فيما سلف ٨ : ٥١٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (١٦)

قال أبو جعفر : يعنى عز ذكره بقوله : « ويهديهم » ، ويرشدهم ويسددهم[١] =« إلى صراط مستقيم »، يقول : إلى طريق مستقيم ، وهو دين الله القويم الذى لااعوجاج فيه.[٢]

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾

قال أبو جعفر : هذا ذمٌّ من الله عز ذكره للنصارى والنصرانية ، الذين ضلُّوا عن سبل السلام = واحتجاجٌ منه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فى فِرْيتهم عليه بادّعائهم له ولدًا .

يقول جل ثناؤه : أقسم ، لقد كفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح بن مريم= و« كفرهم » فى ذلك ، تغطيتهم الحقّ فى تركهم نفى الولد عن الله جل وعز ، وادّعائهم أن المسيح هو الله ، فرية وكذباً عليه .[٣] ١٠٥/٦

* * *

وقد بينا معنى : « المسيح » فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[٤]

* * *

---

(١) انظر تفسير « يهدى » فى فهارس اللغة .

(٢) انظر تفسير « الصراط المستقيم » فيما سلف ٨ : ٥٢٩ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الكفر » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٤) انظر تفسير « المسيح » فيما سلف ٩ : ٤١٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه ، لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد، للنصارى الذين افتروا علىّ ، وضلّوا عن سواء السبيل بقيلهم : إنّ الله هو المسيح بن مريم : « من يملك من الله شيئاً » ، يقول : من الذى يطيق أن يدفع من أمر الله جل وعز شيئاً، فيردّه إذا قضاه .

* * *

= من قول القائل : « ملكت على فلان أمره » ، إذا صار لا يقدر أن ينفذ أمراً إلا به .(١)

* * *

وقوله : « إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعاً » ، يقول : من ذا الذى يقدر أن يرد من أمر الله شيئاً ، إن شاء أن يهلك المسيح بن مريم ، بإعدامه من الأرض وإعدام أمه مريم ، وإعدام جميع من فى الأرض من الخلق جميعاً .(٢)

* * *

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء الجهلة من النصارى : لو كان المسيح كما تزعمون = أنّه هو الله ، وليس كذلك = لقدر أن يردّ أمرَ الله إذا جاءه بإهلاكه وإهلاك أمه . وقد أهلك أمّه فلم يقدر على دفع أمره فيها إذْ نزل ذلك . فى ذلك لكم معتَبرٌ إن اعتبرتم ، وحجة عليكم إن عقلتم : فى أن المسيح ، بَشَر كسائر بنى آدم ، وأن الله عز وجل هو الذى لا يغلب ولا يقهر ولا يردُّ له

(١) هذا بيان قلما تصيبه فى كتب اللغة .

(٢) انظر تفسير « الإهلاك » فيما سلف ٤ : ٢٣٩ ، ٩/٢٤٠ : ٤٣٠ .

أمر ، بل هو الحيُّ الدائم القيُّوم الذى يحيي ويميت ، وينشىء ويفنى ، وهو حى لا يموت .

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تبارك وتعالى بذلك : والله له تصريف ما فى السموات والأرض وما بينهما [1] = يعنى : وما بين السماء والأرض = يهلك من يشاء من ذلك ويبقى ما يشاء منه ، ويوجد ما أراد ويعدم ما أحبّ ، لا يمنعه من شىء أراد من ذلك مانع ، ولا يدفعه عنه دافع ، يُنْفِذ فيهم حكمه ، ويُمضى فيهم قضاءه= لا المسيح الذى إن أراد إهلاكه ربُّه وإهلاكَ أمّه ، لم يملك دفع ما أراد به ربُّه من ذلك .

* * *

يقول جل وعز : كيف يكون إلهاً يُعبد من كان عاجزاً عن دفع ما أراد به غيره من السوء ، وغير قادرٍ على صرف ما نزل به من الهلاك ؟ بل الإله المعبود ، الذى له ملك كل شىء ، وبيده تصريف كل من فى السماءِ والأرض وما بينهما .

* * *

فقال جل ثناؤه : « وما بينهما » ، وقد ذكر « السموات » بلفظ الجمع ، ولم يقل : « وما بينهن » ، لأن المعنى : وما بين هذين النوعين من الأشياء ، كما قال الراعى :

---

(١) انظر تفسير « الملك » فيما سلف ٨ : ٤٨ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

طَرَقَا ، فَتِلْكَ هَمَاهِمِى ،أَقْرِيهِمَا قُلُصاً لَوَاقِحَ كَالقِسِىِّ وَحُولاَ(١)

فقال : « طرقا »، مخبراً عن شيئين ، ثم قال: « فتلك هَمَا همى »، فرجع إلى معنى الكلام .

* * *

وقوله : « يخلق ما يشاء » ، يقول جل ثناؤه : وينشىء ما يشاء ويوجده ، ويخرجُه من حال العدم إلى حال الوجود، ولن يقدر على ذلك غير الله الواحد القهّار. وإنما يعنى بذلك ، أنّ له تدبيرَ السموات والأرض وما بينهما وتصريفه ، وإفناءه وإعدامه، وإيجادَ ما يشاء مما هو غير موجود ولا مُنْشأ . يقول : فليس ذلك لأحد سواى ، فكيف زعمتم ، أيها الكذبة ، أنّ المسيح إله ، وهو لا يطيق شيئاً من ذلك ، بل لا يقدر على دفع الضرَر عن نفسه ولا عن أمه ، ولا اجتلابِ نفعٍ إليها إلاّ بإذنى ؟

* * *

(١) من قصيدته فى جمهرة أشعار العرب: ١٧٣، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١١٨، ١٦٠، يقول لابنته خليدة :

لَمَّا رَأَتْ أَرَقِى وَطُولَ تَلَدُّدِى ذَاتَ الْعِشَاءِ وَلَيْلِىَ الْمَوْصُولاَ
قَالَتْ خُلَيْدَةُ : مَاعَرَاكَ ، وَلَمْ تَكُنْ أَبَدًا إِذَا عَرَتِ الشُّؤُونُ سَؤُولاَ ؟
أَخُلَيْدَ ، إِنَّ أَبَاكِ ضَافَ وِسَادَهُ هَمَّان باتَا جَنْبَةً وَدَخِيلاَ
طَرَقَا ، فَتِلْكَ هَمَا هِى . . . . . .

« الهماهم » : الهموم . و « قلص » جمع « قلوص » : الفتية من الإبل . « لواقح » : حوامل ، جمع « لاقح » . و « الحول » ، جمع « حائل » ، وهى الناقة التى لم تحمل سنة أو سنتين أو سنوات ، وكذلك كل حامل ينقطع عنها الحمل . يقول : أجعل قرى هذه الهموم ، نوقاً هذه صفاتها ، كأنها قسى موترة من طول أسفارها ، فأضرب بها الفيافى .

والشاهد الذى أراده الطبرى أنه قال : « فتلك هماهمى » ، وقد ذكر قبل « همان » ، ثم عاد بعد يقول : « أقريهما » ، وقد قال : « فتلك هماهمى » جمعاً . وانظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١١٨ ، ١٦٠ .

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١٧)

قال أبوجعفر : يقول عز ذكره : الله المعبودُ ، هو القادر على كل شيء ، والمالك كلَّ شيء ، الذى لا يعجزُه شيء أراده ، ولا يغلبه شيء طلبه ، المقتدرُ على هلاك المسيح وأمه ومن فى الأرض جميعاً = لا العاجز الذى لا يقدر على منع نفسه من ضُرّ نزل به من الله ، ولا منْعِ أمّه من الهلاك .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ﴾

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله جل وعز عن قوم من اليهود والنصارى أنهم قالوا هذا القول .

* * *

وقد ذكر عن ابن عباس تسمية الذين قالوا ذلك من اليهود .

١١٦١٣ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يونس بن بكير ، عن محمد ابن إسحق قال ، حدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال ، حدثنى سعيد ابن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم نعمانُ بن أضَاء(٢)، وبحرىّ بن عمرو ،وشأس بن عدى ،فكلموه، فكلّمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعاهم إلى الله وحذّرهم نقمته، فقالوا: ما تُخَوّفنا ، ١٠٦/٦

(١) انظر تفسير « قدير » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٢) فى المطبوعة : « نعمان بن أحى ، ويحرى بن عمرو . . . » ، وفى المخطوطة : « عثمان ابن أصار ويحوى بن عمرو . . . » ، وكلاهما خطأ ، وصوابه من سيرة ابن هشام .

يامحمد! ! نحن والله أبناء الله وأحبَّاؤه ! ! [١] = كقول النصارى ، فأنزل الله جل وعز فيهم : « وقالت اليهودُ والنصارى نحنُ أبناء الله وأحباؤه » ، إلى آخر الآية . [٢]

* * *

وكان السدى يقول فى ذلك بما : —

١١٦١٤ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه » ، أما « أبناء الله » ، فإنهم قالوا : إن الله أوحى إلى إسرائيل أن ولداً من ولدك ، [٣] أدخلهم النار ، فيكونون فيها أربعين يوماً حتى تطهرهم وتأكل خطاياهم ، ثم ينادى مناد : أنْ أخرجوا كل مختون من ولدِ إسرائيل ، فأخرجهم. فذلك قوله : ﴿ لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلاَّ أيَّاماً مَعْدُودَاتٍ ﴾ [سورة آل عمران : ٢٤] .وأما النصارى ، فإن فريقاً منهم قال للمسيح : ابن الله . [٤]

* * *

والعرب قد تخرج الخبرَ ، إذا افتخرت ، مخرجَ الخبر عن الجماعة ، وإن كان ما افتخرت به من فعل واحدٍ منهم ، فتقول : « نحن الأجواد الكرام » ، وإنما الجواد فيهم واحدٌ منهم ، وغير المتكلِّم الفاعلُ ذلك ، كما قال جرير :

نَدَسْنَا أَبَا مَنْدُوسَةَ القَيْنَ بِالقَنَا وَمَارَ دَمٌ مِنْ جَارِ بَيْبَةَ نَاقِعُ [٥]

---

(١) فى المخطوطة : « نحن أبناء الله وأحباءه ، بل أنتم بشر ممن خلق » ، وهو من عجلة الناسخ لاشك فى ذلك .

(٢) الأثر : ١١٦١٣ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٢ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١١٥٥٧ .

(٣) فى المخطوطة : « إلى بنى إسرائيل إن ولدك من الولد فأدخلهم النار » ، وهو خلط بلا معنى ، صوابه ما فى المطبوعة على الأرجح .

(٤) الأثر : ١١٦١٤ — لم يمض هذا الأثر فى تفسير آية سورة البقرة : ٨٠ (٢ : ٢٧٤ — ٢٧٨) ، ولا آية سورة آل عمران : ٢٤ (٦ : ٢٩٢ ، ٢٩٣) . وهذا أيضاً من الأدلة على اختصار أبى جعفر تفسيره .

(٥) ديوانه : ٣٧٢ ، والنقائض : ٦٩٣ ، واللسان (بيب) (مور) (ندس) . و « ندس » : طعن طعناً خفيفاً . و « أبو مندوسة » ، هو مرة بن سفيان بن مجاشع ، جد الفرزدق . قتلته بنو يربوع — قوم جرير — فى يوم الكلاب الأول . و « القين » لقب لرهط الفرزدق ، يهجون

فقال : « نَدَسْنَا » ، وإنما النادس رجل من قوم جريرٍ غيرُه ، فأخرج الخبر مخرج الخبر عن جماعة هو أحدهم . فكذا أخبر الله عزّ ذكره عن النصارى أنها قالت ذلك ، على هذا الوجه إن شاء الله .

* * *

وقوله : « وأحباؤه » ، وهو جمع « حبيب » .

* * *

يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « قل » لهؤلاء الكذبة المفترين على ربهم = « فلم يعذبكم » ربكم ، يقول : فلأى شيء يعذبكم ربكم بذنوبكم ، إن كان الأمر كما زعمتم أنكم أبناؤه وأحبّاؤه ، فإن الحبيب لا يعذّب حبيبه ، وأنتم مقرّون أنه معذبكم؟ وذلك أن اليهود قالت : إن الله معذبنا أربعين يوماً عَدَد الأيام التى عبدنا فيها العجل ،(١) ثم يخرجنا جميعاً منها ، فقال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم : قل لهم : إن كنتم ، كما تقولون ، أبناءُ الله وأحباؤه ، فلم يعذبكم بذنوبكم ؟ يعلمهم عز ذكره أنّهم أهل فرية وكذب على الله جل وعز .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه لنبيه محمّدٍ صلى الله عليه وسلم ، قل لهم : ليس الأمر كما زعمتم أنكم أبناء الله وأحباؤه = «بل أنتم بشر ممن خلق » ، يقول : خلق من بنى آدم ، خلقكم الله مثل سائر بنى آدم ،(٢) إن أحسنتم جُوزيتم بإحسانكم ،

به . و « جاربية » ، هو الصمة بن الحارث الجشمى ، قتله ثعلبة بن حصبة ، وهو فى جوار الحارث ابن بيبة بن قرط بن سفيان بن مجاشع ، من رهط الفرزدق . و « مار الدم على وجه الأرض » : جرى وتحرك فجاء وذهب . و « دم ناقع » ، أى : طرى لم ييبس .

(١) انظر ما سلف ٦ : ٢٩٢ .

(٢) انظر تفسير « بشر » فيما سلف ٦ : ٥٣٨ .

كما سائر بنى آدم مجزيُّون بإحسانهم ؛ وإن أسأتم جوزيتم بإساءتكم ، كما غيركم مجزىٌّ بها ، ليس لكم عند الله إلاّ ما لغيركم من خلقه ، فإنه يغفر لمن يشاء من أهل الإيمان به ذنوبَه ، فيصفح عنه بفضله ، ويسترها عليه برحمته ، فلا يعاقبه بها .

* * *

وقد بينا معنى « المغفرة » ، فى موضع غير هذا بشواهده ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع .[1]

* * *

= « ويعذب من يشاء » ، يقول : ويعدل على من يشاء من خلقه فيعاقبه على ذنوبه ، ويفضَحه بها على رؤوس الأشهاد فلا يسترها عليه .

* * *

وإنما هذا من الله عز وجل وعيد لهؤلاء اليهود والنصارى المتّكلين على منازل سَلَفهم الخيارِ عند الله ، الذين فضلهم الله جل وعزّ بطاعتهم إياه ، واجتباهم لمسارعتهم إلى رضاه ،[2] واصطبارهم على ما نابهم فيه .[3] يقول لهم : لا تغتروا بمكان أولئك منى ومنازلهم عندى ، فإنهم إنما نالوا ما نالوا منىّ بالطاعة لى ، وإيثار رضاى على محابِّهم=[4] لا بالأمانى ، فجدُّوا فى طاعتى ، وانتهوا إلى أمرى ، وانزَجروا عما نهيتُهم عنه ، فإنى إنما أغفر ذنوب من أشاء أن أغفر ذنوبه من أهل طاعتى ، وأعذّب من أشاء تعذيبه من أهل معصيتى=[5] لا لمن قرَّبتْ زُلْفَةُ آبائه منى ، وهو لى عدوّ ، ولأمرى ونهيى مخالفٌ .

* * *

---

(١) انظر ما سلف ٢ : ١٠٩ ، ١١٠ ، ثم سائر فهارس اللغة .

(٢) فى المطبوعة : « واجتنابهم معصيته لمسارعتهم » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، لأنها غير منقوطة ، وزاد « معصيته » لتستقيم له قراءته . و « الاجتباء » : الاصطفاء والاختيار .

(٣) فى المخطوطة : « إلى ما نابهم فيه » ، والجيد ما فى المطبوعة .

(٤) يقول : « نالوا ما نالوا منى بالطاعة لى . . . لا بالأمانى » . هكذا السياق .

(٥) يقول : « فإنى أغفر ذنوب من أشاء . . . لا لمن قربت زلفة آبائه منى » ، هكذا السياق .

وكان السدى يقول فى ذلك بما : —

١١٦١٥ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء » ، يقول : يهدى منكم من يشاء فى الدنيا فيغفر له ، ويميت من يشاء منكم على كفره فيعذِّبه .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (١٨)

قال أبو جعفر يقول : لله تدبيرُ ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وتصريفُه ، وبيده أمره ، وله ملكه ،(١) يصرفه كيف يشاء ، ويدبره كيف أحبّ ،(٢) لا شريك له فى شىء منه ، ولا لأحدٍ معهُ فيه ملك . فاعلموا أيها القائلون : « نحن أبناء الله وأحباؤه » ، أنه إن عذبكم بذنوبكم ، لم يكن لكم منه مانع ، ولا لكم عنه دافع ، لأنه لا نسب بين أحد وبينه فيحابيه لسبب ذلك ، ولا لأحد فى شىء دونه ملك ، فيحول بينه وبينه إن أراد تعذيبه بذنوبه ،(٣) وإليه مصير كل شىء ومرجعه . فاتّقوا ، أيها المفترون ، عقابَه إياكم على ذنوبكم بعد مرجعكم إليه ، ولا تغتروا بالأمانىّ وفضائل الآباء والأسلاف . ١٠٧/٦

* * *

(١) انظر تفسير نظيرة هذه الآية فيما سلف قريباً ص : ١٤٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) فى المطبوعة : « كيف أحبه » ، وأثبت الجيد من المخطوطة .
(٣) فى المطبوعة : « بذنبه » ، وفى المخطوطة : « بدونه » ، ورجحت ما أثبت .

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « يا أهل الكتاب » ، اليهودَ الذين كانوا بين ظهرانَىْ مُهاجَر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم نزلت هذه الآية. وذلك أنهم = أو : بعضهم ، فيما ذكر = لما دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان به وبما جاءهم به من عند الله، قالوا: ما بعثَ الله من نبىّ بعد موسى ، ولا أنزل بعد التوراة كتاباً !

١١٦١٦ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يونس بن بكير ، عن محمد ابن إسحق قال ، حدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال ، حدثنى سعيد ابن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال معاذ بن جبل وسعد بن عبادة وعقبة بن وهب لليهود : يا معشر اليهود ، اتقوا الله ، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله ! لقد كنتم تذكرونه لنا قبل مَبعثه ، وتصفونه لنا بصفته ! فقال رافع بن حُرَيملة ووهب بن يهودا[1] : ما قلنا هذا لكم ، وما أنزل الله من كتاب بعد موسى ، ولا أرسل بشيراً ولا نذيراً بعده ![2] فأنزل الله عز وجل فى [ذلك من] قولهما[3] : « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشيرٌ ونذيرٌ والله على كل شىء قدير » .[4]

* * *

(١) فى المطبوعة : « رافع بن حرملة » ، وفى المخطوطة : « نافع بن حرملة » ، وأثبت ما فى سيرة ابن هشام .

(٢) فى المخطوطة : « ولا أرسل بشيراً ونذيراً » ، والصواب ما فى المطبوعة كما فى سيرة ابن هشام .

(٣) الزيادة بين القوسين من سيرة ابن هشام .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٢ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١١٦١٣ .

ويعني بقوله جل ثناؤه : « قد جاءكم رسولنا »، قد جاءكم محمد صلى الله عليه وسلم رسولنا = « يبيّن لكم » ، يقول : يعرفكم الحقّ ، ويوضح لكم أعلام الهدى ، ويرشدكم إلى دين الله المرتضى ، [1] كما :—

١١٦١٧ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل » ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم ، جاء بالفرقان الذى فرّق الله به بين الحق والباطل ، فيه بيان الله ونوره وهداه ، وعصمةٌ لمن أخذ به .

* * *

=«على فترة من الرسل» ، يقول : على انقطاع من الرسل = و « الفترة » فى هذا الموضع الانقطاع = يقول : قد جاءكم رسولنا يبين لكم الحق والهدى ، على انقطاع من الرسل .

* * *

و «الفترة» «الفعلة» من قول القائل : « فتر هذا الأمر يفتُر فُتوراً » ، وذلك إذا هدأ وسكن . وكذلك « الفترة » فى هذا الموضع ، معناها : السكون ، يراد به سكون مجيء الرسل ، وذلك انقطاعها .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى قدر مدة تلك الفترة ، فاختلف فى الرواية فى ذلك عن قتادة .

فروى معمر عنه ما :—

١١٦١٨ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : «على فترة من الرسل » ، قال : كان بين عيسى ومحمّد صلى الله عليه وسلم خمسمئة وستون سنة .

* * *

---

(١) انظر تفسير « التبيين » فيما سلف من فهارس اللغة ، مادة (بين) .

وروى سعيد بن أبي عروبة عنه ما : —

١١٦١٩ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كانت الفترة بين عيسى ومحمّدٍ صلى الله عليهما ، ذكر لنا أنها كانت ستمئة سنة ، أو ما شاء من ذلك ، والله أعلم .(١)

١١٦٢٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن أصحابه قوله : « قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل » ، قال : كان بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما خمسمئة سنة وأربعون سنة = قال معمر ، قال قتادة : خمسمئة سنة وستون سنة .

* * *

وقال آخرون بما : —

١١٦٢١ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله : « على فترة من الرسل » ، قال : كانت الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما ، أربعمئة سنة و بضعاً وثلاثين سنة .

* * *

ويعنى بقوله : «أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير » ، أن لا تقولوا ، وكى لا تقولوا ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾ [سورة النساء : ١٧٦] ، بمعنى : أن لا تضلوا ، وكى لا تضلوا .

* * *

فمعنى الكلام : قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ، كى لا تقولوا ما جاءَنا من بشير ولا نذير . يعلمهم عز ذكره أنه قد قطَع عذرهم برسوله صلى الله عليه وسلم ، وأبلغ إليهم فى الحجة .(٢)

---

(١) كان فى المطبوعة : « وما شاء الله » بالواو ، وفى المطبوعة والمخطوطة : « الله أعلم » بغير واو . والصواب ما أثبت .

(٢) انظر ما سلف ٩ : ٤٤٥ ، ٤٤٦ .

ويعنى بـ « البشير » ، المبشر من أطاع الله وآمن به وبرسوله ، وعمل بما آتاه من عند الله ، بعظيم ثوابه فى آخرته[١] = وبـ « النذير » ، المنذر من عصاه وكذّب رسولـه صلى الله عليه ، وعمل بغير ما أتاه من عند الله من أمره ونهيه ، بما لا قبل له به من أليم عقابه فى معاده ، وشديد عذابه فى قيامته . ١٠٨/٦

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١٩)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه لهؤلاء اليهود الذين وصفنا صفتهم : قد أعذرنا إليكم ، واحتججنا عليكم برسولنا محمد صلى الله عليه وسلم إليكم ، وأرسلناه إليكم ليبيّن لكم ما أشكل عليكم من أمر دينكم ، كيلا تقولوا : « لم يأتنا من عندك رسولٌ يبيّن لنا ما نحن عليه من الضلالة » ، فقد جاءكم من عندى رسول يبشر من آمن بى وعمل بما أمرته وانتهى عما نهيته عنه ، وينذر من عصانى وخالف أمرى ، وأنا القادر على كل شىء ، أقدر على عقاب من عصانى ، وثواب من أطاعنى ، فاتقوا عقابى على معصيتكم إياى وتكذيبكم رسولى ، واطلبوا ثوابى على طاعتكم إياى وتصديقكم بشيرى ونذيرى ، فإنى أنا الذى لا يعجزه شىء أرادَه ، ولا يفوته شىء طلبه .[٢]

* * *

(١) وانظر تفسير « البشارة » فيما سلف ٩ : ٣١٨ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « قدير » فيما سلف من فهارس اللغة .

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾

قال أبو جعفر : وهذا أيضاً من الله تعريفٌ لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، قديمَ تمادى هؤلاء اليهود فى الغىّ ، وبعدِهم عن الحق، وسوء اختيارهم لأنفسهم، وشدة خلافهم لأنبيائهم ، وبطء إنابتهم إلى الرشاد ، مع كثرة نعم الله عندهم ، وتتابع أياديه وآلائه عليهم= مسلِّياً بذلك نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم عما يحلّ به من علاجهم ، وينزل به من مقاساتهم فى ذات الله . يقول الله له صلى الله عليه وسلم : لا تأسَ على ما أصابك منهم، فإن الذهابَ عن الله ، والبعد من الحق، وما فيه لهم الحظ فى الدنيا والآخرة ، من عاداتهم وعادات أسْلافهم وأوائلهم = وتعزَّ بما لاقى منهم أخوك موسى صلى الله عليه وسلم = واذْكُر إذ قال موسى لهم: « يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم »، يقول: اذكروا أيادِى الله عندكم، وآلاءه قبلكم ،(١) كما : —

١١٦٢٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبدالله بن الزبير ، عن ابن عيينة: «اذكروا نعمة الله عليكم »، قال : أيادى الله عندكم وأيّامه .(٢)

١١٦٢٣ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله: « اذكروا نعمة الله عليكم »، يقول: عافية الله عز وجل .

* * *

قال أبو جعفر : وإنما اخترنا ما قلنا، لأن الله لم يخصص من النعم شيئاً، بل عمّ ذلك بذكر النعم، فذلك على العافية وغيرها، إذ كانت « العافية » أحد معانى « النعم» .

* * *

(١) انظر تفسير « النعمة » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٢) الأثر : ١١٦٢٢ — « عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله بن أسامة الأسدى الحميدى » . روى عن ابن عيينة ، والشافعى وهذه الطبقة . روى عن البخارى . ومضى برقم : ٩٩١٤ .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : أنَّ موسى ذكَّر قومه من بنى إسرائيل بأيَّام الله عندهم ، وبآلائه قبلهم ، مُحَرِّضهم بذلك على اتباع أمر الله فى قتال الجبارين ،(١) فقال لهم : اذكروا نعمة الله عليكم أنْ فضّلكم ، بأن جعل فيكم أنبياء يأتونكم بوحيه ، ويخبرونكم بأنباء الغيب ،(٢) ولم يعط ذلك غيركم فى زمانكم هذا .(٣)

= فقيل : إن الأنبياء الذين ذكَّرهم موسى أنهم جُعلوا فيهم : هم الذين اختارهم موسى إذ صار إلى الجبل ، وهم السبعون الذين ذكرهم الله فقال : ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا ﴾ [سورة الأعراف : ١٥٣] .

* * *

= « وجعلكم ملوكاً » ، سخر لكم من غيركم خدماً يخدمونكم .

* * *

وقيل : إنما قال ذلك لهم موسى ، لأنه لم يكن فى ذلك الزمان أحدٌ سواهم يخدُمه أحد من بنى آدم .

* ذكر من قال ذلك :

١١٦٢٤ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمةَ الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياءَ

---

(١) فى المطبوعة : « فحرضهم بذلك » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « ويخبرونكم بآياته الغيب » ، وهو كلام فارغ من المعنى ، وفى المخطوطة هكذا « باياتنا الغيب » ، وصواب قراءتها ماأثبت .

(٣) انظر تفسير « نبى » فيما سلف ٢ : ١٤٠ — ٦/١٤٢ : ٣٨٠ ، وغيرها فى فهارس اللغة .

وجعلكم ملوكاً »، قال: كنا نحدَّثُ أنهم أول من سُخِّر لهم الخدَم من بنى آدم وملَكوا.

* * *

وقال آخرون : كل من ملك بيتاً وخادماً وامرأةً ، فهو « ملك » ، كائناً من كان من الناس.

* ذكر من قال ذلك :

١١٦٢٥ – حدثنا يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنا أبو هانى : أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلى يقول: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص، وسأله رجل فقال : ألسنا من فقراء المهاجرين ؟ فقال له عبد الله : ألك امرأة تأوى إليها؟ قال: نعم! قال ألك مسكن تسكُنُه؟ قال: نعم ! قال: فأنت من الأغنياء ! فقال : إنّ لى خادماً . قال : فأنت من الملوك .(١)

١١٦٢٦ – حدثنا الزبير بن بكار قال، حدثنا أبو ضمرة أنس بن عياض قال : سمعت زيد بن أسلم يقول : « وجعلكم ملوكاً » ، فلا أعلم إلاّ أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كان له بيتٌ وخادم فهو ملك .(٢) ١٠٩/٦

١١٦٢٧ – حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنا العلاء بن عبد الجبار، عن

---

(١) الأثر : ١١٦٢٥ – « أبو هانىء » ، هو : « حميد بن هانىء الخولانى المصرى » من ثقات التابعين ، مضى : ٦٠٣٩ ، ٦٦٥٧ .

و « أبو عبد الرحمن الحبلى » ، هو : « عبد الله بن يزيد المعافرى »، تابعى ثقة ، مضى برقم : ٦٦٥٧ ، ٩٤٨٣ .

وهذا حديث صحيح ، رواه مسلم فى صحيحه ١٨ : ١٠٩ ، ١١٠ ، من طريق أبى الطاهر أحمد بن عمرو بن سرح ، عن ابن وهب ، بإسناده ، مطولا .

وقصر السيوطى فى الدر المنثور ١ : ٢٧٠ فقال « أخرجه سعيد بن منصور » ، واقتصر عليه .

(٢) الأثر : ١١٦٢٦ – « الزبير بن بكار » شيخ الطبرى ، مضى برقم : ٧٨٥٥ . « وأنس بن عياض بن ضمرة » ، ثقة . مضى برقم : ٧ ، ١٦٧٩ .

والحديث خرجه السيوطى فى الدر المنثور ١ : ٢٧٠ ، ولم ينسبه لابن جرير ، ونسبه للزبير بن بكار فى الموفقيات ، ولأبى داود فى مراسيله . وذكره ابن كثير فى تفسيره ٣ : ١١٢ ، ١١٣ ، وقال : « وهذا مرسل غريب » .

حماد بن سلمة، عن حميد، عن الحسن : أنه تلا هذه الآية : « وجعلكم ملوكاً » ، فقال : وهل المُلْك إلاّ مركبٌ وخادمٌ ودار ؟

* * *

فقال قائلو هذه المقالة : إنما قال لهم موسى ذلك ، لأنهم كانوا يملكون الدّور والخدم ، ولهم نساءٌ وأزواج .

* ذكر من قال ذلك :

١١٦٢٨ – حدثنا سفيان بن وكيع وابن حميد قالا ، حدثنا جرير، عن منصور = قال : أراه عن الحكم= : « وجعلكم ملوكاً »، قال : كانت بنو إسرائيل إذا كان للرجل منهم بيتٌ وامرأة وخادم ، عُدّ ملكاً .

١١٦٢٩ – حدثنا هناد قال ، حدثنا وكيع ، عن سفيان = ح، وحدثنا سفيان قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان = عن منصور ، عن الحكم : « وجعلكم ملوكاً » ، قال : الدار والمرأة ، والخادم = قال سفيان : أو اثنتين من الثلاثة .[1]

١١٦٣٠ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا مؤمل قال، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن رجل ، عن ابن عباس فى قوله : « وجعلكم ملوكاً » ، قال : البيت والخادم .

١١٦٣١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن منصور ، عن الحكم أو غيره ، عن ابن عباس فى قوله : « وجعلكم ملوكاً » ، قال : الزوجة والخادم والبيت .

١١٦٣٢ – حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « وجعلكم ملوكاً » ، قال : جعل لكم أزواجاً وخدماً و بيوتاً .

١١٦٣٣ – حدثنا المثنى قال، حدثنا على بن محمد الطنافسى قال، حدثنا

---

(١) فى المطبوعة : « واثنتين » بالواو ، والصواب من المخطوطة .

أبو معاوية ، عن حجاج بن تميم ، عن ميمون بن مهران ، عن ابن عباس فى قول الله : « وجعلكم ملوكاً » ، قال : كان الرجل من بنى إسرائيل إذا كانت له الزوجة والخادم والدار يسمَّى مَلِكاً .(١)

١١٦٣٤ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « وجعلكم ملوكاً » ، قال : مُلْكُهم الخدم = قال قتادة : كانوا أوَّل من مَلَك الخدم .

١١٦٣٥ – حدثنى الحارث بن محمد قال ، حدثنا عبد العزيز بن أبان قال ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مجاهد : « وجعلكم ملوكاً » ، قال : جعل لكم أزواجاً وخدماً وبيوتاً .

* * *

وقال آخرون : إنما عنى بقوله : « وجعلكم ملوكاً » ، أنهم يملكون أنفُسَهم وأهلِيهم وأموالهم .

* ذكر من قال ذلك :

١١٦٣٦ – حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وجعلكم ملوكاً » ، يملك الرجل منكم نفسَه وأهلَه ومالَه .

* * *

---

(١) الأثر : ١١٦٣٣ – « على بن محمد بن إسحق الطنافسى » ، روى عن أبى معاوية الضرير . ثقة صدوق . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٢٠٢/١/٣ . وكان فى المخطوطة « الطيالسى » ، وهو خطأ من الناسخ .

و « أبو معاوية » الضرير ، هو : « محمد بن حازم التميمى » . ثقة كثير الحديث ، كان يدلس . مضى برقم : ٢٧٨٣ .

و « حجاج بن تميم الجزرى » . روى عن ميمون بن مهران ، وروى عنه أبو معاوية الضرير . قال النسائى : « ليس بثقة » ، وقال الأزدى : « ضعيف » . وقال العقيلى : « روى عن ميمون بن مهران أحاديث لا يتابع عليها » . وقال ابن حبان فى الثقات : « روى عن ميمون بن مهران . روى عنه أبو معاوية الضرير » . مترجم فى التهذيب . وكان فى المخطوطة والمطبوعة : « حجاج بن نعيم » ، وهو خطأ محض كما ترى .

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٢٠)

قال أبو جعفر : اختلف فيمن عنوا بهذا الخطاب .

فقال بعضهم : عنى به أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

* ذكر من قال ذلك :

١١٦٣٧ – حدثنا سفيان بن وكيع قال ، حدثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن السدى ، عن أبى مالك وسعيد بن جبير : « وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين » ، قالا : أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

* * *

وقال آخرون : عُنِى به قوم موسى صلى الله عليه وسلم .

* ذكر من قال ذلك :

١١٦٣٨ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : هم قوم موسى .

١١٦٣٩ – حدثنى الحارث بن محمد قال ، حدثنا عبد العزيز بن أبان قال ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : « وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين » ، قال : هم بين ظهرانيه يومئذ .[1]

* * *

ثم اختلفوا فى الذى آتاهمُ الله ما لم يؤت أحداً من العالمين .

---

(١) الأثر ١١٦٣٩ – هذا الخبر رواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٣١١ ، ٣١٢ ، من طريق مصعب بن المقدام ، عن سفيان بن سعيد ، عن الأعمش ، مطولا . ونصه : « الذين هم بين ظهرانيهم يومئذ » . وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبى .

والذى فى نص الطبرى « هم بين ظهرانيه يومئذ » ، الضمير بالإفراد ، كأنه يعنى « العالم » الذى هم بين ظهرانيه يومئذ .

والخبر خرجه السيوطى فى الدر المنثور ١ : ٢٦٩ ، وزاد نسبته للفريابى ، وابن المنذر ، والبيهقى فى شعب الإيمان .

فقال بعضهم : هو المنّ والسلوى والحجر والغمام. (١)

* ذكر من قال ذلك :

١١٦٤٠ – حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد : « وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين » ، قال : المنّ والسلوى والحجر والغمام .

١١٦٤١ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين » ، يعني : أهل ذلك الزمان، المنّ والسلوى والحجر والغمام .

* * *

وقال آخرون : هو الدّار والخادِم والزوجة .

* ذكر من قال ذلك :

١١٦٤٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا بشر بن السرى ، عن طلحة بن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس : « وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين » ، قال : الرجل يكون له الدار والخادم والزوجة .(٢)

١١٦٤٣ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : « وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين » ، المنّ والسلوى والحجر والغمام .

* * *

---

(١) « الحجر » ، يعني الحجر الذى ضربه موسى بعصاه ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً . وانظر ما سلف ٢ : ١١٩ – ١٢٢ .

(٢) الأثر : ١١٦٤٢ – « بشر بن السرى البصرى » ، أبو عمرو الأفوه ، ثقة كثير الحديث . روى له الجماعة ، وهو من شيوخ أحمد . مترجم فى التهذيب .

و « طلحة بن عمرو بن عثمان الحضرمى » ، روى عن عطاء بن أبي رباح ، وسعيد بن جبير وغيرهما . ضعيف جداً، قال أحمد : « لا شيء، متروك الحديث » . وقال ابن عدى : « روى عنه قوم ثقات ، وعامة ما يرويه لا يتابع عليه » . وقال ابن حبان : « لا يحل كتب حديثه ولا الرواية عنه ، إلا على جهة التعجب » . مترجم فى التهذيب .

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين فى ذلك عندى بالصواب ، قولُ من قال : « وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين » ، فى سياق قوله : « اذكروا نعمة الله عليكم » ، ومعطوفٌ عليه .(١) ٦/١١٠

ولا دلالة فى الكلام تدلّ على أن قوله : « وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين » ، مصروف عن خطاب الذين ابتدىءَ بخطابهم فى أوّل الآية . فإذ كان ذلك كذلك ، فأنْ يكون خطاباً لهم ، أولى من أن يقال : هو مصروف عنهم إلى غيرهم .

فإن ظن ظان أن قوله : « وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين » ، لا يجوز أن يكون لهم خطاباً ،(٢) إذ كانت أمة محمّد قد أوتيت من كرامة الله جلّ وعزّ بنبيّها عليه السلام محمّدٍ ، ما لم يُؤتَ أحدٌ غيرهم ،(٣) = وهم من العالمين =(٤) فقد ظنّ غير الصواب . وذلك أن قَوله : « وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين » ، خطاب من موسى صلى الله عليه وسلم لقومه يومئذٍ ، وعنى بذلك عالمى زمانه ، لا عالمى كل زمان . ولم يكن أوتى فى ذلك الزمان من نِعَم الله وكرامته ، ما أوتى قومُه صلى الله عليه وسلم ، أحد من العالمين .(٥) فخرج الكلام منه صلى الله عليه على ذلك ، لا على جميع [عالم] كلّ زمان .(٦)

* * *

---

(١) لم يفهم ناشر المطبوعة عربية أبى جعفر ، فجعل الكلام هكذا : « وآتاكم ما لم يوت أحداً من العالمين ، خطاب لبنى إسرائيل حيث جاء فى سياق قوله : اذكروا نعمة الله عليكم = ومعطوفاً عليه » ، فغير وزاد وأساء وخان الأمانة !!

(٢) فى المطبوعة : « لا يجوز أن تكون خطاباً لبنى إسرائيل » بزيادة « لبنى إسرائيل » ، وفى المخطوطة : « أن تكون له خطاباً » ، وصواب قراءتها ما أثبت .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « من كرامة الله نبيها عليه السلام محمداً ما لم يؤت أحداً غيرهم » ، فأثبت زيادة المخطوطة ، وجعلت « نبيها » « بنبيها » ، بزيادة الباء فى أوله ، وجعلت « أحداً » « أحد » ، وذلك الصواب المحض .

(٤) السياق : « فإن ظن ظان . . . فقد ظن غير الصواب » .

(٥) السياق : « ولم يكن أوتى فى ذلك الزمان . . . أحد من العالمين » .

(٦) انظر تفسير « العالمين » فيما سلف ١ : ١٤٣ - ٢/١٤٦ : ٢٣ - ٥/٢٦ : ٦/٣٧٥ : ٣٩٣ .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله عز ذكره عن قول موسى صلى الله عليه وسلم لقومه من بنى إسرائيل ، وأمرِه إياهم = عن أمر الله إياه = بأمرهم بدخول الأرض المقدسة .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى الأرض التى عناها بـ « الأرض المقدَّسة » .

فقال بعضهم : عنى بذلك الطورَ وما حوله .

* ذكر من قال ذلك :

١١٦٤٤ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « الأرض المقدسة » ، الطور وما حوله .

١١٦٤٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١١٦٤٦ — حدثنى الحارث بن محمد قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : « ادخلوا الأرض المقدسة » ، قال : الطور وما حوله .

* * *

وقال آخرون : هو الشأم .

* ذكر من قال ذلك :

١١٦٤٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « الأرض المقدسة » ، قال : هى الشأم .

* * *

وقال آخرون : هى أرض أريحا .

* ذكر من قال ذلك :

١١٦٤٨ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم » ، قال : أريحا .

١١٦٤٩ – حدثنى يوسف بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : هى أريحا .

١١٦٥٠ – حدثنى عبد الكريم بن الهيثم قال، حدثنا إبراهيم بن بشار قال ، حدثنا سفيان ، عن أبى سعيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : هى أرْيحا .

* * *

وقيل : إن « الأرض المقدسة » ، دمشق وفلسطين وبعض الأرْدُنّ .

* * *

وعنى بقوله : « المقدسة » ، المطهرة المباركة ،[1] كما :–

١١٦٥١ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد : « الأرض المقدسة » ، قال: المباركة .

١١٦٥٢ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد، بمثله .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : هى الأرض المقدّسة ، كما قال نبى الله موسى صلى الله عليه ، لأن القول فى ذلك بأنها أرض دون أرض ، لا تُدرك حقيقةُ صحته إلا بالخبر ، ولا خبر بذلك يجوز قطع الشهادة به . غير أنها لن تخرج من أن تكون من الأرض التى ما بين الفرات وعريش مصر ، لإجماع جميع أهل التأويل والسِّير والعلماء بالأخبار على ذلك .

* * *

(١) انظر تفسير « التقديس » فيما سلف ١ : ٤٧٥ ، ٢/٤٧٦ : ٣٢٢ .

ويعنى بقوله : « التى كتب الله لكم » ، التى أثبت فى اللوح المحفوظ أنها لكم مساكن ومنازل، دون الجبابرة التى فيها .[١]

* * *

فإن قال قائل : فكيف قال : « التى كتب الله لكم » ، وقد علمت أنهم لم يدخلوها بقوله : « فإنها محرَّمة عليهم » ؟ فكيف يكون مثبتاً فى اللوح المحفوظ أنها مساكن لهم ، ومحرماً عليهم سكناها ؟

قيل : إنها كتبت لبنى إسرائيل داراً ومساكن ، وقد سكنوها ونزلوها وصارت لهم ، كما قال الله جل وعز . وإنما قال لهم موسى : « ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم »، يعنى بها : كتبها الله لبنى إسرائيل ، = وكان الذين أمرهم موسى بدخولها من بنى إسرائيل = ولم يعن صلى الله عليه أن الله تعالى ذكره كتبها للذين أمرهم بدخولها بأعيانهم .

ولو قال قائل : قد كانت مكتوبة لبعضهم ولخاص منهم = فأخرج الكلام على العموم ، والمراد منه الخاص ، إذ كان يُوشع وكالب قد دخلا ،[٢] وكانا ممن خوطب بهذا القول = كان أيضاً وجهاً صحيحاً . ١١١/٦

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال ابن إسحق .

١١٦٥٣ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، « التى كتب الله لكم » ، التى وهب الله لكم .

* * *

وكان السدى يقول: معنى « كتب » ، فى هذا الموضع ، بمعنى : أمر.

١١٦٥٤ — حدثنا بذلك موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم » ، التى أمركم الله بها .

* * *

(١) انظر تفسير « كتب » فيما سلف ٩ : ٢٦٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) فى المطبوعة : « يوشع وكلاب » ، وانظر ما سلف ص : ١١٣ تعليق : ٢ .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَٰسِرِينَ ﴾ (٢١)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله عز ذكره عن قيل موسى عليه السلام لقومه من بنى إسرائيل، إذ أمرهم عن أمر الله عزّ ذكره إيّاه بدخول الأرض المقدسة، أنه قال لهم : امضُوا ، أيها القوم ، لأمر الله الذى أمركم به من دخول الأرض المقدسة = « ولا ترتدوا » ، يقول : لا ترجعوا القهقرى مرتدّين[1] = « على أدباركم » ، يعنى : إلى ورائكم،[2] ولكن امضوا قُدُماً لأمر الله الذى أمركم به ، من الدخول على القوم الذين أمركم الله بقتالهم والهجوم عليهم فى أرضهم ، وإنّ الله عز ذكره قد كتبها لكم مسكناً وقراراً .

ويعنى بقوله : « فتنقلبوا خاسرين » ، أى : تنصرفوا خائبين هُلَّكاً .[3]

* * *

وقد بينا معنى « الخسارة » فى غير هذا الموضع ، بشواهده المغنية عن إعادته فى هذا الموضع .[4]

* * *

فإن قال قائل : وما كان وجه قيل موسى لقومه، إذْ أمرهم بدخول الأرض المقدسة : « لا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين » ، أوَ يستوجب الخسارة من لم يدخل أرضاً جعلت له ؟

---

(١) انظر تفسير « ارتد » فيما سلف ٣ : ٤/١٦٣ : ٣١٦ .

(٢) انظر تفسير « الأدبار » فيما سلف ٧ : ١٠٩ .

(٣) انظر تفسير « انقلب » فيما سلف ٣ : ٧/١٦٣ : ٤١٤ . وكانت هذه العبارة فى المخطوطة والمطبوعة : « أنكم تنصرفوا خائبين هكذا » ، ورجحت أن صواب قراءتها ما أثبت . و « هلك » جمع « هالك » . وقد مر تفسيره « الخسارة » بمعنى « الهلاك » .

(٤) انظر تفسير « الخسارة » فيما سلف ٩ : ٢٢٤ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

قيل : إن الله عز ذكره كان أمرهم بقتال من فيها من أهل الكفر به وفرض عليهم دخولها ، [١] فاستوجب القوم الخسارة بتركهم إذًا فرضَ الله عليهم من وجهين : أحدُهما : تضييع فرض الجهاد الذى كان الله عز ذكره فرضه عليهم = والثانى : خلافهم أمر الله فى تركهم دخول الأرض ، وقولهم لنبيهم موسى صلى الله عليه وسلم إذ قال لهم : « ادخلوا الأرض المقدسة » : « إنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون » .

* * *

وكان قتادة يقول فى ذلك بما : —

١١٦٥٥ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم » ، أمروا بها ، كما أمروا بالصلاة والزكاة والحجِّ والعُمْرة .

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّـٰرِينَ ﴾

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن جواب قوم موسى عليه السلام ، إذ أمرهم بدخول الأرض المقدسة : أنهم أبوا عليه إجابته إلى ما أمرهم به من ذلك ، [٢] واعتلّوا عليه فى ذلك بأن قالوا ، إن فى الأرض المقدسة التى تأمرنا بدخولها ، قوماً جبارين لا طاقة لنا بحربهم ، ولا قوة لنا بهم . وسموهم « جبّارين » ، لأنهم كانوا لشدة بطشهم وعظيم خلقهم ، [٣] فيما ذكر لنا ، قد قهروا سائر الأمم غيرهم .

---

(١) فى المطبوعة : « كان أمره » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « إجابة إلى ما أمرهم » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « بشدة بطشهم » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

وأصل « الجبار »، المصلح أمر نفسه وأمرَ غيره، ثم استعمل فى كل من اجترّ نفعاً إلى نفسه بحق أو باطل طلبَ الإصلاح لها ، حتى قيل للمتعدّى إلى ما ليس له = بغياً على الناس ، وقهراً لهم ، وعتوًّا على ربه = « جبار »، وإنما هو « فعّال » من قولهم : « جبر فلان هذا الكسر » ، إذا أصلحه ولأمه ، ومنه قول الراجز : (١)

قَدْ جَبَرَ الدِّينَ الإِلٰهُ فَجَبَرْ وَعَوَّرَ الرَّحْمٰنُ مَنْ وَلَّى العَوَرْ.(٢)

يريد : قد أصلح الدين الإله فصلح . ومن أسماء الله تعالى ذكره « الجبار » ، لأنه المصلحُ أمرَ عباده ، القاهرُ لهم بقدرته.

* * *

ومما ذكرته من عظم خلقهم ما : —

١١٦٥٦ — حدثنى به موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى فى قصة ذكرها من أمر مُوسى وبنى إسرائيل ، قال : ثم أمرهم بالسير إلى أريحا = وهى أرض بيت المقدس = فساروا ، حتى إذا كانوا قريباً منهم ، بعث موسى اثنى عشر نقيباً من جميع أسباط بنى إسرائيل ، فساروا يريدون أن يأتوه بخبر الجبّارين، فلقيهم رجل من الجبارين يقال له « عاج » ، (٣) فأخذ الاثنى عشر فجعلهم فى حُجْزَته ، وعلى رأسه حَمْلة حطب ، (٤) وانطلق بهم

---

(١) هو العجاج .

(٢) ديوانه : ١٥ ، واللسان (جبر) (عور) ، وهو أول أرجوزته التى مدح بها عمر ابن عبيد الله بن معمر التيمى ، وقد مضت منها أبيات ، وذكرنا خبرها فيما سلف ، انظر ١ : ٢/١٩٠ : ٣/١٥٧ : ٤/٢٢٩ : ٣٢١ . وقوله : « قد جبر الدين الإله » ، من قولهم : « جبرت العظم » متعدياً ، « فجبر » ، لازماً ، أى : انجبر العظم نفسه . و « العور » ، فى هذا الشعر ، هو قبح الأمر وفساده ، وترك الحق فيه ، وليس من عور العين . و « عور الشىء » قبحه . يدعو فيقول : قبح الله من اتبع الفساد واستقبله بوجهه . من قولهم « ولى الشىء وتولاه » ، أى اتبعه وفى التنزيل: « ولكل وجة هو موليها »، أى مستقبلها ومتبعها ، فهذا تفسير البيت بلا خلط فى تفسيره .

(٣) فى المطبوعة : « عوج » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو موافق لما سلف رقم : ١١٥٧٢ ، وتاريخ الطبرى .

(٤) انظر ما سلف ص١١٢ تعليق: ١، ٢ ، وما غيره، مصحح المطبوعة السالفة هناك .

إلى امرأته فقال، انظرى إلى هؤلاء القوم الذين يزعمون أنهم يريدون أن يقاتلونا ! ! فطرحهم بين يديها، فقال : ألا أطحنهم برجلى ؟ فقالت امرأته : لا ، بل خلِّ عنهم حتى يُخبروا قومهم بما رأوا ! ففعل ذلك .(١)

١١٦٥٧ – حدثنى عبد الكريم بن الهيثم قال، حدثنا إبراهيم بن بشار قال، حدثنا سفيان قال، قال أبو سعيد ، قال عكرمة ، عن ابن عباس قال : أمر موسى أن يدخل مدينة الجبَّارين . قال : فسار موسى بمن معه حتى نزل قريباً من المدينة = وهى أريحا = فبعث إليهم اثنى عشر عيناً، من كل سبطٍ منهم عيناً، ليأتوه بخبر القوم. قال: فدخلوا المدينة، فرأوا أمراً عظيماً من هيئتهم وجثثهم وعظمهم، فدخلوا حائطاً لبعضهم، فجاء صاحب الحائط ليجتنى الثمار من حائطه ، فجعل يجتنى الثمار وينظر إلى آثارهم ، وتتبعهم . فكلما أصاب واحداً منهم أخذه فجعله فى كمه مع الفاكهة ، وذهب إلى ملكهم فنثرهم بين يديه . فقال الملك : قد رأيتم شأننا وأمرنا، اذهبوا فأخبروا صاحبكم . قال: فرجعوا إلى موسى فأخبروه بما عايَنُوا من أمرهم. ٦/١١٢

١١٦٥٨ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة فى قوله: «إن فيها قوماً جبَّارين»، ذكر لنا أنهم كانت لهم أجسام وخِلَقٌ ليست لغيرهم.

١١٦٥٩ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : إن موسى عليه السلام قال لقومه : « إنى سأبعث رجالاً يأتوننى بخبرهم» = وإنه أخذ من كل سبط رجلاً ، فكانوا اثنى عشر نقيباً ، فقال : « سيروا إليهم وحدِّثونى حديثهم وما أمرهم ، ولا تخافوا ، إن الله معكم ما أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برُسله وعزرتموهم وأقرضتُم الله قرضاً حسناً»= وإنّ القوم ساروا حتى هجموا عليهم ،(٢) فرأوا أقواماً لهم أجسام عجبٌ عظماً

(١) الأثر : ١١٦٥٦ – مضى مطولا برقم : ١١٥٧٢ ، وهو فى تاريخ الطبرى ١ : ٢٢١ ، ٢٢٢ .

(٢) فى المطبوعة : «ثم إن القوم» ، وأثبت ما فى المخطوطة .

وقوة ، وإنه =فيما ذكر = أبصرهم أحد الجبّارين ، وهم لا يألون أن يخفُوا أنفسهم حين رأوا العجب . فأخذ ذلك الجبّار منهم رجالاً ، فأتى رئيسَهم فألقاهم قدّامه ، فعجبوا وضحكوا منهم. فقال قائل منهم : «فإنّ هؤلاء زعموا أنهم أرادوا غزوكم» ! ! [1] وأنه لولا ما دفع الله عنهم لقُتلوا، وأنهم رجعوا إلى موسى عليه السلام فحدّثوه العجب.

١١٦٦٠ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « اثني عشر نقيباً » ، من كل سبط من بني إسرائيل رجل ، أرسلهم موسى إلى الجبارين ، فوجدُوهم يدخل في كُمّ أحدهم اثنان منهم ؛ يلقونهم إلقاءً ، ولا يحمل عنقود عِنبهم إلاّ خمسة أنفُسٍ بينهم في خشبة ، ويدخُل في شطر الرمانة إذا نزع حبها خمسة أنفس ، أو أربعة. [2]

١١٦٦١ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد، نحوه .

١١٦٦٢ – حدثني محمد بن وزير بن قيس ، عن أبيه، عن جويبر ، عن الضحاك : « إن فيها قوماً جبارين» ، قال : سِفْلة لا خَلاقَ لهم . [3]

* * *

---

(١) في المطبوعة : « إن هؤلاء » ، بحذف الفاء ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) الأثر : ١١٦٦٠ – مضى هذا الأثر برقم : ١١٥٧٣ ، ١١٥٧٤ .

(٣) الأثر : ١١٦٦٢ – « محمد بن وزير بن قيس الواسطي » ، روى عن أبيه ، وابن عيينة ، ويحيى بن سعيد القطان ، وغيرهم . روى عنه الترمذي وابن أبي حاتم، وغيرهما . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ١١٥/١/٤ .

وأبوه « وزير بن قيس الواسطي » ، روى عن جويبر . مترجم في ابن أبي حاتم ٤٤/٢/٤ .

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ (٢٢)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله عز ذكره عن قولِ قوم موسى لموسى ، جواباً لقوله لهم : « ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم » ، فقالوا : « إنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها »، يعنون : [حتى يخرج] من الأرض المقدسة الجبارون الذين فيها، (١) جبناً منهم، وجزعاً من قتالهم . وقالوا له : إن يخرج منها هؤلاء الجبارون دخلناها ، وإلا فإنا لا نُطيق دخولها وهم فيها، لأنه لا طاقة لنا بهم ولا يَدَان . (٢)

١١٦٦٣ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق، أن كالب ابن يوفنا أسكت الشعْبَ عن موسى صلى الله عليه وسلم فقال لهم : إنا سنعلو الأرض ونرثُها ، وإن لنا بهم قوّة ! وأما الذين كانوا معه فقالوا : لا نستطيع أن نصل إلى ذلك الشعب ، من أجل أنهم أجرأ منا ! ثم إن أولئك الجواسيس أخبروا بنى إسرائيل الخبر وقالوا : إنّا مررنا فى أرض وحسسناها ، فإذا هى تأكل ساكنها ، ورأينا رجالهَا جساماً ، ورأينا الجبابرة بنى الجبابرة ، وكنا فى أعينهم مثل الجراد ! فأرجفت الجماعة من بنى إسرائيل ، فرفعوا أصواتهم بالبكاء ، فبكى الشعب تلك الليلة، ووسوسُوا على موسى وهرون، (٣) فقالوا لهما : يا ليتنا مِتنا فى أرض مصر ! وليتنا نموت فى هذه البرية ، ولم يدخلنا الله هذه الأرض لنقع فى الحرب ، فتكون نساؤنا وأبناؤنا وأثقالنا غنيمةً ! ولو كنا قعوداً فى أرض مصر ، كان خيراً لنا ! وجعل الرجل يقول لأصحابه : تعالوا نجعل علينا رأساً وننصرف إلى مصر .

* * *

(١) ما بين القوسين زيادة يقتضيها السياق .

(٢) فى المطبوعة : « ولايد » ، وفى المخطوطة « ولا بدان » غير منقوطة .

(٣) « وسوس عليه » ، انظر تفسيرها فى الأثر رقم : ١١٦٩٧ ص: ١٩٥، تعليق : ٧ .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ﴾

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله عز ذكره عن الرجلين الصَّالحين من قوم موسى : « يوشع بن نون » و « كالب بن يوفنا » ، أنهما وفيّا لموسى بما عهد إليهما من ترك إعلام قومِه بنى إسرائيل= الذين أمرَهم بدخول الأرض المقدسة على الجبابرة من الكنعانيين = بما رأيا وعاينا من شدّة بَطش الجبابرة وعِظم خلقهم، ووصفهما الله عز وجل بأنهما ممن يخاف الله ويراقبه فى أمره ونهيه، كما : — ١١٣/٦

١١٦٦٤ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان = ح ، وحدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى، عن سفيان = ح ، وحدثنا هناد قال ، حدثنا وكيع ، عن سفيان = عن منصور ، عن مجاهد : « قال : رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما »، قال : كلاب بن يافنا ،[1] ويوشع بن نون .

١١٦٦٥ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن عمرو بن أبى قيس ، عن منصور ، عن مجاهد قال : « رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما » ، قال : يوشع بن نون ، وكلاب بن يافنا ، [2] وهما من النقباء .

١١٦٦٦ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قصة ذكرها ، قال : فرجع النقباء، كلُّهم ينهى سِبْطه عن قتالهم ، إلا يوشع بن نون، وكلاب بن يافنة،[2] يأمران الأسباط بقتال الجبارين ومجاهدتهم ، فعصوهما وأطاعوا الآخرين ، فهما الرجلان اللذان أنعم الله عليهما .[3]

---

(١) فى المطبوعة الموضعين : « يوفنة » ، وفى المخطوطة فى الموضعين : « فانيا » ، وانظر ص : ١١٣ تعليق : ٢ .

(٢) فى المطبوعة : « يوفنا » ، وفى المخطوطة : « فانيه » . وانظر التعليق على الأثر : ١١٥٧٣ .

(٣) الأثر : ١١٦٦٦ — مضى هذا الخبر برقم : ١١٥٧٣ ، ومضى صدره قريباً برقم : ١١٦٦٠ .

١١٦٦٧ – حدثنا ابن حميد وسفيان بن وكيع قالا ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثل حديث ابن بشار ، عن ابن مهدى = إلاّ أنّ ابن حميد قال فى حديثه : هما من الاثنى عشر نقيباً .

١١٦٦٨ – حدثنى عبد الكريم بن الهيثم قال ، حدثنا إبراهيم بن بشار قال ، حدثنا سفيان قال ، قال أبو سعيد ، قال عكرمة ، عن ابن عباس فى قصة ذكرها . قال : فرجعوا = يعنى النقباء الاثنى عشر = إلى موسى ، فأخبروه بما عاينوا من أمرهم ، فقال لهم موسى : اكتموا شأنهم ، ولا تخبروا به أحداً من أهل العسكر ، فإنكم إن أخبرتموهم بهذا الخبر فَشِلوا ولم يدخلوا المدينة .[1] قال : فذهب كل رجل منهم فأخبر قريبه وابنَ عمه ، إلا هذين الرجلين = يوشع بن نون ، وكلاب بن يوفنة = فإنهما كتما ولم يخبرا به أحداً ، وهما اللذان قال الله عز وجل : « قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما » ، إلى قوله : « وبين القوم الفاسقين » .

١١٦٦٩ – حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما » ، وهما اللذان كتماهم : يوشع بن النون فتى موسى ،[2] وكالوب بن يوفنة ختَنُ موسى .

١١٦٧٠ – حدثنا سفيان قال ، حدثنا عبيد الله ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية : « قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما » ، كالوب ، ويوشع ابن النون فتى موسى .[3]

١١٦٧١ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى

---

(١) « فشل » : جبن ونكص .

(٢) فى المخطوطة : « هو يوشع بن النون » ، وأظن أصلها « هوشع بن النون » ، كما سلف فى ص : ١١٣ ، تعليق : ٢ . وكان فى المطبوعة هنا « نون » ، فأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « بن نون » ، فى الموضعين ، وأثبت ما فى المخطوطة .

قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : «قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما » ، والرجلان اللذان أنعم الله عليهما من بني إسرائيل : يوشع بن النون ، وكالوب بن يوفنة .

١١٦٧٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما » ، ذكر لنا أن الرجلين يوشع بن نون وكالب .

١١٦٧٣ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : أن موسى قال للنقباء لمّا رجعوا فحدثوه العجبَ : « لا تحدثوا أحداً بما رأيتم ، إن الله سيفتحها لكم ويظهركم عليها من بعد ما رأيتم » = وإن القوم أفشوا الحديث في بني إسرائيل ، فقام رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ،[1] كان أحدهما ، فيما سمعنا ، يوشع بن نون وهو فتى موسى ، والآخر كالب — فقالا : « ادخلوا عليهم الباب » إلى « إن كنتم مؤمنين » .[2]

* * *

قال أبو جعفر : واختلفت القرأة في قراءة قوله : « قال رجلان من الذين يخافون » .

قرأ ذلك قرأة الحجاز والعراق والشام : ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ﴾ ، بفتح « الياء » من « يخافون » ، على التأويل الذي ذكرنا عمن ذكرنا عنه آنفاً ، أنهما يوشع بن نون وكالب ، من قوم موسى ، ممن يخاف الله ، وأنعمَ عليهما بالتوفيق .

* * *

(١) في المخطوطة : « فقام رجلان هما اللذان يخافون . . . » ، والذي في المطبوعة هو الصواب .

(٢) في المطبوعة : « ادخلوا عليهما الباب إن كنتم مؤمنين » ، وهو غير صواب ، والصواب من المخطوطة .

وكان قتادة يقول : فى بعض القراءة : ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ اللهَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا ﴾ .

١١٦٧٤ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة = ح ، وحدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما » ، فى بعض الحروف : ﴿ يَخَافُونَ اللهَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا ﴾ .

* * *

وهذا أيضاً مما يدل على صحة تأويل من تأوّل ذلك على ما ذكرنا عنه أنه قال: ١١٤/٦ يوشع ، وكالب .

* * *

وروى عن سعيد بن جبير أنه كان يقرأ ذلك : ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الذِينَ يُخَافُونَ ﴾ بضم الياء ﴿ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا ﴾ .

١١٦٧٥ – حدثنى بذلك أحمد بن يوسف قال، حدثنا القاسم بن سلام قال ، حدثنا هشيم ، عن القاسم بن أبى أيوب = ولا نعلمه أنه سمع منه = عن سعيد بن جبير : أنه كان يقرؤها بضم الياء من ﴿ يُخَافُونَ ﴾.

* * *

وكأن سعيداً ذهب فى قراءته هذه إلى أن الرجلين اللذين أخبر الله عنهما أنهما قالا لبنى إسرائيل: « ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون » ، كانا من رهط الجبابرة ، وكانا أسلما واتّبعا موسى ، فهما من أولاد الجبابرة الذين يخافهم بنو إسرائيل ،[1] وإن كانوا لهم فى الدين مخالفين .[2]

* * *

وقد حكى نحو هذا التأويل عن ابن عباس .

---

(١) فى المخطوطة : « فهم من أولاد الجبابرة » ، والصواب ما فى المطبوعة .

(٢) فى المطبوعة : « وإن كانا لهم فى الدين مخالفين » ، وفى المخطوطة : « وإن كانوا لهم فى الدنيا مخالفين » ، والصواب المحض ما أثبته .

١١٦٧٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين » ، قال : هي مدينةُ الجبّارين . لما نزل بها موسى وقومه ، بعث منهم اثني عشر رجلاً = وهم النقباء الذين ذكر بعثتهم[1] = ليأتوه بخبرهم . فساروا ، فلقيهم رجل من الجبارين، فجعلهم في كسائه ، فحملهم حتى أتى بهم المدينة، ونادى في قومه فاجتمعوا إليه، فقالوا: من أنتم ؟ فقالوا : نحن قوم موسى ، بعثنا إليكم لنأتيه بخبركم ! فأعطوهم حبّة من عنب بوِقْر الرجل،[2] فقالوا لهم : اذهبوا إلى موسى وقومه فقولوا لهم : اقدُروا قَدْرَ فاكهتهم ! فلما أتوهم قالوا لموسى : « اذهب أنت وربُّك فقاتلا إنّا ههنا قاعدون » ! = «قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما »، وكانا من أهل المدينة أسلَما واتّبعا موسى وهرون، فقالا لموسى : « ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون * وعلى الله فتوكّلوا إن كنتم مؤمنين » .

* * *

قال أبو جعفر : فعلى هذه القراءة وهذا التأويل ، لم يكتم من الاثني عشر نقيباً أحدٌ ، ما أمرهم موسى بكتمانه بني إسرائيل مما رأوا وعاينوا من عظم أجسام الجبابرة ، وشدة بطشهم ، وعجيب أمورهم ، بل أفشوا ذلك كله . وإنما القائل للقوم ولموسى : « ادخلوا عليهم الباب » ، رجلان من أولاد الذين كان بنو إسرائيل يخافونهم ويرهبون الدخولَ عليهم من الجبابرة ، كانا أسلما وتبعا نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب عندنا ، قراءةُ من قرأ :

---

(١) في المطبوعة : « ذكر نعتهم » ، وفي المخطوطة : « ذكر بعثهم » ، وكتبتها « بعثتهم » ، ويعني بذلك ما جاء في الآية السالفة من هذه السورة : ١٠ « ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً » .

(٢) « الوقر » (بكسر فسكون) : الحمل والثقل .

﴿مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا﴾ ، لإجماع قرأة الأمصار عليها = وأنّ ما استفاضت به القراءة عنهم ، فحجة لا يجوز خلافها ،وما انفرد به الواحد ، فجائز فيه الخطأ والسهو . ثم فى إجماع الحجةِ فى تأويلها على أنهما رجلان من أصحاب موسى من بنى إسرائيل وأنهما يوشع وكلاب ، ما أغنى عن الاستشهاد على صحة القراءة بفتح « الياء » فى ذلك ، وفسادِ غيره . وهو التأويل الصحيحُ عندنا ، لما ذكرنا من إجماعها عليه .

* * *

وأما قوله : « أنعم الله عليهما » ، فإنه يعنى : أنعم الله عليهما بطاعة الله فى طاعة نبيه موسى صلى الله عليه ، وانتهائهم إلى أمره ، والانزجار عما زجرهما عنه صلى الله عليه وسلم ، من إفشاء ما عاينا من عجيب أمر الجبارين إلى بنى إسرائيل، الذى حدّث عنه أصحابهما الآخرون الذين كانوا معهما من النقباء .(١)

* * *

وقد قيل إن معنى ذلك: أنعم الله عليهما بالخوف.

* ذكر من قال ذلك :

١١٦٧٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا خلف بن تميم قال ، حدثنا إسحق بن القاسم ، عن سهل بن على قوله : « قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما » ، قال : أنعم الله عليهما بالخوف .(٢)

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « الذى حذر عنه أصحابهما الآخرين . . . » ، وفى المخطوطة : « الذى حول عنه أصحابهما الآخرون »، وصواب قراءة ذلك ما أثبت ، ولا معنى لتغيير ما غيره ناشر المطبوعة الأولى .

(٢) الأثر : ١١٦٧٧ — « خلف بن تميم بن أبى عتاب التميمى » ، أبو عبد الرحمن ، ثقة عابد . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١٨٠/١/٢ ، وابن أبى حاتم ٣٧٠/٢/١ .
و « إسحق بن القاسم » ، لم أجده .
وأما « سهل بن على » ، فلم أجد من يسمى بذلك إلا « سهل بن على المروزى » ، روى عن المبارك . روى عنه المراوزة كلامه ، وتأدبوا بورعه . مترجم فى ابن أبى حاتم ٢٠٣/١/٢ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك كان الضحاك يقول ، وجماعة غيره .

١١٦٧٨ – حدثت عن الحسين قال، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنى عبيد ابن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما » ، بالهدى فهداهما ، فكانا على دين موسى ، وكانا فى مدينة الجبّارين .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ﴾

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله عز ذكره عن قول الرجلين اللذين يخافان الله لبنى إسرائيل، إذ جبُنوا وخافوا من الدخول على الجبارين، لمـّا سمعوا خبرهم ، وأخبرهم النقباء الذين أفشَوْا ما عاينوا من أمرهم فيهم، وقالوا :[1] « إن فيها قومـًا جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها »، فقالا لهم : ادخلوا عليهم ، أيها القوم بابَ مدينتهم، فإن الله معكم، وهو ناصركم، وإنكم إذا دخلتم الباب غلبتموهم، كما :– ٦/١١٥

١١٦٧٩ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق ، عن بعض أهل العلم بالكتاب الأوّل، قال: لما هم بنو إسرائيل بالانصراف إلى مصر، حين أخبرهم النقباء بما أخبروهم من أمر الجبابرة ، خرّ موسى وهرون على وجوههما سجوداً قدّام جماعة بنى إسرائيل ، وخرّق يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ثيابهما ، وكانا من جواسيس الأرض، وقالا لجماعة بنى إسرائيل : « إن الأرض مررنا بها وحسِسْناها صالحةٌ ،[2] رضيها ربُّنا لنا فوهبها لنا، وإنها.. تفيض لبناً وعسلاً ،[3] ولكن افعلوا واحدة :

---

(١) السياق : ... إذ جبنوا وخافوا ... وقالوا » ، معطوفاً على ذلك .

(٢) « حس منه خيراً وأحس » ، رآه وعلمه .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « وإنها لم تكن تفيض لبناً وعسلا » ، وهو لا يستقيم ، والذى

لا تعصُوا الله، ولا تخشوا الشعب الذين بها، فإنهم خُبْزُنا، ومُدَفَّعون فى أيدينا، (١) إن كبرياءهم ذهبت منهم، (٢) وإن الله معنا فلا تخشوهم. فأراد الجماعة من بنى إسرائيل أن يرجموهما بالحجارة.

١١٦٨٠ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قال: ذكر لنا أنهم بعثوا اثنى عشر رجلاً، من كل سبط رجلاً، عيوناً لهم، وليأتوهم بأخبار القوم. فأمَّا عشرة فجبَّنُوا قومهم وكرَّهوا إليهم الدخول عليهم. وأما الرجلان فأمرا قومهما أن يدخلوها، وأن يتبعوا أمر الله، ورغَّبا فى ذلك، وأخبرا قومهما أنهم غالبون إذا فعلوا ذلك.

١١٦٨١ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد فى قول الله: «عليهم الباب»، قرية الجبَّارين.

* * *

جاء فى كتاب القوم، فى سفر العدد، فى الإصحاح الثالث عشر: «وحقاً إنها تفيض لبناً وعسلا»، وفى الرابع عشر = وهو نص هذا الكلام بالعربية = «ويعطينا إياها أرضاً تفيض لبناً وعسلا». فحذفت «لم تكن»، ووضعت مكانها نقطاً، مخافة أن تكون الكلمة محرفة عن شىء لم أعرفه.

(١) فى المطبوعة: «فإنهم جبناء مدفعون ...»، وأثبت ما فى المخطوطة، وهو مطابق لما فى كتاب القوم فى سفر العدد، الإصحاح الرابع عشر. ويعنى بقوله: «خبزنا»، أى هم طعمة لنا وغنيمة، كما نقول بالعربية.

(٢) فى المطبوعة: «إن حارباهم ذهبت منهم»، ولا أدرى ما هذا. وفى المخطوطة: «إن حرباهم ذهبت منهم». ورأيت أن أقرأها كذلك، فإنى رأيت فى كتاب القوم: «قد زال عنهم ظلهم، والرب معنا»، كأنه يعنى: قد ذهب عنهم ما كان ملازماً لهم من الجرأة والقوة والبطش والمهابة.

هذا، ومن المفيد أن تقارن هذا المروى عن ابن إسحق، بترجمة التوراة الموجودة فى أيدينا، فإن هذه الروايات عن ابن إسحق، ترجمته قديمة للتوراة بلا شك. ولعل متتبعاً يتتبع هذه الرواية عن ابن إسحق وغيره، ويقارنها بالترجمة الموجودة الآن، فإن فى ذلك فوائد تاريخية عظيمة، وفوائد فى مناهج الترجمة قديماً وحديثاً.

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (٢٣)

قال أبو جعفر : وهذا أيضاً خبر من الله جل وعزّ عن قول الرجلين اللذين يخافان الله ، أنهما قالا لقوم موسى يشجعانهم بذلك ، ويرغّبانهم فى المضىّ لأمر الله بالدخول على الجبارين فى مدينتهم = توكلوا أيها القوم ، على الله فى دخولكم عليهم ، فيقولان لهم :(١) ثقوا بالله ، (٢)فإنه معكم إن أطعتموه فيما أمركم من جهاد عدوّكم . وعنيا بقولهما : « إن كنتم مؤمنين » ، إن كنتم مصدّقى نبيكم صلى الله عليه وسلم فيما أنبأكم عن ربّكم من النصرة والظفر عليهم ، وفى غير ذلك من إخباره عن ربه = ومؤمنين بأن ربّكم قادر على الوفاء لكم بما وعدكم من تمكينكم فى بلاد عدوّه وعدوّكم .

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ (٢٤)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله جل ذكره عن قول الملأ من قوم موسى لموسى ، إذ رُغّبوا فى جهاد عدوّهم ، ووعِدوا نصر الله إيّاهم إن هم ناهضوهم ودخلوا عليهم باب مدينتهم ، أنهم قالوا له : « إنا لن ندخلها أبداً » ، يعنون : إنا لن ندخل مدينتهم أبداً .

* * *

(١) فى المطبوعة : « ويقولان » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « التوكل » فيما سلف ص : ١٠٨ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

و « الهاء والألف » فى قوله : « إنا لن ندخلها » ، من ذكر « المدينة » .

* * *

ويعنون بقولهم : « أبداً »، أيام، حياتنا[١]=« ما داموا فيها»، يعنون : ما كان الجبارُون مقيمين فى تلك المدينة التى كتبها الله لهم وأُمِروا بدخولها = «فاذهب أنت وربك فقاتلا إنَّا ههنا قاعدون »، لا نجيء معك يا موسى إن ذهبتَ إليهم لقتالهم، ولكن نتركك تذهب أنت وحدك وربُّك فتقاتلانهم .

* * *

وكان بعضهم يقول فى ذلك: ليس معنى الكلام : اذهب أنت ، وليذهب معك ربك فقاتلا = ولكن معناه : اذهب أنت ، يا موسى ، وليعنك ربُّك . وذلك أن الله عز ذكره لا يجوز عليه الذهاب .[٢]

وهذا إنما كان يحتاج إلى طلب المخرج له ، لو كان الخبر عن قوم مؤمنين . فأمّا قومٌ أهلُ خلافٍ على الله عز ذكره ورسوله ، فلا وجه لطلب المخرج لكلامهم فيما قالوا فى الله عز وجل وافتروا عليه ، إلاّ بما يشبه كفرهم وضلالتهم .

* * *

وقد ذكر عن المقداد أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم، خلافَ ما قال قومُ موسى لموسى .

١١٦٨٢ – حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنا أبى = وحدثنا هناد قال ، حدثنا وكيع = عن سفيان ، عن مخارق ، عن طارق : أن المقداد بن الأسود قال للنبى صلى الله عليه وسلم : إنا لا نقول كما قالت بنو إسرائيل : « اذهب أنت وربَك فقاتلا إنّا ههنا قاعدون » ، ولكن نقول : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون .[٣]

---

(١) انظر تفسير « أبدا » فيما سلف ٩ : ٢٢٧ .

(٢) هذه مقالة أبى عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ١٦٠ ، بمعناه ، وبغير لفظه .

(٣) الأثر : ١١٦٨٢ – « مخارق » ، هو : « مخارق بن عبد الله بن جابر البجلى الأحمسى » ، ويقال : « مخارق بن خليفة » . مترجم فى التهذيب .

١١٦٨٣ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذكر لنا أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوم الحديبية ، حين صَدّ المشركون الهَدْيَ وحيل بينهم وبين مناسكهم : إني ذاهبٌ بالهَدْيِ فناحِرُه عند البيت ! فقال له المقداد بن الأسود : أمَا والله لا نكون كالملأ من بني إسرائيل إذْ قالوا لنبيهم : « اذهب أنت وربك فقاتِلا إنا ههنا قاعدون» ، ولكن : اذهب أنت وربك فقاتِلا إنّا معكم مقاتلون ! فلما سمعها أصحابُ نبيّ الله صلى الله عليه وسلم تتابعوا على ذلك .(١) ٦/١١٦

* * *

وكان ابن عباس والضحاك بن مزاحم وجماعة غيرهما يقولون : إنما قالوا هذا القول لموسى عليه السلام ، حين تبينّ لهم أمر الجبارين وشدّةُ بطشهم .

١١٦٨٤ – حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول : أمر الله جل وعزّ بني إسرائيل أن يسيروا إلى الأرض المقدسة مع نبيهم موسى عليه السلام ، فلما كانوا قريباً من المدينة قال لهم موسى : « ادخلوها » ، فأبوا وجبُنوا ، وبعثوا اثني عشر نقيباً لينظروا

و « طارق » هو « طارق بن شهاب بن عبد شمس البجلي الأحمسي » ، رأى النبي صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه مرسلا ، وروى عن الخلفاء الأربعة ، وهو من أصحاب عبد الله بن مسعود . مترجم في التهذيب . ومضى برقم : ٩٧٤٤ .

وهذا الخبر روى من طريق طارق ، مطولا ومختصراً . رواه البخاري مختصراً ، مرسلا وموصولا في صحيحه (الفتح ٨ : ٢٠٥) ، ورواه مطولا موصولا (الفتح ٧ : ٢٢٣ – ٢٢٧) ، ورواه أحمد مطولا في مسند ابن مسعود برقم : ٣٦٩٨ ، ٤٠٧٠ ، ٤٣٧٦ .

وهذا الخبر في مشورة النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه قبل بدر لما وصل الصفراء ، وبلغه أن قريشاً قصدت بدراً ، وأن أبا سفيان نجا بما معه ، فاستشار الناس . وانظر القصة مفصلة في كتب السير . ثم انظر الخبر التالي ، وأن ذلك كان يوم الحديبية .

(١) الأثر : ١١٦٨٣ – كرر في المخطوطة هذا الأثر بإسناده ونصه ، ففي المرة الأولى كتبه إلى قوله : « إنا معكم مقاتلون » ، ثم عاد فكتب الخبر نفسه بإسناده ، وأتمه على وجهه إلى آخره . والظاهر أنه وقف عند هذا الموضع ، ثم عاد يكتب ، وكان الخبر قبله ينتهي أيضاً بقوله : « إنا معكم مقاتلون » ، فظن أن الذي كتب هو الخبر الأول ، فعاد فكتب الخبر بإسناده من أوله إلى تمامه .

إليهم ،فانطلقوا فنظروا فجاؤوا بحبة فاكهة من فاكهتهم بوِقْر الرجل ، فقالوا : اقدُرُوا قوّة قوم وبأسُهم هذه فاكهتهم! فعند ذلك قالوا لموسى :« اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون » .

١١٦٨٥ — حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، نحوه .

* * *

القول في تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (٢٥)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله جل وعز عن قيل قوم موسى حين قال له قومه ما قالوا ، من قولهم : « إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنّا ههنا قاعدون » = أنه قال عندَ ذلك ، وغضب من قيلهم له،[1] داعياً : يا رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي = يعني بذلك ، لا أقدر على أحد أن أحمله على ما أحب وأريد من طاعتك واتّباع أمرك ونهيك ، إلا على نفسي وعلى أخي .

* * *

= من قول القائل : « ما أملك من الأمر شيئاً إلاّ كذا وكذا »، بمعنى : لا أقدر على شيء غيره .[2]

* * *

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « من قيلهم لهم » ، والسياق يقتضي « له » ، وسياق العبارة : « أنه قال عند ذلك ... داعياً : يا رب ... » .

(٢) انظر تفسير « ملك » فيما سلف قريباً ص : ١٠٥

ويعنى بقوله : « فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين »، افصل بيننا وبينهم بقضاء منك تقضيه فينا وفيهم ، فتبعِدُهم منّا .

* * *

= من قول القائل: « فرَقت بين هذين الشيئين » ، بمعنى : فصلت بينهما ، من قول الراجز : (١)

يَا رَبِّ فَافْرُقْ بَيْنَهُ وَبَيْنِي أَشَدَّ مَا فَرَّقْتَ بَيْنَ اثْنَيْنِ (٢)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

* ذكر من قال ذلك :

١١٦٨٦ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى

---

(١) لعله : حبينة بن طريف العكلى . وانظر التعليق التالى . و « حبينة » بالباء ، والنون وأخطأ من ظن أنه بنونين .

(٢) مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٦٠ ، وهكذا جاء هناك وهنا . وفى المخطوطة: « يارب فارق » ، وصححه فى المطبوعة ، وجاء تصحيحه موافقاً لما فى مجاز القرآن . ولم أجد الرجز بهذا اللفظ ، وظنى أنه رجز حبينة بن طريف العكلى ، له خبر طويل (انظر تهذيب إصلاح المنطق ١ : ١٣٨) ، كان بينه وبين ليلى الأخيلية كلام ، فقال لها : « أما والله لو أن لى منك النصف ، لسبيتك سبأ يدخل معك قبرك !! » ثم راجزها وفضحها ، فقال فى رجزه ذلك :

جَارِيَةٌ مِنْ شِعْبِ ذِى رُعَيْنِ حَيَّاكَةٌ تَمْشِى بِمُلْطَتَيْنِ
وَذِى هِبَابٍ نَعِظِ الْعَصْرَيْنِ قَدْ خَلَجَتْ بِحَاجِبٍ وَعَيْنِ
يَا قَوْمِ خَلُّوا بَيْنَهَا وَبَيْنِى أَشَدَّ مَا خُلِّىَ بَيْنَ اثْنَيْنِ
لَمْ يُلْقَ قَطُّ مِثْلَنَا سَيَّيْنِ

« حياكة » ، تحيك فى مشيتها ، أى تتبختر . و « وتتشط بالملطتان » ، قلادتان أو ودعتان تكون فى أعناق الصبيان ، « خجلت العين » واضطربت . يصفها بالغمز الرجال . « سيين » : مثلين . و « هب التيس هباباً وهبيباً » ، هاج وثب السفاد .

وتجد هذا الشعر وخبره مفرقاً فى المؤتلف والمختلف للآمدى : ٩٧ ، وإصلاح المنطق : ٨٩ ، وتهذيب إصلاح المنطق : ١٣٨ ، واللسان (خلج) (علط) (نعظ) (عرك) ، والمخصص ٢ : ٤٧ . والشعر بهذه الرواية لا شاهد فيه .

قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين » ، يقول : اقض بيني وبينهم .

١١٦٨٧ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين » ، يقول : اقض بيننا وبينهم .

١١٦٨٨ – حدثني موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي ، قال : غضب موسى صلى الله عليه وسلم حين قال له القوم : « اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا ههنا قاعدون » ، فدعا عليهم فقال : « رب إنّي لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين » ، وكانت عَجْلَةً من موسى عِجلها .(١)

١١٦٨٩ – حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد ابن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين » ، يقول : اقض بيننا وبينهم ، وافتح بيننا وبينهم = كلّ هذا يقول الرجل : « اقض بيننا »(٢) = فقضاء الله جل ثناؤه بينه وبينهم : أن سماهم « فاسقين » .(٣)

* * *

وعنى بقوله : « الفاسقين » ، الخارجين عن الإيمان بالله وبه إلى الكفر بالله وبه .

* * *

وقد دللنا على أن معنى « الفسق » ، الخروج من شيء إلى شيء ، فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته .(٤)

* * *

---

(١) « عجلة » مصدر الواحدة من قولهم : « عجل » ، إذا أسرع .

(٢) في المطبوعة : « كل هذا من قول الرجل » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وكأنه صواب ، وكأنه يقول « افرق بينا » و « اقض بينا » ، و « افتتح بيننا » كل ذلك يقول الرجل بمعنى « اقض بيننا » .

(٣) في المطبوعة والمخطوطة : « فقضى الله » ، وآثرت قراءتها كذلك لحسن سياقها ، وهو في المخطوطة يكثر أن يكتب « قضاء » هكذا « قضى » ، كما سلف مراراً .

(٤) انظر تفسير « الفسق » فيما سلف ١ : ٤٠٩ ، ٢/٤١٠ : ١١٨/ثم ٩ : ٥١٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى الأَرْضِ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى الناصب لـ « الأربعين » .

فقال بعضهم : الناصب له قوله : « محرّمة » ، وإنما حرم الله جل وعزّ على القوم الذين عصوه وخالفوا أمره من قوم موسى وأبوا حَرْب الجبارين[1]= دخولَ مدينتهم أربعين سنة ،[2] ثم فتحها عليهم وأسكنهموها ،[3] وأهلك الجبارين بعد حرب منهم لهم، بعد أن انقضت الأربعون سنة وخرجوا من التيه .[4]

١١٦٩٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ،عن أبيه، عن الربيع قال: لما قال لهم القوم ما قالوا ، ودعا موسى عليهم، أوحى الله إلى موسى : « إنها محرمة عليهم أربعين سنةً يتيهون فى الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين »،وهم يومئذ، فيما ذكر ،ستمئة ألف مقاتل. فجعلهم « فاسقين» بما عصوا . فلبثوا أربعين سنة فى فراسخ ستّة أو دون ذلك ، يسيرون كل يوم جادّين لكى يخرجوا منها حتى سئموا ونزلوا،[5] فإذا هم فى الدار التى منها ارتحلوا = وأنهم اشتكوا إلى موسى ما فُعِل بهم، فأنزل عليهم المنّ والسلوى ،وأعطوا من الكسوة ما هى قائمة لهم، وينشأ الناشىء فتكون معه على هيئته .[6] وسأل موسى ربه أن ١١٧/٦

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « وإنما حرم الله جل وعز القوم . . . » ، والسياق يقتضى ما أثبت ، بزيادة « على » .

(٢) قوله « دخول » منصوب، مفعول لقوله : « حرم » . وكان فى المطبوعة: « ودخول مدينتهم » ، وهو خطأ لا شك فيه ، والكلام لا يستقيم .

(٣) فى المطبوعة : « وأسكنوها » ، غير ما فى المخطوطة لغير علة .

(٤) فى المطبوعة : « بعد أن قضيت الأربعون سنة » ، غير ما فى المخطوطة لغير علة .

(٥) فى المطبوعة : « حتى يمسوا وينزلوا » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، فهو صواب .

(٦) قوله : « ما هى قائمة لهم » ، كأنه يعنى أن ثيابهم كانت لا تبلى ، بل لا تزال قائمة . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « ينشأ » بغير واو ، فزدتها لاقتضاء السياق .

يسقيهم، فأتى بحجر الطور، وهو حجر أبيض ، إذا ما نزل القوم ضربه بعصاه، فيخرج منه اثنتا عشرة عيناً، لكل سبط منهم عَيْنٌ ، قد علم كل أناس مشربهم . حتى إذا خَلَت أربعون سنة، وكانت عذاباً بما اعتدوا وعصوا ، أوحى إلى موسى : أنْ مُرْهم أن يسيروا إلى الأرض المقدسة ، فإن الله قد كفاهم عدوَّهم، وقل لهم إذا أتوا المسجد: أنْ يأتوا الباب ، ويسجدوا إذا دخلوا ، ويقولوا : « حطة » = وإنما قولهم: « حطة »، أن يحطَّ عنهم خطاياهم = فأبى عامة القوم وعصوا ، وسجدوا على خدِّهم ، وقالوا : « حنطة »، فقال الله جل ثناؤه : ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ﴾ إلى : ﴿ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [سورة البقرة : ٥٩] .(١)

* * *

وقال آخرون : بل الناصب لـ «الأربعين »، « يتيهون فى الأرض». قالوا: ومعنى الكلام : قال فإنَّها محرمة عليهم أبداً، يتيهون فى الأرض أربعين سنة . قالوا : ولم يدخُل مدينة الجبَّارين أحد ممن قال: « إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون » ، وذلك أن الله عز ذكره حرَّمها عليهم. قالوا : وإنما دخلها من أولئك القوم يُوشع وكلاب ، اللذان قالا لهم: « ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون »، وأولادُ الذين حرَّم الله عليهم دخولها فتيَّههم الله فلم يدخلها منهم أحدٌ

* ذكر من قال ذلك :

١١٦٩١ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا سليمان بن حرب قال ، حدثنا أبو هلال، عن قتادة فى قول الله جل وعزّ : « إنها محرمة عليهم » ، قال : أبداً .

١١٦٩٢ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا سليمان بن حرب قال ، حدثنا بو هلال ، عن قتادة فى قول الله : « يتيهون فى الأرض » ، قال : أربعين سنة .

١١٦٩٣ — حدثنا المثنى قال، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال ، حدثنا هرون

---

(١) الأثر : ١١٦٩٠ — كأن هذا هو الأثر الذى ذكر أبو جعفر إسناده ولم يتمه فيما مضى رقم : ٩٩٣ . فلا أدرى أفعل ذلك اختصارا ، أم سقط الخبر من هناك .

النحوى قال ، حدثنى الزبير بن الخرّيت ، عن عكرمة فى قوله : « فإنها محرّمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض » ، قال : التحريم ، التيهاءُ .(١)

١١٦٩٤ — حدثنا موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : غضب موسى على قومه فدعا عليهم فقال : « رب إنى لا أملك إلاّ نفسى وأخى » الآية ، فقال الله جل وعز : « فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض » . فلما ضُرِب عليهم التيه ، ندم موسى . وأتاه قومه الذين كانوا [معه] يطيعونه ،(٢) فقالوا له : ما صنعت بنا يا موسى ! فمكثوا فى التيه . فلما خرجوا من التيه ، رُفِع المنُّ والسلوى وأكلُوا من البقول . والتقى موسى وعاج ،(٣) فنزا موسى فى السماء عشرة أذرع (٤) = وكانت عصاه عشرة أذرع ، وكان طوله عشرة أذرع = فأصاب كعب عاج فقتله .(٥) ولم يبق [أحد] ممن أبى أن يدخل قرية الجبّارين مع موسى ، إلاّ مات ولم يشهد الفتح .(٦) ثم إن الله جل وعز لما انقضت الأربعون سنة ، بعث يوشع بن النون نبياً ،(٧) فأخبرهم أنه نبىّ ، وأن الله قد أمره أن يقاتل الجبّارين ، فبايعوه وصدّقوه ، فهزم الجبارين واقتحمُوا عليهم يقتُلونهم ،(٨)

---

(١) الأثر : ١١٦٩٣ — « مسلم بن إبراهيم الأزدى الفراهيدى » .
و « هرون النحوى » ، هو : « هرون بن موسى الأزدى » ، الأعور .
و « الزبير بن الخزيت » . ثقات مضوا جميعاً برقم : ٤٩٨٥ .
وهذا الخبر ، رواه أبو جعفر فى تاريخه ١ : ٢٢٥ ، ٢٢٦ .
وكان فى المطبوعة هنا : « التحريم ، لا منتهى له » ، وهو تصرف معيب بالغ العيب . وفى المخطوطة : « التحريم ، المنتهى » ، فآثرت قراءتها « التيهاء » يقال : « أرض تيه ، وتيهاء » ، ويقال : « تيه » جمع « تيهاء » ، وهى المفازة يتاه فيها . وفى تاريخ الطبرى ١ : ٢٢٦ « التحريم : التيه » .

(٢) هذه الزيادة بين القوسين مما مضى فى ٢ : ٩٨ ، رقم : ٩٩١ .

(٣) فى المطبوعة : « عوج » فى هذا المكان ، وكل ما سيأتى ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٤) فى المطبوعة : « فوثب » ، ولم يحسن قراءة المخطوطة ، لأنها غير منقوطة . و « نزا ينزو نزواً » ، وثب . وهى كما أثبتها فى تاريخ الطبرى ٢ : ٢٢٣ .

(٥) عند هذا الموضع انتهى ما رواه أبو جعفر فى تاريخه ١ : ٢٢٣ .

(٦) زدت ما بين القوسين من تاريخ الطبرى ، ولا يستقيم الكلام إلا بها .

(٧) فى المطبوعة : « بن نون » .

(٨) فى المطبوعة : « يقاتلونهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة . وفى تاريخ الطبرى : « فقتلوهم » .

فكانت العصابة من بنى إسرائيل يجتمعون على عُنُق الرجل يضربونها لا يقطعونها.(١)

١١٦٩٥ – حدثنى عبد الكريم بن الهيثم قال، حدثنا إبراهيم بن بشار قال، حدثنا سفيان قال، قال أبو سعيد،(٢) عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال الله جل وعز: لما دعا موسى= «فإنها محرّمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض».(٣) قال: فدخلوا التيه، فكلُّ من دخل التيه ممن جاوز العشرين سنةً مات فى التيه.(٤) قال: فمات موسى فى التيه، ومات هرون قبله. قال: فلبثوا فى تيههم أربعين سنة، فناهض يوشع بمن بقى معه مدينةَ الجبارين، فافتتح يوشع المدينة.(٥)

١١٦٩٦ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة، قال الله جل وعزّ: «إنها محرّمة عليهم أربعين سنة»، حرمت عليهم [القُرَى]،(٦) فكانوا لا يهبطون قرية ولا يقدرون على ذلك، إنما يتبعون الأطواء أربعين سنة،(٧) = وذكر لنا أن موسى صلى الله عليه مات فى الأربعين سنة، وأنه لم يدخل بيت المقدس منهم إلا أبناؤهم والرجلان اللذان قالا ما قالا.(٨)

١١٦٩٧ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال، حدثنى بعض أهل العلم بالكتاب الأوّل قال: لما فعلت بنو إسرائيل ما فعلت = من ١١٨/٦

(١) الأثر: ١١٦٩٤ – هذا الأثر رواه أبو جعفر مفرقاً بين تاريخه وتفسيره، كما مر عليك فى التعليقات السالفة. ومن عند ذلك الموضع الذى أشرت إليه فى ص: ١٩٢ التعليق رقم: ٥، إلى هذا الموضع رواه أبو جعفر فى التاريخ ١ : ٢٢٥.

(٢) فى المخطوطة: «أبو سعد»، وهو خطأ، وانظر الأثر السالف رقم: ١١٦٦٨.

(٣) فى المطبوعة: «قال لما دعا موسى قال الله فإنها محرمة . . .»، غير ما فى المخطوطة، مع أنه مطابق لما فى تاريخ الطبرى.

(٤) فى المخطوطة: «جاز العشرين»، وما فى المطبوعة مطابق لما فى التاريخ.

(٥) الأثر: ١١٦٩٥ – هذا الأثر، رواه أبو جعفر فى تاريخه ١ : ٢٢٥.

(٦) الزيادة بين القوسين من تاريخ الطبرى، وهى زيادة لا بد منها. وكان فى المطبوعة والمخطوطة بعد «وكانوا» بالواو، والصواب من التاريخ.

(٧) «الأطواء» جمع «طوى» (بفتح الطاء، وكسر الواو، وتشديد الياء): وهو البئر المطوية بالحجارة، وهو صفة على «فعيل» بمعنى «مفعول» انتقل إلى الأسماء، فلذلك جمعوه على «أفعال» كما قالوا: «شريف» و «أشراف»، و «يتيم»، و «أيتام».

(٨) الأثر: ١١٦٩٦ – رواه أبو جعفر فى التاريخ ١ : ٢٢٥، إلا قوله: «إنما يتتبعون الأطواء».

معصيتهم نبيّهم، وهمّهم بكالب ويوشع، إذْ أمرَاهم بدخول مدينة الجبارين، وقالا لهم ما قالا= ظهرت عظمة الله بالغمام على باب قُبّة الزُّمَرِ على كل بنى إسرائيل، [١] فقال جل ثناؤه لموسى : إلى متى يعصينى هذا الشعب ؟ وإلى متى لا يصدّقون بالآيات كلِّها التى وضَعتُ بينهم ؟ أضربهم بالموت فأهلكهم، [٢] وأجعل لك شعباً أشد وأكبر منهم . فقال موسى : يسمع أهلُ المصر الذين أخرجتَ هذا الشعب بقوّتك من بينهم، [٣] ويقول ساكن هذه البلاد الذين قد سمعوا أناك أنت الله فى هذا الشعب، [٤] فلو أنك قتلت هذا الشعب كلهم كرجل واحد، لقالت الأمم الذين سمعوا باسمك : « إنما قتل هذا الشعب من أجل الذين لا يستطيع أن يدخلهم الأرض التى خلق لهم، فقتلهم فى البرّية »، ولكن لترتفع أياديك ويعظم جزاؤك، يا رَبِّ، كما كنت تكلّمت وقلتَ لهم، فإنه طويلٌ صبرك، كثيرة نعمك، وأنت تغفر الذنوب فلا توبق، [٥] وإنك تحفظ [ذنب] الآباء على الأبناء وأبناء الأبناء إلى ثلاثة أحقاب وأربعة. [٦] فاغفر، أىْ ربِّ، آثام هذا الشعب بكثرة

---

(١) كان فى المطبوعة : « على نار فيه الرمز »، وهو لا معنى له، وفى المخطوطة « على نافه الرمر » كل ذلك غير منقوط، وصواب قراءته كما أثبت، فإنى أشك فى كلمة « نار » التى كانت فى المطبوعة، والتى فى المخطوطة غير منقوطة، فرجحت قراءتها « باب »، لأنه يكثر فى كتاب القوم: « باب خيمة الاجتماع » كما فى سفر العدد، الإصحاح العاشر مثلا . و « خيمة الاجتماع »، هى التى جاءت فى خبر ابن إسحق « قبة الزمر »، و « الزمر » جمع « زمرة » وهى الجماعة . ويقابل ما رواه ابن إسحق هنا فى سفر العدد، الإصحاح الرابع عشر، « ثم ظهر مجد الرب فى خيمة الاجتماع »، فثبت بهذا أن « خيمة الاجتماع » هى « قبة الزمر » . و « القبة » عند العرب . هى خيمة من أدم مستديرة .

هذا، وخبر ابن إسحق هذا بطوله، هو ترجمة أخرى للإصحاح الرابع عشر من سفر العدد . فمن المفيد مراجعته، كما أسلفت فى ص : ١٨٣، تعليق ٢ . وسأجتهد فى بيان بعض خلاف الترجمة هنا .

(٢) هكذا فى المخطوطة والمطبوعة : « أضربهم بالموت »، وفى كتاب القوم « بالوبأ »، وغير بعيد أن يكون لفظ « الموت » مصحفاً عن « الوبأ » .

(٣) فى كتاب القوم : « فيسمع المصريون . . . » .

(٤) فى المطبوعة : « ساكنو هذه البلاد »، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٥) من الحسن أن تقرأ هذا النص فى كتاب القوم، فإنه هناك : « فالآن لتعظم قدرة سيدى كما تكلمت قائلا . الرب طويل الروح، كثير الإحسان، يغفر الذنب والسيئة » .

(٦) فى المطبوعة : « إلى ثلاثة أجيال وأربعة »، وأثبت ما فى المخطوطة . و « الأحقاب » جمع

نعمك، وكما غفرت لهم منذ أخرجتهم من أرض مصر إلى الآن. فقال الله جل ثناؤه لموسى صلى الله عليه : قد غفرت لهم بكَلمتك ، ولكن حيٌّ أنا ،[١] وقد ملأت الأرض محمدتى كلها ، لا يرى القوم الذين قد رأوا محمدتى وآياتى التى فعلت فى أرض مصر وفى القفار ،[٢] وابتلونى عشر مرات ولم يطيعونى ،[٣] لا يرون الأرض التى حلفت لآبائهم ،[٤] ولا يراها من أغضبنى ، فأما عبدى كالب الذى كان روحه معى واتبع هواى ،[٥] فإنى مدخله الأرض التى دخلها ويراها خَلَفه .

=وكان العماليق والكنْعانيون جلوساً فى الجبال، ثم غدوا فارتحلوا إلى القفار فى طريق بحر سوف ،[٦] وكلم الله عز وجل موسى وهرون وقال لهما: إلى متى توسوس علىّ هذه الجماعة جماعة السوء ؟ قد سمعتُ وسوسة بنى إسرائيل .[٧] وقال :

« حقب » (بضم فسكون ، أو بضمتين) : ، وهى الدهر ، قيل : ثمانون سنة ، وقيل أكثر . وأما ما بين القوسين فقد استظهرته من كتاب القوم ، فإن الكلام بغيره غير مستقيم . وهو فى كتابهم: « بل يجعل ذنب الآباء على الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع » .

(١) فى المطبوعة : « ولكن قد أتى أنى أنا الله » ، غير ما فى المخطوطة ، إذ لم يحسن قراءته ، وهو كما أثبته ، وهو فى كتاب القوم أيضاً : « ولكن حى أنا فتملأ كل الأرض من مجد الرب » .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « ألا ترى القوم »، والسياق يقتضى ما أثبت ، وهو بمعناه فى كتاب القوم .

(٣) فى المطبوعة : «وسلونى عشر مرات »،و«ابتلاه » :اختبره ، وفى كتاب القوم: « وجربونى عشر مرات » .

(٤) فى المطبوعة : « التى خلقت » ، وهو ليس صحيح المعنى ، بل هو باطل . وهى فى المخطوطة غير منقوطة ، وهى فى كتاب القوم « حلفت » كما هى فى رسم المخطوطة ، وكما أثبتها ، اتفقت على ذلك الترجمة القديمة، وهذه الترجمة التى بين أيدينا . والمعنى فى ذلك : الأرض التى أقسمت لآبائهم بعزتى وجلالى أن أجعلها لأبنائهم .

(٥) فى ترجمة القوم : « وأما عبدى كالب ، فمن أجل أنه كانت معه روح أخرى . وقد اتبعنى تماماً » .

(٦) فى المطبوعة والمخطوطة : « فى طريق يحرسون »، وهو تصحيف وتحريف . والصواب ما أثبته و « بحرسوف » هو المعروف باسم « البحر الأحمر »، وكان العرب يعرفونه باسم « بحر القلزم » ، و « القلزم » : مدنية قديمة كانت قرب أيلة والطور. و « السوف » لعلها نطق قديم لقول العرب « السيف » (بكسر السين)، وهو ساحل البحر ، ولعله قد سمى به موضع هناك ، فنسب إليه البحر .

(٧) « وسوس عليه » ، و « الوسوسة » ، مضت فى الأثر رقم : ١١٦٦٣ ، ولم أشرحها هناك .

لأفعلن بكم كما قلت لكم ،[١] ولتلقينَّ جِيفَكم فى هذه القفار ،وكحسابكم ،[٢] من بنى عشرين سنة فما فوق ذلك ، من أجل أنكم وسوستم علىّ ،[٣] فلا تدخلوا الأرض التى رفعت[يدى] إليها ،[٤]ولا ينزل فيها أحد منكم غير كالب بن يوفنا ويوشع بن نون ، وتكون أثقالكم كما كنتم الغنيمة، وأما بنُوكم اليوم الذين لم يعلموا ما بين الخير والشر ، فإنهم يدخلون الأرض ، وإنى بهم عارف ، لهم الأرض التى أردت لهم ، وتسقط جيفكم فى هذه القفار ، وتتيهون فى هذه القفار على حساب الأيَّام التى حَسَسْتم الأرض أربعين يوماً، مكان كل يوم سنةً ، وتقتلون بخطاياكم أربعين سنة، وتعلمون أنكم وسوستم قُدَّامى. إنى أنا اللهفاعل بهذه الجماعة= جماعة بنى إسرائيل الذين وعدوا قدامى = بأن يتيهوا فى القفار ،[٥] فيها يموتون .

= فأما الرهط الذين كان موسى بعثهم ليتحسسوا الأرض، ثم حرَّشوا الجماعة فأفشوا فيهم خبرَ الشرّ، فماتوا كلهم بغتةً ، وعاش يوشع وكالب بن يوفنا من الرهط الذين انطلقوا يتحسسون الأرض .

= فلما قال موسى عليه السلام هذا الكلام كلَّه لبنى إسرائيل ، حزن الشعب

وأصل « الوسوسة » : الصوت من الريح ، أو صوت الحلى والقصب وغيرها . و « الوسوسة » أيضاً : كلام خفى مختلط لا يستبين . « وسوس الرجل » : إذا تكلم بكلام لم يبينه . وهذه ترجمة بلا شك، يراد بها الإكثار من الكلام الخفى المبهم ، يتناقله القوم بينهم متذمرين . ويقابله فى ترجمة القوم، فى الكتاب الذى بين أيدينا : « قد سمعت تذمر بنى إسرائيل . . . »

(١) فى كتاب القوم هكذا : « لأفعلن بكم كما تكلمتم فى أذنى » .

(٢) فى المطبوعة : « وحسابكم » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، يعنى : مثل عددكم ، أى جميعاً . وفى كتاب القوم : « جميع المعدودين منكم حسب عددكم » .

(٣) انظر تفسير « الوسوسة » آنفاً ص ١٩٥ ، رقم : ٧ .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « التى دفعت إليها » ، وليس له معنى ، فجعلتها « رفعت » وزدت « يدى » بين القوسين استظهاراً من نص كتاب القوم ، وفيه : « التى رفعت يدى لأسكننكم فيها ».

(٥) فى المطبوعة : « قد أتى أنى أنا الله . . . . . الذين وعدوا بأن يتيهوا . . . . » ، وأثبتت ما فى المخطوطة . وفى كتاب القوم : « . . . . . فتعرفون ابتعادى . أنا الرب قد تكلمت ، لأفعلن هذا بكل هذه الجماعة الشريرة المتفقة على . فى هذا القفر يفنون وفيه يموتون » .

حزناً شديداً ، وغدوا فارتفعوا ، إلى رأس الجبل ،[١] وقالوا : نرتقى الأرض التى قال جل ثناؤه ، من أجل أنا قد أخطأنا . فقال لهم موسى : « لم تعتدون فى كلام الله ؟ من أجل ذلك لا يصلح لكم عمل ، ولا تصعدوا من أجل أنّ الله ليس معكم ، فالآن تنكسرون من قدّام أعدائكم ، من أجل العمالقة والكنعانيين أمامكم ، فلا تقعوا فى الحرب من أجل أنكم انقلبتم على الله ، فلم يكن الله معكم » . فأخذوا يَرْقَوْنَ فى الجبل ، ولم يبرح التابوت الذى فيه مواثيق الله جل ذكره وموسى من المحلة = يعنى من الخيمة[٢] = حتى هبط العماليق والكنعانيون فى ذلك الحائط ، فحرقوهم وطردوهم وقتلوهم .[٣] فتيّههم الله عز ذكره فى التيه أربعين سنةً بالمعصية ، حتى هلك من كان استوجب المعصية من الله فى ذلك .

= قال : فلما شَبَّ النواشئ من ذراريهم وهلك آباؤهم ، وانقضت الأربعون سنة التى تُيِّهوا فيها ،[٤] وسار بهم موسى ومعه يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ، وكان — فيما يزعمون — على مريم ابنة عمران أخت موسى وهرون ، وكان لهما صهرًا ،[٥] قدّم يوشع بن نون إلى أريحا ، فى بنى إسرائيل ، فدخلها بهم ، وقتل بها الجبابرة الذين ١١٩/٦

(١) فى المطبوعة : « على رأس الجبل » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « يعنى من الحكمة » ، والصواب ما أثبت ، لأن « التابوت » كان فى خيمة . واللفظة فى المخطوطة غير بينة الكتابة . وانظر صفة « الخيمة » التى كان فيها التابوت فى قاموس كتابهم .

(٣) إلى هذا الموضع انتهى الإصحاح الرابع عشر من سفر العدد . وقد تبين أن ما رواه ابن إسحق ، هو ترجمة أخرى لهذا الإصحاح . ولغة ترجمة ابن إسحق تخالف كل المخالفة ، عبارة ابن إسحق فى سائر ما كتب من السير ، وفيها عبارات وجمل وألفاظ ، لا أشك فى أنها من عمل مترجم قديم . ومحمد بن إسحق مات فى نحو سنة ١٥٠ من الهجرة ، فهذه الترجمة التى رواها عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول ، قد تولاها بلا ريب رجال قبل هذا التاريخ ، أى فى القرن الأول من الهجرة . وهذا أمر مهم ، أرجو أن أتتبعه فيما بعد حتى أضع له تاريخاً يمكن أن يكشف عن أمر هذه الترجمة العتيقة .

(٤) فى المطبوعة : « التى تتيهوا » بتاءين ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو مطابق لما فى تاريخ الطبرى ١ : ٢٢٦ .

(٥) من أول قوله : « فلما شب النواشىء » ، إلى هذا الموضع ، مروى فى تاريخ الطبرى ١ : ٢٢٦ .

كانوا فيها ، ثم دخلها موسى ببنى إسرائيل، فأقام فيها ما شاء الله أن يُقيم ، ثم قبضه الله إليه ، لا يعلم قبره أحد من الخلائق .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب ، قولُ من قال : إن « الأربعين » منصوبة بـ «التحريم» = وأنّ قوله : « محرمة عليهم أربعين سنة»، معنىٌّ به جميع قوم موسى ، لا بعض دون بعض منهم . لأن الله عز ذكره عمّ بذلك القوم ولم يخصص منهم بعضاً دون بعض. وقد وفَى الله جل ثناؤه بما وعدهم به من العقوبة، فتيَّههم أربعين سنة، وحرَّم على جميعهم، فى الأربعين سنة التى مكثوا فيها تائهين ، دخولَ الأرض المقدَّسة، فلم يدخلها منهم أحد، لا صغير ولا كبير ، ولا صالح ولا طالح، حتى انقضت السنون التى حرَّم الله عز وجَل عليهم فيها دخولها . ثم أذن لمن بقى منهم وذراريهم بدُخولها مع نبى الله موسى والرجلين اللذين أنعمَ الله عليهما، وافتتح قرية الجبارين، إن شاء الله، نبىُّ الله موسى صلى الله عليه وسلم، وعلى مقدّمته يوشع ، وذلك لإجماع أهل العلم بأخبار الأوَّلين أن عوج بن عناق قتلَه موسى صلى الله عليه وسلم .[1] فلو كان قتلُه إياه قبل مصيره فى التيه ، وهو من أعظم الجبارين خلقاً ، لم تكن بنو إسرائيل تجزَع من الجبارين الجزعَ الذى ظهر منها . ولكن ذلك كان، إن شاء الله ، بعد فناء الأمة التى جزعت وعصت ربها ، وأبت الدخول على الجبارين مدينتهم .

وبعدُ ، فإن أهل العلم بأخبار الأوّلين مجمعون على أن بلعم بن باعور ،[2] كان ممن أعان الجبارين بالدعاء على موسى . ومحالٌ أن يكون ذلك كان وقوم موسى ممتنعون من حربهم وجهادهم ، لأن المعونة إنما يحتاج إليها من كان مطلوباً ، فأما ولا طالب ، فلا وجه للحاجة إليها .

---

(١) فى المطبوعة : « عوج بن عنق » ، وأثبت ما فى المخطوطة . وانظر ما سلف أنه روى فى اسمه « عاج » ص : ١٩٢ ، تعليق : ٢ .

(٢) فى المطبوعة : « باعوراء » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

١١٦٩٨ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا سفيان ، عن أبى إسحق، عن نوف قال : كان سرير عوج ثمانمئة ذراع ، وكان طول موسى عشر أذرع ، وعصاه عشر أذرع ، ووثب فى السماء عشر أذرع ،[1] فضرب عوجاً فأصاب كعبه، فسقط ميتاً ، فكان جسراً للناس يمرُّون عليه .[2]

١١٦٩٩ – حدثنا أبو كريب قال،حدثنا ابن عطية قال ، حدثنا قيس ، عن أبى إسحق، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كانت عصا موسى عشر أذرع ، ووثبته عشر أذرع ، وطوله عشر أذرع ،[1] فوثب فأصاب كعب عوج فقتله ، فكانَ جسرًا لأهل النيل سنة .[3]

* * *

ومعنى : « يتيهون فى الأرض »، يحارون فيها ويضلُّون = ومن ذلك قيل للرجل الضال عن سبيل الحق : « تائه ». وكان تيههم ذلك : أنهم كانوا يصبحون أربعين سنة كل يوم جادِّين فى قدرستة فراسخ للخروج منه، فيمسون فى الموضع الذى ابتدأوا السير منه .

١١٧٠٠ – حدثنى بذلك المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع .[4]

١١٧٠١ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا

---

(١) فى المطبوعة « عشرة أذرع » فى المواضع الثلاثة ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وكلاهما صواب فإن « الذراع » ، مؤنثة ، وقد تذكر.

(٢) الأثر : ١١٦٩٨ – رواه أبو جعفر فى تاريخه ١ : ٢٢٣ .

(٣) الأثر : ١١٦٩٩ – رواه أبو جعفر فى تاريخه ١ : ٢٢٣ .

هذا ، وكل ما رواه أبو جعفر من أخبار عوج ، وما شابهه مما مضى فى ذكر ضخامة خلق هؤلاء الجبارين ، إنما هى مبالغات كانوا يتلقونها من أهل الكتاب الأول ، لا يرون بروايتها بأساً . وهى أخبار زيوف لا يعتمد عليها .

(٤) الأثر : ١١٧٠٠ – انظر الأثر السالف رقم : ١١٦٩٠ .

عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : تاهت بنو إسرائيل أربعين سنة ، يصبحون حيث أمسوا ، ويمسون حيث أصبحوا فى تيههم .

* * *

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (٢٦)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « فلا تأس » ، فلا تحزن .

* * *

يقال منه : « أسِيَ فلان على كذا يأسىَ أسىً » و « قد أسيت من كذا » ، أى حزنت ، ومنه قول امرئ القيس :

وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ يَقُولُونَ : لَا تَهْلِكْ أَسًى وَتَجَمَّلِ (١)

يعنى : لا تهلك حزناً .

* * *

وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١١٧٠٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « فلا تأس » ، يقول : فلا تحزن .

١١٧٠٣ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال حدثنا أسباط ، عن السدى : « فلا تأس على القوم الفاسقين » ، قال : لما ضُرب عليهم التّيه ، ندم موسى صلى الله عليه وسلم ، فلما نَدِم أوحى الله إليه : « فلا تأس على القوم الفاسقين » ، لا تحزن على القوم الذين سمّيتهم « فاسقين » ، فلم يحزن .(٢)

* * *

---

(١) ديوانه : ١٢٥ ، من معلقته المشهورة .

(٢) الأثر : ١١٧٠٣ — هو بعض الأثر السالف قديماً رقم : ٩٩١ . وأسقط ناشر المطبوعة

القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢٧)

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واتلُ على هؤلاء اليهود الذين هموا أن يبسطُوا أيديهم إليكم، وعلى أصحابك معهم[١] = وعرِّفهم ١٢٠/٦
مكروهَ عاقبة الظلم والمكر ، وسوء مغبَّة الخَتْر ونقض العهد،[٢] وما جزاء الناكثِ وثوابُ الوافى=[٣] خبرَ ابنى آدم ، هابيل وقابيل ، وما آل إليه أمر المطيع منهما ربَّه الوافى بعهده، وما إليه صار أمر العاصى منهما ربَّه الخاترِ الناقضِ عهده .[٤] فلتعرف بذلك اليهود وخَامِةَ غِبِّ غَدْرهم ونقضهم ميثاقَهم بينك وبينهم،[٥] وهمَّهم

الأولى : « فلم يحزن »، لأنها كانت فى المخطوطة : « فلا تحزن » ، فظنها تكراراً فحذفها، وهى ثابتة كما كتبتها فى الأثر السالف : ٩٩١ .

(١) أخطأ ناشر المطبوعة الأولى فهم هذه العبارة ، فجعلها « واتل على هؤلاء الذين هموا أن يبسطوا أيديهم إليكم عليك وعلى أصحابك معك » ، فزاد « عليك » ، وجعل « معهم » ، « معك » فأخرج الكلام من عربية أبى جعفر ، إلى كلام غسل من عربيته .

وسياق الكلام : واتل على هؤلاء اليهود . . . وعلى أصحابك معهم » . فسبحان من سلط الناشرين على الكاتبين ! !

(٢) « الختر » : هو أسوأ الغدر . وأقبح الخديعة ، وفى الحديث : « ما ختر قوم بالعهد إلا سلط عليهم العدو » ، وفى التنزيل : « وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور » . ولم يحسن ناشر المطبوعة قراءة « الختر » ، فجعل مكانها « الجور » .

(٣) قوله « خبر ابنى آدم » منصوب ، مفعول قوله : « واتل على هؤلاء اليهود » ، وما بين الخطين ، جملة فاصلة للبيان .

وانظر تفسير « يتلو » فيما سلف ٢ : ٤٠٩ ، ٤١١ ، ٣/٥٦٩ : ٦/٨٦ : ٧/٤٦٦ : ٩٧ .
وتفسير « نبأ » فيما سلف ١ : ٤٨٨ ، ٦/٤٨٩ : ٢٥٩ ، ٤٠٤ .

(٤) فى المطبوعة : « الجائر » ، وانظر تفسير « الختر » فيما سلف تعليق : ٢ ، وهى فى المخطوطة غير منقوطة .

(٥) فى المطبوعة : « وخامة غب عدوهم » ، وهو فاسد مريض ، وهى فى المخطوطة كما كتبتها غير منقوطة .

بما همُّوا به من بسط أيديهم إليك وإلى أصحابك ، فإن لك ولهم[١] = فى حسن ثوابى وعِظَم جزائى على الوفاء بالعهد الذى جازيت المقتولَ الوافِىَ بعهده من ابنى آدم ، وعاقبتُ به القاتل الناكثَ عهده = عزاءً جميلاً . [٢]

* * *

واختلف أهل العلم فى سبب تقريب ابنى آدم القربان ، وسبب قَبُول الله عز وجل ما تقبل منه ، ومَنِ اللذان قرَّبا ؟

فقال بعضهم : كان ذلك عن أمر الله جل وعز إياهما بتقريبه ، وكان سبب القبول أن المتقبَّل منه قرَّب خير ماله ، وقرب الآخر شر ماله . وكان المقرِّبان ابنى آدم لصلبه ، أحدهما : هابيل ، والآخرُ : قابيل .

* ذكر من قال ذلك :

١١٧٠٤ – حدثنى المثنى بن إبراهيم قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ابن أبى جعفر ، عن هشام بن سَعْد ، عن إسمعيل بن رافع قال : بلغنى أن ابنى آدم لمّا أُمِرَا بالقربان، كان أحدهما صاحب غَنَم ،وكان أُنْتِجَ له حَمَلٌ فى غنمه ، [٣] فأحبه حتى كان يؤثره بالليل ، وكان يحمله على ظهره من حبه ،حتى لم يكن له مالٌ أحبَّ إليه منه . فلما أُمِر بالقربان قرّبه لله فقبله الله منه ، فما زال يَرْتَع فى الجنة حتى فُدِى به ابن إبراهيم صلى الله عليهما . [٤]

١١٧٠٥ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا عوف ، عن أبى المغيرة ، عن عبد الله بن عمرو قال : إنّ ابنى آدم اللذين قرّبا قرباناً فتقبّل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ، كان أحدهما صاحب حَرْثٍ ،

---

(١) يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

(٢) السياق : « فإن لك ولهم . . . عزاء جميلا » .

(٣) « أنتج » (بالبناء للمجهول) ، أى : ولد . و « الحمل » (بفتحتين) : الخروف .

(٤) الأثر : ١١٧٠٤ – « هشام بن سعد المدنى » ، ثقة ، تكلموا فيه من جهة حفظه . مضى برقم : ٥٤٩٠ . وكان فى المطبوعة هنا : « بن سعيد » ، والصواب من المخطوطة .

« إسماعيل بن رافع بن عويمر المدنى القاص » ، ضعيف جدا ، مضى برقم : ٤٠٣٩ .

والآخر صاحب غنم . وأنهما أُمرا أن يقرّبا قرباناً = وأن صاحب الغَنَم قرب أكرم غنمه وأسمَنَها وأحسَنَها ، طيّبةً بها نفسه = وأن صاحبَ الحرث قرّب شَرّ حرثه ، [الكوزن] والزُّوان ، [1] غير طيبةٍ بها نفسه = وأن الله تقبّل قربان صاحب الغنم ، ولم يتقبل قُربان صاحب الحرث . وكان من قصتهما ما قص الله فى كتابه . وقال : أيمُ الله ، إنْ كان المقتول لأشدّ الرجلين ، ولكن منعه التحرُّجُ أن يبسطَ إلى أخيه. [2]

* * *

وقال آخرون : لم يكن ذلك من أمرِهما عن أمرِ الله إياهما به .

* ذكر من قال ذلك :

١١٧٠٦ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : كان من شأنهما أنه لم يكن مسكين يُتصدَّق عليه ، [3] وإنما كان القربان يقرِّبه الرجل . فبينا ابنا آدم قاعدان إذ قالا : « لو قربنا قرباناً » ! وكان الرجل إذا قرب قرباناً فرضيه الله جل وعزّ ، أرسل إليه ناراً فأكلته . وإن لم يكن رضيَه الله ، خبَتِ النار . فقرّبا قرباناً ، وكان أحدهما راعياً ، وكان الآخر حرّاثاً ، وإنّ صاحب الغنم قرب خير غنمه وأسمنَها ، وقرب الآخر بعضَ زرعه . [4] فجاءت النار فنزلت بينهما ، فأكلت الشاة وتركت

---

(١) « الكوزن » ، هكذا فى المطبوعة والمخطوطة ، وفى تاريخ الطبرى « الكوذر » ، ولم أجدها فى شىء مما بين يدى من الكتب . والذى وجدته أن « الدوسر » : نبات كنبات الزرع ، له سنبل وحب دقيق أسمر ، يكون فى الحنطة ، ويقال هو « الزوان » . و « الزوان » (بضم الزاى) : ما يخرج من الطعام فيرمى به ، وهو الردىء منه . وقيل : هو حب يخالط الحنطة ، تسميه أهل الشأم : « الشيلم » .

(٢) الأثر : ١١٧٠٥ — رواه أبو جعفر فى تاريخه ١ : ٧١ ، وسيأتى برقم : ١١٧٢٧ ، مختصراً . وفى المطبوعة هنا : « أن يبسط يده إلى أخيه » ، زاد « يده » » ، وهى ليست فى المخطوطة ، ولا فى التاريخ ، ولا فى هذا الأثر الذى سيرويه مرة أخرى بعد .

(٣) فى المطبوعة : « فيتصدق » ، وأثبت ما فى المخطوطة والتاريخ .

(٤) فى المطبوعة : « أبغض زرعه » ، غير ما فى المخطوطة ، وهى موافقه لما فى التاريخ . ويعنى بقوله : « بعض زرعه » ، أى : ما اتفق له ، غير متخير كما تخير أخوه . وهو كقوله فى الأثر رقم : ١١٧٠٩ . « زرعاً من زرعه » .

الزرع ، وإن ابن آدم قال لأخيه : أتَمْشي في الناس وقد علموا أنك قرَّبت قرباناً فتُقبِّل منك، ورُدَّ على ؟ فلا والله لا تنظر الناس إلىّ وإليك وأنت خير مني ! ! فقال : لأقتلنَّك ! فقال له أخوه : ما ذنبي ؟ إنما يتقبل الله من المتقين .[1]

١١٧٠٧ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى قال ، حدثنا ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « إذ قربا قرباناً »، قال : ابنا آدم ، هابيل وقابيل ، لصلب آدم . فقرّب أحدهما شاةً ، وقرب الآخر بَقْلاً ، فقبل من صاحب الشاة ، فقتله صاحبه .

١١٧٠٨ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١١٧٠٩ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور، عن مجاهد في قوله: « واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذْ قرّبا قرباناً »، قال : هابيل وقابيل، فقرب هابيل عَنَاقاً من أحسن غَنَمه ،[2] وقرب قابيل زرعاً من زرعه . قال: فأكلت النار العَناقَ ولم تأكل الزرع ،فقال : لأقتلنك ! قال : إنما يتقبل الله من المتقين .

١٢١/٦ ١١٧١٠ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا رجل سمع مجاهدا في قوله : « واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً » ، قال : هو هابيل وقابيل لصُلْب آدم ، قربا قرباناً ، قرب أحدهما شاة من غنمه ، وقرب الآخر بَقْلاً ، فتُقُبِّل من صاحب الشاة ، فقال لصاحبه ، لأقتلنك ! فقتله . فعقل الله إحدى رجليه بساقها إلى فخذها إلى يوم القيامة، وجعل وجهه إلى الشمس حيثما دارت ، عليه حَظِيرة من ثلج في الشتاء، وعليه في الصيف حظيرة من نار ،

---

(١) الأثر : ١١٧٠٦ – رواه أبو جعفر في تاريخه ١ : ٧١ ، وسيأتي برقم : ١١٧٥٠ ، بزيادة في آخره .

(٢) « العناق » (بفتح العين) : وهي الأنثى من المعز ما لم تتم سنة .

ومعه سبعةُ أملاكٍ ، كلما ذهب مَلَك جاء الآخر .

١١٧١١ – حدثنا سفيان قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان = ح ، وحدثنا هناد قال ، حدثنا وكيع ، عن سفيان = عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : « واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قرّبا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر » ، قال : قرّب هذا كبشاً، وقرّب هذا صُبَراً من طعام، (١) فتقبل من أحدهما ، قال : تُقُبل من صاحب الشاة ، ولم يتقبل من الآخر .

١١٧١٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قرّبا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر »، كان رجلان من بني آدم، فتُقُبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر .

١١٧١٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبيد الله ، عن فضيل بن مرزوق، عن عطية : « واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق » ، قال : كان أحدهما اسمه قابيل ، والآخر هابيل ، أحدهما صاحب غنم ، والآخر صاحب زرع ، فقرب هذا من أمثل غنمه حَمَلاً ، وقرّب هذا من أرذَلِ زرعه ، (٢) قال : فنزلت النار فأكلت الحمل ، فقال لأخيه : لأقتلنك !

١١٧١٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق، عن بعض أهل العلم بالكتاب الأوّل: أن آدم أمر ابنه قابيل أن يُنكِح أختَه تُؤْمَهُ هابيل، وأمر هابيل أن ينكح أخته تُؤْمَه قابيل، (٣) فسلم لذلك هابيل ورضي ، وأبى قابيل

---

(١) « الصبر » (بضم الصاد وفتح الباء) جمع « صبرة » (بضم فسكون) : كومة من طعام بلا كيل ولا وزن . ويقال : « اشتريت الشيء صبرة » ، أي بلا كيل ولا وزن . وفي المطبوعة : « صبرة » وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) في المطبوعة : « من أردإ زرعه » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٣) في المطبوعة في الموضعين « توأمة » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وفي تاريخ الطبري : « توأمته » . و « التوأم » و « التئم » (بكسر فسكون) و « التؤم » (بضم فسكون) ، و « التئيم » ، هو من جميع

ذلك وكره ،[١] تكرماً عن أخت هابيل، ورغب بأخته عن هابيل ، وقال : نحن وِلادة الجنة، وهما من ولادة الأرض، وأنا أحق بأختي ! = ويقول بعض أهل العلم بالكتاب الأول : كانت أخت قابيل من أحسن الناس ، فضن بها عن أخيه وأرادها لنفسه . فالله أعلم أيّ ذلك كان = فقال له أبوه : يا بني إنها لا تحلُّ لك ! فأبى قابيل أن يقبل ذلك من قول أبيه ، فقال له أبوه : يا بني ، فقرّب قرباناً ، ويقرّب أخوك هابيل قرباناً ، فأيُّكما قَبِل الله قربانَه فهو أحق بها . وكان قابيل على بَذْر الأرض، وكان هابيل على رِعاية الماشية ، فقرب قابيل قمحاً ، وقرّب هابيل أبْكاراً من أبكار غنمه = وبعضهم يقول : قرب بقرة = فأرسل الله جل وعز ناراً بيضاء فأكلت قربان هابيل، وتركت قربان قابيل، وبذلك كان يُقْبَل القُربان إذا قبله .[٢]

١١٧١٥ — حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى فيما ذكر ، عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس = وعن مرة ، عن ابن مسعود = وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : وكان لا يولد لآدم مولود إلا ولد معه جارية ،[٣] فكان يزوّج غلام هذا البطن ، جاريةَ هذا البطن الآخر ، ويزوج جارية هذا البطن ، غلامَ هذا البطن الآخر . حتى ولد له ابنان يقال لهما : قابيل وهابيل . وكان قابيل صاحب زرع ، وكان

الحيوان ، المولود مع غيره فى بطن، من الاثنين إلى ما زاد ، ذكراً كان أو أنثى، أو ذكراً مع أنثى . ويقال أيضاً « توأم للذكر » و « توأمة » للأنثى .

وفى المخطوطة والمطبوعة فى جميع المواضع « قابيل » . وأما فى التاريخ ، فهو فى جميع المواضع « قين » مكان « قابيل » ، وهما واحد ، فترَكْت ما فى المطبوعة والمخطوطة على حاله ، وإن كان يخالف ما رواه أبو جعفر فى التاريخ .

(١) فى المطبوعة : « وكرهه » ، وأثبت ما فى المخطوطة والتاريخ .

(٢) الأثر : ١١٧١٤ — رواه أبو جعفر فى تاريخه ١ : ٧٠ .

(٣) فى المطبوعة : « كان . . . » بغير واو ، وأثبت ما فى المخطوطة .

هابيل صاحب ضَرْعٍ . وكان قابيل أكبرهما ، وكان له أخت أحسن من أخت هابيل . وإنّ هابيل طلب أن ينكح أخت قابيل ، فأبى عليه وقال : هي أختي ، ولدت معي ، وهي أحسن من أختك ، وأنا أحق أن أتزوّجها ! فأمره أبوه أن يزوّجها هابيل ، فأبى . وإنهما قربا قرباناً إلى الله أيُّهما أحق بالجارية ، كان آدم يومئذ قد غاب عنهما إلى مكة ينظر إليها ، قال الله عز ذكره لآدم : يا آدمُ ، هل تعلم أن لي بيتاً في الأرض ؟ قال : اللهم لا ! قال : فإن لي بيتاً بمكة فأتِه . فقال آدم للسماء : « احفظي ولدي بالأمانة » ، فأبت . وقال للأرض ، فأبت . وقال للجبال فأبت . وقال لقابيل ، فقال : نعم ، تذهب وترجع وتجدُ أهلك كما يسرُّكَ . فلما انطلق آدم ، قربا قرباناً ، وكان قابيل يفخَر عليه فقال : أنا أحق بها منك ، هي أختي ، وأنا أكبر منك ، وأنا وصيُّ والدي ! فلما قرَّبا ، قرب هابيل جَذَعة سمينة ،[1] وقرّب قابيل حُزمة سنبل ، فوجد فيها سنبلةً عظيمة ، ففركَها فأكلها . ١٢٢/٦
فنزلت النار فأكلت قربانَ هابيل ، وتركت قربان قابيل ، فغضب وقال : لأقتلنك حتى لا تنكح أختي ! فقال هابيل : إنما يتقبّل الله من المتقين .[2]

١١٧١٦ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق » ، ذكر لنا أنهما هابيل وقابيل . فأما هابيل ، فكان صاحب ماشية ، فعمَد إلى خير ماشيته فتقرّب بها ، فنزلت عليه نار فأكلته = وكان القربان إذا تُقُبل منهم ، نزلت عليه نار فأكلته . وإذا رُدَّ عليهم أكلته الطيرُ والسباع = وأما قابيل ، فكان صاحب زرع ، فعمد إلى أردإ زرعه فتقرب به ، فلم تنزل عليه النار ، فحسد أخاه عند ذلك فقال : لأقتلنك ! قال : إنما يتقبل الله من المتقين .

١١٧١٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا

---

(١) « الجذعة » من الضأن والمعز ، الصغير ، لم يتم سنته .
(٢) الأثر : ١١٧١٥ — رواه أبو جعفر في تاريخه ١ : ٦٨ ، ٦٩ .

معمر ، عن قتادة في قوله : « واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق » ، قال : هما هابيل وقابيل ، قال : كان أحدهما صاحب زرع ، والآخر صاحب ماشية ، فجاء أحدهما بخيرِ ماله ، وجاء الآخر بشر ماله . فجاءت النار فأكلت قربان أحدهما ، وهو هابيل ، وتركت قربان الآخر ، فحسده فقال : لأقتلنك !

١١٧١٨ — حدثنا سفيان قال ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد : « إذ قرّبا قرباناً » ، قال : قرّب هذا زرعاً ، وذا عناقاً ، فتركت النارُ الزرعَ وأكلتِ العَناق .(١)

* * *

وقال آخرون : اللذان قرّبا قرباناً ، وقصّ الله عز ذكره قصصهما في هذه الآية : رجلان من بني إسرائيل ، لا من ولد آدم لصلبه .

* ذكر من قال ذلك :

١١٧١٩ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا سهل بن يوسف ، عن عمرو ، عن الحسن قال : كان الرجلان اللذان في القرآن ، اللذان قال الله : « واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق » ، من بني إسرائيل ، ولم يكونا ابني آدم لصلبه ، وإنما كان القُربان في بني إسرائيل ، وكان آدم أول من مات .(٢)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب ، أن اللذين قرّبا القربان كانا ابني آدم لصلبه ، لا من ذرّيته من بني إسرائيل . وذلك أن الله عز وجل يتعالى عن أن يخاطب عبادَه بما لا يفيدهم به فائدة ، والمخاطبون بهذه الآية كانوا عالمين أن تقريبَ القربان لله لم يكن إلاّ في ولد آدم ، دون الملائكة والشياطين

---

(١) « العناق » : أنثى المعز ، ما لم تتم سنة .

(٢) الأثر : ١١٧١٩ — « سهل بن يوسف الأنماطي » ، روى عن ابن عون ، وعوف الأعرابي ، وحميد الطويل ، وغيرهم . روى عنه أحمد ، ويحيى بن معين ، ومحمد بن بشار ، وغيرهم . مترجم التهذيب .

وهذا الخبر رواه أبو جعفر في تاريخه ١ : ٧١ .

وسيأتي رد هذا الذي قاله الحسن فيما سيأتي ص : ٢١٩ ، ٢٢٠ .

وسائرِ الخلق غيرهم . فإذْ كان معلوماً ذلك عندهم ، فمعقول أنه لو لم يكن معنيًّا بـ « ابنى آدم » اللذين ذكرهما الله فى كتابه ، ابناهُ لصلبه ، لم يفدْهم بذكره جل جلاله إياهما فائدة لم تكن عندهم . وإذْ كان غيرَ جائز أن يخاطبهم خطاباً لا يفيدهم به معنًى ، فمعلوم أنه عنَى بـ « ابنى آدم » ، [ابنى آدم لصلبه] ، لا بَنِى بنيه الذين بَعُد منه نسبهم ،(١) مع إجماع أهل الأخبار والسير والعلم بالتأويل ، على أنهما كانا ابنى آدم لصلبه ، وفى عهد آدم وزمانه ، وكفى بذلك شاهداً .

* * *

وقد ذكرنا كثيراً ممن نُصَّ عنه القول بذلك ، وسنذكر كثيراً ممن لم يذكر إن شاء الله .

١١٧٢٠ — حدثنا مجاهد بن موسى قال ، حدثنا يزيد بن هرون قال ، حدثنا حسام بن المِصَكّ ، عن عمار الدهنى ، عن سالم بن أبى الجعد قال : لما قتل ابن آدم أخاه ، مكث آدم مئة سنة حزيناً لا يضحك ، ثم أتى فقيل له : حيّاك الله وبيّاك ! = فقال : « بياك » ، أضحكك .(٢)

١١٧٢١ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن غياث بن إبراهيم ، عن أبى إسحق الهمدانى قال ، قال على بن أبى طالب رضوان الله عليه : لما قتل ابن آدم أخاه ، بكى آدم فقال :

تَغَيَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا فَلَوْنُ الْأَرْضِ مُغْبَرٌّ قَبِيحُ
تَغَيَّرَ كُلُّ ذِى لَوْنٍ وَطَعْمٍ وَقَلَّ بَشَاشَةُ الْوَجْهِ الْمَلِيحِ

---

(١) فى المطبوعة ، بغير الزيادة التى بين القوسين . أما المخطوطة ، فكانت العبارة غير مستقيمة ، كتب هكذا : « أنه عنى بابنى آدم لصلبه بنى بنيه الذين بعد منه نسبهم » فالصواب زيادة ما زدته بين القوسين ، وزيادة « لا » كما فعل فى المطبوعة السابقة .

(٢) الأثر : ١١٧٢٠ — « حسام بن مصك بن ظالم بن شيطان الأزدى » . روى عن الحسن . وابن سيرين ، وقتادة ، ونافع مولى ابن عمر . روى عنه أبو داود الطيالسى ، وهشيم ، ويزيد بن هرون ، وغيرهم . ضعفوه ، حتى قال ابن معين : « كان كثير الخطأ ، فاحش الوهم ، حتى خرج عن حد الاحتجاج به » . مترجم فى التهذيب .

فأجيب آدم عليه السلام :

أَبَا هَابِيلَ قَدْ قُتِلاَ جَمِيعاً وَصَارَ الْحَيُّ كَالْمَيْتِ الذَّبِيحِ
وَجَاءَ بِشِرَّةٍ قَدْ كَانَ مِنْهَا عَلَى خَوْفٍ، فَجَاءَ بِهَا يَصِيحُ (١)

* * *

قال أبو جعفر : وأما القول فى تقريبهما ما قرّبا ، فإن الصواب فيه من القول أن يقال : إن الله عز ذكره أخبرَ عبادَه عنهما أنهما قد قربا ، ولم يخبر أن تقريبهما ما قرّبا كان عن أمر الله إياهما به ، ولا عن غير أمره . وجائز أن يكون كان عن أمر الله إياهما بذلك = وجائز أن يكون عن غير أمره . غير أنه أىّ ذلك كان ، فلم يقرّبا ذلك إلا طلب قرْبةٍ إلى الله إن شاء الله . ١٢٣/٦

* * *

وأما تأويل قوله : « قال لأقتلنك » ، فإن معناه : قال الذى لم يُتَقَبَّل منه قربانه ، للذى تُقُبِّل منه قربانه : « لأقتلنك » ، فترك ذكر : « المتقبل قربانه » و « المردود عليه قربانه » ، استغناء بما قد جرى من ذكرهما عن إعادته . وكذلك ترك ذكر « المتقبل قربانه » مع قوله ، « قال إنما يتقبل الله من المتقين » .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك روى الخبر عن ابن عباس .

١١٧٢٢ — حدثنا محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « قال لأقتلنك » ، فقال له أخوه : ما ذنبى ؟ إنما يتقبل الله من المتقين .(٢)

---

(١) الأثر : ١١٧٢١ — « غياث بن إبراهيم النخعى ، الكوفى » ، قال يحيى بن معين : « كذاب خبيث » . وقال خالد بن الهياج : « سمعت أبى يقول : رأيت غياث بن إبراهيم ، ولو طار على رأسه غراب لجاء فيه بحديث ! وقال : إنه كان كذاباً يضع الحديث من ذات نفسه » . مترجم فى الكبير ٤/١/١٠٩ ، وابن أبى حاتم ٣/٢/٥٧ ، وفى لسان الميزان ، وميزان الاعتدال .

وفى المخطوطة والمطبوعة ، سقط من الإسناد « عن غياث بن إبراهيم » ، وزدته من إسناد أبى جعفر فى تاريخه ١ : ٧٢ ، وروى الخبر هناك .

(٢) الأثر : ١١٧٢٢ — هذا ختام الأثر السالف رقم : ١١٧٠٦ .

١١٧٢٣ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « إنما يتقبل الله من المتقين » ، قال يقول : إنك لو اتقيت الله في قربانك تُقُبل منك ، جئت بقربانٍ مغشوش بأشرٍّ ما عندك ،[1] وجئت أنا بقربان طيِّب بخير ما عندي . قال : وكان قال : يتقبل الله منك ولا يتقبل مني !

* * *

ويعني بقوله : « من المتقين » ، من الذين اتقوا الله وخافوه ، بأداء ما كلفهم من فرائضه ، واجتناب ما نهاهم عنه من معصيته .[2]

* * *

وقد قال جماعة من أهل التأويل : « المتقون » في هذا الموضع ، الذين اتقوا الشرك .

* ذكر من قال ذلك :

١١٧٢٤ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا عبيد ابن سليمان ، عن الضحاك قوله : « إنما يتقبل الله من المتقين » ، الذين يتقون الشرك .

* * *

وقد بينا معنى « القربان » فيما مضى = وأنه « الفعلان » من قول القائل : « قرَّب » ، كما « الفُرْقان » « الفعلان » من « فرق » ، و« العُدْوان » من « عدا » .[3]

* * *

وكانت قرابين الأمم الماضية قبل أمَّتنا ، كالصدقات والزكوات فينا ، غير أن قرابينهم كان يُعْلم المتقبل منها وغير المتقبَّل = فيما ذكر = بأكل النار ما تُقُبل منها ، وترك النار ما لم يُتقبّل منها .[4] و« القربان » في أمّتنا ، الأعمال الصالحة ، من الصَّلاة والصيام ، والصدقة على أهل المسكنة ، وأداءِ الزكاة المفروضة . ولا سبيل

---

(١) قوله : « بأشر ما عندك » ، أي : « بشر ما عندك » ، وهي لغة قليلة . وقد مضت في الخبر رقم : ٥٠٨٠ ، وانظر التعليق هناك : ٥ : ٨٥ ، تعليق : ١ .

(٢) انظر تفسير « اتقى » فيما سلف من فهارس اللغة (وقى) .

(٣) انظر ما سلف ٧ : ٤٤٨ .

(٤) انظر الأثرين السالفين : ٨٣١٠ ، ٨٣١١ .

لها إلى العلم فى عاجلٍ بالمتقبَّل منها والمردود .(١)

* * *

وقد ذكر عن عامر بن عبد الله العنبرى : أنه حين حضرته الوفاة بَكى ، فقيل له : ما يبكيك ؟ فقد كنتَ وكنتَ ! فقال : يبكينى أنّى أسمع الله يقول : « إنما يتقبل الله من المتقين » .

١١٧٢٥ – حدثنى بذلك محمد بن عمر المقدمى قال ، حدثنى سعيد بن عامر ، عن همّام ، عمن ذكره ، عن عامر .(٢)

* * *

وقد قال بعضهم : قربان المتقين ، الصلاة .

١١٧٢٦ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا حفص بن غياث ، عن عمران ابن سليمان ، عن عدى بن ثابت قال : كان قربان المتّقين ، الصلاة .(٣)

* * *

---

(١) قوله : « لها » ، الضمير عائد إلى قوله : « أمثنا » .

(٢) الأثر : ١١٧٢٥ – « محمد بن عمر بن على بن عطاء المقدمى » ، مضى برقم : ٦٢٢٥ ، ٦٨٠٩ .
و « سعيد بن عامر الضبعى » ، ثقة مأمون . مترجم فى التهذيب .
و « همام » هو « همام بن يحيى بن دينار الأزدى » ، ثقة صدوق . مترجم فى التهذيب .
و « عامر بن عبد الله العنبرى » ، هو « عامر بن عبد الله بن عبد قيس العنبرى » ، ويقال : « عامر ابن عبد قيس » ، أحد الزهاد الثمانية ، وهم : « عامر بن عبد الله بن عبد قيس ، وأويس القرنى ، وهرم ابن حبان ، والربيع بن خثيم ، ومسروق بن الأجدع ، والأسود بن يزيد ، وأبو مسلم الخولانى ، والحسن ابن أبى الحسن البصرى » . انظر ترجمته فى حلية الأولياء ٢ : ٨٧ – ٩٥ ، وكتاب الزهد لأحمد بن حنبل : ٢١٨ – ٢٢٨ . ولم أجد هذا الخبر فى أخباره فى الكتابين .

(٣) الأثر : ١١٧٢٦ – « عمران بن سليمان القيسى » ، ذكره ابن حبان فى الثقات . مترجم فى لسان الميزان .
و « عدى بن ثابت الأنصارى » ، ثقة ، إلا أنه كان يتشيع . مات سنة ١١٦ . مترجم فى التهذيب .

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٢٨)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن المقتول من ابنى آدم أنه قال لأخيه = لما قال له أخوه القاتل: لأقتلنك =: والله، « لئن بسطت إلىّ يدك »، يقول : مددت إلىّ يدك = « لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك » ، يقول : ما أنا بمادٍّ يدى إليك[1] = « لأقتلك » .

* * *

وقد اختلف فى السبب الذى من أجله قال المقتول ذلك لأخيه ، ولم يمانعه ما فعل به .

فقال بعضهم: قال ذلك، إعلاماً منه لأخيه القاتل أنه لا يستحل قتله ولا بسطَ يده إليه بما لم يأذن الله جل وعز له به .[2]

* ذكر من قال ذلك :

١١٧٢٧ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا عوف ، عن أبى المغيرة ، عن عبد الله بن عمرو أنه قال: ايم الله ، إن كان المقتول لأشدَّ الرجلين ، ولكن منعه التحرُّج أن يبسُط إلى أخيه .[3]

١١٧٢٨ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « لئن بسطت إلىّ يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك » ، ما أنا بمنتصرٍ ،[4] ولأمسكنَّ يدى عنك .

* * *

---

(١) انظر تفسير : « بسط » فيما سلف ص : ١٠٠ .

(٢) فى المطبوعة : « بما لم يأذن الله به » ، أسقط ما هو ثابت فى المخطوطة، ولا أدرى لم يرتكب ذلك ! !

(٣) الأثر : ١١٧٢٧ – سلف هذا الأثر مطولا برقم : ١١٧٠٥ ، وانظر التعليق عليه هناك .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « لا أنا » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

وقال آخرون: لم يمنعه مما أراد من قتله، وقال ما قال له مما قصّ الله فى كتابه: [إلاّ] أن الله عزّ ذكره فرضَ عليهم أن لا يمتنع من أريد قتله ممن أراد ذلك منه.(١)

* ذكر من قال ذلك :

١١٧٢٩ – حدثنى الحارث قال، حدثنا عبدالعزيز قال، حدثنا رجل سمع مجاهداً يقول فى قوله: «لئن بسطت إلىّ يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك»، قال مجاهد: كان كُتب عليهم،(٢) إذا أراد الرجل أن يقتل رجلاً تركه ولا يمتنع منه. ١٢٤/٦

* * *

قال أبو جعفر: وأولى القولين فى ذلك بالصواب أن يقال: إن الله عز ذكره قد كان حرّم عليهم قتل نفسٍ بغير نفس ظلماً، وأن المقتول قال لأخيه: «ما أنا بباسط يدى إليك إن بسطت إلىّ يدك»، لأنه كان حراماً عليه من قتل أخيه مثلُ الذى كان حراماً على أخيه القاتل من قتله. فأما الامتناع من قتله حين أراد قتله، فلا دلالة على أن القاتلَ حين أراد قتله وعزم عليه، كان المقتول عالماً بما هو عليه عازمٌ منه ومحاولٌ من قتله، فترك دفعَه عن نفسه. بل قد ذكر جماعة من أهل العلم أنه قتله غِيلةً، اغتاله وهو نائم، فشدَخ رأسه بصخرةٍ.(٣) فإذْ كان ذلك ممكناً، ولم يكن فى الآيةِ دلالة على أنه كان مأموراً بترك منع أخيه من قتله، يكن جائزاً ادعاءُ ما ليس فى الآية، إلاّ ببرهان يجب تسليمُه.

* * *

وأما تأويل قوله: «إنىّ أخافُ الله رب العالمين» فإنه: إنىّ أخاف الله فى بسط يدى إليك إن بسطتها لقتلك(٤) = «رب العالمين»، يعنى: مالك الخلائق كلها(٥) = أن يعاقبنى على بسط يدى إليك.

* * *

(١) الزيادة بين القوسين لا بد منها لسياق هذه الجملة.
(٢) فى المطبوعة: «كان كتب الله عليهم»، وأثبت ما فى المخطوطة.
(٣) انظر الآثار التالية من رقم: ١١٧٤٦ – ١١٧٤٩.
(٤) فى المطبوعة: «فإنى أخاف»، وهو لا يستقيم، والصواب ما أثبته من المخطوطة.
(٥) انظر تفسير «رب» و «العالمون» فيما سلف من فهارس اللغة.

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٢٩)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : معناه : إنى أريد أن تبوء بإثمى من قتلك إياى ، وإثمك فى معصيتك الله، وغير ذلك من معاصيك .[1]

* ذكر من قال ذلك :

١١٧٣٠ — حدثنى موسى بن هرون،[2] قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى فى حديثه ، عن أبى مالك وعن أبى صالح ، عن ابن عباس = وعن مرة ، عن ابن مسعود = وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك » ، يقول : إثم قتلى ، إلى إثمك الذى فى عنقك = « فتكون من أصحاب النار » .

١١٧٣١ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك »، يقول : بقتلك إياى، وإثمك قبل ذلك.

١١٧٣٢ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة : « إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك » ، قال : بإثم قتلى وإثمك .

١١٧٣٣ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك » ، يقول : إنى أريد أن يكون عليك خطيئتك ودمى ، تبوء بهما جميعاً .

١١٧٣٤ — حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز ، عن سفيان ، عن

---

(١) فى المطبوعة : « وإثمك فى معصيتك الله بغير ذلك من معاصيك »، وهو كلام لا يستقيم ، لا شك أن صوابه ما أثبت .

(٢) فى المطبوعة : « محمد بن هرون » ، وهو خطأ لا شك فيه، صوابه فى المخطوطة .

منصور ، عن مجاهد : « إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك » ، يقول : إنى أريد أن تبوء بقتلك إياى= « وإثمك »، قال : بما كان منك قبل ذلك .

١١٧٣٥ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد قال ، حدثنى عبيد بن سليمان ، عن الضحاك قوله : « إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك » ، قال : أما « إثمك » ، فهو الإثم الذى عمل قبل قتل النفس = يعنى أخاه = وأما « إثمه » ، فقتلُه أخاه .

* * *

=وكأن قائلى هذه المقالة، وجّهوا تأويل قوله: « إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك»، إلى : إنى أريد أن تبوء بإثم قتلى[1] = فحذف « القتل » واكتفى بذكر « الإثم » ، إذ كان مفهوماً معناه عند المخاطبين به .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : إنى أريد أن تبوء بخطيئتى ، فتتحمل وزرها ، وإثمك فى قتلك إيّاى. وهذا قول وجدتُه عن مجاهد ، وأخشى أن يكون غلطاً ، لأن الصحيح من الرواية عنه ما قد ذكرنا قبلُ .

* ذكر من قال ذلك :

١١٧٣٦ – حدثنى المثنى قال،حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك » ، يقول : إنى أريد أن تكون عليك خطيئتى ودمى ، فتبوء بهما جميعاً .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن تأويله : إنى أريد أن تنصرف بخطيئتك فى قتلك إياى[2] = وذلك هو معنى قوله : « إنى أريد

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « أى : إنى أريد . . . »، وصواب قراءتها ما أثبت .

(٢) انظر تفسير « باء » فيما سلف ٢ : ١٣٨ ، ٧/٣٤٥ : ١١٦ ، ٣٦٦ = وتفسير « الإثم »، فيما سلف من فهارس اللغة .

أن تبوء بإثمى » = وأما معنى : « وإثمك » ، فهو إثمه بغير قتله، وذلك معصيته الله جل ثناؤه فى أعمالٍ سِوَاه .

وإنما قلنا ذلك هو الصواب ، لإجماع أهل التأويل عليه . لأن الله عز ذكره قد أخبرنا أن كل عامل فجزاءُ عمله له أو عليه . وإذا كان ذلك حكمه فى خلقه ، فغير جائز أن يكون آثام المقتول مأخوذاً بها القاتل ، وإنما يؤخذ القاتل بإثمه بالقتل المحرم وسائر آثامِ معاصيه التى ارتكبها بنفسه ، دون ما ركبَه قتيلُه .

* * *

فإن قال قائل : أوليس قتلُ المقتول من بنى آدم كان معصيةً لله من القاتل ؟

قيل : بلى ، وأعظِمْ بها معصية !

فإن قال : فإذا كان لله جل وعز معصيةً ، فكيف جاز أن يُريد ذلك منه ١٢٥/٦ المقتول ، ويقول : « إنى أريد أن تبوء بإثمى » ، وقد ذكرتَ أن تأويل ذلك، إنى أريد أن تبوء بإثم قتلى ؟

[قيل] : معناه : [1]إنى أريد أن تبوء بإثم قتلى إن قتلتنى ، لأنى لا أقتلك، فإن أنت قتلتنى ، فإنى مريد أن تبوء بإثم معصيتك الله فى قتلك إياى . وهو إذا قتله ، فهو لا محالة باءَ به فى حكم الله، فإرادته ذلك غير موجبةٍ له الدخولَ فى الخطأ .

* * *

ويعنى بقوله : « فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين » ، يقول : فتكون بقتلك إياى من سكان الجحيم ، ووقود النار المخلدين فيها[2] = « وذلك جزاء الظالمين » ، يقول : والنار ثوابُ التاركين طريق الحق ، الزائلين عن قصد

---

(١) فى المطبوعة ، وصل الكلام ، فلم يكن للاستفهام جواب ، فكتب هكذا : « إنى أريد أن تبوء بإثم قتل ، فمعناه : إنى أريد . . . . » . وفى المخطوطة مثل ذلك ، إلا أنه كتب « ومعناه » بالواو . واستظهرت أن الصواب ما زدت بين القوسين « قيل » ، فإنه هذا أول جواب السائل .

(٢) انظر تفسير « أصحاب النار » فيما سلف ٢ : ٢٨٦/ ٤ : ٣١٧/٥ : ٤٢٩/ ٦ : ١٤/ ٧ : ١٣٣ ، ١٣٤ .

السبيل ، المتعدِّين ما جُعِل لهم إلى ما لم يجعل لهم .[١]

وهذا يدل على أن الله عز ذكره قد كان أمرَ ونهى آدم بعد أن أهبطه إلى الأرض ، ووعد وأوعد . ولولا ذلك ما قال المقتول للقاتل : « فتكون من أصحاب النار » بقتلك إياى ، ولا أخبره أن ذلك جزاء الظالمين . فكان مجاهد يقول : عُلّقت إحدى رجلى القاتل بساقها إلى فخذها من يومئذ إلى يوم القيامة ، ووجهه فى الشمس حيثما دارت دار ، عليه فى الصيف حظيرة من نار ، وعليه فى الشتاء حظيرة من ثلج .

١١٧٣٧ — حدثنا بذلك القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج قال مجاهد ذلك = قال : وقال عبد الله بن عمرو : وإنا لنجد ابنَ آدم القاتلَ يقاسِم أهل النار قسمةً صحيحةً العذابَ ، عليه شطرُ عذابهم .[٢]

* * *

وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بنحو ما روى عن عبد الله بن عمرو ، خبرٌ .

١١٧٣٨ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير = وحدثنا سفيان قال ، حدثنا جرير وأبو معاوية = ح ، وحدثنا هناد قال ، حدثنا أبو معاوية ووكيع = جميعاً ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، عن عبد الله قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : ما من نفسٍ تقتل ظلماً إلاّ كان على ابن آدم الأوّلَ كفلٌ منها ، ذلك بأنه أول من سَنّ القتل .[٣]

١١٧٣٩ — حدثنا سفيان قال ، حدثنا أبى = ح ، وحدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن = جميعاً ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، عن عبد الله ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، نحوه .[٣]

---

(١) انظر تفسير « جزاء » و « الظالمون » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٢) الأثر : ١١٧٣٧ — رواه أبو جعفر فيما سلف برقم : ١١٧١٠ ، طريق أخرى . وليس فيه هذه الزيادة عن عبد الله بن عمرو .

(٣) الأثران : ١١٧٣٨ ، ١١٧٣٩ — هذا حديث صحيح ، رواه أحمد فى مسنده من هذه الطرق ،

١١٧٤٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن حسن بن صالح ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن إبراهيم النخعي قال : ما من مقتول يقتل ظلماً، إلاّ كان على ابن آدم الأول والشيطان كفلٌ منه .

١١٧٤١ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق ، عن حكيم ابن حكيم : أنه حُدِّث عن عبد الله بن عمرو : أنه كان يقول : إن أشقى الناس رجلاً ، لابَسْنُ آدم الذى قتل أخاه، ما سُفِك دم فى الأرض منذ قَتَل أخاه إلى يوم القيامة، إلاّ لحق به منه شيء ، وذلك أنه أوّل من سنّ القتل .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وهذا الخبر الذى ذكرنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،(٢) مبينٌ عن أنّ القول الذى قاله الحسن فى ابنى آدم اللذين ذكرهما الله فى هذا الموضع(٣) = إنهما ليسا بابنى آدم لصلبه ، ولكنهما رجلان من بنى إسرائيل = وأن القول الذى حكى عنه(٤) : أنّ أول من مات آدم ، وأن القربان الذى كانت

من حديث عبد الله بن مسعود برقم : ٣٦٣٠ ، ٤٠٩٢ ، ٤١٢٣ . ورواه البخارى فى صحيحه من طرق عن الأعمش (الفتح ٦ : ١٢/٢٦٢ : ١٣/١٦٩ : ٢٥٦) ، ورواه مسلم فى صحيحه من طرق عن الأعمش ١١ : ١٦٥ ، ١٦٦ . وقال ابن كثير فى تفسيره ٣ : ١٣٠ : « وقد أخرجه الجماعة سوى أبى داود ، من طرق عن الأعمش، به ». ورواها أبو جعفر فى تاريخه ١ : ٧٢ ، بمثل الذى رواه هنا .

و « الكفل » (بكسر فسكون) : الحظ والنصيب من الوزر والإثم . وانظر تفسير أبى جعفر فيما سلف ٨ : ٥٨١ .

(١) الأثر : ١١٧٤١ – « حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف الأنصارى » ، روى عن ابن عمه أبى أمامة بن سهل ، ونافع بن جبير بن مطعم ، والزهرى ، وغيرهم . ذكره ابن حبان فى الثقات ، وصحح له الترمذى وابن خزيمة وغيرها ، وقال ابن سعد : « كان قليل الحديث ، ولا يحتجون بحديثه » . مترجم فى التهذيب .

(٢) فى المطبوعة : « وبهذا الخبر . . . . » ، غير ما فى المخطوطة ، لم يحسن قراءة الآتى .

(٣) فى المطبوعة : « تبين أن القول » ، جعلها كذلك ، وغير التى قبلها من أجل تغييره . وفى المخطوطة « مس عن القول » غير منقوطة ، والصواب ما أثبته ، أسقط الناسخ « أن » ، والسياق دال على ذلك .

(٤) قول الحسن هذا، هو ما رواه فى الأثر رقم : ١١٧١٩ . وانظر أيضاً ما سيأتى ص : ٢٢٤ .

النار تأكله لم يكن إلا فى بنى إسرائيل =[١] خطأ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبر عن هذا القاتل الذى قَتَل أخاه : أنه أول من سَنّ القتل . وقد كان ، لا شك ، القتلُ قبل إسرائيل، فكيف قبل ذريته! فخطأ من القول أن يقال : أول من سن القتل رجلٌ من بنى إسرائيل .[٢]

وإذ كان ذلك كذلك ، فمعلوم أن الصحيح من القول هو قول من قال : « هو ابن آدم لصلبه » ، لأنه أولُ من سن القتل ، فأوجب الله له من العقوبة ما رَوَينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (٣٠)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : «فطوّعت»، فآتته وساعدته عليه.[٣]

* * *

وهو « فعَّلت » من « الطوع » ، من قول القائل : « طاعنى هذا الأمر » ، إذا انقاد له .

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فى تأويله .

فقال بعضهم ، معناه : فشجَّعت له نفسه قتل أخيه .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) السياق: « وهذا الخبر . . . مبين عن أن القول الذى قاله الحسن . . . . خطأ » .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « وخطأ من القول » بالواو ، والسياق يقتضى الفاء ، كما أثبتها .

(٣) فى المطبوعة : « فأقامته وساعدته . . . » ، وفى المخطوطة كما كتبتها ، ولكنها غير منقوطة . يقال : « آتيته على هذا الأمر مؤاتاة » ، إذا وافقته وطاوعته . قالوا : « والعامة تقول : واتيته . قالوا : ولا تقل : واتيته ، إلا فى لغة لأهل اليمن . ومثله آسيت ، وآكلت ، وآمرت = وإنما جعلوها واواً على تخفيف الهمزة فى : يواكل ، ويوامر ، ونحو ذلك » .

١١٧٤٢ – حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودى ومحمد بن حميد قالا، حدثنا حكام بن سلم ، عن عنبسة ، عن ابن أبي ليلى ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد : « فطوعت له نفسه » ، قال : شجعت .(١) ١٢٦/٦

١١٧٤٣ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد : « فطوعت له نفسه»، قال : فشجعته .

١١٧٤٤ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « فطوعت له نفسه قتل أخيه » ، قال : شجعته على قتل أخيه .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : زيَّنَت له .

* ذكر من قال ذلك :

١١٧٤٥ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فطوعت له نفسه » ، قال : زينت له نفسه قتلَ أخيه فقتَله .

* * *

ثم اختلفوا فى صفة قتله إياه ، كيف كانت ، والسبب الذى من أجله قتله .

* * *

فقال بعضهم : وجده نائماً فشدَخ رأسه بصَخْرة .

* ذكر من قال ذلك :

١١٧٤٦ – حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى فيما ذكر، عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس=

---

(١) الأثر : ١١٧٤٢ – « عنبسة » ، هو« عنبسة بن سعيد بن الضريس الأسدى» مضى مراراً ، منها رقم : ٢٢٤ ، ٣٣٥٦ ، ٥٣٨٥ .

و « ابن أبي ليلى »، هو«محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى»، مضى مراراً . رقم : ٣٢ ، ٣٣ ، ٦٣١ ، ٣٩١٤ ، ٥٤٣٤ .

وكان فى الإسناد هنا ، فى المخطوطة والمطبوعة : « عن عنبسة بن أبي ليلى » ، وهو خطأ لا شك فيه ، وقد مضى هذا الإسناد كثيراً ، انظر مثلا رقم : ٦٣١ .

وعن مرة ، عن عبد الله = وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فطوعت له نفسه قتل أخيه »، فطلبه ليقتله، فراغ الغلام منه فى رؤوس الجبال . وأتاه يوماً من الأيام وهو يرعى غنماً له فى جبل، وهو نائم، فرفع صخرة فشدَخ بها رأسه ، فمات ، فتركه بالعرَاء .

* * *

وقال بعضهم ما : —

١١٧٤٧ — حدثنى محمد بن عمر بن على قال، سمعتَ أشعث السجستانى يقول ، سمعت ابن جريج قال : ابنُ آدم الذى قتل صاحبَه لم يدر كيف يقتله، فتمثَّل إبليس له فى هيئة طير ، فأخذ طيراً فقطع رأسه،[1] ثم وضعه بين حجرين فشدَخ رأسه ، فعلَّمه القتل .

١١٧٤٨ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : قتله حيث يرعَى الغنم ، فأتاه فجعل لا يدرى كيف يقتله ،[2] فلَوَى برقبته وأخذ برأسه، فنزل إبليس وأخذ دابَّةً أو طيراً فوضع رأسه على حجرٍ ، ثم أخذ حجراً آخر فرضخ به رأسه ، وابنُ آدم القاتلُ ينظر . فأخذ أخاه فوضع رأسه على حجَر ، وأخذ حجراً آخر فرضخ به رأسه .

١١٧٤٩ — حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا رجل سمع مجاهداً يقول ، فذكر نحوه .

١١٧٥٠ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : لما أكلت النار قربانَ ابن آدم الذى تُقُبِّل قربانه، قال الآخر لأخيه : أتمشى فى الناس وقد علموا أنك قربت قرباناً فتقُبِّل منك ، ورُدَّ علىَّ؟ والله لا تنتظر الناس إلى وإليك وأنت خير

---

(١) فى المطبوعة : « فقصع رأسه » ، ولا تصح وأثبت ما فى المخطوطة . وإنما عنى « قطع رأسه »، علمه قطع الرأس فى القتل ، ثم علمه الشدخ فى القتل . صورتان للقتل .

(٢) فى المطبوعة « فأتى » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

منى ! فقال : «لأقتلنك »، فقال له أخوه : ما ذنبي ؟ « إنما يتقبل الله من المتقين ». فخوّفه بالنار، فلم ينته ولم ينزجر = « فطوعت له نفسه قتلَ أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين » .(١)

١١٧٥١ – حدثني القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : أخبرني عبد الله بن عثمان بن خثيم قال : أقبلت مع سعيد بن جبير أرمى الجَمْرة، وهو متقَنّع متوكىءٌ على يدى، حتى إذا وازينا بمنزل سَمُرَةَ الصوّاف ،(٢) وقف يحدثني عن ابن عباس قال : نهى أن ينكح المرأة أخوها تُؤْمها،(٣) وينكحها غيره من إخوتها . وكان يولد فى كل بطن رجلٌ وامرأة . فوُلدت امرأةٌ وسيمةٌ ، وولدت امرأة دميمة قبيحة . فقال أخو الدّميمة : أنكحني أختك وأنكحك أختي . قال : لا ، أنا أحق بأختي . فقرّبا قرباناً ، فتقبل من صاحب الكبش ، ولم يتقبل من صاحب الزرع ، فقتله . فلم يزل ذلك الكبش محبوساً عند الله عز وجل حتى أخرجه فى فداء إسحق، فذبحه على هذا الصَّفا فى ثَبِير ، عند منزل سمرة الصواف ،(٢) وهو على يمينك حين ترمى الجمار= قال ابن جريج ، وقال آخرون بمثل هذه القصة. قال : فلم يزل بنو آدم على ذلك حتى مضى أربعة آباء ، فنكح ابنةَ عمه ، وذهب نكاح الأخوات .(٤)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : إن الله عز ذكره قد أخبر عن القاتل أنه قتل أخاه ، ولا خبر عندنا يقطع العذر بصفة قتله إياه . وجائزٌ أن يكون على نحو ما قد ذكر السدىّ فى خبره = وجائزٌ أن يكون كان على

(١) الأثر : ١١٧٥٠ – مضى مفرقاً برقم : ١١٧٠٦ ، ١١٧٢٢ .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة « بمنزل سمرة الصراف » بالراء ، وأثبت ما فى تاريخ الطبرى ، ولا أدرى ما يكون هذا ، فلم أجد موضعاً بهذا الاسم فيما بين يدى من المراجع . و« سمرة الصراف » ، اسم رجل . ولم أعرف من يكون .

(٣) فى تاريخ الطبرى : « « أن تنكح المرأة أخاها توأمها » ، وكان فى المطبوعة هنا « توأمها » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وانظر ما سلف ص : ٢٠٥ ، تعليق : ٣ .

(٤) الأثر : ١١٧٥١ – رواه أبو جعفر فى تاريخه ١ : ٦٩ .

ما ذكره مجاهد ، والله أعلم أيُّ ذلك كان . غير أن القتل قد كان لا شك فيه .

* * *

وأما قوله : « فأصْبَحَ من الخاسرين » ، فإن تأويله : فأصبح القاتل أخاه من ابنى آدم ، من حزب الخاسرين ، وهم الذين باعوا آخرتهم بدنياهم ، بإيثارهم إياها عليها ، فوُكسوا فى بيعهم ، وغبنوا فيه ، وخابوا فى صفقتهم .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾ (٣١) ١٢٧/٦

قال أبو جعفر : وهذا أيضاً أحدُ الأدلة على أن القول فى أمر ابنى آدم بخلاف ما رواه عمرو ، عن الحسن ،[2] لأن الرجلين اللذين وصف الله صفتهما فى هذه الآية ، لو كانا من بنى إسرائيل ، لم يجهل القاتلُ دفنَ أخيه ومواراة سوأة أخيه ، ولكنهما كانا من ولد آدم لصلبه ، ولم يكن القاتلُ منهما أخاه علِم سنّة الله فى عبادِه الموتى ،[3] ولم يدر ما يصنع بأخيه المقتول . فذكر أنه كان يحمله على عاتقه حيناً حتى أراحت جيفته ،[4] فأحب الله تعريفَه السنة فى موتى خلقه ، فقيّض له الغرابين اللذين وصف صفتهما فى كتابه .

* * *

---

(١) انظر تفسير « الخاسرين » و « الخسران » فيما سلف ص : ١٧٠ ، تعليق : ٤ . والمراجع هناك .

(٢) يعنى الأثر : ١١٧١٩ ، وانظر ما سلف أيضاً فى ص : ٢١٩ .

(٣) فى المخطوطة : « فى عاده الموتى » ، وفى المطبوعة : « فى عادة الموتى » ، وهذا كلام لا معنى له ، صواب قراءته ما أثبت .

(٤) « أراح اللحم » ، أنتن وسطعت له ريح خبيثة .

* ذكر الأخبار عن أهل التأويل بالذى كان من فعل القاتل من ابنى آدم بأخيه المقتول ، بعد قتله إياه .

١١٧٥٢ – حدثنا سفيان بن وكيع قال ، حدثنا يحيى بن أبى روق الهمدانى ، عن أبيه ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : مكث يحمل أخاه فى جِرابٍ على رقبته سنةً ، حتى بعث الله جل وعز الغُرَابين ، فرآهما يبحثان ، فقال : « أعجزتُ أن أكون مثل هذا الغراب » ؟ فدفن أخاه .(١)

١١٧٥٣ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « فبعث الله غراباً يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه » ، بعث الله جل وعز غراباً حيًّا ، إلى غراب ميت ، فجعل الغراب الحىُّ يوارى سوأة الغراب الميت ، فقال ابن آدم الذى قتل أخاه : « يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب » ، الآية .

١١٧٥٤ – حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى فيما ذكر ، عن أبى مالك = وعن أبى صالح ، عن ابن عباس = وعن مرة ، عن عبد الله = وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : لما مات الغلام تركه بالعراء ، ولا يعلم كيف يَدْفن . فبعث الله جل وعزّ غرابين أخوين ، فاقتتلا ، فقتل أحدهما صاحبه ، فحفر له ثم حثا عليه . فلما رآه قال : « يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى » ، فهو قول الله : « فبعث الله غراباً يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه » .

١١٧٥٥ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « يبحث » ، قال : بعث الله غراباً حتى

---

(١) الأثر : ١١٧٥٢ – « يحيى بن أبى روق » ، هو « يحيى بن عطية بن الحارث الهمدانى الكوفى . ضعيف . قال يحيى بن معين « ليس بثقة » . مترجم فى لسان الميزان ، وابن أبى حاتم ٤/٢/١٨٠ وأبوه « أبو روق » هو « عطية بن الحارث الهمدانى » ، ثقة ، لا بأس به . مضى برقم : ١٣٧ ، ٩٦٣٢ .

حفَر لآخر إلى جنبه ميت = وابن آدم القاتل ينظر إليه = ثم بحث عليه حتى غيَّبه .(١)

١١٧٥٦ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « غراباً يبحث فى الأرض » ، حتى حفر لآخر ميت إلى جنبه، فغيّبه ، وابن آدم القاتل ينظر إليه ، حيث يبحثُ عليه حتى غيبه، فقال : « يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب » ، الآية .

١١٧٥٧ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد قوله : «فبعث الله غراباً يبحث فى الأرض » ، قال : بعث الله غراباً إلى غراب ، فاقتتلا ، فقتل أحدهما صاحبه ، فجعل يَحْثِي عليه التراب ، (٢) فقال : « يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى فأصبح من النادمين » .

١١٧٥٨ – حدثني المثنى قال، حدثني عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي، عن ابن عباس: « فبعث الله غراباً يبحث فى الأرض » ، قال : جاء غراب إلى غراب ميّت فحثَى عليه من التراب حتى واراه ، فقال الذى قتل أخاه : « يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب» ، الآية .

١١٧٥٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن فضيل ابن مرزوق ، عن عطية قال: لما قتله ندم، فضمّه إليه حتى أروح ،(٣) وعكفت عليه الطير والسباع تنتظر متى يَرْمى به فتأكله.

١١٧٦٠ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة

---

(١) « بحث عليه » ، يعنى حفر التراب عليه وغطاه به .

(٢) « حثا عليه التراب يحثوه حثواً » و « حثى عليه التراب يحثيه حثياً »: هاله . والثانى منهما أعلى من الأول وأفصح . وقد مضت : « حثا »، وستأتى فى الآثار التالية : « يحثو» ، فأغنانا ذكرها هنا عن ذكرها فيما سلف وما سيأتى .

(٣) « أروح اللحم ، وأراح » : أنتن ، وانظر للتعليق السالف ص : ٢٢٤ ، تعليق : ٤

قوله : « فبعث الله غراباً يبحث فى الأرض ليريه » ، أنه بعثه الله عز ذكره يبحثُ فى الأرض ، ذكر لنا أنهما غرابان اقتتَلا ، فقتل أحدهما صاحبه ، وذلك = يعنى ابن آدم = ينظر ، وجعل الحىّ يَحْثِى على الميت الترابَ ، فعند ذلك قال ما قال : « يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب » الآية ، إلى قوله : « من النادمين » .

١١٧٦١ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : أما قوله : « فبعث الله غراباً » ، قال : قتل غرابٌ غراباً ، فجعل يحثُو عليه ، فقال ابن آدم الذى قتل أخاه حين رآه : « يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى فأصبح من النادمين » . ١٢٨/٦

١١٧٦٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد فى قوله : « فبعث الله غراباً يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه » ، قال : وارى الغراب الغراب . قال : كان يحمله على عاتقه مئة سنة لا يدرى ما يصنع به ، يحمله ويضعه إلى الأرض ، حتى رأى الغراب يدفن الغرابَ ، فقال : « يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى فأصبح من النادمين » .

١١٧٦٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا معلّى بن أسد قال ، حدثنا خالد ، عن حصين ، عن أبى مالك فى قوله الله : « يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب » ، قال : بعث الله عزّ وجل غراباً ، فجعل يَبْحَثُ على غراب ميتٍ الترابَ . قال : فقال عند ذلك : « أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى فأصبح من النادمين » .

١١٧٦٤ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « فبعث الله غراباً يبحث فى الأرض » ، بعث الله غراباً حيًّا إلى غراب ميّت ، فجعل الغراب الحىُّ يوارى سوأة الغراب الميت ، فقال ابن آدم الذى قتل أخاه : « يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب » ، الآية .

١١٧٦٥ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، فيما يذكر عن بعض أهل العلم بالكتاب الأوّل، قال : لما قتله سُقِط فى يديه ولم يَدْرِ كيف يواريه . وذلك أنه كان ، فيما يزعمون ، أوّل قتيل من بنى آدم وأوّل ميت=[قال]: « يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى » الآية = [إلى قوله: « ثم إن كثيراً منهم بعد ذلك فى الأرض لمسرفون »، قال]: [1] ويزعم أهل التوراة أن قابيل حين قتل أخاه هابيل قال له جل ثناؤه : يا قابيل ، [2] أين أخوك هابيل ؟ قال : ما أدرى، ما كنت عليه رقيباً ! فقال الله جل وعز له : إنّ صوت دم أخيك لينادِينى من الأرض، الآن أنت ملعون من الأرضِ التى فتحت فاها فبلعت دم أخيك من يدك . فإذا أنت عملت فى الأرض، فإنها لا تعود تعطيك حرثَها حتى تكون فزعاً تائهاً فى الأرض . قال قابيل: عظمت خطيئتى من أن تغفرها ! [3] قد أخرجتنى اليوم عن وجه الأرض ، وأتوارى من قُدّامك ، وأكون فزعاً تائهاً فى الأرض، وكل من لقينى قتلنى ! فقال الله جل وعز : ليس ذلك كذلك ، ولا يكون كل من قتل قتيلاً يجزى بواحدٍ سبعة ، ولكن من قتل قابيل يجزى سبعة، [4] وجعل الله فى قابيل آية لئلا يقتله كل من وجده ، وخرج قابيل من قدام الله عز وجل من شرقىّ عدن الجنة . [5]

---

(١) زدت ما بين القوسين من تاريخ الطبرى .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « قابيل » ، وفى التاريخ مكان « قابيل » فى كل موضع « قين » ، وانظر ص : ٢٠٥ ، تعليق : ٣ .

(٣) فى المخطوطة : « قال ومن عظمت خطيئتى » ، وصوابها « قال قين : عظمت ...» كما فى التاريخ ولكن المخطوطة جرت هنا على أن تضع « قابيل » مكان « قين » ، فوضع الناشر الأول للتفسير « قال قابيل » وهو حسن .

(٤) كانت هذه الجملة فى المطبوعة : « ولا يكون كل قاتل قتيلا يجزى واحداً ، ولكن يجزى سبعة » وهى فاسدة كل الفساد ، صححتها من تاريخ الطبرى ، ولكنى سرت على نهج المخطوطة فى وضع « قابيل » مكان « قين » ، فكتبت « من قتل قابيل » .

(٥) الأثر : ١١٧٦٥ – هذا الذى رواه ابن إسحق من قول أهل التوراة ، تجده فى كتاب القوم فى سفر التكوين ، فى الإصحاح الرابع ، وهو ترجمة أخرى لهذه الفقرة من هذا الإصحاح . وانظر ما سلف ص : ١٨٣ ، تعليق : ٢ .

١١٧٦٦ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا جابر بن نوح قال ، حدثنا الأعمش ، عن خيثمة قال : لما قتل ابن آدم أخاه نَشِفت الأرض دمه، فلُعِنت فلم تَنْشَف الأرض دماً بعدُ .(١)

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام : فأثار الله للقاتل(٢)= إذ لم يدر ما يصنع بأخيه المقتول = « غراباً يبحث فى الأرض »، يقول : يحفر فى الأرض فيثير ترابها = « ليريه كيف يوارى سوأة أخيه » ، يقول : ليريه كيف يوارى جيفةَ أخيه .

* * *

وقد يحتمل أن يكون عُنِيَ بـ « السوأة » ، الفرج ، غير أن الأغلب من معناه ما ذكرت من الجيفة ، بذلك جاء تأويل أهل التأويل .

* * *

قال أبو جعفر : وفى ذلك محذوفٌ ترك ذكره ، استغناء بدلالة ما ذكر منه ، وهو : « فأراه بأن بحث فى الأرض لغراب آخر ميتٍ فواراه فيها »، فقال القاتل أخاه حينئذ: « يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب»، الذى وارى الغرابَ الآخر الميتَ = « فأوارى سوأة أخى » ، فواراه حينئذٍ = « فأصبح من النادمين » ، على ما فرط منه ، من معصية الله عز ذكره فى قتله أخاه .(٣)

* * *

وكل ما ذكر الله عز وجلّ فى هذه الآيات ، مثلٌ ضربه الله عز ذكره لبنى آدم ، وحرَّض به المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على استعمال العفوِ والصفح عن اليهود = الذين كانوا هموا بقتل النبى صلى الله عليه وسلم وقتلهم = من بنى النضير ،(٤) إذ أتوهم يستعينونهم فى دية قتيلى عمرو بن أمية الضمرى ،

---

(١) « نشفت الأرض الماء تنشفه نشفاً » (على وزن : علم يعلم) : شربته .

(٢) انظر تفسير « بعث » فيما سلف ٢ : ٨٤ ، ٥/٨٥ : ٤٥٧ .

(٣) فى المخطوطة : « فى قتله أخيه » ، والصواب ما فى المطبوعة ، أو تكون : « فى قتل أخيه » .

(٤) السياق : « . . . عن اليهود . . . . من بنى النضير » .

وعرّفهم جل وعز رداءة سجيّة أوائلهم ،[١] وسوء استقامتهم على منهج الحق ، مع كثرة أياديه وآلائه عندهم. وضرب مثلهم فى غَدْرهم ،[٢] ومثل المؤمنين فى الوفاء لهم والعفو عنهم ، بابنى آدم المقرِّبَين قرابينهما ،[٣] اللذين ذكرهما الله فى هذه الآيات. ثم ذلك مثلٌ لهم على التأسّى بالفاضل منهما دون الطالح.[٤] وبذلك جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ١٢٩/٦

١١٧٦٧ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه قال ، قلت لبكر بن عبد الله ، أما بلغك أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قال: « إن الله جل وعز ضرب لكم ابنى آدم مثلاً ، فخذوا خيرَهما، ودعوا شرَّهما » ؟

قال : بلى .

١١٧٦٨ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن ابنى آدم ضُرِبا مثلا لهذه الأمة ، فخذوا بالخير منهما .

١١٧٦٩ — حدثنا المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال، أخبرنا ابن المبارك، عن عاصم الأحول ، عن الحسن قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله ضرب لكم ابنى آدم مثلاً ، فخذوا من خيرهم ودعوا الشر.[٥]

* * *

---

(١) فى المخطوطة هكذا : « ردأ سجيه أوائلهم » وغير منقوطة ، وما فى المطبوعة مقارب للصواب .

(٢) فى المطبوعة : « فى عدوهم » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، لأنها غير منقوطة .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « قرا بينهم » ، والصواب ما أثبت .

(٤) فى المخطوطة : « دون الصالح » ، وهو خطأ محض . ولعل الأصل : « بالصالح منهما دون الطالح » .

(٥) الآثار : ١١٧٦٧ — ١١٧٦٩ — هذه الثلاثة أخبار مرسلة ، لم أهتد إلى شىء منها فى دواوين السنة .

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « من أجل ذلك » ، من جرِّ ذلك وجَريرته وجنايته . يقول : من جرِّ القاتل أخاه من ابنى آدم = اللذين اقتصصنا قصتهما = الجريرةَ التى جرَّها ، وجنايتِه التى جناها = « كتبنا على بنى إسرائيل » .

* * *

يقال منه : « أجَلْت هذا الأمر » ، أى : جررته إليه وكسبته ، « آجله له أجْلاً » ، كقولك : « أخَذْته أخذاً » ، ومن ذلك قول ذلك الشاعر :(١)

وَأَهْلِ خِبَاءٍ صَالِحٍ ذَاتُ بَيْنِهِمْ قَدِ احْتَرَبُوا فِى عَاجِلٍ أَنَا آجِلُهْ(٢)

---

(١) نسبه أبو عبيدة فى مجاز القرآن فقال : « قال الخنوت ، وهو توبة بن مضرس ، أحد بنى مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم . وإنما سماه الخنوت ، الأحنف بن قيس . لأن الأحنف كلمه ، فلم يكلمه احتقاراً له ، فقال : إن صاحبكم هذا لخنوت ! والخنوت : المتجبر الذاهب بنفسه ، المستصغر للناس » .

و « الخنوت » (بكسر الخاء ، ونون مشددة مفتوحة ، وواو ساكنة) .

وذكره الآمدى فى المؤتلف والمختلف ص : ٦٨ وقال : « وقتل أخواه . . . . فأدرك الأخذ بثأرهما . . . وجزع على أخويه جزعاً شديداً ، . . . وكان لا يزال يبكى أخويه ، فطلب إليه الأحنف أن يكف ، فأبى ، فسماه : الخنوت = وهو الذى يمنعه الغيظ أو البكاء من الكلام » .

ونسبه التبريزى فى شرح إصلاح المنطق ، والشنتمرى فى شرح ديوان زهير إلى خوات بن جبير الأنصارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو الذى يذكر فى خبر ذات النحيين .

وألحق بشعر زهير بن أبى سلمى ، فى ديوانه (شرح الشنتمرى) .

(٢) مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٦٣ (وفيه مراجع) ، وشرح إصلاح المنطق ١ : ١٤ ، وشرح شعر زهير للشنتمرى : ٣٣ ، واللسان (أجل) ، وفى رواية لابن برى ، فى اللسان .

وَأَهْلِ خِبَاءٍ آمِنِينَ ، فَجَعْتُهُمْ بِشَىْءٍ عَزِيزٍ عَاجِلٍ أَنَا آجِلُهْ
وَأَقْبَلْتُ أَسْعَى أَسْأَلُ الْقَوْمَ مَالَهُمْ سُؤَالَكَ بِالشَّىْءِ الَّذِى أَنْتَ جَاهِلُهْ

ويرى الشطر الأول ، من البيت الثانى :

يعنى بقوله : « أنا آجله » ، أنا الجارُّ ذلك عليهم والجانِى .

* * *

فمعنى الكلام : من جناية ابن آدم القاتل أخاه ظلماً، حكمنا على بنى إسرائيل أنه من قتل منهم نفساً ظلماً ، بغير نفس قتلت ، فقتل بها قصاصاً [1] = « أو فساد فى الأرض » ، يقول: أو قتل منهم نفساً بغير فسادٍ كان منها فى الأرض، فاستحقت بذلك قتلها . و« فسادها فى الأرض » ، إنما يكون بالحرب لله ولرسوله ، وإخافة السبيل .[2]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

* ذكر من قال ذلك :

١١٧٧٠ — حدثت عن الحسين قال، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنى عبيد ابن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل» ، يقول : من أجل ابن آدم الذى قتل أخاه ظلماً .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله جل ثناؤه : « ومن قتل نفساً بغير نفسٍ أو فسادٍ فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيي الناس جميعاً » .

فقال بعضهم: معنى ذلك : ومن قتل نبيًّا أو إمام عدل، فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن شدَّ على عضُد نبيّ أو إمام عدل ، فكأنما أحيي الناس جميعاً .

* ذكر من قال ذلك :

١١٧٧١ — حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث المروزى قال ، حدثنا الفضل

---

* فَأَقْبَلَتْ فِى السَّاعِينَ أَسْأَلُ عَنْهُمُ *

وفى المخطوطة : « قد اصرموا » ، غير منقوطة ، والصواب من المراجع .

(١) انظر تفسير « كتب » فيما سلف ص : ١٦٩ ، تعليق ١ . والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الفساد فى الأرض » فيما سلف ١ : ٢٨٧ ، ٤/٤٠٦ : ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٣ ، ٥/٤٢٤ : ٦/٣٧٢ : ٤٧٧ .

ابن موسى ، عن الحسين بن واقد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قوله : « من قتل نفساً بغير نفس أو فسادٍ فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيي الناس جميعاً » ، قال : من شدّ على عضُد نبيّ أو إمام عدل فكأنما أحى الناس جميعاً ، ومن قتل نبيًّا أو إمام عدل ، فكأنما قتل الناس جميعاً .(١)

١١٧٧٢ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس فى قوله : « من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفسٍ أو فسادٍ فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً » ، يقول : من قتل نفساً واحدةً حرَّمتُها ، فهو مثل من قتل الناس جميعاً = « ومن أحياها » ، يقول : من ترك قتل نفس واحدة حرمتها مَخَافتى ، واستحياها أن يقتلها ، فهو مثل استحياء الناس جميعاً = يعنى بذلك الأنبياء .

* * *

وقال آخرون : «من قتل نفساً بغير نفسٍ أو فسادٍ فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً » ، عند المقتول فى الإثم = « ومن أحياها » ، فاستنقذها من هلكةٍ = « فكأنما أحيي الناس جميعاً » ، عند المستنقذ .

* ذكر من قال ذلك :

١١٧٧٣ – حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى ، فيما ذكر عن أبى مالك = وعن أبى صالح ، عن ابن عباس = وعن مرة الهمدانى ، عن عبد الله = وعن ناسٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : « من قتل نفساً بغير نفسٍ أو فسادٍ فى الأرض فكأنما قتَلَ

---

(١) الأثر : ١١٧٧١ – « أبو عمار المروزى » ، هو : « الحسين بن حريث بن الحسن بن ثابت » . روى عن ابن المبارك ، والفضل بن موسى ، وابن أبى حازم ، وابن عيينة ، وغيرهم . روى عنه الجماعة سوى ابن ماجة . ثقة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/٢/٣٨٩ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٥٠ .

و « الفضل بن موسى السينانى » ، أبو عبد الله المروزى . ثقة ثبت روى له الجماعة . مترجم فى التهذيب .

و « الحسين بن واقد المروزى » ، مضى برقم : ٤٨١٠ ، ٦٣١١ .

٦/١٣٠ الناس جميعاً » ، عند المقتول ، يقول : فى الإثم = « ومن أحياها » ، فاستنقذها من هالكة = « فكأنما أحيى الناس جميعاً » ، عند المستنقَذ .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : إن قاتل النفس المحرم قتلُها ، يصلى النار كما يصلاها لو قتل الناس جميعاً = « ومن أحياها » ، من سلم من قتلها ، فقد سلم من قتل الناس جميعاً .

* ذكر من قال ذلك :

١١٧٧٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى، عن ، خصيف، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : « من أحياها فكأنما أحيي الناس جميعاً » ، قال : من كف عن قتلها فقد أحياها = « ومن قتل نفساً بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعاً » ، قال : ومن أوبقها .

١١٧٧٥ – حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان ، عن خصيف ، عن مجاهد قال : من أوبق نفساً فكما لو قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها وسلم من ظُلمها فلم يقتلها ،[1] فقد سلم من قتل الناس جميعاً .

١١٧٧٦ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك، عن شريك ، عن خصيف ، عن مجاهد : « فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها فكأنما أحيي الناس جميعاً » ، لم يقتلها ، وقد سلم منه الناس جميعاً ، لم يقتل أحداً .

١١٧٧٧ – حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد قال، أخبرنا ابن المبارك ، عن الأوزاعى قال ، أخبرنا عبدة بن أبى لبابة قال : سألت مجاهداً = أو : سمعته يُسْأل = عن قوله : « من قتل نفساً بغير نفسٍ أو فسادٍ فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً » ، قال : لو قتل الناس جميعاً ، كان جزاؤه جهنم خالداً فيها وغَضِب

---

(١) فى المطبوعة : « وسلم من طلبها » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو الصواب .

الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً .[١]

١١٧٧٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن جريج قراءةً ، على الأعرج ،[٢] عن مجاهد في قوله : « فكأنما قتل الناس جميعاً » ، قال : الذي يقتل النفس المؤمنة متعمداً ، جعل الله جزاءه جهنّم وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً . يقول : لو قتل الناس جميعاً لم يزد على مثل ذلك من العذاب = قال ابن جريج ، قال مجاهد : « ومن أحياها فكأنما أحيي الناس جميعاً » ، قال : من لم يقتل أحداً ، فقد استراح الناسُ منه .

١١٧٧٩ – حدثنا سفيان قال، حدثنا يحيي بن يمان ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن مجاهد قال : أوبق نفسه .[٣]

١١٧٨٠ – حدثنا سفيان قال، حدثنا يحيي بن يمان ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد قال : في الإثم .

١١٧٨٠م – حدثنا ابن حميد قال ،حدثنا جرير ،عن ليث ،عن مجاهد: « من قتل نفساً بغير نفسٍ أو فسادٍ في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً »، وقوله: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾ [سورة النساء : ٩٣] ، قال : يصير إلى جهنم بقتل المؤمن ، كما أنه لو قتل الناس جميعاً لصار إلى جهنم .

١١٧٨١ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفسٍ أو فسادٍ في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً » ، قال : هو كما قال = وقال : « ومن أحياها فكأنما أحيي الناس جميعاً » ، فإحياؤها : لا يقتل نفساً حرمها الله ، فذلك الذي أحيي الناس جميعاً ، يعني : أنه من حرم قتلها إلا بحقٍّ ، حيِيَ الناس منه جميعاً .

---

(١) هذا تضمين آية « سورة النساء » : ٩٣ .

(٢) في المطبوعة : « قراءة عن الأعرج » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٣) في المطبوعة : « أوبق نفسا » ، وأثبت ما في المخطوطة .

١١٧٨٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن العلاء ابن عبد الكريم ، عن مجاهد : « ومن أحياها » ، قال: ومن حرَّمها فلم يقتلها .

١١٧٨٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن العلاء قال : سمعت مجاهداً يقول : « من أحياها فكأنما أحيي الناس جميعاً » ، قال : من كف عن قتلها فقد أحياها .

١١٧٨٤ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : « فكأنما قتل الناس جميعاً » ، قال : هي كالتي في « النساء » :﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾ [سورة النساء : ٩٣] ، في جزائه .

١١٧٨٥ – حدثني المثنى قال،حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: « فكأنما قتل الناس جميعاً » ، كالتي في « سورة النساء » ، ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّدًا ﴾ في جزائه = « ومن أحياها » ، ولم يقتل أحداً، فقد حيِيَ الناس منه .

١١٧٨٦ – حدثنا هناد قال، حدثنا أبو معاوية، عن العلاء بن عبد الكريم ، عن مجاهد في قوله : « من أحياها فكأنما أحيي الناس جميعاً » ، قال : التفت إلى جلسائه فقال : هو هذا وهذا .(١)

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : ومن قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ، لأنه يجب عليه من القِصاص به والقوَد بقتله ، مثلُ الذي يجب عليه من القَوَد والقصاص لو قتل الناس جميعاً . ١٣١/٦

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) كأنه يعني بقوله : « هو هذا وهذا » ، أن قتل نفس محرمة بغير نفس أو فساد في الأرض قتل الناس جميعاً ، وإحياؤها إحياء الناس جميعاً .

١١٧٨٧ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفسٍ أو فسادٍ في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً » ، قال : يجب عليه من القتل مثلُ لو أنه قتل الناس جميعاً . قال : كان أبي يقول ذلك .

* * *

وقال آخرون معنى قوله : « ومن أحياها » : من عفا عمن وجب له القِصَاص منه فلم يقتله .

* ذكر من قال ذلك :

١١٧٨٨ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله: « ومن أحياها فكأنما أحيي الناس جميعاً »، يقول : من أحياها ، أعطاه الله جل وعزّ من الأجر مثلُ لو أنه أحيي الناس جميعاً = « أحياها » ، فلم يقتلها وعفا عنها . قال : وذلك ولىُّ القتيل ، والقتيل نفسه يعفو عنه قبل أن يموت . قال : كان أبي يقول ذلك :

١١٧٨٩ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا مؤمل قال، حدثنا سفيان ، عن يونس ، عن الحسن في قوله : « ومن أحياها فكأنما أحيي الناس جميعاً » ، قال : من عفا .

١١٧٩٠ – حدثنا سفيان قال، حدثنا عبد الأعلى ، عن يونس ، عن الحسن : « ومن أحياها فكأنما أحيي الناس جميعاً »، قال : من قُتِل حميمٌ له فعفا عن دمه . (١)

١١٧٩١ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يحيي بن يمان ، عن سفيان ، عن يونس ، عن الحسن . « ومن أحياها فكأنما أحيي الناسَ جميعاً » ، قال : العفو بعد القدرة .

* * *

(١) « الحميم » : ذو القرابة القريب .

وقال آخرون : معنى قوله : « ومن أحياها فكأنما أحيي الناس جميعاً » ، ومن أنجاها من غَرَق أو حَرَقٍ .(١)

* ذكر من قال ذلك :

١١٧٩٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور، عن مجاهد : « ومن أحياها فكأنما أحيي الناس جميعاً »، قال : من أنجاها من غَرَق أو حرَقٍ أو هَلَكةٍ .

١١٧٩٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي = وحدثنا هناد قال ، حدثنا وكيع = عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد : « ومن أحياها فكأنما أحيي الناس جميعاً » ، قال : من غرَق أو حَرَق أو هَدَمٍ .(٢)

١١٧٩٤ – حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا إسرائيل عن خصيف، عن مجاهد : « ومن أحياها » ، قال : أنجاها .

* * *

وقال الضحاك بما : –

١١٧٩٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن أبي عامر ، عن الضحاك قال : « من قتل نفساً بغير نفس » ، قال : من تورَّع أو لم يتورَّع .(٣)

١١٧٩٦ – حدثت عن الحسين قال، سمعت أبا معاذ قال ، حدثني عبيد ابن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « فكأنما أحيي الناس جميعاً » ، يقول : لو لم يقتله لكان قد أحيي الناس ، فلم يستحلّ محرَّماً .

* * *

---

(١) « الحرق » (بفتحتين) : النار ولهبها ، كالحريق . وفي الحديث : « الحرق والغرق والشرق شهادة » (كل ذلك بفتحات) .

(٢) « الهدم » (بفتحتين) . وهو البناء المهدوم ، وفي حديث الشهداء : « وصاحب الهدم شهادة » .

(٣) كأنه يعني : من تورع عن قتلها ، أو لم يتورع ولكنه لم يقتل ، فكأنما أحيي الناس جميعاً .

وقال قتادة والحسن فى ذلك بما : —

١١٧٩٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبد الأعلى ، عن يونس ، عن الحسن : « من قتل نفساً بغير نفس أو فسادٍ فى الأرض » ، قال: عَظُم ذلك !

١١٧٩٨ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله: « من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس » الآية، من قتلها على غير نفس ولا فسادٍ أفسدته = « فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيي الناس جميعاً »، عظُم والله أجرُها ، وعظُم وزرها ! فأحيها يا ابن آدم بما لك ، وأحيها بعفوك إن استطعت ، ولا قوة إلا بالله . وإنا لا نعلمُه يحل دم رجل مسلمٍ من أهل هذه القبلة إلا بإحدى ثلاث : رجل كفرَ بعد إسلامه ، فعليه القتل = أو زنى بعد إحصانه ، فعليه الرجم = أو قتل متعمداً ، فعليه القَوَد .

١١٧٩٩ — حدثنا الحسن بن يحيي قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر قال : تلا قتادة : « من قتل نفساً بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيي الناس جميعاً »، قال : عظم والله أجرُها ، وعظم والله وِزْرها !

١١٨٠٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن سلاَّم بن مسكين قال ، حدثنى سليمان بن على الربعى قال : قلت للحسن : « من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس » الآية ، أهى لنا يا أبا سعيد ، كما كانت لبنى إسرائيل ؟ فقال : إِى والذى لا إله غيره ، كما كانت لبنى إسرائيل ! وما جعل دماءَ بنى إسرائيل أكرم على الله من دمائنا ؟ (١)

١١٨٠١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن

---

(١) الأثر : ١١٨٠٠ — « سلام بن مسكين بن ربيعة الأزدى » ، « أبو روح » ، ثقة . مضى برقم : ٦٩٢ .

و « سليمان » بن على الربعى الأزدى » . ثقة . مترجم فى التهذيب .

١٣٢/٦ المبارك ، عن سعيد بن زيد قال : سمعت خالداً أبا الفضل قال : سمعت الحسن تلا هذه الآية : « فطوّعت له نفسه قتل أخيه » إلى قوله : « ومن أحياها فكأنما أحيي الناس جميعاً » ، ثم قال : عظّم والله فى الوزر كما تسمعون ، ورغّب والله فى الأجر كما تسمعون ! إذا ظننت ، يا ابن آدم ، أنك لو قتلت الناس جميعاً ، فإن لك من عملك ما تفوز به من النار ! ! كذَبَتْك والله نفساك ، وكذَبَك الشيطان.(١)

١١٨٠٢ — حدثنا هناد قال ، حدثنا ابن فضيل ، عن عاصم ، عن الحسن فى قوله : « فكأنما قتل الناس جميعاً » ، قال : وِزْراً = « ومن أحياها فكأنما أحيي الناس جميعاً » ، قال : أجراً

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال عندى بالصواب ، قولُ من قال : تأويل

---

(١) الأثر : ١١٨٠١ — « سعيد بن زيد بن درهم الأزدى » ، أخو : حماد بن زيد . تكلموا فيه ، ووثقوه فقالوا : « صدوق حافظ » ، وأعدل ما قيل فيه ما قاله ابن حبان : « كان صدوقاً حافظاً ، ممن كان يخطىء فى الأخبار ويهم ، حتى لا يحتج به إذا انفرد » . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢ / ١ / ٤٣٢ ، وابن أبى حاتم ٢ / ١ / ٢١ .

و « خالد ، أبو الفضل » . قال البخارى فى الكبير ٢ / ١ / ١٥٣ : « خالد بن أبى الفضل ، سمع الحسن . روى عنه سعيد بن زيد قوله . . . . وكنيته خالد بن رباح أبا الفضل ، فلا أدرى هوذا أم لا؟» كأن البخارى يعنى هذا الأثر .

ثم ترجم « خالد بن رباح الهذلى » ٢ / ١ / ١٣٦ ، وقال : « سمع منه وكيع » ، ولم يذكر « سعيد بن زيد » . وقال : « قال يزيد بن هرون ، أخبرنا خالد بن رباح أبو الفضل » .

وأما ابن أبى حاتم فقد ترجم فى الجرح والتعديل ١ / ٢ / ٣٤٦ : « خالد بن الفضل . روى عن الحسن . روى عنه سعيد بن زيد . سمعت أبى يقول ذلك » .

ثم ترجم فى ١ / ٢ / ٣٣٠ . « خالد بن رباح الهذلى ، أبو الفضل . . . روى عن الحسن . . . . » ، ولم يذكر فى الرواة عنه « سعيد بن زيد » .

وترجم له الحافظ ابن حجر فى تعجيل المنفعة : ١١٢ ، وفى لسان الميزان ٢ : ٣٧٤ ، « خالد بن رباح الهذلى ، أبو الفضل البصرى» ، ونقل عن ابن حبان فى الضعفاء أن كنيته « أبو الفضل» ثم قال : « ولما ذكره فى الطبقة الثالثة من الثقات قال : خالد بن رباح أبو الفضل ، يروى عن الحسن . روى عنه سعيد بن زيد » . قال ابن حجر : « فما أدرى ، ظنه آخر ، أو تناقض فيه ؟ » .

أما ترجمته فى لسان الميزان ، فلم يذكر كنيته هناك ، ونقل بعض ما جاء فى تعجيل المنفعة .

والظاهر أن « خالداً أبا لفضل » ، هو « خالد بن رباح الهذلى » نفسه ، وأن ما جاء فى ابن أبى حاتم « خالد بن الفضل » ، خطأ أو وهم . والظاهر أيضاً أنه توقف فى أمر « خالد بن أبى الفضل » ، ورجح أن يكون خطأ من الرواة ، وأن الراوية «خالد أبو الفضل». وهو «خالد بن رباح الهذلى » نفسه .

ذلك : أنه من قتل نفساً مؤمنة بغير نفس قتلتها فاستحقت القَوَد بها والقتل قِصاصاً = أو بغير فساد فى الأرض، بحرب الله ورسوله وحرب المؤمنين فيها = فكأنما قتل الناس جميعاً فيما استوجب من عظيم العقوبة من الله جل ثناؤه ، كما أوعده ذلك من فعله ربُّه بقوله : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [سورة النساء : ٩٣] .

وأما قوله : « ومن أحياها فكأنما أحيي الناس جميعاً » ، فأولى التأويلات به ، قول من قال : من حرّم قتل من حرّم الله عز ذكره قتله على نفسه ، فلم يتقدّم على قتله ، فقد حيي الناس منه بسلامتهم منه ، وذلك إحياؤه إياها . وذلك نظير خبر الله عز ذكره عمن حاجّ إبراهيم فى ربّه إذ قال له إبراهيم : ﴿ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ﴾ [سورة البقرة : ٢٥٨] . فكان معنى الكافر فى قيله : « أنا أحيي » ، [1] أنا أترك من قَدَرت على قتله — وفى قوله : « وأميت » ، قتله من قتله . [2] فكذلك معنى « الإحياء » فى قوله : « ومن أحياها » ، من سلِمَ الناس من قتله إياهم ، إلاّ فيما أذن الله فى قتله منهم = « فكأنما أحيي الناس جميعاً » .

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات بتأويل الآية ، لأنه لا نفسَ يقومُ قتلُها فى عاجل الضُّرّ مقام قتل جميع النفوس ، ولا إحياؤها مقامَ إحياء جميع النفوس فى عاجل النفع . فكان معلوماً بذلك أن معنى « الإحياء » : سلامة جميع النفوس منه ، لأنه من لم يتقدم على نفس واحدة ، فقد سلم منه جميع النفوس — وأن الواحدة منها التى يقوم قتلُها مقام جميعها إنما هو فى الوِزْر ، لأنه لا نفس من نفوس بنى آدم يقوم فقدها مقام فقد جميعها ، وإن كان فقد بعضها أعمّ ضرراً من فقد بعض . [3]

* * *

(١) فى المطبوعة والمخطوطة هنا : « أنا أحيي وأميت » ، ولا شك أن قوله : « وأميت » تكرار ، فتركته .

(٢) انظر ما سلف ٥ : ٤٣٢ .

(٣) انظر تفسير « الإحياء » فيما سلف ٥ : ٤٣٢ ، وما بعدها .

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ (٣٢)

قال أبو جعفر : وهذا قسم من الله جل ثناؤه أقسم به : أن رسله صلوات الله عليهم قد أتت بنى إسرائيل الذين قصّ الله قَصَصهم وذكر نبأهم فى الآيات التى تقدّمت ، من قوله : « يا أيُّها الذين آمنوا اذْكروا نعمةَ الله عليكم إذ همّ قوم أن يبسُطوا إليكم أيديهم » إلى هذا الموضع = « بالبينات » ، يعنى : بالآيات الواضحة والحجج البيِّنة على حقيقة ما أرسلوا به إليهم ،[1] وصحة ما دعوهم إليه من الإيمان بهم ، وأداء فرائضِ الله عليهم .

= يقول الله عز ذكره : « ثم إن كثيراً منهم بعد ذلك فى الأرض لمسرفون » ، يعنى : أن كثيراً من بنى إسرائيل .

* * *

= و « الهاء والميم » فى قوله : « ثم إن كثيراً منهم » ، من ذكر بنى إسرائيل ، وكذلك ذلك فى قوله : « ولقد جاءتهم » .

* * *

= « بعد ذلك » ، يعنى : بعد مجىء رسل الله بالبينات [2].

= « فى الأرض لمسرفون » ، يعنى : أنهم فى الأرض لعاملون بمعاصى الله ، ومخالفون أمر الله ونهيه ، ومحادُّو الله ورسله ، باتباعهم أهواءَهم . وخلافهم على أنبيائهم ، وذلك كان إسرافهم فى الأرض [3].

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « على حقية » ، فعل بما كان فى المخطوطة ، كما فعل بأخواتها من قبل ، انظر ما سلف ، كما أشرت إليه فى ص : ١٩ ، تعليق : ٣ ، والمراجع السابقة هناك .

(٢) انظر تفسير « البينات » فيما سلف ٩ : ٣٦٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الإسراف » فيما سلف ٧ : ٢٧٢ ، ٥٧٩ .

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ﴾

قال أبو جعفر : وهذا بيان من الله عز ذكره عن حكم « الفساد فى الأرض »، الذى ذكره فى قوله : « من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفسٍ أو فسادٍ فى الأرض » = أعلم عباده : ما الذي يستحق المفسدُ فى الأرض من العقوبة والنكال، فقال تبارك وتعالى : لا جزاء له فى الدنيا إلاّ القتلُ، والصلب، وقطعُ اليد والرِّجل من خلافٍ ، أو النفى من الأرضِ ، خزياً لهم . وأما فى الآخرة إن لم يتبْ فى الدنيا، فعذاب عظيم .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فيمن نزلت هذه الآية .

فقال بعضهم : نزلت فى قوم مِن أهل الكتاب كانوا أهل مودَاعةٍ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنقضوا العهد، وأفسدوا فى الأرض ، فعرَّف الله نبيَّه صلى الله عليه وسلم الحكمَ فيهم . ١٣٣/٦

* ذكر من قال ذلك :

١١٨٠٣ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على، عن ابن عباس قوله : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً » ، قال : كان قوم من أهل الكتاب بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم عهدٌ وميثاق، فنقضوا العهدَ وأفسدوا فى الأرض، فخيَّرَ الله رسولَه : إن شاء أن يقتل ، وإن شاء أن يقطع أيديهم وأرجلهم من خِلافٍ .

١١٨٠٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال، أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : كان قوم بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ميثاقٌ ، فنقضوا العهد وقطعُوا السبيل ،وأفسدوا فى الأرض، فخيَّر الله جل

وعز نبيّه صلى الله عليه وسلم فيهم، فإن شاء قتل، وإن شاء صَلَب، وإن شاء قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف.

١١٨٠٥ – حدثت عن الحسين قال، سمعت أبا معاذ قال، حدثني عبيد ابن سليمان قال، سمعت الضحاك يقول، فذكر نحوه.

* * *

وقال آخرون: نزلت في قوم من المشركين.

* ذكر من قال ذلك:

١١٨٠٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال، حدثنا الحسين بن واقد، عن يزيد، عن عكرمة والحسن البصري قالا، قال: «إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله» إلى «أن الله غفور رحيم»، نزلت هذه الآية في المشركين، فمن تاب منهم من قبل أن تقدِروا عليه، لم يكن عليه سبيل. وليست تُحْرِزُ هذه الآية الرجلَ المسلم من الحدّ. إن قتل أو أفسد في الأرض أو حارب الله ورسوله، ثم لحق بالكفار قبل أن يُقْدَر عليه، لم يمنعه ذلك أن يقام فيه الحدّ الذي أصاب.(١)

١١٨٠٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن سعيد، عن أشعث. عن الحسن: «إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله»، قال: نزلت في أهل الشرك.

* * *

وقال آخرون: بل نزلت في قوم من عُرَيْنه وعُكْل، ارتدُّوا عن الإسلام وحارَبوا الله ورسوله.

* [ذكر من قال ذلك]:

١١٨٠٨ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا روح بن عبادة قال، حدثنا سعيد

---

(١) الأثر: ١١٨٠٦ – «يزيد» هو «يزيد النحوي»، «يزيد بن أبي سعيد النحوي المروزي» مضى برقم: ٦٣١١. وكان في المطبوعة هنا: «زيد»، وهو خطأ، صوابه في المخطوطة. وأخرجه النسائي في سننه ٧: ١٠١ بمثله. وأبو داود في سننه ٤: ١٨٧، رقم ٤٣٧٢، وسيأتي برقم: ١١٨٧٢.

ابن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس: أن رهطاً من عُكْلٍ وعُرَينة، أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله، إنا أهل ضَرْع، ولم نكن أهل ريفٍ، (١) وإنا استوخمنا المدينة، (٢) فأمرلهم النبي صلى الله عليه وسلم بِذَوْدٍ وراعٍ، (٣) وأمرهم أن يخرجوا فيها فيشربوا من ألبانها وأبوالها، فقتلوا راعيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستاقوا الذود، وكفروا بعد إسلامهم. فأتىَ بهم النبي صلى الله عليه وسلم، فقطع أيديهم وأرجلهم، وسَمَل أعينهم، (٤) وتركهم في الحرَّة حتى ماتوا (٥) = فذُكر لنا أن هذه الآية نزلت فيهم: «إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله». (٦)

١١٨٠٩ - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا روح قال، حدثنا هشام بن أبي عبد الله، عن قتادة، عن أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وسلم، بمثل هذه القصة. (٦)

١١٨١٠ - حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق قال، سمعت أبي يقول:

---

(١) «أهل ضرع»: أهل إبل وشاء. و«الضرع»، ثدى كل ذات خف أو ظلف، يعنى أنهم أهل بادية = و«أهل ريف»: أهل زرع وحرث، وهم الحضر. و«الريف»، ما قارب الماء من أرض العرب وغيرها.

(٢) «استوخموا المدينة»: استثقلوها، ولم يوافق هواؤها أبدانهم، فرضوا.

(٣) «الذود»: القطيع من الإبل، من الثلاث إلى التسع.

(٤) «سمل عينه»: فقأها بحديدة محماة، أو بشوك، أو ما شابه ذلك. وإنما فعل بهم ذلك، لأنهم فعلوا بالرعاة مثله، فجازاهم على صنيعه بمثله.

(٥) «الحرة» (بفتح الحاء): أرض ذات حجارة سود نخرات، كأنها أحرقت بالنار. ومدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين حرتين.

(٦) الأثران: ١١٨٠٨، ١١٨٠٩ - «روح بن عباة القيسى»، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. مضى برقم: ٣٠١٥، ٣٣٥٥، ٣٩١٢.

و«هشام بن أبي عبد الله» في الأثر الثاني هو «الدستوائى».

وهذا حديث صحيح، رواه أحمد من طرق في مسنده ٣: ١٦٣، من طريق معمر، عن قتادة/ و ١٧٠، من طريق سعيد عن قتادة/ و ٢٣٣، من طريق سعيد أيضاً/ و ٢٨٧ من طريق حماد، عن قتادة/ و ٢٩٠ من طريق عفان عن قتادة. ورواه البخارى في صحيحه (الفتح ٧: ٣٥١) من طريق عبد الأعلى بن حماد، عن يزيد بن زريع، عن سعيد، بمثله. وأشار إليه مسلم في صحيحه ١١: ١٥٧. وأبوداود في سننة ٤: ١٨٦، رقم ٤٣٦٨، من طريق هشام، عن قتادة، والنسائى في سننه من طرق ٧: ٩٧، والبيهقى في السنن ٨: ٦٢.

أخبرنا أبو حمزة ، عن عبد الكريم = وسئل عن ابوال الإبل = فقال : حدثني سعيد بن جبير عن المحاربين فقال : كان ناس أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : نبايعك على الإسلام ! فبايعوه ، وهم كَذَبة ، وليس الإسلامَ يريدون . ثم قالوا : إنا نجتوى المدينة ! [١] فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هذه اللِّقاح تغدو عليكم وتروح ، [٢] فاشربوا من أبوالها وألبانها . قال : فبينا هم كذلك ، إذ جاء الصريخُ ، فصرخ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، [٣] فقال : قتلوا الراعي ، وساقوا النَّعَم ! فأمر نبي الله فنودي في الناس : أنْ « يا خيل الله اركبي » ! [٤] قال : فركبوا ، لا ينتظر فارسٌ فارساً . قال : فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أثرهم ، فلم يزالوا يطلبونهم حتى أدخلوهم مأمنَهم ، فرجع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أسروا منهم ، فأتوا بهم النبي صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله » الآية . قال : فكان نفيُهم : أن نفوهم حتى أدخلوهم مأمنَهم وأرضهم ، ونفوهم من أرض المسلمين . وقتل نبي الله منهم ، وصلب ، وقَطَع ، وسَمَل الأعين . قال : فما مثَّل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلُ ولا بعدُ . قال : ونهى عن المُثْلة ، وقال : لا تمثِّلوا بشيء . قال : فكان أنس بن مالك يقول ذلك ، غير أنه قال : أحرقهم بالنار بعد ما قتلهم . [٥] ٦/١٣٤

* * *

(١) « اجتوى الأرض والبلد » : إذا كره المقام فيه ، وإن كانت موافقة له في بدنه . ويقال : « الاجتواء » : أن لا تستمرئ الطعام بالأرض والشراب ، غير أنك إذ أحببت المقام بها ولم يوافقك طعامها ، فأنت « مستوبل » ، ولست بمجتو . ويقال في شرح حديث العرنيين : أصابهم « الجوى » ، وهو المرض وداء الجوف إذا تطاول .

(٢) « اللقاح » (بكسر اللام) جمع « لقحة » (بكسر فسكون) ، وهي ذوات الألبان من النوق .

(٣) « الصريخ » و « الصارخ » : المستغيث . وقوله : « صرخ إلى رسول الله » ، كأنه يعني : انتهى باستغاثته إلى رسول الله . وهو تعبير قلما تظفر به في المراجع فقيده .

(٤) قال ابن الأثير : « هذا على حذف المضاف ، أراد : يا فرسان خيل الله اركبي ، وهذا من أحسن المجازات وألطفها » ، وهي في التنزيل : « وأجلب عليهم بخيلك ورجلك » ، أي بفرسانك ورجالتك .

(٥) الأثر : ١١٨١٠ — « أبو حمزة » ، هو « ميمون ، أبو حمزة الأعور القصاب » ، ضعيف جداً ، مضى برقم : ٦١٩٠ .

قال : وبعضهم يقول : هم ناس من بني سليم ، ومنهم من عرينة ، وناس من بَجيلة .

* [ذكر من قال ذلك] :

١١٨١١ – حدثني محمد بن خلف قال ، حدثنا الحسن بن حماد ، عن عمرو ابن هاشم ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن إبراهيم ، عن جرير قال : قَدِم على النبي صلى الله عليه وسلم قوم من عرينة ، حفاةً مضرورين ،(١) فأمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .(٢) فلما صَحُّوا واشتدُّوا ، قتلوا رِعاءَ اللقاح ،(٣) ثم خرجوا باللِّقاح عامدين بها إلى أرض قومهم . قال جرير : فبعثني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في نفر من المسلمين حتى أدركناهم بعد ما أشرَفُوا على بلاد قومهم ، فقدِمنا بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقطع أيديهم وأرجلَهم من خلاف ، وسملَ أعينهم ، وجعلوا يقولون : « الماء » ! ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « النار » ! حتى هلكوا . قال : وكره الله عز وجلّ سَمْل الأعين ، فأنزل هذه الآية : «إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله » إلى آخر الآية .(٤)

و « عبد الكريم » ، هو « عبد الكريم بن مالك الجزرى : » أبو سعيد ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ٨٩٢ .

(١) « المضرور » و « الضرير » : المريض المهزول الذى أصابه الضر .

(٢) يعنى بقوله : « فأمر بهم » ، يعنى : أمر أن يمرضوا ويعتنى بأمرهم .

(٣) « الرعاء » و « الرعاة » جمع « راع » .

(٤) الأثر : ١١٨١١ – « محمد بن خلف بن عمار العسقلانى » ، شيخ الطبرى ، مضى برقم : ١٢٦ ، ٦٥٣٤ .

و « الحسن بن حماد بن كسيب الحضرمى » ، وهو « سجادة » . روى عن حفص بن غياث ويحيى بن سعيد الأموى ، وأبى خالد الأحمر ، وأبى مالك الجنبى ، ووكيع ، وغيرهم . روى عنه أبو داود ، وابن ماجة وغيرهم . ثقة . قال أحمد : « صاحب سنة ، ما بلغنى عنه إلا خيراً » . توفى سنة ٢٤١ . وكان فى المطبوعة : « الحسن بن هناد » ، خطأ ، صوابه فى المخطوطة . وتفسير ابن كثير .

و « عمرو بن هاشم » ، هو « أبو مالك الجنبى » ، صدوق يخطىء ، لينوه . مضى برقم : ١٥٣٠

و « موسى عبيدة بن نشيط الربذى » ضعيف نمرة ، قال أحمد : « لا تحل الرواية عندى عن

١١٨١٢ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني ابن لهيعة ، عن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن ، عن عروة بن الزبير = ح ، وحدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني يحيي بن عبد الله بن سالم ، وسعيد بن عبد الرحمن وابن سمعان ، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: أغار ناس من عرينة على لِقَاح رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستاقوها وقتلوا غلاماً له فيها، فبعث في آثارهم ، فأخِذوا ، فقطع أيديهم وأرجلهم وسَمَل أعينهم .(١)

موسى بن عبيدة » . مضى برقم : ١٨٧٥ ، ٣٢٩١ ، ٨٣٦١، ١١١٣٤ = وكان في المطبوعة والمخطوطة: « موسى بن عبيد » ، وهو خطأ ، صوابه من تفسير ابن كثير .

وأما « محمد بن إبراهيم » ، فكأنه « محمد بن إبراهيم بن الحارث بن خالد التيمي » ، رأى سعد بن أبي وقاص ، وأبا سعيد الخدري ، وأرسل عن ابن عمر وابن عباس . فلا أدري أسمع من جرير بن عبد الله ، أم لا . وجرير مات سنة ٥١ .

وهذا الخبر ضعيف جدا ، وهو أيضاً لا يصح ، لأن جرير بن عبد الله البجلي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد على النبي صلى الله عليه وسلم في العام الذي توفي فيه ، وخبر العرنيين كان في شوال سنة ست ، في رواية الواقدي(ابن سعد ٢/١/٦٧) ، وكان أمير السرية كرز بن جابر الفهري . وذلك قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول سنة ١١ من الهجرة ، بأعوام .

وهذا الخبر ، ذكره الحافظ بن حجر ، في ترجمة « جرير بن عبد الله البجلي » ، وضعيفه جدا . أما ابن كثير ، فذكره في تفسيره ٣ : ١٣٩ ، وقال : « هذا حديث غريب ، وفي إسناده الربذي ، وهو ضعيف . وفي إسناده فائدة: وهو ذكر أمير هذه السرية . وهو جرير بن عبد الله البجلي . وتقدم في صحيح مسلم أن هذه السرية كانوا عشرين فارساً من الأنصار . وأما قوله : فكره الله سمل الأعين ، فإنه منكر . وقد تقدم في صحيح مسلم أنهم سملوا أعين الرعاء، فكان ما فعل بهم قصاصاً ، والله أعلم » .

والعجب لابن كثير ، يظن فائدة فيما لا فائدة فيه ، فإن أمير هذه السرية ، كان ، ولا شك ، كرز ابن جابر الفهري ، ولم يرو أحد أن أميرها كان جرير بن عبد الله البجلي ، إلا في هذا الخبر المنكر.

(١) الأثر : ١١٨١٢ – « أبو الأسود » ، « محمد بن عبد الرحمن بن نوفل الأسدي » ، هو « يتيم عروة » ثقة . سلف برقم : ٢٨٩١ ، ١١٥١٠ .

« يحيي بن عبد الله بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب » ، ثقة ، مستقيم الحديث . مترجم في التهذيب .

و « سعيد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حميل الجمحي » ، قاضي بغداد . ثقة ، قال أحمد : «ليس به بأس ، وحديثه مقارب » . وقال ابن أبي عدي : « له غرائب حسان ، وأرجو أنها مستقيمة ، وإنما يهم في الشيء بعد الشيء ، فيرفع موقوفاً ، ويصل مرسلا ، لا عن تعمد » . مترجم في التهذيب .

و « ابن سمعان » ، هو « عبد الله بن زياد بن سليمان بن سمعان المخزومي » ، وهو ضعيف كذاب . سئل مالك عنه فقال : « كذاب » . وقال هشام بن عروة (الذي روى عنه هذا الأثر هنا) : « حدث عني

١١٨١٣ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن أبي الزناد ، عن عبد الله بن عبيد الله ، عن عبد الله بن عمر = أو : عمرو ، شك يونس = ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، ونزلت فيهم آية المحاربة .(١)

١١٨١٤ – حدثنا على بن سهل قال، حدثنا الوليد بن مسلم قال ، حدثنا الأوزاعي ، عن يحيي بن أبي كثير ، عن أبي قلابة ، عن أنس قال : قدم ثمانية نفَرٍ من عُكْلٍ على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأسلموا، ثم اجتووا المدينة ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا من أبوالها وألبانها .

بأحاديث ، والله ما حدثته بها ، ولقد كذب على » . وقد أجمعوا على أنه لا يكتب حديثه ، كما قال النسائي . قال ابن عدى : « أروى الناس عنه ابن وهب ، والضعف على حديثه ورواياته بين » . أما ابن وهب الراوى عنه هنا ، فقد سأله عنه أحمد بن صالح فقال : « ما كان مالك يقول فى ابن سمعان ؟ » ، قال : « لا يقبل قول بعضهم فى بعض » .

وهذا الخبر الذى رواه الطبرى بهذا الإسناد ، صحيح ، إلا ما كان من ضعف ابن سمعان وتركه ، ولذلك رواه النسائى فى سنة ٧ : ٩٩ ، ١٠٠ ، فساق إسناد الطبرى ولكنه أغفل ذكر ابن سمعان فقال : « أخبرنا أحمد بن عمرو بن السرح قال ، أنبأنا ابن وهب قال . وأخبرنى يحيي بن عبد الله بن سالم وسعيد بن عبد الرحمن ، وذكر آخر ، عن هشام بن عروة ، عن عروة بن الزبير » ، فنكر ذكر « ابن سمعان » ، لأنه متروك عنده .

وهذا الخبر روى بأسانيد صحاح أخرى مرفوعاً إلى عائشة . انظر السنن للنسائى ٧ : ٩٩ .

(١) الأثر : ١١٨١٣ – « عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصارى المصرى » ، ثقة حافظ، مضى برقم : ١٣٨٧ ، ٥٩٧٣ ، ٦٨٨٩ .

و « سعيد بن أبي هلال الليثي المصرى » ، ثقة ، من أتباع التابعين . مضى برقم : ١٤٩٥ ، ٥٤٦٥ .

و « أبو الزناد » هو : « عبد الله بن ذكوان القرشى » ، قيل إن أباه كان أخا أبي لؤلؤة ، قاتل عمر بن الخطاب . ثقة ، لم يكن بالمدينة بعد كبار التابعين أعلم منه .

و « عبد الله بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب » . روى عن عمه عبد الله ، وروى عنه أبو الزناد . ثقة . روى له أبو داود والنسائى حديثاً واحداً ، هو هذا الحديث .

وكان فى المخطوطة والمطبوعة : « عبد الله بن عبد الله » ، وهو خطأ محض .

وأما ما شك فيه يونس من أنه « عبد الله بن عمر بن الخطاب » أو « عبد الله بن عمرو بن العاص » ، فشك لا مكان له . والصحيح أنه « عبد الله بن عمر بن الخطاب » .

وهذا الحديث رواه أبو داود فى سننه ٤ : ١٨٦ – ١٨٧ ، رقم ٤٣٦٩ ، مطولا . ورواه النسائى فى سننه ٧ : ١٠٠ بمثل رواية أبي جعفر .

ففعلوا، فقتلوا رعاتها، واستاقوا الإبل. فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أثرهم قَافَة، (١) فأتى بهم، فقطع أيديهم وأرجلهم، (٢) وتركهم فلم يحسِمْهُم حتى ماتوا. (٣)

١١٨١٥ – حدثنا على قال، حدثنا الوليد قال، حدثنى سعيد، عن قتادة، عن أنس قال: كانوا أربعة نفرٍ من عرينة، وثلاثةٌ من عكل. فلما أتى بهم، قطع أيديهم وأرجلهم، وسَمَل أعينهم، ولم يحسمهم، وتركهم يتلقَّمون الحجارة بالحرَّة، (٤) فأنزل الله جل وعز فى ذلك: «إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله»، الآية. (٥)

١١٨١٦ – حدثنى على قال، حدثنا الوليد، عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبى حبيب: أن عبد الملك بن مروان كتب إلى أنس يسأله عن هذه الآية، فكتب إليه أنس يخبره أن هذه الآية نزلت فى أولئك النفر العرنيين، وهم من بجيلة. قال أنس: فارتدوا عن الإسلام، وقتلوا الراعى، واستاقوا الإبل، وأخافوا السبيل، وأصابوا الفرج الحرام. (٦)

---

(١) «القافة» جمع «قائف»: وهو الذى يعرف آثار الأقدام ويتبعها. «قاف الأثر يقوفه قيافة، واقتافه اقتيافاً».

(٢) «حسمه الدم يحسمه حسماً»: أى قطعة بالكى بالنار.

(٣) الأثر: ١١٨١٤ – هذا الخبر رواه أحمد فى مسند أنس من طريق يحيى بن أبى كثير، عن أبى قلابة الجرمى ٣: ١٩٨، من طريق أبى جعفر نفسها، وفيه «قتلوا رعاتها – أو رعاءها»، وفيه زيادة «ولم يحسمهم حتى ماتوا، وسمل أعينهم».

ورواه البخارى فى صحيحه من طريق أيوب، عن أبى قلابة (الفتح ١: ٦/٢٨٩: ١٠٨/ ٧: ١٢/٣٥٢: ٩٩)، ورواه أيضاً من طريق أبى رجاء مولى أبى قلابة، عن أنس (الفتح ٨: ٢٠٦) واستوفى الحافظ الكلام فى شرحه وبيانه.

ورواه مسلم فى صحيحه من طرق ١١: ١٥٣ – ١٥٧.

ورواه أبو داود فى سننه ١: ١٨٥، ١٨٦ من طرق.

ورواه النسائى فى سننه من طرق ٧: ٩٣ – ٩٥.

(٤) «يتلقمون الحجارة»: أى يضعون الحجارة فى أفواههم من العطش، كى تستدر الريق. وجاء مفسراً فى ألفاظ الحديث الأخرى. قال أنس: «فلقد رأيت أحدهم يكدم الأرض بفيه عطشاً». يقال: «لقم الطعام وتلقمته والتقمه».

(٥) الأثر: ١١٨١٥ – انظر الأثرين السالفين رقم: ١١٨٠٨، ١١٨٠٩.

(٦) الأثر: ١١٨١٦ – انظر سنن النسائى ٧: ٩٨، وقول أمير المؤمنين عبد الملك لأنس وهو

١١٨١٧ – حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً » ، قال : أنزلت فى سُودان عرينة . قال : أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبهم الماءُ الأصفر ، فشكوا ذلك إليه ، فأمرهم فخرجوا إلى إبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصدقة ، فقال : اشربوا من ألبانها وأبوالها ! فشربوا من ألبانها وأبوالها ، حتى إذا صَحُّوا وبرأوا ، قتلوا الرعاة واستاقوا الإبل .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك عندى أن يقال : أنزل الله هذه الآية على نبيِّه صلى الله عليه وسلم، معرِّفَه حكمه على من حارب الله ورسوله، [1] وسعى فى الأرض فساداً، بعد الذى كان من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرنيِّين ما فعل .

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصواب فى ذلك ، لأن القِصَص التى قصّها الله جل وعزّ قبلَ هذه الآية وبعدَها ، من قَصَص بنى إسرائيل وأنبائهم ، فأن يكون ذلك متوسِّطاً ، [2] من تعريف الحكم فيهم وفى نظرائهم ، [3] أولى وأحقّ .

وقلنا: كان نزول ذلك بعد الذى كان من فعلِ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرنيِّين ما فعل، لتظاهر الأخبار عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك. ١٣٥/٦

* * *

وإذ كان ذلك أولى بالآية لما وصفنا ، فتأويلها : من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل ، أنه من قتل نفساً بغير نفس ، أو سعى بفسادٍ فى الأرض ، فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها فكأنما أحيي الناس جميعاً = ولقد جاءتهم رُسُلنا

يحدثه حديث العرنيين : « بكفر أو بذنب ؟ » ، فقال أنس : « بكفر » . وسيأتى هذا الخبر مطولا ، وقول أبى جعفر فيه ، وتخريجه هناك برقم : ١١٨٥٤ .

(١) فى المطبوعة : « معرفة حكمه » ، وهو خطأ.

(٢) « متوسطاً » ، منصوب على الحال .

(٣) فى المطبوعة : « من يعرف الحكم » ، ومثلها فى المخطوطة ، ولكنها غير منقوطة ، ورجحت أن يكون صوابها ما أثبت .

بالبينات ثُمّ إن كثيراً منهم بعد ذلك فى الأرض لمسرفون — يقول : لساعون فى الأرض بالفساد، وقاتلوا النفوس بغير نفس، وغير سعى فى الأرض بالفسادِ حرباً لله ولرسوله = فمن فعل ذلك منهم، يا محمد، فإنما جزاؤه: أن يقتَّلوا؛ أو يصلَّبوا، أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، أو ينفوا من الأرض .

* * *

فإن قال لنا قائل: وكيف يجوز أن تكون الآية نزلت فى الحال التى ذكرتَ : من حال نقض كافرٍ من بنى إسرائيل عهدَه = ومن قولك إن حكم هذه الآية حكم من الله فى أهل الإسلام ،[1] دون أهل الحرب من المشركين ؟

قيل : جازَ أن يكون ذلك كذلك ، لأن حكم من حارب الله ورسوله وسَعى فى الأرض فساداً من أهل ذمَّتنا وملَّتا واحد . والذين عنوا بالآية، كانوا أهل عهد وذِمَّة، وإن كان داخلاً فى حكمها كل ذمِّى وملِّى . وليس يَبْطُل بدخول من دخل فى حكم الآية من الناس ، أن يكون صحيحاً نزولها فيمن نزلت فيه .

* * *

وقد اختلف أهل العلم فى نسخ حكم النبى صلى الله عليه وسلم فى العرنيين .

فقال بعضهم: ذلك حكم منسوخ ، نسخَه نهيُه عن المثلة بهذه الآية = أعنى بقوله : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً » الآية . وقالوا : أنزلت هذه الآية عِتاباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما فعل بالعُرَنيين .

* * *

وقال بعضهم : بل فِعْلُ النبىِّ صلى الله عليه وسلم بالعرنيين ، حكمٌ ثابت فى نظرائهم أبداً، لم ينسخ ولم يبدّل . وقوله: « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله » الآية، حكمٌ من الله فيمن حارب وسَعى فى الأرض فساداً بالحِرَابة .[2] قالوا :

---

(١) قوله: « ومن قولك » ، الواو واو الحال ، يعنى : كيف يجوز ذلك ، وأنت تقول كذا وكذا .

(٢) « الحرابة » (بكسر الحاء) مصدر مثل « العبادة » و « الرعاية » و « التجارة » ، يراد به معنى : « المحاربة لله ورسوله ، والسعى فى الأرض فساداً ». وهو مصدر من قولهم : « حربه » أى سلبه وأخذ ماله وتركه بلا شىء . وليس مصدر « حارب » ، فإن مصدر ذلك « محاربة وحراباً » مثل « قاتل

والعرنيُّون ارتدُّوا ، وقتلوا ، وسرقوا ، وحاربوا الله ورسوله ، فحكمهم غير حكم المحارب الساعى فى الأرض بالفساد من أهل الإسلام أو الذمة .(١)

* * *

وقال آخرون : لم يسمُل النبي صلى الله عليه وسلم أعين العرنيِّين ، ولكنه كان أراد أن يسمُل ، فأنزل الله جل وعز هذه الآية على نبيه ، يعرِّفه الحكم فيهم ، ونهاه عن سمل أعينهم .

* ذكر القائلين ما وصفنا :

١١٨١٨ – حدثنى على بن سهل قال ، حدثنا الوليد بن مسلم قال : ذاكرت اللَّيث بن سعد ما كان من سَمْل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعيُنهم ، وتركه حَسْمهم حتى ماتوا ، فقال : سمعت محمد بن عجلان يقول : أنزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم معاتبةً فى ذلك ، وعلَّمه عقوبة مثلهم : من القطع والقتل والنفى ، ولم يسمل بعدَهم غيرَهم . قال : وكان هذا القول ذكر لأبى عمرو ،(٢) فأنكر أن تكون نزلت معاتبة ، وقال : بلَى ،(٣) كانت عقوبة أولئك النفر بأعيانهم ، ثم نزلت هذه الآية فى عقوبة غيرهم ممن حارب بعدهم ، فرفع عنهم السمل .

١١٨١٩ – حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنى أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتى بهم = يعنى العرنيين = فأراد أن يسمُل أعينهم ، فنهاه الله عن ذلك ، وأمره أن يقيم فيهم الحدود ، كما أنزلها الله عليه .(٤)

* * *

مقاتلة وقتالا » . وهذا اللفظ على كثرة دورانه فى كتب الأئمة لم يرد له ذكر فى كتب اللغة ، كأنهم عدوه مما استعمله الفقهاء ، ولم تأت به رواية اللغة . وهو ، إن شاء الله ، عربى صحيح البناء .

(١) فى المطبوعة : « الإسلام والذمة » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) « أبو عمرو » ، يعنى الأوزاعى .

(٣) « بلى » استعملها هنا جواباً فى غير جحد سبقها . وقد سلفت قبل ذلك ، انظر ما سلف ص ٩٨ : تعليق : ٤ .

(٤) انظر الاختلاف فى نسخ هذه الآية فى « الناسخ والمنسوخ » لأبى جعفر النحاس : ١٢٣ – ١٢٨ ، فهو فصل مهم .

واختلف أهل العلم فى المستحق اسم « المحارب لله ورسوله » ، الذى يلزمه حكمُ هذه .

فقال بعضهم : هو اللص الذى يقطَع الطريق .

* ذكر من قال ذلك :

١١٨٢٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة وعطاء الخراسانى فى قوله : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً » الآية ، قالا هذا ، اللص الذى يقطع الطريق ،[1] فهو محارب .

* * *

وقال آخرون : هو اللص المجاهر بلصوصيته ، المكابرُ فى المصر وغيره .[2]

وممن قال ذلك الأوزاعى.

١١٨٢١ – حدثنا بذلك العباس ، عن أبيه، عنه .[3]

* * *

= وعنه ، وعن مالك، والليث بن سعد، وابن لهيعة .

---

(١) فى المطبوعة : « هذا هو اللص » ، زيادة لا خير فيها ، زادها من عند نفسه .

(٢) فى المخطوطة : « المكاثر » بالثاء المثلثة . والذى فى المطبوعة هو الصواب : « كابره على حقه » جاحده وغالبه عليه . و « إنه لمكابر عليه » ، إذا أخذ منه عنوة وقهراً . وهى كثيرة فى كتاب الأم للشافعى فى هذا الموضع من باب الفقه . انظر الأم ٦ : ١٤٠ ، وغيرها .

(٣) الأثر : ١١٨٢١ – « العباس » ، يعنى « العباس بن الوليد بن مزيد العذرى الآملى البيروتى » ، شيخ أبى جعفر ، مضى برقم : ٨٩١ .

وأبوه : « الوليد بن مزيد العذرى البيروتى » . روى عن الأوزاعى ، وروى عنه ابنه العباس . ويروى عن الأوزاعى أنه قال : « ما عرض على كتاب أصح من كتب الوليد بن مزيد » . مترجم فى التهذيب .

وكان فى المخطوطة هنا : « حدثنا بذلك العباس ، عن أبيه وعنه عن مالك والليث . . . » ، وهو خطأ لا شك . فإن « الوليد بن مزيد » لم تذكر له رواية عن مالك أو الليث أو ابن لهيعة . والذى رواه عنهم هو : « الوليد بن مسلم » الآتى فى الآثار التالية . فمن أجل ذلك صح بعض ما فى المطبوعة ، وصححت ما تركه . ففى المطبوعة : « . . . عن أبيه ، عنه وعن مالك . . . » ، فجعلته : « وعنه وعن مالك . . . » لأنه سيروى فى ذلك قول الأوزاعى أيضاً من طريق الوليد بن مسلم برقم : ١١٨٢٤ ، كما سيأتى . واستقام بذلك الكلام .

١١٨٢٢ – حدثني على بن سهل قال، حدثنا الوليد بن مسلم قال : قلت لمالك بن أنس: تكون مُحاربةٌ في المصر؟ قال: نعم، والمحارب عندنا من حمل السلاح على المسلمين في مصرٍ أو خلاء ، فكان ذلك منه على غير نائرة كانت بينهم ولا ذَحْل ولا عداوة،[1] قاطعاً للسبيل والطريق والديار ، مخيفاً لهم بسلاحه ، فقتل أحداً منهم، قتله الإمام كقِتْلة المحارب ،[2] ليس لولىّ المقتول فيه عَفْوٌ ولا قَوَد . ١٣٦/٦

١١٨٢٣ – حدثني على قال، حدثنا الوليد قال : وسألت عن ذلك الليث ابن سعد وابن لهيعة ، قلت تكون المحاربة في دُور المصر والمدائن والقُرى؟ فقالا : نعم، إذا هم دخَلوا عليهم بالسيوف عَلانيةً ، أو ليلاً بالنيران.[3] قلت: فقتلوا، أو أخذُوا المال ولم يقتلوا؟ فقال: نعم، هم المحاربون، فإن قَتَلوا قُتِلوا، وإن لم يَقْتُلوا وأخذوا المال، قُطِعوا من خلاف إذا هم خرجوا به من الدّار . ليس من حارب المسلمين في الخَلاء والسبيل، بأعظم محاربةً مِمّن حاربهم في حَرِيمهم ودورهم !

١١٨٢٤ – حدثني على قال، حدثنا الوليد قال، قال أبو عمرو :[4] وتكون المحاربة في المصر ، شَهَر على أهله بسلاحه ليلاً أو نهاراً = قال على، قال الوليد: وأخبرني مالك: أن قتل الغِيلة عنده بمنزلة المحاربة . قلت: وما قتل الغِيلَة؟ قال: هو الرجل يخدَع الرَّجل والصبيَّ فيدخِلُه بيتاً أو يخلُو به ، فيقتله، ويأخذ ماله . فالإمام ولىّ قتل هذا، وليس لولى الدم والجرح قَوَد ولا قصاص .

* * *

= وهو قول الشافعي.

١١٨٢٥ – حدثنا بذلك عنه الربيع .

* * *

(١) « النائرة » : الفتنة الحادثة في عداوة وشحناء ، و « نار الحرب » و « نائرتها » : شرها وهيجها . و « الذحل » : الثأر .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « كقتله المحارب » ، والمخطوطة غير منقوطة ، فهذا صواب قراءتها . و « القتلة » : هيأة القتل .

(٣) قوله « قلت » هنا ، ليست في المخطوطة ، وزادها الناشر الأول ، وأحسن في فعله .

(٤) « الوليد بن مسلم » ، و « أبو عمرو » هو : الأوزاعي، انظر التعليق السالف ص: ٢٥٤، رقم: ٣ .

وقال آخرون: « المحارب »، هو قاطع الطريق . فأما « المكابر فى الأمصار »، [١] فليس بالمحارب الذى له حكم المحاربين . وممن قال ذلك أبو حنيفة وأصحابه .

١١٨٢٦ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا بشر بن المفضل، عن داود بن أبى هند قال: تذاكرنا المحاربَ ونحن عند ابن هبيرة، فى أناس من أهل البصرة، فاجتمع رأيهم : أن المحارب ما كان خارجاً من المصر.

* * *

وقال مجاهد بما : —

١١٨٢٧ — حدثنى القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد فى قوله : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً » ، قال : الزنا ، والسرقة ، وقتل الناس ، وإهلاك الحرث والنسل .

١١٨٢٨ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد ابن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبى بزة، عن مجاهد: « ويسعون فى الأرض فساداً »، قال : « الفساد » ، القتل ، والزنا ، والسرقة .

* * *

وأولى هذه الأقوال عندى بالصواب، قولُ من قال : « المحارب لله ورسوله » ، من حارب فى سابلة المسلمين وذِمَّتهم، والمغير عليهم فى أمصارهم وقراهم حِرَابة . [٢]

وإنما قلنا: ذلك أولى الأقوال بالصواب ، لأنه لا خلاف بين الحجة أن من نصب حرباً للمسلمين على الظلم منه لهم، أنه لهم محارب ، ولا خلاف فيه . فالذى وصفنا صفته ، لا شك فيه أنه لهم نَاصبٌ حرباً ظلماً . وإذ كان ذلك كذلك ، فسواء كان نصبه الحربَ لهم فى مصرهم وقُراهم ، أو فى سُبلهم وطرقهم : فى أنه لله ولرسوله محارب ، بحربه من نَهَاه الله ورسوله عن حربه .

* * *

---

(١) انظر تفسير « المكابر » فيما سلف قريباً ص : ٢٥٤، تعليق : ٢ .

(٢) انظر ما قلته فى « الحرابة » فيما سلف ص : ٢٥٢، تعليق : ٢ .

وأما قوله : « ويسعون فى الأرض فساداً » ، فإنه يعنى : ويعملون فى أرض الله بالمعاصى : من إخافة سُبُل عباده المؤمنين به ، أو سُبُل ذمتهم ، وقطع طرقهم ، وأخذ أموالهم ظلماً وعدواناً ، والتوثُّب على حرمهم فجوراً وفُسُوقاً .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿أَنْ يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ما للذى حاربَ الله ورسوله ، وسعى فى الأرض فساداً ، من أهل ملة الإسلام أو ذمتهم — إلاّ بعض هذه الخلال التى ذكرها جل ثناؤه .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى هذه الخلال ، أتلزم المحاربَ باستحقاقه اسم « المحاربة » ، أم يلزمه ما لزمه من ذلك على قدر جُرْمه ، مختلفاً باختلاف أجرامه ؟

[فقال بعضهم : تجب على المحارب العقوبة على قدر استحقاقه ، ويلزمه ما لزمه من ذلك على قدر جُرْمه ، مختلفاً باختلاف أجرامه].(٢)

* ذكر من قال ذلك :

١١٨٢٩ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « إنما جزاء الذين يحاربون الله

---

(١) انظر تفسير « الفساد فى الأرض » فيما سلف ص : ٢٣٢ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) هذه الزيادة بين القوسين ، لا بد منها ، فإن أبا جعفر سيذكر هذا القول ، والقول الآخر ، فيما اختلفوا فيه . ومن دأبه أن يصدر كل قول قاله العلماء بترجمة قولهم . فسقط من هذا الموضع ترجمة هذا الباب ، فاستظهرتها من سؤاله السالف ، ومن معنى الآثار التالية ، ومن ترجيح أبى جعفر بين هذين التأويلين فيما سيأتى ص : ٢٦٤ ، والظاهر أن الناسخ مها ، واختلط عليه ختام جملة بختام جملة أخرى ، فأسقط الترجمة .

ورسوله» إلى قوله: « أو ينفوا من الأرض »، قال : إذا حارب فقتَل ، فعليه القتل إذا ظُهِر عليه قبْلَ توبته. [١] وإذا حارب وأخذ المال وقتل، فعليه الصَّلب إن ظُهِر عليه قبل توبته . وإذا حارب وأخذ ولم يقتل، فعليه قطعُ اليدِ والرجل من خلافٍ إن ظُهِر عليه قبل توبته . وإذا حارب وأخاف السبيل ، فإنما عليه النَّفى .

١١٨٣٠ – حدثنا ابن وكيع وأبو السائب قالا، حدثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن حماد، عن إبراهيم : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله » ، قال : إذا خرج فأخاف السبيل وأخذ المال، قُطعت يده ورجله من خِلافٍ . وإذا أخاف السبيلَ ، ولم يأخذ المال وقتل ، صُلب . ١٣٧/٦

١١٨٣١ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن حماد ، عن إبراهيم – فيما أرى – فى الرجل يخرج محارباً ، قال : إن قطع الطريق وأخذ المال، قطعت يدُه ورجله . وإن أخذ المال وقَتل ، قُتل. وإن أخذ المال وقَتَل ومثَّل ، صُلب .

١١٨٣٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن عمران بن حدير، عن أبى مجلز : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله » الآية ، قال : إذا قتل وأخذ المال وأخاف السبيل، صُلب. وإذا قتل لم يعدُ ذلك ، قُتل . وإذا أخذ المالَ لم يعدُ ذلك ، قُطِع. وإذا كان يُفْسد، نُفى .

١١٨٣٣ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحمانى قال، حدثنا شريك ، عن سماك ، عن الحسن : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله » إلى قوله : « أو ينفوا من الأرض » ، قال : إذا أخافَ الطريق ولم يَقتُل ولم يأخذ المال ، نُفى .

١١٨٣٤ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال، أخبرنا هشيم ، عن حصين قال : كان يقال : من حارب فأخاف السبيل وأخذ المال ولم يقتُل،

---

(١) « ظهر عليه » (بالبناء للمجهول) : أى غلب فأخذ .

قطِعت يده ورجله من خلاف. وإذا أخذ المال وقتَل ، صُلب .

١١٨٣٥ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة: أنه كان يقول فى قوله : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله » إلى قوله : « أو ينفوا من الأرض»، حدودٌ أربعة أنزلها الله . فأما من أصاب الدم والمال جميعاً، صلب. وأما من أصاب الدم وكفّ عن المال، قُتل . ومن أصاب المال وكفّ عن الدم ، قُطع . ومن لم يصب شيئاً من هذا ، نفى .

١١٨٣٦ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط، عن السدى قال : نهى الله نبيَّه عليه السلام عن أن يسمل أعينَ العرنيين الذين أغاروا على لِقَاحه ، وأمره أن يقيم فيهم الحدود كما أنزلها الله عليه . فنظر إلى من أخذ المال ولم يقتل، فقطَع يدَه ورجلَه من خلاف، يدَه اليمنى ورجلَه اليسرى . ونظر إلى من قتل ولم يأخذ مالاً، فقتَله . ونظر إلى من أخذ المال وقتل ، فصلبه . وكذلك ينبغى لكل من أخاف طريقَ المسلمين وقَطَع ، أن يصنع به إن أخِذ وقد أخَذ مالاً ، قطعت يده بأخذِه المال، ورجلُه بإخافة الطريق. وإن قتَل ولم يأخذ مالاً ، قُتِل . وإن قتل وأخذ المال ، صُلِب .

١١٨٣٧ – حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا فضيل بن مرزوق قال : سمعت السدى يسأل عطيّة العوفىّ عن رجل محاربٍ ، خرج فأخذ ولم يصبْ مالاً ،ولم يهرق دماً . قال : النفى بالسيف،[1]. وإن أخذ مالاً ، فيده بالمال، ورجلُه بما أخاف المسلمين. وإن هو قتل ولم يأخذ مالاً ، قتل . وإن هو قتل وأخذ المال ، صُلب = وأكبر ظنى أنه قال : تقطع يده ورجله .

١١٨٣٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن عطاء الخراسانى وقتادة فى قوله : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله »

---

(١) قوله : « النفى بالسيف » ، يعنى أن يطارد حتى يخرج من الأرض ، حتى يدخلوا مأمنهم وأرضهم ، كما سلف فى الأثر رقم : ١١٨١٠ .

الآية، قال : هذا ، اللصُّ الذى يقطع الطريقَ فهو محارب. فإن قتل وأخذ مالاً صُلب. وإن قتل ولم يأخذ مالاً ، قُتِل . وإن أخذ مالاً ولم يقتل ، قطعت يده ورجله. (١) وإن أخِذ قبل أن يفعل شيئاً من ذلك، نفى .

١١٨٣٩ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن قيس بن سعد، عن سعيد بن جبير قال : من خرج فى الإسلام محارباً لله ورسوله فقتل وأصاب مالاً ، فإنه يقتل ويُصْلَب . ومن قتل ولم يصب مالاً ، فإنه يقتل كما قَتَل . ومن أصاب مالاً ولم يقتل، فإنه يُقْطَع من خلاف. وإن أخاف سبيل المسلمين، نُفى من بلده إلى غيره، لقول الله جل وعز : « أو ينفَوا من الأرض » .

١١٨٤٠ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله » ، قال : كان ناس يسعون فى الأرض فساداً، وقَتَلوا وقَطَعوا السبيل، فصُلِب أولئك . وكان آخرون حاربُوا واستحلُّوا المال ولم يعدُوا ذلك، فقطعت أيديهم وأرجلهم . وآخرون حارَبوا واعتزَلوا ولم يعدوا ذلك ، فأولئك أخْرِجوا من الأرض .

١١٨٤١ – حدثنا هناد قال، حدثنا أبو أسامة، عن أبى هلال. قال، حدثنا قتادة ، عن مورِّق العجلى فى المحارب قال : إن كان خرج فقتَل وأخذ المال ، صُلب . وإن كان قتل ولم يأخذ المالَ ، قُتل . وإن كان أخذ المال ولم يقتل ، قُطع . وإن كان خرج مُشَاقًّا للمسلمين ، نُفى . ١٣٨/٦

١١٨٤٢ – حدثنا هناد قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن حجاج، عن عطية العوفى ، عن ابن عباس قال : إذا خرج المحاربُ وأخاف الطريق وأخذ المال ، قطعت يده ورجله من خلاف . فإن هو خرج فقتَل وأخذ المال ، قطعت يده

---

(١) فى المخطوطة : « وإن قتل ولم يأخذ مالا ولم يقتل قطعت يده ورجله » ، وهو خطأ محض ، صوابه ما فى المطبوعة بلا شك .

ورجله من خِلاف ثم صُلب . وإن خرج فقَتَل ولم يأخذ المال ، قُتِل. وإن أخاف السبيل ولم يقْتُل ولم يأخذ المال ، نفى .

١١٨٤٣ – حدثنا ابن البرقى قال ، حدثنا ابن أبى مريم قال ، أخبرنا نافع ابن يزيد قال ، حدثنى أبو صخر ، عن محمد بن كعب القرظى = وعن أبى معاوية ، عن سعيد بن جبير فى هذه الآية : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً » ، قالا : إن أخاف المسلمين فقَطَع المال ولم يسفك ، قُطِع. (١) وإذا سفك دماً ، قتل وصُلب . وإن جمعهما فاقتطع مالاً وسفك دماً ، قُطع ثُمّ قتل ثم صلب ، كأن الصلب مُثْلَةٌ. وكأن القطع : «السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما» ، (٢) وكأن القتل : « النفس بالنفس » . وإن امتنع ، فإن من الحقّ على الإمام وعلى المسلمين أن يطلُبوه حتى يأخذوه ، فيقيموا عليه حكم كتاب الله : « أو ينفوا من الأرض » ، من أرض الإسلام إلى أرضِ الكفر .

* * *

قال أبو جعفر : واعتلّ قائلو هذه المقالة لقولهم هذا ، بأن قالوا: إن الله أوجبَ على القاتل القوَد ، وعلى السارق القَطع . وقالوا : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « لا يحل دَمُ امرئ مسلم إلاّ بإحدى ثلاث خِلال : رجل قتل فقتل ، ورجل زنى بعد إحصان فرُجم ، ورجل كفر بعد إسلامه » . (٣) قالوا : فحظر النبىُّ صلى الله عليه وسلم قتل رجل مسلم إلاّ بإحدى هذه الخلال الثلاث . فأما أن يقتل من أجل إخافته السبيل من غير أن يقتل أو يأخذ مالاً ، فذلك تقدُّمٌ على الله ورسوله بالخلافِ عليهما فى الحكم . قالوا : ومعنى قول من قال : « الإمام فيه بالخيار ، إذا قَتَل وأخاف السبيل وأخذ المال » ، فهنالك خيار الإمام فى قولهم بين

---

(١) فى المطبوعة : « فاقتطع المال » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهما بمعنى واحد .

(٢) فى المخطوطة : « وكان السارف والسارقة. . . » ، والصواب ما فى المطبوعة. وهذا والذى بعده تضمين لآيتى الحكمين : فى السرقة وقتل النفس .

(٣) هذا حديث صحيح متفق على معناه ، رواه بغير إسناده . انظر مسلم ١١ : ١٦٤ ، ١٦٥ .

القتل ، أو القتل والصلب ، أو قطع اليد والرجل من خلاف . وأما صلبه باسم المحاربة ، من غير أن يفعل شيئاً من قتل أو أخذ مال ، فذلك ما لم يقله عالم .

* * *

وقال آخرون : الإمام فيه بالخيار : أن يفعل أيَّ هذه الأشياء التي ذكرَها الله في كتابه .

* ذكر من قال ذلك :

١١٨٤٤ – حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا جويبر ، عن عطاء = وعن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد في المحارب : أن الإمام مخير فيه ، أيَّ ذلك شاءَ فعل .

١١٨٤٥ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم ، عن عبيدة ، عن إبراهيم : الإمام مخير في المحارب ، أيَّ ذلك شاء فعل . إن شاء قتل ، وإن شاء قطع ، وإن شاء نفى ، وإن شاء صلب .

١١٨٤٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن عاصم ، عن الحسن في قوله : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله »، إلى قوله : « أو ينفوا من الأرض»، قال : يأخذ الإمام بأيِّها أحب .

١١٨٤٧ – حدثنا سفيان قال، حدثنا أبي ، عن سفيان، عن عاصم ، عن الحسن : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله » ، قال : الإمام مخيَّرٌ فيها .

١١٨٤٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن سفيان ، عن ابن جريج، عن عطاء، مثله .

١١٨٤٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن قيس بن سعد قال ، قال عطاء : يصنع الإمام في ذلك ما شاء . إن شاء قتل ، أو قطع ، أو نَفَى ، لقول الله : « أن يقتَّلوا أو يصلبوا أو تقطَّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض »، فذلك إلى الإمام الحاكم ، يصنع فيه ما شاء .

١١٨٥٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله قال، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله » ، الآية ، قال : من شَهَر السلاح في قُبّة الإسلام،(١) وأخاف السبيل ، ثم ظُفِر به وقدر عليه ، فإمام المسلمين فيه بالخيار: إن شاء قتله، وإن شاء صلبه ، وإن شاء قطع يده ورجلَه .

١١٨٥١ – حدثنا هناد قال، حدثنا أبو أسامة قال، أخبرنا أبو هلال قال ، أخبرنا قتادة ، عن سعيد بن المسيب: أنه قال في المحارب : ذلك إلى الإمام ، إذا أخذه يصنع به ما شاء .

١١٨٥٢ – حدثنا هناد قال، حدثنا أبو أسامة، عن أبي هلال قال ، حدثنا هرون ، عن الحسن في المحارب قال : ذاك إلى الإمام ، يصنع به ما شاء .

١١٨٥٣ – حدثنا هناد قال ، حدثنا حفص بن غياث، عن عاصم ، عن الحسن : « إنما جزاءُ الذين يحاربون الله ورسوله » ، قال : ذلك إلى الإمام . ١٣٩/٦

* * *

قال أبو جعفر : واعتلّ قائلو هذه المقالة بأن قالوا: وجدنا العطوف التي بـ « أو » في القرآن بمعنى التخيير ، في كل ما أوجب الله به فرضاً منها ، وذلك كقوله في كفارة اليمين : ﴿ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ [سورة المائدة : ٨٩] ،وكقوله ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾

---

(١) في المطبوعة : « في فئة الإسلام » ، ولا معنى لها ، ولم يحسن قراءة المخطوطة ، لأنها غير منقوطة والصواب ما قرأت . و « قبة الإسلام » يعني في ظله ، وحيث مستقر سلطانه . ولذلك سموا « البصرة » : قبة الإسلام ، قال الشاعر :

بَنَتْ قُبَّةَ الإِسْلَامِ قَيْسٌ لِأَهْلِهَا وَلَوْ لَمْ يُقِيمُوهَا لَطَالَ الْتِوَاؤُهَا

وأصل « القبة » : خيمة من أدم مستديرة . وذلك كقولهم أيضاً : « دار الإسلام » بهذا المعنى الذي بينته .

[سورة البقرة : ١٩٦]، وكقوله: ﴿ فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِياماً ﴾ [سورة المائدة : ٩٥]. قالوا : فإذا كانت العُطوفُ التى بـ « أو » فى القرآن ، فى كل ما أوجب الله به فرضاً منها فى سائر القرآن ، بمعنى التخيير ، فكذلك ذلك فى آية المحاربين = الإمام مخير فيما رأى الحكم به على المحارب إذا قَدَر عليه قبل التوبة .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بالصواب فى ذلك عندنا ، تأويلُ من أوجب على المحارب من العقوبة على قدر استحقاقه ، وجعل الحكم على المحاربين مختلِفاً باختلاف أفعالهم . فأوجب على مُخيف السبيل منهم = إذا قُدِر عليه قبل التوبة ، وقبل أخذ مالٍ أو قتل = النفيَ من الأرض . وإذا قُدر عليه بعد أخذ المال وقتل النفس المحرم قتلُها = الصلب ، لما ذكرت من العلة قبل لقائلى هذه المقالة .

* * *

فأما ما اعتلّ به القائلون : إنّ الإمام فيه بالخيار ، من أن « أو » فى العطف تأتى بمعنى التخيير فى الفرض ، فقولٌ لا معنى له ،[1] لأن « أو » فى كلام العرب قد تأتى بضروب من المعانى ، لولا كراهة إطالة الكتاب بذكرها لذكرتها ، وقد بينت كثيراً من معانيها فيما مضى ، وسنأتى على باقيها فيما يستقبل فى أماكنها إن شاء الله .[2]

= فأما فى هذا الموضع ، فإن معناها التعقيب ، وذلك نظير قول القائل : « إن

---

(١) فى المطبوعة : « فنقول : لا معنى له » . وهو كلام متهالك ، صوابه ما فى المخطوطة .

(٢) انظر ما سلف ١ : ٣٣٦ ، ٢/٣٣٧ : ٢٣٥ – ٢٣٧ / ٤ : ٧٥ ، ٦/٧٦ : ٥١٣ / ٧ : ١٩٤ .

جزاء المؤمنين عند الله يوم القيامة أن يدخلهم الجنة ، أو يرفع منازلهم فى علّيين ، أو يسكنهم مع الأنبياء والصديقين » ، فمعلوم أن قائل ذلك غير قاصد بقيله إلى أن جزاء كل مؤمن آمن بالله ورسوله فهو فى مرتبة واحدة من هذه المراتب ، ومنزلة واحدة من هذه المنازل = بإيمانه ، بل المعقول عنه أن معناه : أن جزاء المؤمن لن يخلُو عند الله عز ذكره من بعض هذه المنازل . فالمقتصد منزلته دون منزلة السابق بالخيرات ، والسابق بالخيرات أعلى منه منزلة ، والظالم لنفسه دونهما ،[1] وكلٌّ فى الجنة كما قال جل ثناؤه ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ [سورة فاطر : ٣٣] . فكذلك معنى المعطوف بـ « أو » فى قوله : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله»، الآية، إنما هو التعقيب .

فتأويله : إن الذى يحارب الله ورسوله ويسعى فى الأرض فساداً ، لن يخلو من أن يستحق الجزاءَ بإحدى هذه الخلال الأربع التى ذكرها الله عز ذكره = لا أن الإمام محكم فيه ومخيَّرٌ فى أمره = كائنةً ما كانت حالته ، عظمت جريرته أو خفَّتْ ،[2] لأن ذلك لو كان كذلك ، لكان للإمام قتل من شَهر السلاح مخيفاً السبيلَ وصلبَه، وإن لم يأخذ مالاً ولا قتل أحداً، وكان له نفىُ من قَتَل وأخذَ المال وأخافَ السبيل . وذلك قولٌ إن قاله قائل ، خلافُ ما صحّت به الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله : « لا يحل دَمُ امرئٍ مسلم إلا بإحدى ثلاث : رجل قتل رجلاً فقتل به ، أو زنى بعد إحصان فرجم ، أو ارتدّ عن دينه»[3]= وخلاف

---

(١) اقرأ آية « سورة فاطر » : ٣٢ ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ .

(٢) فى المطبوعة : « وعظمت » بواو لا مكان لها هنا .

(٣) انظر تخريج هذا الخبر فيما سلف قريباً ص : ٢٦١ ، تعليق : ٣

قوله : « القطعُ فى رُبْع دينارٍ فصاعداً » ،[١] وغيرُ المعروف من أحكامه .[٢]

* * *

فإن قال قائل : فإن هذه الأحكام التى ذكرتَ ، كانت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غير المحارب ، وللمحارب حكم غير ذلك منفرد به .

قيل له : فما الحكم الذى انفرد به المحارب فى سننه ؟

فإن ادَّعى عنه صلى الله عليه وسلم حكماً خلاف الذى ذكرنا ، أكذبه جميعُ أهل العلم ، لأن ذلك غير موجود بنقلِ واحدٍ ولا جماعة .

وإن زعم أن ذلك الحكم هو ما فى ظاهر الكتاب ، قيل له : فإن أحسن حالاتك إن سُلِّم لك ،[٣] أن ظاهر الآية قد يحتمل ما قلت وما قاله من خالفك = فما برهانك على أنّ تأويلك أولى بتأويل الآية من تأويله ؟

وبعد ، فإذ كان الإمام مخيَّراً فى الحكم على المحارب ، من أجل أنّ « أو » بمعنى التخيير فى هذا الموضع عندك ، أفله أن يصلبه حيًّا ، ويتركه على الخشبة مصلوباً حتى يموت من غير قتله .

فإن قال : « ذلك له » ، خالف فى ذلك الأمة .

وإن زعم أنّ ذلك ليس له ، وإنما له قتله ثم صلبه ، أو صلبه ثم قتله = ترك علّته من أنّ الإمام إنما كان له الخيار فى الحكم على المحارب من أجل أن « أو » تأتى بمعنى التخيير . ١٤٠/٦

وقيل له : فكيف كان له الخيار فى القتل أو النفى أو القطع ، ولم يكن له الخيار فى الصلب وحده ، حتى تجمع إليه عقوبة أخرى ؟

---

(١) هذا خبر مجمع عليه فى الصحاح ، انظر فتح البارى ١٢ : ٨٩ – ٩١ ، وسيأتى تخريجه برقم : ١١٩١٢ .

(٢) قوله : « وغير المعروف من أحكامه » ، معطوف على ما سلف : « وذلك قول إن قاله قائل : خلاف ما صححت به الآثار عن رسول الله . . . » .

(٣) فى المطبوعة : « أن يسلم لك » ، غير ما فى المخطوطة ، وهو محض الصواب .

وقيل له : هل بينك وبين من جعل الخيار حيث أبيت ، وأبى ذلك حيث جعلتَه له = فرقٌ من أصلٍ أو قياس ؟ [١] فلن يقول فى أحدهما قولا إلا ألزم الآخر مثله .

* * *

وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتصحيح ما قلنا فى ذلك ، بما فى إسناده نظر ، وذلك ما :—

١١٨٥٤ — حدثنا به على بن سهل قال، حدثنا الوليد بن مسلم، عن ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب : أنّ عبد الملك بن مروان كتب إلى أنس بن مالك يسأله عن هذه الآية ، فكتب إليه أنس يخبره أن هذه الآية نزلت فى أولئك النفر العرنيين ، وهم من بجيلة . قال أنس : فارتدوا عن الإسلام ،وقتلوا الراعى ، وساقوا الإبل ، وأخافوا السبيل، وأصابُوا الفرجَ الحرام . قال أنس : فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام عن القضاء فيمن حارب ، فقال : من سَرَق وأخاف السبيل فاقطع يده بسرقته ، ورجلَه بإخافته . ومن قتل فاقتله . ومن قتل وأخاف السبيل واستحلّ الفرج الحرام، فاصلبه .[٢]

* * *

---

(١) السياق : « هل بينك وبين من جعل الخيار . . . . . فرق من أصل أو قياس » .

(٢) الأثر : ١١٨٥٤ — « الوليد بن مسلم الدمشقى القرشى » ، ثقة حافظ متقن ، من شيوخ أحمد سلفت ترجمة مراراً منها : ٢١٨٤ ، ٦٦١١ .

« ابن لهيعة » هو : « عبد الله بن لهيعة » ، تكلموا فيه كثيراً ، ووثقة أخى السيد أحمد فيما سلف رقم : ١٦٠ ، ٢٩٤١ ، وبعضهم يقول : « لا يحتج بحديثه » .

و « يزيد بن أبى حبيب المصرى » ، ثقة أخرج له الجماعة ، مضى برقم : ٤٣٤٨ ، ٥٤١٨ ، ٥٤٩٣ .

وعلة هذا الخبر ، ضعف ابن لهيعة ، عند من يرى ضعفه وترك الاحتجاج بحديثه. ثم إن يزيد بن أبى حبيب لم يدرك أن يسمع من أنس ، ولم يذكر أنه سمع منه .

وقد مضى صدر هذا الخبر فيما سلف برقم : ١١٨١٦ ، فانظر التعليق عليه هناك . وسيأتى فى الأثر : ١١٨٨٥ ، أن رواية يزيد بن أبى حبيب لهذا الخبر ، عن كتاب أنس بن مالك إلى عبد الملك بن مروان .

وأما قوله : « أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف »، فإنه يعني به جل ثناؤه : أنه تقطع أيديهم مخالِفاً في قطعها قَطْع أرجلهم . وذلك أن تقطع أيْمُن أيديهم، وأشمُلُ أرجلهم . فذلك « الخلاف » بينهما في القطع .

ولو كان مكان « من » في هذا الموضع « على » أو « الباء »، فقيل : « أو تقطع أيديهم وأرجلهم على خلاف = أو : بخلاف »، لأدّيا عما أدّت عنه « من » من المعنى .

* * *

واختلف أهل التأويل في معنى « النفي » الذي ذكر الله في هذا الموضع .

فقال بعضهم : هو أن يطلب حتى يقدر عليه ، أو يهرب من دار الإسلام .

* ذكر من قال ذلك :

١١٨٥٥ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قوله : « أو ينفوا من الأرض » ، قال : يطلبهم الإمام بالخيل والرّجال حتى يأخذهم فيقيم فيهم الحكم ، أو ينفوا من أرض المسلمين.

١١٨٥٦ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : نفيُه ، أن يطلب .

١١٨٥٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله قال ، حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « أو ينفوا من الأرض » ، يقول : أو يهربوا حتى يخرجوا من دار الإسلام إلى دار الحرب .

١١٨٥٨ – حدثني علي بن سهل قال، حدثنا الوليد بن مسلم قال ، أخبرني عبد الله بن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن كتاب أنس بن مالك إلى عبد الملك بن مروان : أنه كتب إليه : « ونفيه ، أن يطلبه الإمام حتى يأخذه ، فإذا أخذه أقام عليه إحدى هذه المنازل التي ذكر الله جل وعز بما استحل » .[1]

---

(١) الأثر : ١١٨٥٨ – انظر التعليق السالف على الأثر : ١١٨٥٤ .

١١٨٥٩ – حدثني على بن سهل قال، حدثنا الوليد قال : فذكرت ذلك لليث بن سعد فقال : نفيُه ، طلبُه من بلد إلى بلد حتى يؤخذ ، أو يخرجه طلبُه من دار الإسلام إلى دار الشرك والحرب ، إذا كان محارباً مرتدًّا عن الإسلام = قال الوليد : وسألت مالك بن أنس ، فقال مثله .

١١٨٦٠ – حدثني على قال، حدثنا الوليد قال: قلت لمالك بن أنس والليث ابن سعد : وكذلك يطلب المحاربُ المقيم على إسلامه ، يضطرّه بطلبه من بلد إلى إلى بلد حتى يصير إلى ثغر من ثغور المسلمين أو أقصى حَوْزِ المسلمين ،(١) فإن هم طلبوه دخل دار الشرك ؟ قالا : لا يُضْطَرّ مسلم إلى ذلك .

١١٨٦١ – حدثنا هناد بن السرى قال ، حدثنا هشيم، عن جويبر ، عن الضحاك : « أو ينفوا من الأرض » ، قال : أن يطلبوه حتى يعجزوا .

١١٨٦٢ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول : حدثني عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول ، فذكر نحوه .

١١٨٦٣ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا حفص بن غياث، عن عاصم ، عن الحسن : « أو ينفوا من الأرض » ، قال : ينفى حتى لا يُقْدَر عليه .

١١٨٦٤ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس فى قوله : « أو ينفوا من الأرض » ، قال : أخرجوا من الأرض . أينما أدركوا أخْرجوا حتى يلحقوا بأرض العدوّ .

١١٨٦٥ – حدثنا الحسن قال، حدثنا عبد الرزاق قال ، حدثنا معمر ،

---

(١) فى المطبوعة : « حق يصير إلى ثغر من ثغور المسلمين أو أقصى جوار المسلمين » وصواب ذلك « حتى » ، و « أو أقصى حوز المسلمين » ، كما فى المخطوطة .

و « الحوز » من الأرض (بفتح فسكون) : أن يتخذها رجل ، ويبين حدودها فيستحقها ، فلا يكون لأحد حق معه ، فذلك « الحوز » . ومنه « حوز الدار » ، ومنه أيضاً « حوزة الإسلام » ، أى حدوده ونواحيه ، وفى الحديث : « فحمى حوزة الإسلام » .

عن الزهري في قوله : « أو ينفوا من الأرض » ، قال : نفيه ، أن يُطلب فلا يُقْدر عليه ، كلّما سُمِع به في أرض طُلِب. ١٤١/٦

١١٨٦٦ – حدثني علي بن سهل قال، حدثنا الوليد بن مسلم قال، أخبرني سعيد، عن قتادة : « أو ينفوا من الأرض »، قال : إذا لم يَقْتُل ولم يأخذ مالاً ، طُلب حتى يُعْجِز .

١١٨٦٧ – حدثني ابن البرقي قال، حدثنا ابن أبي مريم قال، أخبرني نافع ابن يزيد قال ، حدثني أبو صخر ، عن محمد بن كعب القرظي= وعن أبي معاوية ، عن سعيد بن جبير : « أو ينفوا من الأرض »، من أرض الإسلام إلى أرض الكفر.

* * *

وقال آخرون : معنى « النفي » في هذا الموضع : أن الإمام إذا قدر عليه نفاه من بلدته إلى بلدةٍ أخرى غيرها .

* ذكر من قال ذلك :

١١٨٦٨ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح ، عن قيس بن سعد، عن سعيد بن جبير : « أو ينفوا من الأرض»، قال : من أخاف سبيل المسلمين ، نُفي من بلده إلى غيره ، لقول الله جل وعز : « أو ينفوا من الأرض » .

١١٨٦٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثني الليث قال ، حدثني يزيد بن أبي حبيب وغيره ، عن حيّان بن سُرَيج : أنه كتب إلى عمر بن عبد العزيز في اللصوص ، ووصف له لصوصيّتهم ، وحبسهم في السجون ، قال : قال الله في كتابه : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خِلاف» ، وترك : « أو ينفوا من الأرض » . فكتب إليه عمر بن عبد العزيز ، « أما بعد ، فإنك كتبت إليّ تذكر قول الله جل وعزّ : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً

أن يقتّلوا أو يصلّبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلافٍ »، وتركت قول الله : « أو ينفوا من الأرض » ، فنبيٌّ أنت ، يا حيّان !! لا تحرّك الأشياء عن مواضعها، أتجرّدت للقتل والصّلب كأنك عبدُ بنى عقيل،[1] من غير ما أُشبّهك به ؟ إذا

---

(١) « تجرد للأمر » : جد فيه جدا بالغاً ، وتفرغ له وشمر فيه ، كما يتجرد المرء من ثيابه وينضوها عنه لكيلا تعوقه . يقال : « تجرد فلان للعبادة » ، وقال الأخطل :

وَأَطْفَأْتُ عَنِّى نَارَ نُعْمَانَ بَعْدَ مَا أَعَدَّ لِأَمْرٍ فَاجِرٍ وَتَجَرَّدَا

وقال ابن قيس الرقيات :

تَجَرَّدُوا يَضْرِبُونَ بَاطِلَهُمْ بِالحَقِّ حَتَّى تَبَيَّنَ الكَذِبُ

و « عبد بنى عقيل » ، الصواب أن يقال « عبد بنى أبى عقيل »، فإن أبا عقيل ، هو جد « الحجاج ابن يوسف بن الحكم بن أبى عقيل بن مسعود الثقفى » . وذلك أن ثقيفاً جد الحجاج الأعلى ، كان فيما يقولون ، هو : « قسى (ثقيف) بن منبه بن النبيت بن منصور بن يقدم بن أفصى بن دعمى بن إياد بن نزار » ، وأنه ليس كما جاء فى نسب ثقيف أنه من « مضر بن نزار » ، وأن ثقيفاً ، فيما يروى عن ابن عباس : كان عبداً لامرأة نبى الله صالح ، فوهبته لصالح ، وأنه هو « أبو رغال » الذى يرجم قبره . يقول حسان بن ثابت فى هجاء ثقيف (ديوانه : ٣٤١ ، ٣٤٢):

إِذَا الثَّقَفِيُّ فَاخَرَكُمْ فَقُولُوا : هَلُمَّ نَعُدُّ أُمَّ أَبِى رِغَالِ
أَبُوكُمْ أَخْبَثُ الآبَاءِ طُرًّا وَأَنْتُمْ مُشْبِهُوهُ عَلَى مِثَالِ

وفى هذا الشعر زعم حسان أن ثقيفاً كان عبداً للفزر ، وهو سعد بن زيد مناة بن تميم، فقال :

عَبِيدُ الفِزْرِ أَوْرَثَهُمْ بَنِيهِ وَآلَى لاَ يَبِيعُهُمُ بِمَالِ
وَمَا لِكَرَامَةٍ حُبِسُوا ، وَلَكِنْ أَرَادَ هَوَانَهُمْ أُخْرَى اللَّيَالِى

وأما هجاء الحجاج بأنه « عبد من إياد » ، فيقول مالك بن الريب (الكامل ١ : ٣٠٢):

فَمَاذَا تَرَى الحَجَّاجَ يَبْلُغُ جُهْدُهُ إِذَا نَحْنُ جَاوَزْنَا حَفِيرَ زِيَادِ
فَلَوْلاَ بَنُو مَرْوَانَ كَانَ ابْنُ يُوسُفٍ كَمَا كَانَ ، عَبْدًا مِنْ عَبِيدِ إِيَادِ
زَمَانَ هُوَ العَبْدُ المُقِرُّ بِذِلَّةٍ يُرَاوِحُ صِبْيَانَ القُرَى وَيُغَادِى

أتاك كتابي هذا ، فانفهم إلى شَغْبٍ » .

١١٨٧٠ – حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، حدثني الليث ، عن يزيدَ وغيره ، بنحو هذا الحديث= غير أن يونس قال في حديثه : « كأنك عبد بني أبي عقال ،[1] من غير أن أشبهك به » .

١١٨٧١ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، أخبرني ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب : أن الصَّلت ، كاتب حيَّان بن سُرَيج ، أخبرهم : أن حيّان كتب إلى عمر بن عبد العزيز : « أن ناساً من القبط قامَت عليهم البيِّنة بأنهم حاربوا الله ورسوله وسعوا في الأرض فساداً» ، وأن الله يقول : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً » ، فقرأ حتى بلغ ، « وأرجلهم من خلاف » ، وسكت عن النفي. وكتب إليه : « فإن رأى أمير المؤمنين أن يُمْضي قضاءَ الله فيهم ، فليكتب بذلك » . فلما قرأ عمر بن عبد العزيز كتابه قال : لقد اجترأ حيان ! ثم كتب إليه : « إنه قد بلغني كتابك وفهمته ، ولقد اجترأتَ ، كأنما كتبتَ بكتاب يزيد بن أبي مسلم ، أو عِلْج صاحبِ العراق ،[2] من غير أن أشبهك بهما ، فكتبت

فإن الحجاج كان معلماً بالطائف ، وكان يهجى بذلك . فهذا تفسير « عبد بني أبي عقيل » . وكان الحجاج ، كما تعلم ، مسرفاً في القتل ، فلذلك قال عمر رضي الله عنه ما قال .

(١) لم أجد وجها لقوله : « عبد بن أبي عقال » ، فإن جده الذي ينسب إليه هو « أبو عقيل » كما سلف في الأثر الماضي .

(٢) « يزيد بن أبي مسلم » ، و « يزيد بن دينار » ، من موالي ثقيف ، وليس مولى عتاقة ، وكان أخا الحجاج من الرضاعة . وكان من أصحاب الحجاج وولاته ، وكان يتشبه به في سيرته ، وولي العراق وإفريقية . قال ابن عبد الحكم في سيرة عمر بن عبد العزيز : ٣٤ ، ٣٥ : « وكان يظهر التأله ، والنفاذ لكل ما أمر به السلطان ، مما جل أو صغر ، من السيرة بالجور ، والمخالفة للحق . وكان في هذا يكثر الذكر والتسبيح ، ويأمر بالقوم فيكونون بين يديه يعذبون ، وهو يقول : سبحان الله والحمد لله ، شد يا غلام موضع كذا وكذا – لبعض مواضع العذاب – وهو يقول : لا إله إلا الله والله أكبر ، شد يا غلام موضع كذا وكذا . فكانت حالته شر تلك الحالات » .

وكان يزيد يوم استخلف عمر بن عبد العزيز ، والياً على إفريقية ، فلم يكد عمر يوارى جثة سليمان ابن عبد الملك ، حتى عجل ودعا بقرطاس ودواة ، فكتب ثلاثة كتب ، لم يسمه فيما بينه وبين الله عز وجل

بأوّل الآية ، ثم سكتَّ عن آخرها ، وإن الله يقول : « أو ينفوا من الأرض » ، فإن كانت قامت عليهم البينة بما كتبتَ به ، فاعقد فى أعناقهم حديداً ، ثم غيّبهم إلى شَغْبٍ وبَدَا . »(١)

* * *

قال أبو جعفر : « شَغْبٌ و« بَدَا » ، موضعان .(٢)

* * *

أن يؤخرها ، فأمضاها من فوره . فأخذ الناس يهمزون عمر بن عبد العزيز ، لما رأوا من عجلته ، فقالوا : « ما هذه العجلة ؟ أما كان يصبر إلى أن يرجع إلى منزله ؟ هذا حب السلطان ! هذا الذى يكره ما دخل فيه ! ! » . ولم يكن بعمر عجلة ، ولا محبة لما صار إليه ، ولكنه حاسب نفسه ، ورأى أن تأخير ذلك لا يسعه . فكان أحد هذه الكتب الثلاثة كتابه بعزل يزيد بن أبى مسلم . (سيرة عمر بن عبد العزيز : ٣٤ ، ٣٥/والوزراء للجهشيارى : ٤٢) .

وأما « علج صاحب العراق» = و « العلج » الرجل من كفار العجم وغيرهم = فإنه يعنى الحجاج نفسه. وكان والياً على العراق ، وجعله « علجاً » ، كأنه مولى من الموالى غليظ ، كما سماه عبداً فى الأثر السالف .

(١) الآثار : ١١٨٦٩ – ١١٨٧١ – « يزيد بن أبى حبيب المصرى » ، مضى قريباً فى الأثر رقم : ١١٨٥٤ .

وأما « الصلت » ، فهو : « الصلت بن أبى عاصم » ، ولم أعثر له على ترجمة ، ورأيت ذكره فى كتاب فتوح مصر لابن عبد الحكم ص : ٩٠ .

وأما « حيان بن سريج المصرى » ، فكان عاملا لعمر بن عبد العزيز على مصر . ترجم له ابن أبى حاتم ١/٢/٢٤٧ ، والكبير للبخارى ٢/١/٥٢ . وضبط « سريج » بالسين غير معجمة ، والجيم . فى المؤتلف لعبد الغنى بن سعيد الأزدى المصرى ص : ٧٦ ، وقال ناشر التاريخ الكبير فى تعليقه : « وكذا ضبطه ابن ماكولا فى الإكمال . . . . ووقع هنا فى الأصل : «شريح » .

وكذلك يقع فى كثير من الكتب « شريح » ، وكذلك كان هنا فى المطبوعة فى سائر المواضع ، أما المخطوطة ، فهى غير منقوطة . وتبعت ضبط الحافظ عبد الغنى ، لأنه مصرى ، وهو أعلم بأنساب المصريين .

وكان فى المطبوعة « حبان » بالباء الموحدة ، وهو خطأ محض .

(٢) « شغب » (بفتح فسكون) : منهل بين طريق مصر والشام ، و « بدا » : واد قرب أيلة ، من ساحل البحر ، وهما من ديار بنى عذرة ، يقول كثير :

وَأَنْتِ الَّتِى حَبَّبْتِ شَغْباً إِلَى بَدَا ... إِلَىَّ ، وَأَوْطَانِى بِلَادٌ سِوَاهُمَا

ويقول عبد الله بن السائب :

فَلَمَّا عَلَوْا شَغْباً تَبَيَّنْتُ أَنَّهُ ... تَقَطَّعَ مِنْ أَهْلِ الحِجَازِ عَلَائِقِى

فقال ابنه :

فَلَا زِلْنَ حَسْرَى ظُلَّعاً ، لِمْ حَمَلْنَنَا ... إِلَى بَلَدٍ نَاءٍ قَلِيلِ الْأَصَادِقِ !!

وقال آخرون : معنى : « النفى من الأرض » ، فى هذا الموضع : الحبس .

* ذكر من روى ذلك عنه :

وهو قول أبو حنيفة وأصحابه .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب ، قولُ من قال : معنى « النفى من الأرض » ، فى هذا الموضع ، هو نفيه من بلد إلى بلد غيره ، وحبْسُه فى السجن فى البلد الذى نفى إليه ، حتى تظهر توبته من فسوقه ، ونُزُوعه عن معصيته ربَّه .

وإنما قلتُ ذلك أولى الأقوال بالصحة ، لأن أهل التأويل اختلفوا فى معنى ذلك على أحد الأوجه الثلاثة التى ذكرت . وإذْ كان ذلك كذلك = وكان معلوماً أن الله جل ثناؤه إنما جعل جزاء المحارب : القتلَ أو الصلبَ أو قطعَ اليد والرجل من خلافٍ ، بعد القدرة عليه ، لا فى حال امتناعه = كان معلوماً أنّ النفى أيضاً إنما هو جزاؤه بعد القُدرة عليه ، لا قبلها . ولو كان هرَبه من الطلب نفياً له من الأرض ، [1] كان قطع يده ورجله من خلافٍ فى حال امتناعه وحربه على وجه القتال ، بمعنى إقامة الحدّ عليه بعد القدرة عليه . وفى إجماع الجميع أن ذلك لا يقوم مقام نفيه الذى جعله الله عز وجل حدًّا له بعد القدرة عليه ، [بطل أن يكون نفيُه من الأرض ، هربَهُ من الطلب] . [2] ١٤٢/٦

وإذْ كان كذلك ، فمعلوم أنه لم يبق إلاّ الوجهان الآخران ، وهو النفى من بلدة إلى أخرى غيرها ، أو السَّجْن . فإذْ كان ذلك كذلك ، فلا شك أنه إذا

فهذا يؤيد أنها منفى بعيد لأهل الحجاز والشام ، كما جاء فى هذا الخبر .

(١) فى المطبوعة : « هروبه » ، وفى المخطوطة : « هو به » ، و « الهروب » ليس مصدراً عربياً ، وإن كان قد كثر استعماله فى زماننا هذا ، وإنما المصدر « الهرب » (بفتحتين) ، فالصواب « هربه » كما أثبت

(٢) هذه الزيادة بين القوسين ، زيادة لا بد منها حتى يستقيم الكلام . وقد استظهرتها من كلام أبى جعفر فيما سلف ، وما سيأتى بعده

نُفى من بلدةٍ إلى أخرى غيرها، فلم ينف من الأرض ، بل إنما نفى من أرض دون أرض . وإذ كان ذلك كذلك = وكان الله جل ثناؤه إنما أمر بنفيه من الأرض = كان معلوماً أنه لا سبيل إلى نفيه من الأرض إلا بحبسه فى بُقْعة منها عن سائرها ، فيكون منفيًّا حينئذ عن جميعها ، إلاّ مما لا سبيل إلى نفيه منه .

* * *

وأما معنى « النفى » ، فى كلام العرب ، فهو الطرد ، ومن ذلك قول أوس ابن حجر :

يُنْفَوْنَ عَنْ طُرُقِ الكِرَامِ كَمَا تَنْفِى المَطَارِقُ مَا يَلِى القَرَدُ[1]

ومنه قيل للدراهم الرديئة وغيرها من كل شىء: «النُّفَاية».[2] وأما المصدر من « نفيت »، فإنه « النفى » « والنِّفَاية »،[3] ويقال : « الدلو ينفى الماء » ، ويقال لما تطاير من الماء من الدلو : « النَّفِىُّ » ، ومنه قول الراجز :[4]

---

(١) شرح المفضليات : ٨٢٧ ، وليس فى ديوان أوس ، وهو من شعره ، من القصيدة الخامسة التى أولها :

أَبَنِى لُبَيْنَى لَسْتُمُ بِيَدٍ إِلاَّ يَدٌ لَيْسَتْ لَهَا عَضُدُ

ويهجوهم ، ورواية المفضليات « من طرق الكرام » . و « المطارق » جمع «مطرقة» و « مطرق » وهو القضيب الذى يضرب به الصوف أو القطن لينتفش ، وينفى منه القرد . و « القرد » (بفتحتين) : ما تمعط من الوبر والصوف وتلبد وانعقدت أطرافه ، وهو نفاية الصوف ، ثم استعمل فيما سواه من الوبر والشعر والكتان . وقوله : « ما يلى القرد » ، أى : ما وليه القرد ، من قولهم « وليه يليه »، أى : قاربه ودنا منه . يعنى : ما قاربه القرد وباشره ولصق به تعقده .

وكان فى المطبوعة : « ما يلى الفرد ا » ، وهو خطأ ، ومخالفة للمخطوطة ، وهى فيها منقوطة ، على خلاف العادة فى مثلها .

(٢) « النفاية » هنا (بضم النون) ، لا شك فى ذلك . انظر التعليق التالى .

(٣) و « النفاية » هنا (بكسر النون) ، لأنه عدها مصدراً ، مثل : « رعت الماشية رعياً ورعاية» (بكسر الراء) . هكذا استظهرته . وأما كتب اللغة فلم تذكر فى مصادر « نفى » إلا « نفياً » و « نفياناً » فهذا مصدر يزاد عليها إن صح له شاهد من الشعر أو الآثار.

(٤) هو الأخيل الطائى .

كأنَّ مَتْنَيْهِ مِنَ النَّفِيِّ مَوَاقِعُ الطَّيْرِ عَلَى الصُّفِيِّ (١)

ومنه قيل: «نَفَى شَعَرُه»، إذا سقط، يقال: «حَال لونُك، ونَفَى شعرُك». (٢)

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٣٣)

قال أبو جعفر: يعنى جل ثناؤه بقوله: «ذلك»، هذا الجزاء الذى جازيت به الذين حاربوا الله ورسولَه، وسعوا فى الأرض فساداً فى الدنيا، من قتلٍ أو صلبٍ أو قطع يد ورجل من خلاف = «لهم»، يعنى: لهؤلاء المحاربين = «خزى فى الدنيا»، يقول: هو لهم شرٌّ وعار وذلةٌ ونكال وعقوبة فى عاجل الدنيا قبل الآخرة.

* * *

يقال منه: «أخزيتُ فلاناً، فَخَزِى هو خِزْياً». (٣)

* * *

وقوله: «ولهم فى الآخرة عذاب عظيم»، يقول عز ذكره: لهؤلاء الذين حاربوا الله ورسولَه وسعوا فى الأرض فساداً، فلم يتوبوا من فعلهم ذلك حتى هلكوا = فى

---

(١) سلف البيت وشرحه وتخريجه فى ٣ : ٥/٢٢٥ : ٥٢٣، ولم أشر هناك إلى مجيئه فى هذا المكان من التفسير، فأثبته هناك.

(٢) هذا فى خبر محمد بن كعب القرظى وعمر بن عبد العزيز لما استخلف فرآه شعثاً قال: «... وكان عهدنا به بالمدينة أميراً علينا، حسن الجسم، ممتلىء البضعة، فجعلت أنظر إليه نظراً، لا أكاد أصرف بصرى عنه، فقال: يا ابن كعب، مالك تنظر إلى نظراً ما كنت تنظره إلى قبل؟ قال فقلت: لعجبى! قال: وما عجبك؟ فقلت: لما نحل من جسمك، ونفى من شعرك، وتغير من لونك؟ قال: وكيف لو رأيتنى بعد ثلاث فى قبرى، حين تقع عيناى على وجنتى، ويسيل منخرى وفى دوداً وصديداً، لكنت لى أشد نكرة منك اليوم!».

«نفى الشعر»: ثار وذهب وشعث وتساقط.

(٣) انظر تفسير «الخزى» فيما سلف ٢ : ٣١٤، ٧/٥٢٥ : ٤٧٩.

الآخرة ، [١] مع الخزى الذى جازيتهم به فى الدنيا، والعقوبة التى عاقبتهم بها فيها = « عذاب عظيم »، يعنى : عذاب جهنم .[٢]

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٣٤)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : معنى ذلك : إلاّ الذين تابوا من شركهم ومناصبتهم الحربَ لله ولرسوله والسَّعيِ فى الأرض بالفساد ، بالإسلام والدخولِ فى الإيمان ، من قبل قُدرة المؤمنين عليهم ، فإنه لا سبيل للمؤمنين عليهم بشىء من العقوبات التى جعلها الله جزاء لِمَنْ حاربَه ورسوله وسَعى فى الأرض فساداً، من قتلٍ ، أو صلب ، أو قطع يد ورجل من خلاف، أو نفى من الأرض = فلا تِباعةَ قِبَلَه لأحدٍ فيما كان أصاب فى حال كفره وحربه المؤمنين ،[٣] فى مالٍ ولا دم ولا حرمةٍ . قالوا : فأما المسلم إذا حارب المسلمين أو المعاهدين ، وأتى بعض ما يجب عليه العقوبة ، فلن تضع توبته عنه عقوبةَ ذنبه، بل توبته فيما بينه وبين الله ، وعلى الإمام إقامةُ الحدّ الذى أوجبه الله عليه ، وأخذُه بحقوق الناس .

* ذكر من قال ذلك :

١١٨٧٢ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح، عن الحسين بن واقد ، عن يزيد النحوى ، عن عكرمة والحسن البصرى قالا : قوله : « إنما جزاء

---

(١) السياق : « لهؤلاء الذين حاربوا الله ورسوله . . . . فى الآخرة . . . »

(٢) انظر تفسير « عذاب عظيم » فيما سلف من فهارس اللغة (عذب) (عظم) .

(٣) « التبعة » (بفتح التاء وكسر الباء) ، و « التباعة » (بكسر التاء) : ما فيه إثم يتبع به مرتكبه . يقال : « ما عليه من الله فى هذا تبعة ، ولا تباعة » .

الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض» إلى قوله : «فاعلموا أنّ الله غفور رحيم» ، نزلت هذه الآية فى المشركين ، فمن تاب منهم من قبل أن يُقدر عليه ، لم يكن عليه سبيل. وليس تُحْرِز هذه الآية الرجلَ المسلم من الحدّ إن قتل ، أو أفسد فى الأرض ، أو حارب الله ورسوله ، ثم لحق بالكفار قبل أن يُقْدر عليه . ذلك يقام عليه الحدّ الذى أصاب .(١)

١١٨٧٣ — حدثنا بشار قال، حدثنا روح بن عبادة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم » ، قال : هذا لأهل الشرك ، إذا فعلوا شيئاً فى شركهم، فإن الله غفور رحيمٌ ، إذا تابوا وأسلموا .

١١٨٧٤ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً » ، الزنا ،(٢) والسرقة ، وقتل النفس ، وإهلاك الحرث والنسل = ١٤٣/٦
« إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم » ، على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

١١٨٧٥ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال، أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : كان قوم بينهم وبين الرّسول صلى الله عليه وسلم ميثاقٌ ، فنقضوا العهدَ وقطعوا السبيل ، وأفسدوا فى الأرض، فخيرّ الله نبيّه صلى الله عليه وسلم فيهم : فإن شاء قتل ، وإن شاء صلب ، وإن شاء قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف . فمن تاب من قبل أن تقدروا عليه ، قُبِلَ ذلك منه .

١١٨٧٦ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية، عن على، عن ابن عباس قوله : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله » ،

---

(١) الأثر ١١٨٧٢ — مضى برقم : ١١٨٠٦ ، وانظر التعليق عليه .

(٢) فى المطبوعة : « بالزنا » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو الصواب .

الآية = فذكر نحو قول الضحاك، إلاّ أنه قال : فإن جاء تائباً فدخل فى الإسلام، قُبل منه ، ولم يؤاخذ بما سلَف .

١١٨٧٧ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « إلاّ الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم » ، قال : هذا لأهل الشرك ، إذا فعلوا شيئاً من هذا فى شركهم ، ثم تابوا وأسلموا ، فإن الله غفور رحيم .

١١٨٧٨ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن عطاء الخراسانى وقتادة: أما قوله : « إلاّ الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم » ، فهذه لأهل الشرك . فمن أصاب من المشركين شيئاً من المسلمين وهو لهم حَرْب، فأخذ مالاً وأصاب دماً ، ثم تاب قبل أن تقدروا عليه، أُهْدِر عنه ما مَضَى .

* * *

وقال آخرون : بل هذه الآية معنيٌّ بالحكم بها، المحاربون اللهَ ورسوله: الحُرَّابُ من أهل الإسلام، [1] من قطع منهم الطريق وهو مقيم على إسلامه، ثم استأمن فأُومن على جناياته التى جناها ، وهو للمسلمين حرب = ومَن فعل ذلك منهم مرتدًّا عن الإسلام ، [2] ثم لحق بدار الحرب ، ثم استأمن فأومن . قالوا : فإذا أمَّنه الإمام على جناياته التى سلفت، لم يكن قِبَله لأحد تَبِعة فى دمٍ ولا مالٍ أصابه قبل توبته، وقبلَ أمان الإمام إيَّاه .

* ذكر من قال ذلك :

١١٨٧٩ — حدثنى على بن سهل قال، حدثنا الوليد قال، أخبرنى أبو أسامة،

---

(١) « الحراب » جمع « حارب » ، و « الحارب » : هو الغاصب الناهب الذى يعرى الناس ثيابهم. وكأنه عنى به هنا : صفة « المحارب لله ورسوله » ، وإفساده فى الأرض . وانظر ما سيأتى ص : ٢٨٢ ، تعليق : ٢ .

(٢) قوله : « ومن فعل . . . » معطوف على قوله : « الحراب من أهل الإسلام . . . » يعنى : هذا وهذا .

عن أشعث بن سوار ، عن عامر الشعبي : أن حارثة بن بَدْرٍ خرج محارباً ، فأخاف السبيل ، وسفَك الدمَ ، وأخذ الأموال . ثم جاء تائباً من قبل أن يُقْدَرَ عليه ، فقبل علي بن أبي طالب عليه السلام توبته ، وجعل له أماناً منشوراً على ما كان أصاب من دمٍ أو مال .

١١٨٨٠ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن مجالد ، عن الشعبي : أن حارثة بن بدرٍ حاربَ في عهد علي بن أبي طالب ، فأتى الحسن بن علي رضوان الله عليهما ، فطلبَ إليه أن يستأمن له من عليّ ، فأبى . ثم أتى ابن جعفر ، فأبى عليه .[1] فأتى سعيد بن قيس الهمداني ، فأمّنه وضمّه إليه ، وقال له : استأمِنْ لي أميرَ المؤمنين علي بن أبي طالب .[2] قال : فلما صلى عليٌّ الغداة ،[3] أتاه سَعيد بن قيس فقال : يا أمير المؤمنين ، ما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ؟ قال : أن يقتّلوا ، أو يصلبوا ، أو تقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، أو ينفوا من الأرض . قال : ثم قال : « إلاّ الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم » . قال سعيد : وإن كان حارثة بن بدر ؟ قال : وإن كان حارثة بن بدر ! قال : فهذا حارثة بن بدر قد جاء تائباً ، فهو آمن ؟ قال : نعم ! قال : فجاء به فبايعه ، وقبل ذلك منه ، وكتب له أماناً .

١١٨٨١ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن بن مغراء ، عن مجالد ، عن الشعبي قال : كان حارثة بن بدر قد أفسد في الأرض وحارب ، ثم تاب . وكُلِّم له عليّ فلم يُؤْمنه . فأتى سعيدَ بن قيس فكلّمه ، فانطلق سعيدُ بن قيس إلى علي فقال : يا أمير المؤمنين ، ما تقولُ فيمن حارب الله ورسوله ؟ = فقرأ الآية كلها = فقال : أرأيت من تابَ من قبل أن تقدِر عليه ؟

---

(١) يعني عبد الله بن جعفر بن أبي طالب

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « استأمن إلى » ، والصواب ما أثبت .

(٣) « الغداة » ، يعني صلاة الفجر .

قال : أقول كما قال الله . قال : فإنه حارثة بن بدر ! قال : فأمّنه على ، فقال حارثة :

أَلاَ أَبْلِغَا هَمْدَانَ إِمَّا لَقِيتَهَا عَلَى النَّأْيِ لاَ يَسْلَمْ عَدُوٌّ يَعِيبُهَا
لَعَمْرُ أَبِيهَا إِنَّ هَمْدَانَ تَتَّقِي الإِلٰهَ وَيَقْضِي بِالْكِتَابِ خَطِيبُهَا(١)

١١٨٨٢ ـ حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « إلاّ الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم » ، وتوبته من قبل أن يُقْدر عليه : أن يكتُب إلى الإمام يَستأمنه على ما قَتل وأفسدَ في الأرض : « فإن لم يؤمنى على ذلك ، ازددت فساداً وقتلاً وأخذاً للأموال أكثر مما ١٤٤/٦

---

(١) الآثار : ١١٨٧٩ – ١١٨٨١ – « عبد الرحمن بن مغراء الدوسى » ، ثقة ، متكلم فيه ، مضى برقم : ١٦١٤ .

وأما « حارثة بن بدر بن حصين الغدانى » ، من بنى غدانة بن يربوع ، كان من فرسان بنى تميم ووجوهها وساداتها . وكان فاتكاً صاحب شراب . وكان فصيحاً بليغاً عارفاً بأخبار الناس وأيامهم ، حلواً شاعراً ذا فكاهة ، فكان زياد يأنس به طول حياته (الأغانى ٢١ : ٢٥) .

وأما « سعيد بن قيس الهمدانى » ، فهو من بنى عمرو بن السبيع . وكان سيد همدان فى زمانه .

ولما أمن على رضى الله عنه حارثة بن بدر ، وقف على المنبر فقال : « أيها الناس ، إنى كنت نذرت دم حارثة بن بدر ، فمن لقيه فلا يعرض له » . فانصرف سعيد بن قيس إلى حارثة ، وأعلمه ، وحمله وكساه وأجازه بجائزة سنية . فلما أراد حارثة الانصراف إلى البصرة شيعه سعيد بن قيس فى ألف راكب ، وحمله وجهزه .

وأما البيتان ، فهما فى تاريخ ابن عساكر ٣ : ٤٣٠ ، مع اختلاف يسير فى روايتهما .

وأما قوله : « ويقضى بالكتاب خطيبها » ، فكأنه عنى بخطيب همدان الفقيه الجليل : « مسروق بن الأجدع الهمدانى » ، صاحب ، على وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهما . وكأنه يشير بهذا البيت إلى ما روى عن مسروق أنه أتى يوم صفين ، فوقف بين الصفين ثم قال :

أيها الناس ، أنصتوا . ثم قال : أرأيتم لو أن مناديا ناداكم من السماء فسمعتم كلامه ورأيتموه فقال : إن الله ينهاكم عما أنتم فيه ، أكنتم مطيعيه ؟ قالوا : نعم ! قال : فوالله لقد نزل بذلك جبرئيل على محمد صلى الله عليه وسلم . فما زال يأتى من هذا – أى : يقول مثل هذا – ثم تلا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً ﴾ .

ثم انساب فى الناس فذهب . (ابن سعد ٦ : ٥٢) .

فعلت ذلك قبل » . فعلى الإمام من الحقّ أن يؤمنه على ذلك . فإذا أمّنه الإمام جاء حتى يضع يده فى يد الإمام، فليس لأحد من الناس أن يتبعه ، ولا يأخذه بدَم سفكه ، ولا مال أخذه . وكل مالٍ كان له فهو له ، لكيلا يقتل المؤمنين أيضاً ويفسد . فإذا رجع إلى الله جل وعزّ فهو وليُّه ، يأخذه بما صنع ، وتوبته فيما بينه وبين الإمام والناس. فإذا أخذه الإمام، وقد تابَ فيما يزعُم إلى الله جل ثناؤه قبل أن يُؤمنه الإمام ، فليقم عليه الحدّ.

١١٨٨٣ — حدثنا على بن سهل قال، حدثنا الوليد بن مسلم، عن سعيد ابن عبد العزيز ، أخبرنى مكحول ، أنه قال: [1] إذا أعطاه الإمام أماناً، فهو آمن، ولا يقام عليه حدٌّ ما كان أصاب.

* * *

وقال آخرون: معنى ذلك: كلُّ من جاء تائباً من الُحرّاب قبل القُدْرة عليه، [2] استأمن الإمام فأمّنه أو لم يستأمنه، بعدَ أن يجيء مستسلماً تاركاً للحرب.

* ذكر من قال ذلك :

١١٨٨٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا محمد بن فضيل ، عن أشعث ، عن عامر قال: جاء رجل من مُرادٍ إلى أبى موسى ، وهو على الكوفة فى إمرة عثمان، بعد ما صلّى المكتوبة فقال: يا أبا موسى ،هذا مَقَام العائذِ بك ، أنا فلان بن فلان المرادىّ، كنت حاربتُ الله ورسوله ، وسعيتَ فى الأرض ، وإنى تبتُ من قبل أن تَقْدر علىّ! فقام أبو موسى فقال : هذا فلان بن فلان، وإنه كان حاربَ الله ورسوله، وسعَى فى الأرض فساداً، وإنه تاب قبل أن يُقْدَر عليه، فمن لقيه فلا يعرض له إلاّ بخير . فأقام الرجل ما شاءَ الله ، ثم إنه خرج فأدركه الله جل وعزّ بذُنوبه فقتَله .

---

(١) هكذا فى المطبوعة والمخطوطة: « أخبرنى مكحول أنه قال »، وأرجح: أن الصواب «عن مكحول أنه قال » ، وانظر الأسانيد السالفة رقم : ٣٩٩٧ ، ٤١٢٩ ، ٥٣٥٩ ، ٨٩٦٦ .

(٢) « الحراب » جمع « حارب » ، انظر تفسيرها فيما سلف ص : ٢٧٩ ، تعليق : ١

١١٨٨٥ – حدثني الحارث بن محمد قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان ، عن إسمعيل السدى ، عن الشعبي قال : جاء رجل إلى أبي موسى ، فذكر نحوه .

١١٨٨٦ – حدثني على بن سهل قال، حدثنا الوليد بن مسلم قال : قلت لمالك : أرأيت هذا المحارب الذى قد أخاف السبيل ، وأصابَ الدم والمال ، فلحق بدار الحرْب ، أو تمنَّع فى بلاد الإسلام، ثم جاء تائباً من قبل أن يُقْدر عليه ؟ قال: تقبل توبته . قال قلت : فلا يُتَّبع بشيء من أحداثه ؟ قال: لا، إلا أن يوجد معه مالٌ بعينه فيردّ إلى صاحبه، أو يطلبه ولىٌّ من قَتل بدم فى حَرْبه، يثبت ببيّنَةٍ أو اعترافٍ فيقاد به . وأما الدماء التى أصابها ولم يطلبها أولياؤها ، فلا يتَّبعه الإمام بشيء = قال على ، قال الوليد : فذكرت ذلك لأبى عمرو ، فقال : تقبل توبته إذا كان محارباً للعامة والأئمة ، قد آذاهم بحَرْبه ، فشهر سلاحه ، وأصاب الدماء والأموال ، فكانت له مَنْعة أو فِئة يلجأ إليهم، أو لحق بدار الحرب فارتدّ عن الإسلام، أو كان مقيمًا عليه، ثم جاء تائباً من قبل أن يُقدرَ عليه، قُبلت توبته، ولم يتَّبَع بشيء منه .

١١٨٨٧ – حدثني على قال، حدثنا الوليد قال، قال ابو عمرو : سمعت ابن شهاب الزهريّ يقول ذلك .

١١٨٨٨ – حدثني على بن سهل قال ، حدثنا الوليد قال: فذكرت قول أبي عمرو ومالك لليث بن سعد فى هذه المسئلة ، فقال : إذا أعلن بالمحاربة العامة والأئمة، (١) وأصابَ الدماء والأموال ، فامتنع بمحاربته من الحكومة عليه، (٢) أو لحق بدار الحرب ، ثم جاء تائباً من قبل أن يقدر عليه ، قبلت توبته ، ولم يتَّبَع بشيء من أحْداثه فى حربه من دم خاصةٍ ولا عامة ، وإن طلبه وليه .

---

(١) فى المطبوعة : « العامة » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) « الحكومة عليه » ، يعنى : القضاء عليه .

١١٨٨٩ – حدثني علي قال ، حدثنا الوليد قال ، قال الليث = وكذلك حدثني موسى بن إسحق المدني ، وهو الأمير عندنا : أن عليًّا الأسديّ حاربَ وأخاف السبيل وأصاب الدم والمال ، فطلبته الأئمة والعامة ، فامتنع ولم يُقْدر عليه حتى جاء تائباً ، وذلك أنه سمع رجلاً يقرأ هذه الآية : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ﴾ [سورة الزمر : ٥٣] الآية ، فوقف عليه فقال : يا عبد الله ، أعد قراءتها . فأعادها عليه ، فغمد سيفه ، ثم جاء تائباً . حتى قدِم المدينة من السَّحَر ، فاغتسل ، ثم أتى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى الصبح ، ثم قعد إلى أبي هريرة في غِمار أصحابه . فلما أسفر عرفه الناس وقاموا إليه ، فقال : لا سبيل لكم عليّ ، جئت تائباً من قبلِ أن تقدروا عليّ ! فقال أبو هريرة : صدق . وأخذ بيده أبو هريرة حتى أتى مروان بنَ الحكم في إمرته على المدينة في زمن معاوية ، فقال : هذا عليٌّ جاء تائباً ، ولا سبيل لكم عليه ولا قتل . قال ، فترك من ذلك كله . (١) قال : وخرج عليٌّ تائباً مجاهداً في سبيل الله في البحر ، فلقُوا الروم ، فقرَّبوا سفينته إلى سفينة من سفنهم ، فاقتحم على الرُّوم في سفينتهم ، فهُزِموا منه إلى سفينتهم الأخرى ، فمالت بهم وبه ، فغرقوا جميعاً . (٢)

١٤٥/٦

١١٨٩٠ – حدثني أحمد بن حازم قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا مطرف ابن معقل قال ، سمعت عطاء قال في رجل سرق سرقة فجاء بها تائباً من غير أن يُؤخَذ ، فهل عليه حدٌّ ؟ قال : لا ! ثم قال : « إلاّ الذين تابوا من قبل أن تقدِروا عليهم » ، الآية . (٣)

---

(١) قوله : « فترك » بالبناء للمجهول ، كأنه يعني أنه لم يؤخذ بشيء من كل أحداثه التي أتاها وهو في محاربته لله ولرسوله .

(٢) الأثر : ١١٨٨٩ – « موسى بن إسحق المدني ، الأمير » ، لم أعرف من يكون . و « علي الأسدي » ، لم أعرفه أيضاً .

وكأني قد مر بي مثل هذا الإسناد فيما سلف ، ولكن سقط علي تقييده ، فمن وجده فليثبته هنا . فلعله يكشف عن هذا الأمير المذكور في هذا الخبر .

(٣) الأثر : ١١٨٩٠ – « مطرف بن معقل الشقري السعدي » ويقال : « الباهلي » ، أبو بكر .

١١٨٩١ – حدثنا ابن البرقى قال ، حدثنا ابن أبى مريم قال ، أخبرنا نافع ابن يزيد قال ، حدثنى أبو صخرٍ ، عن محمد بن كعب القرظى = وعن أبى معاوية عن سعيد بن جبير = قالا : إن جاء تائباً لم يقتطع مالاً ، ولم يسفك دماً ، تُرك . فذلك الذى قال الله : « إلاّ الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم » ، يعنى بذلك أنه لم يسفك دماً ولم يقتطع مالاً . (١)

* * *

وقال آخرون : بل عنى بالاستثناء فى ذلك ، التائبَ من حربه اللهَ ورسولَه والسعيِ فى الأرض فساداً بعد لحاقه فى حربه بدار الكفر . فأما إذا كانت حِرَابته وحربُه وهو مقيم فى دار الإسلام ، (٢) وداخلٌ فى غمار الأمة ، فليست توبته واضعة عنه شيئاً من حدود الله جل وعز ، ولا من حقوق المسلمين والمعاهدين ، بل يؤخذ بذلك .

* ذكر من قال ذلك :

١١٨٩٢ – حدثنى على بن سهل قال ، حدثنا الوليد بن مسلم قال ، اخبرنى إسمعيل ، عن هشام بن عروة : أنه أخبره أنهم سألوا عروة عمن تلصّص فى الإسلام فأصاب حدوداً ثم جاء تائباً ، فقال : لا تقبل توبته ، لو قبل ذلك منهم اجترأوا عليه ، وكان فساداً كبيراً . ولكن لو فرّ إلى العدوّ ، ثم جاء تائباً ، لم أر عليه عقوبة .

* * *

روى عن الحسن ، والشعبى ، وابن سيرين ، وقتادة ، وعطاء . قال أحمد : « كان ثقة وزيادة » . مترجم فى الكبير ٤/١/٣٩٧ ، وابن أبى حاتم ٤/١/٣١٥ ، ولسان الميزان ٦ : ٤٨ .

(١) الأثر : ١١٨٩١ – « أبو صخر » هو « حميد بن زياد بن أبى المخارق ، الخراط » ، مضى برقم : ٤٣٢٥ ، ٥٣٨٦ ، ٨٣٩١ – وكان فى المطبوعة والمخطوطة هنا « أبو صخرة » ، بالتاء فى آخره ، وقد مضى على الصواب قريباً برقم : ١١٨٦٧ .

و « أبو معاوية » هو « عمار بن معاوية الدهنى » ، مضى أيضاً برقم : ٩٠٩ ، ٤٣٢٥ ، ٥٣٨٦ .

(٢) انظر ما قلته فى « الحرابة » ص : ٢٥٢ ، تعليق : ٢ ، وص : ٢٥٦ ، تعليق : ٢

وقد روى عن عروة خلاف هذا القول ، وهو ما : —

١١٨٩٣ — حدثني به على قال، حدثنا الوليد قال ، أخبرني من سمع هشام ابن عروة ، عن عروة قال : يقام عليه حدٌّ ما فرّ منه ،ولا يجوز لأحدٍ فيه أمان = يعني ، الذى يصيب حدًّا ، ثم يفرُّ فيلحق الكفار، ثم يجيء تائباً .

* * *

وقال آخرون : إن كانت حِرَابته وحربه فى دار الإسلام ،[1] وهو فى غير مَنْعة من فئة يلجأ إليها ، ثم جاء تائباً قبل القدرة عليه ، فإن توبته لا تضع عنه شيئاً من العقوبة ولا من حقوق الناس . وإن كانت حِرَابته وحَرْبه فى دار الإسلام ، أو هو لاحقٌ بدار الكفر ، غير أنه فى كل ذلك كان يلجأ إلى فئة تمنعه ممن أراده من سلطان المسلمين ، ثم جاء تائباً قبل القدرة عليه ، فإن توبته تضع عنه كل ما كان من أحْداثه فى أيام حِرابته تلك ، إلا أن يكون أصاب حدًّا ، أو أمَرَّ الرُّفقة بما فيه عقوبة ،[2] أو غُرْم لمسلم أو معاهد وهو غير ملتجيء إلى فئة تمنعه ، فإنه يؤخذ بما أصاب من ذلك وهو كذلك ، ولا يضع ذلك عنه توبتُه .

* ذكر من قال ذلك :

١١٨٩٤ — حدثني على بن سهل قال، حدثنا الوليد قال، قال أبو عمرو : إذا قطع الطريق لصٌّ أو جماعة من اللصوص ، فأصابوا ما أصابوا من الدماء والأموال ، ولم يكن لهم فئة يلجأون إليها ولا مَنْعة، ولا يأمنون إلاّ بالدخول فى غِمَار أمتهم، وسوادِ عامّتهم ، ثم جاء تائباً من قبل أن يُقْدر عليه،لم تُقبل توبته،وأقيم عليه حدّ ما كان .

١١٨٩٥ — حدثني على قال ، حدثنا الوليد قال: ذكرت لأبى عمرو قول عُروة : « يقام عليه حدّ ما فرّ منه، ولا يجوز لأحد فيه أمان »،فقال أبو عمرو : وإن فرّ من حَدّه فى دار الإسلام،فأعطاه إمامٌ أماناً ، لم يجزْ أمانُه . وإن هو

(١) انظر ص : ٢٨٥ ، تعليق : ٢ .

(٢) « الرفقة » ، يعنى أصحابه الذين يرافقهم ويلجأ إليهم ، وهم فئته.

لحق بدار الحرب ، ثم سأل إماماً أماناً على أحداثه ، لم ينبغ للإمام أن يعطيه أماناً . وإن أعطاه الإمام أماناً وهو غير عالم بأحداثه ، فهو آمن . وإن جاء أحدٌ يطلبه بدم أو مال رُدّ إلى مأمنه ، فإن أبى أن يَرجع فهو آمن ولا يُتَعَرَّض له . قال : وإن أعطاه أماناً على أحداثه وهو يعرفها ، فالإمام ضامنٌ واجب عليه عَقْلُ ما كان أصاب من دم أو مال ، [1] وكان فيما عطّل من تلك الحدود والدماء آثماً ، وأمره إلى الله جل وعز . قال : وقال أبو عمرو : فإذا أصاب ذلك ، وكانت له مَنْعة أو فئة يلجأ إليها ، أو لحق بدار الحرب فارتدّ عن الإسلام ، أو كان مقيماً عليه ، ثم جاء تائباً من قبل أن يُقْدر عليه ، قُبِلت توبته ، ولم يُتَّبع بشيء من أحداثه التي أصابها في حربه ، إلا أن يوجد معه شيءٌ قائم بعينه فيردّ إلى صاحبه .

١١٨٩٦ – حدثني علي قال ، حدثنا الوليد قال ، أخبرني ابن لهيعة ، عن ربيعة قال : تقبل توبتُه ، ولا يتّبع بشيء من أحداثِه في حربه ، إلاّ أن يطلبه ١٤٦/٦
أحد بدم كان أصابه في سِلْمه قبل حربه ، فإنه يقاد به .

١١٨٩٧ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا معمر الرقي قال ، حدثنا الحجاج ، عن الحكم بن عتيبة قال : قاتل الله الحجاج ! إن كان ليفقَهُ ! أمَّن رجلاً من محاربته فقال : انظروا ، هل أصاب شيئاً قبل خروجه ؟

* * *

وقال آخرون : تضع توبته عنه حدَّ الله الذي وجب عليه بمحاربته ، ولا يسقط عنه حقوق بني آدم .

وممن قال ذلك الشافعي .

١١٨٩٨ – حدثنا بذلك عنه الربيع .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال في ذلك بالصواب عندي ، قولُ من قال : توبة المحارب الممتنع بنفسه أو بجماعة معه قبل القُدرة عليه ، تضع عنه تَبِعات الدنيا

---

(١) « العقل » ، دية الجناية .

التى كانت لزمته فى أيام حربه وحِرَابته،[١] من حدود الله ، وغُرْم لازم، وقَوَدٍ وقصاص ، إلاّ ما كان قائماً فى يده من أموال المسلمين والمعاهدين بعينه ، فيردّ على أهله = لإجماع الجميع على أن ذلك حكم الجماعة الممتنعة المحاربة لله ولرسوله، الساعيةِ فى الأرض فساداً على وجه الردة عن الإسلام . فكذلك حكم كل ممتنع سَعَى فى الأرض فساداً، جماعةً كانوا أو واحداً .

فأمّا المستخفى بسرقته، والمتلصِّصُ على وجه اغتفال من سرقه،[٢] والشاهرُ السلاحَ فى خلاء على بعض السابلة ، وهو عند الطلب غير قادر على الامتناع ، فإن حكم الله عليه = تاب أو لم يتب = ماضٍ ، وبحقوق من أخذ ماله، أو أصاب وليَّه بدم أو خَتْلٍ ، مأخوذ، وتوبته فيما بينه وبين الله جل وعز = قياساً على إجماع الجميع على أنه لو أصاب شيئاً من ذلك وهو للمسلمين سِلْمٌ ، ثم صار لهم حرباً : أن حربه إياهم لن يضعَ عنه حقاً لله عز ذكره ، ولا لآدمى. فكذلك حكمه إذا أصاب ذلك فى خلاء أو باستخفاء ، وهو غير ممتنع من السلطان بنفسه إن أراده، ولا له فئة يلجأ إليها مانعةٌ منه .

وفى قوله : « إلاّ الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم » ، دليل واضح لمن وُفِّق لفهمه ، أنّ الحكم الذى ذكره الله جل وعزّ فى المحاربين ، يجرى فى المسلمين والمعاهدين ، دون المشركين الذين قد نصبُوا للمسلمين حرباً ، وذلك أن ذلك لو كان حكماً فى أهل الحرب من المشركين ، دون المسلمين ودون ذمتهم، لوجب أن

---

(١) انظر الحرابة » فيما سلف ص : ٢٨٥ ، تعليق : ٢ .

(٢) « اغتفل الرجل » ، يعنى : اهتبل غفلته فأخذ ما أخذ . وهذا حرف لم تقيده كتب اللغة ، بل قيدوا : « تغفله » (بتشديد الفاء) ، و « استغفلته » ، أى : تحينت غفلته . وهذا الذى استعمله أبو جعفر صحيح فى القياس والعربية ، وقد رأيت أبا الفرج الأصفهانى ، صاحب الأغانى ، يستعمله أيضاً ، فجاء فى الأغانى ٢ : ٩٩ ، فى أخبار عدى بن زيد الشاعر ، فذكر جده « زيد بن أيوب » ومقتله ، فكان مما قال : « ثم إن الأعرابى اغتفل زيد بن أيوب ، فرماه بسهم فوضعه بين كتفيه ، ففلق قلبه » .

وكان فى المطبوعة هنا : « على وجه إغفال من سرقه » ، وليس هذا صحيحاً فى قياس العربية ، حتى يغير ما كان فى المخطوطة . وهو فى المخطوطة غير منقوط ، وهذا صواب قراءته .

لا يُسْقِطَ إسلامُهم عنهم = إذا أسلموا أو تابوا بعد قدرتنا عليهم = ما كان لهم قبل إسلامهم وتوبتهم من القتل ، وما للمسلمين فى أهل الحرب من المشركين . وفى إجماع المسلمين أنّ إسلام المشرك الحربىّ يضع عنه، بعد قدرة المسلمين عليه ، ما كان واضعَه عنه إسلامه قبل القدرة عليه = ما يدلّ على أن الصحيح من القول فى ذلك قول من قال : « عنى بآية المحاربين فى هذا الموضع ، حُرَّاب أهل الملة أو الذمة ، [1] دون من سواهم من مشركى أهل الحرب » .

* * *

وأما قوله : « فاعلموا أن الله غفور رحيم » ، فإن معناه : فاعلموا ، أيها المؤمنون ، أن الله غير مؤاخذٍ من تاب من أهل الحرب لله ولرسوله ، الساعين فى الأرض فساداً ، وغيرهم بذنوبه ، ولكنه يعفو عنه فيسترها عليه ، ولا يفضحه بها بالعقوبة فى الدنيا والآخرة = رحيم به فى عفوه عنه ، وتركه عقوبته عليها . [2]

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بذلك : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله فيما أخبرهم ووعَد من الثواب وأوعدَ من العقاب [3] = « اتقوا الله » ، يقول : أجيبوا الله فيما أمركم ونهاكم بالطاعة له فى ذلك ، وحقّقوا إيمانكم وتصديقكم ربّكم ونبيّكم

---

(١) « الحراب » جمع « حارب » ، وقد سلف القول فيها فى ص : ٢٧٩ ، تعليق : ١ ، فراجعه . وكان فى المطبوعة : « حراب أهل الإسلام » ، وفى المخطوطة : « أهل المسلة » ، وصواب قراءتها ما أثبت .

(٢) انظر تفسير « غفور » و « رحيم » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٣) فى المطبوعة : « ووعدهم من الثواب » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، فهو صواب محض .

بالصالح من أعمالكم[١] = « وابتغوا إليه الوسيلة » ، يقول : واطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه .[٢]

* * *

و « الوسيلة » : هي « الفعيلة » من قول القائل : « توسلت إلى فلان بكذا » ، بمعنى : تقرّبت إليه ، ومنه قول عنترة :

إنَّ الرِّجَالَ لَهُمْ إِلَيْكِ وَسِيلَةٌ إِنْ يَأْخُذُوكِ ، تَكَحَّلِي وَتَخَضَّبِي[٣]

يعني بـ « الوسيلة » ، القُرْبة ، ومنه قول الآخر :[٤]

إِذَا غَفَلَ الوَاشُونَ عُدْنَا لِوَصْلِنَا وَعَادَ التَّصَافِي بَيْنَنَا وَالوَسَائِلُ[٥]

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١١٨٩٩ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا أبو أحمد الزبيري قال ، حدثنا

---

(١) انظر تفسير « اتقوا » فيما سلف من فهارس اللغة (وق) .

(٢) انظر تفسير « ابتغى » فيما سلف ٩ : ٤٨٠ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) أشعار الستة الجاهليين : ٣٩٦ ، مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ١٦٥ ، والخزانة ٣ : ١١ ، وغيرها ، من أبيات له قالها لامرأته ، وكانت لا تزال تذكر خيله ، وتلومه في فرس كان يؤثره على سائر خيله ويسقيه ألبان إبله ، فقال :

لاَ تَذْكُرِي مُهْرِي وَمَا أَطْعَمْتُهُ فَيَكُونَ جِلْدُكِ مِثْلَ جِلْدِ الأَجْرَبِ
إِنَّ الْغَبُوقَ لَهُ ، وَأَنْتِ مَسُوءَةٌ ، فَتَأَوَّهِي مَا شِئْتِ ثُمَّ تَحَوَّبِي
كَذَبَ الْعَتِيقُ وَمَاءُ شَنٍّ بَارِدٌ إِنْ كُنْتِ سَائِلَتِي غَبُوقاً فَاذْهَبِي
إِنَّ الرِّجَالَ لَهُمْ . . . . . .
وَيَكُونَ مَرْكَبُكِ الْقَعُودُ وَحِدْجُهُ وَأَبْنُ النَّعَامَةِ يَوْمَ ذَلِكَ مَرْكَبِي !

ينذرها بالطلاق إن هي ألحت عليه بالملامة في فرسه ، فإن فرسه هو حصنه وملاذه . أما هي فما تكاد تؤسر في حرب ، حتى تتكحل وتتخضب لمن أسرها . يقول : إن أخذوك تكحلت وتخضبت لهم .

(٤) لم أعرف قائله .

(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ١٦٤ .

سفيان = ح ، وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا زيد بن الحباب ، عن سفيان = عن منصور ، عن أبي وائل : « وابتغوا إليه الوسيلة » ، قال : القربة فى الأعمال .

١١٩٠٠ – حدثنا هناد قال ، حدثنا وكيع = ح ، وحدثنا سفيان قال ، حدثنا أبي = عن طلحة ، عن عطاء : « وابتغوا إليه الوسيلة » ، قال : القربة . ١٤٧/٦

١١٩٠١ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة » ، قال : فهى المسألة والقربة .(١)

١١٩٠٢ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وابتغوا إليه الوسيلة » ، أى : تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه .

١١٩٠٢م – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وابتغوا إليه الوسيلة » ، القربة إلى الله جل وعزّ .

١١٩٠٣ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرزاق قال ، خبرنا معمر ، عن الحسن فى قوله : « وابتغوا إليه الوسيلة » ، قال : القربة .

١١٩٠٤ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير قوله : « وابتغوا إليه الوسيلة » ، قال : القربة .

١١٩٠٥ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وابتغوا إليه الوسيلة » ، قال : المحبّة ، تحبّبوا إلى الله . وقرأ : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴾ [سورة الإسراء : ٥٧] .

* * *

(١) فى المطبوعة : « هى المسألة » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٣٥)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه للمؤمنين به وبرسوله : وجاهدوا، أيها المؤمنون ، أعدائى وأعداءكم = فى سبيلى ، يعنى فى دينه وشريعته التى شرعها لعباده ، وهى الإسلام.[1] يقول : أتعبوا أنفسكم فى قتالهم وحملهم على الدخول فى الحنيفية المسلمة ،[2] = « لعلكم تفلحون » ، يقول : كيما تنجحوا ، فتدركوا البقاء الدائم والخلود فى جنانه .

* * *

وقد دللنا على معنى « الفلاح » فيما مضى بشواهده ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع.[3]

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٣٦)

قال أبو جعفر : يقول عز ذكره : إن الذين جحدوا ربوبية ربهم وعبدوا غيره ، من بنى إسرائيل الذين عبدوا العجل ، ومن غيرهم الذين عبدوا الأوثان والأصنام ، وهلكوا على ذلك قبل التوبة = لو أن لهم ملك ما فى الأرض كلها وضعفه معه ، ليفتدوا به من عقاب الله إياهم على تركهم أمره ، وعبادتهم غيره يوم القيامة ، فافتدوا بذلك كله ، ما تقبل الله منهم ذلك فداء وعوضاً من عذابهم وعقابهم ، بل هو معذبهم فى حميم يوم القيامة عذاباً موجعاً لهم .

---

(١) انظر تفسير « السبيل » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٢) انظر تفسير « جاهد » فيما سلف ٤ : ٣١٨ .

(٣) انظر تفسير « الفلاح » فيما سلف ١ : ٢٤٩ ، ٣/٢٥٠ : ٧/٥٦١ : ٩١ ، ٥٠٩

وإنما هذا إعلامٌ من الله جل ثناؤه لليهود الذين كانوا بين ظهرانَىْ مُهاجَرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنَّهم وغيرهم من سائر المشركين به، سواءٌ عنده فيما لهم من العذاب الأليم والعقاب العظيم . وذلك أنهم كان يقولون : ﴿ لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً ﴾ ، اغتراراً بالله جل وعزّ وكذباً عليه. فكذبهم تعالى ذكره بهذه الآية وبالتى بعدها ، وحَسَم طمعهم ، فقال لهم ولجميع الكفرة به وبرسوله : « إن الذين كفروا لو أنّ لهم ما فى الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تُقُبِّل منهم ولهم عذابٌ أليم * يُريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم » ، يقول لهم جل ثناؤه : فلا تطمعوا أيُّها الكفرة فى قَبُول الفدية منكم ، ولا فى خروجكم من النار بوسائل آبائكم عندى بعد دخولكموها ، إن أنتم مُتّم على كفركم الذى أنتم عليه ، ولكن توبوا إلى الله توبةً نَصُوحاً.(١)

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ (٣٧)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « يريدون أن يخرجوا من النار » ، يريد هؤلاء الذين كفروا بربّهم يوم القيامة ، أن يخرجوا من النار بعد دخولها ، وما هم بخارجين منها = « ولهم عذاب مقيم » ، يقول : لهم عذابٌ دائم ثابت لا يزول عنهم ولا ينتقل أبداً ، كما قال الشاعر :(٢)

فَإِنَّ لَكُمْ بِيَوْمِ الشِّعْبِ مِنِّى عَذَاباً دَائِماً لَكُمُ مُقِيماً(٣)

* * *

(١) انظر تفسير ألفاظ هذه الآية فيما سلف من فهارس اللغة .
(٢) لم أعرف قائله .
(٣) مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٦٥ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١١٩٠٦ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا الحسين بن واقد ، عن يزيد النحوى ، عن عكرمة : أن نافع بن الأزرق قال لابن عباس رحمه الله : أعمى البصر أعمى القلب ، يزْعُم أن قوماً يخرجون من النار ،(١) وقد قال الله جل وعز : « وما هم بخارجين منها » ؟ فقال ابن عباس : ويحك ، اقرأ ما فوقها ! هذه للكفّار .

* * *

١٤٨/٦ القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٣٨)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : ومن سرقَ من رجل أو امرأة ، فاقطعوا، أيها الناس ، يدَه = ولذلك رفع « السارق والسارقة » ، لأنهما غير معيّنين . ولو أريد بذلك سارقٌ وسارقة بأعيانهما ، لكان وجه الكلام النّصب .

* * *

وقد روى عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقرأ ذلك : ﴿ وَالسَّارِقُونَ وَالسَّارِقَاتُ ﴾ .

١١٩٠٧ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يزيد بن هرون ، عن ابن عون ، عن إبراهيم قال : فى قراءتنا = قال : وربما قال : فى قراءة عبد الله = ﴿ وَالسَّارِقُونَ وَالسَّارِقَاتُ فَاقْطَعُوا أَيْمَانَهُمَا ﴾ .

---

(١) فى المطبوعة : « يا أعمى البصر أعمى القلب ، تزعم . . . . » كأن نافعاً يوجه الحديث إلى ابن عباس ، وهذا عجيب أن يكون من نافع ، مع اجترائه وسلاطته ! وكان فى المخطوطة : « ما عمى البصار أعمى القلب ، برعم » ، هكذا غير منقوطة ، فرأيت أن أقرأها كما أثبتها ، على أنه إخبار لابن عباس عمن يقول ذلك .

١١٩٠٨ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن علية ، عن ابن عون ، عن إبراهيم : فى قراءتنا : ﴿ وَالسَّارِقُونَ وَالسَّارِقَاتُ فَاقْطَعُوا أَيْمَانَهُمَا ﴾ .

* * *

= وفى ذلك دليل على صحة ما قلنا من معناه ، وصحة الرفع فيه ، وأن « السارق والسارقة » مرفوعان بفعلهما على ما وصفت ، للعلل التى وصفت .

* * *

وقال تعالى ذكره : « فاقطعوا أيديهما » ، والمعنى : أيديهما اليمنى ، كما : –

١١٩٠٩ – حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فاقطعوا أيديهما » ، اليمنى .

١١٩١٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن جابر ، عن عامر قال : فى قراءة عبد الله : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْمَانَهُمَا ﴾

* * *

ثم اختلفوا فى « السارق » الذى عناه الله عز ذكره .

فقال بعضهم : عنى بذلك سارقَ ثلاثة دراهم فصاعداً . وذلك قول جماعة من أهل المدينة ، منهم مالك بن أنس ومن قال بقوله . واحتجّوا لقولهم ذلك، بأنّ : –

١١٩١١ – رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، قطعَ فى مِجَنّ قيمته ثلاثةُ دَرَاهم.(١)

* * *

وقال آخرون : بل عنى بذلك سارق رُبع دينار أو قيمته. وممن قال ذلك ، الأوزاعىّ ومن قال بقوله . واحتجوا لقولهم ذلك بالخبر الذى رُوى عن عائشة أنها قالت :

١١٩١٢ – قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : القطعُ فى ربع دينارٍ فصاعداً.(٢)

* * *

---

(١) الأثر : ١١٩١١ – رواه بغير إسناد . رواه مالك ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر فى الموطأ : ٨٣١ ، ورواه البخارى من طريق مالك (الفتح ٢ : ٩٣ – ٩٤) ، ورواه مسلم من طريقه أيضاً ، فى صحيحه ١١ : ١٨٤ ، ١٨٥ .

و « المجن » : الترس ، لأنه يجن صاحبه ، أى يواريه .

(٢) الأثر : ١١٩١٢ – ساقه هنا بغير إسناد أيضاً ، وقد مضى ص : ٢٦٦ ، تعليق رقم : ١ .

وقال آخرون : بل عنى بذلك سارقَ عشرة دراهم فصاعداً. وممن قال ذلك أبو حنيفة وأصحابه . واحتجوا فى ذلك بالخبر الذى روى عن عبد الله بن عمرو ، وابن عباس :

١١٩١٣ — أن النبي صلى الله عليه وسلم قَطَعَ فى مِجَنّ قيمته عَشْرة دراهم.(١)

* * *

وقال آخرون : بل عنى بذلك سارقَ القليل والكثير . واحتجوا فى ذلك بأن الآية على الظاهر ، وأنْ ليس لأحد أن يَخُصَّ منها شيئاً ، إلا بحجة يجب التسليم لها.(٢) وقالوا : لم يصحّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرٌ بأن ذلك فى خاصّ من السُرّاق . قالوا: والأخبار فيما قَطَعَ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطربة مختلفة ، ولم يروِ عنه أحد أنه أتى بسارق درهمٍ فَخلّى عنه ، وإنما رووا عنه أنه قطع فى مجن قيمته ثلاثة دراهم . قالوا : وممكن أن يكون لو أتى بسارق ما قيمته دانقٌ أن يَقْطع . قالوا : وقد قطع ابن الزبير فى دِرْهم .

* * *

وروى عن ابن عباس أنه قال : الآيةُ على العموم .

١١٩١٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا عبد المؤمن ، عن نجدة الحنفى قال : سألت ابن عباس عن قوله : « والسارق والسارقة » ، أخاصّ أم عام ؟ فقال : بل عام.(٣)

* * *

وهذا الخبر رواه البخارى بأسانيده (الفتح ١٢ : ٨٩ — ٩١)، ومسلم بأسانيده فى صحيحه ١١ : ١٨٠ — ١٨٣ .

(١) الأثر : ١١٩١٣ — خبر ابن عباس رواه الطحاوى فى معانى الآثار ٢ : ٩٣ . وكان فى المخطوطة والمطبوعة أن هذا الخبر مروى أيضاً عن « عبد الله بن عمر » ، ولم أجد الرواية بذلك عن « ابن عمر بل الرواية التى احتجوا بها فى كتب أصحاب أبى حنيفة هى ما قاله « عبد الله بن عمرو » ، رواها عنه « عمرو بن شعيب ، عن أبيه عن جده ». رواه أحمد فى المسند برقم : ٦٩٠٠ ، وانظر تخريج أخى السيد أحمد هناك . وانظر معانى الآثار للطحاوى ١ : ٩٣ ، وأحكام القرآن للجصاص ٢ : ٤١٧ ، فلذلك صححت ما قبل هذا الأثر « عبد الله بن عمرو »، لا كما كان فى المطبوعة والمخطوطة « ابن عمر » .

(٢) فى المطبوعة : « وأنه ليس لأحد » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) الأثر : ١١٩١٤ — « عبد المؤمن بن خالد الحنفى المروزى » ، قاضى مرو . قال

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا، قولُ من قال : « الآية معنىّ بها خاصٌّ من السراق ، وهم سُرَّاق ربع دينار فصاعداً أو قيمته »، لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « القطعُ فى ربع دينار فصاعداً ». وقد استقصيت ذكر أقوال المختلفين فى ذلك مع عللهم التى اعتلّوا بها لأقوالهم، والبيانَ عن أولاها بالصواب ، بشواهده ، [1] فى كتابنا ﴿ كِتَاب السرقة ﴾، فكرهنا إطالة الكتاب بإعادة ذلك فى هذا الموضع.

* * *

وقوله : « جزاء بما كسبا نكالاً من الله » ، يقول : مكافأةً لهما على سرقتهما وعملهما فى التلصصّ بمعصية الله[2] = « نكالاً من الله » ، يقول : عقوبة من الله على لُصُوصيتهما.[3]

* * *

وكان قتادة يقول فى ذلك ما : —

١١٩١٥ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم »، لا تَرْثُوا لهم أن تَقِيموا فيهم الحدود،[4] فإنه والله ما أمر الله بأمرٍ قَطُّ إلا وهو صلاحٌ ، ولا نهى عن أمرٍ قَطُّ إلاّ وهو فساد.[5]

* * *

أبو حاتم : « لا بأس به » ، وذكره ابن حبان فى الثقات . مترجم فى التهذيب .
و « نجدة بن نفيع الحنفى » . روى عن ابن عباس . مترجم فى التهذيب .

(١) فى المطبوعة : « والتلميح عن أولاها بالصواب » ، والطبرى لا يقول مثل هذا أبداً . وفى المخطوطة : « والسارق عن أولاها بالصواب » ، وهو تحريف قبيح من عجلة الناسخ ، صواب قراءته ما أثبت .

(٢) انظر تفسير « الجزاء » فيما سلف من فهارس اللغة (جزى) .
= وتفسير « كسب » فيما سلف ٩ : ١٩٦ ، تعليق : ١ والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « النكال » فيما سلف ٢ : ١٧٦ ، ٨/١٧٧ : ٥٨٠ .

(٤) « رثى له يرثى » : رحمه ورق له .

(٥) ولكننا قد أظلنا زمان عطلت فيه الحدود ، بزعم الرثاء لمن أصاب حداً من حدود الله . وطالت ألسنة قوم من أهل الدخل ، فاجترأوا على الله بافترائهم ، وزعموا أن الذى يدعونه من الرحمة

وكان عمر بن الخطاب يقول : « اشتدُّوا على السُّرَّاق ، فاقطعوهم يداً يداً، ورجلاً رجلاً » .

* * *

وقوله : « والله عزيز حكيم »، يقولُ جل ثناؤه : « والله عزيزٌ»، فى انتقامه من هذا السارق والسارقةِ وغيرهما من أهل معاصيه = « حكيم » ، فى حكمه فيهم وقضائه عليهم.[1]

١٤٩/٦ يقول : فلا تفرِّطوا أيها المؤمنون ، فى إقامة حكمى على السرَّاق وغيرهم من أهل الجرائم الذين أوجبت عليهم حدوداً فى الدنيا عقوبةً لهم ، فإنى بحكمتى قضيت ذلك عليهم ،[2] وعلمِى بصلاح ذلك لهم ولكم.

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٣٩)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : « فمن تاب » ، من هؤلاء السراق ، يقول: من رجع منهم عمَّا يكرهه الله من معصيته إيَّاه ، إلى ما يرضاه من طاعته[3] = « من بعد ظلمه »، و«ظلمه»، هو اعتداؤه وعمله ما نهاه الله عنه من سرقة أموال الناس[4] = « وأصلح » ،[5] يقول : وأصلح نفسه بحملهما على مكروهها فى طاعة الله ،

لأهل الحدود هو الصلاح ، وأن ما أمر الله به هو الفساد ! ! فاللهم نجنا من زمان تبجح فيه الأشرار بسلطانهم ، وتضاءل فيه أهل الإيمان بمعاصيهم .

(١) انظر تفسير « عزيز » فيما سلف ٩ : ٣٧٨ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « حكيم » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « فإنى بحكمى قضيت . . . » ، والأجود هنا ما أثبت .

(٣) انظر تفسير « التوبة » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٤) انظر تفسير « الظلم » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٥) زدت قوله تعالى : « وأصلح » ، ليتم سياق أبى جعفر ، كما جرى عليه فى تفسيره ، ولم تكن فى المخطوطة ولا المطبوعة .

الله ، والتوبة إليه مما كان عليه من معصيته.[١]

* * *

وكان مجاهد – فيما ذكر لنا – يقول : توبته فى هذا الموضع ، الحدُّ الذى يقام عليه .

. . . . . .
. . . . . .[٢]

* * *

١١٩١٦ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى، عن أبيه ، عن ابن عباس : « فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح»، فتاب عليه ، يقول : الحدُّ.[٣]

١١٩١٧ – حدثنا أبو كريب قال: حدثنا موسى بن داود قال ، حدثنا ابن لهيعة،عن حُيَىّ بن عبد الله ، عن أبى عبد الرحمن الحُبُلى ، عن عبد الله بن عمرو قال: سرقت امرأة حُليًّا ، فجاء الذين سرقتهم فقالوا : يا رسول الله ، سرقتنا هذه المرأة ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقطعوا يدها اليمنى . فقالت المرأة : هل من توبة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنتِ اليومَ من خطيئتك كيوم ولدتك أمك ! قال : فأنزل الله جل وعز : « فمن تاب من بعد ظُلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه ».[٤]

* * *

(١) انظر تفسير « الإصلاح » فيما سلف ٩ : ٣٤٠ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .

(٢) وضعت هذه النقط ، لأنى قدرت أن قول مجاهد قد سقط من الناسخ ، أو من أبى جعفر نفسه . وذلك أن الخبر الآتى بعده عن ابن عباس ، لا عن مجاهد .

(٣) فى المطبوعة : « يقول : فتاب عليه بالحد » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، فهو صواب . يعنى أن توبة الله عليه بعد الحد الذى يقام عليه لتوبته .

(٤) الأثر : ١١٩١٧ – « موسى بن داود الضبى » ، ثقة من شيوخ أحمد ، مضى برقم : ١٠١٩٠ = و « ابن لهيعة » ، مضى مراراً .

و « حيى بن عبد الله بن شريح المعافرى الحبلى المصرى» . روى له الأربعة ، ثقة . تكلم فيه أحمد وقال : « عنده مناكير » . وقال البخارى : « فيه نظر » . وقال ابن معين « ليس به بأس » وقال ابن عدى : « أرجو أنه لا بأس به إذا روى عنه ثقة » . وذكره ابن حبان فى الثقات . مترجم فى التهذيب .

وقوله : « فإن الله يتوب عليه » ، يقول : فإن الله جل وعز يُرْجعه إلى ما يحبّ ويرضى ، عما يكرَه ويسخط من معصيته.[١]

* * *

وقوله : « إن الله غفور رحيم »، يقول : إن الله عز ذكره ساترٌ على من تاب وأناب عن معاصيه إلى طاعته ذنوبَه ، بالعفو عن عقوبته عليها يوم القيامة ، وتركه فضيحتَه بها على رؤوس الأشهاد = « رحيم »، به وبعباده التائبين إليه من ذنوبهم.[٢]

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٤٠)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ألم يعلم هؤلاء = [يعنى القائلين] : « لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة »، الزاعمين أنهم أبناء الله وأحباؤه[٣] = أن الله مدبِّر ما فى السموات وما فى الأرض ، ومصرِّفه وخالقه ، لا

و « أبو عبد الرحمن الحبلى » هو « عبد الله بن يزيد المعافرى » ، تابعى ثقة . مضى برقم : ٦٦٥٧ ، ٩٤٨٣ .

وهذا الخبر رواه أحمد فى مسنده برقم : ٦٦٥٧ ، من طريق حسن بن موسى عن ابن لهيعة ، عن حيى ، مطولا مفصلا ، وخرجه أخى السيد أحمد هناك وقال : « إسناده صحيح » .

ونقله ابن كثير فى تفسيره ٣ : ١٥٢ ، ثم نقل رواية أحمد ، ثم قال : « وهذه المرأة ، هى المخزومية التى سرقت ، وحديثها ثابت فى الصحيحين ، من رواية الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة » . ثم انظر فتح البارى (١٢ : ٧٦ – ٨٦) ، وصحيح مسلم ١١ : ١٨٦ – ١٨٨ .

والمرأة التى سرقت هى : « فاطمة بنت الأسود بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم» (ابن سعد ٨ : ١٩٢) ، وقد استوفى الحافظ ابن حجر خبرها فى شرح هذا الحديث فى الفتح .

(١) فى المطبوعة : « عما يكرهه . . . » ، وأثبت الصواب من المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « غفور » و « رحيم » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٣) كان فى المطبوعة : « ألم يعلم هؤلاء القائلون . . . الزاعمون » ، وفى المخطوطة : « ألم يعلم هؤلاء القائلين . . . الزاعمين » ، فأثبت ما فى المخطوطة ، وزدت « يعنى » بين قوسين ، فإنى أرجح أنها سقطت من الناسخ .

يمتنع شيء مما فى واحدة منهما مما أرادَه ، لأن كل ذلك ملكه ، وإليه أمره ، ولا نسب بينه وبين شيء مما فيهما ولا مما فى واحدة منهما ، فيحابيه بسبب قرابته منه ، فينجيه من عذابه ، وهو به كافر ، ولأمره ونهيه مخالف = أو يدخله النار وهو له مطيع لبعد قرابته منه ، ولكنه يعذّب من يشاء من خلقه فى الدنيا على معصيته بالقتل والخسف والمسخ وغير ذلك من صنوف عذابه ، ويغفر لمن يشاء منهم فى الدنيا بالتّوبة عليه من كفره ومعصيته ، فينقذه من الهلكة ، وينجيه من العقوبة = « والله على كل شيء قدير » ، يقول : والله جل وعز على تعذيب من أرَاد تعذيبه من خلقه على معصيته ، وغفرانِ ما أراد غفرانه منهم باستنقاذه من الهلكة بالتوبة عليه وغير ذلك من الأمور كلها = قادرٌ ، لأن الخلق خلقُه ، والملك ملكه ، والعباد عباده .

* * *

وخرج قوله : « ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض » ، [1] خطاباً له صلى الله عليه وسلم ، والمعنىُّ به من ذكرتُ من فرق بنى إسرائيل الذين كانوا بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما حَوَاليها . وقد بيّنا استعمال العرب نظيرَ ذلك فى كلامها بشواهده فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . [2]

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية .

فقال بعضهم : نزلت فى أبى لُبابة بن عبد المنذر ، بقوله لبنى قريظة حين حاصرهم النبىّ صلى الله عليه وسلم : « إنما هو الذّبح ، فلا تنزلوا على حكم سعد » .

---

(١) انظر تفسير ألفاظ هذه الآية فيما سلف من نظائرها ، فى فهارس اللغة .

(٢) انظر ما سلف ٢ : ٤٨٤ – ٤٨٨ .

* ذكر من قال ذلك :

١١٩١٨ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم » ، قال : نزلت فى رجل من الأنصار = زعموا أنه أبو لبابة = أشارت إليه بنو قريظة يوم الحصار ، ما الأمر ؟ وعلام ننزل ؟ فأشار إليهم أنه الذَّبح . ٦/١٥٠

* * *

وقال آخرون : بل نزلت فى رجل من اليهود سأل رجلاً من المسلمين يسألُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حُكمه فى قتيلٍ قتله .

* ذكر من قال ذلك :

١١٩١٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا محمد بن بشر ، عن زكريا ، عن عامر : « لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر » ، قال : كان رجل من اليهود قتله رجل من أهل دينه ، فقال القاتل لحلفائهم من المسلمين : سلوا لى محمداً صلى الله عليه وسلم ، فإن بُعِثَ بالدية اختصمنا إليه ،[1] وإن كان يأمرنا بالقتل لم نأته .

١١٩٢٠ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال، أخبرنا هشيم ، عن زكريا ، عن عامر ، نحوه .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « فإن كان يقضى بالدية » ، غير ما فى المخطوطة ، وهو ما أثبته . ويعنى بقوله : « بعث بالدية » (بالبناء للمجهول) : أنه قد أوفى فى رسالته وبعثته أن يحكم فى مثل ذلك بالدية دون القصاص .

(٢) الأثر : ١١٩١٩ – « محمد بن بشر بن الفرافصة بن المختار العبدى » ، مضى برقم : ٤٢٢٢ ، ٤٥٥٧ .

و « زكريا » ، هو « زكريا بن أبى زائدة الهمدانى الوادعى » ، مضى برقم : ١١٢ ، ١٢١٩ ، ٩٢٩٥ .

و « عامر » هو الشعبى .

وقال آخرون : بل نزلت فى عبد الله بن صوريا ، وذلك أنه ارتدّ بعد إسلامه .

* ذكر من قال ذلك :

١١٩٢١ – حدثنا هناد وأبو كريب قالا ، حدثنا يونس بن بكير ، عن ابن إسحق قال ، حدثنى الزهرى قال : سمعت رجلاً من مزينة يحدث ، عن سعيد بن المسيب : أن أبا هريرة حدّثهم : أن أحبار يهود اجتمعوا فى بيت المدارس حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ،(١) وقد زنىَ رجل منهم بعد إحصانه ، بامرأة من يهود قد أحصنت ، فقالوا ، انطلقوا بهذا الرجل وبهذه المرأة إلى محمد = صلى الله عليه وسلم = فاسألوه كيف الحكم فيهما ، وولُّوه الحكم عليهما ،(٢) فإن عمل فيهما بعملكم من التجبيه (٣)= وهو الجلد بحبل من ليف مطلىٍّ بقار ، ثم تُسوَّد وجوههما ، ثم يحملان على حمارين ، وتحوَّل وجوههما من قبل دُبُر الحمار = فاتبعوه ، فإنما هو ملكٌ . وإن هو حكم فيهما بالرجم ، فاحذروه على ما فى أيديكم أن يسلبكموه . (٤) فأتوه فقالوا : يا محمد ، هذا الرجل قد زنى بعد إحصانه بامرأة قد أحصنت ، فاحكم فيهما ، فقد وليناك الحكم فيهما . فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى أحبارهم إلى بيت المدراس ،(٥) فقال : يا معشر اليهود ، أخرجوا إلىّ أعلمكم ! فأخرجوا إليه عبد الله بن صوريا الأعور = وقد روى بعض بنى قريظة ،(٦) أنهم أخرجوا إليه يومئذ مع ابن صوريا ، أبا ياسر بن أخطب ، ووهب بن يهوذا ، فقالوا : هؤلاء علماؤنا ! فسألهم رسول الله صلى الله عليه

---

(١) « بيت المدراس » ، هو البيت الذى كان اليهود يدرسون فيه كتبهم .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « فولوه الحكم » بالفاء ، وأثبت أجودهما من سيرة ابن هشام .

(٣) فى المطبوعة : « بعملكم من التحميم ، وهو الجلد » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، وهى غير منقوطة . وصواب قراءتها ما أثبت ، وهى كما أثبتها فى سيرة ابن هشام .

(٤) فى سيرة ابن هشام : « وإن هو حكم فيهما بالرجم ، فإنه نبى ، فاحذروه . . . » .

(٥) فى المطبوعة : « فى بيت المدراس » ، كما فى سيرة ابن هشام ، وأثبت ما فى المخطوطة ، فإنه صواب المعنى أيضاً .

(٦) فى ابن هشام : « وقد حدثنى بعض بنى قريظة » .

وسلم حتى حصَّل أمرهم ، إلى أن قالوا لابن صوريا : هذا أعلم من بقى بالتوراة[١] = فخلا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان غلاماً شابًّا من أحدثهم سنًّا ، فألظَّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم المسألةَ ،[٢] يقول : يا ابن صوريا ، أنشُدك الله وأذكِّرك أياديه عند بنى إسرائيل ، هل تعلم أنّ الله حكم فيمن زنىَ بعد إحصانه بالرجم فى التوراة ؟ فقال : اللهم نعم ! أما والله يا أبا القاسم إنهم ليعلمون أنك نبيٌّ مرسلٌ ، ولكنهم يحسدونك ! فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر بهما فرجما عند باب مسجده ، فى بنى غنم بن مالك بن النجار .[٣] ثم كفر بعد ذلك ابن صوريا ، فأنزل الله جل وعز : « يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ».[٤]

١١٩٢٢ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى = ح ، وحدثنا هناد قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش = ح ، وحدثنا هناد قال ، حدثنا عبيدة بن حميد = عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن البراء بن عازب قال : مرَّ النبى صلى الله عليه وسلم بيهودىٍّ محمَّم مجلود ،[٥] فدعا النبى صلى الله عليه وسلم رجلاً من علمائهم

---

(١) قال ابن هشام فى سيرته : من قوله : « وحدثنى بعض بنى قريظة » ، إلى « أعلم من بقى بالتوراة » ، من قول ابن إسحق . وما بعده ، من الحديث الذى قبله = فلذلك وضعت ذلك كله بين خطين .

(٢) « ألظ به المسألة » : ألح فى سؤاله . « لظ بالشىء » و « ألظ به » ، لزمه وثابر عليه .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « فى بنى عثمان بن غالب بن النجار » ، وهو خطأ صرف ، صوابه ما أثبته من سيرة ابن هشام وغيرها . وليس للنجار ولد يقال له « غالب » ، ولا لمالك بن النجار ولد يقال له « عثمان » .

(٤) الأثر : ١١٩٢١ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٣ ، ٢١٤ ، وهو فيها تال للأثر السالف هنا رقم : ١١٦١٦ .

وهذا الخبر رواه أحمد مختصراً . ورواه أبو داود فى سننه ٤ : ٢١٦ — ٢١٨ ، رقم : ٤٤٥٠ ، ٤٤٥١ ، بغير هذا اللفظ والبيهقى فى السنن ٨ : ٢٤٦ ، ٢٤٧ . انظر تفسير ابن كثير ٣ : ١٥٦ ، وسيأتى برقم : ١١٩٢٣ ، ١١٩٢٤ .

(٥) فى المطبوعة : « مر على النبى . . . » ، بزيادة « على » كما فى الروايات الأخرى ، وأثبت ما كان فى المخطوطة .

و « المحمم » : المسود الوجه . « حمم الرجل تحميما » : سخم وجهه بالحمم ، وهو الفحم .

فقال: أهكذا تجدُون حدّ الزانى فيكم ؟ قال : نعم! قال: فأنشدك بالذى أنزل التوراة على موسى ، أهكذا تجدون حدّ الزنى فيكم ؟ قال : لا ، ولولا أنك نشدتنى بهذا لم أحدّثك ، ولكن الرجم ، ولكن كثُرُ الزنا فى أشرافنا ، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه ، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد ، فقلنا : « تعالوا نجتمع فنضع شيئاً مكان الرجم ، فيكون على الشريف والوضيع » ، فوضعنا التحميم والجلد مكان الرجم ! فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أنا أوّل من أحيى أمرك إذ أماتوه ! (١) فأمر به فرجم ، فأنزل الله : « لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر » ، الآية ، (٢)

١١٩٢٣ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن الزهرى قال : كنت جالساً عند سعيد بن المسيب ، وعند سعيد رجل يوقّره ، فإذا هو رجل من مزينة كان أبوه شَهِد الحديبية ، وكان من أصحاب أبى هريرة قال : قال أبو هريرة : كنت جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم =

١١٩٢٤ – ح ، وحدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح كاتب الليث قال ، حدثنى الليث قال ، حدثنى عقيل ، عن ابن شهاب قال : أخبرنى رجل من مزينة ١٥١/٦

---

(١) فى المطبوعة : « اللهم إنى أنا أول . . . » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وبمثله فى الناسخ والمنسوخ : ١٣٠ .

(٢) الأثر : ١١٩٢٢ – رواه أبو جعفر من ثلاث طرق ، عن الأعمش . وسيرويه بعد برقم : ١٢٠٣٤ ، ١٢٠٣٦ من طريق القاسم ، عن الحسين ، عن أبى معاوية ، ومن طريق هناد عن أبى معاوية .

و « عبيدة بن حميد بن صهيب التيمى » ، مضى برقم : ٢٧٨١ ، ٢٩٩٨ ، ٨٧٨٣ ، وكان فى المطبوعة : « عبيدة بن عبيد » ، والصواب من المخطوطة .

و « عبد الله بن مرة الهمدانى الخارفى » ، مضى برقم : ٨٢٠٨ .

وهذا الخبر رواه مسلم فى صحيحه ١١ : ٢٠٩ ، ٢١٠ ، وأحمد فى مسنده ٤ : ٢٨٦ ، والبيهقى فى السنن ٨ : ٢٤٦ ، وأبو جعفر النحاس فى الناسخ والمنسوخ : ١٣٠ وأبو داود فى سننه ٤ : ٢١٥ ، رقم : ٤٤٤٨ ، وقال ابن كثير فى تفسيره ، بعد أن ساق خبر أحمد : « انفرد بإخراجه مسلم دون البخارى ، وأبو داود والنسائى وابن ماجة ، من غير وجه عن الأعمش ، به » .

وانظر تتمة هذا الأثر فيما سيأتى رقم : ١١٩٣٩ ، ورقم : ١٢٠٢٢ .

ممن يتتبع العلمَ ويعيه، حدّث عن سعيد بن المسيب، أن أبا هريرة قال: بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل من اليهود، وكانوا قد تشاوروا فى صاحب لهم زنى بعد ما أحصن، (١) فقال بعضهم لبعض: إن هذا النبي قد بعث، وقد علمتم أنْ قد فُرِض عليكم الرجْم فى التوراة فكتمتموه، واصطلحتم بينكم على عقوبة دونه، فانطلقوا نسأل هذا النبي، (٢) فإن أفتانا بما فرض علينا فى التوراة من الرجم، تركنا ذلك، فقد تركنا ذلك فى التوراة، فهى أحق أن تُطاع وتصدّق! فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا أبا القاسم، إنه زنى صاحبٌ لنا قد أحصن، فما ترى عليه من العقوبة؟ قال أبو هريرة، فلم يَرْجِع إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قام وقمنا معه، فانطلق يؤمُّ مِدْراس اليهود، حتى أتاهم فوجدهم يتدارسون التوراة فى بيت المدراس، فقال لهم: يا معشر اليهود، أنشُدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى، ماذا تجدون فى التوراة من العُقوبة على من زنى وقد أحصن؟ قالوا: إنا نجده يحمَّم ويُجْلَد! وسكت حَبْرهم فى جانب البيت، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صَمته، ألظّ يَنْشُدُه، فقال حبرهم: اللهم إذْ نَشَدتنا فإنا نجد عليهم الرجم! فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: فماذا كان أوّلُ ما ترخّصتم به أمرَ الله؟ قال: زنى ابن عم ملك فلم يرجمه، ثم زنى رجل آخر فى أسرة من الناس، فأراد ذلك الملك رجمه، فقام دونه قومُه فقالوا: والله لا ترجمه حتى ترجُم فلاناً ابن عم الملك! فاصطلحوا بينهم عقوبة دون الرجم وتركوا الرجم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فإنى أقضى بما فى التوراة! فأنزل الله فى ذلك: «يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر» إلى قوله: «ومن لم

---

(١) فى المطبوعة: «قد أشاروا فى صاحب لهم»، وفى المخطوطة: «شاوروا»، وهى ضعيفة هنا، ورأيت أن أقرأها «تشاوروا».

(٢) فى المطبوعة: «فانطلقوا، فنسأل»، وفى المخطوطة: «فسل» غير منقوطة، فرأيت أن أقرأها كما أثبتها.

يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ». (١)

* * *

وقال آخرون : بل عُنى بذلك المنافقون .

* ذكر من قال ذلك :

١١٩٢٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير في قوله : « يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم »، قال: هم المنافقون .

١١٩٢٦ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « آمنا بأفواههم » ، قال يقول : هم المنافقون = « سماعون لقوم آخرين » ، قال : هم أيضاً سماعون لليهود . (٢)

* * *

---

(١) الأثران : ١١٩٢٣ ، ١١٩٢٤ – خبر الزهري هذا ، رواه أبو جعفر فيما سلف من طريق ابن إسحق عن الزهري برقم : ١١٩٢١ .

وستأتي روايته أيضاً بغير هذا اللفظ ، برقم : ١٢٠٠٨ .

ورواه أبو داود في سننه ٤ : ٤٤٥٠ ، من طريق معمر عن الزهري ، وبرقم : ٤٤٥١ ، من طريق ابن إسحق ، عن الزهري .

ورواه أحمد في مسنده مختصراً ، برقم ٧٧٤٧، من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن رجل من مزينة، وسيروي أبو جعفر هذا الخبر من طريق عبد الرزاق فيما يلي برقم : ١٢٠٠٨، فقال أخي السيد أحمد في شرحه : « إسناده منقطع ، لإبهام الرجل من مزينة الذي روى عن الزهري » . ثم أشار في تخريجه إلى رواية الطبري رقم : ١١٩٢١ ، ولم يشر إلى هذين الخبرين رقم : ١١٩٢٣ ، ١١٩٢٤، ولا إلى الخبر الآتي رقم : ١٢٠٠٨، ثم ساق رواية عبد الرزاق عن معمر بنصها . ثم قال: « وهذا الرجل من مزينة، المجهول ، وصفه الزهري ، في رواية أبي داود ، من طريق يونس ابن يزيد الأيلي عن الزهري : أنه ممن يتبع العلم ويعيه » ، كما في إسنادنا هذا رقم : ١١٩٢٤ ، وفاته ما في الإسناد رقم ١١٩٢٣ : أنه رجل من مزينة « كان أبوه شهد الحديبية » . ومع كل ذلك ، فالرجل لا يزال مجهولا لم يعرف .

* * *

فائدة : راجع ما سلف في أخبار الرجم من رقم : ١١٦٠٩ – ١١٦١١ .

(٢) الأثر : ١١٩٢٦ – حذف في المطبوعة من أول قوله : « سماعون لقوم آخرين » ، إلى آخر الخبر ، وهو ثابت في المخطوطة كأنه استنكر ذكره هنا ، مع أنه آت في تتمة الآية ، ولم يذكر فيها قول مجاهد هناك . وهذا عبث لا معنى له .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال فى ذلك عندى بالصواب ،[١] أن يقال : عنى بقوله : [٢] « لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم » ، قومٌ من المنافقين . وجائزٌ أن يكون كان ممن دخل فى هذه الآية ابنُ صوريا = وجائز أن يكون أبو لبابة = وجائز أن يكون غيرُهما ، غير أن أثبت شيء روى فى ذلك ، ما ذكرناه من الرواية قبلُ عن أبى هريرة والبراء بن عازب ، لأن ذلك عن رجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وإذا كان ذلك كذلك ، كان الصحيحُ من القول فيه أن يقال : عُنِيَ به عبد الله بن صوريًا .

وإذا صحّ ذلك ، كان تأويل الآية : يا أيُّها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى جحود نبوّتك ، والتكذيبِ بأنك لى نبى ، من الذين قالوا : « صدّقنا بك ، يا محمد ، أنك لله رسول مبعوث ، وعلمنا بذلك يقيناً ، بوجودنا صِفَتك فى كتابنا » . [٣]

وذلك أن فى حديث أبى هريرة الذى رواه ابن إسحق عن الزهرى : [٤] أن ابن صُوريا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما والله ، يا أبا القاسم ، إنهم ليعلمون أنك نبي مُرْسل ، ولكنهم يحسدونك » . فذلك كان = على هذا الخبر = من ابن صوريا إيماناً برسول الله صلى الله عليه وسلم بفيه ، ولم يكن مصدِّقاً لذلك بقلبه . فقال الله جل وعزّ لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، مُطْلِعَه على ضمير ابن صوريا وأنه لم يؤمن بقلبه ، يقول : ولم يصدِّق قلبه بأنك لله رسول مرسل . [٥]

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « وأولى الأقوال » ، حذف « هذه » ، وهى ثابتة فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « عنى بذلك » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

(٣) قوله : « بوجودنا صفتك » ، أى : بأننا نجد صفتك . . .

(٤) فى الأثر رقم : ١١٩٢١ .

(٥) انظر تفسير « حزن » فيما سلف ٧ : ٢٣٤ ، ٤١٨ = وتفسير « سارع » فيما سلف ٧ : ١٣٠ ، ٢٠٧ ، ٤١٨ = وانظر تفسير « من أفواههم » فيما سلف ٧ : ١٤٥ - ١٤٧ = وتفسير « يقولون بأفواههم » ٧ : ٣٧٨ ، ٣٧٩ .

القول فى تأويل قوله عز وجلّ ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ﴾

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا أيها الرسولُ لا يحزنك تسرُّع من تسرَّع من هؤلاء المنافقين = الذين يظهرون بألسنتهم تصديقَك، وهم معتقدون تكذيبك= إلى الكفر بك ، ولا تسرُّعُ اليهود إلى جحود نبوّتك .(١) ثم وصف جل وعزّ له صفتهم ،(٢) ونعتهم له بنعوتهم الذَّميمة وأفعالهم الرديئة ، وأخبره مُعزّياً له على ما يناله من الحزن بتكذيبهم إياه، مع علمهم بصدقه، أنَّهم ١٥٢/٦ أهلُ استحلال الحرامِ والمآكل الرديئة والمطاعم الدنيئة من الرُّشَى والسُّحْت ،(٣) وأنهم أهل إفكٍ وكذبٍ على الله ، وتحريف لكتابه.(٤) ثم أعلمه أنه مُحِلٌّ بهم خزيَه فى عاجل الدنيا ، وعقابه فى آجل الآخرة، فقال : هم « سماعون للكذب »، يعنى هؤلاء المنافقين من اليهود، يقول : هم يسمعون الكذب ، و «سمعهم الكذب»، سمعُهم قول أحبارهم : أنّ حكم الزانى المحصن فى التوراة، التحميمُ والجلد = « سماعون لقوم آخرين لم يأتوك »، يقول : يسمعون لأهل الزانى الذين أرادوا الاحتكام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم القوم الآخرون الذين لم يكونوا أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا مصرِّين على أن يأتوه ، كما قال مجاهد : —

١١٩٢٧ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج عن ابن جريج ، قال مجاهد : « سماعون لقوم آخرين لم يأتوك » ، مع من أتوك .

* * *

(١) انظر تفسير « هاد » فيما سلف ٢ : ١٤٣ ، ٩/٥٠٧ : ٣٩١ .

(٢) فى المطبوعة : « ثم وصف جل ذكره صفتهم » ، غير ما فى المخطوطة لغير طائل .

(٣) يعنى ما سيأتى فى الآية : ٤٢ .

(٤) فى المطبوعة : « وتحريف كتابه » ، وفى المخطوطة : « أهل الإفك ، وكذب على الله ، وتحريف كتابه » ، ورأيت السياق يقتضى أن تكون « وتحريف لكتابه » ، فأثبتها .

واختلف أهل التأويل فى « السماعين للكذب السماعين لقوم آخرين ».[١]

فقال بعضهم : « سماعون لقوم آخرين »، يهود فَدَك. و « القوم الآخرون» الذين لم يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يهُود المدينة.[٢]

* ذكر من قال ذلك :

١١٩٢٨ -- حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة قال ، حدثنا زكريا ومجالد ، عن الشعبى ، عن جابر فى قوله : « ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين » ، قال : يهود المدينة = « لم يأتوك يحرِّفون الكلم من بعد مواضعه » ، قال : يهود فدك، يقولون ليهود المدينة: « إن أوتيتم هذا فخذوه » .

* * *

وقال آخرون : المعنىّ بذلك قوم من اليهود، كان أهل المرأة التى بَغَتْ، بعثوا بهم يسألون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن الحكم فيها . والباعثون بهم هم« القوم الآخرون » ، وهم أهل المرأة الفاجرة ، لم يكونوا أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* ذكر من قال ذلك :

١١٩٢٩ -- حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « ومن الذين هادوا سمَّاعون للكذب سمَّاعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون » ،فإنّ بنى إسرائيل أنزل الله عليهم :[٣] « إذا زنى منكم أحد فارجموه » ، فلم يزالوا بذلك حتى زنى رجل من خيارهم ، فلما اجتمعت بنو إسرائيل يرجمونه ، قام الخيار والأشراف فمنعوه . ثم زنى رجل من الضعفاء ،

---

(١) فى المطبوعة : « فى السماعون للكذب السماعون لقوم آخرين » ، غير ما فى المخطوطة بلا معنى ، بل بفساد .

(٢) الظاهر أن فى هذه الترجمة خطأ من أبى جعفر ، وكأن صوابها : « فقال بعضهم : « سماعون لقوم آخرين ، يهود المدينة . والقوم الآخرون الذين لم يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يهود فدك » . والخبر نفسه بعد ، دال على صحة ما ذهبت إليه .

(٣) فى المطبوعة : « كان بنو إسرائيل . . . » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

فاجتمعوا ليرجموه ، فاجتمعت الضعفاء فقالوا : لا ترجموه حتى تأتُوا بصاحبكم فترجمونهما جميعاً ! فقالت بنو إسرائيل : إن هذا الأمر قد اشتد علينا، فتعالوا فلنصلحه ! فتركوا الرجم، وجعلوا مكانه أربعين جَلْدة بحبل مقيَّر، ويحملونه على حمار ووجهه إلى ذنبه ،[1] ويسوَّدون وجهه، ويطوفون به . فكانوا يفعلون ذلك حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم وقدم المدينة ، فزنت امرأة من أشراف اليهود يقال لها : « بسرة » ، فبعث أبوها ناساً من أصحابه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : سلوه عن الزنا وما نزل إليه فيه، فإنا نخاف أن يفضحنا ويُخْبرنا بما صنعنا، فإن أعطاكم الجلد فخذُوه، وإن أمركم بالرجم فاحذروه ! فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه ، فقال : الرجم ! فأنزل الله عز وجل : « ومن الذين هادوا سمَّاعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرِّفون الكلم من بعد مواضعه» ، حين حرَّفوا الرجم فجعلوه جلداً .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب ، قولُ من قال : إن «السماعين للكذب» ، هم «السماعون لقوم آخرين» .[2]

وقد يجوز أن يكون أولئك كانوا من يهود المدينة ، والمسموعُ لهم من يَهُود فدك = ويجوز أن يكون كانوا من غيرهم . غير أنه أىّ ذلك كان ، فهو من صفة قومٍ من يهود، سمِعوا الكذب على الله فى حكم المرأة التى كانت بغت فيهم وهى محصنة، وأن حكمها فى التوراة التحميم والجلد ، وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحكم اللازم لها، وسمعوا ما يقول فيها قوم المرأة الفاجرة قَبْل أن يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم محتكمين إليه فيها . وإنما سألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك

---

(١) فى المطبوعة : « ويحممونه ويحملونه على حمار » ، زاد « ويحممونه » ، ولا معنى لزيادتها ، فإنه سيأتى بعد ما هو بمعناها ، وهو قوله : « ويسودون وجهه » . وأثبت ما فى المخطوطة ، وإن كان فيها « ويحملوه على حمار » .

(٢) فى المطبوعة : « إن السماعون . . . » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

لهم ، ليُعْلموا أهل المرأة الفاجرة ما يكون من جوابه لهم . فإن لم يكن من حكمه الرجم رَضُوا به حَكَماً فيهم . وإن كان من حكمه الرّجم ، حذِروه وتركوا الرضَى به وبحكمه . ١٥٣/٦

* * *

وبنحو الذى قلنا كان ابن زيد يقول .

١١٩٣٠ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين » ، قال : لقوم آخرين لم يأتوه من أهل الكتاب ،[1] هؤلاء سماعون لأولئك القوم الآخرين الذين لم يأتوه ، يقولون لهم الكذب : « محمد كاذبٌ ، وليس هذا فى التوراة ، فلا تؤمنوا به ».[2]

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « لم يأتوك » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) عند هذا الموضع ، انتهى جزء من التقسيم القديم للمخطوطة التى نقلت عنها نسختنا . وفى مخطوطتنا هنا ما نصه :

« يتلوهُ إن شاء الله تعالى :

القولُ فى تأويل قوله: ﴿يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ من بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُون إنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإنْ لَمْ تُأْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾ .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً » .

ثم يبدأ بعده :

« بِسمْ الله الرَّحمن الرحيمِ

رَبِّ يَسِّرْ »

القول فى تأويل عزّ وجل ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: يحرف هؤلاء السمّاعون للكذب ، السماعون لقوم آخرين منهم لم يأتوك بعدُ من اليهود = « الكلم »[1] . وكان تحريفُهم ذلك ، تغييرَهم حكم الله تعالى ذكره = الذى أنزله فى التوراة فى المحصَنات والمحصَنين من الزناة بالرجم = إلى الجلد والتحميم . فقال تعالى ذكره : « يحرّفون الكلم » ، يعنى : هؤلاء اليهود ، والمعنىُّ حكم الكَلِم ، فاكتفى بذكر الخبر من « تحريف الكلم » عن ذكر «الحكم»، لمعرفة السامعين لمعناه . وكذلك قوله : « من بعد مواضعه »، والمعنى : من بعد وضْع الله ذلك مواضعه ، فاكتفى بالخبر من ذكر « مواضعه » ، عن ذكر « وضع ذلك » ، كما قال تعالى ذكره ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [سورة البقرة : ١٧٧] ، والمعنى : ولكن البِرَّ برُّ من آمن بالله واليوم الآخر .[2]

* * *

وقد يحتمل أن يكون معناه: يحرفون الكلم عن مواضعه= فتكون « بعد » وضعت موضع « عن » ، كما يقال : « جئتك عن فراغى من الشغل » ، يريد : بعد فراغى من الشُّغل .

* * *

ويعنى بقوله : « إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا »، يقول هؤلاء الباغُون السمّاعون للكذب : إن أفتاكم محمد بالجلد والتحميم فى صاحبنا =«فخذوه» ، يقول : فاقبلوه منه ، وإن لم يفتكم بذلك وأفتاكم بالرجم ، فاحذروا .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

---

(١) انظر تفسير « تحريف الكلم عن مواضعه » فيما سلف ٢ : ٨/٢٤٨ : ٤٣٠ – ١٠/٤٣٢ : ١٢٩

(٢) انظر ما سلف ٣ : ٣٣٦ – ٣٣٩ .

* ذكر من قال ذلك :

١١٩٣١ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يونس بن بكير ، عن ابن إسحق قال ، حدثني الزهري قال : سمعت رجلاً من مزينة يحدِّث سعيد بن المسيب : أن أبا هريرة حدثهم = في قصة ذكرها = « ومن الذين هادوا سمّاعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك »، قال : [أي الذين بعثوا منهم مَن] بعثوا وتخلفوا، [1] وأمروهم بما أمرُوهم به من تحريف الكلم عن مواضعه، فقال : « يحرِّفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه »، للتجبيه [2] = « وإن لم تؤتوه فاحذروا»، أي الرجم. [3]

١١٩٣٢ – حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : «إن أوتيتم هذا» ، إن وافقكم هذا فخذوه . يهودُ تقولُه للمنافقين .

١١٩٣٣ – حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد، « إن أوتيتم هذا فخذوه » ، إن وافقكم هذا فخذوه ، وإن لم يوافقكم فاحذروه . يهود تقوله للمنافقين .

١١٩٣٤ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « يحرفون الكلم من بعد مواضعه »، حين حرفوا الرجم فجعلوه جلداً = « يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا» .

١١٩٣٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة قال ، حدثنا زكريا ومجالد ، عن الشعبي ، عن جابر : « يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه » ، يهود فدك ، يقولون ليهود

---

(١) هذه الزيادة بين القوسين من سيرة ابن هشام .

(٢) في المطبوعة : « للتحميم » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وانظر شرح ذلك فيما سلف في الأثر : ١١٩٢١ ص : ٣٠٣ ، تعليق : ٣ .

(٣) الأثر : ١١٩٣١ – سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٤ ، وهو تتمة الأثر السالف رقم : ١١٩٢١ .

المدينة : إن أوتيتم هذا الجلد فخذوه ، وإن لم تؤتوه فاحذروا الرَّجم.(١)

١١٩٣٦ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا » ، هم اليهودُ ، زنت منهم امرأة ، وكان الله قد حكم في التوراة في الزّنا بالرجم ، فنَفِسوا أن يرجموها ،(٢) وقالوا : انطلقوا إلى محمد ، فعسى أن يكون عنده رُخْصة ، فإن كانت عنده رخصة فاقبلوها ! فأتَوْه ، فقالوا : يا أبا القاسم ، إنّ امرأة منّا زنت ، فما تقول فيها ؟ فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : كيف حُكم الله في التوراة في الزاني ؟ فقالوا : دعنا من التوراة ، ولكن ما عندك في ذلك ؟ فقال : ائتوني بأعلمكم بالتوراة التي أنزلت على موسى ! فقال لهم : بالذي نجاكم من آل فرعون ، وبالذي فَلَقَ لكم البحر فأنجاكم وأغرق آل فرعون ، إلاّ أخبرتموني ما حُكْم الله في التوراة في الزاني ؟! قالوا : حكمه الرَّجْم ! فأمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجمت.(٣) ١٥٤/٦

١١٩٣٧ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا » ، ذكر لنا أن هذا كان في قتيلٍ من بني قريظة ، قتلته النضير . فكانت النضير إذا قتلت من بني قريظة لم يُقِيدوهم ، إنما يعطونهم الدية لفضلهم عليهم . وكانت قريظة إذا قتلت من النضير قتيلاً ، لم يرضوا إلاّ بالقَوَد لفضلهم عليهم في أنفسهم ، تعزُّزاً . فقدم نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم المدينة على تَفِيئَةِ قتيلهم هذا ،(٤) فأرادوا أن يرفعوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) الأثر : ١١٩٣٥ – انظر الأثر السالف رقم : ١١٩٢٨ .

(٢) « نفس عليه الشيء » و « نفس به عليه » (بكسر الفاء فيهما) : ضن به وبخل ، يعني أنهم رقوا لها وضنوا بها على الرجم والموت .

(٣) قوله : « فأمر بها رسول الله » ، إلى آخر الجملة ، ليس في المخطوطة . وكأنه زاده من نص الدر المنثور ٢ : ٢٨٢ .

(٤) في المطبوعة : « على هيئة فعلهم هذا » ، ولا معنى لها . وفي المخطوطة : « على نصه فصلهم

فقال لهم رجل من المنافقين : إن قتيلكم هذا قتيل عَمْدٍ ، متى ما ترفعونه إلى محمد صلى الله عليه وسلم أخشى عليكم القَوَد، فإن قبل منكم الدية فخذوه ، وإلاّ فكونوا منه على حَذَرٍ !

١١٩٣٨ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « يحرفون الكلم من بعد مواضعه » ، يقول : يحرّف هؤلاء الذين لم يأتوك الكلم عن مواضعه ، لا يضعونه على ما أنزله الله . قال : وهؤلاء كلهم يهود ، بعضهم من بعضٍ .

١١٩٣٩ – حدثنا هناد قال، حدثنا أبو معاوية وعبيدة بن حميد ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن البراء بن عازب : « يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا » ، يقولون : ائتوا محمداً ، فإن أفتاكم بالتحميم والجلد فخذوه ، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا .(١)

* * *

القول في تأويل قوله جل وعز ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾

قال أبو جعفر : وهذا تسلية من الله تعالى ذكره نبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم من حزنه على مسارعة الذين قصّ قصتهم من اليهود والمنافقين في هذه الآية . يقول له تعالى ذكره: لا يحزنك تسرُّعهم إلى جحود نبوَّتك ، فإني قد حتَمْتُ عليهم أنهم

هذا » ، غير منقوطة ، وهذا صواب قراءتها . يقال : « أتيته على تفئة ذاك » ، أي : على حينه وزمانه . وانظر مثل ذلك في الأثر رقم : ٧٩٤١ ، ج ٧ : ٢٥٣ ، تعليق : ١ .

وأما « فعلهم هذا » ، كما في المطبوعة ، و « فصلهم هذا » كما في المخطوطة ، فصواب قراءته « قتيلهم هذا » ، كما هو واضح من السياق .

(١) الأثر : ١١٩٣٩ – هذا تتمة الأثر السالف رقم : ١١٩٢٢ ، فانظر التعليق عليه هناك .

لا يتوبون من ضلالتهم ،[١] ولا يرجعون عن كفرهم ، للسابق من غضبي عليهم . وغير نافعهم حزنك على ما ترى من تسرُّعهم إلى ما جعلته سبباً لهلاكهم واستحقاقهم وعيدي .

* * *

ومعنى « الفتنة » في هذا الموضع : الضلالة عن قصد السبيل.[٢]

* * *

يقول تعالى ذكره : ومن يرد الله ، يا محمد ، مَرْجعه بضلالته عن سبيل الهدى ،[٣] فلن تملك له من الله استنقاذاً مما أراد الله به من الحيرة والضلالة.[٤] فلا تشعر نفسك الحزنَ على ما فاتك من اهتدائه للحق ، كما : —

١١٩٤٠ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً » .

. . . . . [٥]

* * *

القول في تأويل قوله جل وعز ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٤١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : لا يحزُنك الذين يسارعون في الكفر من اليهودِ الذين وصفت لك صفتهم . وإن مسارعتهم إلى ذلك، أنّ الله قد أراد فتنتهم ،وطَبَع على قلوبهم ،ولا يهتدون أبداً = «أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم» ، يقول : هؤلاء الذين لم يرد الله أن يطهِّر من دنس

(١) « حتم عليه » : قضى عليه وأوجب الحكم .

(٢) انظر تفسير « الفتنة » فيما سلف ٩ : ١٢٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) هكذا في المخطوطة والمطبوعة : « مرجعه بضلالته » ، كأنه يعني : انصرافه بضلالته عن سبيل الهدى ، وأخشى أن يكون اللفظ محرفاً .

(٤) انظر تفسير « ملك » فيما سلف ص : ١٤٧ ، ١٨٧

(٥) سقط بقية هذا الأثر من المخطوطة والمطبوعة ، فوضعت النقط تنبيهاً على هذا الخرم .

الكفر ووَسخ الشرك قُلوبَهم ، بطهارة الإسلام ونظافة الإيمان ، [١] فيتوبوا ، بل أراد بهم الخزى فى الدنيا = وذلك الذلّ والهوان [٢] = وفى الآخرة عذابُ جهنم خالدين فيها أبداً . [٣]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى معنى « الخزى » ، روى القول عن عكرمة .

١١٩٤١ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان ، عن على بن الأقمر وغيره ، عن عكرمة ، أولئك الذين لم يرد الله أن يطهِّر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى » ، قال : مدينة فى الروم تُفْتح فَيُسْبَوْن . [٤]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : هؤلاء اليهود الذين وصفتُ لك ، يا محمد ، صفتَهم ، سَمَّاعون لقِيل الباطل والكذب ، من قيل بعضهم لبعض : « محمد كاذب ، ليس بنبى » ، وقيل بعضهم : « إن حكم الزانى المحصن فى التوراة الجلد والتحميم » ، وغير ذلك من الأباطيل والإفك = ويقبلون الرُّشىَ فيأكلونها على كذبهم على الله وفريتهم عليه ، [٥] كما :—

١١٩٤٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال ، حدثنا أبو عقيل

---

(١) انظر تفسير « طهر » فيما سلف ٣ : ٣٨ — ٤٠ ، ٣٩٣ ، وفهارس اللغة .

(٢) انظر تفسير « الخزى » فيما سلف ص : ٢٧٦ تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير سائر ألفاظ الآية فيما سلف من فهارس اللغة .

(٤) الأثر : ١١٩٤١ — « على بن الأقمر بن عمرو بن الحارث الهمدانى » ، أبو الوازع الكوفى . روى له الأئمة . ثقة حجة . مترجم فى التهذيب .

و « سفيان » هو الثورى .

وكان فى المطبوعة : « على بن الأرقم » ، وهو خطأ محض ، صوابه فى المخطوطة .

(٥) فى المخطوطة : « فيأكلوها » ، والصواب ما فى المطبوعة .

قال ، سمعت الحسن يقول فى قوله : « سماعون للكذب أكّالون للسحت » ، قال : تلك الحكام ، سمعوا كِذْبَةً وأكلوا رِشْوَةً .

١١٩٤٣ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « سماعون للكذب أكالون للسحت » ، قال : كان هذا ١٥٥/٦
فى حكّام اليهودِ بين أيديكم ، كانوا يسمعون الكذب ويقبلون الرُّشَى .

١١٩٤٤ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « أكالون للسحت » ، قال : الرشوة فى الحكم ، وهم يهود .

١١٩٤٥ – حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع = وحدثنا سفيان بن وكيع قال ، حدثنا أبى وإسحق الأزرق = وحدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن = عن سفيان ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله : « أكالون للسحت » ، قال : « السُّحت » ، الرشوةُ .

١١٩٤٦ – حدثنا سفيان بن وكيع وواصل بن عبد الأعلى قالا، حدثنا ابن فضيل ، عن الأعمش ، عن سلمة بن كهيل ، عن سالم بن أبى الجعد قال : قيل لعبد الله : ما السحت؟ قال: الرشوة . قالوا : فى الحكم ؟ قال : ذاك الكفر.

١١٩٤٧ – حدثنا سفيان قال ، حدثنا غندر ووهب بن جرير ، عن شعبة ، عن منصور ، عن سالم بن أبى الجعد ، عن مسروق ، عن عبد الله قال : « السحت » ، الرشوة .

١١٩٤٨ – حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى = عن حريث ، عن عامر ، عن مسروق قال : قلنا لعبد الله : ما كنا نرى « السحت » إلا الرشوة فى الحكم ! قال عبد الله : ذاك الكُفْر.

١١٩٤٩ – حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة ، عن منصور ، عن سالم بن أبى الجعد ، عن مسروق، عن عبد الله قال:

« السحت » ، الرُّشَى ؟ قال : نعم . [١]

١١٩٥٠ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن عمار الدُّهني ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن مسروق قال : سألت عبد الله عن « السحت »، فقال: الرجل يطلب الحاجةَ للرجل فيقضيها ، فيهدى إليه فيقبلُها .

١١٩٥١ – حدثنا سوّار قال، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا شعبة ، عن منصور وسليمان الأعمش،عن سالم بن أبي الجعد ، عن مسروق ، عن عبد الله أنه قال : « السحت» ، الرشى .

١١٩٥٢ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا المحاربي ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن زر، عن عبد الله : « السحت » ، قال : الرشوة فى الدِّين .

١١٩٥٣ – حدثني أبو السائب قال، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن خيثمة قال، قال عمر :[ما كان] من « السحت » ،الرشى ومهر الزانية .[٢]

١١٩٥٤ – حدثنا سفيان قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم قال : « السحت » ، الرشوة .

١١٩٥٥ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قوله : « أكالون للسحت » ، قال : الرشى .

١١٩٥٦ – حدثنا هناد قال،حدثنا وكيع= وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثني أبي= عن طلحة ، عن أبي هريرة قال : مهر البغى سُحْت ، وعَسْبُ الفحل سحت ،[٣] وكسْبُ الحجَّام سحت ، وثمن الكلب سُحْت .

---

(١) لعل الصواب « قيل : السحت ، الرشى » أو « سئل » .

(٢) ما بين القوسين ثابت فى المخطوطة والمطبوعة ، وأنا فى شك منه ، ولذلك وضعته بين قوسين ، فإن الكلام بغيره مستقيم . وأخشى أن يكون تحريفاً لشيء لم أستطع أن أستظهر صوابه . أو لعله سقط من الخبر شيء . بعد قوله:[ما كان] . وانظر الآثار رقم : ١١٩٥٦ ، ١١٩٦٤ ، ١١٩٦٥ ، فربما كان ما سقط هنا : « ما كان يعطى الكهان فى الجاهلية » ، كما في رقم : ١١٩٦٤ .

(٣) « عسب الفحل » : طرق الفحل وضرابه . يقال : « عسب الفحل الناقة يعسبها عسباً » ،

١١٩٥٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : « السحت » ، الرشوة فى الحكم .

١١٩٥٨ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو غسان قال ، حدثنا إسرائيل ، عن حكيم بن جبير ، عن سالم بن أبى الجعد ، عن مسروق قال : سألت ابن مسعود عن « السحت » ، قال : الرشى . فقلت : فى الحكم ؟ قال : ذاك الكفر .

١١٩٥٩ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل، قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « أكالون للسحت » ، يقول: للرشى .

١١٩٦٠ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عبد الملك بن أبى سليمان ، عن سلمة بن كهيل ، عن مسروق ، وعلقمة: أنهما سألا ابن مسعود عن الرشوة ،فقال: هى السحت. قالا: فى الحكم ؟ قال : ذاك الكفر ! ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾(١) [سورة المائدة : ٤٤]

١١٩٦١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن المسعودى ، عن بكير بن أبى بكير ، عن مسلم بن صبيح قال : شفع مسروق لرجل فى حاجة ، فأهدى له جارية ، فغضب غضباً شديداً وقال : لو علمت أنك تفعل هذا ما كلّمت فى حاجتك ، ولا أكلم فيما بقى من حاجتك ، سمعت ابن مسعود يقول: « من شفع شفاعة ليردّ بها حقًّا ، أو يرفع بها ظلماً، فأهدِىَ له

و « فحل شديد العسب » . و « العسب » بعد ذلك هو : الكراء الذى يؤخذ على ضراب الفحل . وقد جاء فى الحديث النهى عن عسب الفحل ، وهو كراء عسب الفحل . أما إعارة الفحل للضراب ، فأمر مندوب إليه .

(١) الأثر : ١١٩٦٠ – « علقمة بن قيس بن عبد الله النخعى » ، صاحب ابن مسعود ، وكان أعلم الناس بحديث ابن مسعود . مترجم فى التهذيب .

و « مسروق » هو : « مسروق بن الأجدع » ، مضى برقم : ٤٢٤٢ ، ٧٢١٦ ، وغيرهما . وكان فى المخطوطة والمطبوعة : « عن مسروق ، عن علقمة » ، والصواب ما أثبت ، فإن مسروقاً وعلقمة ، من كبار أصحاب عبد الله بن مسعود . والسياق يدل على صواب ما أثبت .

فقبل ، فهو سحت » ، فقيل له : يا أبا عبد الرحمن ، ما كنا نرى ذلك إلاّ الأخذ على الحكم ! قال : الأخذُ على الحكم كفر .(١)

١١٩٦٢ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « سماعون للكذب أكالون للسحت » ، وذلك أنهم أخذوا الرشوة في الحكم ، وقضوا بالكذب .

١١٩٦٣ – حدثنا هناد قال ، حدثنا عبيدة ، عن عمار ، عن مسلم بن صبيح ، عن مسروق قال : سألت ابن مسعود عن « السحت » ، أهو الرشى في الحكم ؟ فقال : لا ، من لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فهو ظالم ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فهو فاسق . ولكن « السحت » ، يستعينك الرجل على المظلمة فتعينه عليها ، فيهدى لك الهدية فتقبلُها . ١٥٦/٦

١١٩٦٤ – حدثنا هناد قال ، حدثنا ابن فضيل ، عن يحيى بن سعيد ، عن عبد الله بن هبيرة السَّبائي قال : من السحت ثلاثة : مهرُ البغي ، والرشوة في الحكم ، وما كان يُعطى الكُهان في الجاهلية .(٢)

١١٩٦٥ – حدثنا هناد قال ، حدثنا ابن مطيع ، عن حماد بن سلمة ، عن عطاء الخراساني ، عن ضمرة ، عن علي بن أبي طالب : أنه قال في كسب الحجام ،

---

(١) الأثر : ١١٩٦١ – « بكير بن أبي بكير » ، لم أجد له ذكراً في كتب التراجم التي بين يدي . وأخشى أن يكون تحريفاً كالذي يليه .

وأما « مسلم بن صبيح الهمداني » ، فهو : « أبو الضحى » ، وقد سلفت ترجمته مراراً ، منها : ٥٤٢٤ ، ٧٢١٦ ، ٨٢٠٦ . ثقة كثير الحديث ، يروى عن مسروق بن الأجدع . وانظر الأثر التالي : ١١٩٦٣ .

وكان في المخطوطة : « هشام بن صبيح » ، وفي المطبوعة : « هاشم بن صبيح » ، وكلاهما خطأ محض ، والذي في المخطوطة تحريف « مسلم » .

(٢) الأثر : ١١٩٦٤ – « يحيى بن سعيد » ، أظنه « يحيى بن سعيد بن حيان التيمي » ، « أبو حيان » ، روى عنه ابن فضيل . مضى برقم : ٥٣٨٢ ، ٥٣٨٣ .

و « عبد الله بن هبيرة السبائي » ، ثقة . مضى برقم ١٩١٤ ، ٥٤٩٣ ، وكان في المطبوعة والمخطوطة هنا « عبيد الله بن هبيرة » ، وهو خطأ محض .

ومهر البغيّ ، وثمن الكلب ، والاستجْعَال فى القضية ،[١] وحلوان الكاهن ،[٢] وعسب الفحل ،[٣] والرشوة فى الحكم ، وثمن الخمر ، وثمن الميتة : من السحت .[٤]

١١٩٦٦ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا بن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « أكالون للسحت » ، قال : الرشوة فى الحكم .

١١٩٦٧ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، أخبرنى عبد الرحمن ابن أبى الموال، عن عمر بن حمزة بن عبد الله بن عمر : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كُلُّ لحم أنبتَه السُّحت فالنار أولى به . قيل : يا رسول الله ، وما السحت ؟ قال : الرشوة فى الحكم .[٥]

١١٩٦٨ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، أخبرنى عبد الجبار ابن عمر، عن الحكم بن عبد الله قال: قال لى أنس بن مالك: إذا انقلبت إلى أبيك فقل له : إياك والرشوة ، فإنها سحت = وكان أبُوه على شُرَط المدينة .[٦]

١١٩٦٩ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن سالم ،

---

(١) « الاستجعال » ، يعنى : أخذ الجعل (بضم فسكون) ، وهو الأجر ، واشتراطه لقضاء الحاجة . ولم يذكر هذا الحرف من الاشتقاق فى معاجم اللغة . وإنما قالوا : « اجتعل » فهو « مجتعل » أى : أخذ جعلا . و « فلان يجاعل فلاناً » ، أى : يصانعه برشوة .

(٢) « الحلوان » : ما يعطاه الكاهن عن كهانته أجرة .

(٣) « عسب الفحل » ، مضى تفسيره ص : ٣٢٠ ، تعليق : ٣ ، وفى المطبوعة : « عسيب الفحل » ، وهو خطأ ، صوابه من المخطوطة .

(٤) الأثر : ١١٩٦٥ — « ضمرة » الذى يروى هنا عن على بن أبى طالب ، لم أعرف من يكون . وأخشى أن يكون فيه تحريف .

(٥) الأثر : ١١٩٦٧ — « عبد الرحمن بن أبى الموال » ، ويقال : « عبد الرحمن بن زيد ابن أبى الموال» ، ويقال « بن أبى الموالى » ، ثقة . مترجم فى التهذيب .

و « عمر بن حمزة بن عبد الله بن عمر بن الخطاب » ، ثقة . مضى توثيقه برقم : ٧٨١٩ .

وهذا خبر مرسل ، خرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٢٨٤ ، ونسبه لعبد بن حميد ، وابن مردويه مرفوعاً من حديث ابن عمر ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٦) الأثر : ١١٩٦٨ — « عبد الجبار بن عمر الأيلى » ، ضعيف الحديث ، ليس محله الكذب . ووثقه ابن سعد . مضى برقم : ٤٦٠٨ ، ٩٠٥٧ .

أما « الحكم بن عبد الله » ، وأبوه « عبد الله » الذى كان على شرط المدينة ، فلم أعلم من يكونان ؟

عن مسروق ، عن عبد الله قال : الرشوة سُحت . قال مسروق : فقلنا لعبد الله : أفى الحكم ؟ قال : لا ، ثم قرأ : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [سورة المائدة : ٤٤] ، ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُمْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ [سورة المائدة : ٤٥] ، ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ [سورة المائدة : ٤٧] .

* * *

وأصل « السحت » : كَلَبُ الجوع ، يقال منه : « فلان مسحُوت المَعِدَة » ، إذا كان أكولاً لا يُلْفَى أبداً إلا جائعاً ، وإنما قيل للرشوة : « السحت » ، تشبيهاً بذلك ، كأن بالمسترشى من الشَّره إلى أخذ ما يُعطاه من ذلك ، مثل الذى بالمسحوت المعدة من الشَّرَه إلى الطعام . يقالُ منه : « سحته وأسحته » ، لغتان محكيتان عن العرب ، ومنه قول الفرزدق بن غالب :

وَعَضُّ زَمَانٍ يَا ابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدَعْ مِنَ الْمَالِ إلاَّ مُسْحَتاً أَوْ مُجَلَّفُ (١)

يعنى بـ « المسحت » ، الذى قد استأصله هلاكاً بأكله إياه وإفساده ، ومنه قوله تعالى ﴿ فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ﴾ [سورة طه : ٦١] . وتقول العرب للحالق : « اسْحَتِ الشعر » ، أى : استأصله .

* * *

---

(١) ديوانه : ٥٥٦ ، والنقائض : ٥٥٦ ، وطبقات فحول الشعراء : ١٩ ، والخزانة ٢ : ٣٤٧ ، واللسان (سحت) (جلف) ، وسيأتى فى التفسير ١٦ : ١٣٥ ، وفى غيرها كثير . والبيت من قصيدته المشهورة ، وقبل البيت :

إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَمَتْ بِنَا هُمُومُ الْمُنَى والْهَوْجَلُ الْمُتَعَسَّفُ .

« الهوجل » : البطن الواسع من الأرض . و « المتعسف » : المسلوك بلا علم ولا دليل ، فهو يسير فيها بالتعسف . ويروى : « أو مجرف » ، وهو الذى جرفه الدهر ، أى : اجتاح ماله وأفقره . ويروى فى « إلا مسحت أو مجلف » بالرفع فيهما (كما سيأتى فى ١٦ : ١٣٥ ، من التفسير) . وقد تجرف النحاة هذا البيت إعراباً وتأويلا .

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ (٤٢)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « فإن جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم »، إن جاء هؤلاء القوم الآخرون الذين لم يأتوك بعد = وهم قومُ المرأة البغيّة = محتكمين إليك ، فاحكم بينهم إن شئت بالحقّ الذى جعله الله حُكماً له فيمن فعل فِعْل المرأة البغيّة منهم = أو أعرض عنهم فدع الحكم بينهم إن شئت ، والخيار إليك فى ذلك .

* * *

وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١١٩٧٠ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « أو أعرض عنهم » ، يهودُ ، زنى رجل منهم له نسبٌ حقير فرجموه ، ثم زنى منهم شريف فحمّموه ثم طافوا به ، ثم استفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليوافقهم . قال : فأفتاهم فيه بالرجم ، فأنكروه ، فأمرهم أن يدعوا أحبارهم ورهبانهم ، فناشدهم بالله : أتجدونه فى التوراة ؟ فكتموه ، إلا رجلاً من أصغرهم أعْوَرَ ، فقال : كذبوك يا رسول الله ، إنه لفى التوراة !

١١٩٧١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى الليث ، عن ابن شهاب : أنّ الآية التى فى « سورة المائدة » ، « فإن جاؤوك فاحكم بينهم » ، كانت فى شأن الرجم .

١١٩٧٢ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : إنهم أتوه = يعنى اليهود =

فى امرأة منهم زنت ، يسألونه عن عقوبتها ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف تجدونه مكتوباً عندكم فى التوراة ؟ فقالوا : نؤمر برجم الزانية ! فأمر بها ١٥٧/٦
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجمت ، وقد قال الله تبارك وتعالى : « وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين ».

١١٩٧٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير قوله : « فإن جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم » ، قال : كانوا يحدُّون فى الزنا ، إلى أن زنى شاب منهم ذو شرف ، (١) فقال بعضهم لبعض : لا يدعكم قومه ترجمونه ، ولكن اجلدوه ومثّلوا به ! فجلدوه ، وحملوه على حمارٍ إكافٍ ، (٢) وجعلوا وجهه مستقبِلَ ذنب الحمار = إلى أن زنى آخر وضيع ليس له شرف ، فقالوا : ارجموه ! ثم قالوا : فكيف لم ترجموا الذى قبله ؟ ولكن مثل ما صنعتم به فاصنعوا بهذا ! فلما كان النبى صلى الله عليه وسلم ، قالوا : سلوه ، لعلكم تجدون عنده رخصة ! فنزلت : « فإن جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم » إلى قوله : « إنّ الله يحب المقسطين » .

* * *

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية فى قتيل قُتل فى يهودَ منهم ، قتله بعضهم .

* ذكر من قال ذلك :

١١٩٧٤ — حدثنا هناد بن السرى وأبو كريب قالا ، حدثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحق قال ، حدثنى داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن الآيات فى « المائدة » ، قوله : «فاحكم بينهم أو أعرض عنهم» ، إلى قوله : « المقسطين » ، إنما نزلت فى الدية فى بنى النضير وبنى قريظة ، وذلك أن قتلى بنى النضير ، وكان لهم شرف ، (٣) تؤدَّى الدية كاملة ، وإن قريظة كانوا يؤدون

---

(١) فى المخطوطة : « إلى أن زنى الشاب منهم » ، والذى فى المطبوعة أرجح .
(٢) « الإكاف » مركب من المراكب ، مثل الرحال والأقتاب .
(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « كان لهم شرف » ، بغير واو ، فأثبتها من سيرة ابن هشام .

نصف الدية ، فتحاكموا فى ذلك إلى سول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله ذلك فيهم ، فحملهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحقّ فى ذلك ، فجعل الدية فى ذاك سواءً = والله أعلم أىُّ ذلك كان .(١)

١١٩٧٥ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن على ابن صالح ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كانت قريظة والنضير ، وكان النضيرُ أشرفَ من قريظة ، فكان إذا قتل رجل من قريظة رجلاً من النضير ، قُتِل به . وإذا قتل رجلٌ من النضير رجلاً من قريظة ، أدّى مئة وَسْقِ تمرٍ .(٢) فلما بُعِث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قَتَل رجل من النضير رجلاً من قريظة فقالوا : ادفعوه إلينا ! فقالوا : بيننا وبينكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فنزلت « وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط » .(٣)

١١٩٧٦ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : كان فى حكم حيي بن أخطب : للنّضِيرىّ ديتان ،(٤) والقرظىّ دية = لأنه كان من النضير . قال : وأخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بما فى التوراة ،(٥) قال : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾ [سورة المائدة : ٤٥] ، إلى آخر الآية . قال : فلما رأت ذلك قريظة ، لم يرضوا بحكم ابن أخطب ، فقالوا : نتحاكم

---

(١) الأثر : ١١٩٧٤ – سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٥ ، ٢١٦ ، وفى سيرة ابن هشام بين أن قوله « والله أعلم أى ذلك كان » ، من كلام ابن إسحق .
ورواه أحمد فى المسند رقم : ٣٤٣٤ ، مختصراً .

(٢) « الوسق » (بفتح الواو وكسرها ، وسكون السين) : هو حمل بعير ، وهو ستون صاعاً بصاع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) الأثر : ١١٩٧٥ – « عبيد الله بن موسى بن أبى المختار العبسى » ، مضى مراراً . انظر رقم : ٢٠٩٢ ، ٢٢١٩ ، وغيرها إلى : ٩٤٥٦ . وكان فى المطبوعة والمخطوطة « عبد الله ابن موسى» ، وهو خطأ محض .
و « على بن صالح بن صالح بن حى الهمدانى » ، ثقة . مضى برقم : ١٧٨ . وانظر خبراً بمعنى بعضه فيما سلف رقم : ٩٨٩٦ ، ومسند أحمد رقم : ٣٢١٢ ، ٣٤٣٤ .

(٤) فى المطبوعة : « للنضرى » ، والصواب من المخطوطة .

(٥) فى المخطوطة : « وأخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم فى التوراة » ، وما فى المطبوعة أصح .

إلى محمد ! فقال الله تبارك وتعالى : « فإن جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم »، فخيّره = « وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله »، الآية كلها . وكان الشريف إذا زنى بالدنيئة رجموها هي ، وحمّموا وجهَ الشريف ، وحملوه على البعير ، وجَعلوا وجهه من قِبَل ذنب البعير . وإذا زنى الدنيء بالشريفة رجموه ، وفعلوا بها هي ذلك . فتحاكموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فرجمها . قال : وكان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم : من أعلمكم بالتوراة ؟ قالوا : فلان الأعور ! فأرسل إليه فأتاه ، فقال : أنت أعلمهم بالتوراة ؟ قال : كذاك تزعم يهودُ ! فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أنشدك بالله وبالتوراة التي أنزلها على موسى يوم طُورسَيْنَاء، ما تجد في التوراة في الزانيين ؟ فقال : يا أبا القاسم ، يرجمون الدنيئة ، ويحملون الشريف على بعير ، ويحمّمون وجهه ، ويجعلون وجهه من قبل ذنَبِ البعير ، ويرجمون الدنيء إذا زنى بالشريفة ، ويفعلون بها هي ذلك . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أنشدك بالله وبالتوراة التي أنزلها على موسى يوم طُورسَيْنَاء ، ما تجد في التوراة ؟ فجعل يروغ ، والنبي صلى الله عليه وسلم يَنْشُده بالله وبالتوراة التي أنزلها على موسى يوم طورسيناء ، حتى قال : يا أبا القاسم ، « الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة » . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فهو ذاك ، اذهبوا بهما فارجموهما. قال عبد الله :[1] فكنت فيمن رجمهما فما زال يُجْنِئُ عليها ،[2] ويقيها الحجارة بنفسه حتّى مات .[3]

* * *

(١) كأنه يعني « عبد الله بن عمر » ، وإن لم يذكر في الخبر ، كما سيأتي في التخريج .

(٢) « جنأ عليه » و « أجنأ عليه » و « جانأ عليه » و « تجانأ عليه » : أكب عليها يمال ليقيها . وهي في المطبوعة « يجني عليها » ، وهي صواب أيضاً ، والمخطوطة غير منقوطة . « جنا عليه يجنى » انثنى ، وحنى ظهره . وجاء الحديث باللفظين .

(٣) الأثر : ١١٩٧٦ — خبر عبد الله بن عمر في رجم اليهودي اليهودية ، رواه مسلم في صحيحه ١١ : ٢٠٨ ، ٢٠٩ والبخاري ، في صحيحه (الفتح ١٢ : ١٤٨ — ١٥٢) وشرحه الحافظ شرحاً وافياً ، وفي سنن أبي داود ٤ : ٢١٤ ، رقم : ٤٤٤٦ .

ثم اختلف أهل التأويل فى حكم هذه الآية ، هل هو ثابت اليوم ؟ وهل للحكام من الخيار فى الحكم والنظر بين أهل الذمّة والعهد إذا احتكموا إليهم ، مثلُ ١٥٨/٦ الذى جعَل لنبيه صلى الله عليه وسلم فى هذه الآية ، أم ذلك منسوخ ؟

فقال بعضهم : ذلك ثابتٌ اليوم ، لم ينسخه شيء ، وللحكام من الخيار فى كلّ دهر بهذه الآية ، مثلُ ما جعَله الله لرسوله صلى الله عليه وسلم .

* ذكر من قال ذلك :

١١٩٧٧ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة بن الفضل ، عن عمرو بن أبى قيس ، عن مغيرة ، عن إبراهيم والشعبي : إنْ رفع إليك أحد من المشركين فى قَضَاءٍ ، فإن شئت فاحكم بينهم بما أنزل الله ، وإن شئت أعرضت عنهم . (١)

١١٩٧٨ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبي وإبراهيم قالا : إذا أتاك المشركون فحكّموك ، فاحكم بينهم أو أعرض عنهم . وإن حكمت فاحكم بحكم المسلمين ، ولا تعدُهُ إلى غيره .

١١٩٧٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى = وحدثنا هناد قال ، حدثنا وكيع = عن سفيان ، عن مغيرة، عن إبراهيم والشعبي : « فإن جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم » ، قال : إن شاء حكم ، وإن شاء لم يحكم .

١١٩٨٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن جريج، عن عطاء قال : إن شاء حكم ، وإن شاء لم يحكم .

١١٩٨١ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن محمد بن سالم ، عن الشعبي قال : إذا أتاك أهل الكتاب بينهم أمر ، فاحكم بينهم بحكم المسلمين ، أو خلِّ عنهم وأهلَ دينهم يحكمون فيهم ، إلا فى سرقة أو قتل .

١١٩٨٢ – حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرزاق عن

---

(١) فى المطبوعة : « أعرض عنهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

ابن جريج قال ، قال لى عطاء ، نحن مخيَّرون ، إن شئنا حكمنا بين أهل الكتاب ، وإن شئنا أعرضنا فلم نحكم بينهم . وإن حكمنا بينهم حكمنا بحكمنا بيننا ، أو نتركهم وحكمهم بينهم = قال ابن جريج : وقال مثل ذلك عمرو بن شعيب . وذلك قوله : « فاحكم بينهم أو أعرض عنهم » .

١١٩٨٣ — حدثنا يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا مغيرة = وحدثنى المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن مغيرة = عن إبراهيم والشعبى فى قوله : « فإن جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم » ، قالا : إذا جاؤوا إلى حاكم المسلمين ، فإن شاء حكم بينهم ، وإن شاء أعرض عنهم . وإن حكم بينهم ، حكم بينهم بما فى كتاب الله.

١١٩٨٤ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فإن جاؤوك ، فاحكم بينهم » ، يقول : إن جاؤوك فاحكم بينهم بما أنزل الله ، أو أعرض عنهم . فجعل الله له فى ذلك رُخْصة ، إن شاء حكم بينهم ، وإن شاء أعرض عنهم .

١١٩٨٥ — حدثنا هناد قال ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم والشعبى قالا : إذا أتاك المشركون فحكَّموك فيما بينهم ، فاحكم بينهم بحكم المسلمين ولا تعدُه إلى غيره ، أو أعرض عنهم وخلِّهم وأهلَ دينهم .

* * *

وقال آخرون : بل التخيير منسوخٌ ، وعلى الحاكم إذا احتكم إليه أهل الذمة أن يحكُم بينهم بالحق ، وليس له ترك النظر بينهم .

* ذكر من قال ذلك :

١١٩٨٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا الحسين ابن واقد ، عن يزيد النحوى ، عن عكرمة والحسن البصرى « فإن جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم » ، نسخت بقوله : ﴿ وَأَنِ ٱحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ .

١١٩٨٧ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن السدى قال : سمعت عكرمة يقول : نسختها : ﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ ﴾ .

١١٩٨٨ – حدثنا ابن وكيع ومحمد بن بشار قالا ، حدثنا ابن مهدى ، عن سفيان ، عن السدى قال : سمعت عكرمة يقول : نسختها : ﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ ﴾ .

١١٩٨٩ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يزيد بن هرون ، عن سفيان بن حسين ، عن الحكم ، عن مجاهد : لم ينسخ من «المائدة» إلا هاتان الآيتان : «فإن جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم» ، نسختها : ﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [سورة المائدة : ٤٩] ، وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلاَئِدَ ﴾ [سورة المائدة : ٢] ، نسختها ﴿ اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ [سورة التوبة : ٥] .(١)

١١٩٩٠ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن منصور ، عن الحكم ، عن مجاهد قال : نسختها : ﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ ﴾ .

١١٩٩١ – حدثني المثنى قال ، حدثنا حجاج بن منهال قال ، حدثنا همام ، عن قتادة قوله : « فإن جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم » ، يعني اليهود ، فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يحكم بينهم ، ورخّص له أن يُعْرِض عنهم إن شاء ، ثم أنزل الله تعالى ذكره الآية التي بعدها : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [سورة المائدة : ٤٨] . فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يحكم بينهم بما أنزل الله ، بعد ما رخّص له ، إن شاء ، أن يُعْرِض عنهم . ١٥٩/٦

(١) الأثر : ١١٩٨٩ – انظر الأثر التالي رقم : ١١٩٩٦ ، والتعليق عليه .

١١٩٩٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن عبد الكريم الجزريّ : أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عديّ بن عديّ : « إذا جاءك أهل الكتاب فاحكم بينهم » .

١١٩٩٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري ، عن السدي ، عن عكرمة قال : نسخت بقوله : ﴿ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ [سورة المائدة : ٤٨] .

١١٩٩٤ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنا أبو سفيان، عن معمر ، عن الزهري قوله : « فإن جاؤوك ، فاحكم بينهم أو أعرض عنهم »، قال : مضت السنة أن يُرَدُّوا في حقوقهم ومواريثهم إلى أهلِ دينهم، إلا أن يأتوا راغبين في حدٍّ ، يحكم بينهم فيه بكتاب الله .

١١٩٩٥ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قال : لما نزلت : « فاحكم بينهم أو أعرض عنهم » ، كان النبي صلى الله عليه وسلم : إن شاء حكم بينهم ، وإن شاء أعرض عنهم ، ثم نسخها فقال : « فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ » ، وكان مجبوراً على أن يحكم بينهم .

١١٩٩٦ – حدثنا محمد بن عمار قال، حدثنا سعيد بن سليمان قال، حدثنا عباد بن العوّام ، عن سفيان بن حسين ، عن الحكم ، عن مجاهد قال : آيتان نسختا من هذه السورة = يعني « المائدة » ، آية القلائد ، وقوله: «فاحكم بينهم أو أعرض عنهم » ، فكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم مخيَّراً ، إن شاء حكم ، وإن شاء أعرض عنهم ، فردّهم إلى احتكامهم ،(١) أن يحكم بينهم بما في كتابنا .(٢)

* * *

(١) في المطبوعة : « فردهم إلى أن يحكم بينهم » ، حذف ما كان في المخطوطة : « فردهم إلى أحكامهم أن يحكم بينهم » ، وصواب قراءته ما أثبت .

(٢) الأثر : ١١٩٩٦ – « سعيد بن سليمان الضبي » ، هو « سعدويه »، ثقة مأمون من شيوخ

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب ، قول من قال : إن حكم هذه الآية ثابتٌ لم ينسخ ، وأن للحكّام من الخِيار فى الحكم بين أهل العهد إذا ارتفعوا إليهم فاحتكموا ، وتركِ الحكم بينهم والنظر ، مثلُ الذى جعله الله لرسوله صلى الله عليه وسلم من ذلك فى هذه الآية .

وإنما قلنا ذلك أولاهما بالصواب ، لأن القائلين إن حكم هذه الآية منسوخ ، زَعموا أنه نسخ بقوله : ﴿ وَأَنِ ٱحْكُمْ بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [سورة المائدة : ٤٩] وقد دللنا فى كتابنا ﴿ كتاب البيان عن أصول الأحكام ﴾ : أن النسخ لا يكون نسخاً ، إلا ما كان نفياً لحكمٍ غَيْرِه بكلّ معانيه ، حتى لا يجوز اجتماع الحكم بالأمرين جميعاً على صِحّته بوجه من الوجوه = بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .(١)

وإذْ كان ذلك كذلك = وكان غير مستحيل فى الكلام أن يقال : « وأن احكم بينهم بما أنزل الله » ، ومعناه : وأن أحكم بينهم بما أنزل الله إذا حكمت بينهم ، باختيارك الحكم بينهم ، إذا اخترت ذلك ، ولم تختر الإعراض عنهم ، إذ كان قد تقدّم إعلام المقول له ذلك من قائلِه : إنّ له الخيار فى الحكم وترك الحكم =(٢) كان معلوماً بذلك أن لا دلالة فى قوله : « وأن احكم بينهم بما أنزل الله » ، أنه ناسخٌ قوله : « فإن جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط » ، لما وصفنا من احتمال ذلك ما بَيّنّا ، بل هو

البخارى ، مضى برقم : ٦١١ ، ٢١٦٨ .

و « عباد بن العوام الواسطى » ، ثقة ، من شيوخ أحمد ، مضى برقم : ٢٨٥٣ ، ٥٤٣٣ .

و « سفيان بن حسين الواسطى » ، ثقة ، تكلموا فى روايته عن الزهرى . مضى برقم : ٣٤٧١ ، ٦٤٦٢ ، ١٠٧٢٣ .

و « الحكم » ، هو « الحكم بن عتيبة » ، تابعى ثقة فقيه مشهور ، مضى مراراً كثيرة .

وهذا الخبر رواه أبو جعفر النحاس فى الناسخ والمنسوخ ، من طريق سعيد بن سليمان بمثله ، مرفوعاً إلى ابن عباس ، ثم قال : « وهذا إسناد مستقيم ، وأهل الحديث يدخلونه فى المسند » .

(١) انظر قوله فى « النسخ » فيما سلف ٨ : ١٢ ، تعليق ١ ، والمراجع هناك .

(٢) السياق : و « إذ كان ذلك كذلك ، وكان غير مستحيل . . . كان معلوماً » .

دليل على مثل الذى دلّ عليه قوله : « وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط » .

وإذْ لم يكن فى ظاهر التنزيل دليلٌ على نسخ إحدى الآيتين الأخرى ، ولا نفى أحد الأمرين حكم الآخر = ولم يكن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرٌ يصحُّ بأن أحدهما ناسخ صاحبَه = ولا من المسلمين على ذلك إجماعٌ =[1] صحَّ ما قلنا من أن كلا الأمرين يؤيِّد أحدهما صاحبه ، ويوافق حكمُه حكمَه ، ولا نسخ فى أحدهما للآخر .

* * *

وأما قوله : « وإن تُعْرِض عنهم فلن يضروك شيئاً » ، فإن معناه : وإن تعرض يا محمد ، عن المحتكمين إليك من أهل الكتاب ، فتدَع النظر بينهم فيما احتكموا فيه إليك ، فلا تحكم فيه بينهم[2] = « فلن يضروك شيئاً » ، يقول : فلن يقدِرُوا لك على ضُرٍّ فى دين ولا دنيا ، فدع النظر بينهم إذا اخترت ترك النظر بينهم .[3]

* * *

وأما قوله : « وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط » ، فإن معناه : وإن اخترت الحكم والنَّظَر ، يا محمد ، بين أهل العهدِ إذا أتوك = « فاحكم بينهم بالقسط » ، وهو العدل ،[4] وذلك هو الحكم بما جعله الله حكماً فى مثله على جميع خلقِه من أمة نبيِّنا صلى الله عليه وسلم . ١٦٠/٦

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال جماعة أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١١٩٩٧ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا مغيرة

---

(١) السياق : « وإذ لم يكن فى ظاهر التنزيل دليل . . . صح ما قلنا » ، وما بينهما عطف على صدر الكلام .

(٢) انظر تفسير « الإعراض » . فيما سلف ٩ : ٣١٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الضر » فيما سلف ٧ : ١٥٧ .

(٤) انظر تفسير « القسط » فيما سلف ص : ٩٥ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

عن إبراهيم والشعبي : « وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط » ، قالا : إن حكم بينهم ، حكم بما فى كتاب الله .

١١٩٩٨ – حدثنا سفيان قال ، حدثنا يزيد بن هرون ، عن العوّام بن حوشب ، عن إبراهيم : « وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط » ، قال : أمر أن يحكم فيهم بالرجم .

١١٩٩٩ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن العوّام ، عن إبراهيم التيمى فى قوله : « وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط » ، قال : بالرجم

١٢٠٠٠ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « بالقسط » ، بالعدل .

١٢٠٠١ – حدثنا هناد قال ، حدثنا هشيم ، عن العوام بن حوشب ، عن إبراهيم التيمى فى قوله : « فاحكم بينهم بالقسط » ، قال : أمر أن يحكم بينهم بالرجم .

* * *

وأما قوله : « إن الله يحب المقسطين » ، فمعناه : إن الله يحب العادلين فى حكمهم بين الناس ،[1] القاضين بينهم بحكم الله الذى أنزله فى كتابه وأمْرِه أنبياءَه صلوات الله عليهم .[2]

* * *

يقال منه : « أقسط الحاكم فى حكمه » ،[3] إذا عدل وقضى بالحق ، « يُقْسِط

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « العاملين فى حكمه بين الناس » ، وهو كلام فارغ المعنى وصواب قراءته ما أثبت ، إنما حرفه الناسخ بلا ريب .

(٢) فى المطبوعة : « وأمر أنبياءه » ، وهو اختلال فى السياق ، صوابه من المخطوطة ، وصواب ضبطه ما رسمت ، « وأمره » مصدر معطوف على قوله : « فى كتابه » .

(٣) انظر تفسير «أقسط» و «قسط» فيما سلف ٦ : ٧٧ ، ٧/٢٧٠ : ٩/٥٤١ : ١٠/٣٠١ : ٩٥ ، ٣٢٥

إقساطاً » = وأما « قسط » ، فمعناه : الجور ،[١] ومنه قول الله تعالى ذكره : ﴿ وَأَمَّا ٱلْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ [سورة الجن : ١٥] ، يعنى بذلك : الجائرين عن الحق .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤٣)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره : وكيف يحكمك هؤلاء اليهود ، يا محمد ، بينهم ، فيرضون بك حكماً بينهم = « وعندهم التوراة » ، التى أنزلتها على موسى ، التى يقرُّون بها أنها حق ، وأنها كتابى الذى أنزلته إلى نبيى ،[٢] وأن ما فيه من حكم فمن حكمى ، يعلمون ذلك لا يتناكرونه ولا يتدافعونه ، ويعلمون أن حكمى فيها على الزانى المحصن الرجم ، وهم مع علمهم بذلك = « يتولون » ، يقول : يتركون الحكم به ، بعد العلم بحكمى فيه ، جراءة علىّ وعصياناً لى .[٣]

وهذا ، وإن كان من الله تعالى ذكره خطاباً لنبيه صلى الله عليه وسلم ، فإنه تقريعٌ منه لليهود الذين نزلت فيهم هذه الآية . يقول لهم تعالى ذكره : كيف تقرّون ، أيها اليهود ، بحكم نبيّى محمد صلى الله عليه وسلم ، مع جحودكم نبوته وتكذيبكم إياه ، وأنتم تتركون حكمى الذى تقرون به أنه حق عليكم واجبٌ ، جاءكم به موسى من عند الله ؟ يقول : فإذْ كنتم تتركون حكمى الذى جاءكم به موسى الذى تقرّون

---

(١) قوله : « وأما « قسط » ، فمعناه الجور » ، هذه الجملة ليست فى المخطوطة ، ولكن لا غنى عنها ، فلذلك رجحت إثباتها كما هى فى المطبوعة . وفى المطبوعة « وإقساطاً به » ، بزيادة « به » ، ولا معنى لها ، وليست فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : على « نبيى » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) انظر تفسير « تولى » فيما سلف ٩ : ١٨ ، تعليق ١ ، والمراجع هناك .

بنبوّته فى كتابى ، فأنتم بترك حكمى الذى يخبركم به نبيّى محمد أنه حكمى – أحْرَى ، مع جحودكم نبوّته .

* * *

ثم قال تعالى ذكره مخبراً عن حال هؤلاء اليهود الذين وصف صفتهم فى هذه الآية عنده ، وحال نظرائهم من الجائرين عن حكمه ، الزائلين عن محجّة الحق = « وما أولئك بالمؤمنين » ، يقول : ليس من فعل هذا الفعل – أى : من تولّى عن حكم الله ، الذى حكم به فى كتابه الذى أنزله على نبيه ، فى خلقه[1] = بالذى صدّق الله ورسوله فأقرّ بتوحيده ونبوّة نبيه صلى الله عليه وسلم ، لأن ذلك ليس من فِعل أهل الإيمان .

* * *

وأصل « التولى عن الشىء » ، الانصرافُ عنه ، كما : –

١٢٠٠٢ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير : « ثم يتولون من بعد ذلك » ، قال : « توليهم » ، ما تركوا من كتاب الله .

١٢٠٠٣ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله » ، يعنى : حدود الله ، فأخبر الله بحكمه فى التوراة .

١٢٠٠٤ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وعندهم التوراة فيها حكم الله » ، أى : بيان الله ما تشاجروا فيه من شأن قتيلهم = « ثم يتولون من بعد ذلك » ، الآية .

١٢٠٠٥ – حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال ، قال = يعنى الرب تعالى ذكره = يعيّرهم : « وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله » ، يقول : الرجم .

* * *

(١) السياق : « . . . الذى حكم به فى كتابه . . . فى خلقه » .

١٦١/٦ القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إنا أنزلنا التوراة فيها بيانُ ما سألك هؤلاء اليهود عنه من حكم الزانيين المحصنين [١] = « ونور » ، يقول : فيها جلاء ما أظلم عليهم ، وضياءُ ما التبس من الحكم [٢] = « يحكم بها النبيون الذين أسلموا » ، يقول : يحكم بحكم التوراة فى ذلك ، أى : فيما احتكموا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فيه من أمر الزانيين = « النبيون الذين أسلموا » ، وهم الذين أذعنوا لحكم الله وأقرُّوا به. [٣]

* * *

وإنما عنى الله تعالى ذكره بذلك نبيّنا محمداً صلى الله عليه وسلم ، فى حكمه على الزانيين المحصنين من اليهود بالرجم ، وفى تسويته بين دم قتلى النّضير وقريظة فى القِصاص والدِّية ، ومَنْ قبل محمد من الأنبياء يحكم بما فيها من حكم الله ، كما : —

١٢٠٠٦ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا » ، يعنى النبى صلى الله عليه وسلم .

١٢٠٠٧ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لما أنزلت هذه الآية : نحن نحكم على اليهود وعلى من سواهم من أهل الأديان .

١٢٠٠٨ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهرى قال ، حدثنا رجل من مزينة ونحن عند سعيد بن المسيب ،

---

(١) انظر تفسير « الهدى » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٢) انظر تفسير « نور » فيما سلف ٥ : ٩/٤٢٤ : ١٠/٤٢٨ : ١٤٥

(٣) انظر تفسير « الإسلام » فيما سلف من فهارس اللغة .

عن أبي هريرة قال : زنى رجل من اليهود وامرأة ،[١] فقال بعضهم لبعض : اذهبوا بنا إلى هذا النبي ، فإنه نبي بُعِث بتخفيف ، فإن أفتانا بفتيا دون الرجم قبلناها واحتججنا بها عند الله وقلنا : « فُتْيَا نبي من أنبيائك » ! ! قال : فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد فى أصحابه ، فقالوا : يا أبا القاسم ، ما تقول فى رجل وامرأة منهم زنيا ؟ فلم يكلمهم كلمة حتى أتى بيت مِدْراسهم ،[٢] فقام على الباب فقال : أنشدُكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى ، ما تجدون فى التوراة على من زنى إذا أحصن ؟ قالوا : يحمّم ويجبّه ويجلد = « والتجبيه » ، أن يحمل الزانيان على حمار ، تُقَابل أقفيتهما ، ويطاف بهما = وسكت شابٌّ [منهم] ،[٣] فلما رآه سكت ، ألظَّ به النَّشْدَةَ ،[٤] فقال : اللهم إذ نشدتَنا ، فإنا نجد فى التوراة الرجْمَ ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فما أوّل ما ارْتَخَصْتم أمرَ الله ، ؟[٥] قال : زنى رجل ذو قرابة من ملك من ملوكنا ، فأخَّر عنه الرجم .[٦] ثم زنى رجل

---

(١) فى المطبوعة : « بامرأة » ، وأثبت ما كان هنا فى المخطوطة ، وهو مطابق لما فى تفسير عبد الرزاق . انظر التخريج .

(٢) فى المطبوعة « بيت المدراس » ، وفى المخطوطة : « بيت مدراس » ، وفوق « مدراس » حرف « ط » ، دلالة على الخطأ ، وما أثبته هو الصواب ، من تفسير عبد الرزاق . وقد مضى تفسير « بيت المدراس » فيما سلف ص : ٣٠٣ ، تعليق : ١ .

(٣) ما بين القوسين زيادة من تفسير عبد الرزاق .

(٤) « ألظ به » ، ألح عليه ، وقد مضى تفسيرها فى ص : ٣٠٤ : تعليق : ٢ . و « النشدة » : الاستحلاف بالله . يقال : « نشدتك الله نشدة ونشدة » (بفتح النون وكسرها) و « نشداناً » (بكسر النون) : استحلفتك بالله .

وفيما نقله أخى السيد أحمد من تفسير عبد الرزاق (المخطوط) : « النشيد » ؛ وقال أخى : « فى أبى داود : النشدة » ، وفى رواية أبى جعفر عن عبد الرزاق ، اختلاف آخر عنه . و « النشيد » : رفع الصوت ، هكذا قالوا . وعندى أنه مصدر « نشدتك الله » ، يزاد على مصادره .

(٥) فى المطبوعة : « ما ارتخص أمر الله » ، وفى المخطوطة : ما محصص » ، وهو خطأ لاشك فيه ، وأثبت ما فى تفسير عبد الرزاق .

(٦) قوله : « فأخر عنه الرجم » ؛ أى : أسقط عنه الحد ، كأنه أبعده عنه وصرفه أن يلحقه . وفى الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر : « أخر عنى يا عمر » ، قالوا فى معناه : « معناه : أخر عنى رأيك أو نفسك ، فاختصر إيجازاً وبلاغة » . فقصروا فى شرحه ، وإنما أراد

فى أسْوة من الناس ،[١] فأراد رَجْمَه ، فحال قومه دونه وقالوا : لا ترجمْ صاحبنا حتى تجىء بصاحبك فترجمه ! فاصطلحوا على هذه العقوبة بينهم . قال النبى صلى الله عليه وسلم : فإنى أحكم بما فى التوراة ! فأمر بهما فرجما = قال الزهرى : فبلغنا أن هذه الآية نزلت فيهم : « إنا أنزلنا التوراة فيها هدًى ونورٌ يحكم بها النبيون الذين أسلموا » ، فكان النبيُّ منهم .[٢]

١٢٠٠٩ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة قوله : « يحكم بها النبيون الذين أسلموا » ، النبى صلى الله عليه وسلم ومَنْ قبله من الأنبياء ، يحكمون بما فيها من الحق .

معنى صرفه وإبعاده . وهو فى هذا الخبر بالمعنى الذى فسرته . وهو مما يزاد على كتب اللغة ، أو على بيانها على الأصح .

(١) فى المطبوعة : « فى أسرة من الناس » ، وهى بمثل ذلك فى مخطوطة تفسير عبد الرزاق ، ثم هى كذلك فى سنن أبى داود وغيره . وفسروها فقالوا « الأسرة : عشيرة الرجل وأهل بيته ، لأنه يتقوى بهم » .

بيد أنى أثبت ما هو واضح فى المخطوطة : « فى أسوة » بالواو ، والواو هناك واضحة جداً ، كبيرة الرأس ، وما أظن الناسخ وضعها كذلك من عند نفسه ، بل أرجح أنه وجد « الواو » ظاهرة فى نسخة التفسير العتيقة التى نقل عنها ، فأثبتها واضحة لذلك . فلو صح ما فى المخطوطة ، فهو عندى أرجح من رواية « فى أسرة » . وبيانها أنهم يقولون : « القوم أسوة فى هذا الأمر » ، أى : حالهم فيه واحدة . فأراد بقوله : « فى أسوة من الناس » ، أى : حاله حال سائر الناس ، ليس من أشرافهم ، أو من أهل بيت المملكة منهم ، فهو يعامل كما يعامل سائر العامة . وقد جاء فى أخبار رجم اليهوديين : « كنا إذا أخذنا الشريف تركناه ، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد » (انظر ما سلف رقم : ١١٩٢٢) . فهو يعنى بقوله : « فى أسوة من الناس » ، أنه من ضعفائهم وعامتهم . وهذا أرجح عندى من « فى أسرة من الناس » ، فإنه يوشك أن يكون « فى أسرة من الناس » ، مما يوحى بأن له عشيرة يحمونه ويدفعون عنه ويتقوى بهم ، وهو خلاف ما يدل عليه سياق هذا الخبر .

ولولا أنى لا أجد فى يدى البرهان القاطع ، لقلت إن الذى فى المخطوطة هو الصواب . وذلك أنى أذكر أنى قرأت مثل هذا التعبير فى غير هذا الموضع ، وجهدت أن أجده ، فلم أظفر بطائل . فإذا وجدته فى مكان آخر أثبته إن شاء الله ، وكان حجة فى المعنى الذى فسرته ، وفوق كل ذى علم عليم .

(٢) الأثر : ١٢٠٠٨ — انظر تخريج هذا الخبر فيما سلف فى التعليق على الأثرين ، رقم : ١١٩٢٣ ، ١١٩٢٤ .

وقد نقله أخى السيد أحمد فى مسند أحمد فى التعليق على الخبر رقم : ٧٧٤٧ ، من مخطوطة تفسير عبد الرزاق ، ولم يشر إلى موضعه هنا من تفسير الطبرى . وقد بينت الاختلاف بين الروايتين فيما سلف من التعليقات .

١٢٠١٠ – حدثنا المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن عوف ، عن الحسن فى قوله : « يحكم بها النبيون الذين أسلموا » ، يعنى النبى صلى الله عليه وسلم = « للذين هادوا » ، يعنى اليهود ،[1] فاحكم بينهم ولا تخشهم .

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ويحكم بالتوراة وأحكامها التى أنزل الله فيها فى كل زمان – على ما أمر بالحكم به فيها – مع النبيين الذين أسلموا = « الربانيون والأحبار » .

* * *

و« الربانيون » جمع « رَبَّانىّ » ، وهم العُلماء الحكماء البُصراء بسياسة الناس، وتدبير أمورهم ، والقيام بمصالحهم = و« الأحبار » ، هم العلماء .

* * *

وقد بينا معنى « الربانيين » فيما مضى بشواهده ، وأقوالَ أهل التأويل فيه .[2]

* * *

وأما « الأحبار » ، فإنهم جمع « حَبْر » ، وهو العالم المحكم للشىء ، ومنه قيل لكعْب : « كعب الأحبار » .

وكان الفراء يقول : أكثر ماسمعت العرب تقول فى واحد « الأحبار » ، « حِبْر » بكسر « الحاء » .[3]

* * *

(١) انظر تفسير « هاد » فيما سلف ص : ٣٠٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الربانيون » فيما سلف ٦ : ٥٤٠ – ٥٤٤ ، وفيه بيان لا يستغنى عن معرفة بصير باللغة .

(٣) انظر تفسير « الأحبار » فيما سلف ٦ : ٥٤١ ، ٥٤٢ (الأثر : ٧٣١٢) ، ثم ص : ٥٤٤ .

وكان بعض أهل التأويل يقول : عُنِى بـ « الربانيين والأحبار » فى هذا الموضع : ابنا صوريا اللذان أقرّا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بحكم الله تعالى ذكره فى التوراة على الزانيين المحصنين . ١٦٢/٦

* ذكر من قال ذلك :

١٢٠١١ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : كان رجلان من اليهود أخوان ، يقال لهما ابنا صُوريا ، وقد اتبعا النبىّ صلى الله عليه وسلم ولم يسلما ، وأعطياه عهداً أن لا يسألهما عن شىء فى التوراة إلا أخبراه به. وكان أحدُهما رِبِّيًّا ، والآخر حَبْراً. وإنما اتَّبعا النبى صلى الله عليه وسلم يتعلمان منه . فدعاهما ، فسألهما ، فأخبراه الأمر كيف كان حين زَنَى الشريف وزنى المسكين ، وكيف غيَّروه ، فأنزل الله : « إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا » ، يعنى النبى صلى الله عليه وسلم = « والربانيون والأحبار » ، هما ابنا صوريا ، للذين هادوا . ثم ذكر ابنى صوريا فقال : « والربانيون والأحبار بما استُحْفِظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء » .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر أنّ التوراة يحكم بها مسلمو الأنبياء لليهود ، والربانيون من خلقه والأحبار. وقد يجوز أن يكون عُنِى بذلك ابنا صوريا وغيرهما ، غير أنه قد دخل فى ظاهر التنزيل مسلمو الأنبياء ، وكل رَبَّانى وحبر . ولا دلالة فى ظاهر التنزيل على أنه معنىٌّ به خاص من الربانيين والأحبار ، ولا قامت بذلك حجة يجب التسليم لها . فكل ربانى وحبر داخلٌ فى الآية بظاهر التنزيل .

* * *

وبمثل الذى قلنا فى تأويل « الأحبار » ، قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٠١٢ – حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سلمة ، عن الضحاك : « الربانيون » و« الأحبار » ، قُرّاؤهم وفقهاؤهم .

١٢٠١٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حفص ، عن أشعث ، عن الحسن : « الربانيون والأحبار » ، الفقهاء والعلماء .

١٢٠١٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « الربانيون » ، العلماء الفقهاء ، وهم فوق « الأحبار» .[1]

١٢٠١٥ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « الربانيون » ، فقهاء اليهود = « والأحبار » ، علماؤهم .

١٢٠١٦ – حدثنا القاسم قال، حدثنا سنيد بن داود قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج ، عن عكرمة : « والربانيون والأحبار » ، كلهم يحكم بما فيها من الحق .

١٢٠١٧ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد « الربانيون » ، الولاة ، = « والأحبار » ، العلماء .

* * *

وأما قوله : « بما استحفظوا من كتاب الله » ، فإن معناه: يحكم النبيون الذين أسلموا بحكم التوراة ، والربانيون والأحبار = يعني العلماء = بما استُودعوا علمه من كتاب الله الذي هو التوراة .

* * *

و« الباء » في قوله : « بما استحفظوا » ، من صلة « الأحبار» .

* * *

وأما قوله : « وكانوا عليه شهداء » ، فإنه يعني : أن الربانيين والأحبار بما استودعوا من كتاب الله، يحكمون بالتوراة مع النبيين الذين أسلموا للذين هادوا، وكانوا على حكم النبيين الذين أسلموا للذين هادوا شهداء أنهم قضوا عليهم بكتاب الله الذي أنزله على نبيه موسى وقضائه عليهم ،[2] كما :–

---

(١) الأثر : ١٢٠١٤ – انظر قوله مجاهد بإسناد آخر رقم : ٧٣١٢ .

(٢) انظر تفسير « الشهداء » فيما سلف من فهارس اللغة (شهد) .

١٢٠١٨ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وكانوا عليه شهداء » ، يعني الربانيين والأحبار ، هم الشهداء لمحمد صلى الله عليه وسلم بما قال ، أنه حق جاء من عند الله ، فهو نبي الله محمد ، ، أتته اليهود . فقضى بينهم بالحق .

* * *

القول في تأويل قوله عز ذكره ﴿ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لعلماء اليهود وأحبارهم : لا تخشوا الناس في تنفيذ حكمي الذي حكمت به على عبادي ، وإمضائه عليهم على ما أمرت ، فإنهم لا يقدرون لكم على ضر ولا نفع إلا بإذني ، ولا تكتموا الرجمَ الذي جعلته حُكماً في التوراة على الزانيين المحصنين ، ولكن اخشوني دون كل أحدٍ من خلقي ، فإن النفع والضر بيدي ، وخافوا عقابي في كتمانكم ما استُحفِظتم من كتابي ، [1] كما :–

١٢٠١٩ – حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « فلا تخشوا الناس واخشون » ، يقول : لا تخشوا الناس فتكتموا ما أنزلت .

* * *

وأما قوله : « ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً » ، يقول : ولا تأخذوا بترك الحكم بآيات كتابي الذي أنزلته على موسى ، أيها الأحبار ، عوضاً خسيساً = وذلك هو « الثمن القليل » . [2]

---

(١) انظر تفسير « الخشية » فيما سلف ٩ : ٥١٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الاشتراء » فيما سلف ٨ : ٥٤٢ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك = وتفسير « الثمن القليل » فيما سلف ٧ : ٥٠٠ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

وإنما أراد تعالى ذكره ، نهيهم عن أكل السحت على تحريفهم كتاب الله ، ١٦٣/٦
وتغييرهم حكمه عما حكم به فى الزانيين المحصنين ، وغير ذلك من الأحكام التى بدّلوها طلباً منهم للرشى ، كما : —

١٢٠٢٠ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلاً » ، قال : لا تأكلوا السحت على كتابى = وقال مرة أخرى ، قال قال ابن زيد فى قوله : « ولا تشتروا بآياتى ثمناً » ، قال : لا تأخذوا به رشوة .(١)

١٢٠٢١ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلاً » ، ولا تأخذوا طمعاً قليلاً على أن تكتموا ما أنزلت .(٢)

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ (٤٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ومن كتم حُكم الله الذى أنزله فى كتابه وجعله حكماً بين عباده ، فأخفاه وحكم بغيره ، كحكم اليهود فى الزانيين المحصنين بالتجبيه والتحميم ، وكتمانهم الرجم ،(٣) وكقضائهم فى بعض قتلاهم بدية كاملة وفى بعض بنصف الدية ، وفى الأشراف بالقِصاص ، وفى الأدنياء بالدية ، وقد سوّى الله بين جميعهم فى الحكم عليهم فى التوراة = « فأولئك هم الكافرون » ، يقول :

---

(١) فى المخطوطة : « فى قوله : لا تشتر ثمناً ، قال : لا تأخذ به رشوة » ، وتركت ما فى المطبوعة على حاله .

(٢) فى المطبوعة : « طعماً قليلا » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو الموافق لما فى الآثار السالفة . انظر ما سلف الآثار رقم : ٨٢١ ، ٢٤٩٨ ، ٨٣٣٣ .

(٣) « التجبيه » ، و « التحميم » ، مضى تفسيره فى الآثار والتعليقات السالفة .

هؤلاء الذين لم يحكموا بما أنزل الله فى كتابه ، ولكن بدّلوا وغيروا حكمه ، وكتموا الحقّ الذى أنزله فى كتابه = « هم الكافرون » ، يقول : هم الذين ستَروا الحق الذى كان عليهم كشفه وتبيينُه ، وغطّوه عن الناس ، وأظهروا لهم غيره ، وقضوا به ، لسحتٍ أخذوه منهم عليه .(١)

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل « الكفر » فى هذا الموضع .

فقال بعضهم بنحو ما قلنا فى ذلك ، من أنه عنى به اليهود الذين حرّفوا كتاب الله وبدّلوا حكمه .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٠٢٢ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن البراء بن عازب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون» ، ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [سورة المائدة : ٤٥] ، ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [سورة المائدة : ٤٧] ، فى الكافرين كلها .(٢)

١٢٠٢٣ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا محمد بن القاسم قال ، حدثنا أبو حيان ، عن أبى صالح قال : الثلاث الآيات التى فى « المائدة » ، « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » = ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ، ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ، ليس فى أهل الإسلام منها شىء ، هى فى الكفار .(٣)

---

(١) انظر تفسير « الكافر » فيما سلف من فهارس اللغة (كفر) .

(٢) الأثر : ١٢٠٢٢ – مضى تخريج هذا الأثر ، مطولا فيما سلف رقم : ١١٩٢٢ ، وتتمته برقم : ١١٩٣٩ ، ورواه أبو جعفر هناك مختصراً ، وهذا تمامه هنا .

(٣) الأثر : ١٢٠٢٣ – « أبو حيان » هو : « يحيى بن سعيد بن حيان التيمى » ، سلف برقم : ٥٣٨٢ ، ٥٣٨٣ ، ٦٣١٨ ، ٨١٥٥ . وكان فى المخطوطة هنا : « أبو حباب » ، وفى الأثر التالى ، أيضاً وكأن الراجح هو ما أثبت فى المطبوعة . وانظر التعليق على الأثر التالى .

١٢٠٢٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن أبي حيان، عن الضحاك: « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » ، و« الظالمون »، و« الفاسقون» ، قال : نزلت هؤلاء الآيات فى أهل الكتاب .(١)

١٢٠٢٥ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا المعتمر بن سليمان قال ، سمعت عمران بن حدير قال : أتى أبا مجلز ناسٌ من بنى عمرو بن سدوس، فقالوا: يا أبا مجلز ، أرأيت قول الله : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » ، أحق هو ؟ قال : نعم ! قالوا : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾، أحق هو؟ قال: نعم! قالوا: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ،أحق هو ؟ قال : نعم !قال فقالوا : يا أبا مجلز ، فيحكم هؤلاء بما أنزل الله ؟ قال : هو دينهم الذى يدينون به ، وبه يقولون ، وإليه يدْعون ، فإن هم تركوا شيئاً منه عرفوا أنهم قد أصابوا ذنباً ! فقالوا : لاوالله ، ولكنك تَفْرَقُ ! (٢) قال : أنتم أولى بهذا منى ! لا أرى ، وإنكم أنتم ترون هذا ولا تحرَّجُون ، ولكنها أنزلت فى اليهود والنصارى وأهل الشرك = أو نحواً من هذا .

١٢٠٢٦ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا حجاج قال ، حدثنا حماد ، عن عمران بن حدير قال : قعد إلى أبى مجلز نفرٌ من الإباضيَّة ، قال فقالوا له : يقول الله: « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » ، « فأولئك هم الظالمون » ، « فأولئك هم الفاسقون » ! قال أبو مجلز : إنهم يعملون بما يعملون = يعنى الأمراء = ويعلمون أنه ذنب ! (٣) قال : وإنما أنزلت هذه الآية فى اليهود! والنصارى قالوا :

---

(١) الأثر : ١٢٠٢٤ – « أبو حيان » ، « يحيى بن سعيد بن حيان التيمى » ، انظر التعليق على الأثر السالف ، و « أبو حيان التيمى » ، يروى عن الضحاك . وكان فى المطبوعة هنا أيضاً « أبى حباب » . وانظر التعليق على الأثر السالف .

(٢) فى المطبوعة : « ولكنك تعرف » ، وهو خطأ صرف ، صوابه فى المخطوطة . « فرق يفرق فرقاً » : فرغ وجزع .

(٣) فى المطبوعة : « إنهم يعملون ما يعملون » ، وفى المخطوطة : « إنه يعملون بما يعملون » ، وصواب القراءة ما أثبت .

أما والله إنك لتعلم مثل ما نعلم ، ولكنك تخشاهم ! قال : أنتم أحق بذلك منّا ! أمّا نحن فلا نعرف ما تعرفون ! [قالوا] : (١) ولكنكم تعرفونه ، ولكن يمنعكم أن تمضوا أمركم من خشيتهم ! (٢)

---

(١) ظاهر السياق يقتضى زيادة ما زدت بين القوسين ، فهو منهم تقريع لأبى مجلز وسائر من يقول بقوله ، ويخالف الإباضية .

(٢) الأثران : ١٢٠٢٥ ، ١٢٠٢٦ – اللهم إنى أبرأ إليك من الضلالة . وبعد ، فإن أهل الريب والفتن ممن تصدروا للكلام فى زماننا هذا ، قد تلمس المعذرة لأهل السلطان فى ترك الحكم بما أنزل الله ، وفى القضاء فى الدماء والأعراض والأموال بغير شريعة الله التى أنزلها فى كتابه ، وفى اتخاذهم قانون أهل الكفر شريعة فى بلاد الإسلام . فلما وقف على هذين الخبرين ، اتخذهما رأياً يرى به صواب القضاء فى الأموال والأعراض والدماء بغير ما أنزل الله ، وأن مخالفة شريعة الله فى القضاء العام لا تكفر الراضى بها ، والعامل عليها .

والناظر فى هذين الخبرين لا محيص له عن معرفة السائل والمسئول ، فأبو مجلز (لاحق بن حميد الشيبانى السدوسى) تابعى ثقة ، وكان يحب علياً رضى الله عنه . وكان قوم أبى مجلز ، وهم بنو شيبان ، من شيعة على يوم الجمل وصفين . فلما كان أمر الحكمين يوم صفين ، واعتزلت الخوارج ، كان فيمن خرج على على رضى الله عنه ، طائفة من بنى شيبان ، ومن بنى سدوس بن شيبان بن ذهل . وهؤلاء الذين سألوا أبا مجلز ، ناس من بنى عمرو بن سدوس (كما فى الأثر : ١٢٠٢٥) ، وهم نفر من الإباضية (كما فى الأثر : ١٢٠٢٦) ، والإباضية من جماعة الخوارج الحرورية ، هم أصحاب عبد الله بن إباض التميمى (انظر هذا التفسير ٧ : ١٥٢ – ١٥٣ ، تعليق : ١) ، وهم يقولون بمقالة سائر الخوارج فى التحكيم ، وفى تكفير على رضى الله عنه إذ حكم الحكمين ، وأن علياً لم يحكم بما أنزل الله ، فى أمر التحكيم . ثم إن عبد الله بن إباض قال : إن من خالف الخوارج كافر ليس بمشرك ، فخالف أصحابه ، وأقام الخوارج على أن أحكام المشركين تجرى على من خالفهم .

ثم افترقت الإباضية بعد عبد الله بن إباض الإمام افتراقاً لا ندرى معه – فى أمر هذين الخبرين – من أى الفرق كان هؤلاء السائلون ، بيد أن الإباضية كلها تقول : إن دور مخالفيهم دور توحيد ، إلا معسكر السلطان فإنه دار كفر عندهم . ثم قالوا أيضاً : إن جميع ما افترض الله سبحانه على خلقه إيمان ، وأن كل كبيرة فهى كفر نعمة ، لا كفر شرك ، وأن مرتكبى الكبائر فى النار خالدون مخلدون فيها .

ومن البين أن الذين سألوا أبا مجلز من الإباضية ، إنما كانوا يريدون أن يلزموه الحجة فى تكفير الأمراء ، لأنهم فى معسكر السلطان ، ولأنهم ربما عصوا أو ارتكبوا بعض ما نهاهم الله عن ارتكابه . ولذلك قال لهم فى الخبر الأول (رقم : ١٢٠٢٥) : « فإن هم تركوا شيئاً منه عرفوا أنهم قد أصابوا ذنباً » ، وقال لهم فى الخبر الثانى « إنهم يعملون بما يعملون ويعلمون أنه ذنب » .

وإذن ، فلم يكن سؤالهم عما احتج به مبتدعة زماننا ، من القضاء فى الأموال والأعراض والدماء بقانون مخالف لشريعة أهل الإسلام ، ولا فى إصدار قانون ملزم لأهل الإسلام ، بالاحتكام إلى حكم غير حكم الله فى كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم . فهذا الفعل إعراض عن حكم الله ، ورغبة عن دينه ، وإيثار لأحكام أهل الكفر على حكم الله سبحانه وتعالى ، وهذا كفر لا يشك أحد من أهل القبلة على اختلافهم فى تكفير القائل به والداعى إليه .

١٢٠٢٧ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان = عن حبيب بن أبي ثابت ، عن أبي البختري ، عن حذيفة في قوله : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » ، قال : نعم الإخوة لكم بنو إسرائيل ، إن كانت لكم كل حُلْوة ، ولهم كل مُرَّة ! ! ولتسلُكُنَّ طريقَهم قِدَى الشِّراك .(١) ٦/١٦٤

والذي نحن فيه اليوم ، هو هجر لأحكام الله عامة بلا استثناء ، وإيثار أحكام غير حكمه في كتابه وسنة نبيه ، وتعطيل لكل ما في شريعة الله ، بل بلغ الأمر مبلغ الاحتجاج على تفضيل أحكام القانون الموضوع ، على أحكام الله المنزلة ، وادعاء المحتجين لذلك بأن أحكام الشريعة إنما نزلت لزمان غير زماننا ، ولعلل وأسباب انقضت ، فسقطت الأحكام كلها بانقضائها . فأين هذا مما بيناه من حديث أبي مجلز ، والنفر من الإباضية من بني عمرو بن سدوس ! !

ولو كان الأمر على ما ظنوا في خبر أبي مجلز ، أنهم أرادوا مخالفة السلطان في حكم من أحكام الشريعة . فإنه لم يحدث في تاريخ الإسلام أن سن حاكم حكماً وجعله شريعة ملزمة للقضاء بها . هذه واحدة . وأخرى ، أن الحاكم الذي حكم في قضية بعينها بغير حكم الله فيها ، فإنه إما أن يكون حكم بها وهو جاهل ، فهذا أمره أمر الجاهل بالشريعة. وإما أن يكون حكم بها هوى ومعصية ، فهذا ذنب تناله التوبة ، وتلحقه المغفرة .وإما أن يكون حكم به متأولا حكماً خالف به سائر العلماء ، فهذا حكمه حكم كل متأول يستمد تأويله من الإقرار بنص الكتاب ، وسنة رسول الله .

وأما أن يكون كان في زمن أبي مجلز أو قبله أو بعده حاكم حكم بقضاء في أمر ، جاحداً لحكم من أحكام الشريعة، أو مؤثراً لأحكام أهل الكفر على أحكام أهل الإسلام، فذلك لم يكن قط . فلا يمكن صرف كلام أبي مجلز والإباضيين إليه . فمن احتج بهذين الأثرين وغيرهما في غير بابها ، وصرفها إلى غير معناها ، رغبة في نصرة سلطان ، أو احتيالا على تسويغ الحكم بغير ما أنزل الله وفرض على عباده ، فحكمه في الشريعة حكم الجاحد لحكم من أحكام الله : أن يستتاب ، فإن أصر وكابر وجحد حكم الله ، ورضي بتبديل الأحكام = فحكم الكافر المصر على كفره معروف لأهل هذا الدين . واقرأ كلمة أبي جعفر بعد ص: ٣٥٨ ، من أول قوله: « فإن قال قائل » . ففيه قول فصل . وتفصيل القول في خطأ المستدلين بمثل هذين الخبرين ، وما جاء من الآثار هنا في تفسير هذه الآية ، يحتاج إلى إفاضة ، اجتزأت فيها بما كتبت الآن ، وكتبه محمود محمد شاكر .

(١) الأثر : ١٢٠٢٧ – « حبيب بن أبي ثابت الأسدي » ، ثقة صدوق . مضى برقم : ٩٠١٢ ، ٩٠٣٥ ، ١٠٤٢٣ .

و « أبو البختري » ، هو « سعيد بن فيروز الطائي » ، تابعي ثقة ، يرسل الحديث عن عمر وحذيفة وسلمان وابن مسعود . قال ابن سعد في الطبقات ٦ : ٢٠٤ : « وكان أبو البختري كثير الحديث ، يرسل حديثه ، ويروي عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يسمع من كبير أحد . فما كان من حديثه سماعاً فهو حسن ، وما كان « عن » ، فهو ضعيف » . ومضى برقم : ١٧٥ ، ١٤٩٧ ، فهو حديث منقطع ، لأن أبا البختري لم يسمع من حذيفة .

١٢٠٢٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن أبي حيان، عن الضحاك: « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » ، و « الظالمون » و « الفاسقون » ، قال : نزلت هؤلاء الآيات فى أهل الكتاب .

١٢٠٢٩ – حدثنا هناد بن السرى قال ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن أبي البخترى قال : قيل لحذيفة : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » ، ثم ذكر نحو حديث ابن بشار ، عن عبد الرحمن .

١٢٠٣٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن أبي البخترى قال : سأل رجل حذيفة عن هؤلاء الآيات : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون» ، «فأولئك هم الظالمون» « فأولئك هم الفاسقون » ، قال فقيل : ذلك فى بنى إسرائيل ؟ قال : نعم الإخوة لكم بنو إسرائيل ، إن كانت لهم كل مُرَّة، ولكم كل حلوة ! كلا والله، لتسلكن طريقَهم قِدَى الشراك .(١)

وقوله : « قدى » (بكسر القاف وفتح الدال) . يقال : « هو منى قيد رمح » (بكسر القاف) و « قاد رمح » و « قدى رمح » بمعنى ، واحد : أى : قدر رمح ، قال هدبة بن الخشرم :

وَإِنِّى إِذَا مَا المَوْتُ لَمْ يَكُ دُونَهُ قِدَى الشِّبْرِ ، أَحْمِى الأَنْفَ أَنْ أَتَأَخَّرَا

و « الشراك » : سير النعل ، ويضرب به المثل فى الصغر والقصر . يريده تشبهونهم : لا يكاد أمركم يختلف إلا قدر كذا وكذا .

وكان فى المطبوعة هنا : « قدر الشراك » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، فى هذا الأثر ، وفى رقم : ١٢٠٣٠ .

وخبر حذيفة ، رواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٣١٢ ، ٣١٣ ، من طريق جرير ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن همام ، قال : « كنا عند حذيفة ، فذكروا : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » ، فقال رجل من القوم : إن هذه فى بنى إسرائيل ! فقال حذيفة : نعم الإخوة بنو إسرائيل ، إن كان لكم الحلو ، ولهم المر ! كلا ، والذى نفسى بيده ، حتى تحذوا السنة بالسنة حذو القذة بالقذة » . وقال الحاكم : «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى . « السنة » : الطريقة المتبعة . و « القذة » : ريش السهم ، يقدر الريش بعضه على بعض ليخرج متساوياً .

(١) الأثران : ١٢٠٢٩ ، ١٢٠٣٠ – طريقان أخريان للأثر السالف رقم : ١٢٠٢٧ ،

١٢٠٣١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن رجل ، عن عكرمة قال : هؤلاء الآيات فى أهل الكتاب .

١٢٠٣٢ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » ، ذكر لنا أن هؤلاء الآيات أنزلت فى قتيل اليهود الذى كان منهم .(١)

١٢٠٣٣ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة قوله : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » ، و « الظالمون » ، و « الفاسقون » ، لأهل الكتاب كلّهم ، لما تركوا من كتاب الله .

١٢٠٣٤ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن البراء بن عازب قال: مُرَّ على النبى صلى الله عليه وسلم بيهودىّ محمَّم مجلود ، فدعاهم فقال: هكذا تجدون حدَّ من زنى ؟ قالوا: نعم ! فدعا رجلاً من علمائهم فقال: أنشدك الله الذى أنزل التوراة على موسى ، هكذا تجدون حدّ الزانى فى كتابكم ؟ قال : لا ، ولولا أنك أنشَدتنى بهذا لم أخبرك ، نجد حدَّه فى كتابنا الرجم ، ولكنه كثُر فى أشرافنا ، فكنّا إذا أخذنا الشّريف تركناه، وإذا أخذنا الوضيع أقمنا عليه الحدّ، فقلنا: تعالوا فلنجتمع جميعاً على التحميم والجلد مكانَ الرجْم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم إنّى أول من أحيَى أمرك إذْ أماتوه ! فأمر به فرجم، فأنزل الله : « يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر » إلى قوله : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » ، يعنى اليهود : « فأولئك هم الظالمون » ، يعنى اليهود : « فأولئك هم الفاسقون » ، للكفار كلها .(٢)

وكان فى الأثر الأخير هنا فى المطبوعة: « قدر الشراك »، وأثبت ما فى المخطوطة. انظر التعليق السالف .

(١) فى المطبوعة : « فى قيل اليهود » ، وفى المخطوطة : « فى قبيل اليهود » ، والصواب ما أثبت . وقد مضى خبر هذا القتيل مراراً ، وسيأتى قريباً برقم : ١٢٠٣٧ .

(٢) الأثر : ١٢٠٣٤ – مضى تخريج هذا الأثر برقم : ١١٩٢٢ ، من طرق أخرى وسيأتى برقم : ١٢٠٣٦ .

١٢٠٣٥ – حدثني يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد في قوله : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » ، قال : من حكم بكتابه الذي كتب بيده، وترك كتاب الله، وزعم أن كتابه هذا من عند الله، فقد كفر .

١٢٠٣٦ – حدثنا هناد قال، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش، عن عبد الله ابن مرة ، عن البراء بن عازب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، نحو حديث القاسم عن الحسن = غير أن هناداً قال في حديثه: فقلنا: تعالوا فلنجتمع في شيء نقيمه على الشريف والضعيف ، فاجتمعنا على التحميم والجلد مكان الرجم – وسائر الحديث نحو حديث القاسم .[1]

١٢٠٣٧ – حدثنا الربيع قال، حدثنا ابن وهب قال، حدثنا ابن أبي الزناد ، عن أبيه قال : كنا عند عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، فذكر رجل عنده : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » ، « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » ، « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون »، فقال عبيد الله: أمَا والله إن كثيراً من الناس يتأوَّلون هؤلاء الآيات على ما لم ينزَّلنَ عليه، وما أُنزلن إلاّ في حيين من يهود . ثم قال: هم قريظة والنضير ، وذلك أنّ إحدى الطائفتين كانت قد غزت الأخرى وقهرتها قبل قدوم النبيّ صلى الله عليه وسلم المدينةَ ، حتى ارتضوا واصطلحوا على أن كل قتيل قتلته العزيزةُ من الذليلة، فديته خمسون وَسْقاً،[2] وكل قتيل قتلته الذَّليلة من العزيزة، فديَته مئة وَسْق. فأعطوهم فَرَقاً وضيماً .[3] فقدم النبي صلى الله عليه وسلم وهم على ذلك ، فذلَّت الطائفتان بمقدَم النبي صلى الله عليه وسلم، والنبيُّ صلى الله عليه وسلم لم يظهر عليهما. فبيْنا هما على ٦/١٦٥

(١) الأثر : ١٢٠٣٤ – مضى تخريجه برقم : ١١٩٢٢ ، ورقم : ١٢٠٣٤ .
(٢) « الوسق » (بفتح الواو وكسرها) : حمل بعير ، أو ستون صاعاً ، وهو مكيال لهم .
(٣) « الفرق » (بفتحتين) الفزع ، والجزع . و « الضيم » : الظلم . يقول : فقبلوا ذلك خوفاً من بطشهم وجزعاً ، ورضى بالظلم منهم .

ذلك، أصابت الذليلة من العزيزة قتيلاً، فقالت العزيزة: أعطونا مئة وسق! فقالت الذليلة : وهل كان هذا قط فى حَيَّين دينهما واحد، وبلدهما واحد ، ديةُ بعضهم ضعفُ دية بعض! إنما أعطيناكم هذا فَرَقاً منكم وضيماً ، فاجعلوا بيننا وبينكم محمداً صلى الله عليه وسلم . فتراضيا على أن يجعلوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم بينهم . ثم إن العزيزة تذاكرت بينها ،(١) فخشيت أن لا يعطيها النبيُّ صلى الله عليه وسلم من أصحابها ضعف ما تعطِى أصحابها منها ، فدسُّوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم إخوانهم من المنافقين ، فقالوا لهم: اخبُرُوا لنا رأىَ محمد صلى الله عليه وسلم ، فإن أعطانا ما نريد حكَّمناه،وإن لم يعطنا حذرناه ولم نحكمه! فذهب المنافق إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فأعلم الله تعالى ذكره النبيَّ صلى الله عليه وسلم ما أرادوا من ذلك الأمر كله = قال عبيد الله : فأنزل الله تعالى ذكره فيهم : « يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يُسَارعون فى الكفر »، هؤلاء الآيات كلهن،حتى بلغ : « وليحكُم هل الإنجيل بما أنزل الله فيه » إلى « الفاسقون » = قرأ عبيد الله ذلك آيةً آيةً ، وفسَّرها على ما أُنْزِل،حتى فرَغ [من] تفسير ذلك لهم فى الآيات .(٢) ثم قال: إنما عنى بذلك يهود ، وفيهم أنزلت هذه الصفة .

* * *

وقال بعضهم: عنى بـ « الكافرين »، أهل الإسلام ،وبـ « الظالمين » اليهود ، و بـ « الفاسقين » النصارى .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٠٣٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن زكريا ، عن عامر قال : نزلت « الكافرون »،فى المسلمين، و« الظالمون »،فى اليهود، و« الفاسقون »، فى النصارى .

---

(١) فى المخطوطة : « نكرت » غير منقوطة ، والذى فى المطبوعة موافق للمعنى ، ولم أعرف لقراءة ما فى المخطوطة وجهاً إلا « فكرت بينها » ، وهى سقيمة .

(٢) الذى بين القوسين ، زيادة لابد منها فيما أرى .

١٢٠٣٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن يمان، عن سفيان، عن ابن أبي السفر، عن الشعبي قال : « الكافرون »، فى المسلمين ، و «الظالمون»، فى اليهود، و « الفاسقون » ، فى النصارى .

١٢٠٤٠ – حدثنا ابن وكيع وأبو السائب وواصل بن عبد الأعلى قالوا ، حدثنا ابن فضيل، عن ابن شبرمة ، عن الشعبي قال: آيةٌ فينا ، وآيتان فى أهل الكتاب : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » ، فينا ، وفيهم : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » ، و « الفاسقون » ، فى أهل الكتاب .

١٢٠٤١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن جابر ، عن عامر ، مثل حديث زكريا عنه .(١)

١٢٠٤٢ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال ، حدثنا شعبة ، عن ابن أبي السفر ، عن الشعبي : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » ، قال : هذا فى المسلمين = « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » ، قال : النصارى .

١٢٠٤٣ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا زكريا ابن أبي زائدة، عن الشعبي قال ، فى هؤلاء الآيات التى فى « المائدة » : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون »، قال: فينا أهلَ الإسلام = « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » ، قال : فى اليهود = « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » ، قال : فى النصارى .

١٢٠٤٤ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ، حدثنا سفيان ، عن زكريا بن أبي زائدة ، عن الشعبي فى قوله : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون »، قال : نزلت الأولى فى المسلمين ، والثانية فى اليهود ، والثالثة فى النصارى .

---

(١) يعنى رقم : ١٢٠٣٨ .

١٢٠٤٥ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري ، عن زكريا ، عن الشعبي ، بنحوه .

١٢٠٤٦ – حدثنا هناد قال ، حدثنا يعلى ، عن زكريا ، عن عامر ، بنحوه .

* * *

وقال آخرون : بل عنى بذلك : كفرٌ دون كفر ، وظلمٍ دون ظلم ، وفسقٌ دون فسق .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٠٤٧ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء قوله : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » ، « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » ، « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » ، قال : كفر دون كفر ، وفسق دون فسق ، وظلم دون ظلم .

١٢٠٤٨ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا حماد ابن سلمة ، عن أيوب ، عن عطاء ، مثله . ١٦٦/٦

١٢٠٤٩ – حدثني المثنى قال ، حدثنا الحجاج قال ، حدثنا حماد ، عن أيوب بن أبي تميمة ، عن عطاء بن أبي رباح ، بنحوه .

١٢٠٥٠ – حدثنا هناد بن السري قال ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، بنحوه .

١٢٠٥١ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، بنحوه .

١٢٠٥٢ – حدثنا هناد قال ، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي = عن سفيان ، عن سعيد المكي ، عن طاوس : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » ، قال : ليس بكفرٍ ينقل عن الملّة .

١٢٠٥٣ – حدثنا هناد قال ، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي = عن سفيان ، عن معمر بن راشد ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن

عباس : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » ، قال : هى به كفر ، وليس كفرًا بالله وملائكته وكتبه ورسله .(١)

١٢٠٥٤ – حدثنى الحسن قال، حدثنا أبو أسامة ، عن سفيان ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه قال : قال رجل لابن عباس فى هذه الآيات : « ومن لم يحكم بما أنزل الله » ، فمن فعل هذا فقد كفر؟ قال ابن عباس : إذا فعل ذلك فهو به كفر ، وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر ، وبكذا وكذا .

١٢٠٥٥ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه قال : سئل ابن عباس عن قوله : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » ، قال هى به كفر = قال: ابن طاوس : وليس كمن كفر بالله وملائكته وكُتُبه ورسله .

١٢٠٥٦ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن رجل، عن طاوس : « فأولئك هم الكافرون » ، قال : كفر لا ينقل عن الملة = قال وقال عطاء : كفر دون كفر ، وظلم دون ظلم ، وفسق دون فسق .

* * *

وقال آخرون: بل نزلت هذه الآيات فى أهل الكتاب ، وهى مرادٌ بها جميعُ الناس ، مسلموهم وكفارهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٠٥٧ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن منصور ، عن إبراهيم قال : نزلت هذه الآيات فى بنى إسرائيل ، ورَضى لهذه الأمّة بها .

---

(١) الأثر : ١٢٠٥٣ – خبر طاوس عن ابن عباس ، رواه الحاكم فى المستدرك (٢ : ٣١٣) من طريق سفيان بن عيينة ، عن هشام بن حجير ، عن طاوس ، عن ابن عباس : « إنه ليس بالكفر الذى يذهبون إليه ، إنه ليس كفراً ينقل عنه الملة = « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » ، كفر دون كفر » ، هذا لفظه ، ثم قال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ، وقال الذهبى : « صحيح » .

١٢٠٥٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون »، قال : نزلت في بني إسرائيل، ورضي لكم بها .

١٢٠٥٩ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم في هذه الآية : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون »، قال : نزلت في بني إسرائيل، ثم رضي بها لهؤلاء .

١٢٠٦٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال، أخبرنا هشيم، عن عوف، عن الحسن في قوله : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون »، قال : نزلت في اليهود، وهي علينا واجبةٌ .

١٢٠٦١ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا عبد الملك بن أبي سليمان، عن سلمة بن كهيل، عن علقمة ومسروق : أنهما سألا ابن مسعود عن الرشوة، فقال: من السحت . قال فقالا : أفي الحكم ؟ قال : ذاك الكُفْر ! ثم تلا هذه الآية: « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » .

١٢٠٦٢ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدي: « ومن لم يحكم بما أنزل الله »، يقول : ومن لم يحكم بما أنزلتُ، فتركه عمداً وجار وهو يعلم، فهو من الكافرين .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : ومن لم يحكمْ بما أنزل الله جاحداً به. فأما «الظلم» و « الفسق »، فهو للمقرّ به .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٠٦٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون »، قال : من جحد ما أنزل الله فقد كفر . ومن أقرّ به ولم يحكم، فهو ظالم فاسقٌ .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال عندى بالصواب ، قولُ من قال : نزلت هذه الآيات فى كفّار أهل الكتاب ، لأن ما قبلها وما بعدها من الآيات ففيهم نزلت ، وهم المعنيُّون بها . وهذه الآيات سياقُ الخبر عنهم ، فكونُها خبراً عنهم أولى .

* * *

١٦٧/٦ فإن قال قائل : فإن الله تعالى ذكره قد عمَّ بالخبر بذلك عن جميع منْ لم يحكم بما أنزل الله ، فكيف جعلته خاصًّا ؟

قيل : إن الله تعالى عَمَّ بالخبر بذلك عن قومٍ كانوا بحكم الله الذى حكم به فى كتابه جاحدين ، فأخبر عنهم أنهم بتركهم الحكمَ ، على سبيل ما تركوه ، كافرون . وكذلك القولُ فى كل من لم يحكم بما أنزل الله جاحداً به ، هو بالله كافر ، كما قال ابن عباس ، لأنه بجحوده حكم الله بعدَ علمه أنه أنزله فى كتابه ، نظير جحوده نبوّة نبيّه بعد علمه أنه نبيٌّ .

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ النَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وكتبنا على هؤلاء اليهود الذين يحكمونك ، يا محمد ، وعندهم التوراة فيها حكم الله .

ويعنى بقوله : « وكتبنا » ، وفرضنا عليهم فيها أن يحكموا فى النَّفس إذا قتلت نفساً بغير حق[1] = « بالنفس » ، يعنى : أن تقتل النفس القاتلة بالنفس المقتولة ،

---

(١) انظر تفسير « كتب » فيما سلف ص : ٢٣٢ تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

= « والعين بالعين »، يقول: وفرضنا عليهم فيها أن يفقأوا العين التى فقأ صاحبها مثلَها من نفس أخرَى بالعين المفقوءة = ويجدع الأنف بالأنف= وتقطع الأذن بالأذن= وتقلع السنّ بالسنّ = ويُقْتَصّ من الجارِح غيره ظلماً للمجروح .(١)

وهذا إخبار من الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم عن اليهود = وتعزية منه له عن كفر من كفر منهم به بعد إقراره بنبوته ، وإدباره عنه بعد إقباله = وتعريفٌ منه له جراءتهم قديماً وحديثاً على ربِّهم وعلى رسل ربِّهم، وتقدُّمهم على كتاب الله بالتحريف والتبديل .

يقول تعالى ذكره له : وكيف يرضى هؤلاء اليهود ، يا محمد ، بحكمك ، إذ جاؤوا يحكمونك وعندهم التوراة التى يقرُّون بها أنها كتابى ووحيي إلى رسولى موسى صلى الله عليه وسلم ، فيها حكمى بالرجم على الزناة المحصنين ، وقضائى بينهم أن من قتَل نفساً ظلماً فهو بها قَوَدٌ ، ومن فقأ عيناً بغير حق فعينه بها مفقوءة قِصَاصاً، ومن جدع أنفاً فأنفه به مجدوع ، ومن قلع سنًّا فسنّه بها مقلوعة ، ومن جرح غيره جرحاً فهو مقتصٌّ منه مثل الجرح الذى جرحه ؟ = ثم هم مع الحكم الذى عندهم فى التوراة من أحكامى ، يتولون عنه ويتركون العمل به ، يقول : فهم بترك حكمك ، وبسخط قضائك بينهم ، أحرَى وأولَى .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٠٦٤ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : لما رأت قريظة النبيَّ صلى الله عليه وسلم قد حكم بالرجم ، وكانوا يخفونه فى كتابهم ، نهضت قريظة فقالوا : يا محمد ، اقضِ بيننا وبين إخواننا

---

(١) انظر تفسير « القصاص » فيما سلف ٣ : ٣٥٧ – ٣٦٦/ ثم ٣ : ٥٧٩ ، تعليق : ١ .

بنى النضير = وكان بينهم دمٌ قبلَ قدوم النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت النضير يتعزَّزون على بنى قريظة ، ودياتهم على أنصاف ديات النضير ، وكانت الدِّية من وُسُوق التمر : أربعين ومئة وسق لبنى النضير ، وسبعين وسقاً لبنى قريظة = فقال : دمُ القرظىّ وفاءٌ من دم النضيرىّ ! [1] فغضب بنو النضير وقالوا : لا نطيعك فى الرَّجم، ولكن نأخذ بحدودنا التى كنَّا عليها ! فنزلت ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ [سورة المائدة : ٥٠] ، ونزل : « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس »، الآية .

١٢٠٦٥ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص » ، قال : فما بالهم يخالفون ، يقتلون النفسين بالنفس ، ويفقأون العينين بالعين ؟

١٢٠٦٦ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا خلاد الكوفى قال ، حدثنا الثورى ، عن السدى ، عن أبى مالك قال : كان بين حيين من الأنصار قتالٌ ، فكان بينهم قتلى ، وكان لأحد الحيين على الآخر طَوْلٌ ، [2] فجاء النبي صلى الله عليه وسلم، فجعل يجعَلُ الحرَّ بالحرِّ، والعبدَ بالعبد، والمرأة بالمرأة، فنزلت: ﴿ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ ﴾ [سورة البقرة : ١٧٨] = قال سفيان: وبلغنى عن ابن عباس أنه قال: نسختها : « النفس بالنفس » . [3]

١٢٠٦٧ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس » = فيها

---

(١) قوله : « وفاء من دم النضيرى » ، أى يعادله ويساويه . يقال : « وفى الدرهم المثقال » أى : عادله .

(٢) « الطول » (بفتح فسكون) : العلو والفضل والعزة .

(٣) الأثر : ١٢٠٦٦ – مضى خبر السدى عن أبى مالك بإسناد آخر رقم : ٢٥٦٤ .

فى التوراة – « والعين بالعين » حتى : « والجروح قصاص » ، قال مجاهد ، عن ابن عباس قال : كان على بنى إسرائيل القصاصُ فى القتلى ، ليس بينهم دية فى نفسٍ ولا جُرْحٍ . قال : وذلك قول الله تعالى ذكره : « وكتبنا عليهم فيها » فى التوراة ، فخفف الله عن أمّة محمد صلى الله عليه وسلم ، فجعل عليهم الدية فى النَّفس والجِراح ، وذلك تخفيف من ربكم ورحمة = «فمن تصدَّق به فهو كفارة له». ١٦٨/٦

١٢٠٦٨ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسنّ بالسن والجروح قصاص » ، قال : إن بنى إسرائيل لم تُجعل لهم ديةٌ فيما كتب الله لموسى فى التوراة من نفس قتلت ، أو جرح ، أو سنّ ، أو عين ، أو أنف . إنما هو القصاصُ ، أو العفو .

١٢٠٦٩ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وكتبنا عليهم فيها » ، أى فى التوراة = « أن النفس بالنفس » .

١٢٠٧٠ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وكتبنا عليهم فيها » ، أى فى التوراة ، بأن النفس بالنفس .

١٢٠٧١ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس » حتى بلغ « والجروح قصاص» ، بعضها ببعض .

١٢٠٧٢ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « أن النفس بالنفس » ، قال يقول : تقتل النفس بالنفس ، وتفقأ العين بالعين ، ويقطع الأنف بالأنف ، وتنزع السنّ بالسن ، وتقتصّ الجراح بالجراح .

* * *

قال أبو جعفر : فهذا يستوى فيه أحرار المسلمين فيما بينهم، رجالهم ونساؤهم، إذا كان فى النفس وما دون النفس = ويستوى فيه العبيد رجالهم ونساؤهم فيما بينهم، إذا كان عمداً فى النفس وما دون النفس .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ ـ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى المعنىّ به : « فمن تصدق به فهو كفارة له » .

فقال بعضهم : عنى بذلك المجروحَ وولىّ القتيل

* ذكر من قال ذلك :

١٢٠٧٣ ـ حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب ، عن الهيثم بن الأسود ، عن عبد الله بن عمرو : « فمن تصدق به فهو كفارة له »، قال: يُهْدَم عنه = يعنى المجروح = مثلُ ذلك من ذنوبه .

١٢٠٧٤ ـ حدثنا سفيان قال، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب ، عن الهيثم بن الأسود ، عن عبد الله بن عمرو ، بنحوه .

١٢٠٧٥ ـ حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب، عن الهيثم بن الأسود أبى العُرْيان قال : رأيت معاوية قاعداً على السرير ، وإلى جنبه رجلٌ أحمر كأنه مَوْلىً = وهو

---

(١) من أول قوله : « فهذا يستوى . . . » إلى آخر الكلام ، يشبه عندى أن يكون من كلام أبى جعفر ، فلذلك ، فصلته عن خبر ابن عباس ، وكتبت قبله : « قال أبو جعفر » .

عبد الله بن عمرو = فقال فى هذه الآية : « فمن تصدق به فهو كفارة له » ، قال : يُهْدَم عنه من ذنوبه مثل ما تصدّق به .(١)

١٢٠٧٦ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم فى قوله : « فمن تصدق به فهو كفارة له » ، قال : للمجروح .

١٢٠٧٧ – حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال ، حدثنا شعبة ، عن عمارة بن أبى حفصة ، عن أبى عقبة ، عن جابر بن زيد : « فمن تصدق به فهو كفارة له » ، قال : للمجروح .(٢)

١٢٠٧٨ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنى حَرَمِىّ بن عمارة قال ، حدثنا

---

(١) الآثار : ١٢٠٧٣ – ١٢٠٧٥ – ثم يأتى أيضاً من طريق أخرى برقم : ١٢٠٨٥ .
« سفيان » ، هو الثورى .
و « قيس بن مسلم الجدلى العدوانى » ، ثقة ، مضى برقم : ٩٧٤٤ .
و « طارق بن شهاب الأحمسى » ، ثقة ، مضى برقم : ٩٧٤٤ ، ١١٦٨٢ .
و « الهيثم بن الأسود النخعى » ، « أبو العريان » ، أدرك علياً ، وروى عن معاوية وعبد الله ابن عمرو . ثقة من خيار التابعين ، كان خطيباً شاعراً . مترجم فى التهذيب .

وهذا الخبر رواه فى السنن ٨ : ٥٤ ، بمثله . وذكره ابن كثير فى تفسيره ٣ : ١٦٧ ، من تفسير ابن أبى حاتم ، من طريق أبى داود الطيالسى ، عن شعبة . وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٢٨٨ ، وزاد نسبته للفريابى ، وابن أبى شيبة ، وعبد بن حميد ، وأبى الشيخ ، وابن مردويه .

وقوله : « وإلى جنبه رجل أحمر كأنه مولى » ، « الأحمر » عندهم : الأبيض ، لأن بياض الناس تشوبه الحمرة ، ولذلك سموا العجم « الحمراء » ، لبياضهم ، ولغلبة الشقرة عليهم . وقد ذكر ابن سعد (٤/٢ / ١١) صفة عبد الله بن عمرو ، عن « العريان بن الهيثم بن الأسود النخعى » قال : « وفدت مع أبى إلى يزيد بن معاوية، فجاء رجل طوال أحمر، عظيم البطن ، فسلم وجلس . فقال أبى: من هذا ؟ فقيل: عبد الله بن عمرو » . وروى أيضاً عن عبدالرحمن بن أبى بكرة ، أنه وصف عبد الله بن عمرو فقال : « رجل أحمر عظيم البطن طوال » . وعنى بقوله : « كأنه مولى » ، كأنه من العجم أو الفرس .

وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « وإلى جنبه رجل آخر » ، وهو خطأ صرف كما ترى .

(٢) الأثر : ١٢٠٧٧ – « عمارة بن أبى حفصة العتكى » ، ثقة ، مضى برقم : ٨٥١٣ .
و « أبو عقبة » ، لم أجد له ذكراً ، ولم أعرف من هو .
و « جابر بن زيد الأزدى اليحمدى » ، « أبو الشعثاء » ، ثقة ، كان من أعلم الناس بكتاب الله . مضى برقم : ٥١٣٦ ، ٥٤٧٢ .

شعبة قال ، أخبرني عمارة ، عن رجل = قال حرميّ : نسيت اسمه = عن جابر بن زيد ، بمثله .(١)

١٢٠٧٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن حماد ، عن إبراهيم : « فمن تصدق به فهو كفارة له » ، قال : للمجروح .

١٢٠٨٠ – حدثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة قال، حدثنا ابن فضيل ، عن يونس بن أبي إسحق ، عن أبي السفر قال: دفع رجلٌ من قريش رجلاً من الأنصار فاندقّتْ ثنيّتُه ، فرفعه الأنصاري إلى معاوية . فلما ألحّ عليه الرجل قال معاوية : شأنَكَ وصاحبَك ! قال : وأبو الدرداء عند معاوية، فقال أبو الدرداء : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من مسلم يُصَاب بشيء من جسده فيَهبُه ، إلا رفعه الله به درجةً، وحطّ عنه به خطيئة. فقال له الأنصاري : أنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال: سمعته أذناي ووَعاه قلبي ! فخلّى سبيلَ القرشيّ ، فقال معاوية : مروا له بمثالٍ .(٢)

١٢٠٨١ – حدثنا محمود بن خداش قال، حدثنا هشيم بن بشير قال، أخبرنا

---

(١) الأثر : ١٢٠٧٨ – « حرمي بن عمارة بن أبي حفصة العتكي » ، مضى هو وأبوه « عمارة بن أبي حفصة » فيما سلف رقم : ٥٨١٣ .
والرجل الذي نسيه « حرمي » ، هو « أبو عقبة » المذكور في الأثر السالف .

(٢) الأثر : ١٢٠٨٠ – « يونس بن أبي إسحق السبيعي » ، ثقة . مضى برقم : ٣٠١٨ .
و « أبو السفر » ، هو : « سعيد بن يحمد الثوري » تابعي ثقة ، يروي عن متوسطي الصحابة كابن عباس وابن عمر . مضى برقم : ٣٠١٠ .
وهذا الإسناد منقطع ، لأن أبا السفر لم يسمع أبا الدرداء .
ورواه الخبر أحمد في مسنده ٦ : ٤٤٨ ، من طريق وكيع عن يونس بن أبي إسحق ، بمثله .
ورواه البيهقي في السنن ٨ : ٥٥ ، من طريق شيبان بن عبد الرحمن ، عن يونس بن أبي إسحق ، بمثله . ورواه ابن ماجة في سننه ص : ٨٩٨ ، رقم : ٢٦٩٣ .
ورواه الترمذي في « أبواب الديات » ، « باب ما جاء في العفو » ، من طريق عبد الله بن المبارك ، عن يونس بن أبي إسحق . ثم قال الترمذي : « هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، ولا أعرف لأبي السفر سماعاً من أبي الدرداء » .
وخرجه ابن كثير في تفسيره ٣ : ١٦٨ ، وزاد نسبته لابن ماجة .

مغيرة ، عن الشعبي قال ، قال ابن الصامت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من جُرِح في جسده جراحةً فتصدّق بها ، كُفّر عنه ذنوبه بمثل ما تصدّق به .(١) ١٦٩/٦

١٢٠٨٢ – حدثنا سفيان بن وكيع قال ، حدثنا يزيد بن هرون ، عن سفيان ابن حسين ، عن الحسن في قوله : « فمن تصدق به فهو كفارة له » ، قال : كفارة للمجروح .

١٢٠٨٣ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن زكريا قال : سمعت عامراً يقول : كفارة لمن تصدّق به .

١٢٠٨٤ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فمن تصدق به فهو كفارة له » ، يقول : لولىّ القتيل الذى عفا .

١٢٠٨٥ – حدثني يونس قال ، أخبرنا بن وهب قال ، أخبرني شبيب بن سعيد ، عن شعبة بن الحجاج ، عن قيس بن مسلم ، عن الهيثم أبي العريان قال : كنت بالشأم ، وإذا برجل مع معاوية قاعدٍ على السرير كأنه مولًى ، قال : « فمن تصدق به فهو كفارة له » ، قال : فمن تصدق به هدَم الله عنه مثلَه من ذنوبه = فإذا هو عبد الله بن عمرو .(٢)

* * *

(١) الأثر : ١٢٠٨١ – « ابن الصامت » ، هو « عبادة بن الصامت » ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهذا الخبر ، إسناد صحيح إلى الشعبي ، رواه أحمد في مسنده ٥ : ٣١٦ ، من طريق سريج ابن النعمان ، عن هشيم ، بمثله ، ثم رواه ابنه عبد الله في ٥ : ٣٢٩ ، من طريق شجاع بن محمد ، عن هشيم ، بمثله ثم رواه عبد الله أيضاً ٥ : ٣٣٠ ، من طريق إسماعيل بن أبي معمر الهذلي ، عن جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبي ، عن ابن الصامت بلفظ : « من تصدق عن جسده بشيء ، كفر الله تعالى عنه بقدر ذنوبه » .

ورواه البيهقي بغير هذا اللفظ من طريق أبي داود ، عن محمد بن أبان ، عن علقمة بن مرثد ، عن الشعبي » ، وقال : « هو منقطع » ، وذلك أن الشعبي ، لم يسمع من عبادة بن الصامت .

وخرجه ابن كثير في تفسيره ٣ : ١٦٨ ، وزاد نسبته للنسائي ، عن علي بن حجر ، عن جرير بن عبد الحميد .

(٢) الأثر : ١٢٠٨٥ – « شبيب بن سعيد التميمي الحبطي » ، ثقة ، مضى برقم : ٦٦١٣ .

وقال آخرون : عنى بذلك الجارحَ . وقالوا : معنى الآية : فمن تصدق بما وجب له من قوَد أو قصاصٍ على من وجب ذلك له عليه، فعفا عنه، فعفوه ذلك عن الجانى كفّارة لذنب الجانى المجرم، كما القِصاص منه كفّارة له . قالوا : فأما أجْر العافِى المتصدِّق ، فعلى الله .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٠٨٦ – حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنا يحيى بن آدم ، عن سفيان، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « فمن تصدق به فهو كفارة له » ، قال : كفارة للجارح ، وأجر الذى أُصيب على الله .

١٢٠٨٧ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا يونس ، عن أبى إسحق ، قال سمعت مجاهداً يقول لأبى إسحق : « فمن تصدّق به فهو كفارة له »، يا أبا إسحق، [لمن] ؟[1] قال أبو إسحق: للمتصدق=فقال مجاهد: للمذنب الجارح .

١٢٠٨٨ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال ، قال مغيرة، قال مجاهد : للجارح .

١٢٠٨٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن مجاهد ، مثله .

١٢٠٩٠ – حدثنا هناد وسفيان بن وكيع قالا، حدثنا جرير ، عن منصور، عن إبراهيم ومجاهد : « فمن تصدق به فهو كفارة له » ، قالا : للذى تُصُدِّق عليه،

وهذا الأثر مضى قبل ذلك بالأسانيد رقم ١٢٠٧٣ – ١٢٠٧٥ ، ولا أدرى أسقط من الناسخ هنا « عن طارق بن شهاب » ، كما فى سائر الأسانيد ، أم هكذا رواه ابن وهب عن شبيب بن سعيد . ولذلك تركته على حاله ، ولكن لاشك أن الراوى عن الهيثم ، هو طارق بن شهاب .

وأما قوله « الهيثم أبى العريان » فقد كان فى المخطوطة والمطبوعة : « الهيثم بن العريان » ، وهو خطأ لا شك فيه ، صوابه ما أثبت . وقد مضى ذكره فى الأسانيد السالفة، انظر التعليق هناك .

(١) ما زدته بين القوسين ، لا بد من زيادته أو ما يشبهه .

وأجرُ الذى أصيب على الله = قال هناد فى حديثه ، قالا : كفارة للذى تُصُدِّق به عليه .

١٢٠٩١ – حدثنا هناد قال، حدثنا عبد بن حميد ، عن منصور ، عن مجاهد ، بنحوه .

١٢٠٩٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا محمد بن بشر ، عن زكريا ، عن عامر قال : كفارة لمن تُصُدِّق به عليه .

١٢٠٩٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد وإبراهيم قالا : كفارة للجارح ، وأجر الذى أصيب على الله .

١٢٠٩٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان قال : سمعت زيد بن أسلم يقول : إن عفا عنه ، أو اقتص منه ، أو قبل منه الدية ، فهو كفّارة له .

١٢٠٩٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : كفارة للجارح ، وأجرٌ للعافى ، لقوله :(١) ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ ﴾ [سورة الشورى : ٤٠] .

١٢٠٩٦ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله: « فمن تصدّق به فهو كفارة له » ، قال : كفارة للمتصدَّقِ عليه .

١٢٠٩٧ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا معلى بن أسد قال ، حدثنا خالد قال ، حدثنا حصين ، عن ابن عباس : « فمن تصدق به فهو كفارة له »، قال : هى كفارة للجارح .

١٢٠٩٨ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن

---

(١) فى المخطوطة : « إلى قوله : فمن عفا . . . » ، وفى الهامش حرف (ط) دلالة على الخطأ ، والذى فى المطبوعة هو الصواب .

عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : « فمن تصدق به فهو كفارة له » ، قال : فالكفارة للجارح ، وأجر المتصدِّق على الله .

١٢٠٩٩ – حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد أنه كان يقول : « فمن تصدق به فهو كفارة له»، يقول : للقاتل ، وأجرٌ للعافى .

١٢١٠٠ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عمران بن ظبيان ، عن عدىّ بن ثابت قال : هُتِم رجل على عهد معاوية ،[1] فأعطى دية فلم يقبل، ثم أعطى ديتين فلم يقبل ، ثم أعطى ثلاثاً فلم يقبل . فحدَّث رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «فمن تصدّق بدمٍ فما دونه، كان كفّارة له من يوم تصدَّق إلى يوم وُلد». قال: فتصدَّق الرجل .[2]

١٢١٠١ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له»، يقول: من جرح فتصدَّق بالذى جُرِح به على الجارح، ١٧٠/٦

---

(١) « هتم الرجل » (بالبناء للمجهول) : انكسر مقدم أسنانه . «هتم فاه يهتمه هتماً » متعدياً = و « هتم هتما » (على وزن سكر) فهو « أهتم » ، و « تهتمت ثناياه » .

(٢) الأثر : ١٢١٠٠ – « عمران بن ظبيان الحنفى » . قال البخارى : « فيه نظر » ، وقال أبو حاتم : « يكتب حديثه » ، ثم اختلف فى أمره ابن حبان ، فذكره فى الثقات ، ثم عاد فذكره فى الضعفاء ، وقال « فحش خطؤه ، حتى بطل الاحتجاج » ، وضعفه العقيلى وابن عدى . وكان يميل إلى التشيع .

وأما « عدى بن ثابت الأنصارى » ،فهو ثقة صدوق، كان إمام مسجد الشيعة وقاصهم. وروى له الأئمة ، مضى برقم : ١١٧٢٦ .

وهذا الخبر ، خرجه السيوطى فى الدر المنثور ١ : ٢٨٨ ، ونسبه أيضاً لسعيد بن منصور ، ابن مردويه . ولفظ الخبر عن رسول الله : « من تصدق بدم فما دونه ، فهو كفارة له من يوم ولد إلى يوم يموت » . وساقه بلفظه هذا ابن كثير فى تفسيره ٣ : ١٦٨ ، عن ابن مردويه، قال «حدثنا دعلج بن أحمد ، حدثنا محمد بن على بن زيد ، عن سعيد بن منصور ، عن سفيان ، عن عمران ابن ظبيان» . وكأن الصواب هو هذا اللفظ ، وما فى التفسير أنا فى شك من صحة لفظه ، ولكنى تركته على حاله ، ولو كان : « من يوم ولد إلى يوم تصدق » ، لكان أقوم لفظاً ومعنى .

فليس على الجارح سبيلٌ ولا قَوَدٌ ولا عَقْلٌ ، ولا حَرَجَ عليه ،[١] من أجل أنه تصدق عليه الذى جُرِح ، فكان كفارة له من ظلمه الذى ظَلَم .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب ، قولُ من قال : عنى بقوله : « فمن تصدّق به فهو كفارة له » ، المجروحَ[٢] = فلأن تكون « الهاء » فى قوله : « له » عائدةً على « مَنْ » ، أولى من أن تكون مِنْ ذِكْر من لم يجر له ذكر إلاّ بالمعنى دون التصريح ، وأحرَى ، إذ الصدقة هى المكفِّرة ذنبَ صاحبها دون المتصدَّق عليه فى سائر الصدقات غير هذه ، فالواجب أن يكون سبيلُ هذه سبيلَ غيرها من الصَّدقات .

* * *

فإن ظنّ ظانّ أن القِصاصَ = إذْ كان يكفّر ذنب صاحبه المقتصّ منه الذى أتاه فى قتل من قتله ظلماً ، لقول النبى صلى الله عليه وسلم إذ أخذ البيعة على أصحابه[٣] : « أن لا تقتلوا ولا تزنُوا ولا تسرقوا » ، ثم قال : « فمن فَعَل من ذلك شيئاً فأقيم عليه حدُّه فهو كفارته »[٤] = فالواجب أن يكونَ عفوُ العافى المجنىِّ عليه ، أو ولى المقتول عنه نظيرَه ،[٥] فى أن ذلك له كفارة . فإن ذلك لو وجب أن يكون كذلك ، لوجب أن يكون عفوُ المقذوفِ عن قاذفه بالزنا ، وتركِه أخذه بالواجب له من الحدّ وقد قذفه قاذِفُه وهو عفيفٌ مسلم مُحْصَن ، كفّارةً للقاذف من ذنبه الذى ركبه ، ومعصيته التى أتاها . وذلك ما لا نعلم قائلاً من أهل العلم يقوله .

فإذْ كان غير جائز أن يكون تركُ المقذوف = الذى وصفنا أمره = أخذَ قاذفه

---

(١) فى المطبوعة : « ولا جرح عليه » ، والصواب ما أثبت ، والمخطوطة غير منقوطة .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « عنى به فن تصدق . . . » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

(٣) فى المطبوعة : « كقول النبى صلى الله عليه وسلم » ، والصواب ما أثبت .

(٤) هذا الخبر رواه أبو جعفر مختصراً غير مسند ، وهو خبر صحيح . انظر صحيح مسلم ١١ : ٢٢٢ — ٢٢٤ .

(٥) السياق : « فإن ظن ظان أن القصاص ، إذ كان يكفر ذنب صاحبه . . . فالواجب أن يكون عفو العافى . . . نظيره .

بالواجب له من الحدّ = كفارةً للقاذف من ذنبه الذى ركبه ، كان كذلك غير جائز أن يكون ترك المجروح أخذَ الجارح بحقّه من القصاص ، كفّارةً للجارح من ذنبه الذى ركبه .

* * *

فإن قال قائل : أو ليس للمجروح عندك أخْذُ جارحه بدية جرحه مكانَ القِصاص ؟

قيل له : بلى !

فإن قال : أفرأيت لو اختار الدّية ثم عفا عنها ، أكانت له قِبَله فى الآخرة تَبِعةٌ ؟

قيل له : هذا كلام عندنا محالٌ . وذلك أنه لا يكون عندنا مختاراً لدية إلا وهو لها آخذٌ . فأما العفو فإنما هو عفو عن الدم = وقد دللنا على صحة ذلك فى موضع غيرِ هذا ، بما أغنى عن تكريره فى هذا الموضع [1] = إلا أن يكون مراداً بذلك هِبتُها لمن أخذت منه بعد الأخذ . مع أن عفوه عن الدية بعد اختياره إياها لو صَحّ ، لم يكن فى صحة ذلك ما يوجب أن يكون المعفوُّ له عنها بريئاً من عقوبة ذنبه عند الله ، لأن الله تعالى ذكره أوعد قاتلَ المؤمن بما أوعده به إن لم يتُبْ من ذنبه ، والدية مأخوذة منه ، أحبَّ أم سخط . والتوبة من التّائب إنما تكون توبةً إذا اختارها وأرادَها وآثرها على الإصرار .

* * *

فإن ظنّ ظانّ أن ذلك وإن كان كذلك ، فقد يجب أن يكون له كفارةً ، كما كان القصاص له كفارة ، [2] فإنّا إنما جعلنا القِصاص له كفارة = مع ندمه وبَذْله نفسَه لأخذ الحق منها = تنصُّلاً من ذنبه ، بخبر النبى صلى الله عليه وسلم .

---

(١) انظر ما سلف ٣ : ٣٧١ ، وما قبلها .

(٢) فى المطبوعة : « كما جاز القصاص » ، وفى المخطوطة « كان » إلا أنه كتب جيما ثم وضع عليها شرطة الكاف ، وأما الحرف الأخير فهو « نون » ، فصحيح قراءته ما أثبت ، وهو حق السياق أيضاً .

فأما الدية إذا اختارها المجروحُ ثم عفا عنها ، فلم يُقْضَ عليه بحدّ ذنبه ، فيكون ممن دخل فى حكم النبي صلى الله عليه وسلم وقوله : «فمن أقيم عليه الحد فهو كفارته». ثم مما يؤكد صحة ما قلنا فى ذلك، الأخبارُ التى ذكرناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله : « فمن تصدّق بدمٍ » ،(١) وما أشبه ذلك من الأخبار التى قد ذكرناها قبل .

* * *

وقد يجوز أن يكون القائلون إنه عنى بذلك الجارحَ ، أرادوا المعنى الذى ذُكر عن عروة بن الزبير الذى :—

١٢١٠٢ — حدثنى به الحارث بن محمد قال ، حدثنا القاسم بن سلام قال،(٢) حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قال ، أخبرنى عبد الله بن كثير ، عن مجاهد قال : إذا أصاب رجل رجلاً ، ولا يعلم المُصاب من أصابه، فاعترف له المصيب، فهو كفارة للمُصيب . قال: وكان مجاهد يقول عند هذا: أصاب عروة ابن الزبير عينَ إنسان عند الركن فيما يستلمون،(٣) فقال له: يا هذا ، أنا عروة بن الزبير ، فإن كان بعينك بأس فأنَا بها !

* * *

وإذا كان الأمر من الجارح على نحو ما كان من عروة من خطأ فعلٍ على غير عمدٍ ، ثم اعترف للذى أصابه بما أصابه ، فعفا له المصاب بذلك عن حقّه قبله، فلا تبعة له حينئذٍ قِبَل المُصيب فى الدنيا ولا فى الآخرة . لأن الذى كان وجب له قبله مالٌ لا قِصاص، وقد أبرأه منه: فإبراؤه منه، كفّارة للمبرِّأ من حقه

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة . « فن تصدق به » ، والصواب ما أثبته ، وهو نص الأثر السالف رقم : ١٢١٠٠ .

(٢) فى المطبوعة : « قال حدثنا ابن سلام » ، وفى المخطوطة : « قال حدثنا القاسم الحارث ابن سلام » ثم ضرب على « القاسم » و « الحارث » ثم وضع بجوار « القاسم » علامة التصحيح وهى (صح) .

(٣) فى المخطوطة : « فيما يسلمون » ، وتركت ما فى المطبوعة على حاله ، وهو قريب الاستقامة . وفى تفسير أبى حيان ٣ : ٤٩٧ ، « وهم يستلمون » ، وهى أجود .

الذى كان له أخذه به ،[١] فلا طَلِبة له بسبب ذلك قِبَله فى الدنيا ولا فى الآخرة ، ولا عقوبة تلزمه بها بما كان منه إلى من أصابه ، لأنه لم يتعمد إصابته بما أصابه به ، فيكون بفعله آثماً يستحق به العقوبة من ربه ،[٢] لأن الله عز وجل قد وضع الجُناح عن عباده فيما أخطأوا فيه ولم يتعمّدوه من أفعالهم ، فقال فى كتابه : ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَـٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾.[٣] [سورة الأحزاب : ٥] ١٧١/٦

* * *

و « التصدُّق » ، فى هذا الموضع ، بالدم ، العفو عنه .[٤]

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ (٤٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ومن لم يحكم بما أنزل الله فى التوراة من قَوَدِ النفس القاتلة قِصاصاً بالنفس المقتولة ظلماً ، ولم يفقأ عين الفاقئ بعين المفقوء ظلماً ، قِصاصاً ممن أمره الله به بذلك فى كتابه ، ولكن أقاد من بعضٍ ولم يُقِدْ من

---

(١) فى المطبوعة : « كفارة له من حقه » ، وفى المخطوطة « كفارة لمرامر من حقه » ، والذى أثبته هو صواب قراءتها .

(٢) فى المطبوعة : « فيكون بفعله إنما يستحق العقوبة » ، وهو كلام فارغ المعنى ، و « انما » هكذا فى المخطوطة غير منقوطة ، وصواب قراءتها ما أثبت .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة ، كتب الآية هكذا : « ولا جناح عليكم فيما أخطأتم . . . » ، وليس فيما نتلو آية كهذه ، وإنما هى آية الأحزاب كما أثبتها .

(٤) فى المطبوعة : « وقد يراد فى هذا الموضع بالدم العفو عنه » ، وهو كلام لا معنى له ولا ضابط . وفى المخطوطة : « وا فى هذا الموضع بالدم ، العفو عنه » ، بين الكلامين بياض وفى الهامش حرف (ط) دلالة على الخطأ ، فاستظهرت صواب الكلام من سياق تفسير هذه الآية .

بعض، أو قتل فى بعض اثنين بواحد، فإنّ من يفعل ذلك من « الظالمين »[١] = يعنى : ممن جارَ عن حكم الله ، [٢] ووضع فعله ما فعل من ذلك فى غير موضعه الذى جعله الله له موضعاً . [٣]

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (٤٦)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وقفينا على آثارهم »، [٤] أتبعنا. يقول : أتبعنا عيسى بن مريم على آثار النبيين الذين أسلموا من قبلك ، يا محمد ، فبعثناه نبيًّا مصدّقاً لكتابنا الذى أنزلناه إلى موسى من قبله أنّه حق، وأن العمل بما لم ينسخه الإنجيل منه فرضٌ واجب = [١] « وآتيناه الإنجيل » ، يقول : وأنزلنا إليه كتابنا الذى اسمه «الإنجيل» = «فيه هدى ونور» يقول : فى الإنجيل «هدًى»، وهو بيان ما جهله الناس من حكم الله فى زمانه = « ونور »، يقول : وضياء من عَمَى الجهالة = « ومصدقاً لما بين يديه » ، يقول : أوحينا إليه ذلك وأنزلناه إليه بتصديق ما كان قبله من كتب الله [٢] التى كان أنزلها على كل أمة أُنزل إلى نبيِّها كتاب للعمل بما أنزل إلى نبيهم فى ذلك الكتاب، من تحليل ما حلّل، وتحريم ما حرّم = « وهدى وموعظة »، يقول : أنزلنا الإنجيل إلى عيسى مصدِّقاً للكتب التى قبله [٣]، وبياناً لحكم الله الذى ارتضاه لعباده المتّقين فى زمان عيسى ، = « وموعظة » ، لهم = يقول : وزجراً لهم عما يكرهه الله إلى ما يحبُّه من الأعمال ، وتنبيهاً لهم عليه .

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « وإن من يفعل ذلك » ، والسياق يقتضى ما أثبت .
(٢) فى المطبوعة : « جار على حكم الله » ، والصواب من المخطوطة .
(٣) انظر تفسير « الظلم » فيما سلف من فهارس اللغة .
(٤) انظر تفسير « قفى » فيما سلف ٢ : ٣١٨ .

و« المتقون » ، هم الذين خافوا الله وحذروا عقابه ، فاتقوه بطاعته فيما أمرهم ، وحذروه بترك ما نهاهم عن فعله . وقد مضى البيان عن ذلك بشواهده قبل ، فأغنى ذلك عن إعادته .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٤٧)

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة قوله : « وليحكم أهل الإنجيل » .

فقرأته قرأة الحجاز والبصرة وبعض الكوفيين :(٢) ﴿ وَلْيَحْكُمْ ﴾ بتسكين « اللام » ، على وجه الأمر من الله لأهل الإنجيل : أن يحكموا بما أنزل الله فيه من أحكامه . وكأنّ من قرأ ذلك كذلك ، أراد : وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونورٌ ومصدقاً لما بين يديه من التوراة ، وأمرنا أهلَه أن يحكموا بما أنزل الله فيه = فيكون فى الكلام محذوف ، ترك استغناءً بما ذكر عما حُذِف

* * *

وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة : ﴿ وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ ﴾ بكسر « اللام » ، من « ليحكم » ، بمعنى : كى يحكم أهل الإنجيل . وكأنّ معنى من قرأ ذلك كذلك : وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونورٌ ومصدقاً لما بين يديه من التوراة ، كى يحكم أهله بما فيه من حكم الله .

* * *

والذى نقول به فى ذلك ،(٣) أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى ، فبأىّ ذلك قرأ قارئٌ فمصيبٌ فيه الصوابَ .

---

(١) انظر تفسير ألفاظ هذه الآية فيما سلف من فهارس اللغة .

(٢) فى المطبوعة : « فقرأ قراء الحجاز . . . » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « والذى يتراءى فى ذلك » ، وفى المخطوطة : « والذى يعرك به فى ذلك » ، وأرجح أن صواب قراءتها ما أثبت .

وذلك أن الله تعالى لم ينزل كتاباً على نبيٍّ من أنبيائه إلاّ ليعمل بما فيه أهله الذين أمروا بالعمل بما فيه ، ولم ينزله عليهم إلاّ وقد أمرهم بالعمل بما فيه ، فللعمل بما فيه أنزله ، وأمراً بالعمل بما فيه أنزله .(١) فكذلك الإنجيل ، إذ كان من كتب الله التى أنزلها على أنبيائه ، فللعمل بما فيه أنزله على عيسى ، وأمراً بالعمل به أهلَه أنزله عليه .(٢) فسواءٌ قرئ ذلك على وجه الأمر بتسكين « اللام » ، أو قرئ على وجه الخبر بكسرها ، لاتفاق معنييهما .

* * *

وأما ما ذكر عن أبيّ بن كعب من قراءته ذلك ﴿ وَأَنْ لِيَحْكُمْ ﴾ على وجه الأمر ، فذلك مما لم يَصِحّ به النقل عنه . ولو صحّ أيضاً، لم يكن فى ذلك ما يوجب أن تكون القراءة بخلافه محظورةً ، إذ كان معناها صحيحاً ، وكان المتقدّمون من أئمة القرأة قد قرأوا بها .

* * *

وإذ كان الأمر فى ذلك على ما بيّنّا ، فتأويل الكلام، إذا قرئ بكسر « اللام » من « ليحكم » : وآتينا عيسى بن مريم الإنجيل فيه هدًى ونورٌ ومصدقاً ٦/ ١٧٢
لما بين يديه من التوراة وهدًى وموعظة للمتقين ، وكيْ يحكم أهلُ الإنجيل بما أنزلنا فيه ، فبدّلوا حكمه وخالفوه، فضلُّوا بخلافهم إياه إذ لم يحكموا بما أنزل الله فيه وخالفوه = « فأولئك هم الفاسقون » ، يعنى : الخارجين عن أمر الله فيه ، المخالفين له فيما أمرهم ونهاهم فى كتابه .

* * *

فأما إذا قرئ بتسكين « اللام » ، فتأويله : وآتينا عيسى بن مريم الإنجيل فيه هدى ونورٌ ومصدقاً لما بين يديه من التوراة، وأمرنا أهله أن يحكُموا بما أنزلنا

---

(١) فى المطبوعة : « وأمر بالعمل بما فيه أهله » ، فغير ما فى المخطوطة تغييراً مفسداً للمعنى ، مزيلا لقصد أبى جعفر من هذه الجملة التى احتج بها فى تقارب معنى القراءتين . وهذا عجب من سوء التصرف . وكذلك سيفعل فى الجملة التالية ، كما سترى فى التعليق .

(٢) فى المطبوعة ، أسقط قوله : « أنزله عليه » وكتب « وأمر بالعمل به أهله » ، فأخل بمقصد أبى جعفر ، كما فعل بالجملة السالفة . انظر التعليق السالف .

فيه ، فلم يطيعونا فى أمرنا إياهم بما أمرناهم به فيه ، ولكنهم خالفوا أمرنا ، فالذين خالفوا أمرنا الذى أمرناهم به فيه ، هم الفاسقون .

* * *

وكان ابن زيد يقول : « الفاسقون » ، فى هذا الموضع وفى غيره ، هم الكاذبون .

١٢١٠٣ — حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » ، قال : ومن لم يحكم من أهل الإنجيل أيضاً بذلك = « فأولئك هم الفاسقون » ، قال : الكاذبون . بهذا قال . وقال ابن زيد : كل شىء فى القرآن إلا قليلاً « فاسق » فهو كاذب . وقرأ قول الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ ﴾ [سورة الحجرات : ٦] ، قال : « الفاسق » ، ههنا ، كاذب .

* * *

وقد بينا معنى « الفسق » بشواهده فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .(١)

* * *

---

(١) انظر تفسير « الفسق » فيما سلف ص : ١٨٩ تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

* * *

وعند هذا الموضع ، انتهى جزء من التقسيم القديم الذى نقلت عنه مخطوطتنا ، وفيها ما نصه :

« يتلوه القول فى تأويل قوله :

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عليه ﴾ .

وصلّى الله على محمد وعلى آله وسلم كثيراً » .

ثم يتلوه ما نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾

قال أبو جعفر : وهذا خطابٌ من الله تعالى ذكره لنبيه محمدٍ صلى الله عليه وسلم . يقول تعالى ذكره : أنزلنا إليك ، يا محمد ، « الكتاب » ، وهو القرآن الذى أنزله عليه = ويعنى بقوله : « بالحق » ، بالصدق ولا كذب فيه ، ولا شك أنه من عند الله[1] = « مصدقاً لما بين يديه من الكتاب » ، يقول : أنزلناه بتصديق ما قبله من كتب الله التى أنزلها إلى أنبيائه = « ومهيمناً عليه » ، يقول : أنزلنا الكتاب الذى أنزلناه إليك ، يا محمد ، مصدّقاً للكتب قبله ، وشهيداً عليها أنها حق من من عند الله ، أميناً عليها ، حافظاً لها .

* * *

وأصل « الهيمنة » ، الحفظ والارتقاب . يقال ، إذا رَقَبَ الرجل الشىء وحفظه وشَهِده : « قد هيمن فلان عليه ، فهو يُهَيمن هيمنة ، وهو عليه مهيمن » .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، إلا أنهم اختلفت عباراتهم عنه .

فقال بعضهم : معناه : شهيداً .

* ذكر من قال ذلك :

١٢١٠٣م — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « ومهيمناً عليه » ، يقول : شهيداً .

١٢١٠٤ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ومهيمناً عليه » ، قال : شهيداً عليه .

---

(١) انظر تفسير « الحق » فيما سلف ٧ : ٩/٩٧ : ٢٢٧ .

١٢١٠٥ – حدثني بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً بين يديه من الكتاب » ، يقول : الكتب التي خلت قبله = « ومهيمناً عليه » ، أميناً وشاهداً على الكتب التي خلت قبله .

١٢١٠٦ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « ومهيمناً عليه »، مؤتمناً على القرآن ، وشاهداً ومصدِّقاً = وقال ابن جريج : وقال : آخرون[1] : القرآن أمين على الكتب فيما إذا أخبرنا أهل الكتاب في كتابهم بأمرٍ ، إن كان في القرآن فصدقوا ، وإلاّ فكذبوا .

* * *

وقال بعضهم : معناه : أمينٌ عليه .

* ذكر من قال ذلك :

١٢١٠٧ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن = وحدثنا هناد ابن السري قال ، حدثنا وكيع = جميعاً ، عن سفيان ، عن أبي إسحق، عن التيمي، عن ابن عباس : « ومهيمناً عليه » ، قال : مؤتمناً عليه .

١٢١٠٨ – حدثنا محمد بن عبيد المحاربي قال، حدثنا أبو الأحوص ، عن أبي إسحق ، عن التيمي ، عن ابن عباس في قوله : « ومهيمناً عليه » ، قال : مؤتمناً عليه .

١٢١٠٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي قال ، حدثنا سفيان وإسرائيل، عن أبي إسحق ، عن التيمي ، عن ابن عباس ، مثله .

١٢١١٠ – حدثنا هناد قال ، حدثنا وكيع ، عن سفيان وإسرائيل ، عن أبي إسحق ، بإسناده ، عن ابن عباس ، مثله .

١٢١١١ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن عطية قال، حدثنا إسرائيل،

---

(١) في المطبوعة : « وقال ابن جريج وآخرون » ، والصواب من المخطوطة .

عن أبي إسحق ، عن التيمي ، عن ابن عباس ، مثله .

١٢١١٢ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن أبي إسحق ، عن التيمي ، عن ابن عباس ، مثله .

١٢١١٣ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عمرو ، عن مطرف ، عن أبي إسحق ، عن رجل من تميم ، عن ابن عباس ، مثله .(١)

١٢١١٤ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « ومهيمناً عليه » ، قال : والمهيمن الأمين : قال : القرآن أمين على كلّ كتاب قبله . ١٧٣/٦

١٢١١٥ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدّقًا لما بين يديه من الكتاب » ، وهو القرآن ، شاهد على التوراة والإنجيل ، مصدقاً لهما = « ومهيمناً عليه » ، يعني : أميناً عليه ، يحكم على ما كان قبله من الكتب .

١٢١١٦ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن قيس ، عن أبي إسحق ، عن التيمي ، عن ابن عباس : « ومهيمناً عليه » ، قال : مؤتمناً عليه .

١٢١١٧ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن زهير ، عن أبي إسحق ، عن رجل من بني تميم ، عن ابن عباس : « ومهيمناً عليه » ، قال : مؤتمناً عليه .

---

(١) الآثار ١٢١٠٧ – ١٢١١٣ – « التيمي » و « رجل من تميم » ، هو « أربدة التيمي » ، يروى التفسير عن ابن عباس ، رواه عنه أبو إسحق السبيعي ، مضى برقم : ١٩٢٨ ، ١٩٢٩ ، ولكن كتب أخي السيد أحمد على الأثر رقم : ٢٠٩٥ ، ثم كتبت أنا على الآثار من رقم : ٣٩٨٦ – ٣٩٨٩ ، أنه رجل مجهول من تميم ، ولكن الصواب أنه معروف وهو « أربدة التيمي » ، وهو تابعي ثقة . ثم انظر الآثار الآتية من رقم : ١٢١١٦ – ١٢١١٨ .

١٢١١٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا يحيى الحماني قال ، حدثنا شريك ، عن أبي إسحق ، عن التيمي ، عن ابن عباس ، مثله .(١)

١٢١١٩ – حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي = عن سفيان وإسرائيل ، عن علي بن بذيمة ، عن سعيد بن جبير : « ومهيمناً عليه » ، قال : مؤتمناً على ما قبله من الكتب .

١٢١٢٠ – حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن أبي رجاء قال : سألت الحسين عن قوله : « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدِّقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه » ، قال : مصدقاً لهذه الكتب ، وأميناً عليها . وسئل عنها عكرمة وأنا أسمع فقال : مؤتمناً عليه .

* * *

وقال آخرون : معنى « المهيمن » ، المصدق .

* ذكر من قال ذلك :

١٢١٢١ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « ومهيمناً عليه » ، قال : مصدِّقاً عليه . كل شيء أنزله الله من توراة أو إنجيل أو زَبُورٍ ،فالقرآن مصدِّق على ذلك. وكل شيء ذكر الله في القرآن ، فهو مصدِّقٌ عليها وعلى ما حُدِّث عنها أنه حق .

* * *

وقال آخرون : عنى بقوله: « مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه»، نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم .

* ذكر من قال ذلك:

١٢١٢٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن

---

(١) الآثار : ١٢١١٦ – ١٢١١٨ – « التيمي » ، و « رجل من بني تميم » ، هو « أربدة التيمي » ، انظر التعليق السالف .

ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ومهيمناً عليه » ، محمد صلى الله عليه وسلم ، مؤتمنٌ على القرآن .

١٢١٢٣ – حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ومهيمناً عليه » ، قال : محمد صلى الله عليه وسلم ، مؤتمنٌ على القرآن .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام على ما تأوّله مجاهد : وأنزلنا الكتاب مصدقاً الكتبَ قبله إليك، مهيمناً عليه = فيكون قوله: « مصدقاً » حالاً من « الكتاب » وبعضاً منه، ويكون « التصديق » من صفة « الكتاب »، و« المهيمن » حالاً من « الكاف » التي في « إليك »، وهي كناية عن ذكر اسم النبي صلى الله عليه وسلم، و « الهاء » في قوله : « عليه » ، عائدة على الكتاب .

* * *

وهذا التأويل بعيد من المفهوم في كلام العرب ، بل هو خطأ . وذلك أنّ « المهيمن» عطفٌ على« المصدق » ،فلا يكون إلا من صفة ما كان « المصدِّق » صفةً له . ولو كان معنى الكلام ما روى عن مجاهد، لقيل : « وأنزلنا إليك الكتاب مصدِّقاً لما بين يديه من الكتاب مهيمناً عليه »[1]= لأنه لم يتقدم من صفة « الكاف » التي في « إليك » بعدَها شيءٌ يكون « مهيمناً عليه »عطفاً عليه،[2] وإنما عطف به على « المصدق » ، لأنه من صفة « الكتاب » الذي من صفته « المصدق » .

* * *

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « ومهيمناً » بالواو ، والصواب إسقاطها ، لأنه أراد إسقاط العطف ، إذ كان « مهيمناً » حالا من « الكاف » في « إليك » ، غير معطوف على شيء قبله ، كما ترى في بقية كلامه .

(٢) في المطبوعة : « لأنه متقدم من صفة الكاف التي في إليك وليس بعدها شيء . . . » ، فزاد « وليس » ، وليست في المخطوطة ، وجعل « يتقدم » « متقدم » ، إذ كان في المخطوطة خطأ ، فأساء الفهم ، وأساء التصرف ! ! كان في المخطوطة كما أثبت إلا أنه كتب « لأنه يتقدم من صفة الكاف » سقط من الناسخ « لم » ، فأثبتها ، واستقام الكلام على وجهه .

فإن ظن ظان أن « المصدق » = على قول مجاهد وتأويله هذا = من صفة « الكاف » التى فى « إليك » ، فإن قوله : « لما بين يديه من الكتاب » ، يبطل أن يكون تأويل ذلك كذلك ، وأن يكون « المصدق » من صفة « الكاف » التى فى « إليك ». لأن « الهاء » فى قوله : « بين يديه » ، كناية اسم غير المخاطب ، وهو النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله « إليك ».[1] ولو كان «المصدق» من صفة « الكاف » ، لكان الكلام : وأنزلنا إليك الكتاب مصدّقاً لما بين يديك من الكتاب ،[2] ومهيمناً عليه = فيكون معنى الكلام حينئذٍ كذلك .[3]

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾

قال أبو جعفر : وهذا أمر من الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، أن يحكم بين المحتكمين إليه من أهل الكتاب وسائر أهل الملل بكتابه الذى أنزله إليه ، وهو القرآن الذى خصّه بشريعته . يقول تعالى ذكره : احكم ، يا محمد ، بين أهل الكتاب والمشركين بما أُنزل إليك من كتابى وأحكامى فى كل ما احتكموا فيه إليك ، من الحدود والجُرُوح والقَوَد والنفوس ، فارجم الزانى المحصَن ، واقتل النفسَ القاتلةَ بالنفس المقتولة ظلماً ، وافقأ العين بالعين ، واجدع الأنف بالأنف ، فإنى أنزلت إليك القرآن مصدّقاً فى ذلك ما بين يديه من الكتب ، ومهيمناً عليه رقيباً ، يقضى على ما قبله من سائر الكتب قبلَه ، ولا تتبع أهواء هؤلاء اليهود = الذين ١٧٤/١

---

(١) فى المخطوطة : « والنبى صلى الله عليه . . . » بإسقاط « هو » ، والصواب ما فى المطبوعة.

(٢) فى المخطوطة : « لما بين يديه » ، والصواب ما فى المطبوعة .

(٣) فى المخطوطة : « فيكون معنى الكلام حينئذ يكون كذلك» ، بزيادة « يكون » ، والصواب ما فى المخطوطة ، إلا أن يكون الناسخ أسقط من الكلام شيئاً . ومع ذلك ، فالذى فى المطبوعة مستقيم .

يقولون : إن أوتيتم الجلدَ فى الزانى المحصن دون الرجم، وقتلَ الوضيع بالشريف إذا قتله ، وتركَ قتل الشريف بالوضيع إذا قتله ، فخذوه ، وإن لم تؤتوه فاحذروا [١] = عن الذى جاءك من عند الله من الحق ، وهو كتاب الله الذى أنزله إليك . يقول له : اعمل بكتابى الذى أنزلته إليك إذا احتكموا إليك فاخترتَ الحكم عليهم ، [٢] ولا تتركنَّ العمل بذلك اتباعاً منك أهواءَهم ، وإيثاراً لها على الحق الذى أنزلته إليك فى كتابى ، كما : —

١٢١٢٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « فاحكم بينهم بما أنزل الله » ، يقول : بحدود الله = « ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ».

١٢١٢٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا هرون ، عن عنبسة ، عن جابر ، عن عامر ، عن مسروق : أنه كان يحلف اليهودىَّ والنصرانى بالله ، ثم قرأ : ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [سورة المائدة : ٤٩] ، [٣] و« أنزل الله » : ﴿أَنْ لَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [سورة الأنعام : ١٥١].

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : لكل قوم منكم جعلنا شرعةً . [٤]

* * *

(١) السياق : « ولا تتبع أهواء هؤلاء اليهود . . . عن الذى جاءك من عند الله . . . » .

(٢) فى المطبوعة : « فاختر الحكم » ، والصواب ما فى المخطوطة ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم مخير فى الحكم بينهم وفى ترك الحكم ، كما سلف ص : ٣٣٣ .

(٣) فى المخطوطة : « ثم قرأ : فإن جاؤوك فاحكم بينهم بما أنزل الله » ، وصواب الاستدلال فى هذه الآية من المائدة ، أما آية المائدة الأخرى (٤٢) ، فتلاوتها : « فإن جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم » ، وليس فيها الدليل الذى تطلبه فى استحلافهم بالله عز وجل .

(٤) انظر تفسير « كل » فيما سلف ٣ : ٦/١٩٣ : ٨/٢٠٩ : ٢٦٩ .

و« الشرعة » هى « الشريعة » بعينها ، تجمع « الشرعة » « شِرَعاً » ، (١) « والشريعة » « شرائع » . ولو جمعت « الشرعة » « شرائع » ، كان صواباً ، لأن معناها ومعنى « الشريعة » واحد ، فيردّها عند الجمع إلى لفظ نظيرها . وكل ما شرعت فيه من شىء فهو « شريعة » . ومن ذلك قيل : لشريعة الماء « شريعة » ، لأنه يُشْرع منها إلى الماء . ومنه سميت شرائع الإسلام « شرائع » ، لشروع أهله فيه . ومنه قيل للقوم إذا تساووا فى الشىء : « هم شَرَعٌ » ، سواءٌ .

* * *

وأما « المنهاج » ، فإنّ أصله : الطريقُ البيِّن الواضح ، يقال منه : « هو طريق نَهْجٌ ، ومَنْهَجٌ » ، بيِّنٌ ، كما قال الراجز : (٢)

مَنْ يكُ فِى شَكٍّ فَهٰذَا فَلْجُ مَاءٌ رَوَاءٌ وَطَرِيقٌ نَهْجُ (٣)

ثم يستعمل فى كل شىء كان بيناً واضحاً سهلاً .

* * *

فمعنى الكلام : لكل قوم منكم جعلنا طريقاً إلى الحق يؤمّه ، وسبيلاً واضحاً يعمل به .

* * *

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « تجمع الشرعة شراعاً » ، وهذا خطأ من الناسخ لاشك فيه ، فإن جمع « فعلة » (بكسر فسكون) إنما يكسر على « فعل » (بكسر ففتح) ، فى الصحيح وفى غيره مثل « كسر » ، و « لحى » . وقد جاء فى « فعلة » « فعال » ، وهو قليل ، كجمع « لقحة » و « لقاح » ، و « حقة » ، و « حقاق » . فجائز أن يكون « شراع » جمعاً عزيزاً للشرعة ، ولكن الأقرب فى مثل ذلك أن يذكر الجمع الذى أطبق عليه القياس .

(٢) كأنه راجز من بنى العنبر بن عمرو بن تميم .

(٣) مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٦٨ ، ومعجم ما استعجم : ١٠٢٧ ، واللسان (روى) ، وروايتهم جميعاً : « من يك ذا شك » . ولكن هكذا جاء فى المخطوطة والمطبوعة .

و « فلج » (بفتح فسكون) : ماء لبنى العنبر بن عمرو بن تميم ، يكثر ذكره فى شعر بنى تميم ، ويمتدحون ماءه ، قال بعض الأعراب :

أَلاَ شَرْبَةٌ مِنْ مَاءِ مُزْنٍ عَلَى الصَّفَا حَدِيثَةُ عَهْدٍ بِالسَّحَابِ المُسَخَّرِ
إِلَى رَصَفٍ مِنْ بَطْنِ فَلْجٍ ، كَأَنَّهَا إِذَا ذُقْتَهَا بَيُّوتَةُ مَاءِ سُكَّرِ

و « ماء رواء » (بفتح الراء) : الماء العذب الذى فيه للواردين رى .

ثم اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بقوله : « لكل جعلنا منكم » .

فقال بعضهم : عنى بذلك أهلَ الملل المختلفة ، أى : أن الله جعل لكل مِلّةٍ شريعة ومنهاجاً .

* ذكر من قال ذلك :

١٢١٢٦ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً » ، يقول : سبيلاً وسُنّة . والسنن مختلفة : للتوراة شريعة ، وللإنجيل شريعة ، وللقرآن شريعة ، يحلّ الله فيها ما يشاء ، ويحرّم ما يشاء بلاءً ، ليعلم من يطيعه ممن يعصيه . ولكن الدين الواحد الذى لا يقبل غيره : التوحيدُ والإخلاصُ لله ، الذى جاءت به الرسل .

١٢١٢٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قوله : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً » ، قال : الدينُ واحد ، والشريعةُ مختلفة .

١٢١٢٨ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن هاشم قال أخبرنا سيف بن عمر ، عن أبى روق ، عن أبى أيوب ، عن على قال : الإيمان منذُ بَعث الله تعالى ذكره آدم صلى الله عليه وسلم : شهادةُ أن لا إله إلا الله ، والإقرار بما جاء من عند الله ، لكلّ قوم ما جاءَهم من شرعة أو منهاج ، فلا يكون المقرُّ تاركاً ، ولكنه مُطيع .(١)

* * *

وقال آخرون : بل عنى بذلك أمّةَ محمد صلى الله عليه وسلم . وقالوا : إنما معنى الكلام : قد جعلنا الكتاب الذى أنزلناه إلى نبينا محمدٍ صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) الأثر : ١٢١٢٨ — « عبد الله بن هاشم » ، لم أعرف من يكون . وقد مضى فى الإسنادين رقم : ٧٣٢٩ ، ٧٩٣٨ ، فى مثل هذا الإسناد نفسه .

و « سيف بن عمر التميمى » ، مضى برقم : ٧٣٢٩ ، ٧٩٣٨ ، وهو ساقط الرواية . وكان فى المطبوعة هنا أيضاً ، كما فى الإسنادين المذكورين : « سيف بن عمرو » ، وهو خطأ محض .

أيها الناس ، لكُلِّكم = أى لكل من دخل فى الإسلام وأقرّ بمحمد صلى الله عليه وسلم أنه لى نبيٌّ = شرعةً ومنهاجاً .

* ذكر من قال ذلك :

١٢١٢٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً » ، قال : سنة ، = « ومنهاجاً »، السبيل = « لكلكم »، من دخل فى دين محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد جعل الله له شرعة ومنهاجاً . يقول : القرآن ، هو له شرعة ومنهاج .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب ، قولُ من قال : معناه : لكل أهل ملة منكم ، أيها الأمم ، جعلنا شِرعةً ومنهاجاً .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ، لقوله : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾، ولو كان عنى بقوله : « لكل جعلنا منكم »، أمّة محمد، وهم أمّة واحدةٌ ، لم يكن لقوله : « ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة » ، وقد فعل ذلك فجعلهم أمة واحدة = معنىً مفهوم . ولكن معنى ذلك ، على ما جرى به الخطاب من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : أنه ذكر ما كتب على بنى إسرائيل فى التوراة ، وتقدم إليهم بالعمل بما فيها ، ثم ذكر أنه قفّى بعيسى بن مريم على آثار الأنبياء قبله ، وأنزل عليه الإنجيل، وأمر من بعثه إليه بالعمل بما فيه . ثم ذكر نبيَّنا محمداً صلى الله عليه وسلم ، وأخبره أنه أنزل إليه الكتابَ مصدِّقاً لما بين يديه من الكتاب ، وأمره بالعمل بما فيه ، والحكم بما أنزل إليه فيه دون ما فى سائر الكتب غيره = وأعلمه أنه قد جعل له ولأمته شريعةً غيرَ شرائع الأنبياء والأمم قبلَه الذين قصّ عليه قصصَهم ، وإن كان دينه ودينهم – فى توحيد الله ، والإقرار بما جاءهم به من عنده ، والانتهاء إلى أمره ونهيه – واحداً ، فهم مختلفو الأحوال فيما شرع لكم واحد منهم ولأمته ، فيما أحلّ لهم وحرّم عليهم .

١٧٥/٦

* * *

وبنحو الذى قلنا فى « الشرعة » و« المنهاج » من التأويل ، قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٢١٣٠ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ، حدثنا مسعر ، عن أبى إسحق ، عن التيمى ، عن ابن عباس : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً » ، قال : سنةً وسبيلاً .

١٢١٣١ – حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع ، عن سفيان وإسرائيل ، عن أبى إسحق ، عن التيمى ، عن ابن عباس : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً » ، قال : سنة وسبيلاً .

١٢١٣٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى، عن سفيان وإسرائيل وأبيه ، عن أبى إسحق ، عن التيمى ، عن ابن عباس ، مثله .

١٢١٣٣ – حدثنا هناد قال، حدثنا أبو يحيى الرازى ، عن أبى سنان ، عن أبى إسحق ، عن يحيى بن وثّاب قال : سألت ابن عباس عن قوله : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً » ، قال : سنة وسبيلاً .(١)

١٢١٣٤ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن علية قال، حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحق ، عن التيمى ، عن ابن عباس : « شرعة ومنهاجاً » ، قال : سنة وسبيلاً .

١٢١٣٥ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن عمرو، عن مطرف ، عن أبى إسحق ، عن رجل من بنى تميم ، عن ابن عباس ، بمثله .

---

(١) الأثر : ١٢١٣٣ – « أبو يحيى الرازى » أو « أبو يحيى العبدى » هو : « إسحق ابن سليمان الرازى »، ثقة . مضى برقم : ٦٤٥٦ .

و « أبو سنان » هو : « سعيد بن سنان البرجمى » . روى عن أبى إسحق السبيعى ، وروى عنه إسحق بن سليمان أبو يحيى الرازى . مضى برقم : ١٧٥ ، ١١٢٤٠ . وكان فى المطبوعة : « أبو شيبان » ، وهو خطأ صرف .

و « يحيى بن وثاب الأسدى » المقرىء . روى عن ابن عمر ، وابن عباس . وروى عنه أبو إسحق السبيعى . قال ابن سعد : « كان ثقة قليل الحديث صاحب قرآن » . ومضى برقم : ١١٤٨٨ .

١٢١٣٦ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن أبي إسحق ، عن التيمي ، عن ابن عباس ، مثله .

١٢١٣٧ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً » ، يعني : سبيلاً وسنةً .

١٢١٣٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يزيد بن هرون ، عن سفيان ابن حسين قال : سمعت الحسن يقول : « الشرعة » ، السنة .

١٢١٣٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبيد الله بن موسى ،عن إسرائيل ، عن أبي يحيي القتات ، عن مجاهد قال : سنةً وسبيلاً . (١)

١٢١٤٠ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ،عن ابن أبي نجيح ،عن مجاهد في قول الله تعالى ذكره: « شرعة ومنهاجاً »، قال : « الشرعة »، السنة = « ومنهاجاً » ، قال : السبيل .

١٢١٤١ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

١٢١٤٢ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً » ، يقول : سبيلاً وسنة .

١٢١٤٣ – حدثني المثنى قال ، حدثنا الحوضي قال، حدثنا شعبة قال ، حدثنا أبو إسحق قال : سمعت رجلاً من بني تميم ، عن ابن عباس ، بنحوه. (٢)

١٢١٤٤ – حدثني محمد بن الحسين قال حدثنا أحمد بن المفضل قال ،

---

(١) الأثر : ١٢١٣٩ – « أبو يحيى القتات الكناني » ، مختلف في اسمه . وهو ضعيف متكلم فيه . مترجم في التهذيب .

(٢) الأثر : ١٢١٤٣ – « الحوضي » هو « حفص بن عمر بن الحارث بن سخبرة النمري » أبو عمر الحوضي ، ثقة ثبت متقن . مضى برقم : ١١٤٤٩ .

حدثنا أسباط ، عن السدى : « شرعة ومنهاجاً » ، يقول : سبيلاً وسنة .

١٢١٤٥ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : السنَّة والسبيل .

١٢١٤٦ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً » ، يقول : سبيلاً وسنة .

١٢١٤٧ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد قال ، أخبرنى عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « شرعة ومنهاجاً » ، قال : سبيلاً وسنةً .

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولو شاء ربكم لجعل شرائعكم واحدة ، ولم يجعل لكل أمة شريعةً ومنهاجاً غيرَ شرائع الأمم الأخر ومنهاجهم ، فكنتم تكونون أمة واحدةً لا تختلف شرائعكم ومنهاجكم ، ولكنه تعالى ذكره يعلم ذلك ، ١٧٦/٦ فخالف بين شرائعكم ليختبركم ، فيعرف المطيع منكم من العاصى ، والعاملَ بما أمره فى الكتاب الذى أنزله إلى نبيِّه صلى الله عليه وسلم من المخالف .

* * *

و« الابتلاء » ، هو الاختبار ، وقد أبنتُ ذلك بشواهده فيما مضى قبلُ .(١)

* * *

---

(١) انظر تفسير « الابتلاء » فيما سلف ٢ : ٣/٤٩ : ٧/٧ : ٥٧٤ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

وكان فى المطبوعة والمخطوطة هنا : « وقد ثبت ذلك » ، وليس بشىء ، أخطأ الناسخ ، صوابها ما أثبت .

وقوله : « فيما آتاكم » ، يعني : فيما أنزل عليكم من الكتب ، كما : —

١٢١٤٨ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « ولكن ليبلوكم فيما آتاكم » ، قال : عبد الله بن كثير : لا أعلمه إلاّ قال : ليبلوكم فيما آتاكم من الكتب .

* * *

فإن قال قائل : وكيف قال : « ليبلوكم فيما آتاكم » ، ومن المخاطب بذلك؟ وقد ذكرت أنّ المعنيّ بقوله : « لكل جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً » ، نبيُّنا مع الأنبياء الذين مضوا قبله وأممهم ، والذين قبل نبيّنا صلى الله عليه وسلم على حِدَةٍ ؟ (١)

قيل : إن الخطاب وإن كان لنبينا صلى الله عليه وسلم : فإنه قد أريد به الخبر عن الأنبياء قبله وأممهم . ولكن العرب من شأنها إذا خاطبت إنساناً وضمّت إليه غائباً ، فأرادت الخبر عنه ، أن تغلِّب المخاطب ، فيخرج الخبرُ عنهما على وجه الخطاب ، فلذلك قال تعالى ذكره : « لكلّ جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً » .

* * *

القول في تأويل قوله عز ذكره ﴿ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (٤٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فبادروا ، أيها الناس ، إلى الصالحات من الأعمال ، والقُرَب إلى ربكم ، بإدمان العمل بما في كتابكم الذي أنزله إلى

---

(١) كانت هذه الجملة في المطبوعة : « وقد ذكرت أن المعنى : لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً . لكل نبي من الأنبياء الذين مضوا قبله وأممهم الذين قبل نبينا صلى الله عليه وسلم ، والمخاطب النبي وحده » . غير ما في المخطوطة ، وحذف منه وزاد فيه . وفي المخطوطة : « وقد ذكرت أن المعنى : لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً مع الأنبياء الذين مضوا قبله وأممهم ، والذين قبل نبينا صلى الله عليه وسلم حده » . وهو سياق لا يستقيم ، ورجحت أن الناسخ أسقط « قوله » قبل الآية ، وأسقط « على » من قوله : « على حدة » . لأن مراد أبي جعفر أن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يدخل في خطابه خطاب الأنبياء الذين قبله هم وأممهم . وأما الذي في المطبوعة ، فهو تصرف جاوز حده .

نبيكم ، فإنه إنما أنزله امتحاناً لكم وابتلاءً ، ليتبين المحسن منكم من المسيء ، فيجازى جميعكم على عمله جزاءَه عند مصيركم إليه ، فإن إليه مصيركم جميعاً ، فيخبر كلَّ فريق منكم بما كان يخالف فيه الفرقَ الأخرى ، فيفْصَل بينهم بفصل القضاء، وتُبِينُ المحقَّ مجازاته إياه بجناته ،(١) من المسيء بعقابه إياه بالنار ، فيتبين حينئذ كل حزب عياناً ، المحقَّ منهم من المبطل .(٢)

* * *

فإن قال قائل : أولم ينبئنا ربُّنا فى الدنيا قبل مرجعنا إليه ما نحن فيه مختلفون ؟

قيل : إنه بيَّن ذلك فى الدنيا بالرسل والأدلة والحجج ، دون الثواب والعقاب عياناً ، فمصدق بذلك ومكذِّب . وأما عند المرجع إليه ، فإنه ينبئهم بذلك بالمجازاة التى لا يشكُّون معها فى معرفة المحق والمبطل ، ولا يقدرون على إدخال اللبس معها على أنفسهم. فكذلك خبرُه تعالى ذكره أنه ينبئنا عند المرجع إليه بما كنَّا فيه نختلف فى الدنيا . وإنما معنى ذلك : إلى الله مرجعكم جميعاً، فتعرفون المحقَّ حينئذ من المبطل منكم ، كما :—

١٢١٤٩ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا زيد بن حباب ، عن أبى سنان قال : سمعت الضحاك يقول : « فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً» ، قال : أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، البرُّ والفاجر .(٣)

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « ويبين المحق بمجازاته إياه . . . » ، أساء قراءة المخطوطة ، فتصرف فيها .

(٢) انظر تفسير « استبق » فيما سلف ٣ : ١٩٦ = وتفسير « الخيرات » فيما سلف ٣ : ١٩٦ = وتفسير « المرجع » فيما سلف ٦ : ٤٦٤ = وتفسير « أنبأ » و « النبأ » فيما سلف ١ : ٤٨٨ ، ٦/٤٨٩ : ٢٥٩ ، ١٠/٤٠٤ : ٢٠١

(٣) الأثر : ١٢١٤٩ — « أبو سنان » هو : « سعيد بن سنان » ، مضى قريباً برقم : ١٢١٣٣ .

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾ (٤٩)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وأن احكم بينهم بما أنزل الله » ، وأنزلنا إليك ، يا محمد ، الكتابَ مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ، وأنِ احكم بينهم = فـ « أن » فى موضع نصب بـ « التنزيل » .

* * *

ويعنى بقوله : « بما أنزل الله » ، بحكم الله الذى أنزله إليك فى كتابه .

* * *

وأما قوله : « ولا تتبع أهواءهم » ، فإنه نهىٌ من الله نبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يتّبع أهواء اليهود الذين احتكموا إليه فى قتيلهم وفاجِرِيْهم ،[1] وأمرٌ منه له بلزوم العمل بكتابه الذى أنزله إليه .

* * *

وقوله : « واحذرهم أن يفتِنُوك عن بعض ما أنزل الله إليك » ، يقول تعالى ذكره لنبيه محمدٍ صلى الله عليه وسلم : واحذر ، يا محمد ، هؤلاء اليهود الذين جاؤوك محتكمين إليك = « أن يفتنوك » ، فيصدُّوك عن بعض ما أنزل الله إليك من حكم كتابه ، فيحملوك على ترك العمل به واتّباع أهوائهم .[2]

* * *

وقوله : « فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يُصِيبهم ببعض ذنوبهم » ، يقول تعالى ذكره : فإن تولى هؤلاء اليهود الذين اختصموا إليك عنك ، فتركوا العمل بما حكمت به

---

(١) قوله : « وفاجريهم » ، يعنى اليهودى واليهودية اللذان زنيا ، فرجمها صلى الله عليه وسلم .

(٢) انظر تفسير « الفتنة » فيما سلف ١٠ : ٣١٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

عليهم وقضيت فيهم[١] = « فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم » ، يقول : فاعلم أنهم لم يتولوا عن الرضى بحكمك وقد قضيت بالحق ، إلا من أجل أن الله يريد أن يتعجّل عقوبتهم فى عاجل الدنيا ببعض ما قد سلف من ذنوبهم[٢] ١٧٧/٦ = « وإن كثيراً من الناس لفاسقون » ، يقول : وإن كثيراً من اليهود = « لفاسقون » ، يقول : لتاركو العمل بكتاب الله ، والخارجون عن طاعته إلى معصيته .[٣]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك جاءت الروايةُ عن أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٢١٥٠ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحق قال ، حدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال ، حدثنى سعيد ابن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال كعب بن أسد ، وابن صوريا ، وشأس بن قيس ،[٤] بعضُهم لبعضٍ : اذهبوا بنا إلى محمد، لعلّنا نفتنه عن دينه ! فأتوه فقالوا : يا محمد، إنك قد عرفت أنّا أحبار يهود وأشرافهم وساداتهم ، وأنّا إن اتّبعناك اتّبعنا يهود ولم يخالفونا ،وأن بيننا وبين قومِنا خصومة ، فنحاكمهم إليك، فتقضى لنا عليهم ، ونؤمن لك ونصدقك ! فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله فيهم : « وأنِ احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتِنُوك عن بعض ما أنزل الله إليك» ، إلى قوله : « لقوم يوقنون » .[٥]

١٢١٥١ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله: « واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك » ، قال: أن يقولوا : « فى

---

(١) انظر تفسير « تولى » فيما سلف ١٠ : ٣٣٦ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الإصابة » فيما سلف ٨ : ٥١٤ ، ٥٣٨ ، ٥٤٠ ، ٥٥٥ .

(٣) انظر تفسير « الفسق » فيما سلف ١٠ : ٣٩٣، تعليق: ٣ ، والمراجع هناك .

(٤) فى ابن هشام : « وابن صلوبا ، وعبد الله بن صوريا » .

(٥) الأثر : ١٢١٥٠ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٦ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١١٩٧٤ .

التوراة كذا »، وقد بيناً لك ما فى التوراة . وقرأ ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِالْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِالسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾ [سورة المائدة : ٤٥] ، بعضُها ببعضٍ .

١٢١٥٢ – حدثنى يعقوب قال، حدثنا هشيم، عن مغيرة ، عن الشعبى قال : دخل المجوسُ مع أهل الكتاب فى هذه الآية : « وأن احكم بينهم بما أنزل الله » .

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (٥٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : أيبغى هؤلاء اليهود الذين احتكموا إليك ، فلم يرضوا بحكمك،(١) إذ حكمت فيهم بالقسط (٢)= «حكم الجاهلية » ، يعنى : أحكام عبَدة الأوثان من أهل الشرك ، وعندهم كتاب الله فيه بيان حقيقة الحكم الذى حكمت به فيهم ، وأنه الحق الذى لا يجوزُ خلافه .

ثم قال تعالى ذكره= موبِّخاً لهؤلاء الذين أبوا قَبُول حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ولهم من اليهود، ومستجهلاً فعلَهم ذلك منهم =: ومَنْ هذا الذى هو أحسن حكماً ، أيها اليهود ، من الله تعالى ذكره عند من كان يوقن بوحدانية الله ، ويقرُّ بربوبيته ؟ يقول تعالى ذكره : أىّ حكم أحسن من حكم الله ، إن كنتم موقنين أن لكم ربًّا ، وكنتم أهل توحيدٍ وإقرار به ؟

* * *

(١) انظر تفسير « بغى » و «ابتغى» فيما سلف ١٠ : ٢٩٠ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) فى المطبوعة : « وقد حكمت » ، وفى المخطوطة : « أو حكمت » ، وصوابها ما أثبت .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال مجاهد .

١٢١٥٣ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد فى قول الله: « أفحكم الجاهلية يبغون » ، قال : يهود .

١٢١٥٤ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد : « أفحكم الجاهلية يبغون » ، يهود .

١٢١٥٥ – حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا شيخ ، عن مجاهد : « أفحكم الجاهلية يبغون » ، قال : يهود .

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بهذه الآية ، وإن كان مأموراً بذلك جميع المؤمنين .

فقال بعضهم : عنى بذلك عبادة بن الصامت ، وعبد الله بن أبى ابن سلول ، فى براءة عُبَادة من حلف اليهود، وفى تمسك عبد الله بن أبى ابن سلول بحلف اليهود ، بعد ما ظهرت عداوتهم لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم = وأخبره الله أنه إذا تولاهم وتمسّك بحلفهم : أنه منهم فى براءته من الله ورسوله كبَرَاءتهم منهما.

* ذكر من قال ذلك :

١٢١٥٦ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال، سمعت أبى ، عن عطية بن سعد قال : جاء عبادة بن الصامت ،من بنى الحارث بن الخزرج، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ،إن لى موالى من يهود كثيرٌ

عدَدُهم ، وإنى أبرأ إلى الله ورسوله من وَلاية يهود ، وأتولَّى الله ورسوله . فقال عبد الله بن أبى : إنىّ رجل أخاف الدَّوائر ، لا أبرأ من ولاية موالىَّ ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن أبىّ : يا أبا الحباب ، ما بخلتَ به من ولاية يهود على عبادة بن الصامت فهو إليك دونه ؟[1] قال : قد قبلتُ ! فأنزل الله : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضُهم أولياء بعض » إلى قوله: « فترى الذين فى قلوبهم مرض » . ١٧٨/٦

١٢١٥٧ — حدثنا هناد قال، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنى عثمان ابن عبد الرحمن ، عن الزهرى قال : لما انهزم أهلُ بدر ، قال المسلمون لأوليائهم من يهود : آمنوا قبل أن يصيبكم الله بيومٍ مثل يوم بدر ! فقال مالك بن صيف : غرَّكم أن أصبتم رهطاً من قريش لا علم لهم بالقتال ! ! أما لو أمْرَرْنَا العزيمة أن نستجمع عليكم ،[2] لم يكن لكم يدٌ أن تقاتلونا ! فقال عبادة : يا رسول الله ، إن أوليائى من اليهود كانت شديدةً أنفسهم، كثيراً سلاحهم ، شديدةً شَوْكتُهم ، وإنى أبرأ إلى الله وإلى رسوله من وَلايتهم ، ولا مولى لى إلا الله ورسوله. فقال عبد الله بن أبىّ : لكنى لا أبرأ من ولاء يهود ، إنّى رجل لا بدَّ لى منهم ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا حُباب ، أرأيت الذى نَفِست به من ولاء يهود على عبادة ، فهو لك دونه ؟ قال : إذاً أقبلُ ! فأنزل الله تعالى ذكره : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض » إلى أن بلغ إلى قوله : « والله يعصمك من الناس » .[3]

١٢١٥٨ — حدثنا هناد قال ، حدثنا يونس قال ، حدثنا ابن إسحق قال ،

---

(١) فى المخطوطة : « فهو إلى دونه » ، والصواب ما فى المطبوعة .

(٢) فى المطبوعة : « أسررنا العزيمة » ، وهو خطأ ، والصواب من المخطوطة . « أمر الحبل يمره إمراراً » : فتله فتلاً محكماً قوياً . يعنى : أجمعنا عزيمتنا .

(٣) الأثر : ١٢١٥٧ — « عثمان بن عبد الرحمن بن عمر بن سعد بن أبى وقاص الزهرى » ، ضعيف متروك الحديث . مضى برقم : ٥٧٥٤ .

حدثني والدى إسحق بن يسار ، عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال : لما حاربت بنو قينقاع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تشبَّث بأمرهم عبدالله بن أبيّ وقام دونهم ، ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم = وكان أحد بنى عوف بن الخزرج ، له من حلفهم مثلُ الذى لهم من عبد الله بن أبيّ = فخلعهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم ، وقال : يارسول الله ، أتبرَّأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم ، وأتولى الله ورسوله والمؤمنين ، وأبرأ من حلف الكُفّار وَولايتهم ! ففيه وفى عبد الله بن أبيّ نزلت الآيات فى « المائدة » : « يا أيها الذين آمنوا لا تتّخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعضٍ » ، الآية .(١)

* * *

وقال آخرون : بل عُنى بذلك قومٌ من المؤمنين كانوا همُّوا حين نالهم بأحُدٍ من أعدائهم من المشركين ما نالهم = أن يأخذوا من اليهود عِصَماً ،(٢) فنهاهم الله عن ذلك ، وأعلمهم أنّ من فعل ذلك منهم فهو منهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٢١٥٩ — حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم » ، قال : لما كانت وقعة أحُدٍ ، اشتدّ على طائفة من الناس ، وتخوَّفوا أن يُدَال عليهم الكفّار ،(٣) فقال رجل لصاحبه : أمّا أنا فألحق بدهلك اليهودىّ ، فآخذ منه أماناً وأتهوّد معه ،(٤) فإنى أخاف أن تُدال علينا اليهود ! وقال الآخر : أمّا أنا فألحق بفلانٍ النصرانى ببعض أرض

---

(١) الأثر : ١٢١٥٨ — سيرة ابن هشام ٣ : ٥٢ ، ٥٣ .

(٢) « العصم » جمع « عصمة » : وهى الحبال والعهود ، تعصمهم وتمنعهم من الضياع .

(٣) « أديل عليه » (بالبناء للمجهول) : أى كانت له الدولة والغلبة .

(٤) « دهلك اليهودى » لم أجد له ذكراً فيما بين يدى من الكتب . وأخشى أن يكون اسمه تحريف .

الشأم ، فآخذ منه أماناً وأتنصَّر معه ! فأنزل الله تعالى ذكره ينهاهما : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهودَ والنصارَى أولياءَ بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين » .

* * *

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك أبو لبابة بن عبد المنذر ، فى إعلامه بنى قريظة إذ رَضُوا بحكم سعدٍ : أنه الذَّبح .

* ذكر من قال ذلك :

١٢١٦٠ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم» ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا لُبابة بن عبد المنذر ، من الأوس = وهو من بنى عمرو بن عوف = فبعثه إلى قريظة حين نَقَضت العهد ، فلما أطاعوا له بالنزول ،[1] أشار إلى حلقه : الذَّبْحَ الذَّبْحَ !

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال : إن الله تعالى ذكره نهَى المؤمنين جميعاً أن يتخذوا اليهود والنصارى أنصاراً وحلفاءَ على أهل الإيمان بالله ورسوله وغيرَهم ،[2] وأخبر أنه من اتخذهم نصيراً وحليفاً ووليًّا من دون الله ورسوله والمؤمنين ، فإنه منهم فى التحزُّب على الله وعلى رسوله والمؤمنين ، وأن الله ورسوله منه بريئان . وقد يجوز أن تكون الآية نزلت فى شأن عبادة بن الصامت وعبد الله بن أبى ابن سلول وحلفائهما من اليهود = ويجوز أن تكون نزلت فى أبى لبابة بسبب فعله فى بنى قريظة = ويجوز أن تكون نزلت فى شأن الرَّجلين اللذين ذكر السدى أن أحدَهما همَّ باللحاق بدهلك اليهودى ، والآخر بنصرانىّ بالشأم = ولم ١٧٩/٦

(١) فى المخطوطة : « أطاعوا الله بالنزول » ، والجيد ما فى المطبوعة .

(٢) فى المطبوعة ، حذف قوله : « وغيرهم » .

يصحّ بواحدٍ من هذه الأقوال الثلاثة خبرٌ تثبت بمثله حجة ، فيسلّم لصحته القولُ بأنه كما قيل .

فإذْ كان ذلك كذلك ، فالصواب أن يحكم لظاهر التنزيل بالعموم على ما عمّ ، ويجوز ما قاله أهل التأويل فيه من القول الذى لا علم عندنا بخلافه . غير أنه لا شك أن الآية نزلت فى منافق كان يوالى يهوداً أو نصارى خوفاً على نفسه من دوائر الدهر ، لأن الآية التى بعد هذه تدلّ على ذلك ، وذلك قوله : ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ الآية .

* * *

وأما قوله : « بعضهم أولياء بعض » ، فإنه عنى بذلك : أن بعض اليهود أنصار بعضهم على المؤمنين ، ويد واحدة على جميعهم = وأن النصارى كذلك ، بعضهم أنصار بعض على من خالف دينهم وملتهم = معرِّفاً بذلك عباده المؤمنين : أنّ من كان لهم أو لبعضهم وليًّا ، فإنما هو وليهم على من خالف ملتهم ودينهم من المؤمنين ، كما اليهود والنصارى لهم حَرْب . فقال تعالى ذكره للمؤمنين : فكونوا أنتم أيضاً بعضكم أولياء بعض ، ولليهودىّ والنصرانى حرباً كما هم لكم حرب ، وبعضهم لبعض أولياء ، لأن من والاهم فقد أظهر لأهل الإيمان الحربَ ، ومنهم البراءة ، وأبان قطع وَلايتهم .(١)

* * *

(١) انظر تفسير « ولى » و « أولياء » فيما سلف ٩ : ٣١٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

القول في تأويل قوله عز ذكره ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بقوله : « ومن يتولهم منكم فإنه منهم » ، ومن يتولَّ اليهود والنصارى دون المؤمنين ، فإنه منهم . يقول : فإن من تولاهم ونصرَهم على المؤمنين ، فهو من أهل دينهم وملتهم ، فإنه لا يتولى متولٍّ أحداً إلا وهو به وبدينه وما هو عليه راضٍ . وإذا رضيه ورضي دينَه ، فقد عادى ما خالفه وسَخِطه ، وصار حكمُه حُكمَه ، [1] ولذلك حَكَمَ مَنْ حكم من أهل العلم لنصارى بني تغلب في ذبائحهم ونكاح نسائهم وغير ذلك من أمورهم ، بأحكام نصارَى بني إسرائيل ، لموالاتهم إياهم ، ورضاهم بملتهم ، ونصرتهم لهم عليها ، وإن كانت أنسابهم لأنسابهم مخالفة ، وأصل دينهم لأصل دينهم مفارقاً .

* * *

وفي ذلك الدلالةُ الواضحة على صحّة ما نقول ، من أن كل من كان يدين بدينٍ فله حكم أهل ذلك الدين ، كانت دينونته به قبل مجيء الإسلام أو بعده . إلا أن يكون مسلماً من أهل ديننا انتقل إلى ملّة غيرِها ، فإنه لا يُقَرُّ على ما دان به فانتقل إليه ، ولكن يقتل لردّته عن الإسلام ومفارقته دين الحق ، إلا أن يرجع قبل القَتْل إلى الدين الحق = [2] وفسادِ ما خالفه من قول من زعم : أنه لا يحكم بحكم أهل الكتابين لمن دان بدينهم ، إلا أن يكون إسرائيليًّا أو منتقلاً إلى دينهم من غيرهم قبل نزول الفرقان . فأما من دان بدينهم بعد نزول الفُرْقان ، ممن لم يكن منهم ، ممن خالف نسبُه نسبهم وجنسه جنسهم ، فإن حكمه لحكمهم مخالفٌ . [3] .

* * *

---

(١) انظر تفسير « التولي » فيما سلف ٩ : ٣١٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) قوله : « وفساد ما خالفه » ، مجرور معطوف على قوله آنفاً : « وفي ذلك الدلالة الواضحة على صحة ما نقول » .

(٣) انظر ما سلف ٩ : ٥٧٣ – ٥٨٧

* ذكر من قال بما قلنا من التأويل .

١٢١٦١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرُّؤَاسى ، عن ابن أبى ليلى ، عن الحكم ، عن سعيد بن جبير قال : سئل ابن عباس عن ذبائح نصارى العرب، فقرأ : « ومن يتولَّهم منكم فإنه منهم » .(١)

١٢١٦٢ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس فى هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم » ، إنها فى الذبائح . من دخل فى دين قوم فهو منهم .

١٢١٦٣ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا حجاج قال ، حدثنا حماد ، عن عطاء بن السائب، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كلوا من ذبائح بنى تغلب، وتزوّجوا من نسائهم ، فإن الله يقول فى كتابه : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم »، ولو لم يكونوا منهم إلاّ بالولاية لكانوا منهم .

١٢١٦٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حسين بن على ، عن زائدة، عن هشام قال : كان الحسن لا يرى بذبائح نصارى العرب ولا نكاح نسائهم بأساً ، وكان يتلو هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهودَ والنصارَى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولَّهم منكم فإنه منهم » .(٢)

١٢١٦٥ – حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد قال، أخبرنا ابن المبارك ، عن

---

(١) الأثر : ١٢١٦١ – « حميد بن عبد الرحمن الرؤاسى »؛ ثقة . مضى برقم : ١٧٨ ، ٨٨٦ ، ٥٣٤٧ .

(٢) الأثر : ١٢١٦٤ – « حسين بن على بن الوليد الجعفى » ، مضى مراراً ، منها : ٢٩ ، ١٧٤ ، ٤٤١ ، ٤٤١٥ ، ٧٢٨٧ ، ٧٤٩٩ ، ١١٤٦٣ ، وكان فى المطبوعة « حسن ابن على » ، وهو خطأ ، وفى المخطوطة غير منقوط .

و « زائدة » ، هو : « زائدة بن قدامة الثقفى » ، مضى برقم : ٢٩ ، ٤٨٩٧ ، ٧٢٨٧ .

١٨٠/٦ هرون بن إبراهيم قال : سئل ابن سيرين عن رجل يبيع دارَه من نصارَى يتخذونها بِيعَةً ، قال : فتلا هذه الآية : « لا تتَّخِذوا اليهود والنصارى أولياء » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (٥١)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : إن الله لا يوفِّق من وضع الولاية فى غير موضعها ، فوالى اليهود والنصارى = مع عدواتهم الله ورسوله والمؤمنين = على المؤمنين ، وكان لهم ظهيراً ونصيراً ، لأن من تولاهم فهو لله ولرسوله وللمؤمنين حَرْبٌ .

* * *

وقد بينا معنى « الظلم » فى غير هذا الموضع ، وأنه وضع الشىء فى غير موضعه ، بما أغنى عن إعادته .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾

اختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية .

فقال بعضهم : عنى بها عبد الله بن أبى ابن سلول .

* ذكر من قال ذلك :

١٢١٦٦ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال ، سمعت أبى ، عن عطية بن سعد : « فترى الذين فى قلوبهم مرض » ، عبدالله بن أبى = « يسارعون

---

(١) انظر تفسير « الظلم » فيما سلف ١ : ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ثم سائر فهارس اللغة فى الأجزاء الماضية .

فيهم » ، فى ولايتهم= « يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة » ، إلى آخر الآية : « فيصبحوا على ما أسرُّوا فى أنفسهم نادمين » .

١٢١٦٧ — حدثنا هناد قال ، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنا ابن إسحق قال ، حدثنى والدى إسحق بن يسار، عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت : « فترى الذين فى قلوبهم مرض » ، يعنى عبد الله بن أبى = « يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة » ، لقوله : إنى أخشى دائرةً تُصيبنى ! (١)

* * *

وقال آخرون : بل عُنى بذلك قومٌ من المنافقين كانوا يُناصِحون اليهود ويغشون المؤمنين ، ويقولون : « نخشى أن تكون الدائرة لليهود على المؤمنين » ! (٢)

* ذكر من قال ذلك :

١٢١٦٨ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله تعالى ذكره : « فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم » ، قال : المنافقون ، فى مصانعة يهود ، ومناجاتهم ، واسترضاعهم أولادَهم إياهم = وقول الله تعالى ذكره : « نخشى أن تصيبنا دائرة » ، قال يقول : نخشى أن تكون الدّائرة لليهود .

١٢١٦٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٢١٧٠ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فترى الذين فى قلوبهم مرض » إلى قوله : « نادمين » ، أُناسٌ من المنافقين كانوا يوادُّون اليهود ويناصحونهم دون المؤمنين .

١٢١٧١ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ،

---

(١) الأثر : ١٢١٦٧ — سيرة ابن هشام ٣ : ٥٣ ، مختصراً وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٢١٥٨ .

(٢) فى المطبوعة : « أن تكون دائرة » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

حدثنا أسباط ، عن السدى : « فترى الذين فى قلوبهم مرض » ، قال : شك = «يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة» ، و «الدائرة» ، ظهور المشركين عليهم .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال : إن ذلك من الله خبر عن ناس من المنافقين كانوا يوالون اليهودَ والنصارى ويغشُّون المؤمنين ، ويقولون : نخشى أن تدور دوائر = إما لليهود والنصارى ، وإما لأهل الشرك من عبدة الأوثان ، أو غيرهم = على أهل الإسلام ، أو تنزل بهؤلاء المنافقين نازلةٌ ، فيكون بنا إليهم حاجة .

وقد يجوز أن يكون ذلك كان من قول عبد الله بن أبى ، ويجوز أن يكون كان من قول غيره ، غير أنه لاشك أنه من قول المنافقين .

* * *

فتأويل الكلام إذاً : فترى ، يا محمد ، الذين فى قلوبهم شكٌّ ،[1] ومرضُ إيمانٍ بنبوّتك وتصديق ما جئتهم به من عند ربك[2] = « يسارعون فيهم » ، يعنى فى اليهود والنصارى = ويعنى بمسارعتهم فيهم : مسارعتهم فى مُوالاتهم ومصانعتهم[3] = « يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة » ، يقول هؤلاء المنافقون : إنما نسارع فى موالاة هؤلاء اليهود والنصارى ، خوفًا من دائرة تدور علينا من عدوّنا .[4]

* * *

ويعنى بـ « الدائرة » ، الدولة ، كما قال الراجز :[5]

تَرُدُّ عَنْكَ القَدَرَ المَقْدُورَا وَدَائِرَاتِ الدَّهْرِ أَنْ تَدُورَا[6]

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « فى قلوبهم مرض وشك إيمان » ، غير ما فى المخطوطة وهو الصواب المحض . لأنه يريد : أن المرض قد دخل إيمانهم وتصديقهم ، بعد ذكر « الشك » .

(٢) انظر تفسير « المرض » فيما سلف ١ : ٢٧٨ — ٢٨١ .

(٣) انظر تفسير « المسارعة » فيما سلف ٧ : ١٣٠ ، ٢٠٧ ، ٤١٨ / ١٠ : ٣٠١ وما بعدها .

(٤) انظر تفسير « الإصابة » فيما سلف ص : ١٣٩٣ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٥) هو حميد الأرقط .

(٦) مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٦٩ ، ولم أجد سائر الرجز .

يعني : أن تدول للدهر دولة، فنحتاج إلى نصرتهم إيانا ، فنحن نواليهم لذلك. فقال الله تعالى ذكره لهم : « فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسرُّوا فى أنفسهم نادمين » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ﴾ (٥٢) ١٨١/٦

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده » ، فلعل الله أن يأتى بالفتح .(١)

* * *

ثم اختلفوا فى تأويل « الفتح» فى هذا الموضع.

فقال بعضهم : عُنى به ههنا ، القضاء .

* ذكر من قال ذلك :

١٢١٧٢ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فعسى الله أن يأتى بالفتح »، قال : بالقضاء .

* * *

وقال آخرون : عنى به فتح مكة .

* ذكر من قال ذلك :

١٢١٧٣ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فعسى الله أن يأتى بالفتح » ، قال : فتح مكة .

* * *

و« الفتح » فى، كلام العرب، هو القضاء، كما قال قتادة ، ومنه قول الله تعالى

---

(١) انظر تفسير « عسى » فيما سلف ٤ : ٨/٢٩٨ : ٥٧٩ .

ذكره : ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ﴾ [سورة الأعراف : ٨٩] .

وقد يجوز أن يكون ذلك القضاء الذى وعدَ الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بقوله : « فعسى الله أن يأتى بالفتح » فتح، مكة ، لأن ذلك كان من عظيم قضاءِ الله، وفَصْل حُكمه بين أهل الإيمان والكفر ، ومقرِّراً عند أهل الكفر والنفاق ،[1] أن الله معلى كلمته وموهن كيد الكافرين .[2]

* * *

وأما قوله : « أو أمر من عنده » ، فإن السدى كان يقول فى ذلك ، ما : —

١٢١٧٤ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « أو أمر من عنده »، قال : « الأمر»، الجزية .

* * *

وقد يحتمل أن يكون « الأمر » الذى وعد الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يأتى به هو الجزية ، ويحتمل أن يكون غيرها .[3] غير أنه أىّ ذلك كان ، فهو مما فيه إدالة المؤمنين على أهل الكفر بالله وبرسوله ، ومما يسوء المنافقين ولا يسرُّهم. وذلك أن الله تعالى ذكره قد أخبر عنهم أنّ ذلك الأمر إذا جاء ، أصبحوا على ما أسرُّوا فى أنفسهم نادمين .

* * *

وأما قوله : « فيصبحوا على ما أسرُّوا فى أنفسهم نادمين » ، فإنه يعنى هؤلاء المنافقين الذين كانوا يوالون اليهود والنصارى . يقول تعالى ذكره : لعل الله أن يأتى بأمرٍ من عنده يُديل به المؤمنين على الكافرين من اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الكفر ، فيصبح هؤلاء المنافقون على ما أسرُّوا فى أنفسهم من مخالّة اليهود والنصارى ومودّتهم ، وبغْضَة المؤمنين ومُحادّتهم ، «نادمين » ، كما : —

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « ويقرر » ، وكأن الصواب ما أثبت .

(٢) انظر تفسير « الفتح » فيما سلف ٢ : ٢٥٤ ، ٩/٣٣٢ : ٣٢٣ ، ٣٢٤ .

(٣) فى المخطوطة : « أن يكون إلى غيرها » ، وكأنه خطأ من الناسخ .

١٢١٧٥ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين » ، من موادّتهم اليهود ، ومن غشّهم للإسلام وأهله .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴾ (٥٣)

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة قوله : « ويقول الذين آمنوا » .

فقرأتها قرأة أهل المدينة : ﴿ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِى أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ * يَقُولُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَهَـٰٓؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا بِٱللَّهِ ﴾ ، بغير « واو » .

* * *

وتأويل الكلام على هذه القراءة : فيصبح المنافقون ، إذا أتى الله بالفتح أو أمرٍ من عنده، على ما أسروا فى أنفسهم نادمين ، يقول المؤمنون تعجُّباً منهم ومن نفاقهم وكذبهم واجترائهم على الله فى أيمانهم الكاذبة بالله : أهؤلاء الذين أقسمُوا لنا بالله إنهم لمعنا ، وهم كاذبون فى أيمانهم لنا ؟ وهذا المعنى قصَد مجاهد فى تأويله ذلك، الذى : —

١٢١٧٦ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج، عن مجاهد : « فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده »، حينئذ، « يقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين » .

* * *

وكذلك ذلك فى مصاحف أهل المدينة بغير «واو» .(١)

* * *

وقرأ ذلك بعض البصريين : ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ، بالواو ، ونصب « يقول » عطفاً به على « فعسى الله أن يأتى بالفتح » . وذكر قارئ ذلك أنه كان يقول : إنما أريد بذلك : فعسى الله أن يأتى بالفتح ، وعسى أن يقولَ الذين آمنوا = ومحالٌ غير ذلك ، لأنه لا يجوز أن يقال : « وعسى الله أن يقول الذين آمنوا» ، وكان يقول : ذلك نحو قولهم : « أكلت خبزاً ولبناً » ، كقول الشاعر :

وَرَأَيْتِ زَوْجَكِ فِى الوَغَى مُتَقَلِّدًا سَيْفاً وَرُمْحَا(٢)

* * *

فتأويل الكلام على هذه القراءة : فعسى الله أن يأتى بالفتح المؤمنين ، أو أمر من عنده يُدِيلهم به على أهل الكفر من أعدائهم ، فيصبح المنافقون على ما أسرُّوا ١٨٢/٦
فى أنفسهم نادمين= وعسى أن يقول الذين آمنوا حينئذ : أهؤلاء الذين أقسموا بالله كذباً جهدَ أيمانهم إنهم لمعكم ؟

* * *

وهى فى مصاحف أهل العراق بالواو : ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾

* * *

وقرأ ذلك قرأة الكوفيين ﴿وَيَقُولُ الذِينَ آمَنُوا﴾ بالواو ، ورفع « يقول » ، بالاستقبال والسلامة من الجوازم والنواصب .

* * *

وتأويل من قرأ ذلك كذلك : فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم يندمون ، ويقول الذين آمنوا = فيبتدئ « يقول » فيرفعها .

* * *

قال أبو جعفر : وقراءتنا التى نحن عليها ﴿وَيَقُولُ﴾ بإثبات « الواو » فى

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣١٣ .

(٢) مضى تخريجه فى ١ : ١٤٠ ، ٦/٢٦٥ : ٤٢٣ .

« ويقول »، لأنها كذلك هي في مصاحفنا مصاحف أهل المشرق ، بالواو ، وبرفع « يقول » على الابتداء .

* * *

فتأويل الكلام = إذْ كانت القراءة عندنا على ما وصفنا[1] = : فيصبحوا على ما أسرُّوا في أنفسهم نادمين ، ويقولُ المؤمنون : أهؤلاء الذين حلَفوا لنا بالله جهد أيمانهم كَذِباً إنهم لمعنا ؟

* * *

يقول الله تعالى ذكره ، مخبراً عن حالهم عنده بنفاقهم وخبث أعمالهم = « حبطت أعمالهم »، يقول : ذهبت أعمالهم التي عملوها في الدنيا باطلاً لا ثواب لها ولا أجر ، لأنهم عملوها على غير يقين منهم بأنها عليهم لله فرضٌ واجب ، ولا على صِحّة إيمان بالله ورسوله ، وإنما كانوا يعملونها ليدفعوا المؤمنين بها عن أنفسهم وأموالهم وذراريهم ، فأحبط الله أجرَها ، إذ لم تكن له[2] = « فأصبحوا خاسرين » ، يقول : فأصبح هؤلاء المنافقون ، عند مجيء أمر الله بإدالة المؤمنين على أهل الكفر ، قد وُكِسوا في شرائهم الدنيا بالآخرة ، وخابت صفقتهم ، وهلَكوا .[3]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله وبرسوله : « يا أيها الذين آمنوا »، أي : صدّقوا الله ورسوله ، وأقرُّوا بما جاءهم به نبيُّهم محمد صلى الله عليه وسلم = « من يرتد منكم من دينه » ، يقول : من يرجع منكم عن دينه الحق الذي

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « إذ كان القراءة » ، والجيد ما أثبت .
(٢) انظر تفسير « حبط » فيما سلف ٩ : ٥٩٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « خسر » فيما سلف ص : ٢٢٤ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

هو عليه اليوم ، فيبدّله ويغيره بدخوله فى الكفر ، إما فى اليهودية أو النصرانية أو غير ذلك من صنوف الكفر ،[١] فلن يضر الله شيئاً ، وسيأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ، يقول : فسوف يجىء الله بدلاً منهم ، المؤمنين الذين لم يبدّلوا ولم يغيروا ولم يرتدوا ، بقومٍ خير من الذين ارتدُّوا وابدّلوا دينهم ، يحبهم الله ويحبون الله .[٢]

وكان هذا الوعيد من الله لمن سبق فى علمه أنه سيرتدُّ بعد وفاةِ نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم . وكذلك وعدُه من وعدَ من المؤمنين ما وعدَه فى هذه الآية ، لمن سبق له فى علمه أنه لا يبدّل ولا يغير دينه ، ولا يرتدّ . فلما قَبَض الله نبيَّه صلى الله عليه وسلم ، ارتدّ أقوام من أهل الوبَرِ ، وبعضُ أهل المَدَر ، فأبدل الله المؤمنين بخيرٍ منهم كما قال تعالى ذكره ، ووفى للمؤمنين بوعده ، وأنفذ فيمن ارتدّ منهم وعيدَه .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٢١٧٧ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنى عبد الله بن عياش ، عن أبى صخر ، عن محمد بن كعب : أن عمر بن عبد العزيز أرسل إليه يوماً ، وعمر أمير المدينة يومئذ ، فقال : يا أبا حمزة ، آية أسهرتنى البارحة ! قال محمدٌ : وما هى ، أيها الأمير ؟ قال : قول الله « يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه » حتى بلغ « ولا يخافون لومة لائم » . فقال محمد : أيها الأمير ، إنما عنى الله بالذين آمنوا ، الولاةَ من قريش ، من يرتدّ عن الحق .[٣]

* * *

---

(١) انظر تفسير « ارتد » فيما سلف ص : ١٧٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) سياق هذه العبارة : « فسوف يجى الله . . . المؤمنين . . . بقوم . . . » .

(٣) الأثر : ١٢١٧٧ — « عبد الله بن عياش بن عباس القتبانى » ، ليس بالمتين ، وهو ثقة . مترجم فى التهذيب .

ثم اختلف أهل التأويل فى أعيان القوم الذين أتى الله بهم المؤمنين ، وأبدل المؤمنين مكانَ من ارتدَّ منهم .

فقال بعضهم : هو أبو بكر الصديق وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة حتى أدخلوهم من الباب الذى خرجوا منه .

* ذكر من قال ذلك :

١٢١٧٨ – حدثنا هناد بن السرى قال، حدثنا حفص بن غياث ، عن الفضل بن دلهم ، عن الحسن فى قوله : « يا أيها الذين آمنوا من يرتدَّ منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه » ، قال : هذا والله أبو بكر وأصحابه .(١)

١٢١٧٩ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن الفضل بن دلهم ، عن الحسن ، مثله .

١٢١٨٠ – حدثنا هناد قال، حدثنا عبدة بن سليمان ، عن جويبر ، عن سهل ، عن الحسن فى قوله : « فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه » ، قال : أبو بكر وأصحابه .

١٢١٨١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حسين بن على، عن أبى موسى ١٨٣/٦
قال : قرأ الحسن : « فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه » ، قال : هى والله لأبى بكر وأصحابه .(٢)

١٢١٨٢ – حدثنى نصر بن عبد الرحمن الأزدى قال، حدثنا أحمد بن بشير ،

و « أبو صخر » هو « حميد بن زياد الخراط » ، مضى مراراً ، منها برقم : ٤٢٨٠ ، ٤٣٢٥ ، ٥٣٨٦ ، ٨٣٩١ ، ١١٨٦٧ ، ١١٨٩١ .

ثم انظر الأثر التالى برقم : ١٢١٩٩ .

(١) الأثر : ١٢١٧٨ – « الفضل بن دلهم الواسطى القصاب » . مختلف فى أمره . مضى برقم : ٤٩٢٨ .

(٢) الأثر : ١٢١٨١ – « حسين بن على بن الوليد الجعفى » ، مضى قريباً : ١٢١٦٤ .
و « أبو موسى » ، هو : « إسرائيل بن موسى البصرى » ، نزيل الهند . روى عن الحسن البصرى . ثقة لا بأس به . مترجم فى التهذيب .

عن هشام ، عن الحسن فى قوله : « فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه » ، قال : نزلت فى أبى بكر وأصحابه .[١]

١٢١٨٣ — حدثنى على بن سعيد بن مسروق الكندى قال ، حدثنا عبدالرحمن ابن محمد المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم » ، قال : هو أبو بكر وأصحابه . لما ارتد من ارتدّ من العرب عن الإسلام ، جاهدهم أبو بكر وأصحابه حتى ردّهم إلى الإسلام .

١٢١٨٤ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه» ، إلى قوله: « والله واسع عليم» ، أنزل الله هذه الآية وقد علم أن سيرتدُّ مرتدُّون من الناس ، فلما قبض الله نبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم ، ارتدّ عامة العرب عن الإسلام = إلا ثلاثة مساجد : أهل المدينة ، وأهل مكة ، وأهل البحرين من عبد القيس = قالوا: نصلى ولا نزكّى ، والله لا تُغصب أموالنا ![٢] فكُلِّم أبو بكر فى ذلك فقيل له : إنهم لو قد فُقِّهوا لهذا أعطوها = أو : أدّوها =[٣] فقال: لا والله ، لا أفرق بين شىء جمع الله بينه ، ولو منعوا عِقالاً مما فرضَ الله ورسوله لقاتلناهم عليه ![٤]

---

(١) الأثر : ١٢١٨٢ — « نصر بن عبد الرحمن الأزدى » ، هكذا جاء هنا أيضاً فى المخطوطة والمطبوعة : « الأودى » ، وقد سلف أن تكلم عليه أخى السيد أحمد ، وصححه « الأزدى » كما أثبته هنا ، ولكنى فى شك من تصحيح ذلك كذلك ، لكثرة إثباته فى التفسير فى كل مكان « الأودى » انظر ما سلف : ٤٢٣ ، ٨٧٥ ، ٢٨٥٩ ، ٨٧٨٣ .

و « أحمد بن بشير القرشى المخزومى » ، أبو بكر الكوفى . مضى برقم : ٧٨١٩ .

و « هشام » هو : « هشام بن عروة بن الزبير بن العوام » ، مضى برقم : ٢٨٨٩ ، ٨٤٦١ .

(٢) القائلون : « نصلى ولا نزكى » ، هم الذين ارتدوا من عامة العرب .

(٣) فى المطبوعة : « أعطوها أو زادوها » ، وهو تخليط فاحش ، وصوابه من المخطوطة وقوله : « أو : أدوها » ، كأنه قال : روى بدل « أعطوها » ، « أدوها » . و « الهاء » فيهما راجعة إلى « الزكاة » التى منعوها .

(٤) « العقال » (بكسر العين) : زكاة عام من الإبل والغنم . يقال : «أخذ منهم عقال

فبعث الله عصابة مع أبي بكر ، فقاتل على ما قاتل عليه نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ، حتى سبيَ وقتل وحرق بالنيران أناساً ارتدّوا عن الإسلام ومنعوا الزكاة ، فقاتلهم حتى أقرّوا بالماعون = وهي الزكاة = صَغَرةً أقمياء .(١) فأتته وفود العرب ، فخيَّرهم بين خُطَّة مخزية أو حرب مُجْلية . فاختاروا الخطة المخزية ، وكانت أهون عليهم أن يقرُّوا : أن قتلاهم في النار ، وأن قتلى المؤمنين في الجنة ،(٢) وأن ما أصابوا من المسلمين من مال ردّوه عليهم ، وما أصاب المسلمون لهم من مال فهو لهم حلال .

١٢١٨٥ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قوله : « يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه » ، قال ابن جريج : ارتدوا حين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقاتلهم أبو بكر .

١٢١٨٦ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن هشام

هذا العام » ، أي زكاته وصدقته . وقد فسره آخرون بأنه الحبل الذي كان تعقل به الفريضة التي كانت تؤخذ في الصدقة . وذلك أنه كان على صاحب الإبل أن يؤدي مع كل فريضة عقالا تعقل به ، و « رواء » أي : حبلا . ويروى الخبر « لو منعوني عناقاً » . و « العناق » : الأنثى من أولاد المعز ، إذا أتت عليها سنة .

(١) « صغرة » جمع « صاغر » : وهو الراضي بالذل والضيم . و « أقمياء » جمع « قميء » : وهو الذليل الضارع المتضائل . والذي في كتب اللغة من جمع « قميء » « قماء » (بكسر القاف) و « قماء » (بضمها) . وقد مر في الأثر رقم : ٤٢٢١ « قمأة » في المخطوطة ، وانظر التعليق عليه هناك . و « أقمياء » جمع عزيز هنا ، فإن « فعيلا » الصفة ، يجمع قياساً على « أفعلاء » ، إذا كان مضاعفاً ، مثل « شديد » و « أشداء » ، وكذلك إذا كان ناقصاً واوياً أو يائياً ، نحو « غني » و « أغنياء » ، و « شقي » و « أشقياء » . أما الصحيح ، فقليل جمعه على « أفعلاء » ، مثل « صديق » و « أصدقاء » . فإذا صحت رواية « أقمياء » في هذا الخبر ، فهو صحيح في العربية إن شاء الله ، لهذه العلة ولغيرها أيضاً .

(٢) في المطبوعة : « أن يستعدوا أن قتلاهم في النار » ، وفي المخطوطة مثلها غير منقوطة ، ولم أجد لها تحريفاً أقرب مما أثبت ، استظهرته من الخبر الذي رواه الشعبي ، عن ابن مسعود وهو : قوله : « فوالله ما رضي لهم إلا بالخطة المخزية ، أو الحرب المجلية . فأما الخطة المخزية فأن أقروا بأن من قتل منهم في النار ، وأن ما أخذوا من أموالنا مردود علينا . وأما الحرب المجلية ، فأن يخرجوا من ديارهم » (فتوح البلدان للبلاذري : ١٠١) .

قال، أخبرنا سيف بن عمر، عن أبي روق، عن الضحاك، عن أبي أيوب، عن علي في قوله: «يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه»، قال: علِم الله المؤمنين، ووقع معنى السوء على الحَشْو الذي فيهم من المنافقين ومن في علمه أن يرتدُّوا، [1] قال: «يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله»، المرتدَّة في دورهم [2] = «بقوم يحبهم ويحبونه»، بأبي بكر وأصحابه. [3]

* * *

وقال آخرون: يعني بذلك قوماً من أهل اليمن. وقال بعض من قال ذلك منهم: هم رهط أبي موسى الأشعري، عبد الله بن قيس. [4]

* ذكر من قال ذلك.

١٢١٨٨ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة، عن سماك بن حرب، عن عياض الأشعري قال: لما نزلت هذه الآية، «يا أيها الذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه»،

---

(١) في المطبوعة: «وأوقع معنى السوء»، وأثبت ما في المخطوطة، وأنا في شك من العبارة كلها، وإن كان لها وجه ومعنى.

(٢) في المطبوعة: «المرتدة عن دينهم»، وفي المخطوطة: «في دينهم»، والصواب ما أثبته من الأثر التالي رقم: ١٢٢٠١.

(٣) الأثر: ١٢١٨٦ – في المطبوعة: «سيف بن عمرو»، وهو خطأ، صوابه ما أثبت من المخطوطة. وقد مضى مثل هذا الأثر برقم: ١٢١٢٨ وفيه «عبد الله بن هشام». وقد ذكرت هنالك أني لم أعرفه. وسقط من الترقيم؛ رقم: ١٢١٨٧ سهواً.

(٤) عن هذا الموضع، انتهى جزء من تقسيم قديم، وفي المخطوطة ما نصه:

«يتلوه: ذكر من قال ذلك.

وصلّى الله على محمد».

ثم يتلوه ما نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم

ربِّ يسِّرْ برحمتك».

قال : أومأ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي موسى بشيء كان معه ، فقال : هم قومُ هذا !

١٢١٨٩ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا أبو الوليد قال، حدثنا شعبة ، عن سماك بن حرب ، قال : سمعت عياضاً يحدّث عن أبي موسى : أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية : « فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه » ، قال: يعني قوم أبي موسى .

١٢١٩٠ – حدثني أبو السائب سلم بن جنادة قال،حدثنا ابن إدريس ، عن شعبة = قال أبو السائب : قال أصحابنا : هو : « عن سماك بن حرب » ، وأنا لا أحفظ « سماكاً » = عن عياض الأشعريّ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هم قوم هذا = يعني أبا موسى .

١٢١٩١ – حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنا ابن إدريس، عن شعبة ، عن سماك ، عن عياض الأشعري ، قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي موسى : هم قوم هذا = في قوله : « فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه » .

١٢١٩٢ – حدثنا مجاهد بن موسى قال،حدثنا يزيد قال ، أخبرنا شعبة ، عن سماك بن حرب قال : سمعت عياضاً الأشعري يقول : لما نزلت : « فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه » ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هم قومك يا أبا موسى ! = أو قال : هم قوم هذا = يعني أبا موسى .(١) ٦/١٨٤

---

(١) الآثار : ١٢١٨٨ – ١٢١٩٢ – « عياض الأشعري » ، هو « عياض بن عمرو الأشعري » ، تابعي ، مختلف في صحبته ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا . رأى أبا عبيدة ابن الجراح ، وعمر بن الخطاب ، وأبا موسى الأشعري ، وغيرهم. قال ابن سعد ٦ : ١٠٤ : « كان قليل الحديث » . روى عنه الشعبي ، وسماك بن حرب . مترجم في التهذيب ، وأسد الغابة، والإصابة، والاستيعاب : ٤٩٨ ، والكبير للبخاري ٤/١/١٩ .

وهذا الخبر رواه ابن سعد في الطبقات ٤/١/٧٩ ، من طريق عبد الله بن إدريس ، وعفان ابن مسلم ، عن شعبة ، عن سماك ، عن عياض . والحاكم في المستدرك ٢ : ٣١٣ ، من طريق وهب ابن جرير ، وسعيد بن عامر ، عن شعبة ، عن سماك ، عن عياض ، وقال : « هذا حديث صحيح

١٢١٩٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو سفيان الحميرى، عن حصين، عن عياض = أو : ابن عياض = « فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه »، قال: قال : هم أهل اليمن .(١)

١٢١٩٤ – حدثنا محمد بن عوف قال، حدثنا أبو المغيرة قال ، حدثنا صفوان قال، حدثنا عبد الرحمن بن جبير ، عن شريح بن عبيد قال: لما أنزل الله: « يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه » إلى آخر الآية، قال عمر : أنا وقومى هم ، يا رسول الله ؟ قال : لا ، بل هذا وقومه ! = يعنى أبا موسى الأشعرى .(٢)

* * *

على شرط مسلم ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى . وخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧ : ١٦ ، وقال : « رواه الطبرانى ، ورجاله رجال الصحيح » . وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٢٩٢ ، وزاد نسبته لابن أبى شيبة فى مسنده ، وعبد بن حميد ، والحكيم الترمذى ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، وأبى الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقى فى الدلائل . وذكره ابن كثير فى تفسيره ٣ : ١٧٩ ، ١٨٠ ، عن ابن أبى حاتم ، عن عمر بن شبة ، عن عبد الصمد بن عبد الوارث، عن شعبة .

(١) الأثر : ١٢١٩٣ – « أبو سفيان الحميرى » ، هو « سعيد بن يحيى بن مهدى الحميرى » الحذاء ، الواسطى . صدوق ، وقال الدارقطنى : « متوسط الحال ليس بالقوى » . مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ٢/١/٤٧٧ ، وابن أبى حاتم ٢/١/٧٤ .

و « حصين » هو « حصين بن عبد الرحمن السلمى » ، ثقة ، من كبار الأئمة . مضى برقم : ٥٧٩ ، ٢٩٨٦ .

و « عياض » هو الأشعرى ، كما سلف فى الآثار السابقة . وأما « ابن عياض » ، فلم أجد من ذكر ذلك ، وكأنه شك من أبى سفيان الحميرى ، أو سفيان بن وكيع .

وانظر تخريج الآثار السالفة .

(٢) الأثر : ١٢١٩٤ – « محمد بن عوف بن سفيان الطائى » ، شيخ الطبرى ، ثقة حافظ ، مضى برقم : ٥٤٤٥ .

و « أبو المغيرة » هو : « عبد القدوس بن الحجاج الخولانى » ، « أبو المغيرة الحمصى » ثقة ، صدوق . مضى برقم : ١٠٣٧١ .

و « صفوان » ، هو : « صفوان بن عمرو بن هرم السكسكى » ، سمع عبد الرحمن بن جبير ، مضى برقم : ٧٠٠٩ . وهو مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ٢/٢/٣٠٩ ، وابن أبى حاتم ٢/١/٤٢٢ ، وفى ترجمته فى التهذيب خطأ بين ، ذكر أنه مات سنة (١٠٠) والصواب سنة (١٥٥) ، كما فى التاريخ الكبير وغيره .

و « عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمى » ، تابعى ثقة . مضى برقم : ١٨٦، ١٨٧.

و « شريح بن عبيد بن شريح الحضرمى » تابعى ثقة ، مضى برقم : ٥٤٤٥ . و « صفوان ابن عمرو » يروى عن شريح مباشرة ، ولكنه روى هنا عنه بواسطة « عبد الرحمن بن جبير » .

وقال آخرون منهم : بل هم أهل اليمن جميعاً .

* ذكر من قال ذلك :

١٢١٩٥ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « يحبهم ويحبونه » ، قال : أناسٌ من أهل اليمن .

١٢١٩٦ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٢١٩٧ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد قال : هم قوم سَبَأ .

١٢١٩٨ – حدثنا مطر بن محمد الضبي قال ، حدثنا أبو داود قال ، أخبرنا شعبة قال ، أخبرني من سمع شهر بن حوشب قال : هم أهل اليمن .(١)

١٢١٩٩ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني عبد الله بن عياش ، عن أبي صخر ، عن محمد بن كعب القرظي : أن عمر بن عبد العزيز أرسل إليه يوماً ، وهو أمير المدينة ، يسأله عن ذلك : فقال محمد : « يأتي الله بقوم » ، وهم أهل اليمن ! قال عمر : يا ليتني منهم ! قال : آمين ! (٢)

* * *

وقال آخرون : هم أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٢٠٠ – حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ،

وهذا الأثر خرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٢٩٢ ، ولم ينسبه لغير ابن جرير .

(١) الأثر : ١٢١٩٨ – « مطر بن محمد الضبي » ، شيخ الطبري ، لم أجد له ترجمة ولا ذكراً . وفيمن اسمه « مطر » : « مطر بن محمد بن نصر التميمي الهروي » ، مترجم في تاريخ بغداد ٣ : ٢٧٥ . و « مطر بن محمد بن الضحاك السكري » ، يروي عن يزيد بن هارون . مترجم في لسان الميزان ٦ : ٤٩ . ولا أظنه أحدهما ، وأخشى أن يكون دخل اسمه بعض التحريف .

(٢) الأثر : ١٢١٩٩ – انظر الأثر السالف رقم : ١٢١٧٧ ، والتعليق عليه .

حدثنا أسباط ، عن السدى : « يا أيها الذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه » ، يزعم أنهم الأنصار .

* * *

وتأويل الآية على قول من قال : عنى الله بقوله : « فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه » ، أبا بكر وأصحابه فى قتالهم أهل الرِّدَّة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم = : يا أيها الذين آمنوا ، من يرتدّ منكم عن دينه فلن يضر الله شيئاً ، وسيأتى الله من ارتد منكم عن دينه بقوم يحبهم ويحبونه ، ينتقم بهم منهم على أيديهم . وبذلك جاء الخبر والرواية عن بعض من تأول ذلك كذلك :

١٢٢٠١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن هشام قال ، أخبرنا سيف بن عمر ، عن أبى روق ، عن أبى أيوب ، عن على فى قوله : « يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم » ، قال يقول : فسوف يأتى الله المرتدَّةَ فى دورهم [1] = « بقوم يحبهم ويحبونه » ، بأبى بكر وأصحابه . [2]

* * *

وأما على قول من قال : عنى الله بذلك أهل اليمن ، فإن تأويله : يا أيها الذين آمنوا ، من يرتد منكم عن دينه ، فسوف يأتى الله المؤمنين الذين لم يرتدوا ، بقوم يحبهم ويحبونه ، أعواناً لهم وأنصاراً . وبذلك جاءت الرواية عن بعض من كان يتأول ذلك كذلك .

١٢٢٠٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « يا أيها الذين

---

(١) قوله : « فى دورهم » ، هو الصواب ، وقد كان فى المخطوطة والمطبوعة ، فى الأثر السالف رقم : ١٢١٨٦ « فى دينهم » و « عن دينهم » ، والصواب هو الذى هنا . انظر التعليق السالف ص : ٤١٤ تعليق : ٢ .

(٢) الأثر : ١٠٢٠١ — هو بعض الأثر السالف رقم : ١٢١٨٦ ، وكان فى هذا الموضع أيضاً « سيف بن عمرو » ، وهو خطأ ، كما بينته هناك .

آمنوا من يرتد منكم عن دينه » الآية ، وعيدٌ من الله أنه من ارتدّ منكم ، أنه سيستبدل خيراً منهم .

* * *

وأما على قول من قال : عنى بذلك الأنصار ، فإن تأويله فى ذلك نظير تأويل من تأوّله أنه عُنِى به أبو بكر وأصحابه .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك عندنا بالصواب ، ما رُوى به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنهم أهل اليمن ، قوم أبى موسى الأشعرى . ولولا الخبر الذى روى فى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخبر الذى روى عنه ، ما كان القول عندى فى ذلك إلاّ قول من قال : « هم أبو بكر وأصحابه » . ١٨٥/٦ وذلك أنه لم يقاتل قوماً كانوا أظهروا الإسلام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتدوا على أعقابهم كفاراً ، غير أبى بكر ومن كان معه ممن قاتل أهل الردة معه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولكنا تركنا القول فى ذلك للخبر الذى رُوى فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنْ كان صلى الله عليه وسلم مَعْدِن البيان عن تأويل ما أنزل الله من وحيه وآىِ كتابه .(١)

* * *

فإن قال لنا قائل : فإن كان القومُ الذين ذكر الله أنه سيأتى بهم = عند ارتداد من ارتد عن دينه ، ممن كان قد أسلم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم = هم أهل اليمن ، فهل كان أهل اليمن أيام قتال أبى بكر رضى الله عنه أهل الردة أعوانَ أبى بكر على قتالهم ، فتستجيز أن توجّه تأويل الآية إلى ما وجّهت إليه ؟ (٢)

---

(١) « المعدن » (بفتح الميم ، وسكون العين ، وكسر الدال) : مكان كل شىء يكون فيه أصله ومبدؤه . ومنه قيل : « معدن الذهب والفضة » ، وهو الذى نسميه اليوم « المنجم » ، حيث أنبت الله سبحانه وتعالى جوهرهما ، وأثبتهما فيه . ومنه فى المجاز ، ما جاء فى الخبر : « فمن معادن العرب تسألونى ؟ قالوا : نعم » يعنى : أصولها التى ينسبون إليها ، ويتفاخرون بها .

(٢) فى المطبوعة : « حتى تستجيز » ، وفى المخطوطة : « تستجير » بغير « حتى » ، فآثرت قراءتها كما أثبتها .

أم لم يكونوا أعواناً له عليهم ، فكيف استجزت أن توجه تأويل الآية إلى ذلك، وقد علمت أنه لا خُلْفَ لوعد الله ؟

قيل له: إن الله تعالى ذكره لم يعدِ المؤمنين أن يبدِّلهم بالمرتدِّين منهم يومئذ، خيراً من المرتدين لقتال المرتدين، وإنما أخبر أنه سيأتيهم بخيرٍ منهم بدلاً منهم ، فقد فعل ذلك بهم قريباً غير بعيد،(١) فجاء بهم على عهد عمر ، فكان موقعهم من الإسلام وأهله أحسن موقع ، وكانوا أعوان أهل الإسلام ، وأنفعَ لهم ممن كان ارتدَّ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من طَغَام الأعراب وجُفاة أهل البوادى الذين كانوا على أهل الإسلام كلاًّ لا نفعاً ؟(٢)

* * *

قال أبو جعفر: واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه » .

فقرأته قرأة أهل المدينة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ﴾، بإظهار التضعيف ، بدالين ، مجزومةَ « الدال » الآخرة . وكذلك ذلك فى مصاحفهم .

* * *

وأما قرأة أهل العراق ، فإنهم قرأوا ذلك : ﴿ مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ﴾ ، بالإدغام، بدالٍ واحدة، وتحريكها إلى الفتح، بناء على التثنية، لأن المجزوم الذى يظهر تضعيفه فى الواحد، إذا ثنِّىَ أدغم . ويقال للواحد: «اردُدْ يا فلان إلى فلان حقه »، فإذا ثنى قيل : « ردَّا إليه حقه » ، ولا يقال: « ارددا » ، وكذلك فى الجمع : « ردّوا » ، ولا يقال : « ارددوا »، فتبنى العرب أحياناً الواحد على الاثنين، وتظهر

---

(١) فى المطبوعة : « يعد فعل ذلك » ، وهو لا معنى له ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٢) « الطغام » (بفتح الطاء) : أوغاد الناس وأراذلهم . و « الكل » (بفتح الكاف) : العيال والثقل على صاحبه أو من يتولى أمره .

أحياناً فى الواحد التضعيفَ لسكون لام الفعل . وكلتا اللغتين فصيحةٌ مشهورة فى العرب . (١)

* * *

قال أبو جعفر : والقراءة فى ذلك عندنا على ما هو به فى مصاحفنا ومصاحف أهل المشرق، بدال واحدة مشدّدة ، بترك إظهار التضعيف، وبفتح « الدال » ، للعلة التى وصفت .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « أذلة على المؤمنين » ، أرقّاء عليهم، رحماءَ بهم .

* * *

= من قول القائل : « ذلّ فلان لفلان »، إذا خضع له واستكان . (٢)

* * *

ويعنى بقوله : « أعزة على الكافرين » ، أشداء عليهم ، غُلَظاء بهم .

* * *

= من قول القائل : «قد عزّنى فلان» ، إذا أظهر العزة من نفسه له ، وأبدى له الجفوة والغِلْظة . (٣)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٢٠٣ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله بن هاشم

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « فى العرف » ، وآثرت قراءتها كما أثبتها ، وهو الصواب .

(٢) وانظر تفسير « الذل » فيما سلف ٢ : ٧/٢١٢ : ١٧١ .

(٣) انظر تفسير « العزة » فيما سلف ٩ : ٣١٩ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .

قال ، أخبرنا سيف بن عمر ، عن أبي روق، عن أبي أيوب، عن علي في قوله : « أذلة على المؤمنين » ، أهل رقة على أهل دينهم = « أعزة على الكافرين » ، أهل غلظة على من خالفهم في دينهم .(١)

١٢٢٠٤ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين » ، يعني بالأذلة : الرحماء .(٢)

١٢٢٠٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج في قوله : « أذلة على المؤمنين »، قال : رحماء بينهم = « أعزة على الكافرين » ، قال : أشداء عليهم .

١٢٢٠٦ – حدثنا الحارث بن محمد قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، قال قال سفيان : سمعت الأعمش يقول في قوله : «أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين »، ضعفاء عن المؤمنين .(٣)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٥٤)

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بقوله : « يجاهدون في سبيل الله » ، هؤلاء المؤمنين الذين وعد الله المؤمنين أن يأتيهم بهم إن ارتدّ منهم مرتدّ ، بدلاً منهم ،

---

(١) الأثر : ١٢٢٠٣ – انظر أسانيد الآثار السالفة رقم : ١٢١٨٦ ، ١٢٢٠١ ، والتعليق عليها . وفي المخطوطة والمطبوعة : « سفيان بن عمر » مكان « سيف بن عمر » ، وهو خطأ فاحش .

(٢) في المخطوطة : « يعني بالأذلة : الرحمة » ، وفي المطبوعة : « يعني بالذلة الرحمة » ، وآثرت ما كتبت ، وهو تصحيف قريب .

(٣) في المطبوعة : « ضعفاء على المؤمنين » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو صواب جيد .

يجاهدون فى قتال أعداء الله على النحو الذى أمر الله بقتالهم ، والوجه الذى أذن لهم به ، ويجاهدون عدوّهم . فذلك مجاهدتهم فى سبيل الله[١] = « ولا يخافون لومة لائم » ، يقول : ولا يخافون فى ذات الله أحداً ، ولا يصدُّهم عن العمل بما أمرهم الله به من قتال عدوهم ، لومةُ لائم لهم فى ذلك . ١٨٦/٦

* * *

وأما قوله : « ذلك فضل الله » ، فإنه يعنى هذا النعتَ الذى نعتهم به تعالى ذكره = من أنهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون فى الله لومة لائم = فضلُ الله الذى تفضل به عليهم ، [٢] والله يؤتى فضله من يشاء من خلقه مِنّةً عليه وتطوّلاً[٣] = « والله واسع » ، يقول : والله جواد بفضله على من جادَ به عليه ، [٤] لا يخاف نَفاد خزائنه فتتَلْف فى عطائه[٥] = « عليم » ، بموضع جوده وعطائه ، فلا يبذله إلا لمن استحقه ، ولا يبذل لمن استحقه إلاّ على قدر المصلحة ، لعلمه بموضع صلاحه له من موضع ضرّه . [٦]

* * *

---

(١) انظر تفسير « يجاهد » فيما سلف ٤ : ١٠/٣١٨ : ٢٩٢
= وتفسير « سبيل الله » فيما سلف من فهارس اللغة (سبل) .

(٢) سياق الجملة : « هذا النعت الذى نعتهم به . . . فضل الله . . . » .

(٣) انظر تفسير « الفضل » فيما سلف من فهارس اللغة (فضل) .

(٤) انظر تفسير « واسع » فيما سلف ٩ : ٢٩٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٥) فى المطبوعة : « فيكف من عطائه » ، غير ما فى المخطوطة ، لأنه لم يحسن قراءته إذ كان غير منقوط . وهذا صواب قراءته .

(٦) انظر تفسير « عليم » فيما سلف من فهارس اللغة (علم) .

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ (٥٥)

قال أبو جعفر: يعنى تعالى ذكره بقوله : «إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا»، ليس لكم ، أيها المؤمنون، ناصر إلا الله ورسوله، والمؤمنون الذين صفتهم ما ذكر تعالى ذكره . (١)فأما اليهود والنصارى الذين أمركم الله أن تبرأوا من وَلايتهم ، ونهاكم أن تتخذوا منهم أولياء ، فليسوا لكم أولياء لا نُصَراء ، بل بعضهم أولياء بعض ، ولا تتخذوا منهم وليًّا ولا نصيراً .

* * *

وقيل إن هذه الآية نزلت فى عبادة بن الصامت ، فى تبرُّئه من ولاية يهود بنى قينقاع وحِلفهم ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٢٠٧ — حدثنا هناد بن السرى قال، حدثنا يونس بن بكير قال، حدثنا ابن إسحق قال ، حدثنى والدى إسحق بن يسار ، عن عبادة بن الوليد بن عبادة ابن الصامت قال: لما حاربت بنو قينقاع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، مشى عبادة ابن الصامت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم = وكان أحد بنى عوف بن الخزرج = فخلعهم إلى رسول الله، (٢)وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حِلفهم، وقال : أتولى الله ورسوله والمؤمنين، وأبرأ من حِلف الكفار ووَلايتهم! ففيه نزلت : « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » = لقول عبادةَ : «أتولى الله ورسوله والذين آمنوا» ، وتبرئه من بنى قينقاع ووَلايتهم = إلى

---

(١) انظر تفسير « ولى » فيما سلف ص : ٣٩٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) فى المخطوطة : « فجعلهم إلى رسول الله » ، والصواب ما فى المطبوعة ، مطابقاً لما سلف، ولما فى سيرة ابن هشام .

قوله : « فإن حزب الله هم الغالبون » .(١)

١٢٢٠٨ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس قال ، سمعت أبي، عن عطية بن سعد قال: جاء عبادة بن الصامت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم ذكره نحوه .

١٢٢٠٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا » ، يعني : أنه من أسلم تولى الله ورسوله .

* * *

وأما قوله : « والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » ، فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنيّ به .

فقال بعضهم: عُنِي به علي بن أبي طالب .

* * *

وقال بعضهم : عني به جميع المؤمنين

* ذكر من قال ذلك :

١٢٢١٠ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ،عن السدي قال: ثم أخبرهم بمن يتولاّهم فقال: «إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، وهم راكعون » ، هؤلاء جميع المؤمنين ،ولكن علي بن أبي طالب مرّ بسائل وهو راكع في المسجد، فأعطاه خاتَمَه .

١٢٢١١ – حدثنا هناد بن السري قال، حدثنا عبدة ، عن عبد الملك ، عن أبي جعفر قال : سألته عن هذه الآية : « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا

---

(١) الأثر : ١٢٢٠٧ – سيرة ابن هشام ٣ : ٥٢ ، ٥٣ ، وهو مطول الأثر السالف رقم : ١٢١٥٨ ، وتابع الأثر رقم : ١٢١٦٧ .

وكان في المطبوعة والمخطوطة هنا : « حدثني والدي إسحق بن يسار ، عن عبادة بن الصامت » ، أسقط ما أثبت من السيرة ، ومن إسناد الأثرين المذكورين آنفاً .

الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » ، قلت :[١] من الذين آمنوا ؟ قال : الذين آمنوا ![٢] قلنا : بلغنا أنها نزلت فى على بن أبى طالب ! قال : علىٌّ من الذين آمنوا .

١٢٢١٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا المحاربى ، عن عبد الملك قال : سألت أبا جعفر عن قول الله : « إنما وليكم الله ورسوله » ، وذكر نحو حديث هنّاد ، عن عبدة .

١٢٢١٣ – حدثنا إسمعيل بن إسرائيل الرملى قال، حدثنا أيوب بن سويد قال ، حدثنا عتبة بن أبى حكيم فى هذه الآية : « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا » ، قال : على بن أبى طالب .[٣]

١٢٢١٤ – حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا غالب ابن عبيد الله قال : سمعت مجاهداً يقول فى قوله : « إنما وليكم الله ورسوله »، الآية، قال : نزلت فى على بن أبى طالب ، تصدّق وهو راكع .[٤]

* * *

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « قلنا » ، والصواب الجيد ما أثبت .

(٢) هذا ليس تكراراً ، بل هو تعجب من سؤاله عن شىء لا يسأل عن مثله .

(٣) الأثر : ١٢٢١٣ – « إسماعيل بن إسرائيل الرملى » ، مضى برقم : ١٠٢٣٦ .
و « أيوب بن سويد الرملى » ، مضى برقم : ٥٤٩٥ .
و « عتبة بن أبى حكيم الهمدانى ، ثم الشعبانى » ، أبو العباس الأردنى . ضعفه ابن معين ، وكان أحمد يوهنه قليلا ، وذكره ابن حبان فى الثقات . مترجم فى التهذيب .

(٤) الأثر : ١٢٢١٤ – « غالب بن عبيد الله العقيلى الجزرى » ، منكر الحديث متروك . مترجم فى لسان الميزان ، والكبير للبخارى ٤/١/١٠١ ، وابن أبى حاتم ٣/٢/٤٨ .

* * *

هذا ، وأرجح أن أبا جعفر الطبرى قد أغفل الكلام فى قوله تعالى : « وهم راكعون » ، وفى بيان معناها فى هذا الموضع ، مع الشبهة الواردة فيه ، لأنه كان يحب أن يعود إليه فيزيد فيه بياناً ، ولكنه غفل عنه بعد .

وقد قال ابن كثير فى تفسيره ٣ : ١٨٢ : « وأما قوله : « وهم راكعون » ، فقد توهم بعض الناس أن هذه الجملة فى موضع الحال من قوله : « ويؤتون الزكاة » ، أى : فى حال ركوعهم . ولو كان هذا كذلك ، لكان دفع الزكاة فى حال الركوع أفضل من غيره ، لأنه ممدوح . وليس الأمر كذلك

القول فى تأويل قوله ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ (٥٦)

قال أبو جعفر : وهذا إعلامٌ من الله تعالى ذكره عبادَه جميعاً = الذين تبرأوا من حلف اليهود وخلعوهم رضًى بولاية الله ورسوله والمؤمنين ، (١) والذين تمسكوا بحلفهم وخافوا دوائر السوء تدور عليهم ، فسارعوا إلى موالاتهم = أنّ مَن وثق بالله وتولى الله ورسوله والمؤمنين ، (٢) ومن كان على مثل حاله من أولياء الله من المؤمنين ، لهم الغلبة والدوائر والدولة على من عاداهم وحادّهم ، لأنهم حزب الله ، وحزبُ الله هم الغالبون ، دون حزب الشيطان ، كما : — ١٨٧/٦

١٢٢١٥ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : أخبرهم = يعنى الرب تعالى ذكره = مَنِ الغالب ، فقال : لا تخافوا الدولة ولا الدائرة ، فقال : « ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون » ، و « الحزب » ، هم الأنصار .

* * *

عند أحد من العلماء ، ممن نعلمه من أئمة الفتوى . وحتى إن بعضهم ذكر فى هذا أثراً عن على بن أبى طالب أن هذه الآية نزلت فيه . . . » ثم ، ساق الآثار السالفة وما فى معناها من طرق مختلفة .

وهذه الآثار جميعاً لا تقوم بها حجة فى الدين . وقد تكلم الأئمة فى موقع هذه الجملة ، وفى معناها . والصواب من القول فى ذلك أن قوله : « وهم راكعون » ، يعنى به : وهم خاضعون لربهم ، متذللون له بالطاعة ، خاضعون له بالانقياد لأمره فى إقامة الصلاة بحدودها وفروضها من تمام الركوع والسجود ، والصلاة والخشوع ، ومطيعين لما أمرهم به من إيتاء الزكاة وصرفها فى وجوهها التى أمرهم بصرفها فيها . فهى بمعنى « الركوع » الذى هو فى أصل اللغة ، بمعنى الخضوع = انظر تفسير « ركع » فيما سلف ١ : ٥٧٤ .

وإذن فليس قوله : « وهم راكعون » حالا من « ويؤتون الزكاة » . وهذا هو الصواب المحض إن شاء الله .

(١) فى المطبوعة : « الذين تبرأوا من اليهود وحلفهم رضى بولاية الله . . . » ، غير ما فى المخطوطة إذ لم يحسن قراءته ، والذى أثبت هو صواب القراءة .

(٢) فى المطبوعة : « بأن من وثق بالله . . . » ، وفى المخطوطة مكان ذلك كله : « ووثقوا بالله » . والذى أثبت هو صواب المعنى .

ويعنى بقوله : « فإن حزب الله » ، فإن أنصار الله،[١] ومنه قول الراجز :[٢]

* وَكَيْفَ أَضْوَى وَبِلَالٌ حِزْبِي ! *[٣]

يعنى بقوله : « أضوى » ، أستضْعَفُ وأضام = من الشيء «الضاوى» .[٤]

ويعنى بقوله : « وبلال حزبى » ، يعنى : ناصرى .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (٥٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم : « يا أيها الذين آمنوا » ، أى : صدقوا الله ورسوله =« لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » ، يعنى اليهود والنصارى الذين

---

(١) انظر تفسير « الحزب » فيما سلف ١ : ٢٤٤ . وهذا التفسير الذى هنا لا تجده فى كتب اللغة .

(٢) هو رؤبة بن العجاج .

(٣) ديوانه : ١٦ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٦٩ ، من أرجوزة يمدح بها بلال ابن أبى بردة ، ذكر فى أولها نفسه ، ثم قال يذكر من يعترضه ويعبى له الهجاء والذم :

ذَاكِ ، وإن عَبَّى لِيَ المُعَبِّى وَطَحْطَحَ الجِدُّ لِحَاءَ القَشْبِ
أَلْقَيتُ أَقْوَالَ الرِّجَالِ الكُذْبِ فَكَيْفَ أَضْوَى وَبِلَالٌ حِزْبِي !

ورواية الديوان : « ولست أضوى » . وفى المخطوطة : « وكيف أضرى » ، وهو تصحيف « طحطح الشيء » : فرقه وبدده وعصف به فأهلكه . و « اللحاء» : المخاصمة . و « القشب » ، (بفتح فسكون) : الكلام المفترى : ولو قرئت « القشب » (بكسر فسكون) ، فهو الرجل الذى لا خير فيه .

(٤) « الضاوى » : الضعيف من الهزال وغيره . « ضوى يضوى ضوى » : ضعف ورق . وكان فى المخطوطة : « أضرى » و « الضارى » ، وهو خطأ وتصحيف .

جاءتهم الرسل والأنبياء، وأنزلت عليهم الكتب من قبل بَعْث نبينا صلى الله عليه وسلم ، ومن قبل نزول كتابنا = « أولياء » ، يقول : لا تتخذوهم ، أيها المؤمنون ، أنصاراً أو إخواناً أو حُلفاء ، (١) فإنهم لا يألونكم خَبَالاً ، وإن أظهروا لكم مودّة وصداقة .

* * *

وكان اتخاذ هؤلاء اليهود الذين أخبر الله عنهم المؤمنين أنهم اتخذوا دينهم هُزُواً ولعباً بالدين على ما وصفهم به ربنا تعالى ذكره، (٢) أن أحدهم كان يظهر للمؤمنين الإيمان وهو على كفره مقيم ، ثم يراجع الكفر بعد يسير من المدة بإظهار ذلك بلسانه قولاً ، بعد أن كان يُبدى بلسانه الإيمان قولاً وهو للكفر مستبطن تلعباً بالدين واستهزاءً به ، كما أخبر تعالى ذكره عن فعل بعضهم ذلك بقوله : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [سورة البقرة : ١٤ ، ١٥]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك جاء الخبر عن ابن عباس .

١٢٢١٦ — حدثنا هناد بن السرى وأبو كريب قالا، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنى ابن إسحق قال ، حدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال ، حدثنى سعيد بن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان رفاعة بن زيد بن التابوت وسويد بن الحارث قد أظهرا الإسلام ثم نافقا ، وكان رجال من المسلمين يوادُّونهما ، فأنزل الله فيهما : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم

---

(١) فى المطبوعة : « أنصار وإخوانا وحلفاء » ، وفى المخطوطة : « أنصاراً أو إخواناً وحلفاء » ، وأجريتها جميعاً بأو ، كما ترى .

(٢) فى المطبوعة : « ولعباً الدين على ما وصفهم » ، وهو غير مستقيم ، وفى المخطوطة : « ولعبا الذين على ما وصفهم » ، وهو أشد التواء ، والصواب ما أثبت ، كما سيأتى بعد « تلعباً بالدين واستهزاء به » .

هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء » إلى قوله : « والله أعلم بما كانوا يكتمون » .[١]

* * *

= فقد أبان هذا الخبر عن صحة ما قلنا ، من أنّ اتخاذ من اتخذ دين الله هزواً ولعباً من أهل الكتاب الذين ذكرهم الله فى هذه الآية ، إنما كان بالنفاق منهم ، وإظهارهم للمؤمنين الإيمان ، واستنبطانهم الكفر ، وقيلهم لشياطينهم من اليهود إذا خلوا بهم : « إنا معكم » ، فنهى الله عن موادّتهم ومُخالّتهم ،[٢] والتمسك بحلفهم ، والاعتداد بهم أولياء = وأعلمهم أنهم لا يألونهم خبالاً ، وفى دينهم طعناً ، وعليه إزراء .

* * *

وأمّا « الكفار » الذين ذكرهم الله تعالى ذكره فى قوله : « من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء » ، فإنهم المشركون من عبدة الأوثان . نهى الله المؤمنين أن يتخذوا من أهل الكتاب ومن عبدة الأوثان وسائر أهل الكفر ، أولياءَ دون المؤمنين .

* * *

وكان ابن مسعود فيما : —

١٢٢١٧ — حدثنى به أحمد بن يوسف قال ، حدثنا القاسم بن سلام قال ، حدثنا حجاج ، عن هرون ، عن ابن مسعود = يقرأ : ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ .

* * *

= فى هذا بيان صحة التأويل الذى تأوّلناه فى ذلك .

* * *

---

(١) الأثر : ١٢٢١٦ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٧ ، ٢١٨ .

(٢) فى المطبوعة : « ومحالفتهم » ، لم يحسن قراءة المخطوطة إذ كانت غير منقوطة ، وصواب قراءتها ما أثبت .

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته جماعة من أهل الحجاز والبصرة والكوفة : ﴿وَالْكُفَّارِ أَوْلِيَاءَ﴾، بخفض ١٨٨/٦
« الكفار » ، بمعنى : يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ، ومن الكفارِ ، أولياءَ .

* * *

وكذلك ذلك فى قراءة أبىّ بن كعب فيما بلغنا : ﴿ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الْكُفَّارِ أَوْلِياء ﴾ .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة أهل المدينة والكوفة : ﴿ وَالْكُفَّارَ أَوْلِياء ﴾ ، بالنصب ، بمعنى : يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً والكفارَ = عطفاً بـ « الكفار » على « الذين اتخذوا » .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إنهما قراءتان متفقتا المعنى ، صحيحتا المخرج ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرأة ، فبأى ذلك قرأ القارئ فقد أصاب . لأن النهىَ عن اتخاذ ولى من الكفار ، نهىٌ عن اتخاذ جميعهم أولياء . والنهى عن اتخاذ جميعهم أولياء ، نهىٌ عن اتخاذ بعضهم وليًّا . وذلك أنه غير مشكل على أحدٍ من أهل الإسلام أنّ الله تعالى ذكره إذا حرّم اتخاذ ولىّ من المشركين على المؤمنين ، أنه لم يبح لهم اتخاذ جميعهم أولياء = ولا إذا حرّم اتخاذ جميعهم أولياء ، أنه لم يخصص إباحة اتخاذ بعضهم وليًّا ، فيجب من أجل إشكال ذلك عليهم ، طلبُ الدليل على أولى القراءتين فى ذلك بالصواب . وإذ كان ذلك كذلك ، فسواء قرأ القارئ بالخفض أو بالنصب ، لما ذكرنا من العلة .

* * *

وأما قوله : « واتقوا الله إن كنتم مؤمنين » ، فإنه يعنى : وخافوا الله ، أيها المؤمنون ،

فى هؤلاء الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب ومن الكفار ، أن تتخذوهم أولياء ونصراء ، وارهبوا عقوبته فى فعل ذلك إن فعلتموه بعد تقدُّمه إليكم بالنهى عنه ، إن كنتم تؤمنون بالله وتصدِّقونه على وعيده على معصيته .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ (٥٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وإذا أذن مؤذنكم ، أيها المؤمنون ، بالصلاة ، سخر من دعوتكم إليها هؤلاء الكفار من اليهود والنصارى والمشركين ، ولعبوا من ذلك = « ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » ، يعنى تعالى ذكره بقوله : « ذلك » ، فعلهم الذى يفعلونه ، وهو هزؤهم ولعبهم من الدعاء إلى الصلاة ، وإنما يفعلونه بجهلهم بربهم ، وأنهم لا يعقلون ما لهم فى إجابتهم إن أجابوا إلى الصلاة ، وما عليهم فى استهزائهم ولعبهم بالدعوة إليها ، ولو عقلوا ما لمن فعل ذلك منهم عند الله من العقاب ، ما فعلوه .

* * *

وقد ذكر عن السدى فى تأويله ما : —

١٢٢١٨ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً » ، كان رجل من النصارى بالمدينة إذا سمع المنادى ينادى : « أشهد أن محمداً رسول الله » ، قال : « حُرِّق الكاذب » ! فدخلت خادمه ذات ليلة من الليالى بنار وهو نائم وأهله نيام ، فسقطت شرارة فأحرقت البيت ، فاحترق هو وأهله .

* * *

---

(١) انظر تفسير « كفار » و « أولياء » و « اتق » فيما سلف من فهارس اللغة ، (كفر) و (ولى) و (وق) .

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾ (٥٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : قل، يا محمد، لأهل الكتاب من اليهود والنصارى : يا أهل الكتاب ، هل تكرهون منا أو تجدون علينا فى شيء إذ تستهزئون بديننا ، وإذ أنتم إذا نادينا إلى الصلاة اتخذتم نداءنا ذلك هزواً ولعباً [١] = « إلاّ أن آمنا بالله » ، يقول : إلاّ أن صدقنا وأقررنا بالله فوحدناه، وبما أنزل إلينا من عند الله من الكتاب ،وما أنزل إلى أنبياء الله من الكتب من قبل كتابنا = « وأن أكثركم فاسقون »، يقول : وإلا أن أكثركم مخالفون أمر الله ، خارجون عن طاعته ، تكذبون عليه . [٢]

* * *

والعرب تقول : « نقَمتُ عليك كذا أنقِم » = وبه قرأه القرأة من أهل الحجاز والعراق وغيرهم = و « نقِمت أنقِم »، لغتان [٣] = ولا نعلم قارئاً قرأ بهما [٤] = بمعنى : وجدت وكرهت ، [٥] ومنه قول عبد الله بن قيس الرقيات : [٦]

مَا نَقَمُوا مِنْ بَنِى أُمَيَّةَ إِلَّا أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا [٧]

* * *

(١) فى المطبوعة : « أو تجدون علينا حتى تستهزئوا بديننا إذ أنتم إذا نادينا إلى الصلاة » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، فحذف وغير وبدل ، وأساء غاية الإساءة .

(٢) انظر تفسير « الفسق » فيما سلف ص : ٣٩٣ تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٣) اللغة الأولى « نَقِم » (بفتحتين) « ينقِم » (بكسر القاف) = واللغة الثانية « نَقِم » (بفتح فكسر) « ينقِم » (بكسر القاف أيضاً) .

(٤) فى المطبوعة : « قرأ بها » بالإفراد ، والصواب ما فى المخطوطة ، ويعنى « نقمت » ، أنقِم . من اللغة الثانية .

(٥) « وجدت » من قولهم : « وجد عليه يجد وجداً وموجدة » : غضب .

(٦) مختلف فى اسمه يقال : « عبد الله » ويقال : « عبيد الله » بالتصغير ، وهو الأكثر .

(٧) ديوانه : ٧٠ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٧٠ ، واللسان (نقم) ، من قصيدته التى

وقد ذكر أن هذه الآية نزلت بسبب قوم من اليهود .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٩/٦ ١٢٢١٩ — حدثنا هناد بن السرى قال، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنا محمد بن إسحق قال، حدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال، حدثنى سعيد بن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم نفرٌ من اليهود فيهم أبو ياسر بن أخطب ، ورافع بن أبى رافع ، وعازر ،(١) وزيد ، وخالد ، وأزار بن أبى أزار ، وأشيع ، فسألوه عمن يؤمن به من الرسل ؟ قال : أومن بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون . (٢) فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا : لا نؤمن بمن آمن به ! (٣) فأنزل الله فيهم : « قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلاّ أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون » . (٤)

* * *

قالها لعبد الملك بن مروان ، فى خبر طويل ذكره أبو الفرج فى الأغانى ٥ : ٧٦ — ٨٠ ، وبعد البيت :

وأنَّهُمْ مَعْدِنَ المُلُوكِ ، فَلاَ تَصْلُحُ إلَّا عَلَيْهِمُ العَرَبُ
إن الفَنِيق الَّذِى أَبُوهُ أبو الـــمَاصِى، عَلَيْهِ الوَقَارُ والحُجُبُ
خَلِيفَةُ اللهِ فَوْقَ مِنْبَرِه جَفَّتْ بِذَاكَ الأَقْلاَمُ والكُتُبُ
يَعْتَدِلُ التَّاجُ فَوْقَ مَفْرِقِهِ عَلَى جَبِينٍ كأَنَّهُ الذَّهَبُ

(١) فى المخطوطة : « عازى » ، وصوابه من المراجع الآتى ذكرها .
(٢) هذا تضمين آية سورة البقرة : ١٣٦ .
(٣) فى المخطوطة : « لا نؤمن آمن به » ، أسقط « بمن » .
(٤) الأثر : ١٢٢١٩ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٦ ، ومضى بالإسنادين رقم ٢١٠١ ، ٢١٠٢

= عطفاً بها على «أن» التى فى قوله : « إلا أن آمنا بالله » ، [١] لأن معنى الكلام : هل تنقمون منا إلا إيماننا بالله وفسقكم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « قل »، يا محمد ، لهؤلاء الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار = « هل أنبئكم »، يا معشر أهل الكتاب ، بشر من ثواب ما تنقمون منا من إيماننا بالله وما أنزل إلينا من كتاب الله ، وما أنزل من قبلنا من كتبه ؟ [٢]

* * *

[و « مثوبة » ، تقديرها « مفعولة »] ، غير أن عين الفعل لما سقطت نقلت حركتها إلى « الفاء » ، [٣] وهى « الثاء »من« مثوبة » ، فخرجت مخرج « مَقُولة » ، و « مَحُورة » ، و « مَضُوفة » ، [٤] كما قال الشاعر : [٥]

---

(١) يعنى قوله : « وأن أكثركم فاسقون » ، فتح الألف من « وأن » ، عطفاً بها على « أن » التى فى قوله : « إلا أن آمنا بالله » .

(٢) انظر تفسير « مثوبة » فيما سلف ٢ : ٤٥٨ ، ٤٥٩ .

(٣) كان فى المطبوعة : « غير أن العين لما سكنت نقلت حركتها إلى الفاء . . . » ، سقط صدر الكلام ، فغير ما كان فى المخطوطة ، فأثبت ما أثبته بين القوسين ، استظهاراً من اشتقاق الكلمة. والذى كان فى المخطوطة : « غير أن الفعل لما سقط نقلت حركتها إلى الفاء » ، سقط أيضاً صدر الكلام الذى أثبته بين القوسين ، وسقط أيضاً « عين » من قوله : « عين الفعل » . وأخشى أن يكون سقط من الكلام غير هذا. انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٧٠ ، وذلك قراءة من قرأ « مثوبة» (بفتح فسكون ففتح) .

(٤) فى المطبوعة : « محوزة » بالحاء والزاى وفى المخطوطة : « محوره ومصرفه »غير منقوطة . والصواب ما أثبت . ويأتى فى بعض الكتب كالقرطبى ٦ : ٢٤٣ « مجوزة » بالجيم والزاى ، وكل ذلك خطأ ، صوابه ما أثبت . و « المحورة » من «المحاورة » ، مثل « المشورة » و « المشاورة » يقال : « ما جاءتنى عنه محورة » ، أى : ما رجع إلى عنه خبر . وحكى ثعلب : « اقض محورتك » ، أى الأمر الذى أنت فيه . ويقال فيها أيضاً : « محورة » (بفتح الميم وسكون الحاء) ومنه قول الشاعر :

لِحَاجَةِ ذِى بَثٍّ وَمَحْوَرَةٍ لَهُ ، كَفَى رَجْعُهَا مِنْ قِصَّةِ الْمُتَكَلِّمِ

(٥) هو أبو جندب الهذلى .

وَكُنْتُ إِذَا جَارِى دَعَا لِمَضُوفَةٍ أُشَمِّرُ حَتَّى يَنْصُفَ السَّاقَ مِئْزَرِى(١)

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٢٢٠ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله » ، يقول : ثواباً عند الله .

١٢٢٢١ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله » ، قال : « المثوبة » ، الثواب ، « مثوبة الخير » ، و « مثوبة الشر » ، وقرأ : ﴿ خَيْرٌ ثَوَابًا ﴾ [سورة الكهف : ٤٤] .(٢)

* * *

---

(١) أشعار الهذليين ٣ : ٩٢ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٧٠ ، واللسان (ضيف) (نصف) وغيرها كثير ، وبعده :

وَلَكِنَّنِى جَمْرُ الغَضَا من وَرَائِهِ يُخَفِّرُنِى سَيْفِى إِذَا لَمْ أُخَفَّرِ
أَبَى النَّاسُ إِلاَّ الشَّرَّ مِنِّى ، فَدَعْهُمُ وَإِيَّاىَ مَا جَاؤُوا إِلَىَّ بِمُنْكَرِ
إِذَا مَعْشَرٌ يَوْمًا بَغَوْنِى بَغَيْتُهُمُ بِمُسْقِطَةِ الأَحْبَالِ فَقْمَاءَ قِنْطِرِ

و « المضوفة » و « المضيفة » و « المضافة » : الأمر يشفق منه الرجل . وبها جميعا روى البيت . «ضاف الرجل وأضاف» : خاف . و« نصف الإزار ساقه » : إذا بلغ نصفها . يريد بذلك اجتهاده فى الدفاع عمن استجار به . وقوله : « ولكنى جمر الغضا . . . » ، يقول : أتحرق فى نصرته تحرقاً كأنه لهب باق من جمر الغضا . وقوله : « يخفرنى سيفى . . . » . يقول : سيفى خفيرى إذا لم أجد لى خفيراً ينصرنى . وقوله : « مسقطة الأحبال » : يريد : أعمد إليهم بداهية تسقط الحبالى من الرعب . و « فقماء » . وصف للداهية المنكرة ، يذكر بشاعة منظرها يقال : « امرأة فقماء » : وهى التى تدخل أسنانها العليا إلى الفم ، فلا تقع على الثنايا السفل ، وهى مع ذلك مائلة الحنك . و « قنطر » هى الداهية ، وجاء بها هنا وصفاً ، وكأن معناها عندئذ أنها داهية تطبق عليه إطباقاً ، كالقنطرة التى يعبر عليها تطبق على الماء . ولم يذكر أصحاب اللغة هذا الاشتقاق ، وإنما هو اجتهاد منى فى طلب المعنى .

وكان صدر البيت الشاهد فى المخطوطة : « وكنت إذا جاى دعالم » ، ولم يتم البيت ، وأتممته المطبوعة .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « شر ثواباً » ، وليس فى كتاب الله آية فيها « شر ثواباً » ، فأثبت آية الكهف التى استظهرت أن يكون قرأها ابن زيد فى هذا الموضع . ونقل السيوطى فى الدر المنثور

وأما « مَنْ » فى قوله : « من لعنه الله »، فإنه فى موضع خفض ، ردًّا على قوله : « بشرّ من ذلك » . فكأن تأويل الكلام ، إذ كان ذلك كذلك : قل هل أنبئكم بشرّ من ذلك مثوبة عند الله ، بمن لعنه الله .

ولو قيل : هو فى موضع رفع ، لكان صواباً ، على الاستئناف ، بمعنى : ذلك من لعنه الله = أو : وهو من لعنه الله .

ولو قيل : هو فى موضع نصب ، لم يكن فاسداً ، بمعنى : قل هل أنبئكم من لعنه الله [١] = فيجعل « أنبئكم » عاملاً فى « من » ، واقعاً عليه . [٢]

* * *

وأما معنى قوله : « من لعنه الله » ، فإنه يعنى : من أبعده الله وأسْحَقه من رحمته [٣] = « وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير » ، يقول : وغضب عليه، وجعل منهم المُسوخَ القردة والخنازير ، غضباً منه عليهم وسخطاً، فعجّل لهم الخزى والنكال فى الدنيا . [٤]

* * *

وأما سبب مَسْخ الله من مَسخ منهم قردة ، فقد ذكرنا بعضه فيما مضى من كتابنا هذا ، وسنذكر بقيته إن شاء الله فى مكان غير هذا . [٥]

* * *

---

٢ : ٢٩٥ ، وكتب : « وقرئ : بشر ثواباً » ، ولم أجد هذه القراءة الشاذة ، فلذلك استظهرت ما أثبت . هذا ، وقد سقط من الترقيم رقم : : ١٢٢٢٢ سهوا .

(١) انظر هذا كله فى معانى القرآن للفراء ١ : ٣١٤ .

(٢) فى المطبوعة : « فيجعل « أنبئكم » على ما فى « من » واقعاً عليه » ، وفى المخطوطة : « فيجعل « أنبئكم » علاماً فيمن واقعاً عليه » ، وكلاهما فاسد ، وصواب قراءة ما أثبت ، ولكن أخطأ الناسخ كعادته فى كتابته أحياناً . و « الوقوع » التعدى ، كما سلف مراراً ، انظر فهارس المصطلحات فى الأجزاء السالفة .

(٣) انظر تفسير « اللعنة » فيما سلف ٩ : ٢١٣ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « غضب الله » فيما سلف ١ : ١٨٨ ، ٢/١٨٩ : ١٣٨، ٧/٣٤٥ : ١١٦/ ٩ : ٥٧ .

(٥) انظر ما سلف ٢ : ١٦٧ — ٨/١٧٢ : ٤٤٧ ، ٤٤٨/ وما سيأتى فى التفسير ٩ : ٦٣ — ٧٠ (بولاق) .

وأما سبب مسخ الله من مَسخ منهم خنازير ، فإنه كان فيما : —

١٢٢٢٣ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة بن الفضل ، عن ابن إسحق ، عن عُمرَ بن كثير بن أفلح مولى أبي أيوب الأنصاري ، قال : حدِّثت أن المسخ في بني إسرائيل من الخنازير، كان أن امرأة من بني إسرائيل كانت في قرية من قرى بني إسرائيل ، وكان فيها مَلِك بني إسرائيل ، وكانوا قد استجمعوا على الهلكة، إلا أنّ تلك المرأة كانت على بقية من الإسلام متمسكة به، فجعلت تدعو إلى الله ،(١) حتى إذا اجتمع إليها ناس فتابعوها على أمرها قالت لهم : إنه لابد لكم من أن تجاهدوا عن دين الله، وأن تنادوا قومكم بذلك ، فاخرجوا فإني خارجة . فخرجت ، وخرج إليها ذلك الملك في الناس ، فقتل أصحابها جميعاً، وانفلتت من بينهم . قال : ودعت إلى الله حتى تجمَّع الناس إليها ، حتى إذا رضيت منهم ، أمرتهم بالخروج ، فخرجوا وخرجت معهم ، وأصيبوا جميعاً وانفلتت من بينهم . ثم دعت إلى الله حتى إذا اجتمع إليها رجال واستجابوا لها ، أمرتهم بالخروج ، فخرجوا وخرجت ، فأصيبوا جميعاً ، وانفلتت من بينهم ، فرجعت وقد أيست وهي تقول : ١٩٠/٦
سبحان الله، لو كان لهذا الدين وليٌّ وناصرٌ، لقد أظهره بَعْدُ ! قال : فباتت محزونة، وأصبح أهل القرية يسعون في نواحيها خنازيرَ ، قد مسخهم الله في ليلتهم تلك ، فقالت حين أصبحت ورأت ما رأت : اليوم أعلم أن الله قد أعزَّ دينه وأمر دينه ! قال : فما كان مسخ الخنازير في بني إسرائيل إلاّ على يدَيْ تلك المرأة .(٢)

---

(١) في المخطوطة : « تدعو الله » بحذف « إلى » ، والصواب ما في المطبوعة ، بدليل ما سيأتي بعد . وأما قوله : « واستجمعوا على الهلكة »، فإنه يعني : قد أشرفت جماعتهم على الهلاك بكفرهم.

(٢) الأثر : ١٢٢٢٣ — « عمر بن كثير بن أفلح ، مولى أبي أيوب الأنصاري » ، روى عن كعب بن مالك ، وابن عمر ، وسفينة ، وغيرهم . وذكره ابن حبان في الثقات ، في أتباع التابعين . وقال ابن سعد : « كان ثقة ، له أحاديث » . وقال ابن أبي حاتم : « روى عنه محمد بن بشر العبدي ، وحماد بن خالد الخياط ، وأبو عون الزيادي » ، غير أن أبا عون قال : «عمرو بن كثير بن أفلح» ، وهو وهم منه » . وكان في المخطوطة والمطبوعة هنا « عمرو بن كثير » ، فتابعت ابن أبي حاتم . وهو مترجم في التهذيب « عمر » ، وابن أبي حاتم ٣/١/١٣٠.

١٢٢٢٤ – حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله: « وجعل منهم القردة والخنازير »، قال : مسخت من يهود .

١٢٢٢٥ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

وللمسخ سبب فيما ذكر غير الذي ذكرنا ، سنذكره في موضعه إن شاء الله.(١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ أُوْلَـٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (٦٠)

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة في قراءة ذلك .

فقرأته قرأة الحجاز والشأم والبصرة وبعض الكوفيين : ﴿ وَعَبَدَ ٱلطَّاغُوتَ ﴾ ، بمعنى : وجعل منهم القردة والخنازير ومن عبد الطاغوت ، بمعنى : « عابد »، فجعل « عبد »، فعلاً ماضياً من صلة المضمر، ونصب « الطاغوتَ »، بوقوع « عبَدَ » عليه.

* * *

وقرأ ذلك جماعة من الكوفيين : ﴿ وَعَبُدَ ٱلطَّاغُوتِ ﴾ بفتح « العين » من « عبد » وضم بائها ، وخفض « الطاغوت » بإضافة « عَبُد » إليه . وعنوا بذلك : وخدَمَ الطاغوت .

١٢٢٢٦ – حدثني بذلك المثنى قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبدالرحمن ابن أبي حماد قال ، حدثني حمزة ، عن الأعمش، عن يحيى بن وثاب أنه قرأ: ﴿ وَعَبُدَ ٱلطَّاغُوتِ ﴾، يقول: خدم = قال عبد الرحمن: وكان حمزة كذلك يقرأها .

---

(١) لم أعرف مكانه فيما سيأتي من التفسير ، فإذا عثرت عليه أثبته إن شاء الله . ولعل منه ما سيأتي في الآثار رقم : ١٢٣٠١ – ١٢٣٠٤ . وانظر رقم : ٧١١٠ .

١٢٢٢٧ – حدثني ابن وكيع وابن حميد قالا، حدثنا جرير، عن الأعمش: أنه كان يقرأها كذلك.

* * *

وكان الفرّاء يقول: إن تكن فيه لغة مثل « حَذِرٍ » و « وحَذُر »، « وعجِلٍ »، و « وعَجُلٍ »، فهو وجه، والله أعلم = وإلاّ فإن أراد قول الشاعر: (١)

أَبَنِي لُبَيْنَى إنَّ أُمَّكُمُ أَمَةٌ وَإنَّ أَبَاكُمُ عَبُدُ(٢)

فإن هذا من ضرورة الشعر، وهذا يجوز في الشعر لضرورة القوافي، وأما في القراءة فلا. (٣)

* * *

وقرأ ذلك آخرون: ﴿ وَعُبُدَ ٱلطَّاغُوتِ ﴾، ذكر ذلك عن الأعمش.

* * *

وكأنّ من قرأ ذلك كذلك، أراد جمع الجمع من « العبد »، كأنه جمع « العبد » « عبيداً »، ثم جمع « العبيد » « عُبُداً »، مثل: « ثِمَار وثُمُر ». (٤)

* * *

وذكر عن أبي جعفر القارئ أنه كان يقرأه: (٥) ﴿ وَعُبِدَ ٱلطَّاغُوتُ ﴾.

١٢٢٢٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الرحمن قال: كان أبو جعفر النحويّ يقرأها: ﴿ وَعُبِدَ الطَّاغُوتُ ﴾، كما تقول: « ضُرِب عبدُ الله ».

* * *

---

(١) هو أوس بن حجر.

(٢) ديوانه، القصيدة: ٥، البيت: ٤، ومعاني القرآن للفراء ١: ٣١٤، ٣١٥، واللسان (عبد)، وقد مضى منها بيت فيما سلف ص: ٢٧٥، وقبل البيت:

أَبَنِي لُبَيْنِيَ لَسْتُ مُعْتَرِفًا لِيَكُونَ أَلأَمَ مِنْكُمُ أَحَدُ

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ١: ٣١٤، ٣١٥.

(٤) كان الأجود أن يقول: « كأنه جمع العبد عباداً، ثم جمع العباد عبداً، مثل ثمار وثمر »، وهو ظاهر مقالة الفراء في معاني القرآن ١: ٣١٤.

(٥) في المطبوعة: « أنه يقرؤه » بحذف « كان »، وأثبت ما في المخطوطة.

قال أبو جعفر : وهذه قراءة لا معنى لها ، لأن الله تعالى ذكره ، إنما ابتدأ الخبر بذمّ أقوام ، فكان فيما ذمَّهم به عبادُتهم الطاغوت . وأما الخبر عن أن الطاغوت قد عُبد ، فليس من نوع الخبر الذى ابتدأ به الآية ، ولا من جنس ما ختمها به ، فيكون له وجه يوجَّه إليه فى الصحة . (١)

* * *

وذكر أن بُريدة الأسلمى كان يقرأه : ﴿وَعَابِدَ ٱلطَّاغُوتِ﴾ . (٢)

١٢٢٢٩ — حدثنى بذلك المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبدالرحمن قال ، حدثنا شيخ بصرى : أن بريدة كان يقرأه كذلك .

* * *

ولو قرئ ذلك : ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّاغُوتِ﴾ ، بالكسر ، كان له مخرج فى العربية صحيح ، وإن لم أستجز اليوم القراءة بها ، إذ كانت قراءة الحجة من القرأة بخلافها . ووجه جوازها فى العربية ، أن يكون مراداً بها « وعَبَدَة الطاغوت » ، ثم حذفت « الهاء » للإضافة ، كما قال الراجز : (٣)

« قَامَ وُلاَهَا فَسَقَوْهُ صَرْخَدَا » (٤)

يريد : قام وُلاتها ، فحذف « التاء » من « ولاتها » للإضافة . (٥)

* * *

قال أبو جعفر : وأما قراءة القرأة ، فبأحد الوجهين اللذين بدأت بذكرهما ،

---

(١) فى المطبوعة : « من الصحة » ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٢) فى المخطوطة : « وعابد الشيطان » ، وهو خطأ لا شك فيه ، صححته المطبوعة ، وانظر القراءات الشاذة لابن خالويه : ٣٤ .

(٣) لم أعرف الراجز .

(٤) معانى القرآن للفراء ١ : ٣١٤ ، وقوله : « صرخد » جعلها الخمر الصرخدية نفسها . وأما أصحاب اللغة ، فيقولون : « صرخد » ، موضع بالشأم ، من عمل حوران ؛ تنسب إليه الخمر الجيدة .

(٥) انظر ما سلف جميعه فى معانى القرآن للفراء ١ : ٣١٤ ، ٣١٥ .

وهو : ﴿ وَعَبَدَ ٱلطَّاغُوتَ ﴾ ، بنصب « الطاغوت » وإعمال « عبد » فيه ، وتوجيه « عبد » إلى أنه فعل ماض من « العبادة » .

والآخر : ﴿ وَعَبُدَ ٱلطَّاغُوتِ ﴾ ، على مثال « فَعُلٍ » ، وخفض « الطاغوت » بإضافة « عَبُدٍ » إليه .

فإذ كانت قراءة القرأة بأحد هذين الوجهين دون غيرهما من الأوجه التى هى أصح مخرجاً فى العربية منهما ، فأولاهما بالصواب من القراءة ، قراءة من قرأ ذلك ﴿ وَعَبَدَ ٱلطَّاغُوتَ ﴾ ، بمعنى : وجعل منهم القردة والخنازير ومن عبد الطاغوت ، لأنه ذكر أن ذلك فى قراءة أبىّ بن كعب وابن مسعود : ﴿ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدُوا ٱلطَّاغُوتَ ﴾ ، بمعنى : والذين عبدوا الطاغوت = فى ذلك دليل واضحٌ على صحة المعنى الذى ذكرنا من أنه مراد به : ومَن عبد الطاغوت ، وأن النصب بـ « الطاغوت » أولى ، على ما وصفت فى القراءة ، لإعمال « عبد » فيه ، إذ كان الوجه الآخر غير مستفيض فى العرب ولا معروف فى كلامها . ١٩١/٦

على أن أهل العربية يستنكرون إعمال شىء فى « مَنْ » و « الذى » المضمرين مع « مِنْ » و « فى » إذا كفت « مِنْ » أو « فى » منهما ويستقبحونه ، حتى كان بعضهم يُحيل ذلك ولا يجيزه . وكان الذى يحيل ذلك يقرأه : ﴿ وَعَبُدَ ٱلطَّاغُوتِ ﴾ ، فهو على قوله خطأ ولحن غير جائز .

وكان آخرون منهم يستجيزونه على قبح . فالواجب على قولهم أن تكون القراءة بذلك قبيحة . وهم مع استقباحهم ذلك فى الكلام ، قد اختاروا القراءة بها ، وإعمال و « جعل » فى « مَنْ » ، وهى محذوفة مع « مِن » .

ولو كنا نستجيز مخالفة الجماعة فى شىء مما جاءت به مجمعة عليه ، لاخترنا القراءة بغير هاتين القراءتين ، غير أن ما جاء به المسلمون مستفيضاً فيهم لا يتناكرونه ،[1] فلا نستجيز الخروجَ منه إلى غيره . فلذلك لم نستجز القراءة بخلاف إحدى القراءتين

---

(١) فى المطبوعة : « فهم لا يتناكرونه » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

اللتين ذكرنا أنهم لم يعدُوهما .

* * *

وإذ كانت القراءة عندنا ما ذكرنا ، فتأويل الآية : قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله ، من لعنة الله وغضب عليه ، وجعل منهم القردة والخنازير ، ومَن عبد الطاغوت .

* * *

وقد بينا معنى « الطاغوت » فيما مضى بشواهده من الروايات وغيرها ، فأغنى ذلك عن إعادته ههنا .(١)

* * *

وأما قوله : « أولئك شر مكاناً وأضلُّ عن سواء السبيل » ، فإنه يعني بقوله : « أولئك » ، هؤلاء الذين ذكرهم تعالى ذكره ، وهم الذين وصفَ صفتهم فقال : « من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت » ، وكل ذلك من صفة اليهود من بني إسرائيل .

يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين هذه صفتهم = « شر مكاناً » ، في عاجل الدنيا والآخرة عند الله ممن نَقَمتم عليهم ، يا معشر اليهود ، إيمانَهم بالله ، وبما أنزل إليهم من عند الله من الكتاب ، وبما أنزل إلى من قبلهم من الأنبياء = «وأضل عن سواء السبيل » ، يقول تعالى ذكره : وأنتم مع ذلك ، أيها اليهود ، أشد أخذاً على غير الطريق القويم ، وأجورُ عن سبيل الرشد والقصد منهم .(٢)

* * *

قال أبو جعفر : وهذا من لَحْنِ الكلام .(٣) وذلك أن الله تعالى ذكره إنما

---

(١) انظر تفسير « الطاغوت » فيما سلف ٥ : ٤١٦ – ٤١٩/٨ : ٤٦١ – ٤٦٥ ، ٥٠٧ – ٥١٣ ، ٥٤٦ .

(٢) انظر تفسير « الضلال » فيما سلف من فهارس اللغة .

= وتفسير « سواء السبيل » فيما سلف ١٠ : ١٢٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) « اللحن » هنا بمعنى التعريض والإيماء ، عدولا عن تصريح القول . قال ابن برى : « للحن ستة معان : الخطأ في الإعراب ، واللغة ، والغناء ، والفطنة ، والتعريض ، والمعنى » .

قصد بهذا الخبر إخبارَ اليهود الذين وصف صفتهم فى الآيات قبل هذه ، بقبيح فعالهم وذميم أخلاقهم ، واستيجابهم سخطه بكثرة ذنوبهم ومعاصيهم ، حتى مسخ بعضهم قردة وبعضهم خنازير ، خطاباً منه لهم بذلك ، تعريضاً بالجميل من الخطاب ، ولَحَن لهم بما عَرَفوا معناه من الكلام بأحسن اللحن ،[1] وعلَّم نبيه صلى الله عليه وسلم من الأدب أحسنه فقال له : قل لهم ، يا محمد ، أهؤلاء المؤمنون بالله وبكتبه الذين تستهزئون منهم ، شرٌّ ، أم من لعنه الله ؟ وهو يعنى المقولَ ذلك لهم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴾ (٦١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وإذا جاءكم ، أيها المؤمنون ، هؤلاء المنافقون من اليهود قالوا لكم : « آمنا » ، أى صدّقنا بما جاء به نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم واتبعناه على دينه ، وهم مقيمون على كفرهم وضلالتهم ، قد دخلوا عليكم بكفرهم الذى يعتقدونه بقلوبهم ويُضمرونه فى صدورهم ، وهم يبدون كذباً التصديق لكم بألسنتهم = «وقد خرجوا به» ، يقول : وقد خرجوا بالكفر من عندكم كما دخلوا به عليكم ، لم يرجعوا بمجيئهم إليكم عن كفرهم وضلالتهم ، يظنون أن ذلك من فعلهم يخفى على الله ، جهلاً منهم بالله = « والله أعلم بما كانوا يكتمون » ، يقول : والله أعلم بما كانوا — عند قولهم لكم بألسنتهم : « آمنا بالله وبمحمد وصدّقنا بما جاء

(١) أى : عرض لهم بأحسن التعريض والإيماء .

به » — يكتمون منهم ، بما يضمرونه من الكفر ، بأنفسهم .[1]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٢٣٠ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وإذا جاؤوكم قالوا آمنا » الآية ، أناسٌ من اليهود ، كانوا يدخلون على النبيّ صلى الله عليه وسلم فيخبرونه أنهم مؤمنون راضون بالذى جاء به ، ١٩٢/٦ وهم متمسكون بضلالتهم والكفر . وكانوا يدخلون بذلك ويخرجون به من عند نبي الله صلى الله عليه وسلم .

١٢٢٣١ — حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإذا جاؤوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به » ، قال : هؤلاء ناس من المنافقين كانوا يهود . يقول : دخلوا كفاراً ، وخرجوا كفاراً .

١٢٢٣٢ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمى قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وإذا جاؤوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به » ، وإنهم دخلوا وهم يتكلمون بالحق ، وتُسرُّ قلوبهم الكفر ، فقال : « دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به » .

١٢٢٣٣ — حدثني يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وإذا جاؤوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به » = ﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا

---

(١) فى المطبوعة : « بما يضمرونه » ، والصواب من المخطوطة « بما » . وسياق هذه الجملة بعد إسقاط الجمل المعترضة المفسرة : والله أعلم بما كانوا . . . يكتمون منهم . . . بأنفسهم » أى : أعلم منهم بأنفسهم . وقوله : « بما يضمرون من الكفر » ، متعلق بقوله : « والله أعلم بما كانوا يكتمون » تفسيراً لقوله : « بما كانوا يكتمون » .

وانظر تفسير « الكتمان » فيما سلف ٢ : ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾، [سورة آل عمران: ٧٢]. فإذا رجعوا إلى كفارهم من أهل الكتاب وشياطينهم ، رجعوا بكفرهم . وهؤلاء أهل الكتاب من يهود .

١٢٢٣٤ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير : « وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به » ، أي : إنه من عندهم .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (٦٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : «وترى،» يا محمد= «كثيراً» ، من هؤلاء اليهود الذين قصصت عليك نبأهم من بني إسرائيل= « يسارعون في الإثم والعدوان » ، يقول : يعجلون بمواقعة الإثم .[1]

* * *

وقيل : إن « الإثم » في هذا الموضع ، معنيّ به الكفر .[2]

١٢٢٣٥ – حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي في قوله : « وترى كثيراً منهم يسارعون في الإثم والعدوان» ، قال : « الإثم » ، الكفر .

١٢٢٣٦ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وترى كثيراً منهم يسارعون في الإثم والعدوان » ، وكان هذا في حُكّام اليهود بين أيديكم .[3]

---

(١) انظر تفسير « المسارعة » فيما سلف ١٠ : ٤٠٤ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الإثم » فيما سلف ٩ : ١٩٦ ، ١٩٧ ، ثم سائر فهارس اللغة .
(٣) في المطبوعة : « في أحكام اليهود » ، والصواب من المخطوطة .

١٢٢٣٧ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « يسارعون في الإثم والعدوان » ، قال : هؤلاء اليهود = « لبئس ما كانو يعملون » = ﴿ لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ ﴾ ، إلى قوله : ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ ، قال : « يصنعون » و « يعملون » واحد . قال : لهؤلاء حين لم ينهوا ، كما قال لهؤلا حين عملوا . قال : وذلك الإدهان .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وهذا القول الذى ذكرناه عن السدى ، وإن كان قولاً غير مدفوع جوازُ صحته ، فإن الذى هو أولى بتأويل الكلام : أن يكون القوم موصوفين بأنهم يسارعون فى جميع معاصى الله ، لا يتحاشون من شىء منها ، لا من كفر ولا من غيره . لأن الله تعالى ذكره عمّ فى وصفهم بما وصفهم به من أنهم يسارعون فى الإثم والعدوان ، من غير أن يخصّ بذلك إثماً دون إثم .

* * *

وأما « العدوان » ، فإنه مجاوزة الحدّ الذى حدّه الله لهم فى كل ما حدّه لهم .(٢)

* * *

وتأويل ذلك : أن هؤلاء اليهود الذين وصفهم فى هذه الآيات بما وصفهم به تعالى ذكره ، يسارع كثير منهم فى معاصى الله وخلاف أمره ، ويتعدّون حدودَه التى حدّ لهم فيما أحلّ لهم وحرّم عليهم ، فى أكلهم « السحت » = وذلك الرشوة التى يأخذونها من الناس على الحكم بخلاف حكم الله فيهم .(٣)

* * *

يقول الله تعالى ذكره : « لبئس ما كانوا يعملون » ، يقول : أقسم لَبئس العمل ما كان هؤلاء اليهود يعملون ، فى مسارعتهم فى الإثم والعدوان ، وأكلهم السحت .

* * *

---

(١) قوله : « وذلك الإدهان » حذفت من المطبوعة ، وهى فى المخطوطة سيئة الكتابة هكذا : « قال : وذلك الإركان » ، وصواب قراءته ما أثبت . و « الإدهان » : اللين والمصانعة ، فى الدين وفى كل شىء ، وفى التنزيل : « ودوا لو تدهن فيدهنون » .

(٢) انظر تفسير « العدوان » فيما سلف ٩ : ٣٦٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « السحت » فيما سلف ١٠ : ٣١٧ – ٣٢٤ .

القول فى تأويل قوله ﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (٦٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : هلاَّ ينهى هؤلاء الذين يسارعون فى الإثم والعدوان وأكل الرشى فى الحكم ، من اليهود من بنى إسرائيل ،[١] ربانيوهم = وهم أئمتهم المؤمنون ، وساستهم العلماء بسياستهم[٢] = وأحبارهم ، وهم علماؤهم وقوادهم[٣] = « عن قولهم الإثم » يعنى : عن قول الكذب والزور ، وذلك أنهم كانوا يحكمون فيهم بغير حكم الله، ويكتبون كتباً بأيديهم ثم يقولون: « هذا من حكم الله، وهذا من كتبه » . يقول الله: ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾. [سورة البقرة : ٧٩] ١٩٣/٦

* * *

وأما قوله : « وأكلهم السحت »، فإنه يعنى به الرشوة التى كانوا يأخذونها على حكمهم بغير كتاب الله لمن حكموا له به .

* * *

وقد بينا معنى « الربانيين » و « الأحبار » ومعنى « السحت » ، بشواهد ذلك فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[٤]

* * *

= « لبئس ما كانوا يصنعون »، وهذا قسم من الله أقسم به، يقول تعالى ذكره: أقسم : لبئس الصنيع كان يصنع هؤلاء الربانيون والأحبار ، فى تركهم نهىَ الذين يسارعون منهم فى الإثم والعدوان وأكل السحت ، عما كانوا يفعلون من ذلك .

* * *

---

(١) انظر تفسير « لولا » بمعنى : « هلا » ، فيما سلف ٢ : ٥٥٢ ، ٥٥٣ .
(٢) انظر تفسير « الربانيون » فيما سلف ٥ : ٥٤٠ – ١٠/٥٤٤ : ٣٤١ – ٣٤٣
(٣) انظر تفسير « الأحبار » فيما سلف ٦ : ٥٤٣ ، ١٠/٥٤٤ : ٣٤١ – ٣٤٣
(٤) انظر التعليقات السالفة قريباً .

وكان العلماء يقولون : ما فى القرآن آية أشدّ توبيخاً للعلماء من هذه الآية ، ولا أخوفَ عليهم منها .

١٢٢٣٨ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الله بن داود قال ، حدثنا سلمة بن نبيط ، عن الضحاك بن مزاحم فى قوله : « لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم » ، قال : ما فى القرآن آية، أخوف عندى منها: أنّا لا نهى .(١)

١٢٢٣٩ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن عطية قال، حدثنا قيس ، عن العلاء بن المسيب ، عن خالد بن دينار ، عن ابن عباس قال : ما فى القرآن آية أشدّ توبيخاً من هذه الآية: ﴿ لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ ٱلرَّبَّانِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ، قال : كذا قرأ .(٢)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٢٤٠ – حدثنا هناد قال ، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى = عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك : « لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت» [قال: «الربانيون والأحبار »، فقهاؤهم وقراؤهم وعلماؤهم. قال : ثم يقول الضحاك : وما أخوفنى من هذه الآية !] .(٣)

---

(١) الأثر : ١٢٢٣٨ – « عبد الله بن داود بن عامر بن الربيع الهمدانى » ، أبو عبد الرحمن الخريبى . كان ثقة عابداً ، وكان عسراً فى الرواية . مترجم فى التهذيب .

(٢) الأثر: ١٢٢٣٩ – « ابن عطية » هو : « الحسن بن عطية بن نجيح القرشى »، أبو على البزار مضى برقم : ١٩٣٩ ، ٤٩٦٢ ، ٧٥٣٥ ، ٨٩٦١ ، ٨٩٦٢ . وهو الذى يروى عنه أبو كريب ويقول : « ابن عطية » ، وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « أبو عطية » . وهو خطأ .

و « قيس » ، هو « قيس بن الربيع الأسدى » ، مضى برقم : ١٥٩ ، ٤٨٤٢ ، ٥٤١٣ ، ٦٨٩٢ ، ٧٥٣٥ .

و « العلاء بن المسيب بن رافع الأسدى » ، مضى برقم : ٣٧٨٩ .

و « خالد بن دينار التميمى السعدى » مضى برقم : ٤٤ ، ولم يدرك ابن عباس .

(٣) الأثر : ١٢٢٤٠ – كان فى المطبوعة « . . . وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون » ،

١٢٢٤١ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون » ، يعني : الربانيين ، أنهم : لبئس ما كانوا يصنعون .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن جرأة اليهود على ربهم ، ووصفهم إياه بما ليس من صفته ، توبيخاً لهم بذلك ، وتعريفاً منه نبيَّه صلى الله عليه وسلم قديمَ جهلهم واغترارهم به ، وإنكارهم جميع جميل أياديه عندهم ، وكثرة صفحه عنهم وعفوه عن عظيم إجرامهم = واحتجاجاً لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بأنه له نبيٌّ مبعوث ورسول مرسل : أنْ كانت هذه الأنباء التي أنبأهم بها كانت من خفيِّ علومهم ومكنونها التي لا يعلمها إلاّ أحبارهم وعلماؤهم دون غيرهم من اليهود، فضلاً عن الأمة الأمية من العرب الذين لم يقرأوا كتاباً ، ولا وَعَوْا من علوم أهل الكتاب علماً ، فأطلع الله على ذلك نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم، ليقررَّ عندهم صدقه ، ويقطع بذلك حجتهم .

* * *

يقول تعالى ذكره : « وقالت اليهود » ، من بني إسرائيل = « يد الله مغلولة » ، يعنون : أن خير الله مُمْسَك وعطاؤه محبوس عن الاتساع عليهم ، كما قال تعالى

أتم الآية ، وليس للخبر تتمة . أما المخطوطة ، فليس فيها تتمة الآية ولا تتمة الخبر ، والذي أثبته من الدر المنثور ١ : ٢٩٦ قال : « وأخرج عبد بن حميد من طريق سلمة بن نبيط . . . » ، وساق الأثر كما أثبته .

ذكره فى تأديب نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ [سورة الإسراء : ٢٩] .

* * *

وإنما وصف تعالى ذكره « اليد » بذلك ، والمعنى العطاء ، لأن عطاء الناس وبذلَ معروفهم الغالبَ بأيديهم . فجرى استعمال الناس فى وصف بعضهم بعضاً ، إذا وصفوه بجود وكرم ، أو ببخل وشحّ وضيق ، بإضافة ما كان من ذلك من صفة الموصوف إلى يديه ، كما قال الأعشى فى مدح رجل :

يَدَاكَ يَدَا مَجْدٍ ، فَكَفٌّ مُفِيدَةٌ وَكَفٌّ إِذَا مَا ضُنَّ بِالزَّادِ تُنْفِقُ(١)

فأضاف ما كان صفة صاحب اليد من إنفاق وإفادة إلى « اليد » . ومثل ذلك من كلام العرب فى أشعارها وأمثالها أكثر من أن يُحْصى . فخاطبهم الله بما يتعارفونه ويتحاورونه بينهم فى كلامهم فقال : « وقالت اليهود يد الله مغلولة » ، يعنى بذلك: أنهم قالوا : إن الله يبخل علينا ، ويمنعنا فضله فلا يُفْضِل ، كالمغلولة يده الذى ١٩٤/٦
لا يقدر أن يبسطَها بعطاء ولا بذلِ معروف ، تعالى الله عما قالوا ، أعداءَ الله ! (٢)

---

(١) ديوانه : ١٥٠ ، وغيره . من قصيدته الغالية التى رفعت المحلق وطارت بذكره فى الآفاق ، يقول له :

لَعَمْرِى لَقَدْ لَاحَتْ عُيُونٌ كَثِيرَةٌ إِلَى ضَوْءِ نارٍ فى يَفَاعٍ تُحَرَّقُ
تُشَبُّ لمقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانِهَا وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى والمحَلَّقُ
رَضِيعَىْ لِبَانٍ ثَدْىَ أُمٍّ تَحَالَفَا بِأَسْحَمَ عَوْضَ الدَّهْرِ لَا نَتَفَرَّقُ
تَرَى الجُودَ يَجْرِى ظَاهِراً فَوْقَ وَجْهِهِ كَمَا زَانَ مَتْنَ الهُنْدُوَانِىِّ رَوْنَقُ
يَدَاهُ يَدَا صِدْقٍ ، فَكَفٌّ مُفِيدَةٌ وَكَفٌّ إِذَا مَا ضُنَّ بِالْمَالِ تُنْفِقُ

هذه رواية مخطوطة ديوانه التى صورتها حديثاً ، ورواية هذه المخطوطة تخالف الرواية المطبوعة فى أشياء كثيرة ، ولاسيما فى ترتيب أبيات الشعر .

(٢) فى المطبوعة : « عما قال أعداء الله » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وقوله : « أعداء الله » منصوب على الذم .

فقال الله مكذِّبهم ومخبرهم بسخطه عليهم : «غلت أيديهم » ، يقول : أمسكت أيديهم عن الخيرات ، وقُبِضت عن الانبساط بالعطيات = « ولعنوا بما قالوا » ، وأبعدوا من رحمة الله وفضله بالذى قالوا من الكفر ، وافتروا على الله ووصفوه به من الكذب والإفك[1] = « بل يداه مبسوطتان » ، يقول : بل يداه مبسوطتان بالبذل والإعطاء وأرزاق عباده وأقوات خلقه ، غيرُ مغلولتين ولا مقبوضتين[2] = « ينفق كيف يشاء » ، يقول : يعطى هذا ، ويمنع هذا فيقتِّر عليه .[3]

* * *

وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٢٤٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا » ، قال : ليس يعنون بذلك أن يد الله موثقةٌ ، ولكنهم يقولون : إنه بخيل أمسك ما عنده ، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيراً.

١٢٢٤٣ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « يد الله مغلولة» ، قالوا : لقد تَجَهَّدنا الله = أى : جَهَدنا الله = يا بنى إسرائيل ،[4] حتى

---

(١) انظر تفسير «اللعنة» فيما سلف ١٠ : ٤٣٧ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « البسط » فيما سلف ٥ : ٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٣١٣ .

(٣) انظر تفسير « الإنفاق » فيما سلف ٧ : ١٣٤ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك ، ثم سائر فهارس اللغة .

(٤) فى المطبوعة ، حذف ما وضعته بين الخطين ، وكان فى المخطوطة : « لقد تجهدنا الله ، أى تجهدنا الله يا بنى إسرائيل » ، ورجحت أن صوابها كما أثبتها . ولم يذكر فى كتب اللغة « تجهد » (مشددة الهاء) بمعنى : ألح عليه فى السؤال حتى أفنى ما عنده ، وكأنه من أجل ذلك فسره بقوله (كما قرأته) : « أى جهدنا الله » من قولهم « جهد الرجل » (ثلاثيا) : إذا ألح عليه فى السؤال . هذا ما رأيته ، وفوق كل ذى علم عليم . وانظر الأثر التالى .

جعل الله يده إلى نحره ! وكذبوا !

١٢٢٤٤ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « يد الله مغلولة » ، قال : اليهود تقوله :[1] لقد تجهّدنا الله يا بني إسرائيل ويا أهل الكتاب،[2] حتى إن يده إلى نحره = « بل يداه مبسوطتان ، ينفق كيف يشاء » .

١٢٢٤٥ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا » إلى « والله لا يحب المفسدين » ، أما قوله : « يد الله مغلولة » ، قالوا : الله بخيل غير جواد ! قال الله: « بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء » .

١٢٢٤٦ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء » ، قالوا : إن الله وضع يده على صدره ، فلا يبسطها حتى يردّ علينا ملكنا .

* * *

= وأما قوله : « ينفق كيف يشاء » ، يقول: يرزق كيف يشاء .

١٢٢٤٧ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال عكرمة : « وقالت اليهود يد الله مغلولة » الآية ، نزلت في فنْحاص اليهوديّ .

١٢٢٤٨ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا أبو تميلة ، عن عبيد بن سليمان ، عن الضحاك بن مزاحم قوله : « يد الله مغلولة » ، يقولون : إنه

---

(١) في المطبوعة : « اليهود تقول » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) انظر التعليق السالف ص : ٤٥٢ ، رقم : ٤ .

بخيل ليس بجواد! قال الله : « غلت أيديهم » ، أمسكت أيديهم عن النفقة والخير. ثم قال يعنى نفسه : « بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء » . وقال: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ ﴾ ، [سورة الإسراء : ٢٩] ، يقول: لا تمسك يدك عن النفقة .

* * *

قال أبو جعفر : واختلف أهل الجدل فى تأويل قوله: « بل يداه مبسوطتان » .(١) فقال بعضهم : عنى بذلك : نعمتاه . وقال: ذلك بمعنى : « يد الله على خلقه »، وذلك نعمه عليهم . وقال: إن العرب تقول: « لك عندى يد »، يعنون بذلك: نعمةٌ .

* * *

وقال آخرون منهم : عنى بذلك القوة . وقالوا : ذلك نظير قول الله تعالى ذكره: ﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي ﴾ . [سورة ص : ٤٥]

* * *

وقال آخرون منهم : بل « يده » ، ملكه . وقال : معنى قوله: « وقالت اليهود يد الله مغلولة » ، ملكه وخزائنه .

قالوا : وذلك كقول العرب للملوك: « هو ملك يمينه »، و« فلان بيده عُقدة نكاح فلانة » ، أى يملك ذلك ، وكقول الله تعالى ذكره : ﴿ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ﴾ ، [سورة المجادلة : ١٢].

* * *

وقال آخرون منهم : بل « يد الله » صفة من صفاته ، هى يد ، غير أنها ليست بجارحة كجوارح بنى آدم .

قالوا : وذلك أنّ الله تعالى ذكره أخبرَ عن خصوصه آدم بما خصّه به من خلقه إياه بيده .(٢)

---

(١) هذه أول مرة يذكر فيها أبو جعفر أصحاب الكلام ويسميهم « أهل الجدل » .

(٢) فى المطبوعة : « عن خصوصية آدم » ، وأعاد « خصوصية » بالنسب فى جميع ما سيأتى ، وهو عبث من المصحح ، وأثبت ما فى المخطوطة .

قالوا : ولو كان [معنى « اليد »، النعمة، أو القوة، أو الملك، ما كان لخصوصه] آدم بذلك وجه مفهوم،[1] إذ كان جميع خلقه مخلوقين بقدرته، ومشيئته في خلقه نعمةٌ، وهو لجميعهم مالك .

قالوا : وإذ كان تعالى ذكره قد خص آدم بذكره خلقه إياه بيده دون غيره من عباده ، كان معلوماً أنه إنما خصه بذلك لمعنى به فارق غيره من سائر الخلق . ١٩٥/٦

قالوا : وإذا كان ذلك كذلك ، بطل قول من قال : معنى « اليد » من الله ، القوة والنعمة أو الملك ، في هذا الموضع .

قالوا : وأحرى أن ذلك لو كان كما قال الزاعمون أن: « يد الله » في قوله: « وقالت اليهود يد الله مغلولة » ، هي نعمته ، لقيل : « بل يده مبسوطة » ، ولم يقل : « بل يداه » ، لأن نعمة الله لا تحصى كثرة .[2] وبذلك جاء التنزيل ، يقول الله تعالى: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ [سورة إبراهيم : ٣٤/وسورة النحل : ١٨]

قالوا : ولو كانت نعمتين ، كانتا محصاتين .

قالوا : فإن ظن ظانٌّ أن النعمتين بمعنى النعم الكثيرة ، فذلك منه خطأ ، وذلك أنّ العرب قد تخرج الجميع بلفظ الواحد لأداء الواحد عن جميع جنسه ، وذلك كقول الله تعالى ذكره: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ [سورة العصر : ١، ٢] وكقوله ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ ﴾ ، [سورة الحجر : ٢٦] وقوله : ﴿ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيراً ﴾ [سورة الفرقان : ٥٥] ، قال: فلم يُرَدْ بـ « الإنسان » و« الكافر » في هذه الأماكن إنسان بعينه، ولا كافر مشار إليه حاضر، بل عنى به جميع الإنس وجميع الكفار ، ولكن الواحد أدّى عن جنسه ، كما تقول العرب :

---

(١) هذه الزيادة بين القوسين زيادة يقتضيها الكلام ، استظهرتها من سياق هذه الحجج ما استطعت ، وإسقاطها مفسد للكلام .

(٢) في المطبوعة : « لا تحصى بكثرة » ، وأثبت ما في المخطوطة .

« ما أكثر الدرهم فى أيدى الناس »، وكذلك قوله : ﴿ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ ﴾، معناه : وكان الذين كفروا .

قالوا : فأما إذا ثنّى الاسم ، فلا يؤدى عن الجنس ، ولا يؤدّى إلا عن اثنين بأعيانهما دون الجميع ودون غيرهما .(١)

قالوا : وخطأ فى كلام العرب أن يقال : « ما أكثر الدرهمين فى أيدى الناس »، بمعنى : ما أكثر الدراهم فى أيديهم .

قالوا : وذلك أن الدرهم إذا ثنّى لا يؤدى فى كلامها إلاّ عن اثنين بأعيانهما .

قالوا : وغيرُ محال: « ما أكثر الدرهم فى أيدى الناس» ، و«ما أكثر الدراهم فى أيديهم » ، لأن الواحد يؤدى عن الجميع .

قالوا : فنى قول الله تعالى : « بل يداه مبسوطتان » ، مع إعلامه عبادَه أن نعمه لا تحصى ، مع ما وصفنا من أنه غير معقول فى كلام العرب أنّ اثنين يؤدّيان عن الجميع = ما ينبئ عن خطأ قول من قال : معنى « اليد » ، فى هذا الموضع ، النعمة = وصحةِ قول من قال : إن « يد الله » ، هى له صفة .

قالوا : وبذلك تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال به العلماء وأهل التأويل .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إن هذا الذى أطلعناك عليه من خفىّ أمور هؤلاء اليهود ، مما لا يعلمه إلا علماؤهم وأحبارهم ،

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « فلا يؤدى إلا عن اثنين » ، وهو لا يستقيم بالفاء ، إنما يستقيم بالواو كما أثبته .

احتجاجاً عليهم لصحة نبوتك ، وقطعاً لعذر قائلٍ منهم أن يقول : « ما جاءنا من بشير ولا نذير » = : « ليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً » . يعنى بـ « الطغيان » : الغلو فى إنكار ما قد علموا صحته من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والتمادى فى ذلك = « وكفراً » ، يقول : ويزيدهم مع غلوِّهم فى إنكار ذلك ، جحودَهم عظمة الله ووصفهم إياه بغير صفته ، بأن ينسبوه إلى البخل ، ويقولوا : « يد الله مغلولة » . وإنما أعلم تعالى ذكره نبيَّه صلى الله عليه وسلم أنهم أهل عتوّ وتمرُّدٍ على ربهم ، وأنهم لا يذعنون لحقّ وإن علموا صحته ، ولكنهم يعاندونه ، يسلِّى بذلك نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم عن الموجِدة بهم فى ذهابهم عن الله ، وتكذيبهم إياه .

* * *

وقد بينت معنى « الطغيان » فيما مضى بشواهده ، بما أغنى عن إعادته .(١)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٢٤٩ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً » ، حملهم حسدُ محمد صلى الله عليه وسلم والعرب على أن كفروا به ، وهم يجدونه مكتوباً عندهم .

* * *

(١) انظر تفسير « الطغيان » فيما سلف ١ : ٣٠٨ ، ٥/٣٠٩ : ٤١٩ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة » ، بين اليهود والنصارى ، كما :—

١٢٢٥٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة » ، اليهود والنصارى .

* * *

فإن قال قائل : وكيف قيل : « وألقينا بينهم العداوة والبغضاء »، جعلت « الهاء والميم » فى قوله : « بينهم » ، كناية عن اليهود والنصارى ، ولم يجر لليهود والنصارى ذكر ؟

قيل : قد جرى لهم ذكر ، وذلك قوله : ﴿ لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾، [سورة المائدة: ٥١] ، جرى الخبر فى بعض الآى عن الفريقين ، وفى بعضٍ عن أحدهما ، إلى أن انتهى إلى قوله : « وألقينا بينهم العداوة والبغضاء » ، ثم قصد بقوله : « ألقينا بينهم » ، الخبرَ عن الفريقين . ١٩٦/٦

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : كلما جمع أمرهم على شىء فاستقام واستوى ، فأرادوا مناهضة من ناوأهم ، شتته الله عليهم وأفسده، لسوء فعالهم وخُبْثِ نياتهم ،(١) كالذى :—

(١) انظر تفسير « أوقد » فيما سلف ١ : ٣٢٠ ، ٦/٣٨٠ : ٢٢٢ .

١٢٢٥١ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ،عن أبيه ، عن الربيع في قوله : ﴿ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا * فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾ [سورة الإسراء: ٤ – ٦] ، قال: كان الفساد الأول، فبعث الله عليهم عدوًّا فاستباحوا الديار ، واستنكحوا النساء، واستعبدوا الولدان، وخرَّبوا المسجد . فغبَرُوا زماناً، (١) ثم بعث الله فيهم نبيًّا وعاد أمرهم إلى أحسن ما كان . ثم كان الفساد الثاني بقتلهم الأنبياء، حتى قتلوا يحيى بن زكريا، فبعث الله عليهم بُخْت نصَّر ، فقتل من قتل منهم ، وسبى من سبى ، وخرب المسجد . فكان بخت نصر الفسادَ الثاني = قال : و « الفساد » ، المعصية = ثم قال، ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا ﴾ [سورة الإسراء: ٧، ٨]. فبعث الله لهم عُزَيْرًا، وقد كان علم التوراة وحفظها في صدره وكتبها لهم . فقام بها ذلك القرن ، ولبثوا فنسوا . (٢) ومات عزير ، وكانت أحداثٌ ، ونسوا العهد وبَخَّلوا ربهم ، وقالوا : «يد الله مغلولة غُلَّت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء » ، وقالوا في عزير : « إن الله اتخذه ولداً » ، وكانوا يعيبون ذلك على النصارى في قولهم في المسيح ، فخالفوا ما نَهَوْا عنه ، وعملوا بما كانوا يكفِّرون عليه ، فسبق من الله كلمة عند ذلك أنهم لن يظهروا على عدوٍّ آخرَ الدهر ، (٣) فقال : « كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين » ، فبعث الله عليهم المجوس الثالثةَ أرباباً ، (٤) فلم يزالوا كذلك والمجوس

---

(١) في المطبوعة : « فغيروا » بالياء ، وهو خطأ . « غبروا زمانا » : لبثوا زماناً .

(٢) في المطبوعة : « ونسوا » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٣) في المطبوعة والمخطوطة : « لم يظهروا » ، والسياق يقتضي ما أثبت .

(٤) في المطبوعة : « المجوس الثلاثة أرباباً » ، والصواب ما في المخطوطة ، ويعني وعد الآخرة ، وهي المرة الثالثة .

على رقابهم ، وهم يقولون : « يا ليتنا أدركنا هذا النبي الذى نجده مكتوباً عندنا ، عسى الله أن يفكّنا به من المجوس والعذاب الهون »! فبعث محمداً صلى الله عليه وسلم = واسمه « محمد » ، واسمه فى الإنجيل « أحمد » = فلما جاءهم وعرفوا،[1] كفروا به، قال : ﴿ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ ﴾ [سورة البقرة: ٨٩] ، وقال : ﴿ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ ﴾ ، [سورة البقرة : ٩٠] .[2]

١٢٢٥٢ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله » ، هم اليهود .

١٢٢٥٣ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون فى الأرض فساداً » ، أولئك أعداء الله اليهود، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ، فلن تلقَى اليهود ببلد إلاّ وجدتهم من أذلّ أهله . لقد جاء الإسلام حين جاء ، وهم تحت أيدى المجوس أبغضِ خلقه إليه .

١٢٢٥٤ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله: «كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله » ، قال: كلما أجمعوا أمرهم على شىء فرّقه الله ، وأطفأ حَدّهم ونارهم ،[3] وقذف فى قلوبهم الرعب .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « فلما جاءهم ما عرفوا . . . » كنص آية البقرة : ٨٩، وأثبت ما فى المخطوطة ، فهو صواب أيضاً ، لا يريد الآية ، بل أراد معناها .

(٢) الأثر : ١٢٢٥١ — هذا الأثر ، لم يذكره أبو جعفر فى تفسير آيات « سورة الإسراء : ٤ — ٨ » ، فى تفسيره ١٥ : ١٧ — ٣٥ (بولاق) . وهذا أحد الأدلة على اختصار التفسير .

(٣) « الحد » : البأس والنفاذ . و « حد الظهيرة » : شدة توقدها .

وقال مجاهد بما : —

١٢٢٥٥ — حدثني القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله » ، قال : حربُ محمد صلى الله عليه وسلم .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (٦٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ويعمل هؤلاء اليهود والنصارى بمعصية الله ، فيكفرون بآياته ، ويكذبون رسله ، ويخالفون أمره ونهيه، وذلك سعيُهم فيها بالفساد = « والله لا يحب المفسدين » ، يقول : والله لا يحب من كان عاملاً بمعاصيه في أرضه .(١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ (٦٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « ولو أن أهل الكتاب » ، وهم اليهود والنصارى = « آمنوا » بالله وبرسوله محمدٍ صلى الله عليه وسلم ، فصدّقوه واتبعوه وما أنزل عليه = « واتقوا » ما نهاهم الله عنه فاجتنبوه = « لكفرنا عنهم سيئاتهم » ، يقول : محوْنا عنهم ذنوبَهم فغطينا عليها ، ولم نفضحهم بها(٢) = «ولأدخلناهم ١٩٧/٦

(١) انظر تفسير « الفساد في الأرض » فيما سلف ١ : ٢٨٧ ، ٤١٦/ثم ١٠ : ٢٥٧ تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

= وتفسير « السعي » فيما سلف ٤ : ٢٣٨ ، وفي سائر فهارس اللغة .

(٢) انظر تفسير « التكفير » فيما سلف ٧ : ٤٨٢ ، ٨/٤٩٠ : ٢٥٤ = وتفسير « السيئات » فما سلف من فهارس اللغة (سوأ) .

جنات النعيم » ، يقول : ولأدخلناهم بساتين ينعمون فيها فى الآخرة .[١]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٢٥٦ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا » ، يقول : آمنوا بما أنزل الله ، واتقوا ما حرم الله ،= « لكفرنا عنهم سيئاتهم » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : «ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل» ، ولو أنهم عملوا بما فى التوراة والإنجيل[٢] = « وما أنزل إليهم من ربهم » ، يقول : وعملوا بما أنزل إليهم من ربهم من الفرقان الذى جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم .

* * *

فإن قال قائل : وكيف يقيمون التوراة والإنجيل وما أنزل إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، مع اختلاف هذه الكتب ، ونسخ بعضها بعضاً ؟

قيل : إنها وإن كانت كذلك فى بعض أحكامها وشرائعها ، فهى متفقة فى الأمر بالإيمان برسل الله ، والتصديق بما جاءت به من عند الله . فمعنى إقامتهم التوراة والإنجيل وما أنزل إلى محمد صلى الله عليه وسلم : تصديقهم بما فيها ، والعمل

---

(١) انظر تفسير « الجنة » فيما سلف ٨ : ٤٤٨ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الإقامة » فيما سلف من فهارس اللغة (قوم) مثل « إقامة الصلاة » .

بما هى متفقة فيه ، وبكل واحد منها فى الحين الذى فرض العمل به . (١)

* * *

وأما معنى قوله : « لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم » ، فإنه يعنى : لأنزل الله عليهم من السماء قَطْرَها، فأنبتت لهم به الأرض حبها ونباتها، فأخرج ثمارَها .

* * *

وأما قوله : « ومن تحت أرجلهم »، فإنه يعنى تعالى ذكره : لأكلوا من برَكة ما تحت أقدامِهم من الأرض،وذلك ما تخرجه الأرض من حَبِّها ونباتها وثمارِها وسائرِ ما يؤكل مما تخرجه الأرض .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٢٥٧ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربّهم لأكلوا من فوقهم»، يعنى : لأرسل السماءَ عليهم مدراراً = « ومن تحت أرجلهم » ، تخرج الأرض برَكتها .

١٢٢٥٨ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم » ، يقول : إذًا لأعطتهم السماء برَكتها ، والأرْضُ نَباتها .

١٢٢٥٩ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم » ، يقول : لو عملوا بما أنزل إليهم

---

(١) فى المطبوعة : « وكل واحد منهما فى الخبر الذى فرض العمل به » ، وهى جملة لا معنى لها ، صوابها من المخطوطة .

مما جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنزلنا عليهم المطرَ، فلأنبت الثَّمر .[١]

١٢٢٦٠ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نحيح ، عن مجاهد : « ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم » ، أمّا « إقامتهم التوراة »، فالعمل بها = وأما « ما أنزل إليهم من ربهم »، فمحمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه . يقول : « لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم » ، أما « من فوقهم » ، فأرسلت عليهم مطراً ، وأما « من تحت أرجلهم » ، يقول : لأنبتُّ لهم من الأرض من رزق ما يُغْنيهم .

١٢٢٦١ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم » ، قال : بركات السماء والأرض = قال ابن جريج : « لأكلوا من فوقهم »، المطر = « ومن تحت أرجلهم » ، من نبات الأرض .

١٢٢٦٢ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « من فوقهم ومن تحت أرجلهم »، يقول : لأكلوا من الرزق الذي ينزل من السماء = « ومن تحت أرجلهم»، يقول : من الأرض

* * *

وكان بعضهم يقول[٢] : إنما أريد بقوله : « لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم » ، التَّوْسِعَة، كما يقول القائل: « هو في خير من قَرْنه إلى قدمه ».[٣]

وتأويل أهل التأويل بخلاف ما ذكرنا من هذا القول ، وكفى بذلك شهيداً على فساده .

* * *

---

(١) في المطبوعة : « فأنبتت الثمر » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو صواب محض .

(٢) هذه مقالة الفراء في معاني القرآن ١ : ٣١٥ .

(٣) في المطبوعة : « من فرقه إلى قدمه » ، وأثبت ما في المخطوطة ، ومعاني القرآن للفراء و « القرن » : حد الرأس وجانبها ، ورأس كل عال قرنه .

القول فى تأويل قوله ﴿ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ (٦٦)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « منهم أمة » ، منهم جماعة[1] = « مقتصدة » ، يقول : مقتصدة فى القول فى عيسى بن مريم ، قائلةٌ فيه الحقَّ أنه رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، لا غاليةٌ قائلةٌ : إنه ابن الله ، تعالى الله عما قالوا من ذلك ، ولا مقصرة قائلةٌ : هو لغير رِشْدَة = « وكثير منهم » ، يعنى : من بنى إسرائيل من أهل الكتابِ اليهودِ والنصارى = « ساء ما يعملون » ، يقول : كثير منهم سيىء عملهم ،[2] وذلك أنهم يكفرون بالله ، فتكذب النصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وتزعُم أن المسيحَ ابن الله = وتكذِّب اليهود بعيسى وبمحمد صلى الله عليهما . فقال الله تعالى فيهم ذامًّا لهم : « ساء ما يعملون » ، فى ذلك من فعلهم .

١٩٨/٦

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٢٦٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « منهم أمة مقتصدة » ، وهم مسلمة أهل الكتاب = « وكثير منهم ساءَ ما يعماون » .[3]

١٢٢٦٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل قال ، حدثنا عبد الله بن كثير : أنه سمع مجاهداً يقول : تفرَّقت بنو إسرائيل فِرَقاً ، فقالت

---

(١) انظر تفسير « أمة » فيما سلف ٧ : ١٠٦ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « ساء » فيما سلف ٩ : ٢٠٥ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .
(٣) سقط من الترقيم ، رقم : ١٢٢٦٣ سهواً .

فرقة : « عيسى هو ابن الله » ، وقالت فرقة : « هو الله » ، وقالت فرقة : « هو عبد الله وروحه » ، وهى المقتصدة ، وهى مسلمةُ أهل الكتاب .

١٢٢٦٦ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال الله : « منهم أمة مقتصدة » ، يقول : على كتابه وأمره . ثم ذمّ أكثر القوم فقال : « وكثير منهم ساء ما يعملون » .

١٢٢٦٧ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « منهم أمة مقتصدة » ، يقول : مؤمنة .

١٢٢٦٨ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون »، قال: المقتصدة ، أهلُ طاعة الله . قال: وهؤلاء أهل الكتاب .

١٢٢٦٩ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس فى قوله : « منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون » ، قال : فهذه الأمة المقتصدة ، الذين لاهم جَفَوا فى الدين ولاهم غلوا .[1] قال: و« الغلو »، الرغبة [عنه] ،و« الفسق »، التقصير عنه .[2]

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « الذين لاهم فسقوا فى الدين » ، وهى كذلك فى الدر المنثور ٢ : ٢٩٧ ، والذى فى المخطوطة هو ما أثبته ، وهو الصواب إن شاء الله ، وفى الحديث : « وحامل القرآن غير الغالى فيه ولا الجافى » ، وفيه أيضاً : « اقرأوا القرآن ولا تجفوا عنه »، أى تعاهدوه ولا تبعدوا عن تلاوته .

(٢) هذه الزيادة بين القوسين لابد منها ، استظهرتها من الأثر السالف رقم : ١٠٨٥٣ ، من تفسير الربيع بن أنس أيضاً لآية سورة النساء : ١٧١ .

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ (٦٧)

قال أبو جعفر : وهذا أمر من الله تعالى ذكره نبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم،[1] بإبلاغ هؤلاء اليهود والنصارى من أهل الكتابين الذين قصَّ تعالى ذكره قَصَصهم فى هذه السورة ، وذكر فيها معايبهم وخُبْثَ أديانهم،واجتراءَهم على ربهم ، وتوثُّبهم على أنبيائهم، وتبديلَهم كتابه، وتحريفَهم إياه،ورداءةَ مطاعِمهم ومآكلهم = وسائرِ المشركين غيرِهم ،[2] ما أنزل عليه فيهم من معايبهم، والإزراء عليهم ، والتقصير بهم ، والتهجين لهم ، وما أمرهم به ونهاهم عنه، وأن لا يُشْعر نفسَه حذراً منهم أن يُصيبوه فى نفسه بمكروهٍ ما قام فيهم بأمر الله،[3] ولا جزَعاً من كثرة عددهم وقلّة عدد من معه ، وأن لا يتّقى أحداً فى ذات الله ، فإن الله تعالى ذكره كافيه كلَّ أحد من خلقه ، ودافعٌ عنه مكروهَ كل من يبغى مكروهه .[4] وأعلمه تعالى ذكره أنه إن قصَّر عن إبلاغ شىء مما أنزل إليه إليهم ، فهو فى تركه تبليغ ذلك = وإن قلّ ما لم يبلّغ منه = فهو فى عظيم ما ركب بذلك من الذّنب بمنزلته لو لم يبلِّغ من تنزيله شيئاً .

* * *

وبما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) فى المطبوعة : « لنبيه محمد » ، غير ما فى المخطوطة على غير طائل .

(٢) قوله : « وسائر المشركين » مجرور معطوف على قوله : « بإبلاغ هؤلاء اليهود والنصارى . . . » ومفعول قوله : « بإبلاغ هؤلاء . . . » هو : « ما أنزل عليه فيهم » .

(٣) فى المطبوعة : « أن يصيبه فى نفسه مكروه » ، غير ما فى المخطوطة على غير طائل .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « كل من يتق مكروهه » ، وهو فاسد جداً ، صوابه ما أثبت .

١٢٢٧٠ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « يا أيها الرسول بلِّغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته »، يعني : إن كتمت آية مما أنزل عليك من ربك ، لم تبلِّغ رسالاتي .(١)

١٢٢٧١ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك » ، الآية ، أخبر الله نبيَّه صلى الله عليه وسلم أنه سيكفيه الناس ، ويعصمه منهم ، وأمره بالبلاغ . ذكر لنا أن نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم قيل له : لو احتجبت ! فقال : والله لأبديَنَّ عَقِبي للناس ما صاحبتهم .(٢)

١٢٢٧٢ – حدثني الحارث بن محمد قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان الثوري ، عن رجل ، عن مجاهد قال : لما نزلت : « بلغ ما أنزل إليك من ربك » ، قال : إنما أنا واحد ، كيف أصنع ؟ تجمَّع عليَّ الناس ! (٣) فنزلت : « وإن لم تفعل فما بلغت رسالته » ، الآية . ١٩٩/٦

١٢٢٧٣ – حدثنا هناد وابن وكيع قالا ، حدثنا جرير ، عن ثعلبة ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير قال : لما نزلت : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس » ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تحرسوني ، إنَّ ربّي قد عَصَمَني .(٤)

---

(١) في المطبوعة : « رسالتي » ، غير ما في المخطوطة .

(٢) قوله : « احتجبت » ، أي : احتجبت عن الناس حتى لا يدرك منه من يبغيه الغوائل . و « العقب » هنا « عقب القدم » ، وهي مؤخرها ، وهي مؤنثة . يعني بذلك : لأظهرن لهم سائراً بينهم لا أحتجب . وكل من خرج إلى الناس ، فقد بدا لهم عقبه ، وهو يسير بينهم . وهذه كناية حسنة . وقوله : « ما صاحبتهم » ، للتأييد ، كأنه قال : « ما عشت » .

(٣) في المطبوعة : « تجتمع على الناس » ، وأثبت ما في المخطوطة . ومعنى قوله : « تجمع على الناس » ، أي : تألبوا عليه وعادوه من جراء دعوته إلى دين الله . وهذا تعجب .

(٤) الأثر : ١٢٢٧٣ – « جرير » ، هو « جرير بن عبد الحميد الضبي » ، مضى مراراً كثيرة .

١٢٢٧٤ – حدثني يعقوب بن إبراهيم وابن وكيع قالا، حدثنا ابن علية ، عن الجُريريّ ، عن عبد الله بن شقيق: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتقِبه ناسٌ من أصحابه ، فلما نزلت: « والله يعصمك من الناس»، خرج فقال: يا أيها الناس ، الحقوا بملاحِقِكم ، فإنّ الله قد عصمني من الناس .(١)

١٢٢٧٥ – حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع ، عن عاصم بن محمد ، عن محمد بن كعب القرظي قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحارسه أصحابه ، فأنزل الله تعالى ذكره : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته » ، إلى آخرها .

١٢٢٧٦ – حدثني المثنى قال ، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال، حدثنا الحارث ابن عبيد أبو قدامة الإيادي قال، حدثنا سعيد الجريري، عن عبد الله بن شقيق، عن عائشة قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم يُحْرَس، حتى نزلت هذه الآية: « والله يعصمك من الناس » ، قالت : فأخرج النبي صلى الله عليه وسلم رأسه من القُبَّة فقال : أيها الناس ، انصرفوا ، فقد عصمني الله .(٢)

و « ثعلبة » هو « ثعلبة بن سهيل التميمي الطهوي »، كان متطبباً ، ثقة، لا بأس به ، مترجم في التهذيب .

و « جعفر » هو « جعفر بن أبي المغيرة الخزاعي » ، مضى برقم : ٨٧ ، ٦١٧ ، ٤٣٤٧ ، ٧٢٦٩ .

وهذا خبر مرسل . انظر تفسير ابن كثير ٣ : ١٩٦ .

(١) الأثر : ١٢٢٧٤ – « الجريري » ، هو « سعيد بن إياس الجريري » ، مضى برقم : ١٩٦ .

و « عبد الله بن شقيق العقيلي » ، تابعي ثقة، مضى برقم: ١٩٦ ، وهذا الخبر مرسل أيضاً ، وسيأتي موصولا برقم : ١٢٢٧٦

وقوله : « يعتقبه ناس من أصحابه » : أي يتناوبون حراسته ويتداولونها ، من « العقبة » وهي النوبة ، يقال : « جاءت عقبة فلان » ، أي نوبته .

وقوله : « الحقوا بملاحقكم » ، يأمرهم أن يوافوا أماكنهم التي يرجعون إليها إذا آبوا . ولم أجد هذا التعبير في غير هذا الخبر ، ولا قيده أصحاب غريب الحديث . و « الملاحق » جمع « ملحق » (بفتح الميم وسكون اللام وفتح الحاء) : أي الموضع الذي ينزلونه عند مرجعهم .

(٢) الأثر : ١٢٢٧٦ – « الحارث بن عبيد الإيادي » ، « أبو قدامة » ، قال أحمد :

١٢٢٧٧ – حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال، حدثنا سفيان، عن عاصم، عن القرظيّ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زال يُحْرَس، حتى أنزل الله : « والله يعصمك من الناس » .

* * *

واختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله نزلت هذه الآية .

فقال بعضهم : نزلت بسبب أعرابىّ كان همّ بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكفاه الله إياه .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٢٧٨ – حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظى وغيره قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل منزلاً اختار له أصحابه شجرة ظليلة فيَقِيل تحتها . فأتاه أعرابى فاخترط سيفه ثم قال[1] : من يمنعك منى ؟ قال : الله ! فرُعِدت يدالأعرابىّ وسقط السيف منه ، [2]قال : وضرب برأسه الشجرة حتى انتثر دُماغه ، فأنزل الله : « والله يعصمك من الناس» .[3]

* * *

« مضطرب الحديث » ، وقال ابن معين : « ضعيف » ، وقال أبو حاتم : « ليس بالقوى ، يكتب حديثه ولا يحتج به » . وقال ابن حبان : « كان ممن كثر وهمه ، حتى خرج عن جملة من يحتج به إذا انفرد » . مترجم فى التهذيب . والكبير ١/٢/٢٧٣ .

وهذا الخبر رواه الترمذى فى كتاب التفسير وقال : « هذا حديث غريب ، وروى بعضهم هذا الحديث عن الجريرى ، عن عبد الله بن شقيق ، ولم يذكر فيه عائشة » .

ورواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٣١٣ ، من هذه الطريق نفسها ثم قال : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبى .

وكان فى المطبوعة : « فإن الله قد عصمنى » ، خالف نص المخطوطة لغير شىء . وما فى المخطوطة هو المطابق لروايته فى الترمذى والمستدرك .

(١) « اخترط السيف » : سله من غمده .

(٢) هكذا جاءت الرواية « فرعدت يد الأعرابى » بالبناء للمجهول ، ولم أجد من « الرعدة » ثلاثياً « رعد » بالبناء للمجهول ، بل الذى رووه وأطبقوا عليه « أرعد » (بالبناء للمجهول) . فإن صح هذا الخبر ، فالثلاثى المبنى للمجهول مما يزاد على مادة اللغة .

(٣) الأثر : ١٢٢٧٨ – انظر خبر هذا الأعرابى فيما سلف رقم : ١١٥٦٥ ، والتعليق عليه هناك ، وليس فيه أنه ضرب برأسه الشجرة حتى انتثر دماغه .

وقال آخرون : بل نزلت لأنه كان يخاف قريشاً ، فأومن من ذلك .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٢٧٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يهاب قريشاً، فلما نزلت : « والله يعصمك من الناس » ، استلقى ثم قال : من شاء فليخذلني = مرتين أو ثلاثاً .

١٢٢٨٠ – حدثنا هناد قال،حدثنا وكيع ،عن ابن أبي خالد، عن عامر ، عن مسروق قال ، قالت عائشة : من حدثك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئاً من الوحي فقد كذب ! ثم قرأت : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك » ، الآية .(١)

١٢٢٨١ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن المغيرة،عن الشعبي قال،قالت عائشة : من قال إن محمداً صلى الله عليه وسلم كتم، فقد كذبَ وأعظم الفرية على الله ! قال الله تعالى ذكره : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك »الآية.

١٢٢٨٢ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال،حدثنا ابن علية قال : أخبرنا داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، عن مسروق قال ، قالت عائشة : من زعم أنّ محمداً صلى الله عليه وسلم كتم شيئاً من كتاب الله ، فقد أعظم على الله الفرية ! والله يقول : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك » ، الآية .(٢)

١٢٢٨٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني الليث قال ، حدثني خالد ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن محمد بن الجهم ،

---

(١) الأثر : ١٢٢٨٠ – « ابن أبي خالد » ، هو : « إسماعيل بن أبي خالد الأحمسي » . وكان في المخطوطة والمطبوعة : « عن أبي خالد » ، وهو خطأ لاشك فيه ، فإن البخاري رواه من طريق وكيع ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عامر ، عن مسروق ، مطولا (الفتح ٨ : ٤٦٦) ، وليس فيمن روى عنه وكيع هذا الخبر من يسمى « أبا خالد » .

وهذا الخبر رواه أبو جعفر من أربع طرق ، سيأتي تخريجها بعد .

(٢) الأثر : ١٢٢٨٢ – رواه مسلم مطولا في صحيحه ، من طريق إسماعيل بن علية ، عن داود .

عن مسروق بن الأجدع قال : دخلت على عائشة يوماً فسمعتها تقول : لقد أعظمَ الفرية من قال إنّ محمداً كتم شيئاً من الوحى ! والله يقول : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك » .(١)

* * *

ويعنى بقوله : « والله يعصمك من الناس » ، يمنعك من أن ينالوك بسوء . وأصله من «عِصَام القربة »، وهو ما تُوكَى به من سير وخيط ،(٢) ومنه قول الشاعر:(٣)

٦/٢٠٠ وَقُلْتُ: عَلَيْكُمْ مَالِكاً ، إنَّ مَالِكاً سَيَعْصِمُكُمْ، إنْ كَانَ فِى النَّاسِ عَاصِمُ(٤)

يعنى : يمنعكم

* * *

وأما قوله : « إن الله لا يهدى القوم الكافرين » ، فإنه يعنى : إن الله لا يوفِّق للرُّشْد من حاد عن سبيل الحق ، وجار عن قصد السبيل ، وجحد ما جئته به من عند الله ، ولم ينته إلى أمر الله وطاعته فيما فرض عليه وأوجبه .(٥)

* * *

وهذه الأخبار الثلاثة السالفة ، خبر واحد بأسانيد ثلاثة . رواه البخارى (الفتح ٨ : ٢٠٦) من طريق سفيان، عن إسماعيل بن أبى خالد، عن الشعبى ، عن مسروق. ثم رواه من هذه الطريق ، ومن طريق أبى عامر العقدى ، عن شعبة ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن الشعبى (الفتح ١٣ : ٤٢٢) ، مختصراً .

(١) الأثر ١٢٢٨٣ — « الليث » هو « الليث بن سعد » الإمام .

و « خالد » ، هو : « خالد بن يزيد الجمحى المصرى » ، الفقيه المفتى ، ثقة ، مضى برقم : ٣٩٦٥ ، ٥٤٦٥ ، ٩١٨٥ ، ٩٥٠٧ .

و « سعيد بن أبى هلال الليثى المصرى » ، ثقة . مضى برقم : ١٤٩٥ ، ٣٩٦٥ ، ٥٤٦٥ .

(٢) انظر تفسير « عصم » و « عصام » فيما سلف ٧ : ٦٢ ، ٦٣ ، ٩/٧٠ : ٣٤١ .

(٣) لم أعرف قائله .

(٤) مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٧١ . و « عليك » اسم فعل للإغراء ، يقال : « عليك زيداً » و « عليك بزيد » .

(٥) انظر تفسير « هدى » فيما سلف من فهارس اللغة .

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : وهذا أمرٌ من الله تعالى ذكره نبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم بإبلاغ اليهود والنصارى الذين كانوا بين ظهرانَىْ مُهاجَره . يقول تعالى ذكره له: « قل»، يا محمد، لهؤلاء اليهود والنصارى = « يا أهل الكتاب » ، التوراة والإنجيل = « لستم على شىء» ،مما تدَّعون أنكم عليه مما جاءكم به موسى صلى الله عليه وسلم، معشرَ اليهود ، ولا مما جاءكم به عيسى ، معشرَ النصارى = « حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم »،مما جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم من الفرقان ، فتعملوا بذلك كله ، وتؤمنوا بما فيه من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وتصديقه ، وتقرُّوا بأن كل ذلك من عند الله ، فلاتكذِّبوا بشىء منه ، ولاتفرِّقوا بين رسل الله فتؤمنوا ببعض وتكفروا ببعض، فإن الكفر بواحد من ذلك كفر بجميعه، لأنّ كتب الله يصدِّق بعضها بعضاً ، فمن كذَّب ببعضها فقد كذَّب بجميعها .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك جاء الأثر .

١٢٢٨٤ — حدثنا هناد بن السرى وأبو كريب قالا،حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنا محمد بن إسحق قال ، حدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : جاء رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رافعُ بن حارثة وسَلاَم بن مِشْكم ،(١) ومالك بن الصيف، ورافع بن حريملة ،(٢) فقالوا : يا محمد، ألست تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه،

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « سلام بن مسكين » ، ولم أجد هذا الاسم فيمن كان من يهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمعروف هو ما أثبته وهو الموجود فى هذا الخبر فى سيرة ابن هشام .

(٢) فى المطبوعة: « . . . بن حرملة »،وأثبت ما فى المخطوطة،وهو مطابق لما فى سيرة ابن هشام.

وتؤمن بما عندنا من التوراة ، وتشهد أنها من الله حق ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بلى ، ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها مما أخِذَ عليكم من الميثاق، وكتمتم منها ما أمرتم أن تبيِّنوه للناس ، وأنا برىء من أحداثكم ! قالوا : فإنا نأخذ بما فى أيدينا ، فإنا على الحق والهدى ، ولا نؤمن بك ، ولا نتبعك ! فأنزل الله تعالى ذكره : « قل يا أهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم » إلى : «فلا تأس على القوم الكافرين» . (١)

١٢٢٨٥ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « قل يا أهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم » ، قال : فقد صرنا من أهل الكتاب= « التوراة » ، لليهود ، و« الإنجيل »، للنصارى ، « وما أنزل إليكم من ربكم » ، ما أنزل إلينا من ربنا = أى : « لستم على شىء حتى تقيموا » ، حتى تعملوا بما فيه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (٦٨)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً » ، وأقسم : ليزيدن كثيراً من هؤلاء اليهود والنصارى الذين قص قصصهم فى هذه الآيات ، الكتابُ الذى أنزلته إليك، يا محمد(٢) = « طغياناً »، يقول : تجاوزاً وغلوًّا فى التكذيب لك ، على ما كانوا عليه لك من ذلك قبل نزول

---

(١) الأثر : ١٢٢٨٤ – سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٧ ، وهو تابع الآثار التى مضت رقم : ٢١٠١ ، ٢١٠٢ ، ١٢٢١٩ .

(٢) « الكتاب » فاعل قوله : « ليزيدن كثيراً من هؤلاء اليهود . . . » .

الفرقان = « وكفراً » ، يقول : وجحوداً لنبوتك .[١]

* * *

وقد أتينا على البيان عن معنى « الطغيان » ، فيما مضى قبل .[٢]

* * *

وأما قوله : « فلا تأس على القوم الكافرين » ، يعنى بقوله :[٣] « فلا تأس » ، فلا تحزن .

* * *

يقال : « أسِيَ فلان على كذا » ، إذا حزن « يأسَى أسىً » ، ومنه قوال الراجز :[٤]

* وَانْحَلَبَتْ عَيْنَاهُ مِنْ فَرْطِ الأَسَى *[٥]

* * *

يقول تعالى ذكره لنبيه : لا تحزن ، يا محمد ، على تكذيب هؤلاء الكفار من اليهود والنصارى من بنى إسرائيل لك ، فإن مثلَ ذلك منهم عادة وخلق فى أنبيائهم ، فكيف فيك ؟

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

---

(١) انظر تفسير « الكفر » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٢) انظر تفسير « الطغيان » فيما سلف ص : ٤٥٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المطبوعة : « يعنى يقول » ، والصواب من المخطوطة .

(٤) هو العجاج .

(٥) ديوانه : ٣١ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٧١ ، والكامل ١ : ٣٥٢ ، واللسان (حلب) (كرس) ، وهو من رجزه المشهور ، مضى أوله فى هذا التفسير ١ : ٥٠٩ ، يقول :

يَا صَاحِ ، هَلْ تَعْرِفُ رَسْمًا مُكْرَسَا؟ قَالَ : نَعَمْ ! أَعْرِفُهُ ! وَأَبْلَسَا
وَانْحَلَبَتْ عَيْنَاهُ مِنْ فَرْطِ الأَسَى

ومضى شرح البيتين الأولين . و « انحلبت عيناه » و « تحلبتا » : سال دمعهما وتتابع . وكان فى المطبوعة : « وأنحلت » ، خالف ما فى المخطوطة ، لأنها غير منقوطة ، فأتى بما لا يعرف . فجاء بعض من كتب على هذا البيت وصححه فكتب « وأبخلت » وقال : « معنى : أبخلت : وجدتا بخيلتين بالدمع لغلبة الحزن عليه ، أى أنه من شدة حزنه لم يبك ، وإنما جمدت عيناه » ، فأساء من وجوه : ترك مراجعة الشعر ومعرفته ، واجتهد فى غير طائل ، وأتى بكلام سخيف جداً ! والله المستعان .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٢٨٦ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً » ، قال : الفرقان = يقول : فلا تحزن .

١٢٢٨٧ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدي قوله : « فلا تأس على القوم الكافرين » ، قال : لا تحزن . ٢٠١/٦

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٦٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن الذين صدّقوا الله ورسوله ، وهم أهل الإسلام= « والذين هادوا » ، وهم اليهود [١]= «والصابئون » ، وقد بينا أمرهم [٢]= « والنصارى من آمن منهم بالله واليوم الآخر » ، فصدّق بالبعث بعد الممات = « وعمل » ، من العمل = « صالحاً » ، لمعاده = « فلا خوف عليهم » ، فيما قدموا عليه من أهوال القيامة = « ولا هم يحزنون » ، على ما خلّفوا وراءهم من الدنيا وعيشها ، بعد معاينتهم ما أكرمهم الله به من جزيل ثوابه . [٣]

* * *

(١) انظر تفسير « هاد » فيما سلف ص : ٣٤١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الصابئون » فيما سلف ٢ : ١٤٥ – ١٤٧ .
(٣) انظر تفسير « عمل صالحاً » فيما سلف ٢ : ١٤٨ (وفهارس اللغة) .
= وتفسير « اليوم الآخر » ، فيما سلف من فهارس اللغة (أخر) .
= وتفسير « لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » فيما سلف ٢ : ١٥٠ ، وسائر فهارس اللغة.

وقد بينا وجه الإعراب فيه فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ (٧٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : أقسم : لقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل على الإخلاص فى توحيدنا ،(٢) والعمل بما أمرناهم به ، والانتهاء عما نهيناهم عنه = وأرسلنا إليهم بذلك رسلاً ، ووعدناهم على ألسن رسلنا إليهم على العمل بطاعتنا الجزيلَ من الثواب ، وأوعدناهم على العمل بمعصيتنا الشديدَ من العقاب = كلما جاءهم رسول لنا بما لا تشتهيه نفوسهم ولا يوافق محبَّتهم ، كذّبوا منهم فريقاً ، ويقتلون منهم فريقاً ، نقضاً لميثاقنا الذى أخذناه عليهم ، وجرأة علينا وعلى خلاف أمرنا .(٣)

* * *

(١) انظر ما سلف ٣ : ٣٥٢ – ٣٥٤/ثم انظر الموضع الذى أشار إليه ٩ : ٣٩٥ – ٣٩٩ . ثم انظر أيضاً معانى القرآن للفراء ١ : ١٠٥–١٠٨ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٧٢ ، ومشكل القرآن لابن قتيبة : ٣٦ – ٣٩ .

(٢) فى المطبوعة : « وتوحيدنا » ، وفى المخطوطة : « الإخلاص توحيدنا » ، وكأن الصواب ما أثبت .

(٣) انظر تفسير ألفاظ هذه الآية فيما سلف من فهارس اللغة .

* * *

وعند هذا الموضع ، انتهى جزء من التقسيم القديم الذى نقلت عنه مخطوطتنا ، وفيها ما نصه :

« يتلوه : القول فى تأويل قوله :

القول فى تأويل قوله ﴿ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (٧١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى : وظن هؤلاء الإسرائيليون[١] = الذين وصف تعالى ذكره صفتهم : أنه أخذ ميثاقهم : وأنه أرسل إليهم رسلاً ، وأنهم كانوا كلما جاءهم رسولٌ بما لا تهوى أنفسهم كذّبوا فريقاً وقتلوا فريقاً = أن لا يكون من الله لهم ابتلاء واختبارٌ بالشدائد من العقوبات بما كانوا يفعلون[٢] = « فعموا وصموا » ، يقول : فعموا عن الحق والوفاء بالميثاق الذى أخذته عليهم ، من إخلاص عبادتى ، والانتهاء إلى أمرى ونهيى ، والعمل بطاعتى ، بحسبانهم ذلك وظنهم = « وصموا » عنه = ثم تبت عليهم . يقول : ثم هديتهم بلطف منى لهم حتى أنابوا ورجعوا عما كانوا عليه من معاصىّ وخلاف أمرى والعمل بما أكرهه منهم ، إلى العمل بما أحبه ، والانتهاء إلى طاعتى وأمرى ونهيى = « ثم عموا وصموا كثير منهم »[٣] ، يقول : ثم عموا أيضاً عن الحق والوفاء بميثاقى الذى أخذته عليهم : من العمل بطاعتى ، والانتهاء

﴿وَحَسِبُوا أَنْ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وصمُّوا﴾

وصلى الله على محمد النبىّ وآله وسلم كثيراً » .

ثم ما يتلوه نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم

رَبِّ يَسِّر »

(١) انظر تفسير « حسب » فيما سلف ٧ : ٣٨٤ ، ٤٢١ .
(٢) انظر تفسير « الفتنة » فيما سلف ص : ٣٩٢ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « العمى » و « الصمم » ، فيما سلف ١ : ٣٢٨ - ٣/٣٣١ : ٣١٥ .

إلى أمرى ، واجتناب معاصيّ = « وصموا كثير منهم » ، يقول : عمى كثير من هؤلاء الذين كنت أخذت ميثاقهم من بنى إسرائيل ، باتباع رسلى والعمل بما أنزلت إليهم من كتبى [1] = عن الحق وصموا ، بعد توبتى عليهم ، واستنقاذى إياهم من الهلكة = « والله بصير بما يعملون » ، يقول « بصير » ، فيرى أعمالهم خيرَها وشرَّها ، فيجازيهم يوم القيامة بجميعها ، إن خيراً فخيراً ، وإن شرًّا فشرًّا .[2]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٢٨٨ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وحسبوا أن لا تكون فتنة » ، الآية، يقول : حسب القوم أن لا يكون بلاءٌ = « فعموا وصموا » ، كلما عرض بلاء ابتلوا به، هلكوا فيه .

١٢٢٨٩ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وحسبوا أن لا تكون فتنة فعموا وصموا » ، يقول : حسبوا أن لا يبتلوا ، فعموا عن الحق وصمُّوا .

١٢٢٩٠ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن مبارك ، عن الحسن : « وحسبوا أن لا تكون فتنة » ، قال : بلاء .

١٢٢٩١ — حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « وحسبوا أن لا تكون فتنة » ، قال : الشرك .

١٢٢٩٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « وحسبوا أن لا تكون فتنة فعموا وصموا » ، قال : اليهود .

---

(١) انظر القول فى رفع « كثير » فى معانى القرآن للفراء ١ : ٣١٦ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٧٤ .

(٢) انظر تفسير « بصير » فيما سلف من فهارس اللغة .

١٢٢٩٣ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « فعموا وصموا » ، قال : يهود = قال ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير قال: هذه الآية لبني إسرائيل . قال : و« الفتنة » ، البلاء والتَّمحيص .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ (٧٢) ٢٠٢/٦

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن بعض مافتَن به الإسرائيليين الذين أخبر عنهم أنهم حسبوا أن لا تكون فتنة . يقول تعالى ذكره : فكان مما ابتليتهم واختبرتهم به ، فنقضوا فيه ميثاق ، وغيَّروا عهدي الذي كنت أخذته عليهم بأن لا يعبدوا سواي ، ولا يتخذوا ربًّا غيري ، وأن يوحِّدوني ، وينتهوا إلى طاعتي = عبدي عيسى بن مريم ، فإني خلقته ، وأجريت على يده نحوَ الذي أجريت على يد كثير من رسلي ، فقالوا كفراً منهم : « هو الله » . (١)

وهذا قول اليعقوبيّة من النصارى عليهم غضب الله .

يقول الله تعالى ذكره : فلما اختبرتهم وابتليتهم بما ابتليتهم به ، أشركوا بي ، وقالوا لخلق من خلقي ، وعبدٍ مثلهم من عبيدي ، وبشر نحوهم معروفٍ نسبه وأصله ، مولود من البشر ، يدعوهم إلى توحيدي ، ويأمرهم بعبادتي وطاعتي ،

---

(١) انظر تفسير « المسيح » فيما سلف ١٠ : ١٤٦ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

ويقرّ لهم بأنى ربه وربهم، وينهاهم عن أن يشركوا بى شيئاً: « هو إلههم » ، جهلاً منهم بالله وكفراً به ، ولا ينبغى لله أن يكون والداً ولا مولوداً .

ويعنى بقوله : « وقال المسيح يا بنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم » ، يقول : اجعلوا العبادة والتذلل للذى له يَذِلّ كل شىء، وله يخضع كل موجود[1] = « ربىّ وربكم » ، يقول : مالكى ومالككم ، وسيدى وسيدكم، الذى خلقنى وإياكم[2] = « إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة »، أن يسكنها فى الآخرة = « ومأواه النار » ، يقول : ومرجعه ومكانه — الذى يأوى إليه ويصير فى معاده، من جعل لله شريكاً فى عبادته — نارُ جهنم[3] = « وما للظالمين » ، يقول : وليس لمن فعل غير ما أباح الله له ، وعبد غير الذى له عبادة الخلق[4] = « من أنصار » ، ينصرونه يوم القيامة من الله ، فينقذونه منه إذا أورده جهنم .[5]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٧٣)

قال أبو جعفر : وهذا أيضاً خبر من الله تعالى ذكره عن فريق آخر من الإسرائيليين الذين وصف صفتهم فى الآيات قبل : أنه لما ابتلاهم بعد حِسْبَانهم أنهم لا يُبتلون ولا يفتنون ، قالوا كفراً بربهم وشركاً: « الله ثالث ثلاثة » .

* * *

(١) انظر تفسير « العبادة » فيما سلف من فهارس اللغة (عبد) .
(٢) انظر تفسير « الرب » فيما سلف ١ : ١٤٢ ، ثم فهارس اللغة فيما سلف .
(٣) انظر تفسير « المأوى » فيما سلف ٩ : ٢٢٥ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .
(٤) انظر تفسير « الظلم » فيما سلف من فهارس اللغة .
(٥) انظر تفسير « الأنصار » فيما سلف ٩ : ٣٣٩ ، تعليق ٣ ، والمراجع هناك .

وهذا قولٌ كان عليه جماهير النصارى قبل افتراق اليعقوبية والملكية والنَّسطورية .[١] كانوا فيما بلغنا يقولون : « الإله القديم جوهر واحد يعم ثلاثة أقانيم : أباً والداً غير مولود ، وابناً مولوداً غير والد ، وزوجاً متتبِّعة بينهما » .

* * *

يقول الله تعالى ذكره ، مكذِّباً لهم فيما قالوا من ذلك : « وما من إله إلاّ إله واحد » ، يقول : ما لكم معبود ، أيها الناس ، إلا معبود واحد ، وهو الذى ليس بوالد لشيء ولا مولود ، بل هو خالق كل والد ومولود = « وإن لم ينتهوا عما يقولون » ، يقول : إن لم ينتهوا قائلو هذه المقالة عما يقولون من قولهم : « الله ثالث ثلاثة »[٢] = « ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم » ، يقول : ليمسن الذين يقولون هذه المقالة ، والذين يقولون المقالة الأخرى : « هو المسيح بن مريم » ، لأن الفريقين كلاهما كفرة مشركون ، فلذلك رجع فى الوعيد بالعذاب إلى العموم ،[٣] ولم يقل : « ليمسنَّهم عذابٌ أليم » ، لأن ذلك لو قيل كذلك ، صار الوعيد من الله تعالى ذكره خاصًّا لقائل القول الثانى ، وهم القائلون : « الله ثالث ثلاثة » ، ولم يدخل فيهم القائلون : « المسيح هو الله » . فعمّ بالوعيد تعالى ذكره كلّ كافر ، ليعلم المخاطبون بهذه الآيات أنّ وعيد الله قد شمل كلا الفريقين من بنى إسرائيل ، ومن كان من الكفار على مثل الذى هم عليه .

* * *

فإن قال قائل : وإن كان الأمر على ما وصفت ، فعلى مَنْ عادت « الهاء والميم » اللتان فى قوله : « منهم » ؟

قيل : على بنى إسرائيل .

* * *

(١) فى المطبوعة : « والملكانية » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « انتهى » فيما سلف ٣ : ٦/٥٦٩ : ١٤ .

(٣) انظر تفسير « مس » فيما سلف ٧ : ٤١٤ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .

فتأويل الكلام ، إذْ كان الأمر على ما وصفنا : وإن لم ينته هؤلاء الإسرائيليون عما يقولون فى الله من عظيم القول ، ليمسنّ الذين يقولون منهم : « إن المسيح هو الله » ، والذين يقولون : « إن الله ثالث ثلاثة » ، وكل كافر سلك سبيلهم = عذابٌ أليم ، بكفرهم بالله .(١)

* * *

وقد قال جماعة من أهل التأويل بنحو قولنا ، فى أنه عنى بهذه الآيات النصارى.

* ذكر من قال ذلك :

١٢٢٩٤ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « لقد كفر الذين قالوا : إنّ الله ثالث ثلاثة » ، قال : قالت النصارى : « هو والمسيح وأمه » ، فذلك قول الله تعالى ﴿ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ، [سورة المائده : ١١٦] . ٢٠٣/٦

١٢٢٩٥ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال مجاهد : « لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة » ، نحوه.

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٧٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : أفلا يرجع هذان الفريقان الكافران(٢) = القائل أحدهما : « إن الله هو المسيح بن مريم » ، والآخر القائل : « إن الله ثالث ثلاثة » = عما قالا من ذلك ، ويتوبان مما قالا ونطقا به من كفرهما ، (٣) ويسألان

---

(١) انظر تفسير « عذاب أليم » فيما سلف من فهارس اللغة (ألم) .

(٢) انظر تفسير « التوبة » فيما سلف من فهارس اللغة (توب) .

(٣) فى المطبوعة : « وقطعا به من كفرهما » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو الصواب .

ربهما المغفرة مما قالا = « والله غفور » ، لذنوب التائبين من خلقه ، المنيبين إلى طاعته بعد معصيتهم = « رحيم » بهم ، فى قبوله توبتهم ومراجعتهم إلى ما يحبّ مما يكره ، فيصفح بذلك من فعلهم عما سلف من أجرامهم قبل ذلك .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ﴾

قال أبو جعفر : وهذا [خبرٌ] من الله تعالى ذكره ،(٢) احتجاجاً لنبيّه محمد صلى الله عليه وسلم على فِرَق النصارى فى قولهم فى المسيح .

يقول = مكذّباً لليعقوبية فى قيلهم : « هو الله » والآخرين فى قيلهم : « هو ابن الله » = : ليس القول كما قال هؤلاء الكفرة فى المسيح ، ولكنه ابن مريم ولدته ولادةَ الأمهات أبناءَهن ، وذلك من صفة البشر لا من صفة خالق البشر ، وإنما هو لله رسولٌ كسائر رسله الذين كانوا قبله فمضوا وخلَوا ، أجرى على يده ما شاء أن يجريه عليها من الآيات والعِبر ، حجةً له على صدقه ، وعلى أنه لله رسول إلى من أرسله إليه من خلقه ، كما أجرى على أيدى من قبله من الرسل من الآيات والعبر ، حجةً لهم على حقيقة صدقهم فى أنهم لله رسل(٣) = « وأمه صِدّيقة » ، يقول تعالى ذكره وأمّ المسيح صِدّيقةٌ

---

(١) انظر تفسير « استغفر » و « غفور » فيما سلف من فهارس اللغة (غفر) = وتفسير « رحيم » فيما سلف من فهارس اللغة (رحم) .

(٢) الزيادة بين القوسين لابد منها حتى يستقيم الكلام .

(٣) انظر تفسير « المسيح » فيما سلف ص : ٤٨٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

و« الصِدِّيقة » « الفِعِّيلة » ، من « الصدق » ، وكذلك قولهم : « فلان صِدِّيق » ، « فِعِّيل » من « الصدق » ، ومنه قوله تعالى ذكره : ﴿ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ ﴾ . [سورة النساء : ٧٠] .(١)

وقد قيل إن « أبا بكر الصدّيق » رضى الله عنه إنما قيل له : « الصّدّيق » لصدقه.

وقد قيل : إنما سمى « صديقاً » ، لتصديقه النبي صلى الله عليه وسلم فى مسيره فى ليلة واحدةٍ إلى بيت المقدس من مكة ، وعودِه إليها .

* * *

وقوله : « كانا يأكلان الطعام » ، خبرٌ من الله تعالى ذكره عن المسيح وأمّه : أنهما كانا أهل حاجةٍ إلى ما يَغْذُوهما وتقوم به أبدانهما من المطاعم والمشارب كسائر البشر من بنى آدم ، فإنّ من كان كذلك ، فغيرُ كائنٍ إلٰهاً ، لأن المحتاج إلى الغذاء قِوَامه بغيره . وفى قوامه بغيره وحاجته إلى ما يقيمه ، دليلٌ واضحٌ على عجزه . والعاجز لا يكون إلا مربوباً لا ربًّا .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْأَيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (٧٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : انظر ، يا محمد ، كيف نبين لهؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى = « الآيات » ، وهى الأدلّةُ ، والأعلام والحُجج على بُطُول ما يقولون فى أنبياء الله ،(٢) وفى فريتهم على الله ، وادّعائهم له ولداً ، وشهادتهم لبعض خلقه بأنه لهم ربٌّ وإله ، ثم لا يرتدعون عن كذبهم وباطل قِيلهم ، ولا ينزجرون عن فريتهم على ربّهم وعظيم جهلهم ، مع ورود الحجج القاطعة عذرَهم عليهم . يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد صلى الله عليه

(١) انظر تفسير « الصديق » فيما سلف ٨ : ٥٣٠ – ٥٣٢ .
(٢) انظر تفسير « الآيات » فيما سلف (أبى) .

وسلم : « ثم انظر » ، يا محمد = « أنَّى يؤفكون » ، يقول : ثم انظر ، مع تبييننا لهم آياتنا على بُطول قولهم ، أيَّ وجه يُصرَفون عن بياننا الذى نبيِّنه لهم ؟[1] وكيف عن الهدى الذى نهديهم إليه من الحق يضلُّون ؟

* * *

والعرب تقول لكل مصروف عن شىء : « هو مأفوك عنه » . يقال : « قد أفَكت فلاناً عن كذا » ، أى : صرفته عنه ، « فأنا آفِكه أفْكًا ، وهو مأفوك » . و « قد أُفِكت الأرض » ، إذا صرف عنها المطر .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (٧٦)

قال أبو جعفر : وهذا أيضاً احتجاجٌ من الله تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم على النصارى القائلين فى المسيح ما وصف من قِيلهم فيه قبلُ .

يقول تعالى ذكره لمحمد صلى الله عليه وسلم : « قل » ، يا محمد ، لهؤلاء الكفرة من النصارى ، الزاعمين أن المسيح ربهم ، والقائلين إن الله ثالث ثلاثة = أتعبدون سوى الله الذى يملك ضركم ونفعكم ، وهو الذى خلقكم ورزقكم ، وهو يحييكم ٢٠٤/٦
ويميتكم = شيئاً لا يملك لكم ضرًّا ولا نفعاً ؟ يخبرهم تعالى ذكره أن المسيح الذى زعم من زعم من النصارى أنه إله ، والذى زعم من زعم منهم أنه لله ابنٌ ، لا يملك لهم ضرًّا يدفعه عنهم إن أحلَّه الله بهم ، ولا نفعاً يجلبه إليهم إن لم يقضه الله لهم .. يقول تعالى ذكره : فكيف يكون ربًّا وإلهاً من كانت هذه صفته ؟ بل الربُّ

---

(١) المطبوعة : « بينته لهم » ، والصواب من المخطوطة ، وهى غير منقوطة .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٧٤ ، ١٧٥ .

المعبودُ : الذى بيده كل شىء، والقادر على كل شىء . فإياه فاعبدوا وأخلصوا له العبادة ، دون غيره من العجزة الذين لا ينفعونكم ولا يضرون .

* * *

وأما قوله : « والله هو السميع العليم » ، فإنه يعنى تعالى ذكره بذلك : « والله هو السميع » ، لاستغفارهم لو استغفروه من قِيلهم ما أخبر عنهم أنهم يقولونه فى المسيح ، ولغير ذلك من منطقهم ومنطق خلقه = « العليم »، بتوبتهم لو تابوا منه ، وبغير ذلك من أمورهم .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (٧٧)

قال أبو جعفر : وهذا خطابٌ من الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم. يقول تعالى ذكره : « قل »، يا محمد، لهؤلاء الغالية من النصارى فى المسيح = «يا أهل الكتاب »، يعنى بـ «الكتاب »، الإنجيل= «لا تغلوا فى دينكم »، يقول : لا تفرِطوا فى القول فيما تدينون به من أمر المسيح ، فتجاوزوا فيه الحقَّ إلى الباطل ،(٢) فتقولوا فيه : « هو الله » ، أو : « هو ابنه » ، ولكن قولوا : « هو عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه » = « ولا تتبعوا أهواءَ قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً » ، يقول : ولا تتبعوا أيضاً فى المسيح أهواء اليهود الذين قد ضلوا قبلكم عن سبيل الهدى فى القول فيه ، فتقولون فيه كما قالوا: «هو لغير رَشْدة » ، وتبهتوا أمَّه كما بَهَتُوها

(١) انظر تفسير « سميع » و « عليم » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٢) انظر تفسير « غلا » فيما سلف ٩ : ٤١٥ – ٤١٧ .

بالفرية وهى صدّيقة =[١] « وأضلوا كثيراً » ، يقول تعالى ذكره : وأضل هؤلاء اليهود كثيراً من الناس ، فحادوا بهم عن طريق الحق ، وحملوهم على الكفر بالله والتكذيب بالمسيح = « وضلوا عن سواء السبيل » ، يقول : وضلّ هؤلاء اليهود عن قصد الطريق ،وركبوا غير محجّة الحق .[٢]

وإنما يعنى تعالى ذكره بذلك، كفرَهم بالله ، وتكذيبَهم رسله : عيسى ومحمداً صلى الله عليه وسلم، وذهابَهم عن الإيمان وبعدَهم منه . وذلك كان ضلالهم الذى وصفهم الله به .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٢٩٦ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « وضلوا عن سواء السبيل » ، قال : يهود .

١٢٢٩٧ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « لا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً »،فهم أولئك الذين ضلّوا وأضلوا أتباعهم = « وضلوا عن سواء السبيل »، عن عَدْل السبيل .

* * *

---

(١) المطبوعة : « كما يبهتونها » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « الضلال » فيما سلف من فهارس اللغة .

= وتفسير « سواء السبيل » فيما سلف ص :٤٤٣، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ (٧٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، قل لهؤلاء النصارى الذين وصفَ تعالى ذكره صفتهم : لا تغلوا فتقولوا فى المسيح غير الحق ، ولا تقولوا فيه ما قالت اليهود الذين قد لعنهم الله على لسان أنبيائه ورسله ، داود وعيسى بن مريم . (١)

* * *

وكان لعن الله إياهم على ألسنتهم ، كالذى : —

١٢٢٩٨ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم » ، قال : لعنوا بكل لسان : لعنوا على عهد موسى فى التوراة ، ولعنوا على عهد داود فى الزبور ، ولعنوا على عهد عيسى فى الإنجيل ، ولعنوا على عهد محمد صلى الله عليه وسلم فى القرآن .

١٢٢٩٩ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم » ، يقول : لعنوا فى الإنجيل على لسان عيسى بن مريم ، ولعنوا فى الزبور على لسان داود .

١٢٣٠٠ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن فضيل، عن أبيه ، عن خصيف ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم » ، قال : خالطوهم بعد النهى فى تجاراتهم ، ٢٠٥/٦

(١) انظر تفسير « اللعنة » » فيما سلف ص : ٤٥٢، تعليق : ١، والمراجع هناك .

= وتفسير « الاعتداء » فيما سلف ص : ٤٤٧، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

فضرب الله قلوبَ بعضهم ببعض ، فهم ملعونون على لسان داود وعيسى بن مريم .

١٢٣٠١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن حصين ، عن مجاهد: « لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم » ، قال : لعنوا على لسان داود فصاروا قردة ، ولُعنوا على لسان عيسى فصاروا خنازيرَ .

١٢٣٠٢ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس ، قوله : « لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل » ، بكل لسان لُعِنوا : على عهد موسى فى التوراة ، وعلى عهد داود فى الزبور ، وعلى عهد عيسى فى الإنجيل ، ولعنوا على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فى القرآن = قال ابن جريج : وقال آخرون : « لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود » ، على عهده، فلعنوا بدعوته . قال: مرَّ داود على نفر منهم وهم فى بيت فقال: من فى البيت؟ قالوا : خنازير . قال : « اللهم اجعلهم خنازير ! » ، فكانوا خنازير . قال : ثم أصابتهم لعنته ، ودعا عليهم عيسى فقال : « اللهم العن من افترى علىّ وعلى أمى ، واجعلهم قردة خاسئين » !

١٢٣٠٣ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله: « لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل » الآية، لعنهم الله على لسان داود فى زمانه ، فجعلهم قردة خاسئين = وفى الإنجيل على لسان عيسى ، فجعلهم خنازير .

١٢٣٠٤ – حدثنى محمد بن عبد الله بن بزيع قال، حدثنا أبو محصن حصين ابن نمير ، عن حصين = يعنى : ابن عبد الرحمن = ، عن أبى مالك قال : « لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود» ، قال: مسخوا على لسان داود قردة، وعلى لسان عيسى خنازير. (١)

---

(١) الأثر : ١٢٣٠٤ – « أبو محصن الضرير » : « حصين بن نمير الواسطى » ، ثقة ، ولكن كان يحمل على على رضى الله عنه ، فقال الحاكم : « ليس بالقوى عندهم » . مترجم فى التهذيب .

١٢٣٠٥ – حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حصين ، عن أبي مالك ، مثله .

١٢٣٠٦ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، عن العلاء بن المسيب ، عن عبد الله بن عمرو بن مرة ، عن سالم الأفطس ، عن أبي عبيدة ، عن ابن مسعود قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الرجل من بني إسرائيل كان إذا رأى أخاه على الذنب نهاه عنه تعذيراً ،(١) فإذا كان من الغدِ لم يمنعه ما رأى منه أن يكون أكيله وخليطه وشَرِيبَه .(٢) فلما رأى ذلك منهم ضرب بقلوب بعضهم على بعض ، ولعنهم على لسان نبيهم داود وعيسى ابن مريم = « ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » ، قال : والذي نفسي بيده ، لتأمُرُنَّ بالمعروف، ولتنهَوُنَّ عن المنكر، ولتأخُذُنَّ على يدي المسيء، ولتُؤَطِّرُنَّه على الحق أطْرًا ،(٣) أو ليضربنَّ الله قلوب بعضكم على بعض ، وليلعنَّنكم كما لعنهم .(٤)

---

(١) في المطبوعة : « تعزيراً » ، وهو خطأ محض ، صوابه من المخطوطة ، وتفسير ابن كثير . و « التعذير » : أن يفعل الشيء غير مبالغ في فعله . وتعذير بني إسرائيل : أنهم لم يبالغوا في نهيهم عن المعاصي ، وداهنوا العصاة ، ولم ينكروا أعمالهم بالمعاصي حق الإنكار ، فنهوهم نهياً قصروا فيه ولم يبالغوا .

(٢) « الأكيل » : الذي يصاحبك في الأكل . و « الشريب » : الذي يصاحبك في الشراب . و « الخليط » : الذي يخالطك . كل ذلك « فعيل » بمعنى « مفاعل » .

(٣) في المطبوعة : « ولا تواطئونه على الخواطر » ، وهو من عجيب الكلام ، فضلا عن أنه عبث وتحريف لما كان في المخطوطة ! ! وكان في المخطوطة : « ولواطونه على الحواطرا » ، غير منقوطة ، فلعب بها ناشر المطبوعة لعباً كما شاء . وصواب قراءة ما كان في المخطوطة هو ما أثبت . وبمثل ذلك سيأتي في الأخبار التالية .

إلا أني قرأت المخطوطة : « ولتؤطرنه » (بتشديد الطاء) من قولهم في ماضيه : « أطره » (بتشديد الطاء) أي : عطفه . ورواية الآثار الآتية ، ثلاثية الفعل : « حتى تأطروه » من قولهم في الثلاثي : « أطره يأطره أطراً » : وذلك إذا قبض على أحد طرفي العود مثلا ، فعطفه عطفاً .

(٤) الأثر : ١٢٣٠٦ – « عبد الرحمن بن محمد بن زياد المحاربي » ، ثقة ، مضى برقم : ٢٢١ ، ٨٧٥ .

و « العلاء بن المسيب بن رافع الأسدي » ، ثقة مأمون ، مضى برقم : ٣٧٨٩ .

و « عبد الله بن عمرو بن مرة المرادي » ، روى عنه أبيه ، وعن محمد بن سوقة ، وعاصم ابن بهدلة .

١٢٣٠٧ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا الحكم بن بشير بن سلمان قال، حدثنا عمرو بن قيس الملائى، عن على بن بذيمة، عن أبى عبيدة، عن عبد الله قال: لما فشا المنكر فى بنى إسرائيل، جعل الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا، اتق الله! ثم لا يمنعه ذلك أن يؤاكله ويشاربه. فلما رأى الله ذلك منهم، ضرب بقلوب بعضهم على بعض، ثم أنزل فيهم كتاباً: «لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهَوْن عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون». وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مُتَّكئاً، فجلس وقال: كلاّ، والذى نفسى بيده، حتى تأطِرُوا الظالم على الحق أطْراً.(١)

و «سالم الأفطس»، هو: «سالم بن عجلان الجزرى الحرانى»، روى عنه عمرو بن مرة. وهو من أقرانه. وذكر الحافظ فى التهذيب: «ويقال: عبد الله بن عمرو بن مرة».

ويمثل هذا الإسناد من رواية المحاربى = أى: «عبد الله بن عمرو بن مرة، عن سالم الأفطس»، رواه أبو داود فى سننه ٤: ١٧٢، وابن أبى حاتم فى تفسيره، فيما نقله ابن كثير فى تفسيره ٣: ٢٠٥، وعقب عليه بقوله: «ورواه خالد الطحان = هو: خالد بن عبد الله الواسطى = عن العلاء، عن عمرو بن مرة»، ورواه قبله برقم: ٤٣٣٧، من طريق خلف بن هشام، عن أبى شهاب الحناط، عن العلاء بن المسيب، عن عمرو بن مرة، عن سالم الأفطس». فالذى هنا هو رواية المحاربى، لاشك أنها: «عبد الله بن عمرو بن مرة»، وكأنه خطأ من المحاربى، فسائر الرواة على أنه «عن عمرو بن مرة، عن سالم الأفطس».

و «عمرو بن مرة المرادى الجملى»، «أبو عبد الله الأعمى»، ثقة صدوق. وهو يروى عن أبى عبيدة مباشرة، فرواه هنا عن أحد أقرانه «سالم الأفطس»، عن أبى عبيدة»، ورواه خالد الطحان، عن العلاء، عن عمرو بن مرة، عن أبى عبيدة مباشرة، دون واسطة «سالم الأفطس».

وهذا إسناد ضعيف على كل حال، لانقطاعه.

(١) الأثر: ١٢٣٠٧ – خبر على بن بذيمة، عن أبى عبيدة، رواه أبو جعفر من خمس طرق. سيأتى تخريجها مفصلا، ثم انظر آخرها رقم: ١٢٣١١.

«الحكم بن بشير بن سلمان النهدى»، ثقة مضى برقم: ١٤٩٧، ٢٨٧٢، ٣٠١٤، ٦١٧١، ٩٦٤٦. وكان فى المطبوعة هنا: «ابن سليمان»، وهو خطأ مر مثله.

و «عمرو بن قيس الملائى»، مضى برقم: ٨٨٦، ١٤٩٧، ٣٩٥٦، ٦١٧١، ٩٦٤٦.

و «على بن بذيمة الجزرى»، ثقة، مضى برقم: ٦٢٩.

وهذا الخبر، لم أجده بهذا الإسناد إلى على بن بذيمة.

١٢٣٠٨ – حدثنا على بن سهل الرملى قال، حدثنا المؤمل بن إسمعيل قال، حدثنا سفيان قال ، حدثنا على بن بذيمة ، عن أبى عبيدة ، أظنه عن مسروق ، عن عبد الله قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن بنى إسرائيل لما ظهر منهم المنكر ، جعل الرجل يرى أخاه وجارَه وصاحبَه على المنكر ، فينهاه ، ثم لا يمنعه ذلك من أن يكون أكيله وشَرِيبه ونديمه ، فضرب الله قلوبَ بعضهم على بعض ، ولعنوا على لسان داود وعيسى بن مريم = « ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » ، إلى « فاسقون » ، قال عبد الله : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئاً ، فاستوى جالساً ، فغضب وقال : لا والله ، حتى تأخذوا على يَدَىِ الظالم فتأطِرُوه على الحق أطراً .(١)

١٢٣٠٩ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا ابن مهدى قال ، حدثنا سفيان، عن على بن بذيمة ، عن أبى عبيدة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ٢٠٦/٦
إن بنى إسرائيل لما وقع فيهم النقصُ ، كان الرجل يرى أخاه على الرَّيْبِ فينهاه عنه ، فإذا كان الغدُ ، لم يمنعه ما رأى منه أن يكون أكيله وشريبه وخليطه ، فضرب الله قلوبَ بعضهم ببعض ، ونزل فيهم القرآن فقال : « لُعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم » حتى بلغ « ولكن كثيراً منهم فاسقون »،

---

(١) الأثر : ١٣٠٨ – « مؤمل بن إسماعيل العدوى » ، ثقة ، مضى برقم : ٢٠٥٧ ، ٣٣٣٧ ، ٥٧٢٨ ، ٨٣٥٦ ، ٨٣٦٧ .

و « سفيان » هو الثورى .

وطريق سفيان ، عن على بن بذيمة ، يأتى أيضاً برقم : ١٢٣٠٩ ، ١٢٣١١ ، مرسلا ، « عن أبى عبيدة قال قال رسول الله » ، ليس فيه ذكر « عبد الله بن مسعود » . وهو المعروف من رواية سفيان . روى الترمذى فى السنن (فى كتاب التفسير) : « قال عبد الله بن عبد الرحمن ، قال يزيد بن هرون : وكان سفيان الثورى لا يقول فيه : «عبد الله » يعنى أنه مرسل من خبر أبى عبيدة . فأفادنا الطبرى هنا أن سفيان الثورى ، رواه مرة أخرى ، « عن أبى عبيدة ، أظنه عن مسروق ، عن عبد الله » ، فلم يذكر « عبد الله » فحسب ، بل شك فى أن أبا عبيدة رواه عن مسروق عن عبد الله ، فإذا صح ظن سفيان هذا ، فإن حديث صحيح الإسناد ، غير منقطع ولا مرسل .

ولم أجد هذه الرواية بهذا الإسناد فى مكان آخر .

قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئاً فجلس ، وقال : لا ، حتى تأخذوا على يَدَيِ الظالم فتأطروه على الحق أطراً . (١)

١٢٣١٠ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا أبو داود = قال: أملاه عليَّ = قال ، حدثنا محمد بن أبي الوضاح ، عن على بن بذيمة ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله . (٢)

١٢٣١١ – حدثنا هناد بن السرى قال، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي= ، عن سفيان، على على بن بذيمة قال: سمعت أبا عبيدة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه = غير أنهما قالا فى حديثهما : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئاً فاستوى جالساً ، ثم قال : كلاَّ ، والذى نفسى بيده ، حتى تأخذوا على يَدَيِ الظالم فتأطروه على الحق أطراً . (٣)

---

(١) الأثر : ١٢٢٠٩ – وهذا الإسناد الثالث من أسانيد خبر على بن بذيمة ، عن أبي عبيدة ، والثانى من خبر سفيان ، عن على بن بذيمة ، عن أبي عبيدة ، من طريق عبد الرحمن بن مهدى ، عن سفيان ، رواه الترمذى فى السنن (كتاب التفسير) من طريق محمد بن بشار ، بمثله . ورواه ابن ماجة رقم : ٤٠٠٦ أيضاً ، بمثله .

(٢) الأثر : ١٢٣١٠ – « محمد بن أبي الوضاح » منسوب إلى جده ، وهو : « محمد بن مسلم ابن أبي الوضاح القضاعى» . روى عنه أبو داود الطيالسى . ثقة مستقيم الحديث . مترجم فى التهذيب .

وهذا الخبر بهذا الإسناد ، رواه الترمذى فى السنن فى (كتاب التفسير) ، وابن ماجة فى السنن ، تابع رقم : ٤٠٠٦ ، بمثله .

(٣) الأثر : ١٢٣١١ – هذا هو الإسناد الثالث من أسانيد « سفيان ، عن على بن بذيمة » . وهو خبر مرسل .

وخبر على بن بذيمة ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ، روى من طرق أخرى .

رواه أحمد فى المسند رقم : ٣٧١٣ ، من طريق يزيد بن هرون ، عن شريك بن عبد الله ، عن على بن بذيمة ، بلفظ آخر مثله . ورواه الترمذى فى (كتاب التفسير) من طريق عبد الله ابن عبد الرحمن، عن يزيد بن هرون ، بمثل رواية أحمد .

ورواه أبو داود فى سننه ٤ : ١٧٢ ، رقم : ٤٣٣٦ ، من طريق عبد الله بن محمد النفيلى ، عن يونس بن راشد ، عن على بن بذيمة ، بمثله ، بلفظ آخر .

وهذه الآثار كلها، من منقطعة أو مرسلة ، ولم يوصل الخبر إلا فى الإسناد رقم : ١٢٣٠٨ . وقال الترمذى بعد روايته : « هذا حديث حسن غريب » .

وانظر تفسير ابن كثير ٣ : ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، والدر المنثور ٢ : ٣٠٠ .

١٢٣١٢ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم » ، قال فقال : لعنوا في الإنجيل وفي الزبور = وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّ رَحَى الإيمان قد دارت ، فدُوروا مع القرآن حيث دار [فابد .... قد فرغ الله مما افترض فيه] .(١) [وإن ابن مرح] كان أمة من بني إسرائيل ،(٢) كانوا أهل عدل ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، فأخذهم قومهم فنشروهم بالمناشير ، وصلبوهم على الخشب ، وبقيت منهم بقية ، فلم يرضوا حتى داخلوا الملوك وجالسوهم ، ثم لم يرضوا حتى واكلوهم ،(٣) فضرب الله تلك القلوب بعضها ببعض فجعلها واحدة . فذلك قول الله تعالى : « لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود » إلى : « ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » ، ماذا كانت معصيتهم ؟ قال : « كانوالا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » .

* * *

فتأويل الكلام إذًا : لَعَنَ الله الذين كفروا = من اليهود = بالله على لسان داود وعيسى بن مريم ، ولُعن والله آباؤهم على لسان داود وعيسى بن مريم ، بما عصوا الله فخالفوا أمره = « وكانوا يعتدون » ، يقول : وكانوا يتجاوزون حدودَه .(٤)

* * *

---

(١) كان في المطبوعة : « . . . حيث دار ، فإنه قد فرغ الله مما افترض فيه » ، ساق الكلام سياقاً واحداً بعد تغييره ، والذي في المخطوطة هو ما أثبته ، وبين الكلامين بياض بقدر كلمة أو كلمتين ، وضعت مكانهما نقطاً ، تركته حتى يعثر على الخبر فيتمه وجدانه .

(٢) وهذا الذي بين القوسين ، هو الثابت في المخطوطة ، ولا أدري ما هو ، ولكن ناشر المطبوعة الأولى جعل الكلام هكذا : « وإنه كانت أمة من بني إسرائيل » ، فرأيت أن أثبت ما في المخطوطة على حاله ، حتى إذا وجد الخبر في مكان آخر صحيح . وكان هذا والذي قبله في المخطوطة في سطر واحد ، وأمام السطر حرف (ط) بالأحمر دلالة على الخطأ .

(٣) هكذا في المطبوعة والمخطوطة « فلم يرضوا » و « ثم لم يرضوا » في الموضعين ، وأنا في شك منها ، وأرجح أنها : « فلم يريموا » ، و « ثم لم يريموا » ، أي : لم يلبثوا .

(٤) انظر تفسير « الاعتداء » فيما سلف قريباً ص : ٤٨٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (٧٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : كان هؤلاء اليهود الذين لعنهم الله = « لا يتناهون » ، يقول : لا ينتهون عن منكر فعلوه ، ولا ينهى بعضهم بعضًا .[١] ويعنى بـ « المنكر » ، المعاصى التى كانوا يعصون الله بها .[٢]

* * *

فتأويل الكلام : كانوا لا ينتهون عن منكر أتوه = « لبئس ما كانوا يفعلون » . وهذا قسم من الله تعالى ذكره يقول : أقسم : لبئس الفعل كانوا يفعلون ، فى تركهم الانتهاء عن معاصى الله تعالى ذكره ، وركوب محارمه ، وقتل أنبياء الله ورسله ،[٣] كما : —

١٢٣١٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه » ، لا تتناهى أنفسهم بعد أن وقعوا فى الكفر .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ (٨٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « ترى » ، يا محمد ، كثيراً من بنى إسرائيل = « يتولون الذين كفروا » ، يقول : يتولون المشركين من عَبَدة الأوثان ،

---

(١) انظر تفسير « انتهى » فيما سلف قريباً ص : ٤٨٢ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « المنكر » فيما سلف ٧ : ٩١ ، ١٠٥ ، ١٣٠ .
(٣) انظر تفسير « بئس » فيما سلف ٢ : ٣٣٨ ، ٣/٣٣٩ : ٧/٥٦ : ٤٥٩ .

ويعادون أولياء الله ورسله[١] = « لبئس ما قدمت لهم أنفسهم »، يقول تعالى ذكره: أقسم: لبئس الشيء الذى قدّمت لهم أنفسهم أمامهم إلى معادهم فى الآخرة[٢] = « أنْ سخط الله عليهم » ، يقول : قدّمت لهم أنفسهم سخط الله عليهم بما فعلوا .

* * *

و« أن » فى قوله : « أنْ سخط الله عليهم »، فى موضع رفع ، ترجمةً عن « ما »، الذى فى قوله : « لبئس ما » . [٣]

* * *

= « وفى العذاب هم خالدون » ، يقول: وفى عذاب الله يوم القيامة = « هم خالدون » ، دائم مُقامهم ومُكثهم فيه .[٤]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَـٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾ (٨١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولو كان هؤلاء الذين يتولون الذين كفروا من بنى إسرائيل =« يؤمنون بالله والنبى »، يقول: يصدّقون الله ويقرُّون به ويوحِّدونه، ويصدقون نبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم بأنه لله نبى مبعوث، ورسول مرسل = «وما أنزل إليه » ، يقول : ويقرُّون بما أنزل إلى محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله من آى الفرقان = « ما اتخذوهم أولياء »، يقول: ما اتخذوهم أصحاباً وأنصاراً من دون المؤمنين[٥] = « ولكن كثيراً منهم فاسقون » ، يقول : ولكن كثيراً منهم أهل خروج ٦/٢٥٧

(١) انظر تفسير « التولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .

(٢) انظر تفسير « قدم » فيما سلف ٢ : ٣٦٨/٧ : ٤٤٧/٨ : ٥١٤ .

(٣) « الترجمة » : البدل ، انظر ما سلف من فهارس المصطلحات .

(٤) انظر تفسير « الخلود » فيما سلف من فهارس اللغة (خلد) .

(٥) انظر تفسير « الأولياء » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .

عن طاعة الله إلى معصيته ، وأهلُ استحلال لما حرَّم الله عليهم من القول والفعل .[١]

* * *

وكان مجاهد يقول فى ذلك بما : —

١٢٣١٤ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله : « ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء » ، قال : المنافقون .

* * *

٢/٧ القول فى تأويل قوله ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٨٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمدٍ صلى الله عليه وسلم : لتجدن، يا محمد ، أشدَّ الناس عداوةً للذين صدَّقوك واتبعوك وصدَّقوا بما جئتهم به من أهل الإسلام = « اليهودَ والذين أشركوا » ، يعنى : عبدة الأوثان الذين اتخذوا الأوثان آلهة يعبدونها من دون الله = « ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا » ، يقول : ولتجدن أقربَ الناس مودةً ومحبة.

* * *

و «المودة» «المفعلة » ، من قول الرجل : « ودِدْت كذا أودُّه وُدًّا ، ووِدًّا ، ووَدًّا ، ومودة » ، إذا أحببته .[٢]

* * *

= « للذين آمنوا » يقول : للذين صدَّقوا الله ورسوله محمداً صلى الله عليه وسلم = « الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون» ،

---

(١) انظر تفسير « الفسق » فيما سلف من فهارس اللغة (فسق) .

(٢) انظر تفسير « ود » فيما سلف ٢ : ٥/٤٧٠ : ٦/٥٤٢ ٨/٥٠٠ ٩/٣٧١ : ١٧

عن قبول الحق واتباعه والإذعان به.

* * *

وقيل: إن هذه الآية والتى بعدها نزلت فى نفرٍ قدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من نصارى الحبشة ، فلما سمعوا القرآن أسلموا واتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

وقيل : إنها نزلت فى النجاشىّ ملك الحبشة وأصحابٍ له أسلموا معه .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٣١٥ – حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب قال ، حدثنا عبد الواحد بن زياد قال ، حدثنا خصيف ، عن سعيد بن جبير قال : بعث النجاشىّ وفداً إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقرأ عليهم النبى صلى الله عليه وسلم ، فأسلموا . قال : فأنزل الله تعالى فيهم : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » ، إلى آخر الآية . قال : فرجعوا إلى النجاشىّ فأخبروه ، فأسلم النجاشى ، فلم يزل مسلماً حتى مات . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّ أخاكم النجاشىّ قد مات فصلُّوا عليه ! فصلّى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، والنجاشى ثَمّ .

١٢٣١٦ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « ولتجدن أقربهم مودةً للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى » ، قال : هم الوفد الذين جاؤوا مع جعفر وأصحابه من أرض الحبشة . ٣/٧

١٢٣١٧ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « ولتجدن أقربهم مودّة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى » ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة خاف على أصحابه من المشركين ، فبعث جعفرَ بن أبى طالب ، وابن

مسعود ، وعثمان بن مظعون ، فى رهط من أصحابه إلى النجاشى ملك الحبشة . فلما بلغ ذلك المشركين ، بعثوا عمرو بن العاص فى رهط منهم ، ذُكر أنهم سبقوا أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم إلى النجاشىّ ، فقالوا ، إنه خرج فينا رجل سفَّه عقول قريش وأحلامها ، زعم أنه نبىٌّ ! وإنه بعث إليك رهطاً ليفسدوا عليك قومك ، فأحببنا أن نأتيك ونخبرك خبرهم . قال : إن جاؤونى نظرت فيما يقولون ! فقدم أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمُّوا بابَ النجاشى ، [1] فقالوا : استأذن لأولياء الله ! [2] فقال ائذن لهم ، فمرحباً بأولياء الله ! فلما دخلوا عليه سلَّموا ، فقال له الرهط من المشركين : ألا ترى أيها الملك أنا صدقناك ؟ لم يحيوك بتحيَّتك التى تحيىَّ بها ! فقال لهم : ما منعكم أن تحيونى بتحيتى ؟ فقالوا : إنا حيَّيناك بتحية أهل الجنة وتحية الملائكة ! قال لهم : ما يقول صاحبكم فى عيسى وأمه ؟ قال يقول : « هو عبدالله ، وكلمةٌ من الله ألقاها إلى مريم ، وروح منه » ، ويقول فى مريم : « إنها العذراء البتول » . قال : فأخذ عوداً من الأرض فقال : ما زاد عيسى وأمه على ما قال صاحبكم قدر هذا العود ! فكره المشركون قوله ، وتغيَّرت وجوههم . قال لهم : هل تعرفون شيئاً مما أنزل عليكم ؟ قالوا : نعم ! قال : اقرأوا ! فقرأوا ، وهنالك منهم قسيسون ورهبانٌ وسائرُ النصارى ، فعرفت كلٌّ ما قرأوا وانحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق . قال الله تعالى ذكره : « ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون * وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول » الآية .

١٢٣١٨ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنى أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى » ، الآية . قال : بعث النجاشىّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنى

---

(١) فى المطبوعة : « فأقاموا بباب النجاشى » ، والصواب المحض من المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « فقالوا : أتأذن » ، والصواب من المخطوطة . يعنى : قالوا لحاجب باب النجاشى ، ولذلك جاء الجواب : « فقال : ائذن لهم » .

عشر رجلاً من الحبشة ، سبعة قسيسين وخمسة رهباناً ، ينظرون إليه ويسألونه . فلما لقوه فقرأ عليهم ما أنزل الله بَكَوْا وآمنوا ، فأنزل الله عليه فيهم : « وأنهم لا يستكبرون * وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » ، فآمنوا ثم رجعوا إلى النجاشيّ ، فهاجر النجاشي معهم فمات في الطريق ، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون واستغفروا له .

١٢٣١٩ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال عطاء في قوله : « ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى » الآية ، هم ناس من الحبشة آمنوا، إذ جاءتهم مهاجِرَةُ المؤمنين .

* * *

وقال آخرون : بل هذه صفة قوم كانوا على شريعة عيسى من أهل الإيمان، فلما بعث الله تعالى ذكره نبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم آمنوا به .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٣٢٠ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا » ، فقرأ حتى بلغ : « فاكتبنا مع الشاهدين »، أناس من أهل الكتاب كانوا على شريعةٍ من الحق مما جاء به عيسى ، يؤمنون به وينتهون إليه . فلما بعث الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم ، صدَّقوا به وآمنوا به ، وعرفوا الذي جاء به أنه الحق ، فأثنى عليهم ما تسمعون .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب في ذلك من القول عندي : أنّ الله تعالى وصف صفة قوم قالوا : « إنا نصارى » ، أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم يجدهم أقربَ الناس وِداداً لأهل الإيمان بالله ورسوله ، ولم يسمِّ لنا أسماءهم . وقد يجوز أن يكون أريد بذلك أصحابُ النجاشي = ويجوز أن يكون أريد به قومٌ كانوا على شريعة

عيسى ، فأدركهم الإسلام فأسلموا لما سمعوا القرآن وعرفوا أنه الحق ، ولم يستكبروا عنـــه .

* * *

وأما قوله تعالى : « ذلك بأنّ منهم قسيسين ورهباناً » ، فإنه يقول : قَرُبت مودّة هؤلاء الذين وصف الله صفتهم للمؤمنين ، من أجل أنّ منهم قسيسين ورهباناً . ٤/٧

* * *

و « القسيسون » جمع « قسيس » . وقد يجمع « القسيس » ، « قسوساً » ، [1] لأن « القَسّ » و « القسيس » ، بمعنى واحد .

* * *

وكان ابن زيد يقول فى « القسيس » بما : —

١٢٣٢١ — حدثنا يونس قال ، حدثنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « القسيس » ، عبّادُهم . [2]

* * *

وأما « الرهبان » ، فإنه يكون واحداً وجمعاً . فأما إذا كان جمعاً ، فإن واحدهم يكون « راهباً » ، ويكون « الراهب » ، حينئذ « فاعلاً » من قول القائل : « رَهب الله فلان » ، بمعنى خافه ، « يرهبه رَهَباً ورَهْباً » ، ثم يجمع « الراهب » ، « رهبان » مثل « راكب » و « ركبان » و « فارس » و « فرسان » . ومن الدليل على أنه قد يكون عند العرب جمعاً قول الشاعر : [3]

رُهْبَانُ مَدْيَنَ لَوْ رَأَوْكِ تَنَزَّلُوا والْعُصْمُ مِنْ شَعَفِ الْعُقُولِ الفَادِرِ [4]

---

(١) فى المطبوعة : « قسوس » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « القسيسين » ، بالجمع ، وأثبت ما فى المخطوطة ، فهو صواب ، ولا بأس هنا بشرح المفرد بالجمع .

(٣) هو جرير ، ونسبه ياقوت فى معجم البلدان لكثير عزة ، وأدخله فى شعره جامع ديوانه ص : ٢٤٠ ، والصواب أنه لجرير .

(٤) ديوانه : ٣٠٥ ، وسيأتى فى التفسير ٢٠ : ٣٤ (بولاق) وديوان كثير ١ : ٢٤٠ ، واللسان (رهب) ومعجم البلدان (مدين) ، من قصيدة هجا فيها الأخطل والفرزدق ، يقول قبله :

وقد يكون « الرهبان » واحداً . وإذا كان واحداً كان جمعه « رهابين » مثل « قربان » و« قرابين »، و«جُرْدان». و« جرادين». [١] ويجوز جمعه أيضاً « رهابنة »، إذا كان كذلك . ومن الدليل على أنه قد يكون عند العرب واحداً قول الشاعر : [٢]

لَوْ عَايَنَتْ رُهْبَانَ دَيْرٍ فِى الْقُلَلْ لَانْحَدَرَ الرُّهْبَانُ يَمْشِى وَنَزَلْ [٣]

* * *

يَا أُمَّ طَلْحَةَ ، مَا لَقِينَا مِثْلَكُمْ فِى الْمُنْجِدِينَ ولا بغَوْرِ الغَائِرِ

و « مدين » مدينه شعيب عليه السلام ، على بحر القلزم ، تجاه تبوك ، بين المدينة والشام ، ذكرها كثير أيضاً فى شعره فقال :

اللهُ يَعْلَمُ لَوْ أَرَدْتُ زِيَادَةً فِى حُبِّ عَزَّةَ ما وجدْتُ مَزِيدَا
رُهْبَانُ مَدْيَنَ وَالَّذِينَ عَهِدْتُهُمْ يَبْكُونَ مِنْ حَذَرِ العَذَابِ قُعُودَا
لَوْ يَسْمَعُونَ كَمَا سَمِعْتُ كَلَامَهَا خَرُّوا لِعَزَّةَ رُكَّعاً وَسُجُودَا

و « العقول » عندى بفتح العين ، من قولهم : « عقل الوعل يعقل عقولا » ، امتنع برأس الجبل ، فهو « عاقل » ، وبذلك سمى ، والقياس يقبل أيضاً « فهو عقول » (بفتح العين) . وفى الديوان ، ضبط بالقلم « العقول » (بضم العين) ، جمع « عقل » (بفتح فسكون) : وهو المعقل والحصن . ولست أرضى ذلك هنا ، وروى صاحب المعجم « والعصم فى شعف الجبال » ، وهى موافقة فى المعنى لمن ضبط « العقول » بضم العين، وأرجح أن صواب إنشاده فى المعجم « من شعف الجبال » . و « الشعف » جمع « شعفة » (بفتحتين) : وهى رأس الجبل . و « الفادر » : الوعل العاقل الممتنع فى رأس الجبل ، وهو حينئذ مسن معتقل فى رأس جبله . و « العصم » جمع « أعصم » : وهو الوعل . سمى بالصفة الغالبة ، لأن فى إحدى يديه بياضاً . وذلك أن « العصم » و « العصمة » : البياض فى الذراعين أو إحداهما .

ولما كان « العصم » جمعاً ، أنفت أن أجعل « الفادر » من صفته ، لو قرىء « العقول » (بضم العين) بمعنى : الحصون والملاجىء ، بل جعلتها بفتح العين ، بمعنى أن العصم غير المسنة تنزلت أيضاً من المعقل الذى يعقل إليه مسن الوعول امتناعاً من الصيد ، لقلة احتفاله بمفارقة معقله ، كاحتفال شواب الوعول .

(١) « الجردان » : ما يستحى من ذكره من الإنسان وغيره .

(٢) لم أعرف هذا الراجز .

(٣) تفسير القرطبى ٦ : ٢٥٨ ، مع اختلاف شديد فى الرواية . « عاين الشىء معاينة وعياناً » : نظر إليه بعينيه مواجهة . ومنه قيل : « رأيت فلاناً عياناً » أى : مواجهة . وحق شرح هذا اللفظ هنا أن يقال : لو رمتهم بعينيها مواجهة . و « القلل » : جمع « قلة » : وهى رأس الجبل ، وإنما عنى بذلك صوامع الرهبان فى الجبال .

واختلف أهل التأويل فى المعنىّ بقوله : « ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً » .

فقال بعضهم : عُنى بذلك قوم كانوا استجابوا لعيسى بن مريم حين دعاهم ، واتّبعوه على شريعته .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٣٢١ م – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم ، عن حصين، عمن حدثه ، عن ابن عباس فى قوله : « ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً » ، قال : كانوا نَوَاتِىّ فى البحر= يعنى : ملاحين[1] = قال : فمر بهم عيسى بن مريم ، فدعاهم إلى الإسلام فأجابوه . قال : فذلك قوله : « قسيسين ورهباناً » .

* * *

وقال آخرون : بل عنى بذلك ، القوم الذين كان النجاشى بعثهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٣٢٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام بن سلم قال ، حدثنا عنبسة ، عمن حدثه ، عن أبى صالح فى قوله : « ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً »، قال : ستة وستون ، أو سبعة وستون ، أو ثمان وستون ،[2] من الحبشة ، كلهم

---

(١) فى ابن الأثير ثم فى لسان العرب « كانوا نَوَّاتِين ، أى ملّاحين — تفسيره فى الحديث » وكذلك نقله عنهما صاحب تاج العروس. وأنا أخشى أن يكون خطأ من النساخ ، وأن صوابه « كانوا نواتى ، أى ملاحين » ، كما جاء هنا وفى المخطوطة أيضاً. ولم أجد أحداً ذكره كذلك : « نواتا » (بفتح النون وتشديد الواو) ، ولو كان كذلك لتعرض له أصحاب اللغة ، ولكنهم لم يذكروه إلا فيما نقلوه عن ابن الأثير ، وواحد « النواتى » (بفتح النون والواو المفتوحة غير المشددة) « نوتى » (بضم النون ، آخره ياء مشددة) . والذى فى مخطوطة الطبرى يرجح أن الذى كتبه ابن الأثير ، خطأ ، أو سهو فى قراءة الحرف . وابن الأثير وحده ، لا يحتج برواية كتابه غير مقيدة مضبوطة بإسنادها ومصدرها . ثم وجدته بعد أن كتبت هذا ، فى مجمع الزوائد ٧ : ١٧ ، كما جاء فى ابن الأثير واللسان : « نواتين ، يعنى ملاحين » . وذكر هناك الخبر بطوله ، وقال : « رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير ، وفيه العباس بن الفضل الأنصارى ، وهو ضعيف » . وهو إسناد غير إسناد أبى جعفر بلا شك ، وانظر ابن كثير ٣ : ٢١٢ ، ٢١٣ .

(٢) هكذا فى المطبوعة : « أو اثنان وستون » ، وفى المخطوطة : « اثنان وستون » بغير

صاحب صَوْمعة ، عليهم ثيابُ الصوف .

١٢٣٢٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ، عن سفيان ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير : « ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً » ، قال : بعث النجاشىّ إلى النبى صلى الله عليه وسلم خمسين أو سبعين من خيارهم ، فجعلوا يبكون ، فقال : هم هؤلاء !

١٢٣٢٤ – حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا قيس، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير : « ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً » ، قال : هم رُسُل النجاشى الذين أرسل بإسلامه وإسلام قومه، كانوا سبعين رجلاً ، اختارهم الخيِّرَ فالخيِّرَ ، فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقرأ عليهم : ﴿يٰس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ [سورة يس : ١ ، ٢] ، فبكوا وعرفوا الحق ، فأنزل الله فيهم : « ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون » ، وأنزل فيهم : ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله ﴿يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ [سورة القصص : ٥٣ ، ٥٤] .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب فى ذلك من القول عندنا أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبرَ عن النفر الذين أثنى عليهم من النصارى بقرب مودّتهم لأهل الإيمان بالله ورسوله ، أن ذلك إنما كان منهم لأن منهم أهلَ اجتهاد فى العبادة ، وترهُّب فى الديارات والصوامع ،(١) وأن منهم علماء بكتبهم وأهل تلاوة لها ، فهم لا يبعدون من المؤمنين لتواضعهم للحق إذا عرفوه ، ولا يستكبرون عن قبوله إذا تبيّنوه ، لأنهم

« أو » ، وغير منقوطة ، فأرجح أن صواب قراءتها : « أو ثمان وستون » . . . وهو الذى يدل عليه السياق ، ولذلك أثبتها كذلك .

(١) فى المطبوعة : « وترهيب » ، وفى المخطوطة : « وترهب » غير منقوطة ، وصواب قراءتها ما أثبت ، فإنه لا يقال : « رهب ترهيباً » ، وإنما يقال : « ترهب ترهباً » ، إذا صار راهباً يخشى الله ، ويتعبد فى صومعته .

أهل دين واجتهاد فيه ، ونصيحة لأنفسهم فى ذات الله ، وليسوا كاليهود الذين قد دَرِبُوا بقتل الأنبياء والرسل ، ومعاندة الله فى أمره ونهيه ، وتحريفِ تنزيله الذى أنزله فى كتبه . (١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ (٨٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وإذا سمع هؤلاء الذين قالوا : « إنا نَصَارى » = الذين وصفت لك ، يا محمد ، صفتهم أنك تجدهم أقرب الناس مودة للذين آمنوا = (٢) ما أنزل إليك من الكتاب يُتْلى = « ترى أعينهم تفيض مع الدمع » . ٥/٧

* * *

---

(١) قال الجصاص فى أحكام القرآن ٢ : ٤٥١ : « ومن الجهال من يظن أن فى هذه الآية مدحاً للنصارى ، وإخباراً بأنهم خير من اليهود . وليس ذلك كذلك ، لأن ما فى الآية من ذلك إنما هو صفة قوم قد آمنوا بالله وبالرسول . يدل عليه ما ذكر فى نسق التلاوة ، من إخبارهم عن أنفسهم بالإيمان بالله والرسول . ومعلوم عند كل ذى فطنة صحيحة أمعن النظر فى مقالتى هاتين الطائفتين ، أن مقالة النصارى أقبح وأشد استحالة ، وأظهر فساداً من مقالة اليهود . لأن اليهود تقر بالتوحيد فى الجملة ، وإن كان فيها مشبهة تنقض ما اعتقدته فى الجملة من التوحيد بالتشبيه » .

ونقل هذا : أبو حيان فى تفسيره (٤ : ٤ ، ٥) ، ثم قال : « والظاهر ما قاله المفسرون وغيرهم من أن النصارى على الجملة أصلح حالا من اليهود . وقد ذكر المفسرون فيما تقدم ، ما فضل به النصارى على اليهود من كرم الأخلاق ، والدخول فى الإسلام سريعاً . وليس الكلام وارداً بسبب العقائد ، وإنما ورد بسبب الانفعال للمسلمين . وأما قوله : « لأن ما فى الآية من ذلك ، إنما هو صفة قوم قد آمنوا بالله وبالرسول » ، ليس كما ذكر ، بل صدر الآية يقتضى العموم ، لأنه قال : « ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى » ، ثم أخبر أن من هذه الطائفة علماء وزهاداً متواضعين ، وسريعى استجابة للإسلام ، وكثيرى بكاء عند سماع القرآن . واليهود بخلاف ذلك . والوجود يصدق قرب النصارى من المسلمين ، وبعد اليهود » .

وهذا كلام فيه نظر يطول ، ليس هذا موضع تفصيله ، وإنما نقلته لك لتتأمله وتتدبره .

(٢) سياق الكلام : « إذا سمع هؤلاء . . . ما أنزل إليك من الكتاب يتلى » ، وما بين الفعل ومفعوله فصل طويل .

و « فيض العين من الدمع » ، امتلاؤها منه ، ثم سيلانه منها ، كفيض النهر من الماء، وفيض الإناء، وذلك سيلانه عن شدة امتلائه، ومنه قول الأعشى :

ففَاضَتْ دُمُوعِي ، فَظَلَّ الشُّؤُو نُ : إمَّا وَكِيفاً ، وَإِمَّا انْحِدَارَا (١)

* * *

وقوله : « مما عرفوا من الحق » ، يقول : فيض دموعهم ، لمعرفتهم بأنّ الذى يتلى عليهم من كتاب الله الذى أنزله إلى رسول الله حقٌّ ، كما : —

١٢٣٢٥ — حدثنا هناد بن السرى قال، حدثنا يونس بن بكير قال، حدثنا أسباط بن نصر الهمدانى ،عن إسمعيل بن عبد الرحمن السدىّ قال : بعث النجاشى إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم اثنى عشر رجلاً يسألونه ويأتونه بخبره ، فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ، فبكوا . وكان منهم سبعة رهبانٍ وخمسة

---

(١) ديوانه : ٣٥ . من قصيدته فى قيس بن معد يكرب الكندى، وقبل البيت ، وهو أولها :

أأزْمَعْتَ مِنْ آلِ لَيْلَى ابْتِكَارَا وَشَطَّتْ عَلَى ذِى هَوًى أن تُزَارَا
وَبَانَتْ بِهَا غَرَبَاتُ النَّوَى وَبُدِّلْتُ شَوْقاً بِهَا وَادِّكَارَا
ففَاضَتْ دُمُوعِي . . . . . .
كَمَا أَسْلَكَ السِّلْكُ مِنْ نَظْمِهِ لآلِئَ مُنْحَدِرَاتٍ صِغَارَا

وكان البيت فى المخطوطة والمطبوعة : « ففاضت دموعى فظل الشئون داما حداراً » ، وهو خطأ محض . « والشؤون » جمع « شأن » ، وهو مجرى الدمع إلى العين، وهى عروقها . ورواية الديوان : « كفيض الغروب » ، و « الغروب » جمع « غرب » (بفتح فسكون) ، وهو الدلو الكبير الذى يستقى به على السانية . وقوله : « فظل » بالظاء المعجمة، لا بالطاء . وقد أفسد وأخطأ من جعله بالطاء المهملة ، وشرحه على ذلك . وهو غث جداً . و « الوكيف » : أن يسيل الدمع قليلا قليلا ، إنما يقطر قطراً . « وكف الدمع يكف وكفاً ووكيفاً » . وأما « انحدار الدمع» ، فهو سيلانه متتابعا ، كما ينصب الماء من حدور .

قسيسين[١] = أو : خمسة رهبان ، وسبعة قسيسين[٢] = فأنزل الله فيهم : « وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع »، إلى آخر الآية .

١٢٣٢٦ – حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا عمر بن على بن مقدّم قال، سمعت هشام بن عروة يحدث ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير قال : نزلت فى النجاشى وأصحابه : «وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع». [٣]

١٢٣٢٧ – حدثنا هناد قال، حدثنا عبدة بن سليمان، عن هشام بن عروة، عن أبيه فى قوله : « ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق » ، قال : ذلك فى النجاشى.

١٢٣٢٨ – حدثنا هناد وابن وكيع قالا، حدثنا أبو معاوية ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : كانوا يُرَوْن أن هذه الآية أنزلت فى النجاشى : « وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع » .

١٢٣٢٩ – حدثنا هناد قال، حدثنا يونس بن بكير قال ، قال ابن إسحق : سألت الزهرى عن الآيات : « ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون * وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع » الآية ، وقوله : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَماً ﴾ [سورة الفرقان : ٦٣] . قال : ما زلت أسمع علماءنا يقولون : نزلت فى النجاشى وأصحابه .[٤]

* * *

---

(١) فى المطبوعة : «وخمسة قسيسون» ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب محض .

(٢) فى المخطوطة : «أو سبعة» دون ذكر «قسيسين» ، ولكنها زيادة لا غنى عنها . وصوابها أيضاً «وسبعة» بالواو .

(٣) الأثر : ١٢٣٢٦ – «عمر بن على بن مقدم» ، هو : «عمر بن على بن عطاء بن مقدم المقدمى» . ثقة ، ولكنه كان يدلس . قال ابن سعد : «كان ثقة ، وكان يدلس تدليساً شديداً ، يقول : سمعت ، وحدثنا ، ثم يسكت فيقول : هشام بن عروة ، والأعمش . وقال : كان رجلا صالحاً ، ولم يكونوا ينقمون عليه غير التدليس ، وأما غير ذلك فلا ، ولم أكن أقبل منه حتى يقول حدثنا» . مترجم فى التهذيب .

(٤) الأثر : ١٢٣٢٩ – سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣ ، ولكن ليس فيه ذكر آية سورة

وأما قوله : « يقولون » ، فإنه لو كان بلفظ اسم ، كان نصباً على الحال ، لأن معنى الكلام : وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ، قائلين : «ربنا آمنا » .

* * *

ويعني بقوله تعالى ذكره : « يقولون ربنا آمنا » ، أنهم يقولون : يا ربنا ، صدّقنا لما سمعنا ما أنزلته إلى نبيك محمد صلى الله عليه وسلم من كتابك ، وأقررنا به أنه من عندك ، وأنه الحق لا شك فيه .

* * *

وأما قوله : « فاكتبنا مع الشاهدين » ، فإنه روى عن ابن عباس وغيره فى تأويله ، ما : —

١٢٣٣٠ — حدثنا به هناد قال ، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي وابن نمير = جميعاً ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قوله : « اكتبنا مع الشاهدين » ، قال : أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

١٢٣٣١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « فاكتبنا مع الشاهدين » ، مع أمّة محمد صلى الله عليه وسلم .

١٢٣٣٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « فاكتبنا مع الشاهدين » ، يعنون بـ « الشاهدين » ، محمداً صلى الله عليه وسلم وأمّته .

١٢٣٣٣ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قوله : « فاكتبنا مع الشاهدين » ، قال : محمد صلى الله عليه وسلم وأمته ، إنهم شهدوا أنه قد بلّغ ، وشهدوا أن الرسل قد بلغت .

الفرقان التى ذكرها أبو جعفر فى هذه الرواية عن ابن إسحق . ثم إن أبا جعفر لم يذكر هذا الخبر فى تفسير الآية من سورة الفرقان ١٩ : ٢١ ، ٢٢ (بولاق)، ولا أشار إلى أنها نزلت فى أحد، لا النساشى وأصحابه ولا غيرهم .

١٢٣٣٤ – حدثنا الربيع قال ، حدثنا أسد بن موسى قال ، حدثنا يحيى ابن زكريا قال ، حدثني إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، مثل حديث الحارث بن عبد العزيز = غير أنه قال : وشهدوا للرسل أنهم قد بلّغوا . (١)

* * *

قال أبو جعفر : فكأنّ متأوّل هذا التأويل ، قصد بتأويله هذا إلى معنى قول الله تعالى ذكره : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ ، [سورة البقرة : ١٤٣] . فذهب ابن عباس إلى أن « الشاهدين » ، هم « الشهداء » في قوله : « لتكونوا شهداء على الناس » ، وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم . (٢)

* * *

وإذا كان التأويل ذلك ، كان معنى الكلام : « يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » ، الذين يشهدون لأنبيائك يوم القيامة ، أنهم قد بلغوا أممهم رسالاتك .

* * *

ولو قال قائل : معنى ذلك : « فاكتبنا مع الشاهدين » ، الذين يشهدون أن ما أنزلته إلى رسولك من الكتاب حق = كان صواباً . لأن ذلك خاتمة قوله : « وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » ، وذلك صفة من الله تعالى ذكره لهم بإيمانهم لما سمعوا من كتاب الله ، فتكون مسألتهم أيضاً اللهَ أن يجعلهم ممن صحّت عنده ٦/٧

---

(١) الآثار : ١٢٣٣٠ – ١٢٣٣٤ – رواه الحاكم في المستدرك ٢ : ٣١٣ ، من طريق يحيى بن آدم عن إسرائيل ، بمثله ، ثم قال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي . وخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ١٨ ، وقال : « رواه الطبراني عن شيخه عبد الله ابن أبي مريم ، وهو ضعيف » ، ولكن هذه أسانيد صحاح ، رواها الطبري وغيره .

(٢) انظر ما سلف من تفسير آية سورة البقرة ٣ : ١٤١ – ١٥٥ .

شهادتهم بذلك ، ويُلْحقهم في الثواب والجزاء منازلَهُم .

* * *

ومعنى « الكتاب ، » في هذا الموضع : الجَعْل .(١)

* * *

يقول : فاجعلنا مع الشاهدين ، وأثبتنا معهم في عِدَادهم .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴾ (٨٤)

قال أبو جعفر : وهذا خبرٌ من الله تعالى ذكره عن هؤلاء القوم الذين وصَف صفتهم في هذه الآيات ، أنهم إذا سمعوا ما أنزل إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من كتابه ، آمنوا به وصدّقوا كتاب الله، وقالوا : « ما لنا لا نؤمن بالله » ، يقول : لا نقرّ بوحدانية الله = « وما جاءَنا من الحق » ، يقول : وما جاءنا من عند الله من كتابه وآي تنزيله ، ونحن نطمَعُ بإيماننا بذلك أن يدخلنا ربُّنا مع القوم الصالحين .

* * *

يعني بـ « القوم الصالحين » ، المؤمنين بالله ، المطيعين له ، الذين استحقُّوا من الله الجنة بطاعتهم إياه .(٢)

وإنما معنى ذلك : ونحن نطمعُ أن يدخلَنا ربُّنا مع أهل طاعته مداخلَهم من جنته يوم القيامة ، ويلحق منازلَنا بمنازلهم ، ودرجاتنا بدرجاتهم في جنّاته .

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٣٣٥ — حدثني يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال

---

(١) انظر تفسير « الكتاب » فيما سلف من فهارس اللغة ، (كتب) .

(٢) انظر تفسير « الصالح » فيما سلف ٨ : ٥٣٢ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

ابن زيد فى قوله : « وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين »، قال : «القومُ الصالحون»، رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابُه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (٨٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فجزاهم الله بقولهم : « ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءَنا من الحق ونطمع أن يدخلَنا ربُّنا مع القوم الصالحين » = « جنات تجرى من تحتها الأنهار » ، يعنى : بساتين تجرى من تحت أشجارها الأنهار = « خالدين فيها »، يقول : دائماً فيها مكثهم، لا يخرجون منها ولا يحوَّلون عنها = « وذلك جزاء المحسنين »، يقول : وهذا الذى جزَيتُ هؤلاء القائلين بما وصفتُ عنهم من قيلهم على ما قالوا، من الجنات التى هم فيها خالدون، جزاءُ كل محسنٍ فى قِيله وفِعله .

* * *

و« إحسان المحسن » فى ذلك، أن يوحِّد الله توحيداً خالصاً محضاً لا شرك فيه، ويقرّ بأنبياء الله وما جاءت به من عند الله من الكتب ، ويؤدِّى فرائضَه، ويجتنب معاصيه .[1] فذلك كمال إحسان المحسنين الذين قال الله تعالى ذكره : « جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها » .[2]

* * *

(١) انظر تفسير « الإحسان » فيما سلف ٨ : ٣٣٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) أخشى أن يكون صواب العبارة : « الذين قال الله تعالى ذكره أنه أثابهم بما قالوا جنات . . . » ، ولكنى تركت ما فى المخطوطة والمطبوعة على حاله .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ (٨٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وأما الذين جحدوا توحيدَ الله، وأنكروا نبوّةَ محمد صلى الله عليه وسلم، وكذبوا بآيات كتابه، فإن أولئك «أصحاب الجحيم» . يقول : هم سكّانها واللابثون فيها .(١)

* * *

و«الجحيم» : ما اشتدّ حرُّه من النار ، وهو « الجَاحِم » « والجحيم » .(٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ (٨٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله ، وأقرّوا بما جاءهم به نبيهُّم صلى الله عليه وسلم أنه حق من عند الله =«لا تحرّموا طيبات ما أحل الله لكم » ، يعنى بـ « الطيبات »، اللذيذات التى تشتهيها النفوس ، وتميل إليها القلوب ،(٣) فتمنعوها إيّاها، كالذى فعله القسّيسون والرُّهبان، فحرّموا على أنفسهم النساءَ والمطاعمَ الطيّبة، والمشاربَ اللذيذة ، وحَبس فى الصّوامع بعضُهم أنفسَهم ، وساحَ فى الأرض بعضهم . يقول تعالى ذكره : فلا تفعلوا أيُّها المؤمنون ، كما فعل أولئك، ولا تعتدُوا حدَّ الله الذى حدَّ لكم فيما أحلَّ لكم وفيما حرم عليكم،

---

(١) انظر تفسير « أصحاب النار » فيما سلف ص : ٢١٧ تعليق: ٢ ، والمراجع هناك.
(٢) انظر تفسير « الجحيم » فيما سلف ٢ : ٥٦٢ .
(٣) انظر تفسير « الطيبات » فيما سلف ص : ٨٤ ، تعليق : ١ والمراجع هناك .

فتجاوزوا حدَّه الذى حدَّه ، فتخالفوا بذلك طاعته ، فإن الله لا يحبُّ من اعتدى حدَّه الذى حدَّه لخلقه ، فيما أحل لهم وحرَّم عليهم .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٧/٧ ١٢٣٣٦ – حدثنى أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس قال ، حدثنا عبثر أبو زبيد قال ، حدثنا حصين ، عن أبى مالك فى هذه الآية : « ياأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيّبات ما أحل الله لكم » الآية ، قال : عثمان بن مظعون وأناسٌ من المسلمين ، حرَّموا عليهم النساءَ ، وامتنعوا من الطَّعام الطيّب ، وأراد بعضهم أن يقطع ذَكَره ، فنزلت هذه الآية . (١)

١٢٣٣٧ – حدثنا حميد بن مسعدة قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنى خالد الحذاء ، عن عكرمة قال : كان أناسٌ من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم همُّوا بالخصاء وتَرْك اللحم والنساء ، فنزلت هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيّباتِ ما أحلّ الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » .

١٢٣٣٨ – حدثنى يعقوب قال ، حدثنا ابن علية ، عن خالد ، عن عكرمة : أن رجالاً أرادوا كذا وكذا ، وأرادوا كذا وكذا ، وأن يختَصُوا ، فنزلت : « يا أيها الذين آمنوا لاتحرّموا طيّبات ما أحلّ الله لكم » إلى قوله : « الذى أنتم به مؤمنون » .

١٢٣٣٩ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم : « يا أيها الذين آمنوا لاتحرموا طيِّبات ما أحل الله لكم » ، قال : كانوا حرَّموا

---

(١) الأثر : ١٢٣٣٦ – « أبو حصين » : « عبد الله بن أحمد بن يونس » هو : « عبد الله ابن أحمد بن عبد الله بن يونس اليربوعى » ، شيخ الطبرى ، روى عن أبيه ، وروى هو وأبوه عن عبثر ابن القاسم . روى عنه الترمذى والنسائى وأبو حاتم ، وغيرهم ، ثقة صدوق . مترجم فى التهذيب .

و « عبثر بن القاسم الزبيدى » ، « أبو زبيد » . ثقة صدوق . وقال ابن معين : « ثقة سنى » . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٩٤/١/٤ ، وابن أبى حاتم ٤٣/٢/٣ . وكان فى المخطوطة وحدها : « عبثر بن زبيدة » ، وهو خطأ محض .

و « حصين » ، هو « حصين بن عبد الرحمن السلمى » ، مضى برقم : ٥٧٩ ، ٢٩٨٦ .

الطِّيب واللحمَ ، فأنزل الله تعالى هذا فيهم .

١٢٣٤٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبد الوهاب الثقفي قال، حدثنا خالد ، عن عكرمة : أن أناساً قالوا : «لانتزوَّج ، ولا نأكل ، ولانفعل كذا وكذا» ! فأنزل الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لاتحرِّموا طيِّبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إنّ الله لا يحب المعتدين » .

١٢٣٤١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، قال : أراد أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن يرفُضُوا الدنيا، ويتركوا النساء، ويترهَّبوا، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فغلَّظ فيهم المقالة، ثم قال : إنما هلَكَ من كان قبلكم بالتشديد، شدَّدوا على أنفسهم فشدَّد الله عليهم ، فأولئك بقايَاهم في الدِّيار والصوامع ! (١) اعبدُوا الله ولاتشركوا به شيئاً، وحجُّوا، واعتمروا، واستقيموا يَسْتَقِم لكم . قال : ونزلت فيهم : « يا أيها الذين آمنوا لا تحرِّموا طيبات ما أحل الله لكم » ، الآية .

١٢٣٤٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « لا تحرّموا طيبات ما أحل الله لكم » ، قال : نزلت في أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، أرادوا أن يتخلَّوا من الدُّنيا ، (٢) ويتركوا النساء ويتزهدوا ، منهم علي بن أبي طالب وعثمان بن مظعون .

١٢٣٤٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان، عن زياد بن فياض ، عن أبي عبد الرحمن قال : قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : لا آمرُكم أن تكونُوا قسِّيسين ورهباناً .

---

(١) « الديار » جمع « دير » ، والذي ذكره أصحاب معاجم اللغة أن جمعه « أديار » ، واقتصروا على هذا الجمع ، وذكر ياقوت في معجم البلدان (دير) ، جموعاً كثيراً ، ليس هذا منها ، ولكنه نقل أن الجوهري قال : « دير النصارى أصله الدار » فإن كان ذلك كذلك ، فجمعه على « ديار » لا شك في صحته وقياسه . وانظر « الدور » أيضاً في الأثر رقم : ١٢٣٤٤ . ص : ٥١٦ ، تعليق : ٢ .

(٢) في المطبوعة : « أن يتخلوا من اللباس » ، وهو كلام ملفق ، وفي المخطوطة : « ويتحلوا من اللهسا » ، غير مبينة ، صوابها ما أثبت من الدر المنثور ٢ : ٣٠٨ .

١٢٣٤٤ – حدثنا بشر بن مُعاذ قال ، حدثنا جامع بن حماد قال ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة فى قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم » ، الآية ، ذكر لنا أنّ رجالاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رَفَضوا النساء واللحم ، وأرادوا أن يتّخذوا الصوامع . فلما بلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : ليس فى دينى تركُ النساء واللحم ، ولا اتّخاذُ الصوامع = وخُبِّرنا أن ثلاثة نفرٍ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اتّفقوا ، فقال أحدهم : أمّا أنا فأقوم الليل لا أنام ! وقال أحدهم : أمّا أنا فأصوم النهار فلا أفطر ! وقال الآخر : أما أنا فلا آتى النساء ! فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فقال : ألم أُنبَّأْ أنكم اتّفقتم على كذا؟ قالوا : بلى ! يا رسول الله ، وما أردنا إلاّ الخير ! قال : لكنى أقومُ وأنامَ ، وأصوم وأفطر ، وآتى النساء ، فمن رغب عن سُنَّتِى فليس منّى = وكان فى بعض القراءة : ﴿ مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِكَ فَلَيْسَ مِنْ أُمَّتِكَ وَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ .(١) وذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال لأناسٍ من أصحابه : إن مَنْ قبلكم شدّدوا على أنفسهم فشدّد الله عليهم ، فهؤلاء إخوانهم فى الدُّورِ والصوامع ! (٢) اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وصوموا رمضان ، وحُجُّوا واعتمروا ، واستقيموا يستقم لكم . (٣)

---

(١) فى المطبوعة : « عن سواء السبيل » ، بزيادة « عن » ، وليست فى المخطوطة .

(٢) « الدور » ، يعنى جمع « دير » ، وقد ذكرت القول فيه فى ص : ٥١٥ ، تعليق : ١ .

(٣) الأثر : ١٢٣٤٤ – « بشر بن معاذ العقدى » مضى برقم : ٣٥٢ ، ٢٦١٦ . أما « جامع بن حماد » ، فلم أجد له ترجمة فيما بين يدى من المراجع . وهذه أول مرة يأتى إسناد بشر بن معاذ فى روايته عن يزيد بن زريع بواسطة « جامع بن حماد » . أما إسناد : « بشر بن معاذ ، عن يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة » ، فهو إسناد دار فى التفسير من أوله إلى هذا الموضع ، برواية « بشر بن معاذ » عن « يزيد بن زريع » مباشرة .

وسيأتى هذا الإسناد الجديد بعد هذا مراراً ، برقم : ١٢٣٦٧ ، ١٢٤٢٣ ، ١٢٥٠٧ ، ١٢٥٢٤ . وفى هذا الإسناد الأخير ، نص صريح على أنه روى الخبر مرة بواسطة « جامع بن حماد » هذا ، ثم رواه مرة أخرى عن « يزيد بن زريع » مباشرة .

١٢٣٤٥ – حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يا أيها الذين آمنوا لا تحرّموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إنّ الله لا يحب المعتدين » ، وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس يوماً فذكّر الناس، ثم قام ولم يزدهم على التّخويف. فقال أناسٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا عشرة ، منهم على بن أبى طالب وعثمان ابن مظعون : ماخِفْنا إن لم نُحْدِث عملاً ! (١) فإنّ النصارى قدحرّموا على أنفسهم ، فنحن نحرّم! فحرّم بعضهم أكل اللّحم والوَدَك ، وأن يأكل بالنهار ، (٢) وحرّم بعضهم النوم، وحرّم بعضهم النساء . فكان عثمان بن مظعون ممّن حرم النساءَ ، وكان لايدنو من أهله ولايدنون منه. فأتت امرأتُه عائشةَ ،وكان يقال لها «الحولاء» ، فقالت لها عائشة ومن عندها من نساءِ النبيّ صلى الله عليه وسلم : ما بالُك، ياحولاءُ متغيّرةَ اللون لاتمتشِطين ولا تطيّبين؟ فقالت : وكيف أتطيّب وأمتشط ، وما وقع علىّ زوجى ، ولا رفع عنى ثوباً ، منذ كذا وكذا ! فجعلن يَضحكن من كلامها . فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهنّ يضحكن ، فقال : ما يضحككن ؟ قالت : يا رسول الله، الحولاءُ ، سألتها عن أمرها فقالت : « ما رفع عنى زوجى ثوباً منذ كذا وكذا » ! فأرسل إليه فدعاه فقال : ما بالك يا عثمان ؟ قال : إنى تركته لله لكى أتخلّى للعبادة ! وقَصّ عليه أمره . وكان عثمان قد أراد أن يَجُبّ نفسه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقسمتُ عليك إلاّ رجعت فواقعتَ أهلك ! فقال : يا رسول الله، إنى صائم ! قال : أفطر ! فأفطر، وأتى أهله . فرجعت الحولاءُ إلى عائشة قد اكتحلت وامتشطت وتطيّبت، فضحكت عائشة ، فقالت : ما بالك يا حولاء ؟ فقالت : إنه أتاها أمس ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

٨/٧

---

(١) فى المطبوعة : « ما حقنا » ، وفى المخطوطة : « ما حفنا » ، وصواب قراءته ما أثبت . وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خوفهم عقاب الله ، فقالوا: لم نبلغ من الخوف مبلغاً يرضاه ربنا ، إن لم نعمل عملا يدل على شدة المخافة .

(٢) « الودك » (بفتحتين) : دسم اللحم ودهنه الذى يستخرج منه .

ما بالُ أقوامٍ حرَّموا النساء، والطعامَ، والنومَ؟ ألا إنى أنام وأقوم، وأفطر وأصوم، وأنكح النساء، فمن رغب عن سُنَّتى فليس منى! فنزلت: «يا أيها الذين آمنوا لا تحرِّموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا»، يقول لعثمان: لا تَجُبَّ نفسَك. فإن هذا هو الاعتداء = وأمرهم أن يكفِّروا أيْمانهم، فقال: «لا يؤاخذكم الله باللَّغو فى أيمانكم ولكن يُؤَاخذكم بما عقّدتم الأيمان».

١٢٣٤٦ - حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنى معاوية، عن على، عن ابن عباس قوله: «يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم»، قال: هم رهطٌ من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قالوا: نقطَعُ مذاكيرَنا، ونترك شهوات الدنيا، ونسيح فى الأرض كما تفعل الرهبان! فبلغ ذلك النبيَّ صلى الله عليه وسلم فأرسل، إليهم، فذكر ذلك لهم فقالوا: نعم! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لكنىّ أصوم وأفطر، وأصلّى وأنام، وأنكح النساء، فمن أخذ بسنتى فهو منى، ومن لم يأخذ بسنتى فليس منى.

١٢٣٤٧ - حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال، حدثنى عمى قال، حدثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: «يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم»، وذلك أن رجالاً من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، منهم عثمان بن مظعون، حرَّموا النساء واللحمَ على أنفسهم، وأخذوا الشِّفَار ليقطعوا مذاكيرهم، لكى تنقطع الشهوة ويتفرَّغوا لعبادة ربهم. فأخبر بذلك النبيُّ صلى الله عليه وسلم فقال: ما أردتم؟ فقالوا: أردنا أن تنقطع الشهوة عنا،[1] ونتفرغ لعبادة ربنا، ونلهو عن النساء! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لم أومر بذلك، ولكنى أمرت فى دينى أن أتزوَّج النساء! فقالوا، نطيعُ رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأنزل الله تعالى ذكره: «يا أيها الذين آمنوا لا تحرِّموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إنّ الله لا يحب المعتدين»، إلى قوله: «الذى أنتم به مؤمنون».

---

(١) فى المطبوعة: «أن نقطع»، وأثبت ما فى المخطوطة.

١٢٣٤٨ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : أراد رجالٌ ، منهم عثمان بن مظعون وعبد الله ابن عمرو ، أن يتبتّلوا ، ويخصُوا أنفسهم ، ويلبسوا المُسُوح ،(١) فنزلت هذه الآية إلى قوله : « واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون » = قال ابن جريج ، عن عكرمة : أن عثمان بن مظعون ، وعلى بن أبى طالب ، وابن مسعود ، والمقداد بن الأسود ، وسالماً مولى أبى حذيفة فى أصحابٍ ، تبتّلوا ، فجلسوا فى البيوت ، واعتزَلوا النساءَ ، ولبسوا المسوحَ ، وحرّموا طيبات الطعام واللّباس إلاّ ما أكل ولبس أهل السِّيَاحة من بنى إسرائيل ، وهمُّوا بالإخصَاء ،(٢) وأجمعُوا لقيام الليلِ وصيام النهار ، فنزلت : « يا أيها الذين آمنوا لا تحرّموا طيبات ما أحلّ الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » ، يقول : لا تَسِيروا بغير سُنّة المسلمين ،(٣) يريد : ما حرموا من النساء والطعام واللباس ، وما أجمعوا له من صيام النهار وقيامِ الليل ، وما همُّوا به من الإخصاء .(٤) فلما نزلت فيهم ، بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنّ لأنفسكم حقًّا ، وإنّ لأعيُنِكم حقًّا ! صوموا وأفطروا ، وصلّوا وناموا ، فليس منا من ترك سُنَّتنا ! فقالوا : اللهم أسلمنا واتّبعنا ما أنزلت ! ٩/٧

١٢٣٤٩ – حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب ، عن ابن زيد فى قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم » ، قال ، قال أبى : ضَافَ عبدَ الله بن رواحة ضيفٌ ، فانقلبَ ابن رواحة ولم يتعشَّ ، فقال

---

(١) « المسوح » جمع « مسح » (بكسر فسكون) : وهو كساء من شعر يلبسه الرهبان .

(٢) : « الإخصاء » ، يعنى الخصاء ، وانظر ما كتبته آنفاً فى ٩ : ٢١٥ ، تعليق : ١ ، وإنكار أهل اللغة لها ، وإتيانها فى آثار كثيرة ، يضم إليها هذا الأثر فى موضعين . وكأن فى المطبوعة هنا « بالاختصاء » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، ولكن ستأتى مرة أخرى ، وتتفق فيها المطبوعة والمخطوطة : « الاختصاء » .

(٣) فى المطبوعة : « لا تستنوا بغير سنة المسلمين » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهى غير منقوطة . وهذا صواب قراءتها .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « هموا له » ، وكأن الصواب ما أثبت .

لأهله : ما عَشَّيْتِه؟ فقالت : كان الطعام قليلاً ، فانتظرت أن تأتى ! قال : فحبستِ ضيفى من أجلى! فطعامُك علىَّ حرام إن ذُقْته ! فقالت هى : وهو علىَّ حرام إن ذقته إن لم تذقه ! وقال الضيف : هو علىَّ حرامٌ إن ذقتُه إن لم تذُوقوه! فلما رأى ذلك قال ابن رواحة : قرِّبى طعامَكِ ، كلوا بسم الله! وغدا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد أحسنتَ ! فنزلت هذه الآية : «يا أيها الذين آمنوا لا تحرِّموا طيبات ما أحلَّ الله لكم »، وقرأ حتى بلغ : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقَّدتم الأيمان »، إذا قلت : « والله لا أذوقه » ، فذلك العقد .

١٢٣٥٠ — حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عثمان بن سَعْد قال ، حدثنا عكرمة ، عن ابن عباس : أنّ رجلاً أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إنىّ إذا أصبتُ من اللحم انتشرتُ ، وأخذتنى شهوتى ، فحرَّمت اللحم ؟ فأنزل الله تعالى ذكره : « يا أيها الذين آمنوا لا تحرِّموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدُوا إن الله لا يحبُّ المعتدين » .(١)

١٢٣٥١ — حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا خالد الحذاء، عن عكرمة قال : همَّ أناسٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) الأثر : ١٢٣٥٠ — هذا الأثر أخرجه الترمذى فى كتاب التفسير بإسناده ولفظه ، ثم قال : « هذا حديث حسن غريب . ورواه بعضهم من غير حديث عثمان بن سعد مرسلا ، ليس فيه : عن ابن عباس ، ورواه خالد الحذاء ، عن عكرمة ، مرسلا » ، يعنى الترمذى الأثر التالى : ١٢٣٥١ .

و « عثمان بن سعد التميمى ، الكاتب المعلم » ، ثقة . مضى برقم : ٢١٥٥ . وكان فى المطبوعة هنا « عثمان بن سعيد » ، وهو خطأ محض ، وكان فى المخطوطة مثله ، إلا أنه ضرب على نقطتى الياء ، وأراد وصل العين بالدال ، فأخطأ الناشر فى قراءة ذلك .

* * *

هذا ، وانظر ما جاء من الأخبار فى الخصاء والتبتل فى صحيح البخارى (الفتح ٩ : ١٠٠ — ١٠٣) ، وما علق عليه الحافظ بن حجر . ثم ما جاء فيه أيضاً (الفتح ٨ : ٢٠٧) ، وتفسير ابن كثير ٣ : ٢١٣ — ٢١٧ ، وطبقات ابن سعد ٣/١/٢٨٦ — ٢٨٨ فى ترجمة « عثمان بن مظعون » .

بترك النساء والخِصَاء ، فأنزل الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم » ، الآية .

* * *

واختلفوا فى معنى « الاعتداء » الذى قال تعالى ذكره : « ولا تعتدوا إنّ الله لا يحبُّ المعتدين » .

فقال بعضهم : « الاعتداء » الذى نهى الله عنه فى هذا الموضع : هو ما كان عثمان بن مظعون همّ به من جَبِّ نفسه ، فنُهِىَ عن ذلك ، وقيل له : « هذا هو الاعتداء » . وممن قال ذلك السدى .

١٢٣٥٢ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنى أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عنه .(١)

* * *

وقال آخرون : بل ذلك هو ما كان الجماعةُ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هَمُّوا به من تحريمِ النساء والطعام واللباس والنوم ، فنهوا أن يفعلوا ذلك ، وأن يستَنُّوا بغير سنة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم . وممن قال ذلك عكرمة .

١٢٣٥٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عنه .(١)

* * *

وقال بعضهم : بل ذلك نهىٌ من الله تعالى ذكره أن يتجاوزَ الحلالَ إلى الحرام .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٣٥٤ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا المحاربى ، عن عاصم ، عن الحسن : « يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحلّ الله لكم ولا تعتدوا » ، قال : لا تعتدوا إلى ما حُرِّم عليكم .

* * *

(١) فى المطبوعة : « عنه به » فى الموضعين ، وأثبت ما فى المخطوطة ، بحذفها .

وقد بينا أن معنى « الاعتداء » ، تجاوز المرءِ ماله إلى ما ليس له فى كل شىء ، فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وإذ كان ذلك كذلك = وكان الله تعالى ذكره قد عمّ بقوله : « لا تعتدوا » ، النهىَ عن العدوان كُلّه = كان الواجبُ أن يكون محكوماً لما عمّه بالعُموم حتى يخصّه ما يجب التسليم له . وليس لأحدٍ أن يتعدّى حدّ الله تعالى فى شىء من الأشياء مما أحلّ أو حرّم ، فمن تعدّاه فهو داخل فى جملة من قال تعالى ذكره : « إن الله لا يحب المعتدين » .

وغير مستحيل أن تكون الآية نزلت فى أمر عثمان بن مظعون والرهطِ الذين همُّوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بما همُّوا به من تحريم بعض ما أحلّ الله لهم على أنفسهم ، ويكون مراداً بحكمها كلُّ من كان فى مثل معْناهم ممَّن حرّم على نفسه ما أحلّ الله له ، أو أحلّ ما حرّم الله عليه ، أو تجاوز حدًّا حدّه الله له . وذلك أن الذين همُّوا بما همُّوا به من تحريم بعض ما أحلّ لهم على أنفسهم ، إنما عوتبوا على ما همُّوا به من تجاوزهم ما سَنّ لهم وحدّ ، إلى غيره .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾ (٨٨)

١٠/٧

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره ، لهؤلاء المؤمنين الذين نهاهم أن يحرّموا طيبات ما أحلّ الله لهم : كُلوا ، أيها المؤمنون ، من رزق الله الذى رزقكم وأحله لكم ، حلالاً طيّباً ،(٢) كما : —

(١) انظر تفسير « الاعتداء » فيما سلف ص : ٤٨٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « حلال طيب » فيما سلف ٣ : ٣٠٠ ، ٣٠١ .

١٢٣٥٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة : « وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً » ، يعني : ما أحل الله لهم من الطعام .

* * *

وأما قوله : « واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون » ، فإنه يقول : وخافوا ، أيها المؤمنون ، أن تعتدوا في حدوده ، فتُحلُّوا ما حُرِّم عليكم ، وتُحرِّموا ما أحِلَّ لكم ، واحذروه في ذلك أن تخالفوه ، فينزل بكم سَخَطُه ، أو تستوجبوا به عقوبته[1] = « الذي أنتم به مؤمنون » ، يقول : الذي أنتم بوحدانيته مقرُّون ، وبربُوبيته مصدِّقون .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره ، للذين كانوا حرَّموا على أنفسهم الطيِّبات من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا حرَّموا ذلك بأيمانٍ حلَفوا بها ، فنهاهم عن تحريمها وقال لهم : لا يؤاخذكم ربُّكم باللغو في أيمانكم ،[2] كما :–

١٢٣٥٦ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : « يا أيها الذين آمنوا لا تحرِّموا طيبات ما أحل الله لكم » ، في القوم الذين كانوا حرَّموا النساء واللحمَ على أنفسهم ، قالوا : يا رسول الله ، كيف نصنع بأيماننا التي حلَفنا عليها ؟ فأنزل الله تعالى ذكره : « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم » ، الآية .

* * *

---

(١) انظر تفسير « اتقى » فيما سلف من فهارس اللغة (وق) .

(٢) انظر تفسير « المؤاخذة » فيما سلف ٤ : ٤٢٧ ، وما بعدها / ٦ : ١٣٢ ، وما بعدها .

= فهذا يدلُّ على ما قلنا، من أن القوم كانوا حرَّموا ما حرّموا على أنفسهم بأيمان حلَفُوا بها ، فنزلت هذه الآية بسببهم .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة الحجاز وبعض البصريين : ﴿ ولَـكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ ﴾ ، بتشديد « القاف » ، بمعنى : وكّدتم الأيمانَ وردَّدتموها .

* * *

وقرأه قرَأةُ الكوفيين : ﴿ بِمَا عَقَدْتُمُ الأَيْمَانَ ﴾ ،(١) بتخفيف « القاف » ، بمعنى : أوجبتموها على أنفسكم ، وعزَمتْ عليها قلوبكم .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك ، قراءةُ من قرأ بتخفيف « القاف » .

وذلك أن العرب لا تكاد تستعمل « فعَّلت » فى الكلام ، إلا فيما يكون فيه تردُّدٌ مرة بعد مرةٍ ، مثل قولهم : « شدَّدت على فلان فى كذا » ، إذا كُرِّر عليه الشدّة مرة بعد أخرى.(٢) فإذا أرادوا الخبر عن فعلٍ مرّة واحدةٍ قيل : «شَدَدت عليه » ، بالتخفيف .

وقد أجمع الجميع لاخلافَ بينهم : أن اليمين التى تجب بالحِنْث فيها الكفارة ، تلزم بالحنث فى حلف مرة واحدة ، وإن لم يكرّرها الحالف مرات . وكان معلوماً بذلك أنّ الله مؤاخذٌ الحالفَ العاقدَ قلبَه على حلفه ، وإن لم يكرِّره ولم يردِّدْه .(٣)

وإذا كان ذلك كذلك ، لم يكن لتشديد « القاف » من « عقّدتم » ، وجه مفهومٌ .

* * *

(١) فى المطبوعة : « وقراء الكوفيين » ، وفى المخطوطة : « وقراه الكوفيين » ، وصواب العبارة أن يزاد فيها : « وقرأه » كما فعلت .

(٢) فى المطبوعة : « عليه الشد » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « ولم يردده » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

فتأويل الكلام إذاً : لا يؤاخذكم الله، أيها المؤمنون ، من أيمانكم بما لغوتم فيه ، ولكن يؤاخذكم بما أوجبتموه على أنفسكم منها ، وعقدت عليه قلوبكم .

* * *

وقد بينا اليمين التي هي « لغو » والتي الله مؤاخذ العبد بها ، والتي فيها الحنث ، والتي لا حنث فيها = فيما مضى من كتابنا هذا ، فكرهنا إعادة ذلك في هذا الموضع .(١)

* * *

وأما قوله : « بما عقدتم الأيمان »،(٢) فإن هناداً : —

١٢٣٥٧ — حدثنا قال ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان » ، قال : بما تعمدتم .

١٢٣٥٨ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٢٣٥٩ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة عن الحسن : « ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان » ، يقول : ما تعمدت فيه المأثم ، فعليك فيه الكفارة .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في « الهاء » التي في قوله : « فكفارته »، على ما هي عائدة ، ومن ذكر ما ؟

فقال بعضهم : هي عائدة على « ما » التي في قوله : « بما عقدتم الأيمان » .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٣٦٠ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا ابن أبي عدي ، عن عوف ،

---

(١) انظر تفسير « اللغو » ، وما قال فيه فيما سلف ٤ : ٤٢٧ — ٤٥٥ .

(٢) انظر تفسير « عقد الأيمان » فيما سلف ٨ : ٢٧٢ — ٢٧٤

عن الحسن فى هذه الآية « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم » ، قال : هو أن تحلف على الشيء وأنت يخيَّل إليك أنه كما حلفت وليس كذلك ، فلا يؤاخذكم الله ، فلا كفارة . ولكن المؤاخذة والكفارة ، فيما حلفتَ عليه على علمٍ .[1]

١٢٣٦١ — حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مغيرة ، عن الشعبي قال : اللغو ليس فيه كفارة = « ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان » ، قال : ما عُقِدت فيه يمينه ،[2] فعليه الكفارة . ١١/٧

١٢٣٦٢ — حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حصين ، عن أبي مالك قال : الأيمان ثلاثٌ : يمين تكفّر ، ويمين لا تُكَفَّر ، ويمين لا يؤاخذ بها صاحبُها . فأما اليمين التي تكفَّر ، فالرجل يحلِف على الأمر لا يفعله ، ثم يفعله ، فعليه الكفارة . وأما اليمين التي لا تكفّر ، فالرجل يحلف على الأمر يتعمّد فيه الكذِبَ ، فليس فيه كفارة . وأما اليمين التي لا يؤاخَذُ بها صاحبها ، فالرجل يحلف على الأمر يَرَى أنه كما حلَف عليه ، فلا يكون كذلك ، فليس عليه فيه كفارة . وهو « اللغو » .[3]

١٢٣٦٣ — حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا ابن أبي ليلى ، عن عطاء قال : قالت عائشة : لغوُ اليمين ، ما لم يعقد عليه الحالِفُ قلبه .

١٢٣٦٤ — حدثني يعقوب قال ، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا هشام قال ، حدثنا حماد ، عن إبراهيم قال : ليس فى لغو اليمين كفّارة .

١٢٣٦٥ — حدثني يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب : أن عروة حدّثه : أن عائشة قالت : أيمانُ

(١) الأثر : ١٢٣٦٠ — « عوف » ، هو الأعرابي : « عوف بن أبي جميلة العبدى الهجرى » ، مضى كثيراً ، آخره رقم : ٥٤٧٣ — ٥٤٧٧ . وكان فى المطبوعة والمخطوطة هنا ، « ابن أبي عدى ، عن عدى ، عن الحسن » ، وهو خطأ محض ، وقد مضى هذا الأثر بإسناده كما أثبته وبنصه برقم : ٤٤٠٦ .

(٢) فى المطبوعة : « ما عقد فيه يمينه » ، وأثبت ما فى المخطوطة . وهو صواب . « عقدت » بالبناء للمجهول .

(٣) الأثر : ١٢٣٦٢ — مضى مختصراً برقم : ٤٤٢٧ .

الكفارة ، كلّ يمين حلف فيها الرجل على جدٍّ من الأمور فى غضب أو غيره : « ليفعلن ، ليتركنّ » ، فذلك عقد الأيمان التى فرَض الله فيها الكفارة، وقال تعالى ذكره : « لايؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان » .

١٢٣٦٦ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنى معاوية بن صالح ، عن يحيى بن سعيد ، وعن على بن أبى طلحة قالا : ليس فى لغو اليمين كفارة .(١)

١٢٣٦٧ — حدثنا بشر قال، حدثنا جامع بن حماد قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن : « ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان » ، يقول : ما تعمدتَ فيه المأثم، فعليك فيه الكفارة . قال، وقال قتادة : أمّا اللغو، فلا كفارة فيه .(٢)

١٢٣٦٨ — حدثنا هناد قال، حدثنا عبدة، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن قال : لا كفارة فى لغو اليمين .

١٢٣٦٩ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو العنقزىّ ، عن أسباط ، عن السدى : ليس فى لغو اليمين كفارة .(٣)

* * *

قال أبو جعفر : فمعنى الكلام على هذا التأويل : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان »، فكفارة ما عقدتم منها إطعامُ عَشَرة مساكين .

* * *

---

(١) الأثر : ١٢٣٦٦ — « معاوية بن صالح الحضرمى الحمصى » ، مضى مراراً كثيرة ، آخرها : ٨٤٧٢

و « يحيى بن سعيد الأنصارى » الإمام القاضى ، مضى مراراً كثيرة ، آخرها رقم : ٨٨٧٠ ، وكان فى المطبوعة والمخطوطة هنا : « يحيى بن سعد » ، وهو خطأ محض .

(٢) الأثر : ١٢٣٦٧ — « جامع بن حماد » ، انظر التعليق على الأثر السالف رقم : ١٢٣٤٤ .

(٣) الأثر : ١٢٣٦٩ — « عمرو العنقزى » ، هو : « عمرو بن محمد العنقزى » ، مضى برقم : ٦١٣٩ ، فى المطبوعة : « العبقرى » وهو خطأ . وهو فى المخطوطة غير منقوط .

وقال آخرون : « الهاء » فى قوله : « فكفارته » ، عائدة على « اللغو » ، وهى كناية عنه .[١] قالوا : وإنما معنى الكلام : لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم إذا كفّرتموه، ولكن يؤاخذكم إذا عقدتم الأيمان ، فأقمتم على المضىّ عليه بترك الحِنْث والكفارة فيه. والإقامةُ على المضىّ عليه ، غير جائزةٍ لكم . فكفارةُ اللغو منها إذا حنثتم فيه ، إطعامُ عشرة مساكين .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٣٧٠ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم » ، فهو الرجل يحلف على أمرٍ ضِرارٍ أن يفعلَه فلا يفعله ،[٢] فيرى الذى هو خير منه ، فأمره الله أن يكفّرَ عن يمينه ويأتى الذى هو خير= وقال مرة أخرى : قوله : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم » إلى قوله : « بما عقدتم الأيمان » ، قال : واللغو من الأيمان ،[٣] هى التى تُكفّر ، لا يؤاخذ الله بها . ولكن من أقام على تحريم ما أحلّ الله له ، ولم يتحوّل عنه ، ولم يكفّر عن يمينه ، فتلك التى يُؤْخَذ بها .[٤]

١٢٣٧١ – حدثنا هناد قال ، حدثنا حفص بن غياث ، عن داود بن أبى هند ، عن سعيد بن جبير قوله : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم » ، قال : هو الذى يحلف على المعصية فلا يفى ، فيكفّر .[٥]

١٢٣٧٢ – حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا داود ، عن سعيد بن جبير : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم » ، قال : هو

---

(١) « الكناية » ، الضمير . انظر ما سلف من فهارس المصطلحات .

(٢) فى المطبوعة : « قال : هو الرجل يحلف . . . » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو محض صواب .

(٣) فى المطبوعة : « واللغو من اليمين » ، وكان ناسخ المخطوطة قد كتب « اليمين » ، ثم عاد على الكلمة بالقلم ليجعلها « الأيمان » ، فاختلطت . وهذا صواب قراءتها .

(٤) فى المطبوعة : « يؤاخذ بها » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٥) الأثر : ١٢٣٧١ – سلف مطولا برقم : ٤٤٣٦

الرجل يحلف على المعصية، فلا يؤاخذه الله تعالى ذكره، يكفّر عن يمينه ، ويأتى الذى هو خير =« ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان »، الرجل يحلف على المعصية ثم يقيم عليها، فكفارته إطعام عشرة مساكين .(١)

١٢٣٧٣ – حدثنى يعقوب قال، حدثنا ابن علية قال، أخبرنا داود ، عن سعيد بن جبير ، قال فى لغو اليمين: هى اليمين فى المعصية، فقال: أولا تقرأ فتفهم ؟ قال : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان » . قال : فلا يؤاخذه بالإلغاء ، ولكن يؤاخذه بالتّمام عليها ،(٢) قال وقال : ﴿ وَلاَ تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٤].(٣) ١٢/٧

١٢٣٧٤ – حدثنى يعقوب قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير فى قوله : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم » ، قال : هو الرجل يحلف على المعصية ، فلا يؤاخذه الله بتركها إن تركها . قلت : وكيف يصنع ؟ قال : يكفر يمينه ويترك المعصية .(٤)

١٢٣٧٥ – حدثنا هناد قال، حدثنا أبو الأحوص ، عن مغيرة ، عن إبراهيم قال : « اللغو » ، يمين لا يؤاخذ بها صاحبها ، وفيها كفارة .(٥)

١٢٣٧٦ – حدثنى يحيى بن جعفر قال، حدثنا يزيد بن هرون قال، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم » ، قال : اليمين المكفّرة .(٦)

* * *

(١) الأثر : ١٢٣٧٢ – مضى مختصراً برقم : ٤٤٤٠

(٢) فى المطبوعة : « بالمقام عليها » . والصواب ما كان فى المخطوطة ، وهو المطابق لروايته فيما مضى ، كما سيأتى فى التخريج . و « تم على الأمر تماماً » : استمر عليه وأنفذه وأمضاه .

(٣) الأثر : ١٢٣٧٣ – مضى هذا الأثر بإسناده ولفظه ، برقم : ٤٤٤٥ .

(٤) الأثر : ١٢٣٧٤ – مضى بإسناده ولفظه ، برقم : ٤٤٤٣ .

(٥) الأثر : ١٢٣٧٥ – كان هذا فى المطبوعة بعد الذى يليه مؤخراً ، فقدمته كما فى المخطوطة .

(٦) الأثر : ١٢٣٧٦ – مضى أيضاً برقم : ٤٤٦٤

قال أبو جعفر : والذى هو أولى عندى بالصواب فى ذلك، أن تكون « الهاء » فى قوله : « فكفارته » عائدة على « ما » التى فى قوله : « بما عقدتم الأيمان » ، لما قدّمنا فيما مضى قبل[1] : أنّ من لزمته فى يمينه كفّارة وأوخذ بها ، غيرُ جائز أن يقال لمن قد أوخذ : « لا يؤاخذه الله باللغو » . وفى قوله تعالى : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم »، دليلٌ واضح أنه لا يكون مؤاخذاً بوجه من الوجوه ، مَنْ أخبرنا تعالى ذكره أنه غيرُ مؤاخذه .

فإن ظنّ ظان أنه إنما عنى تعالى ذكره بقوله : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم »، بالعقوبة عليها فى الآخرة إذا حنثْتُم وكفّرتم = إلا أنه لا يؤاخذهم بها فى الدنيا بتكفير = فإن إخبار الله تعالى ذكره وأمرَه ونهيَه فى كتابه ، على الظاهر العامّ عندنا = بما قد دللنا على صحّة القول به فى غير هذا الموضع ، فأغنى عن إعادته[2] = دون الباطن العامّ الذى لا دلالة على خصوصه فى عقل ولا خبر . ولا دلالة من عقل ولا خبرٍ أنه عنى تعالى ذكره بقوله : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم » ، بعضَ معانى المؤاخذة دون جميعها .

وإذ كان ذلك كذلك ، وكان من لزمته كفّارة فى يمينٍ حنث، فيها مؤاخذاً بها بعقوبة فى ماله عاجلة، كان معلوماً أنه غيرُ الذى أخبرنا تعالى ذكره أنه لا يؤاخذه بها .

* * *

وإذْ كان الصحيح من التأويل فى ذلك ما قلنا بالذى عليه دللنا ، فمعنى الكلام إذاً: لا يؤاخذكم الله، أيها الناس، بلغوٍ من القول والأيمان ، إذا لم تتعمدوا بها معصية الله تعالى ذكره ولا خلافَ أمره، ولم تقصدوا بها إثماً ، ولكن يؤاخذكم بما تعمّدتم به الإثم ، وأوجبتموه على أنفسكم، وعزمتْ عليه قلوبكم، ويكفر ذلك

---

(١) انظر ما سلف ٤ : ٤٤٧ ، ٤٤٨ .

(٢) انظر ما سلف ٢ : ٣/٥٣٩ : ٤/٣٧ : ٥/١٣٤ : ٤٠ ، ١٣٠ ، ومواضع غيرها ، اطلبها فى الفهارس .

عنكم، فيغطّى على سيّئ ما كان منكم من كذبٍ وزُور قولٍ، ويمحوه عنكم فلا يتبعكم به ربكم[1] = « إطعامُ عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « من أوسط ماتطعمون أهليكم »، من أعدله ، كما : —

١٢٣٧٧ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، أخبرنا ابن جريج قال سمعت عطاء يقول فى هذه الآية: «من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم »، قال عطاء : « أوسطه » ، أعدله .

* * *

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله: « من أوسط ما تطعمون أهليكم » .

فقال بعضهم: معناه: من أوسط ما يُطْعِم من أجناس الطعام الذى يقتاته أهلُ بلد المكفّر ، أهاليهم .[2]

* ذكر من قال ذلك :

١٢٣٧٨ — حدثنا هناد قال، أخبرنا شريك، عن عبد الله بن حنش، عن الأسود قال : سألته عن : « أوسط ما تطعمون أهليكم » ، قال : الخبز ، والتمر ، والزيت ، والسمن ، وأفضلُه اللحم .[3]

---

(١) انظر تفسير « الكفارة » و « التكفير » فيما سلف ص : ٤٦١ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الوسط » فيما سلف ٣ : ١٤١ — ٥/١٤٥ : ٢٢٧ .

(٣) الأثر : ١٢٣٧٨ — « عبد الله بن حنش الأودى » . روى عن البراء ، وابن عمر ، والأسود ابن يزيد ، وغيرهم . روى عنه الثورى ، وشريك ، وشعبة ، وأبو عوانة . قال ابن معين : « ثقة » ، ثقة » ، قال أبو حاتم : « لا بأس به » . مترجم فى ابن أبى حاتم ٢/٢/٣٩ .

و « الأسود » ، هو : « الأسود بن يزيد بن قيس النخعى » ، مضى برقم : ٣٢٩٩ ، ٤٨٨٨ ، ٨٢٦٧ .

١٢٣٧٩ – حدثنا هناد قال ، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي = عن سفيان ، عن عبد الله بن حنش قال : سألت الأسود بن يزيد عن ذلك فقال : الخبز والتمر = زاد هناد في حديثه ، والزيت . قال : وأحسبه ، والخلّ .

١٢٣٨٠ – حدثنا هناد وابن وكيع قالا ، حدثنا أبو الأحوص ، عن عاصم الأحول ، عن ابن سيرين ، عن ابن عمر في قوله : « من أوسط ما تطعمون أهليكم » ، قال : من أوسط ما يطعم أهلَه : الخبزَ والتمرَ ، والخبز والسمن ، والخبزَ والزيت . ومن أفضل ما تُطْعمهم : الخبزَ واللحم .

١٢٣٨١ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا محمد بن فضيل ، عن ليث ، عن ابن سيرين ، عن ابن عمر : « من أوسط ما تطعمون أهليكم » ، الخبزَ واللحم ، والخبز والسمن ، والخبز والجبن ،[1] والخبز والخلّ .

١٢٣٨٢ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن عبد الله بن حنش ،[2] قال : سألت الأسود بن يزيد عن « أوسط ما تطعمون أهليكم » ، قال : الخبز والتمر .

١٢٣٨٣ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا يحيى قال ، حدثنا سفيان قال ، حدثنا عبد الله بن جنش قال : سألت الأسود بن يزيد ، فذكر مثله .

١٢٣٨٤ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سعيد ابن عبد الرحمن ، عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة السلماني : « من أوسط ما تطعمون أهليكم » ، قال : الخبز والسمن . ١٣/٧

١٢٣٨٥ – حدثنا هناد قال ، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي = عن سعيد بن عبد الرحمن ، عن ابن سيرين قال : سألت عبيدة عن ذلك ، فذكر مثله .

---

(١) في المخطوطة ، غير بينة بل مختلطة الكتبة ، ويمكن أن تقرأ : « الخبر واللبن » وانظر رقم : ١٢٣٨٨

(٢) في المخطوطة : « عبد الله بن حدس » ، وهو تحريف وسهو من الناسخ ، انظر الإسنادين السالفين : ١٢٣٧٨ ، ١٢٣٧٩ ، والإسناد التالي : ١٢٣٨٣ .

١٢٣٨٦ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا أزهر قال ، أخبرنا ابن عون ، عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة : « من أوسط ما تطعمون أهليكم » ، الخبز والسمن .(١)

١٢٣٨٧ – حدثنا هناد قال ، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي = عن يزيد بن إبراهيم ، عن ابن سيرين قال : كانوا يقولون : أفضله الخبز واللحم ، وأوسطه الخبز والسمن ، وأخسّه الخبز والتمر .

١٢٣٨٨ – حدثنا هناد قال ، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي = عن الربيع ، عن الحسن قال : خبز ولحم ، أو خبز وسمن ، أو خبز ولبن.

١٢٣٨٩ – حدثنا هناد وابن وكيع قالا ، حدثنا عمر بن هرون ، عن أبي مصلح ، عن الضحاك في قوله : « من أوسط ما تطعمون أهليكم » ، قال : الخبز واللحم والمرَقَة .(٢)

١٢٣٩٠ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا زائدة ، عن يحيى بن حيّان الطائي قال : كنت عند شُريح ، فأتاه رجل فقال : إني حلفت على يمين فأثِمْتُ ؟ قال شريح : ماحملك على ذلك ؟ قال : قُدِّر عليّ ، فما أوسط ما أطعم أهلي ؟ قال له شريح : الخبز والزيت ، والخل طيّبٌ . قال : فأعاد عليه ، فقال له شريح ذلك ثلاث مرارٍ ، لا يزيده شريح على ذلك . فقال له : أرأيت إن أطعمت الخبزَ واللحم ؟ قال : ذاك أرفعُ طعام أهلِك وطعامِ الناس .(٣)

---

(١) الأثر : ١٢٣٨٦ – « أزهر » هو : « أزهر بن سعد السمان » ، مضى برقم : ٤٧٧٤

(٢) الأثر : ١٢٣٨٩ – « عمر بن هرون بن يزيد الثقفي البلخي » ، « أبو حفص » . قال البخاري : « تكلم فيه يحيى بن معين » . قال يحيى بن معين : « كذاب ، قدم مكة وقد مات جعفر بن محمد ، فحدث عنه » . وقال أحمد : « كتبت عنه حديثاً كثيراً ، وما أقدر أن أتعلق عليه بشيء . فقيل له : تروي عنه ؟ قال : قد كنت رويت عنه شيئاً » . والطعن فيه شديد . مترجم في التهذيب .

و « أبو مصلح » الخراساني ، اسمه : « نصر بن مشارس » . روى عن الضحاك بن مزاحم وصحبه . قال أبو حاتم : « شيخ » ، وذكره ابن حبان في الثقات . مترجم في التهذيب .

(٣) الأثر : ١٢٣٩٠ – « يحيى بن حيان الطائي » ، أبو هلال . روى عن شريح . روى عنه سفيان الثوري ، وزائدة ، وموسى بن محمد الأنصاري ، والقاسم بن مالك المزني ، وابن عيينة ، وشريك ثقة . مترجم في الكبير ٢٦٨/٢/٤ ، وابن أبي حاتم ١٣٦/٢/٤ .

١٢٣٩١ - حدثنا هناد قال، حدثنا أبو خالد الأحمر، عن حجاج، عن أبي إسحق، عن الحارث، عن علي قال، في كفارة اليمين: يغدّيهم ويعشيهم خبزاً وزيتاً، أو خبزاً وسمناً، أو خلاً وزيتاً.

١٢٣٩٢ - حدثنا هناد وابن وكيع قالا، حدثنا أبو أسامة، عن زبرقان، عن أبي رزين: «من أوسط ما تطعمون أهليكم»، خبز وزيت وخلّ.

١٢٣٩٣ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبد الأعلى، عن هشام بن محمد قال: أكلة واحدة، خبز ولحم. قال: وهو «من أوسط ما تطعمون أهليكم»، وإنكم لتأكلون الخبيص والفاكهة.(١)

١٢٣٩٤ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبد الأعلى = وحدثنا هناد قال، حدثنا أبو أسامة = عن هشام، عن الحسن قال في كفارة اليمين: يجزيك أن تطعم عشرة مساكين أكلة واحدة، خبزاً ولحماً. فإن لم تجد، فخبزاً وسمناً ولبناً. فإن لم تجد، فخبزاً وخلاً وزيتاً حتى يشبعوا.

١٢٣٩٥ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن نمير، عن زبرقان قال: سألت أبا رزين عن كفارة اليمين، ما يطعم؟ قال: خبزاً وخلاً وزيتاً: «من أوسط ما تطعمون أهليكم»، وذلك قدر قوتهم يوماً واحداً.

* * *

ثم اختلف قائلو ذلك في مبلغه.

فقال بعضهم: مبلغ ذلك، نصفُ صاع من حنطة، أو صاعٌ من سائر الحبوب غيرها.

* ذكر من قال ذلك:

١٢٣٩٦ - حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي = عن عبد الله بن عمرو بن مرة، عن أبيه، عن إبراهيم، عن عمر قال: إني

---

(١) «الخبيص»: ضرب من الحلواء المخبوصة، أي المخلوطة.

أحلف على اليمين، ثم يبدو لى، فإذا رأيتَنى قد فعلت ذلك، فأطعم عشرة مساكين، لكل مسكين مُدّين من حنطة .(١)

١٢٣٩٧ – حدثنا هناد قال، حدثنا أبو معاوية ويعلى، عن الأعمش، عن شقيق، عن يسار بن نمير قال قال عمر : إنّى أحلف أن لا أعطى أقواماً، ثم يبدو لى أن أعطيَهم. فإذا رأيتَنى فعلتُ ذلك، فأطعم عنى عشَرة مساكين، بين كل مسكينين صاعاً من برّ، أو صاعاً من تمر .(٢)

١٢٣٩٨ – حدثنا هناد ومحمد بن العلاء قالا، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى = ، عن ابن أبى ليلى، عن عمرو بن مرة، عن عبد الله ابن سلمة، عن على قال : كفارة اليمين إطعام عشرة مساكين، لكل مسكين نصف صاع من حنطة .(٣)

١٢٣٩٩ – حدثنا هناد قال، حدثنا أبو الأحوص، عن مغيرة، عن إبراهيم : « من أوسط ما تطعمون أهليكم »، نصف صاع برّ، كلّ مسكين .

---

(١) الأثر : ١٢٣٩٦ – « عبد الله بن عمرو بن مرة المرادى » . قال ابن معين : « ليس به بأس »، وقال النسائى : « ضعيف» . وقال الحاكم : « هو من ثقات الكوفيين ممن يجمع حديثه، ولا يزيد ما أسنده على عشرة » . وذكره العقيلى فى الضعفاء . مترجم فى التهذيب . وانظر ما سلف رقم : ١٢٣٠٦، والتعليق عليه .

أبوه : « عمرو بن مرة المرادى »، مضى ذكره فى رقم : ١٢٣٠٦، ثقة . مترجم فى التهذيب .

وفى المخطوطة : « عن إبراهيم، عن عمرو »، وهو خطأ، صوابه ما فى المطبوعة .

وفى المخطوطة أيضاً : « لكل مسكين مدين من حنطة »، وهو صحيح، وفى المطبوعة : « مدان ». والخطاب فى هذا الخبر لخازنه « يسار بن نمير » كما سيأتى فى هذا الأثر رقم : ١٢٣٩٧ الآتى .

(٢) الأثر : ١٢٣٩٧ – « شقيق »، هو « شقيق بن سلمة »، مضى مراراً

و « يسار بن نمير »، مولى عمر بن الخطاب، وخازنه . مترجم فى التهذيب، والكبير ٤/٢/٤٢٠، وابن أبى حاتم ٤/٢/٣٠٧ . وكان فى المخطوطة : « بشار »، وهو خطأ محض .

والخبر رواه البيهقى فى السنن ١٠ : ٥٥، ٥٦ من طريق سعدان بن نصر، عن أبى معاوية، بمثله.

(٣) الأثر : ١٢٣٩٨ – « عبد الله بن سلمة المرادى الكوفى » . روى عن عمر، ومعاذ، وعلى، وابن مسعود، وغيرهم . وروى عنه أبو إسحق السبيعى، وعمرو بن مرة . ثقة . ولكن قال البخارى : « لا يتابع فى حديثه » . وقال أبو حاتم : « يعرف وينكر » . وذكر شعبة، عن عمرو بن مرة قال : « كان عبد الله بن سلمة يحدثنا، فنعرف وننكر . كان قد كبر » . مترجم فى التهذيب .

١٢٤٠٠ – حدثنا هناد قال، حدثنا حفص ، عن عبد الكريم الجزرى قال: قلت لسعيد بن جبير : أجمعُهم ؟ قال: لا، أعطهم مدّين مدّين من حنطة، مدًّا لطعامه ، ومدًّا لإدامه .

١٢٤٠١ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى = عن سفيان ، عن عبد الكريم الجزرى قال : قلت لسعيد ، فذكر نحوه .

١٢٤٠٢ – حدثنا هناد قال، حدثنا أبو زبيد، عن حصين قال : سألت الشعبي عن كفارة اليمين فقال : مَكُّوكين ، مكوكاً لطعامه ، ومكوكاً لإدامه .[1]

١٢٤٠٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا هشام ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : لكل مسكين مُدّين .

١٤/٧ ١٢٤٠٤ – حدثنا هناد قال، حدثنا أبو أسامة ، عن هشام ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال: لكل مسكين مدّين من برّ، فى كفارة اليمين .

١٢٤٠٥ – حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى = ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : مدّان من طعام لكل مسكين .

١٢٤٠٦ – حدثنى يعقوب قال، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا سعيد بن يزيد أبو مسلمة قال : سألت جابر بن زيد عن إطعام المسكين فى كفارة اليمين ، فقال : أكلة . قلت: فإن الحسن يقول: مكُّوك برّ ومكوك تمر، فما ترى فى مكُّوك بر؟ فقال : إن مكوك برّ !![2] = قال يعقوب قال ، ابن علية : وقال أبو مسلمة

---

(١) الأثر : ١٢٤٠٢ – «أبو زبيد» ، هو «عبثر بن القاسم» ، مضى قريباً فى رقم : ١٢٣٣٦ . وكان فى المطبوعة : «أبوزيد» ، وهو خطأ ، صوابه فى المخطوطة ، وهى غير منقوطة .
و«المكوك» ، مكيال قديم معروف، لأهل العراق، ويراد به «المد». وانظر تفسيره فى لسان العرب (مكك) .

(٢) فى المطبوعة : «فما ترى فى مكوك بر؟ فقال : إن مكوك بر لا ، أو مكوك تمر لا ، قال

بيده ،(١) كأنه يراه حسناً ، وقلّب أبو بشر يده .(٢)

١٢٤٠٧ – حدثنا هناد قال، حدثنا أبو أسامة، عن هشام ، عن الحسن : أنه كان يقول فى كفارة اليمين : فيما وجب فيه الطعام ، مكُّوك تمر ومكوك برّ لكل مسكين .

١٢٤٠٨ – حدثنا هناد قال ، حدثنا وكيع قال ، حدثنا أبى، عن الربيع ، عن الحسن قال، قال : إن جمعهم أشبعهم إشباعةً واحدة . وإن أعطاهم ، أعطاهم مكُّوكاً مكوكاً .(٣)

١٢٤٠٩ – حدثنا يعقوب قال ، حدثنا ابن علية ، عن يونس قال : كان الحسن يقول : وحسبه ،(٤) فإن أعطاهم فى أيديهم ، فمكوك برّ ومكوك تمر .

يعقوب . . . » ، وفى المخطوطة : « فما ترى فى مكوك بر ؟ فقال إن مكوك بر لا أو مكوك بر لا . قال يعقوب » . وأراد ناشر المطبوعة أن يصحح ، فصحح ! ! ولكن بقى الكلام كله لا معنى له ، هو خلط يضرب فى خلط . وذلك أن ناسخ المخطوطة ، رأى فى النسخة التى نقل عنها « لا أو مكوك بر لا » ، وكانت « لا » فى الموضعين بلا شك ، فوق الكلام ، فوق « أو » قبلها ، وفوق « بر » بعدها وذلك معناه حذف ما بين « لا » الأولى ، و « لا » الثانية ، فأدخلهما فى الكلام ، فأخرج الكلام من أن يكون كلاماً مفهوماً .

وذلك أن جابر بن زيد قال : « إن مكوك بر » ، وقطع الكلام ، وأشار بيده إلى أنه حسن كاف .

(١) « قال بيده » : أشار وأومأ . يريد أشار بيده أن ذلك كاف مجزىء .

(٢) الأثر ١٢٤٠٦ – « ابن علية » ، هو : « إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم الأسدى » ، « أبو بشر »، مضى مراراً ، آخرها : ٩٩١٣ .

و « أبو مسلمة » البصرى هو : « سعيد بن يزيد بن مسلمة الأزدى » ، مضى برقم : ٧٩٧ ، ٥٥٥٩ ، ٥٥٦١ . وكان فى المطبوعة : « سعد بن يزيد أبو سلمة » . ثم أيضاً « أبو سلمة » ، وكله خطأ ، صوابه من المخطوطة .

و « جابر بن زيد الأزدى اليحمدى » ، قال له ابن عمر : « يا جابر ، إنك من فقهاء أهل البصرة » ، كان من أعلم الناس بكتاب الله . مضى برقم : ٥١٣٦ .

ثم كان فى المطبوعة هنا : « وقلب أبو سلمة يده » ، غير ما فى المخطوطة ، وهو ما أثبته ، لأنه لم ير فى الإسناد ذكراً لأبى بشر ! ! وإنما « أبو بشر » هو : « ابن علية » نفسه ، هذه كنيته .

(٣) الأثر : ١٢٤٠٨ – « وكيع بن الجراح بن مليح » ، مضى مراراً كثيرة :

« وأبوه : « الجراح بن مليح الرؤاسى » ، مضى برقم : ٤٤٨٨ ، ٥٧٢٧

و « الربيع » ، هو : « الربيع بن صبيح السعدى » مضى برقم : ٦٤٠٣ ، ٦٤٠٤ .

(٤) قوله : « وحسبه »، ثابتة فى المخطوطة ، وحذفها ناشر المطبوعة .

١٢٤١٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبيد الله، عن إسرائيل، عن السدى، عن أبي مالك فى كفارة اليمين : نصف صاع لكل مسكين .

١٢٤١١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن علية، عن أبيه، عن الحكم فى قوله: « إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم »، قال : طعام نصف صاع لكل مسكين . (١)

١٢٤١٢ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا زائدة، عن مغيرة، عن إبراهيم قال : « أوسط ما تطعمون أهليكم »، نصف صاع .

١٢٤١٣ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد قال، حدثنا عبيد بن سليمان قال، سمعت الضحاك بن مزاحم يقول فى قوله: « فكفارته إطعام عشرة مساكين »، قال: الطعام، لكل مسكين نصف صاع من تمر أو برّ .

* * *

وقال آخرون: بل مبلغ ذلك من كل شيء من الحبوب، مُدٌّ واحد .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٤١٤ – حدثنا هناد وأبو كريب قالا، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي = عن هشام الدستوائى، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن زيد بن ثابت أنه قال فى كفارة اليمين : مدٌّ من حنطة لكل مسكين . (٢)

١٢٤١٥ – حدثنا هناد قال، حدثنا أبو معاوية، عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس قال فى كفارة اليمين : مدٌّ من حنطة لكل مسكين، رُبْعُه إدامُه .

١٢٤١٦ – حدثنا هناد وأبو كريب قالا، حدثنا وكيع، عن سفيان، عن

---

(١) فى المطبوعة : « إطعام نصف صاع »، وأثبت ما فى المخطوطة، وهو صواب .

(٢) الأثر : ١٢٤١٤ – رواه البيهقى فى السنن ١٠ : ٥٥، من طريق أبي نعيم، عن هشام، بمثله .

داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، نحوه .(١)

١٢٤١٧ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن ابن عجلان ، عن نافع ، عن ابن عمر : « إطعام عشرة مساكين » ، لكل مسكين مُدٌّ .

١٢٤١٨ – حدثنا هناد وأبو كريب قالا ، حدثنا وكيع قال ، حدثنا العمري ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : مدٌّ من حنطة لكل مسكين .(٢)

١٢٤١٩ – حدثنا هناد قال ، حدثنا أبو الأحوص ، عن يحيى بن سعيد ، عن نافع ، عن ابن عمر : أنه كان يكفّر اليمين بعشرة أمداد ، بالمُدّ الأصغر .

١٢٤٢٠ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن مهدي ، عن حماد بن سلمة ، عن عبيد الله ، عن القاسم وسالم في كفارة اليمين ، ما يطعم؟ قالا : مدٌّ لكل مسكين .

١٢٤٢١ – حدثنا هناد قال ، حدثنا أبو الأحوص ، عن يحيى بن سعيد ، عن سليمان بن يسار قال : كان الناس إذا كفّر أحدهم ، كفّر بعشرة أمداد بالمدّ الأصغر .(٣)

١٢٤٢٢ – حدثنا هناد قال ، حدثنا عمر بن هرون ، عن ابن جريج ، عن عطاء في قوله : « إطعام عشرة مساكين » ، قال : عشرة أمداد لعشرة مساكين .

١٢٤٢٣ – حدثنا بشر قال ، حدثنا جامع بن حماد قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن : « إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم » ، قال : كان يقال : البرُّ والتمر ، لكل مسكين مد من تمر ، ومدّ من برّ .(٤)

---

(١) الأثران : ١٢٤١٥ ، ١٢٤١٦ – رواه البيهقي في السنن ١٠ : ٥٥ ، من طريق علي بن حرب ، عن عبد الله بن إدريس ، عن ابن أبي هند ، بمثله .

(٢) الأثران : ١٢٤١٧ ، ١٢٤١٨ – رواه البيهقي في السنن ١٠ : ٥٥ ، من طريق ابن وهب ، عن مالك بن أنس ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر ، مطولا ، بمثل لفظه .

(٣) الأثر : ١٢٤٢١ – رواه البيهقي في السنن ١٠ : ٥٥ ، من طريق ابن بكير ، عن مالك ، عن يحيى بن سعيد ، بنحو لفظه .

(٤) الأثر : ١٢٤٢٣ – « جامع بن حماد » انظر ما سلف : ١٢٣٤٤ ، ١٢٣٦٧ ، وما قلته في هذا الإسناد .

١٢٤٢٤ – حدثنا أبو كريب وهناد قالا، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي = ، عن مالك بن مغول ، عن عطاء قال : مد لكل مسكين .

١٢٤٢٥ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « من أوسط ما تطعمون أهليكم » ، قال : من أوسط ما تَعُولونهم . قال : وكان المسلمون رأوا أوسط ذلك : مُدًّا بمدِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنطة . ١٥/٧
قال ابن زيد : [١] هو الوسط مما يقوت به أهله ، ليس بأدناه ولا بأرفعه .

١٢٤٢٦ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني يحيى بن عبد الله بن سالم ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب : « من أوسط ما تطعمون أهليكم » ، قال : مُدٌّ . [٢]

* * *

وقال آخرون : بل ذلك غَداء وعشاء .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٤٢٧ – حدثنا هناد قال ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن حجاج ، عن أبي إسحق ، عن الحارث ، عن علي قال ، في كفارة اليمين : يغدِّيهم ويعشيهم. [٣]

١٢٤٢٨ – حدثنا هناد قال، حدثنا عمر بن هرون، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظي في كفارة اليمين قال : غداء وعشاء .

١٢٤٢٩ – حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي = عن سفيان ، عن يونس ، عن الحسن قال : يغديهم ويعشيهم .

* * *

وقال آخرون : إنما عنى بقوله : « من أوسط ما تطعمون أهليكم » ، من أوسط ما يطعم المكفِّر أهله . قال : إن كان ممن يشبع أهله ، أشبع المساكين

---

(١) في المطبوعة : « قال أبو زيد » ، أساء قراءة المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٢٤٢٦ – « يحيى بن عبد الله بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب » . ثقة . مضى في بعض الأسانيد ، ولم أذكر ترجمته ، رقم : ٤١٢٠ ، ١١٨١٢ . مترجم في التهذيب .

(٣) الأثر : ١٢٤٢٧ – مضى مطولا برقم : ١٢٣٩١ .

العشرة . وإن كان ممن لا يشبعهم لعجزه عن ذلك ، أطعم المساكين على قدر ما يفعلُ من ذلك بأهله فى عسره ويُسره .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٤٣٠ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة، عن ابن عباس قوله: « فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم »، قال : إن كنت تشبع أهلك فأشبع المساكين ، وإلا فعلى ما تطعم أهلك بقَدَره .

١٢٤٣١ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس: « فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم »، وهو أن تطعم كل مسكين من نحو ما تطعم أهلَك من الشبع ، أو نصفَ صاع من برّ .

١٢٤٣٢ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع قال، حدثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر ، عن ابن عباس قال: مِن عسرهم ويُسرهم .

١٢٤٣٣ – حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر قال : من عسرهم ويُسرهم .

١٢٤٣٤ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا ابن مهدى قال ، حدثنا سفيان ، عن سليمان بن أبى المغيرة، عن سعيد بن جبير: « من أوسط ما تطعمون أهليكم »، قال : قوتهم .

١٢٤٣٥ – حدثنا هناد وأبو كريب قالا، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى = ، عن سفيان ، عن سليمان العبسى ، عن سعيد بن جبير فى قوله : « من أوسط ما تطعمون أهليكم » ، قال : قوتهم .

١٢٤٣٦ – حدثنا أبو حميد قال ، حدثنا حكام بن سلم قال ، حدثنا عنبسة ، عن سليمان بن عبيد العبسى ، عن سعيد بن جبير فى قوله : « من أوسط

ما تطعمون أهليكم » ، قال : كانوا يفضلون الحرّ على العبد، والكبير على الصغير ، فنزلت : « من أوسط ما تطعمون أهليكم » .(١)

١٢٤٣٧ – حدثنا الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا قيس بن الربيع ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير قال ، كانوا يطعمون الكبير ما لا يطعمون الصغير ، ويطعمون الحرّ ما لا يطعمون العبد ، فقال : « من أوسط ما تطعمون أهليكم » .

١٢٤٣٨ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا هشيم قال، حدثنا جويبر ، عن الضحاك في قوله: « من أوسط ما تطعمون أهليكم » ، قال: إن كنت تشبع أهلك فأشبعهم . وإن كنت لا تشبعهم ، فعلى قدر ذلك .(٢)

١٢٤٣٩ – حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا شيبان النحوي ، عن جابر ، عن عامر ، عن ابن عباس : « من أوسط ما تطعمون أهليكم » ، قال : من عسرهم ويسرهم .

١٢٤٤٠ – حدثنا يونس قال، حدثنا سفيان، عن سليمان ، عن سعيد بن

---

(١) الأثران : ١٢٤٣٥ ، ١٢٤٣٦ – « سليمان العبسي » في الإسناد الأول ، ظاهر أنه هو الذي في الإسناد الثاني « سليمان بن عبيد العبسي » . ولم أجد في الرواة « سليمان بن عبيد العبسي » ، مترجما . وسيأتي برقم : ١٢٤٤٠ : « سليمان » مجرداً من النسبة ، وانظر التعليق عليه هناك .

ولكن الذي يروي عن سعيد بن جبير ، ويروي عنه سفيان الثوري ، كما في الأثر الأول « سليمان العبسي » ، فإنه « سليمان بن أبي المغيرة العبسي الكوفي » روى عن سعيد بن جبير ، وعلي بن الحسين بن علي ، والقاسم بن محمد ، وعبد الرحمن بن أبي نعم ، وإسماعيل بن رجاء . روى عن سفيان بن عيينة ، وسفيان الثوري ، وأبو عوانة ، وشعبة ، وعبد الملك بن أبي سليمان . مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري ٣٨/٢/٢ ، وابن أبي حاتم ١٤٥/١/٢ . لم يذكر البخاري فيه جرحاً ، ووثقه أحمد وابن معين . وروى له ابن ماجة حديثاً ، سيأتي برقم : ١٢٤٤٠ ، فانظره هناك .

هذا ، ولم يذكروا اسم أبيه « أبي المغيرة » ، فإن صح أنه هو هو ، المذكور في خبري أبي جعفر فإن « أبا المغيرة » هو « عبيد » ، ويكون إسنادا أبي جعفر هذان ، قد أفادانا اسم « أبي المغيرة » . وأنا أرجح هذا ، وأرجو أن يكون صواباً إن شاء الله ، وعسى أن يأتي في سائر أسانيد أبي جعفر ما يهدي إلى وجه الصواب . وكتبه محمود محمد شاكر .

(٢) في المطبوعة : « فكل قدر ذلك » ، وهو خطأ سخيف جداً ، وأساء الناشر الأول قراءة المخطوطة ، لما في كتابتها من المجمجة .

جبير قال ، قال ابن عباس : كان الرجل يقوت بعض أهله قوتاً دوناً ، وبعضهم قوتاً فيه سعة ، فقال الله : « من أوسط ما تطعمون أهليكم »، الخبز والزيت .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى تأويل قوله : « من أوسط ما تطعمون أهليكم » عندنا ، قولُ من قال : « من أوسط ما تطعمون أهليكم فى القلّة والكثرة » . وذلك أن أحكام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الكفارات كلّها بذلك وردت . وذلك كحكمه صلى الله عليه وسلم فى كفارة الحلق من الأذى بفَرَق من طعام بين ستة مساكين ،(٢) لكل مسكين نصف صاع (٣) = وكحكمه فى كفارة الوطء فى شهر رمضان بخمسة عشر صاعاً بين ستين مسكيناً ، لكل مسكين رُبْع صاع .(٤) ولا يُعْرف له صلى الله عليه وسلم شيء من الكفارات ، أمر بإطعام خبز وإدام ، ولا بغداء وعشاء .(٥)

١٦/٧

فإذْ كان ذلك كذلك ، وكانت كفارة اليمين إحدى الكفارات التى تلزم من لزمته ، كان سبيلُها سبيلَ ما تولّى الحكم فيه صلى الله عليه وسلم : من أن الواجب على مكفِّرها من الطعام ، مقدّراً للمساكين العشرة محدوداً بكيل ،(٦)

---

(١) الأثر : ١٢٤٤٠ – « سليمان » ، هو « سليمان بن أبى المغيرة العبسى » ، الذى مضى ذكره فى التعليق على الأثرين : ١٢٤٣٥ ، ١٢٤٣٦ .
وهذا الخبر رواه ابن ماجة رقم : ٢١١٣ .

(٢) « الفرق » (بفتح أوله وثانيه ، أو فتح أوله وسكون ثانيه) : مكيال لأهل المدينة ، وهو ثلاثة آصع .

(٣) انظر ما سلف الآثار : ٣٣٣٤ – ٣٣٥٩ فى الجزء الرابع : ٥٨ – ٦٩ .

(٤) انظر السنن الكبرى للبيهقى ٤ : ٢٢١ – ٢٢٨ .

(٥) فى المخطوطة : « أمرا بالطعام خبز وإدام » ، والذى فى المطبوعة أمضى على السياق .

(٦) فى المطبوعة : « من الطعام مقدار للمساكين العشرة محدود بكيل » ، والصواب من المخطوطة. وأخطأ فهم كلام أبى جعفر ، فإنه عنى بقوله : « الطعام » : البر ، أو التمر . قال ابن الأثير : « الطعام عام فى كل ما يقتات به من الحنطة والشعير والتمر ، وغير ذلك » . وأهل الحجاز إذا أطلقوا لفظ « الطعام » عنوا به البر خاصة . وفى حديث أبى سعيد : « كنا نخرج صدقة الفطر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم صاعاً من طعام ، أو صاعاً من شعير » . قيل : أراد به البر ، وقيل التمر . قالوا : وهو أشبه ، لأن البر كان عندهم قليلا لا يتسع لإخراج زكاة الفطر .

دون جمعهم على غداء أو عشاء مخبوز مأدوم ، إذ كانت سنته صلى الله عليه وسلم فى سائر الكفارات كذلك .

* * *

فإذ كان صحيحاً ما قلنا بما به استشهدنا ،[1] فبيِّنٌ أن تأويل الكلام : ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ، فكفارته إطعام عشرة مساكين من أعدل إطعامكم أهليكم = وأن « ما » التى فى قوله : « من أوسط ما تطعمون أهليكم » ، بمعنى المصدر ، لا بمعنى الأسماء .

وإذا كان ذلك كذلك ، فأعدل أقوات الموسِّع على أهله مُدّان ، وذلك نصف صاع فى رُبعه إدامه ، وذلك أعلى ما حكم به النبىّ صلى الله عليه وسلم فى كفارة فى إطعام مساكين . وأعدلُ أقوات المقتِّر على أهله ، مُدٌّ ، وذلك ربع صاع ، وهو أدنى ما حكم به فى كفارة فى إطعام مساكين .

* * *

وأما الذين رأوا إطعام المساكين فى كفارة اليمين ، الخبزَ واللحمَ وما ذكرنا عنهم قبل ، والذين رأوا أن يغدّوا أو يعشوا ، والذين رأوا أن يغدوا ويعشوا ، فإنهم ذهبوا إلى تأويل قوله : « من أوسط ما تطعمون أهليكم » ، من أوسط الطعام الذى تطعمونه أهليكم ، فجعلوا « ما » التى فى قوله : « من أوسط ما تطعمون أهليكم » ، اسماً لا مصدراً ، فأوجبوا على المكفِّر إطعامَ المساكين من أعدل ما يُطعم أهله من الأغذية . وذلك مذهبٌ ، لولا ما ذكرنا من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الكفارات غيرها ، التى يجب إلحاق أشكالها بها ، وأن كفارة اليمين لها نظيرة وشبيهة يجب إلحاقها بها .[2]

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « بما به استشهدنا » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « المساكين » فيما سلف ٨ : ٣٣٤ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : فكفارة ما عقدتم من الأيمان : إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم .يقول : إما أن تطعموهم أو تكسوهم . والخيار فى ذلك إلى المكفِّر .

* * *

واختلف أهل التأويل فى « الكسوة » التى عنى الله تعالى ذكره بقوله : « أو كسوتهم » .(١)

فقال بعضهم : عنى بذلك : كسوة ثوب واحد .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٤٤١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن علية، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى كسوة المساكين فى كفارة اليمين : أدناه ثوبٌ .

١٢٤٤٢ – حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى = عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : أدناه ثوب ، وأعلاه ما شئتَ .

١٢٤٤٣ – حدثنا هناد وأبو كريب قالا ، حدثنا وكيع ، عن الربيع ، عن الحسن قال فى كفارة اليمين فى قوله : « أو كسوتهم » ، ثوبٌ لكل مسكين .

١٢٤٤٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن مهدى، عن وهيب ، عن ابن طاوس، عن أبيه : « أو كسوتهم » ، قال : ثوبٌ .(٢)

١٢٤٤٥ – حدثنا هناد قال، حدثنا عبيدة = وحدثنا ابن حميد وابن وكيع

---

(١) انظر تفسير « الكسوة » فيما سلف ٥ : ٤٤ ، ٧/٤٨٠ : ٥٧٢ .

(٢) الأثر : ١٢٤٤٤ – « وهيب » ، هو « وهيب بن خالد بن عجلان الباهلى » ، ثقة . مضى برقم : ٤٣٤٥ .

قالا ، حدثنا جرير = ، جميعاً ، عن منصور ، عن مجاهد فى قوله : « أو كسوتهم » ، قال : ثوب .

١٢٤٤٦ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد فى قوله : « أو كسوتهم » ، قال : ثوب ثوب = قال منصور : القميص ، أو الرِّداء ، أو الإزار .

١٢٤٤٧ — حدثنا أبوكريب وهناد قالا ، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى = عن إسرائيل ، عن جابر ، عن أبى جعفر فى قوله : « أو كسوتهم » ، قال : كسوة الشتاء والصيف، ثوبٌ ثوبٌ .

١٢٤٤٨ — حدثنا هناد قال، حدثنا عمر بن هرون، عن ابن جريج ، عن عطاء فى قوله : « أو كسوتهم » ، قال : ثوب ثوب لكل مسكين .

١٢٤٤٩ — حدثنا هناد قال ، حدثنا عبدة بن سليمان ، عن سعيد بن أبى عروبة ، عن أبى معشر ، عن إبراهيم فى قوله : « أو كسوتهم » ، قال : إذا كساهم ثوباً ثوباً أجزأ عنه .

١٢٤٥٠ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا إسحق بن سليمان الرازى ، عن أبى سنان ، عن حماد قال : ثوب أو ثوبان ، [1] وثوب لا بدّ منه . [2]

١٢٤٥١ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس قال : ثوب ثوب لكل إنسان . وقد كانت العباءة تقضى يومئذ من الكسوة . [3]

---

(١) فى المخطوطة : « ثوب أو ثوبين » ، ولايكون ذلك حتى تكون الأولى : « ثوباً » ، ولذلك تركت ما فى المطبوعة على حاله .

(٢) الأثر : ١٢٤٥٠ — « إسحق بن سليمان الرازى » ، مضى برقم : ٦٤٥٦ ، ١٢١٣٣ . و « أبو سنان » هو : « سعيد بن سنان البرجمى » . مضى برقم : ١٧٥ ، ١١٢٤٠ ، ١٢١٣٣ . وكان فى المطبوعة : « ابن سنان » لم يحسن قراءة المخطوطة .

(٣) قوله : « تقضى » ، هكذا فى الدر المنثور ٢ : ٣١٣ ، وفى المخطوطة : « يعصى » غير منقوطة ، وأنا فى ريب من هذا الحرف . ولعله أراد « تقضى » بمعنى : تجزىء منها .

١٢٤٥٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح ، عن معاوية ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « أو كسوتهم » ، قال : « الكسوة » ، عباءة لكل مسكين ، أو شِمْلة .

١٢٤٥٣ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا إسرائيل ، عن السدى ، عن أبى مالك قال : ثوب ، أو قميصٌ ، أو رداء ، أو إزار .

١٢٤٥٤ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : إن اختار صاحبُ اليمين الكسوة ، كسا عشرة أناسيَّ ، كل إنسان عباءة . ١٧/٧

١٢٤٥٥ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنا ابن جريج قال ، سمعت عطاء يقول فى قوله : « أو كسوتهم » ، الكسوة ثوبٌ ثوبٌ .

* * *

وقال بعضهم : عنى بذلك : الكسوةَ ، ثوبين ثوبين .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٤٥٦ – حدثنا هناد قال، حدثنا عبيدة = وحدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو معاوية = جميعاً ، عن داود بن أبى هند ، عن سعيد بن المسيب فى قوله : « أو كسوتهم » ، قال : عباءة وعمامة .

١٢٤٥٧ – حدثنا هناد وأبوكريب قالا ، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى = ، عن سفيان ، عن داودبن أبى هند ، عن سعيد بن المسيب قال : عمامة يلفُّ بها رأسه ، وعباءة يلتحف بها .

١٢٤٥٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصارى ، عن أشعث ، عن الحسن وابن سيرين قالا : ثوبين ثوبين .(١)

---

(١) الأثر : ١٢٤٥٨ – « محمد بن عبد الله بن المثنى الأنصارى » ، ثقة مضى برقم : ٥٤٣٨ .

وكان فى المطبوعة : « قال : ثوبين . . . » ، والصواب من المخطوطة . خطأ فى الطباعة .

١٢٤٥٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبد الأعلى ، عن يونس ، عن الحسن قال : ثوبين .(١)

١٢٤٦٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن يونس ، عن الحسن، مثله .

١٢٤٦١ – حدثنا أبو كريب وهناد قالا ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن يونس بن عبيد ، عن الحسن قال : ثوبان ثوبان لكل مسكين .

١٢٤٦٢ – حدثنا هناد قال، حدثنا ابن المبارك ، عن عاصم الأحول ، عن ابن سيرين ، عن أبي موسى : أنه حلف على يمين ، فكسا ثوبين من مُعَقَّدة البحرين .(٢)

١٢٤٦٣ – حدثنا هناد وأبو كريب قالا، حدثنا وكيع ، عن يزيد بن إبراهيم ، عن ابن سيرين : أن أبا موسى كسا ثوبين من مُعَقَّدة البحرين .(٢)

١٢٤٦٤ – حدثنا هناد قال، حدثنا أبو أسامة ، عن هشام ، عن محمد ابن عبد الأعلى: أن أبا موسى الأشعرى حلف على يمين ، فرأى أن يكفِّر ففعل ، وكسا عشرة ثوبين ثوبين .

١٢٤٦٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبد الأعلى ، عن هشام ، عن محمد : أن أبا موسى حلف على يمين فكفَّر ، فكسا عشرة مساكين ثوبين ثوبين .

١٢٤٦٦ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا هشيم ، عن داود بن أبي هند ، عن سعيد بن المسيب قال : عباءة وعمامة لكل مسكين .

١٢٤٦٧ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، مثله .

---

(١) فى المطبوعة : «قالا» ، والصواب من المخطوطة . خطأ فى الطباعة .

(٢) الأثران : ١٢٤٦٢ ، ١٢٤٦٣ – أخرجه البيهقى فى السنن ١٠ : ٥٦ ، من طريق أخرى ، من طريق سلمة بن علقمة ، عن محمد بن سيرين ، بغير هذا اللفظ مطولا .
و «المعقد» (بتشديد القاف المفتوحة) : ضرب من برود هجر ، لم أجد صفته .

١٢٤٦٨ – حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا داود بن أبي هند قال : قال رجل عند سعيد بن المسيب : ﴿أو كَأَسْوَتِهِمْ﴾ ،(١) فقال سعيد: لا ، إنما هي : « أو كسوتهم » ، قال قلت : يا أبا محمد ، ما كسوتهم ؟ قال : لكل مسكين عباءة وعمامة : عباءة يلتحف بها ، وعمامة يشدّ بها رأسه .

١٢٤٦٩ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « أو كسوتهم » ، قال : الكسوة ، لكل مسكين رداء وإزار ، كنحو ما يجد من الميسرة والفاقة .

* * *

وقال آخرون : بل عنى بذلك كسوتهم « ثوب جامع » ، كالملحفة والكساء ، والشيء الذي يصلح للّبس والنوم .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٤٧٠ – حدثنا هناد بن السري قال، حدثنا أبو الأحوص ، عن مغيرة ، عن حماد ، عن إبراهيم قال : الكسوة ثوبٌ جامع .

١٢٤٧١ – حدثنا هناد وابن وكيع قالا، حدثنا ابن فضيل ، عن مغيرة ، عن إبراهيم في قوله : « أو كسوتهم » ، قال : ثوب جامع . قال وقال مغيرة : و«الثوب الجامع»: الملحفة أو الكساء أو نحوه، ولا نرى الدِّرع والقميصَ والخِمار ونحوه « جامعاً » .

١٢٤٧٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم قال : ثوب جامع .

---

(١) هذه قراءة شاذة ، قرأ بها سعيد بن جبير ، ومحمد بن السميقع اليماني . وقد ذكرها ابن خالويه في شواذ القراءات : ٣٤ ، ونسبها إلى سعيد بن المسيب ، لا سعيد بن جبير ، وهو خطأ منه ، وهذا الخبر دال على ذلك فقد أنكرها سعيد بن المسيب . وذكر نسبتها على الصواب ، القرطبي في تفسيره ٦ : ٢٧٩ ، وأبو حيان في تفسيره ٤ : ١١ .

١٢٤٧٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن مغيرة ، عن إبراهيم قال : ثوب جامع .

١٢٤٧٤ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا هشيم، عن مغيرة، عن إبراهيم: « أو كسوتهم » ، قال : ثوب جامع لكل مسكين .

١٢٤٧٥ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان وشعبة ، عن المغيرة، عن إبراهيم فى قوله : « أو كسوتهم » ، قال : ثوب جامع .

١٢٤٧٦ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا ابن أبى عدى ، عن شعبة ، عن المغيرة ، مثله .

* * *

وقال آخرون: عنى بذلك : كسوة إزار ورداء وقميص .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٤٧٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبد الأعلى ، عن بردة ، عن رافع ، عن ابن عمر قال فى الكسوة : فى الكفارة إزار ورداء وقميص . (١)

* * *

وقال آخرون : كل ما كسا فيجزئ ، والآية على عمومها .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٤٧٨ – حدثنا هناد قال، حدثنا عبد السلام بن حرب، عن ليث ، عن مجاهد قال : يجزئ فى كفارة اليمين كل شىء إلا التُّبَّان . (٢) ١٨/٧

١٢٤٧٩ – حدثنا هناد وأبوكريب قالا ، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع

---

(١) الأثر : ١٢٤٧٧ – « بردة » ، لم أجد له ذكراً ، وكأنه محرف .
و « رافع » لم أعرف من يكون ، وهكذا هو فى المخطوطة ، وكان فى المطبوعة « نافع » مغيراً بغير دليل . وأثبت الإسناد كما هو فى المخطوطة ، حتى يهتدى إلى صوابه من يقوم له .

(٢) « التبان » (بضم التاء وتشديد الباء) : سراويل صغير مقدار شبر ، يستر العورة المغلظة فقط ، يكون للملاحين .

قال ، حدثنا أبي = ، عن سفيان ، عن أشعث ، عن الحسن قال : يجزئ عمامة في كفارة اليمين .

١٢٤٨٠ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي = ، عن أويس الصيرفي ، عن أبي الهيثم ، قال قال سلمان : نعم الثوبُ التُّبَّان . (١)

١٢٤٨١ – حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان ، عن الشيباني ، عن الحكم قال : عمامة يلف بها رأسه .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصحة وأشبهها بتأويل القرآن ، قولُ من قال : عنى بقوله : « أو كسوتهم » ، ما وقع عليه اسم كسوة ، مما يكون ثوباً فصاعداً = لأن ما دون الثوب ، لا خلافَ بين جميع الحجة أنه ليس مما دخل في حكم الآية ، فكان ما دون قدر ذلك ، خارجاً من أن يكون الله تعالى عناه ، بالنقل المستفيض . (٢) والثوبُ وما فوقه داخل في حكم الآية ، إذ لم يأت من الله تعالى ذكره وحي ، ولا من رسوله صلى الله عليه وسلم خبر ، ولم يكن من الأمة إجماع بأنه غير داخل في حكمها . وغير جائز إخراج ما كان ظاهرُ الآية محتملَه من حكم الآية ، إلا بحجة يجب التسليم لها . ولا حجة بذلك .

* * *

---

(١) الأثر : ١٢٤٨٠ – « أويس الصيرفي » لم أجده ، ولم أعرفه .
و « أبو الهيثم » ، لم أستطع أن أستبين أيهم يكون ممن يكنى « أبا الهيثم » .
و « سلمان » أيضاً لم أستطع تحديده في هذا الإسناد .

(٢) السياق : « لا خلاف بين جميع الحجة . . . بالنقل المستفيض » .

القول فى تأويل قوله ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك: أو فكّ عبد من أسر العبودة وذلها .

* * *

وأصل « التحرير »، الفك من الأسر ،[1] ومنه قول الفرزدق بن غالب :

أَبَنِي غُدَانَةَ ، إِنَّنِي حَرَّرْتُكُمْ فَوَهَبْتُكُمْ لِعَطِيَّةَ بْنِ جِعَالِ[2]

يعنى بقوله : « حرّرتكم » ، فككت رقابكم من ذلّ الهجاء ولزوم العار .

* * *

وقيل : « تحرير رقبة » ، والمحرَّر ذو الرقبة ،[3] لأن العربَ كان من شأنها إذا أسرت أسيراً أن تجمع يديه إلى عنقه بقِدٍّ أو حبل أو غير ذلك ،[4] وإذا أطلقته من الأسر أطلقت يديه وحلّتهما مما كانتا به مشدودتين إلى الرقبة . فجرى الكلام

---

(١) انظر « تحرير رقبة » فيما سلف ٩ : ٣٠ ، وما بعدها ، ولم يشرحها أبو جعفر هناك وشرحها هنا . وهذا ضرب من اختصاره فى هذا التفسير .

(٢) ديوانه ٧٢٦ ، النقائض : ٢٧٥ ، وطبقات فحول الشعراء : ٤٢٤ ، من قصيدته فى هجاء جرير .

و « بنو غدانة » هم : بنو غدانة بن يربوع ، أخو « كليب بن يربوع » ، جد جرير . و « عطية بن جعال بن قطن بن مالك بن غدانة بن يربوع » ، وكان عطية من سادة بنى غدانة ، وكان صديقاً للفرزدق وخليلا له . فلما بلغ عطية هذا الشعر قال : « جزى الله خليلى عنى خيراً ! ! ما أسرع ما رجع خليلى فى هبته ! ! »، لأنه هجاهم، وهو يزعم أنه وهب أعراضهم لصاحبه، يقول بعده :

فَوَهَبْتُكُمْ لِأُحَقِّكُمْ بِقَدِيمِكُمْ قِدْماً ، وَأَفْعَلِهِ لِكُلِّ نَوَالِ
لَوْلَا عَطِيَّةُ لَاجْتَدَعْتُ أُنُوفَكُمْ مِنْ بَيْنِ أَلْأَمِ آنُفٍ وَسِبَالِ
إِنِّي كَذَاكَ ، إِذَا هَجَوْتُ قَبِيلَةً جَدَّعْتُهُمْ بِعَوَارِمِ الْأَمْثَالِ .

(٣) فى المطبوعة : « صاحب الرقبة » ، لم يحسن قراءة المخطوطة .

(٤) فى المطبوعة : « بقيد أو حبل » ، وهو خطأ ، صوابه فى المخطوطة . و « القد » (بكسر القاف والدال المشددة) : سير يقد (أى : يشق طولا) من جلد غير مدبوغ . وأما « القيد » ، فأكثر ما يكون فى الرجلين .

عند إطلاقهم الأسير ، بالخبر عن فك يديه عن رقبته ، وهم يريدون الخبرَ عن إطلاقه من أسره ،[١] كما يقال : « قبضَ فلان يده عن فلان » ، إذا أمسك يده عن نواله = « وبسط فيه لسانه » ،[٢] إذا قال فيه سوءاً = فيضافُ الفعل إلى الجارحة التى يكون بها ذلك الفعل دون فاعله ، لاستعمال الناس ذلك بينهم ، وعلمهم بمعنى ذلك .

فكذلك ذلك فى قول الله تعالى ذكره : « أو تحرير رقبة » ، أضيف « التحرير » إلى « الرقبة » ، وإن لم يكن هنالك غُلٌّ فى رقبته ولا شدُّ يَدٍ إليها ، وكان المراد بالتحرير نفسَ العبد ، بما وصفنا ، من جَرَّاء استعمال الناس ذلك بينهم لمعرفتهم بمعناه .[٣]

* * *

فإن قال قائل : أفكلّ الرقاب معنىٌّ بذلك أو بعضه ؟[٤]

قيل : بل معنىّ بذلك كل رقبة كانت سليمة من الإقعاد ،[٥] والعمىَ والخرس ، وقطع اليدين أو شللهما ، والجنون المطبق ، ونظائر ذلك . فإن من كان به ذلك أو شىء منه من الرقاب ، فلا خلاف بين الجميع من الحجة أنه لا يجزئ فى كفارة اليمين . فكان معلوماً بذلك أن الله تعالى ذكره لم يعنه بالتحرير فى هذه الآية . فأما الصغير والكبير والمسلم والكافر ، فإنهم معنيون به .

* * *

---

(١) انظر تفسير : « وفى الرقاب » فيما سلف ٣ : ٣٤٧ . وتفسير ذلك هناك مختصر ، وهو هنا مفصل . وهذا باب من أبواب اختصار أبى جعفر فى تفسيره هذا .

(٢) انظر ما سلف فى مثل ذلك فى تفسير قوله تعالى : « بل يداه مبسوطتان » ص : ٤٥١ وما قبله فى تفسير : « بما قدمت أيديهم » ٢ : ٣٦٨ .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « من جرى استعمال . . . » ، وصواب قراءتها « من جراء » وكذلك كتبتها ، فإن الذى فى كلام الطبرى هو « جرى » المقصورة من « جراء » . فلذلك كتبها بالياء. يقال : « فعلت ذلك من جراك ، ومن جرائك » ، أى : من أجلك ، وقد جمعتا فى شعر واحد :

أَمِنْ جَرَّا بَنِي أَسَدٍ غَضِبْتُمْ ... وَلَوْ شِئْتُمْ لَكَانَ لَكُمْ جِوَارُ
وَمِنْ جَرَّائِنَا صِرْتُمْ عَبِيدًا ... لِقَوْمٍ ، بَعْدَ مَا وُطِئَ الخِيَارُ

(٤) فى المطبوعة : « أو بعضها » ، والذى فى المخطوطة صواب محض .

(٥) « الإقعاد » و « القعاد » (بضم القاف) : داء يقعد . « أقعد الرجل فهو مقعد » ، إذا أصابه القعاد فحال بينه وبين المشى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل العلم .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٤٨٢ – حدثنا هناد . . . . قال، حدثنا مغيرة، عن إبراهيم : أنه كان يقول : من كانت عليه رقبة واجبة ، فاشترى نَسَمة ، قال: إذا أنقذها من عمل أجزأته ،ولا يجوز عتق من لا يعمل . فأما الذى يعمل ، فالأعور ونحوه . وأما الذى لا يعمل فلا يجزئ ، الأعمى والمقعد .(١)

١٢٤٨٣ – حدثنا هناد قال، حدثنا هشيم ، عن يونس، عن الحسن قال : كان يكره عتق المخَبَّل فى شيء من الكفارات .(٢)

١٢٤٨٤ – حدثنا هناد قال، حدثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم : أنه كان لا يرى عتقَ المغلوب على عقله يجزئ فى شيء من الكفارات .

* * *

وقال بعضهم : لا يجزئ فى الكفارة من الرقاب إلا صحيح، ويجزئ الصغير فيها .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٤٨٥ – حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء قال : لا يجزئ فى الرقبة إلاّ صحيح .

١٢٤٨٦ – حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع ، عن سفيان، عن ابن جريج، عن عطاء قال : يجزىء المولودُ فى الإسلام من رقبة .

١٢٤٨٧ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن إبراهيم قال : ما كان فى القرآن من « رقبة مؤمنة »، فلا يجزئ إلا ما صام وصلى. وما كان ليس بمؤمنة ، فالصبي يجزئ .(٣)

---

(١) الأثر : ١٢٤٨٢ – « هناد بن السرى » لا يروى عن مغيرة ، بينهما فى الإسناد رجل أو رجلان وانظر الأثرين السالفين قريباً : ١٢٤٧٠ ، ١٢٤٧١ ، وما يأتى رقم : ١٢٤٨٤ . وكان فى المطبوعة : « كالأعمى » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) « المخبل » (بتشديد الباء) : المجنون ، من « الخبل » (بسكون الباء) : وهو الفالج ، أو فساد الأعضاء ، أو فساد العقل .

(٣) الأثر : ١٢٤٨٧ – مضى بإسناده ولفظه برقم : ١٠٠٩٦ .

وقال بعضهم : لا يقال للمولود « رقبة » ، إلا بعد مدة تأتى عليه .

* ذكر من قال ذلك : ١٩/٧

١٢٤٨٨ — حدثني محمد بن يزيد الرفاعي قال ، حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، عن محمد بن شعيب بن شابور ، عن النعمان بن المنذر ، عن سليمان قال : إذا ولد الصبي فهو نسمة ، وإذا انقلبَ ظهراً لبطن فهو رقبة ، وإذا صلى فهو مؤمنة .(١)

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال : إن الله تعالى عمَّ بذكر « الرقبة » كل رقبة ، فأيَّ رقبة حرّرها المكفر يمينَه في كفارته ، فقد أدّى ما كُلِّف ، إلا ما ذكرنا أن الحجة مجمعة على أن الله تعالى ذكره ، لم يعنه بالتحرير ، فذلك خارج من حكم الآية ، وما عدا ذلك فجائز تحريرُه في الكفارة بظاهر التنزيل .

والمكفِّر مخيَّر في تكفير يمينه التي حنث فيها بإحدى هذه الحالات الثلاث التي سماها الله في كتابه ، وذلك : إطعام عشرة مساكين من أوسط ما يطعم أهله ، أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة = بإجماع من الجميع ، لا خلاف بينهم في ذلك .

فإن ظنّ ظانّ أنّ ما قلنا من أن ذلك إجماع من الجميع ، ليس كما قلنا ، لما : —

١٢٤٨٩ — حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب قال ، حدثنا عبد الواحد ابن زياد قال ، حدثنا سليمان الشيباني قال ، حدثنا أبو الضحى ، عن مسروق قال : جاء معقل بن مقرن إلى عبد الله فقال : إني آليتُ من النساء والفراش ! فقرأ عبد الله هذه الآية : ﴿ لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [سورة المائدة : ٨٧] . قال فقال معقل : إنما سألتك أنْ أتيتُ

---

(١) الأثر : ١٢٤٨٨ — « محمد بن شعيب بن شابور الأموي » ، أحد الكبار ، كان يسكن بيروت . روى عن الأوزاعي ، ويزيد بن أبي مريم ، والنعمان بن المنذر . ثقة ثبت ، روى له الأربعة . مترجم في التهذيب .

و « النعمان بن المنذر الغساني ، اللخمي » ، « أبو الوزير » . روى عن عطاء ، ومجاهد ، والزهري ، وطاوس ، ومكحول . ثقة . مترجم في التهذيب .

و « سليمان » ، كأنه « سليمان بن طرخان التيمي » ، ولست أحققه .

على هذه الآية الليلة؟ فقال عبد الله : اثت النساء ونَمْ ، وأعتق رقبة ، فإنك موسر.(١)

١٢٤٩٠ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثني جرير بن حازم : أن سليمان الأعمش حدثه ، عن إبراهيم بن يزيد النخعي ، عن همام بن الحارث : أن نعمان بن مقرِّن سأل عبد الله بن مسعود فقال : إني حلفت أن لا أنام على فراشي سنة ؟ فقال ابن مسعود : « يا أيها الذين آمنوا لاتحرِّموا طيبات ما أحل الله لكم » ، كفِّر عن يمينك ، ونم على فراشك ! قال : بم أكفِّر عن يميني؟ قال : أعتق رقبة ، فإنك موسر .(٢)

* * *

= ونحو هذا من الأخبار التي رويت عن ابن مسعود وابن عمر وغيرهما ، فإنّ ذلك منهم كان على وجه الاستحباب لمن أمروه بالتكفير بما أمروه به بالتكفير من

---

(١) الأثر : ١٢٤٨٩ – « محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب » ، ثقة مضى برقم : ٦٢٥٦ ، ٨١٣٦ .

و « عبد الواحد بن زياد العبدي » ، أحد الأعلام ، مضى برقم : ٢٦١٦ ، ٣١٣٦ .

« وسليمان الشيباني » هو : « سليمان بن أبي سليمان » ، « أبو إسحق الشيباني » . ثقة . مضى كثيراً ، آخره رقم : ٨٨٦٩ .

و « أبو الضحى » ، و « مسروق » ، مضيا كثيراً .

و « معقل بن مقرن المزني » ، أبو عمرة ، قال البغوي : « سكن الكوفة ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث» . مترجم في الاستيعاب ، وأسد الغابة ، والإصابة ، وابن سعد ٦ : ١١ ، وابن أبي حاتم ٤/١/٢٨٥ ، وهو أخو « النعمان بن مقرن » . وكان في المطبوعة هنا : « النعمان ابن مقرن » ، مكان « معقل بن مقرن » ، غير الاسم لغير طائل ، لأنه أخذه من الذي يليه ، مع أنهما روايتان مختلفتان .

وكان في المطبوعة أيضاً : « إنما سألتك لكوني أتيت على هذه الآية ، فقال عبد الله » ، تصرف في العبارة تصرفاً فاسداً عامياً ، والصواب من المخطوطة ، ولكنه كتب هناك « سألتك عن » ثم وضع « أ » في وسط عين « عن » ، لتقرأها « أن » ، وكذلك أثبتها .

وهذا الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٣٠٩ ، عن معقل بن مقرن ، وقال : « أخرجه ابن سعد ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والطبراني من طرق ، عن ابن مسعود » .

(٢) الأثر : ١٢٤٩٠ – انظر التعليق على الأثر السالف ، ولكنه هنا نسب القصة إلى « النعمان بن مقرن » ، أخي « معقل بن مقرن » .

الرقاب ، لا على أنه كان لا يجزئ عندهم التكفير للموسر إلاّ بالرقبة ، لأنه لم ينقل أحدٌ عن أحد منهم أنه قال : لا يجزئ الموسرَ التكفيرُ إلاّ بالرقبة . والجميعُ من علماء الأمصار ، قديمهم وحديثهم ، مجمعون على أن التكفير بغير الرقاب جائزٌ للموسر . فى ذلك مكتفًى عن الاستشهاد على صحة ما قلنا فى ذلك بغيره .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « فمن لم يجد » ، لكفارة يمينه التى لزمه تكفيرُها من الطعام والكسوة والرقاب ما يكفِّرها به على ما فرضنا عليه وأوجبناه فى كتابنا وعلى لسان رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم = « فصيام ثلاثة أيام » ، يقول : فعليه صيام ثلاثة أيام .

* * *

ثم اختلف أهل العلم فى معنى قوله : « فمن لم يجد » ، ومتى يستحقُّ الحانث فى يمينه الذى قد لزمته الكفارة ، اسم « غير واجد » ، حتى يكون ممن له الصيام فى ذلك .

فقال بعضهم : إذا لم يكن للحانث فى وقت تكفيره عن يمينه إلا قدر قوته وقوت عياله يومَه وليلته ، فإنّ له أن يكفر بالصيام . فإن كان عنده فى ذلك الوقت قوته وقوت عياله يومه وليلته ، ومن الفضل ما يطعم عشرة مساكين أو ما يكسوهم ، لزمه التكفيرُ بالإطعام أو الكسوة ، ولم يجزه الصيام حينئذ .

وممن قال ذلك الشافعى :

١٢٤٩١ — حدثنا بذلك عنه الربيع .

* * *

وهذا القولَ قصدَ إن شاء الله = مَنْ أوجب الطعام على من كان عنده درهمان = ،

مَنْ أوجبه على من عنده ثلاثة دراهم .[١] وبنحو ذلك :—

١٢٤٩٢ — حدثنا هناد قال ، حدثنا ابن المبارك، عن حماد بن سلمة ، عن عبد الكريم ، عن سعيد بن جبير قال : إذا لم يكن له إلاّ ثلاثة دراهم أطعم = قال : يعني في الكفارة .

١٢٤٩٣ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني معتمر بن سليمان قال : قلت لعمر بن راشد : الرجل يحلف ولا يكون عنده من الطعام إلا بقدر ما يكفر ، قال : كان قتادة يقول: يصوم ثلاثة أيام .[٢]

١٢٤٩٤ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا المعتمر بن سليمان قال ، حدثنا يونس بن عبيد ، عن الحسن قال : إذا كان عنده درهمان .

١٢٤٩٥ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا معتمر ، عن حماد ، عن عبد الكريم أبي أمية ، عن سعيد بن جبير قال : ثلاثة دراهم .[٣] ٢٠/٧

* * *

وقال آخرون: جائزٌ لمن لم يكن عنده مائتا درهم أن يصوم، وهو ممن لا يجد.

* * *

وقال آخرون: جائزٌ لمن لم يكن عنده فضل عن رأس ماله يتصرف به لمعاشه ما يكفر به بالإطعام ، أن يصوم إلاّ أن يكون له كفاية ، ومن المال ما يتصرف به لمعاشه ، ومن الفضل عن ذلك ما يكفرّ به عن يمينه . وهذا قولٌ كان يقوله بعض متأخرى المتفقهة .

* * *

---

(١) في المطبوعة ، غير هذه الجملة : « ممن أوجب الطعام . . . وممن أوجبه على من عنده » ، فاختل الكلام ، والصواب ما في المخطوطة . وقد ضبطت الكلام بالشكل ليتبين معناه ويتيسر .

(٢) الأثر : ١٢٤٩٣ — « عمر بن راشد » ، كأنه يعني : « عمر بن راشد السلمي » . روى عن الشعبي ، وعنه سفيان الثوري . مترجم في ابن أبي حاتم ٣/١/١٠٧ .

(٣) الأثر : ١٢٤٩٥ — « عبد الكريم » ، « أبو أمية » ، هو : « عبد الكريم أبي المخارق » ، مضى برقم : ٩٦٧٩ . وكان في المطبوعة : « عبد الكريم بن أبي أمية » ، وهو خطأ محض ، وتغيير لما في المخطوطة عبثاً .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا ، أنّ من لم يكن عنده فى حال حنثه فى يمينه إلا قدر قوته وقوت عياله يومه وليلته ، لا فضل له عن ذلك، يصوم ثلاثة أيام ، وهو ممن دخل فى جملة من لا يجد ما يطعم أو يكسو أو يعتق . وإن كان عنده فى ذلك الوقت من الفضل عن قوته وقوت عياله يوَمه وليلته ، ما يطعم أو يكسو عشرة مساكين ، أو يعتق رقبة ، فلا يجزيه حينئذ الصوم ، لأن إحدى الحالات الثلاث حينئذ من إطعام أو كسوة أو عتق ، حق قد أوجبه الله تعالى ذكره فى ماله وجوبَ الدين. وقد قامت الحجة بأن المفلس إذا فرّق ماله بين غرمائه : أنه لا يترك ذلك اليوم إلاّ ما لا بدّ له من قوته وقوت عياله يوَمه وليلته . فكذلك حكم المعدم بالدين الذى أوجبه الله تعالى ذكره فى ماله بسبب الكفارة التى لزمت ماله .

* * *

واختلف أهل العلم فى صفة الصوم الذى أوجبه الله فى كفارة اليمين .

فقال بعضهم : صفته أن يكون مواصلاً بين الأيام الثلاثة غير مفرّقها .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٤٩٦ — حدثنا محمد بن العلاء قال، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد قال : كل صوم فى القرآن فهو متتابع ، إلاّ قضاء رمضان ، فإنه عدة من أيام أخر.(١)

١٢٤٩٧ — حدثنا أبو كريب وهناد قالا ،حدثنا وكيع =وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى = ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس قال : كان أبىّ ابن كعب يقرأ : ﴿ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَاتٍ ﴾.

١٢٤٩٨ — حدثنا عبد الأعلى بن واصل الأسدى قال،حدثنا عبيد الله بن

---

(١) قوله : « فإنه عدة من أيام أخر » ، ليس فى المخطوطة ، وهو فى الدر المنثور ٢ : ٣١٤ ، أخشى أن يكون نقله من هناك .

موسى ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي ابن كعب : أنه كان يقرأ: ﴿ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَاتٍ ﴾ .

١٢٤٩٩ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يزيد بن هرون، عن قزعة ، عن سويد ، عن سيف بن سليمان ، عن مجاهد ، قال : في قراءة عبد الله : ﴿ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَاتٍ ﴾ .(١)

١٢٥٠٠ – حدثنا هناد قال، حدثنا ابن المبارك، عن ابن عون ، عن إبراهيم قال: في قراءتنا: ﴿ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَاتٍ ﴾ .

١٢٥٠١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن علية ، عن ابن عون ، عن إبراهيم ، مثله .

١٢٥٠٢ – حدثناابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم في قراءة أصحاب عبد الله : ﴿ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَاتٍ ﴾.

١٢٥٠٣ – حدثنا هناد وأبو كريب قالا ، حدثنا وكيع ، عن سفيان، عن جابر ، عن عامر قال : في قراءة عبد الله : ﴿ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَاتٍ ﴾.

١٢٥٠٤ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا محمد بن حميد، عن معمر ، عن أبي إسحق في قراءة عبدالله : ﴿ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَاتٍ ﴾.(٢)

١٢٥٠٥ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا محمد بن حميد، عن معمر ،

---

(١) الأثر : ١٢٤٩٩ – « قزعة بن سويد بن جحير الباهلي » ، مضى برقم : ٨١٤١ وأبوه « سويد بن جحير الباهلي » مضى : ٨٢٨١ ، ٨٢٨٣ ، ٩٣٧٢ .
وكان في المطبوعة: « قزعة بن سويد »،وأثبت ما في المخطوطة،و « قزعة »، يروى عن أبيه .
و « سليف بن سليمان المخزومي » ، مضى برقم : ٣٣٤٥ .

(٢) الأثر : ١٢٥٠٤ – « محمد بن حميد اليشكري المعمري » « أبو سفيان المعمري » ، مضى برقم : ١٧٨٧ ، ٨٨٢٩ .
و « معمر بن راشد الأزدي » ، مضى مراراً رقم : ١٧٨٧ ، ٢٠٩٥ ، ٨٨٨٥
و « أبو إسحق » ، هو « أبو إسحق السبيعي » من شيوخ معمر . وكان في المطبوعة والمخطوطة : « ابن إسحق » ، وهو خطأ محض .

عن الأعمش قال : كان أصحاب عبد الله يقرأون : ﴿ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَاتٍ ﴾.

١٢٥٠٦ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع قال، سمعت سفيان يقول : إذا فرّق صيام ثلاثة أيام لم يجزِه . قال : وسمعته يقول فى رجل صامَ فى كفارة يمين ثم أفطر ، قال : يستقبل الصومَ .

١٢٥٠٧ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا جامع بن حماد قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : « فصيام ثلاثة أيام »، قال : إذا لم يجد طعاماً ، وكان فى بعض القراءة : ﴿ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَاتٍ ﴾ . وبه كان يأخذ قتادة .(١)

١٢٥٠٨ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قال : هو بالخِيار فى هؤلاء الثلاثة ، الأوّلَ فالأوّل ، فإن لم يجد من ذلك شيئاً فصِيَام ثلاثة أيام متتابعات .

* * *

وقال آخرون : جائز لمن صامهنّ أن يصومهن كيف شاء ، مجتمعات ومفترقات .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٥٠٩ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا أشهب قال، قال مالك : كل ما ذكر الله فى القرآن من الصيام ، فأن يُصَام تِبَاعاً أعجبُ. فإن فرقها رجوتُ أن تجزئ عنه .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال : إن الله تعالى

---

(١) الأثر : ١٢٥٠٧ – « جامع بن حماد » انظر ما سلف رقم : ١٢٣٤٤ ، ١٢٣٦٧ ، ١٢٤٢٣ .

ذكره أوجب على من لزمته كفّارة يمين ، إذا لم يجد إلى تفكيرها بالإطعام أو الكسوة أو العتق سبيلاً ، أن يكفرّها بصيام ثلاثة أيام ، ولم يشرطْ في ذلك متتابعة. فكيفما صامهنّ المكفِّر مفرَّقة ومتتابعة ، أجزأه . لأن الله تعالى ذكره إنما أوجب عليه صيام ثلاثة أيام ، فكيفما أتى بصومهنّ أجزأ . ٢١/٧

* * *

فأما ما روى عن أبيّ وابن مسعود من قراءتهما : ﴿ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَاتٍ ﴾ ، فذلك خلاف ما في مصاحفنا . وغير جائز لنا أن نشهد لشيء ليس في مصاحفنا من الكلام أنه من كتاب الله . (١) غيرَ أني أختار للصائم في كفّارة اليمين أن يُتابع بين الأيام الثلاثة ، ولا يفرِّق . لأنه لا خلاف بين الجميع أنه إذا فعل ذلك فقد أجزأ ذلك عنه من كفارته ، وهم في غير ذلك مختلفون . ففعل ما لا يُختلف في جوازه ، أحبُّ إليّ ، وإن كان الآخر جائزاً .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٨٩)

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بقوله : « ذلك » ، هذا الذي ذكرت لكم أنه كفارة أيمانكم ، من إطعام العشرة المساكين ، أو كسوتهم ، أو تحرير الرقبة ، وصيام الثلاثة الأيام إذا لم تجدوا من ذلك شيئاً = هو كفارة أيمانكم التي عقدتموها إذا حلفتم = واحفظوا ، أيها الذين آمنوا أيمانكم أن تحنثوا فيها ، ثم تُضيعُوا الكفارة فيها بما وصفته لكم =(٢) « كذلك يبين الله لكم آياته » ، كما بين لكم كفارة أيمانكم ،

---

(١) في المطبوعة : « أن تشهد بشيء » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) في المطبوعة : « ثم تصنعوا » ، وهي في المخطوطة غير منقوطة ، وصواب قراءتها ما أثبت .

كذلك يبين الله لكم جميع آياته = يعنى أعلام دينه فيوضّحها لكم = لئلا يقول المضيع المفرّط فيما ألزمه الله: « لم أعلم حكم الله فى ذلك! » = «لعلكم تشكرون»، يقول : لتشكروا الله على هدايته إياكم وتوفيقه لكم .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٩٠)

قال أبو جعفر : وهذا بيانٌ من الله تعالى ذكره للذين حرّموا على أنفسهم النساءَ والنومَ واللحمَ من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم، تشبُّهاً منهم بالقسيسين والرهبان، فأنزل الله فيهم على نبيّه صلى الله عليه وسلم كتابَه ينْهاهم عن ذلك فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ ﴾، [سورة المائدة: ٨٧].

---

(١) انظر تفسير ألفاظ هذه الآية فيما سلف من فهارس اللغة .

* * *

وعند هذا الموضع ، انتهى جزء من التجزئة القديمة التى نقلت عنها نسختنا ، وفيها ما نصه :

« يتلوه القول فى تأويل قوله
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .
وصلى الله على محمد النبيّ وعلى آله وسلّم كثيراً » .

ثم يتلوه ما نصه :

« بسم الله الرّحمن الرحيم
ربِّ أعِنْ يَا كريم »

فنهاهم بذلك عن تحريم ما أحلّ الله لهم من الطيبات . ثم قال : ولا تعتدوا أيضاً في حدودي ، فتحلّوا ما حرّمت عليكم ، فإن ذلك لكم غير جائز ، كما غيرُ جائزٍ لكم تحريم ما حلّلت ، وإنّي لا أحبُّ المعتدين. ثم أخبرهم عن الذي حرّم عليهم مما إذا استحلوه وتقدّموا عليه ، كانوا من المعتدين في حدوده = فقال لهم : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله ، إن الخمر التي تشربونها ، والميسرَ الذي تتَياسرونه ، والأنصاب التي تذبحُون عندها ، والأزلام التي تستقسمون بها = « رجْس » ، يقول : إثم ونَتْنٌ سَخِطه الله وكرهه لكم = « من عمل الشيطان » ، يقول : شربكم الخمر ، وقماركم على الجزُر ، وذبحكم للأنصاب ، واستقسامكم بالأزلام ، من تزيين الشيطانِ لكم ، ودعائه إياكم إليه ، وتحسينه لكم ، لا من الأعمال التي ندبكم إليها ربُّكم ، ولا مما يرضاه لكم ، بل هو مما يسخطه لكم = « فاجتنبوه » ، يقول : فاتركوه وارفضوه ولا تعملوه[1] = « لعلكم تفلحون » ، يقول : لكي تنجَحُوا فتدركوا الفلاحَ عند ربكم بترككم ذلك .[2]

* * *

وقد بينا معنى « الخمر » ، و « الميسر » ، و « الأزلام » فيما مضى ، فكرهنا إعادته.[3]

* * *

وأما « الأنصاب » ، فإنها جمع « نُصُب » ، وقد بينا معنى « النُّصُب » بشواهده فيما مضى .[4]

* * *

---

(١) انظر تفسير « الفلاح » فيما سلف ١٠ : ٢٩٢ ، تعليق : ٣ . والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « اجتنب » فيما سلف ٨ : ٢٣٣ ، وهي هناك غير مفسرة ، ثم ٨ : ٣٤٠ .

(٣) انظر تفسير « الخمر » فيما سلف ٤ : ٣٢٠ ، ٣٢١ .

= وتفسير « الميسر » فيما سلف ٤ : ٣٢١ ، ٣٢٢ - ٣٢٥ .

= وتفسير « الأزلام » فيما سلف ٩ : ٥١٠ - ٥١٥ .

(٤) انظر تفسير « النصب » ٩ : ٥٠٧ - ٥٠٩ .

وروى عن ابن عباس فى معنى « الرجس » فى هذا الموضع ، ما :-

١٢٥١٠ - حدثنى به المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « رجس من عمل الشيطان » ، يقول : سَخَطٌ .

* * *

وقال ابن زيد فى ذلك ، ما :-

١٢٥١١ - حدثنى به يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « رجس من عمل الشيطان » ، قال : « الرجس » ، الشرُّ .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ (٩١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: إنما يُريد لكم الشيطانُ شربَ الخمر والمياسرةَ بالقِداح، ويحسِّن ذلك لكم، إرادةً منه أن يوقع بينكم العَداوَة والبغضاءَ فى شربكم الخمر ومياسرتكم بالقداح،[1] ليعادى بعضكم بعضاً، ويبغِّض بعضَكم إلى بعض ، فيشتِّت أمركم بعد تأليف الله بينكم بالإيمان ، وجمعه بينكم بأخوّة الإسلام = « ويصدّكم عن ذكر الله » ، يقول : ويصرفكم بغلبة هذه الخمر بسكرها إياكم عليكم ،[2] وباشتغالكم بهذا الميسر ، عن ذكر الله الذى به صلاح دنياكم وآخرتكم = « وعن الصلاة » ، التى فرضها عليكم ربكم = « فهل أنتم منتهون » ، ٢٢/٧

(١) انظر تفسير « البغضاء » فيما سلف ٧ : ١٠/١٤٥ : ١٣٦

(٢) انظر تفسير « الصد » فيما سلف ٩ : ٤٨٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

يقول : فهل أنتم منتهون عن شرب هذه ، والمياسرة بهذا ، [١] وعاملون بما أمركم به ربكم من أداء ما فرض عليكم من الصلاة لأوقاتها ، ولزوم ذكره الذى به نُجْح طلباتكم فى عاجل دنياكم وآخرتكم ؟

* * *

واختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله نزلت هذه الآية .

فقال بعضهم : نزلت بسبب كان من عمر بن الخطاب ، وهو أنه ذكر مكروه عاقبة شربها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسأل الله تحريمها . [٢]

* ذكر من قال ذلك :

١٢٥١٢ — حدثنا هناد بن السرى قال ، حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحق ، عن أبى ميسرة قال ، قال عمر : اللهم بيّن لنا فى الخمر بياناً شافياً ! قال : فنزلت الآية التى فى « البقرة » : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾ ، [سورة البقرة : ٢١٩] . قال : فدُعى عمر فقرئت عليه ، فقال : اللهم بيّن لنا فى الخمر بياناً شافياً ! فنزلت الآية التى فى « النساء » : ﴿ لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ ، [سورة النساء : ٤٣] . قال : وكان مُنادى النبى صلى الله عليه وسلم يُنادى إذا حضرت الصلاة : لا يقربن الصلاة السكران ! قال : فدُعى عمر فقرئت عليه ، فقال : اللهم بيّن لنا فى الخمر بياناً شافياً ! قال : فنزلت الآية التى فى « المائدة » : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس » إلى قوله : « فهل أنتم منتهون » . فلما انتهى إلى قوله : « فهل أنتم منتهون » ، قال عمر : انتهينا انتهينا ! ! [٣]

---

(١) انظر تفسير « الانتهاء » فيما سلف ٤٨٢ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر ما سلف فى تحريم الخمر ٤ : ٣٣٠ - ٨/٣٣٦ : ٣٧٦ ، ٣٧٧ .

(٣) الأثر : ١٢٥١٢ — « أبو ميسرة » هو : « عمرو بن شرحبيل الهمدانى » ، سمع عمر ، وعبد الله بن مسعود ، وغيرهما من الصحابة . مضى برقم : ٢٨٣٩ ، ٢٨٤٠ ، ٩٢٢٨ . وهذا الخبر رواه أبو جعفر من خمس طرق ، عن أبى إسحق ، عن أبى ميسرة .

١٢٥١٣ – حدثنا هناد قال ، حدثنا ابن أبي زائدة قال ، حدثنا أبي ، عن أبي إسحق ، عن أبي ميسرة قال ، قال عمر : اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً ، فإنها تَذْهب بالعقل والمال ! = ثم ذكر نحو حديث وكيع .(١)

ورواه أحمد في مسنده رقم : ٣٧٨ من طريق إسرائيل ، عن أبي إسحق ، بمثله ، وأبو داود في سننه ٣ : ٤٤٤ رقم : ٣٦٧٠ ، بمثله ، وفيه : « بياناً شفاء » . والنسائي في سننه ٨ : ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، بمثله . والترمذي في سننه في كتاب التفسير من طريق محمد بن يوسف ، عن إسرائيل ، مرفوعاً ، ثم من طريق أبي كريب محمد بن العلاء ، عن وكيع . عن إسرائيل ، مرسلا . ولكن جاء هنا في رواية هناد بن السري ، عن وكيع ، مرفوعاً . وقال الترمذي بعد ذكر رواية أبي كريب : « وهذا أصح من حديث محمد بن يوسف » ، يعني أنه أصح مرسلا . وانظر ما سيأتي في باقي التخريج .

ورواه الحاكم في المستدرك ٢ : ٢٧٨ ، من طريق عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل بمثله ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبي .

ورواه البيهقي في السنن ٨ : ٢٨٥ ، من طريق عبيد الله بن موسى أيضاً ، ومن طريق إسماعيل ابن جعفر ، عن إسرائيل ، بمثله .

ورواه أبو جعفر النحاس في الناسخ والمنسوخ : ٣٩ ، من طريق محمد بن يوسف ، عن إسرائيل ، (كطريق الترمذي) وفيه زيادة : « فإنها تذهب العقل والمال » ، الآتية في رقم : ١٢٥١٣ ، وليست في رواية الترمذي .

ورواه الواحدي في أسباب النزول : ١٥٤ ، من طريق أحمد بن حنبل ، عن خلف بن الوليد ، عن إسرائيل ، بمثل ما في المسند .

وخرجه ابن كثير في تفسيره ١ : ٤٩٩ ، ٥٠٠ / ثم ٣ : ٢٢٥ ، وقد صحح أخي السيد أحمد هذا الحديث في المسند رقم : ٣٧٨ ، ثم قال : « وذكره ابن كثير في التفسير ١ : ٤٩٩ ، ٣/٥٠٠ : ٢٢٦ وقال : هكذا رواه أبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، من طرق عن أبي إسحق . وكذا رواه ابن أبي حاتم ، وابن مردويه من طريق الثوري ، عن أبي إسحق ، عن أبي ميسرة ، واسمه عمرو بن شرحبيل الهمداني الكوفي ، عن عمر ، وليس له عنه سواه . ولكن قال أبو زرعة : لم يسمع منه . والله أعلم . وقال علي بن المديني : « هذا إسناد صالح صحيح . وصححه الترمذي . وزاد ابن أبي حاتم بعد قوله : انتهينا – إنها تذهب المال وتذهب العقل » .

قال أخي السيد أحمد : « وقول أبي زرعة أن أبا ميسرة لم يسمع من عمر ، لا أجد له وجهاً . فإن أبا ميسرة لم يذكر بتدليس ، وهو تابعي قديم مخضرم ، مات سنة ٦٣ . وفي طبقات ابن سعد ٦ : ٧٣ ، عن أبي إسحق قال : أوصى أبو ميسرة أخاه الأرقم : لا تؤذن بي أحداً من الناس ، وليصل على شريح قاضي المسلمين وإمامهم = وشريح الكندي ، استقضاه عمر على الكوفة ، وأقام على القضاء ستين سنة ، فأبو ميسرة أقدم منه » .

أقول : ولم يذكر أحد غير أبي زرعة فيما بحثت ، أن أبا ميسرة لم يسمع من عمر ، بل كلهم ذكر سماعه من عمر .

(١) الأثر : ١٢٥١٣ – هذه الزيادة : « فإنها تذهب العقل والمال » ، أشرت إليها في

١٢٥١٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة ، عن زكريا ، عن أبي إسحق ، عن أبي ميسرة قال ، قال عمر بن الخطاب : اللهم بيِّن لنا ، فذكر نحوه .

١٢٥١٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن أبيه = وإسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن أبي ميسرة ، عن عمر بن الخطاب ، مثله .

١٢٥١٦ – حدثنا هناد قال، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنا زكريا بن أبي زائدة ، عن أبي إسحق ، عن أبي ميسرة ، عن عمر بن الخطاب ، مثله .[1]

١٢٥١٧ – حدثنا هناد قال، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثني أبو معشر المدني ، عن محمد بن قيس قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، أتاه الناس وقد كانوا يشربون الخمر ويأكلون الميسر ، فسألوه عن ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾، [سورة البقرة: ٢١٩] ، فقالوا: هذا شيء قد جاء فيه رخصة ، نأكل الميسر ونشرب الخمر، ونستغفر من ذلك! حتى أتى رجلٌ صلاةَ المغرب ، فجعل يقرأ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ ، [سورة الكافرون] . فجعل لا يجوز ذلك،[2] ولا يدري ما يقرأ، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾، [سورة النساء: ٤٣]. فكان الناس يشربون الخمرَ ، حتى يجيء وقت الصلاة فيدعون شربها ، فيأتون الصلاة وهم يعلمون ما يقولون ، فلم يزالوا كذلك حتى أنزل الله تعالى ذكره : « إنما

التعليق السالف في رواية أبي جعفر النحاس ، وذكرها ابن كثير ، من رواية ابن أبي حاتم .

(١) الآثار : ١٢٥١٤ – ١٢٥١٦ – انظر التخريج في رقم : ١٢٥١٢ .

(٢) في المطبوعة ، والدر المنثور : « لا يجود ذلك » (بتشديد الواو المكسورة) ، وفي المخطوطة كما أثبته غير منقوطة ، وهو الصواب إن شاء الله .

الخمر والميسر والأنصاب والأزلام » إلى قوله : « فهل أنتم منتهون » ، فقالوا : انتهينا يا رب ! (١)

* * *

وقال آخرون : نزلت هذه الآية بسبب سعد بن أبي وقاص . وذلك أنه كان لاحَى رجلاً على شراب لهما ، فضربه صاحبه بلَحْيَىْ جمل ، ففزَر أنفه ، فنزلت فيهما . (٢)

• ذكر الرواية بذلك :

١٢٥١٨ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن سماك بن حرب ، عن مصعب بن سعد ، عن أبيه سعد أنه قال : صنع رجلٌ من الأنصار طعاماً ، فدَعانا . قال : فشربنا الخمرَ حتى انتشينا ، فتفاخرت الأنصار وقريش ، فقالت الأنصار : نحن أفضلُ منكم ! قال : فأخذ رجل من الأنصار لَحْيَى جملٍ فضرب به أنف سعد ففزَره ، فكان سعد أفزرَ الأنف . قال : فنزلت هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر » إلى آخر الآية . (٣)

---

(١) الأثر : ١٥٢١٧ – ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٣١٨ ، ولم ينسبه لغير ابن جرير .

(٢) « لاحاه يلاحيه ملاحاة ولحاء » : إذا نازعه وشاتمه = و « لحى الجمل » (بفتح اللام وسكون الحاء) : وهما « لحيان » : وهما العظمان اللذان فيهما الأسنان من داخل الفم . يقال : لحى الجمل ، ولحى الإنسان ، وغيرهما . وكان في المطبوعة : « لحى » بالإفراد ، وأثبت ما في المخطوطة بالتثنية : « لحيي » = و « فزر الشيء » : صدعه . و « فزر أنفه » : شقه .

(٣) الأثر : ١٢٥١٨ – رواه أبو جعفر بثلاثة أسانيد . كلها صحيح .

فرواه من هذه الطريق الأولى أحمد في مسنده رقم : ١٥٦٧ ، ١٦١٤ ، مطولا . ورواه أبو داود الطيالسي ، عن شعبة في مسنده : ٢٨ ، رقم : ٢٠٨ .

ورواه مسلم من طريق أبي جعفر هذه ، عن محمد بن المثنى نفسه (١٥ : ١٨٦ ، ١٨٧) وفيه « وكان أنف سعد مفزوراً » ، بخلاف رواية أبي جعفر « أفزر الأنف » . ورواه مطولا بغير هذا اللفظ من طريق « الحسن بن موسى ، عن زهير ، عن سماك » .

ورواه البيهقي في السنن ٨ : ٢٨٥ ، من طريق وهب بن جرير ، عن شعبة .

ورواه أبو جعفر النحاس في الناسخ والمنسوخ : ٤٠ ، من طريق زهير ، عن سماك .

ورواه الواحدي في أسباب النزول : ١٥٤ .

١٢٥١٩ – حدثنا هناد قال، حدثنا أبو الأحوص ، قال حدثنا شعبة ، عن سماك ، عن مصعب بن سعد قال ، قال سعد : شربتُ مع قوم من الأنصار فضربت رجلاً منهم = أظنّ بفكّ جمل = فكسرته ، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فلم ألبث أن نزل تحريم الخمر : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر» ، إلى آخر الآية .(١) ٢٣/٧

١٢٥٢٠ – حدثنا هناد قال، حدثنا ابن أبي زائدة قال ، حدثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن مصعب بن سعد ، عن أبيه قال : شربت الخمر مع قوم من الأنصار ، فذكر نحوه .(٢)

١٢٥٢١ – حدثني يونس قال،أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني عمرو بن الحارث ،أن ابن شهاب أخبره،أن سالم بن عبد الله حدّثه: أن أول ماحُرِّمت الخمر، أن سعد بن أبي وقاصٍ وأصحاباً له شربوا فاقتتلوا ، فكسروا أنف سعدٍ ، فأنزل الله : « إنما الخمر والميسر» ، الآية .(٣)

* * *

وخرجه ابن كثير في تفسيره ٣ : ٢٣٠ ، والسيوطي في الدر المنثور ٢ : ٣١٥ ، وقصر في نسبته ، وزاد أيضاً نسبته إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه .

وكان في المخطوطة : « صنع رجل من الأنصار فدعانا » ، أسقط « طعاماً » ، وهي ثابتة في المطبوعة ، وفي جميع روايات الخبر . ولذلك أثبتها .

وقوله : « فكان سعد أفزر الأنف » ، في جميع الروايات : « مفزور الأنف » ، أي مشقوقه ، كما سلف في التعليق: ٢ ، ص٥٦٩ ولم تقيد كتب اللغة: « أفزر الأنف »،على « أفعل » . وهذا مما يثبت صحته ، وهو جائز في العربية .

(١) الأثر : ١٢٥١٩ – في المطبوعة : « قال حدثنا أبو الأحوص ، عن سماك » ، وهو خطأ لا شك فيه وكان في المخطوطة في آخر الصفحة : « قال حدثنا أبو الأحوص قال » ثم بدأ في الصفحة التالية : « عن سماك . . . » ، فنسي الناسخ في نسخة فأسقط « حدثنا شعبة » ، وبدأ : « عن سماك » .

(٢) الأثر : ١٢٥٢٠ – هذا الأثر والذي قبلها طريقان أخريان للأثر رقم : ١٢٥١٨ ، انظر التخريج في التعليق عليه .

(٣) الأثر : ١٢٥٢١ – خرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٣١٥ ، ولم ينسبه لغير ابن جرير .

وقال آخرون : نزلت فى قبيلتين من قبائل الأنصار .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٥٢٢ - حدثنا الحسين بن على الصدائى قال ، حدثنا حجاج بن المنهال قال ، حدثنا ربيعة بن كلثوم بن جبر ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : نزل تحريم الخمر فى قبيلتين من قبائل الأنصار شربوا . حتى إذا ثملوا ، عبث بعضهم على بعض.[1] فلما أن صحَوْا جعل الرجل منهم يرى الأثر بوجهه ولحيته فيقول: فعل بى هذا أخى فلان ! = وكانوا إخوة، ليس فى قلوبهم ضغائن = والله لو كان بى رؤوفاً رحيماً ما فعل بى هذا ! حتى وقعت فى قلوبهم ضغائن،[2] فأنزل الله : « إنما الخمر والميسر » إلى قوله : « فهل أنتم منتهون » ! فقال ناس من المتكلّفين : رجْسٌ فى بطن فلانٌ قتل يوم بدر ،[3] وقتل فلان يوم أحُدٍ ! فأنزل الله: ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ﴾، [سورة المائدة : ٩٣] ، الآية .[4]

---

(١) فى المطبوعة : « عبث بعضهم ببعض » ، وهكذا جاء فى جميع روايات الأثر ، فيما بين يدى من الكتب ، ولكنها فى المخطوطة كما أثبتها ، وهى صحيحة إن شاء الله .

(٢) فى المطبوعة : « فى قلوبهم الضغائن » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « هى رجس ، وهى فى بطن فلان » ، وهكذا فى سائر المراجع ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وكأنه صواب أيضاً .

(٤) الأثر : ١٢٥٢٢ - « ربيعة بن كلثوم بن جبر الديلى البصرى » ، روى له مسلم والنسائى ، متكلم فيه ، وهو ثقة . مضى برقم : ٦٢٤٠ . وكان فى المطبوعة : « ربيعة بن كلثوم عن جبير ، عن أبيه » ، وهو خطأ . وفى المخطوطة « ربيعة بن كلثوم عن جبر ، عن أبيه » ، وهو خطأ أيضاً ، وإن كان فيها « جبر » على الصواب . وجاء فى المستدرك خطأ « جبير » وهو خطأ يصحح . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢٦٦/١/٢ ، ولم يذكر فيه جرحاً ، وابن أبى حاتم ٤٧٧/٢/١ ، ٤٧٨ ، وثقه يحيى بن معين . وفيه عن على بن المدينى ، قال : « سمعت يحيى بن سعيد يقول ، قلت : « لربيعة بن كلثوم فى حديث ، عن أبيه، عن سعيد بن جبير ، هو : عن ابن عباس ؟ قال : وهل كان يروى سعيد بن جبير إلا عن ابن عباس ؟ »

وأبوه « كلثوم بن جبر بن مؤمل الديلى » ، ثقة ، وثقه أحمد مضى برقم : ٦٢٤٠ ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢٢٧/١/٤ ، وابن أبى حاتم ١٦٤/٢/٣ .

١٢٥٢٣ – حدثنا محمد بن خلف قال، حدثنا سعيد بن محمد الجرمى ، عن أبى تميلة ،عن سلاّم مولى حفص أبى القاسم ، عن ابن بريدة،عن أبيه قال : بينما نحن قعود على شرابٍ لنا ، [ونحن على رَمْلة،ونحن ثلاثة أو أربعة ، وعندنا باطيةٌ لنا] ، ونحن نشرب الخمر حِلاًّ ،إذ قمت حتى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه، وقد نزل تحريم الخمر : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصابُ والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان » ، إلى آخر الآيتين، « فهل أنتم منتهون » ، فجئت إلى أصحابى فقرأتها عليهم إلى قوله : « فهل أنتم منتهون » ؟ قال : وبعض القوم شربته فى يده ، قد شرب بعضاً وبقى بعضٌ فى الإناء ، فقال بالإناء تحت شفته العليا كما يفعل الحجّام . ثم صبوا ما فى باطيتهم فقالوا: انتهينا ربّنا! انتهينا ربّنا ! (١)

* * *

وهذا الخبر رواه البيهقى فى السنن ٨ : ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، والحاكم فى المستدرك ٤ : ١٤١ ، ولم يذكر فيه شيئاً ، ولكن قال الذهبى فى تعليقه على المستدرك : « قلت : صحيح على شرط مسلم » . وخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧ : ١٨ ، وقال : « رواه الطبرانى ، ورجاله رجال الصحيح » . ورواه أبو جعفر النحاس فى الناسخ والمنسوخ : ٤٠ مختصراً ، بغير إسناد .

وخرجه ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٢٣٠ ، من رواية البيهقى فى السنن ، وقال : « ورواه النسائى فى التفسير ، عن محمد بن عبد الرحيم صاعقة ، عن حجاج بن منهال » .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٣١٥ . وزاد نسبته إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وأبى الشيخ ، وابن مردويه .

(١) الأثر : ١٢٥٢٣ – « محمد بن خلف بن عمار العسقلانى » ، شيخ الطبرى ، مضى برقم : ١٢٦ ، ٦٥٣٤ .

« سعيد بن محمد بن سعيد الجرمى » . كوفى ثقة . روى عنه البخارى ومسلم . قال أبو زرعة : « ذاكرت عنه أحمد بأحاديث ، فعرفه » وقال : صدوق ، وكان يطلب معنا الحديث » . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/١/٤٧١ ، وابن أبى حاتم ٢/١/٥٩ .

و « أبو تميلة » ، هو : « يحيى بن واضح الأنصارى » مضى مراراً ، آخرها رقم : ٩٠٠٩ .

و « سلام ، مولى حفص ، أبو القاسم الليثى » ، مروزى ، مترجم فى الكبير ٢/٢/١٣٤ ، وابن أبى حاتم ٢/١/٢٦٢ . وقال البخارى فى الكبير : « سمع عبد الله بن بريدة ، عن أبيه : نزلت فى تحريم الخمر »، قاله سعيد الجرمى : سمع يحيى بن واضح ، سمع سلاما » ، إشارة إلى هذا الخبر . ولم يذكر البخارى فيه جرحاً . وقال المعلق على الجرح والتعديل لابن أبى حاتم : « وفى الثقات :

وقال آخرون : إنما كانت العداوة والبغضاء ، كانت تكون بين الذين نزلت فيهم هذه الآية بسبب الميسر ، لا بسبب السُّكر الذى يحدث لهم من شرب الخمر . فلذلك نهاهم الله عن الميسر .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٥٢٤ – حدثنا بشر قال ، حدثنا جامع بن حماد قال ، حدثنا يزيد بن زريع = قال بشر : وقد سمعته من يزيد وحدثنيه = قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كان الرجل فى الجاهلية يقامِر على أهله وماله ، فيعقد حَرِيباً سليباً ينظر إلى ماله فى يَدَى غيره ، (١) فكانت تُورِث بينهم عداوة وبغضاءَ ، فنهى الله عن ذلك وقدَّم فيه . والله أعلم بالذى يصلح خلقه . (٢)

* * *

سلام الليثى ، والدأبى عبيد القاسم بن سلام » . وكان فى المطبوعة هنا : « مولى حفص بن أبى قيس » لا أدرى كيف استحل لنفسه تغيير ما كان فى المخطوطة صواباً ، إلى خطأ لا ندرى ما هو .

و « ابن بريدة » ، هو « عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسلمى » قاضى مرو ، أخوه : « سليمان بريدة » ، كانا توأمين . روى عن أبيه ، وابن عباس ، وابن عمرو ، وابن عمر ، وابن مسعود ، وغيرهم من الصحابة . تكلم فيه أحمد بن حنبل. قال الجوزجانى : « قلت لأبى عبد الله : سمع عبد الله من أبيه شيئاً ؟ قال : ما أدرى ، عامة ما يروى عن بريدة عنه . وضعف حديثه » . ووثقه ابن معين وأبو حاتم . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٢/٢/١٣ . وكان فى المطبوعة « أبى بريدة » ، وهو خطأ محض ، صوابه فى المخطوطة .

وأبوه « بريدة بن الحصيب الأسلمى » ، صحابى قديم الإسلام ، قبل بدر . استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقات قومه .

وهذا الخبر ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٢٣٠ ، من رواية أبى جعفر ، وفيه « عن أبى بريدة » كخطأ المطبوعة . والسيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٣١٥ .

والزيادة التى بين القوسين من تفسير ابن كثير ، وهو لم ينقل هذا عن غير الطبرى ، فلذلك زدتها ، والظاهر أنها سقطت من ناسخ نسختنا . وإن كان السيوطى قد ذكر الأثر بغير هذه الزيادة .

وقوله : « ونحن على رملة » ، يعنى ، فى رملة منبتة مريعة . و « الباطية » : ناجود الخمر ، وهى إناء عظيم من زجاج ، تملأ من الشراب ، وتوضع بين الشرب يغرفون منها ويشربون . وقوله : « قال بالإناء » ، يعنى : أماله ثم نزعه ، كفعل الحجام وهو ينزع كأس الحجامة .

(١) فى المطبوعة : « حزيناً سليباً » ، وهى فى المخطوطة غير منقوطة ، وصواب قراءتها ما أثبت . « حرب الرجل ماله ، فهو محروب وحريب » : إذا أخذ حريبته ، وهو ماله الذى يعيش به ، وتركه بلا شىء .

(٢) الأثر : ١٢٥٢٤ – « جامع بن حماد » ، انظر ما علقته على الأثر رقم : ١٢٣٤٤ .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال : إنّ الله تعالى قد سمّى هذه الأشياء التى سمّاها فى هذه الآية « رجساً » ، وأمر باجتنابها .

وقد اختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله نزلت هذه الآية . وجائز أن يكون نزولها كان بسبب دُعاء عمر رضى الله عنه فى أمر الخمر = وجائز أن يكون ذلك كان بسبب ما نالَ سعداً من الأنصارى عند انتشائهما من الشراب = وجائز أن يكون كان من أجل ما كان يلحق أحدَهم عند ذهاب ماله بالقمار من عداوة من يَسَرَه وبغضِه ،(١) وليس عندنا بأىِّ ذلك كان ، خبرٌ قاطع للعذر . غير أنه أىّ ذلك كان ، فقد لزم حكم الآية جميعَ أهل التكليف ، وغيرُ ضائرهم الجهل بالسبب الذى له نزلت هذه الآية . فالخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان ، فرضٌ على جميع من بلغته الآية من التكليف ، اجتنابُ جميع ذلك ، كما قال تعالى : « فاجتنبوه لعلكم تفلحون » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ (٩٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه » = « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول » ، فى اجتنابكم

وأذكر أن هذا الأثر قد مضى قبل ، ولكن خفى على مكانه .

(١) « يسره » ، يعنى : غلبه فى الميسر ، وأخذ ماله . قال الزمخشرى : « من المجاز : أسروه ، ويسروا ماله . وتياسرت الأهواء قلبه ، قال ذو الرمة :

بِتَفْرِيقِ أَظْعَانٍ تَيَاسَرْنَ قَلْبَهُ وَخَانَ العَصَا مِنْ عَاجِلِ البَيْنِ قَادِحُ

وهذا اللفظ كما استعمله أبو جعفر ، لم تقيده كتب اللغة ، ولكن مقالة الزمخشرى دالة على صوابه ، كما قالوا من « القمار » : « قمره » .

ذلك ، واتباعكم أمره فيما أمركم به من الانزجار عما زجَركم عنه من هذه المعانى التى بيَّنها لكم فى هذه الآية وغيرها، وخالفوا الشيطان فى أمره إيّاكم بمعصية الله فى ذلك وفى غيره ، فإنه إنما يبغى لكم العداوةَ والبغضاءَ بينكم بالخمر والميسر = ٢٤/٧ « واحذروا » ، يقول : واتقوا الله وراقبوه أن يراكم عند ما نهاكم عنه من هذه الأمور التى حرّمها عليكم فى هذه الآية وغيرها ، أو يفقِدَكم عند ما أمركم به، فتُوبقوا أنفسكم وتهلكوها = « فإن توليتم » ، يقول : فإن أنتم لم تعملوا بما أمرناكم به ، وتنتهوا عما نهيناكم عنه ، ورجعتم مدبرين عما أنتم عليه من الإيمان والتصديق بالله وبرسوله ، واتباع ما جاءكم به نبيكم[1] = « فاعلموا أنما على رسولنا البلاغُ المبين » ، يقول: فاعلموا أنه ليس على من أرسلناه إليكم بالنِّذَارة غير إبلاغكم الرسالة التى أرسل بها إليكم،[2] مبينةً لكم بياناً يُوضِّح لكم سبيل الحقّ، والطريقَ الذى أمرتم أن تسلكوه .[3] وأما العقاب على التولية والانتقام بالمعصية، فعلى المُرْسَل إليه دون الرسل .

وهذا من الله تعالى وعيد لمن تولّى عن أمره ونهيه . يقول لهم تعالى ذكره : فإن توليتم عن أمرى ونهيى ، فتوقّعوا عقابى ، واحذَرُوا سَخَطى .

* * *

(١) انظر تفسير « التولى » فيما سلف : ٣٩٣، ، تعليق : ١، والمراجع هناك .

(٢) « النذارة » (بكسر النون) قال صاحب القاموس : « النذير : الإنذار كالنذارة ، بالكسر . وهذه عن الإمام الشافعى رضى الله عنه » . انظر رسالة الشافعى ص : ١٤ ، الفقرة : ٣٥ ، وتعليق أخى السيد أحمد عليها .

(٣) انظر تفسير « مبين » فيما سلف ٩ : ٤٢٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (٩٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للقوم الذين قالوا = إذْ أنزل الله تحريم الخمر بقوله : « إنما الخمرُ والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه » : كيفَ بمن هلك من إخواننا وهم يشربونها ؟ وبنا وقد كنّا نشربها ؟ = ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات منكم حرج فيما شربوا من ذلك ، فى الحال التى لم يكن الله تعالى حرّمه عليهم[1] =« إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات » ، يقول : إذا ما اتقى الله الأحياءُ منهم فخافوه ، وراقبوه فى اجتنابهم ما حرّم عليهم منه ،[2] وصدّقوا الله ورسوله فيما أمراهم ونهياهم، فأطاعوهما فى ذلك كله =« وعملوا الصالحات » ، يقول : واكتسبوا من الأعمال ما يرضاه الله فى ذلك مما كلفهم بذلك ربُّهم[3] = « ثم اتقوا وآمنوا »، يقول: ثم خافوا الله وراقبوه باجتنابهم محارِمه بعد ذلك التكليف أيضاً، فثبتوا على اتقّاء الله فى ذلك والإيمان به ، ولم يغيّروا ولم يبدّلوا = « ثم اتقوا وأحسنوا »، يقول : ثم خافوا الله ، فدعاهم خوفُهم الله إلى الإحسان ، وذلك « الإحسان » ، هو العمل بما لم يفرضه عليهم من الأعمال ، ولكنه نوافلُ تقرّبوا بها إلى ربّهم طلبَ رِضاه، وهرباً من عقابه[4] = « والله يحب المحسنين » ، يقول : والله يحب المتقرّبين إليه بنوافل الأعمال التى يرضاها .

---

(١) انظر تفسير « الجناح » ٩ : ٢٦٨ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك = وتفسير « طعم » فيما سلف ٥ : ٣٤٢ .

(٢) انظر تفسير « اتق » فيما سلف من فهارس اللغة (وق) .

(٣) انظر تفسير « الصالحات » فيما سلف من فهارس اللغة (صلح) .

(٤) انظر تفسير « الإحسان » فيما سلف : ٥١٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

فالاتقاء الأوّل : هو الاتقاء بتلقّى أمر الله بالقَبُول والتصديق، والدينونة به والعمَل = والاتقاء الثانى : الاتقاء بالثبات على التصديق ، وترك التبديل والتغيير = والاتقاء الثالث : هو الاتقاء بالإحسان ، والتقرُّب بنوافل الأعمال .

* * *

فإن قال قائل : ما الدليل على أنّ « الاتقاء » الثالث ، هو الاتقاء بالنوافل ، دون أن يكون ذلك بالفرائضِ ؟

قيل : إنه تعالى ذكره قد أخبر عن وضعه الجناح عن شاربى الخمر التى شربوها قبل تحريمه إيّاها ، إذا هم اتقوا الله فى شربها بعد تحريمِها ، وصدّقوا الله ورسوله فى تحريمها ، وعملوا الصالحات من الفرائض . ولا وجه لتكرير ذلك وقد مضى ذكرُه فى آيةٍ واحدة .

* * *

وبنحو الذى قلنا من أن هذه الآية نزلت فيما ذكرنا أنها نزلت فيه ، جاءت الأخبار عن الصَّحابة والتابعين .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٥٢٥ — حدثنا هناد بن السرى وأبو كريب قالا، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى =، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما نزل تحريم الخمر قالوا : يا رسول الله، فكيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ؟ فنزلت : «ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح»، الآية .(١)

---

(١) الأثران : ١٢٥٢٥ ، ١٢٥٢٦ — إسنادهما صحيح .
رواه أحمد فى مسنده : ٢٠٨٨ ، ٢٤٥٢ ، ٢٦٩١ مطولا ، ٢٧٧٥ .
ورواه الترمذى فى السنن (كتاب التفسير) ، وقال : « هذا حديث حسن صحيح » .
ورواه الحاكم فى المستدرك ٤ : ١٤٣ ، وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى ، وقال : « صحيح » .

١٢٥٢٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبد الله ، عن إسرائيل، بإسناده، نحوه .

١٢٥٢٧ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثني عبد الكبير بن عبد المجيد قال ، أخبرنا عباد بن راشد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك قال : بينا أنا أدير الكأس على أبي طلحة ، وأبي عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل ، وسهيل بن بيضاء ، وأبي دجانة، حتى مالت رؤوسهم من خليط بُسْرٍ وتمر .[1] فسمعنا منادياً ينادي : ألا إنّ الخمر قد حُرِّمت! قال: فما دخل علينا داخل ولا خرج منا خارج ، حتى أهرقنا الشراب ،وكسرنا القِلاَل ، [2] وتوضأ بعضنا، واغتسل ٢٥/٧ بعضنا ، وأصبْنَا من طِيب أمّ سليم، ثم خرجنا إلى المسجد، وإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون »، إلى قوله : « فهل أنتم منتهون » . فقال رجل : يا رسول الله ، فما منزلةُ من مات منا وهو يشربها ؟ فأنزل الله تعالى ذكره :«ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا » الآية ، فقال رجل لقتادة: سمعتَه من أنس بن مالك؟ قال : نعم ! قال رجل لأنس بن مالك : أنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال: نعم ! وحدّثني من لم يكذب، والله ما كنا نكذب ، ولا ندري ما الكذب! [3]

وذكره ابن كثير في تفسيره ٣ : ٢٣٣ ، من حديث أحمد في المسند .

وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٣٢٠ ، وزاد نسبته إلى الفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، والبيهقي في شعب الإيمان .

(١) « البسر » (بضم الباء وسكون السين) : التمر قبل أن يرطب ، وهو ما لون منه ولم ينضج ، فإذا نضج فقد أرطب .

(٢) « القلال » جمع « قلة » (بضم القاف) : وهي الجرة الكبيرة .

(٣) الأثر : ١٢٥٢٧ – « عبد الكبير بن عبد المجيد الحنفي البصري » ، ثقة . مضى برقم : ٦٨٢٢ ، ١٠٣١٧ .

١٢٥٢٨ – حدثنا هناد قال، حدثنا ابن أبي زائدة قال ، أخبرنا إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن البراء قال : لما حرمت الخمر قالوا : كيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ؟ فنزلت : « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا » ، الآية .(١)

١٢٥٢٩ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحق قال ، قال البراء : مات ناسٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يشربون الخمر ، فلما نزل تحريمها ، قال أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : فكيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها ؟ فنزلت هذه الآية : « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات » ، الآية . (١)

١٢٥٣٠ – حدثنا هناد قال، حدثنا ابن أبي زائدة قال ، أخبرنا داود ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : نزلت : « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات

و« عباد بن راشد التميمي »، قال أحمد : « ثقة صدوق » ، وضعفه يحيى بن معين ، وتركه يحيى القطان . روى له البخاري مقروناً بغيره . ومضى برقم ١١٠٦٠ .

و « أم سليم » المذكورة في الخبر ، هي : « أم سليم بنت ملحان الأنصارية » ، لها صحبة ، وهي والدة أنس بن مالك ، وزوج أبي طلحة الأنصاري ، خطبها أبو طلحة وهو مشرك ، فأبت عليه إلا أن يسلم ، فأسلم .

وذكر هذا الخبر ابن كثير في تفسيره ٣ : ٢٢٨ ، ولم ينسبه لغير ابن جرير ، وكذلك السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٣٢٠ .

وخبر أنس هذا ، رواه البخاري من طريق أخرى بغير هذا اللفظ (الفتح ٨ : ٢٠٩). ومسلم في صحيحه بغير هذا اللفظ من طرق ١٣ : ١٤٨ – ١٥١ . والنسائي في السنن ٨ : ٢٨٧ ، ٢٨٨ .

(١) الأثران : ١٢٥٢٨ ، ١٢٥٢٩ – رواه أبو داود الطيالسي في مسنده : ٩٧ ، رقم : ٧١٥ ، من طريق شعبة ، به .

ورواه الترمذي في السنن (كتاب التفسير) من طريق عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحق (طريق أبي جعفر رقم : ١٢٥٢٨) ، وقال : « هذا حديث حسن صحيح » . ثم رواه من طريق : « محمد بن بشار ، عن محمد بن جعفر ، عن شعبة » (طريق أبي جعفر رقم : ١٢٥٢٩) ، ثم قال : « هذا حديث حسن صحيح » .

وخرجه ابن كثير في تفسيره ٣ : ٢٣١ ، من مسند أبي داود الطيالسي .

وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٣٢٠ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن حبان ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه .

جناح فيما طعموا » ، فيمن قُتِل ببدر وأحُدٍ مع محمد صلى الله عليه وسلم .

١٢٥٣١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا خالد بن مخلد قال ، حدثنا على ابن مسهر ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : لما نزلت : « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا » ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قيل لى : أنت منهم .(١)

١٢٥٣٢ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا جامع بن حماد قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا » ، إلى قوله : « والله يحب المحسنين » ، لما أنزل الله تعالى ذكره تحريم الخمر فى « سورة المائدة » ، بعد « سورة الأحزاب » ،(٢) قال فى ذلك

---

(١) الأثر : ١٢٥٣١ – « خالد بن مخلد القطوانى » ثقة ، مضى برقم ٢٢٠٦ ، ٤٥٧٧ ، ٨١٦٦ ، ٨٣٩٧ .

و « على بن مسهر القرشى » ، ثقة ، مضى برقم : ٤٤٥٣ ، ٥٧٧٧ .

وهذا الخبر ، رواه مسلم فى صحيحه (١٦ : ١٤) من طرق ، عن على بن مسهر ، عن الأعمش ، بمثله .

ورواه الترمذى من طريق سفيان بن وكيع ، عن خالد بن مخلد ، وقال : « هذا حديث حسن صحيح » .

ورواه الحاكم فى المستدرك ٤ : ١٤٣ ، ١٤٤ ، من طريق سليمان بن قرم ، عن الأعمش ، بزيادة فى لفظه ، وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وإنما اتفقا على حديث شعبة ، عن أبى إسحق ، عن البراء ، مختصر هذا المعنى » ، ولم أجده حديث البراء فى الصحيحين ، كما قال الحاكم . وأما الذهبى فلم يزد فى تعليقه على المستدرك إلا أن قال : « صحيح » . ولم أجد من نسب حديث البراء إلى الشيخين ، وهو الذى مضى برقم : ١٢٥٢٨ ، ١٢٥٢٩ . وخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧ : ١٨ ، بمثل لفظ الحاكم فى المستدرك ، ثم قال : « فى الصحيح بعضه ، رواه الطبرانى ، ورجاله ثقات » . وهذا هو الصحيح لا ما قال الحاكم .

وخرجه ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٢٣٣ وقال : « رواه مسلم ، والترمذى ، والنسائى من طريقه » .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٣٢١ ، فى موضعين ، قال فى مثل لفظ الحاكم : « أخرجه الطبرانى ، وابن مردويه ، والحاكم وصححه » . ثم رواه مختصراً كرواية أبى جعفر ، ونسبه إلى مسلم ، والترمذى والنسائى ، وابن مردويه ، وابن أبى حاتم ، وأبى الشيخ .

(٢) قوله : « بعد سورة الأحزاب » ، كأنه يعنى بعد نزول سورة الأحزاب ، وليس فى سورة الأحزاب ذكر تحريم الخمر ، وكأنه عنى بذلك « بعد غزوة الأحزاب » ، وأخشى أن يكون

رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : أصيب فلانٌ يوم بدر ، وفلانٌ يوم أحد ، وهم يشربونها ! فنحن نشهد أنهم من أهل الجنة ! فأنزل الله تعالى ذكره : « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين » ، يقول : شربها القومُ على تقوى من الله وإحسانٍ ، وهى لهم يومئذ حلال ، ثم حرِّمت بعدهم ، فلا جناح عليهم فى ذلك .

١٢٥٣٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا » ، قالوا : يا رسول الله ، ما نقول لإخواننا الذين مضوا ؟ كانوا يشربون الخمر ، ويأكلون الميسر ! فأنزل الله : « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا » ، يعنى قبل التحريم ، إذا كانوا محسنين متقين = وقال مرة أخرى : « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا » من الحرام قبل أن يحرَّم عليهم = « إذا ما اتقوا وأحسنوا » ، بعد ما حُرِّم ، وهو قوله : ﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ ﴾ ، [سورة البقرة : ٢٧٥] .

١٢٥٣٤ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا » ، يعنى بذلك رجالاً من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ماتوا وهم يشربون الخمر قبل أن تحرَّم الخمر ، فلم يكن عليهم فيها جناح قبل أن تحرَّم . فلما حرِّمت قالوا : كيف تكون علينا حراماً ، وقد مات إخواننا وهم يشربونها ؟ فأنزل الله تعالى ذكره : « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا

قوله : « سورة الأحزاب » ، سهوا من الناسخ ، والصواب « غزوة الأحزاب » ، ولكن هكذا جاء فى الدر المنثور أيضاً ٢ : ٣٢١ ، ونسب الخبر ، لعبد بن حميد ، وابن جرير .

ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات» ، يقول : ليس عليهم حرج فيما كانوا يشربون قبل أن أحرِّمها ، إذا كانوا محسنين متقين = « والله يحب المحسنين » .

١٢٥٣٥ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تعالى ذكره : « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا » ، لمن كان يشرب الخمرَ ممن قتل مع محمد صلى الله عليه وسلم ببدرٍ وأحُدٍ . ٢٦/٧

١٢٥٣٦ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد قال ، حدثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك قوله : «ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح » ، الآية ، هذا في شأن الخمر حين حرِّمت ، سألوا نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : إخواننا الذين ماتوا وهم يشربونها؟ فأنزل الله تعالى ذكره هذه الآية .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله = «ليبلونكم الله بشيء من الصيد» ، يقول : ليختبرنكم الله[1] = «بشيء من الصيد» ، يعني : ببعض الصيد .

وإنما أخبرهم تعالى ذكره أنه يبلوهم بشيء ، لأنه لم يبلُهم بصيد البحر ، وإنما ابتلاهم بصيد البرّ ، فالابتلاء ببعض لا بجميع .[2]

* * *

(١) انظر تفسير « بلا » فيما سلف : ٣٨٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) في المطبوعة : « فالابتلاء ببعض لم يمتنع » ، وهو كلام فارغ من كل معنى . وفي المخطوطة : « فالابتلاء ببعض لا يخشع » ، أساء الناسخ الكتابة ، فأساء الناشر التصرف . وصواب العبارة ما أثبت ،

وقوله : « تناله أيديكم » ، فإنه يعنى : إما باليد ، كالبيض والفراخ = وإما بإصابة النَّبْل والرماح ، وذلك كالحمر والبقر والظباء ، فيمتحنكم به في حال إحرامكم بعمرتكم أو بحجّكم .

* * *

وبنحو ذلك قالت جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٥٣٧ — حدثنا هناد قال ، حدثنا ابن أبي زائدة قال ، أخبرنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم » ، قال : « أيديكم » ، صغارُ الصَّيد ، أخذ الفراخ والبيض = و « الرماح » قال : كبارُ الصيد .

١٢٥٣٨ — حدثنا هناد قال ، حدثنا ابن أبي زائدة ، عن داود ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

١٢٥٣٩ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « تناله أيديكم ورماحكم » ، قال : النَّبْل = « رماحكم » ، تنال كبير الصيد ،[1] = « وأيديكم » ، تنال صغير الصيد ، أخذ الفرخ والبيض .

١٢٥٤٠ — حدثنا هناد قال ، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي = ، عن سفيان ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد في قوله : « ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم » ، قال : ما لا يستطيع أن يفرَّ من الصيد .

لأن أبا جعفر أراد أن يقول إن قوله تعالى : « بشيء من الصيد » ، هو صيد البر خاصة ، دون صيد البحر ، ولم يعم الصيد جميعه بالتحريم . وهذا بين جداً فيما سيأتي بعد في تفسير هذه الآيات . فصح ما أثبته من قراءة المخطوطة السيئة الكتابة .

(١) في المطبوعة : « قال : النبل ، ورماحكم تنال . . . » بزيادة « واو » للعطف ، والصواب ما في المخطوطة ، بحذف « الواو » .

١٢٥٤١ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا يحيى بن سعيد . وعبد الرحمن قالا، حدثنا سفيان ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد ، مثله .

١٢٥٤٢ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « أيديكم ورماحكم » ، قال : هو الضعيف من الصيد وصغيره ، يبتلى الله تعالى ذكره به عباده فى إحرامهم، حتى لو شاؤوا نالوه بأيديهم . فنهاهم الله أن يقربوه .

١٢٥٤٣ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان الثورى، عن حميد الأعرج ، وليث ، عن مجاهد فى قوله : « يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم » ، قال : الفراخ والبيض، وما لا يستطيع أن يفرّ .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٩٤)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره : ليختبرنكم الله ، أيها المؤمنون ، ببعض الصيد فى حال إحرامكم ، كى يعلم أهلَ طاعة الله والإيمان به ، والمنتهين إلى حدوده وأمره ونهيه ،[1] ومن الذى يخاف الله فيتقى ما نهاه عنه ،[2] ويجتنبه خوف عقابه = « بالغيب » ، بمعنى : فى الدنيا ، بحيث لا يراه .[3]

* * *

وقد بينا أن « الغيب » ، إنما هو مصدر قول القائل : « غاب عنّى هذا الأمر

---

(١) فى المطبوعة : « والمنتهون إلى حدوده » ، وهو خطأ ، صوابه من المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « الخوف » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٣) يعنى أبو جعفر ، بحيث لا يرى العقاب عياناً فى الدنيا ، كما يراه عياناً فى الآخرة .

فهو يغيب غَيْباً وغَيْبَةً » ، وأنّ ما لم يُعَاين ، فإن العرب تسميه « غَيْباً ».[١]

* * *

فتأويل الكلام إذاً : ليعلم أولياء الله من يخافُ الله فيتقى محارمَه التى حرمها عليه من الصيد وغيره ، بحيث لا يراه ولا يُعاينه .

* * *

وأما قوله : « فمن اعتدى بعد ذلك » ، فإنه يعنى : فمن تجاوز حدّ الله الذى حدّه له ،[٢] بعد ابتلائه بتحريم الصيد عليه وهو حرام ، فاستحلّ ما حرّم الله عليه منه بأخذِه وقتله = «فله عذابٌ» ، من الله = «أليم» ، يعنى : مؤلم موجع .[٣]

* * *

تمّ الجزء العاشر من تفسير الطبرى

ويليه الجزء الحادى عشر ، وأوّله :

القول فى تأويل قوله :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾

---

(١) انظر تفسير « الغيب » فيما سلف ١ : ٢٣٦ ، ٦/٢٣٧ : ٤٠٥ .

(٢) انظر تفسير « اعتدى » فيما سلف من فهارس اللغة (عدا) .

(٣) انظر تفسير « أليم » فيما سلف من فهارس اللغة (ألم) .

الفهارس

فهرس الآيات التى استدل بها فى غير موضعها من التفسير

السورة / الآية	الصفحة
آيات سورة البقرة	
١٤، ١٥	٤٢٩
٥٩	١٩١
٧٦	١٤٢، ١٤٣
٧٩	٤٤٨
٨٩	٤٦٠
٩٠	٤٦٠
١٤٣	٥١٠
١٧٧	٣١٣
١٧٨	٣٦٠
١٨٧	٤٧
١٩٦	٢٦٤، ٢٦٥
٢١٩	٥٦٦، ٥٦٨
٢٢٤	٥٢٩
٢٣٢	٩٧
٢٧١	٩٧
٢٧٥	٥٨١
* * *	
آيات سورة آل عمران	
٢٤	١٥١
٧٢	٤٤٥، ٤٤٦
* * *	
آيات سورة النساء	
٢٩	٢٨١

السورة / الآية	الصفحة
آيات سورة النساء	
٤٣	٥١، ٥٦٦، ٥٦٨
٧٠	٤٨٥
٩٣	٢٣٥، ٢٣٦، ٢٤١
١٣٥	٩٥
١٧١	٩٧
١٧٦	١٥٧
* * *	
آيات سورة المائدة	
٢	٦٥
١٢، ١٣	٩٣
١٣	١٠٤
٢٤	١١٧
٤٤	٣٢١، ٣٢٤
٤٥	٣٢٤، ٣٢٧، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٩٤
٤٧	٣٢٤، ٣٤٦، ٣٤٧
٤٨	٣٣١، ٣٣٢، ٣٤٦، ٣٤٧
٤٩	٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٣، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٨٣
٥٠	٣٦٠
٥١	٤٥٨
٥٢	٣٩٩

السورة / الآية	الصفحة
آيات سورة المائدة	
٦٤	١٣٩
٨٧	٥٥٥، ٥٦٣
٨٩	٢٦٣
٩٣	٥٧١
١١٦	٤٨٣
* * *	
آية سورة الأنعام	
١٥١	٣٨٣
* * *	
آيات سورة الأعراف	
٨٩	٤٠٦
١٥٣	١٦٠
* * *	
آيات سورة التوبة	
٢٩	١٣٤، ١٣٥
٦٧	١٢٩
* * *	
آية سورة إبراهيم	
٣٤	٤٥٥
* * *	
آية سورة الحجر	
٢٦	٤٥٥
* * *	
آية سورة النحل	
١٨	٤٥٥
* * *	
آيات سورة الإسراء	
٤ــ٦	٤٥٩
٧ــ٨	٤٥٩
٢٩	٤٥١، ٥٤٤

السورة / الآية	الصفحة
آيات سورة الإسراء	
٥٧	٢٩١
* * *	
آية سورة الكهف	
٤٤	٤٣٦
* * *	
آية سورة طه	
٦١	٣٢٤
* * *	
آيات سورة الفرقان	
٥٥	٤٥٥
٦٣	٥٠٨
* * *	
آية سورة القصص	
٥٣، ٥٤	٥٠٥
* * *	
آية سورة الأحزاب	
٥	٣٧٢
* * *	
آيات سورة فاطر	
٣٢	٢٦٥
٣٣	٢٦٥
* * *	
آيات سورة يس	
١ ، ٢	٥٠٥
* * *	
آية سورة ص	
٤٥	٤٥٤
* * *	

السورة / الآية	الصفحة
آية سورة الزمر ٥٣	٢٨٤
* * *	
آية سورة الشورى ٤٠	٣٦٧
* * *	
آيات سورة الفتح ٨ ، ٩	١٢١
* * *	
آية سورة الحجرات ٦	٣٧٦
* * *	
آية سورة المجادلة ١٢	٤٥٤

السورة / الآية	الصفحة
آية سورة نوح ١٧	١٢٢
* * *	
آية سورة الجنّ ١٥	٣٣٦
* * *	
آيات سورة العصر ١ ، ٢	٤٥٥
* * *	
آيات سورة الكافرون ١ — ٦	٥٦٨

فهرس اللغة

هذا الفهرس مرتب على ترتيب معاجم اللغة ، على أصل الاشتقاق ، وعلى آخر الأصل باباً ، وأوله فصلاً .

(بوأ) باء ، يبوء : ٢١٦
(خطأ) خاطئة : ١٣١
(سوأ) سيئة : ١٢٣ ، ٤٦١
سوأة : ٢٢٩
ساء : ٤٦٥
(شنأ) شنآن : ٩٥
(شيأ) شيء من الصيد : ٥٨٢
(صبأ) الصابئون : ٤٧٦
(نبـأ) نبّأ ينبئ : ١٤٠، ٣٩١، ٤٣٥
النبأ : ٢٠١
(هزأ) هزو : ٤٢٨ ، ٤٣٢

* * *

(توب) تاب : ٢٧٧ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠ ، ٤٨٣
(ثوب) أثابه : ٥١٢
مثوبة : ٤٣٥
(جنب) جنب : ٨٢
اجتنب : ٥٦٤
(حبب) حبيب، أحباء : ١٥٢
(حرب) يحاربون الله ورسوله : ٢٤٣ — ٢٥٧
الحرابة : ٢٥٢ ، ٢٥٦
الحرّاب : ٢٧٩، ٢٨٩
(حزب) حزب: ٤٢٧ ، ٤٢٨
(حسب) حسب : ٤٧٨
(ربب) الرب : ٤٨١
ربّانى : ٣٤١ — ٣٤٣ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩
(رقب) تحرير رقبة : ٥٥٢ ، ٥٥٣
الرقاب : ٥٥٣
(رهب) راهب ، رهبان : ٥٠٢ ، ٥٠٣
(صحب) أصحاب الجحيم : ١٠٠ ، ٥١٣
أصحاب النار : ٢١٧
(صلب) صلبه : ٢٥٧ — ٢٦٧
(صوب) الإصابة : ٣٩٣ ، ٤٠٤
(طيب) طيب : ٨٤
حلال طيب : ٥٢٢
طيبات : ٥١٣
(عذب) عذاب عظيم : ٢٧٧
(غضب) غضب الله : ٤٣٧
(غيب) الغيب : ٥٨٤ ، ٥٨٥
(قرب) قرب قرباناً : ٢٠١ — ٢١٠
القرابين : ٢١١ ، ٢١٢

(قلب) انقلب : ١٧٠
(كتب) كتب : ٢٣٢
كتبه : ٥٠٩ ، ٥١١
كتب له : ١٦٩
كتب عليه : ٣٥٨
كتاب مبين : ١٤٣
(كذب) الكذب : ٣١٨
(كسب) كسب : ٢٩٧
(كعب) الكعبان : ٨٠ ، ٨١
(لعب) لعب : ٤٢٨ ، ٤٣٢
(نصب) الأنصاب : ٥٦٤
(نقب) نقيب : ١١٠ ، ١١١
نقب نقابة : ١١٠
(نكب) المنكب ، المناكب : ١١٠

* * *

(سحت) السحت : ٣١٨ — ٣٢٤
٤٤٧ ، ٤٤٨
سحت الشعر : ٣٢٤ ،
مسحوت المعدة : ٣٢٤

* * *

(بحث) يبحث فى الأرض : ٢٢٩
(بعث) بعث : ١٠٩ ، ٢٢٤ ،
٢٢٩

* * *

(حرج) حرج : ٨٥
(نهج) منهاج : ٣٨٤ — ٣٨٩
طريق نهج ، ومنهج :
٣٨٤

* * *

(جنح) جناح : ٥٧٦
(صفح) صفح : ١٣٤
(صلح) عمل الصالحات : ٩٨ ،
٤٧٦ ، ٥٧٦ .
الصالح : ٥١١
(فتح) الفتح : ٤٠٥ ، ٤٠٦
(فلح) أفلح : ٢٩٢ ، ٥٦٤
(مسح) المسح بالوجوه : ٦١ —
٦٤ ، ٨٤
المسيح : ١٤٦ ، ١٤٧ ،
٤٨٠ ، ٤٨٤

* * *

(أبد) أبدًا : ١٨٥
(جهد) جاهد : ٢٩٢ ، ٤٢٢ ،
٤٢٣
جهد أيمانهم : ٤٠٧
(خلد) خالد : ٤٩٧ ، ٥١٢
(ردد) ارتد : ١٧٠
ارتد عن دينه : ٤٠٩ ،
٤١٠
(شهد) شاهدة ، شهيدة : ١٢٨
شاهد : ٥١٠
شهيد، شهداء : ٣٤٣
(صدد) صده : ٥٦٥
(صعد) صعيد : ٨٤
(صيد) الصيد : ٥٨٢
(عبد) العبادة : ٤٨١
عبد الطاغوت : ٤٣٩ —
٤٤٣
(عقد) عقد الأيمان : ٥٢٥
(فسد) الفساد فى الأرض : ٢٣٢،
٢٥٧ ، ٤٦١
المفسد : ٤٦١

(قصد) مقتصدة : ٤٦٥
(هود) هاد : ٣٠٩ ، ٣٣٨، ٣٤١ ، ٤٧٦
(ودد) مودة : ٤٩٨
(وقد) أوقد النار : ٤٥٨

* * *

(أخذ) آخذه : ٥٢٣
اتخذ : ٣٩٥ ، ٤٢٨ ، ٤٣٢ ، ٤٩٧

* * *

(أجر) أجر : ٩٨
(أخر) اليوم الآخر : ٤٧٦
(أمر) أمر من عنده : ٤٠٦
(بشر) بَشَّر : ١٥٢
بشير : ١٥٨
(بصر) بصير : ٤٧٩
(جبر) جبار : ١٧١ ، ١٧٢
جبر فلان الكسر : ١٧٢
(حبر) الأحبار : ٣٤١ — ٣٤٣، ٤٤٨ ، ٤٤٩
(حرر) تحرير رقبة : ٥٥٢
(حور) محورة : ٤٣٥
(خبر) خبير : ٩٧
(خسر) خاسر : ١٧٠ ، ٢٢٤ ، ٤٠٩
(خمر) الخمر : ٥٦٤ ، ٥٦٥
(خير) الخيرات : ٣٩٠ ، ٣٩١
(دبر) ارتدوا على أدبارهم : ١٧٠
(دور) دائرة : ٤٠٤ ، ٤٠٥
(ذكر) التذكير : ١٣٠ ، ١٣٥
(سرر) أسرّ فى نفسه : ٤٠٦
(سفر) على سفر : ٨٣
(صدر) ذات الصدور : ٩٤
(صير) المصير : ١٥٤
(ضرر) ضره يضره : ٣٣٤
(طهر) طهر قلبه : ٣١٨
تطهر : ٨٢ ، ٨٥
(عزر) عزّره : ١١٩ — ١٢١
(غفر) يغفر : ١٥٣ ، ٣٠١
غفور : ٢٨٩ ، ٣٠٠ ، ٤٨٤
مغفرة : ٩٨
استغفر : ٤٨٤
(فتر) فترة : ١٥٦ .
فتر فتوراً : ١٥٦
(قدر) قدر عليه : ٢٧٧
قدير : ١٥٠ ، ١٥٨ ، ٣٠٠
(كبر) استكبر : ٥٠٥
المكابر : ٢٥٤ ، ٢٥٦
(كفر) كفر : ١٠٠ ، ١٢٤ ، ١٤٦ ، ٢٩٢ ، ٤٨٠ ، ٤٨١، ٤٨٩، ٤٩٦، ٥١٣
الكفر : ٤٤٤ ، ٤٥٧ ، ٤٧٥
الكافر : ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٤٢١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٥
كفر تكفيراً : ١٢٣ ، ٤٦١
كفارة : ٣٦٢ — ٣٧٢، ٥٢٥ ، ٥٣١ ، ٥٦٢
(نذر) نذير : ١٥٨

(نصر) أنصار : ٤٨١
نصارى : ١٣٥
(نكر) منكر : ٤٩٦
(نور) نورٌ : ١٤٣ ، ٣٣٨ ، ٣٧٣
من الظلمات إلى النور : ١٤٥
(يسر) الميسر : ٥٦٤ ، ٥٦٥
* * *
(عزز) عزّني فلان : ٤٢١
عزيز ، أعزة : ٤٢١
عزيز : ٢٩٨
* * *
(بأس) بئس : ٤٩٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨
(رأس) الرأس : ٥١ ، ٥٢
(رجس) رجسٌ : ٥٦٤ ، ٥٦٥
(فرس) فارس ، فرسان : ٥٠٢
(قدس) المقدسة : ١٦٨
(قسس) قسيس : ٥٠٢
(لمس) لامس : ٨٣
(مسس) مسه العذاب : ٤٨٢
* * *
(قصص) قصاص : ٣٥٩
* * *
(بغض) البغضاء : ١٣٦ ، ٤٥٨ ، ٥٦٥
(عرض) أعرض عنه : ٣٢٥ — ٣٣٤
(فيض) فاض الدمع : ٥٠٧
(قرض) أقرض، قرضاً : ١٢١ ، ١٢٢
(مرض) فى قلبه مرض : ٤٠٤
(نقض) نقض : ١٢٥
* * *
(بسط) بسط إليه يده : ١٠٠ ، ٢١٣
يداه مبسوطتان : ٤٥٢ ، ٤٥٤
(حبط) حبط : ٤٠٩
(سرط) صراط مستقيم : ١٤٦
(غوط) الغائط : ٨٣
(قسط) القسط : ٩٥ ، ٣٣٤
أقسط الحاكم : ٣٣٥ ، ٣٣٦
القاسط : ٣٣٦
(وسط) أوسطه : ٥٣١
* * *
(حظظ) حظ : ١٢٩ ، ١٣٥
(حفظ) حفظ يمينه : ٥٦٢
استحفظه : ٣٤٣
(وعظ) موعظة : ٣٧٣
* * *
(تبع) اتبع : ٣٨٢ ، ٣٩٢ ، ٤٨٧
(رجع) مرجع : ٣٩١
(ركع) راكع : ٤٢٤ — ٤٢٦
(سرع) يسارع : ٣٠٨ ، ٤٠٤ ، ٤٤٦
(سمع) السميع : ٤٨٧
سمّاع : ٣٠٩ ، ٣١٨
(شرع) شرعة ، شريعة : ٣٨٤ — ٣٨٩

(طلع) اطلع : ١٣٠
(طمع) طمع يطمع : ٥١١
(طوع) طوعت له نفسه : ٢٢٠ ، ٢٢١
طاعنى هذا الأمر : ٢٢٠
(معع) مع : ١١٨ ، ٤٠٧
(وسع) واسع : ٤٢٣
(وضع) حرف الكلم عن مواضعه : ١٢٩ ، ٣١٣
(وقع) أوقع بينهم : ٥٦٥

* * *

(بلغ) البلاغ : ٥٧٥

* * *

(حرف) حرف الكلم : ١٢٩ ، ٣١٣
(خلف) من خلاف : ٢٦٨
(خوف) خافه : ٥٨٤
لا خوف عليهم : ٤٧٦
(سرف) إسراف ، مسرف : ٢٤٢
(ضيف) مضُوفة : ٤٣٥
(عرف) عرف عرافة ، عريف : ١١٠
(كفف) كفّ : ١٠٠ ، ١٠١

* * *

(حقق) الحق : ٣٣٧
(خلق) خلق ، يخلق : ١٤٩
(رزق) رزق : ٥٢٢
(رفق) مرفق ، مرافق : ٤٦
(سبق) استبق : ٣٩٠ ، ٣٩١
(صدق) مصدق : ٣٧٣ ، ٣٧٧
صديق ، صديقة : ٤٨٥
تصدق : ٣٦٢ — ٣٧٢
(فرق) فرق يفرُق : ١٨٨
فريق : ٤٧٧
(فسق) الفسق : ٤٦٦
فاسق : ١٨٩ ، ٢٠٠ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٩٣ ، ٤٣٣ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ .
(نفق) أنفق : ٤٥٣
(وثق) واثق : ٩١
ميثاق : ٩١ ، ١٠٩ ، ١٢٥ ، ١٣٥ ، ٤٧٦

* * *

(أفك) أفك ، يؤفك : ٤٨٦
(شرك) أشرك : ٤٩٨
(ملك) الملك : ١٤٨ ، ٣٠١
ملك ، ملوك : ١٦٠ — ١٦٣ .
ملك له شيئاً : ٣١٧ ، ٤٨٦
ما أملك إلاّ كذا : ١٨٧
ملك عليه أمره : ١٤٧
(هلك) أهلك : ١٤٧

* * *

(أجل) من أجل ذلك : ٢٣١ ، ٢٣٢
أجل الأمر أجلا : ٢٣١ ، ٢٣٢
(أكل) أكال : ٣١٨
(أهل) أهليكم : ٥٣١
(جعل) جعل : ١٦٠
(حلل) حلال : ٥٢٢
(ذلل) ذلّ يذل : ٤٢١
ذليل ، أذلة : ٤٢١

(رسل) رسول ، رسل : ١١٨
(سبل) فى سبيل الله : ٢٩٢ ، ٤٢٣
سبل السلام : ١٤٥
سواء السبيل : ١٢٤ ، ٤٤٣ ، ٤٨٨
(ضلل) ضلّ ، أضل : ١٢٤ ، ٤٤٣ ، ٤٨٨
(عدل) عدل : ٩٥ ، ٩٦
(غلل) غلّ ، يغلّ : ٤٥٢
مغلولة : ٤٥٢
(فضل) فضل الله : ٤٢٣
(قبل) تقبل : ٢١٠ ، ٢٩٢
(قول) قائلة : ١٣١
مقولة : ٤٣٥
(كلل) كُلّ : ٢٨٣
(نكل) نكال : ٢٩٧
(نول) نالته يده : ٥٨٣
(وسل) الوسيلة : ٢٩٠
(وكل) توكل : ١٠٨ ، ١٨٤

* * *

(أثم) إثم : ٢١٦ ، ٤٤٦ ، ٤٤٨
(ألم) أليم : ٢٩٢ ، ٤٨٣ ، ٥٨٥
(أمم) أمة : ٣٨٩ ، ٤٦٥
(تمم) أتم نعمته : ٩٠
(جحم) الجحيم : ٥١٣
أصحاب الجحيم : ١٠٠
جاحم : ٥١٣
(جرم) جرم : ٩٥
(جهنم) جهنم : ٤٨١
(حكم) حكم ، يحكم : ٣٢٥ ، ٣٣٤ ، ٣٣٨ ، ٣٤٥ ، ٣٧٢ ، ٣٧٤ ، ٣٨٢ ، ٣٩٢
حكم الجاهلية : ٣٩٤
حكيم : ٢٩٨
حكمه تحكيماً : ٣٣٦
(دوم) ما دام : ١٨٥
(رحم) رحيم : ٢٨٩ ، ٣٠٠ ، ٤٨٤
(زلم) الأزلام : ٥٦٤
(سلم) السّلام : ١٢٨
سبل السلام : ١٤٥
أسلم : ٣٣٨
(صمم) الصمم : ٤٧٨
(طعم) طعم : ٥٧٦
(ظلم) الظلم : ٢٩٨
الظالم : ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٣٧٣ ، ٤٠٢ ، ٤٨١
من الظلمات إلى النور : ١٤٥
(عصم) عصم يعصم : ٤٧٢
عصام القربة : ٤٧٢
(عظم) عظيم : ٩٨
عذاب عظيم : ٣١٨
(علم) ألم تعلم : ٣٠١
رب العالمين : ١٦٤ ، ١٦٦ ، ٢١٤
عليم : ٩٤ ، ٤٢٣ ، ٤٨٧
(قدم) قدمت أنفسهم : ٤٩٧

(قسم) أقسم : ٤٠٧
(قوم) أقام الصلاة : ١١٨ ، ٤٢٤
إقامة التوراة : ٤٦٢ ، ٤٧٣
قوام : ٩٥
القيامة : ٢٩٣
عذاب مقيم : ٢٩٣
صراط مستقيم : ١٤٦
(كتم) كتم : ٤٤٥
(كلم) حرف الكلم : ١٢٩ ، ٣١٣
(لوم) لومة لائم : ٤٢٣
(نجم) المنجمان : ٨١
(ندم) نادم : ٤٠٦
(نعم) نعمة الله : ٩١ ، ١٠٠ ، ١٥٩
أنعم عليه : ١٨١
أتم نعمته : ٩٠
جنات النعيم : ٤٦٢
(نقم) نقم ، ينقم : ٤٣٣
(همم) هم : ١٠٠
(يمم) تيمم : ٨٤

* * *

(أذن) الإذن : ١٤٥
(أمن) آمن : ٩٥ ، ٩٨ ، ١١٨ ، ٢٨٩ ، ٣٩٥ ، ٤٠٧ ، ٤٠٩ ، ٤٢٤ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٣٣ ، ٤٤٤ ، ٤٦١ ، ٤٧٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٥٠٦ ، ٥٠٩ ، ٥١١ ، ٥١٣ ، ٥٦٣ ، ٥٧٦ ، ٥٨٢
المؤمن : ١٠٨ ، ١٨٤ ، ٣٣٧ ، ٤٣٢ ، ٥٢٣
(بين) بيّن : ١٥٦ ، ٤٨٥ ، ٥٦٢
البينات : ٢٤٢
البلاغ المبين : ٥٧٥
الكتاب المبين : ١٤٣
(ثمن) ثمن قليل : ٣٤٤ ، ٣٤٥
(جنن) جنات : ١٢٣
جنات النعيم : ٤٦٢
(حزن) لا يحزنك : ٣٠١ ، ٣٠٨
وهم لا يحزنون : ٤٧٦
(حسن) أحسن ، المحسن : ١٤٣ ، ٥١٢ ، ٥٧٦
(خون) خائنة : ١٣١
(دون) من دون : ٤٨٦
(مسكن) مساكين : ٥٢٥ ، ٥٤٤
(فتن) فتن يفتن : ٣٩٢
فتنة : ٣١٧ ، ٤٧٨ ، ٤٨٠
(لعن) لعن : ١٢٦ ، ٤٣٧ ، ٤٨٩
(هيمن) مهيمن : ٣٧٧ — ٣٨٢
(يقن) أيقن ، يوقن : ٣٩٤

* * *

(تيه) تاه يتيه : ١٩٩
(فوه) من أفواههم : ٣٠٨
(وجه) الوجه : ٢٣ — ٤٦

* * *

(أتى) آتى : ١٦٤ ، ٣١٣ ، ٣٩٠ ، ٤٢٣ ، ٤٢٨
آتى الزكاة : ١١٨ ، ٤٢٤
(أسى) أسى يأسى : ٢٠٠ ، ٤٧٥
(أوى) مأوى : ٤٨١
(أبى) آية ، آيات : ١٠٠ ، ٤٨٥
(بغى) ابتغى : ٢٩٠ ، ٣٩٤
(بلا) بلاه يبلوه : ٣٨٩ ، ٥٨٢
(تلا) تلا يتلو : ٢٠١
(جزى) جزاء : ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٤٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٧ ، ٥١٢
(حيي) أحياها : ٢٣٢ — ٢٤٢
(خزى) خزى : ٢٧٦ ، ٣١٨
أخزاه ، فخزى : ٢٧٦
(خشى) خشى يخشى : ٣٤٤
(خلا) خلا : ٤٨٤
(رضى) رضوان : ١٤٤ ، ١٤٥
(زكى) آتى الزكاة : ١٨٨
(سعى) السعى : ٤٦١
(سوى) سواء السبيل : ١٢٤ ، ٤٤٣ ، ٤٨٨
(شرى) اشترى : ٣٤٤
(صلا) أقام الصلاة : ١٨٨
(طغى) طغيان : ٤٥٧ ، ٤٧٥
الطاغوت : ٤٤٣
(عدا) العدوان : ٤٤٧
اعتدى : ٤٨٩ ، ٤٩٥ ، ٥٢٢ ، ٥٨٥
(عسى) عسى : ٤٠٥
(عفا) عفا يعفو : ١٣٤ ، ١٤٣
(عمى) العمى : ٤٧٨
(غرى) أغرى : ١٣٦
(غلا) غلا يغلو : ٤٨٧
الغلو : ٤٦٦
(فدى) افتدى به : ٢٩٢
(قسا) قاسية : ١٢٦
قسا يقسو : ١٢٦
قسية : ١٢٧
(قفا) قفى على أثره : ٣٧٣
(كسا) كسوة : ٥٤٥
(لغا) اللغو : ٥٢٥
(لقى) ألقى بينهم العداوة : ٤٥٨
(ندى) نادى إلى الصلاة : ٤٣٢
(نسى) نسى : ١٢٩ ، ١٣٥
(نفى) النفى من الأرض : ٢٦٨ — ٢٧٦
النفىّ : ٢٧٥
النفى : ٢٧٥
النفاية : ٢٧٥
نفى شعره : ٢٧٦
(نهى) انتهى ، تناهى : ٤٨٢ ، ٤٩٦ ، ٥٦٦
(هدى) هدى ، يهدى ، هدى : ١٤٤ ، ١٤٦ ، ٣٣٨ ، ٣٧٣ ، ٤٠٢ ، ٤٧٢
(هوى) هوى ، يهوى : ٤٧٧
أهواء : ٣٨٢ ، ٣٩٢ ، ٤٨٧
(ورى) وارى : ٢٢٩
(وقى) اتقى : ٩٤ ، ١٠٨

٢٨٩ ، ٤٣١ ، ٤٦١ ،
٥٧٦
التقوى : ٩٦
المتقون : ٢١١ ، ٣٧٤
(ولى) ولىّ أولياء : ٣٩٩، ٤٢٤،
٤٢٩ ، ٤٩٧
تولاه : ٤٠٠
تولى : ٣٣٦ ، ٣٩٣ ،
٤٢٧ ، ٤٩٧ ، ٥٧٥
(يدى) يد الله : ٤٥٠ — ٤٥٢
٤٥٤ — ٤٥٦

أعلام المترجمين فى التعليق

الأرقام فى هذا النهرس على أرقام الآثار ، لا الصفحات

الإباضية : ١٢٠٢٥ ، ١٢٠٢٦
إبراهيم بن سعد بن إبراهيم الزهرى : ١١٣٢٨
إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء الفزارى (أبو إسحق الفزارى) : ١١٣٥٨
إبراهيم بن يزيد بن مردانبه القرشى : ١١٥٤٥
الأحدب (محمد بن عبيد الطنافسى)
أحمد بن بشير القرشى المخزومى : ١٢١٨٢
أحمد بن عبد الرحمن بن بكار القرشى العامرى البسرى (أبو الوليد الدمشقى) : ١١٣٥٦ ، ١١٣٧٦ ، ١١٣٧٧ ، ١١٤١٦
الأحول (سليمان بن أبى مسلم)
أربدة التميمى (رجل من تميم) ١٢١٠٧ — ١٢١١٣ ، ١٢١١٦ — ١٢١١٨
الأرقم بن شرحبيل : ١١٤٤٨
الأزرق بن قيس الحارثى : ١١٣٨٨
أزهر بن سعد السمان : ١٢٣٨٦
ابن إسحق (محمد بن إسحق)
أبو إسحق السبيعى : ١١٥١١ ، ١٢٥٠٤
أبو إسحق الشيبانى (سليمان بن أبى سليمان)
أبو إسحق الفزارى (إبراهيم بن محمد ابن الحارث بن أسماء)
إسحق بن سليمان الرازى (أبو يحيى الرازى) (أبو يحيى العبدى) : ١٢١٣٣ ، ١٢٤٥٠
إسحق بن شاهين الواسطى (أبو بشر الواسطى) : ١١٤٨٦ ، ١١٥٠٤
إسحق بن القاسم : ١١٦٧٧
إسحق بن منصور السلولى : ١١٣٣٨
إسرائيل بن موسى البصرى (أبو موسى) ١٢١٨١
أسماء بنت زيد بن الخطاب : ١١٣٢٨
إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم الأسدى (ابن علية) (أبو بشر) : ١٢٤٠٦
إسماعيل بن إسرائيل الرملى : ١٢٢١٣
إسماعيل بن أبى خالد الأحمسى (ابن أبى خالد) : ١٢٢٨٠
إسماعيل بن رافع بن عويمر المدنى القاص : ١١٧٠٤
إسماعيل بن محمود الحجيرى (شيخ الطبرى) : ١١٥١٣
إسماعيل بن مسلم المكى : ١١٣٨٣

إسماعيل بن موسى الفزارى : ١١٥٠٤
أبو الأسود (محمد بن عبدالرحمن ابن نوفل) (يتيم عروة)
الأسود بن يزيد بن قيس النخعى : ١١٣١٥ ، ١٢٣٧٨
الأشدق (سليمان بن موسى)
ابن أشكاب (على بن الحسين بن الحر)
أبو الأشهب (جعفر بن حيان السعدى)
الأعمش (سليمان بن مهران)
أعنق ليموت (المعنق ليموت) ص ١٠٤ ، تعليق : ١
الإفريقى (ابن أنعم) (عبد الرحمن ابن زياد بن أنعم)
الأفطس (عبد الواحد بن قيس)
الأفوه (بشر بن السرى)
الأقطع (سليمان بن عمر بن خالد)
أبو أمامة (صدى بن عجلان) : ١١٥٤٤
أبو أمية (عبد الكريم بن أبى المخارق)
أنس بن عياض بن ضمرة : ١١٦٢٦
أنس بن مالك : ١١٣٢٥، ١٢٥٢٧
ابن أنعم (عبد الرحمن بن زياد بن أنعم)
الأوزاعى (أبو عمرو) : ١١٨٢١ ، ١١٨٢٤
أوس بن أبى أوس الثقفى (أوس بن حذيفة) : ١١٥٢٧ ، ١١٥٢٩
أوس بن حذيفة الثقفى (أوس بن أبى أوس) : ١١٥٢٧ ، ١١٥٢٩
أويس الصيرفى (؟؟) : ١٢٤٨٠
أبو إياس (معاوية بن قرة)
أيوب بن سويد الرملى : ١٢٢١٣

* * *

الباقر (محمد بن على بن الحسين)
أبو البخترى (سعيد بن فيروز)
بردة (؟؟) : ١٢٤٧٧
ابن بريدة (عبد الله بن بريدة بن الحصيب)
بريدة بن الحصيب الأسلمى : ١١٣٣٠ ، ١١٣٣١ ، ١٢٥٢٣
أبو بشر (جعفر بن إياس)
أبو بشر (ابن علية) (إسماعيل ابن إبراهيم بن مقسم) : ١٢٤٠٦
أبو بشر الواسطى (إسحق بن شاهين)
بشر بن السرى البصرى (أبو عمرو الأفوه) : ١١٦٤٢
بشر بن معاذ العقدى : ١٢٣٤٤
أبو بكر الصفار (خلاد بن أسلم)
أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم : ١١٣٣٩
بكير بن أبى بكير (؟؟) : ١١٩٦١

* * *

أبو تميلة (يحيى بن واضح)
التميمى (أربدة التميمى)
توبة بن مضرس (الخنوت) ص ٢٣١ ، تعليق : ١

* * *

ثعلبة بن سهيل التميمى الطهوى : ١٢٢٧٣

جابر بن زيد الأزدى اليحمدى (أبو الشعثاء) : ١٢٠٧٧ ، ١٢٤٠٦
جابر بن يزيد بن الحارث الجعفى : ١١٣٣٩
جامع بن حماد: ١٢٣٤٤، ١٢٣٦٧، ١٢٤٢٣ ، ١٢٥٠٧، ٢٥٢٤
جبير بن نفير الحضرمى: ١١١٤١٧
ابن جدعان (على بن زيد بن جدعان)
الجراح بن مليح الرؤاسىّ: ١٢٤٠٨
جرير بن حازم الأزدى العتكى : ١١٥٢٨
جرير بن عبد الحميد الضبى : ١٢٢٧٣
جرير بن عبد الله البجلى: ١١٨١١
الجريرى (سعيد بن إياس الجريرى)
أبو جعفر (الباقر) (محمد بن على ابن الحسين)
أبو جعفر المخزومى (يزيد بن القعقاع)
جعفر بن إياس (أبو بشر) (ابن أبى وحشية) : ١١٥٢٢
جعفر بن حيان السعدى العطاردى (أبو الأشهب) : ١١٤٠٨
جعفر بن أبى المغيرة الخزاعى : ١٢٢٧٣

* * *

حاتم بن إسماعيل المدنى : ١١٥٤٧
الحارث بن عبيد الإيادى (أبو قدامة) ١٢٢٧٦
حارثة بن بدر بن حصين الغدانى : ١١٨٧٩ — ١١٨٨١
حبة العرنى (حبة بن جوين بن على) : ١١٥٣٠
حبة بن جوين بن على بن عبد نهم العرنى البجلى : ١١٥٣٠
حبيب بن أبى ثابت الأسدى : ١٢٠٢٧
حجاج بن تميم الجزرى : ١١٦٣٣
حدير بن كريب الحضرمى (أبو الزاهرية) : ١١٤١٧
حذيفة بن اليمان : ١٢٠٢٧
حرام بن ملحان النجارى (المعنق ليموت) ص ١٠٤ ، تعليق : ١
أبو حرة البصرى (واصل بن عبد الرحمن)
حرمى بن عمارة بن أبى حفصة العتكى : ١٢٠٧٨
حسام بن مصك بن ظالم بن شيطان الأزدى : ١١٧٢٠
حسان بن بلال المزنى : ١١٤١٥
الحسن بن شبيب بن راشد بن مطر (أبو على المؤدب) (شيخ الطبرى) ١١٣٨٣
الحسن بن صالح بن حىّ الثورى : ١١٤٩٢
الحسن بن عطية بن نجيح القرشى البزاز : ١٢٢٣٩
الحسن بن حماد بن كسيب الحضرمى (سجادة) : ١١٨١١
أبو الحسين العكلى (زيد بن الحباب)
الحسين بن حريث بن الحسن بن

ثابت (أبو عمار المروزى) : ١١٧٧١
حسين بن على بن الوليد الجعفى : ١١٤٦٣ ، ١٢١٦٤ ، ١٢١٨١
الحسين بن على بن يزيد بن سليم الصدائى : ١١٤٥٨
الحسين بن واقد المروزى : ١١٦٠٩ ، ١١٧٧١
أبو حصين (عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن يونس)
حصين بن عبد الرحمن السلمى : ١٢١٩٣ ، ١٢٣٣٦
حصين بن نمير الواسطى (أبو محصن الضرير) : ١٢٣٠٤
الحفرى (أبو داود الحفرى)
أبو حفص (عمر بن هرون بن يزيد)
حفص الغاضرى (حفص بن سليمان)
حفص بن سليمان الأسدى الغاضرى : ١١٤٥٨
حفص بن عمر بن الحارث بن سخبرة النمرى (حفص بن عمر الحوضى) (أبو عمر الحوضى) : ١١٤٤٩ ، ١٢١٤٣
الحكم بن بشير بن سلمان النهدى : ١٢٣٠٧
الحكم بن ظهير الفزارى : ١١٣٣٥
الحكم بن عبد الله (؟؟) : ١١٩٦٨
الحكم بن عتيبة : ١١٩٩٦
حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف الأنصارى : ١١٧٤١
حمران بن أبان، مولى عثمان : ١١٥٤٩
أبو حمزة، الأعور القصاب (ميمون) : ١١٨١٠
حميد الأعرج (حميد بن قيس المكى)
حميد الطويل : ١١٣٢٥
حميد بن زياد بن أبى المخارق الخراط (أبو صخر) : ١١٨٩١ ، ١٢١٧٧
حميد بن عبد الرحمن الرؤاسى : ١٢١٦١
حميد بن قيس المكى الأسدي (حميد الأعرج) : ١١٤٩٠
حميد بن هانئ الخولانى المصرى (أبو هانئ) : ١١٦٢٥
حنظلة بن أبى عامر الراهب (غسيل الملائكة) : ١١٣٢٨
الحوضى (حفص بن عمر)
أبو حيان (يحيى بن سعيد بن حيان)
حيان بن سريج المصرى : ١١٨٦٩ — ١١٨٧١
حيوة بن شريح : ١١٥١٠
حيّ بن عبد الله بن شريح المعافرى الحبلى : ١١٩١٧

* * *

خالد ، أبو الفضل (خالد بن أبى الفضل) : ١١٨٠١
ابن أبى خالد (إسماعيل بن أبى خالد الأحمسى)
خالد الواسطى (خالد بن عبد الله ابن عبد الرحمن)
خالد بن إلياس بن صخر القرشى : ١١٤١٢

خالد بن الحارث بن عبيد الهجيمى : ١١٥١٣
خالد بن دينار التميمى السعدى : ١٢٢٣٩
خالد بن رباح ، أبو الفضل : ١١٨٠١
خالد بن رباح الهذلى : ١١٨٠١
خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن الواسطى الطحان : ١١٤٨٦ ، ١١٥٠٤ ،
خالد بن أبى الفضل (خالد ، أبو الفضل) : ١١٨٠١
خالد بن مخلد القطوانى : ١١٥٠٣ ، ١٢٥٣١
خالد بن يزيد الجمحى المصرى : ١٢٢٨٣
الختلى (محمد بن عباد بن موسى)
أبو خداش (يزيد بن مخلد الواسطى)
خطيب همدان (مسروق بن الأجدع) ١١٨٧٩ — ١١٨٨١
خلاد بن أسلم (أبو بكر الصفار) (شيخ الطبرى) : ١١٥١٢
خلف بن تميم بن أبى عتاب التميمى : ١١٦٧٧
الخنوت (توبة بن مضرس) ص ٢٣١ ، تعليق : ١
الخوارج : ١٢٠٢٥ ، ١٢٠٢٦

* * *

أبو داود الحفرى (عمر بن سعد بن عبيد)
دهلك اليهودى : ص ٣٩٧ ، تعليق : ٤

* * *

رافع (؟؟) : ١٢٤٧٧
الربيع بن صبيح السعدى : ١٢٤٠٨
أبو ربيعة ، صاحب السابرى (سنان ابن ربيعة)
ربيعة بن كلثوم بن جبر الديلى : ١٢٥٢٢
رجل من تميم (أربدة التميمى)
رقبة بن مصقلة بن عبد الله العبدى : ١١٥٤٥
أبو روح (سلام بن مسكين بن ربيعة)
أبو روح (عمارة بن أبى حفصة العتكى)
روح بن عبادة القيسى : ١١٨٠٨ ، ١١٨٠٩
أبو روق (عطية بن الحارث الهمدانى)

* * *

زائدة بن قدامة الثقفى : ١٢١٦٤
أبو الزاهرية (حدير بن كريب)
أبو زبيد (عبثر بن القاسم الزبيدى)
الزبيدى (سعيد بن عبد الرحمن الزبيدى)
الزبير بن بكار (شيخ الطبرى) : ١١٦٢٦
الزبير بن الخريت : ١١٦٩٣
أبو زرعة (وهب الله بن راشد المصرى)
زكريا بن أبى زائدة الهمدانى الوادعى : ١١٩١٩
أبو الزناد (عبد الله بن ذكوان القرشى)

ابن أبي زياد (عبدالله بن عبدالحكم ابن أبي زياد)
زياد بن طريف الحنفي : ١١٣٠٤ — ١١٣٠٧
زياد بن عبد الله بن الطفيل البكائي : ١١٣١٨
زيد بن الحواري (زيد العمي) : ١١٤٠٩
زيد الخدري (؟؟) : ١١٤٠٨
زيد العمي (زيد بن الحواري)
زيد بن الحباب العكلي (أبو الحسين) ١١٤١٤ ، ١١٤٤٣ ، ١١٤٩٠

* * *

سالم الأفطس (سالم بن عجلان)
سالم ، مولى دوس : ١١٥٠٥ — ١١٥٠٧ ، ١١٥١٠
سالم الدوسي (سالم بن عبد الله النصري) : ١١٥٠٥ ، ١١٥٠٧ ، ١١٥١٠
سالم سبلان (سالم الدوسي) : ١١٥٠٥ — ١١٥٠٧ ، ١١٥١٠
سالم ، مولى شداد بن الهاد : ١١٥٠٥ — ١١٥٠٧ ، ١١٥١٠
سالم ، مولى مالك بن أوس بن الحدثان النصري : ١١٥٠٥ — ١١٥٠٧ ، ١١٥١٠
سالم ، مولى المهري : ١١٥٠٥ — ١١٥٠٧ ، ١١٥١٠
سالم مولى النصريين : ١١٥٠٥ — ١١٥٠٧ ، ١١٥١٠
أبو سالم ، مولى المهري (سالم مولى المري) : ١١٥٠٦ — ١١٥٠٧ ، ١١٥١٠
سالم بن أبي الجعد الأشجعي : ١١٥٤٦
سالم بن عبد الله النصري : ١١٥٠٥ — ١١٥٠٧ ، ١١٥١٠
سالم بن عجلان الجزري الحراني (سالم الأفطس) : ١٢٣٠٦
سجادة (الحسن بن حماد بن كسيب)
بنو سدوس بن شيبان : ١٢٠٢٥ ، ١٢٠٢٦
سعد بن أبي وقاص : ١٢٥١٨ — ١٢٥٢٠
سعدويه (سعيد بن سليمان الضبي)
أبو سعيد (عبد الكريم بن مالك)
أبو سعيد البغدادي (أبو سعيد بن يوشع البغدادي) : ١١٣٣٨
سعيد الزبيدي (سعيد بن عبد الرحمن الزبيدي)
سعيد بن إياس الجريري : ١٢٢٧٤
سعيد بن بشير الأزدي : ١١٣٥٧
سعيد بن زيد بن درهم الأزدي : ١١٨٠١
سعيد بن سليمان الضبيّ (سعدويه) : ١١٩٩٦
سعيد بن سنان البرجميّ (أبو سنان) : ١٢١٣٣ ، ١٢١٤٩ ، ١٢٤٥٠
سعيد بن سنان الحنفي (أبو مهدي) : ١١٤١٧
سعيد بن عامر الضبعي : ١١٧٢٥
سعيد بن عبد الرحمن الزبيدي

(أبو شيبة) : ١١٣٤٦، ١١٣٥٣
سعيد بن عبد الرحمن بن عبد الله ابن حميل الجمحى : ١١٨١٢
سعيد بن أبى عروبة : ١١٥٤٣
سعيد بن فيروز الطائى (أبو البخترى) ١٢٠٢٧
سعيد بن قيس الهمدانى : ١١٨٧٩ـ ١١٨٨١
سعيد بن أبى كرب (أبى كريب) الهمدانى (شعيب بن أبى كريب) ١١٥١١
سعيد بن محمد بن سعيد الجرمى : ١٢٥٢٣
سعيد بن أبى هلال الليثى المصرى : ١١٨١٣ ، ١٢٢٨٣
سعيد بن يحمد الثورى (أبو السفر) : ١٢٠٨٠
سعيد بن يحيى بن مهدى الحميرى (أبو سفيان الحميرى) : ١٢١٩٣
سعيد بن يزيد بن مسلمة الأزدى (أبو مسلمة البصرى) : ١٢٤٠٦
أبو سعيد بن يوشع البغدادى (أبو سعيد البغدادى) : ١١٣٣٨

* * *

أبو السفر (سعيد بن يحمد الثورى)
سفيان الثورى : ١١٣٣٠، ١١٣٣٩، ١١٩٤١ ، ١٢٠٧٣ـ ١٢٠٧٥، ١٢٣٠٨
أبو سفيان (طلحة بن نافع القرشى)
أبو سفيان الحميرى (سعيد بن يحيى ابن مهدى)
أبو سفيان الغنوى (يزيد بن عمرو)
أبو سفيان المعمرى (محمد بن حميد اليشكرى المعمرى)
سفيان بن حبيب البصرى : ١١٣٠١، ١١٣٠٢، ١١٣٢٢
سفيان بن حسين الواسطى : ١١٩٩٦
سفيان بن عيينة : ١١٤١٥، ١١٤٩٤
سلام ، مولى حفص ، أبو القاسم الليثى (والد أبى عبيد القاسم بن سلام) : ١٢٥٢٣
سلام الطويل (سلام بن سلم)
سلام بن سلم المدائنى (سلامة بن سليم) : ١١٤٠٩ ، ١١٤١٠
سلام بن سليمان المدائنى : ١١٤٠٩
سلام بن مسكين بن ربيعة الأزدى (أبو روح) : ١١٨٠٠
سلامة بن سليم المدائنى : ١١٤٠٩
أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى : ١١٥٠٥ ـ ١١٥٠٧ ، ١١٥٠٨ ، ١١٥٠٩ ، ١١٥٦٦
أم سليم بنت ملحان الأنصارية : ١٢٥٢٧
سليمان العبسى (سليمان بن عبيد العبسى) : ١٢٤٣٥ ، ١٢٤٣٦، ١٢٤٤٠
سليمان بن بريدة بن الحصيب الأسلمى : ١١٣٣٠ ، ١١٣٣١
سليمان بن بلال التيمى : ١١٥٠٣
سليمان بن أبى زينب السبأى الشامى : ١١٣٥٩
سليمان بن أبى سليمان الشيبانى (أبو إسحق الشيبانى) : ١٢٤٨٩

سليمان الشيبانى (سليمان أبى سليمان)
سليمان بن طرخان التيمى : ١٢٤٨٨
سليمان بن عبيد العبسى (سليمان العبسى) : ١٢٤٣٥، ١٢٤٣٦، ١٢٤٤٠
سليمان بن على الربعى الأزدى : ١١٨٠٠
سليمان بن عمر بن خالد الرقى (الأقطع) : ١١٣٣٧
سليمان بن أبى مسلم المكى الأحول : ١١٤٩٤
سليمان بن أبى المغيرة العبسى : ١٢٤٣٥ ، ١٢٤٣٦ ، ١٢٤٤٠
سليمان بن مهران الأعمش : ١١٣١٥
سليمان بن موسى الأموى (أبو هشام الأشدق) : ١١٣٨٢
ابن سمعان (عبد الله بن زياد بن سليمان بن سمعان)
أبو سنان (سعيد بن سنان البرجمى)
سنان بن ربيعة الباهلى (أبو ربيعة صاحب السابرى) : ١١٣٧٩ ، ١١٣٨١
سهل بن على (؟؟) : ١١٦٧٧
سهل بن على المروزى : ١١٦٧٧
سهل بن يوسف الأنماطى : ١١٧١٩
سهل بن أبى صالح ذكوان السمان : ١١٥٠٣
أبو السوداء (عمرو بن عمران النهدى)
أبو سودة (أبو سورة)
أبو سورة (أبو سودة) : ١١٤١٣ ، ١١٤١٨
ابن أبى سويد (محمد بن أبى سويد)
سويد بن جحير الباهلى : ١٢٤٩٩
سيف بن سليمان المخزومى : ١٢٤٩٩
سيف بن عمر التميمى : ١٢١٢٨ ، ١٢٢٠١ ، ١٢٢٠٣
السينانى (الفضل بن موسى)

* * *

شبيب بن سعيد التميمى الحبطى : ١٢٠٨٥
شريح بن عبيد بن شريح الحضرمى : ١٢١٩٤
الشعبى (عامر الشعبى) : ١٢٠٨١
أبو الشعثاء (جابر بن زيد الأزدى)
شعيب بن أبى كرب الهمدانى (سعيد . . .) : ١١٥١١
شقيق بن سلمة الأسدى (أبو وائل) : ١١٥٣١ — ١١٥٣٦ ، ١٢٣٩٧
شمر بن عطية الأسدى الكاهلى : ١١٥٤٥
شهر بن حوشب الأشعرى : ١١٣٧٩ — ١١٣٨١ ، ١١٥٤٣
شيبان النحوى ، أبو معاوية (شيبان ابن عبد الرحمن)
شيبان بن عبد الرحمن (أبو معاوية النحوى) : ١١٣٣٩ ، ١١٤٦٣
أبو شيبة (سعيد بن عبد الرحمن الزبيدى)
شيبة بن نصاح بن سرجس المخزومى : ١١٤٥٦

* * *

صاحب السابرى (سنان بن ربيعة)

أبو صالح ذكوان السمان : ١١٥٠٣
ابن الصامت (عبادة بن الصامت)
الصباح بن محارب التيمي : ١١٥١٥، ١١٥١٦
أبو صخر (حميد بن زياد بن أبي المخارق)
صدىّ بن عجلان (أبو أمامة) : ١١٥٤٤
صفوان بن عمرو بن هرم السكسكي ١٢١٩٤
الصلت بن أبي عاصم : ١١٨٦٩ — ١١٨٧١

* * *

أبو الضحى (مسلم بن صبيح) : ١٢٤٨٩
ضمرة (يروي عن علي) ؟؟ : ١١٩٦٥

* * *

طارق بن شهاب بن عبد شمس البجلي الأحمسي : ١١٦٨٢ ، ١٢٠٧٣ — ١٢٠٧٥ ، ١٢٠٨٥
طريف بن زياد الحنفي : ١١٣٠٤— ١١٣٠٧
طريف بن يزيد الحنفي : ١١٣٠٤— ١١٣٠٧
طلحة بن عمرو بن عثمان الحضرمي : ١١٦٤٢
طلحة بن نافع القرشي (أبو سفيان) : ١١٥١٧ ، ١١٥١٨

* * *

عاصم بن كليب بن شهاب بن المجنون الجرمي : ١١٤٥٨
عامر الشعبي : ١١٩١٩
عامر بن عبد الله العنبري (عامر ابن عبد الله بن عبد قيس) : ١١٧٢٥
عامر بن عبد الله بن عبد قيس العنبري : ١١٧٢٥
عباد بن راشد التميمي : ١٢٥٢٧
عباد بن العوام الواسطي : ١١٩٩٦
العباس بن الوليد بن مزيد العذري الآملي : ١١٨٢١
عبادة بن الصامت : ١٢٠٨١
عبثر بن القاسم الزبيدي (أبو زبيد) : ١٢٣٣٦
عبد الجبار بن عمر الأيلي : ١١٩٦٨
أبو عبد الرحمن الحبلي (عبد الله ابن يزيد المعافري)
أبو عبد الرحمن الحريبي (عبدالله ابن داود بن عامر)
أبو عبد الرحمن السلمي (عبد الله ابن حبيب بن ربيعة)
عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحميري : ١٢١٩٤
عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي (ابن أنعم) : ١١٣٣٧
عبد الرحمن بن زيد بن أبي الموال : ١١٩٦٧
عبد الرحمن بن سابط (عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط) : ١١٥٢٦
عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط : ١١٥٢٦

عبد الرحمن بن محمد بن زياد المحاربى : ١١٤١٠ ، ١٢٣٠٦
عبد الرحمن بن مغراء الدوسى : ١١٨٧٩ — ١١٨٨١
عبد الرحمن بن مهدى : ١١٣٣٠ ، ١١٤٩٤
عبد الرحمن بن أبى الموال : ١١٩٦٧
عبد القدوس بن الحجاج الخولانى (أبو المغيرة) : ١٢١٩٤
عبد الكبير بن عبد المجيد الحنفى البصرى : ١٢٥٢٧
عبد الكريم أبو أمية (عبد الكريم ابن أبى المخارق)
عبد الكريم بن أبى عمير الدهان (شيخ الطبرى) : ١١٣٦٨
عبد الكريم بن مالك الجزرى (أبو سعيد) : ١١٨١٠
عبد الكريم بن أبى المخارق ، أبو أمية : ١١٤١٥ ، ١٢٤٩٥
عبد الله . . . (على شرط المدينة) : ١١٩٦٨
أبو عبد الله الأحدب (محمد بن عبيد)
أبو عبد الله مولى شداد (سالم الدوسى) ١١٥٠٥ — ١١٥٠٧ ، ١١٥١٠
عبد الله بن أحمد بن شبويه الخزاعى ١١٦١٠
عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن يونس اليربوعى (أبو حصين) : ١٢٣٣٦
عبد الله بن أحمد بن يونس (عبدالله ابن أحمد بن عبد الله بن يونس)
عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسلمى : ١١٣٣٠ ، ١٢٥٢٣
عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم : ١١٣٣٩
عبد الله بن حبيب بن ربيعة (أبو عبد الرحمن السلمى) : ١١٤٥٨
عبد الله بن حسن بن حسن بن على ابن أبى طالب : ١١٤٤٨
عبد الله بن الحكم بن أبى زياد القطوانى (عبد الله بن أبى زياد) (شيخ الطبرى) : ١١٣٢٨ ، ١١٤٨٥
عبد الله بن حنش الأودى : ١٢٣٧٨ ، ١٢٣٧٩ ، ١٢٣٨٢ ، ١٢٣٨٣
عبد الله بن حنظلة بن أبى عامر الراهب (ابن الغسيل) : ١١٣٢٨
عبد الله بن داود بن عامر بن الربيع الهمدانى (أبو عبد الرحمن الخريبى) : ١٢٢٣٨
عبد الله بن ذكوان القرشى (أبو الزناد) ١١٨١٣
عبد الله بن رافع المخزومى : ١١٤١٢
عبدالله بن أبى زياد القطوانى (عبدالله بن الحكم بن أبى زياد)
عبد الله بن زياد بن سليمان بن سمعان المخزومى (ابن سمعان) : ١١٨١٢
عبد الله بن سلمة المرادى : ١٢٣٩٨
عبد الله بن شقيق العقيلى : ١٢٢٧٤
عبد الله بن الصباح بن عبد الله الهاشمى العطار : ١١٤٤٩

عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب : ١١٣٢٨
عبد الله بن عبيد الله بن عمر ابن الخطاب : ١١٨١٣
عبدالله بن علقمة بن الفغواء الخزاعى : ١١٣٣٩
عبد الله بن عمر بن الخطاب : ١١٨١٣ ، ١١٩٧٦
عبد الله بن عمرو بن العاص : ١١٨١٣ ، ١٢٠٧٣ — ١٢٠٧٥
عبد الله بن عمرو بن مرة المرادى : ١٢٣٠٦ ، ١٢٣٩٦
عبد الله بن عياش بن عباس القتبانى : ١٢١٧٧
عبد الله بن لهيعة : ١١٨٥٤، ١١٩١٧
عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ابن المسور الزهرى : ١١٤٦٨
عبد الله بن مرة الهمدانى الخارفى : ١١٩٢٢
عبد الله بن أبى مريم : ١٢٣٣٠ — ١٢٣٣٤
عبد الله بن هاشم (عبد الله بن هشام) : ١٢١٢٨
عبد الله بن هشام (عبدالله بن هاشم) : ١٢١٨٦
عبد الله بن هبيرة السبائى : ١١٩٦٤
عبد الله بن يزيد المعافرى (أبو عبد الرحمن الحبلى) : ١١٦٢٥، ١١٩١٧
عبد المؤمن بن خالد الحنفى المروزى : ١١٩١٤
عبد الملك بن أبى بشير البصرى : ١١٣٦١
عبد الملك بن ميسرة الهلالى الزراد : ١١٣٢٦
عبد الواحد بن زياد العبدى : ١٢٤٨٩
عبد الواحد بن قيس السلمى ، الأفطس النحوى : ١١٤١٦
عبد الواحد بن واصل السدوسى (أبو عبيدة الحداد) : ١١٤١١
عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان العنبرى : ١١٤٩٠
عبد الوهاب بن عبد الأعلى (؟؟) : ١١٤٥٩
عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى : ١١٤٥٩
عبد الوهاب بن عطاء الخفاف : ١١٤٥٩
ابن عبد خير (المسيب بن عبد خير ابن يزيد)
عبد خير بن يزيد الخيوانى الهمدانى : ١١٤٦٨
ابن عبد قيس (عامر بن عبد الله ابن عبد قيس) : ١١٧٢٥
أبو عبيد (القاسم بن سلام)
أبو عبيد المذحجى ، مولى سليمان ابن عبد الملك : ١١٥٤٧
عبيد بن حميد بن صهيب التيمى : ١١٩٢٢
عبيد الله الخولانى (عبيد الله بن الأسود)
عبيد الله العتكى (عبيد الله بن

عبد الله العتكي)
عبيد الله بن الأسود الخولاني : ١١٤٣٠
عبيد الله بن زحر الغمري الإفريقي : ١١٥٢٥
عبيد الله بن عبد الله العتكي : ١١٤٧٨
عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب : ١١٣٢٨
عبيد الله بن موسى بن أبي المختار العبسي : ١١٤١٢ ، ١١٩٧٥
أبو عبيدة الحداد (عبد الواحد بن واصل)
أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود : ١٢٣٠٦ — ١٢٣١١
عتبة بن أبي حكيم الهمداني ، الشعباني : ١٢٢١٣
عثمان بن سعد التميمي ، الكاتب المعلم : ١٢٣٥٠
عثمان بن سعيد الزيات الأحول : ١١٥٤٧
عثمان بن بن سعيد بن مرة القرشي : ١١٥٤٧
عثمان بن عبد الرحمن بن عمر بن سعد بن أبي وقاص : ١٢١٥٧
ابن أبي عدى (محمد بن إبراهيم بن أبي عدى)
عدى بن ثابت الأنصاري : ١١٧٢٦ ، ١٢١٠٠
أبو العريان (الهيثم بن الأسود النخعي)
العريان بن الهيثم بن الأسود النخعي : ١٢٠٧٣ — ١٢٠٧٥
عطاء العامري الطائفي : ١١٥٢٧ ، ١١٥٢٩
ابن عطية (الحسن بن عطية بن نجيح القرشي)
عطية بن الحارث الهمداني (أبو روق) : ١١٧٥٢
أبو عقبة (؟؟) : ١٢٠٧٧ ، ١٢٠٧٨
عكرمة بن عمار العجلي : ١١٥٠٦
العلاء بن المسيب بن رافع الأسدي : ١٢٢٣٩ ، ١٢٣٠٦
علج صاحب العراق (الحجاج الثقفي) : ١١٨٧١
علقمة بن الفغواء الخزاعي : ١١٣٣٩
علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي : ١١٩٦٠
علقمة بن مرثد الحضرمي : ١١٣٣٠
أبو على المؤدب (الحسن بن شبيب ابن راشد)
على بن الأقمر بن عمرو بن الحارث الهمداني (أبو الوازع) : ١١٩٤١
على بن بذيمة الجزري : ١٢٣٠٧
على بن الحسن بن شقيق بن دينار : ١١٦١٠
على بن الحسين بن إبراهيم بن الحر ابن زعلان : (ابن أشكاب) : ١١٤١٣
على بن الحسين بن الحر (على بن الحسين بن إبراهيم بن الحر بن زعلان)
على بن زيد بن جدعان (على بن

زيد بن عبد الله بن أبى مليكة)
على بن زيد بن عبد الله بن أبى مليكة بن زهير بن عبد الله بن جدعان : ١١٣٧٣
على بن صالح بن صالح بن حىّ الهمدانى : ١١٩٧٥
على بن عياش بن مسلم الألهانى : ١١٥٤٩
على بن المبارك الهنائى : ١١٥٠٧
على بن محمد بن إسحق الطنافسى : ١١٦٣٣
على بن مسهر القرشى : ١٢٥٣١
على بن هاشم بن البريد البريدى العائذى : ١١٣٨٣
على بن يزيد الألهانى : ١١٥٢٥
على بن يزيد بن سليم الصدائى : ١١٤٥٨
ابن علية (إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم)
أبو عمار المروزى (الحسين بن حريث بن الحسن بن ثابت)
عمار بن معاوية الدهنى (أبو معاوية) : ١١٨٩١
عمارة بن أبى حفصة العتكى (أبو روح) : ١١٤٤٩ ، ١٢٠٧٧ ، ١٢٠٧٨
عمارة بن عمير التيمى : ١١٣١٥
أبو عمر الحوضى (حفص بن عمر)
عمر بن حمزة بن عبد الله بن عمر ابن الخطاب : ١١٩٦٧
عمر بن راشد : ١٢٤٩٣
عمر بن راشد السلمى : ١٢٤٩٣
عمر بن سعد بن عبيد (أبو داود الحفرى) : ١١٣٩٩
عمر بن سليم الباهلى : ١١٤١٤
عمر بن سليمان الباهلى (عمر بن سليم) : ١١٤١٤
عمر بن عبد العزيز : ص ٢٧٦ ، تعليق : ٢
عمر بن عبيد بن أبى أمية الطنافسى : ١١٣٤٠
عمر بن على بن عطاء بن مقدم المقدمى : ١٢٣٢٦
عمر بن على بن مقدم (عمر بن على ابن عطاء بن مقدم)
عمر بن كثير بن أفلح ، مولى أبى أيوب الأنصارى : ١٢٢٢٣
عمر بن هرون بن يزيد الثقفى البلخى : ١٢٣٨٩
عمر بن يونس الحنفى اليمامى : ١١٥٠٦
عمران بن سليمان القيسى : ١١٧٢٦
عمران بن ظبيان الحنفى : ١٢١٠٠
أبو عمرو الأفوه (بشر بن السرى)
عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصارى : ١١٨١٣
عمرو بن الحصين : ١١٣٨٣
بنو عمرو بن سدوس : ١٢٠٢٥ ، ١٢٠٢٦
عمرو بن شرحبيل الهمدانى (أبو ميسرة) : ١٢٥١٢
عمرو بن عامر الأنصارى : ١١٣٣٦
عمرو بن عامر البجلى : ١١٣٣٦

عمرو بن عبسة السلمى : ١١٥٤٧
عمرو بن عمران النهدى (أبو السوداء) : ١١٤٦٨
عمرو بن قيس الملائى : ١٢٣٠٧
عمرو بن محمد العنقزى : ١٢٣٦٩
عمرو بن مرة المرادى الجملى : ١٢٣٠٦ ، ١٢٣٩٦
عمرو بن هاشم الجنبي (أبو مالك الجنبي) : ١١٥٣٠ ، ١١٨١١
عمرو بن يحيي بن سعيد بن عمرو : ١١٥٣٥
أبو عمرة (معقل بن مقرن)
عنبسة بن سعيد بن الضريس الأسدي : ١١٧٤٢
عوف الأعرابى (عوف بن أبى جميلة)
عوف بن أبى جميلة العبدي الهجرى (عوف الأعرابى) : ١٢٣٦٠
عياض الأشعرى (عياض بن عمرو الأشعري)
ابن عياض (؟؟) : ١٢١٩٣
عياض بن عمرو الأشعري : ١٢١٨٨ — ١٢١٩٢ ، ١٢١٩٣
عيسى بن عثمان بن عيسى الرملى : ١١٥٣٥
عيسى بن يونس بن أبى إسحق السبيعى : ١١٣٣٧

* * *

أبو غالب ، صاحب أبى أمامة : ١١٤١٤
غالب بن عبيد الله العقيلى الجزرى : ١٢٢١٤
غالب بن فائد الأسدى المقرئ : ١١٤٩٢
أبو غسان (محمد بن مطرف الليثى)
غسيل الملائكة (حنظلة بن أبى عامر)
ابن الغسيل (عبد الله بن حنظلة) :
غضيف (أبو غطيف الهذلى)
غطيف (أبو غطيف الهذلى)
أبو غطيف الهذلى (غطيف) (غضيف) : ١١٣٣٧
غياث بن إبراهيم النخعى : ١١٧٢١
غيلان بن عبد الله الواسطى ، مولى بنى مخزوم : ١١٣٦٧ ، ١١٣٦٨ ، ١١٣٧٠

* * *

فاطمة بنت الأسود بن عبد الأسد ابن هلال المخزومية : ١١٩١٧
أبو الفضل ، خالد (خالد بن رباح) : ١١٨٠١
الفضل بن دلهم الواسطى القصاب : ١٢١٧٨
الفضل بن المبشر الأنصارى : ١١٣١٨
الفضل بن موسى السينانى : ١١٧٧١

* * *

القاسم بن سلام (أبو عبيد) : ١٢٥٢٣
القاسم بن عبدالرحمن الشامى : ١١٥٢٥
القاسم بن الفضل بن معدان بن قريط الحدانى : ١١٥٣٧
أبو قدامة (الحارث بن عبيد الإيادى)

قزعة بن سويد بن حجير الباهلى : ١٢٤٩٩
القطوانى (عبد الله بن أبى زياد)
قيس بن الربيع الأسدى : ١٢٢٣٩
قيس بن مسلم الجدلى العدوانى : ١٢٠٧٣ — ١٢٠٧٥

* * *

كعب بن مرة البهزى السلمى (مرة ابن كعب) : ١١٥٤٦
كلثوم بن جبر بن مؤمل الديلى : ١٢٥٢٢

* * *

لاحق بن حميد الشيبانى السدوسى (أبو مجلز) : ١٢٠٢٥، ١٢٠٢٦
ابن لهيعة (عبد الله بن لهيعة)
الليث بن سعد : ١٢٢٨٣
ابن أبى ليلى (محمد بن عبد الرحمن ابن أبى ليلى)

* * *

أبو مالك الجنبى (عمرو بن هاشم الجنبى)
مؤمل بن إسماعيل العدوى : ١٢٣٠٨
أبو مجلز (لاحق بن حميد الشيبانى السدوسى)
المحاربى (عبد الرحمن بن محمد بن زياد)
المحاربى (محمد بن عبيد بن محمد) (شيخ الطبرى)
محارب بن دثار بن كردوس السدوسى ١١٣٣١
أبو محصن الضرير (حصين بن نمير الواسطى)
محمد بن أبان بن صالح بن عمير الجعفى : ١١٥١٥ ، ١١٥١٦
محمد بن إبراهيم (محمد بن إبراهيم ابن الحارث بن خالد) : ١١٨١١
محمد بن إبراهيم بن الحارث بن خالد التيمى : ١١٨١١
محمد بن إبراهيم بن أبى عدى : ١١٣٢٥
محمد بن إسحق صاحب المغازى : ١١٣٢٨
محمد بن إسماعيل الأحمسى (شيخ الطبرى) : ١١٤١٠ ، ١١٤١٨
محمد بن بشر بن الفرافصة بن المختار العبدى : ١١٩١٩
محمد بن بكر بن عثمان البرسانى : ١١٣٩٠
محمد بن حازم التميمى (أبو معاوية الضرير) : ١١٦٣٣
محمد بن حميد اليشكرى المعمرى (أبو سفيان المعمرى) : ١٢٥٠٤
محمد بن خلف بن عمار العسقلانى (شيخ الطبرى) : ١١٨١١ ، ١٢٥٢٣
محمد بن ربيعة الكلابى الرؤاسى : ١١٤١٣
محمد بن زياد القرشى الجمحى : ١١٤٧٩ — ١١٥٠٢
محمد بن أبى سويد الطائفى الثقفى : ١١٤٥٣
محمد بن شعيب بن شابور الأموى : ١٢٤٨٨

محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة : ١١٣٢٩ ، ١١٤٣٠
محمد بن عباد بن موسى الختلى (شيخ الطبرى) : ١١٣١٨
محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى : ١١٧٤٢
محمد بن عبد الرحمن بن نوفل بن الأسود الأسدى (أبو الأسود) (يتيم عروة) : ١١٥١٠ ، ١١٨١٢
محمد بن عبد الله بن علاثة : ١١٣٨٣
محمد بن عبد الله بن المثنى الأنصارى : ١٢٤٥٨
محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب : ١٢٤٨٩
محمد بن عبيد الطنافسى (أبو عبدالله الأحدب) : ١١٤١٨
محمد بن عبيد بن محمد بن واقد المحاربى (شيخ الطبرى) : ١١٥٣٠
محمد بن عجلان المدنى : ١١٥٤٧
محمد بن على بن الحسين بن على ابن أبى طالب (أبو جعفر ، الباقر) : ١١٥٣٧
محمد بن عمر بن على بن عطاء المقدمى : ١١٧٢٥
محمد بن عمر بن مطرف الهاشمى (ابن أبى الوزير) (أبو مطرف) : ١١٣٦٨
محمد بن عوف بن سفيان الطائى (شيخ الطبرى) : ١٢١٩٤
محمد بن عيسى الدامغانى (شيخ الطبرى) : ١١٤١٥
محمد بن قيس الخراسانى : ١١٤٧٤
محمد بن كعب القرظىّ : ص ٢٧٦ ، تعليق : ٢
محمد بن مسلم بن أبى الوضاح القضاعى : ١٢٣١٠
محمد بن مطرف الليثى المدنى (أبو غسان) : ١١٥٤٩
محمد بن وزير بن قيس الواسطى : ١١٦٦٢
محمد بن أبى الوضاح (محمد بن مسلم بن أبى الوضاح)
محمد بن يحيى بن حبان الأنصارى المازنى : ١١٣٢٨
محمد بن يزيد الكلاعى الواسطى : ١١٤٠٨
مخارق بن خليفة البجلى الأحمسى (مخارق بن عبد الله) : ١١٦٨٢
مخارق بن عبد الله بن جابر البجلى الأحمسىّ (مخارق بن خليفة) : ١١٦٨٢
المخزومية (فاطمة بنت الأسود بن عبد الأسد)
مرة بن كعب البهزى السلمى (كعب ابن مرة) : ١١٥٤٦
مرجى بن رجاء اليشكرى : ١١٤٤٩
مسروق بن الأجدع الهمدانى (خطيب همدان) : ١١٨٧٩ — ١١٨٨١ ، ١١٩٦٠ ، ١٢٤٨٩
مسعر بن كدام : ١١٣٣٥

مسعود بن على الشيبانى : ١١٣٠١ ، ١١٣٠٢ ، ١١٣٢٢ ، ١١٣٢٣
مسلم الأعور (مسلم بن كيسان الضبى)
مسلم بن إبراهيم الأزدى الفراهيدى : ١١٦٩٣
مسلم بن صبيح الهمدانى (أبو الضحى) : ١١٩٦١
مسلم بن كيسان الملائى الضبى ، الأعور : ١١٥٣٠
أبو مسلمة البصرى (سعيد بن يزيد ابن مسلمة)
المسيب بن عبد خير بن يزيد (ابن عبد خير) : ١١٤٦٨
مصعب بن سعد بن أبى وقاص : ١١٤٥٠
مصعب بن المقدام : ١١٣٤٥
أبو مصلح الخراسانى (نصر بن مشارس)
مطر بن محمد الضبى (شيخ الطبرى) : ١٢١٩٨
مطر بن محمد بن الضحاك السكرى : ١٢١٩٨
مطر بن محمد بن نصر التميمى الهروى : ١٢١٩٨
مطرح بن يزيد الأسدى الكنانى (أبو المهلب) : ١١٥٢٥
أبو مطرف (ابن أبى الوزير) (محمد بن عمر بن مطرف الهاشمى)
مطرف بن معقل الشقرى السعدي : ١١٨٩٠
معاذ بن هشام بن أبى عبد الله الدستوائى : ١١٥٤٤
أبو معاوية النحوى (شيبان) : ١١٣٣٩
أبو معاوية (عمار بن معاوية الدهنى)
أبو معاوية الضرير (محمد بن حازم التميمى)
معاوية بن صالح الحضرمى الحمصى : ١٢٣٦٦
معاوية بن قرة المزنى (أبو إياس) : ١١٤٠٩
معاوية بن هشام الأسدى القصار : ١١٣٣٣ ، ١١٣٣٩ ، ١١٤١٢
معقل بن مقرن المزنى (أبو عمرة) : ١٢٤٨٩
معلى بن جابر بن مسلم اللقيطى : ١١٣٨٨
معلى بن منصور الرازى : ١١٣٧٩ — ١١٣٨١
معمر بن راشد الأزدى : ١٢٥٠٤
المعنق ليموت (أعنق ليموت) : ص ١٠٤ ، تعليق : ١
معيقيب بن أبى فاطمة الدوسى : ١١٥١٩
أبو المغيرة (عبد القدوس بن الحجاج)
أبو المغيرة (القاسم بن الفضل بن معدان)
مغيرة بن حنين : ١١٤٤٩
المغيرة بن شعبة الثقفى : ١١٤٥٣
مغيرة بن مقسم الضبى : ١١٣٤٠
المقدمى (محمد بن عمر بن على بن عطاء)

المنذر بن عمرو الأنصاري (المعتق ليموت) : ص : ١٠٤ ، تعليق : ١
أبو مهدي (سعيد بن سنان الحنفي)
أبو المهلب (مطرح بن يزيد الأسدي)
ابن أبي الموال (عبدالرحمن . . .) : ١١٩٦٧
أبو موسى (إسرائيل بن موسى البصري)
موسى بن إسحق المدني ، الأمير : ١١٨٨٩
موسى بن أنس بن مالك الأنصاري : ١١٤٧٥
موسى بن ثروان العجلي : ١١٤١٢
موسى بن داود الضبي : ١١٩١٧
موسى بن سروان العجلي : ١١٤١٢
موسى بن أبي عائشة المخزومي : ١١٤٠٨
موسى بن عبيدة بن نشيط الربذي : ١١٨١١
أبو ميسرة (عمرو بن شرحبيل)
ميمون (أبو حمزة ، الأعور القصاب) : ١١٨١٠

* * *

نجدة بن نفيع الحنفي : ١١٩١٤
النزال بن سبرة الهلالي : ١١٣٢٦
نصر بن عبد الرحمن الأزدي : ١٢١٨٢
نصر بن مشارس (أبو مصلح الخراساني) : ١٢٣٨٩
النضر بن شميل المازني : ١١٥١٢
النعمان بن مقرن المزني : ١٢٤٨٩ ، ١٢٤٩٠
النعمان بن المنذر الغساني اللخمي (أبو الوزير) : ١٢٤٨٨

* * *

هرون الأعور (هرون بن موسى الأزدي)
هرون النحوي (هرون بن موسى)
هارون بن إسحق الهمداني : ١١٣٤٥
هرون بن موسى الأزدي الأعور : ١١٦٩٣
أبو هانئ (حميد بن هانئ الخولاني)
هريم بن سفيان البجلي : ١١٣٣٨
هزيل بن شرحبيل الأودي : ١١٤٤٨
أبو هشام الأشدق (سليمان بن موسى)
هشام بن سعد المدني : ١١٧٠٤
هشام بن أبي عبد الله الدستوائي : ١١٥٤٤ ، ١١٨٠٨ ، ١١٨٠٩
هشام بن عروة بن الزبير بن العوام : ١١٨١٢ ، ١٢١٨٢
أبو هلال (يحيي بن حيان الطائي)
همام بن يحيي بن دينار الأزدي : ١١٧٢٥
هناد بن السري : ١٢٤٨٢
أبو الهيثم (؟؟) : ١٢٤٨٠
الهيثم بن الأسود النخعي (أبو العريان) ١٢٠٧٣ — ١٢٠٧٥ ، ١٢٠٨٥

* * *

أبو وائل (شقيق بن سلمة)
أبو الوازع (علي بن الأقمر بن عمرو)

واصل الرقاشي (واصل بن السائب)
واصل بن السائب الرقاشي : ١١٤١٣ ، ١١٤١٨
واصل بن عبد الرحمن (أبو حرة البصري) : ١١٤٩٦
واقد ، مولى زيد بن خليدة : ١١٤٥٠
واقع بن سحبان : ١١٣٠٤ — ١١٣٠٧
ابن أبي وحشية (جعفر بن إياس)
ابن أبي الوزير (محمد بن عمر بن مطرف)
أبو الوزير (النعمان بن المنذر الغساني)
وزير بن قيس الواسطي : ١١٦٦٢
وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي : ١٢٤٠٨
أبو الوليد الدمشقي (أحمد بن عبد الرحمن بن بكار)
أبو الوليد القرشي (أحمد بن عبد الرحمن بن بكار)
الوليد بن مزيد العذري البيروتي : ١١٨٢١
الوليد بن مسلم الدمشقي : ١١٤١٦ ، ١١٨٢١ ، ١١٨٢٤ ، ١١٨٥٤
وهب الله بن راشد المصري (أبو زرعة) : ١١٥١٠
وهيب بن خالد بن عجلان الباهلي : ١٢٤٤٤

* * *

يتيم عروة (محمد بن عبد الرحمن ابن نوفل)
أبو يحيى الرازي (أبو يحيى العبدي) (إسحق بن سليمان الرازي)
أبو يحيى العبدي (أبو يحيى الرازي)
أبو يحيى القتات الكناني : ١٢١٣٩
يحيى بن حيان الطائي (أبو هلال) : ١٢٣٩٠
يحيى بن داود بن ميمون الواسطي : ١١٥٤٥
يحيى بن أبي روق (يحيى بن عطية ابن الحارث الهمداني)
يحيى بن سعيد (؟؟) : ١١٩٦٤
يحيى بن سعيد الأنصاري : ١٢٣٦٦
يحيى بن سعيد القطان : ١١٣٣٠
يحيى بن سعيد بن حيان التيمي : ١١٩٦٤ ، ١٢٠٢٣ ، ١٢٠٢٤
يحيى بن عبد الله بن سالم بن عبدالله ابن عمر بن الخطاب : ١١٨١٢ ، ١٢٤٢٦
يحيى بن عطية بن الحارث الهمداني (يحيى بن أبي روق) : ١١٧٥٢
يحيى بن عيسى الرملي : ١١٥٣٥
يحيى بن أبي كثير الطائي : ١١٥٠٥
يحيى بن واضح ، أبو تميلة) : ١١٦٠٩
يحيى بن وثاب الأسدي المقرئ : ١١٤٤٨ ، ١٢١٣٣
يزيد الرقاشي (يزيد بن أبان)
يزيد النحوي (يزيد بن أبي سعيد النحوي)
يزيد بن أبان الرقاشي : ١١٤٠٨ ، ١١٤٠٩ ، ١١٤١١

يزيد بن أبي حبيب المصرى : ١١٨٥٤ ، ١١٨٥٨ ، ١١٨٦٩ — ١١٨٧١
يزيد بن دينار (يزيد بن أبي مسلم) : ١١٨٧١
يزيد بن زريع : ١١٣٨٨ ، ١١٣٤٤
يزيد بن أبي سعيد النحوى المروزى (يزيد النحوى) : ١١٦٠٩ ، ١١٨٠٦
يزيد بن طريف الحنفى : ١١٣٠٤ — ١١٣٠٧
يزيد بن عمرو الغنوي (أبو سفيان الغنوى) (شيخ الطبرى) : ١١٥١٩
يزيد بن القعقاع المخزومى ، أبو جعفر : ١١٤٩٢
يزيد بن مخلد الواسطى (أبو خداش) : ١١٣٦٧
يزيد بن أبي مسلم (يزيد بن دينار) : ١١٨٧١
يسار بن نمير (خازن عمر) : ١٢٣٩٦ ، ١٢٣٩٧
يعقوب بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم الزهرى : ١١٣٢٨
يعلى بن عطاء العامرى الطائفى : ١١٥٢٧ ، ١١٥٢٩
يوسف بن ماهك بن مهران الفارسى : ١١٥٢٢
يوسف بن مهران البصري : ١١٣٧٣
يونس [الحرمرى] (يونس بن حبيب) : ص ١٢٠ ، تعليق : ١
يونس بن أبي إسحق السبيعى : ١٢٠٨٠
يونس بن حبيب النحوى : ص : ١٢٠ ، تعليق : ١

فهرس المصطلحات

الاسم (المشتق) : ١٣١
أهل الجدل (علماء الكلام) : ٤٥٤
الباطن : ٥٣٠
الترجمة (البدل) : ٤٩٧
الردّ : ٤٣٧
الظاهر : ٥٣٠ ، ٥٥١
الفعل (المصدر) : ٨٢ ، ٩٧
الكناية (الضمير) : ٩٧ ، ٥٢٨

فهرس الفرق

* الإباضية ، والخوارج : ٣٤٧ — ٣٥٠
* المعتزلة ، الرد على مقالتهم فى تفسير قوله تعالى : « بل يداه مبسوطتان » ، بأن « اليد » هى « النعمة » ، أو « القوة » ، أو « الملك »، وأن « اليد » صفة لله تعالى ذكره ، وهو فصلٌ مهم جدًّا : ٤٥١ — ٤٥٦
* اليعقوبية والنسطورية والملكية من النصارى ، وما بينهم من العداوة : ١٣٩ ، ١٤٠ .
* قول اليعقوبية من النصارى : « إنّ الله هو المسيح ابن مريم » ، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيراً : ٤٨٠ ، ٤٨٤ ، ٤٨٦ .
* مقالة جمهور النصارى قبل افتراق اليعقوبية والملكية والنسطورية : « الإله القديم جوهر واحد ، يعمّ ثلاثة أقانيم : أباً والداً غير مولود ، وابنًا مولوداً غير والد ، وزوجة متتبعة بينهما » ، وهم المذكورون فى قوله : « لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة » : ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٦

مباحث العربية والنحو وغيرها

* « إلى » كل غاية حدّت بـ « إلى » فقد تحتمل فى كلام العرب دخول الغاية فى الحدّ ، وخروجها منه : ٤٧ ، ٤٨

* « أن » إسقاط « لا » بعدها وهى مطلوبة، نحو : « يبين الله لكم أن تضلوا »، بمعنى : أن لا تضلوا : ١٥٧ .

* « أو » العطوف بها فى القرآن بمعنى التخيير ، فى كل ما أوجب الله به فرضاً منها : ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، وفساده فى ص : ٢٦٤

* « أو » مجىء « أو » بضروب من المعانى ، وفساد القول السابق : ٢٦٤

* « بعد » توضع موضع « عن » فى قوله : « يحرفون الكلمة من بعد مواضعه » : ٣١٣

* « التاء » زيادتها فى آخر المذكر للمبالغة نحو : « رجل راوية » : ١٣٢

* « تاء الجمع »، حذف تاء الجمع فى نحو قوله :

* قامَ وُلاَها فَسَقَوْهُ صَرْخدا *

أى : ولاتها : ٤٤١

* « ذلك »، العرب تكنى بها عن مصادر الأفعال ، مثل : « ذلكم أزكى لكم » : ٩٧

* « عن » بمعنى : « بعد » ، كقوله : « جئتك عن فراغى من الشغل » ، أى : بعد فراغى من الشغل : ٣١٣

* « لام القسم » : الاكتفاء بها من اليمين : ١٢٣ ، ١٢٤

* « لا » إسقاطها بعد « أن » التى بمعنى « كى» ، نحو : « أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير » : ١٥٧

* « من » بمعنى « على » ، و « الباء » : ٢٦٨

* « مَنْ » و « الذى » ، واستنكار أهل العربية إعمال شىء فيهما ، مع « مِن » و « فى » ، إذا كفت « من » أو « فى » منهما : ٤٤٢

* « هو » العرب تكنى به عن مصادر الأفعال ، مثل : « فهو خير لكم » : ٩٧

* * *

* « فَعِل » و « فَعُل » نحو « حَذِر » و « حَذُر » : ٤٤٠

* « فِعِّيل » نحو « صِدِّيق » : ٤٨٥

* « فَعَّلْتُ » ، العرب لا تكاد تستعمل « فعّلت » فى الكلام ، إلا فيما يكون فيه تردّد مرة بعد مرة ، مثل قولهم : « شدّدت على فلان فى كذا » ، إذا كرر عليه الشدة مرة بعد أخرى ، فإذا أرادوا الخبر عن فعل مرة واحدة قيل : « شددت عليه » بالتخفيف : ٥٢٤ .

* « مفعولة » من المعتل ، إذا أسقطت عينه نحو « مثوبة » و « مقولة » و « محورة » و « مضوفة » : ٤٣٥

* * *

* إظهار التضعيف فى نحو قوله : « من يرتدِدْ منكم عن دينه » : ٤٢٠

* المجزوم الذى يظهر تضعيفه فى الواحد ، إذا ثُنّى أدغم. يقال للواحد : « اردُد » فإن ثنى قيل : « رُدّا » ، ولا يقال : ارددا » ، وكذلك فى الجمع يقال : « ردوا » ولا يقال : « ارددوا » : ٤٢٠

* « المصدر » ، وضع الاسم موضع المصدر ، مثل « خاطئة » للخطيئة ، و « قائلة » للقيلولة : ١٣١

* الوصف بالمصدر ، مثل : « رجل عدل » : ٨٢

* إخراج مصدر المفعول المطلق من معنى الفعل لا من لفظه ، مثل : « وأقرضتم الله قرضاً حسناً » ، وقوله :

* وَرُضْتُ فَذَلَّتْ صَعْبَةً أىَّ إذْلالِ *

: ١٢١ ، ١٢٢

* * *

* « الضرورة » : ما يجوز فى ضرورة الشعر ، ولا يجوز فى القراءة : ٤٤٠

* قول العرب : « أكلت خبزاً ولبناً » : ٤٠٨

* من شأن العرب إذا خاطبت إنساناً وضممت إليه غائباً ، فأرادت الخبر عنه ، أن تغلّب المخاطب ، فيخرج الخبر عنهما على وجه الخطاب : ٣٩٠

* العرب قد تخرج الخبر ، إذا افتخرت ، مخرج الخبر عن الجماعة ، وإن كان ما افتخرت به من فعل واحد منهم ، تقول : « نحن الأجواد الكرام » ، وإنما الجواد فيهم واحد ، وقول جرير :

نَدَسْنا أَبا مَنْدُوسةَ القَيْنَ بِالْقَنَا ومَارَ دَمٌ مِنْ جَارِ بَيْبَةَ نَاقِعُ

والنادس رجل من قوم جرير ، غير جرير : ١٥١ ، ١٥٢

* العرب قد تخرج الجميع بلفظ الواحد ، لأداء الواحد عن جميع جنسه ، وذلك كقوله تعالى ذكره : « والعصر إن الإنسان لفى خسر» ، عنى به جميع الإنس، ولكن الواحد أدى عن جنسه . كما يقول العرب : « ما أكثر الدرهم والدينار فى أيدى الناس » . فأما إذا ثنى الاسم ، فلا يؤدى عن الجنس ، ولا يؤدى إلا عن اثنين بأعيانهما : ٤٥٦

* * *

* إخبار الله تعالى ذكره ، وأمره ونهيُه فى كتابه ، على الظاهر العام ، دون الباطن العام الذى لا دلالة على خصوصه فى عقل ولا خبر : ٥٣٠

* إخراج ما كان ظاهر الآية محتملَه من حكم الآية ، غير جائز ، إلا بحجّة يجب التسليم لها : ٥٥١

* العموم ، والخصوص : ٥١

* « العموم » الواجبُ أن يكون محكومًا لما عمّه الله بالعموم، حتى يخصه ما يجب التسليم له : ٥٢٢

* « القياس » ، هو تمثيل المختلف فيه ، بالأصل المجمع عليه : ٤٥

* « الناسخ » ما كان نافياً كل معانى خلافه الذى كان قبله ، فأما ما كان غير نافٍ جميعه ، فلا سبيل إلى العلم بأنه ناسخ ، إلاّ بخبر من الله عز وجل أو من رسول الله صلى الله عليه وسلم : ١٣٥

* « النسخ » لا يكون نسخاً ، إلا ما كان نفياً لحكمٍ غيره بكل معانيه ، حتى لا يجوز اجتماع الحكم بالأمرين جميعاً على صحةٍ بوجه من الوجه : ٣٣٣

* الصواب أن يحكم لظاهر التنزيل بالعموم على ما عمّ : ٣٩٩

* ليس لأحد أن يتعدّى حدّ الله تعالى فى شىء من الأشياء مما أحلّ أو حرّم : ٥٢٢

* غير جائز أن نشهد لشىء ليس فى مصاحفنا من الكلام ، أنه من كتاب الله : ٥٦٢

فهرس التفسير

٣ تصدير الجزء العاشر .

٧ تفسير قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة » .

٧ اختلاف أهل التأويل فى القيام إليها ، أمراد به كل حال ، أو بعض الأحوال. قول من قال إن المعنىّ : حال القيام إليها على غير طهر . والأخبار فى أن لا وضوء إلا من حدث .

١١ قول من قال : إذا قمتم من نومكم إلى الصلاة .

١٢ قول من قال : يجدد طهراً إذا قام إلى صلاته فى كل حال .

١٤ قول من قال : كان الوضوء لكل صلاة ، ثم نسخ بالتخفيف . الأخبار فى أن رسول الله صلى الصلوات كلها بوضوء واحد .

١٩ ترجيح أبى جعفر بين هذه الأقوال .

٢٠ الأحاديث فى وضوء رسول الله لكل صلاة .

٢٣ اختلاف أهل التأويل فى حد « الوجه » الذى أمرنا بغسله .

٢٥ « الحد الأول للوجه » .

٢٦ الأخبار فى أن ما سال على اللحية من الماء مجزئ ، وأن ليس غسل اللحية من السنة .

٢٩ ذكر من قال: المضمضمة والاستنشاق ليسا من واجب الوضوء ، وأن كل ما لم يسمّ فى الكتاب يجزئ .

٣٠ الأخبار فى أن الأذنين ليستا من الوجه ، بل هما من الرأس .

٣٣ « الحد الثانى للوجه » .

٣٤ الأخبار فى تخليل اللحية .

٤٢ المضمضمة والاستنشاق شطر الوضوء ، وأنهما من واجب الوضوء .

٤٣ الأخبار فى أن باطن الأذنين من الوجه ، وظاهرهما من الرأس.

٤٤ ترجيح أبى جعفر بين أقوال المختلفين فى حد « الوجه » ، وفى غسل اللحية ، وفى الاستنشاق والمضمضمة .

٤٦ الأمر بغسل اليدين إلى المرفقين ، واختلافهم فى « المرافق » هى من اليد أم لا ؟ وقول مالك : لا يجاوز المرفقين .

٤٧ قول الشافعى : لم أعلم مخالفاً فى أن المرافق فيما يغسل .
قول من قال : المرفقان غاية ، والغاية غير داخلة فى الحدّ . ترجيح أبى جعفر بين المختلفين .

٤٨ الأمر بمسح الرأس ، وكيف هو ، واختلافهم فى ذلك .
قول من قال : تجزئ مسحة واحدة .

٥٠ قول من قال : إن لم يمسح بجميع رأسه ، لم تجزه الصلاة بوضوئه ذلك .
قول من قال : لا يجزئ مسح الرأس بأقلّ من ثلاث أصابع .

٥١ ترجيح أبى جعفر بين المختلفين .
القول فى الخصوص والعموم .

٥٢ الأمر بغسل الرجلين إلى الكعبين أو مسحهما . الأخبار فى تخليل الأصابع .

٥٨ قول من قال : الأمر فى الرجلين المسحُ .

٦١ ترجيح أبى جعفر بين هذه الأقوال .

٦٤ حديث : « ويل للعراقيب من النار » .

٧٤ حديث : « رأيت رسول الله توضأ ومسح على نعليه ، ثم قام فصلى » .

٧٥ حديث : « أتى رسول الله سباطة قوم فبال عليها قائماً ، ثم دعا بماء فتوضأ ومسح على نعليه » .

٧٦ تعقيب أبى جعفر على هذه الأخبار ، وتمام مقالته فى غسل الرجلين أو مسحهما .

٨٠ اختلافهم فى « الكعبين »

٨٢ التيمم لمن لم يجد الماء

٨٥ حديث : « إن الوضوء يكفر ما قبله ، ثم تصير الصلاة نافلة » .

٨٦ حديث : « من توضأ فأحسن الوضوء ، ثم قام إلى الصلاة ، خرجت ذنوبه من سمعه وبصره ويديه ورجليه » .

٩١ الميثاق الذى أخذ الله على المؤمنين من أصحاب رسول الله .

٩٥ أمر المؤمنين أن يكونوا شهداء بالقسط فى الأولياء والأعداء .

٩٦ ما هم به اليهود من قتل رسول الله

١٠١ خبر ما همت به اليهود من قتله صلى الله عليه وسلم حين استعانهم فى دية العامريين .

١٠٣ خبر بئر معونة .

١٠٥ خبر الرجل الذى انتدب لقتل رسول الله .

١١١ أخبار بعثة النقباء من بنى إسرائيل ، لقتال الجبارين .

١٢٥ نقض بنى إسرائيل الميثاق ، ولعنهم لذلك .

١٢٨ تحريف بنى إسرائيل الكلم عن مواضعه .

١٣٥ الميثاق الذى أخذ الله من النصارى .

١٣٨ إغراء العداوة والبغضاء بين النصارى .

١٤٠ عداوة النسطورية واليعقوبية والملكية من النصارى .

١٤١ أخبار الرجم ، وهو الذى أخفاه بنو إسرائيل .

١٤٦ الردّ على النصارى فى قولهم إن الله هو المسيح ابن مريم .

١٥٠ قول النصارى واليهود : نحن أبناء الله وأحباؤه .

١٥٥ مجيء رسول الله على فترة من الرسل .
١٥٦ الفترة بين عيسى ورسول الله عليهما السلام .
١٦٠ ما منّ به الله على اليهود أن جعل فيهم أنبياء ، ومعنى « وجعلكم ملوكاً » .
١٦٧ أمر بنى إسرائيل بدخول الأرض المقدسة . واختلافهم فى الأرض المقدسة .
١٧٢ الأخبار فى الجبارين وعظم خلقهم .
١٧٥ ما كان بين بنى إسرائيل وبين موسى فى أمر الجبارين ، وأخبار النقباء منهم .
١٩٠ خبر تيه بنى إسرائيل أربعين سنة .
٢٠١ تحقيق القول فى ابنى آدم اللذان قربا قرباناً ، فقتل أحدهما أخاه .
٢١٨ حديث : «ما من نفس تقتل ظلماً ، إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها ».
٢٢١ أخبار أخرى فى صفة قتل ابن آدم أخاه .
٢٢٤ خبر بعثة الغراب الذى بحث الأرض ليرى ابن آدم كيف يوارى سوأة أخيه .
٢٣١ جزاء القاتل .
٢٤٣ جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً .
٢٤٤ خبر القوم من عرينة وعكل الذين ارتدوا عن الإسلام ، وقتلوا راعى رسول الله ، واستاقوا الذود ، وما كان من قطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم .
٢٥٢ اختلاف العلماء فى نسخ حكم رسول الله فى العرنيين . ذكر من قال أنه منسوخ . وقول من قال إنه لم ينسخ.
٢٥٣ قول من قال : إنه لم يسمل أعينهم ، ولكنه أراد ذلك فنهى عنه .
٢٥٤ اختلاف أهل العلم فى المستحق اسم « المحارب لله ورسوله » . قول من قال: هو اللص الذى يقطع الطريق . قول من قال : هو اللص المجاهر المكابر فى المصر .
٢٥٦ قول من قال: هو قاطع الطريق ، فأما المكابر فى الأمصار فليس بالمحارب . ترجيح أبى جعفر بين هذه الأقوال .

٢٥٧ اختلافهم فى أحكام المحارب ، فى قتله وصلبه وتقطيع اليد والرجل من خلاف والنفى من الأرض .

٢٥٧ قول من قال : إن العقوبة تجب على المحارب بقدر استحقاقه ، مختلفاً باختلاف أجرامه ، والأخبار فى ذلك .

٢٦٢ قول من قال : الإمام بالخيار ، يفعل أى هذه الأشياء التى ذكرها الله فى كتابه .

٢٦٤ ترجيح أبى جعفر بين القولين .

٢٦٧ حديث أنس ، فى الحكم فى العرنيين كيف كان .

٢٦٨ القول فى النفى من الأرض ، واختلافهم فيه . قول من قال : هو أن يطلب حتى يقدر عليه ، أو يهرب من دار الإسلام .

٢٧٠ قول من قال : إن الإمام إذا قدر عليه نفاه إلى بلدة أخرى غيرها .

٢٧٠ خبر عمر بن عبد العزيز ، وحيان بن سريج فى أمر اللصوص .

٢٧١ تحقيق القول فى « عبد بنى عقيل » و « علج صاحب العراق » .

٢٧٢ تحقيق القول فى خبر « يزيد بن أبى مسلم » .

٢٧٤ قول من قال : النفى من الأرض ، هو الحبس ، وترجيح أبى جعفر بين الأقوال فى النفى من الأرض .

٢٧٧ تحقيق القول فى توبة المحارب قبل القدرة عليه .

٢٧٩ خبر حارثة بن بدر الغدانى ، حين حارب ، واستأمن علياً رضى الله عنه ، فآمنه .

٢٩٤ القول فى السارق والسارقة ، وقطع أيديهما نكالا من الله .

٢٩٨ توبة السارق والسارقة .

٢٩٩ حديث توبة المرأة التى سرقت وقطعت يدها ، وأنها كانت من خطيئتها بعد القطع كيوم ولدتها أمها .

٣٠١ خبر أبي لبابة بن عبد المنذر، وقوله لبني قريظة : « إنما هو الذبح، لا تنزلوا على حكم سعد » .

٣٠٣ خبر الزانيين من بني إسرائيل ، وإخفائهم حكم الرجم في التوراة .

٣١٠ تتمة القول في أخبار الرجم في بني إسرائيل .

٣١٣ تتمة القول في أخبار الرجم في بني إسرائيل .

٣١٨ بيان « السحت » الذي أكلته بنو إسرائيل .

٣٢٥ تتمة القول في أخبار الرجم .

٣٢٩ اختلافهم في الإمام أهو مخيرّ في الحكم بين أهل الكتاب ، وترك الحكم .

٣٣٠ قول من قال : التخيير منسوخ .

٣٣٣ ترجيح أبي جعفر بين القولين ، وأن الحكم ثابت لم ينسخ .

٣٣٨ تتمة في أخبار الرجم .

٣٤٦ اختلاف أهل التأويل في « الكفر» الذي يوصف به من لم يحكم بما أنزل الله .

٣٤٧ أخبار أبي مجلز ، والقوم من الإباضية الذين سألوه عن أمر من لم يحكم بما أنزل الله ، وتحقيق طويل في معنى هذا الخبر ، وكيف استدل به أهل الفتنة على ما في زماننا من هجر أحكام الله وشرائعه .

٣٥١ تتمة في أخبار الرجم .

٣٥٩ أخبار ما كان في يهود بني النضير وقريظة في ديات القتلى .

٣٦٢ تصدق ولي الدم وعفوه عن القاتل .

٣٦٤ حديث : « ما من مسلم يصاب بشيء من جسده فيهبه ، إلا رفعهُ الله درجة ، وحطّ عنه به خطيئة » .

٣٩٥ النهي عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء .

٣٩٥ خبر عبادة بن الصامت ومواليه من يهود ، وخبر عبد الله بن أُبي ابن سلول .

٤٠٩ أخبار المرتدين عن الإسلام .

٤١٢ ارتداد عامة العرب ، إلا ثلاثة مساجد : أهل المدينة ، وأهل مكة ، وأهل البحرين من عبد القيس .

٤٣٨ سبب من مسخ الله من بنى إسرائيل خنازير ، على يدى امرأة مؤمنة منهم .

٤٥٠ مقالة اليهود : « يد الله مغلولة » ، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيراً .

٤٥٨ إطفاء الله نار كل حرب أوقدها اليهود .

٤٥٩ خبر إفساد اليهود فى الأرض مرتين ، ووعد الآخرة .

٤٦٧ خبر عصمة رسول الله من الناس ، ونهيه الناس عن حراسته صلى الله عليه وسلم .

٤٧٠ خبر الأعرابى الذى همّ بقتل رسول الله .

٤٧١ خبر عائشة : « من زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية » .

٤٨٠ مقالات النصارى فى المسيح .

٤٨٩ لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، والأخبار فى ذلك .

٤٩١ حديث : « لتأمرنّ بالمعروف ولتنهوُنّ عن المنكر ، ولتأخذن على يدى المسيء، ولتؤطرنه على الحق أطرًا، أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض » .

٤٩٨ عداوة اليهود والنصارى للمؤمنين .

٤٩٩ وفد نصارى الحبشة ، وإسلام النجاشى ، وخبر جعفر بن أبى طالب وأصحابه عند النجاشى .

٥٠٧ تتمة أخبار وفد نصارى الحبشة ، وبكاؤهم لما سمعوا الذكر .

٥١٤ أخبار جماعة من الصحابة أرادوا أن يترهبوا ، وأن يختصوا .

٥٢٥ كفارة اليمين .

٥٣١ أوسط الطعام فى كفارة اليمين ما هو .

٥٤٥ الكسوة فى كفارة اليمين ما هى .
٥٥٢ تحرير الرقبة فى كفارة اليمين ، وصفة الرقبة التى أمرنا بالتكفير بها .
٥٥٧ الصيام فى كفارة اليمين .
٥٥٩ صيام الكفارة متتابع هو أو مفرق .
٥٦٣ تحريم الخمر والميسر والأنصاب والأزلام .
٥٦٦ خبر سؤال عمر بنى الخطاب ربه تحريم الخمر ، وأن ينزل فيها بياناً شافياً .
٥٦٨ خبر الذى خلط فى قراءته وهو سكران .
٥٦٩ خبر سعد بن أبى وقاص حين شرب هو وأصحاب له .
٥٧١ خبر جماعة من الأنصار شربوا حتى عبث بعضهم ببعض ، وما كان بينهم من العداوة والبغضاء .
٥٧٧ خبر من قال حين نزل تحريم الخمر : « كيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر » ؟
٥٨٢ ابتلاء المؤمنين بالصيد تناله أيديهم ورماحهم .

* * *

٥٨٩ فهرس الآيات التى استدل بها فى غير موضعها من التفسير .
٥٩٢ فهرس اللغة .
٦٠١ فهرس أعلام المترجمين فى التعايق .
٦٢١ فهرس المصطلحات .
٦٢٢ فهرس الردّ على الفرق .
٦٢٣ فهرس مباحث العربية والنحو وغيرها .
٦٢٧ فهرس التفسير .

تراث الإسلام

تفسير الطبري

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ - ٣١٠ هـ

١١

حققه وخرّج أحاديثه

محمود محمد شاكر

راجع أحاديثه

أحمد محمد شاكر

الناشر

مكتبة ابن تيمية

القاهرة ت ٨٦٤٢٤٠

تفسير الطبري

الجزء الحادي عشر

فيه

تفسير سورة المائدة

من ٩٥ — ١٢٠

وتفسير سورة الأنعام

من ١ — ٩٩

والآثار من ١٢٥٤٤ — ١٣٦٧٩

بسم الله الرحمن الرحيم

توكلت على الله

الحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيد المرسلين وخاتم النبيين ، سيدنا محمد بن عبد الله سيد الخلق أجمعين ، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين .

وبعد : فقد كنت منذ بدأت العمل فى هذا التفسير العظيم ، تفسير الطبرى ، مع أخى السيد محمود محمد شاكر باذلًا جهدى فى مراجعة بعض أسانيده ، خصوصاً الأحاديث المرفوعة ، مخرجاً منها ما استطعت تخريجه ، ومبيناً منها ما أعجزنى الوصول إليه . ثم تفضل أخى السيد محمود بمعاونتى فى التخريج ، فخرّج الكثير من الأحاديث فى كثير من الأجزاء . وهو أهل لذلك والحمد لله ، بما أوتيه من دقة النظر والدأب على البحث ، والثقة فيما ينقل عن الدواوين والمراجع . وكنت — ولا أزال — مطمئنًّا إلى عمله واثقاً به ، عن خبرة وبيّنة . حتى إذا شغلتنى شواغل جمة منذ أول الجزء التاسع تفرّد هو بالتخريج ، كما بيّن ذلك فى مقدمة الجزء العاشر .

وقد رأى أخى ورأيتُ معه أن اشتراكى فى التخريج — فى أصول الكتاب قبل الطبع — قد يعوق ظهورَ الأجزاء متتاليةً على النحو الذى نريد . وأنا وأخى جدّ حريصين على أن لا يتأخر إخراج الكتاب . ونريد أن نتفادى ذلك ما استطعنا .

فرأينا منذ هذا الجزء — الحادى عشر — أن تكون مراجعتى الأحاديث فى أعقاب طبع كراريسه ، ثم أفرد ما بدا لى من زيادة فى التخريج ، وما أراه من رأى فى بعض الأحاديث — وخاصة المرفوع منها — فى قسم مستقل يطبع فى آخر كل جزء ليكون « تتمة التخريج » . فنجمع بذلك بين المقصدين : إتمام التخريج وتحقيق الأحاديث ومراجعتها . ثم الحرص على ظهور الكتاب فى فترات متتالية دون تأخير ، إن شاء الله .

وأسأل الله العصمة والتوفيق والسداد ، إنه سميع الدعاء ؟

كتبه

أحمد محمد شاكر

عفا الله عنه

بمنه

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله = « لا تقتلوا الصيد » ، الذى بينت لكم ، وهو صيد البر دون صيد البحر = « وأنتم حرم » ، يقول : وأنتم محرمون بحج أو عمرة .

* * *

و « الحرم » ، جمع « حَرَام » ، والذكر والأنثى فيه بلفظ واحد . تقول : « هذا رجل حرام » و « هذه امرأة حرَام » . فإذا قيل : « محرم » ، قيل للمرأة : « محرمة » . و « الإحرام » ، هو الدخول فيه ، يقال : « أحرَم القوم » ، إذا دخلوا فى الشهر الحرام ، أو فى الحَرَم . ٢٧/٧

* * *

فتأويل الكلام : لا تقتلوا الصيدَ وأنتم محرمون بحجّ أو عمرة .

* * *

وقوله : « ومن قتله منكم متعمداً » ، فإن هذا إعلام من الله تعالى ذكره عبادَه حكمَ القاتل من المحرمين الصيدَ الذى نهاه عن قتله متعمداً .(١)

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى صفة « العَمْد » الذى أوجب الله على صاحبه به الكفارةَ والجزاء فى قتله الصيد .

---

(١) انظر تفسير « التعمد » فيما سلف ٩ : ٥٧ .

فقال بعضهم: هو العمد لقتل الصيد، مع نسيان قاتله إحرامَه فى حال قتله. وقال : إن قتله وهو ذاكر إحرامه متعمداً قتله ، فلا حكم عليه، وأمره إلى الله . قالوا: وهذا أجلُّ أمراً من أن يحكم عليه ، أو يكونَ له كفارة .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٥٤٤ – حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنا ابن عيينة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ومن قتله منكم متعمداً فجزاءٌ مثل ما قتل من النعم »، من قتله منكم ناسياً لإحرامه ، متعمداً لقتله ، فذلك الذى يحكم عليه . فإن قتله ذاكراً لحُرْمه ،[1] متعمداً لقتله ، لم يحكم عليه .

١٢٥٤٥ – حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا، حدثنا جرير، عن ليث ، عن مجاهد، فى الذى يقتل الصيد متعمداً وهو يعلم أنه محرم ، ويتعمد قتله ،[2] قال : لا يحكم عليه، ولا حج له . وقوله : « ومن قتله منكم متعمداً » ، قال : هو العمد المكفر، وفيه الكفارة والخطأ ، أن يصيبَه وهو ناس لإحرامه، متعمداً لقتله = أو يصيبه وهو يريد غيره . فذلك يحكم عليه مرة .[3]

١٢٥٤٦ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد : « لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمداً »، غير ناس لُحرْمه،[4] ولا مريدٍ غيرَه، فقد حلّ، وليست له رخصة. ومن قتله ناسياً ، أو أراد غيره فأخطأ به ، فذلك العمدُ المكفَّر .

١٢٥٤٧ – حدثنا يعقوب قال، حدثنا هشيم، عن ليث ، عن مجاهد فى قوله: « ومن قتله منكم متعمداً » ، قال : متعمداً لقتله ، ناسياً لإحرامه .

---

(١) فى المخطوطة « ذاكر » فى آخر السطر ، وفى أوله : « الحرمه » ، وصواب قراءتها ما فى المطبوعة . و « الحرم » (بضم الحاء وسكون الراء) : الإحرام بالحج .

(٢) فى المطبوعة : « ومتعمد قتله » ، والصواب من المخطوطة .

(٣) قوله : « مرة » ، يعنى مرة واحدة ، فإن عاد لم يحكم عليه ، ومن عاد فينتقم الله منه .

(٤) « الحرم » (بضم فسكون) مضى تفسيره فى التعليق رقم : ١

١٢٥٤٨ – حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي قال، حدثنا الفضيل بن عياض، عن ليث، عن مجاهد قال: العمد، هو الخطأ المكفَّر.

١٢٥٤٩ – حدثنا الحسن بن عرفة قال، حدثنا يونس بن محمد قال، حدثنا عبد الواحد بن زياد قال، حدثنا ليث قال، قال مجاهد: قول الله: «ومن قتله منكم متعمداً فجزاءٌ مثل ما قتل من النعم»، قال: فالعمد الذي ذكر الله تعالى ذكره: أن يصيب الصيدَ وهو يريد غيره فيصيبه، فهذا العمد المكفَّر. فأما الذي يصيبه غيرَ ناس ولا مريد لغيره، فهذا لا يحكم عليه. هذا أجلُّ من أن يحكم عليه. (١)

١٢٥٥٠ – حدثنا ابن وكيع ومحمد بن المثنى قالا، حدثنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن الهيثم، عن الحكم، عن مجاهد: أنه قال في هذه الآية: «ومن قتله منكم متعمداً»، قال: يقتله متعمداً لقتله، ناسياً لإحرامه.

١٢٥٥١ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا ابن أبي عدي قال، حدثنا شعبة، عن الهيثم، عن الحكم، عن مجاهد، مثله.

١٢٥٥٢ – حدثنا هناد قال، حدثنا ابن أبي زائدة قال، قال ابن جريج: «ومن قتله منكم متعمداً»، غير ناس لحُرْمه ولا مريدٍ غيرَه، فقد حلَّ، وليست له رخصة. ومن قتله ناسياً لحرمه، أو أراد غيره فأخطأ به، فذلك العمد المكفَّر.

١٢٥٥٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا سهل بن يوسف، عن عمرو، عن الحسن: «ومن قتله منكم متعمداً»، للصيد ناسياً لإحرامه = «فمن اعتدى بعد ذلك»، متعمداً للصيد يذكرُ إحرامه. (٢)

١٢٥٥٤ – حدثنا عمرو بن علي قال، حدثنا محمد بن أبي عدي قال، حدثنا إسمعيل بن مسلم قال: كان الحسن يفتي فيمن قتل الصيد متعمداً ذاكراً

---

(١) الأثر: ١٢٥٤٩ – «يونس بن محمد بن مسلم البغدادي»، الحافظ، مضى برقم: ٥٠٩٠.

(٢) الأثر: ١٢٥٥٣ – «سهل بن يوسف الأنماطي»، مضى في مثل هذا الإسناد رقم: ١٠٦٤٨.

لإحرامه : لم يحكم عليه = قال إسمعيل : وقال حماد، عن إبراهيم ، مثل ذلك .

١٢٥٥٥ — حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا عفان بن مسلم قال ، حدثنا حماد بن سلمة قال : أمرنى جعفر بن أبى وحشية أن أسأل عمرو بن دينار عن هذه الآية: « ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم »، الآية، فسألته، فقال : كان عطاء يقول : هو بالخيار ، أىّ ذلك شاء فعل ، إن شاء أهدى ، وإن شاء أطعم ، وإن شاء صام . فأخبرت به جعفراً وقلت : ما سمعت فيه ؟ فتلكأ ساعة ، ثم جعل يضحك ولا يخبرنى، ثم قال : كان سعيد بن جبير يقول : يحكم عليه من النعم هدياً بالغ الكعبة، وإنما جُعل الطعام والصيام [كفارة] ، فهذا لا يبلغُ ثمن الهدى ،[1] والصيام فيه من ثلاثة أيام إلى عشرة . ٢٨/٧

١٢٥٥٦ — حدثنا ابن البرقى قال، حدثنا ابن أبى مريم قال ، أخبرنا نافع ابن يزيد قال، أخبرنى ابن جريج قال، قال مجاهد: « ومن قتله منكم متعمداً »، غير ناس لحُرْمه ، ولا مريدٍ غيره ، فقد حلّ ، وليست له رخصة . ومن قتله ناسياً ، أو أراد غيره فأخطأ به ، فذلك العمد المكفَّر .

١٢٥٥٧ — حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : أما الذى يتعمد فيه الصيد وهو ناس لحرمه، أو جاهل أنّ قتله غيرُ محرَّم، فهؤلاء الذين يحكم عليهم . فأما من قتله متعمداً بعد نهى الله، وهو يعرف أنه مُحْرِم، وأنه حرام، فذلك يوكَل إلى نقمة الله ، وذلك الذى جعل الله عليه النقمة .

١٢٥٥٨ — حدثنى يعقوب قال، حدثنا هشيم ، عن ليث ، عن مجاهد فى قوله : « ومن قتله منكم متعمداً » ، قال : متعمداً لقتله ، ناسياً لإحرامه .

• • •

(١) فى المطبوعة : « . . . هدياً بالغ الكعبة ، فإن لم يجد يحكم عليه ثمنه ، فقوم طعاماً ، فتصدق به ، فإن لم يجد حكم عليه الصيام فيه من ثلاثة أيام إلى عشرة » ، غير ما كان فى المخطوطة كل التغيير . والذى كان فى المخطوطة هو ما أثبته ، حاشى الزيادة التى بين القوسين ، زدتها استظهاراً من سياق الآية ، ليستقيم الكلام . وقوله : « فهذا لا يبلغ ثمن الهدى » ، كأنه يعنى إطعام المساكين . والجملة بعد ذلك تحتاج إلى فضل تأمل ، ولم أجد الخبر فى مكان غير هذا المكان .

وقال آخرون : بل ذلك هو العمد من المحرِم لقتل الصيد ، ذاكراً لحُرْمه .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٥٥٩ – حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع= وحدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي = عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء قال : يحكم عليه فى العمد والخطأ والنسيان .

١٢٥٦٠ – حدثنا هناد قال، حدثنا ابن أبي زائدة قال ، حدثنا ابن جريج = وحدثنا عمرو بن على قال ، حدثنا أبو عاصم عن ، ابن جريج قال ، قال طاوس : والله ما قال الله إلاّ : « ومن قتله منكم متعمداً » .

١٢٥٦١ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنى بعض أصحابنا ، عن الزهرى أنه قال: نزل القرآن بالعَمْد، وجرت السنة فى الخطأ= يعنى : فى المحرم يصيب الصيدَ .

١٢٥٦٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم » ، قال : إن قتله متعمداً أو ناسياً ، حكم عليه . وإن عاد متعمداً عُجِّلت له العقوبة ، إلا أن يعفو الله .

١٢٥٦٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن الأعمش ، عن عمرو ابن مرة ، عن سعيد بن جبير قال: إنما جعلت الكفارة فى العمد، ولكن غُلِّظ عليهم فى الخطأ كى يتقوا .

١٢٥٦٤ – حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا أبو معاوية ووكيع قالا ، حدثنا الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن سعيد بن جبير ، نحوه .

١٢٥٦٥ – حدثنا ابن البرقى قال، حدثنا ابن أبي مريم قال ، أخبرنا نافع ابن يزيد قال ، أخبرنا ابن جريج قال: كان طاوس يقول: والله ما قال الله إلاّ : « ومن قتله منكم متعمداً » .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال : إن الله تعالى ذكره حرّم قتل صيد البر على كل محرِم فى حال إحرامه ما دام حراماً بقوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد » . ثم بيّن حكم من قتل ما قتل من ذلك فى حال إحرامه متعمداً لقتله ، ولم يخصص به المتعمِّد قتلَه فى حال نسيانه إحرامَه ، ولا المخطئَ فى قتله فى حال ذكره إحرامَه ، بل عمّ فى التنزيل بإيجاب الجزاء ، كلَّ قاتل صيد فى حال إحرامه متعمداً .[1] وغير جائز إحالة ظاهر التنزيل إلى باطن من التأويل لا دلالة عليه من نصّ كتاب ، ولا خبر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ،[2] ولا إجماع من الأمة . ولا دلالةَ من بعض هذه الوجوه .

فإذْ كان ذلك كذلك ، فسواءٌ كان قاتل الصيد من المحرمين عامداً قتلَه ذاكراً لإحرامه ، أو عامداً قتله ناسياً لإحرامه ، أو قاصداً غيره فقتله ذاكراً لإحرامه = فى أن على جميعهم من الجزاء ما قال ربنا تعالى ذكره ، وهو : مثلُ ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل من المسلمين ، أو كفارة طعامُ مساكين ، أو عدل ذلك صياماً .

وهذا قول عطاء والزهرى الذى ذكرناه عنهما ،[3] دون القول الذى قاله مجاهد.[4]

وأما ما يلزم بالخطأ قاتله ، فقد بيّنا القول فيه فى كتابنا : ﴿ كتاب لطيف القول فى أحكام الشرائع ﴾ ، بما أغنى عن ذكره فى هذا الموضع . وليس هذا الموضع موضع ذكره ، لأن قصدنا فى هذا الكتاب الإبانة عن تأويل التنزيل ، وليس فى التنزيل للخطأ ذكر ، فنذكر أحكامه .

* * *

---

(١) السياق : « بل عم . . . كل قاتل صيد » ، « كل » مفعول : « عم » .

(٢) فى المخطوطة : « من كتاب نص ولا خبر الرسول صلى الله عليه وسلم » . وما فى المطبوعة أحسن فى السياق .

(٣) يعنى رقم : ١٢٥٥٩ ، ١٢٥٦١ .

(٤) يعنى رقم : ١٢٥٤٤ – ١٢٥٥١ ، ورقم : ١٢٥٥٦ ، ١٢٥٥٨ .

وأما قوله : « فجزاء مثلُ ما قتل من النعم » ، فإنه يقول : وعليه كِفاءٌ وبَدل ، [١] يعنى بذلك جزاء الصيد المقتول. يقول تعالى ذكره : فعلى قاتل الصيد جزاء الصيد المقتول ، مثل ما قتل من النعم . [٢]

* * *

وقد ذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله: ﴿ فَجَزَاؤُهُ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ﴾.

* * *

وقد اختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة المدينة وبعض البصريين: ﴿ فَجَزَاءُ مِثْلِ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ﴾ ، بإضافة « الجزاء » إلى « المثل » ، وخفض « المثل » .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفيين : ﴿ فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ ﴾ بتنوين « الجزاء » ، ورفع المثل » ، بتأويل : فعليه جزاءٌ مثلُ ما قتل . ٢٩/٧

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب ، قراءة من قرأ: ﴿ فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ ﴾ بتنوين « الجزاء » ورفع « المثل »، لأن« الجزاء » هو « المثل »، فلا وجه لإضافة الشىء إلى نفسه .

وأحسب أن الذين قرأوا ذلك بالإضافة، رأوا أن الواجبَ على قاتل الصيد أن يَجْزِى مثله من الصيد بمثلٍ من النعم.وليس ذلك كالذى ذهبوا إليه،بل الواجب على قاتله أن يجزى المقتولَ نظيره من النعم . وإذ كان ذلك كذلك، فالمثل هو الجزاء الذى أوجبه الله تعالى ذكره على قاتل الصيد،ولا يضاف الشىء إلى نفسه. [٣]

---

(١) فى المطبوعة : « كفارة وبدل » ، والصواب من المخطوطة . و « كفاء الشىء » ، (بكسر الكاف) : مثله ونظيره ، من قولهم : « كافأه على الشىء مكافأة وكفاء » : جازاه .

(٢) انظر تفسير « الجزاء » فيما سلف ٢ : ٢٧ ، ٢٨ ، ٦/٣١٤ : ٧/٥٧٦ : ٩/٢٢٧ : ٥٧ .

(٣) فى المطبوعة : « ولن يضاف . . . » ، وهو غير جيد ، وفى المخطوطة : « فإن يضاف » ورجحت أن يكون صوابها ما أثبت .

ولذلك لم يقرأ ذلك قارئ علمناه، بالتنوين ونصب « المثل » .[١] ولو كان « المثل » غير « الجزاء »، لجاز فى « المثل » النصب إذا نوّن « الجزاء » ، كما نصب « اليتيم » إذ كان غير « الإطعام » فى قوله : ﴿ أَوْ إِطْعَامٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ * يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ ﴾ [سورة البلد: ١٤، ١٥] ، وكما نصب « الأموات » « والأحياء » ، ونون « الكِفَات » فى قوله : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتاً * أَحْيَاءً وَأَمْوَاتاً ﴾ [سورة المرسلات: ٢٥، ٢٦] ، إذ كان « الكفات » غير « الأحياء » « والأموات ». وكذلك « الجزاء » لو كان غير « المثل »، لاتسعت القراءة فى « المثل » بالنصب إذا نون « الجزاء ». ولكن ذلك ضاق، فلم يقرأه أحد بتنوين « الجزاء » ونصب « المثل »، إذ كان « المثل » هو « الجزاء »، وكان معنى الكلام: ومن قتله منكم متعمداً فعليه جزاءٌ هو مثلُ ما قتل من النعم .[٢]

* * *

ثم اختلف أهل العلم فى صفة « الجزاء »، وكيف يجزى قاتلُ الصيد من المحرمين ما قتل مثله من النعم .[٣]

فقال بعضهم : ينظر إلى أشبه الأشياء به شبهاً من النعم، فيجزيه به، ويهديه إلى الكعبة .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٥٦٦ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم » ، قال : أما « جزاء مثل ما قتل من النعم »، فإن قتل نعامة أو حماراً

---

(١) بل روى ذلك أبو الفتح ابن جنى فى كتابه « المحتسب » ، ونسبها لأبى عبد الرحمن ، يعنى السلمى فيما أرجح . وذكرها ابن خالويه فى شواذ القراءات ص : ٣٤ ، ونسبها إلى محمد بن مقاتل ، وإن كان ما فى المطبوع : « فجزاء مثل » بنصب « جزاء » ، والصواب بنصب « مثل » .

(٢) فى المخطوطة : « هو ما قتل من النعم » ، والصواب ما فى المطبوعة .

(٣) فى المطبوعة : « بمثله من النعم » ، وفى المخطوطة : « مثل من النعم » ، فرأيت قراءتها كما أثبتها .

فعليه بَدَنة . وإن قتل بقرة أو أيِّلاً أو أرْوَى ، (١) فعليه بقرة . أو قتل غزالاً أو أرنباً فعليه شاة . وإن قتل ضبًّا أو حرباءَ أو يَرْبوعاً ، فعليه سَخْلة قد أكلت العُشب وشربت اللبن . (٢)

١٢٥٦٧ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا هرون بن المغيرة، عن ابن مجاهد قال : سئل عطاء : أيغرَم فى صغير الصيد كما يغرم فى كبيره ؟ قال : أليس يقول الله تعالى ذكره : « فجزاء مثل ما قتل من النعم » ؟ (٣)

١٢٥٦٨ – حدثنا هناد قال، حدثنا ابن أبى زائدة قال ، أخبرنا ابن جريج قال ، قال مجاهد : « ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم »، قال: عليه من النعم مثله .

١٢٥٦٩ – حدثنا هناد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس فى قوله : « فجزاء مثل ما قتل من النعم » ، قال : إذا أصاب المحرم الصيدَ، وجب عليه جزاؤه من النعم . فإن وجد جزاءه ذبَحه فتصدق به . فإن لم يجدجزاءه قوَّم الجزاء دراهم ، ثم قوم الدراهمَ حِنطة، ثم صام مكان كل نصف صاع يوماً . قال : إنما أريد بالطعام الصوم، فإذا وجد طعاماً وجد جزاءً .

١٢٥٧٠ – حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس : « فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به

---

(١) « الأيل » (بفتح الهمزة وتشديد الياء المكسورة) : وهو ذكر الوعول . و « الأروى » إناث الوعول ، وهو اسم لجمعها ، واحدتها « أروية » (بضم الهمزة وسكون الراء والواو مكسورة ، والياء مشددة مفتوحة) . وجاء بها هنا وهو يعنى « الأروية » .

(٢) « السخلة » (بفتح فسكون) : ولد الشاة من المعز والضأن ، ذكراً كان أو أنثى .

(٣) الأثر : ١٢٥٦٧ – « هرون بن المغيرة بن حكيم البجلى » ، مضى برقم : ٣٣٥٦ ، ٥٥٢٦ .

وأما « ابن مجاهد » ، فلم أستطع أن أعرف من هو ، وكان فى المطبوعة : « أبى مجاهد » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وكأنه الصواب ، وإن أعياني أن أعرف صدر اسمه .

ذوا عدل منكم هدياً بالغَ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً » ، قال: إذا أصاب المحرم الصيد، حكم عليه جزاؤه من النعم. فإن لم يجد ، نظر كم ثمنه = قال ابن حميد : نظركم قيمته = فقوّم عليه ثمنه طعاماً ، فصام مكان كل نصف صاع يوماً = « أو كفارة طعام مساكين أو عدلُ ذلك صياماً » ، قال: إنما أريد بالطعام الصيام ، فإذا وجد الطعام وَجد جزاءه .

١٢٥٧١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يزيد بن هرون، عن سفيان بن حسين ، عن الحكم، عن مقسم ، عن ابن عباس : « ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم »، فإن لم يجد هدياً قُوِّم الهدى عليه طعاماً،وصام عن كل صاع يومين .

١٢٥٧٢ – حدثنا هناد قال، حدثنا عبد بن حميد، عن منصور ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس فى هذه الآية : « ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة » ، قال : إذا أصاب الرجل الصيد حكم عليه . فإن لم يكن عنده قوم عليه ثمنه طعاماً ، ثم صام لكل نصف صاع يوماً .

١٢٥٧٣ – حدثنا أبو كريب ويعقوب قالا، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عبد الملك بن عمير ، عن قبيصة بن جابر قال : ابتدرت وصاحبٌ لى ظبياً فى العقبة ، فأصبته ، فأتيت عمر بن الخطاب فذكرت ذلك له ، فأقبل على رجل إلى جنبه ، فنظرا فى ذلك ، قال فقال : اذبح كبشاً . (١) ٣٠/٧

---

(١) الأثر : ١٢٥٧٣ – « عبد الملك بن عمير بن سويد القرشى » ، المعروف بالقبطى و « ابن القبطية » . رأى علياً وأبا موسى . مترجم فى التهذيب .

و « قبيصة بن جابر بن وهب الأسدى » ، روى عن عمر ، وشهد خطبته بالجابية ، ثقة ، فى فقهاء الطبقة الأولى من فقهاء أهل الكوفة بعد الصحابة مترجم فى التهذيب

هذا ، وخبر قبيصة بن جابر ، سيرويه أبو جعفر من طرق من رقم : ١٢٥٧٣ – ١٢٥٧٧ ، ثم : ١٢٥٨٦ – ١٥٢٨٨ ، بألفاظ مختلفة . ورواه البيهقى فى السنن الكبرى ٥ : ١٨١ من طريق سفيان ، عن عبد الملك بن عمير ، ومن طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن عبد الملك .

١٢٥٧٤ – حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حصين ، عن الشعبي ، قال : أخبرني قبيصة بن جابر ، نحواً مما حدّث به عبد الملك .

١٢٥٧٥ – حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع ، عن المسعودي ، عن عبد الملك ابن عمير ، عن قبيصة بن جابر قال : قتل صاحب لي ظبياً وهو محرم، فأمره عمر أن يذبح شاة فيتصدق بلحمها ويُسْقِي إهابها .(١)

١٢٥٧٦ – حدثنا هناد قال، حدثنا ابن أبي زائدة، عن داود بن أبي هند ، عن بكر بن عبد الله المزني قال : قتل رجلٌ من الأعراب وهو محرم ظبياً، فسأل عمر ، فقال له عمر : أهدِ شاة .(٢)

١٢٥٧٧ – حدثنا هناد قال، حدثنا أبو الأحوص، عن حصين = وحدثنا أبو هشام الرفاعي قال ، حدثنا ابن فضيل قال ، حدثنا حصين = عن الشعبي قال، قال قبيصة بن جابر : أصبت ظبياً وأنا محرم ، فأتيت عمر فسألته عن ذلك ، فأرسل إلى عبد الرحمن بن عوف . فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنّ أمرَه أهون من ذلك ! قال : فضربني بالدِّرّة حتى سابقته عدواً !(٣) قال: ثم قال: قتلتَ الصيد وأنتَ محرم ، ثم تَغْمِص الفُتيا !(٤) قال : فجاء عبد الرحمن ، فحكما شاة .

ونقله ابن كثير في تفسيره ٣ : ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، وهو رقم : ١٢٥٨٨ ، عن هذا الموضع من تفسير أبي جعفر ، وأشار إلى بعض طرقه هنا . وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٣٢٩ ، بنحو من لفظ رقم : ١٢٥٨٨ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والطبراني والحاكم قال : « وصححه » . ولم أجده في مظنته من المستدرك للحاكم .

(١) الأثر : ١٢٥٧٥ – هو مختصر الأثر الآتي رقم : ١٢٥٨٨ ، وسيأتي تفسير « يسقي إهابها » في التعليق عليه هناك .

(٢) الأثر : ١٢٥٧٦ – هذا خبر مرسل عن عمر ، « بكر بن عبد الله المزني » ، لم يسمع من عمر . ولكنها قصة قبيصة بن جابر التي ذكرها قبل .

(٣) « الدرة » (بكسر الدال) : عصاً قصيرة يحملها السلطان أو غيره ، يؤدب بها . ودرة أمير المؤمنين عمر ، أشهر درة في التاريخ .

(٤) « غمص الشيء يغمصه غمصاً » : حقره واستصغره واستهان به . يعني : أتحتقر الفتيا وتستهين بها وتزدريها ؟

١٢٥٧٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « ومن قتله منكم متعمداً فجزاءٌ مثل ما قتل من النعم »، قال : إذا قتل المحرم شيئاً من الصيد حكم عليه فيه . فإن قتل ظبياً أو نحوه ، فعليه شاة تذبح بمكة . فإن لم يجد ، فإطعام ستة مساكين . فإن لم يجد ، فصيام ثلاثة أيام . فإن قتل أيّلاً أو نحوه ، فعليه بقرة . وإن قتل نعامة أوحمارَ وحش أو نحوه ، فعليه بدنة من الإبل .

١٢٥٧٩ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا أبو عاصم قال، أخبرنا ابن جريج قال، قلت لعطاء : أرأيت إن قتلتُ صيداً فإذا هو أعور، أو أعرج ، أو منقوص، أغرم مثله ؟ قال: نعم ، إن شئت . قلت: أوْفَى أحبُّ إليك ؟ قال: نعم . وقال عطاء : وإن قتلت ولدَ الظبي ، ففيه ولد شاة . وإن قتلت ولد بقرة وحشية ، ففيه ولد بقرة إنسية مثله . فكلّ ذلك على ذلك .

١٢٥٨٠ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان الباهلي قال ، سمعت الضحاك بن مزاحم يقول: « فجزاء مثل ما قتل من النعم » ، ما كان من صيد البر مما ليس له قرن = الحمار أو النعامة = فعليه مثله من الإبل . وما كان ذا قرن من صيد البر من وعِلٍ أو أيّل، فجزاؤه من البقر . وما كان من ظبي فمن الغنم مثله . وما كان من أرنب ، ففيها ثَنِيَّة . (١) وما كان من يربوع وشبهه، ففيه حَمَلٌ صغير . وما كان من جرادة أو نحوها، ففيه قبضة من طعام . وما كان من طير البر، ففيه أن يقوّم ويتصدق بثمنه، وإن شاء صام لكل نصف صاع يوماً . وإن أصاب فرخ طير برّية أو بيضها ، فالقيمة فيها طعامٌ أو صوم على الذى يكون فى الطير . غير أنه قد ذكر فى بيض النعام إذا أصابها المحرم ، أن يحمل الفحل على عدة ما أصاب من البيض على

---

(١) « الثنية » ، يعنى الثنية من المعز ، وهو ما دخل فى السنة الثانية أو الثالثة .

بِكارة الإبل ،[1] فما لَقِح منها أهداه إلى البيت ، وما فسد منها فلا شيء فيه .

١٢٥٨١ – حدثنا ابن البرقى قال، حدثنا ابن أبى مريم قال ، أخبرنا نافع قال ، أخبرنى ابن جريج قال ، قال مجاهد : من قتله = يعنى الصيد = ناسياً ، أو أراد غيره فأخطأ به ، فذلك العمد المكفَّر ، فعليه مثله هدياً بالغ الكعبة . فإن لم يجد ، ابتاع بثمنه طعاماً . فإن لم يجد، صام عن كل مُدٍّ يوماً . وقال عطاء: فإن أصاب إنسان نعامة ، كان له = وإن كان ذا يسار = مُوَسَّعاً،[2] إن شاء يهدى جزوراً ، أو عَدْلَها طعاماً، أو عدلها صياماً، أيّتهن شاء،[3] من أجل قوله: فجزاء ، أو كذا ، أو كذا [4] قال : فكل شيء فى القرآن : « أو » « أو » ، فليختر منه صاحبه ما شاء .

١٢٥٨٢ – حدثنا ابن البرقى قال، حدثنا ابن أبى مريم قال، أخبرنا نافع قال ، أخبرنى ابن جريج قال ، أخبرنى الحسن بن مسلم قال : من أصاب من الصيد ما يبلغ أن يكون شاة فصاعداً ، فذلك الذى قال الله تعالى ذكره : « فجزاء مثل ما قتل من النعم » . وأما « كفارة طعام مساكين » ، فذلك الذى لا يبلغ أن يكون فيه هدى ، العصفورَ يقتل ، فلا يكون فيه . قال: « أو عدل ذلك صياماً » ، عدل النعامة ، أو عدل العصفور ، أو عدل ذلك كله .

* * *

وقال آخرون : بل يقوَّم الصيد المقتول قيمتَه من الدراهم ، ثم يشترى القاتل ٣١/٧
بقيمته نِدًّا من النعم ، ثم يهديه إلى الكعبة .

---

(١) « البكارة » (بكسر الباء) ، جمع « بكر » و « بكرة » (بفتح الباء) : وهو الفتى من الإبل ، بمنزلة الغلام من الناس .

(٢) فى المطبوعة : « كان له إن كان ذا يسار ما شاء » ، بحذف « الواو من قوله » « وإن كان » وهو لا معنى له ، وفى المخطوطة : « كان له ، وإن كان ذا يسار من سا » ، فرأيت أن أقرأها كما أثبتها ، فهو حق المعنى . لأنه يريد أن يقول: إن الله وسع له ورخص فى هذا التخيير الذى ذكره بعد .

(٣) فى المطبوعة : « أيهن شاء » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو الصواب .

(٤) فى المطبوعة : « أو كذا » مرة واحدة ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو الصواب .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٥٨٣ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا عبدة، عن إبراهيم قال : ما أصاب المحرم من شيء ، حكم فيه قيمته .

١٢٥٨٤ – حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة ، عن حماد قال : سمعت إبراهيم يقول : في كل شيء من الصيد ثمنه .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين في تأويل الآية ما قال عمر وابن عباس ، ومن قال بقولهما : أن المقتول من الصيد يُجْزَى بمثله من النعم، كما قال الله تعالى ذكره: « فجزاء مثل ما قتل من النعم » . وغير جائز أن يكون مثل الذي قتل من الصيد دراهم ، وقد قال الله تعالى : « من النعم » ، لأن الدراهم ليست من النعم في شيء .

* * *

فإن قال قائل : فإن الدراهمَ وإن لم تكن مثلاً للمقتول من الصيد ، فإنه يشترى بها المثل من النعم ، فيهديه القاتل ، فيكون بفعله ذلك كذلك جازياً بما قتل من الصيد مثلاً من النعم !

قيل له : أفرأيت إن كان المقتول من الصيد صغيراً [أو معيباً ، ولا يصاب بقيمته من النعم إلاّ] كبيراً ، أو سليماً[1] = أو كان المقتول من الصيد كبيراً أو سليماً، ولا يصاب بقيمته من النعم إلا صغيراً أو معيباً[2] = أيجوز له أن يشترىَ بقيمته خلافه وخلافَ صفته فيهديه، أم لا يجوز ذلك له، وهو لا يجد إلاّ خلافه ؟

فإن زعم أنه لا يجوز له أن يشترى بقيمته إلاّ مثله ، ترك قوله في ذلك . لأنّ أهل هذه المقالة يزعمون أنه لا يجوز له أن يشترى بقيمة ذلك فيهديه ،[3] إلاّ ما

---

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « أفرأيت إن كان المقتول من الصيد صغيراً أو كبيراً أو سليما أو كان المقتول من الصيد . . . » ، وهو كلام لا يستقيم إلا بهذه الزيادة التي زدتها بين القوسين ، وتصحيح « أو كبيراً » بما أثبته « إلا كبيراً » . وهو ما استظهرته من سياق كلام أبي جعفر .

(٢) في المطبوعة : « ولا يصيب بقيمته . . . » ، والصواب ما في المخطوطة .

(٣) في المطبوعة : « بقيمته ذلك » ، وهو خطأ ، صوابه في المخطوطة .

يجوز فى الضحايا . وإذا أجاز شراءَ مثل المقتول من الصيد بقيمته وإهداءها وقد يكون المقتول صغيراً معيباً ، [١] أجاز فى الهدى ما لا يجوز فى الأضاحى . [٢]

وإن زعم أنه لا يجوز أن يشترى بقيمته فيهديه إلاّ ما يجوز فى الضحايا ، أوضح بذلك من قوله الخلافَ لظاهر التنزيل . وذلك أنّ الله تعالى ذكره ، أوجب على قاتل الصيد من المحرِمين عمداً ، المثلَ من النعم إذا وجده . وقد زعم قائل هذه المقالة أنه لا يجب عليه المثل من النعم ، وهو إلى ذلك واجدٌ سبيلاً .

ويقال لقائل ذلك : أرأيت إن قال قائل آخر : « ما على قاتل ما لا تبلُغ من الصيد قيمته ما يصاب به من النَّعم ما يجوز فى الأضاحى ، من إطعام ولا صيام. [٣] لأن الله تعالى إنما خيَّر قاتل الصيد من المحرمين فى أحد الثلاثة الأشياء التى سماها فى كتابه ، فإذا لم يكن له إلى واحد من ذلك سبيل ، سقط عنه فرض الآخرَيْن . لأن الخيار إنما كان له ، وله إلى الثلاثة سبيل . فإذا لم يكن له إلى بعض ذلك سبيل ، بطل فرض الجزاء عنه ، لأنه ليس ممن عُنى بالآية = نظيرَ الذى قلت أنت : « إنه إذا لم يكن المقتول من الصيد تبلغ قيمته ما يصاب من النعم مما يجوز فى الضحايا ، فقد سقط فرض الجزاء بالمثل من النعم عنه ، وإنما عليه الجزاء بالإطعام أو الصيام » ، = هل بينك وبينه فرق من أصل أو نظير ؟ فلن يقول فى أحدهما قولاً إلاّ ألزم فى الآخر مثله .

* * *

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « وإذا أجازوا شرى مثل المقتول » ، وصواب كل ذلك ما أثبت ، وإنما وهم الناسخ فى « أجازوا » ، فإن جواب « إذا » يدل على خلافه ، وصواب ما أثبت .

(٢) فى المطبوعة : « أجازوا فى الهدى » ، غير ما فى المخطوطة ، لوهم الناسخ كما قلت فى التعليق السالف .

(٣) فى المطبوعة : « ما لا يبلغ » ، وهو فى المخطوطة غير منقوطة ، وصوابها ما أثبت . وسياق هذه الجملة : « ما على قاتل ما تبلغ . . . من إطعام ولا صيام » ، يعنى ليس على قاتل صيد = لا تبلغ قيمته أن يشترى بها من النعم ما يجوز مثله فى الأضاحى ، = إطعام أو صيام .

القول فى تأويل قوله ﴿ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : يحكم بذلك الجزاء الذى هو مثل المقتول من الصيد من النعم عدلان منكم = يعنى : فقيهان عالمان من أهل الدين والفضل[1] = « هدياً » ، « يقول : يقضى بالجزاء ذوا عدل ، أىْ يُهْدَى فيبلغ الكعبة .[2] و « الهاء » فى قوله : « يحكم به » ، عائدة على « الجزاء » .[3]

* * *

قال أبو جعفر : ووجه حكم العدلين إذا أرادا أن يحكما بمثل المقتول من الصيد من النعم على القاتل : أن ينظرا إلى المقتول ويستوصفاه ، فإن ذكر أنه أصاب ظبياً صغيراً ، حكما عليه من ولد الضأن بنظير ذلك الذى قتله فى السن والجسم. فإن كان الذى أصاب من ذلك كبيراً ، حكما عليه من الضأن بكبير . وإن كان الذى أصاب حمار وَحْش ، حكما عليه ببقرة . إن كان الذى أصاب كبيراً، فكبيراً من البقر ، وإن كان صغيراً فصغيراً . وإن كان المقتول ذكراً فمثله من ذكور البقر . وإن كان أنثى فمثله من البقر أنثى . ثم كذلك ذلك ، ينظران إلى أشبه الأشياء بالمقتول من الصيد شبهاً من النعم،[4] فيحكمان عليه به ، كما قال تعالى ذكره .

* * *

وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، على اختلافٍ فى ذلك بينهم .

* ذكر من قال ذلك بنحو الذى قلنا فيه :

---

(١) انظر تفسير « العدل » فيما سلف ٦ : ٥١ ، ٦٠ .

(٢) فى المطبوعة : « أن يهدى » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) انظر تفسير « الهدى » فيما سلف ٤ : ٣٤ ، ٩/٣٥ : ٤٦٦ .

(٤) فى المخطوطة : « ينظر إلى أشبه الأشياء » ، والصواب ما فى المطبوعة .

١٢٥٨٥ – حدثنا هنّاد بن السرىّ قال ، حدثنا ابن أبى زائدة قال ، أخبرنا ٣٢/٧ داود بن أبى هند ، عن بكر بن عبد الله المزنى قال : كان رجلان من الأعراب محرِمين ، فأحاش أحدهما ظبياً ، فقتله الآخر.[1] فأتيا عمر ، وعنده عبدالرحمن ابن عوف ، فقال له عمر :[2] ما ترى؟ قال : شاة ، قال : وأنا أرى ذلك، اذهبا فأهديا شاة . فلما مضَيا قال أحدهما لصاحبه : ما درَى أمير المؤمنين ما يقول حتّى سأل صاحبه ! ! فسمعها عمر ، فردّهما فقال : هل تقرآن « سورة المائدة » ؟ فقالا : لا ! فقرأ عليهما :[3] « يحكم به ذوا عدل منكم » ، ثم قال : استعنت بصاحبي هذا .

١٢٥٨٦ – حدثنا أبو كريب ويعقوب قالا، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عبد الملك بن عمير ، عن قبيصة بن جابر قال : ابتدرت أنا وصاحب لى ظبياً فى العقبة ، فأصبته ، فأتيت عمر بن الخطاب فذكرت ذلك له . فأقبل على رجل إلى جنبه ، فنظرا فى ذلك . قال فقال : اذبح كبشاً = قال يعقوب فى حديثه ، فقال لى : اذبح شاة = فانصرفت فأتيت صاحبي فقلت : إن أميرَ المؤمنين لم يدرِ ما يقول ! فقال صاحبي : انحر ناقتك . فسمعها عمر بن الخطاب ، فأقبل علىّ ضرباً بالدِّرة وقال: تقتل الصيد وأنت محرم، وتَغْمِصُ الفُتْيا ![4] إن الله تعالى يقول فى كتابه : « يحكم به ذوا عدل منكم » ، هذا ابن عوف ، وأنا عمر ![5]

١٢٥٨٧ – حدثنى يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حصين ، عن

---

(١) فى المطبوعة : « فأجاش » بالجيم ، وهو خطأ ، وفى المخطوطة غير منقوط . « حاش الصيد حوشاً وحياشاً » و « أحاشه » و « أحوشه » و « حشت عليه الصيد » و « أحشته » : إذا نفرته نحوه ، وأخذته من حواليه لتصرفه إلى الحبالة ، ثم سقته نحوه ، وجمعته عليه .

(٢) فى المخطوطة فى لموضعين : « عمرو » ، وهو خطأ محض ، وفى المطبوعة فى الآخرة منهما « عمرو » ، وهو خطأ .

(٣) فى المطبوعة : « فقرأها عليهما » ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٤) انظر تفسير « غمص الفتيا » فيما سلف ص : ١٧ ، تعليق : ٤ .

(٥) الأثر : ١٢٥٨٦ – انظر التعليق على الأثر السالف رقم : ١٢٥٧٣ .

الشعبي قال، أخبرني قبيصة بن جابر ، بنحو ما حدّث به عبد الملك .

١٢٥٨٨ – حدثنا هناد وأبو هشام قالا، حدثنا وكيع ، عن المسعودى ، عن عبد الملك بن عمير ، عن قبيصة بن جابر قال : خرجنا حجاجاً،(١) فكنا إذا صلينا الغداة اقتدنا رواحلنا نتماشى نتحدث ،(٢) قال : فبينما نحن ذات غداة إذ سنح لنا ظبيٌ أو بَرَح ،(٣) فرماه رجل منا بحجر فما أخطأ خُشَّاءه ،(٤) فركب رَدْعَه ميتاً ،(٥) قال : فعظّمنا عليه . فلما قدمنا مكة خرجت معه حتى أتينا عمر ، فقص عليه القصة . قال : وإذا إلى جنبه رجلٌ كأن وجهه قُلْبُ فضة (٦) = يعنى عبد الرحمن بن عوف = فالتفت إلى صاحبه فكلمه . قال : ثم أقبل على الرجل قال : أعمداً قتلته أم خطأ ؟ قال الرجل : لقد تعمّدت رميه وما أردت قتله . فقال عمر : ما أراك إلاّ قد أشركتَ بين العمد والخطأ ، اعمد إلى شاة فاذبحها ، وتصدق بلحمها ،وأَسْقِ إهابَها.(٧) قال : فقمنا من عنده، فقلت : أيها الرجل،

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « خرجنا » لم يذكر « حجاجاً » ، ولكن ابن كثير نقله عن هذا الموضع وفيه « حجاجاً » وكذلك هى فى رواية البيهقى فى السنن ٥ : ١٨١ . وإذن فقد سقط من الناسخ « حجاجاً » . فلذلك أثبتها .

(٢) « صلاة الغداة » ، هى صلاة الفجر .

(٣) « سنح الظبى » : أتاك عن يسارك ، و « برح » : أتاك عن يمينك .

(٤) فى المطبوعة : « خششاءه » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهى بضم الخاء وتشديد الشين المفتوحة ، وكلتاهما صواب ، وبهما روى الخبر . و « الخشاء » و « الخششاء » : وهو العظم الدقيق العارى من الشعر ، الناتئ خلف الأذن .

(٥) فى المطبوعة : « فركب وودعه ميتاً » ، وهو كلام ساقط جداً . وفى المخطوطة : « فركب ودعه ميتاً » ، وهو تصحيف ، صوابه ما أثبت . يقال للقتيل : « ركب ردعه » : إذا خر لوجهه على دمه . وركوبه عليه : أن الدم يسيل ثم يخر عليه صريعاً . وأصل « الردع » ما تلطخ به الشيء من زعفران أو غيره ، وهو أثره ولونه .

(٦) « القلب » (بضم فسكون) : سوار يكون قلداً واحداً ، أى ليّاً واحداً . وفى الحديث : « أن فاطمة حلت الحسن والحسين ، رضى الله عنهما بقلبين من فضة » ، أى : سوارين من فضة . وصفة عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه فى طبقات ابن سعد ٣/١/٩٤ : « كان رجلا طويلا ، حسن الوجه ، رقيق البشرة ، فيه جنأ (ميل فى الظهر أو العنق) ، أبيض مشرباً حمرة ، لا يغير لحيته ولا رأسه » .

(٧) قوله « أسق إهابها » ، يعنى : أعط إهابها من يدبغه ويتخذ من جلده سقاء . و « السقاء »

عظّم شعائر الله ! [١] فما درى أمير المؤمنين ما يُفتيك حتى سأل صاحبه ! اعمد إلى ناقتك فانحرها ، فلعلّ ذاك ! [٢] قال قبيصة : ولا أذكر الآية من « سورة المائدة » : « يحكم به ذوا عدل منكم » . قال : فبلغ عمر مقالتى ، فلم يفجأنا منه إلاّ ومعه الدِّرّة ! قال : فعلا صاحبي ضرباً بالدّرة ، [٣] وجعل يقول : أقتلت فى الحرم ، وسفّهت الحُكم ! قال : ثم أقبل علىّ ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، لا أحِلّ لك اليوم شيئاً يحرُم عليك منى ! [٤] قال : يا قبيصة بن جابر ، إنّى أراك شابّ السن ، فسيحَ الصدر ، [٥] بيِّن اللسان ، وإن الشاب يكون فيه تسعةُ أخلاق حسنة وخلق سيئ ، فيفسد الخلق السيئ ، الأخلاقَ الحسنة ، فإياك وعثرات الشباب ! [٦]

ظرف الماء من الجلد . و « الإهاب » : الجلد من البقر والغنم والوحش ، ما لم يدبغ .

(١) فى المخطوطة : « أعظم شعائر الله » ، وما فى المطبوعة هو الموافق لما فى سنن البيهقى ، وهو أولاهما ، لمطابقته نص آية « سورة الحج » : « ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب » .

(٢) فى المطبوعة : « ففعل ذاك » ، والصواب هو ما فى المخطوطة ، وابن كثير يقول : فلعل ذلك أن يكون جزاء مثل ما قتلت من الصيد . وفى ابن كثير : « يعنى أن يجزئ عنك » ، وهذا النص ليس فى المخطوطة ، فلذلك لم أزده فى هذا الموضع ، أخشى أن يكون من كلام ابن كثير .

(٣) روى البيهقى هذا الخبر بغير هذا اللفظ ، وقال عند هذا الموضع : « فما علمت بشىء ، والله ما شعرت إلا به يضرب بالدرة على = وقال مرة : على صاحبى » ، فهذه التى هنا هى إحدى الروايتين .

(٤) يعنى أنه لما أقبل عليه عمر ، وعرف أنه ضاربه كما ضرب صاحبه ، رهب عمر وأخافه بقوله : إنه لن يحله من ضرب بشرة هى عليه حرام إلا بحقها . فلذلك هاب عمر أن يضربه كما ضرب صاحبه . فانظر إلى ما طبع عليه أسلافنا من حرية الطباع ، وما وقذ الإسلام من عرامهم حتى كف عمر يده مخافة أن يصيب من أبشار المسلم حراماً لا يحل له إلا بحقه .

(٥) قوله : « فسيح الصدر » ، أى : واسع الصدر ، وذلك من دلائل القوة ومتانة التركيب . وهذه المقالة من عمر ، من أبلغ ما يهدى إلى الشباب ، فإن البلاء إنما يأتى من سوء الخلق ، وخلق سيء واحد ، يجر وراءه جميع مساوى الأخلاق .

(٦) الأثر : ١٢٥٨٨ — انظر تخريج خبر قبيصة بن جابر فيما سلف فى التعليق على رقم : ١٢٥٧٣ .

وختم البيهقى هذا الأثر (السنن ٥ : ١٨١) ، وهو من رواية ابن أبى عمر ، عن سفيان ، عن عبد الملك بن عمير : « قال ابن أبى عمر ، قال سفيان : وكان عبد الملك إذا حدث بهذا الحديث قال : ما تركت منه ألفاً ولا واواً » .

١٢٥٨٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن عيينة ، عن مخارق ، عن طارق قال : أوطأ أربدُ ضَبًّا ،(١) فقتله – وهو محرم . فأتى عمر ليحكم عليه ، فقال له عمر : احكم معى! فحكما فيه جَدْياً قد جَمَعَ الماء والشجر .(٢) ثم قال عمر : « يحكم به ذوا عدل منكم » .(٣)

١٢٥٩٠ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا جامع بن حماد قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذكر لنا أن رجلاً أصاب صيداً ، فأتى ابن عمر فسأله عن ذلك ، وعنده عبد الله بن صفوان ، فقال ابن عمر لابن صفوان : إما أن أقول فتصدقنى ، وإما أن تقول فأصدقك . فقال ابن صفوان : بل أنت فقل . فقال ابن عمر ، ووافقه على ذلك عبد الله بن صفوان.

١٢٥٩١ – حدثنى يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا هشام ، عن ابن سيرين ، عن شريح أنه قال : لو وجدت حكماً عدلاً لحكمت فى الثعلب جَدْياً، وجدىٌ أحبُّ إلىّ من ثعلب .(٤)

---

(١) « أوطأ » يعنى : حمل دابته حتى وطئت الضب ، أى داسته . فسرته كذلك ، لأنهم يقولون : « وطىء الشىء، ووطأته، وتوطأه » ، بمعنى : داسه ، ولم يذكروا « أوطأه » ، وإن كنت أرى القياس يعين عليه .

(٢) قوله : « جمع الماء والشجر » ، يعنى : فطم ، ورعى الماء والشجر ، وهذا تفسير لم أجده فى شىء من مراجع اللغة أو مجازها . ينبغى إثباته .

(٣) الأثر : ١٢٥٨٩ – « مخارق » ، هو « مخارق بن خليفة بن جابر » ، ، ويقال : « مخارق بن عبد الله » ، و « مخارق بن عبد الرحمن » البجلى الأحمسى ، ثقة ، مضى برقم : ١١٦٨٢ .
و « طارق » هو : « طارق بن شهاب البجلى الأحمسى » ، مضى برقم : ٩٧٤٤ ، ١١٦٨٢ ، ١٢٠٧٣ – ١٢٠٧٥ ، ١٢٠٨٥ .
و « أربد » هو « أربد بن عبد الله البجلى » ، أدرك الجاهلية ، هكذا ترجم له ابن حجر فى الإصابة ، فى القسم الثالث ، وذكر هذا الخبر ، مبيناً فيه اسمه ، ثم قال : « إسناده صحيح ، ورواه الأعمش ، عن سليمان بن ميسره ، عن طارق ، ولم يسم الرجل » .
ورواه البيهقى فى السنن الكبرى ٥ : ١٨٢ ، من طريق الشافعى ، عن سفيان بن عيينة وهو فى الأم ٢ : ١٦٥ ، ومسند الشافعى للسندى : ٣٣٢ ، وشرحه الأستاذ حامد مصطفى ، بمثل ما شرحته قبل .

(٤) فى المطبوعة : « من الثعلب » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو الجيد .

١٢٥٩٢ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا محمد بن بكير قال، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن أبي مجلز : أن رجلاً سأل ابن عمر عن رجل أصاب صيداً وهو محرم، وعنده ابن صفوان، فقال له ابن عمر : إما أن تقول فأصدقك، أو أقول فتصدقني . قال : قل وأصدقك .

١٢٥٩٣ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا شعبة، عن منصور، عن أبي وائل قال : أخبرني أبو جرير البجلي قال : أصبت ظبياً وأنا محرم، فذكرت ذلك لعمر فقال : ائت رجلين من إخوانك فليحكما عليك . ٣٣/٧ فأتيت عبد الرحمن وسعداً، فحكما عليّ تيساً أعفَر = قال أبو جعفر : « الأعفر » الأبيض . (١)

١٢٥٩٤ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة، عن منصور، بإسناده عن عمر، مثله .

١٢٥٩٥ – حدثنا عبد الحميد قال، أخبرنا إسحق، عن شريك، عن

---

(١) الأثر : ١٢٥٩٣ – « أبو وائل »، هو « شقيق بن سلمة الأسدي »، مضى مراراً كثيرة .

و « أبو جرير البجلي »، لم يترجم له غير ابن سعد في الطبقات ٦ : ١٠٦، ١٠٧، وقال: « روى عن عمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد » . وساق هذا الخبر مختصراً من طريق إسحق بن يوسف الأزرق، عن سفيان، عن منصور، عن أبي وائل، ثم ساقه مطولا بنحو لفظه في خبر أبي جعفر : من طريق عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن منصور، عن شقيق .

ورواه البيهقي في السنن ٥ : ١٨١، ١٨٢، من طريق عبيد الله بن معاذ، عن شعبة، عن منصور، بنحو لفظ أبي جعفر . ثم قال في آخره : « زاد فيه جرير بن عبد الحميد، عن منصور : وأنا ناس لإحرامي » . وهذه الزيادة في خبري ابن سعد، في الأول : « وأنا ناس لإهلالي »، وفي الآخر : « ولا أذكر إهلالي » .

ونقله ابن كثير في تفسيره ٣ : ٢٣٩، عن هذا الموضع من تفسير الطبري . وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٣٢٩، وزاد نسبته لأبي الشيخ .

وفي المطبوعة : « ابن جرير البجلي »، والصواب من المخطوطة، وهي غير منقوطة . وفي ابن كثير مثل ما في المطبوعة . وفي سنن البيهقي والدر المنثور : « أبو حريز »، والصواب ما في طبقات ابن سعد .

وكان في المطبوعة : « فأتيت عبد الرحمن وسعيداً »، والصواب ما أثبت من المخطوطة، و « عبد الرحمن » هو « عبد الرحمن بن عوف » و « سعد » هو : « سعد بن أبي وقاص » .

أشعث بن سوار ، عن ابن سيرين قال : كان رجل على ناقة وهو محرم ، فأبصر ظبياً يأوى إلى أكمة ، فقال لأنظرنّ أنا أسبق إلى هذه الأكمة أم هذا الظبي ؟[1] فوقعت عَنْز من الظباء تحت قوائم ناقته فقتلتها ، [2] فأتى عمر فذكر ذلك له ، فحكم عليه هو وابن عوف عنزاً عفراء= قال : وهي البيضاء .

١٢٥٩٦ – حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية قال : أخبرنا أيوب ، عن محمد : أن رجلاً أوطأ ظبياً وهو محرم ، [3] فأتى عمر فذكر ذلك له ، وإلى جنبه عبد الرحمن بن عوف ، فأقبل على عبد الرحمن فكلمه ، ثم أقبل على الرجل فقال : أهد عنزاً عفراء .

١٢٥٩٧ – حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم : أنه كان يقول : ما أصاب المحرم من شيء لم تمض فيه حكومة ، استقبل به ، فيحكم فيه ذوا عدل .[4]

١٢٥٩٨ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثني وهب بن جرير قال، حدثنا شعبة ، عن يعلى ، عن عمرو بن حبشي قال : سمعت رجلاً سأل عبد الله بن عمر ، عن رجل أصاب ولدَ أرنب ، فقال : فيه ولد ماعز ، فيما أرى أنا . ثم قال لي : أكذاك ؟ فقلت : أنت أعلم مني ! فقال : قال الله تعالى ذكره : « يحكم به ذوا عدل منكم » .[5]

١٢٥٩٩ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا ابن أبي عدي وسهل بن يوسف ،

---

(١) في المطبوعة : « لأنظر أنا أسبق » ، وفي المخطوطة : « لأنظر وأنا أسبق » ، وصواب قراءتها ما أثبت .

(٢) « العنز » الأنثى من المعزى والأوعال والظباء .

(٣) انظر تفسير « أوطأ » فيما سلف ص : ٢٦ ، تعليق : ١ .

(٤) أي لم يمض فيه حكم سابق . وقوله : « استقبل به » يعني : ابتدأ النظر فيه ، بغير حكم سابق .

(٥) الأثر : ١٢٥٩٨ – « عمرو بن حبشي » ، تابعي ثقة ، مضى ومضى ضبط اسمه برقم : ٢٣٤٠ .

عن حميد، عن بكر : أن رجلين أبصرا ظبياً وهما محرمان ، فتراهنا ، وخطرُ كل واحد منهما لمن سبق إليه .[١] فسبق إليه أحدهما ، فرماه بعصاه فقتله . فلما قدما مكة أتيا عمر يختصمان إليه ، وعنده عبدالرحمن بن عوف ، فذكرا ذلك له ، فقال عمر : هذا قِمارٌ ولا أجيزه ! ثم نظر إلى عبد الرحمن ، فقال : ما ترى ! قال : شاة . فقال عمر : وأنا أرى ذلك . فلما قَفَّى الرجلان من عند عمر ، قال أحدهما لصاحبه : ما درى عُمر ما يقول حتى سأل الرجل ! فردّهما عمر فقال : إن الله تعالى ذكره لم يرضَ بعمر وحده ، فقال : « يحكم به ذوا عدل منكم » ، وأنا عمر ، وهذا عبد الرحمن بن عوف .

* * *

وقال آخرون : بل ينظر العَدْلان إلى الصيد المقتول، فيقوّمانه قيمته دراهمَ ، ثم يأمران القاتل أن يشترى بذلك من النعم هَدْياً . فالحاكمان يحكمان ، فى قول هؤلاء، بالقيمة . وإنما يحتاج إليهما لتقويم الصيد قيمتَه فى الموضع الذى أصابه فيه.

* * *

وقد ذكرنا عن إبراهيم النخعى فيما مضى قبل أنه كان يقول : « ما أصاب المحرم من شىء، حكم فيه قيمته »،[٢] وهو قول جماعة من متفقّهة الكوفيين .

* * *

وأما قوله : « هدياً » ، فإنه مُصَدَّر على الحال من « الهاء » التى فى قوله : « يحكم به » .

* * *

وقوله : « بالغ الكعبة » من نعت « الهدى» وصفته . وإنما جاز أن ينعت به، وهو مضاف إلى معرفة ،[٣] لأنه فى معنى النكرة . وذلك أن معنى قوله : « بالغ

---

(١) « الخطر » (بفتحتين) : الرهن ، وهو السبق الذى يترامى عليه فى التراهن . و « أخطر المال » ، جعله خطراً بين المتراهنين ، و « تخاطروا » : تراهنوا . وكان فى المطبوعة : « وجعل كل واحد منهما » ، وهذه الكلمة فى المخطوطة سيئة الكتابة جداً ، رأيت أن أستظهر قراءتها كذلك من معنى الرهان . وهو الصواب إن شاء الله .

(٢) هو رقم : ١٢٥٨٣ .

(٣) فى المطبوعة : « ينعت وهو مضاف » ، حذف « به » فاختل الكلام .

الكعبة » ، يبلغُ الكعبة . فهو وإن كان مضافاً فمعناه التنوين ، لأنه بمعنى الاستقبال . وهو نظير قوله : ﴿ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ﴾ [سورة الأحقاف : ٢٤] ، فوصف بقوله : « ممطرنا » « عارضاً » ، لأن فى « ممطرنا » معنى التنوين ، لأن تأويله الاستقبال ، فمعناه : هذا عارض يمطرنا . فكذلك ذلك فى قوله : « هدياً بالغَ الكعبة » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : أو عليه كفارة طعام مساكين = و « الكفارة » معطوفة على « الجزاء » فى قوله : « فجزاء مثل ما قتل من النعم » .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك :

فقرأته عامة قرأة أهل المدينة : ﴿ أَوْ كَفَّارَةُ طَعَامِ مَسَاكِينَ ﴾ بالإضافة .

* * *

وأما قرأة أهل العراق ، فإنّ عامتهم قرأوا ذلك بتنوين « الكفارة » ورفع « الطعام » : ﴿ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ ﴾

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين فى ذلك عندنا بالصواب ، قراءة من قرأ بتنوين « الكفارة » ورفع « الطعام » للعلة التى ذكرناها فى قوله : « فجزاء مثلُ ما قتل من النعم » .(١)

* * *

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله : « أو كفارة طعام مساكين » .(٢)

فقال بعضهم : معنى ذلك : أنّ القاتل وهو محرم صيداً عمداً ، لا يخلو من

---

(١) انظر ما سلف ص : ١٣ ، ١٤ .

(٢) انظر تفسير « الكفارة » فيما سلف ١٠ : ٥٣١ تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

وجوب بعض هذه الأشياء الثلاثة التى ذكر الله تعالى ذكره : من مثل المقتول هدياً بالغَ الكعبة ، أو طعامُ مساكين كفارة لما فعل، أو عدلُ ذلك صياماً = إلاّ أنه مخيَّر فى أىّ ذلك شاء فعل، وأنه بأيِّها كان كفَّر فقد أدّى الواجب عليه . وإنما ذلك إعلامٌ من الله تعالى ذكره عبادَه أن قاتل ذلك كما وصف ، لن يخرُجَ حكمه من إحدى الخلال الثلاثة. قالوا: فحكمه إن كان على المثل قادراً، أن يحكم عليه بمثل ٣٤/٧ المقتول من النعم ، لا يجزيه غيرُ ذلك ما دام للمثل واجداً . قالوا : فإن لم يكن له واجداً ، أو لم يكن للمقتول مثلٌ من النعم ، فكفارته حينئذ إطعام مساكين .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٦٠٠ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة أو كفارة طعامُ مساكين أو عدل ذلك صياماً ليذوق وَبال أمره » ، قال : إذا قتل المحرم شيئاً من الصيد ، حكم عليه فيه . فإن قتل ظبياً أو نحوه ، فعليه شاة تذبح بمكة . فإن لم يجد ، فإطعام ستة مساكين . فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام . وإن قتل أيّلاً أو نحوه ، فعليه بقرة . فإن لم يجدها أطعم عشرين مسكيناً .(١) فإن لم يجد، صام عشرين يوماً . وإن قتل نعامة أو حمارَ وحش أو نحوه ، فعليه بَدَنَة من الإبل . فإن لم يجد ، أطعم ثلاثين مسكيناً . فإن لم يجد ، صام ثلاثين يوماً . والطعام مدٌّ مُدٌّ ، شِبَعَهم .(٢)

١٢٦٠١ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال، حدثنى عمى قال، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله: « يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد

---

(١) فى المطبوعة : « فإن لم يجد » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٢٦٠٠ – وسيأتى برقم : ١٢٦٣٣ فى المطبوعة : « يشبعهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة . وسيأتى فى المخطوطة هناك : « وشبعهم » بالواو ، والجيد ما هنا .

وأنتم حرمٌ »، إلى قوله : « يحكم به ذوا عدل منكم » ، فالكفارة . من قتل ما دون الأرنب ، إطعام .

١٢٦٠٢ – حدثنا هناد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن الحكم ، عن مقسم، عن ابن عباس قال : إذا أصاب المحرم الصيد، حكم عليه جزاؤه من النعم . فإن وجد جزاءَه، ذبحه فتصدق به . وإن لم يجد جزاءه، قُوِّم الجزاء دراهم، ثم قوِّمت الدراهم حنطة، ثم صام مكان كل صاع يوماً . قال: إنما أريد بالطعام الصوم ، فإذا وجد طعاماً وجد جزاءً .

١٢٦٠٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حميد بن عبد الرحمن، عن زهير ، عن جابر ، عن عطاء ومجاهد وعامر: « أو عدل ذلك صياماً » ، قال : إنما الطعام لمن لم يجد الهَدْى.[1]

١٢٦٠٤ – حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم أنه كان يقول : إذا أصاب المحرم شيئاً من الصيد ، عليه جزاؤه من النعم . فإن لم يجد قُوِّم الجزاء دراهم ، ثم قومت الدراهم طعاماً ، ثم صامَ لكل نصف صاع يوماً .

١٢٦٠٥ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن مغيرة ، عن حماد قال : إذا أصاب المحرم الصيد فحكم عليه ، فإن فضل منه ما لا يتم نصف صاع ، صام له يوماً . ولا يكون الصوم إلاّ على من لم يجد ثمن هدي ، فيحكم عليه الطعام . فإن لم يكن عنده طعام يتصدق به ، حكم عليه الصوم ، فصام مكان كل نصف صاع يوماً = « كفارة طعام مساكين » ، قال : فيما لا يبلغ ثمن هدى= « أو عدل ذلك صياماً »، من الجزاء ، إذا لم يجد ما يشترى به هدياً ، أو ما يتصدق به ، مما لا يبلغ ثمن هدى، حكم عليه الصيام، مكان كل نصف صاع يوماً .

---

(١) زاد فى المطبوعة : « ليذوق » ، وقطع الآية ، وأثبت ما فى المخطوطة .

١٢٦٠٦ – حدثنا هناد قال، حدثنا ابن أبي زائدة قال، أخبرنا ابن جريج قال، قال مجاهد: « ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم » ، قال: عليه من النعم مثلُه هدياً بالغَ الكعبة . ومن لم يجد ، ابتاع بقيمته طعاماً ، فيطعم كل مسكين مُدَّين . فإن لم يجد ، صام عن كل مدَّين يوماً .

١٢٦٠٧ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « ومن قتله منكم متعمداً » ، إلى قوله : « ومن عاد فينتقم الله منه » ، قال : إذا قتل صيداً ، فعليه جزاؤه مثل ما قتل من النعم . فإن لم يجد، حكم عليه، ثم [قُوِّم] الفداءُ، كم هو درهماً، ثمّ قدر ثمن ذلك بالطعام على المسكين ،(١) فصام عن كل مسكين يوماً ، ولا يحل طعام المسكين ، لأن من وجد طعام المسكين فهو يجد الفداء .

١٢٦٠٨ – حدثنا عمرو بن علي قال، حدثنا أبو عاصم، عن ابن جريج قال : قال لي الحسن بن مسلم : من أصاب الصيد فيما جزاؤه شاة ،(٢) فذلك الذي قال الله تعالى ذكره : « فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم ». وما كان من كفارة بإطعام مساكين ،(٣) مثل العصفور يقتل ولا يبلغ أن يكون فيه هدي=« أو عدل ذلك صياماً »،(٤) قال: عدل النعامة أو العصفور ،(٥) أو عدل ذلك كله. فذكرت ذلك لعطاء فقال: كل شيء في القرآن« أو » «أو»، فلصاحبه أن يختار ما شاء .

---

(١) في المطبوعة : « فإن لم يجد ما حكم عليه قوم الفداء كم هو درهماً ، وقدر ثمن ذلك . . . » ، وفي المخطوطة : « فإن لم يجد حكم عليه ثم الفداء كم هو درهماً بين قدر ثمن ذلك . . . » ، وكلتاهما لا تستقيم ، فآثرت أن أقرأها كما أثبتها ، ووضعت مكان (ثم) (ثم قوم) ، ومكان (بين) ، (ثم) بين القوسين ، والعبارة بعد ذلك كله مشكلة ، لم أستطع أن أهتدي إلى مكانها في كتاب آخر ، ولا أن ألتمس لها تحريفاً أرضى عنه .

(٢) في المطبوعة : « مما جزاؤه » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٣) في المطبوعة : « من كفارة طعام » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٤) في المطبوعة ، زاد في الآية « ليلوق » ، ثم قطع الآية .

(٥) في المطبوعة : « أو العصفور » ، وأثبت ما في المخطوطة .

١٢٦٠٩ – حدثنا عمرو بن على قال ، حدثنا يزيد بن هرون قال ، أخبرنا سفيان بن حسين ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس فى قوله : « لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم » ، فإن لم يجد جزاءً ، قوّم عليه الجزاءُ طعاماً ، ثم صام لكل صاع يومين . ٣٥/٧

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك: أن للقاتل صيداً عمداً وهو محرم، الخيارُ بين إحدى الكفارات الثلاث ، وهى : الجزاء بمثله من النعم ، والطعام ، والصوم . قالوا : وإنما تأويل قوله: « فجزاء مثل ما قتل من النعم أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً » ، فعليه أن يجزى بمثله من النعم ، أو يكفر بإطعام مساكين، أو بعدل الطعام من الصيام .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٦١٠ – حدثنا هناد بن السري قال، حدثنا ابن أبى زائدة قال، أخبرنا ابن جريج ، عن عطاء فى قول الله تعالى ذكره : « فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً» ، قال : إن أصابَ إنسان محرم نعامة، فإن له = وإن كان ذا يسار[1] = أن يهدى ما شاء ، جزوراً ، أو عدلها طعاماً ، أو عدلها صياماً . قال: كل شىء فى القرآن « أو » « أو »، فليختر منه صاحبه ما شاء .

١٢٦١١ – حدثنى يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حجاج ، عن عطاء فى قوله: « فجزاء مثل ما قتل من النعم » ، قال : ما كان فى القرآن: « أو كذا أو كذا»، فصاحبه فيه بالخيار ، أىَّ ذلك شاء فعل .

١٢٦١٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أسباط وعبد الأعلى ، عن داود ،

---

(١) فى المطبوعة : « إن كان ذا يسار » ، حذف الواو ، كما فعل فى الأثر السالف : ص : ١٩ ، تعليق : ٢ ، والصواب ما فى المخطوطة .

عن عكرمة قال : ما كان فى القرآن « أو » « أو » ، فهو فيه بالخيار . وما كان : « فمن لم يجد » ، فالذى يليه ثم الذى يليه . (١)

١٢٦١٣ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا حفص ، عن عمرو ، عن الحسن ، مثله .

١٢٦١٤ — حدثنى يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا ليث ، عن عطاء ومجاهد : أنهما قالا فى قوله : « فجزاء مثل ما قتل من النعم » ، قالا : ما كان فى القرآن : « أو كذا أو كذا » ، فصاحبه فيه بالخيار ، أىّ ذلك شاء فعل .

١٢٦١٥ — حدثنى يعقوب قال ، حدثنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك : ما كان فى القرآن : « أو كذا أو كذا » ، فصاحبه فيه بالخيار ، أىّ ذلك شاء فعل .

١٢٦١٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا أبو حُرّة ، عن الحسن = قال وأخبرنا عبيدة ، عن إبراهيم = قالا : كل شىء فى القرآن « أو » « أو » ، فهو بالخيار ، أىّ ذلك شاء فعل . (٢)

١٢٦١٧ — حدثنا هناد قال ، حدثنا حفص ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : كل شىء فى القرآن « أو » « أو » ، فصاحبه مخيَّر فيه . وكل شىء : « فمن لم يجد » ، فالأول ، ثم الذى يليه .

* * *

واختلف القائلون بتخيير قاتل الصيد من المحرمين بين الأشياء الثلاثة ، فى صفة اللازم له من التكفير بالإطعام والصوم ، إذا اختار الكفارة بأحدهما دونَ الهدى .

---

(١) فى المطبوعة : « فمن لم يجد ، فالأول ثم الذى يليه » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب محض .

(٢) الأثر : ١٢٦١٦ — « أبو حرة البصرى » ، هو : « واصل بن عبد الرحمن » ، مضى برقم : ٦٣٨٥ ، وكان فى المطبوعة هنا « أبو حمزة » ، والصواب من المخطوطة .

فقال بعضهم : إذا اختار التكفير بذلك ، فإنّ الواجب عليه أن يقوّم المثلَ من النعم طعاماً ، ثم يصوم مكان كلّ مُدّ يوماً .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٦١٨ – حدثنا هناد قال، أخبرنا ابن أبي زائدة قال : أخبرنا ابن جريج قال، قلت لعطاء : ما « أو عدل ذلك صياماً » ؟ قال: إن أصاب ما عَدْله شاة ، أقيمت الشاة طعاماً ، ثم جعل مكان كل مدّ يوماً يصومه .

* * *

وقال آخرون : بل الواجب عليه إذا أراد التكفير بالإطعام أو الصوم ، أن يقوّم الصيد المقتولَ طعاماً ، ثم الصدقة بالطعام إن اختار الصدقة .[1] وإن اختار الصوم صام .

* * *

ثم اختلفوا أيضاً في الصوم .

فقال بعضهم : يصوم لكل مدّ يوماً .

* * *

وقال آخرون : يصوم مكان كل نصف صاع يوماً .

* * *

وقال آخرون : يصوم مكان كل صاع يوماً .

* * *

* ذكر من قال : المقوَّم للإطعام هو الصيد المقتول .[2]

١٢٦١٩ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا جامع بن حماد قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا شعبة ، عن قتادة : « يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد » ، الآية ، قال : كان قتادة يقول : يحكمان في النعم ، فإن كان ليس

(١) في المطبوعة : « ثم يتصدق بالطعام » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو لا بأس به .
(٢) في المطبوعة : « المتقوم للإطعام » ، وفي المخطوطة بهذا الرسم غير منقوطة ، وصواب قراءتها ما أثبت .

عنده ما يبلغ ذلك ،[١] نظروا ثمنه فقوّموه طعاماً ، ثم صام مكان كل صاع يومين .

* * *

وقال آخرون : لا معنى للتكفير بالإطعام ، لأن من وجد سبيلاً إلى التكفير بالإطعام ، فهو واجد إلى الجزاء بالمثل من النعم سبيلاً . ومن وجد إلى الجزاء بالمثل من النعم سبيلاً ، لم يجزه التكفير بغيره . قالوا : وإنما ذكر الله تعالى ذكره الكفارة بالإطعام فى هذا الموضع ، ليدلّ على صفة التكفير بالصوم = لا أنه جعل التكفير بالإطعام إحدى الكفارات التى يكفر بها قتل الصيد .[٢] وقد ذكرنا تأويل ذلك فيما مضى قبل .[٣]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب عندى فى قول الله تعالى ذكره : « فجزاء مثل ما قتل من النعم » ، أن يكون مراداً به : فعلى قاتله متعمداً مثلُ الذى قتل من النعم = لا القيمة ، إن اختار أن يجزيه بالمثل من النعم . وذلك أن القيمة إنما هى من الدنانير أو الدراهم . والدراهم أو الدنانير ليست للصيد بمثل ، والله تعالى ذكره إنما أوجب الجزاء مثلاً من النعم . ٣٦/٧

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب عندى فى قوله : « أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً » ، أن يكون تخييراً ، وأن يكون للقاتل الخيار فى تكفيره بقتله الصيد وهو محرم بأىّ هذه الكفارات الثلاث شاء . لأن الله تعالى ذكره ، جعل ما أوجبَ فى قتل الصيد من الجزاء والكفارة عقوبة لفعله ، وتكفيراً لذنبه ، فى إتلافه ما أتلف من الصيد الذى كان حراماً عليه إتلافه فى حال إحرامه ، وقد كان حلالاً له قبل حال إحرامه ، كما جعل الفدية من صيام أو صدقة أو نسك فى حلق الشعر الذى حلقه المحرم فى حال إحرامه ، وقد كان له حلالاً قبل حال

---

(١) فى المطبوعة : « فإن كان ليس صيده ما يبلغ ذلك » ، وهو خطأ ، صوابه فى المخطوطة .
(٢) فى المخطوطة : « لأنه جعل التكفير . . . » ، وصوابه ما فى المطبوعة .
(٣) انظر ما سلف ص : ١٥ ، وما بعدها .

إحرامه [عقوبة لفعله ، وتكفيراً لذنبه] ، فى حلق الشعر الذى حلقه المحرم فى حال إحرامه ، وقد كان له حلقه قبل حال إحرامه ، ثم منع من حلقه فى حال إحرامه ، نظيرَ الصيد .(١) ثم جعل عليه إن حلقه جزاءً من حلقه إياه . فأجمع الجميع على أنه فى حلقه إياه إذا حلقه من أذاته ،(٢) مخيَّر فى تكفيره فعله ذلك بأى الكفارات الثلاث شاء ،(٣) فمثله فيما ناله قاتلُ الصيد من المحرمين ،(٤) وأنه مخيَّر فى تكفيره قتلَه الصيدَ بأىِّ الكفارات الثلاث شاء . لا فرقَ بين ذلك .

ومن أبى ما قلنا فيه ، قيل له : حكم الله تعالى ذكره على قاتل الصيد بالمثل من النعم ، أو كفارة طعام مساكين ، أو عدله صياماً = كما حكم على الحالق بفدية من صيام أو صدقة أو نسك ، فزعمتَ أن أحدهما مخيَّر فى تكفير ما جعل منه عِوَضٌ بأىّ الثلاث شاء ، وأنكرت أن يكونَ ذلك للآخر ، فهل بينك وبين من عكس عليك الأمر فى ذلك = فجعل الخيارَ فيه حيث أبيت ، وأبى حيث جعلته له = فرقٌ من أصل أو نظير ؟ فلن يقول فى أحدهما قولاً إلاّ إذا ألزم فى الآخر مثله .(٥)

---

(١) كانت هذه الجملة فى المطبوعة : « كما جعل الفدية من صيام أو صدقة أو نسك فى حلق الشعر الذى حلقه المحرم فى حال إحرامه ، وقد كان له حلقه قبل حال إحرامه ، ثم منع من حلقه فى حال إحرامه ، نظير الصيد » . وهو كلام غير مستقيم ، وهو اختصار لما فى المخطوطة .

وكان فى المخطوطة هكذا : « كما جعل الفدية من صيام أو صدقة أو نسك فى حلق الشعر الذى حلقه المحرم فى حال إحرامه ، وقد كان حلالا قبل حال إحرامه ، كما جعل الفدية من صيام أو صدقة أو نسك فى حلق الشعر الذى حلقه المحرم فى حال إحرامه ، وقد كان له حلقه قبل حال إحرامه ، ثم منع من حلقه فى حال إحرامه ، نظير الصيد » . وهى جملة مختلطة ، فيها بلا شك زيادة من الناسخ ، وهو قوله : « كما جعل الفدية من صيام أو صدقة أو نسك » ، واستظهرت أن مكان هذه العبارة ، كما وضعته بين القوسين ، لتتم المناظرة بين الفعلين والعقوبتين ، والجزاءين ، وبذلك استقام الكلام إن شاء الله .

(٢) فى المطبوعة : « من إيذائه » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو غير منقوطة .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « فى تكفيره فعليه ذلك » ، وهو خطأ محض ، صوابه ما أثبت .

(٤) فى المطبوعة : « فمثله إن شاء الله قاتل الصيد » ، وفى المخطوطة : « فمثله مما شاله قاتل الصيد » ، واستظهرت الصواب من نص الآية « ليبلونكم الله بشىء من الصيد تناله أيديكم » .

(٥) انظر ما قاله أبو جعفر فى الخلق فيما سلف ٤ : ٧٦ — ٧٨ .

ثم اختلفوا فى صفة التقويم إذا أراد التكفير بالإطعام .

فقال بعضهم : يقوَّم الصيد قيمة الموضع الذى أصابه فيه . [١] وهو قول إبراهيم النخعى ، وحماد ، وأبى حنيفة ، وأبى يوسف ، ومحمد . وقد ذكرت الرواية عن إبراهيم وحماد فيما مضى بما يدل على ذلك ، [٢] وهو نص قول أبى حنيفة وأصحابه .

* * *

وقال آخرون : بل يقوَّم ذلك بسعر الأرض التى يكفَّر فيها . [٣]

* ذكر من قال ذلك :

١٢٦٢٠ — حدثنا هناد قال، حدثنا ابن أبى زائدة قال ، حدثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر قال فى محرم أصاب صيداً بخراسان ، قال : يكفر بمكة أو بمنًى . وقال : يقوّم الطعام بسعر الأرض التى يكفّر بها .

١٢٦٢١ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا أبو يمان ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن الشعبى ، فى رجل أصاب صيداً بخراسان، قال : يحكم عليه بمكة .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا ، أن قاتل الصيد إذا جزاه بمثله من النَّعم ، فإنما يجزيه بنظيره فى خلقه وقدره فى جسمه ، [٤] من أقرب الأشياء به شبهاً من الأنعام . فإن جزاه بالإطعام ، قوّمه قيمته بموضعه الذى أصابه فيه ، لأنه هنالك وجب عليه التكفير بالإطعام . ثم إن شاء أطعم بالموضع الذى أصابه فيه ، وإن شاء بمكة ، وإن شاء بغير ذلك من المواضع حيث شاء ، لأن الله تعالى ذكره ؛ إنما شَرَط بلوغ الكعبة بالهدى فى قتل الصيد دون غيره من جزائه، فللجازى

---

(١) فى المطبوعة : « قيمته بالموضع » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب محض . وليس فى المخطوطة « فيه » ، وإثباتها واجب .

(٢) يعنى ما سلف رقم : ١٢٥٨٣ ، ١٢٥٨٤/١٢٦٠٤ ، ١٢٦٠٥ .

(٣) فى المطبوعة : « يكفر بها » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « فى خلق » ، والجيد ما أثبت .

بغير الهدى أن يجزيه بالإطعام والصوم حيث شاء من الأرض .

* * *

وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل العلم .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٦٢٢ – حدثنا هناد قال، حدثنا ابن أبى زائدة قال ، حدثنا ابن أبى عروبة ، عن أبى معشر ، عن إبراهيم قال : ما كان من دم فبمكة . وما كان من صدقة أو صوم ، فحيث شاء .

* * *

وقد خالف ذلك مخالفون ، فقالوا : لا يجزئ الهدى والإطعام إلا بمكة . فأما الصوم ، فإن لم يكن كفّر ، فله أن يصومه حيث شاء من الأرض .(١)

* ذكر من قال ذلك :

١٢٦٢٣ – حدثنا هناد قال ، حدثنا وكيع= وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى = عن حماد بن سلمة ، عن قيس بن سعد ، عن عطاء قال : الدم والطعام بمكة ، والصيامُ حيث شاء .

١٢٦٢٤ – حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى = عن مالك بن مغول ، عن عطاء قال : كفارة الحج بمكة .

١٢٦٢٥ – حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا أبو عاصم ، عن ابن جريج قال : قلت لعطاء : أين يُتصدق بالطعام إن بدا له ؟ قال : بمكة ، من أجل أنه بمنزلة الهدى ، قال : « فجزاء مثل ما قتل من النعم هدياً بالغ الكعبة » ، من أجل ٣٧/٧
أنه أصابه فى حَرَم= يريد البيت = فجزاؤه عند البيت .

* * *

(١) فى المطبوعة : « فأما الصوم ، فإن كفر به يصوم حيث شاء من الأرض » ، وفى المخطوطة : « فإن لم يكن كفر به أن يصومه حيث شاء من الأرض » ، وصواب قراءتها ما أثبت .

فأما الهدى ، فإنّ من جزَى به ما قتل من الصيد ،[١] فلن يجزئه من كفارة ما قتل من ذلك إلا أن يبلغه الكعبة كما قال تعالى ذكره ،[٢] وينحره أو يذبحه ويتصدق به على مساكين الحرم = وعنىَ بالكعبة فى هذا الموضع ،الحرم كله .[٣]

ولمن قدّم بهديه الواجبَ من جزاء الصيد ، أن ينحره فى كل وقت شاء ، قبل يوم النحر وبعده ، ويطعمه . وكذلك إن كفر بإطعام ،[٤] فله أن يكفر به متى أحب وحيث أحب . وإن كفّر بالصوم فكذلك .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، خلا ما ذكرنا من اختلافهم فى التفكير بالإطعام على ما قد بينا فيما مضى .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٦٢٦ — حدثنا هناد قال، حدثنا ابن أبى زائدة قال ، أخبرنا ابن جريج قال ، قلت لعطاء : « أو عدل ذلك صياماً » ، هل لصيامه وقت ؟ قال : لا ، إذا شاء وحيث شاء، وتعجيله أحبُّ إلىّ .

١٢٦٢٧ — حدثنا هناد قال، حدثنا ابن أبى زائدة قال ، أخبرنا ابن جريج قال ، قلت لعطاء : رجل أصابَ صيداً فى الحج أو العمرة ، فأرسل بجزائه إلى الحرم فى المحرَّم أو غيره من الشهور ، أيجزئ عنه ؟ قال : نعم . ثم قرأ : « هدياً بالغ الكعبة » = قال هناد : قال يحيى : وبه نأخذ .[٥]

---

(١) فى المطبوعة : « فأما الهدى ، فإنه من جراء ما قتل من الصيد » ، وهو كلام فاسد جداً . وفى المخطوطة : « فأما الهدى ، فإن من جرائه ما قتل من الصيد » غير منقوطة ، وهذا صواب قراءتها .

(٢) فى المطبوعة : « إلا أن يبلغه الكعبة طيباً ، وينحره أو يذبحه » ، وهو فاسد المعنى . وفى المخطوطة : « إلا أن يبلغه الكعبة طيباً قال تعالى ذكره وينحره . . . » ، وصواب قراءة « طيبا » غير منقوطة « كا » ، كما أثبتها .

(٣) فى المطبوعة : « ويعنى بالكعبة » ، وفى المخطوطة « وعنا بالكعبة » ، وصواب قراءتها ما أثبت .

(٤) فى المطبوعة : « بالطعام » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٥) الأثر : ١٢٦٢٧ — « يحيى » ، هو « ابن أبى زائدة » ، وهو : « يحيى بن زكريا ابن أبى زائدة » ، ومضى مراراً .

١٢٦٢٨ – حدثنا هناد قال، حدثنا ابن أبي زائدة قال ، أخبرنا ابن جريج وابن أبي سليمان، عن عطاء قال: إذا قدمتَ مكة بجزاء صيدٍ فانحره ، فإن الله تعالى ذكره يقول : « هدياً بالغ الكعبة » ، إلا أن يقدّم في العشر ، فيؤخّرُه إلى يوم النحر .(١)

١٢٦٢٩ – حدثنا هناد قال، حدثنا ابن أبي زائدة قال ، حدثنا ابن جريج ، عن عطاء قال : يتصدّق الذي يصيب الصيدَ بمكة ، فإن الله تعالى ذكره يقول : « هدياً بالغ الكعبة » .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا ﴾

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بذلك : أو على قاتل الصيد محرِماً ، عدلُ الصّيد المقتول من الصيام . وذلك أن يقوّم الصيد حيًّا غير مقتول قيمته من الطعام بالموضع الذي قتله فيه المحرم، ثم يصوم مكان كل مدٍّ يوماً . وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم عَدَل المدَّ من الطعام بصوم يوم في كفّارة المُواقع في شهر رَمضان .(٢)

* * *

فإن قال قائل: فهلاَّ جعلت مكان كلّ صاع في جزاءِ الصيد، صومَ يوم ، قياساً على حكم النبي صلى الله عليه وسلم في نظيره ، وذلك حكمه على كَعْب ابن عُجْرة إذ أمره أن يطعم إنْ كفَّر بالإطعام فَرَقاً من طعام، وذلك ثلاثة آصُعٍ بين ستّة مساكين(٣) = إنْ كفر بالصيام أن يصوم ثلاثة أيام ، فجعل الأيام

---

(١) في المطبوعة : « فيوخر » بغير ضمير ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) انظر الأخبار في كفارة من أتى أهله في نهار رمضان ، وهو صائم ، في السنن الكبرى البيهقي ٤ : ٢٢١ – ٢٢٥ .

(٣) انظر خبر « كعب بن عجرة » إذ شكا رأسه من صئبانه ، فيما سلف في التفسير ٤ : ٥٨ – ٦٩ ، الآثار رقم : ٣٣٣٤ – ٣٣٥٩ .

الثلاثة فى الصوم عَدْلاً من إطعام ثلاثة آصع ، فإن ذلك بالكفارة فى جزاءِ الصيد، أشبهُ من الكفارة فى قتلِ الصيد بكفّارة المُواقع امرأتَه فى شهر رمضان ؟ .

قيل : إن « القياس » ، إنما هو رَدُّ الفروع المختلف فيها ، إلى نظائرها من الأصول المجمع عليها . ولا خلافَ بين الجميع من الحجّة أنه لا يجزئ مكفِّراً كفَّر فى قتل الصيد بالصوم، أن يعدِلَ صوم يوم بصاعِ طعام . فإذْ كان ذلك كذلك، وكان غير جائز خلافها فيما حدَّثت به من الدين مجمعةً عليه، [1] صحَّ بذلك أن حكم معادلة الصوم الطعامَ فى قتل الصيد، مخالف حكم معادلته إيَّاه فى كفارة الحلق، إذْ كان غير جائز ردّ أصْلٍ على أصلٍ قياساً. وإنما يجوز أن يقاس الفرعُ على الأصل. [2]

وسواء قال قائل: « هلاَّ رددتَ حكم الصوم فى كفارة قتلِ الصيد، على حكمه فى حَلْق الأذى فيما يُعْدل به من الطعام » ؟ = وآخر قال : « هلاَّ رددت حكم الصوم فى الحلق، على حكمه فى كفارة قتل الصيد فيما يُعدلُ به من الطعام ، فتُوجب عليه مكان كل مدٍّ أو مكان كل نصف صاع صومَ يوم » ؟

* * *

وقد بينا فيما مضى قبل أن « العَدْل » فى كلام العرب بالفتح ، هو قدر الشيء من غير جنسه [3] = وأن « العِدْل » ، هو قدره من جنسه . [4]

وقد كان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول : « العدل » مصدر من قول القائل: « عَدَلت هذا بهذا عَدْلاً حسناً » . قال: « والعَدْل » أيضاً بالفتح ،

---

(١) فى المطبوعة : « حدت به من الدين » (بتشديد الدال والتاء فى آخره) ، وفى المخطوطة « حدث به » بالثاء ، وصواب قراءتها ما أثبت .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « إذا كان غير جائز وداخل على آخر قياساً » ، وفى المخطوطة مثلها مهملة غير منقوطة . وهو كلام لا معنى له ، بل الصواب المحض ما أثبت ، وذلك أن الكاتب كتب : « وداحل » ، وصوابها : « رد أصل » ، ثم كتب « على احر » ، وصوابها : « على أصل » ، وهو ظاهر كلام أبى جعفر كما رأيت قبل ، وكما ترى بعد .

(٣) فى المطبوعة : « وهو قدر . . . » بزيادة « الواو » ، وهو خطأ .

(٤) انظر تفسير « العدل » فيما سلف ٢ : ٣٥ ، ٥٧٤ . ثم معانى القرآن للفراء ١ : ٣٢٠ ، ثم مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٥٣ ، ١٧٥ ، ١٧٦ .

المثل . ولكنهم فرّقوا بين « العدل » فى هذا وبين « عِدْل المتاع » ، بأن كسروا « العين » من « عِدْل المتاع » ، وفتحوها من قول الله تعالى[١] : ﴿ وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ [سورة البقرة : ١٢٣] ، وقول الله عز وجل : « أو عدل ذلك صياماً » ، كما قالوا : « امرأة رَزان » و « حَجَر رَزين » .[٢]

٣٨/٧ وقال بعضهم : « العدل » هو القسط فى الحق ، « والعِدْل » بالكسر ، المثل. وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى .[٣]

* * *

وأما نصب « الصيام » فإنه على التفسير ،[٤] كما يقال : « عندى ملء زقٍّ سمناً » ، و « قدر رطلٍ عسلاً » .[٥]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .[٦]

---

(١) فى المطبوعة : « من قولهم » ، وفى المخطوطة : « من قول هم » ، وهو خطأ غريب ، والصواب ما كتبت إن شاء الله .

(٢) نص هذا الكلام ، ذكره صاحب لسان العرب فى مادة (عدل) ، ولم يشر إليه فى مادة (رزن) ، فهو مما يقيد فى اللسان فى موضعه . وجاء فى اللسان « وعجز رزين » ، وهو خطأ يصحح ، إنما الصواب « وحجر » ، و « حجر رزين » : ثقيل . وقد صرح صاحب أساس البلاغة فقال : « وامرأة رزان ، ولا يقال « رزينة » .

(٣) يعنى ما سلف فى ٢ : ٣٥ .

(٤) « التفسير » ، هو التمييز ، وانظر ما سلف فى فهارس المصطلحات .

(٥) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٢٠ .

(٦) عند هذا الموضع انتهى المجلد الثامن من مخطوطة التفسير التى اعتمدناها . وفيها هنا ما نصه :

« تمّ المجلّد الثامن بحمد الله وعونه
وصلّى الله على سيدنا محمدّ النبىّ وآله وصحبه وسلم كثيراً .
يتلوه فى التاسع إن شاء الله تعالى :
ذكر من قال ذلك : حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، أخبرنا ابن جريج قال ، قلت لعطاء : ما « عَدْل ذلك صياماً » ؟

قال : عدل الطعام من الصيام .

١٢٦٣٠ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا أبو عاصم قال، أخبرنا ابن جريج قال ، قلت لعطاء: ما « عدل ذلك صياماً » ؟ قال : عَدْل الطعامِ من الصيام . قال: لكل مُدٍّ يوماً، يأخذ زعَم بصيام رمضان وبالظِّهار.[1] وزعم أن ذلك رأى يراه، ولم يسمعه من أحد ، ولم تمض به سنة . قال : ثم عاودته بعد ذلك بحين ، قلت : ما « عدل ذلك صياماً » ؟ قال : إن أصاب ما عَدْله شاةٌ، قوِّمت طعاماً ، ثم صام مكان كل مدٍّ يوماً . قال : ولم أسأله: هذا رأى أو سنة مسنونة ؟

١٢٦٣١ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير في قوله عز وجل: « أو عدل ذلك صياماً » ، قال : يصوم ثلاثةَ أيام إلى عشرة أيام .

١٢٦٣٢ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن حماد : « أو عدل ذلك صياماً » ، من الجزاء، إذا لم يجد ما يشترى به هدياً، أو ما يتصدق به مما لا يبلُغ ثمنَ هدى ، حكم عليه الصيامُ مكان كل نصفِ صاعٍ يومًا .

١٢٦٣٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « أو عدل ذلك صياماً » ، قال : إذا قتل المحرم شيئاً من الصيد، حكم عليه فيه . فإن قتل ظبياً أو نحوه ، فعليه شاة تذبح بمكة . فإن لم يجد ، فإطعام ستة مساكين. فإن لم يجد

وكان الفراغ منه في شهر ربيع الآخر سنة خمس عشرة وسبعمئة » .

ثم يليه في أول الجزء التاسع ما نصه :

« بسْم الله الرَّحمن الرحِيمِ

رَبِّ يَسِّرْ

بقية تفسير : « أوْ عَدْلُ ذلك صِيَاماً » .

(١) في المطبوعة : « يؤخذ » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو الصواب . ومعنى قوله : « يأخذ » هنا ، يعني به، يقيس ذلك بكفارة المواقع أهله في نهار رمضان ، وبكفارة الظهار .

فصيام ثلاثة أيام . وإن قتل أيّلا أو نحوه، فعليه بقرة . فإن لم يجدها أطعم عشرين مسكيناً . فإن لم يجد ، إصام عشرين يوماً . وإن قتل نعامةً أو حمارَ وحش أو نحوه، فعليه بدنة من الإبل . فإن لم يجد، أطعم ثلاثين مسكيناً . فإن لم يجد، صام ثلاثين يوماً . والطعام : مدٌّ مدٌّ، شِبَعَهم .(١)

١٢٦٣٤ – حدثنا ابن البرقى قال، حدثنا عمرو بن أبى سلمة، عن سعيد : [وسألته] عن المحرِم يصيب الصيد،(٢) فيكون عليه الفدية، شاة أو البقرة أو البدنة . فلا يجد ،(٣) فما عدل ذلك من الصيام أو الصدقة ؟ قال : ثمن ذلك ، فإن لم يجد ثمنه، قوّم ثمنه طعاماً يتصدق به لكل مسكين مُدّ، ثم يصومُ بكُلّ مدٍّ يوماً.(٤)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ﴾

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : أوجبت على قاتل الصيد محرماً ما أوجبت من الجزاء والكفارة الذى ذكرت فى هذه الآية ،(٥) كى يذوق وبال أمره وعذابه .

* * *

يعنى : «بأمره»، ذنبه وفعله الذى فعله من قتله ما نهاه الله عز وجل عن قتله فى حال إحرامه .

* * *

(١) الأثر : ١٢٦٣٣ – مضى هذا الأثر برقم : ١٢٦٠٠ ، وفيه «شبعهم» بغير واو . وفى المخطوطة هنا «وشبعهم» بالواو ، والجيد حذف الواو . وفى المطبوعة هنا غيرها كما غيرها فى الموضع السالف وكتب : «يشبعهم» .

(٢) فى المطبوعة : «عن سعيد : المحرم . . .» ، وفى المخطوطة : «عن سعيد : عن المحرم» ، فظاهر أنه سقط من الناسخ قوله : «وسألته» ، كما أثبتها بين القوسين ، وهو حق السياق كما ترى . والذى حذفه الناشر «عن» ، حذف مفسد للكلام .

(٣) فى المطبوعة : «. . . أو البدنة ، فإن لم يجد ، فما عدل ذلك . . .» ، وهو تغيير فاسد جداً ، أداه إليه التصرف المعيب ، كما رأيت فى التعليق السالف .

(٤) فى المطبوعة : «لكل مد» باللام ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٥) فى المطبوعة : «ما أوجبت من الحق أو الكفارة» ، وهو كلام لا معنى له ، وفى المخطوطة : «ما أوجبت من الحق أو الكفاره» غير منقوطة ، وهذا صواب قراءتها كما أثبته .

يقول : فألزمته الكفارة التى ألزمته إياها ، لأذيقه عقوبة ذنبه ، بإلزامه الغرامة والعمل ببدنه مما يتعبه ويشق عليه .(١)

* * *

وأصل «الوبال» ، الشدّة فى المكروه ، ومنه قول الله عز وجل : ﴿ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴾ [سورة المزمل : ١٦] .

* * *

وقد بيّن تعالى ذكره بقوله : « ليذوق وبالَ أمره » ، أنّ الكفاراتِ اللازمةَ الأموالَ والأبدانَ ، عقوباتٌ منه لخلقه ، وإن كانت تمحيصاً لهم ، وكفارةً لذنوبهم التى كفّروها بها .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٦٣٥ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أما « وبال أمره » ، فعقوبة أمره .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ﴾

قال أبو جعفر : يقول جل من قائل لعباده المؤمنين به وبرسوله صلى الله عليه وسلم : عفا الله ، أيها المؤمنون ، عمّا سلف منكم فى جاهليتكم ، من إصابتكم الصيد وأنتم حُرُم ، وقتلِكموه ، فلا يؤاخذكم بما كان منكم فى ذلك قبل تحريمه إياه عليكم ، ولا يلزمكم له كفارةٌ فى مال ولا نفس . ولكن من عاد منكم لقتله وهو محرم ،

---

(١) انظر تفسير « ذاق » فيما سلف ٧ : ٩٦ ، ٤٤٦ ، ٨/٤٥٢ : ٤٨٧ .

بعد تحريمه بالمعنى الذى كان يَقْتُله فى حال كفره، وقبل تحريمه عليه ، من استحلاله قتلَه ، فينتقم الله منه .[١]

* * *

وقد يحتمل أن يكون معناه :[٢] من عاد لقتله بعد تحريمه فى الإسلام ، فينتقم الله منه فى الآخرة. فأما فى الدنيا ، فإن عليه من الجزاء والكفّارة فيها ما بيّنت.

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم نحو الذى قلنا فيه .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٦٣٦ — حدثنا هناد قال، حدثنا ابن أبى زائدة قال، أخبرنا ابن جريج قال ، قلت لعطاء : ما « عفا الله عما سلف » ؟ قال : عما كان فى الجاهلية . قال قلت : ما « ومن عاد فينتقم الله منه » ؟ قال : من عاد فى الإسلام ، فينتقم الله منه . ٣٩/٧
وعليه مع ذلك الكفارة .

١٢٦٣٧ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا أبو عاصم قال، أخبرنا ابن جريج قال، قلت لعطاء، فذكر نحوه = وزاد فيه، وقال : وإن عاد فقتل، عليه الكفارة. قلت : هل فى العَوْد من حدٍّ يعلم ؟ قال : لا ، قلت : فترى حقًّا على الإمام أن يعاقبه ؟ قال : هو ذنب أذنبه فيما بينه وبين الله ، ولكن يفتدى .

١٢٦٣٨ — حدثنا سفيان قال، حدثنا محمد بن بكر وأبو خالد، عن ابن جريج ، عن عطاء : « ومن عاد فينتقم الله منه » ، قال : فى الإسلام ، وعليه مع ذلك الكفارة . قلت : عليه من الإمام عقوبة ؟ قال : لا .[٣]

---

(١) انظر تفسير « عفا » فيما سلف من فهارس اللغة = وتفسير « سلف » فيما سلف ٦ : ٨/١٤ : ١٣٧ ، ١٥٠ .

(٢) فى المطبوعة : « أن يكون ذلك معناه » ، زاد « ذلك » ليهلك العبارة ! ! وليست فى المخطوطة .

(٣) الأثر : ١٢٦٣٨ — « سفيان » هو : « سفيان بن وكيع » . مضى مراراً .

١٢٦٣٩ – حدثنا هناد قال ، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي = عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء : « عفا الله عما سلف » ، عمّا كان في الجاهلية = « ومن عاد » ، قال : في الإسلام = « فينتقم الله منه » ، وعليه الكفارة . قال قلت لعطاء : فعليه من الإمام عقوبة ؟ قال : لا .

١٢٦٤٠ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء قال : يحكم عليه في الخطأ والعمد والنسيان ، وكلّما أصاب ، قال الله عز وجل : « عفا الله عما سلف » ، قال : ما كان في الجاهلية = « ومن عاد فينتقم الله منه » ، مع الكفارة = قال سفيان ، قال ابن جريج : فقلت : أيعاقبه السلطان ؟ قال : لا .

١٢٦٤١ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا محمد بن بكر وأبو خالد ، عن ابن جريج قال ، قلت لعطاء : « عفا الله عما سلف » ، قال : عما كان في الجاهلية .

١٢٦٤٢ – حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن عطاء ابن أبي رباح أنه قال : يحكم عليه كلّما عاد .

١٢٦٤٣ – حدثنا هناد قال ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد قال : كلّما أصاب المحرم الصيد ناسياً حُكِم عليه .

١٢٦٤٤ – حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي قال ، حدثنا فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن إبراهيم قال : كلّما أصاب الصيدَ المحرمُ حُكِم عليه .

١٢٦٤٥ – حدثنا عمرو بن علي قال ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن عطاء قال : من قتل الصيد ثم عاد ، حكم عليه .

١٢٦٤٦ – حدثنا عمرو قال ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن داود بن أبي هند ، عن سعيد بن جبير قال : يحكم عليه ، أفيُخْلَع ! أفيُتْرك ! .[1]

و « محمد بن بكر بن عثمان البرساني » ، مضى برقم : ٥٤٣٨ .

و « أبو خالد » هو الأحمر ، « سليمان بن حيان الأزدي » ، مضى برقم : ٣٩٥٦ .

(١) في المطبوعة : « فيخلع أو يترك » ، فأفسد معنى الكلام إفساداً ، والصواب من المخطوطة . وهذا الاستفهام تعجب ممن سأله : « أيحكم عليه كلما عاد » ، فأجابه بذلك ، تأكيداً للحكم عليه

١٢٦٤٧ – حدثنا عمرو قال ، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا داود بن أبي هند ، عن سعيد بن جبير : الذى يصيب الصيد وهو محرم فيحكم عليه ثم يعود ؟ قال : يحكم عليه .

١٢٦٤٨ – حدثنا عمرو قال، حدثنا كثير بن هشام قال، حدثنا الفرات ابن سلمان ، عن عبد الكريم ، عن عطاء قال : يحكم عليه كلّما عاد .(١)

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : عفا الله عما سلف منكم فى ذلك فى الجاهلية، ومن عاد فى الإسلام فينتقم الله منه، بإلزامه الكفّارة .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٦٤٩ – حدثنى ابن البرقى قال، حدثنا عمرو ، عن زهير ، عن سعيد ابن جبير وعطاء فى قول الله تعالى ذكره : « ومن عاد فينتقم الله منه » ، قالا : « ينتقم الله » ، يعنى بالجزاء = « عفا الله عما سلف » ، فى الجاهلية .

* * *

وقال آخرون فى ذلك : عفا الله عما سلف من قتل من قتلَ منكم الصيدَ حراماً فى أول مرة . ومن عاد ثانية لقتله بعد أولى حراماً، فاللهُ ولىُّ الانتقام منه ، دون كفارة تلزمه لقتله إياه .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٦٥٠ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى

كلما قتل الصيد . يعنى أن العائد عليه الحكم فى كل مرة ! وإلا لأصبح مخلوعاً متروكاً يفعل بعد ذلك ما شاء فى قتله الصيد وهو محرم . وانظر الأثر الآتى رقم : ١٢٦٥٢ .

(١) الأثر : ١٢٦٤٨ – « كثير بن هشام الكلابى » ، أبو سهل الرقى . نزل بغداد ، روى عنه أحمد ، وإسحق ، وابن معين ، ومحمد بن بشار بندار ، وغيرهم . مترجم فى التهذيب . والكبير للبخارى ٢١٨/١/٤ ، وابن أبى حاتم ١٥٨/٢/٣ .

و « الفرات بن سلمان الحضرمى الجزرى الرقى » ، قال أبو حاتم : « لا بأس به ، محله الصدق ، صالح الحديث » . مترجم فى تعجيل المنفعة : ٣٣١ . والبخارى فى الكبير ١٢٩/١/٤ ، ولم يذكر فيه جرحاً ، وابن أبى حاتم ٨٠/٢/٣ . وكان فى المطبوعة : « بن سليمان » ، والصواب من المخطوطة .

ثم انظر إسناد الأثر التالى رقم : ١٢٦٦٣ .

معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : من قتل شيئاً من الصيد خطأ وهو محرم ، حكم عليه فيه مرة واحدة . فإن عاد يقال له : « ينتقم الله منك » ، كما قال الله عز وجل .

١٢٦٥١ — حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعى قال، حدثنا فضيل بن عياض، عن هشام، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : إذا أصاب المحرمُ الصيدَ حُكم عليه . فإن عاد، لم يحكم عليه، وكان ذلك إلى الله عز وجل : إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه . ثم قرأ هذه الآية : « ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام » .

١٢٦٥٢ — حدثنا هناد قال، حدثنا يحيى بن أبى زائدة قال، حدثنا داود، عن عامر قال : جاء رجل إلى شريح فقال : إنى أصبت صيداً وأنا محرم ! فقال : هل أصبت قبل ذلك شيئاً؟ قال: لا . قال: لو قلت « نعم »، وكلتك إلى الله يكون هو ينتقم منك ، إنه عزيز ذو انتقام ! قال داود : فذكرت ذلك لسَعيد بن جبير فقال : بل يحكم عليه ، أفَيخْلَع ! [1]

١٢٦٥٣ — حدثنى أبو السائب وعمرو بن على قالا ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم قال : إذا أصابَ الرجلُ الصيدَ وهو محرم قيل له : ٤٠/٧ أصبت صيداً قبل هذا؟[2] فإن قال : «نعم»، قيل له: اذهب فينتقم الله منك! وإن قال : « لا » ، حكم عليه .

١٢٦٥٤ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا ابن أبى عدى، عن شعبة ، عن سليمان ، عن إبراهيم، فى الذى يقتل الصيد ثم يعود ، قال : كانوا يقولون : من عاد لا يحكم عليه ، أمرُه إلى الله عز وجل .

١٢٦٥٥ — حدثنا عمرو قال، حدثنا ابن عيينة، عن داود بن أبى هند ،

---

(١) فى المطبوعة : « أو يخلع » غير ما فى المخطوطة بلا طائل ، والصواب ما أثبت من المخطوطة، وانظر ما فعله فى خاتمة الأثر رقم : ١٢٦٤٦ ، والتعليق عليه ص ٤٩ . رقم : ١ .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « مثل هذا » ، وهو خطأ ، صوابه ما أثبت .

عن الشعبي : أن رجلاً أتى شريحاً فقال : أصبت صيداً ؟ ، قال : أصبت قبله صيداً ؟ قال : لا. قال : أما إنك لو قلت « نعم »، لم أحكم عليك .

١٢٦٥٦ — حدثنا عمرو قال، حدثنا ابن أبي عدى قال، حدثنا داود ، عن الشعبي ، عن شريح ، مثله .

١٢٦٥٧ — حدثنا عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن الأشعث، عن محمد، عن شريح ، فى الذى يصيب الصيد قال : يحكم عليه ، فإن عاد انتقمَ الله منه .

١٢٦٥٨ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكّام بن سلم، عن عنبسة ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير : « ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثلُ ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم » ، قال : يحكم عليه فى العمد مرة واحدة ، فإن عاد لم يحكم عليه ، وقيل له : « اذهب ينتقم الله منك » ، ويحكم عليه فى الخطأ أبداً .

١٢٦٥٩ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن خصيف، عن سعيد بن جبير قال : رُخّص فى قتل الصيد مرة ، فمن عاد لم يدعه الله تعالى ذكره حتى ينتقم منه .

١٢٦٦٠ — حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن سعيد بن جبير ، مثله .

١٢٦٦١ — حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا يحيى بن سعيد وابن أبى عدى ، جميعاً عن هشام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فيمن أصاب صيداً فحكم عليه ، ثم عاد ، قال : لا يحكم ، ينتقم الله منه .

١٢٦٦٢ — حدثنا عمرو قال، حدثنا ابن عيينة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : إنما قال الله عز وجل : « ومن قتله منكم متعمداً » ، يقول : متعمداً لقتله ، ناسياً لإحرامه ، فذلك الذى يحكم عليه . فإن عاد لا يحكم عليه ، وقيل له : « ينتقم الله منك » .

١٢٦٦٣ — حدثنا عمرو قال، حدثنا كثير بن هشام قال، حدثنا الفرات

ابن سلمان، عن عبد الكريم ، عن مجاهد : إن عاد لم يحكم عليه ، وقيل له : « ينتقم الله منك » . (١)

١٢٦٦٤ – حدثنا عمرو قال ، حدثنا يحيى بن سعيد قال ، حدثنا الأشعث ، عن الحسن ، فى الذى يصيب الصيد فيحكم عليه ثم يعود ، قال : لا يحكم عليه .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : عفا الله عما سلف من قتلكم الصيد قبل تحريم الله تعالى ذكره ذلك عليكم . ومن عاد لقتله بعد تحريم الله إياه عليه ، عالماً بتحريمه ذلك عليه ، عامداً لقتله ، ذاكراً لإحرامه ، فإن الله هو المنتقم منه ، ولا كفارة لذنبه ذلك ، ولا جزاء يلزمه له فى الدنيا .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٦٦٥ – حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ومن عاد فينتقم الله منه »، قال : من عاد بعد نهى الله – بعد أن يعرف أنه محرَّم ، وأنه ذاكرٌ لِحُرْمه (٢) – لم ينبغ لأحد أن يحكم عليه ، ووكلوه إلى نقمة الله عز وجل . فأما الذى يتعمد قتلَ الصيد وهو ناس لحرمه ، أو جاهل أنّ قتله محرَّم ، فهؤلاء الذين يحكم عليهم . فأما من قتله متعمداً بعد نهى الله ، وهو يعرف أنه محرَّم، وأنه حرَام ، (٣) فذلك يوكل إلى نقمة الله ، فذلك الذى جعل الله عليه النقمة .

* * *

وهذا شبيه بقول مجاهد الذى ذكرناه قبل . (٤)

* * *

---

(١) الأثر : ١٢٦٦٣ – « كثير بن هشام الكلابى » ، و « الفرات بن سلمان الجزرى » ، مضيا قريباً برقم : ١٢٦٤٨ ، وكان فى المطبوعة هنا أيضاً « الفرات بن سليمان » ، وهو خطأ ، صوابه ما فى المخطوطة .

(٢) « الحرم » (بضم الحاء وسكون الراء) : الإحرام ، وقد سلف شرحه .

(٣) « حرام » ، أى : محرم .

(٤) يعنى ما سلف رقم : ١٢٦٦٢ .

* * *

وقال آخرون : عُنِي بذلك شخصٌ بعينه .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٦٦٦ – حدثنا عمرو بن على قال ، حدثنا معتمر بن سليمان قال ، حدثنا زيد أبو المعلى : أن رجلاً أصاب صيداً وهو محرم، فتجوُّز له عنة . ثم عاد، فأرسل الله عليه ناراً فأحرقته، فذلك قوله : « ومن عاد فينتقم الله منه »، قال : فى الإسلام .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب عندنا ، قولُ من قال : معناه : « ومن عاد فى الإسلام لقتله بعد نهى الله تعالى ذكره عنه ، فينتقم الله منه، وعليه مع ذلك الكفارة » ، لأن الله عز وجل إذْ أخبر أنه ينتقم منه ، لم يخبرنا = وقد أوجب عليه فى قتله الصيد عمداً ما أوجب من الجزاء أو الكفارة بقوله : « ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثلُ ما قتل من النعم » = أنه قد أزال عنه الكفارة فى المرة الثانية والثالثة ، بل أعلم عبادَه ما أوجبَ من الحكم على قاتل الصيد من المحرمين عمداً ، ثم أخبر أنه منتقم ممن عاد ، ولم يقل : « ولا كفارة عليه فى الدنيا » .

* * *

فإن ظن ظانّ أن الكفارة مزيلةٌ العقابَ ،(٢) ولو كانت الكفارةُ لازمةً له فى الدنيا ، لبطلَ العقاب فى الآخرة ، فقد ظنّ خطأً . وذلك أن لله عز وجلّ ٤١/٧ أن يخالف بين عقوبات معاصيه بما شاء وأحب ، فيزيد فى عقوبته على بعض معاصيه مما ينقصُ من بعض ، وينقص من بعض مما يزيد فى بعض ، كالذى فعل من ذلك فى مخالفته بين عقوبته الزانىَ البكرَ والزانىَ الثيِّبَ المحصن ، وبين سارق

(١) الأثر : ١٢٦٦٦ – « زيد » « أبو المعلى » ، مترجم فى « زيد بن مرة » ، و « زيد بن أبى ليلى » ، « أبو المعلى » ، مولى بنى العدوية . قال أبو حاتم : « صالح الحديث » ، وقال أبو داود الطيالسى : « وكان ثقة » . مترجم فى لسان الميزان ٢ : ٥١١ ، والكبير للبخارى ٢/١/٣٧٠ ، وعلق عليه ناشر التاريخ . تعليقاً وافياً ، وابن أبى حاتم ١/٢/٥٧٣ .

(٢) فى المطبوعة : « مزيلة للعقاب » بزيادة اللام ، وهو تغيير لعبارة أبى جعفر فى المخطوطة . وقوله : « العقاب » منصوب مفعول به لقوله : « مزيلة » .

ربع دينار وبين سارق أقلّ من ذلك . فكذلك خالف بين عقوبته قاتلَ الصيد من المحرمين عمداً ابتداءً ، وبين عقوبته عَوْداً بعد بدء . فأوجب على البادئ المثلَ من النعم ، أو الكفارة بالإطعام أو العدل من الصيام ، وجعل ذلك عقوبة جُرْمه بقوله : « ليذوق وبال أمره » ، وجعل على العائد بعد البدء ، وزاده من عقوبته ما أخبر عبادَه أنه فاعل به من الانتقام، تغليظاً منه عز وجل للعود بعد البدء. ولو كانت عقوباته على الأشياء متفقة ، لوجب أن لا يكون حدٌّ فى شىء ، مخالفاً حداً فى غيره ، ولا عقابٌ فى الآخرة، أغلظ من عقابٍ . وذلك خلاف ما جاء به محكم الفرقان .

* * *

وقد زعم بعض الزاعمين أن معنى ذلك : ومن عاد فى الإسلام بعد نَهْى الله عن قتله = لقتله بالمعنى الذى كان القوم يقتلونه فى جاهليتهم ، فعفا لهم عنه عند تحريم قتله عليهم، وذلك قتله على استحلال قتله. قال : فأما إذا قتله على غير ذلك الوجه = وذلك أن يقتله على وجه الفسوق لا على وجه الاستحلال = فعليه الجزاء والكفارة كلّما عاد .

وهذا قول لا نعلم قائلاً قاله من أهل التأويل . وكفى خطأ بقوله ، خروجه عن أقوال أهل العلم ، لو لم يكن على خطئه دلالة سواه ، فكيف وظاهر التنزيل ينبئ عن فساده ؟ وذلك أن الله عز وجل عمّ بقوله : « ومن عاد فينتقم الله منه » ، كلَّ عائد لقتل الصيد بالمعنى الذى تقدم النهى منه به فى أوّل الآية ، ولم يخصّ به عائداً منهم دون عائد . فمن ادّعى فى التنزيل ما ليس فى ظاهره ، كُلِّف البرهانَ على دعواه من الوجه الذى يجب التسليمُ له .

* * *

وأما من زعم أن معنى ذلك : ومن عاد فى قتله متعمداً بعد بدء لقتل تقدم منه فى حال إحرامه ، فينتقم الله منه، كان معنى قوله[1] : « عفا الله عما سلف » ،

(١) فى المطبوعة : « فإن معنى قوله » ، وهو خطأ فى قراءة المخطوطة ، وإفساد للسياق والمعنى جميعاً.

إنما هو : عفا الله عما سلف من ذنبه بقتله الصيد بدءًا =[1] فإنّ في قول الله تعالى ذكره : « ليذوق وبال أمره » ، دليلاً واضحاً على أن القول في ذلك غير ما قال ، لأن العفو عن الجرم : تركُ المؤاخذة به. ومن أذيق وبال جرمه ، فقد عوقب به . وغير جائز أن يقال لمن عوقب : « قد عفى عنه » . وخبر الله عز وجل أصدق من أن يقع فيه تناقض .

* * *

فإن قال قائل : وما تنكر أن يكون قاتل الصيد من المحرمين في أوّل مرّة ، قد أذيق وبال أمره بما ألزم من الجزاء والكفارة ، وعفى له من العقوبة بأكثر من ذلك مما كان لله عز وجل أن يعاقبه به ؟

قيل له : فإن كان ذلك جائزاً أن يكون تأويلَ الآية عندك = وإن كان مخالفاً لقول أهل التأويل = فما تُنكر أن يكون الانتقام الذى أوعده الله تعالى ذكره على العود بعد البدء هو تلك الزيادة التي عفاها عنه في أول مرة ،[2] مما كان له فعله به مع الذى أذاقه من وبال أمره، فيذيقه في عوده بعد البدء وبالَ أمره الذي أذاقه المرة الأولى = ويترك عفوَه عما عفا عنه في البدء ، فيؤاخذه به ؟ فلن يقول في ذلك شيئاً إلا ألزم في الآخر مثله .[3]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ (٩٥)

قال أبو جعفر : يقول عز وجل : والله منيعٌ في سلطانه ، لا يقهره قاهرٌ ، ولا يمنعه من الانتقام ممن انتقم منه ، ولا من عقوبة من أراد عقوبته ، مانع . لأن

---

(١) قوله : « فإن قول الله . . . » ، جواب قوله : « فأما من زعم . . . » .

(٢) يقال : « عفا له ذنبه » ، متعدياً ، و « عفا له عن ذنبه » لازماً .

(٣) في المطبوعة : « فلم يقل في ذلك شيئاً » ، وفي المخطوطة : « فلم يقول . . . » ، وصواب قراءتها ما أثبت .

الخلق خلقه ، والأمر أمره ، له العزة المَنَعة . (١)

وأما قوله : « ذو انتقام » ، فإنه يعنى به معاقبتَه لمن عصاه على معصيته إياه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « أحل لكم » ، أيها المؤمنون ، « صيد البحر » = وهو ما صيد طريًّا ، كما : —

١٢٦٦٧ — حدثنى يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عمر بن أبى سلمة ، عن أبيه ، عن أبى هريرة قال : قال عمر بن الخطاب فى قوله : « أحل لكم صيد البحر » ، قال : صيده ، ما صيد منه . (٢)

١٢٦٦٨ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن سماك قال ، حُدِّثت عن ابن عباس قال : خطب أبو بكر الناس فقال : « أحل لكم صيد البحر » ، قال : فصيده ما أخذ . (٣)

١٢٦٦٩ — حدثنى يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى قوله : « أحل لكم صيد البحر » ، قال : صيده ، ما صيد منه . (٤) ٤٢/٧

١٢٦٧٠ — حدثنا سليمان بن عمر بن خالد الرقىّ قال ، حدثنا محمد بن سلمة

---

(١) انظر تفسير « عزيز » فيما سلف ١٠ : ٢٨٩ ، تعليق ١ ، والمراجع هناك .

(٢) الأثر : ١٢٦٦٧ — « عمر بن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف » ، مضى برقم : ٣٩١١ ، قال ابن سعد : « كان كثير الحديث ، وليس يحتج بحديثه » . وقال شعبة : « أحاديثه واهية » . وقد مضى الكلام فيه . وكان فى المخطوطة هنا « عمرو بن أبى سلمة » ، وهو خطأ ، سيأتى على الصواب فى رقم : ١٢٦٨٧ ، فى المخطوطة .

وأبوه : « أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف » ، مضى برقم : ٨ ، ٦٧ ، ٣٠١٥ ، ٨٣٩٤ ، ثقة . وهذا الخبر ، مختصر الخبر الآتى رقم : ١٢٦٨٧ ، وسيأتى تخريجه هناك .

(٣) الأثر : ١٢٦٦٨ — سيأتى هذا الخبر بنفس هذا الإسناد ، بغير هذا اللفظ ، برقم ١٢٦٨٦ .

(٤) الأثر : ١٢٦٦٩ — رواه البيهقى فى السنن ٩ : ٢٥٥ ، من طريق خلف بن خليفة ، عن حصين ، مطولا بنحوه .

الحرّانى ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قوله ، « أحل لكم صيد البحر » ، قال : صيده ، الطرىّ .(١)

١٢٦٧١ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا الهذيل بن بلال قال ، حدثنا عبد الله بن عبيد بن عمير ، عن ابن عباس فى قوله : « أحل لكم صيد البحر »، قال : صيدهُ ، ما صِيد .(٢)

١٢٦٧٢ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى،عن أبيه،عن ابن عباس : « أحل لكم صيد البحر »، قال :الطرىّ .

١٢٦٧٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا الحسن بن على الحنفىّ = أو : الحسين ، شاك أبو جعفر = عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، قال : كان ابن عباس يقول : صيد البحر ، ما اصطاده .(٣)

---

(١) الأثر : ١٢٦٧٠ – « سليمان بن عمر بن خالد الرقى القرشى » ، الأقطع . مضى برقم : ٦٢٥٤ .

وكان فى المطبوعة : « البرق » ، وهو خطأ محض .

و « محمد بن سلمة الحرانى الباهلى » ، ثقة، مضى برقم : ١٧٥ .

(٢) الأثر : ١٢٦٧١ – « هذيل بن بلال الفزارى المدائنى » ، « أبو البهلول » . ضعيف ، قال ابن معين « ليس بشىء » . وقال أبو زرعة : « هو لين ، ليس بالقوى » . وقال ابن حبان : « يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل ، فصار متروكاً » . وقال ابن سعد : « كان ضعيفاً » . ولكن قال أبو حاتم : « محله الصدق ، يكتب حديثه » . وضعفه النسائى والدارقطنى . مترجم فى الكبير ٢٤٥/٢/٤ ، ولم يذكر فيه جرحاً ، وابن أبى حاتم ١١٣/٢/٤ ، وفى تعجيل المنفعة : ٤٣٠ ، ولسان الميزان ٦ : ١٩٢ ، وميزان الاعتدال ٣ : ٢٥١ . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « هذيل ابن هلال » بالهاء ، وهو خطأ محض . وسيأتى على الصواب فى المخطوطة : « بلال » فى رقم : ١٢٦٩٣ ، ولكن الناشر سيغيره هناك إلى « هلال » خطأ أيضاً .

و « عبد الله بن عبيد بن عمير بن قتادة الليثى الجندعى » ، روى عن أبيه ، وقيل لم يسمع منه . وروى عن عائشة ، وابن عباس ، وابن عمر . روى عنه « هذيل بن بلال » ، وجرير بن حازم ، وابن جريج ، والأوزاعى ، وعكرمة بن عمار ، وغيرهم . ثقة . وكان مستجاب الدعوة . مترجم فى التهذيب .

(٣) الأثر : ١٢٦٧٣ – « الحسن بن على الحنفى » ، أو « الحسين بن على الحنفى » ، لم أجد لأحدهما ترجمة فى المراجع التى بين يدى . وكان فى المطبوعة : « الجعفى » ، وهو تغيير بلا هدى . فإن « الجعفى » ، هو « الحسين بن على الجعفى » ، مضى مراراً كثيرة ، وهو أجل من أن يشك فى اسمه أبو جعفر أو سفيان بن وكيع . ثم انظر الأثر التالى رقم : ١٢٦٩٢ .

١٢٦٧٤ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير : « أحل لكم صيد البحر » ، قال : الطريّ .

١٢٦٧٥ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن عنبسة، عن الحجاج، عن العلاء بن بدر، عن أبي سلمة قال : « صيد البحر » ، ما صيد .(١)

١٢٦٧٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير : « أحل لكم صيد البحر » ، قال : الطريّ .

١٢٦٧٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن سفيان ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، مثله .

١٢٦٧٨ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال، حدثنا سفيان ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير : « أحل لكم صيد البحر » ، قال : السمك الطريّ .

١٢٦٧٩ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط، عن السدى : « أحل لكم صيد البحر »، أما « صيد البحر »، فهو السمك الطريّ ، هى الحيتان .

١٢٦٨٠ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو سفيان ، عن معمر، عن الزهرى، عن سعيد بن المسيب قال : صيده ، ما اصطدته طريًّا – قال معمر ، وقال قتادة : صيده ، ما اصطدته .(٢)

١٢٦٨١ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قول الله تعالى ذكره : « أحل لكم صيد البحر » ، قال : حيتانه .

---

(١) الأثر : ١٢٦٧٥ – « العلاء بن بدر» ، نسب إلى جده ، وهو : « العلاء بن عبد الله ابن بدر الغنوى » ، مضى برقم : ٧٩٣٩ .

(٢) الأثر : ١٢٦٨٠ – « أبو سفيان » ، هو « أبو سفيان المعمرى » ، « محمد بن حميد الرشكرى » . مضى برقم : ١٧٨٧ ، ٨٨٢٩ .

١٢٦٨٢ – حدثنا ابن البرقى قال، حدثنا عمرو بن أبى سلمة قال : سئل سعيد عن صيد البحر فقال ، قال مكحول ، قال زيد بن ثابت : صيده ، ما اصطدت . (١)

١٢٦٨٣ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد فى قوله : « أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة » ، قال : يصطاد المحرِم والمحلُّ من البحر ، ويأكلُ من صيده .

١٢٦٨٤ – حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال، حدثنا ابن عيينة، عن عمرو ، عن عكرمة قال : قال أبو بكر : طعام البحر كلُّ ما فيه = وقال جابر بن عبد الله: ما حَسر عنه فكُلْ . وقال : كلّ ما فيه = يعنى جميع ما صيدَ .

١٢٦٨٥ – حدثنا سعيد بن الربيع قال، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، سمع عكرمة يقول : قال أبو بكر : « وطعامه متاعاً لكم وللسيارة » ، قال : هو كل ما فيه .

* * *

وعنى بـ « البحر » ، فى هذا الموضع ، الأنهار كلها . والعرب تسمى الأنهار « بحاراً » ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ . (٣)

* * *

---

(١) الأثر : ١٢٦٨٢ – « عمرو بن أبى سلمة التنيسى » ، مضى برقم : ٣٩٩٧ ، ٥٢٣٠ ، ٥٤٤٤ ، ٦٦٢٨ ، وكان فى المطبوعة هنا « عمر بن أبى سلمة » ، وهو خطأ ، ذاك أقدم من هذا (انظر ما مضى رقم : ١٢٦٦٧) . والصواب من المخطوطة .

و « سعيد » هذا ، هو « سعيد بن عبد العزيز بن أبى يحيى التنوخى » ، مضى رقم : ٦٥٢٩ ، ٨٩٦٦ ، ٩٠٧١ . ومضى أيضاً فى الأثر : ٣٩٧٧ ، غير مترجم ، فى مثل هذا الإسناد .

وهذا الخبر أخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٢٣٢ ، ولم ينسبه لغير الطبرى . .

(٢) الأثر : ١٢٦٨٤ – خرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٢٣٢ ، ولم ينسبه لغير الطبرى . . .

(٣) مضى ذكر « البحر » فى سورة البقرة : ٥٠ (٢ : ٥٠) ، ولم يشرح هذا الحرف هناك . وهذا من وجوه اختصار تفسيره . ولكن جاء تفسير « البحر » فى الأثر السالف رقم : ٣٩٨٥ ، بغير هذا المعنى ، فانظره .

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام: أحل لكم، أيها المؤمنون، طرىّ سمك الأنهار الذى صدتموه فى حال حِلّكم وحَرَمكم ، وما لم تصيدوه من طعامه الذى قتله ثم رَمى به إلى ساحله .

* * *

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله : « وطعامه » .

فقال بعضهم : عنى بذلك : ما قذف به إلى ساحله ميتاً ، ، نحو الذى قلنا فى ذلك .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٦٨٦ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن سماك قال ، حدثت عن ابن عباس قال : خطب أبو بكر الناس فقال : « أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم » ، وطعامه ، ما قَذَف .[1]

١٢٦٨٧ – حدثنى يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عمر بن أبى سلمة ، عن أبيه ، عن أبى هريرة قال : كنت بالبحرين ، فسألونى عما قذف البحر. قال : فأفيتهم أن يأكلوا . فلما قدمتُ على عمر بن الخطاب رحمه الله ، ذكرت ذلك له ، فقال لى : بم أفيتهم ؟ [2] قال ، قلت : أفيتهم أن يأكلوا ؟ قال : لو أفتيتهم بغير ذلك لعلوتك بالدِّرَّة ! قال : ثم قال : إن الله تعالى قال فى كتابه : « أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم » ، فصيده ، ما صيد منه = وطعامه ، ما قَذَف .[3]

---

(١) الأثر : ١٢٦٨٦ – مضى بهذا الإسناد بغير هذا اللفظ فيما سلف رقم : ١٢٦٦٨ . وهذا الخبر نقله ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٢٤٢ ، والسيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٣٣١ ، وزاد نسبته لعبد بن حميد .

(٢) فى المخطوطة : « بما أفتيتهم » ، وهو الأصل ، وهو صواب .

(٣) الأثر : ١٢٦٨٧ – مضى مختصراً بهذا الإسناد رقم : ١٢٦٦٧ . وذكرت هناك ما قالوه فى ضعف « عمر بن أبى سلمة » .

وهذا الخبر ، رواه البيهقى فى السنن الكبرى ٩ : ٢٥٤ ، من طريق سعيد بن منصور ، عن

١٢٦٨٨ – حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم » ، قال : طعامه ما قَذَف .

٧ / ٤٣ ١٢٦٨٩ – حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن سليمان التيمي ، عن أبي مجلز ، عن ابن عباس في قوله : «أحل لكم صيد البحر وطعامه » ، قال : طعامه ما قذف .

١٢٦٩٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن سليمان التيمي ، عن أبي مجلز ، عن ابن عباس ، مثله .

١٢٦٩١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حسين بن علي ، عن زائدة ، عن سماك ، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: « طعامه » ، كل ما ألقاه البحر.[1]

١٢٦٩٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا الحسن بن علي = أو : الحسين ابن علي الحنفي ، شك أبو جعفر = عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : «طعامه » ، ما لفظ من ميتته .[2]

١٢٦٩٣ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا الهذيل بن بلال قال ، حدثنا عبد الله بن عبيد بن عمير ، عن ابن عباس : « أحل لكم صيد البحر وطعامه » ، قال : « طعامه » ، ما وجد على الساحل ميتاً .[3]

أبي عوانة ، عن عمر بن أبي سلمة ، بنحوه .

وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٣٣١ ، وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور ، وعبد ابن حميد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ .

(١) الأثر : ١٢٦٩١ – «حسين بن علي بن الوليد الجعفي »، مضى مراراً ، منها رقم : ٢٩ ، ١٧٤ ، ٤٤١٥ ، ٧٢٨٧ ، ٧٤٩٩ . وهو غير الذي سيأتي بعده ، كما أشرت إليه في التعليق على الأثر رقم : ١٢٦٧٣ .

(٢) الأثر ١٢٦٩٢ – « الحسن بن علي الحنفي » ، أو « الحسين بن علي الحنفي » ، مضى الكلام عنه ، وإني لم أجده، فيما سلف رقم : ١٢٦٧٣ . وغيره هنا في المطبوعة وكتب « الجعفي » ، وهو هنا أيضاً في المخطوطة : « الحنفي » .

(٣) الأثر : ١٢٦٩٣ – « الهذيل بن بلال الفزاري المدائني » ، مضى برقم : ١٢٦٧١ ،

١٢٦٩٤ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن سليمان التيمى ، عن أبى مجلز ، عن ابن عباس قال : « طعامه » ، ما قذف به .

١٢٦٩٥ – حدثنا سعيد بن الربيع قال، حدثنا سفيان، عن عمرو ، سمع عكرمة يقول : قال أبو بكر رضى الله عنه : « وطعامه متاعاً لكم » ، قال : « طعامه » ، هو كل ما فيه .

١٢٦٩٦ – حدثنى محمد بن المثنى قال، حدثنا الضحاك بن مخلد ، عن ابن جريج قال ، أخبرنى عمرو بن دينار ، عن عكرمة مولى ابن عباس قال : قال أبو بكر : « وطعامه متاعاً لكم » ، قال : « طعامه » ، ميتته = قال عمرو : وسمعت أبا الشعثاء يقول[1] : ما كنت أحسب « طعامه » إلا مالحه .

١٢٦٩٧ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنى الضحاك بن مخلد ، عن ابن جريج قال ، أخبرنى أبو بكر بن حفص بن عمر بن سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قوله : « وطعامه متاعاً لكم » ، قال : « طعامه » ، ميتته .[2]

١٢٦٩٨ – حدثنا حميد بن مسعدة[3] قال، حدثنا يزيد بن زريع ، عن عثمان ، عن عكرمة : « وطعامه متاعاً لكم » ، قال : « طعامه » ، ما قذف .

١٢٦٩٩ – حدثنا ابن عبد الأعلى قال، حدثنا معمر بن سليمان قال ، سمعت عبيد الله ، عن نافع قال : جاء عبد الرحمن إلى عبد الله فقال : البحر قد ألقى حيتاناً كثيرة ؟ قال : فنهاه عن أكلها ، ثم قال : يانافع ، هات

وهو فى المخطوطة هنا « بلال » ، ولكن غيره الناشر فى المطبوعة ، فكتب : « هلال » ، وهو خطأ كما بينت هناك .

و « عبد الله بن عبيد بن عمير الليثى » ، مضى أيضاً برقم : ١٢٦٧١ .

(١) فى المطبوعة : « وسمع » ، وفى المخطوطة : « وسمعه » ، وصواب قراءتها ما أثبت كما سيأتى فى رقم : ١٢٧٠٢ .

(٢) الأثر : ١٢٦٩٧ – « أبو بكر بن حفص بن عمر بن سعد » ، اسمه « عبد الله ابن حفص» ثقة ، مضى برقم : ٣٠٣٥ .

(٣) فى المخطوطة : « جرير بن مسعدة » ، والصواب ما فى المطبوعة .

المصحف ! فأتيته به ، فقرأ هذه الآية : « أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم » ، قال، قلت : « طعامه » هو الذى ألقاه . قال : فالحقْهُ ، فمُرْهُ بأكله.(١)

١٢٧٠٠ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الوهاب قال، حدثنا أيوب ، عن نافع : أن عبد الرحمن بن أبى هريرة سأل ابن عمر فقال : إن البحر قذف حيتاناً كثيرة ميتة ، أفنأكلها ؟ قال : لا تأكلوها ! فلما رجع عبد الله إلى أهله أخذ المصحف فقرأ « سورة المائدة » ، فأتى على هذه الآية : « وطعامه متاعاً لكم وللسيارة » ، قال : اذهب فقل له فليأكله ، فإنه طعامه .(٢)

١٢٧٠١ — حدثنى يعقوب قال ، حدثنا ابن علية قال، أخبرنا أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، بنحوه .

١٢٧٠٢ — حدثنى المثنى قال، حدثنا الضحاك بن مخلد ، عن ابن جريج قال ، أخبرنى عمرو بن دينار ، عن عكرمة مولى ابن عباس قال ، قال أبو بكر رحمه الله : « وطعامه متاعاً لكم » ، قال : ميتته = قال عمرو : سمعت أبا الشعثاء يقول : ما كنت أحسب « طعامه » إلاّ مالحه .(٣)

١٢٧٠٣ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا الضحاك بن مخلد، عن ابن جريج قال ، أخبرنا نافع : أن عبد الرحمن بن أبى هريرة سأل ابن عمر عن حيتان كثيرة ألقاها البحر ، أميتة هى ؟ قال : نعم! فنهاه عنها ، ثم دخل البيت فدعا

---

(١) الأثر : ١٢٦٩٩ — « عبد الرحمن » هو : « عبد الرحمن بن أبى هريرة » ، و « عبد الله » هو « عبد الله بن عمر » . وسيأتى تخريجه فى الذى يليه .

(٢) الأثر : ١٢٧٠٠ — هو طريق أخرى للأثر السالف .

وهذا الخبر رواه مالك ، عن نافع ، بمثله فى الموطأ : ٤٩٤ . ورواه البيهقى عن مالك فى السنن الكبرى ٩ : ٢٥٥ . وسيأتى من طريق أخرى برقم : ١٢٧٠٣ .

ونقله ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٢٤٢ ، ولم يخرجه . وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٣٣٢ ، وقصر فى نسبته ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٣) الأثر : ١٢٧٠٢ — مضى هذا الأثر من رواية أبى جعفر عن « محمد بن المثنى » بمثل إسناده هنا رقم : ١٢٦٩٦ .

بالمصحف فقرأ تلك الآية: « أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم » ، قال : « طعامه » ، كل شيء أخرج منه، فكله، فليس به بأس . وكل شيء فيه يؤكل، ميت أو بساحليه .(١)

١٢٧٠٤ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو سفيان ، عن معمر قال قتادة : « طعامه » ، ما قذف منه .(٢)

١٢٧٠٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو خالد ، عن ليث ، عن شهر ، عن أبي أيوب قال : ما لفظ البحر فهو طعامه ، وإن كان ميتاً .

١٢٧٠٦ – حدثنا هناد قال، حدثنا أبو الأحوص ، عن ليث ، عن شهر ، قال : سئل أبو أيوب عن قول الله تعالى ذكره : « أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً » ، قال : هو ما لفظ البحر .

* * *

وقال آخرون : عنى بقوله : « وطعامه » ، المليح من السمك(٣)= فيكون تأويل الكلام على ذلك من تأويلهم: أحل لكم سمك البحر ومَليحه فى كل حال، فى حال إحلالكم وإحرامكم .(٤)

* ذكر من قال ذلك :

١٢٧٠٧ – حدثنا سليمان بن عُمرَ بن خالد الرقّ قال، حدثنا محمد بن سلمة، عن خصيف، عن عكرمة، عن ابن عباس : « وطعامه » ، قال : « طعامه » ، المالح منه .(٥)

---

(١) الأثر : ١٢٧٠٣ – مضى هذا الخبر بثلاثة أسانيد أخرى رقم : ١٢٦٩٩ – ١٢٧٠١ ، وخرجته فى رقم : ١٢٧٠٠ . وفى المطبوعة : « ميتاً » بالنصب ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب لا بأس به . وفى المطبوعة : « بساحله » بالإفراد ، وفى المخطوطة بالتثنية كما أثبتها .

(٢) الأثر : ١٢٧٠٤ – انظر التعليق على الأثر السالف رقم : ١٢٦٨٠ ، « أبو سفيان » هو : المعمرى ، « محمد بن حميد اليشكرى » .

(٣) « المليح » على وزن « فعيل »، هو المملح . يقال: « سمك مالح، ومليح، ومملوح ، ومملح ».

(٤) فى المطبوعة ، أسقط من العبارة « فى حال » ، وأثبتها من المخطوطة .

(٥) الأثر : ١٢٧٠٧ – « سليمان بن عمر بن خالد الرقى » ، مضى برقم : ١٢٦٧٠ ،

٤٤/٧ ١٢٧٠٨ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « وطعامه متاعاً لكم » ، يعني : بطعامه ، مالحه ، وما قذف البحر منه ، مالحه .(١)

١٢٧٠٩ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وطعامه متاعاً لكم » ، وهو المالح .

١٢٧١٠ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن مجمّع التيمي ، عن عكرمة في قوله : « متاعاً لكم » قال : المليح .(٢)

١٢٧١١ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن سالم الأفطس وأبي حصين ، عن سعيد بن جبير قال : المليح .

١٢٧١٢ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن

وكذلك هو في المخطوطة ، أما في المطبوعة ، فقد جعله « سليمان بن عمرو بن خالد البرقي » ، وهو خطأ في موضعين ، صوابه ما أثبت .

أما قوله : « المالح منه » ، فقد استنكر الجوهري وغيره أن يقال : « سمك مالح » ، وقال يونس : « لم أسمع أحداً من العرب يقول : مالح » . والذي لم يسمعه يونس ، سمعه غيره ، وجاء في فصيح الشعر ، وهكذا جاء في الآثار التي هنا ، وهو صواب لا شك فيه عندي ، والصواب ما قاله ابن بري أن وجه جوازه هذا من جهة العربية أن يكون على النسب ، مثل قولهم : « ماء دافق » ، أي ذو دفق . وكذلك « ماء مالح » ، أي : ذو ملح ، وكما يقال : « رجل تارس » ، أي ذو ترس ، و « رجل دارع » أي ذو درع . قال : ولا يكون هذا جارياً على الفعل ، وهو الصواب إن شاء الله . (انظر لسان العرب ، مادة : ملح) .

(١) في المطبوعة : « وما قذف البحر من مالحه » ، غير ما في المخطوطة ، فأفسد العبارة . وقوله « مالحه » الأخيرة ، خبر المبتدأ « ما قذف البحر منه » .

(٢) الأثر : ١٢٧١٠ – « سفيان » هو الثوري .

و « مجمع التيمي » ، هو : « مجمع بن سمعان » ، أو « مجمع بن صمعان » ، أبو حمزة التيمي الكوفي النساج الحائك . قال ابن عيينة : « كان له من الفضل غير قليل » . روى عنه أبو حيان التيمي ، وسفيان الثوري . ووثقه يحيى بن معين . مترجم في الكبير للبخاري ٤/١/٤٠٩ ، وابن أبي حاتم ٤/١/٢٩٥ . وكان في المطبوعة والمخطوطة : « سفيان بن مجمع التيمي » ، وهو خطأ لا شك فيه . وليس في الرواة من يسمى كذلك .

منصور ، عن إبراهيم : « وطعامه متاعاً لكم » ، قال : المليح ، وما لَفَظ .

١٢٧١٣ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير في قوله : « أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم » ، قال : يأتي الرجل أهلَ البحر فيقول : « أطعموني » ! فإن قال : « غريضاً » ، ألقوا شبكتهم فصادوا له. وإن قال : « أطعموني من طعامكم » ، أطعموه من سمكهم المالح .[1]

١٢٧١٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن فضيل ، عن عطاء ، عن سعيد : « أحل لكم صيد البحر وطعامه » ، قال : المنبوذ ، السمك المالح .

١٢٧١٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير : « وطعامه » ، قال : المالح .

١٢٧١٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان، عن منصور ، عن إبراهيم : « وطعامه » ، قال : هو مليحهُ .[2] ثم قال : ما قَذَف .

١٢٧١٧ – حدثنا ابن معاذ قال، حدثنا جامع بن حماد قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وطعامه » ، قال : مملوح السمك .

١٢٧١٨ – حدثنا هناد قال ، حدثنا ابن أبي زائدة قال، أخبرني الثوري ، عن منصور قال : كان إبراهيم يقول: «طعامه»، السمك المليح. ثم قال بعد: ما قذفَ به .

١٢٧١٩ – حدثنا هناد قال ، حدثنا ابن أبي زائدة قال ، أخبرنا الثوري ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير قال : « طعامه » ، المليح .

١٢٧٢٠ – حدثنا هناد قال ، حدثنا ابن أبي زائدة قال، أخبرنا إسرائيل ، عن عبد الكريم ، عن مجاهد قال : « طعامه » ، السمك المليح .

---

(١) الأثر : ١٢٧١٣ – سيأتي مطولا برقم : ١٢٧٥٣ .

(٢) في المطبوعة : « مالحه » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهكذا قراءتها على سوء كتابة الناسخ .

١٢٧٢١ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير فى هذه الآية : « وطعامه متاعاً لكم » ، قال : الصِّير= قال شعبة ، فقلت لأبي بشر : ما الصِّير ؟ قال : المالح .[1]

١٢٧٢٢ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا هشام بن الوليد قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن جعفر بن أبي وحشية ، عن سعيد بن جبير قوله : « وطعامه متاعاً لكم » ، قال : الصِّير . قال قلت : ما الصير ؟ قال : المالح .

١٢٧٢٣ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وطعامه متاعاً لكم » ، قال : أما « طعامه » ، فهو المالح .

١٢٧٢٤ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب : « وطعامه متاعاً لكم » ، قال : « طعامه » ، ما تزوّدت مملوحاً فى سفرك .

١٢٧٢٥ – حدثنا عمرو بن عبد الحميد وسعيد بن الربيع الرازى قالا، حدثنا سفيان ، عن عمرو قال، قال جابر بن زيد: كنا نُحَدَّث أن « طعامه » مليحه ، ونكره الطافى منه .[2]

* * *

---

(١) « الصير » (بكسر الصاد) ، ويقال له : « الصحناة » ، وقيل : هى السمكات المملوحة التى تعمل منها الصحناة ، وهى كالفسيخ فى بلادنا، ذكرها جرير فى شعره فقال فى هجاء آل المهلب ، وهم من الأزد :

إنَّ الخِلافَةَ لم تُقْدَرْ لِيَمْلِكَهَا ... عَبْدٌ لِأَزْدِيَّةٍ فى بَطْرِهَا خَفَفُ
كَانُوا إذَا جَعَلُوا فى صِيرِهِمْ بَصَلاً ... ثم اشْتَوَوا كَنْعَدًا مِنْ مَالِحٍ جَدَفُوا

و « الكنعد » : ضرب من السمك . وقوله : « جدفوا » ، أكلوا « الجدف » (بفتحتين) وهو يكون باليمن تأكله الإبل فتجزأ به عن الماء ، ولا يحتاج مع أكله إلى شرب ماء .
وفى المخطوطة فى المواضع كلها : « الصر » مهملة ، لا تقرأ ، صوابها فى المطبوعة .

(٢) الأثر : ١٢٧٢٥ – « سفيان » هو الثورى = أو « سفيان بن عيينة » ، كلاهما

وقال آخرون : « طعامه » ، ما فيه .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٧٢٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة قال : طعام البحر ، ما فيه .

١٢٧٢٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن حريث ، عن عكرمة : « وطعامه متاعاً لكم » ، قال : ما جاء به البحر بموجه ، هكذا .(١)

١٢٧٢٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن حسن بن صالح ، عن ليث ، عن مجاهد قال : « طعامه » ، كل ما صيد منه .(٢)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب عندنا ، قولُ من قال : « طعامه » ، ما قذفه البحر ، أو حَسَر عنه فوُجد ميتاً على ساحله . وذلك أن الله تعالى ذكره ذكر قبله صيدَ الذى يصاد ، فقال : « أحل لكم صيد البحر » ، فالذى يجب أن يعطف عليه فى المفهوم ما لم يُصَدْ منه ، فقال : أحل لكم ما صدتموه من البحر ، وما لم تصيدوه منه .

وأما «المليح» ، فإنه ما كان منه مُلِّح بعد الاصطياد، فقد دخل فى جملة قوله : « أحل لكم صيد البحر » ، فلا وجه لتكريره ، إذ لا فائدة فيه ، وقد أعلم

روى عن عمرو بن دينار . « عمرو » ، هو « عمرو بن دينار » . وكان فى المطبوعة : « سفيان ابن عمرو» وهو خطأ محض .

و « جابر بن زيد الأزدى » ، هو « أبو الشعثاء » ، مضى كثيراً ، وترجم فى : ٥٣١٦ ، ٥٤٧٢ .

(١) فى المطبوعة : « ماء به البحر بوجه » ، فغير ، وحذف « هكذا » . كأنه ظن « هكذا » إشارة إلى استشكال كلمة « بموجه » ! وهذا غريب . وقوله : « هكذا » ، يريد بذلك الإشارة إلى أنه جاء طافياً .

(٢) الأثر : ١٢٧٢٨ – « حميد بن عبد الرحمن بن حميد الرؤاسى » ، مضى برقم : ٤٩٢٦ ، ٨٧٧٠ . و « الحسن بن صالح بن صالح بن حى الثورى » ، مضى برقم : ١٧٨ ، ٥٣٤٧ ، ٧٥٩٤ .

عبادَه تعالى ذكره : إحلالَه ما صيد من البحر بقوله : « أحل لكم صيد البحر » . فلا فائدة أن يقال لهم بعد ذلك : « ومليحه الذي صيد حلال لكم » ، لأن ما صيد منه فقد بُيِّن تحليله ، طريًّا كان أو مليحاً ، بقوله : « أحل لكم صيد البحر » والله يتعالى عن أن يخاطب عباده بما لا يفيدهم به فائدة . ٤٥/٧

* * *

وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو الذي قلنا خبر ، وإن كان بعض نقلته يقف به على ناقِله عنه من الصحابة ، وذلك ما :—

١٢٧٢٩ — حدثنا به هناد بن السريّ قال، حدثنا عبدة بن سليمان ، عن محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو سلمة ، عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم » ، قال : « طعامه » ، ما لفظه ميتاً فهو طعامه .(١)

* * *

وقد وقف هذا الحديث بعضهم على أبي هريرة .

١٢٧٣٠ — حدثنا هناد قال، حدثنا ابن أبي زائدة، عن محمد بن عمرو ،

---

(١) الأثر : ١٢٧٢٩ ، ١٢٧٣٠ — « عبدة بن سليمان الكلابي » ، قال أحمد : « ثقة ، ثقة وزيادة ، مع صلاح في بدنه » . روى له أصحاب الكتب الستة . مضى مراراً برقم : ٢٢٢ ، ٢٣٢٣ ، ٢٧٥٨ ، ٣٠٢٢ ، ومواضع غيرها .

و « محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي » ، ثقة . روى له أصحاب الكتب الستة . ومضى برقم : ٨ ، ٣٠١٥ .

و « أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف » ، تابعي جليل إمام ثقة . مضى برقم : ٨ ، ٦٧ ، ٣٠١٥ ، ٨٣٩٤ ، وغيرها .

وهذا الخبر لم أجد أحداً ذكره إلا السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٣٣١ ، ولم ينسب هذا المرفوع إلا لابن جرير ، أما الخبر الآتي ، وهو الموقوف ، فإنه زاد نسبته لابن أبي حاتم .

وأما الخبر الموقوف الثاني رقم : ١٢٧٣٠ ، ففيه « ابن أبي زائدة » ، وهو « يحيى بن زكريا ابن أبي زائدة » ، وهو من حفاظ الكوفيين ، كان متقناً ثبتاً صاحب سنة ، مستقيم الحديث . روى له أصحاب الكتب الستة ومضى برقم : ٨٥٠ ، ٤٢٤٦ .

فإسناد المرفوع والموقوف ، كلاهما إسناد صحيح ، ورجالهما ثقات حفاظ . وكتبه محمود محمد شاكر .

عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة في قوله : « أحل لكم صيد البحر وطعامه » ، قال : « طعامه » ، ما لفظه ميتاً .[١]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بقوله : « متاعاً لكم »، منفعةً لمن كان منكم مقيماً أو حاضراً في بلده، يستمتع بأكله وينتفع به[٢] = « وللسيارة »، يقول : ومنفعةً أيضاً ومتعة للسائرين من أرض إلى أرض، ومسافرين يتزوّدونه في سفرهم مليحاً .

* * *

و « السيارة » ، جمع « سيّار » .[٣]

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٧٣١ — حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرني أبو إسحق عن عكرمة أنه قال في قوله : « متاعاً لكم وللسيارة » ، قال : لمن كان بحضرة البحر = « وللسيارة »، السَّفْر .

١٢٧٣٢ — حدثني يعقوب قال : حدثنا ابن علية، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة في قوله : « وطعامه متاعاً لكم وللسيارة »، ما قذف البحر ، وما يتزوّدون في أسفارهم من هذا المالح = يتأوّلها على هذا .

١٢٧٣٣ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا جامع بن حماد قال ، حدثنا

---

(١) الأثر : ١٢٧٣٠ — انظر التعليق على الأثر السالف .

(٢) انظر تفسير « المتاع » فيما سلف ٨ : ٥٥١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) اقتصرت كتب اللغة على أن « السيارة » : القافلة ، أو القوم يسيرون ، وأنه أنث على معنى الرفقة أو الجماعة . وجعله أبو جعفر جمعاً ، كقولهم « جمال » و « جمالة » (بتشديد الميم) و « حمار » و « حمارة » .

يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وطعامه متاعاً لكم وللسيارة » ، مملوح السمك ، ما يتزودون فى أسفارهم .

١٢٧٣٤ – حدثنا سليمان بن عمر بن خالد الرقّى قال، حدثنا مسكين بن بكير قال ، حدثنا عبد السلام بن حبيب النجارى ، عن الحسن فى قوله : « وللسيارة » ، قال : هم المحرمون .(١)

١٢٧٣٥ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وطعامه متاعاً لكم وللسيارة » ، أما « طعامه » ، فهو المالح منه ، بلاغٌ يأكل منه السيار فى الأسفار .(٢)

١٢٧٣٦ – حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « وطعامه متاعاً لكم وللسيارة » ، قال : « طعامه » ، مالحه ، وما قذف البحر منه ، يتزوّده المسافر= وقال مرة أخرى : مالحه ، وما قذف البحر . فمالحه يتزوده المسافر .

١٢٧٣٧ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وطعامه متاعاً لكم وللسيارة » ، يعنى : المالح يتزوّده .(٣)

---

(١) الأثر : ١٢٧٣٤ – « سليمان بن عمر بن خالد الرقى » ، مضى برقم : ٦٢٥٤ ، ١٢٦٧٠ ، ١٢٧٠٧ ، وغيره فى المطبوعة كما غيره فيما سلف فجعله « سليمان بن عمرو بن خالد البرقى » ، وهو خطأ محض ، صوابه فى المخطوطة .

و « مسكين بن بكير الحرانى » ، أبو عبد الرحمن الحذاء ، روى عنه أحمد بن حنبل . ثقة . مترجم فى التهذيب .

أما « عبد السلام بن حبيب النجارى » ، فلم أجد فى الرواة عن الحسن أو غيره من اسمه ذاك . ووجدت فى الرواة عن الحسن البصرى « عبد السلام بن أبى الجنوب المدنى » ، وهو شيخ مدنى متروك ، مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣/١/٤٥ ، وميزان الاعتدال ٢ : ١٢٩ . فلعله يكون هو .

(٢) « بلاغ » يعنى « بلغة » (بضم الباء) ، وهو ما يتبلغ به المرء من الزاد ، أى يكتفى به حتى يبلغ مستقره . وكان فى المطبوعة : « السيارة » بالتاء فى آخره ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « فيتزوده » ، والجيد ما فى المخطوطة .

وكان مجاهد يقول فى ذلك بما : —

١٢٧٣٨ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وطعامه متاعاً لكم » ، قال : أهل القرَى = « وللسيارة » ، أهل الأمصار .

١٢٧٣٩ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « متاعاً لكم » ، قال : لأهل القرى = « وللسيارة » ، قال : أهل الأمصار ، والحيتانُ للناس كلهم .(١)

* * *

وهذا الذى قاله مجاهد : من أن « السيارة » هم أهل الأمصار ، لا وجه له مفهوم ، إلا أن يكون أراد بقوله : « هم أهل الأمصار » ، هم المسافرون من أهل الأمصار ، فيجب أن يدخل فى ذلك كل سيارة ، من أهل الأمصار كانوا أو من أهل القرى . فأما « السيارة » ، فلا نعقله : المقيمون فى أمصارهم .(٢)

* * *

(١) فى المطبوعة : « أهل الأمصار وأجناس الناس كلهم » ، وأداه إلى هذا ما جاء فى الدر المنثور ٢ : ٢٣٢ ، عن مجاهد : « وطعامه قال : حيتانه = متاعاً لكم ، لأهل القرى = وللسيارة ، أهل الأسفار وأجناس الناس كلهم » ، ثم ما جاء فى المخطوطة مما دخله التحريف ، وذلك : « أهل الأمصار والحباب للناس كلهم » ، والدر المنثور ، لا يوثق بطباعته ، والجملة فيه خطأ لاشك فيه ، فقوله « أهل الأسفار » لاشك أنها « أهل الأمصار » ، وأما قوله : « حيتانه » هنا ، فإن ذلك من سوء اختصار السيوطى ، فإن « حيتانه » تفسير لقوله : « صيد البحر » ، كما مضى فى الأثر رقم : ١٢٦٨١ ، من تفسير مجاهد لصيد البحر . وأما « طعامه » فقد فسرها مجاهد « السمك المليح » ، كما مضى فى رقم : ١٢٧٢٠ ، وهو مراد هنا فى هذا الموضع . فظاهر أنه أراد : «طعامه، السمك المليح = متاعاً لكم ؛ لأهل القرى = وللسيارة ، أهل الأمصار = والحيتان للناس كلهم » ، يعنى أنه لا يدخل قوله تعالى: « متاعاً لكم وللسيارة » فى بيان قوله تعالى : « أحل لكم صيد البحر» ، بل فى بيان قوله : « وطعامه » ، وهو السمك المليح . هذا هو الصواب ، وأما ما فى الدر المنثور ، وما فى المطبوع من هذا التفسير ، فكلام لا يستقيم .

(٢) فى المطبوعة : « فأما السيارة ، فلا يشمل المقيمين فى أمصارهم » ، وهو كلام مريض ، وهو فى المخطوطة كما أثبته غير منقوط ، وهذا صواب قراءته . والمعنى : فلا نعقله أن يكون معناه : المقيمون فى أمصارهم . وقد مضى استعمال أبى جعفر « نعقله » فى مثل هذه العبارة فى مواضع سلفت ، ليس عندى الآن بيانها .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره : وحرم الله عليكم ، أيها المؤمنون ، صيد البر = « ما دمتم حرماً » ، يقول : ما كنتم محرمين ، لم تحِلوا من إحرامكم .(١)

* * *

ثم اختلف أهل العلم فى المعنى الذي عنَى الله تعالى ذكره بقوله: « وحُرِّم عليكم صيدُ البر » .

فقال بعضهم : عنى بذلك أنه حرَّم علينا كل معانى صيد البر : من اصطياد ، وأكل، وقتل، وبيع ، وشراء، وإمساك، وتملُّك .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٧٤٠ – حدثنى يعقوب قال، حدثنا هشيم ، عن يزيد بن أبى زياد ، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن أبيه قال : حج عثمان بن عفان ، فحج علىّ معه ، قال : فأتى عثمان بلحم صيد صاده حَلال ، فأكل منه ، ولم يأكل علىّ ، فقال عثمان: والله ما صدنا ولا أمرنا ولا أشرنا ! فقال علىّ : « وحُرِّم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً » .(٢)

---

(١) انظر تفسير « ما دام » فيما سلف ١٠ : ١٨٥– = وتفسير « حرم » فيما سلف : ٧

(٢) الأثر : ١٢٧٤٠ – « يزيد بن أبى زياد الكوفى » ، مولى بنى هاشم صدوق ، فى حفظه شىء بعد ما كبر . مضى برقم : ٢٠٢٨ .

و « عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم » ، لقبه : « ببة » ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فحنكه رسول الله ، روى عن جماعة من الصحابة . روى له أصحاب الكتب الستة . مترجم فى التهذيب. وكان فى المطبوعة والمخطوطة : «عبد الله بن الحارث عن نوفل» وهو خطأ صرف .

وأبوه : « الحارث بن نوفل بن الحارث » . روى عن رسول الله ، وعن عائشة . استعمله النبى صلى الله عليه وسلم على بعض أعمال مكة ، ومات بالبصرة فى خلافة عثمان . مترجم فى التهذيب .

وهذا الخبر خرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٢٣٢ ، وزاد نسبته لابن أبى شيبة ، وابن أبى حاتم ، وأبى الشيخ .

١٢٧٤١ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا هرون بن المغيرة ، عن عمرو بن أبي قيس ، عن سماك ، عن صبيح بن عبد الله العبسي قال : بعث عثمان بن عفان أبا سفيان بن الحارث على العَرُوض ،(١) فنزل قديداً ، فمرّ به رجل من أهل الشأم معه باز وصقر ، فاستعاره منه ، فاصطاد به من اليعاقيب ،(٢) فجعلهن فى حظيرة . فلما مرّ به عثمان طبخهن ، ثم قدمهن إليه ، فقال عثمان : كلوا ! فقال بعضهم : حتى يجيء على بن أبي طالب ، رحمة الله عليه . فلما جاء فرأى ما بين أيديهم ، قال على : إنا لن نأكل منه ! فقال عثمان : مالك لا تأكل ؟ فقال : هو صيد ، ولا يحل أكله وأنا محرم ! فقال عثمان : بيّن لنا ! فقال علىّ : « يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم » ، فقال عثمان : أو نحن قتلناه؟ فقرأ عليه : « أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة وحرّم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً » .(٣) ٧ / ٤٦

١٢٧٤٢ – حدثنا تميم بن المنتصر وعبد الحميد بن بيان القناد قالا ، أخبرنا

وقوله : « صاده حلال » ، يعنى : رجل حلال ، غير محرم بحج .

وسيأتى هذا الخبر بلفظ آخر ، وإسناد آخر . فى رقم : ١٢٧٤٥ ، ١٢٧٤٦ .

(١) « العروض » (بفتح العين) : مكة والمدينة وأكنافهما .

(٢) « اليعاقيب » جمع « يعقوب » ، طائر ، وهو ذكر الحجل والقطا .

(٣) الأثر : ١٢٧٤١ – « هارون بن المغيرة بن حكيم البجلى » ، ثقة مضى برقم : ٣٣٥٦ ، ٥٥٢٦ . و « عمرو بن أبي قيس الرازى ، الأزرق ، ثقة . مضى برقم : ٦٨٨٧ ، ٩٣٤٦ .

و « سماك » هو « سماك بن حرب » ، ثقة ، مضى مراراً .

و « صبيح بن عبد الله العبسى » ، روى عن على ، وروى عنه سماك بن حرب . مترجم فى الكبير للبخارى ٣١٩/٢/٢ ، وابن أبي حاتم ٤٤٩/١/٢ . ولم يذكرا فيه جرحاً . وقد مضى ذكره فى التعليق على رقم : ٧٥٩٥ (وقع هناك خطأ فيما نقلته عن التاريخ الكبير ، « على الفروض » وصوابه « على العروض » ، فليصحح هناك وفى تاريخ البخارى) . وفى المخطوطة والمطبوعة : « صبيح بن عبيد الله » والتصحيح من البخارى وابن أبي حاتم .

وهذا الخبر رواه البخارى مختصراً فى التاريخ ، قال : « حدثنى حسن بن خلف ، أخبرنا إسحق ، عن شريك ، عن سماك ، عن صبيح بن عبد الله العبسى » . وهو الإسناد التالى لهذا .

إسحق الأزرق ، عن شريك ، عن سماك بن حرب ، عن صبيح بن عبد الله العبسى قال: استعمل عثمان بن عفان أبا سفيان بن الحارث على العَرُوض = ثم ذكر نحوه ، وزاد فيه ، قال: فمكث عثمان ما شاء الله أن يمكث ، ثم أتى فقيل له بمكة: هل لك فى ابن أبى طالب ، أهدى له صفيف حمار فهو يأكل منه ! (١) فأرسل إليه عثمان ، وسأله عن أكل الصفيف ، فقال : أما أنتَ فتأكل ، وأما نحن فنهانا ؟ فقال: إنه صيد عام أوّلَ وأنا حلال، فليس علىّ بأكله بأس ، وصيد ذلك = يعنى اليعاقيب = وأنا محرم ، وذبحن وأنا حرّام . (٢)

١٢٧٤٣ – حدثنا عمران بن موسى القزاز قال، حدثنا عبد الوارث بن سعيد قال ، حدثنا يونس ، عن الحسن : أن عمر بن الخطاب لم يكن يرى بأساً بلحم الصيد للمحرم ، وكرهه على بن أبى طالب ، رضى الله عنهما . (٣)

١٢٧٤٤ – حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع قال، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب : أن عليًّا كره لحم الصيد للمحرم على كل حال .

١٢٧٤٥ – حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن يزيد بن أبى زياد ، عن عبد الله بن الحارث : أنه شهد عثمان وعليًّا أُتيا بلحم، فأكل عثمان ولم يأكل علىّ، فقال عثمان : أنحن صِدْنا أو

---

(١) « الصفيف » ، هو لحم يشرح عراضاً حتى ترق البضعة منه فتراها تشف شفيفاً ، ويوسع مثل الرغفان ، ثم يشرر فى الشمس حتى يجف . فإذا دق الصفيف فهو « القديد » . وكان فى المخطوطة فى هذا الموضع « نصفف » ، وفى الذى يليه « الصمصف » ، غير منقوطة ، وهو رسم خطأ ، صوابه فى المطبوعة .

(٢) الأثر : ١٢٧٤٢ – « إسحق الأزرق » هو : « إسحق بن يوسف بن مرداس المخزومى الواسطى » ، مضى برقم : ٣٣٣٩ ، ٤٢٢٤ . وكان فى المخطوطة والمطبوعة « أبو إسحق الأزرق . » ، وهو خطأ وسهو من ناسخ . وهو على الصواب فى إسناد البخارى الذى نقلته آنفاً فى تخريج الأثر السالف .

(٣) الأثر : ١٢٧٤٣ – « عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان العنبرى » ، مضى برقم : ٢١٥٤ ، ٦٥٨٩ ، ٦٥٩١ ، ٦٨١٩ .

و « يونس » ، هو : « يونس بن عبيد بن دينار العبدى » ، مضى برقم : ٢٦١٦ ، ٤٩٣١ .

صيد لنا ؟ فقرأ عليّ هذه الآية: « أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة وحرّم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً » .(١)

١٢٧٤٦ – حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه قال : حج عثمان بن عفان ، فحج معه علي ، فأتي بلحم صَيدٍ صاده حلالٌ ، فأكل منه وهو محرم ، ولم يأكل منه عليّ ، فقال عثمان ، إنه صيدَ قبل أن نحرم ! فقال له عليّ : ونحن قد نزلنا وأهالينا لنا حلال ،(٢) أفيحللن لنا اليوم ؟ (٣)

١٢٧٤٧ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا هرون ، عن عمرو بن عبد الكريم ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل : أن علياً أتى بِشِقّ عَجُز حمار وهو محرم ، فقال : إنّي محرم . (٤)

١٢٧٤٨ – حدثنا ابن بزيع قال ، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا سعيد ، عن يعلى بن حكيم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أنه كان يكرهه على كل حال ، ما كان محرماً . (٥)

---

(١) الأثر : ١٢٧٤٥ – مضى هذا الخبر ، برواية « عبد الله بن الحارث بن نوفل » ، عن أبيه « الحارث بن نوفل » ، برقم : ١٢٧٤٠ ، وسيأتي رقم : ١٢٧٤٧ .

(٢) في المطبوعة : « ونحن قد بدا لنا » ، وفي المخطوطة : « ونحن بر لنا » غير منقوطة ، وهذه قراءتها فيما أرجح .

(٣) الأثر : ١٢٧٤٦ – « عمر بن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف » ، أحاديثه واهية ، يكتب حديثه ولا يحتج به ، مضى برقم : ٣٩١١ ، ١٢٦٦٧ .

وسيأتي هذا الخبر بإسناد آخر رقم : ١٢٧٥٥ ، مختصراً بغير هذا اللفظ .

(٤) الأثر : ١٢٧٤٧ – « هرون » ، هو « هارون بن المغيرة » ، مضى قريباً برقم : ١٢٧٤١ .

و « عمرو » هو « عمرو بن أبي قيس » ، مضى أيضاً برقم : ١٢٧٤١ .

و « عبد الكريم » هو « عبد الكريم بن مالك الجزري » ، مضى برقم : ٨٩٢ ، ١٥٦٦ .

وكان في المخطوطة والمطبوعة : « عن عمرو بن عبد الكريم » ، وهو خطأ . ليس في الرواة من يسمى بذلك .

ومضى هذا الخبر بإسناديه رقم : ١٢٧٤٠ ، ١٢٧٤٥ .

(٥) الأثر : ١٢٧٤٨ – « سعيد » ، هو « سعيد بن أبي عروبة » .

١٢٧٤٩ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا ابن جريج قال، أخبرنا نافع : أن ابن عمر كان يكره كل شيء من الصيد وهو حرام، أخذ له أو لم يؤخذ له، وَشيقةً وغيرها. (١)

١٢٧٥٠ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا يحيى بن سعيد القطان، عن عبد الله قال، أخبرني نافع : أن ابن عمر كان لا يأكل الصيدَ وهو محرم، وإن صاده الحلالُ.

١٢٧٥١ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا أبو عاصم قال، أخبرنا ابن جريج قال، أخبرني الحسن بن مسلم بن يناق : أنّ طاوساً كان ينهى الحرامَ عن أكل الصيد، وشيقة وغيرها، صيد له أو لم يُصد له.

١٢٧٥٢ – حدثنا عبد الأعلى قال، حدثنا خالد بن الحارث قال، حدثنا الأشعث قال، قال الحسن : إذا صاد الصيد ثم أحرمَ لم يأكل من لحمه حتى يحلّ. فإن أكل منه وهو محرم، لم ير الحسن عليه شيئاً. (٢)

١٢٧٥٣ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام وهرون، عن عنبسة، عن سالم قال: سألت سعيد بن جبير، عن الصيد يصيده الحلال، أيأكل منه المحرم؟ فقال: سأذكر لك من ذلك، إن الله تعالى ذكره قال : « يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم »، فنهى عن قتله، ثم قال : « ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم »، ثم قال تعالى ذكره: « أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة »، قال : يأتي الرجل أهلَ البحر فيقول : « أطعموني »، فإن

و « يعلى بن حكيم الثقفي »، روى عن سعيد بن جبير، وعكرمة، ونافع مولى ابن عمر، وغيرهم. وثقه أحمد وابن معين، وأبو زرعة، والنسائي، وقال أبو حاتم : « لا بأس به ». مترجم في التهذيب.

(١) « الوشيقة » : لحم يغلى في ماء وملح إغلاءة واحدة، ولا ينضج فيتهرأ، ثم يخرج فيصير في الجبجبة، وهو جلد بعير يقور، ثم يجعل ذلك اللحم فيه، فيكون لهم زاداً في أسفارهم.

(٢) الأثر : ١٢٧٥٢ – « خالد بن الحارث بن عبيد الهجيمي » ثقة، مضى برقم : ٧٥٠٧، ٧٨١٨، ٩٨٧٨.

قال : « غريضاً » ، ألقوا شبكتهم فصادوا له ، وإن قال : « أطعمونى من طعامكم » ، أطعموه من سمكهم المالح . ثم قال : « وحُرِّم عليكم صيد البرّ ما دمتم حرماً » ، وهو عليك حرام ، صدته أو صاده حلال .(١) ٤٧/٧

* * *

وقال آخرون : إنما عنى الله تعالى ذكره بقوله : « وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً » ، ما استحدَث المحرم صيدَه فى حال إحرامه أو ذبحه ، أو استُحْدِث له ذلك فى تلك الحال . فأما ما ذبحه حلال وللحلال ، فلا بأس بأكله للمحرم . وكذلك ما كان فى ملكه قبل حال إحرامه ، فغير محرم عليه إمساكه .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٧٥٤ — حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع قال ، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا سعيد قال ، حدثنا قتادة : أن سعيد بن المسيب حدّثه ، عن أبى هريرة : أنه سئل عن صيد صاده حلال ، أيأكله المحرم ؟ قال : فأفتاه هو بأكله ، ثم لقى عمر بن الخطاب رحمه الله فأخبره بما كان من أمره ، فقال : لو أفتيتهم بغير هذا لأوجعتُ لك رأسك .(٢)

١٢٧٥٥ — حدثنا أحمد بن عبدة الضبى قال ، حدثنا أبو عوانة ، عن عمر ابن أبى سلمة ، عن أبيه قال : نزل عثمان بن عفان رحمه الله العَرْجَ وهو محرم ،(٣) فأهدى صاحبُ العرج له قَطاً ،(٤) قال : فقال لأصحابه : كلوا ، فإنه إنما اصطيد

---

(١) الأثر : ١٢٧٥٣ — مضى هذا الأثر مختصراً برقم : ١٢٧١٣ .

(٢) الأثر : ١٢٧٥٤ — إسناده صحيح . وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ، باختلاف يسير فى لفظه ، وزاد نسبته لابن أبى شيبة ، وسيأتى هذا الأثر بأسانيد أخرى رقم : ١٢٧٥٦ ، ١٢٧٥٧ ، ١٢٧٦٢ .

(٣) « العرج » (بفتح فسكون) : وهى قرية جامعة على طريق مكة من المدينة ، على جادة الحاج .

(٤) فى المخطوطة : « رطا » غير منقوطة ، كأنها تقرأ « بطا » ، ولكن الذى جاء فى الروايات السالفة وما سيأتى برقم : ١٢٧٧١ أنها « قطا » أو « يعاقيب » ، وهى ذكور الحجل والقطا ، والصواب إن شاء الله ما كان فى المطبوعة : « قطا » . و « القطا » : طائر كالحمام .

على اسمى ،[١] قال : فأكلوا ولم يأكل .[٢]

١٢٧٥٦ – حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ، حدثنا ابن أبى عدى ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب : أن أبا هريرة كان بالرَّبَذة ، فسألوه عن لحم صيدٍ صاده حلال ، ثم ذكر نحو حديث ابن بزيع عن بشر.[٣]

١٢٧٥٧ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة ، عن عمر ، نحوه .[٣]

١٢٧٥٨ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا ابن أبى عدى، عن شعبة ، عن أبى إسحق ، عن أبى الشعثاء قال : سألت ابن عمر عن لحم صيد يُهديه الحلال إلى الحرام ، فقال : آكله عمر ، وكان لا يرى به بأساً . قال قلت : تأكله ؟ قال : عمر خير منى .[٤]

---

(١) قوله : « إنما اصطيد على اسمى » ، أى من أجله ، وهو تعبير قديم يقيد ، ولا يزال يجرى على ألسنة العامة إلى هذا اليوم ، وهو صحيح فصيح . وانظر ما يفسره فى خبر مالك فى الموطأ : ٣٥٤ ، وسيأتى رقم : ١٢٧٦٤ .

(٢) الأثر : ١٢٧٥٥ – « عمر بن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف » ، مضى قريباً رقم : ١٢٧٤٦ . وسيأتى من طريق أخرى برقم : ١٢٧٧١ ، بغير هذا اللفظ ، عن أبى سلمة من فعله هو .

(٣) الأثر : ١٢٧٥٦ ، ١٢٧٥٧ – مضى برقم : ١٢٧٥٤ .

(٤) الأثر : ١٢٧٥٨ ، ١٢٧٥٩ – « أبو إسحق » ، هو : « أبو إسحق السبيعى الهمدانى » . و « أبو الشعثاء » ، سيأتى فى الأثر رقم : ١٢٧٦٣ ، أنه « أبو الشعثاء الكندى » وهو غير « أبى الشعثاء ، جابر بن زيد » الذى مضى برقم : ٥١٣٦ ، ٥٤٧٢ ، ١٢٤٠٦ ، ١٢٧٢٥ .

و « أبو الشعثاء الكندى » هو : « يزيد بن مهاصر » ، كوفى ، روى عن ابن عمر ، وابن عباس . ترجم له البخارى فى الكبير ٣٦٣/٢/٤ فى « يزيد بن مهاصر » ، وقال : « كناه محمد بن عبد الله ابن نمير » ولم يزد على ذلك . وترجم له ابن أبى حاتم ٢٨٧/٢/٤ فى « يزيد بن مهاصر ، أبو الشعثاء الكندى » ثم قال : « روى عنه أبو إسحق الهمدانى ، وأبو العنبس ، ويونس بن أبى إسحق ، وأبو سنان الشيبانى » . ثم عاد فترجم له ٣٩١/٢/٤ ، وقال : « روى عنه أبو سنان الشيبانى ، وسعيد بن سعيد الثعلبى . سمعت أبى يقول ذلك ، ويقول : « لا يسمى ، وهو كوفى. قال على بن المدينى: أبو الشعثاء ، الذى روى عنه أبو إسحق الهمدانى ، ويونس بن أبى إسحق ، وأبو العنبس ، وأبو سنان ، هو الكندى ، وليس هو سليم [يعنى سليم بن أسود المحاربى] – سمعت أبى يقول : أبو الشعثاء الكندى ، اسمه : يزيد بن مهاصر وخالف علياً فى ذلك »

١٢٧٥٩ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن شعبة قال ، حدثنا أبو إسحق ، عن أبي الشعثاء قال : سألت ابن عمر عن صيد صاده حلال يأكل منه حرام ، قال : كان عمر يأكله . قال قلت : فأنت ؟ قال : كان عمر خيراً مني .

١٢٧٦٠ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا ابن أبي عدى، عن هشام ، عن يحيى ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : استفتاني رجلٌ من أهل الشأم في لحم صيد أصابه وهو محرم ، فأمرته أن يأكله ، فأتيت عمر بن الخطاب فقلت له : إن رجلاً من أهل الشأم استفتاني في لحم صيد أصابه وهو محرم ، قال : فما أفتيته ؟ قال قلت : أفتيته أن يأكله . قال : فوالذى نفسى بيده ، لو أفتيته بغير ذلك لعلوتك بالدرة ! وقال عمر : إنما نُهيت أن تصطاده .(١)

١٢٧٦١ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا مصعب بن المقدام قال، حدثنا خارجة ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء ، عن كعب قال : أقبلت في أناس محرمين ، فأصبنا لحمَ حمار وحش ، فسألني الناس عن أكله ، فأفتيتهم بأكله ، وهم محرمون . فقدمنا على عمر فأخبروه أنيّ أفتيتهم بأكل حمار الوحش وهم محرمون،

فظاهر هذا أنه غير « أبي الشعثاء ، جابر بن زيد الأزدى » ، ولكني رأيت الحافظ ابن حجر قال في ترجمة « أبي العنبس » في التهذيب ٨ : ١٨٩ ، أنه روى عن « أبي الشعثاء ، جابر بن زيد الكندى » ، فلا أدرى أوهم الحافظ ، أم هكذا اختلف عليه في ذلك .

وهذا الخبر رواه البيهقي في السنن ٥ : ١٨٩ ، من طريق عبيد الله بن معاذ ، عن أبيه ، عن شعبة ، عن أبي إسحق ، سمعت أبا الشعثاء » .

وسيأتي برقم : ١٢٧٦٣ ، بغير هذا اللفظ مختصراً . وكتبه محمود محمد شاكر .

(١) الأثر : ١٢٧٦٠ – مضى مختصراً برقم : ١٢٧٥٤ ، بغير هذا الإسناد .

« هشام » هو « هشام صاحب الدستوائي » .

و « يحيى » ، هو « يحيى بن أبي كثير الطائي » ، ثقة روى له أصحاب الكتب الستة . مضى برقم : ٩١٨٩ ، ١١٥٠٥ – ١١٥٠٧ .

و « أبو سلمة » هو « أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف » ، مضى مراراً ، منها رقم : ١٢٦٦٧ .

وهذا الخبر رواه البيهقي في السنن الكبرى ٥ : ١٨٨ ، من طريق : « حفص بن عبد الله السلمى ، عن إبراهيم بن طهمان ، عن هشام » بمثله .

فقال عمر : قد أمَّرته عليكم حتى ترجعوا .(١)

١٢٧٦٢ – حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال : مررت بالرَّبَذة ، فسألني أهلها عن المحرم يأكل ما صاده الحلال ؟ فأفتيتهم أن يأكلوا . فلقيت عمر بن الخطاب ، فذكرت ذلك له . قال: بم أفتيتهم ؟(٢) قال : أفتيتهم أن يأكلوا . قال : لو أفتيتهم بغير ذلك لخالفتك .(٣)

١٢٧٦٣ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح ، عن يونس ، عن أبي الشعثاء الكندي قال : قلت لابن عمر : كيف تري في قوم حرام لقوا قوماً حلالاً ، ومعهم لحم صيد ، فإما باعوهم ، وإما أطعموهم ؟ فقال: حلال .(٤)

---

(١) الأثر : ١٢٧٦١ – «مصعب بن المقدام الخثعمي» ثقة وضعفه بعضهم ، ولكن روى له مسلم ، مضى برقم : ١٢٩١ ، ٣٠٠١ .

و «خارجة» هو «خارجة بن مصعب بن خارجة الخراساني» ، وقد مضى برقم : ٩٦٦٨ ، قال أخي السيد أحمد هناك : «مختلف فيه جداً، والأكثر على تضعيفه ، ولكن أعدل كلمة فيه كلمة الحاكم في المستدرك ١ : ٤٩٩ : خارجة ، لم ينقم عليه إلا روايته عن المجهولين ، وإذا روى عن الثقات الأثبات ، فروايته مقبولة» .

و «زيد بن أسلم» ثقة ثبت . مضى كثيراً .

و «عطاء» ، هو «عطاء بن يسار» ، مضى مراراً .

و «كعب» هو «كعب الأحبار» .

وهذا الخبر صحيح ، رواه مالك في الموطأ : ٣٥٢ ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، مطولا . ورواه البيهقي في السنن ٥ : ١٨٩ ، من طريق مالك .

(٢) في المخطوطة : «بما أفتيتهم» ، فكتبتها على ما درجنا عليه «بم» ، وفي المطبوعة : «فبم» .

(٣) الأثر : ١٢٧٦٢ – مضى حديث سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، من طريقين أخريين ، رقم : ١٢٧٥٤ ، ١٢٧٥٦ .

وهذا الخبر رواه مالك في الموطأ ٣٥١ ، عن يحيى بن سعيد ، بغير هذا اللفظ ، ثم رواه بعد من طريق «ابن شهاب ، عن سالم بن عبد الله : أنه سمع أبا هريرة ، يحدث عبد الله بن عمر» ، ولفظه أقرب إلى لفظ أبي جعفر هذا .

(٤) الأثر : ١٢٧٦٣ – «يونس» ، هو «يونس بن أبي إسحق السبيعي» ، مضى مراراً ، وانظر التعليق على رقم : ١٢٧٥٨ ، ١٢٧٥٩ .

١٢٧٦٤ – حدثنا سعيد بن يحيي الأموى قال، حدثنا محمد بن سعيد قال ، حدثنا هشام = يعنى ابن عروة = قال ، حدثنا عروة ، عن يحيي بن عبدالرحمن ابن حاطب : أن عبد الرحمن حدثه : أنه اعتمر مع عثمان بن عفان فى ركبٍ فيهم عمرو بن العاص، حتى نزلوا بالرَّوحاء ، فقُرِّب إليهم طير وهم محرمون ، فقال لهم عثمان: كلوا ، فإنى غير آكله! فقال عمرو بن العاص: أتأمرنا بما لست آكلاً؟ فقال عثمان : إنى لولا أظنّ أنه اصطيد من أجلى ، لأكلت ! [١] فأكل القوم . [٢]

١٢٧٦٥ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ،عن هشام بن عروة ، عن أبيه : أن الزبير كان يتزوّد لحوم الوحش وهو محرم . [٣]

١٢٧٦٦ – حدثنا عبد الحميد بن بيان قال ، أخبرنا إسحق، عن شريك ، عن سماك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : ما صيد أو ذبح وأنت حلال فهو لك حلال ، وما صيد أو ذبح وأنت حرام فهو عليك حرام . ٧ / ٤٨

١٢٧٦٧ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا هرون،عن عمرو ، عن سماك، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : ما صيد من شيء وأنت حرام فهو عليك حرام ، وما صيد من شيء وأنت حلال فهو لك حلال .

و « أبو الشعثاء الكندى » ، مضى الكلام فى أمره واسمه ، فيما سلف ، فى التعليق على الأثرين رقم ٧٥ : ١٢ ، ١٢٧٥٩ ، ومضى تخريجه هناك .

(١) فى المطبوعة : « صيد من أجلى » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٢٧٦٤ – « يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب بن أبى بلتعة اللخمى » ، تابعى ثقة جليل ، وينسب إلى جده فيقال : « يحيى بن حاطب » ، مضى برقم : ٨٣٦٧ .

و « عبد الرحمن » هو أبوه « عبد الرحمن بن حاطب بن أبى بلتعة اللخمى » ، وهو فى الطبقة الأولى من تابعى أهل المدينة وفقهائهم ، ثقة قليل الحديث . مترجم فى التهذيب .

وهذا الخبر رواه البيهقى فى السنن الكبرى ٥ : ١٩١ من طريق أحمد بن يوسف السلمى ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، عن أبيه ، بنحوه .

(٣) الأثر : ١٢٧٦٥ – إسناده صحيح ، رواه مالك فى الموطأ : ٣٥٠ ، عن هشام ابن عروة عن أبيه : « أن الزبير بن العوام كان يتزود صفيف الظباء ، وهو محرم » هذا لفظه . فأراد بقوله « لحوم الوحش » ، الظباء ، فهى من الوحش .

١٢٧٦٨ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً » ، فجعل الصيد حراماً على المحرم صيده وأكله ما دام حراماً . وإن كان الصيدُ صِيدَ قبل أن يحرم الرجل ، فهو حلالٌ . وإن صاده حرامٌ لحلال ، فلا يحلّ له أكله .

١٢٧٦٩ – حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال : سألت أبا بشر عن المحرم يأكل مما صاده الحلال ؟ قال : كان سعيد بن جبير ومجاهد يقولان: ما صيد قبل أن يُحرِم أكل منه ، وما صيد بعد ما أحرم لم يأكل منه .

١٢٧٧٠ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا ابن جريج قال: كان عطاء يقولُ إذا سئل في العَلانِية : أيأكل الحرامُ الوَشيقةَ والشيء اليابس؟[1] = يقول بيني وبينه :لا أستطيع أن أبيِّن لك في مجلس ، إن ذبح قبل أن نُحرم فكل ، وإلا فلا تبع لحمه ولا تبتع .[2]

* * *

وقال آخرون : إنما عنى الله تعالى بقوله : « وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً » ، وحرم عليكم اصطياده . قالوا: فأما شراؤه من مالك يملكه وذبحه وأكله، بعد أن يكون مِلكه إياه على غير وجه الاصطياد له ، وبيعه وشراؤه جائز . قالوا : والنهي من الله تعالى ذكره ، عن صيده في حال الإحرام دون سائر المعاني .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٧٧١ – حدثني عبد الله بن أحمد بن شبويه قال ، حدثنا ابن أبي مريم

---

(١) « الوشيقة » مضى تفسيرها في ص : ٧٨ ، تعليق : ١ .

(٢) هكذا هذا الخبر في المخطوطة ، إلا أنه كتب : « وإن ذبح قبل أن تحرم » بالواو . وأنا في شك من سياق هذا الخبر ، أخشى أن يكون سقط منه شيء ، فإن السياق يقتضي أن يقال : إذا سئل في العلانية يقول : لا . ولكن هكذا جاء ، ولم أجده في مكان آخر ، فتركته على حاله حتى يصححه من يجده .

قال ، حدثنا يحيى بن أيوب قال ، أخبرني يحيى : أن أبا سلمة اشترى قَطاً وهو بالعَرْج وهو محرم ، ومعه محمد بن المنكدر ، فأكلها . (١) فعاب عليه ذلك الناسُ . (٢)

* * *

قال أبو جعفر : والصواب في ذلك من القول عندنا أن يقال : إن الله تعالى ذكره ، عمّ تحريم كل معاني صيد البرّ على المحرم في حال إحرامه ، من غير أن يخص من ذلك شيئاً دون شيء . فكل معاني الصيد حرام على المحرم ما دام حراماً ، بيعه وشراؤه واصطياده وقتله ، وغير ذلك من معانيه ، إلاّ أن يجده مذبوحاً قد ذبحه حلال لحلال ، فيحلّ له حينئذ أكله ، للثابت من الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي : —

١٢٧٧٢ — حدثناه يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن ابن جريج = وحدثني عبد الله بن أبي زياد قال ، حدثنا مكي بن إبراهيم قال ، حدثنا عبد الملك بن جريج = قال ، أخبرني محمد بن المنكدر ، عن معاذ بن عبدالرحمن ابن عثمان ، عن أبيه عبد الرحمن بن عثمان قال : كنا مع طلحة بن عبيد الله ونحن حُرُم ،فأهدى لنا طائرٌ ، فمنا من أكل، ومنا من تَورَّع فلم يأكل . فلما استيقظ طلحة وفّق من أكل، (٣) وقال: أكلناه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. (٤)

* * *

(١) في المطبوعة : «فأكله» ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو الصواب .

(٢) الأثر : ١٢٧٧١ — «عبد الله بن أحمد بن شبويه الخزاعي» ، شيخ الطبري ، مضى برقم : ١٩٠٩ ، ٤٦١٢ ، ٤٩٢٣ .

و «ابن أبي مريم» هو «سعيد بن أبي مريم» ، مضى برقم : ١٦٠ ، ٥٤٥٥ ، ٨٣٣٥ .

و «يحيى بن أيوب الغافقي» ، مضى برقم : ٣٨٧٧ ، ٤٣٣٠ .

و «يحيى» هو «يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري» ، مضى برقم : ٤٨٥٩ ، ٩٦٧٩ .

و «أبو سلمة» هو «أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف» . مضى قريباً .

(٣) في المطبوعة : «وافق من أكل» ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو الصواب الموافق لما في صحيح مسلم . وقوله : «وفق من أكل» : دعا له بالتوفيق ، واستصوب فعله .

(٤) الأثر : ١٢٧٧٢ — «يحيى بن سعيد» هو القطان .

فإن قال قائل : فما أنت قائل فيما روي عن الصعب بن جثّامة أنه أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رِجْلَ حمارِ وحش يقطر دماً، فردّه فقال : إنا حُرُم[1] = وفيما روى عن عائشة : أن وَشِيقة ظبي أهديت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم ، فردّها[2] = وما أشبه ذلك من الأخبار ؟

قيل : إنه ليس فى واحد من هذه الأخبار التى جاءت بهذا المعنى ، بيانُ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ردّ من ذلك ما ردّ وقد ذبحه الذابح إذ ذبحه ، وهو حلال لحلال ، ثم أهداه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حرام ، فرده وقال : « إنه لا يحل لنا لأنا حرم » ، وإنما ذكر فيه أنه أُهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم لحم صيد فردّه . وقد يجوز أن يكون ردُّه ذلك من أجل أنّ ذابحه ذبحه أو صائده صاده من أجله صلى الله عليه وسلم وهو محرم .

وقد بيّن خبر جابر عن النبيّ صلى الله عليه وسلم بقوله : « لحم صيد[البر] للمحرم حلال إلاّ ما صاده أو صيد له » ،[3] معنى ذلك كله .

فإذ كان كلا الخبرين صحيحاً مخرجهما ، فواجبٌ التصديقُ بهما ، وتوجيه كلّ واحد منهما إلى الصحيح من وجه ، وأن يقال : « ردُّه ما ردّ من ذلك من أجل

و « مكى بن إبراهيم بن بشير بن فرقد التميمى » الحافظ ، روى له أصحاب الكتب الستة . مترجم فى التهذيب .

و « معاذ بن عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله بن عثمان التيمى » ، ثقة .

وأبوه « عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الله التيمى » ، هو « شارب الذهب » ، صحابى ، أسلم يوم الحديبية ، وقيل يوم الفتح .

وهذا الخبر رواه مسلم فى صحيحه ٨ : ١١١ ، ١١٢ ، والبيهقى فى السنن الكبرى ٥ : ١٨٨ .

(١) حديث الصعب بن جثامة ، رواه مسلم فى صحيحه من طرق ٨ : ١٠٣ – ١٠٦ ، والسنن الكبرى للبيهقى ٥ : ١٩١ ، ١٩٤ ، واستوفى تخريجه هناك .

(٢) حديث عائشة ، رواه أحمد فى المسند ٦ : ٤٠ . وقد مضى تفسير « الوشيقة » فيما سلف ص : ٧٨ ، تعليق : ١ .

(٣) حديث جابر بن عبد الله ، خرجه البيهقى فى السنن الكبرى ٥ : ١٩٠ ، فانظر ما قاله فيه ، وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٣٣٣ ، وقال : أخرجه أحمد والحاكم وصححه . وزدت ما بين القوسين من الخبر ، وهو ساقط من المخطوطة والمطبوعة .

أنه كان صِيد من أجله = وإذنه فى أكل ما أذن فى أكله منه ، من أجل أنه لم يكن صِيد لمحرم ولا صاده محرم » ، فيصح معنى الخبرين كليهما .

* * *

واختلفوا فى صفة الصيد الذى عنى الله تعالى بالتحريم فى قوله : « وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً » .

فقال بعضهم : « صيد البر » ، كل ما كان يعيش فى البرّ والبحر ، وإنما « صيد البحر » ، ما كان يعيش فى الماء دون البرّ ويأوى إليه . ٧ / ٤٩

* ذكر من قال ذلك :

١٢٧٧٣ — حدثنا هناد بن السرى قال ، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى = ، عن عمران بن حدير ، عن أبى مجلز : « وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً » ، قال : ما كان يعيش فى البر والبحر فلا تصده ،[1] وما كان حياته فى الماء فذاك .[2]

١٢٧٧٤ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا الحجاج ، عن عطاء قال : ما كان يعيش فى البر فأصابه المحرم فعليه جزاؤه ، نحو السلحفاة والسرطان والضفادع .

١٢٧٧٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا هرون بن المغيرة ، عن عمرو بن أبى قيس ، عن الحجاج ، عن عطاء قال : كل شىء عاش فى البر والبحر فأصابه المحرم ، فعليه الكفارة .

١٢٧٧٦ — حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ، حدثنا ابن إدريس قال ، حدثنا يزيد بن أبى زياد ، عن عبد الملك بن سعيد بن جبير قال : خرجنا

---

(١) فى المطبوعة : « لا تصيده » ، وفى المخطوطة : « ولا تصده » ، وهذا صواب قراءتها .

(٢) الأثر : ١٢٧٧٣ — فى المخطوطة : « وهل كان حياته فى الماء فذاك » ، ولا أدرى ما « وهل » هنا ، وما فى المطبوعة أشبه بالصواب . وهذا الأثر أخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٣٣٢ ، بمثل ما فى المطبوعة ، وزاد نسبته لابن أبى حاتم ، وأبى الشيخ .

حجاجاً معنا رجلٌ من أهل السَّواد معه شُصُوصُ طير ماءٍ ،فقال له أبي حين أحرمنا : اعزل هذا عنا .(١)

١٢٧٧٧ – وحدثنا به أبو كريب مرة أخرى قال،حدثنا ابن إدريس قال ، سمعت يزيد بن أبي زياد قال ، حدثنا حجاج ، عن عطاء : أنه كَرِه للمحرم أن يذبح الدجاج الزِّنجي ، لأن له أصلاً في البر .(٢)

* * *

وقال بعضهم : صيد البر ما كان كونه في البرّ أكثر من كونه في البحر .(٣)

* ذكر من قال ذلك :

١٢٧٧٨ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا أبو عاصم قال ، ابن جريج أخبرناه ، قال : سألت عطاء عن ابن الماء ، أصيد برّ أم بحر ؟ وعن أشباهه ؟ فقال : حيث يكون أكثر ، فهو صيده .

١٢٧٧٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني وكيع ، عن سفيان ، عن رجل ، عن عطاء بن أبي رباح قال : أكثر ما يكون حيث يُفْرِخ ، فهو منه .

* * *

(١) الأثر : ١٢٧٧٦ – « يزيد بن أبي زياد الكوفي » ، مضى قريباً برقم : ١٢٧٤٠ ، وكان في حفظ يزيد شيء بعد ما كبر .

و « عبد الملك بن سعيد بن جبير الأسدي » ، روى عن أبيه وعكرمة . وروى عنه يزيد بن أبي زياد . وهو ثقة عزيز الحديث . مترجم في التهذيب . وكان في المطبوعة والمخطوطة : « عبد الملك عن سعيد بن جبير » ، وهو خطأ محض .

(٢) الأثر : ١٢٧٧٧ – هكذا جاء في المخطوطة والمطبوعة : « وحدثنا به أبو كريب مرة أخرى » وهذا إشعار بأنه سيروي الحديث السالف عن عبد الملك بن سعيد بن جبير عن أبيه ، ولكن اختلف الأمر جداً ، فإذا هو عن « حجاج عن عطاء » ، وإذا معناه بمعزل عن معنى الحديث الذي قبله ، بل هو بمعنى الحديث رقم : ١٢٧٧٥ ، وعن حجاج عن عطاء ، أيضاً . ولكن ذلك من رواية « ابن حميد » لا من رواية « أبي كريب » ، فتبين بذلك أنه ليس يصح أن يكون هذا الأخير قد تأخر عن مكانه . فأخشى أن يكون الناسخ قد اضطرب ، فاضطرب تصحيح هذا الموضع .

(٣) في المخطوطة : « ما كان أكثر كونه في البر » بزيادة « أكثر » هنا ، وهو لا يصح .

القول فى تأويل قوله ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٩٦)

قال أبو جعفر : وهذا تقدُّمٌ من الله تعالى ذكره إلى خلقه بالحذر من عقابه على معاصيه .

يقول تعالى ذكره : واخشوا الله، أيها الناس ، واحذروه بطاعته فيما أمركم به من فرائضه ،[1] وفيما نهاكم عنه فى هذه الآيات التى أنزلها على نبيكم صلى الله عليه وسلم ، من النهى عن الخمر والميسر والأنصاب والأزلام ، وعن إصابة صيد البر وقتله فى حال إحرامكم وفى غيرها ، فإنّ لله مصيركم ومرجعكم ،[2] فيعاقبكم بمعصيتكم إياه، ويجازيكم فيثيبكم على طاعتكم له .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : صيرّ الله الكعبة البيت الحرام قواماً للناس الذين لا قِوَام لهم من رئيس يحجز قويّهم عن ضعيفهم ،[3] ومسيئهم عن محسنهم ، وظالمهم عن مظلومهم = « والشهر الحرام والهدى والقلائد » ، فحجز بكل واحد من ذلك بعضهم عن بعض ، إذ لم يكن لهم قيامٌ غيره ، وجعلها معالم لدينهم ، ومصالح أمورهم .

* * *

و « الكعبة » ، سميت فيما قيل « كعبة » ، لتربيعها .

* * *

(١) انظر تفسير « اتق » فيما سلف من فهارس اللغة (وق) .
(٢) انظر تفسير « الحشر » فيما سلف ٤ : ٦/٢٢٨ : ٩/٢٢٩ : ٤٢٥ .
(٣) انظر تفسير « جعل » فيما سلف ٣ : ١٨ .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٧٨٠ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : إنما سميت « الكعبة » ، لأنها مربعة .

١٢٧٨١ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا هاشم بن القاسم ، عن أبي سعيد المؤدب ، عن النضر بن عربي ، عن عكرمة قال : إنما سميت « الكعبة » ، لتربيعها .[1]

* * *

وقيل : « قياماً للناس » بالياء ، وهو من ذوات الواو ، لكسرة القاف ، وهي « فاء » الفعل ، فجعلت « العين » منه بالكسرة « ياء » ، كما قيل في مصدر : «قمت» «قياماً» و «صمت» « صياماً » ، فحوّلت « العين » من الفعل : وهي « واو » « ياء » لكسرة فائه . وإنما هو في الأصل : « قمت قواماً » و «صمت صِوَاماً » ، وكذلك قوله : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس » ، فحوّلت ، واوها ياء ، إذ هي « قوام » .[2] وقد جاء ذلك من كلامهم مقولاً على أصله الذي هو أصله ، قال الراجز :[3]

* قِوَامُ دُنْيَا وَقَوَامُ دِين *[4]

فجاء به بالواو على أصله .

* * *

وجعل تعالى ذكره الكعبة والشهرَ الحرام والهديَ والقلائد قواماً لمن كان يحرِّم ذلك من العرب ويعظّمه ،[5] بمنزلة الرئيس الذي يقوم به أمر تُبَّاعه .

---

(١) الأثر : ١٢٧٨١ – « هاشم بن القاسم بن مسلم الليثي » ، « أبو النضر » ، الإمام الحافظ ، مضى برقم : ١٨٤ ، ٨٢٣٩ .

و « أبو سعيد المؤدب » هو : « محمد بن مسلم بن أبي الوضاح القضاعي » ، ثقة مأمون ، مضى برقم : ٨٢٣٩ ، ١٢٣١٠ .

(٢) انظر تفسير « قيام » فيما سلف ٧ : ٥٦٨ ، ٥٦٩ .

(٣) هو حميد الأرقط .

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ١٧٧ .

(٥) في المطبوعة : « يحترم ذلك » ، وصوابه من المخطوطة ، وفي المخطوطة : « ويعطيه » ، وصوابه ما في المطبوعة .

وأما « الكعبة » ، فالحرم كله . وسمّاها الله تعالى « حراماً » ، لتحريمه إياها أن يصاد صيدها أو يُختلى خلاَها ، أو يُعضد شجرها ، [1] وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى قبل . [2]

* * *

وقوله : « والشهر الحرام والهدي والقلائد » ، يقول تعالى ذكره : وجعل الشهر الحرام والهدى والقلائد أيضاً قياماً للناس ، كما جعل الكعبة البيت الحرام لهم قياماً .

* * *

و « الناس » الذين جعل ذلك لهم قياماً ، مختلفٌ فيهم .

فقال بعضهم : جعل الله ذلك فى الجاهلية قياماً للناس كلهم . ٧ / ٥٠

* * *

وقال بعضهم : بل عنى به العربَ خاصة .

* * *

وبمثل الذى قلنا فى تأويل « القوام » ، قال أهل التأويل .

* ذكر من قال : عنى الله تعالى ذكره بقوله : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس » ، القوام ، على نحو ما قلنا .

١٢٧٨٢ — حدثنا هناد قال ، حدثنا ابن أبى زائدة قال ، أخبرنا من سمع خُصَيفاً يحدث ، عن مجاهد فى : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس » ، قال : قواماً للناس .

١٢٧٨٣ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن خصيف ، عن سعيد بن جبير : « قياماً للناس » ، قال : صلاحاً لدينهم .

١٢٧٨٤ — حدثنا هناد قال ، حدثنا ابن أبى زائدة قال ، أخبرنا داود ، عن ابن جريج ، عن مجاهد فى : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس » ، قال :

---

(١) « الخلى » : الرطب الرقيق من النبات . و « اختلى الخلى » : جزه وقطعه ونزعه . و « عضد الشجرة » ، قطعها .

(٢) انظر ما سلف ٣ : ٤٥ — ٥١ .

حين لا يرْجون جنة ولا يخافون ناراً ، فشدّد الله ذلك بالإسلام .

١٢٧٨٥ – حدثنا هناد قال ، حدثنا ابن أبي زائدة ، عن إسرائيل ، عن أبي الهيثم ، عن سعيد بن جبير قوله : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس » ، قال : شدةً لدينهم .

١٢٧٨٦ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن أبي الهيثم ، عن سعيد بن جبير ، مثله .

١٢٧٨٧ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس » ، قال ، قيامها ، أن يأمن من توجّه إليها .

١٢٧٨٨ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد » ، يعني : قياماً لدينهم ، ومعالم لحجهم .

١٢٧٨٩ – حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد » ، جعل الله هذه الأربعةَ قياماً للناس ، هو قوام أمرهم .

* * *

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال وإن اختلفت من قائليها ألفاظُها ،[1] فإن معانيها آيلةٌ إلى ما قلنا في ذلك ، من أن « القوام » للشيء ، هو الذي به صلاحه ، كما الملك الأعظم ، قوامُ رعيته ومنْ في سلطانه ،[2] لأنه مدبِّر أمرهم ، وحاجز ظالمهم عن مظلومهم ، والدافع عنهم مكروه من بغاهم وعاداهم . وكذلك كانت الكعبة والشهرُ الحرام والهدي والقلائد ، قوامَ أمر العرب الذي كان به صلاحهم

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « من قائلها » بالإفراد ، وما أثبته أولى بالصحة .
(٢) في المطبوعة : « كالملك » ، والصواب الجيد ما في المخطوطة .

فى الجاهلية ، وهى فى الإسلام لأهله معالمُ حجهم ومناسكهم ، ومتوجَّههم لصلاتهم ، وقبلتهم التى باستقبالها يتمُّ فرضُهم .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قالت جماعة أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٧٩٠ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا جامع بن حماد قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد » ، حواجز أبقاها الله بين الناس فى الجاهلية ، [1] فكان الرجل لو جَرَّ كل جريرة ثم لجأ إلى الحرم لم يُتناول ولم يُقرب . وكان الرجل لو لقى قاتلَ أبيه فى الشهر الحرام لم يعرض له ولم يقرَبه . وكان الرجل إذا أراد البيت تقلد قلادةً من شعر فأحمته ومنعته من الناس . وكان إذا نفر تقلَّد قلادة من الإذْخِر أو من لِحَاء السمُر ، فمنعته من الناس حتى يأتى أهله ، [2] حواجزُ أبقاها الله بين الناس فى الجاهلية .

١٢٧٩١ – حدثنا يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « جعل الله الكعبة البيت الحرامَ قياماً للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد » ، قال : كان الناس كلهم فيهم ملوكٌ تدفع بعضَهم عن بعض . قال : ولم يكن فى العرب ملوكٌ تدفع بعضهم عن بعض ، فجعل الله تعالى ذكره لهم البيت الحرام قياماً ، يُدْفع بعضُهم عن بعض به ، والشهر الحرام كذلك ، يدفع الله بعضهم عن بعضهم بالأشهر الحرام ، والقلائد . قال : ويلقَى الرجل قاتل أخيه أو ابن عمه فلا يعرض له . وهذا كله قد نُسِخ .

---

(١) عندى أن الصواب « ألقاها الله » باللام ، فى هذا الموضع ، والذى يليه ، ولكن هكذا هى فى المخطوطة .

(٢) « الإذخر » : حشيشة طيبة الرائحة ، يسقف بها البيوت فوق الخشب ، ويطحن فيدخل فى الطيب . و « اللحاء » قشر الشجر . و « السمر » (بفتح السين وضم الميم) : شجر من الطلح .

١٢٧٩٢ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: « والقلائد »، كان ناس يتقلّدون لحاء الشجر في الجاهلية إذا أرادوا الحجّ، فيعرفون بذلك

* * *

وقد أتينا على البيان عن ذكر: « الشهر الحرام » = و « الهدى » = و « القلائد »، فيما مضى، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. (١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٩٧)

٥١/٧ قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: « ذلك »، تصييرَه الكعبةَ البيتَ الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد. يقول تعالى ذكره: صيرت لكم، أيها الناس، ذلك قياماً، كي تعلموا أن من أحدث لكم لمصالح دنياكم ما أحدث، مما به قوامكم، علماً منه بمنافعكم ومضاركم، أنه كذلك يعلم جميع ما في السموات وما في الأرض مما فيه صلاحُ عاجلكم وآجلكم، ولتعلموا أنه بكل شي « عليم »، لا يخفى عليه شيء من أموركم وأعمالكم، وهو محصيها عليكم، حتى يجازي المحسنَ منكم بإحسانه، والمسيء منكم بإساءته. (٢)

* * *

(١) انظر تفسير « الشهر الحرام » فيما سلف ٣ : ٥٧٥ – ٤/٥٧٩ : ٢٩٩، ٣٠٠ وما بعدها/٩ : ٤٦٦ = وتفسير « الهدى » فيما سلف ٤ : ٢٤، ٩/٢٥ : ٤٦٦/١١ : ٢٢ = وتفسير « القلائد » فيما سلف ٩ : ٤٦٧ – ٤٧٠.

(٢) انظر تفسير « عليم » فيما سلف من فهارس اللغة.

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٩٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : اعلموا، أيها الناس ، أن ربكم الذى يعلم ما فى السموات وما فى الأرض ، ولا يخفى عليه شىء من سرائر أعمالكم وعلانيتها ، وهو يُحْصيها عليكم ليجازيكم بها ، شديد عقابُه من عصاه وتمرّد عليه ، على معصيته إياه = وهو غفور لذنوب من أطاعه وأنابَ إليه ، فساترٌ عليه ، وتاركٌ فضيحته بها = رحيم به أن يعاقبه على ما سلف من ذنوبه بعد إنابته وتوبته منها[1] .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ (٩٩)

قال أبو جعفر : وهذا من الله تعالى ذكره تهديد لعباده ووعيد . يقول تعالى ذكره : ليس على رسولنا الذى أرسلناه إليكم ، أيها الناس ، بإنذاركم عقابَنا بين يدى عذاب شديد ، وإعذارنا إليكم بما فيه قطع حججكم = إلاّ أن يؤدى إليكم رسالتنا ، ثم إلينا الثواب على الطاعة ،[2] وعلينا العقاب على المعصية = « والله يعلم ما تبدون وما تكتمون » ، يقول : وغير خفى علينا المطيعُ منكم ، القابلُ رسالتنا ، العاملُ بما أمرته بالعمل به = من المعاصى الآبى رسالتنا ، التارك العمل بما أمرته بالعمل به ،[3] لأنا نعلم ما عمله العامل منكم فأظهره بجوارحه ونطق

---

(١) انظر تفسير « شديد العقاب » ، و « غفور » ، و « رحيم » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٢) انظر تفسير « البلاغ » فيما سلف ١٠ : ٥٧٥

(٣) فى المطبوعة : « من العاصى التارك العمل » ، أسقط ما كان فى المخطوطة ، وكان فيها :

به بلسانه = « وما تكتمون » ، يعنى : وما تخفونه فى أنفسكم من إيمان وكفر ، أو يقين وشك ونفاق .[١]

يقول تعالى ذكره : فمن كان كذلك، لا يخفى عليه شيء من ضمائر الصدور، وظواهر أعمال النفوس ، مما فى السموات وما فى الأرض ، وبيده الثواب والعقاب = فحقيق أن يُتَّقى ، وأن يُطاع فلا يعصى .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، قل يا محمد : لا يعتدل الردىء والجيد ، والصالح والطالح، والمطيع والعاصى[٢]= « ولو أعجبك كثرة الخبيث » ، يقول : لا يعتدل العاصى والمطيع لله عند الله ، ولو كثر أهل المعاصى فعجبت من كثرتهم ،لأن أهل طاعة الله هم المفلحون الفائزون بثواب الله يوم القيامة وإن قلُّوا ، دون أهل معصيته = وإن أهل معاصيه هم الأخسرون الخائبون وإن كثروا .

يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : فلا تعجبنَّ من كثرة من يعصى الله فيُمْهِله ولا يعاجله بالعقوبة، فإن العقبىَ الصالحة لأهل طاعة الله عنده دونهم ، كما : —

« من المعاصى التى ، رسالتنا » هكذا كتبت ، وبين الكلام بياض ورسم « ، » بالحمرة . فآثرت قراءتها كما أثبتها .

(١) انظر تفسير « تبدون » و « تكتمون » فى فهارس اللغة « بدا » و « كتم » .

(٢) انظر تفسير : « استوى » فيما سلف ٩ : ٨٥ = وتفسير « الخبيث » فيما سلف ٥ : ٥٥٨ ، ٧/٥٥٩ : ٤٢٤ ، ٥٢٧ = وتفسير « الطيب » فيما سلف ١٠ : ٥١٣ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

١٢٧٩٣ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى ، « لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث » ، قال : « الخبيث » ، هم المشركون = و«الطيب » ، هم المؤمنون .

* * *

وهذا الكلام وإن كان مخرجه مخرجَ الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالمراد به بعض أتباعه ، يدل على ذلك قوله : « فاتقوا الله يا أولى الألباب لعلكم تفلحون » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١٠٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : واتقوا الله بطاعته فيما أمركم ونهاكم ، واحذروا أن يستحوذ عليكم الشيطان بإعجابكم كثرة الخبيث ، فتصيروا منهم = « يا أولى الألباب »، يعنى بذلك أهلَ العقول والحِجىَ الذين عقلوا عن الله آياته ، وعرفوا مواقع حججه [1] =« لعلكم تفلحون »، يقول: اتقوا الله لتفلحوا ، أى: كى تنجحوا فى طلبكم ما عنده [2] .

* * *

---

(١) انظر تفسير « أولى الألباب » فيما سلف ٣ : ٤/٣٨٣ : ٥/١٦٢ : ٦/٥٨٠ : ٢١١ ، وفى التعليق على المواضع السالفة خطأ ، يصحح من هنا .

(٢) انظر تفسير « الفلاح » فيما سلف ١٠ : ٥٦٤ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : ذكر أن هذه الآية أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب مسائل كان يسألها إياه أقوام ، امتحاناً له أحياناً ، واستهزاءً أحياناً . فيقول له بعضهم : « من أبي » ؟ ويقول له بعضهم إذا ضلت ناقته : « أين ناقتى » ؟ فقال لهم تعالى ذكره : لا تسألوا عن أشياءَ من ذلك = كمسألة عبد الله بن حُذافة إياه من أبوه = « إن تبدلكم تسؤكم » ، يقول : إن أبدينا لكم حقيقة ما تسألون عنه ، ساءكم إبداؤها وإظهارها . ٥٢/٧

وبنحو الذى قلنا فى ذلك تظاهرت الأخبار عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* ذكر الرواية بذلك :

١٢٧٩٤ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا حفص بن بُغَيل قال، حدثنا زهير بن معاوية قال ، حدثنا أبو الجويرية قال : قال ابن عباس لأعرابيّ من بنى سليم : هل تدرى فيما أنزلت هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » ؟ حتى فرغ من الآية ، فقال : كان قوم يسألون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم استهزاء، فيقول الرجل : « من أبي »؟ = والرجل تضل ناقته فيقول : « أين ناقتى » ؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية .[1]

---

(١) الأثر : ١٢٧٩٤ — « حفص بن بغيل الهمدانى المرهبى »، ثقة ، مضى برقم : ٩٦٣٩ ، وكان فى المطبوعة هنا « بعض بنى نفيل » ، وفى المخطوطة : « بعض بن نفيل » ، وكله خطأ ، وكذلك جاء خطأ فى فتح البارى « حفص بن نفيل » بالفاء ، وهو « بغيل » بالغين ، على التصغير .

و « زهير بن معاوية الجعفى » ، هو « أبو خيثمة » . ثقة ثبت ، روى له أصحاب الكتب الستة . مضى برقم : ٢١٤٤ ، ٢٢٢٢ .

و « أبو الجويرية » هو « حطان بن خفاف بن زهير بن عبد الله بن رمح بن عرعرة الجعفى » ،

١٢٧٩٥ – حدثني محمد بن المثنى قال، حدثنا أبو عامر وأبو داود قالا ، حدثنا هشام ، عن قتادة ، عن أنس قال : سأل الناسُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حتى أحفَوه بالمسألة ،(١) فصعد المنبر ذات يوم فقال : لا تسألوني عن شيء إلاّ بيَّنْتُ لكم ! (٢)قال أنس: فجعلت أنظر يميناً وشمالاً فأرى كل إنسان لافًّا ثوبَه يبكي ، فأنشأ رجل كان إذا لاحَى يُدعى إلى غير أبيه ،(٣) فقال : يا رسول الله ، من أبي ؟ فقال: أبوك حذافة ! قال : فأنشأ عمر فقال: رضينا بالله ربًّا ، وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً ، وأعوذ بالله من سوء الفتن ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم أرَ الشرّ والخيرَ كاليوم قط ! (٤) إنه صُوِّرت لي الجنة والنار حتى رأيتهما وراء الحائط ! = وكان قتادة يذكر هذا الحديث عند هذه الآية : « لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسؤكم » .(٥)

روى عن ابن عباس . ثقة ، قال ابن عبد البر : « أجمعوا على أنه ثقة » . مترجم في التهذيب ، والكبير ١٠٩/١/٢ ، وابن أبي حاتم ٣٠٤/٢/١ .

وهذا الخبر رواه البخاري في صحيحه (الفتح ٨ : ٢١٢) من طريق الفضل بن سهل ، عن أبي النضر هاشم بن القاسم ، عن أبي خيثمة زهير بن معاوية ، عن أبي الجويرية ، بنحوه . وأشار إلى إسناد أبي جعفر ، الحافظ ابن حجر في شرح الحديث . وقال ابن كثير في تفسيره ٣ : ٢٥٠ ، وذكر حديث البخاري : « تفرد به البخاري » .

وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٣٣٤ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم ، والطبراني، وابن مردويه .

(١) « أحفاه بالمسألة » ، و « أحفى السؤال » : ألح عليه ، وأكثر الطلب ، واستقصى في السؤال .

(٢) في المطبوعة : « إلا بينته » بالضمير ، كما في صحيح مسلم ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو صواب أيضاً .

(٣) يقال : « أنشأ فلان يفعل كذا » ، أي : أقبل يفعل ، أو ابتدأ يفعل ، وهو هنا في هذا الموضع والذي يليه ، أحسنه أن يفسر : « أقبل » = و « لاحى الرجل أخاه » : إذا نازعه وسابه وشاتمه .

(٤) في المطبوعة : « لم أر في الشر والخير » بزيادة « في » ، كما في مسلم : « لم أر كاليوم قط في الخير والشر » ، واتبعت المخطوطة فحذفت « في » .

(٥) الأثر : ١٢٧٩٥ – « أبو عامر » هو العقدي : « عبد الملك بن عمرو القيسي » ،

١٢٧٩٦ – حدثني محمد بن معمر البحراني قال، حدثنا روح بن عبادة قال ، حدثنا شعبة قال ، أخبرني موسى بن أنس قال ، سمعت أنساً يقول ، قال رجل : يا رسول الله ، من أبي ؟ قال : أبوك فلان ! قال : فنزلت : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسؤكم » .(١)

١٢٧٩٧ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة في قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسؤكم » ، قال : فحدّثنا أن أنس بن مالك حدّثهم : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوه حتى أحفَوْه بالمسألة ، فخرج عليهم ذات يوم فصعد المنبر فقال : لا تسألوني اليومَ عن شيء إلاّ بينته لكم ! فأشفقَ أصحاب رسول الله صلى الله عليه

ثقة مأمون ، مضى مراراً كثيرة جداً .

و « أبو داود » هو الطيالسي .

و « هشام » هو الدستوائي .

وهذا الخبر ، رواه مسلم في صحيحه من طرق (١٥ : ١١٤ ، ١١٥) ، من طريق : يوسف ابن حماد المعني ، عن عبد الأعلى ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ، ثم أشار إلى روايته من طريق يحيى بن حبيب الحارثي ، عن خالد بن الحارث ،عن هشام = ومن طريق محمد بن بشار ، عن محمد ابن أبي عدي ، عن هشام . وهو مثل طريق أبي جعفر . وسيأتي أيضاً برقم : ١٢٧٩٧ . وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٣٣٤ ، واقتصر على نسبته لابن جرير ، وابن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه ، وقصر فلم ينسبه إلى صحيح مسلم .

(١) الأثر : ١٢٧٩٦ – « محمد بن معمر بن ربعي القيسي البحراني » ، شيخ الطبري روى عنه أصحاب الكتب الستة ، ومضى برقم : ٢٤١ ، ٣٠٥٦ ، ٥٣٩٣ .

و « روح بن عبادة القيسي » ، مضى برقم : ٣٠١٥ ، ٣٣٥٥ ، ٣٩١٢ .

و « موسى بن أنس بن مالك الأنصاري » ، تابعي ثقة قليل الحديث ، مضى برقم : ١١٤٧٥ .

وهذا الخبر رواه البخاري في صحيحه من طريقين عن شعبة ، من طريق منذر بن الوليد بن عبد الرحمن الجارودي ، عن أبيه ، عن شعبة (الفتح ٨ : ٢١٠ – ٢١٢) مطولا ، وأشار بعده إلى رواية النضر ،وروح بن عبادة، عن شعبة = ثم رواه من طريق محمد بن عبد الرحيم ، عن روح ، عن شعبة ، مختصراً كالذي هنا (الفتح ١٣ : ٢٣٠) وخرجه الحافظ ابن حجر في الموضعين .

ورواه مسلم في صحيحه (١٥ : ١١٢) ، من طريق محمد بن معمر ، بمثل رواية أبي جعفر .

وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٣٣٤ ، وزاد نسبته إلى الترمذي ، والنسائي ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه .

وسلم أن يكون بين يديه أمر قد حضر ، فجعلتُ لا ألتفت يميناً ولا شمالاً إلا وجدت كُلاً لافًّا رأسه فى ثوبه يبكى . فأنشأ رجلٌ كان يُلاَحى فيدعى إلى غير أبيه ، فقال : يا نبى الله ، من أبى ؟ قال : أبوك حذافة ! قال : ثم قام عمر = (١) أو قال : فأنشأ عمر = فقال : رضينا بالله ربًّا ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً ، عائذاً بالله = أو قال : أعوذ بالله = من سوء الفتن ! قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم أر فى الخير والشر كاليوم قط ، صُوِّرت لى الجنة والنارُ حتى رأيتهما دون الحائط . (٢)

١٢٧٩٨ — حدثنا أحمد بن هشام وسفيان بن وكيع قالا ، حدثنا معاذ بن معاذ قال ، حدثنا ابن عون ، قال : سألت عكرمة مولى ابن عباس عن قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسؤكم » ، قال : ذاك يوم قام فيهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال : لا تسألونى عن شئ إلا أخبرتكم به ! قال : فقام رجل ، فكره المسلمون مقامه يومئذ ، فقال : يا رسول الله ، من أبى ؟ قال : أبوك حذافة ، قال : فنزلت هذه الآية . (٣)

١٢٧٩٩ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه قال : نزلت : « لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم

---

(١) فى المطبوعة : « ثم قال عمر » ، غير ما فى المخطوطة ، وهو الصواب .

(٢) الأثر : ١٢٧٩٧ — هو مكرر الأثر رقم : ١٢٧٩٥ ، بنحو لفظه ، ورواه أبو جعفر هنا من طريق سعيد ، عن قتادة ، وهى طريق مسلم التى رواها فى صحيحه ، كما أشرت إليه فى تخريج الخبر رقم : ١٢٧٩٥ .

(٣) الأثر : ١٢٧٩٨ — « أحمد بن هشام » شيخ أبى جعفر ، لم أستطع أن أحدد من يكون ، وهناك : « أحمد بن هشام بن بهرام » ، « أبو عبد الله المدائنى » مترجم فى تاريخ بغداد ٥ : ١٩٧ .

و « أحمد بن هشام بن حميد » ، « أبو بكر المصرى » ، سكن البصرة ، وحدث بها . مترجم أيضاً فى تاريخ بغداد ٥ : ١٩٨ .

وأما « معاذ بن معاذ بن نصر بن حسان العنبرى » ، « أبو المثنى » ، الحافظ البصرى ، فقد سلف برقم : ١٠٤٨٢ .

تسؤكم » ، فى رجل قال : يا رسول الله ، من أبى ؟ قال : أبوك فلان .

١٢٨٠٠ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى سفيان ، عن معمر، عن قتادة قال : سألوا النبى صلى الله عليه وسلم حتى أكثروا عليه ، فقام مغضباً خطيباً فقال: سلونى ، فوالله لا تسألونى عن شىء ما دمت فى مقامى إلاّ حدثتكم ! فقام رجل فقال : من أبى؟ قال : أبوك حذافة . واشتدّ غضبه وقال : سلونى ! فلما رأى الناس ذلك كثر بكاؤهم، فجثا عمر على ركبتيه فقال : رضينا بالله ربًّا = قال معمر ، قال الزهرى ، قال أنس مثل ذلك : فجثا عمر على ركبتيه =[1] فقال: رضينا بالله ربًّا = وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما والذى نفسى بيده ، لقد صُوِّرت لى الجنةُ والنارُ آنفاً فى عرض هذا الحائط ، فلم أر كاليوم فى الخير والشر = قال الزهرى ، فقالت أم عبد الله بن حذافة : ما رأيت ولداً أعقّ منك قط ! أتأمن أن تكون أمك قارفت ما قارفَ أهلُ الجاهلية فتفضحها على رؤوس الناس !! فقال: والله لو ألحقنى بعبدٍ أسود للحقتُه .[2] ٥٣/٧

١٢٨٠١ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » ، قال : غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً من الأيام ، فقام

---

(١) هذه إشارة من سفيان إلى رواية يونس عن الزهرى ، ورواية عبد الرزاق عن معمر ، عن الزهرى : « برك عمر »، أو « فبرك عمر على ركبتيه »، كما فى مسلم ١٥ : ١١٣ ، والبخارى (الفتح ١٣ : ٢٣٠) .

(٢) الأثر : ١٢٨٠٠ – هذا الخبر من رواية سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، عن أنس = ومن روايته عن معمر ، عن الزهرى ، عن أنس . وأخرجه البخارى فى صحيحه (الفتح ١٣ : ٢٣٠) من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهرى ، وأخرجه مسلم فى صحيحه (١٥ : ١١٢) من طريق يونس ، عن الزهرى ، ثم أشار فى (١٥ : ١١٤) إلى طريق عبد الرزاق، عن معمر . أما خبر قتادة ، عن أنس ، فقد مضى برقم : ١٢٧٩٥ ، ١٢٧٩٧ .

وخرجه ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٢٤٩ .

خطيباً فقال : سلوني ، فإنكم لا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به ! فقام إليه رجل من قريش ، من بني سهم ، يقال له « عبد الله بن حذافة » ، وكان يُطْعن فيه ، قال : فقال : يا رسول الله ، من أبي ؟ قال : أبوك فلان ! فدعاه لأبيه . فقام إليه عمر فقبَّل رجله وقال : يا رسولَ الله ، رضينا بالله ربًّا ، وبك نبيًّا ، وبالإسلام ديناً ، وبالقرآن إماماً ، فاعف عنا عفا الله عنك ! فلم يزل به حتى رَضِيَ ، فيومئذ قال : « الولد للفراش وللعاهر الحجر . »(١)

١٢٨٠٢ – حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا قيس ، عن أبي حصين ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غضبان محمارٌّ وجهه ! حتى جلس على المنبر ، فقام إليه رجل فقال : أين أبي ؟ قال : في النار ، فقام آخر فقال : من أبي ؟ قال : أبوك حذافة ! فقام عمر بن الخطاب فقال : رضينا بالله ربًّا ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًّا ، وبالقرآن إماماً ، إنا يا رسول الله حديثو عهد بجاهلية وشِرْك ، والله يعلمُ من آباؤنا ! قال : فسكن غضبه ، ونزلت : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » .(٢)

* * *

---

(١) الأثر : ١٢٨٠١ – روى الحاكم في المستدرك ٣ : ٦٣١ من طريق نعيم بن حماد ، عن هشيم ، عن سيار ، عن أبي وائل :

« أن عبد الله بن حذافة بن قيس قال : يا رسول الله ، من أبي ؟ قال : أبُوك حُذافة ، الولد للفراش وللعَاهر الحجَرُ . قال : لو دعوتني لحبشيٍّ لاتبعته ! فقالت له أُمُّه : لقد عَرَّضتني ! فقال : إنِّي أردتُ أن أستريح ! »

(٢) الأثر : ١٢٨٠٢ – « الحارث » هو « الحارث بن أبي أسامة » منسوباً إلى جده ، وهو « الحارث بن محمد بن أبي أسامة التميمي » ، مضت ترجمته برقم : ١٠٢٩٥ .

و « عبد العزيز » هو « عبد العزيز بن أبان الأموي » ، من ولد سعيد بن العاص ، كان كذاباً يضع الأحاديث ، وذمه يطول . ومضى برقم : ١٠٢٩٥ .

و « قيس » هو « قيس بن الربيع الأسدي » ، وهو ثقة ، ولكنهم ضعفوه ، ومضى أيضاً برقم ١٠٢٩٥ .

وقال آخرون : نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل مسألة سائل سأله عن شيء في أمر الحجّ .

* ذكر من قال ذلك

١٢٨٠٣ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا منصور بن وردان الأسدي قال ، حدثنا على بن عبد الأعلى قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ سورة آل عمران : ٩٧] ، قالوا : يارسول الله ، أفي كل عام ؟ فسكت . ثم قالوا : أفي كل عام ؟ فسكت . ثم قال : لا ، ولو قلت : « نعم » لوجبت ! فأنزل الله هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا لاتسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » .(١)

و « أبو حصين » هو « عثمان بن عاصم بن حصين الأسدى» ، روى له أصحاب الكتب الستة . مضى برقم : ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٨٩٦١ ، ٨٩٦٢ .

و « أبو صالح » هو « ذكوان السمان » ، من أجل الناس وأوثقهم . سلف مراراً .

وإسناد هذا الخبر إلى« قيس بن الربيع » ، إسناد هالك ، ولكن ابن كثير فى تفسيره ٢ : ٢٤٩ ، ساقه عن هذا الموضع من الطبرى ثم قال : « إسناده جيد » ، وكيف ، وفيه « عبد العزيز بن أبان » ؟

وذكر هذا الخبر ، الجصاص فى أحكام القرآن ٢ : ٤٨٣ ، يقول : « روى قيس بن الربيع عن أبى حصين ، عن أبى هريرة » ، ولم يذكر إسناده .

(١) الأثر : ١٢٨٠٣ – « منصور بن وردان الأسدى » العطار الكوفى ، شيخ أحمد . روى عن فطر بن خليفة ، وعلى بن عبد الأعلى . ذكره ابن حبان فى الثقات ، ووثقه أحمد . وقال ابن أبى حاتم : « يكتب حديثه » . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/١/٣٤٧ ، وابن أبى حاتم ٤/١/١٨٠ .

« على بن عبد الأعلى بن عامر الثعلبى » ، أبو الحسن الأحول . وثقة البخارى والترمذى ، وقال الدارقطنى : « ليس بالقوى» مترجم ، فى التهذيب .

وهذا الخبر ، رواه أحمد فى المسند رقم ٩٠٥ ، من طريق منصور بن وردان الأسدى ، عن على بن عبد الأعلى ، عن أبيه ، عن أبى البخترى ، عن على قال ، بمثل ما فى رواية أبى جعفر غير موصولة .

ورواه الترمذى فى كتاب التفسير عن أبى سعيد ، عن منصور بن وردان ، بإسناده بمثل رواية أحمد ، وقال : « هذا حديث حسن غريب من حديث على » .

ورواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، من طريق أحمد بن موسى بن إسحق التميمى ، عن مخول بن إبراهيم النهدى ، عن منصور بن وردان . ولم يقل فيه الحاكم شيئاً ، وقال الذهبى

١٢٨٠٤ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عبد الرحيم بن سليمان ، عن إبراهيم بن مسلم الهجرى ، عن أبى عياض ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن الله كتب عليكم الحج ! فقال رجل : أفى كل عام يا رسول الله ؟ فأعرض عنه ، حتى عاد مرتين أو ثلاثاً ، فقال : من السائل ؟ فقال : فلان ! فقال : والذى نفسى بيده ، لو قلت « نعم » لوجبت ، ولو وجبت عليكم ما أطقتموه ، ولو تركتموه لكفرتم ! فأنزل الله هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » ، حتى ختم الآية .(١)

١٢٨٠٥ – حدثنى محمد بن على بن الحسن بن شقيق قال ، سمعت أبى قال ، أخبرنا الحسين بن واقد ، عن محمد بن زياد قال : سمعت أبا هريرة يقول : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا أيها الناس ، كتب الله عليكم

فى تعليقه : « مخول : رافضى ، = وعبد الأعلى ، هو ابن عامر ، ضعفه أحمد » .

ورواه ابن ماجة فى السنن رقم : ٢٨٨٤ من طريق محمد بن عبد الله بن نمير ، وعلى بن محمد ، عن منصور بن وردان ، بمثله .

وخرجه ابن كثير فى تفسيره ٢ : ٣/١٩٥ : ٢٥٠ ، وذكر خبر الترمذى وما قاله ثم قال : « وفيما قال نظر . لأن البخارى قال : لم يسمع أبو البخترى من على » .

وقال أخى السيد أحمد فى شرح المسند (رقم : ٩٠٥) : « إسناده ضعيف ، لانقطاعه ، ولضعف عبد الأعلى بن عامر الثعلبى » .

(١) الأثر : ١٢٨٠٤ – « عبد الرحيم بن سليمان الطائى الرازى » ، الأشل . ثقة مضى برقم : ٢٠٢٨ ، ٢٠٣٠ ، ٢٢٥٤ ، ٨١٥٦ ، ٨١٥٧ ، ٨١٦١ . وكان فى المطبوعة والمخطوطة «عبد الرحمن بن سليمان » ، والصواب من تفسير ابن كثير .

و « إبراهيم بن مسلم الهجرى » ضعيف ، لين الحديث ، مترجم فى الكبير للبخارى ١/١/٣٢٦ ، وضعفه ، وابن أبى حاتم ١/١/١٣١ ، وميزان الاعتدال للذهبى ١ : ٣١ .

و « أبو عياض » هو : « عمرو بن الأسود العنسى» ، ويقال : « عمير بن الأسود » ، ثقة ، مضى برقم : ١١٢٥٥ . وكان فى المطبوعة : «ابن عياض » ، والصواب من المخطوطة .

وهذا خبر ضعيف إسناده ، لضعف « إبراهيم بن مسلم الهجرى » .

ذكره الجصاص فى أحكام القرآن ٢ : ٤٨٣ ، ونقله ابن كثير فى تفسيره عن هذا الموضع ٣ : ٢٥٠ .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٣٣٥ ، وزاد نسبته إلى الفريابى وابن مردويه .

الحج . فقام مِحْصن الأسدى فقال : أفى كل عام ، يا رسول الله ؟ فقال : أمَا إنّى لو قلت « نعم » لوجبت ، ولو وجبت ثم تركتم لضللتم ، اسكتوا عنى ما سكتُّ عنكم ، فإنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ! فأنزل الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » ، إلى آخر الآية .(١)

---

(١) الأثر : ١٢٨٠٥ – « محمد بن على بن الحسن بن شقيق العبدى » ثقة ، مضى برقم : ١٥٩١ ، ٢٥٧٥ ، ٩٩٥١ .

وأبوه « على بن الحسن بن شقيق » ، ثقة أيضاً ، مضى برقم : ١٥٩١ ، ٢٥٧٥ .

وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « بن الحسين بن شقيق » ، وهو خطأ .

و « الحسين بن واقد المروزى » ، ثقة ، مضى برقم : ٤٨١٠ ، ٦٣١١ .

و « محمد بن زياد القرشى الجمحى » أبو الحارث ، روى له أصحاب الكتب الستة ، روى عن أبى هريرة وعائشة ، وعبد الله بن الزبير . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/١/٨٢ ، وابن أبى حاتم ٣/٢/٢٥٧ .

وهذا الخبر رواه أحمد فى مسنده مختصراً ، ومطولا . رواه مختصراً من طريق محمد بن زياد ، عن أبى هريرة ، وليس فيه ذكر الحج ، ولا السؤال ، ولا ذكر السائل ، فى المسند ٢ : ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، من طريق وكيع ، عن حماد ، عن محمد بن زياد . ثم رواه ٢ : ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، من طريق محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن محمد بن زياد . ثم رواه : ٢ : ٤٦٧ ، من طريق عبد الرحمن ابن مهدى ، عن حماد بن سلمة ، عن محمد بن زياد .

ثم رواه مطولا فيه ذكر الحج ، والسؤال عنه ، والسائل « رجل » ، لم يبين فى الخبر اسمه (٢ : ٥٠٨) من طريق يزيد بن هرون ، عن الربيع بن مسلم القرشى ، عن محمد بن زياد ، وليس فيه ذكر الآية ونزولها .

ومن هذه الطريق رواه مسلم فى صحيحه (٩ : ١٠٠) ، عن زهير بن حرب ، عن يزيد ابن هرون ، بمثله .

ورواه البخارى مختصراً أيضاً (الفتح ١٣ : ٢١٩ – ٢٢٤) من طريق إسماعيل بن أبى أويس ، عن مالك ، عن أبى الزناد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة .

ورواه البيهقى فى السنن الكبرى ٤ : ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، من طريق عبيد الله بن موسى ، عن الربيع ابن مسلم القرشى ، ومن طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل ، عن أبيه ، عن يزيد بن هرون .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٣٣٥ ، وزاد نسبته إلى أبى الشيخ ، وابن مردويه ، بمثل رواية أبى جعفر هنا .

وفى جميع ذلك جاء « فقال رجل » ، مبهماً ، ليس فيه التصريح باسمه ، وقال النووى فى شرحه على مسلم (٩ : ١٠١) : « هذا الرجل هو الأقرع بن حابس ، كذا جاء مبيناً فى غير هذه الرواية » ، والرواية التى جاء فيها مبيناً هى من حديث ابن عباس ، وفيها : « فقام الأقرع بن حابس فقال » ، رواها

١٢٨٠٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا الحسين بن واقد ، عن محمد بن زياد قال : سمعت أبا هريرة يقول : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم = فذكر مثله ، إلا أنه قال : فقام عُكَّاشة بن محصن الأسدى. (١)

١٢٨٠٧ – حدثنا زكريا بن يحيى بن أبان المصري قال، حدثنا أبو زيد عبد الرحمن بن أبي الغمر قال ، حدثنا أبو مطيع معاوية بن يحيى ، عن صفوان

أحمد فى مسنده من طرق عن ابن شهاب الزهرى ، عن أبى سنان ، عن ابن عباس ، وهى رقم : ٢٣٠٤ ، ٢٦٤٢ ، ٣٣٠٣ ، ٣٥١٠ ، ٣٥٢٠ ، وكذلك رواها البيهقى فى السنن الكبرى ٤ : ٣٢٦ .

وقد أشار الحافظ ابن حجر فى الفتح (١٣ : ٢٢٠) ، إلى حديث مسلم ، وما فيه من زيادة السؤال عن الحج ، ثم قال : « وأخرجه الدار قطنى مختصراً وزاد فيه « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » = وله شاهد عن ابن عباس،عند الطبرى فى التفسير ». قلت : يعنى الأثر السالف رقم : ١٢٧٩٤ ، لا هذا الأثر . ولم يشر الحافظ إلى خبر الحسين بن واقد ، عن محمد بن زياد .

وقد اختلف على « الحسين بن واقد » فى اسم الرجل الذى سأل ، فجاء فى هذا الخبر « محصن الأسدى » ، وفى الذى يليه « عكاشة بن محصن الأسدى »،وقد ذكر ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٢٥٠ ، ٢٥١ ، الخبر السالف رقم ١٢٨٠٤ ، ثم قال : « ثم رواه ابن جرير من طريق الحسين بن واقد ، عن محمد بن زياد ، عن أبى هريرة وقال : فقام محصن الأسدى ، وفى رواية من هذه الطريق : عكاشة بن محصن ، وهو أشبه » ، ولم يزد على ذلك .

وهذا اختلاف فى اسم الرجل « الأقرع بن حابس » ، أو « عكاشة بن محصن الأسدى » ، وأوثقهما أن يكون «الأقرع بن حابس » ، فإنها جاءت بأسانيد صحاح لاشك فى صحتها . أما علة ما جاء فى رواية أبى جعفر ، فذلك أن « الحسين بن واقد المروزى » ، ثقة ، قال النسائى : « لا بأس به » ووثقه ابن معين . ولكن قال ابن حبان : « من خيار الناس ، وربما أخطأ فى الروايات » ، وقال أحمد : « فى أحاديثه زيادة ، ما أدرى أى شىء هى ! ونفض يده » ، وقال الساجى : « فيه نظر ، وهو صدوق ، يهم » .

ورواية الثقات الحفاظ عن « محمد بن زياد ، عن أبى هريرة » ، لم يذكر فيها « عكاشة ابن محصن » ، ولم يبين الرجل ، ولكن الحسين بن واقد ، رواه عن محمد بن زياد ، فبين الرجل ، وخالف البيان الذى روى من طرق صحاح عن ابن عباس أنه « الأقرع بن حابس » ، فهذا من فعل « الحسين بن واقد » ، يؤيد ما قاله أحمد وغيره : أن فى أحاديثه زيادة لا يدرى أى شىء هى ! وكتبه محمود محمد شاكر .

(١) الأثر : ١٢٨٠٦ – هو مكرر الأثر السالف ، وقد ذكرت القول فيه هناك .

ابن عمرو قال ، حدثني سليم بن عامر قال : سمعت أبا أمامة الباهلي يقول : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فقال : كتب عليكم الحج ! فقام رجل من الأعراب فقال : أفي كل عام ؟ قال فغَلِقَ كلامُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأسكتَ ،(١) واستغضب ،(٢) فمكث طويلاً ثم تكلم فقال : من السائل ؟ فقال الأعرابي : أنا ذا ! فقال : ويحك ! ماذا يُؤْمِنك أن قول « نعم » ، ولو قلت « نعم » لوجبت ، ولو وجبت لكفرتم ! ألا إنه إنما أهلك الذين قبلكم أئمة الحَرَج ،(٣) والله لو أني أحللت لكم جميع ما في الأرض ، وحرَّمت عليكم منها موضع خُفٍّ ، لوقعتم فيه ! قال : فأنزل الله تعالى عند ذلك : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء » ، إلى آخر الآية .(٤) ٥٤/٧

---

(١) في المطبوعة وابن كثير : « فعلا كلام رسول الله » ، وهو خطأ لا شك فيه . وفي المخطوطة « فعلى » ، كأن آخرها « نون » وهي غير منقوطة . وفي مجمع الزوائد : « فعلق » بالعين المهملة ، وأرجح أن الصواب ما أثبته . يقال : « غلق فلان ، في حدته » (بفتح الغين وكسر اللام) أي : نشب ، قال شمر : « يقال لكل شيء نشب في شيء فلزمه : قد غلق » ، ومنه : « استغلق الرجل » : إذا أرتج عليه ولم يتكلم ، يعني أنه انقطع كلامه . فكأن هذا هو الصواب إن شاء الله .

وقوله بعد : « وأسكت » (بفتح الهمزة وسكون السين وفتح الكاف) بالبناء للمعلوم ، فعل لازم ، بمعنى سكت . قال اللحياني : « يقال تكلم الرجل ثم سكت – بغير ألف – فإذا انقطع كلامه فلم يتكلم قيل : أسكت » ، وقيل : « أسكت » أطرق ، من فكرة أو داء أو فرق . وفسروا الخبر أنه : « أعرض ولم يتكلم » . وبعض الخبر في اللسان (سكت) .

(٢) في المطبوعة وابن كثير زيادة : « وأغضب واستغضب » ، لا أدري من أين جاءا بها . وليست « وأغضب » في المخطوطة . وقوله : « واستغضب » ضبطت في المخطوطة بفتحة على الضاد ، وكذلك ضبطت في لسان العرب (سكت) ، ولم يذكر أصحاب اللغة : « استغضب » لازماً ، بل ذكروا « غضب » و « أغضبته فتغضبب » ، ولكن ما جاء هنا له شاهد من قياس اللغة لا يرد . فهذا مما يزاد على نص المعاجم . ولو قرىء : « استغضب » بالبناء للمجهول ، لكان جيداً أيضاً ، وهو قياس محض « استغضب ، فغضب » .

(٣) قوله : « أئمة الحرج » ، يعني الذين يبتدئون السؤال عن أشياء ، تحرم على الناس من أجل سؤالهم ، فهم كالأئمة الذين تقدموا الناس ، فألزموهم الحرج . و « الحرج » أضيق الضيق .

(٤) الأثر : ١٢٨٠٧ – « زكريا بن يحيى بن أبان المصري » ، روى عنه أبو جعفر آنفاً رقم : ٥٩٧٣ ، وقال أخي السيد أحمد هناك : « لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من الكتب » ، وصدق ، لم يرد اسمه مبيناً كما جاء هنا وهناك . ولكن قد روى عنه أبو جعفر في مواضع من تاريخه ١ : ٣٩ قال : « حدثنا زكريا بن يحيى بن أبان المصري قال ، حدثنا ابن عفير » ، ثم روى عنه

١٢٨٠٨ - حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ،حدثني أبي ،عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم »،وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذّن في الناس فقال : يا قوم ، كتب عليكم الحجّ ! فقام رجل من بني أسد فقال :

في المنتخب من كتاب «ذيل المذيل» (١٣ : ٣٩) : « حدثني زكرياء بن يحيى بن أبان المصري ، قال، حدثنا أبو صالح كاتب الليث» ، ثم في (١٣ : ٦٣) : « حدثني زكرياء بن يحيى بن أبان المصري قال ، حدثنا أحمد بن أشكاب » ثم في (١٣ : ١٠٩) : « حدثني زكرياء بن يحيى قال ، حدثنا أحمد بن يونس » فالذين حدث عنهم كلهم مصريون .

وأخشى أن يكون هو « زكريا بن يحيى الوقار المصري » ، « أبو يحيى » مترجم في لسان الميزان ٢ : ٤٨٥ ، وابن أبي حاتم ٦٠١/٢/١ ، وميزان الاعتدال ١ : ٣٥٠ ، روى عن عبد الله ابن وهب المصري فمن بعده ، وعن زكريا بن يحيى الأدم المصري ، والقاسم بن كثير المصري . وولد زكريا بن يحيى الوقار سنة ١٧٤ ، ومات سنة ٢٥٤ ، فهو مظنة أن يروى عنه أبو جعفر ، كان من الصلحاء العباد الفقهاء ، ولكن قال ابن عدى : « يضع الحديث ، كذبه صالح جزرة . قال صالح : حدثنا زكريا الوقار ، وكان من الكذابين الكبار » . وقال أيضاً : « رأيت مشايخ مصر يثنون على أبي يحيى في العبادة والاجتهاد والفضل ، وله حديث كثير ، بعضه مستقيم ، وبعضه موضوعات ، وكان هو يتهم بوضعها ، لأنه يروى عن قوم ثقات أحاديث موضوعة . والصالحون قد رسموا بهذا : أن يرووا أحاديث موضوعة ، ويتهم جماعة منهم بوضعها» .

وأما « أبو زيد » : « عبد الرحمن بن أبي الغمر » ، المصري الفقيه من شيوخ البخاري روى عنه خارج الصحيح ، مضى برقم : ٤٣٢٩ . وفي المطبوعة : « بن أبي العمر » بالعين المهملة ، وهو خطأ .

و « أبو مطيع » : « معاوية بن يحيى الشامي الأطرابلسي » ، ثقة ، وقال ابن معين : « ليس بذاك القوي » ، وقال الدار قطني : « ضعيف » . مترجم في التهذيب ، والكبير ٣٣٦/١/٤ ، ولم يذكر فيه جرحاً ، وابن أبي حاتم ٣٨٤/١/٤ ، ووثقه أبو زرعة .

و « صفوان بن عمرو بن هرم السكسكي » ، ثقة مضى برقم : ٧٠٠٩ .

و « سليم بن عامر الكلاعي ، الخبائري » ، ثقة روى عن أبي أمامة ، وغيره من الصحابة ، مترجم في التهذيب ، والكبير ١٢٦/٢/٢ ، وابن أبي حاتم ٢١١/١/٢ .

وهذا الخبر خرجه الهيثمي في مجمع الزوائد مختصراً ٣ : ٢٠٤ وقال : « رواه الطبراني في الكبير ، وإسناده حسن جيد» .

ونقله ابن كثير في تفسيره ٣ : ٢٥١ عن هذا الموضع من التفسير ، وقال : « في إسناده ضعف » ، وكأن علة ضعفه عنده ، هو« زكريا بن يحيى بن أبان المصري » ، وفي إسناده في ابن كثير خطأ ، كتب « عبد العزيز بن أبي الغمر » ، وهو خطأ محض .

وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٣٣٥ ، وزاد نسبته لابن مردويه . ثم انظر ما ختم به أبو جعفر فصله هذا ص : ١١٢ ، أن مخرج هذا الأخبار صحاح عنده .

يا رسول الله ، أفى كل عام ؟ فأغضِبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم غضباً شديداً فقال : والذي نفس محمد بيده ، لو قلت « نعم » لوجبت ، ولو وجبت ما استطعتم ، وإذاً لكفرتم ، فاتركونى ما تركتكم ، فإذا أمرتكم بشىء فافعلوا ، وإذا نهيتكم عن شىء فانتهوا عنه ! فأنزل الله تبارك وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » ، نهاهم أن يسألوا عن مثل الذي سألت النصارى من المائدة ، فأصبحوا بها كافرين . فنهى الله تعالى ذكره عن ذلك وقال : لا تسألوا عن أشياء إن نزل القرآن فيها بتغليظ ساءكم ذلك ، ولكن انتظروا ، فإذا نزل القرآن فإنكم لا تسألون عن شىء إلا وجدتم تبيانه .[1]

١٢٨٠٩ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح قال ، حدثنا على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم » ، قال : لما أنزلت آية الحج ، نادي النبيّ صلى الله عليه وسلم فى الناس فقال : يا أيها الناس ، إن الله قد كتب عليكم الحج فحُجُّوا . فقالوا : يا رسول الله ، أعاماً واحداً أم كل عام ؟ ، فقال : لا ، بل عاماً واحداً ، ولو قلت « كل عام » ، لوجبت ، ولو وجبت لكفرتم. ثم قال الله تعالى ذكره :[2] « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » ، قال : سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن أشياء ، فوعظهم فانتهوا .

١٢٨١٠ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » ، قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج ، فقيل :

---

(١) الأثر : ١٢٨٠٨ — قد بين أخى السيد أحمد فى الخبر رقم : ٣٠٥ ، ضعف هذا هذا الإسناد الدائر فى التفسير وقال : « هو إسناد مسلسل بالضعف من أسرة واحدة » ثم شرح الإسناد شرحاً مفصلا .

(٢) فى المطبوعة أسقط « ثم » وهى لا غنى عنها فى هذا الموضع وهى ثابتة فى المخطوطة .

أواجب هو يا رسول الله كل عام ؟ قال : لا ، لو قلتها لوجبت ، ولو وجبت ما أطقتم ، ولو لم تطيقوا لكفرتم . ثم قال : سلونى ، فلا يسألنى رجل فى مجلسى هذا عن شيء إلاّ أخبرته ، وإن سألنى عن أبيه ! فقام إليه رجل فقال : من أبى ؟ قال : أبوك حذافة بن قيس . فقام عمر فقال : يا رسول الله ، رضينا بالله ربًّا ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًّا ، ونعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله .

* * *

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية من أجل أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البحيرة والسائبة والوَصيلة والحامى .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٨١١ — حدثنى إسحق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال ، حدثنا عتاب بن بشير ، عن خصيف ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : « لا تسألوا عن أشياء » ، قال : هى البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، ألا ترى أنه يقول بعد ذلك « ما جعل الله من كذا ولا كذا » ؟[1] = قال : وأما عكرمة فإنه قال : إنهم كانوا يسألونه عن الآيات ، فنهوا عن ذلك . ثم قال : « قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين » . قال : فقلت قد حدثنى مجاهد بخلاف هذا عن ابن عباس ، فما لك تقول هذا ؟ فقال : هَيْهَ .[2]

١٢٨١٢ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يزيد بن هرون ، عن ابن عون ،

---

(١) القائل هو « خصيف » .

(٢) قوله : « هيه » هنا بفتح الهاء وسكون الياء وفتح الهاء الآخرة . يقال ذلك للشيء ينحى ويطرد . وأما « هيه » (بكسر الهاء الأولى وكسر الآخرة أو فتحها) فهى مثل « إيه » ، تقال أمراً للرجل ، تستزيده من الحديث المعهود بينكما . وإشارة عكرمة بالطرد والتنحية ، لما كان بين مجاهد وعكرمة وانظر ما سلف من سوء رأى مجاهد فى عكرمة فى التعليق على رقم : ١٠٤٤٥ ، ١٠٤٦٩ .

عن عكرمة قال : هو الذي سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبي = وقال سعيد بن جبير : هم الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البحيرة والسائبة .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب فى ذلك، قولُ من قال : نزلت هذه الآية من أجل إكثار السائلين رسولَ الله صلى الله عليه وسلم المسائلَ، كمسألة ابن حذافة إياه مَن أبوه ، ومسألة سائله إذ قال : « إن الله فرض عليكم الحج» ، أفى كل عام ؟ وما أشبه ذلك من المسائل ، لتظاهر الأخبار بذلك عن الصحابة والتابعين وعامة أهل التأويل .

وأما القول الذى رواه مجاهد عن ابن عباس، فقولٌ غير بعيد من الصواب ، ولكن الأخبارُ المتظاهرة عن الصحابة والتابعين بخلافه ، وكرهنا القولَ به من أجل ذلك . على أنه غير مستنكر أن تكون المسألة عن البحيرة والسائبة والوصيلة والحام كانت فيما سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عنه من المسائل التى كره الله لهم السؤال عنها، كما كره اللهلم المسألة عن الحج: « أكل عام هو ، أم عاماً واحداً » ؟ ٥٥/٧
وكما كره لعبد الله بن حذافة مسألته عن أبيه ، فنزلت الآية بالنهى عن المسائل كلِّها ، فأخبرَ كل مخبر منهم ببعض ما نزلت الآية من أجله ، وأجل غيره .(١)

وهذا القول أولى الأقوال فى ذلك عندى بالصحة ، لأن مخارج الأخبار بجميع المعانى التى ذُكرت صحاحٌ ، فتوجيهها إلى الصواب من وجوهها أولى .

* * *

(١) فى المطبوعة : « أو أجل غيره » ، استجلب « أو » مكان « واو » العطف ، فأفسد الكلام إفساداً .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (١٠١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للذين نهاهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مسألة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما نهاهم عن مسألتهم إياه عنه ، من فرائض لم يفرضها الله عليهم ، وتحليل أمور لم يحلّلها لهم ، وتحريم أشياء لم يحرّمها عليهم قبلَ نزول القرآن بذلك : أيها المؤمنون السائلون عما سألوا عنه رسولى مما لم أنزل به كتاباً ولا وحياً ، لا تسألوا عنه ، فإنكم إن أظهر ذلك لكم تبيانٌ بوحى وتنزيل ساءكم ، لأن التنزيل بذلك إذا جاءكم إنما يجيئكم بما فيه امتحانكم واختباركم ، إما بإيجاب عمل عليكم ولزوم فرض لكم ، وفى ذلك عليكم مشقة ولزوم مؤونة وكلفة = وإما بتحريم ما لو لم يأتكم بتحريمه وحى ، كنتم من التقدم عليه فى فُسْحة وسَعة = وإما بتحليل ما تعتقدون تحريمه ، وفى ذلك لكم مساءة لنقلكم عما كنتم ترونه حقًّا إلى ما كنتم ترونه باطلاً ، ولكنكم إن سألتم عنها بعد نزول القرآن بها ، وبعد ابتدائكم ببيان أمرها فى كتابى إلى رسولى إليكم ،[1] ليسَّر عليكم ما أنزلته إليه من بيان كتابى ، وتأويل تنزيلى ووحيى [2] .

وذلك نظير الخبر الذى روى عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى : —

١٢٨١٣ — حدثنا به هناد بن السرى قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن داود

---

(١) فى المطبوعة : « وبعد ابتدائكم شأن أمرها فى كتابى » ، وهو كلام بلا معنى ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، لأ فيها : « سان » غير منقوطة ، فقرأها خلطاً .

(٢) فى المطبوعة « بين لكم ما أنزلته إليه من إتيان كتابى » ، وهى أيضاً كلام بلا معنى ، وكان فى المخطوطة هكذا « لسس عليكم ما أنزلته إليه من اساى كتابى » ، وصواب قراءتها إن شاء الله هو ما أثبت .

ابن أبي هند ، عن مكحول ، عن أبي ثعلبة الخشني قال : إن الله تعالى ذكره فرَض فرائض فلا تضيِّعوها ، ونهى عن أشياء فلا تَنْتَهِكوها ، وحدّ حدوداً فلا تعتدوها ، وعفا عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها . (١)

١٢٨١٤ — حدثنا هناد قال ، حدثنا ابن أبي زائدة قال ، أخبرنا بن جريج ، عن عطاء قال : كان عبيد بن عمير يقول : إن الله تعالى أحلّ وحرّم ، فما أحلّ فاستحلُّوه ، وما حرّم فاجتنبوه ، وترك من ذلك أشياء لم يحلها ولم يحرمها ، فذلك عفو من الله عفاه . ثم يتلو : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » .

١٢٨١٥ — حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا الضحاك قال ، أخبرنا بن جريج قال ، أخبرني عطاء ، عن عبيد بن عمير أنه كان يقول : إنّ الله حرّم وأحلّ ، ثم ذكر نحوه .

* * *

وأما قوله : «عفا الله عنها» ، فإنه يعني به : عفا الله لكم عن مسألتكم عن الأشياء التي سألتم عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي كَرِه الله لكم مسألتكم إياه عنها أن يؤاخذكم بها ، أو يعاقبكم عليها ، إذ عرف منها توبتكم وإنابتكم (٢) = « والله غفورٌ » ، يقول : والله ساتر ذنوب من تاب منها ، فتارك أن يفضحه في الآخرة = « حليم » [ذو أناة عن] أن يعاقبه بها ، لتغمده التائبَ منها برحمته ، وعفوه عن عقوبته عليها . (٣)

* * *

(١) الأثر : ١٢٨١٣ — هذا الخبر ، رواه أبو جعفر موقوفاً على أبي ثعلبة الخشني ، وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٣٣٦ مرفوعاً ، ونسبه لابن المنذر ، والحاكم وصححه . وذكره ابن كثير في تفسيره ٣ : ٢٥٢ فقال : «وفي الحديث الصحيح أيضاً» ، ولم أستطع أن أجده في المستدرك ، أو غيره من الكتب الصحاح .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « إن عرف » ، والسياق يقتضي : « إذ » .

(٣) انظر تفسير « غفور » فيما سلف من فهارس اللغة = وتفسير « حليم » فيما سلف

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، روى الخبر عن ابن عباس الذى ذكرناه آنفاً ، وذلك ما : —

١٢٨١٦ — حدثنى به محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « لا تسألوا عن أشياء » ، يقول : لا تسألوا عن أشياء إن نُزّل القرآن فيها بتغليظ ساءكم ذلك ، ولكن انتظروا ، فإذا نزل القرآن فإنكم لا تسألون عن شىء إلا وجدتم تبيانه . (١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴾ (١٠٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قد سأل الآيات قومٌ من قبلكم ، فلما آتاهموها الله أصبحوا بها جاحدين ، منكرين أن تكون دلالة على حقيقة ما احتُجَّ بها عليهم ، وبرهاناً على صحة ما جُعلت برهاناً على تصحيحه = كقوم صالح الذين سألوا الآيةَ ، فلما جاءتهم الناقة آيةً عقروها = وكالذين سألوا عيسى مائدة تنزل عليهم من السماء ، فلما أعطوها كفروا بها ، وما أشبه ذلك .

فحذّر الله تعالى المؤمنين بنبيه صلى الله عليه وسلم أن يسلكوا سبيل من قبلهم من الأمم التى هلكت بكفرهم بآيات الله لما جاءتهم عند مسألتهموها ، فقال لهم : لا تسألوا الآيات ، ولا تبحثوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ، فقد سأل الآيات من قبلكم قومٌ ، فلما أوتوها أصبحوا بها كافرين ، كالذى :— ٥٦/٧

---

٥ : ١١٧ ، ٧/٥٢١ : ٣٢٧ ، وزدت ما بين القوسين من تفسير أبى جعفر السالف ، فإن الكلام بغير ذلك أو شبهه غير مستقيم كل الاستقامة .

(١) الأثر : ١٢٨١٦ — هو بعض الأثر السالف رقم : ١٢٨٠٨ .

١٢٨١٧ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » ، نهاهم أن يسألوا عن مثل الذي سألت النصارى من المائدة ، فأصبحوا بها كافرين ، فنهى الله عن ذلك . (١)

١٢٨١٨ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « قد سألها قوم من قبلكم »، قد سأل الآيات قوم من قبلكم ، وذلك حين قيل له : غيِّر لنا الصَّفا ذهباً !

* * *

القول في تأويل قوله ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ما بحر الله بحيرة ، ولا سيَّب سائبة ، ولا وصل وصيلة ، ولا حَمَى حامياً = ولكنكم الذين فعلتم ذلك ، أيها الكفرة ، فحرَّمتموه افتراء على ربكم ، كالذي : –

١٢٨١٩ – حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال، حدثني أبي وشعيب بن الليث ، عن الليث ، عن ابن الهاد = وحدثني يونس قال ، حدثنا عبد الله بن يوسف قال ، حدثني الليث قال ، حدثني ابن الهاد = ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجرُّ قُصْبَه في النار ، وكان أول من سيَّب السُّيَّب . (٢)

---

(١) الأثر : ١٢٨١٧ – هو بعض الأثر السالف رقم : ١٢٨٠٨ .

(٢) الأثر : ١٢٨١٩ – رواه أبو جعفر بإسنادين : أولهما « محمد بن عبد الله بن عبد الحكم

١٢٨٢٠ – حدثنا هناد بن السرى قال ، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنا

ابن أعين المصرى » ، ثقة مضى برقم : ٢٣٧٧ .

وأبوه : « عبد الله بن عبد الحكم بن أعين » ، الفقيه المصرى ، ثقة ، مترجم فى التهذيب ، و « شعيب بن الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمى المصرى » ، ثقة ، مضى برقم : ٣٠٣٤ ، ٥٣١٤ ، وأبوه « الليث بن سعد » ، الإمام الجليل القدر ، مضى برقم : ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢٠٧٢ ، ٢٥٨٤ ، ٩٥٠٧ .

و « ابن الهاد » ، هو : « يزيد بن الهاد » ، منسوباً إلى جده ، وهو : « يزيد بن عبد الله ابن أسامة بن الهاد » ، ثقة ، مضى برقم : ٢٠٣١ ، ٣٠٣٤ ، ٤٣١٤ .

وأما الإسناد الثانى ، فتفسيره :

« يونس » هو « يونس بن عبد الأعلى الصدفى » ثقة مضى برقم : ١٦٧٩ ، ٣٥٠٣ ، وغيرها .

و « عبد الله بن يوسف التنيسى الكلاعى » ، ثقة من شيوخ البخارى . مترجم فى التهذيب .

وخبر أبى هريرة هذا ، من طريق الليث بن سعد ، عن يزيد بن الهاد ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة ، رواه أحمد فى المسند رقم : ٨٧٧٣ ، وأشار إليه البخارى فى صحيحه (الفتح ٨ : ٢١٤) . وقد رواه قبل من طريق صالح بن كيسان عن ابن شهاب ، عن سعيد ، ورواه أحمد قبل ذلك منقطعاً رقم : ٧٦٩٦ ، من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن أبى هريرة ، وقد استوفى أخى السيد أحمد فى شرحه بيان ذلك . وأما مسلم فقد رواه فى صحيحه ١٧ : ١٨٩ ، من طريق صالح بن كيسان ، عن ابن شهاب ، عن سعيد .

وذكره ابن كثير فى تفسير ٣ : ٢٥٣ ، وذكر رواية البخارى الآنفة : « قال الحاكم : أراد البخارى أن يزيد بن عبد الله بن الهاد ، رواه عن عبد الوهاب بن بخت ، عن الزهرى ، هكذا حكاه شيخنا أبو الحجاج المزى فى الأطراف ، وسكت ولم ينبه عليه = قال ابن كثير : وفيما قاله الحاكم نظر ، فإن الإمام أحمد ، وأبا جعفر بن جرير ، روياه من حديث الليث بن سعد ، عن ابن الهاد ، عن الزهرى نفسه ، والله أعلم » . وتفسير كلام ابن كثير أن ابن الهاد قد ثبت سماعه من الزهرى . ولم يبين هو ما أراد أبو الحجاج بما قال ولم يفسره . ولم يشر الحافظ ابن حجر فى الفتح (٨ : ٢١٤) إلى شىء مما قاله المزى .

وأما « القصب » (بضم فسكون) : هى الأمعاء كلها . وأما قوله : « سيب السيب » ، فإن « سيب الدابة أو الناقة أو الشىء » : تركه يسيب حيث شاء ، أى يذهب حيث شاء . وأما « السيب » (بضم السين وتشديد الياء المفتوحة) ، فهو جمع « سائبة » ، على مثال « نائحة ونوح » ، و « نائم ونوم » ، كما سلف فى تعليق على الأثر رقم : ١٠٤٤٧ ، وشاهده رواه ابن هشام فى سيرته ، هذا البيت (١ : ٩٣) :

حَوْلَ الوَصَائِلِ فِى شُرَيْفٍ حِقَّةٌ وَالحَامِيَاتُ ظُهُورُها وَالسُّيَّبُ

وتجمع « سائبة » أيضاً على « سوائب » ، وهو القياس . وقد جاء فى إحدى روايتى صحيح مسلم (١٧ : ١٨٩) : « أول من سيب السيوب » (بضم السين والياء) وقال القاضى عياض فى مشارق الأنوار : « أول من سيب السوائب ، وفى الرواية الأخرى : أول من سيب السيوب » ،

محمد بن إسحق قال ، حدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأكثم بن الجون : يا أكثم ، رأيتُ عمرو بن لحُيّ بن قَمَعَة بن خِنْدف يجرّ قُصْبه في النار ، فما رأيت رجلاً أشبه برجل منك به ، ولا به منك ! فقال أكثم : عسَى أن يضرّني شبهه ، يا رسول الله ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ، إنك مؤمن وهو كافر ، إنه أوّل من غيّر دين إسمعيل ، وبحر البحيرة ، وسيّب السائبة ، وحمى الحامي .(١)

ولم يبين ذلك . وبيانه أن « السيوب » جمع « سيب » (بفتح فسكون) مصدر سميت به « السائبة » ، وقد جاء في حديث عبد الرحمن بن عوف في يوم الشورى : « وإن الحيلة بالنطق أبلغ من السيوب في الكلم » ، وفسروه تفسيرين ، الأول ما في لسان العرب : « السيوب : ما سيب وخلى ، فساب أي ذهب » ، والآخر ما قاله الزمخشري في الفائق : « السيوب ، مصدر : ساب في الكلام ، إذا هضب فيه وخاض بهذر » . فإذا صح ما قاله الزمخشري أن « السيوب » مصدر « ساب » ، كان قياساً جمع « سائب » و « سائبة » ، على « سيوب » ، فإن ما جاء مصدره على « فعول » ، كان جمع « فاعل » منه على « فعول » ، مثل « شاهد ، وشهود » ، و « قاعد ، وقعود » ، و « حاضر وحضور » ، وقد ذكرت ذلك في تعليق سالف ، وانظر شرح الشافية ٢ : ١٥٨ . فهذا تفسير ما أغفله القاضي عياض ، والنووي في شرح صحيح مسلم .

وكان في المطبوعة : « أول من سيب السائبة » ، غير ما في المخطوطة ، وهو اطراح سيء لأمانة العلم ! ! وكتبه محمود محمد شاكر .

(١) الأثر : ١٢٨٢٠ — « محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي » ، روى له أصحاب الكتب الستة ، تابعي ثقة كثير الحديث ، مضى برقم : ٤٢٤٩ .

و « أبو صالح » هو : « ذكوان السمان » ، تابعي ثقة . مضى مراراً .

وأما « محمد بن إسحق » ، صاحب السيرة ، فقد مضى توثيق أخي السيد أحمد له في رقم : ٢٢١ ، وفي غيره من كتبه .

وهذا الخبر ساقه ابن كثير في تفسيره ٣ : ٢٥٤ ، هو ورقم : ١٢٨٢٢ ، وفي البداية والنهاية ٢ : ١٨٩ ، ثم قال « وليس هذان الطريقان في الكتب من هذا الوجه » ، يعني الصحاح ، وإلا فإن هذا الخبر ثابت بإسناد محمد بن إسحق في سيرة ابن هشام ١ : ٧٨ ، ٧٩ . وذكره ابن عبد البر في الاستيعاب ، بغير إسناد ص : ٥٥ ، وذكره ابن الأثير بإسناده ١ : ١٢٣ ، ١٢٤ ، وابن حجر في الإصابة (ترجمة : أكثم بن الجون) ، ونسبه لابن أبي عروبة ، وابن مندة من طريق ابن إسحق ، وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٣٣٨ ، فخلط في تخريجه تخليطاً شديداً ، فقال : « أخرج ابن أبي شيبة ، وابن جرير ، وابن مردويه ، والحاكم وصححه » ، وإنما ذلك رقم : ١٢٨٢٢ ، الآتي بعد . وسيأتي هذا الخبر مطولا من طريق أخرى رقم : ١٢٨٢٧ ، وهو إسناد أبي جعفر الثاني في رواية سيرة ابن إسحق .

١٢٨٢١ – حدثنا هناد قال، حدثنا يونس قال، حدثني هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قد عرفت أوّلَ من بَحَرَ البحائر، رجلٌ من مُدْلج كانت له ناقتان، فجدَع آذانهما، وحرّم ألبانهما وظهورَهما، وقال : هاتان لله! ثم احتاج إليهما، فشرب ألبانهما، وركب ظهورهما. قال : فلقد رأيته في النار يؤذِي أهل النار ريح قُصْبه. (١)

١٢٨٢٢ – حدثنا هناد قال، حدثنا عَبْدة، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عُرِضت عليّ النار، فرأيت فيها عمرو بن فلان بن فلان بن خندف يجرّ قصْبه في النار، وهو أوّل من غيّر دين إبراهيم، وسيب السائبة، وأشبه من رأيت به أكثم بن الجون! فقال أكثم : يا رسول الله، أيضرني شبهه؟ قال : لا، لأنك مُسلم، وإنه كافر. (٢)

وقوله : «عسى أن يضرني شبهه»، يعني : لعله يضرني شبهه، يتخوف أن يكون ذلك. وفي المطبوعة : «أخشى أن يضرني شبهه»، وهو مخالف للرواية، وإنما اختلط عليه خط ناسخ المخطوطة، إذ كتبها مختلطة : «تحتى»، كأنه أراد أن يكتب شيئاً، ثم عاد عليه حتى صار «عسى» منقوطة، وبمثل ما في المطبوعة، جاءني في الدر المنثور. وكثرة مثل ذلك دلتني على أن هذه النسخة المخطوطة، التي ننشرها هي التي وقعت في يد السيوطي، والصواب ما أثبته من السيرة، ومن نقل عنها.

وكان في المخطوطة أيضاً : «وحمى الحمى»، وهو خطأ محض، صوابه من مراجع هذا الخبر.

(١) الأثر : ١٢٨٢١ – «هشام بن سعد المدني»، «يتيم زيد بن أسلم»، كان من أوثق الناس عن زيد، وهو ثقة، وتكلم فيه بعضهم، مضى برقم : ٥٤٩٠. وهذا خبر مرسل. وسيأتي من طريق معمر، عن زيد بن أسلم برقم : ١٢٨٢٤.

(٢) الأثر : ١٢٨٢٢ – «عبدة»، هو «عبدة بن سليمان الكلابي»، ثقة، مضى قريباً برقم : ١٢٧٢٩. وكان في المطبوعة والمخطوطة : «عبيدة»، وهو خطأ، صوابه في تفسير ابن كثير.

و «محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي»، و «أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف»، مضيا أيضاً في مثل هذا الإسناد رقم : ١٢٧٢٩. وهذا إسناد رجاله ثقات.

وهذا الخبر رواه الحاكم في المستدرك ٤ : ٦٠٥، من طريق أبي حاتم الرازي، عن محمد ابن عبد الله الأنصاري، عن محمد بن عمرو، وفيه «فرأيت فيها عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف»، مصرحاً، ثم قال : «وهذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

١٢٨٢٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال : رأيت عمرو بن عامر الخزاعيّ يجرّ قُصْبه فى النار ، وهو أوّل من سيّب السوائب . (١)

١٢٨٢٤ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن زيد بن أسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى لأعرف أوّل من سيب السوائب، وأوّل من غيّر عهد إبراهيم ! قالوا : من هو ، يا رسول الله ؟ قال : عمرو بن لُحَىّ أخو بنى كعب، لقد رأيته يجرّ قُصْبه فى النار، يؤذى ريحه أهل النار . وإنى لأعرف أوّل من بحر البحائر ! قالوا : من هو ، يا رسول الله ؟ قال : رجل من بنى مدلج ، كانت له ناقتان ، فجدع آذانهما ، وحرّم ألبانهما ، ثم شرب ألبانهما بعدَ ذلك ، فلقد رأيته فى النار هو ، وهما يعضّانه بأفواههما ، ويخبطانه بأخفافهما . (٢)

* * *

وقد مر بك أن ابن كثير قال فى تفسيره ٣ : ٢٥٤، والبداية والنهاية ٢ : ١٨٩، أنه ليس فى الكتب ، يعنى الصحاح ، ولم يزد .

وأما الحافظ ابن حجر، فخرجه فى الإصابة (ترجمة أكثم بن الجون) ، من طريق أحمد بن حنبل ، عن محمد بن بشر العبدى ، عن محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ، بمثله ، ثم أشار إلى طريق الحاكم فى المستدرك . ولكن أعيانى أن أجد خبر أحمد فى المسند .

وأما الإمام الحافظ أبو محمد بن حزم ، فقد رواه فى كتاب جمهرة الأنساب ص : ٢٢٣ من طريق على بن عمر الدارقطنى ، عن الحسين بن إسماعيل القاضى المحاملى ، عن سعيد بن يحيى الأموى ، عن أبيه ، عن محمد بن عمرو . ثم قال أبو محمد بعد سياقه أحاديث البخارى ومسلم ، وهذا الحديث ، وهى أربعة هذا ثالثها : « أما الحديث الأول والثالث والرابع ، ففى غاية الصحة والثبات »، فحكم لهذا الخبر بالصحة .

وفى المطبوعة هنا : «عمرو بن فلان بن فلان بن فلان بن خندف »، « فلان » ثلاث مرات ، وهو مخالف لما فى المخطوطة ، وخطأ بعد ذلك ، فإن ما بين « عمرو » و « خندف » اثنان لا ثلاثة . وهكذا فى المخطوطة والمطبوعة : « لا ، لأنك مسلم » ، ولولا اتفاقهما لرجحت أن تكون : « لا ، إنك مسلم » ، كما فى رواية غيره .

(١) الأثر : ١٢٨٢٣ – هذا خبر مرسل كما ترى ، لم يرفعه عبد الرزاق .

(٢) الأثر : ١٢٨٢٤ – هذا أيضاً خبر مرسل ، وهو طريق أخرى للخبر السالف رقم : ١٢٨٢١ . وقد ذكره الحافظ ابن حجر فى الفتح (٨ : ٢١٤ ، ٢١٥) ثم قال : « والأول أصح » ، يعنى ذكر هذا الرجل من بنى مدلج ، أنه أول من بحر البحائر ، وأن الصواب ما جاء فى الأخبار الصحاح قبل ، أنه عمرو بن لحى .

و « البحيرة» «الفعيلة» من قول القائل: «بَحَرْتَ أُذن هذه الناقة »، إذا شقها، « أبحرُها بحراً » ، والناقة « مبحورة » ، ثم تصرف « المفعولة » إلى « فعيلة » ، فيقال : « هى بحيرة » . وأما « البَحِرُ» من الإبل فهو الذى قد أصابه داءٌ من كثرة شرب الماء، يقال منه: «بَحِرَ البعيرُ يبحر بَحَراً » ،[1] ومنه قول الشاعر : [2]

لَأَعْلِطَنَّــهُ وَسْمًا لاَ يُفَارِقُهُ كَمَا يُحَزُّ بِجَمْعِ المِيسَمِ البَحِرُ [3]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى معنى « البحيرة » ، جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٢٨٢٥ – حدثنا عبد الحميد بن بيان قال، أخبرنا محمد بن يزيد، عن إسمعيل بن أبى خالد ، عن أبى إسحق ، عن أبى الأحوص ، عن أبيه قال : دخلت ٥٧/٧ على النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم[4] : أرأيت

و « بنو مدلج » هم بنو مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن اليأس ابن مضر بن نزار بن معد ، ليسوا من قريش . وكانت فيهم القيافة والعيافة ، منهم « مجزز المدلجى » الذى سر النبى صلى الله عليه وسلم بقيافته (جمهرة الأنساب : ١٧٦ ، ١٧٧) .

(١) هذه على وزن « فرح يفرح فرحاً » .

(٢) أعيانى أن أجد قائله .

(٣) سيأتى فى التفسير ٢٩ : ١٩ (بولاق) ، لسان العرب (بحر) . « علط البعير يعلطه علطاً » ، وسمه بالعلاط . و « العلاط » (بكسر العين) : سمة فى عرض عنق البعير ، فإذا كان فى طول العنق ، فهو « السطاع » ، (بكسر السين) . هذا تفسير اللغة أنه فى العنق ، وأما أبو جعفر الطبرى فقد قال فى تفسيره (٢٩ : ١٩) . « والعرب تقول : والله لأسمنك وسماً لا يفارقك ، يريدون الأنف » ثم ذكر البيت وقال : « والنجر » : داء يأخذ الإبل فتكوى على أنوفها . وذكر هناك بالنون والجيم ، كما أثبته ، وله وجه سيأتى ، إلا أنى أخشى أن يكون الصواب هناك ، كما هو هنا بالباء والحاء ، وقوله : « بحمى الميسم » . يقال : « حمى المسمار حمياً ، وحموا » : سخن فى النار ، و « أحميت المسمار فى النار إحماء » . و « الميسم » المكواة التى يوسم بها الدواب . وأما « البحر » فقد فسره أبو جعفر ، ولكن الأزهرى قال : « الداء الذى يصيب البعير فلا يروى من الماء ، هو النجر ، بالنون والجيم ، والبجر ، بالباء والجيم ، وأما البحر : فهو داء يورث السل » .

وهذا البيت فى هجاء رجل وإيعاده بالشر شراً يبقى أثره .

وكان فى المطبوعة : « لأعلطنك » بالكاف فى آخره ، والصواب من المخطوطة ، ومما سيأتى فى المطبوعة من التفسير (٢٩ : ١٩) ، ومن لسان العرب .

(٤) فى المطبوعة ، اسقط « له » ، وهى ثابته فى المخطوطة : وهى صواب .

إبلك، ألست تَنتِجُها مسلَّمةً آذانُها، فتأخذ الموسى فتجدَعها، تقول: «هذه بحيرة»، وتشقون آذانها، تقولون: «هذه صَرْم»؟ قال: نعم! قال: فإن ساعدَ الله أشدّ، وموسَى الله أحدّ! كلّ مالك لك حلالٌ، لا يحرِّم عليك منه شيء. (١)

١٢٨٢٦ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة، عن أبي إسحق قال، سمعت أبا الأحوص، عن أبيه قال: أتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: هل تُنتَجُ إبل قومك صحاحاً آذانُها، فتعمد إلى الموسَى فتقطع آذانها فتقول: «هذه بُحْرٌ»، وتشقها أو تشق جلودها فتقول: «هذه صُرُمٌ»، فتحرّمها عليك وعلى أهلك؟ قال: نعم! قال: فإن ما آتاك الله لك حِلّ، وساعد الله أشدّ، وموسى الله أحدّ = وربما قال: ساعدُ الله أشد من ساعدك، وموسى الله أحدّ من موساك. (٢)

* * *

(١) الأثر: ١٢٨٢٥ – هذا الخبر، رواه أبو جعفر بإسنادين، هذا والذى يليه. «عبد الحميد بن بيان القناد»، شيخ أبي جعفر، مضى مراراً.

و «محمد بن يزيد الكلاعى»، الواسطى، وثقة أحمد، وهو من شيوخه، مضى برقم: ١١٤٠٨.

و «إسماعيل بن أبي خالد الأحمسى»، ثقة مضى برقم: ٥٦٩٤، ٥٧٧٧.

و «أبو إسحق»، هو السبيعى الإمام. مضى مراراً.

و «أبو الأحوص» هو: «عوف بن مالك بن نضلة الجشمى»، تابعى ثقة، مضى برقم: ٦١٧٢.

وأبوه: «مالك بن نضلة بن خديج الجشمى»، ويقال: «مالك بن عوف بن نضلة»، وبهذا ترجمه ابن سعد فى الطبقات ٦: ١٧. وأما فى التاريخ الكبير للبخارى ٤/١/٣٠٣، فإنى رأيت فيه: «مالك بن يقظة الخزاعى، والدأبي الأحوص، له صحبة». و «أبو الأحوص» المشهور، هو «عوف بن مالك بن نضلة»، فظنى أن الذى فى التاريخ خطأ، فإنى لم أجد هذا الاسم فى الصحابة، فيكون فيه خطأ فى «يقظة»، وهو «نضلة»، وفى «الخزاعى»، وهو: «الجشمى»، والله أعلم.

وهذا الخبر جاء فى المخطوطة كما أثبته، وفى المطبوعة: «وتشق آذانها وتقول» بالإفراد، فأثبت ما فى المخطوطة.

وقوله: «مسلمة آذانها»، أى: سليمة صحاحاً. وسأشرح ألفاظه فى آخر الخبر الآتى، وما كان من الخطأ فى المطبوعة والمخطوطة فى «صرم»، بعد تخريجه هناك.

(٢) الأثر: ١٢٨٢٦ – هذا الخبر، مكرر الذى قبله.

وأما «السائبة»، فإنها المسيَّبة المخلاَّة . وكانت الجاهلية يفعل ذلك أحدهم ببعض مواشيه ، فيحرِّم الانتفاع به على نفسه ، كما كان بعض أهل الإسلام يعتق عبدَه سائبةً ، فلا ينتفع به ولا بولائه . (١)

رواه من طريق شعبة ، عن أبي إسحق ، مطولا ، أبو داود الطيالسي في مسنده : ١٨٤ ، رقم : ١٣٠٣ .

ورواه أحمد في المسند عن طريق محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن أبي إسحق = ثم من طريق عفان ، عن شعبة ، في المسند ٣ : ٤٧٣ .

ورواه البيهقي في السنن الكبرى ١٠ : ١٠ ، من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن أبي إسحق .

وخرجه ابن كثير في تفسيره من رواية ابن أبي حاتم ٣ : ٢٥٦ ، مطولا ، ولم ينسبه إلى غيره .

وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٣٣٧ ، مطولا جداً ، ونسبه إلى أحمد ، وعبد بن حميد ، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في الأسماء والصفات . أما لفظه عند السيوطي فلا أدري لفظ من يكون ، فإنه ليس لفظ من ذكرت آنفاً تخريج الخبر من كتبهم .

ثم رواه أحمد في المسند ٤ : ١٣٦ ، ١٣٧ من طريق سفيان بن عيينة ، عن أبي الزعراء عمرو ابن عمرو ، عن عمه أبي الأحوص ، عن أبيه ، بلفظ آخر مختلف كل الاختلاف .

وهذا شرح غريب هذين الخبرين . « نتج الناقة ينتجها نتجاً » (على وزن : ضرب) : إذا تولى نتاجها ، أي ولادها . وأما قوله في الخبر الثاني : « هل تنتج إبل قومك » ، فهو بالبناء للمجهول . يقال : « نتجت الناقة تنتج » (بالبناء للمجهول) : إذا ولدت .

و « جدع الأنف والأذن والشفة » : إذا قطع بعض ذلك . وأما قوله : « هذه صرم » ، فقد كتبت في المخطوطة والمطبوعة في الخبرين « حرم » بالحاء ، وكذلك وقع في تفسير ابن كثير ، والصواب من المراجع التي ذكرتها ، ومن بيان كتب اللغة في تفسير هذا الخبر .

وتقرأ « صرم » في الخبر الأول بفتح فسكون ، و « الصرم » القطع ، سماها المصرومة بالمصدر ، كما يدل على صواب ذلك من قراءته ، ما جاء في شرح اللفظ في لسان العرب مادة (صرب) . وأما في الخبر الثاني فإن قوله : « هذه بحر » (بضم الباء والحاء) جمع «بحيرة» ، وقوله: «هذه صرم» (بضم الصاد والراء) جمع « صريمة » ، وهي التي قطعت أذنها وصرمت . وهذا صريح ما قاله صاحب اللسان في مادتي « صرم » و « صرب » ، والزمخشري في الفائق « صرب » . وروى أحمد في المسند ٤ : ١٣٦ ، ١٣٧ : « صرماء » ، ولم تشر إليها كتب اللغة . وأما الزمخشري وصاحب اللسان فقد رويا : « وتقول : صربى » (على وزن سكرى) . وقال في تفسيرها : كانوا إذا جدعوا البحيرة أعفوها من الحلب إلا للضيف ، فيجتمع اللبن في ضرعها ، من قولهم : « صرب اللبن في الضرع » : إذا حقنه لا يحلبه . ورويا أنه يقال إن الباء مبدلة من الميم ، كقولهم « ضربة لازم ، ولازب » ، وأنه أصح التفسيرين .

(١) انظر تفسير « السائبة » فيما سلف ٣ : ٣٨٦ ، تعليق : ١ .

وأخرجت «المسيَّبة» بلفظ «السائبة»، كما قيل : «عيشة راضية» ، بمعنى : مرضية .

* * *

وأما «الوصيلة»، فإن الأنثى من نَعَمهم فى الجاهلية كانت إذا أتأمت بطناً بذكر وأنثى ، قيل : «قد وصلت الأنثى أخاها» ، بدفعها عنه الذبح ، فسمَّوها «وَصيلة» .

* * *

وأما «الحامى»، فإنه الفحل من النعم يُحْمَى ظهره من الركوب والانتفاع ، بسبب تتابُعِ أولادٍ تحدُث من فِحْلته .

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فى صفات المسميات بهذه الأسماء ، وما السبب الذى من أجله كانت تفعل ذلك .

* ذكر الرواية بما قيل فى ذلك :

١٢٨٢٧ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة بن الفضل، عن ابن إسحق، [1] عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمىّ : أن أبا صالح السمان حدّثه : أنه سمع أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأكثم بن الجون الخزاعىّ : يا أكثم ، رأيت عمرو بن لحى بن قمعة بن خندف يجرّ قُصْبه فى النار، فما رأيت من رجل أشبه برجل منك به ، ولا به منك ! [2] فقال أكثم : أيضرّنى شبهه يا نبىّ الله ؟ قال : لا ، إنك مؤمن وهو كافر ، [3] وإنه كان أوّل من غيَّر دين إسمعيل ، ونصب الأوثان ، وسيَّب السائبَ فيهم . [4]

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : «عن أبى إسحق» ، وهو خطأ محض ، كما ترى فى تخريجه .

(٢) مضى فى الأثر : ١٢٨٢٠ ، «فما رأيت رجلا» ، وهذه رواية أخرى .

(٣) فى المطبوعة : «لا ، لأنك مسلم» ، غيرها ، وهى فى المخطوطة ، وابن هشام كما أثبتها .

(٤) فى المطبوعة : «سيب السوائب فيهم» ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وإن كان الناسخ

= وذلك أن الناقة إذا تابعت بين عشر إناث ليس فيهن ذكر ، [١] سُيِّبت فلم يركب ظهرها ، ولم يجزّ وبرها ، ولم يشرَب لبنها إلا ضيف . فما نتجت بعد ذلك من أنثى شُقّ أذنها ، ثم خلّى سبيلها مع أمها فى الإبل ، فلم يركب ظهرها ، ولم يجزّ وبرها ، ولم يشرب لبنها إلاّ ضيف كما فعل بأمها ، فهى « البحيرة » ابنة « السائبة » .

و« الوصيلة » ، أن الشاة إذا نَتَجت عشر إناث متتابعات فى خمسة أبطن ليس فيهن ذكر ، جعلت « وصيلة » ، قالوا : « وصلت » ، فكان ما وَلدت بعد ذلك للذكور منهم دون إناثهم ، [٢] إلا أن يموت منها شىء فيشتركون فى أكله ، ذكورُهم وإناثهم .

و« الحامى » أنّ الفحل إذا نُتِج له عشر إناث متتابعات ليس بينهن ذكرٌ ، حمى ظهره ولم يركب ، ولم يجزّ وبره ، ويخلّى فى إبله يضرب فيها ، لا ينتفع به بغير ذلك . يقول الله تعالى ذكره : « ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام » إلى قوله : « ولا يهتدون » . [٣]

كتب « السائب فيهم » ، وصوابه من سيرة ابن هشام .

وهذا الشطر من الخبر ، هو حديث أبى هريرة ، وقد مضى آنفاً برقم : ١٢٨٢٠ ، ومضى تخريجه هناك . أما الشطر الثانى الذى وضعته فى أول السطر ، فإنه من كلام ابن إسحق نفسه ، كما سترى فى التخريج .

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « إذا تابعت ثنتى عشرة إناثاً ، ليس فيها ذكر » ، إلا أن فى المخطوطة : « ليس فيهم » ، وهما خطأ محض ، وصواب هذه العبارة ، هو ما أثبته من سيرة ابن هشام وغيرها ، إلا أننى جعلت « فيهن » مكان « بينهن » فى سيرة ابن هشام ، لما سيأتى بعد فى الخبر « فيهن » ، مكان « بينهن » فيما يقابلها من سيرة ابن هشام .

(٢) فى المطبوعة : « لذكورهم دون إناثهم » ، وفى المخطوطة : « للذكور بينهم » ، غير منقوطة ، والصواب من سيرة ابن هشام .

(٣) الأثر : ١٢٨٢٧ — صدر هذا الخبر ، إلى قوله : « سيب السائب فيهم » ، هو حديث أبى هريرة السالف رقم : ١٢٨٢٠ ، وهو فى سيرة ابن هشام ١ : ٧٨ ، ٧٩ ، وقد خرجته هناك .

١٢٨٢٨ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق في هذه الآية: «ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام» = قال: أبو جعفر: سقط عليّ فيما أظنّ كلام منه = قال: فأتيت علقمة فسألتُه، فقال: ما تريد إلى شيء كان يَصنعه أهل الجاهلية.[1]

١٢٨٢٩ – حدثني يحيى بن إبراهيم المسعوديّ قال، حدثنا أبي، عن أبيه، عن جدّه، عن الأعمش، عن مسلم قال: أتيت علقمة، فسألته عن قول الله تعالى: «ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حامٍ»، فقال: وما تصنع بهذا؟ إنما هذا شيء من فعل الجاهلية! قال: فأتيت مسروقاً فسألته، فقال: «البحيرة»، كانت الناقة إذا ولدت بطناً خمساً أو سبعاً شقوا أذنها، وقالوا: «هذه بحيرة» = قال: «ولا سائبة»، قال: كان الرجل يأخذ بعضَ ماله فيقول: «هذه سائبة» = قال: «ولا وصيلة»، قال: كانوا إذا ولدت الناقة الذكر أكله الذكور دون الإناث، وإذا ولدت ذكراً وأنثى في بطن قالوا: «وصلت أخاها»، فلا يأكلونهما. قال: فإذا مات الذكر أكله الذكور دون الإناث = قال: «ولا حام»، قال: كان البعير إذا وَلد وولد ولده، قالوا: «قد قضى هذا الذي عليه»، فلم ينتفعوا بظهره، قالوا: «هذا حميّ».[2] ٥٨/٧

وأما الشطر الثاني إلى آخر الخبر، فهو من كلام ابن إسحق، وهو في سيرة ابن هشام ١ : ٩١، ٩٢.

(١) في المطبوعة: «كانت تصنعه»، والصواب من المخطوطة.

(٢) الأثر: ١٢٨٢٩ – «يحيى بن إبراهيم المسعودي» شيخ الطبري، هو: «يحيى ابن إبراهيم بن محمد بن أبي عبيدة المسعودي»، مضى برقم: ٨٤، ٥٣٧٩، ٨٨١١، ٩٧٤٤.

وأبوه: «إبراهيم بن محمد بن أبي عبيدة المسعودي»، مضى برقم: ٨٤، ٥٣٧٩، ٨٨١١، ٩٧٤٤.

وأبوه «محمد بن أبي عبيدة المسعودي»، مضى في ذلك أيضاً.

١٢٨٣٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا محمد بن عبيد ، عن الأعمش ، عن مسلم بن صبيح قال : سألت علقمة عن قوله : : « ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة » ، قال : ما تصنع بهذا ؟ هذا شيء كان يفعله أهل الجاهلية .

١٢٨٣١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن يمان، ويحيى بن آدم، عن إسرائيل ، عن أبي إسحق، عن أبي الأحوص : « ما جعل الله من بحيرة »، قال : البحيرة التي قد ولدت خمسة أبطن ثم تركت .

١٢٨٣٢ – حدثنا ابن حميد قال: حدثنا جرير بن عبد الحميد ، عن مغيرة ، عن الشعبي : « ما جعل الله من بحيرة »، قال : البحيرة ، المخضرمة [1]= «ولا سائبة »، والسائبة ماسُيِّب للعِدَى [2] = و « الوصيلة »، إذا ولدت بعد أربعة أبطن = فيما يرى جرير = ثم ولدت الخامس ذكراً وأنثى ، وصلتْ أخاها = و « الحام » ، الذى قد ضرب أولادُ أولاده فى الإبل .

١٢٨٣٣ – حدثنا ابن وكيع قال،حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبي ، بنحوه = إلا أنه قال: و « الوصيلة » التي ولدت بعد أربعة أبطن ذكراً وأنثى ، قالوا : « وصلت أخاها » ، وسائر الحديث مثل حديث ابن حميد .

وجده « أبو عبيدة بن معن المسعودى » ، مضى أيضاً .

وكان فى المطبوعة هنا : « هذا حام » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(١) « المخضرمة » من الخرق والشاء ، المقطوعة نصف الأذن ، أو طرف الأذن ، أو المقطوعة إحدى الأذنين ، وهى سمة الجاهلية . وفى الحديث : « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر على ناقة مخضرمة » .

(٢) « العدى » (بكسر العين ودال مفتوحة) : الغرباء ، يعنى الأضياف كما جاء فى سائر الأخبار.هكذا هى فى المخطوطة « العدى » ، أما المطبوعة ففيها : « الهدى » ، وهو تحريف وخطأ محض . ولو كان فى كتابة الناسخ خطأ ، فأقرب ذلك أن تكون « المعترى » . يقال : « عراه يعروه ، واعتراه » إذا غشيه طالباً معروفه . ويقال : « فلان تعروه الأضياف وتعتريه » ، أى تغشاه ، وبذلك فسروا قول النابغة :

أَتَيْتُكَ عَارِياً خَلَقاً ثِيَابِي ... عَلَى خَوْفٍ تَظُنُّ بِيَ الظُّنُونُ

أى : ضيفاً طالباً لرفدك .

١٢٨٣٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا إسحق الأرزق، عن زكريا، عن الشعبي : أنه سئل عن « البحيرة » ، فقال : هي التي تجدع آذانها . وسئل عن « السائبة » ، فقال : كانوا يهدون لآلهتهم الإبل والغنم فيتركونها عند آلهتهم ، فتذهب فتختلطُ بغنم الناس ،[1] فلا يشرب ألبانها إلاّ الرجال ، فإذا مات منها شيء أكله الرجال والنساء جميعاً .

١٢٨٣٥ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تعالى ذكره : « ما جعل الله من بحيرة » وما معها : « البحيرة» ، من الإبل يحرّم أهل الجاهلية وَبرها وظهرها ولحمها ولبنها إلاّ على الرجال ، فما ولدت من ذكر وأنثى فهو على هيئتها ، وإن ماتت اشترك الرجال والنساء في أكل لحمها . فإذا ضَرَب الجمل من ولد البحيرة ،[2] فهو « الحامي » . و « الحامي » ، اسمٌ .[3] « والسائبة » من الغنم على نحو ذلك ، إلاّ أنها ما ولدت من ولد بينها وبين ستة أولاد ، كان على هيئتها . فإذا ولدت في السابع ذكراً أو أنثى أو ذكرين ، ذبحوه ، فأكله رجالهم دون نسائهم . وإن توأمت أنثى وذكراً فهي « وصيلة » ،[4] لترك ذبح الذكر بالأنثى .[5] وإن كانتا أنثيين تركتا .

١٢٨٣٦ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ،

---

(١) في المطبوعة : « . . . عند آلهتهم لتذبح ، فتخلط بغنم الناس » ، غير ما في المخطوطة فأفسد الكلام إفساداً . وقوله : « فتذهب فتختلط » ، ذكرت في ٧ : ٤٥٧ ، تعليق : ٦ ، أن العرب تجعل « ذهب » من ألفاظ الاستعانة التي تدخل على الكلام طلباً لتصوير حركة أو بيان فعل ، مثل قولهم : « قعد فلان لا يمر به أحد إلا سبه » ، لا يراد بهما معنى « الذهاب » و « القعود » ، ومثلهما كثير في كلامهم . ثم انظر هذا ص : ٢٥٠ ، ٢٥١ ، تعليق : ١ .

(٢) « ضرب » ، من « الضراب » (بكسر الضاد) ، وهو سفاد الجمل الناقة ونزوه عليها .

(٣) في المطبوعة ، حذف قوله : « والحامي اسم » ، لظنه أنه زيادة لا معنى لها . ولكنه أراد أن « الحامي » اسم لهذا الجمل من ولد البحيرة ، وليس باسم فاعل .

(٤) قوله : « توأمت » ، هكذا جاء في المطبوعة والمخطوطة ، ولم أجدهم قالوا في ذلك المعنى إلا : « أنأمت المرأة ، وكل حامل » : إذا ولدت اثنين في بطن واحد . فهذا حرف لا أدري ما أقول فيه إلا أنه هكذا جاء هنا .

(٥) في المطبوعة والمخطوطة : « ترك » بغير لام ، والذي أثبته أشبه عندي بالصواب .

حدثني أبي عن أبيه، عن ابن عباس : « ما جعل الله من بحيرة »، فالبحيرة، الناقة، كان الرجل إذا ولدت خمسة أبطن فيعمد إلى الخامسة ما لم تكن سقْباً ، (١) فيبتك آذانها، ولا يجزّ لها وبراً، ولا يذوق لها لبناً ، فتلك « البحيرة » = « ولا سائبة »، كان الرجل يسيّب من ماله ما شاء = « ولا وصيلة » ، فهي الشاة إذا ولدت سبعاً ، عمد إلى السابع ، فإن كان ذكراً ذبح ، وإن كان أنثى تركت، وإن كان في بطنها اثنان ذكر وأنثى فولدتهما ، قالوا : « وصلت أخاها » ، فيتركان جميعاً لا يذبحان . فتلك « الوصيلة » = وقوله : « ولا حام » ، كان الرجل يكون له الفحل ، فإذا لقح عشراً قيل : « حام ، فاتركوه » .

١٢٨٣٧ — حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنا معاوية ابن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة » ، ليسيّبوها لأصنامهم = « ولا وصيلة » ، يقول : الشاة = « ولا حام » يقول : الفحلُ من الإبل .

١٢٨٣٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام » ، تشديدٌ شدّده الشيطانُ على أهل الجاهلية في أموالهم ، وتغليظ عليهم ، فكانت « البحيرة » من الإبل ، (٢) إذا نتج الرجلُ خمساً من إبله ، نظر البطن الخامس ، فإن كانت سقباً ذبح فأكله الرجال دون النساء، وإن كان ميتة اشترك فيه ذكرُهم وأنثاهم ، وإن كانت حائلاً = وهي الأنثى = تركت ، فبتكت أذنها ، فلم يجزّ لها وَبرٌ ، ولم يشرب لها لبن ، ولم يركب لها ظهرٌ ، ولم يذكر لله عليها اسم .

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « فما لم يكن سقباً » ، وصواب ذلك ما أثبت . و « السقب » ، الذكر من ولد الناقة . قال الأصمعي : إذا وضعت الناقة ولدها ، فولدها ساعة تضعه « سليل » ، قبل أن يعلم أذكر هو أم أنثى . فإذا علم ، فإن كان ذكراً فهو « سقب » .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « مثل الإبل » ، وهو خطأ لاشك فيه .

وكانت « السائبة » ، يسيبون ما بدا لهم من أموالهم ، فلا تُمنع من حوض أن تشرع فيه ، [١] ولا من حمىً أن ترتع فيه = وكانت « الوصيلة » من الشاء، من البطن السابع ، إذا كان جدياً ذبح فأكله الرجال دون النساء . وإن كانت ميتة اشترك فيه ذكرهم وأنثاهم. وإن جاءت بذكر وأنثى قيل : « وصلت أخاها فمنعته الذبح » = و« الحام » ، كان الفحل إذا ركب من بنى بنيه عشرة ، أو ولد ولده ، قيل : « حام حمى ظهره » ، فلم يزَمَّ ولم يخطم ولم يركب .

١٢٨٣٩ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال حدثنا أسباط ، عن السدى : « ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام » ، ٥٩/٧ فالبحيرة من الإبل ، كانت الناقة إذا أنتجت خمسة أبطن ، إن كان الخامس سقباً ذبحوه فأهدوه إلى آلهتهم ، وكانت أمه من عُرْض الإبل . وإن كانت رُبَعة استحيوها ، [٢] وشقوا أذن أمِّها ، وجزّوا وبرها ، وخلوها فى البطحاء فلم تجُزْ لهم فى دية ، ولم يحلبوا لها لبناً ، ولم يجزّوا لها وبراً ، ولم يحملوا على ظهرها ، وهى من الأنعام التى حرمت ظهورها = وأما « السائبة » ، فهو الرجل يسيِّب من ماله ما شاء على وجه الشكر إن كثر ماله أو برأ من وَجع ، أو ركب ناقة فأنجح ، فإنه يسمى « السائبة » ، [٣] يرسلها فلا يعرض لها أحدٌ من العرب إلا أصابته عقوبة فى الدنيا = وأما « الوصيلة » ، فمن الغنم ، هى الشاة إذا ولدت ثلاثة أبطن أو خمسة ، فكان آخر ذلك جدياً ، ذبحوه وأهدوه لبيت الآلهة ، وإن كانت عناقاً استحيوها ، [٤] وإن كانت جدياً وعناقاً استحيوا الجدى من أجل العَناق ، فإنها وصيلة وصلت

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « فلا تمتنع » ، والصواب ما أثبت .

(٢) « الربع » (بضم الراء وفتح الباء) : الفصيل الذى ينتج فى الربيع ، وهو أول النتاج ، والأنثى « ربعة » .

(٣) هكذا فى المخطوطة والمطبوعة : « يسمى السائبة » ، وأرجح أن الصواب : « يسيب السائبة » ،

(٤) « العناق » (بفتح العين) : الأنثى من ولد المعز .

أخاها = وأما « الحام »، فالفحل يضرب فى الإبل عشرَ سنين= ويقال : إذا ضرب ولد ولده = قيل : « قد حمى ظهره »، فيتركونه لا يمسُّ ولا ينحرُ أبداً ، ولا يمنع من كلأ يريده ، وهو من الأنعام التى حُرِّمت ظهورها .

١٢٨٤٠ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهرى ، عن ابن المسيب فى قوله : « ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام »، قال : « البحيرة » من الإبل، التى يمنح درّها للطواغيت[1] = و« السائبة » من الإبل ، كانوا يسيِّبونها لطواغيتهم = و« الوصيلة » ، من الإبل ، كانت الناقة تبتكر بأنثى ، ثم تثنى بأنثى ،[2] فيسمونها « الوصيلة » ، يقولون : « وصلت أنثيين ليس بينهما ذكر » ، فكانوا يجدعونها لطواغيتهم = أو : يذبحونها ، الشك من أبى جعفر = و « الحام » ، الفحل من الإبل ، كان يضربُ الضرابَ المعدودة .[3] فإذا بلغ ذلك قالوا : « هذا حام، قد حمى ظهره »، فترك ، فسموه « الحام » = قال معمر قال قتادة ، إذا ضرب عشرة .

١٢٨٤١ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر، عن قتادة قال : « البحيرة » من الإبل ، كانت الناقة إذا نُتِجت خمسة أبطن ، فإن كانت الخامسة ذكراً ،[4] كان للرجال دون النساء ، وإن كانت أنثى ، بتكوا آذانها ثم أرسلوها ، فلم ينحروا لها ولداً ، ولم يشربوا لها لبناً ، ولم يركبوا لها ظهراً = وأما « السائبة » فإنهم كانوا يسيِّبون بعض إبلهم ، فلا تُمنع حوضاً أن تشرع فيه ، ولا مرعًى أن ترتع فيه = « والوصيلة » ، الشاة كانت إذا

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « يمنع » بالعين ، وصوابه بالحاء .

(٢) فى المطبوعة : « تبكر » ، والصواب من المخطوطة . ويقال : « ابتكرت الحامل » ، إذا ولدت بكرها ، و « أثنت » فى الثانى ، و « ثلثت » فى الثالث .

(٣) فى المطبوعة : « المعدود » بغير تاء فى آخره ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب .

(٤) فى المطبوعة : « فإن كان الخامس » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب .

ولدت سبعة أبطن ، فإن كان السابع ذكراً ، ذبح وأكله الرجال دون النساء ، وإن كانت أنثى تركت .

١٢٨٤٢ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ الفضل ابن خالد قال ، حدثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك : « ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام »، أما « البحيرة » فكانت الناقة إذا نَتَجُوها خمسة أبطن نحروا الخامس إن كان سقباً ، وإن كان رُبَعة شقُّوا أُذنها واستحيوها ، وهى « بحيرة » ، وأما السَّقب فلا يأكل نساؤهم منه ، وهو خالص لرجالهم ، فإن ماتت الناقة أو نَتَجوها ميْتاً ، فرجالهم ونساؤهم فيه سواءٌ، يأكلون منه = وأما « السائبة »، فكان يسيِّب الرجل من ماله من الأنعام، فيُهْمَل فى الحمى، فلا ينتفع بظهره ولا بولده ولا بلبنه ولا بشعره ولا بصوفه = وأما « الوصيلة » ، فكانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن ذبحُوا السابع إذا كان جدياً، وإن كان عناقاً استحيوه، وإن كان جدياً وعناقاً استحيوهما كليهما ، وقالوا : « إن الجدى وصلته أخته فحرَّمته علينا » = وأما « الحامى»، فالفحل إذا ركبوا أولاد ولده قالوا: « قد حمى هذا ظهره ، وأحرزه أولاد ولده »، [1] فلا يركبونه ، ولا يمنعونه من حِمى شجر ، ولا حوض مَّا شرع فيه، وإن لم يكن الحوض لصاحبه . وكانت من إبلهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها فى شىء من شأنهم : لا إن ركبوا ، ولا إن حملوا ، ولا إن حلبوا ، ولا إن نتجوا ، ولا إن باعوا . فى ذلك أنزل الله تعالى ذكره: « ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة » ، إلى قوله : « وأكثرهم لا يعقلون » .

١٢٨٤٣ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام »، قال: هذا شىء كان يعمل به أهل الجاهلية ، [2] وقد ذهب . قال : « البحيرة » ، كان الرجل

(١) فى المطبوعة : « وأحرز أولاد ولده » ، صوابه من المخطوطة . « أحرزه » : صانه وحفظه ووقاه .

(٢) فى المطبوعة : « كانت تعمل به » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

يجدع أذنى ناقته ، ثم يعتقها كما يعتق جاريته وغلامه ، لا تحلب ولا تركب = و« السائبة » ، يسيبها بغير تجديع = و« الحام » إذا نتج له سبع إناث متواليات ، قد حمى ظهره ، ولا يركب ، ولا يعمل عليه = و« الوصيلة » ، من الغنم إذا ولدت سبع إناث متواليات ، حمت لحمها أن يؤكل . ٦٠/٧

١٢٨٤٤ — حدثنا يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثنا عبد الله ابن يوسف قال ، حدثنا الليث بن سعد قال ، حدثنى ابن الهاد ، عن ابن شهاب قال ، قال سعيد بن المسيب : « السائبة » التى كانت تسيَّب فلا يحمل عليها شىء = و« البحيرة » ، التى يمنح دَرُّها للطواغيت فلا يحلبها أحد[1] = و« الوصيلة » ، الناقة البكر تبتكر أوّل نتاج الإبل بأنثى ،[2] ثم تثنى بعد بأنثى ، وكانوا يسمُّونها للطواغيت ، يدعونها « الوصيلة » ، أنْ وصلت أخواتها إحداهما بالأخرى[3] = « والحامى » ، فحل الإبل ، يضرب العَشْر من الإبل . فإذا نفضَ ضِرابه[4] يدعونه للطواغيت ، وأعفوه من الحمل فلم يحملوا عليه شيئاً ، وسموه « الحامى » .

* * *

قال أبو جعفر : وهذه أمور كانت فى الجاهلية فأبطلها الإسلام ، فلا نعرف قوماً يعملون بها اليوم .

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « يمنع درها » ، والصواب ما أثبت .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة هنا « تبكر » ، وانظر ما سلف ص : ١٣١ تعليق : ٢ .

(٣) حذف فى المطبوعة : « أخواتها » ، ولا ضرورة لحذفها ، فالكلام مستقيم .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « نقص ضرابه » ، وهو لا معنى له ، والصواب : « نفض » بالنون والفاء والضاد . يقال : « نفضت الإبل وأنفضت » : نتجت كلها . قال ذو الرمة :

كِلاَ كَفَأَتَيْهَا تُنْفِضَانِ ، وَلَمْ يَجِدْ لَهَا ثِيلَ سَقْبٍ فِى النِّتَاجَيْنِ لاَمِسُ

يعنى : أن كل واحد من الكفأتين (يعنى النتاجين) تلقى ما فى بطنها من أجنتها ، فتوجد إناثاً ليس فيها ذكر . وقوله : « نفض ضرابه » ، لم تذكر كتب اللغة هذه العبارة ، ولكن هذا هو تفسيرها : أن تلد النوق التى ضربها إناثاً متتابعات ليس بينهن ذكر ، كما سلف فى الآثار التى رواها أبو جعفر .

فإذ كان ذلك كذلك = وكانَ ما كانت الجاهلية تعمل به لا يوصل إلى علمه [١] = إذ لم يكن له فى الإسلام اليوم أثر ، ولا فى الشرك ، نعرفه = إلا بخبر ، [٢] وكانت الأخبار عما كانوا يفعلون من ذلك مختلفة الاختلافَ الذى ذكرنا ، فالصواب من القول فى ذلك أن يقال : أما معانى هذه الأسماء فما بيّنا فى ابتداء القول فى تأويل هذه الآية، وأما كيفية عمل القوم فى ذلك ، فما لا علم لنا به . وقد وردت الأخبار بوصف عملهم ذلك على ما قد حكينا، وغير ضائرٍ الجهلُ بذلك إذا كان المرادُ من علمه المحتاجُ إليه، موصولاً إلى حقيقته ، [٣] وهو أن القوم كانوا يحرّمون من أنعامهم على أنفسهم ما لم يحرمه الله، [٤] اتباعاً منهم خطوات الشيطان، فوبّخهم الله تعالى ذكره بذلك، وأخبرهم أن كل ذلك حلال . فالحرام من كل شىء عندنا ما حرّم الله تعالى ذكره ورسوله صلى الله عليه وسلم بنصٍّ أو دليل ، والحلال منه ما حلّله الله ورسوله كذلك . [٥]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ (١٠٣)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بـ « الذين كفروا » فى هذا الموضع ، والمراد بقوله : « وأكثرهم لا يعقلون » .

فقال بعضهم : المعنىّ بـ « الذين كفروا » اليهود ، وبـ « الذين لا يعقلون » ، أهل الأوثان .

---

(١) كان فى المطبوعة : « لا توصل إلى عمله » ، وهو خطأ ، صوابه من المخطوطة .

(٢) السياق : « لا يوصل إلى علمه . . . إلا بخبر » .

(٣) فى المطبوعة : « موصلا إلى حقيقته » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب المعنى .

(٤) فى المطبوعة : « كانوا محرمين من أنعامهم » ، والجيد من المخطوطة .

(٥) فى المطبوعة : « ما أحله الله » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٨٤٥ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة، عن سفيان، عن داود ابن أبي هند، عن محمد بن أبي موسى : « ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب» ، قال : أهل الكتاب = « وأكثرهم لا يعقلون »، قال: أهل الأوثان .(١)

* * *

وقال آخرون : بل هم أهل ملّة واحدة ، ولكن « المفترين » ، المتبوعون و« الذين لا يعقلون » ، الأتباع .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٨٤٦ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا خارجة ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي في قوله : « ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون »، هم الأتباع = وأما « الذين افتروا » ، فعقلوا أنهم افتروا .(٢)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال : إن المعنيين بقوله : « ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب » ، الذين بحروا البحائر ، وسيّبوا السوائب ، ووصلوا الوصائل، وحموا الحوامي، مثل عمرو بن لحي وأشكاله ممن سنّ لأهل الشرك السنن الرديئة، وغيّر دين الله دين الحق ،(٣) وأضافوا إلى الله تعالى ذكره : أنه هو الذي حرّم ما حرّموا ، وأحلّ ما أحلوا ، افتراءً على الله الكذب وهم يعلمون، واختلاقاً عليه الإفك وهم يفهمون ،(٤) فكذبهم الله تعالى ذكره في

---

(١) الأثر : ١٢٨٤٥ — « محمد بن أبي موسى » ، مضى برقم : ١٠٥٥٦ .

(٢) في المطبوعة : « يعقلون أنهم افتروا » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٣) في المطبوعة : « ممن سنوا لأهل الشرك » . . . وغيروا » بالجمع ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو صواب محض ، لا يرده أنه قال بعده « وأضافوا » بالجمع .

(٤) في المطبوعة : « وهم يعمهون » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو الصواب .

قيلهم ذلك، وإضافتهم إليه ما أضافوا من تحليل ما أحلوا وتحريم ما حرموا، فقال تعالى ذكره: ما جعلت من بحيرة ولا سائبة ، ولكن الكفار هم الذين يفعلون ذلك، ويفترون على الله الكذب .

=[1] وأن يقال، إن المعنيين بقوله : « وأكثرهم لا يعقلون » ، هم أتباع من سنّ لهم هذه السنن من جهلة المشركين، فهم لا شك أنهم أكثر من الذين سنوا ذلك لهم، فوصفهم الله تعالى بأنهم لا يعقلون ، لأنهم لم يكونوا يعقلون أن الذين سنوا لهم تلك السنن وأخبروهم أنها من عند الله ، كذبةٌ فى أخبارهم، أفكةٌ ، بل ظنوا أنهم فيما يقولون محقّون، وفى أخبارهم صادقون. وإنما معنى الكلام: وأكثرهم لا يعقلون أن ذلك التحريم الذى حرّمه هؤلاء المشركون وأضافوه إلى الله تعالى ذكره كذب وباطل.[2]

٦١/٧ وهذا القول الذى قلنا فى ذلك ، نظير قول الشعبى الذى ذكرنا قبلُ.[3] ولا معنى لقول من قال : « عنى بالذين كفروا أهل الكتاب » ، وذلك أن التنكير فى ابتداء الآية من الله تعالى ذكره على مشركى العرب ، فالختم بهم أولى من غيرهم ، إذ لم يكن عرض فى الكلام ما يُصرف من أجله عنهم إلى غيرهم .

* * *

وبنحو ذلك كان يقول قتادة :

١٢٨٤٧ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وأكثرهم لا يعقلون »، يقول : تحريمُ الشيطان الذى حرّم عليهم ،[4] إنما كان من الشيطان ، ولا يعقلون .

* * *

---

(١) قوله : « وأن يقال » ، معطوف على قوله فى أول الفقرة : « وأولى الأقوال فى ذلك عندنا بالصواب أن يقال . . . » .

(٢) انظر تفسير « افترى » فيما سلف ٦ : ٨/٢٩٢ : ٤٥١ .

(٣) فى المطبوعة ، أسقط « قبل » ، لسوء كتابتها فى المخطوطة .

(٤) فى المطبوعة : « يقول : لا يعقلون تحريم الشيطان الذى يحرم عليهم » ، زاد وغير ، فأفسد الجملة إفساداً ، وهو يظن أنه يصلحها .

القول في تأويل قوله ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (١٠٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وإذا قيل لهؤلاء الذين يبحرون البحائر ويسيِّبون السوائب؟ الذين لا يعقلون أنهم بإضافتهم تحريم ذلك إلى الله تعالى ذكره يفترون على الله الكذب : تعالوا إلى تنزيل الله وآى كتابه وإلى رسوله ، ليتبين لكم كذبُ قيلكم فيما تضيفونه إلى الله تعالى ذكره من تحريمكم ما تحرِّمون من هذه الأشياء [١] = أجابوا من دعاهم إلى ذلك بأن يقولوا : حسبنا ماوجدنا عليه من قبلنا آباءَنا يعملون به ، ويقولون : « نحن لهم تبع وهم لنا أئمة وقادة ، قد اكتفينا بما أخذنا عنهم ، ورضينا بما كانوا عليه من تحريم وتحليل » . [٢] قال الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : أوَ لو كان آباءنا هؤلاء القائلين هذه المقالة لا يعلمون شيئاً ؟ يقول : لم يكونوا يعلمون أنّ ما يضيفونه إلى الله تعالى ذكره من تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، كذبٌ وفريةٌ على الله، لا حقيقة لذلك ولا صحة، لأنهم كانوا أتباع المفترين الذين ابتدأوا تحريم ذلك ، افتراءً على الله بقيلهم ما كانوا يقولون من إضافتهم إلى الله تعالى ذكره ما يضيفون = ولا كانوا فيما هم به عاملون من ذلك على استقامة وصواب ، [٣] بل كانوا على ضلالة وخطأ .

* * *

(١) انظر تفسير «تعالوا» فيما سلف ٦ : ٤٧٤ ، ٤٨٣ ، ٨/٤٨٥ : ٥١٣ .

(٢) انظر تفسير «حسب» فيما سلف ٤ : ٧/٢٤٤ : ٤٠٥ .

(٣) في المطبوعة : «ما كانوا فيما هم به عاملون» ، وفي المخطوطة : «كانوا» بغير «ما» ، والسياق يقتضي ما أثبت ، لأنه معطوف على قوله آنفاً : «يقول : لم يكونوا يعلمون . . .»

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم فأصلحوها ، واعملوا فى خلاصها من عقاب الله تعالى ذكره ، وانظروا لها فيما يقرِّبها من ربها ، فإنه « لا يضركم من ضَلّ » ، يقول : لا يضركم من كفر وسلك غير سبيل الحق ، إذا أنتم اهتديتم وآمنتم بربكم ، وأطعمتوه فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه ، فحرمتم حرامه وحللتم حلاله .

* * *

ونصب قوله : « أنفسكم » بالإغراء ، والعرب تغرى من الصفات بـ « عليك » و « عندك » ، و « دونك » ، و « إليك » .(١)

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم معناه : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم » ، إذا أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر فلم يُقبل منكم .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٨٤٨ — حدثنا سوَّار بن عبد الله قال ، حدثنا أبى قال ، حدثنا أبو الأشهب ، عن الحسن : أن هذه الآية قرئت على ابن مسعود : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضَلّ إذا اهتديتم » ، فقال ابن مسعود : ليس هذا بزمانها ، قولوها ما قُبلت منكم ، فإذا رُدّت عليكم فعليكم أنفسكم ».(٢)

---

(١) « الصفات » حروف الجر ، والظروف ، كما هو بين من سياقها . وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٢٢ ، ٣٢٣ .

(٢) الأثر : ١٢٨٤٨ — « سوار بن عبد الله بن سوار العنبرى » ، القاضى ، شيخ الطبرى . ثقة ، مترجم فى التهذيب .

١٢٨٤٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة، عن أبي الأشهب، عن الحسن قال: ذكر عند ابن مسعود[١]: « يا أيها الذين آمنوا »، ثم ذكر نحوه.

١٢٨٥٠ – حدثنا يعقوب قال، حدثنا ابن علية، عن يونس، عن الحسن قال: قال رجل لابن مسعود: ألم يقل الله: « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضَلّ إذا اهتديتم »؟ قال: ليس هذا بزمانها، قولوها ما قُبلت منكم، فإذا رُدّت عليكم فعليكم أنفسكم.[٢]

١٢٨٥١ – حدثنا الحسن بن عرفة قال، حدثنا شبابة بن سوّار قال، حدثنا الربيع بن صبيح، عن سفيان بن عقال قال: قيل لابن عمر: لو جلست في هذه الأيام فلم تأمر ولم تنه، فإن الله تعالى ذكره يقول: « عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم »؟ فقال ابن عمر: إنها ليست لي ولا لأصحابي، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « ألا فليبلّغ الشاهد الغائبَ »، فكنّا نحن الشهودَ وأنتم الغَيَب،[٣] ولكن هذه الآية لأقوام يجيئون من بعدنا، إن قالوا لم يقبل منهم.[٤]

وأبوه: « عبد الله بن سوار العنبري » القاضي، ثقة. مترجم في التهذيب.

و « أبو الأشهب » هو: « جعفر بن حيان السعدي العطاردي »، ثقة، روى له الستة، مضى برقم: ١١٤٠٨.

وسيأتي تخريج الأثر في التعليق على رقم: ١٢٨٥٠.

(١) في المطبوعة: « ذكر ابن مسعود »، بإسقاط « عند »، والصواب من المخطوطة.

(٢) الأثر: ١٢٨٤٨ – ١٢٨٥٠ – خبر الحسن، عن ابن مسعود، خرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧: ١٩، وقال: « رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح، إلا أن الحسن البصري لم يسمع من ابن مسعود ».

(٣) « الغيب » (بفتح الغين والياء) جمع « غائب »، مثل « خادم » و « خدم ».

(٤) الأثر: ١٢٨٥١ – « الحسن بن عرفة العبدي البغدادي »، شيخ الطبري، مضى برقم: ٩٣٧٣.

و « شبابة بن سوار الفزاري »، مضى برقم: ٣٧، ٦٧٠١، ١٠٠٥١.

و « الربيع بن صبيح السعدي »، مضى برقم: ٦٤٠٣، ٦٤٠٤، ١٠٥٣٣.

و « سفيان بن عقال »، مترجم في الكبير ٢/٢/٩٤، وابن أبي حاتم ٢/١/٢١٩، وكلاهما قال: « روى عن ابن عمر، روى عنه الربيع »، ولم يزيدا.

وخرجه في الدر المنثور ٢: ٣٤٠، وزاد نسبته لابن مردويه.

١٢٨٥٢ – حدثنا أحمد بن المقدام قال، حدثنا المعتمر بن سليمان قال ، سمعت أبي قال ، حدثنا قتادة ، عن أبي مازن قال : انطلقت على عهد عثمان إلى المدينة ، فإذا قومٌ من المسلمين جلوس ، فقرأ أحدهم هذه الآية : « عليكم أنفسكم » ، فقال أكثرهم : لم يجئْ تأويل هذه الآية اليوم .[1]

١٢٨٥٣ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عمرو بن عاصم قال ، حدثنا المعتمر ، عن أبيه ، عن قتادة ، عن أبي مازن ، بنحوه .[1] ٦٢/٧

١٢٨٥٤ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا محمد بن جعفر وأبو عاصم قالا ، حدثنا عوف ، عن سوّار بن شبيب قال : كنت عند ابن عمر ، إذ أتاه رجل جليدٌ في العين، شديد اللسان، فقال: يا أبا عبد الرحمن، نحن ستة كلهم قد قرأ القرآن فأسرع فيه ،[2] وكلهم مجتهد لا يألو ، وكلهم بغيضٌ إليه أن يأتي دناءةً ،[3] وهم في ذلك يشهد بعضهم على بعض بالشرك ! فقال رجل من القوم : وأيَّ دناءة تريد ، أكثرَ من أن يشهد بعضهم على بعض بالشرك ![4] قال : فقال الرجل : إني لستُ إيّاك أسأل ، أنا أسأل الشيخ ! فأعاد على عبد الله

---

(١) الأثر : ١٢٨٥٢ ، ١٢٨٥٣ – « أبو مازن الأزدي الحداني » ، كان من صلحاء الأزد ، قدم المدينة في زمن عثمان رضي الله عنه . روى قتادة ، عن صاحب له ، عنه . هكذا قال ابن أبي حاتم ٤/٢/٤٤ . ولم يرد في هذين الإسنادين ذكر « الرجل » الذي روى عنه قتادة ، كما قال أبو حاتم . وسيأتي في الإسناد رقم : ١٢٨٥٦ « عن قتادة ، عن رجل قال : كنت في خلافة عثمان بالمدينة » ، فهذا « الرجل » هو « أبو مازن » ، ولا شك . ثم يأتي في رقم : ١٢٨٥٧ « عن قتادة ، حدثنا أبو مازن ، رجل من صالحي الأزد ، من بني الحدان » ، فصرح قتادة في هذا الخبر بالتحديث عنه ، ليس بينهما « رجل » كما قال أبو حاتم . فأخشى أن يكون في كلام أبي حاتم خطأ .

وهذا الخبر خرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٣٤٠ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد ، وأبي الشيخ .

(٢) في المطبوعة : « قد قرأوا » بالجمع ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو الصواب .

(٣) في ابن كثير ٣ : ٢٥٩ ، رواه عن هذا الموضع من التفسير ، وزاد فيه هنا : « . . . أن يأتي دناءة ، إلا الخير » ، وليست في مخطوطتنا .

(٤) في المطبوعة : « وأي دناءة تزيد » ، وصواب قراءتها ما أثبت .

الحديث ، فقال عبد الله بن عمر : لعلك ترى لا أبالك ، أني سآمرك أن تذهب أن تقتلهم ! [١] عظهم وانههم ، فإن عصوك فعليك بنفسك ، فإن الله تعالى يقول : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون » . [٢]

١٢٨٥٥ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الحسن : أن ابن مسعود سأله رجل عن قوله : « عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم » ، قال : إن هذا ليس بزمانها ، إنها اليوم مقبولة ، [٣] ولكنه قد أوشك أن يأتي زمانٌ تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا = أو قال : فلا يقبل منكم = فحينئذ : « عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ » . [٤]

١٢٨٥٦ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن رجل قال : كنت في خلافة عثمان بالمدينة ، في حلقة فيهم أصحابُ النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا فيهم شيخ يُسْنِدون إليه ، [٥] فقرأ رجل : «عليكم

---

(١) في المطبوعة ، وابن كثير : « فتقتلهم » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو صواب قديم .

(٢) الأثر : ١٢٨٥٤ — « سوار بن شبيب السعدي الأعرجي » ، و « بنو الأعرج » ، حي من بني سعد . و « الأعرج » هو « الحارث بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم » ، قطعت رجله يوم « تياس » ، فسمي « الأعرج » . وهو ثقة ، كوفي ، روى عن ابن عمر ، روى عنه عوف ، وعكرمة بن عمار . مترجم في الكبير ٢/٢/١٦٨ ، وابن أبي حاتم ٢/١/٢٧٠ .

وهذا الخبر نقله ابن كثير في تفسيره ٣ : ٢٥٩ ، وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٣٤١ ، واقتصر على نسبته إلى ابن مردويه .

(٣) قوله : « إنها اليوم مقبولة » ، يعني : كلمة الحق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

(٤) الأثر : ١٢٨٥٥ — انظر التعليق على الآثار : ١٢٨٤٨ — ١٢٨٥٠ .

وكان في المطبوعة هنا : « . . . من ضل إذا اهتديتم » ، بالزيادة ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٥) قوله : « يسندون إليه » أي : ينتهون إلى علمه ومعرفته وفقهه ، ويلجأون إليه في فهم ما يشكل عليهم . ويقال: « أسندت إليه أمري » ، أي : وكلته إليه ، واعتمدت عليه . وقال الفرزدق :

أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » ، فقال الشيخ : إنما تأويلها آخرَ الزمان .

١٢٨٥٧ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال ، حدثنا أبو مازن ، رجل من صالحى الأزد من بنى الُحدّان ، (١) قال : انطلقت فى حياة عثمان إلى المدينة ، فقعدت إلى حلقة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، (٢) فقرأ رجل من القوم هذه الآية : « لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » ، قال فقالَ رجلٌ من أسنّ القوم : دَعْ هذه الآية ، فإنما تأويلها فى آخر الزمان . (٣)

١٢٨٥٨ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا ابن فضالة ، عن معاوية بن صالح ، عن جبير بن نفير قال : كنت فى حلقة فيها أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنىّ لأصغر القوم ، فتذاكروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فقلت أنا : أليس الله يقول فى كتابه: « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم » ؟ فأقبلوا علىّ بلسان واحد وقالوا: أتنتزِع آية من القرآن لا تعرفها ، (٤) ولا تدرى ما تأويلها ! ! حتى تمنيت أنى لم أكن تكلمت . ثم أقبلوا يتحدثون، فلما حضر قيامهم قالوا : « إنك غلام

إِلَى الأَبْرَشِ الكَلْبِىِّ أَسْنَدْتُ حَاجَةً تَوَاكَلَهَا حَيَّا تَمِيمٍ وَوَائِلِ

وهذا كله مما ينبغى تقييده فى كتب اللغة ، فهو فيها غير بين .

(١) فى المطبوعة : « بنى الجدان » بالجيم ، وهو خطأ .

(٢) فى المطبوعة : « فيها أصحاب رسول الله » ، وفى المخطوطة : « فيها من أصحاب رسول الله » ، فضرب بالقلم على « فيها » فأثبتها على الصواب .

(٣) الأثران : ١٢٨٥٦ ، ١٢٨٥٧ – انظر التعليق على الأثرين السالفين رقم : ١٢٨٥٢ ، ١٢٨٥٣ .

(٤) فى المطبوعة : « تنزع بآية من القرآن » ، غير ما فى المخطوطة ، وما غيره صواب . ولكن يقال : « انتزع معنى جيداً ، ونزعه » ، أى : استخرجه واستنبطه ويقال : « انتزع بالآية والشعر » ، أى : تمثل به .

حدَثُ السن ، وإنك نزعت بآية لا تدرى ما هى ، وعسى أن تدرك ذلك الزمان ، إذا رأيت شحًّا مطاعاً ، وهوًى متبعاً ، وإعجابَ كل ذى رأى برأيه ، فعليك بنفسك ، لا يضرك من ضل إذا اهتديت .(١)

١٢٨٥٩ — حدثنا هناد قال ، حدثنا ليث بن هرون قال ، حدثنا إسحق الرازى ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية ، عن عبد الله بن مسعود فى قوله : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون » ، قال : كانوا عند عبد الله بن مسعود جُلوساً ، فكان بين رجلين ما يكون بين الناس ، حتى قام كل واحد منهما إلى صاحبه ، فقال رجل من جلساء عبد الله : ألا أقوم فآمرُهما بالمعروف وأنهاهما عن المنكر ؟ فقال آخر إلى جنبه : عليك بنفسك ، فإن الله تعالى يقول : « عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم » ! قال : فسمعها ابن مسعود فقال : مَهْ ،(٢) لَمَّا يجىء تأويل هذه بعد ! (٣) إن القرآن أنزل حيث أنزل ، ومنه آيٌ قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن ، ومنه ما وقع تأويلهن

---

(١) الأثر : ١٢٨٥٨ — « ابن فضالة » هو : « مبارك بن فضالة بن أبى أمية » ، أبو فضالة البصرى . وفى تفسير ابن كثير : « حدثنا أبو فضالة » ، ومضى برقم : ١٥٤ ، ٥٩٧ ، ٦١١ ، ١٩٠١ .

و « معاوية بن صالح بن حدير الحضرمى » ، أحد الأعلام ، مضى مراراً منها : ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢٠٧٢ ، ٨٤٧٢ ، ١١٢٥٥ ، ولم تذكر لمعاوية بن صالح ، رواية عن جبير بن نفير ، بل روى عن ابنه عبد الرحمن بن جبير .

و « جبير بن نفير » إسلامى جاهلى ، مضى برقم : ٦٦٥٦ ، ٧٠٠٩ .

وهذا الخبر منقطع الإسناد ، ونقله ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٢٦٠ ، والسيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٣٤٠ ، ولم ينسبه لغير ابن جرير .

(٢) « مه » ، هكذا فى المطبوعة ، وابن كثير ، والدر المنثور و « مه » كلمة زجر بمعنى : كف عن هذا . وفى المخطوطة مكانها : « مهل » ، وأخشى أن تكون خطأ من الناسخ ، ولو كتب « مهلا » ، لكان صواباً ، يقال : « مهلا يا فلان » أى : رفقاً وسكوناً ، لا تعجل .

(٣) فى المطبوعة : « لم يجئ » ، ومثلها فى ابن كثير والدر المنثور ، وأثبت ما فى المخطوطة.

على عهد النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ومنه آيٌ وَقع تأويلهن بعد النبيّ صلى الله عليه وسلم بيسير ،[١] ومنه آى يقع تأويلهن بعد اليوم ، ومنه آى يقع تأويلهنّ عند الساعة على ما ذكر من الساعة ،[٢] ومنه آى يقع تأويلهن يوم الحساب على ما ذكر من الحساب والجنة والنار ،[٣] فما دامت قلوبكم واحدة ، وأهواؤكم واحدة ، لم تُلبَسوا شيعاً ، ولم يَذُق بعضكم بأس بعض ، فأمروا وانهوا . فإذا اختلفت القلوب والأهواء ، وأُلبستم شيعاً ، وذاق بعضكم بأس بعض ، فامرؤ ونفسه ، فعند ذلك جاء تأويل هذه الآية .[٤] ٦٣/٧

١٢٨٦٠ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن ابن مسعود : أنه كان بين رجلين بعض ما يكون بين الناس ، حتى قام كل واحد منهما إلى صاحبه ، ثم ذكر نحوه .[٥]

١٢٨٦١ – حدثني أحمد بن المقدام قال ، حدثنا حرمي . . . . . قال : سمعت الحسن يقول : تأوّل بعضُ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم » ، فقال بعض

---

(١) في المطبوعة : « آى قد وقع » بالزيادة ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) في المطبوعة : « على ما ذكر من أمر الساعة » ، بزيادة « أمر » ، وفي المخطوطة أسقط الناسخ « على » ، وإثباتها هو الصواب .

(٣) في المطبوعة : « من أمر الحساب » بالزيادة ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٤) الأثر : ١٢٨٥٩ – « ليث بن هرون » ، لم أجد له ترجمة ولا ذكراً .

و « إسحق الرازي » ، هو : « إسحق بن سليمان الرازي » ، مضى برقم : ٦٤٥٦ ، ١٠٢٣٨ ، ١١٢٤٠ . وانظر الإسناد الآتي رقم : ١٢٨٦٦ .

وهذا الخبر نقله ابن كثير في تفسيره ٣ : ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، والسيوطي في الدر المنثور ٢ : ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد ، ونعيم بن حماد في الفتن ، وابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقي في الشعب .

وسيأتي بإسناد آخر في الذي يليه .

(٥) الأثر : ١٢٨٦٠ – انظر الأثر السالف .

أصحابه : دعوا هذه الآية ، فليست لكم .(١)

١٢٨٦٢ – حدثني إسمعيل بن إسرائيل اللآل الرّملي قال ، حدثنا أيوب ابن سويد قال، حدثنا عتبة بن أبي حكيم ، عن عمرو بن جارية اللخمي ، عن أبي أمية الشعباني قال : سألت أبا ثعلبة الخشني عن هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم » ، فقال : لقد سألت عنها خبيراً ، سألتُ عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أبا ثعلبة ، ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ، فإذا رأيتُ دنيا مؤثَرة ، وشحًّا مطاعاً ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه ، فعليك نفسك ! إنّ من بعدكم أيام الصبر ، (٢) للمتمسك يومئذ بمثل الذي أنتم عليه كأجر خمسين عاملاً ! قالوا : يا رسول الله ، كأجر خمسين عاملاً منهم ؟ قال : لا ، كأجر خمسين عاملاً منكم .(٣)

---

(١) الأثر : ١٢٨٦١ – هذا إسناد ناقص لاشك في ذلك .

« أحمد بن المقدام بن سليمان العجلي » ، أبو الأشعث . روى عنه البخاري والترمذي والنسائي ، وغيرهم . صالح الحديث . ولد في نحو سنة ١٥٦ ، وتوفي سنة ٢٥٣ .

و « حرمي بن عمارة بن أبي حفصة العتكي » ، مضى برقم : ٨٥١٣ . ومات سنة ٢٠١ ، ومحال أن يكون أدرك الحسن وسمع منه . فإن « الحسن البصري » مات في نحو سنة ١١٠ فالإسناد مختل ، ولذلك وضعت بينه وبين الحسن نقطاً ، دلالة على نقص الإسناد .

(٢) في المطبوعة : « أرى من بعدكم » ، والصواب من المخطوطة . وفي المخطوطة : « المتمسك » بغير لام الجر ، وكأن الصواب ما في المطبوعة .

(٣) الأثر : ١٢٨٦٢ – سيأتي بإسناد آخر في الذي يليه .

« إسماعيل بن إسرائيل اللآل الرملي » ، مضى برقم : ١٠٢٣٦ ، ١٢٢١٣ ، وذكرنا هناك أنه في ابن أبي حاتم « السلال » ، ومضى هناك : ١٠٢٣٦ « الدلال » ، وجاء هنا « اللآل » ، صانع اللؤلؤ وبائعه . ولا نجد ما يرجح واحدة من الثلاث .

و « أيوب بن سويد الرملي » ، ثقة متكلم فيه . مضى برقم : ١٢٢١٣ .

و « عتبة بن أبي حكيم الشعباني الهمداني ، ثم الأردني » ، ثقة ، ضعفه ابن معين . مضى برقم : ١٢٢١٣ .

و « عمرو بن جارية اللخمي » ، ثقة ، مترجم في التهذيب . وكان في المطبوعة « عمرو بن خالد » وهو خطأ محض . وفي المخطوطة كتب « خالد » ثم جعلها « جارية » ، وهو الصواب .

و « أبو أمية الشعباني » اسمه « يحمد » (بضم الياء وكسر الميم) وقيل : اسمه « عبد الله بن أخامر » . ثقة . مترجم في التهذيب .

١٢٨٦٣ – حدثنا على بن سهل قال، أخبرنا الوليد بن مسلم، عن ابن المبارك وغيره، عن عتبة بن أبى حكيم، [عن عمرو بن جارية اللخمى]، عن أبى أمية الشعبانى قال: سألت أبا ثعلبة الخشنى : كيف تَصنع بهذه الآية: « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم » ؟ فقال أبو ثعلبة: سألت عنها خبيراً ، سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحًّا مطاعاً ، وهوًى متبعاً، وإعجاب كل ذى رأى برأيه ، فعليك بِخُوَيصة نفسك،[1] وذَرْ عوامَّهم ، فإن وراءكم أياماً أجر العامل فيها كأجر خمسين منكم .[2]

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك أنّ العبد إذا عمل بطاعة الله لم يضره من ضَلّ بعده وهلك .

و « أبو ثعلبة الخشنى » اختلف فى اسمه واسم أبيه اختلافاً كثيراً . صحابى . وسيأتى تخريجه فى الذى يليه .

(١) « خويصة » تصغير « خاصة » .

(٢) الأثر : ١٢٨٦٣ – « عتبة بن أبى حكيم » ، فى المخطوطة : « عبدة بن أبى حكيم »، وهو خطأ ظاهر .

وفى المخطوطة والمطبوعة ، أسقط : [عن عمرو بن جارية اللخمى] ، فوضعتها بين قوسين . وهذا هو نفسه إسناد الترمذى .

وهذا الخبر ، رواه الترمذى فى كتاب التفسير من طريق سعيد بن يعقوب الطالقانى ، عن عبد الله ابن المبارك، عن عقبة بن أبى حكيم ، بنحو لفظه هنا . ثم قال الترمذى : « قال عبد الله بن المبارك : وزادنى غير عتبة = قيل : يا رسول الله ، أجر خمسين رجلا منا أو منهم ؟ قال : لا ، بل أجر خمسين رجلا منكم » . ثم قال الترمذى : « هذا حديث حسن غريب » .

وأخرجه ابن ماجة فى سننه رقم : ٤٠١٤ من طريق هشام بن عمار ، عن صدقة بن خالد ، عن عتبة بن أبى حكيم ، بنحو لفظه .

ورواه أبو داود فى سننه ٤ : ١٧٤ ، رقم : ٤٣٤١ ، من طريق أبى الربيع سليمان بن داود العتكى ، عن ابن المبارك ، بمثله .

وخرجه ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٢٥٨ ، والسيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٣٣٩ ، وزاد نسبته إلى البغوى فى معجمه ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والطبرانى ، وأبى الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقى فى الشعب ، والحاكم فى المستدرك وصححه .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٨٦٤ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ » ، يقول : إذا ما العبد أطاعني فيما أمرته من الحلال والحرام ، فلا يضرُّه من ضل بعدُ ، إذا عمل بما أمرته به .

١٢٨٦٥ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ابن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم » ، يقول : أطيعوا أمري ، واحفظوا وصيّتي .

١٢٨٦٦ – حدثنا هناد قال ، حدثنا ليث بن هرون قال ، حدثنا إسحق الرازي ، عن أبي جعفر الرازي ، عن صفوان بن الجون قال : دخل عليه شابّ من أصحاب الأهواء ، فذكر شيئاً من أمره ، فقال صفوان : ألا أدلك على خاصة الله التي خصّ بها أولياءه؟ : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل » ، الآية . (١)

١٢٨٦٧ – حدثنا عبد الكريم بن أبي عمير قال ، حدثنا أبو المطرف المخزومي قال ، حدثنا جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : « عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم » ، ما لم يكن سيف أو سوط . (٢)

---

(١) الأثر : ١٢٨٦٦ – « ليث بن هرون » ، لم أجده ، وانظر الإسناد السالف رقم ١٢٨٥٩ .

و « إسحق » ، هو : « إسحق بن سليمان الرازي » ، وانظر رقم : ١٢٨٥٩ .

وأما « صفوان بن الجون » ، فهو هكذا في المخطوطة أيضاً ، ولم أجد له ترجمة . وفي الدر المنثور ٢ : ٣٤١ ، « عن صفوان بن محرز » ، ونسبه لابن جرير وابن أبي حاتم .

و « صفوان بن محرز بن زياد المازني ، أو الباهلي » . روى عن ابن عمر ، وابن مسعود ، وأبي موسى الأشعري . روى عنه جامع بن شداد ، وعاصم الأحول ، وقتادة . كان من العباد ، اتخذ لنفسه سرباً يبكي فيه . مات سنة ٧٤ ، مترجم في التهذيب . ومضى برقم : ٦٤٩٦ .

(٢) الأثر : ١٢٨٦٧ – « عبد الكريم بن أبي عمير » ، مضى برقم : ٧٥٧٨ ، ١١٣٦٨ و « أبو المطرف المخزومي » ، لم أجد له ذكراً .

١٢٨٦٨ – حدثنا على بن سهل قال، حدثنا ضمرة بن ربيعة قال، تلا الحسن هذه الآية: « ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم »، فقال الحسن : الحمد لله بها ، والحمد لله عليها ، ما كان مؤمن فيما مضى ، ولا مؤمن فيما بقى ، إلا وإلى جانبه منافق يكرّه عمله .(١)

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم »، فاعملوا بطاعة الله = « لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم » ، فأمرتم بالمعروف ، ونهيتم عن المنكر .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٨٦٩ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام بن سلم ، عن عنبسة ، عن سعد البقال، عن سعيد بن المسيب : « لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم » ، قال : إذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر، لا يضرك من ضل إذا اهتديت .

١٢٨٧٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن أبى العميس، عن أبى البخترى ، عن حذيفة : « عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » ، قال : إذا أمرتم ونهيتم .

٦٤/٧ ١٢٨٧١ – حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى = عن ابن أبى خالد ، عن قيس بن أبى حازم قال ، قال أبو بكر : تقرأون هذه الآية: « لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم »، وإن الناس إذا رأوا الظالم = قال ابن وكيع = فلم يأخذوا على يديه ، أوشك أن يعمّهم الله بعقابه .(٢)

---

(١) الأثر : ١٢٨٦٨ – « ضمرة بن ربيعة الفلسطينى الرملى » ، ثقة ، مضى برقم : ٧١٣٤ . وكان فى المطبوعة : « مرة بن ربيعة » ، لم يحسن قراءة المخطوطة .

وهذه الكلمة التى قالها الحسن ، لو خفيت على الناس قديماً ، فإن مصداقها فى زماننا هذا يراه المؤمن عياناً فى حيث يغدو ويروح .

(٢) الأثر : ١٢٨٧١ – خبر قيس بن أبى حازم ، عن أبى بكر ، رواه أبو جعفر

١٢٨٧٢ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير وابن فضيل، عن بيان ، عن قيس قال ، قال أبو بكر : إنكم تقرأون هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم » ، وإن القوم إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه ، يعمُّهم الله بعقابه .(١)

١٢٨٧٣ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن إسمعيل ، عن قيس ، عن أبي بكر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه .

١٢٨٧٤ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم » ، يقول : مُروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ، قال أبو بكر ابن أبي قحافة : يا أيها الناس لا تغترُّوا بقول الله : « عليكم أنفسكم » ، فيقول أحدكم : عليّ نفسي ، والله لتأمرن بالمعروف وتنهوُنّ عن المنكر ، أو ليَستعملن عليكم شراركم ، فليسومنّكم سوء العذاب ، ثم ليدعوا الله خياركم ، فلا يستجيب لهم.

بأسانيد ، من رقم : ١٢٨٧١ – ١٢٨٧٨ ، موقوفاً على أبي بكر ، إلا رقم : ١٢٨٧٦ ، ١٢٨٧٨ ، فرواهما متصلين مرفوعين ، وإلا رقم : ١٢٨٧٤ ، فهو مرسل . وأكثر طرق أبي جعفر طرق ضعاف .

ورواه من طريق « إسماعيل بن أبي خالد » ، عن قيس بن أبي حازم برقم : ١٢٨٧١ ، ١٢٨٧٣ . فن هذه الطريق رواه أحمد في مسنده رقم : ١ ، ١٦ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٥٣ ، متصلا مرفوعاً . وقال ابن كثير في تفسيره ٣ : ٢٥٨ : « وقد روى هذا الحديث أصحاب السنن الأربعة ، وابن حبان في صحيحه ، وغيرهم ، من طرق كثيرة ، عن جماعة كثيرة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، به متصلا مرفوعاً . ومنهم من رواه عنه به موقوفاً على الصديق . وقد رجح رفعه الدارقطني وغيره » .

و « إسماعيل بن أبي خالد الأحمسي » ، ثقة . مضى برقم : ٥٦٩٤ ، ٥٧٧٧ .

و « قيس بن أبي حازم الأحمسي » ، ثقة ، روى له الستة ، روى عن جماعة من الصحابة ، وهو متقن الرواية . مترجم في التهذيب .

وهذا إسناد صحيح .

(١) الأثر : ١٢٨٧٢ – « ابن فضيل » هو : « محمد بن فضيل بن غزوان الضبي » ، مضى مراراً كثيرة .

و « بيان » هو : « بيان بن بشر الأحمسي » ، ثقة ، مضى برقم ٦٥٠١ .

وقد مضى تخريج الخبر في الذي قبله ، وسيأتي من هذه الطريق أيضاً برقم : ١٢٨٧٥ .

وهو إسناد صحيح .

١٢٨٧٥ – حدثنا أبو هشام الرفاعي قال، حدثنا ابن فضيل قال، حدثنا بيان، عن قيس بن أبي حازم قال، قال أبو بكر وهو على المنبر : يا أيها الناس، إنكم تقرأون هذه الآية على غير موضعها : « لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم »، وإن الناس إذا رأوا الظلم فلم يأخذوا على يديه، عمّهم الله بعقابه.

١٢٨٧٦ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثني عيسى ابن المسيب البجلي، حدثنا قيس بن أبي حازم قال : سمعت أبا بكر الصديق رضي الله عنه يقرأ هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم »، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا رأى الناسُ المنكر فلم يغيّروه، والظالم فلم يأخذوا على يديه، فيوشك أن يعمهم الله منه بعقاب.(١)

١٢٨٧٧ – حدثنا الربيع قال، حدثنا أسد بن موسى قال، حدثنا سعيد ابن سالم قال، حدثنا منصور بن دينار، عن عبد الملك بن ميسرة، عن قيس بن أبي حازم قال : صَعد أبو بكر المنبرَ منبرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس، إنكم لتتلون آية من كتاب الله وتعدُّونها رُخصة، والله ما أنزل الله في كتابه أشدَّ منها : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم »، والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر،

---

(١) الأثر : ١٢٨٧٦ – « الحارث » هو : « الحارث بن محمد بن أبي أسامة »، مضى مراراً، آخرها رقم : ١٠٥٥٣، وترجمته في رقم : ١٠٢٩٥.

و « عبد العزيز »، هو : « عبد العزيز بن أبان الأموي »، مضت ترجمته برقم : ١٠٢٩٥، قال ابن معين : « كذاب خبيث، يضع الأحاديث ».

و « عيسى بن المسيب البجلي »، قاضي الكوفة. وكان شاباً ولاه خالد بن عبد الله القسري. ضعيف متكلم فيه، حتى قال ابن حبان : « كان قاضي خراسان، يقلب الأخبار، ولا يفهم، ويخطىء، حتى خرج عن حد الاحتجاج به ». مترجم في ابن أبي حاتم ٣/١/٢٨٨، وميزان الاعتدال ٢ : ٣١٧، وتعجيل المنفعة : ٣٢٨، ولسان الميزان ٤ : ٤٠٥.

فهذا إسناد هالك، مع روايته من طرق صحاح عن قيس، عن أبي بكر.

أو ليعمنكم الله منه بعقاب[١] .

١٢٨٧٨ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا إسحق بن إدريس قال ، حدثنا سعيد بن زيد قال ، حدثنا مجالد بن سعيد ، عن قيس بن أبي حازم قال : سمعت أبا بكر يقول وهو يخطب الناس : يا أيها الناس ، إنكم تقرأون هذه الآية ولا تدرون ما هي ؟ : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم » ، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الناس إذا رأوا منكراً فلم يغيّروه ، عمّهم الله بعقاب .[٢]

* * *

وقال آخرون : بل معنى هذه الآية : لا يضركم من حاد عن قصد السبيل وكفر بالله من أهل الكتاب .

---

(١) الأثر : ١٢٨٧٧ — « أسد بن موسى المرداني » ، « أسد السنة » ، مضى برقم : ٢٣ ، ٢٥٣٠ .

و « سعيد بن سالم القداح » ، متكلم فيه ، وثقه ابن معين ، غير أن ابن حبان قال : « يهم في الأخبار حتى يجيء بها مقلوبة ، حتى خرج عن حد الاحتجاج به » . مترجم في التهذيب .

و « منصور بن دينار التيمي الضبي » ، ضعفوه . مترجم في الكبير ٣٤٧/١/٤ ، وابن أبي حاتم ١٧١/١/٤ ، وميزان الاعتدال ٣ : ٢٠١ ، وتعجيل المنفعة : ٤١٢ ، ولسان الميزان ٦ : ٩٥ .

و « عبد الملك بن ميسرة الهلالي الزراد » ، ثقة ، من صغار التابعين مضى برقم : ٥٠٣ ، ٥٠٤

فهذا خبر ضعيف الإسناد ، مع روايته من طرق صحاح عن قيس ، عن أبي بكر .

(٢) الأثر : ١٢٨٧٨ — « محمد بن بشار » ، هو « بندار » ، مضى مئات من المرات . وكان في المطبوعة هنا « محمد بن سيار » ، أساء قراءة المخطوطة .

« إسحق بن إدريس الأسواري البصري » ، منكر الحديث ، تركه الناس ، قال ابن معين : « كذاب ، يضع الحديث » . وقال ابن حبان : « كان يسرق الحديث » . مترجم في الكبير ٣٨٢/١/١ ، وابن أبي حاتم ٢١٣/١/١ ، وميزان الاعتدال ١ : ٨٦ ، ولسان الميزان ١ : ٣٥٢ .

و « سعيد بن زيد بن درهم الجهضمي » ، ثقة ، متكلم فيه ، حتى ضعفوا حديثه . مضى برقم : ١١٨٠١ .

و « مجالد بن سعيد بن عمير الهمداني » ، قال أحمد : « يرفع حديثاً لا يرفعه الناس » ، وهو ثقة ، متكلم فيه . ومضى برقم : ١٦١٤ ، ٢٩٨٧ ، ٢٩٨٨ ، ١١١٥٦ .

وهذا أيضاً إسناد ضعيف .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٨٧٩ – حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن سعيد ابن جبير في قوله : « لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم » ، قال : يعني من ضلّ من أهل الكتاب .

١٢٨٨٠ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير في هذه الآية : « لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » ، قال : أنزلت في أهل الكتاب .

* * *

وقال آخرون : عنى بذلك كل من ضل عن دين الله الحق .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٨٨١ – حدثني يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضَل إذا اهتديتم » ، قال : كان الرجل إذا أسلم قالوا له : سفّهت آباءك وضللتهم ، وفعلت وفعلت ، وجعلت آباءك كذا وكذا! كان ينبغي لك أن تنصرهم ، وتفعل ! فقال الله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال وأصحّ التأويلات عندنا بتأويل هذه الآية ، ما روى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه فيها ، وهو : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم » ، الزموا العملَ بطاعة الله وبما أمركم به ، وانتهوا عما نهاكم الله عنه = « لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » ، يقول : فإنه لا يضركم ضلال من ضل إذا أنتم لزمتم العمل بطاعة الله،[1] وأدّيتم فيمن ضل من الناس ما ألزمكم ٦٠/٧

(١) في المطبوعة : « إذا أنتم رمتم العمل بطاعة الله » ، وهو لا معنى له ، أساء قراءة ما في المخطوطة ، لسوء كتابتها .

الله به فيه ، من فرض الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الذى يركبه أو يحاول ركوبه ، والأخذ على يديه إذا رام ظلماً لمسلم أو معاهد ومنعه منه فأبى النزوع عن ذلك ، ولا ضير عليكم فى تماديه فى غيِّه وضلاله ، إذا أنتم اهتديتم وأديتم حق الله تعالى ذكره فيه .

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات فى ذلك بالصواب ، لأن الله تعالى ذكره أمر المؤمنين أن يقوموا بالقسط ، ويتعاونوا على البر والتقوى . ومن القيام بالقسط ، الأخذ على يدى الظالم . ومن التعاون على البر والتقوى ، الأمر بالمعروف . وهذا مع ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمره بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . ولو كان للناس تركُ ذلك ، لم يكن للأمر به معنىً ، إلا فى الحال التى رخَّص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تركَ ذلك ، وهى حال العجز عن القيام به بالجوارح الظاهرة ، فيكون مرخصاً له تركه ، إذا قام حينئذ بأداء فرض الله عليه فى ذلك بقلبه .

وإذا كان ما وصفنا من التأويل بالآية أولى ، فبيِّنٌ أنه قد دخل فى معنى قوله : «إذا اهتديتم» ، ما قاله حذيفة وسعيد بن المسيب من أن ذلك : «إذا أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر» ، ومعنى ما رواه أبو ثعلبة الخشنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١٠٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من عباده : اعملوا ، أيها المؤمنون ، بما أمرتكم به ، وانتهوا عما نهيتكم عنه ، ومروا أهل الزَّيغ والضلال ومن حاد عن

سبيلى بالمعروف ، وانهوهم عن المنكر . فإن قبلوا، فلهم ولكم ، وإن تمادَوْا فى غيهم وضلالهم، فإن إلىّ مرجع جميعكم ومصيركم فى الآخرة ومصيرهم ،[1] وأنا العالم بما يعمل جميعكم من خير وشر ، فأخبر هناك كلَّ فريق منكم بما كان يعمله فى الدنيا،[2] ثم أجازيه على عمله الذى قَدِم به علىّ جزاءه حسب استحقاقه، فإنه لا يخفى علىَّ عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين به : « يا أيها الذين آمنوا شهادةُ بينكم » ، يقول : ليشهد بينكم = « إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية » ، يقول : وقت الوصية = « اثنان ذوا عدل منكم »، يقول: ذوا رشد وعقل وحِجًى من المسلمين ،[3] كما : —

١٢٨٨٢ — حدثنا محمد بن بشار وعبيد الله بن يوسف الجبيرى قالا ، حدثنا مؤمل بن إسمعيل قال ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب فى قوله : ﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾، [سورة الطلاق : ٢] ،قال : ذَوَى عقل .[4]

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « ذوا عدل منكم » .

فقال بعضهم : عنى به : من أهل ملتكم .

---

(١) انظر تفسير « المرجع » فيما سلف ٦ : ٤٦٤ / ١٠ : ٣٩١ ، تعليق : ٢ .

(٢) انظر تفسير « أنبأ » فيما سلف من فهارس اللغة (نبأ) .

(٣) انظر تفسير ألفاظ هذه الآية فيما سلف من فهارس اللغة .

(٤) الأثر : ١٢٨٨٢ — « عبيد الله بن يوسف الجبيرى » ، « أبو حفص البصرى » ،

* ذكر من قال ذلك :

١٢٨٨٣ – حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب قال : شاهدان« ذواعدل منكم » ، من المسلمين.

١٢٨٨٤ – حدثنا عمران بن موسى القزاز قال، حدثنا عبد الوارث بن سعيد قال ، حدثنا إسحق بن سويد ، عن يحيي بن يعمر فى قوله : « اثنان ذوا عدل منكم » ، من المسلمين .

١٢٨٨٥ – حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ، حدثنا ابن أبى عدى ، عن سعيد، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب فى قوله : « اثنان ذوا عدل منكم »، قال: اثنان من أهل دينكم .

١٢٨٨٦ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس ، عن أشعث ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة قال : سألته عن قول الله تعالى ذكره : « اثنان ذوا عدل منكم » ، قال : من الملة .

١٢٨٨٧ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس، عن هشام ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة ، بمثله = إلا أنه قال فيه : من أهل الملة .

١٢٨٨٨ – حدثنى يعقوب قال ، حدثنا ابن علية ، عن هشام ، عن ابن سيرين قال : سألت عبيدة عن هذه الآية : « اثنان ذوا عدل منكم » ، قال : من أهل الملة .

١٢٨٨٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن ابن عون ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة ، مثله .

شيخ الطبرى، ثقة . روى له ابن ماجة . مترجم فى التهذيب . وفى المخطوطة : « عبد الله بن يوسف » ، وهو خطأ . ومضى فى رقم : ١٠٩ ، ولم يترجم هناك .

وهذا الخبر فى تفسير الآية الثانية من « سورة الطلاق » ، ولم يذكره أبو جعفر هناك فى تفسير الآية . فهذا من ضروب اختصاره تفسيره .

١٢٨٩٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حسين ، عن زائدة ، عن هشام ، عن ابن سيرين قال : سألت عبيدة ، فذكر مثله .

١٢٨٩١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن مهدى، عن حماد ، عن ابن أبى نجيح = وقال ، حدثنا مالك بن إسمعيل ، عن حماد بن زيد ، عن ابن أبى نجيح = عن مجاهد ، مثله . ٦٦/٧

١٢٨٩٢ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « ذوا عدل منكم » ، قال : ذوا عدل من أهل الإسلام .

١٢٨٩٣ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ذوا عدل منكم » ، قال : من المسلمين .

١٢٨٩٤ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كان سعيد بن المسيب يقول : « اثنان ذوا عدل منكم » ، أى : من أهل الإسلام .

* * *

وقال آخرون : عنى بذلك : ذوا عدل من حَىٍّ الموصِى . وذلك قول روى عن عكرمة وعبيدة وعدّة غيرهما .

* * *

واختلفوا فى صفة « الاثنين » اللذين ذكرهما الله فى هذه الآية ، ما هى ، وما هما ؟

فقال بعضهم : هما شاهدان يشهدان على وصية الموصى .

* * *

وقال آخرون : هما وصيان

* * *

وتأويل الذين زعموا أنهما شاهدان . قولَه : « شهادة بينكم » ، ليشهد شاهدان

ذوا عدل منكم على وصيتكم .

* * *

وتأويل الذين قالوا: « هما وصيان لا شاهدان » قولَه: « شهادة بينكم »، بمعنى الحضور والشهود لما يوصيهما به المريضُ ، من قولك : « شهدت وصية فلان » ، بمعنى حضرته .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بقوله : « اثنان ذوا عدل منكم » ، تأويلُ من تأوّله بمعنى أنهما من أهل الملة ، دون من تأوّله أنهما من حيّ الموصى

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية ، لأن الله تعالى ذكره ، عم المؤمنين بخطابهم بذلك فى قوله : « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم » فغير جائز أن يصرف ما عمّه الله تعالى ذكره إلى الخصوص إلا بحجة يجب التسليم لها . وإذ كان ذلك كذلك ، فالواجب أن يكون العائدُ من ذكره على العموم ،(٢) كما كان ذكرهم ابتداءً على العموم .

* * *

وأولى المعنيين بقوله: « شهادة بينكم » اليمين ، لا « الشهادة » التى يقوم بها مَنْ عنده شهادة لغيره ، لمن هى عنده ، على مَن هى عليه عند الحكام .(٣) لأنا لا نعلم لله تعالى ذكره حكماً يجب فيه على الشاهد اليمين ، فيكون جائزاً صرفُ « الشهادة » فى هذا الموضع ، إلى « الشهادة » التى يقوم بها بعض الناس عند الحكام والأئمة .

---

(١) انظر تفسير « شهد » فيما سلف من فهارس اللغة ، واختلاف معانيها .

(٢) فى المطبوعة : « من ذكرهم » ، وما فى المخطوطة صواب محض .

(٣) كان صدر هذه العبارة فى المخطوطة : « شهادة بينكم ، لأن الشهادة . . . » ، أسقط لفظ « اليمين » ، وجعل « لا الشهادة » ، « لأن الشهادة » ، وهو فاسد ، والذى فى المطبوعة هو الصواب المحض إن شاء الله ، وهو مطابق لما رواه القرطبى فى تفسيره ٦ : ٣٤٨ ، عن أبى جعفر الطبرى .

وفى حكم الآية فى هذه ، اليمينَ على ذوى العدل = وعلى من قام مقامهم ، باليمين بقوله[١] : « تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله » = أوضحُ الدليل على صحة ما قلنا فى ذلك ، من أن « الشهادة » فيه : الأيمان ، دون الشهادة التى يقضَى بها للمشهود له على المشهود عليه = وفسادِ ما خالفه .

* * *

فإن قال قائل : فهل وجدتَ فى حكم الله تعالى ذكره يميناً تجب على المدَّعى ، فتوجه قولك فى الشهادة فى هذا الموضع إلى الصحة ؟

فإن قلتَ : « لا » ، تبين فساد تأويلك ذلك على ما تأوّلت ، لأنه يجب على هذا التأويل أن يكون المقسمان فى قوله : « فإن عثر على أنهما استحقا إثماً فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان فيقسمان بالله لشهادتنا أحقّ من شهادتهما » ، هما المدعيين .

وإن قلت : « بلى » ، قيل لك : وفى أىّ حكم لله تعالى ذكره وجدتَ ذلك؟

قيل : وجدنا ذلك فى أكثر المعانى . وذلك فى حكم الرجل يدَّعى قِبَل رجل مالاً فيقرّ به المدّعَى عليه قِبَله ذلك ، ويدّعى قضاءه . فيكون القول قول ربّ الدين =[٢] والرجل يعرّف فى يد الرجل السلعةَ ، فيزعم المعرّف فى يده أنه اشتراها من المدّعِى ، أو أنّ المدعى وهبها له ، وما أشبه ذلك مما يكثر إحصاؤه . وعلى هذا الوجه أوجبَ الله تعالى ذكره فى هذا الموضع ليمين على المدعيين اللذين عثرا على الخائنين فيما خانا فيه .[٣]

* * *

---

(١) فى المطبوعة هنا « فى اليمين بقوله » غير ما فى المخطوطة ، وأفسد الكلام . والسياق « وفى حكم الآية . . . باليمين . . . أوضح الدليل . . . »

(٢) قوله : « والرجل يعرف » ، معطوف على قوله : « فى حكم الرجل . . . » . وكان فى المطبوعة هنا « والرجل يعترف . . . فيزعم المعترفة » ، وهو خطأ ، وصوابه ما أثبت كما فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « . . . على الجانيين فيما جنيا فيه » ، وهو لا معنى له هنا . وفى المخطوطة : « على الحاسن فيما صاهما فيه » ، وصواب قراءتها ما أثبت .

قال أبو جعفر : واختلف أهل العربية فى الرافع قولَه . « شهادة بينكم » ، وقولَه : « اثنان ذوا عدل منكم » .

فقال بعض نحويى البصرة : معنى قوله : « شهادة بينكم » ، شهاده اثنين ذوى عدل ، ثم ألقيت « الشهادة » ، وأقيم « الاثنان » مقامها ، فارتفعا بما كانت « الشهادة » به مرتفعة لو جعلت فى الكلام .[1] قال : وذلك = فى حذف ما حذف منه ، وإقامة ما أقيم مقام المحذوف = نظيرُ قوله : ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [سورة يوسف : ٨٢] ، وإنما يريد : واسأل أهل القرية ، وانتصبت « القرية » بانتصاب « الأهل » ، وقامت مقامه ، ثم عطف قوله : « أو آخران » على « الاثنين » .

* * *

وقال بعض نحويى الكوفة : رفع « الاثنين » بـ « الشهادة » ، أى : ليشهدكم اثنان من المسلمين ، أو آخران من غيركم .

* * *

وقال آخر منهم : رفعت « الشهادة » ، بـ « إذا حضر » . وقال : إنما رفعت بذلك ، لأنه قال : « إذا حضر » فجعلها « شهادة » محذوفة مستأنفة ، ٦٧/٧
ليست بالشهادة التى قد رفعت لكل الخلق ، لأنه قال تعالى ذكره : « أو آخران من غيركم » ، وهذه شهادة لا تقع إلا فى هذا الحال ، وليست مما يثبت .[2]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال فى ذلك عندى بالصواب ، قولُ من قال : « الشهادة » مرفوعة بقوله : « إذا حضر » ، لأن قوله : « إذا حضر » ،

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « بما كانت الشاهدة به مرتفعة » ، وهو خطأ لا شك فيه ، صوابه ما أثبت .

(٢) فى المطبوعة : « مما ثبت » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

بمعنى : عند حضور أحدكم الموت ، و« الاثنان » مرفوع بالمعنى المتوهَّم ، وهو : أن يشهد اثنان = فاكتفى من قيل : « أن يشهد » ، بما قد جرى من ذكر « الشهادة » فى قوله : « شهادة بينكم » .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ، لأن « الشهادة » مصدر فى هذا الموضع ، و« الاثنان » اسم ، والاسم لا يكون مصدراً . غير أن العرب قد تضع الأسماء مواضع الأفعال .[1] فالأمر وإن كان كذلك ، فصرْفُ كل ذلك إلى أصح وُجوهه ما وجدنا إليه سبيلاً ، أولى بنا من صرفه إلى أضعفها .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين : ليشهد بينكم إذا حضر أحدكم الموت ، عدلان من المسلمين ، أو آخران من غير المسلمين .

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « أو آخران من غيركم » .

فقال بعضهم : معناه : أو آخران من غير أهل ملتكم ، نحو الذى قلنا فيه .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٨٩٥ — حدثنا حميد بن مسعدة وبشر بن معاذ قالا ،[2] حدثنا يزيد ابن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب : « أو آخران من غيركم » ، من أهل الكتاب .

---

(١) « الأفعال » : المصادر . وانظر فهارس المصطلحات فيما سلف .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « يونس بن معاذ » ، وهو خطأ محض . و « بشر بن معاذ » عن يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة » إسناد دائر فى أكثر صفحات هذا التفسير .

١٢٨٩٦ - حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة قال، سمعت قتادة يحدث، عن سعيد بن المسيب: «أو آخران من غيركم»، من أهل الكتاب.

١٢٨٩٧ - حدثني أبو حفص الجبيرى، عبيد الله بن يوسف قال، حدثنا مؤمل بن إسمعيل قال، حدثنا شعبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، مثله.(١)

١٢٨٩٨ - حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا ابن أبي عدى، عن سعيد، عن قتادة، عن سعيد، مثله.

١٢٨٩٩ - حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا مغيرة، عن إبراهيم وسليمان التيمى، عن سعيد بن المسيب: أنهما قالا فى قوله: «أو آخران من غيركم»، قالا: من غير أهل ملتكم.

١٢٩٠٠ - حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا مغيرة قال، حدثني من سمع سعيد بن جبير يقول، مثل ذلك.

١٢٩٠١ - حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا التيمى، عن أبي مجلز قال: من غير أهل ملتكم.

١٢٩٠٢ - وحدثنا ابن بشار قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة، عن مغيرة، عن إبراهيم، مثله.

١٢٩٠٣ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم قال: إن كان قُرْبَه أحدٌ من المسلمين أشهدهم، وإلا أشهد رجلين من المشركين.

١٢٩٠٤ - حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا أبو قتيبة قال، حدثنا هشيم، عن المغيرة، عن إبراهيم وسعيد بن جبير فى قوله: «أو آخران من غيركم»، قالا:

---

(١) الأثر: ١٢٨٩٧ - «أبو حفص الجبيرى»، «عبيد الله بن يوسف»، مضى قريباً رقم: ١٢٨٨٢.

من غير أهل ملتكم .[١]

١٢٩٠٥ – حدثنا عمرو قال ، حدثنا يحيى بن سعيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد : « أو آخران من غيركم » ، قال : من أهل الكتاب .

١٢٩٠٦ – حدثنا عمرو قال ، حدثنا محمد بن سواء قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، مثله .[٢]

١٢٩٠٧ – حدثنا هناد قال ، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي = عن شعبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، مثله .

١٢٩٠٨ – حدثنا عمران بن موسى قال ، حدثنا عبد الوارث بن سعيد قال ، حدثنا إسحق بن سويد ، عن يحيى بن يعمر في قوله : « اثنان ذوا عدل منكم » ، من المسلمين ، فإن لم تجدوا من المسلمين ، فمن غير المسلمين .

١٢٩٠٩ – حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا داود ، عن عامر ، عن شريح في هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموتُ حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم » ، قال : إذا كان الرجل بأرض غُرْبة ولم يجد مسلماً يشهده على وصيته ، فأشهد يهوديًّا أو نصرانيًّا أو مجوسيًّا ، فشهادتهم جائزة .[٣] فإن جاء رجلان مسلمان فشهدا بخلاف شهادتهما ، أجيزت شهادة المسلمين ، وأبطلت شهادة الآخرَيْن .[٤]

---

(١) الأثر : ١٢٩٠٤ – « أبو قتيبة » هو « سلم بن قتيبة الشعيري الفريابي » . مضى برقم : ١٨٩٩ ، ١٩٢٤ ، ٦٣٩٥ ، ٩٧١٤ . وكان في المطبوعة : « قتيبة » ، غير كنية ، والصواب من المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٢٩٠٦ – « عمرو » هو « عمرو بن علي الفلاس » ، مضى مراراً . و « محمد بن سواء بن عنبر السدوسي العنبري » . صدوق ، ثقة ، متكلم فيه . مترجم في التهذيب . وكان في المطبوعة : « محمد بن سوار » وهو خطأ ، وفي المخطوطة : « محمد بن سوا » ، وأساء الناشر قراءته .

(٣) في المطبوعة : « فشهادتهما » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو الصواب ، وسيأتي كذلك في رقم : ١٢٩٧٤ .

(٤) الأثر : ١٢٩٠٩ – في المخطوطة والمطبوعة : « حدثني المثنى » . والصواب ما أثبته ،

١٢٩١٠ - حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن شريح : أنه كان لا يجيز شهادة اليهود والنصارى على مسلم إلا في الوصية ، ولا يجيز شهادتهما على الوصية إلا إذا كانوا في سفر .

١٢٩١١ - حدثنا عمرو بن علي قال، حدثنا أبو معاوية ووكيع قالا ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن شريح قال : لا تجوز شهادة اليهودي والنصراني ٧ / ٦٨
إلا في سفر ، ولا تجوز في سفر إلا في وصية . (١)

١٢٩١٢ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن شريح ، نحوه .

١٢٩١٣ - حدثنا عمرو بن علي قال ، حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير الأسدي قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم قال : كتب هشام بن هُبَيرة لمسلمة عن شهادة المشركين على المسلمين ، فكتب : « لا تجوز شهادة المشركين على المسلمين إلا في وصية ، ولا تجوز في وصية إلا أن يكون الرجل مسافراً » .

١٢٩١٤ - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس ، عن أشهب ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة قال : سألته عن قول الله تعالى ذكره : « أو آخران من غيركم » ، قال: من غير الملة .

١٢٩١٥ - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس ، عن هشام ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة ، بمثله .

١٢٩١٦ - حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن هشام ، عن ابن سيرين قال : سألت عبيدة عن ذلك فقال : من غير أهل الملة .

١٢٩١٧ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن هشام ، عن ابن

وسيأتي هذا الخبر في موضعين بهذا الإسناد على الصواب ، وذلك رقم : ١٢٩٤٣ ، ١٢٩٧٤ ، ولذلك رددته إلى الصواب .

(١) في المطبوعة : « اليهود والنصارى » ، وأثبت ما في المخطوطة .

سيرين ، عن عبيدة قال : من غير أهل الصلاة .

١٢٩١٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن إدريس ، عن هشام ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة قال : من غير أهل دينكم .

١٢٩١٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حسين ، عن زائدة ، عن هشام ، عن ابن سيرين، عن عبيدة قال : من غير أهل الملة .

١٢٩٢٠ – حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا أبو داود قال، حدثنا أبو حرّة ، عن محمد بن سيرين، عن عبيدة : « أو آخران من غيركم » ، قال : من غير أهل ملتكم .

١٢٩٢١ – حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا عبد الرحمن بن عثمان قال ، حدثنا هشام بن محمد قال : سألت سعيد بن جبير عن [قول الله : « أو آخران من غيركم » ، قال : من غير أهل ملتكم] . (١)

١٢٩٢٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا مالك بن إسمعيل ، عن حماد ابن زيد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد، مثله .

١٢٩٢٣ – حدثنا عمرو قال، حدثنا أبو داود قال ، حدثنا حماد بن زيد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : من غير أهل ملتكم .

١٢٩٢٤ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « أو آخران من غيركم » ، من غير أهل الإسلام .

١٢٩٢٥ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو بكر بن عياش قال ، قال أبو إسحق : « أو آخران من غيركم » ، قال : من اليهود والنصارى = قال

---

(١) الأثر : ١٢٩٢١ – انتهى هذا الأثر فى المخطوطة عند قوله : « . . . سعيد بن جبير عن » ووضع الناسخ فى المخطوطة حرف (ط) بالأحمر فى الهامش ، دلالة على الخطأ والشك . أما المطبوعة ، فزادت ما وضعته بين القوسين ، وهو صواب فى المعنى إن شاء الله .

قال شريح: لا تجوز شهادة اليهودىّ والنصرانى إلا فى وصية، ولا تجوز فى وصية إلا فى سفر.

١٢٩٢٦ — حدثنى يعقوب قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا زكريا، عن الشعبي: أن رجلاً من المسلمين حضرته الوفاة بدَقوقَا هذه.[1] قال: فحضرته الوفاة ولم يجد أحداً من المسلمين يشهد على وصيته، فأشهده رجلين من أهل الكتاب، فقدما الكوفة، فأتيا الأشعرىّ فأخبراه، وقدِما بتركته ووصيته، فقال الأشعري: هذا أمر لم يكن بعدَ الذى كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم! فأحلفهما وأمضى شهادتهما.[2]

١٢٩٢٧ — حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا أبو داود قال، حدثنا شعبة، عن مغيرة الأزرق، عن الشعبي: أن أبا موسى قضى بها بدَقوقَا.

١٢٩٢٨ — حدثنا عمرو قال، حدثنا عثمان بن الهيثم قال، حدثنا عوف، عن محمد: أنه كان يقول فى قوله: «اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم»، شاهدان من المسلمين وغير المسلمين.

١٢٩٢٩ — حدثنى يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: «أو آخران من غيركم»، من غير أهل الإسلام.

١٢٩٣٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الرحمن ابن سعد قال، أخبرنا أبو حفص، عن ليث، عن مجاهد قال: من غير أهل الإسلام.

---

(١) «دقوقا» و «دقوقاء»، مقصوراً وممدوداً؛ مدينة بين إربل وبغداد معروفة، لها ذكر فى الأخبار والفتوح، كان بها وقعة للخوارج، وكثر ذكرها فى بعض أشعار الخوارج.

وكان فى المطبوعة: «... بدقوقا، ولم يجد أحداً من المسلمين»، حذف ما أثبته من المخطوطة وأساء. وظاهر من الخبر أن الشعبى قال هذا، وهو يومئذ بدقوقا. وهو أيضاً ثابت فى سنن أبى داود.

(٢) الأثر: ١٢٩٢٦ — رواه أبو داود فى سننه ٣: ٤١٧ رقم: ٣٦٠٥.

١٢٩٣١ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني عبد الله ابن عياش قال: قال زيد بن أسلم في هذه الآية : « شهادة بينكم » الآية كلها ، قال : كان ذلك في رجل تُوُفّيَ وليس عنده أحد من أهل الإسلام، وذلك في أوّل الإسلام، والأرض حرب ، والناس كفار ، إلاّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالمدينة، وكان الناس يتوارثون بالوصية ، ثم نُسِخت الوصية وفرضت الفرائض ، وعمل المسلمون بها .(١)

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك: أو آخران من غير حَيِّكم وعشيرتكم .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٩٣٢ – حدثنا عمرو بن علي قال ، حدثنا عثمان بن الهيثم بن الجهم قال ، حدثنا عوف ، عن الحسن في قوله : « اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم » ، قال : شاهدان من قومكم ومن غير قومكم .(٢) ٧ / ٦٩

١٢٩٣٣ – حدثنا عمرو قال، حدثنا أبو داود قال ،حدثنا صالح بن أبي الأخضر ، عن الزهري قال : مضت السُّنة أن لا تجوز شهادة كافر في حضر ولا سفر ، إنما هي في المسلمين .(٣)

١٢٩٣٤ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كان الحسن يقول : « اثنان ذوا عدل منكم »، أي : من عشيرته = « أو آخران من غيركم » ، قال : من غير عشيرته .

---

(١) الأثر : ١٢٩٣١ – « عبد الله بن عياش بن عباس القتباني » ، « أبو حفص » المصري . مضى برقم : ١٢١٧٧ . وكان في المطبوعة : « عبد الله بن عباس » ، وهو خطأ ، وهو على الصواب في المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٢٩٣٢ – « عثمان بن الهيثم بن الجهم بن عيسى العصري العبدي » ، وهو « الأشج العصري » ثقة . علق عنه البخاري . يروي عن عوف الأعرابي ، مترجم في التهذيب .

(٣) الأثر : ١٢٩٣٣ – « صالح بن أبي الأخضر اليمامي » ، خادم الزهري ، مضى برقم : ٩٣١٢ .

١٢٩٣٥ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة، عن ثابت بن زيد، عن عاصم ، عن عكرمة : « أو آخران من غيركم » ، قال : من غير أهل حيكم .

١٢٩٣٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن مهدى ،عن ثابت بن زيد، عن عاصم ، عن عكرمة : « أو آخران من غيركم » ، قال : من غير حيكم .

١٢٩٣٧ – حدثنا عمرو بن على قال ، حدثنا أبو داود قال ، حدثنا ثابت ابن زيد ،عن عاصم الأحول،عن عكرمة فى قول الله تعالى ذكره : « أو آخران من غيركم » ، قال : من غير أهل حيه = يعنى : من المسلمين .

١٢٩٣٨ – حدثنى الحارث بن محمد قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا مبارك ، عن الحسن : « أو آخران من غيركم » ، قال : من غير عشيرتك ، ومن غير قومك ، كلهم من المسلمين .

١٢٩٣٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة قوله : « أو آخران من غيركم »، قال : مسلمين من غير حيكم .

١٢٩٤٠ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى الليث قال ، حدثنى عقيل قال : سألت ابن شهاب عن قول الله تعالى ذكره : «يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت» ، إلى قوله: « والله لا يهدى القوم الفاسقين » ، قلت : أرأيت الاثنين اللذين ذكر الله ، من غير أهل المرء الموصى ، أهما من المسلمين ، أم هما من أهل الكتاب ؟ وأرأيت الآخرين اللذين يقومان مقامهما، أتراهما من [غير] أهل المرء الموصى ،(١) أم هما من غير

(١) الزيادة التى بين القوسين لابد منها . وفى المخطوطة كما كانت فى المطبوعة، إلا أن الناسخ وضع فى الهامش علامة الشك ، وهى هكذا (١) ، فأثبت الصواب إن شاء الله .

المسلمين ؟ قال ابن شهاب : لم نسمع فى هذه الآية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا عن أئمة العامة ، سنة أذكرها ، وقد كنا نتذاكرها أناساً من علمائنا أحياناً ، فلا يذكرون فيها سُنة معلومة ، ولا قضاءً من إمام عادل ، ولكنه يختلف فيها رأيهم . وكان أعجبهم فيها رأياً إلينا ، الذين كانوا يقولون : هى فيما بين أهل الميراث من المسلمين ، يشهد بعضهم الميت الذى يرثونه ، ويغيب عنه بعضهم ، ويشهد من شهده على ما أوصى به لذوى القربى ، فيخبرون من غاب عنه منهم بما حضرُوا من وصية . فإن سلّموا جازت وصيته ، وإن ارتابوا أن يكونوا بدّلوا قولَ الميت ، وآثروا بالوصية من أرادوا ممن لم يوص لهم الميت بشىء ، حلَف اللذان يشهدان على ذلك بعد الصلاة ، وهى صلاة المسلمين ، فيقسمان بالله : « إن ارتبتم لا نشترى به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله إنا إذاً لمن الآثمين » . فإذا أقسما على ذلك جازت شهادتهما وأيمانهما ، ما لم يعثر على أنهما [استحقا إثماً فى شىء من ذلك ، فإن عُثر على أنهما استحقا إثماً فى شىء من ذلك] ، (١) قام آخران مقامهما من أهل الميراث ، من الخصم الذين ينكرون ما شهد به عليه الأوّلان المستحلفان أول مرة ، فيقسمان بالله لشهادتنا [أحق من شهادتكما] ، (٢) على تكذيبكما أو إبطال ما شهدتما به = «وما اعتدينا إنا إذاً لمن الظالمين» = « ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم » ، الآية .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين فى ذلك عندنا بالصواب ، تأويل من تأوّله : أو آخران من غير أهل الإسلام . وذلك أن الله تعالى عرّف عباده المؤمنين عند

---

(١) هذه الجملة التى بين القوسين ، ليست فى المخطوطة ، ووضع فى المطبوعة مكانها : « فإن عثر » ، واقتصر على ذلك ، واستظهرت الجملة من سياق أبى جعفر .

(٢) هذه الزيادة بين القوسين لا بد منها ، استظهرتها من الآية والسياق .

الوصية ، شهادة اثنين من عدول المؤمنين ، أو اثنين من غير المؤمنين . ولا وجه لأن يقال فى الكلام صفة شهادة مؤمنين منكم ، أو رجلين من غير عشيرتكم ، وإنما يقال : صفة شهادة رجلين من عشيرتكم أو من غير عشيرتكم = أو رجلين من المؤمنين أو من غير المؤمنين .

فإذ كان لا وجه لذلك فى الكلام ، فغير جائز صرف معنى كلام الله تعالى ذكره إلا إلى أحسن وجوهه . (١)

وقد دللنا قبل على أن قوله تعالى : « ذوا عدل منكم » ، إنما هو من أهل دينكم وملتكم ، بما فيه كفاية لمن وفق لفهمه .

وإذ صح ذلك بما دللنا عليه ، فمعلوم أن معنى قوله : « أو آخران من غيركم » ، إنما هو : أو آخران من غير أهل دينكم وملتكم . وإذ كان ذلك كذلك ، فسواء كان الآخران اللذان من غير أهل ديننا ، يهوديين كانا أو نصرانيين أو مجوسيين أو عابدَىْ وثَن ، أو على أى دين كانا . لأنّ الله تعالى ذكره لم يخصص ٧٠/٧ آخرين من أهل ملة بعينها دونَ ملة ، بعد أن يكونا من [غير] أهل الإسلام . (٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين : صفة شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموتُ وقتَ الوصية ، أن يشهد اثنان ذوا عدل منكم ، أيها المؤمنون ، أو رجلان آخران من غير أهل ملتكم ، إن أنتم سافرتم ذاهبين وراجعين فى الأرض .

* * *

(١) فى المطبوعة : « صرف مغلق كلام الله » ، وفى المخطوطة : « معلق » ، وصواب قراءتها « معنى »

(٢) هذه الزيادة بين القوسين ، لا بد منها ، وإلا فسد الكلام .

وقد بينا فيما مضى السبب الذى من أجله قيل للمسافر : «الضارب فى الأرض» . (١)

* * *

= « فأصابتكم مصيبة الموت » ، يقول : فنزل بكم الموت . (٢)

* * *

ووجّه أكثر أهل التأويل هذا الموضع إلى معنى التعقيب دون التخيير ، وقالوا : معناه : شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية ، اثنان ذوا عدل منكم إن وجدا ، فإن لم يوجدا فآخران من غيركم = وإنما فعل ذلك من فعله ، لأنه وجّه معنى « الشهادة » فى قوله : « شهادة بينكم » ، إلى معنى الشهادة التى توجب للقوم قيامَ صاحبها عند الحاكم ، أو يُبطلها.

* ذكر بعض من تأول ذلك كذلك :

١٢٩٤١ – حدثنا عمران بن موسى القزاز قال ، حدثنا عبد الوارث بن سعيد قال ، حدثنا إسحق بن سويد ، عن يحيى بن يعمر فى قوله : « ذوا عدل منكم » ، من المسلمين . فإن لم تجدوا من المسلمين ، فمن غير المسلمين .

١٢٩٤٢ – حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ، حدثنا ابن أبى عدى ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب فى قوله : « اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم» ، قال : اثنان من أهل دينكم = « أو آخران من غيركم » ، من أهل الكتاب ، إذا كان ببلادٍ لا يجد غيرهم .

١٢٩٤٣ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا داود ، عن عامر ، عن شريح فى هذه الآية : « شهادة بينكم » إلى قوله : « أو آخران من غيركم » ، قال : إذا كان الرجل بأرض غربة ولم يجد مسلماً يشهده على وصيته ، فأشهد يهوديًّا أو نصرانيًّا ، أو مجوسيًّا ، فشهادتهم جائزة .

---

(١) انظر تفسير « الضرب فى الأرض » فيما سلف ٥ : ٧/٥٩٣ : ٩/٣٣٢ : ١٢٣ .

(٢) انظر تفسير « الإصابة » فيما سلف ٨ : ٥١٤ ، ٥٣٨ ، ١٠/٥٥٥ : ٣٩٣ ، ٤٠٤

١٢٩٤٤ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى : « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم » ، قال : هذا فى الحضر = « أو آخران من غيركم » ، فى السفر = « إن أنتم ضربتم فى الأرض فأصابتكم مصيبة الموت » ، هذا، الرجل يدركه الموت فى سفره وليس بحضرته أحد من المسلمين ، [1] فيدعو رجلين من اليهود والنصارى والمجوس ، فيوصى إليهما .

١٢٩٤٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم وسعيد بن جبير أنهما قالا فى هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم » الآية ، قال : إذا حضر الرجلَ الوفاةُ فى سفر ، فيشهد رجلين من المسلمين . فإن لم يجد رجلين من المسلمين ، فرجلين من أهل الكتاب .

١٢٩٤٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم » إلى قوله : « ذوا عدل منكم » ، فهذا لمن مات وعنده المسلمون ، فأمره الله أن يشهد على وصيته عَدْلين من المسلمين . ثم قال : « أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتم فى الأرض فأصابتكم مصيبة الموت » ، فهذا لمن مات وليس عنده أحد من المسلمين ، فأمره الله تعالى ذكره بشهادة رجلين من غير المسلمين .

* * *

ووجَّه ذلك آخرون إلى معنى التخيير ، وقالوا : إنما عنى بالشهادة فى هذا الموضع ، الأيمان على الوصية التى أوصى إليهما ، وائتمانَ الميت إياهما على ما ائتمنهما عليه من مال ليؤدِّياه إلى ورثته بعد وفاته ، إن ارتيب بهما . قالوا : وقد

---

(١) فى المطبوعة : « هذا فى الرجل » ، زاد « فى » ، وأثبت ما فى المخطوطة . وسيأتى على الصواب فى رقم : ١٢٩٥٤ .

يتَّمِن الرجلُ على ماله من رآه موضعاً للأمانة من مؤمن وكافر فى السفر والحضر.[١] وقد ذكرنا الرواية عن بعض من قال هذا القول فيما مضى ، وسنذكر بقيته إن شاء الله تعالى بعد .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله : شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت ، إن شهد اثنان ذوا عدل منكم ، أو كان أوصى إليهما = أو آخران من غيركم إن كنتم فى سفر فحضرتكم المنيّة ، فأوصيتم إليهما ، ودفعتم إليهما ما كان معكم من مال وتركة لورثتكم . فإذا أنتم أوصيتم إليهما ودفعتم إليهما ما كان معكم من مال ، فأصابتكم مصيبة الموت ، فأدّيا إلى ورثتكم ما ائتمنتموهما وادّعوا عليهما خيانة خاناها مما ائتُمنا عليه ،[٢] فإن الحكم فيهما حينئذ أن تحبسوهما = يقول : تستوقفونهما بعد الصلاة . وفى الكلام محذوف اجتزىء بدلالة ما ظهر منه على ما حذف ، وهو : « فأصابتكم مصيبة الموت ، وقد أسندتم وصيتكم إليهما ، ودفعتم إليهما ما كان معكم من مال » ، فإنكم تحسبونهما من بعد الصلاة = « فيقسمان بالله إن ارتبتم » ، يقول : فيحلفان بالله إن اتهمتموهما بخيانة فيما ائتُمنا عليه من تغيير وصية أوصى إليهما بها أو تبديلها = و « الارتياب » ، هو الاتهام[٣] = « لا نشترى به ثمناً » ، ٧ / ٧١

(١) فى المطبوعة : « وقد يأمن الرجل على ماله » ، وفى المخطوطة : « سمى الرجل » غير منقوطة ، وصواب قراءتها ما أثبت . « أمن الرجل على كذا ، وائتمنه ، واتمنه » (الأخيرة ، مشددة التاء) . وانظر ما سلف ٥ : ٢٩٨ ، تعليق : ٤ .

(٢) فى المطبوعة فى المواضع كلها « ائتمن » مكان « اتمن » ، وانظر التعليق السالف .

(٣) انظر تفسير « الارتياب » فيما سلف ٦ : ٧٨ ، وتفسير « الريب » فيما سلف ٨ : ٥٩٢ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .

يقول : يحلفان بالله لا نشترى بأيماننا بالله ثمناً ، يقول : لا نحلف كاذبين على عوض نأخذه عليه ، وعلى مال نذهب به ، (١) أو لحقّ نجحده لهؤلاء القوم الذين أوصى إلينا وليّهم وميّتهم . (٢)

* * *

و« الهاء » فى قوله : « به »، من ذكر « الله »، والمعنىّ به الحلف والقسم ، ولكنه لما كان قد جرى قبل ذلك ذكر القسم به ، فعُرِف معنى الكلام ، اكتفى به من إعادة ذكر القسم والحلف . (٣)

* * *

= « ولو كان ذا قربى » ، يقول : يقسمان بالله لا نطلب بأقسامنا بالله عوضاً فنكذب فيها لأحد ، ولو كان الذي نقسم به له ذا قرابة منا . (٤)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك روى الخبر عن ابن عباس .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٩٤٧ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتم فى الأرض فأصابتكم مصيبة الموت»، فهذا لمن مات وليس عنده أحد من المسلمين ، فأمره الله بشهادة رجلين من غير المسلمين . فإن ارتيب فى شهادتهما ، استحلفا بعد الصلاة بالله : لم نشتر بشهادتنا ثمناً قليلاً .

* * *

وقوله : «تحبسونهما من بعد الصلاة»، من صلاة الآخرين . ومعنى الكلام :

---

(١) انظر تفسير « الاشتراء » و « الثمن » فيما سلف من فهارس اللغة (شرى) و (ثمن) .

(٢) فى المطبوعة : « أوصى إلينا وإليهم وصيهم » ، غير ما فى المخطوطة مع وضوحه !!

(٣) فى المطبوعة : « فيعرف من معنى الكلام ، واكتفى به . . . » ، وفى المخطوطة : « فيعرف معنى الكلام » ، والصواب ما أثبت ، بجعل « فيعرف » « فعرف » ، وحذف « من » ، وحذف الواو من « واكتفى » .

(٤) انظر تفسير « ذو القربى » فيما سلف ٢ : ٣/٢٩٢ : ٨/٣٤٤ : ٣٣٤ .

أو آخران من غيركم تحبسونهما من بعد الصلاة ،إن ارتبتم بهما ، فيقسمان بالله لا نشترى به ثمناً ولو كان ذا قربى.

* * *

واختلفوا فى « الصلاة » التى ذكرها الله تعالى فى هذه الآية، فقال: « تحبسونهما من بعد الصلاة » .

فقال بعضهم : هى صلاة العصر .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٩٤٨ – حدثنى يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا زكريا عن الشعبى : أن رجلاً من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقا ، فلم يجد أحداً من المسلمين يشهده على وصيته ، فأشهد رجلين من أهل الكتاب. قال : فقدما الكوفة ، فأتيا الأشعرى فأخبراه ، وقدما بتركته ووصيته ، فقال الأشعرى : هذا أمر لم يكن بعد الذى كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ! قال : فأحلفهما بعد العصر : بالله ما خانا ولا كذبا ولا بدّلا ولا كتما ، ولا غيّرا، وإنها لوصية الرجل وتركته . قال : فأمضى شهادتهما .(١)

١٢٩٤٩ – حدثنا ابن بشار وعمرو بن على قالا ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير : « أو آخران من غيركم »، قال: إذا كان الرجل بأرض الشرك، فأوصى إلى رجلين من أهل الكتاب ، فإنهما يحلفان بعد العصر .

١٢٩٥٠ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، بمثله .

١٢٩٥١ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة

---

(١) الأثر ١٢٩٤٨ – انظر الأثر السالف رقم : ١٢٩٢٦ ، والتعليق عليه . والأثر التالى رقم : ١٢٩٥٣ .

قوله: « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم » إلى « فأصابتكم مصيبة الموت» ، فهذا رجل مات بغُرْبة من الأرض ، وترك تركته، وأوصى بوصيته ، وشهد على وصيته رجلان . فإن ارتيب فى شهادتهما ، استحلفا بعد العصر . وكان يقال : عندها تصير الأيمان .

١٢٩٥٢ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى هشيم قال ، أخبرنا مغيرة، عن إبراهيم وسعيد بن جبير : أنهما قالا فى هذه الآية: «يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم » ، قالا : إذا حضر الرجل الوفاة فى سفر ، فليشهد رجلين من المسلمين . فإن لم يجد فرجلين من أهل الكتاب . فإذا قدما بتركته ، فإن صدّقهما الورثة قُبِل قولهما، وإن اتهموهما أحلفا بعد صلاة العصر : بالله ما كذبنا ولا كتمنا ولا خُنَّا ولا غيَّرنا .

١٢٩٥٣ – حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا يحيى القطان قال ، حدثنا زكريا قال، حدثنا عامر : أن رجلاً توفى بدَقُوقا ، فلم يجد من يشهده على وصيته إلا رجلين نصرانيين من أهلها . فأحلفهما أبو موسى دُبُر صلاة العصر فى مسجد الكوفة : بالله ما كتما ولا غيرا ، وأن هذه الوصية . فأجازها .(١)

* * *

وقال آخرون : بل يستحلفان بعد صلاة أهل دينهما وملتهما .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٩٥٤ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم » إلى قوله : « ذوا عدل منكم » ، قال : هذا فى الوصية عند الموت ، يوصى ويشهد رجلين من المسلمين على ما لَهُ وعليه ، قال : هذا فى الحضر = « أو آخران من غيركم » فى السفر= « إن أنتم ضربتم فى الأرض فأصابتكم مصيبة الموت » ، هذا ، الرجل ٧ / ٧٢

(١) الأثر : ١٢٩٥٣ – انظر التعليق على رقم : ١٢٩٤٨ .

يدركه الموت فى سفره وليس بحضرته أحد من المسلمين ، فيدعو رجلين من اليهود والنصارى والمجوس ، فيوصى إليهما ، ويدفع إليهما ميراثه . فيقبلان به . فإن رضى أهل الميت الوصية وعرفوا مالَ صاحبهم ، تركوا الرجلين . وإن ارتابوا ، رفعوهما إلى السلطان . فذلك قوله : « تحبسونهما من بعد الصلاة إن ارتبتم » . قال عبد الله ابن عباس : كأنى أنظر إلى العِلْجين حين انتُهِى بهما إلى أبى موسى الأشعرى فى داره ، [1] ففتح الصحيفة ، فأنكر أهل الميت ، وخوّنوهما . فأراد أبو موسى أن يستحلفهما بعد العصر ، فقلت له : « إنهما لا يباليان صلاة العصر ، ولكن استحلفهما بعد صلاتهما فى دينهما ، فيوقف الرجلان بعد صلاتهما فى دينهما ، ويحلفان بالله : لانشترى به ثمناً قليلاً ولوكان ذا قربى ولانكتم شهادة الله إنّا إذاً لمن الآثمين ، أنّ صاحبهم لبهذا أوصى ، وأنّ هذه لتركته . فيقول لهما الإمام قبل أن يحلفا : إنكما إن كتمتما أو خنتما فضحتكما فى قومكما ، ولم تجز لكما شهادة ، وعاقبتكما ! فإذا قال لهما ذلك ، فإن ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك بالصواب عندنا ، قولُ من قال : « تحبسونهما من بعد صلاة العصر » . لأن الله تعالى عرّف « الصلاة » فى هذا الموضع بإدخال « الألف واللام » فيها ، ولا تدخلهما العرب إلاّ فى معروف ، إما فى جنس ، أو فى واحد معهود معروف عند المتخاطبين . فإذ كان كذلك ، وكانت «الصلاة» فى هذا الموضع مجمعاً على أنه لم يُعْنَ بها جميع الصلوات ، لم يجز أن يكون مراداً بها صلاة المستحلَف من اليهود والنصارى ، لأن لهم صلوات ليست واحدة ، فيكون معلوماً أنها المعنيّة بذلك . فإذْ كان ذلك كذلك ، صح أنها صلاة بعينها من صلوات المسلمين . وإذ كان ذلك كذلك ، وكان النبى صلى الله عليه

---

(١) « العلج » (بكسر العين وسكون اللام) : الرجل من كفار العجم .

وسلم صحيحاً عنه أنه إذْ لاعَنَ بين العَجْلانيين ، لاعَن بينهما بعد العصر دون غيره من الصلوات [١] = كان معلوماً أنّ التى عنيت بقوله : « تحبسونهما من بعد الصلاة » ، هى الصلاة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخيَّرها لاستحلاف من أراد تغليظَ اليمين عليه . هذا مع ما عند أهل الكفر بالله من تعظيم ذلك الوقت ، وذلك لقربه من غروب الشمس .

* * *

وكان ابن زيد يقول فى قوله : « لا نشترى به ثمناً » ، ما : —

١٢٩٥٥ — حدثنى به يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « لا نشترى به ثمناً » ، قال : نأخذ به رشوة .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْأَثِمِينَ﴾ (١٠٦)

قال أبو جعفر : اختلفتْ القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة الأمصار : ﴿ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ ٱللَّهِ ﴾ ، بإضافة « الشهادة » إلى « الله » ، وخفض اسم الله تعالى = يعنى : لا نكتم شهادة لله عندنا .

* * *

ذكر عن الشعبى أنه كان يقرؤه كالذى : —

١٢٩٥٦ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن ابن عون ، عن عامر : أنه كان يقرأ : ﴿ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ ٱللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ ٱلْآثِمِينَ ﴾ = بقطع « الألف » ، وخفض اسم الله = هكذا حدثنا به ابن وكيع .

* * *

وكأن الشعبى وجَّه معنى الكلام إلى : أنهما يقسمان بالله لا نشترى به ثمناً ،

---

(١) انظر خبر العجلانيين فى السنن الكبرى للبيهقى ٧ : ٣٩٨ ، وما بعدها .

ولا نكتم شهادةً عندنا . ثم ابتدأ يميناً باستفهام : بالله أنهما إن اشتريا بأيمانهما ثمناً أو كتما شهادته عندهما ، لمن الآثمين .

* * *

وقد روى عن الشعبي فى قراءة ذلك رواية تخالف هذه الرواية ، وذلك ما : —

١٢٩٥٧ — حدثني أحمد بن يوسف التغلبي قال، حدثنا القاسم بن سلام قال ، حدثنا عباد بن عباد ، عن ابن عون ، عن الشعبي : أنه قرأ : ﴿ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةً اللهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ ﴾ =[1] قال أحمد: قال أبو عبيد: ينوّن « شهادة » ويخفض « الله » على الاتصال . قال : وقد رواها بعضهم بقطع « الألف » على الاستفهام .[2]

* * *

قال أبو جعفر : وحفظى أنا لقراءة الشعبي بترك الاستفهام .[3]

* * *

وقرأها بعضهم : ﴿ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللهَ ﴾ ، بتنوين «الشهادة» ، ونصب اسم « الله » بمعنى : ولا نكتم الله شهادةً عندنا .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءات فى ذلك عندنا بالصواب ، قراءة من قرأ: ﴿ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللهِ ﴾ ، بإضافة «الشهادة» إلى اسم «الله» ، وخفض اسم «الله» لأنها القراءة المستفيضة فى قرأة الأمصار التى لا تتناكر صحتَها الأمة . ٧٣/

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « شهادة لله » ، هو خطأ ، صوابه فى المخطوطة . وقراءة الشعبى أو قراءاته التى رويت عنه — مذكورة فى تفسير أبى حيان ٤ : ٤٤ ، والمحتسب لابن جنى ، فراجعها هناك .

(٢) الأثر : ١٢٩٥٧ — « أحمد بن يوسف التغلبى الأحول » ، مضى برقم : ٥٩١٩ ، ٥٩٥٤ ، ٧٦٦٤ ، وكان فى المطبوعة هنا « الثعلبى » ، وهو خطأ بيناه هناك .

و « عباد بن عباد الرملى الأرسوفى » ، « أبو عتبة الخواص » . روى عن ابن عون . مترجم فى التهذيب .

(٣) فى المطبوعة : « وخفض إنا لقراءة الشعبى » ، وهو خلط لا معنى له ، صوابه من المخطوطة .

وكان ابن زيد يقول فى معنى ذلك : ولا نكتم شهادة الله، وإن كان بعيداً.(١)

١٢٩٥٨ – حدثنى بذلك يونس قال ، أخبرنا ابن زيد ، عنه .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « فإن عُثِر » ، فإن اطُّلع منهما أو ظهر.(٢)

وأصل « العثر »، الوقوع على الشىء والسقوط عليه ، ومن ذلك قولهم : « عثرت إصبع فلان بكذا»، إذا صدمته وأصابته ووقعت عليه ، ومنه قول الأعشى ميمون ابن قيس :

بِذَاتِ لَوْثٍ عَفَرْنَاةٍ إِذَا عَثَرَتْ فَالتَّعْسُ أَدْنَى لَهَا مِنْ أَنْ أَقُولَ لَعَا(٣)

---

(١) فى المطبوعة : « وإن كان صاحبها بعيداً » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وأنا فى شك منه على كل حال ، أخشى أن يكون سقط من الكلام شىء . ولم أجد مقالة ابن زيد فيما بين يدى من الكتب .

(٢) فى المطبوعة : « فيهما » ، والصواب « منهما » .

(٣) ديوانه : ٨٣ ، من قصيدته فى هوذة بن على الحنفى ، وقد مضى خبرها ٢ : ٩٤ ، تعليق : ١ ، ومضى منها أبيات فى ١ : ١٠٦/٢ : ٥٤٠ ، وقبل البيت فى ذكر أرض مخوفة الليل ، وهى « البلدة » المذكورة فى البيت التالى :

وَبَلْدَةٍ يَرْهَبُ الجَوَّابُ دُلْجَتَهَا حَتَّى تَرَاهُ عَلَيْهَا يَبْتَغِى الشِّيَعَا
لاَ يَسْمَعُ المَرْءُ فِيهَا مَا يُؤَنِّسُهُ بِاللَّيْلِ إِلَّا نَئِيمَ البُومِ والضُّوَعَا
كَلَّفْتُ مَجْهُولَهَا نَفْسِى ، وَشَايَعَنِى هَمِّى عَلَيْهَا ، إِذَا مَا آلُهَا لَمَعَا

« الدلجة » : سير الليل . و « الشيع » الأصحاب . و « النئيم » : صوت البوم ، أو الصوت الضعيف من صوته . و « الضوع » ، طائر من طيور الليل ، إذا أحس بالصباح صدح ، وقيل هو : « الكروان » . و « الآل » السراب ، و « اللوث » : القوة ، يصف ناقته أنها ذات لحم وشحم ، قوية على السير . وقوله : « بذات لوث » ، متعلق بقوله : « كلفت » و « عفرناة » (بفتح العين والفاء) صفة للناقة بأنها قوية كأنها من نشاطها مجنونة . و « التعس » ؛ الانحطاط والعثور . وقوله : « لعاً » ، كلمة تقال للعاثر ، يدعى له بأن ينتعش من عثرته ، ومعناها الارتفاع ،

يعني بقوله : « عثرت » ، أصاب منسِمُ خُفَّها حجراً أو غيرَه .[١] ثم يستعمل ذلك في كل واقع على شيء كان عنه خفياً ، كقولهم : ﴿عَثَرتْ على الغَزْل بأَخَرة* فلم تَدَعْ بنَجْدٍ قَرَدَةَ﴾ ، بمعنى : وقعت .[٢]

* * *

وأما قوله : « على أنهما استحقا إثماً » ، فإنه يقول تعالى ذكره : فإن اطلع من الوصيين اللذين ذكر الله أمرهما في هذه الآية = بعد حلفهما بالله لا نشترى بأيماننا ثمناً ولو كان ذا قربى ، ولا نكتم شهادة الله = « على أنهما استحقا إثماً » ، يقول : على أنهما استوجبا بأيمانهما التي حلفا بها إثماً ، وذلك أن يطلع على أنهما كانا كاذبين في أيمانهما بالله ما خُنّا ولا بدّلنا ولا غيّرنا . فإن وجدا قد خانا من مال الميت شيئاً ، أو غيرا وصيته ، أو بدّلا ، فأثما بذلك من حلفهما بربهما[٣] = « فآخران يقومان مقامهما » ، يقول ، يقوم حينئذ مقامهما من ورثة الميت ، الأوليان الموصَى إليهما .

* * *

« لعا لفلان » أي أقامه الله من عثرته . لما وصف الأعشى ناقته بالقوة والنشاط ، أنكر أن يكون لها عثرة في سرعتها ، فإذا عثرت ، كان الدعاء عليها بأن يكبها الله لمنخريها ، أولى به من أن يدعو بإقالة عثرتها .

(١) في المطبوعة : « ميسم خفها حجر أو غيره » ، والصواب ما أثبت . و « المنسم » (بفتح فسكون فكسر) : طرف خف البعير ، والنعامة والفيل . و « منسما البعير » ظفراه اللذان في يديه ، وهما له كالظفر للإنسان .

(٢) هذا مثل . مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ١٨١ ، الأمثال للميداني ١ : ٣٩٥ ، والأمثال لأبي هلال العسكري : ١٤٢ . قوله « بأخرة » (بفتح الألف والخاء والراء) أي : أخيراً . تقول : « ما عرفته إلا بأخرة » ، أي : أخيراً . و « نجد » ، هي الأرض المعروفة . « قردة » . وجمعها « قرد » (كله بفتحات) ، هو : ما تمعط من الوبر والصوف وتلبد ، وهو نفاية الصوف . وأصله أن المرأة تترك الغزل وهي تجد ما تغزل من قطن أو كتان ، حتى إذا فاتها ، تتبعت القرد (نفاية الصوف) في القمامات ، ملتقطة لتغزله . ويضرب مثلا في التفريط مع الإمكان ، ثم الطلب مع الفوت . قال أبو هلال : « وهذا مثل قول العامة : نعوذ بالله من الكسلان إذا نشط » . وروى هذا المثل صاحب لسان العرب في (قرد) ، ونصه « عكرت على الغزل . . . » ، وفسره « عكرت ، أي : عطفت » . وهو بهذه الرواية لا شاهد فيه .

(٣) قوله « فأثما . . . بربهما » ، انظر ما قلت في « أثم بربه » فيما سلف ٤ : ٥٣٠ تعليق : ٣ ، / ثم ٦ : ٩٢ ، تعليق : ٢ ، وبيانه هناك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٩٥٩ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير : « أو آخران من غيركم » ، قال : إذا كان الرجل بأرض الشرك ، فأوصى إلى رجلين من أهل الكتاب ، فإنهما يحلفان بعد العصر .فإذا اطُّلع عليهما بعد حلفهما أنهما خانا شيئاً ، حلف أولياء الميت أنه كان كذا وكذا ، ثم استحقوا .

١٢٩٦٠ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، بمثله .

١٢٩٦١ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس فى قوله : « أو آخران من غيركم » ، من غير المسلمين = « تحبسونهما من بعد الصلاة » ، فإن ارتيب فى شهادتهما استحلفا بعد الصلاة بالله : ما اشترينا بشهادتنا ثمناً قليلاً . فإن اطلع الأولياء على أن الكافرين كذبا فى شهادتهما ، قام رجلان من الأولياء فحلفا بالله : « إن شهاده الكافرين باطلة ، وإنا لم نعتد » . فذلك قوله : « فإن عثر على أنهما استحقا إثماً » ، يقول : إن اطلع على أنّ الكافرَيْن كذبا = « فآخران يقومان مقامهما » ، يقول : من الأولياء ، فحلفا بالله : « إن شهادة الكافرين باطلة ، وإنا لم نعتد » ، فتردّ شهادة الكافرين ، وتجوز شهادة الأولياء .

١٩٢٦٢ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فإن عثر على أنهما استحقا إثماً » ، أى : اطلع منهما على خيانة أنهما كذبا أو كتما .

* * *

واختلف أهل التأويل فى المعنى الذى له حَكَمَ اللهُ تعالى ذكره على الشاهدين

بالأيمان فنقلها إلى الآخرين ،[١] بعد أن عثر عليهما أنهما استحقا إثماً .

فقال بعضهم : إنما ألزمهما اليمين ، إذا ارتيب فى شهادتهما على الميت فى وصيته أنه أوصى بغير الذي يجوز فى حكم الإسلام .[٢] وذلك أن يشهد أنه أوصى بماله كله ، أو أوصى أن يفضل بعض ولده ببعض ماله .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٩٦٣ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت » إلى قوله : « ذوا عدل منكم » ، من أهل الإسلام = « أو آخران من غيركم » ، من غير أهل الإسلام = « إن أنتم ضربتم فى الأرض » إلى : « فيقسمان بالله »، يقول : فيحلفان بالله بعد الصلاة ، فإن حلفا على شىء يخالف ما أنزل الله تعالى ذكره من الفريضة ،[٣] يعنى اللذين ليسا من أهل الإسلام = « فآخران يقومان مقامهما » ، من أولياء الميت ، فيحلفان بالله : « ما كان صاحبنا ليوصى بهذا » ، أو : « إنهما لكاذبان ، ولشهادتنا أحق من شهادتهما » . ٧٤/٧

١٢٩٦٤ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدىّ قال : يوقف الرجلان بعد صلاتهما فى دينهما ، يحلفان بالله : « لا نشترى به ثمناً ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله إنا إذاً لمن الآثمين » ، إن صاحبكم لبهذا أوصى ، وإنّ هذه لتركته : فإذا شهدا ، وأجاز الإمام شهادتهما على ما شهدا ، قال لأولياء الرجل : اذهبوا فاضربوا فى الأرض واسألوا عنهما ، فإن أنتم وجدتم عليهما خيانة ، أو أحداً يطعُن عليهما ، رددنا شهادتهما . فينطلق الأولياء فيسألون ، فإن وجدوا أحداً يطعُن عليهما ، أو هما غير

---

(١) فى المخطوطة : « فن نقلها » ، والصواب ما فى المطبوعة ، أو شبيه بالصواب .
(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « لغير الذى يجوز » ، وصواب قراءتها ما أثبت .
(٣) « الفريضة » ، يعنى المواريث .

مرضيين عندهم ، أو اطُّلع على أنهما خانا شيئاً من المال وجدُوه عندهما ، أقبل الأولياء فشهدوا عند الإمام ،[١] وحلفوا بالله : « لشهادتنا أنهما لخائنان متهمان فى دينهما مطعون عليها ، أحق من شهادتهما بما شهدا ، وما اعتدينا » . فذلك قوله : « فإن عُثر على أنهما استحقا إثماً فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان » .

* * *

وقال آخرون : بل إنما ألزم الشاهدان اليمين ، لأنهما ادّعيا أنه أوصى لهما ببعض المال . وإنما ينقل إلى الآخرين من أجل ذلك ، إذا ارتابوا بدعواهما .[٢]

* ذكر من قال ذلك :

١٢٩٦٥ – حدثنا عمران بن موسى القزاز قال ، حدثنا عبد الوارث بن سعيد قال ، حدثنا إسحق بن سويد ، عن يحيى بن يعمر فى قوله : « تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله » ، قال : زعما أنه أوصى لهما بكذا وكذا = « فإن عثر على أنهما استحقا إثماً » . أى : بدعواهما لأنفسهما = « فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان » ، أنّ صاحبنا لم يوص إليكما بشىء مما تقولان .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا ، أنّ الشاهدين ألزما اليمينَ فى ذلك باتهام ورثة الميت إياهما فيما دفع إليهما الميت من ماله ، ودعواهم قبلهما خيانةَ مالٍ معلوم المبلغ ، ونقلت بعد إلى الورثة عند ظهور الريبة التى كانت من الورثة فيهما ، وصحة التهمة عليهما بشهادة شاهد عليهما أو على أحدهما ، فيحلف الوارث حينئذ مع شهادة الشاهد عليهما ، أو على أحدهما ، إنما صحح دعواه إذ حُقِّق حقه = أو : الإقرار يكون من الشهود ببعض ما ادّعى عليهما الوارث أو بجميعه ، ثم

---

(١) فى المطبوعة : « فأقبل الأولياء فشهدوا » ، وفى المخطوطة : « فأقبل الأولياء شهدوا » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

(٢) فى المخطوطة : « إذا ارتابا » .

دعواهما فى الذى أقرّا به من مال الميت مالا يقبل فيه دعواهما إلا ببينة ، ثم لا يكون لهما على دعواهما تلك بيِّنة ، فينقل حينئذ اليمين إلى أولياء الميت .

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال فى ذلك بالصحة ، لأنا لا نعلم من أحكام الإسلام حكماً يجب فيه اليمين على الشهود ، ارتيب بشهادتهما أو لم يُرْتَبْ بها ، فيكون الحكم فى هذه الشهادة نظيراً لذلك = ولا — إذ لم نجد ذلك كذلك — صحّ بخبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ،[1] ولا بإجماع من الأمة . لأن استحلاف الشهود فى هذا الموضع من حكم الله تعالى ذكره ، فيكون أصلاً مسلَّماً . والقول إذا خرج من أن يكون أصلاً أو نظيراً لأصل فيما تنازعت فيه الأمة ، كان واضحاً فسادُه .

وإذا فسد هذا القول بما ذكرنا ، فالقول بأن الشاهدين استحلفا من أجل أنهما ادّعيا على الميت وصية لهما بمال من ماله ، أفسد[2] = من أجل أن أهل العلم لا خلاف بينهم فى أنّ من حكم الله تعالى ذكره أن مدّعياً لو ادّعى فى مال ميت وصية ، أنّ القول قولُ ورثة المدعى فى ماله الوصية مع أيمانهم ، دون قول مدعى ذلك مع يمينه ، وذلك إذا لم يكن للمدعى بينة . وقد جعل الله تعالى اليمين فى هذه الآية على الشهود إذا ارتيب بهما ، وإنما نُقِل الأيمانُ عنهم إلى أولياء الميت ، إذا عثر على أن الشهود استحقوا إثماً فى أيمانهم . فمعلوم بذلك فساد قول من قال : « ألزم اليمينَ الشهودُ ، لدعواهم لأنفسهم وصية أوصى بها لهم الميت من ماله » .

على أن ما قلنا فى ذلك عن أهل التأويل هو التأويل الذى وردت به الأخبارُ عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن رسول الله صل الله عليه وسلم قَضَى به حين نزلت هذه الآية ، بين الذين نزلت فيهم وبسببهم .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) فى المطبوعة : « فلم نجد ذلك كذلك صح ... » ، وأثبت ما فى المخطوط ، وسياقه « ولا . . . صح بخبر عن الرسول » ، وقوله : « إذ لم نجد ذلك كذلك » اعتراض .

(٢) السياق : « فالقول بأن الشاهدين . . . . أفسد » ، يعنى : أفسد من القول السابق .

١٢٩٦٦ – حدثني ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن آدم ، عن يحيى بن أبي زائدة، عن محمد بن أبي القاسم ،عن عبد الملك بن سعيد بن جبير ، عن أبيه ، ٧٥/٧ عن ابن عباس قال : خرج رجل من بني سهم مع تميم الداريّ وعديّ بن بدّاء ، فمات السَّهمي بأرض ليس فيها مسلم . فلما قدِما بتركته ، فقدوا جاماً من فضة مخوَّصاً بالذهب ،(١) فأحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم وُجِد الجام بمكة، فقالوا: اشتريناه من تميم الداريّ وعديّ بن بدّاء ! فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا : « لشهادتنا أحق من شهادتهما » ، وأنّ الجام لصاحبهم . قال : وفيهم أنزلت : « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم ».(٢)

---

(١) « الجام » : إناء من فضة ، وهو عربي صحيح . « مخوص بالذهب » : عليه صفائح من ذهب على هيئة خوص النخل ، وهو ورقه . و « التخويص » : أن يجعل على الشيء صفائح من الذهب ، على قدر عرض خوص النخل .

(٢) الأثر : ١٢٩٦٦ – « محمد بن أبي القاسم » ، الطويل ، الكوفي . روى عن أبيه ، وعبد الله وعبد الملك ، ابني سعيد بن جبير ، وعن عكرمة . وروى عنه يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، وأبو أسامة، وحماد بن أسامة . وثقه ابن معين ، وأبو حاتم. وقال البجيري وقال البخاري» : « لا أعرف محمد بن أبي القاسم كما أشتهي ، وكان علي بن عبد الله يستحسن هذا الحديث (يعني حديث تميم الداري) قيل له : رواه غير محمد بن أبي القاسم ؟ قال : لا . قال : وروى عنه أبو أسامة ، إلا أنه غير مشهور » . وقال الحافظ ابن حجر ، بعد ذكر محمد بن أبي القاسم : « وما له في البخاري ، ولا لشيخه عبد الملك بن سعيد بن جبير ، غير هذا الحديث الواحد . ورجال الإسناد ، ما بين علي بن عبد الله المديني (شيخ البخاري) ، وابن عباس ، كوفيون » .

و «عبد الملك بن سعيد بن جبير الأسدي » ، الكوفي ، عزيز الحديث ، ثقة . مضى برقم : ١٢٧٧٦ .

و « تميم الداري » ، هو « تميم بن أوس بن خارجة اللخمي » ، منسوب إلى جده « الدار بن هانيء ابن حبيب بن نمارة بن لخم » ، وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سنة تسع وأسلم . وكان نصرانيا ، وهو الذي قال لرسول الله : « ألا أعمل لك منبراً كما رأيت يصنع بالشام! » فصنع المنبر . وكان عابداً .

وأما « عدي بن بداء » (بتشديد الدال) ، فكان نصرانيا ، ذكر أنه أسلم ، ولكن صحح ابن حجر في ترجمته في الإصابة أنه مات نصرانياً .

وهذا الحديث ، رواه البخاري في صحيحه (الفتح ٥ : ٣٠٧ – ٣٠٩) ، وفي التاريخ الكبير

١٢٩٦٧ – حدثنا الحسن بن أحمد بن أبي شعيب الحراني قال، حدثنا محمد بن سلمة الحراني قال، حدثنا محمد بن إسحق ، عن أبي النضر ، عن باذان مولى أم هانئ ابنة أبي طالب ، عن ابن عباس ، عن تميم الداريّ في هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت» ، قال : برئ الناس منها غيري وغير عديّ بن بدّاء = وكانا نصرانيّين يختلفان إلى الشأم قبل الإسلام . فأتيا الشأم لتجارتهما ، وقدم عليهما مولى لبني سهم يقال له بريل بن أبي مريم بتجارة ، ومعه جامٌ فضّة يريد به الملك، وهو عُظم تجارته ،[1] فمرض، فأوصى إليهما، وأمرهما أن يُبلغا ما ترك أهله . قال تميم: فلما مات أخذنا ذلك الجامَ فبعناه بألف درهم، فقسمناه أنا وعديّ بن بدّاء، [فلما قدمنا إلى أهله، دفعنا إليهم ما كان معنا، وفقدوا الجام، فسألوا عنه] ،[2] فقلنا: ما ترك غيرَ هذا ، وما دفع إلينا غيره : قال تميم: فلما أسلمتُ بعد قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، تأثّمت من ذلك ،[3] فأتيت أهله فأخبرتهم الخبر ، وأدّيت إليهم خمسمئة درهم ، وأخبرتهم أن عند صاحبي مثلها! فوثبوا إليه ،[4] فأتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١/١/٢١٥ ، وأبو داود في سننه ٣ : ٤١٨ ، ورقم : ٣٦٠٦ ، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠ : ١٦٥ ، وأبو جعفر النحاس في الناسخ والمنسوخ : ١٣٣ ، وأحكام القرآن للجصاص ٢ : ٤٩٠ ، والترمذي في سننه (في كتاب التفسير) ، وقال : « هذا حديث حسن غريب ، وهو حديث ابن أبي زائدة » .

وذكره ابن كثير في تفسيره ٣ : ٢٦٦ ، نقلا عن الطبري ، ولم يذكر روايته في صحيح البخاري . وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٣٤٢ ، فقصر في نسبته إلى البخاري في صحيحه ، ونسبه إليه في التاريخ ، ثم زاد نسبته إلى ابن المنذر ، والطبراني ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه .

(١) في المخطوطة : « وهي عظم » ، وأثبت ما في المطبوعة ، لمطابقته لما في المراجع الأخرى . وقوله : « عظم تجارته » ، أي : معظمها ، يعني أن الجام كان أنفس ما معه وأغلاه ثمناً .

(٢) هذه الجملة التي بين القوسين ، ليست في المخطوطة ولا المطبوعة ، وهي ثابتة في المراجع الأخرى ، وأثبتها من نص الناسخ والمنسوخ .

(٣) « تأثم من الشيء » ، تحرج منه ، ووجده إثماً يريد البراءة منه .

(٤) قوله : « فوثبوا إليه » ، حذفها ناشر المطبوعة ، وهي ثابتة في المخطوطة ، وفي الناسخ والمنسوخ .

فسألهم البينة ، فلم يجدوا . فأمرهم أن يستحلفوه بما يُعَظِّم به على أهل دينه ، فحلف ، فأنزل الله تعالى ذكره : « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم » إلى قوله : « أن ترد أيمان بعد أيمانهم » ، فقام عمرو بن العاص ورجل آخر منهم فحلفا ، (١) فنزعتُ الخمسمئة من عدى بن بدّاء . (٢)

---

(١) فى المخطوطة : « حلفا » ، بغير فاء ، وأثبت ما فى المطبوعة والمراجع .

(٢) الأثر : ١٢٩٦٧ — « الحسن بن أحمد بن أبى شعيب الحرانى » ، « أبو مسلم الحرانى » ، ثقة مأمون ، مضت ترجمته برقم : ١٠٤١١ ، وكان فى المطبوعة هنا : « الحسن بن أبى شعيب » أسقط « بن أحمد » ، مع ثبوتها فى المخطوطة ، وعذره أنه رأى الناسخ كتب « الحسن بن يحيى أحمد قال ابن أبى شعيب » ، وضرب على « يحيى » وعلى « قال » ، فضرب هو أيضا على « بن أحمد » فحذفها ! ! وهو تساهل ردىء .

و « محمد بن سلمة الحرانى الباهلى » ، ثقة ، مضت ترجمته برقم : ١٧٥ ، وقد ورد فى إسناد محمد ابن إسحق ، مئات من المرات .

و « أبو النضر » هو « محمد بن السائب الكلبى » ، ضعيف جداً ، رمى بالكذب . وقد روى الثورى عن الكلبى نفسه أنه قال : « ما حدثت عنى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، فهو كذب ، فلا تروه » . مضت ترجمته برقم : ٧٢ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ .

وأما « باذان ، مولى أم هانئ » ، أو « باذام » فهو « أبو صالح » ، ثقة ، مضى برقم : ١١٢ ، ١٦٨ وغيرها . وهو مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/٢/١٤٤ ، وابن أبى حاتم ١/١/٤٣١ . وكان فى المطبوعة والمخطوطة ، والناسخ والمنسوخ جميعاً « زاذان ، مولى أم هانئ » ، وهذا شىء لم يقله أحد ، ولذلك غيرته إلى الصواب الذى أجمعوا عليه ، وكأنه خطأ من الناسخ .

وأما « تميم الدارى » ، و « عدى بن بداء » فقد سلفا فى الأثر السابق .

وأما « بديل بن أبى مريم » ، مولى بنى سهم ، أو مولى عمرو بن العاص السهمى ، صاحب هذه التجارة ، فقد ترجم له ابن حجر فى الإصابة فى « بديل » بالدال ، وكذلك ابن الأثير فى أسد الغابة . وكان بديل مسلماً من المهاجرين .

يقال فى اسمه « بديل بن أبى مريم » ، و « بديل بن أبى مارية » ، ثم اختلف فى « بديل » ، فروى بالدال ، وروى « بريل » بالراء ، وروى « بزيل » بالزاى ، وروى « برير » ، وقال ابن الأثير : « والذى ذكره الأئمة فى كتبهم : بزيل ، بضم الباء وبالزاى ، ونحن نذكره فى موضعه إن شاء الله تعالى » . هكذا قال ووعد ، ثم لم أجد له ذكراً فى كتابه بعد ذلك ، فلا أدرى أنسى ابن الأثير ، أم فى كتابه خرم أو نقص ! !

وقال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ٥ : ٣٠٨ ، ما لم يذكره فى الإصابة ، فقال : « بزيل ، بموحدة ، وزاى ، مصغر . وكذا ضبطه ابن ماكولا ، ووقع فى رواية الكلبى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، عن تميم نفسه عند الترمذى والطبرى (يعنى هذا الخبر) : بديل ، بدال ، بدل الزاى . ورأيته فى نسخة صحيحة من تفسير الطبرى : بريل ، براء بغير نقطة . ولابن مندة من طريق

١٢٩٦٨ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة وابن سيرين وغيره = قال : وحدثنا الحجاجُ ،عن ابن جريج ، عن عكرمة = دخل حديث بعضهم فى بعض : « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم » الآية، قال : كان عدى وتميم الدارى ،وهما من لَخْم، نصرانيَّان، يتَّجران إلى مكة فى الجاهلية . فلما هاجرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم حوَّلا متجرهما إلى المدينة ، فقدم ابن أبى مارية ، مولى عمرو بن العاص المدينة ، وهو يريد الشأم تاجراً ، فخرجوا جميعاً ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق ، مرض ابن أبى مارية ، فكتب وصيَّته بيده ثم دسَّها فى متاعه، ثم أوصى إليهما . فلما مات فتحا متاعه ، فأخذا ما أرادا ، ثم قدما على أهله فدفعا ما أرادا ، ففتح أهله متاعه ، فوجدوا كتابه وعهده وما خرج به ، وفقدوا شيئاً ، فسألوهما عنه ، فقالوا : هذا الذى قبضنا له ودفع إلينا . قال لهما أهله : فباع شيئاً أو ابتاعه ؟ قالا : لا ! قالوا : فهل استهلك من متاعه شيئاً ؟ (١) قالا : لا ! قالوا : فهل تَجَر

السدى ، عن الكلبى : بديل بن أبى مارية » . ثم قال : « ووهم من قال فيه : بديل بن ورقاء ، فإنه خزاعى ، وهذا سهمى ، وكذا وهم من ضبطه بذيل ، بالذال المعجمة » .

وكان فى المطبوعة « بديل » ، ولكنى أثبت ما فى المخطوطة ، وأخشى أن تكون مخطوطتنا هذه ، هى « النسخة الصحيحة من تفسير الطبرى» التى ذكرها الحافظ ابن حجر ، أو هى منقولة عن النسخة التى ذكرها ووصفها وصححها .

وهذا الخبر ، رواه أبو جعفر النحاس فى الناسخ والمنسوخ : ١٣٣ ، والترمذى فى سننه فى كتاب التفسير ؛ بهذا الإسناد نفسه . وقال الترمذى : « هذا حديث غريب ، وليس إسناده بصحيح . وأبو النضر ، الذى روى عنه محمد بن إسحق هذا الحديث ، هو عندى : محمد بن السائب الكلبى ، يكنى أبا النضر ، وقد تركه أهل العلم بالحديث ، وهو صاحب التفسير . سمعت محمد بن إسماعيل. يقول : محمد بن سائب الكلبى ، يكنى أبا النضر ، ولا نعرف لسالم أبى النضر المدينى رواية عن أبى صالح (باذان) مولى أم هانئ . وقد روى عن ابن عباس شىء من هذا على الاختصار ، عن غير هذا الوجه » ، ثم ساق الترمذى الأثر السالف بإسناده .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٣٤١ ، وزاد نسبته إلى ابن أبى حاتم ، وأبى الشيخ ، وابن مردويه ، وأبى نعيم فى المعرفة .

(١) قولهم : « فهل استهلك من متاعه شيئاً » ، أى : أضاعه وافتقده ، وهذا حرف لم تقيده كتب اللغة ، استظهرت معناه من السياق . وقد جاء فى حديث عائشة (صحيح مسلم ٢ : ٥٩ ،

تجارة ؟[١] قالا : لا ! قالوا : فإنا قد فقدنا بعضَه ! فاتُّهما ، فرفعوهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزلت هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت » إلى قوله : « إنا إذا لمن الآثمين » . قال : فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستحلفوهما فى دُبُر صلاة العصر : « بالله الذى لا إله إلاّ هو ، ما قبضنا له غيرَ هذا ، ولا كتمنا » . قال : فمكثا ما شاء الله أن يمكثا ، [٢] ثم ظُهِرَ معهما على إناء من فضةٍ منقوش مموَّه بذهب ، [٣] فقال ، أهله : هذا من متاعه ؟ قالا : نعم ، ولكنا اشترينا منه ، ونسينا أن نذكره حين حلفنا ، فكرهنا أن نكذِّب أنفسنا ! [٤] فترافعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزلت الآية الأخرى : « فإن عثر على أنهما استحقا إثماً فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان » ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين من أهل الميت أن يحلفا على ما كتما وغيَّبا ويستحقَّانه . ثم إنّ تميماً الدارى أسلم وبايع النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان يقول : صدق الله ورسوله : أنا أخذت الإناء ! [٥]

وتفسير الطبرى رقم : ٩٦٤٠) أن عائشة : « استعارت من أسماء قلادة فهلكت » ، أى : ضاعت ، كما فسرته فيما سلف ٨ : ٤٠٤ ، رقم : ٢ . فقوله : « استهلك » هنا ، من معنى هذا الحرف الذى لم تقيده كتب اللغة ببيان واضح ، وهو « استفعل » ، بمعنى : وجده قد ضاع . وهو من صحيح القياس وجيده ، وهذا شاهده إن شاء الله .

(١) « تجر يتجر تجراً وتجارة » (على وزن : نصر ينصر) : باع وشرى . وأرادوا به هنا معنى الشراء بالعوض ، فيما أستظهر ، فإنهم قد سألوه قبل عن البيع والابتياع .

(٢) فى المطبوعة : « فمكثنا ما شاء الله أن نمكث » ، غير الناشر ما فى المخطوطة ، وأفسد .

(٣) « ظهر » (بالبناء للمجهول) ، أى : عثر معها على إناء .

(٤) فى المخطوطة : « نفسا » غير منقوطة ، ولو شئت قرأتها : « نفسينا » ، مكان « أنفسنا » ، وهما صواب .

(٥) الأثر : ١٢٩٦٨ — « أبو سفيان » هو : المعمرى ، « محمد بن حميد اليشكرى » ، مضى برقم : ١٧٨٧ ، ٨٨٢٩ .

و « الحسين » الراوى عنه ، هو « سنيد بن داود » ، مضى مراراً .

و « ابن أبى مارية » ، هو « بديل بن أبى مارية » ، وقد بينت ذلك فى التعليق على الأثر السالف .

وهذا الخبر خرجه السيوطى فى الدر المنثور ٢ : ٣٤٢ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر .

٧٦/٧ ١٢٩٦٩ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم » ، الآية كلها . قال : هذا شيء [كان] حين لم يكن الإسلام إلا بالمدينة ،(١) وكانت الأرض كلها كفراً،(٢) فقال الله تعالى ذكره: « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم » ، من المسلمين = « أو آخران من غيركم » ، من غير أهل الإسلام = « إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت » ، قال : كان الرجل يخرج مسافراً ، والعرب أهلُ كفر ، فعسى أن يموت في سفره ، فيُسند وصيته إلى رجلين منهم = « فيقسمان بالله إن ارتبتم » ، في أمرهما . إذا قال الورثة : كان مع صاحبنا كذا وكذا ، فيقسمان بالله ما كان معه إلاّ هذا الذي قلنا = « فإن عثر على أنهما استحقا إثماً » ، أنما حلفا على باطل وكذب = « فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان » بالميت= « فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا إنا إذاً لمن الظالمين » ، ذكرنا أنه كان مع صاحبنا كذا وكذا، قال هؤلاء: لم يكن معه ! قال : ثم عثر على بعض المتاع عندهما ، فلما عثر على ذلك رُدّت القسامة على وارثه،(٣) فأقسما، ثم ضمن هذان . قال الله تعالى: « ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم »،(٤) فتبطل أيمانهم = « واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين » ، الكاذبين ، الذين يحلفون على الكذب. وقال ابن زيد: قدم تميمٌ الداريّ وصاحب له ، وكانا يومئذ مشركين ، ولم يكونا أسلما، فأخبرا أنهما أوصى إليهما رجلٌ، وجاءا بتركته . فقال أولياء الميت :

(١) الزيادة بين القوسين ، لا بد منها للسياق ، وكان في المخطوطة : « . . . لم يكن السلام »، والصواب ما في المطبوعة .

(٢) في المطبوعة : « كفر » بالرفع ، وأخشى أن يكون الأصل : « وكانت الأرض كلها دار كفر » ، أو ما أشبه ذلك ، وتركت ما في المطبوعة على حاله ، وهو صواب أيضاً .

(٣) « القسامة » (بفتح القاف) ، أراد بها هنا : اليمين .

(٤) قوله تعالى : « بعد أيمانهم » لم تكن في المخطوطة ولا المطبوعة ، والصواب إثباتها .

كان مع صاحبنا كذا وكذا ، وكان معه إبريق فضة ! وقال الآخران : لم يكن معه إلاّ الذى جئنا به ! فحلفا خَلْف الصلاة ، ثم عثر عليهما بعدُ والإبريق معهما . فلما عثر عليهما، رُدَّت القسامة على أولياء الميت بالذى قالوا مع صاحبهم، ثم ضمنهما الذى حلف عليه الأوليان .

١٢٩٧٠ – حدثنا الربيع قال، حدثنا الشافعى قال ، أخبرنا أبو سعيد معاذ ابن موسى الجعفرى ، عن بكير بن معروف، عن مقاتل بن حيان = قال بكير ، قال مقاتل : أخذت هذا التفسير عن مجاهد والحسن والضحاك = فى قول الله : « اثنان ذوا عدل منكم » ، أن رجلين نصرانيين من أهل دارين، أحدهما تميمى، والآخر يمانى ، صاحَبهما مولًى لقريش فى تجارة ، فركبوا البحر ، ومع القرشى مال معلومٌ قد علمه أولياؤه، من بين آنية وبزّ ورِقَة .(١) فمرض القرشى ، فجعل وصيته إلى الداريّين ، فمات ، وقبض الداريّان المال والوصية ، فدفعاه إلى أولياء الميت ، وجاءا ببعض ماله . وأنكر القوم قلّة المال ، فقالوا للداريَّين : إن صاحبنا قد خرج معه بمال أكثر مما أتيتمونا به ، فهل باع شيئاً أو اشترى شيئاً ، فوُضِع فيه ،(٢) وهل طال مرضه فأنفق على نفسه ؟ قالا : لا ! قالوا: فإنكما ختمانا ! فقبضوا المال ، ورفعوا أمرهما إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم » إلى آخر الآية . فلما نزل : أن يُحْبسا من بعد الصلاة ، أمر النبى صلى الله عليه وسلم ، فقاما بعد الصلاة ، فحلفا بالله رب السموات : « ما ترك مولاكم من المال إلاّ ما أتيناكم به ، وإنا لا نشترى بأيماننا

---

(١) « البز » : الثياب ، أو ضروب منها ، وبائعها يقال له : « البزاز » . و « الرقة » (بكسر الراء وفتح القاف) : الفضة ، وأصلها « الورق » (بفتح الواو وكسر الراء) ، ثم حذفت الواو ، وجعلت الهاء فى آخرها عوضاً عن الواو .

(٢) يقال : « وضع فى تجارته يوضع ضعة ، ووضيعة » فهو موضوع فيها » ويقال : « أوضع » (كلاهما بالبناء للمجهول) ، ويقال : « وضع فى تجارته وضعاً » (مثل : فرح فرحاً) : غبن فيها ، وخسر من رأس المال .

ثمناً قليلاً من الدنيا، ولو كان ذا قربى، ولا نكتم شهادة الله إنا إذاً لمن الآثمين» . فلما حلفا خلّى سبيلهما. ثم إنهم وجدوا بعد ذلك إناءً من آنية الميت، فأُخذ الداريّان، فقالا: اشتريناه منه فى حياته! وكذبا، فكلّفا البينة، فلم يقدرا عليها. فرفعوا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى ذكره: «فإن عثر»، يقول: فإن اطُّلع= «على أنهما استحقا إثماً»، يعنى الداريين، إن كتما حقًّا= «فآخران»، من أولياء الميت= «يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان»، فيقسمان بالله: «إنّ مال صاحبنا كان كذا وكذا، وأن الذى يُطلب قبل الداريين لحقّ، وما اعتدينا إنا إذاً لمن الظالمين»، هذا قول الشاهدين أولياء الميت= «ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها»، يعنى: الداريّين والناس، أن يعودوا لمثل ذلك.(١)

* * *

قال أبو جعفر: ففيما ذكرنا من هذه الأخبار التى روينا، دليلٌ واضح على صحة ما قلنا، من أنّ حكم الله تعالى ذكره باليمين على الشاهدين فى هذا الموضع، إنما هو من أجل دعوى وَرَثته على المسنَد إليهما الوصية، خيانةً فيما دفع الميت من ماله إليهما، أو غير ذلك مما لا يبرأ فيه المدعى ذلك قِبَله إلا بيمين = وأن نقل اليمين إلى ورثة الميت بما أوجبه الله تعالى ذكره، بعد أن عثر على الشاهدين [أنهما استحقا إثماً]، فى أيمانهما،(٢) ثم ظُهِر على كذبهما فيها، إن القوم ادّعوا ٧٧/٧

(١) الأثر: ١٢٩٧٠ – «معاذ بن موسى الجعفرى»، «أبو سعيد»، لم أجد له ترجمة إلا فى تعجيل المنفعة: ٤٠٦، لم يزد على أن قال: «معاذ بن موسى، عن بكير بن معروف. وعنه الشافعى، رحمه الله تعالى». وكان فى المطبوعة: «سعيد بن معاذ بن موسى» وهو خطأ، يخالف المخطوطة.

و «بكير بن معروف الأسدى»، «أبو معاذ النيسابورى، الدامغانى» صاحب التفسير، وهو صاحب مقاتل. قال ابن عدى: «ليس بكثير الرواية، وأرجو أنه لا بأس به، وليس حديثه بالمنكر جداً»، مترجم فى التهذيب، والكبير ١/٢/١١٧، وابن أبى حاتم ١/١/٤٠٦. وكان فى المطبوعة: «بكر»، وهو خطأ صرف.

وهذا الخبر رواه البيهقى فى السنن الكبرى ١٠: ١٦٤ من طريق إسماعيل بن قتيبة، عن أبى خالد يزيد بن صالح، عن بكير بن معروف، عن مقاتل بن حيان. ثم رواه (١٠: ١٦٥) من طريق أبى العباس الأصم، عن الربيع بن سليمان، عن الشافعى، ثم أحال لفظه على الذى قبله.

(٢) هذه الزيادة بين القوسين، لابد منها، استظهرتها من نص الآية.

فيما صَحّ أنه كان للميت دعوًى من انتقال ملك عنه إليهما ببعض ما تزول به الأملاك ،مما يكون اليمينُ فيها على ورثة الميت دون المدَّعَى ، وتكون البينة فيها على المدعى= وفساد ما خالف فى هذه الآية ما قلنا من التأويل .[1]

وفيها أيضاً ،[2] البيانُ الواضح على أن معنى « الشهادة » التى ذكرها الله تعالى فى أول هذه القصة إنما هى اليمين ، كما قال الله تعالى فى مواضع أُخر : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ ، [سورة النور : ٦] . فالشهادة فى هذا الموضع ، معناها القَسَم ، من قول القائل : « أشهد بالله إنى لمن الصادقين » ،[3] وكذلك معنى قوله : « شهادة بينكم » إنما هو : قسَم بينكم = « إذا حضر أحدكم الموتُ حين الوصية »، أن يقسم اثنان ذوا عدل منكم، إن كانا اتُّمنا على مال فارتيب بهما ، أو اتُّمِنَ آخران من غير المؤمنين فاتُّهما .[4] وذلك أن الله تعالى ذكره ، لما ذكر نقل اليمين من اللذين ظُهر على خيانتهما إلى الآخرين ، قال : « فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما » . ومعلومٌ أنّ أولياء الميت المدعين قِبل اللذين ظُهر على خيانتهما ، غير جائز أن يكونا شهداء ، بمعنى الشهادة التى يؤخذ بها فى الحكم حق مدعًى عليه لمدّع . لأنه لا يعلم لله تعالى ذكره حكم قضى فيه لأحد بدعواه ويمينه على مدعًى عليه بغير بينة ولا إقرار من المدعَى عليه ولا برهان .

فإذ كان معلوماً أن قوله : « لشهادتنا أحق من شهادتها » ، إنما معناه : قسمُنا أحق من قَسَمهما = وكان قسم اللذين عُثر على أنهما أثِمَا ، هو الشهادة التى ذكر

---

(١) فى المطبوعة : « مما قلنا من التأويل » ، وفى المخطوطة : « ما قبلنا من التأويل » ، وصواب القراءة ما أثبت .

(٢) قوله : « وفيها أيضاً » ، الضمير عائد على قوله فى أول الفقرة السالفة : « ففيما ذكرنا من هذه الأخبار التى روينا » ، وهى عطف عليه .

(٣) فى المطبوعة : « إنه لمن الصادقين » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٤) انظر ما كتبته فى « اتمن » فيما سلف ص : ١٧٢ ، تعليق : ١ ، ٢

الله تعالى ذكره فى قوله : « أحق من شهادتهما » = صحَّ أن معنى قوله : «شهادة بينكم » ، بمعنى : « الشهادة » فى قوله : « لشهادتنا أحق من شهادتهما » ، وأنها بمعنى القسم .

* * *

قال أبو جعفر : واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « من الذين استحق عليهم الأوليان » .

فقرأ ذلك قرأة الحجاز والعراق والشأم : ﴿مِنَ الَّذِينَ اُسْتُحِقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ﴾ ، بضم « التاء » .

* * *

وروى عن على ، وأبىّ بن كعب ، والحسن البصرى أنهم قرأوا ذلك : ﴿ مِنَ الَّذِينَ اُسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ﴾ ، بفتح « التاء » .

* * *

واختلفت أيضاً فى قراءة قوله : « الأوليان » .

فقرأته عامة قرأة أهل المدينة والشأم والبصرة : ﴿ الأَوْلَيَانِ ﴾ .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة أهل الكوفة : ﴿ الأَوَّلِينَ ﴾ .

* * *

وذكر عن الحسن البصرى أنه كان يقرأ ذلك: ﴿ مِنَ الَّذِينَ اُسْتَحَقَّ عَلَيْهِمْ الأَوَّلاَنِ ﴾ .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب فى قوله : « من الذين استحق عليهم »، قراءة من قرأ بضم « التاء »، لإجماع الحجة من القرأة عليه ، مع مشايعة عامة أهل التأويل على صحة تأويله ،(١) وذلك إجماع عامتهم على أن تأويله : فآخران من أهل الميت ، الذين استحق المؤتمنان على مال الميت الإثم فيهم ،

(١) فى المطبوعة : « مع مساعدة أهل التأويل » ، وفى المخطوطة : « مع مساعه » غير منقوطة ، وآثرت قراءتها كما كتبتها . و « المشايعة » ، الموافقة والمتابعة .

يقومان مقام المستحقَّيْ الإثم فيهما ، بخيانتهما ما خانا من مال الميت .

وقد ذكرنا قائلي ذلك ، أو أكثر قائليه ، فيما مضى قبل ، ونحن ذاكرُو باقيهم إن شاء الله ذلك :

١٢٩٧١ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تعالى ذكره : « شهادة بينكم » ، أن يموت المؤمن فيحضر موته مسلمان أو كافران ، لا يحضُره غير اثنين منهم . فإن رضي ورثته ما عاجل عليه من تركته فذاك ، وحلف الشاهدان إن اتُّهما : إنهما لصادقان = «فإن عثر» وُجد . . . . . ،[1] حلف الاثنان الأوليان من الورثة ، فاستحقا وأبطلا أيمانَ الشاهدين .

* * *

وأحسب أن الذين قرأوا ذلك بفتح « التاء » ، أرادوا أن يوجهوا تأويلَه إلى : «فآخران يقومان مقامهما » ، مقام المؤتمنين الذين عُثِر على خيانتهما في القَسم ، و« الاستحقاق به عليهما » ، دعواهما قِبَلهما = من « الذين استحقَّ » على المؤتمنين على المالِ على خيانتهما القيامَ مقامهما في القَسَم والاستحقاق ، الأوليان بالميت .[2]

وكذلك كانت قراءة من رُوِيت هذه القراءة عنه ، فقرأ ذلك : ﴿ مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ ﴾ بفتح « التاء » = و« الأوليان » ،[3] على معنى : الأوليان بالميت وماله . ٧٨/٧

وذلك مذهبٌ صحيحٌ ، وقراءةٌ غير مدفوعة صحتها ، غير أنا نختار الأخرى ،

---

(١) في المطبوعة : « فإن عثر ، وجد لطخ حلف الاثنان . . . » ، وقوله : « لطخ » هنا من عجائب الكلام ، وفي المخطوطة بعد : « فإن عثر وجد » بياض إلى آخر السطر ، مع علامات بعد الكلام بالحمرة . والظاهر أن النسخة التي نقل عنها ناشر المطبوعة ، كان فيها في هذا الموضع حرف (ط) دلالة على الخطأ ، فكتب مكانها ما كتب . ووضعت أنا مكان البياض في المخطوطة نقطاً ، والظاهر أن سياق الكلام كان : « فإن عثر ، وجد أنها استحقا إثماً » حلف الاثنان . . . » ، ولكني آثرت ترك البياض كما هو في المخطوطة ، والمعنى ظاهر .

(٢) في المطبوعة : « في الأوليان » بزيادة « في » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو الصواب .

(٣) في المطبوعة ، حذف قوله : « والأوليان » ، وساق الكلام على سياق واحد . وأثبت ما في المخطوطة .

لإجماع الحجة من القرأة عليها ، مع موافقتها التأويل الذى ذكرْنا عن الصحابة والتابعين .

١٢٩٧٢ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحق ، عن أبى عبد الرحمن وكريب ، عن على : أنه كان يقرأ : ﴿ مِنَ الَّذِينَ اُسْتُحِقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَان ﴾.(١)

١٢٩٧٣ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا مالك بن إسمعيل ، عن حماد بن زيد ، عن واصل مولى أبى عُيينة ، عن يحيى بن عقيل ، عن يحيى بن يعمر ، عن أبىّ بن كعب : أنه كان يقرأ: ﴿ مِنَ الَّذِينَ اُسْتُحِقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَان ﴾.(٢)

* * *

قال أبو جعفر : وأما أولى القراءات بالصَّواب فى قوله : « الأوليان » عندى ،

---

(١) الأثر : ١٢٩٧٢ – « أبو إسحق » ، هو السبيعى .

و « أبو عبد الرحمن » هو « السلمى » القارئ ، « عبد الله بن حبيب » مضى برقم : ٨٢ .

و « كريب » هو « كريب بن أبى كريب » ، روى عن على . وروى عنه أبو إسحق ، مترجم فى الكبير ٢٣١/١/٤ ، وابن أبى حاتم ١٦٨/٢/٣ ، ولم يذكرا فيه جرحا . وترجمه فى لسان الميزان ، وقال : « يروى المقاطيع ، من ثقات ابن حبان » .

(٢) الأثر : ١٢٩٧٣ – « مالك بن إسماعيل بن درهم النهدى » ، « أبو غسان » ، مضى برقم : ٢٩٨٩ ، ٤٤٣٣ ، ٤٩٢٦ ، ٨٢٩٢ . وأخشى أن يكون راوى هذا الخبر هو « مؤمل ابن إسماعيل العدوى» ، لا « مالك بن إسماعيل » ، ولكن هكذا ثبت فى المخطوطة .

و « حماد بن زيد بن درهم الأزدى » ، مضى برقم : ٨٥٦ ، ١٦٨٢ ، ٥٤٥٤ .

و « واصل مولى أبى عيينة بن المهلب بن أبى صفرة » ، ثقة ، روى عن يحيى بن عقيل الخزاعى ، والحسن البصرى ، ورجاء بن حيوة ، وأبى الزبير المكى . روى عنه هشام بن حسان من أقرانه ، ومهدى بن ميمون ، وحماد بن زيد ، وغيرهم . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١٧٢/٢/٤ ، وابن أبى حاتم ٣٠/٢/٤ . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « وائل بن أبى عبيد » ، وهو خطأ لاشك فيه ، بيانه فى التاريخ الكبير للبخارى .

و « يحيى بن عقيل الخزاعى البصرى » ، روى عن يحيى بن يعمر ، وابن أبى أوفى ، ذكره ابن حبان فى الثقات ، وقال ابن معين : « ليس به بأس » ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢٩٢/٢/٤ وابن أبى حاتم ١٧٦/٢/٤ .

وأما « يحيى بن يعمر القيسى الجدلى » ، فهو ثقة جليل ، يروى عن الصحابة والتابعين . كان نحوياً صاحب علم بالعربية والقرآن ، وهو أول من نقط المصاحف . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٣١١/٢/٤ ، وابن أبى حاتم ١٩٦/٢/٤ .

فقراءة من قرأ ﴿ الأَوْلَيَانِ ﴾ لصحة معناها.[١] وذلك لأن معنى : « فآخران يقومان مقامهما من الذين استُحِقّ [عليهم الأوليان » : فآخران يقومان مقامهما من الذى استُحقّ] فيهم الإثم ،[٢] ثم حذف «الإثم» ، وأقيم مقامه «الأوليان» ، لأنهما هما اللذان ظَلَما وأثِما فيهما ، بما كان من خيانة اللذين استحقا الإثم ، وعُثر عليهما بالخيانة منهما فيما كان ائتُمنهما عليه الميت ،[٣] كما قد بينا فيما مضى من فعل العرب مثل ذلك ، من حذفهم الفعل اجتزاء بالاسم ،[٤] وحذفهم الاسم اجتزاء بالفعل .[٥] ومن ذلك ما قد ذكرنا فى تأويل هذه القصة ، وهو قوله : « شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان » ، ومعناه : أن يشهد اثنان ، وكما قال : « فيقسمان بالله إن ارتبتم لانشترى به ثمناً » ، فقال : « به » ، فعاد بالهاء على اسم الله ، وإنما المعنى : لانشترى بقسمنا بالله ، فاجتزئ بالعود على اسم الله بالذكر ، والمراد به : « لا نشترى بالقسم بالله » ، استغناء بفهم السامع بمعناه عن ذكر اسم القسم . وكذلك اجتزئ ، بذكر « الأوليين » من ذكر « الإثم » الذى استحقه الخائنان لخيانتهما إيّاهما ، إذ كان قد جرى ذكر ذلك بما أغنى السامع عند سماعه إياه عن إعادته ، وذلك قوله : « فإن عثر على أنّهما استحقا إثماً » .

* * *

وأما الذين قرأو ذلك ﴿ الأَوَّلِينَ ﴾ ، فإنهم قصدوا فى معناه إلى الترجمة به عن « الذين » ، فأخرجوا ذلك على وجه الجمع ، إذْ كان « الذين » جميعاً ،[٦] وخفضاً ،

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « بصحة معناها » بالباء ، والصواب ما أثبته .

(٢) الذى وضعته بين الأقواس ، هو حق السياق والمعنى ، فإن السياق يقتضى أن يذكر الآية ، ثم يذكر تأويلها ، وهكذا فعلت ، وهو الصواب إن شاء الله .

(٣) فى المطبوعة : « ائتمنهما » ، وانظر ما كتبته سالفاً ص : ١٧٢ ، تعليق ١ ، ٢ ، و ص : ١٩٣ تعليق : ٤

(٤) « الفعل » ، هو المصدر ، كما سلف مراراً ، وانظر فهارس المصطلحات .

(٥) انظر ما سلف ص : ١٦٠

(٦) فى المطبوعة : « جمعا » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

إذ كان « الذين » مخفوضاً ، وذلك وجه من التأويل ، غير أنه إنما يقال للشيء « أوّل » ، إذا كان له آخر هو له أوّل . وليس للذين استحق عليهم الإثم ، آخر هم له أوّل . بل كانت أيمان اللذين عثر على أنهما استحقّا إثماً قبل أيمانهم ، فهم إلى أن يكونوا = إذ كانت أيمانهم آخراً = أولى أن يكونوا « آخرين » ، من أن يكونوا « أوّلين » ، وأيمانهم آخرة لأولى قبلها .

* * *

وأما القراءة التى حكيت عن الحسن ؛ فقراءةٌ عن قراءَة الحجة من القرأة شاذة ، وكفى بشذوذها عن قراءتهم دليلاً على بُعدها من الصواب .

* * *

واختلف أهل العربية فى الرافع لقوله : « الأوليان » ، إذا قرئ كذلك .

فكان بعض نحويى البصرة[1] يزعم أنه رفع ذلك ، بدلاً من : « آخران » فى قوله : « فآخران يقومان مقامهما » . وقال : إنما جاز أن يبدل « الأوليان » ، وهو معرفة ، من « آخران » وهونكرة ، لأنه حين قال : « يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم » ، كان كأنه قد حدّهما حتى صارا كالمعرِفة فى المعنى ، فقال : « الأوليان » ، فأجرى المعرفة عليهما بدلاً . قال : ومثل هذا = مما يجرى على المعنى = كثير ، واستشهد لصحة قوله ذلك بقول الراجز :[2]

عَلَىَّ يَوْمَ يَمْلِكُ الأُمُورَا صَوْمُ شُهُورٍ وَجَبَتْ نُذُورَا
وَبَادِنًا مُقَلَّدًا مَنْحُورَا[3]

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « فقال بعض نحوي . . . » ، والصواب ما أثبت .

(٢) لم أعرف قائله .

(٣) « البادن » : الضخم السمين المكتنز ، ولم أجدهم قالوا : « البادن » وأرادوا به « البدنة » (بفتح الباء والدال) ، وهى الناقة التى كانوا يسمنونها ثم تهدى إلى البيت ، ثم تنحر عنده . ولعل الراجز استعملها على الصفة ، ومع ذلك فهى عندى غريبة تقيد . و « المقلد » ، الذى وضعت عليه القلائد ، إشعاراً بأنه هدى يساق إلى الكعبة . ذكر الراجز ما نذره إذا ولى هذا الرجل أمور الناس .

قال : فجعله: علىَّ واجب ، لأنه فى المعنى قد أوجب .(١)

* * *

وكان بعض نحويى الكوفة ينكر ذلك ويقول : لا يجوز أن يكون « الأوليان » بدلاً من : « آخران »، من أجل أنه قد نَسَق « فيقسمان » على « يقومان » فى قوله (٢): « فآخران يقومان » ، فلم يتمّ الخبر بعد « مِنْ » .(٣) قال: ولا يجوز الإبدال قبل إتمام الخبر . (٤) وقال : غير جائز : « مررت برجل قام زيدٍ وقَعَد » ، و « زيد » بدل من « رجل » .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : « الأوليان » مرفوعان بما لم يسمَّ فاعله ، وهو قوله : ﴿ أُسْتُحِقَّ عَلَيْهِمُ ﴾ وأنهما وُضِعا موضع الخبر عنهما ،(٥) فعمل فيهما ما كان عاملاً فى الخبر عنهما . وذلك أن معنى الكلام: « فآخران يقومان مَقامهما من الذين استُحِقَّ عليهم الإثم بالخيانة»، فوضع « الأوليان » موضع « الإثم »، كما قال تعالى ذكره فى موضع آخر: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾، [سورة التوبة : ١٩] ، ومعناه: أجعلتم سقاية الحاجِّ وعمارةَ المسجد الحرام كإيمان من آمن بالله واليوم الآخر ٧٩/٧

(١) تركت هذه الجملة كما هى فى المخطوطة والمطبوعة . وإن كنت أرجح أنه استشهد بالرجز على أنه نصب « صوم شهور » ، وعطف عليه « وبادناً مقلداً منحوراً » ، على معنى : قد أوجبت على نفسى صوم شهور ، وبادناً مقلداً منحوراً . فإن صح ذلك فيكون صواب هذه العبارة : « فجعله : على واجب = لأنه فى المعنى : قد أوجبت » .

(٢) « نسق » ، أى : عطف .

(٣) فى المطبوعة : « فلم يتم الخبر عند من قال . . . » ، غير ما فى المخطوطة ، وهذا خطأ محض . الصواب ما فى المخطوطة ، يريد : بعد « من الذين استحق عليهم الأوليان » .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « قال » بغير واو ، والصواب إثباتها كما يدل عليه السياق . ثم كتب فى المطبوعة بعد ذلك « كما قال : غير جائز . . . » ، بزيادة « كما » ، وهى فى المخطوطة ، مكتوبة متصلة بالراء ، فآثرت قراءتها « وقال » ، لأنه حق السياق .

(٥) فى المطبوعة : « وأنهما موضع الخبر » أسقط « وضعا » ، وهى ثابتة فى المخطوطة .

= وكما قال : ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ ، [سورة البقرة : ٩٣] ، وكما قال بعض الهذليين .(١)

يُمَشِّي بَيْنَنَا حَانُوتُ خَمْرٍ مِنَ الْخُرْسِ الصَّرَاصِرَةِ الْقِطَاطِ(٢)

وهو يعنى : صاحب حانوت خمر ، فأقام « الحانوت » مقامه ، لأنه معلوم أن « الحانوت » ، لا يمشى ! ولكن لما كان معلوماً عنده أنَّه لا يخفى على سامعه ما قصد إليه من معناه ، حذف « الصاحب » ، واجتزأ بذكر « الحانوت » منه . فكذلك قوله : « من الذين استُحِقّ عليهم الأوليان » ، إنما هو من الذين استُحِقّ فيهم خيانتهما ، فحذفت « الخيانة » وأقيم « المختانان » ، مقامهما . فعمل فيهما ما كان يعمل فى المحذوف لو ظهر .

* * *

وأما قوله : « عليهم » فى هذا الموضع ، فإن معناها : فيهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ ، [سورة البقرة : ١٠٢] ، يعنى : فى

---

(١) هو المتنخل الهذلى .

(٢) ديوان الهذليين ٢ : ٢١ ، والمعانى الكبير : ٤٧٢ . واللسان (حنت) (قطط) (خرص) ، من قصيدة له طويلة ، يذكر مواضى أيامه ، ثم يقول بعد البيت فى صفة الخمر :

رَكُودٍ فِي الإِنَاءِ لَهَا حُمَيَّا تَلَذُّ بِأَخْذِهَا الأَيْدِي السَّوَاطِي
مُشَعْشَعَةٍ كَعَيْنِ الدِّيكِ ، لَيْسَتْ ، إِذَا ذِيقَتْ ، مِنَ الْخَلِّ الْخِمَاطِ

وقوله : « الخرص » ، جمع « أخرس » ، وهو الذى ذهب كلامه عياً أو خلقة . ويعنى به : خدماً من العجم لا يفصحون ، فلذلك سماهم « خرساً » . وروى بعضهم « من الخرص » ، وهو خطأ ، نبه عليه الأزهرى رحمه الله .

و « الصراصرة » ، نبط الشأم . وعندى أنهم سموا بذلك ، لشىء كان فى أصواتهم وهم يتكلمون ، فى أصواتهم صياح وارتفاع وامتداد ، كأنه صرصرة البازى . و « القطاط » جمع « قطط » (بفتحتين) و « قط » (بفتح وتشديد) : وهو الرجل الشديد جعودة شعر الرأس . وقوله : « ركود فى الإناء » ، يعنى أنها صافية ساكنة . و « حميا الخمر » ، سورتها وأخذها بالبدن . و « الأيدى السواطى » ، التى تسطو إليها ، أى : تتناولها معجلة شديدة الرغبة فيها . و « مشعشعة » : قد أرقها مزجها بالماء . و « الخماط » من الخمر : التى أصابتها ريح ، فلم تستحكم ولم تبلغ الحموضة .

ملك سليمان ، وكما قال : ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [سورة طه : ٧١].
فـ« في » توضع موضع « على »، و « على » في موضع « في »، كل واحدة منهما تعاقب صاحبتها في الكلام ،(١) ومنه قول الشاعر :(٢)

مَتَى مَا تُنْكِرُوها تَعْرِفُوهَا عَلَى أَقْطَارِهَا عَلَقٌ نَفِيثُ(٣)

* * *

وقد تأوّلت جماعة من أهل التأويل قول الله تعالى ذكره : « فإن عثر على أنهما استحقا إثماً فآخران يقومان مقامهما من الذين استحقّ عليهم الأوليان »، أنهما رجلان آخران من المسلمين ، أو رجلان أعدل من المقسمين الأوّلين .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٩٧٤ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا داود بن أبي هند ، عن عامر ، عن شريح في هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم » ، قال : إذا كان الرجل بأرض غُرْبة ولم يجد مسلماً يشهده على

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٢/٢٩٩ : ٤١١ ، ٤١٢ ، وغيرها من المواضع في باب تعاقب الحروف .

(٢) هو أبو المثلم الهذلي .

(٣) ديوان الهذليين ٢ : ٢٢٤ ، مشكل القرآن : ٢٩٥ ، ٤٣٠ ، والمعاني الكبير : ٩٦٩ ، ٩٧٠ ، والاقتضاب : ٤٥١ ، والجواليق : ٣٧٣ ، واللسان (نفث) وغيرها . من أبيات في ملاحاة بينه وبين صخر الغي ، من جراء دم كان أبو المثلم يطلب عقله ، أي ديته ، وقبل البيت :

لَحَقُّ بَنِي شُغَارَةَ أَن يَقُولُوا لِصَخْرِ الغَيِّ : مَاذَا تَسْتَبِيثُ ؟

أي : ماذا تستثير ؟ وإنما أراد الحرب، فقال له بعد : « متى ما تنكروها . . . »، أي : إذا جاءت الحرب أنكرتموها ، ولكن ما تكادون تنكرونها ، حتى تروا الدم يقطر من نواحيها ، يعني كتائب المحاربين . و « العلق » : الدم ، و « الأقطار » : النواحي . و « النفيث » ، الدم الذي تنفثه القروح والجروح .

وقد خلط البطليوسي في شرح هذا الشعر ، فزعم أن الضمير في قوله : « متى ما تنكروها »، عائد « إلى المقالة » ، يعني هذا الهجاء بينهما ، وأتى في ذلك بكلام لا خير فيه ، أراد به الإغراب كعادته .

وصيته، فأشهد يهوديًّا، أو نصرانيًّا، أو مجوسيًّا، فشهادتهم جائزة. فإن جاء رجلان مسلمان فشهدا بخلاف شهادتهم، أجيزت شهادة المسلمين، وأبطلت شهادة الآخرين.(١)

١٢٩٧٥ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: «فان عثر»، أي: اطلع منهما على خيانة، على أنهما كذبا أو كتما، فشهد رجلان هما أعدل منهما بخلافِ ما قالا، أجيزت شهادة الآخرين، وأبطلت شهادة الأوَّلين.

١٢٩٧٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير، عن عبد الملك، عن عطاء قال: كان ابن عباس يقرأ: ﴿مِنَ الَّذِينَ اُسْتُحِقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلَيْنِ﴾ وقال: كيف يكون «الأوليان»، أرأيت لو كان الأوليان صغيرين؟

١٢٩٧٧ – حدثنا هناد وابن وكيع قالا، حدثنا عبدة، عن عبد الملك، عن عطاء، عن ابن عباس قال: كان يقرأ: ﴿مِنَ الَّذِينَ اُسْتُحِقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلَيْنِ﴾ قال، وقال: أرأيت لو كان الأوليان صغيرين، كيف يقومان مقامهما؟

* * *

قال أبو جعفر: فذهب ابن عباس، فيما أرى، إلى نحو القول الذى حكيتُ عن شريح وقتادة، من أنّ ذلك رجلان آخران من المسلمين، يقومان مقام النَّصرانيين، أو عَدْلان من المسلمين هما أعدل وأجوزُ شهادة من الشاهدين الأولين أو المقسمين.

وفى إجماع جميع أهل العلم على أنْ لا حكم لله تعالى ذكره يجب فيه على شاهدٍ يمينٌ فيما قام به من الشهادة، دليلٌ واضح على أنّ غير هذا التأويل = الذى قاله الحسن ومن قال بقوله فى قول الله تعالى ذكره: «فآخران يقومان مقامهما» = أولى به.

* * *

(١) الأثر: ١٢٩٧٤ – مضى هذا الخبر برقم: ١٢٩٠٩، ١٢٩٤٣، وانظر التعليق على رقم: ١٢٩٠٩.

وأما قوله: « الأوليان »، فإن معناه عندنا: الأوْلى بالميت من المقسمين الأولين فالأولى. [١] وقد يحتمل أن يكون معناه: الأولى باليمين منهما فالأولى = ثم حذف « منهما »، [٢] والعرب تفعل ذلك فتقول: « فلان أفضل »، وهى تريد: « أفضل منك »، وذلك إذا وضع « أفعل » موضع الخبر. وإن وقع موقع الاسم وأدخلت فيه « الألف واللام »، فعلوا ذلك أيضاً، إذا كان جواباً لكلام قد مضى، فقالوا: « هذا الأفضل، وهذا الأشرف »، يريدون: هو الأشرف منك.

* * *

وقال ابن زيد: معنى ذلك: الأوليان بالميت.

١٢٩٧٨ — حدثني يونس، عن ابن وهب، عنه

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (١٠٧)

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: فيقسم الآخران اللذان يقومان مقام اللَّذين عثر على أنهما استحقا إثماً بخيانتهما مالَ الميت، الأوْليان باليمين والميِّت من الخائنين: = « لشهادتنا أحقُّ من شهادتهما »، يقول: لأيماننا أحقُّ من أيمان المقسمَين المستحقَّين الإثم، وأيمانِهما الكاذبة = فى أنَّهما قد خانا فى كذا وكذا من مال ميّتنا، وكذا فى أيمانِهما التى حلفا بها = « وما اعتدينا »، يقول: وما تجاوزنا الحقَّ فى أيماننا. ٨٠/٧

* * *

وقد بينا أن معنى « الاعتداء »، المجاوزة فى الشيء حدَّه. [٣]

* * *

(١) السياق: « الأولى بالميت ... فالأولى ».
(٢) فى المطبوعة: « ثم حذف فيهما »، وهو خطأ صرف، وهى فى المخطوطة غير منقوطة.
(٣) انظر تفسير « الاعتداء » فيما سلف من فهارس اللغة (عدا).

« إنا إذا لمن الظالمين » يقول : إنّا إن كنا اعتدينا فى أيماننا ، فحلفنا مبطلين فيها كاذبين= «لمن الظالمين»، يقول : لِمَنْ عِدَادِ مَنْ يأخذ ما ليس له أخذه ،[1] ويقتطع بأيمانه الفاجرة أموال الناس .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « ذلك » ، هذا الذي قلت لكم فى أمر الأوصياء = إذا ارتبتم فى أمرهم ، واتهمتموهم بخيانة لمالِ من أوصى إليهم ، من حبسهم بعد الصلاة ، واستحلافكم إيّاهم على ما ادّعى قِبَلهم أولياء الميت= « أدنى » لهم « أن يأتوا بالشهادة على وجهها» ، يقول : هذا الفعل ، إذا فعلتم بهم ، أقربُ لهم أن يصدُقوا فى أيمانهم ،[3] ولا يكتموا ، ويقرُّوا بالحق ولا يخونوا[4] = « أو يخافوا أن تردّ أيمان بعد أيمانهم » ، يقول : أو يخاف هؤلاء الأوصياء إن عثر عليهم أنهم استحقُّوا إثماً فى أيمانهم بالله ، أن تردّ أيمانهم على أولياء الميت ، بعد أيمانهم التى عُثِر عليها أنها كذب ، فيستحقُّوا بها ما ادّعوا قِبَلهم من حقوقهم ، فيصدقوا حينئذٍ فى أيمانهم وشهادتهم ، مخافةَ الفضيحة على أنفسهم ، وحذراً أن يستحقّ عليهم ما خانُوا فيه أولياء الميّت وورثته .

* * *

(١) فى المطبوعة : « لمن عدا ومن يأخذ » ، غير ما فى المخطوطة ، وأساء أقبح الإساءة .

(٢) انظر تفسير « الظلم » ، فيما سلف من فهارس اللغة .

(٣) انظر تفسير « أدنى » فيما سلف ٦ : ٧/٧٨ : ٥٤٨ .

(٤) انظر تفسير « على وجهه » فيما سلف ٢ : ٥١١ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل . وقد تقدّمت الروايةُ بذلك عن بعضهم ، ونحن ذاكرو الرواية فى ذلك عن بعضٍ من بَقى منهم .

١٢٩٧٩ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « فإن عُثر على أنهما استحقّا إثماً » ، يقول : إن اطُّلع على أنّ الكافرين كذبا= « فآخران يقومان مقامهما» ، يقول : من الأولياء، فحلفا بالله أنّ شهادة الكافرين باطلة، وأنا لم نعتد، فتردّ شهادة الكافرين ، وتجوز شهادة الأولياء . يقول تعالى ذكره : ذلك أدنى أن يأتى الكافرون بالشهادة على وجهها، أو يخافوا أن تردّ أيمان بعد أيمانهم . وليس على شُهود المسلمين أقسام ، وإنما الأقسام إذا كانوا كافرين .

١٢٩٨٠ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة » الآية، يقول : ذلك أحرَى أن يصدقوا فى شهادتهم، وأن يخافوا العَقِب . (١)

١٢٩٨١ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « أو يخافوا أن تردّ أيمان بعد أيمانهم » ، قال : فتبطل أيمانهم ، وتؤخذ أيمانُ هؤلاء .

* * *

وقال آخرون : [معنى ذلك تحبسونهما من بعد الصلاة . ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها ، على أنهما استحقا إثماً، فآخران يقومان مقامهما] . (٢)

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) فى المطبوعة : « وأن يخافوا العقاب » ، والصواب ما فى المخطوطة و « العقب » (بفتح فكسر) : العاقبة ، وذلك عاقبة أمرهما فى و بطلان أيمانهم ، وعاقبة رد الفضيحة على أنفسهم .

(٢) هذه الجملة كلها مضطربة المعنى، ولا تطابق الأثر التالى ، وظنى أن فى الكلام سقطاً، أسقط الناسخ سطراً أو نحوه ، وتركتها على حالها فى المخطوطة والمطبوعة ، ولكنى وضعتها بين قوسين ، شكاً منى فى صحتها .

١٢٩٨٢ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدي قال : يوقف الرجلان بعد صلاتهما في دينهما، فيحلفان بالله : « لا نشتري به ثمناً قليلاً ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله إنا إذاً لمن الآثمين، أنّ صاحبكم لبهذا أوصى، وأنّ هذه لتركته » . فيقول لهما الإمام قبل أن يحلفا : « إنكما إن كتمتما أو خنتما، فضحتكما في قومكما، ولم أجز لكما شهادة، وعاقبتكما » . فإن قال لهما ذلك، فإنّ ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُواْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (١٠٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وخافوا الله، أيها الناس، وراقبوه في أيمانكم أن تحلفوا بها كاذبةً، وأن تُذْهبوا بها مال من يَحْرم عليكم ماله، وأن تخونوا من ائتمنكم[1] = « واسمعوا »، يقول : اسمعوا ما يقال لكم وما توعظون به، فاعملوا به، وانتهوا إليه = « والله لا يهدي القوم الفاسقين » ، يقول : والله لا يوفّق من فَسَق عن أمر ربّه، فخالفه وأطاع الشيطانَ وعصى ربَّه .

* * *

وكان ابن زيد يقول : « الفاسق » ، في هذا الموضع، هو الكاذب.[2]

١٢٩٨٣ – حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد : « والله لا يهدي القومَ الفاسقين »، الكاذبين، يحلفون على الكذب .

* * *

---

(١) انظر ما كتبته في « اتمن » فيما سلف ص : ١٩٧، تعليق : ٣

(٢) انظر تفسير « الفاسق » بهذا المعنى من تفسير ابن زيد، فيما سلف رقم : ١٢١٠٣ في الجزء ١٠ : ٣٧٦ . ثم انظر تفسير « الفسق » فيما سلف من فهارس اللغة (فسق) .

وليس الذى قال ابن زيد من ذلك عندي بمدفُوعٍ ، إلا أن الله تعالى ذكره عمَّ الخبر بأنه لا يهدى جميع الفسَّاق ، ولم يخصص منهم بعضاً دون بعض بخبر ولا عقلٍ ، فذلك على معانى «الفسق» كلها ، حتى يخصِّص شيئاً منها ما يجب التسليمُ له ، فيُسلَّم له . ٨١/٧

* * *

ثم اختلف أهل العلم فى حكم هاتين الآيتين ، هل هو منسوخ ، أو هو مُحكَم ثابت ؟

فقال بعضهم : هو منسوخ

* ذكر من قال ذلك :

١٢٩٨٤ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس ، عن رجل قد سماه ، عن حماد ، عن إبراهيم قال : هى منسوخة .

١٢٩٨٥ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : هى منسوخة = يعنى هذه الآية : «يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم» ، الآية .

* * *

وقال جماعة : هى محكمة وليست بمنسوخة . وقد ذكرنا قولَ أكثرهم فيما مضَى .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أن حكم الآية غيرُ منسوخ .(١) وذلك أن من حكم الله تعالى ذكره الذى عليه أهل الإسلام ، من لدن بعث الله تعالى ذكره نبيّه محمداً صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا ، أنّ من ادُّعِى عليه

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : «أن حكم الآية منسوخ» ، وهو خطأ فاحش ، فإن أبا جعفر يقول بعد ذلك أنها غير منسوخة ، كما سترى ، فالصواب ما أثبته .

دَعْوى ممَّا يملكه بنو آدم ، أنّ المدَّعَى عليه لا يبرئه مما ادُّعى عليه إلا اليمين ، إذا لم يكن للمدَّعِي بيّنة تصحح دَعواه= وأنه إن اعترف فى يَدِ المدَّعى [عليه] سلعةً له ، (١) فادَّعَى أنها له دون الذى فى يده ، فقال الذى هى فى يده : « بل هى لى ، اشتريتها من هذا المدَّعِي » ، أنّ القول قول من زَعمَ الذي هى فى يده أنه اشتراها منه ، دون من هى فى يده مع يمينه ، إذا لم يكن للذي هى فى يده بيّنة تحقق به دعواه الشراءَ منه .

فإذا كان ذلك حكم الله الذي لا خلافَ فيه بين أهل العلم ، وكانت الآيتان اللتان ذكر الله تعالى ذكره فيهما أمرَ وصية الموصِي إلى عدلين من المسلمين ، أو إلى آخرين من غيرهم ، إنما ألزَم النبي صلى الله عليه وسلم ، فيما ذكر عنه ، الوصيَّين اليمينَ حين ادَّعَى عليهما الورثة ما ادَّعوا ، ثم لم يلزم المدَّعَى عليهما شيئاً إذ حلفا ، حتى اعترفت الورثة فى أيديهما ما اعترفُوا من الجام أو الإبريق أو غير ذلك من أموالهم ، فزعما أنهما اشترياه من ميتهم ، فحينئذ ألزم النبيُّ صلى الله عليه وسلم ورثَة الميِّت اليمين ، لأن الوصيين تحوَّلاَ مُدَّعِيين بدعواهما ما وجدَا فى أيديهما من مال الميِّت أنه لهما ، اشتريَا ذلك منه ، فصارَا مُقِرَّين بالمال للميِّت ، مدَّعيين منه الشراء ، فاحتاجا حينئذ إلى بيِّنةٍ تصحِّح دعواهما ، وصارتْ ورثة الميتِ ربَّ السلعة ، (٢) أولى باليمين منهما . فذلك قوله تعالى ذكره : « فإن عثر على أنهما استحقا إثماً فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما » ، الآية .

---

(١) فى المطبوعة : « وأنه إن اعترف وفى يدى المدعى سلعة » ، غير ما فى المخطوطة ، وفيها : « وأنه إن اعترف فى يد المدعى سلعة » ، فأثبت ذلك ، وهو الصواب ، وزدت « عليه » بين القوسين ، لأنه حق المعنى .

وقوله : « اعترف » بمعنى : عرفها وميزها ، كما سيأتى فى سائر الفقرة .

(٢) فى المطبوعة : « . . . تصحح دعواهما ، وورثة الميت رب السلعة » ، حذف قوله « وصارت » ، مع أن الكلام لا يستقيم إلا بها ، وهى فى المخطوطة ثابتة ، إلا أن الناسخ أساء كتابتها .

فإذ كان تأويل ذلك كذلك، فلا وجه لدعوى مدّعٍ أن هذه الآية منسوخة، لأنه غير جائز أن يُقْضَى على حُكم من أحكام الله تعالى ذكره أنه منسوخ، إلا بخبرٍ يقطع العذرَ: إمّا من عند الله، أو من عند رسوله صلى الله عليه وسلم، أو بورود النّقل المستفيض بذلك. فأمّا ولا خبر بذلك، ولا يدفع صحته عقل، فغير جائز أن يقضى عليه بأنه منسوخ.

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ (١٠٩)

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: واتقوا الله، أيها الناس. واسمعوا وَعْظه إياكم وتذكيرَه لكم، واحذروا يَوْم يَجْمع الله الرسل = ثم حذف «واحذروا»، واكتفى بقوله: «واتقوا الله واسمعوا»، عن إظهاره، كما قال الراجز:

عَلَفْتُهَا تِبْناً وَمَاءً بَارِدًا حَتَّى شَتَتْ هَمَّالَةً عَيْنَاهَا(١)

يريد: «وسقيتها ماء بارداً»، فاستغنى بقوله: «علفتها تبناً» من إظهار «سقيتها»، إذ كان السامع إذا سمعه عرف معناه. فكذلك فى قوله: «يوم يجمع الله الرسل»، حذف «واحذروا» لعلم السامع معناه، اكتفاءً بقوله: «واتقوا الله واسمعوا»، إذ كان ذلك تحذيراً من أمر الله تعالى ذكره، خلقَه عقابَه على معاصيه.

* * *

وأما قوله: «ماذا أُجبتم»، فإنه يعنى به: ما الذى أجابتكم به أممكم،(٢) حين

---

(١) مضى تخريج البيت وتفسيره فيما سلف ١ : ٢٦٤، وكان فى المطبوعة هنا: «حتى غدت همالة»، غير ما فى المخطوطة.

(٢) انظر تفسير «ماذا» فيما سلف ٤ : ٢٩٢، ٣٤٦، ٨/٣٤٧ : ٣٥٩.

دعوتموهم إلى توحيدي ، والإقرار بي ، والعمل بطاعتي ، والانتهاء عن معصيتي ؟= « قالوا لا علم لنا » .

* * *

فاختلف أهل التأويل في تأويل ذلك .

فقال بعضهم : معنى قولهم : « لا علم لنا » ، لم يكن ذلك من الرسل إنكاراً أن يكونوا كانوا عالمين بما عملت أممهم ، ولكنهم ذَهِلوا عن الجواب من هَوْلِ ذلك اليوم ، ثم أجابوا بعد أن ثَابَتْ إليهم عقولهم بالشَّهادة على أممهم .

٨٢/٧ * ذكر من قال ذلك :

١٢٩٨٦ — حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل . قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا » ، قال : فذلك أنهم نزلوا منزلاً ذَهِلت فيه العقول ، [1] فلما سئلوا قالوا : « لا علم لنا » ، ثم نزلوا منزلاً آخر ، فشهدوا على قومهم .

١٢٩٨٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عنبسة . . . . . قال : سمعت الحسن يقول في قوله : « يوم يجمع الله الرسل » ، الآية ، قال : من هول ذلك اليوم . [2]

١٢٩٨٨ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري ، عن الأعمش ، عن مجاهد في قوله : « يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم » ، فيفزعون ، فيقول : ماذا أجبتم ؟ فيقولون : لا علم لنا !

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : لا علم لنا إلاّ ما علّمتنا .

---

(١) في المطبوعة : « ذلك أنهم لما نزلوا » ، وفي المخطوطة : « فذلك أنهم لما نزلوا » وأثبت ما في المخطوطة ، وحذفت « لما » لأنه لا موضع لها هنا ، وكأنها زيادة من عجلة الناسخ .

(٢) الأثر ١٢٩٨٧ — هذا إسناد ناقص بلا شك ، بين « عنبسة » ، و « الحسن البصري » ، فوضعت مكانه النقط ، وقد أعجلت أن أجد مثله فيما سلف ، فتركته حتى أجد تمامه .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٩٨٩ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ،عن مجاهد فى قوله: « يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم » ، فيقولون := لا علم لنا إلاّ ما علمتنا = « إنك أنتَ علام الغيوب » .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : قالوا لا علم لنا ، إلا علمٌ أنت أعلَمُ به منّا .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٩٩٠ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا» ، إلا علم أنت أعلم به منا .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : « ماذا أجبتم » ، ماذا عملوا بعدكم ؟ وماذا أحدثوا ؟

* ذكر من قال ذلك :

١٢٩٩١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم » ، ماذا عملوا بعدكم ؟ وماذا أحدثوا بعدكم؟ = « قالوا لاعلم لنا إنك أنت علام الغيوب » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب ، قولُ من قال : « معناه : لا علم لنا، إلاّ علم أنت أعلم به منّا »، لأنه تعالى ذكره أخبر عنهم أنهم قالوا: «لا علم لنا إنّك أنتَ علام الغيوب »، أى: إنك لا يخفى عليك ما عندنا من علم ذلك ولاغيره من خفىّ العلوم وجليّها . فإنما نَفَى القومُ أن يكون لهم بما سُئلوا عنه من ذلك علم لايعلمه هو تعالى ذكره= لا أنّهم نَفَوا أن يكونوا علموا ما شاهدُوا . وكيف يجوز أن يكون ذلك كذلك، وهو تعالى ذكره يخبر عنهم أنّهم يُخْبرون بما أجابتهم به الأمم،

وأنهم يستشهدون على تبليغهم الرسالة شهداء ، [١] فقال تعالى ذكره : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [سورة البقرة : ١٤٣] .

* * *

وأما الذى قاله ابن جريج ، من أن معناه : « ماذا عملت الأمم بعدكم ؟ وماذا أحدثوا؟ » ، فتأويل لا معنى له . لأن الأنبياء لم يكن عندها من العلم بما يحدث بعدها إلا ما أعلمها الله من ذلك ، وإذا سئلت عما عملت الأمم بعدها والأمر كذلك ، فإنما يقال لها : ماذا عرفناك أنه كائن منهم بعدك ؟ وظاهر خبر الله تعالى ذكره عن مسألته إياهم ، يدل على غير ذلك .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لعباده : احذروا يوم يجمع الله الرسل فيقول لهم : ماذا أجابتكم أممكم فى الدنيا = « إذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس » .

* * *

و « إذ » من صلة « أجبتم » ، كأن معناها : ماذا أجابت عيسى الأمم التى أرسل إليها عيسى .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « سيشهدون على تبليغهم » ، حرف ما فى المخطوطة وأساء .

فإن قال قائل : وكيف سئلت الرسل عن إجابة الأمم إيَّاها فى عهد عيسى ، ولم يكن فى عهد عيسى من الرُّسل إلا أقلُّ ذلك ؟ (١)

قيل : جائزٌ أن يكون الله تعالى ذكره عنى بقوله : « فيقول ماذا أجبتم » ، الرسلَ الذين كانوا أرسلوا فى عهد عيسى ، فخرَج الخبر مخرج الجميع ، والمراد منهم من كان فى عهد عيسى ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾ [سورة آل عمران : ١٧٣] ، والمراد واحدٌ من الناس ، وإن كان مخرج الكلام على جميع الناس . (٢)

* * *

قال أبو جعفر : ومعنى الكلام : « إذ قال الله » ، حين قال = « يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس » ، يقول : ياعيسى اذكر أيادىّ عندك وعند والدتك ، (٣) إذ قوّيتك برُوح القُدس وأعنتُك به . (٤)

* * *

وقد اختلف أهل العربية فى « أيدتك » ، ما هو من الفعل .

فقال بعضهم : هو « فعّلتك » ، [« من « الأيد »] ، كما قولك : « قوّيتك » « فعّلت » من « القوّة » . (٥)

* * *

وقال آخرون : بل هو « فاعلتك » من « الأيد » .

---

(١) فى المطبوعة : « إلا أقل من ذلك » ، زاد « من » ، فأفسد الكلام ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٢) انظر ما سلف ٧ : ٤٠٥ – ٤١٣ .

(٣) انظر تفسير « النعمة » فيما سلف من فهارس اللغة (نعم) .

(٤) انظر تفسير « أيد » فيما سلف ٢ : ٥/٣١٩ : ٦/٣٧٩ : ٢٤٢ .

(٥) الزيادة بين القوسين ، لا بد منها . وفى المطبوعة : « كما فى قولك » بزيادة « فى » ، والصواب ما فى المخطوطة بحذفها .

وروى عن مجاهد أنه قرأ : ﴿ إِذْ آيَدْتُكَ ﴾، بمعنى « أفعلتك »، من القوّة والأيد . (١)

* * *

٨٣/٧ وقوله : « بروح القدس » ، يعنى : بجبريل . يقول : إذ أعنتك بجبريل .

* * *

وقد بينت معنى ذلك ، وما معنى « القدس » ، فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . (٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (١١٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره، مخبراً عن قيله، لعيسى : « اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذ أيديك بروح القدس »، فى حال تكليمك الناسَ فى المهدِ وكهلاً .

* * *

وإنما هذا خبر من الله تعالى ذكره: أنه أيده بروح القدس صغيراً فى المهد ،

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٢٥ . وهذا الذى ذكره هنا فى « أيدتك » تفصيل أغفله فى بيانه السالف فى ٢ : ٣١٩ ، وهذا من ضروب اختصاره فى التفسير ، وهو دال أيضاً على طريقته فى تأليف هذا التفسير .

(٢) انظر تفسير « روح القدس » فيما سلف ٢ : ٣٢٠ ، ٥/٣٢١ : ٣٧٩ .

وكهلاً كبيراً = فردّ « الكهل » على قوله « فى المهد » ، لأن معنى ذلك: صغيراً ، كما قال الله تعالى ذكره : ﴿ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا ﴾ ، [سورة يونس : ١٢] .

* * *

وقوله : « وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل » ، يقول : واذكر أيضاً نعمتى عليك « إذ علمتك الكتاب » ، وهو الخطّ = « والحكمة » ، وهى الفهم بمعانى الكتاب الذى أنزلته إليك ، وهو الإنجيل = « وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير » ، يقول: كصورة الطير . . . .[1] = « بإذنى » ، يعنى بقوله : « تخلق » تعمل وتصلح — « من الطين كهيئة الطير بإذنى » ، يقول : بعونى على ذلك ، وعلمٍ منّى به = « فتنفخ فيها » ، يقول : فتنفخ فى الهيئة ، فتكون الهيئة والصورة طيراً بإذنى = « وتبرئ الأكمه » ، يقول : وتشفى « الأكمهَ » ، وهو الأعمى الذى لا يبصر شيئاً ، المطموس البصر = « والأبرص بإذنى » .

* * *

وقد بينت معانى هذه الحروف فيما مضى من كتابنا هذا ، مفسراً بشواهده ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[2]

* * *

---

(١) مكان هذه النقط بياض فى المخطوطة ، وفى هامشها حرف (ط) ، دلالة على موضع خطأ . فأثبتها كذلك . وإن كنت أرجح أن سياق أبى جعفر يقتضى أن تكون عبارته هكذا :

﴿ وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير ، يعنى بقوله : « تخلق » ، تعمل وتصلح « من الطين كهيئة الطير » ، يقول : كصورة الطير : « بإذنى » ، يقول : بعونى على ذلك . . . ﴾

ومع ذلك ، فقد تركت ما فى المخطوطة على ما هو عليه .

(٢) انظر تفسير « المهد » فيما سلف ٦ : ٤١٧ = وتفسير « الكهل » ٦ : ٤١٧ ، ٤١٨ = وتفسير « الكتاب » ، و « الحكمة » فيما سلف من فهارس اللغة (كتب) و (حكم) = وأما تفسير « خلق » و « هيأة » بهذا المعنى ، فلم يذكره فيما سلف ، وإن كان ذلك مضى فى ٦ : ٤٢٤ وتفسير « أبرأ » ٦ : ٤٢٨ = وتفسير « الأكمه » ٦ : ٤٢٨ — ٤٣٠ = وأما « الأبرص » فلم يفسره = وتفسير « الإذن » فيما سلف ١٠ : ١٤٥ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

وقوله : « وإذ كففت بنى إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات » ، يقول : واذكر أيضاً نعمتى عليك بكفّى عنك بنى إسرائيل إذ كففتهم عناك ،[1] وقد هموا بقتلك = « إذ جئتهم بالبينات » ، يقول : إذ جئتهم بالأدلة والأعلام المعجزة على نبوّتك ،[2] وحقيقة ما أرسلتك به إليهم [3] = « فقال الذين كفروا منهم » ، يقول تعالى ذكره : فقال الذين جحدُوا نبوّتك وكذبوك من بنى إسرائيل = « إن هذا إلا سحر مبين » .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته قرأة أهل المدينة وبعض أهل البصرة : « ﴿ إِنْ هٰذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ يعنى : يبين عمّا أتى به لمن رآه ونظر إليه ، أنه سحر لا حقيقةَ له .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفة : ﴿ إِنْ هٰذَا إِلاَّ سَاحِرٌ مُبِينٌ ﴾ ، بمعنى : « ما هذا » ، يعنى به عيسى ، « إلا ساحر مبين » ، يقول : يبين بأفعاله وما يأتى به من هذه الأمور العجيبة عن نفسه ، أنه ساحرٌ لا نبيٌّ صادق .[4]

* * *

قال أبو جعفر : الصواب من القول فى ذلك أنّهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، متفقتان غير مختلفتين . وذلك أن كل من كان موصوفاً بفعل « السحر » ، فهو موصوف بأنه « ساحر » . ومن كان موصوفاً بأنه « ساحر » ، فإنه موصوف بفعل

---

(١) انظر تفسير « الكف » فيما سلف ٨ : ٥٤٨ ، ٩/٥٧٩ : ١٠/٢٩ : ١٠١

(٢) انظر تفسير « البينات » فيما سلف من فهارس اللغة (بين) .

(٣) فى المطبوعة : « وحقية ما أرسلتك » ، غيرها كما فعل مراراً كثيرة فيما سلف ، والصواب ما فى المخطوطة ، وانظر ما سلف ١٠ : ٢٤٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « مبين » فيما سلف من فهارس اللغة (بين) .

« السحر » . فالفعل دالٌّ على فاعله، والصفة تدلُّ على موصوفها، والموصوف يدل على صفته ، والفاعلُ يدلّ على فعله . فبأى ذلك قرأ القارئ فمصيبٌ الصوابَ فى قراءته .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ (١١١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: واذكر أيضاً، يا عيسى ،إذ ألقيت[1] = « إلى الحواريين » ، وهم وزراء عيسى على دينه .

* * *

وقد بينا معنى ذلك، ولم قيل لهم « الحواريون » ،فيما مضى ،بما أغنى عن إعادته . [2]

* * *

وقد اختلفت ألفاظ أهل التأويل فى تأويل قوله : « وإذ أوحيت » ، وإن كانت متفقة المعانى .

فقال بعضهم، بما : —

١٢٩٩٢ — حدثنى به محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل،

---

(١) انظر تفسير « أوحى » فيما سلف ٦ : ٤٠٥ ، ٩/٤٠٦ : ٣٩٩ .

(٢) انظر تفسير « الحواريون » فيما سلف ٦ : ٤٤٩ — ٤٥١ .

قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإذا أوحيت إلى الحواريين » ، يقول : قذفت فى قلوبهم .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : ألهمتهم .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام إذاً : وإذْ ألقيتُ إلى الحواريين أنْ صدّقوا بى وبرسولى عيسى ، فقالوا : « آمنا » ، أى : صدقنا بما أمرتنا أن نؤمنَ يا ربنا = « واشهد » علينا « بأننا مسلمون » ، يقول : واشهد علينا بأننا خاضِعُون لك بالذّلة ، سامعون مطيعُون لأمرك .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (١١٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : واذكر ، يا عيسى ، أيضاً نعمتى عليك ، إذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى ، إذ قالوا لعيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء — فـ « إذ » ، الثانية من صلة « أوحيت » . ٨٤/٧

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « يستطيع ربك »

فقرأ ذلك جماعة من الصحابة والتابعين : ﴿ هَلْ تَسْتَطِيعُ ﴾ بالتاء ﴿ رَبَّكَ ﴾ بالنصب ، بمعنى : هل تستطيع أن تسأل ربك ؟ أو : هل تستطيع أن تدعوَ ربَّك ؟

أو : هل تستطيع وترى أن تدعوه ؟ وقالوا : لم يكن الحواريون شاكّين أن الله تعالى ذكره قادرٌ أن ينزل عليهم ذلك ، وإنما قالوا لعيسى : هل تستطيع أنت ذلك ؟(١)

١٢٩٩٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا محمد بن بشر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن أبي مليكة قال : قالت عائشة : كان الحواريون لا يشكّون أن الله قادر أن ينزل عليهم مائدة ، ولكن قالوا : يا عيسى هَل تَسْتطيع ربَّك ؟

١٢٩٩٤ – حدثني أحمد بن يوسف التَّغْلِبيّ قال، حدثنا القاسم بن سلام قال ، حدثنا ابن مهدى، عن جابر بن يزيد بن رفاعة، عن حسّان بن مخارق ، عن سعيد بن جبير : أنه قرأها كذلك : ﴿هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبَّكَ﴾، وقال : تستطيع أن تسأل ربَّك . وقال : ألا ترى أنهم مؤمنون؟ (٢)

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة المدينة والعراق : ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ﴾ بالياء ﴿رَبُّكَ﴾، بمعنى : أن ينزل علينا ربُّك ، كما يقول الرجل لصاحبه : « أتستطيع أن تنهض معنا فى كذا »؟ وهو يعلم أنه يستطيع ، ولكنه إنما يريد : أتنهض معنا فيه؟ وقد يجوز أن يكون مرادُ قارئه كذلك : هل يستجيبُ لك ربك ويُطيعك أنْ تنزل علينا ؟

* * *

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٢٥ .

(٢) الأثر : ١٢٩٩٤ – « أحمد بن يوسف التغلبى » ، مضى قريباً برقم : ١٢٩٥٧ ، وكان فى المطبوعة هنا أيضاً : « الثعلبى » ، وهو خطأ .

و « جابر بن يزيد بن رفاعة العجلى » ، ثقة عزيز الحديث . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/٢/٢١٠ ، وابن أبى حاتم ١/١/٤٩٨ .

« حسان بن مخارق » . قال البخارى : « أراه : الشيبانى » ، مترجم فى الكبير ٢/١/٣١ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٢٣٥ ، وقال المعلق على تاريخ البخارى : « فى الثقات رجلان ، أحدهما فى التابعين : حسان بن مخارق الكوفى ، يروى عن أم سلمة . روى عنه أبو إسحق الشيبانى = والآخر فى أتباع التابعين : حسان بن مخارق الشيبانى ، وقد قيل : حسان بن أبى المخارق ، أبو العوام ، يروى عن سعيد بن جبير أنه كان يقرأ : هل تستطيع ربك . روى عنه جابر بن يزيد ، وجعلهما ابن أبى حاتم واحداً » .

وكان فى المطبوعة : « حيان بن مخارق » حرف ما هو صواب فى المخطوطة .

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين عندى بالصواب ، قراءة من قرأ ذلك : ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ ﴾ بالياء ﴿ رَبُّكَ ﴾ برفع « الربّ » ، بمعنى : هل يستجيب لك إن سألته ذلك ويطيعك فيه ؟

وإنما قلنا ذلك أولى القراءتين بالصواب ، لما بيّنّا قبلُ من أن قوله : « إذ قال الحواريون » ، من صلة : « إذ أوحيت » ، وأنّ معنى الكلام : وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى ، إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربّك ؟ فبيّنٌ ، إذ كان ذلك كذلك ، أن الله تعالى ذكره قد كرِه منهم ما قالوا من ذلك واستعظمه ، وأمرهم بالتوبة ومراجعة الإيمان من قِيلهم ذلك ، والإقرارِ لله بالقدرة على كل شىء ، وتصديقِ رسوله فيما أخبرهم عن ربّهم من الأخبار . وقد قال عيسى لهم ، عند قيلهم ذلك له ، استعظاماً منه لما قالوا : « اتقوا الله إن كنتم مؤمنين » . فنى استتابة الله إيّاهم ، ودعائه لهم إلى الإيمان به وبرسوله صلى الله عليه وسلم عند قيلهم ما قالوا من ذلك ، واستعظام نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كلمتهم =[1] الدلالةُ الكافيةُ من غيرها على صحة القراءة فى ذلك بالياء ورفع « الرب » ، إذ كان لا معنى فى قولهم لعيسى ، لو كانوا قالوا له : « هل تستطيع أن تسأل ربّك أن ينزل علينا مائدة من السماء » ؟ أن يُستكبر هذا الاستكبار .

فإن ظنّ ظانّ أنّ قولهم ذلك له إنما استُعظِمَ منهم ،[2] لأنّ ذلك منهم كان مسألة آيةٍ ، [فقد ظنّ خطأ] .[3] فإن الآيةَ ، إنّما يسألها الأنبياء مَنْ كان بها مكذّباً

---

(١) السياق : « . . . فنى استتابة الله إياهم . . . الدلالة الكافية . . . » ، وما بينهما عطوف .

(٢) فى المطبوعة : « إنما هو استعظام منهم » ، غير ما فى المخطوطة وزاد على نصها ، فضرب على الكلام فساداً لا يفهم ! ! و « استعظم » بالبناء للمجهول .

(٣) هذه الزيادة بين القوسين ، لابد منها ، لا أشك أن الناسخ قد أسقطها غفلة ، فاضطرب سياق الكلام ، وسياق حجة أبى جعفر ، فاضطر الناشر أن يعبث بكلمات أبى جعفر لكى تستقيم معه ، فأفسد الكلام إفساداً بيناً لا يحل له . وقد رددت الكلام إلى أصله ، كما سترى فى التعليقات التالية .

ليتقرَّر عنده حقيقةُ ثبوتها وصحَّة أمرها، كما كانت مسألة قريش نبيَّنا محمداً صلى الله عليه وسلم أن يحوِّل لهم الصَّفَا ذهباً، ويفجر فجَاج مكة أنهاراً ، مَنْ سأله من مشركى قومه = وكما كانت مسألة صالح الناقةَ من مكذِّبى قومه = ومسألة شُعَيْب أن يسقط كِسْفاً من السماءِ ، من كفّار من أرسل إليه .(١)

فإنْ كان الذين سألوا عيسى أن يسأل ربه أن ينزّل عليهم مائدة من السماء،(٢) على هذا الوجه كانت مسألتهم، فقد أحلّهم الذين قرأوا ذلك بـ « التاء » ونصب « الرب » محلاًّ أعظم من المحلّ الذى ظنوا أنَّهم يحيدون بهم عنه(٣)= أو يكونوا سألوا ذلك عيسى وهم موقنون بأنه لله نبى مبعوث ورسول مرسلٌ ، وأن الله تعالى ذكره على ما سألوا من ذلك قادر .

فإن كانوا سألوا ذلك وهم كذلك ، وإنما كانت مسألتهم إيَّاه ذلك على نحو ما يسأل أحدُهم نبيَّه إذا كان فقيراً، أن يسأل له ربه أن يُغْنيه = وإن عرضتْ له حاجة،(٤) أن يسأل له ربه أن يقضيَها، فليسَ ذلك من مسألة الآية فى شىء،(٥) بل ذلك سؤال ذى حاجة عرضت له إلى ربه، فسأل نبيَّه مسألةَ ربه أن يقضيها له .

وخبر الله تعالى ذكره عن القوم ، ينبىء بخلاف ذلك . وذلك أنهم قالوا لعيسى ،إذ قال لهم: « اتقوا الله إن كنتم مؤمنين » = «نريد أن نأكل منها وتطمئنَّ

---

(١) فى المطبوعة : « من أرسل إليهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، فهو صواب محض .

(٢) فى المطبوعة : « وكان الذين سألوا . . . » ، حذف « فإن » ، وعطف الكلام بعضه على بعض فاضطرب اضطراباً فاحشاً .

(٣) فى المطبوعة : « الذى ظنوا أنهم نزهوا ربهم عنه » ، سبحانه وتعالى ، ولكن ما فعله الناشر بنص المخطوطة جعل هذا الكلام كله لامعنى له . وكان فى المخطوطة : « « يحدوا ربهم » ، مضطربة الكتابة ، فأساء الناشر قراءتها ، وأبلغ فى الإساءة حين غير الكلام على الوجه الذى نشره به .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « إن عرضت به حاجة » ، وهو غير عربى ، عربيته ما أثبت .

(٥) فى المطبوعة : « فأنى ذلك من مسألة الآية » ، وفى المخطوطة : « فإن ذلك » وصواب ذلك ما أثبت .

٨٥/٧ قلوبنا ونعلم أنْ قد صدقتنا» . فقد أنبأ هذا من قِيلهم،[1] أنهم لم يكونوا يعلمون أن عيسى قد صدّقهم ، ولا اطمأنت قلوبهم إلى حقيقة نبوّته . فلا بيان أبين من هذا الكلام،فى أن القوم كانوا قد خالط قلوبَهم مرضٌ وشك فى دينهم وتصديق رسولهم، وأنهم سألوا ما سألوا من ذلك اختباراً .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٩٩٥ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ليث ، عن عقيل ، عن ابن عباس : أنه كان يحدّث عن عيسى صلى الله عليه وسلم : أنه قال لبنى إسرائيل: هل لكم أن تصوموا لله ثلاثين يوماً ، ثم تسألوه فيعطيكم ما سألتم ؟ فان أجرَ العامل على من عمل له ! ففعلوا ، ثم قالوا: يا معلّم الخير ،قلت لنا: « إن أجر العامل على من عمل له »،وأمرتنا أن نصوم ثلاثين يوماً، ففعلنا،ولم نكن نعمل لأحدٍ ثلاثين يوماً إلاّ أطعمنا حين نفرُغ طعاماً ، فهل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟ قال عيسى : « اتقوا الله إن كنتم مؤمنين » = « قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبُنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين»، إلى قوله: « لا أعذبه أحداً من العالمين » . قال : فأقبلت الملائكة تطير بمائدةٍ من السماء عليها سبعةُ أحواتٍ وسبعة أرغفة، حتى وضعتها بين أيديهم، فأكل منها آخر الناس كما أكل منها أوّلهم .

١٢٩٩٦ — حدثنى محمد بن الحسين قال ،حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء »، قالوا: هل يطيعك ربُّك ، إن سألته ؟ فأنزل الله عليهم مائدة من السماء فيها جميع الطّعام إلاّ اللحم ، فأكلوا منها .

* * *

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « فقد أنبأ هذا عن قيلهم » ، وهو خطأ محض ، مخل بالسياق .

وأما « المائدة » فإنها « الفاعلة » من : « ماد فلان القوم يَميدهم مَيْداً » ، إذا أطعمهم ومارهم ، ومنه قول رؤبة :

نُهْدِي رُؤُوسَ المُتْرَفِينَ الأَنْدَادْ إِلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ المُمْتَادْ(١)

يعنى بقوله : « الممتاد » المستعطَى . فـ « المائدة » المطعِمة ، سميت « الخوان » بذلك ، لأنها تطعم الآكل ممّا عليها . و « المائد » ، المُدَار به فى البحر ، يقال : « مادَ يَميدُ مَيْداً » .

* * *

وأما قوله : « قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين » ، فإنه يعنى : قال عيسى للحواريّين القائلين له : « هل يستطيع ربك أن ينزِّل علينا مائدة من السماء » = راقبوا الله ، أيها القوم ، وخافوه ،(٢) أن يَنْزل بكم من الله عقوبة على قولكم هذا ، فإن الله لا يعجزه شيء أراده . وفى شككم فى قدرة الله على إنزال مائدة من السماء ، كفرٌ به ، فاتقوا الله أن يُنْزِل بكم نقمته = « إن كنتم مؤمنين » ، يقول : إن كنتم مصدقيَّ على ما أتوعدكم به من عقوبة الله إياكم على قولكم : « هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء » ؟

* * *

(١) ديوانه : ٤٠ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٨٣ ، واللسان (ميد) ، وسيأتى فى التفسير ١٢ : ٨٤ (بولاق) ، من رجز تمدح فيه بنفسه ، ومدح قومه تميما وسعداً وخندفاً . ثم قبله فى آخرها يذكر قومه :

نَكْفِي قُرَيْشاً مَنْ سَعَى بِالإِفْسَادْ مِنْ كُلِّ مَرْهُوبِ الشِّقَاقِ جَحَّادْ
وَمُلْحِدٍ خَالَطَ أَمْرَ الإِلْحَادْ

وقوله : « نهدى » بالنون ، لا بالتاء كما فى لسان العرب ، وكما كان فى المطبوعة هنا . و « المترفون » : المتنعمون المتوسعون فى لذات الدنيا وشهواتها . و « الأنداد » جمع « ند » (بكسر النون) وهو هنا بمعنى « الضد » ، يقال للرجل إذا خالفك ، فأردت وجهاً تذهب إليه ، ونازعك فى ضده : « هو ندى ، ونديدى » . ويأتى أيضاً بمعنى « المثل والشبيه » . ورواية الديوان ، ورواية أبى جعفر فى المكان الآتى بعد : « الصداد » ، جمع « صاد » ، وهو المعرض المخالف . يقول : نقتل الخارجين على أمير المؤمنين ، ثم نهدى إليه رؤوسهم ، وهو المسئول دون الناس .

(٢) فى المطبوعة : و « خافوا » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ (١١٣)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بذلك : قال الحواريون مجيبي عيسى على قوله لهم : « اتقوا الله إن كنتم مؤمنين » ، فى قولكم لى : « هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء » = : إنا إنما قلنا ذلك، وسألناك أن تسأل لنا ربك لنأكل من المائدة، فنعلم يقيناً قدرته على كل شىء = «وتطمئن قلوبنا »، يقول : وتسكن قلوبنا ، وتستقرّ على وحدانيته وقدرته على كل ما شاء وأراد[1] = « ونعلم أن قد صدقتنا » ، ونعلم أنك لم تكذبنا فى خبرك أنك لله رسول مرسل ونبىّ مبعوث = « ونكونَ عليها » ، يقول : ونكون على المائدة = « من الشاهدين » ، يقول : ممن يشهد أن الله أنزلها حجةً لنفسه علينا فى توحيده وقدرته على ما شاء ، ولك على صدقكَ فى نبوّتك .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ (١١٤)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن نبيه عيسى صلى الله عليه وسلم، أنه أجاب القوم إلى ما سألوه من مسألة ربه مائدةً تنزل عليهم من السماء .

* * *

(١) انظر تفسير « الاطمئنان » فيما سلف ٥ : ٩/٤٩٢ : ١٦٥ .
(٢) انظر تفسير « الشاهد » فيما سلف من فهارس اللغة (شهد) .

ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا » .

فقال بعضهم : معناه : نتخذ اليومَ الذى نزلت فيه عيداً نُعَظِّمه نحن ومن بعدَنا.

* ذكر من قال ذلك :

١٢٩٩٧ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا » ، يقول : نتخذ اليوم الذى نزلت فيه عيداً نعظِّمه نحن ومن بعدنا . ٨٦/٧

١٢٩٩٨ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « تكون لنا عيداً لأوّلنا وآخرنا » ، قال : أرادوا أن تكون لعَقِبهم من بعدهم .

١٢٩٩٩ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج، عن ابن جريج قوله : « أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا » ، قال : الذين هم أحياء منهم يومئذ = « وآخرنا » ، من بعدهم منهم .

١٣٠٠٠ – حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، قال سفيان : « تكون لنا عيداً » ، قالوا : نصلى فيه . قال نزلت مرتين .

* * *

وقال آخرون : معناه : نأكل منها جميعاً .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٠٠١ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ليث ، عن عقيل ، عن ابن عباس أنه قال : أكل منها = يعنى : من المائدة = حين وضعت بين أيديهم ، آخر الناس ، كما أكل منها أولهم .

* * *

وقال آخرون : معنى قوله : « عيداً » ، عائدة من الله تعالى ذكره علينا ، وحجة وبرهاناً .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب ، قولُ من قال : « معناه : تكون لنا عيداً ، نعبد ربنا فى اليوم الذى تنزل فيه ، ونصلى له فيه ، كما يعبد الناس فى أعيادهم » ، لأن المعروف من كلام الناس المستعمل بينهم فى « العيد » ، ما ذكرنا ، دون القول الذى قاله من قال : « معناه : عائدة من الله علينا » . وتوجيه معانى كلام الله إلى المعروف من كلام من خوطب به ، أولى من توجيهه إلى المجهول منه ، ما وجد إليه السبيل .

* * *

وأما قوله : « لأولنا وآخرنا » ، فإن الأولى من تأويله بالصواب ، قولُ من قال : « تأويله : للأحياء منا اليوم ، ومن يجىء بعدنا منا » ، للعلة التى ذكرناها فى قوله : « تكون لنا عيداً » ، لأن ذلك هو الأغلب من معناه .

* * *

وأما قوله : « وآية منك » ، فإن معناه : وعلامةً وحجة منك يا رب ، على عبادك فى وحدانيتك ، وفى صدقى على أنىّ رسولٌ إليهم بما أرسلتنى به[1] = « وارزقنا وأنت خير الرازقين » ، وأعطنا من عطائك ، فإنك يا رب خير من يعطى ، وأجود من تفضّل ، لأنه لا يدخل عطاءه منٌّ ولا نكَد .[2]

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فى « المائدة » ، هل أنزلت عليهم ، أم لا ؟ وما كانت ؟

فقال بعضهم : نزلت ،وكانت حوتاً وطعاماً، فأكل القوم منها ، ولكنها رفعت بعد ما نزلت بأحداثٍ منهم أحدثوها فيما بينهم وبين الله تعالى ذكره .

ذكر من قال ذلك :

١٣٠٠٢ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا

---

(١) انظر تفسير « آية » فيما سلف من فهارس اللغة (أي) .

(٢) وانظر تفسير « الرزق » فيما سلف من فهارس اللغة (رزق) .

شعبة ، عن أبي إسحق ، عن أبي عبد الرحمن السلمي قال : نزلت المائدة ، خبزاً وسمكاً .

١٣٠٠٣ – حدثني الحسين بن علي الصدائي قال ، حدثنا أبي ، عن الفضيل ، عن عطية قال : « المائدة » ، سمكة فيها طعم كلّ طعام

١٣٠٠٤ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عبيد الله ، عن فضيل ، عن مسروق ، عن عطية قال : « المائدة » ، سمك فيه من طعم كل طعام .

١٣٠٠٥ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن أبي عبد الرحمن قال : نزلت المائدة خبزاً وسمكاً .

١٣٠٠٦ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : نزلت على عيسى بن مريم والحواريين ، خِوانٌ عليه خبز وسمك ، يأكلون منه أينما نزلوا إذا شاؤوا .

١٣٠٠٧ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا المنذر بن النعمان : أنه سمع وهب بن منبه يقول في قوله : « أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً » ، قال : نزل عليهم قرصة من شعير وأحوات = قال الحسن ، قال أبو بكر :[1] فحدّثت به عبد الصمد بن معقل فقال : سمعت وهباً ، وقيل له : وما كان ذلك يُغْنِي عنهم ؟ فقال : لا شيء ، ولكن الله حَثَا بين أضعافهن البركة ، فكان قوم يأكلون ثم يخرجون ، ويجيء آخرون فيأكلون ثم يخرجون ، حتى أكل جميعهم وأفضَلُوا .

١٣٠٠٨ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد قال : هو الطعام ينزل عليهم حيث نزلوا .

١٣٠٠٩ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا

---

(١) « أبو بكر » هو « عبد الرزاق » ، وهو : « عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري » .

عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تعالى ذكره : « مائدة من السماء » ، قال : مائدة عليها طعام ، أُتوا بها ؛ حين عرض عليهم العذاب إن كفروا . ألوان من طعام ينزل عليهم .(١)

١٣٠١٠ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن أبي معشر ، عن إسحق بن عبد الله : أن المائدة نزلت على عيسى بن مريم ، عليها سبعة أرغفة وسبعة أحْوات ، يأكلون منها ما شاؤوا . قال : فسرق بعضهم منها وقال : « لعلها لا تنزل غداً ! » ، فرفعت . ٨٧/٧

١٣٠١١ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا داود ، عن سماك بن حرب ، عن رجل من بني عجل قال : صليت إلى جنب عمار بن ياسر ، فلما فرغ قال : هل تدري كيف كان شأن مائدة بني إسرائيل ؟ قال فقلت : لا ! قال : إنهم سألوا عيسى بن مريم مائدة يكون عليها طعام يأكلون منه لا ينفد . قال : فقيل لهم : فإنها مقيمة لكم ما لم تخبأوا ، أو تخونوا ، أو ترفعوا ، فإن فعلتم فإنيّ أعذبكم عذاباً لا أعذّبه أحداً من العالمين ! قال : فما تمّ يومهم حتى خبأوا ورَفعوا وخانوا ، فعذبوا عذاباً لم يعذبه أحد من العالمين . وإنكم معشر العرب ، كنتم تتْبعون أذنابَ الإبل والشاء ، فبعث الله فيكم رسولاً من أنفسكم ، تعرفون حسبه ونسبه ، وأخبركم على لسان نبيكم أنكم ستظهرون على العرَب ، ونهاكم أن تكنزوا الذهبَ والفضة . وايمْ الله . لا يذهبُ الليلُ والنهارُ حتى تكنزوهما ، ويعذّبكم عذاباً أليماً .

١٣٠١٢ – حدثنا الحسن بن قزعة البصري قال ، حدثنا سفيان بن حبيب قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن خلاس بن عمرو ، عن عمار بن ياسر

---

(١) في المطبوعة ، غير هذه العبارة تغيراً شاملاً مزيلاً لمعناها ، فكتب : مائدة عليها طعام ، أبوها حين عرض عليهم العذاب إن كفروا ، فأبوا أن تنزل عليهم » ، وأثبت ما في المخطوطة .
أما المعنى الذي صحح الناشر الأول عليه هذا الأثر ، فهو مخالف لهذا كل المخالفة ، لأنه من قول من قال : « لم تنزل على بني إسرائيل مائدة » ، وهو قول مروي عن مجاهد فيما سيأتي رقم : ١٣٠٢١ .

قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نزلت المائدة خبزاً ولحماً ، وأُمروا أن لا يخونوا ولا يدّخروا ولا يرفعوا لغدٍ ، فخانوا وادّخروا ورفعوا ، فمسخوا قردة وخنازير .(١)

١٣٠١٣ — حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع قال، حدثنا يوسف بن خالد قال ، حدثنا نافع بن مالك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في المائدة قال : كانت طعاماً ينزل عليهم من السماء حيثما نزلوا .

* * *

وقال آخرون : كانت المائدة تنزل وعليها ثمرٌ من ثمار الجنة .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٠١٤ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا ابن أبي عدى ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن خلاس بن عمرو ، عن عمار قال : نزلت المائدة وعليها ثمرٌ من ثمر الجنة ، فأمروا أن لا يخبأوا ولا يخونوا ولا يدخروا ، قال : فخان القوم وخبأوا وادّخروا ، فحوّلهم الله قردة وخنازير .(٢)

١٣٠١٥ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذُكر لنا أنها كانت مائدة ينزل عليها الثمرُ من ثمار الجنة ، وأمروا أن لا

---

(١) الأثر : ١٣٠١٢ — « الحسن بن قزعة بن عبيد الهاشمي البصري » ، ثقة . مضى برقم : ٨٢٨١ .

و « سفيان بن حبيب البصري » ، ثقة ، مضى برقم : ١١٣٠٢ ، ١١٣٢١ .

و « خلاس بن عمرو الهجري » ، مضى مراراً ، منها : ٤٥٥٧ ، ٥١٣٤ ، وغيرهما .

وكان في المطبوعة : « جلاس بن عمرو » ، وهو خطأ .

وهذا الخبر ، رواه الترمذي في كتاب التفسير من سننه ، بإسناده عن الحسن بن قزعة ، ثم قال : « هذا حديث رواه أبو عاصم وغير واحد ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن خلاس، عن عمار ، موقوفاً . ولا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث الحسن بن قزعة = حدثنا حميد بن مسعدة ، حدثنا سفيان بن حبيب ، عن سعيد بن أبي عروبة، نحوه، ولم يرفعه . وهذا أصح من حديث الحسن ابن قزعة ، ولا نعرف الحديث المرفوع أصلا » .

وانظر الأثر التالي رقم : ١٣٠١٤ ، وهو الخبر الموقوف .

(٢) الأثر : ١٣٠١٤ — انظر التعليق على رقم : ١٣٠١٢ ، وكان في المطبوعة هنا أيضاً « جلاس بن عمرو » وهو خطأ .

يخبأوا ولا يخونوا ولا يدخروا لغد ، بلاء ابتلاهم الله به ،[١] وكانوا إذا فعلوا شيئاً من ذلك ، أنبأهم به عيسى ، فخان القوم فيه فخبأوا وادّخروا لغدٍ .

* * *

وقال آخرون : كان عليها من كلّ طعام إلا اللحم .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٠١٦ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا جرير ، عن عطاء، عن ميسرة قال : كانت إذا وضعت المائدة لبنى إسرائيل ، اختلفت عليها الأيدى بكل طعام .

١٣٠١٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن عطاء ، عن ميسرة وزاذان قالا : كانت الأيدى تختلف عليها بكل طعام .

١٣٠١٨ – حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان الثورى ، عن عطاء بن السائب ، عن زاذان وميسرة ، فى : « هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدةً من السماء » ، قالا: رأوا الأيدى تختلف عليها بكل شىء إلاّ اللحم .[٢]

* * *

وقال آخرون : لم ينزل الله على بنى إسرائيل مائدة .

* * *

ثم اختلف قائلو هذه المقالة .

فقال بعضهم : إنما هذا مثل ضربه الله تعالى ذكره لخلقه ، نهاهم به عن مسألة نبىّ الله الآيات .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٠١٩ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ،

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « أبلاهم الله به » ، وهو لا يصح ، صواب قراءته ما أثبت .

(٢) الأثران : ١٣٠١٧ ، ١٣٠١٨ – « زاذان الكندى الضرير » ، مضى برقم : ٩٥٠٨ .

عن ليث، عن مجاهد في قوله : « أنزل علينا مائدة من السماء » ، قال : مثل ضُرب ، لم ينزل عليهم شيء .

* * *

وقال آخرون : إنّ القوم لما قيل لهم : « فمن يكفر بعدُ منكم فإني أعذّبه عذاباً لا أعذّبه أحداً من العالمين» ، استعفَوْا منها فلم تنزل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٠٢٠ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كان الحسن يقول : لما قيل لهم: « فمن يكفر بعد منكم » ، إلى آخر الآية ، قالوا : لا حاجة لنا فيها ! فلم تنزل .

١٣٠٢١ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن منصور بن زاذان ، عن الحسن: أنه قال في المائدة : لم تنزل .(١)

١٣٠٢٢ – حدثني الحارث قال، حدثنا القاسم بن سلام قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : مائدة عليها طعام ، أبوها حين عرض عليهم العذاب إن كفروا ، فأبوا أن تَنْزِل عليهم .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول عندنا في ذلك أن يقال : إن الله تعالى ذكره أنزل المائدة على الذين سألوا عيسى مسألتَه ذلك ربَّه . ٥٨/٧

وإنما قلنا ذلك ، للخبر الذي روينا بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأهل التأويل من بعدهم ، غير من انفرد بما ذكرنا عنه .

وبعدُ ، فإن الله تعالى ذكره لا يخلف وعدَه ، ولا يقع في خبره الْخُلف ، وقد قال تعالى ذكره مخبراً في كتابه عن إجابة نبيه عيسى صلى الله عليه وسلم حين سأله ما سأله من ذلك: « إني منزّلها عليكم » ، وغير جائز أن يقول تعالى ذكره :

---

(١) الأثر : ١٣٠٢١ – « منصور بن زاذان الثقفي الواسطي » ، أبو المغيرة . ثقة ، روى عن أبي العالية ، وعطاء بن أبي رباح ، والحسن ، وابن سيرين . مترجم في التهذيب .

« إنى منزلها عليكم » ، ثم لا ينزلها، لأن ذلك منه تعالى ذكره خبر ، ولا يكون منه خلاف ما يخبر . ولو جاز أن يقول : « إنى منزلها عليكم » ، ثم لا ينزلها عليهم ، جاز أن يقول : « فمن يكفر بعد منكم فإنىّ معذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين » ، ثم يكفر منهم بعد ذلك، فلا يعذّبه، فلا يكون لوعده ولا لوعيده حقيقة ولا صحة . وغير جائز أن يوصف ربنا تعالى ذكره بذلك .

* * *

وأما الصواب من القول فيما كان على المائدة، فأن يقال : كان عليها مأكول . وجائز أن يكون كان سمكاً وخبزاً ، وجائزٌ أن يكون كانَ ثمراً من ثمر الجنة ، وغيرُ نافع العلم به ، ولا ضارّ الجهل به ، إذا أقرَّ تالى الآية بظاهر ما احتمله التنزيل .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١١٥)

قال أبو جعفر : وهذا جواب من الله تعالى ذكره القومَ فيما سألوا نبيّهم عيسى مسألةَ ربهم، من إنزاله مائدة عليهم . فقال تعالى ذكره : إنى منزلها عليكم ، أيها الحواريون ، فمطعمكموها = « فمن يكفر بعد منكم » ، يقول : فمن يجحد بعد إنزالها عليكم ، وإطعاميكموها — منكم رسالتى إليه ، وينكر نبوة نبيِّى عيسى صلى الله عليه وسلم ، ويخالفْ طاعتى فيما أمرته ونهيته = « فإنى أعذبه عذاباً لا أعذبه أحد من العالمين » ، من عالمى زمانه . ففعل القوم ، فجحدوا وكفروا بعد ما أنزلت عليهم ، فيما ذكر لنا ، فعذبوا ، فيما بلغنا، بأن مُسِخوا قردة وخنازير ، كالذى :—

١٣٠٢٤ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إنى منزلها عليكم » الآية ، ذكر لنا أنهم حوِّلوا خنازير .

١٣٠٢٥ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الوهاب ومحمد بن أبي عدى ، ومحمد بن جعفر ، عن عوف ، عن أبي المغيرة القوّاس ، عن عبد الله بن عمرو قال : إن أشدّ الناس عذاباً ثلاثة : المنافقون ، ومن كفر من أصحاب المائدة ، وآل فرعون .(١)

١٣٠٢٦ – حدثنا الحسن بن عرفة قال ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن عوف قال : سمعت أبا المغيرة القوّاس يقول : قال عبد الله بن عمرو : إنّ أشد الناس عذاباً يوم القيامة: من كفر من أصحاب المائدة، والمنافقون ، وآل فرعون .(١)

١٣٠٢٧ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « فمن يكفر بعد منكم » ، بعد ما جاءته المائدة = « فإنى أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين » ، يقول : أعذبه بعذاب لا أعذبه أحداً من العالمين غير أهل المائدة .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم » ، « إذ قال الله يا عيسى بن مريم أ أنت قلت للناس اتخذونى وأمّىَ إلهين من دون الله » .

* * *

(١) الأثران : ١٣٠٢٥ ، ١٣٠٢٦ – « أبو المغيرة القواس » ، روى عن عبد الله ابن عمرو . روى عنه عوف . وسئل أبو زرعة عن اسمه فقال : « لا أعلم أحداً يسميه » . ضعفه سليمان التيمى ، ووثقه ابن معين . مترجم فى الكنى للبخارى : ٧٠ ، وابن أبى حاتم ٤/٢/٤٣٩ .

وقيل : إن الله قال هذا القولَ لعيسى حين رفعه إليه فى الدنيا .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٠٢٨ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أ أنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله » ، قال : لما رفع الله عيسى بن مريم إليه ، قالت النصارى ما قالت ، وزعموا أنّ عيسى أمرَهم بذلك ، فسأله عن قوله فقال : « سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب » إلى قوله : « وأنت على كل شىء شهيد » .

* * *

وقال آخرون : بل هذا خبر من الله تعالى ذكره عن أنه يقول لعيسى ذلك فى القيامة .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٠٢٩ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « وإذا قال الله يا عيسى بن مريم أ أنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله » ، قال : والناس يسمعون ، فراجعه بما قد رأيت ، وأقرّ له بالعبودية على نفسه ، فعلم من كان يقول فى عيسى ما يقول : أنه إنما كان يقول باطلاً . ٨٩/٧

١٣٠٣٠ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن عطاء ، عن ميسرة قال : قال الله : يا عيسى ، أ أنت قلت للناس اتخذونى وأمّى إلهين من دون الله ؟ فأُرْعِدت مفاصله، وخشى أن يكون قد قال، فقال : سبحانك، إن كنت قلته فقد علمته = الآية .

١٣٠٣١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر ،

عن قتادة فى قوله : « يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله » ، متى يكون ذلك ؟ قال : يوم القيامة ، ألا ترى أنه يقول : « هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم » ؟

* * *

= فعلى هذا التأويل الذى تأوّله ابن جريج ، يجب أن يكون « وإذ » بمعنى : و« إذا » ، كما قال فى موضع آخر : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا ﴾ ، [سورة سبأ : ٥١] ، بمعنى : يفزعون ، وكما قال أبو النجم :

ثُمَّ جَزَاهُ اللهُ عَنَّا إِذْ جَزَى جَنَّاتِ عَدْنٍ فِى العَلالِىِّ العُلَى (١)

والمعنى : إذا جزى ، وكما قال الأسود : (٢)

فَأَلآنَ ، إِذْ هَازَلْتُهُنَّ ، فَإِنَّمَا يَقُلْنَ : أَلا لَمْ يَذْهَبِ الشَّيْخُ مَذْهَبَا !! (٣)

بمعنى : إذا هازلتهن .

---

(١) الأضداد لابن الأنبارى : ١٠٢ ، والصاحبى : ١١٢ ، واللسان (طها) وسيأتى بعد قليل فى هذا الجزء ص : ٣١٧ ، بزيادة بيت . وقوله : « العلالى » ، جمع « علية » (بكسر العين ، وتشديد اللام المكسورة ، والياء المشددة) : وهى الغرفة العالية من البيت . وأريد بذلك : « فى عليين » ، المذكورة فى القرآن . وقد قال هدبة بن خشرم أيضاً ، فتصرف :

كَأَنَّ حَوْطًا ، جَزَاهُ اللهُ مَغْفِرَةً وَجَنَّةً ذَاتَ عِلِّىٍّ وَأَشْرَاعِ

و « الأشراع » ، السقائف .

(٢) هو الأسود بن يعفر النهشلى ، أعشى بنى نهشل .

(٣) ديوان الأعشين : ٢٩٣ ، والأضداد لابن الأنبارى : ١٠١ ، من قصيدة له ، ذهب أكثرها فلم يوجد منها فى الكتب المطبوعة ، غير هذا البيت ، وخمسة أبيات أخرى ، فى ديوانه ، وفى العينى (هامش خزانة الأدب ٤ : ١٠٣) ، وهى أبيات جياد :

صَحَا سَكَرٌ مِنْه طَوِيلٌ بِزَيْنَبَا تَعَاقَبَهُ لَمَّا اسْتَبَانَ وجَرَّبَا
وَأَحْكَمَهُ شَيْبُ القَذَالِ عَنِ الصِّبَا فَكَيْفَ تَصَابِيه وَقَدْ صَار أَشْيَبَا ؟
وَكَانَ لَهُ ، فِيمَا أَفَادَ ، خَلائِلٌ عَجِلْنَ ، إِذَا لاَقَيْنَهُ ، قُلْنَ : مَرْحَبَا !!
فَأَصْبَحْنَ لاَ يَسْأَلْنَهُ عَنْ بِمَا بِهِ أَصَعَّدَ فِى عُلْوِ الهَوَى أم تَصَوَّبَا ؟
طَوَامِحُ بالأَبْصَارِ عَنْه ، كَأَنَّمَا يَرَيْنَ عَلَيْهِ جُلَّ أَدْهَمَ أَجْرَبَا

وكأنّ من قال فى ذلك بقول ابن جريج هذا ، وجّه تأويل الآية إلى: « فمن يكفر بعدُ منكم فإنّى أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين » فى الدنيا = وأعذبه أيضاً فى الآخرة : « إذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين عندنا بالصواب فى ذلك ، قولُ من قال بقول السدى ، وهو أن الله تعالى ذكره قال ذلك لعيسى حين رفعه إليه = وأن الخبرَ خبرٌ عما مضى ، لعلّتين :

إحداهما : أن « إذْ » إنما تصاحب = فى الأغلب من كلام العرب المستعمل بينها = الماضىَ من الفعل ، وإن كانت قد تدخلها أحياناً فى موضع الخبر عما يحدث ، إذا عرف السامعون معناها . وذلك غير فاشٍ ، ولا فصيح فى كلامهم ،[1] وتوجيه معانى كلام الله تعالى إلى الأشهر الأعرف ما وجد إليه السبيل ،[2] أولى من توجيهها إلى الأجهل الأنكر .

والأخرى : أن عيسى لم يشك هو ولا أحد من الأنبياء ، أن الله لا يغفر لمشرك مات على شركه ، فيجوز أن يُتَوهم على عيسى أن يقول فى الآخرة مجيباً لربه تعالى ذكره : إن تعذّب من اتخذنى وأمى إلهين من دونك فإنهم عبادك ، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم .

* * *

فإن قال قائل : وما كان وجه سؤال الله عيسى : « أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله » ، وهو العالم بأن عيسى لم يقل ذلك ؟

قيل : يحتمل ذلك وجهين من التأويل :

---

(١) انظر ما سلف من القول فى « إذ » و « إذا » ١ : ٣٤٩ - ٤٤٤ ، ٣/٤٩٣ : ٩٢ ، ٦/٩٨ : ٤٠٧ ، ٧/٥٥٠ : ٩/٣٣٣ : ٦٢٧ . وانظر ما سيأتى ص : ٣١٧

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « فتوجيه » بالفاء ، والجيد ما أثبت .

أحدهما : تحذير عيسى عن قيل ذلك ونهيُه ، كما يقول القائل لآخر : « أفعلت كذا وكذا » ؟ مما يعلم المقولُ له ذلك أن القائل يستعظم فعل ما قال له : « أفعلته » ، على وجه النهي عن فعله ، والتهديد له فيه .

والآخر : إعلامه أنّ قومه الذين فارقهم قد خالفوا عهده ، وبدّلوا دينهم بعده . فيكون بذلك جامعاً إعلامَه حالَهم بعده ، وتحذيراً له قيله .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأما تأويل الكلام ، فإنه : « أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين » ، أي : معبودين تعبدونهما من دون الله . قال عيسى : تنزيهاً لك يا رب وتعظيماً أن أفعل ذلك أو أتكلم به(٢) =« ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق » ، يقول : ليس لي أن أقول ذلك ، لأني عبد مخلوق ، وأمي أمةٌ لك ، وكيف يكون للعبد والأمة ادّعاء ربوبية؟ =(٣) « إن كنت قلته فقد علمته » ، يقول : إنك لا يخفى عليك شيء ، وأنت عالم أني لم أقل ذلك ولم آمرهم به .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ (١١٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره ، مخبراً عن نبيه عيسى صلى الله عليه وسلم : أنه يبرأ إليه مما قالت فيه وفي أمه الكفرةُ من النصارى ، أن يكون دعاهم إليه أو أمرهم به ، فقال : « سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت

---

(١) في المطبوعة : « وتحذيره » ، غير ما كان في المخطوطة لغير طائل .

(٢) انظر تفسير « سبحان » فيما سلف ١ : ٤٧٤ – ٤٧٦ ، ٢/٤٩٥ : ٦/٥٣٧ : ٤٢٣ .

(٣) في المطبوعة : « فهل يكون للعبد » ، وفي المخطوطة : « فكون تكون للعبد » ، هكذا . وصحت قراءتها كما أثبتها .

قلته فقد علمته » . ثم قال : « تعلم ما فى نفسى »، يقول : إنك، يا رب ، لا يخفى عليك ما أضمرته نفسى مما لم أنطق به ولم أظهره بجوارحى ، فكيف بما قد نطقتُ به وأظهرته بجوارحى ؟ يقول : لو كنت قد قلت للناس : « اتخذونى وأمى إلهين من دون الله » ، كنت قد علمته ، لأنك تعلم ضمائر النفوس مما لم تنطق به ، فكيف بما قد نطقت به ؟ = « ولا أعلم ما فى نفسك » ، يقول : ولا أعلم أنا ما أخفيته عنى فلم تطلعنى عليه ، لأنى إنما أعلم من الأشياء ما أعلمتنيه = « إنك أنت عَلاَّم الغيوب » ، يقول : إنك أنت العالم بخفيّات الأمور التى لا يطلع عليها سواك ، ولا يعلمها غيرك .[1] ٩٠/٧

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (١١٧)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قول عيسى ، يقول : ما قلت لهم إلا الذى أمرتنى به من القول أن أقوله لهم ، وهو أن قلت لهم : « اعبدوا الله ربى وربكم » = « وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم »، يقول : وكنت على ما يفعلونه وأنا بين أظهرهم شاهداً عليهم وعلى أفعالهم وأقوالهم[2] = « فلما توفيتنى » ،

---

(١) انظر تفسير « علام الغيوب » فيما سلف قريباً : ٢١١ = وتفسير « الغيب » ١ : ٢٣٦ ، ٦/٢٣٧ : ١٠/٤٠٥ : ٥٨٥

(٢) انظر تفسير : « شهيد » فيما سلف من فهارس اللغة (شهد) = وتفسير « ما دام » فيما سلف ١٠ : ١١/١٨٥ : ٧٤ .

يقول : فلما قبضتني إليك[١] = «كنت أنت الرقيب عليهم» ، يقول : كنت أنت الحفيظ عليهم دوني ، [٢] لأني إنما شهدت من أعمالهم ما عملوه وأنا بين أظهرهم .

وفي هذا تبيانٌ أن الله تعالى ذكره إنما عرّفه أفعالَ القوم ومقالتهم بعد ما قبضه إليه وتوفاه بقوله : «أأنت قلت للناس اتخذوني وأمّيَ إلهين من دون الله» .

= «وأنت على كل شيء شهيد» يقول : وأنت تشهد على كل شيء ، لأنه لا يخفى عليك شيء . وأما أنا ، فإنما شهدت بعض الأشياء ، وذلك ما عاينت وأنا مقيم بين أظهر القوم ، فإنما أنا أشهد على ذلك الذي عاينت ورأيتُ وشهدت .

* * *

وبنحو الذي قلنا في قوله : «كنت أنت الرقيب عليهم» ، قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٠٣٢ — حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : «كنت أنت الرقيب عليهم» ، أما «الرقيب» ، فهو الحفيظ .

١٣٠٣٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : «كنت أنت الرقيب عليهم» ، قال : الحفيظ .

* * *

وكانت جماعة من أهل العلم تقول : كان جواب عيسى الذي أجاب به ربَّه ، من الله تعالى ، توقيفاً منه له فيه .[٣]

* ذكر من قال ذلك :

١٣٠٣٤ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن معمر ،

---

(١) انظر تفسير «توفاه» فيما سلف ٦ : ٤٥٥ - ٨/٤٦١ : ٩/٧٣ : ١٠٠ .

(٢) انظر تفسير «الرقيب» فيما سلف ٧ : ٥٢٣ .

(٣) في المطبوعة والمخطوطة : «توفيقاً» (بالفاء قبل القاف) ، في هذا الموضع وما يليه . وهو خطأ من الناسخ والناشر لاشك فيه ، صوابه ما أثبت . يقال : «وقفت الرجل على الكلمة توقيفاً» ، إذا علمته الكلمة لم يكن يعلمها ، أو غابت عنه . أي أنها كانت من تعليم الله إياه ، لم يقلها من عند نفسه .

عن ابن طاوس ، عن أبيه : « أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق » ، قال : الله وقّفه .[1]

١٣٠٣٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو داود الحفرى قال ، قرئ على سفيان ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه طاوس قال : احتج عيسى ، والله وقّفه : « أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله »، الآية .

١٣٠٣٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير، عن عطاء ، عن ميسرة قال : قال الله تعالى ذكره : « يا عيسى أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله » ؟ قال : فأُرعدت مفاصله ، وخشى أن يكون قد قالها، فقال : « سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (١١٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إنْ تعذب هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة ، بإماتتك إياهم عليها = « فإنهم عبادك » ، مستسلمون لك ، لا يمتنعون مما أردت بهم، ولا يدفعون عن أنفسهم ضرًّا ولا أمراً تنالهم به = « وإن تغفر لهم »، بهدايتك إياهم إلى التوبة منها ، فتستر عليهم = « فإنك أنت العزيز » ،[2] فى

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « الله وفقه » ، وانظر التعليق السالف ، وكذلك ما سيأتى فى الأثر التالى .

(٢) انظر تفسير « العباد » ، و « المغفرة » ، و « العزيز » ، و « الحكيم » فيما سلف من فهارس اللغة (عبد) ، (غفر) ، (عزز) ، (حكم) .

انتقامه ممن أراد الانتقام منه، لا يقدر أحدٌ يدفعه عنه = « الحكيم » ، فى هدايته من هدى من خلقه إلى التوبة ، وتوفيقه من وفّق منهم لسبيل النجاة من العقاب ، كالذى : —

١٣٠٣٧ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى فى قوله : « إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم » ، فتخرجهم من النصرانية ، وتهديهم إلى الإسلام = « فإنك أنت العزيز الحكيم » . وهذا قول عيسى فى الدنيا .

١٣٠٣٨ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم » ، قال : والله ما كانوا طعّانين ولا لعّانين .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة قوله : « هذا يوم ينفع الصادقين » . فقرأ ذلك بعض أهل الحجاز والمدينة : ﴿ هَٰذَا يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ ﴾ ، بنصب « يوم » . ٩١/٧

* * *

وقرأه بعض أهل الحجاز وبعض أهل المدينة ، وعامة قرأة أهل العراق : ﴿ هَٰذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ ﴾ ، برفع « يوم » . فمن رفعه رفعه بـ « هذا » ، وجعل « يوم » اسماً ، وإن كانت إضافته غير محضة ، لأنه قد صار كالمنعوت .(١)

* * *

(١) فى المطبوعة : « لأنه صار » ، أسقط « قد » .

وكان بعض أهل العربية يزعم أن العرب يعملون فى إعراب الأوقات مثل « اليوم » و« الليلة » ، عملهم فيما بعدها . إن كان ما بعدها رفعاً رفعوها ، كقولهم : « هذا يومُ يركب الأمير » و « ليلةُ يصدر الحاج » و « يومُ أخوك منطلق » . وإن كان ما بعدها نصباً نصبوها ، وذلك كقولهم : « هذا يومَ خرج الجيش ، وسار الناس » ، و« ليلةَ قتل زيد » ، ونحو ذلك ، وإن كان معناها فى الحالين « إذ » و « إذا » .

* * *

وكأن من قرأ هذا هكذا رفعاً ، وجَّه الكلام إلى أنه من قيل الله يوم القيامة .

* * *

وكذلك كان السدى يقول فى ذلك .

١٣٠٣٩ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال الله : « هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم » ، هذا فصل من كلام عيسى ، وهذا يوم القيامة .

* * *

يعنى السدى بقوله : « هذا فصل من كلام عيسى » : أن قوله: « سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق » إلى قوله : « فإنك أنت العزيز الحكيم » ، من خبر الله عز وجل عن عيسى أنه قاله فى الدنيا بعد أن رفعه إليه ، وأن ما بعد ذلك من كلام الله لعباده يوم القيامة .

* * *

وأما النصب فى ذلك ، فإنه يتوجه من وجهين :

أحدهما : أن إضافة « يوم » ما لم تكن إلى اسم ، تجعله نصباً ، لأن الإضافة غير محضة . وإنما تكون الإضافة محضة ، إذا أضيف إلى اسم صحيح . ونظير « اليوم » فى ذلك : « الحين » و« الزمان » ، وما أشبههما من الأزمنة ، كما قال النابغة :

عَلَى حِينَ عَاتَبْتُ المَشِيبَ عَلَى الصِّبَا وَقُلْتُ: أَلَمَّا تَصْحُ وَالشَّيْبُ وَازِعُ؟(١)

والوجه الآخر : أن يكون مراداً بالكلام : هذا الأمر وهذا الشأن ، يومَ ينفع الصادقين = فيكون « اليوم » حينئذ منصوباً على الوقت والصفة ، بمعنى : هذا الأمر فى يوم ينفع الصادقين صدقهم .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب : ﴿ هَٰذَا يَوْمَ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ ﴾ ، بنصب « اليوم » ، على أنه منصوب على الوقت والصفة . لأن معنى الكلام : إنّ الله جل وتعالى ذكره ، أجاب عيسى حين قال : « سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته » ، إلى قوله : « فإنك أنت العزيز الحكيم » ، فقال له عز وجل : هذا القولُ النافعُ = أو هذا الصدق النافع = يوم ينفع الصادقين صدقهم . فـ « اليوم » وقت القول والصدق النافع .

* * *

فإن قال قائل : فما موضع « هذا » ؟

قيل : رفع .

فإن قال : فأين رافعه ؟

---

(١) ديوانه : ٣٨ ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٣٢٧ ، وسيبويه ١ : ٣٦٩ ، والخزانة ٣ : ١٥١ والعينى (هامش الخزانة) ٣ : ٤/٤٠٦ : ٣٥٧ ، وسيأتى فى هذا التفسير ١٩ : ٨٨/ثم ٣٠ : ٥٧ ، (بولاق) ، ورواية أبى جعفر هنا « ألما تصح » كرواية الفراء ، وفى سائر المراجع « ألما أصح » . وهما روايتان صحيحتا المعنى .

وهذا البيت من قصيدته التى قالها معتذرا إلى النعمان بن المنذر ، متنصلاً مما قذفه به مرة بن ربيعة عند النعمان ، يقول قبله :

فَكَفْكَفْتُ مِنِّى عَبْرَةً فَرَدَدْتُهَا على النَّحْرِ ، مِنْها مُسْتَهِلٌّ ودامِعُ

يقول : عاتبت نفسى على تشوقها إلى ما فات من صباى ، فقد شبت وشابت لداتى ، وقلت لنفسى : ألم تفق بعد من سكرة الصبا ، وعهد الناس بالمشيب أنه يكف من غلواء الشباب !

قيل: مضمر. وكأنه قال: قال الله عز وجل: هذا ، هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ، كما قال الشاعر : (١)

أَمَا تَرَى السَّحَابَ كَيْفَ يَجْرِي ؟ هذا ، وَلَا خَيْلُكَ يَا ابْنَ بِشْرِ

يريد : هذا هذا ، ولا خيلك .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام ، إذ كان الأمر على ما وصفنا لما بينا : قال الله لعيسى : هذا القول النافع فى يوم ينفع الصادقين فى الدنيا صدقهم ذلك، فى الآخرة عند الله = « لهم جنات تجري من تحتها الأنهار » ، يقول : للصادقين فى الدنيا ، جنات تجرى من تحتها الأنهار فى الآخرة ، ثواباً لهم من الله عز وجل على ما كان من صدقهم الذى صدقوا الله فيما وعدوه ، فوفوا به لله ، فوفى الله عز وجل لهم ما وعدهم من ثوابه = « خالدين فيها أبداً » ، يقول : باقين فى الجنات التى أعطاهموها = « أبداً »، دائماً، لهم فيها نعيم لا ينتقل عنهم ولا يزول . (٢)

* * *

وقد بينا فيما مضى أن معنى « الخلود » ، الدوام والبقاء . (٣)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (١١٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : رَضى الله عن هؤلاء الصادقين الذين

---

(١) لم أعرف هذا الراجز .

(٢) انظر تفسير « أبداً » فيما سلف ٩ : ١٠/٢٢٧ : ١٨٥ .

(٣) انظر فهارس اللغة فيما سلف (خلد) .

صدقوا فى الوفاء له بما وعدوه ، من العمل بطاعته واجتناب معاصيه = « ورضوا عنه »، يقول : ورضوا هم عن الله تعالى ذكره فى وفائه لهم بما وعدهم على طاعتهم إياه فيما أمرهم ونهاهم، من جزيل ثوابه[1] =« ذلك الفوز العظيم»، يقول: هذا الذي أعطاهم الله من الجنات التى تجري من تحتها الأنهار ، خالدين فيها مرضيًّا عنهم وراضين عن ربهم ، هو الظفر العظيم بالطَّلِبة ،[2] وإدراك الحاجة التى كانوا يطلبونها فى الدنيا، ولها كانوا يعملون فيها ، فنالوا ما طلبوا، وأدركوا ما أمَّلوا . ٩٢/٧

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١٢٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : أيها النصارى ، « لله ملك السموات والأرض »، يقول: له سلطان السموات والأرض[3] = « وما فيهن »، دون عيسى الذي تزعمون أنه إلهكم ، ودون أمه ، ودون جميع من فى السموات ومن فى الأرض، فإن السموات والأرض خلق من خلقه وما فيهن ، وعيسى وأمُّه من بعض ذلك بالحلول والانتقال ، يدلاّن بكونهما فى المكان الذي هما فيه بالحلول فيه والانتقال ، أنهما عبدان مملوكان لمن له ملك السموات والأرض وما فيهن. ينبِّههم وجميعَ خلقه على موضع حجته عليهم ، ليدَّبروه ويعتبروه فيعقلوا عنه = « وهو على كل شىء

(١) انظر تفسير « الرضى » فيما سلف ٦ : ٩/٢٦٢ : ١٠/٤٨٠ : ١٤٤ .
(٢) انظر تفسير « الفوز » . فيما سلف ٧ : ٤٥٢ ، ٨/٤٧٢ : ٧١ .
(٣) انظر تفسير « الملك » فيما سلف ٨ : ٤٨٠ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

قدير » ،[١] يقول تعالى ذكره: والله الذى له ملك السموات والأرض وما فيهن، قادرٌ على إفنائهن وعلى إهلاكهن ، وإهلاك عيسى وأمه ومن فى الأرض جميعاً كما ابتدأ خلقهم ، لا يعجزه ذلك ولا شيء أراده ، لأن قدرته القدرةُ التى لا تشبهها قدرة، وسلطانه السلطان الذي لا يشبهه سلطان ولا مملكة .

* * *

﴿ آخر تفسير سورة المائدة ﴾[٢]

---

(١) انظر تفسير « قدير » فيما سلف من فهارس اللغة (قدر) .

(٢) عند هذا الموضع انتهى جزء من التقسيم القديم الذى نقلت عنه نسختنا ، وفيها ما نصه :

« آخر تفسير سورة المائدة

وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً

وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ

يَتْلُوهُ إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى ، تَفْسِيرُ سُورَةِ الأَنْعَامِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ »

تفسير

سُورَةِ الأَنْعَامِ

﴿ القول فى تفسير السورة التى يُذكر فيها الأنعام ﴾

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

رَبِّ يَسِّرْ

القول فى تأويل قوله ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « الحمد لله » ، الحمدُ الكامل لله وحده لا شريك له دون جميع الأندادِ والآلهة، ودون ما سواه مما تعبده كَفَرَةُ خلْقه من الأوثان والأصنام .

وهذا كلام مخرجه مَخرج الخبر ، يُنْحَى به نحو الأمر . يقول : أخلصوا الحمد والشكر للذى خَلَقَكم، أيها الناس، وخلق السموات والأرض ، ولا تشركوا معه فى ذلك أحداً أو شيئاً ،[1] فإنه المستوجب عليكم الحمدَ بأياديه عندكم ونعمه عليكم، لا من تعبدونه من دونه ، وتجعلونه له شريكاً من خَلْقه .

* * *

وقد بينا الفصل بين معنى « الحمد » و « الشكر » بشواهده فيما مضى قبل .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : الحمد لله الذي خلق السموات والأرض ، وأظلم الليلَ ، وأنارَ النَّهار، كما : —

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « أحدا شيئاً » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

(٢) انظر تفسير « الحمد » فيما سلف ١ : ١٣٥ – ١٤١ .

١٣٠٤٠ – حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وجعل الظلمات والنور » ، قال : الظلمات ظلمة الليل ، والنور نورُ النهار .

١٣٠٤١ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : أمّا قوله : « الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور »، فإنه خلق السَّموات قبل الأرض، والظلمةَ قبل النور، والجنّة قَبل النار .

* * *

فإن قال قائل : فما معنى قوله إذاً : « جعل » .

قيل : إن العرب تجعلها ظرفاً للخبرِ والفِعْل فتقول : « جعلت أفعل كذا »، و « جعلت أقوم وأقعد » ، تدل بقولها « جعلت » على اتصال الفعل ، كما تقول « علقت أفعل كذا » = لا أنها فى نفسها فِعْلٌ . يدلُّ على ذلك قول القائل : « جعلت أقوم »، وأنه لا جَعْلَ هناك سوى القيام، وإنما دلّ بقوله: « جعلت » على اتّصال الفعل ودوامه ،[1] ومن ذلك قول الشاعر :[2]

وَزَعَمْتَ أَنَّكَ سَوْفَ تَسْلُكُ فَارِداً ... وَالمَوْتُ مُكْتَنِعٌ طَرِيقَ قَادِرِ
فَاجْعَلْ تَحَلَّلْ مِنْ يَمِينِكَ إِنَّمَا ... حِنْثُ اليَمِينِ عَلَى الأَثِيمِ الفَاجِرِ[3]

---

(١) انظر ما كتبته على الأثر رقم : ٨٣١٧ ، ج ٧ : ٥٤٧ ، تعليق : ٦/ثم الأثر : ١٢٨٣٤ ، ج : ١١ : ١٢٨، تعليق: ١، فى قوله : « فذهب يتزل » وقوله: « تذهب فتختلط »، وقد سميتها هناك ألفاظ الاستعانة . وقد أجاد أبو جعفر العبارة عن هذا المعنى ، فقيده وحفظه .

(٢) لم أعرف قائله .

(٣) لم أجد البيتين فيما بين يدى من الكتب ، وإن كنت أذكر أنى قرأتهما قبل ، ثم لا أدرى أين ؟ وكان البيت الأول فى المطبوعة :

وَزَعَمْتَ أَنَّكَ سَوفَ تَسْلُكُ فَادِراً ... وَللوتُ مُتَّسِعٌ طَرِيقَ قَادِرِ

وهو كلام صفر من المعنى . وكان فى المخطوطة هكذا

يقول : « فاجعل تحلّل » ، بمعنى : تحلل شيئاً بعد شيء = لا أن هناك جَعْلاً من غير التحليل . فكذلك كل « جَعْلٍ » فى الكلام ، إنما هو دليل على فعلٍ له اتصال ، لا أن له حظًّا فى معنى الفعْل .

* * *

فقوله : « وجعل الظلمات والنور » ، إنما هو : أظلم ليلَهما ، وأنارَ نهارَهُما .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ (١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره ، معجِّباً خلقَه المؤمنين من كفَرة عباده ، ومحتجًّا على الكافرين : إنّ الإله الذى يجبُ عليكم ، أيها الناس ، حمدُه ، هو الذى خلَق السموات والأرض ، الذى جعل منهما معايشَكم وأقواتكم ، وأقواتَ أنعامكم التى بها حياتكم . فمن السموات ينزل عليكم الغيثُ ، وفيها تجرى الشمس والقمر باعتِقابٍ واختلاف لمصالحكم . ومن الأرض ينبُتُ الحب الذى به غذاؤكم ، والثمارُ التى فيها ملاذُّكم ، مع غير ذلك من الأمور التى فيها مصالحكم ومنافعكم بها = والذين يجحدون نعمة الله عليهم بما أنعم به عليهم من خلق ذلك لهم ولكم ، ٩٣/٧

وزعمتَ أنك سوف تسلك مال را الموت ملسع طريق قادرِ

ورجحت قراءته كما أثبته ، وكما أتوهم أنى أذكر من معنى الشعر ، وأظنه من كلام شاعر يقوله لأخيه أو صاحبه ، أراد أن ينفرد فى طريقه وحلف ليفعلن ذلك ، فسخر منه ، وقال له ما قال . وقوله : « فارد » ، أى منفرداً منقطعاً عن رفيقك وصاحبك . وقوله : « والموت مكتنع » ، أى : دان قد أشرف عليك . يقال « كنع الموت واكتنع » دنا وقرب ، قال : الراجز :

* وَاكْتَنَعَتْ أُمُّ اللُّهَيْمِ وَاكْتَنَعْ *

و « أم اللهيم » ، كنية الموت ، لأنه يلتهم كل شيء .

هذا اجتهادى فى تصحيح الشعر ، حتى يوجد فى مكان غيره .

أيها الناس = « بربهم » ، الذى فعل ذلك وأحدثه = « يعدلون » ، يجعلون له شريكاً فى عبادتهم إياه ، فيعبدون معه الآلهة والأنداد والأصنام والأوثانَ ، وليس منها شيء شرِكه فى خلق شيءٍ من ذلك، ولا فى إنعامه عليهم بما أنعم به عليهم، بل هو المنفرد بذلك كله ، وهم يشركون فى عبادتهم إيّاه غيره . فسبحان الله ما أبلغها من حجة، وأوجزها من عظة، لمن فكّر فيها بعقل، وتدبّرها بفهم !

* * *

ولقد قيل : إنها فاتحة التوارة

* ذكر من قال ذلك :

١٣٠٤٢ – حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد العَمّى ، عن أبى عمران الجونى، عن عبد الله بن رباح ، عن كعب قال : فاتحة التوارة فاتحة « الأنعام » : « الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجَعَل الظلمات والنور ثم الذين كَفَروا بربّهم يعدلون » . (١)

١٣٠٤٣ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا زيد بن حباب ، عن جعفر بن سليمان ، عن أبى عمران الجونى ، عن عبد الله بن رباح ، عن كعب ، مثله = وزاد فيه : وخاتمة التوراة خاتمة « هود » .

* * *

يقالُ من مساواة الشيء بالشيء : «عدلتُ هذا بهذا» ، إذا ساويته به ، «عَدْلاً» . وأما فى الحكم إذا أنصفت فيه ، فإنك تقول : « عَدَلت فيه أعدلُ عَدْلاً » . (٢)

* * *

---

(١) الأثر : ١٣٠٤٢ – « عبد العزيز بن عبد الصمد العمى » ، « أبو عبد الصمد » ، ثقة حافظ ، من شيوخ أحمد ، روى له أصحاب الكتب الستة . مترجم فى التهذيب .
و « أبو عمران الجونى » هو « عبد الملك بن حبيب الأزدى » ، ثقة ، مضى برقم : ٨٠ .
و « عبد الله بن رباح الأنصارى » ، ثقة ، مضى برقم : ٤٨١٠ .
و « كعب » ، هو كعب الأحبار المشهور بأخباره الإسرائيلية .

(٢) انظر تفسير « العدل فيما سلف ٢ : ١١/٣٥ : ٤٣ ، ٤٤

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله : « يعدلون » ، قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٠٤٤ – حدثنى بن محمد عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « يعدلون » ، قال : يشركون .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فيمن عُنى بذلك :

فقال بعضهم : عُنى به أهل الكتاب .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٠٤٥ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يعقوب القمى ، عن جعفر بن أبى المغيرة ، عن ابن أبزي قال : جاءه رجل من الخوارج يقرأ عليه هذه الآية : « الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربِّهم يعدِلون » ، قال له : أليس الذين كفروا بربِّهم يعدلون ؟ قال : بلى ! قال : وانصرف عنه الرجل ، فقال له رجل من القوم : يا ابن أبزى ، إن هذا قد أراد تفسيرَ هذه غير هذا! إنه رجلٌ من الخوارج! فقال ردّوه علىّ. فلما جاءه قال : هل تدرى فيمن نزَلت هذه الآية ؟ قال : لا ! قال : إنها نزلت فى أهل الكتاب، اذهبْ ، ولا تضعها على غير حدِّها . (١)

* * *

---

(١) الأثر : ١٣٠٤٥ – « يعقوب القمى » ، هو « يعقوب بن عبد الله الأشعرى القمى » ، ثقة ، مضى برقم : ٦١٧ ، ٧٢٦٩ ، ٨١٥٨ .

و « جعفر بن أبى المغيرة الخزاعى القمى » ، ثقة ، مضى برقم : ٨٧ ، ٦١٧ ، ٤٣٤٧ ، ٧٢٦٩ .

و « ابن أبزى » هو : « سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى الخزاعى » ، ثقة ، مضى برقم : ٩٦٥٦ ، ٩٦٥٧ ، ٩٦٧٢ .

وأراد السائل من الخوارج بسؤاله ، الاستدلال بالآية على تكفير أهل القبلة ، فى أمر تحكيم على بن أبى طالب . وذلك هو رأى الخوارج .

وقال آخرون : بل عُنى بها المشركون من عبدة الأوثان .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٠٤٦ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة: «ثم الذين كفروا بربهم يعدلون»، قال: [هؤلاء: أهل صراحيه].(١)

١٣٠٤٧ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ثم الذين كفروا بربهم يعدلون » ، قال : هم المشركون .

١٣٠٤٨ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ثم الذين كفروا بربهم يعدلون » ، قال : الآلهة التى عبدوها ، عدلوها بالله. قال : وليس لله عِدْلٌ ولا نِدٌّ، وليس معه آلهة، ولا اتخذ صاحبةً ولا ولداً.

* * *

قال أبو جعفر : : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب عندى أن يقال : إنّ الله تعالى ذكره أخبر أنّ الذين كفروا بربهم يعدلون، فعمّ بذلك جميع الكفّار ، ولم يخصص منهم بعضاً دون بعض. فجميعهم داخلون فى ذلك: يهودهم، ونصاراهم، ومجوسهم ، وعبدة الأوثان منهم ومن غيرهم من سائر أصناف الكفر .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « هو الذى خلقكم من طين » ، أن الله الذى خلق السموات والأرض، وأظلم ليلهما وأنار نهارهما، ثم كفر به مع

---

(١) فى المطبوعة : « هؤلاء أهل صراحة » ، وهو كلام لا معنى له ، وفى المخطوطة ما أثبته بين القوسين ، لم أستطع أن أحل رموزه ، فلعله يوجد بعد فى كتاب غير الكتب التى فى أيدينا ، فتبين صحته .

إنعامه عليهم الكافرون ، [1] وعدلوا به من لا ينفعهم ولا يضرُّهم ، هو الذى خلقكم ، أيها الناس، من طين . وإنما يعنى بذلك تعالى ذكره : أنَّ الناس وَلَدُ مَنْ خلقه من طين ، فأخرج ذلك مخرج الخطاب لهم ، إذ كانوا وَلَده .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٠٤٩ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « هو الذى خلقكم من طين » ، بدءُ الخلق ، خلقَ الله آدم من طين . ٩٤/٧

١٣٠٥٠ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « هو الذى خلقكم من طين » ، قال : هو آدم .

١٣٠٥١ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أمّا « خلقكم من طين » ، فآدم .

١٣٠٥٢ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنا أبو تميلة ، عن عبيد بن سليمان ، عن الضحاك بن مزاحم قال : خلق آدم من طين، وخلق الناس من سُلالةٍ من ماءٍ مَهين .

١٣٠٥٣ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « خلقكم من طين »، قال : خلق آدم من طين ، ثم خلقنا من آدم حين أخذَنا من ظهره .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « فكفر به » ، أما المخطوطة ، ففيها الذى أثبته إلا أنه كتب « ممكفر به » ووصل « ثم » بقوله : « كفر » ، وهذا من عجب الكتابة ولطائف النساخ .

القول فى تأويل قوله ﴿ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : معنى قوله : « ثم قضى أجلاً » ، ثم قضى لكم ، أيها الناس ، « أجلاً » . وذلك ما بين أن يُخلق إلى أن يموت = « وأجل مسمى عنده » ، وذلك ما بين أن يموت إلى أن يبعث .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٠٥٤ — حدثنا ابن وكيع وهناد بن السري قالا ، حدثنا وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن أبى بكر الهذلى ، عن الحسن فى قوله : « قضى أجلاً » ، قال : ما بين أن يخلق إلى أن يموت = « وأجل مسمى عنده » ، قال : ما بين أن يموت إلى أن يبعث . (١)

١٣٠٥٥ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ثم قضى أجلاً وأجلٌ مسمى عنده » ، كان يقول : أجل حياتك إلى أن تموت ، وأجل موتك إلى أن تُبْعث . فأنت بين أجلين من الله تعالى ذكره .

١٣٠٥٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو تميلة ، عن عبيد بن سليمان ، عن الضحاك بن مزاحم : « قضى أجلاً وأجل مسمى عنده » ، قال : قضى أجل الموت ، وكل نفسٍ أجلها الموت . قال : ولن يؤخر الله نفساً

---

(١) الأثر : ١٣٠٥٤ — « وكيع » هو « وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسى » .
وأبوه : « الجراح بن مليح الرؤاسى » ، مضيا فى مواضع مختلفة .
و « أبو بكر الهذلى » مختلف فى اسمه قيل هو : « سلمى بن عبد الله بن سلمى » ، وقيل : « روح بن عبد الله » . ومضى برقم : ٥٩٧ ، ٨٣٧٦ ، وهو ضعيف .

إذا جاء أجلها = « وأجل مسمى عنده » ، يعني : أجل الساعة ، ذهاب الدنيا ، والإفضاءُ إلى الله .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ثم قضى الدنيا، وعنده الآخرة .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٠٥٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن آدم ، عن سفيان ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قوله : « أجلاً » ، قال : الدنيا = « وأجل مسمى عنده » ، الآخرة .

١٣٠٥٨ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو عاصم ، عن زكريا بن إسحق، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد : « قضى أجلاً »، قال : الآخرة عنده = « وأجل مسمى »، الدنيا .

١٣٠٥٩ — حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « أجلاً » ، قال : الآخرة عنده = « وأجل مسمىً »، قال : الدنيا .

١٣٠٦٠ — حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « أجلاً » ، قال : الآخرة عنده = « وأجل مسمى » ، قال : الدنيا .

١٣٠٦١ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ،حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة والحسن : « ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده » ، قالا : قضى أجل الدنيا ، من حين خلقك إلى أن تموت = « وأجل مسمى عنده » ، يوم القيامة .

١٣٠٦٢ — حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ،

عن مجاهد وعكرمة : « ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده » ، قال : قَضَى أجل الدنيا = « وأجل مسمى عنده » ، قال : هو أجل البعث .

١٣٠٦٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن مجاهد وعكرمة : « ثم قضى أجلاً » ، قال: الموت = « وأجل مسمى عنده » ، الآخرة .

١٣٠٦٤ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة والحسن فى قوله : « قضى أجلاً وأجل مسمى عنده » ، قالا : قضى أجل الدنيا ، منذ يوم خلقت إلى أن تموت = « وأجل مسمى عنده » ، يوم القيامة .

١٣٠٦٥ – حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد : « قضى أجلاً » ، قال : أجل الدنيا = « وأجل مسمى عنده » ، قال : البعث .

١٣٠٦٦ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « ثم قضى أجلاً وأجلٌ مسمى عنده » ، يعنى أجل الموت = « والأجل المسمى » ، أجلُ الساعة والوقوفِ عند الله .

١٣٠٦٧ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى: « قضى أجلاً »، قال : أمّا « قضى أجلاً » ، فأجل الموت = « وأجل مسمى عنده » ، يوم القيامة .

* * *

وقال آخرون فى ذلك بما : –

١٣٠٦٨ – حدثنى به محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال، حدثنى عمى قال ،حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس فى قوله : « ثم قضى أجلاً وأجل ٩٥/٧

مسمى عنده »، قال: أمّا قوله: « قضى أجلاً »، فهو النومُ، تُقْبض فيه الروح، ثم ترجع إلى صاحبها حين اليقظة = « وأجل مسمى عنده » ، هو أجل موت الإنسان .

* * *

وقال آخرون بما : —

١٣٠٦٩ — حدثني به يونس قال، أخبرنا ابن وهب في قوله : « هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون » ، قال : خلق آدم من طين ، ثم خلقنا من آدم ، أخذنا من ظهره ، ثم أخذ الأجل والميثاق في أجلٍ واحدٍ مسمًّى في هذه الحياة الدنيا .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قولُ من قال: معناه: ثم قضى أجلَ الحياة الدنيا = « وأجلٌ مسمى عنده » ، وهو أجل البَعْث عنده .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ،لأنه تعالى ذكره نبّه خلقَه على موضع حُجّته عليهم من أنفسهم فقال لهم : أيها الناس، إن الذي يعدِلُ به كفارُكم الآلهةَ والأندادَ، هو الذي خلقكم فابتدأكم وأنشأكم من طين ، فجعلكم صوراً أجساماً أحياءً ، بعد إذ كنتم طيناً جماداً ، ثم قضى آجال حياتكم لفنائكم ومماتكم ، ليعيدكم تراباً وطيناً كالذي كنتم قبل أن ينشئكم ويخلقكم = وأجل مسمى عندَه لإعادتكم أحياءً وأجساماً كالذي كنتم قبل مماتكم .(١) وذلك نظير قوله : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ، [سورة البقرة : ٢٨].

* * *

(١) انظر تفسير « الأجل » فيما سلف ٥ : ٦/٧ : ٤٣ ، ٨/٧٦ : ٥٤٨ .
= وتفسير « مسمى » فيما سلف ٦ : ٤٣ .

القول فى تأويل قوله ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ (٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ثم أنتم تَشكُّون فى قدرة من قَدَر على خلق السموات والأرض ، وإظلام الليل وإنارة النهار ، وخلقكم من طين حتى صيَّركم بالهيئة التى أنتم بها = على إنشائه إياكم من بعد مماتكم وفنائكم ،[1] وإيجاده إيّاكم بعد عدمكم .

* * *

و« المرية » فى كلام العرب ، هى الشك . وقد بيّنت ذلك بشواهده فى غير هذا الموضع فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته .[2]

* * *

وقد : —

١٣٠٧٠ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « ثم أنتم تمترون » ، قال : الشك . قال : وقرأ قول الله : ﴿ فِى مِرْيَةٍ مِنْهُ ﴾ [سورة هود : ١٧] ، قال: فى شكٍّ منه .

١٣٠٧١ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ثم أنتم تمترون » ، بمثله .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « وعلى إنشائه » بزيادة الواو ، وهى مفسدة وهى خطأ صرف ، لم يفهم سياق أبى جعفر ، فإن قوله : « على إنشائه إياكم » متعلق بقوله : « ثم أنتم تشكون فى قدرة من قدر . . . » ، أى : تشكون فى قدرة من فعل ذلك ، على إنشائه إياكم .

(٢) انظر تفسير « الامتراء » فيما سلف ٣ : ١٩٠ ، ٦/١٩١ : ٤٧٢ .

القول فى تأويل قوله ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ (٣)

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره : إن الذى له الألوهةُ التى لا تنبغى لغيره، المستحقّ عليكم إخلاصَ الحمد له بآلائه عندكم، أيها الناس، الذى يعدِل به كفاركم مَن سواه، هو الله الذى هو فى السموات وفى الأرض يعلم سِرّكم وجَهْركم، فلا يخفى عليه شىء . يقول : فربكم الذى يستحقُّ عليكم الحمدَ، ويجب عليكم إخلاصُ العبادة له ، هو هذا الذى صفته = لا من لا يقدر لكم على ضرّ ولا نفع ، ولا يعمل شيئاً، ولا يدفع عن نفسه سُوءًا أريد بها .

* * *

وأما قوله : « ويعلم ما تكسبون » ، يقول: ويعلم ما تَعمَلون وتجرَحُون، فيحصى ذلك عليكم ليجازيكم به عند معادكم إليه .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ (٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وما تأتى هؤلاء الكفار الذين بربهم يعدِلون أوثانَهم وآلهتهم = « آية من آيات ربهم » ، يقول : حجّة وعلامة ودلالة من حُجج ربهم ودلالاته وأعلامه على وحدانيته ، وحقيقة نبوتك ، يا محمد ، وصدق ما أتيتهم به من عندى(٢)= « إلا كانوا عنها معرضين » ، يقول : إلا

(١) انظر تفسير « كسب » فيما سلف ١٠ : ٢٩٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الآية » فيما سلف من فهارس اللغة (أيى) .

أعرضوا عنها ، يعنى عن الآية ، فصدّوا عن قَبُولها، والإقرار بما شهدت على حقيقته ودلّت على صحته ، جهلاً منهم بالله ، واغتراراً بحلمه عنهم .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ ٥

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فقد كذب هؤلاء العادلون بالله ، الحقّ لما جاءهم ، وذلك «الحق» ، هو محمد صلى الله عليه وسلم(٢) : كذّبوا به ، وجحدوا نبوّته لما جاءهم . قال الله لهم متوعّداً على تكذيبهم إياه وجحودهم نبوّته : سوف يأتى المكذّبين بك، يا محمد، من قومك وغيرهم = «أنباء ما كانوا به يستهزئون»، يقول : سوف يأتيهم أخبارُ استهزائهم بما كانوا به يستهزئون من آياتى وأدلّتى التى آتيتهم .(٣) ثم وفى لهم بوعيده لمّا تمادَوا فى غيّهم، وعتَوْا على ربهم، فقتلتهم يوم بدرٍ بالسّيف . ٩٦/٧

* * *

---

(١) انظر تفسير «الإعراض» فيما سلف ٩ : ٣١٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك

(٢) انظر تفسير «الحق» فيما سلف ١٠ : ٣٧٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك

(٣) انظر تفسير «النبأ» فيما سلف ١٠ : ٣٩١ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك

= وتفسير «الاستهزاء» فيما سلف ١ : ٣٠١ - ٣٠٣

القول فى تأويل قوله ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ألم يرَ هؤلاء المكذبون بآياتى ، الجاحدون نبوّتك ، كثرةَ من أهلكت من قبلهم من القُرون = وهم الأمم = الذين وطّأت لهم البلادَ والأرض توطئة لم أوطّئها لهم ،[1] وأعطيتهم فيها ما لم أعطهم ؟ كما : —

١٣٠٧٢ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « مكناهم فى الأرض ما لم نمكن لكم » ، يقول : أعطيناهم ما لم نعطكم .

* * *

قال أبو جعفر : أمطرت فأخرجت لهم الأشجارُ ثمارها ، وأعطتهم الأرض رَيْع نَباتها ، وجابوا صخورَ جبالها ، ودرّت عليهم السماء بأمطارها ، وتفجرت من تحتهم عيون المياه بينابيعها بإذنى ، فغمَطُوا نعمة ربهم ، وعصوا رسولَ خالقهم ، وخالفوا أمرَ بارئهم ، وبغَوْا حتى حقّ عليهم قَوْلى ، فأخذتهم بما اجترحوا من ذنوبهم ، وعاقبتهم بما اكتسبت أيديهم ، وأهلكت بعضهم بالرّجفة ، وبعضهم بالصيحة ، وغير ذلك من أنواع العذاب .

* * *

ومعنى قوله : « وأرسلنا السماء عليهم مدراراً » ، المطرَ . ويعنى بقوله : « مدراراً » ، غزيرة دائمةً = « وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين » ، يقول : وأحدثنا من بعد

(١) فى المطبوعة : « وطأة لم أوطئها » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

الذين أهلكناهم قرناً آخرين، فابتدأنا سِواهم .

* * *

فإن قال قائل: فما وجهُ قوله: « مكناهم فى الأرض ما لم نمكن لكم » ؟ ومن المخاطب بذلك؟ فقد ابتدأ الخبر فى أول الآية عن قوم غَيَّبٍ بقوله : « ألم يروا كم أهلكنا من قَبلَهم من قرن » ؟

قيل : إن المخاطب بقوله : « ما لم نمكن لكم » ، هو المخبر عنهم بقوله : «ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن » ، ولكن فى الخبر معنى القول = ومعناه : قُلْ، يا محمد ، لهؤلاء القوم الذين كذبوا بالحقّ لما جاءهم: ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قَرْن مكناهم فى الأرض ما لم نمكن لكم .

والعرب إذا أخبرت خبراً عن غائبٍ ، وأدخلت فيه «قولاً»، فعلت ذلك ، فوجهت الخبرَ أحياناً إلى الخبر عن الغائب ، وأحياناً إلى الخطاب ، فتقول : « قلت لعبدالله: ما أكرمه »، و«قلت لعبد الله: ما أكرمك»، وتخبر عنه أحياناً على وجه الخبر عن الغائب ، ثم تعود إلى الخطاب . وتخبر على وجه الخطاب له ، ثم تعود إلى الخبر عن الغائب . وذلك فى كلامها وأشعارها كثيرٌ فاشٍ . وقد ذكرنا بعض ذلك فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .(١)

* * *

وقد كان بعض نحويى البصرة يقول فى ذلك : كأنه أخبرَ النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم خاطبه معهم . وقال : ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [سورة يونس : ٢٢] ، فجاء بلفظ الغائب ، وهو يخاطب ، لأنه المخاطَب .

* * *

(١) انظر ما سلف ١ : ١٥٣ – ٢/١٥٤ : ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٣٥٧ ، ٣/٣٨٨ : ٦/١٧٠ : ٥٦٤ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٧)

قال أبو جعفر : وهذا إخبار من الله تعالى ذكره نبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم ، عن هؤلاء القوم الذين يعدلون بربهم الأوثانَ والآلهة والأصنام . يقول تعالى ذكره : وكيف يتفقهون الآيات ، أم كيف يستدِلُّون على بُطْلان ما هم عليه مُقيمون من الكفر بالله وجحودِ نبوتك ، بحجج الله وآياته وأدلته ، وهم لعنادهم الحقَّ وبعدِهم من الرشد ، لو أنزلت عليك ، يا محمد ، الوحيَ الذى أنزلته عليك مع رسول ، فى قِرْطاس يعاينونه ويَمسُّونه بأيديهم ،[1] وينظرون إليه ويقرأونه منه ، معلَّقاً بين السماء والأرض ، بحقيقة ما تدعوهم إليه ، وصحَّةِ ما تأتيهم به من توحيدى وتنزيلى ، لقال الذين يعدلُون بى غيرى فيشركون فى توحيدِى سواى : « إنْ هذا إلا سحرٌ مبينٌ » ، أى : ما هذا الذى جئتنا به إلاّ سحر سحرتَ به أعيننا ، ليست له حقيقة ولا صحة[2] = « مبين » ، يقول : مبين لمن تدبّره وتأمّله أنه سحر لا حقيقة له .[3]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٠٧٣ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله تعالى ذكره : « كتاباً فى قرطاس فلمسوه بأيديهم » ، قال : فمسوه ونظروا إليه ، لم يصدِّقوا به .

---

(١) انظر تفسير « لمس » فيما سلف ٨ : ١٠/٣٩٩ : ٨٣ .

(٢) انظر تفسير « السحر » فيما سلف ٢ : ٤٣٦ — ٤٤٢ .

(٣) انظر تفسير « مبين » فيما سلف ١٠ : ٥٧٥ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

١٣٠٧٤ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولو نزلنا عليك كتاباً فى قرطاس فلمسوه بأيديهم » ، يقول : فعاينوه معاينة = « لقال الذين كفروا إن هذا إلاّ سحرٌ مبين » . ٩٧/٧

١٣٠٧٥ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ولو نزلنا عليك كتاباً فى قرطاس فلمسوه بأيديهم » ، يقول : لو نزلنا من السماء صُحُفاً فيها كتاب فلمسوه بأيديهم، لزادهم ذلك تكذيباً .

١٣٠٧٦ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولو نزلنا عليك كتاباً فى قرطاس » ، الصحف .

١٣٠٧٧ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر، عن قتادة فى قوله : « فى قرطاس » ، يقول: فى صحيفة =« فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إنْ هذا إلاّ سحر مبين » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ (٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال هؤلاء المكذبون بآياتى ، العادلون بى الأندادَ والآلهةَ ، يا محمد، لك لو دعوتهم إلى توحيدى والإقرار بربوبيتى ، وإذا أتيتهم من الآيات والعبر بما أتيتهم به ، واحتججت عليهم بما احتججت عليهم مما قطعتَ به عذرَهم : هلاّ نُزِّل عليك ملك من السماء فى صورته ، (١) يصدّقكَ على ما جئتنا به ، ويشهد لك بحقيقة ما تدّعى من أنّ الله أرسلك إلينا !

(١) انظر تفسير « لولا » فيما سلف ٢ : ٥٥٢ ، ٥٥٣/١٠ : ٤٤٨ وما سيأتى ص: ٣٤٣

كما قال تعالى ذكره مخبراً عن المشركين فى قيلهم لنبيّ الله صلى الله عليه وسلم : ﴿وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً﴾ [سورة الفرقان : ٧] ، = « ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر ثم لا ينظرون » ، يقول : ولو أنزلنا ملكاً على ما سألوا ، ثم كفروا ولم يؤمنوا بى وبرسولى ، لجاءهم العذابُ عاجلاً غيرَ آجل ،[1] ولم يُنْظروا فيؤخَّروا بالعقوبة مراجعةَ التوبة ،[2] كما فعلت بمن قبلهم من الأمم التى سألت الآيات ، ثم كفرت بعد مجيئها ، من تعجيل النقمة ، وترك الإنظار ، كما : —

١٣٠٧٨ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر ثم لا ينظرون » ، يقول : لجاءهم العذاب .

١٣٠٧٩ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر ثم لا ينظرون » ، يقول : ولو أنهم أنزلنا إليهم ملكاً ، ثم لم يؤمنوا ، لم يُنْظَروا .

١٣٠٨٠ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله تعالى ذكره : « لولا أنزل عليه ملك » فى صورته = « ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر » ، لقامت الساعة .

١٣٠٨١ — حدثنا ابن وكيع ، عن أبيه قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن سفيان الثورى ، عن عكرمة : « لقضى الأمر » ، قال : لقامت الساعة .

١٣٠٨٢ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر » ، قال يقول : لو أنزل الله ملكاً

---

(١) انظر تفسير « قضى » فيما سلف ٢ : ٤/٥٤٢ : ٩/١٩٥ : ١٦٤ .

(٢) انظر تفسير « انظر » فيما سلف ٣ : ٦/٢٦٤ : ٥٧٧ .

ثم لم يؤمنوا ، لعجل لهم العذاب .

* * *

وقال آخرون فى ذلك بما : —

١٣٠٨٣ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد قال ، أخبرنا بشر بن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قوله : « ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر ثم لا ينظرون » ، قال : لو أتاهم ملك فى صورته لماتوا ، ثم لم يؤخَّرُوا طرفةَ عينٍ .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَـٰهُ رَجُلًا ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولو جعلنا رسولنا إلى هؤلاء العادلين بى ، القائلين : لولا أنزل على محمّدٍ ملك بتصديقه — ملكاً ينزل عليهم من السماء ، يشهد بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم ، ويأمرهم باتباعه = « لجعلناه رجلاً » ، يقول : لجعلناه فى صورة رجل من البشر ، لأنهم لا يقدرون أن يروا الملك فى صورته . يقول : وإذ كان ذلك كذلك ، فسواء أنزلت عليهم بذلك ملكاً أو بشرًا ، إذ كنت إذا أنزلت عليهم ملكاً إنما أنزله بصورة إنسىّ ، وحججى فى كلتا الحالتين عليهم ثابتة : بأنك صادق ، وأنّ ما جئتهم به حق .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال بعض أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك :

١٣٠٨٤ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد قال ، حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « ولو جعلناه

ملكاً لجعلناه رجلاً »، يقول : ما أتاهم إلا فى صورة رجل ، لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة .

١٣٠٨٥ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد : « ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً » ، ٩٨/٧
فى صورة رجل ، فى خلْق رجل .

١٣٠٨٦ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً » ، يقول : لو بعثنا إليهم ملكاً لجعلناه فى صورة آدم .[1]

١٣٠٨٧ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً » ، يقول : فى صورة آدمى .

١٣٠٨٨ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

١٣٠٨٩ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال، ابن زيد فى قوله : « ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً » ، قال: لجعلنا ذلك الملك فى صورة رجل ، لم نرسله فى صورة الملائكة .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ (٩)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وللبسنا عليهم » : ولو أنزلنا ملكاً من السماء مصدِّقاً لك ، يا محمد ، شاهداً لك عند هؤلاء العادلين بى ، الجاحدين آياتِك على حقيقة نبوّتك ، فجعلناه فى صورة رجل من بنى آدم ،

(١) فى المطبوعة : « آدمى » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

إذ كانوا لا يُطيقون رؤية الملك بصورته التي خلقتُه بها = التبس عليهم أمرُه، فلم يدروا أملك هو أمْ إنسيّ ! فلم يوقنوا به أنّه ملك ، ولم يصدّقوا به، وقالوا : « ليس هذا ملكاً » ! وللبسنا عليهم ما يلبسونه على أنفسهم من حقيقة أمرك ، وصحة برهانك وشاهدك على نبوّتك .

* * *

يقال منه : « لَبَسْت عليهم الأمر ألْبِسُه لَبْساً » ، إذا خلطته عليهم = « ولبست الثوبَ ألبَسُه لُبْساً » . و « اللَّبوس » ، اسم الثياب .[1]

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .[2]

١٣٠٨٩ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وللبسنا عليهم ما يلبسون » ، يقول : لشبّهنا عليهم .

١٣٠٩٠ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وللبسنا عليهم ما يلبسون » ، يقول : ما لبّس قوم على أنفسهم إلا لبّس الله عليهم. واللَّبْس إنما هو من الناس .

١٣٠٩١ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وللبسنا عليهم ما يلبسون » ، يقول : شبّهنا عليهم ما يشبّهون على أنفسهم .

* * *

وقد روي عن ابن عباس في ذلك قول آخر ، وهو ما : —

١٣٠٩٢ — حدثني به محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي

---

(١) انظر تفسير « اللبس » فيما سلف ١ : ٥٦٧ ، ٦/٥٦٨ : ٥٠٣ — ٥٠٥ = وتفسير « اللباس » فيما سلف ١ : ٥٦٧ ، ٣/٥٦٨ : ٤٨٩ ، ٤٩٠ .

(٢) انظر أثراً آخر في تفسير هذه الآية فيما سلف رقم : ٨٨٢ (ج ١ : ٥٦٧) ، لم يذكره في الآثار المفسرة ، وهو باب من أبواب اختصاره لتفسيره .

قال حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وللبسنا عليهم ما يلبسون » ، فهم أهل الكتاب ، فارقوا دينهم ، وكذّبوا رسلهم ، وهو تحريفُ الكلام عن مواضعه .

١٣٠٩٣ – حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد ابن سليمان قال ، سمعت الضحاك في قوله : « وللبسنا عليهم ما يلبسون » ، يعني : التحريفَ ، هم أهل الكتاب ، فرقوا كتبهم ودينَهم ، وكذّبوا رسلهم ، فلبّس الله عليهم ما لبّسوا على أنفسهم .

* * *

وقد بينا فيما مضى قبل أن هذه الآيات من أوّل السورة ، بأن تكون في أمر المشركين من عبدة الأوثان ، أشبهُ منها بأمرِ أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، بما أغنى عن إعادته . (١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ (١٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد صلى الله عليه وسلم ، مسلّياً عنه بوعيده المستهزئين به عقوبةَ ما يلقى منهم من أذى الاستهزاء به ، والاستخفاف في ذات الله : هوّنْ عليك ، يا محمد ، ما أنت لاقٍ من هؤلاء المستهزئين بك ، المستخفّين بحقك فيّ وفي طاعتي ، وامضِ لما أمرتك به من الدُّعاء إلى توحيدي والإقرار بي والإذعان لطاعتي ، فإنهم إن تمادوا في غيّهم ، وأصرّوا على المقام على كفرهم ، نسلك بهم سبيلَ أسلافهم من سائر الأمم من غيرهم ، من تعجيل النقمة

(١) انظر ما سلف ص : ٢٥٤ .

حم، وحلول المَثُلاتِ بهم . فقد استهزأت أمم من قبلك برسلٍ أرسلتهم إليهم بمثلِ الذى أرسلتك به إلى قومك، وفعلوا مثل ما فعل قومُك بك= « فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون » ، يعنى بقوله : « فحاق »، فنزل وأحاط بالذين هزئوا من رسلهم = « ما كانوا به يستهزئون » ، يقول : العذابُ الذى كانوا يهزأون به ، وينكرون أن يكون واقعاً بهم على ما أنذرتهم رسلهم .

* * *

يقال منه : « حاق بهم هذا الأمر يَحِيقُ بهم حَيْقاً وحُيُوقاً وحَيَقَاناً » .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٠٩٤ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فحاق بالذين سخروا منهم » ، من الرسل = « ما كانوا به يستهزئون » ، يقول : وقع بهم العذاب الذى استهزأوا به . ٩٩/٧

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (١١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « قل » ، يا محمد = لهؤلاء العادلين بىَ الأوثانَ والأندادَ، المكذِّبين بك ، الجاحدين حقيقة ما جئتهم به من عندى = « سيروا فى الأرض » ، يقول : جولوا فى بلاد المكذِّبين رسلَهم، الجاحدين آياتى مِنْ قبلهم من ضُرَبائهم وأشكالهم من الناس = « ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين » ، يقول : ثم انظروا كيف أعقبَهم تكذيبهم ذلك، الهلاكَ والعطبَ وخزىَ الدنيا وعارَها، وما حلَّ بهم من سَخَط الله عليهم ، من البوار وخراب

الديار وعفوّ الآثار . فاعتبروا به ، إن لم تنهكم حُلُومكم ، ولم تزجركم حُجج الله عليكم ، عمّا أنتم [عليه] مقيمون من التكذيب ، [١] فاحذروا مثل مصارعهم ، واتقوا أن يحلّ بكم مثلُ الذى حلّ بهم .

* * *

وكان قتادة يقول فى ذلك بما : —

١٣٠٩٥ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « قل سيروا فى الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين » ، دمّر الله عليهم وأهلكهم ، ثم صيّرهم إلى النار .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمّد صلى الله عليه وسلم : «قل » ، يا محمد ، لهؤلاء العادلين بربهم = «لمن ما فى السموات والأرض» ، يقول : لمن ملك ما فى السموات والأرض ؟ ثم أخبرهم أن ذلك لله الذى استعبدَ كل شىء ، وقهر كل شىء بملكه وسلطانه = لا للأوثان والأنداد ، ولا لما يعبدونه ويتخذونه إلهاً من الأصنام التى لا تملك لأنفسها نفعاً ولا تدفع عنها ضُرّاً .

وقوله : « كتب على نفسه الرحمة » ، يقول : قضى أنّه بعباده رحيم ، لا يعجل عليهم بالعقوبة ، ويقبل منهم الإنابة والتوبة . [٢]

وهذا من الله تعالى ذكره استعطاف للمعرضين عنه إلى الإقبال إليه بالتوبة .

---

(١) الزيادة بين القوسين لابد منها حتى يستقيم الكلام .

(٢) انظر تفسير « كتب » فيما سلف ١٠ : ٣٥٩ ، تعليق : ١ .

يقول تعالى ذكره: إن هؤلاء العادلين بى، الجاحدين نبوّتك، يا محمد، إن تابوا وأنابوا قبلت توبتهم، وإنى قد قضيت فى خَلْقى أنّ رحمتى وسعت كل شىء، كالذى : —

١٣٠٩٦ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن ذكوان، عن أبى هريرة، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: لما فرغ الله من الخلق، كتب كتاباً : « إنّ رحمتى سَبَقَتْ غضبى ».(١)

١٣٠٩٧ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا عبد الوهاب قال، حدثنا داود، عن أبى عثمان، عن سلمان قال : إنّ الله تعالى ذكره لما خلق السماء والأرض، خلق مئة رحمةٍ، كل رحمة ملء ما بين السماء إلى الأرض. فعنده تسع وتسعون رحمةً، وقسم رحمة بين الخلائق. فبها يتعاطفون، وبها تشرب الوَحْش والطير الماءَ. فإذا كان يوم ذلك،(٢) قصرها الله على المتقين، وزادهم تسعاً وتسعين.(٣)

١٣٠٩٨ — حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا ابن أبى عدى، عن داود، عن أبى عثمان، عن سلمان، نحوه = إلا أن ابن أبى عدى لم يذكر فى حديثه : « وبها تشرب الوحش والطير الماء ».(٣)

---

(١) الأثر : ١٣٠٩٦ — إسناده صحيح. وهو حديث مشهور.
« ذكوان »، هو « أبو صالح ».
رواه البخارى (الفتح ١٣ : ٣٢٥) من طريق أبى حمزة، عن الأعمش، عن أبى صالح، عن أبى هريرة، بغير هذا اللفظ، مطولا.
وانظر تعليق أخى السيد أحمد على المسند رقم : ٧٢٩٧، ٧٤٩١، ٧٥٢٠.

(٢) فى المطبوعة : « فإذا كان يوم القيامة، قصرها »، وأثبت ما فى المخطوطة. وأما سائر المراجع فذكرت ما كان فى المطبوعة. والذى فى المخطوطة جائز، فإن « ذلك » إشارة إلى معهود معروف، وهو يوم القيامة.

(٣) الأثران : ١٣٠٩٧، ١٣٠٩٨ — « داود »، هو « داود بن أبى هند » مضى مراراً.
و « أبو عثمان »، هو « أبو عثمان النهدى » : « عبد الرحمن بن مل بن عمرو بن عدى النهدى »، تابعى ثقة، أدرك الجاهلية. مترجم فى التهذيب.

١٣٠٩٩ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن عاصم بن سليمان ، عن أبي عثمان ، عن سلمان قال : نجد في التوراة عطفتين : أن الله خلق السموات والأرض ، ثم خلق مئة رحمة = أو : جعل مئة رحمة = قبل أن يخلق الخلق . ثم خلق الخلق ، فوضع بينهم رحمة واحدة ، وأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمة . قال : فبها يتراحمون ، وبها يتباذلون ، وبها يتعاطفون، وبها يتزاورون ، [1] وبها تحنُّ الناقة ، وبها تشُوجُ البقرة ، [2] وبها تيعر الشاة ، [3] وبها تتَّابع الطير ، وبها تتَّابع الحيتان في البحر . [4] فإذا كان يوم القيامة ، جمع الله تلك الرحمة إلى ما عنده ، ورحمته أفضل وأوسع .

١٣١٠٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن عاصم بن سليمان ، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان في قوله : « كتب على نفسه الرحمة » ، الآية قال : إنا نجد في التوراة عَطْفتين = ثم ذكر نحوه إلا أنه قال : [5] « وبها تَتَابع الطير ، وبها تَتَابع الحيتان في البحر ».

---

(١) في المخطوطة ، فوق « يتزاورون » ، حرف (ط) ، دلالة على الشك أو الخطأ . ولا أدري ما أراد بذلك ، والذي في المخطوطة والمطبوعة ، مثله في الدر المنثور .

(٢) في المطبوعة : « تنتج البقرة » ، وفي الدر المنثور : « تنتج البقرة » ، وهو خطأ . والذي في المطبوعة ، صواب في المعنى . يقال : « نأج الثور ينتج » ، إذا صاح . وأما الذي في المخطوطة ، فهو صواب أيضاً ، ولذلك أثبته ، يقال : « ثاجت البقرة تثاج وتثوج ، ثوجاً وثواجاً » : صوتت . قال صاحب اللسان : « وقد يهمز ، وهو أعرف . إلا أن ابن دريد قال : ترك الهمز أعلى » .

(٣) « يعرت الشاة تيعر يعاراً » : صاحت .

(٤) أنا في شك في قوله « تتابع الطير » و « تتابع الحيتان » ، ولكن هكذا هو المطبوعة والمخطوطة ، وهو معنى شبيه بالاستقامة . وانظر التعليق التالي .

(٥) في المطبوعة : « إلا أنه ما قال » ، زاد « ما » ، لأنه استشكل عليه الكلام ، فإن الذي قاله في هذا الخبر ، هو الذي قاله في الخبر السالف . والظاهر – والله أعلم – أن الأولى كما ضبطتها هناك « تتابع » (بفتح ثم تاء مفتوحة مشددة) وأن هذه الثانية « تتابع » (بفتح التاء الثانية غير مشددة) على حذف إحدى التاءات الثلاث .

(٦) الأثران : ١٣٠٩٩ ، ١٣١٠٠ – خرجهما السيوطي في الدر المنثور ٣ : ٦ ، وقال : « أخرج عبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، عن سلمان . . . » ، وساق الخبر .

١٣١٠١ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر قال ، قال ابن طاوس ، عن أبيه : إن الله تعالى ذكره لما خلق الخلق ، لم يعطف شيء على شيء ، حتى خلق مئة رحمة ، فوضع بينهم رحمة واحدة ، فعطف بعضُ الخلق على بعضٍ .

١٣١٠٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، بمثله . ١٠٠/٧

١٣١٠٣ – حدثنا ابن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر قال ، وأخبرني الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، حسبته أسنده قال : إذا فرغ الله عز وجلّ من القضاء بين خلقه ، أخرج كتاباً من تحت العرش فيه : « إن رحمتي سبقت غضبي ، وأنا أرحم الراحمين » ، قال : فيخرج من النار مثل أهل الجنة = أو قال : « مِثلاَ أهل الجنة » ، ولا أعلمه إلا قال : « مثلا » وأما « مثل » فلا أشك = مكتوباً ها هنا ، وأشار الحكم إلى نحره : « عتقاء الله » ، فقال رجل لعكرمة : يا أبا عبد الله ، فإن الله يقول : ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴾ [سورة المائدة ٣٧]؟ قال : ويلك ! أولئك أهلها الذين هم أهلها .

١٣١٠٤ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، حسبت أنه أسنده قال : إذا كان يوم القيامة ، أخرج الله كتاباً من تحت العرش = ثم ذكر نحوه ، غير أنه قال : فقال رجل : يا أبا عبد الله ، أرأيت قوله : « يريدون أن يخرجوا من النار » ؟ = وسائر الحديث مثل حديث ابن عبد الأعلى .

١٣١٠٥ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن همام بن منبه قال : سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما

قضى الله الخلق، كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش: « إنّ رحمتي سبقت غضبي ». (١)

١٣١٠٦ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن أبي أيوب، عن عبد الله بن عمرو: أنه كان يقول: إن لله مئة رحمة، فأهبط رحمةً إلى أهل الدنيا، يتراحم بها الجن والإنس، وطائر السماء، وحيتان الماء، ودوابّ الأرض وهوامّها. وما بين الهواء. واختزن عنده تسعاً وتسعين رحمة، حتى إذا كان يوم القيامة، اختلج الرحمةَ التي كان أهبطها إلى أهل الدنيا، (٢) فحواها إلى ما عنده، فجعلها في قلوب أهل الجنة، وعلى أهل الجنة. (٣)

١٣١٠٧ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة قال: قال عبد الله بن عمرو: إن لله مئة رحمة، أهبط منها إلى الأرض رحمة واحدة، يتراحم بها الجنّ والإنس، والطير والبهائم وهوامُّ الأرض.

١٣١٠٨ – حدثنا محمد بن عوف قال، أخبرنا أبو المغيرة عبد القدوس ابن الحجاج قال، حدثنا صفوان بن عمرو قال، حدثني أبو المخارق زهير بن سالم قال، قال عمر لكعب: ما أوّل شيء ابتدأه الله من خلقه؟ فقال كعب: كتب الله كتاباً لم يكتبه بقلم ولا مداد، ولكن كتبه بإصبعه يتلوها الزبرجد واللؤلؤ والياقوت (٤): « أنا الله لا إله إلا أنا، سبقت رحمتي غضبي ». (٥)

* * *

---

(١) الأثر: ١٣١٠٥ – رواه أحمد في مسنده بهذا الإسناد رقم: ٨١١٢، ولفظه: « غلبت غضبي ». وانظر تعليق أخي السيد أحمد عليه هناك. وانظر التعليق على الأثر السالف رقم: ١٣٠٩٦.

(٢) « اختلج الشيء »: جذبه وانتزعه.

(٣) الأثر: ١٣١٠٦ – خرجه السيوطي في الدر المنثور ٣: ٦، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد، وأبي الشيخ.

(٤) هكذا في المطبوعة، وفي الدر المنثور، « يتلوها »، وهي في المخطوطة كذلك، إلا أنها غير منقوطة، وأنا في ريب من أمر هذا الحرف، أخشى أن يكون محرفاً عن شيء آخر لم أتبينه، وإن كان المعنى مستقيما على ضعف فيه.

(٥) الأثر: ١٣١٠٨ – « محمد بن عوف بن سفيان الطائي »، شيخ الطبري مضى،

القول فى تأويل قوله ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾

قال أبو جعفر : وهذه « اللام » التى فى قوله : « ليجمعنكم » ، لام قسم .

* * *

ثم اختلف أهل العربية فى جالبها ، فكان بعض نحويى الكوفة يقول : إن شئت جعلت « الرحمة » غاية كلام ، ثم استأنفت بعدها « ليجمعنكم » . قال : وإن شئت جعلتَه فى موضع نصب = يعنى : كتب ليجمعنكم = كما قال : ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ﴾ [سورة الأنعام : ٥٤] ، يريد : كتب أنه من عمل منكم = قال : والعرب تقول فى الحروف التى يصلح معها جوابُ كلام الأيمان بـ « أن » المفتوحة وبـ « اللام »،[1] فيقولون: « أرسلت إليه أن يقوم » ، « وأرسلت إليه ليقومن ». قال : وكذلك قوله : ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ ، [سورة يوسف : ٣٥]. قال : وهو فى القرآن كثير . ألا ترى أنك لو قلت : « بدا لهم أن يسجنوه » ، لكان صواباً ؟[2]

برقم : ٥٤٤٥ ، ١٢١٩٤ .

و « أبو المغيرة » : « عبد القدوس بن الحجاج الخولانى » ، مضى برقم : ١٠٣٧١ ، ١٢١٩٤ .

و « صفوان بن عمرو بن هرم السكسكى » ، مضى برقم : ٧٠٠٩ ، ١٢٨٠٧ .

و « أبو المخارق » : « زهير بن سالم العنسى » . ذكره ابن حبان فى الثقات ، « روى له أبو داود وابن ماجة حديثاً واحداً . وقال الدار قطنى : « حمصى ، منكر الحديث »، مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/١/٣٩٠ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٥٨٧ ، وميزان الاعتدال ١ : ٣٥٣ .

وهذا الخبر ، خرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٦ ، ولم ينسبه لغير ابن جرير . وهو خبر كما ترى ، عن كعب الأحبار ، مشوب بما كان من دأبه فى ذكر الإسرائيليات .

(١) هكذا فى المطبوعة والمخطوطة ، وهو فى معانى القرآن « جواب الأيمان » ، وهو الأجود .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٢٨ . وهذا نص كلامه .

وكان بعض نحويي البصرة يقول : نصبت « لام » « ليجمعنكم » ، لأن معنى : « كتب »[: فرضَ، وأوجب، وهو بمعنى القسم] ،(١) كأنه قال : والله ليجمعنكم .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى ، أن يكون قوله : « كتب على نفسه الرحمة » ، غايةً ، وأن يكون قوله : « ليجمعنكم »، خبراً مبتدأ = ويكون معنى الكلام حينئذ : ليجمعنكم الله، أيها العادلون بالله ، ليوم القيامة الذى لا ريب فيه ، لينتقم منكم بكفركم به .

وإنما قلت : هذا القول أولى بالصواب من إعمال « كتب» فى« ليجمعنكم » ، لأن قوله : « كتب» قد عمل فى« الرحمة » ، فغير جائز ، وقد عمل فى « الرحمة »، أن يعمل فى« ليجمعنكم »، لأنه لا يتعدَّى إلى اثنين . ١٠١/٧

* * *

فإن قال قائل : فما أنت قائل فى قراءة من قرأ : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ ﴾ ، [سورة الأنعام : ٥٤] بفتح « أنّ» ؟

قيل : إن ذلك إذا قرىء كذلك ، فإن « أنّ » بيانٌ عن« الرحمة » ، وترجمة عنها. لأن معنى الكلام : كتب على نفسه الرحمة أن يرحم [من تاب]من عباده بعد اقتراف السوء بجهالة ويعفو،(٢) و« الرحمة »، يترجم عنها ويبيِّن معناها بصفتها . وليس من صفة الرحمة« ليجمعنكم إلى يوم القيامة » ، فيكون مبيناً به عنها. فإذ كان ذلك كذلك ، فلم يبق إلاّ أن تنصب بنية تكرير « كتب » مرة أخرى معه ، ولا ضرورة بالكلام إلى ذلك ، فيوجَّه إلى ما ليس بموجود فى ظاهره .

* * *

(١) الزيادة التى بين القوسين ، استظهرتها من سياق التفسير ، ليستقيم الكلام . وهى ساقطة من المخطوطة والمطبوعة .

(٢) هذه الزيادة بين القوسين لابد منها حتى يستقيم الكلام ، استظهرتها من معنى الآية . وانظر ما سيأتى فى تفسيرها ص : ٣٩٢ ، ٣٩٣

وأما تأويل قوله : « لا ريب فيه » ، فإنه : لا شك فيه .[١] يقول : فى أنّ الله يجمعكم إلى يوم القيامة ، فيحشركم إليه جميعاً ، ثم يؤتى كلّ عامل منكم أجرَ ما عمل من حسن أو سيء .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٢)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « الذين خسروا أنفسهم » ، العادلين به الأوثانَ والأصنامَ . يقول تعالى ذكره: ليجمعن الله = « الذين خسروا أنفسهم » ، يقول : الذين أهلكوا أنفسهم وغبنوها بادعائهم لله الندّ والعَدِيل ، فأوبقوها باستيجابهم سَخَط الله وأليم عقابه فى المعاد .[٢]

* * *

وأصل « الخسار » ، الغَبْنُ . يقال منه « : خسر الرجل فى البيع » ، إذا غبن ، كما قال الأعشى :

لَا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ فِى حُكْمِهِ وَلَا يُبَالِى خَسَرَ الخَاسِرِ[٣]

---

(١) انظر تفسير « الريب » فيما سلف ٨ : ٥٩٢ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « بإيجابهم سخط الله » ، وهو لا يستقيم ، صوابه ما أثبت .

(٣) ديوانه : ١٠٥ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٨٧ . وهكذا جاء فى المخطوطة والمطبوعة « خسر الخاسر » ، ورواية ديوانه وغيره : « غَبْنَ الْخَاسِرِ » بتحريك الباء بالفتح . والذى نص عليه أصحاب اللغة أن « الغبن » بفتح وسكون ، فى البيع ، وأن « الغبن » (بفتحتين) فى الرأى ، وهو ضعفه . فكأن ما جاء فى رواية ديوان الأعشى ، ضرورة ، حركت الباء وهى ساكنة إلى الفتح . وأما رواية أبى جعفر ، فهى على الصواب يقال : « خسر خسراً (بفتح فسكون) ، وخسراً (بفتحتين) . »

وهذا البيت من قصيدته فى هجاء علقمة بن علاثة ومدح عامر بن الطفيل ، ذكرت خبرها فى أبيات سلفت منها ١ : ٢/٤٧٤ : ٥/١٣١ : ٤٧٧ ، ٤٧٨ . وقبل البيت :

وقد بينا ذلك فى غير هذا الموضع ، بما أغنى عن إعادته .[1]

* * *

وموضع « الذين » فى قوله : « الذين خسروا أنفسهم » ، نصبٌ ، على الرد على « الكاف والميم » فى قوله : « ليجمعنكم » ، على وجه البيان عنها . وذلك أنّ الذين خسروا أنفسهم ، هم الذين خوطبوا بقوله : « ليجمعنكم » .

* * *

وقوله : : « فهم لا يؤمنون » ، يقول : « فهم »، لإهلاكهم أنفسهم وغَبْنهم إياها حظَّها = « لا يؤمنون » ، أى لا يوحِّدون الله ، ولا يصدِّقون بوعده ووعيده ، ولا يقرُّون بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (١٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : لا يؤمن هؤلاء العادلون بالله الأوثانَ ، فيخلصوا له التوحيد ، ويُفْرِدوا له الطاعة، ويقرّوا بالألوهية ، جهلاً = « وله ما سكن فى الليل والنهار » ، يقول : وله ملك كل شىء، لأنه لا شىء من خلق الله إلا وهو ساكنٌ فى الليل والنهار . فمعلوم بذلك أن معناه ما وصفنا = « وهو السميع » ، يقول : وهو السميع ما يقول هؤلاء المشركون فيه ، من ادّعائهم له شريكاً ، وما يقول غيرهم من خلقه[2] = « العليم » ، بما يضمرونه فى أنفسهم ، وما يظهرونه بجوارحهم، لا يخفى عليه شىء من ذلك، فهو يحصيه عليهم، ليوفّى كل

حَكَّمْتُمُونِى ، فَقَضَى بَيْنَكُمْ أَبْلَجُ مِثْلُ القَمَرِ البَاهِرِ

(١) انظر تفسير « الخسار » فيما سلف ١٠ : ٤٠٩ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) فى المطبوعة : « من خلاف ذلك » ، غير ما فى المخطوطة بسوء رأيه .

إنسان ثوابَ ما اكتسبَ ، وجزاء ما عمل .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله : « سكن » ، قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣١٠٩ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وله ما سكن فى الليل والنهار » ، يقول : ما استقرّ فى الليل والنهار .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « قل » ، يا محمد ، لهؤلاء المشركين العادلين بربهم الأوثانَ والأصنامَ ، والمنكرين عليك إخلاص التوحيد لربك ، الداعين إلى عبادة الآلهة والأوثان: أشيئاً غيرَ الله تعالى ذكره : « أتخذوا وليًّا »، أستنصره وأستعينه على النوائب والحوادث ،[1] كما : –

١٣١١٠ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « قل أغير الله أتخذ وليًّا » ، قال : أما « الولى » ، فالذى يتولّونه ويقرّون له بالربوبية .

* * *

= « فاطر السموات والأرض»، يقول : أشيئاً غير الله فاطر السموات أتخذ وليًّا ؟ فـ « فاطر السموات والأرض»، من نعت « الله » وصفته، ولذلك خُفضِ .[2]

* * *

(١) انظر تفسير « الولى » فيما سلف ١٠ : ٤٢٤ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٢٨ ، ٣٢٩ .

ويعنى بقوله : « فاطر السموات والأرض » ، مبتدعهما ومبتدئهما وخالقهما ، كالذى : —

١٣١١١ — حدثنا به ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن سعيد القطان ، عن سفيان ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد قال : سمعت ابن عباس يقول : كنت لا أدرى ما « فاطر السموات والأرض » ، حتى أتانى أعرابيّان يختصمان فى بئر ، فقال أحدهما لصاحبه : « أنا فَطَرْتها » ، يقول : أنا ابتدأتها .

١٣١١٢ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فاطر السموات والأرض » ، قال: خالق السموات والأرض . ١٠٢/٧

١٣١١٣ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « فاطر السموات والأرض » ، قال : خالق السموات والأرض .

* * *

يقال من ذلك: «فطرها الله يَفطُرُها ويَفطِرها فَطراً وفطوراً»[1] = ومنه قوله : ﴿ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴾ [سورة الملك : ٣] ، يعنى : شقوقاً وصدوعاً . يقال : «سيف فُطارٌ» ، إذا كثر فيه التشقق ، وهو عيب فيه ، ومنه قول عنترة :

وَسَيْفِى كَالْعَقِيقَةِ فَهْوَ كِمْعِى ، سِلَاحِى ، لَا أَفَلّ وَلَا فُطَارَا[2]

---

(١) هذه العبارة عن معنى « فطر » ، فاسدة جداً ، ولاشك عندى فى أن الكلام قد سقط منه شيء ، فتركته على حاله ، مخافة أن يكون فى نص أبى جعفر شيء لم تقيده كتب اللغة . ومن شاء أن يستوفى ذلك ، فليراجع كتب اللغة .

(٢) ديوانه ، فى أشعار الستة الجاهليين : ٣٨٤ ، وأمالى ابن الشجرى ١ : ١٩ ، واللسان (فطر) (عقق) (كمع) (فلل) ، من أبياته التى قالها وتهدد بها عمارة بن زياد العبسى ، وكان يحسد عنترة على شجاعته ، ويظهر تحقيره ، ويقول لقومه بنى عبس : « إنكم قد أكثرتم من ذكره ، ولوددت أنى لقيته خالياً حتى أريحكم منه ، وحتى أعلمكم أنه عبد » ! فقال عنترة :

أَحَوْلِى تَنْفُضُ أُسْتُكَ مِذْرَوَيْهَا لِتَقْتُلَنِى ؟ فَهَا أَنَا ذَا ، عُمَارَا !

ومنه يقال : « فَطَر ناب الجمل » ، إذا تشقق اللحم فخرج ، ومنه قوله : ﴿ تَكَادُ السَّمٰوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ ﴾ [سورة الشورى : ٥] ، أى : يتشققن ، ويتصدعن .

* * *

وأما قوله : « وهو يطعم ولا يطعم » ، فإنه يعنى : وهو يرزق خلقه ولا يرزق ، كما : —

١٣١١٤ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وهو يطعم ولا يطعم » ، قال : يَرْزق ولا يُرزق .

* * *

وقد ذكر بعضهم أنه كان يقرأ ذلك :[1] ﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يَطْعَمُ ﴾ ، أى : أنه يُطعم خلقه ، ولا يأكل هو = ولا معنى لذلك ، لقلة القرأة به .

* * *

مَتَى ما تَلْقَنِي خِلْوَيْنِ ، تَرْجُفْ رَوَانِفُ أَلْيَتَيْكَ وتُسْتَطَارَا
وَسَيْفِي صَارِمٌ قَبَضَتْ عَلَيْهِ أُشَاجِعُ لا تَرَى فِيهَا انْتِشَارَا
وَسَيْفِي كالعَقِيقَةِ . . . . . .

و « العقيقة » : شقة البرق ، وهو ما انعق منه ، أى : تشقق . و « الكمع » و « الكميع » الضجيع . و « الأفل » : الذى قد أصابه الفل ، وهو الثلم فى حده .

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « أنه كان يقول ذلك » ، وهو خلط شديد ، صواب قراءته ما أثبت . وهذه القراء التالية ، ذكرها ابن خالويه فى شواذ القرآآت : ٣٦ ، ونسبها إلى الأعمش ، وذكرها أبو حيان فى تفسيره ٤ : ٨٥ ، ٨٦ ، ونسبها أيضاً إلى مجاهد وابن جبير ، وأبى حيوة ، وعمرو بن عبيد ، وأبى عمرو ، فى رواية عنه .

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « قل »، يا محمد ، للذين يدعونك إلى اتخاذ الآلهة أولياء من دون الله ، ويحثّونك على عبادتها : أغير الله فاطر السموات والأرض ، وهو يرزقنى وغيرى ولا يرزقه أحد ، أتخذ وليًّا هو له عبد مملوك وخلق مخلوق؟ وقل لهم أيضاً : إنى أمرنى ربى : « أن أكون أول من أسلم » يقول : أوّل من خضع له بالعبودية ، وتذلّل لأمره ونهيه ، وانقاد له من أهل دهرِى وزمانى= « ولا تكونن من المشركين » ، يقول : وقل : وقيل لى : لا تكونن من المشركين بالله ، الذين يجعلون الآلهة والأنداد شركاء .

= وجعل قوله : « أمرت» بدلاً من : « قيل لى» ، لأن قوله « أمرت » معناه : « قيل لى » . فكأنه قيل : قل إنى قيل لى : كن أول من أسلم ، ولا تكونن من المشركين = فاجتزئ بذكر « الأمر » من ذكر « القول »، إذ كان « الأمر »، معلوماً أنه « قول » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (١٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء المشركين العادلين بالله ، الذين يدعونك إلى عبادة أوثانهم : إنّ ربى نهانى عن عبادة شىء سواه = «وإنى أخاف إن عصيت ربى » ، فعبدتها = «عذاب يوم عظيم » ، يعنى : عذاب يوم القيامة . ووصفه تعالى بـ « العظم » لعظم هَوْله ، وفظاعة شأنه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴾ (١٦)

قال أبو جعفر : اختلف القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة الحجاز والمدينة والبصرة : ﴿ مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ ﴾، بضم « الياء » وفتح « الراء » ، بمعنى : من يُصرف عنه العذاب يومئذ .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفة : ﴿ مَنْ يَصْرِفْ عَنْهُ ﴾ ، بفتح « الياء » وكسر « الراء » ، بمعنى : من يصرف الله عنه العذاب يومئذ .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب عندى ، قراءة من قرأه : ﴿ يَصْرِفْ عَنْهُ ﴾ ، بفتح « الياء » وكسر « الراء » ، لدلالة قوله : « فقد رحمه » على صحة ذلك ، وأنّ القراءة فيه بتسمية فاعله . ولو كانت القراءة فى قوله : « من يصرف » ، على وجه ما لم يسمّ فاعله ، كان الوجه فى قوله : « فقد رحمه » أن يقال : « فقد رُحِم » غير مسمى فاعله. وفى تسمية الفاعل فى قوله : « فقد رحمه »، دليل بيّن على أن ذلك كذلك فى قوله : « من يَصرف عنه » .

* * *

وإذ كان ذلك هو الوجه الأولىَ بالقراءة ، فتأويل الكلام : منْ يصرف عنه من خلقه يومئذ عذابه فقد رحمه = « وذلك هو الفوز المبين » ، ويعنى بقوله : « وذلك » ، وصرفُ الله عنه العذاب يوم القيامة ، ورحمته إياه = « الفوز » ، أى : النجاة من الهلكة ، والظفر بالطلبة[1] = « المبين » ، يعنى الذى بيّن لمن رآه أنه الظفر بالحاجة وإدراك الطّلِبة .[2]

* * *

(١) انظر تفسير « الفوز » فيما سلف ص : ٢٤٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « مبين » فيما سلف ص : ٢٦٥ ، تعليق ٣ ، والمراجع هناك .

وبنحو الذي قلنا في قوله : « من يصرف عنه يومئذ » قال أهل التأويل :

* ذكر من قال ذلك :

١٣١١٥ - حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه »، قال: من يصرف عنه العذاب .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١٧) ١٠٣/٧

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، إن يصبك الله[1] = « بضر » ، يقول : بشدة في دنياك ، وشظف في عيشك وضيق فيه[2] = فلن يكشف ذلك عنك إلا الله الذي أمرك أن تكون أول من أسلم لأمره ونهيه ، وأذعن له من أهل زمانك ، دون ما يدعوك العادلون به إلى عبادته من الأوثان والأصنام ، ودون كل شيء سواها من خلقه = « وإن يمسسك بخير »، يقول : وإن يصبك بخير ، أي: برخاء في عيش ، وسعة في الرزق ، وكثرة في المال ، فتقر أنه أصابك بذلك = « فهو على كل شيء قدير » ، يقول تعالى ذكره : والله الذي أصابك بذلك ، فهو على كل شيء قدير[3]، هو القادر على نفعك وضرك ، وهو على كل شي يريده قادر ، لا يعجزه شيء يريده ، ولا يمتنع منه شيء طلبه ، ليس كالآلهة الذليلة المهينة التي لا تقدر على اجتلاب نفع على أنفسها ولا غيرها ، ولا دفع ضر عنها ولا غيرها . يقول تعالى ذكره : فكيف

---

(١) انظر تفسير « المس » فيما سلف ١٠ : ٤٨٢ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الضر » فيما سلف ٧ : ١٠/١٥٧ : ٣٣٤ .
(٣) انظر تفسير « قدير » فيما سلف من فهارس اللغة (قدر) .

تعبد من كان هكذا ، أم كيف لا تخلص العبادة ، وتقرُّ لمن كان بيده الضر والنفع ، والثواب والعقاب ، وله القدرة الكاملة ، والعزة الظاهرة ؟

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (١٨)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وهو » ، نفسَه، يقول : والله الظاهر فوق عباده[1] = ويعنى بقوله : « القاهر » ، المذلِّل المستعبد خلقه ، العالى عليهم . وإنما قال : « فوق عباده » ، لأنه وصف نفسه تعالى ذكره بقهره إياهم . ومن صفة كلّ قاهر شيئاً ، أن يكون مستعلياً عليه .

فمعنى الكلام إذاً : والله الغالب عبادَه المذلِّلهم ، ، العالى عليهم بتذليله لهم، وخلقه إياهم ، فهو فوقهم بقهره إياهم ، وهم دونه = « وهو الحكيم » ، يقول : والله الحكيم فى علوِّه على عباده ، وقهره إياهم بقدرته ، وفى سائر تدبيره[2] = « الخبير » ، بمصالح الأشياء ومضارِّها ، الذى لا يخفى عليه عواقب الأمور وبواديها ، ولا يقع فى تدبيره خلل ، ولا يدخل حكمه دَخَل .[3]

* * *

(١) فى المطبوعة : « والله القاهر » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو الصواب فى التفسير .

(٢) انظر تفسير « الحكيم » فيما سلف من فهارس اللغة (حكم) .

(٣) انظر تفسير « الخبير » فيما سلف من فهارس اللغة (خبر) .

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد، لهؤلاء المشركين الذين يكذّبون ويجحدون نبوّتك من قومك : أيُّ شيء أعظم شهادة وأكبر ؟ ثم أخبرهم بأن أكبر الأشياء شهادة: « الله » ، الذى لا يجوز أن يقع فى شهادته ما يجوز أن يقع فى [شهادة] غيره من خلقه من السهو والخطأ ، والغلط والكذب . (١) ثم قل لهم : إن الذى هو أكبر الأشياء شهادة ، شهيدٌ بينى وبينكم ، بالحقّ منا من المبطل، والرشيد منا فى فعله وقوله من السفيه ، وقد رضينا به حكماً بيننـــا .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة أهل التأويل :

* ذكر من قال ذلك :

١٣١١٦ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله تعالى ذكره : « أىّ شيء أكبر شهادة »،قال : أمر محمد أن يسأل قريشاً ، ثم أمر أن يخبرهم فيقول: « الله شهيد بينى وبينكم » .

١٣١١٧ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

* * *

(١) الزيادة بين القوسين لابد منها للسياق .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء المشركين الذين يكذبونك : « الله شهيد بينى وبينكم » = « وأوحى إلىّ هذا القرآن لأنذركم به » عقابَه ، وأُنذر به من بلَغه من سائر الناس غيركم = إن لم ينته إلى العمل بما فيه ، وتحليل حلاله وتحريم حرامه ، والإيمان بجميعه = نزولَ نقمة الله به . (١)

* * *

وبنحو الذ قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣١١٨ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « أىّ شىء أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم وأوحى إلىّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ » ، ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : يا أيها الناس، بلِّغوا ولو آية من كتاب الله ، فإنه من بلَغه آيةٌ من كتاب الله ، فقد بلغه أمر الله ، أخذه أو تركه . (٢)

١٣١١٩ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « لأنذركم به ومن بلغ » ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : بلِّغوا عن الله ، فمن بلغه آية من كتاب الله ، فقد بلغه أمر الله .

١٠٤/٧ ١٣١٢٠ — حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال، حدثنا

---

(١) قوله : « نزول » منصوب ، مفعول به لقوله قبله : « وأنذر به من بلغه » . = وانظر تفسير « الوحى » فيما سلف ص : ٢١٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) فى المخطوطة : « أخذه أو تاركه » ، وجائز أن تقرأ : « آخذه أو تاركه » .

أبي = ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظي : « لأنذركم به ومن بلغ » ، قال : من بلغه القرآن ، فكأنما رأى النبي صلى الله عليه وسلم . ثم قرأ: « ومن بلغ أئنكم لتشهدون » .

١٣١٢١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن حسن بن صالح قال : سألت ليثاً : هل بقي أحدٌ لم تبلغه الدعوة ؟ قال : كان مجاهد يقول : حيثما يأتي القرآنُ فهو داعٍ ، وهو نذير . ثم قرأ : « لأنذركم به ومن بلغ أئنكم لتشهدون » .

١٣١٢٢ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ومن بلغ » ، من أسلم من العجم وغيرهم .

١٣١٢٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٣١٢٤ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا خالد بن يزيد قال ، حدثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب في قوله : « لأنذركم به ومن بلغ » ، قال : من بلغه القرآن ، فقد أبلغه محمد صلى الله عليه وسلم .

١٣١٢٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله : « وأوحي إليّ هذا القرآن لأنذركم به » ، يعني أهل مكة = « ومن بلغ » ، يعني : ومن بلغه هذا القرآن ، فهو له نذير .

١٣١٢٦ – حدثنا يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال: سمعت سفيان الثوري يحدّث ، لا أعلمه إلاّ عن مجاهد : أنه قال في قوله : « وأوحي إليّ هذا القرآن لأنذركم به » ، العرب = « ومن بلغ » ، العجم .

١٣١٢٧ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ،

حدثنا أسباط ، عن السدى : « لأنذركم به ومن بلغ » ، أما « من بلغ » ، فمن بلغه القرآن فهو له نذير.

١٣١٢٨ - حدثني يونس بن عبد الأعلى قال: أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد فى قوله : « وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ » ، قال يقول: من بلغه هذا القرآن فأنا نذيره. وقرأ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾، [سورة الأعراف : ١٥٨]. قال : فمن بلغه القرآن ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم نذيره .

* * *

قال أبو جعفر : فمعنى هذا الكلام: لأنذركم بالقرآن، أيها المشركون، وأنذر من بلغه القرآن من الناس كلهم .

* * *

فـ« من » فى موضع نصب بوقوع « أنذر » عليه ، « وبلغ » فى صلته ، وأسقطت « الهاء » العائدة على « من » فى قوله : «بلغ ، » لاستعمال العرب ذلك فى صلات « مَن » و « ما » و« الذى » . (١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ (١٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء المشركين ، الجاحدين نبوّتك، العادلين بالله ، ربًّا غيره: « أئنكم »، أيها المشركون = « لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى » ، يقول : تشهدون أنّ معه معبودات غيره من الأوثانَ والأصنام .

* * *

وقال : « أُخْرَى »، ولم يقل « أخَر »، و« الآلهة » جمع ، لأن الجموع يلحقها،

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٢٩ .

التأنيث ،(١) كما قال تعالى : ﴿ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴾ [سورة طه : ٥١] ، ولم يقل : « الأُوَل » ولا « الأوَّلين » .(٢)

* * *

ثم قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « قل » ، يا محمد = « لا أشهد » ، بما تشهدون : أن مع الله آلهة أخرى ، بل أجحد ذلك وأنكره = « قل إنما هو إله واحد » ، يقول : إنما هو معبود واحد ، لا شريك له فيما يستوجب على خلقه من العبادة = « وإنني بريء مما تشركون » ، يقول : قل : وإنني بريء من كلّ شريك تدعونه لله ، وتضيفونه إلى شركته ، وتعبدونه معه ، لا أعبد سوى الله شيئاً ، ولا أدعو غيره إلهاً .

* * *

وقد ذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من اليهود بأعيانهم ، من وجه لم تثبت صحته ، وذلك ما : —

١٣١٢٩ — حدثنا به هناد بن السري وأبو كريب قالا ، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثني محمد بن إسحق قال ، حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد ابن ثابت قال ، حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : جاء النحّام بن زيد ، وقردم بن كعب ، وبحريّ بن عمير فقالوا : يا محمد ، ما تعلم مع الله إلهاً غيره ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا إله إلاّ الله ، بذلك بعثت ، وإلى ذلك أدعو ! فأنزل الله تعالى فيهم وفي قولهم : « قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم » إلى قوله : « لا يؤمنون » .(٣)

* * *

(١) انظر تفسير « أخرى » و « أخر » فيما سلف ٣ : ٦/٤٥٩ : ١٧٣ .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٣٢٩ .

(٣) الأثر : ١٣١٢٩ — سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٧ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٢٢٨٤ .

هذا ، وقد مر هذا الإسناد مئات من المرات ، وهو إسناد أبي جعفر إلى ابن إسحق ، ثم من ابن إسحق إلى ابن عباس ، وهذه أول مرة يذكر أبو جعفر أن هذا الإسناد لم تثبت صحته عنده ، كما قدم قبل ذكره .

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : الذين « آتيناهم الكتاب » ، التوراة والإنجيل = يعرفون أنما هو إله واحد = ، لا جماعة الآلهة ، وأن محمداً نبيٌّ مبعوث = « كما يعرفون أبناءهم » . ١٠٥/٧

وقوله : « الذين خسروا أنفسهم » من نعت « الذين » الأولى .

* * *

ويعنى بقوله : « خسروا أنفسهم » ، أهلكوها وألقوها فى نار جهنم ، بانكارهم محمداً أنه لله رسول مرسل ، وهم بحقيقة ذلك عارفون[1] = « فهم لا يؤمنون » ، يقول : فهم بخسارتهم بذلك أنفسهم لا يؤمنون .

* * *

وقد قيل : إنّ معنى « خسارتهم أنفسهم » ، أن كل عبد له منزل فى الجنة ومنزل فى النار . فإذا كان يوم القيامة ، جعل الله لأهل الجنة منازلَ أهل النار فى الجنة ، وجعل لأهل النار منازلَ أهل الجنة فى النار ، فذلك خسران الخاسرين منهم ، لبيعهم منازلهم من الجنة بمنازل أهل الجنة من النار ، بما فرط منهم فى الدنيا من معصيتهم الله ، وظلمهم أنفسهم ، وذلك معنى قول الله تعالى ذكره : ﴿ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ، [سورة المؤمنون : ١١] .[2]

* * *

---

(١) انظر تفسير « خسر » فيما سلف قريباً ص : ٢٨١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٢٩ ، ٣٣٠ .

وبنحو ما قلنا فى معنى قوله : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » قال أهل التأويل .(١)

* ذكر من قال ذلك :

١٣١٣٠ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » ، يعرفون أنّ الإسلام دين الله ، وأن محمداً رسول الله ، يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل .

١٣١٣١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر ، عن قتادة فى قوله : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » ، النصارى واليهود ، يعرفون رسول الله فى كتابهم ، كما يعرفون أبناءهم .

١٣١٣٢ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفوهم أبناءهم »، [يعنى : يعرفون النبى صلى الله عليه وسلم :(٢) =« كما يعرفون أبناءهم »، لأن نَعْتَه معهم فى التوراة] .

١٣١٣٣ – حدثنا القاسم قال : حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » ، يعنى النبى صلى الله عليه وسلم . قال : زعم أهل المدينة عن أهل الكتاب ممن أسلم ، أنهم قالوا : والله لنحن أعرف به من أبنائنا ، من أجل الصفة والنعت الذى نجده

---

(١) انظر تأويل نظيرة هذه الآية فيما سلف ٣ : ١٨٧ ، ١٨٨ ، [سورة : البقرة ١٤٦] .

(٢) الأثر : ١٣١٣٢ – هذا الأثر مبتور فى المطبوعة والمخطوطة ، والزيادة بين القوسين من الدر المنثور ٣ : ٨ ، من تفسير السدى ، من رواية أبى الشيخ ، والظاهر أن هذا النقص قديم فى نسخ تفسير أبى جعفر ، وأن نسخة السيوطى ، كانت مبتورة هنا أيضاً ، ولذلك لم ينسب هذا الأثر إلا إلى أبى الشيخ وحده ، دون ابن جرير .

فى الكتاب ، وأما أبناؤنا فلا ندرى ما أحدثَ النساء ! [١]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ (٢١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ومن أشدُّ اعتداءً ، وأخطأ فعلاً ، وأخطل قولاً = «ممن افترى على الله كذباً » ، يعنى : ممن اختلق على الله قيلَ باطل ، [٢] واخترق من نفسه عليه كذباً ، [٣] فزعم أن له شريكاً من خلقه ، وإلهاً يعبد من دونه — كما قاله المشركون من عبدة الأوثان — أو ادعى له ولداً أو صاحبةً ، كما قالته النصارى = « أو كذب بآياته » ، يقول : أو كذب بحججه وأعلامه وأدلته التى أعطاها رسله على حقيقة نبوتهم ، كذّبت بها اليهود [٤] = « إنه لا يفلح الظالمون » ، يقول : إنه لا يفلح القائلون على الله الباطل ، ولا يدركون البقاءَ فى الجنان ، والمفترون عليه الكذب ، والجاحدون بنبوة أنبيائه . [٥]

* * *

---

(١) يعنى : لا يدرون أسلم لهم أبناؤهم من أصلابهم ، أم خالطهم سفاح من سفاحهن ! وانظر رواية ذلك فى خبر عمر بن الخطاب ، وسؤاله عبد الله بن سلام ، والله أعلم بصحيح ذلك = فى معانى القرآن للفراء ١ : ٣٢٩ .

(٢) انظر تفسير « الافتراء » فيما سلف ص : ١٣٦ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) « اخترق » و « اختلق » و « افترى » : ابتدع الكذب ، وفى التنزيل : « وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون » (الأنعام : ١٠٠) .

(٤) انظر تفسير « الآية » فيما سلف من فهارس اللغة (أيى) .

(٥) انظر تفسير « الفلاح » فيما سلف ص : ٩٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (٢٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن هؤلاء المفترين على الله كذباً ، والمكذبين بآياته ، لا يفلحون اليومَ فى الدنيا ، ولا يوم نحشرهم جميعاً — يعنى : ولا فى الآخرة .

فى الكلام محذوف قد استغنى بذكر ما ظهر عما حذف .

* * *

وتأويل الكلام : إنه لا يفلح الظالمون اليوم فى الدنيا ، « ويوم نحشرهم جميعاً » ، فقوله : « ويوم نحشرهم »، مردود على المراد فى الكلام . لأنه وإن كان محذوفاً منه ، فكأنه فيه ، لمعرفة السامعين بمعناه = « ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم » ، يقول : ثم نقول ، إذا حشرنا هؤلاء المفترين على الله الكذب ، بادّعائهم له فى سلطانه شريكاً ، والمكذّبين بآياته ورسله، فجمعنا جميعهم يوم القيامة[1] = «أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون» ، أنهم لكم آلهة من دون الله ، افتراء وكذباً ، وتدعونهم من دونه أرباباً ؟ فأتوا بهم إن كنتم صادقين !

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ (٢٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ثم لم يكن قولهم إذ قلنا لهم : « أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون »؟= إجابة منهم لنا عن سؤالنا إياهم ذلك، إذ فتناهم فاختبرناهم ،[2] ٧/١٠٦

(١) انظر تفسير « الحشر » فيما سلف ص : ٨٩ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الفتنة » فيما سلف ١٠ : ٤٧٨ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

« إلاّ أن قالوا والله ربّنا ما كنا مشركين » ، كذباً منهم فى أيمانهم على قيلهم ذلك .

* * *

ثم اختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته جماعة من قرأة المدينة والبصرة و بعض الكوفيين : ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ﴾ بالتاء ، بالنصب ،[1] بمعنى : لم يكن اختبارَناهم إلا قيلُهم[2] : « والله ربنا ما كنا مشركين » = غير أنهم يقرأون « تكن » بالتاء على التأنيث . وإن كانت للقول لا للفتنة ، لمجاورته الفتنة ، وهى خبر .[3] وذلك عند أهل العربية شاذٌّ غير فصيح فى الكلام . وقد روى بيتٌ للبيد بنحو ذلك ، وهو قوله :

فَمَضَى وَقَدَّمَهَا ، وكانت عادةً مِنْهُ إذا هَى عَرَّدَتْ إقْدَامُهَا[4]

فقال : « وكانت » بتأنيث « الإقدام » ، لمجاورته قوله : « عادة » .

* * *

وقرأ ذلك جماعة من قرأة الكوفيين : ﴿ثُمَّ لَمْ يَكُنْ﴾ بالياء ، ﴿فِتْنَتَهُمْ﴾ بالنصب ، ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ ، بنحو المعنى الذي قصده الآخرون الذين ذكرنا قراءتهم . غير أنهم ذكّروا « يكون » لتذكير « أن » .[5]

* * *

قال أبو جعفر : وهذه القراءة عندنا أولى القراءتين بالصواب ، لأن « أنْ » أثبت فى المعرفة من « الفتنة » .[6]

* * *

(١) فى المطبوعة ، حذف قوله : « بالتاء » ، لغير طائل .

(٢) فى المطبوعة : « اختبارنا لهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو فصيح العربية .

(٣) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٨٨ .

(٤) من معلقته الباهرة . وانظر ما قاله ابن الشجرى فى الآية والبيت فى أماليه ١ : ١٣٠ . والضمير فى قوله : « فمضى » إلى حمار الوحش ، وفى قوله : « وقدمها » إلى أتنه التى يسوقها إلى الماء . و « عردت » : فرت ، وعدلت عن الطريق التى وجهها إليها . وشعر لبيد لا يفصل بعضه عن بعض فى هذه القصيدة ، فلذلك لم أذكر ما قبله وما بعده ، فراجع معلقته .

(٥) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٨٨ .

(٦) أغفل أبو جعفر قراءة الرفع فى « فتنتهم » ، وهى قراءتنا فى مصحفنا ، قراءة حفص . وأنا أرجح أن أبا جعفر أغفلها متعمداً ، وقد استوفى الكلام فى هذه الآية ونظائرها فيما سلف ٧ : ٢٧٣ - ٢٧٥ . وانظر تفسير أبى حيان ٤ : ٩٥ .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « ثم لم تكن فتنتهم » .

فقال بعضهم : معناه ثم لم يكن قولهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٣١٣٤ – حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر قال ، قال قتادة فى قوله : « ثم لم تكن فتنتهم » ، قال : مقالتهم = قال معمر : وسمعت غير قتادة يقول : معذرتهم .

١٣١٣٥ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس قوله : « ثم لم تكن فتنتهم » ، قال : قولهم .

١٣١٣٦ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا » الآية ، فهو كلامهم = « قالوا والله ربنا ما كنا مشركين » .

١٣١٣٧ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ الفضل ابن خالد يقول ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك : « ثم لم تكن فتنتهم » ، يعنى : كلامهم .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : معذرتهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٣١٣٨ – حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا : حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، ، عن قتادة : « ثم لم تكن فتنتهم » ، قال : معذرتهم .

١٣١٣٩ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين » ، يقول : اعتذارهم بالباطل والكذب .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أن يقال : معناه : ثم لم يكن قيلهم عند فتنتنا إياهم ، اعتذاراً مما سلف منهم من الشرك بالله = « إلاّ أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين » ، فوضعت « الفتنة » موضع « القول » ، لمعرفة السامعين معنى الكلام .

= وإنما « الفتنة » ، الاختبار والابتلاء[1] = ولكن لما كان الجواب من القوم غيرَ واقع هنالك إلا عند الاختبار ، وضعت « الفتنة » التى هى الاختبار ، موضع الخبر عن جوابهم ومعذرتهم .

* * *

واختلفت القرأة أيضاً فى قراءة قوله : « والله ربنا ما كنا مشركين » .

فقرأ ذلك عامة قرأة المدينة وبعض الكوفيين والبصريين : ﴿وَاللهِ رَبِّنَا﴾ ، خفضاً ، على أن « الرب » نعت لله .

* * *

وقرأ ذلك جماعة من التابعين : ﴿وَاللهَ رَبَّنَا﴾ ، بالنصب ، بمعنى : والله يا ربنا . وهى قراءة عامة قرأة أهل الكوفة .[2]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين عندى بالصواب فى ذلك ، قراءةُ من قرأ : ﴿وَاللهَ رَبَّنَا﴾ ، بنصب « الرب » ، بمعنى : يا ربَّنا . ذلك أن هذا جواب من المسئولين المقول لهم : « أين شركاءكم الذين كنتم تزعمون » ؟ وكان من جواب القوم لربهم : والله يا ربنا ما كنا مشركين = فنفوا أن يكونوا قالوا ذلك فى الدنيا .

يقول الله تعالى ذكره لمحمد صلى الله عليه وسلم : ﴿أُنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾

* * *

---

(١) انظر تفسير « الفتنة » فيما سلف قريباً ص ٢٩٧ ، رقم : ٢ ، والمراجع هناك

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ ٣٣٠

ويعنى بقوله : « ما كنا مشركين » ، ما كنا ندعو لك شريكاً ، ولا ندعو ١٠٧/٧ سواك . (١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ (٢٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : انظر ، يا محمد ، فاعلم ، كيف كذَب هؤلاء المشركون العادلون بربهم الأوثانَ والأصنامَ ، فى الآخرة عند لقاء الله = على أنفسهم بقيلهم : « والله يا ربنا ما كنا مشركين » ، واستعملوا هنالك الأخلاق التى كانوا بها يتخلّقون فى الدنيا ، (٢) من الكذب والفرية .

* * *

ومعنى « النظر » فى هذا الموضع ، النظر بالقلب ، لا النظر بالبصر . وإنما معناه : تبين فاعلم كيف كذبوا فى الآخرة .

* * *

وقال : « كذبوا » ، ومعناه : يكذبون ، لأنه لما كان الخبر قد مضى فى الآية قبلها ، صار كالشىء الذى قد كانَ ووُجد .

* * *

= « وضل عنهم ما كانوا يفترون » ، يقول : وفارقهم الأنداد والأصنام ، وتبرأوا منها ، فسلكوا غير سبيلها ، لأنها هلكت ، [وأعيد الذين كانوا يعبدونها اجتراءً] ، (٣)

---

(١) انظر ما سلف رقم : ٩٥٢٠ - ٩٥٢٢ (ج ٨ : ٣٧٣ ، ٣٧٤) .

(٢) فى المطبوعة : « بها متخلقين » ، وفى المخطوطة : « بها متخلقون » ، وهذا صواب قراءتها

(٣) هكذا جاء فى المطبوعة ما وضعته بين القوسين ، وهو فى المخطوطة : « وعبدوا الذين كانوا

ثم أخذوا بما كانوا يفترونه من قيلهم فيها على الله ، وعبادتهم إياها ، وإشراكهم إياها فى سلطان الله ، فضلت عنهم ، وعوقب عابدُوها بفريتهم .

* * *

وقد بينا فيما مضى أن معنى « الضلال » ، الأخذ على غير الهدى .(١)

* * *

وقد ذكر أن هؤلاء المشركين يقولون هذا القول عند معاينتهم سَعَةَ رحمة الله يومئذ .

* ذكر الرواية بذلك :

١٣١٤٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام قال ، حدثنا عمرو ، عن مطرّف ، عن المنهال بن عمرو ، وعن سعيد بن جبير قال : أتى رجلٌ ابنَ عباس فقال : سمعت الله يقول : « والله ربنا ما كنا مشركين » ،(٢) وقال فى آية أخرى : ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ ، [سورة النساء : ٤٢] ؟قال ابن عباس : أما قوله : « والله ربنا ما كنا مشركين » ، فإنه لما رأوا أنه لا يدخل الجنة إلاّ أهل الإسلام : قالوا : « تعالوا نجحد » ، فقالوا : « والله ربنا ما كنا مشركين » ، فختم الله على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم ، « ولا يكتمون الله حديثاً » .(٣)

يعبدونها اصرا » ، غير منقوطة . ولم أهتد إلى الصواب ، وأخشى أن يكون سقط من الكلام سطر أو بعضه ، فلذلك آثرت أن أضع ما فى المطبوعة بين قوسين ، ولأنى فى ريبة من أمره .

(١) انظر تفسير « الضلال » فيما سلف ١٠ : ١٢٤ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) فى المطبوعة : « أتى رجل ابن عباس فقال ، قال الله : والله ربنا . . . » ، أما المخطوطة ففيها خرم ، كان فيها : « أتى رجل ابن عباس وقال فى آية أخرى » ، ولذلك تصرف ناشر المطبوعة . والذى أثبته هو الصواب ، وهو نص الأثر الذى رواه أبو جعفر قديماً ، كما سيأتى فى التخريج . وقد صححت حروفاً فى هذا الخبر من الأثر السالف ولم أشر إليها هنا .

(٣) الأثر : ١٣١٤٠ — مضى هذا الخبر برقم : ٩٥٢٠ (ج ٨ : ٣٧٣) .

هذا وقد اختصر أبو جعفر أخبار ابن عباس هذه ، فإنه روى هناك خبرين آخرين رقم : ٩٥٢١ ، ٩٥٢٢ ، تبين منهما أن السائل هو نافع بن الأزرق ، وكان يأتى ابن عباس ليلقى عليه متشابه القرآن . وهذا من ضروب اختصار أبى جعفر فى تفسيره هذا . وأيضاً فإنه سيأتى هنا آثار فى تفسير آية سورة النساء : ٤٢ (ج ٨ : ٣٧١ — ٣٧٥) لم يذكرها هناك ، كما سترى فى الآثار التالية .

١٣١٤١ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تعالى ذكره : « والله ربنا ما كنا مشركين » ، قال : قول أهل الشرك ، حين رأوا الذنوب تغفر ، ولا يغفر الله لمشرك = « انظر كيف كذبوا على أنفسهم » ، بتكذيب الله إياهم .

١٣١٤٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد، بنحوه .

١٣١٤٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « والله ربنا ما كنا مشركين » ، ثم قال : ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾، [سورة النساء : ٤٢] ، بجوارحهم .

١٣١٤٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن حمزة الزيات ، عن رجل يقال له هشام ، عن سعيد بن جبير : « ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين » ، قال : حلفوا واعتذروا ، قالوا : « والله ربنا » .(١)

١٣١٤٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا قبيصة بن عقبة قال ، حدثنا سفيان ، عن سعيد بن جبير قال : أقسموا واعتذروا : « والله ربنا » .

١٣١٤٦ – حدثنا هناد قال ، حدثنا وكيع ، عن حمزة الزنات ، عن رجل يقال له هشام ، عن سعيد بن جبير ، بنحوه .

١٣١٤٧ – حدثنا هناد قال، حدثنا أبو معاوية ، عن سفيان بن زياد العُصْفري ، عن سعيد بن جبير في قوله : « والله ربنا ما كنا مشركين » ، قال : لما أمر بإخراج رجال من النار من أهل التوحيد ، قال من فيها من المشركين : « تعالوا نقول: لا إله إلا الله ، لعلنا نخرج مع هؤلاء». قال: فلم يصدّقوا. قال : فحلفوا: « والله ربنا ما كنا مشركين » . قال : فقال الله : « انظر كيف كذبوا

---

(١) الأثر : ١٣١٤٤ – « هشام » ، الذي يروى عنه « حمزة الزيات » ، لم أعرفه .

على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون » .[١]

١٣١٤٨ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وضل عنهم ما كانوا يفترون » أى : يشركون .[٢]

١٣١٤٩ – حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا المنهال ابن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى قوله : « والله ربنا ما كنا مشركين » ، قال : لما رأى المشركون أنه لا يدخل الجنة إلا مسلم ، قالوا : تعالوا إذا سألنا قلنا : « والله ربنا ما كنا مشركين » . فسئلوا ، فقالوا ذلك ، فختم الله على أفواههم ، وشهدت عليهم جوارحهم بأعمالهم ، فودّ الذين كفروا حين رأوا ذلك : « لو تسوّى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً » .

١٣١٥٠ – حدثنى الحارث قال ، حدثنى عبد العزيز قال، حدثنا مسلم ابن خلف ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : يأتى على الناس يوم القيامة ساعة، لما رأوا أهلُ الشرك أهلَ التوحيد يغفر لهم [٣]، فيقولون: « والله ربنا ما كنا مشركين » ، قال : « انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضلّ عنهم ما كانوا يفترون »[٤] . ١٠٨/٧

١٣١٥١ – حدثنى الحارث قال ،حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان، عن رجل ، عن سعيد بن جبير : أنه كان يقول : « والله ربّنا ما كنا مشركين » ، يخفضها . قال : أقسموا واعتذروا = قال الحارث قال ، عبد العزيز ، قال سفيان مرة أخرى : حدثنى هشام ، عن سعيد بن جبير .

* * *

(١) الأثر : ١٣١٤٧ – « سفيان بن زياد العصفرى » ، مضى برقم : ٢٣٣١ .

(٢) فى المطبوعة : « يشركون به » بالزيادة ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « لما رأى أهل الشرك » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو لغة من لغات العرب جائزة .

(٤) الأثر : ١٣١٥٠ – « مسلم بن خلف » ، لم أجد له ترجمة . وأخشى أن يكون فى اسمه تحريف .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: ومن هؤلاء العادلين بربِّهم الأوثانَ والأصنامَ من قومك ، يا محمد = « من يستمع إليك » ، يقول : من يستمع القرآن منك ، ويستمع ما تدعوه إليه من توحيد ربك ، وأمره ونهيه ، ولا يفقه ما تقول ولا يُوعِيه قلبَه ، ولا يتدبره، ولا يصغى له سمعه، ليتفقهه فيفهم حجج الله عليه فى تنزيله الذى أنزله عليك ، إنما يسمع صوتك وقراءَتك وكلامك ، ولا يعقل عنك ما تقول ، لأن الله قد جعل على قلبه « أكنّة » .

* * *

= وهى جمع « كنان »، وهو الغطاء ، مثل : « سِنان » ، « وأسنة » . يقال منه : « أكننت الشيءَ فى نفسى »، بالألف ، « وكننت الشيء »، إذا غطيته،[1] = ومن ذلك : ﴿ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ ، [سورة الصافات : ٤٩] ، وهو الغطاء ،[2] ومنه قول الشاعر :[3]

تَحْتَ عَيْنٍ ، كِنَانُنَا ظِلُّ بُرْدٍ مُرَحَّلُ[4]

---

(١) انظر ما سلف ٥ : ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٢) الأجود أن يقال : « وهو المغطى » ، وكأنه كان كذلك ، وكأن الذى فى المطبوعة والمخطوطة تحريف . ولكن ربما عبر القدماء بمثل هذا التعبير ، ولذلك تركته على حاله . وقد قال الطبرى فى ج ٥ : ١٠٢ ، وذكر الآية : « أى : مخبوء » .

(٣) هو عمر بن أبى ربيعة .

(٤) ليس فى ديوانه ، ولكنه من قصيدته التى فى ديوانه : ١٢٥ — ١٢٦ ، وهو فى الأغانى ١ : ١٨٤ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٤٦ ، ١٨٨ ، واللسان (كنن) ، وغيرها . من أبياته التى أولها :

هَاجَ ذَا القَلْبَ مَنْزِلُ دَارِسُ الآىِ مُحْوِلُ

يعنى : غطاؤُهم الذى يكنُهم .(١)

* * *

=« وفى آذانهم وقراً » ، يقول تعالى ذكره : وجعل فى آذانهم ثِقلاً وصمماً عن فهم ما تتلو عليهم ، والإصغاء لما تدعوهم إليه .

* * *

والعرب تفتح « الواو » من « الوَقْر » فى الأذن ، وهو الثقل فيها = وتكسرها فى الحمل فتقول : « هو وِقْرُ الدابة » . ويقال من الحمل : « أوقرْتُ الدَّابة فهى مُوقَرة » = ومن السمع : « وَقَرْتُ سمعه فهو موقور » ، ومنه قول الشاعر :(٢)

* وَلِى هامَةٌ قَدْ وَقَّرَ الضَّرْبُ سَمْعَهَا *

وقد ذكر سماعاً منهم : « وُقِرَتْ أذنه » ، إذا ثقلت «فهى موقورة» = « وأوقرتِ النخلةُ ، فهى مُوقِر » كما قيل : «امرأة طامث ، وحائض» ، لأنه لاحظّ فيه للمذكر . فإذا أريد أن الله أوقرها ، قيل « مُوقَرةٌ » .

* * *

وقبله فى رواية أبى الفرج فى أغانيه .

أَرْسَلَتْ تَسْتَحِثّى وَتُفَدِّى وتَعْذُلُ
أَيُّنَا بَاتَ لَيْلَةً بَيْنَ غُصْنَيْنِ يُوَبَلُ

وروايته للبيت :

تَحْتَ عَيْنٍ ، يُكِنُّنَا بُرْدُ عَصْبٍ مُهَلْهَلُ

ورواية ابن برى ، وصحح رواية أبى عبيدة وأبى جعفر :

تَحْتَ عَيْنٍ ، كِنَانُنَا بُرْدُ عَصْبٍ مُرَحَّلُ

و « العين » فى البيت السحاب . و « المرحل » من الثياب ، الذى عليه تصاوير الرحال .

(١) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٨٨ ، وهو شبيه بنص كلامه .

(٢) لم أهتد إلى قائله ، وإن كنت أذكر أنى قرأت هذا الشعر فى مكان .

وقال تعالى ذكره : « وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه » ، بمعنى : أن لا يفقهوه ، كما قال ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ [سورة النساء : ١٧٦] ، بمعنى : أن لا تضلوا ، (١) لأن «الكنّ» إنما جعل على القلب ، لئلاّ يفقهه ، لا ليفقهه . (٢)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣١٥٢ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقراً » ، قال : يسمعونه بآذانهم ولا يعون منه شيئاً ، كمثل البهيمة التى تسمع النداء ، ولا تدرى ما يُقَال لها .

١٣١٥٣ — حدثنى محمد بن الحسين قال : حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقراً » ، أما « أكنة » ، فالغطاءُ أكنّ قلوبهم ، لا يفقهون الحق = « وفى آذانهم وقراً » ، قال : صمم .

١٣١٥٤ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « ومنهم من يستمع إليك » ، قال : قريش .

١٣١٥٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

---

(١) انظر ما سلف ٩ : ٤٤٥ ، ٤٤٦ .

(٢) انظر تفسير «فقه» فيما سلف ٨ : ٥٥٧ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (٢٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وإن ير هؤلاء العادلون بربهم الأوثان والأصنام، الذين جعلت على قلوبهم أكنة أن يفقهوا عنك ما يسمعون منك = « كل آية »، يقول : كل حجة وعلامة تدلُّ أهل الحجَى والفهم على توحيد الله وصدق قولك وحقيقة نبوتك[1] = « لا يؤمنوا بها »، يقول : لا يصدّقون بها، ولا يقرّون بأنها دالّة على ما هى عليه دالة = « حتى إذا جاؤوك يجادلونك »، يقول : حتى إذا صاروا إليك بعد معاينتهم الآيات الدالة على حقيقة ما جئتهم به = « يجادلونك »، يقول : يخاصمونك [2] = « يقول الذين كفروا »، يعنى بذلك : الذين جحدوا آيات الله وأنكروا حقيقتها ، يقولون لنبيِّ الله صلى الله عليه وسلم إذا سمعوا حجج الله التى احتجَّ بها عليهم، وبيانَه الذى بيَّنه لهم = « إن هذا إلاّ أساطير الأوّلين »، أى : ما هذا إلاّ أساطير الأوّلين .

* * *

و« الأساطير » جمع « إسْطارة » و « أُسطُورة » مثل « أفكوهة » و « أضحوكة » = وجائز أن يكون الواحد « أسطارًا » مثل « أبيات » ، و « أبابيت » ، و « أقوال وأقاويل »، [3] من قول الله تعالى ذكره : ﴿ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴾، [سورة الطور : ٢]. من : « سَطَرَ يَسْطُرُ سَطْرًا » . ١٠٩/٧

* * *

(١) انظر تفسير « آية » فيما سلف من فهارس اللغة (أبى) .
(٢) انظر تفسير « جادل » فيما سلف ٤ : ٩/١٤٢ : ١٩٠ ، ١٩٣ .
(٣) يعنى بقوله : « أسطاراً » ، جمع « سطر » ، كما هو بين .

فإذ كان من هذا : فإن تأويله : ما هذا إلاّ ما كتبه الأوّلون .

* * *

وقد ذكر عن ابن عباس وغيره أنهم كانوا يتأوّلونه بهذا التأويل ، ويقولون : معناه : إنْ هذا إلاّ أحاديث الأوّلين .

١٣١٥٦ — حدثني بذلك المثنى بن إبراهيم قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس .

١٣١٥٧ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أمّا « أساطير الأوّلين »، فأساجيع الأولين .(١)

* * *

وكان بعض أهل العلم = وهو أبو عبيدة معمر بن المثنى = بكلام العرب يقول : « الإسطارةُ » لغةٌ ، ومجازُها مجازُ الترّهات .(٢)

* * *

وكان الأخفش يقول : قال بعضهم: واحده « أسطورة ». وقال بعضهم : « إسطارة ». قال: ولا أراه إلاّ من الجمع الذى ليس له واحد، نحو « العباديد »،(٣) و« المَذَاكير » ،و« الأبابيل » .(٤) قال : وقال بعضهم : واحد « الأبابيل » ، « إبِّيل »، وقال بعضهم: « إبَّوْل» مثل « عِجَّوْل»،(٥) ولم أجد العرب تعرف له واحداً ، وإنما هو مثل « عباديد » لا واحد لها . وأما « الشَّماطيط » ، فإنهم يزعمون

---

(١) « الأساجيع » جمع « أسجوعة » : يراد به : ما سجع به الكهان على هيئة كلامهم .

(٢) في المطبوعة : « لغة ، الخرافات والترهات » غير ما في المخطوطة ، وهو نص أبي عبيدة في مجاز القرآن ١ : ١٨٩ . وهذا من سيء العبث بالكتب !

(٣) في المطبوعة : « عبابيد » ، وهو صواب ، إلا أني أثبت ما في المخطوطة . يقال : « جاء القوم عباديد ، وعبابيد » ، أي متفرقون .

(٤) « المذاكير » ، يقال في الفرد أيضاً . وفي الخبر أن عبداً أبصر جارية لسيده، فجب السيد مذاكيره = فاستعمله لرجل واحد ، وأراد به شيئه ، وما تعلق به .

و « أبابيل » : جماعات من هنا ، وجماعات من هنا .

(٥) يقال : « عجل » و « عجول » (بكسر العين ، وتشديد الجيم المفتوحة ، وسكون الواو) : ولد البقرة ، وجمعه « عجاجيل » .

أن واحده « شمطاط » . [١] قال : وكل هذه لها واحد ، إلاّ أنه لم يستعمل ولم يتكلم به ، لأن هذا المثال لا يكون إلاّ جميعاً . [٢] قال : وسمعت العرب الفصحاء تقول : « أرسل خيله أبابيل » ، تريد جماعات ، فلا تتكلم بها بواحدة . [٣]

* * *

وكانت مجادلتهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم التى ذكرها الله فى هذه الآية ، فيما ذُكِر ، ما : —

١٣١٥٨ — حدثنى به محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « حتى إذا جاؤوك يجادلونك » الآية ، قال : هم المشركون ، يجادلون المسلمين فى الذَّبيحة ، يقولون : « أما ماذبحتم وقتلتم فتأكلون ، وأما ما قتل الله فلا تأكلون! وأنتم تتَّبعون أمرَ الله تعالى ذكره »! [٤]

* * *

---

(١) « شماطيط » : قطع متفرقة ، يقال : « ذهب القوم شماطيط » : إذا تفرقوا أرسالا .

(٢) فى المطبوعة : « جمعا » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « فلا تتكلم بها موحدة » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وقد كرهت عبث الناشر بنص أبى جعفر ! !

(٤) عند هذا الموضع ، انتهى جزء من التقسيم القديم الذى نقلت منه نسختنا ، وفيها ما نصه :

« يتلوه القولُ فى تأويل قوله
﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾
وَصَلَّى اللهُ على مُحَمدٍ النبيِّ وعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كثيراً
والحمدُ لِلهِ ربِّ العالَمِينَ »

ثم يتلوه ما نصه :

« بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرحِيمِ
رَبِّ يَسِّرْ »

القول فى تأويل قوله ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْئَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٢٦)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « وهم ينهون عنه وينأون عنه » .

فقال بعضهم : معناه : هؤلاء المشركون المكذبون بآيات الله ، ينهونَ الناس عن اتباع محمّد صلى الله عليه وسلم والقبول منه = « وينأَوْن عنه » ، يتباعدون عنه .

* ذكر من قال ذلك :

١٣١٥٩ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا حفص بن غياث وهانئ بن سعيد ، عن حجاج ، عن سالم ، عن ابن الحنفية : « وهم ينهون عنه وينأون عنه » ، قال : يتخلفون عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا يجيبونه ، وينهون الناس عنه .(١)

١٣١٦٠ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وهم ينهون عنه وينأون عنه » ، يعنى ينهون الناس عن محمد أن يؤمنوا به = « وينأون عنه » ، يعنى : يتباعدون عنه .

١٣١٦١ – حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وهم ينهون عنه وينأون عنه » ، أن يُتَّبع محمد ، ويتباعدون هم منه .

---

(١) الأثر : ١٣١٥٩ – « هانئ بن سعيد النخعى » ، صالح الحديث ، مترجم فى الكبير ٢٣٣/٢/٤ ، وابن أبى حاتم ١٠٢/٢/٤ .

و « حجاج » هو : « حجاج بن أرطاة » ، مضى مراراً .

و « سالم » ، هو « سالم بن أبى الجعد » ، مضى أيضاً .

و « ابن الحنفية » هو : « محمد بن على بن أبى طالب » ، مضى أيضاً

١٣١٦٢ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وهم ينهون عنه وينأون عنه » ، يقول : لا يلقونَه ، ولا يَدَعُون أحداً يأتيه .

١٣١٦٣ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، في قوله : « وهم ينهون عنه » ، يقول : عن محمد صلى الله عليه وسلم .

١٣١٦٤ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وهم ينهون عنه وينأون عنه »، جمَعُوا النهي والنأي. و« النأي »، التباعد.(١)

* * *

وقال بعضهم : بل معناه : « وهم ينهون عنه » عن القرآن ، أن يسمع له ويُعمَل بما فيه .

* ذكر من قال ذلك :

١٣١٦٥ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « وهم ينهون عنه » ، قال : ينهون عن القرآن ، وعن النبي صلى الله عليه وسلم = « وينأون عنه » ، ويتباعدون عنه .

١٣١٦٦ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : « وهم ينهون عنه » ، قال : قريش، عن الذكر = « وينأون عنه » ، يقول : يتباعدون .

١٣١٦٧ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ينهون عنه وينأون عنه » ، قريش ، عن الذكر . = « وينأون عنه » ، يتباعدون .

١٣١٦٨ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « وهم ينهون عنه وينأون عنه » ، قال : ينهون عن القرآن ، ١١٠/٧

(١) في المخطوطة : « والنهي التباعد » ، وهو خطأ ، صوابه ما في المطبوعة بلا شك .

وعن النبي صلى الله عليه وسلم ، ويتباعدون عنه .

١٣١٦٩ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « ينأون عنه » ، قال : « وينأون عنه » ، يباعدونه .(١)

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : وهم ينهون عن أذى محمد صلى الله عليه وسلم = « وينأون عنه » ، يتباعدون عن دينه واتّباعه .

* ذكر من قال ذلك :

١٣١٧٠ – حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع وقبيصة = وحدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي=، عن سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عمن سمع ابن عباس يقول: نزلت في أبي طالب، كان ينهى عن محمد أن يُؤذَى ، وينأى عما جاء به أن يؤمن به .

١٣١٧١ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت قال ، حدثني من سمع ابن عباس يقول : « وهم ينهون عنه وينأون عنه »، قال : نزلت في أبي طالب، ينهى عنه أن يؤذى ، وينأى عما جاء به .

١٣١٧٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عمن سمع ابن عباس : « وهم ينهون عنه وينأون عنه »، قال : نزلت في أبي طالب، كان ينهى المشركين أن يؤذُوا محمداً ، وينأى عمّا جاء به .

١٣١٧٣ – حدثنا هناد قال، حدثنا عبدة ، عن إسمعيل بن أبي خالد ، عن القاسم بن مخيمرة قال : كان أبو طالب ينهى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يصدّقه .(٢)

---

(١) في المطبوعة : « يبعدون » ، وفي المخطوطة : « يبعدونه » ، وآثرت قراءتها كما أثبتها .

(٢) الأثر : ١٣١٧٣ – « القاسم بن مخيمرة الهمداني » ، « أبو عروة » ، روى عن عبد الله ابن عمرو ، وأبي سعيد الخدري ، وأبي أمامة ، وغيرهم من التابعين . ثقة . مترجم في التهذيب . والكبير ٤/١/١٦٧ ، وابن أبي حاتم ٣/٢/١٢٠ .

١٣١٧٤ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ومحمد بن بشر ، عن إسمعيل ابن أبي خالد ، عن القاسم بن مخيمرة في قوله : « وهم ينهون عنه وينأون عنه » ، قال : نزلت في أبي طالب = قال ابن وكيع ، قال ابن بشر : كان أبو طالب ينهى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن يؤذى ولا يصدّق به .

١٣١٧٥ – حدثنا هناد قال ، حدثنا يونس بن بكير ، عن أبي محمد الأسدى ، عن حبيب بن أبي ثابت قال ، حدثني من سمع ابن عباس يقول في قول الله تعالى ذكره : « وهم ينهون عنه وينأون عنه » ، نزلت في أبي طالب ، كان ينهى عن أذى محمد ، وينأى عما جاء به أن يتّبعه .(١)

١٣١٧٦ – حدثنا هناد قال ، حدثنا وكيع ، عن إسمعيل بن أبي خالد ، عن القاسم بن مخيمرة في قوله : « وهم ينهون عنه وينأون عنه » ، قال : نزلت في أبي طالب .

١٣١٧٧ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن عبد العزيز ابن سياه ، عن حبيب قال : ذاك أبو طالب ، في قوله : « وهم ينهون عنه وينأون عنه » .(٢)

١٣١٧٨ – حدثنا يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثني سعيد بن أبي أيوب قال ، قال عطاء بن دينار في قول الله : « وهم ينهون عنه وينأون عنه » ،

---

(١) الأثر : ١٣١٧٥ – « أبو محمد الأسدى » ، لم أعرف من هو ، ولم أجد من يكنى به . وأخشى أن يكون هو « عبد العزيز بن سياه الأسدى » ، الآتي في الأثر رقم : ١٣١٧٧ و « عبد العزيز » يروى عنه يونس بن بكير .

(٢) الأثر : ١٣١٧٧ – « عبيد الله بن موسى بن أبي المختار العبسى » ، مضى مراراً كثيرة . وكان في المطبوعة والمخطوطة : « عبد الله بن موسى » ، وهو خطأ محض .
و « عبد العزيز بن سياه الأسدى » ، ثقة ، محله الصدق ، وكان من كبار الشيعة . روى عنه عبيد الله بن موسى ، ويونس بن بكير ، ووكيع ، وغيرهم . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٢/٢/٣٨٣ .
وانظر التعليق على الأثر السالف ، فإني أرجح أن « أبا محمد الأسدى » ، كنية : « عبد العزيز ابن سياه الأسدى » .

إنها نزلت فى أبى طالب ، أنه كان ينهى الناسَ عن إيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينأى عما جاء به من الهدى .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ، قولُ من قال : تأويلُه : « وهم ينهون عنه » ، عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم مَنْ سواهم من الناس ، وينأون عن اتباعه .

وذلك أن الآيات قبلَها جرت بذكر جماعة المشركين العادِلين به ، والخبرِ عن تكذيبهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، والإعراض عما جاءهم به من تنزيل الله ووحيه ، فالواجب أن يكون قوله : « وهم ينهون عنه » ، خبراً عنهم ، إذ لم يأتنا ما يدُلّ على انصراف الخبر عنهم إلى غيرهم . بل ما قبل هذه الآية وما بعدها ، يدلّ على صحة ما قلنا ، من أن ذلك خبر عن جماعة مشركى قوم رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، دون أن يكون خبراً عن خاصٍّ منهم .

* * *

وإذ كان ذلك كذلك ، فتأويل الآية : وإن يرَ هؤلاء المشركون ، يا محمد ، كلَّ آية لا يؤمنوا بها ، حتى إذا جاؤوك يجادلونك يقولون : « إن هذا الذى جئتنا به إلاّ أحاديث الأوّلين وأخبارهم » ! وهم ينهون عن استماع التنزيل ، وينأون عنك فيبعدون منك ومن اتباعك = « وإن يهلكون إلاّ أنفسهم » ، يقول : وما يهلكونَ بصدّهم عن سبيل الله ، وإعراضهم عن تنزيله ، وكفرهم بربهم — إلاّ أنفسهم لا غيرها ، وذلك أنهم يكسِبُونها بفعلهم ذلك ، سخط الله وأليم عقابه ، وما لا

---

(١) الأثر : ١٣١٧٨ — « سعيد بن أبى أيوب الخزاعى المصرى » ، وهو : « سعيد بن مقلاص » ، ثقة ثبت . ومضى فى الأثرين رقم : ٥٦١٥ ، ٦٧٤٣ ، غير مترجم . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤١٩/١/٢ ، وابن أبى حاتم ٦٦/١/٢ .

و « عطاء بن دينار المصرى » ، من ثقات أهل مصر ، مضى برقم : ١٦٠ .

قِبَل لها به[١] = « وما يشعرون » ، يقول : وما يدرون ما هُمْ مكسبوها من الهلاك والعطب بفعلهم .[٢]

* * *

والعرب تقول لكل من بعد عن شيء : « قد نأى عنه ، فهو ينأى نَأْياً » . ومسموع منهم : « نأيتُكَ » ،[٣] بمعنى : « نأيت عنك » . وأما إذا أرادوا أبعدتُك عني ، قالوا : « أنأيتك » . ومن « نأيتك » بمعنى : نأيتُ عنك ، قول الحطيئة :

١١١/٧ نَأَتْكَ أُمَامَةُ إِلَّا سُـؤَالَا وَأَبْصَرْتَ مِنْهَا بِطَيْفٍ خَيَالَا[٤]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد صلى الله عليه وسلم : « ولو ترى » ، يا محمد ، هؤلاء العادلين بربهم الأصنامَ والأوثانَ ، الجاحدين نبوّتك ، الذين وصفت لك صفتهم = « إذ وُقفوا » ، يقول : إذ حُبِسوا = « على النار » ، يعني : في النار — فوضعت « على » موضع « في » كما قال : ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ

---

(١) انظر تفسير « الهلاك » فيما سلف قريباً ص : ٢٦٣ .

(٢) انظر تفسير « شعر » فيما سلف ١ : ٢٧٧ ، ٦/٢٧٨ : ٥٠٢ .

(٣) في المطبوعة : « مسموع منهم : نأيت » ، خطأ ، صوابه في المخطوطة .

(٤) ديوانه : ٣١ ، من قصيدته التي مدح بها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، معتذراً له من هجاء الزبرقان بن بدر ، وبعد البيت :

خَيَالاً يَرُوعُكَ عِنْدَ المَنَا مِ وَيَأْبَى مَعَ الصُّبْحِ إِلاَّ زَوَالاَ
كِنَانِيَّةٌ ، دَارُهَا غَرْبَةٌ تُجِدُّ وِصَالاً وتُبْلِي وصَالاَ

الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾، [سورة البقرة: ١٠٢] ، بمعنى : فى ملك سليمان.(١)

* * *

وقيل : « ولو ترى إذ وقفوا » ، ومعناه : إذا وقفوا = لما وصفنا قبلُ فيما مضى : أن العرب قد تضع « إذ » مكان « إذا » ، « وإذا » مكان « إذ » ، وإن كان حظّ « إذ » أن تصاحب من الأخبار ما قد وُجد فقضى ، وحظ « إذا » أن تصاحب من الأخبار ما لم يوجد ،(٢) ولكن ذلك كما قال الراجز ، وهو أبو النجم :

مَدَّ لَنَا فِى عُمْرِهِ رَبُّ طَهَا ثُمَّ جَزَاهُ اللهُ عَنَّا إِذْ جَزَى
جَنَّاتِ عَدْنٍ فِى العَلَالِىِّ العُلَى(٣)

فقال : « ثم جزاه الله عنا إذ جزى » فوضع ، « إذ » مكان « إذا » .

* * *

وقيل : « وقفوا » ، ولم يُقَل : « أُوقِفوا » ، لأن ذلك هو الفصيح من كلام العرب . يقال : « وقَفتُ الدابة وغيرها » ، بغير ألف ، إذا حبستها . وكذلك : « وقفت الأرضَ » ، إذا جعلتها صدقةً حَبيساً ، بغير ألف ، وقد : —

١٣١٧٩ — حدثنى الحارث ، عن أبى عبيد قال : أخبرنى اليزيدىّ والأصمعى ، كلاهما ، عن أبى عمرو قال : ما سمعت أحداً من العرب يقول : « أوقفت الشىء » بالألف . قال : إلاّ أنى لو رأيت رجلاً بمكانٍ فقلت : « ما أوقفك ها هنا ؟ » ، بالألف ، لرأيته حسناً .(٤)

* * *

(١) انظر تفسير «على» بمعنى « فى » فيما سلف ١ : ٢/٢٩٩ : ٤١١ ، ١١/٤١٢ : ٢٠٠ ، ٢٠١ ومواضع أخرى ، التمسها فى فهارس النحو والعربية .

(٢) انظر « إذا » و « إذ » فيما سلف ص : ٢٣٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) مضى بيتان منها فيما سلف ص : ٢٣٥ ، والبيت الأول من الرجز ، فى اللسان (طها) وقال : « وإنما أراد : رب طه ، فحذف الألف » . وكان رسم « طها » فى المطبوعة والمخطوطة : « طه » ، فآثرت رسمها كما كتبها صاحب اللسان (طها) .

(٤) الأثر : ١٣١٧٩ — انظر هذا الخبر فى لسان العرب « وقف » . وكان فى المطبوعة : « الحارث بن أبى عبيد » ، وهو خطأ ، صوابه من المخطوطة . وقد مضى هذا الإسناد مراراً .

= « فقالوا يا ليتنا نردّ » ، يقول : فقال هؤلاء المشركون بربهم ، إذ حُبسوا فى النار : « ياليتنا نردّ » ، إلى الدنيا حتى نتوب ونراجعَ طاعة الله = « ولا نكذب بآيات ربنا » ، يقول : ولا نكذّب بحجج ربنا ولا نجحدها = « ونكون من المؤمنين » ، يقول : ونكون من المصدّقين بالله وحججه ورسله ، متّبعى أمره ونهيه .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة الحجاز والمدينة والعراقيين : ﴿ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، بمعنى : يا ليتنا نردُّ ، ولسنا نكذب بآيات ربنا ، ولكنّا نكون من المؤمنين .

* * *

وقرأ ذلك بعض قرأة الكوفة : ﴿ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، بمعنى : يا ليتنا نرد ، وأن لا نكذب بآيات ربنا ، ونكونَ من المؤمنين . وتأوّلوا فى ذلك شيئاً : —

١٣١٨٠ — حدثنيه أحمد بن يوسف قال ، حدثنا القاسم بن سلام قال ، حدثنا حجاج ، عن هرون قال : فى حرف ابن مسعود : ﴿ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ فَلَا نُكَذِّبَ ﴾ بالفاء .

* * *

وذكر عن بعض قرأة أهل الشام ، أنه قرأ ذلك : ﴿ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ ﴾ بالرفع ﴿ وَنَكُونَ ﴾ بالنصب ، كأنه وجّه تأويله إلى أنهم تمنوا الردّ ، وأن يكونوا من المؤمنين ، وأخبروا أنهم لا يكذّبون بآيات ربهم إن رُدُّوا إلى الدنيا .

* * *

واختلف أهل العربية فى معنى ذلك منصوباً ومرفوعاً .

فقال بعض نحويى البصرة : « ولا نكذّبَ بآيات ربّنا ونكونَ من المؤمنين » ، نصبٌ ، لأنه جواب للتمنى ، وما بعد « الواو » كما بعد « الفاء » . قال : وإن شئت رفعتَ وجعلته على غير التمنى ، كأنهم قالوا : ولا نكذّبُ والله بآيات ربنا ، ونكونُ

والله من المؤمنين . هذا ، إذا كان على ذا الوجه ، كان منقطعاً من الأوّل . قال : والرفع وجهُ الكلام ، لأنه إذا نصب جعلها « واوَ » عطف . فإذا جعلها « واو » عطف ، فكأنهم قد تمنوا أن لا يكذّبوا ، وأن يكونوا من المؤمنين . قال : وهذا ، والله أعلم، لا يكون ، لأنهم لم يتمنوا هذا ، إنما تمنوا الردّ ، وأخبروا أنهم لا يكذبون، ويكونون من المؤمنين .

* * *

وكان بعض نحويي الكوفة يقول : لو نصب « نكذب » و « نكون » على الجواب بالواو ، لكان صواباً . قال: والعرب تجيب بـ «الواو» ، و« ثم »، كما تجيب بالفاء . يقولون: « ليت لى مالاً فأعطيَك »، « وليت لى مالاً وأُعْطيَك »، « وثم أعطيَك » . قال : وقد تكون نصباً على الصَّرف، كقولك: « لا يَسَعُنِي شيء ويعجِزَ عَنك » .(١)

* * *

وقال آخر منهم : لا أحبُّ النصب فى هذا، لأنه ليس بتمنٍّ منهم ، إنما هو خبرٌ ،أخبروا به عن أنفسهم . ألا ترى أن الله تعالى ذكره قد كذّبهم فقال : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ ؟ وإنما يكون التكذيب للخبر لا للتمنّى .

* * *

وكان بعضهم ينكر أن يكون الجواب « بالواو » ، وبحرف غير « الفاء » . ١١٢/٧
وكان يقول: إنما « الواو » موضع حال ، « لا يسعنى شيء ويضيقَ عنك » ، أى : وهو يضيق عنك . قال : وكذلك الصَّرف فى جميع العربية . قال : وأما « الفاء » فجواب جزاء: « ما قمت فنأتيَك »، أى : لو قمت لأتينَاك . قال: فهكذا حكم الصرف و« الفاء » . قال: وأمّا قوله: « ولا نكذب » ، و« نكون » فإنما جاز ، لأنهم قالوا : « ياليتنا نرد » ، فى غير الحال التى وقفنا فيها على النار. فكان وقفهم فى تلك ،

---

(١) « الصرف » ، مضى تفسيره فيما سلف ١ : ٥٦٩ ، تعليق : ٣/١ : ٥٥٢ ، تعليق : ٧/١ : ٢٤٧ ، تعليق : ٢ .

فتمنَّوا أن لا يكونوا وُقِفُوا فى تلك الحال .

* * *

قال أبو جعفر : وكأنّ معنى صاحب هذه المقالة فى قوله هذا : ولو ترى إذ وقفوا على النار ، فقالوا : قد وقفنا عليها مكذِّبين بآيات ربِّنا كفارًا ، فياليتنا نردّ إليها فنُوقَف عليها غير مكذبين بآيات ربِّنا ولا كفارًا .

وهذا تأويلٌ يدفعه ظاهر التنزيل ، وذلك قول الله تعالى ذكره : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ ، فأخبر الله تعالى أنهم فى قيلهم ذلك كذبة ، والتكذيب لا يقع فى التمنى . ولكن صاحب هذه المقالة أظنُّ به أنَّه لم يتدبر التأويل ، ولَزِم سَنَن العربيّة .

* * *

قال أبو جعفر : والقراءة التى لا أختار غيرها فى ذلك : ﴿ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ بالرفع فى كليهما ، بمعنى : يا ليتنا نردّ ، ولسنا نكذب بآيات ربِّنا إن رددنا ، ولكنا نكون من المؤمنين = على وجه الخبر منهم عما يفعلون إن هم ردُّوا إلى الدنيا ، لا على التمنّى منهم أن لا يكذِّبوا بآيات ربهم ويكونوا من المؤمنين . لأن الله تعالى ذكره قد أخبر عنهم أنهم لو ردُّوا لعادوا لما نهوا عنه ، وأنهم كذبة فى قيلهم ذلك . ولو كان قيلهم ذلك على وجه التمنى ، لاستحال تكذيبهم فيه ، لأن التمنى لا يكذَّب ، وإنما يكون التصديقُ والتكذيبُ فى الأخبار .

* * *

وأما النصب فى ذلك ، فإنى أظنّ بقارئه أنه توخَّى تأويل قراءة عبد الله التى ذكرناها عنه ، [1] وذلك قراءته ذلك : ﴿ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ فَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، على وجه جواب التمنى بالفاء . وهو إذا قرئ بالفاء

---

(١) فى المطبوعة : « فإنى أظن بقارئه أنه برجاء تأويل قراءة عبد الله » ، وهو كلام غث . وفى المخطوطة : « . . . أنه برجا تأويل قراءة عبد الله » غير منقوطة ، وصواب قراءتها ما أثبت .

كذلك، لا شك فى صحة إعرابه . ومعناه فى ذلك : أن تأويله إذا قرئ كذلك : لو أنّا رددنا إلى الدنيا ما كذّبنا بآيات ربّنا ، ولكُنّا من المؤمنين . فإن يكن الذى حكىَ من حكى عن العرب من السماع منهم الجوابَ بالواو ، و« ثم » كهيئة الجواب بالفاء ، صحيحاً ، فلا شك فى صحّة قراءة من قرأ ذلك : ﴿ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ ﴾ نصباً على جواب التمنى بالواو ، على تأويل قراءة عبد الله ذلك بالفاء . وإلا فإن القراءة بذلك بعيدةُ المعنى من تأويل التنزيل . ولستُ أعلم سماعَ ذلك من العرب صحيحاً، بل المعروف من كلامها : الجوابُ بالفاء ، والصرفُ بالواو .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ (٢٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ما بهؤلاء العادلين بربهم ،[1] الجاحدين نبوتك ، يا محمد ، فى قيلهم إذا وقفوا على النار : « ياليتنا نردُّ ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين » = الأسىَ والندمُ على ترك الإيمان بالله والتصديق بك ،[2] لكن بهم الإشفاق مما هو نازلٌ بهم من عقاب الله وأليم عذابه ، على معاصيهم التى كانوا يخفونها عن أعين الناس ويسترونها منهم ، فأبداها الله منهم يوم القيامة وأظهرها على رؤوس الأشهاد ، ففضحهم بها، ثم جازاهم بها جزاءَهم .

يقول : بل بد الهم ما كانوا يخفون من أعمالهم السيئة التى كانوا يخفونها من قبل ذلك فى الدنيا ، فظهرت = « ولو رُدُّوا » ، يقول : ولو ردّوا إلى الدنيا فأمنهلوا

---

(١) فى المطبوعة : « ما قصد هؤلاء » ، وهو لا شىء ولكن حمله عليه أنه فى المخطوطة « ما هؤلاء العادلين » ، واستظهرت الصواب من قوله بعد : « لكن بهم الإشفاق » .

(٢) السياق : « ما بهؤلاء العادلين بربهم ... الأسى والندم ... » .

= « لعادوا لما نهوا عنه » ، يقول : لرجعوا إلى مثل العمل الذى كانوا يعملونه فى الدنيا قبل ذلك ، من جحود آيات الله ، والكفر به ، والعمل بما يسخط عليهم ربّهم = « وإنهم لكاذبون » ، فى قيلهم : «لو رددنا لم نكذب بآيات ربّنا وكنا من المؤمنين »، لأنهم قالوه حين قالوه خشية العذاب ، لا إيماناً بالله .

* * *

وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣١٨١ – حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل » ، يقول : بدت لهم أعمالهم فى الآخرة ، التى أخفوها فى الدنيا .

١٣١٨٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ،عن قتادة فى قوله: « بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل »،قال : من أعمالهم.

١٣١٨٣ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولو ردُّوا لعادُوا لما نهوا عنه »، يقول: ولو وصل الله لهم دُنيا كدنياهم، لعادوا إلى أعمالهم أعمالِ السوء . ١١٣/٧

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ (٢٩)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء المشركين ، العادلين به الأوثان والأصنام ، الذين ابتدأ هذه السورة بالخبر عنهم .

يقول تعالى ذكره : « وقالوا إنْ هى إلاّ حياتنا الدنيا » ، يخبر عنهم أنهم ينكرون أنّ الله يُحيي خلقه بعد أن يُميتهم ، ويقولون : «لا حياة بعد الممات ، ولا بعث ولا نشور بعد الفناء» . فهم بجحودهم ذلك ، وإنكارهم ثوابَ الله وعقابَه فى الدار الآخرة ، لا يبالون ما أتوا وما ركبوا من إثم ومعصية ، لأنهم لا يرجون ثواباً على إيمان بالله وتصديق برسوله وعملٍ صالح بعد موت ، ولا يخافون عقاباً على كفرهم بالله وبرسوله وسيّءٍ من عمل يعملونه .(١)

* * *

وكان ابن زيد يقول : هذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء الكفرة الذين وقفوا على النار : أنهم لو ردُّوا إلى الدنيا لقالوا : « ما هى إلا حياتُنا الدنيا وما نحن بمبعوثين » .

١٣١٨٤ — حدثنا يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه » ، وقالوا حين يردون : « إن هى إلاّ حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ (٣٠)

قال أبو جعفر : : يقول تعالى ذكره : « لو ترى » ، يا محمد ، هؤلاء القائلين : ما هى إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين = « إذ وقفوا » ، يوم القيامة ،

---

(١) فى المطبوعة : «وشيء من عمل» ، وهى فى المخطوطة غير منقوطة ، وصواب قراءتها ما أثبت .

أى : حبسوا ،[١] «على ربهم» ، يعنى على حكم الله وقضائه فيهم = « قال أليس هذا بالحق » ، يقول : فقيل لهم : أليس هذا البعثُ والنشر بعد الممات الذى كنتم تنكرونَه فى الدنيا ، حقًّا ؟ فأجابوا ، فقالوا: بلى والله إنه لحقّ = « قال فذوقوا العذاب » ، يقول : فقال الله تعالى ذكره لهم : فذوقوا العذاب الذى كنتم به فى الدنيا تكذبون[٢] = « بما كنتم تكفرون » ، يقول : بتكذيبكم به وجحدكموه الذى كان منكم فى الدنيا .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله » ، قد هلك ووُكس ، فى بيعهم الإيمان بالكفر[٣] = « الذين كذبوا بلقاء الله » ، يعنى : الذين أنكروا البعثَ بعد الممات ، والثواب والعقابَ ، والجنةَ والنارَ ، من مشركى قريش ومَنْ سلك سبيلهم فى ذلك = « حتى إذا جاءتهم الساعة » ، يقول : حتى إذا جاءتهم السَّاعة التى يَبْعث الله فيها الموتى من قبورهم .

* * *

وإنما أدخلت « الألف واللام » فى « الساعة » ، لأنها معروفة المعنى عند المخاطبين بها ، وأنها مقصود بها قصدُ الساعة التى وصفت .

* * *

---

(١) انظر تفسير « وقف » فيما سلف قريباً ص : ٣١٦

(٢) انظر تفسير « ذاق العذاب » فيما سلف ص : ٤٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « خسر » فيما سلف ص : ٢٩٤ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

ويعنى بقوله: « بغتة » ، فجأةً ، من غير علم من تفجؤه بوقت مفاجأتها إيّاه .

* * *

يقال منه : «بغتَه أبغته بَغْتةً » ، إذا أخذته كذلك :

* * *

= « قالوا يا حَسْرتَنا على ما فرّطنا فيها »، يقول تعالى ذكره: وُكس الذين كذبوا بلقاء الله ببيعهم منازلهم من الجنة بمنازل من اشتروا منازله من أهل الجنة من النار ، فإذا جاءتهم الساعة بغتةً قالوا إذا عاينوا ما باعوا وما اشتروا، وتبيّنوا خسارة صفقة بَيْعهم التى سلفت منهم فى الدنيا، تندُّماً وتلهُّفاً على عظيم الغَبْن الذى غبنوه أنفسهم ، وجليلِ الخسران الذى لا خسرانَ أجلَّ منه = « يا حسرتنا على ما فرطنا فيها »، يقول : يا ندامتنا على ما ضيّعنا فيها، يعنى : صفقتهم تلك.(١)

* * *

و « الهاء والألف» فى قوله: « فيها »، من ذكر « الصفقة »، ولكن اكتفى بدلالة قوله : « قد خسر الذين كذّبوا بلقاء الله » عليها من ذكرها ، إذ كان معلوماً أن «الخسران» لا يكون إلاّ فى صفقة بيع قد جرت .(٢)

* * *

وإنما معنى الكلام : قد وُكس الذين كذبوا بلقاء الله ، ببيعهم الإيمان الذى يستوجبون به من الله رضوانَه وجنته، بالكفر الذى يستوجبون به منه سَخَطه وعقوبته، ولا يشعرون ما عليهم من الخسران فى ذلك ، حتى تقوم الساعة ، فإذا جاءتهم الساعة بغتةً فرأوا ما لحقهم من الخسران فى بيعهم، قالوا حينئذ ، تندماً : « ياحسرتنا على ما فرطنا فيها » .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) انظر تفسير « الحسرة » فيما سلف ٣ : ٧/٢٩٥ : ٣٣٥ .

(٢) فى المطبوعة : « قد خسرت » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو الصواب .

١٣١٨٥ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى: قوله: «يا حسرتنا على ما فرطنا فيها»، أمّا «يا حسرتنا»، فندامتنا = «على ما فرطنا فيها»، فضيعنا من عمل الجنة.

١١٤/٧ ١٣١٨٦ – حدثنا محمد بن عمارة الأسدى قال، حدثنا يزيد بن مهران قال، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن الأعمش، عن أبى صالح، عن أبى سعيد، عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله: «يا حسرتنا»، قال: يرى أهلُ النار منازلهم من الجنة فيقولون: «يا حسرتنا».(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ (٣١)

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وهؤلاء الذين كذّبوا بلقاء الله، «يحملون أوزارهم على ظهورهم». وقوله: «وهم» من ذكرهم = «يحملون أوزارهم»، يقول: آثامهم وذنوبهم.

* * *

واحدها «وِزْر»، يقال منه: «وَزَر الرجل يزِر»، إذا أثم، قال الله: «ألا ساء ما يزرون».(٢) فإن أريد أنهم أُثِمُوا،(٣) قيل: «قد وُزِر القوم فهم يُوزَرُون، وهم موزرون».

* * *

(١) الأثر: ١٣١٨٦ – «يزيد بن مهران الأسدى»، الخباز، أبو خالد. صدوق، وذكره ابن حبان فى الثقات وقال: «يغرب». مترجم فى التهذيب، وابن أبى حاتم ٤/٢/٢٩٠.
وهذا الخبر خرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣: ٩، وقال: «أخرج ابن جرير، وابن أبى حاتم، والطبرانى، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والخطيب بسند صحيح، عن أبى سعيد الخدرى»، وذكر الخبر.

(٢) فى المطبوعة، حذف قوله: «قال الله: ألا ساء مايزرون».

(٣) «أثموا» بضم الهمزة وتشديد الثاء المكسورة، بالبناء للمجهول أى: رموا بالإثم.

قد زعم بعضهم أن « الوِزْر » الثقل والحمل . ولست أعرف ذلك كذلك فى شاهد ، ولا من رواية ثِقة عن العرب .

* * *

وقال تعالى ذكره : « على ظهورهم » ، لأن الحمل قد يكون على الرأس والمنكِب وغير ذلك ، فبيَّن موضع حملهم ما يحملون من ذلك .

* * *

وذكر أنّ حملهم أوزارهم يومئذ على ظهورهم ، نحو الذى :-

١٣١٨٧ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا الحكم ابن بشير بن سَلْمان قال ، حدثنا عمرو بن قيس الملائى قال : إن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله أحسن شىء صورة وأطيبُه ريحاً ،(١) فيقول له : هل تعرفنى ؟ فيقول : لا ، إلاّ أن الله قد طيَّب ريحك وحسَّن صورتك ! فيقول : كذلك كنت فى الدنيا ، أنا عملك الصالح ، طالما ركبتك فى الدنيا ، فاركبنى أنت اليوم ! = وتلا : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾ ، [سورة مريم : ٨٥] . وإن الكافر يستقبله أقبح شىء صورة وأنتنُه ريحاً ، فيقول ، هل تعرفنى ؟ فيقول : لا ، إلاّ أن الله قد قبَّح صورتك وأنتن ريحك ! فيقول : كذلك كنتُ فى الدنيا ، أنا عملك السيء ، طالما ركبتنى فى الدنيا ، فأنا اليوم أركبك = وتلا : « وهم يحملون أوزارهم على ظُهورهم ألا ساء ما يزرون » .(٢)

---

(١) فى المطبوعة : « استقبله عمله فى أحسن صورة وأطيبه ريحاً » ، وهو كلام غث غير مستقيم ، وكان فى المخطوطة : « استقبله أحسن صورة وأطيبه ريحاً » ، سقط من الناسخ ما أثبته « شىء » ، واستظهرته من قوله بعد : « يستقبله أقبح شىء صورة وأنتنه ريحاً » .

(٢) الأثر : ١٣١٨٧ - « الحكم بن بشير بن سلمان النهدى » ، ثقة ، مضى مراراً ، رقم : ١٤٩٧ ، ٢٨٧٢ ، ٣٠١٤ ، ٦١٧١ ، ٩٦٤٦ . وكان فى المطبوعة هنا « سليمان » وهو خطأ ، صححته فى المخطوطة ، والمراجع ، كما سلف أيضاً .

و « عمرو بن قيس الملائى » ، مضى مراراً ، رقم : ٨٨٦ ، ١٤٩٧ ، ٣٩٥٦ ، ٦١٧١ ، ٩٦٤٦ .

وهذا الخبر خرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٩ ، وزاد نسبته لابن أبى حاتم . وإسناد أبى حاتم فيما رواه ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٣٠٣ : « حدثنا أبو سعيد الأشج ، قال حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن عمرو بن قيس ، عن أبى مرزوق » ، وساق الخبر مختصراً بغير هذا اللفظ .

١٣١٨٨ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى: «وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم»، فإنه ليس من رجل ظالم يموت فيدخل قبره، [١] إلا جاءه رجل قبيح الوجه، أسودُ اللون، مُنتن الريح، عليه ثياب دَنِسة، حتى يدخل معه قبره، فإذا رآه قال له: ما أقبح وجهك! قال: كذلك كان عملك قبيحاً! قال: ما أنتن ريحك! قال: كذلك كان عملك منتناً! قال: ما أدْنس ثيابك! قال فيقول: إن عملك كان دنساً. قال: من أنت؟ قال: أنا عملك! قال: فيكون معه فى قبره، فإذا بعث يوم القيامة قال له: إنى كنت أحملك فى الدنيا باللذّات والشهوات، فأنت اليوم تحملنى. قال: فيركب على ظهره فيسوقه حتى يدخلَه النار، فذلك قوله: «يحملون أوزارهم على ظهورهم».

* * *

وأما قوله تعالى ذكره: «ألا ساء ما يزرون»، فإنه يعنى: ألا ساء الوزر الذى يزرون – أى: الإثم الذى يأثمونه بربهم، [٢] كما: –

١٣١٨٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن قتادة فى قوله: «ألا ساء ما يزرون»، قال: ساء ما يعملون.

* * *

(١) فى المطبوعة: «قال ليس من رجل ظالم يموت»، وأثبت ما فى المخطوطة.

(٢) كان فى المطبوعة: «الذى يأثمونه كفرهم بربهم»، زاد «كفرهم»، وأفسد الكلام. وأثبت ما فى المخطوطة، وهو الصواب المحض. وقد بينت آنفاً معنى قوله «أثم فلان بربه» ٤: ٥٣٠، تعليق: ٣/٦: ٩٢/١١: ١٨٠، تعليق: ٣.

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٣٢)

قال أبو جعفر : وهذا تكذيب من الله تعالى ذكره هؤلاء الكفارَ المنكرين البعثَ بعد الممات فى قولهم : ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ [سورة المائدة : ٢٩]

يقول تعالى ذكره ، مكذباً لهم فى قيلهم ذلك : « ما الحياة الدنيا » ، أيها الناس = « إلاّ لعب ولهو » ، يقول : ما باغى لذاتِ الحياة التى أدْنيت لكم وقرّبت منكم فى داركم هذه ، (١) ونعيمَها وسرورَها ، فيها ، (٢) والمتلذذُ بها ، والمنافسُ عليها إلا فى لعب ولهو ، لأنها عما قليل تزول عن المستمتع بها والمتلذذِ فيها بملاذّها ، أو تأتيه الأيام بفجائعها وصروفها ، فتُمِيرُّ عليه وتكدُر ، (٣) كاللاعب اللاهى الذى يسرع اضمحلال لهوه ولعبه عنه ، ثم يعقبه منه ندماً ، ويُورثه منه تَرحاً .

يقول : لا تغتروا ، أيها الناس ، بها ، فإن المغتر بها عمّا قليل يندم = « وللدار الآخرة خير للذين يتقون » ، يقول : وللعمل بطاعته ، والاستعدادُ للدار الآخرة بالصالح من الأعمال التى تَبقى منافعها لأهلها ، ويدوم سرورُ أهلها فيها ، خيرٌ من الدار التى تفنى وشيكاً ، (٤) فلا يبقى لعمالها فيها سرور ، ولا يدوم لهم فيها نعيم = « للذين

---

(١) انظر تفسير « الحياة الدنيا » فيما سلف ١ : ٢٤٥ .

(٢) سياق الجملة : « ما باغى لذات الحياة . . . ونعيمها وسرورها » ، بالعطف ثم قوله : « فيها » ، سياقه : « ما باغى لذات الحياة . . . فيها » . وقوله بعد : « والمتلذذ بها » مرفوع معطوف على قوله : « ما باغى لذات الحياة » .

(٣) فى المطبوعة : « فتمر عليه وتكر » غير ما فى المخطوطة ، وهو ما أثبته ، وهو الصواب « تمر » من « المرارة » ، أى : تصير مرة بعد حلاوتها ، وكدرة بعد صفائها .

(٤) فى المطبوعة ، حذف قوله « وشيكا » ، كأنه لم يحسن قراءتها . « وشيكا » : سريعاً .

يتقون » ، يقول : للذين يخشون الله فيتقونه بطاعته واجتناب معاصيه ، والمسارعة إلى رضاه = « أفلا تعقلون » ، يقول : أفلا يعقل هؤلاء المكذّبون بالبعث حقيقةَ ما نخبرهم به ، من أن الحياة الدنيا لعب ولهوٌ ، وهم يرون من يُخْتَرم منهم ،(١) ومن يهلك فيموت ، ومن تنوبه فيها النوائب وتصيبُه المصائب وتفجعه الفجائع . ففي ذلك لمن عقل مدّكر ومزدجر عن الركون إليها ، واستعباد النفس لها = ودليلٌ واضح على أن لها مدبِّراً ومصرفاً يلزم الخلقَ إخلاصُ العبادة له ، بغير إشراك شيءٍ سواه معه . ١١٥/٧

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (٣٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « قد نعلم » ، يا محمد ، إنه ليحزنك الذي يقول المشركون ، وذلك قولهم له : إنه كذّاب = « فإنهم لا يكذبونك » .

* * *

واختلفت القرأة في قراءة ذلك

[فقرأة جماعة من أهل الكوفة : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكْذِبُونَكَ ﴾ بالتخفيف] ،(٢) بمعنى : إنهم لا يُكْذِبونك فيما أتيتهم به من وحي الله ، ولا يدفعون أن يكون ذلك صحيحاً ، بل يعلمون صحته ، ولكنهم يجحَدون حقيقته قولاً فلا يؤمنون به .

---

(١) « اخترم الرجل » (بالبناء للمجهول) و « اخترمته المنية من بين أصحابه » ، أخذته من بينهم وخلا منه مكانه ، كأن مكانه صار خرماً في صفوفهم .

(٢) هذه الزيادة بين القوسين ، ساقطة من المخطوطة والمطبوعة ، ولكن زيادتها لا بد منها ، واستظهرتها من نسبة هذه القراءة ، فهي قراءة علي ونافع والكسائي . انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٣٣١ ، وتفسير أبي حيان ٤ : ١١١ ، وغيرهما .

* * *

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يحكى عن العرب أنهم يقولون : « أكذبت الرجل » ، إذا أخبرت أنه جاءَ بالكذب ورواه . قال : ويقولون : « كذَّبْتُه » ، إذا أخبرت أنه كاذبٌ .(١)

* * *

وقرأته جماعة من قرأة المدينة والعراقين والكوفة والبصرة : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ بمعنى : أنهم لا يكذّبونك علماً ، بل يعلمون أنك صادق = ولكنهم يكذبونك قولا ، عناداً وحسداً

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القرأة ، ولكل واحدة منهما فى الصحة مخرج مفهوم .

وذلك أن المشركين لا شكّ أنه كان منهم قوم يكذبون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، ويدفعونه عما كان الله تعالى ذكره خصه به من النبوّة ، فكان بعضهم يقول : « هو شاعر » ، وبعضهم يقول : « هو كاهن » ، وبعضهم يقول : « هو مجنون » ، وينفى جميعُهم أن يكون الذى أتاهم به من وحى السماء ، ومن تنزيل رب العالمين ، قولاً . وكان بعضهم قد تبين أمرَه وعلم صحة نبوّته ، وهو فى ذلك يعاند ويجحد نبوّته حسداً له وبغياً .

* * *

فالقارئ : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ = بمعنى (٢) : أن الذين كانوا يعرفون

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٣١ .

(٢) فى المطبوعة : « يعنى به » ، وفى المخطوطة : « معنى أن الذين . . . » ، وصواب قراءتها ما أثبت .

حقيقة نبوّتك وصدق قولك فيما تقول ، يجحدونَ أن يكون ما تتلوه عليهم من تنزيل الله ومن عند الله ، قولاً — وهم يعملون أن ذلك من عند الله علماً صحيحاً = مصيبٌ ، [1] لما ذكرنا من أنه قد كان فيهم من هذه صفته .

وفى قول الله تعالى فى هذه السورة : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ [سورة المائدة : ٢٠] ، أوضح الدليل على أنه قد كان فيهم المعاند فى جحود نبوّته صلى الله عليه وسلم ، مع علمٍ منه به وبصحة نبوّته . [2]

* * *

وكذلك القارىء : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ = [3] بمعنى : أنهم لا يكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عناداً ، لا جهلاً بنبوّته وصدق لَهْجته = مصيب ، [4] لما ذكرنا من أنه قد كان فيهم مَنْ هذه صفته .

وقد ذَهب إلى كل واحد من هذين التأويلين جماعة من أهل والتأويل .

* * *

* ذكر من قال : معنى ذلك : فإنهم لا يكذبونك ولكنهم يجحدون الحقّ على علم منهم بأنك نبيٌّ لله صادق .

١٣١٩٠ — حدثنا هناد قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن إسمعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح فى قوله : « قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون فإنهم لا يكذبونك » ، قال : جاء جبريل إلى النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو جالس حزينٌ ، فقال له : ما يُحزنك ؟ فقال : كذّبنى هؤلاء ! قال فقال له جبريل : إنهم لا يكذبونك ، هم يعلمون أنك صادق ، « ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » .

١٣١٩١ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن إسمعيل ، عن

---

(١) السياق : « فالقارىء . . . مصيب » .

(٢) فى المطبوعة : « . . . على أنه قد كان فيهم العناد فى جحود نبوته . . . مع علم منهم به وصحة نبوته » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب ، إلا أنه فى المخطوطة أيضاً « به وصحة نبوته » ، فرأيت السياق يقتضى أن تكون « وبصحة » ، فأثبتها .

(٣) فى المطبوعة : « يعنى أنهم . . . » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٤) السياق : « وكذلك القارىء . . . مصيب » .

أبي صالح قال : جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس حزين ، فقال له : ما يحزنك ؟ . فقال: كذّبني هؤلاء ! فقال له جبريل: إنهم لا يكذبونك ، إنهم ليعلمون أنك صادق ، « ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » .

١٣١٩٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » ، قال : يعلمون أنك رسول الله ويجحدون .

١٣١٩٣ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي في قوله : « قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » ، لما كان يوم بدر قال الأخنس ابن شريق لبني زهرة : يا بني زهرة ، إن محمداً ابن أختكم، فأنتم أحقُّ مَنْ كفَّ عنه ،[1] فإنه إن كان نبياً لم تقاتلوهُ اليوم، وإن كان كاذباً كنتم أحق من كف عن ابن أخته! قفوا ههنا حتى ألقى أبا الحكم فإن غُلب محمدٌ [صلى الله عليه وسلم] ، رجعتم سالمين ، وإن غَلَب محمدٌ فإن قومكم لا يصنعون بكم شيئاً = فيومئذ سمي «الأخنس »، وكان اسمه «أبيّ» =[2] فالتقى الأخنس وأبو جهل ، فخلا الأخنس بأبي جهل فقال : يا أبا الحكم ، أخبرني عن محمد ، أصادق هو أم كاذب ؟ فإنه ليس ههنا من قريش أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا ! فقال أبو جهل : ويْحك، والله إن محمداً لصادق ، وما كذب محمّد قط ، ولكن إذا ذهب بنو قُصَيٍّ باللواء والحجابة والسقاية والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش ؟ فذلك قوله : « فإنهم لا يكذّبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » ، «فآيات الله » ، محمدٌ صلى الله عليه وسلم .

١١٦/٧

---

(١) في تفسير ابن كثير ٣ : ٣٠٥ ، في هذا الموضع : « فأنتم أحق من ذب عنه » .

(٢) سمي « الأخنس » ، لأنه من « خنس يخنس خنوساً » ، إذا انقبض عن الشيء وتأخر ورجع .

١٣١٩٤ – حدثني الحارث بن محمد قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا قيس ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير : « فإنهم لا يكذبونك » ، قال : ليس يكذّبون محمداً ، ولكنهم بآيات الله يجحدون .

* ذكر من قال : ذلك بمعنى : فإنهم لا يكذّبونك ، ولكنهم يكذّبون ما جئت به .

١٣١٩٥ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحق ، عن ناجية قال : قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم : ما نتهمك، ولكن نتّهم الذى جئت به ! فأنزل الله تعالى ذكره : « فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » .

١٣١٩٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن آدم ، عن سفيان ، عن أبي إسحق ، عن ناجية بن كعب : أنّ أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إنّا لا نكذبك ، ولكن نكذب الذى جئت به ! فأنزل الله تعالى ذكره: « فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ».

وقال آخرون : معنى ذلك ، فإنهم لا يبطلون ما جئتهم به .

* ذكر من قال ذلك :

١٣١٩٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا إسحق بن سليمان ، عن أبي معشر، عن محمد بن كعب : « فإنهم لا يكذبونك » ، قال : لا يبطلون ما فى يديك .

وأما قوله : « ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » ، فإنه يقول : ولكن المشركين بالله ، بحجج الله وآى كتابه ورسوله يجحدون ، فينكرون صحّة ذلك كله .

وكان السدى يقول : « الآيات » فى هذا الموضع ، معنىٌّ بها محمّد صلى الله عليه وسلم . وقد ذكرنا الرواية بذلك عنه قبلُ .(١)

* * *

(١) انظر آخر الأثر السالف رقم : ١٣١٩٣ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾

قال أبو جعفر : وهذا تسلية من الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وتعزيةٌ له عما ناله من المساءة بتكذيب قومه إيّاه على ما جاءهم به من الحق من عند الله .

يقول تعالى ذكره : إن يكذبك ، يا محمد ، هؤلاء المشركون من قومك ، فيجحدوا نبوّتك ، وينكروا آيات الله أنّها من عنده ، فلا يحزنك ذلك ، واصبر على تكذيبهم إياك وما تلقى منهم من المكروه فى ذات الله، حتى يأتى نصر الله ، (١) فقد كُذبت رسلٌ من قبلك أرسلتهم إلى أممهم ، فنالوهم بمكروه ، فصبروا على تكذيب قومهم إياهم ، ولم يثنهم ذلك من المضىّ لأمر الله الذى أمرهم به من دعاء قومهم إليه ، حتى حكم الله بينهم وبينهم = « ولا مبدّل لكلمات الله» ، يقول : ولا مغيِّر لكلمات الله = و« كلماته» تعالى ذكره : ما أنزل الله إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، من وعده إياه النصر على من خالفه وضادّه ، والظفرَ على من تولّى عنه وأدبر = « ولقد جاءك من نبأ المرسلين » ، يقول : ولقد جاءك ، يا محمد ، من خبر من كان قبلك من الرسل ، (٢) وخبر أممهم وما صنعتُ بهم = حين جحدوا آياتى وتمادَوا فى غيهم وضلالهم = أنباء = وترك ذكر « أنباء » ، لدلالة « مِنْ » عليها . يقول تعالى ذكره : فانتظر أنت أيضاً من النصرة والظفر مثل الذى كان منّى فيمن

---

(١) انق المخطوطة : « حتى أتاهم نصر الله » ، وهو سهو من الناسخ ، صوابه ما فى المطبوعة .
(٢) انظر تفسير « النبأ » فيما سلف ص : ٢٦٢ ، تعليق : ٣ ، والمراجع .

كان قبلك من الرسل إذ كذبهم قومهم، واقتد بهم فى صبرهم على ما لقُوا من قومهم .

* * *

وبنحو ذلك تأوّل من تأوّل هذه الآية من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣١٩٨ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولقد كُذّبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا » ، يعزّى نبيه صلى الله عليه وسلم كما تسمعون ، ويخبره أن الرسل قد كُذّبت قبله ، فصبروا على ما كذبوا ، حتى حكم الله وهو خير الحاكمين . ١١٧/٧

١٣١٩٩ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك : « ولقد كذبت رسل من قبلك » ، قال : يعزّى نبيّه صلى الله عليه وسلم .

١٣٢٠٠ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « ولقد كذبت رسل من قبلك » ، الآية ، قال : يعزّى نبيّه صلى الله عليه وسلم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن كان عظم عليك ، يا محمد ، إعراض هؤلاء المشركين عنك ، وانصرافهم عن تصديقك فيما جئتهم به من الحق الذى

بعثتُك به، فشقّ ذلك عليك، ولم تصبر لمكروه ما ينالك منهم[١] = « فإن استطعت أن تبتغى نفقاً فى الأرض » ، يقول : فإن استطعت أن تتّخذ سَرَباً فى الأرض مثلَ نَافِقاء اليَرْبُوع، وهى أحد جِحَرَتِه فتذهب فيه[٢] = «أو سُلماً فى السماء»، يقول : أو مصعداً تصعد فيه ، كالدَّرَج وما أشبهها ، كما قال الشاعر[٣] :

لَا تُحْرِزُ الْمَرْءَ أَحْجَاءُ الْبِلَادِ ، وَلَا يُبْنَى لَهُ فِى السَّمَوَاتِ السَّلَالِيمُ[٤]

* * *

= « فتأتيهم بآية »، منها = يعنى بعلامةٍ وبرهان على صحة قولك ،[٥] غير الذى أتيتك = فافعل .[٦]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك : قال بعض أهل التأويل

* ذكر من قال ذلك :

١٣٢٠١ — حدثنا المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى

---

(١) انظر تفسير « الإعراض » فيما سلف ص : ٢٦٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « ابتغى » فيما سلف ١٠ : ٣٩٤ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) هو تميم بن أبى بن مقبل .

(٤) من قصيدة له جيدة ، نقلتها قديماً ، والبيت فى مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٩٠ ، وشرح شواهد المغنى : ٢٢٧ ، واللسان (سلم) (حجا) ، وغيرها ، وقبل البيت ، وهى أبيات حسان :

إِنْ يَنْقُصِ الدَّهْرُ مِنِّى، فالفَتَى غَرَضٌ لِلدَّهْرِ ، من عَوْدِهِ وَافٍ وَمَثْلُومُ
وَإِنْ يَكُنْ ذَاكَ مِقْدَاراً أُصِبْتُ بِهِ فَسِيرَةُ الدَّهْرِ تَعْوِيجٌ وتَقْوِيمُ
مَا أَطْيَبَ العَيْشَ لَوْ أَن الفَتَى حَجَرٌ تَنْبُو الحَوَادِثُ عَنْهُ وهو مَلْمُومُ
لا يمنع المرء أنصارٌ وَرَابِيَةٌ تَأْبَى الهَوَانَ إِذَا عُدَّ الجَرَاثِيمُ
لا يُحْرِزُ المَرْءَ . . . . . .

و « أحجاء البلاد » : نواحيها وأطرافها . ويروى « أعناء البلاد » ، وهو مثله فى المعنى .

(٥) انظر تفسير « آية » فيما سلف فى فهرس اللغة (أبى) .

(٦) قوله : « فافعل » ، أى : «إن استطعت أن تبتغى نفقاً . . . فافعل » .

معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وإن كان كبر عليك إعراضهم. فإن استطعت أن تبتغى نفقاً فى الأرض أو سلماً فى السماء » ، و « النفق » السَّرب ، فتذهب فيه = « فتأتيهم بآية » ، أو تجعل لك سلَّماً فى السماء ، [1] فتصعد عليه ، فتأتيهم بآية أفضل مما أتيناهم به ، فافعل .

١٣٢٠٢ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « فإن استطعت أن تبتغى نفقاً فى الأرض » ، قال : سَرَباً = « أو سلماً فى السماء » ، قال : يعنى الدَّرَج .

١٣٢٠٣ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغى نفقاً فى الأرض أو سلماً فى السماء » ، أما « النفق » فالسرب ، وأما « السلم » فالمصعد .

١٣٢٠٤ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس قوله : « نفقاً فى الأرض » ، قال : سرباً .

* * *

وتُرِك جواب الجزاء فلم يذكر ، لدلالة الكلام عليه ، ومعرفة السامعين بمعناه. وقد تفعل العرب ذلك فيما كان يُفهم معناه عند المخاطبين به ، فيقول الرجل منهم للرجل : « إن استطعت أن تنهض معنا فى حاجتنا ، إن قدرت على مَعُونتنا » ، ويحذف الجواب ، وهو يريد : إن قدرت على معونتنا فافعل . فأما إذا لم يعرف المخاطب والسامع معنى الكلام إلاّ بإظهار الجواب ، لم يحذفوه . لا يقال : « إن تقم » ، فتسكت وتحذف الجواب ، لأن المقول ذلك له لا يعرف جوابه إلا بإظهاره ،

---

(١) فى المخطوطة : « تجعل لهم سلماً » ، والجيد ما فى المطبوعة .

حتى يقال : « إن تقم تصب خيراً » ، أو : «إن تقم فحسن»، وما أشبه ذلك . [١]
ونظيرُ ما فى الآية مما حذف جَوَابه وهو مراد ، لفهم المخاطب لمعنى الكلام قول الشاعر : [٢]

فَبِحَظٍّ مِمَّا نَعِيشُ ، وَلَا تَذْ هَبْ بِكِ التُّرَّهَاتُ فِى الأَهْوَالِ [٣]

والمعنى : فبحظٍّ مما نعيش فعيشى . [٤]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ (٣٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن الذين يكذبونك من هؤلاء الكفار ، يا محمد ، فيحزنك تكذيبهم إياك، لو أشاء أن أجمعهم على استقامة من الدِّين ، وصوابٍ من محجة الإسلام ، حتى تكون كلمة جميعكم واحدة ، وملتكم وملتهم واحدة ، لجمعتهم على ذلك، ولم يكن بعيداً علىَّ ، لأنىّ القادرُ على ذلك بلطفى، ولكنى لم أفعل ذلك لسابق علمى فى خلقى ، ونافذ قضائى فيهم من قبل أن أخلقهم وأصوِّر أجسامهم = « فلاتكونن » ، يا محمد ، « من الجاهلين » ، يقول :

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٣١ ، ٣٣٢ .

(٢) هو عبيد بن الأبرص .

(٣) مضى البيت وتخريجه فيما سلف ٣ : ٢٨٤ . وكان البيت فى المخطوطة على الصواب كما أثبته ، وإن كان غير منقوط . أما المطبوعة ، فكان فيها هكذا .

فتحطّ ممـا يعش ولا تذهب بك التُرهّات فى الأهوال

أساء قراءة المخطوطة ، وحرفه .

(٤) فى المطبوعة : « والمعنى : فتحط مما يعش فعيشى » ، وهو خطأ ، صوابه فى المخطوطة .

فلا تكونن ممن لا يعلم أن الله لو شاء لجمَع على الهدى جميع خلقه بلطفه ، (١) وأنّ من يكفر به من خلقه إنما يكفر به لسابق علم الله فيه ، ونافذ قضائه بأنه كائنٌ من الكافرين به اختيارًا لا اضطرارًا ، فإنك إذا علمت صحة ذلك ، لم يكبر عليك إعراضُ من أعرض من المشركين عما تدعُوه إليه من الحق ، وتكذيبُ من كذّبك منهم . ١١٨/٧

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال بعض أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٢٠٥ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس: يقول الله سبحانه: لو شئتُ لجمعتهم على الهدى أجمعين .

* * *

قال أبو جعفر : وفى هذا الخبر من الله تعالى ذكره، الدلالةُ الواضحة على خطأ ما قال أهل التّفْويض من القدريّه ، (٢) المنكرون أن يكون عند الله لطائف لمن شاءَ توفيقه من خلقه، يلطفُ بها له حتى يهتدِيَ للحقّ فينقاد له، وينيبَ إلى الرشاد فيذعن به ويؤثره على الضلال والكفر بالله . وذلك أنه تعالى ذكره أخبر أنه لو شاءَ الهداية لجميع من كفر به ، حتى يجتمعوا على الهدى ، فعلَ . ولا شك أنه لو فعل ذلك بهم ، كانوا مهتدين لا ضلالاً . وهم لو كانوا مهتدين ، كان لا شك أنّ كونهم مهتدين كان خيرًا لهم . وفى تركه تعالى ذكره أن يجمعهم على الهدى ، تركٌ منه أن يفعل بهم فى دينهم بعض ما هو خيرٌ لهم فيه ، مما هو قادر على فعله بهم ، وقد

(١) انظر تفسير « الجاهل » فيما سلف ٢ : ١٨٣ ، وتفسير « جهالة » ٨ : ٨٨ — ٩٢ .

(٢) « أهل التفويض » : هم الذى يقولون : إن الأمر فوض إلى الإنسان ، فإرادته كافية فى إيجاد فعله ، طاعة كان أو معصية ، وهو خالق لأفعاله ، والاختيار بيده . انظر ما سلف ١ : ١٦٢ ، تعليق : ١ .

وأما « القدرية » ، و « أهل القدر » ، فهم الذين ينفون القدر . وأما الذين يثبتون القدر ، وهم أهل الحق ، فهم : « أهل الإثبات » . وانظر ما سلف ١ : ١٦٢ ، تعليق : ١ .

ترك فعله بهم . وفى تركه فعل ذلك بهم ، أوضحُ الدليل أنه لم يعطهم كل الأسباب التى بها يصلون إلى الهداية ، ويتسبّبون بها إلى الإيمان .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (٣٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : لا يكبُرنّ عليك إعراض هؤلاء المعرضين عنك ، وعن الاستجابة لدعائك إذا دعوتهم إلى توحيد ربّهم والإقرار بنبوّتك ، فإنه لا يستجيب لدعائك إلى ما تدعوه إليه من ذلك ، [1] إلاّ الذين فتح الله أسماعهم للإصغاء إلى الحق ، وسهّل لهم اتباع الرُّشد ، دون من ختم الله على سمعه ، فلا يفقه من دعائك إياه إلى الله وإلى اتباع الحق إلا ما تفقه الأنعام من أصوات رُعاتها ، فهم كما وصفهم به الله تعالى ذكره : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة البقرة : ١٧١] = « والموتى يبعثهم الله » ، يقول : والكفارُ يبعثهم الله مع الموتى ، فجعلهم تعالى ذكره فى عداد الموتى الذين لا يسمعون صوتاً ، ولا يعقلون دعاء ، ولا يفقهون قولاً ، إذ كانوا لا يتدبرون حُجج الله ، ولا يعتبرون آياته ، ولا يتذكرون فينزجرون عما هم عليه من تكذيب رُسل الله وخلافهم . [2]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) انظر تفسير « الاستجابة » فيما سلف ٣ : ٤٨٣ ، ٧/٤٨٤ : ٤٨٦ — ٤٨٨ .

(٢) فى المطبوعة : « ولا يتذكرون فينزجروا » ، وفى المخطوطة : « ولا يتذكروا فينزجروا » والصواب ما أثبته .

١٣٢٠٦ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « إنما يستجيب الذين يسمعون » ، المؤمنون ، للذكر = « والموتى »، الكفار ، حين يبعثهم الله مع الموتى .

١٣٢٠٧ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٣٢٠٨ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله: « إنما يستجيب الذين يسمعون » ، قال: هذا مَثَل المؤمن ، سمع كتاب الله فانتفع به وأخذ به وعقله . والذين كذّبوا بآياتنا صم وبكم ، وهذا مثل الكافر أصم أبكم ، لا يبصر هدًى ولا ينتفع به .

١٣٢٠٩ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة، عن سفيان الثوري ، عن محمد بن جحادة ، عن الحسن: « إنما يستجيب الذين يسمعون » ، المؤمنون = « والموتى» ، قال : الكفار.

١٣٢١٠ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن محمد بن جحادة قال : سمعت الحسن يقول في قوله : « إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله »، قال : الكفار .

* * *

وأما قوله : « ثم إليه يرجعون » ، فإنه يقول تعالى ذكره : ثم إلى الله يرجع المؤمنون الذين استجابوا لله والرسول ،[1] والكفارُ الذين يحول الله بينهم وبين أن يفقهوا عنك شيئاً ، فيثيب هذا المؤمن على ما سلف من صالح عمله في الدنيا بما وعد أهل الإيمان به من الثواب ، ويعاقب هذا الكافرَ بما أوعدَ أهل الكفر به من العقاب ، لا يظلم أحداً منهم مثقال ذرة .

* * *

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « ثم إلى الله يرجعون المؤمنون » ، وليس بشيء هنا ، والجيد ما أثبته .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء العادلون بربهم ، المعرضون عن آياته : « لولا نزل عليه آية من ربه » ، يقول : قالوا : هلاَّ نزل على محمد آية من ربه ؟ [١] كما قال الشاعر : [٢]

تَعُدُّونَ عَقْرَ النِّيبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ بَنِي ضَوْطَرَى ، لَوْلَا الكَمِيَّ المُقَنَّعَا [٣] ١١٩/٧

بمعنى : هلاَّ الكميَّ .

* * *

و « الآية » ، العلامة . [٤]

* * *

وذلك أنهم قالوا : ﴿ مَا لِهَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا * أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ﴾ [سورة الفرقان : ٧ ، ٨] . قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد ، لقائلى هذه المقالة لك : « إنَّ الله قادر على أن ينزل آية » ، يعنى : حجة على ما يريدون ويسألون = « ولكن أكثرهم لا يعلمون » ، يقول : ولكن أكثر الذين يقولون ذلك فيسألونك آية ، [٥] لا يعلمون ما عليهم فى الآية إن نزَّلها من البلاء ، ولا يدرون ما وجه ترك إنزال ذلك عليك . ولو علموا السبب الذى من أجله لم أنزلها عليك ، لم يقولوا ذلك ، ولم يسألوكه ، ولكن أكثرهم لا يعلمون ذلك .

* * *

---

(١) انظر تفسير « لولا » فيما سلف ٢ : ٥٥٢ ، ١٠/٥٥٣ : ١١/٤٤٨ : ٢٦٢ ،

(٢) هو جرير .

(٣) مضى البيت وتخريجه وتفسيره وصواب نسبته فيما سلف ٢ : ٥٥٢ ، ٥٥٣ .

(٤) انظر تفسير « الآية » فيما سلف من فهارس اللغة (أي) .

(٥) فى المخطوطة : « ولكن أكثرهم الذين يقولون » ، والجيد ما فى المطبوعة .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ (٣٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء المعرضين عنك ، المكذبين بآيات الله: أيها القوم، لا تحسبُنَّ الله غافلاً عما تعملون ، أو أنه غير مجازيكم على ما تكسبون ! وكيف يغفل عن أعمالكم ، أو يترك مجازاتكم عليها ، وهو غير غافل عن عمل شيء دبَّ على الأرض صغيرٍ أو كبيرٍ ،(١) ولا عمل طائر طار بجناحيه فى الهواء ، بل جعل ذلك كله أجناساً مجنَّسة وأصنافاً مصنفة ،(٢) تعرف كما تعرفون ، وتتصرف فيما سُخِّرت له كما تتصرفون ، ومحفوظ عليها ما عملت من عمل لها وعليها ، ومُثْبَتٌ كل ذلك من أعمالها فى أم الكتاب، ثم إنه تعالى ذكره مميتها ثم منشرها ومجازيها يوم القيامة جزاءَ أعمالها . يقول: فالرب الذى لم يضيِّع حفظَ أعمال البهائم والدوابّ فى الأرض ، والطير فى الهواء ، حتى حفظ عليها حركاتها وأفعالها ، وأثبت ذلك منها فى أم الكتاب ، وحشرها ثم جازاها على ما سلف منها فى دار البلاء ، أحرى أن لا يُضيع أعمالكم، ولا يُفَرِّط فى حفظ أفعالكم التى تجترحونها ، أيها الناس، حتى يحشركم فيجازيكم على جميعها ، إن خيراً فخيراً ، وإن شرًّا فشرًّا ، إذ كان قد خصكم من نعمه ، وبسط عليكم من فضله ، ما لم يعمَّ به غيركم فى الدنيا، وكنتم بشكره أحقَّ ، وبمعرفة واجبه عليكم أولى ، لما أعطاكم من العقل الذى به بين الأشياء تميِّزون ، والفهم

---

(١) انظر تفسير «دابة» فيما سلف ٣ : ٢٧٥ .

(٢) انظر تفسير «أمة» فيما سلف ١٠ : ٤٦٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

الذى لم يعطه البهائم والطيرَ ، الذى به بين مصالحكم ومضارِّكم تفرِّقون .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٢١١ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « أمم أمثالكم » ، أصناف مصنفة تُعرَف بأسمائها .

١٣٢١٢ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٣٢١٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلاّ أمم أمثالكم » ، يقول : الطير أمة ، والإنس أمة ، والجن أمة .

١٣٢١٤ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله: « إلا أمم أمثالكم » ، يقول : إلا خلق أمثالكم .

١٣٢١٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج فى قوله : « وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلاّ أمم أمثالكم » ، قال : الذرّة فما فوقها من ألوان ما خلق الله من الدواب.

* * *

وأما قوله : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » ، فإن معناه : ما ضيعنا إثبات شىء منه ، كالذى : –

١٣٢١٦ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » ، ما تركنا شيئاً إلا قد كتبناه فى أم الكتاب .

١٣٢١٧ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله:

« ما فرطنا فى الكتاب من شىء » ، قال : لم نُغفِل الكتاب ، ما من شىء إلا وهو فى الكتاب .(١)

١٣٢١٨ – وحدثنى به يونس مرة أخرى ، قال فى قوله : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » ، قال : كلهم مكتوبٌ فى أم الكتاب .

* * *

وأما قوله : « ثم إلى ربهم يحشرون » ، فإن أهل التأويل اختلفوا فى معنى « حشرهم » ، الذى عناه الله تعالى ذكره فى هذا الموضع .(٢)

فقال بعضهم : « حشرها » ، موتها .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٠/٧ ١٣٢١٩ – حدثنى محمد بن عمارة الأسدى قال ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن سعيد ، عن مسروق ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلاّ أمم أمثالكم » ، قال ابن عباس : موت البهائم حشرها .(٣)

١٣٢٢٠ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « ثم إلى ربهم يحشرون » ، قال : يعنى بالحشر ، الموت .

١٣٢٢١ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ الفضل ابن خالد قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « ثم

---

(١) فى المطبوعة : « لم نغفل ما من شىء . . . » ، أسقط « الكتاب » ، وهى ثابتة فى المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « الحشر » فيما سلف ص : ٢٩٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) الأثر : ١٣٢١٩ – « عبيد الله بن موسى بن أبى المختار العبسى » ، سلف قريباً رقم : ١٣١٧٧ ، وكان هنا فى المطبوعة والمخطوطة أيضاً « عبد الله بن موسى » ، وهو خطأ ، أشرت إليه فيما سلف .

إلى ربهم يحشرون » ، يعنى بالحشر : الموت .

* * *

وقال آخرون : « الحشر » فى هذا الموضع ، يعنى به الجمعُ لبعث الساعة وقيام القيامة .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٢٢٢ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر = وحدثنا الحسن بن يحيي قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر = عن جعفر بن برقان ، عن يزيد بن الأصم ، عن أبى هريرة فى قوله : « إلا أمم أمثالكم ما فرَّطنا فى الكتاب من شىء ثم إلى ربهم يحشرون » ، قال : يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة ، البهائمَ والدوابَّ والطيرَ وكل شىء ، فيبلغ من عدل الله يومئذ أن يأخذَ للجمَّاء من القَرْناء ، ثم يقول : « كونى تراباً » ، فلذلك يقول الكافر : ﴿ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴾ [سورة النبأ : ٤٠].(١)

١٣٢٢٣ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر = وحدثنا الحسن بن يحيي قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر = ، عن الأعمش، عمن ذكره ،(٢) عن أبى ذر قال : بينا أنا عند رسول الله صلى الله عليه

---

(١) الأثر : ١٣٢٢٢ – « جعفر بن برقان الكلابى » ، ثقة ، مضى برقم : ٤٥٧٧ ، ٧٨٣٦ .

و«يزيد بن الأصم بن عبيد البكائى » ،تابعى ثقة ، مضى برقم : ٧٨٣٦ .

وهذا الخبر رواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٣١٦ ، من طريق عبد الرزاق، عن معمر ، عن جعفر الجذرى ، عن يزيد بن الأصم ، وقال : « جعفر الجذرى هذا ، هو ابن برقان ، قد احتج به مسلم ، وهو صحيح على شرطه ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى .

وخرجه ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ثم قال : « وقد روى هذا مرفوعاً فى حديث الصور » . وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ١١ ، وزاد نسبته لأبى عبيد ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم .

و « الجماء » : الشاة إذا لم تكن ذات قرن . و « القرناء » : الشاة الكبيرة القرن .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « عن الأعمش ذكره » ، وهو سهو من الناسخ ، صوابه من تفسير ابن كثير . وقوله « عمن ذكره » كأنه يعنى : « منذر الثورى » أو « الهزيل بن شرحبيل » كما يتبين من التخريج .

وسلم إذا انتطحت عنزان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتدرون فيما انتطحتا؟ قالوا: لا ندرى! قال: لكن الله يدرى، وسيقضى بينهما.(١)

١٣٢٢٤ - حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق بن سليمان قال، حدثنا فطر ابن خليفة، عن منذر الثورى، عن أبى ذر قال: انتطحت شاتان عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال لى: يا أبا ذرّ، أتدرى فيم انتطحتا؟ قلت: لا! قال: لكن الله يدرى وسيقضى بينهما! قال أبو ذر: لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يقلّب طائرٌ جناحيه فى السماء إلاّ ذكرنا منه علماً.(١)

* * *

---

(١) الأثران: ١٣٢٢٣، ١٣٢٢٤ - «إسحق بن سليمان الرازى العبدى»، ثقة مضى برقم: ٦٤٥٦، ١٠٢٣٨، ١١٢٤٠.

و «فطر بن خليفة القرشى»، ثقة، مضى برقم: ٣٥٨٣، ٦١٧٥، ٧٥١١. وكان فى المطبوعة: «مطر بن خليفة»، وهو خطأ، صوابه فى المخطوطة.

و «منذر الثورى»، هو: «منذر بن يعلى الثورى»، ثقة، قليل الحديث روى عن التابعين، لم يدرك الصحابة. مضى برقم: ١٠٨٣٩.

وهذا الخبر رواه أحمد فى مسنده ٥: ١٥٣، مختصراً من طريق ابن نمير، عن الأعمش، عن منذر، عن أشياخ من التيم، قالوا، قال أبو ذر: «لقد تركنا محمد صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه فى السماء إلا أذكرنا منه علماً».

ثم رواه أيضاً فى المسند ٥: ١٦٢، من ثلاث طرق، مطولا ومختصراً كالسالف، أولها مطولا من طريق محمد بن جعفر، عن سليمان، عن منذر الثورى، عن أشياخ لهم، عن أبى ذر = ثم من الطريق نفسه مختصراً كالسالف = ثم من طريق حجاج، عن فطر، عن المنذر، بمعناه.

وقد تبين من رواية أحمد أن الذى روى عنه الأعمش فى الإسناد الأول، هو منذر الثورى نفسه.

وإسناد هذه كلها إما منقطعة، كإسناد أبى جعفر = أو فيها مجاهيل، كأسانيد أحمد.

ثم رواه أحمد فى مسنده بغير هذا اللفظ، (٥: ١٧٢، ١٧٣) من طريق عبيد الله بن محمد، عن حماد بن سلمة، عن عبد الرحمن بن ثروان، عن الهزيل بن شرحبيل، عن أبى ذر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالساً وشاتان تقترنان، فنطحت إحداهما الأخرى فأجهضتها. قال: فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقيل له: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: عجبت لها! والذى نفسى بيده ليقادن لها يوم القيامة».

وكان فى المسند: «عبد الرحمن بن مروان»، وهو خطأ، وإنما الراوى عن الهزيل، هو «بن ثروان».

وهذا إسناد حسن متصل.

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر أنّ كل دابة وطائر محشورٌ إليه . وجائز أن يكون معنيًّا بذلك حشر القيامة = وجائز أن يكون معنيًّا به حشر الموت = وجائز أن يكون معنيًّا به الحشران جميعاً، ولا دلالة فى ظاهر التنزيل ، ولا فى خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم أىُّ ذلك المراد بقوله : « ثم إلى ربهم يحشرون » ، إذ كان « الحشر »، فى كلام العرب الجمع ، (١) من ذلك قول الله تعالى ذكره: ﴿ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴾ [سورة ص : ١٩] ، يعنى : مجموعة . فإذ كان الجمع هو « الحشر » ، وكان الله تعالى ذكره جامعاً خلقه إليه يوم القيامة ، وجامعهم بالموت ، كان أصوبُ القول فى ذلك أن يُعَمَّ بمعنى الآية ما عمه الله بظاهرها = وأن يقال : كل دابة وكل طائر محشورٌ إلى الله بعد الفناء وبعد بعث القيامة ، إذ كان الله تعالى ذكره قد عم بقوله : « ثم إلى ربهم يحشرون » ، ولم يخصص به حشراً دون حشر .

* * *

فإن قال قائل: فما وجهُ قوله : « ولا طائر يطير بجناحيه » ؟ وهل يطير الطائر إلا بجناحيه ؟ فما فى الخبر عن طيرانه بالجناحين من الفائدة ؟

قيل : قد قدمنا القول فيما مضى أن الله تعالى ذكره أنزل هذا الكتاب بلسان قوم ، وبلغاتهم وما يتعارفونه بينهم ويستعملونه فى منطقهم خاطبهم . فإذ كان من كلامهم إذا أرادوا المبالغة فى الكلام أن يقولوا : « كلمت فلاناً بفمى » ، و « مشيت إليه برجلى » و « ضربته بيدى » ، خاطبهم تعالى بنظير ما يتعارفونه فى كلامهم، ويستعملونه فى خطابهم ، ومن ذلك قوله تعالى ذكره : ﴿ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً أُنثَىٰ ﴾ ، [سورة ص : ٢٣] . (٢)

---

(١) انظر تفسير « الحشر » فيما سلف ص : ٣٤٦ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) فى المطبوعة : ذكر الآية كقراءتنا فى مصحفنا ، هكذا : « إن هذا أخى له تسع تسعون نعجة ولى نعجة واحدة » ، وليس هذا موضع استشهاد أبى جعفر ، والصواب فى المخطوطة كما أثبته . وهى قراءة عبد الله بن مسعود ، وقد ذكرها أبو جعفر فى تفسيره بعد (٢٣ : ٩١ ، بولاق) ثم قال : [وذلك على سبيل توكيد العرب الكلمة ، كقولهم : « هذا رجل ذكر » ، ولا يكادون

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٣٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : والذين كذبوا بحجج الله وأعلامه وأدلته [١] = « صمٌّ »، عن سماع الحق = « بكم » ، عن القيل به [٢] = « فى الظلمات »، يعنى : فى ظلمة الكفر حائراً فيها ، [٣] يقول : هو مرتطم فى ظلمات الكفر ، لا يبصر آيات الله فيعتبر بها ، ويعلم أن الذى خلقه وأنشأه فدبَّره وأحكم تدبيره ، وقدَّره أحسن تقدير ، وأعطاه القوة ، وصحح له آلة جسمه = لم يخلقه عبثاً ، ولم يتركه سدًى ، ولم يعطه ما أعطاه من الآلات إلاّ لاستعمالها فى طاعته وما يرضيه ، دون معصيته وما يسخطه . فهو لحيرته فى ظلمات الكفر ، وتردّده فى غمراتها ، غافلٌ عمَّا الله قد أثبت له فى أمّ الكتاب ، وما هو به فاعلٌ يوم يحشر إليه مع سائر الأمم . ثم أخبر تعالى ذكره أنه المضِلّ من يشاء إضلالَه من خلقه عن الإيمان إلى الكفر ، والهادى إلى الصراط المستقيم منهم من أحبَّ هدايته ، فوفّقه بفضله وَطوْله للإيمان به ، وترك الكفر به وبرسله وما جاءت به أنبياؤه ، وأنه لا يهتدى من خلقه أحد إلا من سبق له فى أمّ الكتاب السعادة ، ولا يضل منهم أحد إلا من سبق له فيها الشقاء ، وأنّ بيده الخير كلَّه ، وإليه الفضل كله ، له الخلق والأمر . [٤]

١٢١/٧

* * *

يفعلون ذلك إلا فى المؤنث والمذكر الذى تذكيره وتأنيثه فى نفسه ، كالمرأة والرجل والناقة ، ولا يكادون أن يقولوا : « هذه دار أنثى ، وملحفة أنثى » ، لأن تأنيثها فى اسمها لا فى معناها] .

(١) انظر تفسير « الآية » فيما سلف من فهارس اللغة (أي) .

(٢) انظر تفسير « صم » و « بكم » فيما سلف ١ : ٣٢٨ - ٣/٣٣١ : ٣١٥ .

(٣) وحد الضمير بعد الجمع فقال : « حائراً فيها » ، يعنى الكافر المكذب بآيات الله ، وهو جائز فى مثل هذا الموضع من التفسير .

(٤) انظر تفسير « الضلال » فيما سلف من فهارس اللغة (ضلل) .

= وتفسير « الصراط المستقيم » فيما سلف ١٠ : ٤٢٩ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال قتادة :

١٣٢٢٥ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « صم وبكم » ، هذا مثل الكافر ، أصم أبكم ، لا يبصر هدًى ، ولا ينتفع به ، صَمَّ عن الحق فى الظلمات ، لا يستطيع منها خروجاً ، متسكّع فيها .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (٤٠)

قال أبو جعفر : اختلف أهل العربية فى معنى قوله : « أرأيتكم » .

فقال بعض نحويى البصرة : « الكاف » التى بعد « التاء » من قوله : « أرأيتكم » إنما جاءت للمخاطبة ، وتركت « التاء » مفتوحة = كما كانت للواحد . قال : وهى مثل « كاف » « رويدك زيداً » ، إذا قلت : أرود زيداً = هذه « الكاف » ليس لها موضع مسمى بحرف ، لا رفع ولا نصب ، وإنما هى فى المخاطبة مثل كاف « ذاك » . ومثل ذلك قول العرب : « أبصركَ زيداً » ، [1] يدخلون « الكاف » للمخاطبة .

* * *

وقال آخرون منهم : معنى : « أرأيتكم إن أتاكم » ، أرأيتم . قال : وهذه « الكاف » تدخل للمخاطبة مع التوكيد ، و « التاء » وحدها هى الاسم ، كما أدخلت « الكاف » التى تفرق بين الواحد والاثنين والجميع فى المخاطبة ، كقولهم : « هذا ، وذاك ، وتلك ، وأولئك » ، فتدخل « الكاف » للمخاطبة ، وليست باسم ، و « التاء » هو الاسم للواحد والجميع ، تركت على حال واحدة . ومثل ذلك قولهم :

---

(١) فى المطبوعة : « انصرك زيداً » بالنون ، والصواب بالباء كما سيأتى .

« ليسك ثَمَّ إلا زيد »، يراد: ليس= و « لا سِيَّك زيد »، فيراد : ولا سيما زيد= و « بلاك » فيراد، « بلى » فى معنى : «نعم » = و « لبئسك رجلاً، ولنعمك رجلاً». وقالوا: «انظرك زيداً ما أصنع به » = و « أبصرك ما أصنع به»، بمعنى : أبصره . وحكى بعضهم : « أبصركُم ما أصنع به » ، يراد : أبصروا =و « انظركم زيداً » ، أى انظروا . وحكى عن بعض بنى كلاب : « أتعلمك كان أحد أشعرَ من ذى الرمة ؟ »، فأدخل « الكاف » .

* * *

وقال بعض نحويى الكوفة : « أرأيتك عمراً »، أكثر الكلام فيه ترك الهمز. قال: و«الكاف» من « أرأيتك » فى موضع نصب، كأن الأصل : أرأيت نفسك على غير هذه الحال ؟ قال: فهذا يثنى ويجمع ويؤنث، فيقال: « أرأيتما كما » و« أرأيتموكم» . و « وَأَرَأَيْتُنَّكُنَّ »، (١) أوقع فعله على نفسه، وسأله عنها، ثم كثر به الكلام حتى تركوا « التاء » موحدة للتذكير والتأنيث والتثنية والجمع ، فقالوا : « أرأيتكم زيداً ما صنع » و « أرأيتكنّ ما صنع » ، فوحدوا التاء وثنوا الكاف وجمعوها ، فجعلوها بدلاً من « التاء » ، (٢) كما قال : ﴿ هَاؤُمُ اقْرَأُوا كِتَابِيَهْ ﴾ [سورة الحاقة : ١٩] ، و « هاء يارجل » و « هاؤما » ، ثم قالوا: « هاكم » ، اكتفى بالكاف والميم مما كان يثنى ويجمع. فكأن « الكاف» فى موضع رفع ، إذ كانت بدلاً من « التاء » . وربما وحدت للتثنية والجمع والتذكير والتأنيث، وهى كقول القائل : « عليك زيداً » ، « الكاف» فى موضع خفض ، والتأويل رفع . فأما ما يُجْلب فأكثر ما يقع على الأسماء ، ثم تأتى بالاستفهام فيقال : « أرأيتك زيداً هل قام » ، لأنها صارت بمعنى : أخبرنى عن زيد ، ثم بيّن عما يستخبر . فهذا أكثر الكلام . ولم يأت

---

(١) فى المطبوعة فصل وكتب « أرأيتن كن » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو المطابق لما فى معانى القرآن للفراء .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٣٣ ، ٣٣٤ .

الاستفهام يليها .[1] لم يقل : «أرأيتك هل قمت» ، لأنهم أرادوا أن يبيّنوا عمن يسأل ، ثم تُبيّن الحالة التي يسأل عنها . وربما جاء بالجزاء ولم يأت بالاسم ،[2] فقالوا : « أرأيت إن أتيت زيداً هل يأتينا »[3] = و « أرأيتك » أيضاً = و « أرأيتُ زيداً إن أتيته هل يأتينا » ، إذا كانت بمعنى : « أخبرني » ، فيقال باللغات الثلاث .

* * *

قال أبو جعفر : وتأويل الكلام : قل ، يا محمد ، لهؤلاء العادلين بالله الأوثانَ والأصنامَ : أخبروني ، إن جاءكم ، أيها القوم ، عذاب الله كالذي جاء من قبلكم من الأمم الذين هلك بعضهم بالرجفة ، وبعضهم بالصاعقة = أو جاءتكم الساعة التي تنشرون فيها من قبوركم ، وتبعثون لموقف القيامة ، أغير الله هناك تدعون لكشف ما نزل بكم من البلاء ، أو إلى غيره من آلهتكم تفزعون لينجيكم مما نزل بكم من عظيم البلاء ؟ = « إن كنتم صادقين » ، يقول : إن كنتم محقّين في دعواكم وزعمكم أنّ آلهتكم التي تدعونها من دون الله تنفع أو تضر . ١٢٢/٧

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾ (٤١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره ، مكذّباً لهؤلاء العادلين به الأوثان : ما أنتم ، أيها المشركون بالله الآلهةَ والأندادَ ، إن أتاكم عذابُ الله أو أتتكم الساعة ،

(١) في المطبوعة ، مكان « يليها » « ثنيها » وهو خطأ ، صوابه في المخطوطة .

(٢) في المطبوعة : « وربما جاء بالخبر » وهو خطأ ، صوابه في المخطوطة ، وإن كانت غير منقوطة ولا مهموزة . ومن أجل هذا التصرف ، تصرف في عبارة أبي جعفر كما سترى في التعليق التالي .

(٣) في المطبوعة : « فقالوا : أرأيت زيداً هل يأتينا » ، حذف « إن أتيت » لسوء تصرفه كما في التعليق السابق .

بمستجيرين بشيء غير الله فى حال شدة الهول النازل بكم من آلهة ووثن وصنم ، بل تدعون هناك ربّكم الذي خلقكم ، وبه تستغيثون ، وإليه تفزعون ، دون كل شيء غيره = « فيكشف ما تدعون إليه » ، يقول : فيفرّج عنكم عند استغاثتكم به وتضرعكم إليه ، عظيم البلاء النازل بكم إن شاء أن يفرج ذلك عنكم ، لأنه القادر على كل شيء ، ومالك كل شيء ، دون ما تدعونه إلهاً من الأوثان والأصنام = « وتنسون ما تشركون » ، يقول : وتنسون حين يأتيكم عذاب الله أو تأتيكم الساعة بأهوالها ، ما تشركونه مع الله فى عبادتكم إياه ، فتجعلونه له نداً من وثن وَصنم ، وغير ذلك مما تعبدونه من دونه وتدعونه إلهاً .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ (٤٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : = متوعداً لهؤلاء العادلين به الأصنامَ = ومحذِّرَهم أن يسلك بهم إن هم تمادَوا فى ضلالهم سبيلَ من سلك سبيلهم من الأمم قبلهم ، فى تعجيل الله عقوبته لهم فى الدنيا = ومخبراً نبيَّه عن سنته فى الذين خلوا قبلهم من الأمم على منهاجهم من تكذيب الرسل = : « لقد أرسلنا » ، يا محمد ، « إلى أمم » ، يعنى : إلى جماعات وقرون[1] = « من قبلك فأخذناهم بالبأساء » ، يقول : فأمرناهم ونهيناهم ، فكذبوا رسلنا ، وخالفوا أمرنا ونهينا ، فامتحناهم بالابتلاء = « بالبأساء » ، وهى شدة الفقر والضيق فى المعيشة[2] = « والضراء » ، وهى

---

(١) انظر تفسير « أمة » فيما سلف ص : ٣٤٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « البأساء » فيما سلف ٣ : ٣٤٩ - ٤/٣٥٢ : ٢٨٨ .

الأسقام والعلل العارضة فى الأجسام .[١]

* * *

وقد بينا ذلك بشواهده ووجوه إعرابه فى « سورة البقرة » ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[٢]

* * *

وقوله : « لعلهم يتضرعون » يقول : فعلنا ذلك بهم ليتضرعوا إلىّ ، ويخلصوا لى العبادة ، ويُفْردوا رغبتهم إلىّ دون غيرى ، بالتذلل منهم لى بالطاعة ، والاستكانة منهم إلىّ بالإنابة .

* * *

وفى الكلام محذوفٌ قد استغنى بما دلّ عليه الظاهر من إظهاره دون قوله :[٣] « ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم » ، وإنما كان سبب أخذه إياهم ، تكذيبهم الرسل وخلافهم أمرَه = لا إرسال الرسل إليهم . وإذ كان ذلك كذلك ، فمعلوم أن معنى الكلام : « ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك » رسلاً فكذبوهم ، « فأخذناهم بالبأساء » .

* * *

و « التضرع » هو « التفعل » من « الضراعة » ، وهى الذلة والاستكانة .

* * *

---

(١) انظر تفسير « الضراء » فيما سلف ٣ : ٣٤٩ – ٤/٣٥٢ : ٧/٢٨٨ : ٢١٤ .

(٢) انظر المراجع كلها فى التعليقين السالفين .

(٣) فى المطبوعة : « بما دل عليه الظاهر عن إظهاره من قوله » ، غير ما فى المخطوطة ، وأثبت ما فى المخطوطة بنصه ، وإن كنت أخشى أن يكون سقط من الناسخ كلام .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (٤٣)

قال أبو جعفر : وهذا أيضاً من الكلام الذى فيه متروك استغنى بدلالة الظاهر عن ذكر ما تُرك . وذلك أنه تعالى ذكره أخبرَ عن الأمم التى كذّبت رسلها أنه أخذهم بالبأساء والضراء ليتضرعوا له ،[1] ثم قال : « فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا » ، ولم يخبر عما كان منهم من الفعل عند أخذه إياهم بالبأساء والضراء . ومعنى الكلام : « ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون » ، فلم يتضرعوا ، « فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا » .

ومعنى : « فلولا » ، فى هذا الموضع ، فهلاّ .[2] والعرب إذا أوْلَتْ « لولا » اسماً مرفوعاً ، جعلت ما بعدها خبراً ، وتلقتها بالأمر ،[3] فقالت : « لولا أخوك لزرتك » و « لولا أبوك لضربتك » ، وإذا أوْلتها فعلاً ، أولم تُولها اسماً ، جعلوها استفهاماً فقالوا : « لولا جئتنا فنكرمك » و « لولا زرت أخاك فنزورك » ، بمعنى : « هلاّ » ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ ﴾ [سورة المنافقون : ١٠] . وكذلك تفعل بـ « لوما » مثل فعلها بـ « لولا » .[4]

* * *

فتأويل الكلام إذاً : فهلاّ إذ جاء بأسنا هؤلاء الأمم المكذبة رسلَها ، الذين لم يتضرعوا عند أخذِناهم بالبأساء والضراء = « تضرعوا » ، فاستكانوا لربهم ، وخضعوا لطاعته ، فيصرف ربهم عنهم بأسه ، وهو عذابه .

* * *

(١) فى المطبوعة حذف « له » ، وهى فى المخطوطة : « به » ، وهذا صواب قراءتها .
(٢) انظر تفسير « لولا » فيما سلف ص : ٣٤٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٣) فى المطبوعة : « وتلتها » ، غير ما فى المخطوطة وأفسد الكلام .
(٤) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٣٤ ، ٣٣٥ .

وقد بينا معنى « البأس » فى غير هذا الموضع ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[1]

* * *

=« ولكن قست قلوبهم ، » يقول : ولكن أقاموا على تكذيبهم رسلهم ، وأصرُّوا على ذلك ، واستكبروا عن أمر ربهم ، استهانةً بعقاب الله ، واستخفافاً بعذابه ، وقساوةَ قلب منهم[2] = « وزين لهم الشيطانُ ما كانوا يعملون » ، يقول : وحسن لهم الشيطان ما كانوا يعملون من الأعمال التى يكرهها الله ويسخطها منهم . ١٢٣/٧

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ (٤٤)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « فلما نسوا ما ذكروا به » ، فلما تركوا العمل بما أمرناهم به على ألسن رسلنا ،[3] كالذى : —

١٣٢٢٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « فلما نسوا ما ذكروا به » ، يعنى : تركوا ما ذكروا به .

١٣٢٢٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن

---

(١) انظر تفسير « البأس » فيما سلف ٣ : ٣٥٤ ، ٨/٣٥٥ : ٥٨٠ .

(٢) انظر تفسير « قسا » فيما سلف ٢ : ٢٣٣ — ١٠/٢٣٧ : ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٣) انظر تفسير « النسيان » فيما سلف ٢ : ٩ ، ٤٧٣ — ٥/٤٨٠ : ٦/١٦٤ : ١٣٢ ، ١٣٣ — ١٠/١٣٥ : ١٢٩ .

= وانظر تفسير « التذكير » فيما سلف ١٠ : ١٣٠ ، تعليق ٢ ، والمراجع هناك .

ابن جريج قوله : « نسوا ما ذكروا به » ، قال : ما دعاهم الله إليه ورسله ، أبوْه وردُّوه عليهم .

* * *

= « فتحنا عليهم أبوابَ كل شيء » ، يقول : بدلنا مكان البأساء الرخاء والسعة فى العيش ، ومكان الضراء الصحة والسلامة فى الأبدان والأجسام ، استدراجاً منّا لهم ، كالذى :—

١٣٢٢٨ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى = وحدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل = ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله تعالى ذكره : « فتحنا عليهم أبواب كل شيء » ، قال : رخاء الدنيا ويُسْرها ، على القرون الأولى .

١٣٢٢٩ — حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « فتحنا عليهم أبواب كل شيء » ، قال : يعنى الرخاء وسعة الرزق .

١٣٢٣٠ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « فتحنا عليهم أبواب كل شيء » ، يقول : من الرزق .

* * *

فإن قال لنا قائل : وكيف قيل : « فتحنا عليهم أبوابَ كل شيء » ، وقد علمت أن بابَ الرحمة وباب التوبة [لم يفتحا لهم] ، ولم تفتح لهم أبواب أخر غيرهما كثيرة ؟ (١)

قيل : إن معنى ذلك على غير الوجه الذى ظننتَ من معناه ، وإنما معنى ذلك: فتحنا عليهم ، استدراجاً منا لهم ، أبوابَ كل ما كنا سددنا عليهم بابه ، عند أخذنا إياهم بالبأساء والضراء ليتضرعوا ، إذ لم يتضرعوا وتركوا أمر الله تعالى

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « أن باب الرحمة وباب التوبة لم يفتح لهم وأبواب أخر غيره كثيرة » إلا أن المخطوطة ليس فيها إلا « أبواب أخر » بغير واو ، ورجحت أنه سقط من الكلام ما أثبته ، وأن صوابه ما صححت من ضمائره .

ذكره ، لأنّ آخرَ هذا الكلام مردودٌ على أوله. وذلك كما قال تعالى ذكره فى موضع آخر من كتابه : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ • ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ، [سورة الأعراف : ٩٤، ٩٥] ، ففتح الله على القوم الذين ذكر فى هذه الآية [أنهم نسوا ما] ذكرهم ،(١) بقوله : « فلما نسوا ما ذكّروا به فتحنا عليهم أبواب كل شىء » ، هو تبديله لهم مكانَ السيئة التى كانوا فيها فى حال امتحانه إياهم ، من ضيق العيش إلى الرخاء والسعة ، ومن الضر فى الأجسام إلى الصحة والعافية ، وهو « فتح أبواب كل شىء » كان أغلق بابه عليهم ، مما جرى ذكره قبل قوله : « فتحنا عليهم أبواب كل شىء » ، فردّ قوله : « فتحنا عليهم أبواب كل شىء » عليه .

* * *

ويعنى تعالى بقوله : « حتى إذا فرحوا بما أوتوا » ، يقول : حتى إذا فرح هؤلاء المكذّبون رسلهم بفتحنا عليهم أبوابَ السَّعة فى المعيشة ، والصحة فى الأجسام ، كالذى : —

١٣٢٣١ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « حتى إذا فرحوا بما أوتوا » ، من الرزق .

١٣٢٣٢ — حدثنا الحارث قال ، حدثنا القاسم بن سلام قال ، سمعت عبد الرحمن بن مهدى يحدّث ، عن حماد بن زيد قال : كان رجل يقول : رَحم الله رجلاً تلا هذه الآية ، ثم فكر فيها ماذا أريد بها : « حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة » .

١٣٢٣٣ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا القاسم قال ، حدثنا ابن أبى رجاء رجل من أهل الشعر ، عن عبد الله بن المبارك ، عن محمد بن النضر الحارثى فى

---

(١) هذه الزيادة بين القوسين ، يقتضيها السياق .

قوله : « أخذناهم بغتة »، قال : أُمهلوا عشرين سنة .(١)

* * *

ويعنى تعالى ذكره بقوله: « أخذناهم بغتة » ، أتيناهم بالعذاب فجأة ، وهم غارُّون لا يشعرون أن ذلك كائن ، ولا هو بهم حالٌّ ،(٢) كما :—

١٣٢٣٤ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة »، قال : أعجبَ ما كانت إليهم ، وأغرَّها لهم .(٣)

١٣٢٣٥ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « أخذناهم بغتة » ، يقول : أخذهم العذابُ بغتةً .

١٢٤/٧ ١٣٢٣٦ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ،عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد : « أخذناهم بغتة » ، قال : فجأة آمنين .

* * *

وأما قوله : « فإذا هم مبلسون » ، فإنه هالكون ، منقطعة حججهم ، نادمون على ما سلف منهم من تكذيبهم رسلَهم ، كالذى : —

١٣٢٣٧ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ،

---

(١) الأثر : ١٣٢٣٣ — « ابن أبى رجاء » ، لم أعرفه . وكان فى المطبوعة : « من أهل الثغر » ، وحذف « رجل » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

و « محمد بن النضر الحارثى » ، أبو عبد الرحمن العابد ، مترجم فى الكبير ١/١/٢٥٢ ، وابن أبى حاتم ٤/١/١١٠ ، وحلية الأولياء ٨ : ٢١٧ ، وصفة الصفوة ٣ : ٩٣ .

وهذا الخبر رواه أبو نعيم فى الحلية ٨ : ٢٢٠ من طريق أبى بكر بن مالك ، عن عبد الله ابن أحمد بن حنبل ، عن أحمد بن إبراهيم ، عن محمد بن منبه ، ابن أخت ابن المبارك ، عن عبد الله بن المبارك .

فأخشى أن يكون « ابن أبى رجاء » هو « محمد بن منبه » ابن أخت بن المبارك . وعسى أن توجد ترجمته « محمد بن منبه » ، فيعرف منها ما نجهل ، ويصحح ما فى المخطوطة أهو « رجل من أهل الشعر » ، أم « من أهل الثغر » ، كما فى المطبوعة .

(٢) انظر تفسير « بغتة » فيما سلف ص : ٣٢٥ .

(٣) فى المطبوعة : « وأعزها لهم » (بالعين والزاى) والصواب « أغرها » ، من « الغرور » و « الغرة » (بالغين والراء المهملة) .

حدثنا أسباط ، عن السدى : « فإذا هم مبلسون » ، قال : فإذا هم مهلكون ، متغيّر حالهم .

١٣٢٣٨ — حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا شيخ ، عن مجاهد : « فإذا هم مبلسون » ، قال : الاكتئاب .(١)

١٣٢٣٩ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « فإذا هم مبلسون » ، قال : « المبلس » الذى قد نزل به الشرّ الذى لا يدفعه. والمبلس أشد من المستكين ، وقرأ : ﴿ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ ، [سورة المؤمنون : ٧٦]. وكان أول مرة فيه معاتبة وبقيّة .(٢) وقرأ قول الله: « أخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون » = « فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا » ،حتى بلغ « وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون »، ثم جاء أمرٌ ليس فيه بقية.(٣) وقرأ: « حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون » ، فجاء أمر ليس فيه بقية .(٣) وكان الأول ، لو أنهم تضرعوا كُشف عنهم .

١٣٢٤٠ — حدثني سعيد بن عمرو السكوني قال، حدثنا بقية بن الوليد ، عن أبي شريح ضبارة بن مالك ، عن أبي الصلت ، عن حرملة أبي عبد الرحمن ، عن عقبة بن مسلم ، عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا رأيت الله يعطى عبدَه في دنياه، إنما هو استدراج . ثم تلا هذه الآية : « فلما نسوا ما ذكّروا به » إلى قوله : « والحمد لله رب العالمين » .(٤)

١٣٢٤١ — وحدث بهذا الحديث عن محمد بن حرب ، عن ابن لهيعة ، عن عقبة

---

(١) في المطبوعة : « فإذا هم مبلسون قال : فإذا هم مهلكون » ، لا أدرى من أين جاء بهذا . والذى في المخطوطة هو ما أثبت ، إلا أنه غير منقوط ، فرجحت قراءته كما أثبته . وسيأتى أن معنى « الإبلاس » ، الحزن والندم .

(٢) في المطبوعة : « معاتبة وتقية » ، ولا معنى لذلك هنا ، وفي المخطوطة : « ولقية » وصواب قراءتها ما أثبت . و « البقية » ، الإبقاء عليهم .

(٣) في المخطوطة والمطبوعة هنا في الموضعين « تقية » ، وهو خطأ ، انظر التعليق السالف .

(٤) الأثران: ١٣٢٤٠، ١٣٢٤١ — «سعيد بن عمرو السكوني»، مضى برقم: ٥٥٦٣، ٦٥٢١ .

ابن مسلم، عن عقبة بن عامر : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا رأيت الله تعالى ذكره يعطى العبادَ ما يسألون على معاصيهم إياه ، فإنما ذلك استدراج منه لهم ! ثم تلا : « فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء » الآية .[1]

* * *

وأصل « الإبلاس » فى كلام العرب ، عند بعضهم : الحزن على الشيء والندم عليه = وعند بعضهم : انقطاع الحجة ، والسكوت عند انقطاع الحجة = وعند

و « بقية بن الوليد الحمصى » ، مضى مراراً ، أولها رقم : ١٥٢ ، وآخرها : ٩٢٢٤ . وهو ثقة ، ولكنهم نعوا عليه التدليس .

و « ضبارة بن مالك » نسب إلى جده هو « ضبارة بن عبد الله بن مالك بن أبى السليك الحضرمى الألهانى » ، « أبو شريح الحمصى » ، ويقال أيضاً « ضبارة بن أبى السليك » ، ذكره ابن حبان فى الثقات وقال : « يعتبر حديثه من رواية الثقات عنه » . وذكره ابن عدى فى الكامل وساق له ستة أحاديث مناكير . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٣٤٣/٢/٢ ، وابن أبى حاتم ٤٧١/١/٢ .

و « أبو الصلت » ، مذكور فى ترجمة « ضبارة » فى التهذيب ، وموصوف بأنه « الشامى » ، ولم أجد له ذكراً فيما بين يدى من كتب التراجم .

وأما « حرملة ، أبو عبد الرحمن » ، فهذا مشكل ، فإن « حرملة بن عمران بن قراد التجيبى المصرى » ، كنيته « أبو حفص » ، لم أجد له كنية غيرها . ولا أستجيز أن يكون ذلك خطأ من ناسخ ، فأخشى أن تكون « أبو عبد الرحمن » ، كنية أخرى له . وهو ثقة ، كان من أولى الألباب . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٦٤/١/٢ ، وابن أبى حاتم ٢٧٣/٢/١ .

و « عقبة بن مسلم التجيبى المصرى » ، إمام المسجد العتيق ، مصرى تابعى ثقة . مترجم فى التهذيب .

و « عقبة بن عامر الجهنى » ، قديم الهجرة والسابقة والصحبة . وكان عالماً فقيهاً فصيح اللسان ، شاعراً ، كاتباً ، وهو أحد من جمع القرآن .

وهذا الخبر سيرويه أبو جعفر بعد من طريق ابن لهيعة ، عن عقبة بن مسلم ، ورواه أحمد فى مسنده ٤ : ١٤٥ ، من طريق يحيى بن غيلان ، عن رشدين بن سعد ، عن حرملة بن عمران ، عن عقبة بن مسلم ، عن عقبة بن عامر ، بمثله .

وخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧ : ٢٠ ، ونسبه لأحمد والطبرانى ، ولم يذكر فى إسناده شيئاً من صحة أو ضعف .

وذكره ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٣١١ من رواية أحمد ، وأشار إلى طريق ابن جرير ، وابن أبى حاتم .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ١٢ ، وزاد نسبته إلى ابن أبى حاتم ، وابن المنذر ، وأبى الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقى فى الشعب .

بعضهم : الخشوع = وقالوا : هو المخذول المتروك ، ومنه قول العجاج :

يَا صَاحِ هَلْ تَعْرِفُ رَسْمًا مُكْرَسَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ! أَعْرِفُهُ ! وَأَبْلَسَا ![1]

فتأويل قوله : « وأبلسا » ، عند الذين زعموا أن « الإبلاس » ، انقطاع الحجة والسكوت عنده ، بمعنى أنه لم يُحِرْ جواباً .[2]

وتأوّله الآخرون بمعنى الخشوع ، وترك أهله إياه مقيماً بمكانه .

والآخرون بمعنى الحزن والندم .

يقال منه : « أبلس الرجل إبلاساً » ، ومنه قيل : لإبليس « إبليس » .[3]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٤٥)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « فقطع دابر القوم الذين ظلموا » ، فاستؤصل القوم الذين عتَوا على ربهم ، وكذّبوا رسله ، وخالفوا أمره ، عن آخرهم ، فلم يترك منهم أحد إلا أهلك بغتةً إذ جاءهم عذاب الله .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٢٤٢ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ،

---

(١) مضى البيت وتخريجه وتفسيره فيما سلف ١ : ٥٠٩ ، ولم أشر هناك إلى مجيئه فى التفسير فى هذا الموضع ثم فى ٢١ : ١٨ (بولاق) ، وأزيد أنه فى مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٩٢ ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٣٣٥ .

(٢) هو الفراء فى معانى القرآن ١ : ٣٣٥ .

(٣) انظر ما قاله أبو جعفر فى تفسير « إبليس » فيما سلف ١ : ٥٠٩ ، ٥١٠ .

حدثنا أسباط ، عن السدى : « فقطع دابر القوم الذين ظلموا » ، يقول : قُطع أصل الذين ظلموا .

١٣٢٤٣ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « فقطع دابر القوم الذين ظلموا » ، قال : استؤصلوا .

* * *

و « دابر القوم »، الذى يدبُرهم ، وهو الذى يكون فى أدبارهم وآخرهم. يقال فى الكلام : « قد دَبرَ القومَ فلانٌ يدبُرُهم دَبْراً ودبوراً »، إذا كان آخرهم ، ومنه قول أمية :

فَأُهْلِكُوا بِعَذَابٍ حَصَّ دَابِرَهُمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ صَرْفًا وَلاَ انْتَصَرُوا[1]

* * *

=« والحمد لله رب العالمين » ، يقول: والثناء الكامل والشكر التام = « لله رب العالمين » ، على إنعامه على رسله وأهل طاعته ،[2] بإظهار حججهم على من خالفهم من أهل الكفر ،وتحقيق عِدَاتِهم ما وَعدوهم على كفرهم بالله وتكذيبهم رسله[3]= من نقم الله وعاجل عذابه .[4] ١٢٥/٧

* * *

(١) ديوانه : ٣٢ ، من أبيات يحكى فيها صفة الموقف فى يوم الحشر . يقال : « حص الشعر »، إذا حلقه ، لم يبق منه شيئاً .

(٢) انظر تفسير « الحمد » ، و « رب العالمين » فيما سلف فى سورة الفاتحة .

(٣) فى المطبوعة : « وتحقيق عدتهم ما وعدهم » ، وفى المخطوطة : « عداتهم ما وعدهم » ، وصواب قراءة ذلك كله ما أثبته .

(٤) السياق : « . . . ما وعدوهم . . . من نقم الله وعاجل عذابه » .

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ (٤٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يامحمد، لهؤلاء العادلين بى الأوثانَ والأصنامَ ، المكذبين بك: أرأيتم، أيها المشركون بالله غيرَه ، إن أصمَّكم الله فذهب بأسماعكم ، وأعماكم فذهب بأبصاركم ، وختم على قلوبكم فطبع عليها ، حتى لا تفقهوا قولاً ، ولاتبصروا حجة ، ولا تفهموا مفهوماً ، (١) أىّ إله غير الله الذى له عبادة كل عابد = « يأتيكم به»، يقول : يرد عليكم ما ذهب الله به منكم من الأسماع والأبصار والأفهام ، فتعبدوه أو تشركوه فى عبادة ربكم الذى يقدر على ذهابه بذلك منكم ، وعلى ردّه عليكم إذا شاء ؟

وهذا من الله تعالى ذكره ، تعليم نبيّه الحجة على المشركين به ، يقول له : قل لهم : إن الذين تعبدونهم من دون الله لا يملكون لكم ضرًّا ولا نفعاً ، وإنما يستحق العبادةَ عليكم من كان بيده الضر والنفع ، والقبض والبسط ، القادرُ على كل ما أراد ، لا العاجز الذى لا يقدر على شىء .

ثم قال تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « انظر كيف نصرف الآيات » ، يقول : انظر كيف نتابع عليهم الحجج ، ونضرب لهم الأمثال والعبر ، ليعتبروا ويذكروا فينيبوا ، (٢) = « ثم هم يصدفون » ، يقول : ثم هم مع متابعتنا عليهم الحجج ، وتنبيهنا إياهم بالعبر ، عن الادّكار والاعتبار يُعْرِضون .

* * *

(١) انظر تفسير « الختم على القلب » فيما سلف ١ : ٢٥٨ – ٢٦٢ .
(٢) انظر تفسير « التصريف » فيما سلف ٣ : ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

يقال منه : « صدف فلانٌ عنى بوجهه ، فهو يصدِفُ صُدوفاً وصَدَفاً » ، أى : عدل وأعرض ، ومنه قول ابن الرقاع :

إذَا ذَكَرْنَ حَدِيثاً قُلْنَ أَحْسَنَهُ ، وَهُنَّ عَنْ كُلِّ سُوءٍ يُتَّقَى صُدُفُ(١)

وقال لبيد :

يُرْوِى قَوامِحَ قَبْلَ اللَّيْلِ صَادِفَةً أَشْبَاهَ جِنٍّ ، عَلَيْهَا الرَّيْطُ وَالأُزُرُ(٢)

* * *

فإن قال قائل : وكيف قيل : « من إله غير الله يأتيكم به » ، فوحّد « الهاء » ،

---

(١) لم أجد البيت ، ولم أعرف مكان القصيدة .

(٢) ديوانه ، القصيدة رقم : ١٢ ، البيت : ٢٢ . وهذا البيت من أبيات أحسن فيها الثناء على نفسه ، وقبله :

ولا أَقُولُ إذا ما أَزْمَةٌ أَزَمَتْ يَا وَيْحَ نَفْسِىَ مِمَّا أَحْدَثَ القَدَرُ
ولا أَضِلُّ بأَصْحَابٍ هَدَيْتُهُمُ إذَا المُعَبَّدُ فِى الظَّلْمَاءِ يَنْتَشِرُ
وأُرْبِحُ التَّجْرَ ، إنْ عَزَّتْ فِضَالُهُمُ حَتَّى يَعُودَ سَلِيماً حَوْلَهُ نَفَرُ
غَرْبُ المَصَبَّةِ ، مَحْمُودٌ مَصَارِعُهُ لاَهِى النَّهَارِ ، أَسِيرُ الليل ، مُحْتَقِرُ
يُرْوِى قَوَامِحَ . . . . . .
إنْ يُتْلِفُوا يُخْلِفُوا فِى كُلِّ مَنْفَضَةٍ مَا أَتْلَفُوا لِابْتِغَاءِ الحَمْدِ أَوْ عَقَرُوا

« المعبد » : الطريق الموطوء ، يقول : إذا انتشر الطريق المعبد ، فصار طرقاً مختلفة ، اهتديت إلى قصده ولزمته ، فلم أضل . و « التجر » باعة الخمر ، و « الفضال » بقايا الخمر فى الباطية والدن . و « عزت » : قلت وغلت . يقول : اشترى الخمر بالثمن الغالى إذا عزت ، ثم أسقى أصحابى حتى يصرعوا حول الزق ، كأنهم يعودون سليما ملدوغاً . وقوله : « غرب المصبة » ، يصف « الزق » ، يقول : يكثر ما يصبه من خمر ، وإذا صرع شارباً ، كانت صرعته محمودة الأثر ، محمودة العاقبة . وقوله : « لا هى النهار » ، يعنى أنه لا يمس بها ، فإذا جاء الليل أخذوه كالأسير بينهم ، ومحتقر ، لأنه يدفع من هنا ومن هنا . وقوله : « يروى قوامح » ، يعنى الزق ، يبلغ بهم الرى ، و « القوامح » : التى كرهت الشراب وعافته . يقول : كانوا يكرهون الشراب نهاراً فيصدفون عنه ، فإذا أقبل الليل أقبل على أشباه جن من النشاط والإقبال ، عليهم الريط والأزر ، يعنى أنهم أهل ترف ونعمة إذا جاء الليل ، وسمروا ، وشربوا .

وقد مضى الذكر قبلُ بالجمع فقال : « أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم » ؟

قيل : جائز أن تكون « الهاء » عائدة على « السمع » ، فتكون موحّدة لتوحيد « السمع » = وجائز أن تكون معنيًّا بها : من إله غير الله يأتيكم بما أخذ منكم من السمع والأبصار والأفئدة، فتكون موحدة لتوحيد « ما » . والعرب تفعل ذلك ، إذا كنتْ عن الأفعال وحّدت الكناية، وإن كثر ما يكنى بها عنه من الأفاعيل ، كقولهم : « إقبالك وإدبارك يعجبنى » .(١)

* * *

وقد قيل إن « الهاء » التى فى « به » كناية عن « الهدى » .(٢)

* * *

وبنحو ما قلنا فى تأويل قوله : « يصدفون » ، قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٢٤٤ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد فى قوله: « يصدفون » ، قال : يعرضون.

١٣٢٤٥ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٣٢٤٦ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة، عن ابن عباس قوله : « يصدفون » ، قال : يعدلون .

١٣٢٤٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « نصرف الآيات ثم هم يصدفون » ، قال : يعرضون عنهـا .

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٣٥ .

(٢) وهذا أيضاً ذكره الفراء فى معانى القرآن ١ : ٣٣٥

١٣٢٤٨ – حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ثم هم يصدفون » ، قال : يصدُّون .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (٤٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد ، لهؤلاء العادلين بربهم الأوثانَ ، المكذبين بأنك لى رسول إليهم : أخبرونى [١] = « إن أتاكم عذاب الله » ، وعقابه على ما تشركون به ما تشركون من الأوثان والأنداد ، وتكذيبكم إياىَ بعد الذى قد عاينتم من البرهان على حقيقة قولى = « بغتة »، يقول : فجأة على غرة لا تشعرون[٢] = « أو جهرة »، يقول : أو أتاكم عذاب الله وأنتم تعاينونه وتنظرون إليه = « هل يهلك إلا القوم الظالمون » ، يقول : هل يهلك الله منا ومنكم إلا من كان يعبد غير من يستحق علينا العبادة ، ويترك عبادة من يستحق علينا العبادة ؟ ١٢٦/٧

* *

وقد بينا معنى «الجهرة» فى غير هذا الموضع بما أغنى عن إعادته ، وأنها من « الإجهار » ، وهو إظهار الشىء للعين ، [٣] كما : —

١٣٢٤٩ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نحيح ، عن مجاهد : « جهرة »، قال : وهم ينظرون .

١٣٢٥٠ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن

---

(١) انظر تفسير « أرأيتكم » فيما سلف قريباً ص : ٣٥١ – ٣٥٣ .
(٢) انظر تفسير « بغتة » فيما سلف : ٣٢٥ ، ٣٦٠
(٣) انظر تفسير « الجهرة » فيما سلف ٢ : ٩/٨٠ : ٣٥٨ .

ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة » ، فجأة آمنين = « أو جهرة » ، وهم ينظرون .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٤٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وما نرسل رسلنا إلاّ ببشارة أهل الطاعة لنا بالجنة والفوز المبين يوم القيامة ، جزاءً منّا لهم على طاعتنا [١] = وبإنذار من عصانا وخالف أمرنا ، عقوبتنا إياه على معصيتنا يوم القيامة ، جزاءً منا على معصيتنا ، لنعذر إليه فيهلك إن هلك عن بينة [٢] = « فمن آمن وأصلح » ، يقول : فمن صدّق من أرسلنا إليه من رسلنا إنذارهم إياه ، وقبل منهم ما جاؤوه به من عند الله ، وعمل صالحاً في الدنيا = « فلا خوف عليهم » ، عند قدومهم على ربهم ، من عقابه وعذابه الذي أعدّه الله لأعدائه وأهل معاصيه = « ولا هم يحزنون » ، عند ذلك على ما خلّفوا وراءهم في الدنيا . [٣]

* * *

(١) انظر تفسير « التبشير » فيما سلف ٩ : ٣١٨ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « النذير » فيما سلف ١٠ : ١٥٨ .
(٣) انظر تفسير نظيرة هذه الآية فيما سلف ١ ٢/٥٥١ : ١٥٠ ، ٥١٢ ، ٥/٥١٣ : ٧/٥١٩ : ٣٩٦ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾ (٤٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وأما الذين كذّبوا بمن أرسلنا إليه من رسلنا ، وخالفوا أمرنا ونهينا ، ودافعوا حجتنا ، فإنهم يباشرهم عذابُنا وعقابنا ، على تكذيبهم ما كذبوا به من حججنا[1] = « بما كانوا يفسقون » ، يقول : بما كانوا يكذّبون .

* * *

وكان ابن زيد يقول : كل « فسق» فى القرآن ، فمعناه الكذب .[2]

١٣٢٥١ — حدثنى بذلك يونس قال ، أخبرنا ابن وهب ، عنه .[3]

* * *

---

(١) انظر تفسير « المس » فيما سلف ص : ٢٨٧ ، تعليق : ١؛ والمراجع هناك .

(٢) انظر ما سلف قريباً ص : ٢٠٦، ، تعليق : ٢، والمراجع هناك . وانظر أيضاً الأثران رقم : ١٢١٠٣ ، ١٢٩٨٣ .

(٣) عند هذا الموضع ، انتهى جزء من التقسيم القديم الذى نقلت عنه نسختنا ، وفيها ما نصه :

« يتلوه القولُ فى تأويل قوله

﴿ قُلْ لاَ أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِى خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الأَعْمَى والبَصِيرُ أَفَلَا تتفكَّرُونَ ﴾

وَصَلَّى الله على محمد النبى وآله وسلم كثيراً »

ثم يتلوه ما نصه :

« بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

رَبِّ أَعِنْ »

القول فى تأويل قوله ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٥٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قل لهؤلاء المنكرين نبوّتك: لستُ أقول لكم إنّى الرب الذى له خزائنُ السموات والأرض ، فأعلم غيوب الأشياء الخفية التى لا يعلمها إلا الرب الذى لا يخفى عليه شىء، (١) فتكذبونى فيما أقول من ذلك ، لأنه لا ينبغى أن يكون ربًّا إلا من له ملك كل شىء ، وبيده كل شىء ، ومن لا يخفى عليه خافية ، وذلك هو الله الذى لا إله غيره = « ولا أقول لكم إنى ملك » ، لأنه لا ينبغى لملك أن يكون ظاهراً بصورته لأبصار البشر فى الدنيا ، فتجحدوا ما أقول لكم من ذلك (٢) = « إن أتبع إلاّ ما يوحى إلىّ » ، يقول : قل لهم : ما أتبع فيما أقول لكم وأدعوكم إليه ، إلاّ وحى الله الذى يوحيه إلىّ ، وتنزيله الذى ينزله علىّ ، (٣) فأمضى لوحيه وأئتمر لأمره ، (٤) وقد أتيتكم بالحجج القاطعة من الله عذركم على صحة قولى فى ذلك ، وليس الذى أقول من ذلك بمنكر فى عقولكم ولا مستحيل كونه ، بل ذلك مع وجود البرهان على حقيقته هو الحكمة البالغة ، فما وجه إنكاركم ذلك ؟

وذلك تنبيه من الله تعالى ذكره نبيَّه صلى الله عليه وسلم على موضع حُجته على منكرى نبوّته من مشركى قومه .

= « قل هل يستوى الأعمى والبصير » ، يقول تعالى ذكره : قل ، يا محمد ،

---

(١) انظر تفسير « الغيب » فيما سلف : ٢٣٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « ملك » فيما سلف ١ : ٤٤٤ - ٤/٤٤٧ : ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

(٣) انظر تفسير « الوحى » فيما سلف : ٢٩٠ ، ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٤) فى المطبوعة : « وأمر لأمره » ، والصواب من المخطوطة ، ولم يحسن قراءتها .

لهم : هل يستوى الأعمى عن الحق ، والبصير به = « والأعمى » ، هو الكافر الذى قد عَمى عن حجج الله فلا يتبيَّنها فيتبعها = « والبصير » ، المؤمن الذى قد أبصرَ آيات الله وحججه ، فاقتدى بها واستضاء بضيائها [1] = « أفلا تتفكرون » ، يقول لهؤلاء الذين كذبوا بآيات الله : أفلا تتفكرون فيما أحتجّ عليكم به ، أيها القوم ، من هذه الحجج ، فتعلموا صحة ما أقول وأدعوكم إليه ، من فساد ما أنتم عليه مقيمون من إشراك الأوثان والأنداد بالله ربّكم ، وتكذيبكم إياى مع ظهور حجج صدقى لأعينكم ، فتدعوا ما أنتم عليه من الكفر مقيمون ، إلى ما أدعوكم إليه من الإيمان الذى به تفوزون ؟ [2]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٢٥٢ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله تعالى ذكره : « قل هل يستوى الأعمى والبصير » ، قال : الضال والمهتدى . ١٢٧/٧

١٣٢٥٣ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٣٢٥٤ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة فى قوله : « قل هل يستوى الأعمى والبصير » ، الآية ، قال : « الأعمى » ، الكافر الذى قد عمى عن حق الله وأمره ونعمه عليه = و « البصير » ، العبد المؤمن الذى أبصر بصراً نافعاً ، فوحّد الله وحده ، وعمل بطاعة ربه ، وانتفع بما آتاه الله .

* * *

---

(١) انظر تفسير « الأعمى » و « البصير » فيما سلف فهارس اللغة (عمى) ، (بصر) .

(٢) فى المخطوطة : « تعودون » ، والجيد ما فى المطبوعة .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (٥١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وأنذر ، يا محمد ، بالقرآن الذى أنزلناه إليك ، القومَ الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ، علماً منهم بأن ذلك كائن ، فهم مصدقون بوعد الله ووعيده ، عاملون بما يرضى الله ، دائبون فى السعى ، (١) فيما ينقذهم فى معادهم من عذاب الله (٢) = « ليس لهم من دونه ولىّ » ، أى ليس لهم من عذاب الله إن عذبهم = ، « ولىّ » ، ينصرهم فيستنقذهم منه (٣) = « ولا شفيع » ، يشفع لهم عند الله تعالى ذكره فيخلصهم من عقابه (٤) = « لعلهم يتقون » ، يقول : أنذرهم كى يتقوا الله فى أنفسهم ، فيطيعوا ربهم ، ويعملوا لمعادهم ، ويحذروا سَخطه باجتناب معاصيه .

* * *

وقيل : « وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا » ، ومعناه ، يعلمون أنهم يحشرون ، فوضعت « المخافة » موضع « العلم » ، (٥) لأنّ خوفهم كان من أجل علمهم بوقوع ذلك ووجوده من غير شك منهم فى ذلك . (٦)

* * *

(١) فى المطبوعة : « دائمون فى السعى » ، والصواب ما فى المخطوطة .
(٢) انظر تفسير « الإنذار » فيما سلف : ٢٩٠ ، ٣٦٩
= وتفسير « الحشر » فيما سلف ص : ٣٤٦ – ٣٤٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « ولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .
(٤) انظر تفسير « شفيع » فيما سلف ٨ : ٥٨٠ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
(٥) انظر تفسير « الخوف » فيما سلف ٤ : ٥٥٠/٨ : ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣١٨/٩ : ١٢٣ ، ٢٦٧ .
(٦) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٣٦ .

وهذا أمرٌ من الله تعالى ذكره نبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم بتعليم أصحابه ما أنزل الله إليه من وحيه ، وتذكيرهم ، والإقبال عليهم بالإنذار = وصدَّ عنه المشركون به ،[1] بعد الإعذار إليهم ، وبعد إقامة الحجة عليهم ، حتى يكون الله هو الحاكم فى أمرهم بما يشاء من الحكم فيهم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٥٢)

قال أبو جعفر : ذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فى سبب جماعة من ضعفاء المسلمين ، قال المشركون له : لو طردت هؤلاء عنك لغشيناك وحضرنا مجلسك !

* ذكر الرواية بذلك :

١٣٢٥٥ — حدثنا هناد بن السرى قال ، حدثنا أبو زبيد ، عن أشعث، عن كردوس الثعلبى ، عن ابن مسعود قال : مرّ الملأ من قريش بالنبىّ صلى الله عليه وسلم ، وعنده صهيب وعمار وبلال وخبّاب، ونحوهم من ضعفاء المسلمين ، فقالوا : يا محمد ، رضيت بهؤلاء من قومك ؟ أهؤلاء الذين منّ الله عليهم من بيننا ؟ أنحن نكون تبعاً لهؤلاء ؟ اطردهم عنك ! فلعلك إن طردتهم أن نتّبعك ! فنزلت

(١) فى المطبوعة : « وصده عن المشركين به » ، غير ما فى المخطوطة فأفسد الكلام إفساداً لا يحل .

هذه الآية : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه » = « وكذلك فتنا بعضهم ببعض » ، إلى آخر الآية .(١)

١٣٢٥٦ — . . . . . حدثنا جرير ، عن أشعث ، عن كردوس الثعلبي ، عن عبد الله قال : مرّ الملأ من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر نحوه .(٢)

١٣٢٥٧ — حدثني أبو السائب قال ، حدثنا حفص بن غياث ، عن أشعث ، عن كردوس بن عباس قال : مرّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ملأ من قريش ، ثم ذكره نحوه .(٣)

---

(١) الأثر : ١٣٢٥٥ — « أبو زبيد » هو : « عبثر بن القاسم الزبيدى » ، ثقة ، مضى برقم : ١٢٣٣٦ ، ١٢٤٠٢ ، وكان فى المطبوعة « أبو زيد » خالف المخطوطة وأخطأ .

و « أشعث » ، هو : « أشعث بن سوار » ، ثقة ، مضى مراراً .

و « كردوس الثعلبى » ، هو « كردوس بن العباس الثعلبى » ، تابعى ثقة ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢٤٢/١/٤ ، ٢٤٣ ، وابن أبى حاتم ١٧٥/٢/٣ ، وفيها الاختلاف فى اسم أبيه ، وفى نسبته « التغلبى » بالتاء والغين ، و « الثعلبى » ، كما جاءت فى رواية أبى جعفر .

وهذا الخبر رواه أبو جعفر بثلاثة أسانيد ، هذا واللذان يليانه . . .

وأخرجه أحمد فى مسنده رقم : ٣٩٨٥ ، من طريق أسباط ، عن أشعث ، عن كردوس ، عن ابن مسعود ، بمثله مختصراً .

وخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ، وقال : « رواه أحمد والطبرانى = وذكر زيادة الطبرانى ، وهى موافقة لما فى التفسير = ورجال أحمد رجال الصحيح ، غير كردوس ، وهو ثقة » .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ١٢ ، وزاد نسبته لابن أبى حاتم ، وأبى الشيخ ، وابن مردويه ، وأبى نعيم فى الحلية .

(٢) الأثر : ١٣٢٥٦ — وضعت نقطاً فى صدر هذا الإسناد ، فإن أبا جعفر لا يدرك أن يروى عن « جرير بن عبد الحميد الضبى » ، وإنما يروى عنه شيوخه ، مثل « محمد بن حميد الرازى » ، كما فى الأثر رقم : ١٠ ، وغيره .

(٣) الأثر : ١٣٢٥٧ — فى المطبوعة والمخطوطة : « عن كردوس ، عن ابن عباس » وهو خطأ لاشك فيه ، فإن هذا الخبر لم يرو عن غير ابن مسعود ، وكردوس لم يذكر أنه روى عن ابن عباس ، والخبر لم ينسبه أحد فى الكتب إلى غير عبد الله بن مسعود ، وكردوس ، هو « كردوس ابن عباس الثعلبى » كما سلف فى التعليق رقم : ١٣٢٥٥ ، وفى المخطوطة كتب « عن » بين « كردوس بن عباس » ، من فوق ، فكأنه زيادة من الناسخ .

وهذا الخبر رواه أبو جعفر ، غير مرفوع إلى عبد الله بن مسعود ، فلا أدرى أوهم الناسخ وأسقط ، أم هكذا الرواية .

١٣٢٥٨ - حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنقزى قال، حدثنا أبى قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى ، عن أبى سعيد الأزدى = وكان قارئ الأزد = ، عن أبى الكنود ، عن خبّاب فى قول الله تعالى ذكره : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشىّ يريدون وجهه » إلى قوله : « فتكون من الظالمين » ، قال : جاء الأقرع بن حابس التميمى ، وعيينة بن حصن الفزارىّ ، فوجدوا النبىّ صلى الله عليه وسلم قاعداً مع بلال وصهيب وعمار وخباب ، فى أناس من الضعفاء من المؤمنين .[1] فلما رأوهم حوله حقّروهم ، فأتوه فقالوا : إنا نحب أن تجعل لنا منك مجلساً تعرف لنا العرب به فضلَنا ، فإنّ وفود العرب تأتيك فنستحيي أن ترانا العرب مع هؤلاء الأعبُد ، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا ، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت ! قال : نعم ! قالوا : فاكتب لنا عليك بذلك كتاباً . قال : فدعا بالصحيفة ، ودعا علياً ليكتب . قال : ونحن قعود فى ناحية ، إذ نزل جبريل بهذه الآية : « ولا تطرد الذين يدعون ربّهم بالغداة والعشىّ يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء ١٢٨/٧ فتطردهم فتكون من الظالمين » ، ثم قال : « وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين » ، ثم قال : « وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة » ، فألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيفةَ من يده ، ثم دعانا فأتيناه وهو يقول : « سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة » ! فكنا نقعد معه ، فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا ، فأنزل الله تعالى : ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، [سورة الكهف : ٢٨] . قال: فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا بعد ،

---

(١) فى المطبوعة : « من ضعفاء المؤمنين » ، غير ما فى المخطوطة .

فإذا بلغ الساعة التي يقوم فيها ، قمنا وتركناه حتى يقوم .(١)

١٣٢٥٩ – حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل ، قال حدثنا أسباط ، عن السدى ، عن أبي سعيد الأزدى ، عن أبي الكنود ، عن خباب ابن الأرت = بنحو حديث الحسين بن عمرو ، إلا أنه قال في حديثه : فلما رأوهم حوله نفّروهم ، فأتوه فخلّوا به . وقال أيضاً : « فتكون من الظالمين » ، ثم ذكر الأقرع وصاحبه فقال : « وكذلك فتنا بعضهم ببعض » الآية . وقال أيضاً : فدعانا فأتيناه وهو يقول : « سلام عليكم » ، فدنونا منه يومئذ حتى وَضعنا ركبنا على ركبتيه = وسائر الحديث نحوه .(٢)

---

(١) الأثر : ١٣٢٥٨ – « الحسين بن عمرو بن محمد العنقزى » ، ضعيف لين ، مضى برقم : ١٦٢٥ ، ١٨٨٣ ، ٦١٣٩ ، ٨٠٣٥ .

وأبوه « عمرو بن محمد العنقزى » ، ثقة جائز الحديث ، مضى برقم : ٦١٣٩ .

و « أسباط » ، هو « أسباط بن نصر الهمدانى » ، ضعفه أحمد ، ورجح أخى توثيقه ، كما مضى في التعليق على الأثر رقم : ١٦٨ .

وأما « السدى » ، فهو « إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدى » ، وهو ثقة ، مضى أيضاً برقم : ١٦٨ .

و « أبو سعد الأزدى » ، قارئ الأزد ، فهو « أبو سعد الأرحبى » ، أو « أبو سعيد الأرحبى » ، كما سيأتى في الأثر التالى ، ذكره ابن حبان في الثقات ، مضى برقم : ٨٧٠٠ ، وكان في المطبوعة هنا « أبو سعيد » ، وأثبت ما في المخطوطة .

و « أبو الكنود الأزدى » ، مختلف في اسمه ، قيل « عبد الله بن عامر » ، وقيل « عبد الله ابن عمران » ، وغير ذلك . ذكره ابن حبان في الثقات ، ولم يرو له غير ابن ماجة من أصحاب الكتب الستة ، روى له هذا الخبر نفسه . مترجم في التهذيب .

وهذا الخبر رواه ابن ماجة من هذه الطريق نفسها ، مع زيادة يسيرة في لفظه ، في سننه ص ١٣٨٢ ، رقم : ٤١٢٧ . وقال في الزوائد : « إسناده صحيح ، ورجاله ثقات ، وقد روى مسلم ، والنسائى ، والمصنف بعضه من حديث سعد بن أبي وقاص » .

وأما ابن كثير ، فقد قال في تفسيره ، وذكر الخبر من تفسير ابن أبي حاتم من هذه الطريق نفسها (٣ : ٣١٥ ، ٣١٦) : « وهذا حديث غريب ، فإن هذه الآية مكية ، والأقرع بن حابس ، وعيينة ، إنما أسلما بعد الهجرة بدهر » . وهذا هو الحق إن شاء الله .

وخرجه السيوطى في الدر المنثور ٣ : ١٣ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة ، وأبي يعلى ، وأبي نعيم في الحلية ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقى في الدلائل .

(٢) الأثر : ١٣٢٥٩ – « أبو سعيد الأزدى » ، هو « أبو سعيد الأرحبى » ، وهو الذى

١٣٢٦٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة = وحدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة والكلبي : أنّ ناساً من كفار قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : إن سرّك أن نتبعك ، فاطرد عنا فلاناً وفلاناً ، ناساً من ضعفاء المسلمين ! فقال الله تعالى ذكره : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه » .

١٣٢٦١ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم الغداة والعشيّ » إلى قوله : « وكذلك فتنا بعضهم ببعض » الآية ، قال : وقد قال قائلون من الناس لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، إن سرك أن نتبعك فاطرد عنا فلاناً وفلاناً = لأناس كانوا دونهم في الدنيا ، ازدراهم المشركون ، فأنزل الله تعالى ذكره هذه الآية إلى آخرها .

١٣٢٦٢ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي » ، بلال وابن أم عبد ، كانا يجالسان محمداً صلى الله عليه وسلم ، فقالت قريش محقّرتهما : لولاهما وأمثالهما لجالسناه ! فنُهى عن طردهم ، حتى قوله : « أليس الله بأعلم بالشاكرين » ، قال : « قل سلام عليكم » ، فيما بين ذلك ، في هذا .

١٣٢٦٣ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا سفيان ، عن المقدام بن شريح ، عن أبيه قال ، قال سعد : نزلت هذه الآية في ستة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، منهم ابن مسعود ، قال : كنا نسبق إلى النبي صلى الله عليه وسلم وندنو منه ونسمع منه ، فقالت قريش : يدنى هؤلاء دوننا ! فنزلت : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي » .[1]

سلف في الأثر السابق ، وهو « أبو سعد » هناك ، ولكنه هنا « أبو سعيد » ، وكلاهما صواب كما أسلفت .

(١) الأثر : ١٣٢٦٣ – « سفيان » ، هو الثوري

« المقدام بن شريح بن هانىء بن يزيد الحارثي » . ثقة . مترجم في التهذيب .

١٣٢٦٤ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة فى قوله : « وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم » الآية ، قال: جاء عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، ومطعم بن عدىّ، والحارث ابن نوفل ، وقرظة بن عبد عمرو بن نوفل ، فى أشراف من بنى عبد مناف من الكفار ، إلى أبى طالب فقالوا : يا أبا طالب ، لو أن ابن أخيك يطرد عنه موالينا وحلفاءَنا ، فإنما هم عبيدنا وعُسَفاؤنا ،(١) كان أعظم فى صدرونا ، وأطوع له عندنا ، وأدنى لاتّباعنا إياه ، وتصديقنا له ! قال : فأتى أبو طالب النبى صلى الله عليه وسلم فحدثه بالذى كلموه به ، فقال عمر بن الخطاب : لو فعلتَ ذلك ، حتى تنظر ما الذى يريدون ، وإلام يصيرون من قولهم ؟ فأنزل الله تعالى ذكره هذه الآية : « وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون » ولا تطرد الذين يدعون ربّهم بالغداة والعشىّ يريدون وجهه » إلى قوله : « أليس الله بأعلم بالشاكرين » ، قال : وكانوا : بلال، وعمارُ ابن ياسر ، وسالم مولى أبى حذيفة ، وصبيح مولى أسيد= (٢) ومن الحلفاء : ابن

وأبوه « شريح بن هانىء بن يزيد الحارثى » ، أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يره ، وروى عن أبيه ، وعمر ، وعلى ، وبلال ، وسعد ، وأبى هريرة ، ذكره ابن سعد فى الطبقة الأولى من تابعى أهل الكوفة . مترجم فى التهذيب .

و « سعد » هو « سعد بن أبى وقاص » ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « سعيد » ، وهو خطأ .

وهذا الخبر رواه مسلم فى صحيحه ١٥ : ١٨٧ من طريقين ، من طريق سفيان ، عن المقدام ابن شريح = وعن طريق إسرائيل ، عن المقدام .

ورواه ابن ماجة فى سننه ص ١٣٨٣ رقم : ٤١٢٨ ، من طريق قيس بن الربيع ، عن المقدام بن شريح ، بمثله ، بغير هذا اللفظ .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ١٣ ، وزاد نسبته لأحمد ، والفريابى ، وعبد بن حميد ، والنسائى ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، وابن حبان ، وأبى الشيخ ، وابن مردويه ، والحاكم ، وأبو نعيم فى الحلية ، والبيهقى فى الدلائل .

(١) « العسفاء » جمع « عسيف » ، وهو العبد ، والأجير المستهان به .

(٢) فى المطبوعة : « وكانوا بلالا . . . وسالما . . . وصبيحا » ، بالنصب ، كما فى الدر

١٢٩/٧ مسعود ، والمقداد بن عمرو ، ومسعود بن القاريّ ، وواقد بن عبد الله الحنظلى ، وعمرو بن عبد عمرو ذو الشمالين ، ومرثد بن أبى مرثد = وأبو مرثد ، من غنىّ ، حليفُ حمزة بن عبد المطلب = وأشباههم من الحلفاء . ونزلت فى أئمة الكفر من قريش والموالى والحلفاء : « وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا » الآية . فلما نزلت ، أقبل عمر بن الخطاب فاعتذر من مقالته ، فأنزل الله تعالى ذكره : «وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم» ، الآية .(١)

١٣٢٦٥ — حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد ، قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم : إنى أستحيي من الله أن يرانى مع سلمان وبلال وذَوِيهم ،(٢) فاطردهم عنك ، وجالس فلاناً وفلاناً ! قال فنزل القرآن : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشىّ يريدون وجهه » فقرأ ، حتى بلغ : « فتكون من الظالمين » ، ما بينك وبين أن تكون من الظالمين إلاّ أن تطردهم . ثم قال : « وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين » . ثم قال : وهؤلاء الذين أمروك أن تطردهم ، فأبلغهم منىّ السلام ، وبشرهم وأخبرهم أنى قد غفرت لهم ! وقرأ : « وإذا جاءك الذين يؤمنون

المنثور ، وابن كثير ، ولكن الذى فى المخطوطة هو الصواب الجيد . هذا إن صح أن هذه الرواية هى الصواب ، وإلا فإنى وجدت فى الإصابة ، فى ترجمة « صبيح » هذا وفيه : « عن حجاج ، عن ابن جريج ، وفيه : كانوا ثلاثة ، عمار بن ياسر ، وسالم مولى أبى حذيفة ، وصبيح » . فإن صح هذا ، كان خطأ قوله « بلال » ، وإنما صوابه « ثلاثة » ، ولكننى لا أستطيع أن أرجح ذلك الآن .

(١) الأثر : ١٣٢٦٤ — « مسعود بن القارى » ، هو « مسعود بن ربيعة بن عمرو القارى » ، نسبة إلى « القارة » ، وهو حليف بنى زهرة .

و « واقد بن عبد الله الحنظلى التميمى » ، حليف بنى عدى بن كعب .

و « عمرو بن عبد عمرو بن نضلة الخزاعى » ، « ذو الشمالين » ، حليف بنى زهرة . وقد روى أن عماراً قال : « كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة كلهم أضبط : ذو الشمالين ، وعمر ابن الخطاب ، وأبو ليلى » ، و « الأضبط » : الذى يعمل بيديه جميعاً .

(٢) قوله : « وذويهم » يعنى : أصحابهم وأشباههم ، وقد أسلفت فى الجزء ٣ : ٢٦١ ، تعليق : ٢ ، أن للنحاة كلاماً كثيراً ، ودعوى أن إضافة « ذو » إلى الضمير ، يكون فى ضرورة الشعر ، وقلت إنه أتى فى النثر قديماً ، وهذا الخبر من أدلة ما قلت .

بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة » ، فقرأ حتى بلغ : « وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين » ، قال : لتعرفها .

* * *

واختلف أهل التأويل فى الدعاء الذى كان هؤلاء الرّهط ، الذين نهى الله نبيّه صلى الله عليه وسلم عن طردهم ، يدعون ربّهم به .

فقال بعضهم : هى الصلوات الخمس .(١)

* ذكر من قال ذلك :

١٣٢٦٦ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : «ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشىّ» ، يعنى : يعبدون ربّهم = «بالغداة والعشىّ» ، يعنى : الصلاة المكتوبة .

١٣٢٦٧ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا حماد ، عن أبى حمزة ، عن إبراهيم فى قوله : « يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه » ، قال : هى الصلوات الخمس الفرائض . ولو كان ما يقول القُصّاص ،(٢) هلك من لم يجلس إليهم .

١٣٢٦٨ — حدثنا هناد بن السرى وابن وكيع قالا ، حدثنا ابن فضيل ،

---

(١) فى المطبوعة : « الصلوات المكتوبة » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) كان فى المطبوعة والمخطوطة : « ولو كان يقول القصاص » باسقاط « ما » وهو خطأ . « القصاص » جمع « قاص » ، وهو الذى يتصدر فى مسجد أو غيره ، ثم يأخذ يعظ الناس ، ويذكرهم بأخبار الماضين ، فربما دخل قصصه الزيادة والنقصان ، ولذلك جاء فى الحديث : « القاص ينتظر المقت » . وفى الحديث : « إن بنى إسرائيل لما قصوا هلكوا » ، يعنى : لما تزيدوا فى الخبر والحديث وكذبوا ، وهذا من شر الفعل ، ولكن ما دخلت فيه بنو إسرائيل فعذبهم الله وأهلكهم به ، دخلناه نحن سعياً ، فعاقبنا الله بشتات أمرنا ، وضعف علمائنا ، وذهاب هيبتنا من صدور أعدائنا . فاللهم اهدنا سواء سبيلك .

ثم انظر الأثر التالى رقم : ١٣٢٧٠ ، والأثر : ١٣٢٧٧ ، ١٣٢٨٢

عن الأعمش ، عن إبراهيم : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه » ، قال : هى الصلاة .

١٣٢٦٩ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى » ، الصلاة المفروضة ، الصبح والعصر .

١٣٢٧٠ – حدثنى محمد بن موسى بن عبد الرحمن الكندى قال ، حدثنا حسين الجعفى قال ، أخبرنى حمزة بن المغيرة ، عن حمزة بن عيسى قال : دخلت على الحسن فسألته فقلت : يا أبا سعيد ، أرأيت قول الله : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ ، [سورة الكهف : ٢٨] ، أهم هؤلاء القُصّاص ؟ قال : لا ، ولكنهم المحافظون على الصلوات فى الجماعة .(١)

١٣٢٧١ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى = وحدثنى الحارث قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا ورقاء = جميعاً ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « الذين يدعون ربهم بالغداة والغشى » ، قال : الصلاة المكتوبة .

١٣٢٧٢ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « يدعون ربهم بالغداة والعشى » ، قال : يعبدون ربّهم = « بالغداة والعشى » ، يعنى الصلاة المفروضة . ١٣٠/٧

١٣٢٧٣ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن

---

(١) الأثر : ١٣٢٧٠ – « محمد بن موسى بن عبد الرحمن الكندى » ، شيخ الطبرى ، لم أجد له ذكراً . وكان فى المطبوعة هنا « موسى بن عبد الرحمن الكندى » ، غير ما فى المخطوطة ، وحذف « محمد بن » ، وهذا تصرف معيب قبيح .

و « حسين الجعفى » ، هو « حسين بن على بن الوليد الجعفى » ، مضى مراراً كثيرة ، وكان فى المطبوعة : « حسن الجعفى » ، وهو خطأ محض .

و « حمزة بن المغيرة بن نشيط المخزومى » العابد ، مضى برقم : ١٨٤ .

وأما « حمزة بن عيسى » ، فلم أجد فى الرواة من يسمى بذلك ، وأرجح أن الناسخ أخطأ ، فأعاد كتابة « حمزة » ، فاختلط الاسم ، فلا يصححه إلا أن يوجد فى مكان آخر .

قتادة قوله : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ [سورة الكهف : ٢٨] ، هما الصلاتان : صلاة الصبح وصلاة العصر .

١٣٢٧٤ – حدثني ابن البرقي قال، حدثنا ابن أبي مريم قال ، حدثنا يحيى بن أيوب قال ، حدثنا محمد بن عجلان ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر في هذه الآية : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ الآية ، إنهم الذين يشهدون الصلوات المكتوبة .(١)

١٣٢٧٥ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد وإبراهيم : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾، قالا : الصلوات الخمس .

١٣٢٧٦ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا يحيى ، عن سفيان، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

١٣٢٧٧ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي » ، قال : المصلين المؤمنين ، بلال وابن أم عبد = قال ابن جريج ، وأخبرني عبد الله ابن كثير ، عن مجاهد قال : صليت الصبح مع سعيد بن المسيب ، فلما سلّم الإمام ابتدر الناس القاصّ ، فقال سعيد : ما أسرعَ بهم إلى هذا المجلس ! (٢) قال مجاهد : فقلت يتأولون ما قال الله تعالى ذكره. قال : وما قال ؟ قلت : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي » ، قال : وفي هذا ذا ؟ إنما ذاك في الصلاة التي انصرفنا عنها الآن ، إنما ذاك في الصلاة .

---

(١) الأثر : ١٣٢٧٤ – خرجه السيوطي في الدر المنثور ٤ : ٢١٩ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه .
وهذا إسناد صحيح .

(٢) في المطبوعة : « ما أسرعهم إلى هذا المجلس » ، وفي المخطوطة : « ما أسرع إلى هذا المجلس » ، فرأيت أن يكون الصواب ما أثبت .

١٣٢٧٨ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا وكيع ، عن أبيه ، عن منصور ، عن عبد الرحمن بن أبي عمرة قال : الصلاة المكتوبة .(١)

١٣٢٧٩ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر قال : هي الصلاة .

١٣٢٨٠ – حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا وكيع ، عن أبيه ، عن إسرائيل ، عن عامر قال : هي الصلاة .

١٣٢٨١ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه » ، يقول : صلاة الصبح وصلاة العصر .

١٣٢٨٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد قال : صلى عبد الرحمن بن أبي عمرة في مسجد الرسول ، فلما صلى قامَ فاستند إلى حجرة النبي صلى الله عليه وسلم ، فانثال الناس عليه ، فقال : يا أيها الناس ، إليكم ! فقيل : يرحمك الله ، إنما جاؤوا يريدون هذه الآية : ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ ، [سورة الكهف: ٢٨] . فقال : وهذا عُني بهذا ! إنما هو في الصلاة .(٢)

---

(١) الأثر : ١٣٢٧٨ – «عبد الرحمن بن أبي عمرة بن محصن بن ثعلبة الأنصاري» ، روى عن أبيه ، وعثمان بن عفان ، وعبادة بن الصامت . قال ابن سعد : « كان ثقة كثير الحديث» مترجم في التهذيب . وسيأتي هذا الأثر مطولا برقم : ١٣٢٨٢ .

(٢) الأثر : ١٣٢٨٢ – هو مطول الأثر السالف رقم : ١٣٢٧٨ . وقوله: « انثال عليه الناس » : تتابعوا عليه وتقاطروا من كل ناحية .

وهذا الخبر ، دليل على صحة معرفة أئمتنا السالفين بحق دينهم ، وحق كتابهم المنزل عليهم من ربهم = ودليل أيضاً على فساد ما وقع فيه علماؤنا وكتابنا ، ومن تعرض منا لكتاب الله بالهوى ، حتى صار هذا المرفوض الذي رفضه الأئمة ، حجة يستدل بها الجهال من الصوفية وأهل المخرقة بالولايات وادعاء الكرامات . فاللهم باعد بيننا وبين الجهالة ، واحملنا على سواء السبيل .

* * *

هذا وهذه الأخبار التي ذكرها هنا ، وفسر فيها آية سورة الكهف : ٢٨ ، لم يرو أكثره في تفسير « سورة الكهف » ، وهذا باب من أبواب اختصار أبي جعفر تفسيره هذا .

وقال آخرون : هي الصلاة ، ولكن القوم لم يسألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم طردَ هؤلاء الضعفاء عن مجلسه ، ولا تأخيرهم عن مجلسه ، وإنما سألوه تأخيرهم عن الصفّ الأول ، حتى يكونوا وراءهم في الصفّ .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٢٨٣ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وكذلك فتنا بعضهم ببعض » الآية ، فهم أناس كانوا مع النبيّ صلى الله عليه وسلم من الفقراء ، فقال أناس من أشراف الناس : نؤمن لك، وإذا صلينا فأخِّر هؤلاء الذين معك فليصلُّوا خلفنا !

* * *

وقال آخرون : بل معنى « دعائهم » كان ،ذكرُهم الله تعالى ذكره .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٢٨٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي= وحدثنا هناد قال ، حدثنا وكيع = ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم قوله : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي » ، قال : أهل الذكر .

١٣٢٨٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن منصور : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي » ، قال : هم أهل الذكر .

١٣٢٨٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن ١٣١/٧
إبراهيم : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي » ، قال : لا تطردهم عن الذكر .

* * *

وقال آخرون : بل كان ذلك ، تعلّمهم القرآن وقراءته .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٢٨٧ – حدثني المثنى قال: حدثنا إسحق قال ، حدثنا وكيع ، عن إسرائيل، عن جابر ، عن أبي جعفر قوله: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ [سورة الكهف: ٢٨] ، قال: كان يقرئهم القرآن، من الذي يقص على النبي صلى الله عليه وسلم ؟! (١)

* * *

وقال آخرون : بل عنى بدعائهم ربهم ، عبادتهم إياه .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٢٨٨ – حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد ابن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « يدعون ربهم بالغداة والعشي » ، قال : يعني : يعبدون ، ألا ترى أنه قال : ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ ، [سورة غافر : ٤٣] ، يعني : تعبدون . (٢)

* * *

---

(١) في المطبوعة : « قال كان يقرئهم القرآن النبي صلى الله عليه وسلم » حذف من المخطوطة ما أثبته : « من الذي يقص على » ، ثم وصل الكلام ، فأساء وخان وأفسد ! ! وهذا الكلام جملتان منفصلتان ، الأولى : « كان يقرئهم القرآن » والأخرى الاستفهام : « من الذي يقص على النبي صلى الله عليه وسلم » ، وكلتاهما رد على من تأول الآية ، على أنها مراد بها القصاص وهم الوعاظ ، كما يظهر من الآثار : ١٣٢٦٧ ، ١٣٢٧٠ ، ١٣٢٧٧ ، ١٣٢٨٢ ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرىء هؤلاء القرآن، فأمر أن يصبر نفسه معهم . ولو كان مراداً بالآية القصاص ، لكان النبي صلى الله عليه وسلم مأموراً أن يصبر نفسه مع من يجلس يعظه ويذكره بالله – بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم ! فلذلك قال : « من الذي يقص على النبي صلى الله عليه وسلم ! » ، أي : من هذا الذي يعظ رسول الله ويذكره بالله وبأيام الله ؟ !

وهذه حجة مبينة في فساد من تأول الآية على غير الوجه الصحيح الذي أجمعت عليه الحجة .

(٢) هكذا جاءت الآية في المخطوطة والمطبوعة ، وأنا أكاد أقطع بأن ذلك خطأ ، من سهو راو أو سهو من أبي جعفر نفسه ، وأرجح أنه أراد آية « سورة غافر » : ٦٦

« قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ »

أما الآية التي استبدل بها ، فلا يستقيم أن يكون الدعاء فيها بمعنى العبادة .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله تعالى ذكره نهى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يطرُد قوماً كانوا يدعون ربّهم بالغداة والعشى ، و« الدعاء لله » ، يكون بذكره وتمجيده والثناء عليه قولاً وكلاماً = وقد يكون بالعمل له بالجوارح الأعمالَ التى كان عليهم فرضُها ، وغيرُها من النوافل التى ترضى عن العامل له عابدَه بما هو عامل له .[1] وقد يجوز أن يكون القوم كانوا جامعين هذه المعانى كلها ، فوصفهم الله بذلك بأنهم يدعونه بالغداة والعشى ، لأن الله قد سمى « العبادة » ، « دعاء » ، فقال تعالى ذكره : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ ، [سورة غافر : ٦٠] . وقد يجوز أن يكون ذلك على خاصّ من الدعاء .

ولا قول أولى بذلك بالصحة ، من وصف القوم بما وصفهم الله به : من أنهم كانوا يدعون ربهم بالغداة والعشى ، فيعمُّون بالصفة التى وصفهم بها ربهم ، ولا يخصُّون منها بشىء دون شىء .

فتأويل الكلام إذاً : يا محمد ، أنذر بالقرآن الذى أنزلته إليك ، الذين يعلمون أنهم إلى ربهم محشورون = فهم من خوف ورودهم على الله الذى لا شفيع لهم من دونه ولا نصير ، فى العمل له دائبون[2] = إذ أعرض عن إنذارك واستماع ما أنزل الله عليك المكذبون بالله واليوم الآخر من قومك ، استكباراً على الله = ولا تطردهم ولا تُقْصِهم ، فتكون ممن وضع الإقصاء فى غير موضعه ، فأقصى وطرد من لم يكن له طرده وإقصاؤه ، وقرّب من لم يكن له تقديمه بقربه وإدناؤه ، فإن الذين نهيتُك عن طردهم هم الذين يدعون ربهم فيسألونه عفوه ومغفرته بصالح أعمالهم ، وأداء ما ألزمهم من فرائضه ، ونوافل تطوّعهم ، وذكرهم إياه بألسنتهم بالغداة

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « التى ترضى والعامل له عابده » ، وهو لا يستقيم ، وكأن الصواب ما أثبت .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « دائمون » ، وأرجح أن الذى أثبت هو الصواب .

والعشي ، يلتمسون بذلك القربة إلى الله ، والدنوّ من رضاه = « ما عليك من حسابهم من شيء»، يقول : ما عليك من حساب ما رزقتهم من الرزق من شيء = وما عليهم من حساب ما رزقتك من الرزق من شيء = « فتطردهم » ، حذارَ محاسبتي إياك بما خوّلتهم في الدنيا من الرزق .

* * *

وقوله : « فتطردهم » ، جواب لقوله : « ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء » .

وقوله : « فتكون من الظالمين » جواب لقوله : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم » .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ (٥٣)

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بقوله : « وكذلك فتنا بعضهم ببعض » ، وكذلك اختبرنا وابتلينا ، كالذي :—

١٣٢٨٩ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر = وحدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر=، عن قتادة : « وكذلك فتنا بعضهم ببعض » ، يقول : ابتلينا بعضهم ببعض .

* * *

١٣٢/٧ وقد دللنا فيما مضى من كتابنا هذا على معنى « الفتنة » ، وأنها الاختبار والابتلاء ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .(١)

* * *

---

(١) انظر تفسير « الفتنة » فيما سلف ص : ٢٩٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

وإنما فتنة الله تعالى ذكره بعضَ خلقه ببعضٍ ، مخالفتُه بينهم فيما قسم لهم من الأرزاق والأخلاق ، فجعل بعضاً غنيًّا وبعضاً فقيراً ، وبعضاً قويًّا ، وبعضاً ضعيفاً ، فأحوج بعضهم إلى بعض ، اختباراً منه لهم بذلك .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٢٩٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وكذلك فتنا بعضهم ببعض » ، يعنى أنه جعل بعضهم أغنياء وبعضهم فقراء ، فقال الأغنياء للفقراء : «أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا » ، يعنى : هداهم الله . وإنما قالوا ذلك استهزاءً وسُخريًّا .(١)

* * *

وأما قوله : « ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا» ، يقول تعالى : اختبرنا الناس بالغنى والفقر ، والعزّ والذل ، والقوة والضعف ، والهدى والضلال ، كى يقول من أضلّه الله وأعماه عن سبيل الحق ، للذين هداهم الله ووفقهم : «أهؤلاء منّ الله عليهم » ، بالهدى والرشد ، وهم فقراء ضعفاء أذلاء(٢) = « من بيننا » ، ونحن أغنياء أقوياء ؟ استهزاءً بهم ، ومعاداةً للإسلام وأهله .

يقول تعالى ذكره : « أليس الله بأعلم بالشاكرين » ، وهذا منه تعالى ذكره إجابة لهؤلاء المشركين الذين أنكروا أن يكون الله هدى أهل المسكنة والضعف للحق ، وخذلهم عنه وهم أغنياء = وتقريرٌ لهم : أنا أعلم بمن كان من خلقى شاكراً نعمتى ، ممن هو لها كافر . فمنّ على من مَنَنْتُ عليه منهم بالهداية ، جزاء شكره

---

(١) فى المطبوعة : « سخرية » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « المن » فيما سلف ٧ : ٩/٣٦٩ : ٧١ .

إياى على نعمتى ، وتخذيلى من خذلت منهم عن سبيل الرشاد ، عقوبة كفرانه إياى نعمتى ، لا لغنى الغنى منهم ولا لفقر الفقير ، لأن الثواب والعقاب لا يستحقه أحدٌ إلا جزاءً على عمله الذى اكتسبه ، لا على غناه وفقره ، لأن الغنى والفقر والعجز والقوة ليس من أفعال خلقى .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٥٤)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى الذين عنى الله تعالى ذكره بهذه الآية .

فقال بعضهم : عنى بها الذين نهى الله نبيَّه عن طردهم . وقد مضت الرواية بذلك عن قائليه . (١)

* * *

وقال آخرون : عنىَ بها قوماً استفتوا النبى صلى الله عليه وسلم فى ذنوب أصابوها عظامٍ ، فلم يؤيسهم الله من التوبة .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٢٩١ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا يحيى بن سعيد قال، حدثنا سفيان ، عن مجمع قال ، سمعت ماهان قال : جاء قوم إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم قد أصابوا ذنوباً عظاماً . قال ماهان: فما إخاله ردّ عليهم شيئاً . قال : فأنزل

---

(١) انظر ما سلف رقم : ١٣٢٥٨ ، وما بعده .

الله تعالى ذكره هذه الآية : « وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم » ، الآية .(١)

١٣٢٩٢ – حدثنا هناد قال ، حدثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن مجمع ، عن ماهان : أنّ قوماً جاؤوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا محمد ، إنا أصبنا ذنوباً عظاماً ! فما إخاله ردّ عليهم شيئاً ، فانصرفوا فأنزل الله تعالى ذكره : « وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة » . قال : فدعاهم فقرأها عليهم .(١)

١٣٢٩٣ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن مجمّع التيمي قال ، سمعت ماهان يقول : فذكر نحوه .(١)

* * *

وقال آخرون : بل عُنى بها قومٌ من المؤمنين كانوا أشاروا على النبي صلى الله عليه وسلم بطرد القوم الذين نهاه الله عن طردهم ، فكان ذلك منهم خطيئة ، فغفرها الله لهم وعفا عنهم ، وأمر نبيَّه صلى الله عليه وسلم إذا أتوه أن يبشرهم بأن ١٣٣/٧
قد غفر لهم خطيئتهم التي سلفت منهم بمشورتهم على النبي صلى الله عليه وسلم بطرد القوم الذين أشاروا عليه بطردهم . وذلك قول عكرمة وعبد الرحمن بن زيد ، وقد ذكرنا الرواية عنهما بذلك قبل .(٢)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك عندي بتأويل الآية ، قولُ من قال : المعنيُّون بقوله : « وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم » ، غيرُ الذين نهى الله النبيَّ صلى الله عليه وسلم عن طردهم . لأن قوله : « وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا » ، خبر مستأنَفٌ بعد تقضّي الخبر عن الذين نهى الله نبيه صلى الله

---

(١) الآثار : ١٣٢٩١ – ١٣٢٩٣ – « سفيان » هو : ابن عيينة .
و « مجمع » ، هو « مجمع بن صمعان » أبو حمزة التيمي » ، ثقة ، مضى برقم : ١٢٧١٠ .
و « ماهان » الحنفي ، أبو سالم الأعور العابد ، مضى برقم : ٣٢٢٦ .
(٢) انظر ما سلف رقم : ١٣٢٦٤ ، ١٣٢٦٥ .

عليه وسلم عن طردهم . ولو كانوا هم ، لقيل : « وإذا جاؤوك فقل سلام عليكم » . وفى ابتداء الله الخبرَ عن قصة هؤلاء ، وتركه وصلَ الكلام بالخبر عن الأولين ، ما ينبىء عن أنهم غيرُهم .

فتأويل الكلام إذاً = إذ كان الأمر على ما وصفنا = : وإذا جاءك ، يا محمد ، القومُ الذين يصدِّقون بتنزيلنا وأدلتنا وحججنا ، فيقرّون بذلك قولاً وعملاً ، مسترشديك عن ذنوبهم التى سلفت منهم بينى وبينهم ، هل لهم منها توبة ، فلا تؤيسهم منها ، وقل لهم : « سلام عليكم » ، أمَنَةُ الله لكم من ذنوبكم ، أن يعاقبكم عليها بعد توبتكم منها [1] = « كتب ربكم على نفسه الرحمة » ، يقول : قضى ربكم الرحمة بخلقه [2] = « أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تابَ من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم » .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك :

فقرأته عامة قرأة المدنيين : ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً﴾ ، فيجعلون « أنّ » منصوبةً على الترجمة بها عن « الرحمة » = ﴿ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ، على ائتناف « إنه » بعد « الفاء » فيكسرونها ، ويجعلونها أداة لا موضع لها ، بمعنى : فهو له غفور رحيم = أو : فله المغفرة والرحمة . [3]

* * *

وقرأهما بعض الكوفيين بفتح « الألف » منهما جميعاً ، ، بمعنى : ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ = ثم ترجم بقوله : ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ﴾ ، عن الرحمة ، ﴿فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ، فيعطف بـ « أنه » الثانية على « أنه » الأولى ، ويجعلهما اسمين منصوبين على ما بينت . [4]

* * *

(١) انظر تفسير « سلام » فيما سلف ١٠ : ١٤٥ ، ومادة (سلم) فى فهارس اللغة .
(٢) انظر تفسير « كتب » فيما سلف ص : ٢٧٣ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٣٦ ، ٣٣٧ .
(٤) انظر ما قاله أبو جعفر فى بيان هذه القراءة فيما سلف ص : ٢٧٨ — ٢٨٠

وقرأ ذلك بعض المكيين وعامة قرأة أهل العراق من الكوفة والبصرة: بكسر « الألف » من « إنه » و « إنه » على الابتداء ، وعلى أنهما أداتان لا موضع لهما .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءات فى ذلك عندى بالصواب ، قراءة من قرأهما بالكسر : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ إِنَّهُ ﴾ ، على ابتداء الكلام ،وأن الخبر قد انتهى عند قوله : « كتب ربكم على نفسه الرحمة » ، ثم استؤنف الخبر عما هو فاعلٌ تعالى ذكره بمن عمل سوءاً بجهالة ثم تاب وأصلح منه .

* * *

ومعنى قوله : « إنه من عمل منكم سوءاً بجهالة » ، إنه من اقترف منكم ذنباً فجهل باقترافه إياه(٢) = ثم تاب وأصلح= « فإنه غفورٌ »، لذنبه إذا تاب وأناب ، وراجع العمل بطاعة الله ، وترك العود إلى مثله ،مع الندم على ما فرط منه= « رحيم »، بالتائب أن يعاقبه على ذنبه بعد توبته منه .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٢٩٤ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن عثمان ، عن مجاهد : « من عمل منكم سوءاً بجهالة » ، قال : من جهل : أنه لا يعلم حلالاً من حرام ، ومن جهالته ركب الأمر .

١٣٢٩٥ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو خالد، عن جويبر ، عن الضحاك ، مثله .

١٣٢٩٦ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن ليث، عن مجاهد :

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٣٦ ، ٣٣٧ .

(٢) انظر تفسير « الجهالة » فيما سلف ٨ : ٨٩ — ٩٣ ، وهو بيان جيد جداً .

يعملون السوء بجهالة ، قال : من عمل بمعصية الله ، فذاك منه جهل حتى يرجع .

١٣٢٩٧ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا بكر ابن خنيس، عن ليث ، عن مجاهد في قوله : « من عمل منكم سوءاً بجهالة » ، قال : كل من عمل بخطيئة فهو بها جاهل .(١) ١٣٤/٧

١٣٢٩٨ – حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا خالد ابن دينار أبو خلدة قال : كنا إذا دخلنا على أبي العالية قال : « وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة » .(٢)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ (٥٥)

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بقوله : « وكذلك نفصل الآيات » ، وكما فصلنا لك في هذه السورة من ابتدائها وفاتحتها ، يا محمد ، إلى هذا الموضع ، حجتنا على المشركين من عبدة الأوثان، وأدلتنا ، وميزناها لك وبينّاها، كذلك نفصّل لك أعلامنا وأدلتنا في كل حقّ ينكره أهل الباطل من سائر أهل الملل

---

(١) الأثر : ١٣٢٩٧ – « بكر بن خنيس الكوفي » العابد ، يروي عن ليث بن أبي سليم ، وعبد الرحمن بن زياد ، وإسماعيل بن أبي خالد ، وعطاء بن أبي رباح . قال ابن عدي : « وهو ممن يكتب حديثه ، ويحدث بأحاديث مناكير عن قوم لابأس بهم ، وهو نفسه رجل صالح ، إلا أن الصالحين يشبه عليهم الحديث ، وربما حدثوا بالتوهم ، وحديثه في جملة الضعفاء ، وليس ممن يحتج بحديثه » ، وقيل فيه ما هو أشد . مترجم في التهذيب .

(٢) الأثر : ١٣٢٩٨ – « خالد بن دينار التميمي السعدي » ، « أبو خلدة » ، ثقة ، مضى برقم : ٤٤ ، ١٢٢٣٩ .

غيرهم ، فنبينها لك ، حتى يبين حقه من باطله ، وصحيحهُ من سقيمه .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « ولتستبين سبيل المجرمين » .

فقرأ ذلك عامة قرأة أهل المدينة : ﴿ وَلِتَسْتَبِينَ ﴾ بالتاء ﴿ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ بنصب « السبيل » ، على أن « تستبين » ، خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، كأن معناه عندهم : ولتستبين ، أنت يا محمد ، سبيلَ المجرمين .

* * *

وكان ابن زيد يتأول ذلك : ولتستبين ، أنت يا محمد ، سبيلَ المجرمين الذين سألوك طردَ النفر الذين سألوه طردهم عنه من أصحابه .

١٣٢٩٩ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « ولتستبين سبيلَ المجرمين » ، قال : الذين يأمرونك بطرد هؤلاء .

* * *

وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض البصريين : ﴿ وَلِتَسْتَبِينَ ﴾ بالتاء ﴿ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ برفع « السبيل » ، على أن القصد للسبيل، ولكنه يؤنثها = وكأن معنى الكلام عندهم : وكذلك نفصل الآيات ، ولتتضح لك وللمؤمنين طريقُ المجرمين .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة أهل الكوفة : ﴿ وَلِيَسْتَبِينَ ﴾ بالياء ﴿ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ برفع « السبيل » على أن الفعل للسبيل ، ولكنهم يذكرونه = ومعنى هؤلاء فى هذا الكلام، ومعنى من قرأ ذلك بالتاء فى : « ولتستبين » ورفع « السبيل »، واحدٌ ، وإنما الاختلاف بينهم فى تذكير « السبيل » وتأنيثها .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب عندى فى « السبيل » الرفع ، لأن الله تعالى ذكره فصَّل آياته فى كتابه وتنزيله ، ليتبين الحقّ بها من الباطل جميعُ من خوطب بها ، لا بعضٌ دون بعض .

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٣٧ .

ومن قرأ « السبيل » بالنصب ، فإنما جعل تبيين ذلك محصوراً على النبي صلى الله عليه وسلم .

وأما القراءة فى قوله : « ولتستبين » ، فسواء قرئت بالتاء أو بالياء ، لأن من العرب من يذكر « السبيل » = وهى تميم وأهل نجد = ومنهم من يؤنث « السبيل » = وهم أهل الحجاز . وهما قراءتان مستفيضتان فى قرأة الأمصار ، ولغتان مشهورتان من لغات العرب ، وليس فى قراءة ذلك بإحداهما خلافٌ لقراءته بالأخرى ، ولا وجه لاختيار إحداهما على الأخرى= بعد أن يرفع « السبيل» = للعلة التى ذكرنا .(١)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله : « نفصل الآيات » قال أهل التأويل .

١٣٣٠٠ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « وكذلك نفصل الآيات » ، نبين الآيات .

١٣٣٠١ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى : « نفصل الآيات » ، نبين .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (٥٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد ، لهؤلاء المشركين بربّهم من قومك ، العادلين به الأوثان والأنداد، الذين يدعونك إلى موافقتهم على دينهم وعبادة الأوثان : إنّ الله نهانى أن أعبد الذين ١٣٥/٧

(١) انظر تفسير « السبيل » فيما سلف من فهارس اللغة (سبل) = وتفسير « استبان » فى مادة (بين) من فهارس اللغة .

تدعون من دونه ، فلن أتبعكم على ما تدعوننى إليه من ذلك ، ولا أوافقكم عليه ، ولا أعطيكم محبتكم وهواكم فيه . وإن فعلت ذلك ، فقد تركت محجّة الحق ، وسلكت على غير الهدى ، فصرت ضالاً مثلكم على غير استقامة .(١)

* * *

وللعرب فى « ضللت » لغتان : فتح « اللام » وكسرها . واللغة الفصيحة المشهورة هى فتحها ، وبها قرأ عامة قرأة الأمصار ، وبها نقرأ لشهرتها فى العرب . وأما الكسر فليس بالغالب فى كلامها ، والقرأة بها قليلون . فمن قال : « ضَلَلْتُ » قال : « أَضِلُّ » ، ومن قال : « ضَلِلْتُ » قال فى المستقبل : « أَضَلُّ » ، وكذلك القراءة عندنا فى سائر القرآن : ﴿ وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا ﴾ بفتح اللام ، [سورة السجدة : ١٠] .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴾ (٥٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : « قل » ، يا محمد ، لهؤلاء العادلين بربهم ، الداعين لك إلى الإشراك بربك = « إنى على بيّنة من ربى » ، أى إنى على بيان قد تبينته ، وبرهان قد وضح لى = « من ربى » ، يقول : من توحيدى ،(٢) وما أنا عليه من إخلاص عبُودته(٣) من غير إشراك شىء به .

وكذلك تقول العرب : « فلان على بينة من هذا الأمر » ، إذا كان على بيان

(١) انظر تفسير « الضلال » فيما سلف من فهارس اللغة (ضلل) .
(٢) فى المطبوعة : « توحيده » ، وأثبت ما فى المخطوطة .
(٣) فى المطبوعة : « عبوديته » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

منه،[١] ومن ذلك قول الشاعر : [٢]

أَبَيِّنَةً تَبْغُونَ بَعْـــدَ اعْتِرَافِهِ وقَوْلِ سُوَيْدٍ: قَدْ كَفَيْتُكُمُ بِشْرَا[٣]

* * *

« وكذبتم به » يقول : وكذبتم أنتم بربكم = و« الهاء » فى قوله « به » من ذكر الرب جلّ وعز = « ما عندى ما تستعجلون به » ، يقول : ما الذى تستعجلون من نقم الله وعذابه بيدى ، ولا أنا على ذلك بقادر . وذلك أنهم قالوا حين بعث الله نبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم بتوحيده ، فدعاهم إلى الله ، وأخبرهم أنه رسوله إليهم : ﴿ هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٣] . وقالوا للقرآن : هو أضغاث أحلام . وقال بعضهم : بل هو اختلاق اختلقه . وقال آخرون : بل محمد شاعر ، فليأتنا بآية كما أرسل الأولون = فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم : أجبهم بأن الآيات بيد الله لا بيدك ، وإنما أنت رسول ، وليس عليك إلا البلاغ لما أرسلت به ، وأنّ الله يقضى الحق فيهم وفيك ، ويفصل به بينك وبينهم ، فيتبين المحقُّ منكم والمبطل[٤] = « وهو خير الفاصلين » ، أى : وهو خير من بيّن وميّز بين المحق والمبطل وأعدلهم ، لأنه لا يقع فى حكمه وقضائه حَيْف إلى أحد لوسيلة له إليه ولا لقرابة ولا مناسبة ، ولا فى قضائه جور ، لأنه لا يأخذ الرشوة فى الأحكام فيجور ، فهو أعدل الحكام وخيرُ الفاصلين .

* * *

وقد ذكر لنا فى قراءة عبد الله : ﴿ وَهُوَ أَسْرَعُ الْفَاصِلِينَ ﴾ .

١٣٣٠٢ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير : أنه قال : فى قراءة عبد الله :

(١) انظر تفسير « البينة » فيما سلف من فهارس اللغة (بين) .
(٢) لم أعرف قائله .
(٣) مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٩٣ .
(٤) انظر تفسير « الفصل » فيما سلف ٥ : ٣٣٨ .

﴿ يَقْضِيَ الْحَقَّ وَهُوَ أَسْرَعُ الْفَاصِلِينَ ﴾ .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « يقصُّ الحق » .(١)

فقرأ عامة قرأة الحجاز والمدينة وبعض قرأة أهل الكوفة والبصرة : ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ ﴾، بالصاد، بمعنى «القصص»، وتأوّلوا فى ذلك قول الله تعالى ذكره : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ ، [سورة يوسف : ٣] . وذكر ذلك عن ابن عباس .

١٣٣٠٣ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : « يقص الحق » ، وقال : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾

* * *

وقرأ ذلك جماعة من قرأة الكوفة والبصرة : ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ يَقْضِي الْحَقَّ ﴾ بالضاد، من « القضاء »، بمعنى الحكم والفصل بالقضاء ،(٢) واعتبروا صحة ذلك بقوله : « وهو خير الفاصلين » ، وأن « الفصل » بين المختلفين إنما يكون بالقضاء لا بالقَصَص . ١٣٦/٧

* * *

وهذه القراءة عندنا أولى القراءتين بالصواب ، لما ذكرنا لأهلها من العلة .

* * *

فمعنى الكلام إذاً : ما الحكم فيما تستعجلون به ، أيها المشركون ، من عذاب الله وفيما بينى وبينكم ، إلاّ لله الذى لا يجور فى حكمه ، وبيده الخلق والأمر ، يقضى الحق بينى وبينكم ، وهو خير الفاصلين بيننا بقضائه وحكمه .

* * *

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « يقضى الحق » ، وهو سهو هنا ، والصواب ما أثبته .

(٢) انظر تفسير « قضى » فيما سلف ٢ : ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، وسائر فهارس اللغة .

القول فى تأويل قوله ﴿ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (٥٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد ، لهؤلاء العادلين بربهم الآلهة والأوثان ، المكذبيك فيما جئتهم به ، السائليك أن تأتيهم بآية استعجالاً منهم بالعذاب : لو أنّ بيدى ما تستعجلون به من العذاب = « لقضى الأمر بينى وبينكم » ، ففصل ذلك أسرع الفصل ، بتعجيلى لكم ما تسألونى من ذلك وتستعجلونه ، ولكن ذلك بيد الله ، الذى هو أعلم بوقت إرساله على الظالمين ، الذين يضعون عبادتهم التى لا تنبغى أن تكون إلاّ لله فى غير موضعها ، فيعبدون من دونه الآلهة والأصنام ، وهو أعلم بوقت الانتقام منهم ، وحالِ القضاء بينى وبينهم .

* * *

وقد قيل : معنى قوله : « لقضى الأمر بينى وبينكم » ، بذبح الموت .(١)

١٣٣٠٤ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن ابن جريج قال : بلغنى فى قوله : « لقضى الأمر » ، قال : ذبح الموت .

* * *

وأحسب أن قائل هذا القول ، نزع لقوله(٢) : ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ ، [سورة مريم : ٣٩] ، فإنه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك قصة تدل على معنى ما قاله هذا القائل فى « قضاء الأمر » ،(٣) وليس

---

(١) فى المطبوعة « الذبح للموت » ، وفى المخطوطة « الذبح الموت » ، وآثرت قراءتها كما أثبتها

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة « أن قائل هذا النوع نزع » ، وهو كلام عجب ، لا أظن أبا جعفر يتدانى إلى مثله والصواب ما أثبته بلا شك

(٣) رواه أبو جعفر فى تفسيره ١٦ ٦٦ (بولاق) ، وهو الخبر الذى جاء فيه أنه يجاء يوم القيامة بالموت كأنه كبش أملح ، فيوقف بين الجنة والنار ، ثم ينادى فى أهل الجنة والنار هل

قوله : « لقضى الأمر بينى وبينكم » من ذلك فى شىء ، وإنما هذا أمرٌ من الله تعالى ذكره نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يقول لمن استعجله فصلَ القضاء بينه وبينهم من قوله بآية يأتيهم بها : لو أن العذاب والآيات بيدى وعندى ، لعاجلتكم بالذى تسألونى من ذلك، ولكنه بيد من هو أعلم بما يُصلح خلقه، منّى ومن جميع خلقه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾

قال أبو جعفر : يقول : وعند الله مفاتح الغيب .(١)

و « المفاتح » جمع « مِفْتَح »، يقال فيه: « مِفْتح » و « مِفْتَاح ». فمن قال : « مِفْتَح» ، جمعه « مفاتح » ، ومن قال: « مفتاح» ، جمعه « مفاتيح» .

* * *

ويعنى بقوله: « وعنده مفاتح الغيب »، خزائن الغيب، كالذى : —

١٣٣٠٥ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى : « وعنده مفاتح الغيب »، قال، يقول: خزائن الغيب .

١٣٣٠٦ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن مسعر ، عن عمرو ابن مرة ، عن عبد الله بن سلمة، عن ابن مسعود قال: أعطى نبيُّكم كل شىء إلاّ مفاتح الغيب .(٢)

يعرفونه ، فيقولون : لا ! فيقال : هذا الموت ، ثم يؤخذ فيذبح ، ثم ينادى : يا أهل النار ، خلود فلا موت ، ويا أهل الجنة ، خلود فلا موت .

(١) فى المطبوعة : « يقول : وعنده مفاتح الغيب » ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٣٣٠٦ — « عبد الله بن سلمة المرادى » ، تابعى ثقة ، من فقهاء الكوفة بعد الصحابة . مضى برقم : ١٢٣٩٨ .

١٣٣٠٧ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس : « وعنده مفاتح الغيب » ، قال : هن خمس : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ ﴾ إلى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ ، [سورة لقمان : ٣٤] .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام إذاً : والله أعلم بالظالمين من خلقه ، وما هم مستحقُّوه وما هو بهم صانع ، فإنّ عنده علم ما غاب علمه عن خلقه فلم يطلعوا عليه ولم يدركوه ، ولن يعلموه ولن يدركوه[1] = « ويعلم ما في البر والبحر » ، يقول : وعنده علم ما لم يغب أيضاً عنكم ، لأن ما في البر والبحر مما هو ظاهر للعين ، يعلمه العباد . فكأن معنى الكلام : وعند الله علم ما غابَ عنكم ، أيها الناس ، مما لا تعلمونه ولن تعلموه مما استأثرَ بعلمه نفسَه ، ويعلم أيضاً مع ذلك جميع ما يعلمه جميعُكم ، لا يخفى عليه شيء ، لأنه لا شيءَ إلا ما يخفى عن الناس أو ما لا يخفى عليهم. فأخبر تعالى ذكره أن عنده علم كل شيء كان ويكون ، وما هو كائن مما لم يكن بعد ، وذلك هو الغيب .[2] ١٣٧/٧

* * *

وهذا خبر صحيح الإسناد ، رواه أحمد في مسنده : ٣٦٥٩ ، انظر شرح أخي السيد أحمد لهذا الخبر هناك .

(١) في المطبوعة : « ولم يعلموه ، ولن يدركوه » ، وفي المخطوطة : « ولم يعلموه ولا يدركوه » ، والصواب الدال عليه السياق ، هو ما أثبته .

(٢) انظر تفسير « الغيب » فيما سلف ص : ٣٧١ تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (٥٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولا تسقط ورقةٌ فى الصحارى والبرارى ، ولا فى الأمصار والقرى ، إلا الله يعلمها = « ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين » ، يقول : ولا شيء أيضاً مما هو موجود ، أو ممّا سيوجد ولم يوجد بعد ، إلا وهو مثبت فى اللوح المحفوظ ، مكتوبٌ ذلك فيه ، ومرسوم عددُه ومبلغه ، والوقت الذى يوجد فيه ، والحالُ التى يفنى فيها .

ويعنى بقوله : « مبين » ، أنه يبين عن صحة ما هو فيه ، بوجود ما رُسم فيه على ما رُسم .(١)

* * *

فإن قال قائل : وما وجهُ إثباته فى اللوح المحفوظ والكتاب المبين ، ما لا يخفى عليه ، وهو بجميعه عالم لا يُخَاف نسيانَه ؟

قيل له : لله تعالى ذكره فعل ما شاء . وجائز أن يكون كان ذلك منه امتحاناً منه لحفَظَته ، واختباراً للمتوكلين بكتابة أعمالهم ، فإنهم فيما ذُكر مأمورون بكتابة أعمال العباد ، ثم بعرضها على ما أثبته الله من ذلك فى اللوح المحفوظ ، حتى أثبت فيه ما أثبت كل يوم . وقيل إن ذلك معنى قوله : ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ، [سورة الجاثية : ٢٩] . وجائز أن يكون ذلك لغير ذلك ، مما هو أعلم به ، إمّا بحجة يحتج بها على بعض ملائكته ، وإما على بنى آدم وغير ذلك ، وقد : —

---

(١) انظر تفسير « مبين » فيما سلف من فهارس اللغة (بين) .

١٣٣٠٨ – حدثني زياد بن يحيى الحسّاني أبو الخطاب قال، حدثنا مالك بن سعير قال ، حدثنا الأعمش ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث قال : ما في الأرض من شجرة ولا كمغرز إبرة ، إلاّ عليها ملك موكّل بها يأتي الله بعلمها : يبسها إذا يبست ، [1] ورطوبتها إذا رَطبت . [2]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : وقل لهم ، يا محمد : والله أعلم بالظالمين ، والله هو الذي يتوفى أرواحكم بالليل فيقبضها من أجسادكم = « ويعلم ما جرحتم بالنهار » ، يقول : ويعلم ما كسبتم من الأعمال بالنهار .

* * *

---

(١) في المطبوعة : « يأتي الله يعلمه يبسها » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو الصواب ، وهذا عبث من الناشر .

(٢) الأثر : ١٣٣٠٨ – « زياد بن يحيى بن زياد بن حسان الحساني النكري » ، أبو الخطاب ، ثقة ، روى له الستة . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ١/٢/٥٤٩ .

هذا ، وقد جاء في المخطوطة وتفسير ابن كثير « زياد بن عبد الله الحساني أبو الخطاب » ، وهو خطأ لا شك فيه ، فإن الذي يروى عن « مالك بن سعير » هو « زياد بن يحيى الحساني ، أبو الخطاب » ، فضلا عن أنه ليس في الرواة من يسمى « زياد بن عبد الله الحساني أبو الخطاب » .

و « مالك بن سعير بن الخمس التميمي » ، قال أبو زرعة وأبو حاتم : « صدوق » ، وضعفه أبو داود ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وهو مترجم في التهذيب ، والبخاري في الكبير ٤/١/٣١٥ ، ولم يذكر فيه جرحاً ، وابن أبي حاتم ٤/١/٢٠٩

و « يزيد بن أبي زياد القرشي الهاشمي » هو مولى « عبد الله بن الحارث » ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٢٧٤٠ .

و « عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم » ، هو « ببة » ، ثقة ، مضى برقم : ١٢٧٤٠ .

وهذا الخبر ، ذكره ابن كثير في تفسيره من طريق ابن أبي حاتم ، عن عبد الله بن محمد ابن عبد الرحمن بن المسور الزهري ، عن مالك بن سعير ، بمثله .

وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣ : ١٥ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة ، وأبي الشيخ .

ومعنى « التوفى » ، فى كلام العرب استيفاء العدد ، [١] كما قال الشاعر : [٢]

إِنَّ بَنِي الأَدْرَمِ لَيْسُوا مِنْ أَحَدْ ولَا تَوَفَّاهُمْ قُرَيْشٌ فِي العَدَدْ [٣]

بمعنى : لم تدخلهم قريش فى العدد .

* * *

وأما « الاجتراح » عند العرب ، فهو عمل الرجل بيده أو رجله أو فمه ، وهى « الجوارح » عندهم ، جوارح البدن فيما ذكر عنهم . ثم يقال لكل مكتسب عملاً « جارح » ، لاستعمال العرب ذلك فى هذه « الجوارح » ، ثم كثر ذلك فى الكلام حتى قيل لكل مكتسب كسباً ، بأىّ أعضاء جسمه اكتسب : « مجترِح » . [٤]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك :

١٣٣٠٩ – حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار » ، أما « يتوفاكم بالليل » فنى النوم = وأما « يعلم ما جرحتم بالنهار » ، فيقول : ما اكتسبتم من الإثم .

١٣٣١٠ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار » ، يعنى : ما اكتسبتم من الإثم .

---

(١) انظر تفسير « التوفى » فيما سلف ٦ : ٤٥٥ ، ٨/٤٥٦ : ٩/٧٣ : ١١/١٠٠ : ٢٣٩

(٢) هو منظور الوبرى .

(٣) اللسان (وفى) ، وسيأتى فى التفسير ٢١ : ٦١ (بولاق) . وكان فى المطبوعة هنا : « إن بنى الأدم » ، وفى اللسان « إن بنى الأدرد » ، وهما خطأ ، صوابه ما جاء فى التفسير بعد . و « بنو الأدرم » هو بنو « تيم بن غالب بن فهر بن مالك » ، وهم من قريش الظواهر ، لا قريش الأباطح .

وهذا الراجز يهجوهم بأن قريشاً أهل الأباطح ، لا يجعلون بنى الأدرم (وهم من قريش الظواهر) تماماً لعددهم ، ولا يستوفون بهم عددهم إذا عدوا .

(٤) انظر تفسير « الجوارح » و « الاجتراح » فيما سلف ٩ : ٥٤٣ ، ٥٤٤ .

١٣٣١١ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور قال ، حدثنا معمر ، عن قتادة : « ما جرحتم بالنهار » ، قال : ما عملتم بالنهار . ١٣٨/٧

١٣٣١٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

١٣٣١٣ – حدثنا بشر بن معاذ قال ،حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله: « وهو الذى يتوفاكم بالليل » ، يعنى بذلك نومهم = « ويعلم ما جرحتم بالنهار » ، أى : ما عملتم من ذنب فهو يعلمه ، لا يخفى عليه شىء من ذلك .

١٣٣١٤ – حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار » ، قال : أمّا وفاته إياهم بالليل، فمنامهم = وأما « ما جرحتم بالنهار » ، فيقول : ما اكتسبتم بالنهار .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا الكلام وإن كان خبراً من الله تعالى ذكره عن قدرته وعلمه ، فإنّ فيه احتجاجاً على المشركين به ، الذين كانوا ينكرون قدرته على إحيائهم بعد مماتهم وبعثهم بعد فنائهم . فقال تعالى ذكره محتجاً عليهم : « وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى » ، يقول : فالذى يقبض أرواحكم بالليل ويبعثكم فى النهار لتبلغوا أجلاً مسمى ، وأنتم ترون ذلك وتعلمون صحّته ، غير منكرٍ له القدرة على قبض أرواحكم وإفنائكم ، ثم ردّها إلى أجسادكم ، وإنشائكم بعد مماتكم ، فإن ذلك نظير ما تعاينون وتشاهدون. وغير منكر لمن قدر على ما تعاينون من ذلك ، القدرةُ على ما لم تعاينوه . وإن الذى لم تروه ولم تعاينوه من ذلك ، شبيه ما رأيتم وعاينتم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١) (٦٠)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره : « ثم يبعثكم »، يثيركم ويوقظكم من منامكم (٢)= « فيه» يعنى : فى النهار ،و« الهاء» التى فى «فيه» راجعة على «النهار» (٣) = « ليقضى أجلٌ مسمى » ، يقول : ليقضى الله الأجل الذى سماه لحياتكم ، وذلك الموت ، فيبلغ مدته ونهايته (٤) = « ثم إليه مرجعكم » ، يقول : ثم إلى الله معادكم ومصيركم (٥)= « ثم ينبئكم بما كنتم تعملون » ، يقول : ثم يخبركم بما كنتم تعملون فى حياتكم الدنيا ، (٦) ثم يجازيكم بذلك ، إن خيراً فخيراً وإن شرًّا فشرًّا .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

* ذكر من قال ذلك :

١٣٣١٥ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ثم يبعثكم فيه » ، قال : فى النهار .

١٣٣١٦ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور قال ، حدثنا معمر ، عن قتادة : « ثم يبعثكم فيه » ، فى النهار ، و « البعث » ، اليقظة .

١٣٣١٧ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

---

(١) أسقط فى المطبوعة والمخطوطة : « ثم يبعثكم فيه » ، وهو نص التلاوة .

(٢) انظر تفسير « البعث » فيما سلف ٢ : ٨٤ ، ٥/٨٥ : ١٠/٤٥٧ : ٢٢٩ .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « والهاء التى فيه راجعة » ، بإسقاط « فى » ، والصواب إثباتها .

(٤) انظر تفسير « أجل مسمى » فيما سلف ٦ : ١١/٤٣ : ٢٥٩

(٥) انظر تفسير « المرجع » فيما سلف ٦ : ١٠/٤٦٤ : ١١/٣٩١ : ١٥٤

(٦) انظر تفسير « النبأ » فيما سلف ص : ٣٣٥ تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

١٣٣١٨ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن الفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى : « ثم يبعثكم فيه » ، قال : بالنهار .(١)

١٣٣١٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج، عن ابن جريج قال، قال عبد الله بن كثير : « ثم يبعثكم فيه»، قال: يبعثكم فى المنام .

* * *

= « ليقضى أجل مسمى » ، وذلك الموت .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٣٢٠ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد : « ليقضى أجل مسمى » ، وهو الموت .

١٣٣٢١ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى : « ليقضى أجل مسمى » ، قال : هو أجل الحياة إلى الموت .

١٣٣٢٢ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج، عن جريج قال، قال عبد الله بن كثير : « ليقضى أجل مسمى »، قال : مدّتهم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ (٦١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « وهو القاهر » ، والله الغالب خلقه، العالى عليهم بقدرته،(٢) لا المقهور من أوثانهم وأصنامهم، المذلّل المعلُوّ عليه ١٣٩/٧

(١) فى المطبوعة : « فى النهار » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « القاهر » فيما سلف ص : ٢٨٨

لذلته[١] = « ويرسل عليكم حفظة » ، وهى ملائكته الذين يتعاقبونكم ليلاً ونهاراً ، يحفظون أعمالكم ويحصونها ، ولا يفرطون فى حفظ ذلك وإحصائه ولا يُضيعون .[٢]

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٣٢٣ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « ويرسل عليكم حفظة » ، قال : هى المعقبات من الملائكة ، يحفظونه ويحفظون عمله .

١٣٣٢٤ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون » ، يقول : حفظة ، يا ابن آدم ، يحفظون عليك عملك ورزقك وأجلك ، إذا توفّيت ذلك قبضت إلى ربك = « حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون » ، يقول تعالى ذكره : إن ربكم يحفظكم برسل يعقّب بينها ، يرسلهم إليكم بحفظكم وبحفظ أعمالكم ، إلى أن يحضركم الموت ، وينزل بكم أمر الله ، فإذا جاء ذلك أحدكم ، توفاه أملاكنا الموكّلون بقبض الأرواح ، ورسلنا المرسلون به = « وهم لا يفرطون » ، فى ذلك فيضيعونه .[٣]

* * *

فإن قال قائل : أوليس الذى يقبض الأرواح ملك الموت ، فكيف قيل : « توفته رسلنا » ، « والرسل » جملة وهو واحد ؟ أوليس قد قال : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ

---

(١) فى المطبوعة : « المغلوب عليه لذلته » ، وهو خطأ وسوء تصرف ، والذى فى المخطوطة هو الصواب .

(٢) انظر تفسير « الحفظ » بمعانيه فيما سلف ٥ : ٨/١٦٧ : ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ١٠/٥٦٢ : ٣٤٣ ، ٥٦٢ .

(٣) انظر تفسير « التوفى » فيما سلف ص : ٤٠٥ تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ ، [سورة السجدة : ١١] ؟

قيل : جائز أن يكون الله تعالى ذكره أعان ملك الموت بأعوان من عنده ، فيتولون ذلك بأمر ملك الموت ، فيكون « التوفى » مضافاً = وإن كان ذلك من فعل أعوان ملك الموت = إلى ملك الموت ، [1] إذ كان فعلهم ما فعلوا من ذلك بأمره ، كما يضاف قتلُ من قتل أعوانُ السلطان وجلدُ من جلدوه بأمر السلطان ، إلى السلطان ، وإن لم يكن السلطانِ باشر ذلك بنفسه ، ولا وليه بيده .

* * *

وقد تأول ذلك كذلك جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٣٢٥ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال ، حدثنا الحسن ابن عبيد الله ، عن إبراهيم فى قوله : « حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون » ، قال : كان ابن عباس يقول : لملك الموت أعوانٌ من الملائكة .

١٣٣٢٦ – حدثنى أبو السائب قال ، حدثنا ابن إدريس ، عن الحسن ابن عبيد الله فى قوله : « توفته رسلنا وهم لا يفرطون » ، قال : سئل ابن عباس عنها فقال : إن لملك الموت أعواناً من الملائكة .

١٣٣٢٧ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن إبراهيم فى قوله : « توفته رسلنا وهم لا يفرطون » ، قال : أعوان ملك الموت .

١٣٣٢٨ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم : « توفته رسلنا وهم لا يفرطون » ، قال : الرسل توفَّى الأنفس ، ويذهب بها ملك الموت .

١٣٣٢٩ – حدثنا هناد قال ، حدثنا حفص ، عن الحسن بن عبيد الله ،

---

(١) السياق : « فيكون التوفى مضافاً . . . إلى ملك الموت » .

عن إبراهيم ، عن ابن عباس : « توفته رسلنا وهم لا يفرطون » ، أعوان ملك الموت من الملائكة .(١)

١٣٣٣٠ – [حدثنا هناد قال ، حدثنا حفص ، عن الحسن بن عبيدالله ، عن ابن عباس : «توفته رسلنا وهم لا يفرطون» . قال : أعوان ملك الموت من الملائكة] .(٢)

١٣٣٣١ – حدثنا هناد قال ، حدثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن الحسن ابن عبيد الله ، عن إبراهيم : « توفته رسلنا » ، قال : هم الملائكة أعوان ملك الموت .

١٣٣٣٢ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور قال ، حدثنا معمر ، عن قتادة : « توفته رسلنا » ، قال : إن ملك الموت له رسل ، فيرسل ويرفع ذلك إليه = وقال الكلبي : إن ملك الموت هو يلي ذلك ، فيدفعه ، إن كان مؤمناً ، إلى ملائكة الرحمة ، وإن كان كافراً إلى ملائكة العذاب . ١٤٠/٧

١٣٣٣٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة ، « توفته رسلنا » ، قال : يلي قبضَها الرسل ، ثم يدفعونها إلى ملك الموت .

١٣٣٣٤ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري ، عن منصور ، عن إبراهيم في قوله : « توفته رسلنا » ، قال : تتوفاه الرسل ، ثم يقبض منهم ملك الموت الأنفس = قال الثوري : وأخبرني الحسن بن عبيد الله ، عن إبراهيم قال : هم أعوان لملك الموت = قال الثوري : وأخبرني

---

(١) الأثر : ١٣٣٢٩ – كان تفسير هذه الآية في هذا الخبر : « قال : الرسل توفى الأنفس ، ويذهب بها ملك الموت » ، وهذا مخالف كل المخالفة لما في المخطوطة ، فأثبت ما فيها ، وكأنه الصواب إن شاء الله .

(٢) الأثر : ١٣٣٣٠ – هذا الأثر ليس في المخطوطة ، ولذلك وضعته بين قوسين ، وظني أنه تكرار من تصرف ناسخ ، فإن إسناده إسناد الذي قبله ، إلا أنه ليس فيه « عن إبراهيم » بين « الحسن بن عبيد الله » و « ابن عباس » .

رجل ، عن مجاهد قال : جعلت الأرض لملك الموت مثل الطست يتناول من حيث شاء ، وجعلت له أعوان يتوفّون الأنفس ثم يقبضها منهم .

١٣٣٣٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن إدريس ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن إبراهيم ، عن ابن عباس فى قوله : « توفته رسلنا » ، قال : أعوان ملك الموت من الملائكة .

١٣٣٣٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن الحسن ابن عبيد الله ، عن إبراهيم قال: الملائكة، أعوان ملك الموت .

١٣٣٣٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم : « توفته رسلنا » ، قال : يتوفونه ، ثم يدفعونه إلى ملك الموت .

١٣٣٣٨ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه قال : سألت الربيع بن أنس عن ملك الموت ، أهو وحده الذى يقبض الأرواح ، قال : هو الذى يلى أمرَ الأرواح ، وله أعوان على ذلك ، ألا تسمع إلى قول الله تعالى ذكره : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ ﴾ ؟ [سورة الأعراف : ٣٧] . وقال : « توفته رسلنا وهم لا يفرطون » ، غير أن ملك الموت هو الذى يسير، كل خطوة منه من المشرق إلى المغرب. قلت: أين تكون أرواح المؤمنين ؟ قال : عند السدرة فى الجنة .

١٣٣٣٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا محمد بن مسلم، عن إبراهيم بن ميسرة ، عن مجاهد قال : ما من أهل بيت شَعَرٍ ولا مَدَرٍ إلا وملك الموت يُطيف بهم كل يوم مرتين .

* * *

وقد بينا أن معنى « التفريط » ، التضييع ، فيما مضى قبل .(١) وكذلك تأوله المتأوّلون فى هذا الموضع .

---

(١) انظر تفسير « التفريط » فيما سلف ص : ٣٤٥ ، ٣٤٦ .

١٣٣٤٠ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وهم لا يفرطون » ، يقول : لا يضيعون

١٣٣٤١ – حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وهم لا يفرطون » ، قال : لا يضيعون .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَـٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَـٰسِبِينَ ﴾ (٦٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ثم ردت الملائكة الذين توفَّوهم فقبضوا نفوسهم وأرواحهم ، إلى الله سيدهم الحق ، [١] « ألا له الحكم » ، يقول : ألا له الحكم والقضاء دون من سواه من جميع خلقه [٢] = « وهو أسرعُ الحاسبين » ، يقول : وهو أسرع من حسب عددكم وأعمالكم وآجالكم وغير ذلك من أموركم ، أيها الناس ، وأحصاها ، وعرف مقاديرها ومبالغها ، [٣] لأنه لا يحسب بعقد يد ، ولكنه يعلم ذلك ولا يخفى عليه منه خافية ، وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ . [٤]

* * *

---

(١) انظر تفسير « المولى » فيما سلف ٦ : ٧/١٤١ : ٢٧٨ ، وغيرها من فهارس اللغة مادة (ولى) .

(٢) انظر تفسير « الحكم » فيما سلف ٩ : ١٧٥ ، ٣٢٤ ، ٤٦٢ .

(٣) انظر تفسير « الحساب » فيما سلف : ٢٠٧ ، ٢٧٤ ، ٦/٢٧٥ : ٢٧٩ .

(٤) هذا تضمين آية « سورة سبأ » : ٣ .

القول فى تأويل قوله ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ (٦٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد ، لهؤلاء العادلين بربهم ، الداعين إلى عبادة أوثانهم : من الذى ينجيكم = « من ظلمات البر » ، إذا ضللتم فيه فتحيَّرتم ، فأظلم عليكم الهدى والمحجة = ومن ظلمات البحر إذا ركبتموه ، فأخطأتم فيه المحجة ، فأظلم عليكم فيه السبيل ، فلا تهتدون له = غير الله الذى إليه مفزعكم حينئذ بالدعاء[1] = « تضرعاً » ، منكم إليه واستكانة جهراً[2] = «وخفية» ، يقول : وإخفاء للدعاء أحياناً ، وإعلاناً وإظهاراً تقولون : لئن أنجيتنا من هذه يارب[3] = أى من هذه الظلمات التى نحن فيها = « لنكونن من الشاكرين» ، يقول : لنكونن ممن يوحدك بالشكر ، ويخلص لك العبادة ، دون من كنا نشركه معك فى عبادتك . ١٤١/٧

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

---

(١) فى المطبوعة : « الذى مفزعكم » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « التضرع » فيما سلف ص : ٣٥٥

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة ، كان نص الآية ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ﴾ وهى قراءة باقى السبعة ، وقراءتنا المثبتة فى مصحفنا هى قراءة الكوفيين . وقد جرى أبو جعفر فى تفسيره على قراءة عامة الناس ، ولم يشر إلى قراءتنا ، وجرى على ذلك فى تفسيره الآية . وقال القرطبى : قرأ الكوفيون « لئن أنجانا » ، واتساق المعنى بالتاء ، كما قرأ أهل المدينة والشام .

وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٣٨ . وظنى أن أبا جعفر قد اختصر التفسير فى هذا الموضع اختصاراً شديداً ، فترك كثيراً كان يظن به أن يقوله .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٣٤٢ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية » ، يقول : إذا أضل الرجل الطريق ، دعا الله : « لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين » .(١)

١٣٣٤٣ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر » ، يقول : من كرْب البر والبحر .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ (٦٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء العادلين بربهم سواه من الآلهة ، إذا أنت استفهمتهم عمن به يستعينون عند نزول الكرب بهم في البر والبحر : الله القادرُ على فَرَجكم عند حلول الكرب بكم ، ينجيكم من عظيم النازل بكم في البر والبحر من همّ الضلال وخوف الهلاك ، ومن كل كرب سوى ذلك وهمّ = لا آلهتكم التي تشركون بها في عبادته ، ولا أوثانكم التي تعبدونها من دونه ، التي لا تقدر لكم على نفع ولا ضرّ ، ثم أنتم بعد تفضله عليكم بكشف النازل بكم من الكرب ، ودفع الحالّ بكم من جسيم الهم ، تعدلون به آلهتكم وأصنامكم ، فتشركونها في عبادتكم إياه . وذلك منكم جهل

(١) تركت الخبر على قراءة الناس لا قراءتنا في مصحفنا .

بواجب حقه عليكم ، وكفر لأياديه عندكم ، وتعرضٌ منكم لإنزال عقوبته عاجلاً بكم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء العادلين بربهم غيره من الأصنام والأوثان ، يا محمد : إن الذى ينجيكم من ظلمات البرّ والبحر ومن كل كرب ، ثم تعودون للإشراك به ، هو القادر على أن يرسل عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم ، لشرككم به ، وادّعائكم معه إلهاً آخر غيره ، وكفرانكم نعمه ، مع إسباغه عليكم آلاءه ومِنَنه .

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فى معنى « العذاب » الذى توعد الله به هؤلاء القوم أن يبعثه عليهم من فوقهم أو من تحت أرجلهم .

فقال بعضهم : أما العذاب الذى توعدهم به أن يبعثه عليهم من فوقهم ، فالرجم . وأما الذى توعدهم أن يبعثه عليهم من تحتهم ، فالخسف .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٣٤٤ — حدثنا محمد بن بشار وابن وكيع قالا ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن السدى ، عن أبى مالك : عذاباً من فوقهم ، أو من تحت أرجلهم ، قال : الخسف .(١)

١٣٣٤٥ — حدثنا سفيان قال ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن الأشجعى ،

---

(١) فى المطبوعة ، كنص الآية ، ولكنى رددت ما فى المخطوطة إلى حاله .

عن سفيان ، عن السدى ، عن أبى مالك وسعيد بن جبير ، مثله .

١٣٣٤٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة، عن شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم » ، قال : الخسف .

١٣٣٤٧ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم » ، فعذاب السماء = « أو من تحت أرجلكم » ، فيخسف بكم الأرض .

١٣٣٤٨ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم » ١٤٢/٧ قال : كان ابن مسعود يصيح وهو فى المجلس أو على المنبر : ألا أيها الناس ، إنه نزل بكم . إن الله يقول: « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم »، لو جاءكم عذاب من السماء لم يبق منكم أحد = « أو من تحت أرجلكم »، لو خسف بكم الأرض أهلككم، لم يبق منكم أحد = « أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض » ، إلا إنه نزل بكم أسوأ الثلاث .(١)

* * *

وقال آخرون: عنى بالعذاب من فوقكم ، أئمةَ السوء = « أو من تحت أرجلكم » ، الخدم وسِفلة الناس .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٣٤٩ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، سمعت خلاداً يقول : سمعت عامر بن عبد الرحمن يقول : إن ابن عباس كان يقول فى هذه :

---

(١) فى المطبوعة خلاف ما فى المخطوطة، وفى المخطوطة أخطاء . فى المخطوطة : « . . . عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو جاءكم عذاب من السماء » ، وفيها أيضاً : « أو من تحت أرجلكم يخسف بكم الأرض » ، وصواب هاتين فى ما فى المطبوعة ، وكان فى المطبوعة نصب « أحد » فى الموضعين ، وكان فيها أيضاً : « أهلككم ولم يبق » بالواو ، وأثبت ما فى المخطوطة .

« قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم » ، فأما العذاب من فوقكم ، فأئمة السوء = وأما العذاب من تحت أرجلكم ، فخدم السوء .(١)

١٣٣٥٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم » ، يعني من أمرائكم = « أو من تحت أرجلكم » ، يعني : سفلتكم .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب عندى ، قولُ من قال : عنى بالعذاب من فوقهم، الرجمَ أو الطوفان وما أشبه ذلك ممن ينزل عليهم من فوق رؤوسهم = ومن تحت أرجلهم ، الخسفَ وما أشبهه . وذلك أن المعروف فى كلام العرب من معنى « فوق » و« تحت » الأرجل، هو ذلك ، دون غيره . وإن كان لما روى عن ابن عباس فى ذلك وجه صحيح ، غير أن الكلام إذا تُنُوزع فى تأويله ، فحمله على الأغلب الأشهر من معناه أحق وأولى من غيره ، ما لم تأت حجة مانعة من ذلك يجب التسليم لها .

* * *

---

(١) الأثر ١٣٣٤٩ – « خلاد » ، هو « خلاد بن سليمان الحضرمى المصرى » ، كان خياطاً أمياً لا يكتب ، وكان من الخائفين . روى عنه ابن وهب ثقة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١٧٢/١/٢ ، وابن أبي حاتم ٣٦٥/٢/١ .

وأما « عامر بن عبد الرحمن » ، فإن البخارى وابن أبي حاتم ، ذكراه فى ترجمة خلاد ، وذكر أنه سمع منه . ولكنى لم أجد له ترجمة فيما بين يدى من المراجع وهذا عجيب

القول فى تأويل قوله ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: أو يخلطكم = « شيعاً » ، فرقاً، واحدتها « شيعة » .

* * *

وأما قوله : « يلبسكم» فهو من قولك: « لبَسْت عليه الأمر »، إذا خلطت، « فأنا ألبِسه» . وإنما قلت إن ذلك كذلك ، لأنه لا خلاف بين القرأة فى ذلك بكسر« الباء »، ففى ذلك دليل بَيِّنٌ على أنه من: « لبَس يلبِس»، وذلك هو معنى الخلط . وإنما عنى بذلك: أو يخلطكم أهواء مختلفة وأحزاباً مفترقة .(١)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٣٥١ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن شبل ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد: « أو يلبسكم شيعاً » ، الأهواء المفترقة .

١٣٣٥٢ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « أو يلبسكم شيعاً ، قال : يفرق بينكم .

١٣٣٥٣ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « أو يلبسكم شيعاً » ، قال : ما كان منكم من الفتن والاختلاف .(٢)

١٣٣٥٤ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى

---

(١) انظر تفسير « لبس » فيما سلف ١ : ٥٦٧ ، ٦/٥٦٨ : ٥٠٣ – ١١/٩٠٥ : ٢٧٠

(٢) فى المطبوعة : « من التفرق » ، وفى المخطوطة : « من العبر » ، غير منقوطة ، وصواب قراءتها ما أثبت .

قوله : « أو يلبسكم شيعاً » ، قال : الذى فيه الناس اليوم من الاختلاف ، والأهواء ، وسفك دماء بعضهم بعضاً .

١٣٣٥٥ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « أو يلبسكم شيعاً » ، قال : الأهواء والاختلاف .

١٣٣٥٦ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة، عن ابن عباس : « أو يلبسكم شيعاً »، يعنى بالشيع ، الأهواء المختلفة .

* * *

وأما قوله : « ويذيق بعضكم بأس بعض » ، فإنه يعنى : يقتل بعضكم بيد بعض .

* * *

والعرب تقول للرجل ينال الرجل بسلاح فيقتله به : «قد أذاق فلان فلاناً الموت»، و « أذاقه بأسه »، وأصل ذلك من : «ذوق الطعام » وهو يطعمه، ثم استعمل ذلك فى كل ما وصل إلى الرجل من لذة وحلاوة ، أو مرارة ومكروه وألم .[1] ١٤٣/٧

* * *

وقد بينت معنى « البأس » فى كلام العرب فيما مضى بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[2]

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٣٥٧ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ،

---

(١) انظر تفسير «الذوق» فيما سلف ٧ : ٩٦، ٤٤٦، ٨/٤٥٢ : ١١/٤٨٧ : ٤٧، ٣٢٤ ولكنه لم يبينه بياناً شافياً فى المواضع السالفة ، وأبان عنه هنا إبانة تامة ، وهذا ضرب من ضروب اختصاره فى تفسيره .

(٢) انظر تفسير « البأس » فيما سلف ٨ : ١١/٥٨٠ : ٣٥٧

حدثنا أسباط ، عن السدى : « ويذيق بعضكم بأس بعض » ، بالسيوف .

١٣٣٥٨ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو النعمان عارم قال ، حدثنا حماد ، عن أبي هرون العبدى ، عن نوف البكالى أنه قال فى قوله : « ويذيق بعضكم بأس بعض » ، قال : هى والله الرجال فى أيديهم الحراب ، يطعُنون فى خواصركم .

١٣٣٥٩ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « ويذيق بعضكم بأس بعض » ، قال : يسلط بعضكم على بعض بالقتل والعذاب .

١٣٣٦٠ – حدثنا سعيد بن الربيع الرازى قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : عذاب هذه الأمة أهل الإقرار ، بالسيف : « أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض » = وعذاب أهل التكذيب ، الصيحة والزلزلة .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية .

فقال بعضهم : عنى بها المسلمون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وفيهم نزلت .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٣٦١ – حدثني محمد بن عيسى الدامغانى قال ، أخبرنا بن المبارك ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية فى قوله : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم » الآية ، قال : فهن أربع ، وكلهن عذاب ، فجاء مستقرّ اثنتين ،[1] بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة ، فألبسوا شيعاً ، وأذيق بعضهم بأس بعض ، وبقيت اثنتان ، فهما لا بدّ واقعتان = يعنى الخسف والمسخ .[2]

---

(١) فى المطبوعة : « فجاء منهن اثنتان » ، غير ما فى المخطوطة ، وهو واضح فيها جداً ، وهو صواب أيضاً .

(٢) الأثر : ١٣٣٦١ – « محمد بن عيسى الدامغانى » ، شيخ أبى جعفر ، مضى برقم : ٣٢٢٥ . وانظر خبر أبى العالية ، عن أبى بن كعب ، رقم : ١٣٣٨٠ . وتخريجه هناك .

١٣٣٦٢ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « من فوقكم أو من تحت أرجلكم » ، لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأعفاكم منه = « أو يلبسكم شيعاً » ، قال : ما كان فيكم من الفتن والاختلاف .

١٣٣٦٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٣٣٦٤ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً »، الآية . ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلى ذات يوم الصبح فأطالها ، فقال له بعض أهله : يا نبي الله ، لقد صلّيت صلاة ما كنت تصلّيها ؟ قال : إنها صلاةُ رَغبة ورَهبة ، وإني سألت ربيّ فيها ثلاثاً ، سألته أن لا يسلط على أمتي عدوًّا من غيرهم ، فيهلكهم ، فأعطانيها . وسألته أن لا يسلط على أمتي السنة ، فأعطانيها .[1] وسألته أن لا يلبسهم شيعاً ولا يذيق بعضهم بأس بعض ، فمنعنيها . ذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : لا تزال طائفةٌ من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين ، لا يضرهم من خذلهم ، حتى يأتي أمر الله .

١٣٣٦٥ – حدثنا أحمد بن الوليد القرشي وسعيد بن الربيع الرازي قالا ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو ، سمع جابراً يقول : لما أنزل الله تعالى ذكره على النبي صلى الله عليه وسلم : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم » ، قال : أعوذ بوجهك = « أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض » ، قال : هاتان أيسر = أو : أهون .[2]

---

(١) « السنة » ، الجدب والقحط .

(٢) الأثر : ١٣٦٦٥ – « أحمد بن الوليد القرشي » ، مضى برقم : ١٦٩٢ : « أحمد ابن الوليد » بدون نسبة ، وقال أخي السيد أحمد هناك : « لم أعرف من هو» .
وأزيد أني وجدت أبا جعفر يروي في تاريخه ١ : ١٦٧ عن شيخه « أحمد بن الوليد الرملي »

١٣٣٦٦ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن جابر قال : لما نزلت : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم » ، قال : نعوذ بك ، نعوذ بك = « أو يلبسكم شيعاً » ، قال : هو أهون .(١) ١٤٤/٧

١٣٣٦٧ – حدثني زياد بن عبيد الله المزني قال ، حدثنا مروان بن معاوية الفزاري قال ، حدثنا أبو مالك قال ، حدثني نافع بن خالد الخزاعي ، عن أبيه : أنّ النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة خفيفة تامة الركوع والسجود ، فقال : قد كانت صلاة رغبة ورهبة ، فسألت الله فيها ثلاثاً ، فأعطاني اثنتين ، وبقي واحدة . سألت الله أن لا يصيبكم بعذاب أصاب به من قبلكم ، فأعطانيها . وسألت الله أن لا يسلّط عليكم عدوًّا يستبيح بيضتكم ، فأعطانيها . وسألته أن لا يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض ، فمنعنيها = قال أبو مالك : فقلت له : أبوك سمع هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال : نعم ، سمعته يحدث بها القوم أنه سمعها من في رسول الله صلى الله عليه وسلم .(٢)

ثم سماه « أحمد بن الوليد » بلا نسبة ، وهو يروي في هذه الأسانيد ، عن : « إبراهيم بن زياد » ، و « إسحق بن المنذر » و « عبد الملك بن يزيد » ، و « عمرو بن عون » ، و « محمد بن الصباح » و « سعدويه » .

ثم روى عنه في المنتخب من ذيل المذيل (تاريخه ١٣ : ١٠٤) ، وروى « أحمد بن الوليد » في هذا الإسناد ، عن « الربيع بن يحيى » .

جمعت هذا حتى أتحقق معرفته ونسبته ، أما تخريج الخبر ، ففي التعليق التالي .

(١) الأثران : ١٣٣٦٥ ، ١٣٣٦٦ – « عمرو » ، هو « عمرو بن دينار » .

رواه البخاري (الفتح ٨ : ٢١٩) من طريق حماد بن زيد ، عن عمرو بن دينار . وقال الحافظ ابن حجر : « وقع في الاعتصام من وجه آخر ، عن ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، سمعت جابراً ، وكذا للنسائي من طريق معمر ، عن عمرو بن دينار » ، ويعني ما رواه البخاري (الفتح ١٣ : ٣٢٩) ، وسيأتي من طريق معمر ، عن عمرو بن دينار فيما يلي رقم : ١٣٣٧٢ .

ورواه الترمذي في كتاب التفسير من سننه ، وقال : « هذا حديث حسن صحيح » .

(٢) الأثر : ١٣٣٦٧ – « زياد بن عبيد الله المزني » ، هكذا جاء هنا « المزني » ، ومضى برقم : ٨٢٨٤ : « زياد بن عبيد الله المري » ، وقد كتب عنه أخي السيد أحمد فيما سلف ، وقال إنه لم يعرفه ، وقال إنه من المتحمل أن يكون : « زياد بن عبد الله بن خزاعي » ، لأنه يروي أيضاً

١٣٣٦٨ ــ حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن

عن « مروان بن معاوية » ، ولكن مجيئه هنا أيضاً « زياد بن عبيد الله » يضعف هذا الاحتمال .

و « مروان بن معاوية الفزارى » ثقة ، من شيوخ أحمد . مضى برقم : ١٢٢٢ ، ٣٣٢٢ ، ٣٨٤٢ ، ٧٦٨٥ .

و « أبو مالك » ، هو « الأشجعى » ، واسمه « سعد بن طارق بن أشيم » ؛ روى عن أبيه ، وأنس ، وعبد الله بن أبى أوفى ، وربعى بن حراش ، وغيرهم ، وثقه أحمد . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٥٩/٢/٢ ، وابن أبى حاتم ٨٦/١/٢ .

و « نافع بن خالد الخزاعى » ، روى عن أبيه ، روى عن أبو مالك الأشجعى سعد بن طارق ، مترجم فى لسان الميزان ٦ : ١٤٥ ، والكبير للبخارى ٨٥/٢/٤ ، وابن أبى حاتم ٤٥٧/١/٤ . ولم يذكر البخارى ولا ابن أبى حاتم فيه جرحاً ، ولكن الحافظ ابن حجر أخطأ فى لسان الميزان خطأ شنيعاً ، فقال : « قال ابن أبى حاتم عن أبيه فى ترجمته : هو ونافع ابنه مجهولان » ، وهو سهو شديد ، فإن الذى قال ذلك عنه ابن أبى حاتم ، خالد آخر ، وهو موجود فى كتابه ٣٦٢/٢/١ برقم : ١٦٤٣ هكذا : « خالد ، روى عن أبيه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، روى عنه ابنه محمد . سمعت أبى يقول ذلك ، ويقول : هما مجهولان » . أما « خالد الخزاعى » ، فقد قال عنه : « روى عنه ابنه نافع ، يعد فى الكوفيين ، سمعت أبى يقول ذلك » ، وهو موجود قبل تلك الترجمة برقم : ١٦٤٢ . وهذا سهو شديد ينبغى أن يصحح .

وأبوه : « خالد الخزاعى الأزدى » غير مبين النسب ، ترجم له البخارى فى الكبير ١٢٧/١/٢ ، وقال : « يعد فى الكوفيين » ، وقال ابن أبى حاتم ٣٦٢/٢/١ : « له صحبة ، روى عنه ابنه نافع » ، كما ذكرت قبل . وترجم له الحافظ فى الإصابة .

وهذا خبر رجاله ثقات ، كما قال الحافظ ابن حجر فى الإصابة فى ترجمته . وقد أشار إلى هذا الخبر ، البخارى فى تاريخه ١٢٧/١/٢ ، من طريق ابن أبى زائدة ، عن سعد بن طارق ، عن نافع بن خالد الخزاعى ، قال حدثنى أبى ، وكان من أصحاب الشجرة : أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى والناس ينظرون ، صلى صلاة خفيفة تامة الركوع والسجود .

وأشار إليه الحافظ أيضاً فى الفتح (٨ : ٢٢١) ، وأما فى الإصابة فقد قال : « روى الحسن ابن سفيان ، وأبو يعلى ، والطبرانى ، والطبرى فى تفسيره ، وغيرهم ، من طريق أبى مالك . . . » ثم ذكر الخبر وقال : « رجاله ثقات » .

وخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧ : ٢٢٢ ، بنحوه ، ثم قال : « رواه الطبرانى بأسانيد ، ورجال بعضها رجال الصحيح ، غير نافع بن خالد . وقد ذكره ابن أبى حاتم ، ولم يجرحه أحد . ورواه البزار » .

وخرجه ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٣٢٩ ، من رواية الحافظ أبى بكر بن مردويه ، عن عبد الله ابن إسماعيل بن إبراهيم الهاشمى ، وميمون بن إسحق بن الحسن الحنفى ، كلاهما عن أحمد بن عبد الجبار ، عن محمد بن فضيل ، عن أبى مالك الأشجعى ، مطولا .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ١٩ ، ونسبه لابن جرير وابن مردويه ، ولم يزد شيئاً .

وأخرج الترمذى فى الفتن ، من حديث خباب بن الأرت ، مثله ، كما سيأتى فى رقم : ١٣٣٧٠ .

معمر ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أبي الأشعث ، عن أبي أسماء الرحبي ، عن شداد بن أوس يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم : أنه قال : إن الله زوى لى الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها ، وإنّ ملك أمتي سيبلغ ما زُوى لى منها ، وإنى أعطيت الكنزين الأحمرَ والأبيض ، وإنى سألت ربّى أن لا يهلك قومى بسَنَةٍ عامة، وأن لا يلبسهم شيعاً، ولا يذيق بعضهم بأس بعض، فقال : يا محمد، إنى إذا قضيت قضاءً فإنه لا يردّ ، وإنى أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، ولا أسلّط عليهم عدوًّا ممن سواهم فيهلكوهم بعامة،[1] حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ، وبعضهم يقتل بعضاً ، وبعضهم يسبي بعضاً . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنى أخاف على أمتى الأئمة المضلين ، فإذا وضع السيف فى أمتى ، لم يُرفع عنهم إلى يوم القيامة .[2]

وقوله : « يستبيح بيضتهم » ، يريد : جماعتهم وأصلهم ومجتمعهم ، وموضع سلطانهم ، ومستقر دعوتهم . يقول : لا تسلط عليهم عدواً يستأصلهم ويهلكهم جميعاً . قالوا : وذلك أن أصل البيضة إذا أهلك ، كان ذلك هلاك كل ما فيها من طعم أو نرخ ، وإذا لم يهلك أصل البيضة ، ربما سلم بعض فراخها . وقال غيرهم : « البيضة » : ساحة القوم ومعظم دارهم . وهذا أقرب عندى .

(١) فى المطبوعة : « فيهلكهم » ، وفى المخطوطة : « فيهلكوهم هم » ، وخلط فى كتابتها ، والصواب من المسند .

(٢) الأثر : ١٣٣٦٨ - « أبو الأشعث الصنعانى » ، هو « شراحيل بن آدة » ، من صنعاء الشام ، تابعى ثقة . مترجم فى التهذيب .

و « أبو أسماء الرحبى » ، هو « عمرو بن مرثد » تابعى ثقة ، مضى برقم : ٤٨٤٤ .

و « شداد بن أوس بن ثابت الأنصارى » ، صحابى ، قال عباد بن الصامت : « شداد بن أوس . من الذين أوتوا العلم والحلم ، ومن الناس من أوتى أحدهما » .

وهذا الخبر ، رواه أحمد فى مسنده ٤ : ١٢٣ ، من طريق عبد الرزاق، عن معمر ، عن أيوب ، بمثل رواية أبي جعفر .

وأشار إلى روايته من حديث شداد ، الحافظ ابن حجر فى الفتح (٨ : ٢٢١) وقال : « وأخرج الطبرى من حديث شداد ، نحوه ، بإسناد صحيح » ، يعنى : نحو حديث ثوبان كما سأشير إليه بعد .

وخرجه ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، من مسند أحمد ، وقال : « ليس فى شىء من الكتب الستة ، وإسناده جيد قوى . وقد رواه ابن مردويه من حديث حماد بن زيد ، وعباد

١٣٣٦٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر قال، أخبرني أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي الأشعث، عن أبي أسماء الرحبي، عن شداد ابن أوس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكر نحوه = إلا أنه قال: وقال النبي صلى الله عليه وسلم: إني لا أخاف على أمتي إلاّ الأئمة المضلين.(١)

١٣٣٧٠ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور قال، حدثنا معمر، عن الزهري قال: راقب خباب بن الأرتّ، وكان بدريًّا، النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو يصلي، حتى إذا فرغ، وكان في الصبح، قال له: يا رسول الله، لقد رأيتك تصلي صلاة ما رأيتك صليت مثلها؟ قال: أجل، إنها صلاة رَغَبٍ ورَهَبٍ، سألت ربي ثلاث خصال، فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة: سألته أن لا يهلكنا بما أهلك به الأمم، فأعطاني. وسألته أن لا يسلط علينا عدوًّا، فأعطاني. وسألته أن لا يلبسنا شيعاً، فمنعني.(٢)

ابن منصور، وقتادة، ثلاثتهم عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء، عن ثوبان، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بنحوه والله أعلم».

وروى هذا الخبر بنحو هذا اللفظ من طريق أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء، عن ثوبان. بنحو هذا اللفظ. رواه مسلم في صحيحه ١٨ : ١٢، ١٤، وأبو داود في سننه ٤ : ١٣٨، مطولا، وخرجه السيوطي عن ثوبان، في الدر المنثور ٣ : ١٧، وقال: «أخرج أحمد، وعبد بن حميد، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجة، والبزار، وابن حبان، والحاكم وصححه، واللفظ له، وابن مردويه» ثم ساق لفظ الحاكم في المستدرك. مطولا.

قوله: «زوى لي الأرض»: جمعها وقبضها حتى يراها جميعاً.

و «السنة»: القحط.

وقال النووي في شرح مسلم: «وهذا الحديث فيه معجزات ظاهرة وقعت كلها بحمد الله، كما أخبر به صلى الله عليه وسلم. قال العلماء: المراد بالكنزين الذهب والفضة. والمراد كنزي كسرى وقيصر، ملكي العراق والشام. فيه إشارة إلى أن ملك هذه الأمة يكون معظم امتداده في جهتي المشرق والمغرب. وهكذا وقع. وأما في جهتي الجنوب والشمال فقليل بالنسبة إلى المشرق والمغرب. وصلوات الله وسلامه على رسوله الصادق الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى».

(١) الأثر: ١٣٣٦٩ – انظر التعليق على الأثر السالف. ومن هذه الطريق، رواه أحمد في مسنده ٤ : ١٢٣، بمثل ما ذكر أبو جعفر.

(٢) الأثر: ١٣٣٧٠ – هذا الخبر رواه أحمد في مسنده ٥ : ١٠٨، والترمذي في كتاب

١٣٣٧١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن الزهرى فى قوله : « أو يلبسكم شيعاً » ، قال : راقب خبابُ بن الأرت، وكان بدرياً ، رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه = إلا أنه قال : ثلاث خصلات .(١)

١٣٣٧٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن عمرو بن دينار قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : لما نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم » ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : أعوذ بوجهك = « أو من تحت أرجلكم » ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : أعوذ بوجهك = « أو يلبسكم شيعاً » ، قال : هذه أهون .(٢)

١٣٣٧٣ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية، عن يونس ، عن الحسن : أنّ النبى صلى الله عليه وسلم قال : سألت ربّى أربعاً ، فأعطيت ثلاثاً ومنعت واحدة : سألته أن لا يسلط على أمتى عدواً من غيرهم يستبيح بيضتهم ، ولا يسلط عليهم جوعاً ، ولا يجمعهم على ضلالة ، فأعطيتهن = وسألته أن لا ١٤٥/٧

الفتن ، موصولا ، من طريق الزهرى ، عن عبد الله بن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن عبد الله ابن خباب بن الأرت ، عن خباب بن الأرت ، مولى بنى زهرة .

وخرجه ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٣٢٨ ، من مسند أحمد ، ثم قال : « ورواه النسائى من حديث شعيب بن أبى حمزة ، عن الزهرى، به، ومن وجه آخر . وابن حبان فى صحيحه بإسناديهما عن صالح ابن كيسان . والترمذى فى الفتن من حديث النعمان بن راشد ، كلاهما عن الزهرى ، به . وقال : حسن صحيح » .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ١٨ ، وقال : « أخرج عبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، والترمذى وصححه ، والنسائى ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، عن خباب بن الأرت » ، وساق الخبر .

وقوله : « رغب ورهب » كلاهما بفتحتين ، أى : الرغبة والرهبة .

(١) الأثر : ١٣٣٧١ – انظر التعليق على الأثر السالف .

(٢) الأثر : ١٣٣٧٢ – انظر التعليق على الأثرين السالفين رقم : ١٣٣٦٥ ، ١٣٣٦٦ ، فهذه طريق أخرى .

يلبسهم شيعاً ويذيق بعضهم بأس بعض، فمنعتُ .

١٣٣٧٤ – حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى سألت ربى خصالاً ، فأعطانى ثلاثاً ومنعنى واحدة : سألته أن لا تكفر أمتى صفقة واحدة ، فأعطانيها . وسألته أن لا يُظهر عليهم عدوًّا من غيرهم ، فأعطانيها . وسألته أن لا يعذبهم بما عذب به الأمم من قبلهم ، فأعطانيها . وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم ، فمنعنيها .

١٣٣٧٥ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن أبى بكر ، عن الحسن قال : لما نزلت هذه الآية ، قوله : « ويذيق بعضكم بأس بعض» ، قال الحسن : ثم قال لمحمد صلى الله عليه وسلم وهو يُشهده عليهم : « انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون » ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضأ ، فسأل ربه أن لا يرسل عليهم عذاباً من فوقهم أو من تحت أرجلهم ، ولا يلبس أمته شيعاً ويذيق بعضهم بأس بعض كما أذاق بنى إسرائيل ، فهبط إليه جبريل صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، إنك سألت ربك أربعاً فأعطاك اثنتين ومنعك اثنتين : لن يأتيهم عذاب من فوقهم ، ولا من تحت أرجلهم يستأصلهم ، فإنهما عذابان لكل أمة اجتمعت على تكذيب نبيها وردّ كتاب ربها ، ولكنهم يلبسهم شيعاً ويذيق بعضهم بأس بعض ،[1] وهذان عذابان لأهل الإقرار بالكتاب والتصديق بالأنبياء ، ولكن يعذبون بذنوبهم ، وأوحى إليه : ﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴾ ، يقول : من أمتك = ﴿ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ ﴾ = من العذاب وأنت حى = ﴿ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ ﴾ [سورة الزخرف : ٤١ ، ٤٢] . فقام نبى الله صلى الله عليه وسلم فراجع ربه ، فقال : أىّ مصيبة أشدّ من أن

(١) هكذا فى المطبوعة والمخطوطة : « ولكنهم يلبسهم . . . » ، وهو جائز ، والأجود « ولكنه يلبسهم » ، وأخشى أن يكون ما فى النسخ من الناسخ .

أرى أمتي يعذب بعضها بعضاً ! وأوحى إليه : ﴿ الٓمٓ * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾، [سورة العنكبوت: ١ - ٣] ، فأعلمه أن أمته لم تخصّ دون الأمم بالفتن ، وأنها ستبتلى كما ابتليت الأمم . ثم أنزل عليه : ﴿ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ * رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾، [سورة المؤمنون: ٩٣، ٩٤] ، فتعوّذ نبي الله ، فأعاذه الله، لم يرَ من أمته إلا الجماعة والألفة والطاعة . ثم أنزل عليه آية حذّر فيها أصحابه الفتنة، فأخبره أنه إنما يُخَصّ بها ناسٌ منهم دون ناس، فقال: ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾، [سورة الأنفال: ٢٥] ، فخصّ بها أقواماً من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بعده ، وعصم بها أقواماً .

١٣٣٧٦ - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية قال : لما جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بما يكون في أمته من الفرقة والاختلاف ، فشق ذلك عليه، ثم دعا فقال : اللهم أظهر عليهم أفضلهم بقية .(١)

١٣٣٧٧ - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو الأسود قال ، أخبرنا ابن لهيعة، عن خالد بن يزيد ، عن أبي الزبير قال : لما نزلت هذه الآية : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم » ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعوذ بالله من ذلك ! = قال: « أو من تحت أرجلكم » ، قال: أعوذ بالله من ذلك = قال : « أو يلبسكم شيعاً » ، قال : هذه أيسر ! ولو استعاذه لأعاذه .(٢)

---

(١) في المطبوعة : « أفضلهم تقية » ، وكأن صواب قراءتها ما أثبت ، فإنها في المخطوطة غير منقوطة وقوله : « بقية » ، أي : إبقاء على من يظهر عليه ويظفر به .

(٢) الأثر : ١٣٣٧٧ - « خالد بن يزيد » هو الجمحي ، المصري . مضى برقم : ٣٩٦٥ ، ٥٤٦٥ ، ٩١٨٥ ، ٩٥٠٧ ، ١٢٢٨٣ .

و « أبو الزبير » ، هو « محمد بن مسلم المكي » ، مضى مراراً .

١٣٣٧٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا المؤمل البصري قال، أخبرنا يعقوب بن إسمعيل بن يسار المدينى قال ، حدثنا زيد بن أسلم قال : لما نزلت : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض » ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقابَ بعض بالسيوف ! فقالوا : ونحن نشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ! قال: نعم ! فقال بعض الناس: لا يكون هذا أبداً ! فأنزل الله: ﴿ أُنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ * وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ * لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ .(١) ١٤٦/٧

* * *

وقال آخرون : عنى ببعضها أهل الشرك ، وببعضها أهل الإسلام .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٣٧٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن هرون بن موسى ، عن حفص بن سليمان ، عن الحسن فى قوله : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم » ، قال : هذا للمشركين = « أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض » ، قال : هذا للمسلمين .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول عندى أن يقال : إنّ الله تعالى ذكره توعّد بهذه الآية أهلَ الشرك به من عبدة الأوثان ، وإياهم خاطبَ بها ، لأنها

---

(١) الأثر : ١٣٣٧٨ – « المؤمل البصرى » ، هو : « مؤمل بن إسماعيل البصرى » ، وقد سلف مراراً برقم : ٢٠٥٧ ، ٣٣٣٧ ، ٥٧٢٨ ، ٨٣٥٦ ، ٨٣٦٧ .
وأما « يعقوب بن إسماعيل بن يسار المدينى » ، فلم أجد له ذكراً فى كتب التراجم ، وهذا غريب .

بين إخبار عنهم وخطاب لهم ، وذلك أنها تتلو قوله : « قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخُفْيَة لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين * قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون » ، ويتلوها قوله : « وكذب به قومك وهو الحق » . وغير جائز أن يكون المؤمنون كانوا به مكذبين ، فإذا كان غير جائز أن يكون ذلك كذلك ، وكانت هذه الآية بين هاتين الآيتين ، كان بيّناً أن ذلك وعيدٌ لمن تقدّم وصف الله إياه بالشرك ، وتأخر الخبر عنه بالتكذيب = لا لمن لم يجر له ذكر . غير أن ذلك وإن كان كذلك ، فإنه قد عم وعيدُه بذلك كلَّ من سلك سبيلهم من أهل الخلاف على الله وعلى رسوله ، والتكذيب بآيات الله من هذه وغيرها .

وأما الأخبار التى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « سألت ربى ثلاثاً فأعطانى اثنتين ، ومنعنى واحدة » ، فجائز أن هذه الآية نزلت فى ذلك الوقت وعيداً لمن ذكرتُ من المشركين ، ومن كان على منهاجهم من المخالفين ربهم ، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه أن يعيذ أمته مما ابتلى به الأمم الذين استوجبوا من الله تعالى ذكره بمعصيتهم إياه هذه العقوبات ، فأعاذهم بدعائه إياه ورغبته إليه ، من المعاصى التى يستحقون بها من هذه الخلال الأربع من العقوبات أغلظها ، ولم يُعذهم من ذلك ما يستحقون به اثنتين منها .

وأما الذين تأوّلوا أنه عنى بجميع ما فى هذه الآية هذه الأمة ، فإنى أراهم تأوّلوا أن فى هذه الأمة من سيأتى من معاصى الله وركوب ما يُسخط الله ، نحو الذى ركب مَن قبلهم من الأمم السالفة ، من خلافه والكفر به ، فيحلّ بهم مثل الذى حلّ بمن قبلهم من المثلات والنقمات ، وكذلك قال أبو العالية ومن قال بقوله : « جاء منهن اثنتان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة . وبقيت اثنتان ، الخسف والمسخ » ، وذلك أنه رُوى عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم أنه قال : « سيكون فى هذه الأمة خسف ومسخ وقذف »،[١] = وأن قوماً من أمته سيبيتون على لهو ولعب، ثم يصبحون قردة وخنازير .[٢] وذلك إذا كان ، فلا شك أنه نظير الذى فى الأمم الذين عتوا على ربهم فى التكذيب وجحدوا آياته . وقد روى نحو الذى روى عن أبى العالية ، عن أبىّ .

١٣٣٨٠ – حدثنا هناد قال ، حدثنا وكيع = وحدثنا سفيان قال، أخبرنا أبى = ، عن أبى جعفر الرازى، عن الربيع ، عن أبى العالية، عن أبى بن كعب : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً » ، قال : أربع خِلال ، وكلهن عذاب ، وكلهن واقعٌ قبل يوم القيامة ، فمضت اثنتان بعد وفاة النبىّ صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة ، ألبسوا شيعاً، وأذيق بعضهم بأس بعض . وثنتان واقعتان لا محالة : الخسف والرجم .[٣] ١٤٧/٧

* * *

(١) هذا حديث عائشة ، رواه الترمذى فى الفتن بإسناده ، ونصه :

« عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يكون فى آخر هذه الأمة خسفٌ ومَسْخٌ وقَذْفٌ . قالت : قلت : يارسول الله ، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال : نعم ، إذا ظهر الخَبَثُ » ، قال الترمذى : « هذا حديثٌ غريبٌ من حديث عائشة ، لا نعرفه إلّا من هذا الوجه . وعبد الله بن عمر ، تكلم فيه يحيى بن سعيد من قبل حفظه » يعنى راوى الخبر : « عبد الله بن عمر ، عن عبيد الله ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة » .

(٢) روى البخارى (الفتح ١٠ : ٤٧ – ٤٩) من حديث أبى مالك وأبى عامر الأشعرى قال :

« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليكونن من أمتى قومٌ يستحِلُّون الحِرِ (أى : الزنا) والحرير والخمر والمعازف ، ولينزلنّ أقوامٌ إلى جنب عَلَم ، تروح عليهم سارحةٌ لهم ، فيأتيهم رجلٌ لحاجته ، فيقولون : ارجع إلينا غداً ! فيبيِّتهم الله تعالى ويضع العَلَم ، ويمسخ آخرين قِردةً وخنازير إلى يوم القيامة » .

(٣) الأثر : ١٣٣٨٠ – إسناده صحيح ، رواه أحمد فى مسنده ٥ : ١٣٤ ، ١٣٥

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ (٦٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: انظر، يا محمد ، بعين قلبك إلى ترديدنا حججنا على هؤلاء المكذبين بربّهم = الجاحدين نعمه، وتصريفناها فيهم [1] = «لعلهم يفقهون»، يقول : ليفقهوا ذلك ويعتبروه، [2]

من طريق وكيع ، عن أبى جعفر الرازى ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، بمثله .

وخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧ : ٢١ ، ثم قال : « رواه أحمد ، ورجاله ثقات . قلت : والظاهر أن من قوله : فضت اثنتان ، إلى آخره ، من قول رفيع (يعنى أبا العالية) ، فإن أبى ابن كعب لم يتأخر إلى زمن الفتنة » . وذكر مثل ذلك من علة هذا الخبر ، الحافظ ابن حجر فى الفتح (٨ : ٢٢٠) ثم قال : « وأعل أيضاً بأنه مخالف لحديث جابر وغيره . وأجيب بأن طريق الجمع : أن الإعاذة المذكورة فى حديث جابر وغيره ، مقيدة بزمان مخصوص ، وهو وجود الصحابة والقرون الفاضلة ، وأما بعد ذلك فيجوز وقوع ذلك فيهم . وقد روى أحمد والترمذى من حديث سعد بن أبى وقاص قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية : « قل هو القادر »، إلى آخرها فقال : أما إنها كائنة ، ولم يأت تأويلها بعد . وهذا يحتمل أن لا يخالف حديث جابر بأن المراد بتأويلها ما يتعلق بالفتن ونحوها » .

وذكر الخبر ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٣٣١ ، وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ١٧ ، وزاد نسبته لابن أبى شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن أبى حاتم ، وأبى الشيخ ، وابن مردويه ، وأبى نعيم فى الحلية .

* * *

وعند هذا الموضع انتهى جزء من التقسيم القديم الذى نقلت عنه نسختنا ، وفيها ما نصه :

يتلوه القول فى تأويل قوله :

﴿ أنظر كيف نصرِّفُ الآيات لعلّهم يَفقَهونَ ﴾

وصلى الله على محمد النبيّ وعلى آله وسلم كثيراً

ثم يبدأ بعده بما نصه :

« بسم الله الرحمٰن الرحيم

ربِّ يسِّر »

(١) انظر تفسير « تصريف الآيات » فيما سلف : ٣٦٥

(٢) انظر تفسير « فقه » فيما سلف ٨ : ٥٥٧ / ١١ : ٣٠٧

فيذّكروا ويزدجروا عما هم عليه مقيمون مما يسخطه الله منهم، من عبادة الأوثان والأصنام ، والتكذيب بكتاب الله تعالى ذكره ورسوله صلى الله عليه وسلم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٦٧﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وكذب ، يا محمد ، قومك بما تقول وتخبر وتوعد من الوعيد = « وهو الحق » ، يقول : والوعيدُ الذى أوعدناهم على مقامهم على شركهم : من بعث العذاب من فوقهم ، أو من تحت أرجلهم ، أو لبسهم شيعاً ، وإذاقة بعضهم بأس بعض = « الحق » الذى لا شك فيه أنه واقع إن هم لم يتوبوا وينيبوا مما هم عليه مقيمون من معصية الله والشرك به، إلى طاعة الله والإيمان به = « قل لست عليكم بوكيل»، يقول: قل لهم، يا محمد، لست عليكم بحفيظ ولا رقيب، وإنما أنا رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم[1] = «لكل نبأ مستقر»، يقول : لكل خبر مستقر ،[2] يعنى : قرار يستقرّ عنده ، ونهاية ينتهى إليه ، فيتبين حقه وصدقه ، من كذبه وباطله = « وسوف تعلمون » ، يقول : وسوف تعلمون، أيها المكذبون بصحة ما أخبركم به من وعيد الله إياكم، أيها المشركون، حقيقته عند حلول عذابه بكم ،[3] فرأوا ذلك وعاينوه، فقتلهم يومئذ بأيدى أوليائه من المؤمنين .

* * *

---

(١) انظر تفسير « الوكيل » فيما سلف ٩ : ٤٢٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « النبأ » فيما سلف ص : ٤٠٧ ، تعليق : ٦ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المطبوعة : « وحقيته عند حلول عذابه بكم » ، وضع مكان « حقيقته » « وحقيته » ، وزاد « واوا » . فعل بها ما فعل بصواحباتها فيما سلف ص: ٢١٦ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

وبنحو الذى قلنا من التأويل فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٣٨١ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وكذب به قومك وهو الحق » ، يقول : كذبت قريش بالقرآن ، وهو الحق = وأما « الوكيل » ، فالحفيظ = ، وأما « لكل نبأ مستقر » ، فكان نبأ القرآن استقر يوم بدر بما كان يَعِدهم من العذاب .

١٣٣٨٢ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد : « لكل نبأ مستقر »، لكل نبأ حقيقة، إما فى الدنيا وإما فى الآخرة = « وسوف تعلمون » ، ما كان فى الدنيا فسوف ترونه ، وما كان فى الآخرة فسوف يبدو لكم .

١٣٣٨٣ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح، عن معاوية ، عن على بن أبى طلحة، عن ابن عباس قوله: « لكل نبأ مستقر »، يقول : حقيقة .

١٣٣٨٤ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنا أبى قال، حدثنا عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون»، يقول : فعل وحقيقة ، ما كان منه فى الدنيا وما كان منه فى الآخرة .

* * *

وكان الحسن يتأوّل فى ذلك أنه الفتنة التى كانت بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٣٣٨٥ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن جعفر بن حيان ، عن الحسن أنه قرأ: « لكل نبأ مستقر » ، قال : حبست عقوبتها، حتى [إذا] عمل ذنبها أرسلت عقوبتها .(١)

* * *

(١) ما بين القوسين زيادة يقتضيها السياق .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٦٨) ١٤٨/٧

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإذا رأيت ، يا محمد ، المشركين الذين يخوضون فى آياتنا التى أنزلناها إليك ، ووحينا الذى أوحيناه إليك ، = و « خوضهم فيها » ، كان استهزاءَهم بها ، وسبَّهم من أنزلها وتكلم بها ، وتكذيبهم بها [1] = « فأعرض عنهم » ، يقول : فصد عنهم بوجهك ، وقم عنهم ، ولا تجلس معهم [2] = « حتى يخوضوا فى حديث غيره » ، يقول : حتى يأخذوا فى حديث غير الاستهزاء بآيات الله من حديثهم بينهم = « وإما ينسينك الشيطان » ، يقول : وإن أنساك الشيطان نهينا إياك عن الجلوس معهم والإعراض عنهم فى حال خوضهم فى آياتنا ، ثم ذكرت ذلك ، فقم عنهم ، ولا تقعد بعد ذكرك ذلك مع القوم الظالمين الذين خاضوا فى غير الذى لهم الخوضُ فيه بما خاضوا به فيه . وذلك هو معنى « ظلمهم » فى هذا الموضع . [3]

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٣٨٦ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره » ، قال : نهاه الله أن يجلس مع الذين يخوضون فى

---

(١) انظر تفسير « الخوض » فيما سلف ٩ : ٣٢٠ .

(٢) انظر تفسير « الإعراض » فيما سلف ص : ٣٣٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الظلم » فى فهارس اللغة فيما سلف (ظلم) .

آيات الله يكذبون بها ، فإن نسى فلا يقعد بعد الذكر مع القوم الظالمين .[١]

١٣٣٨٧ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة بنحوه .

١٣٣٨٨ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا مؤمل قال، حدثنا سفيان ، عن السدى ، عن أبى مالك وسعيد بن جبير فى قوله : « وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا » ، قال : الذين يكذبون بآياتنا .

١٣٣٨٩ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين » ، قال : كان المشركون إذا جالسوا المؤمنين وقعوا فى النبى صلى الله عليه وسلم والقرآن فسبوه واستهزأوا به ، فأمرهم الله أن لا يقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره . وأما قوله: « وإما ينسينك الشيطان »، يقول: نَهَيْنَا فقعدت معهم ،[٢] فإذا ذكرت فقم .

١٣٣٩٠ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « يخوضون فى آياتنا » ، قال : يكذبون بآياتنا .

١٣٣٩١ – حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعى قال ، حدثنا فضيل بن عياض ، عن ليث ، عن أبى جعفر قال : لا تجالسوا أهل الخصومات ، فإنهم الذين يخوضون فى آيات الله .

---

(١) فى المطبوعة : « بعد الذكرى » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب محض ، كما سترى فى التفسير ص : ٤٣٩ .

(٢) فى المطبوعة : « يقول : نسيت فتعقد معهم » ، وهو لا معنى له ، وفى المخطوطة : « نهينا فتعقد معهم » ، وهو مضطرب ، واستظهرت صوابها من تفسير الآية فيما سلف . وقوله : « نهينا » مفعول قوله فى الآية : « وإما ينسينك الشيطان » ، وذلك على عادة أهل التأويل الأوائل فى الاختصار .

١٣٣٩٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ابن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا»، وقوله: ﴿ لَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ ، [سورة الأنعام: ١٥٩]؛ وقوله: ﴿ وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ ، [سورة آل عمران: ١٠٥]؛ وقوله: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾، [سورة الشورى: ١٣]، ونحو هذا في القرآن ، قال : أمر الله المؤمنين بالجماعة ، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة ، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمِراء والخصومات في دين الله .

١٣٣٩٣ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا » ، قال : يستهزئون بها . قال : نُهي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقعد معهم إلا أن ينسى ، فإذا ذكر فليقم . فذلك قوله : « وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين » = قال ابن جريج : كان المشركون يجلسون إلى النبي ١٤٩/٧
صلى الله عليه وسلم يحبون أن يسمعوا منه ، فإذا سمعوا استهزأوا ، فنزلت : « وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم » ، الآية .(١)

١٣٣٩٤ – حدثنا ابنُ وكيع قال، حدثنا أبي قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد: « وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا » ، قال : يكذبون .

١٣٣٩٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبد الله ، عن إسرائيل ، عن السدي ، عن أبي مالك قوله : « وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره » ، يعني المشركين = « وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين » ، إن نسيت فذكرتَ فلا تجلس معهم .

* * *

(١) الأثر : ١٣٣٩٣ – سيأتي ، تفسير ابن جريج فيما بعد بتمامه رقم : ١٣٣٩٦ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَـٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (٦٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ومن اتقى الله فخافه ، فأطاعه فيما أمره به ، واجتنب ما نهاه عنه ، فليس عليه بترك الإعراض عن هؤلاء الخائضين فى آيات الله فى حال خوضهم فى آيات الله ، شىء من تبعة فيما بينه وبين الله ، إذا لم يكن تركه الإعراضَ عنهم رضًى بما هم فيه، وكان لله بحقوقه متقياً،[1] ولا عليه من إثمهم بذلك حرج ، ولكن ليعرضوا عنهم حينئذ ذكرى لأمر الله = « لعلهم يتقون » ، يقول : ليتقوا .

* * *

ومعنى « الذكرى » ، الذكرُ. و « الذكر » و « الذكرى » بمعنًى .

* * *

وقد يجوز أن يكون « ذكرى » فى موضع نصب ورفع :

فأما النصب ، فعلى ما وصفت من تأويل : ولكن ليعرضوا عنهم ذكرى .

وأما الرفع ، فعلى تأويل : وما على الذين يتقون من حسابهم شىء بترك الإعراض ، ولكن إعراضهم ذكرى لأمر الله لعلهم يتقون .[2]

* * *

وقد ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما أمر بالقيام عن المشركين إذا خاضوا فى آيات الله ، لأن قيامه عنهم كان مما يكرهونه ، فقال الله له : إذا خاضوا فى آيات الله فقم عنهم ، ليتقوا الخوضَ فيها ويتركوا ذلك .

---

(١) هكذا فى المخطوطة أيضاً « بحقوقه متقياً » ، وأرجح أن تكون : « بخوفه متقياً » ، ولم أغيرها لأن الأخرى تكاد تكون جائزة .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٣٩ .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٣٩٦ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : كان المشركون يجلسون إلى النبي صلى الله عليه وسلم يحبون أن يسمعوا منه ، فإذا سمعوا استهزأوا ، فنزلت : « وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره » ، الآية ، قال : فجعل إذا استهزأوا قام ، فحذروا وقالوا لا تستهزئوا فيقوم ! فذلك قوله : « لعلهم يتقون » ، أن يخوضوا فيقوم ، ونزل : « وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء » ، إن قعدوا معهم، ولكن لا تقعدوا. ثم نسخ ذلك قوله بالمدينة : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ ﴾، [سورة النساء: ١٤٠] ،فنسخ قوله: « وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء » ، الآية .

١٣٣٩٧ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء » ، يقول : من حساب الكفار من شيء = « ولكن ذكرى » ، يقول : إذا ذكرت فقم = « لعلهم يتقون » مساءتكم، إذا رأوكم لا تجالسونهم استحيوا منكم ، فكفوا عنكم . ثم نسخها الله بعد ، فنهاهم أن يجلسوا معهم أبداً ، قال: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا ﴾ ، الآية .

١٣٣٩٨ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء، إن قعدوا ، ولكن لا تقعد .

١٣٣٩٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٣٤٠٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبيد الله، عن إسرائيل ، عن السدى ، عن أبى مالك : « وما على الذين يتقون من حسابهم من شىء ولكن ذكرى » ، قال : وما عليك أن يخوضوا فى آيات الله إذا فعلت ذلك . ١٥٠/٧

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ذرْ هؤلاء الذين اتخذوا دين الله وطاعتهم إياه لعباً ولهواً، (١) فجعلوا حظوظهم من طاعتهم إياه اللعب بآياته ، (٢) واللهوَ والاستهزاء بها إذا سمعوها وتليت عليهم ، فأعرض عنهم ، فإنى لهم بالمرصاد ، وإنى لهم من وراء الانتقام منهم والعقوبة لهم على ما يفعلون ، وعلى اغترارهم بزينة الحياة الدنيا ، ونسيانهم المعادَ إلى الله تعالى ذكره والمصيرَ إليه بعد الممات ، كالذى : –

١٣٤٠١ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً » ، قال : كقوله : ﴿ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ﴾ ، [سورة المدثر : ١١] .

١٣٤٠٢ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

---

(١) انظر تفسير « ذر » فيما سلف ٦ : ٧/٢٢ : ٤٢٤ .

(٢) انظر تفسير « اللعب » فيما سلف ١٠ : ٤٢٩ ، ٤٣٢ .

وقد نسخ الله تعالى ذكره هذه الآية بقوله : ﴿ اُقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ ، [سورة التوبة : ٥]. وكذلك قال عدد من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٤٠٣ – حدثني المثنى قال ، حدثنا حجاج بن المنهال قال ، حدثنا همام ابن يحيى ، عن قتادة : « وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً » ، ثم أنزل في « سورة براءة » ، فأمر بقتالهم .

١٣٤٠٤ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عبدة بن سليمان قال : قرأت على ابن أبي عروبة فقال : هكذا سمعته من قتادة : « وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً » ، ثم أنزل الله تعالى ذكره « براءة » ، وأمر بقتالهم فقال : ﴿ اُقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ ، [سورة التوبة : ٥].

* * *

وأما قوله : « وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت » ، فإنه يعني به : وذكّر ، يا محمد ، بهذا القرآن هؤلاء المولّين عنك وعنه[1] = « أن تبسل نفس » ، بمعنى : أن لا تبسل ، كما قال : ﴿ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾ ، [سورة النساء : ١٧٦] ، بمعنى : أن لا تضلوا[2] = وإنما معنى الكلام : وذكرهم به ليؤمنوا ويتبعوا ما جاءهم من عند الله من الحق ،[3] فلا تُبْسل أنفسهم بما كسبت من الأوزار = ولكن حذفت « لا » ، لدلالة الكلام عليها .

* * *

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله : « أن تبسل نفس » .

فقال بعضهم : معنى ذلك : أن تُسْلَم .

---

(١) انظر تفسير « التذكير » فيما سلف ٦ : ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٢١١/١٠ : ١٣٠/١١ : ٥٧ .

(٢) انظر ما سلف ٩ : ٤٤٥ ، ٤٤٦ .

(٣) في المطبوعة : « وذكر به » ، وأثبت ما في المخطوطة .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٤٠٥ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيي بن واضح قال ، حدثنا الحسين بن واقد، عن يزيد النحوى ، عن عكرمة قوله: « أن تبسل نفس بما كسبت » ، قال : تُسلم .

١٣٤٠٦ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن : « أن تبسل نفس » ، قال : أن تُسلم .

١٣٤٠٧ – حدثنا الحسن بن يحيي قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الحسن ، مثله .

١٣٤٠٨ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قول الله تعالى ذكره : « أن تبسل » ، قال : تسلم .

١٣٤٠٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « أن تبسل نفس » ، قال : تسلم .

١٣٤١٠ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن عنبسة ، عن ليث، عن مجاهد: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا ﴾، أسلموا .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : تُحْبس .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٤١١ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « أن تبسل نفس » ، قال : تؤخذ فتحبس

١٣٤١٢ – حدثنا الحسن بن يحيي قال : أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

١٣٤١٣ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى

١٥١/٧ قوله : « أن تبسل نفس بما كسبت » ، أن تؤخذ نفس بما كسبت .

* * *

وقال آخرون : معناه : تُفضَح .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٤١٤ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح ، عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت » ، يقول : تفضح .

* * *

وقال آخرون : معناه : أن تجزَى .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٤١٥ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا الحسين بن واقد قال ، قال الكلبي : « أن تبسل » ، أن تجزَى .

* * *

وأصل « الإبسال » التحريم ، يقال منه : « أبسلت المكان »، إذا حرّمته فلم يقرب ،[1] ومنه قول الشاعر :[2]

بَكَرَتْ تَلُومُكَ بَعْدَ وَهْنٍ فِي النَّدَى ، بَسْلٌ عَلَيْكِ مَلَامَتِي وَعِتَابِي[3]

---

(١) فى المطبوعة : « فلم تقربه » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) هو ضمرة بن ضمرة النهشلى .

(٣) نوادر أبى زيد : ٢ ، الأمالى ٢ : ٢٧٩ ، الشعر والشعراء : ٢٥٠ ، الوحشيات رقم : ٤٢٤ ، الأزمنة والأمكنة ١ : ١٦٠، اللسان (بسل) وغيرها ، وبعد هذا البيت من أبيات حسان : قالها لامرأته إذ عاتبته على حلب إبله ونحرها لضيفه وأهله ، وتحبب إليه الشح ، وقنهاه عن بذل المال ، فى القحط والجدب :

أَأَصُرُّهَا ، وَبُنَيَّ عَمِّي سَاغِبٌ فَكَفَاكِ مِن إِبَةٍ عَلَيَّ وَعَابِ !

وَلَقَدْ عَلِمْتُ ، فَلَا تَظُنِّي غَيْرَهُ أَنْ سَوْفَ يَخْلِجُنِي سَبِيلُ صِحَابِي

أَرَأَيْتِ إِنْ صَرَخَتْ بِلَيْلٍ هَامَتِي وَخَرَجْتُ مِنْهَا عَارِيًا أَثْوَابِي

هَلْ تَخْمِشَنْ إِبِلِي عَلَيَّ وُجُوهَهَا أَمْ تَعْصِبَنَّ رُؤُوسَهَا بِسِلَابِ !!

أى : حرام [عليك ملامتى وعتابى]. ومنه قولهم : « أسد باسل » ،[١] يراد به : لا يقربه شىء ، فكأنه قد حرَّم نفسه ، ثم يجعل ذلك صفة لكل شديد يتحامى لشدته. ويقال : « أعط الراقى بُسْلَتَه »،[٢] يراد بذلك : أجرته. « وشراب بَسِيل»، بمعنى متروك. وكذلك « المبسَل بالجريرة »، وهو المرتهن بها، قيل له : « مُبْسَل »، لأنه محرَّم من كل شىء إلا مما رُهن فيه وأُسلم به، ومنه قول عوف بن الأحوص الكلابى :

وَإِبْسَالِى بَنِىَّ بِغَيْرِ جُرْمٍ بَعَوْنَاهُ وَلَا بِدَمٍ مُرَاقِ[٣]

« بكرت » ، عجلت فى أول السحر . « بعد وهن » ، أى بعد نومة من جوف الليل . أرقها ما يبذل لبنى عمه من ماله ، فلم تتأن به مطلع النهار حتى أخذت تلومه فى وجه الصبح . ثم أخذ يذكرها بالمروءة فيقول : « أأصرها » ، يعنى النوق ، يشد عليها الصرار (وهو خيط يشد فوق الخلف) ، لئلا تحلب ، أو يرضعها ولدها ، يقول : لا أفعل ذلك ، وبنى عمى جياع حتى، أرويهم؛ و« السغب » الجوع ، فإن ذلك لؤم . و « الإبة » الخزى يستحى منه، و« العاب » ، العيب . يقول : كفاك بهذا الفعل لؤماً يخزى فاعله . ثم احتج عليها بما يجد بنو عمه وضيفانه من اللوعة عليه إذا مات ، وأن الإبل لا تفعل ذلك . فقال لها : إن الموت سبيل كل حى ، وأنى سلك سبيل أصحابى الذين ذهبوا وخلفونى ، فإن هذه السبيل تخلجنى (أى : تجذبنى وتنتزعنى) كما خلجتهم من قبل . وقوله : « صرخت بليل هامتى » ، وهو من عقائد الجاهلية ، أبطله الله بالإسلام ، يزعمون أن روح القتيل تصير طائراً كالبومة يزقو عند قبره ، يقول : اسقونى ، اسقونى ! وقوله : « عارياً أثوابى » أى : عارياً من أثوابى التى كنت أستمتع بلباسها فى الدنيا . ويروى : « بالياً أثوابى » ، ويعنى عندئذ : أكفانه التى تبلى فى التراب . وقول « هل تخمشن إبلى» ، أى : هل تلطم الإبل على وجوهها فيخمشها اللطم ويؤثر فيها ويجرحها ، كما يفعل بنو عمى وبنات عمى إذا مت . و « السلاب » : عصائب للرأس سود ، يلبسنها عند الحداد . يقول : هذا حزن بنات عمى على ، فهل تفعل الإبل فعلهن حتى آسى على نحرها وإهلاكها فى إطعامهم وإروائهم فى زمان الجدب وهم جياع ؟

(١) كانت هذه العبارة فى المطبوعة والمخطوطة : « أى حرام . ومنه قولهم : وعتابى أسد آسد » ، وهو خطأ صرف . استظهرت صوابه من سياق الشرح ، ومن معانى القرآن للفراء ١ : ٣٣٩ ، وزدت ما بين القوسين استظهاراً أيضاً .

(٢) فى المطبوعة : « بسيلته » ، وهو خطأ صرف ، صوابه فى المخطوطة ، لم يحسن قراءتها . وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٣٩ .

(٣) نوادر أبى زيد : ١٥١ ، مجاز القرآن ١ : ١٩٤ ، المعانى الكبير : ١١١٤ ، واللسان (بسل) (بعا) ، يقول :

فَلَوْلَا أَنَّنِي رَحُبَتْ ذِرَاعِي بِإِعْطَاءِ المَفَارِقِ والحِقَاقِ

وقال الشنفرى : (١)

هُنَالِكَ لاَ أَرْجُو حَيَاةً تَسُرُّنِي سَمِيرَ اللَّيَالِي مُبْسَلاً بِالْجَرَائِرِ (٢)

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام إذاً : وذكّر بالقرآن هؤلاء الذين يخوضون فى آياتنا وغيرهم ممن سلك سبيلهم من المشركين ، كيلا تُبسل نفس بذنوبها وكفرها بربها ، وترتهن فتغلق بما كسبت من أجرامها فى عذاب الله(٣) = « ليس لها من دون الله » ، يقول : ليس لها ، حين تسلم بذنوبها فترتهن بما كسبت من آثامها ، أحدٌ ينصرها فينقذها من الله الذى جازاها بذنوبها جزاءها(٤) = « ولا شفيع » ، يشفع لها لوسيلة له عنده .(٥)

* * *

وَإِنْسَالِي بَنِيَّ بِغَيْرِ جُرْمٍ بَعَوْنَاهُ ، وَلَا بِدَمٍ مُرَاقِ
لَقِيتُمْ مِنْ تَدَرُّئِكُمْ عَلَيْنَا وَقَتْلِ سَرَاتِنَا ذَاتَ الْعَرَاقِ

« المفارق » جمع « ناقة مفرق » ، فارقها ولدها . و « الحقاق » جمع « حقة » (بكسر الحاء) ، وهى الناقة إذا استكملت السنة الثالثة ، ودخلت فى الرابعة . يقول : طابت نفسى ببذل ذلك من المال ، لكى أحقن الدماء ، وأبقى على الوشائج . و « بعا الذنب يبعوه بعوا » : اجترمه واكتسبه . يقول لهم : وأسلمت إليكم بنى فى الفداء ، ولم نجرم جريمة ، ولم نرق دماً ، فنحمل الحمالة فى الذى اجترحناه . و « تدرأ على فلان » أى : تطاول وتهجم . و « السراة » أشراف القوم . و « ذات العراق » ، أى : ذات الدواهى المنكرة ، يقول : لولا ما فعلت إبقاء ، لفعلنا بكم الأفاعيل .

(١) وتروى لتأبط شراً .

(٢) ديوانه (الطرائف) : ٣٦ ، وفيه المراجع ، ومجاز القرآن ١ : ١٩٥ ، اللسان (بسل). وقبله ، وهى أبيات مشهورة :

لاَ تَقْبُرُونِي ، إِنَّ قَبْرِي مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنْ أَبْشِرِي أُمَّ عَامِرِ
إِذَا احْتَمَلُوا رَأْسِي ، وَفِي الرَّأْسِ أَكْثَرِي ، وَغُودِرَ عِنْدَ الْمُلْتَقَى ثَمَّ سَائِرِي

و « سمير الليالى » : أبد الليالى ، ويروى « سجيس الليالى » ، وهو مثله .

(٣) انظر تفسير « كسب » فيما سلف ص : ٢٦١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « من دون » فيما سلف ١١ : ٤٨٦ ، وفهارس اللغة (دون) .

(٥) انظر تفسير « شفيع » فيما سلف ص : ٣٧٣ تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لاَّ يُؤْخَذْ مِنْهَآ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وإن تعدل النفس التى أبسلت بما كسبت ، يعنى : « وإن تعدل كل عدل » ، يعنى : كل فداء .

* * *

يقال منه : « عَدَل يعدِل » ، إذا فدى ، « عَدْلاً » ، ومنه قول الله تعالى ذكره : ﴿ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَاماً ﴾ ، [سورة المائدة : ٩٥] ، وهو ما عادله من غير نوعه .(١)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٤١٦ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها » ، قال : لو جاءت بملء الأرض ذهباً لم يقبل منها .

١٣٤١٧ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى فى قوله : « وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها » ، فما يعدلها لو جاءت بملء الأرض ذهباً لتفتدى به ما قُبل منها .

١٣٤١٨ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها » ، قال : « وإن تعدل » ، وإن تفتد ، يكون له الدنيا وما فيها يفتدى بها = « لا يؤخذ منه » ، عدلاً عن نفسه ، لا يقبل منه .

* * *

وقد تأوّل ذلك بعض أهل العلم بالعربية بمعنى : وإن تُقسط كل قسط لا يقبل منها . وقال : إنها التوبة فى الحياة .(٢)

---

(١) انظر تفسير « العدل » فيما سلف ٢ : ٣٤ ، ٣٥ ، ١١/٥٧٤ : ٤٣ ، ٤٤ .

(٢) هو قول أبى عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ١٩٥ .

وليس لما قال من ذلك معنى ، وذلك أن كل تائب فى الدنيا فإن الله تعالى ذكره يقبل توبته .

* * *

١٥٢/٧ القول فى تأويل قوله ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴾ (٧٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وهؤلاء الذين إن فدوا أنفسهم من عذاب الله يوم القيامة كل فداء لم يؤخذ منهم ، هم « الذين أبسلوا بما كسبوا » ، يقول : أسلموا لعذاب الله ، فرهنوا به جزاءً بما كسبوا فى الدنيا من الآثام والأوزار ، [1] = « لهم شرابٌ من حميم » .

* * *

و « الحميم » هو الحارّ ، فى كلام العرب ، وإنما هو « محموم » صرف إلى « فعيل » ، ومنه قيل للحمّام ، « حمام » لإسخانه الجسم ، ومنه قول مرقش :

فِى كُلِّ مُمْسًى لَهَا مِقْطَرَةٌ فِيهَا كِبَاءٌ مُعَدٌّ وَحَمِيمُ [2]

يعنى بذلك : ماء حارًّا ، ومنه قول أبى ذؤيب الهذلى فى صفة فرس :

---

(١) انظر تفسير « أبسل » فيما سلف قريباً = وتفسير « كسب » ص : ٤٤٦ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) المفضليات : ٥٠٥ ، واللسان (قطر) (حمم) ، وسيأتى فى التفسير ١١ : ٦١ (بولاق) . من قصيدته فى ابنة عجلان ، جارية صاحبته فاطمة بنت المنذر ، وكان لابنة عجلان قصر بكاظمة ، وكان لها حرس يجرون الثياب كل ليلة حول قصرها ، فلا يطؤه إلا بنت عجلان . وكانت تأخذ كل عشية رجلا من أهل الماء يبيت عندها ، فبات عندها المرقش ليلة ، وقال ذاك الشعر ، فوصفها بالنعمة والترف .

و « المقطرة » : المجمرة ، يكون فيها القطر (بضم فسكون) ، وهو العود الذى يتبخر به . و « الكباء » : ضرب من العود . يصف ما هى فيه من الترف ، بين تبخر بالعود الطيب ، وتنزه بالاستحمام بالماء الساخن ، من شدة عنايتها ببدنها .

تَأْبَى بِدِرَّتِهَا إِذَا مَا أُسْتُضْغِبَتْ إِلَّا الْحَمِيمَ فَإِنَّهُ يَتَبَضَّعُ(١)

يعنى بالحميم : عرق الفرس .

* * *

وإنما جعل تعالى ذكره لهؤلاء الذين وصف صفتهم فى هذه الآية شراباً من حميم ، لأن الحارّ من الماء لا يروى من عطش . فأخبر أنهم إذا عطشوا فى جهنم لم يغاثوا بماء يرويهم ، ولكن بما يزيدون به عطشاً على ما بهم من العطش = « وعذاب أليم » ، يقول : ولهم أيضاً مع الشراب الحميم من الله العذابُ الأليم والهوان المقيم = « بما كانوا يكفرون » ، يقول : بما كان من كفرهم فى الدنيا بالله ، وإنكارهم توحيده ، وعبادتهم معه آلهة دونه .

* * *

١٣٤١٩ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا » ، قال يقول : أسلموا .

١٣٤٢٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « أولئك الذين أبسلوا » ، قال : فُضحوا .

١٣٤٢١ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا » ، قال : أخذوا بما كسبوا .

* * *

---

(١) ديوانه ١٧ ؛ المفضليات : ٨٧٩ ، اللسان (حمم) (بصع) (بضع) ، وغيرها . وهذا من الأبيات التى أخذت على أبى ذؤيب ، وأنه لا علم له بالخيل . وقد اختلف فى روايته . روى : « إذا ما استغضبت » و « إذ اما استكرهت » ، ورواية الطبرى مذكورة فى اللسان فى (بضع) وروى أيضاً « يتبصع » بالصاد . أى يسيل قليلا قليلا . و « تبضع العرق » بالضاد ، سال سيلا متقطعاً . وانظر شرح هذا البيت فى المراجع ، فإنه يطول ذكره هنا .

وأما رواية : « استضغبت » ، وهى التى هنا ، فقد فسرت بأنه : فزعت ، لأن « الضاغب » ، هو الذى يختىء فى الخمر ليفزع بمثل صوت الأسد . و « الضغاب » و « الضغيب » صوت الأرنب والذئب إذا تضور .

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ﴾

قال أبو جعفر : وهذا تنبيه من الله تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم على حجته على مشركى قومه من عبدة الأوثان . يقول له تعالى ذكره : قل ، يا محمد ، لهؤلاء العادلين بربهم الأوثانَ والأنداد ، والآمرين لك باتباع دينهم وعبادة الأصنام معهم : أندعو من دون الله حجراً أو خشباً لا يقدر على نفعنا أو ضرنا ، فنخصه بالعبادة دون الله ، وندع عبادة الذى بيده الضر والنفع والحياة والموت ، إن كنتم تعقلون فتميزون بين الخير والشر ؟ فلا شك أنكم تعلمون أن خدمة ما يرتجى نفعه ويرهب ضره ، أحق وأولى من خدمة من لا يرجى نفعه ولا يخشى ضره !

* * *

= « ونردّ على أعقابنا » ، يقول : ونرد إلى أدبارنا ، فنرجع القهقرى خلفنا ، لم نظفر بحاجتنا .

* * *

وقد بينا معنى : « الرد على العقب » ، وأن العرب تقول لكل طالب حاجة لم يظفر بها : « رد على عقبيه » ، فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .(١)

* * *

وإنما يراد به فى هذا الموضع : ونرد من الإسلام إلى الكفر = « بعد إذ هدانا الله » ، فوفقنا له ، فيكون مثلنا فى ذلك مثل الرجل الذى استتبعه الشيطان ، يهوى فى الأرض حيران .

* * *

وقوله : « استهوته » ، « استفعلته » ، من قول القائل : « هوى فلان إلى كذا يهوى

(١) انظر تفسير « الرد على الأعقاب » فيما سلف ٣ : ١٦٣ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٩٦ .

إليه» ، ومن قول الله تعالى ذكره : ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ ، ١٥٣/٧
[سورة إبراهيم : ٣٧] ، بمعنى : تنزع إليهم وتريدهم .

* * *

وأما « حيران » ، فإنه « فعلان » من قول القائل : « قد حار فلان فى الطريق ، فهو يَحَار فيه حَيرة وحَيَرَاناً وحَيرُورة » ،(١) وذلك إذ ضل فلم يهتد للمحجّة .

* * *

= « له أصحاب يدعونه إلى الهدى » ، يقول : لهذا الحيران الذى قد استهوته الشياطين فى الأرض ، أصحابٌ على المحجة واستقامة السبيل ، يدعونه إلى المحجة لطريق الهدى الذى هم عليه ، يقولون له : ائتنا .

* * *

وترك إجراء « حيران » ، لأنه « فعلان » ، وكل اسم كان على « فعلان » مما أنثاه « فعلى » ، فإنه لا يجرى فى كلام العرب فى معرفة ولا نكرة .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا مثل ضربه الله تعالى ذكره لمن كفَر بالله بعد إيمانه ، فاتبع الشياطين ، من أهل الشرك بالله = وأصحابه الذين كانوا أصحابه فى حال إسلامه ، المقيمون على الدين الحق ، يدعونه إلى الهدى الذى هم عليه مقيمون ، والصواب الذى هم به متمسكون ، وهو له مفارق وعنه زائل ، يقولون له : « ائتنا فكن معنا على استقامة وهدى » ! وهو يأبى ذلك ، ويتبع دواعى الشيطان ، ويعبد الآلهة والأوثان .

* * *

وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل ، وخالف فى ذلك جماعة .

* ذكر من قال فى ذلك مثل ما قلنا :

---

(١) « حيرورة » ، مصدر مثل « صيرورة » ، ولم تذكره كتب اللغة ، فهذا مما يستفاد من أبى جعفر ، ويزاد على كتب اللغة .

١٣٤٢٢ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى: « قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونردّ على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا » ، قال : قال المشركون للمؤمنين : اتبعوا سبيلنا ، واتركوا دين محمد = صلى الله عليه وسلم . فقال الله تعالى ذكره: « قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا » ، هذه الآلهة = « ونردّ على أعقابنا بعد إذ هدانا الله » ، فيكون مثلنا كمثل الذى استهوته الشياطين فى الأرض ، يقول : مثلكم إن كفرتم بعد الإيمان ، كمثل رجل كان مع قوم على الطريق ، فضلّ الطريق ، فحيرته الشياطين ، واستهوته فى الأرض ، وأصحابه على الطريق ، فجعلوا يدعونه إليهم يقولون: « ائتنا، فإنا على الطريق »، فأبى أن يأتيهم . فذلك مثل من يتبعكم بعد المعرفة بمحمد، ومحمد الذى يدعو إلى الطريق ، والطريق هو الإسلام .

١٣٤٢٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا » ، قال: هذا مثل ضربه الله للآلهة ومن يدعو إليها ، وللدعاة الذين يدعونَ إلى الله ، كمثل رجل ضل عن الطريق تائهاً ضالاً،(١) إذ ناداه مناد : « يا فلان بن فلان ، هلمّ إلى الطريق » ، وله أصحاب يدعونه : « يا فلان، هلم إلى الطريق » ! فإن اتبع الداعى الأول انطلق به حتى يلقيه فى الهلكة، وإن أجاب من يدعوه إلى الهدى اهتدى إلى الطريق . وهذه الداعية التى تدعو فى البرية من الغيلان . يقول: مثل من يعبد هؤلاء الآلهة من دون الله، فإنه يرى أنه فى شىء حتى يأتيه الموت ، فيستقبل الهلكة والندامة . وقوله : « كالذى استهوته الشياطين فى الأرض » ، وهم « الغيلان » ، يدعونه باسمه واسم أبيه واسم جده ، فيتبعها ، فيرى أنه فى شىء ، فيصبح وقد ألقته فى الهلكة ، وربما أكلته =

(١) قوله « تائهاً ضالا » ، ساقطة من المطبوعة ، ثابتة فى المخطوطة .

أو تلقيه فى مضلّة من الأرض يهلك فيها عطشاً . فهذا مثل من أجاب الآلهة التى تُعبد من دون الله عز وجل .

١٣٤٢٤ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور قال ، حدثنا معمر ، عن قتادة : « استهوته الشياطين فى الأرض » ، قال : أضلته فى الأرض حيران .

١٣٤٢٥ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « ما لا ينفعنا ولا يضرنا » ، قال : الأوثان .

١٣٤٢٦ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا ١٥٤/٧
عيسى = وحدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل = عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله تعالى ذكره : « استهوته الشياطين فى الأرض حيران » ، قال : رجل حيران يدعوه أصحابه إلى الطريق ، فذلك مثل من يضلّ بعد إذ هدى .

١٣٤٢٧ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر قال ، حدثنا رجل ، عن مجاهد قال : « حيران » ، هذا مثل ضربه الله للكافر ، يقول : الكافر حيران ، يدعوه المسلم إلى الهدى فلا يجيب .

١٣٤٢٨ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا » ، حتى بلغ « لنسلم لرب العالمين » ، علمها الله محمداً وأصحابه ، يخاصمون بها أهلَ الضلالة .

* * *

وقال آخرون فى تأويل ذلك ، بما : –

١٣٤٢٩ – حدثنى به محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى

---

(١) فى المطبوعة : « كذلك مثل » ، وفى المخطوطة : « لذلك مثل . . . » ، والصواب ما أثبت .

قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « كالذى استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى » ، فهو الرجل الذى لا يستجيب لهدى الله ، وهو رجل أطاعَ الشيطان ، وعمل فى الأرض بالمعصية ، وحار عن الحقّ وضل عنه ، وله أصحاب يدعونه إلى الهدى ، ويزعمون أن الذى يأمرونه هدًى. يقول الله ذلك لأوليائهم من الإنس : إن الهدى هدى الله ، والضلالة ما تدعو إليه الجنّ .

* * *

فكأنّ ابن عباس = على هذه الرواية = يرى أن أصحاب هذا الحيران الذين يدعونه إنما يدعونه إلى الضلال ، ويزعمون أنّ ذلك هدى ، وأنّ الله أكذبهم بقوله : « قل إنّ هدى الله هو الهدى » ، لا ما يدعوه إليه أصحابه .

وهذا تأويل له وجه ، لو لم يكن الله سمى الذى دعا الحيرانَ إليه أصحابه « هدى»، وكان الخبر بذلك عن أصحابه الدعاة له إلى ما دعوه إليه: أنهم هم الذين سموه ، ولكن الله سماه « هدى »، وأخبر عن أصحاب الحيران أنهم يدعونه إليه . وغير جائز أن يسمى الله «الضلال» هدى ، لأن ذلك كذب ، وغير جائز وصف الله بالكذب ، لأن ذلك وصفه بما ليس من صفته . وإنما كان يجوز توجيه ذلك إلى الصواب ، لو كان ذلك خبراً من الله عن الداعى الحيران أنهم قالوا له : « تعال إلى الهدى » ، فأما وهو قائل : « يدعونه إلى الهدى » ، فغير جائز أن يكون ذلك ، وهم كانوا يدعونه إلى الضلال .

* * *

وأما قوله : « ائتنا » ، فإن معناه : يقولون : ائتنا ، هلم إلينا = فحذف « القول » ، لدلالة الكلام عليه .

* * *

وذكر عن ابن مسعود أنه كان يقرأ ذلك : ﴿ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى بَيِّنًا ﴾ .

١٣٤٣٠ ــ حدثنا بذلك ابن وكيع قال ، حدثنا غندر ، عن شعبة ، عن

أبى إسحق قال : فى قراءة عبد الله : ﴿ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى بَيِّناً ﴾ .

١٣٤٣١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، أخبرنى عبد الله بن كثير : أنه سمع مجاهداً يقول : فى قراءة ابن مسعود : ﴿ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى بَيِّناً ﴾ ، قال : « الهدى » الطريق ، أنه بين .

* * *

وإذا قرىء ذلك كذلك ، كان « البين » من صفة « الهدى » ، ويكون نصب « البين » على القطع من «الهدى»، (١) كأنه قيل : يدعونه إلى الهدى البين ، ثم نصب « البين » لما حذفت « الألف واللام » ، وصار نكرة من صفة المعرفة .

* * *

وهذه القراءة التى ذكرناها عن ابن مسعود تؤيد قول من قال : « الهدى » ، فى هذا الموضع ، هو الهدى على الحقيقة .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٧١)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد ، لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان ، القائلين لأصحابك : « اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ، فإنا على هدى » = : ليس الأمر كما زعمتم = « إن هدى الله هو الهدى » ، يقول : إن طريق الله الذى بينه لنا وأوضحه ، وسبيله الذى أمرنا بلزومه ، ودينه الذى شرعه لنا فبينه ، هو الهدى والاستقامة التى لا شك فيها ، لا عبادة الأوثان والأصنام ١٥٥/٧

(١) انظر تفسير « القطع » فيما سلف من فهارس المصطلحات ، وهذا بيان صريح أن « القطع » هو النكرة إذا صار صفة لمعرفة .

التى لا تضر ولا تنفع ، فلا نترك الحق ونتبع الباطل = « وأمرنا لنسلم لرب العالمين » ، يقول : وأمرَنا ربنا وربّ كل شيء تعالى وجهه ،[1] لنسلم له ، لنخضع له بالذلة والطاعة والعبودية ، فنخلص ذلك له دون ما سواه من الأنداد والآلهة .

* * *

وقد بينا معنى « الإسلام » بشواهده فيما مضى من كتابنا ، بما أغنى عن إعادته .[2]

* * *

وقيل : « وأمرنا لنسلم » ، بمعنى : وأمرنا كى نسلم ، وأن نسلم لرب العالمين = لأن العرب تضع « كى » و « اللام » التى بمعنى « كى » ، مكان « أن » و « أن » مكانها .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِى إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (٧٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وأمرنا أنْ أقيموا الصلاة .

* * *

وإنما قيل : « وأن أقيموا الصلاة » ، فعطف بـ « أن » على « اللام » من « لنسلم » ، لأن قوله : « لنسلم » معناه : أن نسلم ، فردّ قوله : « وأن أقيموا » على معنى : « لنسلم » ، إذ كانت « اللام » التى فى قوله : « لنسلم » ، لامًا لا تصحب إلا المستقبل من الأفعال ، وكانت « أن » من الحروف التى تدل على الاستقبال دلالة « اللام » التى فى « لنسلم » ، فعطف بها عليها ، لاتفاق معنيهما فيما ذكرت .

---

(١) انظر تفسير « العالمين » فيما سلف من فهارس اللغة (علم) .
(٢) انظر تفسير « الإسلام » فيما سلف من فهارس اللغة (سلم) .

و « أن » فى موضع نصب بالردّ على « اللام » .[١]

* * *

وكان بعض نحويّى البصرة يقول : إما أن يكون ذلك ، « أمرنا لنسلم لرب العالمين ، وأن أقيموا الصلاة » ، يقول : أمرنا كى نسلم ، كما قال : ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٢] ، [سورة يونس : ١٠٤] ، أى : إنما أمرت بذلك .[٣] ثم قال : « وأن أقيموا الصلاة واتقوه » ، أى : أمرنا أن أقيموا الصلاة = أو يكون أوصل الفعل باللام ، والمعنى : أمرت أن أكون ، كما أوصل الفعل باللام فى قوله : ﴿ هم لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ ، [سورة الأعراف : ١٥٤] .

* * *

فتأويل الكلام : وأمرنا بإقامة الصلاة ، وذلك أداؤها بحدودها التى فرضت علينا[٤] = « واتقوه » ، يقول : واتقوا رب العالمين الذى أمرنا أن نسلم له ، فخافوه واحذروا سَخطه ، بأداء الصلاة المفروضة عليكم ، والإذعان له بالطاعة ، وإخلاص العبادة له = « وهو الذى إليه تحشرون » ، يقول : وربكم رب العالمين ، هو الذى إليه تحشرون فتجمعون يوم القيامة ،[٥] فيجازى كلّ عامل منكم بعمله ، وتوفى كل نفس ما كسبت .

* * *

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٣٩ .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « وأمرت لأن أكون من المؤمنين » ، وهذه ليست آية فى كتاب الله ، بل الآية هى التى ذكرت ، وهى حق الاستدلال فى هذا الموضع .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « إنما أمرت لذلك » ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبت .

(٤) انظر تفسير « إقامة الصلاة » فيما سلف من فهارس اللغة (قوم) (صلا) .

(٥) انظر تفسير « الحشر » فيما سلف ص : ٣٧٣ تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (٧٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد، لهؤلاء العادلين بربهم الأنداد، الداعيك إلى عبادة الأوثان : « أمرنا لنسلم لرب العالمين ، الذى خلق السموات والأرض بالحق ، لا من لا ينفع ولا يضر ، ولا يسمع ولا يبصر » .

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « بالحق » .

فقال بعضهم : معنى ذلك ، وهو الذى خلق السموات والأرض حقًّا وصواباً ، لا باطلاً وخطأً ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَاءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ﴾، [سورة ص : ٢٧]. قالوا : وأدخلت فيه « الباء » و « الألف واللام » ، كما تفعل العرب فى نظائر ذلك فتقول : « فلان يقول بالحق » ، بمعنى : أنه يقول الحق . قالوا : ولا شيء فى « قوله بالحق » غير إصابته الصواب فيه = لا أنّ « الحق » معنى غير « القول » ، وإنما هو صفةٌ للقول، إذا كان بها القول ، كان القائل موصوفاً بالقول بالحق، وبقول الحق . قالوا : فكذلك خلق السموات والأرض ، حكمة من حكم الله ، فالله موصوف بالحكمة فى خلقهما وخلق ما سواهما من سائر خلقه = لا أنّ ذلك حقٌّ سوى خَلْقِهما خَلَقَهما به .(١)

* * *

(١) فى المطبوعة : « سوى خلقهما به » ، أساء وحذف وبدل وأفسد الكلام ، ثم ضبط « سوى » فعلا بتشديد الواو ، وجعل « خلقهما به » مصدراً منصوباً بالفعل . وهو فساد وخطل . والصواب ما فى المخطوطة : « سوى » (بكسر السين) بمعنى « غير » ، و « خلقهما » الأولى مصدر

وقال آخرون : معنى ذلك : خلق السموات والأرض بكلامه وقوله لهما : ﴿ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ ، [سورة فصلت : ١١]. قالوا : فالحق ، في هذا الموضع معنيّ به : كلامه . واستشهدوا لقيلهم ذلك بقوله : « ويوم يقول كن فيكون قوله الحق» ، « الحق» هو قوله وكلامه .(١) قالوا: والله خلق الأشياء بكلامه وقيله ، فما خلق به الأشياء فغير الأشياء المخلوقة .(٢) قالوا: فإذْ كان ذلك كذلك ، وجب أن يكون كلام الله الذى خلق به الخلق غيرَ مخلوق . ١٥٦/٧

* * *

وأما قوله : « ويوم يقول كن فيكون » ، فإن أهل العربية اختلفوا فى العامل فى « يوم يقول » ، وفى معنى ذلك .

فقال بعض نحويى البصرة : « اليوم » مضاف إلى « يقول كن فيكون » .(٣) قال : وهو نصب ، وليس له خبر ظاهر ، والله أعلم ، وهو على ما فسرت لك = كأنه يعنى بذلك أن نصبه على: واذكر يوم يقول كن فيكون . قال: وكذلك : « يوم ينفخ فى الصور » ، قال: وقال بعضهم: يوم ينفخ فى الصور عالم الغيب والشهادة .(٤)

* * *

وقال بعضهم : « يقول كن فيكون » للصور خاصة (٥) = فمعنى الكلام على تأويلهم : يوم يقول للصور كن فيكون ، قوله الحق يوم ينفخ فيه عالم الغيب والشهادة =

مضاف مجرور ، و « خلقهما به » فعل ماض . وهذا حق المعنى وصوابه . وهذا من عبث الناشرين والمصححين ، يستعيذ المرء من مثله ، فإنه ناقض للأمانة أولا ، ولمعانى العقل والفقه بعد ذلك .

(١) هذه العبارة فيها فى المخطوطة سقط وتكرار ، والذى فى المطبوعة أشبه بالصواب .

(٢) كانت هذه العبارة فى المطبوعة : « كما خلق به الأشياء غير المخلوقة » ، وهو كلام ساقط جداً ، فاسد المعنى بل هو غاية فى فساد المعنى . والذى فى المخطوطة : « مما خلق به الأشياء بعبر الأشياء المخلوقة » ، وهى محرفة ، صواب قراءتها ما أثبت ، يدل على ذلك الجملة الآتية . ويعنى أن الذى خلق به الأشياء — هو غير الأشياء المخلوقة ، وإذا كان غيرها ، فهو غير مخلوق .

(٣) فى المخطوطة : « مضاف إلى كن فيكون » ، والصواب ما فى المطبوعة .

(٤) هذه الجملة الأخيرة لم أعرف لها هنا موقعاً ، ولكنى تركتها على حالها . وهى منقطعة عما بعدها بلا شك ، فإن الذى يليها هو مقالة الفراء من الكوفيين . وأخشى أن يكون سقط من الكلام شيء .

(٥) هذه مقالة الفراء فى معانى القرآن ١ : ٣٤٠ .

فيكون « القول» حينئذ مرفوعاً بـ « الحق » و « الحق » بـ « القول » ، وقوله: « يوم يقول كن فيكون » و « يوم ينفخ فى الصور » ، صلة « الحق » .

* * *

وقال آخرون بل قوله : « كن فيكون » ، معنىٌّ به كل ما كان الله مُعيده فى الآخرة بعد إفنائه ، ومنشئه بعد إعدامه = فالكلام على مذهب هؤلاء ، متناهٍ عند قوله : « كن فيكون » ، وقوله : « قوله الحق » ، خبر مبتدأ = وتأويله : وهو الذى خلق السموات والأرض بالحق ، ويوم يقول للأشياء كن فيكون خلقهما بالحق بعد فنائهما . ثم ابتدأ الخبر عن قوله ووعده خلقَه أنه معيدهما بعد فنائهما عن أنه حق فقال : قوله هذا ، الحقّ الذى لا شك فيه . وأخبر أن له الملك يوم ينفخ فى الصور = فـ« يوم ينفخ فى الصور »، يكون على هذا التأويل من صلة « الملك » .

وقد يجوز على هذا التأويل أن يكون قوله : « يوم ينفخ فى الصور » من صلة « الحق » .

* * *

وقال آخرون : بل معنى الكلام : ويوم يقول لما فنى :«كن »، فيكون قوله الحق ، فجعل « القول » مرفوعاً بقوله « ويوم يقول كن فيكون » ، وجعل قوله : « كن فيكون » ، للقول محلاً ، وقوله : « يوم ينفخ فى الصور » ، من صلة « الحق » = كأنه وجه تأويل ذلك إلى : ويومئذ قوله الحق يوم ينفخ فى الصور. وإن جعل على هذا التأويل « يوم ينفخ فى الصور» بياناً عن اليوم الأول، كان وجهاً صحيحاً . ولو جعل قوله : « قوله الحق » ، مرفوعاً بقوله : « يوم ينفخ فى الصور » ، وقوله : « يوم ينفخ فى الصور » محلاً ، وقوله : « ويوم يقول كن فيكون » من صلته ، كان جائزاً .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبرَ أنهُ المنفرد بخلق السموات والأرض دون كل ما سواه، معرِّفاً من أشرك به من خلقه جهلَه فى عبادة الأوثان والأصنام، وخطأ ما هم عليه مقيمون من عبادة ما لا يضر ولا ينفع ، ولا يقدر على اجتلاب نفع إلى نفسه ، ولا دفع ضر عنها = ومحتجًّا عليهم فى إنكارهم البعثَ بعد الممات والثوابَ والعقاب ، بقدرته على ابتداع ذلك ابتداءً ، وأن الذى ابتدع ذلك غير متعذر عليه إفناؤه ثم إعادته بعد إفنائه ، فقال : « وهو الذى خلق » ، أيها العادلون بربهم من لا ينفع ولا يضر ولا يقدر ١٥٧/٧ على شىء = « السموات والأرض بالحق » ، حجة على خلقه ، ليعرفوا بها صانعها ، وليستدلُّوا بها على عظيم قدرته وسلطانه ، فيخلصوا له العبادة = « ويوم يقول كن فيكون » ، يقول : ويوم يقول حين تبدل الأرض غير الأرض والسموات كذلك : « كن فيكون » ، كما شاء تعالى ذكره ، فتكون الأرض غير الأرض = ويكون [الكلام] عند قوله : « كن فيكون » متناهياً .(١)

وإذا كان كذلك معناه، وجب أن يكون فى الكلام محذوفٌ يدلّ عليه الظاهر ، ويكون معنى الكلام : ويوم يقول كذلك : «كن فيكون » تبدل [السموات والأرض] غير السموات والأرض .(٢) ويدلّ على ذلك قوله : « وهو الذى خلق السموات والأرض بالحق » ، ثم ابتدأ الخبر عن القول فقال : « قوله الحق » ، بمعنى وعدُه هذا الذى وَعدَ تعالى ذكره ، من تبديله السموات والأرض غير الأرض والسموات، الحقُّ الذى لا شك فيه = « وله الملك يوم ينفخ فى الصور » فيكون قوله : « يوم ينفخ فى الصور » ، من صلة « الملك » = ويكون معنى

---

(١) فى المطبوعة : « فتكون الأرض غير الأرض عند قوله : كن فيكون ، متناهياً » ، وهى كلام سقيم ، أسقط من المخطوطة : « ويكون » ، هى ثابتة فيها ، ولكن أسقط الناسخ ما وضعته بين القوسين ، وبذلك استقامت العبارة . وهذا بين من السياق .

(٢) ما بين القوسين زيادة لا بد منها ، وفى المخطوطة : «تبدله » مكان « تبدل » والصواب ما فى المطبوعة . والناسخ فى هذا الموضع قد أسقط الكلام وأفسده .

الكلام : ولله الملك يومئذ ، لأن النفخة الثانية فى الصور حال تبديل الله السموات والأرض غيرهما .

وجائز أن يكون «القول» أعنى : « قوله الحق » ، = مرفوعاً بقوله : « ويوم يقول كن فيكون » ، ويكون قوله : « كن فيكون » محلاً للقول مرافعاً ، فيكون تأويل الكلام : وهو الذى خلق السموات والأرض بالحق ، ويوم يبدلها غير السموات والأرض ، فيقول لذلك : « كن فيكون » ، « قوله الحق » .

* * *

وأما قوله : « وله الملك يوم ينفخ فى الصور » ، فإنه خُصّ بالخبر عن ملكه يومئذ ، وإن كان الملك له خالصاً فى كل وقت فى الدنيا والآخرة ، لأنه عنى تعالى ذكره أنه لا منازع له فيه يومئذ ولا مدّعى له ، وأنه المنفرد به دون كل من كان ينازعه فيه فى الدنيا من الجبابرة ، فأذعن جميعهم يومئذ له به ، وعلموا أنهم كانوا من دعواهم فى الدنيا فى باطل .

* * *

واختلف فى معنى « الصور » فى هذا الموضع .

فقال بعضهم : هو قرن ينفخ فيه نفختان : إحداهما لفناء من كان حيًّا على الأرض، والثانية لنشر كل ميّت . واعتلوا لقولهم ذلك بقوله : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ [سورة الزمر : ٦٨] ، وبالخبر الذى روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذ سئل عن الصور : هو قرن يُنفخ فيه . (١)

* * *

(١) رواه أحمد فى مسند عبدالله بن عمرو رقم : ٦٥٠٧ ، وانظر تعليق أخى السيد أحمد عليه . ورواه أبو داود فى سننه ٤ : ٣٢٦ ، رقم : ٣٢٦ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، والترمذى فى باب « ما جاء فى الصور » ، وقال : « هذا حديث حسن صحيح » . ورواه الحاكم فى المستدرك ٤ : ٥٦٠ ، وقال : « حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى . و « القرن » ، البوق يتخذ من القرون ، ينفخ فيه .

وقال آخرون : « الصور » فى هذا الموضع جمع « صورة » ، ينفخ فيها روحها فتحيى ، كقولهم : [1] « سور » لسور المدينة ، وهو جمع « سورة » ، كما قال جرير :

* سُورُ الْمَدِينَةِ وَالْجِبَالُ الْخُشَّعُ * [2]

* * *

والعرب تقول : « نفخ فى الصور » و « نفخ الصور » ، ومن قولهم : « نفخ الصور » ، [3] قول الشاعر : [4]

لَوْلَا ابْنُ جَعْدَةَ لَمْ تُفْتَحْ قُهُنْدُزُكُمْ وَلَا خُرَاسَانَ حَتَّى يُنْفَخَ الصُّورُ [5]

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا ، ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « إن إسرافيل قد التقم الصور وحنى جبهته ، ينتظر متى يؤمر فينفخ » ، [6] وأنه قال : « الصور قرن ينفخ فيه » . [7]

* * *

وذكر عن ابن عباس أنه كان يقول فى قوله : « يوم ينفخ فى الصور عالم الغيب والشهادة » ، يعنى : أن عالم الغيب والشهادة ، هو الذى ينفخ فى الصور .

١٣٤٣٢ — حدثنى به المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنا معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس فى قوله : « عالم الغيب والشهادة » ،

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « لقولهم » ، والصواب بالكاف كما أثبته .

(٢) مضى تخريجه وتمامه فيما سلف ٢ : ١٧ ، ٢٤٢ .

(٣) انظر تفسير « نفخ » فيما سلف ٦ : ٤٢٦ ، ٤٢٧ .

(٤) لم أعرف قائله .

(٥) معانى القرآن للفراء ١ : ٣٤٠ ، نسب قريش : ٣٤٥ ، المعرب للجواليقى : ٢٦٧ اللسان (صور) . و « ابن جعدة » ، هو : « عبد الله بن جعدة بن هبيرة المخزومى » ، وكان أبوه « جعدة بن هبيرة » على خراسان ، ولاه على بن أبى طالب . و « القهندز » (بضم القاف والهاء وسكون النون ، وضم الدال) . من لغة أهل خراسان ، يعنون بها : الحصن أو القلعة .

(٦) رواه الترمذى فى باب « ما جاء فى الصور » ، وفى أول تفسير سورة الزمر وذكره ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٣٣٧ ، ثم قال : « رواه مسلم فى صحيحه » ، ولم أستطع أن أعرف مكانه فى صحيح مسلم .

(٧) انظر التعليق السالف ص : ٤٦٢ ، تعليق : ١

يعنى : أنّ عالم الغيب والشهادة هو الذى ينفخ فى الصور .

* * *

= فكأن ابن عباس تأوّل فى ذلك أن قوله : «عالم الغيب والشهادة » ، اسم الفاعل الذى لم يسمّ فى قوله : « يوم ينفخ فى الصور » ، وأن معنى الكلام : يوم ينفخ الله فى الصور ، عالم الغيب الشهادة . كما تقول العرب : « أُكلَ طعامك، عبدُ الله » ، فتظهر اسم الآكل بعد أن قد جرى الخبر بما لم يسم آكله . وذلك وإن كان وجهاً غير مدفوع ، فإن أحسن من ذلك أن يكون قوله : « عالم الغيب والشهادة » ، مرفوعاً على أنه نعت لـ « الذى » ، فى قوله : « وهو الذى خلق السموات والأرض بالحق » . ١٥٨/٧

* * *

وروى عنه أيضاً أنه كان يقول : «الصور » فى هذا الموضع ، النفخة الأولى .

١٣٤٣٣ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « يوم ينفخ فى الصور عالم الغيب والشهادة » ، يعنى بالصور : النفخة الأولى ، ألم تسمع أنه يقول : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى ﴾ يعنى الثانية ﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ [سورة الزمر : ٦٨] .

* * *

ويعنى بقوله : « عالم الغيب والشهادة » ، عالم ما تعاينون : أيها الناس ، فتشاهدونه ،[1] وما يغيب عن حواسكم وأبصاركم فلا تحسونه ولا تبصرونه[2] = « وهو الحكيم » ، فى تدبيره وتصريفه خلقه من حال الوجود إلى العدم، ثم من حال العدم والفناء إلى الوجود ، ثم فى مجازاتهم بما يجازيهم به من ثواب أو عقاب[3] =

(١) انظر تفسير « الشهادة » فيما سلف من فهارس اللغة (شهد) .
(٢) انظر تفسير « الغيب » فيما سلف ص : ٤٠٢ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « الحكيم » فيما سلف من فهارس اللغة (حكم) .

« الخبير » ، بكل ما يعملونه ويكسبونه من حسن وسيئ ، حافظ ذلك عليهم ليجازيهم على كل ذلك .[١] يقول تعالى ذكره : فاحذروا، أيها العادلون بربكم، عقابَه ، فإنه عليم بكل ما تأتون وتذرون، وهو لكم من وراء الجزاء على ما تعملون .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر ، يا محمد = لحجاجك الذى تحاجّ به قومك ، وخصومتك إياهم فى آلهتهم ، وما تراجعهم فيها ، مما نلقيه إليك ونعلمكه من البرهان والدلالة على باطل ما عليه قومك مقيمون ، وصحة ما أنت عليه مقيم من الدين ، وحقيقة ما أنت به عليهم محتج[٢] =[٣] حِجاجَ إبراهيم خليلى قومَه، ومراجعته إياهم فى باطل ما كانوا عليه مقيمين من عبادة الأوثان ، وانقطاعه إلى الله والرضى به وليًّا وناصراً دون الأصنام،[٤] فاتخذه إماماً واقتد به ، واجعل سيرته فى قومه لنفسك مثالاً = إذ قال لأبيه مفارقاً لدينه ، وعائباً عبادته الأصنام دون بارئه وخالقه : يا آزر .[٥]

* * *

(١) انظر تفسير « الخبير » فيما سلف من فهارس اللغة (خبر) .

(٢) فى المطبوعة : « وحقية ما أنت عليهم محتج » ، وفى المخطوطة : « وحقيقة أنعم عليهم محتج » . فعل ناشر المطبوعة فى « حقيقة » ما فعل فى أشباهها ، كما سلف ص : ٤٣٤ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

وأما ما كان فى المخطوطة : « ما أنعم عليهم محتج » ، فالصواب فيما أرجح أن الناسخ جمع الكلمتين فى كلام واحد ، فكتب «ما أنت به » ، « ما أنعم » .

(٣) السياق : « واذكر ، يا محمد ، . . . حجاج إبراهيم » .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « واليا وناصراً » ، والصواب ما أثبت .

(٥) السياق : « واذكر يا محمد ، . . . حجاج إبراهيم . . . إذ قال لأبيه . . . يا آزر »

ثم اختلف أهل العلم فى المعنىّ بـ« آزر »، وما هو، اسم هو أم صفة ؟[1] وإن كان اسماً ، فمن المسمى ه ؟

فقال بعضهم : هو اسم أبيه .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٤٣٤ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر»، قال : اسم أبيه « آزر » .

١٣٤٣٥ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة بن الفضل قال ، حدثنى محمد بن إسحق قال : « آزر » ، أبو إبراهيم . وكان ، فيما ذكر لنا والله أعلم ، رجلاً من أهل كُوثَى ، من قرية بالسواد . سواد الكوفة .

١٣٤٣٦ – حدثنى ابن البرقى قال، حدثنا عمرو بن أبى سلمة قال : سمعت سعيد بن عبد العزيز يذكر قال : هو « آزر » ، وهو « تارح » ، مثل « إسرائيل » و « يعقوب » .

* * *

وقال آخرون : إنه ليس أبا إبراهيم .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٤٣٧ – حدثنا محمد بن حميد وسفيان بن وكيع قالا، حدثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد قال : ليس « آزر» ، أبا إبراهيم .

١٣٤٣٨ – حدثنى الحارث قال ، حدثنى عبد العزيز قال، حدثنا الثورى قال ، أخبرنى رجل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر » ، قال : « آزر » لم يكن بأبيه ، إنما هو صنم .

١٣٤٣٩ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يحيى بن يمان، عن سفيان ،

---

(١) فى المطبوعة : « اسم أم صفة » ، حذف « هو » !

عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : « آزر » اسم ، صنم .

١٣٤٤٠ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : « وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر » ، قال : اسم أبيه ، ويقال : لا ، بل اسمه « تارح » ، واسم الصنم « آزر » . يقول : أتتخذ آزرَ أصناماً آلهة .(١) ١٥٩/٧

* * *

وقال آخرون : هو سبٌّ وعيب بكلامهم ، ومعناه : معوَجٌّ . كأنه تأوّل أنه عابه بزَيْغه واعوجاجه عن الحق .(٢)

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة الأمصار : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ ﴾ بفتح « آزر » على اتباعه « الأب » فى الخفض ، ولكنه لما كان اسماً أعجمياً فتحوه ، إذ لم يجروه ، وإن كان فى موضع خفض .

* * *

وذكر عن أبى يزيد المدينى والحسن البصرى أنهما كانا يقرآن ذلك : ﴿ آزَرُ ﴾ بالرفع على النداء ، بمعنى : يا آزر .

* * *

فأما الذى ذكر عن السدىّ من حكايته أن « آزر » اسم صنم ، وإنما نصبه بمعنى : أتتخذ آزر أصناماً آلهة = فقولٌ من الصواب من جهة العربية بعيدٌ . وذلك أن العرب لا تنصب اسماً بفعلٍ بعد حرف الاستفهام ، لا تقول : « أخاك أكلمت » ؟ وهى تريد : أكلمت أخاك ؟

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك عندى ، قراءةُ من قرأ بفتح

---

(١) فى المخطوطة : « أتتخذ أصناماً آلهة » ، ليس فيها « آزر » ، وما فى المطبوعة قريب من الصواب إن شاء الله ، لما سيأتى فى نقد أبى جعفر مقالة السدى بعد قليل .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٤٠ .

« الراء » من ﴿ آزَرَ ﴾، على إتباعه إعراب « الأب »، وأنه فى موضع خفض ففتح ، إذا لم يكن جارياً ، لأنه اسم عجمى . وإنما اخترتُ قراءة ذلك كذلك ،[1] لإجماع الحجة من القرأة عليه .

وإذْ كان ذلك هو الصواب من القراءة ، وكان غير جائز أن يكون منصوباً بالفعل الذى بعد حرف الاستفهام ، صحَّ لك فتحه من أحد وجهين :

إما أن يكون اسماً لأبى إبراهيم صلوات الله عليه وعلى جميع أنبيائه ورسله ، فيكون فى موضع خفض ردًّا على « الأب » ، ولكنه فتح لما ذكرت من أنه لمّا كان اسماً أعجميًّا ترك إجراؤه ففتح ، كما تفعل العرب فى أسماء العجم .[2]

= أو يكون نعتاً له ، فيكون أيضاً خفضاً بمعنى تكرير اللام عليه ،[3] ولكنه لما خرج مخرج « أحمر » و « أسود » ترك إجراؤه ، وفعل به كما يفعل بأشكاله . فيكون تأويل الكلام حينئذ : وإذ قال إبراهيم لأبيه الزائغ : أتتخذ أصناماً آلهة .[4]

وإذ لم يكن له وِجهة فى الصواب إلاّ أحد هذين الوجهين ، فأولى القولين بالصواب منهما عندى قولُ من قال : « هو اسم أبيه » ، لأن الله تعالى ذكره أخبر أنه أبوه ، وهو القول المحفوظ من قول أهل العلم ، دون القول الآخر الذى زعم قائلُه أنه نعتٌ .

* * *

فإن قال قائل : فإن أهل الأنساب إنما ينسبون إبراهيم إلى « تارح » ، فكيف يكون « آزر » اسماً له ، والمعروف به من الاسم « تارح » ؟

---

(١) فى المطبوعة : « وإنما أجيزت قراءة ذلك »، وهو كلام فاسد ، والصواب ما أثبت ، وهو فى المخطوطة غير منقوط بتمامه .

(٢) فى المطبوعة : « كما فتح العرب » ، والصواب من المخطوطة .

(٣) فى المخطوطة : « تكرير الأمر عليه » ، والصواب ما فى المطبوعة .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة » ، وهو نص الآية ، لا تأويل لها على النعت . وأما تأويل النعت الذى ذكره آنفاً فى أن « آزر » سب وعيب فى كلامهم ومعناه « معوج » ، لزيغه واعوجاجه عن الحق = فهو الذى أثبت ، وهو الصواب إن شاء الله .

قيل له : غير محال أن يكون كان له اسمان ، كما لكثير من الناس فى دهرنا هذا ، وكان ذلك فيما مضى لكثير منهم . وجائز أن يكون لقباً يلقّب به .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (٧٤)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قيل إبراهيم لأبيه آزر أنه قال : « أتتخذ أصناماً آلهة » ، تعبدها وتتخذها ربًّا دون الله الذى خلقك فسوّاك ورزقك ؟

* * *

و « الأصنام » جمع « صنم » ، و « الصنم » التمثال من حجر أو خشب أو من غير ذلك فى صورة إنسان ، وهو « الوثن » . وقد يقال للصورة المصوّرة على صورة الإنسان فى الحائط وغيره : « صنم » و « وثن » .

* * *

= « إنى أراك وقومَك فى ضلال مبين » ، يقول : « إنى أراك » ، يا آزر ، « وقومَك » الذين يعبدون معك الأصنام ويتخذونها آلهة = « فى ضلال » ، يقول : فى زوال عن محجّة الحق ، وعدول عن سبيل الصواب = « مبين » ، يقول : يتبين لمن أبصَره أنه جورٌ عن قصد السبيل ، وزوالٌ عن محجة الطريق القويم . يعنى بذلك أنه قد ضلّ هو وهم عن توحيد الله وعبادته ، الذى استوجب عليهم إخلاص العبادة له بآلائه عندهم ، دون غيره من الآلهة والأوثان .(٢)

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « وجائز أن يكون لقباً والله تعالى أعلم » ، حذف « يلقب به » ، وهو فهو ثابت فى المخطوطة ، وزاد ما ليس فى المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « الضلال » و « مبين » فيما سلف من فهارس اللغة (ضلل) (بين) .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ (٧٥)

١٦٠/٧

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وكذلك » ، وكما أريناه البصيرة فى دينه ، والحقّ فى خلافه ما كانوا عليه من الضلال ، [١] نريه ملكوت السموات والأرض = يعنى ملكه . [٢]

* * *

وزيدت فيه « التاء » كما زيدت فى « الجبروت » من « الجبر » [٣] ، وكما قيل : « رَهَبوتٌ خيرٌ من رَحَمُوت » ، بمعنى : رهبة خير من رحمة . [٤] وحكى عن العرب سماعاً : « له مَلَكوت اليمنِ والعراق » ، بمعنى : له ملك ذلك .

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض » .

فقال بعضهم : معنى ذلك : نريه خلقَ السموات والأرض .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٤٤١ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنا معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض » ، أى : خلق السموات والأرض .

١٣٤٤٢ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ،

---

(١) فى المطبوعة : « فى خلاف ما كانوا عليه من الضلال » . وفى المخطوطة : « فى خلافه بما كانوا عليه من الضلال » ، وبينهما بياض ، وفى الهامش حرف (ط) دلالة على الخطأ ، وظنى أن الناسخ أشكل عليه الكلام فترك البياض ، والكلام موصول صحيح المعنى .

(٢) فى المخطوطة : « يعنى ملكوت وزيدت فيه » بينهما بياض أيضاً ، والذى فى المطبوعة صحيح المعنى .

(٣) فى المخطوطة : « من الجبروة » ، والصواب ما فى المطبوعة .

(٤) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٩٧ ، ١٩٨ .

عن قتادة : « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض » ، أى : خلق السموات والأرض = « وليكون من الموقنين » .

١٣٤٤٣ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض» ، يعنى بـ « ملكوت السموات والأرض» ، خلق السموات والأرض.

* * *

وقال آخرون : معنى « الملكوت » الملك ، بنحو التأويل الذى تأوّلناه .(١)

* ذكر من قال ذلك :

١٣٤٤٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا عمر بن أبى زائدة قال : سمعت عكرمة ، وسأله رجل عن قوله : « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض » ، قال : هو الملك ، غير أنه بكلام النبط : « ملكوتَا » .(٢)

١٣٤٤٥ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن ابن أبى زائدة، عن عكرمة قال : هى بالنبطية : « ملكوتَا » .(٢)

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : آيات السموات والأرض .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٤٤٦ – حدثنا هناد بن السرى قال، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد : « نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض»، قال: آيات السموات والأرض .

---

(١) فى المخطوطة : « وبنحو الذى تأولناه » ، وفى الهامش « التأويل » ، وعليها علامة « صح » ، وفى الجهة الأخرى من السطر (كذا) بالحمرة ، والذى فى المطبوعة أشبه بالصواب ، إلا أنه كتب « الذى أولناه » ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٣٤٤٤ ، ١٣٤٤٥ – « عمر بن أبى زائدة الهمدانى الوادعى » ، وهو « ابن أبى زائدة » فى الإسناد الثانى ، هو أخو « زكريا بن أبى زائدة » ، وهو الأكبر . و « زكريا » أخوه أعلى منه بكثير . وهو ثقة، ولكنه كان يرى القدر ، وهو فى الحديث مستقيم . مترجم فى التهذيب .

١٣٤٤٧ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تعالى ذكره : « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض » ، قال : آيات .

١٣٤٤٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض » ، قال : تفرجت لإبراهيم السموات السبعُ حتى العرش ، فنظر فيهنّ ، وتفرّجت له الأرضون السبع ، فنظر فيهنّ .

١٣٤٤٩ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين » ، قال : أقيم على صخرة وفتحت له السموات ، فنظر إلى ملك الله فيها ، حتى نظر إلى مكانه في الجنة . وفتحت له الأرضون حتى نظَر إلى أسفل الأرض ، فذلك قوله ﴿ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا ﴾ [سورة العنكبوت : ٢٧] ، يقول : آتيناه مكانه في الجنّة ، ويقال : « أجره » ، الثناء الحسن .

١٣٤٥٠ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد قوله : « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض» ، قال: فرجت له السموات فنظر إلى ما فيهنّ ، حتى انتهى بصره إلى العرش ، وفرجت له الأرضون السبع فنظر ما فيهنّ .

١٣٤٥١ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن عنبسة، عن سالم ، عن سعيد بن جبير : « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض » ، قال : كشف له عن أديم السموات والأرض ، حتى نظر إليهن على صخرة، والصخرةُ ، على حوت ، والحوت على خاتم ربّ العزّة لا إله إلاّ الله.(١) ١٦١/٧

١٣٤٥٢ – حدثنا هناد وابن وكيع قالا ، حدثنا أبو معاوية، عن عاصم ،

(١) قد مضى قولنا في هذا الضرب من الأخبار التي لا حجة فيها من الصادق صلى الله عليه وسلم .

عن أبي عثمان ، عن سلمان قال : لما رأى إبراهيم ملكوت السموات والأرض ، رأى عبداً على فاحشة ، فدعا عليه ، فهلك . ثم رأى آخر على فاحشة ، فدعا عليه ، فهلك . ثم رأى آخر على فاحشة ، فدعا عليه ، فهلك . فقال : أنزلوا عبدِي لا يُهْلِك عبادِي!

١٣٤٥٣ – حدثنا هناد قال ، حدثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن طلحة ابن عمرو ، عن عطاء قال : لما رفع الله إبراهيم فى الملكوت فى السموات ، أشرفَ فرأى عبداً يزنى ، فدعا عليه ، فهلك . ثم رُفع فأشرف ، فرأى عبداً يزنى ، فدعا عليه ، فهلك . ثم رفع فأشرف ، فرأى عبداً يزنى ، فدعا عليه ، فنودى : على رِسْلِك يا إبراهيم ، فإنك عبد مستجابٌ لك ، وإنى من عبدى على ثلاث : إما أن يتوب إلىّ فأتوب عليه ، وإما أن أخرج منه ذرية طيبة ، وإما أن يتمادى فيما هو فيه ، فأنا من ورائه .

١٣٤٥٤ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا ابن أبى عدى ومحمد بن جعفر وعبد الوهاب ، عن عوف ، عن أسامة : أن إبراهيم خليل الرّحمن حدّث نفسه أنه أرحمُ الخلق ، وإن الله رفعه حتى أشرفَ على أهل الأرض ، فأبصر أعمالهم . فلما رآهم يعملون بالمعاصى قال : اللهم دمِّر عليهم ! فقال له ربه : أنا أرحم بعبادى منك ، اهبطْ ، فلعلهم أن يتوبوا إلىّ ويُراجِعوا .(١)

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك ، ما أخبر تعالى أنه أراه من النُّجوم والقمر والشمس .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٤٥٥ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن جويبر ، عن الضحاك : « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض » ، قال : الشمس والقمر والنجوم .

---

(١) فى المطبوعة : « ويرجعوا » ، والصواب الجيد من المخطوطة .

١٣٤٥٦ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد : « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض » ، قال : الشمس والقمر .

١٣٤٥٧ – حدثنا المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض » ، يعني به : الشمس والقمر والنجوم .[1]

١٣٤٥٨ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قال : خُبِّئ إبراهيم صلى الله عليه وسلم من جبار من الجبابرة، فجُعِل له رزقه في أصابعه ، فإذا مصّ إصبعاً من أصابعه وَجَد فيها رزقاً . فلما خرج ، أراه الله ملكوت السموات والأرض . فكان ملكوت السموات : الشمس والقمر والنجوم ، وملكوت الأرض : الجبال والشجر والبحار .

١٣٤٥٩ – حدثنا بشر بن معاذ ، قال ، حدثنا يزيد قال ،[2] حدثنا سعيد ، عن قتادة : ذكر لنا أن نبيّ الله إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، فُرَّ به من جبّار مُتْرَف،[3] فجعل في سَرَب،[4] وجعل رزقه في أطرافه، فجعل لا يمصُّ إصبعاً من أصابعه إلا وجد فيها رزقاً. فلما خرج من ذلك السَّرَب ، أراه الله ملكوت السموات ، فأراه شمساً وقمراً ونجوماً وسحاباً وخلقاً عظيماً ، وأراه ملكوت الأرض ، فأراه جبالاً وبحوراً وأنهاراً وشجراً ومن كلّ الدواب وخلقاً عظيماً .

* * *

---

(١) في المطبوعة : « يعني به : نريه الشمس » ، وزاد « نريه » ، وليست في المخطوطة .

(٢) في المطبوعة ، سقط « قال حدثنا يزيد » .

(٣) في المخطوطة : « قرنه جبار مترف » ، وأما ما في المطبوعة ، فهو نص ما في الدر المنثور ٣ : ٢٥ .

(٤) « السرب » (بفتحتين) : حفير في الأرض ، كالسرداب .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى تأويل ذلك بالصواب ، قولُ من قال : عنى الله تعالى ذكره بقوله : « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض » ، أنه أراه ملك السموات والأرض ، وذلك ما خلق فيهما من الشمس والقمر والنجوم والشجر والدواب وغير ذلك من عظيم سلطانه فيهما ، وجلىّ له بواطنَ الأمور وظواهرَها ، لما ذكرنا قبل من معنى « الملكوت » ، فى كلام العرب ، فيما مضى قبل .(١)

* * *

وأما قوله : « وليكون من الموقنين » ، فإنه يعنى أنه أراه ملكوت السموات والأرض ، ليكون ممن يقرّ بتوحيد الله ،(٢) ويعلم حقيقة ما هداه له وبصّره إياه ،(٣) من معرفة وحدانيته ، وما عليه قومه من الضلالة ، من عبادتهم الأصنام ، واتخاذهم إياها آلهة دون الله تعالى .(٤) ٨ /١٦٢

* * *

وكان ابن عباس يقول فى تأويل ذلك ، ما :—

١٣٤٦٠ — حدثنى به محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وليكون من الموقنين » ، أنه جلّى له الأمر سرّه وعلانيتَه ، فلم يخف عليه شىء من أعمال الخلائق . فلما جعل يلعن أصحاب الذنوب ، قال الله : إنك لا تستطيع هذا ! فردّه الله كما كان قبل ذلك .

* * *

فتأويل ذلك على هذا التأويل : أريناه ملكوت السموات والأرض ليكون ممن يوقن علم كل شىء حسًّا لا خبرًا .

---

(١) انظر ما سلف ص : ٤٧٠ وما بعدها

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « ممن يتوحد بتوحيد الله » ، وهو كلام لا معنى له ، صوابه ما أثبت . وإنما هو خطأ من عجلة الناسخ ، واستظهرته من معنى « يوقن » فيما سلف ١٠ : ٣٩٤ .

(٣) فى المطبوعة : « ويعلم حقية ما هداه له » ، فعل بها ما فعل بصواحباتها ، كما سلف قريباً : ص : ٤٦٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « أيقن » فيما سلف ١٠ : ٣٩٤ ، ٣٩٥ .

١٣٤٦١ – حدثني العباس بن الوليد قال، أخبرني أبي قال، حدثنا ابن جابر قال، وحدثنا الأوزاعيُّ أيضاً = قال : حدثني خالد بن اللجلاج قال: سمعت عبد الرحمن بن عائش الحضرميّ يقول : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداةٍ، فقال له قائل : ما رأيتُك أسفرَ وجْهاً منك الغداة! [١] قال : ومالي، وقد تبدّى لي ربّي في أحسن صورة، [٢] فقال: فيم يختصم الملأ الأعلى، [٣] يا محمد ؟ قلت أنت أعلم [يارب] ! [٤] فوضع يده بين كتفي فوجدت بردَها بين ثديَيّ، [٥] فعلمت ما في السموات والأرض. [٦] ثم تلا هذه الآية: « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين » . [٧]

* * *

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « ما رأيت أسعد منك اليوم » ، وهو خطأ ، صوابه من منتخب ذيل المذيل لأبي جعفر الطبري ، تاريخه ١٣ : ٥٩ ، حيث روى الخبر بتمامه هناك .
وقوله : « أسفر وجهاً منك الغداة » ، يعني : أحسن إشراقاً وإضاءة ، يقال : « سفر وجهه حسنا ، وأسفر » ، إذا أشرق وأضاء ، ومنه في التنزيل العزيز : « وجوه يومئذ مسفرة » .

(٢) في المطبوعة : « مالي قد أتاني ربي » ، وفي المخطوطة : « ومالي وقد ساني ربي » غير منقوطة ، محرفة ، صوابها من ذيل المذيل لأبي جعفر .

(٣) في المطبوعة : « ففيم يختصم » لم يحسن قراءة المخطوطة ، وهو الموافق لما في ذيل المذيل .

(٤) زيادة ما بين القوسين من رواية أبي جعفر في ذيل المذيل .

(٥) قوله : « فوجدت بردها بين ثديي » ؛ أسقطه ناشر المطبوعة ، لأنه كان في المخطوطة هكذا : « فوضع يده بين كتفي ، ثدي » ، أسقط الناسخ ما بين الكلامين ، والصواب زيادته من رواية أبي جعفر في ذيل المذيل .

(٦) في ذيل المذيل : « ما في السماء والأرض » .

(٧) الأثر : ١٣٤٦١ – هذا خبر مشكل جداً ، كما سترى بعد ، وكان في المخطوطة والمطبوعة محرفاً أشد التحريف ، وكان إسناده أشد تحريفاً ، ولكني صححته بعون الله تعالى ذكره ، من رواية أبي جعفر في ذيل المذيل (تاريخ الطبري ١٣ : ٥٩ ، ٦٠) .
« العباس بن الوليد بن مزيد العذري الآملي البيروتي » ، شيخ الطبري ، ثقة ، روى عنه كثيراً ، مضى برقم : ٨٩١ ، ١١٠١٤ ، ١١٨٢١ .
وأبوه : « الوليد بن مزيد العذري البيروتي » ، ثقة ؛ مضى برقم : ١١٨٢١ . قال الأوزاعي شيخه : « كتبه صحيحة » ، وقال النسائي : « هو أحب إلينا في الأوزاعي من الوليد بن مسلم ، لا يخطيء ، ولا يدلس » .
و « ابن جابر » هو : « عبد الرحمن بن يزيد بن جابر الأزدي ، ثقة ، روى له الجماعة ، روى عنه الأوزاعي ، والوليد بن مزيد البيروتي ، وغيرهما . ومضى برقم : ٦٦٥٥ . وكان في المطبوعة

. . . . . .

والمخطوطة : « أبو جابر » ، وهو خطأ ، صوابه من ذيل المذيل وغيره .

و « خالد بن اللجلاج العامرى » ، كان ذا سن وصلاح ، جرىء اللسان على الملوك ، فى الغلظة عليهم . قال البخارى : « سمع عمر بن الخطاب ، وأباه » . وقال ابن أبى حاتم : « روى عن عمر ، مرسل ، وعن أبيه ، ولأبيه صحبة ، وعن عبد الرحمن بن عائش الحضرمى » وذكره ابن حبان فى ثقات التابعين . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/١/١٥٦ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٣٤٩ . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « خالد الحلاج » ، وهو خطأ صرف .

وأما « عبد الرحمن بن عائش الحضرمى » ، فأمره وأمر صحبته مشكل من قديم ، وسيأتى ذكر ذلك . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « عبد الرحمن بن عياش » ، وحذف ناشر المطبوعة « الحضرمى » ، وهى ثابتة فى المخطوطة . والصواب من رواية أبى جعفر فى ذيل المذيل . ولكن أعجب العجب أنه جاء كذلك فى المسند ٥ : ٢٤٣ : « عبد الرحمن بن عياش الحضرمى » ، مع أنى لم أجد أحداً ذكر فى ترجمته خلافاً فى اسم أبيه « عائش » ، فمن عجيب الاتفاق ، وهو قليل مثله ، أن يأتى كذلك فى مخطوطة الطبرى والمسند جميعاً ، وهو اتفاق عجيب على الخطأ فى كتابين متباينين . والذى فى المسند خطأ لاشك فيه أيضاً ، لأنى وجدت ابن كثير فى تفسيره ٧ : ٢٢٠ ، ونقل الخبر عن هذا الموضع من مسند أحمد ، وفيه « عبد الرحمن بن عائش » على الصواب . وتحريف « عائش » إلى « عياش » جائز قريب ، لشهرة « عياش » وكثرة من تسمى به ، ولخفاء « عائش » وندرة من تسمى به .

و « عبد الرحمن بن عائش الحضرمى » مترجم فى التهذيب ، وفى ابن سعد ٧/٢/١٥٠ ، فى الصحابة ، وفى ذيل المذيل للطبرى (١٣ : ٥٩ ، ٦٠) ، وفى الاستيعاب لابن عبد البر : ٣٩٩ ، وابن أبى حاتم ٢/٢/٢٦٢ ، وأسد الغابة ٣ : ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، وفى الإصابة ، وفى ميزان الاعتدال ٢ : ١٠٨ .

و « عبد الرحمن بن عائش» مختلف فى صحبته ، فمن صرح بصحبته ، ابن سعد ، وابن جرير فى ذيل المذيل ، وابن حبان.أما ابن عبد البر فى الاستيعاب ، وابن الأثير فى أسد الغابة ، فذكر أنه لا تصح صحبته ، لأن حديثه مضطرب . وأما أبو حاتم فقال : « أخطأ من قال : له صحبة ، هو عندى تابعى » . أما أبو زرعة فقال : « عبد الرحمن بن عائش ، ليس بمعروف » . وعد الحافظ ابن حجر فى الإصابة من عده فى الصحابة فقال : « وذكره فى الصحابة : محمد بن سعد ، والبخارى ، وأبو زرعة الدمشقى ، وأبو الحسن بن سميع ، وأبو القاسم ، والبغوى ، وأبو زرعة الحرانى ، وغيرهم » . وقد استوفى الكلام فى ترجمته فى الإصابة .

وقال البخارى : « له حديث واحد ، إلا أنهم مضطربون فيه » ، يعنى هذا الحديث . قال الحافظ ابن حجر فى الإصابة : « قلت : وقد وجدت له حديثاً آخر مرفوعاً ، وحديثاً آخر موقوفاً » .

وهذا الخبر رواه أبو جعفر فى ذيل المذيل (تاريخه ١٣ : ٥٩ ، ٦٠) بهذا الإسناد ، وأشار إليه الترمذى فى تفسير « سورة ص » من سننه (١٢ : ١١٦ ، ١١٧ شرح ابن عربى) ، بعد أن ذكر حديث معاذ بن جبل ، من طريق زيد بن سلام ، عن أبى سلام ، عن عبد الرحمن بن عائش الحضرمى أنه حدثه عن مالك بن يحامر السكسكى ، عن معاذ بن جبل ، وذكر الحديث = «قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، سألت محمد بن إسماعيل (البخارى) عن هذا الحديث

القول فى تأويل قوله ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴾ (٧٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فلما واراه الليل وغيّبه .(١)

* * *

يقال منه : « جنّ عليه الليل » و « جنّه الليل » و « أجنه » ، و« أجنّ عليه» . وإذا ألقيت « على » ، كان الكلام بالألف أفصح منه بغير « الألف » ، « أجنه الليل » ، أفصح من « أجن عليه » و «جنّ عليه الليل » ، أفصح من « جنّه » ، وكل ذلك مقبول مسموع من العرب .(٢) « جنّه الليل » ، فى أسد = « وأجنه

فقال : هذا أصح من حديث الوليد بن مسلم ، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال ، حدثنا خالد بن اللجلاج ، حدثنى عبد الرحمن بن عائش الحضرمى ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر الحديث ، وهذا غير محفوظ ، هكذا ذكر الوليد فى حديثه عن عبد الرحمن بن عائش قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى بشر بن بكر ، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر هذا الحديث بهذا الإسناد ، عن عبد الرحمن بن عائش ، عن النبى صلى الله عليه وسلم = وهذا أصح ، وعبد الرحمن بن عائش لم يسمع من النبى صلى الله عليه وسلم » .

وقد استوفى الحافظ ابن حجر فى الإصابة ، فى ترجمة « عبد الرحمن بن عائش » وجوه الاختلاف والاضطراب فى هذا الخبر ، وما قالوه فى الكتب التى ذكرتها من أنه لم يقل فى حديثه : « سمعت النبى صلى الله عليه وسلم » ، إلا الوليد بن مسلم ، وقد ذكر أن الوليد بن مسلم لم ينفرد برواية ذلك ، بل رواه أيضاً ثقة ثبت عن الأوزاعى ، صحيح الحديث عنه ، هو « الوليد بن مزيد البيروتى » بمثل رواية « الوليد بن مسلم » ، وإذن فالاضطراب فيه لم يأت من طريق « الوليد بن مسلم » . وذكر الحافظ سائر المتابعات التى تؤيد الوليد بن مسلم فى روايته .

وأما الخبر بغير هذا الإسناد ، فقد رواه أحمد فى مسنده ٥ : ٢٤٣ ، والترمذى ، كما أشرت إليه آنفاً . ثم رواه أحمد من حديث ابن عباس فى مسنده رقم : ٣٤٨٤ ، بمثله . وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٥ : ٣١٩ — ٣٢١ من حديث جماعة من الصحابة ، من حديث ابن عباس ، ومعاذ ابن جبل ، وأبى هريرة ، وأنس بن مالك ، وأبى أمامة الباهلى ، وطارق بن شهاب ، وعدى بن حاتم ، وأبى عبيدة بن الجراح ، وثوبان .

وهذا قدر كاف فى تخريج هذا الخبر المضطرب ، تراجع فيه سائر الكتب التى ذكرتها .

وكتبه محمود محمد شاكر

(١) فى المطبوعة : « داراه الليل وجنه » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) هذا بيان لا تصيبه فى كتب اللغة ، فقيده هناك ، وانظر معانى القرآن للفراء ١ . ٣٤١ .

وجنه » فى تميم .[١] والمصدر من : « جن عليه » ، « جنًّا وجُنُوناً وجَنَاناً » ، = ومن « أجنّ » « إجناناً » . ويقال : «أتى فلان فى جِنّ الليل».[٢] و« الجن» من ذلك لأنهم استجنُّوا عن أعين بنى آدم فلا يرون . وكل ما توارى عن أبصار الناس ، فإن العرب تقول فيه : « قد جَنّ » ، ومنه قول الهذلى :[٣]

وَمَاءٍ وَرَدْتُ قُبَيْلَ الكَرَى وَقَدْ جَنَّهُ السَّدَفُ الأَدْهَمُ[٤]

وقال عبيد :

وَخَرْقٍ تَصِيحُ البُومُ فِيهِ مَعَ الصَّدَى مَخُوفٍ إِذَا مَاجَنَّهُ اللَّيْلُ مَرْهُوبِ[٥]

ومنه : « أجننت الميت ، » إذا واريته فى اللحد ، و « جننته » ، وهو نظير

---

(١) يعنى أن الأولى أشهر فى لغة بنى أسد ، وأن الثانية أشهر فى لغة بنى تميم .

(٢) « جن الليل » (بكسر الجيم) : اختلاط ظلمته .

(٣) هو البريق الهذلى ، واسمه : « عياض بن خويلد الخناعى » ، وروى الأصمعى أن قائل الشعر هو « عامر بن سدوس الخناعى » .

(٤) ديوان الهذليين ٣ : ٥٦ ، وما بقى من أشعار الهذليين رقم : ٣١ ، واللسان (سدف) (جنن) ، من أبيات يمجد فيها نفسه ، وبعد البيت :

مَعِى صَاحِبٌ مِثْلُ نَصْلِ السِّنَانِ عَنِيفٌ عَلَى قِرْنِهِ مِغْشَمُ

و يروى : « وماء وردت على خيفة » ، ويروى « قبيل الصباح » ، وكله حسن . و « السدف » : الظلمة من أول الليل أو آخره ، عند اختلاط الضوء . و « الأدهم » : الضارب إلى السواد .

(٥) ديوانه : ٣٣ ، ذكر نفسه فى هذا البيت ثم قال بعده :

قَطَعْتُ بِصَهْبَاءِ السَّرَاةِ شِمِلَّةٍ تَزِلُّ الوَلَايَا عَنْ جَوَانِبِ مَكْرُوبِ

وختمها بالبيت الحكيم :

تَرَى المَرْءَ يَصْبُو لِلحَيَاةِ وَطُولِهَا وَفِى طُولِ عَيْشِ المَرْءِ أَبْرَحُ تَعْذِيبِ

وصدق غاية الصدق ! وكان فى المطبوعة : « الليل مرهب » ، والصواب من المخطوطة . و « الخرق » (بفتح فسكون) : الفلاة الواسعة ، ورواية الديوان : « تصيح الهام » ، و « الهام » ذكر البوم ، ورواية أبى جعفر أجود ، لأن « الصدى » هو أيضاً ذكر البوم .

« جنون الليل »، فى معنى غطيته . ومنه قيل للترس «مِجَنّ» لأنه يُجنّ من استجنّ به فيغطّيه ويواريه :

* * *

وقوله : « رأى كوكباً »، يقول : أبصر كوكباً حين طلع = « قال هذا ربى » ، فروى عن ابن عباس فى ذلك ، ما : —

١٣٤٦٢ — حدثنى به المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين »، يعنى به الشمس والقمر والنجوم = «فلما جنّ عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربى» ، فعبده حتى غاب ، فلما غاب قال : لا أحب الآفلين = « فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربى »، فعبده حتى غاب ، فلما غاب قال : لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين = «فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر» ، فعبدها حتى غابت ، فلما غابت قال : يا قوم إنّى برىء مما تشركون .

١٣٤٦٣ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحبّ الآفلين » ، علم أن ربّه دائم لا يزول . فقرأ حتى بلغ : « هذا ربى هذا أكبر » ، رأى خلقاً هو أكبرَ من الخلقين الأوّلين وأنور .[1] ١٦٣/٧

وكان سبب قيل إبراهيم ذلك ، ما :—

١٣٤٦٤ — حدثنى به محمد بن حميد قال، حدثنا سلمة بن الفضل قال ، حدثنى محمد بن إسحق = فيما ذكر لنا، والله أعلم = أن آزر كان رجلاً من أهل

---

(١) فى المطبوعة : «وأى خلق» ، وهو فاسد المعنى ، وفى المخطوطة : «وأى خلقاً» ، وصواب قراءتها ما أثبت .

كوثيّ ، من قرية بالسوادِ ، سواد الكوفة، وكان إذ ذاك ملك المشرق لنمرود، (١) فلما أراد الله أن يبعث إبراهيم، [عليه السلام، خليل الرحمن، حجة على قومه] ، (٢) ورسولاً إلى عباده، ولم يكن فيما بين نوح وإبراهيم نبيّ إلا هود وصالح ، فلما تقارب زمان إبراهيم الذى أراد الله ما أراد ، أتى أصحابُ النجوم نمرودَ فقالوا له : تَعَلَّمْ ، أنّا نجد فى عِلْمنا أن غلاماً يولد فى قريتك هذه يقال له «إبراهيم» ، (٣) يفارق دينكم ، ويكسر أوثانكم ، فى شهر كذا وكذا من سنة كذا وكذا . فلما دخلت السنة التى وصف أصحابُ النجوم لنمرود ، بعث نمرود إلى كل امرأة حبلى بقريته فحبسها عنده = إلاّ ما كان من أمّ إبراهيم امرأة آزر ، فإنه لم يعلم بحبَلها ، وذلك أنها كانت امرأة حَدَثة، فيما يذكر، لم تعرف الحبَل فى بطنها ، (٤) ولِمَا أرادَ الله أن يبلغ بولدها، (٥)= يريدُ أن يقتل كل غلام ولد فى ذلك الشهر من تلك السنة ، حذراً على ملكه . فجعلَ لا تلد امرأة غلاماً فى ذلك الشهر من تلك السنة ، إلا أمر به فذبح . فلما وجدت أم إبراهيم الطَّلقَ خرجت ليلاً إلى مغارة كانت قريباً منها ، فولدت فيها إبراهيم ، وأصلحت من شأنه ما يُصْنع

---

(١) فى المطبوعة : «لنمرود بن كنعان» ، وليس ذلك فى المخطوطة ، ولا فى تاريخ الطبرى ١ : ١١٩ ، بل الذى هناك : «لنمرود الخاطىء ، وكان يقال له : الهاصر . وكان ملكه فيما يزعمون قد أحاط بمشارق الأرض ومغاربها ، وكان ببابل . . .» ، فاختصر أبو جعفر الخبر كعادته . وهو خبر قسمه أبو جعفر فى تاريخه ، فروى صدره هذا ، ثم فصل ، ثم عاد إلى حديث ابن إسحق .

(٢) الزيادة بين القوسين من تاريخ أبى جعفر ١ : ١١٩ .

(٣) «تعلم» (بفتح التاء والعين وتشديد اللام المفتوحة) فعل أمر بمعنى : اعلم ، يكثر ورودها فى سيرة ابن إسحق ، ويخطىء كثير من الناس فى ضبطها من قلة معرفتهم بالكلام .

(٤) «امرأة حدثة» (بفتحات) : حديثة السن صغيرة ، بينة الحداثة . والمذكر : «رجل حدث» ، أى شاب صغير . وكان فى المطبوعة : «حدبة» بالباء ، وهو خطأ صرف ، وهى فى المخطوطة غير منقوطة ، والصواب فى تاريخ الطبرى .

(٥) فى المطبوعة: «ولما أراد الله أن يبلغ بولدها أراد أن يقتل ...» غير ما كان فى المخطوطة ، لأنه لم يفهم سياق الكلام ، فوضع مكان «يريد» ، «أراد» . وسياق الكلام : «. . . بعث نمرود إلى كل امرأة حبلى بقريته فحبسها عنده . . . يريد أن يقتل كل غلام . . .» ، ووضعت العبارة الفاصلة فى شأن ولدها بين خطين ، لذلك . وقوله «ولما أراد الله . . .» ، أى وللذى أراد الله . وهذه الجملة ليست فى تاريخ أبى جعفر ، اختصر الكلام هناك كعادته .

بالمولود، [١] ثم سدّت عليه المغارة ، ثم رجعت إلى بيتها، ثم كانت تطالعه فى المغارة فتنظر ما فعل ، فتجده حيًّا يمصّ إبهامه، يزعمون ،والله أعلم ، أن الله جعل رزق إبراهيم فيها وما يجيئه من مصّه. وكان آزر ، فيما يزعمون ، سأل أمّ إبراهيم عن حملها ما فعل، فقالت: ولدت غلاماً فمات ! فصدّقها ، فسكت عنها . وكان اليوم ، فيما يذكرون ، على إبراهيم فى الشّباب كالشهر ، والشهر كالسنة. فلم يلبث إبراهيم فى المغارة إلاّ خمسة عشر شهراً حتى قال : لأمه : أخرجينى أنظر ! فأخرجته عشاء فنظر ، وتفكر فى خلق السموات والأرض، وقال : «إن الذى خلقنى ورزقنى وأطعمنى وسقانى لربىّ، ما لى إله غيره »! ثم نظر فى السماء فرأى كوكباً. قال : « هذا ربى » ، ثم اتّبعه ينظر إليه ببصره حتى غاب ، فلما أفل قال : « لا أحب الآفلين » ، ثم طلع القمر فرآه بازغاً ، قال : « هذا ربى » ، ثم اتّبعه ببصره حتى غاب ، فلما أفل قال : « لئن لم يهدنى ربىّ لأكونن من القوم الضالين »! فلما دخل عليه النهار وطلعت الشمس، أعظمَ الشمسَ، [٢] ورأى شيئاً هو أعظم نوراً من كل شىء رآه قبل ذلك ، فقال : « هذا ربى ، هذا أكبر » ! فلما أفلت قال : « يا قوم إنى برئ مما تشركون . إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين» . ثم رجع إبراهيم إلى أبيه آزر وقد استقامت وجهته ، وعرف ربّه ، وبرئ من دين قومه ، إلا أنه لم يبادئهم بذلك . وأخبر أنه ابنه، وأخبرته أم إبراهيم أنه ابنه، وأخبرته بما كانت صنعت من شأنه، فسرّ بذلك آزر وفرح فرحاً شديداً . وكان آزر يصنع أصنام قومه التى يعبدونها ، ثم يعطيها إبراهيم يبيعها ، فيذهب بها إبراهيم ، فيما يذكرون ، فيقول : « من يشترى ما

---

(١) فى المطبوعة : « ما يصنع مع المولود » ، أراد الناشر ترجمة كلام أبى جعفر إلى سقم عربيته ! ! ، والصواب من المخطوطة والتاريخ .

(٢) هكذا فى المطبوعة والمخطوطة : « أعظم الشمس » ، كأنه يعنى : استعظمها ، ووجدها عظيمة . وهو صواب فى المعنى ، وأما فى التاريخ فهناك : « رأى عظم الشمس » ، وهو صواب أيضاً .

يضرُّه ولا ينفعه »، فلايشتريها منه أحد. فإذا بارت عليه ،[١] ذهب بها إلى نهر فصوَّبَ فيه رؤوسها ،[٢] وقال: « اشربى »، استهزاء بقومه وما هم عليه من الضلالة ، حتى فشا عيبُه إياها واستهزاؤُه بها فى قومه وأهل قريته ،من غير أن يكون ذلك بلغ نمرودَ الملك .[٣]

* * *

قال أبو جعفر : وأنكر قوم من غير أهل الرواية هذا القول الذى روى عن ابن عباس وعمن روى عنه ، من أن إبراهيم قال للكوكب أو للقمر : « هذا ربى » ، وقالوا : غير جائز أن يكون لله نبيٌّ ابتعثه بالرسالة ، أتى عليه وقتٌ من الأوقات ١٦٤/٧ وهو بالغٌ إلا وهو لله موحدٌ ، وبه عارف ،ومن كل ما يعبد من دونه برىء . قالوا : ولو جاز أن يكون قد أتى عليه بعض الأوقات وهو به كافر ، لم يجز أن يختصه بالرسالة، لأنه لا معنى فيه إلا وفى غيره من أهل الكفر به مثله ، وليس بين الله وبين أحد من خلقه مناسبة ، فيحابيه باختصاصه بالكرامة . قالوا : وإنما أكرم من أكرم منهم لفضله فى نفسه ، فأثابه لاستحقاقه الثوابَ بما أثابه من الكرامة . وزعموا أن خبرَ الله عن قيل إبراهيم عند رؤيته الكوكب أو القمر أو الشمس : « هذا ربى » ، لم يكن لجهله بأن ذلك غير جائز أن يكون ربّه ، وإنما قال ذلك على وجه الإنكار منه أن يكون ذلك ربه ، وعلى العيب لقومه فى عبادتهم الأصنام ، إذْ كان الكوكبُ والقمرُ والشمسُ أضوأ وأحسنَ وأبهجَ من الأصنام، ولم تكن مع ذلك معبودة ، وكانت آفلةً زائلة غير دائمة ، فالأصنام التى [هى] دونها فى الحسن وأصغرَ منها فى الجسم ، أحقُّ أن لا تكون معبودة

(١) هكذا فى التاريخ ، وفى المخطوطة : « وإذا بات عليه » غير منقوطة ، فأثبت ما فى التاريخ .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « فضرب فيه رؤوسها » ، والصواب من التاريخ . و « صوب رؤوسها »، نكسها .

(٣) الأثر : ١٣٤٦٤ – هذا الأثر رواه أبو جعفر فى تاريخه مطولا ١ : ١١٩ ، ١٢٠ .

ولا آلهة .[١] قالوا: وإنما قال ذلك لهم، معارضةً، كما يقول أحد المتناظرين لصاحبه معارضاً له فى قولٍ باطلٍ قال به بباطل من القول،[٢] على وجه مطالبته إياه بالفُرْقان بين القولين الفاسدين عنده، اللذين يصحِّح خصمه أحدَهما ويدعى فسادَ الآخر.

* * *

وقال آخرون منهم : بل ذلك كان منه فى حال طفولته ،[٣] وقبل قيام الحجة عليه . وتلك حال لا يكون فيها كفر ولا إيمان .

* * *

وقال آخرون منهم : إنما معنى الكلام : أهذا ربى ؟ على وجه الإنكار والتوبيخ ، أى : ليس هذا ربى . وقالوا: قد تفعل العرب مثل ذلك ، فتحذف « الألف » التى تدلّ على معنى الاستفهام . وزعموا أن من ذلك قول الشاعر :[٤]

رَفَوْنِى وَقَالُوا : يَا خُوَيْلِدُ، لَا تُرَعْ ! فَقُلْتُ، وأَنْكَرْتُ الوُجُوهَ : هُمُ هُمُ ؟[٥]

يعنى : أهم هم ؟ قالوا : ومن ذلك قول أوس :[٦]

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِى، وَإِنْ كُنْتُ دَارِياً، شُعَيْثَ بْنَ سَهْمٍ أَمْ شُعَيْثَ بْنَ مِنْقَرِ[٧]

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « والأصنام التى دونها فى الحسن » ، وفى المخطوطة : « فأحق » ، ورأيت السياق يقتضى ما أثبت ، مع زيادة [هى] بين القوسين .

(٢) السياق : معارضاً له . . . بباطل من القول . . .

(٣) فى المطبوعة : « طفوليته » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٤) هو أبو خراش الهذلى .

(٥) ديوان الهذليين ٢ : ١٤٤ ، الخزانة ١ : ٢١١ واللسان ، (رفأ) (رفو) ، وغيرها كثير . هى مطلع شعر له فى فرة فرها على رجليه ، فوصف ذلك وحسن فرته . وقوله : « رفونى » ، أى : سكنونى ، كأن قلبه قد طار شعاعاً ، فضموا بعضه إلى بعض . يقال : « رفوته من الرعب » و « رفأته » .

(٦) ينسب أيضاً للأسود بن يعفر النهشلى ، واللعين المنقرى .

(٧) سيبويه ١ : ٤٨٥ ، البيان والتبين ٤ : ٤٠ ، ٤١ ، الكامل ١ : ٢/٣٨٤ : ١١٥ ، الخزانة ٤ : ٤٥٠ ، شرح شواهد المغنى : ٥١ ، وغيرها كثير . قال الجاحظ : « وذكروا أن حزن ابن الحارث ، أحد بنى العنبر ، ولد « محجناً » ، فولد محجن : « شعيث بن سهم » ، فأغير على إبله ، فأتى أوس بن حجر يستنجده ، فقال له أوس : أو خير من ذلك ، أحضض لك قيس ابن عاصم ! وكان يقال إن « حزن بن الحارث» هو « حزن بن منقر » ، فقال أوس :

سَائِلْ بِهَا مَوْلَاكَ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ فَمَوْلَاكَ مَوْلَى السُّوءِ إِنْ لَمْ يُغَيِّرِ

بمعنى : أشعيث بن سهم ؟ فحذف « الألف »، ونظائر ذلك . وأما تذكير « هذا » فى قوله : « فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى » ، فإنما هو على معنى : هذا الشيء الطالع ربّى .

* * *

قال أبو جعفر : وفى خبر الله تعالى عن قيل إبراهيم حين أفل القمر : « لئن لم يهدنى ربّى لأكونن من القوم الضالين »، الدليلُ على خطأ هذه الأقوال التى قالها هؤلاء القوم ، وأنّ الصوابَ من القول فى ذلك ، الإقرارُ بخبر الله تعالى الذى أخبر به عنه ، والإعراض عما عداه .(١)

وأما قوله : « فلما أفل » ، فإن معناه : فلما غاب وذهب ، كما :—

* * *

١٣٤٦٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة بن الفضل قال، قال ابن إسحق : « الأفول »، الذهاب .

يقال منه : « أفل النجم يأفُلُ ويأفِلُ أفولاً وأفْلاً » ، إذا غاب ، ومنه قول ذى الرمة :

مَصَابِيحُ لَيْسَتْ بِاللَّوَاتِى تَقُودُهَا نُجُومٌ ، وَلَا بِالآفِلَاتِ الدَّوَالِكِ(٢)

ويقال : « أين أفلت عنا » بمعنى : أين غبت عنا ؟(٣)

* * *

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِى : أَمِنْ حزن مِحْجَنٍ شُعَيْثُ بن سَهْمٍ أَمْ لِحَزْنِ بن مِنْقَرِ
فَمَا أَنْتَ بِالْمَوْلَى الْمُضَيِّعِ حَقَّهُ وَمَا أَنْتَ بِالْجَارِ الضَّعِيفِ الْمُسَتَّرِ

فسعى قيس فى إبله حتى ردها على آخرها » . والبيت برواية الجاحظ لا شاهد فيه . وكان فى المطبوعة فى المواضع كلها : « شعيب » بالباء ، وهو خطأ . وفى المطبوعة : « أو شعيب » والصواب « أم » كما فى المخطوطة ، وسائر الروايات .

(١) انظر أيضاً معانى القرآن للفراء ١ : ٣٤١ .

(٢) ديوانه : ٤٢٥ ، مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٩٩ ، الأزمنة ٢ : ٤٩ ، كتاب القرطين ١ : ٢٦١، اللسان (دلك) ، من قصيدة طويلة ، وصف بها الإبل ، وهذا البيت من صفة الإبل . « مصابيح » جمع «مصباح»، و « المصباح » التى تصبح فى مبركها لاترعى حتى يرتفع النهار ، وهو مما يستحب من الإبل، وذلك لقوتها وسمنها. يقول: ليست بنجوم آفلات، ولكنها إبل .

(٣) هذا مجاز لا تكاد تجده فى كتاب آخر .

القول فى تأويل قوله ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ (٧٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فلما طلع القمر فرآه إبراهيم طالعاً ، وهو « بـزُوغه » .

* * *

يقال منه : « بزغت الشمس تَبـزُغُ بزُوغاً » ، إذا طلعت ، وكذلك القمر .

* * *

= « قال هذا ربى فلما أفل » ، يقول : فلما غاب = « قال » ، إبراهيم ، « لئن لم يهدنى ربى » ، ويوفقنى لإصابة الحق فى توحيده = « لأكونن من القوم الضالين » ، أىْ : من القوم الذين أخطأوا الحق فى ذلك ، فلم يصيبوا الهدى ، وعبدوا غير الله . ١٦٥/٧

* * *

وقد بينا معنى « الضلال » ، فى غير هذا الموضع ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (٧٨)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله[2] : « فلما رأى الشمس بازغة » ، فلما رأى إبراهيم الشمس طالعةً ، قال : هذا الطالعُ ربىّ = « هذا أكبر » ، يعنى : هذا أكبر من الكوكب والقمر = فحذف ذلك لدلالة الكلام عليه =

---

(١) انظر تفسير « الضلال » فيما سلف من فهارس اللغة (ضلل) .

(٢) « بقوله » ، ساقطة من المخطوطة والمطبوعة ، وهى حق سياقة الكلام .

« فلما أفلت »، يقول : فلما غابت، (١) قال إبراهيم لقومه = « يا قوم إنّى برىء مما تشركون » ، أى : من عبادة الآلهة والأصنام ودعائه إلهاً مع الله تعالى ذكره . (٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (٧٩)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن خليله إبراهيم عليه السلام : أنه لما تبينّ له الحق وعرَفه، شهد شهادةَ الحقّ ، وأظهر خلاف قومِه أهلِ الباطل وأهلِ الشرك بالله، ولم يأخذه فى الله لومة لائم ، ولم يستوحش من قِيل الحقّ والثبات عليه ، مع خلاف جميع قومه لقوله ، وإنكارهم إياه عليه ، وقال لهم : « يا قوم إنّى برىء مما تشركون » مع الله الذى خلقنى وخلقكم فى عبادته من آلهتكم وأصنامكم ، (٣) إنى وجهت وجهى فى عبادتى إلى الذى خلق السموات والأرض ، الدائم الذى يبقى ولا يفنى ، ويُحْيِى ويميت = لا إلى الذى يفنى ولا يبقى ، ويزول ولا يدوم ، ولا يضر ولا ينفع .

ثم أخبرهم تعالى ذكره : أن توجيهه وجهه لعبادته، بإخلاص العبادة له، والاستقامة فى ذلك لربه على ما يحبُّ من التوحيد ، لا على الوجه الذى يوجِّه له وَجْهه من ليس بحنيف، ولكنه به مشرك ، (٤) إذ كان توجيه الوجه على غير التحنُّف غير نافع موجِّهه، (٥) بل ضارّه ومهلكه = « وما أنا من المشركين » ،

---

(١) انظر تفسير « أفل » و « بزغ » فيما سلف قريباً .

(٢) انظر تفسير « برىء » فيما سلف ص : ٢٩٣

(٣) انظر تفسير « فطر » فيما سلف ص : ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

(٤) انظر تفسير « الحنيف » فيما سلف ٣ : ١٠٤ - ٦/١٠٨ : ٩/٤٩٤ : ٢٥٠ .

(٥) فى المطبوعة : « إذ كان توجيه الوجه لا على التحنيف » ، وفى المخطوطة : « . . . توجيه الوجه على التحنف » ، والصواب ما أثبت .

ولست منكم ، أى : لست ممن يدين دينكم ، ويتّبع ملّتكم أيُّها المشركون .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك كان ابن زيد يقول :

١٣٤٦٥م – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قول قوم إبراهيم لإبراهيم: تركت عبادة هذه ؟ فقال : « إنى وجّهت وجهى للذى فطر السموات والأرض » ، فقالوا : ما جئت بشىء ! ونحن نعبده ونتوجّهه ! فقال : لا ، حنيفاً !! قال : مخلصاً ، لا أشركه كما تُشْركون .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٨٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وجادل إبراهيم قومه فى توحيد الله وبراءته من الأصنام، [١] وكان جدالهم إياه قولُهم: أن آلهتهم التى يعبدونها خير من إلهه. قال إبراهيم : « أتحاجونى فى الله » ، يقول : أتجادلوننى فى توحيدى الله وإخلاصى العمل له دون ما سواه من آلهة = « وقد هدان » ، يقول : وقد وفقنى ربى لمعرفة وحدانيته ، [٢] وبصّرنى طريق الحقّ حتى أيقنتُ أن لا شىء يستحق أن يعبد سواه [٣] = «ولا أخاف ما تشركون به » ، يقول : ولا أرهب من آلهتكم التى

---

(١) انظر تفسير « المحاجة » فيما سلف ٣ : ٥/١٢١ : ٤٢٩ ، ٦/٤٣٠ : ٢٨٠ ، ٤٧٣ ، ٤٩٢ .

(٢) انظر تفسير « الهدى » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : «حتى ألفت أن لا شىء يستحق أن يعبد سواه » ، وهو لا معنى له ، صواب قراءته ما أثبت .

تدعونها من دونه شيئاً ينالني به في نفسي من سوء ومكروه.[1] وذلك أنهم قالوا له: « إنا نخاف أن تمسّك آلهتنا بسوء من برص أو خبل، لذكرك إياها بسوء »! فقال لهم إبراهيم : لا أخاف ما تشركون بالله من هذه الآلهة أن تنالني بضر ولا ٦٦٦/٧ مكروه ، لأنها لا تنفع ولا تضر = « إلا أن يشاء ربي شيئاً » ، يقول : ولكن خوفي من الله الذي خلقني وخلق السموات والأرض ، فإنه إن شاء أن ينالني في نفسي أو مالي بما شاء من فناء أو بقاءٍ ، أو زيادة أو نقصان أو غير ذلك ، نالني به ، لأنه القادر على ذلك .

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك كان ابن جريج يقول :

١٣٤٦٦ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان » ، قال : دعا قومُه مع الله آلهةً ، وخوّفوه بآلهتهم أن يصيبَه منها خَبَل، فقال إبراهيم: « أتحاجوني في الله وقد هدان » ، قال : قد عرفت ربيّ ، لا أخاف ما تشركون به .

* * *

= « وسع ربي كل شيء علماً » ، يقول: وعلم ربي كلَّ شيء ، فلا يخفى عليه شيء،[2] لأنه خالق كل شيء ، ليس كالآلهة التي لا تضرّ ولا تنفع ولا تفهم شيئاً، وإنما هي خشبة منحوتةٌ ، وصورة ممثلة = « أفلا تتذكرون» ، يقول : أفلا تعتبرون ، أيها الجهلة ، فتعقلوا خطأ ما أنتم عليه مقيمون ،[3] من عبادتكم صورةً مصوّرة وخشبة منحوتة ، لا تقدر على ضر ولا على نفع ، ولا تفقه شيئاً ولا تعقله = وترككم عبادةَ من خلقكم وخلق كلّ شيء، وبيده الخير ، وله القدرة على كل شيء ، والعالم بكل شيء .

* * *

(١) في المطبوعة «ينالني في نفسي» بحذف « به » وهي ثابتة في المخطوطة ، ولكنه أساء كتابة « ينالني » ، فاجتهد الناشر ، فحذف .

(٢) انظر تفسير « السعة » فيما سلف ١٠ : ٤٢٣ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « التذكر » فيما سلف ص : ٤٤٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٨١)

قال أبو جعفر : وهذا جواب إبراهيم لقومه حين خوفوه من آلهتهم أن تمسَّه ، لذكره إياها بسوء ، فى نفسه بمكروه ، فقال لهم : وكيف أخاف وأرهب ما أشركتموه فى عبادتكم ربَّكم فعبدتموه من دونه ، وهو لا يضر ولا ينفع ؟ ولو كانت تنفع أو تضر ، لدفعت عن أنفسها كسرِى إياها وضربى لها بالفأس ! وأنتم لا تخافون الله الذى خلقكم ورزقكم ، وهو القادر على نفعكم وضركم فى إشراككم فى عبادتكم إياه = «ما لم ينزّل به عليكم سلطاناً» ، يعنى : ما لم يعطكم على إشراككم إياه فى عبادته حُجّة ، ولم يضع لكم عليه برهاناً ، ولم يجعل لكم به عذراً[1] = « فأى الفريقين أحقّ بالأمن» ، [2] يقول : أنا أحق بالأمن من عاقبة عبادتى ربىّ مخلصاً له العبادة ، حنيفاً له دينى ، بريئاً من عبادة الأوثان والأصنام ، أم أنتم الذين تعبدون من دون الله أصناماً لم يجعل الله لكم بعبادتكم إياها برهاناً ولا حجة[3] = « إن كنتم تعلمون » ، يقول : إن كنتم تعلمون صدق ما أقول ، وحقيقة ما أحتجُّ به عليكم ، فقولوا وأخبرونى : أىُّ الفريقين أحق بالأمن ؟

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك كان محمد بن إسحق يقول ، فيما : —

١٣٤٦٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، قال محمد بن إسحق فى قوله : « وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله » ، يقول :

---

(١) انظر تفسير « السلطان » فيما سلف ٧ : ٩/٢٧٩ : ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٦٠ .
(٢) انظر تفسير « الفريق » فيما سلف ٨ : ٥٤٨ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « الأمن » فيما سلف ٣ : ٤/٢٩ : ٨٧ .

كيف أخاف وثَنًا تعبدون من دون الله لا يضرُّ ولا ينفع ، ولا تخافون أنتم الذى يضر وينفع، وقد جعلتم معه شركاء لا تضر ولا تنفع ؟=« فأىّ الفريقين أحقّ بالأمن إن كنتم تعلمون »، أى : بالأمن من عذاب الله فى الدنيا والآخرة ، ألذى يَعْبد الذى بيده الضرّ والنفع ، أم الذي يعبد ما لا يضرّ ولا ينفع ؟ يضرب لهم الأمثال ، ويصرِّف لهم العبر ، ليعلموا أنّ الله هو أحق أن يخاف ويعبد مما يعبُدون من دونه .

١٣٤٦٨ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : أفلج الله إبراهيم صلى الله عليه وسلم حين خاصمهم ،[1] فقال : « وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً فأىّ الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون » ؟ ثم قال : « وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه » . ١٦٧/٧

١٣٤٦٩ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قول إبراهيم حين سألهم : « أىُّ الفريقين أحق بالأمن » ، هى حجة إبراهيم صلى الله عليه وسلم .

١٣٤٧٠ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله تعالى ذكره ، قال إبراهيم حين سألهم : « فأى الفريقين أحق بالأمن » ؟ قال : وهى حجة إبراهيم عليه السلام .

١٣٤٧١ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : « فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون » ، أمَنْ يعبد ربًّا واحداً، أم من يعبد أرباباً كثيرة؟ يقول قومه : الذين آمنوا برب واحد .[2]

١٣٤٧٢ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى

---

(١) « أفلجت فلاناً على خصمه » ، إذا غلبته ، و « أفلجه الله عليه » ، آتاه الظفر والفوز والغلبة .

(٢) الأثر : ١٣٤٧١ – انظر الأثر التالى رقم : ١٣٤٧٥ ، وأن هذه مقالة قوم إبراهيم .

قوله : « فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون » ، أمن خاف غير الله ولم يخفه، أم من خاف الله ولم يخف غيره ؟ فقال الله تعالى ذكره : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم » بظلم ، الآية .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوٓا إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (٨٢)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى الذى أخبر تعالى ذكره عنه أنه قال هذا القول = أعنى : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، الآية .

فقال بعضهم : هذا فصلُ القضاء من الله بين إبراهيم خليله صلى الله عليه وسلم ، وبين من حاجّه من قومه من أهل الشرك بالله ، إذ قال لهم إبراهيم : « وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً فأىّ الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون »؟ فقال الله تعالى ذكره ، فاصلاً بينه وبينهم : الذين صدّقوا الله وأخلصُوا له العبادة ، ولم يخلطوا عبادتهم إياه وتصديقهم له بظلم[1] = يعنى : بشرك[2] = ولم يشركوا فى عبادته شيئاً ، ثم جعلوا عبادتهم لله خالصاً ، أحقّ بالأمن من عقابه مكروهَ عبادته ربَّه ،[3] من الذين يشركون فى عبادتهم إياه الأوثان والأصنامَ ، فإنهم الخائفون من عقابه مكروه عبادتهم = أمّا فى عاجل الدنيا فإنهم وجِلون من حلول سخَط الله بهم ، وأما فى الآخرة ، فإنهم الموقنون بأليم عذابِ الله .

---

(١) انظر تفسير « لبس » فيما سلف ص : ٤١٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الظلم » فيما سلف من فهارس اللغة (ظلم) .

(٣) فى المطبوعة ، أسقط قوله : « ربه » .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٤٧٣ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة بن الفضل قال ، حدثنا محمد بن إسحق قال : يقول الله تعالى ذكره : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، أى : الذين أخلصوا كإخلاص إبراهيم صلى الله عليه وسلم لعبادة الله وتوحيده = « ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، أى : بشرك = « أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » ، الأمن من العذاب ، والهدى فى الحجة بالمعرفة والاستقامة . يقول الله تعالى ذكره: « وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفعُ درجات من نشاء ن ربّك حكيم عليم » .

١٣٤٧٤ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون » ، قال فقال الله وقضى بينهم : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، قال بشرك . قال : « أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » . فأما الذنوبُ فليس يبرأ منها أحدٌ .

* * *

وقال آخرون : هذا جوابٌ من قوم إبراهيم صلى الله عليه وسلم لإبراهيم ، حين قال لهم : « أىّ الفريقين أحق بالأمن » ؟ فقالوا له : الذين آمنوا بالله فوحّدوه أحق بالأمن، إذ لم يلبسوا إيمانهم بظلم .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٤٧٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : «فأىّ الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون» ، أمن يعبد ربًّا واحداً أم من يعبد أرباباً كثيرة ؟ يقول قومه : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، بعبادة الأوثان ، وهى حجة إبراهيم = « أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ».(١) ١٦٨/٧

* * *

(١) الأثر : ١٣٤٧٥ – انظر الأثر السالف رقم : ١٣٤٧١ .

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب ، قولُ من قال : هذا خبرٌ من الله تعالى ذكره عن أولى الفريقين بالأمن ، وفصل قضاءٍ منه بين إبراهيم صلى الله عليه وسلم وبين قومه. وذلك أن ذلك لو كان من قول قوم إبراهيم الذين كانوا يعبدون الأوثان ويشركونها فى عبادة الله، لكانوا قد أقروا بالتوحيد واتبعوا إبراهيم على ما كانوا يخالفونه فيه من التوحيد، ولكنه كما ذكرت من تأويله بَدِيًّا .(١)

* * *

واختلف أهل التأويل فى المعنى الذى عناه الله تعالى بقوله : « ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » .

فقال بعضهم : بشرك .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٤٧٦ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس قال ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة، عن عبد الله قال : لما نزلت هذه الآية : «الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم» ، شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا ترونَ إلى قول لقمان : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾، [سورة لقمان : ١٣] ؟(٢)

١٣٤٧٧ — قال أبو كريب قال، ابن إدريس، حدثنيه أوّلاً أبى ، عن أبان بن تغلب، عن الأعمش، ثم سمعتهُ قيل له : مِنَ الأعمش ؟ قال : نعم !(٣)

---

(١) فى المطبوعة : « بدءاً » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو محض صواب ، أى : أولا .

(٢) الأثر : ١٣٤٧٦ — حديث عبد الله بن مسعود . من طريق الأعمش ، رواه أبو جعفر من طرق من رقم : ١٣٤٧٦ — ١٣٤٨٠ ، ١٣٤٨٣ ، وانظر رقم : ١٣٥٠٧ .
وحديث عبد الله ، رواه البخارى فى صحيحه (الفتح ١ : ٨/٨١ : ٢٢٠) ، بنحوه . ورواه مسلم فى صحيحه ٢ : ١٤٣ ، ١٤٤ ، من طريق عبد الله بن إدريس ، وأبى معاوية ، ووكيع ، جميعاً عن الأعمش. ورواه الترمذى فى كتاب التفسير ، من طريق عيسى بن يونس عن الأعمش . ورواه أحمد من طرق فى مسنده رقم : ٣٥٨٩ ، ٤٠٣١ ، ٤٢٤٠ ، وسأشير إليه فى تخريجها بعد .

(٣) الأثر : ١٣٤٧٧ — ذكره مسلم فى صحيحه أيضاً ٢ : ١٤٤ ، من طريق أبى كريب ، بنحو قوله هذا .

١٣٤٧٨ – حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي قال، حدثني عمي يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : لما نزلت : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، شقّ ذلك على المسلمين ، فقالوا : يا رسول الله ، ما منّا أحدٌ إلا وهو يظلم نفسه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس بذلك، ألا تسمعون إلى قول لقمان لابنه ﴿ إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾؟

١٣٤٧٩ – حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : لما نزلت هذه الآية : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم »، شقّ ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : أيُّنا لم يظلم نفسه؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس كما تظنُّون ، وإنما هو ما قال لقمان لابنه: ﴿لاَ تُشْرِكْ بِاللهِ إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾. (٢)

١٣٤٨٠ – حدثنا هناد قال ،حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : لما نزلت هذه الآية : « الذين آمنوا

« أبان بن تغلب الربعي » ، ثقة ، قال ابن عدي : « له نسخ عامتها مستقيمة إذا روى عنه ثقة ، وهو من أهل الصدق في الروايات ، وإن كان مذهبه مذهب الشيعة ، وهو في الرواية صالح لا بأس به » .

[فائدة : قال الحافظ في التهذيب : « التشيع في عرف المتقدمين ، هو اعتقاد تفضيل علي على عثمان ، وأن علياً كان مصيباً في حروبه ، وأن مخالفه مخطئ ، مع تقديم الشيخين وتفضيلهما . وربما اعتقد بعضهم أن علياً أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وإذا كان معتقداً ذلك ، ورعاً ديناً صادقاً مجتهداً ، فلا ترد روايته بهذا ، لا سيما إن كان غير داعية . وأما التشيع في عرف المتأخرين ، فهو الرفض المحض ، فلا تقبل رواية الرافضي الغالي ولا كرامة] .

وعلة ذكر هذا الخبر الثاني ، في التعقيب على الخبر الأول أن عبد الله بن إدريس رواه قبل عن الأعمش مباشرة ، وكان رواه قبل عن أبيه ، عن أبان بن تغلب ، عن الأعمش ، لينبه على علو إسناده .

(١) الأثر : ١٣٤٧٨ – « عيسى بن عثمان بن عيسى بن عبد الرحمن التميمي الرملي » ، ثقة ، مضى برقم : ٣٠٠ وعمه : « يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن التميمي الرملي » ، ثقة ، مضى برقم : ٣٠٠ ، ٦٣١٧ ، ٩٠٣٥ .

(٢) الأثر : ١٣٤٨٩ – رواه أحمد في المسند رقم : ٤٢٤٠ ، من طريق وكيع أيضاً ، بمثله .

ولم يلبسُوا إيمانهم بظلم » ، شق ذلك على الناس، فقالوا : يا رسول الله، وأيُّنا لا يظلم نفسه ؟ فقال : إنه ليس كما تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ؟ إنما هو الشرك .(١)

١٣٤٨١ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة فى قوله : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، قال : بشرك .

١٣٤٨٢ – حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعى قال، حدثنا فضيل ، عن منصور ، عن إبراهيم فى قوله : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، قال : بشرك .

١٣٤٨٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : لما نزلت هذه الآية : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : أيُّنا لم يلبس إيمانه بظلم ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ليس بذلك ، ألم تسمعوا قول لقمان : ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ؟

١٣٤٨٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير وابن إدريس، عن الشيبانى، عن أبى بكر بن أبى موسى ، عن الأسود بن هلال ، عن أبى بكر : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، قال: بشرك .(٢)

---

(١) الأثر : ١٣٤٨٠ – رواه أحمد فى المسند رقم : ٣٥٨٩ ، من طريق أبى معاوية أيضاً بمثله .

(٢) الأثر : ١٣٤٨٤ – « الشيبانى » هو : « أبو إسحق الشيبانى » ، « سليمان بن أبى سليمان » - مضى مراراً ، آخرها رقم : ٨٨٦٩ .

و « أبو بكر بن أبى موسى الأشعرى » ، ثقة روى له الجماعة ، مترجم التهذيب .

و « الأسود بن هلال المحاربى » ، « أبو سلام » ، له إدراك ، هاجر زمن عمر ، لم يدرك أبا بكر رضى الله عنه . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤٤٩/١/١ ، وابن أبى حاتم ٢٩٢/١/١ . ومضى برقم : ١٠٣٣١ ، ١٠٣٣٣ .

١٣٤٨٥ – حدثنا هناد قال، حدثنا قبيصة ، عن يونس بن أبي إسحق ، عن أبي إسحق ، عن أبي بكر : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، قال : بشرك .(١)

١٣٤٨٦ – حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع ، عن سعيد بن عبيد الطائي ، ١٦٩/٧
عن أبي الأشعر العبدي ، عن أبيه : أن زيد بن صوحان سأل سلمان فقال : يا أبا عبد الله ، آيةٌ من كتاب الله قد بلغت منيّ كل مبلغ : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ! فقال سلمان : هو الشرك بالله تعالى ذكره . فقال زيد : ما يسرُّني بها أنيّ لم أسمعها منك ، وأنّ لي مثل كل شيء أمسيتُ أملكه .(٢)

وهذا الخبر ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣ : ٢٧ ، ونسبه للفريابي ، وابن أبي شيبة ، والحكيم الترمذي في الأصول ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه .

(١) الأثر : ١٣٤٨٥ – أسقط في المطبوعة ذكر : « عن أبي إسحق » ، وهو خبر مرسل .

(٢) الأثر : ١٣٤٨٦ ، ١٣٤٨٧ – « سعيد بن عبيد الطائي » ، « أبو الهذيل » ، وثقه أحمد وابن معين ، وقال أبو حاتم : « يكتب حديثه » . مترجم في التهذيب ، والكبير ٢/١/٤٥٥ ، وابن أبي حاتم ٢/١/٤٦ .

« أبو الأشعر العبدي » ، ذكره البخاري في الكنى : ٨ ، وقال : « روى عنه خليفة بن خلف . قال أبو نعيم ، عن إسماعيل بن عبيد ، عن أبي الأشعر العبدي ، سمع أباه عن سلمان : (ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) ، قال : بشرك » . وهكذا جاء « إسماعيل بن عبيد » ، وأخشى أن يكون صوابه « سعيد بن عبيد » كما في الطبري . ولما سيأتي في الأثر التالي : ١٣٤٨٧ .

وأبو « أبي الأشعر العبدي » ، لم أعرف من هو .

و « زيد بن صوحان بن حجر العبدي » ، وهو أخو « صعصعة بن صوحان » ، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو مذكور في الصحابة ، وكان شديد الحب لسلمان الفارسي . قتل يوم الجمل مع علي رضي الله عنهما . مترجم في ابن سعد ٦ : ٨٤ ، وقال : « ثقة قليل الحديث » ، وفي تعجيل المنفعة : ١٤٢ ، والكبير ٢/١/٣٦٣ ، وابن أبي حاتم ١/٢/٥٦٥ .

* * *

وعند آخر الأثر رقم : ١٣٤٨٦ ، انتهى جزء من التقسيم القديم الذي نقلت عنه نسختنا ، وفيها ما نصه :

« يتلوهُ : حدثنا ابن وكيع قال حدثنا أبي ، عن سعيد بن عبيد
وصلى الله على محمد النبيّ وآله وسلم كثيراً »

١٣٤٨٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سعيد بن عبيد ، عن أبي الأشعر ، عن أبيه ، عن سلمان قال : بشرك .(١)

١٣٤٨٨ – حدثنا ابن بشار وابن وكيع قالا، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ، حدثنا سفيان قال، حدثنا نسير بن ذعلوق ، عن كردوس، عن حذيفة في قوله: « ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، قال : بشرك .(٢)

١٣٤٨٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن أبي إسحق الكوفي ، عن رجل ، عن عيسى ، عن حذيفة في قوله : « ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، قال : بشرك .(٣)

١٣٤٩٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا عارم أبو النعمان قال، حدثنا حماد ابن زيد ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير وغيره : أن ابن عباس كان يقول : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، قال : بشرك .

١٣٤٩١ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، يقول : بكفر .

ويبدأ بعد بما نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم
رَبِّ أَعِنْ يا كَرِيم »

(١) الأثر : ١٣٤٨٧ – انظر التعليق السالف .

(٢) الأثر : ١٣٤٨٨ – « نسير بن ذعلوق الثوري » ، ثقة ، مضى برقم : ٥٤٩١ . و « كردوس » هو « كردوس بن العباس الثعلبي » ، يروي عن حذيفة ، مضى برقم : ١٣٢٥٥ – ١٣٢٥٧ . وكان في المطبوعة : « درسب » غير ما في المخطوطة ، وكان فيها هكذا : « ددوس » ، وهذا صواب قراءته إن شاء الله .

وهذا الخبر خرجه السيوطي في الدر المنثور ٣ : ٢٧ ، ونسبه للفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن أبي شيبة ، وأبي عبيد ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ . وسيأتي بإسناد آخر بعد هذا .

(٣) الأثر : ١٣٤٨٩ – « أبو إسحق الكوفي » ، هو : « عبد الله بن ميسرة الحارثي » ، مضى برقم : ٩٢٥٠ .

١٣٤٩٢ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، يقول : لم يلبسوا إيمانهم بالشرك . وقال : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [سورة لقمان : ١٣] .

١٣٤٩٣ – حدثنا نصر بن علي الجهضمي قال، حدثني أبي قال ، حدثنا جرير بن حازم ، عن علي بن زيد، عن المسيّب : أن عمر بن الخطاب قرأ : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، فلما قرأها فزع ، فأتى أبيّ بن كعب فقال : يا أبا المنذر ، قرأتُ آية من كتاب الله، مَنْ يَسْلم ؟ فقال : ما هي ؟ فقرأها عليه = فأيُّنا لا يظلِمُ نفسه ؟ فقال : غفر الله لك ! أما سمعت الله تعالى ذكره يقول : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ ؟ إنما هو : ولم يلبسوا إيمانهم بشرك .(١)

١٣٤٩٤ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يزيد بن هرون، عن حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس : أن عمر دخل منزله فقرأ في المصحف ، فمرّ بهذه الآية : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، فأتى أبيًّا فأخبره، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنما هو الشرك .(٢)

١٣٤٩٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا حماد، عن علي بن زيد، عن يوسف بن مهران ، عن [ابن مهران] : أنّ عمر بن الخطاب كان إذا دخل بيته نشر المصحف فقرأه ، فدخل ذات يوم فقرأ ، فأتى على هذه الآية : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون» ،

---

(١) الأثر : ١٣٤٩٣ – هكذا جاء في المطبوعة والمخطوطة : « عن المسيب» ، ولا أدري ما هو ، ولكني أرجح أن الصواب « عن سعيد بن المسيب » ، أو « عن ابن المسيب » ، فإن « علي بن زيد بن جدعان » يروي عنه ، ولأني لم أجد فيمن اسمه « المسيب » ، من روى عنه « علي بن زيد » ، وروى هو عن « عمر بن الخطاب » .

(٢) الأثر : ١٣٤٩٤ – « يوسف بن مهران البصري » ، مضى برقم : ٢٨٥٨ ، ١١٣٧٣ .

فانفتَل وأخذ رداءه ،[١] ثم أتى أبيّ بن كعب فقال : يا أبا المنذر = فتلا هذه الآية : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم» = وقد ترى أنا نظلِم، ونفعل ونفعل! فقال : يا أمير المؤمنين ،إن هذا ليس بذاك، يقول الله تعالى ذكره: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ ، إنما ذلك الشرك .[٢]

١٣٤٩٦ – حدثنا هناد قال ، حدثنا ابن فضيل، عن مطرف ، عن أبي عثمان عمرو بن سالم قال : قرأ عمر بن الخطاب هذه الآية : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، فقال عمر: قد أفلح من لم يلبس إيمانه بظلم ! فقال أبيّ: يا أمير المؤمنين ، ذاك الشرك ! [٣]

١٣٤٩٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أسباط ، [عن محمد بن] مطرف ، عن ابن سالم قال : قرأ عمر بن الخطاب ، فذكر نحوه .[٣] ١٧٠/٧

١٣٤٩٨ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحق ، عن أبي ميسرة في قوله : « ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، قال : بشرك .

١٣٤٩٩ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي إسحق ، عن أبي ميسرة ، مثله .

١٣٥٠٠ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا حسين، عن علي ، عن زائدة ،

---

(١) في المطبوعة : « فاشتغل » ، وفي المخطوطة « فامقل » ، وفي الدر المنثور ٣ : ٢٧ « فانتقل » ، وكل ذلك لا معنى له ، وكأن الصواب ما أثبت . يقال : « انفتل الرجل عن صلاته » ، إذا انصرف ، وهو من قولهم : « فتله عن وجهه فانفتل »،أي : صرفه فانصرف .

(٢) الأثر : ١٣٤٩٥ – هكذا جاء في المخطوطة : « عن ابن مهران » ، وفي المطبوعة : « عن مهران»، وهما خطأ صرف فيما أرجح ، وإنما هذا حديث ابن عباس ، فالصواب إن شاء الله : « عن ابن عباس » ، وهو نفس الأثر الذي قبله ، ولكني تركته كذلك كما هو في المخطوطة ، ووضعت ما شككت فيه بين القوسين .

(٣) الأثر : ١٣٤٩٦ ، ١٣٤٩٧ – « أبو عثمان ، عمرو بن سالم الأنصاري » ، معروف بكنيته، وقد مضى برقم: ٨٩٥٠ . وقوله في الأثر الثاني « محمد بن مطرف » ، خطأ فيما أرجح ، وإنما هو « مطرف بن طريف » ، كما في الأثر السالف . ولذلك وضعت « محمد بن » بين قوسين .

عن الحسن بن عبيد الله، عن إبراهيم: «ولم يلبسوا إيمانهم بظلم» ، قال : بشرك .(١)

١٣٥٠١ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، أى : بشرك .

١٣٥٠٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حميد، عن أبيه ، عن أبى إسحق ، عن أبى ميسرة ، مثله .

١٣٥٠٣ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، قال : بعبادة الأوثان .

١٣٥٠٤ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٣٥٠٥ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، قال : بشرك .

١٣٥٠٦ – حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، قال : بشرك .

١٣٥٠٧ – حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الأعمش : أن ابن مسعود قال : لما نزلت : « ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، كبُر ذلك على المسلمين ، فقالوا : يا رسول الله ، ما منا أحدٌ إلا وهو يظلم نفسه ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم: أما سمعتم قول لقمان : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾؟ (٢)

---

(١) الأثر : ١٣٥٠٠ – « الحسن بن عبيد الله النخعى الكوفى » ، روى عن إبراهيم النخعى ، وأبى الضحى ، والشعبى . سمع منه الثورى، وزائدة ، وحفص بن غياث ، وغيرهم ، ثقة، مضى فى الإسناد رقم : ٧٨ . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/٢/٢٩٥ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٢٣ . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « الحسن بن عبد الله » ، وهو خطأ محض .

(٢) الأثر : ١٣٥٠٧ – مضى هذا الخبر موصولا من طريق الأعمش ، من طرق ، من

١٣٥٠٨ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد ابن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد فى قوله : « ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، قال : عبادة الأوثان .

١٣٥٠٩ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا محمد بن بشر ، عن مسعر ، عن أبي حصين ، عن أبي عبد الرحمن ، قال : بشرك .(١)

١٣٥١٠ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، قال ابن إسحق : « ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، قال : بشرك .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولم يخلطوا إيمانهم بشيء من معانى الظلم ، وذلك : فعلُ ما نهى الله عن فعله ، أو ترك ما أمر الله بفعله . وقالوا : الآية على العموم ، لأنّ الله لم يخصّ به معنى من معانى الظلم .

* * *

قالوا : فإن قال لنا قائل : أفلا أمْن فى الآخرة ، إلاّ لمن لم يعص الله فى صغيرة ولا كبيرة ، وإلا لمن لقى الله ولا ذنبَ له ؟

قلنا : إن الله عنى بهذه الآية خاصًّا من خلقه دون الجميع منهم ، والذى عنى بها وأراده بها ، خليلَه إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، فأما غيره ، فإنه إذا لقى الله لا يشرك به شيئاً فهو فى مشيئته إذا كان قد أتى بعض معاصيه التى لا تبلغ أن تكون كفراً ، فإن شاء لم يؤمنه من عذابه ، وإن شاء تفضل عليه فعفا عنه .

قالوا : وذلك قول جماعة من السلف ، وإن كانوا مختلفين فى المعنىّ بالآية .

فقال بعضهم : عُنى بها إبراهيم .

* * *

رقم : ١٣٤٧٦ – ١٣٤٨٠ ، ١٣٤٨٣ ، فراجعه هناك .

(١) الأثر : ١٣٥٠٩ – « أبو حصين » هو : « عثمان بن عاصم بن حصين الأسدى » ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ٨٩٦٢ .

و « أبو عبد الرحمن » هو « السلمى » : « عبد الله بن حبيب بن ربيعة » ، مضى برقم : ٨٢ .

وقال بعضهم : عنى بها المهاجرون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.(١)

* * *

* ذكر من قال : عنى بهذه الآية إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم .

١٣٥١١ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يحيى بن يمان وحميد بن عبدالرحمن ، عن قيس بن الربيع ، عن زياد بن علاقة ، عن زياد بن حرملة ، عن على قال : هذه الآية لإبراهيم صلى الله عليه وسلم خاصة ، ليس لهذه الأمة منها شيء.(٢)

* * *

* ذكر من قال : عنى بها المهاجرون خاصة .

١٣٥١٢ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يحيى بن يمان وحميد بن عبدالرحمن ، عن قيس بن الربيع ، عن سماك ، عن عكرمة : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، قال : هى لمن هاجر إلى المدينة . ١٧١/٧

* * *

قال أبو جعفر: وأولى القولين بالصحة فى ذلك ، ما صح به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الخبر الذى رواه ابن مسعود عنه أنه قال : الظلم الذى ذكره الله تعالى

---

(١) فى المطبوعة : « المهاجرين » ببناء « عنى » للمفعول ، وأثبت ما فى المخطوطة ، « عنى » بالبناء للمجهول .

(٢) الأثر : ١٣٥١١ – « زياد بن علاقة بن مالك الثعلبى » ، ثقة ، روى له الجماعة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٣٣٣/١/٢ ، وابن أبى حاتم ٥٤٠/٢/١ .

وأما « زياد بن حرملة » ، فلم أجد له ذكراً فى شىء من الكتب ، ومع ذلك فقد جاء كذلك فى المستدرك للحاكم .

وهذا الخبر رواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٣١٦ ، بإسناده عن أبى حذيفة ، عن سفيان ، عن زياد بن علاقة ، عن زياد بن حرملة قال : سمعت على بن أبى طالب . وذكر الخبر ، وفيه : « هذه فى إبراهيم وأصحابه » . ثم قال الحاكم : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وإنما اتفقا على حديث الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله أنهم قالوا : يا رسول الله ، وأينا لم يظلم نفسه ، الحديث بطوله ، بغير هذا التأويل » . ولم يعقب عليه الذهبى بشىء ، وظنى أنه ترك التعقيب عليه ، رجاء الظفر بخبر عن « زياد بن حرملة » هذا . والخبر ضعيف ، لجهالة « زياد ابن حرملة» ، حتى يعرف من هو ؟

ونسبه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٢٧ للفريابى ، وعبد بن حميد ، وابن أبى حاتم ، وأبى الشيخ ، والحاكم ، وابن مردويه . وقصر فى نسبته إلى ابن جرير .

ذكره فى هذا الموضع ، هو الشرك .(١)

* * *

وأما قوله : « أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » ، فإنه يعنى : هؤلاء الذين آمنوا ولم يخلطوا إيمانهم بشرك = « لهم الأمن » يوم القيامة من عذاب الله = « وهم مهتدون » ، يقول : وهم المصيبون سبيل الرشاد ، والسالكون طريق النجاة.(٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (٨٣)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وتلك حجتنا » ، قولَ إبراهيم لخاصميه من قومه المشركين : « أى الفريقين أحق بالأمن » ، أمن يعبد ربًّا واحداً مخلصاً له الدين والعبادة ، أم من يعبد أرباباً كثيرة ؟ وإجابتهم إياه بقولهم : « بل من يعبد ربًّا واحداً أحق بالأمن » ، وقضاؤهم له على أنفسهم ، فكان فى ذلك قطع عذرهم وانقطاع حجتهم ، واستعلاء حجة إبراهيم عليهم .(٣) فهى الحجة

---

(١) انظر الآثار السالفة رقم : ١٣٤٧٦ - ١٣٤٨٠ ، ١٣٤٨٣ .

(٢) انظر تفسير « الهدى » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) .

(٣) الحمد لله الذى أنزل الكتاب بالحق ، ولو كان من عند غير الله لوجد الناس فيه اختلافاً كثيراً . ورحم الله أبا جعفر وغفر له ما أخطأ ، وأبو جعفر على جلالة قدره ، وحفظه وضبطه وعنايته ، قد تناقض وأوقع فى كلامه اختلافاً كبيراً . فإنه فى ص : ٤٩٤ ، قد رجح أن الصواب فى قوله تعالى ذكره : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » ، أنه خبر من الله تعالى ذكره عن أولى الفريقين بالأمن ، وفصل قضاء منه بين إبراهيم وقومه . ثم قال : « وذلك أن ذلك لو كان من قول قوم إبراهيم الذين كانوا يعبدون الأوثان ويشركونها فى عبادة الله ، لكانوا قد أقروا بالتوحيد ، واتبعوا إبراهيم على ما كانوا يخالفونه فيه من التوحيد ، ولكنه كما ذكرت من تأويله بدياً » . ثم عاد هنا بعد بضع صفحات ، ففسر هذه الآية ، وزعم أن ذلك من إجابة قوم إبراهيم لإبراهيم ، وهو القول الذى نقضه ! ! وهذا تناقض بين ، ولكنه يأتى فى كتب العلماء ، حجة من الله على خلقه أنهم لا عصمة لهم فى شىء ، وأن العصمة لله وحده سبحانه .

التى آتاها الله إبراهيم على قومه ، كالذى : —

١٣٥١٣ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان الثورى ، عن رجل ، عن مجاهد : « وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه » ، قال : هى « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » .

١٣٥١٤ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا يحيى بن زكريا ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : قال إبراهيم حين سأل : « أى الفريقين أحق بالأمن » ، قال : هى حجة إبراهيم = وقوله : « آتيناها إبراهيم على قومه » ، يقول : لقناها إبراهيم وبصّرناه إياها وعرّفناه = « على قومه نرفع درجات من نشاء » .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة الحجاز والبصرة : ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتِ مَنْ نَشَاءُ ﴾ ، بإضافة « الدرجات » إلى « من » ، بمعنى : نرفع الدرجات لمن نشاء .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفة : ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ ﴾ بتنوين « الدرجات » ، بمعنى : نرفع من نشاء درجات .

* * *

و « الدرجات » جمع « درجة » ، وهى المرتبة . وأصل ذلك مراقى السلم ودرَجه ، ثم تستعمل فى ارتفاع المنازل والمراتب .(١)

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : هما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القرأة ، متقارب معناهما . وذلك أن من رفعت درجته ، فقد رفع فى الدرج = ومن رفع فى الدرج ، فقد رفعت درجته . فبأيتهما قرأ القارئ فمصيبٌ الصوابَ فى ذلك

* * *

(١) انظر تفسير « الدرجة » فيما سلف ٤ : ٥٣٣ — ٧/٥٣٦ : ٩/٣٦٨ : ٩٥ ، وتفسيره هنا أوضح مما سبق .

فمعنى الكلام إذاً : « وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه » ، فرفعنا بها درجته عليهم ، وشرّفناه بها عليهم فى الدنيا والآخرة . فأما فى الدنيا ، فآتيناه فيها أجره = وأما فى الآخرة ، فهو من الصالحين = « نرفع درجات من نشاء » ، أى بما فعل من ذلك وغيره .

* * *

وأما قوله : « إن ربك حكيم عليم » ، فإنه يعنى : إن ربك ، يا محمد ، « حكيم » ، فى سياسته خلقَه ، وتلقينه أنبياءه الحجج على أممهم المكذّبة لهم ، الجاحدة توحيد ربهم ، وفى غير ذلك من تدبيره = « عليم » ، بما يؤول إليه أمر رسله والمرسل إليهم ، من ثبات الأمم على تكذيبهم إياهم ، وهلاكهم على ذلك ، أو إنابتهم وتوبتهم منه بتوحيد الله تعالى ذكره وتصديق رسله ، والرجوع إلى طاعته .[1]

* * *

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فأتَسِ ،[2] يا محمد ، فى نفسك وقومك المكذبيك ، والمشركين ، بأبيك وخليلى إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، واصبر على ما ينوبك منهم صبرَه ، فإنى بالذى يؤول إليه أمرك وأمرهم عالم ، وبالتدبير فيك وفيهم حكيم .[3] ١٧٢/٧

* * *

---

(١) انظر تفسير : « حكيم » و « عليم » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٢) « ائتسى به » ، جعله أسوة له فى نفسه وسيرته . وكان فى المطبوعة « تأس » ، وهى بمعناها ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « بالتدبير » بغير واو العطف ، والصواب إثباتها .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (٨٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فجزينا إبراهيم صلى الله عليه وسلم على طاعته إيانا، وإخلاصه توحيد ربه ، ومفارقته دين قومه المشركين بالله، بأن رفعنا درجته فى عليين ، وآتيناه أجره فى الدنيا، ووهبناله أولاداً خصصناهم بالنبوّة ، وذرية شرفناهم منا بالكرامة ، وفضلناهم على العالمين ،[1] منهم : ابنه إسحق ، وابن ابنه يعقوب = « كلا هدينا » ، يقول : هدينا جميعهم لسبيل الرشاد ، فوفقناهم للحق والصواب من الأديان[2] = « ونوحاً هدينا من قبل » ، يقول : وهدينا لمثل الذى هدينا إبراهيم وإسحق ويعقوب من الحق والصواب ، فوفقناه له = نوحاً، من قبل إبراهيم وإسحق ويعقوب .

* * *

= « ومن ذريته داود »، و« الهاء » التى فى قوله : « ومن ذريته » ، من ذكر نوح . وذلك أن الله تعالى ذكره ذكر فى سياق الآيات التى تتلو هذه الآية لوطاً فقال : « وإسمعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين » . ومعلوم أن لوطاً لم يكن من ذرية إبراهيم صلى الله عليهم أجمعين . فإذ كان ذلك كذلك ، وكان معطوفاً على أسماء من سمّينا من ذريته ، كان لا شك أنه لو أريد بالذرية ذرية إبراهيم، لما دخل يونس ولوط فيهم . ولا شك أن لوطاً ليس من ذرّية إبراهيم، ولكنه من ذرية نوح . فلذلك وجب أن تكون «الهاء » فى « الذرية »، من ذكر نوح .[3]

---

(١) انظر تفسير « وهب » فيما سلف ٦ : ٢١٢ .

(٢) انظر تفسير « كل » فيما سلف ٩ : ٩٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الذرية » فيما سلف ٣ : ١٩ ، ٥/٧٣ : ٦/٥٤٣ : ٣٢٧ ، ٨/٣٦٢ : ١٩ .

فتأويل الكلام: ونوحاً وفقنا للحق والصواب من قبل إبراهيم وإسحق ويعقوب، وهدينا أيضاً من ذرّية نوح ، داود وسليمان .

= و «داود » ، هو داود بن إيشا[1]= و «سليمان » هو ابنه : سليمان بن داود = و « أيوب » ، هو أيوب بن موص بن رازح[2] بن عيص بن إسحق بن إبراهيم = و « يوسف » ، هو يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم = و «موسى »، هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب = و « هرون »، أخو موسى .

* * *

= « وكذلك نجزى المحسنين » ، يقول تعالى ذكره : جزينا نوحاً بصبره على ما امتحن به فينا ، بأن هديناه فوفقناه لإصابة الحق الذى خذلنا عنه من عصانا فخالف أمرنا ونهينا من قومه ، وهدينا من ذريته من بعده من ذكر تعالى ذكره من أنبيائه لمثل الذى هديناه له . وكما جزينا هؤلاء بحسن طاعتهم إيانا وصبرهم على المحن فينا ، كذلك نجزى بالإحسان كل محسن .[3]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٨٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وهدينا أيضاً لمثل الذى هدينا له نوحاً من الهدى والرشاد من ذريته: زكريا بن إدُّو بن برخيا،[4] ويحيى بن زكريا،

---

(١) ﴿يسّى﴾ فى كتاب القوم ، وقد مضى فى التفسير ٥ : ٣٥٥ : « بن إيشى » .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة « روح » والصواب من تاريخ الطبرى ١ : ١٦٥ .

(٣) انظر تفسير « الجزاء » ، و « الإحسان » فيما سلف من فهارس اللغة (جزى) (حسن) .

(٤) فى كتاب القوم ﴿بن عِدُّوْ﴾ فى« عزرا » . الإصحاح الخامس والسادس . وفى المطبوعة:

وعيسى بن مريم ابنة عمران بن ياشهم بن أمون بن حزقيا ،[١] = « وإلياس » .

* * *

واختلفوا فى « إلياس » .

فكان ابن إسحق يقول : هو إلياس بن يسى [٢] بن فنحاص بن العيزار ابن هرون بن عمران ، ابن أخى موسى نبىّ الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

وكان غيره يقول : هو إدريس . وممن ذكر ذلك عنه عبد الله بن مسعود .

١٣٥١٥ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحق ، عن عبيدة بن ربيعة ، عن عبد الله بن مسعود قال : « إدريس » ، هو « إلياس » ، و« إسرائيل » ، هو « يعقوب » .[٣]

* * *

وأما أهل الأنساب فإنهم يقولون: « إدريس »، جدّ نوح بن لمك بن متوشلخ ابن أخنوخ ، و« أخنوخ » هو « إدريس بن يرد بن مهلائيل » . وكذلك روى عن وهب بن منبه .

* * *

« بن أزن » وفى المخطوطة : « بن أدر » ، وقال صاحب قاموس الكتاب : « زكريا بن يبرخيا ابن عدو . . . يذكر بأنه « بن عدو » ، وسبب ذلك على الأرجح أن أباه برخيا ، مات فى ريعان الشباب ، فنسب حسب العوائد ، إلى جده « عدو » الذى كان مشهوراً أكثر من أبيه » .

وفى كتاب القوم ﴿ يبرخيّا ﴾ ،وكان فى المطبوعة « بركيا » ، وهو فى المخطوطة غير حسن الكتابة ، فأثبت ما فى تاريخ الطبرى ٢ : ١٣ .

(١) فى المطبوعة : « عمران بن أشيم بن أمور » ، خطأ ، صوابه مما سلف ٦ : ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ومن تاريخ الطبرى ٢ : ١٣ .

(٢) فى تاريخ الطبرى ٢ : ١٣ « بن ياسين » .

(٣) الأثر : ١٣٥١٥ – « عبيدة بن ربيعة » ، كوفى ، روى عن ابن مسعود ، وعثمان ابن عفان . روى عنه الشعبى ، وأبو إسحق السبيعى . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣/١/٩١ .

و « أبو إسحق » هو السبيعى ، كما سلف ، وكان فى المخطوطة والمطبوعة « ابن إسحق » ، وهو خطأ محض .

وهذا الخبر ذكره البخارى تعليقاً (الفتح ٦ : ٢٦٥) ، وقال الحافظ : « أما قول ابن مسعود ، فوصله عبيد بن حميد ، وابن أبى حاتم بإسناد حسن ، عنه » .

والذى يقول أهل الأنساب أشبه بالصواب . وذلك أنّ الله تعالى ذكره نسب
١٧٣/٧ « إلياس» فى هذه الآية إلى« نوح »،وجعله من ذريته ،و« نوح» ابن « إدريس »
عند أهل العلم ، فمحال أن يكون جدّ أبيه منسوباً إلى أنه من ذريته .

* * *

وقوله : « كل من الصالحين »، يقول: من ذكرنا من هؤلاء الذين سمينا[1]=
« من الصالحين » ، يعنى : زكريا ويحيى وعيسى وإلياس صلى الله عليهم .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٨٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وهدينا أيضاً من ذرية نوح « إسمعيل »
وهو : إسمعيل بن إبراهيم = « واليسع » ، هو :اليسع بن أخْطُوب بن العجوز .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة اسمه .

فقرأته عامة قرأة الحجاز والعراق: ﴿وَٱلْيَسَعَ﴾ ، بلام واحدة مخففة .

* * *

وقد زعم قوم أنه « يفعل » من قول القائل: « وسِعَ يسع» . ولا تكاد العرب
تدخل « الألف واللام » على اسم يكون على هذه الصورة = أعنى على « يفعل »=
لا يقولون: « رأيت اليزيد » ولا : « أتانى اليَحْيَى» [3]ولا : « مررت باليشكر» ، إلا

---

(١) انظر تفسير « كل » فيما سلف ص : ٥٠٧، تعليق : ٢، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الصالح » فيما سلف من فهارس اللغة (صلح) .
(٣) فى المطبوعة : « أتانى التجيب » ، وهو خطأ محض ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، وكان فيها « أتانى الحما » غير منقوط ، وهذا صواب قراءتها .

فى ضرورة شعر . وذلك أيضاً إذا تُحُرِّىَ به المدح ،[١] كما قال بعضهم : [٢]

وَجَدْنَا الْوَلِيدَ بْنَ الْيَزِيدِ مُبَارَكاً شَدِيدًا بِأَحْنَاءِ الْخِلَافَةِ كَاهِلُهْ[٣]

فأدخل فى « اليزيد » « الألف واللام » ،[٤] وذلك لإدخاله إياهما فى « الوليد » ، فأتبعه « اليزيد » بمثل لفظه .[٥]

* * *

وقرأ ذلك جماعة من قرأة الكوفيين : ﴿ وَالَّيْسَعَ ﴾ بلامين ، وبالتشديد ، وقالوا : إذا قرئ كذلك ، كان أشبه بأسماء العجم ، وأنكروا التخفيف . وقالوا : لا نعرف فى كلام العرب اسماً على « يفعل » فيه « ألف ولام » .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك عندى ، قراءةُ من قرأه بلام واحدة مخففة ، لإجماع أهل الأخبار على أن ذلك هو المعروف من اسمه ، دون التشديد ، مع أنه اسم أعجمى ، فينطق به على ما هو به . وإنما يُعْلَم دخول

---

(١) فى المخطوطة : « إذا بحر به المدح » ، غير منقوطة ، وما فى المطبوعة شبيه بالصواب ، والذى فى معانى القرآن للفراء : « والعرب إذا فعلت ذلك ، فقد أمست الحرف مدحاً » .

(٢) هو ابن ميادة .

(٣) معانى القرآن للفراء ١ : ٣٤٢ ، أمالى ابن الشجرى ١ : ١٥٤/٢ : ٢٥٢ ، ٣٤٢ ، الخزانة ١ : ٣٢٧ ، شرح شواهد المغنى : ٦٠ ، وغيرها كثير . من شعر مدح فيه الوليد بن يزيد ابن عبد الملك بن مروان ، وقبل البيت :

هَمَمْتُ بِقَوْلٍ صَادِقٍ أَنْ أَقُولَهُ وَإِنِّى عَلَى رَغْمِ الْعَدُوِّ لَقَائِلُهْ

وبعده :

أَضَاءَ سِرَاجُ الْمُلْكِ فَوْقَ جَبِينِهِ غَدَاةَ تَنَاجَى بِالنَّجَاحِ قَوَابِلُهْ

وكان فى المطبوعة : « بأعباء الخلافة » ، وهى إحدى الروايتين ، وأثبت ما فى المخطوطة . و « أحناء الخلافة » ، نواحيها وجوانبها جمع « حنو » (بكسر فسكون) ، كنى بذلك عن حمل مشقات الخلافة ، وتدبير الملك ، وسياسة الرعية .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « فأدخل اليزيد » بإسقاط « فى » والصواب إثباتها .

(٥) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٤٢ .

« الألف واللام » فيما جاء من أسماء العرب على « يفعل ».[١] وأما الاسم الذى يكون أعجمياً ، فإنما ينطق به على ما سمّوا به . فإن غُيِّرَ منه شيء إذا تكلمت العرب به ، فإنما يغيّر بتقويم حرف منه من غير حذف ولا زيادة فيه ولا نقصان . و « الليسع » إذا شدد ، لحقته زيادة لم تكن فيه قبل التشديد . وأخرى ، أنه لم يحفظ عن أحد من أهل العلم علمنا أنه قال : اسمه « ليسع » . فيكون مشدداً عند دخول « الألف واللام » اللتين تدخلان للتعريف .

* * *

و« يونس » هو : يونس بن متى = « ولوطاً وكلاً فضلنا » ، من ذرية نوح ونوحاً ،[٢] لهم بينا الحق ووفقناهم له ، وفضلنا جميعهم = « على العالمين » ، يعنى : على عالم أزمانهم .[٣]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَـٰهُمْ وَهَدَيْنَـٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٨٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وهدينا أيضاً من آباء هؤلاء الذين سماهم تعالى ذكره = « ومن ذرياتهم وإخوانهم » ، آخرين سواهم ، لم يسمهم ، للحق والدين الخالص الذى لا شرك فيه ، فوفقناهم له = « واجتبيناهم » ، يقول : واخترناهم لديننا وبلاغ رسالتنا إلى من أرسلناهم إليه ، كالذى اخترنا ممن سمّينا .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « وإنما لا يستقيم دخول الألف واللام » ، وهو تغيير لما فى المخطوطة وزيادة فيها ، وإفساد لمعنى الكلام ، ونقض لما أراده أبو جعفر . وكان فى المخطوطة : « وإنما نصم دخول الألف واللام » ، وهو فاسد الكتابة ، وصواب قراءته ما أثبت « يعلم » بالبناء للمجهول . يعنى أن دخول الألف واللام إنما يعرف فيما جاء من أسماء العرب على « يفعل » . وهذا مناقض لما كتبه الناشر .

(٢) فى المطبوعة : « ونوح » بالرفع وهو خطأ ، وتغيير لما فى المخطوطة . وكان فى المخطوطة : « له بينا الحق » ، والأشبه بالصواب ما فى المطبوعة .

(٣) انظر تفسير « العالمين » فيما سلف من فهارس اللغة (علم) .

يقال منه: « اجتبى فلان لنفسه كذا » ، إذا اختاره واصطفاه ، « يجتبيه اجتباء ». (١)

* * *

وكان مجاهد يقول فى ذلك ما :ـ

١٣٥١٦ ـ حدثنى به محمد بن عمرو قال ،حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ،عن مجاهد فى قول الله تعالى ذكره : « واجتبيناهم »، قال : أخلصناهم .

١٣٥١٧ ـ حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ،حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

= « وهديناهم إلى صراط مستقيم »،يقول : وسدّدناهم فأرشدناهم إلى طريق غير معوجّ ، وذلك دين الله الذى لا عِوَج فيه ، وهو الإسلام الذى ارتضاه الله ربًّا لأنبيائه، وأمر به عباده .(٢) ٧/ ١٧٤

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (٨٨)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « ذلك هدى الله » ، هذا الهدى الذى هديت به من سميت من الأنبياء والرسل ، فوفقتهم به لإصابة الدين الحقّ الذى نالوا بإصابتهم إياه رضى ربهم ، وشرفَ الدنيا ، وكرامة الآخرة ، هو « هدى

(١) انظر تفسير « اجتبى » فيما سلف ٧ : ٤٢٧ .

(٢) انظر تفسير « الصراط المستقيم » فيما سلف ١٠ : ١٤٦ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

الله » ، يقول : هو توفيق الله ولطفه الذى يوفق به من يشاء ، ويلطف به لمن أحب من خلقه ، حتى ينيب إلى طاعة الله ، وإخلاص العمل له ، وإقراره بالتوحيد ، ورفضِ الأوثان والأصنام[1] = « ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون » ، يقول : ولو أشرك هؤلاء الأنبياء الذين سميناهم ، بربهم تعالى ذكره ، فعبدوا معه غيره = « لحبط عنهم » ، يقول : لبطل فذهبَ عنهم أجرُ أعمالهم التى كانوا يعملون ،[2] لأن الله لا يقبل مع الشرك به عملاً .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « أولئك » ، هؤلاء الذين سميناهم من أنبيائه ورسله ، نوحاً وذريته الذين هداهم لدين الإسلام ، واختارهم لرسالته إلى خلقه ، هم « الذين آتيناهم الكتاب » ، يعنى بذلك : صحفَ إبراهيم وموسى ، وزبور داود ، وإنجيل عيسى صلوات الله عليهم أجمعين = « والحكم » ، يعنى : الفهم بالكتاب ، ومعرفة ما فيه من الأحكام . وروى عن مجاهد فى ذلك ما : —

١٣٥١٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال ، حدثنا أبان قال ، حدثنا مالك بن شداد ، عن مجاهد : « والحكم والنبوة » ، قال : « الحكم » ، هو اللبُّ .[3]

* * *

---

(١) انظر تفسير « الهدى » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) .

(٢) انظر تفسير « حبط » فيما سلف ٤ : ٦/٣١٧ : ٩/٢٨٧ : ١٠/٥٩٢ : ٤٠٩ .

(٣) الأثر : ١٣٥١٨ — « مسلم بن إبراهيم الأزدى الفراهيدى » ، مضى مراراً آخرها رقم : ٧٤٨٧ .

و « أبان » هو : « أبان بن يزيد العطار » ، مضى برقم : ٣٨٣٢ ، ٩٦٥٦ .

« مالك بن شداد » هكذا هو فى المطبوعة والمخطوطة ، ولم أجد له ذكراً فيما بين يدى فى الكتب ، ولعله محرف عن شىء لا أعرفه .

وعنى بذلك مجاهد ، إن شاء الله، ما قلت ، لأن « اللب » هو « العقل » ، فكأنه أراد : أن الله آتاهم العقل بالكتاب ، وهو بمعنى ما قلنا من أنه الفهم به .

* * *

وقد بينا معنى « النبوة » و« الحكم » ، فيما مضى بشواهدهما، فأغنى ذلك عن إعادته .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ (٨٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فإن يكفر : يا محمد ، بآيات كتابى الذى أنزلته إليك فيجحد هؤلاء المشركون العادلون بربهم ، كالذى :-

١٣٥١٩ - حدثنى على بن داود قال ، حدثنا أبو صالح قال، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « فإن يكفر بها هؤلاء » ، يقول : إن يكفروا بالقرآن .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بـ « هؤلاء » .

فقال بعضهم : عُنى بهم كفار قريش = وعنى بقوله : « فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين » ، الأنصار.

* ذكر من قال ذلك :

١٣٥٢٠ - حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا سليمان قال، حدثنا أبو هلال، عن قتادة فى قول الله تعالى ذكره: « فإن يكفر بها هؤلاء »، قال: أهل مكة = « فقد وكلنا بها » ، أهل المدينة .

---

(١) انظر تفسير « النبوة » فيما سلف : ٢ : ١٤٠ - ١٤٢/٦ : ٢٨٤ ، ٣٨٠ .
= وتفسير « الحكم » فيما سلف ٣ : ٨٦ - ٨٨ ، ٦/٢١١ : ٥٣٨ .

١٣٥٢١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبدة بن سليمان ، عن جويبر ، عن الضحاك ، «فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين » ، قال : الأنصار .

١٣٥٢٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن ابن مغراء ، عن جويبر ، عن الضحاك : « فإن يكفر بها هؤلاء » ، قال : إن يكفر بها أهل مكة = « فقد وكلنا بها » ، أهل المدينة الأنصار = « ليسوا بها بكافرين » .

١٣٥٢٣ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فإن يكفر بها هؤلاء »، يقول : إن تكفر بها قريش= « فقد وكلنا بها » ، الأنصار .

١٣٥٢٤ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج: « فإن يكفر بها هؤلاء »، أهل مكة= « فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين »، أهلَ المدينة .

١٣٥٢٥ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين » ، قال : كان أهل المدينة قد تبوأوا الدار والإيمان قبل أن يقدم عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما أنزل الله عليهم الآيات ، جحد بها أهل مكة . فقال الله تعالى ذكره : « فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين » . قال عطية : ولم أسمع هذا من ابن عباس ، ولكن سمعته من غيره .(١) ١٧٥/٧

١٣٥٢٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « فإن يكفر بها هؤلاء » ، يعني أهل

---

(١) الأثر : ١٣٥٢٥ – « عطية » ، هو : « عطية بن سعد العوفي » ، جد « محمد بن سعد » الأعلى ، وهو مفسر في شرح هذا الإسناد رقم : ٣٠٥ .

مكة . يقول : إن يكفروا بالقرآن = « فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين » ، يعنى أهلَ المدينة والأنصار .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : فإن يكفر بها أهل مكة ، فقد وكلنا بها الملائكة .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٥٢٧ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن عوف ، عن أبي رجاء : « فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين » ، قال : هم الملائكة .

١٣٥٢٨ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا محمد بن جعفر وابن أبي عدى وعبد الوهاب ، عن عوف ، عن أبي رجاء ، مثله .

* * *

وقال آخرون : عنى بقوله : « فإن يكفر بها هؤلاء » ، يعنى قريشاً = وبقوله : « فقد وكلنا بها قوماً » ، الأنبياء الذين سماهم فى الآيات التى مضت قبلَ هذه الآية .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٥٢٩ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فإن يكفر بها هؤلاء » ، يعنى أهل مكة = « فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين » ، وهم الأنبياء الثمانية عشر الذين قال الله : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ ﴾ .

١٣٥٣٠ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « فإن يكفر بها هؤلاء » ، قال : يعنى قوم محمد . ثم قال : « فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين » ، يعنى النبيين الذين قص قبل هذه الآية قصصهم . ثم قال : « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال فى تأويل ذلك بالصواب ، قولُ من قال : عنى بقوله : « فإن يكفر بها هؤلاء » ، كفار قريش = « فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين »، يعنى به الأنبياء الثمانية عشر الذين سماهم الله تعالى ذكره فى الآيات قبل هذه الآية . وذلك أن الخبر فى الآيات قبلها عنهم مضى ، وفى التى بعدها عنهم ذكر ، فما بينها بأن يكون خبراً عنهم ،(١) أولى وأحق من أن يكون خبراً عن غيرهم .

* * *

فتأويل الكلام ، إذ كان ذلك كذلك : فإن كفر قومك من قريش ، يا محمد ، بآياتنا ،(٢) وكذبوا وجحدوا حقيقتها ، فقد استحفظناها واسترعينا القيام بها رُسلَنا وأنبياءنا من قبلك ، الذين لا يجحدون حقيقتها ، ولا يكذبون بها ، ولكنهم يصدقون بها ويؤمنون بصحتها .

* * *

وقد قال بعضهم : معنى قوله : « فقد وكّلنا بها قوماً » ، رزقناها قوماً .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : «أولئك»، هؤلاء القوم الذين وكلنا بآياتنا وليسوا بها بكافرين ، هم الذين هداهم الله لدينه الحق ، وحفظ ما وكلوا بحفظه من آيات كتابه ، والقيام بحدوده ، واتباع حلاله وحرامه ، والعمل بما فيه من أمر الله ، والانتهاء عما فيه من نهيه، فوفقهم جل ثناؤه لذلك = « فبهداهم اقتده » ،

---

(١) فى المطبوعة : « ففيما بينها » ، وفى المخطوطة : « فما بينهم » ، والصواب بينهما ما أثبت .

(٢) فى المطبوعة : « فإن يكفر قومك من قريش » ، وفى المخطوطة : « فإن يكفر بها قومك » والكلام لا يستقيم إلا بحذف « بها » ولكن الجملة لا تستقيم أيضاً فى العطوف المتتابعة حتى تكون « فإن كفر قومك » ، فعلا ماضياً كالذى عطف عليه .

يقول تعالى ذكره : فبالعمل الذى عملوا ، والمنهاج الذى سلكوا ، وبالهدى الذى هديناهم ، والتوفيق الذى وفقناهم = « اقتده » ، يا محمد ، أى : فاعمل ، وخذ به واسلكه ، فإنه عمل لله فيه رضًى ، ومنهاجٌ من سلكه اهتدى .

* * *

وهذا التأويل على مذهب من تأوّل قوله : « فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين » ، أنهم الأنبياء المسمون فى الآيات المتقدمة . وهو القول الذى اخترناه ١٧٦/٧
فى تأويل ذلك .

* * *

وأما على تأويل من تأول ذلك : أن القوم الذين وكّلوا بها هم أهل المدينة = أو : أنهم هم الملائكة = فإنهم جعلوا قوله : « فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين » ، اعتراضاً بين الكلامين ، ثم ردّوا قوله : « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » ، على قوله : « أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوّة » .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٥٣١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « ووهبنا له إسحق ويعقوب » إلى قوله : « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » ، يا محمد .

١٣٥٣٢ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « اولئك الذين هدى الله » ، يا محمد ، « فبهداهم اقتده » ، ولا تقتد بهؤلاء .

١٣٥٣٣ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنى أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : ثم رجع إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » .

١٣٥٣٤ — حدثنا على بن داود قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قال : ثم قال فى الأنبياء

الذين سماهم فى هذه الآية : « فبهداهم اقتده » .

* * *

ومعنى : « الاقتداء » فى كلام العرب، بالرجل : اتباع أثره، والأخذ بهديه . يقال: « فلان يقدو فلاناً »، إذا نحا نحوه ، واتبع أثره، « قِدَة، وقُدوة وقِدوة وقِدْيَة » .(١)

* * *

القولُ فى تأويل قوله ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (٩٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله وعليه سلم: « قل» لهؤلاء الذين أمرتك أن تذكّرهم بآياتى ، أن تبسَل نفس بما كسبت ، من مشركى قومك يا محمد : « لا أسألكم » ، على تذكيرى إياكم ، والهدى الذى أدعوكم إليه ، والقرآن الذى جئتكم به ، عوضاً أعتاضه منكم عليه ، وأجراً آخذه منكم ،(٢) وما ذلك منى إلا تذكير لكم ، ولكل من كان مثلكم ممن هو مقيم على باطل ، بأسَ الله أن يَحُلّ بكم، وسَخَطه أن ينزل بكم على شرككم به وكفركم = وإنذارٌ لجميعكم بين يدى عذاب شديد، لتذكروا وتنزجروا .(٣)

* * *

---

(١) فى المطبوعة ، كتب مكان « وقدية » « وقدوة » ، وهو خطأ صرف ، خالف ما فى المخطوطة وهو الصواب .

(٢) انظر تفسير « الأجر فيما سلف من فهارس اللغة (أجر) .

(٣) انظر تفسير « ذكرى » فيما سلف ص : ٤٣٩

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « وما قدروا الله حق قدره » ، وما أجلُّوا الله حق إجلاله ، ولا عظموه حق تعظيمه = « إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء » ، يقول : حين قالوا : لم ينزل الله على آدميٍّ كتاباً ولا وحياً .(١)

* * *

واختلف أهل التأويل فى المعنىّ بقوله : « إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء » ، وفى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : كان قائل ذلك رجلاً من اليهود .

* * *

ثم اختلفوا فى اسم ذلك الرجل .

فقال بعضهم : كان اسمه : مالك بن الصيف .

* * *

وقال بعضهم : كان اسمه : فنحاص .

* * *

واختلفوا أيضاً فى السبب الذى من أجله قال ذلك .

* * *

* ذكر من قال : كان قائل ذلك : مالك بن الصيف .

١٣٥٣٥ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يعقوب القمى ، عن جعفر بن أبى المغيرة ، عن سعيد بن جبير قال : جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : أنشدك بالذى أنزل التوراة على موسى ، أما تجد فى التوراة أن الله يُبْغِض الحَبْر السمين ؟ وكان حبراً سميناً ، فغضب فقال :

---

(١) انظر تفسير « بشر » فيما سلف ٦ : ١٠/٥٣٨ : ١٥٢ .

والله ما أنزل الله على بشر من شيء ! فقال له أصحابه الذين معه : ويحك ! ولا موسى ! فقال : والله ما أنزل الله على بشر من شيء ! فأنزل الله : « وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى » ، الآية .

١٧٧/٧ ١٣٥٣٦ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة قوله : « وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء »، قال : نزلت فى مالك بن الصيف ، كان من قريظة ، من أحبار يهود = « قل» يامحمد « من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً وهدى للناس»، الآية .

* * *

* ذكر من قال : نزلت فى فنحاص اليهودىّ .

١٣٥٣٧ ــ حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء » ، قال : قال فنحاص اليهودىّ : ما أنزل الله على محمد من شيء!

* * *

وقال آخرون : بل عنى بذلك جماعة من اليهود ، سألوا النبى صلى الله عليه وسلم آيات مثل آيات موسى .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٥٣٨ ــ حدثنا هناد قال، حدثنا يونس قال، حدثنا أبو معشر المدنى ، عن محمد بن كعب القرظى قال : جاء ناسٌ من يهودَ إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم وهو مُحْتَبٍ ، فقالوا : يا أبا القاسم، ألا تأتينا بكتاب من السماء ، كما جاء به موسى ألواحاً يحملها من عند الله ؟ فأنزل الله : ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴾، الآية [سورة النساء : ١٥٣] . فجثا رجل من يهود فقال : ما أنزل الله عليك

ولا على موسى ولا على عيسى ولا على أحد شيئاً! فأنزل الله: « وما قدروا الله حق قدره» .

= قال محمد بن كعب : ما علموا كيف الله[1] = « إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً » ، فحلّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حُبْوته ، وجعل يقول : ولا على أحَدٍ ![2]

١٣٥٣٩ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء»، إلى قوله : « فى خوضهم يلعبون » ، هم اليهود والنصارى ، قوم آتاهم الله علماً فلم يقتدوا به،[3] ولم يأخذوا به، ولم يعملوا به ، فذمهم الله فى عملهم ذلك . ذكر لنا أن أبا الدرداء كان يقول : إن من أكثر ما أنا مخاصَمٌ به غداً أن يقال : يا أبا الدرداء ، قد علمت ، فماذا عملت فيما علمت ؟

١٣٥٤٠ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء » ، يعنى من بنى إسرائيل ، قالت اليهود : يا محمد ، أنزل الله عليك كتاباً ؟ قال : نعم ! قالوا : والله ما أنزل الله من السماء كتاباً ! قال : فأنزل الله : « قل » يا محمد « من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً وهدًى للناس » ، إلى قوله : « ولا آباؤكم» ، قال : الله أنزله .

* * *

وقال آخرون : هذا خبر من الله جل ثناؤه عن مشركى قريش أنهم قالوا : « ما أنزل الله على بشر من شيء » .

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « ما علموا كيف الله » ، هكذا ، وهو تعبير غريب جداً أكاد أستنكره ، وأخشى أن يكون تحريفاً ، وهو تفسير للآية ، أى : « قدروا الله » .

(٢) الأثر : ١٣٥٣٨ – هذا الخبر لم يذكر فى تفسير الآية من سورة النساء ٩ : ٣٥٦ – ٣٥٨ ، وهذا من وجوه اختصار أبى جعفر تفسيره .

(٣) فى المطبوعة : « فلم يهتدوا » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٥٤١ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال، قال ابن جريج قال ، عبد الله بن كثير : أنه سمع مجاهداً يقول : « وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء » ، قالها مشركو قريش . قال : وقوله : ﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبْدُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾ ،[1] قال : هم يهود، الذين يبدونها ويخفون كثيراً. قال: وقوله: « وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم »، قال: هذه للمسلمين .

١٣٥٤٢ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وما قدروا الله حق قدره»، قال : هم الكفار ، لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم ، فمن آمنَ أن الله على كل شيء قدير ، فقد قدر الله حق قدره . ومن لم يؤمن بذلك ، فلم يقدر الله حق قدره .

١٣٥٤٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: « وما قدروا الله حق قدره » ، يقول : مشركو قريش. ١٧٨/٧

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل ذلك ، قول من قال : عني بقوله[2]: « وما قدروا الله حق قدره » ، مشركو قريش . وذلك أن ذلك في سياق الخبر عنهم أولاً ، فأن يكون ذلك أيضاً خبراً عنهم ، أشبهُ من أن يكون خبراً عن اليهود ولما يجر لهم ذكرٌ يكون هذا به متصلاً ، مع ما في الخبر عمن أخبر الله عنه في هذه الآية ، من إنكاره أن يكون الله أنزل على بشر شيئاً من الكتب ، وليس ذلك مما تدين به اليهود ، بل المعروف من دين اليهود : الإقرار

---

(١) هذه إحدى القراءتين في الآية بالياء فيها جميعاً « يجعلونه » ، « يبدونها » ، « يخفون » ، وهي غير قراءتنا في مصحفنا ، وسيذكرها أبو جعفر فيما يلي .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « عني بذلك » ، والسياق يقتضي ما أثبت .

بصُحُف إبراهيم وموسى ، وزبور داود . وإذ لم يأت بما روى من الخبر،[1] بأن قائل ذلك كان رجلاً من اليهود، خبرٌ صحيح متصل السند = ولا كان على أن ذلك كان كذلك من أهل التأويل إجماعٌ = وكان الخبر من أوّل السورة ومبتدئها إلى هذا الموضع خبراً عن المشركين من عبدة الأوثان = وكان قوله : « وما قدروا الله حق قدره » ، موصولاً بذلك غير مفصول منه=[2] لم يجز لنا أن ندّعى أن ذلك مصروف عما هو به موصول ، إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل .

ولكنى أظن أن الذين تأوّلوا ذلك خبراً عن اليهود، وجدوا قوله : « قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً وهدى للناس يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيراً وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم » ، فوجهوا تأويل ذلك إلى أنه لأهل التوراة، فقرأوه على وجه الخطاب لهم : ﴿ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ﴾ ،[3] فجعلوا ابتداء الآية خبراً عنهم، إذ كانت خاتمتها خطاباً لهم عندهم. وغير ذلك من التأويل والقراءة أشبه بالتنزيل، لما وصفت قبل من أن قوله : « وما قدروا الله حق قدره » ، فى سياق الخبر عن مشركى العرب وعبدة الأوثان وهو به متصل ، فالأولى أن يكون ذلك خبراً عنهم .

والأصوب من القراءة فى قوله : ﴿ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبْدُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾، أن يكون بالياء لا بالتاء، على معنى : أنّ اليهود يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيراً ، ويكون الخطاب بقوله : « قل من أنزل الكتاب » ، لمشركى قريش . وهذا هو المعنى الذى قصده مجاهد إن شاء الله فى تأويل ذلك ، وكذلك كان يقرأ .

١٣٥٤٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « وإذا لم يكن بما روى من الخبر » ، وهو كلام غير مستقيم ، صوابه ما أثبت إن شاء الله — أى : « وإذا لم يأت بماروى . . . خبر صحيح » .

(٢) السياق : « وإذ لم يأت بما روى . . . خبر صحيح . . . ولا كان . . . وكان الخبر . . . وكان قوله . . . لم يجز » ، كل ذلك عطوف متتابعة ، وجواب « وإذ لم يأت » قوله : « لم يجز » .

(٣) هذه القراءة الثانية للآية ، وهى قراءتنا اليوم فى مصحفنا .

حماد ، عن أيوب ، عن مجاهد أنه كان يقرأ هذا الحرف : ﴿ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبْدُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيراً ﴾ .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾[1]

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « قل » ، يا محمد ، لمشركى قومك القائلين لك : «ما أنزل الله على بشر من شىء » = قل : « من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً » ، يعنى : جلاءً وضياء من ظلمة الضلالة[2] = « وهدى للناس » ، يقول : بياناً للناس ، يبين لهم به الحق من الباطل فيما أشكل عليهم من أمر دينهم[3] = « تجعلونه قراطيس تبدونها » .

* * *

فمن قرأ ذلك : ﴿ تَجْعَلُونَهُ ﴾ ، جعله خطاباً لليهود على ما بيّنت من تأويل من تأوّل ذلك كذلك .

* * *

ومن قرأه بالياء ﴿ يَجْعَلُونَهُ ﴾ ، فتأويله فى قراءته : يجعله أهله قراطيس ، وجرى الكلام فى « يبدونها » بذكر « القراطيس » ، والمراد منه المكتوب فى القراطيس ، يراد : يبدون كثيراً مما يكتبون فى القراطيس فيظهرونه للناس ، ويخفون كثيراً مما يثبتونه فى القراطيس فيسرُّونه ويكتمونه الناس .[4]

* * *

---

(١) أثبت الآية على قراءتنا فى مصحفنا ، وإن كان تفسير أبى جعفر بعد على القراءة الأخرى . فليتنبه قارئ التفسير إلى موضع الخلاف كما حرره أبو جعفر ، ص : ٥٢٤ ، ٥٢٥ .

(٢) انظر تفسير « النور » فيما سلف ١٠ : ٣٣٨ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الهدى » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) .

(٤) انظر تفسير « القرطاس » فيما سلف ص٣٦٥ : ٣٦٦ .

ومما كانوا يكتمونه إياهم ، ما فيها من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ونبوّته ، كالذى : —

١٣٥٤٥ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « قراطيس يبدونها ويخفون كثيراً » ، اليهود . ١٧٩/٧

١٣٥٤٦ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج، عن عكرمة : «قل»، يا محمد «من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً وهدى للناس يجعلونه قراطيس يبدونها » ، يعنى يهود ، لما أظهروا من التوراة = « ويخفون كثيراً »، مما أخفوا من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه = قال ابن جريج : وقال عبد الله بن كثير : إنه سمع مجاهداً يقول : « يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيراً » ، قال : هم يهود ، الذين يبدونها ويخفون كثيراً .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (٩١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وعلمكم الله جل ثناؤه بالكتاب الذى أنزله إليكم،(١) ما لم تعلموا أنتم من أخبار من قبلكم، ومن أنباء من بعدكم ، وما هو كائن فى معادكم يوم القيامة = « ولا آباؤكم »، يقول : ولم يعلمه آباؤكم، أيها المؤمنون بالله من العرب وبرسوله صلى الله عليه وسلم ، كالذى :—

١٣٥٤٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحجاج بن المنهال قال، حدثنا حماد ، عن أيوب ، عن مجاهد : « وعلمتم » معشرَ العرب « ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم » .

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « الكتاب » بغير باء الجر ، والصواب إثباتها ، فإن مفعول علمكم » ، هو : « ما لم تعلموا » .

١٣٥٤٨ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال: قال عبدالله بن كثير : إنه سمع مجاهداً يقول فى قوله: « وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم » ، قال : هذه للمسلمين .

* * *

وأما قوله : « قل الله » ، فإنه أمرٌ من الله جل ثناؤه نبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يجيبَ استفهامَه هؤلاء المشركين عما أمره باستفهامهم عنه بقوله: « قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً وهدى للناس يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيراً »،(١) بقيل الله،(٢) كأمره إياه فى موضع آخر فى هذه السورة بقوله: ﴿ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾، [سورة الأنعام: ٦٣].(٣) فأمره باستفهام المشركين عن ذلك، كما أمره باستفهامهم إذ قالوا : « ما أنزل الله على بشر من شىء »، عمن أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً وهدى للناس . ثم أمره بالإجابة عنه هنالك بقيله : ﴿ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ [سورة الأنعام : ٦٤]، كما أمره بالإجابة ههنا عن ذلك بقيله: الله أنزله على موسى ، كما :–

١٣٥٤٩ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً وهدى للناس » ، قال : الله أنزله .(٤)

* * *

ولو قيل: معناه : « قل: هو الله » ، على وجه الأمر من الله له بالخبر عن

---

(١) هذه القراءة الأخرى التى اختارها أبو جعفر ، فتركت تفسيره على حاله ، لئلا يختلط الكلام على قارئه .

(٢) قوله « بقيل الله » متعلق بقوله « أن يجيب . . . » .

(٣) وتركت هذه الآية أيضاً على قراءة أبى جعفر التى اختارها « لئن أنجيتنا » ، كما سلف ص : ٤١٤ ، وأما قراءتنا فى مصحفنا : « لئن أنجانا » . وانظر ما مضى فى ترجيح أبى جعفر أولى القراءتين على الأخرى .

(٤) الأثر : ١٣٥٤٩ – هذا مختصر الأثر السالف رقم : ١٣٥٤٠ .

ذلك = لا على وجه الجواب ، إذ لم يكن قوله : « قل من أنزل الكتاب » مسألة من المشركين لمحمد صلى الله عليه وسلم ، فيكون قوله : « قل الله » ، جواباً لهم عن مسألتهم ، وإنما هو أمرٌ من الله لمحمد بمسألة القوم : « من أنزل الكتاب » ؟ فيجب أن يكون الجواب منهم غير الذى قاله ابن عباس من تأويله = كان جائزاً ،[1] من أجل أنه استفهام ، ولا يكون للاستفهام جوابٌ ، وهو الذى اخترنا من القول فى ذلك لما بينا .

* * *

وأما قوله : « ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون » ، فإنه يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ثم ذَرْ هؤلاء المشركين العادلين بربهم الأوثان والأصنام ،[2] بعد احتجاجك عليهم فى قيلهم : « ما أنزل الله على بشر من شىء » بقولك : « من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً وهدىً للناس » ، وإجابتك ذلك بأن الذى أنزله : الله الذى أنزل عليك كتابه = « فى خوضهم » ، يعنى : فيما يخوضون فيه من باطلهم وكفرهم بالله وآياته[3] = « يلعبون » ، يقول : يستهزئون ويسخرون .[4]

* * *

وهذا من الله وعيد لهؤلاء المشركين وتهدُّد لهم . يقول الله جل ثناؤه : ثم دعهم ١٨٠/٧
لاعبين ، يا محمد ، فإنى من وراء ما هم فيه من استهزائهم بآياتى بالمرصاد ، وأذيقهم بأسى ، وأحلّ بهم إن تمادوا فى غَيِّهم سَخَطى .[5]

* * *

---

(١) قوله : « كان جائزاً » ، جواب قوله آنفاً : « ولو قيل : معناه ... » ، وما بينهما فصل .
(٢) انظر تفسير « ذر » فيما سلف ص : ٤٤١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « الخوض » فيما سلف ٩ : ١١/٣٢٠ : ٤٣٦
(٤) انظر تفسير « اللعب » فيما سلف ص : ٤٤١ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٥) فى المطبوعة : « وتهديد لهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب محض ، ولكن الناشر غيره فى جميع المواضع السالفة ، فجعله « تهديد » ، ولا أدرى لم ؟

القول فى تأويل قوله ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وهذا القرآن ، يا محمد = « كتاب » .

* * *

وهو اسم من أسماء القرآن ، قد بينته وبينت معناه فيما مضى قبلُ بما أغنى عن إعادته ، ومعناه مكتوب ، فوضع « الكتاب » مكان « المكتوب » .[1]

* * *

= « أنزلناه » ، يقول : أوحيناه إليك = « مبارك » ، وهو « مفاعل » من « البركة »[2] = « مصدّق الذى بين يديه » ، يقول : صدّق هذا الكتاب ما قبله من كتب الله التى أنزلها على أنبيائه قبلك ، لم يخالفها [دلالة ومعنى][3] = « نوراً وهدى للناس » ، يقول : هو الذى أنزل إليك ، يا محمد ، هذا الكتاب مباركاً ، مصدقاً كتاب موسى وعيسى وغير ذلك من كتب الله . ولكنه جل ثناؤه ابتدأ الخبر عنه ، إذ كان قد تقدم [من] الخبر عن ذلك ما يدل على أنه [له] مواصل ،[4] فقال : « وهذا كتاب أنزلناه إليك مبارك » ، ومعناه : وكذلك أنزلت إليك كتابى هذا مباركاً ، كالذى أنزلت من التوراة إلى موسى هدى ونوراً .

* * *

وأما قوله : « ولتنذر أمَّ القرى ومن حولها » ، فإنه يقول : أنزلنا إليك ، يا محمد ،

---

(١) انظر تفسير « كتاب » فيما سلف ١ : ٩٧ ، ٩٩ .

(٢) انظر تفسير « مبارك » فيما سلف ٧ : ٢٥ .

(٣) فى المطبوعة : « لم يخالفها ولا بنبأ وهو معنى نوراً وهدى » ، وهو كلام لا يستقيم . وفى المخطوطة : « لم يخالفها ولا سا ومعنى نوراً وهدى » ، وهو غير منقوط ، وهو أيضاً مضطرب ، فرجحت ما كتبته بين القوسين استظهاراً لسياق المعنى .

(٤) فى المطبوعة : « ما يدل على أنه به متصل » ، وفى المخطوطة : « ما يدل على أنه من أصل » ، فرجحت ما أثبت ، وزدت « من » و « له » بين القوسين ، فإن هذا هو حق المعنى إن شاء الله .

هذا الكتاب مصدِّقاً ما قبله من الكتب ،ولتنذِر به عذابَ الله وبأسَه مَنْ في أم القرى ، وهي مكة = « ومن حولها » ، شرقاً وغرباً ،من العادلين بربّهم غيره من الآلهة والأنداد ، والجاحدين برسله ، وغيرهم من أصناف الكفار .

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٥٥٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ابن صالح ،عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله : « ولتنذر أم القرى ومن حولها »، يعني بـ « أم القرى »، مكة = « ومن حولها » ،من القرى إلى المشرق والمغرب .

١٣٥٥١ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ولتنذر أم القرى ومن حولها » ، و « أم القرى » ، مكة = « ومن حولها » ، الأرض كلها .

١٣٥٥٢ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور قال ، حدثنا معمر ، عن قتادة : « ولتنذر أم القرى » ، قال : هي مكة = وبه عن معمر ، عن قتادة قال : بلغني أن الأرض دُحِيَتْ من مكة .

١٣٥٥٣ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : و« لتنذر أم القرى ومن حولها »، كنا نُحَدَّث أن أم القرى ، مكة = وكنا نحدَّث أن منها دُحيت الأرض .

١٣٥٥٤ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط عن السدي : « ولتنذر أم القرى ومن حولها » ، أما « أم القرى » فهي مكة ، وإنما سميت « أم القرى » ، لأنها أول بيت وضع بها .

* * *

وقد بينا فيما مضى العلة التى من أجلها سميت مكة « أم القرى »، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[١]

* * *

القولُ فى تأويل قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ (٩٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ومن كان يؤمن بقيام الساعة والمعادِ فى الآخرة إلى الله ، ويصدِّق بالثواب والعقاب ، فإنه يؤمن بهذا الكتاب الذى أنزلناه إليك ، يا محمد ، ويصدق به ، ويقرّ بأن الله أنزله ، ويحافظ على الصلوات المكتوبات التى أمرَه الله بإقامتها ،[٢] لأنه منذرُ من بلغه وعيدَ الله على الكفر به وعلى معاصيه، وإنما يجحد به وبما فيه ويكذِّب، أهل التكذيب بالمعاد ، والجحود لقيام الساعة ، لأنه لا يرجو من الله إن عمل بما فيه ثواباً ، ولا يخاف إن لم يجتنب ما يأمره باجتنابه عقاباً .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ ٧/١٨١

قال أبو جعفر : يعنى جل ذكره بقوله : « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً » ؛ ومن أخطأ قولاً وأجهل فعلاً = « ممن افترى على الله كذباً »، يعنى : ممن اختلق

---

(١) انظر تفسير « أم القرى » فيما سلف ١ : ١٠٨ ، وانظر أيضاً الأثر رقم : ٦٥٨٩ .

(٢) انظر تفسير « المحافظة على الصلوات » فيما سلف ٥ : ١٦٧ ، ١٦٨ .

على الله كذباً،[1] فادعى عليه أنه بعثه نبيًّا وأرسله نذيراً ، وهو فى دعواه مبطل ، وفى قيله كاذب .

* * *

وهذا تسفيهٌ من الله لمشركى العرب ، وتجهيلٌ منه لهم ، فى معارضة عبد الله ابن سعد بن أبى سرح ، والحنفىِّ مسيلمة ، لنبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، بدعوى أحدهما النبوّة ، ودعوى الآخر أنه قد جاء بمثل ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم = ونفْىٌ منه عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم اختلاقَ الكذب عليه ودعوى الباطل.

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فى ذلك .

فقال بعضهم فيه نحو الذى قلنا فيه .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٥٥٥ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة قوله : « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحى إلىّ ولم يوح إليه شىء » ، قال : نزلت فى مسيلمة أخى بنى عدى بن حنيفة ، فيما كان يسجع ويتكهن به = « ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله » ، نزلت فى عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، أخى بنى عامر بن لؤى ، كان كتب للنبى صلى الله عليه وسلم ،[2] وكان فيما يملى « عزيز حكيم » ، فيكتب « غفور رحيم » فيغيره ، ثم يقرأ عليه « كذا وكذا » ، لما حوَّل ، فيقول : « نعم ، سواءٌ ». فرجع عن الإسلام ولحق بقريش وقال لهم : لقد كان ينزل عليه « عزيز حكيم » فأحوِّله ، ثم أقرأ ما كتبت ،[3] فيقول : «نعم سواء » ! ثم رجع إلى الإسلام قبل فتح مكة ، إذ

---

(١) انظر تفسير « الافتراء » فيما سلف ص : ٢٩٦ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) فى المطبوعة : « كان يكتب للنبى . . . » ، والصواب الجيد ما فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « ثم أقول لما أكتب » ، وفى المخطوطة : « ثم أقول أكتب » ، وفوق الكلام حرف (ط) من الناسخ ، دلالة على الخطأ ، وأنه خطأ قديم فى النسخة التى نقل عنها . ورجحت قراءتها كما أثبت ، وهو سياق الكلام .

نزل النبي صلى الله عليه وسلم بمرّ .(١)

* * *

وقال بعضهم : بل نزل ذلك فى عبد الله بن سعد خاصة .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٥٥٦ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحى إلىّ ولم يوحَ إليه شيء » إلى قوله : « تجزون عذاب الهون » . قال : نزلت فى عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، أسلم ، وكان يكتب للنبى صلى الله عليه وسلم ، فكان إذا أملى عليه : « سميعاً عليماً » ، كتب هو : « عليماً حكيماً » ، وإذا قال : « عليماً حكيماً » كتب : « سميعاً عليماً » ، فشكّ وكفر ، وقال : إن كان محمد يوحى إليه فقد أوحى إلىّ ، وإن كان الله ينزله فقد أنزلت مثل ما أنزل الله ! قال محمد : « سميعاً عليماً » فقلت أنا : « عليماً حكيماً » ! فلحق بالمشركين ، ووشى بعمار وجبير عند ابن الحضرمى ، أو لبنى عبد الدار . فأخذوهم فعُذِّبوا حتى كفروا ، وجُدِعت أذن عمار يومئذ .(٢) فانطلق عمار إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بما لقى ، والذى أعطاهم من الكفر ، فأبى النبي صلى الله عليه وسلم أن يتولاه ، فأنزل الله فى شأن ابن أبى سرح وعمار وأصحابه : ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَـٰكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا ﴾

---

(١) « مر » ، هى « مر الظهران » .

(٢) « جدعت أذنه » ، قطعت ، وكان يقال له « الأجدع » ، انظر ابن سعد ٣ : ١٨١ . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « وجدع أذن عمار » ، ذهب إلى تذكير « الأذن » ، والصواب تأنيثها ، لم يذكروا فيها تذكيراً فيما أعلم .

وهذا خبر غريب وقد روى ابن سعد فى الطبقات ٣ : ١٨١ عن ابن عمر : « رأيت عمار ابن ياسر يوم اليمامة، على صخرة قد أشرف يصيح : يا معشر المسلمين! أمن الجنة تفرون ؟ أنا عمار ابن ياسر ، هلموا إلى ! = وأنا أنظر إلى أذنه قد قطعت ، فهى تذبذب ، وهو يقاتل أشد القتال » . ثم قال : « قال : شعبة : لم ندر أنها أصيبت باليمامة » .

فهذا خبر آخر ، والمشهور من خبره أنها أصيبت مع النبى صلى الله عليه وسلم . كأن ذلك كان فى بعض الغزوات .

[سورة النحل : ١٠٦] ، فالذى أكره : عمار وأصحابه = والذى شرح بالكفر صدراً ، فهو ابن أبى سرح .(١)

* * *

وقال آخرون : بل القائل : « أوحى إلى ولم يوح إليه شىء » ، مسيلمة الكذاب .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٥٥٧ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « أو قال أوحى إلىّ ولم يوح إليه شىء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله » ، ذكر لنا أن هذه الآية نزلت فى مسيلمة . ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال : رأيت فيما يرى النائم كأنّ فى يدىّ سوارين من ذهب ، فكبرا علىّ وأهمّانى ،(٢) فأوحى إلىّ : أن انفخهما ، فنفختهما فطارا ، فأوّلتهما فى منامى الكذّابين اللذين أنا بينهما ، كذّاب اليمامةِ مُسيلمة، وكذّاب صنعاء العنسى . وكان يقال له : « الأسود » .(٣) ١٨٢/٧

١٣٥٥٨ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قال : « أوحى إلىّ ولم يوح إليه شىء » ، قال : نزلت فى مسيلمة .

١٣٥٥٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة = وزاد فيه : وأخبرنى الزهرى : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: بينا أنا نائم رأيتُ فى يدىّ سوارين من ذهب ، فكبر ذلك علىّ ، فأوحى إلى

---

(١) الأثر : ١٣٥٥٦ – كان حق هذا الخبر أن يذكر فى تفسير آية « سورة النحل » ، لبيان أنها نزلت، أيضاً فى « عبدالله بن سعد بن أبى سرح » ، ولكن أبا جعفر لم يفعل ، وذلك دلالة أخرى قاطعة على اختصاره تفسيره .

(٢) فى المخطوطة : « فأهمنى » ، وعلى الكلمة حرف (ط) دلالة على الخطأ ، والصواب ما فى المطبوعة ، موافقاً لرواية البخارى ومسلم .

(٣) الأثر : ١٣٥٥٧ – خبر الرؤيا ، رواه البخارى (الفتح ٨ : ٦٩ ، ٧٠) ، ومسلم فى صحيحه : ١٥ : ٣٤ .

أن انفخهما ، فنفختهما فطارا ، فأوّلت ذلك كذاب اليمامة وكذاب صنعاء العنسى .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب أن يقال : إن الله قال : « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحى إلىّ ولم يوح إليه شىء »، ولا تمانُع بين علماء الأمة أن ابن أبى سرح كان ممن قال : « إنى قد قلت مثل ما قال محمد »، وأنه ارتدّ عن إسلامه ولحق بالمشركين، فكان لا شك بذلك من قيله مفترياً كذباً . وكذلك لا خلاف بين الجميع أن مسيلمة والعنسىّ الكذابين، ادّعيا على الله كذباً أنه بعثهما نبيين ، وقال كل واحد منهما إنّ الله أوحى إليه ، وهو كاذب فى قيله . فإذ كان ذلك كذلك ، فقد دخل فى هذه الآية كل من كان مختلقاً على الله كذباً ، وقائلاً فى ذلك الزمان وفى غيره : « أوحى الله إلى » ، وهو فى قيله كاذب ، لم يوح الله إليه شيئاً . فأما التنزيل، فإنه جائز أن يكون نزل بسبب بعضهم = وجائز أن يكون نزل بسبب جميعهم = وجائز أن يكون عنى به جميعُ المشركين من العرب = إذ كان قائلو ذلك منهم ، فلم يغيّروه . فعيّرهم الله بذلك ، وتوعّدهم بالعقوبة على تركهم نكيرَ ذلك ، ومع تركهم نكيرَه هم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم مكذبون ، ولنبوّته جاحدون ، ولآيات كتاب الله وتنزيله دافعون ، فقال لهم جل ثناؤه : « ومن أظلم ممن ادّعى علىّ النبوّة كاذباً » ، وقال : « أوحى إلى » ، ولم يوح إليه شىء ، ومع ذلك يقول : « ما أنزل الله على بشر من شىء » ، فينقض قولَه بقوله ، ويكذب بالذى تحققه ، وينفى ما يثبته . وذلك إذا تدبره العاقلُ الأريب علم أن فاعله من عقله عديم .

* * *

وقد روى عن ابن عباس أنه كان يقول فى قوله : « ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله » ، ما : —

(١) الأثر : ١٣٥٥٩ — انظر التعليق على رقم : ١٣٥٥٧ .

١٣٥٦٠ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله » ، قال : زعم أنه لو شاء قال مثله = يعني الشعر .

* * *

فكأنّ ابن عباس في تأويله هذا على ما تأوّله، يوجّه معنى قول قائل : « سأنزل مثل ما أنزل الله » ، إلى : سأنزل مثل ما قال الله من الشعر . وكذلك تأوّله السدي. وقد ذكرنا الرواية عنه قبل فيما مضى .(١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولو ترى ، يا محمد ، حين يغمر الموت بسكراته هؤلاء الظالمين العادلين بربهم الآلهة والأنداد ، والقائلين : « ما أنزل الله على بشر من شيء » ، والمفترين على الله كذباً ، الزاعمين أنّ الله أوحى إليه ولم يوحَ إليه شيء ، والقائلين : « سأنزل مثل ما أنزل الله » ،(٢) فتعاينهم وقد غشيتهم سكرات الموت ، ونزل بهم أمر الله ، وحان فناء آجالهم ، والملائكة باسطو أيديهم يضربون وجوههم وأدبارهم ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ ﴾ ،[سورة محمد : ٢٧ ، ٢٨] . يقولون لهم : أخرجوا أنفسكم .

---

(١) لم يذكر « الشعر » في خبر السدي السالف رقم : ١٣٥٥٦ ، ولعل أبا جعفر نسي أن يكتبه ، أو لعله أراد أن ذلك مروي في خبر السدي السالف وإن كان لم يذكره هناك .

(٢) هكذا جاء على الجمع في المخطوطة أيضاً « والمفترين . . . الزاعمين . . . والقائلين » ، والسياق يقتضي الإفراد ، ولكني تركته على حاله ، لظهور معناه ، وإن كنت أرجح أن الصواب : « والمفترى على الله كذباً الزاعم أن الله أوحى إليه ولم يوح إليه شيء ، والقائل : سأنزل مثل ما أنزل الله » .

و« الغمرات» جمع « غمرة »، و«غمرة كل شيء » ، كثرته ومعظمه ، وأصله الشيء الذى يغمر الأشياء فيغطيها ، ومنه قول الشاعر :(١)

١٨٣/٧ وَهَلْ يُنْجِي مِنَ الْغَمَرَاتِ إلاَّ بُرَاكَاءُ القِتَالِ أَوِ الفِرَارُ ؟(٢)

* * *

وروى عن ابن عباس فى ذلك ، ما : —

١٣٥٦١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : قوله : « ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت » ، قال : سكرات الموت .

١٣٥٦٢ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « فى غمرات الموت » ، يعنى سكرات الموت .

* * *

وأما « بسط الملائكة أيديها » ،(٣) فإنه مدُّها .(٤)

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى سبب بسطها أيديها عند ذلك .

فقال بعضهم بنحو الذى قلنا فى ذلك .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٥٦٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى

---

(١) هو بشر بن أبى خازم .

(٢) شرح المفضليات : ٦٧٧ ، النقائض : ٤٢٣ ، الأغانى ١٣ : ١٣٧ ، ديوان الخنساء : ٢١٦ ، واللسان (برك) ، وغيرها . وهذا البيت آخر قصيدة فى المفضليات ، وروايته : « ولا ينجى » . و « البراكاء »(بفتح الباء وضمها) : الثبات فى ساحة الحرب ، والجد فى القتال ، وهو من « البروك » ، يبرك المقاتل فى مكانه ، أى : يثبت . وكان فى المطبوعة : « تراك للقتال » ، وهو خطأ صرف . وفى المخطوطة : « براكا للقتال » ، وهو أيضاً خطأ .

(٣) فى المطبوعة : « أيديهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب محض .

(٤) انظر تفسير « بسط الأيدى » فيما سلف ١٠ : ١٠٠ ، ٢١٣ .

معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم » ، قال : هذا عند الموت ، « والبسط » ، الضرب ، يضربون وجوههم وأدبارهم .

١٣٥٦٤ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم » ، يقول : « الملائكة باسطو أيديهم » ، يضربون وجوههم وأدبارهم = والظالمون فى غمرات الموت ، وملك الموت يتوفّاهم .

١٣٥٦٥ – حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « والملائكة باسطو أيديهم » ، يضربونهم .

* * *

وقال آخرون : بل بسطها أيديها بالعذاب .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٥٦٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن جويبر ، عن الضحاك : « والملائكة باسطو أيديهم » ، قال : بالعذاب .

١٣٥٦٧ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، عن إسمعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح : « والملائكة باسطو أيديهم » ، بالعذاب .

* * *

وكان بعض نحويى الكوفيين يتأوّل ذلك بمعنى : باسطو أيديهم بإخراج أنفسهم .(١)

* * *

فإن قال قائل : ما وجه قوله : « أخرجوا أنفسكم » ، ونفوس بنى آدم إنما يخرجها من أبدان أهلها رب العالمين ؟ فكيف خوطب هؤلاء الكفار ، وأمروا فى

(١) هو الفراء فى معانى القرآن ١ : ٣٤٥ .

حال الموت بإخراج أنفسهم ؟ فإن كان ذلك كذلك ، فقد وجب أن يكون بنو آدم هم يقبضون أنفس أجسامهم !

قيل : إن معنى ذلك بخلاف الذى [إليه] ذهبت ،(١) وإنما ذلك أمرٌ من الله على ألسن رُسله الذين يقبضون أرواحَ هؤلاء القوم من أجسامهم ، بأداء ما أسكنها ربها من الأرواح إليه ، وتسليمها إلى رسله الذين يتوفَّونها .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٩٣)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله جل ثناؤه عما تقول رُسل الله التى تقبض أرواحَ هؤلاء الكفار لها ،(٢) يخبر عنها أنها تقول لأجسامها ولأصحابها : « أخرجوا أنفسكم » ، إلى سخط الله ولعنته ، فإنكم اليوم تُثابون على كفركم بالله ،(٣) وقيلكم عليه الباطل ، وزعمكم أن الله أوحى إليكم ولم يوحِ إليكم شيئاً ، وإنكاركم أن يكون الله أنزل على بشر شيئاً ،(٤) واستكباركم عن الخضوع لأمر الله وأمر رسوله ، والانقياد لطاعته = « عذابَ الهون » ، وهو عذاب جهنم الذى يُهينُهم فيذلّهم حتى يعرفوا صَغَار أنفسهم وذِلَّتَها ، كما : —

١٣٥٦٨ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أما « عذاب الهون » ، فالذى يهينهم .

---

(١) الزيادة بين القوسين يقتضيها السياق .

(٢) قوله : « لها » ، أى للكفار .

(٣) انظر تفسير « الجزاء » فيما سلف من فهارس اللغة (جزى) .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « وإنذاركم أن يكون الله أنزل على بشر شيئاً » ، وهو لا معنى له ، وإنما هو تحريف من الناسخ ، والصواب ما أثبت .

١٣٥٦٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج، عن ابن جريج : « اليوم تجزون عذاب الهون » ، قال : عذاب الهون ، فى الآخرة = « بما كنتم تعملون » .

* * *

والعرب إذا أرادت بـ « الهون » معنى « الهوان » ، ضمت « الهاء » ، وإذا أرادت به الرفق والدَّعَة وخفة المؤونة ، فتحت « الهاء » ،(١) فقالوا : هو « قليل هَوْن المؤونة » ، ومنه قول الله : ﴿ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [سورة الفرقان : ٦٣] ، يعنى : بالرفق والسكينة والوقار ، ومنه قول : جندل بن المثنَّى الطُّهوىّ :(٢) ١٨٤/٧

وَنَقَضَ أَيَّامٍ نَقَضْنَ أَسْرَهُ هَوْنًا ، وَأَلْقَى كُلُّ شَيْخٍ فَخْرَهُ(٣)

ومنه قول الآخر :(٤)

هَوْنَكُمَا لاَ يَرُدُّ الدَّهْرُ مَا فَاتَا لاَتَهْلِكَا أَسَفًا فِى إِثْرِ مَنْ مَاتَا(٥)

---

(١) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٠٠ .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « المثنى بن جندل الطهوى » ، وهو خطأ صرف ، وإنما هو « جندل بن المثنى الطهوى » ، وهو شاعر إسلامى راجز ، كان يهاجى الراعى . انظر سمط اللآلى ص : ٦٤٤ ، وغيره .

(٣) لم أعثر على الرجز ، وإن كنت أذكره . و « الأسر » : القوة . وقوله : « ألقى كل شيخ فخره » ، كناية عن عجز الشيخ إذا بلغ السن .

(٤) هو ذو جدن الحميرى ، ويقال هو : « علقمة بن شراحيل بن مرثد الحميرى» .

(٥) سيرة ابن هشام ١ : ٣٩ ، تاريخ الطبرى ٢ : ١٠٧ ، الأغانى ١٦ : ٧٠ ، معجم ما استعجم : ١٣٩٨ ، ومعجم البلدان (بينون) و (سلحون) واللسان (هون) ، وبعد البيت :

أَبَعْدَ بَيْنُونَ لاَ عَيْنٌ وَلاَ أَثَرٌ وَبَعْدَ سَلْحُونَ يَبْنِى النَّاسُ أَبْيَاتَا

وَبَعْدَ حِمْيَرَ إِذْ شَالَتْ نَعَامَتُهُمْ حَتَّهُمُ غَيْبُ هَذَا الدَّهْرِ حِتَّاتَا

و « بينون » ، و « سلحون » ، و « غمدان » من حصون اليمن التى هدمها أرياط الحبشى ، فى غزوة اليمن ، فذكرها ذو جدن ، يأسى على ما دخل أهل حمير من الذل والهوان .

يريد : أرْوِدا .[١] وقد حكى فتح « الهاء » فى ذلك بمعنى «الهوان»، واستشهدوا على ذلك ببيت عامر بن جُوَين : [٢]

يُهِينُ النفُوسَ ، وَهَوْنُ النُّفُـــوسِ عِنْدَ الكَرِيهَةِ أَغْلَى لَهَا[٣]

والمعروف من كلامهم ، ضمُّ « الهاء » منه ، إذا كان بمعنى الهوان والذل ، كما قال ذو الإصبع العدوانى :

أَذْهَبْ إِلَيْكَ فَمَا أُمِّى بِرَاعِيَةٍ تَرْعَى الْمَخَاضَ وَلاَ أُغْضِى عَلَى الهُونِ[٤]

يعنى : على الهوان = وإذا كان بمعنى الرفق ، ففتْحُها .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « رودا » ، وهو خطأ ، صوابه من المخطوطة . و « الإرواد » ، الإمهال والرفق ، والتأنى ، ومنه قيل : « رويدك » ، أى : أمهل ، وتأن ، وترفق .

(٢) هكذا قال أبو جعفر ، والمشهور أنه للخنساء ، وهو فى شعرها ، وبعض أبيات قصيدة الخنساء ، تروى لعامر بن جوين الطائى ، فلعل هذا مما يروى له من شعرها . أو لعله من شعر عامر بن جوين ، وروى للخنساء .

(٣) ديوان الخنساء : ٢١٥ ، والأغانى ١٣ : ١٣٦ ، والنقائض : ٤٢٣ ، واللسان (هون) . وروايتهم جميعاً « يوم الكريهة أبقى لها » . وفى المطبوعة : « أعلى » ، والصواب من المخطوطة .

(٤) شرح المفضليات : ٣٢٣ ، وما بعدها ، والأمالى ١ : ٢٥٦ ، واللسان (هون)، وغيرها كثير . وقد جاء أبو جعفر برواية لم تذكر إلا فى اللسان ، عن ابن برى . وأما رواية الرواة ، فهى :

عَنِّى إِلَيْكِ فَمَا أُمِّى بِرَاعِيَـــةٍ تَرْعَى المَخَاضَ ، وَلاَ رأيى بِمَغْبُونِ
إِنِّى أَبِىٌّ أَبِىٌّ ذُو مُحَافَظَـــةٍ وَابْنُ أَبِىٍّ أَبِىٍّ مِنْ أَبِيِّينِ
لاَ يُخْرِجُ القَسْرُ مِنِّى غَيْرَ مَأْبِيَةٍ وَلاَ أَلِينُ لِمَنْ لاَ يَبْتَغِى لِينِى
عَفٌّ نَدُودٌ ، إِذَا مَاخِفْتُ مِنْ بَلَدٍ هُونًا ، فَلَسْتُ بِوَقَّافٍ عَلَى الهُونِ

فالشاهد فى البيت الأخير .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله جل ثناؤه عما هو قائل يوم القيامة لهؤلاء العادلين به الآلهة والأنداد ، يخبر عبادَه أنه يقول لهم عند ورودهم عليه : « لقد جئتمونا فرادي » .

ويعنى بقوله : « فرادى » ، وُحداناً لامال معهم ، ولا إناث ، ولارقيق ، (١) ولا شيء مما كان الله خوّلهم فى الدنيا = « كما خلقناكم أوّل مرة » ، عُرَاة غُلْفاً غُرْلاً حُفاة ، كما ولدتهم أمهاتهم ، (٢) وكما خلقهم جل ثناؤه فى بطون أمهاتهم لا شيء عليهم ولا معهم مما كانوا يتباهَوْن به فى الدنيا .

* * *

و « فرادى » ، جمع ، يقال لواحدها : « فَرِد » ، كما قال نابغة بنى ذبيان :

مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مَوْشِيٍّ أَكَارِعُهُ طَاوِى المَصِيرِ كَسَيْفِ الصَّيْقَلِ الفَرِدِ (٣)

---

(١) فى المطبوعة : « ولا أثاث ولا رفيق » ، والصواب ما فى المخطوطة ، يعنى نساءهم وخدمهم ، وانظر الأثر التالى رقم : ١٣٥٧١ ، وانظر تفسير البغوى (بهامش ابن كثير ٣ : ٣٦١) قال : « وحدانا لا مال معكم ، ولا زوج ، ولا ولد ، ولا خدم » . فهذا صواب القراءة بحمد الله .

(٢) « غلف » جمع « أغلف » ، وهو الذى لم يختتن . و « الغرل » جمع « أغرل » ، وهو أيضاً الذى لم يختتن ، وهذا حديث مسلم فى صحيحه من حديث عائشة : « يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا » (١٧ : ١٩٢ ، ١٩٣) .

(٣) ديوانه : ٢٦ ، واللسان (فرد) ، وغيرهما كثير . من قصيدته المشهورة التى اعتذر بها إلى النعمان بن المنذر ، يقول قبله فى صفة الثور :

كَأَنَّ رَحْلِي وَقَدْ زَالَ النَّهَارُ بِنَا يَوْمَ الجَلِيلِ عَلَى مُسْتَأْنِسٍ وَحِدِ

و « وجرة » ، منزل بين مكة والبصرة ، مربة للوحوش والظباء . « موشى أكارعه » ، فى قوائمه نقط سود . « طاوى المصير » ، ضامر البطن ، و « المصير » جمع « مصران » . يصف بياض الثور وانتفاعه كأنه سيف مصقول جديد الصقل

و «فَرَدٌ» و «فريد»، كما يقال: «وَحَد» و «وَحِد» و «وحيد» فى واحد «الأوحاد». وقد يجمع «الفَرَد» «الفُرَاد» كما يجمع «الوَحَد»، «الوُحَاد»، ومنه قول الشاعر: (١)

تَرَى النَّعَرَاتِ الزُّرْقَ فَوْقَ لَبَانِهِ فُرَادَى وَمَثْنَى أَصْعَقَتْهَا صَوَاهِلُهْ (٢)

وكان يونس الجرْمىّ، (٣) فيما ذكر عنه، يقول: «فُراد» جمع «فَرْد»، كما قيل: «تُؤْم» و «تُؤَام» للجميع. ومنه: «الفُرَادى»، «والرُّدَافى» و «القُرَانى». (٤) يقال: «رجل فرد» و «امرأة فرد»، إذا لم يكن لها أخٌ. «وقد فرَد الرجلُ فهو يفرُد فروداً»، يراد به تفرَّد، «فهو فارد».

* * *

١٣٥٧٠ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، [قال ابن زيد قال]، أخبرنى عمرو: أن ابن أبى هلال حدثه: أنه سمع القرظىّ يقول: قرأت عائشةُ زوجُ النبى صلى الله عليه وسلم قولَ الله: «ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة»، فقالت: واسوأتاه، إن الرجال والنساء يحشرون جميعاً ينظر بعضهم إلى سوأة بعض! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه»، لا ينظر الرجال إلى النساء، ولا النساء إلى الرجال، شغل بعضهم عن بعض. (٥)

* * *

---

(١) هو تميم بن أبى بن مقبل.

(٢) مضى البيت وتخريجه وتفسيره ٧ : ٥٤٣، بغير هذه الرواية، فراجعه هناك.

(٣) مضى فى ١٠ : ١٢٠، تعليق : ١، ذكر «يونس [الحرمرى]»، وقد أشكل على أمره، كما ذكرت هناك، وصح بهذا أنه «الجرمى»، ولم أجد فى قدماء النحاة من يقال له: «يونس الجرمى»، وذكرت هناك أن «يونس بن حبيب»، ضبى لا جرمى، فعسى أن يهدينى من يقرأ هذا إلى الصواب فيه، متفضلا مشكوراً.

(٤) فى المطبوعة: «والغوانى»، وفى المخطوطة: «والعوانى» غير منقوطة، وصواب قراءتها ما أثبت، يقال: «جاءوا قرانى»، أى مقترنين، قال ذو الرمة:

قُرَانَى وَأَشْتَاتاً، وَحَادٍ يَسُوقُهَا إِلَى المَاءِ مِنْ جَوْزِ التَّنُوفَةِ مُطْلِقُ

(٥) الأثر: ١٣٥٧٠ — «عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصارى المصرى»، ثقة مضى برقم: ١٣٨٧، ٥٩٧٣، ٦٨٨٩، ١٠٣٣٠.

وأما قوله: « وتركتم ما خوّلناكم وراء ظهوركم » ، فإنه يقول : خلفتم أيها القوم ما مكناكم فى الدنيا مما كنتم تتباهون به فيها ، خلفكم فى الدنيا فلم تحملوه معكم .

وهذا تعيير من الله جل ثناؤه لهؤلاء المشركين بمباهاتهم التى كانوا يتباهون بها فى الدنيا بأموالهم .

* * *

وكل ماملكته غيرك وأعطيته : «فقد خوّلته» ،(١) يقال منه : « خال الرجل ١٨٥/٧ يَخَال أشدّ الخِيال » بكسر الخاء = « وهو خائل » ، ومنه قول أبى النجم :

أَعْطَى فَلَمْ يَبْخَلْ وَلَمْ يُبَخَّلِ كَوْمَ الذُّرَى مِنْ خَوَلِ المُخَوِّلِ(٢)

وأما « ابن أبى هلال » ، فهو : « سعيد بن أبى هلال الليثى المصرى » ، ثقة . مضى برقم : ١٤٩٥ ، ٥٤٦٥ .

وأما « القرظى » ، فقد بينه الحاكم فى المستدرك فى إسناده وأنه : « عثمان بن عبد الرحمن القرظى » ، ولكنه مع هذا البيان ، لم يزل مجهولا ، فإنى لم أجد له ترجمة ولا ذكراً فى شىء من الكتب . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « القرطبى » ، وهو خطأ .

وهذا الخبر ، أخرجه الحاكم فى المستدرك ٤ : ٥٦٥ ، من طريق « عبد الله بن وهب ، عن عمرو بن الحارث » ، ليس فيه « قال ابن زيد » ، وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ، وعلق عليه الذهبى فقال : « صحيح ، فيه انقطاع » .

والذى فى إسناد الطبرى « قال ابن زيد قال » ، عندى أنه زيادة من الناسخ ، لأن عبد الله ابن وهب ، يروى مباشرة عن « عمرو بن الحارث » ، كما يروى عن « عبد الرحمن بن زيد بن أسلم » ، ولما كثر إسناد أبى جعفر « حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب ، قال قال ابن زيد » ، أسرع قلم الناسخ بإثبات « ابن زيد » مقحماً فى هذا الإسناد ، كما دل عليه إسناد الحاكم .

وانقطاع هذا الإسناد ، كما بينه الذهبى ، هو فيما أرجح ، أن « عثمان بن عبد الرحمن القرظى » لم يسمع من عائشة .

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « وكل من ملكته غيرك . . . » ، وهو خطأ محض ، صوابه ما أثبت .

(٢) لامية أبى النجم فى كتاب (الطرائف) ، والمراجع هناك ، وسيأتى فى التفسير ٢٣ : ١٢٧ (بولاق) ، وهو مطلع رجزه ، وقبله :

* الحَمْدُ لِلّهِ الوَهُوبِ المُجْزِلُ *

وقد ذكر أن أبا عمرو بن العلاء كان ينشد بيت زهير :

هُنَالِكَ إِنْ يُسْتَخْوَلُوا الْمَالَ يَخْوِلُوا وَإِنْ يُسْأَلُوا يُعْطُوا وَإِنْ يَيْسِرُوا يُغْلُوا (١)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٥٧١ – حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وتركتم ما خوّلناكم » ، من المال والخدم = « وراء ظهوركم » ، فى الدنيا .

* * *

وقوله : « كوم الذرى » ، أى : عظام الأسنمة ، « كوم » جمع « كوماء » ، وهى الناقة العظيمة السنام . و « المخول » بكسر الواو ، الله الرزاق ذو القوة المتين . وانظر تعليق على البيت فى طبقات فحول الشعراء : ٥٧٦ ، تعليق : ٤ .

(١) ديوانه : ١١٢ ، واللسان (خبل) (خول) ، وسيأتى فى التفسير ٢٣ : ١٢٧ (بولاق) ، وغيرها كثير . من قصيدته المشهورة فى هرم بن سنان بن أبى حارثة ، والحارث بن عوف ابن أبى حارثة المرى ، يذكر قومهما بالكرم فى زمن الجدب ، وقبله :

إِذَا السَّنَةُ الشَّهْبَاءُ بِالنَّاسِ أَجْحَفَتْ وَنَالَ كِرَامَ الْمَالِ فِى السَّنَةِ الأَكْلُ
رَأَيْتَ ذَوِى الْحَاجَاتِ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ قَطِيناً لَهُمْ ، حَتَّى إِذَا أَنْبَتَ الْبَقْلُ
هُنَالِكَ إِنْ يُسْتَخْوَلُوا . . . . . .

ورواية غير أبى عمرو بن العلاء : « إن يستخبلوا المال يخبلوا » ، يقال : « استخبل الرجل ناقة فأخبله » ، إذا استعاره ناقة لينتفع بألبانها وأوبارها فأعاره . و « الاستخوال » مثله . وروى الأصمعى عن أبى عمرو أنه قال : « ولو أنشدتها لأنشدتها : إن يستخولوا المال يخولوا » ، وقال : « الاختبال : المنيحة ، ولا أعرف الاستخبال ، وأراه : يستخولوا . والاستخوال أن يملكوهم إياه » .

وقوله : « ييسروا » ، من « الميسر » الذى تقسم فيه الجزر . وقوله « يغلوا » ، أى يختاروا سمان الجزر للنحر ، فهم لا ينحرون إلا غالية

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لهؤلاء العادلين بربهم الأنداد يوم القيامة : ما نرى معكم شفعاءكم الذين كنتم فى الدنيا تزعمون أنهم يشفعون لكم عند ربكم يوم القيامة .(١)

* * *

وقد ذكر أن هذه الآية نزلت فى النضر بن الحارث ، لقيله : إنّ اللات والعزى يشفعان لهُ عند الله يوم القيامة .

* * *

وقيل : إن ذلك كان قول كافة عَبَدة الأوثان .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٥٧٢ – حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أما قوله : « وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء » ، فإن المشركين كانوا يزعمون أنهم كانوا يعبدُون الآلهة ، لأنهم شفعاء يشفعون لهم عند الله ، وأنّ هذه الآلهة شركاءُ لله .

١٣٥٧٣ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج ، أخبرنى الحكم بن أبان ، عن عكرمة قال : قال النضر بن الحارث : « سوف تشفع لى اللات والعزّى » ! فنزلت هذه الآية : « ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة » ، إلى قوله : « شركاء » .

* * *

---

(١) انظر تفسير « الشفيع » فيما سلف ص : ٤٤٦ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (٩٤)

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره ، مخبراً عن قيله يوم القيامة لهؤلاء المشركين به الأنداد : « لقد تقطع بينكم » ، يعنى تواصلَهم الذى كان بينهم فى الدنيا ، ذهب ذلك اليوم ، فلا تواصل بينهم ولا توادّ ولا تناصر ، وقد كانوا فى الدنيا يتواصلون ويتناصرون ، فاضمحلّ ذلك كله فى الآخرة ، فلا أحدَ منهم ينصر صاحبه ، ولا يواصله .(١)

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

* ذكر من قال ذلك :

١٣٥٧٤ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « لقد تقطع بينكم » ، « البين » ، تواصلهم .

١٣٥٧٥ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « لقد تقطع بينكم » ، قال : تواصلهم فى الدنيا .

١٣٥٧٦ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر ، عن قتادة : « لقد تقطع بينكم » ، قال : وصلكم .

١٣٥٧٧ — وحدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق، قال ، أخبرنا معمر، عن قتادة فى قوله : « لقد تقطع بينكم » ، قال : ما كان بينكم من الوصل .

١٣٥٧٨ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى

---

(١) انظر تفسير « البين » فيما سلف ٨ : ٣١٩ .

معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « لقد تقطع بينكم وضلّ عنكم ما كنتم تزعمون » ، يعنى الأرحام والمنازل .

١٣٥٧٩ – حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « لقد تقطع بينكم » ، يقول : تقطع ما بينكم .

١٣٥٨٠ – حدثنا أبو كريب قال ، قال أبو بكر بن عياش : « لقد تقطع بينكم » ، التواصل فى الدنيا .(١)

* * *

واختلفت القرأة فى [قراءة] قوله : « بينكم » .

فقرأته عامة قرأة أهل المدينة نصباً ، بمعنى : لقد تقطع ما بَينكم .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة مكة والعراقيين : ﴿ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنُكُمْ ﴾ ، رفعاً ، بمعنى : لقد تقطع وصلُكم . ١٨٦/٧

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول عندى فى ذلك أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان باتفاق المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيبٌ الصوابَ .

وذلك أن العرب قد تنصب « بين » فى موضع الاسم . ذكر سماعاً منها : « أتانى نحوَك ، ودونَك ، وسواءَك » ،(٢) نصباً فى موضع الرفع . وقد ذكر عنها سماعاً الرفع فى « بين » ، إذا كان الفعل لها ، وجعلت اسماً ، وينشد بيت مهلهل :

كَأَنَّ رِماحَهُم أَشْطَانُ بِئْرٍ بَعِيدٍ بَيْنُ جَالَيْهَا جَرُورِ (٣)

---

(١) الأثر : ١٣٥٨٠ – هذا إسناد منقطع كما أشرت إليه فيما سلف رقم : ١٢٤٦ ، ٢١٥٠ و « أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدى » ، ثقة معروف ، مضى برقم : ١٢٤٦ ، ٢١٥٠ ، ٣٠٠٠ ، ٥٧٢٥ ، ٨٠٩٨ .

(٢) فى المطبوعة : « إيابى نحوك . . . » وهو خطأ محض ، وهى فى المخطوطة غير منقوطة ، والصواب فى معانى القرآن للفراء ١ : ٣٤٥ .

(٣) أمالى القالى ٢ : ١٣٢ ، واللسان (بين) ، وغيرهما ، من قصيدته المشهورة التى

برفع « بين »، إذ كانت اسماً ، غير أن الأغلب عليهم فى كلامهم النصبُ فيها فى حال كونها صفة ، وفى حال كونها اسماً .

* * *

وأما قوله : « وضل عنكم ما كنتم تزعمون » ، فإنه يقول : وحاد عن طريقكم ومنهاجكم ما كنتم من آلهتكم تزعمون أنّه شريك ربكم ، وأنه لكم شفيع عند ربكم ، فلا يشفع لكم اليوم .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾

قال أبو جعفر : وهذا تنبيهٌ من الله جل ثناؤه هؤلاء العادلين به الآلهة والأوثان على موضع حجّته عليهم ، وتعريفٌ منه لهم خطأ ما هم عليه مقيمون من إشراك الأصنام فى عبادتهم إياه . يقول تعالى ذكره : إن الذى له العبادة ، أيها الناس ، دون كل ما تعبدون من الآلهة والأوثان ، هو الله الذى فَلق الحبَّ = يعنى : شق الحبَّ من كل ما ينبت من النبات ، فأخرج منه الزرع = « والنوى » من كل ما يغرس مما له نَواة ، فأخرج منه الشجر .

* * *

و « الحبّ » جمع « الحبة » ، و « النوى » جمع « النواة » .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

قالها لما أدرك بثأر أخيه كليب وائل . وقبله :

فِدًى لِبَنِي الشَّقِيقَةِ يَوْمَ جَاءُوا ... كَأُسْدِ الغَابِ لَجَّتْ فِي زَئِيرِ

و « الأشطان » الحبال الشديدة الفتل ، التى يستقى بها ، واحدها «شطن» . (بفتحتين) و « الجال » و « الجول » (بضم الجيم) : ناحية البئر وجانبها وما يحبس الماء منها . و « جرور » صفة البئر البعيدة القعر ، لأن دلوها يجر على شفرها ، لبعد قعرها . يصف طول رماحهم ، وحركة أيديهم فى الضرب بها ، ثم نزعها من بدن من أصابته .

(١) انظر تفسير « الضلال » فيما سلف من فهارس اللغة (ضلل)

* ذكر من قال ذلك :

١٣٥٨١ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « إن الله فالق الحب والنوى » ، أما « فالق الحب والنوى » : ففالق الحب عن السنبلة ، وفالق النواة عن النخلة .

١٣٥٨٢ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « فالق الحب والنوى » ، قال : يفلق الحب والنوى عن النبات .

١٣٥٨٣ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد فى قوله : « فالق الحب والنوى » ، قال : الله فالق ذلك ، فلقه فأنبت منه ما أنبت . فلق النواة فأخرج منها نَبَات نخلة ، وفلق الحبة فأخرج نبات الذى خلق .

* * *

وقال آخرون : معنى « فالق » ، خالق .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٥٨٤ – حدثنا هناد بن السري قال، حدثنا مروان بن معاوية ، عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « إن الله فالق الحب والنوى » ، قال : خالق الحب والنوى .

١٣٥٨٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك ، مثله .

١٣٥٨٦ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمى قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « إن الله فالق الحب والنوى » ، قال : خالق الحب والنوى .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : أنه فلق الشقّ الذى فى الحبّة والنواة .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٥٨٧ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا

عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « فالق الحب والنوى » ، قال : الشقان اللذان فيهما .

١٣٥٨٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٣٥٨٩ – حدثني المثنى قال ، حدثنا معلى بن أسد قال، حدثنا خالد ، عن حصين ، عن أبي مالك في قول الله : « إن الله فالق الحب والنوى » ، قال : الشق الذي يكون في النواة وفي الحنطة .

١٣٥٩٠ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام، عن عنبسة ، عن محمد ابن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد : « فالق الحب والنوى » ، قال : الشقان اللذان فيهما .

١٣٥٩١ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثني عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « فالق الحب والنوى » ، يقول : خالق الحب والنوى ، يعني كلّ حبة . ١٨٧/٧

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي ،ما قدّمنا القول به. وذلك أن الله جل ثناؤه أتبع ذلك بإخباره عن إخراجه الحي من الميت والميت من الحي ، فكان معلوماً بذلك أنه إنّما عنى بإخباره عن نفسه أنّه فالق الحب عن النبات ، والنوى عن الغُرُوس والأشجار ، كما هو مخرج الحي من الميت ، والميّت من الحي .

* * *

وأما القول الذي حكي عن الضحاك في معنى « فالق » ، أنه خالق ، فقولٌ = إن لم يكن أراد به أنّه خالق منه النبات والغُروس بفلقه إياه = لا أعرف له وجهاً ، لأنه لا يعرف في كلام العرب : « فلق الله الشيء » ، بمعنى : خلق .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ (٩٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : يخرج السنبل الحىّ من الحبّ الميت ، ومخرج الحبّ الميت من السنبل الحىّ ، والشجرِ الحىّ من النوى الميت ، والنوى الميّت من الشجر الحىّ .

* * *

والشجر ما دام قائماً على أصوله لم يجفّ ، والنبات على ساقه لم ييبَس ، فإن العرب تسميه « حيًّا » ، فإذا يبس وجفّ أو قطع من أصله ، سمّوه « ميتاً » .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل

* ذكر من قال ذلك :

١٣٥٩٢ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أما « يخرج الحى من الميت » ، فيخرج السنبلة الحية من الحبة الميتة ، ويخرج الحبة الميتة من السنبلة الحية ، ويخرج النخلة الحية من النواة الميتة ، ويخرج النواة الميتة من النخلة الحية .

١٣٥٩٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن السدى ، عن أبى مالك : « يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى » ، قال : النخلة من النواة ، والنواة من النخلة ، والحبة من السنبلة ، والسنبلة من الحبة .

* * *

وقال آخرون بما : –

١٣٥٩٤ – حدثنى به المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « إن الله فالق الحبّ والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحىّ » ، قال : يخرج

النطفة الميتة من الحى ، ثم يخرج من النطفة بشرًا حيًّا .

* * *

قال أبو جعفر : وإنما اخترنا التأويل الذى اخترنا فى ذلك ، لأنه عقيب قوله : « إن الله فالقُ الحب والنوى » ، على أن قوله : « يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى » ، وإن كان خبراً من الله عن إخراجه من الحبّ السنبل ومن السنبل الحب ، فإنه داخل فى عمومه ما رُوى عن ابن عباس فى تأويل ذلك . وكل ميّت أخرجه الله من جسمٍ حىٍّ ، وكل حىّ أخرجه الله من جسمٍ ميتٍ .

* * *

وأما قوله : «ذلكم الله» ، فإنه يقول : فاعل ذلك كلّه اللهُ جل جلاله = « فأنى تؤفكون » ، يقول : فأىّ وجوه الصدّ عن الحقّ ، أيها الجاهلون ، تصدّون عن الصواب وتصرفون ، (١) أفلا تتدبرون فتعلمون أنّه لا ينبغى أن يُجعل لمن أنعم عليكم بفلق الحب والنوى ، فأخرج لكم من يابس الحب والنوى زروعاً وحرُوثاً وثماراً تتغذون ببعضه وتفكّهون ببعضه ، شريكٌ فى عبادته ما لا يضر ولا ينفع ، ولا يسمع ولا يبصر ؟

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « فالق الإصباح » ، شاقٌّ عمود الصبح عن ظلمة الليل وسواده .(٢)

* * *

و«الإصباح » مصدر من قول القائل : « أصبحنا إصباحاً » .

* * *

(١) انظر تفسير « الأفك » فيما سلف ١٠ : ٤٨٥ ، ٤٨٦ .
(٢) انظر تفسير « الفلق » فيما سلف قريباً ص : ٥٥٠

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال عامة أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٥٩٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك : « فالق الإصباح » ، قال : إضاءة الصبح .

١٣٥٩٦ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد: « فالق الإصباح» ، قال: إضاءة الفجر. ١٨٨/٧

١٣٥٩٧ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٣٥٩٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « فالق الإصباح » ، قال : فالق الصُّبح .

١٣٥٩٩ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس فى قوله : « فالق الإصباح » ، يعنى بالإصباح ، ضوءَ الشمس بالنهار ، وضوءَ القمر بالليل .

١٣٦٠٠ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام قال ، حدثنا عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن القاسم بن أبى بزة ، عن مجاهد : « فالق الإصباح » ، قال : فالق الصبح .

١٣٦٠١ – حدثنا به ابن حميد مرة بهذا الإسناد، عن مجاهد، فقال فى قوله : « فالق الإصباح » ، قال إضاءة الصبح .

١٣٦٠٢ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « فالق الإصباح » ، قال : فلق الإصباح عن الليل .

١٣٦٠٣ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ يقول، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله: « فالق الإصباح » ، يقول خالق النور ، نور النهار .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : خالق الليل والنهار .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٦٠٤ ــ حدثنا محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى، عن أبيه ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكَنًا ﴾ ، (١) يقول : خلق الليل والنهار .

* * *

وذكر عن الحسن البصرى أنه كان يقرأ: ﴿ فَالِقُ الأَصْبَاحِ ﴾، بفتح الألف، كأنه تأول ذلك بمعنى جمع « صبح » ، كأنه أراد صبح كل يوم ، فجعله « أصباحاً » ، ولم يبلغنا عن أحد سواه أنه قرأ كذلك . والقراءة التى لا نستجيز تعدِّيها، بكسر الألف : (٢) ﴿ فالِقُ الإِصْبَاح ﴾ ، لإجماع الحجة من القرأة وأهل التأويل على صحة ذلك ورفضِ خلافه .

* * *

وأما قوله : « وجاعِلُ الليل سكناً » ، فإن القرأة اختلفت فى قراءته .

فقرأ ذلك عامة قرأة أهل الحجاز والمدينة وبعض البصريين : (٣) ﴿ وَجَاعِلُ اللَّيْلِ ﴾ بالألف على لفظ الاسم، ورفعه عطفاً على « فالق »، وخفض « الليل » بإضافة «جاعل» إليه ، ونصب « الشمس والقمر » ، عطفاً على موضع « الليل »، لأن « الليل » وإن كان مخفوضاً فى اللفظ ، فإنه فى موضع النصب ، لأنه مفعول «جاعل». وحسن عطف ذلك على معنى «الليل» لا على لفظه ، لدخول قوله: «سكناً» بينه وبين « الليل » ، قال الشاعر : (٤)

قُعُودًا لَدَى الأَبْوَابِ طُلَّابَ حاجَةٍ عَوَانٍ مِنَ الْحَاجَاتِ أَوْحَاجَةً بِكْرَا (٥)

---

(١) هذه قراءة أهل الحجاز كما سيذكر بعد ، وتركتها على قراءتهم فى هذا الخبر .

(٢) فى المطبوعة : « لا نستجيز غيرها » ، بدل ما كان فى المخطوطة وهو محض صواب .

(٣) فى المطبوعة : « عامة قراء الحجاز » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٤) هو الفرزدق .

(٥) سلف البيت وتخريجه وتفسيره فيما سلف ٢ : ١٩٥ ، وأزيد هنا مجاز القرآن لأبى عبيدة

فنصب « الحاجة » الثانية ، عطفاً بها على معنى « الحاجة » الأولى ، لا على لفظها ، لأن معناها النصب ، وإن كانت فى اللفظ خفضاً . وقد يجىء مثل هذا أيضاً معطوفاً بالثانى على معنى الذى قبله لا على لفظه ، وإن لم يكن بينهما حائل ، كما قال بعضهم : (١)

بَيْنَا نَحْنُ نَنْظُرُهُ أَتَانَا مُعَلِّقَ شِكْوَةٍ وَزِنَادَ رَاعِ (٢)

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفيين : ﴿ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ ﴾ ، على « فَعَلَ » ، بمعنى الفعل الماضى ، ونصب « الليل » .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال : إنهما قراءتان مستفيضتان فى قرأة الأمصار ، متفقتا المعنى ، غير مختلفتيه ، فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب فى الإعراب والمعنى .

* * *

وأخبر جل ثناؤه أنه جعل الليل سكناً ، لأنه يسكن فيه كل متحرك بالنهار ، ويهدأ فيه ، فيستقر فى مسكنه ومأواه .

* * *

---

١ : ٢٠١ وروى هناك : « قعود » بالرفع ، كما أشرت إليه ثم .

(١) لرجل من قيس عيلان ، ونسب أيضاً لنصيب .

(٢) سيبويه ١ : ٨٧ ، معانى القرآن للفراء ١ : ٣٤٦ ، الصاحبى : ١١٨ ، شرح شواهد المغنى : ٢٧٠ ، والذى هنا رواية الفراء وابن فارس . ورواية سيبويه « بيننا نحن نطلبه » ، وفى شرحه « نرقبه » ، وروايته أيضاً « معلق وفضة » . وكان فى المطبوعة هنا : « فبينا » بالفاء ، وأثبت ما فى المخطوطة . وفى المطبوعة : « شلوه » وهو خطأ .

« ننظره » : نرقبه وننتظره . و « الشكوة » : وعاء كالدلو أو القربة الصغيرة ، يبرد فيه الماء ، ويحبس فيه اللبن . وأما « الوفضة » ، فهى خريطة كالجعبة ، يحمل فيها الراعى أداته وزاده .

ولم أجد بقية الشعر .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى ذلك :

فقال بعضهم : معنى ذلك : وجعل الشمس والقمر يجريان فى أفلاكهما بحساب .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٦٠٥ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « والشمس والقمر حسباناً » ، يعنى عدد الأيام والشهور والسنين . ١٨٩/٧

١٣٦٠٦ ــ حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « والشمس والقمر حسباناً » ، قال : يجريان إلى أجلٍ جُعل لهما .

١٣٦٠٧ ــ حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « والشمس والقمر حسباناً » ، يقول : بحساب .

١٣٦٠٨ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع فى قوله : « والشمس والقمر حسباناً » ، قال : الشمس والقمر فى حساب ، فإذا خَلَتْ أيامهما فذاك آخرُ الدهر ، وأول الفزع الأكبر = « ذلك تقدير العزيز العليم » .

١٣٦٠٩ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله ، « والشمس والقمر حسباناً » ، قال : يدوران فى حساب .

١٣٦١٠ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن

ابن جريج ، عن مجاهد : « والشمس والقمر حسباناً » ، قال هو مثل قوله : ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [سورة يس: ٤٠] ، ومثل قوله: ﴿ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ [سورة الرحمن : ٥].

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : وجعل الشمس والقمر ضياء .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٦١١ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « والشمس والقمر حسباناً » ، أى ضياء .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى تأويل ذلك عندى بالصواب ، تأويل من تأوّله : وجعل الشمس والقمرَ يجريان بحساب وعددٍ لبلوغ أمرهما ونهاية آجالهما ، ويدوران لمصالح الخلق التى جُعِلا لها .

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية ، لأن الله تعالى ذكره، ذكَر قبلَه أياديه عند خلقه ، وعظم سلطانه ، بفلقه الإصباح لهم ، وإخراج النبات والغِراس من الحب والنوى ، وعقّب ذلك بذكره خلق النجوم لهدايتهم فى البر والبحر . فكان وصفه إجراءه الشمس والقمرَ لمنافعهم ، أشبه بهذا الموضع من ذكر إضاءتهما ، لأنه قد وصف ذلك قبلُ بقوله : « فالق الإصباح » ، فلا معنى لتكريره مرة أخرى فى آية واحدة لغير معنى .

* * *

و« الحسبان » فى كلام العرب جمع « حِساب » ، كما « الشُّهبان » جمع « شهاب ». [1] وقد قيل إن « الحسبان » ، فى هذا الموضع مصدر من قول القائل : « حَسَبْتُ الحساب أحسُبُه حِساباً وحُسْباناً». وحكى عن العرب : « على الله حُسْبان فلان وحِسْبته » ، أى : حسابه .

* * *

(١) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٠١ .

وأحسب أن قتادة فى تأويل ذلك بمعنى الضياء ، ذهب إلى شىء يروى عن ابن عباس فى قوله : ﴿ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ ﴾، [سورة الكهف : ٤٠]. قال : ناراً ، فوجه تأويل قوله : « والشمس والقمر حسباناً » ، إلى ذلك التأويل . وليس هذا من ذلك المعنى فى شىء .

* * *

وأما « الحِسبان » بكسر « الحاء »، فإنه جمع « الحِسبانة »،[1] وهى الوسادة الصغيرة ، وليست من الأوَّلين أيضاً فى شىء . يقال : « حَسَّبته » ، أجلستُه عليها.

* * *

ونصب قوله : « حسباناً » بقوله : « وجعل » .

* * *

وكان بعض البصريين يقول : معناه « والشمس والقمرَ حُسباناً »، أى : بحساب، فحذف « الباء »، كما حذفها من قوله: ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ [سورة الأنعام : ١١٧]، أى : أعلم بمن يضل عن سبيله .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ (٩٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وهذا الفعل الذى وصفه أنه فعله ، وهو فلقه الإصباح ، وجعله الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ، تقدير الذى عزّ سلطانه، فلا يقدر أحد أراده بسوء وعقاب أو انتقام، من الامتناع منه = «العليم»، بمصالح خلقه وتدبيرهم = لا تقديرُ الأصنام والأوثان التى لا تسمع ولا تبصر ، ولا تفقه شيئاً ولا تعقله ، ولا تضر ولا تنفع ، وإن أريدت بسوء لم تقدر على ١٩٠/٧

(١) هكذا قال أبو جعفر « بكسر الحاء » ، والذى أطبقت عليه كتب اللغة أنه بضم الحاء ، ولم يشيروا إلى كسر الحاء فى هذه .

(٢) قائل هذا هو الأخفش ، كما هو بين فى لسان العرب (حسب) .

الامتناع منه ممن أرادها.[١] يقول جل ثناؤه : فأخلصوا ،أيها الجهلة، عبادتكم لفاعل هذه الأشياء ، ولا تشركوا فى عبادته شيئاً غيره .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٩٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : والله الذى جعل لكم ، أيها الناس ، النجوم أدلةً فى البر والبحر إذا ضللتم الطريق ، أو تحيرتم فلم تهتدوا فيها ليلاً ، تستدلّون بها على المحجّة ، فتهتدون بها إلى الطريق والمحجة، فتسلكونه وتنجون بها من ظلمات ذلك ، كما قال جل ثناؤه : ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [سورة النحل : ١٦] ،أى : من ضلال الطريق فى البرّ والبحر = وعنى بالظلمات، ظلمة الليل ، وظلمة الخطأ والضلال ، وظلمة الأرض أو الماء .

* * *

وقوله : « قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون » ، يقول: قد ميّزنا الأدلة ، وفرّقنا الحجج فيكم وبيّناها ، أيها الناس، [٢] ليتدبّرها أولو العلم بالله منكم، ويفهمها أولو الحجى منكم ، فينيبوا من جهلهم الذى هم مقيمون عليه ، ويتزجروا عن خطأ فعلهم الذى هم عليه ثابتون ، ولا يتمادوا عناداً لله = مع علمهم بأن ما هم عليه مقيمون خطأ = فى غيّهم .[٣]

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

---

(١) انظر تفسير « العزيز » ، و « العليم » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٢) انظر تفسير « فصل » فيما سلف ص : ٣٩٤ – ٣٩٦

(٣) فى المطبوعة : « ولا يتمادوا فى عناد الله » ، زاد « فى » ، فأفسد الكلام غاية الإفساد ، وسياق العبارة « ولا يتمادوا عناداً لله . . . فى غيهم » ، وفصلت الجملة المعترضة بخطين .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٦١٢ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر » ، قال : يضلّ الرجل وهو في الظلمة والجور عن الطريق .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ (٩٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وإلهكم ، أيها العادلون بالله غيره = « الذي أنشأكم » ، يعني : الذي ابتدأ خلقكم من غير شيء ، فأوجدكم بعد أن لم تكونوا شيئاً [1] = « من نفس واحدة » ، يعني : من آدم كما :–

١٣٦١٣ – حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « من نفس واحدة »، قال : آدم عليه السلام.

١٣٦١٤ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة » ، من آدم عليه السلام .

* * *

وأما قوله : « فمستقر ومستودع » ، فإن أهل التأويل في تأويله مختلفون .

فقال بعضهم : معنى ذلك : وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة، فمنكم مستقرٌّ في الرحم ، ومنكم مستودع في القبر حتى يبعثه الله لنَشْر القيامة .

* ذكر من قال ذلك

١٣٦١٥ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو معاوية ، عن إسمعيل بن أبي خالد ، عن إبراهيم ، عن عبد الله : ﴿ يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ ، [سورة هود : ٦] . قال : «مستقرها » ، في الأرحام = « ومستودعها » ، حيث تموت .

(١) انظر تفسير « أنشأ » فيما سلف : ٢٦٣ ، ٢٦٤

١٣٦١٦ – حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم ، عن إسمعيل، عن إبراهيم ، عن عبد الله أنه قال : « المستودع » حيث تموت ، و « المستقر » ، ما في الرحم .

١٣٦١٧ – حدثت عن عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن السدى ، عن مرة ، عن عبد الله بن مسعود قال : « المستقر » ، الرحم ، و « المستودع »، المكان الذى تموت فيه .

١٣٦١٨ – حدثني محمد بن عبيد المحاربي قال، حدثنا محمد بن فضيل ، وعلى بن هاشم ، عن إسمعيل بن أبي خالد ، عن إبراهيم : ﴿ يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ ، قال : ﴿ مُسْتَقَرَّهَا ﴾ ، في الأرحام = ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ ، في الأرض ، حيث تموت فيها .

١٣٦١٩ – حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا، حدثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن مقسم قال : « مستقرها » ، في الصلب حيث تأوى إليه = « ومستودعها » ، حيث تموت .

* * *

وقال آخرون : « المستودع » ، ما كان في أصلاب الآباء = و « المستقر » ، ما كان في بطون النساء ، وبطون الأرض ، أو على ظهورها . ١٩١/٧

* ذكر من قال ذلك :

١٣٦٢٠ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا كلثوم بن جبر ، عن سعيد بن جبير في قوله : « فمستقر ومستودع » ، قال : مستودعون ، ما كانا في أصلاب الرجال . فإذا قرّوا في أرحام النساء أو على ظهر الأرض أو في بطنها ، فقد استقرّوا .

١٣٦٢١ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا ابن علية، عن كلثوم بن جبر ، عن سعيد بن جبير : « فمستقر ومستودع » ، قال: المستودعون ما كانوا في أصلاب الرجال . فإذا قرّوا في أرحام النساء أو على ظهر الأرض ، فقد استقروا .

١٣٦٢٢ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن المغيرة بن النعمان ، عن سعيد بن جبير قال ، قال ابن عباس : ﴿ يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ ، [سورة هود : ٦] . قال : « المستودع » فى الصلب = و « المستقر » ، ما كان على وجه الأرض أو فى الأرض. (١)

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فمستقر فى الأرض على ظهورها ، ومستودع عند الله .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٦٢٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن المغيرة ، عن أبى الجبر بن تميم بن حذلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « المستقر » الأرض ، « والمستودع » ، عند الرحمن . (٢)

---

(١) الأثر : ١٣٦٢٢ – « المغيرة بن النعمان النخعى » ، يروى عن سعيد بن جبير ، وروى عنه شعبة ، والثورى ، ومسعر ، وغيرهم . ثقة . مترجم فى التهذيب، والكبير ٣٢٥/١/٤ ، وابن أبى حاتم ٢٣١/١/٤ .

(٢) الأثر : ١٣٦٢٣ – « المغيرة » فى هذا الإسناد ، هو « المغيرة بن مقسم الضبى » ، إمام مشهور ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ٩٢٩٢ .

و « أبو الجبر بن تميم بن حذلم » ،كان فى المطبوعةهنا ، وفى رقم : ١٣٦٢٩، ١٣٦٣٧« أبو الخير تميم بن حذلم » ، وفى المخطوطة : « أبو الحر تميم بن حذلم » ، غير منقوطة وبإسقاط « بن » ، وهو خطأ . فإن « تميم بن حذلم الضبى » كنيته « أبو سلمة » ، أو « أبو حذلم » ، وهو من أصحاب عبد الله بن مسعود ، وأدرك أبا بكر ، فهو تابعى قديم ، وليس يروى عنه « مغيرة » ، إنما يروى عنه من طريق ابنه هذا ، ومن طريق إبراهيم النخعى . وهو مترجم فى التهذيب ، والكبير ١٥١/٢/١ ، ١٥٢ ، وابن أبى حاتم ٤٤٢/١/١ .

وأما ابنه « أبو الجبر بن تميم » ، فاسمه « عبد الرحمن بن تميم بن حذلم الضبى » ، روى عنه أبو إسحق الهمدانى ، ومغيرة . فلذلك صححت ما كان فى المخطوطة ، والمطبوعة ، وزدت « بن » ، وكذلك أشار إليه البخارى فى التاريخ وغيره فى ترجمة أبيه ، الكبير ١٥١/٢/١ ، ١٥٢ .

و « أبو الجبر » بالجيم والباء ، وهو مذكور فى أكثر الكتب « أبو الخير »، وهو خطأ، ضبطه عبد الغنى فى المؤتلف والمختلف ، وابن ماكولا ، والدولابى ، وكذلك ذكره ابن أبى حاتم فى الكنى (٣٥٥/٢/٤) فى حرف الجيم ، وهو مترجم أيضاً فيه ٢١٨/٢/٢ . وانظر الأثرين التاليين رقم : ١٣٦٢٩ ، ١٣٦٣٧ .

١٣٦٢٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : « المستقر »، الأرض ، و« المستودع »، عند ربك .

١٣٦٢٥ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ،عن إسمعيل بن أبي خالد، عن إبراهيم قال، قال عبد الله: « مستقرها »، فى الدنيا ، « ومستودعها » ، فى الآخرة = يعنى = « فمستقر ومستودع » .

١٣٦٢٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير قال :« المستودع » ، فى الصلب ، و « المستقر » ، فى الآخرة وعلى وجه الأرض .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : فمستقر فى الرحم ، ومستودع فى الصلب .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٦٢٧ – حدثنا هناد قال، حدثنا أبو الأحوص، عن أبي الحارث ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قول الله : « فمستقر ومستودع »،قال : مستقر فى الرحم ، ومستودع فى صلب ، لم يخلق سَيُخلق .(١)

١٣٦٢٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن يحيى الجابر ، عن عكرمة: « فمستقر ومستودع »، قال : « المستقر » ،الذى قد استقر فى الرحم ، و « المستودع » ، الذى قد استودع فى الصلب . (٢)

١٣٦٢٩ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن أبي الجبر بن تميم ، عن سعيد بن جبير ، قال ابن عباس : سل ! فقلت : « مستقرّ

---

(١) فى المطبوعة : « وسيخلق » بزيادة الواو ، ولا ضرورة لها .

(٢) الأثر : ١٣٦٢٨ – « يحيى الجابر » ، هو « يحيى بن الجبر » منسوباً لجده ، و « يحيى ابن عبد الله بن الحارث بن الجبر التيمى»، مضى برقم : ١٠١٨٨ – ١٠١٩٠ ، وكان فى المطبوعة هنا « يحيى الجابرى » ، وهو خطأ صرف .

ومستودع » ؟ قال : « المستقر »، فى الرحم، و«المستودع»، ما استودع فى الصلب .[1]

١٣٦٣٠ – حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ، حدثنا ابن إدريس، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس فى قوله : « فمستقر ومستودع » ، قال : « المستقر » الرحم، و « المستودع » ، ما كان عند رب العالمين مما هو خالقه ولم يخلق .

١٣٦٣١ – حدثنى يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾، [سورة هود : ٦]، قال: « المستقر » ، ما كان فى الرحم مما هو حىٌّ، ومما قد مات = و « المستودع » ، ما فى الصلب .

١٣٦٣٢ – حدثنى يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير قال : قال لى ابن عباس، وذلك قبل أن يَخْرُج وجهى[2]: أتزوّجت يا ابن جبير ؟ قال: قلت لا ، وما أريد ذاك يومى هذا ! قال فقال: أما إنه مع ذلك سيخرج ما كان فى صلبك من المستودَعين .

١٣٦٣٣ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير قال : قال لى ابن عباس : تزوجت ؟ قلت :لا ! قال : فضرب ظهرى وقال: ما كان من مستودَع فى ظهرك سيخرج .

١٩٢/٧ ١٣٦٣٤ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « فمستقر ومستودع » ، قال : « المستقر »، فى الأرحام، و« المستودع »، فى الصلب، لم يخلق وهو خالقه .

١٣٦٣٥ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى

---

(١) الأثر : ١٣٦٢٩ – « أبو الجبر بن تميم » ، انظر التعليق على رقم : ١٣٦٢٣ ، وكان فى المطبوعة : « أبو الخير تميم » ، وفى المخطوطة : « أبو الحبر تميم » غير منقوط ، وهما خطأ .

(٢) قوله : « وذلك قبل أن يخرج وجهى » ، يعنى : قبل أن تنبت لحيته ، وهذا تعبير عزيز لا تجد تفسيره فى كتب اللغة والمجاز ، فقيده .

معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « فمستقر ومستودع »، قال : « المستقر »، فى الرحم ، و « المستودع »، ما استودع فى أصلاب الرجال والدوابّ .

١٣٦٣٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد قال : « المستقر » ، ما استقرّ فى الرحم ، و« المستودع » ، ما استودع فى الصلب .

١٣٦٣٧ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير، عن مغيرة ، عن أبى الجبر بن تميم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، بنحوه .[1]

١٣٦٣٨ – حدثنا هناد قال، حدثنا عبيدة بن حميد، عن عمار الدهنى ، عن رجل ، عن كريب قال : دعانى ابن عباس فقال : اكتب : « بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله بن عباس، إلى فلان حَبْر تَيْماء، سلامٌ عليك، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلاّ هو ، أما بعد = قال ، فقلت : تبدؤه تقول : السلام عليك ؟ فقال : إن الله هو السلام = ثم قال : اكتب : « سلامٌ عليك ، أما بعد، فحدثنى عن : « مستقر ومستودع ». قال : ثم بعثنى بالكتاب إلى اليهودى، فأعطيته إياه . فلما نظر إليه قال : مرحباً بكتاب خليلى من المسلمين ! فذهب بى إلى بيته ، ففتح أسفاطاً له كبيرة ،[2] فجعل يطرح تلك الأشياء لا يلتفت إليها . قال قلت : ما شأنك ؟ قال : هذه أشياء كتبها اليهود ! حتى أخرج سفر موسى عليه السلام ، قال : فنظر إليه مرتين فقال : « المستقر » ، الرحم ، قال : ثم قرأ : ﴿وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾ [سورة الحج : ٥] ، وقرأ : ﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ﴾ ، [سورة البقرة : ٣٦] ، [سورة الأعراف : ٢٤] . قال : مستقرُّه فوق

---

(١) الأثر : ١٣٦٣٧ – « أبو الجبر بن تميم » ، مضى برقم : ١٣٦٢٣ ، ١٣٦٢٩ ، تصحيحه ، وكان هنا أيضاً فى المطبوعة : « أبو الخير تميم » ، وفى المخطوطة : « أبو الحبر تميم » غير منقوط .

(٢) « الأسفاط » جمع « سفط » (بفتحتين) : وهو وعاء كالجوالق ، وبين الحبر هنا أنهم كانوا يستخدمونه فى حفظ الكتب والأسفار .

الأرض ، ومستقرُّه فى الرحم ، ومستقره تحت الأرض حتى يصير إلى الجنة أو إلى النار .[١]

١٣٦٣٩ – حدثنا هناد قال، حدثنا قبيصة ، عن سفيان، عن ابن جريج ، عن عطاء : « فمستقر ومستودع » ، قال : « المستقر » ، ما استقر فى أرحام النساء ، و « المستودع » ، ما استودع فى أصلاب الرجال .

١٣٦٤٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبيد الله ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء قال : « المستقر » ، الرحم ، و « المستودع » فى أصلاب الرجال .

١٣٦٤١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا روح بن عبادة، عن ابن جريج ، عن عطاء = وعن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد = قال : « المستقر» ، الرحم ، و« المستودع »، فى الأصلاب .

١٣٦٤٢ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فمستقر » ، ما استقر فى أرحام النساء = « ومستودع » ، ما كان فى أصلاب الرجال .

١٣٦٤٣ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

١٣٦٤٤ – حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا،حدثنا جرير، عن ليث ، عن مجاهد قال : « المستقر » ، ما استقر فى الرحم ، و« المستودع »، ما استودع فى الصلب .

١٣٦٤٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن يمان، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : « المستقر » ، الرحم ، « والمستودع » ، الصلب .

---

(١) الأثر : ١٣٦٣٨ – « كريب » هو « كريب بن أبى مسلم الهاشمى » مولى ابن عباس ، تابعى ثقة ، مضى برقم : ١٠٧٥ .

١٣٦٤٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا معاذ بن معاذ ، عن ابن عون قال : أتينا إبراهيم عند المساء فأخبرونا أنه قد مات ، فقلنا : هل سأله أحدٌ عن شيء ؟ قالوا : عبد الرحمن بن الأسود ، عن «المستقر» و «المستودع» ، فقال: «المستقر» ، في الرحم ، و «المستودع» ، في الصلب .

١٣٦٤٧ – حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا ابن عون قال : أتينا إبراهيم وقد مات ، قال : فحدثني بعضهم : أنّ عبد الرحمن بن الأسود سأله قبل أن يموت عن «المستقر» و «المستودع»، فقال : «المستقر»، في الرحم ، «والمستودع» ، في الصلب .

١٣٦٤٨ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال،حدثنا بن علية،عن ابن عون: أتينا منزل إبراهيم ، فسألنا عنه فقالوا : قد توفي . وسأله عبد الرحمن بن الأسود ، فذكر نحوه . ١٩٣/٧

١٣٦٤٩ – حدثني به يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية ، عن ابن عون : أنه بلغه : أنّ عبد الرحمن بن الأسود سأل إبراهيم عن ذلك ، فذكر نحوه .

١٣٦٥٠ – حدثنا عبيد الله بن محمد الفريابي قال، حدثنا ضمرة بن ربيعة، عن العلاء بن هرون قال : انتهيت إلى منزل إبراهيم حين قبض ، فقلت لهم : هل سأله أحد عن شيء ؟ قالوا : سأله عبد الرحمن بن الأسود عن «مستقر ومستودع» ، فقال : أما «المستقر»،فما استقر في أرحام النساء ، و«المستودع» ، ما في أصلاب الرجال .(١)

---

(١) الأثر : ١٣٦٥٠ – «عبيد الله بن محمد بن هارون الفريابي» ، شيخ الطبري ، مضى برقم : ١٧ ، ٩٢٢٧ .

و «ضمرة بن ربيعة الفلسطيني» ، مضى برقم : ٧١٣٤ ، ١٢٨٦٨ .

و «العلاء بن هارون الواسطي» ، سكن الرملة . روى عن ابن عون . ثقة، مترجم في التهذيب، وابن أبي حاتم ٣٦٢/١/٣ .

وأخشى أن يكون هذا الخبر ، عن العلاء بن هرون، عن ابن عون، بل أرجح أن يكون كذلك .

١٣٦٥١ – حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا، حدثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد فى : « فمستقر ومستودع » ، قال : « المستقر » ، الرحم ، و « المستودع » ، الصلب .

١٣٦٥٢ – حدثنى يونس قال، حدثنى سفيان ، عن رجل حدَّثه ، عن سعيد بن جبير قال : قال لى ابن عباس : ألا تنكح ؟ ثم قال : أما إنى أقول لك هذا ، وإنى لأعلم أن الله مخرجٌ من صلبك ما كان فيه من مستودَع .[1]

١٣٦٥٣ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : « المستقر » ، فى الرحم ، و « المستودع »، فى الصلب .

١٣٦٥٤ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة، عن ابن عباس : « فمستقر ومستودع »، قال : « مستقر »، فى الرحم ، و « مستودع » ، فى الصلب .

١٣٦٥٥ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر، عن قتادة : «فمستقر ومستودع»، قال : « مستقر »، فى الرحم، و«مستودع»، فى الصلب .

١٣٦٥٦ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، حدثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك : « فمستقر ومستودع»، أما « مستقر » ، فما استقر فى الرحم = وأما « مستودع » ، فما استودع فى الصلب .

١٣٦٥٧ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « فمستقر ومستودع » ، قال : «مستقر »، فى الأرحام، « ومستودع »؛ فى الأصلاب .

١٣٦٥٨ – حدثنى المثنى قال، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا

---

(١) فى المطبوعة : « ما كان فيه مستودعاً » ، غير ما فى المخطوطة بلا طائل .

حماد ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير = وأبي حمزة ، عن إبراهيم = قالا : « مستقر ومستودع » ، « المستقر » ، في الرحم ، و« المستودع » ، في الصلب .

* * *

وقال آخرون : « المستقر » ، في القبر ، « والمستودع » ، في الدنيا .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٦٥٩ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كان الحسن يقول : « مستقر » ، في القبر ، « ومستودع » في الدنيا ، وأوشك أن يلحق بصاحبه .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلات في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله جل ثناؤه عمّ بقوله : « فمستقر ومستودع » ، كلّ خلقه الذي أنشأ من نفس واحدة ، مستقرًّا ومستودعاً ، ولم يخصص من ذلك معنى دون معنى . ولا شك أنّ من بني آدم مستقراً في الرحم ، ومستودَعاً في الصلب ، ومنهم من هو مستقر على ظهر الأرض أو بطنها ، ومستودع في أصلاب الرجال ، ومنهم مستقر في القبر ، مستودع على ظهر الأرض . فكلُّ «مستقر» أو «مستودع» بمعنى من هذه المعاني ، فداخل في عموم قوله : « فمستقر ومستودع » ومراد به ، إلاّ أن يأتي خبرٌ يجب التسليم له بأنه معنيٌّ به معنى دون معنى ، وخاص دون عام .

* * *

واختلفت القرأة في قراءة قوله : « فمستقر ومستودع » .

فقرأت ذلك عامة قرأة أهل المدينة والكوفة : ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ ، بمعنى : فمنهم من استقرّه الله في مقرّه ، فهو مستقَرٌّ = ومنهم من استودعه الله فيما استودعه فيه ، فهو مستودَع فيه .

* * *

وقرأ ذلك بعض أهل المدينة وبعض أهل البصرة : ﴿ فَمُسْتَقِرٌّ ﴾ ، بكسر « القاف »

بمعنى : فمنهم من استقرّ فى مقرّه ، فهو مستقِرّ به .

* * *

١٩٤/٧ وأولى القراءتين بالصواب عندى ، وإن كان لكليهما عندى وجه صحيح : ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ ﴾، بمعنى : استقرّه الله فى مستقَرِّه ، ليأتلف المعنى فيه وفى « المستودَع »، فى أن كل واحد منهما لم يسمَّ فاعله، وفى إضافة الخبر بذلك إلى الله فى أنه المستقِرُّ هذا ، والمستودِع هذا . وذلك أن الجميع مجمعون على قراءة قوله : « ومستودَع » بفتح « الدال » على وجه ما لم يسمَّ فاعله، فإجراء الأوّل = أعنى قوله : « فمستقر » = عليه ، أشبه من عُدُوله عنه .

* * *

وأما قوله : « قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون »، يقول تعالى: قد بيّنا الحجج، وميزنا الأدلة والأعلام وأحكمناها [1]= « لقوم يفقهون » ، مواقعَ الحجج ومواضع العبر ، ويفهمون الآيات والذكر ، [2] فإنهم إذا اعتبروا بما نبّهتهم عليه من إنشائى من نفس واحدة ما عاينوا من البشر ، وخلقى ما خلقت منها من عجائب الألوان والصور ، علموا أنّ ذلك من فعل من ليس له مثل ولا شريك فيشركوه فى عبادتهم إياه ، كما : —

١٣٦٦٠ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون » ، يقول : قد بينا الآيات لقوم يفقهون .

* * *

(١) انظر تفسير « فصل » فيما سلف ص : ٥٦١ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « فقه » فيما سلف ص : ٤٣٣ ، تعليق ٢ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : والله الذى له العبادة خالصة لا شريك فيها لشيء سواه، [1] هو الإله الذى أنزل من السماء ماء = « فأخرجنا به نبات كل شيء »، فأخرجنا بالماء الذى أنزلناه من السماء من غذاء الأنعام والبهائم والطير والوحش وأرزاق بنى آدم وأقواتهم ، ما يتغذون به ويأكلونه فينبُتون عليه وينمون . وإنما معنى قوله : « فأخرجنا به نبات كل شيء » ، فأخرجنا به ما ينبت به كل شيء وينمو عليه ويصلحُ .

* * *

ولو قيل : معناه : فأخرجنا به نبات جميع أنواع النبات، فيكون « كل شيء »، هو أصناف النبات = كان مذهباً ، وإن كان الوجه الصحيح هو القولَ الأول . [2]

* * *

وقوله : « فأخرجنا منه خضراً » ، يقول : « فأخرجنا منه » ، يعنى : من الماء الذى أنزلناه من السماء = « خَضِراً » ، رطباً من الزرع .

* * *

« والخضر »، هو « الأخضر »، كقول العرب : « أرنيهَا نَمِرة، أُرِكْها مَطِرَة » . [3] يقال : « خَضِرَت الأرض خَضَراً . وخَضَارة » . [4] و « الخضر » رطب البقول،

(١) فى المطبوعة : « لا شركة فيها لشيء سواه » ، غير ما فى المخطوطة بسوء رأى ! !

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٤٧ .

(٣) هذا مثل ، نسبه صاحب اللسان فى (نمر) إلى أبى ذؤيب الهذلى ، ولم ينسبه فى (خضر) ، ورواه الميدانى فى الأمثال ١ : ٢٥٨ ، وأبو هلال فى جمهرة الأمثال : ١٤ ، ولم ينسباه إليه ، وأذكر أنى قرأت قصته ثم افتقدتها الآن فلم أجدها . وقوله : « نمرة » يعنى ، سحابة ، وهو أن يكون سواد وبياض ونمرة ، يضرب مثلا فى صحة مخيلة الشيء ، وصحة الدلالة عليه . وذلك إذا رأيت دليل الشيء ، علمت ما يتبعه .

(٤) « الخضارة » مصدر ، مثل « الغضارة » ، لم يذكر فى مادته من كتب اللغة .

ويقال : « نخلة خضيرة »، إذا كانت ترمى ببسرها أخضر قبل أن ينضج . و« قد اختُضِر الرجل » و « اغتُضِر »، إذا مات شابًّا مُصَحَّحاً . ويقال : « هو لك خَضِرًا مَضِرًا » ، أى هنيئاً مريئاً .[1]

* * *

قوله : « نخرج منه حبًّا متراكباً» ، يقول : نخرج من الخضر حبًّا = يعنى : ما فى السنبل ، سنبل الحنطة والشعير والأرز ،[2] وما أشبه ذلك من السنابل التى حبُّها يركب بعضه بعضاً .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٦٦١ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « منه خضرًا نخرج منه حبًّا متراكباً » ، فهذا السنبل .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ومن النخل من طلعها قنوانه دانية ،[3] = ولذلك رفعت « القِنوان » .

* * *

---

(١) ذكره صاحب اللسان فى (خضر) ، ولم يذكره فى (مضر) . و « المضر » الغض الطرى .

(٢) انظر تفسير « الحب » فيما سلف ص : ٥٥٠

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « ومن النخل من طلعها قنوان دانية » ، وهو نص الآية ، وهو بيان لا يستقيم ، وإنما الصواب ما أثبت ، استظهرته من معانى القرآن للفراء ١ : ٣٤٧ .

و« القنوان » جمع « قِنْو »، كما « الصنوان» جمع «صِنْو »، وهو العِذْق، (١) يقال للواحد هو « قِنْو »، و«قُنْو » و«قَنَا »، يثنى «قِنوانِ »، ويجمع « قنوانٌ » و« قُنوانٌ ». (٢) قالوا فى جمع قليله : « ثلاثة أقْناء». و«القِنوان »من لغة الحجاز، و « القُنْوان » ، من لغة قيس ، وقال امرؤ القيس :

فَأَثَّتْ أَعَالِيهِ ، وَآدَتْ أُصُولُهُ وَمَالَ بِقِنْوانٍ مِنَ البُسْرِ أَحْمَرَا(٣)

و « قِنْيان » ، جميعاً ، وقال آخر : (٤) ١٩٥/٧

لَهَا ذَنَبٌ كَالْقِنْوِ قَدْ مَذِلَتْ بِهِ وَأَسْحَمَ لِلتَّخْطَارِ بَعْدَ التَّشَذُّرِ (٥)

---

(١) « العذق » (بكسر فسكون) : كباسة النخل وعراجينها .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٠٢ .

(٣) ديوانه : ٦٧ ، واللسان (قنا) ، وغيرها كثير . من قصيدته المستجادة ، وهو من أولها ، يصف ظعن الحى يشبهها بالنخل، يقول قبله :

بِعَيْنَيَّ ظُعْنُ الحَيِّ لَمَّا تَحَمَّلُوا لَدَى جَانِبِ الأَفْلَاجِ مِنْ جَنْبِ تَيْمَرَا
فَشَبَّهْتُهُمْ فِى الآلِ لَمَّا تَكَمَّشُوا حَدَائِقَ دَوْمٍ ، أَوْ سَفِيناً مُقَيَّرَا
أَوِ المُكْرِعَاتِ مِن نَخِيلِ ابْنِ يَامِنٍ دُوَيْنَ الصَّفَا اللَّائِى يَلِينَ المُشَقَّرَا
سَوَامِقَ جَبَّارٍ أَثِيثٍ فُرُوعُهُ وَعَالَيْنَ قِنْوَاناً مِنَ البُسْرِ أَحْمَرَا

فهذه رواية أخرى غير التى رواها أبو جعفر وغيره . وقوله : « فأثت أعاليه » : أى : عظمت والتفت من ثقل حملها . وقوله : « آدت » ، أى تثنت ومالت .

(٤) لم أعرف قائله .

(٥) رواه أبو زيد فى نوادره : ١٨٢ ، بيتاً مفرداً ، وقال فى تفسيره : « التشذر » ، إذا لقحت الناقة عقدت ذنبها ونصبته على عجزها من التخيل ، فذاك التشذر . و « المذل » (بفتحتين) : أن لا تحرك ذنبها . ولم أعرف لقوله « أسحم » فى هذا البيت معنى ، ورواية أبى زيد : « وأسمح » ، وهو حق المعنى فيما أرجح . و « التخطار » ، مصدر « خطر الفحل بذنبه خطراً وخطراناً وخطيراً » ، رفعه مرة بعد مرة ، وضرب به حاذيه ، وهما ما ظهر من فخذيه حيث يقع شعر الذنب . وهذا المصدر لم يذكر فى شىء من معاجم اللغة . والمعنى : أنها أقرت ذنبها ، ثم أسمح لها بعد نشاطها وتبخترها فاسترخى . هكذا ظننت معناه .

وتمم تقول : « قُنْيان » بالياء .

* * *

ويعنى بقوله : « دانية » ، قريبة متهدّلة .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٦٦٢ ــ حدثنا المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « قنوان دانية » ، يعنى بـ « القنوان الدانية »، قصار النخل ، لاصقة عُذُوقها بالأرض .

١٣٦٦٣ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « من طلعها قنوان دانية » ، قال : عذوق متهدلة .

١٣٦٦٤ ــ حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « قنوان دانية » ، يقول : متهدلة .

١٣٦٦٥ ــ حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى = عن سفيان، عن أبى إسحق ، عن البراء فى قوله : «قنوان دانية »، قال : قريبة .

١٣٦٦٦ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن أبى إسحق ، عن البراء بن عازب : « قنوان دانية » ، قال : قريبة .

١٣٦٦٧ ــ حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ومن النخل من طلعها قنوان دانية » ، قال : الدانية ، لتهدُّل العُذوق من الطلع .

١٣٦٦٨ ــ حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « ومن النخل من طلعها قنوان دانية » ، يعنى النخل القصارَ الملتزقة بالأرض، و« القنوان » طلعه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وأخرجنا أيضاً جنات من أعناب = يعنى : بساتينَ من أعناب . (١)

* * *

واختلف القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأه عامة القرأة : ﴿ وَجَنَّاتٍ ﴾ نصباً، غير أن « التاء » كسرت، لأنها « تاء » جمع المؤنث ، وهى تخفض فى موضع النصب . (٢)

* * *

وقـــد :—

١٣٦٦٩ — حدثنى الحارث قال، حدثنا القاسم بن سلام ، عن الكسائى قال، أخبرنا حمزة، عن الأعمش أنه قرأ: ﴿وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ﴾ .

* * *

= بالرفع ، فرفع « جنات» على إتباعها « القنوان » فى الإعراب ، وإن لم تكن من جنسها ، كما قال الشاعر :

وَرَأَيْتِ زَوْجَكِ فِى الوَغَى مُتَقَلِّداً سَيْفاً وَرُمْحَا(٣)

* * *

قال أبو جعفر : والقراءة التى لا أستجيز أن يقرأ ذلك إلاّ بها ، النصبُ : ﴿ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ ﴾ ، لإجماع الحجة من القرأة على تصويبها والقراءة بها ، ورفضهم ما عداها ، وبُعْدِ معنى ذلك من الصواب إذا قرئ رفعاً .

* * *

---

(١) انظر تفسير « الجنات » فيما سلف من فهارس اللغة (جنن) .

(٢) فى المطبوعة ، أسقط « فى » من الكلام سهواً .

(٣) مضى البيت وتخريجه مراراً ١ : ٦/١٤٠ : ١٠/٤٢٣ : ٤٠٨ .

وقوله : « والزيتون والرمان » ، عطف بـ «الزيتون » على « الجنات »، بمعنى : وأخرجنا الزيتونَ والرمان مشتبهاً وغير متشابه .

* * *

وكان قتادة يقول فى معنى : « مشتبهاً وغير متشابه » ، ما : —

١٣٦٧٠ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : « وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه » ، قال : مشتبهاً ورقه ، مختلفاً ثمرُه .

* * *

وجائز أن يكون مراداً به: مشتبهاً فى الخلق ، مختلفاً فى الطعم . (١)

* * *

قال أبو جعفر : ومعنى الكلام : وشجر الزيتون والرمان ، فاكتفى من ذكر « الشجر » بذكر ثمره ، كما قيل: ﴿ وَٱسْأَلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ ، [سورة يوسف : ٨٢] ، فاكتفى بذكر « القرية » من ذكر « أهلها »، لمعرفة المخاطبين بذلك بمعناه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ﴾

١٩٦/٧ قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة أهل المدينة وبعض أهل البصرة: ﴿ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ ﴾، بفتح « الثاء » و « الميم » .

* * *

وقرأه بعض قرأة أهل مكة وعامة قرأة الكوفيين : ﴿ إِلَى ثُمُرِهِ ﴾ ، بضم « الثاء » و « الميم » .

* * *

(١) انظر تفسير « متشابه » فيما سلف ١ : ٣٨٥ — ٦/٣٩٤ : ١٧٣ .

= فكأنّ من فتح « الثاء » و « الميم » من ذلك، وجّه معنى الكلام : انظروا إلى ثمر هذه الأشجار التى سمينا من النخل والأعناب والزيتون والرمان إذا أثمرَ = وأن « الثمر » جمع « ثمرة » ، كما « القصب » ، جمع « قصبة » ، و « الخشب » جمع « خشبة » .

* * *

= وكأنّ من ضم « الثاء » و « الميم » ، وجّه ذلك إلى أنه جمع « ثِمَار » ، كما « الحُمُر » جمع « حمار » ، و « الجُرُب » جمع « جراب » ، وقد : —

١٣٦٧١ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن ابن أبى حماد ، عن ابن إدريس ، عن الأعمش، عن يحيى بن وثاب : أنه كان يقرأ : ﴿ إِلَى ثُمُرِهِ ﴾ ، يقول : هو أصناف المال .

١٣٦٧٢ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى حماد قال ، حدثنا محمد بن عبيد الله ، عن قيس بن سعد، عن مجاهد قال : « الثُّمُر » ، هو المال = و « الثمر » ، ثَمَر النخل . (١)

* * *

وأولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب ، قراءة من قرأ : ﴿ أُنْظُرُوا إِلَى ثُمُرِهِ ﴾ بضم « الثاء » و « الميم » ، لأن الله جل ثناؤه وصفَ أصنافاً من المال كما قال يحيى ابن وثاب ، وكذلك حبّ الزرع المتراكب ، وقنوان النخل الدانية ، والجنات من الأعناب والزيتون والرمان ، فكان ذلك أنواعاً من الثمر ، فجمعت « الثمرة » « ثمرًا » ، ثم جمع « الثمر » « ثماراً » ، ثم جمع ذلك فقيل : ﴿ انْظُرُوا إِلَى ثُمُرِهِ ﴾ ، فكان ذلك جمع « الثمار » و « الثمار » جمع « الثمر » = و « إثماره » ، عقدُ الثمر .

* * *

وأما قوله : « وَيَنْعه » ، فإنه نُضجه وبلوغُه حين يبلغ .

* * *

---

(١) روى عن مجاهد أبين من هذا إذ قال : « هو الذهب والفضة » ، كما حكاه الفارسى عنه .

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول فى « يَنْعه » إذا فتحت ياؤه ، هو جمع « يانع » ، كما « التَّجْر » جمع « تاجر » ، و « الصحب » جمع « صاحب » . (١)

* * *

وكان بعض أهل الكوفة ينكر ذلك ، ويرى أنه مصدر من قولهم : « ينع الثمر فهو يَيْنع يَنْعاً » ، ويحكى فى مصدره عن العرب لغات ثلاثاً : « يَنْع » و « يُنْع » ، و « يَنَع » ، وكذلك فى « النَّضْج » « النُّضج » و « النَّضَج » . (٢)

* * *

وأما فى قراءة من قرأ ذلك : ﴿ وَيَانِعِهِ ﴾ ، فإنه يعنى به : وناضجه ، وبالغه .

* * *

وقد يجوز فى مصدره : « يُنُوعاً » ، ومسموع من العرب : « أينعت الثمرة تُونع إيناعاً » ، ومن لغة الذين قالوا : « ينع » ، قول الشاعر : (٣)

فِى قِبَابٍ عِنْدَ دَسْكَرَةٍ حَوْلَهَا الزَّيْتُونُ قَدْ يَنَعَا (٤)

---

(١) هو أبو عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ٢٠٢ ، وهو منسوب أيضاً إلى ابن كيسان ، كما جاء فى لسان العرب (ينع) .

(٢) ذكر أبو جعفر فى « ينع » و « نضج » مصدراً ثالثاً غير الذى ذكره أصحاب المعاجم ، فإنهم اقتصروا فى (ينع) على فتح الياء وسكون النون ، وضمها وسكون النون = واقتصروا فى (نضج) على فتح النون وسكون الضاد ، وضمها وسكون الضاد . وأما هذا المصدر الثالث الذى رواه أبو جعفر ولم يضبطه ، فلم أجده فى شىء من المعاجم ، وهو مما يزاد عليها ، إلا أنى استظهرت ضبطه فى الحرفين بفتح الياء والنون فى « ينع » ، وبفتح النون والضاد فى « نضج » . وسيذكر أبو جعفر مصدراً آخر بعد قليل وهو « ينوع » .

(٣) هذا شعر مختلف فيه من شعر يزيد بن معاوية ، ونسبه المبرد إلى الأحوص ، ونسبه الجاحظ إلى أبى دهبل . وينسب إلى الأخطل خطأ .

(٤) الحيوان ٤ : ١٠ ، الكامل ١ : ٢٢٦ ، أنساب الأشراف ٤/٢/٢ ، مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٠٢ ، تاريخ ابن كثير ٨ : ٢٣٤ ، تاريخ الخلفاء للسيوطى : ١٤٠ ، معجم ياقوت (الماطرون) ، الخزانة ٣ : ٢٧٩ ، العينى (هامش الخزانة ١ : ١٤٩) ، واللسان (ينع) وغيرها . من شعر يقال إن يزيد قاله فى نصرانية ترهبت فى دير خرب عند الماطرون ، وهو موضع بالشأم . وهذا هو الشعر ، مع اختلاف الرواية فيه :

آبَ هَذَا الهَمُّ فَاكْتَنَعَا وأَتَرَّ النَّـــوْمَ فَامْتَنَعَا

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٦٧٣ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « وينعه » ، يعنى : إذا نضج .

١٣٦٧٤ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله : « انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه » ، قال : « ينعه » ، نضجه .

١٣٦٧٥ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة :

رَاعِياً لِلنَّجْمِ أَرْقُبُهُ فَإِذَا مَا كَوْكَبٌ طَلَعَا
حَامَ ، حَتَّى إِنَّنِي لأَرَى أَنَّهُ بِالْغَورِ قَدْ وَقَعَا
وَلَهَا بِالمَاطِرُونِ إِذَا أَكَلَ النَّمْلُ الَّذِى جَمَعَا
خُرْفَةٌ ، حَتَّى إِذَا ارْتَبَعَتْ سَكَنَتْ مِنْ جِلَّقٍ بِيَعَا
فِى قِبَابٍ حَوْلَ دَسْكَرَةٍ حَوْلَهَا الزَّيْتُونُ قَدْ يَنَعَا
عِنْدَ غَيْرِى ، فَالْتَمِسْ رَجُلاً يَأْكُلُ التَّنُّومَ وَالسَّلَعَا
ذَاكَ شَىءٌ لَسْتُ آكُلُهُ وَأُرَاهُ مَأْكَلاً فَظِعَا

« اكتنع الهم » ، دنا دنواً شديدا . و « أتر النوم » أبعده ، والرواية المشهورة و « أمر النوم » من المرارة . وقوله : « أكل النمل الذى جمعا » ، يعنى زمن الشتاء . و « الخرفة » ما يجتنى من الفاكهة . و « ارتبعت » دخلت فى الربيع . و « جلق » قرية من قرى دمشق . و « البيع » جمع « بيعة » (بكسر الباء) ، وهى كنيسة اليهود أو النصارى . و « الدسكرة » بناء كالقصر ، كانت الأعاجم تتخذه للشرب والملاهى . و « التنوم » و « السلع » نباتان ، تأكلها جفاة أهل البادية. و « فظع » ، فظيع يستبشعه آكله .

ورواية البلاذرى للبيت :

فِى جِنَانٍ ثَمَّ مُؤْنِقَةٍ حَوْلَهَا الزَّيْتُونُ قَدْ يَنَعَا

« انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه » ، أي نضجه .

١٣٦٧٦ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « وينعه » ، قال : نضجه .

١٣٦٧٧ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وينعه » ، يقول : ونضجه .

١٣٦٧٨ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « وينعه » ، قال : يعنى نضجه .

١٣٦٧٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « وينعه » ،قال : نضجه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٩٩)

١٩٧/٧ قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره إن فى إنزال الله من السماء الماءَ الذى أخرج به نباتَ كل شيء ، والخضِرَ الذى أخرج منه الحبَّ المتراكب ، وسائر ما عدَّد فى هذه الآية من صنوف خلقه = « لآيات » ، يقول : فى ذلكم ، أيها الناس ، إذا أنتم نظرتم إلى ثمره عند عقد ثمره ، وعند ينعه وانتهائه ، فرأيتم اختلاف أحواله وتصرفه فى زيادته ونموّه، علمتم أن له مدبِّراً ليس كمثله شيء ، ولا تصلح العبادة إلاّ له دون الآلهة والأنداد ، وكان فيه حجج وبرهان وبيان[1] = «لقوم يؤمنون »،

(١) انظر تفسير «آية» فيما سلف من فهارس اللغة (أي) .

يقول : لقوم يصدقون بوحدانية الله وقدرته على ما يشاء .

وخصّ بذلك تعالى ذكره القوم الذين يؤمنون، لأنهم هم المنتفعون بحجج الله والمعتبرون بها ، دون من قد طَبعَ الله على قلبه ، فلا يعرف حقًّا من باطل، ولا يتبين هدًى من ضلالة .

* * *

تَمَّ الجزء الحادى عشر من تفسير الطبرىّ

ويليه الجزء الثانى عشر ، وأوّله :

القول فى تأويل قوله :

﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَاءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾

تتمّـــة التخريج

تتمة التخريج

١ – ج١١ ص ٨٦ – حديث جابر فى لحم الصيد للمحرم : لم يسقه الطبرى مساق الرواية ، بل ذكره بالمعنى . وقد رواه أحمد فى المسند: ١٤٩٥١ ، ١٥٢١٩ . ولفظه مرفوعاً : « صيد البر لكم حلال وأنتم حرم ، ما لم تصيدوه أو يُصَدْ لكم » . وإسناده صحيح . وذكره المجد بن تيمية فى المنتقى ، رقم : ١٤٩٠ ، ونسبه لأحمد ، وأبى داود ، والترمذى ، والنسائى . وقال : « قال الشافعى : هذا أحسن حديث روى فى الباب وأقْيَس » .

٢ – الحديث : ١٢٨٠٠ – رواه الطبرى فى هذا الموضع بإسنادين ، أحدهما مرسل والثانى موصول : فرواه من طريق سفيان، عن معمر، عن قتادة، مرسلاً ، ثم من طريق سفيان ، عن معمر ، « قال الزهرى : قال أنس مثل ذلك » – يعنى أول الحديث – ثم ساق باقى الحديث . والظاهر أن هذا الباقى من رواية قتادة المرسلة ومن رواية الزهرى عن أنس الموصولة .

وعلى كل فإن قتادة إنما أخذه عن أنس ، وإن لم يصرح بذلك فى هذا الإسناد . وقد مضى قبل ذلك – موصولاً – بإسنادين ، من رواية قتادة ، عن أنس : ١٢٧٩٥ ، ١٢٧٩٧ . والذى نقله ابن كثير ٣ : ٢٤٩ عن الطبرى ، هو الحديث: ١٢٧٩٧ ، بإسناده ولفظه .

٣ – الحديث : ١٢٨١٣ – حديث أبى ثعلبة الخشنى : « إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها » – إلخ : هكذا رواه الطبرى موقوفاً من كلام أبى ثعلبة ، وذلك من رواية أبى معاوية ، عن داود بن أبى هند ، عن مكحول ، عن أبى ثعلبة .

ورواه الحاكم فى المستدرك ٤ : ١١٥، من طريق على بن مسهر. والدارقطنى ، ص : ٥٠٢ – ٥٠٣ ، من طريق إسحق الأزرق . وابن حزم فى الإحكام ٨ : ٢٤ (بتحقيقنا) ، من طريق حفص بن غياث – ثلاثتهم عن داود بن أبى هند ، عن مكحول ، عن أبى ثعلبة ، مرفوعاً .

فهؤلاء ثلاثة من الثقات الكبار رووه مرفوعاً . والرفع زيادة تقبل من الثقة الواحد ، فأولى أن تقبل من ثلاثة .

وهذا الحديث هو الحديث الثلاثون من الأربعين النووية ، (ص : ٢٠٠ من شرح ابن رجب). قال النووى : « حديث حسن . رواه الدارقطنى وغيره » . ونقل ابن رجب أنه حسنه — قبل النووى — الحافظ أبو بكر السمعانى فى أماليه .

وذكر ابن رجب أيضاً أن فيه علتين :

إحداهما : الخلاف فى رفعه ووقفه . وقد بينا أن الذى روى رفعه ثلاثة من الثقات ، فلا ينبغى أن يسمى هذا خلافاً . بل الرواة كثيراً ما يقفون الحديث المرفوع ، دون إنكار لرفعه .

والعلة الثانية : أن مكحولاً لم يصح له السماع من أبى ثعلبة . وهذا قول قد قيل فى كتب الرجال . ولكن المعاصرة فى مثل هذا كافية . وأبو ثعلبة مات سنة ٧٥ . ومكحول مات سنة ١١٢ ، فهما متعاصران على اليقين . ومكحول سمع من شيوخ من هذه الطبقة .

وقد نسب السيوطى وغيره للحاكم أنه صححه . ولم أجد فى المستدرك تصحيحاً له ولا كلاماً عليه ، وكذلك لم يقل فيه الذهبى شيئاً فى مختصر المستدرك المطبوع والمخطوط . ولكن الحديث — عندى — صحيح بكل حال .

وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ١ : ١٧١ مرفوعاً ، بلفظ « وغفل عن أشياء » بدل « وسكت » . ثم قال : « رواه الطبرانى فى الكبير — وهو هكذا فى هذه الرواية . وكأن بعض الرواة ظن أن هذا معنى « وسكت » ، فرواها كذلك — ورجاله رجال الصحيح » .

وروى قبل ذلك نحوه عن أبى الدرداء مرفوعاً . وقال : « رواه البزار والطبرانى فى الكبير . وإسناده حسن ، ورجاله موثقون » .

٤— الحديث : ١٢٨٢٣ — هكذا ثبت ناقص الإسناد محال اللفظ فى نسخ

الطبرى ، إذ جعل من كلام عبد الرزاق أنه يقول : « رأيت عمرو بن عامر الخزاعى يجر قصبه فى النار » — إلخ ! !

وهو ثابت على الصواب فى تفسير عبد الرزاق ، ص : ٦٢ هكذا : «عبدالرزاق، عن معمر ، عن الزهرى ، عن أبى هريرة ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال . . . » فذكره . وكذلك ثبت فى المسند : ٧٦٩٦ ، من رواية الإمام أحمد ، عن عبد الرزاق .

وهو بهذا الإسناد — فى تفسير عبد الرزاق والمسند — منقطع ، لأن الزهرى لم يدرك أبا هريرة . وقد بينا فى شرح المسند أنه من رواية الزهرى ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة . كما مضى فى رواية الطبرى السابقة : ١٢٨١٩ .

فانقطاع الإسناد بين الزهرى وأبى هريرة — الظاهر أنه سهو من عبد الرزاق ، أو من شيخه معمر .

وأما الثابت هنا ، من حذف من هو فوق عبد الرزاق — فإنما هو من تخليط الناسخين فى نسخ الطبرى .

٥ — الحديث : ١٢٨٥١ — هذا حديث جيد ، انفرد بروايته الطبرى هنا ، وابن مردويه — كما فى الدر المنثور ، فيما نعلم . وإسناد الطبرى إسناد صحيح . وعندى أن « الربيع بن صبيح » ثقة ، ولئن ضعفه بعض العلماء لقد وثقه آخرون .

٦ — الحديث : ١٣١٠٥ — هذا الحديث من صحيفة همام بن منبه . وهو فى الصحيفة المفردة ، برقم : ١٣ (طبعة المجمع العلمى العربى بدمشق سنة ١٣٧٢) .

٧ — الحديثان : ١٣١٠٦ ، ١٣١٠٧ — هما موقوفان هنا على عبد الله بن عمرو بن العاص . ولكن معناهما ثابت مرفوعاً ، من حديث أبى هريرة ، فى المسند : ٩٦٠٧ ، ١٠٢٨٥ ، ١٠٦٨٠ — ١٠٦٨٣ . وصحيح مسلم ٢ : ٣٢٤ (بولاق) ، وابن ماجة : ٤٢٩٣ . ومن حديث سلمان ، مرفوعاً أيضاً ، عند مسلم ٢ : ٣٢٤ .

٨ – الحديثان : ١٣٢٢٣ ، ١٣٢٢٤ – أولهما فى العنزين اللتين انتطحتا ، وثانيهما فى ذلك وفى قول أبى ذر « لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يقلب طائر جناحيه فى السماء إلا ذكرنا منه علماً » . وكلاهما منقطع الإسناد ، كما أوضح ذلك أخى السيد محمود . ولأن « منذر بن يعلى الثورى » لم يدرك أبا ذر ، وإنما يروى عن التابعين .

والمعنى الأول – معنى انتطاح العنزين أو الشاتين – رواه أحمد من طريق عبد الرحمن بن ثروان ، عن الهزيل بن شرحبيل ، عن أبى ذر ، (المسند ٥ : ١٧٢ – ١٧٣) ، كما ذكر أخى السيد محمود .

وإسناده صحيح .

والمعنى الثانى : ورد من وجه آخر صحيح . فرواه ابن حبان فى صحيحه : ٦٤ (بتحقيقنا) ، من طريق سفيان ، وهو ابن عيينة ، عن فطر بن خليفة ، عن أبى الطفيل ، عن أبى ذر ، قال : « تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يطير بجناحيه إلا عندنا منه علم » .

وهذا إسناد صحيح متصل . وما وجدته بإسناد متصل إلا فى صحيح ابن حبان . وقد فصلت تخريجه هناك .

٩ – الحديث : ١٣٢٦٣ – ذكر السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ١٣ نسبته لأحمد أيضاً . ولم أجده فى المسند ، فى مسند سعد بن أبى وقاص – إلا أن يكون الإمام أحمد رواه أثناء مسند صحابى آخر ، فخفى علىّ موضعه .

١٠ – ص ٤٦٢ – حديث الصور وأنه قرن ينفخ فيه . خرجه أخى السيد محمود من المسند وأبى داود والترمذى والحاكم . وأزيد هنا أن أحمد رواه مرة أخرى : ٦٨٠٥ ، وأن الحاكم رواه فى المستدرك مرتين أخريين ٢ : ٤٣٦ ، ٥٠٦ ، وصححه ، ووافقه الذهبى

١١ – ص ٤٦٣ – حديث « إن إسرافيل قد التقم الصور وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ » . نقل أخى السيد محمود عن ابن كثير أنه رواه مسلم ، ثم قال :

« ولم أستطع أن أعرف مكانه فى صحيح مسلم » . وهو كما قال . وقد وهم ابن كثير فى ذلك . فإن الحديث ذكر النابلسى فى ذخائر المواريث : ٧٩٦٠ أنه رواه أبو داود والترمذى وابن ماجة . فلم ينسبه لمسلم . وكذلك ذكره السيوطى فى زيادات الجامع الصغير ٢ : ٣٣٥–٣٣٦ (الفتح الكبير) من حديث أبى سعيد ، ونسبه لأحمد والترمذى وابن حبان والحاكم . ومن حديث ابن عباس ، ونسبه لأحمد والحاكم . وهو فى المسند من حديث أبى سعيد : ١١٠٥٤ (٣ : ٧ حلبى) . ولم أجد فيما رأيت من رواياته تسمية « إسرافيل » ، بل فيها « صاحب القرن » ، دون ذكر اسمه . وحديث أبى سعيد فى المستدرك ٤ : ٥٥٩ ، بإسنادين . وحديث ابن عباس فى المسند : ٣٠١٠ ، وكذلك هو فى المستدرك ٤ : ٥٥٩ . والحديثان : حديث ابن عباس وحديث أبى سعيد – ضعيفان لضعف أسانيدهما .

١٢– الحديث : ١٣٤٦١ – أزيد على ما ذكره أخى السيد محمود : وانظر أيضاً تفسير ابن كثير ٧ : ٢٢٠ – ٢٢١ ، و ٨ : ١٠٢ .

١٣– الحديث : ١٣٥١١ – فى الإسناد تابعى اسمه « زياد بن حرملة » يروى عن على بن أبى طالب ، ورواه عنه تابعى آخر ، هو « زياد بن علاقة » . فهذا « زياد بن حرملة » ذكر أخى السيد محمود شاكر أنه لم يجد له ذكراً فى شىء من الكتب ، وهو كما قال . وأزيد عليه أنى لم أجده أيضاً فى كتاب الثقات لابن حبان (مخطوط مصور) . وليس هناك احتمال فى أن يكون خطأ من الناسخين ، لاتفاق الاسم مع رواية المستدرك للحديث . فمن العجيب حقًّا أن لا يترجم مثل هذا ، والإسناد يدل على أنه تابعى قديم . وأيًّا ما كان فالإسناد صحيح ، لأن زياد بن حرملة هذا ، وإن جهلنا حاله ، فقد عرفنا شخصه برواية تابعى آخر عنه . والتابعون حالهم عندنا على الستر والقبول ، حتى يستبين شىء خلاف ذلك . خصوصاً وأن رواية تابعى آخر عنه كأنها توثيق له . وذلك الظن بطبقة التابعين .

١٤– الحديث : ١٣٥٧٠ – ذكره السيوطى مختصراً ، فى تفسير سورة عبس ٦ : ٣١٧ ، ونسبه للحاكم وابن مردويه فقط . وفاته أن ينسبه للطبرى . ولم يروه الطبرى فى تلك السورة .

أحمد محمد شاكر

الفهارس

فهرس الآيات التى استدل بها فى غير موضعها من التفسير

السورة/الآية	الصفحة
آيات سورة البقرة	
٢٨	٢٥٩
٣٦	٥٦٧
٩٣	٢٠٠
١٠٢	٢٠٠، ٣١٧
١٢٣	٤٤
١٤٣	٢١٢
* * *	
آيات سورة آل عمران	
٩٧	١٠٤
١٠٥	٤٣٨
١٧٣	٢١٣
* * *	
آيات سورة النساء	
٤٢	٣٠٢، ٣٠٣
١٤٠	٤٤٠
١٥٣	٥٢٢
١٧٦	٣٠٧، ٤٤٢
* * *	
آيات سورة المائدة	
٢٠	٣٣٢
٢٩	٣٢٩
٣٧	٢٧٦
* * *	

السورة/الآية	الصفحة
آيات سورة الأنعام	
٥٤	٢٧٨، ٢٧٩
٦٣	٥٢٨
٦٤	٥٢٨
١١٧	٥٦٠
١٥٩	٤٣٨
* * *	
آيات سورة الأعراف	
٢٤	٥٦٧
٣٧	٤١٢
٩٤، ٩٥	٣٥٩
١٥٤	٤٥٧
١٥٨	٢٩٢
* * *	
آية سورة الأنفال	
٢٥	٤٢٩
* * *	
آيات سورة التوبة	
٥	٤٤٢
١٩	١٩٩
* * *	
آيات سورة يونس	
١٢	٢١٥
٢٢	٢٦٤
١٠٤	٤٥٧
* * *	

السورة/الآية	الصفحة
آيات سورة هود	
٦	٥٦٢—٥٧١
١٧	٢٦٠
* * *	
آيات سورة يوسف	
٣٥	٢٧٨
٨٢	١٥٩، ٥٧٨
* * *	
آية سورة إبراهيم	
٣٧	٤٥١
* * *	
آيات سورة النحل	
١٦	٥٦١
١٠٦	٥٣٤، ٥٣٥
* * *	
آيات سورة الكهف	
٢٨	٣٧٦، ٣٨٢—٣٨٦
٤٠	٥٦٠
* * *	
آيات سورة مريم	
٣٩	٤٠٠
٨٥	٣٢٧
* * *	
آيات سورة طه	
٥١	٢٩٣
٧١	٢٠١
* * *	
آية سورة الأنبياء	
٣	٣٩٨
* * *	

السورة/الآية	الصفحة
آية سورة الحج	
٥	٥٦٧
* * *	
آيات سورة المؤمنون	
١١	٢٩٤
٧٦	٣٦١
٩٣، ٩٤	٤٣٩
* * *	
آية سورة النور	
٦	١٩٣
* * *	
آيات سورة الفرقان	
٧	٢٦٧
٧، ٨	٣٤٣
٦٣	٥٤١
* * *	
آيات سورة العنكبوت	
١—٣	٤٢٩
٢٧	٤٧٢
آية سورة الروم	
٤١	٦٠
آيات سورة لقمان	
١٣	٤٩٤—٥٠٢
٣٤	٤٠٢
* * *	
آيات سورة السجدة	
١٠	٣٩٧
١١	٤٠٩، ٤١٠
* * *	

السورة/الآية	الصفحة
آيات سورة سبأ	
٣	٤١٣هـ
٥١	٢٣٥
* * *	
آية سورة يس	
٤٠	٥٥٩
* * *	
آية سورة الصافات	
٤٩	٣٠٥
* * *	
آيات سورة ص	
١٩	٣٤٩
٢٣	٣٤٩
٢٧	٤٥٨
* * *	
آية سورة الزمر	
٦٨	٤٦٢، ٤٦٤
* * *	
آيات سورة غافر	
٤٣	٣٨٦
٦٠	٣٨٦
* * *	
آية سورة فصلت	
١١	٤٥٩
* * *	
آيات سورة الشورى	
٥	٢٨٤
١٣	٤٣٨
* * *	
آيات سورة الزخرف	
٤١، ٤٢	٤٢٨

السورة/الآية	الصفحة
آية سورة الجاثية	
٢٩	٤٠٣
* * *	
آيات سورة محمد	
٢٧، ٢٨	٥٣٧
* * *	
آية سورة الطور	
٢	٣٠٨
* * *	
آية سورة الرحمن	
٥	٥٥٩
* * *	
آية سورة المنافقون	
١٠	٣٥٦
* * *	
آية سورة الطلاق	
٢	١٥٤
* * *	
آية سورة الملك	
٣	٢٨٣
* * *	
آية سورة الحاقة	
١٩	٣٥٢
* * *	
آية سورة المزمل	
١٦	٤٧
* * *	
آية سورة المدثر	
١١	٤٤١

السورة/الآية	الصفحة
آيات سورة المرسلات	
٢٥، ٢٦	١٤
* * *	
آية سورة النبأ	
٤٠	٣٤٧
* * *	
آيات سورة البلد	
١٤، ١٥	١٤

فهرس اللغة

هذا الفهرس مرتب على حروف معاجم اللغة ، على أصل الاشتقاق ، وعلى آخر الأصل باباً ، وأوله فصلاً .

(برأ) أبرأ : ٢١٥
برىء : ٢٩٣ ، ٤٨٧
(ذرأ) ذرية : ٥٠٧ ، ٥١٢
(سوأ) ساء : ٩٩ ، ٣٢٦، ٣٢٨
السوء : ٣٩٣
(نبأ) أنبأ : ١٥٤
نبّأ : ٤٠٧
نبأ ، أنباء : ٢٦٢ ، ٣٣٥
٤٣٤
النبوّة : ٥١٥
(نشأ) أنشأ : ٢٦٣ ، ٥٦٢
(هزأ) يستهزئ : ٢٦٢ ، ٢٧١
(هوأ) هاؤم ، هاء يا رجل :
٣٥٢
(هيأ) هيئة : ٢١٥

* * *

(توب) تاب : ٣٩٣
(جوب) استجاب : ٣٤١
(حبب) حبة : ٤٠٣
الحب : ٥٥٠ ، ٥٧٤
(حسب) حساب : ٣٨٨ ، ٤٣٩
حسبان : ٥٥٨ — ٥٦٠
أسرع الحاسبين : ٤١٣
حسبنا : ١٣٧
(دبب) دابة : ٣٤٤
(ربب) رب العالمين : ٣٦٤ ،
٤٥٦
(رطب) رطب : ٤٠٣
(رقب) الرقيب : ٢٣٩
(ركب) متراكب : ٥٧٣ ، ٥٧٤
(ريب) الارتياب : ١٧٢
لا ريب فيه : ٢٨٠
(سيب) سائبة : ١٢٣ ، ١٢٤ ،
١٢٥ — ١٣٤
(صوب) مصيبة الموت : ١٧٠
الإصابة : ١٧٠
(ضرب) ضرب فى الأرض : ١٧٠
(طيب) الطيب : ٩٦
(عقب) رد على عقبه : ٤٥٠
عاقبة : ٢٧٢
شديد العقاب : ٩٥
(غيب) الغيوب : ٢٠٩ ، ٢٣٨
الغيب ، مفاتح الغيب :
٣٧١ ، ٤٠١ ، ٤٠٢
عالم الغيب : ٤٦٤
(قرب) ذو القربى : ١٧٣
(كتب) الكتاب : ٢١٥
كتاب : ٥٣٠

كتاب مبين : ٤٠٣
كتب على نفسه : ٢٧٣، ٢٧٩ ، ٣٩٢
(كذب) كذبه ، وأكذبه : ٣٣١ — ٣٣٢
(كرب) الكرب : ٤١٥
(كسب) يكسب : ٢٦١ ، ٤٤٨
(كعب) الكعبة : ٢٢ ، ٨٩، ٩٠، ٩١
(لبب) أولو الألباب : ٩٧
(لعب) لعبٌ : ٣٢٩ ، ٤٤١
يلعب : ٥٢٩
(وهب) وهب : ٥٠٧

* * *

(بغت) بغتة : ٣٢٥ ، ٣٦٠ ، ٣٦٨
(تحت) من تحت أرجلكم : ٤١٦ — ٤١٧
(موت) الموتى : ٣٤١
الميت : ٥٥٣
(نبت) نبات : ٥٧٣

* * *

(بعث) بعث عليه عذاباً : ٤١٦
يبعثه : ٤٠٧
مبعوث : ٣٢٣
(خبث) الخبيث : ٩٦

* * *

(حجج) حجة : ٥٠٤
حاجة محاجة : ٤٤٨
(خرج) أخرجوا أنفسكم : ٥٣٩ ، ٥٤٠
(درج) درجة : ٥٠٥

* * *

(جرح) جرح ، اجترح : ٤٠٥
الجوارح : ٤٠٥
(سبح) سبحانك : ٢٣٧
(صبح) الإصباح : ٥٥٤
(صلح) أصلح : ٣٦٩ ، ٣٩٣
الصالح : ٥١٠
(فتح) فتح الأبواب : ٣٥٨
مفاتح الغيب : ٤٠١
مفتاح، مفاتيح : ٤٠١
(فلح) أفلح : ٩٧ ، ٢٩٦

* * *

(نفخ) نفح : ٢١٥
نفخ فى الصور : ٤٦٢

* * *

(أبد) أبداً : ٢٤٤
(أيد) أيده : ٢١٣
(جحد) يجحد : ٣٣٤
(حمد) الحمد : ٢٤٩ ، ٣٦٤
(خلد) خالد : ٢٤٤
(ردد) رده : ٣٢١ ، ٤١٣
ردّ على عقبه : ٤٥٠
(رود) أراد : ٢٢٤
رويدك : ٣٥١
(شهد) شهد : ٢١٨ ، ٢٩٢
شهادة : ١٥٤ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٨٩
شهادة الله : ١٧٧
عالم الغيب والشهادة : ٤٦٤

شاهد : ٢٢٤
شهيد : ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٨٩
(صيد) الصيد : ٧
صيد البحر : ٥٧ — ٦٠
صيد البر : ٧٤ — ٨٨
(طرد) يطرد : ٣٧٤
(عبد) عِبادٌ : ٢٤٠ ، ٥١٣
عبَاديد : ٣٠٩
(عمد) متعمد : ٧ — ١٢
(عند) عندك : ١٣٨
(عيد) عيد : ٢٢٥ ، ٢٢٦
(فرد) فرادى : ٥٤٣
فرِد : ٥٤٣ ، ٥٤٤
(قعد) قعد : ٤٣٦
(قلد) القلائد : ٩٤
(مهد) المهد : ٢١٥
(ميد) مائدة : ٢٢٣ ، ٢٢٤ ٢٢٦ — ٢٣٢
المائد : ٢٢٣

* * *

(أخذ) أخذه بغتة : ٣٦٠
أخذ سمعه : ٣٦٥
اتخذ : ٢٢٣ ، ٤٤١ ، ٤٦٩

* * *

(أجر) أجر : ٥٢٠
(أخر) الدار الآخرة : ٣٢٩
أخرى ، أخر : ٢٩٢ ، ٢٩٣
(أزر) آزر (أبو إبراهيم) ٤٦٦ — ٤٦٩
(بحر) البحر : ٦٠
بحيرة : ١١٦ — ١٢٢ ، ١٢٥ — ١٣٤
(بشر) بشر : ٥٢١
بشّر ، مبشر : ٣٦٩
(بصر) أبصرك زيدا : ٣٥١
البصير : ٣٧٢
(ثمر) ثمر ، ثمار : ٥٧٨ ، ٥٧٩
أثمر ، إثماراً : ٥٧٩
(جهر) الجهر : ٢٦١
جهرة : ٣٦٨
(حسر) حسرة : ٣٢٥
(حشر) يحشر : ٨٩ ، ٢٩٧ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦ — ٣٤٩ ، ٣٧٣ ، ٤٥٧
(حضر) حضره الموت : ١٥٤
(حور) الحواريون : ٢١٧ ، ٢١٨
(حير) حيران : ٤٥١
(خبر) الخبير : ٢٨٨ ، ٤٦٥
(خسر) خسر : ٢٨١ ، ٢٩٤ ، ٣٢٤
(خضر) خضر : ٥٧٣ ، ٥٧٤
اختُضر : ٥٧٤
(دبر) قطع دابره : ٣٦٣ ، ٣٦٤
(درر) مدرار : ٢٦٣
(ذكر) الذكرى : ٤٣٦ ، ٤٣٩
ذكر ، ذكرى : ٤٣٩ ، ٥٢٠

ذكر تذكيرا : ٣٥٧ ، ٤٤٢ ، ٤٨٩
مذاكير : ٣٠٩
(سحر) سحر : ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٦٥
ساحر : ٢١٦ ، ٢١٧
(سرر) السر : ٢٦١
(سطر) أساطير ، أسطورة : ٣٠٨ — ٣١٠
(سير) سار فى الأرض : ٢٧٢
السيارة : ٧١ — ٧٣
(شكر) الشكر : ٢٤٩
الشاكر : ٣٨٩ ، ٤١٤
(شهر) الشهر الحرام : ٩١ ، ٩٤
(صبر) صبرٍ : ٣٣٥
(صور) الصُّور : ٤٦٢ — ٤٦٤
(ضرر) ضرٌّ : ١٣٨
الضر : ٢٨٧
الضراء : ٣٥٤ ، ٣٥٥
(طير) طائر : ٣٤٤
يطير بجناحيه : ٣٤٩
الطير : ٢١٥
(عثر) عثر على كذا : ١٧٩
العثر : ١٧٩
(غرر) غرّه : ٤٤١
(غضر) اغْتُضِر : ٥٧٤
(غفر) غفور : ٩٥ ، ١١٤ ، ٣٩٣
غفر : ٢٤٠
(غمر) غمرات الموت : ٥٣٧ ، ٥٣٨
(فطر) فاطر : ٢٨٢ ، ٢٨٣
فطر الشئ : ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٤٨٧
سيف فُطار : ٢٨٣
(فكر) تفكر : ٣٧٢
(قدر) قدر ، قدْراً : ٥٢١
تقدير : ٥٦٠
قادر : ٣٤٣ ، ٤١٦
قدير : ٢٤٦ ، ٢٨٧
(قرر) مستقرّ : ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٥٦٢ — ٥٧٢
(قهر) القاهر : ٢٨٨ ، ٤٠٨
(كبر) كبر عليه : ٣٣٦ ، ٣٣٧
(كفر) كافر : ١١٥
كفر : ١٣٤ ، ٢١٦ ، ٢٣٢ ، ٢٥١ ، ٢٦٥ ، ٣٠٨ ، ٣٢٤ ، ٤٤٩
كفارة : ٣٠
(مضر) مَضِر : ٥٧٤
(نذر) أنذر ، منذر : ٢٩٠ ، ٣٦٩، ٣٧٣، ٥٣٠، ٥٣١
(نظر) أنظره : ٢٦٧
انظرْ : ٣٠١ ، ٤٣٣ ، ٥٧٨
(نور) النور : ٢٥١ ، ٥٢٦
(وذر) ذر : ٤٤١ ، ٥٢٩
(وزر) وزر ، أوزار : ٣٢٦
وزَر يزرُ : ٣٢٦
(وقر) وَقرٌ : ٣٠٦ ، ٣٠٧
نخلة موقر : ٣٠٦

* * *

(عزز) العزيز : ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٥٦١
(فوز) الفوز : ٢٤٥ ، ٢٨٦

* * *

(بأس) البأس : ٣٥٦ ، ٤٢٠
البأساء : ٣٥٤
(بلس) أبلس ، مبلس : ٣٦٠ — ٣٦٣
إبليس : ٣٦٣
(حبس) حبس : ١٧٢
(قدس) روح القدس : ٢١٤
(قرطس) قرطاس ، قراطيس : ٢٦٥ ، ٥٢٦
(لبس) لبس عليه الأمر : ٢٧٠ ، ٤١٩ ، ٤٩٢
اللباس ، اللبوس : ٢٧٠
(لمس) لمس : ٢٦٥
(مسس) مسّ : ٢٨٧
يمسه العذاب : ٣٧٠
(يبس) يابس : ٤٠٣

* * *

(برص) الأبرص : ٢١٥
(قصص) يقصّ الحق : ٣٩٩

* * *

(خوض) يخوض : ٤٣٦ ، ٥٢٩
(عرض) أعرض : ٢٢٦ ، ٣٣٧ ، ٤٣٦

* * *

(بسط) بسط الأيدى : ٥٣٨ ، ٥٣٩
(حبط) حبط : ٥١٤
(سرط) صراط مستقيم : ٣٥٠ ، ٥١٣
(سلط) سلطان : ٤٩٠
(شمط) شماطيط : ٣٠٩ ، ٣١٠
(فرط) فرّط : ٣٢٥ ، ٣٤٤ ، ٤١٢ ، ٤١٣

* * *

(حفظ) يحافظ : ٥٣٢
الحفظة : ٤٠٩

* * *

(تبع) اتّبع : ٣٧١ ، ٣٩٧
(رجع) رجع : ٣٤١
مرجع : ١٥٤ ، ٤٠٧
(سمع) اسمع : ٢٠٦
يسمع : ٣٤١
استمع : ٣٠٥
السميع : ٢٨١
(سوع) الساعة : ٣٢٤ ، ٣٥٣
(شفع) شفيع ، شفعاء : ٣٧٣ ، ٥٤٧
(شيع) شيع : ٤١٩
(ضرع) تضرع : ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٤١٤
(طلع) الطلع : ٥٧٤
(قطع) قطع دابره : ٣٦٣ ، ٣٦٤
تقطع بينكم : ٥٤٨
(متع) متاع : ٧١
(ودع) مستودع : ٥٦٢ — ٥٧٢
(وسع) وسع علماً : ٤٨٩

* * *

(ينع) ينع ، يانع : ٥٧٩ — ٥٨٢

* * *

(بزغ) بزغت الشمس : ٤٨٦
(بلغ) بلغ : ٢٩٠
بالغ الكعبة : ٢٩
البلاغ : ٩٥

* * *

(حنف) حنيف : ٤٨٧ ، ٤٨٨
(خوف) يخاف : ٣٧٣ ، ٤٨٨ ، ٤٩٠
خوف : ٣٦٩
(ردف) رُدَافى : ٥٤٤
(سلف) سلف : ٤٨
(صدف) يصدفُ : ٣٦٦ ، ٣٦٧
(صرف) صرف : ٢٨٦
تصريف الآيات : ٣٦٥ ، ٤٣٣
(كشف) كشف ، كاشف : ٢٨٧ ، ٣٥٤
(كفف) كفّ : ٢١٦
(وقف) وقفه على كذا : ٣١٦ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤
أوقف : ٣١٧

* * *

(حقق) حق : ٢٣٧ ، ٢٦٢ ، ٣٢٤ ، ٤١٣ ، ٤٣٤ ، ٤٥٨
استحق إثماً : ١٨٠
استحِقّ عليه : ١٩٩
(حوق) حاق : ٢٧٢
(خلق) خلق : ٢١٥ ، ٢٤٩ ، ٢٥٤ ، ٤٥٨

(ذوق) ذاق : ٤٦ ، ٤٧ ، ٣٢٤
أذاق : ٤٢٠
(رزق) رزق ، رازق : ٢٢٦
(صدق) صادق : ٣٥٣
مصدّق : ٥٣٠
(فرق) فريق : ٤٩٠
(فسق) يفسق : ٣٧٠
الفاسق : ٢٠٦ ، ٢٠٧
(فلق) فلق : ٥٥٠ — ٥٥٢ ، ٥٥٤
(فوق) فوق عباده : ٤٠٨
من فوقكم : ٤١٦ — ٤١٨
(نفق) نفق : ٣٣٧

* * *

(أفك) يأفك : ٥٥٤
(برك) مبارك : ٥٣٠
(شرك) أشرك ، المشرك : ٢٨٥ ، ٢٩٣ ، ٢٩٧ ، ٣٠١ ، ٣٥٤ ، ٤١٥ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ — ٤٩٠ ، ٥١٤
شركاء : ٢٩٧ ، ٥٤٧
(ملك) الملك : ٢٤٥ ، ٤٥٨
ملك : ٢٦٦ — ٢٦٩ ، ٣٧١
ملكوت السموات والأرض : ٤٧٠ — ٤٧٥
(هلك) أهلك : ٢٦٣ ، ٣٦٨

* * *

(أبل) إبّول ، أبابيل : ٣٠٩
(أجل) أجل : ٢٥٦
أجل مسمى : ٤٠٧

(أفل) أفل : ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧
(أول) الأوّلان : ١٩٤ — ١٩٩
(بدل) بدّل ، مبدّل : ٣٣٥
(بسل) أبسله : ٤٤٢ — ٤٤٤ ، ٤٤٨
الإبسال : ٤٤٤ ، ٤٤٨
بسلٌ عليك : ٤٤٥
شراب بسيل : ٤٤٥
بُسلَة الراقى : ٤٤٥
مبسل بجريرته : ٤٤٥
(جدل) جادل : ٣٠٨
(جعل) جعل : ٨٩ ، ١١٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ — ٢٥١ ، ٢٦٨ ، ٣٠٥ ، ٣٥٠ ، ٥٢٦ ، ٥٥٤ ، ٥٦١
(جهل) الجاهل : ٣٣٩ ، ٣٤٠
جهالة : ٣٩٣
(خول) خوّله : ٥٤٥
خال يخال خيالا : ٥٤٥
استخول : ٥٤٦
(سبل) سبيل : ٣٩٥
(ضلل) ضلّ : ١٣٨ ، ٣٠٢ ، ٣٩٧ ، ٥٥٠
أضله الله : ٣٥٠
ضلال : ٤٦٩
ضال : ٤٨٦
(عجل) استعجل به : ٣٩٨ ، ٤٠٠
عجّول : ٣٠٩
(عدل) عدل : ٢٢ ، ٤٣، ٢٥٢، ٤٤٧
ذوا عدل : ١٥٤
(فصل) أسرع الفاصلين : ٣٩٨
تفصيل الآيات : ٣٩٤ ، ٣٩٦ ، ٥٦١ ، ٥٧٢
(فضل) فضّل : ٥١٠
(كلل) كُلّ : ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥١٠
(كهل) الكهل : ٢١٥
(وبل) وبال : ٤٧
(وصل) وصيلة : ١٢٤ ، ١٢٥ — ١٣٤
(وكل) وكيل : ٤٣٤

* * *

(أثم) الآثم : ١٧٧
الإثم : ١٨٠
(ألم) عذاب أليم : ٤٤٩
(أمم) أمة ، أمم : ٣٤٤ ، ٣٥٤
(بكم) أبكم ، بُكْم : ٣٥٠
(تأم) تؤم ، تؤام : ٥٤٤
(جرم) المجرم : ٣٩٥
(حرم) حرام ، حُرُم : ٧ ، ٧٤
أحرم : ٧
حرام : ٩١
الشهر الحرام : ٩١، ٩٤
(حكم) الحكم : ٤١٣ ، ٥١٥
الحكمة : ٢١٥
الحكيم : ٢٤١، ٢٨٨ ، ٤٦٤ ، ٥٠٦
(حلم) حليم : ١١٤
(حمم) حميم : ٤٤٨ ، ٤٤٩

(ختم) ختم على قلبه : ٣٦٥
(دوم) ما دام : ٧٤ ، ٢٣٨
(رحم) رحم : ٢٨٦
الرحمة : ٢٧٣ ، ٣٩٢
الرحيم : ٩٥ ، ٣٩٣
(زعم) يزعم : ٢٩٧
(سلم) أسلم : ٢٨٥ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦
مسلم : ٢١٨
سلام عليكم : ٣٩٢
سُلّم ، سلاليم : ٣٣٧
(صمم) أصم ، صمّ : ٣٥٠
(صنم) صنم ، أصنام : ٤٦٩
(طعم) يطعم ولا يطعم : ٢٨٤
طعام : ٣٠
طعام البحر : ٦١ — ٧١
(ظلم) الظلم : ٢٩٦ ، ٣٦٣ ، ٤٩٢ — ٥٠٤
ظالم : ٢٠٤ ، ٢٩٦ ، ٣٤٤ ، ٣٦٨ ، ٣٨٨ ، ٤٠٠ ، ٤٣٦ ، ٥٣٧
الظلمات : ٢٥١ ، ٣٥٠
ظلمات الأرض : ٤٠٣
ظلمات البر والبحر : ٤١٤ ، ٥٦١
(عظم) العظيم : ٢٤٥ ، ٢٨٥
(علم) عليم : ٩٤، ٢٨١، ٥٠٦، ٥٦١
علام : ٢٠٩ ، ٢٣٨
العالمون : ٢٣٢ ، ٥١٢ ، ٥٢٠
رب العالمين : ٣٦٤ ، ٤٥٦
(قوم) قياماً للناس : ٩٠ — ٩٣
قوام : ٩٠
إقامة الصلاة : ٤٥٧
يوم القيامة : ٢٧٨
(كتم) كتم : ٩٦
(كلم) كلمات الله : ٣٣٥
(نعم) النّعم : ١٣ — ٢٢

* * *

(أذن) الإذن : ٢١٥
(أمن) آمن : ٧ ، ٩٨، ١٣٨ ، ١٥٤ ، ٢١٧ ، ٢٨١ ، ٢٩٤ ، ٣٠٨ ، ٣٦٩ ، ٣٩٠ ، ٤٩٢ ، ٥٣٢ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣
مؤمن : ٢٢٣ ، ٣١٦
الأمن : ٤٩٠ ، ٥٠٤
(بين) استبان ، تستبين : ٣٩٥
بينة ، بينات : ٢١٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨
تقطع بينكم : ٥٤٨، ٥٤٩
مبين : ٢١٦ ، ٢٦٥ ، ٢٨٦
ضلال مبين : ٤٦٩
كتاب مبين : ٤٠٣
(ثمن) اشترى به ثمناً : ١٧٣
(جنن) جن ، أجنه الليل : ٤٧٨ — ٤٨٠
المجنّ : ٤٨٠
جنة ، جنات : ٢٤٤، ٥٧٧

(حزن) حزنه : ٣٣٠ ، ٣٦٩
(حسن) المحسن : ٥٠٨
(خزن) خزائن الله : ٣٧١
(دون) دونك : ١٣٨ ، ٥٤٩
من دون الله: ٣٩٦، ٤٥٠
من دونه : ٣٧٣
(زين) زيّن له : ٣٥٧
(سكن) سكَنَ : ٢٨١
سكَنٌ : ٥٥٧
مسكين : ٣٠
(طمن) اطمأن : ٢٢٤
(طين) طين : ٢٥٥
(فتن) فتن : ٣٨٨
الفتنة : ٢٩٧ — ٣٠٠
(قرن) قرْن ، قرون : ٢٦٣
قراني : ٥٤٤
(كنن) كنان ، أكنة : ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧
(كون) كن فيكون : ٤٥٨ — ٤٦٢
(مكن) مكّن : ٢٦٣
(منن) منّ يمنّ : ٣٨٩
(هون) الهون ، الهوان : ٥٤٠ — ٥٤٢
(وثن) الوثن : ٤٦٩
(يقن) الموقن : ٤٧٥
(يمن) أيمان : ٢٠٤

* * *

(شبه) مشتبه ، متشابه : ٥٧٨
(فقه) يفقه : ٣٠٥ ، ٤٣٣ ، ٥٧٢
(كمه) الأكمه : ٢١٥
(وجه) وجّه وجهه : ٤٨٧
وجه الله : ٣٧٤
أتى به على وجهه : ٢٠٤

* * *

(أتى) آتى : ٢٩٤ ، ٣٥٩ ، ٥٠٤ ، ٤١٤
ائتنا : ٤٥٤
(أذى) آذاه : ٣٣٥
(إلى) إليك : ١٣٨
(أبى) آية : ٢٢٦ ، ٢٦١ ، ٢٩٦ ، ٣٠٨ ، ٣١٦ ، ٣٣٤ ، ٣٣٧ ، ٣٤٣ ، ٣٥٠ ، ٣٦٥ ، ٣٧٠ ، ٣٩٠ ، ٣٩٤ ، ٤٣٣ ، ٤٣٦ ، ٥٦١ ، ٥٧٢ ، ٥٨٢
(بدا) بدا له : ٣٢١
أبدى : ٩٦ ، ٩٨، ١١٣، ٥٢٦
(بغى) ابتغى : ٣٣٧
(جبى) اجتبى : ٥١٣
(جزى) جزاء : ١٣ — ٢٢
يجزى : ٥٠٨ ، ٥٤٠
(حمى) الحامى : ١٢٤ ، ١٢٥ — ١٣٤
(حيى) الحيّ : ٥٥٣
(خفى) أخفى : ٥٢٦
خفية : ٤١٤

(دعا) دعا : ٣٥٤ ، ٣٧٤ ، ٣٨١ — ٣٨٧ ، ٤١٤
(دنا) أدنى : ٢٠٤
دانية : ٥٧٦
الحياة الدنيا : ٣٢٣ ، ٣٢٩ ، ٤٤١
(رأى) رأى : ٤٨٠
أرأيتك ، أرأيتكم : ٣٥١ — ٣٥٣ ، ٣٦٨
(رضى) رضى : ٢٤٥
(سما) أجل مسمى : ٢٥٦ — ٢٥٩ ، ٤٠٧
(سوى) استوى : ٩٦ ، ٣٧١
سواءَك : ٥٤٩
(شرى) اشترى به ثمناً : ١٧٣
(صنو) صنوٌ ، صنوان : ٥٧٥
(عدا) اعتدى : ٢٠٣
(عشا) العشىّ : ٣٧٤
(عصى) عصى : ٢٨٥
(عفا) عفا : ٤٧ ، ٤٨ ، ١١٣
(علا) تعالوا : ١٣٧
عليك نفسك : ١٣٨
(عمى) الأعمى : ٣٧١ ، ٣٧٢
(غدا) الغداة : ٣٧٤
(فرى) افترى : ١٣٤ ، ١٣٦ ، ٢٩٦ ، ٣٠١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣
(قدا) اقتدى : ٥١٩ ، ٥٢٠
(قرا) أمّ القرى : ٥٣١ ، ٥٣٢
(قسا) قسا قلبه : ٣٥٧
(قضى) قضى : ٢٥٦
قضى أجلاً : ٤٠٧
قضى الأمر : ٢٦٧ ، ٤٠٠
يقضى الحق : ٣٩٩
(قنو) قنو ، قنوان : ٥٧٤ — ٥٧٦
(لقى) لقاء الله : ٣٢٤
(لها) لهوٌ : ٣٢٩ ، ٤٤١
(مرى) امترى : ٢٦٠
مِرْية : ٢٦٠
(نأى) نأى عنه : ٣١١ — ٣١٦
(نجا) نجاه ينجيه : ٤١٤ ، ٤١٥
أنجاه : ٤١٤
(نحا) نحوَك : ٥٤٩
(نسى) ينسى : ٣٥٤ ، ٣٥٧
أنساه الشيطان : ٤٣٦
(نوى) النوى : ٥٥٠
(هدى) الهَدْى : ٢٢ ، ٩٤
هداه : ٤٥٠ ، ٤٨٦ ، ٤٨٨ ، ٥١٣ ، ٥١٨
الهُدَى : ٢٠٦ ، ٣٣٩ ، ٤٥١ ، ٤٥٥ ، ٥٠٧ ، ٥١٣ ، ٥١٨ ، ٥٢٦
اهتدى ، مهتد : ١٣٧ ، ١٣٨ ، ٣٩٦ ، ٥٠٤ ، ٥٦١
(هوى) هوى ، أهواء : ٣٩٧
هوى إلى كذا : ٤٥٠ ، ٤٥١
استهواه الشيطان : ٤٥٠ ، ٤٥١

(وحى) أوحى : ٢١٧ ، ٢٩٠ ، ٣٧١ ، ٥٣٣
(وصى) الوصية : ١٥٤
(وفى) توفاه : ٢٣٩ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٩
(وقى) اتقى : ٨٩ ، ٩٧، ٢٠٦، ٢٢٣ ، ٣٢٩ ، ٣٧٣ ، ٤٣٩ ، ٤٥٧
(ولى) ولىّ : ٢٨٢ ، ٣٧٣
مولىً : ٤١٣
الأوْلَى : ١٩٤ — ١٩٩، ٢٠٣
(يدى) بين يديه : ٥٣٠

أعلام المترجمين فى التعليق

الأرقام فى هذا الفهرس ، على أرقام الاثار ، لا الصفحات

أبان بن تغلب الربعى : ١٣٤٧٧
أبان بن يزيد العطار : ١٣٥١٨
إبراهيم بن محمد بن أبى عبيدة المسعودى : ١٢٨٢٩
إبراهيم بن مسلم الهجرى : ١٢٨٠٤
ابن أبزى (سعيد بن عبد الرحمن ابن أبزى)
أحمد بن المقدام بن سليمان العجلى (شيخ الطبرى) : ١٢٨٦١
أحمد بن هشام (شيخ الطبرى) : ١٢٧٩٨
أحمد بن هشام بن حميد (أبو بكر المصرى) : ١٢٧٩٨
أحمد بن هشام بن حميد (أبو عبدالله المدائنى) : ١٢٧٩٨
أحمد بن الوليد القرشى : ١٣٣٦٥
أحمد بن يوسف التغلبى : ١٢٩٩٤
أبو الأحوص (عوف بن مالك بن نضلة الجشمى)
الأحول (على بن عبد الأعلى بن عامر)
بنو الأدرم (تيم بن غالب بن فهر ابن مالك) ص : ٤٠٥ ، تعليق : ٣
أربد بن عبد الله البجلى : ١٢٥٨٩
الأزرق (عمرو بن أبى قيس الرازى) (إسحق بن يوسف بن مرداس)
أسباط بن نصر الهمدانى : ١٣٢٥٨
إسحق الأزرق (إسحق بن يوسف ابن مرداس)
إسحق الرازى (إسحق بن سليمان)
أبو إسحق السبيعى الهمدانى : ١٢٧٥٨ ، ١٢٧٥٩ ، ١٢٨٢٥ ، ١٢٩٧٢ ، ١٣٥١٥
أبو إسحق الشيبانى (سليمان بن أبى سليمان)
أبو إسحق الكوفى (عبد الله بن ميسرة الحارثى)
إسحق بن إدريس الأسوارى البصرى : ١٢٨٧٨
إسحق بن سليمان الرازى : ١٢٨٥٩ ، ١٢٨٦٦ ، ١٣٢٢٣ ، ١٣٢٢٤
إسحق بن يوسف بن مرداس المخزومى (إسحق الأزرق) : ١٢٧٤٢
أسد السنة (أسد بن موسى المردانى)
أسد بن موسى المردانى (أسد السنة) : ١٢٨٧٧
إسرافيل : ص ٥٩٠ ، ٥٩١ ، رقم : ١١

أبو أسماء الرحبي (عمرو بن مرثد) : ١٣٣٦٨ ، ١٣٣٦٩
إسماعيل بن إسرائيل اللآل الرملي : ١٢٨٦٢
إسماعيل بن أبي خالد الأحمسي : ١٢٨٢٥ ، ١٢٨٧١ ، ١٢٨٧٣
الأسود بن هلال المحاربي (أبوسلام) ١٣٤٨٤
الأشج العصري (عثمان بن الهيثم ابن الجهم)
أبو الأشعث الصنعاني (شراحيل ابن آده) : ١٣٣٦٨ ، ١٣٣٦٩
أشعث بن سوار : ١٣٢٥٥ — ١٣٢٥٧
أبو الأشعر العبدي : ١٣٤٨٦ ، ١٣٤٨٧
أبو أبي الأشعر العبدي : ١٣٤٨٦ ، ١٣٤٨٧
الأشل (عبد الرحيم بن سليمان الطائي)
أبو الأشهب (جعفر بن حيان السعدي)
بنو الأعرج (الحارث بن كعب ابن سعد بن زيد مناة)
الأقرع بن حابس : ١٢٨٠٥
الأقطع (سليمان بن عمر بن خالد الرقي)
أكثم بن الجون : ١٢٨٢٢
أبو أمية الشعباني (يحمد) (عبد الله ابن أخامر) : ١٢٨٦٢ ، ١٢٨٦٣
أيوب بن سويد الرملي : ١٢٨٦٢

* * *

ببة (عبد الله بن الحارث بن نوفل الهاشمي)
أبو البختري : ١٢٨٠٣
بديل بن أبي مريم (ابن أبي مارية) : ١٢٩٦٧ ، ١٢٩٦٨
بريل بن أبي مريم (ابن أبي مارية) مولى عمرو بن العاص : ١٢٩٦٧ ، ١٢٩٦٨
بزيل بن أبي مريم : ١٢٩٦٧ ، ١٢٩٦٨
بقية بن الوليد الحمصي : ١٣٢٤٠ ، ١٣٢٤١
أبو بكر (عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري)
أبو بكر المصري (أحمد بن هشام ابن حميد)
أبو بكر الهذلي (سلمى بن عبد الله ابن سلمى) (روح بن عبدالله) : ١٣٠٥٤
أبو بكر بن حفص بن عمر بن سعد (عبد الله بن حفص) : ١٢٦٩٧
بكر بن خنيس الكوفي : ١٣٢٩٧
بكر بن عبد الله المزني : ١٢٥٧٦
أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي : ١٣٥٨٠
أبو بكر بن أبي موسى الأشعري : ١٣٤٨٤
بكير بن معروف الأسدي (أبومعاذ النيسابوري) : ١٢٩٧٠
بلال : ١٣٢٦٤
بندار (محمد بن بشار)

أبو البهلول (هذيل بن بلال الفزارى)
بيان بن بشر الأحمسى : ١٢٨٧٢

* * *

تميم الدارى (تميم بن أوس بن خارجة اللخمى) : ١٢٩٦٦ ، ١٢٩٦٧
تميم بن أوس بن خارجة اللخمى (تميم الداري) : ١٢٩٦٦ ، ١٢٩٦٧
تميم بن حذلم الضبى : ١٣٦٢٣ ، ١٣٦٢٩ ، ١٣٦٣٧
بنو تيم بن غالب بن فهر بن مالك (بنو الأدرم) ص : ٤٠٥ ، تعليق : ٣

* * *

أبو ثعلبة الخشنى : ١٢٨٦٢ ، ١٢٨٦٣ ، ص : ١١٤ ، تعليق ١ ص ٥٨٧ ، رقم : ٣

* * *

ابن جابر (عبد الرحمن بن يزيد ابن جابر الأزدى)
جابر بن عبد الله : ص ٨٦ تعليق : ٣
جابر بن زيد الأزدى (أبو الشعثاء) : ١٢٧٢٥ ، ١٢٧٥٨ ، ١٢٧٥٩
جابر بن يزيد بن رفاعة العجلى : ١٢٩٩٤
أبو الجبر بن تميم بن حذلم الضبى : ١٣٦٢٣ ، ١٣٦٢٩ ، ١٣٦٣٧
جبير بن نفير : ١٢٨٥٨
الجراح بن مليح الرؤاسى ـ ١٣٠٥٤
أبو جرير البجلى : ١٢٥٩٣
جعفر الجذرى (جعفر بن برقان) : ١٣٢٢٢
جعفر بن برقان الكلابى (جعفر الجذرى) : ١٣٢٢٢
جعفر بن حيان السعدى العطاردى (أبو الأشهب) : ١٢٨٤٨
جعفر بن أبى المغيرة الخزاعى القمى : ١٣٠٤٥
أبو الجويرية (حطان بن خفاف بن زهير)

* * *

الحارث بن أبى أسامة (الحارث بن محمد بن أبى أسامة)
الحارث بن كعب بن سعد بن زيد مناة (الأعرج) : ١٢٨٥٤
الحارث بن محمد بن أبى أسامة التميمى (الحارث بن أبى أسامة) : ١٢٨٠٢ ، ١٢٨٧٦
الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم : ١٢٧٤٠ ، ١٢٧٤٥
حجاج بن أرطاة : ١٣١٥٩
أبو حرة البصرى (واصل بن عبد الرحمن)
حرملة (أبو عبد الرحمن) (أبو حفص) (حرملة بن عمران بن قراد التجيبى)
حرملة بن عمران بن قراد التجيبى (أبو عبد الرحمن) (أبو حفص) ١٣٢٤٠ ، ١٣٢٤١
حرمى بن عمارة بن أبى حفصة العتكى : ١٢٨٦١
حسان بن مخارق الشيبانى (حسان بن أبى المخارق) (أبو العوام) : ١٢٩٩٤

حسان بن مخارق الكوفى : ١٢٩٩٤
أبو الحسن الأحول (على بن عبد الأعلى ابن عامر)
الحسن بن أحمد بن أبى شعيب الحرانى (أبو مسلم الحرانى) (شيخ الطبرى) : ١٢٩٦٧
الحسن بن صالح بن صالح بن حىّ الثورى : ١٢٧٢٨
الحسن بن عبيد الله النخعى الكوفى : ١٣٥٠٠
الحسن بن عرفة العبدى البغدادى (شيخ الطبرى) : ١٢٨٥١
الحسن بن على الحلوانى (الحسين بن على الحلوانى) : ١٢٦٧١، ١٢٦٩٢
الحسن بن قزعة بن عبيد البصرى الهاشمى (شيخ الطبرى) : ١٣٠١٢
حسين الجعفى (حسين بن على بن الوليد الجعفى)
الحسين بن داود (سنيد) : ١٢٩٦٨
الحسين بن على بن الوليد الجعفى : ١٢٦٧٣ ، ١٢٦٩١ ، ١٣٢٧٠
الحسين بن على الحلوانى (الحسن بن على الحلوانى) : ١٢٦٧١، ١٢٦٩٢
الحسين بن عمرو العنقزى : ١٣٢٥٨
الحسين بن واقد المروزى : ١٢٨٠٥
أبو حصين (عثمان بن عاصم بن حصين الأسدى)
حطان بن خفاف بن زهير بن عبد الله الجعفى (أبو الجويرية) : ١٢٧٩٤
أبو حفص (حرملة بن عمران بن قراد)
أبو حفص البصرى (عبيد الله بن يوسف الجبيرى)
أبو حفص المصرى (عبد الله بن عياش بن عباس)
حفص بن بغيل الهمدانى المرهبى : ١٢٧٩٤
الحكم بن بشير بن سلمان النهدى : ١٣١٨٧
حماد بن زيد بن درهم الأزدى :
أبو حمزة التيمى (مجمع بن صمعان) : ١٢٩٧٣
أبو حمزة الكوفى النساج ، الحائك (مجمع التيمى)
حمزة بن عيسى (!!) : ١٣٢٧٠
حمزة بن المغيرة بن نشيط المخزومى : ١٣٢٧٠
حميد بن عبد الرحمن بن حميد الرؤاسى : ١٢٧٢٨
ابن الحنفية (محمد بن على بن أبى طالب)

* * *

خادم الزهرى (صالح بن أبى الأخضر)
خارجة بن مصعب بن خارجة الخراسانى : ١٢٧٦١
خالد (!!) : ١٣٣٦٧
خالد الخزاعى الأزدى : ١٣٣٦٧
أبو خالد (يزيد بن مهران الأسدى الخباز)

أبو خالد الأحمر (سليمان بن حيان الأزدى)
خالد بن الحارث بن عبيد الهجيمى : ١٢٧٥٢
خالد بن دينار التميمى السعدى (أبو خلدة) : ١٣٢٩٨
خالد بن اللجلاج العامري : ١٣٤٦١
خالد بن يزيد الجمحى المصرى : ١٣٣٧٧
أبو الخطاب (زيادة بن يحيي بن زياد ابن حسان)
خلاد بن سليمان الحضرمى المصرى : ١٣٣٤٩
خلاس بن عمرو الهجري : ١٣٠١٢ ، ١٣٠١٤
أبو خلدة (خالد بن دينار التميمى)
الخوارج : ١٣٠٤٥
أبو خيثمة (زهير بن معاوية الجعفى)

* * *

أبو داود الطيالسى : ١٢٧٩٥
داود بن أبى هند : ١٣٠٩٧ ، ١٣٠٩٨

* * *

ذكوان السمان (أبو صالح) : ١٢٨٠٢ ، ١٢٨٢٠
ذو الشمالين (عمرو بن عبد عمرو ابن نضلة)

* * *

الربيع بن صبيح السعدى : ١٢٨٥١ ، ص : ٥٨٩ ، رقم : ٥
ابن أبى رجاء (من أهل الثغر) : ١٣٢٣٣
رفيع (أبو العالية) : ١٣٣٨٠
روح بن عبادة القيسى : ١٢٧٩٦
روح بن عبد الله (أبو بكر الهذلى)

* * *

ابن أبى زائدة (عمر بن أبى زائدة)
(يحيي بن زكريا بن أبى زائدة)
زاذان الكندى الضرير : ١٣٠١٧ ، ١٣٠١٨
أبو زبيد (عبثر بن القاسم الزبيدى)
أبو الزبير (محمد بن مسلم المكى)
زكريا بن أبى زائدة الهمدانى الوادعى : ١٣٤٤٤ ، ١٣٤٤٥
زكريا بن يحيي الوقار المصري : ١٢٨٠٧
زكريا بن يحيي بن أبان المصرى : ١٢٨٠٧
الزهرى : ص ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، رقم : ٤
زهير بن سالم العنسى (أبو المخارق) : ١٣١٠٨
زهير بن معاوية الجعفى (أبو خيثمة) : ١٢٧٩٤
زياد بن حرملة : ١٣٥١١ ، ص : ٥٩٠ ، رقم : ١٣
زياد بن عبد الله بن خزاعى : ١٣٣٦٧
زياد بن عبيد الله المزنى (المرى) : ١٣٣٦٧
زياد بن علاقة بن مالك الثعلبي : ١٣٥١١
زياد بن يحيي بن زياد بن حسان الحسانى البكرى (أبو الخطاب) : ١٣٣٠٨

أبو زيد (عبد الرحمن بن أبي الغمر المصري)
زيد بن أسلم : ١٢٧٦١
زيد بن صوحان بن حجر العبدى : ١٣٤٨٦ ، ١٣٤٨٧
زيد بن أبي ليلى (زيد بن مرة) (زيد أبو المعلى) : ١٢٦٦٦
زيد بن مرة (زيد بن أبي ليلى) (زيد أبو المعلى) : ١٢٦٦٦
زيد أبو المعلى (زيد بن مرة) (زيد ابن أبي ليلى) : ١٢٦٦٦

* * *

سالم مولى أبي حذيفة : ١٣٢٦٤
سالم ، أبو النضر المدينى : ١٢٩٦٧
أبو سالم الأعور العابد (ماهان الحنفى)
سالم بن أبي الجعد : ١٣١٥٩
أبو سعد الأرحبي (أبو سعد الأزدى) ١٣٢٥٨ ، ١٣٢٥٩
أبو سعد الأزدى (الأرحبي) (قارئ الأزد) : ١٣٢٥٨ ، ١٣٢٥٩
سعد بن طارق بن أشيم (أبو مالك الأشجعى) : ١٣٣٦٧
سعد بن أبي وقاص : ١٢٥٩٣ ، ١٣٢٦٣ ، ص ٥٩٠ ، رقم : ٩
أبو سعيد (معاذ بن موسى الجعفرى)
أبو سعيد الأرحبي (أبو سعد) : ١٣٢٥٨ ، ١٣٢٥٩
أبو سعيد المؤدب (محمد بن مسلم ابن أبي الوضاح)
سعيد بن زيد بن درهم الجهضمى : ١٢٨٧٨
سعيد بن سالم القداح : ١٢٨٧٧
سعيد بن أبي أيوب الخزاعى المصرى (سعيد بن مقلاص) : ١٣١٧٨
سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى الخزاعى : ١٣٠٤٥
سعيد بن عبد العزيز بن أبي يحيى التنوخى : ١٢٦٨٢
سعيد بن عبيد الطائى (أبو الهذيل) : ١٣٤٨٦ ، ١٣٤٨٧
سعيد بن أبي عروبة : ١٢٧٤٨
سعيد بن عمرو السكونى : ١٣٢٤٠ ، ١٣٢٤١
سعيد بن أبي مريم : ١٢٧٧١
سعيد بن المسيب : ١٣٤٩٣
سعيد بن مقلاص (سعيد بن أبي أيوب) : ١٣١٧٨
سعيد بن أبي هلال الليثى : ١٣٥٧٠
سفيان الثورى : ١٢٧١٠ ، ١٢٧٢٥ ، ١٣٢٦٣
أبو سفيان المعمرى (محمد بن حميد اليشكرى)
سفيان بن حبيب البصرى : ١٣٠١٢
سفيان بن زياد العصفرى : ١٣١٤٧
سفيان بن عقال : ١٢٨٥١
سفيان بن عيينة : ١٢٧٢٥ ، ١٣٢٩١ — ١٣٢٩٣
سفيان بن وكيع : ١٢٦٣٨
أبو سلام (الأسود بن هلال المحاربى)
سلم بن قتيبة الشعيرى الفريابى (أبو قتيبة) : ١٢٩٠٤
أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ١٢٦٦٧ ، ١٢٧٢٩ ، ١٢٧٣٠

١٢٧٦٠ ، ١٢٧٧١ ، ١٢٨٢٢
سلمى بن عبد الله بن سلمى (أبو بكر الهذلى)
سليم بن أسود المحاربى (أبو سنان) : ١٢٧٥٨ ، ١٢٧٥٩
سليم بن عامر الكلاعى : ١٢٨٠٧
سليمان بن حيان الأزدى (أبو خالد الأحمر) : ١٢٦٣٨
سليمان بن أبى سليمان (أبو إسحق الشيبانى) : ١٣٤٨٤
سليمان بن عمر بن خالد الرقى القرشى (الأقطع) : ١٢٦٧٠ ، ١٢٧٠٧ ، ١٢٧٣٤
سماك بن حرب : ١٢٧٤١
أبو سنان الكندى : ١٢٧٥٨ ، ١٢٧٥٩
سنيد بن داود (الحسين بن داود) : ١٢٩٦٨
أبو سهل الرقى (كثير بن هشام الكلابى)
سهل بن يوسف الأنماطى : ١٢٥٥٣
سوار بن شبيب السعدى الأعرجى : ١٢٨٥٤
سوار بن عبد الله بن سوار العنبرى (شيخ الطبرى) : ١٢٨٤٨

* * *

شبابة بن سوّار الفزارى : ١٢٨٥١
شداد بن أوس بن ثابت الأنصارى : ١٣٣٦٨ ، ١٣٣٦٩
شراحيل بن آدة (أبو الأشعث الصنعانى) : ١٣٣٦٨ ، ١٣٣٦٩
أبو شريح الحمصى (ضبارة بن عبد الله بن مالك)
شريح بن هانى بن يزيد الحارثى : ١٣٢٦٣
أبو الشعثاء (جابر بن زيد الأزدى)
أبو الشعثاء الكندى (يزيد بن مهاصر)
شعيب بن الليث بن سعد المصرى : ١٢٨١٩
شقيق بن سلمة الأسدى (أبو وائل) : ١٢٥٩٣
الشيبانى (أبو إسحق الشيبانى) (سليمان بن أبى سليمان)

* * *

صاحب مقاتل (بكير بن معروف) : ١٢٩٧٠
أبو صالح (ذكوان السمان) : ١٢٨٠٢
صالح بن أبى الأخضر اليمامى (خادم الزهرى) : ١٢٩٣٣
صبيح : ١٣٢٦٤
صبيح بن عبد الله العبسىّ : ١٢٧٤١
الصعب بن جثامة : ص : ٨٦
تعليق : ١
صفوان بن الجون (!!) (صفوان بن محرز) : ١٢٨٦٦
صفوان بن عمرو بن هرم السكسكى : ١٢٨٠٧ ، ١٣١٠٨
صفوان بن محرز بن زياد المازنى : ١٢٨٦٦
أبو الصلت الشامى : ١٣٢٤٠ ، ١٣٢٤١

* * *

ضبارة بن أبى السليك (ضبارة بن عبد الله بن مالك . . .) :

١٣٢٤٠ ، ١٣٢٤١
ضبارة بن عبد الله بن مالك بن أبي السليك الحضرمي (ضبارة بن مالك) (أبو شريح الحمصي) : ١٣٢٤٠ ، ١٣٢٤١
ضبارة بن مالك (ضبارة بن عبد الله ابن مالك) أبو شريح الحمصي : ١٣٢٤٠ ، ١٣٢٤١
ضمرة بن ربيعة الفلسطيني : ١٢٨٦٨ ، ١٣٦٥٠

* * *

طارق بن شهاب البجلي الأحمسي : ١٢٥٨٩

* * *

عائشة : ص: ٨٦، تعليق : ٢
أبو العالية (رفيع) : ١٣٣٨٠
أبو عامر العقدي (عبد الملك بن عمرو القيسي)
عامر بن عبد الرحمن : ١٣٣٤٩
العباس بن الوليد بن مزيد العذري الآملي (شيخ الطبري) : ١٣٤٦١
عبثر بن القاسم الزبيدي (أبو زبيد) ١٣٢٥٥
عبد الأعلى بن عامر الثعلبي : ١٢٨٠٣
عبد الحميد بن بيان القناد (شيخ الطبري) : ١٢٨٢٥
أبو عبد الرحمن (حرملة بن عمران بن قراد)
أبو عبد الرحمن الحذاء (مسكين ابن بكير)
أبو عبد الرحمن السلمي القارئ (عبد الله بن حبيب)
عبد الرحمن بن ثروان : ١٣٢٢٣ ، ١٣٢٢٤ ، ص ٥٩٠ ، رقم : ٨
عبد الرحمن بن حاطب بن أبي بلتعة اللخمي : ١٢٧٦٤
عبد الرحمن بن عائش الحضرمي : ١٣٤٦١
عبد الرحمن عثمان بن عبد الله التيمي : ١٢٧٧٢
عبد الرحمن بن أبي عمرة بن محصن ابن ثعلبة الأنصاري : ١٣٢٧٨
عبد الرحمن بن عوف : ١٢٥٩٣
عبد الرحمن بن عياش الحضرمي (عبد الرحمن بن عائش) : ١٣٤٦١
عبد الرحمن بن أبي الغمر المصري (أبو زيد) : ١٢٨٠٧
عبد الرحمن بن مل بن عمرو بن عدي (أبو عثمان النهدي) : ١٣٠٩٧ ، ١٣٠٩٨
عبد الرحمن بن أبي هريرة : ١٢٦٩٩ ، ١٢٧٠٠
عبد الرحمن بن يزيد بن جابر الأزدي : ١٣٤٦١
عبد الرحيم بن سليمان الطائي الرازي الأشل : ١٢٨٠٤
عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري (أبو بكر) : ١٣٠٠٧
عبد السلام بن أبي الجنوب المدني : ١٢٧٣٤
عبد السلام بن حبيب البخاري : ١٢٧٣٤

أبو عبد الصمد (عبد العزيز بن عبد الصمد العمى)
عبد العزيز بن أبان الأمـــوى : ١٢٨٠٢ ، ١٢٨٧٦
عبد العزيز بن سياه الأسدى (أبو محمد الأسدي) (!) : ١٣١٧٥ ، ١٣١٧٧
عبد العزيز بن عبد الصمد العمى (أبو عبد الصمد) : ١٣٠٤٢
عبد القدوس بن الحجاج الخولانى (أبو المغيرة) : ١٣١٠٨
عبد الكريم بن أبى عمير (شيخ الطبرى) : ١٢٨٦٧
عبد الكريم بن مالك الجزرى[1] : ١٢٧٤٧
أبو عبد الله المدائنى (أحمد بن هشام بن حميد)
عبد الله بن أحمد بن شبويه الخزاعى : ١٢٧٧١
عبد الله بن أخامر (أبو أمية الشعبانى) ١٢٨٦٢
عبد الله بن الحارث بن نوفل الهاشمى (ببة) : ١٢٧٤٠ ، ١٢٧٤٥ ، ١٣٣٠٨
عبد الله بن حبيب بن ربيعة (أبو عبد الرحمن السلمى) : ١٢٩٧٢ ، ١٣٥٠٩
عبد الله بن حفص بن عمر بن سعد (أبو بكر بن حفص) : ١٢٦٩٧
عبدالله بن رباح الأنصارى : ١٣٠٤٢
عبد الله بن سلمة المرادى : ١٣٣٠٦
عبد الله بن سوار العنبرى القاضى : ١٢٨٤٨
عبد الله بن عامر (أبو الكنود الأزدي) : ١٣٢٥٨ ، ١٣٢٥٩
عبد الله بن عبد الحكم بن أعين المصرى : ١٢٨١٩
عبد الله بن عبيد بن عمير بن قتادة الليثى : ١٢٦٧١ ، ١٢٦٩٣
عبد الله بن عمر : ١٢٦٩٩ ، ١٢٧٠٠
عبد الله بن عمران (أبو الكنود الأزدى) : ١٣٢٥٨ ، ١٣٢٥٩
عبد الله بن عياش بن عباس القتبانى (أبو حفص المصرى) : ١٢٩٣١
عبد الله بن ميسرة الحارثى (أبو إسحق الكوفى) : ١٣٤٨٩
عبد الله بن يوسف التنيسى الكلاعى : ١٢٨١٩
عبد الملك بن حبيب الأزدى (أبو عمران الجونى) : ١٣٠٤٢
عبد الملك بن سعيد بن جبير الأسدى : ١٢٧٧٦ ، ١٢٩٦٦
عبد الملك بن عمرو القيسى (أبو عامر العقدى) : ١٢٧٩٥
عبد الملك بن عمير بن سويد القرشى (القبطى) (ابن القبطية) : ١٢٥٧٣
عبد الملك بن ميسرة الهلالى الزراد : ١٢٨٧٧
عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان العنبرى : ١٢٧٤٣

(١) فى الإسناد خطأ ، فيه « عمرو بن عبد الكريم » ، والصواب : «عمرو عن عبد الكريم» .

عبدة بن سليمان الكلابى : ١٢٧٢٩ ، ١٢٧٣٠ ، ١٢٨٢٢
عبيد الله بن محمد بن هرون الفريابى (شيخ الطبرى) : ١٣٦٥٠
عبيد الله بن موسى بن أبى المختار العبسى : ١٣١٧٧ ، ١٣٢١٩
عبيد الله بن يوسف الجبيرى (شيخ الطبرى) (أبو حفص البصرى) : ١٢٨٨٢ ، ١٢٨٩٧
عبيدة بن ربيعة : ١٣٥١٥
أبو عبيـــدة بن معن المسعودى : ١٢٨٢٩
عتبة بن أبى حكيم الشعبانى الهمدانى : ١٢٨٦٢ ، ١٢٨٦٣
أبو عثمان (عمرو بن سالم الأنصارى) : ١٣٤٩٦ ، ١٣٤٩٧
أبو عثمان النهدى (عبد الرحمن بن مل بن عمرو) : ١٣٠٩٧ ، ١٣٠٩٨
عثمان بن عاصم بن حصين الأسدى (أبو حصين) : ١٢٨٠٢ ، ١٣٥٠٩
عثمان بن عبد الرحمن القرظىّ : ١٣٥٧٠
عثمان بن الهيثم بن الجهم بن عيسى العصرى العبدى (الأشج العصرى) : ١٢٩٣٢
عدىّ بن بداء : ١٢٩٦٦ ، ١٢٩٦٧
أبو عروة (القاسم بن مخيمرة الهمدانى)
عطاء بن دينار المصرى : ١٣١٧٨
عطاء بن يسار : ١٢٧٦١
عطية بن سعد العوفى : ١٣٥٢٥
عقبة بن عامر الجهنى : ١٣٢٤٠ ، ١٣٢٤١
عقبة بن مسلم التجيبى المصرى : ١٣٢٤٠ ، ١٣٢٤١
عكاشة بن محصن الأسدى : ١٢٨٠٥ ، ١٢٨٠٦
عكرمة : ص : ١١١ تعليق : ٢
العلاء بن بدر (العلاء بن عبد الله بن بدر الغنوى) : ١٢٦٧٥
العلاء بن عبد الله بن بدر الغنوى (العلاء بن بدر) : ١٢٦٧٥
العلاء بن هرون الواسطى : ١٣٦٥٠
على بن الحسن بن شقيق العبدى : ١٢٨٠٥
على بن زيد بن جدعان : ١٣٤٩٣
على بن عبد الأعلى بن عامر الثعلبى : ١٢٨٠٣
عمار بن ياسر : ١٣٢٦٤
عمر بن الخطاب : ١٣٢٦٤
عمر بن أبى زائدة الهمدانى الوادعى : ١٣٤٤٤ ، ١٣٤٤٥
عمر بن أبى سلمة بن عبد الرحمن ابن عوف : ١٢٦٦٧ ، ١٢٦٨٢ ، ١٢٦٨٧ ، ١٢٧٤٦ ، ١٢٧٥٥
أبو عمران الجونى (عبد الملك بن حبيب الأزدى)
عمرو بن الأسود (عمير بن الأسود) (أبو عياض) : ١٢٨٠٤

عمرو بن جارية اللخمى : ١٢٨٦٢ : ١٢٨٦٣
عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصارى : ١٣٥٧٠
عمرو بن حبشى : ١٢٥٩٨
عمرو بن دينار : ١٢٧٢٥ ، ١٣٣٦٥ ، ١٣٣٦٦
عمرو بن سالم الأنصارى (أبو عثمان) : ١٣٤٩٦ ، ١٣٤٩٧
عمرو بن أبى سلمة التنيسى : ١٢٦٨٢
عمرو بن عبد عمرو بن نضلة الخزاعى (ذو الشمالين) : ١٣٢٦٤
عمرو بن على الفلاس : ١٢٩٠٦
عمرو بن قيس الملائى : ١٣١٨٧
عمرو بن أبى قيس الرازى (الأزرق) : ١٢٧٤١ ، ١٢٧٤٦
عمرو بن محمد العنقزىّ : ١٣٢٥٨
عمرو بن مرثد (أبو أسماء الرحبى) : ١٣٣٦٨ ، ١٣٣٦٩
عمير بن الأسود (عمرو بن الأسود) (أبو عياض) : ١٢٨٠٤
أبو العوام (حسان بن مخارق الشيبانى) : ١٢٩٩٤
عوف بن مالك بن نضلة الجشمى : (أبو الأحوص) : ١٢٨٢٥
أبو عياض (عمرو بن الأسود) (عمير بن الأسود)
عيسى بن عثمان بن عيسى بن عبد الرحمن التميمى الرملى : ١٣٤٧٨
عيسى بن المسيب البجلىّ : ١٢٨٧٦

* * *

أبو غسان (مالك بن إسماعيل بن درهم)

* * *

الفرات بن سلمان الحضرمى الجزرى الرقى : ١٢٦٤٨ ، ١٢٦٦٣
الفريابى (عبيد الله بن محمد بن هرون)
ابن فضالة (مبارك بن فضالة بن أبى أمية)
أبو فضالة (مبارك بن فضالة)
ابن فضيل (محمد بن فضيل بن غزوان الضبى)
فطر بن خليفة القرشى : ١٣٢٢٣ ، ١٣٢٢٤

* * *

القاسم بن مخيمرة الهمدانى (أبو عروة) : ١٣١٧٣
القبطى (عبد الملك بن عمير بن سويد)
ابن القبطية (عبد الملك بن عمير بن سويد)
قبيصة بن جابر بن وهب الأسدى : ١٢٥٧٣ ، ١٢٥٨٨
أبو قتيبة (سلم بن قتيبة الشعيرى)
القرظى (عثمان بن عبد الرحمن القرظى)
قيس بن أبى حازم الأحمسى : ١٢٨٧١ — ١٢٨٧٨
قيس بن الربيع الأسدى : ١٢٨٠٢

* * *

كثير بن هشام الكلابى (أبو سهل الرقى) : ١٢٦٤٨ ، ١٢٦٦٣

كردوس الثعلبي (كردوس بن العباس الثعلبي)
كردوس بن العباس الثعلبي : ١٣٢٥٥ — ١٣٢٥٧ ، ١٣٤٨٨
كريب بن أبي كريب : ١٢٩٧٢
كريب بن أبي مسلم الهاشمي : ١٣٦٣٨
كعب الأحبار : ١٢٧٦١ ، ١٣٠٤٢ ، ١٣١٠٨
كعب بن عجرة : ص ٤٢ ، تعليق : ٣
أبو الكنود الأزدي (عبد الله ابن عامر) (عبد الله بن عمران) : ١٣٢٥٨ ، ١٣٢٥٩

* * *

ليث بن هرون (!!) : ١٢٨٥٩ ، ١٢٨٦٦
أبو ليلى : ١٣٢٦٤

* * *

المؤمل البصري (مؤمل بن إسماعيل)
مؤمل بن إسماعيل العدوي البصري : ١٢٩٧٣ ، ١٣٣٧٨
ابن أبي مارية (بديل بن أبي مريم)
أبو مازن الأزدي الحداني : ١٢٨٥٢ ، ١٢٨٥٣
أبو مالك الأشجعي (سعد بن طارق ابن أشيم)
مالك بن إسماعيل بن درهم النهدي (أبو غسان) : ١٢٩٧٣
مالك بن سعير بن الخمس التيمي : ١٣٣٠٨
مالك بن شداد (!!) : ١٣٥١٨
مالك بن عوف بن نضلة الجشمي (مالك بن نضلة بن خديج) (مالك بن يقظة) !! : ١٢٨٢٥
مالك بن نضلة بن خديج الجشمي (مالك بن عوف بن نضلة) (مالك بن يقظة) !! : ١٢٨٢٥
مالك بن يقظة الجشمي (مالك بن نضلة بن خديج) : ١٢٨٢٥
ماهان الحنفي (أبو سالم الأعور العابد) : ١٣٢٩١ — ١٣٢٩٣
مبارك بن فضالة بن أبي أمية (ابن فضالة) (أبو فضالة) : ١٢٨٥٨
مجالد بن سعيد بن عمير الهمداني : ١٢٨٧٨
مجاهد : ص : ١١١ ، تعليق : ٢
ابن مجاهد (أبو مجاهد) (!!) : ١٢٥٦٧
أبو مجاهد (ابن مجاهد) (!!) : ١٢٥٦٧
مجمع التيمي (مجمع بن سمعان) (مجمع بن صمعان) (أبو حمزة الكوفي النساج) : ١٢٧١٠
(مجمع بن سمعان) (مجمع بن صمعان) (مجمع التيمي) : ١٢٧١٠
مجمع بن صمعان (مجمع بن سمعان) (مجمع التيمي) (أبو حمزة التيمي) : ١٢٧١٠ ، ١٣٢٩١ — ١٣٢٩٣
محصن الأسدي : ١٢٨٠٥

أبو محمد الأسدى (!!) (عبدالعزيز ابن سياه) : ١٣١٧٥ ، ١٣١٧٧
محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى : ١٢٨٢٠
محمد بن إسحق : ١٢٨٢٠
محمد بن بشار (بندار) : ١٢٨٧٨
محمد بن بكر بن عثمان البرسانى : ١٢٦٣٨
محمد بن حميد اليشكرى (أبو سفيان المعمرى) : ١٢٦٨٠ ، ١٢٧٠٤
محمد بن خالد (!!) : ١٣٣٦٧
محمد بن زياد القرشى الجمحى (أبو الحارث) : ١٢٨٠٥
محمد بن السائب الكلبى (أبو النضر) ١٢٩٦٧
محمد بن سلمة الحرانى الباهلى : ١٢٦٧٠ ، ١٢٩٦٧
محمد بن سواء بن عنبر السدوسى العنبرى : ١٢٩٠٦
محمد بن عبدالله بن عبدالحكم المصرى : ١٢٨١٩
محمد بن أبى عبيدة المسعودى : ١٢٨٢٩
محمد بن على بن الحسن بن شقيق العبدى : ١٢٨٠٥
محمد بن على بن أبى طالب (ابن الحنفية) : ١٣١٥٩
محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثى : ١٢٧٢٩ ، ١٢٧٣٠ ، ١٢٨٢٢
محمد بن عوف بن سفيان الطائى (شيخ الطبرى) : ١٣١٠٨
محمد بن عيسى الدامغانى (شيخ الطبرى) : ١٣٣٦١
محمد بن فضيل بن غزوان الضبى : ١٢٨٧٢
محمد بن أبى القاسم الطويل : ١٢٩٦٦
محمد بن مسلم المكى (أبو الزبير) : ١٣٣٧٧
محمد بن مسلم بن أبى الوضاح القضاعى (أبو مسلم المؤدب) : ١٢٧٨١
محمد بن مطرف (!!) : ١٣٤٩٦ ، ١٣٤٩٧
محمد بن معمر بن ربعى القيسى البحرانى : ١٢٧٩٦
محمد بن منبه ، ابن أخت ابن المبارك : ١٣٢٣٣
محمد بن موسى بن عبد الرحمن الكندى (شيخ الطبرى) : ١٣٢٧٠
محمد بن أبى موسى : ١٢٨٤٥
محمد بن النضر الحارثى (أبو عبد الله العابد) : ١٣٢٣٣
محمد بن يزيد الكلاعى الواسطى : ١٢٨٢٥
أبو المخارق (زهير بن سالم العنسى)
مخارق بن خليفة بن جابر البجلى الأحمسى (مخارق بن عبد الله)

(مخارق بن عبد الرحمن) : ١٢٥٨٩
مخارق بن عبد الرحمن (مخارق بن خليفة)
مخارق بن عبد الله (مخارق بن خليفة)
مخول بن إبراهيم النهدى : ١٢٨٠٣
بنو مدلج بن مرة بن عبد مناة : ١٢٨٢٤
مروان بن معاوية الفزارى : ١٣٣٦٧
ابن أبى مريم (سعيد بن أبى مريم)
مسعود بن ربيعة بن عمرو القارىّ : ١٣٢٦٤
مسعود بن القارىّ (مسعود بن ربيعة ابن عمرو) : ١٣٢٦٤
المسعودى (يحيى بن إبراهيم بن محمد ابن أبى عبيدة) (إبراهيم بن محمد ابن أبى عبيدة) (محمد بن أبى عبيدة) (أبو عبيدة بن معن)
مسكين بن بكير الحرانى (أبو عبد الرحمن الحذاء) : ١٢٧٣٤
أبو مسلم الحرانى (الحسن بن أحمد ابن أبى شعيب)
مسلم بن إبراهيم الأزدى الفراهيدى : ١٣٥١٨
مسلم بن خلف (!!) : ١٣١٤٧
المسيب (!!) : ١٣٤٩٣
مصعب بن المقدام الخثعمى : ١٢٧٦١
أبو المطرف المخزومى : ١٢٨٦٧
مطرف بن طريف : ١٣٤٩٦ ، ١٣٤٩٧
أبو مطيع (معاوية بن يحيى الشامى الأطرابلسى)
أبو معاذ النيسابورى (بكير بن معروف) : ١٢٩٧٠
معاذ بن عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله بن عثمان التيمى : ١٢٧٧٢
معاذ بن معاذ بن نصر بن حسان العنبرى : ١٢٧٩٨
معاذ بن موسى الجعفرى (أبو سعيد) : ١٢٩٧٠
معاوية بن صالح بن حدير الحضرمى : ١٢٨٥٨
معاوية بن يحيى الشامى الأطرابلسى (أبو مطيع) : ١٢٨٠٧
أبو المعلى (زيد بن مرة) (زيد بن أبى ليلى)
أبو المغيرة (عبد القدوس بن الحجاج الخولانى)
أبو المغيرة القواس : ١٣٠٢٥ ، ١٣٠٢٦
المغيرة بن مقسم الضبى : ١٣٦٢٣
المغيرة بن النعمان النخعى : ١٣٦٢٢
المقدام بن شريح بن هانئ بن يزيد الحارثى : ١٣٢٦٣
مكحول : ص ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، رقم : ٣
مكى بن إبراهيم بن بشير بن فرقد التميمى : ١٢٧٧٢
منذر الثورى (منذر بن يعلى الثورى) : ١٣٢٢٣ ، ١٣٢٢٤

منذر بن يعلى الثورى : ١٣٢٢٣ ، ١٣٢٢٤
منصور بن دينار التميمى الضبى : ١٢٨٧٧
منصور بن زاذان الثقفى الواسطى : ١٣٠٢١
منصور بن وردان الأسدى العطار : ١٢٨٠٣
موسى بن أنس بن مالك الأنصاري : ١٢٧٩٦

* * *

نافع بن الأزرق : ١٣١٤٠
نافع بن خالد الخزاعى : ١٣٣٦٧
نسير بن ذعلوق الثورى : ١٣٤٨٨
أبو النضر (سالم)
أبو النضر (محمد بن السائب الكلبى)
أبو النضر (هاشم بن القاسم بن مسلم الليثى)

* * *

ابن الهاد (يزيد بن الهاد) (يزيد ابن عبد الله بن أسامة بن الهاد)
هانئ بن سعيد النخعى : ١٣١٥٩
هرون بن المغيرة بن حكيم البجلى : ١٢٥٦٧ ، ١٢٧٤١ ، ١٢٧٤٧
هاشم بن القاسم بن مسلم الليثى (أبو النضر) : ١٢٧٨١
أبو الهذيل (سعيد بن عبيد الطائى)
هذيل بن بلال الفزارى المدائنى (أبو البهلول) : ١٢٦٧١ ، ١٢٦٩٣
الهزيل بن شرحبيل : ١٣٢٢٣ ، ١٣٢٢٤ ، ص ٥٩٠ ، رقم : ٨
هشام (يروى عن حمزة الزيات) : ١٣١٤٤
هشام ، صاحب الدستوائى : ١٢٧٦٠ ، ١٢٧٩٥
هشام بن سعد المدنى (يتيم زيد بن أسلم) : ١٢٨٢١
ابن أبى هلال (سعيد بن أبى هلال الليثى)
همام بن منبه : ص: ٥٨٩ ، رقم : ٦

* * *

أبو وائل (شقيق بن سلمة)
واصل ، مولى أبى عيينة بن المهلب ابن أبى صفرة : ١٢٩٧٣
واصل بن عبد الرحمن (أبو حرة البصري) : ١٢٦١٦
واقد بن عبد الله الحنظلى التميمى : ١٣٢٦٤
وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسى : ١٣٠٥٤
الوليد بن مزيد العذرى الآملى : ١٣٤٦١
الوليد بن مسلم : ١٣٤٦١

* * *

يتيم زيد بن أسلم (هشام بن سعد المدنى)
يحمد (أبو أمية الشعبانى) : ١٢٨٦٢
يحيى الجابر (يحيى بن المجبّر) (يحيى بن عبد الله بن الحارث ابن المجبر)
يحيى بن ابراهيم بن محمد بن أبى

عبيدة المسعودى (شيخ الطبرى) : ١٢٨٢٩
يحيي بن أيوب الغافقى : ١٢٧٧١
يحى بن حاطب (يحى بن عبدالرحمن ابن حاطب)
يحيي بن أبى زائدة (يحيي بن زكريا ابن أبى زائدة)
يحيي بن زكريا بن أبى زائد (يحيي بن أبى زائدة) : ١٢٦٢٧ ، ١٢٧٢٩ ، ١٢٧٣٠
يحيي بن سعيد القطان : ١٢٧٧٢
يحيي بن سعيد بن قيس الأنصارى : ١٢٧٧١
يحيي بن عبد الرحمن بن حاطب ابن أبى بلتعة اللخمى (يحيي ابن حاطب) : ١٢٧٦٤
يحيي بن عبد الله بن الحارث بن المجبر التيمى (يحيي الجابر) (يحيي بن المجبر)
يحيي بن عقيل الخزاعى : ١٢٩٧٣
يحيي بن عيسى بن عبد الرحمن التميمى الرملى : ١٣٤٧٨
يحيي بن أبى كثير الطائى : ١٢٧٦٠
يحيي بن المجبر (يحيي الجابر) (يحيي بن عبد الله بن الحارث ابن المجبر)
يحيي بن يعمر القيسى الجدلى : ١٢٩٧٣
يزيد بن الأصم بن عبيد البكائى : ١٣٢٢٢
يزيد بن أبى زياد القرشى الهاشمى : ١٣٣٠٨
يزيد بن أبى زياد الكوفى : ١٢٧٤٠ ، ١٢٧٧٦
يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد (يزيد بن الهاد) (ابن الهاد) : ١٢٨١٩
يزيد بن مهاجر (أبو الشعثاء الكندى) : ١٢٧٥٨ ، ١٢٧٥٩ ، ١٢٧٦٣
يزيد بن مهران الأسدى الخباز (أبو خالد) : ١٣١٨٦
يزيد بن الهاد (يزيد بن عبد الله ابن أسامة بن الهاد)
يعقوب القمى (يعقوب بن عبد الله الأشعرى القمى)
يعقوب بن إسماعيل بن يسار المدينى : ١٣٣٧٨
يعقوب بن عبد الله الأشعرى القمى : ١٣٠٤٥
يعلى بن حكيم الثقفى : ١٢٧٤٨
يوسف بن مهران البصرى : ١٣٤٩٤
يونس بن أبى إسحق السبيعى : ١٢٧٦٣
يونس بن عبد الأعلى الصدفى : ١٢٨١٩
يونس بن عبيد بن دينار العبدى : ١٢٧٤٣
يونس بن محمد بن مسلم البغدادى : ١٢٥٤٩

فهرس المصطلحات

الأفعال ، الأفاعيل (المصادر) : ١٦٠ ، ١٩٧ ، ٣٦٧
أهل التفويض : ٣٤٠
الأيمان (القسم) : ٢٧٨
الباطن : ١٢
الترجمة : ١٩٧
التصدير : ٢٩
التعقيب : ١٧٠
التفسير (التمييز) : ٤٤
التفويض : ٣٤٠
الصرف : ٣١٩ ، ٣٢١
الصفة ، الصفات (حروف الجر) (الظروف) : ١٣٨ ، ٢٤٣ ، ٥٥٠
الظاهر : ١٢ ، ٥٥ ، ٢٣٢ ، ٢٧٩ ، ٣٢٠
الفعل (المصدر) : ١٦٠ ، ١٩٧
القدرية : ٣٤٠
القطع (نصب النكرة إذا صار صفة لمعرفة) : ٤٥٥
الكناية (الضمير) : ٣٦٧
مصدّر على الحال : ٢٩
الوقت (النصب على الوقت) : ٢٤٣
الوقوع (التعدى) : ٢٩٢

فهرس الفرق

* أهل التفويض والقدرية ، وخطأ قولهم : ٣٤٠
* التشيع : ٤٩٤ ، ٤٩٥ هـ
* الخوارج ومسائلهم : ٢٥٣
* الصوفية ، والقصاص وتأويلهم : ٣٨٤ ، ٣٨٦

مباحث النحو والعربية وغيرهما

* « ألف » الاستفهام ، حذفها من الكلام ، نحو :

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِياً ، شُعَيْثُ بن سَهْمٍ ، أَمْ شُعَيْثُ بنَ مِنْقَرِ

بمعنى : أشعيث بن سهم : ٤٨٤ ، ٤٨٥

* « الألف واللام » ، لا تدخلها العرب إلا فى معروف ، إما فى جنس ، أو فى واحد معهود معروف عند المخاطبين : ١٧٦

* « الألف واللام » إدخالها فيما كان من الأسماء على وزن « يفعل » ، وذلك فى ضرورة الشعر ، إذا تحرّى به المدح أيضاً : ٥١٠ ، ٥١١

* « إذْ » بمعنى « إذا » نحو قوله :

* ثُمَّ جَزَاهُ اللهُ عَنَّا إِذْ جَزَى *

بمعنى : إذا جزى . و« إذْ » تصاحب فى الأغلب من كلام العرب المستعمل بينها ، الماضى من الفعل ، إذا عرف السامعون معناها ، وذلك غير فاش ولا فصيح فى كلامهم : ٢٣٥ ، ٢٣٦

والعرب تضع « إذْ » مكان « إذا » ، و « إذا » مكان « إذْ » ، وإن كان حظ « إذْ » أن تصاحب ما قد وُجد فقضى . وحظ « إذا » أن تصاحب من الأخبار ما لم يوجد : ٣١٧

* « أرأيتكم » وجوهها وتأويلها : ٣٥١ — ٣٥٣

* « إليك » فى الإغراء : ١٣٨

* « أن » المصدرية ، أثبت فى المعرفة من المصدر : ٢٩٨

* « أن » تدل على الاستقبال ، دلالة « اللام » فى « لنسلم لرب العالمين » : ٤٥٦
وضعها مكان « اللام » التى بمعنى « كى » : ٤٥٦

* « أو » « أو » ، للتخيير فى القرآن : ٣٤ ، ٣٥

* « أو » فى معنى التعقيب دون التخيير : ١٧٠

* « أوّل » إنما يقال للشىء « أول » إذا كان له « آخر » هو له « أول » : ١٩٨

* « الباء » حذفها فى نحو قوله : « الله أعلم من يضل عن سبيله » أى : أعلم بمن
يضل ، فحذف : ٥٦٠

* « بين » رفعها ونصبها ، فى حال كونها أسماء ، وفى حال كونها صفة (ظرفاً) :
٥٤٩ ، ٥٥٠

* « ثم » مجيئها فى جواب التمنى : ٣١٩ ــ ٣٢١

* « جعل » تجعلها العرب ظرفاً للخبر والفعل ، تقول : « جعلت أفعل كذا » ،
تدل بقولها : « جعلت » على اتصال الفعل ودوامه : ٢٥٠

* « دونك » فى الإغراء : ١٣٨

* « على » بمعنى « فى » ، نحو : « واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان » :
٢٠٠ ، ٣١٦ ، ٣١٧

* « عليك » فى الإغراء : ١٣٨

* « عندك » فى الإغراء : ١٣٨

* « الفاء » مجيئها فى جواب التمنى : ٣١٨ ، ٣١٩ ــ ٣٢١

* « فى » بمعنى « على » نحو : « ولأصلبنكم فى جذوع النخل » : ٢٠١

* « الكاف » إدخالها للمخاطبة مع التوكيد فى نحو قولهم : « أرأيتكم » ، وفى

قولهم : « ليسك إلاّ زيد » ، بمعنى « ليس » و « لاسيّك زيد » ، بمعنى : لا سيما ، و « بلاك » بمعنى : بلى ، ونحو : « أتعلمك كان أحد أشعر من ذى الرمة » : ٣٥١ — ٣٥٢

* « اللام » اللام التى بمعنى « كى » لا تصحب إلا المستقبل من الأفعال فى نحو : « وأمرنا لنسلم » : ٤٥٦
« اللام » توضع مكان « أن » ، و« أن » مكانها : ٤٥٦

* « اللام » إيصال الفعل باللام فى قوله : « هم لربهم يرهبون » : ٤٥٧

* « لعل » بمعنى « اللام » و « كى » : ٩٧ ، ٣٥٥ ، ٤٣٣ ، ٤٣٩

* « لولا » بمعنى : « هلا » : ٢٦٦ ، ٣٤٣ ، ٣٥٦

* « لولا » ، والعرب إذا أولت « لولا » اسما مرفوعاً ، جعلت ما بعدها خبراً ، وتلقّتها بالأمر ، فقالت : « لولا أخوك لزرتك » . وإذا أولتها فعلاً ، أو لم توطها اسماً ، جعلوها استفهاماً ، فقالوا : « لولا جئتنا فنكرمك ؟ » ، بمعنى « هلا » : ٣٥٦

* « ماذا » ، معناها : ما الذى : ٢٠٩

* « الواو » مجيئها فى جواب التمنى ، مثل « الفاء » ، ، وإنكار من أنكر ذلك ، وقوله : إنما « الواو » موضع حال : ٣١٨ ، ٣١٩ — ٣٢١

* « الواو » إذا كانت « فاء » للفعل ، وجاء المصدر على وزن « فِعال » فكسر ما قبلها قلبت « الواو » « ياء » ، نحو « صيام » ، وربما جاء على أصله نحو « قوام » : ٩٠

* * *

* « فاعل » وجمعه على « فَعْل » ، نحو : « تاجر » و « تجر » : ٥٨٠

* « فعيلة » بمعنى « مفعولة » ، مثل « بحيرة » : ١٢١

* * *

* « الاستفهام » على وجه الاستعظام نحو : « أفعلت كذا وكذا » ، مما يعلم المقول له ذلك أن القائل يستعظم فعل ما قال له : « أفعلته » ، على وجه النهى عن فعله ، والتهديد له فيه : ٢٣٧

* « الاستفهام » العرب لا تنصب اسمًا بفعل بعد حرف الاستفهام ، لا تقول : « أخاك أكلمت ؟ » ، وهى تريد : أكلمت أخاك ؟ : ٤٦٧

* « الاستفهام » على وجه الإنكار والتوبيخ ، وحذف « ألف » الاستفهام من ذلك : ٤٨٤

* « الإضافة » ، لا وجه لإضافة الشىء إلى نفسه : ١٣

* « الإضافة » ، إضافة الظروف إنما تكون محضة ، إذا أضيفت إلى اسم صحيح : ٢٤٢

* المضاف إلى المعرفة فى معنى النكرة ، نحو : « هدياً بالغ الكعبة » ، بمعنى يبلغ الكعبة : ٢٩ ، ٣٠

* نعت النكرة ، بالمضاف إلى المعرفة ، لأنه فى معنى النكرة ، كقوله : « هدياً بالغَ الكعبة » : ٢٩ ، ٣٠

* « القطع » النصبُ على القطع ، هو ما كان نكرة فصار صفة لمعرفة : ٤٥٥

* « الإغراء » العرب تغرى بالصفات (حروف الجر ، والظروف) نحو قولهم : « عليك » ، و « عندك » ، و « دونك » و « إليك » : ١٣٨

* « الأمر » بمعنى « القول » : ٢٨٥

* « الأيمان » العرب تقول فى الحروف التى يصلح معها جواب الأيمان (القسم) بـ « أن » المفتوحة ، و بـ « اللام » ، فتقول : « أرسلت إليه أن يقوم » ، و « أرسلت إليه ليقومن » : ٢٧٨

* « البدل » إبدال المعرفة من النكرة ، يجوز إذا حُدّت النكرة حتى صارت

كالمعرفة ، والاستشهاد عليه بقوله :

عَلَيَّ يَوْمَ يَمْلِكُ الأُمُورَا صَوْمُ شُهُورٍ وجبت نُذُورَا
وبادناً مُقَلَّدًا مَنْحُورَا

: ١٩٨

* « التمييز » فى قوله : « أو عدل ذلك صياماً » : ٤٤

* « العطف » العطف على موقع الاسم من الإعراب لا على لفظه ، إذا كان بينهما حائل أو لم يكن ، نحو :

قُعُوداً لَدَى الأَبْوَابِ طُلَّابَ حَاجَةٍ عَوَانٍ مِنَ الحَاجَاتِ، أَو حَاجَةً بِكْرَا

وقوله فى الآخر :

بَيْنَا نَحْنُ نَنْظُرُهُ أَتَانَا مُعَلِّقَ شِكْوَةٍ وَزِنَادَ رَاعِ

فعطف ولا حائل بينهما : ٥٥٦ ، ٥٥٧

* « الظرف » رفع الظرف ، وإن كانت إضافته غير محضة ، لأنه قد صار كالمنعوت فى قوله : « هذا يومُ ينفع الصادقين صدقهم » : ٢٤١

* « الظرف » إعرابه على ما بعده ، إن كان رفعاً رفعوه ، نحو : « هذا يومُ يركب الأمير ». وإن كان نصباً نصبوه ، نحو : « هذا يومُ خرج الجيش »، وأن معناها فى الحالين : « إذ » و « إذا » : ٢٤٢

* الاسم الأعجمى ، وترك إجرائه : ٤٦٧ ، ٤٦٨

* « الاسم الأعجمى » ، ينطق على ما سموا به ، فإن غير منه شىء إذا تكلمت به العرب ، فإنما يغير بتقديم حرف منه ، من غير حذف ولا زيادة فيه ولا نقصان : ٥١٢

* « يفعل » ما كان من أسماء الأعلام على وزن « يفعل » ، فالعرب لا تكاد

تدخل عليه « الألف واللام » : لا يقولوا : « رأيت اليزيد »، إلا فى ضرورة شعر ، وذلك إذا تحرّى به المدح ، نحو :

وَجَدْنَا الوَلِيدَ بن اليَزِيدَ مُبَارَكاً شَدِيداً بأَحْنَاءِ الخِلَافَةِ كَاهِلُهْ

فأدخل « الألف واللام » ، إتباعاً لإدخالهما فى « الوليد » : ٥١٠ ، ٥١١

* « فعلان » الذى مؤنثه « فعلى » لا يجرى (لا يصرف) فى كلام العرب فى معرفة ولا نكرة : ٤٥١ .

* « الصرف » نصب الفعل على الصرف وشروطه ، نحو : « لا يسعنى شىء ويضيقَ عنك » : ٣١٩ — ٣٢١

* نصب الفعل فى جواب التمنى بالواو والفاء : ٣١٨ ، ٣١٩ — ٣٢١

* « الجزاء » العرب تحذف جواب الجزاء ، لدلالة الكلام عليه ، ومعرفة السامعين بمعناهُ : فيقول الرجل للرجل : « إن استطعت أن تنهض معنا فى حاجتنا ، إن قدرت على معونتنا » ، يحذف الجواب وهو يريد : إن قدرت على معونتنا فافعل : ٣٣٨ ، ٣٣٩

* « المصدر » الاسم لا يكون مصدراً ، غير أن العرب قد تضع الأسماء مواضع المصادر : ١٦٠ ، ١٩٧

* العرب تحذف المصدر اجتزاء بالاسم ، وتحذف الاسم اجتزاء بالمصدر : ١٩٧

* « الجمع » ، الجموع يلحقها التأنيث : ٢٩٢ ، ٢٩٣

* « الجمع » الجموع التى ليس لها واحد : ٣٠٩ ، ٣١٠

* « الضمير » انظر « الكناية » : ٣٦٧

* « الكناية » (الضمير) : العرب إذا كنت عن الأفعال (المصادر) وحدت الكناية ، وإن كثر ما يكنى عنه من الأفاعيل (المصادر) : ٣٧٦

* « الضمير » إسقاط الضمير العائد على صلة « من » و « ما » و « الذى » ، فى كلام العرب : ٢٩٢

* تأنيث الفعل لمجاورته المؤنث ، نحو قول لبيد :

فَمَضَى وَقَدَّمَهَا ، وَكَانَتْ عَادَةً مِنْهُ إِذَا هِيَ عَرَّدَتْ إِقْدَامُهَا

فقال : « وكانت » بتأنيث « الإقدام » ، لمجاورته : « عادة » : ٢٩٨

* « التذكير والتأنيث » ما لاحظَّ للمذكر فيه ، نحو « امرأة طامث » و « نخلة موقر » : ٣٠٦

* « أفعل » التفضيل ، حذف « منه » ، العرب تفعل ذلك ، فتقول : « فلان أفضل » ، وهى تريد : أفضل منك ، وذلك إذا وضع « أفضل » موضع الخبر وإن وقع موقع الاسم ، وأدخلت فيه الألف واللام ، فعلوا ذلك أيضاً ، إذا كان جواباً لكلام قد مضى ، فقال : « هذا الأفضل » يريدون : هو الأفضِل منك : ٢٠٣

* « الحذف » ، حذف المضاف ، وإقامة المضاف إليه مقامه نحو :

يُمشِّي بَيْنَنَا حَانُوت خَمْرٍ مِنَ الخُرْسِ الصَّرَاصِرَةِ القِطَاطِ

يعنى صاحب حانوت خمر ، لأنه معلوم أن الحانوت لا يمشى : ٢٠٠

* « الحذف » ، ، وإقامة ما بقى مقام المحذوف ، نحو : « واسأل القرية » : ١٥٩ ، ١٩٧ ، ٥٧٨ .

* * *

* « المبالغة » ، إذا أراد العرب المبالغة فى الكلام أو نحوه ، زادوا فيه من معناه نحو : « كلمت فلاناً بفمى » ، و « مشيت إليه برجلى » ، و « ضربته بيدى » : ٣٤٩

* العرب إذا أخبرت خبراً عن غائب ، وأدخلت فيه « قولا » ، وجهت الخبر أحياناً إلى الخبر عن الغائب ، وأحياناً إلى الخطاب ، وتخبر عنه أحياناً على

وجه الخبر عن الغائب ، ثم تعود إلى الخطاب . وتخبر على وجه الخطاب له ، ثم تعود إلى الخبر عن الغائب . وذلك فى كلامها وأشعارها كثير فاش : ٢٦٤

* * *

* قصد أبى جعفر فى تفسيره إلى الإبانة عن تأويل التنزيل : ١٢

* خطأ من لم يتدبر تأويل القرآن ، ويلزم سنن العربية : ٣٢٠

* غير جائز إحالة ظاهر التنزيل إلى باطن من التأويل لا دلالة عليه من نص كتاب ، ولا خبر لرسول الله ، ولا إجماع من الأمة : ١٢

* من ادعى فى التنزيل ما ليس فى ظاهره ، كلف البرهان على دعواه من الوجه الذى يجب التسليم له : ٥٥

* صرف الكلام إلى أصح وجوهه ما وجد إليه سبيل ، أولى بنا من صرفه إلى أضعفها : ١٦٠

* غير جائز صرف كلام الله تعالى إلا إلى أحسن وجوهه : ١٦٩

* توجيه معانى كلام الله إلى الأشهر الأعرف ما وجد إليه سبيل ، أولى من توجيهها إلى الأجهل الأنكر : ٢٣٦

* أولى القراءة ، القراءة المستفيضة فى قرأة الأمصار ، التى لا تتناكر صحتها الأمة : ١٧٨

* القراءة الشاذة عن قراءة الحجة ، كفى بشذوذها عن قراءتهم دليلاً على بعدها من الصواب : ١٩٨

* * *

* « العموم » و « الخصوص » ؛ غير جائز أن يصرف ما عمه الله تعالى ذكره إلى الخصوص إلا بحجة يجب التسليم لها : ١٢ ، ١٥٧

* * *

* « النسخ » ، غير جائز أن يقضى على حكم من أحكام الله أنه منسوخ ، إلا بخبر يقطع العذر ، إما من عند الله ، أو من عند رسوله ، أو بورود النقل المستفيض بذلك . فأما ولا خبر بذلك ، ولا يدفع صحته عقل ، فغير جائز أن يُقْضَى عليه بأنه منسوخ : ٢٠٩

* الخبران إذا كان مخرجهما صحيحاً، فواجب التصديق بهما ، وتوجيه كل واحد منهما إلى الصحيح من وجه : ٨٦

* الأخبار الصحاح ، توجيهها إلى الصواب من وجوهها أولى بها : ١١٢

* « الجاهلية » ، ما كانت الجاهلية تعمل به ، لا يوصل إلى علمه ، إذ لم يكن له فى الإسلام أثر ، ولا فى الشرك : ١٣٤

* * *

* كيفية عمل « الجاهلية » ، مما لا علم لنا به ، غير ضائر الجهل به ، إذا كان المراد من علمه المحتاج إليه، موصولاً إلى حقيقته، نحو تحريمهم على أنفسهم ما لم يحرمه الله : ١٣٤

* * *

* ما لا ينفع العلم به ، ولا يضر الجهل ، إذا أقر تالى الآية بظاهر ما احتمله التنزيل : ٢٣٢

* * *

* كفى بقولٍ خطأ ، خروجه عن أقوال أهل العلم : ٥٥

* القول إذا خرج من أن يكون أصلاً ، أو نظيراً لأصل ، فيما تنازعت فيه الأمة ، كان واضحاً فساده : ١٨٤

* الكلام إذا تنوزع فى تأويله ، فحمله على الأغلب الأشهر من معناه ، أحقّ وأولى من غيره ، ما لم تأت حجة مانعة من ذلك يجب التسليم لها : ٤١٨

فهـــرس التفسير

٣ تصدير الجزء الحادى عشر .

٧ تفسير قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم » .

٧ « الإحرام » بالحج والعمرة .

٧ اختلافهم فى صفة « العمد » فى قتل الصيد .

٨ قول من قال : هو العمد لقتله ، مع نسيان قاتله إحرامه فى حال قتله .

١١ قول من قال : هو العمد لقتله ، ذاكراً لإحرامه .

١٢ ترجيح أبى جعفر صواب معنى « العمد » .

١٢ « الخطأ » فى قتل الصيد ، لا ذكر له فى التنزيل .

١٢ قصد أبى جعفر فى تفسيره هذا .

١٤ اختلاف أهل العلم فى صفه « الجزاء » ، وكيف يجزى قاتل الصيد من المحرمين بما قتل مثله من النعم .

١٤ قول من قال : ينظر إلى أشبه الأشياء به شبها من النعم ، فيجزيه به ، ويهديه إلى الكعبة ، والأخبار فى ذلك .

١٩ قول من قال : يقوّم الصيد المقتول قيمته من الدراهم ، ثم يشترى بقيمته مثله من النعم ، ثم يهديه إلى الكعبة .

٢٠ ترجيح أبى جعفر بين القولين ، واحتجاجه لذلك .

٢٢ بيان كيف يكون حكم العدلين فى جزاء الصيد المقتول ، وأخبار عمر فى ذلك .

٢٩ قول من قال : ينظر العدلان إلى الصيد المقتول ، فيقومانه قيمته دراهم ، ثم يأمران القاتل أن يشترى بذلك من النعم هدياً .

٣٠ كفارة طعام مساكين فى جزاء قتل الصيد . واختلاف العلماء فى ذلك .

٣٥ اختلاف القائلين بتخيير قاتل الصيد من المحرمين بين الأشياء الثلاثة ، فى صفة اللازم له من التكفير بالإطعام والصيد ، إذا اختار الكفارة بأحدهما دون الهدى .

٣٦ اختلافهم فى « الصوم » فى كفارة قتل الصيد .

٣٧ ترجيح أبى جعفر فى كفارة الطعام والصوم .

٣٩ اختلافهم فى صفة التقويم إذا أراد التكفير ، بالإطعام : أن يقوم بقيمة الموضع الذى أصابه فيه ، أو بسعر الأرض التى يكفر فيها ، والصواب فى ذلك .

٤١ « الكعبة » مراد بها الحرم كله .

٤٢ عدل الصيام فى كفارة الصيد ، وبيان ذلك ، والأخبار فيه .

٥٤ ظنّ من ظنّ أنّ « الكفارة » مزيلةٌ العقابَ ، وأن الكفارة لو كانت لازمة له فى الدنيا ، لبطل العقاب فى الآخرة ، وبيان خطأ ظنه .

٥٤ حدود الله تعالى إلى الله تعالى ، يخالف بين عقوبات معاصيه بما شاء وأحب ، فيزيد فى عقوبته على بعض معاصيه مما ينقصُ من بعض ، وينقص من بعض مما يزيد فى بعض ، والمثل على ذلك .

٥٧ صيد البحر وإحلاله ، وبيان معناه ، والأخبار فى ذلك .

٦١ طعام البحر ، وبيان معناه ، والأخبار فى ذلك .

٧١ بيان معنى « السيارة » ، وخطأ مجاهد فى تفسيره أنهم أهل الأمصار .

٧٤ تحريم صيد البرّ علينا ما دمنا حرماً ، واختلاف العلماء فى ذلك ، وبيان الصواب فيه عند أبى جعفر .

٨٦ « الأخبار » إذا كان مخرجها صحيحاً ، فواجب التصديق بها ، وتوجيه كل واحد منها إلى الصحيح من وجه .

٨٧ اختلافهم فى صفة « صيد البر » المحرّم علينا .

٨٩ الكعبة والشهر الحرام والهدى والقلائد ، وكيف هى قيام للناس فى الجاهلية والإسلام ، والأخبار فى ذلك .

٩٨ الأخبار فى سؤال من سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أبى » ؟ فقال : « أبوك حذيفة » .

١٠٣ قوله : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » ، وتأريخ قوله ، رقم : ١٢٨٠١ .

١٠٤ الأخبار فى سؤالهم عن الحج : أفى كل عام ؟

١٠٦ قوله : « إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم » .

١١٢ « الأخبار » إذا كانت مخارجها صحاحاً ، فتوجيهها إلى الصواب من وجوهها أولى .

١١٦ خبر عمرو بن لحىّ ، أول من غير دين إسماعيل ، وبحر البحيرة ، وسيب السائبة ، وحمى الحامى ، والأخبار من ١٢٨١٩ — ١٢٨٢٤ ، ثم رقم : ١٢٨٢٧ .

١٢١ « البحيرة » ، وخبرها ، وحديث رسول الله فى أصل تحريمها .

١٢٣ « السائبة » ، ومعناها .

١٢٤ « الوصيلة » و « الحامى » ، وخبر عمرو بن لحىّ ، وتفسير معانى ذلك فى الجاهلية .

١٣٤ ما كان من أمر الجاهلية مما لا يوصل إلى علمه ولا حقيقته ، فغير ضائر الجهل به ، إذا عرف وجه اعتقادهم فيه .

١٣٤ « الحرام » عندنا ما حرم الله تعالى ذكره ورسوله بنص أو دليل ، و« الحلال» منه ما حلله الله ورسوله كذلك .

١٣٨ الأخبار فى معنى « عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » ، وأن تأويلها فى آخر الزمان .

١٤٥ حديث أبى ثعلبة الخشنى : « ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ، فإذا رأيت دنيا مؤثرة وشحًّا مطاعاً ، وإعجاب كل ذى رأى برأيه ، فعليك نفسك » .

١٤٨ حديث أبى بكر : « إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه ، أوشك أن يعمهم الله بعقابه »، رقم : ١٢٨٧١ — ١٢٨٧٨ .

١٥٢ أصح التأويلات فى هذه الآية ، وما معها من الأخبار .

١٥٤ الوصية عند حضور الموت ، وشهادة العدلين .

١٥٧ « العموم والخصوص »، وغير جائز صرف العموم إلى الخصوص إلاّ بحجة يجب التسليم لها .

١٦٠ بيان معنى الآخران من غيرنا فى وصية الموت ، واختلافهم فى ذلك ، وأولى التأويلات بمعنى الآية .

١٧٢ حبس الشاهدين فى وصية الموت بعد الصلاة ، وكيف أيمانهما .

١٧٤ اختلافهم فى « الصلاة »، أهى صلاة العصر ، أو صلاة غيرها ، والصواب فى ذلك .

١٧٩ إذا عثر على الشاهدين أنهما استحقا إثماً، والعمل عند الارتياب فى شهادتهما.

١٨٤ لا يُعلم حكم من أحكام الإسلام يجب فيه اليمين على الشهود .

١٨٥ خبر يمنحه الداريّ وعديّ بن بداء فى وصية السهميّ حين قدما بتركته فخانا، من رقم ١٢٩٦٦ — ١٢٩٧٠

١٩٤ قول أبى جعفر فى حكم الله تعالى باليمين على الشاهدين فى أمر الوصية ، إذا خانا .

٢٠٧ قول من قال إن حكم الآيتين من « سورة المائدة » ، فى خيانة الشاهدين منسوخ ، وردّ ذلك .

٢٠٩ « النسخ » لا يقضى على حكم من أحكام الله أنه منسوخ إلا بخبر يقطع العذر ، إما من عند الله ، أو من عند رسوله ، أو من نقل مستفيض .

٢٢٤ أخبار نزول المائدة من السماء .

﴿ تفسِيرُ سُورة الأَنْعام ﴾

٢٤٩ القول فى تفسير السورة التى يذكر فيها الأنعام .

٢٥٣ خبر رجل من الخوارج يسأل ابن أبزى عن قوله تعالى: « ثم الذين كفروا بربهم يعدلون » .

٢٧٣ « الرحمة » التى بها يتعاطف الخلق ، والأخبار فى ذلك .

٣٣٣ خبر فى يوم بدر .

٣٤٠ الرد على أهل التفويض والقدرية ، المنكرون أن يكون عند الله لطائف لمن شاء توفيقه من خلقه ، يلطف بها حتى يهتدى للحق فينقادله .

٣٤٧ حديث حشر الخلق يوم القيامة ، ويعدل الله بينهم حتى يأخذ للجماء من القرناء، وحديث أبى ذر : « لقد تركنا رسول الله وما يقلب طائر جناحيه فى السماء إلا ذكرنا منه علماً » .

٣٦١ حديث : « إذا رأيت الله يعطى عبده فى دنياه على معصيته ، فإنما هو استدراج » .

٣٧٤ الأخبار فى طلب الملأ من قريش من رسول الله أن يطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى من ضعفاء المسلمين من ١٣٢٥٥ — ١٣٢٦٥

٣٨١ ردّ قول من زعم أن « الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى »، هم القصاص ، وهو مما تتكذب به الصوفية .

٤١٠ يضاف قتل من قتل أعوان السلطان بأمره إلى السلطان ، وإن لم يكن باشر ذلك بنفسه .

٤٢٢ أحاديث سؤال رسول الله ربه ثلاثاً فأعطاه اثنتين ، ومنعه واحدة ، وهى أن لا يلبسهم شيعاً ويذيق بعضهم بأس بعض ، من ١٣٣٦٤ — ١٣٣٧٨

٤٣٢ خبر وقوع الخسف والرجم فى هذه الأمة .

٤٦٥ خبر إبراهيم وأبيه آزر .

٤٧٢ إطلاعه على ملكوت السموات والأرض ، وليكون من المؤمنين .

٤٧٦ حديث عبد الرحمن بن عائش الحضرمى ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « قد تبدّى لى ربى فى أحسن صورة . . . . فوضع يده بين كتفى ، فوجدت بردها بين ثديى » ، وتخريج هذا الخبر .

٤٨٠ خبر مولد إبراهيم وبعثته إلى نمرود .

٤٩٤ « الظلم » هو « الشرك » ، والأخبار فى ذلك من ١٣٤٧٦ — ١٣٥١٠

٥٢١ مخاصمة اليهودى رسول الله ، وغضب اليهودىّ حتى قال : « والله ما أنزل الله على بشر من شىء ! ! » وسائر الأخبار فى ذلك .

٥٣٣ أخبار مسيلمة الكذاب ، وعبد الله بن سعد بن أبى سرح ، من قال : « سأنزل مثل ما أنزل الله » ، من ١٣٥٥٥ — ١٣٥٥٦

٥٣٥ خبر الكذابين ، مسيلمة ، والأسود العنسى ، ورؤيا رسول الله فيهما ، وتأويلها .

٥٦٧ كتاب ابن عباس إلى حبر تيماء ، يسأله عن « مستقر » و « مستودع » ، وجواب الحبر .

٥٨٧ تتمة التخريج ، كتبه السيد أحمد محمد شاكر .

* * *

٥٩٥ فهرس الآيات التى استدل بها فى غير موضعها من التفسير .

٥٩٩ فهرس اللغة .

٦١٠ فهرس أعلام المترجمين فى التعليق .

٦٢٦ فهرس المصطلحات .

٦٢٧ فهرس الرد على الفرق .

٦٢٨ فهرس مباحث العربية والنحو وغيرها .

٦٣٧ فهرس التفسير .

تراث الإسلام

تفسير الطبري

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ - ٣١٠ هـ

١٢

حققه وخرج أحاديثه
محمود محمد شاكر

راجع أحاديثه
أحمد محمد شاكر

الناشر
مكتبة ابن تيمية
القاهرة ت ٨٦٤٢٤٠

تفسير الطبري

الجزء الثاني عشر

فيه

تفسير سورة الأنعام

من ١٠٠ — ١٦٥

وتفسير سورة الأعراف

من ١ — ١٠٠

والآثار من : ١٣٦٨٠ — ١٤٩٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله باسطِ الرَّحْمة على العُصَاةِ من خَلْقه ، وقابِضِ النِّقْمة عن الطُّغَاةِ فى أرضه ، يُمْهلهم حتى يتوبَ عاصِيهِمْ من مَعْصيتِهِ ، وحتّى ينزع طَاغيهم عن طُغْيانِهِ ، وأعدَّ لمنْ تابَ مِنْهم مغفرةً تُنْجيه من عقابه ، وثواباً يُدْخله فى رضوانِهِ .

وصلّى الله على محمّدٍ عبدِهِ ورسولِه ، آتَاه ربُّه ما لم يُؤْتِ أحدًا من العالَمينِ ، فيسَّر له بلسَانِهِ كتاباً لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفِهِ ، وجعل تِلاوتَه قُرْبَى إليه ، وتدبُّرَه هاديًا إلى الحقّ ، وبَيانَه منزلةً من منازلِ أهل الجنّة .

فالحمدُ لله الذى جعلنَا لنبيّه تَبَعاً ، وجعل لنَا فى تِلاوَة كتابه بلسانِهِ نَصيباً ، والحمدُ لله الذى شرَّفنَا بالمشاركة فى تدبُّر آياتِهِ ، وكرَّمنا بسبب من أسباب بيانِهِ .

اللهم ثبِّت قدَمى حيث تزلُّ الأقدامُ ، وأنِرْ بَصيرتى حيث تعمَى البصائر ، وأيِّدنى بِحَوْلك حيث تتشعَّثُ قُوَّة الأقوياء ، اللهم أجعل عزيمتى إليك ماضِية بلَا عِثار ، واجعل قلبي خالصاً لك بِلاَ تردُّدٍ ، وهَبْ لى من لدُنْك مَعرِفةً تُدْنينى من أهلِ رضوانك ، ويسِّرْ لى بَاباً يُفضِى بى إلى الخير الذى عندك .

اللهمّ إنى ضعيفٌ فقوِّنى بحولك وقوّتك ، وضَائِعٌ فاجْمع شَتاتِى بالمأمولِ من هدايتِك ، وغافِلٌ فأيْقظ قَلْبي بزَوَاجِرِ الخيرِ من رحمتك ، ومُنكِرٌ نفسِى فارفعْ خَسِيستِي بفواضِلِ البرّ التى قَامَتْ بها سَمٰواتُك . لا إلٰه إلا أنتَ ، لا شريكَ لك فى ملكك ، ولا منازعَ لكَ فى سلطانك .

اللهمَّ أنت ربِّى وأنا عبدُك ، لا أستشفِع إليك إلا بكَ ، لا أخافُ أحدًا غيرك ، ولا أرضَى ربًّا سِواك ، فاغفر لى خطيئتى ، وقِنِي شرَّ نَفْسى ، وخُذْنِى إلى مرضاتك ، ولا تجعلْ لأحدٍ من خلقِك سلطاناً علىَّ ، مالكَ الملك تُؤْتِى الملك من تشاء وتَنْزِعُ الملك ممَّن تشاء ، وتعزُّ من تشاء وتذلُّ من تَشَاء ، بيدك الخيرُ ، إنَّك على كُلّ شىء قديرٌ .

محمود محمد شاكر

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وجعل هؤلاء العادلون بربهم الآلهةَ والأندادَ، لله شركاء، الجنَّ، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾، [سورة الصافات : ١٥٨] .

* * *

وفى « الجن » وجهان من النصب .

أحدهما: أن يكون تفسيراً للشركاء .(١)

والآخر : أن يكون معنى الكلام : وجعلوا لله الجن شركاء ، وهو خالقهم .

* * *

واختلفوا فى قراءة قوله : « وخلقهم » .

فقرأته قرأة الأمصار : ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ ، على معنى أن الله خلقهم ، منفرداً بخلقه إياهم .(٢)

* * *

وذكر عن يحيى بن يعمر ما :—

١٣٦٨٠ — حدثنى به أحمد بن يوسف قال، حدثنا القاسم بن سلام قال ، حدثنا حجاج ، عن هرون ، عن واصل مولى أبى عيينة ، عن يحيى بن عقيل ، عن يحيى بن يعمر : أنه قال: ﴿شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ﴾ .

* * *

(١) « التفسير » ، هو البدل .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٤٨ .

بجزم « اللام » بمعنى أنهم قالوا : إنّ الجنّ شركاء لله فى خلقه إيّانا .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب ، قراءة من قرأ ذلك : ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ ، لإجماع الحجة من القرأة عليها .

* * *

وأما قوله : « وخرقوا له بنين وبنات بغير علم » ، فإنه يعنى بقوله : « خرقوا » . اختلقوا .

* * *

يقال : « اختلق فلان على فلان كذباً » و « اخترقه » ، إذا افتعله وافتراه .(١)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٦٨١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : وجعلوا لله شركاء الجن والله خلقهم = « وخرقوا له بنين وبنات » ، يعنى أنهم تخرّصوا .

١٣٦٨٢ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وخرقوا له بنين وبنات بغير علم » ، قال : جعلوا له بنين وبنات بغير علم .

١٣٦٨٣ — حدثنى محمد بن عمرو قال : حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وخرقوا له بنين وبنات بغير علم » ، قال : كذبوا .

١٣٦٨٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٣٦٨٥ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٤٨ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٠٣ .

قوله : « وجعلوا لله شركاء الجن » ، كذبوا = «سبحانه وتعالى عما يصفون » ، عما يكذبون . أما العرب فجعلوا له البنات ، ولهم ما يشتهون من الغلمان = وأما اليهود فجعلوا بينه وبين الجنة نسباً ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرُون .[1]

١٣٦٨٦ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « وخرقوا له بنين وبنات بغير علم » ، قال : خرصوا له بنين وبنات .

١٣٦٨٧ – حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وخرقوا له بنين وبنات بغير علم » ، يقول : قطعوا ١٩٨/٧ له بنين وبنات .[2] قالت العرب : الملائكة بنات الله = وقالت اليهود والنصاري : المسيح وعزير ابنا الله .

١٣٦٨٨ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وخرقوا له بنين وبنات بغير علم » ، قال : « خرقوا » ، كذبوا ، لم يكن لله بنون ولا بنات = قالت النصارى : المسيح ابن الله = وقال المشركون : الملائكة بنات الله = فكلٌّ خرقوا الكذب ، « وخرقوا » ، اخترقوا .

١٣٦٨٩ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قوله : « وجعلوا لله شركاء الجن » ، قال قول : الزنادقة = « وخرقوا له » ، قال ابن جريج ، قال مجاهد : « خرقوا » ، كذبوا .

١٣٦٩٠ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن جويبر ، عن الضحاك : « وخرقوا له بنين وبنات » ، قال : وصفوا له .

١٣٦٩١ – حدثنا عمران بن موسى قال ، حدثنا عبد الوارث ، عن أبى عمرو :

---

(١) اقرأ آية سورة الصافات : ١٥٨ .

(٢) هكذا جاء فى المخطوطة والمطبوعة : « قطعوا » بمعنى : اختلقوا وادعوا ونسبوا ، ولم أجد هذا المجاز فى شيء من كتب اللغة ، فإن صح ، وهو عندى قريب الصحة ، فهو بالمعنى الذى ذكرت . إلا أن يكون محرفاً عن شيء لم أتبينه .

« وخرقوا له بنين وبنات » ، قال : تفسيرها : وكذبوا .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام إذاً : وجعلوا لله الجنّ شركاءَ فى عبادتهم إياه ، وهو المنفرد بخلقهم بغير شريك ولا معين ولا ظهير = « وخرقوا له بنين وبنات » ، يقول : وتخرّصوا لله كذباً، فافتعلوا له بنين وبنات ، بغير علم منهم بحقيقة ما يقولون، ولكن جهلاً بالله وبعظمته ، وأنه لا ينبغى لمن كان إلهاً أن يكون له بنون وبنات ولا صاحبة ، ولا أن يشركه فى خلقه شريك .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (١٠٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : تنزه الله ،[1] وعلا فارتفع عن الذى يصفه به هؤلاء الجهلة من خلقه ، فى ادّعائهم له شركاء من الجن ، واختراقهم له بنين وبنات ، وذلك لا ينبغى أن يكون من صفته ، لأن ذلك من صفة خلقه الذين يكون منهم الجماع الذى يحدث عنه الأولاد ، والذين تضطرّهم لضعفهم الشهواتُ إلى اتخاذ الصاحبة لقضاء اللذات ، وليس الله تعالى ذكره بالعاجز فيضطره شيء إلى شيء ، ولا بالضعيف المحتاج فتدعوه حاجته إلى النساء إلى اتخاذ صاحبة لقضاء لذة .

* * *

وقوله : « تعالى » ، « تفاعل » من « العلوّ » ، والارتفاع .[2]

* * *

وروى عن قتادة فى تأويل قوله : « عما يصفون » ، أنه : يكذبون .

١٣٦٩٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة :

---

(١) انظر تفسير « سبحان » فيما سلف ١١ : ٢٣٧، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « العلو » فيما سلف ٥ : ٤٠٥ .

« سبحانه وتعالى عما يصفون » ، عما يكذبون .

* * *

وأحسب أن قتادة عنى بتأويله ذلك كذلك ، أنهم يكذبون فى وصفهم الله بما كانوا يصفونه به ، من ادعائهم له بنين وبنات= لا أنه وجه تأويل « الوصف » ، إلى الكذب .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : الله، الذى جعل هؤلاء الكفرة به له الجنّ شركاءَ ، وخرقوا له بنين وبنات بغير علم = « بديع السموات والأرض » ، يعنى : مبتدعها ومحدثها وموجدها بعد أن لم تكن ،[1] كما : —

١٣٦٩٣ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد فى قوله : « بديع السموات والأرض » ، قال : هو الذى ابتدع خلقهما جل جلاله ، فخلقهما ولم يكونا شيئاً قبله .

* * *

= « أنّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة » ، والولد إنما يكون من الذكر من الأنثى ، ولا ينبغى أن يكون لله سبحانه صاحبة ، فيكون له ولد . وذلك أنه هو الذى خلق كل شىء . يقول : فإذا كان لا شىء إلا اللهُ خلقه ، فأنّى يكون لله ولد ، ولم تكن له صاحبة فيكون له منها ولد ؟

* * *

(١) انظر تفسير « بديع » فيما سلف ٢ : ٥٤٠ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١٠١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : والله خلق كل شيء ، ولا خالق سواه . وكلُّ ما تدَّعون، أيها العادلون بالله الأوثان من دونه، خلقُه وعبيده مِلكاً، كان الذى تدعونه ربًّا وتزعمون أنه له ولد ، أوجنيًّا أو إنسيًّا = « وهو بكل شيء عليم »، يقول : والله الذى خلق كل شيء، لا يخفى عليه ما خلق ولا شيء منه ، ولا يعزب عنه مثقالُ ذرة فى الأرض ولا فى السماء ، عالم بعددكم وأعمالكم ، وأعمال من دعوتموه ربًّا أو لله ولداً ، وهو محصيها عليكم وعليهم ، حتى يجازى كلاًّ بعمله .(١) ١٩٩/٧

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (١٠٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : الذى خلق كل شيء وهو بكل شيء عليم، هو الله ربكم، أيها العادلون بالله الآلهة والأوثان، والجاعلون له الجن شركاء ، وآلهتكم التى لا تملك نفعاً ولا ضرًّا ، ولا تفعل خيراً ولا شرًّا = « لا إله إلاّ هو» .

وهذا تكذيبٌ من الله جل ثناؤه للذين زعموا أن الجن شركاء الله . يقول جل ثناؤه لهم : أيها الجاهلون ، إنه لا شيء له الألوهية والعبادة ، إلا الذى خلق كل شيء ، وهو بكل شيء عليم ، فإنه لا ينبغى أن تكون عبادتكم وعبادةُ جميع من فى السموات والأرض إلا له خالصة بغير شريك تشركونه فيها ، فإنه خالق

(١) انظر تفسير « عليم » فيما سلف من فهارس اللغة (علم) .

كل شيء وبارئه وصانعه . وحقٌ على المصنوع أن يفرد صانعه بالعبادة=« فاعبدوه »، يقول : فذلُّوا له بالطاعة والعبادة والخدمة ، واخضعوا له بذلك[1] = « وهو على كل شيء وكيل »، يقول : والله على كل ما خلق من شيء رقيبٌ وحفيظ ، يقوم بأرزاق جميعه وأقواته وسياسته وتدبيره وتصريفه بقدرته .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (١٠٣)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار » .

فقال بعضهم : معناه لا تحيط به الأبصار ، وهو يحيط بها .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٦٩٤ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار »، يقول : لا يحيط بصر أحدٍ بالملك .

١٣٦٩٥ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار » ، وهو أعظم من أن تدركه الأبصار .

١٣٦٩٦ – حدثنى سعد بن عبد الله بن عبد الحكم قال، حدثنا خالد ابن عبد الرحمن قال ، حدثنا أبو عرفجة ، عن عطية العوفى فى قوله :

---

(١) انظر تفسير « العبادة » فيما سلف من فهارس اللغة (عبد) .

(٢) انظر تفسير « وكيل » فيما سلف ١١ : ٤٣٤، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، [سورة القيامة : ٢٢ ، ٢٣] ، قال : هم ينظرون إلى الله ، لا تحيط أبصارهم به من عظمته ، وبصره يحيط بهم . فذلك قوله : « لا تدركه الأبصار » ، الآية . (١)

* * *

قال أبو جعفر : واعتل قائلو هذه المقالة لقولهم هذا ، بأن قالوا : إن الله قال : ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ﴾، (٢) [سورة يونس : ٩٠] . قالوا : فوصف الله تعالى ذكره الغرق بأنه أدرك فرعون . ولا شك أن الغرق غير موصوف بأنه رآه ، ولا هو مما يجوز وصفه بأنه يرى شيئاً . قالوا : فمعنى قوله : « لا تدركه الأبصار » ، بمعنى : لا تراه ، بعيد . لأن الشيء قد يدرك الشيء ولا يراه ، كما قال جل ثناؤه مخبراً عن قيل أصحاب موسى صلى الله عليه وسلم لموسى حين قرُب منهم أصحاب فرعون : ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾، [سورة الشعراء : ٦١] ، لأن الله قد كان وعد نبيه موسى صلى الله عليه وسلم أنهم لا يُدْرَكون ، لقوله : ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكاً وَلَا تَخْشَى﴾، [سورة طه : ٧٧] .

قالوا : فإن كان الشيء قد يرى الشيء ولا يدركه ، ويدركه ولا يراه ، فكان معلوماً بذلك أن قوله : « لا تدركه الأبصار » ، من معنى : لا تراه الأبصار ،

---

(١) الأثر : ١٣٦٩٦ - « سعد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري » ، ثقة ، روى عنه آنفاً برقم : ٤٣٦ . وكان في المخطوطة والمطبوعة هنا « يونس بن عبد الله بن الحكم » ، وهو خطأ ، والصواب ما سيأتي في التفسير ٢٩ : ١٢٠ (بولاق) ، حيث روى هذا الخبر نفسه ، بإسناده عن « سعد ابن عبد الله بن عبد الحكم » .

و « خالد بن عبد الرحمن الخراساني المروروذي » ، روى عنه محمد بن عبدالله بن عبد الحكم ، وأخوه « سعد » . قال أبو حاتم : « شيخ ، ليس به بأس » . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ١/٢/٣٤١ .

وأما « أبو عرفجة » ، فلم أعرف من يكون .

و « عطية العوفي » ، هو « عطية بن سعد بن جنادة العوفي » ، وهو ضعيف ، مضى مراراً ، واستوفى أخي السيد أحمد الكلام فيه في رقم : ٣٠٥ .

وهذا الخبر سيرويه أبو جعفر مرة أخرى في التفسير ٢٩ : ١٢٠ (بولاق) .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « فلما أدركه الغرق » ، وهو سهو ، فإن نص التلاوة ما أثبت .

بمعزل = وأن معنى ذلك : لا تحيط به الأبصار ، لأن الإحاطة به غير جائزة .

قالوا : فالمؤمنون وأهل الجنة يرون ربهم بأبصارهم ، ولا تدركه أبصارهم ، بمعنى : أنها لا تحيط به ، إذ كان غير جائز أن يوصف الله بأن شيئاً يحيط به . ٢٠٠/٧

قالوا : ونظير جواز وصفه بأنه يُرَى ولا يُدْرَك ، جوازُ وصفه بأنه يعلم ولا يحاط بعلمه ،[1] وكما قال جل ثناؤه : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ ، [سورة البقرة : ٢٥٥] . قالوا : فنفى جل ثناؤه عن خلقه أن يكونوا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء . قالوا : ومعنى « العلم » فى هذا الموضع ، المعلوم . قالوا : فلم يكن فى نفيه عن خلقه أن يحيطوا بشيء من علمه إلا بما شاء ، نَفْيٌ عن أن يعلموه . قالوا : فإذا لم يكن فى نفى الإحاطة بالشيء علماً نَفْيٌ للعلم به ، كان كذلك ، لم يكن فى نفى إدراك الله عن البصر ، نفيُ رؤيته له . قالوا : وكما جاز أن يعلم الخلق أشياءَ ولا يحيطون بها علماً ، كذلك جائزٌ أن يروا ربَّهم بأبصارهم ولا يدركوه بأبصارهم ، إذ كان معنى « الرؤية » غير معنى « الإدراك » ، ومعنى « الإدراك » غير معنى « الرؤية » ، وأن معنى « الإدراك » ، إنما هو الإحاطة ، كما قال ابن عباس فى الخبر الذى ذكرناه قبل .

قالوا : فإن قال لنا قائل : وما أنكرتم أن يكون معنى قوله : « لا تدركه الأبصار » ، لا تراه الأبصار ؟

قلنا له : أنكرنا ذلك ، لأن الله جل ثناؤه أخبر فى كتابه أن وجوهاً فى القيامة إليه ناظرة ،[2] وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر أمته أنهم سيرون ربهم يوم القيامة ، كما يُرَى القمر ليلة البدر ، وكما ترونَ الشمس ليسَ دونها سحاب .[3] قالوا : فإذ كان الله قد أخبر فى كتابه بما أخبر ، وحققتْ أخبارُ رسول الله صلى الله عليه

---

(١) فى المطبوعة : « ولا يحاط به » ، وصواب السياق يقتضى ما أثبت .

(٢) يعنى آيتى سورة القيامة : ٢٢ ، ٢٣ .

(٣) فى المخطوطة ، أسقط « البدر » ، والصواب إثباتها .

وسلم بما ذكرنا عنه من قيله صلى الله عليه وسلم: أن تأويل قوله: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾، [سورة القيامة: ٢٢، ٢٣]، أنه نظر أبصار العيون لله جل جلاله،[1] وكان كتاب الله يصدق بعضه بعضاً، وكان مع ذلك غير جائز أن يكون أحدُ هذين الخبرين ناسخاً للآخر، إذ كان غير جائز فى الأخبار = لما قد بينا فى كتابنا: ﴿ كتاب لطيف البيان، عن أصول الأحكام ﴾، وغيره = [2]علم، أن معنى قوله: « لا تدركه الأبصار »، غير معنى قوله: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾، فإن أهل الجنة ينظرون بأبصارهم يوم القيامة إلى الله، ولا يدركونه بها، تصديقاً لله فى كلا الخبرين، وتسليماً لما جاء به تنزيله على ما جاء به فى السورتين.

* * *

وقال آخرون: معنى ذلك: لا تراه الأبصار، وهو يرى الأبصار.

* ذكر من قال ذلك:

١٣٦٩٧ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى: « لا تدركه الأبصار »، لا يراه شىء، وهو يرى الخلائق.

١٣٦٩٨ — حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع، عن إسمعيل بن أبى خالد، عن عامر، عن مسروق، عن عائشة قالت: من حدّثك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربّه فقد كذب! « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار »، ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾، [سورة الشورى: ٥١]، ولكن قد رأى جبريل فى صورته مرتين.

---

(١) انظر الأحاديث الصحاح فى رؤية ربنا سبحانه يوم القيامة فى صحيح البخارى (الفتح ١٣ : ٣٥٦، وما بعدها)، وصحيح مسلم ٣ : ٢٥، وما بعدها. والخبران اللذان ذكرهما أبو جعفر خبران صحيحان.

(٢) قوله: « علم » جواب قوله آنفاً: « فإذ كان الله قد أخبر فى كتابه . . . »

١٣٦٩٩ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن إسمعيل بن أبي خالد ، عن عامر ، عن مسروق قال : قلت لعائشة : يا أم المؤمنين ، هل رأى محمد ربه ؟ فقالت : سبحان الله، لقد قَفَّ شعري مما قلت! ثم قرأت : « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » . (١)

١٣٧٠٠ – حدثنا ابن وكيع قال ،حدثنا عبد الأعلى وابن علية ، عن داود ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة ، بنحوه . (٢)

١٣٧٠١ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن مغيرة، عن الشعبي قال، قالت عائشة : من قال إن أحداً رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله ! قال الله : « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار » .

* * *

فقال قائلو هذه المقالة : معنى « الإدراك » في هذا الموضع ، الرؤية = وأنكروا أن يكون الله يُرَى بالأبصار في الدنيا والآخرة = وتأوّلوا قوله : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ، بمعنى انتظارها رحمة الله وثوابَه . ٢٠١/٧

* * *

قال أبو جعفر : وتأول بعضهم في الأخبار التي رُويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتصحيح القول برؤية أهل الجنة ربَّهم يوم القيامة تأويلات، وأنكر بعضهم مجيئها ، ودافعوا أن يكون ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وردُّوا القول فيه إلى عقولهم، فزعموا أن عقولهم تُحِيل جواز الرؤية على الله عز وجل بالأبصار ، وأتوا في ذلك بضرُوب من التمويهات ، وأكثروا القول فيه من جهة الاستخراجات .

---

(١) الأثران : ١٣٦٩٨ ، ١٣٦٩٩ – حديث إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي ، رواه مسلم في صحيحه ٣ : ١٠ ، مختصراً .

« قف شعري » : إذا وقف من الفزع .

(٢) الأثر : ١٣٧٠٠ – حديث داود ، عن الشعبي ، رواه مسلم مطولا ٣ : ٨ – ١٠ ، وقد مضى جزء من هذا الخبر المطول فيما سلف برقم : ١٢٢٨٠ – ١٢٢٨٣ . فانظر تخريجه هناك .

وكان من أجلّ ما زعموا أنهم علموا به صحة قولهم ذلك من الدليل ، أنهم لم يجدوا أبصارهم ترى شيئاً إلاّ ما باينها دون ما لاصقها ، فإنها لا ترى ما لاصقها . قالوا : فما كان للأبصار مبايناً مما عاينته ، فإن بينه وبينها فضاءٌ وفرجةٌ . قالوا : فإن كانت الأبصار ترى ربها يوم القيامة ، على نحو ما ترى الأشخاص اليوم ، فقد وجب أن يكون الصانع محدوداً . قالوا: ومن وصفه بذلك، فقد وصفه بصفات الأجسام التى يجوز عليها الزيادة والنقصان .

قالوا : وأخرى، أن من شأن الأبصار أن تدرك الألوان ، كما من شأن الأسماع أن تدرك الأصوات ، ومن شأن المتنسِّم أن يدرك الأعراف .[1] قالوا : فمن الوجه الذى فسد أن يكون جائزاً أن يُقْضَى للسمع بغير إدراك الأصوات ، وللمتنسِّم إلاّ بإدراك الأعراف ،[1] فسد أن يكون جائزاً القضاءُ للبصر إلاّ بإدراك الألوان.[2] قالوا : ولما كان غير جائز أن يكون الله تعالى ذكره موصوفاً بأنه ذو لون ، صح أنه غير جائز أن يكون موصوفاً بأنه مرئىٌّ .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك: لا تدركه أبصار الخلائق فى الدنيا، وأما فى الآخرة فإنها تدركه . وقال أهل هذه المقالة : « الإدراك » ، فى هذا الموضع ، الرؤية .

واعتلّ أهل هذه المقالة لقولهم هذا بأن قالوا : « الإدراك » ، وإن كان قد يكون فى بعض الأحوال بغير معنى الرؤية ، فإن الرؤية من أحد معانيه . وذلك أنه غير جائز أن يلحق بصرُه شيئاً فيراه ، وهو لما أبصره وعاينه غير مدرك ، وإن لم يحط بأجزائه كلها رؤية . قالوا : فرؤية ما عاينه الرائى إدراك له ، دون ما لم

---

(١) فى المطبوعة : « المتنشم » بالشين ، وهو خطأ صرف ، والصواب بالسين كما فى المخطوطة . يقال : « تنسم النسيم »، إذا تشممه . و « الأعراف » جمع « عرف » (بفتح فسكون) : الرائحة ، طيبة كانت أو خبيثة . يقال : « ما أطيب عرفها » ، أى : رائحتها .

(٢) فى المخطوطة : « انقضاء البصر » ، والصواب ما فى المطبوعة .

يره . قالوا : وقد أخبر الله أن وجوهاً يوم القيامة إليه ناظرة . قالوا ، فمحالٌ أن تكون إليه ناظرة وهى له غير مدركة رؤيةً . قالوا : وإذا كان ذلك كذلك ، وكان غير جائز أن يكون فى أخبار الله تضادٌّ وتعارض ، وجب وصحّ أن قوله : « لا تدركه الأبصار » ، على الخصوص لا على العموم ، وأن معناه : لا تدركه الأبصار فى الدنيا ، وهو يدرك الأبصار فى الدنيا والآخرة ، إذ كان الله قد استثنى ما استثنى منه بقوله : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ .

* * *

وقال آخرون من أهل هذه المقالة : الآية على الخصوص ، إلا أنه جائز أن يكون معنى الآية : لا تدركه أبصارُ الظالمين فى الدنيا والآخرة ، وتدركه أبصار المؤمنين وأولياء الله . قالوا : وجائز أن يكون معناها : لا تدركه الأبصار بالنهاية والإحاطة ، وأما بالرؤية فبَلَى .(١) قالوا : وجائز أن يكون معناها : لا تدركه الأبصار فى الدنيا ، وتدركه فى الآخرة = وجائز أن يكون معناها : لا تدركه أبصارُ من يراه بالمعنى الذى يدرك به القديم أبصارَ خلقه = فيكون الذى نفى عن خلقه من إدراك أبصارهم إياه ، هو الذى أثبته لنفسه ، إذ كانت أبصارهم ضعيفة لا تنفذ إلاّ فيما قوّاها جل ثناؤه على النفوذ فيه ، وكانت كلها متجلية لبصره لا يخفى عليه منها شىء . قالوا : ولا شك فى خصوص قوله : « لا تدركه الأبصار » ، وأن أولياء الله سيرونه يوم القيامة بأبصارهم ، غير أنا لا ندرى أىَّ معانى الخصوص الأربعة أريد بالآية . واعتلُّوا لتصحيح القول بأن الله يرى فى الآخرة ، بنحو علل الذين ذكرنا قبل . ٢٠٢/٧

* * *

وقال آخرون : الآية على العموم ، ولن يدرك الله بصرُ أحد فى الدنيا والآخرة ، ولكن الله يُحدث لأوليائه يوم القيامة حاسّة سادسة سوى حواسِّهم الخمس ، فيرونه بها .

(١) « بلى » استعمالها مع غير الجحد ، قد سلف بيانه ودليله ٢ : ٢٨٠ ، ٥١٠ ، ثم ١٠ : ٩٨ ، تعليق : ٤ .

واعتلوا لقولهم هذا بأنّ الله تعالى ذكره نفى عن الأبصار أن تدركه ، من غير أن يدلّ فيها أو بآية غيرها على خصوصها . قالوا : وكذلك أخبرَ فى آية أخرى أن وجوهاً إليه يوم القيامة ناظرة . قالوا : فأخبار الله لا تتنافى ولا تتعارض ،[1] وكلا الخبرين صحيح معناه على ما جاء به التنزيل . واعتلُّوا أيضاً من جهة العقل بأن قالوا : إن كان جائزاً أن نراه فى الآخرة بأبصارنا هذه وإن زيد فى قواها ، وجب أن نراه فى الدنيا وإن ضعفت ، لأن كل حاسة خلقت لإدراك معنًى من المعانى ، فهى وإن ضعفت كل الضعف ، فقد تدرك مع ضعفها ما خلقت لإدراكه وإن ضعف إدراكها إياه ، ما لم تُعْدم . قالوا : فلو كان فى البصر أن يُدرك صانعه فى حال من الأحوال أو وقت من الأوقات ويراه ، وجب أن يكون يدركه فى الدنيا ويراه فيها وإن ضعف إدراكه إياه . قالوا : فلما كان ذلك غير موجود من أبصارنا فى الدنيا ، كان غير جائز أن تكون فى الآخرة إلا بهيئتها فى الدنيا فى أنها لا تدرك إلا ما كان من شأنها إدراكه فى الدنيا . قالوا : فلما كان ذلك كذلك ، وكان الله تعالى ذكره قد أخبر أنّ وجوهاً فى الآخرة تراه ، علم أنها تراه بغير حاسة البصر ، إذ كان غير جائز أن يكون خبرُه إلا حقًّا .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا ، ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر » = « وكما ترون الشمس ليس دونها سحاب » ،[2] فالمؤمنون يرونه ، والكافرون عنه يومئذ محجوبون ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ ، [سورة المطففين : ١٥] .

فأما ما اعتلّ به منكرُو رؤية الله يوم القيامة بالأبصار ، لما كانت لا ترى إلا ما باينها وكان بينها وبينه فضاءٌ وفُرجة ، وكان ذلك عندهم غير جائز أن تكون

(١) فى المطبوعة : « لا تتباين » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب قراءتها .
(٢) انظر ص : ١٦ ، تعليق : ١ .

رؤية الله بالأبصار كذلك ، لأن فى ذلك إثبات حدٍّ له ونهايةٍ ، فبطل عندهم لذلك جواز الرؤية عليه = فإنه يقال لهم :(١) هل علمتم موصوفاً بالتدبير سوى صانعكم ، إلا مماسًّا لكم أو مبايناً ؟

فإن زعموا أنهم يعلمون ذلك ، كُلِّفوا تبيينه ، ولا سبيل إلى ذلك .

وإن قالوا : لا نعلم ذلك .

قيل لهم : أو ليس قد علمتموه لا مماسًّا لكم ولا مبايناً ، وهو موصوف بالتدبير والفعل ، ولم يجب عندكم إذْ كنتم لم تعلموا موصوفاً بالتدبير والفعل غيره إلا مماسًّا لكم أو مبايناً ، أن يكون مستحيلاً العلم به ، وهو موصوف بالتدبير والفعل لا مماس ولا مباين ؟

فإن قالوا : ذلك كذلك .

قيل لهم : فما تنكرون أن تكون الأبصار كذلك لا ترى إلا ما باينها وكانت بينه وبينها فرجة ، قد تراه وهو غير مباين لها ولا فرجة بينها وبينه ولا فضاء ، كما لا تعلم القلوب موصوفاً بالتدبير إلا مماسًّا لها أو مبايناً ، وقد علمتْه عندكم لا كذلك ؟ وهل بينكم وبين من أنكر أن يكون موصوفاً بالتدبير والفعل معلوماً ، إلا مماسًّا للعالم به أو مبايناً = وأجاز أن يكون موصوفاً برؤية الأبصار ، لا مماسًّا لها ولا مبايناً ، فرق ؟

ثم يسألون الفرقَ بين ذلك ، فلن يقولوا فى شىء من ذلك قولاً إلا ألزموا فى الآخر مثله .

وكذلك يسألون فيما اعتلوا به فى ذلك : أن من شأن الأبصار إدراك الألوان ، كما أن من شأن الأسماع إدراك الأصوات ، ومن شأن المتنسِّم درَك الأعراف ، فمن الوجه الذى فسد أن يُقضى للسمع بغير درك الأصوات ، فسد أن يقضى للأبصار بغير درك الألوان .(٢) ٢٠٣/٧

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « وإنه يقال لهم » بالواو ، وصواب السياق ما أثبت .

(٢) فى المطبوعة : « أن يقتضى السمع لغير » ، و « أن تقتضى الأبصار لغير » ، وأما المخطوطة ، ففيها « أن يقضى السمع . . . » ، و « أن يقضى للأبصار » ، والصواب ما أثبت .

فيقال لهم : ألستم لم تعلموا فيما شاهدتم وعاينتم ، موصوفاً بالتدبير والفعل إلا ذا لونٍ ، وقد علمتموه موصوفاً بالتدبير لا ذا لونٍ ؟

فإن قالوا : « نعم » = لا يجدون من الإقرار بذلك بدًّا ، إلا أن يكذبوا فيزعموا أنهم قد رأوا وعاينوا موصوفاً بالتدبير والفعل غير ذى لون ، فيكلفون بيان ذلك ، ولا سبيل إليه .(١)

فيقال لهم : فإذ كان ذلك كذلك ، فما أنكرتم أن تكون الأبصار فيما شاهدتم وعاينتم لم تجدوها تدرك إلاّ الألوان ، كما لم تجدوا أنفسكم تعلم موصوفاً بالتدبير إلا ذا لون، وقد وجدتموها علمته موصوفاً بالتدبير غير ذى لون . ثم يسألون الفرق بين ذلك ، فلن يقولوا فى أحدهما شيئاً إلا ألزموا فى الآخر مثله .

ولأهل هذه المقالة مسائل فيها تلبيس ، كرهنا ذكرها وإطالة الكتاب بها وبالجواب عنها ، إذ لم يكن قصدنا فى كتابنا هذا قصدَ الكشف عن تمويهاتهم ، بل قصدنا فيه البيان عن تأويل آى الفرقان . ولكنا ذكرنا القدرَ الذى ذكرنا ، ليعلم الناظرُ فى كتابنا هذا أنهم لا يرجعون من قولهم إلاّ إلى ما لبَّس عليهم الشيطان، مما يسهل على أهل الحق البيانُ عن فساده ، وأنهم لا يرجعون فى قولهم إلى آية من التنزيل محكمة ، ولا رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيحة ولا سقيمة ، فهم فى الظلمات يخبطون ، وفى العمياء يتردّدون، نعوذ بالله من الحيرة والضلالة .

* * *

وأما قوله : « وهو اللطيف الخبير » ، فإنه يقول : والله تعالى ذكره المتيسر له من إدراك الأبصار ،(٢) والمتأتّى له من الإحاطة بها رؤيةُ ما يعسر على الأبصار من إدراكها إياه وإحاطتها به ويتعذر عليها = « الخبير » ، يقول: العليم بخلقه

---

(١) فى المطبوعة : « فيكلفوا بيان ذلك » ، وفى المخطوطة : « صدلقوا بيان ذلك » ، وهى غير مقروءة ، ولعل الصواب ما أثبت .

(٢) فى المطبوعة : « الميسر له » ، والصواب من المخطوطة ، ولم يحسن قراءتها .

وأبصارهم ، والسبب الذى له تعذر عليها إدراكه ، فلطف بقدرته فهيأ أبصار خلقه هيئة لا تدركه ، وخبرَ بعلمه كيف تدبيرها وشؤونها وما هو أصلح بخلقه ،(١) كالذى : —

١٣٧٠٢ — حدثنا هناد قال، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى = ، عن أبى جعفر الرازى، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية فى قوله : « اللطيف الخبير » ، قال : « اللطيف » باستخراجها = « الخبير » ، بمكانها .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ (١٠٤)

قال أبو جعفر : وهذا أمرٌ من الله جل ثناؤه نبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يقول لهؤلاء الذين نبَّههم بهذه الآيات من قوله(٢) : « إن الله فالق الحب والنوى » إلى قوله : « وهو اللطيف الخبير » ، على حججه عليهم ، وعلى سائر خلقه معهم ،(٣) العادلين به الأوثان والأنداد ، والمكذبين بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم من عند الله = قل لهم يا محمد : « قد جاءكم » ، أيها العادلون بالله ،

---

(١) انظر تفسير « الخبير » فيما سلف من فهارس اللغة (خبر) .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « لهذه الآيات » باللام ، وصواب السياق يقتضى ما أثبت .

(٣) فى المطبوعة « وعلى تبيين خلقه معهم » ، وهو كلام لا معنى له ، وهو فى المخطوطة سيء الكتابة ، وصواب قراءته ما أثبت . وقوله : « وعلى سائر خلقه معهم » ، معطوف على قوله : « عليهم » قبله .

وقوله : « على حججه » ، السياق : « أن يقول لهؤلاء الذين نبههم بهذه الآيات . . . على حججه عليهم » .

وقوله بعد : « العادلين به الأوثان » ، صفة لقوله آنفاً « أن يقول لهؤلاء الذين نبههم بهذه الآيات . . . »

والمكذبون رسوله = « بصائر من ربكم » ، أى : ما تبصرون به الهدى من الضلال ، والإيمان من الكفر .

* * *

= وهى جمع « بصيرة » ، ومنه قول الشاعر :[1]

حَمَلُوا بَصَائِرَهُمْ عَلَى أَكْتَافِهِمْ وَبَصِيرَتِي يَعْدُو بِهَا عَتَدٌ وَأَى[2]

* * *

= يعنى بالبصيرة : الحجة البينة الظاهرة ،[3] كما : —

١٣٧٠٣ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « قد جاءكم بصائر من ربكم » ، قال : « البصائر » الهدى ، بصائر فى قلوبهم لدينهم ، وليست ببصائر الرؤوس . وقرأ : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ ، [سورة الحج : ٤٦] . وقال : إنما الدَّيِّنُ بصره وسمعه فى هذا القلب .[4] ٢٠٤/٧

١٣٧٠٤ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « قد جاءكم بصائر من ربكم » ، أى بينة .

* * *

---

(١) هو الأسعر الجعفى .

(٢) الأصمعيات : ٢٣ (وطبعة المعارف : ١٥٧) ، والوحشيات رقم : ٥٨ ، المخصص ١ : ١٦٠ ، اللسان (بصر) (عتد) (وأى) . وغيرها كثير . وهى من قصيدة عير فيها إخوته لأبيه ، وذلك أن أباه قتل وهو غلام ، فأخذ إخوته لأبيه الدية فأكلوها ، فلما شب الأسعر ، أدرك بثأر أبيه ، وقال قبله :

ولقد عَلِمْتُ ، عَلَى تَجَشُّمِيَ الرَّدَى أَنَّ الْحُصُونَ الْخَيْلُ لَا مَدَرُ الْقُرَى

وفسر أصحاب اللغة « البصيرة » هنا بأنها الدم ما لم يسل ، يعنى : دماءهم فى أبدانهم ، يعير إخوته . وقال غيرهم : « البصائر » دم أبيهم ، يقول : تركوا دم أبيهم خلفهم ولم يثأروا به ، وطلبته أنا . و « عتد » (بفتح العين ، وفتح التاء أو كسرها) : الفرس الشديد التام الخلق ، السريع الوثبة ، المعد للجرى ، ليس فيه اضطراب ولا رخاوة . و « الوأى » ، الفرس السريع الطويل المقتدر الخلق .

(٣) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٠٣ .

(٤) « الدين » (بتشديد الياء وكسرها) : المتدين ، صاحب الدين .

وقوله : « فمن أبصره فلنفسه »، يقول : فمن تبين حجج الله وعرفها وأقرّ بها، وآمن بما دلّته عليه من توحيد الله وتصديق رسوله وما جاء به ، فإنما أصاب حظ نفسه ، ولنفسه عمل ، وإياها بغَى الخير = « ومن عمى فعليها » ، يقول : ومن لم يستدلّ بها ، ولم يصدق بما دلته عليه من الإيمان بالله ورسوله وتنزيله ، ولكنه عمى عن دلالتها التى تدل عليها ، يقول : فنفسَه ضر ، وإليها أساء لا إلى غيرها .

* * *

وأما قوله : « وما أنا عليكم بحفيظ » ، يقول : وما أنا عليكم برقيب أحصى عليكم أعمالكم وأفعالكم ، وإنما أنا رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم ، والله الحفيظ عليكم ، الذى لا يخفى عليه شيء من أعمالكم .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (١٠٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : كما صرفت لكم، أيها الناس، الآيات والحجج فى هذه السورة ، وبينتها ، فعرفتكموها ،(٢) فى توحيدى وتصديق رسولى وكتابى ووقّفتكم عليها ،(٣) فكذلك أبيّن لكم آياتى وحججى فى كل ما جهلتموه فلم تعرفوه من أمرى ونهيى ، كما : —

١٣٧٠٥ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ،

---

(١) انظر تفسير « الحفيظ » فيما سلف ٨ : ٥٦٢ .

(٢) انظر تفسير « تصريف الآيات » فيما سلف ١١ : ٤٣٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المطبوعة : « ووصيتكم عليها » ، وهو لا معنى له ، صوابه فى المخطوطة ، وإن كانت سيئة الكتابة .

حدثنا أسباط ، عن السدى : « وكذلك نصرف الآيات» ، لهؤلاء العادلين بربهم ، كما صرفتها فى هذه السورة ، ولئلا يقولوا : درسْتَ .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة أهل المدينة والكوفة : ﴿ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ ﴾ ، يعنى : قرأت ، أنت ، يا محمد ، بغير « ألف » .

* * *

وقرأ ذلك جماعة من المتقدمين ، منهم ابن عباس ، على اختلاف عنه فيه ، وغيرُه وجماعة من التابعين ، وهو قراءة بعض قرأة أهل البصرة : ﴿ وَلِيَقُولُوا دَارَسْتَ ﴾ ، بألف ، بمعنى : قارأت وتعلمت من أهل الكتاب .

* * *

وروى عن قتادة : أنه كان يقرؤه : ﴿ دُرِسَتْ ﴾ ، بمعنى : قرئت وتليت .(١)

* * *

وعن الحسن أنه كان يقرؤه : ﴿ دَرَسَتْ ﴾ ، بمعنى : انمحت .(٢)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءات فى ذلك عندى بالصواب ، قراءة من قرأه : ﴿ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ ﴾ ، بتأويل : قرأتَ وتعلمت ، لأن المشركين كذلك كانوا يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم ، وقد أخبر الله عن قيلهم ذلك بقوله : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُبِينٌ ﴾ ، [سورة النحل : ١٠٣] . فهذا خبرٌ من الله ينبىء عنهم أنهم كانوا يقولون : إنما يتعلم محمد ما يأتيكم به من غيره . فإذ كان ذلك كذلك ، فقراءة : ﴿ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ ﴾ ، يا محمد ، بمعنى : تعلمت من أهل الكتاب ، أشبهُ

---

(١) فى المطبوعة : « قرأت وتليت » ، وهو خطأ ، والصواب ما فى المخطوطة . وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٤٩ .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٤٩ ، وفسره بقوله : « تقادمت ، أى : هذا الذى تتلوه علينا شىء قد تطاول ، ومر بنا » .

بالحق ، وأولى بالصواب من قراءة من قرأه : «دارسْتَ» ، بمعنى : قارأتهم وخاصمتهم ، وغير ذلك من القراءات .

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، على قدر اختلاف القرأة فى قراءته .(١)

• ذكر من قرأ ذلك: ﴿ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ ﴾ ، من المتقدمين ، وتأوله بمعنى : تعلمت وقرأت .

١٣٧٠٦ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح قال ، حدثنى على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « وليقولوا درست » ، قالوا : قرأت وتعلمت . تقول ذلك قريش .

١٣٧٠٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عبيد الله، عن إسرائيل ، عن أبى يحيى ، عن مجاهد : « وليقولوا درست » ، قال : قرأت وتعلمت .

١٣٧٠٨ — حدثنا هناد قال،حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى = ، عن إسرائيل وافقه، عن أبى إسحق، عن التيمى ، عن ابن عباس : ٢٠٥/٧
« وليقولوا درست » ، قال : قرأت وتعلمت .

١٣٧٠٩ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وليقولوا درست » ، يقول : قرأت الكتب .

١٣٧١٠ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ يقول ، حدثنى عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « درست » ، يقول : تعلمت وقرأت .

١٣٧١١ — حدثنا أبو كريب قال،حدثنا ابن عطية قال، حدثنا إسرائيل، عن أبى إسحق ، عن التيمى قال : قلت لابن عباس : أرأيت قوله : « درست »؟ قال : قرأت وتعلمت .

---

(١) انظر تفسير « الدرس » فيما سلف ٦ : ٥٤٤ — ٥٤٦ .

١٣٧١٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن أبي إسحق ، عن التيمي ، عن ابن عباس ، مثله .

* * *

* ذكر من قرأ ذلك: ﴿ دَارَسْتَ ﴾ ، وتأوله بمعنى : جادلت ، من المتقدمين .

١٣٧١٣ – حدثنا عمران بن موسى قال، حدثنا عبد الوارث، عن حميد ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : « دارست » ، يقول : قارأت .

١٣٧١٤ – حدثني يعقوب قال ، حدثنا ابن علية ، عن أيوب، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس أنه كان يقرؤها: ﴿ وَلِيَقُولُوا دَارَسْتَ ﴾، أحسبه قال : قارأت أهل الكتاب .

١٣٧١٥ – حدثني محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحق ، عن التيمي ، عن ابن عباس : « وليقولوا دارست » ، قال : قارأت وتعلمت .

١٣٧١٦ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا أبو داود قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحق قال ، سمعت التيمي يقول : سألت ابن عباس عن قوله : « وليقولوا دارست » ، قال : قارأت وتعلّمت .

١٣٧١٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن علية، عن أبي المعلى ، عن سعيد بن جبير قال ، كان ابن عباس يقرؤها: ﴿ دَارَسْتَ ﴾ .

١٣٧١٨ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا آدم العسقلاني قال ، حدثنا شعبة قال ، حدثنا أبو المعلى قال ، سمعت سعيد بن جبير يقول : كان ابن عباس يقرأ: ﴿ دَارَسْتَ ﴾ ، بالألف ، بجزم السين ، ونصب التاء .

١٣٧١٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار قال ، أخبرني عمرو بن كيسان : أن ابن عباس

كان يقرأ : ﴿ دَارَسْتَ ﴾ ، تلوت ، خاصمت ، جادلت .

١٣٧٢٠ – حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عمرو بن كيسان ، قال ابن عباس فى : « دارست » ، قال : تلوت ، خاصمت ، جادلت .

١٣٧٢١ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير فى هذه الآية: « وليقولوا دارست » ، قال : قارأت .

١٣٧٢٢ – حدثنى المثنى قال، حدثنا آدم قال ، حدثنا شعبة قال ، حدثنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير أنه قرأ : ﴿ دَارَسْتَ ﴾ ، بالألف أيضاً، منتصبة التاء، وقال : قارأت .

١٣٧٢٣ – حدثنى المثنى قال، حدثنا الحجاج قال ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير أنه قرأ: ﴿ دَارَسْتَ ﴾ ، أى : ناسخت.

١٣٧٢٤ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « دارست » ، قال : فاقهت ، قرأت على يهود ، وقرأوا عليك .

١٣٧٢٥ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وليقولوا دارست » ، قال : قارأت ، قرأت على يهود ، وقرأوا عليك .

١٣٧٢٦ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، حدثنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله: « دارست » ، يعنى ، أهلَ الكتاب .

١٣٧٢٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن عيينة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « دارست » ، قال : قرأت على يهود ، وقرأوا عليك .

١٣٧٢٨ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال، حدثنى عمى ٢٠٦/٧

قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس في قوله : « وليقولوا دارست » ، قال : قالوا : دارستَ أهل الكتاب ، وقرأت الكتب وتعلَّمتها .

* * *

* ذكر من قرأ ذلك: ﴿ دُرِسَتْ ﴾ بمعنى : تُليت وقُرِئت ،[1] على وجه ما لم يسمَّ فاعله .

١٣٧٢٩ – حدثنا عمران بن موسى القزاز قال، حدثنا عبد الوارث بن سعيد قال ، حدثنا الحسين المعلم وسعيد ، عن قتادة : « وكذلك نصرف الآيات وليقولوا دُرِسَتْ » ، أي : قرئت وتعلمت .

١٣٧٣٠ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال،حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر قال، قال قتادة : « دُرِست» ، قرئت = وفي حرف ابن مسعود : ﴿ دَرَسَ ﴾.

* * *

* ذكر من قرأ ذلك ، ﴿ دَرَسَتْ ﴾ ، بمعنى : انمحت وتقادمت ، أي : هذا الذي تتلوه علينا قد مرَّ بنا قديماً ، وتطاولت مدته .[2]

١٣٧٣١ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كان الحسن يقرأ : ﴿ وَلِيَقُولُوا دَرَسَتْ ﴾، أي : انمحت .

١٣٧٣٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا آدم قال، حدثنا شعبة قال ، حدثنا أبو إسحق الهمداني قال : في قراءة ابن مسعود :﴿ دَرَسَتْ ﴾، بغير ألف، بنصب السين ، ووقف التاء .[3]

١٣٧٣٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار قال : سمعت ابن الزبير يقول : إن صبياناً ههنا يقرأون :﴿ دَارَسْتَ ﴾، وإنما هي : ﴿ دَرَسَتْ ﴾ .

---

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « نبثت » ، وهو خطأ محض ، صوابه ما أثبت ، كما سلف ، ص : ٢٦ س : ٩ .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٣٤٩

(٣) « الوقف » في اصطلاحهم قديماً ، هو « السكون » عند النحويين .

١٣٧٣٤ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر قال : قال الحسن ، « وليقولوا دَرَست » : يقول : تقادمت وانمحت .

* * *

* وقرأ ذلك آخرون : ﴿ دَرَسَ ﴾ : من « درس الشيء » ، تلاه .

١٣٧٣٥ – حدثني أحمد بن يوسف الثعلبي قال، حدثنا أبو عبيدة قال، حدثنا حجاج ، عن هرون قال : هي في حرف أبي بن كعب وابن مسعود : ﴿ وَلِيَقُولُوا دَرَسَ ﴾ ، قال : يعني النبي صلى الله عليه وسلم ، قرأ .

* * *

وإنما جاز أن يقال مرة: « دَرَسْتَ »، ومرة: « دَرَسَ » ، فيخاطب مرة ، ويخبر مرة ، من أجل القول .

* * *

قال أبو جعفر : وقد بينا أولى هذه القراآت في ذلك الصواب عندنا ، والدلالة على صحة ما اخترنا منها .

* * *

وأما تأويل قوله : « ولنبينه لقوم يعلمون » ، يقول تعالى ذكره : كما صرفنا الآيات والعبر والحجج في هذه السورة لهؤلاء العادلين بربهم الآلهة والأنداد ، كذلك نصرف لهم الآيات في غيرها ، كيلا يقولوا لرسولنا الذي أرسلناه إليهم: « إنما تعلمت ما تأتينا به تتلوه علينا من أهل الكتاب » ، فينزجروا عن تكذيبهم إياه ، وتقوُّلهم عليه الإفك والزور ،ولنبين بتصريفنا الآيات الحقَّ ،لقوم يعلمون الحق إذا تبيَّن لهم فيتبعوه ويقبلوه، وليسوا كمن إذا بُيِّن لهم عَمُوا عنه فلم يعقلوه ، وازدادوا من الفهم له بعداً .(١)

* * *

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « من الفهم به » ، والسياق يقتضي ما أثبت .

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٠٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : اتبع، يا محمد ، ما أمرك به ربك فى وحيه الذى أوحاه إليك ، فاعمل به ، وانزجر عما زجرك عنه فيه ، ودع ما يدعوك إليه مشركو قومك من عبادة الأوثان والأصنام ، فإنه لا إله إلا هو . يقول : لا معبود يستحق عليك إخلاص العبادة له إلاّ الله الذى هو فالق الحب والنوى ، وفالق الإصباح ، وجاعلُ الليل سكناً ، والشمسَ والقمر حسباناً =« وأعرض عن المشركين »، يقول : ودع عنك جدالهم وخصومتهم.(١) ثم نسخ ذلك جل ثناؤه بقوله فى براءة: ﴿ ٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾، الآية ، [سورة التوبة : ٥] ، كما : —

١٣٧٣٦ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : أما قوله : « وأعرض عن المشركين » ونحوه ، مما أمر الله المؤمنين بالعفو عن المشركين ، فإنه نسخ ذلك قوله: ﴿ ٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ . ٢٠٧/٧

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ (١٠٧)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : أعرض عن هؤلاء المشركين بالله ، ودع عنك جدالهم وخصومتهم ومسابّتهم = « ولو شاء

(١) انظر تفسير « أعرض » فيما سلف ١١ : ٤٣٦، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

الله ما أشركوا »، يقول : لو أراد ربُّك هدايتهم واستنقاذهم من ضلالتهم، للطف لهم بتفيوقه إياهم فلم يشركوا به شيئاً ، ولآمنوا بك فاتبعوك وصدَّقوا ما جئتهم به من الحق من عند ربك = « وما جعلناك عليهم حفيظاً »، يقولُ جل ثناؤه : وإنما بعثتك إليهم رسولاً مبلِّغاً ، ولم نبعثك حافظاً عليهم ما هم عاملوه ، تحصى ذلك عليهم ، فإن ذلك إلينا دونك[1] = « وما أنت عليهم بوكيل » ، يقول : ولست عليهم بقيِّم تقوم بأرزاقهم وأقواتهم ولا بحفظهم، فيما لم يُجْعل إليك حفظه من أمرهم .[2]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٧٣٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « ولو شاء الله ما أشركوا » ، يقول سبحانه : لو شئتُ لجمعتهم على الهدى أجمعين .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين به : ولا تسبُّوا الذين يدعو المشركون من دون الله من الآلهة والأنداد ، فيسبَّ المشركون اللهَ جهلاً منهم بربهم ، واعتداءً بغير علم ، كما : —

١٣٧٣٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ابن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « ولا تسبوا الذين

(١) انظر تفسير « حفيظ » فيما سلف ص : ٢٥، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « وكيل » فيما سلف ص : ١٣ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم » ، قال : قالوا : يا محمد ، لتنتهين عن سبِّ آلهتنا، أو لنهجوَنَّ ربك ! فنهاهم الله أن يسبوا أوثانهم ، فيسبوا الله عدوًا بغير علم .

١٣٧٣٩ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم » ، كان المسلمون يسبون أوثان الكفار ، فيردّون ذلك عليهم ، فنهاهم الله أن يستسبُّوا لربهم ،(١) فإنهم قومٌ جهلة لا علم لهم بالله .

١٣٧٤٠ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوًا بغير علم » ، قال : لما حضر أبا طالب الموتُ ، قالت قريش : انطلقوا بنا فلندخل على هذا الرجل، فلنأمره أن ينهى عنا ابن أخيه ،فإنا نستحى أن نقتله بعد موته ، فتقول العرب : « كان يمنعه ، فلما مات قتلوه »! فانطلق أبو سفيان ، وأبو جهل ، والنضر بن الحارث ، وأمية وأبىّ ابنا خلف ، وعقبة بن أبى معيط ، وعمرو بن العاص، والأسود بن البخترى ، وبعثوا رجلاً منهم يقال له: « المطلب »، قالوا: استأذن على أبى طالب! فأتى أبا طالب فقال : هؤلاء مشيخة قومك يريدون الدخولَ عليك ! فأذن لهم ، فدخلوا عليه فقالوا : يا أبا طالب ، أنت كبيرنا وسيدنا ، وإنّ محمداً قد آذانا وآذى آلهتنا ، فنحبّ أن تدعوه فتنهاهُ عن ذكر آلهتنا ، ولندَعْه وإلهه ! فدعاه ، فجاء نبى الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له أبو طالب : هؤلاء قومك وبنو عمك ! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تريدون ؟ قالوا : نريد أن تدعنا وآلهتنا ، وندعك وإلهك ! قال له أبو طالب :

---

(١) « استسب له » ، عرضه للسب وجره إليه. وفى حديث أبى هريرة: ﴿ لَا تَمْشِيَنَّ أَمَامَ أَبِيكَ ، ولا تجلِسْ قَبْلَهُ ، ولا تَدْعُه باسْمه ، ولا تَسْتَسِبَّ لهُ ﴾ ، أى: لا تعرضه للسب وتجره إليه ، بأن تسب أبا غيرك ، فيسب أباك مجازاة لك = وهذا أدب يفتقده الناس يوماً بعد يوم .

قد أنصفك قومك ، فاقبل منهم ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أرأيتم إن أعطيتكم هذا ، هل أنتم معطيَّ كلمة إن تكلمتم بها ملكتم العرب ، ودانت لكم ٢٠٨/٧ بها العجم ، وأدّت لكم الخراج ؟[١] قال أبو جهل : نعم وأبيك ، لنعطينكها وعشرَ أمثالها ، فماهي؟ قال: قولوا : « لا إله إلا الله »! فأبوا واشمأزُّوا . قال أبو طالب: يا ابن أخي ، قل غيرها ، فإن قومك قد فزعوا منها ! قال : يا عم ، ما أنا بالذي أقول غيرها حتى يأتوني بالشمس فيضعوها في يديّ،[٢] ولو أتوني بالشمس فوضعوها في يديّ ما قلت غيرها ! إرادةَ أن يُؤْيسهم ، فغضبوا وقالوا : لتكفّنّ عن شتمك آلهتنا ، أولنشتمنك ولنشتمن من يأمرك . فذلك قوله : « فيسبوا الله عدواً بغير علم ».

١٣٧٤١ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قال : كان المسلمون يسبون أصنام الكفار ، فيسب الكفار الله عدواً بغير علم ، فأنزل الله : « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله الله عدواً بغير علم » .

١٣٧٤٢ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله : « فيسبوا الله عدواً بغير علم »، قال : إذا سببت إلهه سبَّ إلهك ، فلا تسبوا آلهتهم .

* * *

قال أبو جعفر : وأجمعت الحجة من قرأة الأمصار على قراءة ذلك :[٣] ﴿ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾، بفتح العين ، وتسكين الدال، وتخفيف الواو من قوله : « عدواً » ، على أنه مصدر من قول القائل : « عدا فلان على فلان » ،

---

(١) في المطبوعة : « ودانت لكم بها العجم بالخراج » ، وفي المخطوطة : « ودانت لكم بها العجم الحراح » غير منقوطة ، وفي تفسير ابن كثير ٣ : ٣٧٤ ، ما أثبته ، وهو الصواب إن شاء الله .

(٢) في المطبوعة : « حتى يأتوا بالشمس » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٣) في المطبوعة : « وأجمعت الأمة من قراء الأمصار » ، لم يحسن قراءة ما في المخطوطة .

إذا ظلمه واعتدى عليه، «يعدو عَدْوًا وعُدُوًّا وعُدْوانًا» . و« الاعتداء»، إنما هو: « افتعال » ، من ذلك .(١)

* * *

روى عن الحسن البصري أنه كان يقرأ ذلك :﴿ عُدُوًّا ﴾ مشددة الواو .

١٣٧٤٣ – حدثني بذلك أحمد بن يوسف قال، حدثنا القاسم بن سلام قال ، حدثنا حجاج ، عن هرون، عن عثمان بن سعد: ﴿ فَيَسُبُّوا اللهَ عُدُوًّا﴾ ، مضمومة العين ، مثقّلة .(٢)

* * *

وقد ذكر عن بعض البصريين أنه قرأ ذلك(٣) :﴿ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدُوًّا ﴾ ، يوجّه تأويله إلى أنهم جماعة، كما قال جل ثناؤه: ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾، [سورة الشعراء: ٧٧] ،وكما قال: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾، [سورة الممتحنة: ١] ، ويجعل نصب « العدوّ » حينئذ على الحال من ذكر « المشركين »في قوله: « فيسبوا»، =فيكون تأويل الكلام: ولا تسبوا، أيها المؤمنون، الذين يدعو المشركون من دون الله، فيسب المشركون الله ، أعداءَ الله ، بغير علم . وإذا كان التأويل هكذا ، كان « العدوّ» ، من صفة « المشركين» ونعتهم، كأنه قيل : فيسب المشركون أعداء الله، بغير علم= ولكن« العدوّ » لما خرج مخرج النكرة وهو نعت للمعرفة، نصب على الحال.

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة عندي في ذلك، قراءةُ من قرأ بفتح العين وتخفيف الواو ، لإجماع الحجة من القرأة على قراءة ذلك كذلك . وغير جائز خلافُها فيما جاءت به مجمعة عليه .(٤)

* * *

---

(١) انظر تفسير « عدا » فيما سلف ١٠ : ٥٢٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) الأثر : ١٣٧٤٣ – « عثمان بن سعد التميمي » ، أبو بكر الكاتب المعلم . روى عن أنس ، والحسن والبصري ، وابن سيرين ، وعكرمة ، ومجاهد . تكلموا فيه . مترجم في التهذيب .

(٣) نسبها ابن خالويه في شواذ القراءات: ٤٠ ،إلى بعض المكيين،ولم يبينه . وقال أبو حيان في تفسيره ٤ : ٢٠٠ « وقال ابن عطية : وقرأ بعض المكيين ، وعينه الزمخشري فقال : عن ابن كثير » .

(٤) في المطبوعة أسقط « به » ، وهي ثابتة في المخطوطة .

القول فى تأويل قوله ﴿ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٠٨)

يقول تعالى ذكره : كما زيّنا لهؤلاء العادلين بربهم الأوثانَ والأصنام، عبادةَ الأوثان وطاعةَ الشيطان بخذلاننا إيّاهم عن طاعة الرحمن ،[١] كذلك زيّنّا لكل جماعةٍ اجتمعت على عملٍ من الأعمال من طاعة الله ومعصيته ، عملَهم الذى هم عليه مجتمعون ،[٢] ثم مرجعهم بعد ذلك ومصيرهم إلى ربهم[٣] = «فينبئهم بما كانوا يعملون » . يقول : فيُوقفهم ويخبرهم بأعمالهم التى كانوا يعملون بها فى الدنيا ،[٤] ثم يجازيهم بها، إن كان خيراً فخيراً، وإن كان شرًّا فشرًّا، أو يعفو بفضله، ما لم يكن شركاً أو كفراً .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٠٩) ٢٠٩/٧

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وحلف بالله هؤلاء العادلون بالله جَهْدَ حَلِفهم ، وذلك أوكدُ ماقدروا عليه من الأيمان وأصعبها وأشدُّها[٥] = «لئن جاءتهم

---

(١) انظر تفسير « زين » فيما سلف ١١ : ٣٥٧

(٢) انظر تفسير « أمة » فيما سلف ١١ : ٣٥٤ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « المرجع » فيما سلف ١١ : ٤٠٧ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « أنبأ » فيما سلف ١١ : ٤٣٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٥) انظر « أقسم » و « جهد أيمانهم » فيما سلف ١٠ : ٤٠٧ – ٤٠٩ ، ولم يفسرهما .

آية » ، يقول : قالوا: نقسم بالله لئن جاءتنا آية تصدّق ما تقول ، يا محمد، مثل الذى جاء مَن قبلنا من الأمم=« ليؤمنن بها »، يقول: قالوا : لنصدقن بمجيئها بك ، وأنك لله رسولٌ مرسل ، وأنّ ما جئتنا به حقٌّ من عند الله .

وقيل : « ليؤمنن بها » ، فأخرج الخبر عن « الآية »، والمعنى لمجيء الآية .

يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم: « قل إنما الآيات عند الله » ، وهو القادر على إتيانكم بها دون كل أحد من خلقه = « وما يشعركم » ، يقول : وما يدريكم[1]= « أنها إذا جاءت لا يؤمنون » ؟

* * *

وذكر أن الذين سألوه الآية من قومه ، هم الذين آيس الله نبيَّه من إيمانهم من مشركى قومه .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٧٤٤ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها » ، إلى قوله : « يجهلون » ، سألت قريش محمداً صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بآية ، واستحلفهم : ليؤمننّ بها .

١٣٧٤٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن نجيح : « لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها » ، ثم ذكر مثله .

٢١٠/٧ ١٣٧٤٦ — حدثنا هناد قال، حدثنا يونس بن بكير قال، حدثنا أبو معشر، عن محمد بن كعب القرظى قال : كلّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قريشاً ،[2]

---

(١) انظر تفسير « أشعر » فيما سلف ١١ : ٣١٦ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك . وانظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٠٤ .

(٢) فى المطبوعة : « قريش » بالرفع ، والصواب من المخطوطة .

فقالوا : يا محمد ، تخبرنا أن موسى كان معه عصاً يضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً ، وتخبرنا أنّ عيسى كان يحيي الموتى ، وتخبرنا أن ثَمُود كانت لهم ناقة ، فأتنا بشيء من الآيات حتى نصدقك ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أيَّ شيء تحبُّون أن آتيكم به؟ قالوا: تجعَلُ لنا الصَّفَا ذهباً . فقال لهم : فإن فعلت تصدقونى؟ قالوا : نعم والله ، لئن فعلت لنتبعنّك أجمعين ![1] فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ، فجاءه جبريل عليه السلام فقال له : لك ما شئت ،[2] إن شئتَ أصبح ذهباً ، ولئن أرسل آيةً فلم يصدقوا عند ذلك لنعذبنّهم ، وإن شئت فأنْدِحْهُم حتى يتوب تائبهم .[3] فقال : بل يتوب تائبهم . فأنزل الله : « وأقسموا بالله » إلى قوله : « يجهلون » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى المخاطبين بقوله : « وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون » .

فقال بعضهم : خوطب بقوله : « وما يشعركم » المشركون المقسمون بالله ،

---

(١) فى المطبوعة : « أجمعون » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة أسقط « له » ، وهى فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « فاتركهم حتى يتوب تائبهم » ، وفى المخطوطة : « مارجهم » ، غير منقوطة ، ورجحت أن صواب قراءتها ما أثبت ، وإن كنت لم أجد هذا الحرف فى كتب اللغة ، وهو عندى من قولهم : « ندحت الشيء ندحاً » ، إذ أوسعته وأفسحته ، ومنه قيل : « إن لك فى هذا الأمر ندحة » (بضم النون وفتحها وسكون الدال) و « مندوحة » ، أى : سعة وفسحة . فقولهم : « أندحهم » ، أى : أفسح لهم ، واجعل لهم مندوحة فى هذا الأمر حتى يتوب تائبهم . وهو حق المعنى إن شاء الله ، والقياس يعين عليه .

لئن جاءتهم آية ليؤمنن = وانتهى الخبر عند قوله : « وما يشعركم » ، ثم استُؤنف الحكم عليهم بأنهم لا يؤمنون عند مجيئها استئنافاً مبتدأ . ٢١١/٧

* * *

* ذكر من قال ذلك :

١٣٧٤٧ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « وما يشعركم » ، قال : ما يدريكم . قال : ثم أخبر عنهم أنهم لا يؤمنون .

١٣٧٤٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وما يشعركم » ، وما يدريكم = « إنها إذا جاءت » ، قال : أوجب عليهم أنها إذا جاءت لا يؤمنون .

١٣٧٤٩ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال، سمعت عبد الله بن يزيد يقول : « إنما الآيات عند الله » ، ثم يستأنف فيقول : إنها إذا جاءت لا يؤمنون .

١٣٧٥٠ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج،عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « إنما الآيات عند الله وما يشعركم » ، وما يدريكم أنكم تؤمنون إذا جاءت . ثم استقبل يخبر عنهم فقال : إذا جاءت لا يؤمنون .

* * *

وعلى هذا التأويل قراءةُ من قرأ ذلك بكسر ألف ﴿ إِنَّها ﴾ ،على أن قوله : ﴿ إِنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ، خبر مبتدأ منقطعٌ عن الأول .

* * *

وممن قرأ ذلك كذلك ، بعضُ قرأة المكيين والبصريين .

* * *

وقال آخرون منهم : بل ذلك خطابٌ من الله نبيَّه صلى الله عليه وسلم وأصحابه. قالوا : وذلك أنّ الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي بآيةٍ ، المؤمنون به . قالوا : وإنما كان سببَ مسألتهم إيّاه ذلك، أنّ المشركين حلَفوا أنّ الآية ٢١٢/٧

إذا جاءت آمنوا واتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : سل ، يا رسول الله ، ربّك ذلك . فسأل ، فأنزل الله فيهم وفى مسألتهم إياه ذلك : « قل » للمؤمنين بك يا محمد = « إنما الآيات عند الله وما يشعركم » ، أيها المؤمنون بأن الآيات إذا جاءت هؤلاء المشركين بالله ، أنهم لا يؤمنون به = ففتحوا « الألف » من « أنّ » .

* * *

وممن قرأ ذلك كذلك ، عامة قرأة أهل المدينة والكوفة . وقالوا : أدخلت « لا » فى قوله : « لا يؤمنون » صلة ،[1] كما أدخلت فى قوله : ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ ، [سورة الأعراف : ١٢] ، وفى قوله : ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ ، [سورة الأنبياء : ٩٥] ، وإنما المعنى : وحرام عليهم أن يرجعوا = وما منعك أن تسجُد .

* * *

وقد تأوّل قوم قرأوا ، ذلك بفتح « الألف » من « أنها » بمعنى : لعلها . وذكروا أن ذلك كذلك فى قراءة أبىّ بن كعب .

* * *

وقد ذكر عن العرب سماعاً منها : « اذهب إلى السوق أنّك تشترى لى شيئاً » ، بمعنى : لعلك تشترى .[2]

وقد قيل : إن قول عدى بن زيد العِبادىّ :

أَعَاذِلَ ، مَا يُدْرِيكِ أَنَّ مَنِيَّتِي إِلَى سَاعَةٍ فِي الْيَوْمِ أَوْ فِي ضُحَى الْغَدِ[3]

---

(١) « الصلة » . الزيادة ، والإلغاء ، انظر فهارس المصطلحات

(٢) انظر فى هذا معانى القرآن للفراء ١ : ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٠٤ .

(٣) جمهرة أشعار العرب ١٠٣ ، اللسان (أذن) ، وغيرهما . من قصيدة له حكيمة ، يقول قبله :

وعَاذِلَةٍ هَبَّتْ بِلَيْلٍ تَلُومُنِي ، فَلَمَّا غَلَتْ فِي اللَّوْمِ قُلْتُ لها : أُقْصِدى
أَعَاذِلَ ، إن اللَّوْمَ فى غير كُنْهِهِ عَلَيَّ شَنًى ، مِنْ غَيِّكِ المُتَرَدِّدِ

بمعنى : لعل منيّتى . وقد أنشدوا فى بيت دريد بن الصمة :(١)

٢١٣/٧ ذَرِينِي أُطَوِّفْ فِي البِلَادِ ، لَأَنَّنِي أَرَى مَا تَرَيْنَ ، أَوْ بَخِيلاً مُخَلَّدَا(٢)

بمعنى : لعلنى . والذى أنشدنى أصحابُنا عن الفراء : «لعلّنى أرَى ما ترَيْن» .

وقد أنشد أيضاً بيتُ توبة بن الحميرِ :

لَعَلَّكَ يَا تَيْسًا نَزَا فِي مَرِيرَةٍ مُعَذِّبُ لَيْلَى أَنْ تَرَانِي أَزُورُهَا(٣)

أَعَاذِلَ ، إِنَّ الجَهْلَ مِنْ لَذَّةِ الفَتَى وَإِنَّ المَنَايَا لِلرِّجَالِ بِمَرْصَدِ
أَعَاذِلَ ، مَا أَدْنَى الرشادَ مِنَ الفَتَى وأَبْعَدَهُ مِنْهُ إِذَا لَمْ يُسَدَّدِ
أَعَاذِلَ ، من تُكْتَبْ لَهُ النَّارُ يَلْقَهَا كِفَاحًا ، وَمَنْ يُكْتَبْ لَهُ الفَوْزُ يُسْعَدِ
أَعَاذِلَ ، قَدْ لَاقَيْتُ مَا يَزَعُ الفَتَى وَطَابَقْتُ فِي الحِجْلَيْنِ مَشْيَ المُقَيَّدِ

(١) فى المطبوعة : «وقد أنشدونى» ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) هكذا جاء البيت فى المخطوطة والمطبوعة ، وهو خطأ من أبى جعفر ، أو من الفراء ، بلا شك فإن الشطر الأخيرَ من هذا الشعر ، هو من شعر حطائط بن يعفر ، وقد خرجته آنفاً ٣ : ٧٨ ، واستوفيت الكلام عنه هناك ، وأشرت إلى هذا الموضع من اختلاف الشعر . وأما قوله : «ذرينى أطوف فى البلاد لعلنى» ، فهو كثير فى أشعارهم ، وأما شعر دريد بن الصمة الذى لاشك فيه ، فهو هذا :

ذَرِينِي أُطَوِّفْ فِي البِلَادِ لَعَلَّنِي أُلَاقِي بِإِثْرٍ ثُلَّةً من مُحَارِبِ

ولعل أبا جعفر نسى ، فكتب ما كتب . وشعر دريد هذا مروى فى الأصمعيات ص ١٢ (ص : ١١٩ ، طبعة المعارف) ، من قصيدة قالها بعد مقتل أخيه عبد الله ، ذكر فيها ما أصاب خضر محارب من القتل والاستئصال ، يقول قبله :

فَلَيْتَ قُبُورًا بِالمَخَاضَةِ أَخْبَرَتْ فَتُخْبِرَ عَنَّا الخُضْرَ ، خُضْرَ مُحَارِبِ
رَدَسْنَاهُمُ بِالخَيْلِ حَتَى تَمَلَّأَتْ عَوَافِي الضِّبَاعِ وَالذِّئَابِ السَّوَاغِبِ
ذَرِينِي أُطَوِّفْ . . . . . .

(٣) من قصيدة فيما جمعته من شعره ، وسيبويه ١ : ٣١٢ . يقول ذلك لزوج ليلى الأخيلية صاحبته ، يتوعده لمنعه من زيارتها ، وتعذيبها فى سببه ، ويجعله كالتيس ينزو فى حبله . وقوله «فى مريرة» ، «المريرة» الحبل المفتول المحكم الفتل .

« لهَنَّك ياتيساً » ، بمعنى : « لأَنَّك » التى فى معنى « لعلك »، وأنشد بيت أبى النجم العجلىّ :

قُلْتُ لِشَيْبَانَ أُدْنُ مِنْ لِقَائِهِ أَنَّا نُغَدِّى القَوْمَ مِنْ شِوَائِهِ (١)

بمعنى : (٢) لعلنا نغدّى القوم .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلات فى ذلك بتأويل الآية ، قولُ من قال : ذلك خطاب من الله للمؤمنين به من أصحاب رسوله = أعنى قوله : « وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون » = وأن قوله : « أنها » ، بمعنى : لعلّها .

وإنما كان ذلك أولى تأويلاته بالصواب ، لاستفاضة القراءة فى قرأة الأمصار بالياء من قوله : « لا يؤمنون » .

ولو كان قوله : « وما يشعركم » خطاباً للمشركين ، لكانت القراءة فى قوله : « لا يؤمنون » ، بالتاء ، وذلك ، وإن كان قد قرأه بعض قرأة المكيين كذلك ، فقراءةٌ خارجة عما عليه قرأة الأمصار . وكفى بخلاف جميعهم لها دليلاً على ذهابها ٢١٤/٧
وشذوذها . (٣)

* * *

وإنما معنى الكلام : وما يدريكم ، أيها المؤمنون ، لعل الآيات إذ جاءت هؤلاء المشركين لايؤمنون ، فيعاجلوا بالنقمة والعذاب عند ذلك ، ولا يؤخَّروا به .

* * *

---

(١) المعانى الكبير لابن قتيبة : ٣٩٣ ، الخزانة ٣ : ٥٩١ ، وروايتهما « كما نغدى » قال ابن قتيبة : (قال أبو النجم وذكر ظليما . . . « شيبان » ابنه ، قلت له : اركب فى طلبه . « كما » بمعنى « كيما » ، يقول : كيما نصيده فنغدى القوم به مشوياً) .

وكان البيت فى المخطوطة غير منقوط ، وفى المطبوعة : « قلت لسيبان » ، وهو خطأ . وفيها وفى المخطوطة : « من سرانه » ، والصواب ما أثبت .

(٢) فى المطبوعة : « يعنى » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) قوله : « ذهابها » ، أى هلاكها وفسادها .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : معنى ذلك: لو أنا جئناهم بآية كما سألوا ، ما آمنوا ، كما لم يؤمنوا بما قبلَها أوّل مرة، لأن الله حال بينهم وبين ذلك :

* ذكر من قال ذلك :

١٣٧٥١ ــ حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أوّل مرة » الآية ، قال : لما جحد المشركون ما أنزل الله ، لم تثبت قلوبهم على شىء ، ورُدَّتْ عن كل أمر .

١٣٧٥٢ ــ حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ونقلب أفئدتهم وأبصارهم » ، قال : نمنعهم من ذلك ، كما فعلنا بهم أول مرة . وقرأ : « كما لم يؤمنوا به أول مرة » .

١٣٧٥٣ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « ونقلب أفئدتهم وأبصارهم » ، قال : نحول بينهم وبين الإيمان ولو جاءتهم كل آية، فلا يؤمنون، كما حلنا بينهم وبين الإيمان أول مرة .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : ونقلب أفئدتهم وأبصارهم لورُدُّوا من الآخرة إلى الدنيا فلا يؤمنون ، كما فعلنا بهم ذلك ، فلم يؤمنوا فى الدنيا . قالوا : وذلك نظير قوله ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ ، [سورة الأنعام : ٢٨].

* ذكر من قال ذلك :

١٣٧٥٤ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى

معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قال: أخبر الله سبحانه ما العبادُ قائلون قبل أن يقولوه، وعملهم قبل أن يعملوه. قال: ولا ينبئك مثلُ خبير: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، [سورة الزمر: ٥٦ – ٥٨]، يقول: من المهتدين. فأخبر الله سبحانه أنهم لو رُدُّوا [إلى الدنيا، لما استقاموا] على الهدى، [وقال]: ﴿لَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾،(١) وقال: «ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة»، قال: لو ردوا إلى الدنيا لحيل بينهم وبين الهدى، كما حلنا بينهم وبينه أول مرة وهم في الدنيا.

* * *

قال أبو جعفر: وأولى التأويلات في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله جل ثناؤه، أخبر عن هؤلاء الذين أقسموا بالله جهدَ أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها: أنَّه يقلب أفئدتهم وأبصارهم ويصرِّفها كيف شاء، وأنّ ذلك بيده يقيمه إذا شاء، ويزيغه إذا أراد = وأنّ قوله: «كما لم يؤمنوا به أول مرة»، دليل على محذوف من الكلام = وأنّ قوله: «كما» تشبيه ما بعده بشيء قبله. ٢١٥/٧

وإذْ كان ذلك كذلك، فالواجب أن يكون معنى الكلام: ونقلب أفئدتهم، فنزيغها عن الإيمان، وأبصارَهم عن رؤية الحق ومعرفة موضع الحجة، وإن جاءتهم الآية التي سألوها، فلا يؤمنوا بالله ورسوله وما جاء به من عند الله، كما لم يؤمنوا بتقليبنا إياها قبلَ مجيئها مرّة قبل ذلك.

* * *

(١) في المطبوعة: «فأخبر الله سبحانه أنهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه . . .» حذف بعض ما في المخطوطة. وفي المخطوطة: «فأخبر الله سبحانه أنهم لو ردوا على الهدى وقال: ولو ردوا لعادوا لما انهوعنه . . .»، فأثبت نص المخطوطة، وزدت ما زدته بين القوسين حتى يستقيم الكلام.

وإذا كان ذلك تأويله، كانت « الهاء » من قوله : « كما لم يؤمنوا به » ، كناية ذكر « التقليب » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (١١٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ونذر هؤلاء المشركين الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم : لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها عند مجيئها [١] = فى تمرُّدهم على الله واعتدائهم فى حدوده ، [٢] يتردَّدون، لا يهتدون لحق ، ولا يبصرون صواباً، [٣] قد غلب عليهم الخِذْلان ، واستحوذ عليهم الشيطانُ .

* * *

٢/٨ القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ (١١١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد، آيسْ من فلاح هؤلاء العادلين بربهم الأوثانَ والأصنام، القائلين لك : «لئن جئتنا بآية لنؤمنن لك»، فإننا لو نزلنا إليهم الملائكة حتى يروها عياناً ، وكلمهم الموتى بإحيائنا إياهم حُجَّةً لك، ودلالة على نبوّتك، وأخبروهم أنك محقٌّ فيما تقول، وأن ما جئتهم به حقٌّ من عند الله ، وحشرنا عليهم كل شىء فجعلناهُم لك قبلاً ،

---

(١) انظر تفسير « يذر » فيما سلف ١١ : ٥٢٩ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الطغيان » فيما سلف ١٠ : ٤٧٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « العمه » فيما سلف ١ : ٣٠٩ - ٣١١ .

ما آمنوا ولا صدّقوك ولا اتبعوك إلاّ أن يشاء الله ذلك لمن شاء منهم = « ولكن أكثرهم يجهلون » ، يقول : ولكن أكثر هؤلاء المشركين يجهلون أن ذلك كذلك ، يحسبون أن الإيمان إليهم ، والكفرَ بأيديهم ، متى شاؤوا آمنوا، ومتى شاؤوا كفروا . وليس ذلك كذلك، ذلك بيدى ، لا يؤمن منهم إلا من هديته له فوفقته ، ولا يكفر إلاّ من خذلته عن الرشد فأضللته .

* * *

وقيل إن ذلك نزل فى المستهزئين برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما جاء به من عند الله ، من مشركى قريش .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٧٥٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قال : نزلت فى المستهزئين الذين سألوا النبيّ صلى الله عليه وسلم الآية ، فقال : « قل » ، يا محمد ، « إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون » ، ونزل فيهم : « ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شىء قبلاً » .

* * *

وقال آخرون: إنما قيل : « ما كانوا ليؤمنوا » ، يراد به أهل الشقاء ، وقيل : « إلاّ أن يشاء الله »، فاستثنى ذلك من قوله : «ليؤمنوا»، يراد به أهل الإيمان والسعادة .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٧٥٦ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شىء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا » ، وهم أهل الشقاء = ثم قال : « إلا أن يشاء الله » ، وهم أهل السعادة الذين سبق لهم فى علمه أن يدخلوا فى الإيمان .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك بالصواب ، قولُ ابن عباس ، لأن الله جل ثناؤه عمّ بقوله : « ما كانوا ليؤمنوا » ، القوم الذين تقدّم ذكرهم فى قوله : « وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها » .

وقد يجوز أن يكون الذين سألوا الآية كانوا هم المستهزئين الذين قال ابن جريج أنهم عُنوا بهذه الآية ، ولكن لا دلالة فى ظاهر التنزيل على ذلك ، ولا خبر تقوم به حجة بأن ذلك كذلك. والخبر من الله خارجٌ مخرجَ العموم ، فالقول بأنّ ذلك عنى به أهل الشقاء منهم أولى ، لما وصفنا .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « وحشرنا عليهم كل شىء قبلاً » .

فقرأته قرأة أهل المدينة : ﴿ قِبَلاً ﴾ ، بكسر « القاف » وفتح « الباء » ، بمعنى : معاينةً = من قول القائل : « لقيته قِبَلاً » ، أى معاينة ومجاهرةً .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفيين والبصريين : ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً﴾ ، بضم « القاف » ، و « الباء » .

وإذا قرئ كذلك ، كان له من التأويل ثلاثة أوجه :

أحدها : أن يكون « القبل » جمع « قبيل » ، كالرُّغُف التى هى جمع « رغيف » ، و « القُضُب » التى هى جمع « قضيب » ، ويكون « القبل » ، الضمناء والكفلاء = وإذا كان ذلك معناه ، كان تأويل الكلام : وحشرنا عليهم كل شىء كُفَلاء يكفلون لهم بأن الذى نعدهم على إيمانهم بالله إن آمنوا ، أو نوعدهم على كفرهم بالله إن هلكوا على كفرهم ، ما آمنوا إلاّ أن يشاء الله .

والوجه الآخر : أن يكون « القبل » بمعنى المقابلة والمواجهة ، من قول القائل : « أتيتُك قُبُلاً لا دُبُرًا » ، إذا أتاه من قبل وجهه .

والوجه الثالث : أن يكون معناه : وحشرنا عليهم كل شىء قبيلةً قبيلةً ، صنفاً صنفاً ، وجماعة جماعةً ، فيكون « القبل » حينئذ جمع « قبيل » ، الذى هو

جمع « قبيلة » ، فيكون « القبل » جمع الجمع .[1]

* * *

وبكل ذلك قد قالت جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال : معنى ذلك : معاينةً .

١٣٧٥٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح ، قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن على بن أبي طلحة،عن ابن عباس: «وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً » ، يقول: معاينة .

١٣٧٥٨ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً » ، حتى يعاينوا ذلك معاينة = « ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله » .

* * *

* ذكر من قال : معنى ذلك : قبيلة قبيلة ، صنفاً صنفاً .

١٣٧٥٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن يزيد : من قرأ « قُبُلاً » ، معناه : قبيلاً قبيلاً .

١٣٧٦٠ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : قال مجاهد : « قُبُلاً » ، أفواجاً، قبيلاً قبيلاً .

١٣٧٦١ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أحمد بن يونس ، عن أبي خيثمة قال ، حدثنا أبان بن تغلب قال، حدثني طلحة :أن مجاهداً قرأ في « الأنعام » : « كل شيء قُبُلاً » ، قال : قبائل ، قبيلاً وقبيلاً وقبيلاً .

* * *

* ذكرمن قال : معناه : مقابلةً .

١٣٧٦٢ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٣٥٠ ، ٣٥١ .

وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً » ، يقول : لو استقبلهم ذلك كله، لم يؤمنوا إلاّ أن يشاء الله .

١٣٧٦٣ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً » ، قال : حشروا إليهم جميعاً ، فقابلوهم وواجهوهم .

١٣٧٦٤ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن يزيد : قرأ عيسى : « قُبُلاً » ، ومعناه : عياناً .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندنا ، قراءةُ من قرأ: ﴿ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً ﴾، بضم «القاف» و « الباء »، لما ذكرنا من احتمال ذلك الأوجهَ التي بيّنّا من المعاني ،وأن معنى « القِبَل » داخلٌ فيه ، وغير داخل في « القِبَل » معاني « القُبُل » .

* * *

وأما قوله : « وحشرنا عليهم » ، فإن معناه : وجمعنا عليهم ، وسقنا إليهم .[1]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، مسلّيه بذلك عما لقي من كفرة قومه في ذات الله ، وحاثًّا له على الصبر على ما نال فيه : « وكذلك جعلنا لكل نبي عدوًّا » ، يقول : وكما ابتليناك ، يا محمد ، بأن جعلنا لك من مشركي قومك أعداء شياطينَ يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول ، ٤/٨

(١) انظر تفسير « حشر » فيما سلف ٤٥٧ : ١١ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .

ليصدُّوهم بمجادلتهم إياك بذلك عن اتباعك والإيمان بك وبما جئتهم به من عند ربّك ، كذلك ابتلينا من قبلك من الأنبياء والرّسل، بأن جعلنا لهم أعداءً من قومهم يؤذُونهم بالجدال والخصومات. يقول : فهذا الذى امتحنتك به ، لم تخصص به من بينهم وحدك ، بل قد عممتهم بذلك معك لأبتليهم وأختبرهم ، مع قدرتى على منع من آذاهم من إيذائهم ، فلم أفعل ذلك إلاّ لأعرف أولى العزم منهم من غيرهم . يقول : فاصبر أنتَ كما صبر أولو العزم من الرسل .

* * *

وأما «شياطين الإنس والجنّ »، فإنهم مَرَدَتهم ،وقد بينا الفعل الذى منه بُنِى هذا الاسم، بما أغنى عن إعادته .(١)

* * *

ونصب « العدوّ » و « الشياطين » بقوله : « جعلنا » .(٢)

* * *

وأما قوله : « يُوحِى بعضُهم إلى بعض زخرف القول غروراً»، فإنه يعنى أنّه يلقى الملقى منهم القولَ، الذى زيّنه وحسّنه بالباطل إلى صاحبه، ليغترّ به من سمعه ، فيضلّ عن سبيل الله .(٣)

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى معنى قوله : « شياطين الإنس والجن » .

فقال بعضهم : معناه شياطين الإنس التى مع الإنس ، وشياطين الجن التى مع الجنّ ، وليس للإنس شياطين .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٧٦٥ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وكذلك جعلنا لكل نبى عدوًّا شياطين الإنس

(١) انظر تفسير « الشيطان » فيما سلف ١ : ١١١ ، ١١٢ ، ٢٩٦ .
(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٥١ .
(٣) انظر تفسير « الوحى » فيما سلف من فهارس اللغة (وحى) .

والجنّ يوحى بعضهم إلى بعض زُخْرُف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه»، أما « شياطين الإنس » ، فالشياطين التى تضلّ الإنس = « وشياطين الجن » ، الذين يضلون الجنّ ، يلتقيان ، فيقول كل واحد منهما : « إنى أضللت صاحبى بكذا وكذا ، وأضللت أنت صاحبك بكذا وكذا » ، فيعلم بعضُهم بعضاً .

١٣٧٦٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو نعيم ، عن شريك ، عن سعيد بن مسروق ، عن عكرمة : « شياطين الإنس والجن » ، قال : ليس فى الإنس شياطين ، ولكن شياطين الجن يوحون إلى شياطين الإنس ، وشياطين الإنس يوحون إلى شياطين الجن .[1]

١٣٧٦٧ – حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا إسرائيل ، عن السدى فى قوله : « يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً » ، قال : للإنسان شيطان ، وللجنّى شيطان، فيلقىَ شيطان الإنس شيطان الجن ، فيوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً .

* * *

قال أبو جعفر : جعل عكرمة والسدى فى تأويلهما هذا الذى ذكرت عنهما ، عدوّ الأنبياء الذين ذكرهم الله فى قوله : « وكذلك جعلنا لكل نبى عدواً » ، أولادَ إبليس ، دون أولاد آدم ، ودون الجن = وجعل الموصوفين بأن بعضهم يوحى إلى بعض زخرف القول غروراً ، ولدَ إبليس، وأن مَنْ مع ابن آدم من ولد إبليس يوحى إلى مَنْ مع الجن من ولده زخرفَ القول غروراً .

وليس لهذا التأويل وجه مفهوم ، لأن الله جعل إبليس وولده أعداءَ ابن آدم، فكل ولده لكل ولده عدوّ . وقد خصّ الله فى هذه الآية الخبر عن الأنبياء أنه جعل لهم من الشياطين أعداءً . فلو كان معنيًّا بذلك الشياطين الذين ذكرهم السدى ، الذين هم ولد إبليس ، لم يكن لخصوص الأنبياء بالخبرِ عنهم أنه جعل لهم الشياطين أعداءً ، وجهٌ . وقد جعل من ذلك لأعدى أعدائه ، مثل الذى جعل

(١) الأثر : ١٣٧٦٦ – « سعيد بن مسروق الثورى » ، ثقة ، مضى برقم : ٧١٦٢ .

لهم . ولكن ذلك كالذى قلنا ، من أنه معنىٌّ به أنه جعل مردة الإنس والجن لكل نبي عدوًّا يوحى بعضهم إلى بعض من القول ما يؤذيهم به .

* * *

وبنحو الذي قلنا فى ذلك جاء الخبرُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٣٧٦٨ – حدثنى المثنى قال، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا حماد ، عن حميد بن هلال ، قال ، حدثنى رجل من أهل دمشق ، عن عوف ابن مالك ، عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا أبا ذر ، هل ٥/٨ تعوَّذت بالله من شرّ شياطين الإنس والجنّ ؟ قال : قلت : يا رسول الله ، هل للإنس من شياطين ؟ قال : نعم ![1]

١٣٧٦٩ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ابن صالح ، عن أبي عبد الله محمد بن أيوب وغيره من المشيخة ، عن ابن عائذ، عن أبي ذر أنه قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس قد أطال فيه الجلوس ، قال فقال : يا أبا ذر ، هل صلَّيت ؟ قال قلت : لا ، يا رسول الله. قال : قم فاركع ركعتين . قال : ثم جئت فجلستُ إليه فقال : يا أبا ذر ، هل تعوَّذت بالله من شرّ شياطين الإنس والجن ؟ قال قلت : يا رسول الله ، وهل للإنس من شياطين ؟ قال : نعم ، شرٌّ من شياطين الجن ![2]

---

(١) الأثر : ١٣٧٦٨ – « حميد بن هلال العدوى » ، ثقة ، متكلم فيه . سمع من « عوف ابن مالك » ، ولكنه رواه هنا بالواسطة ، عن مجهول : « رجل من أهل دمشق » . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/٢/٣٤٤ ، وابن أبي حاتم ١/٢/٢٣٠ .

و « عوف بن مالك بن نضلة الجشمى » ، ثقة ، مضى برقم : ٦١٧٢ ، ١٢٨٢٥ ، ١٢٨٢٦ . لم يذكر أنه سمع من أبي ذر .

وهذا الخبر فيه مجهول . ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٣٨٠ .

(٢) الأثر : ١٣٧٦٩ – كان فى إسناد هذا الخبر خطأ فاحش ، وقع بلا شك من سهو الناسخ وعجلته ، فإنه كتب « حدثنى معاوية بن صالح عن على بن أبي طلحة ، عن أبي عن ابن عباس ، أبي عبد الله محمد بن أيوب » ، ثم ضرب على « ابن عباس » . ولكنه ترك « عن على بن أبي طلحة » ، وهو خطأ لاشك فيه كما سترى بعد . وسبب ذلك إسناد أبي جعفر المشهور وهو : « حدثنى المثنى ، قال حدثنا عبد الله بن صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس »

١٣٧٧٠ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة قال : بلغني أن أبا ذر قام يوماً يُصلّي، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: تعوَّذ يا أبا ذر، من شياطين الإنس والجن. فقال : يا رسول الله، أوَ إنّ من الإنس شياطين ؟ قال : نعم ![1]

* * *

وقال آخرون في ذلك بنحو الذي قلنا : من أن ذلك إخبارٌ من الله أنّ شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض.

* ذكر من قال ذلك :

وهو إسناد دائر في التفسير، آخره رقم : ١٣٧٥٦، فعجل فكتب الإسناد المشهور، ثم استدرك فضرب على «ابن عباس»، والصواب أن يضرب أيضاً على «علي بن أبي طلحة»، لأن هذا إسناد مختلف عن الأول كل الاختلاف، ولذلك حذفت «عن علي بن أبي طلحة»، مع ثبوته في المخطوطة والمطبوعة، ولكن ابن كثير ذكره في التفسير على الصواب ٣ : ٣٧٩، كما أثبته.

و «أبو عبد الله محمد بن أيوب»، كأنه أيضاً خطأ من الناسخ، صوابه : «أبو عبد الملك محمد بن أيوب» لما سترى.

«محمد بن أيوب الأزدي»، «أبو عبد الملك»، قال البخاري في الكبير ١/١/٢٩، ٣٠ : «محمد بن أيوب أبو عبد الملك الأزدي، عن ابن عائذ، عن أبي ذر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : آدم نبي مكلم. قال لنا : عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن محمد بن أيوب، حديثه في الشاميين. سمع منه معاوية بن صالح» وترجمه ابن أبي حاتم ٣/٢/١٩٦، ١٩٧، فذكر مثله.

و «ابن عائذ» هو «عبد الرحمن بن عائذ الثمالي»، ويقال : الأزدي الكندي، ويقال : اليحصبي. روى له الأربعة، مترجم في التهذيب، وابن أبي حاتم ٢/٢/٢٧٠، وكان ابن عائذ من حملة العلم، يطلبه من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحاب أصحابه. روى عن عمر وعلي مرسلا. وفي التهذيب أنه روى عنهما وعن أبي ذر، وعن غيرهم من الصحابة، ولم يذكر «مرسلا».

وذكر ابن كثير هذا الأثر والذي يليه في تفسيره ٣ : ٣٧٩ ثم قال : «وهذا أيضاً فيه انقطاع»، وتبين من تفسير إسناده أنه غير منقطع. ثم قال : «وروى متصلا كما قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع، حدثنا المسعودي، أنبأني أبو عمر الدمشقي، عن عبيد بن الخشخاش، عن أبي ذر قال : ...» وذكر الحديث، وهو بطوله في مسند أحمد ٥ : ١٧٨، ١٧٩.

ثم ذكر ابن كثير طرقاً أخرى للحديث ثم قال : «فهذه طرق لهذا الحديث، ومجموعها يفيد قوته وصحته، والله أعلم».

(١) الأثر : ١٣٧٧٠ – هذا أثر منقطع، انظر التعليق على الخبر السالف، وما قاله ابن كثير.

١٣٧٧١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « شياطين الإنس والجن » ، قال : من الجن شياطين ، ومن الإنس شياطين ، يوحي بعضهم إلى بعض = قال قتادة : بلغني أن أبا ذر كان يوماً يصلّي ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : تعوّذ يا أبا ذر من شياطين الإنس والجن . فقال : يا نبي الله ، أوَ إن من الإنس شياطين ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : نعم !

١٣٧٧٢ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وكذلك جعلنا لكل نبي عدوًّا شياطين الإنس والجن » ، الآية ، ذكر لنا أنّ أبا ذر قام ذات يوم يصلي ، فقال له نبي الله : تعوّذ بالله من شياطين الجن والإنس. فقال : يا نبي الله ، أوَ للإنس شياطين كشياطين الجن ؟ قال : نعم ، أوَ كذَبْتُ عليه ؟(١)

١٣٧٧٣ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال مجاهد : « وكذلك جعلنا لكل نبي عدوًّا شياطين الإنس والجن» ،فقال: كفار الجنّ شياطين ، يوحون إلى شياطين الإنس، كفارِ الإنس ، زخرفَ القول غروراً .

* * *

وأما قوله : « زُخرف القول غروراً » ، فإنه المزيَّن بالباطل ، كما وصفت قبل. يقال منه: « زخرف كلامه وشهادته» ،إذا حسَّن ذلك بالباطل ووشّاه ، كما:–

١٣٧٧٤ – حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنا أبو نعيم، عن شريك ، عن سعيد بن مسروق ، عن عكرمة قوله : « زخرف القول غروراً » ، قال : تزيين الباطل بالألسنة .

---

(١) قوله : « أو كذبت عليه » ، استنكار من رسول الله صلى الله عليه وسلم سؤال أبي ذر ، فإن نص التنزيل دال على ذلك ، ورسول الله هو الصادق المصدق المبلغ عن ربه الحق الذي لا كذب فيه .

١٣٧٧٥ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى : أما « الزخرف » ، فزخرفوه ، زيّنوه .

١٣٧٧٦ – حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « زخرف القول غروراً » ، قال : تزيين الباطل بالألسنة .

١٣٧٧٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٣٧٧٨ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمى قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « زخرف القول غروراً » ، يقول : حسّن بعضهم لبعضٍ القولَ ليتّبعوهم فى فتنتهم .

١٣٧٧٩ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « زخرف القول غروراً » ، قال : « الزخرف » ، المزيّن ، حيث زيّن لهم هذا الغرور ، كما زين إبليس لآدم ما جاءه به وقاسمه إنه له لمن الناصحين . وقرأ : ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ ﴾، [سورة فصلت : ٢٥] . قال : ذلك الزخرف .

* * *

٦/٨ وأما « الغرور » ، فإنه ما غرّ الإنسان فخدعه فصدّه عن الصواب إلى الخطأ، وعن الحق إلى الباطل[1] = وهو مصدر من قول القائل : « غررت فلاناً بكذا وكذا ، فأنا أغرُّه غروراً وغرًّا » ،[2] كالذى : –

١٣٧٨٠ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « غروراً » ، قال : يغرّون به الناسَ والجنّ .

* * *

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « ومن الحق » ، والجيد ما أثبت كما ترى .
(٢) انظر تفسير « الغرور » فيما سلف ٧ : ٩/٤٥٣ : ٢٢٤ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ (١١٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولو شئت ، يا محمد ، أن يؤمن الذين كانوا لأنبيائى أعداءً من شياطين الإنس والجن فلا ينالهم مكرهم ويأمنوا غوائلهم وأذاهم ، فعلتُ ذلك ، ولكنى لم أشأ ذلك ، لأبتلى بعضهم ببعض ، فيستحق كل فريق منهم ما سبق له فى الكتاب السابق = « فذرهم » ، يقول : فدعهم[1] = يعنى الشياطين الذين يجادلونك بالباطل من مشركى قومك ويخاصمونك بما يوحى إليهم أولياؤهم من شياطين الإنس والجن = « وما يفترون » ، يعنى : وما يختلقون من إفك وزور .[2]

يقول له صلى الله عليه وسلم : اصبر عليهم ، فإنى من وراء عقابهم على افترائهم على الله ، واختلاقهم عليه الكذبَ والزور .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « وكذلك جعلنا لكل نبىّ عدوًّا شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً » = « ولتصغى إليه » ، يقول جل ثناؤه : يوحى بعض هؤلاء الشياطين إلى بعض المزيَّن من القول

---

(١) انظر تفسير « ذر » فيما سلف ص : ٤٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الافتراء » فيما سلف : ١١ : ٥٣٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

بالباطل ، ليغرّوا به المؤمنين من أتباع الأنبياء فيفتنوهم عن دينهم = « ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة » ، يقول : ولتميل إليه قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة .

* * *

= وهو من «صغَوْت تَصْغَى وتصغُو» = والتنزيل جاء بـ «تصغَى» = «صَغْواً، وصُغُوًّا» ، وبعض العرب يقول : « صغيت » ، بالياء ، حكى عن بعض بنى أسد : «صَغيت إلى حديثه، فأنا أصغَى صُغِيًّا» بالياء، وذلك إذا ملت . يقال : « صَغْوِى معك » ، إذا كان هواك معه وميلك ، مثل قولهم : «ضِلَعِى معك». ويقال : « أصغيت الإناء » ، إذا أملته ليجتمع ما فيه ، ومنه قول الشاعر :[1]

تَرَى السَّفِيهَ بِهِ عَنْ كُلِّ مُحْكَمَةٍ زَيْغٌ ، وفيهِ إلَى التَّشْبِيهِ إصْغَاءُ[2]

ويقال للقمر إذا مال للغيوب : « صغا » و « أصغى » .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

* ذكر من قال ذلك :

١٣٧٨١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « ولتصغى إليه أفئدة » ، يقول : تزيغ إليه أفئدة .

١٣٧٨٢ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس فى قوله : « ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة » ، قال : لتميل .

١٣٧٨٣ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ،

---

(١) لم أعرف قائله .

(٢) اللسان (صغا) ، وأيضاً فى تفسير أبى حيان ٤ : ٢٠٥ ، والقرطبى ٧ : ٦٩ ، وفى اللسان والقرطبى : « عن كل مكرمة » ، وكأن الصواب ما فى تفسير ابن جرير ، وأبى حيان ، وكأن الشاعر يريد الذين يتبعون ما تشابه من آيات كتاب الله ، ويعرضون عن المحكم من آياته .

حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة » ، يقول : تميل إليه قلوبُ الكفار ، ويحبونه ، ويرضون به .

١٣٧٨٤ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة » ، قال : « ولتصغى » ، وليهووا ذلك وليرضوه . قال: يقول الرجل للمرأة : « صَغَيْتِ إليها »، هَوِيتها .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ (١١٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وليكتسبوا من الأعمال ما هم مكتسبون .

* * *

حكى عن العرب سماعاً منها :«خرج يقترف لأهله» ، بمعنى يكسب لهم . ومنه قيل : «قارف فلان هذا الأمر » ، إذا واقعه وعمله .

وكان بعضهم يقول : : هو التهمة والادعاء . يقال للرجل:« أنت قَرَفْتَنى »، أى : اتّهمتنى . ويقال : « بئسما اقترفتَ لنفسك » ، وقال رؤبة : ٧/٨

أَعْنِي اقْتِرَافُ الكَذِبِ المَقْرُوفِ تَقْوَى التَّقِي وعِفَّةَ العَفِيفِ(١)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله : « وليقترفوا » ، قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٧٨٥ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « وليقترفوا ما هم مقترفون » ، وليكتسبوا ما هم مكتسبون

---

(١) ليسا فى ديوانه ، وهما فى مجاز القرآن ١ : ٢٠٥ .

١٣٧٨٦ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وليقترفوا ما هم مقترفون » ، قال : ليعملوا ما هم عاملون .

١٣٧٨٧ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وليقترفوا ما هم مقترفون » ، قال: ليعملوا ما هم عاملون .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء العادلين بالله الأوثان والأصنام، القائلين لك : « كفَّ عن آلهتنا، ونكف عن إلهك » : إن الله قد حكم علىّ بذكر آلهتكم بما يكون صدًّا عن عبادتها = « أفغير الله أبتغى حكماً » ، أى : قل: فليس لى أن أتعدَّى حكمه وأتجاوزه، لأنه لا حَكَمَ أعدل منه ، ولا قائل أصدق منه[1] = « وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلاً » ، يعنى القرآن = «مفصَّلاً » ، يعنى : مبيناً فيه الحكم فيما تختصمون فيه من أمرى وأمركم .

* * *

وقد بينا معنى : « التفصيل » ، فيما مضى قبل .[2]

---

(١) انظر تفسير « الحكم » فيما سلف من فهارس اللغة (حكم) .
(٢) انظر تفسير « التفصيل » فيما سلف ١١ : ٣٩٤ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ (١١٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن أنكر هؤلاء العادلون بالله الأوثان من قومك توحيدَ الله ، وأشركوا معه الأندادَ ، وجحدوا ما أنزلته إليك ، وأنكروا أنّ يكون حقاً وكذّبوا به = فالذين آتيناهم الكتاب ، وهو التوراة والإنجيل من بنى إسرائيل = « يعلمون أنه منزل من ربّك » ، يعنى القرآن وما فيه = « بالحق » يقول : فصلاً بين أهل الحق والباطل ، يدلُّ على صدق الصادق على الله ،[1] وكذبِ الكاذب المفترى عليه = « فلا تكونن من الممترين » ، يقول : فلا تكونن ، يا محمد ، من الشاكين فى حقيقة الأنباء التى جاءتك من الله فى هذا الكتاب ، وغيرِ ذلك مما تضمنه ، لأن الذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنّه منزل من ربك بالحق .

* * *

وقد بينا فيما مضى ما وجه قوله : « فلا تكونن من الممترين » ، بما أغنى عن إعادته ، مع الرواية المروية فيه ،[2] وقد : —

١٣٧٨٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « فلا تكونن من الممترين » ، يقول : لا تكونن فى شك مما قصصنا عليك .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « الصادق فى علم الله » ، وفى المخطوطة : « الصادق علم الله » ، والصواب ما أثبت .

(٢) انظر تفسير « الامتراء » فيما سلف ٣ : ١٩٠ — ١٩٢/٦ : ٤٧٢ ، ٤٧٣/١١ : ٢٦٠

القول فى تأويل قوله ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (١١٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وكملت= «كلمة ربك» ، يعنى القرآن .

* * *

سماه « كلمة » ، كما تقول العرب للقصيدة من الشعر يقولها الشاعر : « هذه كلمة فلان » .(١)

* * *

= « صدقاً وعدلاً » ، يقول : كملت كلمة ربك من الصدق والعدل .

* * *

و «الصدق » و « العدل » نصبا على التفسير للكلمة ، كما يقال : «عندى عشرون درهماً» .(٢)

* * *

= « لا مبدِّل لكلماته » ، يقول : لا مغيِّر لما أخبر فى كتبه أنه كائن ، من وقوعه فى حينه وأجله الذى أخبر الله أنه واقع فيه ،(٣) وذلك نظير قوله جل ثناؤه ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ﴾ ، [سورة الفتح : ١٥] . فكانت إرادتهم تبديل كلام الله ، مسألتهم نبيَّ الله أن يتركهم يحضرون الحرب معه ، وقولهم له ولمن معه من المؤمنين : ﴿ ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ﴾ ، بعد الخبر الذى كان الله أخبرهم تعالى ذكره فى كتابه بقوله : ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا مَعِىَ عَدُوًّا ﴾ الآية ، [سورة التوبة : ٨٣] ، فحاولوا تبديل كلام الله وخبره بأنهم لن يخرجوا ٨/٨

(١) انظر تفسير « الكلمة » فيما سلف ٣ : ٧ – ٦/١٧ : ٣٧١ ، ٤١٠ – ٤١٢ / ٨ : ٩/٤٣٢ : ١٠/٤١٠ : ١٢٩ ، ٣١٣ .

(٢) « التفسير » ، هو « التمييز » ، انظر فهارس المصطلحات فيما سلف .

(٣) انظر تفسير « التبديل » فيما سلف ١١ : ٣٣٥ ، وفهارس اللغة (بدل) .

مع نبي الله فى غَزَاةٍ ، ولن يقاتلوا معه عدوًّا بقولهم لهم : « ذرونا نتبعكم » ، فقال الله جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « يريدون أن يبدلوا » = بمسألتهم إياهم ذلك = كلامَ الله وخبره : « قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل » . فكذلك معنى قوله : « لا مبدِّل لكلماته » ، إنما هو لا مغيِّر لما أخبرَ عنه من خبر أنه كائن ، فيبطل مجيئه وكونه ووُقُوعه على ما أخبرَ جل ثناؤه ، لأنه لا يزيد المفترون فى كتب الله ولا ينقصون منها . وذلك أن اليهود والنصارى لا شك أنهم أهلُ كتب الله التى أنزلها على أنبيائه ، وقد أخبر جل ثناؤه أنهم يحرِّفون غيرَ الذى أخبر أنَّه لا مبدِّل له .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٧٨٩ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته » ، يقول : صدقاً وعدلاً فيما حكَم .

* * *

وأما قوله : « وهو السميع العليم » ، فإن معناه : والله « السميع » ، لما يقول هؤلاء العادلون بالله ، المقسمون بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ، وغير ذلك من كلام خلقه = « العليم » ، بما تؤول إليه أيمانهم من برٍّ وصدق وكذب وحِنْثٍ ، وغير ذلك من أمور عباده .(١)

* * *

(١) انظر تفسير « السميع » و « العليم » فيما سلف من فهارس اللغة (سمع) و (علم) .

* * *

وعند هذا الموضع ، انتهى جزء من التقسيم القديم الذى نقلت عنه نسختنا ، وفيها ما نصه :

القول فى تأويل قوله ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (١١٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : لا تطع هؤلاء العادلين بالله الأنداد ، يا محمد ، فيما دعوك إليه من أكل ما ذبحوا لآلهتهم ، وأهلُّوا به لغير ربهم ، وأشكالهم من أهل الزيغ والضلال ، فإنك إن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن دين الله ، ومحجة الحق والصواب ، فيصدّوك عن ذلك .

وإنما قال الله لنبيه : « وإن تطع أكثر من فى الأرض » ، من بنى آدم ، لأنهم كانوا حينئذ كفاراً ضلالاً ، فقال له جل ثناؤه : لا تطعهم فيما دعوك إليه ، فإنك إن تطعهم ضللت ضلالهم ، وكنتَ مثلهم ، لأنهم لا يدعونك إلى الهدى وقد أخطأوه . ثم أخبر جل ثناؤه عن حال الذين نَهَى نبيه عن طاعتهم فيما دعوه إليه فى أنفسهم ، فقال : « إن يتبعون إلاّ الظن » ، فأخبر جل ثناؤه أنهم من أمرهم على ظن عند أنفسهم ، وحسبان على صحة عزمٍ عليه ،[1] وإن

« يتلوه القول فى تأويل قوله :

وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِى الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ

وصلى الله على محمد النبى وآله وصحبه وسلم كثيراً »

ثم يتلو ما نصه :

« بِسْمِ الله الرحمن الرحيم

رَبِّ وَفِّقْ وأَعِنْ »

(١) هكذا فى المطبوعة والمخطوطة ، وأنا فى شك من صوابه .

كان خطأ فى الحقيقة = « وإن هم إلا يخرصون » ، يقول : ما هم إلاّ متخرّصون ، يظنون ويوقعون حَزْرًا ، لا يقينَ علمٍ .(١)

* * *

يقال منه : « خرَصَ يخرُصُ خَرْصاً وخروصاً » ،(٢) أى كذب ، و« تخرّص بظن » ، و « تخرّص بكذب » ، و « خرصتُ النخل أخرُصه » ، و « خَرِصَتْ إبلك » ، أصابها البردُ والجوع .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عن سبيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (١١٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، إن ربك الذى نهاك أن تطيع هؤلاء العادلين بالله الأوثانَ ، لئلا يُضِلوك عن سبيله ، هو أعلم منك ومن جميع خلقه أىُّ خلقه يَضلّ عن سبيله بزخرف القول الذى يوحِى الشياطين بعضُهم إلى بعض ، فيصدُّوا عن طاعته واتباع ما أمر به = « وهو أعلم بالمهتدين » ، يقول : وهو أعلم أيضاً منك ومنهم بمن كان على استقامة وسدادٍ ، لا يخفى عليه منهم أحد . يقول : واتبع ، يا محمد ، ما أمرتك به ، وانته عما نهيتك عنه من طاعة من نهيتك عن طاعته ، فإنى أعلم بالهادى والمضلّ من خلقى ، منك .

* * *

واختلف أهل العربية فى موضع : « مَن » فى قوله : « إن ربك هو أعلم من يضل » .

---

(١) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٠٦ .

(٢) فى المطبوعة : « خرصا وخرصا » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، ولم أجد « خروصاً » ، مصدراً لهذا الفعل ، فى شىء مما بين يدى من كتب اللغة ، ولكن ذكره أبو حيان فى تفسيره أيضاً ٤ : ٢٠٥ .

٩/٨ فقال بعض نحويي البصرة: موضعه خفض بنيّة « الباء» . قال: ومعنى الكلام: إن ربك هو أعلم بمن يضِلُّ . (١)

* * *

وقال بعض نحويي الكوفة : موضعه رفع ، لأنه بمعنى « أيّ » ، والرافع له « يضلّ » . (٢)

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أنه رفع بـ« يضل »، وهو فى معنى « أيّ » . وغير معلوم فى كلام العرب اسم مخفوض بغير خافض، فيكون هذا له نظيراً .

* * *

وقد زعم بعضهم أن قوله : « أعلم » ، فى هذا الموضع بمعنى « يعلم » ، واستشهد لقيله ببيت حاتم الطائى :

فَحَالَفَتْ طَيِّئٌ مِنْ دُونِنَا حِلِفاً وَاللهُ أَعْلَمُ ما كُنَّا لَهُمْ خُذُلاَ (٣)

وبقول الخنساء :

القَوْمُ أَعْلَمُ أَنَّ جَفْنَتَهُ تَغْدُو غَدَاةَ الرِّيحِ أَوْ تَسرى (٤)

---

(١) انظر ما سلف ١١ : ٥٦٠ ، تعليق : ١ ، وأن قائله هو الأخفش .

(٢) انظر تفصيل ذلك فى معانى القرآن للفراء ١ : ٣٥٢ ، وهذا قول الفراء .

(٣) البيت ليس فى ديوان حاتم ، وهو فى تفسير القرطبى ٧ : ٧٢ ، عن هذا الموضع من تفسير أبى جعفر : وقوله : « حلف » هو بكسر الحاء واللام ، ألحق اللام كسرة الحاء لضرورة الشعر . ولو قال « حلفا » (بفتح الحاء وكسر اللام) وهو مصدر « حلف يحلف » مثل « الحلف » (بكسر فسكون) ، لكان صواباً ، لأن « الحلف » الذى هو العهد ، إنما سمى « حلفاً » بمصدر « حلف » بمعنى أقسم ، لأن العهد يوثق باليمين والقسم .

(٤) ديوانها : ١٠٤ ، فى رثاء أخيها صخر ، وبعده :

فَإِذَا أَضَاءَ وَجَاشَ مِرْجَلُهُ فَلَنِعْمَ رَبُّ النَّارِ وَالقِدْرِ

وقولها : «تغدو » ، أى تغدو على قومه وضيوفه . و « غداة الريح » ، أى غدوة فى زمن الشتاء ، فى زمان القحط وقلة الألبان ، « وتسرى » . يعنى فى الليل . وقولها : « أضاء » ، أى أوقد ناره لتوضع عليها القدور ، ويراها الضيفان .

وهذا الذى قاله قائل هذا التأويل ، وإن كان جائزاً فى كلام العرب ، فليس قولُ الله تعالى ذكره : « إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله» ، منه. وذلك أنه عطف عليه بقوله: « وهو أعلم بالمهتدين » ، فأبان بدخول « الباء » فى « المهتدين » أن « أعلم » ليس بمعنى «يعلم» ، لأن ذلك إذا كان بمعنى « يفعل » ، لم يوصل بالباء ، كما لا يقال : « هو يعلم بزيد » ، بمعنى : يعلم زيداً .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١١٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين به وبآياته : « فكلوا » ، أيها المؤمنون ، مما ذكّيتم من ذبائحكم وذبحتموه الذبح الذى بينت لكم أنه تحلّ به الذبيحة لكم ، وذلك ما ذبحه المؤمنون بى من أهل دينكم دين الحق ، أو ذبحه من دان بتوحيدى من أهل الكتاب ، دون ما ذبحه أهل الأوثان ومن لا كتاب له من المجوس = « إن كنتم بآياته مؤمنين » ، يقول : إن كنتم بحجج الله التى أتتكم وأعلامه ، بإحلال ما أحللت لكم ، وتحريم ما حرمت عليكم من المطاعم والمآكل ، مصدّقين . ودَعوا عنكم زخرف ما توحيه الشياطين بعضها إلى بعض من زخرف القول لكم ، وتلبيس دينكم عليكم غروراً .

* * *

وكان عطاء يقول فى ذلك ما : —

١٣٧٩٠ — حدثنا به محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ، حدثنا أبو عاصم قال ، أخبرنا ابن جريج قال ، قلت لعطاء قوله : « فكلوا مما ذكر اسم الله عليه » ، قال : يأمر بذكر اسمه على الشراب والطعام والذبح . وكل شىء يدلّ على ذكره يأمر به .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل العلم بكلام العرب فى تأويل قوله : « وما لكم أن لا تأكلوا » .

فقال بعض نحويي البصريين : معنى ذلك: وأى شىء لكم فى أن لا تأكلوا. قال : وذلك نظير قوله : ﴿ وَمَا لَنَا أَنْ لَا نُقَاتِلَ ﴾، [سورة البقرة : ٢٤٦]. يقول : أىّ شىء لنا فى ترك القتال ؟ قال : ولو كانت « لا » ، زائدة لا يقع الفعل . (١) ولو كانت فى معنى : « وما لنا وكذا » ، لكانت : وما لنا وأن لا نقاتل .

* * *

وقال غيره : إنما دخلت « لا » للمنع ، لأن تأويل « مالك » ، « وما منعك » واحد . « ما منعك لا تفعل ذلك »، و«ما لك لا تفعل » ، واحد . فلذلك دخلت « لا » . قال : وهذا الموضع تكون فيه « لا » ، وتكون فيه « أنْ » ، مثل قوله : ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾، [سورة النساء : ١٧٦] ،و«أن لا تضلوا »، يمنعكم من الضلال بالبيان .(٢)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك بالصواب عندى ، قولُ من قال : معنى قوله : « وما لكم » ، فى هذا الموضع : وأىُّ شىء يمنعكم أن تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه . وذلك أنّ الله تعالى ذكره تقدّم إلى المؤمنين بتحليل ما ذكر اسم الله عليه ، وإباحة أكل ما ذبح بدينه أو دين من كان يدين ببعض شرائع كتبه

---

(١) قوله : « لا يقع الفعل » ، أى لا يتعدى ، « الوقوع » ، التعدى .

(٢) استوفى أبو جعفر بحث هذا فيما سلف ٥ : ٣٠٠ – ٣٠٥ ، والفراء فى معانى القرآن ١ : ١٦٣ – ١٦٦ ، ولم يشر إلى ذلك أبو جعفر كعادته فيما سلف .

المعروفة ، وتحريم ما أهلّ به لغيره ، من الحيوان = وزجرهم عن الإصغاء لما يوحى ١٠/٨
الشياطين بعضهم إلى بعض من زخرف القول فى الميتة والمنخنقة والمتردية ، وسائر ما حرم الله من المطاعم . ثم قال : وما يمنعكم من أكل ما ذبح بدينى الذى ارتضيته ، وقد فصّلت لكم الحلال من الحرام فيما تطعمون، وبينته لكم بقولى:[1] ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ ، إلى قوله: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾، [سورة المائدة : ٣] ، فلا لبس عليكم فى حرام ذلك من حلاله ، فتتمنعوا من أكل حلاله حذراً من مواقعة حرامه .

فإذ كان ذلك معناه، فلا وجه لقول متأوّلى ذلك : « وأى شىء لكم فى أن لا تأكلوا » ، لأن ذلك إنما يقال كذلك ، لمن كان كف عن أكله رجاء ثواب بالكفّ عن أكله ، وذلك يكون ممن آمن بالكفّ فكف اتّباعاً لأمر الله وتسليماً لحكمه . ولا نعلم أحداً من سلف هذه الأمة كفّ عن أكل ما أحل الله من الذبائح رجاء ثواب الله على تركه ذلك ، واعتقاداً منه أن الله حرمه عليه . فبيّنٌ بذلك ، إذ كان الأمر كما وصفنا ، أن أولى التأويلين فى ذلك بالصواب ما قلنا .

* * *

وقد بينا فيما مضى قبل أن معنى قوله: « فصّل » ، و« فصلنا » ، و« فُصّل » بيّن أو بُيّن، بما يغنى عن إعادته فى هذا الموضع[2] كما : —

١٣٧٩١ — حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة : « وقد فصل لكم ما حرم عليكم » ، يقول : قد بين لكم ما حرم عليكم .

١٣٧٩٢ — حدثنى يونس قال : أخبرنا ابن وهب، عن ابن زيد ، مثله .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « بقوله » ، وفى المخطوطة : « بقول » ، وصواب قراءتها ما أثبت .

(٢) انظر تفسير « التفصيل » فيما سلف ص: ٦٠، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك ، وانظر فهارس اللغة (فصل)

واختلفت القرأة فى قول الله جل ثناؤه : « وقد فصل لكم ما حرم عليكم » .

فقرأه بعضهم : بفتح أول الحرفين من : ﴿ فَصَّلَ ﴾ و ﴿ حَرَّمَ ﴾ ، أى : فصّل ما حرّمه من مطاعمكم ، فبيّنه لكم .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفيين : ﴿ وَقَدْ فَصَّلَ ﴾ بفتح فاء «فصل» وتشديد صاده ، ﴿ مَا حُرِّمَ ﴾ ، بضم حائه وتشديد رائه ، بمعنى : وقد فصل الله لكم المحرَّم عليكم من مطاعمكم .

* * *

وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض البصريين : ﴿ وَقَدْ فُصِّلَ لَكُمْ ﴾ ، بضم فائه وتشديد صاده ، ﴿ مَا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ ، بضم حائه وتشديد رائه ، على وجه ما لم يسمَّ فاعله فى الحرفين كليهما .

* * *

وروى عن عطية العوفى أنه كان يقرأ ذلك : ﴿ وَقَدْ فَصَلَ ﴾ ، بتخفيف الصاد وفتح الفاء ، بمعنى : وقد أتاكم حكم الله فيما حَرَّم عليكم .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال : إن كل هذه القراءات الثلاث التى ذكرناها ، سوى القراءة التى ذكرنا عن عطية ، قراءات معروفات مستفيضةٌ القراءةُ بها فى قرأة الأمصار ، وهن متّفقات المعانى غير مختلفات ، فبأىٍّ ذلك قرأ القارئ فمصيبٌ فيه الصوابَ .

* * *

وأما قوله : « إلا ما اضطررتم إليه » ، فإنه يعنى تعالى ذكره : أن ما اضطررنا إليه من المطاعم المحرّمة التى بيّن تحريمها لنا فى غير حال الضرورة ، لنا حلال ما كنا إليه مضطرين ، حتى تزول الضرورة ، [1] كما : —

---

(١) انظر تفسير « اضطر » فيما سلف ٣ : ٥٦ ، ٣٢٢ / ٩ : ٥٣٢

١٣٧٩٣ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « إلا ما اضطررتم إليه » ، من الميتة .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ (١١٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: وإن كثيراً من الناس [الذين] يجادلونكم فى أكل ما حرم الله عليكم،[1] أيها المؤمنون بالله ، من الميتة ، ليُضلون أتباعهم بأهوائهم من غير علم منهم بصحة ما يقولون، ولا برهان عندهم بما فيه يجادلون ، إلا ركوباً منهم لأهوائهم ، واتباعاً منهم لدواعى نفوسهم ، اعتداءً وخلافاً لأمر الله ونهيه ، وطاعة للشياطين [2] =« إن ربك هو أعلم بالمعتدين » ، يقول : إن ربك ، يا محمد ، الذى أحل لك ما أحل وحرم عليك ما حرم ، هو أعلم بمن اعتدى حدوده فتجاوزها إلى خلافها ، وهو لهم بالمرصاد .[3]

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « ليضلون » .

فقرأته عامة أهل الكوفة : ﴿ لَيُضِلُّونَ ﴾، بمعنى : أنهم يضلون غيرهم . ١١/٨

* * *

وقرأ ذلك بعض البصريين والحجازيين : ﴿ لَيَضِلُّونَ ﴾، بمعنى : أنهم هم الذين يضلون عن الحق فيجورون عنه .

* * *

---

(١) الزيادة بين القوسين ، يقتضيها السياق .

(٢) انظر تفسير «الأهواء» فيما سلف من فهارس اللغة (هوى)
= وتفسير « الضلال » فى فهارس اللغة (ضلل)

(٣) انظر تفسير « الاعتداء » فيما سلف من فهارس اللغة (عدا)

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب في ذلك ، قراءةُ من قرأ : ﴿ وَإِنَّ كَثِيراً لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ ﴾ ، بمعنى : أنهم يضلون غيرهم . وذلك أن الله جل ثناؤه أخبرَ نبيه صلى الله عليه وسلم عن إضلالهم من تبعهم ، ونهاه عن طاعتهم واتباعهم إلى ما يدعونه إليه ، فقال : ﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ ﴾ ، ثم أخبر أصحابه عنهم بمثل الذى أخبره عنهم ، ونهاهم من قبول قولهم عن مثل الذى نهاه عنه ، فقال لهم : وإن كثيراً منهم ليضلونكم بأهوائهم بغير علم = نظيرَ الذى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : « وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ودعوا ، أيها الناس ،[1] علانية الإثم ، وذلك ظاهره = وسرّه ، وذلك باطنه ، كذلك : —

١٣٧٩٤ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : «وذروا ظاهر الإثم وباطنه » ، أى : قليله وكثيره ، وسرّه وعلانيته .

١٣٧٩٥ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « وذروا ظاهر الإثم وباطنه » ، قال : سره وعلانيته .

١٣٧٩٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس فى قوله : « وذروا ظاهر الإثم وباطنه » ، يقول : سره وعلانيته = وقوله : ﴿ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ ، [سورة الأعراف : ٣٣] ، قال : سره وعلانيته .

١٣٧٩٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى

---

(١) انظر تفسير « ذر » فيما سلف ص : ٥٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس فى قوله : « وذروا ظاهر الإثم وباطنه » ، قال : نهى الله عن ظاهر الإثم وباطنه ، أن يعمل به سرًّا أو علانية ، وذلك ظاهره وباطنه .

١٣٧٩٨ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وذروا ظاهر الإثم وباطنه » ، معصية الله فى السر والعلانية .

١٣٧٩٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج،عن مجاهد : « وذروا ظاهر الإثم وباطنه » ، قال : هو ما ينوى مما هو عامل .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بالظاهر من الإثم والباطن منه ، فى هذا الموضع .

فقال بعضهم : « الظاهر منه » ، ما حرم جل ثناؤه بقوله: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾، [سورة النساء : ٢٢] ،وقوله:﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ الآية ، [سورة النساء : ٢٣] ،و« الباطن منه »، الزنا .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٠٠ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحجاج قال، حدثنا حماد ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير فى قوله : « وذروا ظاهر الإثم وباطنه » ، قال: الظاهر منه: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ والأمهات والبنات والأخوات = و « الباطن »، الزنا .

* * *

وقال آخرون : «الظاهر »، أولات الرايات من الزوانى ، (١) «والباطن»، ذوات الأخدان.

---

(١) « أولات الرايات » ، البغايا فى الجاهلية ، كن ينصبن رايات عند خيامهن أو عند بيوتهن ، يعرفن بها .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٠١ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وذروا ظاهر الإثم وباطنه » أما « ظاهره » ، فالزوانى فى الحوانيت ،وأما « باطنه » ، فالصديقة يتخذها الرجل فيأتيها سرًّا .

١٣٨٠٢ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال، حدثنى عبيد بن سليمان قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾، [سورة الأنعام : ١٥١] . كان أهل الجاهلية يستسرُّون بالزنا، ويرون ذلك حلالاً ما كان سرًّا. فحرّم الله السر منه والعلانية =«ما ظهر منها » ، يعنى العلانية = « وما بطن » ، يعنى : السر .

١٣٨٠٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى، عن أبى مكين وأبيه ، عن خصيف،عن مجاهد : ﴿ لاَ تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾،قال : « ما ظهر منها » ، الجمع بين الأختين ، وتزويج الرجل امرأة أبيه من بعده = « وما بطن » ، الزنا . ١٢/٨

* * *

وقال آخرون : « الظاهر » ، التعرّى والتجرد من الثياب ، وما يستر العورة فى الطواف = و« الباطن » ، الزنا .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٠٤ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ ، قال : ظاهره العُرْيَة التى كانوا يعملون بها حين يطوفون بالبيت ،(١) وباطنه الزنا .

* * *

(١) « العرية » (بضم العين وسكون الراء) ، مصدر « عرى من ثوبه يعرى عرياً وعرية » ، يقال : « جارية حسنة العرية ، وحسنة المعرى والمعراة » ، أى حسنة عند تجريدها من ثيابها .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال : إن الله تعالى ذكره تقدم إلى خلقه بترك ظاهر الإثم وباطنه ، وذلك سره وعلانيته . و «الإثم» كل ما عُصِي الله به من محارمه ، (١) وقد يدخل فى ذلك سرُّ الزنا وعلانيته ، ومعاهرة أهل الرايات وأولات الأخدان منهن ، ونكاحُ حلائل الآباء والأمهات والبنات ، والطواف بالبيت عرياناً ، وكل معصية لله ظهرت أو بطنت . وإذ كان ذلك كذلك، وكان جميعُ ذلك « إثماً »،وكان الله عمّ بقوله: « وذروا ظاهر الإثم وباطنه » ، جميع ما ظهر من الإثم وجميع ما بطن = لم يكن لأحد أن يخصّ من ذلك شيئاً دون شيء ، إلا بحجة للعذر قاطعة .

غير أنه لو جاز أن يوجَّه ذلك إلى الخصوص بغير برهان ، كان توجيهه إلى أنه عنى بظاهر الإثم وباطنه فى هذا الموضع ، ما حرم الله من المطاعم والمآكل من الميتة والدم ، وما بين الله تحريمه فى قوله : « حرمت عليكم الميتة » ، إلى آخر الآية ، أولى ، إذ كان ابتداء الآيات قبلها بذكر تحريم ذلك جرى ، وهذه فى سياقها . ولكنه غير مستنكر أن يكون عنى بها ذلك ، وأدخل فيها الأمر باجتناب كل ما جانسه من معاصى الله ، فخرج الأمر عامًّا بالنهى عن كل ما ظهر أو بطن من الإثم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴾ (١٢٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: إن الذين يعملون بما نهاهم الله عنه ،

(١) انظر تفسير « الإثم » فيما سلف من فهارس اللغة (أثم)

ويركبون معاصيَ الله، ويأتون ما حرَّم الله = « سيجزون »، يقول: سيثيبهم الله يوم القيامة بما كانوا فى الدنيا يعملون من معاصيه .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ (١٢١)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه: « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه»، لا تأكلوا، أيها المؤمنون، مما مات فلم تذبحوه أنتم، أو يذبحه موحِّدٌ يدين لله بشرائع شرَعها له فى كتاب منزل، فإنه حرام عليكم = ولا ما أهل به لغير الله مما ذبَحه المشركون لأوثانهم ، فإن أكل ذلك « فسق » ، يعنى : معصية كفر .(٢)

* * *

فكنى بقوله : « وإنه » ، عن « الأكل » ، وإنما ذكر الفعل ،(٣) كما قال: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا ﴾ ، [سورة آل عمران ١٧٣] يراد به ، فزاد قولهم ذلك إيماناً ، فكنى عن « القول » ، وإنما جرى ذكره بفعلٍ .(٤)

* * *

---

(١) انظر تفسير « كسب » فيما سلف من فهارس اللغة (كسب)
= وتفسير « الجزاء » فيما سلف من فهارس اللغة (جزا)
= وتفسير « اقترف » فيما سلف ص : ٥٩ ، ٦٠

(٢) انظر تفسير « الفسق » فيما سلف ١١ : ٣٧٠ ؛ تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) « الفعل » ، هو المصدر .

(٤) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٥٢ .

= « وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم » .[١]

اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بقوله : « وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم » ، فقال بعضهم : عنى بذلك شياطين فارسَ ومن على دينهم من المجوس = « إلى أوليائهم » ، من مردة مشركى قريش، يوحون إليهم زخرف القول ، بجدالِ نبى الله وأصحابه فى أكل الميتة .[٢]

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٠٥ – حدثنى عبد الرحمن بن بشر بن الحكم النيسابورى قال، حدثنا موسى بن عبد العزيز القنبارىّ قال ، حدثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة : لما نزلت هذه الآية ، تحريم الميتة ، قال : أوحت فارس إلى أوليائها من قريشٍ أنْ خاصموا محمداً = وكانت أولياءهم فى الجاهلية[٣] = وقولوا له : أوَ ما ذبحتَ فهو حلال ، وما ذَبح الله[٤] = قال ابن عباس : بِشمْشَارٍ من ذهب[٥] = فهو حرام ! ! فأنزل الله هذه الآية : « وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم » ، قال الشياطين : فارس ، وأولياؤهم قريش .[٦] ١٣/٨

---

(١) انظر تفسير « الوحى » فيما سلف من فهارس اللغة (وحى)

(٢) فى المطبوعة : « يوحون إليهم زخرف القول ليصل إلى نبى الله وأصحابه فى أكل الميتة » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، فاجتهد اجتهاداً ضرب على الجملة فساداً لا تعرف له غاية . وكان فى المخطوطة : « . . . زخرف القول يحد إلى نبى الله » ، غير منقوطة ، وهذا صواب قراءتها .

(٣) يعنى : وكانت قريش أولياء فارس وأنصارهم فى الجاهلية ، وهى جملة معترضة وضعتها بين خطين .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « إن ما ذبحت » ، كأنه خبر ، وهو استفهام واستنكار أن تكون ذبيحة الخلق حلالا ، وذبيحة الله – فيما يزعمون ، وهى الميتة – حراماً .

(٥) « شمشار » ، وفى تفسير ابن كثير ٣ : ٣٨٩ : « بشمشير » ، وتفسيره فى خبر آخر يدل على أن « الشمشار » أو « الشمشير » ، هو السكين أو النصل، انظر رقم : ١٣٨٠٦ ، وكأن هذا كان من عقائد المجوس ، أن الميتة ذبيحة الله ، ذبحها بشمشار من ذهب ! !

(٦) الأثر : ١٣٨٠٥ – « عبد الرحمن بن بشر بن الحكم العبدى النيسابورى » ، ثقة ، صدوق من شيوخ البخارى وأبى حاتم . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٢/٢/٢١٥ .

و « موسى بن عبد العزيز اليمانى العدنى القنبارى» ، لا بأس به ، متكلم فيه . مترجم فى التهذيب ،

١٣٨٠٦ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال عمرو بن دينار ، عن عكرمة : إن مشركي قريش كاتبوا فارس على الروم وكاتبتهم فارس ، وكتبت فارسُ إلى مشركي قريش : « إن محمداً وأصحابه يزعمون أنهم يتبعون أمر الله ، فما ذبح الله بسكين من ذهب فلا يأكله محمد وأصحابه = للميتة = وأمّا ما ذبحوا هم يأكلون » ! وكتب بذلك المشركون إلى أصحاب محمد عليه السلام ، فوقع في أنفس ناس من المسلمين من ذلك شيء ، فنزلت : « وإنه لفسقٌ وإن الشياطين ليوحون » الآية، ونزلت : ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُوراً ﴾ ، [سورة الأنعام: ١١٢].

* * *

وقال آخرون : إنما عنى بالشياطين الذين يغرُون بني آدم : أنهم أوحوا إلى أوليائهم من قريش .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٠٧ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن عنبسة ، عن سماك ، عن عكرمة قال : كان ممّا أوحى الشياطين إلى أوليائهم من الإنس : كيف تعبدون شيئاً لا تأكلون مما قتَل ، وتأكلون أنتم ما قتلتم ؟ فرُوِي الحديث حتى بلغ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فنزلت : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » .

١٣٨٠٨ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : قوله : « وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم » ، قال : إبليسُ الذي يُوحي إلى مشركي قريش = قال ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس قال : شياطين الجن يوحون إلى شياطين الإنس : « يوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم » = قال ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير

والكبير للبخاري ٤/١/٢٩٢ ، ولم يذكر فيه جرحاً ، وابن أبي حاتم ٤/١/١٥١ .

و « القنباري » نسبة إلى « القنبار » وهي حبال تفتل من ليف شجر النارجيل ، الذي يقال له : الجوز الهندي ، وتجر بحبال القنبار السفن لقوته .

قال : سمعت أنّ الشياطين يوحون إلى أهل الشرك ، يأمرونهم أن يقولوا : ما الذى يموتُ، وما الذى تذبحون إلاّ سواء ! يأمرونهم أن يخاصِمُوا بذلك محمداً صلى الله عليه وسلم = « وإن أطعتموهم إنكم لمشركون » ، قال : قولُ المشركين أمّا ما ذبح الله ، للميتة ، فلا تأكلون ، وأمّا ما ذبحتم بأيديكم فحلال !

١٣٨٠٩ — حدثنا محمد بن عمار الرازى قال، حدثنا سعيد بن سليمان قال ، حدثنا شريك، عن سماك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : إن المشركين قالوا للمسلمين : ما قتل ربّكم فلا تأكلون ، وما قتلتم أنتم تأكلونه ! فأوحى الله إلى نبيه صلى الله عليه وسلم : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ».(١)

١٣٨١٠ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : لما حرم الله الميتة ، أمر الشيطان أولياءَه فقال لهم : ما قتل الله لكم ، خيرٌ مما تذبحون أنتم بسكاكينكم ! فقال الله : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » .

١٣٨١١ — حدثنا يحيى بن داود الواسطى قال ، حدثنا إسحق بن يوسف الأزرق ، عن سفيان ، عن هرون بن عنترة ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : جادل المشركون المسلمين فقالوا : ما بال ما قتلَ الله لا تأكلونه ، وما قتلتم أنتم أكلتموه ! وأنتم تتبعون أمر الله ! فأنزل الله : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق » ، إلى آخر الآية .

١٣٨١٢ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عبيد الله، عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قوله : « وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم» ،

---

(١) الأثر : ١٣٨٠٩ — « محمد بن عمار بن الحارث الرازى » ، أبو جعفر ، روى عن إسحق ابن سليمان والسندى بن عبدويه ، ومؤمل بن إسماعيل ، وكتب عنه ابن أبى حاتم ، وقال : « وهو صدوق ثقة » . مترجم فى ابن أبى حاتم ٤ / ١ / ٤٣ .

« سعيد بن سليمان » ، لم أعرف من يكون فيمن يسمى بذلك ، وأخشى أن يكون صوابه : « إسحق بن سليمان الرازى » ، الذى ذكر ابن حبان أن « محمد بن عمار يروى عنه » .

يقولون : ما ذبح الله فلا تأكلوه ، وما ذبحتم أنتم فكلوه ! فأنزل الله : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » .

١٣٨١٣ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا الحسين بن واقد ، عن يزيد ، عن عكرمة : إن ناساً من المشركين دخلُوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : أخبرنا عن الشاة إذا ماتت ، من قتَلها ؟ فقال : اللهُ قتلها. قالوا : فتزعم أن ما قتلتَ أنت وأصحابُك حلالٌ ، وما قتله الله حرام ! فأنزل الله : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ». ١٤/٨

١٣٨١٤ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن الحضرميّ : أن ناساً من المشركين قالوا : أما ما قتل الصقر والكلب فتأكلونه ، وأما ما قتل الله فلا تأكلونه !

١٣٨١٥ — حدثنا المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين » ، قال : قالوا : يا محمد، أمّا ما قتلتم وذبحتم فتأكلونه، وأمّا ما قتل ربُّكم فتحرِّمونه ! فأنزل الله: « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإنّ الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون » ، وإن أطعتموهم فى أكل ما نهيتكم عنه ، إنكم إذاً لمشركون .

١٣٨١٦ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال، أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : قال المشركون : ما قتلتم فتأكلونه ، وما قتل ربكم لا تأكلونه ! فنزلت : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » .

١٣٨١٧ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وإن أطعتموهم إنكم لمشركون » ، قول المشركين : أما ما ذبح الله = للميتة = فلا تأكلون منه ، وأما ما ذبحتم بأيديكم فهو حلال !

١٣٨١٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٣٨١٩ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم » ، قال : جادلهم المشركون في الذبيحة فقالوا : أما ما قتلتم بأيديكم فتأكلونه ، وأما ما قتل الله فلا تأكلونه ! يعنون « الميتة » ، فكانت هذه مجادلتهم إياهم .

١٣٨٢٠ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق » الآية ، يعني عدوّ الله إبليس ، أوحى إلى أوليائه من أهل الضلالة فقال لهم : خاصموا أصحاب محمد في الميتة فقولوا : « أما ما ذبحتم وقتلتم فتأكلون ، وأما ما قتل الله فلا تأكلون ، وأنتم تزعمون أنكم تتبعون أمرَ الله » ! فأنزل الله على نبيه : « وإن أطعتموهم إنكم لمشركون » ، وإنا والله ما نعلمه كان شرك قط إلاّ بإحدى ثلاث : أن يدعو مع الله إلهاً آخر ، أو يسجد لغير الله ، أو يسمي الذبائح لغير الله .

١٣٨٢١ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » ، إن المشركين قالوا للمسلمين : كيف تزعمون أنكم تتبعون مرضاة الله، وما ذبح الله فلا تأكلونه ، وما ذبحتم أنتم أكلتموه ؟ فقال الله : لئن أطعتموهم فأكلتم الميتة ، إنكم لمشركون .

١٣٨٢٢ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله : « وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم » ، قال: كانوا يقولون : ما ذكر الله عليه وما ذبحتم فكلوا ! فنزلت: « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ».

١٣٨٢٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن عطاء ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » إلى قوله :

« ليجادلوكم » ، قال يقول : يوحى الشياطين إلى أوليائهم : تأكلون ما قتلتم ، ولا تأكلون مما قتل الله ! فقال : إن الذى قتلتم يذكر اسم الله عليه ، وإن الذى مات لم يذكر اسم الله عليه .

١٣٨٢٤ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك فى قوله : « وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم » ، هذا فى شأن الذبيحة . قال : قال المشركون للمسلمين : تزعمون أن الله حرم عليكم الميتة ، وأحل لكم ما تذبحون أنتم بأيديكم ، وحرم عليكم ما ذبح هو لكم ؟ وكيف هذا وأنتم تعبدونه ! فأنزل الله هذه الآية : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » ، إلى قوله : « لمشركون » . ١٥/٨

* * *

وقال آخرون : كان الذين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك قوماً من اليهود .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٢٥ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى وسفيان بن وكيع قالا ، حدثنا عمران ابن عيينة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس = قال ابن عبد الأعلى : خاصمت اليهودُ النبي صلى الله عليه وسلم = وقال ابن وكيع : جاءت اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم = فقالوا : نأكل ما قتلنا ، ولا نأكل ما قتل الله ! فأنزل الله : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : إن الله أخبر أنّ الشياطين يوحون إلى أوليائهم ليجادلوا المؤمنين فى تحريمهم أكل الميتة ، بما ذكرنا من جدالهم إياهم = وجائز أن يكون الموحون كانوا شياطين الإنس يوحون إلى أوليائهم منهم = وجائز أن يكونوا شياطين الجن أوحوا إلى أوليائهم من الإنس = وجائز أن يكون الجنسان كلاهما تعاونا على ذلك ، كما أخبر الله عنهما فى الآية

الأخرى التى يقول فيها: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً﴾ ، [سورة الأنعام: ١١٢]. بل ذلك الأغلب من تأويله عندى ، لأن الله أخبر نبيه أنه جعل له أعداء من شياطين الجن والإنس، كما جعل لأنبيائه من قبله ، يوحى بعضهم إلى بعض المزيَّنَ من الأقوال الباطلة ، ثم أعلمه أن أولئك الشياطين يوحون إلى أوليائهم من الإنس ليجادلوه ومن تبعه من المؤمنين فيما حرمَ الله من الميتة عليهم .

* * *

واختلف أهل التأويل فى الذى عنى الله جل ثناؤه بنهيه عن أكله مما لم يذكر اسم الله عليه .

فقال بعضهم : هو ذبائح كانت العرب تذبحها لآلهتها .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٢٦ — حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار قالا، حدثنا أبو عاصم قال ، أخبرنا ابن جريج قال : قلت لعطاء : ما قوله : « فكلوا مما ذكر اسم الله عليه » ؟ قال : يأمر بذكر اسمه على الشراب والطعام والذبح . قلت لعطاء : فما قوله : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » ؟ قال : ينهى عن ذبائح كانت فى الجاهلية على الأوثان ، كانت تذبحها العرب وقريش .

* * *

وقال آخرون : هى الميتة .(١)

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٢٧ — حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا : حدثنا جرير، عن عطاء

---

(١) هذه الترجمة : « وقال آخرون : هى الميتة » ، ليست فى المخطوطة ، ولكن إثباتها كما فى المطبوعة هو الصواب إن شاء الله .

ابن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ، قال: الميتة .

* * *

وقال آخرون : بل عنى بذلك كلَّ ذبيحة لم يذكر اسمُ الله عليها .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٢٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة، عن جَهير بن يزيد قال: سُئِل الحسن ،سأله رجل قال له: أُتيتُ بطيرٍ كَرَّى ،(١) فمنه ما ذبح فذكر اسم الله عليه ، ومنه ما نسى أن يذكر اسم الله عليه ، واختلط الطير ؟ فقال الحسن : كُلْه ،كله ! قال : وسألت محمد بن سيرين فقال : قال الله : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » . (٢)

١٣٨٢٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا الحجاج قال ، حدثنا حماد ، عن أيوب وهشام ، عن محمد بن سيرين ، عن عبد الله بن يزيد الخطمي قال : كلوا من ذبائح أهل الكتاب والمسلمين ، ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه .

١٣٨٣٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يزيد بن هرون ، عن أشعث ، عن ابن سيرين ، عن عبد الله بن يزيد قال ، كنت أجلس إليه في حلقة ، فكان يجلس فيها ناس من الأنصار هو رأسهم ، فإذا جاء سائل فإنما يسأله ويسكتون. قال : فجاءه رجل فسأله ، فقال : رجل ذبح فنسي أن يسمِّي؟ فتلا هذه الآية : ١٦/٨

---

(١) في المطبوعة : « بطير كذا » ، وهو خطأ لا شك فيه . وفي المخطوطة : « بطير كدى » برسم الدال ، وهو خطأ لا معنى له . والصواب ما أثبت « كرى » (بفتحتين) جمع « الكروان » وهو طائر بين الدجاجة والحمامة ، حسن الصوت، يؤكل لحمه . ذكر صاحب لسان العرب أنه يدعى الحجل والقبج ، والصحيح أنه ضرب من الطير شبيه به . ويقال له عند صيده « أطرق كرى ، أطرق كرى ، إن النعام في القرى » ، فيجبن ويلتصق بالأرض ، فيلقى عليه ثوب فيصاد .

(٢) الأثر : ١٣٨٢٨ – « جهير بن يزيد العبدي » ، حدث عن معاوية بن قرة، وابن سيرين. روى عنه أبو أسامة ، وموسى بن إسماعيل ، والقعنبي . وثقه يحيى بن معين وابن حبان ، وغيرهما . ولم يذكر فيه البخاري جرحاً . مترجم في تعجيل المنفعة : ٧٤ ، والكبير ١/٢/٢٥٣ ،وابن أبي حاتم ١/١/٥٤٧ قال ابن حجر : « جهير ، بصيغة التصغير ، وقيل : بوزن عظيم » .

« ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » ، حتى فرغ منها .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله عنى بذلك ما ذُبح للأصنام والآلهة ، وما مات أو ذبحه من لا تحلّ ذبيحته .

وأما من قال : « عنى بذلك : ما ذبحه المسلم فنسى ذكر اسم الله » ، فقول بعيد عن الصواب ، لشذوذه وخروجه عما عليه الحجة مجمعة من تحليله ، وكفى بذلك شاهداً على فساده . وقد بينا فساده من جهة القياس فى كتابنا المسمى : ﴿ لطيف القول فى أحكام شرائع الدين ﴾ ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع .

* * *

وأما قوله : « وإنه لفسق » ، فإنه يعنى : وإنّ أكْل ما لم يذكر اسم الله عليه من الميتة ، وما أهل به لغير الله ، لفسق .

* * *

واختلف أهل التأويل فى معنى : « الفسق » ، فى هذا الموضع .(١)

فقال بعضهم : معناه : المعصية .

فتأويل الكلام على هذا : وإنّ أكلَ ما لم يذكر اسم الله عليه لمعصية لله وإثم .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٣١ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وإنه لفسق » ، قال : « الفسق » ، المعصية .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : الكفر .

* * *

وأما قوله : « وإنّ الشياطين ليوحون إلى أوليائهم » ، فقد ذكرنا اختلاف

---

(١) انظر تفسير « الفسق » فيما سلف من فهارس اللغة (فسق) .

المختلفين فى المعنىّ بقوله : « وإن الشياطين ليوحون» ، والصوابَ من القول فيه = وأما إيحاؤهم إلى أوليائهم ، فهو إشارتهم إلى ما أشاروا لهم إليه: إما بقول ، وإما برسالة ، وإما بكتاب .

* * *

وقد بينا معنى : « الوحى » فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[1]

وقـــد : —

١٣٨٣٢ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا عكرمة ، عن أبى زُمَيل قال: كنت قاعداً عند ابن عباس، فجاءه رجل من أصحابه فقال: يا أبا عباس ، زعم أبو إسحق أنه أوحى إليه الليلة ! = يعنى المختار بن أبى عبيد = فقال ابن عباس : صدق ! فنفرت فقلت : يقول ابن عباس « صدق » ! فقال ابن عباس : هما وحيان ، وحى الله ، ووحى الشيطان ، فوحى الله إلى محمد ، ووحى الشياطين إلى أوليائهم . ثم قرأ: « وإنّ الشياطين ليوحون إلى أوليائهم » .[2]

* * *

وأما « الأولياء » ، فهم النصراء والظهراء ، فى هذا الموضع .[3]

* * *

ويعنى بقوله : « ليجادلوكم »، ليخاصموكم، بالمعنى الذى قد ذكرت قبل .[4]

* * *

وأما قوله : « وإن أطعتموهم إنكم لمشركون » ، فإنه يعنى : وإن أطعتموهم

---

(١) انظر تفسير « الوحى » فيما سلف ٩ : ٣٩٩ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) الأثر : ١٣٨٣٢ — « أبو زميل » هو : « سماك بن الوليد الحنفى » ، روى عن ابن عباس ، وابن عمر ، ومالك بن مرثد ، وعروة بن الزبير . روى عنه شعبة ، ومسعر ، وعكرمة بن عمار . وهو ثقة . مترجم التهذيب ، والكبير ٢/٢/١٧٤ ، وابن أبى حاتم ٢/١/٢٨٠ .

و « المختار بن أبى عبيد بن مسعود الثقفى »، كذاب متنبىء خبيث ، قتله الله بيد مصعب بن الزبير وأصحابه سنة ٦٧ من الهجرة ، وله خبر طويل فيه كذبه وما فعل ، وما فعل الناس به .

(٣) انظر تفسير « الولى » فيما سلف ١٠ : ٤٩٧ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « الجدال » فيما سلف من فهارس اللغة (جدل) .

فى أكل الميتة وما حرم عليكم ربكم ، كما : —

١٣٨٣٣ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « وإن أطعتموهم » ، يقول : وإن أطعتموهم فى أكل ما نهيتكم عنه .

١٣٨٣٤ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإن أطعتموهم » ، فأكلتم الميتة .

* * *

وأما قوله : « إنكم لمشركون » ، يعنى : إنكم إذاً مثلهم ، إذ كان هؤلاء يأكلون الميتة استحلالاً . فإذا أنتم أكلتموها كذلك ، فقد صرتم مثلهم مشركين .

* * *

قال أبو جعفر : واختلف أهل العلم فى هذه الآية ، هل نسخ من حكمها شى أم لا ؟

فقال بعضهم : لم ينسخ منها شىء ، وهى محكمة فيما عُنيت به . وعلى هذا قول عامة أهل العلم .(١)

* * *

وروى عن الحسن البصرى وعكرمة ، ما : —

١٣٨٣٥ — حدثنا به ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح ، عن الحسين ابن واقد ، عن يزيد، عن عكرمة والحسن البصرى قالا ، قال : « فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين * ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق »، فنسخ واستثنى من ذلك فقال: ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ ﴾ [سورة المائدة : ٥]. ١٧/٨

* * *

(١) انظر « الناسخ والمنسوخ » ، لأبى جعفر النحاس ص : ١٤٤ ، قال : « وفى هذه السورة = يعنى سورة الأنعام = شىء قد ذكره قوم هو عن الناسخ والمنسوخ بمعزل ، ولكنا نذكره ليكون الكتاب عام الفائدة . . . » ثم ذكر الآية ، وما قيل فى ذلك ، إلى ص : ١٤٦ .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا ، أن هذه الآية محكمة فيما أنزلت ، لم ينسخ منها شىء ، وأن طعام أهل الكتاب حلال ، وذبائحهم ذكيّة . وذلك مما حرم الله على المؤمنين أكله بقوله : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » ، بمعزل . لأن الله إنما حرم علينا بهذه الآية الميْتة ، وما أهلّ به للطواغيت ، وذبائحُ أهل الكتاب ذكية سمّوا عليها أولم يسمُّوا ، لأنهم أهل توحيد وأصحاب كتب لله ، يدينون بأحكامها ، يذبحون الذبائح بأديانهم ، كما يذبح المسلم بدينه ، سمى الله على ذبيحته أو لم يسمِّه ، إلا أن يكون ترك من ذكر تسمية الله على ذبيحته على الدينونة بالتعطيل ، أو بعبادة شىء سوى الله ، فيحرم حينئذ أكل ذبيحته ، سمى الله عليها أو لم يسم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾

قال أبو جعفر : وهذا الكلام من الله جلّ ثناؤه يدلّ على نهيه المؤمنين برسوله يومئذ عن طاعة بعض المشركين الذين جادلوهم فى أكل الميتة ، بما ذكرنا عنهم من جدالهم إياهم به ، وأمره إياهم بطاعة مؤمن منهم كان كافراً ، فهداه جلّ ثناؤه لرشده ، ووفقه للإيمان . فقال لهم : أطاعة من كان ميتاً ، يقول : من كان كافراً ؟ فجعله جل ثناؤه لانصرافه عن طاعته ، وجهله بتوحيده وشرائع دينه ، وتركه الأخذ بنصيبه من العمل لله بما يؤديه إلى نجاته ، بمنزلة «الميت» الذى لا ينفع نفسه بنافعة ، ولا يدفع عنها من مكروه نازلة = « فأحييناه » ، يقول : فهديناه للإسلام ، فأنعشناه ، فصار يعرف مضارّ نفسه ومنافعها ، ويعمل فى خلاصها من سَخَط

الله وعقابه فى معاده . فجعل إبصاره الحق تعالى ذكره بعد عَمَاه عنه ، ومعرفته بوحدانيته وشرائع دينه بعد جهله بذلك ، حياة وضياء يستضىء به فيمشى على قصد السبيل ، ومنهج الطريق فى الناس[1]= « كمن مثله فى الظلمات » ، لا يدرى كيف يتوجه ، وأى طريق يأخذ ، لشدة ظلمة الليل وإضلاله الطريق . فكذلك هذا الكافر الضال فى ظلمات الكفر ، لا يبصر رشداً ، ولا يعرف حقًّا ، = يعنى فى ظلمات الكفر . يقول : أفَطَاعة هذا الذى هديناه للحق وبصَّرناه الرشاد ، كطاعة من مثله مثل من هو فى الظلمات متردّد ، لا يعرف المخرج منها ، فى دعاء هذا إلى تحريم ما حرم الله ، وتحليل ما أحل ، وتحليل هذا ما حرم الله ، وتحريمه ما أحلّ ؟

* * *

وقد ذكر أن هذه الآية نزلت فى رجلين بأعيانهما معروفين : أحدهما مؤمن ، والآخر كافر .

ثم اختلف أهل التأويل فيهما .

فقال بعضهم : أما الذى كان مَيْتاً فأحياه الله ، فعمر بن الخطاب رضى الله عنه . وأما الذى مثله فى الظلمات ليس بخارج منها ، فأبو جهل بن هشام .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٣٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، أخبرنا سليمان بن أبى هوذة ، عن شعيب السراج ، عن أبى سنان ، عن الضحاك فى قوله : « أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس » ، قال : عمر بن الخطاب رضى الله عنه = « كمن مثله فى الظلمات » ، قال : أبو جهل بن هشام .[2]

* * *

---

(١) انظر تفسير « الموت » ، و « الإحياء » فيما سلف من فهارس اللغة (موت) و (حيى).

(٢) الأثر : ١٣٨٣٦ — « سليمان بن أبى هوذة » ، روى عن حماد بن سلمة ، وأبى هلال الراسبى ، وعمرو بن أبى قيس . لم يذكر فيه البخارى جرحاً . وقال أبو زرعة : « صدوق لا بأس به » . مترجم فى الكبير ٢/٢/٤٢ ، وابن أبى حاتم ٢/١/١٤٨ .

وأما « شعيب السراج » ، فلم أجد له ذكراً فيما بين يدى من الكتب .

وقال آخرون : بل الميت الذى أحياه الله ، عمار بن ياسر رحمة الله عليه . وأما الذى مثله فى الظلمات ليس بخارج منها ، فأبو جهل بن هشام .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٣٧ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن بشر بن تيم ، عن رجل ، عن عكرمة : « أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس » ، قال : نزلت فى عمار بن ياسر . (١) ١٨/٨

١٣٨٣٨ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، عن بشر بن تيم ، عن عكرمة : « أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس » ، عمار بن ياسر = « كمن مثله فى الظلمات » ، أبو جهل بن هشام . (١)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى الآية قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٣٩ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « أومن كان ميتاً فأحييناه » ، قال : ضالاً فهديناه = « وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس » ، قال : هدى = « كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها » ، قال : فى الضلالة أبداً .

١٣٨٤٠ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن

---

(١) الأثران : ١٣٨٣٧ ، ١٣٨٣٨ – « بشر بن تيم بن مرة » ، ويقال : « بشير ابن تيم بن مرة » .

وهو فى الإسناد الأول ، بينه وبين عكرمة « عن رجل » . وقد قال البخارى فى الكبير ١/٢/٩٦ : « بشير بن تيم بن مرة » عن عكرمة ، قاله لنا الحميدى ، عن ابن عيينة . مرسل . ولم يذكر فيه جرحاً ، وجعله « بشيراً » . وأما ابن أبى حاتم ١/١/٣٧٢ فقد ترجمه فى « بشير » ، كمثل ما قال البخارى ، ولم يذكر « بشرا » ، ولكنه ترجمه قبل ١/١/٣٥٢ فى « بشر بن تيم » وقال : « مكى » ، روى عنه ابن جريج ، وابن عيينة . سمعت أبى يقول ذلك . وابن عيينة يقول : « بشير » .

ولكنه هنا فى المخطوطة فى الموضعين « بشر بن تيم » ، فى رواية ابن عيينة ، فتركت ما كان فى المخطوطة على حاله ، لئلا يكون اختلافاً على ابن عيينة .

ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « أو من كان ميتاً فأحييناه » ، هديناه = « وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات » ، في الضلالة أبداً .

١٣٨٤١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد : « أو من كان ميتاً فأحييناه » ، قال : ضالاً فهديناه .

١٣٨٤٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « أومن كان ميتاً فأحييناه » ، يعني : من كان كافراً فهديناه = « وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس » ، يعني بالنور، القرآنَ، من صدّق به وعمل به = « كمن مثله في الظلمات » ، يعني : بالظلمات ، الكفرَ والضلالة .

١٣٨٤٣ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس »، يقول: الهدى =« يمشي به في الناس »، يقول: فهو الكافر يهديه الله للإسلام . يقول : كان مشركاً فهديناه = « كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها » .

١٣٨٤٤ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « أو من كان ميتاً فأحييناه » ، هذا المؤمن معه من الله نور وبيّنة يعمل بها ويأخذ ، وإليها ينتهي ، كتابَ الله = « كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها » ، وهذا مثل الكافر في الضلالة ، متحير فيها متسكع ، لا يجد مخرجاً ولا منفذاً .

١٣٨٤٥ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نورًا يمشي به في الناس » ، يقول : من كان كافراً فجعلناه مسلماً ، وجعلنا له نورًا يمشي به في الناس، وهو الإسلام . يقول : هذا كمن هو في الظلمات ، يعني : الشرك .

١٣٨٤٦ – حدثني يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله : « وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس » ، قال : الإسلام الذي هداه الله إليه = « كمن مثله في الظلمات » ، ليس من أهل الإسلام . وقرأ : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾، [سورة البقرة : ٢٥٧]. قال : والنور يستضيء به ما في بيته ويبصره ، وكذلك الذي آتاه الله هذا النور ، يستضيء به في دينه ويعمل به في نوره ،(١) كما يستضيء صاحب هذا السراج . قال : « كمن مثله في الظلمات » ، لا يدري ما يأتي ولا ما يقع عليه .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (١٢٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : كما خذلت هذا الكافر الذي يجادلكم = أيها المؤمنون بالله ورسوله ، في أكل ما حرّمت عليكم من المطاعم = عن الحق، فزينت له سوءَ عمله فرآه حسناً ، ليستحق به ما أعددت له من أليم العقاب ، كذلك زيّنت لغيره ممن كان على مثل ما هو عليه من الكفر بالله وآياته ، ما كانوا يعملون من معاصي الله، ليستوجبوا بذلك من فعلهم، ما لهم عند ربهم من النّكال.(٢) ١٩/٨

* * *

قال أبو جعفر : وفي هذا أوضح البيان على تكذيب الله الزاعمين أن الله فوّض الأمور إلى خلقه في أعمالهم، فلا صنع له في أفعالهم،(٣) وأنه قد سوّى بين جميعهم في

(١) في المطبوعة : « في نوره » بالفاء ، والصواب ما في المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « التزيين » فيما سلف : ص : ٣٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) « التفويض » ، هو زعم القدرية والمعتزلة والإمامية من أهل الفرق ، أن الأمر قد فوض إلى العبد، فإرادته كافية في إيجاد فعله ، طاعة كان أو معصية ، وهو خالق أفعاله ، والاختيار ، ينفون أن تكون أفعال العباد من خلق الله . وانظر ما سلف ١ : ١٦٢ تعليق : ٣/١١ : ٣٤٠، تعليق : ٢ ، وانظر ما سيأتي ص : ١٠٨ ، تعليق : ١

الأسباب التى بها يصلون إلى الطاعة والمعصية . لأن ذلك لو كان كما قالوا ، لكان قد زَيَّن لأنبيائه وأوليائه من الضلالة والكفر ، نظيرَ ما زيَّن من ذلك لأعدائه وأهل الكفر به ، وزيّن لأهل الكفر به من الإيمان به ، نظيرَ الذى زيّن منه لأنبيائه وأوليائه . وفى إخباره جل ثناؤه أنه زين لكل عامل منهم عمله ، ما ينبئ عن تزيين الكفر والفسوق والعصيان ، وخصّ أعداءه وأهل الكفر ، بتزيين الكفر لهم والفسوق والعصيان ، وكرّه إليهم الإيمان به والطاعة .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (١٢٣)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : وكما زينا للكافرين ما كانوا يعملون ، كذلك جعلنا بكل قرية عظماءَها مجرميها = يعنى أهل الشرك بالله والمعصية له = « ليمكروا فيها » ، بغرور من القول أو بباطل من الفعل ، بدين الله وأنبيائه = « وما يمكرون » ، أي ما يحيق مكرهم ذلك إلا بأنفسهم ، لأن الله تعالى ذكره من وراء عقوبتهم على صدّهم عن سبيله = « وهم لا يشعرون » ، يقول : لا يدرون ما قد أعدّ الله لهم من أليم عذابه ،(١) فهم فى غيِّهم وعتوِّهم على الله يتمادَوْن .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) انظر تفسير « شعر » فيما سلف : ص : ٣٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

١٣٨٤٧ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « أكابر مجرميها » ، قال : عظماءها .

١٣٨٤٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله

١٣٨٤٩ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « أكابر مجرميها » ، قال : عظماءها .

١٣٨٥٠ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة : نزلت في المستهزئين = قال ابن جريج ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن عكرمة : « أكابر مجرميها » ، إلى قوله : « بما كانوا يمكرون » ، بدين الله ، وبنبيه عليه السلام وعباده المؤمنين .

* * *

و« الأكابر » جمع « أكبر » ، كما « الأفاضل » جمع « أفضل » . ولو قيل: هو جمع « كبير » ، فجمع « أكابر »، لأنه قد يقال : « أكبر » ، كما قيل : ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً﴾ ، [سورة الكهف : ١٠٣] ، واحدهم « الخاسر » ، لكان صواباً. وحكي عن العرب سماعاً « الأكابرة » و« الأصاغرة » و« الأكابر » ، و« الأصاغر » ، بغير الهاء ، على نية النعت ، كما يقال : « هو أفضل منك » . وكذلك تفعل العرب بما جاء من النعوت على « أفعل » ، إذا أخرجوها إلى الأسماء، مثل جمعهم « الأحمر » و« الأسود » ، « الأحامر » و« الأحامرة » ، و« الأساود » و« الأساودة » ، ومنه قول الشاعر :(١)

إنَّ الأَحَامِرَةَ الثَّلاثَةَ أَهْلَكَتْ مَالِي ، وكُنْتُ بِهِنَّ قِدْماً مُولَعَا

---

(١) هو الأعشى .

الخَمْرُ ، واللَّحْمُ السَّمِينُ إِدَامُهُ ، والزَّعْفَرَانُ ، فَلَنْ أَرُوحَ مُبَقَّعَا(١)

* * *

وأما « المكر » ، فإنه الخديعة والاحتيال للممكور به بالغدر ، ليورِّطه الماكر به مكروهاً من الأمر .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وإذا جاءت هؤلاء المشركين الذين يجادلون المؤمنين بزخرف القول فيما حرم الله عليهم ، ليصدّوا عن سبيل الله = « آية » ، يعنى حجة من الله على صحة ما جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله وحقيقته (٢) = قالوا لنبى الله وأصحابه : = « لن نؤمن » ، يقول : يقولون : لن نصدق ٢٠/٨ بما دعانا إليه محمد صلى الله عليه وسلم من الإيمان به ، وبما جاء به من تحريم ما ذكر أنّ الله حرّمه علينا = « حتى نؤتى » ، يعنون : حتى يعطيهم الله من المعجزات مثل الذى أعطى موسى من فلق البحر ، وعيسى من إحياء الموتى ،

---

(١) ديوانه ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، وهى فى نسختى المصورة من ديوان الأعشى رقم : ٢٩ ، واللسان (حمر) وهو أول الشعر . وكان فى المطبوعة هنا : « السمين أديمه » ، و « فلن أزال مبقعا » ، وأثبت ما فى المخطوطة وفى مخطوطة الأعشى : « السمين ، وأطلى بالزعفران وقد أروح مبقعاً » .

وهكذا جاء فى المخطوطة : « السمين إدامه » ، والإدام ما يؤتدم به مع الخبز ، أى شىء كان . وعجيب إضافة الإدام إلى اللحم . ويروى : « أديمه » ، ضبطه فى اللسان بفتح الألف ، وهو غير مرتضى ، بل الصواب إن شاء الله « أديمه » من « أدام الشىء » ، إذا أطال زمانه واستمر به . ورواية أبى جعفر هنا « فلن أروح مبقعاً » ، ورواية مخطوطة ديوانه : « وقد أروح مبقعاً » ، وهى أجودها . و « المبقع » الذى فيه لون يخالف لونه ، أو لون ما أصابه الماء أو الزعفران أو ما شابههما . يعنى أنه يكثر من الزعفران حتى يترك فى بشرته لمعا . وأكثر ما كانوا يستعملون الزعفران فى أعراسهم ، إذا أعرس الرجل تزعفر . فكنى بذلك عن كثرة زواجه .

وفى البيت روايات أخرى ، راجعها فى حواشى ديوانه ، فى ذيل الديوان .

(٢) انظر تفسير « آية » فيما سلف من فهارس اللغة (أبى) .

وإبراء الأكمه والأبرص .[١] يقول تعالى ذكره: « الله أعلم حيث يجعل رسالته » ، يعنى بذلك جل ثناؤه : إنّ آيات الأنبياء والرسل لن يُعطاها من البشر إلاّ رسول مرسل ،[٢] وليس العادلون بربهم الأوثان والأصنام منهم فيعطوها . يقول جل ثناؤه : فأنا أعلم بمواضع رسالاتى ، ومن هو لها أهل، فليس لكم أيها المشركون أن تتخيَّروا ذلك علىّ أنتم، لأن تخيُّر الرسول إلى المرسِلِ دون المرسَل إليه، والله أعلم إذا أرسل رسالةً بموضع رسالاته.

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ ﴾ (١٢٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، معلِّمَه ما هو صانع بهؤلاء المتمردين عليه: « سيصيب »، يا محمد،[٣] الذين اكتسبوا الإثم بشركهم بالله وعبادتهم غيره = « صغار » ، يعنى : ذلة وهوان ، كما : —

١٣٨٥١ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله » ، قال : « الصغار » ، الذلة .

* * *

وهو مصدر ، من قول القائل : « صَغِرَ يصغَرُ صَغاراً وصَغَرًا » ، وهو أشدّ الذلّ .

* * *

(١) انظر تفسير « الإيتاء » فيما سلف من فهارس اللغة (أتى) .
(٢) فى المطبوعة : « لم يعطها » ، وفى المخطوطة : ما أثبت ، وهو صواب محض .
(٣) انظر تفسير « الإصابة » فيما سلف : ١١ : ١٧٠ ، تعليق ٢ ، والمراجع هناك .

وأما قوله : « صغار عند الله » ، فإن معناه : سيصيبهم صغارٌ من عند الله ، كقول القائل : « سيأتيني رزقي عند الله » ، بمعنى : من عند الله ، يراد بذلك : سيأتيني الذي لي عند الله . وغير جائز لمن قال : « سيصيبهم صغار عند الله » ، أن يقول : « جئت عند عبد الله » ، بمعنى : جئت من عند عبد الله ، لأن معنى : « سيصيبهم صغارٌ عند الله » ، سيصيبهم الذى عند الله من الذل ، بتكذيبهم رسوله . فليس ذلك بنظير : « جئت من عند عبد الله » .(١)

* * *

وقوله : « وعذاب شديد بما كانوا يمكرون » ، يقول : يصيب هؤلاء المكذبين بالله ورسوله ، المستحلين ما حرَّم الله عليهم من الميتة ، مع الصغار عذابٌ شديد ، بما كانوا يكيدون للإسلام وأهله بالجدال بالباطل ، والزخرف من القول ، غروراً لأهل دين الله وطاعته .(٢)

* * *

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٣٥٣ = وتفسير « عند » فيما سلف ٢ : ٧/٥٠١ : ٨/٤٩٠ : ٥٥٥ .

(٢) انظر تفسير « المكر » فيما سلف قريباً ص : ٩٥

* * *

وعند هذا الموضع ، انتهى جزء من التقسيم القديم الذى نقلت منه نسختنا ، وفيها ما نصه :

« يتلوه القول فى تأويل قوله :

فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ .

وصلّى الله على محمد النبي وآله وصحبه وسلم كثيرًا »

ثم يتلوه ما نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم

رَبِّ يَسِّر »

القول فى تأويل قوله ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾

قال أبو جعفر : ويقول تعالى ذكره : فمن يرد الله أن يهديه للإيمان به وبرسوله وما جاء به من عند ربه ، فيوفقه له[1] = « يشرح صدره للإسلام » ، يقول : فسح صدره لذلك وهوّنه عليه ، وسهّله له ، بلطفه ومعونته ، حتى يستنير الإسلام فى قلبه ، فيضىء له ، ويتسع له صدره بالقبول ، كالذى جاء الأثر به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى :—

١٣٨٥٢ — حدثنا سوّار بن عبد الله العنبرىّ قال ، حدثنا المعتمر بن سليمان قال ، سمعت أبى يحدث ، عن عبد الله بن مرة ، عن أبى جعفر قال : لما نزلت هذه الآية : « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام » ، قالوا : كيف يشرح الصدر ؟ قال : إذا نزل النور فى القلب انشرح له الصدر وانفسح . قالوا : فهل لذلك آية يعرف بها ؟ قال : نعم ، الإنابة إلى دار الخلود ، والتجافى عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل الموت .[2]

---

(١) انظر تفسير « الهدى » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) .

(٢) الأثر : ١٣٨٥٢ — « عبد الله بن مرة » ، هكذا هو فى المخطوطة والمطبوعة وتفسير ابن كثير ، وأنا أستبعد أن يكون كذلك لأسباب .

الأول — أنى أستبعد أن يكون هو « عبد الله بن مرة الخارفى » ، الذى يروى عن ابن عمر ، ومسروق ، وأبى كنف ، والذى يروى عنه الأعمش ، ومنصور . وهو مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ١٦٥/٢/٢ ، وهو ثقة .

الثانى — أن الخبر رواه أبو جعفر الطبرى بأسانيد ، هذا ورقم : ١٣٨٥٣ ، ١٣٨٥٤ ، وهى تدور على « عمرو بن مرة » .

الثالث — أنه سيتبين بعد من « أبو جعفر » الذى روى هذا الخبر ، ومذكور هناك أنه روى عنه « عمرو بن مرة » ، ولم يذكر « عبد الله بن مرة » .

فمن أجل ذلك أرجح أن صوابه « أبو عبد الله بن مرة » ، أو « أبو عبد الله عمرو بن مرة » ، فسقط من النساخ .

١٣٨٥٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا الثورى ، عن عمرو بن قيس ، عن عمرو بن مرة ، عن أبى جعفر قال : سئل

وأما « أبو جعفر » الذى يدور عليه هذا الخبر ، فهو موصوف فى الخبر رقم ١٣٨٥٤ : « رجل يكنى أبا جعفر ، كان يسكن المدائن » ، ثم جاءت صفة أخرى فى تخريج السيوطى لهذا الخبر فى الدر المنثور ، قال : « رجل من بنى هاشم ، وليس هو محمد بن على » = يعنى الباقر .

وقد وقفت أولا عند « أبى جعفر » هذا ، وظننت أنه مجهول ، لأنى لم أجد له ذكراً فى شىء مما بين يدى من الكتب ، ولكن لما جئت إلى الخبر رقم : ١٣٨٥٦ من رواية « خالد بن أبى كريمة ، عن عبد الله بن المسور » ، تبين لى على وجه القطع ، أن « أبا جعفر » هذا ، الذى كان يسكن المدائن ، وكان من بنى هاشم ، هو نفسه « عبد الله بن المسور » ، الذى روى عنه رقم : ١٣٨٥٦ .

وإذن ، فهو « أبو جعفر » : « عبد الله بن المسور بن عون بن جعفر بن أبى طالب » « أبو جعفر الهاشمى المدائنى » . روى عنه عمرو بن مرة، وخالد بن أبى كريمة . مترجم فى ابن أبى حاتم ١٦٩/٢/٢ ، وتاريخ بغداد ١٠ : ١٧ ، وميزان الاعتدال للذهبى ٢ : ٧٨ ، ولسان الميزان ٣ : ٣٦٠ . قال الخطيب . « سكن المدائن ، وحدث بها عن محمد بن الحنفية » ، وذكر فى بعض ما ساقه من أسانيد أخباره : « عن خالد بن أبى كريمة (وهو الآتى برقم : ١٣٨٥٦) ، عن أبى جعفر وهو عبد الله بن المسور ، رجل من بنى هاشم ، كان يسكن المدائن » .

و « أبو جعفر» ، « عبد الله بن المسور » ضعيف كذاب . قال جرير بن رقبة : « كان أبو جعفر الهاشمى المدائنى ، يضع أحاديث كلام حق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاختلط بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاحتمله الناس » . وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل : « قال أبى : أبو جعفر المدائنى ، اسمه عبد الله بن مسور بن عون بن جعفر بن أبى طالب . قال أبى : اضرب على حديثه ، كان يضع الحديث ويكذب ، وقد تركت أنا حديثه . وكان عبد الرحمن بن مهدى لا يحدثنا عنه » . وقال ابن أبى حاتم : « سألت أبى عن أبى جعفر الهاشمى فقال : الهاشميون لا يعرفونه ، وهو ضعيف الحديث ، يحدث بمراسيل لا يوجد لها أصل فى أحاديث الثقات » .

وإذن ، فالأخبار من رقم : ١٣٨٥٢ – ١٣٨٥٤ ، ورقم : ١٣٨٥٦ – أخبار معلولة ضعاف واهية ، كما ترى .

وهذه الأخبار الثلاثة : ١٣٨٥٢ – ١٣٨٥٤ ، ذكرها ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، وخرجها السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٤٤ ، ونسب الخبر لابن المبارك فى الزهد، وعبد الرزاق ، والفريابى ، وابن أبى شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، وابن مردويه ، والبيهقى فى الأسماء والصفات .

وقال ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٣٩٥ ، وذكر هذه الأخبار ، وخبر ابن مسعود الذى رواه أبو جعفر برقم : ١٣٨٥٥ ، ١٣٨٥٧ ، ثم قال : « فهذه طرق لهذا الحديث مرسلة ومتصلة ، يشد بعضها بعضاً، والله أعلم » .

وأخطأ الحافظ جداً كما ترى ، فإن حديث أبى جعفر الهاشمى ، أحاديث كذاب وضاع لا تشد شيئاً ولا تحله ! ! وكتبه محمود محمد شاكر .

النبي صلى الله عليه وسلم : أى المؤمنين أكيس ؟ قال : أكثرهم للموت ذكراً ، وأحسنهم لما بعده استعداداً . قال : وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية : « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام » ، قالوا : كيف يشرح صدره ، يا رسول الله ؟ قال : نور يُقذف فيه ، فينشرح له وينفسح . قالوا : فهل لذلك من أمارة يُعرف بها ؟ قال : الإنابة إلى دار الخلود ، والتجافى عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل الموت . ٢١/٨

١٣٨٥٤ — حدثنا هناد قال ، حدثنا قبيصة، عن سفيان ، عن عمرو بن مرة ، عن رجل يكنى « أبا جعفر » ، كان يسكن المدائن قال : سئل النبي صلى عليه وسلم عن قوله : « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام » ، قال : نور يقذف فى القلب فينشرح وينفسح . قالوا : يا رسول الله ، هل له من أمارة يعرف بها ؟ = ثم ذكر باقى الحديث مثله .(١)

١٣٨٥٥ — حدثنى هلال بن العلاء قال، حدثنا سعيد بن عبد الملك بن واقد الحرّانى قال ، حدثنا محمد بن سلمة ، عن أبى عبد الرحيم ، عن زيد بن أبى أنيسة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبى عبيدة ، عن عبد الله بن مسعود قال : قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت هذه الآية : « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام » ، قال : إذا دخل النور القلب انفسح وانشرح . قالوا : فهل لذلك من أمارة يعرف بها ؟ قال : الإنابة إلى دار الخلود ، والتنحّى عن دار الغرور ، والا تعداد للموت قبل الموت .(٢)

---

(١) الأثران : ١٣٨٥٣ ، ١٣٨٥٤ — حديثان واهيان ، كما سلف فى التعليق على الخبر السالف .

و « عمرو بن مرة المرادى » ، ثقة مأمون . مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٢٣٩٦ .

(٢) الأثر : ١٣٨٥٥ — « هلال بن العلاء بن هلال الباهلى الرقى » ، شيخ أبى جعفر ، مضى برقم : ٤٩٦٤ ، وأنه صدوق ، متكلم فيه .

وكان فى المطبوعة : « محمد بن العلاء » ، وهو شىء لا أصل له هنا . وفى المخطوطة : « لعلى

١٣٨٥٦ – حدثني سعيد بن الربيع الرازي قال، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن خالد بن أبي كريمة ، عن عبد الله بن المسور قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام » ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا دخل النور القلبَ انفسح وانشرح . قالوا : يا رسول الله، وهل لذلك من علامة تعرف ؟ قال : نعم ، الإنابة إلى دار الخلود ، والتجافي عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل نزول الموت .(١)

ابن العلاء » ، غير منقوطة ، كأنها تقرأ « يعلى بن العلاء » ، ولم أجد في شيوخ أبي جعفر ، ولا في الرواة ، من سمى بذلك . ورأيت ابن كثير في تفسيره ٣ : ٣٩٥ ، نقل عن هذا الموضع من ابن جرير قال : « حدثني هلال بن العلاء ، حدثنا سعيد بن عبد الملك بن واقد » ، فأيد هذا أن أبا جعفر روى آنفاً عن شيخه « هلال بن العلاء » ، أن الذي في المخطوطة تحريف على الأرجح ، ولذلك أثبته كما هو في ابن كثير : « هلال بن العلاء » .

و « سعيد بن عبد الملك بن واقد الحراني » . ضعيف ، ضعفه ابن أبي حاتم ، والدارقطني ، وقال : « لا يحتج به » . قال أبو حاتم : « يتكلمون فيه ، يقال إنه أخذ كتبا لمحمد بن سلمة ، فحدث بها . ورأيت فيما حدث أكاذيب ، كذب » . مترجم في ابن أبي حاتم ٢/١/٤٥ ، ميزان الاعتدال ١ : ٣٨٧ ، ولسان الميزان ٣ : ٣٧ .

و « محمد بن سلمة الحراني » ، ثقة ، مضى برقم : ١٧٥ .

و « أبو عبد الرحيم » ، هو « خالد بن أبي يزيد الحراني » ، روى عنه ابن أخته « محمد بن سلمة الحراني » ، حسن الحديث متقن . مضى له ذكر في التعليق على الأثر رقم : ٨٣٩٦ .

و « زيد بن أبي أنيسة الجزري » ، ثقة ، مضى برقم : ٤٩٦٤ ، ٨٣٩٦ .

و « عمرو بن مرة المرادي » ، مضى آنفاً في رقم : ١٣٨٥٣ ، ١٣٨٥٤ .

و « أبو عبيدة » ، هو « أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود » ، مضى مراراً كثيرة جداً ، وهو لم يسمع من أبيه ، كما سلف مراراً .

وهذا خبر ضعيف أيضاً ، لضعف أحاديث « سعيد بن عبد الملك بن واقد الحراني ، عن محمد بن سلمة » ، كما ذكر أبو حاتم .

ثم لأن أبا عبيدة ، لم يسمع من أبيه عبد الله بن مسعود . وسيأتي خبر عبد الله بن مسعود برقم : ١٣٨٥٧ ، من طريق أخرى . فالعجب لابن كثير ، كيف تكون هذه أحاديث متصلة ، ثم كيف تشدها أخبار كذاب وضاع . وانظر ما أسلفت في التعليق على رقم : ١٣٨٥٢ .

(١) الأثر : ١٣٨٥٦ – « خالد بن أبي كريمة الأصبهاني » ، « أبو عبد الرحمن الإسكاف » . وثقه أحمد وأبو داود ، وأبو حاتم وابن حبان وقال : « يخطىء » ، وضعفه ابن معين . مترجم في التهذيب ، والكبير ٢/١/١٥٤ ، وابن أبي حاتم ١/٢/٣٤٩ ، قال البخاري : « عن معاوية

١٣٨٥٧ - حدثني ابن سنان القزاز قال، حدثنا محبوب بن الحسن الهاشمي، عن يونس، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة، عن عبد الله بن مسعود، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام»، قالوا: يا رسول الله، وكيف يُشرح صدره؟ قال: يدخل فيه النور فينفسح. قالوا: وهل لذلك من علامة يا رسول الله؟ قال: التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل أن ينزل الموت.(١)

* * *

ابن قرة، وأبي جعفر عبد الله بن مسور المسوري»، ولم يذكر فيه جرحاً.

و «عبد الله بن مسور بن عون بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي المدائني»، سلف برقم: ١٣٨٥٢، وأنه هو «أبو جعفر» المدائني، وأنه كذاب وضاع. وانظر تخريج الخبر والتعليق عليه هناك.

(١) الأثر: ١٣٨٥٧ - «ابن سنان القزاز»، شيخ الطبري، هو: «محمد بن سنان القزاز» مضى برقم: ١٥٧، ١٩٩٩، ٢٠٥٦، ٥٤١٩، ٦٨٢٢.

و «محبوب بن الحسن الهاشمي البصري»، «محبوب» لقب، وهو به أشهر، واسمه: «محمد بن الحسن بن هلال بن أبي زينب فيروز القرشي»، مولى بني هاشم. ثقة، وضعفوه. مترجم في التهذيب، والكبير ١/١/٦٧، في «محمد بن الحسن البصري»، وابن أبي حاتم في «محمد ابن الحسن البصري» ٣/٢/٢٢٨، ثم في «محبوب بن الحسن بن هلال» ٤/١/٣٨٨، ولم يشر إلى أن اسمه «محمد بن الحسن».

و «يونس» هو: «يونس بن عبيد بن دينار العبدي»، ثقة، مضى برقم: ٢٦١٦، ٤٩٣١، ١٠٥٧٤.

و «عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة»، هذا إشكال شديد، فإن «عبد الرحمن بن عبد الله ابن عتبة بن عبد الله بن مسعود»، متأخر جداً، روى عن أبي إسحق السبيعي وطبقته ومات سنة ١٦٠، أو سنة ١٦٥. و «يونس بن عبيد»، أعلى طبقة منه، روى عن إبراهيم التيمي، والحسن البصري، وابن سيرين. ومات سنة ١٤٠، فهو في طبقة شيوخه، فلو كان يونس روى عنه، لذكر مثل ذلك في ترجمة «عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة».

وأنا أرجح أن صواب الإسناد: «عن يونس، عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عتبة».

وهو «عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي»، كنيته «أبو عبد الرحمن»، وهو الذي يروي عن عمه «عبد الله بن مسعود»، وولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ورآه، ومات سنة ٧٤. فهو الخليق أن يروي عنه «يونس بن عبيد».

وهذا أيضاً خبر ضعيف، لضعف «محبوب بن الحسن»، وإذن فكل ما قاله الحافظ ابن كثير من أن هذه الأخبار جاءت بأسانيد مرسلة ومتصلة يشد بعضها بعضاً، قول ينفيه شرح هذه الأسانيد كما رأيت، والله الموفق للصواب، وكتبه محمود محمد شاكر.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٥٩ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدرَه للإسلام » ، أما « يشرح صدره للإسلام » ، فيوسع صدره للإسلام .(١)

١٣٨٦٠ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله: « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام »، بلاإله إلاّ الله .

١٣٨٦١ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن جريج قراءة: « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام » ، بلا إله إلاّ الله ، يجعل لها فى صدره متّسعاً .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: ومن أراد الله إضلاله عن سبيل الهدى، يَشغله بكفره وصدّه عن سبيله، ويجعل صدره بخذلانه وغلبة الكفر عليه، (٢)حرجاً. (٣)

* * *

و «الحرج »، أشد الضيق، وهو الذى لا ينفذه، (٢)من شدة ضيقه، (٤)وهو ههنا الصدر الذى لا تصل إليه الموعظة، ولا يدخله نور الإيمان ، لريْن الشرك عليه. وأصله من « الحرج » ،و «الحرج » جمع « حَرَجة »، وهى الشجرة الملتف بها

---

(١) تخطيت فى الترقيم رقم : ١٣٨٥٨ : خطأ .

(٢) فى المطبوعة : « لشغله بكفره . . . يجعل صدره » ، الأخيرة بغير واو ، وفى المخطوطة كما أثبتها ، وبغير واو فى « يجعل صدره » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

(٣) انظر تفسير « الإضلال » فيما سلف من فهارس اللغة (ضلل) .

(٤) فى المطبوعة : « لا ينفذ » بغير هاء ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو الصواب .

الأشجار ، لا يدخل بينها وبينها شيء لشدة التفافها بها ،[١] كما : —

١٣٨٦٢ — حدثني المثنى قال ، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا هشيم قال ، حدثنا عبد الله بن عمار = رجل من أهل اليمن = عن أبي الصلت الثقفي : أن عمر بن الخطاب رحمة الله عليه قرأ هذه الآية : ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ ، بنصب الراء. قال : وقرأ بعض من عنده من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ضَيِّقًا حَرِجًا﴾ . قال صفوان : فقال عمر : ابغوني رجلاً من كنانة ، واجعلوه راعياً ،[٢] وليكن مُدْلجيًّا.[٣] قال : فأتوه به . فقال له عمر : يا فتى ، ما الحرجة ؟ قال : « الحرجة » فينا ، الشجرة تكون بين الأشجار التي لا تصل إليها راعيةٌ ولا وحشيَّة ولا شيء . قال : فقال عمر : كذلك قلبُ المنافق ، لا يصل إليه شيء من الخير.[٤]

٢٢/٨

١٣٨٦٣ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً » ، يقول : من أراد الله أن يضله يضيق عليه صدره حتى يجعل الإسلام عليه ضيقاً ، والإسلام واسع . وذلك حين يقول : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ ، [سورة الحج : ٧٨] ، يقول : ماجعل

---

(١) انظر تفسير « الحرج » فيما سلف ٨ : ١٠/٥١٨ : ٨٥ .

(٢) قوله : « واجعلوه راعياً » ، أي اتخذوه ، وليكن راعياً ، ليس من معنى « الجعل » الذي هو التصيير .وهذا استعمال عربي عريق في « جعل » ، ولكنهم لم يذكروه في المعاجم ، وهو دائر في كلام العرب ، وهذا من شواهده ، فليقيد في مكانه من كتب العربية .

(٣) « مدلج » قبيلة من بني مرة بن عبد مناة بن كنانة ، وهم القافة المشهورون ، ويدل هذا الخبر على أن أرض مرعاهم كانت كثيرة الشجر .

(٤) الأثر : ١٣٨٦٢ — «عبد الله بن عمار اليماني » ، قال ابن أبي حاتم : « مجهول » ، وذكره ابن حبان في الثقات . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٢/٢/١٢٩ .
و « أبو الصلت الثقفي » ، روى عن عمر ، وروى عنه عبد الله بن عمار اليماني ، هذا الحديث . مترجم في التهذيب ، والكنى للبخاري : ٤٤ ، وابن أبي حاتم ٤/٢/٣٩٤ .
وهذا خبر عزيز جداً . في بيان رواية اللغة وشرحها ، وسؤال الأعراب والرعاة عنها .

عليكم فى الإسلام من ضيق .

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال : بعضهم معناه : شاكًّا .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٦٤ – حدثنا عمران بن موسى قال، حدثنا عبد الوارث بن سعيد قال، حدثنا حميد ، عن مجاهد : « ضيقاً حرجاً » ، قال : شاكًّا .

١٣٨٦٥ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ضيقاً حرجاً » ، أما « حرجاً » فشاكًّا .

* * *

وقال آخرون: معناه : ملتبساً .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٦٦ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « يجعل صدره ضيقاً حرجاً » ، قال : ضيقاً ملتبساً .

١٣٨٦٧ – حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن الحسن ، عن قتادة أنه كان يقرأ : ﴿ ضَيِّقاً حَرَجاً ﴾ ، يقول : ملتبساً .

* * *

وقال آخرون : معناه : أنه من شدة الضيق لا يصل إليه الإيمان .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٦٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن حبيب بن أبى عمرة، عن سعيد بن جبير : « يجعل صدره ضيقاً حرجاً » ، قال : لا يجد مسلكاً إلاّ صُعُداً.

١٣٨٦٩ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر ، عن عطاء الخراسانى : « ضيقاً حرجاً » ، قال : ليس للخير فيه منفذٌ .

١٣٨٧٠ – حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن عطاء الخراساني ، مثله .

١٣٨٧١ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين، قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قوله : « ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيقاً حرجاً »، بلا إله إلا الله، لا يجد لها في صدره مَسَاغاً .

١٣٨٧٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ،عن ابن جريج قراءةً في قوله : « ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً » ، بلا إله إلا الله ، حتى لا تستطيع أن تدخله .

* * *

واختلفت القرأة في قراءة ذلك.

فقرأه بعضهم : ﴿ ضَيِّقًا حَرَجاً ﴾ ،بفتح الحاء والراء من « حرجاً » ، وهي قراءة عامة المكيين والعراقيين ، بمعنى جمع «حرجة » ، على ما وصفت .[1]

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة المدينة : ﴿ ضَيِّقًا حَرِجًا ﴾ ، بفتح الحاء وكسر الراء .

* * *

ثم اختلف الذين قرأوا ذلك في معناه.

فقال بعضهم : هو بمعنى : « الحَرَج » . وقالوا : « الحَرَج » بفتح الحاء والراء ، « والحَرِج » بفتح الحاء وكسر الراء ، بمعنى واحد ، وهما لغتان مشهورتان، مثل : «الدَّنَف» و «الدَّنِف» ، و«الوَحَد» و«الوَحِد» ، و«الفَرَد» و«الفَرِد» .

* * *

وقال آخرون منهم : بل هو بمعنى الإثم،من قولهم : « فلان آثِمٌ حَرِجٌ »، وذكر عن العرب سماعاً منها : « حَرِجٌ عليك ظُلمي » ، بمعنى ضِيقٌ وإثْم .[2]

* * *

---

(١) انظر ص : ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٣٥٣ ، ٣٥٤

قال أبو جعفر : والقول عندى فى ذلك أنهما قراءتان مشهورتان ، ولغتان مستفيضتان بمعنى واحد ، وبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيبٌ، لاتفاق معنييهما . وذلك كما ذكرنا من الروايات عن العرب فى « الوحَد » و « الفَرَد » بفتح الحاء من «الوحد» والراء من « الفرد » ، وكسرهما ، بمعنى واحدٍ .

* * *

وأما « الضيِّق »، فإن عامة القرأة على فتح ضاده وتشديد يائه ، خلا بعض المكيين فإنه قرأه: ﴿ضَيْقاً﴾ ، بفتح الضاد وتسكين الياء ، وتخفيفه . ٢٣/٨

وقد يتجه لتسكينه ذلك وجهان :

أحدهما : أن يكون سكنه وهو ينوى معنى التحريك والتشديد، كما قيل : « هَيْنٌ لَيْنٌ »، بمعنى : هيِّنٌ ليِّنٌ .

والآخر : أن يكون سكنه بنية المصدر ، من قولهم : « ضاق هذا الأمر يضيق ضَيْقاً » ، كما قال رؤبة :

قَدْ عَلِمْنَا عِنْدَ كُلِّ مَأْزِقِ ضَيْقٍ بِوَجْهِ الأَمْرِ أَوْ مُضَيَّقِ (١)

ومنه قول الله : ﴿وَلاَ تَكُ فِى ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ ، [سورة النحل : ١٢٧] .

وقال رؤبة أيضاً :

* وَشَفَّهَا اللَّوحُ بِمَأْزُولٍ ضَيَقْ * (٢)

---

(١) ليسا فى ديوانه، ولم أجدهما فى مكان آخر ، ومنها أبيات فى الزيادات: ١٧٩ ، ١٨٠ ، ولم يذكرا معها . وكان فى المطبوعة : « وقد علمنا » بزيادة الواو . وكان فيها : « أى مضيق » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب إن شاء الله .

(٢) ديوانه : ١٠٥ ، والوساطة : ١٤ . « مأزول » من « الأزل » (بسكون الزاى) ، وهو الضيق والجدب وشدة الزمان ، وفى حديث الدجال : « أنه يحصر الناس بيت المقدس ، فيؤزلون أزلا » ، أى: يقحطون ويضيق عليهم . ومعنى : « مأزول »، أصابه القحط ، يعنى مرعى ، ومثله قول الراجز :

بمعنى ضيّق . وحكى عن الكسائى أنه كان يقول : « الضِّيقُ » ، بالكسر فى المعاش والموضع ، وفى الأمر « الضَّيْق » .

* * *

قال أبو جعفر : وفى هذه الآية أبينُ البيان لمن وُفّق لفهمهما ، عن أن السبب الذي به يُوصل إلى الإيمان والطاعة ، غير السبب الذي به يُوصل إلى الكفر والمعصية ، وأن كلا السببين من عند الله . (١) وذلك أن الله جل ثناؤه أخبر عن نفسه أنه يشرح صدرَ من أراد هدايته للإسلام ، ويجعل صدرَ من أراد إضلاله ضيِّقاً عن الإسلام حَرَجاً كأنَّما يصعد فى السماء . ومعلومٌ أن شرح الصدر للإيمان خِلافُ تضييقه له ، وأنه لو كان يوصل بتضييق الصدر عن الإيمان إليه ، لم يكن بين تضييقه عنه وبين شرحه له فرق ، ولكان من ضُيِّق صدره عن الإيمان ، قد شُرِح صدره له ، ومن شرح صدره له ، فقد ضُيِّق عنه ، إذ كان مَوْصولاً بكل واحد منهما = أعنى من التضييق والشرح = إلى ما يُوصَل به إلى الآخر . ولو كان ذلك كذلك ، وجب أن يكون الله قد كان شرح صدرَ أبى جهل للإيمان به ، وضيَّق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه . وهذا القول من أعظم الكفر بالله . وفى فساد ذلك أن يكون كذلك ، الدليلُ الواضح على أن السَّبب الذى به آمن المؤمنون بالله ورسله ، وأطاعه المطيعون ، غير السبب الذى كفر به الكافرون بالله وعصاه العاصون ، وأن كِلاَ السببين من عند الله وبيده ، لأنه أخبر جل ثناؤه أنه هو

إنَّ لَهَا لَرَاعِياً جَـرِيًّا أَبْلاَ بِمَا يَنْفَعُـهَا قَوِيًّا
لَمْ يَرْعَ مَأْزُولاً وَلاَ مَرْعِيًّا حَتَّى عَلاَ سَـنَامُهَا عُلِيًّا

و « شفها » أنحل جسمها ، وأذهب شحمها . و « اللوح » (بضم اللام) وهو أعلى اللغتين ، و « اللوح » (بفتح فسكون) : وهو العطش الذى يلوح الجسم ، أى يغيره . وقوله : « ضيق » حرك « الياء » بالفتح . وعده القاضى الجرجانى فى أخطاء رؤبة .

(١) هذا رد على المعتزلة ، وانظر ما سلف ص : ٩٢ ، تعليق : ٣ ، وهو من أجود الردود على دعوى المعتزلة .

الذى يشرح صدرَ هذا المؤمن به للإيمان إذا أراد هدايته، ويضيِّق صدر هذا الكافر عنه إذا أراد ضلالَه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾

قال أبو جعفر : وهذا مثل من الله تعالى ذكره ، ضربه لقلب هذا الكافر فى شدة تضييقه إياه عن وصوله إليه ، مثل امتناعه من الصُّعود إلى السماء وعجزه عنه ، لأن ذلك ليس فى وسعه .

* * *

وبنحو الذي قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٧٣ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن عطاء الخراسانى : « كأنما يصعد فى السماء » ، يقول : مثله كمثل الذى لا يستطيع أن يصعد فى السماء .

١٣٨٧٤ — حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن عطاء الخراسانى ، مثله .

١٣٨٧٥ — وبه قال، أخبرنا ابن المبارك، عن ابن جريج قراءةً : « يجعل صدره ضيقاً حرجاً » ، بلا إله إلا الله ، حتى لا تستطيع أن تدخله ، « كأنما يصعد فى السماء » ، من شدّة ذلك عليه .

١٣٨٧٦ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، مثله .

١٣٨٧٧ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل، قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « كأنما يصعد فى السماء » ، من ضيق صدره .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة أهل المدينة والعراق : ﴿ كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ ﴾ ، بمعنى : « يتصعَّد » ، فأدغموا التاء فى الصاد ، فلذلك شدَّدوا الصاد .

* * *

وقرأ ذلك بعض الكوفيين : ﴿ يَصَّاعَدُ ﴾ ، بمعنى « يتصاعد » ، فأدغم التاء فى الصاد ، وجعلها صاداً مشدّدة . ٢٤/٨

* * *

وقرأ ذلك بعض قرأة المكيين : ﴿ كَأَنَّمَا يَصْعَدُ ﴾ ، من « صَعِد يصعَد » .

* * *

وكل هذه القراءات متقاربات المعانى ، وبأيّها قرأ القارئ فهو مصيب ، غير أنى أختار القراءة فى ذلك بقراءة من قرأه : ﴿ كأنَّما يَصَّعَّدُ ﴾ ، بتشديد الصاد بغير ألف ، بمعنى : « يتصعد » ، لكثرة القرأة بها ،[1] ولقيل عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « مَا تَصَعَّدَنى شَىْءٌ مَا تَصَعَّدَتْنِى خُطْبَةُ النِّكاح » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٢٥)

قال أبو جعفر : يقول : تعالى ذكره : كما يجعل الله صدر من أراد إضلاله ضيقاً حرجاً ، كأنما يصعد فى السماء من ضيقه عن الإيمان فيجزيه بذلك ، كذلك يسلّط الله الشيطان عليه وعلى أمثاله ممن أبَى الإيمان بالله ورسوله ، فيغويه ويصدّه عن سبيل الحق .

* * *

(١) انظر تفسير « الصعود » فيما سلف ٧ : ٢٩٩ – ٣٠٢ .

وقد اختلف أهل التأويل فى معنى « الرجس » .

فقال بعضهم : هو كل ما لا خير فيه .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٧٨ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : « الرجس »، ما لا خير فيه .

١٣٨٧٩ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون » ، قال : ما لا خير فيه .

* * *

وقال آخرون: « الرجس » ، العذاب .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٨٠ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون » ، قال : الرجس عذابُ الله .

* * *

وقال آخرون : « الرجس » ، الشيطان .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٨١ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « الرجس » ، قال : الشيطان .

* * *

وكان بعض أهل المعرفة بلغات العرب من الكوفيين يقول : « الرِّجْس » ، « والنِّجْس » لغتان . ويحكى عن العرب أنها تقول: «ما كان رِجْساً، ولقد رَجُس رَجَاسة » و « نَجُس نَجَاسة » .

وكان بعض نحويي البصريين يقول : « الرجس » و« الرِّجز » ، سواء ، وهما العذاب .[١]

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى ما قاله ابن عباس ، ومن قال إن « الرجس » و« النجس » واحد ، للخبر الذي رُوِيَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول إذا دخل الخلاء : « اللهُمَّ إنّى أعوذ بك من الرِّجْس النَّجْس الخبيث المُخْبِثِ الشيطان الرَّجيم » .[٢]

١٣٨٨٢ – حدثنى بذلك عبد الرحمن بن البخترى الطائى قال ، حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى ، عن إسمعيل بن مسلم ، عن الحسن وقتادة ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .[٣]

* * *

وقد بيَّن هذا الخبر أن « الرِّجْس » هو « النَّجْس » ، القذر الذى لا خير فيه ، وأنه من صفة الشيطان .

* * *

---

(١) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٠٦ ، فهذا قوله .

(٢) قال أبو عبيد : « الخبيث » ذو الخبث فى نفسه ، و « المخبث » (بكسر الباء) : الذى أصحابه وأعوانه خبثاء = وهو مثل قولهم : « فلان ضعيف مضعف ، وقوى مقو » ، فالقوى فى بدنه ، والمقوى الذى تكون دابته قوية = يريد هو الذى يعلمهم الخبث ويوقعهم فيه .

(٣) الأثر : ١٣٨٨٢ – « عبد الرحمن بن البخترى الطائى » ، شيخ أبى جعفر ، لم أجد له ذكراً فيما بين يدى من الكتب ؛ وأخشى أن يكون فى اسمه خطأ .

و « عبد الرحمن بن محمد المحاربى » ، سلف مراراً كثيرة ، آخرها رقم : ١٠٣٣٩ .

و « إسماعيل بن مسلم المكى البصرى » ، مضى برقم : ٥٤١٧ ، ٨٨١١ .

وهذا إسناد صحيح ، ولكنى لم أجد هذا الخبر فى حديث أنس ، فى المسند أو غيره ، ووجدته بهذا اللفظ فى حديث أبى أمامة بإسناد ضعيف ، من طريق يحيى بن أيوب ، عن عبيد الله بن زحر ، عن على بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبى أمامة ، رواه ابن ماجة فى سننه ص : ١٠٩ رقم : ٢٩٩ . قال ابن حبان : « إذا اجتمع فى إسناد خبر ، عبيد الله بن زحر ، وعلى بن يزيد ، عن القاسم ، فذاك مما عملته أيديهم ! » .

القول فى تأويل قوله ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ (١٢٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وهذا الذي بيّنا لك ، يا محمد ، فى هذه السورة وغيرها من سور القرآن = هو صراطُ ربك ، يقول : طريق ربّك ، ودينه الذى ارتضاه لنفسه ديناً ، وجعله مستقيماً لا اعوجاج فيه . (١) فاثبُتْ عليه ، وحرِّم ما حرمته عليك ، وأحلل ما أحللته لك ، فقد بيّنا الآيات والحجج على حقيقة ذلك وصحته(٢) = « لقوم يذكرون » ، يقول : لمن يتذكر ما احتجَّ الله به عليه من الآيات والعبر فيعتبر بها .(٣) وخص بها «الذين يتذكرون»، لأنهم هم أهل التمييز والفهم ، وأولو الحجى والفضل=وقيل : « يذّكرون» . . . . . (٤)

* * *

وبنحو الذي قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٨٣ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وهذا صراط ربك مستقيماً » ، يعني به الإسلام .. ٢٥/٨

* * *

---

(١) انظر تفسير : « الصراط المستقيم » فيما سلف ١٠ : ١٤٦ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « فصل » فيما سلف ص : ٦٩ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « آية » فيما سلف من فهارس اللغة (أي) .

(٣) انظر تفسير « التذكر » فيما سلف من فهارس اللغة (ذكر) .

(٤) فى المطبوعة « فقيل يذكرون » ، وفى المخطوطة : « وقيل يذكرون » ، كأنه أراد أن يكتب شيئاً ، ثم قطعه . ولعله أراد أن يبين إدغام التاء فى الذال من « يتذكرون » ، ثم سقط منه أو من الناسخ ، فوضعت نقطاً لذلك ، وإن كان إسقاطها لا يضر شيئاً .

القول في تأويل قوله ﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (١٢٧)

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره بقوله : « لهم » ، للقوم الذين يذكرون آيات الله فيعتبرون بها ، ويوقنون بدلالتها على ما دلت عليه من توحيد الله ومن نبوّة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك ، فيصدّقون بما وصلوا بها إلى علمه من ذاك .

* * *

وأما « دار السلام » ، فهي دار الله التي أعدّها لأوليائه في الآخرة ، جزاءً لهم على ما أبلوا في الدنيا في ذات الله ، وهي جنته . و« السلام » ، اسم من أسماء الله تعالى ،[1] كما قال السدي :—

١٣٨٨٤ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « لهم دار السلام عند ربهم » ، الله هو السلام ، والدار الجنة .

* * *

وأما قوله : « وهو وليُّهم »، فإنه يقول : والله ناصر هؤلاء القوم الذين يذكرون آيات الله[2] = « بما كانوا يعملون » ، يعني : جزاءً بما كانوا يعملون من طاعة الله ويتبعون رضوانه .

* * *

---

(١) انظر تفسير « السلام » فيما سلف ١٠ : ١١/١٤٥ : ٣٩٢ .

(٢) انظر تفسير « ولي » فيما سلف من فهارس اللغة (ولي) .

القول فى تأويل قوله ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « ويوم يحشرهم جميعاً » ، ويوم يحشر هؤلاء العادلين بالله الأوثانَ والأصنامَ وغيرَهم من المشركين ، مع أوليائهم من الشياطين الذين كانوا يُوحون إليهم زخرف القول غروراً ليجادلوا به المؤمنين ، فيجمعهم جميعاً فى موقف القيامة[1] = يقول للجن : « يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس» ، وحذف « يقول للجن » من الكلام ، اكتفاءً بدلالة ما ظهر من الكلام عليه منه .

* * *

وعنى بقوله : « قد استكثرتم من الإنس» ، استكثرتم من إضلالهم وإغوائهم ، كما : —

١٣٨٨٥ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة، عن ابن عباس قوله : « ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس » ، يعنى : أضللتم منهم كثيراً .

١٣٨٨٦ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس » ، قال : قد أضللتم كثيراً من الإنس .

١٣٨٨٧ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « قد استكثرتم من الإنس » ، قال : كثُر من أغويتم .

---

(١) انظر تفسير « الحشر » فيما سلف ص : ٥٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

١٣٨٨٨ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٣٨٨٩ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن الحسن : « قد استكثرتم من الإنس » ، يقول : أضللتم كثيراً من الإنس .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فيجيب أولياءُ الجن من الإنس فيقولون : « ربنا استمتع بعضنا ببعض في الدنيا ».[1] فأما استمتاع الإنس بالجن، فكان كما :ــ

١٣٨٩٠ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قوله : « ربنا استمتع بعضنا ببعض » ، قال : كان الرجل في الجاهلية ينزل الأرض فيقول : « أعوذ بكبير هذا الوادي » ، فذلك استمتاعهم ، فاعتذروا يوم القيامة .

* * *

= وأما استمتاع الجن بالإنس ، فإنه كان ، فيما ذكر ، ما ينال الجنّ من الإنس من تعظيمهم إيّاهم في استعاذتهم بهم ، فيقولون : «قد سدنا الجِنّ والحِنّ»[2]

* * *

---

(١) انظر تفسير « الاستمتاع » فيما سلف ٨ : ١٧٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) في المطبوعة : « قد سدنا الجن والإنس » ، غير ما في المخطوطة ، لم يحسن قراءتها لأنها غير منقوطة . وأثبت ما في المخطوطة . و « الحن » (بكسر الحاء) ، حي من أحياء الجن ، وقد سلف بيان ذلك في الجزء ١ : ٤٥٥ ، تعليق : ١ ، فراجعه هناك . وانظر معاني القرآن للفراء ١ : ٣٥٤ ، والذي هناك مطابق لما في المطبوعة .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قالوا : بلغنا الوقتَ الذى وقَّتَّ لموتنا.(١) وإنما يعنى جل ثناؤه بذلك : أنهم قالوا : استمتع بعضنا ببعض أيّام حياتنا إلى حال موتنا ، كما : —

١٣٨٩١ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أما قوله : « وبلغنا أجلنا الذى أجّلتَ لنا » ، فالموت . ٢٦/٨

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (١٢٨)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله تعالى ذكره عمّا هو قائل لهؤلاء الذين يحشرهم يوم القيامة من العادلين به فى الدنيا الأوثان ، ولقُرَنائهم من الجن ، فأخرج الخبر عما هو كائنٌ ، مُخْرَج الخبر عما كان ، لتقدُّم الكلام قبلَه بمعناه والمراد منه ، فقال : قال الله لأولياء الجن من الإنس الذين قد تقدَّم خبرُه عنهم : « النار مثواكم » ، يعنى نار جهنم = « مثواكم » ، الذى تثوون فيه ، أى تقيمون فيه .

* * *

و « المثوى » هو « المَفْعَل » من قولهم : « ثَوَى فلان بمكان كذا » ، إذا أقام فيه.(٢)

* * *

(١) انظر تفسير « الأجل » فيما سلف ص : ١١ : ٢٥٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « المثوى » فيما سلف ٧ : ٢٧٩ .

= « خالدين فيها » ، يقول : لابثين فيها [١] = « إلاّ ما شاء الله » ، يعنى إلا ما شاء الله من قَدْر مُدَّة ما بين مبعثهم من قبورهم . إلى مصيرهم إلى جهنم، فتلك المدة التى استثناها الله من خلودهم فى النار= « إن ربك حكيم »، فى تدبيره فى خلقه ، وفى تصريفه إياهم فى مشيئته من حال إلى حال ، وغير ذلك من أفعاله = « عليم » ، بعواقب تدبيره إياهم ،[٢] وما إليه صائرةُ أمرهم من خير وشر . [٣]

* * *

وروي عن ابن عباس أنه كان يتأول فى هذا الاستثناء : أنّ الله جعل أمرَ هؤلاء القوم فى مبلغ عذابه إيّاهم إلى مشيئته .

١٣٨٩٢ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قال : « النار مثواكم خالدين فيها إلاّ ما شاء الله إن ربك حكيم عليم » ، قال : إن هذه الآية : آيةٌ لا ينبغى لأحدٍ أن يحكم على الله فى خلقه ، لا ينزلْهم جنّةً ولا ناراً . [٤]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ (١٢٩)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل « نُوَلّى» .

فقال بعضهم : معناه : نجعل بعضهم لبعض وليًّا ، على الكفر بالله .

---

(١) انظر تفسير « الخلود » فيما سلف من فهارس اللغة (خلد) .

(٢) انظر تفسير « حكيم » و « عليم » فيما سلف من فهارس اللغة (حكم) و (علم) .

(٣) فى المطبوعة : « صائر» بغير تاء فى آخره ، والصواب ما فى المخطوطة . « صائرة » مثل « عاقبة » لفظاً ومعنى ، ومنه قبل : « الصائرة ، ما يصير إليه النبات من اليبس » .

(٤) فى المطبوعة : « أن لا ينزلهم » فزاد « أن » ، فأفسد المعنى إفساداً حتى ناقض بعضه بعضاً . وإنما قوله : « لا ينزلهم جنه ولا ناراً » ، نهى للناس أن يقول : « فلان فى الجنة » و « فلان فى النار » . « ينزلهم » مجزومة اللام بالناهية .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٩٣ – حدثنا يونس قال، حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون » ، وإنما يولى الله بين الناس بأعمالهم ، فالمؤمن ولىُّ المؤمن أين كان وحيث كان ، والكافر ولىُّ الكافر أينما كان وحيثما كان . ليس الإيمان بالتَمنِّى ولا بالتحلِّى .

* * *

وقال آخرون : معناه : نُتْبِع بعضهم بعضاً فى النار = من « الموالاة » ، وهو المتابعة بين الشيء والشيء ، من قول القائل : « واليت بين كذا وكذا » ، إذا تابعت بينهما .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٩٤ – حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة: « وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً »، فى النار ، يتبع بعضهم بعضاً .(١)

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك ، نسلط بعضَ الظلمة على بعض .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٩٥ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله: « وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً »، قال : ظالمى الجن وظالمى الإنس . وقرأ: ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾، [سورة الزخرف : ٣٦] . قال : نسلط ظلمة الجن على ظلمة الإنس .

* * *

(١) انظر تفسير « ولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال في تأويل ذلك بالصواب ، قولُ من قال : معناه : وكذلك نجعل بعض الظالمين لبعضٍ أولياء . لأن الله ذكر قبل هذه الآية ما كان من قول المشركين ، فقال جل ثناؤه : « وقال أولياؤهم من الإنس ربّنا استمتع بعضنا ببعض » ، وأخبر جل ثناؤه : أنّ بعضهم أولياء بعض ، ثم عقب خبره ذلك بخبره عن أن ولاية بعضهم بعضاً بتوليته إياهم ، فقال : وكما جعلنا بعض هؤلاء المشركين من الجن والإنس أولياء بعض يستمتع بعضهم ببعض ، كذلك نجعل بعضَهم أولياء بعض في كل الأمور = « بما كانوا يكسبون » ، من معاصي الله ويعملونه . (١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ﴾ ٢٧/٨

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله جل ثناؤه عما هو قائل يوم القيامة لهؤلاء العادلين به من مشركي الإنس والجن ، يخبر أنه يقول لهم تعالى ذكره يومئذ : «يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي » ، يقول يخبرونكم بما أوحي إليهم من تنبيهي إياكم على مواضع حججي ، وتعريفي لكم أدلّتي على توحيدي ، وتصديق أنبيائي ، والعمل بأمري ، والانتهاء إلى حدودي = « وينذرونكم لقاء يومكم هذا » ، يقول : يحذّرونكم لقاء عذابي في يومكم هذا ، وعقابي على معصيتكم إيّاي ، فتنتهوا عن معاصيّ . (٢)

وهذا من الله جل ثناؤه تقريع وتوبيخ لهؤلاء الكفرة على ما سلف منهم في الدنيا من الفسوق والمعاصي . ومعناه : قد أتاكم رسلٌ منكم ينبّهونكم على خطأ ما كنتم

(١) انظر تفسير « الكسب » فيما سلف : ١١ : ٤٤٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الإنذار » فيما سلف من فهارس اللغة (نذر) .

عليه مقيمين بالحجج البالغة ، وينذرونكم وعيدَ الله على مقامكم على ما كنتم عليه مقيمين ، فلم تقبلوا ذلك ، ولم تتذكروا ولم تعتبروا .

* * *

واختلف أهل التأويل فى « الجن » ، هل أرسل منهم إليهم ، أم لا ؟

فقال بعضهم : قد أرسل إليهم رسل ، كما أرسل إلى الإنس منهم رسلٌ .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٩٦ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال : سئل الضحاك عن الجن، هل كان فيهم نبيّ قبل أن يُبْعث النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقال: ألم تسمع إلى قول الله: « يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصُّون عليكم آياتى » ، يعنى بذلك : رسلاً من الإنس ، ورسلاً من الجن ؟ فقالوا : بلَى !

* * *

وقال آخرون : لم يرسل منهم إليهم رسولٌ ، ولم يكن له من الجنّ قطُّ رسول مرسل ، وإنما الرسل من الإنس خاصَّة ، فأما من الجن فالنُّذُر . قالوا : وإنما قال الله : « ألم يأتكم رسل منكم » ، والرسل من أحد الفريقين ، كما قال : ﴿ مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾ ، [سورة الرحمن : ١٩] ، ثم قال : ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ ، [سورة الرحمن : ٢٢] ، وإنما يخرج اللؤلؤ والمرجان من الملح دون العذب منهما ، وإنما معنى ذلك: يخرج من بعضهما ، أو من أحدهما . (١) قال : وذلك كقول القائل لجماعة أدؤُرٍ : « إن فى هذه الدُّور لشرًّا » ، وإن كان الشر فى واحدة منهن ، فيخرج الخبر عن جميعهن ، والمراد به الخبر عن بعضهن ، وكما يقال : « أكلتُ خبزاً ولبناً » ، إذا اختلطا ، ولو قيل : « أكلت لبناً » ، كان

(١) هذه مقالة الفراء ، انظر معانى القرآن ١ : ٣٥٤ ، وظاهر أن الذى بعده من كلام الفراء أيضاً من موضع آخر غير هذا الموضع .

الكلام خطأً ، لأن اللبن يشرب ولا يؤكل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٩٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قوله : « يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم » ، قال : جمعهم كما جمع قوله : ﴿ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ ، [سورة فاطر : ١٢] ، ولا يخرج من الأنهار حلية = قال ابن جريج ، قال ابن عباس : هم الجن الذين لقوا قومهم ، وهم رُسُل إلى قومهم .

* * *

فعلى قول ابن عباس هذا : أنّ من الجنّ رسلاً للإنس إلى قومهم = فتأويل الآية على هذا التأويل الذى تأوّله ابن عباس : ألم يأتكم ، أيها الجن والإنس ، رسل منكم ، فأما رسل الإنس فرسل من الله إليهم ، وأما رسل الجن ، فرسُل رُسُل الله من بنى آدم ، وهم الذين إذا سمِعوا القرآنَ ولّوا إلى قومهم منذرين . (١)

* * *

وأما الذين قالوا بقول الضحاك ، فإنهم قالوا : إن الله تعالى ذكره أخبرَ أنّ من الجن رسلاً أرسلوا إليهم ، كما أخبر أنّ من الإنس رسلاً أرسلوا إليهم . قالوا : ولو جاز أن يكون خبرُه عن رسل الجن بمعنى أنهم رسل الإنس ، جاز أن يكون خبره عن رسل الإنس بمعنى أنهم رُسُل الجنّ . (٢) قالوا : وفى فساد هذا المعنى ما
٢٨/٨ يدلُّ على أن الخبرين جميعاً بمعنى الخبر عنهم أنهم رُسُل الله ، لأن ذلك هو المعروف فى الخطاب دون غيره .

* * *

(١) اقرأ آيات سورة الأحقاف : ٢٩ — ٣٢ .

(٢) يعنى بهذا أن المنذرين الذين ذهبوا إلى قومهم ، لو جاز أن يسموا « رسلا » أرسلهم الإنس إلى الجن ، جاز أن يسمى « رسل الإنس » = وهم رسل الله إلى الإنس والجن = « رسل الجن » ، أرسلهم الجن إلى الإنس . وهذا ظاهر البطلان .

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴾ (١٣٠)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن قول مشركى الجن والإنس عند تقريعه إياهم بقوله لهم : « ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا »، أنهم يقولونه . . . . . .[1]= « شهدنا على أنفسنا»، بأن رسلك قد أتتنا بآياتك، وأنذرتنا لقاء يومنا هذا ، فكذبناها وجحدنا رسالتها، ولم نتبع آياتك ولم نؤمن بها .

قال الله خبراً مبتدأ : وغرّت هؤلاء العادلين بالله الأوثان والأصنام ، وأولياءَهم من الجن[2] = « الحياة الدنيا » ، يعنى : زينة الحياة الدنيا ، وطلبُ الرياسة فيها والمنافسة عليها ، أن يسلموا لأمر الله فيطيعوا فيها رسله ، فاستكبروا وكانوا قوماً عالين . فاكتفى بذكر « الحياة الدنيا » من ذكر المعانى التى غرّتهم وخدَعتهم فيها، إذ كان فى ذكرها مكتفىً عن ذكر غيرها ، لدلالة الكلام على ما تُرك ذكره = يقول الله تعالى ذكره : « وشهدوا على أنفسهم » ، يعنى : هؤلاء العادلين به يوم القيامة = أنهم كانوا فى الدنيا كافرين به وبرسله ، لتتم حجّةُ الله عليهم بإقرارهم على أنفسهم بما يوجب عليهم عقوبته وأليمَ عذابه .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « أنهم يقولون : شهدنا على أنفسنا » ، وصل الكلام ، وفى المخطوطة بياض ، جعلت مكانه هذه النقط ، وأمام البياض فى المخطوطة حرف (ط) دلالة على أنه خطأ ، وأنه كان هكذا فى النسخة التى نقل عنها .

(٢) انظر تفسير « الغرور » فيما سلف ص : ٥٦ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ (١٣١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم » ، أى : إنما أرسلنا الرسل ، يا محمد ، إلى من وصفتُ أمرَه ، وأعلمتك خبره من مشركى الإنس والجن ، يقصون عليهم آياتى وينذرونهم لقاء معادهم إلىّ ، من أجل أن ربَّك لم يكن مهلك القرى بظلم .

* * *

وقد يتّجه من التأويل فى قوله : « بظلم » ، وجهان :

أحدهما : « ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم » ، أى : بشرك مَنْ أشرك ، وكفر مَنْ كفر من أهلها ، كما قال لقمان : ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ، [سورة لقمان : ١٣] = « وأهلها غافلون » ، يقول : لم يكن يعاجلهم بالعقوبة حتى يبعث إليهم رسلاً تنبههم على حجج الله عليهم ، وتنذرهم عذاب الله يوم معادهم إليه ، ولم يكن بالذى يأخذهم غَفْلة فيقولوا : « ما جاءنا من بَشِيرٍ ولا نذير » .

* * *

والآخر : « ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم » ، يقول : لم يكن ليهلكهم دون التنبيه والتذكير بالرُّسل والآيات والعبر ، فيظلمهم بذلك ، والله غير ظلاّمٍ لعبيده .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين بالصواب عندى ، القولُ الأول : أن يكون معناه : أن لم يكن ليهلكهم بشركهم ، دون إرسال الرسل إليهم ، والإعذار بينه وبينهم . وذلك أن قوله : « ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم » ، عقيب قوله :

---

(١) فى المطبوعة : « للعبيد » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

« ألم يأتكم رسل منكم يقصُّون عليكم آياتى » ، فكان فى ذلك الدليل الواضحُ على أن نصَّ قوله : « ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم » ، إنما هو : إنما فعلنا ذلك من أجل أنَّا لا نهلك القرى بغير تذكيرٍ وتنبيه . (١)

* * *

وأما قوله : « ذلك » ، فإنه يجوز أن يكون نصباً ، بمعنى : فعلنا ذلك = ويجوز أن يكون رفعاً ، بمعنى الابتداء، كأنه قال : ذلك كذلك .

* * *

وأما « أنْ » ، فإنها فى موضع نصب ، بمعنى : فعلنا ذلك من أجل أنْ لم يكن ربك مهلك القرى = فإذا حذف ما كان يخفضها ، تعلق بها الفعل فنصب . (٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٣٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولكل عامل فى طاعة الله أو معصيته ، منازل ومراتب من عمله يبلغه الله إياها ، ويثيبه بها ، إن خيراً فخيراً ، إن شرًّا فشرًّا (٣) = « وما ربك بغافل عما يعملون » ، يقول جل ثناؤه : وكل ذلك من عملهم ، يا محمد ، بعلم من ربِّك ، يحصيها ويثبتها لهم عنده ، ليجازيهم عليها عند لقائهم إياه ومعادهم إليه .

* * *

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٥٥ ، فهذا رد على الفراء ، وهو صاحب القول الثانى .
(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٥٥ .
(٣) انظر تفسير « درجة » فيما سلف : ١١ : ٥٠٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

٢٩/٨ القول فى تأويل قوله ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴾ (١٣٣)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : « وربك » ، يا محمد ، الذى أمر عباده بما أمرهم به ، ونهاهم عما نهاهم عنه ، وأثابهم على الطاعة ، وعاقبهم على المعصية = « الغنى » ، عن عباده الذين أمرهم بما أمر ، ونهاهم عما نهى ، وعن أعمالهم وعبادتهم إياه ، وهم المحتاجون إليه ، لأنه بيده حياتهم ومماتهم ، وأرزاقهم وأقواتهم ، ونفعهم وضرهم .[1] يقول عز ذكره : فلم أخلقهم ، يا محمد ، ولم آمرهم بما أمرتهم به ، وأنهاهم عما نهيتهم عنه ، لحاجةٍ لى إليهم ، ولا إلى أعمالهم ، ولكن لأتفضَّل عليهم برحمتى ، وأثيبهم على إحسانهم إن أحسنوا ، فإنى ذو الرَّأفة والرحمة .[2]

* * *

وأما قوله : « إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء » ، فإنه يقول : إن يشأ ربُّك ، يا محمد ، الذى خلق خلقه لغير حاجة منه إليهم وإلى طاعتهم إياه = « يذهبكم » ، يقول : يهلك خلقه هؤلاء الذين خلقهم من ولد آدم[3] = « ويستخلف من بعدكم ما يشاء » ، يقول : ويأت بخلق غيركم وأمم سواكم ، يخلفونكم فى الأرض = « من بعدكم » ، يعنى : من بعد فنائكم وهلاككم = « كما أنشأكم من ذرّية قوم آخرين » ، كما أحدثكم وابتدعكم من بعد خلق آخرين كانوا قبلكم .

* * *

(١) انظر تفسير « الغنى » فيما سلف ٥ : ٥٢١ ، ٩/٥٧٠ : ٢٩٦ .
(٢) انظر تفسير « الرحمة » فيما سلف من فهارس اللغة (رحم) .
(٣) انظر تفسير « الإذهاب » فيما سلف ٩ : ٢٩٨ .

ومعنى « مِنْ » فى هذا الموضع التعقيب ، كما يقال فى الكلام : « أعطيتك من دينارك ثوباً » ، بمعنى : مكانَ الدينار ثوباً ، لا أن الثوب من الدينار بعضٌ . كذلك الذين خوطبوا بقوله : « كما أنشأكم » ، لم يرد بإخبارهم هذا الخبر أنهم أنشئوا من أصلاب قوم آخرين ، ولكن معنى ذلك ما ذكرنا من أنهم أنشئوا مكان خَلْقٍ خَلَف قوم آخرين قد هلكوا قبلهم .

* * *

و «الذرية» «الفُعْلِيّة» ، من قول القائل : : « ذرأ الله الخلق » ، بمعنى خلقهم ، « فهو يذرؤهم » ، ثم ترك الهمزة فقيل « ذرا الله » ، ثم أخرج « الفُعْلِيّة » بغير همز ، على مثال « العُبِّيَّة » . (١)

* * *

وقد روى عن بعض المتقدمين أنه كان يقرأ : ﴿مِنْ ذُرِّيئَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ على مثال « فُعِّيلة » . (٢)

* * *

وعن آخر أنه كان يقرأ : ﴿وَمِنْ ذِرِّيَّةِ﴾ ، على مثال « عِلِّيَّة » .

* * *

قال أبو جعفر : والقراءة التى عليها القرأة فى الأمصار : ﴿ذُرِّيَّةِ﴾ ، بضم الذال ، وتشديد الياء ، على مثال « عُبِّيَّة » . (٣)

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « العلية » ، وهو خطأ ، لأن هذه بكسر العين . وفى المخطوطة : « العلمه » ، غير منقوطة ، واجتهدت قراءتها كذلك . وفى الحديث : « إن الله وضع عنكم عبية الجاهلية وتعظمها بآبائها » ، و « العبية » فخر الجاهلية وكبرها ونخوتها . يقال إنها من « التعبية » ، وقالوا بعضهم : هى « فعولة » ، وجائز أن تكون « فعلية » ، كما قال هذا القائل فى « ذرية » ، وانظر مادة (عبب) فى لسان العرب .

(٢) كان فى المخطوطة : « من ذرية » ، كما هى التلاوة السالفة ، ولكن ظاهر أن الذى فى المطبوعة هو الصواب . لأن « ذرية » أصلها « ذريئة » ، من « ذرأ الله الخلق » ، فكان ينبغى أن تكون مهموزة ، فكثرت ، فأسقط الهمز ، وتركت العرب همزها . وانظر لسان العرب (ذرأ) .

(٣) انظر التعليق السالف رقم : ١ ، وكان فى المطبوعة هنا أيضاً « علية » ، ومثلها فى المخطوطة ، والصواب الراجح ما أثبته .

وقد بينا اشتقاق ذلك فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته ههنا .(١)

* * *

وأصل « الإنشاء » ، الإحداث . يقال : « قد أنشأ فلان يحدّث القوم » ، بمعنى ابتدأ وأخذ فيه .(٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ (١٣٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمشركين به : أيها العادلون بالله الأوثانَ والأصنامَ ، إن الذى يُوعدكم به ربكم من عقابه على إصراركم على كفركم ، واقعٌ بكم = « وما أنتم بمعجزين » ، يقولَ : لن تعجزوا ربّكم هرباً منه فى الأرض فتفوتوه ، لأنكم حيث كنتم فى قبضته ، وهو عليكم وعلى عقوبتكم بمعصيتكم إيّاه قادر . يقول : فاحذرُوه وأنيبوا إلى طاعته ، قبل نزول البلاء بكم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « قل » ، يا محمد ، لقومك من قريش الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر = : « اعملوا على مكانتكم » ، يقول : اعملوا على حِيالكم وناحيتكم ، كما : —

---

(١) انظر تفسير « الذرية » فيما سلف ٣ : ١٩ ، ٥/٧٣ : ٦/٥٤٣ : ٣٢٧ ، ولم يفسرها فى هذه المواضع ، ثم فسرها فى ٦ : ٨/٣٦٢ : ١١/١٩ : ٥٠٧ .

(٢) انظر تفسير « الإنشاء » فيما سلف : ١١ : ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٥٦٢ .

١٣٨٩٨ – حدثني على بن داود قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « يا قوم اعملوا على مكانتكم » ، يعني : على ناحيتكم .

* * *

يقال منه : « هو يعمل على مكانته ، ومَكِينته » .

* * *

وقرأ ذلك بعض الكوفيين : ﴿ عَلَىٰ مَكَانَاتِكُمْ ﴾ ، على جمع « المكانة » .

* * *

قال أبو جعفر : والذي عليه قرأة الأمصار : ﴿ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ﴾ ، على التوحيد .

* * *

= « إني عامل » ، يقول جل ثناؤه ، لنبيه : قل لهم اعملوا ما أنتم عاملون ، فإني عامل ما أنا عامله مما أمرني به ربي = « فسوف تعلمون » ، يقول : فسوف تعلمون عند نزول نقمة الله بكم ، أيُّنا كان المحقّ في عمله ، والمصيب سبيلَ الرشاد ، أنا أم أنتم . ٣٠/٨

وقوله تعالى ذكره لنبيه : قل لقومك ، « يا قوم اعملوا على مكانتكم » ، أمرٌ منه له بوعيدهم وتهدّدهم ، لا إطلاقٌ لهم في عمل ما أرادُوا من معاصي الله .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ (١٣٥)

قال أبو جعفر : يعني بقوله جل ثناؤه : « من تكون له عاقبة الدار » ، فسوف تعلمون ، أيها الكفرة بالله ، عند معاينتكم العذابَ ، مَن الذي تكون له عاقبة الدار منا ومنكم .[1] يقول : من الذي تُعْقبه دنياه ما هو خير له منها أو شر

(١) انظر تفسير « العاقبة » فيما سلف ١١ : ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

منها ،[١] بما قدم فيها من صالح أعماله أو سيّئها .

ثم ابتدأ الخبر جل ثناؤه فقال : « إنه لا يفلح الظالمون » ، يقول : إنه لا ينجح ولا يفوز بحاجته عند الله مَنْ عمل بخلاف ما أمره الله به من العمل فى الدنيا[٢]= وذلك معنى : « ظلم الظالم » ، فى هذا الموضع .[٣]

* * *

وفى « من » التى فى قوله : « من تكون له » ، وجهان من الإعراب :

= الرفع على الابتداء .

= والنصبُ بقوله : « تعلمون » ، ولإعمال « العلم » فيه .

والرفع فيه أجود ، لأن معناه : فسوف تعلمون أيُّنا له عاقبة الدار ؟ فالابتداء فى « من » ، أصحُّ وأفصح من إعمال « العلم » فيه .[٤]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (١٣٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وجعل هؤلاء العادلون بربهم الأوثانَ والأصنام لربهم = « مما ذرأ » خالقهم ، يعنى : مما خلق من الحرث والأنعام .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « من الذى يعقب دنياه » ، والذى فى المخطوطة هو الصواب .

(٢) انظر تفسير « الفلاح » فيما سلف ١١ : ٢٩٦ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الظلم » فيما سلف من فهارس اللغة (ظلم) .

(٤) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٥٥ .

يقال منه : « ذرأ الله الخلق يذرؤهم ذَرْءًا ، وذَرْوًا » ،(١) إذا خلقهم .

* * *

= « نصيباً » ، يعني : قسماً وجزءاً .(٢)

* * *

ثم اختلف أهل التأويل في صفة النصيب الذي جعلوا لله ، والذي جعلوه لشركائهم من الأوثان والشيطان .

فقال بعضهم : كان ذلك جزءاً من حروثهم وأنعامهم يُفْرِزُونه لهذا،(٣) وجزءاً آخر لهذا .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٨٩٩ – حدثني إسحق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال، حدثنا عتاب بن بشير ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس « فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله »، الآية ، قال : كانوا إذا أدخلوا الطعام فجعلوه حُزَماً ، جعلوا منها لله سَهْماً ، وسهماً لآلهتهم . وكان إذا هبت الريح من نحو الذي جعلوه لآلهتهم إلى الذي جعلوه لله ، ردُّوه إلى الذي جعلوه لآلهتهم . وإذا هبت الريح من نحو الذي جعلوه لله إلى الذي جعلوه لآلهتهم ، أقرُّوه ولم يردُّوه . فذلك قوله : « ساءَ ما يحكمون » .

١٣٩٠٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ابن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا » ، قال : جعلوا

---

(١) في المخطوطة أيضاً « وذروا » ، كأنه يعني تسهيل الهمزة ، ولم أجد ذكر ذلك في مصادر هذا الفعل ، ولا أظنه أراد : « وذروءاً » ، فإن أحداً لم يذكر ذلك .

(٢) انظر تفسير « نصيب » فيما سلف ٩ : ٣٢٤ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) في المطبوعة : « يقررونه » ، وفي المخطوطة : « يفررون » غير تامة النقط ، وصواب قراءتها ما أثبت . « فرزت الشيء » و « أفرزته »، إذا عزلته عن غيره ، وميزته . و « الفرز » (بكسر فسكون) : النصيب المفروز لصاحبه ، واحداً كان أو اثنين .

لله من ثمراتهم وما لهم نصيباً، وللشيطان والأوثان نصيباً . فإن سقط من ثمرة ما جعلوا لله فى نصيب الشيطان تركوه ، وإن سقط مما جعلوه للشيطان فى نصيب الله التقطوه وحفظوه وردُّوه إلى نصيب الشيطان، وإن انفجر من سِقْى ما جعلوه لله فى نصيب الشيطان تركوه،(١) وإن انفجر من سِقْى ما جعلوه للشيطان فى نصيب الله سدُّوه . فهذا ما جعلوا من الحروث وسِقْى الماء . وأما ما جعلوا للشيطان من الأنعام فهو قول الله: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾، [سورة المائدة: ١٠٣].

١٣٩٠١ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً ، فقالوا هذا لله بزعمهم » ، الآية ، وذلك أن أعداءَ الله كانوا إذا احترثوا حرثاً ، أو كانت لهم ثمرة ، جعلوا لله منها جزءاً وللوثن جزءاً، فما كان من حرث أو ثمرة أو شىء من نصيب الأوثان حفظوه وأحصوه . فإن سقط ٣١/٨
منه شىء فيما سُمِّى لله ردُّوه إلى ما جعلوا للوثن . وإن سبقهم الماء إلى الذى جعلوه للوثن ، فسقى شيئاً جعلوه لله ، جعلوا ذلك للوثن . وإن سقط شىء من الحرث والثمرة التى جعلوا لله . فاختلط بالذى جعلوا للوثن ، قالوا : « هذا فقير » ! ولم يردوه إلى ما جعلوا لله ، وإن سبقهم الماء الذى جعلوا لله فسقى ما سُمِّى للوثن ، تركوه للوثن . وكانوا يحرِّمون من أنعامهم البَحيرة والسائبة والوصيلةَ والحام ، فيجعلونه للأوثان ، ويزعمون أنهم يحرّمونه لله . فقال الله فى ذلك : « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً » ، الآية .

١٣٩٠٢ — حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً » ، قال : يسمون لله جزءاً من الحرث ، ولشركائهم وأوثانهم

---

(١) « السقى » (بكسر السين وسكون القاف) : والشرب (بكسر فسكون) ، وهو مورد الماء كالجدول ، يسقى به الزرع .

جزءاً ، فما ذهبت به الريح مما سمّوا لله إلى جزء أوثانهم تركوه ، وما ذهب من جزء أوثانهم إلى جزء الله ردُّوه ، وقالوا : « الله عن هذا غنيّ » ! و « الأنعام » السائبة والبحيرة التي سمَّوا .

١٣٩٠٣ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

١٣٩٠٤ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً » ، الآية ، عمَدَ ناس من أهل الضلالة فجزّأوا من حروثهم ومواشيهم جزءاً لله وجزءاً لشركائهم . وكانوا إذا خالط شيء مما جزّأوا لله فيما جزأوا لشركائهم خلّوه . فإذا خالط شيء مما جزأوا لشركائهم فيما جزأوا لله ردّوه على شركائهم . وكانوا إذا أصابتهم السَّنةُ استعانوا بما جزأوا لله ، وأقرّوا ما جزأوا لشركائهم ، قال الله : « ساء ما يحكمون » .

١٣٩٠٥ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً » ، قال : كانوا يجزأون من أموالهم شيئاً فيقولون : «هذا لله ، وهذا للأصنام» ، التي يعبدون . فإن ذهب بعيرٌ مما جعلوا لشركائهم ،[1] فخالط ما جعلوا لله ، ردُّوه . وإن ذهب مما جعلوه لله فخالط شيئاً مما جعلوه لشركائهم تركوه . وإن أصابتهم سنة أكلوا ما جعلوا لله ، وتركوا ما جعلوا لشركائهم ، فقال الله : « ساء ما يحكمون » .

١٣٩٠٦ – حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً» إلى « يحكمون » ، قال : كانوا يقسمون من أموالهم قِسْماً فيجعلونه لله ، ويزرعون زَرْعاً فيجعلونه لله ، ويجعلون لآلهتهم مثل ذلك . فما خرج للآلهة أنفقوه عليها ، وما خرج

---

(١) في المطبوعة : « فإذا ذهب مما جعلوا » غير ما كان في المخطوطة لغير طائل .

لله تصدقوا به . فإذا هلك الذى يصنعون لشركائهم ، وكثر الذى لله قالوا : « ليس بُدٌّ لآلهتنا من نفقة » ، وأخذوا الذي لله فأنفقوه على آلهتهم . وإذا أجدب الذى لله ، وكثر الذى لآلهتهم ، قالوا : « لو شاء أزكى الذى له » ! فلا يردُّون عليه شيئاً مما للآلهة . قال الله : لو كانوا صادقين فيما قسموا ، لبئس إذاً ما حكموا : أن يأخذوا منى ولا يعطونى . فذلك حين يقول : « ساء ما يحكمون » .

* * *

وقال آخرون : «النصيب» الذى كانوا يجعلونه لله فكان يصل منه إلى شركائهم : أنهم كانوا لا يأكلون ما ذبحوا لله حتى يسمّوا الآلهة ، وكانوا ما ذبحوه للآلهة يأكلونه ولا يسمون الله عليه .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٩٠٧ — حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً » حتى بلغ « وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم » ، قال : كل شىء جعلوه لله من ذِبْح يذبحونه ، (١) لا يأكلونه أبداً حتى يذكروا معه أسماء الآلهة . وما كان للآلهة لم يذكروا اسمَ الله معه ، وقرأ الآية حتى بلغ : « ساء ما يحكمون » . ٣٢/٨

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بالآية ما قال ابن عباس ومن قال بمثل قوله فى ذلك ، لأن الله جل ثناؤه أخبر أنهم جعلوا لله من حرثهم وأنعامهم قسماً مقدراً ، فقالوا : « هذا لله » وجعلوا مثله لشركائهم ، وهم أوثانهم ، بإجماع من أهل التأويل عليه ، فقالوا : « هذا لشركائنا » = وأن نصيب شركائهم لا يصل منه إلى الله ، بمعنى : لا يصل إلى نصيب الله ، وما كان لله وصَل إلى نصيب شركائهم . فلو كان وصول ذلك بالتسمية وترك التسمية ، كان أعيان ما أخبر الله عنه أنه لم

---

(١) « الذبح » (بكسر فسكون) ، هو « الذبيح » ، و « المذبوح » ، وهو كل ما أعد للذبح من الأضاحى ، وغيرها من الحيوان .

يصل ، جائزاً أن تكون قد وصلت ، وما أخبر عنه أنه قد وصل ، لم يصل . وذلك خلاف ما دلّ عليه ظاهر الكلام ، لأن الذبيحتين تُذبح إحداهما لله ، والأخرى للآلهة ، جائز أن تكون لحومهما قد اختلطت ، وخلطوها إذ كان المكروه عندهم تسمية الله على ما كان مذبوحاً للآلهة ، دون اختلاط الأعيان واتصال بعضها ببعض .

* * *

وأما قوله : « ساء ما يحكمون » ، فإنه خبر من الله جل ثناؤه عن فعل هؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم . يقول جل ثناؤه : وقد أساءوا فى حكمهم ،[1] إذ أخذوا من نصيبى لشركائهم ، ولم يعطونى من نصيب شركائهم . وإنما عنى بذلك تعالى ذكره الخبرَ عن جهلهم وضلالتهم ، وذهابهم عن سبيل الحق ، بأنهم لم يرضوا أن عدلوا بمن خلقهم وغذّاهم ، وأنعم عليهم بالنعم التى لا تحصى ، ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، حتى فضّلوه فى أقسامهم عند أنفسهم بالقَسْم عليه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ (١٣٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وكما زيّن شركاء هؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام لهم ما زينوا لهم ، من تصييرهم لربهم من أموالهم قَسْماً بزعمهم ، وتركهم ما وَصل من القَسْم الذى جعلوه لله إلى قسم شركائهم فى قسمهم ، وردّهم ما وَصَل من القسم الذى جعلوه لشركائهم إلى قسم نصيب الله ، إلى قسم شركائهم =

(١) انظر تفسير « ساء » فيما سلف من فهارس اللغة (سوأ) .
= وتفسير « يحكم » فيما سلف من فهارس اللغة (حكم) .

« كذلك زين لكثير من المشركين قتلَ أولادهم شركاؤهم » ، من الشياطين ، فحسنوا لهم وأد البنات [١] = « ليردوهم » ، يقول: ليهلكوهم = « وليلبسوا عليهم دينهم » ، فعلوا ذلك بهم ، ليخلطوا عليهم دينهم فيلتبس ، فيضلوا ويهلكوا ، بفعلهم ما حرم الله عليهم[٢]= ولو شاء الله أن لا يفعلوا ما كانوا يفعلون من قتلهم لم يفعلوه ، بأن كان يهديهم للحق ، ويوفقهم للسداد ، فكانوا لا يقتلونهم ، ولكن الله خذلهم عن الرشاد فقتلوا أولادهم ، وأطاعوا الشياطين التى أغوتهم .

يقول الله لنبيه ، متوعداً لهم على عظيم فريتهم على ربهم فيما كانوا يقولون فى الأنصباء التى يقسمونها : « هذا لله وهذا لشركائنا » ، وفى قتلهم أولادهم = « ذرهم » ، يا محمد ، [٣] « وما يفترون » ، وما يتقوّلون علىّ من الكذب والزور ، [٤] فإنى لهم بالمرصاد ، ومن وراء العذاب والعقاب .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٩٠٨ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم » ، زينوا لهم ، من قَتْل أولادهم .

١٣٩٠٩ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « قتل أولادهم شركاؤهم » ، شياطينهم ، يأمرونهم أن يَئِدوا أولادهم خيفة العَيْلة .[٥]

---

(١) انظر تفسير « زين » فيما سلف ص : ٩٢ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « اللبس » فيما سلف: ١١ : ٤٩٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير ذر فيما سلف : ٧٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٤) انظر تفسير « الافتراء » فيما سلف : ٥٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٥) « العيلة » (بفتح فسكون) ، الفقر وشدة الحاجة .

١٣٩١٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه . ٨/٣٣

١٣٩١١ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم » الآية ، قال : شركاؤهم زينوا لهم ذلك = « ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون » .

١٣٩١٢ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم » ، قال : شياطينهم التي عبدوها، زينوا لهم قتلَ أولادهم .

١٣٩١٣ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم » ، أمرتهم الشياطين أن يقتلوا البنات . وأما « ليردوهم » ، فيهلكوهم . وأما « ليلبسوا عليهم دينهم » ، فيخلطوا عليهم دينهم .

* * *

واختلفت القرأة في قراءة ذلك .

فقرأته قرأة الحجاز والعراق : ﴿ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ ﴾ ، بفتح الزاي من « زين » ، ﴿ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قتلَ أَوْلَادِهِمْ ﴾ ، بنصب «القتل» ، ﴿ شُرَكَاؤُهُمْ ﴾ ، بالرفع = بمعنى : أن شركاء هؤلاء المشركين ، الذين زينوا لهم قتلَ أولادهم = فيرفعون « الشركاء » بفعلهم ، وينصبون « القتل » ، لأنه مفعول به .

* * *

وقرأ ذلك بعض قرأة أهل الشأم ﴿ وَكَذَلِكَ زُيِّنَ ﴾ بضم الزاي ﴿ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ ﴾ بالرفع ﴿ أَوْلَادَهُمْ ﴾ بالنصب ﴿ شُرَكَائِهِمْ ﴾ بالخفض = بمعنى : وكذلك زُيِّن لكثير من المشركين قتلُ شركائهم أولادَهم ، ففرّقوا بين الخافض والمخفوض بما عمل فيه من الاسم . وذلك في كلام العرب قبيح غير فصيح . وقد

روى عن بعض أهل الحجاز بيت من الشعر يؤيِّد قراءة من قرأ بما ذكرت من قرأة أهل الشأم ، رأيتُ رواة الشعر وأهل العلم بالعربية من أهل العراق ينكرونه ، وذلك قول قائلهم :

فَزَجَجْتُهُ مُتَمَكِّنًا زَجَّ القَلُوصَ أَبِي مَزَادَهْ(١)

* * *

قال أبو جعفر : والقراءة التي لا أستجيز غيرها : ﴿ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ ﴾ ، بفتح الزاي من « زين » ، ونصب « القتل » بوقوع « زين » عليه ، وخفض « أولادهم » بإضافة « القتل » إليهم ، ورفع « الشركاء » ، بفعلهم ، لأنهم هم الذين زينوا للمشركين قتلَ أولادهم ، على ما ذكرتُ من التأويل .

وإنما : قلت : « لا أستجيز القراءة بغيرها » ، لإجماع الحجة من القرأة عليه ، وأن تأويل أهل التأويل بذلك ورد ، ففي ذلك أوضح البيان على فساد ما خالفها من القراءة .

* * *

ولولا أن تأويل جميع أهل التأويل بذلك ورد ، ثم قرأ قارئ : ﴿ وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ ﴾ ، بضم الزاي من « زين » ، ورفع « القتل » ، وخفض « الأولاد » و « الشركاء » ، على

---

(١) معاني القرآن للفراء ١ : ٣٥٨ ، الإنصاف : ١٧٩ ، الخزانة ٢ : ٢٥١ ، والعيني (بهامش الخزانة) ٣ : ٤٦٨ ، وغيرها كثير . « زج » : دفع بالزج ، وهو الحديدة التي في أسفل الرمح . و « القلوص » الناقة الفتية ، و « أبو مزادة » اسم رجل . وهذا البيت شاهد على ما ذهب إليه الكوفيون من جواز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف وحرف الخفض ، لضرورة الشعر . والتقدير : زج أبي مزادة القلوص ، ففصل بين المضاف والمضاف إليه بالقلوص ، وهو مفعول ، وليس بظرف ولا حرف خفض . وهذا وإن كان مقالة الكوفيين ، فإن الفراء قد رده في معاني القرآن ١ : ٣٥٨ ، وقال هو ليس بشيء .

أن « الشركاء » مخفوضون بالردّ على « الأولاد »، بأنّ « الأولاد » شركاء آبائهم فى النسب والميراث = كان جائزاً .(١)

* * *

ولو قرأه كذلك قارئ، غير أنه رفع « الشركاء » وخفض « الأولاد » ، كما يقال: « ضُرِبَ عبدُ الله أخوك »، فيظهر الفاعل، بعد أن جرى الخبر بما لم يسمَّ فاعله = كان ذلك صحيحاً فى العربية جائزاً .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَقَالُوا۟ هَـٰذِهِۦٓ أَنْعَـٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ ﴾

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء الجهلة من المشركين أنهم كانوا يحرمون ويحللون من قِبَل أنفسهم، من غير أن يكون الله أذن لهم بشىء من ذلك .

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء العادلون بربهم من المشركين ، جهلاً منهم، ٣٤/٨
لأنعام لهم وحرث: هذه أنعامٌ وهذا حرث حجر= يعنى : بـ « الأنعام» و « الحرث » ما كانوا جعلوه لله ولآلهتهم ، التى قد مضى ذكرها فى الآية قبل هذه .

* * *

وقيل : إن « الأنعام » ،السائبة والوصيلة والبحيرة التى سمَّوا. (٢)

١٣٩١٤ – حدثنى بذلك محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « الأنعام »، السائبة والبحيرة التى سمَّوا .

* * *

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٥٧ .

(٢) انظر تفسير « الأنعام » فيما سلف ٦ : ٩/٢٥٧ : ٤٥٧ .

= وتفسير « الحرث » فيما سلف ٤ : ٢٤٠ – ٢٤٣ ، ٦/٣٩٧ : ٧/٢٥٧ : ١٣٤ .

و « الحِجْر » فى كلام العرب ، الحرام .[١] يقال : « حَجَرت على فلان كذا » ، أي حرّمت عليه ، ومنه قول الله ، ﴿ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً ﴾ [سورة الفرقان : ٢٢] ، ومنه قول المتلمس :

حَنَّتْ إِلَى النَّخْلَةِ القُصْوَى فَقُلْتُ لَهَا : حِجْرٌ حَرَامٌ ، أَلاَ تِلْكَ الدَّهَارِيسُ[٢]

---

(١) المخطوطة ، ليس فيها « الحرام » ، وزيادتها فى المطبوعة هى الصواب الموافق لما فى مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٠٧ .

(٢) ديوانه قصيدة ٤ ، ومختارات ابن الشجرى : ٣٢ ، ومجاز القرآن ١ : ٢٠٧ ، وسيأتى فى التفسير ١٩ : ٣٠٢ (بولاق) ، اللسان (دهرس) ، ومعجم ، استعجم : ١٣٠٤ ، ومعجم ياقوت (نخلة القصوى) ، ونسبه لجرير وهو المتلمس ، جرير بن عبد المسيح ، من قصيدته التى قالها فى مهربه إلى الشأم من عمرو بن هند ، وقصة المتلمس وطرفة ، وعمرو بن هند ، مشهورة . وهكذا جاء هنا « النخلة القصوى » ، وهى رواية ، والرواية الأخرى « نخلة القصوى » بغير تعريف كما سيأتى برواية أبى جعفر فى التفسير ١٩ : ٣٠٢ (بولاق) . وقد ذكروا أن « نخلة القصوى » المذكورة هنا ، هى : « نخلة اليمانية » ، وهو واد ينصب من بطن قرن المنازل ، وهو طريق اليمن إلى مكة . وظاهر هذا الشعر ، فيما أدانى إليه اجتهادى ، يدل على أن « نخلة القصوى » بأرض العراق ، مفضياً إلى الحيرة ، ديار عمرو بن هند ، فإنه قال هذا الشعر ، وقد حرم عليه عمرو بن هند أرض العراق ، فحنت ناقته إلى ديارها بالعراق ، فقال لها :

أَنَّى طَرِبْتِ ، وَلَمْ تُلْحَىْ عَلَى طَرَبٍ ، وَدُونَ إِلْفِكِ أَمْرَاتٌ أَمَالِيسُ

يقول : كيف تشتاقين إلى أرض فيها هلاكى ؟ ثم عاد يقول : ولست ألومك على الشوق الذى أثار حنينك ، فإنه لابد لمن حالت بينه وبين إلفه الفلوات ، أن يحن . ثم بين العلة فى استنكاره حنينها فقال لها : وكأنه يخاطب نفسه ، ويعتذر إليها من ملامة هذه البائسة !

حَنَّتْ إِلَى نَخْلَةَ القُصْوَى ، فَقُلْتُ لَهَا : بَسْلٌ عَلَيْكِ ، أَلاَ تِلْكَ الدَّهَارِيسُ

« بسل عليك » : حرام عليك ، وهذه رواية أخرى . و « الدهاريس » ، الدواهى . يقول : ما ألومها على الحنين إلى إلفها ، ولكنى ألومها على الحنين إلى أرض فيها هلاكى . وقال لها : إن نخلة القصوى التى تحنين إليها ، حرام عليك ، فإن فيها الدواهى والغوائل . فتبين بهذا أنه يعنى ديار عمرو بن هند الذى فر منه ، ثم قال لها بعد ذلك :

أُمِّى شَآمِيَةً ، إِذْ لاَ عِرَاقَ لَنَا ، قَوْمًا نَوَدُّهُمُ إِذْ قَوْمُنَا شُوسُ

يقول : اقصدى نخلة الشآمية ، فإن العراق قد حرم علينا ، وفى الشأم أحبابنا ، وأهل مودتنا ، وأما قومنا بالعراق فإنهم ينظرون إلينا بأعين شوس من البغضاء . فثبت بقوله : « إذ لا عراق لنا » أن « نخلة القصوى » من أرض العراق .

وفى هذا كفاية فى تحقيق الموضع إن شاء الله .

وقول رؤبة ، [العجاج] : (١)

* وَجَارَةُ البَيْتِ لَهَا حُجْرِيُّ * (٢)

يعني المحرّم ، ومنه قول الآخر : (٣)

فَبِتُّ مُرْتَفِقاً ، وَالعَيْنُ سَاهِرَةٌ كَأَنَّ نَوْمِي عَلَيَّ اللَّيْلَ مَحْجُورُ (٤)

أي : حرام . يقال : « حِجْر » و « حُجْر » ، بكسر الحاء وضمها .

* * *

وبضمها كان يقرأ ، فيما ذُكر ، الحسنُ وقتادة . (٥)

١٣٩١٥ — حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد قال ، حدثني أبي [قال ، حدثني عمي] قال ، حدثني أبي ، عن الحسين ، عن قتادة أنه : كان يقرؤها : ﴿وَحَرْثٌ حُجْرٌ﴾ ، يقول : حرام ، مضمومة الحاء . (٦)

* * *

---

(١) هكذا نسبه هنا إلى « رؤبة » والصواب أنه « العجاج » أبوه ، بلاشك في ذلك ، ولذلك وضعته بين الأقواس ، وكأنه سهو من الناسخ ، أو من أبي جعفر .

(٢) ديوان العجاج : ٦٨ ، واللسان (حجر) من رجز له طويل مشهور ، ذكر فيه نفسه بالعفاف والصيانة فقال :

إِنِّي امْرُؤٌ عَنْ جَارَتِي كَفِيُّ عَنِ الأَذَى ، إِنَّ الأَذَى مَقْلِيُّ
وَعَنْ تَبَغِّي سِرِّهَا غَنِيُّ

ثم قال بعد أبيات :

وَجَارَةُ البَيْتِ لَهَا حُجْرِيُّ وَمَحْرُمَاتٌ هَتْكُهَا بُجْرِيُّ

وفسره صاحب اللسان فقال : « لها خاصة » .

(٣) ينسب إلى أعشى باهلة ، نسبه ابن برى في اللسان (رفق) ، ولم أجده في مكان آخر .

(٤) اللسان (رفق) . « مرتفقاً » ، أي : متكئاً على مرفق يده .

(٥) في المطبوعة والمخطوطة : « الحسين » ، وهو خطأ ، صوابه « الحسن » ، وهو البصري .

(٦) الأثر : ١٣٩١٥ — هذا إسناد فيه إشكال .

«عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان التميمي العنبري» ، مضى مراراً ، وهو يروي عن أبيه : « عبد الصمد بن عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان » وأبوه : « عبد الصمد

وأما القرأة من الحجاز والعراق والشأم، فعلى كسرها. وهى القراءة التى لا أستجيز خلافها، لإجماع الحجة من القرأة عليها، وأنها اللغة الجُودَى من لغات العرب .(١)

* * *

وروى عن ابن عباس أنه كان يقرؤها: ﴿ وَحَرْثٌ حِرْجٌ ﴾، بالراء قبل الجيم .

١٣٩١٦ – حدثنى بذلك الحارث قال ، حدثنى عبد العزيز قال ، حدثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن ابن عباس: أنه كان يقرؤها كذلك .

* * *

وهى لغة ثالثة ، معناها ومعنى « الحجر » واحد . وهذا كما قالوا : « جذب » و« جبذ »، و « ناء » و « نأى » .

فنى « الحجر » ، إذاً، لغات ثلاث : « حجر » بكسر الحاء ، والجيم قبل الراء = « وحُجر » بضم الحاء ، والجيم قبل الراء = « وحِرْج » ، بكسر الحاء ، والراء قبل الجيم .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى تأويل «الحجر » قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

ابن عبد الوارث » ، يروى عن أبيه : « عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان » ، و « عبد الوارث بن سعيد ابن ذكوان » ، يروى عن « حسين المعلم » ، وهو « حسين بن ذكوان العوذى » ، و « حسين المعلم » ، يروى عن « قتادة » ، فالأرجح إذن أن يكون الإسناد هكذا :

« حدثنى عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال حدثنى أبى ، قال حدثنى أبى ، عن الحسين ، عن قتادة » بإسقاط « قال حدثنى عمى » ، التى وضعتها بين قوسين ، وبذلك يكون الإسناد مستقيما ، فإنى لم أجد « عبد الصمد بن عبد الوارث » يروى عن « عمه » ، ولم أجد له عما يروى عنه . وأيضاً فإن قوله : « حدثنى عمى » يقتضى أن يكون « سعيد بن ذكوان » جدهم ، هو الراوى عن «حسين المعلم » ، ولم تذكر قط رواية عن « سعيد بن ذكوان » ، ولا له ذكر فى كتب الرجال . فصح بذلك أن الصواب إسقاط ما وضعته بين القوسين ، هذا وأذكر أن هذا الإسناد قد مر قبل كما أثبته ، ولكنى لم أستطع أن أعثر عليه بعد . والزيادة إن شاء الله خطأ من الناسخ ، واختلط عليه إسناد « محمد بن سعد عن أبيه ، عن عمه . . . » رقم : ٣٠٥ . فعجل وزاد : « قال حدثنى عمى » .

(١) « الجودى » ، تأنيث «الأجود » ، وهى قليلة الاستعمال فيما بعد طبقة أبى جعفر ، كما أسلفت فى التعليق على أول استعمال لها فيما مضى ٦ : ٤٣٧ ، تعليق : ١ ، وهذه هى المرة الثانية التى استعملها فيها أبو جعفر .

١٣٩١٧ – حدثني عمران بن موسى القزاز قال، حدثنا عبد الوارث ، عن حميد ، عن مجاهد وأبي عمرو : «وحرث حجر » ، يقول : حرام .

١٣٩١٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وحرث حجر » ، فالحجر ، ما حرّموا من الوصيلة ، وتحريم ما حرموا .

١٣٩١٩ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « وحرث حجر »، قال : حرام .

١٣٩٢٠ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : « هذه أنعام وحرث حجر » الآية ، تحريمٌ كان عليهم من الشياطين في أموالهم ، وتغليظ وتشديد . وكان ذلك من الشياطين ، ولم يكن من الله .

١٣٩٢١ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدي : أما قوله : « وقالوا هذه أنعام وحرث حجر » ، فيقولون : حرام ، أن نطعم إلا من شئنا .

١٣٩٢٢ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « هذه أنعام وحرث حجر » ، نحتجرها على من نريد وعمن نريد ، لا يطعمها إلا من نشاء، بزعمهم . قال : إنما احتجروا ذلك لآلهتهم، وقالوا : لا يطعمها إلاّ من نشاء ، بزعمهم . قالوا ، نحتجرها عن النساء ، ونجعلها للرجال .

١٣٩٢٣ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « أنعام وحرث حجر » ، أما « حجر » ،يقول: محرَّم . وذلك أنهم كانوا يصنعون في الجاهلية أشياء لم يأمر الله بها ، كانوا يحرّمون من أنعامهم أشياء لا يأكلونها ، ويعزلون من حرثهم شيئاً معلوماً لآلهتهم ، ويقولون : لا يحل لنا ما سمّينا لآلهتنا . ٨/٣٥

١٣٩٢٤ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن

ابن جريج ، عن مجاهد : « أنعام وحرث حجر » ، ما جعلوه لله ولشركائهم .

١٣٩٢٥ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ (١٣٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وحرّم هؤلاء الجهلة من المشركين ظهورَ بعض أنعامهم ، فلا يركبون ظهورها ، وهم ينتفعون برِسْلِها ونِتَاجها وسائر الأشياء منها غير ظهورها للركوب ، [1] وحرموا من أنعامهم أنعاماً أخر ، فلا يحجُّون عليها ، ولا يذكرون اسم الله عليها إن ركبوها بحالٍ ، ولا إن حلبوها ، ولا إن حمَلوا عليها .

* * *

وبما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٩٢٦ – حدثنا سفيان قال، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم قال : قال لي أبو وائل : أتدري ما « أنعام لا يذكرون اسم الله عليها » ؟ قال قلت : لا ! قال : أنعام لا يحجون عليها .

١٣٩٢٧ – حدثنا محمد بن عباد بن موسى قال، حدثنا شاذان قال، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم قال: قال لي أبو وائل: أتدري ما قوله : « حرمت

---

(١) « الرسل » (بكسر فسكون) : اللبن . و « النتاج » (بكسر النون) : ما تضع من أولادها .

ظهورها وأنعام لايذكرون اسم الله عليها » ؟ قال قلت : لا ! قال : هى البحيرة ، كانوا لايحجون عليها .(١)

١٣٩٢٨ – حدثنا أحمد بن عمرو البصري قال، حدثنا محمد بن سعيد الشهيد قال ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم ، عن أبي وائل : « وأنعام لايذكرون اسم الله عليها » ، قال : لايحجون عليها .(٢)

١٣٩٢٩ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدي: أما « أنعام حرمت ظهورها »، فهى البحيرة والسائبة والحام = وأما «الأنعام التى لا يذكرون اسم الله عليها »، قال: إذا أولدوها ،(٣) ولا إن نحروها .

١٣٩٣٠ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها » ، قال : كان من إبلهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها ولا فى شيء من شأنها ، لا إن ركبوها ، ولا إن حلبوا، ولا إن حملوا ، ولا إن منحوا ، ولا إن عملوا شيئاً .

١٣٩٣١ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وأنعام حرمت ظهورها » ، قال : لا يركبها أحد = « وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها » .

* * *

(١) الأثر : ١٣٩٢٧ – « محمد بن عباد بن موسى الختلى » ، مضى برقم : ١١٣١٨ ، ونقلت هناك عن ابن أبي حاتم ١٥/١/٤ ، أنه روى عن هشام بن محمد الكلبى ، والوليد بن صالح ، وروى عنه أبو بكر بن أبي الدنيا . ثم توقفت فى هذه الترجمة المختصرة التى ذكرها ابن أبي حاتم ، وشككت فى صحة ما فيها ، فإن أبا بكر بن أبي الدنيا ، إنما يروى عن أبيه « عباد بن موسى الختلى » . ولا أدرى أروى عن ولده « محمد بن عباد » أم لم يرو عنه ، فإنهم لم يذكروا ذلك فى ترجمة أبي بكر ابن أبي الدنيا .

و « شاذان » هو : « الأسود بن عامر » ، ثقة صدوق . مترجم فى التهذيب .

(٢) الأثر : ١٣٩٢٨ – « أحمد بن عمرو البصرى » ، مضى ما قلت فيه برقم : ٩٨٧٥ .
و« محمد بن سعيد الشهيد »، لم أعرف من هو ، ولم أجد له ذكراً .

(٣) لعل الصواب : « لا إن أولدوها » .

وأما قوله : « افتراء على الله » ، فإنه يقول : فعل هؤلاء المشركون ما فعلوا من تحريمهم ما حرموا ، وقالوا ما قالوا من ذلك ، كذباً على الله، وتخرّصاً الباطلَ عليه ، لأنهم أضافوا ما كانوا يحرّمون من ذلك، على ما وصفه عنهم جل ثناؤه فى كتابه ، إلى أنّ الله هو الذى حرّمه ، فنفى الله ذلك عن نفسه ، وأكذبهم ، وأخبر نبيه والمؤمنين أنهم كذبة فيما يدّعون .(١)

* * *

ثم قال عز ذكره : « سيجزيهم » ، يقول : سيثيبهم ربُّهم بما كانوا يفترونَ على الله الكذبَ ثوابَهم ، ويجزيهم بذلك جزاءهم .(٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَـٰذِهِ ٱلْأَنْعَـٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بقوله : « ما فى بطون هذه الأنعام » .

فقال بعضهم : عنى بذلك اللّبن .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٩٣٢ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن عطية قال، حدثنا إسرائيل، عن أبى إسحق ، عن عبد الله بن أبى الهذيل ، عن ابن عباس : « وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا » ، قال : اللبن.(٣) ٣٦/٨

---

(١) انظر تفسير « الافتراء » فيما سلف: ص : ١٣٦، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الجزاء » فيما سلف من فهارس اللغة (جزى) .

(٣) الأثر : ١٣٩٣٢ — « عبد الله بن أبى الهذيل العنزى » ، « أبو المغيرة » ، تابعى ثقة . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٢/٢/١٩٦ ، وفيه « العنبرى » ، ولا أدرى ما الصواب منهما .

١٣٩٣٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن ابن أبي الهذيل ، عن ابن عباس ، مثله .

١٣٩٣٤ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا»، ألبان البحائر كانت للذكور دون النساء ، وإن كانت ميتة اشترك فيها ذكورهم وإناثهم .

١٣٩٣٥ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا » ، قال : ما في بطون البحائر ، يعني ألبانها ، كانوا يجعلونه للرجال ، دون النساء .

١٣٩٣٦ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا عيسى بن يونس ، عن زكريا، عن عامر قال: « البحيرة » لا يأكل من لبنها إلاّ الرجال، وإن مات منها شيء أكله الرجال والنساء .

١٣٩٣٧ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا » الآية ، فهو اللبن ، كانوا يحرمونه على إناثهم، ويشربه ذكرانهم . وكانت الشاة إذا ولدت ذكراً ذبحوه ، وكان للرجال دون النساء . وإن كانت أنثى تركب لم تذبح . وإن كانت ميتة فهم فيه شركاء . فنهى الله عن ذلك .

* * *

وقال آخرون : بل عنى بذلك ما في بطون البحائر والسوائب من الأجنّة .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٩٣٨ – حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل ،

قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء » ، فهذه الأنعام ، ما ولد منها من حىّ فهو خالص للرجال دون النساء . وأما ما ولد من ميت ، فيأكله الرجال والنساء .

١٣٩٣٩ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا » ، السائبة والبحيرة .

١٣٩٤٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى تأويل ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء الكفرة أنهم قالوا فى أنعام بأعيانها : « ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا دون إناثنا » ، واللبن مما فى بطونها ، وكذلك أجنتها . ولم يخصُص الله بالخبر عنهم أنهم قالوا : بعضُ ذلك حرام عليهن دون بعض .

وإذ كان ذلك كذلك ، فالواجب أن يقال إنهم قالوا : ما فى بطون تلك الأنعام من لبن وجنين حِلٌ لذكورهم = خالصة ، دون إناثهم ، وإنهم كانوا يؤثرون بذلك رجالهم ، إلا أن يكون الذى فى بطونها من الأجنة ميتاً ، فيشترك حينئذ فى أكله الرجال والنساء .

* * *

واختلف أهل العربية فى المعنى الذى من أجله أنثت « الخالصة » .

فقال بعض نحويى البصرة وبعض الكوفيين : أنثت لتحقيق « الخلوص » ، كأنه لما حقق لهم الخلوص أشبه الكثرة ، فجرى مجرى « راوية » و « نسابة » .

* * *

وقال بعض نحويى الكوفة : أنثت لتأنيث « الأنعام » ، لأن « ما فى بطونها » ، مثلها ، فأنثت لتأنيثها . ومن ذكّره فلتذكير «ما» . قال : وهى فى قراءة عبد الله :

﴿خَالِصٌ﴾ . قال : وقد تكون «الخالصة» فى تأنيثها مصدراً، كما تقول : «العافية» و«العاقبة»، وهو مثل قوله : ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ﴾ ، [سورة ص : ٤٦] .(١)

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : أريد بذلك المبالغة فى خلوص ما فى بطون الأنعام التى كانوا حرّموا ما فى بطونها على أزواجهم، لذكورهم دون إناثهم ،(١) كما فعل ذلك «بالراوية» و«النسابة» و«العلامة» ، ٣٧/٨
إذا أريد بها المبالغة فى وصف من كان ذلك من صفته ، كما يقال : «فلان خالصة فلان ، وخُلصانه» .(٢)

* * *

وأما قوله : «ومحرم على أزواجنا» ، فإن أهل التأويل اختلفوا فى المعنىّ بـ «الأزواج» .

فقال بعضهم : عنى بها النساء .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٩٤١ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : «ومحرم على أزواجنا» ، قال : النساء .

* * *

وقال آخرون : بل عنى بـ «الأزواج» ، البنات .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٩٤٢ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد : «ومحرم على أزواجنا»، قال : «الأزواج» ، البنات . وقالوا : ليس للبنات منه شىء .

* * *

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٥٨ ، ٣٥٩ .
(٢) السياق : «فى خلوص ما فى بطون الأنعام . . . لذكورهم دون إناثهم» .
(٣) انظر تفسير «الخالصة» فيما سلف ٢ : ٣٦٥ ، ٣٦٦ . وانظر تمام حجة أبى جعفر فى ذلك فيما سيل بعد أسطر قليلة .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله أخبر عن هؤلاء المشركين أنهم كانوا يقولون لما فى بطون هذه الأنعام = يعنى أنعامهم = : « هذا محرم على أزواجنا» ، و « الأزواج » ، إنما هى نساؤهم فى كلامهم ، وهن لا شك بنات من هن أولاده ، وحلائل من هن أزواجه .(١)

وفى قول الله عز وجل : « ومحرم على أزواجنا » ، الدليلُ الواضح على أن تأنيث « الخالصة » ، كان لما وصفت من المبالغة فى وصف ما فى بطون الأنعام بالخلوصة للذكور ، لأنه لو كان لتأنيث الأنعام لقيل : « ومحرمة على أزواجنا » ، ولكن لما كان التأنيث فى « الخالصة » لما ذكرت ، ثم لم يقصد فى « المحرم » ما قصد فى « الخالصة » من المبالغة ، رجع فيها إلى تذكير « ما » ، واستعمال ما هو أولى به من صفته .

* * *

وأما قوله : « وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء » ، فاختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأه يزيد بن القعقاع ، وطلحة بن مصرِّف ، فى آخرين : ﴿ وَإِنْ تَكُنْ مَيْتَةٌ ﴾ ، بالتاء فى « تكن » ، ورفع «ميتة» ، غير أن يزيد كان يشدّد الياء من ﴿ مَيِّتَةٌ ﴾ ويخفّفها طلحة .

١٣٩٤٣ — حدثنى بذلك المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى حماد قال ، حدثنا عيسى ، عن طلحة بن مصرف .

١٣٩٤٤ — وحدثنا أحمد بن يوسف ، عن القاسم وإسمعيل بن جعفر ، عن يزيد .

* * *

وقرأ ذلك بعض قرأة المدينة والكوفة والبصرة : ﴿ وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً ﴾ بالياء ،

---

(١) انظر تفسير « الزوج » فيما سلف ١ : ٢/٥١٤ : ٤٤٦ .

و« ميتة » ، بالنصب، وتخفيف الياء .

* * *

وكأنّ من قرأ: « وإن يكن» بالياء «ميتة» بالنصب ، أراد: وإن يكن ما فى بطون تلك الأنعام = فذكر « يكن » لتذكير « ما » ونصب « الميتة »،لأنه خبر « يكن ».

وأما من قرأه : « وإن تكن ميتة » ، فإنه إن شاء الله أراد : وإن تكن ما فى بطونها ميتة ، فأنث « تكن » لتأنيث « ميتة » .

* * *

وقوله : « فهم فيه شركاء »،فإنه يعنى أن الرجال وأزواجهم شركاء فى أكله ، لا يحرمونه على أحد منهم ، كما ذكرنا عمن ذكرنا ذلك عنه قبل من أهل التأويل .

* * *

وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما :—

١٣٩٤٥ — حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال،قال ابن زيد: « وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء »، قال: تأكل النساء مع الرجال، إن كان الذى يخرج من بطونها ميتة ، فهم فيه شركاء.وقالوا:إن شئنا جعلنا للبنات فيه نصيباً ، وإن شئنا لم نجعل .

* * *

قال أبو جعفر : وظاهر التلاوة بخلاف ما تأوّله ابن زيد ، لأن ظاهرها يدل على أنهم قالوا :« إن يكن ما فى بطونها ميتة ، فنحن فيه شركاء »= بغير شرط مشيئة . وقد زعم ابن زيد أنهم جعلوا ذلك إلى مشيئتهم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٣٩) ﴾

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : « سيجزى » ، أى : سيثيب ويكافئ هؤلاء المفترين عليه الكذب فى تحريمهم ما لم يحرّمه الله ، وتحليلهم ما لم يحلله الله ، وإضافتهم كذبهم فى ذلك إلى الله[1] = وقوله : «وصفهم» ، يعنى بـ «وصفهم» ، الكذبَ على الله ، وذلك كما قال جل ثناؤه فى موضع آخر من كتابه : ﴿ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ ﴾ ، [سورة النحل : ٦٢] .[2]

* * *

و «الوصف» و « الصفة » فى كلام العرب واحد ، وهما مصدران مثل « الوزن » و« الزنة » .

* * *

٣٨/٨ وبنحو الذى قلنا فى معنى « الوصف » قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٩٤٦ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « سيجزيهم وصفهم » ، قال : قولهم الكذب فى ذلك .

١٣٩٤٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٣٩٤٨ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن نمير ، عن أبى جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية : «سيجزيهم وصفهم » ، قال : كذبهم .

١٣٩٤٩ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « سيجزيهم وصفهم» ، أى كذبهم .

---

(١) انظر تفسير « الجزاء » فيما سلف ص ١٤٦ ، تعليق ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الوصف » فيما سلف ص : ١٠ ، ١١ .

وأما قوله : « إنه حكيم عليم » ، فإنه يقول جل ثناؤه : إن الله فى مجازاتهم على وصفهم الكذب وقيلهم الباطل عليه = « حكيم » ، فى سائر تدبيره فى خلقه = « عليم » ، بما يصلحهم ، وبغير ذلك من أمورهم .[١]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ (١٤٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قد هلك هؤلاء المفترون على ربهم الكذبَ ،[٢] العادلون به الأوثانَ والأصنام ، الذين زين لهم شركاؤهم قتل أولادهم ، وتحريم [ما أنعمت به] عليهم من أموالهم ،[٣] فقتلوا طاعة لها أولادهم ، وحرّموا ما أحل الله لهم وجعله لهم رزقاً من أنعامهم = « سفهاً » ، منهم . يقول : فعلوا ما فعلوا من ذلكَ جهالة منهم بما لهم وعليهم ، ونقصَ عقول وضعفَ أحلام منهم ، وقلة فهم بعاجل ضرّه وآجل مكروهه ، من عظيم عقاب الله عليه لهم[٤] = « افتراء على الله» ، يقول : تكذّباً على الله وتخرصاً عليه الباطل[٥]=« قد ضلوا » ، يقول : قد تركوا محجة الحق فى فعلهم ذلك ، وزالوا عن سواء السبيل[٦]= « وما كانوا مهتدين» ،

---

(١) انظر تفسير « حكيم » و « عليم » فيما سلف من فهارس اللغة (حكم) و (علم) .

(٢) انظر تفسير « الخسار » فيما سلف ١١ : ٣٢٤ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « وتحريم ما حرمت عليهم من أموالهم » ، وهو لا يطابق تفسير الآية بل يناقضه ، ورجحت الصواب ما أثبت بين القوسين .

(٤) انظر تفسير « السفه » فيما سلف ١ : ٢٩٣ – ٣/٢٩٥ : ٩٠ ، ٦/١٢٩ : ٥٧ .

(٥) انظر تفسير « الافتراء » فيما سلف : ص : ١٤٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك . وكان فى المطبوعة : « تكذيباً » ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٦) انظر تفسير « الضلال » فيما سلف من فهارس اللغة (ضلل) .

يقول : ولم يكن فاعلو ذلك على هدًى واستقامة فى أفعالهم التى كانوا يفعلون قبل ذلك ، ولا كانوا مهتدين للصواب فيها ، ولا موفقين له .[١]

* * *

ونزلت هذه الآية فى الذين ذكر الله خبرهم فى هذه الآيات من قوله : « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً » ، الذين كانوا يبحرون البحائر ، ويسيّبون السوائب ، ويئدون البنات ، كما : —

١٣٩٥٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال عكرمة ، قوله : « الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم » ، قال : نزلت فيمن يئد البنات من ربيعة ومُضَر ، كان الرجل يشترط على امرأته أن تستحيي جارية وتئد أخرى . فإذا كانت الجارية التى تَئِد ، غدا الرجل أو راح من عند امرأته ،[٢] وقال لها : «أنت على كظهر أمّى إن رجعت إليك ولم تئديها » ، فتخُدُّ لها فى الأرض خدًّا ،[٣] وترسل إلى نسائها فيجتمعن عندها ، ثم يتداولنها ،[٤] حتى إذا أبصرته راجعاً دستها فى حفرتها ، ثم سوّت عليها التراب .

١٣٩٥١ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : ثم ذكر ما صنعوا فى أولادهم وأموالهم فقال : « قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم وحرموا ما رزقهم الله » .

١٣٩٥٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم » ، فقال : هذا صنيع أهل

---

(١) انظر تفسير « الاهتداء » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) .

(٢) فى المطبوعة : « فإذا كانت الجارية التى تولد غدا الرجل . . . » ، وفى المخطوطة : « فإذا كانت الجارية التى تئيد عبد الرجل أو راح من عند امرأته » ، والصواب ما أثبت . ومعنى ذلك : أنه إذا ولدت المرأة الجارية التى شرط عليها أن تئدها غدا أو راح وقال . . .

(٣) « خد فى الأرض خدا » : شق فى الأرض شقاً .

(٤) هكذا فى المطبوعة : « ثم يتداولنها » ، وهى فى المخطوطة سيئة الكتابة ، ويمكن أن تقرأ كما هى فى المطبوعة .

الجاهلية . كان أحدهم يقتل ابنته مخافة السَّباء والفاقة ، ويغذو كلبه = وقوله : « وحرموا ما رزقهم الله »، الآية ، وهم أهل الجاهلية . جعلوا بحيرةً وسائبة ووصيلةً وحامياً ، تحكماً من الشياطين فى أموالهم .

١٣٩٥٣ — حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال : إذا سرّك أن تعلم جهل العرب ، فاقرأ ما بعد المئة من « سورة الأنعام » ، قوله : « قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير اعلم، لآية .

* * *

وكان أبو رزين يتأوّل قوله : « قد ضلوا »، أنه معنىٌّ به : قد ضلوا قبل هؤلاء الأفعال = من قتل الأولاد ، وتحريم الرزق الذى رزقهم الله = بأمور غير ذلك . ٣٩/٨

١٣٩٥٤ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى رزين فى قوله: « قد خسر الذين قتلوا أولادهم »، إلى قوله : « قد ضلوا » ، قال : قد ضلوا قبل ذلك

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ ﴾

قال أبو جعفر : وهذا إعلام من الله تعالى ذكره ما أنعم به عليهم من فضله ، وتنبيهٌ منه لهم على موضع إحسانه ، وتعريفٌ منه لهم ما أحل وحرم وقسم فى أموالهم من الحقوق لمن قسم له فيها حقًّا .

يقول تعالى ذكره : وربكم، أيها الناس = « أنشأ »، أى أحدث وابتدع خلقاً ،

لا الآلهة والأصنام[١] = « جنات » ، يعنى بساتين[٢] = « معروشات » ، وهى ما عرَش الناس من الكروم = « وغير معروشات » ، غير مرفوعات مبنيّات ، لا ينبته الناس ولا يرفعونه ، ولكن الله يرفعه وينبته وينمّيه ،[٣] كما : —

١٣٩٥٥ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة، عن ابن عباس قوله: « معروشات » ، يقول : مسموكات .

١٣٩٥٦ — وبه عن ابن عباس : « وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات » ، فـ « المعروشات »، ما عرش الناس = « وغير معروشات » ، ما خرج فى البر والجبال من الثمرات .

١٣٩٥٧ — حدثنى محمد بن الحسين قال،حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أما « جنات » ، فالبساتين = وأما « المعروشات » ، فما عرش كهيئة الكَرْم .

١٣٩٥٨ — حدثنا القاسم قال،حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس قوله : « وهو الذى أنشأ جنات معروشات » ، قال: ما يُعرَش من الكروم = « وغير معروشات » ، قال : ما لا يعرش من الكرم .

* * *

---

(١) انظر تفسير « أنشأ » فيما سلف ص : ١٢٨ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الجنة » فيما سلف من فهارس اللغة (جنن) .

(٣) انظر تفسير « عرش » فيما سلف ٥ : ٤٤٥ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ ﴾

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : وأنشأ النخل والزرع مختلفاً أكله = يعنى بـ « الأكل » ، [1] الثمر . يقول : وخلق النخل والزرع مختلفاً ما يخرج منه مما يؤكل من الثمر والحب= « والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه » ، فى الطعم ، [2] منه الحلو ، والحامض ، والمزّ ، [3] كما :—

١٣٩٥٩ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « متشابهاً وغير متشابه » ، قال : « متشابهاً » ، فى المنظر = « وغير متشابه » ، فى الطعم .

* * *

وأما قوله : « كلوا من ثمره إذا أثمر » ، فإنه يقول : كلوا من رطبه ما كان رطباً ثمره ، كما : —

١٣٩٦٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو همام الأهوازى قال ، حدثنا موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب فى قوله : « كلوا من ثمره إذا أثمر » ، قال : من رُطبه وعنبه .

١٣٩٦١ — حدثنا عمرو بن على قال ، حدثنا محمد بن الزبرقان قال ، حدثنا موسى بن عبيدة فى قوله : « كلوا من ثمره إذا أثمر » ، قال : من رطبه وعنبه . [4]

* * *

---

(١) انظر تفسير « الأكل » فيما سلف ٥ : ٥٣٨ .

(٢) انظر تفسير « متشابه » فيما سلف ١ : ٣٨٩ — ٢/٣٩٤ : ٢١٠ ، ٦/٢١١ : ١١/١٧٣ : ٥٧٨ .

(٣) « المز » (بضم الميم) : ما كان طعمه بين الحلو والحامض ، يقال : « شراب مز » .

(٤) الأثران : ١٣٩٦٠ ، ١٣٩٦١ — « أبو همام الأهوازى » فى الأثر الأول ، هو « محمد بن الزبرقان » ، فى الأثر الثانى . ثقة . مضت ترجمته برقم : ٨٧٧ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : هذا أمر من الله بإيتاء الصدقة المفروضة من الثمر والحبّ .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٩٦٢ – حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا يونس ، عن الحسن فى قوله : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : الزكاة .

١٣٩٦٣ – حدثنا عمرو قال، حدثنا عبد الصمد قال ، حدثنا يزيد بن درهم قال ، سمعت أنس بن مالك يقول : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : الزكاة المفروضة .

١٣٩٦٤ – حدثنا عمرو قال، حدثنا معلى بن أسد قال، حدثنا عبد الواحد ابن زياد قال ، حدثنا الحجاج بن أرطاة ، عن الحكم، عن مجاهد ، عن ابن عباس فى قوله : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : العشر ونصف العشر .

١٣٩٦٥ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا هانئ بن سعيد ، عن حجاج ، عن محمد بن عبيد الله ، عن عبد الله بن شداد ، عن ابن عباس : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال: العشر ونصف العشر .(١) ٨/٤٠

١٣٩٦٦ – حدثنا عمرو بن على وابن وكيع وابن بشار قالوا ،حدثنا عبدالرحمن قال ، حدثنا إبراهيم بن نافع المكى ، عن ابن عباس، عن أبيه فى قوله : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : الزكاة .(٢)

---

(١) الأثر : ١٣٩٦٥ – « هانئ بن سعيد النخعى » ، مضى برقم : ١٣١٥٩ .
« حجاج » هو « حجاج بن أرطاة » ، مضى مراراً .
« محمد بن عبيد الله بن سعيد » هو « أبو عون الثقفى » ، مضى برقم: ٧٥٩٥ .

(٢) الأثر : ١٣٩٦٦ – « إبراهيم بن نافع المكى المخزومى » ، مضى برقم : ٤٣٠٥ .

١٣٩٦٧ – حدثنا عمرو قال ، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا أبو هلال ، عن حيان الأعرج ، عن جابر بن زيد : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : الزكاة .(١)

١٣٩٦٨ – حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا يونس ، عن الحسن في قوله : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : هي الصدقة = قال : ثم سئل عنها مرة أخرى فقال : هي الصدقة من الحبّ والثمار .

١٣٩٦٩ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج قال ، أخبرني أبو بكر بن عبد الله ، عن عمرو بن سليمان وغيره ، عن سعيد بن المسيب أنه قال : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : الصدقة المفروضة .

١٣٩٧٠ – حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن في قوله : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : هي الصدقة من الحب والثمار .

١٣٩٧١ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: « وآتوا حقه يوم حصاده »، يعني بحقه ، زكاته المفروضة، يوم يُكال أو يُعلم كيله .

١٣٩٧٢ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وآتوا حقه يوم حصاده » ،

وأما « ابن عباس ، عن أبيه » ، فلا أدري ما هو ، وهو بلا شك ليس « عبد الله بن عباس » حبر الأمة .

وأخشى أن يكون الصواب : « عن ابن طاوس ، عن أبيه » .

(١) الأثر : ١٣٩٦٧ – « عبد الرحمن » ، هو « عبد الرحمن بن مهدي » ، مضى مراراً و « أبو هلال » هو : «محمد بن سليم الراسبي البصري » ، ثقة ، مضى برقم : ٢٩٩٦ ، ٤٦٨١ . و « حيان الأعرج » الجوفي ، البصري . ثقة من أتباع التابعين . روى عن جابر بن زيد . روى عنه قتادة ، وابن جريج ، وسعيد بن أبي عروبة ، وغيرهم . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ١/٢/٢٤٦ .

وذلك أن الرجل كان إذا زرع فكان يوم حصاده، وهو أن يعلم ما كيله وحقّه، فيخرج من كل عشرة واحداً، وما يَلْقُط الناس من سنبله.[١]

١٣٩٧٣ - حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: «وآتوا حقه يوم حصاده»، و«حقه يوم حصاده»، الصدقة المفروضة = ذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم سَنّ فيما سقت السماء أو العين السائحة، أو سقاه الطل = و«الطل»، الندى = أو كان بَعْلاً، العشرَ كاملاً.[٢] وإن سقى برشاء نصفَ العشر = قال قتادة: وهذا فيما يكال من الثمرة. وكان هذا إذا بلغت الثمرة خمسةُ أوسقٍ،[٣] وذلك ثلثمئة صاع، فقد حق فيها الزكاة. وكانوا يستحبون أن يعطوا مما لا يكال من الثمرة على قدر ذلك.

١٣٩٧٤ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة وطاوس: «وآتوا حقه يوم حصاده»، قالا: هو الزكاة.

١٣٩٧٥ - حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال، أخبرنا هشيم، عن الحجاج، عن سالم المكى، عن محمد بن الحنفية قوله: «وآتوا حقه يوم حصاده»، قال: يوم كيله، يعطى العشر أو نصف العشر.[٤]

١٣٩٧٦ - حدثني المثنى قال، حدثنا الحمانى قال، حدثنا شريك، عن سالم المكى، عن محمد بن الحنفية قوله: «وآتوا حقه يوم حصاده»، قال: العشر ونصف العشر.

١٣٩٧٧ - حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال، أخبرنا ابن المبارك،

---

(١) فى المطبوعة: «وما يلتقط»، وأثبت ما فى المخطوطة.

(٢) «البعل»، من النبات، ما شرب بعروقه من الأرض، بغير سَقى من سماء ولا غيرها.

(٣) «الأوسق» جمع «وسق»، وهو ستون صاعاً، كما فسره بعد، على اختلافهم فى مقدار الصاع.

(٤) الأثر: ١٣٩٧٥ - «سالم المكى»، هو «سالم بن عبد الله الخياط»، مترجم فى التهذيب، والكبير ٢/٢/١١٦، وابن أبي حاتم ٢/١/١٨٤.

عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، وعن قتادة : « وآتوا حقه يوم حصاده »، قالا : الزكاة .

١٣٩٧٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا أبو معاوية الضرير ، عن الحجاج ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : العشر ونصف العشر .

١٣٩٧٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن شريك ، عن الحكم بن عتيبة ، عن ابن عباس ، مثله .

١٣٩٨٠ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : « وآتوا حقه يوم حصاده »، يعني : يوم كيله، ما كان من برّ أو تمر أو زبيب . و « حقه »، زكاته.

١٣٩٨١ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله: « كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : كُلْ منه ، وإذا حصدته فآت حقه ، و « حقه » ، عشوره . ٤١/٨

١٣٩٨٢ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ،عن يونس بن عبيد ، عن الحسن : أنه قال في هذه الآية : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : الزكاة إذا كِلْتَه .

١٣٩٨٣ – حدثنا عمرو قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة ، عن أبي رجاء قال : سألت الحسن عن قوله : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : الزكاة .

١٣٩٨٤ – حدثني ابن البرقي قال ، حدثنا عمرو بن أبي سلمة قال: سألت ابن زيد بن أسلم عن قول الله: « وآتوا حقه يوم حصاده »، فقلت له : هو العشور ؟ قال : نعم ! فقلت له : عن أبيك ؟ قال : عن أبي وغيره .

* * *

وقال آخرون : بل ذلك حقٌّ أوجبه الله فى أموال أهل الأموال ، غيرُ الصدقة المفروضة .

* ذكر من قال ذلك :

١٣٩٨٥ – حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا محمد بن جعفر ، عن أبيه : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : شيئاً سوى الحق الواجب = قال : وكان فى كتابه : « عن على بن الحسين » .

١٣٩٨٦ – حدثنا عمرو قال، حدثنا يحيى قال ، حدثنا عبد الملك ، عن عطاء فى قوله : « وآتوا حقه يوم حصاد » ، قال : القبضة من الطعام .

١٣٩٨٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، عن عطاء : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : من النخل والعنب والحب كله .

١٣٩٨٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج قال : قلت لعطاء : أرأيت ما حصدتُ من الفواكه ؟ قال : ومنها أيضاً تؤتى . وقال : من كل شىء حصدتَ تؤتى منه حقه يوم حصاده ، من نخل أو عنب أو حب أو فواكه أو خضر أو قصب ، من كل شىء من ذلك . قلت لعطاء : أواجب على الناس ذلك كله ؟ قال : نعم ! ثم تلا : « وآتوا حقه يوم حصاده » . قال: قلت لعطاء: « وآتوا حقه يوم حصاده » ، هل فى ذلك شىء مُوَقّت معلوم؟ قال :لا .

١٣٩٨٩ – حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن عبد الملك ، عن عطاء فى قوله : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : يعطى من حُضورِ يومئذ ما تيسر ،[1] وليس بالزكاة .

---

(١) فى المطبوعة : « يعطى من حصاده يومئذ » ، وليس صواباً ، وفى المخطوطة : « يعطى من حصول يومئذ » ، وصواب قراءتها ما أثبت ، وانظر الأثر التالى . ويعنى : من حضره من الناس والمساكين .

١٣٩٩٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عيسى بن يونس عن عبد الملك، عن عطاء : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : ليس بالزكاة ، ولكن يطعم من حَضره ساعتئذٍ حَصِيده .(١)

١٣٩٩١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير، عن العلاء بن المسيب، عن حماد : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : كانوا يعطون رُطَباً .

١٣٩٩٢ – حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا، حدثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : إذا حضرك المساكين طرحت لهم منه. وإذا أنقيته وأخذتَ فى كيله حثَوْت لهم منه .(٢) وإذا علمتَ كيله عزلتَ زكاته . وإذا أخذت فى جَدَاد النخل طرَحت لهم من الثفاريق.(٣) وإذا أخذت فى كيله حثَوْت لهم منه . وإذا علمت كيله عزلت زكاته .

١٣٩٩٣ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير، عن ليث ، عن مجاهد : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : سوى الفريضة .

١٣٩٩٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن عمرو، عن منصور، عن مجاهد: « وآتوا حقه يوم حصاده »، قال: يلقى إلى السؤَّال عند الحصاد من السنبل ،(٤) فإذا طِينَ = أو طُيِّن ، الشك من أبى جعفر(٥) = ألقى إليهم . فإذا

---

(١) فى المطبوعة : « حصده » ، وأثبت ما فى المخطوطة . « الحصاد » و « الحصيد » ، « الحصد » (بفتح الحاء والصاد) ، هو من الزرع ، المحصود بعد ما يحصد .

(٢) « حثا له يحثو حثوا » أعطاه شيئاً منه ملء الكف .

(٣) فى المطبوعة : « جذاذ النخل » (بالذال) ، وهو خطأ محض . « جداد النخل » (بفتح الجيم ، وبكسرها) : أوان صرامه ، وهو قطع ثمره .

و « الثفاريق » جمع « ثفروق » ، وهو قمع البسرة والتمرة التى تلزق بها . ولم يرد هذا مجاهد ، بل أراد : العناقيد ، يخرط ما عليها ، فتبقى عليها الثمرة والثمرتان والثلاث ، يخطئها المخلب الذى تخرط به ، فتلقى للمساكين . فكنى بالثفاريق عن القليل الباقى فى عنقوده وشمراخه .

(٤) « السؤال » جمع « سائل » مثل « جاهل » و « جهال » .

(٥) فى المخطوطة : « فإذا طبن أو طبن » ، غير منقوطة ، وفى المطبوعة : « فإذا طين ، أو

حمله فأراد أن يجعله كُدْساً ألقى إليهم .(١) وإذا داس أطعَم منه . وإذا فرغ وعلم كم كيله، عزل زكاته . وقال فى النخل: عند الجَدَاد يطعم من الثمرة والشماريخ .(٢) فإذا كان عند كيله أطعم من التمر . فإذا فرغ عزل زكاته .

١٣٩٩٥ — حدثنا عمرو بن على ومحمد بن بشار قالا، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد قوله : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : إذا حصد الزرع ألقى من السنبل ، وإذا جَدَّ النخل ألقى من الشماريخ .(٣)
٤٢/٨ فإذا كاله زكّاه .

١٣٩٩٦ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال: عند الحصاد ، وعند الدِّياس ، وعند الصِّرام ، يقبض لهم منه ، فإذا كاله عزل زكاته .

١٣٩٩٧ — وبه، عن سفيان، عن مجاهد، مثله = إلا أنه قال: سوى الزكاة .

١٣٩٩٨ — حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا يحيى بن سعيد، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : شىء سوى الزكاة، فى الحصاد والجَدَاد ، إذا حَصَدوا وإذا حَزَرُوا .(٤)

١٣٩٩٩ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح فى قول الله: « وآتوا حقه يوم حصاده »، قال: واجب، حين يصرم .

طين » الأولى بالباء ، والثانية بالياء ، ولا معنى لها . وأخشى أن يكون الصواب ما أثبت ، يعنى به ما يكون مع البر والقمح من الطين . ولا أدرى حقيقة ذلك . وفوق كل ذى علم عليم . ولم أجد الخبر فى مكان آخر . وانظر رقم : ١٤٠٠٠ ، وقوله : « وإذا أدخله البيدر » ، فكأنه يعنى هذا .

(١) « الكدس » (بضم فسكون) ، هو كومة البر إذا جمع .

(٢) فى المطبوعة : « الجذاذ » بالذال، وانظر التعليق السالف ص: ١٦٣ ، تعليق: ٣ .

(٣) « جد النخل يجده جداداً » ، صرمه وقطعه . وهى فى المطبوعة بالذال ، كما سلف فى التعليق السالف . وسأصححه بعد بغير إشارة إلى الخطأ .

(٤) فى المطبوعة : « وإذا جلوا » ويعنى « وإذا جدوا » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صحيح المعنى . « حزر الطعام والنخل وغيره » : إذا قدره بالحدس ، والحازر ، هو الخارص أيضاً ، « خرصه » : قدره بالحدس .

١٤٠٠٠ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن منصور ، عن مجاهد : أنه قال فى هذه الآية : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : إذا حصد أطعم ، وإذا أدخله البَيْدَر ،(١) وإذا داسه أطعم منه .

١٤٠٠١ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن أشعث ، عن ابن عمر قال: يطعم المعترّ ،(٢) سوى ما يعطى من العشر ونصف العشر .

١٤٠٠٢ – وبه ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد قال : قبضة عند الحصاد ، وقبضة عند الجَدَاد .

١٤٠٠٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حفص ، عن أشعث ، عن ابن سيرين ، قال : كانوا يعطون من اعترّ بهم الشيءَ .

١٤٠٠٤ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن حماد ، عن إبراهيم قال : الضِّغْث . (٣)

١٤٠٠٥ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن سفيان ، عن حماد ، عن إبراهيم قال : يعطى مثل الضِّغث .

١٤٠٠٦ – حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا يحيى بن سعيد، قال ، حدثنا سفيان قال ، حدثنا حماد ، عن إبراهيم : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : مثل هذا من الضغث = ووضع يحيى إصبعه الإبهام على المفصل الثانى من السَّبَّابة .

١٤٠٠٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن حماد ، عن إبراهيم قال : نحو الضِّغث .

---

(١) « البيدر » : الموضع الذى يداس فيه الطعام .

(٢) « المعتر » : الذى يطيف بك يطلب ما عندك ، سألك أو سكت عن السؤال . « عره يعره » و « اعتره » و « اعتر به » ، أتاه يطلب معروفه .

(٣) « الضغث » (بكسر فسكون) : ملء اليد من الحشيش المختلط ، وما أشبهه من البقول .

١٤٠٠٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن إسرائيل، عن جابر ، عن أبي جعفر = ، وعن سفيان ، عن حماد ، عن إبراهيم ، قالا : يعطى ضغثاً .(١)

١٤٠٠٩ – حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا كثير بن هشام قال ، حدثنا جعفر بن برقان ، عن يزيد بن الأصم قال : كان النخل إذا صُرِم ، يجيء الرجل بالعِذْق من نخله، فيعلّقه فى جانب المسجد ، فيجيء المسكين فيضربُه بعصاه ، فإذا تناثر أكلَ منه . فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه حَسَن أو حسين ، فتناول تمرةً ، فانتزعها من فيه . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأكل الصَّدقة ولا أهلُ بيته . فذلك قوله : « وآتوا حقَّه يوم حصاده » .

١٤٠١٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا خالد بن حيان ، عن جعفر بن برقان، عن ميمون بن مهران ويزيد بن الأصم قالا : كان أهل المدينة إذا صرموا ، يجيئون بالعِذْق فيضعونه فى المسجد ، ثم يجيء السائل فيضربه بعصاه فيسقط منه ، وهو قوله : « وآتوا حقه يوم حصاده » .

١٤٠١١ – حدثنا على بن سهل قال ، حدثنا زيد بن أبي الزرقاء، عن جعفر،

---

(١) كان هذا الإسناد فى المطبوعة كما هو هنا إلا أنه كتب . . . « عن أبي جعفر ، عن سفيان » بغير « واو العطف » . وكان فيها أيضاً « قال » بالإفراد وهو تغيير لما فى المخطوطة . أما فى المخطوطة، فكان بعد قوله فيها الإسناد السالف « الضعث » ، بياض أمامه حرف (ط) دلالة على الخطأ ، ثم بعد البياض : « قال حدثنا أبي ، عن إسرائيل » وسائر الإسناد كما كان فى المطبوعة ، بغير واو عطف قبل « عن سفيان » ، ولكن كان فيها « قالا » بالتثنية . وهذا إسناد مضطرب .

وزيادة « حدثنا ابن وكيع » مكان البياض ، صواب لاشك فيه ، كما كان فى المطبوعة ، ولكن الخطأ فى إسقاط الواو قبل « عن سفيان » . فهما إسنادان كما بينتهما .

و « إسرائيل » هو « إسرائيل بن يونس بن أبي إسحق » ، يروى ، عن « جابر بن يزيد ابن الحارث الجعفى » ، و « أبو جعفر » هو « أبو جعفر الباقر » فيما أرجح .

أما الإسناد الثانى ، فهو من حديث ابن وكيع ، عن أبيه ، عن سفيان . . .

وكأن هذا هو الصواب إن شاء الله .

عن يزيد وميمون ،[1] فى قوله : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قالا : كان الرجل إذا جدَّ النخلَ يجيء بالعِذْق فيعلقه فى جانب المسجد ، فيأتيه المسكين فيضربه بعصاه ، فيأكل ما يتناثر منه .

١٤٠١٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبيد الله، عن أبى جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : لَقَطُ السُّنبل .[2]

١٤٠١٣ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن عبد الكريم الجزرى ، عن مجاهد قال : كانوا يعلقون العذق فى المسجد عند الصِّرام ، فيأكل منه الضعيف .

١٤٠١٤ – وبه ، عن معمر قال ، قال مجاهد : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، ٤٣/٨
يطعم الشيءَ عند صِرَامه .

١٤٠١٥ – حدثنى المثنى قال، حدثنا الحمانى قال ، حدثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : الضغث ، وما يقع من السنبل .

١٤٠١٦ – وبه ، عن سالم ، عن سعيد : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : العلَف .

١٤٠١٧ – حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد فى قوله : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : كان هذا قبل الزكاة ، للمساكين ، القبضةُ والضِّغث لعلف دابته .

١٤٠١٨ – حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا محمد

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « عن زيد » ، والصواب أنه « يزيد بن الأصم » المذكور فى الإسنادين السالفين .

(٢) « اللقط » (بفتح اللام والقاف) ، و « لقاط السنبل » (بضم اللام ، وبفتحها) : هو الذى تخطئه المناجل فيلتقطه الناس ، أهو نثارة السنبل .

ابن رفاعة ، عن محمد بن كعب فى قوله : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : ما قلّ منه أو كثر .[1]

١٤٠١٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن ابن أبى نجيح : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : عند الزرع يعطى القبضَ ، وعند الصِّرام يعطى القبض ،[2] ويتركهم فيتتبعون آثار الصِّرام .

* * *

وقال آخرون : كان هذا شيئاً أمر الله به المؤمنين قبل أن تفرض عليهم الصدقة المؤقتة . ثم نسخته الصدقة المعلومة ، فلا فرض فى مال كائناً ما كان ، زرعاً كان أو غرساً ، إلا الصدقة التى فرضها الله فيه .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٠٢٠ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو معاوية، عن حجاج ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس قال : نسخها العُشْر ونصف العشر .

١٤٠٢١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حفص ، عن الحجاج ، عن الحكم ، عن ابن عباس قال : نسخها العُشْر ونصف العشر .

١٤٠٢٢ – وبه ، عن حجاج ، عن سالم ، عن ابن الحنيفة قال : نسخها العُشْر ونصف العشر .

١٤٠٢٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : هذا قبل الزكاة ، فلما نزلت الزكاة نسختها ، فكانوا يعطون الضِّغْث .

١٤٠٢٤ – حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا، حدثنا جرير، عن مغيرة ،

---

(١) الأثر : ١٤٠١٨ – « محمد بن رفاعة بن ثعلبة بن أبى مالك القرظى » ، ثقة ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ٨٢/١/١ ، وابن أبى حاتم ٢٥٤/٢/٣ .

(٢) لعله « يعطى القبضة » ، فإنه هو الذى تدل عليه اللغة ، ولكن هكذا جاء فى الموضعين ، وهو جائز على ضعف .

عن شِباك ، عن إبراهيم : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : كانوا يفعلون ذلك ، حتى سُنّ العُشر ونصف العشر . فلما سُنّ العشر ونصف العشر ، تُرك .(١)

١٤٠٢٥ — حدثنا عمرو بن على قال ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ، حدثنا سفيان ، عن مغيرة ، عن شباك ، عن إبراهيم : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : هى منسوخة ، نسختها العُشر ونصف العشر .(١)

١٤٠٢٦ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا يحيى ، عن سفيان ، عن المغيرة ، عن إبراهيم : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : نسختها العشر ونصف العشر .

١٤٠٢٧ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن مغيرة ، عن شباك ، عن إبراهيم قال : نسختها العشر ونصف العشر .

١٤٠٢٨ — وبه ، عن سفيان ، عن يونس ، عن الحسن قال : نسختها الزكاة .

١٤٠٢٩ — وبه ، عن سفيان ، عن السدى قال : نسختها الزكاة : « وآتوا حقه يوم حصاده » .

١٤٠٣٠ — حدثنى يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا مغيرة ، عن شباك ، عن إبراهيم فى قوله : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : هذه السورة مكية ، نسختها العشر ونصف العشر . قلت : عمّن؟ قال : عن العلماء .

١٤٠٣١ — وبه ، عن سفيان ، عن مغيرة ، عن شباك ، عن إبراهيم قال : نسختها العشر ونصف العشر .

١٤٠٣٢ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ،

---

(١) الأثر : ١٤٠٢٤ ، ١٤٠٢٥ — « شباك الضبى » الكوفى الأعمى . روى عن إبراهيم النخعى ، والشعبى ، وأبى الضحى . روى عنه مغيرة بن مقسم ، وفضيل بن غزوان ، ونهشل بن مجمع . قال أحمد : « شيخ ثقة » . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/٢/٢٧٠ ، وانظر أيضاً رقم : ١٤٠٢٧ ، ١٤٠٣٠ ، ١٤٠٣١ .

حدثنا أسباط ، عن السدى : أما « وآتوا حقه يوم حصاده » ، فكانوا إذا مرّ بهم أحدٌ يوم الحصاد أو الجداد ، أطعموه منه ، فنسخها الله عنهم بالزكاة، وكان فيما أنبتتِ الأرضُ ، العشرُ ونصف العشر .

٤٤/٨ ١٤٠٣٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبد الأعلى ، عن يونس ، عن الحسن قال : كانوا يَرْضَخون لقرابتهم من المشركين .(١)

١٤٠٣٤ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : نسخه العشر ونصف العشر . كانوا يعطون إذا حصَدوا وإذا ذَرَّوا ، فنسختها العشر ونصف العشر .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب ، قولُ من قال : كان ذلك فرضاً فرضه الله على المؤمنين فى طعامِهم وثمارهم التى تُخْرِجها زروعهم وغرُوسهم، ثم نسخه الله بالصدقة المفروضة ، والوظيفة المعلومةِ من العشر ونصف العشر . وذلك أن الجميع مجمعون لا خلاف بينهم : أنّ صدقة الحرث لا تؤخذ إلا بعد الدِّياس والتنقية والتذرية ، وأن صدقة التمر لا تؤخذ إلا بعد الإجزاز .(٢)

فإذا كان ذلك كذلك، وكان قوله جل ثناؤه : « وآتوا حقه يوم حصاده »، ينبئ عن أنه أمرٌ من الله جل ثناؤه بإيتاء حقه يوم حصاده ، وكان يوم حصاده هو يوم جَدِّه وقطعه، والحبُّ لا شك أنه فى ذلك اليوم فى سنبله ، والتَّمر وإن كان ثمر نخل أو كَرْم غيرُ مستحكم جُفوفه ويبسه ، وكانت الصدقة من الحبِّ إنما تؤخذ بعد دِياسه وتذريته وتنقيته كيلاً ، والتمر إنما تؤخذ صدقته بعد استحكام

---

(١) « رضخ له من ماله رضيخة » ، إذا أعطاه منه العطية المقاربة ، القليلة .

(٢) فى المطبوعة : « إلا بعد الجفاف » غير ما فى المخطوطة كل التغيير ، وكان فيها : « إلا بعد الأحرار » غير منقوطة ، وهذا صواب قراءتها . يقال « جز النخل والتمر » و « أجز النخل والتمر » ، يبس تمره ، وحان أن يجز ، أى : أن يقطع ثمره ويصرم .

يبسه وجفوفه كَيْلاً = علم أن ما يؤخذ صدقة بعد حين حَصْده ، غير الذى يجب إيتاؤه المساكين يوم حَصاده .

* * *

فإن قال قائل : وما تنكر أن يكون ذلك إيجاباً من الله فى المال حقًّا سوى الصدقة المفروضة ؟

قيل : لأنه لا يخلو أن يكون ذلك فرضاً واجباً ، أو نفْلاً .

فإن يكن فرضاً واجباً ، فقد وجب أن يكون سبيلُه سبيلَ الصدقات المفروضات التى من فرَّط فى أدائها إلى أهلها كان بربِّه آثماً ، ولأمره مخالفاً . (١) وفى قيام الحجة بأن لا فرض لله فى المال بعد الزكاة يجبُ وجوبَ الزكاة سوى ما يجبُ من النفقة لمن يلزم المرءَ نفقته ، ما ينبئ عن أنّ ذلك ليس كذلك .

= أو يكون ذلك نَفْلاً . فإن يكن ذلك كذلك ، فقد وجب أن يكون الخيارُ فى إعطاء ذلك إلى ربّ الحرث والثمر . وفى إيجاب القائلين بوجوب ذلك ، ما ينبىء عن أن ذلك ليسَ كذلك .

وإذا خرجت الآية من أن يكون مراداً بها الندب ، وكان غير جائز أن يكون لها مخرجٌ فى وجوب الفرض بها فى هذا الوقت ، علم أنها منسوخة .

ومما يؤيد ما قلنا فى ذلك من القول دليلاً على صحته ، أنه جل ثناؤه أتبع قوله : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، « ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » ، ومعلوم أنّ من حكم الله فى عباده مذ فرض فى أموالهم الصدقة المفروضة المؤقتة القدرِ ، أنّ القائم بأخذ ذلك ساستهم ورُعاتهم . وإذا كان ذلك كذلك ، فما وجه نهى ربّ المال عن الإسراف فى إيتاء ذلك ، والآخذ مُجْبِرٌ ، وإنما يأخذ الحق الذى فرض لله فيه ؟

* * *

(١) انظر تفسير قوله : « بربه آثما » فيما سلف ٤ : ٥٣٠ ، تعليق : ٦/٣ : ٩٢ ، تعليق : ٢ / ١١ : ١٨٠ ، تعليق ١١/٣ : ٣٢٨ ، تعليق : ٢ .

فإن ظن ظان أن ذلك إنما هو نهى من الله القيِّمَ بأخذ ذلك من الرعاة عن التعدِّى فى مال رب المال، والتجاوز إلى أخذ ما لم يُبَحْ له أخذه ، فإن آخر الآية وهو قوله : « ولا تسرفوا » ، معطوف على أوله ، وهو قوله : « وآتوا حقه يوم حصاده ». فإن كان المنهىّ عن الإسراف القيِّمُ بقبض ذلك ، فقد يجب أن يكون المأمورُ بإيتائه ،[1] المنهىّ عن الإسراف فيه ، وهو السلطان .

وذلك قول إن قاله قائل ، كان خارجاً من قول جميع أهل التأويل ، ومخالفاً المعهود من الخطاب . وكفى بذلك شاهداً على خطئه .

* * *

فإن قال قائل : وما تنكر أن يكون معنى قوله : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، وآتوا حقه يوم كيله ، لا يوم قصله وقطعه ،[2] ولا يوم جداده وقطافه ؟ فقد علمتَ من قال ذلك من أهل التأويل ؟ وذلك ما : —

٤٥/٨ ١٤٠٣٥ — حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : يوم كيله .

١٤٠٣٦ — وحدثنا المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال، أخبرنا هشيم ، عن الحجاج ، عن سالم المكى ، عن محمد بن الحنفية قوله : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : يوم كيله ، يعطى العشر ونصف العشر .[3]

* * *

= مع آخرين قد ذكرت الرواية فيما مضى عنهم بذلك ؟ [4]

---

(١) فى المطبوعة : « بإتيانه » ، وهو خطأ محض ، وهو فى المخطوطة غير منقوط ، وذلك بيان لقوله : « وآتوا حقه يوم حصاده » .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « يوم فصله » بالفاء ، والصواب بالقاف . « قصل النبات يقصله قصلا ، واقتصله » ، قطعه وهو أخضر .

(٣) الأثر : ١٤٠٣٦ — انظر ما سلف رقم : ١٣٩٧٥ .

(٤) انظر الآثار السالفة من أول تفسير الآية .

قيل : لأن يوم كيله غير يوم حصاده . ولن يخلو معنى قائلى هذا القول من أحد أمرين : إما أن يكونوا وجّهوا معنى «الحصاد» ، إلى معنى « الكيل » ، فذلك ما لا يعقل فى كلام العرب ، لأن « الحصاد » و « الحصد » فى كلامهم : الجدّ والقطع ، لا الكيل = أو يكونوا وجّهوا تأويل قوله : « وآتوا حقه يوم حصاده » . إلى : وآتوا حقه بعد يوم حصاده إذا كلتموه ، فذلك خلاف ظاهر التنزيل . وذلك أن الأمر فى ظاهر التنزيل بإيتاء الحقّ منه يوم حصاده ، لا بعد يوم حصاده . ولا فرقَ بين قائلٍ : إنما عنى الله بقوله : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، بعد يوم حصاده = وآخرَ قال : عنى بذلك قبل يوم حصاده ، لأنهما جميعاً قائلان قولاً ، دليلُ ظاهرِ التنزيل بخلافه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ (١٤١)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى « الإسراف » ، الذى نهى الله عنه بهذه الآية ، ومن المنهىّ عنه .

فقال بعضهم : المنهىّ عنه : ربّ النخل والزرع والثمر = و« السرف » الذى نهى الله عنه فى هذه الآية ، مجاوزة القدر فى العطيّة إلى ما يجحف برب المال . (١)

* ذكر من قال ذلك :

١٤٠٣٧ — حدثنا عمرو بن على قال ، حدثنا المعتمر بن سليمان قال ، حدثنا عاصم ، عن أبى العالية فى قوله : « وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا » ، الآية ،

---

(١) انظر تفسير « الإسراف » فيما سلف ٧ : ٢٧٢ ، ١٠/٥٧٩ : ٢٤٢ .

قال : كانوا يعطون شيئاً سوى الزكاة ، ثم تسارفوا ،(١) فأنزل الله : « ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » .

١٤٠٣٨ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا معتمر بن سليمان ، عن عاصم الأحول ، عن أبي العالية : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : كانوا يعطون يوم الحصاد شيئاً سوى الزكاة ، ثم تبارَوْا فيه ، أسرفوا ،(٢) فقال الله : « ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » .

١٤٠٣٩ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا معتمر بن سليمان ، عن عاصم الأحول ، عن أبي العالية : « وآتوا حقه يوم حصاده » ، قال : كانوا يعطون يوم الحصاد شيئاً ، ثم تسارفوا ،(١) فقال الله : « ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » .

١٤٠٤٠ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : نزلت في ثابت بن قيس بن شماس ، جَدَّ نخلاً فقال : لا يأتين اليوم أحدٌ إلا أطعمته ! فأطعم ، حتى أمسى وليست له ثمرة ، فقال الله : « ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » .

١٤٠٤١ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج قال : قلت لعطاء : « ولا تسرفوا » ، يقول : لا تسرفوا فيما يؤتى يوم الحصاد ، أم في كل شيء ؟ قال : بلى ! في كل شيء ، ينهى عن السرف .(٣) قال : ثم عاودته بعد حين فقلت : ما قوله : « ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » ؟ قال : ينهى عن السرف في كل شيء ، ثم تلا : ﴿ لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ﴾ [سورة الفرقان : ٦٧] .

١٤٠٤٢ – حدثنا عمرو بن علي قال ، حدثنا يزيد بن هرون قال ، أخبرنا

---

(١) « تسارفوا » ، أي بالغوا في الإسراف وتباروا فيه ، وهذا من اشتقاق اللغة الذي لا تكاد تجده في المعاجم ، فقيده في مكانه .

(٢) في المطبوعة : « وأسرفوا » بواو العطف ، وأثبت ما في المخطوطة ، فهو صواب جيد .

(٣) « بلى » انظر استعمال « بلى » في غير حجد سبقها ، فيما سلف ١٠ : ٢٥٣ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

سفيان بن حسين ، عن أبي بشر قال : أطاف الناس بإياس بن معاوية بالكوفة ، فسألوه : ما السَّرَف؟ فقال : ما دون أمرِ الله فهو سَرَف . (١)

١٤٠٤٣ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولا تسرفوا » ، لا تعطوا أموالكم فتغدوا فقراء .

* * *

وقال آخرون : « الإسراف » الذى نهى الله عنه فى هذا الموضع ، منع الصدقة والحقّ الذى أمر الله ربَّ المال بإيتائه أهلَه بقوله : « وآتوا حقه يوم حصاده » .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٠٤٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج قال ، أخبرنى أبو بكر بن عبد الله ، عن عمرو بن سليم وغيره ، عن سعيد بن المسيب فى قوله : « ولا تسرفوا » ، قال : لا تمنعوا الصدقة فتعصوا . (٢) ٨/٤٦

١٤٠٤٥ – حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا محمد بن الزبرقان قال ، حدثنا موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب : « ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين »، والسرف، أن لا يعطى فى حق . (٣)

* * *

(١) فى المطبوعة : « ما تجاوز أمر الله فهو سرف » ، وهو مخالف لما فى المخطوطة ، وكان فيها : « ما وزه أمر الله فهو سرف »، والهاء مشبوكة فى الزاى ، وفوق الكلمة حرف (ط) دلالة على الخطأ والشك . والذى روى عن إياس بن معاوية بغير هذا اللفظ أنه قال : « الإسراف ما قصر به عن حق الله » (اللسان : سرف) ، فصح عندى أن « ما وزه » هى « ما دون أمر الله » ، ليطابق ما نقل عن إياس باللفظ الآخر . وإن كان أبو حيان فى تفسيره ٤ : ٢٣٨ ، قد كتب : « كل ما جاوزت فيه أمر الله فهو سرف » ، وكذلك القرطبى فى تفسيره ٧ : ١١٠ . وروى هذا كما أثبته أو بمعناه ، عن معاوية رضى الله عنه .

(٢) الأثر : ١٤٠٤٤ – « أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبى سبرة القرشى العامرى » القاضى الفقيه ، وهو متروك ، قال أحمد : « كان يضع الحديث ويكذب ». قال له ابن جريج : « اكتب لى أحاديث من أحاديثك » فكتب له . قال الواقدى : « فرأيت ابن جريج قد أدخل منها فى كتبه . وكان كثير الحديث ، وليس بحجة » . مترجم فى التهذيب ، وميزان الاعتدال ٣ : ٣٤٨ .

و « عمرو بن سليم بن خلدة الأنصارى الزرقى » ، تابعى ثقة ، كان قليل الحديث . مترجم فى التهذيب .

(٣) الأثر : ١٤٠٤٥ – « موسى بن عبيدة بن نشيط الربذى » ، ضعيف لا يكتب حديثه .

وقال آخرون : إنما خوطب بهذا السلطان . نُهِى أن يأخذ من ربّ المال فوق الذى ألزم الله ماله .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٠٤٦ – حدثنا يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ولا تسرفوا »، قال : قال للسلطان: « لا تسرفوا » ، لا تأخذوا بغير حق ، فكانت هذه الآية بين السلطان وبين الناس = يعنى قوله : « كلوا من ثمره إذا أثمر » ، الآية .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : إن الله تعالى ذكره نهى بقوله : « ولا تسرفوا » ، عن جميع معانى « الإسراف » ، ولم يخصص منها معنىً دون معنى .

وإذ كان ذلك كذلك ، وكان « الإسراف » فى كلام العرب : الإخطاء بإصابة الحق فى العطية ، إما بتجاوز حدّه فى الزيادة ، وإما بتقصير عن حدّه الواجب[1] = كان معلوماً أن المفرِّق مالَه مباراةً ، والباذلَه للناس حتى أجحفت به عطيته ، مسرفٌ بتجاوزه حدَّ الله إلى ما [ليس له].[2] وكذلك المقصر فى بذله فيما ألزمه الله بذله فيه ، وذلك كمنعه ما ألزمه إيتاءه منه أهلَ سُهْمَان الصدقة إذا وجبت فيه ، أو منعه من ألزمه الله نفقته من أهله وعياله ما ألزمه منها . وكذلك السلطان فى أخذه من رعيته ما لم يأذن الله بأخذه . كل هؤلاء فيما فعلوا من ذلك مسرفون ، داخلون

مضى مراراً كثيرة آخرها : ١١١٣٤ . وكان فى الإسناد هنا : « محمد بن عبيدة » ، فى المخطوطة والمطبوعة، وهو خطأ لا شك فيه ، فإن الذى يروى عنه « محمد بن الزبرقان » ، ويروى هو عن « محمد بن كعب القرظى » ، هو « موسى بن عبيدة » ، وهو الصواب المحض – وقد مر مراراً كتابة الناسخ « محمد » مكان « موسى » فى غير هذا من الأسماء .

(١) انظر تفسير « الإسراف » فيما سلف ٧ : ٢٧٢ ، ١٠/٥٧٩ : ٢٤٢ .

(٢) فى المطبوعة : « بتجاوزه حد الله إلى ما كيفته له » ، ومثلها فى المخطوطة ، غير منقوطة ، ولا معنى لها ، فطرحت هذه العبارة ، وكتبت ما بين القوسين ما يستقيم به الكلام بعض الاستقامة .

فى معنى مَنْ أتى ما نهى الله عنه من الإسراف بقوله : « ولا تسرفوا »، فى عطيتكم من أموالكم ما يجحف بكم = إذ كان ما قبله من الكلام أمرًا من الله بإيتاء الواجب فيه أهله يوم حصاده . فإنّ الآية قد كانت تنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب خاصّ من الأمور ، والحكم بها على العامّ ، بل عامّة آى القرآن كذلك . فكذلك قوله : « ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » .

ومن الدليل على صحة ما قلنا من معنى : « الإسراف » أنه على ما قلنا ، قول الشاعر : (١)

أَعْطَوا هُنَيْدَةَ يَحْدُوهَا ثَمَانِيَةٌ مَا فِى عَطَائِهِمُ مَنٌّ وَلاَ سَرَفُ (٢)

يعنى بـ« السرف » : الخطأ فى العطيّة . (٣)

---

(١) هو جرير .

(٢) مضى البيت وتخريجه وشرحه فيما سلف ٧ : ٥٧٩ .

(٣) عند هذا الموضع ، انتهى الجزء التاسع من مخطوطتنا ، وفيها ما نصه :

« نجز الجزء التاسع بحمد الله وعونه ، وحسن توفيقه ومنّه .
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم تسليماً .
يتلوه فى العاشر إن شاء الله : القول فى تأويل قوله :
﴿ وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وفَرْشاً ﴾

وكان الفراغ من كتابته فى جمادى الأولى سنة خمس عشرة وسبعمئة ، أحسن الله تقضّيها وخاتمتها فى خير وعافية . والله المعين على تكملة جميع الكتاب إن شاء الله تعالى .

غفر الله لمؤلفه ، ولصاحبه ، ولكاتبه ، ولمن نظر فيه
ودعا لهم بالمغفرة ورضى الله والجنة ، ولجميع المسلمين .
الحمد لله ربّ العالمين »

القول فى تأويل قوله ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وأنشأ من الأنعام حمولة وفرشاً ، مع ما أنشأ من الجنات المعروشات وغير المعروشات .

* * *

و « الحمولة » ، ما حمل عليه من الإبل وغيرها .

و « الفرش » ، صغار الإبل التى لم تدرك أن يُحْمَل عليها .

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : « الحمولة » ، ما حمل عليه من كبار الإبل ومسانّها = و « الفرش » ، صغارها التى لا يحمل عليها لصغرها .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٠٤٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن أبى إسحق ، عن أبى الأحوص ، عن عبدالله فى قوله : « حمولة وفرشاً » ، قال : « الحمولة » ، الكبار من الإبل = « وفرشاً » ، الصغار من الإبل .

١٤٠٤٨ — . . . . وقال، حدثنا أبى ، عن أبى بكر الهذلى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « الحمولة » ، هى الكبار ، و « الفرش » ، الصغار من الإبل .

١٤٠٤٩ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن أبى يحيى ، عن مجاهد قال : « الحمولة » ، ما حمل من الإبل ، و « الفرش » ، ما لم يحمل .

ثم يتلوه فى أول الجزء العاشر :

« بسم الله الرحمن الرحيم

ربِّ يَسِّرْ »

١٤٠٥٠ – وبه عن إسرائيل ، عن خصيف ، عن مجاهد : « الحمولة » ، ما حمل من الإبل ، و« الفرش » ، ما لم يحمل .

١٤٠٥١ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « وفرشاً » ، قال : صغار الإبل . ٤٧/٨

١٤٠٥٢ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله في قوله : « حمولة وفرشاً » ، قال : « الحمولة » ، الكبار ، و« الفرش » الصغار .

١٤٠٥٣ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحق ، عن أبي الأحوص ، عن ابن مسعود في قوله : « حمولة وفرشاً » ، « الحمولة » ، ما حمل من الإبل ، و« الفرش » ، هنّ الصغار .

١٤٠٥٤ – حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله : أنه قال في هذه الآية : « حمولة وفرشاً » ، قال : « الحمولة » ، ما حمل عليه من الإبل ، و« الفرش » ، الصغار = قال ابن المثنى ، قال محمد ، قال شعبة : إنما كان حدثني سفيان ، عن أبي إسحق .

١٤٠٥٥ – حدثنا ابن عبد الأعلى قال ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه قال ، قال الحسن : « الحمولة » ، من الإبل والبقر .

* * *

وقال بعضهم : « الحمولة » ، من الإبل ، وما لم يكن من « الحمولة » ، فهو « الفرش » :

١٤٠٥٦ – حدثنا ابن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن الحسن « حمولة وفرشاً » ، قال : « الحمولة » ، ما حمل عليه ،

و« الفرش » حواشيها ، يعني صغارها .

١٤٠٥٧ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ومن الأنعام حمولة وفرشاً »، فـ« الحمولة »، ما حمل من الإبل، و«الفرش»، صغار الإبل، الفصيل وما دون ذلك مما لا يحمل .

* * *

ويقال : « الحمولة »، من البقر والإبل = و« الفرش » ، الغنم .

* * *

وقال آخرون : « الحمولة » ، ما حمل عليه من الإبل والخيل والبغال وغير ذلك، و« الفرش » ، الغنم .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٠٥٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « ومن الأنعام حمولة وفرشاً »، فأما « الحمولة »، فالإبل والخيل والبغال والحمير وكل شيء يحمل عليه ، وأما « الفرش »، فالغنم .

١٤٠٥٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبيد الله ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس : « الحمولة »، من الإبل والبقر = « وفرشاً » ، المعز والضأن .

١٤٠٦٠ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ومن الأنعام حمولة وفرشاً » ، قال : أما « الحمولة » ، فالإبل والبقر . قال : وأما « الفرش » ، فالغنم .

١٤٠٦١ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : كان غير الحسن يقول : « الحمولة » ، الإبل والبقر ، و« الفرش » ، الغنم .

١٤٠٦٢ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ،

حدثنا أسباط ، عن السدى : « ومن الأنعام حمولة وفرشاً » ، أما « الحمولة » ، فالإبل ، وأما « الفرش » ، فالفُصْلان والعَجَاجيل والغنم . [1] وما حمل عليه فهو « حمولة » .

١٤٠٦٣ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « حمولة وفرشاً » ، « الحمولة » ، الإبل ، و « الفرش » ، الغنم .

١٤٠٦٤ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن أبى بكر الهذلى ، عن الحسن : « وفرشاً » ، قال : « الفرش » ، الغنم .

١٤٠٦٥ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « حمولة وفرشاً » ، قال : « الحمولة » ، ما تركبون ، و « الفرش » ، ما تأكلون وتحلبون ، شاة لا تحمل ، تأكلون لحمها ، وتتخذون من أصوافها لحافاً وفرشاً .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : إن « الحمولة » ، هى ما حمل من الأنعام ، لأن ذلك من صفتها إذا حملت ، لا أنه اسم لها ، كالإبل والخيل والبغال ، فإذا كانت إنما سميت « حمولة » لأنها تحمل ، فالواجب أن يكون كل ما حَمَل على ظهره من الأنعام فحمولة . وهى جمع لا واحد لها من لفظها ، كالرَّكوبة ، و « الجزورة » . وكذلك « الفرش » ، إنما هو صفة لما لطف فقرب من الأرض جسمه ، ويقال له : « الفرش » . وأحسبها سميت بذلك تمثيلاً لها فى استواء أسنانها ولطفها بالفَرْش من الأرض ، وهى الأرض المستوية التى يتوطَّؤُها الناس . ٤٨/٨

فأما « الحمولة » ، بضم « الحاء » ، فإنها الأحمال ، وهى « الحمول » أيضاً بضم الحـــاء .

* * *

(١) « العجاجيل » جمع « عجول » (بكسر العين ، وتشديد الجيم وفتحها ، وسكون الواو) وهو « العجل » ولد البقر .

القول فى تأويل قوله ﴿ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (١٤٢)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : كلوا مما رزقكم الله، أيها المؤمنون ، فأحلّ لكم ثمرات حروثكم وغروسكم ، ولحوم أنعامكم ، إذ حرّم بعض ذلك على أنفسهم المشركون بالله، فجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً وللشيطان مثله ، فقالوا: « هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا » = « ولا تتبعوا خطوات الشيطان»، كما اتبعها باحرُو البحيرة ، ومسيِّبو السوائب ، فتحرموا على أنفسكم من طيب رزق الله الذى رزقكم ما حرموه ، فتطيعوا بذلك الشيطان ، وتعصوا به الرحمن ، كما :—

١٤٠٦٦ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ولا تتبعوا خطوات الشيطان » ، لا تتبعوا طاعته ، هى ذنوب لكم ، وهى طاعة للخبيث .

* * *

= إن الشيطان لكم عدو يبغى هلاككم وصدكم عن سبيل ربكم = « مبين »، قد أبان لكم عدواته ،(١) بمناصبته أباكم بالعداوة ، حتى أخرجه من الجنة بكيده، وخدعه حسداً منه له ،(٢) وبغياً عليه .(٣)

* * *

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « أبان لكم عدوانه » ، وصوابها ما أثبت .
(٢) فى المطبوعة : « وحسداً منه » بالواو ، والصواب ما فى المخطوطة .
(٣) انظر تفسير « خطوات الشيطان » فيما سلف ٢ : ٣٠٠ — ٤/٣٠٢ : ٢٥٨ .

القول فى تأويل قوله ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (١٤٣)

قال أبو جعفر : وهذا تقريعٌ من الله جل ثناؤه العادلين به الأوثان من عبدة الأصنام ، الذين بحروا البحائر ، وسيَّبوا السوائب ، ووصلوا الوصائل = وتعليم منه نبيَّه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به ، الحجةَ عليهم فى تحريمهم ما حرموا من ذلك . فقال للمؤمنين به وبرسوله : وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات ، ومن الأنعام أنشأ حمولة وفرشاً . ثم بين جل ثناؤه « الحمولة » و « الفرش » ، فقال : « ثمانية أزواج » .

* * *

وإنما نصب « الثمانية » ، لأنها ترجمة عن « الحمولة » ، و « الفرش » ، وبدل منها . كأن معنى الكلام : ومن الأنعام أنشأ ثمانية أزواج= فلما قدّم قبل « الثمانية » « الحمولة » و « الفرش » ، بيّن ذلك بعد فقال : « ثمانية أزواج » ، على ذلك المعنى .

* * *

= « من الضأن اثنين ومن المعز اثنين » ، فذلك أربعة ، لأن كل واحد من الاثنين من الضأن زوج ، فالأنثى منه زوج الذكر ، والذكر منه زوج الأنثى ، وكذلك ذلك من المعز ومن سائر الحيوان . فلذلك قال جل ثناؤه : « ثمانية أزواج » ، كما قال : ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ ، [سورة الذاريات : ٤٩] ، لأن الذكر زوج الأنثى ، والأنثى زوج الذكر ، فهما وإن كانا اثنين فيهما زوجان ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ ، [سورة الأعراف : ١٨٩] ، وكما قال : ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾ ، [سورة الأحزاب : ٣٧] ، وكما :—

١٤٠٦٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن جويبر ، عن

الضحاك : « من الضأن اثنين » ، ذكر وأنثى ، « ومن البقر اثنين » ، ذكر وأنثى = « ومن الإبل اثنين »، ذكر وأنثى .

* * *

ويقال للاثنين : « هما زوج » ،[1] كما قال لبيد :

مِنْ كُلِّ مَحْفُوفٍ يُظِلُّ عِصِيَّهُ زَوْجٌ عَلَيْهِ كِلَّةٌ وَقِرَامُهَا[2]

* * *

ثم قال لهم : كلوا مما رزقكم الله من هذه الثمار واللحوم ، واركبوا هذه الحمولة ، أيها المؤمنون ، فلا تتبعوا خطوات الشيطان فى تحريم ما حرم هؤلاء الجهلة بغير أمرى إياهم بذلك .

= قل ، يا محمد ، لهؤلاء الذين حرّموا ماحرموا من الحرث والأنعام اتباعاً للشيطان ، من عبدة الأوثان والأصنام الذين زعموا أن الله حرم عليهم ما هم محرمون من ذلك = : ٤٩/٨
آلذكرين حرم ربكم ، أيها الكذبة على الله ، من الضأن والمعز ؟ فإنهم إن ادعوا ذلك وأقرّوا به ، كذبوا أنفسهم وأبانوا جهلهم . لأنهم إذا قالوا : « يحرم الذكرين من ذلك » ، أوجبوا تحريم كل ذكرين من ولد الضأن والمعز ، وهم يستمتعون بلحوم الذكران منها وظهورها . وفى ذلك فساد دعواهم وتكذيب قولهم = « أم الأنثيين » ، فإنهم إن قالوا : « حرم ربنا الأنثيين » ، أوجبوا تحريم لحوم كل أنثى من ولد الضأن والمعز على أنفسهم وظهورها . وفى ذلك أيضاً تكذيب لهم ، ودحض دعواهم أنّ ربهم حرم ذلك عليهم ، إذ كانوا يستمتعون بلحوم بعض ذلك وظهوره = « أم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين » ، يقول : أم حرم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين ، يعنى أرحام أنثى الضأن وأنثى المعز ،

---

(١) انظر تفسير « الزوج » فيما سلف ١ : ٢/٥١٤ : ٧/٤٤٦ : ١٢/٥١٥ : ١٥٠

(٢) من قصيدته العجيبة المعلقة ، وهذا البيت فى أوائل الشعر ، يصف هوادج ظعن الحى . و « المحفوف » ، يعنى الهودج ، حف بالثياب والأنماط . و « العصى » ، خشب الهودج ، تظلله وتستره الثياب والأنماط . و « الكلة » الستر الرقيق . و « القرام » ستر فيه رقم ونقوش وتماثيل .

فلذلك قال : « أرحام الأنثيين » ، وفى ذلك أيضاً لو أقرّوا به فقالوا : « حرم علينا ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين » ، بُطولُ قولهم وبيان كذبهم ، لأنهم كانوا يقرّون بإقرارهم بذلك أنّ الله حرّم عليهم ذكور الضأن والمعز وإناثها ، أن يأكلوا لحومها أو يركبوا ظهورها ، وقد كانوا يستمتعون ببعض ذكورها وإناثها .

* * *

و « ما » التى فى قوله : « أم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين » ، نصب عطفاً بها على « الأنثيين » .[1]

* * *

= « نبئونى بعلم » ، يقول : قل لهم : خبرونى بعلم ذلك على صحته : أىّ ذلك حرم ربكم عليكم ، وكيف حرم ؟[2] = « إن كنتم صادقين » ، فيما تنحلونه ربكم من دعواكم ، وتضيفونه إليه من تحريمكم .

* * *

وإنما هذا إعلامٌ من الله جل ثناؤه نبيَّه أنّ كل ما قاله هؤلاء المشركون فى ذلك وأضافوه إلى الله ، فهو كذب على الله ، وأنه لم يحرم شيئاً من ذلك ، وأنهم إنما اتّبعوا فى ذلك خطوات الشيطان ، وخالفوا أمره .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٠٦٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين » الآية ، إن كل هذا لم أحرم منه قليلاً ولا كثيراً ، ذكراً ولا أنثى .

١٤٠٦٩ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « من الضأن اثنين ومن المعز اثنين » ، قال : سلهم : « آلذكرين

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٦٠ .

(٢) انظر تفسير « النبأ » ، فيما سلف من فهارس اللغة (نبأ) .

حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين » ، أى : لم أحرم من هذا شيئاً = « بعلم إن كنتم صادقين » ، فذكر من الإبل والبقر نحو ذلك .

١٤٠٧٠ – حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : «ثمانية أزواج» ، فى شأن ما نهى الله عنه من البحيرة .

١٤٠٧١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « ثمانية أزواج » ، قال : هذا فى شأن ما نهى الله عنه من البحائر والسُّيَّب = قال ابن جريج يقول : من أين حرمت هذا ؟ من قبل الذكرين أم من قبل الأنثيين ، أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين ؟ وإنها لا تشتمل إلا على ذكر أو أنثى ، فمن أين جاء التحريم ؟ فأجابوا هم : وجدنا آباءنا كذلك يفعلون .

١٤٠٧٢ – حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ، ومن البقر اثنين ومن الإبل اثنين ، يقول : أنزلت لكم ثمانية أزواج من هذا الذى عددت ، ذكر وأنثى ، فالذكرين حرمت عليكم أم الأنثيين ، أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين ؟ يقول : أى : ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين ، ما تشتمل إلا على ذكر أو أنثى ، فما حرمت عليكم ذكراً ولا أنثى من الثمانية . إنما ذكر هذا من أجل ما حرّموا من الأنعام .

٥٠/٨ ١٤٠٧٣ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، عن الحسن : « أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين » ، قال : ما حملت الرَّحم .

١٤٠٧٤ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « قل آلذكرين حرم أم الأنثيين » ، قال ، هذا لقولهم : « ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا » . قال ، وقال ابن زيد فى قوله :

« ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين »، قال : « الأنعام »، هى الإبل والبقر والضأن والمعز ، هذه « الأنعام » التى قال الله : «ثمانية أزواج» . قال: وقال فى قوله : « هذه أنعام وحرث حجر » ، نحتجرها على من نريد ، وعمن نريد . وقوله : « وأنعام حرمت ظهورها » ، قال : لا يركبها أحد = « وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها » ، فقال : « آلذكرين حرم أم الأنثيين » ، أىّ هذين حرم على هؤلاء ؟ أى : أن تكون لهؤلاء حِلاًّ ، وعلى هؤلاء حراماً .

١٤٠٧٥ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين » ، يعنى : هل تشتمل الرحم إلاّ على ذكر أو أنثى ؟ فهل يحرمون بعضاً ويحلون بعضاً ؟

١٤٠٧٦ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين » ، فهذه أربعة أزواج = « ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين » ، يقول : لم أحرم شيئاً من ذلك = « نبئونى بعلم إن كنتم صادقين » ، يقول : كله حلال .

* * *

و « الضأن » جمع لا واحد له من لفظه، وقد يجمع « الضأن »، « الضَّئين ، والضِّئين »، مثل «الشَّعير» و«الشِّعير» كما يجمع «العبد» على «عَبيد، وعِبيد».(١) وأما الواحد من ذكوره فـ«ضائن»، والأنثى «ضائنة»، وجمع « الضائنة » « ضوائن » .

* * *

(١) كل ذلك بفتح الضاد ، والشين ، والعين = ثم بكسر الضاد، والشين، والعين . وقد نصوا على ذلك فى « الضئين » و « الشعير » ، ولم أوفق إلى العثور على ذلك فى « العبيد » ، وهو موجود إن شاء الله فيما أذكر . وقالوا : إن كسر « الضاد » لغة تميمية .

وكذلك « المعز » ، جمع على غير واحد ، وكذلك « المعزى » . وأما « الماعز » فجمعه « مواعز » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (١٤٤)

قال أبو جعفر : وتأويل قوله : « ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين » ، نحو تأويل قوله : « من الضأن اثنين ومن المعز اثنين » ، وهذه أربعة أزواج ، على نحو ما بيّنا من الأزواج الأربعة قبلُ من الضأن والمعز ، فذلك ثمانية أزواج ، كما وصف جل ثناؤه .

* * *

وأما قوله : « أم كنتم شهداء إذ وصّاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ليضل الناس بغير علم » ، فإنه أمرٌ من الله جل ثناؤه نبيَّه صلى الله عليه وسلم أن يقول لهؤلاء الجهلة من المشركين الذين قص قصصهم فى هذه الآيات التى مضَت . يقول له عز ذكره: قل لهم، يا محمد: أيَّ هذه سألتكم عن تحريمه حرم ربكم عليكم من هذه الأزواج الثمانية ؟ فإن أجابوك عن شيء مما سألتهم عنه من ذلك، فقل لهم : أخبرًا قلتم: « إن الله حرم هذا عليكم »، أخبركم به رسول عن ربكم ، أم شهدتم ربكم فرأيتموه فوصّاكم بهذا الذى تقولون وتزوّرون على الله ؟(١) فإن هذا الذى تقولون من أخباركم عن الله أنه حرام بما تزعمون على ما تزعمون ،

(١) فى المطبوعة : « وتردون على الله » ، وفى المخطوطة : « وتزرون » ، وصواب قراءتها ما أثبت .

لا يعلم إلا بوحى من عنده مع رسول يرسله إلى خلقه ، أو بسماع منه ، فبأى هذين الوجهين علمتم أنّ الله حرم ذلك كذلك ، برسول أرسله إليكم ، فأنبئونى بعلم إن كنتم صادقين ؟ أم شهدتم ربكم فأوصاكم بذلك ، وقال لكم : « حرمت ذلك عليكم » ، فسمعتم تحريمه منه، وعهدَه إليكم بذلك ؟ [1] فإنه لم يكن واحدٌ من ٥١/٨
هذين الأمرين . يقول جل ثناؤه: « فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً »، يقول: فمن أشد ظلماً لنفسه ، وأبعد عن الحق ممن تخرّص على الله قيلَ الكذب ، وأضاف إليه تحريم ما لم يحرّم ، وتحليل ما لم يحلل [2]= « ليضل الناس بغير علم »، يقول : ليصدّهم عن سبيله [3] = « إن الله لا يهدى القوم الظالمين » ، يقول: لا يوفّق الله للرشد من افترى على الله وقال عليه الزُّور والكذب، وأضاف إليه تحريم ما لم يحرّم ، كفرًا بالله ، وجحوداً لنبوة نبيِّه محمد صلى الله عليه وسلم ، [4] كالذى :—

١٤٠٧٧ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « أم كنتم شهداء إذا وصاكم الله بهذا » ، الذى تقولون .

١٤٠٧٨ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : كانوا يقولون = يعنى الذين كانوا يتّخذون البحائر والسوائب =: إن الله أمر بهذا . فقال الله: « فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ليضل الناس بغير علم » .

* * *

---

(١) انظر تفسير « شهداء » فيما سلف من فهارس اللغة (شهد) .
= وتفسير « وصى » فيما سلف ٩ : ٢٩٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الافتراء » فيما سلف ص : ١٥٣ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « الضلال » فيما سلف من فهارس اللغة (ضلل) .
(٤) انظر تفسير « الهدى » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) .
= وتفسير « الظلم » فيما سلف منها (ظلم) .

القول فى تأويل قوله ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد، لهؤلاء الذين جعلوا لله ممّا ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً ، ولشركائهم من الآلهة والأنداد مثله = والقائلين : هذه أنعام وحرث حجرٌ لا يطعمها إلاّ من نشاء بزعمهم = والمحرّمين من أنعام أُخَر ظهورَها = والتاركين ذكر اسم الله على أُخَر منها = والمحرِّمين بعض ما فى بطون بعض أنعامهم على إناثهم وأزواجهم، ومحلِّيه لذكورهم، المحرّمين ما رزقهم الله افتراءً على الله، وإضافةً منهم ما يحرمون من ذلك إلى أنّ الله هو الذى حرّمه عليهم = : أجاءكم من الله رسولٌ بتحريمه ذلك عليكم، فأنبئونا به ، أم وصاكم الله بتحريمه مشاهدةً منكم له، فسمعتم منه تحريمه ذلك عليكم فحرمتموه ؟ فإنكم كذبة إن ادعيتم ذلك ، ولا يمكنكم دعواه ، لأنكم إذا ادّعيتموه علم الناس كذبكم = فإنى لا أجد فيما أوحى إلىّ من كتابه وآى تنزيله،[1] شيئاً محرَّماً على آكل يأكله مما تذكرون أنه حرمه من هذه الأنعام التى تصفون تحريمَ ما حرّم عليكم منها بزعمكم[2] = « إلا أن يكون ميتة »، قد ماتت بغير تذكية = « أو دماً مسفوحاً » ، وهو المنصبّ = أو إلا أن يكون لحم خنزير = « فإنه رجسٌ أو فسقاً »، يقول : أو إلاّ أن يكون فسقاً يعنى ، بذلك : أو إلاّ أن يكون مذبوحاً ذبحه ذابحٌ من المشركين من عبدة الأوثان لصنمه وآلهته ، فذكر

---

(١) انظر تفسير « الوحى » فيما سلف من فهارس اللغة (وحى) .

(٢) انظر تفسير « طعم » فيما سلف ٥ : ٣٤٢/١٠ : ٥٧٦

عليه اسم وثنه ، فإن ذلك الذبح فسقٌ نهى الله عنه وحرّمه، ونهى من آمن به عن أكل ما ذبح كذلك ، لأنه ميتة .

* * *

وهذا إعلام من الله جلّ ثناؤه للمشركين الذين جادلوا نبيّ الله وأصحابه فى تحريم الميتة بما جادلوهم به، أنّ الذى جادلوهم فيه من ذلك هو الحرام الذى حرّمه الله، وأن الذى زعموا أنّ الله حرمه حلالٌ قد أحلّه الله ، وأنهم كذبة فى إضافتهم تحريمه إلى الله .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٠٧٩ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه فى قوله: « قل لا أجد فيما أوحى إلىّ محرّمًا » ، قال: كان أهل الجاهلية يحرّمون أشياء ويحلّون أشياء، فقال : قل لا أجد مما كنتم تحرمون وتستحلّون إلاّ هذا : « إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقاً أهل لغير الله به » .

١٤٠٨٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد قال، أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه فى قوله: « قل لا أجد فيما أوحى إلىّ محرّماً » الآية ، قال: كان أهل الجاهلية يستحلّون أشياء ويحرّمون أشياء، فقال الله لنبيه: ٥٢/٨
قل لا أجدُ فيما أوحى إلىّ محرماً مما كنتم تستحلون إلاّ هذا = وكانت أشياء يحرّمونها ، فهى حرام الآنَ .

١٤٠٨١ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن ابن طاوس ، عن أبيه : « قل لا أجد فيما أوحى إلى محرماً على طاعم يطعمه » ، قال : ما يؤكل . قلت : فى الجاهلية ؟ قال : نعم ! وكذلك كان يقول: « إلا أن يكون ميتةً أو دماً مسفوحاً » = قال ابن جريج : وأخبرنى

إبراهيم بن أبي بكر ، عن مجاهد : « قل لا أجد فيما أوحى إلى محرماً » ، قال : مما كان في الجاهلية يأكلون ، لا أجد محرماً من ذلك على طاعم يطعمه إلاّ أن يكون ميتةً أو دماً مسفوحاً .

* * *

وأما قوله: « أو دماً مسفوحاً » ، فإن معناه: أو دماً مُسَالاً مُهَرَاقاً . يقال منه : « سفحت دمه » ، إذا أرقته ، « أسفحه سَفْحاً ، فهو دم مسفوح » ، كما قال طرفة بن العبد :

إنِّي وَجَدِّكَ مَا هَجَوْتُكَ وَالأَنْصَابِ يَسْفَحُ فَوْقَهُنَّ دَمُ(١)

وكما قال عَبِيد بن الأبرص :

إذَا مَا عَادَهُ مِنْهَا نِسَاءٌ سَفَحْنَ الدَّمْعَ مِنْ بَعْدِ الرَّنِينِ(٢)

---

(١) ديوان الستة الجاهليين : ٣٤٧ ، من ثلاثة أبيات يعتذر بها إلى عمرو بن هند ، حين بلغه أنه هجاه ، فتوعده ، يقول بعده :

وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِذَاكَ ، إذْ حُبِسَتْ وَأُمِرَّ دُونَ عَبِيدَةَ الوَذَمُ
أَخْشَى عِقَابَكَ إن قَدَرْتَ ، وَلَمْ أُغْدِرْ فَيُؤْثَرَ بَيْنَنَا الكَلِمُ

(٢) ديوانه : ٤٥ ، وكان في المطبوعة والمخطوطة : « منا نساء » ، وهو خطأ لاشك فيه ، صوابه ما في الديوان ، وهو من قصيدته التي لام فيها امرأته لما أعرضت عنه لما كبر وشاب ، ومطت له حاجبيها استهزاء به ، فذكرها بما كان من ماضيه في اللهو والصبا والحرب ، فكان مما ذكرها به من ذلك شأنه في الحرب ، فقال :

وَأَسْمَرَ قد نَصَبْتُ لِذِي سَنَاءٍ يَرَى مِنِّي مُخَالَطَةَ اليَقِينِ
يُحَاوِلُ أَنْ يَقُومَ ، وقَدْ مَضَتْهُ مُغَابَنَةٌ بِذِي خُرْصٍ قَتِينِ
إذَا مَا عَادَهُ مِنْهَا نِسَاءٌ سَفَحْنَ الدَّمْعَ من بعد الرَّنِينِ

« أسمر » يعني رمحاً ، طعن به فارساً ذا سناء وشرف ، فخالطه به مخالطة اليقين . فلما طعنه حاول أن يقوم ، وقد « مضته » ، أي : نفذت فيه طعنة « مغابنة » ، تخيط لحمه وتغبنه كما يغبن الثوب ، برمح « ذي خرص » أي سنان ، « قتين » ، أي : محدد الرأس . فإذا عاده النساء من هذه الطعنة ، صحن صياح الحزن ، وذلك هو « الرنين » ، من هول ما رأين من أثر الطعنة ، ثم سفحن الدمع لما يئسن منه ومن شفائه .

يعنى : صببن وأسلن الدمع .

* * *

وفى اشتراطه جل ثناؤه فى الدم عند إعلامه عباده تحريمه إياه ، المسفوحَ منه دون غيره ، الدليلُ الواضح أنّ ما لم يكن منه مسفوحاً ، فحلال غير نجس.(١) وذلك كالذى :-

١٤٠٨٢ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة : « أو دماً مسفوحاً » ، قال : لولا هذه الآية لتتبّع المسلمون من العروق ما تتبعتِ اليهود .

١٤٠٨٣ - حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، بنحوه = إلا أنه قال: لاتتّبع المسلمون .

١٤٠٨٤ - حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، بنحوه .

١٤٠٨٥ - حدثنا أبو كريب قال ، أخبرنا وكيع ، عن عمران بن حدير ، عن أبى مجلز ، فى القِدْر يعلوها الحمرة من الدم . قال : إنما حرم الله الدمَ المسفوحَ .

١٤٠٨٦ - حدثنى المثنى قال، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا حماد ، عن عمران بن حدير ، عن أبى مجلز ، قال : سألته عن الدم وما يتلطّخ بالمذْبح من الرأس، وعن القدر يرى فيها الحُمرة ؟ قال : إنما نهى الله عن الدم المسفوح .

١٤٠٨٧ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « أو دماً مسفوحاً » ، قال : حُرِّم الدم ما كان مسفوحاً . وأما لحم خالطه دم، فلا بأس به .

---

(١) السياق : « وفى اشتراطه . . . المسفوح منه . . . الدليل الواضح » .

١٤٠٨٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « قل لا أجد فيما أوحي إليّ محرماً على طاعم يطعمه إلاّ أن يكون ميتةً أو دماً مسفوحاً » ، يعني : مُهَراقاً .

١٤٠٨٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، أخبرني ابن دينار ، عن عكرمة : « أو دماً مسفوحاً » ، قال : لولا هذه الآية لتتبع المسلمون عروق اللحم كما تتبعها اليهود .

١٤٠٩٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا حماد ، عن يحيى بن سعيد ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة : أنها كانت لا ترى بلحوم السباع بأساً ، والحمرةِ والدم يكونان على القدر بأساً ، وقرأت هذه الآية : « قل لا أجد فيما أوحي إلى محرماً على طاعم يطعمه » ، الآية .(١)

١٤٠٩١ – حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن يحيى بن سعيد قال ، حدثني القاسم بن محمد ، عن عائشة قالت ، وذكرت هذه الآية : « أو دماً مسفوحاً » ، قلت : وإن البرمة ليرى ما في مائها [من] الصفرة .(٢) ٥٣/٨

* * *

وقد بينا معنى « الرجس » ، فيما مضى من كتابنا هذا ، وأنه النجس والنتن ، وما يُعْصى الله به ، بشواهده ، فأغنى عن إعادته في هذا الموضع .(٣)

---

(١) الأثر : ١٤٠٩٠ – قال ابن كثير في تفسيره ٣ : ٤١٥ ، وذكر هذا الأثر ، « صحيح غريب » .

(٢) الأثر : ١٤٠٩١ – هذا أثر مبتور لاشك في ذلك ، يبينه الذي قبله ، فهو إسناد آخر له . وكان في المطبوعة : « ليرى في مائها الصفرة » ، حذف « ما » التي قبل « في مائها » ، وهي ثابتة في المخطوطة ، وزدت ما بين القوسين ، لتستقيم العبارة . ولم أجد الخبر في مكان آخر بلفظه هذا .

(٣) انظر تفسير « الرجس » فيما سلف ١٠ : ٥٦٤ ، ٥٦٥/١٢ : ١١٠ – ١١٢

وكذلك القول فى معنى « الفسق » = وفى قوله : «أهل لغير الله به » ، قد مضى ذلك كله بشواهده الكافية من وفّق لفهمه ، عن تكراره وإعادته .(١)

* * *

قال أبو جعفر : واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « إلاّ أنْ يكون ميتة » .

فقرأ ذلك بعض قرأة أهل المدينة والكوفة والبصرة : ﴿ إلاّ أنْ يَكُونَ ﴾ ، بالياء ﴿ مَيْتَةً ﴾ مخففة الياء منصوبة ، = على أن فى « يكون » مجهولاً ، و « الميتة » فعل له ، (٢) فنصبت على أنها فعل « يكون » ، وذكروا « يكون » ، لتذكير المضمر فى « يكون » .

* * *

وقرأ ذلك بعض قرأة أهل مكة والكوفة : ﴿ إلاّ أنْ تَكُونَ ﴾ ، بالتاء ﴿ مَيْتَةً ﴾ ، بتخفيف الياء من « الميتة » ونصبها = وكأن معنى نصبهم « الميتة » معنى الأولين ، وأنّثوا « تكون » لتأنيث الميتة ، كما يقال : « إنها قائمة جَارِيتُك » ، و « إنه قائم جاريتك » ، فيذكر المجهول مرة ويؤنث أخرى ، لتأنيث الاسم الذى بعده .

* * *

وقرأ ذلك بعض المدنيين : ﴿ إلاّ أنْ تَكُونَ مَيِّتَةٌ ﴾ ، بالتاء فى « تكون » وتشديد الياء من « ميتة » ، ورفعها = فجعل « الميتة » اسم « تكون » ، وأنث « تكون » لتأنيث « الميتة » ، وجعل « تكون » مكتفية بالاسم دون الفعل ، لأن قوله : « إلاّ أن تكون ميتة » ، استثناء ، والعرب تكتفى فى الاستثناء بالأسماء عن الأفعال ، فيقولون : « قام الناس إلا أن يكون أخاك » ، و « إلاّ أن يكون أخوك » ، فلا تأتى لـ « يكون » ، بفعل ، وتجعلها مستغنية بالاسم ، كما يقال : « قام القوم إلاّ أخاك »

---

(١) انظر تفسير « الفسق » فيما سلف ص : ٧٦ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك . = وتفسير « أهل لغير الله به » فيما سلف ٣ : ٣١٩ - ٣٢١/٩ : ٤٩٣ .

(٢) « الفعل » هنا ، خبر المبتدأ ، وهو اصطلاح قديم كما ترى ، وتفسيره أن خبر المبتدأ كأنه فعل له . تقول : « محمد قائم » ، تفسيره أن محمدا فعل القيام ، وهو اصطلاح كوفى .

و« إلا أخوك » ،[١] فلا يفتقد الاسم الذى بعد حرف الاستثناء فعلاً .[٢]

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك عندى : ﴿ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ ﴾ ، بـ «الياء» ﴿ مَيْتَةً ﴾ ، بتخفيف الياء ونصب «الميتة » ، لأن الذى فى « يكون » من المكنى من ذكر المذكر[٣] = وإنما هو : قل لا أجد فيما أوحى إلىّ محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ذلك ميتةً أو دماً مسفوحاً .

* * *

فأما قراءة « ميتة » بالرفع ، فإنه ، وإن كان فى العربية غير خطأ ، فإنه فى القراءة فى هذا الموضع غيرُ صواب . لأن الله يقول : « أو دماً مسفوحاً » ، فلا خلاف بين الجميع فى قراءة : « الدم » بالنصب ، وكذلك هو فى مصاحف المسلمين ، وهو عطف على « الميتة » . فإذ كان ذلك كذلك ، فمعلوم أن « الميتة » لو كانت مرفوعة ، لكان « الدم » ، وقوله : « أو فسقًا » ، مرفوعين ، ولكنها منصوبة ، فيعطف بهما عليها بالنصب .

* * *

---

(١) انظر معانى القرآن ١ : ٣٦٠ — ٣٦٣ ، وقد استوفى هذا الباب هناك .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « فلا يعتد الاسم الذى بعد حرف الاستثناء نفلا » و « نفلا » فى المخطوطة غير منقوطة ، وهذه عبارة لا معنى لها ، صوابها إن شاء الله ما أثبت . « افتقد الشىء » تطلبه وقوله : « فعلا » هو « خبر المبتدأ » ، كما فسرته فى التعليق السالف ص : ١٩٥ ، تعليق ٢ ، واستظهرت صواب قراءتها كذلك من كلام الفراء إذ يقول فى معانى القرآن ١ : ٣٦١ : « ومن رفع (الميتة) جعل (يكون) فعلا لها ، اكتفى بيكون بلا فعل . وكذلك (يكون) فى كل الاستثناء لا تحتاج إلى فعل . . . » . فقوله : « لا تحتاج إلى فعل » ، هو معنى ما أثبته « لا يفتقد الاسم الذى بعد حرف الاستثناء فعلا » .

(٣) انظر تفسير « الميتة » فيما سلف ، وتخفيف ياءها وتشديدها فيما سلف ٣ : ٣١٨ ، ٦/٣١٩ : ٩/٣١٠ : ٤٩٢ .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٤٥)

قال أبو جعفر : وقد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فى تأويل قوله : « فمن اضطر غير باغ ولا عاد » ، والصواب من القول فيه عندنا فيما مضى من كتابنا هذا ، فى « سورة البقرة » ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع [1] = وأن معناه : فمن اضطر إلى أكلِ ما حرَّم الله من أكل الميتة والدم المسفوح أو لحم الخنزير أو ما أهل لغير الله به ، غير باغ فى أكله إيّاه تلذذاً ، لا لضرورة حالة من الجوع ، ولا عادٍ فى أكله بتجاوزه ما حدَّه الله وأباحه له من أكله ، وذلك أن يأكل منه ما يدفع عنه الخوف على نفسه بترك أكله من الهلاك ، لم يتجاوز ذلك إلى أكثر منه ، فلا حرج عليه فى أكله ما أكل من ذلك = « فإنّ الله غفور » ، فيما فعل من ذلك ، فساتر عليه بتركه عقوبته عليه ، ولو شاء عاقبه عليه = « رحيم » ، بإباحته إياه أكل ذلك عند حاجته إليه ، ولو شاء حرَّمه عليه ومنعه منه .

* * *

(١) انظر تفسير ذلك فيما سلف ٣ : ٣٢١ – ٣٢٧ ، وتفسير ألفاظ الآية فيما سلف من فهارس اللغة .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ﴾ ٨/٥٤

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وحرّمنا على اليهود [١] = « كل ذى ظفر »، وهو من البهائم والطير ما لم يكن مشقُوق الأصابع ، كالإبل والنَّعام والإوز والبط.

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٠٩٢ — حدثنى المثنى وعلى بن داود قالا، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر » ، وهو البعير والنعامة .

١٤٠٩٣ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر » ، قال : البعير والنعامة ونحو ذلك من الدوابّ .

١٤٠٩٤ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن عطاء ، عن سعيد : « وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر » ، قال : هو الذى ليس بمنفرج الأصابع .

١٤٠٩٥ — حدثنى على بن الحسين الأزدى قال، حدثنا يحيى بن يمان ، عن شريك ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير فى قوله : « وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر » ، قال : كل شىء متفرق الأصابع ، ومنه الديك .[٢]

---

(١) انظر تفسير « هاد » فيما سلف ١٠ : ٤٧٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) قوله : « كل شىء متفرق الأصابع ، ومنه الديك » ، هكذا هو فى المخطوطة ، والذى تبادر إلى ذهن من نشر التفسير قبل ، أن صوابه « غير متفرق الأصابع » ، ليطابق ما قبله وما بعده . ولكنى وجدت ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٤١٧ ، يقول : « وفى رواية عنه : « كل متفرق الأصابع ، ومنه الديك » ، فلذلك رجحت صواب ما فى المخطوطة والمطبوعة .

١٤٠٩٦ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : « كل ذى ظفر » ، النعامة والبعير .

١٤٠٩٧ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، مثله .

١٤٠٩٨ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتاد قوله : « وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر » ، فكان يقال : البعير والنعامة وأشباهه من الطير والحيتان .

١٤٠٩٨م – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال،حدثنا محمد بن ثور قال، حدثنا معمر ، عن قتادة : « كل ذي ظفر » ، قال : الإبل والنعام ، ظفر يد البعير ورجله ، والنعام أيضاً كذلك . وحرم عليهم أيضاً من الطير البط وشبهه ، وكل شيء ليس بمشقوق الأصابع .

١٤٠٩٩ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « أما كل ذى ظفر » ، فالإبل والنعام .

١٤١٠٠ – حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا شيخ ، عن مجاهد فى قوله : « وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر » ، قال : النعامة والبعير ، شقًّا شقًّا . قال قلت : ما « شقًّا شقًّا »؟ قال : كل ما لم تفرج قوائمه لم يأكله اليهود ، والبعيرُ والنعامة . والدجاج والعصافير تأكلها اليهود ، لأنها قد فُرِجت .

١٤١٠١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « كل ذى ظفر » ، قال : النعامة والبعير ، شقًّا شقًّا . قلت للقاسم بن أبي بزة وحدثنيه : ما « شقًّا شقًّا » ؟ قال : كل شيء لم يفرج من قوائم البهائم . قال : وما انفرج أكلته اليهود . قال : انفرجت قوائم الدجاج

والعصافير ، فيهود تأكلها . قال : ولم تنفرج قائمة البعير ، خفّه ، ولا خف النعامة ، ولا قائمة الوَزِّينة ،[١] فلا تأكل اليهود الإبل ولا النعام ولا الوَزَّين ، ولا كل شيء لم تنفرج قائمته ، وكذلك لا تأكل حمار وحش .

* * *

وكان ابن زيد يقول فى ذلك بما :—

١٤١٠٢ — حدثنى به يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر » ، الإبل قطْ .[٢]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك بالصواب ، القول الذى ذكرنا عن ابن عباس ومن قال بمثل مقالته . لأن الله جل ثناؤه أخبر أنه حرم على اليهود كل ذى ظفر ، فغير جائز إخراج شيء من عموم هذا الخبر إلاّ ما أجمع أهل العلم أنه خارج منه . وإذا كان ذلك كذلك ، وكان النعام وكل ما لم يكن من البهائم والطير مما له ظفر غير منفرج الأصابع داخلاً فى ظاهر التنزيل ، وجب أن يحكم له بأنه داخل فى الخبر ، إذ لم يأت بأن بعض ذلك غير داخلٍ فى الآية ، خبرٌ عن الله ولا عن رسوله ، وكانت الأمة أكثرها مجمع على أنه فيه داخل . ٨/٥٥

* * *

---

(١) « الوزينة » (بفتح الواو ، وتشديد الزاى مكسورة) ، هى الإوزة ، وجمعها « الوزين » ، مثلها فى الوزن بغير هاء .

(٢) فى المطبوعة : « فقط » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو محض صواب . يقال : « ماله إلا عشرة قط » (بفتح القاف وسكون الطاء) و « قط » (بتشديد الطاء وكسرها) ، بمعنى : أى ، ولا يزيد على ذلك ، بمعنى « حسب » .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى «الشحوم» التى أخبر الله تعالى ذكره: أنه حرمها على اليهود من البقر والغنم .

فقال بعضهم : هى شحوم الثُّروب خاصة . (١)

* ذكر من قال ذلك :

١٤١٠٣ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما » ، الثروب . ذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : قاتل الله اليهود ، حرم الله عليهم الثروب ثم أكلوا أثمانها ! (٢)

* * *

وقال آخرون : بل ذلك كان كل شحم لم يكن مختلطاً بعظم ولا على عظم .

* ذكر من قال ذلك :

١٤١٠٤ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج قوله : « حرمنا عليهم شحومهما »، قال : إنما حرم عليهم الثرب، وكل شحم كان كذلك ليس فى عظم .

* * *

وقال آخرون : بل ذلك شحم الثرب والكُلَى .

* ذكر من قال ذلك :

١٤١٠٥ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ،

---

(١) « الثروب » جمع « ثرب » (بفتح فسكون) ، وهو شحم رقيق يغشى الكرش والأمعاء .

(٢) الأثر : ١٤١٠٣ — الخبر الذى رواه قتادة مرسلا ، رواه البخارى بإسناده مرفوعاً (الفتح ٤ : ٣٤٤ ، ٣٤٥) . بنحوه ، ورواه الجماعة . وانظر التعليق التالى .

حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « حرمنا عليهم شحومهما » ، قال : الثرب وشحم الكليتين . وكانت اليهود تقول : إنما حرمه إسرائيل ، فنحن نحرّمه .

١٤١٠٦ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « حرمنا عليهم شحومهما » ، قال : إنما حرم عليهم الثروب والكليتين = هكذا هو فى كتابى عن يونس ، وأنا أحسب أنه : « الكُلَى».

* * *

قال أبو جعفر : والصواب فى ذلك من القول أن يقال : إن الله أخبر أنه كان حرم على اليهود من البقر والغنم شحومهما ، إلا ما استثناه منها مما حملت ظهورهما أو الحَوَايا أو ما اختلط بعظم . فكل شحم سوى ما استثناه الله فى كتابه من البقر والغنم ، فإنه كان محرماً عليهم .

وبنحو ذلك من القول تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك قوله : « قاتل الله اليهود ، حرمت عليهم الشحوم فجملوها ثم باعوها وأكلوا أثمانها» .(١)

* * *

وأما قوله : « إلاّ ما حملت ظهورهما » ، فإنه يعنى : إلا شحوم الجَنْب وما علق بالظهر ، فإنها لم تحرَّم عليهم .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤١٠٧ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « إلا ما حملت ظهورهما » ، يعنى : ما علق بالظهر من الشحوم .

١٤١٠٨ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ،

---

(١) رواه الجماعة ، انظر (الفتح ٤ : ٣٤٤ ، ٣٤٥) . و« جمل الشحم » : أذابه واستخرج ودكه . و« الجميل » الشحم المذاب .

حدثنا أسباط عن السدى : أمّا « ما حملت ظهورهما » ، فالأَلْيات .

١٤١٠٨ م – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن إسمعيل ، عن أبى صالح قال : الألية ، مما حملت ظهورهما .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَوِ ٱلْحَوَايَآ ﴾

قال أبو جعفر : و « الحوايا » جمع ، واحدها « حاوِياء » ، و « حاوية » ، و « حَوِيَّة » ، وهى ما تحوَّى من البطن فاجتمع واستدار ، وهى بنات اللبن ، وهى « المباعر » ، وتسمى « المرابض » ، وفيها الأمعاء .(١)

* * *

ومعنى الكلام : ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما ، إلا ما حملت ظهورهما ، أو ما حملت الحوايا = فـ « الحوايا » ، رفع ، عطفاً على « الظهور » ، و « ما » التى بعد « إلا » ، نصبٌ على الاستثناء من « الشحوم » .(٢)

* * *

وبمثل ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤١٠٩ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « أو الحوايا » ، وهى المبعر .

١٤١١٠ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « أو الحوايا » ، قال : المبعر .

---

(١) « الربض » (بفتحتين) و « المربض » (بفتح الميم ، وفتح الباء أو كسرها) ، و « الربيض » مجتمع الحوايا ، أو ما تحوى من مصارين البطن . و « بنات اللبن » : ماصغر من الأمعاء . وانظر الأثر التالى رقم : ١٤١٢١ .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٦٣ .

١٤١١١ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « الحوايا » ، المبعر والمرْبَض .

١٤١١٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة ، عن شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « أو الحوايا » ، قال : المبعر . ٥٦/٨

١٤١١٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير : « أو الحوايا » ، قال : المباعر .

١٤١١٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير : « أو الحوايا » ، قال : المباعر .

١٤١١٥ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « أو الحوايا »، قال : المبعر .

١٤١١٦ – حدثنا ابن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة: « أو الحوايا »، قال : المبعر .

١٤١١٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة والمحاربي، عن جويبر ، عن الضحاك قال : المبعر .

١٤١١٨ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « أو الحوايا » ، يعني البطون غير الثروب .

١٤١١٩ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « أو الحوايا » ، هو المبعر .

١٤١٢٠ – حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « أو الحوايا » ، قال : المباعر .

* * *

وقال ابن زيد في ذلك ما : –

١٤١٢١ – حدثني به يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « أو الحوايا » ، قال : « الحوايا » ، المرابض التي تكون فيها الأمعاء ، تكون وسطها ، وهي « بنات اللبن » ، وهي في كلام العرب تدعى « المرابض » .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ومن البقر والغنم حرمنا على الذين هادوا شحومهما ، سوى ما حملت ظهورهما ، أو ما حملت حواياهما ، فإنا أحللنا ذلك لهم ، وإلاّ ما اختلط بعظم ، فهو لهم أيضاً حلال .

* * *

فردّ قوله : « أو ما اختلط بعظم » ، على قوله : « إلاّ ما حملت ظهورهما » ، فـ « ما » التي في قوله : « أو ما اختلط بعظم » ، في موضع نصب عطفاً على « ما » التي في قوله : « إلاّ ما حملت ظهورهما » .(١)

* * *

وعنى بقوله : « أو ما اختلط بعظم » ، شحم الألية والجنب ، وما أشبه ذلك ، كما :–

١٤١٢٢ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « أو ما اختلط بعظم » ، قال : شحم الألية بالعُصْعُص ،(٢) فهو حلال. وكل شيء في القوائم والجنب والرأس والعين قد اختلط بعظم، فهو حلال .

١٤١٢٣ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « أو ما اختلط بعظم » ، مما كان من شحم على عظم .

* * *

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٣٦٣ .

(٢) « العصعص » ، وهو عظم عجب الذنب .

القول فى تأويل قوله ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ (١٤٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فهذا الذى حرمنا على الذين هادوا من الأنعام والطير ذوات الأظافير غير المنفرجة ، ومن البقر والغنم ما حرمنا عليهم من شحومهما ، الذى ذكرنا فى هذه الآية ، حرمناه عليهم عقوبة منّا لهم ، وثواباً على أعمالهم السيئة ، وبغيهم على ربهم ،(١) كما : —

١٤١٢٤ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون » ، إنما حرم ذلك عليهم عقوبة ببغيهم .

١٤١٢٥ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ذلك جزيناهم ببغيهم » ، فعلنا ذلك بهم ببغيهم .

* * *

وقوله : « وإنا لصادقون » ، يقول : وإنا لصادقون فى خبرنا هذا عن هؤلاء اليهود عما حرمنا عليهم من الشحوم ولحوم الأنعام والطير التى ذكرنا أنّا حرمنا عليهم ، وفى غير ذلك من أخبارنا ، وهم الكاذبون فى زعمهم أن ذلك إنما حرمه إسرائيل على نفسه ، وأنهم إنما حرموه لتحريم إسرائيل إياه على نفسه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ (١٤٧)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فإن كذبك ، يا محمد ،(٢) هؤلاء اليهود فيما أخبرناك أنا حرمنا عليهم وحللنا لهم ، كما بينا فى هذه ٥٧/٨

(١) انظر تفسير « جزى » فيما سلف من فهارس اللغة (جزى) .
= وتفسير « البغى » فيما سلف ٢ : ٤/٣٤٢ : ٦/٢٨١ : ٢٧٦ .
(٢) فى المطبوعة : « كذبوك » والصواب من المخطوطة .

الآية = « فقل ربكم ذو رحمة » ، بنا ، وبمن كان به مؤمناً من عباده ، وبغيرهم من خلقه = « واسعة » ، تسع جميع خلقه ،[١] المحسنَ والمسيء ، لا يعاجل من كفر به بالعقوبة ، ولا من عصاه بالنِّقمة ، ولا يدع كرامة من آمن به وأطاعه ، ولا يحرمه ثواب عمله ، رحمة منه بكلا الفريقين ، ولكن بأسه = وذلك سطوته وعذابه[٢] = لا يردّه إذا أحله عند غضبه على المجرمين بهم عنهم شيء = و« المجرمون» هم الذين أجرَموا فاكتسبوا الذنوب واجترحوا السيئات .[٣]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤١٢٦ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فإن كذبوك » ، اليهود .

١٤١٢٧ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فإن كذبوك » ، اليهود = « فقل ربكم ذو رحمة واسعة » .

١٤١٢٨ – حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى ، قال : كانت اليهود يقولون : إنما حرّمه إسرائيل = يعنى الثَّرْب وشحم الكليتين = فنحن نحرمه ، فذلك قوله : « فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يردّ بأسه عن القوم المجرمين » .

* * *

(١) انظر تفسير « واسع » فيما سلف ١١ : ٤٨٩ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « البأس » فيما سلف ١١ : ٣٥٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « المجرم » فيما سلف ص : ٩٣

القول فى تأويل قوله ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ﴾

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : « سيقول الذين أشركوا » ، وهم العادلون بالله الأوثان والأصنام من مشركى قريش = « لو شاء الله ما أشركنا » ، يقول : قالوا احتجازاً من الإذعان للحق بالباطل من الحجة ، لما تبين لهم الحق ، وعلموا باطل ما كانوا عليه مقيمين من شركهم ، وتحريمهم ما كانوا يحرّمون من الحروث والأنعام ، على ما قد بيّن تعالى ذكره فى الآيات الماضية قبل ذلك : « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً »، وما بعد ذلك : لو أراد الله منا الإيمان به ، وإفراده بالعبادة دون الأوثان والآلهة ، وتحليل ما حرم من البحائر والسوائب وغير ذلك من أموالنا ، ما جعلنا لله شريكاً ، ولا جعل ذلك له آباؤنا من قبلنا ، ولا حرمنا ما نحرمه من هذه الأشياء التى نحن على تحريمها مقيمون ، لأنه قادر أن يحول بيننا وبين ذلك ، حتى لا يكون لنا إلى فعل شىء من ذلك سبيل : إما بأن يضطرنا إلى الإيمان وترك الشرك به ، وإلى القول بتحليل ما حرمنا = وإما بأن يلطف بنا بتوفيقه ، فنصير إلى الإقرار بوحدانيته ، وترك عبادة ما دونه من الأنداد والأصنام ، وإلى تحليل ما حرمنا ، ولكنه رضى منا ما نحن عليه من عبادة الأوثان والأصنام واتخاذ الشريك له فى العبادة والأنداد ، وأراد ما نحرّم من الحروث والأنعام ، فلم يَحُلْ بيننا وبين ما نحن عليه من ذلك .

قال الله مكذباً لهم فى قيلهم : « إن الله رضى منا ما نحن عليه من الشرك ، وتحريم ما نحرّم » = ورادًّا عليهم باطلَ ما احتجوا به من حجتهم فى ذلك =

« كذلك كذب الذين من قبلهم » ، يقول : كما كذب هؤلاء المشركون ، يا محمد، ما جئتهم به من الحق والبيان ، كذب من قبلهم من فسقة الأمم الذين طغَوا على ربهم ما جاءتهم به أنبياؤهم من آيات الله وواضح حججه ، وردُّوا عليهم نصائحهم = « حتى ذاقوا بأسنا » ، يقول : حتى أسخطونا فغضبنا عليهم ، فأحللنا بهم بأسنا فذاقوه ، فعطبوا بذوقهم إياه ، فخابوا وخسروا الدنيا والآخرة .[1] يقول : وهؤلاء الآخرون مسلوك بهم سبيلهم ، إن هم لم ينيبوا فيؤمنوا ويصدقوا بما جئتهم به من عند ربهم .

* * *

٥٨/٨ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤١٢٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا » ، وقال : « كذلك كذب الذين من قبلهم » ، ثم قال : « ولو شاء الله ما أشركوا » ، فإنهم قالوا : « عبادتنا الآلهة تقرّبنا إلى الله زلفى » ، فأخبرهم الله أنها لا تقربهم، وقوله: « ولو شاء الله ما أشركوا »، يقول الله سبحانه: لو شئت لجمعتهم على الهدى أجمعين .

١٤١٣٠ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ولا حرمنا من شىء » ، قال : قول قريش = يعنى : إن الله حرم هذه البحيرة والسائبة .

١٤١٣١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد: « ولا حرمنا من شىء »، قولُ قريش بغير يقين : إنّ الله حرّم هذه البحيرة والسائبة .

* * *

(١) انظر تفسير « ذاق » فيما سلف : ١١ : ٤٢٠، تعليق : ١، والمراجع هناك .

فإن قال قائل : وما برهانك على أن الله تعالى إنما كذب من قيل هؤلاء المشركين قولهم : « رضى الله منا عبادة الأوثان ، وأراد منا تحريم ما حرمنا من الحروث والأنعام » ، دون أن يكون تكذيبه إياهم كان على قولهم : « لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء » ، وعلى وصفهم إياه بأنه قد شاء شركهم وشرك آبائهم ، وتحريمهم ما كانوا يحرمون ؟

قيل له : الدلالة على ذلك قوله : « كذلك كذب الذين من قبلهم » ، فأخبر جل ثناؤه عنهم أنهم سلكوا فى تكذيبهم نبيهم محمداً صلى الله عليه وسلم فيما أتاهم به من عند الله = من النهى عن عبادة شيء غير الله تعالى ذكره ، وتحريم غير ما حرّم الله فى كتابه وعلى لسان رسوله = مسلكَ أسلافهم من الأمم الخالية المكذبة اللهَ ورسولَه . والتكذيبُ منهم إنما كان لمكذَّب ، ولو كان ذلك خبراً من الله عن كذبهم فى قيلهم : « لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا » ، لقال : « كذلك كذَبَ الذين من قبلهم » ، بتخفيف « الذال » ، وكان ينسبهم فى قيلهم ذلك إلى الكذب على الله ، لا إلى التكذيب = مع علل كثيرة يطول بذكرها الكتاب ، وفيما ذكرنا كفاية لمن وُفِّق لفهمه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ (١٤٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد ، لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام ، المحرِّمين ما هم له محرِّمون من الحرُوث والأنعام ، القائلين : « لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء » ، ولكنه رضى منا ما نحن عليه من الشرك وتحريم ما نحرم : « هل عندكم » ،

= بدعواكم ما تدعون على الله من رضاه بإشراككم في عبادته ما تشركون ، وتحريمكم من أموالكم ما تحرمون = علمُ يقينٍ من خبر مَنْ يقطع خبره العذر ، أو حجة توجب لنا اليقين ، من العلم = « فتخرجوه لنا » ، يقول : فتظهروا ذلك لنا وتبينوه ، كما بينا لكم مواضع خطأ قولكم وفعلكم ، وتناقض ذلك واستحالته في المعقول والمسموع [1] = « إن تتبعون إلاّ الظن » ، يقولُ له : قل لهم : إن تقولون ما تقولون ، أيها المشركون ، وتعبدون من الأوثان والأصنام ما تعبدون ، وتحرمون من الحروث والأنعام ما تحرّمون ، إلاّ ظنًّا وحسباناً أنه حق ، وأنكم على حق ، وهو باطلٌ ، وأنتم على باطل = «وإن أنتم إلاّ تخرصون » ، يقول : « وإن أنتم» ، وما أنتم في ذلك كله = « إلا تخرصون » ، يقول : إلاّ تتقوّلون الباطل على الله ، ظنًّا بغير يقين علم ولا برهان واضح .[2]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (١٤٩) ٨/٥٩

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد ، لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام ، القائلين على ربهم الكذبَ ، في تحريمهم ما حرموا من الحروث والأنعام ، إن عجزوا عن إقامة الحجة عند قيلك لهم : « هل عندكم من علم بما تدعون على ربكم فتخرجوه لنا» ، وعن إخراج علم ذلك لك وإظهاره ، وهم لا شك عن ذلك عجزَة ، وعن إظهاره مقصرون ، لأنه باطل لا حقيقة له = « فلله » ، الذي حرم عليكم أن تشركوا به شيئاً ، وأن تتبعوا

(١) انظر تفسير « الإخراج » فيما سلف ٢ : ٢٢٨ .
(٢) انظر تفسير « التخرص » فيما سلف ص ٦٥ .

خطوات الشيطان فى أموالكم من الحروث والأنعام = « الحجة البالغة »، دونكم أيها المشركون .

ويعنى : بـ « البالغة »، أنها تبلغ مراده فى ثبوتها على من احتج بها عليه من خلقه ، وقَطْعِ عُذْرِه إذا انتهت إليه فيما جُعِلت حجة فيه .

* * *

= «فلو شاء لهداكم أجمعين»، يقول : فلو شاء ربكم لوفّقكم أجمعين للإجماع على إفراده بالعبادة ، والبراءة من الأنداد والآلهة ، والدينونة بتحريم ما حرم الله وتحليل ما حلله الله ، وترك اتباع خطوات الشيطان ، وغير ذلك من طاعاته ، ولكنه لم يشأ ذلك . فخالف بين خلقه فيما شاء منهم ، فمنهم كافر ومنهم مؤمن .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤١٣٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس قال : لا حجة لأحد عصَى الله ، ولكن لله الحجة البالغة على عباده . وقال : « فلو شاء لهداكم أجمعين » ، قال : ﴿ لاَ يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴾، [سورة الأنبياء : ٢٣] .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ (١٥٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « قل » ، يا محمد ، لهؤلاء المفترين على ربهم من عبدة الأوثان ، الزاعمين أنّ الله حرم عليهم ما هم محرموه من حروثهم وأنعامهم = « هلم شهداءكم » يقول : هاتوا شهداءكم الذين يشهدون على الله أنه حرم عليكم ما تزعمون أنه حرمه عليكم .(١)

* * *

وأهل العالية من تهامة توحّد «هلم» فى الواحد والاثنين والجميع ،وتذكر فى المؤنث والمذكر ، فتقول للواحد : « هلم يا فلان » ، وللاثنين والجميع كذلك ، وللأنثى مثله ، ومنه قول الأعشى :

وَكَانَ دَعَا قَوْمَهُ دَعْوَةً هَلُمَّ إِلَى أَمْرِكُمْ قَدْ صُرِمْ.(٢)

ينشد : « هلم » ، و « هلموا » . وأما أهل السافلة من نجد ، فإنهم يوحّدون للواحد، ويثنّون للاثنين ، ويجمعون للجميع . فيقال للواحد من الرجال : « هلم » وللواحدة من النساء: « هلمى »، والاثنين: « هلما »، وللجماعة من الرجال: « هلموا » وللنساء : « هَلْمُمْنَ » .(٣)

* * *

قال الله لنبيه: « فإن شهدوا »، يقول : يا محمد ، فإن جاءوك بشهداء يشهدون أن الله حرم ما يزعمون أن الله حرمه عليهم = « فلا تشهد معهم » ، فإنهم كذبة

(١) انظر تفسير « الشهداء » فيما سلف من فهارس اللغة (شهد) .

(٢) ديوانه ٣٤ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٠٨ ، من قصيدة طويلة مضت منها أبيات فى مواضع متفرقة ، وهذا البيت داخل فى قصة « الحضر » ، وما أصاب أهله ، تركت نقل أبياتها لطولها .

(٣) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٠٨ ، فهذا نص كلامه .

وشهود زور فى شهادتهم بما شهدوا به من ذلك على الله . وخاطب بذلك جل ثناؤه نبيه صلى الله عليه وسلم ، والمراد به أصحابه والمؤمنون به = « ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا » ، يقول : ولا تتابعهم على ما هم عليه من التكذيب بوحى الله وتنزيله ، فى تحريم ما حرم ، وتحليل ما أحل لهم ، ولكن اتبع ما أوحى إليك من كتاب ربك الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه = « والذين لا يؤمنون بالآخرة » ، يقول : ولا تتبع أهواء الذين لا يؤمنون بالآخرة ، فتكذب بما هم به مكذبون من إحياء الله خلقه بعد مماتهم ، ونشره إياهم بعد فنائهم = « وهم بربهم يعدلون » ، يقول : وهم مع تكذيبهم بالبعث بعد الممات ، وجحودهم قيام الساعة ، بالله يعدلون الأوثانَ والأصنامَ ، فيجعلونها له عِدْلاً ، ويتخذونها له نداً ، يعبدونها من دونه .(١) ٦٠/٨

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤١٣٣ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا » ، يقول : قل : أرونى الذين يشهدون أن الله حرم هذا مما حرمت العرب ، وقالوا : أمرنا الله به . قال الله لرسوله : « فإن شهدوا فلا تشهد معهم » .

١٤١٣٤ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا » ، قال : البحائر والسُّيَّب .

* * *

(١) انظر تفسير « العدل » فيما سلف ١١ : ٢٥١ — ٢٥٤

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل، يا محمد ، لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام ، الزاعمين أن الله حرم عليهم ما هم محرِّموه من حروثهم وأنعامهم، على ما ذكرت لك فى تنزيلى عليك =: تعالوا، أيها القوم، (١) أقرأ عليكم ما حرم ربكم حقاً يقيناً ، (٢) لا الباطل تخرُّصاً، تخرُّصَكم على الله الكذبَ والفريةَ ظنًّا ، (٣) ولكن وحياً من الله أوحاه إلىّ، وتنزيلاً أنزله علىّ: أن لا تشركوا بالله شيئاً من خلقه ، ولا تعدلوا به الأوثان والأصنام ، ولا تعبدوا شيئاً سواه = « وبالوالدين إحساناً»، يقول : وأوصى بالوالدين إحساناً = وحذف « أوصى » و « أمر » ، لدلالة الكلام عليه ومعرفة السامع بمعناه . (٤) وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى من الكتاب. (٥)

* * *

وأما «أن» فى قوله: « أن لا تشركوا به شيئاً»، فرفعٌ، لأن معنى الكلام : قل تعالوا أتلُ ما حرّم ربكم عليكم، هو أن لا تشركوا به شيئاً .

وإذا كان ذلك معناه ، كان فى قوله : « تشركوا » ، وجهان :

= الجزم بالنهى ، وتوجيه « لا » إلى معنى النهى .

= والنصب، على توجيه الكلام إلى الخبر، ونصب « تشركوا » ، بـ « أن لا »،

---

(١) انظر تفسير « تعالوا » فيما سلف ١١ : ١٣٧، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « تلا » فيما سلف ١٠ : ٢٠١ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المطبوعة : « كخرصكم على الله » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٤) انظر تفسير « الإحسان » فيما سلف ٢ : ٨/٢٩٢ : ٣٣٤ ، ٩/٥١٤ : ٢٨٣/ ١٠ : ٥١٢، ٥٧٦

(٥) انظر ما سلف ٢ : ٢٩٠ – ٨/٢٩٢ : ٣٣٤ .

كما يقال : « أمرتك أن لا تقوم » .

وإن شئت جعلت « أن » فى موضع نصبٍ ، ردًّا على « ما » وبياناً عنها ، ويكون فى قوله : « تشركوا » ، أيضاً من وجهى الأعراب ، نحو ما كان فيه منه . و « أن » فى موضع رفع .

ويكون تأويل الكلام حينئذ : قل: تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ، أتلُ أن لاتشركوا به شيئاً .

* * *

فإن قال قائل: وكيف يجوز أن يكون قوله : « تشركوا » نصباً بـ « أن لا » ، أم كيف يجوز توجيه قوله : « أن لا تشركوا به » ، على معنى الخبر ، وقد عطف عليه بقوله : « ولا تقتلوا أولادكم من إملاق » ، وما بعد ذلك من جزم النهى ؟

قيل : جاز ذلك ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ قُلْ إِنِّى أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ﴾ ، فجعل « أن أكون » خبراً ، و « أنْ » اسمًا ، ثم عطف عليه ﴿ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ، [سورة الأنعام : ١٤] ، (١) وكما قال الشاعر : (٢)

حَجٌّ وَأَوْصَى بِسُلَيْمَى الْأَعْبُدَا أَنْ لاَ تَرَى وَلاَ تُكَلِّمْ أَحَدَا
وَلاَ يَزَلْ شَرَابُهَا مُبَرَّدَا (٣)

فجعل قوله : « أن لا ترى » خبراً ، ثم عطف بالنهى فقال : « ولاتكلم » ، « ولا يزل » .

* * *

---

(١) قوله : « ولا تكونن من المشركين » ، ساقط فى المطبوعة والمخطوطة ، واستظهرت زيادته من معانى القرآن للفراء ١ : ٣٦٤ ، وهى زيادة يفسد الكلام بإسقاطها .

(٢) لم أعرف قائله .

(٣) معانى القرآن للفراء ١ : ٣٦٤ ، وليس فيه البيت الثالث ، وفيه مكانه :

• وَلاَ تُمَسَّ بِفَضَاءٍ بَعَدَا •

القول فى تأويل قوله ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « ولا تقتلوا أولادكم من إملاق » ، ولا تئدوا أولادكم فتقتلوهم من خشية الفقر على أنفسكم بنفقاتهم ، فإن الله هو رازقكم وإياهم ، ليس عليكم رزقهم ، فتخافوا بحياتهم على أنفسكم العجزَ عن أرزاقهم وأقواتهم .

* * *

و« الإملاق »، مصدر من قول القائل: « أملقت من الزاد، فأنا أملق إملاقاً » ، وذلك إذا فنى زاده ، وذهب ماله ، وأفلس .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤١٣٥ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « ولا تقتلوا أولادكم من إملاق » ، الإملاق الفقر ، قتلوا أولادهم خشية الفقر . ٦١/٨

١٤١٣٦ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة فى قوله : « ولا تقتلوا أولادكم من إملاق » ، أى خشية الفاقة .

١٤١٣٧ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط، عن السدى : « ولا تقتلوا أولادكم من إملاق »، قال : « الإملاق » ، الفقـــر .

١٤١٣٨ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ،

قال ابن جريج قوله : « من إملاق » ، قال : شياطينهم ، يأمرونهم أن يئِدوا أولادهم خيفة العَيْلة .

١٤١٣٩ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ يقول ، حدثنا عبيد بن سليمان، عن الضحاك فى قوله : « من إملاق »، يعنى : من خشية فقر .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولا تقربوا الظاهرَ من الأشياء المحرّمة عليكم ،(١) التى هى علانية بينكم لا تناكرون ركوبها ، والباطنَ منها الذى تأتونه سرًّا فى خفاء لا تجاهرون به ، فإن كل ذلك حرام .(٢)

* * *

وقد قيل : إنما قيل: لا تقربوا ما ظهر من الفواحش وما بطن ، لأنهم كانوا يستقبحون من معانى الزنا بعضاً [دون بعض] .

وليس ما قالوا من ذلك بمدفوع ، غير أن دليل الظاهر من التنزيل على النهى عن ظاهر كل فاحشة وباطنها ، ولا خبر يقطع العذرَ ، بأنه عنى به بعض دون جميع . وغير جائز إحالة ظاهر كتاب الله إلى باطن ، إلا بحجة يجب التسليم لها .

* * *

* ذكر من قال ما ذكرنا من قول من قال : الآية خاصٌّ المعنى .

١٤١٤٠ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال،

---

(١) انظر تفسير « الفواحش » فيما سلف ٨ ٢٠٣ ، تعليق ٢ ، والمراجع هناك

(٢) انظر تفسير «ظهر» ،و« بطن » فيما سلف ص: ٧٢–٧٥، ثم انظر الأثر رقم ٩٠٧٥ .

حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن » ، أما « ما ظهر منها » ، فزوانى الحوانيت ، وأما « ما بطن » ، فما خَفِى.(١)

١٤١٤١ - حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، حدثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك قوله : « ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن » ، كان أهل الجاهلية يستسرُّون بالزنا ، ويرون ذلك حلالاً ما كان سرًّا. فحرّم الله السر منه والعلانية = « ما ظهر منها » ، يعنى : العلانية = « وما بطن » ، يعنى : السر .(٢)

١٤١٤٢ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن » ، قال : كانوا فى الجاهلية لا يرون بالزنا بأساً فى السر ، ويستقبحونه فى العلانية ، فحرَّم الله الزنا فى السرّ والعلانية .

* * *

وقال آخرون فى ذلك بمثل الذى قلنا فيه .

* ذكر من قال ذلك :

١٤١٤٣ - حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن » ، سرَّها وعلانيتها .

١٤١٤٤ - حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، نحوه .

* * *

وقال آخرون : « ما ظهر » ، نكاح الأمهات وحلائل الآباء = « وما بطن » ، الزنا .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) « زوانى الحوانيت » ، كانت البغايا تتخذ حانوتاً عليه راية ، إعلاماً بأنها بغى . وانظر الأثر السالف رقم : ١٣٨٠١ .

(٢) الأثر : ١٤١٤١ - مضى هذا الخبر برقم : ١٣٨٠٢ .

١٤١٤٥ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن أبيه ، عن خصيف ، عن مجاهد : « ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن » ، قال : « ما ظهر » ، جمعٌ بين الأختين ، وتزويج الرجل امرأة أبيه من بعده = « وما بطن » ، الزنا . (١)

* * *

وقال آخرون في ذلك بما : –

١٤١٤٦ – حدثني إسحق بن زياد العطار النصري قال ، حدثنا محمد بن إسحق البلخي قال ، حدثنا تميم بن شاكر الباهلي ، عن عيسى بن أبي حفصة قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : « ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن » ، ٦٢/٨
قال : « ما ظهر » ، الخمر = « وما بطن » ، الزنا . (٢)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (١٥١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً » ، « ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق » ، يعني بالنفس التي حرم الله قتلها ، نفسَ مؤمن أو مُعاهد = وقوله : « إلاّ بالحق » ، يعني بما أباح قتلها به : من أن تقتل نفساً فتقتل قَوَداً بها ، أو تزني وهي محصنة فترجم ،

---

(١) الأثر : ١٤١٤٥ – مضى برقم : ١٣٨٠٣ .

(٢) الأثر : ١٤١٤٦ – « إسحق بن زياد العطار النصري » ، لم أجد له ترجمة ، وفي المطبوعة « البصري » ، وأثبت ما في المخطوطة .

و « محمد بن إسحق البلخي الجوهري » ، لم أجد له غير ترجمة في ابن أبي حاتم ٣/٢/١٩٥ ، قال : « روى عن مطرف بن مازن ، وأبي أمية بن يعلى ، وقيراط الحجام ، ومحمد بن حرب الأبرش ، وعيسى بن يونس . كتب عنه أبي بالري » .

وأما « تميم بن شاكر الباهلي » و « عيسى بن أبي حفصة » ، فلم أعثر لهما على ترجمة ولا ذكر .

أو ترتدّ عن دينها الحقّ فتقتل. فذلك « الحق » الذى أباح الله جل ثناؤه قتل النفس التى حرم على المؤمنين قتلها به = « ذلكم » ، يعنى هذه الأمور التى عهد إلينا فيها ربُّنا أن لا نأتيه وأن لا ندعه ، هى الأمور التى وصّانا والكافرين بها أن نعمل جميعاً به = « لعلكم تعقلون » ، يقول : وصاكم بذلك لتعقلوا ما وصاكم به ربكم.(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن » ، ولا تقربوا ماله إلا بما فيه صلاحه وتثميره ، كما : —

١٤١٤٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحمانى قال ، حدثنا شريك ، عن ليث ، عن مجاهد : « ولا تقربوا مال اليتيم إلاّ بالتى هى أحسن » ، قال : التجارة فيه .

١٤١٤٨ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن » ، فليثمر مالَه .

١٤١٤٩ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا فضيل بن مرزوق العنزى ، عن سليط بن بلال ، عن الضحاك بن مزاحم فى قوله : « ولا تقربوا مال اليتيم إلاّ بالتى هى أحسن » ، قال : يبتغى له فيه ، ولا يأخذ من ربحه شيئاً .(٢)

---

(١) انظر تفسير « وصى » فيما سلف ص : ١٨٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) الأثر : ١٤١٤٩ — « فضيل بن مرزوق العنزى » ، الرقاشى ، الأغر . مضى برقم : ٥٤٣٧ . و « سليط بن بلال » ، لا أدرى من هو ، ولم أجد له ترجمة .

١٤١٥٠ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن » ، قال : « التي هي أحسن » ، أن يأكل بالمعروف إن افتقر ، وإن استغنى فلا يأكل . قال الله : ﴿ وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [سورة النساء : ٦] . قال : وسئل عن الكسوة ، فقال : لم يذكر الله الكسوة ، إنما ذكر الأكل .

* * *

وأما قوله : « حتى يبلغ أشده » ، فإن « الأشُدّ » جمع « شَدّ » ، كما « الأضُرّ » جمع « ضر » ، وكما « الأشُرّ » جمع « شر » ،[1] و « الشد » القوة ، وهو استحكام قوة شبابه وسنه ، كما « شَدُّ النهار » ارتفاعه وامتداده . يقال : « أتيته شدّ النهار ، ومدّ النهار » ، وذلك حين امتداده وارتفاعه ، وكان المفضل فيما بلغني ينشد بيت عنترة :

عَهْدِي بِهِ شَدَّ النَّهارِ كَأَنَّمَا خُضِبَ اللَّبَانُ وَرَأْسُهُ بِالْعِظْلِمِ[2]

ومنه قول الآخر :[3]

تُطِيفُ بِهِ شَدَّ النَّهَارِ ظَعِينَةٌ طَوِيلَةُ أَنْقَاءِ الْيَدَيْنِ سَحُوقُ[4]

---

(١) هكذا جاء في المخطوطة والمطبوعة : « الأضر » و « الأشر » ، ولم أجد لشيء من ذلك أصلا في كتب العربية ، وهذان اللفظان محرفان فيما أرجح ، ولكني تركتهما على حالها ، حتى أقف على الصواب في قراءتهما إن شاء الله . ولكنهم مثلوا له بقولهم « قد » و « أقد » ، وهو قريب التحريف في الأولى ، ولكن الثانية مبهمة .

(٢) من معلقته المشهورة ، وهذا البيت من أبيات وصف فيها بطلا مثله ، يقول قبله :

لَمَّا رَآنِي قَدْ قَصَدْتُ أُرِيدُهُ أَبْدَى نَوَاجِذَهُ لِغَيْرِ تَبَسُّمِ
فَطَعَنْتُهُ بِالرُّمْحِ ثُمَّ عَلَوْتُهُ بِمُهَنَّدٍ صَافِي الْحَدِيدَةِ مِخْذَمِ

و « اللبان » الصدر . و « العظلم » ، صبغ أحمر . يصفه قتيلا سال دمه ، فخضب رأسه وأطرافه ، لا حراك به .

(٣) لم أعرف قائله .

(٤) « الظعينة » ، يعني زوجته . « الأنقاء » جمع « نقو » (بكسر فسكون) ، وهو كل عظم فيه مخ ، كعظام اليدين والساقين ، وامرأة « سحوق » : طويلة كأنها نخلة مستوية قد انجرد عنها كربها .

وكان بعض البصريين يزعم أن « الأشد » مثل « الآنُك » . (١)

* * *

فأما أهل التأويل ، فإنهم مختلفون فى الحين الذى إذا بلغه الإنسان قيل : « بلغ أشدّه » .

فقال بعضهم : يقال ذلك له إذا بلغ الحُلُم .

* ذكر من قال ذلك :

١٤١٥١ – حدثنى أحمد بن عبد الرحمن قال، حدثنا عمى قال ، أخبرنى يحيى بن أيوب، عن عمرو بن الحارث، عن ربيعة فى قوله : « حتى يبلغ أشده » ، قال : الحلم .

١٤١٥٢ – حدثنى أحمد بن عبد الرحمن قال، حدثنا عمى قال ، حدثنى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، مثله = قال ابن وهب : وقال لى مالك مثله . (٢)

١٤١٥٣ – حدثت عن الحمانى قال، حدثنا هشيم، عن مجاهد ، عن عامر : « حتى يبلغ أشده » ، قال : « الأشد » ، الحلم ، حيث تكتب له الحسنات ، وتكتب عليه السيآت .

* * *

وقال آخرون : إنما يقال ذلك له ، إذا بلغ ثلاثين سنة .

* ذكر من قال ذلك :

١٤١٥٤ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « حتى يبلغ أشده » ، قال : أما « أشده » ، فثلاثون

---

(١) « آنك » (بالمد وضم النون) هو . الرصاص القلعى ، وهو القزدير . ويعنى أنه مفرد لا جمع .

(٢) الأثران : ١٤١٥١ ، ١٤١٥٢ – « أحمد بن عبد الرحمن بن وهب المصرى » ، مضى برقم : ٢٧٤٧ ، ٦٦١٣ ، ١٠٣٣٠ ، وهو ابن أخى « عبد الله بن وهب » و « عمه » ، هو : « عبد الله بن وهب » .

سنة، ثم جاء بعدها : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا ٱلنِّكَاحَ ﴾ [سورة النساء : ٦] .

* * *

وفى الكلام محذوف ، ترك ذكره اكتفاءً بدلالة ما ظهر عما حذف . وذلك أن معنى الكلام : « ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده » ، فإذا بلغ أشده فآنستم منه رشداً ، فادفعوا إليه ماله = لأنه جل ثناؤه لم ينه أن يُقرب مال اليتيم فى حال يُتمه إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده ، ليحِلَّ لوليّه بعد بلوغه أشده أن يقربه بالتى هى أسوأ ، [1] ولكنه نهاهم أن يقرَبوه حياطةً منه له ، وحفظاً عليه ، [2] ليسلموه إليه إذا بلغ أشده .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً » = وأن أوفوا الكيل والميزان . يقول : لا تبخسوا الناس الكيلَ إذا كلمتوهم ، والوزنَ إذا وزنتموهم ، ولكن أوفوهم حقوقهم . وإيفاؤهم ذلك ، إعطاؤهم حقوقهم تامة [3] = « بالقسط » ، يعنى بالعدل ، كما :—

١٤١٥٥ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « بالقسط » ، بالعدل .

* * *

وقد بينا معنى : « القسط » بشواهده فيما مضى ، وكرهنا إعادته . [4]

* * *

(١) فى المطبوعة : « ويحل » بالواو ، والذى فى المخطوطة حق السياق .
(٢) فى المطبوعة : « أن يقربوا » ، والصواب ما فى المخطوطة .
(٣) انظر تفسير « الإيفاء » فيما سلف ٩ : ٤٢٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٤) انظر تفسير « القسط » فيما سلف ١٠ : ٣٣٤ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

وأما قوله : « لا نكلف نفساً إلاّ وسعها » ، فإنه يقول : لا نكلف نفساً ، من إيفاء الكيل والوزن ، إلا ما يسعها فيحلّ لها ولا تحرَجُ فيه . (١) وذلك أن الله جل ثناؤه ، علم من عباده أنّ كثيراً منهم تَضيق نفسه عن أن تطيب لغيره بما لا يجبُ عليها له ، فأمر المعطى بإيفاء رب الحق حقَّه الذى هو له ، ولم يكلّفه الزيادة ، لما فى الزيادة عليه من ضيق نفسه بها . وأمر الذى له الحق ، بأخذ حقه ، ولم يكلفه الرضى بأقل منه ، لما فى النقصان عنه من ضيق نفسه . فلم يكلف نفساً منهما إلاّ ما لا حرج فيه ولا ضيق ، فلذلك قال : « لا نكلف نفساً إلاّ وسعها » .

وقد استقصينا بيان ذلك بشواهده فى موضع غير هذا الموضع ، بما أغنى عن إعادته . (٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١٥٢)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وإذا قلتم فاعدلوا » ، وإذا حكمتم بين الناس فتكلمتم فقولوا الحق بينهم ، واعدلوا وأنصفوا ولا تجوروا ، (٣) ولو كان الذى يتوجه الحق عليه والحكم ، ذا قرابة لكم ، ولا تحملنكم قرابه قريب أو صداقة صديق حكمتم بينه وبين غيره ، أن تقولوا غير الحق فيما احتكم إليكم فيه = « وبعهد الله أوفوا » ، يقول : وبوصية الله التى أوصاكم بها فأوفوا . وإيفاء ذلك : أن

(١) انظر تفسير « التكليف » فيما سلف ٥ : ٦/٤٥ : ١٢٩ ، ٨/١٣٠ : ٥٧٩ .
= وتفسير « الوسع » فيما سلف ٥ : ٦/٤٥ : ١٢٩ ، ١٣٠ .
(٢) انظر ما سلف ٥ : ٤٥ ، ٦/٤٦ : ١٢٩ ، ١٣٠ .
(٣) انظر تفسير « العدل » فيما سلف من فهارس اللغة (عدل) .

يطيعوه فيما أمرهم به ونهاهم ، وأن يعملوا بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وذلك هو الوفاء بعهد الله . (١)

وأما قوله : « ذلكم وصاكم به » ، يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل للعادلين بالله الأوثان والأصنام من قومك : هذه الأمور التى ذكرت لكم فى هاتين الآيتين ، هى الأشياء التى عهد إلينا ربنا ، ووصاكم بها ربكم ، وأمركم بالعمل بها = لا بالبحائر ، والسوائب ، والوصائل ، والحام ، وقتل الأولاد ، ووأد البنات ، واتباع خطوات الشيطان(٢) = « لعلكم تذكرون » ، يقول : أمركم بهذه الأمور التى أمركم بها فى هاتين الآيتين ، ووصاكم بها وعهد إليكم فيها ، لتتذكروا عواقبَ أمركم ، وخطأ ما أنتم عليه مقيمون ، فتنزجروا عنها ، وترتدعوا وتُنيبوا إلى طاعة ربكم . ٦٤/٨

* * *

وكان ابن عباس يقول : هذه الآيات ، هُنّ الآيات المحكمات .

١٤١٥٦ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن على بن صالح ، عن أبى إسحق ، عن عبد الله بن قيس ، عن ابن عباس قال : هن الآيات المحكمات ، قوله : « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لاتشركوا به شيئاً» . (٣)

---

(١) انظر تفسير « العهد » فيما سلف من فهارس اللغة (عهد) .
= وتفسير « الإيفاء » فيما سلف ص: ٢٢٤ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « وصى » فيما سلف ص : ٢٢١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٣) الأثر : ١٤١٥٦ – « على بن صالح بن صالح بن حى الهمدانى » ثقة ، مضى برقم : ١٧٨ ، ١١٩٧٥ .
وفى المخطوطة والمطبوعة : « على بن أبى صالح » ، وهو خطأ لاشك فيه ، والزيادة سهو من الناسخ ، وإنما هو « على بن صالح » ، فهو الذى يروى عن أبى إسحق السبيعى ، ويروى عنه وكيع ، وكما فى المستدرك ، كما سيأتى فى التخريج .
و « أبو إسحق » هو السبيعى .
و « عبد الله بن قيس » ، راوى هذا الخبر ، خص برواية هذا الخبر عن ابن عباس ، ورواية أبى إسحق السبيعى عنه . مترجم فى التهذيب (٥ : ٣٦٥) ، وابن أبى حاتم ١٣٨/٢/٢ .
وهذا الخبر رواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٢٨٨ ، وقال : « صحيح » ، ووافقه الذهبى . وقد

١٤١٥٧ – حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار قالا، حدثنا وهب بن جرير قال ، حدثنا أبي قال ، سمعت يحيى بن أيوب يحدّث ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن مرثد بن عبد الله ، عن عبيد الله بن عدىّ بن الخيار قال : سمع كعب الأحبار رجلاً يقرأ: «قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم »، فقال : والذى نفس كعب بيده ، إنّ هذا لأوّل شيء فى التوراة : « بسم الله الرحمن الرحيم* قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم » . (١)

١٤١٥٨ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى، عن أبيه ، عن سعيد بن مسروق ، عن رجل ، عن الربيع بن خيثم : أنه قال لرجل : هل لك فى صحيفة عليها خاتم محمد؟ ثم قرأ هؤلاء الآيات : « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً » .

١٤١٥٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا إسحق الرازى ، عن أبى سنان ، عن عمرو بن مرة قال : قال الربيع : ألا أقرأ عليكم صحيفة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ = لم يقل: «خاتمها» = فقرأ هذه الآيات : « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم » .

أشرت إلى ذلك فى تخريج الخبر رقم : ٦٥٧٣ ، فراجعه .

ورواه الحاكم أيضاً فى المستدرك ٢ : ٣١٧ ، بإسناد آخر من طريق إسرائيل ، عن أبى إسحق ، عن عبد الله بن خليفة ، عن ابن عباس ، وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى .

و « عبد الله بن خليفة الهمدانى » ، مضى برقم : ٥٧٩٦ .

(١) الأثر : ١٤١٥٧ – « وهب بن جرير بن حازم الأزدى » ، الحافظ الثقة .

وأبو « جرير بن حازم الأزدى » ، ثقة ، روى له الجماعة .

و « يحيى بن أيوب الغافقى » ، ثقة ، مضى برقم : ٣٨٧٧ ، ٤٣٣٠ .

و « يزيد بن أبى حبيب المصرى » ، مضى مراراً ، آخرها : ١١٨٧١ .

و « مرثد بن عبد الله اليزنى » ، الفقيه المصرى ، مضى برقم : ٢٨٣٩ ، ٢٨٤٠ ، ١٠٨٩٠ .

و « عبيد الله بن عدى بن الخيار النوفل القرشى» ثقة، قليل الحديث ، من فقهاء قريش وعلمائهم ، أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متوافرين . مترجم فى التهذيب .

وهذا خبر إسناده صحيح إلى كعب الأحبار .

١٤١٦٠ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة قال : جاء إليه نفر فقالوا : قد جالست أصحابَ محمد ، فحدثنا عن الوَحى . فقرأ عليهم هذه الآيات من « الأنعام » : « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً ». قالوا : ليس عن هذا نسألك ! قال : فما عندنا وحيٌ غيره !

١٤١٦١ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : هؤلاء الآيات التى أوصى بها من محكم القرآن .

١٤١٦٢ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « وإذا قلتم فاعدلوا » ، قال : قولوا الحق .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيماً فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١٥٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وهذا الذى وصاكم به ربكم ، أيها الناس ، فى هاتين الآيتين من قوله : « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم » ، وأمركم بالوفاء به ، هو « صراطه » = يعنى : طريقه ودينه الذى ارتضاه لعباده = « مستقيماً » ، يعنى : قويماً لا اعوجاج به عن الحق[1] = « فاتبعوه » ، يقول : فاعملوا به ، واجعلوه لأنفسكم منهاجاً تسلكونه ، فاتبعوه[2] = « ولا تتبعوا السبل » ، يقول : ولا تسلكوا طريقاً سواه ، ولا تركبوا منهجاً غيره ، ولا تبغوا ديناً خلافه ، [3] من

(١) انظر تفسير « الصراط المستقيم » فيما سلف ص: ١١٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الاتباع » فيما سلف من فهارس اللغة (تبع) .
(٣) فى المخطوطة : « دينا خلاه » ، وعلى « خلاه » ، حرف (ط) دلالة على الخطأ أو الشك ، والذى فى المخطوطة مستقيم جيد

اليهودية والنصرانية والمجوسية وعبادة الأوثان ، وغير ذلك من الملل ، فإنها بدع وضلالات = « فتفرق بكم عن سبيله » ، يقول ، فيشتّت بكم ، إن اتبعتم السبل المحدثة التى ليست لله بسبل ولا طرق ولا أديان ، اتباعُكم إياها = « عن سبيله » ، يعنى : عن طريقه ودينه الذى شرعه لكم وارتضاه ، وهو الإسلام الذى وصّى به الأنبياء ، وأمر به الأمم قبلكم[1] = « ذلكم وصاكم به »،يقول تعالى ذكره : هذا الذى وصاكم به ربكم من قوله لكم : « إن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل » ، وصاكم به « لعلكم تتقون » ، يقول : لتتقوا الله فى أنفسكم فلا تهلكوها ، وتحذروا ربكم فيها فلا تسخطوه عليها ، فيحل بكم نقمته وعذابه .[2]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤١٦٣ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » ، قال : البدع والشبهات . ٦٥/٨

١٤١٦٤ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة، عن شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٤١٦٥ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ولا تتبعوا السبل » ، البدع والشبهات .

١٤١٦٦ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنا معاوية ، عن على بن أبى طلحة، عن ابن عباس قوله : « فاتبعوه ولا تتبعوا السبل

---

(١) انظر تفسير « السبيل » فيما سلف من فهارس اللغة (سبل) .

(٢) انظر تفسير « الوصية » و « الاتقاء » فيما سلف من فهارس اللغة (وصى) و (وقى) .

فتفرق بكم عن سبيله»، وقوله: ﴿وأَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[سورة الشورى : ١٣] ، ونحو هذا فى القرآن . قال : أمر الله المؤمنين بالجماعة ، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة ، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات فى دين الله .

١٤١٦٧ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » ، يقول : لا تتبعوا الضلالات .

١٤١٦٨ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحمانى قال، حدثنا حماد ، عن عاصم ، عن أبى وائل ، عن عبد الله قال : خطّ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً خطًّا فقال : هذا سبيل الله . ثم خط عن يمين ذلك الخطّ وعن شماله خطوطاً فقال : هذه سُبُل ، على كل سبيل منها شيطانٌ يدعو إليها . ثم قرأ هذه الآية : « وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .(١)

١٤١٦٩ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله »، قال : « سبيله » ، الإسلام ،و« صراطه » ، الإسلام . نهاهم أن يتبعوا السبل سواه = « فتفرق بكم عن سبيله » ، عن الإسلام .

١٤١٧٠ – حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أبان : أن رجلاً قال لابن مسعود : ما « الصراط المستقيم » ؟ قال : تركنا محمد صلى الله عليه وسلم فى أدناه ، وطرفُه فى الجنة ، وعن يمينه جوادٌ ، وعن يساره جَوَادٌ ، وثمّ رجال يدعون من مرّ بهم. فمن أخذ فى تلك الجوادّ انتهت به

---

(١) الأثر : ١٤١٦٨ – صحيح الإسناد ، رواه أحمد فى المسند رقم : ٤١٤٢ ، ٤٤٣٧ ، بنحوه . وقد فصل ابن كثير فى تفسيره شرح هذا الإسناد ، وما فيه من اختلاف الرواية ٣ : ٤٢٧ – ٤٢٩ . وسيأتى برقم : ١٤١٧٠ ، موقوفاً على ابن مسعود .

إلى النار ، ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة . ثم قرأ ابن مسعود : « وأن هذا صراطى مستقيماً » ، الآية .

* * *

قال أبو جعفر : واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « وأنّ هذا صراطى مستقيماً ».

فقرأ ذلك عامة قرأة المدينة والبصرة وبعض الكوفيين : ﴿ وَأَنَّ ﴾ بفتح « الألف » من « أن » ، وتشديد « النون » ، ردًّا على قوله : « أن لا تشركوا به شيئاً » ، بمعنى : « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً » ، « وأن هذا صراطى مستقيماً » .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفيين : ﴿ وإنّ ﴾ بكسر « الألف » من « أن » وتشديد « النون » منها ، على الابتداء وانقطاعها عن الأول ، إذ كان الكلام قد انتهى بالخبر عن الوصية التى أوصى الله بها عباده دونه ، عندهم .(١)

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى ، أنهما قراءتان مستفيضتان فى قرأة الأمصار وعوامّ المسلمين ،(٢) صحيح معناهما ، فبأىّ القراءتين قرأ القارئ فهو مصيبٌ الحقّ فى قراءته .

وذلك أن الله تعالى ذكره قد أمر باتباع سبيله ، كما أمر عباده الأنبياء .(٣) وإن أدْخَل ذلك مُدْخِلٌ فيما أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين : « تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم » ، وما أمركم به ، ففتح على ذلك « أن » ،

---

(١) يعنى بقوله : « دونه عندهم » ، دون النبى صلى الله عليه وسلم ، عند من قرأ ذلك كذلك ، كما سيظهر ذلك من الآتى بعد ، انظر التعليق رقم : ٣ .

(٢) « عوام المسلمين » يعنى : عامة المسلمين ، لا يعنى « العوام » كما استعملت بمعنى : الذين لم يتعلموا العلم .

(٣) فى المطبوعة : « عباده بالأشياء » ، وهو كلام ساقط ، لم يحسن قراءة المخطوطة فغير وزاد . وفى المخطوطة : « عباده الأسماء » ، وصواب قراءتها ما أثبت . ويعنى أن هذا خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء .

فمصيب = وإن كسرها، إذ كانت «التلاوة» قولا ، وإن كان بغير لفظ « القول» لبعدها من قوله : « اتل » ، وهو يريد إعمال ذلك فيه ، فمصيبٌ = وإن كسرها بمعنى ابتداء وانقطاع عن الأول و« التلاوة » ، وأن ما أُمِر النبي صلى الله عليه وسلم بتلاوته على من أُمِر بتلاوة ذلك عليهم قد انتهى دون ذلك، فمصيب . ٨/ ٦٦

* * *

وقد قرأ ذلك عبد الله بن أبي إسحق البصرى: ﴿ وَأَنْ ﴾ بفتح « الألف »من « أن » وتخفيف « النون » منها ، بمعنى : « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً » ،« وأنْ هذا صراطى » ، فخففها ، إذ كانت « أن » فى قوله : « أن لا تشركوا به شيئاً » ، مخففة ، وكانت « أن » من قوله : « وأن هذا صراطى » ، معطوفة عليها ، فجعلها نظيرةَ ما عُطفت عليه .

وذلك وإن كان مذهباً، فلا أحب القراءة به، لشذوذها عن قراءة قرأة الأمصار، وخلاف ما هم عليه فى أمصارهم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « ثم آتينا موسى الكتاب » ، ثم قل بعد ذلك يا محمد : آتى ربك موسى الكتابَ= فترك ذكر « قل » ، إذ كان قد تقدم فى أول القصّة ما يدلّ على أنه مرادٌ فيها ، وذلك قوله[1]: « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم » ، فقص ما حرم عليهم وأحلّ ، ثم قال : ثم قل : « آتينا موسى »، فحذف « قل» لدلالة قوله: « قل» عليه،وأنه مراد فى الكلام .

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « ذلك قوله » بغير واو ، والسياق يقتضى إثباتها .

وإنما قلنا : ذلك مرادٌ فى الكلام، لأن محمداً صلى الله عليه وسلم لا شك أنه بُعث بعد موسى بدهر طويل ، وأنه إنما أمر بتلاوة هذه الآيات على من أمر بتلاوتها عليه بعد مبعثه . ومعلوم أن موسى أوتى الكتاب من قبل أمر الله محمداً بتلاوة هذه الآيات على من أمر بتلاوتها عليه . و « ثم » ، فى كلام العرب ، حرف يدلّ على أن ما بعده من الكلام والخبر ، بعد الذى قبلها .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى معنى قوله : « تماماً على الذى أحسن » .

فقال بعضهم : معناه : تماماً على المحسنين .

* ذكر من قال ذلك :

١٤١٧١ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « تماماً على الذى أحسن »، قال : على المؤمنين .

١٤١٧٢ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « تماماً على الذى أحسن » ، المؤمنين والمحسنين .

* * *

=وكأنّ مجاهداً وجّه تأويل الكلام ومعناه إلى أن الله جل ثناؤه أخبر عن موسى أنه آتاه الكتاب فضيلة على ما آتى المحسنين من عباده .

* * *

فإن قال قائل : فكيف جاز أن يقال : « على الذى أحسن » ، فيوحّد « الذى » ، والتأويل على الذين أحسنوا ؟

قيل : إن العرب تفعل ذلك خاصة فى « الذى » وفى « الألف واللام » ، إذا أرادت به الكل والجميع ، كما قال جل ثناؤه : ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾، [سورة العصر : ١، ٢]، وكما قالوا : «كثر الدِّرهم فى أيدى الناس» .(١)

* * *

(١) فى المطبوعة : «أكثر الذى هم فيه فى أيدى الناس» ، وهو كلام غث لا معنى له ، زاد «فيه» على ما كان فى المخطوطة . وكان فيها : «أكثر الدرهم فى أيدى الناس» ، وصواب

وقد ذكر عن عبد الله بن مسعود: أنه كان يقرأ ذلك: ﴿تماماً عَلَى الَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾، وذلك من قراءته كذلك ، يؤيد قول مجاهد .

وإذا كان المعنى كذلك ، كان قوله : « أحسن » ، فعلاً ماضياً ، فيكون نصبه لذلك .

* * *

وقد يجوز أن يكون « أحسن » فى موضع خفض ، غير أنه نصب إذ كان « أفعل » ، و « أفعل » ، لا يجرى فى كلامها .(١)

فإن قيل : فبأىِّ شىء خفض ؟

قيل : ردًّا على « الذى »، إذ لم يظهر له ما يرفعه = فيكون تأويل الكلام حينئذ: ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذى هو أحسن ، ثم حذف « هو » ، وجاور « أحسن » « الذى » ، فعرِّب بتعريبه ،(٢) إذ كان كالمعرفة ، من أجل أن « الألف واللام » لا يدخلانه ، و « الذى » مثله ، كما تقول العرب : « مررت بالذى خيرٍ منك ، وشرٍّ منك » ،(٣) كما قال الراجز :(٤)

٦٧/٨ إِنَّ الزُّبَيْرِىَّ الَّذِى مِثْلَ الحَلَمْ مَشَّى بِأَسْلاَبِكُمُ أَهْلَ العَلَمْ(٥)

قراءتها ما أثبت ، أو : « ما أكثر الدرهم فى أيدى الناس » .

وقد سلف هذا البحث فيما مضى ، وفيه نحو هذا الشاهد ٤ : ٢٦٣ ، ٦/٢٧٠ : ١٢٥ .

(١) الإجراء : الصرف .

(٢) فى المطبوعة : « فعرف بتعريفه » ، وهو كلام لا معنى له ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، إذ كانت غير منقوطة ، وهذا صواب قراءتها . و « التعريب » ، هو « الإعراب » .

(٣) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٦٥ ، وفيها خطأ ظاهر ، لأنه كتب هناك : « مررت بالذى هو خير منك ، وشر منك » ، فزادوا « هو » ، والصواب حذفها ، فلتصحح هناك .

(٤) لم أعرفه .

(٥) معانى القرآن للفراء ١ : ٣٦٥ ، وروايته كما فى مطبوعة المعانى :

* مَشَّى بِأَسْلاَبِكَ فِى أَهْلِ العَلَمْ *

كأنه يعنى أنه سلبه ثيابه ولبسها، وهو يمشى بها فى الناس . « ومشى » بتشديد الشين . يقال : « مشى » و « تمشى » و « مشى » بمعنى واحد .

فأتبع « مثل » « الذى »، فى الإعراب . ومن قال ذلك، لم يقل مررت: « بالذى عالمٍ » ، لأن « عالماً » نكرة، و« الذى » معرفة ، ولا تتبع نكرة معرفة . (١)

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : « تماماً على الذى أحسن » ، موسى ، فيما امتحنه الله به فى الدنيا من أمره ونهيه .

* ذكر من قال ذلك :

١٤١٧٣ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذى أحسن »، فيما أعطاه الله .

١٤١٧٤ – حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذى أحسن » ، قال : من أحسن فى الدنيا ، تمم الله له ذلك فى الآخرة .

١٤١٧٥ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذى أحسن » ، يقول : من أحسن فى الدنيا ، تمت عليه كرامة الله فى الآخرة .

* * *

وعلى هذا التأويل الذى تأوّله الربيع ، يكون « أحسن » ، نصباً ، لأنه فعل ماض ، و« الذى» بمعنى « ما » = وكأنّ الكلام حينئذ : ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على ما أحسن موسى = أى : آتيناه الكتاب لأتمم له كرامتى فى الآخرة ، تماماً على إحسانه فى الدنيا فى عبادة الله والقيام بما كلفه به من طاعته .

* * *

وأما رواية أبى جعفر ، فهى بالسين لا بالشين ، لا شك فى ذلك ، كأنه يقول : صبحه بالغارة ، ثم أمسى بما سلبه عند « أهل العلم » ، وهو موضع . و « العلم » ، الجبل . و « الحلم » (بفتحتين) : القراد الصغير ، يصف هذا الزبيرى الذى سلبه ثيابه وأمواله ، بأنه قمىء قصير .

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٦٥ .

وقال آخرون فى ذلك : معناه : ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على إحسان الله إلى أنبيائه وأياديه عندهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٤١٧٦ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذى أحسن » ، قال : تماماً من الله وإحسانه الذى أحسن إليهم وهداهم للإسلام ، وآتاهم ذلك الكتاب تماماً ، لنعمته عليهم وإحسانه .

* * *

و « أحسن » على هذا التأويل أيضاً، فى موضع نصب، على أنه فعل ماض، و« الذى » على هذا القول والقول الذى قاله الربيع ، بمعنى : « ما » .

* * *

وذكر عن يحيى بن يعمر أنه كان يقرأ ذلك : ﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِى أَحْسَنُ﴾ رفعاً = بتأويل : على الذى هو أحسن .

١٤١٧٧ – حدثنى بذلك أحمد بن يوسف قال، حدثنا القاسم بن سلام قال،حدثنا الحجاج، عن هرون،عن أبى عمرو بن العلاء، عن يحيى بن يعمر.

* * *

قال أبو جعفر : وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها ، وإن كان لها فى العربية وجه صحيح ، لخلافها ما عليه الحجة مجمعة من قرأة الأمصار .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال عندى بالصواب ، قول من قال : معناه : ثم آتينا موسى الكتاب تماماً لنعمنا عنده ، على الذى أحسن موسى فى قيامه بأمرنا ونهينا = لأن ذلك أظهرُ معانيه فى الكلام ، وأن إيتاء موسى كتابه نعمةٌ من الله عليه ومنة عظيمة . فأخبر جل ثناؤه أنه أنعم بذلك عليه لما سلف له من صالح عمل وحُسن طاعة .

* * *

ولو كان التأويل على ما قاله ابن زيد، كان الكلام : ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذى أحسنَا = أو : ثم آتى الله موسى الكتاب تماماً على الذى أحسن .

وفى وصفه جل ثناؤه نفسه بإيتائه الكتاب ، ثم صرفه الخبر بقوله : « أحسن » إلى غير المخبر عن نفسه بقرب ما بين الخبرين = الدليلُ الواضح على أن القول غير القول الذى قاله ابن زيد .

* * *

وأما ما ذكر عن مجاهد من توجيهه « الذى » إلى معنى الجميع ، فلا دليل فى الكلام يدل على صحة ما قال من ذلك ، بل ظاهر الكلام بالذى اخترنا من القول أشبه . وإذا تنوزع فى تأويل الكلام ، كان أولى معانيه به أغلبُه على الظاهر ، ٦٨/٨
إلاّ أن يكون من العقل أو الخبر دليلٌ واضح على أنه معنىٌّ به غير ذلك .

* * *

وأما قوله : « وتفصيلاً لكل شىء » ، فإنه يعنى : وتبييناً لكل شىء من أمر الدين الذى أمروا به .(١)

* * *

= فتأويل الكلام إذاً : ثم آتينا موسى التوراة تماماً لنعمنا عنده وأيادينا قِبَله ، تتم به كرامتنا عليه على إحسانه وطاعته ربَّه وقيامه بما كلّفه من شرائع دينه ، وتبييناً لكل ما بقومه وأتباعه إليه الحاجة من أمر دينهم ،(٢) كما : —

١٤١٧٨ — حدثنى بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة : « وتفصيلاً لكل شىء » ، فيه حلاله وحرامه .

* * *

(١) انظر تفسير « التفصيل » فيما سلف ١١٣ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) فى المطبوعة : « ما لقومه » باللام ، لم يحسن قراءة المخطوطة .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٥٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : آتينا موسى الكتاب تماماً وتفصيلاً لكل شيء = « وهدى » ، يعنى بقوله : « وهدى » ، تقويماً لهم على الطريق المستقيم ، وبياناً لهم سُبُل الرشاد لئلا يضلوا = «ورحمة» ، يقول : ورحمة منا بهم ورأفة ، لننجيهم من الضلالة وعمى الحيرة .(١)

وأما قوله : « لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون » ، فإنه يعنى : إيتائى موسى الكتاب تماماً لكرامة الله موسى ، على إحسان موسى ، وتفصيلاً لشرائع دينه ، وهدًى لمن اتبعه ، ورحمة لمن كان منهم ضالاً لينجيه الله به من الضلالة ، وليؤمن بلقاء ربه إذا سمع مواعظ الله التى وعظ بها خلقه فيه ، فيرتدع عما هو عليه مقيمٌ من الكفر به ، وبلقائه بعد مماته ، فيطيع ربه ، ويصدِّق بما جاءه به نبيه موسى صلى الله عليه وسلم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١٥٥)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « وهذا كتاب أنزلناه مبارك » ، وهذا القرآن الذى أنزلناه إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم = « كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه » ،(٢) يقول : فاجعلوه إماماً تتّبعونه وتعملون بما فيه ، أيها الناس(٣) =

---

(١) انظر تفسير « الهدى » و « الرحمة » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) و (رحم) .
(٢) انظر تفسير « مبارك » فيما سلف ٧ : ١١/٢٥ : ٥٣٠
(٣) انظر تفسير « الاتباع » فيما سلف من فهارس اللغة (تبع) .

« واتقوا »، يقول: واحذروا الله فى أنفسكم، أن تضيعوا العمل بما فيه ، وتتعدّوا حدودَه ، وتستحلُّوا محارمه ،(١) كما : —

١٤١٧٩ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وهذا كتاب أنزلناه مبارك » ، وهو القرآن الذى أنزله الله على محمد عليه السلام = « فاتبعوه » ، يقول : فاتبعوا حلاله ، وحرّموا حرامه .

* * *

وقوله : « لعكم ترحمون » ، يقول : لترحموا ، فتنجوا من عذاب الله ، وأليم عقابه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ﴾ (١٥٦)

قال أبو جعفر : اختلف أهل العربية فى العامل فى « أن » التى فى قوله : « أن تقولوا » وفى معنى هذا الكلام .

فقال بعض نحويى البصرة : معنى ذلك : « ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذى أحسن » ،(٢) كراهيةَ أن تقولوا : « إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا » .

* * *

وقال بعض نحويى الكوفة : بل ذلك فى موضع نصب بفعل مضمر . قال : ومعنى الكلام : فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون = اتقوا أن تقولوا . قال : ومثله يقول الله:

---

(١) انظر تفسير « التقوى » فيما سلف من فهارس اللغة (وق) .

(٢) أرجح أن صواب العبارة : «معنى ذلك: وهذا كتاب أنزلناه مبارك ، كراهية أن تقولوا . . . » فإنه هو القول الذى اختاره أبو جعفر بعد . ولعله سهو منه أو من الناسخ .

﴿ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ ﴾ ، [سورة الحجرات : ٢] .

* * *

وقال آخرون منهم : هو فى موضع نصب . قال : ونصبه من مكانين : أحدهما : أنزلناه لئلا يقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا[١]= والآخر من قوله : « اتقوا » . قال : ولا يصلح فى موضع « أن » كقوله : ﴿ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾ [سورة النساء : ١٧٦] .[٢]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال عندى بالصواب، قول من قال : نصب « أن » لتعلقها : بالإنزال، لأن معنى الكلام : وهذا كتاب أنزلناه مبارك لئلا تقولوا : « إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا » . ٦٩/٨

* * *

فأما الطائفتان اللتان ذكرهما الله ، وأخبر أنه إنما أنزل كتابه على نبيه محمد لئلا يقول المشركون : « لم ينزل علينا كتاب فنتبعه ، ولم نؤمر ولم نُنْه ، فليس علينا حجة فيما نأتى ونَذَر ، إذ لم يأتنا من الله كتاب ولا رسول » ، [٣] وإنما الحجة على الطائفتين اللتين أنزل عليهما الكتاب من قبلنا = فإنهما اليهود والنصارى ، [٤] وكذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤١٨٠ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال . حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا » ، وهم اليهود والنصارى .

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « إنما أنزل الكتاب على » وقطع ، وزدت بقية الآية .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٦٦ .

(٣) فى المطبوعة : « لم يأت » ، وفى المخطوطة مثلها ، وضرب عليها ، ووضع حرف (ط) دلالة على الخطأ أو الشك ، ورأيت قراءتها كما أثبتها ، فهذا حق السياق .

(٤) انظر تفسير « الطائفة » فيما سلف ٦ : ٥٠٠ ، ٩/٥٠٦ : ١٤١ .

١٤١٨١ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا»، اليهود والنصارى . يُخاف أن تقوله قريش .

١٤١٨٢ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد: « أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا »، قال : اليهود والنصارى . قال : أن تقول قريش .

١٤١٨٣ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة: « أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا » ، وهم اليهود والنصارى .

١٤١٨٤ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى: « إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا » ، أما « الطائفتان » ، فاليهود والنصارى .

* * *

وأما « وإن كنا عن دِرَاستهم لغافلين »، فإنه يعني : أن تقولوا : وقد كنا عن تلاوة الطائفتين الكتابَ الذى أنزلتُ عليهم [1]=«غافلين »، لا ندرى ما هى ،[2] ولا نعلم ما يقرأون وما يقولون ، وما أنزل إليهم فى كتابهم، لأنهم كانوا أهله دوننا ، ولم نعن به ولم نؤمر بما فيه، ولا هو بلساننا ، فيتخذوا ذلك حجة . فقطع الله بإنزاله القرآنَ على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم حجتهم تلك .[3]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤١٨٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني

---

(١) انظر تفسير « الدراسة » فيما سلف ٦ : ١٢/٥٤٦ : ٢٥ – ٣١

(٢) فى المخطوطة : « ما هم » ، ويؤيد ما فى المطبوعة ، ما سيأتى بعد فى رقم : ١٤٢٨٨ .

(٣) انظر تفسير « الغفلة » فيما سلف من فهارس اللغة (غفل) .

معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « وإن كنا عن دراستهم لغافلين » ، يقول : وإن كنا عن تلاوتهم لغافلين .

١٤١٨٦ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة : « وإن كنا عن دراستهم لغافلين» ، أى : عن قراءتهم .

١٤١٨٧ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وإن كنا عن دراستهم لغافلين» ، قال « الدراسة » ، القراءة والعلم . وقرأ : ﴿ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ﴾ ، [سورة الأعراف : ١٦٩] . قال : علموا ما فيه ، لم يأتوه بجهالة .

١٤١٨٨ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإن كنا عن دراستهم لغافلين » ، يقول : وإن كنا عن قراءتهم لغافلين ، لا نعلم ما هى .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « وهذا كتاب أنزلناه مبارك » ، لئلا يقول المشركون من عبدة الأوثان من قريش : « إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا » ، أو : لئلا يقولوا : لو أنّا أنزل علينا الكتاب كما أنزل على هاتين الطائفتين من قبلنا، فأمرنا فيه ونُهينا ، وبُيِّن لنا فيه خطأ ما نحن فيه من صوابه = « لكنا أهدى منهم» ، أى : لكنا أشدّ استقامة على طريق الحق ، واتباعاً للكتاب ،

وأحسن عملاً بما فيه ، من الطائفتين اللتين أنزل عليهما الكتاب من قبلنا .(١)
يقول الله : « فقد جاءكم بينة من ربكم » يقول : فقد جاءكم كتابٌ بلسانكم
عربيّ مبين ، حجة عليكم واضحة بيّنة من ربكم(٢) = « وهدى » ، يقول : وبيان ٧٠/٨
للحق ، وفُرْقانٌ بين الصواب والخطأ = ، « ورحمة » لمن عمل به واتّبعه ، كما : —

١٤١٨٩ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ،
حدثنا أسباط ، عن السدى : « أوتقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم
فقد جاءكم بينة من ربكم » ، يقول : قد جاءكم بينة ، لسانٌ عربى مبين ، حين
لم تعرفوا دراسة الطائفتين ، وحين قلتم : لو جاءنا كتاب لكنا أهدى منهم .

١٤١٩٠ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة :
« أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم » ، فهذا قول كفار العرب
= « فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴾ (١٥٧)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : فمن أخطأ فعلاً وأشدّ عدواناً منكم ، أيها
المشركون المكذبون بحجج الله وأدلته = وهى آياته(٣) = « وصدف عنها » ، يقول :
وأعرض عنها بعد ما أتته ، فلم يؤمن بها ، ولم يصدّق بحقيقتها .

---

(١) انظر تفسير « الهدى » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) .
(٢) انظر تفسير « البينة » فيما سلف من فهارس اللغة (بين) .
(٣) انظر تفسير « الظلم » فيما سلف من فهارس اللغة (ظلم) .

وأخرج جل ثناؤه الخبر بقوله : « فمن أظلم ممن كذب بآيات الله » ، مخرج الخبر عن الغائب ، والمعنيّ به المخاطبون به من مشركي قريش .

* * *

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله : « وصدف عنها » ، قال أهل التأويل .[1]

* ذكر من قال ذلك :

١٤١٩١ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وصدف عنها » ، يقول : أعرض عنها .

١٤١٩٢ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « يصدفون عن آياتنا » ، يعرضون عنها ، و« الصدف » الإعراض .

١٤١٩٣ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وصدف عنها » ، أعرض عنها = « سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون » ، أي : يعرضون .

١٤١٩٤ – حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وصدف عنها » ، فصدّ عنها .

* * *

وقوله : « سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب » ، يقول : سيثيب الله الذين يعرضون عن آياته وحججه ولا يتدبرونها ،[2] ولا يتعرفون حقيقتها فيؤمنوا بما دلتهم عليه من توحيد الله . وحقيقة نبوة نبيه ،[3] وصدق ما جاءهم به من عند

= وتفسير « الآية » فيما سلف من فهارس اللغة (أبي) .

(١) انظر تفسير « صدف » فيما سلف ١١ : ٣٦٦ .

(٢) انظر تفسير « الجزاء » فيما سلف من فهارس اللغة (جزى) .

(٣) في المطبوعة : « وحقية نبوة نبيه » ، فعل بها ما فعل بأخواتها من قبل . انظر ما سلف ١١ : ٤٧٥ تعليق : ٣ ، والمراجع هناك و « حقيقة » مصدر بمعنى « حق » .

ربهم = « سوء العذاب » ، يقول : شديد العقاب ، وذلك عذاب النار التى أعدها الله لكفرة خلقه به = « بما كانوا يصدفون » ، يقول : يفعل الله ذلك بهم جزاء بما كانوا يعرضون عن آياته فى الدنيا ، فلا يقبلون ما جاءهم به نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ ﴾

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : هل ينتظر هؤلاء العادلون بربهم الأوثان والأصنام[1] = « إلاّ أن تأتيهم الملائكة » ، بالموت فتقبض أرواحهم = أو أن يأتيهم ربك ، يا محمد ، بين خلقه فى موقف القيامة = « أو يأتى بعض آيات ربك » ، يقول : أو أن يأتيهم بعضُ آيات ربك . وذلك فيما قال أهل التأويل : طلوعُ الشمس من مغربها .

* ذكر من قال من أهل التأويل ذلك :

١٤١٩٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « إلا أن تأتيهم الملائكة » ، يقول : عند الموت ، حين توفّاهم = « أو يأتى ربك » ، ذلك يوم القيامة = « أو يأتى بعض آيات ربك » ، طلوع الشمس من مغربها .

١٤١٩٦ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « إلاّ أن تأتيهم الملائكة » ، بالموت = « أو يأتى ربك » ، ٧١/٨

(١) انظر تفسير « نظر » فيما سلف ١ : ٤٦٧ — ٨/٤٦٩ : ٤٣٧ ، ٤٣٨ .

يوم القيامة = « أو يأتى بعض آيات ربك »، قال : آية موجبة ، طلوع الشمس من مغربها ، أو ما شاء الله .

١٤١٩٧ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، ، عن قتادة قوله : « هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة »، يقول : بالموت = « أو يأتى ربك »، وذلك يوم القيامة = « أو يأتى بعض آيات ربك » .

١٤١٩٨ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة »، عند الموت = أو يأتى ربك = « أو يأتى بعض آيات ربك » ، يقول : طلوع الشمس من مغربها.

١٤١٩٩ – حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا، حدثنا جرير، عن منصور ، عن أبى الضحى، عن مسروق قال ، قال عبد الله فى قوله : « هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك أو يأتى بعض آيات ربك » ، قال : يصبحون والشمس والقمر من ههنا من قبل المغرب، كالبعيرين القَرينين = زاد ابن حميد فى حديثه : « فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قَبْل أو كسبت فى إيمانها خيراً » ، = وقال : « كالبعيرين المقترنين » .(١)

١٤٢٠٠ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة »، تقبض الأنفس بالموت = « أو يأتى ربك » ، يوم القيامة = « أو يأتى بعض آيات ربك » .

---

(١) الأثر : ١٤١٩٩ – خبر عبد الله بن مسعود ، لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة ، وهذا إسناد صحيح . وخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧ : ٢٢ وقال : « رواه الطبرانى من طريقين ، إحداهما هذه ، وفيها عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبى مريم ، وهو ضعيف . والأخرى مختصرة، ورجالها ثقات » ، قلت : كأنه يعنى هذه الطريق ، أو غيرها من الطرق الآتية بعد .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٥٧ ، ونسبه إلى سعيد بن منصور ، والفريابى ، وعبد بن حميد ، وابن أبى حاتم ، وأبى الشيخ ، والطبرانى . وأغفل ما أخرجه ابن جرير .

ثم انظر خبر ابن مسعود من طرق كثيرة أخرى من رقم : ١٤٢٢٧ – ١٤٢٣٦ .

القول فى تأويل قوله ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « يوم يأتى بعض آيات ربك »، لا ينفع من كان قبل ذلك مشركاً بالله، أن يؤمن بعد مجيء تلك الآية .

* * *

وقيل : إن تلك الآية التى أخبر الله جل ثناؤه أن الكافر لا ينفعه إيمانه عند مجيئها : طلوعُ الشمس من مغربها .

* ذكر من قال ذلك، وما ذكر فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٤٢٠١ — حدثنى عيسى بن عثمان الرملى قال، حدثنا يحيى بن عيسى ، عن ابن أبى ليلى ، عن عطية ، عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها »، قال : طلوع الشمس من مغربها .(١)

---

(١) الأثران : ١٤٢٠١ ، ١٤٢٠٢ — حديث أبى سعيد الخدرى ، مروى من طريقين ، هذا والذى يليه .

« عيسى بن عثمان بن عيسى الرملى » ، شيخ الطبرى ، صالح الحديث ، مضى برقم : ٣٠٠ .

و « يحيى بن عيسى التميمى » ، عم « عيسى بن عثمان » ، وهو ثقة . مضى برقم : ٣٠٠ ، ٦٣١٧ ، ٩٠٣٥ .

و « ابن أبى ليلى » ، هو « محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى » ، كان فقيهاً صدوقاً ، غير أنه كان سيء الحفظ مضطرب الحديث . تركه أحمد . مضى برقم : ٣٢ ، ٣٣ ، ٦٣١ ، ٣٩١٤ ، ٥٤٣٤ .

و « عطية » ، هو « عطية بن سعد بن جنادة العوفى » ، مضى تضعيفه فى رقم : ٣٠٥ .

وكان لعطية عن أبى سعيد الخدرى أحاديث عدة ، قال ابن حبان : سمع من أبى سعيد « الخدرى »، أحاديث ، فلما مات ، جعل يجالس الكلبى . . . فإذا قال الكلبى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا . . . فيحفظه ، وكناه أبا سعيد ، ويروى عنه . فإذا قيل له من حدثك بهذا فيقول : « حدثنى أبو سعيد » ، فيتوهمون أنه يريد أبا سعيد الخدرى ، وإنما أراد الكلبى . قال : لا يحل كتب حديثه إلا على التعجب .

وهذا الخبر رواه أحمد فى مسنده ٣ : ٣١ ، بالإسناد الثانى ، ورواه به أيضاً الترمذى فى كتاب التفسير وقال : « هذا حديث غريب . ورواه بعضهم ولم يرفعه » .

١٤٢٠٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن ابن أبي ليلى ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم، مثله .

١٤٢٠٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا محمد بن فضيل وجرير ، عن عمارة، عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها . قال : فإذا رآها الناس آمن من عليها ، فتلك، «حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً» .(١)

١٤٢٠٤ – حدثنا عبد الحميد بن بيان السكري وإسحق بن شاهين قالا،

وهو خبر ضعيف الإسناد .

(١) الأثر : ١٤٢٠٣ – خبر أبي هريرة ، رواه أبو جعفر من طرق .

الأولى : من طريق : عمارة ، عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة ، برقم ١٤٢٠٣ ، ١٤٢٠٩ .

الثانية : من طريق العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، برقم : ١٤٢١٠ ، ١٤٢٣٦ .

الثالثة : من طريق : ابن عون ، عن ابن سيرين ، عن أبي هريرة برقم : ١٤٢١١ .

الرابعة : من طريق : أيوب ، عن ابن سيرين ، عن أبي هريرة : ١٤٢٢٠ .

الخامسة : من طريق جعفر بن ربيعة، عن عبد الرحمن بن هرمز ، عن أبي هريرة برقم : ١٤٢١٩ .

السادسة : من طريق ابن جريج ، عن صالح مولى التوأمة ، عن أبي هريرة برقم : ١٤٢٢٥ .

السابعة : من طريق أبي حازم ، عن أبي هريرة ، رقم ١٤٢٤٧ ، وهو بغير هذا اللفظ .

ولتفرق هذه الآثار ، سأجمع كل متشابهين في التخريج في مكان واحد . فهذا الأثر رقم : ١٤٢٠٣ ، ١٤٢٠٩ رواه البخاري من هذه الطريق نفسها (الفتح ٨ : ١١/٢٢٣ : ٣٠٤) ، ورواه مسلم في صحيحه ٢ : ١٩٤ ، ورواه أحمد رقم : ٧١٦١ ، وأبو داود في سننه ٤ : ١٦٣ ، وابن ماجة ص : ١٣٥٢ ، وذكره ابن كثير في تفسيره ٣ : ٤٣٣ ، وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣ : ٥٧ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد ، وعبد الرزاق ، والنسائي ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقي في البعث ، والطبراني ، وابن أبي عدي .

و «عمارة» هو «عمارة بن القعقاع بن شبرمة الضبي» ، روى له الجماعة ، ثقة مترجم في التهذيب .

و «أبو زرعة بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلي» ، مضى برقم ٤٨٤١ ، ٨١٥٥ ، ٩١٦١ .

وهذا حديث صحيح الإسناد

أخبرنا خالد بن عبد الله الطحان ، عن يونس ، عن إبراهيم التيمى ، عن أبيه ، عن أبى ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يوماً : أتدرون أين تذهب هذه الشمس ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ! قال : إنها تذهب إلى مستقرّها تحت العرش ، فتخرّ ساجدة ، فلا تزال كذلك حتى يقال لها : « ارتفعى من حيث شئت » ، فتصبح طالعة من مطلعها . ثم تجرى إلى أن تنتهى إلى مستقرّ لها تحت العرش ، فتخرّ ساجدة ، فلا تزال كذلك حتى يقال لها : « ارتفعى من حيث شئت » ، فتصبح طالعةً من مطلعها . ثم تجرى لا ينكر الناسُ منها شيئاً ، حتى تنتهى فتخرّ ساجدة فى مستقر لها تحت العرش ، فيصبح الناسُ لا ينكرون منها شيئاً ، فيقال لها : « اطلعى من مغربك » ، فتصبح طالعة من مغربها . قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم : أتدرون أىّ يوم ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم! قال: ذاك يومَ « لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً » . (١) ٧٢/٨

١٤٢٠٥ — حدثنا مؤمل بن هشام ويعقوب بن إبراهيم قالا ، حدثنا ابن علية

---

(١) الأثر : ١٤٢٠٤ ، ١٤٢٠٥ — حديث أبى ذر الغفارى ، رواه من طرق مطولا ومختصراً ، هذان ، ثم من رقم ١٤٢٢١ — ١٤٢٢٣ ، وسأذكرها مفرقة .

« عبد الحميد بن بيان السكرى ، القناد » ، شيخ الطبرى ، مضى مراراً ، آخرها ١٠١٥٤ ، وكان فى المطبوعة هنا « اليشكرى » ، وهو خطأ ، صوابه ما فى المخطوطة .

و « إسحق بن شاهين الواسطى » ، شيخ الطبرى ، مضى برقم : ٧٢١١ ، ٩٧٨٨ .

و « خالد بن عبد الله الطحان » ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١١٥٠٤ .

و « يونس » ، هو « يونس بن عبيد بن دينار العبدى » ، مضى أيضاً بأرقام آخرها : ١٠٥٧٤ .

و « إبراهيم التيمى » ، هو « إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمى » تابعى ، ثقة . مضى بأرقام آخرها : ١٠٢٨٤ .

وأبو « يزيد بن شريك التيمى » ، تابعى ثقة ، مضى برقم : ٢٩٩٨ .

وهو خبر صحيح الإسناد . رواه البخارى (الفتح ٦ : ٨/٢١٤ : ٤١٦) ، ورواه مسلم ٢ : ١٩٥ ، ١٩٦ ، والطيالسى : ٦٢ ، والترمذى فى التفسير ، وفى الفتن . وذكره ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٤٣٤ ، وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٥٧ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد ، وأبى داود ، والنسائى ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، وأبى الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقى . وقد استوفى شرحه فى الفتح (٨ : ٤١٦) .

عن يونس ، عن إبراهيم بن يزيد التيمى ، عن أبيه ، عن أبى ذر ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، نحوه .(١)

١٤٢٠٦ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عبيد الله، عن إسرائيل ، عن عاصم، عن زر ، عن صفوان بن عسّال قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّ من قِبَل مغرب الشمس باباً مفتوحاً للتوبة حتى تطلع الشمس من نحوه . فإذا طلعت الشمس من نحوه، لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أوكسبت فى إيمانها خيراً .(٢)

١٤٢٠٧ – حدثنا المفضل بن إسحق قال ، حدثنا أشعث بن عبد الرحمن ابن زبيد الإيامىّ ، عن أبيه ، عن زبيد ، عن زر بن حبيش ، عن صفوان بن عسال المرادى قال : ذكرت التوبة ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: للتوبة بابٌ بالمغرب مسيرةسبعين عاماً = أو : أربعين عاماً = فلا يزال كذلك حتى يأتى بعض آيات ربك .(٣)

---

(١) الأثر : ١٤٢٠٥ – إسناده صحيح ، مكرر الذى قبله .

(٢) الأثر : ١٤٢٠٦ – حديث «صفوان بن عسال المرادى» صاحب رسول الله ، رواه أبو جعفر من طريقين .

الأول : من طريق عاصم بن أبى النجود (عاصم بن بهدلة) ، عن زر ، عن صفوان ، رقم ١٤٢٠٦ ، ١٤٢٠٨ ، ١٤٢١٦ – ١٤٢١٨ ، ١٤٢٤٢ .

الثانى : من طريق زبيد الإيامى ، عن زر ، عن صفوان رقم : ١٤٢٠٧ .

والخبر ، رواه أحمد فى المسند ٤ : ٢٤٠ ، والطيالسى : ١٦٠ ، وابن ماجة ص : ١٣٥٣ ، والترمذى ، والنسائى . وذكره ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٤٣٥ ، والسيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٥٩ ، وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، والطبرانى ، وابن المنذر ، وأبى الشيخ ، والبيهقى ، وابن مردويه . وقال ابن كثير : «صححه النسائى» .

ورواه البخارى فى التاريخ الكبير ٣٠٥/٢/٢ ، من طريق عبد الرحمن بن مرزوق ، عن زر بن حبيش ، عن صفوان بن عسال ، ثم قال : «لا يعرف سماع عبد الرحمن ، من زر» .

(٣) الأثر : ١٤٢٠٧ – «المفضل بن إسحق» ، شيخ الطبرى ، لم أجد له ترجمة .

«أشعث بن عبد الرحمن بن زبيد الإيامى» ، ويقال : «اليامى» أيضاً . ذكره ابن حبان فى الثقات ، وأخرج له ابن خزيمة فى صحيحه ، وقال أبو حاتم : «محله الصدق» ، أما النسائى

١٤٢٠٨ – حدثني محمد بن عمارة قال ، حدثنا سهل بن عامر قال، حدثنا مالك ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن زر بن حبيش ، عن صفوان بن عسال أنه قال : إن بالمغرب باباً مفتوحاً للتوبة مسيرة سبعين عاماً، فإذا طلعت الشمس من مغربها، لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً.(١)

١٤٢٠٩ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن فضيل ، عن عمارة بن القعقاع ، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها . فإذا طلعت ورآها الناس ، آمن مَنْ عليها، فذلك حين « لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبـــل » .(٢)

١٤٢١٠ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا خالد بن مخلد قال ، حدثنا محمد بن جعفر ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقوم الساعة حتى تطلعَ الشمس من مغربها ، فيومئذ يؤمن

فقال : « ليس بثقة ، ولا يكتب حديثه » قال ابن عدى : « أفرط النسائى فى أمره ، وقد تبحرت حديثه ، فلم أر له حديثاً منكراً » .

وكان فى المطبوعة : « اليامى » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

وأبوه : « عبد الرحمن بن زبيد الإيامى » ، روى عنه يحيى بن عقبة بن أبى العيزار . قال البخارى : «منكر الحديث » . وقيل : «النكارة هى من يحيى »، نقل عن البخارى أيضاً . قال الحافظ فى لسان الميزان : « وهذا إنما قاله البخارى فى يحيى الراوى عنه . وأما « عبد الرحمن » ، فذكره ابن حبان فى الثقات .

وأما أبوه « زبيد بن الحارث الإيامى » ، فهو ثقة ، مضى برقم : ١٨٠ ، ٢٥٢١ ، ٥٤٢٠.

و « زر بن حبيش » ، مضى مراراً .

ولم أجد الخبر من هذه الطريق ، فى شىء مما بين يدى من الكتب .

(١) الأثر : ١٤٢٠٨ – « محمد بن عمارة الأسدى » ، شيخ الطبرى ، مضى مراراً .

« سهل بن عامر البجلى » ، ضعيف جداً ، منكر الحديث . مضى برقم : ١٩٧١ ، ٥٤٣١ ، ٦٣١٣ .

و « مالك » هو « مالك بن مغول بن عاصم البجلى » ، ثقة ، مضى برقم : ٥٤٣١ ، ١٠٨٧٢ .

وهذا خبر ضعيف الإسناد ، لضعف « سهل بن عامر البجلى » .

(٢) الأثر : ١٤٢٠٩ – مكرر الذى سلف برقم : ١٤٢٠٣ .

الناس كلهم أجمعون ، وذلك حين « لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً » .(١)

١٤٢١١ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن ابن عون ، عن ابن سيرين ، عن أبى هريرة قال : التوبة مقبولة ، ما لم تطلع الشمس من مغربها .(٢)

١٤٢١٢ – حدثنا أحمد بن الحسن الترمذى قال ، حدثنا سليمان بن عبدالرحمن قال ، حدثنا ابن عياش قال ، حدثنا ضمضم بن زرعة ، عن شريح بن عبيد ، عن مالك بن يخامر ، عن معاوية بن أبى سفيان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها . فإذا طلعت ، طُبِع على كل قلب بما فيه ، وكُفِى الناسُ العمل .(٣)

١٤٢١٣ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا أبو أسامة وجعفر بن عون ، بنحوه .

---

(١) الأثر : ١٤٢١٠ – هذه هى الطريق الثانية لأثر أبى هريرة ، كما سلف فى صدر التعليق على رقم : ١٤٢٠٣ .

« خالد بن مخلد القطوانى » ، ثقة من شيوخ البخارى ، مضى برقم ٢٦٠٦ ، ٤٥٧٧ ، ٨١٦٦ ، ٨٣٩٧ .

و « محمد بن جعفر بن أبى كثير الأنصارى » ، ثقة معروف ، مضى برقم : ٢٦٠٦ ، ٨٣٩٧ .

و « العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب ، مولى الحرقة » ، تابعى ثقة ، مضى برقم : ٢٢١ .

وأبوه « عبد الرحمن بن يعقوب ، مولى الحرقة » ، ثقه ، مترجم فى التهذيب .

وهذا الخبر رواه مسلم فى صحيحه ٢ : ١٩٤ ، من طريق يحيى بن أيوب ، وقتيبة بن سعيد ، وعلى بن حجر ، عن إسماعيل بن جعفر (أخو محمد بن جعفر رواى هذا الخبر) ، عن العلاء ابن عبد الرحمن .

وهو حديث صحيح الإسناد .

(٢) الأثر : ١٤٢١١ –

هذه هى الطريق الثالثة من طرق حديث أبى هريرة ، كما سلف فى رقم : ١٤٢٠٣ . « ابن عون » ، هو « عبد الله بن عون المزنى » الفقيه ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٠٥٥٩ . وكان فى المطبوعة : « عن أبى عون » ، وهو خطأ ، صوابه من المخطوطة .

وهذا إسناد صحيح أيضاً . ء أجده فى غير التفسير

(٣) الأثر ١٤٢١٢ – « أحمد بن الحسن بن جنيدب الترمذى » ، الحافظ ، شيخ

١٤٢١٤ – حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية، عن أبي حيان التيمي، عن أبي زرعة قال : جلس ثلاثة من المسلمين إلى مروان بن الحكم بالمدينة، فسمعوه وهو يحدث عن الآيات : أن أولها خروجاً الدجالُ، فانصرف القوم إلى عبد الله بن عمرو فحدثوه بذلك، فقال : لم يقل مروان شيئاً ! قد حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك شيئاً لم أنسَه، لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن أوّل الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، أو خروج الدابة على الناس ضُحًى، أيّتهما ما كانت قبل صاحبتها،(١) فالأخرى على أثرها قريباً. ثم قال عبد الله بن عمرو، وكان يقرأ الكتب : أظن أولهما خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وذلك أنها كلما غربت أتت تحت العرش فسجدت وأستأذنت في الرجوع، فيؤذن لها في الرجوع، حتى إذا بدا لله أن تطلع من مغربها، فعلت ٧٣/٨

الطبري، مضى برقم : ٧٤٨٩ .

و «سليمان بن عبد الرحمن بن عيسى التميمي الدمشقي»، قال ابن معين : «ثقة، إذا روى عن المعروفين»، وقال ابن حبان : «يعتبر حديثه إذا روى عن الثقات المشاهير، فأما إذا روى عن المجاهيل، ففيها مناكير». مترجم في التهذيب .

و «ابن عياش»، هو «إسماعيل بن عياش بن سلم العنسي»، ثقة، متكلم فيه، مضى برقم : ٥٤٤٥، ٨١٦٤، ١٠٣٧٥، ١٠٧٣٠، ١١١٠٨ .

و «ضمضم بن زرعة بن ثوب الحميري»، ثقة، وضعفه بعضهم مضى برقم : ٥٤٤٥ .

و «شريح بن عبيد بن شريح الحضرمي»، تابعي ثقة، مضى برقم : ٥٤٤٥، ١٢١٩٤ .

و «مالك بن يخامر السكسكي»، تابعي ثقة. مترجم في التهذيب .

وهذا خبر صحيح الإسناد، مختصر خبر رواه أحمد في مسنده رقم : ١٦٧١، من طريق الحكم ابن نافع : «عن إسماعيل بن عياش، عن ضمضم بن زرعة، يرده إلى مالك بن يخامر، عن ابن السعدي : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا تنقطع الهجرة ما دام العدو يقاتل. فقال معاوية، وعبد الرحمن ابن عوف، وعبد الله بن عمرو بن العاص : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الهجرة خصلتان : إحداهما أن تهجر السيئات، والأخرى أن تهاجر إلى الله ورسوله، ولا تنقطع الهجرة ما تقبلت التوبة، ولا تزال التوبة . . .» إلى آخر الخبر. وهو في حديث معاوية من المسند ٥ : ٢٧٠ من غير هذه الطريق، بغير هذا اللفظ. وخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٥ : ٢٥٠، وانظر تخريج أخي السيد أحمد في المسند : ١٦٧١ .

وسيأتي بإسناد آخر رقم : ١٤٢١٣ .

(١) في المطبوعة : «أيتها كانت» بغير «ما»، وهي ثابتة في المخطوطة، ومسند أحمد .

كما كانت تفعل ، أتت تحت العرش فسجدت واستأذنت فى الرجوع ، فلم يردّ عليها شيئاً ، [١] فتفعل ذلك ثلاث مرات ، لا يردّ عليها بشيء . حتى إذا ذهب من الليل ما شاء الله أن يذهب ، وعرفت أن لو أذن لها لم تدرك المشرق ، قالت : « ما أبعدَ المشرق ! ربِّ ، منْ لى بالناس » ! حتى إذا صار الأفق كأنه طَوْق ، استأذنت فى الرجوع ، فقيل لها : « اطلعى من مكانك » ، فتطلع من مغربها . ثم قرأ : « يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها » ، إلى آخر الآية . [٢]

١٤٢١٥ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو ربيعة فهد قال ، حدثنا حماد ، عن يحيى بن سعيد أبى حيان ، عن الشعبى : أن ثلاثة نفرٍ دخلوا على مروان

---

(١) فى المخطوطة : « وذلك دانها كلما غربت أتت تحت العرش فسجدت واستأذنت فى الرجوع ، فلم يرد عليها شيئاً » ، أسقط ما بين الكلام ، وأثبته ناشر المطبوعة الأولى من الدر المنثور فيما أرجح ، ومثله فى مسند أحمد . وكان فى المخطوطة : « وذلك دانها » غير منقوطة ، صواب قراءتها ما فى المطبوعة والمسند .

(٢) الأثر : ١٤٢١٤ – حديث عبد الله بن عمرو ، رواه مطولا من طريقين ، هذا والذى يليه ، ورواه مختصراً برقم ١٤٢٢٦ – ١٤٢٤٣ .

« أبو حيان التيمى » هو : « يحيى بن سعيد بن حيان التيمى » ، ثقة ، مضى مراراً آخرها رقم : ١٠٨٨٣ .

و « أبو زرعة بن عمرو بن جرير » ، ثقة ، مضى قريباً رقم : ١٤٢٠٣ .

وهذا الخبر رواه أحمد فى المسند رقم : ٦٨٨١ ، من هذه الطريق نفسها ، وخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٨ : ٨ ، ٩ ، وقال : « فى الصحيح طرف من أوله ، رواه أحمد ، والبزار ، والطبرانى ، فى الكبير ، ورجاله رجال الصحيح » .

ورواه الحاكم فى المستدرك ٤ : ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، بنحوه ، من طريق جعفر بن عون العمرى ، عن أبى حيان التيمى ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى غير مصرح بالموافقة .

وروى الحاكم أيضاً فى المستدرك ٤ : ٥٠٠ ، ٥٠١ ، حديث عبد الله بن عمرو هذا بزيادة واختلاف ، من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن إسحق بن وهب ، عن جابر الخيوانى ، قال : « كنت عند عبد الله بن عمرو ، فقدم عليه قهرمان من الشام ، وقد بقيت ليلتان من رمضان . . . » وساق الخبر ، ثم قال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى .

وذكره ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٤٣٦ ، والسيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٥٧ ، وزاد نسبته إلى ابن أبى شيبة ، ومسلم ، وأبى دواد ، وابن ماجة ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، والبيهقى . والذى رواه مسلم ، وأبو داود ، وابن ماجة ، هو المختصر ، لا هذا المطول .

ابن الحكم ، فذكر نحوه ، عن عبد الله بن عمرو . (١)

١٤٢١٦ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر قال ، سمعت عاصم بن أبي النجود ، يحدث عن زر بن حبيش ، عن صفوان بن عسال ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن بالمغرب باباً مفتوحاً للتوبة مسيرة سبعين عاماً ، لا يغلق حتى تطلع الشمس من نحوه . (٢)

١٤٢١٧ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو خالد ، عن حجاج ، عن عاصم ، عن زر بن حبيش ، عن صفوان بن عسال قال : إذا طلعت الشمس من مغربها ، فيومئذ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل (٢) .

١٤٢١٨ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو ربيعة فهد قال ، حدثنا عاصم ابن بهدلة ، عن زر بن حبيش قال : غَدَوْتُ إلى صفوان بن عسال فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن باب التوبة مفتوح من قبل المغرب ، عرضه مسيرة سبعين عاماً ، فلا يزال مفتوحاً حتى تطلع من قبله الشمس . ثم قرأ : « هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك » ، إلى « خيراً » . (٣)

١٤٢١٩ – حدثني الربيع بن سليمان قال ، حدثنا شعيب بن الليث قال ،

---

(١) الأثر : ١٤٢١٥ – هذه طريق أخرى للخبر السالف ، وهو ضعيف إسناده . « أبو ربيعة » ، لقبه « فهد » ، واسمه « زيد بن عوف القطعي » ، متروك ، قال البخاري : « سكتوا عنه » ، واتهمه أبو زرعة بسرقة حديثين ، كما هو مفصل في ابن أبي حاتم . مترجم في الكبير ٣٦٩/١/٢ ، وابن أبي حاتم ٥٧٠/٢/١ ، وميزان الاعتدال ١ : ٣٦٤ ، ولسان الميزان ٢ : ٥٠٩ .

(٢) الأثر : ١٤٢١٦ ، ١٤٢١٧ – طريقان من طرق حديث صفوان ، السالف تخريجه رقم : ١٤٢٠٦ – ١٤٢٠٨ .

ورواه أحمد في المسند ٤ : ٢٤٠ ، ٢٤١ ، في حديث طويل .

(٣) الأثر : ١٤٢١٨ – طريق من طرق حديث صفوان السالف تخريجه رقم : ١٤٢٠٦ – ١٤٢٠٨ ، ولكن هذا الإسناد ضعيف ، لضعف « أبي ربيعة ، فهد » ، وقد مضى في رقم : ١٤٢١٥ .

حدثنا الليث ، عن جعفر بن ربيعة ، عن عبد الرحمن بن هرمز : أنه قال : قال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من المغرب . قال : فإذا طلعت الشمس من المغرب آمن الناس كلهم ، وذلك حين « لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً ».(١)

١٤٢٢٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن ابن سيرين ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها قُبِل منه .(٢)

١٤٢٢١ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا فهد قال، حدثنا حماد، عن يونس ابن عبيد ، عن إبراهيم بن يزيد التيمى ، عن أبى ذر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الشمس إذا غربت أتت تحت العرش فسجدت ، فيقال لها : « اطلعى من حيث غربت » ، ثم قرأ هذه الآية : « هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة »، إلى آخر الآية .(٣)

---

(١) الأثر : ١٤٢١٩ –
هذه هى الطريق الخامسة لحديث أبى هريرة المذكورة فى رقم : ١٤٢٠٣
« شعيب بن الليث بن سعد المصرى » ، ثقة معروف ، مضى برقم : ٣٠٣٤ ، ٥٣١٤ .
و « الليث بن سعد المصرى » ، الإمام المشهور ، مضى مراراً .
و « جعفر بن ربيعة بن شرحبيل بن حسنة الكندى » المصرى ، ثقة ، مضى برقم ٥٠٠٥ ، ٦٨٩٧ .
و « عبد الرحمن بن هرمز » الأعرج ، مضى مراراً .
وهذا الخبر رواه البخارى (الفتح ١١ : ١٣/٣٠٣ : ٧٢) ، من طريق أبى اليمان ، عن شعيب ، عن عبد الرحمن ، عن أبى هريرة .

(٢) الأثر : ١٤٢٢٠ – هذه هى الطريق الرابعة لخبر أبى هريرة ، المذكور فى رقم : ١٤٢٠٣ .
رواه أحمد فى المسند برقم ٧٦٩٧ ، ورواه مسلم فى صحيحه من هذه الطريق ، وخرجه أخى السيد أحمد هناك .

(٣) الأثر : ١٤٢٢١ – هذه إحدى الطرق الخمس ، لحديث أبى ذر التى ذكرتها فى تخريج الخبر رقم : ١٤٢٠٤
وفى إسناد هذا الخبر انقطاع ، فإن إبراهيم التيمى ، لم يرو عن أبى ذر ، قال أحمد : « لم يلق أبا ذر » ، ولعل هذا المنقطع هو سبب قول مسلم فى رواية هذا الحديث ٢ : ١٩٥ : « يونس »

١٤٢٢٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا يزيد بن هرون ، عن سفيان بن حسين ، عن الحكم ، عن إبراهيم التيمى ، عن أبيه ، عن أبي ذر قال : كنت رِدْفَ النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم على حمارٍ ، فنظر إلى الشمس حين غربت فقال : إنها تغرب فى عين حامية ،(١) تنطلق حتى تخرّ لربها ساجدة تحت العرش ، حتى يأذن لها ، فإذا أراد أن يطلعها من مغربها حبسها، فتقول : يا ربِّ ، إن مسيرى بعيد ! فيقول لها : اطلعى من حيث غربت ! فذلك حين « لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل » .(٢) ٧٤/٨

١٤٢٢٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبدة، عن موسى بن المسيب ، عن إبراهيم التيمى ، عن أبيه ، عن أبي ذر قال : نظر النبي صلى الله عليه وسلم يوماً إلى الشمس فقال : يوشك أن تجيء حتى تقف بين يدى الله ، فيقول : « ارجعى من حيث جئت » ! فعند ذلك : « لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً » .(٣)

عن إبراهيم بن يزيد التيمى ، سمعه فيما أعلم ، عن أبيه ، عن أبي ذر » .
فهذا إسناد ضعيف لانقطاعه .

وهو أيضاً إسناد ضعيف ، لضعف « فهد » ، وهو « أبو ربيعة » ، « زيد بن عوف » ، مضت ترجمته فى رقم : ١٤٢١٥ ، ١٤٢١٨ .

وكان فى المخطوطة : « يوسف بن عبيد » ، والصواب ما فى المطبوعة .

(١) فى المطبوعة : « فى عين حمئة » ، وأثبت ما فى المخطوطة . و « الحمئة » : ذات الحمأة ، وهى الطين الأسود المنتن . و « الحامية » الحارة ، وآية سورة الكهف ٨٦ : « حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة » ، قرئت أيضاً « حامية » ، قال أبو جعفر فى تفسيره ١٦ : ١٠ (بولاق) : أنهما : « قراءتان مستفيضتان فى قرأة الأمصار ، ولكل واحدة منهما وجه صحيح ، ومعنى مفهوم » .

(٢) الأثر : ١٤٢٢٢ –

هذه إحدى الطرق الخمس المذكورة فى رقم : ١٤٢٠٤ . « سفيان بن حسين الواسطى » ، ثقة ، تكلموا فى حديثه عن الزهرى . مضى مراراً ، آخرها رقم : ١١٢٨٥ .

و « الحكم » ، هو « الحكم بن عتيبة الكندى » ، ثقة ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١١٠٨٥ .

(٣) الأثر : ١٤٢٢٣ – هذه آخر طرق حديث أبي ذر المذكورة فى رقم : ١٤٢٠٤ .

١٤٢٢٤ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً » ، فهو أنه لا ينفع مشركاً إيمانه عند الآيات ، وينفع أهل الإيمان عند الآيات إن كانوا اكتسبوا خيراً قبل ذلك . قال ابن عباس : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عشيةً من العشيّات فقال لهم : يا عباد الله ، توبوا إلى الله ، فإنكم توشكون أن تروا الشمس من قِبَل المغرب ، فإذا فعلت ذلك ، حُبِست التوبة ، وطُوِي العمل ، وخُتِم الإيمان .(١) فقال الناس : هل لذلك من آية يا رسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن آية تلكم الليلة ، أن تطول كقدر ثلاث ليال ، فيستيقظ الذين يخشون ربّهم ، فيصلُّون له ، ثم يقضون صلاتهم والليل مكانه لم ينقض ، ثم يأتون مضاجعهم فينامون . حتى إذا استيقظوا والليل مكانه ، فإذا رأوا ذلك خافوا أن يكون بين يدي أمرٍ عظيم .(٢) فإذا أصبحوا وطال عليهم طلوع الشمس ، فبينا هم ينتظرونها إذ طلعت عليهم من قبل المغرب ، فإذا فعلت ذلك لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل .(٣)

١٤٢٢٥ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن صالح مولى التوأمة ، عن أبي هريرة : أنه سمعه يقول : قال

« عبدة » ، هو « عبدة بن سليمان الكلابي » ، ثقة من شيوخ أحمد . مضى مراراً ، آخرها : ٨٣١٥ .

و « موسى بن المسيب الثقفي » ويقال : « موسى بن السائب » ، لم يذكر البخاري فيه جرحاً ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال أحمد : « ما أعلم إلا خيراً » ، وضعفه الأزدي . مترجم في التهذيب ، والكبير ٢٩٤/١/٤ ، وابن أبي حاتم ١٦١/١/٤ .

(١) في المخطوطة : « وطوي العمل ، وختم العمل » ، وصححه الناشر الأول من الدر المنثور .

(٢) في المطبوعة ، والدر المنثور : « خافوا أن يكون ذلك بين يدي أمر عظيم » ، وما في المخطوطة مستقيم .

(٣) الأثر : ١٤٢٢٤ – « محمد بن سعد العوفي » ، وسلسلة إسناده ، شرحها أخي السيد أحمد في التعليق على الأثر رقم : ٣٠٥ ، وكل رواته ضعفاء .

رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا كلهم أجمعون ، فيومئذ « لا ينفع نفساً إيمانها » ، الآية . (١)

١٤٢٢٦ – وبه قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، أخبرني ابن أبي عتيق ، أنه سمع عبيد بن عمير يتلو : « يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها » ، قال ، يقول : [كنّا] نُحدَّث ، والله أعلم ، أنها الشمس تطلع من مغربها = قال ابن جريج ، وأخبرني عمرو بن دينار : أنه سمع عبيد بن عمير يقول ذلك = قال ابن جريج ، وأخبرني عبد الله بن أبي مليكة : أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول : إن الآية التي لا ينفع نفساً إيمانها ، إذا طلعت الشمس من مغربها . = قال ابن جريج : وقال مجاهد ذلك أيضاً . (٢)

١٤٢٢٧ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن زرارة بن أوفى ، عن ابن مسعود : « يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها » ، قال : طلوع الشمس من مغربها . (٣)

---

(١) الأثر : ١٤٢٢٥ – هذه هي الطريق السادسة من طرق حديث أبي هريرة ، التي ذكرتها في صدر التعليق على رقم : ١٤٢٠٣ .

« صالح مولى التوأمة » هو « صالح بن نبهان » . مضى برقم : ١٠٢٠ ، ٣٩٥٩ ، ثقة ، ولكنهم تكلموا فيه من قبل خرف أصابه فاختلط ، فقال أحمد : « من سمع منه قديماً فذاك » ، وابن جريج أحد القدماء الذين رووا عنه ، فحديثه هذا لا بأس به .

ولم أجد الخبر في مكان آخر .

(٢) الأثر : ١٤٢٢٦ – هذه طريق أخرى لخبر عبد الله بن عمرو بن العاص ، مختصر الخبر السالف برقم : ١٤٢١٢ ، وهو من طريق ابن جريج ، عن عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة ، عن عبد الله بن عمرو ، وهو إسناد صحيح .

(٣) الأثر : ١٤٢٢٧ ، ١٤٢٢٨ – خبر عبد الله بن مسعود ، رواه الطبري آنفاً من طريق رقم : ١٤١٩٩ ، ثم رواه هنا من طرق ، من رقم ١٤٢٢٧ – ١٤٢٣٤ ، ١٤٢٣٩ ، وهذا بيان طرقه .

الأولى : من طريق أبي الضحى ، عن مسروق ، عن ابن مسعود ، برقم : ١٤١٩٩ ، ثم ١٤٢٣٠ ، ١٤٢٣٢ ، ١٤٢٣٣ .

الثانية : من طريق قتادة ، عن زرارة بن أوفى ، عن ابن مسعود ، برقم : ١٤٢٢٧ ، ١٤٢٢٨ ، ١٤٢٣١ .

١٤٢٢٨ – حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة قال ، سمعت قتادة يحدث ، عن زرارة بن أوفى ، عن عبد الله بن مسعود فى هذه الآية : « يوم يأتى بعض آيات ربك » ، قال : طلوع الشمس من مغربها .

١٤٢٢٩ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا ابن أبى عدى وعبد الوهاب ، عن عوف ، عن ابن سيرين قال ، حدثنى أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود قال : كان عبد الله بن مسعود يقول : ما ذكر من الآيات فقد مضين غير أربع : طلوع الشمس من مغربها ، ودابة الأرض ، والدجال ، وخروج يأجوج ومأجوج ، والآية التى تختم بها الأعمال : طلوع الشمس من مغربها . ألم تر أن الله قال : « يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً » ، قال : فهى طلوع الشمس من مغربها .(١) ٧٥/٨

الثالثة : من طريق ابن سيرين ، عن أبى عبيدة بن عبد الله بن مسعود ، عن ابن مسعود ، برقم : ١٤٢٢٩ .

الرابعة : من طريق أشعث بن أبى الشعثاء ، عن أبى الشعثاء ، عن ابن مسعود ، برقم : ١٤٢٣٤ ، ١٤٢٣٩ .

وهذا الخبر من الطريق الثانية .

« زرارة أوفى الحرشى » القاضى ، ثقة ، روى له أصحاب الكتب الستة . ولكنه لم يسمع من ابن مسعود ، كما قال أبو داود الطيالسى ، فهذا إسناد ضعيف لانقطاعه .

وانظر تخريج الأثر السالف رقم : ١٤١٩٩ .

(١) الاثر : ١٤٢٢٩ – هذه هى الطريق الثالثة لخبر ابن مسعود ، كما ذكرت فى التعليق على الأثرين السالفين .

و « عبد الوهاب » هو « عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى » ، ثقة ، مضى مراراً ، آخرها : ١٠٧٢٩ .

و « عوف » هو « عوف بن أبى جميلة العبدى » ، « عوف الأعرابى » ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ٥٤٧٣ – ٥٤٧٧ . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « عبد الوهاب بن عوف ، عن ابن سيرين » ، وهو لا يصح ، خطأ محض . وسيتبين ذلك فيما بعد .

« ابن سيرين » هو « أنس بن سيرين الأنصارى » ، كما يتبين من إسناد الحاكم فى المستدرك ، ولكن ابن كثير فى تفسيره صرح بأنه « عن محمد بن سيرين » ، وكلاهما روى عنه عوف الأعرابى ، والأرجح أن هذا الحديث من حديث « محمد بن سيرين » .

١٤٢٣٠ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا ابن أبي عدي، عن شعبة ، عن سليمان ، عن أبي الضحى ، عن مسروق قال : قال عبد الله : « يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها » ، قال : طلوع الشمس من مغربها مع القمر ، كأنهما بعيران مقرونان .(١)

١٤٢٣١ – ....قال شعبة، وحدثنا قتادة، عن زرارة، عن عبد الله بن مسعود: « يوم يأتي بعض آيات ربك » ، قال : طلوع الشمس من مغربها .(٢)

١٤٢٣٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله بن مسعود : « يوم يأتي بعض آيات ربك » ، قال : طلوع الشمس من مغربها مع القمر ، كالبعيرين المقترنين .(٣)

١٤٢٣٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن سفيان ، عن منصور والأعمش، عن أبي الضحى ، عن مسروق، عن عبد الله: « يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها » ، قال: طلوع الشمس من مغربها مع القمر، كالبعيرين القرينين.(٣)

و « أنس بن سيرين الأنصاري » ، كان ثقة قليل الحديث ، وهو أخو « محمد بن سيرين » ، وأنس دون أخيه محمد، روى له الجماعة . مترجم في التهذيب ، والكبير ٣٣/٢/٢ ، وابن أبي حاتم ٢٨٧/١/١ .

و « أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود » ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٠٣٥٥ ، وقد سلف مراراً أنه لم يدرك أن يروى عن أبيه عبد الله بن مسعود .

فهذا إسناد منقطع .

وهذا الخبر رواه الحاكم في المستدرك ٤ : ٥٤٥ ، من طريق سفيان ، عن عوف ، عن أنس ابن سيرين، عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود ، عن عبد الله بن مسعود . وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » وقال الذهبي : « صحيح » . ولكن علته انقطاعه كما بينت .

وذكره ابن كثير في تفسيره ٣ : ٤٣٧ ، وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣ : ٥٩ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد . وابن مردويه .

(١) الأثر : ١٤٢٣٠ – هذه رواية الطريق الأولى لحديث ابن مسعود التي سلف بيانها في تخريج الخبر رقم : ١٤٢٢٧ ، وسلف تخريجها في رقم : ١٤١٩٩ .

(٢) الأثر : ١٤٢٣١ – هذه رواية الطريق الثانية لحديث ابن مسعود ، وسلف تخريجه وبيان انقطاع إسناده فيها سلف رقم ١٤٢٢٧ .

(٣) الأثر : ١٤٢٣٢ ، ١٤٢٣٣ – هاتان روايتان من الطريق الأولى لحديث ابن مسعود كما بينته في رقم ١٤٢٢٧ ، وهو صحيح الإسناد كما سلف في رقم : ١٤١٩٩.

١٤٢٣٤ —... وقال ، حدثنا أبي ، عن إسرائيل ، وأبيه ، عن أشعث بن أبي الشعثاء ، عن أبيه ، عن عبد الله قال : التوبة مبسوطة ما لم تطلع الشمس من مغربها .(١)

١٤٢٣٥ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذكر لنا أن ابن أم عبد كان يقول : لا يزال باب التوبة مفتوحاً حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا رأى الناس ذلك آمنوا ، وذلك حين «لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً » .(٢)

١٤٢٣٦ — حدثنا بشر قال ، حدثنا عبد الله بن جعفر قال ، حدثنا العلاء ابن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها . فإذا طلعت آمن الناس كلهم ، فيومئذ « لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً » .(٣)

١٤٢٣٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عبيد بن عمير : « يوم يأتي بعض آيات ربك » ، قال : طلوع الشمس من مغربها .

---

(١) الأثر : ١٤٢٣٤ — هذه الطريق الرابعة لحديث ابن مسعود ، وسيأتي أيضاً برقم : ١٤٢٣٩ .
« أشعث بن أبي الشعثاء » ، هو « أشعث بن سليم بن أسود المحاربي » ، ثقة مضى برقم : ١٠٣٣١ ، ١٠٣٣٣ .
وأبوه : « سليم بن أسود بن حنظلة المحاربي » ، « أبو الشعثاء » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مترجم في التهذيب .
وهذا إسناد صحيح ، لم أجده في شيء مما بين يدي من الكتب .

(٢) الأثر : ١٤٢٣٥ — « ابن أم عبد » هو « عبد الله بن مسعود » .
وهذا خبر لم يذكر قتادة إسناده إلى ابن مسعود ، وقد مر خبر قتادة عن زرارة بن أوفى عن ابن مسعود ، بغير هذا اللفظ برقم : ١٤٢٢٧ ، ١٤٢٢٨ ، ١٤٢٣١ مختصراً .

(٣) الأثر : ١٤٢٣٦ — هذه رواية خبر أبي هريرة ، من الطريق الثانية التي ذكرتها في تخريج الأثر رقم ١٤٢٠٣ . وقد سلف تخريج هذه الطريق في التعليق على الأثر رقم : ١٤٢١٠ .

١٤٢٣٨ – ... وقال، حدثنا أبي، عن الحسن بن عقبة، أبي كيران، عن الضحاك : « يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها » ، قال : طلوع الشمس من مغربها .(١)

١٤٢٣٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا إسرائيل قال ، أخبرني أشعث بن أبي الشعثاء ، عن أبيه ، عن ابن مسعود في قوله : « لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل » ، قال : لا تزال التوبة مبسوطة ما لم تطلع الشمس من مغربها .(٢)

١٤٢٤٠ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « يوم يأتي بعض آيات ربك » ، قال : طلوع الشمس من مغربها .

١٤٢٤١ – حدثني يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني أبو صخر ، عن القرظي : أنه كان يقول في هذه الآية : « يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل » ، يقول : إذا جاءت الآيات لم ينفع نفساً إيمانها . يقول : طلوع الشمس من مغربها .(٣)

١٤٢٤٢ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان الثوري ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن زر بن حبيش ، عن صفوان بن عسال :

---

(١) الأثر : ١٤٢٣٨ – « الحسن بن عقبة المرادي » « أبو كيران » (بالياء) ، ثقة روى عن عبد خير ، والشعبي ، والضحاك . روى عنه وكيع ، وعبيد الله بن موسى ، وأبو نعيم . مترجم في الكبير ٢٩٩/٢/١ ، وابن أبي حاتم ٢٨/٢/١ ، وكان في المطبوعة : « أبي كبران » بالباء ، ومعها علامة شك .

(٢) الأثر : ١٤٢٣٨ – هذه رواية الطريق الرابعة لحديث ابن مسعود ، كما فصلتها في رقم : ١٤٢٢٧ . وسلف شرح هذا الإسناد برقم : ١٤٢٣٤ .

(٣) الأثر : ١٤٢٤١ – « أبو صخر » ، هو « حميد بن زياد الخراط » ، ونزل مصر. مضى برقم : ٤٣٢٥ ، ٥٣٨٦ ، ٨٣٩١ .

و « القرظي » ، هو « محمد بن كعب القرظي » ، مضى مراراً ، ومنها في مثل هذا الإسناد رقم : ٨٣٩١ .

« يوم يأتي بعض آيات ربك » ، قال : طلوع الشمس من مغربها .(١)

١٤٢٤٣ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن وهب بن جابر ، عن عبد الله بن عمرو : « يوم يأتي بعض آيات ربك » ، قال : طلوع الشمس من مغربها .(٢)

* * *

وقال آخرون : بل ذلك بعض الآيات الثلاث : الدابة، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها .

٧٦/٨ • ذكر من قال ذلك :

١٤٢٤٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جعفر بن عون، عن المسعودي ، عن القاسم قال ، قال عبد الله : التوبة معروضة على ابن آدم إن قبلها ، ما لم تخرج إحدى ثلاث : ما لم تطلع الشمس من مغربها ، أو الدابة ، أو فتح يأجوج ومأجوج .(٣)

١٤٢٤٥ – حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا المسعودي ، عن القاسم بن عبد الرحمن قال : قال عبد الله : التوبة معروضة على ابن آدم إن قبلها ، ما لم تخرج إحدى ثلاث : الدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، وخروج يأجوج ومأجوج .(٣)

---

(١) الأثر : ١٤٢٤٢ – هذه رواية حديث صفوان بن عسال ، من الطريق الأولى ، كما فسرتها في التعليق على رقم : ١٤٢٠٦ ، وسلف الكلام فيه هناك .

(٢) الأثر : ١٤٢٤٣ – « أبو إسحق الهمداني » ، هو : « أبو إسحق السبيعي » ، مضى مراراً .

و « وهب بن جابر الخيواني الهمداني » ، روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، لقيه ببيت المقدس . روى عنه « أبو إسحق الهمداني » وحده . تابعي ثقة . روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قصة يأجوج ومأجوج ، و « كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت » ، ولم يرو غير ذين . مترجم في التهذيب ، والكبير ١٦٣/٢/٤ ، ١٦٤ ، وابن أبي حاتم ٢٣/٢/٤ .

وهذا الخبران المذكوران في ترجمته ، رواهما أبو داود الطيالسي في مسنده ص ٣٠١ رقم : ٢٢٨١ ، ٢٢٨٢ .

(٣) الأثران : ١٤٢٤٤ ، ١٤٢٤٥ – « جعفر بن عون بن جعفر بن عمرو بن حريث

١٤٢٤٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان، عن منصور ، عن عامر ، عن عائشة قالت : إذا خرج أول الآيات ، طُرِحت الأقلام ، وحُبِست الحفظة ، وشهدت الأجساد على الأعمال .(١)

١٤٢٤٧ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن فضيل، عن أبيه ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثلاثٌ إذا خرجت « لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً » : طلوع الشمس من مغربها ، والدجال ، ودابة الأرض .(٢)

١٤٢٤٨ – حدثنا بشر بن معاذ قال: حدثنا معاوية بن عبد الكريم قال، حدثنا الحسن قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بادروا بالأعمال ستًّا : طلوعَ الشمس من مغربها، والدجال ، والدخّان، ودابة الأرض ، وخُوَيِّصة أحدكم ، وأمرَ العامة .

المخزومي » ، « أبو عون » ، ثقة ، مضى برقم : ٩٥٠٦ .

و « المسعودي » هو : « عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود » . مضى مراراً برقم : ٢١٥٦ ، ٢٩٣٧ ، ٥٥٦٣ .

و « القاسم » ، هو « القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود » ، روى عن أبيه وجده عبد الله بن مسعود ، مرسلا . ثقة قليل الحديث . مضى برقم : ٩٥١٩ .

وذكر أخي السيد أحمد في التعليق على الأثر : ٩٥١٥ ، أن « المسعودي ، عن القاسم » هو « معن بن عبد الرحمن » ، وأن القاسم فيما استظهر ، هو أخوه : « القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله ابن مسعود » ، والصواب أن « المسعودي » الراوي عن « القاسم بن عبد الرحمن » ، هو « عبد الرحمن ابن عبد الله بن عتبة » . كما أسلفت . وإسناد هذا الخبر ، ضعيف لانقطاعه .

وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣ : ٥٩ ، ونسبه إلى عبد بن حميد ، والطبراني .

(١) الأثر : ١٤٢٤٦ – « منصور » هو : « المنصور بن المعتمر » .

و « عامر » هو الشعبي .

وهذا الخبر رواه ابن كثير في تفسيره ٣ : ٤٣٧ ، وإسناده صحيح . ولم أجده في شيء من الكتب التي بين يدي .

(٢) الأثر : ١٤٢٤٧ – هذه هي الطريق السابعة من طرق خبر أبي هريرة التي ذكرتها في التعليق على الأثر : ١٤٢٠٣ .

« محمد بن فضيل بن غزوان الضبي » . روى له الجماعة ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ٨٣٩٥ .

وأبوه : « فضيل بن غزوان الضبي » ثقة ، روى له الجماعة . و « أبو حازم » هو الأشجعي ،

١٤٢٤٩ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذكر أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ، فذكر نحوه .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب فى ذلك ، ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ذلك حين تطلع الشمس من مغربها » .

* * *

وأما قوله : « أو كسبت فى إيمانها خيراً » ، فإنه يعنى : أو عملت فى تصديقها بالله خيراً ، (٢) من عمل صالح يصدّق قيلَه ويُحققه ، من قبل طلوع الشمس من مغربها . ولا ينفع كافراً لم يكن آمن بالله قبل طلوعها كذلك ، (٣) إيمانه بالله إن آمن وصدق بالله ورسله ، لأنها حالة لا تمتنع نفسٌ من الإقرار بالله ، لعظيم الهول الوارد عليهم من أمر الله ، فحكم إيمانهم ، كحكم إيمانهم عند قيام الساعة ، وتلك حال لا يمتنع الخلق من الإقرار بوحدانية الله ، لمعاينتهم من أهوال ذلك اليوم ما ترتفع معه حاجتهم إلى الفكر والاستدلال والبحث والاعتبار ، ولا ينفع من كان بالله وبرسله مصدّقاً ، ولفرائض الله مضيعاً ، غير مكتسب بجوارحه لله طاعة ، إذا

واسمه « سلمان » . ثقة ، روى له الجماعة .

وهذا إسناد صحيح . رواه مسلم فى صحيحه ٢ : ١٩٥ ، والترمذى فى التفسير ، وخرجه ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٤٣٤ ، وقال : « رواه أحمد عن وكيع ، عن فضيل بن غزوان » ، وذكر سائر طرقه . وخرجه السيوطى ، فى الدر المنثور ٣ : ٥٧ ، وزاد نسبته إلى ابن أبى شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن مردويه ، والبيهقى .

(١) الأثران : ١٤٢٤٨ ، ١٤٢٤٩ – « معاوية بن عبد الكريم الثقفى » ، « الضال » ، لأنه ضل فى طريق مكة . روى عن الحسن . وثقه أحمد وغيره ، وتكلموا فيه . وأخشى أن يكون سقط من الإسناد رجل بينه وبين « بشر بن معاذ » .

وأما الإسناد الثانى ففيه « بشر » = يعنى « بشر بن معاذ » = عن « يزيد » ، يعنى « يزيد ابن زريع » عن « سعيد » = يعنى « سعيد بن أبى عروبة » .

ولكن روى هذا الأثر بهذا اللفظ مسلم فى صحيحه ١٧ : ٨٧ مرفوعاً ، من طريق أمية بن بسطام العيشى ، عن يزيد بن زريع ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن زياد بن رياح ، عن أبى هريرة .

(٢) انظر تفسير « كسب » فيما سلف ص : ١٢٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المطبوعة : « لا ينفع كافراً » بغير واو ، والسياق يقتضى إثباتها .

هي طلعت من مغربها = أعمالُه إن عمل، وكسبُه إن اكتسب، لتفريطه الذى سلف قبل طلوعها فى ذلك ، كما : —

١٤٢٥٠ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً » ، يقول : كسبت فى تصديقها خيراً ، عملاً صالحاً . فهؤلاء أهل القبلة . وإن كانت مصدقة ولم تعمل قبل ذلك خيراً ، فعملت بعد أن رأت الآية ، لم يقبل منها . وإن عملت قبل الآية خيراً ، ثم عملت بعد الآية خيراً ، قُبل منها .

١٤٢٥١ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها » ، قال : من أدركه بعضُ الآيات وهو على عمل صالح مع إيمانه ، قبلَ الله منه العمل بعدَ نزول الآية ، كما قبل منه قبل ذلك .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ (١٥٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل، يا محمد ، لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام : انتظروا أن تأتيكم الملائكة بالموت فتقبض ٨ / ٧٧
أرواحكم ، أو أن يأتى ربكم لفصل القضاء بيننا وبينكم فى موقف القيامة ، أو أن يأتيكم طلوع الشمس من مغربها ، فتطوى صحف الأعمال ، ولا ينفعكم إيمانكم حينئذ إن آمنتم ، حتى تعلموا حينئذ المحقَّ منا من المبطل ، والمسيءَ من المحسن، والصادقَ من الكاذب ، وتتبينوا عند ذلك بمن يحيق عذاب الله وأليم نكاله ، ومن الناجى منا ومنكم ومن الهالك — إنا منتظرو ذلك ، ليجزل الله لنا ثوابه على طاعتنا إياه ، وإخلاصنا العبادة له، وإفرادناه بالربوبية دون ما سواه ، ويفصل بيننا وبينكم بالحق ، وهو خير الفاصلين .

القول في تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ (١٥٩)

قال أبو جعفر : اختلف القرأة في قراءة قوله : « فرقوا » .

فروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ما —

١٤٢٥٢ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي إسحق ، عن عمرو بن دينار : أن عليًّا رضي الله عنه قرأ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَارَقُوا دِينَهُمْ ﴾ .

١٤٢٥٣ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير قال ، قال حمزة الزيات : قرأها علي رضي الله عنه : ﴿ فَارَقُوا دِينَهُمْ ﴾ .

١٤٢٥٤ —... وقال ، حدثنا الحسن بن علي ، عن سفيان ، عن قتادة : ﴿ فَارَقُوا دِينَهُمْ ﴾ .

* * *

وكأن عليًّا ذهب بقوله : « فارقوا دينهم » ، خرجوا فارتدوا عنه ، من « المفارقة » .

* * *

وقرأ ذلك عبد الله بن مسعود ، كما : —

١٤٢٥٥ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يحيى بن رافع ، عن زهير قال ، حدثنا أبو إسحق : أن عبد الله كان يقرؤها : ﴿ فَرَّقوا دِينَهُمْ ﴾ .

* * *

وعلى هذه القراءة = أعني قراءة عبد الله = قرأة المدينة والبصرة وعامة قرأة الكوفيين . وكأنّ عبد الله تأوّل بقراءته ذلك كذلك : أن دين الله واحد ، وهو دين إبراهيم الحنيفية المسلمة ، ففرّق ذلك اليهود والنصارى ، فتهوّد قومٌ وتنصّر آخرون ، فجعلوه شيعاً متفرقة .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك أن يقال : إنهما قراءتان معروفتان ، قد قرأت بكل واحدة منهما أئمة من القرأة ، وهما متفقتا المعنى غير مختلفتيه . وذلك

أن كل ضالّ فلدينه مفارق، وقد فرّق الأحزابُ دينَ الله الذى ارتضاه لعباده ، فتهود بعض وتنصر آخرون ، وتمجس بعض . وذلك هو « التفريق » بعينه ، ومصير أهله شيعاً متفرقين غير مجتمعين ، فهم لدين الله الحقّ مفارقون ، وله مفرّقون .(١) فبأىّ ذلك قرأ القارئ فهو للحق مصيب ، غير أنى أختار القراءة بالذى عليه عُظْم القرأة ، وذلك تشديد « الراء » من « فرقوا » .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى المعنيّين بقوله : « إن الذين فرّقوا دينهم » .

فقال بعضهم : عنى بذلك اليهود والنصارى .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٢٥٦ — حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ،عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله: « وكانوا شيعاً »، قال : يهود .

١٤٢٥٧ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

١٤٢٥٨ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « فرقوا دينهم » ، قال : هم اليهود والنصارى .

١٤٢٥٩ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً » ، من اليهود والنصارى .

١٤٢٦٠ — حدثنى محمد بن الحسين قال ،حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ،عن السدى : «إن الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء »، هؤلاء اليهود والنصارى . وأما قوله: «فارقوا دينهم»، فيقول : تركوا دينهم وكانوا شيعاً .(٢)

١٤٢٦١ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى

---

(١) انظر تفسير « الشيع » فيما سلف ١١ : ٤١٩ .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « فرقوا » فى الموضعين ، والتفسير فى الأثر ، يوجب أن تكون « فارقوا » كما أثبتها .

قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً » ، وذلك أن اليهود والنصارى اختلفوا قبل أن يبعث محمد ، فتفرقوا . فلما بعث محمد أنزل الله: « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء ».

٨ / ٧٨

١٤٢٦٢ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً » ، يعني اليهود والنصارى .

١٤٢٦٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حسين بن علي ، عن شيبان ، عن قتادة : « فارقوا دينهم » ، قال : هم اليهود والنصارى .

* * *

وقال آخرون : عنى بذلك أهلَ البدع من هذه الأمة ، الذين اتبعوا متشابه القرآن دون محكمه .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٢٦٤ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان ، عن ليث ، عن طاوس ، عن أبي هريرة قال : « إن الذين فرقوا دينهم » ، قال : نزلت هذه الآية في هذه الأمة .(١)

١٤٢٦٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن سفيان ، عن ليث ، عن طاوس ، عن أبي هريرة : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً » ، قال : هم أهل الصلاة .(٢)

١٤٢٦٦ – حدثني سعيد بن عمرو السكوني قال ، حدثنا بقية بن الوليد قال : كتب إليّ عباد بن كثير قال ، حدثني ليث ، عن طاوس ، عن أبي هريرة

---

(١) الأثران : ١٤٢٦٤ ، ١٤٢٦٥ – إسنادهما صحيح إلى أبي هريرة ، موقوفاً ، وانظر التعليق على الأثر التالي .

(٢) كان في المطبوعة : « هم أهل الضلالة » ، كما سيأتي في الأثر التالي ، غير أن المخطوطة واضحة هنا « أهل الصلاة » ، فأثبتها كما هي ، لأنها صحيحة المعنى ، أي أنها نزلت في المؤمنين من أهل القبلة .

قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى هذه الآية : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء » ، وليسوا منك ، هم أهل البدع ، وأهل الشبهات ، وأهل الضلالة ، من هذه الأمة .(١)

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندي أن يقال : إن الله أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم أنه برىء ممن فارق دينه الحق وفرقه ، وكانوا فرقاً فيه وأحزاباً شيعاً ، وأنه ليس منهم . ولا هم منه ، لأن دينه الذى بعثه الله به هو الإسلام ، دين إبراهيم الحنيفية ، كما قال له ربه وأمره أن يقول : ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة الأنعام : ١٦١] .

فكان من فارق دينه الذى بعث به صلى الله عليه وسلم من مشرك ووثنىّ يهودى ونصرانىّ ومتحنّف ، مبتدع قد ابتدع فى الدين ما ضلّ به عن الصراط المستقيم والدين القيم ملة إبراهيم المسلم ، فهو برىء من محمد صلى الله عليه وسلم ، ومحمد منه برىء ، وهو داخل فى عموم قوله : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء » .

* * *

---

(١) الأثر : ١٤٢٦٦ — « سعيد بن عمرو السكونى » شيخ الطبرى ، مضى برقم : ٥٥٦٣ ، ٦٥٢١ .

و « بقية بن الوليد الحمصى » ، ثقة ، نعوا عليه التدليس ، مضى برقم : ١٥٢ ، ٥٥٦٣ ، ٦٥٢١ ، ٦٨٩٩ ، ٩٢٢٤ .

و « عباد بن كثير الرملى الفلسطينى » ، ضعيف الحديث . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣/١/٨٥ .

وهذا الخبر مرفوعاً لا يصح ، وهو ضعيف الإسناد . قال ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٤٣٨ : « لكن هذا إسناد لا يصح ، فإن عباد بن كثير متروك الحديث . ولم يختلق هذا الحديث ، ولكنه وهم فى رفعه ، فإنه رواه سفيان الثورى عن ليث = وهو ابن أبى سليم = عن طاوس ، عن أبى هريرة فى هذه الآية أنه قال : نزلت فى هذه الأمة » .

ولكن خرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧ : ٢٢ ، ٢٣ ، ثم قال : « رواه الطبرانى فى الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح ، غير معلل بن نفيل ، وهو ثقة » . وهكذا فى مجمع الزوائد « معلل بن نفيل » ، وهو محرف بلا شك .

وأما قوله : « لست منهم فى شىء إنما أمرهم إلى الله » ، فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله .

فقال بعضهم : نزلت هذه الآية على نبىّ الله بالأمر بترك قتال المشركين قبل وُجوب فرض قتالهم ، ثم نسخها الأمر بقتالهم فى « سورة براءة » ، وذلك قوله : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ [سورة التوبة : ٥] .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٢٦٧ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « لست منهم فى شىء إنما أمرهم إلى الله » ، لم يؤمر بقتالهم ، ثم نسخت ، فأمر بقتالهم فى « سورة براءة » .

* * *

وقال آخرون : بل نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم إعلاماً من الله له أنّ من أمته من يُحْدث بعده فى دينه . وليست بمنسوخة ، لأنها خبرٌ لا أمر ، والنسخ إنما يكون فى الأمر والنهى .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٢٦٨ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس قال، أخبرنا مالك ابن مغول ، عن على بن الأقمر ، عن أبى الأحوص : أنه تلا هذه الآية : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء » ، ثم يقول : برئ نبيكم صلى الله عليه وسلم منهم .(١)

١٤٢٦٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى وابن إدريس وأبو أسامة ويحيى بن آدم ، عن مالك بن مغول ، بنحوه .

١٤٢٧٠ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنا شجاع أبو

---

(١) الأثر : ١٤٢٦٨ – « مالك بن مغول البجلى »، ثقة . مضى برقم : ١٠٨٧٢، ٥٤٣١ و « على بن الأقمر الهمدانى » ، روى له الجماعة ، مضى برقم ١١٩٤١ وهو إسناد صحيح .

بدر ، عن عمرو بن قيس الملائى قال ، قالت أم سلمة : ليتّق امرؤ أن لا يكون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شىء! ثم قرأت : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء » = قال عمرو بن قيس : قالها مُرَّة الطيِّب ، وتلا هذه الآية .(١) ٨ / ٧٩

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن قوله : « لست منهم فى شىء » ، إعلام من الله نبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم أنه من مبتدعة أمته الملحدة فى دينه برىء ، ومن الأحزاب من مشركى قومه ، ومن اليهود والنصارى. وليس فى إعلامه ذلك ما يوجب أن يكون نهاه عن قتالهم ، لأنه غير محال أن يقال فى الكلام : « لست من دين اليهود والنصارى فى شىء فقاتلهم ، فإن أمرهم إلى الله فى أن يتفضل على من شاء منهم فيتوب عليه ، ويهلك من أراد إهلاكه منهم كافراً فيقبض روحه ، أو يقتله بيدك على كفره ، ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون عند مقدَمهم عليه » . وإذ كان غير مستحيل اجتماع الأمر بقتالهم ، وقوله : « لست منهم فى شىء إنما أمرهم إلى الله » ، ولم يكن فى الآية دليلٌ واضح على أنها منسوخة ، ولا ورد بأنها منسوخة عن الرسول خبرٌ = كان غير جائز أن يُقْضَى عليها بأنها منسوخة ، حتى تقوم حجةٌ موجبةٌ صحةَ القول بذلك ، لما قد بينا من أن المنسوخ هو ما لم يجز اجتماعه وناسخه فى حال واحدة ، فى كتابنا : ﴿ كتاب اللطيف من البيان عن أصول الأحكام ﴾ .(٢)

* * *

---

(١) الأثر : ١٤٢٧٠ - « شجاع ، أبو بدر » ، هو « شجاع بن الوليد بن قيس السكونى » ، ثقة صدوق . روى عنه أحمد . مترجم فى التهذيب .

« عمرو بن قيس الملائى » ، ثقة مضى مراراً آخرها : ٩٦٤٦ .

وهذا إسناد منقطع ، « عمرو بن قيس » لم يدرك أم سلمة .

أما خبر « مرة الطيب » فهو « مرة بن شراحيل الهمدانى » ، مضى مراراً ، آخرها : ٧٥٣٩ . وروايته هذه أيضاً منقطعة ، لأنه لم يدركه .

وخرج السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٦٣ ، خبر أم سلمة ، ونسبه إلى ابن منيع فى مسنده ، وأبى الشيخ . وخرج خبر مرة الطيب ، ونسبه إلى ابن أبى حاتم .

(٢) انظر ما سلف فى « الناسخ والمنسوخ » ١٠ : ٣٣٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

وأما قوله : « إنما أمرهم إلى الله » ، فإنه يقول : أنا الذى إلىّ أمر هؤلاء المشركين الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعاً ، والمبتدعة من أمتك الذين ضلوا عن سبيلك ، دونك ودون كل أحد . إما بالعقوبة إن أقاموا على ضلالتهم وفُرْقتهم دينهم فأهلكهم بها ، وإما بالعفو عنهم بالتوبة عليهم والتفضل منى عليهم = « ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون »،(١) يقول: ثم أخبرهم فى الآخرة عند ورودهم علىّ يوم القيامة بما كانوا يفعلون ، فأجازى كلاًّ منهم بما كانوا فى الدنيا يفعلون ، المحسنَ منهم بالإحسان ، والمسىء بالإساءة . ثم أخبر جل ثناؤه ما مبلغ جزائه من جازى منهم بالإحسان أو بالإساءة فقال : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (١٦٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : من وافَى ربَّه يوم القيامة فى موقف الحساب ، من هؤلاء الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعاً ، بالتوبة والإيمان والإقلاع عما هو عليه مقيم من ضلالته ، وذلك هو الحسنة التى ذكرها الله فقال : من جاء بها فله عشر أمثالها .(٢)

ويعنى بقوله : « فله عشر أمثالها » ، فله عشر حسنات أمثال حسنته التى

واسم كتاب أبى جعفر هو ما أثبت ، ما ورد فى ٥ : ٤١٤ ، وكان هنا فى المخطوطة والمطبوعة : « اللطيف عن أصول الأحكام » ، وهو لا يستقيم .

(١) انظر تفسير « النبأ » فيما سلف ص : ٣٧ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الحسنة » فيما سلف ٤ : ٢٠٣ - ٨/٢٠٦ : ٥٥٥ - ٥٥٦ ، وفهارس اللغة (حسن) .

جاء بها = « ومن جاء بالسيئة » ، يقول : ومن وافى يوم القيامة منهم بفراق الدِّين الحقّ والكفر بالله ، فلا يجزى إلا ما ساءه من الجزاء ، كما وافى الله به من عمله السيء [١] = « وهم لا يظلمون » ، يقول : ولا يظلم الله الفريقين ، لا فريق الإحسان ، ولا فريق الإساءة ، بأن يجازى المحسن بالإساءة ، والمسيء بالإحسان ، ولكنه يجازى كلا الفريقين من الجزاء ما هو له ، لأنه جل ثناؤه حكيمٌ لا يضع شيئاً إلا فى موضعه الذي يستحق أن يضعه فيه ، ولا يجازى أحداً إلا بما يستحقّ من الجزاء .

* * *

وقد دللنا فيما مضى على أن معنى « الظلم » ، وضع الشيء فى غير موضعه ، بشواهده المغنية عن إعادتها فى هذا الموضع .[٢]

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : فإن كان الأمر كما ذكرت ، من أن معنى « الحسنة » فى هذا الموضع : الإيمان بالله ، والإقرار بوحدانيته ، والتصديق برسوله = « والسيئة » فيه : الشرك به ، والتكذيب لرسوله = أفللإيمان أمثال فيجازى بها المؤمن ؟ [٣] وإن كان له مثل ، فكيف يجازى به ، و « الإيمان » ، إنما هو ٨ / ٨٠
عندك قول وعمل ، والجزاء من الله لعباده عليه الكرامة فى الآخرة ، والإنعام عليه بما أعدّ لأهل كرامته من النعيم فى دار الخلود ، وذلك أعيان ترى وتعاين وتحسّ ويلتذّ بها ، لا قول يسمع ، ولا كسبُ جوارح ؟

قيل : إن معنى ذلك غير الذى ذهبتَ إليه . وإنما معناه : من جاء بالحسنة فوافَى الله بها له مطيعاً ، فإن له من الثواب ثوابُ عشر حسنات أمثالها .

فإن قال : قلت فهل لقول « لا إله إلاّ الله » من الحسنات مثل ؟

---

(١) انظر تفسير « السيئة » فيما سلف من فهارس اللغة (سوأ) .
(٢) انظر تفسير «الظلم» فيما سلف من فهارس اللغة (ظلم) .
(٣) فى المطبوعة : « فللإيمان » بغير همزة الاستفهام ، والصواب ما فى المخطوطة .

قيل : له مثل هو غيره ، [ولكن له مثل هو قول لا إله إلا الله] ، [1] وذلك هو الذى وعد الله جل ثناؤه من أتاه به أن يجازيه عليه من الثواب بمثل عشرة أضعاف ما يستحقه قائله . وكذلك ذلك فيمن جاء بالسيئة التى هى الشرك ، إلا أنه لا يجازى صاحبها عليها إلاّ ما يستحقه عليها من غير إضعافه عليه .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٢٧١ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يعقوب القمى ، عن جعفر ابن أبى المغيرة ، عن سعيد بن جبير قال : لما نزلت : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » ، قال رجل من القوم : فإنّ « لا إله إلا الله » حسنة ؟ قال : نعم ، أفضل الحسنات .

١٤٢٧٢ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا حفص بن غياث ، عن الأعمش والحسن بن عبيد الله ، عن جامع بن شدّاد ، عن الأسود بن هلال ، عن عبد الله : « من جاء بالحسنة » ، لا إله إلا الله .

١٤٢٧٣ – حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا حفص قال ، حدثنا الأعمش والحسن بن عبيد الله ، عن جامع بن شداد ، عن الأسود بن هلال ، عن عبد الله قال : « من جاء بالحسنة » ، قال : من جاء بلا إله إلا الله . قال : « ومن جاء بالسيئة » ، قال : الشرك .

١٤٢٧٤ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن فضيل ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن جامع بن شداد ، عن الأسود بن هلال ، عن عبد الله : « من

---

(١) هذه العبارة التى بين القوسين ، هكذا جاءت فى المخطوطة ، وغيرها ناشر المطبوعة الأول فكتب : « وليس له مثل هو قول لا إله إلا الله » ، ولا أدرى ما معنى هذا التغيير . وعبارة المخطوطة غير مفهومة ، وأخشى أن يكون سقط من الكلام شىء ، فأودعتها بين القوسين لكى يتوقف عندها قارئها ، عسى أن يتبين له ما لم يتبين لى .

جاء بالحسنة » ، قال : لا إله إلا الله .

١٤٢٧٥ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا معاوية بن عمرو المعنىّ ، عن زائدة ، عن عاصم ، عن شقيق : « من جاء بالحسنة » ، قال : لا إله إلا الله ، كلمة الإخلاص = « ومن جاء بالسيئة » ، قال : الشرك .(١)

١٤٢٧٦ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد = وعن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد والقاسم بن أبي بزة : « من جاء بالحسنة » ، قالوا : لا إله إلا الله ، كلمة الإخلاص = « ومن جاء بالسيئة » ، قالوا : بالشرك وبالكفر .

١٤٢٧٧ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن نمير وابن فضيل ، عن عبد الملك ، عن عطاء : « من جاء بالحسنة » ، قال : لا إله إلا الله = « ومن جاء بالسيئة » ، قال : الشرك .

١٤٢٧٨ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا جابر بن نوح قال ، حدثنا موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » ، قال : لا إله إلا الله .

١٤٢٧٩ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي المحجل ، عن إبراهيم : « من جاء بالحسنة » ، قال : لا إله إلا الله = « ومن جاء بالسيئة » ، قال : الشرك .(٢)

١٤٢٨٠ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا أبو أحمد الزبيري قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي المحجل ، عن أبي معشر ، عن إبراهيم ، مثله .

١٤٢٨١ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي المحجل ، عن إبراهيم ، مثله .

---

(١) الأثر : ١٤٢٧٥ – « معاوية بن عمرو المعنى ، الأزدى » ، ثقة مضى برقم : ٤٠٧٤ .

(٢) الآثار : ١٤٢٧٩ – ١٤٢٨٢ – « أبو المحجل » ، هكذا فى المطبوعة ، وهو فى المخطوطة غير منقوط ، لم أعرف من يكون ، ولم أجد له ذكراً ، ولا تبين لى وجه فى تحريفه ! !

١٤٢٨٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن أبي المحجل ، عن أبي معشر قال : كان إبراهيم يحلف بالله ما يستثني : أنّ « من جاء بالحسنة »، لا إله إلا الله = « ومن جاء بالسيئة » ، من جاء بالشرك .

١٤٢٨٣ – حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عبد الملك ، عن عطاء في قوله : « من جاء بالحسنة » ، قال : كلمة الإخلاص ، لا إله إلا الله = « ومن جاء بالسيئة » ، قال : بالشرك .

٨ / ٨١ ١٤٢٨٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي = وحدثنا المثنى بن إبراهيم قال ، حدثنا أبو نعيم = جميعاً ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي صالح : « من جاء بالحسنة » ، قال : لا إله إلا الله = « ومن جاء بالسيئة » ، قال : الشرك .

١٤٢٨٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن نمير ، عن عثمان بن الأسود ، عن القاسم بن أبي بزة : « من جاء بالحسنة » ، قال : كلمة الإخلاص = « ومن جاء بالسيئة » ، قال : الكفر .

١٤٢٨٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن سلمة ، عن الضحاك : « من جاء بالحسنة » ، قال : لا إله إلا الله .

١٤٢٨٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن أشعث ، عن الحسن : « من جاء بالحسنة » ، قال : لا إله إلا الله .

١٤٢٨٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا الحماني قال ، حدثنا شريك، عن سالم ، عن سعيد : « من جاء بالحسنة »، قال : لا إله إلا الله .

١٤٢٨٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا الحماني قال، حدثنا شريك ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .

١٤٢٩٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « من جاء بالحسنة » ،

يقول : من جاء بلا إله إلا الله = « ومن جاء بالسيئة » ، قال : الشرك .

١٤٢٩١ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون » ، ذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : الأعمال ستة : مُوجِبة ومُوجِبة ، ومُضْعِفة ومُضْعِفة ، ومِثْل ومِثْل . فأما الموجبتان : فمن لقى الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ، ومن لقى الله مشركاً به دخل النار . وأما المضعف والمضعف : فنفقة المؤمن فى سبيل الله سبعمئة ضعف ، ونفقته على أهل بيته عشر أمثالها . وأما مثل ومثل : فإذا همّ العبد بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، وإذا هم بسيئة ثم عملها كتبت عليه سيئة .

١٤٢٩٢ – حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا الأعمش ، عن شمر بن عطية ، عن شيخ من التيم ، عن أبى ذرّ قال : قلت : يا رسول الله ، علّمنى عملاً يقرّبنى إلى الجنة ويباعدنى من النار . قال : إذا عملت سيئة فاعمل حسنة ، فإنها عشر أمثالها . قال قلت : يا رسول الله ، « لا إله إلا الله » من الحسنات؟ قال : هى أحسن الحسنات .(١)

* * *

وقال قوم : عنى بهذه الآية الأعراب ، فأما المهاجرون فإن حسناتهم سبعمئة ضعف أو أكثر .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٢٩٣ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا معاذ بن هشام قال ، حدثنا أبى ، عن قتادة ، عن أبى الصدّيق الناجىّ ، عن أبى سعيد الخدرى فى قوله :

---

(١) الأثر : ١٤٢٩٢ – « شمر بن عطية الأسدى الكاهلى » ، ثقة ، مضى برقم ١١٥٤٥ . وهذا خبر ضعيف ، لجهالة « شيخ من التيم » .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٦٤ ، ونسبه إلى ابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، وابن مردويه . ولم ينسبه إلى الطبرى .

« من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » ، قال : هذه للأعراب ، وللمهاجرين سبعمئة .(١)

١٤٢٩٤ – حدثنا محمد، أبو نشيط ، بن هرون الحربى قال ، حدثنا يحيى ابن أبى بكير قال ، حدثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية العوفى ، عن عبد الله ابن عمر قال : نزلت هذه الآية فى الأعراب : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » ، قال : قال رجل : فما للمهاجرين ؟ قال : ما هو أعظم من ذلك : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيماً ﴾، [سورة النساء : ٤٠] وإذا قال الله لشىء: « عظيم » ، فهو عظيم .(٢)

١٤٢٩٥ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن ابن سعد قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع قال : نزلت هذه الآية : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها »،وهم يصومون ثلاثة أيام من الشهر ، ويؤدّون عشر أموالهم . ثم نزلت الفرائض بعد ذلك : صوم رمضان والزكاة .

* * *

فإن قال قائل : وكيف قيل «عشر أمثالها » ، فأضيف « العشر » إلى « الأمثال » ، ، وهى « الأمثال » ؟ وهل يضاف الشىء إلى نفسه ؟

---

(١) الأثر : ١٤٢٩٣ – « أبو الصديق الناجى » هو « بكر بن عمرو » وقيل : « بكر ابن قيس » ، ثقة ، روى له الجماعة . مترجم فى التهذيب .

وهذا إسناد صحيح .

(٢) الأثر : ١٤٢٩٤ – « محمد بن هرون الحربى » ، « أبو نشيط » ، شيخ الطبرى ، مضى برقم : ٩٥١١ ، ١٠٣٧١ ، وكان فى المطبوعة والمخطوطة هنا : « محمد بن نشيط بن هرون الحربى » ، وهو خطأ محض تبين من رواية الأثر فيما سلف .

و « يحيى بن أبى بكير الأسدى » ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ٧٥٤٤ ، وكان فى المطبوعة والمخطوطة هنا « يحيى بن أبى بكر » ، وهو خطأ .

وقد سلف هذا الخبر وتخريجه برقم : ٩٥١١ ، وأنه إسناد ضعيف من أجل « عطية العوفى » . ووقع فى إسناد الخبر هناك خطأ : « عن عبد الله بن عمير » ، وهو خطأ فى الطباعة صوابه « عن عبد الله ابن عمر » ، فليصحح .

قيل: أضيفت إليها لأنه مرادٌ بها : فله عشر حسنات أمثالها ، فـ« الأمثال » حلّت محل المفسّر ، وأضيف « العشر » إليها ، كما يقال : « عندى عشر نسوة » ، ٨ / ٨٢
فلأنه أريد بالأمثال مقامها ، فقيل : « عشر أمثالها » ، فأخرج « العشر » مخرج عدد الحسنات ،[1] و« المثل » مذكر لا مؤنث ، ولكنها لما وضعت موضع الحسنات ،[2] وكان « المثل » يقع للمذكر والمؤنث ، فجعلت خلفاً منها ، فعل بها ما ذكرت . ومن قال : « عندى عشر أمثالها » لم يقل : « عندى عشر صالحات » ، لأن « الصالحات » فعل لا يعدّ ، وإنما تعدّ الأسماء . و« المثل » اسم ، ولذلك جاز العدد به .

* * *

وقد ذكر عن الحسن البصرى أنه كان يقرأ ذلك: ﴿ فَلَهُ عَشْرٌ ﴾ بالتنوين، ﴿ أَمْثَالُهَا ﴾ بالرفع . وذلك وجه صحيح فى العربية ، غير أن القرأة فى الأمصار على خلافها ، فلا نستجيز خلافها فيما هى عليه مُجْمِعة .[3]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٦١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « قل » ، يا محمد، لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنامَ = «إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم » ، يقول : قل لهم إننى أرشدنى ربى إلى الطريق القويم ، هو دين الله الذى

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « عدد الآيات » ، وبين أنه « عدد الحسنات » ، ولا ذكر للآيات فى هذا الموضع .

(٢) وكان هنا أيضاً فى المخطوطة والمطبوعة : « موضع الآيات » ، والصواب ما أثبت .

(٣) فى المطبوعة : « مجتمعة » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

ابتعثه به، وذلك الحنيفية المسلمة ، فوقفنى له[1]= « ديناً قيماً » ، يقول : مستقيماً = « ملة إبراهيم » ، يقول : دين إبراهيم[2] = « حنيفاً » ، يقول : مستقيماً = « وما كان من المشركين » ، يقول : وما كان من المشركين بالله ، يعنى إبراهيم صلوات الله عليه ، لأنه لم يكن ممن يعبد الأصنام .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « ديناً قيماً » .

فقرأ ذلك عامة قرأة المدينة وبعض البصريين : ﴿ دِيناً قَيِّماً ﴾ بفتح « القاف » وتشديد « الياء » ، إلحاقاً منهم ذلك بقول الله : ﴿ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ [سورة التوبة : ٣٦/ سورة يوسف : ٤٠ / سورة الروم : ٣٠] . وبقوله ، ﴿ ذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [سورة البينة : ٥] .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفيين : ﴿ دِيناً قِيَماً ﴾ بكسر « القاف » وفتح « الياء » وتخفيفها . وقالوا « القِيَم » و « القِيَم » بمعنى واحد ، وهما لغتان معناهما : الدين المستقيم .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان مشهورتان فى قرأة الأمصار ، متفقتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فهو للصواب مصيبٌ ، غير أن فتح « القاف » وتشديد « الياء » أعجب إلىّ ، لأنه أفصح اللغتين وأشهرهما .

* * *

ونصب قوله : « ديناً » على المصدر من معنى قوله : « إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم » ، ذلك أن المعنى : هدانى ربى إلى دين قويم ، فاهتديت له « ديناً قيماً » = فالدين منصوب من المحذوف الذى هو « اهتديت » ، الذى ناب عنه قوله : « إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم » .

* * *

(١) انظر تفسير « الهدى » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) . = وتفسير « صراط مستقيم » فيما سلف ص : ٢٨٨ ، تعليق ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الملة » فيما سلف ٢ : ٣/٥٦٣ : ٩/١٠٤ : ٢٥٠ .

وقال بعض نحويي البصرة : إنما نصب ذلك ، لأنه لما قال : « هداني ربي إلى صراط مستقيم » ، قد أخبر أنه عرف شيئاً ، فقال : « ديناً قيماً » ، كأنه قال : عرفت ديناً قيما ملّة إبراهيم .

* * *

وأما معنى : « الحنيف » ، فقد بينته في مكانه في « سورة البقرة » بشواهده ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .(١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١٦٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « قل » ، يا محمد ، لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام ، الذين يسألونك أن تتبع أهواءهم على الباطل من عبادة الآلهة والأوثان = « إن صلاتي ونسكي » ، يقول : وذبحي(٢) = « ومحياي » ، يقول : وحياتي = « ومماتي » يقول : ووفاتي = « لله رب العالمين » ، يعني : أن ذلك كله له خالصاً دون ما أشركتم به، أيها المشركون، من الأوثان = « لا شريك له » في شيء من ذلك من خلقه ، ولا لشيء منهم فيه نصيب ، لأنه لا ينبغي أن يكون ذلك إلا له خالصاً = « وبذلك أمرت » ، يقول : وبذلك أمرني ربي = « وأنا أول المسلمين » ، يقول : وأنا أول من أقرّ وأذعن وخضع من هذه الأمة لربه بأن ذلك كذلك .(٣) ٨٣/٨

* * *

(١) انظر تفسير « الحنيف » فيما سلف ٣ : ١٠٤ – ٦/١٠٨ : ٩/٤٩٤ : ٢٥٠ ، ١١/٢٥١ : ٤٨٧

(٢) انظر تفسير « النسك » فيما سلف ٣ : ٧٧ – ٤/٨٠ : ٨٦ ، ١٩٥ .

(٣) انظر تفسير « الإسلام » فيما سلف من فهارس اللغة (سلم) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال : « النسك » ، فى هذا الموضع ، الذبح .

١٤٢٩٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن عنبسة، عن محمد ابن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بزة ، عن مجاهد : « إن صلاتى ونسكى » ، قال : « النسك » ، الذبائح فى الحج والعمرة .

١٤٢٩٧ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « ونسكى »، ذبحى فى الحج والعمـــرة .[1]

١٤٢٩٨ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ونسكى » ، ذبيحتى فى الحج والعمرة .

١٤٢٩٩ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثناعبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان عن إسمعيل = وليس بابن أبى خالد = عن سعيد بن جبير فى قوله : « صلاتى ونسكى » ، قال : ذبحى .

١٤٣٠٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا الثورى ، عن إسمعيل ، عن سعيد بن جبير فى قوله : « صلاتى ونسكى » ، قال : ذبحى .[2]

١٤٣٠١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ، عن سفيان ، عن إسمعيل ، عن سعيد بن جبير = قال ابن مهدى : لا أدرى من « إسمعيل » هذا ! = « صلاتى ونسكى »، قال : صلاتى وذبيحتى .

١٤٣٠٢ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرزاق قال ، حدثنا الثورى ، عن إسمعيل بن أبى خالد ، عن سعيد بن جبير فى قوله :

---

(١) فى المطبوعة : « ذبيحتى » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « ذبيحتى » ، غير ما فى المخطوطة .

« صلاتى ونسكى » ، قال : وذبيحتى .(١)

١٤٣٠٣ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، « ونسكى » ، قال : ذبحى .

١٤٣٠٤ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « ونسكى » ، قال : ذبيحتى .

١٤٣٠٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك : « صلاتى ونسكى» قال : « الصلاة »، الصلاة ، و« النسك » ، الذبح .

* * *

وأما قوله : « وأنا أوّل المسلمين » ، فإن : –

١٤٣٠٦ – محمد بن عبد الأعلى حدثنا قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة: « وأنا أول المسلمين » ، قال : أول المسلمين من هذه الأمة .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « قل » ، يا محمد ، لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان ، الداعيك إلى عبادة الأصنام واتباع خطوات الشيطان = « أغير الله أبغى ربًّا » ، يقول : أسوى الله أطلب سيداً يسودنى؟ (٢) = « وهو

(١) الآثار : ١٤٢٩٩ – ١٤٣٠٢ – « إسماعيل » ، الذى روى عنه « سفيان الثورى » ، وروى هو « سعيد بن جبير » ، والذى جاء فى الخبر الأول أنه « ليس بابن أبى خالد » ، وفى رقم : ١٤٣٠٢ « إسماعيل بن أبى خالد » مصرحاً به ، والذى جهله « ابن مهدى » فى رقم : ١٤٣٠١ ، لم أجد من أشار إليه ، إلا أنى وجدت فى أسماء الرواة عن « سعيد بن جبير » :

« إسماعيل بن مسلم » ، مولى بنى مخزوم ، سمع منه وكيع ، وابن المبارك وعمرو العنقزى ، مترجم فى الكبير ٣٧٢/١/١، وابن أبى حاتم ١٩٧/١/١ ، فلا أدرى أهو هو ، أم هو غيره !

(٢) انظر تفسير « بغى » فيما سلف ١١ : ٣٣٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

رب كل شيء » ، يقول : وهو سيد كل شيء دونه ومدبّره ومصلحه[1] = «ولا تكسب كل نفس إلاّ عليها » ، يقول : ولا تجترح نفس إثماً إلا عليها ، أى : لا يؤخذ بما أتت من معصية الله تبارك وتعالى ، وركبت من الخطيئة ، سواها ، بل كل ذي إثم فهو المعاقب بإثمه والمأخوذ بذنبه[2] = « ولا تزر وازرة وزر أخرى » ، يقول : ولا تأثم نفس آثمة بإثم نفس أخرى غيرها، ولكنها تأثم بإثمها، وعليه تعاقب ، دون إثم أخرى غيرها .

وإنما يعنى بذلك المشركين الذين أمرَ الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول هذا القول لهم . يقول : قل لهم : إنا لسنا مأخوذين بآثامكم ، وعليكم عقوبة إجرامكم ، ولنا جزاء أعمالنا . وهذا كما أمره الله جل ثناؤه فى موضع آخر أن يقول لهم :﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [سورة الكافرون : ٦] ، وذلك كما : —

١٤٣٠٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : كان فى ذلك الزمان ، لا مخرج للعلماء العابدين إلا إحدى خلّتين : إحداهما أفضل من صاحبتها . إمّا أمرٌ ودعاء إلى الحق ، أو الاعتزال = فلا تشارك أهل الباطل فى عملهم ، وتؤدي الفرائض فيما بينك وبين ربك ، وتحبّ لله وتبغض لله ، ولا تشارك أحداً فى إثم . قال : وقد أنزل فى ذلك آية محكمة : « قل أغير الله أبغى ربًّا وهو رب كل شيء » ، إلى قوله : « فيه تختلفون »، وفى ذلك قال: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ [سورة البينة : ٤].

٨ / ٨٤

* * *

يقال: من«الوزر»«وزَرِيَزِر» و«وزَرَ يَوْزَر»،و« وُزِرَيُوزر، فهو موزور».[3]

* * *

(١) انظر تفسير « الرب » فيما سلف ١ : ١٤٢ .

(٢) انظر تفسير « كسب » فيما سلف ص : ٢٦٦ ، تعليق ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المطبوعة : « وزر يوزر فهو وزير ، ووزر يوزر فهو موزور » ، غير ما فى

القول فى تأويل قوله ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (١٦٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان : كل عامل منا ومنكم فله ثواب عمله ، وعليه وزره ، فاعملوا ما أنتم عاملوه — « ثم إلى ربكم »، أيها الناس=« مرجعكم »، يقول: ثم إليه مصيركم ومنقلبكم[1] = « فينبئكم بما كنتم فيه »، فى الدنيا، « تختلفون » من الأديان والملل ، [2] إذ كان بعضكم يدين باليهودية ، وبعضٌ بالنصرانية ، وبعض بالمجوسية ، وبعض بعبادة الأصنام وادّعاء الشركاء مع الله والأنداد ، ثم يجازى جميعَكم بما كان يعمل فى الدنيا من خير أو شر ، فتعلموا حينئذ من المحسنُ منَّا والمسيء .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأمته : والله الذى جعلكم ، أيها الناس ، « خلائفَ الأرض » ، بأن أهلك من كان قبلكم من القرون والأمم الخالية ، واستخلفكم ، فجعلكم خلائف منهم فى الأرض ،

المخطوطة ، وحذف وزاد من عند نفسه ، وعذره فى ذلك سوء كتابة ناسخ المخطوطة ، وصواب قراءة ما فيها ما أثبت . وهو المطابق لنص كتب اللغة .

(١) انظر تفسير « المرجع » فيما سلف ص : ٣٧ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « النبأ » فيما سلف ص : ٢٧٤ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

تخلفونهم فيها وتعمرُونها بعدَهم .

* * *

و« الخلائف » جمع « خليفة » ، كما « الوصائف » جمع « وصيفة » ، وهي من قول القائل : « خلَفَ فلان فلاناً في داره يخلُفه خِلافة ، فهو خليفة فيها »،[1] كما قال الشماخ :

تُصِيبُهُمُ وَتُخْطِئُنِي المَنَايَا وَأَخْلُفُ فِي رُبُوعٍ عَنْ رُبُوعِ[2]

* * *

وذلك كما : —

١٤٣٠٨ — حدثني الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى: « وهو الذى جعلكم خلائف الأرض » ، قال : أما « خلائف الأرض » ، فأهلك القرون واستخلفنا فيها بعدهم .

* * *

وأما قوله : « ورفع بعضكم فوق بعض درجات » ، فإنه يقول : وخالف بين أحوالكم ، فجعل بعضكم فوق بعض ، بأن رفع هذا على هذا ، بما بسط لهذا من الرزق ففضّله بما أعطاه من المال والغِنى ، على هذا الفقير فيما خوّله من أسباب الدنيا ، وهذا على هذا بما أعطاه من الأيْد والقوة على هذا الضعيف الواهن القُوى . فخالف

---

(١) انظر تفسير « الخليفة » فيما سلف ١ : ٤٤٩ — ٤٥٣ .

(٢) ديوانه ٥٨ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٠٩ ، واللسان (ربع) ، من قصيدته التى قالها لامرأته عائشة ، وكانت تلومه على طول تعهده ماله ، أولها :

أَعَائِشَ ، مَا لِقَوْمِكِ لاَ أَرَاهُمْ يُضِيعُونَ الهِجَانَ مَعَ المُضِيعِ

يقول لها : تلوميننى على إصلاح مالى ، فمالى أرى قومك يقترون على أنفسهم ، ولا يهلكون أموالهم فى الكرم والسخاء ؟ ثم يقول لها بعد أبيات :

لَمَالُ المَرْءِ يُصْلِحُهُ فَيُغْنِي مَفَاقِرَهُ ، أَعَفُّ مِنَ القُنُوعِ

و « القنوع » ، السؤال وقوله « وأخلف فى ربوع » ، « الربوع » جمع « ربع » ، وهو جماعة الناس الذين ينزلون « ربعا » يسكنونه ، يقول أبقى فى قوم بعد قوم وعندى أن هذا البيت قلق فى قصيدة الشماخ ، سقط قبله شىء من شعره .

بينهم بأن رفع من درجة هذا على درجة هذا ، وخفض من درجة هذا عن درجة هذا ، [١] وذلك كالذى :ـ

١٤٣٠٩ ـ حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ورفع بعضكم فوق بعض درجات » ، يقول : فى الرزق .

* * *

وأما قوله : « ليبلوكم فيما آتاكم » ، فإنه يعنى : ليختبركم فيما خوّلكم من فضله، ومنحكم من رزقه ، [٢] فيعلم المطيع له منكم فيما أمره به ونهاه عنه، والعاصى ؛ ومن المؤدّى مما آتاه الحق الذى أمره بأدائه منه، والمفرّط فى أدائه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٦٥)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « إن ربك »، يا محمد ، لسريع العقاب لمن أسخطه بارتكابه معاصيه ، وخلافه أمره فيما أمره به ونهاه ، ولمن ابتلى منه فيما منحه من فضله وطَوْله تولّياً وإدباراً عنه، مع إنعامه ٨ / ٨٥
عليه ، وتمكينه إياه فى الأرض ، كما فعل بالقرون السالفة = « وإنه لغفور » ، يقول : وإنه لساتر ذنوبَ من ابتلى منه إقبالاً إليه بالطاعة عند ابتلائه إياه بنعمته، واختباره إياه بأمره ونهيه ، فغطّ عليه فيها ، وتارك فضيحته بها فى موقف الحساب

---

(١) انظر تفسير « الدرجة » فيما سلف ص : ٢٥ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الابتلاء » فيما سلف ١٠ : ٥٨٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « الإيتاء » فيما سلف من فهارس اللغة (أتى) .

= « رحيم » بتركه عقوبته على سالف ذنوبه التى سلفت بينه وبينه ، إذ تاب وأناب إليه قبل لقائه ومصيره إليه .[١]

﴿ آخر تفسير سورةِ الأنعام ﴾

---

(١) انظر تفسير ألفاظ هذه الآية فيما سلف من فهارس اللغة .

* * *

عند هذا الموضع انتهى جزء من التقسيم القديم الذى نقلته عنه نسختنا ، وفيها ما نصه :

« آخر تفسير سورة الأنعام

والحمد لله كما هو أهله ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله

يتلوه تفسير السورة التى يذكر فيها الأعراف »

ثم يتلوه ما نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم

رَبِّ يَسِّرْ

تفسير السورة التى يذكر فيها الأعراف »

تفسير

سُورَةِ الأَعْرَافْ

﴿ تفسير السورة التي يذكر فيها الأعراف ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

القول في تأويل قوله جل ثناؤه وتقدّست أسماؤه ﴿ الٓمٓصٓ ﴾ (١)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل قول الله تعالى ذكره : « ألمص » .

فقال بعضهم : معناه : أنا الله أفصل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٣١٠ – حدثنا سفيان قال، حدثنا أبي ، عن شريك ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي الضحى ، عن ابن عباس : « ألمص » ، أنا الله أفصل .

١٤٣١١ – حدثني الحارث قال، حدثنا القاسم بن سلام قال ، حدثنا عمار ابن محمد ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير في قوله : « ألمص » ، أنا الله أفصل .

* * *

وقال آخرون : هو هجاء حروف اسم الله تبارك وتعالى الذي هو « المصوّر » .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٣١٢ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « ألمص » ، قال : هي هجاء « المصوّر » .

* * *

وقال آخرون : هي اسم من أسماء الله ، أقسم ربنا به .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٣١٣ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « ألمص » ، قسم أقسمه الله ، وهو من أسماء الله .

* * *

وقال آخرون : هو اسم من أسماء القرآن .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٣١٤ ــ حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « ألمص » ، قال : اسم من أسماء القرآن .

١٤٣١٥ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

* * *

وقال آخرون : هي حروف هجاء مقطّعة .

* * *

وقال آخرون : هي من حساب الجمَّل .

* * *

وقال آخرون : هي حروف تحوي معاني كثيرة ، دلّ الله بها خلقه على مراده من كل ذلك .

* * *

وقال آخرون : هي حروف اسم الله الأعظم .

* * *

وقد ذكرنا كل ذلك بالرواية فيه ، وتعليل كلّ فريق قال فيه قولاً ، وما الصواب من القول عندنا في ذلك ، بشواهده وأدلته فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .[1]

* * *

(١) انظر ما سلف ١ : ٢٠٥ – ٢٢٤ . وانظر أيضاً معاني القرآن للفراء ١ : ٣٦٨ – ٣٧٠ .

القول فى تأويل قول الله تعالى ذكره ﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره : هذا القرآن ، يا محمد ، كتاب أنزله الله إليك .

* * *

ورفع « الكتاب » بتأويل : هذا كتابٌ .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ ﴾

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فلا يضق صدرك ، يا محمد ، من الإنذار به من أرسلتك لإنذاره به ، وإبلاغه من أمرتك بإبلاغه إياه ، ولا تشك فى أنه من عندى ، واصبر للمضىّ لأمر الله واتباع طاعته فيما كلفك وحملك من عبء أثقال النبوة ، (١) كما صبر أولو العزم من الرسل ، فإن الله معك .

* * *

٨ / ٨٦ و« الحرج » ، هو الضيق ، فى كلام العرب ، وقد بينا معنى ذلك بشواهده وأدلته فى قوله : ﴿ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ ، [سورة الأنعام : ١٢٥] ، بما أغنى عن إعادته . (٢)

* * *

وقال أهل التأويل فى ذلك ما : —

١٤٣١٦ — حدثنى به محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس فى قوله : « فلا يكن فى صدرك حرج منه » ، قال : لا تكن فى شك منه .

---

(١) فى المطبوعة : « واصبر بالمضى لأمر الله » ، غير ما فى المخطوطة بلا طائل .

(٢) انظر ما سلف ص : ١٠٣ — ١٠٧

١٤٣١٧ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « فلا يكن في صدرك حرج منه » ، قال : شك .

١٤٣١٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٤٣١٩ – حدثنا ابن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور قال، حدثنا معمر ، عن قتادة : « فلا يكن في صدرك حرج منه » ، شك منه .

١٤٣٢٠ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، مثله .

١٤٣٢١ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فلا يكن في صدرك حرج منه » ، قال : أما « الحرج » ، فشك .

١٤٣٢٢ – حدثنا الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد المدنى قال: سمعت مجاهداً في قوله: « فلا يكن في صدرك حرج منه »، قال : شك من القرآن .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا الذى ذكرته من التأويل عن أهل التأويل ، هو معنى ما قلنا في « الحرج » ، لأن الشك فيه لا يكون إلا من ضيق الصدر به ، وقلة الاتساع لتوجيهه وجهته التى هى وجهته الصحيحة . وإنما اخترنا العبارة عنه بمعنى « الضيق » ، لأن ذلك هو الغالب عليه من معناه في كلام العرب ، كما قد بيّناه قبل .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك تعالى ذكره : هذا كتاب أنزلناه إليك ، يا محمد، لتنذر به من أمرتك بإنذاره، « وذكرى للمؤمنين » = وهو من المؤخر الذى معناه التقديم . ومعناه : « كتاب أنزل إليك لتنذر به » ، و « ذكرى للمؤمنين » ، « فلا يكن فى صدرك حرج منه » .

وإذا كان ذلك معناه، كان موضع قوله : « وذكرى » نصباً ، بمعنى : أنزلنا إليك هذا الكتاب لتنذر به ، وتذكر به المؤمنين .

* * *

ولو قيل معنى ذلك : هذا كتاب أنزل إليك فلا يكن فى صدرك حرج منه ، أن تنذر به ، وتذكّر به ؛ المؤمنين = كان قولاً غير مدفوعة صحته .

وإذا وُجِّه معنى الكلام إلى هذا الوجه ، كان فى قوله : « وذكرى » من الإعراب وجهان :

أحدهما : النصب بالردّ على موضع « لتنذر به » .

والآخر : الرفع ، عطفاً على « الكتاب »، كأنه قيل : « ألمص كتاب أنزل إليك » ، و « ذكرى للمؤمنين » .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٣)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد ، لهؤلاء المشركين من قومك الذين يعبدون الأوثان والأصنام : اتبعوا، أيها

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٧٠ .

الناس ، ما جاءكم من عند ربكم بالبينات والهدى ، واعملوا بما أمركم به ربكم ، ولا تتبعوا شيئاً من دونه = يعنى : شيئاً غير ما أنزل إليكم ربكم . يقول: لا تتبعوا أمر أوليائكم الذين يأمرونكم بالشرك بالله وعبادة الأوثان ، فإنهم يضلونكم ولا يهدونكم .

* * *

فإن قال قائل : وكيف قلت : « معنى الكلام : قل اتبعوا » ، وليس فى الكلام موجوداً ذكرُ « القول » ؟

قيل : إنه وإن لم يكن مذكوراً صريحاً ، فإن فى الكلام دلالة عليه ، وذلك قوله : « فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به » ، ففى قوله « لتنذر به » ، الأمر بالإنذار ، وفى الأمر بالإنذار ، الأمرُ بالقول ، لأن الإنذار قول . فكأن معنى الكلام : أنذر القومَ وقل لهم : اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم .

٨٧/٨ ولو قيل : معناه : لتنذر به وتذكر به المؤمنين فتقول لهم : اتبعوا ما أنزل إليكم = كان غير مدفوع .

* * *

وقد كان بعض أهل العربية يقول : قوله : « اتبعوا » ، خطاب للنبيّ صلى الله عليه وسلم ، ومعناه : كتاب أنزل إليك فلا يكن فى صدرك حرج منه ، اتبع ما أنزل إليك من ربك = ويرى أن ذلك نظير قول الله : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [سورة الطلاق : ١] ، إذ ابتدأ خطابَ النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم جعل الفعل للجميع ، إذ كان أمر الله نبيه بأمرٍ ، أمرًا منه لجميع أمته ، كما يقال للرجل يُفْرَد بالخطاب والمراد به هو وجماعة أتباعه أو عشيرته وقبيلته : « أما تتقون الله ، أما تستحيون من الله ! » ، ونحو ذلك من الكلام .(١)

وذلك وإن كان وجهاً غير مدفوع ، فالقولُ الذى اخترناه أولى بمعنى الكلام ،

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٧١ ، فهذه مقالته .

لدلالة الظاهر الذى وصفنا عليه .

* * *

وقوله : « قليلاً ما تذكرون » ، يقول : قليلاً ما تتعظون وتعتبرون فتراجعون الحق .[١]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾ (٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : حذّر هؤلاء العابدين غيرى، والعادلين بى الآلهة والأوثان، سَخَطى لأحِلّ بهم عقوبتى فأهلكهم،[٢] كما أهلكت من سلك سبيلهم من الأمم قبلهم ، فكثيراً ما أهلكت قبلهم من أهل قرى عصونى وكذّبوا رسلى وعبدوا غيرى[٣] = «فجاءها بأسنا بياتاً »، يقول : فجاءتهم عقوبتنا ونقمتنا ليلاً قبل أن يصبحوا[٤] = أو جاءتهم «قائلين» ، يعنى : نهاراً فى وقت القائلة .

* * *

وقيل : « وكم » لأن المراد بالكلام ما وصفت من الخبر عن كثرة ما قد أصاب الأمم السالفة من المَثُلات، بتكذيبهم رسلَه وخلافهم عليه . وكذلك تفعل العرب إذا أرادوا الخبر عن كثرة العدد ، كما قال الفرزدق :

---

(١) انظر تفسير « التذكر » فيما سلف ١١ : ٤٨٩ ، تعليق ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « لأحل بهم عقوبتى » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

(٣) انظر تفسير « كم » فيما سلف ٥ : ٣٥٢ .

= وتفسير « القرية » فيما سلف ٨ : ٥٤٣ .

= وتفسير « الإهلاك » فيما سلف : ١١ : ٣١٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

= وتفسير « البأس » فيما سلف ص : ٢٠٧ ، تعليق ٢ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « البيات » فيما سلف ٨ : ٥٦٢ ، ٥٦٣/٩ : ١٩١ ، ١٩٢ .

كَمْ عَمةٍ لَكَ يا جَرِيرُ وخالَةٍ فَدْعَاءَ قَدْ حَلَبَتْ عَلَيَّ عِشَارِى(١)

* * *

فإن قال قائل : فإن الله تعالى ذكره إنما أخبر أنه «أهلك قرًى»، فما فى خبره عن إهلاكه « القرى » من الدليل على إهلاكه أهلها ؟

قيل : إن « القرى » لاتسمى « قرى » ولا « القرية » « قرية »، إلا وفيها مساكن لأهلها وسكان منهم ، فنى إهلاكها إهلاك من فيها من أهلها .

* * *

وقد كان بعض أهل العربية يرى أن الكلام خرج مخرج الخبر عن « القرية »، والمراد به أهلها .

* * *

قال أبو جعفر : والذى قلنا فى ذلك أولى بالحق ، لموافقته ظاهر التنزيل المتلوّ .

* * *

فإن قال قائل : وكيف قيل : « وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون » ؟ وهل هلكت قرية إلا بمجىء بأس الله وحلول نقمته وسَخَطه بها ؟ فكيف قيل : «أهلكناها فجاءها » ؟ وإن كان مجىء بأس الله إياها بعد هلاكها، فما وجه مجىء ذلك قوماً قد هلكوا وبادوا ، ولا يشعرون بما ينزل بهم ولا بمساكنهم ؟

قيل : إن لذلك من التأويل وجهين ، كلاهما صحيح واضح منهجه :

أحدهما : أن يكون معناه : « وكم من قرية أهلكناها »، بخذلاننا إياها عن اتباع ما أنزلنا إليها من البينات والهدى، واختيارها اتباع أمر أوليائها المُغْوِيَتِها عن طاعة ربها(٢) = « فجاءها بأسنا » إذ فعلت ذلك = « بياتاً أو هم قائلون »، فيكون « إهلاك الله إياها » ، خذلانه لها عن طاعته ، ويكون « مجىء بأس الله إياهم » ، جزاء لمعصيتهم ربهم بخذلانه إياهم .

---

(١) ديوانه : ٤٥١، والنقائض : ٣٣٢، وقد سلف هذا البيت وشرحه فى تخريج بيت آخر من القصيدة ٩ : ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، تعليق : ١ .

(٢) فى المطبوعة : « المغويها » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

والآخر منهما : أن يكون « الإهلاك » هو « البأس » بعينه ، فيكون فى ذكر « الإهلاك » الدلالةُ على ذكر « مجيء البأس » ، وفى ذكر « مجيء البأس » الدلالة على ذكر « الإهلاك » .

وإذا كان ذلك كذلك ، كان سواء عند العرب ، بُدئ بالإهلاك ثم عطف عليه بالبأس ، أو بدئ بالبأس ثم عطف عليه بالإهلاك . وذلك كقولهم : ٨٨/٨
« زرتنى فأكرمتنى » ، إذ كانت « الزيارة » هى « الكرامة » ، فسواء عندهم قدم « الزيارة » وأخر « الكرامة » ، أو قدم « الكرامة » وأخر « الزيارة » فقال : « أكرمتنى فزرتنى » .(١)

* * *

وكان بعض أهل العربية يزعم أن فى الكلام محذوفاً ، لولا ذلك لم يكن الكلام صحيحاً = وأن معنى ذلك : وكم من قرية أهلكناها ، فكان مجيء بأسنا إياها قبل إهلاكنا .(٢) وهذا قول لا دلالة على صحته من ظاهر التنزيل ، ولا من خبر يجب التسليم له . وإذا خلا القولُ من دلالة على صحته من بعض الوجوه التى يجبُ التسليم لها ، كان بيّناً فساده .

* * *

وقال آخر منهم أيضاً : معنى « الفاء » فى هذا الموضع معنى « الواو » . وقال : تأويل الكلام : وكم من قرية أهلكناها ، وجاءها بأسنا بياتاً . وهذا قول لا معنى له ، إذ كان لـ « الفاء » عند العرب من الحكم ما ليس للواو فى الكلام ، فصرفها إلى الأغلب من معناها عندهم ، ما وجد إلى ذلك سبيل ، أولى من صرفها إلى غيره .

* * *

فإن قال : وكيف قيل : «فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون» ، وقد علمت أن الأغلب من شأن « أو » فى الكلام ، اجتلابُ الشك ، وغير جائز أن يكون فى خبر الله شك ؟

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٧١ .

(٢) هذه مقالة الفراء فى معانى القرآن ١ : ٣٧١ ، قال : « وإن شئت كان المعنى : وكم من قرية أهلكناها ، فكان مجيء البأس قبل الإهلاك ، فأضمرت كان » .

قيل : إن تأويل ذلك خلافُ ما إليه ذهبتَ . وإنما معنى الكلام : وكم من قرية أهلكناها فجاء بعضها بأسنا بياتاً ، وبعضها وهم قائلون . ولو جعل مكان « أو » فى هذا الموضع « الواو » ، لكان الكلام كالمحال ، ولصار الأغلب من معنى الكلام : أن القرية التى أهلكها الله جاءها بأسه بياتاً وفى وقت القائلة . وذلك خبرٌ عن البأس أنه أهلك من قد هلك ، وأفنى من قد فنى . وذلك من الكلام خَلْفٌ .(١) ولكن الصحيح من الكلام هو ما جاء به التنزيل ، إذ لم يفصل القرى التى جاءها البأس بياتاً ، من القرى التى جاءها ذلك قائلةً . ولو فُصلت ، لم يخبر عنها إلا بالواو .

وقيل : « فجاءها بأسنا » خبراً عن « القرية » أن البأس أتاها ، وأجرى الكلام على ما ابتدىء به فى أول الآية . ولو قيل : « فجاءهم بأسنا بياتاً » ، لكان صحيحاً فصيحاً ، ردًّا للكلام إلى معناه ، إذ كان البأس إنما قصد به سكان القرية دون بنيانها ، وإن كان قد نال بنيانها ومساكنها من البأس بالخراب ، نحوٌ من الذى نال سكانها . وقد رجع فى قوله : « أو هم قائلون » ، إلى خصوص الخبر عن سكانها دون مساكنها ، لما وصفنا من أن المقصود بالبأس كان السكان ، وإن كان فى هلاكهم هلاك مساكنهم وخرابها .(٢)

ولو قيل : « أو هى قائلة » ، كان صحيحاً ، إذ كان السامعون قد فهموا المراد من الكلام .

* * *

فإن قال قائل : أو ليس قوله : « أو هم قائلون » ، خبرًا عن الوقت الذى أتاهم فيه بأس الله من النهار ؟

قيل : بلى !

---

(١) « خلف » (بفتح فسكون) . يقال : « هذا خلف من القول » ، أى : ردىء ساقط ومنه المثل : « سكت ألفاً ، ونطق خلفاً » .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٧١ .

فإن قال : أو ليس المواقيت فى مثل هذا تكون فى كلام العرب بالواو الدالّ على الوقت ؟

قيل : إن ذلك ، وإن كان كذلك، فإنهم قد يحذفون من مثل هذا الموضع ، استثقالاً للجمع بين حرفى عطف ، إذ كان « أو »عندهم من حروف العطف ، [١] وكذلك « الواو » ، فيقولون : « لقيتنى مملقاً أو أنا مسافر» ، بمعنى : أو وأنا مسافر ، فيحذفون « الواو » وهم مريدوها فى الكلام، لما وصفت . [٢]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ ٥

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: فلم يكن دعوى أهل القرية التى أهلكناها، إذ جاءهم بأسنا وسطوتُنا بياتاً أو هم قائلون ، إلا اعترافهم على أنفسهم بأنهم كانوا إلى أنفسهم مسيئين ، وبربهم آثمين ، ولأمره ونهيه مخالفين . [٣]

* * *

وعنى بقوله جل ثناؤه : « دعواهم »، فى هذا الموضع دعاءَهم .

* * *

و لـ«الدعوى» ، فى كلام العرب ، وجهان : أحدهما : الدعاء، والآخر : الادعاء للحق.

ومن «الدعوى» التى معناها الدعاء، قول الله تبارك وتعالى: ﴿ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ ﴾ ٨ / ٨٩ [سورة الانبياء : ١٥] ، ومنه قول الشاعر : [٤]

---

(١) فى المخطوطة : « إذ كا وعندهم من حروف العطف » بياض ، وفوق البياض (كذا) ، وفى الهامش حرف (ط) . والذى فى المطبوعة شبيه بالصواب .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٧٢ .

(٣) انظر بيان قول « بربهم آثمين » فيما سلف ص : ١٧١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٤) كثير عزة .

وَإِنْ مَذِلَتْ رِجْلِي دَعَوْتُكِ أَشْتَفِي بِدَعْوَاكِ مِنْ مَذْلٍ بِهَا فَيَهُونُ (١)

* * *

وقد بينا فيما مضى قبل أن « البأس » و « البأساء » الشدة ، بشواهد ذلك الدالة على صحته ، بما أغنى عن إعادته فى الموضع .(٢)

* *

وفى هذه الآية الدلالةُ الواضحة على صحة ما جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله : « ما هلك قوم حتى يُعْذِروا من أنفسهم » .

* * *

وقد تأوّل ذلك كذلك بعضهم .

١٤٣٢٣ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن أبى سنان ، عن عبد الملك بن ميسرة الزرّاد قال : قال عبد الله بن مسعود : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما هلك قوم حتى يُعْذِروا من أنفسهم — قال قلت لعبد الملك : كيف يكون ذلك ؟ قال : فقرأ هذه الآية : « فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا » ، الآية .(٣)

* * *

فإن قال قائل : وكيف قيل : « فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلاّ أن قالوا إنا كنا ظالمين » ؟ وكيف أمكنتهم الدعوى بذلك ، وقد جاءهم بأس الله بالهلاك ؟ أقالوا ذلك قبل الهلاك ؟ فإن كانوا قالوه قبل الهلاك ، فإنهم قالوا قبل

---

(١) ديوانه ٢ : ٢٤٥ ، فى باب الزيادات ، نهاية الأرب ٢ : ١٢٥ ، واللسان (مذل) . « مذلت رجله مذلا (بفتح وسكون) ومذلا (بفتحتين) : خدرت ، وكانوا يزعمون أن المرء إذا خدرت رجله ثم دعا باسم من أحب ، زال خدرها .

(٢) انظر تفسير « البأس » فيما سلف ص : ٢٩٩ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٣) الأثر : ١٤٣٢٣ — « عبد الملك بن ميسرة الهلالى الزراد » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ١١٣٢٦ ، مات فى العشر الثانى من المئة الثانية . لم يدرك ابن مسعود ولا غيره من الصحابة . فإسناده منقطع .

وهذا الخبر ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٤٤٨ ، عن الطبرى ولم يخرجه . وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٦٧ ، ولم ينسبه إلى غير ابن أبى حاتم .

« أعذر من نفسه » ، إذا أمكن معاقبه بذنبه منها . يعنى : أنهم لا يهلكون حتى تكثر ذنوبهم وعيوبهم ، فيعذروا من أنفسهم ، ويستوجبوا العقوبة ، ويكون لمن يعذبهم عذر فى إلحاق العذاب بهم .

مجيء البأس ، والله يخبر عنهم أنهم قالوه حين جاءهم ، لا قبل ذلك ؟ أو قالوه بعد ما جاءهم ، فتلك حالة قد هلكوا فيها ، فكيف يجوز وصفهم بقيل ذلك إذا عاينوا بأس الله ، وحقيقة ما كانت الرسل تَعِدهم من سطوة الله ؟ (١).

قيل : ليس كل الأمم كان هلاكها فى لحظة ليس بين أوّله وآخره مَهَلٌ ، بل كان منهم من غرق بالطوفان . فكان بين أوّل ظهور السبب الذى علموا أنهم به هالكون ، وبين آخره الذى عمَّ جميعهم هلاكُه، المدة التى لا خفاء بها على ذى عقل . ومنهم من مُتِّع بالحياة بعد ظهور علامة الهلاك لأعينهم أياماً ثلاثة ، كقوم صالح وأشباههم . فحينئذ لما عاينوا أوائل بأس الله الذى كانت رسل الله تتوعدهم به ، وأيقنوا حقيقة نزول سطوة الله بهم ، دعوا : « يا ويلنا إنا كنا ظالمين » ، فلم يك ينفعهم إيمانهم مع مجيء وعيد الله وحلول نقمته بساحتهم . فحذّر ربنا جل ثناؤه الذين أرسل إليهم نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم من سطوته وعقابه على كفرهم به وتكذيبهم رسوله ، ما حلَّ بمن كان قبلهم من الأمم إذ عصوا رُسله ، واتبعوا أمر كل جبار عنيد .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : لنسألن الأمم الذين أرسلت إليهم رسلى : ماذا عملت فيما جاءتهم به الرسل من عندى من أمرى ونهيى ؟ هل عملوا بما أمرتهم به ، وانتهوا عما نهيتهم عنه ، وأطاعوا أمرى ، أم عصونى فخالفوا ذلك ؟=« ولنسألن

(١) فى المخطوطة وصل الكلام هكذا « وحقيقة ما كانت الرسل تعدهم من سطوة الله وليس كل الأمم » ، بالواو ، وليس فيها « قيل » ، وقد أحسن الناشر الأول فيما فعل ، وإن كنت أظن أن فى الكلام سقطاً .

المرسلين » ، يقول : ولنسألن الرسل الذين أرسلتهم إلى الأمم : هل بلغتهم رسالاتى ، وأدّت إليهم ما أمرتهم بأدائه إليهم ، أم قصّروا فى ذلك ففرّطوا ولم يبلغوهم ؟

* * *

وكذلك كان أهل التأويل يتأولونه .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٣٢٤ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « فلنسألن الذى أرسل إليهم ولنسألن المرسلين » ، قال : يسأل الله الناس عما أجابوا المرسلين ، ويسأل المرسلين عما بلغوا .

١٤٣٢٥ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « فلنسألن الذين أرسل إليهم » إلى قوله : « غائبين » ، قال : يوضع الكتاب يوم القيامة ، فيتكلم بما كانوا يعملون .

١٤٣٢٦ – حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فلنسألنّ الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين » ، ٨/٩٠
يقول : فلنسألن الأمم : ما عملوا فيما جاءت به الرسل ؟ ولنسألن الرسل : هل بلغوا ما أرسلوا به ؟

١٤٣٢٧ – حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد المدنى قال ، قال مجاهد : « فلنسألن الذين أرسل إليهم » ، الأمم = ولنسألن الذين أرسلنا إليهم عما ائتمنا هم عليه : هل بلغوا ؟[1]

* * *

(١) الأثر : ١٤٣٢٧ – « أبو سعد المدنى » ، مضى فى الأثر رقم : ١٤٣٢٢ ، ولم أعرف من هو ، ولم أجد له ترجمة .

القول فى تأويل قوله ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ (٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فلنخبرن الرسل ومن أرسلتهم إليه بيقين علمٍ بما عملوا فى الدنيا فيما كنت أمرتهم به ، وما كنت نهيتهم عنه[1] = « وما كنا غائبين »، عنهم وعن أفعالهم التى كانوا يفعلونها .

* * *

فإن قال قائل : وكيف يسأل الرسلَ ، والمرسل إليهم، وهو يخبر أنه يقصّ عليهم بعلم بأعمالهم وأفعالهم فى ذلك ؟

قيل : إن ذلك منه تعالى ذكره ليس بمسألة استرشاد ، ولا مسألة تعرّف منهم ما هو به غير عالم ، وإنما هو مسألة توبيخ وتقرير معناها الخبر ، كما يقول الرجل للرجل: «ألم أحسن إليك فأسأت؟ »، و « ألم أصلك فقطعت ؟» . فكذلك مسألة الله المرسلَ إليهم ، بأن يقول لهم : « ألم يأتكم رسلى بالبينات؟ ألم أبعث إليكم النذر فتنذركم عذابى وعقابى فى هذا اليوم من كفر بى وعبد غيري » ؟ كما أخبر جل ثناؤه أنه قائل لهم يومئذ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَلاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾، [سورة يس : ٦٠ ، ٦١] ، ونحو ذلك من القول الذى ظاهره ظاهر مسألة ، ومعناه الخبر والقصص ، وهو بعدُ توبيخ وتقرير .

وأما مسألة الرسل الذي هو قصص وخبر ، فإن الأمم المشركة لما سئلت فى القيامة قيل لها : « ألم يأتكم رُسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم » ؟ أنكر ذلك كثير منهم وقالوا : « ما جاءنا من بشير ولا نذير» . فقيل للرسل : « هل بلغتم ما أرسلتم به » ؟ أو قيل لهم: « ألم تبلغوا إلى هؤلاء ما أرسلتم به ؟ » ، كما جاء الخبر

---

(١) انظر تفسير « القصص » فيما سلف ٩ : ٤٠٢/١٢ : ١٢٠ .

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكما قال جل ثناؤه لأمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾، [سورة البقرة : ١٤٣] . فكل ذلك من الله مسألة للرسل على وجه الاستشهاد لهم على من أرسلوا إليه من الأمم ، وللمرسَل إليهم على وجه التقرير والتوبيخ ، وكل ذلك بمعنى القصص والخبر .

فأما الذى هو عن الله منفىٌّ من مسألته خلقه، فالمسألة التى هى مسألة استرشاد واستثبات فيما لا يعلمه السائل عنها ويعلمه المسئول، ليعلم السائل علم ذلك من قِبَله، فذلك غير جائز أن يوصف الله به ، لأنه العالم بالأشياء قبل كونها وفى حال كونها وبعد كونها ، وهى المسألة التى نفاها جل ثناؤه عن نفسه بقوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَ يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلاَ جَانٌّ﴾ ، [سورة الرحمن : ٣٩]، وبقوله: ﴿وَلاَ يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾، [سورة القصص : ٧٨] ، يعنى : لا يسأل عن ذلك أحداً منهم مسألة مستثبت ،(١) ليعلم علم ذلك من قبل من سأل منه ، لأنه العالم بذلك كله وبكل شىء غيره .

* * *

وقد ذكرنا ما روى فى معنى ذلك من الخبر فى غير هذا الموضع ، فكرهنا إعادته .(٢)

* * *

وقد روى عن ابن عباس أنه كان يقول فى معنى قوله : « فلنقصن عليهم بعلم » ، أنه ينطق لهم كتاب عملهم عليهم بأعمالهم .

وهذا قولٌ غيرُ بعيد من الحق ، غير أن الصحيح من الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه يوم القيامة ليس بينه وبينه تَرْجُمان ، فيقول له : « أتذكر يوم فعلت كذا وفعلت كذا » ؟ حتى

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « لا يسأل عن ذلك أحداً منهم علم مستثبت » وهو غير مستقيم ، والصواب ما أثبت .

(٢) انظر ما سلف ٣ : ١٤٥ — ١٥٤ .

يذكره ما فعل فى الدنيا[1] = والتسليم لخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى من التسليم لغيره . ٩١/٨

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (٨)

قال أبو جعفر : « الوزن » مصدر من قول القائل : « وزنت كذا وكذا أزِنه وَزْناً ، وزِنَةً » ، مثل : « وَعدته أعده وعداً وعدة » .

وهو مرفوع بـ « الحق » ، و « الحق » به .[2]

* * *

ومعنى الكلام : والوزن يوم نسأل الذين أرسل إليهم والمرسلين ، الحق = ويعنى بـ « الحق » ، العدلَ .

* * *

وكان مجاهد يقول : « الوزن » ، فى هذا الموضع ، القضاء .

١٤٣٢٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « والوزن يومئذ » ، القضاء .

* * *

---

(١) هذا الخبر الذى صححه الطبرى ، لم أجده بتمامه ، ووجدت صدره من رواية ابن خزيمة ، عن أبى خالد عبد العزيز بن أبان القرشى ، قال : حدثنا بشير بن المهاجر ، عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة ، ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان » (حادى الأرواح ٢ : ١٠٨ ، ١٠٩) ، وخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد : ٣٤٦ ، بلفظ : « ليس منكم من أحد إلا سيكلمه الله عز وجل . . . » ، ثم قال : « رواه البزار ، وفيه عبد العزيز بن أبان ، وهو متروك » . وسيأتى فى التعليق على رقم : ١٤٣٣٣ .

وأما الأخبار بمعنى هذا الخبر ، فقد جاءت بالأسانيد الصحاح . ورواه الترمذى بهذا اللفظ فى أبواب صفة القيامة ، من حديث عدى بن حاتم ، وقال : « هذا حديث حسن صحيح » .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٧٣ .

وكان يقول أيضاً : معنى « الحق » ، ههنا، العدل .

* ذكر الرواية بذلك :

١٤٣٢٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن مجاهد : « والوزن يومئذ الحق » ، قال : العدل .

* * *

وقال آخرون : معنى قوله : « والوزن يومئذ الحق » ، وزن الأعمال .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٣٣٠ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « والوزن يومئذ الحق » ، توزن الأعمال .

١٤٣٣١ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « والوزن يومئذ الحق » ، قال : قال عبيد بن عمير : يؤتى بالرجل العظيم الطويل الأكول الشَّروب، فلا يزن جناح بَعُوضة .

١٤٣٣٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « والوزن يومئذ الحق » ، قال قال عبيد بن عمير : يؤتى بالرجل الطويل العظيم فلا يزن جناح بعوضة .

١٤٣٣٣ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا يوسف ابن صهيب ، عن موسى ، عن بلال بن يحيى ، عن حذيفة قال: صاحب الموازين يوم القيامة جبريل عليه السلام ، قال: يا جبريل ، زِن بينهم! فردَّ من بعضٍ على بعض . قال : وليس ثم ذهبٌ ولا فضة . قال : فإن كان للظالم حسناتٍ ، أخذ من حسناته فتردّ على المظلوم ،[1] وإن لم يكن له حسنات حُمِل عليه من

(١) في المطبوعة أسقط من الكلام ما لا يستقيم إلا به ، فرددتها إلى أصلها من المخطوطة . كان في المطبوعة : « يا جبريل زن بينهم ، فرد على المظلوم . . . »

يذكره ما فعل فى الدنيا[١] = والتسليم لخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى من التسليم لغيره . ٩١/٨

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (٨)

قال أبو جعفر : « الوزن » مصدر من قول القائل : « وزنت كذا وكذا أزنه وَزْناً ، وزِنَةً » ، مثل : « وَعدته أعده وعداً وعدة » .

وهو مرفوع بـ « الحق » ، و « الحق » به .[٢]

* * *

ومعنى الكلام : والوزن يوم نسأل الذين أرسل إليهم والمرسلين ، الحق = ويعنى بـ « الحق » ، العدلَ .

* * *

وكان مجاهد يقول : « الوزن » ، فى هذا الموضع ، القضاء .

١٤٣٢٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « والوزن يومئذ » ، القضاء .

* * *

---

(١) هذا الخبر الذى صححه الطبرى ، لم أجده بتمامه ، ووجدت صدره من رواية ابن خزيمة ، عن أبى خالد عبد العزيز بن أبان القرشى ، قال : حدثنا بشير بن المهاجر ، عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة ، ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان » (حادى الأرواح ٢ : ١٠٨ ، ١٠٩) ، وخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد : ٣٤٦ ، بلفظ : « ليس منكم من أحد إلا سيكلمه الله عز وجل . . . » ، ثم قال : « رواه البزار ، وفيه عبد العزيز بن أبان ، وهو متروك » . وسيأتى فى التعليق على رقم : ١٤٣٣٣ .

وأما الأخبار بمعنى هذا الخبر ، فقد جاءت بالأسانيد الصحاح . ورواه الترمذى بهذا اللفظ فى أبواب صفة القيامة ، من حديث عدى بن حاتم ، وقال : « هذا حديث حسن صحيح » .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٧٣ .

وكان يقول أيضاً : معنى « الحق » ، ههنا، العدل .

* ذكر الرواية بذلك :

١٤٣٢٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن مجاهد : « والوزن يومئذ الحق » ، قال : العدل .

* * *

وقال آخرون : معنى قوله : « والوزن يومئذ الحق » ، وزن الأعمال .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٣٣٠ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « والوزن يومئذ الحق » ، توزن الأعمال .

١٤٣٣١ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « والوزن يومئذ الحق » ، قال : قال عبيد بن عمير : يؤتى بالرجل العظيم الطويل الأكول الشَّروب، فلا يزن جناح بَعُوضة .

١٤٣٣٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « والوزن يومئذ الحق » ، قال قال عبيد بن عمير : يؤتى بالرجل الطويل العظيم فلا يزن جناح بعوضة .

١٤٣٣٣ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا يوسف ابن صهيب، عن موسى ، عن بلال بن يحيى ، عن حذيفة قال: صاحب الموازين يوم القيامة جبريل عليه السلام ، قال: يا جبريل ، زِن بينهم! فردَّ من بعضٍ على بعض . قال : وليس ثم ذهبٌ ولا فضة . قال : فإن كان للظالم حسناتٍ ، أخذ من حسناته فتردّ على المظلوم ،[1] وإن لم يكن له حسنات حُمِل عليه من

(١) في المطبوعة أسقط من الكلام ما لا يستقيم إلا به ، فرددتها إلى أصلها من المخطوطة . كان في المطبوعة : « يا جبريل زن بينهم ، فرد على المظلوم . . . »

سيئات صاحبه ، فيرجع الرجل وعليه مثل الجبال ، فذلك قوله : « والوزن يومئذ الحق » .(١)

* * *

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله : « فمن ثقلت موازينه » .

فقال بعضهم : معناه : فمن كثرت حسناته .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٣٣٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن مجاهد : « فمن ثقلت موازينه » ، قال : حسناته .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : فمن ثقلت موازينه التي توزن بها حسناته وسيئاته . قالوا : وذلك هو « الميزان » الذي يعرفه الناس ، له لسان وكِفَّتان .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٣٣٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج : قال لي عمرو بن دينار قوله : « والوزن يومئذ الحق » ، قال : إنا نرى ميزاناً وكفتين ، سمعت عبيد بن عمير يقول: يُجْعَل الرجل العظيم الطويل في الميزان ، ثم لا يقوم بجناح ذباب .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي ، القولُ الذي ذكرناه عن عمرو بن دينار ، من أن ذلك هو « الميزان » المعروف الذي يوزن به ،

---

(١) الأثر : ١٤٣٣٣ – « الحارث » ، هو « الحارث بن أبي أسامة » ، ثقة مضى مراراً .
و « عبد العزيز » ، هو « عبد العزيز بن أبان الأموي » ، كذاب خبيث يضع الأحاديث ، مضى ذكره مراراً ، رقم : ١٠٢٩٥ ، ١٠٣١٥ ، ١٠٣٥٨ ، ١٠٣٦٠ ، ١٠٥٥٣ .
« يوسف بن صهيب الكندي » ، ثقة . مترجم في التهذيب ، والكبير ٤/٢/٣٨٠ ، وابن أبي حاتم ٤/٢/٢٢٤ .
و « موسى » كثير ، ولم أستطع أن أعينه .
و « بلال بن يحيى العبسي » ، يروي عن حذيفة . ثقة ، مترجم في التهذيب ، والكبير ١/٢/١٠٨ ، وابن أبي حاتم ١/١/٣٩٦ .

وأن الله جل ثناؤه يزن أعمال خلقه الحسنات منها والسيئات، كما قال جل ثناؤه: « فمن ثقلت موازينه » ، موازين عمله الصالح = « فأولئك هم المفلحون» ، يقول : فأولئك هم الذين ظفروا بالنجاح، وأدركوا الفوز بالطلبات، والخلود والبقاء فى الجنات ،[1] لتظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « ما وُضِع فى الميزان شيء أثقل من حسن الخُلق »،[2] ونحو ذلك من الأخبار التى تحقق أن ذلك ميزانٌ يوزن به الأعمال ، على ما وصفت . ٩٢/٨

* * *

فإن أنكر ذلك جاهل بتوجيه معنى خبر الله عن الميزان وخبر رسوله صلى الله عليه وسلم عنه، وجِهتَه، وقال: أوَ بالله حاجة إلى وزن الأشياء ، وهو العالم بمقدار كل شيء قبل خلقه إياه وبعده ، وفى كل حال ؟ = أو قال : وكيف توزن الأعمال ، والأعمال ليست بأجسام توصف بالثقل والخفة ، وإنما توزن الأشياء ليعرف ثقلها من خفتها ، وكثرتها من قلتها ، وذلك لا يجوز إلا على الأشياء التى توصف بالثقل والخفة ، والكثرة والقلة ؟

قيل له فى قوله: « وما وجه وزن الله الأعمالَ، وهو العالم بمقاديرها قبل كونها »: وزن ذلك، نظيرُ إثباته إياه فى أمِّ الكتاب واستنساخه ذلك فى الكتب ، من غير حاجة به إليه ، ومن غير خوف من نسيانه ، وهو العالم بكل ذلك فى كل حال ووقت قبل كونه وبعد وجوده ، بل ليكون ذلك حجة على خلقه ، كما قال جل ثناؤه فى تنزيله: ﴿ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ ﴾ [سورة الجاثية : ٢٨، ٢٩] الآية . فكذلك

---

(١) انظر تفسير « الفلاح » فيما سلف ص : ١٣٠ تعليق : ٢ والمراجع هناك .

(٢) روى الترمذى فى سننه فى كتاب « البر والصلة » باب « ما جاء فى حسن الخلق » ، عن أبى الدرداء ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : «ما من شيء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن ، فإن الله تعالى يبغض الفاحش البذىء » ، ثم قال : « وفى الباب عن عائشة ، وأبى هريرة ، وأنس ، وأسامة بن شريك . هذا حديث حسن صحيح » . وقال السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٧١ « وأخرجه أبو داود والترمذى وصححه وابن حبان واللالكائى ، عن أبى الدرداء » .

و زنه تعالى أعمال خلقه بالميزان، حجة عليهم ولهم، إما بالتقصير فى طاعته والتضييع، وإما بالتكميل والتتميم .(١)

* * *

وأمّا وجه جواز ذلك ، فإنه كما : ــ

١٤٣٣٦ ــ حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى قال، حدثنا جعفر ابن عون قال ، حدثنا عبد الرحمن بن زياد الإفريقى ، عن عبد الله بن يزيد ، عن عبد الله بن عمرو ، قال: يُؤْتى بالرجل يوم القيامة إلى الميزان، فيوضع فى الكِفّة، فيخرج له تسعة وتسعون سِجِلاً فيها خطاياه وذنوبه . قال : ثم يخرج له كتاب مثل الأنْمُلة ، فيها شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم . قال : فتوضع فى الكِفّة ، فترجح بخطاياه وذنوبه .(٢)

---

(١) هذه إحدى حجج أبى جعفر ، التى تدل على لطف نظره ، ودقة حكمه ، وصفاء بيانه ، وقدرته على ضبط المعانى ضبطاً لا يختل . فجزاه الله عن كتابه ودينه أحسن الجزاء ، يوم توفى كل نفس ما كسبت .

(٢) الأثر : ١٤٣٣٦ ــ « موسى بن عبد الرحمن المسروقى » شيخ أبى جعفر ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ٨٩٠٦ .

و « جعفر بن عون بن عمرو بن حريث المخزومى »، ثقة، مضى برقم : ٩٥٠٦، ١٤٢٤٤ .

و « عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقى المعافرى »، هو « ابن أنعم »، ثقة . مضى برقم : ٢١٩٥ ، ١٠١٨٠ ، ١١٣٣٧ .

و « عبد الله بن يزيد المعافرى » أبو عبد الرحمن الحبلى المصرى ، ثقة ، مضى برقم : ٦٦٥٧ ، ٩٤٨٣ ، ١١٩١٧ .

وكان فى المطبوعة : « عن عبد الله بن عمر » ، وهو خطأ ، صوابه من المخطوطة .

وهذا خبر صحيح الإسناد .

ورواه أحمد فى مسنده بغير هذا اللفظ مطولا ، فى مسند عبد الله بن عمرو رقم : ٦٩٩٤ من طريق الليث بن سعد ، عن عامر بن يحيى، عن أبى عبد الرحمن الحبلى = ثم رواه أيضاً رقم : ٧٠٦٦ من طريق ابن لهيعة ، عن عمرو بن يحيى (عامر بن يحيى) ، عن أبى عبد الرحمن الحبلى .

ورواه من الطريق الأولى عند أحمد ابن ماجة فى سننه ص : ١٤٣٧ .

ورواه الحاكم فى المستدرك ١ : ٦ من طريق يونس بن محمد ، عن الليث بن سعد ، عن عامر بن يحيى ، عن أبى عبد الرحمن المعافرى الحبلى وقال : « هذا حديث صحيح ، لم يخرج فى الصحيحين ، وهو صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبى . ثم عاد فرواه فى المستدرك أيضاً ١ : ٥٢٩ من طريق يحيى بن عبد الله بن بكير ، عن الليث ، مثل إسناده وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبى .

* * *

فكذلك وزن الله أعمال خلقه ، بأن يوضع العبد وكتب حسناته فى كفة من كفتى الميزان ، وكتب سيئاته فى الكفة الأخرى ، ويحدث الله تبارك وتعالى ثقلاً وخفة فى الكفة التى الموزون بها أولى ، احتجاجاً من الله بذلك على خلقه ، كفعله بكثير منهم : من استنطاق أيديهم وأرجلهم ، استشهاداً بذلك عليهم ، وما أشبه ذلك من حججه .

ويُسألَ من أنكر ذلك فيقال له : إن الله أخبرنا تعالى ذكره أنه يثقل موازين قوم فى القيامة ، ويخفف موازين آخرين ، وتظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحقيق ذلك ، فما الذى أوجب لك إنكار الميزان أن يكون هو الميزان الذى وصفنا صفته ، الذى يتعارفه الناس ؟ أحجة عقل تُبْعِد أن يُنال وجه صحته من جهة العقل ؟[1] وليس فى وزن الله جل ثناؤه خلقَه وكتبَ أعمالهم لتعريفهم أثقل القسمين منها بالميزان ، خروجٌ من حكمة ، ولا دخول فى جور فى قضية ، فما الذى أحال ذلك عندك من حجةِ عقلٍ أو خبر ؟[2] إذ كان لا سبيل إلى حقيقة القول بإفساد ما لا يدفعه العقل إلا من أحد الوجهين اللذين ذكرتُ ، ولا سبيل إلى ذلك. وفى عدم البرهان على صحة دعواه من هذين الوجهين ، وضوحُ فساد قوله ، وصحة ما قاله أهل الحق فى ذلك .

وليس هذا الموضع من مواضع الإكثار فى هذا المعنى على من أنكر الميزان الذى وصفنا صفته ، إذ كان قصدُنا فى هذا الكتاب : البيانَ عن تأويل القرآن دون غيره . ولولا ذلك لقرنّا إلى ما ذكرنا نظائره ، وفى الذى ذكرنا من ذلك كفاية لمن وُفِّق لفهمه إن شاء الله .

---

(١) فى المطبوعة : أحجة عقل فقد يقال وجه صحته . . . وهو كلام غير مستقيم . وفى المخطوطة : « أحجة عقل نعدان ننال وجه صحته . . . » ، وكأن الصواب ما قرأته وأثبته .

(٢) فى المطبوعة : « فما الذى أحال ذلك عندك من حجة أعقل أو خبر » ، وهو فاسد ، وفى المخطوطة : « . . . من حجة أو عقل أو خبر » ، بزيادة « أو » ، وبحذفها يستقيم الكلام .

القول فى تأويل قوله ﴿وَمَن خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ (٩)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : ومن خفت موازين أعماله الصالحة ، فلم تثقل بإقراره بتوحيد الله ، والإيمان به وبرسوله ، واتباع أمره ونهيه ، فأولئك الذين ٨/٩٣ غبَنوا أنفسهم حظوظها من جزيل ثواب الله وكرامته[١] = «بما كانوا بآياتنا يظلمون» ، يقول : بما كانوا بحجج الله وأدلته يجحدون ، فلا يقرّون بصحتها ، ولا يوقنون بحقيقتها ،[٢] كالذى : —

١٤٣٣٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن مجاهد : « ومن خفت موازينه » ، قال : حسناته .

* * *

وقيل : « فأولئك »، و « من » فى لفظ الواحد، لأن معناه الجمع . ولو جاء موحّداً ، كان صواباً فصيحاً .[٣]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (١٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولقد وطّأنا لكم ، أيها الناس ، فى الأرض ،[٤] وجعلناها لكم قراراً تستقرّون فيها ، ومهاداً تمتهدونها ، وفراشاً تفترشونها[٥] = « وجعلنا

---

(١) انظر تفسير « الخسارة » فيما سلف ص : ١٥٣ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الظلم » فيما سلف من فهارس اللغة (ظلم) .
(٣) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٧٣ .
(٤) فى المطبوعة : « ولقد وطنا لكم أيها الناس » ، والصواب من المخطوطة .
(٥) انظر تفسير « مكن » فيما سلف ١١ : ٢٦٣ .

لكم فيها معايش » ، تعيشون بها أيام حياتكم ، من مطاعم ومشارب ، نعمة منى عليكم ، وإحساناً منى إليكم = « قليلا ما تشكرون » ، يقول : وأنتم قليل شكركم على هذه النعم التى أنعمتها عليكم لعبادتكم غيرى ، واتخاذكم إلهاً سواى .

* * *

و « المعايش » جمع « معيشة » .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءتها .

فقرأ ذلك عامة قرأة الأمصار : ﴿ مَعَايِشَ ﴾ بغير همز .

* * *

وقرأه عبد الرحمن الأعرج : ﴿ مَعائِشَ ﴾ بالهمز .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك عندنا : ﴿ مَعَايِشَ ﴾ بغير همز ، لأنها «مفاعل» من قول القائل « عشتَ تعيش » ، فالميم فيها زائدة ، والياء فى الحكم متحركة ، لأن واحدها «مَفْعلة» ، «مَعْيَشة» ، متحركة الياء ، نقلت حركة الياء منها إلى « العين » فى واحدها . فلما جُمعت ، رُدّت حركتها إليها لسكون ماقبلها وتحركها . وكذلك تفعل العرب بالياء والواو إذا سكن ما قبلهما وتحركتا ، فى نظائر ما وصفنا من الجمع الذي يأتى على مثال «مفاعل» ، وذلك مخالف لما جاء من الجمع على مثال « فعائل » التى تكون الياء فيها زائدة ليست بأصل . فإن ما جاء من الجمع على هـــذا المثال ، فالعرب تهمزه ، كقولهم : « هذه مدائن » و « صحائف » ونظائرهما ، [1] لأن « مدائن » جمع « مدينة » و « المدينة » ، « فعيلة » من قولهم : « مدنت المدينة » ، وكذلك ، « صحائف » جمع « صحيفة » ، و « الصحيفة » ، « فعيلة » من قولك : « صحفت الصحيفة » ، فالياء فى واحدها زائدة ساكنة ، فإذا جمعت همزت ، لخلافها فى الجمع الياء التى كانت فى واحدها ، وذلك أنها كانت

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « ونظائر » والسياق يقتضى ماأثبت .

فى واحدها ساكنة ، وهى فى الجمع متحركة . ولو جعلت « مدينة » « مَفْعلة » من : « دان يدين » ، وجمعت على « مفاعل » ، كان الفصيح ترك الهمز فيها وتحريك الياء . وربما همزت العرب جمع « مفعلة » فى ذوات الياء والواو = وإن كان الفصيح من كلامها ترك الهمز فيها ، إذا جاءت على «مفاعل» = تشبيهاً منهم جمعها بجمع « فعيلة » كما تشبه « مَفْعلا » « بفعيل » فتقول : « مَسِيل الماء » من : « سال يسيل » ، ثم تجمعها جمع « فعيل » فتقول : « هى أمسِلة » ، فى الجمع ، تشبيهاً منهم لها بجمع « بعير » وهو «فعيل» إذ تجمعه « أبعرة » ، وكذلك يجمع « المصير » وهو « مَفْعل » ، « مُصْران » تشبيهاً له بجمع : « بعير » وهو « فعيل » ، إذ تجمعه « بُعْران » .[1] وعلى هذا همز الأعرج « معايش » . وذلك ليس بالفصيح فى كلامها ، وأولى ما قرئ به كتاب الله من الألسن أفصحها وأعرفها ، دون أنكرها وأشذّها .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ (١١)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : تأويل ذلك : «ولقد خلقناكم » ، فى ظهر آدم ، أيها الناس = « ثم صورناكم » ، فى أرحام النساء . خلقاً مخلوقاً ومثالاً ممثلاً فى صورة آدم .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٧٣ ، ٣٧٤ .

١٤٣٣٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: « ولقد خلقناكم ثم صورناكم »، قوله : « خلقناكم » ، يعني آدم = وأمّا « صورناكم » ، فذرّيته . ٨ / ٩٤

١٤٣٣٩ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله: « ولقد خلقناكم ثم صورناكم» الآية ، قال : أمّا « خلقناكم »، فآدم . وأمّا « صورناكم »، فذرية آدم من بعده .

١٤٣٤٠ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن أبي جعفر ، عن الربيع : « ولقد خلقناكم »، يعني آدم = « ثم صورناكم » ، يعني : في الأرحام .

١٤٣٤١ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن ابن سعد قال ، أخبرنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس في قوله : « ولقد خلقناكم ثم صورناكم » ، يقول : خلقناكم خلق آدم ، ثم صورناكم في بطون أمهاتكم .

١٤٣٤٢ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « ولقد خلقناكم ثم صورناكم » ، يقول : خلقنا آدم ، ثم صورنا الذرية في الأرحام .

١٤٣٤٣ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ولقد خلقناكم ثم صورناكم » ، قال : خلق الله آدم من طين = «ثم صورناكم »، في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق: علقة ، ثم مضغة ، ثم عظاماً ، ثم كسا العظام لحماً ، ثم أنشأناه خلقاً آخر .(١)

١٤٣٤٤ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن

---

(١) الأثر : ١٤٣٤٣ – « بشر بن معاذ العقدي » ، مضى مراراً ، وهذا إسناد يدور في التفسير دوراناً ، ولكنه جاء هنا في المخطوطة والمطبوعة : « بشر بن آدم » ، وهو خطأ . لا شك في ذلك .

معمر ، عن قتادة قال : خلق الله آدم ، ثم صوّر ذريته من بعده .

١٤٣٤٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمر بن هرون ، عن نصر بن مُشارس ، عن الضحاك : « خلقناكم ثم صورناكم » ، قال : ذريته .(١)

١٤٣٤٦ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول، أخبرنا عبيد بن سليمان، عن الضحاك، قوله : « ولقد خلقناكم »، يعنى آدم = « ثم صورناكم » ، يعنى ذريته .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : « ولقد خلقناكم » ، فى أصلاب آبائكم = « ثم صورناكم » ، فى بطون أمهاتكم .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٣٤٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن شريك ، عن سماك ، عن عكرمة : « ولقد خلقناكم ثم صورناكم » : قال : خلقناكم فى أصلاب الرجال ، وصوّرناكم فى أرحام النساء .

١٤٣٤٨ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحمانى قال ، حدثنا شريك ، عن سماك ، عن عكرمة ، مثله .

١٤٣٤٩ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا سفيان قال ، سمعت الأعمش يقرأ : « ولقد خلقناكم ثم صورناكم » ؟ قال : خلقناكم فى أصلاب الرجال ، ثم صورناكم فى أرحام النساء .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : « خلقناكم » ، يعنى آدم = « ثم صورناكم»، يعنى : فى ظهره .

---

(١) الأثر : ١٤٣٤٥ – « عمر بن هرون بن يزيد البلخى » ، متكلم فيه وجرح ، مضى برقم : ١٢٣٨٩ .

و « نصر بن مشارس » أو « نصر بن مشيرس » ، هو « أبو مصلح الخراسانى » مشهور بكنيته ، وكذلك مضى فى الأثر رقم : ١٢٣٨٩ .

وكان فى المطبوعة : « مشاوش » ، وفى المخطوطة : « مشاوس » والصواب ما أثبته .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٣٥٠ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « ولقد خلقناكم »، قال : آدم = « ثم صورناكم » ، قال : في ظهر آدم .

١٤٣٥١ - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ولقد خلقناكم ثم صورناكم » ، في ظهر آدم .

١٤٣٥٢ - حدثنا القاسم قال،حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « ولقد خلقناكم ثم صورناكم » ، قال : صورناكم في ظهر آدم .

١٤٣٥٣ - حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد المدني قال : سمعت مجاهداً في قوله : « ولقد خلقناكم ثم صورناكم » ، قال : في ظهر آدم ، لما تصيرون إليه من الثواب في الآخرة .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : « ولقد خلقناكم » ، في بطون أمهاتكم = « ثم صورناكم » ، فيها . ٩٥/٨

* ذكر من قال ذلك :

١٤٣٥٤ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر، عمن ذكره قال : « خلقناكم ثم صورناكم »، قال : خلق الله الإنسان في الرحم ، ثم صوّره، فشقّ سمعه وبصره وأصابعه .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب قول من قال : تأويله : « ولقد خلقناكم » ، ولقد خلقنا آدم = « ثم صورناكم » ، بتصويرنا آدم ، كما قد بينا

فيما مضى من خطاب العرب الرجلَ بالأفعال تضيفها إليه، والمعنىُّ فى ذلك سلفه،(١) وكما قال جل ثناؤه لمن بين أظهُر المؤمنين من اليهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾، [سورة البقرة : ٦٣] . وما أشبه ذلك من الخطاب الموجَّه إلى الحىّ الموجود ، والمراد به السلف المعدوم ، فكذلك ذلك فى قوله : « ولقد خلقناكم ثم صورناكم » ، معناه : ولقد خلقنا أباكم آدم ثم صوَّرناه .

وإنما قلنا هذا القول أولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، لأن الذى يتلو ذلك قوله : « ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم » ، ومعلوم أن الله تبارك وتعالى قد أمر الملائكة بالسجود لآدم، قبل أن يصوِّر ذريته فى بطون أمهاتهم ، بل قبل أن يخلُق أمهاتهم .

و « ثم » فى كلام العرب لا تأتى إلا بإيذان انقطاع ما بعدها عما قبلها ،(٢) وذلك كقول القائل : «قمت ثم قعدت »، لا يكون « القعود » إذ عطف به بـ « ثم » على قوله : « قمت » إلا بعد القيام ،(٣) وكذلك ذلك فى جميع الكلام . ولو كان العطف فى ذلك بالواو ، جاز أن يكون الذى بعدها قد كان قبل الذى قبلها ، وذلك كقول القائل : « قمت وقعدت » ، فجائز أن يكون « القعود » فى هذا الكلام قد كان قبل « القيام » ، لأن « الواو » تدخل فى الكلام إذا كانت عطفاً ، لتوجب للذى بعدها من المعنى ما وجب للذى قبلها ، من غير دلالة منها بنفسها على أن ذلك كان فى وقت واحد أو وقتين مختلفين ، أو إن كانا فى وقتين ، أيهما

---

(١) انظر هذا من خطاب العرب فيما سلف ٢ : ٣٨ ، ٣٩ ثم ص : ١٦٤ ، ١٦٥ ، ومواضع أخرى بعد ذلك فى فهرس مباحث العربية والنحو وغيرها .

(٢) انظر القول فى « ثم » فيما سلف ص : ٢٣٣ .

(٣) كان فى هذه الجملة فى المخطوطة تكرار ، ووضع الناسخ فى الهامش (كذا) ، والصواب ما فى المطبوعة .

المتقدم وأيهما المتأخر . فلما وصفنا قلنا إنّ قوله : « ولقد خلقناكم ثم صورناكم »، لا يصح تأويله إلا على ما ذكرنا .

فإن ظن ظانّ أن العربَ ، إذ كانت ربما نطقت بـ « ثم » فى موضع « الواو » فى ضرورة شعره ، كما قال بعضهم :

سَأَلْتُ رَبِيعَةَ : مَنْ خَيْرُهَا أَبًا ثُمَّ أُمًّا ؟ فَقَالَتْ : لِمَهْ ![1]

يعنى : أباً وأمًّا ، فإن ذلك جائز أن يكون نظيره = فإن ذلك بخلاف ما ظن . وذلك أن كتاب الله جل ثناؤه نزل بأفصح لغات العرب ، وغير جائز توجيه شىء منه إلى الشاذّ من لغاتها ، وله فى الأفصح الأشهر معنى مفهومٌ ووجه معروف .

* * *

وقد وجّه بعض من ضعفت معرفته بكلام العرب ذلك إلى أنه من المؤخر الذى معناه التقديم ، وزعم أن معنى ذلك : ولقد خلقناكم ، ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ، ثم صورناكم . وذلك غير جائز فى كلام العرب ، لأنها لا تدخل « ثم » فى الكلام وهى مرادٌ بها التقديم على ما قبلها من الخبر ، وإن كانوا قد يقدّمونها فى الكلام ،[2] إذا كان فيه دليل على أن معناها التأخير ، وذلك كقولهم : « قام ثم عبد الله عمرو » ، فأما إذا قيل : « قام عبد الله ثم قعد عمرو » ، فغير جائز أن يكون قعود عمرو كان إلا بعد قيام عبد الله ، إذا كان الخبر صدقاً. فقول الله تبارك وتعالى : « ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا » ، نظير قول القائل : « قام عبد الله ثم قعد عمرو »، فى أنه غير جائز أن يكون أمرُ الله الملائكةَ بالسجود لآدم كان إلاّ بعد الخلق والتصوير ، لما وصفنا قبل .

* * *

٩٦/٨ وأما قوله للملائكة : « اسجدوا لآدم » ، فإنه يقول جل ثناؤه : فلما صوّرنا

(١) لم أعرف قائله .

(٢) فى المخطوطة : « وإن كان يعبر فيها فى الكلام » ، فلم أستبن لقراءتها وجهاً أرضاه ، فتركت ما فى المطبوعة على حاله ، لأنه مستقيم المعنى إن شاء الله .

آدم، وجعلناه خلقاً سويًّا، ونفخنا فيه من روحنا، قلنا للملائكة: « اسجدوا لآدم »، ابتلاء منا واختباراً لهم بالأمر، ليعلم الطائع منهم من العاصى، = « فسجدوا »، يقول: فسجد الملائكة، إلا إبليس فإنه لم يكن من الساجدين لآدم، حين أمره الله مع من أمرَ من سائر الملائكة غيره بالسجود.

* * *

وقد بينا فيما مضى، المعنى الذى من أجله امتحن جَلّ جلاله ملائكته بالسجود لآدم، وأمْرَ إبليس وقصصه، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع.(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ (١٢)

قال أبو جعفر: وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قيله لإبليس، إذ عصاه فلم يسجد لآدم إذ أمره بالسجود له. يقول: قال الله لإبليس: = « ما منعك »، أىّ شىء منعك = «أن لا تسجد»، أن تدع السجود لآدم = « إذ أمرتك» أن تسجد = « قال أنا خير منه »، يقول: قال إبليس: أنا خير من آدم = « خلقتنى من نار وخلقته من طين ».

* * *

فإن قال قائل: أخبرنا عن إبليس، ألحقته الملامة على السجود، أم على ترك السجود؟ فإن تكن لحقته الملامة على ترك السجود، فكيف قيل له: « ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك »؟ وإن كان النكير على السجود، فذلك خلافُ ما جاء به التنزيل فى سائر القرآن، وخلاف ما يعرفه المسلمون!

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٥٠١ – ٥١٢ .

قيل : إن الملامة لم تلحق إبليس إلا على معصيته ربه بتركه السجود لآدم إذ أمره بالسجود له .

غير أن فى تأويل قوله : « ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك » بين أهل المعرفة بكلام العرب اختلافاً، أبدأ بذكر ما قالوا، ثم أذكر الذى هو أولى ذلك بالصواب.

فقال بعض نحويى البصرة: معنى ذلك: ما منعك أن تسجد = و«لا» ههنا زائدة، كما قال الشاعر :(١)

أَبَى جُودُهُ لا البُخْلَ، وَاسْتَعْجَلَتْ بِهِ نَعَمْ، مِنْ فَتًى لاَ يَمْنَعُ الجُوعَ قَاتِلُهْ(٢)

وقال : فسرته العرب: « أبى جوده البخل »، وجعلوا «لا» زائدةً حشوًا ههنا، وصلوا بها الكلام . قال : وزعم يونس أن أبا عمرو كان يجر « البخل »، ويجعل « لا » مضافة إليه، أراد: أبى جوده « لا » التى هى للبخل، ويجعل « لا » مضافة، لأن « لا » قد تكون للجود والبخل، لأنه لو قال له: « امنع الحق ولا تعط المسكين » فقال : « لا » ، كان هذا جوداً منه .

* * *

وقال بعض نحويى الكوفة نحو القول الذى ذكرناه عن البصريين فى معناه وتأويله ، غير أنه زعم أن العلة فى دخول « لا » فى قوله : « أن لا تسجد » ، أن فى أول الكلام جحداً = يعنى بذلك قوله : « لم يكن من الساجدين » ، فإن العرب ربما أعادوا فى الكلام الذى فيه جحد ، الجحدَ، كالاستيثاق والتوكيد له . قال: وذلك كقولهم :(٣)

---

(١) لا يعرف قائله .

(٢) اللسان (نعم) ، أمالى ابن الشجرى ٢ : ٢٢٨ ، ٢٣١ ، شرح شواهد المغنى : ٢١٧ ، وكان فى المخطوطة والمطبوعة : « لا يمنع الجوع » ، كما أثبته ، وكذلك ورد عن الفارسى فى اللسان . وأما فى المراجع الأخرى، فروايته : « لا يمنع الجود » .

(٣) لم يعرف قائله .

مَا إنْ رَأَيْنَا مِثْلَهُنَّ لِمَعْشَرٍ سُودِ الرُّؤُوسِ، فَوَالِجٌ وَفُيُولُ(١)

فأعاد على الجحد الذى هو « ما » جحداً ، وهو قوله : « إن »، فجمعهما للتوكيد .

* * *

وقال آخر منهم : ليست « لا » ، بحشو فى هذا الموضع ولا صلة، (٢) ولكن «المنع» ههنا بمعنى «القول» . وإنما تأويل الكلام: من قال لك لا تسجد إذ أمرتك بالسجود = ولكن دخل فى الكلام « أن » ، إذ كان « المنع » بمعنى القول » ، لا فى لفظه ، كما يُفعل ذلك فى سائر الكلام الذى يضارع القول ، وهو له فى اللفظ مخالف ، كقولهم: « ناديت أن لاتقم » و « حلفت أن لا تجلس » ، وما أشبه ذلك ٩٧/٨
من الكلام . وقال : خفض « البخل » من روى : « أبى جوده لا البخل » ، (٣) بمعنى : كلمة البخل ، لأن « لا » هى كلمة البخل ، فكأنه قال : كلمة البخل .

* * *

وقال بعضهم: معنى « المنع »، الحول بين المرء وما يريده . قال: والممنوع مضطرّ به إلى خلاف ما منع منه ، كالممنوع من القيام وهو يريده ، فهو مضطر من الفعل إلى ما كان خلافاً للقيام ، إذ كان المختار للفعل هو الذي له السبيل إليه وإلى خلافه ، فيؤثر أحدهما على الآخر فيفعله . قال : فلما كانت صفة « المنع » ذلك ، فخوطب إبليس بالمنع فقيل له : « ما منعك ألا تسجد » ، كان معناه كأنه قيل له : أىّ شىء اضطرك إلى أن لا تسجد ؟

* * *

قال أبو جعفر : والصواب عندى من القول فى ذلك أن يقال : إن فى الكلام محذوفاً قد كفى دليلُ الظاهر منه ، وهو أن معناه : ما منعك من السجود ،

---

(١) معانى القرآن للفراء ١ : ١٧٦ ، ٣٧٤ و « الفوالج » جمع « فالج » ، وهو جمل ذو سنامين كان يجلب من السند للفحلة . و « الفيول » ، جمع « فيل » .

(٢) « الصلة » : الزيادة ، كما سلف ، انظر فهارس المصطلحات .

(٣) فى المطبوعة : « وقال بعض من روى : أبى جود لا البخل » ، فغير ما فى المخطوطة ، وأفسد الكلام إفساداً .

فأحوجك أن لا تسجد = فترك ذكر « أحوجك » ، استغناء بمعرفة السامعين قوله : « إلا إبليس لم يكن من الساجدين » ، أن ذلك معنى الكلام ، من ذكره .(١) ثم عمل قوله : « ما منعك » ، فى « أن » ، ما كان عاملاً فيه قبل « أحوجك » لو ظهر ، إذ كان قد ناب عنه .

وإنما قلنا إن هذا القول أولى بالصواب ، لما قد مضى من دلالتنا قبل على أنه غير جائز أن يكون فى كتاب الله شىء لا معنى له ، وأن لكل كلمة معنًى صحيحاً . فتبين بذلك فسادُ قول من قال : « لا » ، فى الكلام حشو لا معنى لها .

وأما قول من قال : معنى «المنع» ههنا «القول» ، فلذلك دخلت « لا » مع « أن » = فإن «المنعَ» وإن كان قد يكون قولاً وفعلاً ، فليس المعروف فى الناس استعمالُ «المنع» ، فى الأمر بترك الشىء ، لأن المأمور بترك الفعل إذا كان قادراً على فعله وتركه ففعله ، لا يقال : « فعله » ، وهو ممنوع من فعله ، إلا على استكراه للكلام . وذلك أن المنع من الفعل حَوْلٌ بينه وبينه ، فغير جائز أن يكون وهو مَحُولٌ بينه وبينه فاعلاً له ، لأنه إن جاز ذلك ، وجب أن يكون مَحُولاً بينه وبينه لا محولاً ، وممنوعاً لا ممنوعاً .(٢)

وبعدُ ، فإن إبليس لم يأتمر لأمر الله تعالى ذكره بالسجود لآدم كبرًا ، فكيف كان يأتمر لغيره فى ترك أمر الله وطاعته بترك السجود لآدم ، فيجوز أن يقال له : «أى شىء قال لك : لا تسجد لآدم إذ أمرتك بالسجود له» ؟ ولكن معناه إن شاء الله ما قلت : « ما منعك من السجود له فأحوجك ، أو : فأخرجك ، أو : فاضطرك إلى أن لا تسجد له » ، على ما بيَّنت .

* * *

وأما قوله : « أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين » ، فإنه خبرٌ من الله جل ثناؤه عن جواب إبليس إياه إذ سأله : ما الذى منعه من السجود لآدم ،

---

(١) السياق : « استغناء بمعرفة السامعين . . . من ذكره » .

(٢) يعنى أنه يجمع الصفتين معاً « محول بينه وبينه ، وغير محول = وممنوع ، وغير ممنوع » ، وهو تناقض .

فأحوجه إلى أن لا يسجد له ، واضطره إلى خلافه أمرَه به ، وتركه طاعته = أنّ المانعَ كان له من السجود، والداعيَ له إلى خلافه أمر ربه فى ذلك: أنه أشد منه أيْداً،(١) وأقوى منه قوة، وأفضل منه فضلاً ، لفضل الجنس الذى منه خلق، وهو النارُ، على الذى خلق منه آدم ،(٢) وهو الطين . فجهل عدوّ الله وجه الحق ، وأخطأ سبيل الصواب . إذ كان معلوماً أن من جوهر النار الخفة والطيش والاضطراب والارتفاع علوًّا ، والذى فى جوهرها من ذلك هو الذى حملَ الخبيث بعد الشقاء الذى سبق له من الله فى الكتاب السابق ، على الاستكبار عن السجود لآدم ، والاستخفاف بأمر ربه ، فأورثه العطبَ والهلاكَ. وكان معلوماً أن من جوهر الطين الرزانةُ والأناةُ والحلم والحياء والتثبُّت، وذلك الذى هو فى جوهره من ذلك ،(٣) كان الداعى لآدم بعد السعادة التى كانت سبقت له من ربه فى الكتاب السابق ، إلى التوبة من خطيئته ، ومسألته ربَّه العفوَ عنه والمغفرة . ولذلك كان الحسن وابن سيرين يقولان : «أول من قاسَ إبليس»، يعنيان بذلك : القياسَ الخطأ ، وهو ٩٨/٨
هذا الذى ذكرنا من خطأ قوله ، وبعده من إصابة الحق ، فى الفضل الذى خص الله به آدم على سائر خلقه : من خلقه إياه بيده ، ونفخه فيه من روحه ، وإسجاده له الملائكة ، وتعليمه أسماء كلّ شىء ، مع سائر ما خصه به من كرامته . فضرب عن ذلك كلّه الجاهلُ صفحاً، وقصد إلى الاحتجاج بأنه خُلِق من نار وخلق آدم من طين !!(٤) وهو فى ذلك أيضاً له غير كفؤ ، لو لم يكن لآدم من الله جل ذكره تكرمة شىء غيره ، فكيف والذى خصّ به من كرامته يكثر تعداده ، ويملّ إحصاؤه .

(١) فى المطبوعة : « أشد منه يدا » ، والصواب من المخطوطة ، و « الأيد » ، القوة .
(٢) فى المطبوعة : « من الذى خلق منه آدم » ، زاد « من » ، والمخطوطة سقط منها حرف الجر المتعلق بفضل الجنس ، والصواب ما أثبت .
(٣) فى المطبوعة : « وذلك الذى فى جوهره . . . » حذف « هو » ، وفى المخطوطة : « وذلك الذى هو من جوهره من ذلك » ، وصوابها « فى جوهره » ، وإنما هو خطأ من الناسخ .
(٤) فى المطبوعة : « بأنه خلقه من نار » ، والجيد ما فى المخطوطة .

١٤٣٥٥ – حدثني عمرو بن مالك قال، حدثنا يحيى بن سليم الطائفي ، عن هشام، عن ابن سيرين قال : أوّل من قاس إبليس، وما عُبِدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس .(١)

١٤٣٥٦ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا محمد بن كثير ، عن ابن شوذب، عن مطر الورّاق ، عن الحسن قوله : « خلقتني من نار وخلقته من طين » ، قال : قاس إبليس ، وهو أول من قاس .

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٣٥٧ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد قال، حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : لما خلق الله آدم قال للملائكة الذين كانوا مع إبليس خاصة ، دون الملائكة الذين في السموات : « اسجدوا لآدم » ، فسجدوا كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر ، لما كان حدّث نفسه ، من كبره واغتراره ، فقال: « لا أسجد له ، وأنا خير منه ، وأكبر سنًّا ، وأقوى خلقاً ، خلقتني من نار وخلقته من طين ! »، يقول: إنّ النار أقوى من الطين .

١٤٣٥٨ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « خلقتني من نار » ، قال : ثم جعل ذريته من ماء

* * *

---

(١) الأثر : ١٤٣٥٥ – « عمرو بن مالك الراسبي النبري » ، أبو عثمان البصري ، شيخ الطبري . قال ابن عدي : « منكر الحديث عن الثقات ، ويسرق الحديث » ، وقال ابن أبي حاتم : « ترك أبي التحديث عنه » . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٣/١/٢٥٩ .

و « يحيى بن سليم الطائفي » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ٤٨٩٤ ، ٧٨٤١ .

قال أبو جعفر : وهذا الذى قاله عدوّ الله ليس لما سأله عنه بجواب . وذلك أن الله تعالى ذكره قال له : ما منعك من السجود ؟ فلم يجب بأن الذى منعه من السجود أنه خُلِقَ من نار وخلق آدم من طين ،[1] ولكنه ابتدأ خبراً عن نفسه، فيه دليل على موضع الجواب فقال: « أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ (١٣)

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه: قال الله لإبليس عند ذلك: « فاهبط منهـــا » .

* * *

وقد بينا معنى « الهبوط » فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته .[2]

* * *

= « فما يكون لك أن تتكبر فيها » ، يقول تعالى ذكره : فقال الله له : « اهبط منها » ، يعنى من الجنة = « فما يكون لك »، يقول : فليس لك أن تستكبر فى الجنة عن طاعتى وأمرى .

* * *

فإن قال قائل : هل لأحد أن يتكبر فى الجنة ؟

قيل : إن معنى ذلك بخلاف ما إليه ذهبتَ ، وإنما معنى ذلك : فاهبط من الجنة ، فإنه لا يسكن الجنة متكبر عن أمر الله، فأما غيرها ، فإنه يسكنها المستكبر عن أمر الله ، والمستكين لطاعته .

* * *

(١) فى المطبوعة : « أنه خلقه من نار » ، والجيد ما فى المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « الهبوط » فيما سلف ١ : ٥٣٤ ، ٢/٥٤٨ : ١٣٢ ، ٢٣٩ .

وقوله : « فاخرج إنك من الصاغرين » ، يقول : فاخرج من الجنة ، إنك من الذين قد نالهم من الله الصَّغَار والذلّ والمَهانة .

* * *

يقال منه : « صَغِرَ يَصْغَرُ صَغَرًا وصَغارًا وصُغْرَانًا » ، وقد قيل : «صغُرَ يصْغُرُ صَغارًا وصَغارَة » .(١)

* * *

وبنحو ذلك قال السدى .(٢)

١٤٣٥٩ – حدثنا موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فاخرج إنك من الصاغرين » ، و « الصغار » ، هو الذل .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾ ﴿١٥﴾

قال أبو جعفر : وهذه أيضاً جَهْلة أخرى من جَهَلاته الخبيثة . سأل ربه ما قد علم أنه لا سبيل لأحد من خلق الله إليه . وذلك أنه سأل النَّظِرة إلى قيام الساعة ، وذلك هو يوم يبعث فيه الخلق . ولو أعطى ما سأل من النَّظِرة ، كان قد أعطى الخلودَ وبقاءً لا فناء معه ، وذلك أنه لا موت بعد البعث . فقال جل ثناؤه : ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ۝ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ [سورة الحجر : ٣٧، ٣٨ / سورة ص : ٨٠، ٨١] ، وذلك إلى اليوم الذى قد كتب الله عليه فيه الهلاك والموت والفناء، لأنه لا شىء يبقى فلا يفنى ، غير ربِّنا الحىّ الذى لا يموت . يقول الله تعالى

٩٩/٨

(١) انظر تفسير « الصغار » فيما سلف ص: ٩٦

(٢) فى المطبوعة : « وبنحو الذى قلنا قال السدى » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

ذكره: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾، [سورة آل عمران: ١٨٥ / سورة الأنبياء: ٣٥/ سورة العنكبوت : ٥٧] .

* * *

و« الإنظار » فى كلام العرب، التأخير . يقال منه: « أنظرته بحقى عليه أنظره به إنظارًا » .(١)

* * *

فإن قال قائل : فإن الله قد قال له إذ سأله الإنظار إلى يوم يبعثون : « إنك من المنظرين » فى هذا الموضع ، فقد أجابه إلى ما سأل ؟

قيل له : ليس الأمر كذلك ، وإنما كان مجيباً له إلى ما سأل لو كان قال له : « إنك من المنظرين إلى الوقت الذى سألت = أو : إلى يوم البعث = أو : إلى يوم يبعثون » ، أو ما أشبه ذلك ، مما يدل على إجابته إلى ما سأل من النظرة . وأما قوله: « إنك من المنظرين»، فلا دليل فيه لولا الآية الأخرى التى قد بيَّن فيها مدة إنظاره إياه إليها، وذلك قوله: ﴿ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾، [سورة الحجر : ٣٧، ٣٨/سورة ص : ٨٠ ، ٨١] ، كم المدة التى أنظره إليها ،(٢) لأنه إذا أنظره يوماً واحداً أو أقل منه أو أكثر ، فقد دخل فى عداد المنظرين ، وتمَّ فيه وعد الله الصادق، ولكنه قد بيَّن قدر مدة ذلك بالذى ذكرناه ، فعلم بذلك الوقت الذى أُنظِر إليه .

* * *

وبنحو ذلك كان السدى يقول :

١٤٣٦٠ – حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾، [سورة الحجر : ٣٦– ٣٨/سورة ص: ٧٩–٨١]، فلم ينظره إلى يوم البعث ، ولكن أنظره إلى يوم الوقت المعلوم ، وهو يوم ينفخ

(١) انظر تفسير « الإنظار » فيما سلف ٢ : ٤٦٧، ٤٦٨/٣ : ٢٦٤/٦ : ٥٧٧/١١ : ٢٦٧

(٢) فى المطبوعة : « على المدة » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

فى الصور النفخة الأولى ، فصعق من فى السموات ومن فى الأرض ، فمات .(١)

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام : قال إبليس لربه : « أنظرنى » ، أى أخّرنى وأجّلنى ، وأنسئْ فى أجلى ، ولا تمتنى = «إلى يوم يبعثون» ، يقول : إلى يوم يبعث الخلق . فقال تعالى ذكره : «إنك من المنظرين » ، إلى يوم ينفخ فى الصور ، فيصعق فى السموات ومن فى الأرض إلاّ من شاء الله .

* * *

فإن قال قائل : فهل أحَدٌ مُنْظَرٌ إلى ذلك اليوم سوى إبليس ، فيقال له : « إنك منهم » ؟

قيل : نعم ، من لم يقبض الله روحه من خلقه إلى ذلك اليوم ، ممن تقوم عليه الساعة ، فهم من المنظرين بآجالهم إليه . ولذلك قيل لإبليس : « إنك من المنظرين » ، بمعنى : إنك ممن لا يميته الله إلاّ ذلك اليوم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ (١٦)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : قال إبليس لربه : « فبما أغويتنى » ، يقول : فبما أضللتنى ، كما :—

١٤٣٦١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « فبما أغويتنى » ، يقول : أضللتنى .

١٤٣٦٢ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى

---

(١) الأثر : ١٤٣٦٠ — « موسى بن هرون الهمدانى » ، مضى مراراً ، وكان فى المخطوطة والمطبوعة : « يونس بن هرون » ، وهو خطأ محض ، فهذا إسناد دائر فى التفسير .

ذكره: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾،[سورة آل عمران: ١٨٥ / سورة الأنبياء: ٣٥/ سورة العنكبوت : ٥٧] .

* * *

و« الإنظار » فى كلام العرب، التأخير . يقال منه: « أنظرته بحق عليه أنظره به إنظارًا » .(١)

* * *

فإن قال قائل : فإن الله قد قال له إذ سأله الإنظار إلى يوم يبعثون : « إنك من المنظرين » فى هذا الموضع ، فقد أجابه إلى ما سأل ؟

قيل له : ليس الأمر كذلك ، وإنما كان مجيباً له إلى ما سأل لو كان قال له : « إنك من المنظرين إلى الوقت الذى سألت = أو : إلى يوم البعث = أو : إلى يوم يبعثون » ، أو ما أشبه ذلك ، مما يدل على إجابته إلى ما سأل من النظرة . وأما قوله: « إنك من المنظرين»، فلا دليل فيه لولا الآية الأخرى التى قد بيَّن فيها مدة إنظاره إياه إليها، وذلك قوله: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾، [سورة الحجر : ٣٧، ٣٨/سورة ص : ٨٠ ، ٨١] ، كم المدة التى أنظره إليها ،(٢) لأنه إذا أنظره يوماً واحداً أو أقل منه أو أكثر ، فقد دخل فى عداد المنظرين ، وتمَّ فيه وعد الله الصادق، ولكنه قد بيَّن قدر مدة ذلك بالذى ذكرناه ، فعلم بذلك الوقت الذى أُنظِر إليه .

* * *

وبنحو ذلك كان السدى يقول :

١٤٣٦٠ – حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾،[سورة الحجر : ٣٦– ٣٨/سورة ص: ٧٩–٨١]، فلم ينظره إلى يوم البعث ، ولكن أنظره إلى يوم الوقت المعلوم ، وهو يوم ينفخ

(١) انظر تفسير « الإنظار » فيما سلف ٢ : ٤٦٧، ٤٦٨/ ٣ : ٢٦٤/ ٦ : ٥٧٧/ ١١ : ٢٦٧

(٢) فى المطبوعة : « على المدة » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

فى الصور النفخة الأولى ، فصعق من فى السموات ومن فى الأرض ، فمات .(١)

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام : قال إبليس لربه : « أنظرنى » ، أى أخّرنى وأجّلنى ، وأنسئْ فى أجلى ، ولا تمتنى = «إلى يوم يبعثون» ، يقول : إلى يوم يبعث الخلق . فقال تعالى ذكره : «إنك من المنظرين » ، إلى يوم ينفخ فى الصور ، فيصعق فى السموات ومن فى الأرض إلاّ من شاء الله .

* * *

فإن قال قائل : فهل أحَدٌ مُنْظَرٌ إلى ذلك اليوم سوى إبليس ، فيقال له : « إنك منهم » ؟

قيل : نعم ، من لم يقبض الله روحه من خلقه إلى ذلك اليوم ، ممن تقوم عليه الساعة ، فهم من المنظرين بآجالهم إليه . ولذلك قيل لإبليس : « إنك من المنظرين » ، بمعنى : إنك ممن لا يميته الله إلاّ ذلك اليوم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ (١٦)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : قال إبليس لربه : « فبما أغويتنى » ، يقول : فبما أضللتنى ، كما :—

١٤٣٦١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « فبما أغويتنى » ، يقول : أضللتنى .

١٤٣٦٢ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى

---

(١) الأثر : ١٤٣٦٠ — « موسى بن هرون الهمدانى » ، مضى مراراً ، وكان فى المخطوطة والمطبوعة : « يونس بن هرون » ، وهو خطأ محض ، فهذا إسناد دائر فى التفسير .

قوله : « فبما أغويتنى » ، قال : فبما أضللتنى .

* * *

وكان بعضهم يتأول قوله : « فبما أغويتنى » ، بما أهلكتنى ، من قولهم : « غَوِىَ الفصيل يَغوَى غَوًى » ، وذلك إذا فقد اللبن فمات ، من قول الشاعر :(١)

مُعَطَّفَةُ الأَثْنَاءِ لَيْسَ فَصِيلُهَا ... بِرَازِئِهَا دَرًّا وَلاَ مَيِّتٍ غَوَى(٢)

* * *

وأصل « الإغواء » فى كلام العرب : تزيين الرجل للرجل الشىء حتى يحسّنه عنده ، غارًّا له .(٣)

وقد حكى عن بعض قبائل طيئ ، أنها تقول : « أصبح فلان غاوياً » ، أي : أصبح مريضاً .(٤)

* * *

وكان بعضهم يتأوّل ذلك أنه بمعنى القسم ، كأن معناه عنده : فبإغوائك إياى ، لأقعدن لهم صراطك المستقيم ، كما يقال : « بالله لأفعلن كذا » . ١٠٠/٨

* * *

وكان بعضهم يتأول ذلك بمعنى المجازاة ، كأن معناه عنده : فلأنك أغويتنى = أو : فبأنك أغويتنى = لأقعدن لهم صراطك المستقيم .

* * *

---

(١) هو « مدرج الريح الجرى » ، واسمه « عامر بن المجنون » كما فى الشعر والشعراء : ٧١٣ ، وفى الوحشيات رقم : ٣٨٠ ، والأغانى ٣ : ١١٥ ، وجاء فى المعانى الكبير : ١٠٤٧ « عامر المجنون » ، صوابه ما أثبت .

(٢) المعانى الكبير : ١٠٤٧ ، المخصص ٧ : ٤١ ، ١٨٠ ، تهذيب إصلاح المنطق ٢ : ٥٤ ، اللسان (غوى) . يصف قوساً . قال التبريزى فى شرحه : « أثناؤها » ، أطرافها المتلثبة . و « فصيلها » ، السهم ، و « رازئها » أى : آخذ منها شيئاً . يقول : ليس فصيل هذه القوس يشرب منها لبناً كفصيل الناقة ، ولا يؤذيه كثرة الشرب ، يريد أنه لا يشرب فى حال من الأحوال = ولا يموت إذا فقد اللبن .

(٣) انظر تفسير « الغى » و « الإغواء » فيما سلف ٥ : ٤١٦ .

(٤) هذا نص ينبغى إثباته فى كتب اللغة ، فلم يذكر فيها فيما علمت .

قال أبو جعفر : وفى هذا بيان واضح على فساد ما يقول القدرية،[١] من أن كل من كفر أو آمن فبتفويض الله أسبابَ ذلك إليه،[٢] وأن السبب الذى به يصل المؤمن إلى الإيمان ، هو السبب الذى به يصل الكافر إلى الكفر . وذلك أنّ ذلك لو كان كما قالوا : لكان الخبيث قد قال بقوله : «فبما أغويتنى» ، «فبما أصلحتنى» ، إذ كان سبب « الإغواء » هو سبب « الإصلاح » ، وكان فى إخباره عن الإغواء إخبارٌ عن الإصلاح ، ولكن لما كان سبباهما مختلفين ، وكان السبب الذى به غوّى وهلك من عند الله . أضاف ذلك إليه فقال : « فبما أغويتنى » .

* * *

وكذلك قال محمد بن كعب القرظى ، فيما : —

١٤٣٦٣ — حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى قال ، حدثنا زيد بن الحباب قال ، حدثنا أبو مودود : سمعت محمد بن كعب القرظى يقول : قاتل الله القدريّة ، لَأبليس أعلمُ بالله منهم !

* * *

وأما قوله : « لأقعدن لهم صراطك المستقيم » ، فإنه يقول : لأجلسن لبنى آدم « صراطك المستقيم » ، يعنى : طريقك القويم ، وذلك دين الله الحق ، وهو الإسلام وشرائعه.[٣] وإنما معنى الكلام : لأصدّن بنى آدم عن عبادتك وطاعتك ، ولأغوينهم كما أغويتنى ، ولأضلنهم كما أضللتنى .

وذلك كما روى عن سبرة بن أبى الفاكة :—[٤]

١٤٣٦٤ — أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : إن الشيطان قعد لابن آدم

---

(١) « القدرية » هو نفاة القدر الكافرون به ، وأما المؤمنون بالقدر ، وهم أهل الحق ، فيقال لهم « أهل الإثبات » ، وانظر فهارس المصطلحات والفرق فيما سلف .

(٢) « التفويض » ، رد الأسباب إليه ، وانظر بيان ذلك فيما سلف ١ : ١٦٢ ، تعليق : ٣/١١ : ٣٤٠ ، /١٢ : ٩٢ ، وهو مقالة المعتزلة وأشباههم .

(٣) انظر تفسير « الصراط المستقيم » ، فيما سلف ص : ٢٨٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك.

(٤) فى المطبوعة : « سبرة بن الفاكه » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب . انظر التعليق التالى ص ٣٣٥ ، تعليق : ٢ :

بأطْرِقَةٍ ، (١) فقعد له بطريق الإسلام فقال : أتسلم وتذرُ دينك ودين آبائك ؟ فعصاه فأسلم . ثم قعد له بطريق الهجرة فقال : أتهاجر وتذر أرضك وسماءك ، وإنما مثل المهاجر كالفرس فى الطِّوَل؟(٢) فعصاه وهاجر . ثم قعد له بطريق الجهاد، وهو جَهْدُ النفس والمال، فقال : أتقاتل فتقتل، فتنكح المرأة، ويقسم المال ؟ قال : فعصاه فجاهد . (٣)

* * *

وروى عن عون بن عبد الله فى ذلك ما :—

١٤٣٦٥ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حَبّويه أبو يزيد ، عن عبد الله ابن بكير ، عن محمد بن سوقة ، عن عون بن عبد الله : « لأقعدن لهم صراطك المستقيم » ، قال : طريق مكة . (٤)

* * *

---

(١) « أطرقة » جمع « طريق » ، مثل « رغيف » و « أرغفة » ، وهو جمعه مع تذكير « طريق » ، ويجمع أيضاً على « أطرق » (بضم الراء) ، وهو جمع « طريق » إذا أنثتها ، نحو « يمين » ، و « أيمن » . وبهذه الأخيرة ضبط فى أكثر الكتب .

(٢) « الطول » (بكسر الطاء وفتح الواو) : وهو الحبل الطويل ، يشد أحد طرفيه فى وتد أو فى غيره ، والآخر فى يد الفرس ، فيدور فيه ويرعى ، ولا يذهب لوجهه . ويعنى بذلك : أن الهجرة تحبسه عن التصرف والضرب فى الأرض، والعودة إلى أرضه وسمائه، والهجرة أمرها شديد كما تعلم .

(٣) الأثر : ١٤٣٦٤ — هذا خبر رواه الأئمة ، ذكره أبو جعفر بغير إسناده .

و « سبرة بن أبى فاكه » ، مختلف فى اسمه ، يقال : « سبرة بن أبى الفاكه » ، و « سبرة ابن الفاكه» ، و « سبرة بن الفاكهة » ، و « سبرة بن أبى الفاكهة »، صحابى نزل الكوفة . مترجم فى التهذيب ، وأسد الغابة ٢ : ٢٦٠ ، والإصابة فى اسمه ، والكبير للبخارى ١٨٨/٢/٢ ، وابن أبى حاتم ٢٩٥/١/٢ .

وهذا الخبر ، رواه أحمد فى مسنده مطولا ٣ : ٤٨٣ ، والنسائى ٦ : ٢١ ، ٢٢ ، والبخارى فى التاريخ ١٨٨/٢/٢ ، ١٨٩ ، وابن الأثير فى أسد الغابة ٢ : ٢٦٠ ، قال الحافظ ابن حجر فى الإصابة فى ترجمته : « له حديث عند النسائى ، بإسناد حسن، إلا أن فى إسناده اختلافاً »، ثم قال : « وصححه ابن حبان » .

(٤) الأثر : ١٤٣٦٥ — « حبويه أبو يزيد » هكذا فى المخطوطة ، ولكنه غير منقوط ، وكان فى المطبوعة : « حيوة أبو يزيد » ، تغيير بلا دليل .

و « حبويه » ، أبو يزيد ، هو : « إسحق بن إسماعيل الرازى » ، روى عن نافع بن عمر الجمحى ، وعمرو بن أبى قيس ، ونعيم بن ميسرة . روى عنه محمد بن سعيد الأصفهانى ، وعثمان

والذى قاله عون ، وإن كان من صراط الله المستقيم ، فليس هو الصراط كله . وإنما أخبر عدوّ الله أنه يقعد لهم صراط الله المستقيم ، ولم يخصص منه شيئاً دون شيء . فالذى روى فى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أشبهُ بظاهر التنزيل ، وأولى بالتأويل ، لأن الخبيث لا يألو عباد الله الصدّ عن كل ما كان لهم قربة إلى الله .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل فى معنى «المستقيم» ، فى هذا الموضع .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٣٦٦ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « صراطك المستقيم» ، قال : الحق .

١٤٣٦٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٤٣٦٨ — حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد المدنى قال : سمعت مجاهداً يقول « لأقعدن لهم صراطك المستقيم » ، قال : سبيل الحق ، فلأضلنّهم إلا قليلاً .

* * *

قال أبو جعفر : واختلف أهل العربية فى ذلك .

فقال بعض نحويى البصرة: معناه : لأقعدن لهم على صراطك المستقيم ، كما

وأبو بكر ابنا أبى شيبة ، وإبراهيم بن موسى . قال يحيى بن معين : « أرجو أن يكون صدوقاً » . مترجم فى الجرح والتعديل ١/١/٢١٢ ، وعبد الغنى بن سعيد فى المؤتلف والمختلف : ٤٣ ، « حبويه » بالباء المشددة بعد الحاء .

وسيأتى أيضاً فى الإسناد رقم : ١٤٥٥٠ .

و « عبد الله بن بكير الغنوى الكوفى » ، روى عن « محمد بن سوقة » ، وهو ليس بقوى ، وإن كان من أهل الصدق ، وذكر له ابن عدى مناكير مترجم فى لسان الميزان ، وابن أبى حاتم ٢/٢/١٦ ، وميزان الاعتدال ٢ : ٢٦ .

يقال : « توجّه مكة »، أى : إلى مكة ، وكما قال الشاعر : (١)

كَأَنِّى إذْ أَسْعَى لِأَظْفَرَ طَائِرًا مَعَ النَّجْمِ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ يَصُوبُ (٢)

بمعنى : لأظفر بطائر ، فألقى « الباء » ، وكما قال : ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ ، [سورة الأعراف : ١٥٠] ، بمعنى : أعجلتم عن أمر ربكم .

* * *

وقال بعض نحويى الكوفة ، المعنى ، والله أعلم : لأقعدن لهم على طريقهم ، وفى طريقهم . قال : وإلقاء الصفة من هذا جائز ،(٣) كما تقول : « قعدت لك وجهَ الطريق » و « على وجه الطريق » ، لأن الطريق صفة فى المعنى ،(٤) فاحتمل ما يحتمله « اليوم » و « الليلة » و « العام » ،(٥) إذا قيل : « آتيك غداً » ، و « آتيك فى غد » . ١٠١/٨

* * *

قال أبو جعفر : وهذا القول هو أولى القولين فى ذلك عندى بالصواب ، لأن : « القعود » مقتضٍ مكاناً يقعد فيه ، فكما يقال : « قعدت فى مكانك » ، يقال : « قعدت على صراطك » ، و « فى صراطك » ، كما قال الشاعر : (٦)

لَدْنٌ بِهَزِّ الْكَفِّ يَعْسِلُ مَتْنُهُ فِيهِ، كَمَا عَسَلَ الطَّرِيقَ الثَّعْلَبُ (٧)

---

(١) لم أعرف قائله .

(٢) لم أجد البيت فى غير هذا المكان .

(٣) « الصفة » هنا حرف الجر ، انظر فهارس المصطلحات فيما سلف ، وستأتى بعد قليل بمعنى « الظرف » . انظر التعليق التالى .

(٤) « الصفة » هنا ، هى « الظرف » ، وكذلك يسميه الكوفيون .

(٥) فى المطبوعة : « يحتمل ما يحتمله » ، وفى المخطوطة سقط ، كتب : « فى المعنى ما يحتمله » ولكنى أثبت ما فى معانى القرآن للفراء ١ : ٣٧٥ ، فهذا نص كلامه .

(٦) هو ساعدة بن جؤية الهذلى .

(٧) ديوان الهذليين ١ : ١٩٠ ، سيبويه ١ : ١٦ ، ١٠٩ ، الخزانة ١ : ٤٧٤ ، وغيرها كثير من قصيدة طويلة ، وصف فى آخرها رمحه ، وهذا البيت فى صفة رمح من الرماح الخطية . ورواية الديوان « لذ » ، أى تلذ الكف بهزه . و « يعسل » ، أى يضطرب ، وقوله : « فيه » :

فلا تكاد العرب تقول ذلك فى أسماء البلدان ، لا يكادون يقولون : « جلست مكة » ، و « قمت بغداد » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ (١٧)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : معنى قوله : « لآتينهم من بين أيديهم » ، من قبل الآخرة = « ومن خلفهم » ، من قبل الدنيا = « وعن أيمانهم » ، من قِبَل الحق = « وعن شمائلهم » ، من قبل الباطل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٣٦٩ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « ثم لآتينهم من بين أيديهم »، يقول: أشككهم فى آخرتهم = « ومن خلفهم » ، أرغبهم فى دنياهم = « وعن أيمانهم » ، أشبِّه عليهم أمرَ دينهم = « وعن شمائلهم » ، أشهِّى لهم المعاصى .

* * *

وقد روى عن ابن عباس بهذا الإسناد فى تأويل ذلك خلاف هذا التأويل، وذلك ما : —

١٤٣٧٠ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية، عن على بن أبى طلحة، عن ابن عباس قوله: « ثم لآتينهم من بين أيديهم »،

أى فى الهز . وقوله : « عسل الطريق الثعلب » ، أى : عسل فى الطريق الثعلب واضطربت مشيته . شبه اهتزاز الرمح فى يد الذى يهزه ليضرب به ، باهتزاز الثعلب فى عدوه فى الطريق .

يعنى من الدنيا = « ومن خلفهم » ، من الآخرة = « وعن أيمانهم » ، من قبل حسناتهم = « وعن شمائلهم » ، من قبل سيئاتهم .

* * *

وتحقق هذه الرواية، الأخرى التى : —

١٤٣٧١ — حدثنى بها محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه، عن ابن عباس قوله : « ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم » ، قال : أما بين «أيديهم » ، فمن قبلهم ، وأما « من خلفهم » ، فأمر آخرتهم ، وأما « عن أيمانهم » فمن قبل حسناتهم ، وأما « عن شمائلهم» ، فمن قبل سيئاتهم .

١٤٣٧٢ — حدثنا بشر قال ،حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ثم لآتينهم من بين أيديهم » الآية ، أتاهم من بين أيديهم فأخبرهم أنه لا بعث ولا جنة ولا نار = « ومن خلفهم » ، من أمر الدنيا ، فزيّنها لهم ودعاهم إليها = « وعن أيمانهم »، من قبل حسناتهم بطّأهم عنها = « وعن شمائلهم»، زين لهم السيئات والمعاصى ، ودعاهم إليها ، وأمرهم بها . أتاك يا ابن آدم من كل وجه ، غير أنه لم يأتك من فوقك ، لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله !

* * *

وقال آخرون : بل معنى قوله: « من بين أيديهم »، من قبل دنياهم = «ومن خلفهم » ، من قبل آخرتهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٣٧٣ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا مؤمل قال، حدثنا سفيان، عن منصور ، عن إبراهيم فى قوله : « ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم »، قال : « من بين أيديهم » ، من قبل دنياهم = « ومن خلفهم » ، من قبل آخرتهم = « وعن أيمانهم »،من قبل حسناتهم =«وعن شمائلهم»،من قبل سيئاتهم .

١٤٣٧٤ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان، عن منصور ،

عن الحكم : « ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم » ، قال : « من بين أيديهم » ، من دنياهم = « ومن خلفهم » ، من آخرتهم = « وعن أيمانهم » ، من حسناتهم = « وعن شمائلهم » ، من قِبَل سيئاتهم . ١٠٢/٨

١٤٣٧٥ — حدثنا سفيان قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن الحكم : « ثم لآتينهم من بين أيديهم » ، قال : من قبل الدنيا يزيِّنها لهم = « ومن خلفهم » ، من قبل الآخرة يبطِّئهم عنها = « وعن أيمانهم » ، من قبل الحق يصدّهم عنه = « وعن شمائلهم » ، من قبل الباطل يرغّبهم فيه ويزينه لهم .

١٤٣٧٦ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم » ، أما « من بين أيديهم » ، فالدنيا ، أدعوهم إليها وأرغبهم فيها = « ومن خلفهم » ، فمن الآخرة ، أشككهم فيها وأباعدها عليهم [1] = « وعن أيمانهم » ، يعنى الحق ، فأشككهم فيه = « وعن شمائلهم » ، يعنى الباطل ، أخفّفه عليهم وأرغّبهم فيه .

١٤٣٧٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج قوله : « من بين أيديهم » ، من دنياهم ، أرغّبهم فيها = « ومن خلفهم » ، آخرتهم ، أكفّرهم بها وأزهِّدهم فيها = « وعن أيمانهم » ، حسناتهم أزهدهم فيها = « وعن شمائلهم » ، مساوى أعمالهم ، أحسِّنها إليهم .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : من حيث يبصرون ومن حيث لا يبصرون .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٣٧٨ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : قول الله : « من بين أيديهم وعن

---

(١) في المطبوعة : « وأبعدها » ، وأثبت ما في المخطوطة .

أيمانهم » ، قال : حيث يبصرون = « ومن خلفهم » = « وعن شمائلهم » ، حيث لا يبصرون .

١٤٣٧٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٤٣٨٠ – حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا، حدثنا جرير ، عن منصور قال : تذاكرنا عند مجاهد قوله : « ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم » ، فقال مجاهد : هو كما قال ، يأتيهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم = زاد ابن حميد ، قال : « يأتيهم من ثَمَّ » .

١٤٣٨١ – حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد المدني قال ، قال مجاهد ، فذكر نحو حديث محمد بن عمرو ، عن أبي عاصم .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب ، قولُ من قال : معناه : ثم لآتينهم من جميع وجوه الحقّ والباطل ، فأصدّهم عن الحق ، وأحسِّن لهم الباطل . وذلك أن ذلك عَقِيب قوله : « لأقعدن لهم صراطك المستقيم » ، فأخبر أنه يقعد لبني آدم على الطريق الذي أمرَهم الله أن يسلكوه ، وهو ما وصفنا من دين الله دينِ الحق ، فيأتيهم في ذلك من كل وجوهه ، من الوجه الذي أمرهم الله به ، فيصدّهم عنه ، وذلك « من بين أيديهم وعن أيمانهم » = ومن الوجه الذي نهاهم الله عنه ، فيزيّنه لهم ويدعوهم إليه ، وذلك « من خلفهم وعن شمائلهم » .

* * *

وقيل : ولم يقل : « من فوقهم » ، لأن رحمة الله تنزل على عباده من فوقهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٣٨٢ – حدثنا سعد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري قال، حدثنا حفص بن عمر قال ، حدثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : « ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم » ، ولم يقل :

« من فوقهم » ، لأن الرحمة تنزل من فوقهم .

* * *

وأما قوله : « ولا تجد أكثرهم شاكرين » . فإنه يقول : ولا تجد ، ربِّ ، أكثر بنى آدم شاكرين لك نعمتك التى أنعمت عليهم ، كتكرمتك أباهم آدم بما أكرمته به ، من إسجادك له ملائكتك ، وتفضيلك إياه على= و « شكرهم إياه » ، طاعتهم له بالإقرار بتوحيده ، واتّباع أمره ونهيه .

* * *

وكان ابن عباس يقول فى ذلك بما : —

١٠٣/٨ ١٤٣٨٣ — حدثنى به المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « ولا تجد أكثرهم شاكرين » ، يقول : موحِّدين .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ﴾

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن إحلاله بالخبيث عدوِّ الله ما أحلّ به من نقمته ولعنته ، وطرده إياه عن جنته ، إذ عصاه وخالف أمره ، وراجعه من الجواب بما لم يكن له مراجعته به . يقول : قال الله له عند ذلك : « اخرج منها » ، أى من الجنة= « مذؤوماً مدحوراً » ، يقول : مَعِيباً .

* * *

و « الذأم » ، العيب . يقال منه : « ذأمُه يذأمه ذأماً فهو مذؤوم » ، ويتركون الهمز فيقولون : « ذِمْته أذيمه ذيماً وذاماً » ، و « الذأم » و « الذيم » ، أبلغ فى العيب من « الذمّ » ، وقد أنشد بعضهم هذا البيت :[1]

---

(١) هو الحارث بن خالد المخزومى .

صَحِبْتُكَ إِذْ عَيْنِي عَلَيْهَا غِشَاوَةٌ فَلَمَّا انْجَلَتْ قَطَّعْتُ نَفْسِي أَذِيمُهَا(١)

وأكثر الرواة على إنشاده : « ألومها » .

* * *

وأما «المدحور»، فهو المُقْصَى ، يقال: « دحره يدحَرُه دَحْرًا ودُحُوراً»، إذا أقصاه وأخرجه ، ومنه قولهم : « ادحَرْ عنكَ الشيطان » .(٢)

* * *

وبنحو الذي قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٣٨٤ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « اخرج منها مذؤوماً مدحوراً » ، يقول : اخرج منها لعيناً منفيًّا .

١٤٣٨٥ — حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « مذؤوماً »، ممقوتاً .

١٤٣٨٦ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه، عن ابن عباس قوله : « قال اخرج منها مذؤوماً » ، يقول : صغيراً منفيًّا .

١٤٣٨٧ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « اخرج منها مذؤوماً مدحوراً »، أما « مذؤوماً »، فمنفيًّا، وأما « مدحوراً » ، فمطروداً .

١٤٣٨٨ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « مذؤوماً »، قال: منفيًّا = « مدحوراً»، قال : مطروداً .

١٤٣٨٩ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى

---

(١) مضى البيت وشرحه وتخريجه ، وبغير هذه الرواية فيما سلف ١ : ٢٦٥ .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢١٢ .

جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : « اخرج منها مذؤوماً » ، قال : منفيًّا .
= و « المدحور » ، قال : المصغَّر .

١٤٣٩٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، عن يونس وإسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن التيمي ، عن ابن عباس : « اخرج منها مذؤوماً » ، قال : منفيًّا .

١٤٣٩١ – حدثني أبو عمرو القرقساني عثمان بن يحيي قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحق، عن التيمي : سأل ابن عباس: ما « اخرج منها مذؤوماً مدحوراً » ، قال : مقيتاً .(١)

١٤٣٩٢ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « اخرج منها مذؤوماً مدحوراً » ، فقال : ما نعرف « المذؤوم » و « المذموم » إلا واحداً ، ولكن تكون حروف منتقصة ، وقد قال الشاعر لعامر : يا « عام » ، ولحارث : « يا حار » ،(٢) وإنما أنزل القرآن على كلام العرب .

* * *

---

(١) الأثر : ١٤٣٩١ – « أبو عمرو القرقساني » ، « عثمان بن يحيي » ، شيخ الطبري ، لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من الكتب . ويزيد الأمر إشكالا أني وجد أبا جعفر في تاريخه يذكر إسناداً عن شيخ يقال له « عثمان بن يحيي » ، فيه ما نصه : « حدثني عثمان بن يحيي ، عن عثمان القرقساني ، قال حدثنا سفيان بن عيينة » ، فجعل بين « عثمان بن يحيي » و « سفيان بن عيينة » رجلا يقال له « عثمان القرقساني » ! والذي في التفسير يدل على أن الراوي عن سفيان بن عيينة هو « عثمان بن يحيي » نفسه . فظني أن في إسناد التاريخ خطأ ، ولعل صوابه : « حدثني عثمان بن يحيي بن عثمان القرقساني ، قال حدثنا سفيان بن عيينة » . هذا ما وجدت ، فعسى أن يجتمع عندي ما أتبين به صواب ذلك أو خطأه .

(٢) في المطبوعة : « ولكن يكون منتقصة ، وقال العرب لعامر . . . » ، وبين الكلام بياض . وفي المخطوطة : « ولكن تكون ف منتقصة . وقد قال الشاعر . . . » بياض بين الكلام ، فغير ناشر المطبوعة ما في المخطوطة بلا أمانة . وفي المخطوطة فوق البياض « كذا » وفي الهامش حرف (ط) للدلالة على الخطأ . ودلتني الفاء المفردة بعد البياض أن صواب هذا الذي بيض له ناسخ المخطوطة هو « حروف » ، فاستقام الكلام .

ومثال الترخيم في « عامر » قول الحطيئة لعامر بن الطفيل :

القول فى تأويل قوله ﴿ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (١٨)

قال أبو جعفر : وهذا قسم من الله جل ثناؤه . أقسم أن من اتبع من بنى آدم عدوَّ الله إبليس وأطاعه وصَدَّق ظنه عليه ، أن يملأ من جميعهم = يعنى : من كفرة بنى آدم تُبَّاع إبليس ، ومن إبليس وذريته = جهنم . فرحم الله امرأً كذّب ظن عدوِّ الله فى نفسه، وخيَّب فيها أمله وأمنيته ، ولم يمكّن من طمعَ طمعٍ فيها عدوَّه ، (١) واستغشَّه ولم يستنصحه، فإن الله تعالى ذكره إنما نبّه بهذه الآيات ١٠٤/٨ عباده على قِدَم عداوة عدوِّه وعدوهم إبليس لهم ، وسالف ما سلف من حسده لأبيهم ، وبغيه عليه وعليهم ، وعرّفهم مواقع نعمه عليهم قديماً فى أنفسهم ووالدهم ليدّبروا آياته ، وليتذكر أولو الألباب ، فينزجروا عن طاعة عدوه وعدوهم إلى طاعته ويُنيبوا إليها .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (١٩)

قال أبو جعفر : يقول الله تعالى ذكره : وقال الله لآدم : « يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما » ، فأسكن جل ثناؤه آدم وزوجته الجنة

يَا عَامِ ، قد كُنْتَ ذَا بَاعٍ وَمَكْرُمَةٍ لَوْ أَنَّ مَسْعَاةَ مَنْ جَارَيْتَهُ أَمَمُ

ومثال الترخيم فى « الحارث » ، قول زهير :

يَا حارِ ، لاَ أُرْمَيَنْ مِنْكُمْ بِدَاهِيَةٍ لَمْ يَلْقَهَا سُوقَةٌ قَبْلِي وَلاَ مَلِكُ

(١) فى المطبوعة : « ولم يكن ممن طمع فيها عدوه » ، غير ما فى المخطوطة لأنه لم يفهمه ، فأساء غاية الإساءة ، وأفسد الكلام .

بعد أن أهبط منها إبليس وأخرجه منها ، وأباح لهما أن يأكلا من ثمارها من أيّ مكان شاءا منها ، ونهاهما أن يقربا ثمر شجرة بعينها .

* * *

وقد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فى ذلك ، وما نرى من القول فيه صواباً ، فى غير هذا الموضع ، فكرهنا إعادته .(١)

* * *

=«فتكونا من الظالمين» ، يقول : فتكونا ممن خالف أمر ربّه ، وفعل ما ليس له فعله.

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « فوسوس لهما » ، فوسوس إليهما ، وتلك « الوسوسة » كانت قوله لهما : « ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين » ، وإقسامه لهما على ذلك .

* * *

وقيل : « وسوس لهما» ، والمعنى ما ذكرت ، كما قيل : « غَرِضت إليه » بمعنى : اشتقْتُ إليه ، وإنما تعنى : غَرِضت من هؤلاء إليه .(٢) فكذلك معنى ذلك .

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٥١٢ — ٥٢٤ .

(٢) فى المطبوعة : « كما قيل : عرضت له ، بمعنى : استبنت إليه » ، غير ما فى المخطوطة تغييراً تاماً ، فأتانا بلغو مبتذل لا معنى له . كان فى المخطوطة : « كما قيل : عرضت إليه بمعنى : اشتقت إليه» ، هكذا ، وصواب قراءتها ما أثبت .

وقوله : « غرضت إليه » بمعنى : اشتقت إليه ، « إنما تعنى : غرضت من هؤلاء إليه » ، هذا كأنه نص قول الأخفش فى تفسير قول ابن هرمة :

مَنْ ذَا رَسُولٌ ناصِحٌ فَمُبَلِّغٌ عَنِّى عُلَيَّةَ غَيْرَ قَوْلِ الكاذِبِ ؟
أنِّى غَرِضْتُ إلَى تَناصُفِ وَجْهِها غَرَضَ المُحِبِّ إلى الحَبِيبِ النائِبِ

فوسوس من نفسه إليهما الشيطان بالكذب من القيل ، ليبدى لهما ما وُورى عنهما من سوآتهما ، كما قال رؤبة :

* وَسْوَسَ يَدْعُو مُخْلِصًا رَبَّ الفَلَقْ * (١)

* * *

ومعنى الكلام: فجذب إبليس إلى آدم حوّاء، وألقى إليهما: ما نهاكما ربكما عن أكل ثمر هذه الشجرة ، إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين = ليبدى لهما ما واراه الله عنهما من عوراتهما فغطاه بستره الذى ستره عليهما .

* * *

وكان وهب بن منبه يقول فى الستر الذى كان الله سترهما به ، ما :-

١٤٣٩٣ - حدثنى به حوثرة بن محمد المنقرى قال، حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو ، عن ابن منبه فى قوله : « فبدت لهما سوآتهما » ، قال : كان عليهما نور ، لا ترى سوآتهما . (٢)

* * *

قوله : « تناصف وجهها » ، أى محاسن وجهها التى ينصف بعضها بعضاً فى الحسن . قال الأخفش : « تفسيره : غرضت من هؤلاء إليه ، لأن العرب توصل بهذه الحروف كلها الفعل» . ويريد الأخفش أنهم يقولون : « غرض غرضاً » ، إذا ضجر وقلق ومل ، فلما أدخل مع الفعل « إلى » ، صار معناه : ضجر من هذا نزاعاً واشتياقاً إلى هذا .

وموضع الاستشهاد أن « الوسوسة » الصوت الخفى من حديث النفس ، فنقل إبليس ما حاك فى نفسه إليهما ، فلذلك أدخل على « الوسوسة » « اللام » و « إلى » . ولكن أبا جعفر أدمج الكلام ههنا إدماجاً .

(١) ديوانه : ١٠٨ ، اللسان (وسس) ، وهذا بيت من أرجوزته التى مضت منها أبيات كثيرة . وهذا البيت من أبيات فى صفة الصائد المختفى ، يترقب حمر الوحش ، ليصيب منها . يقول : لما أحس بالصيد وأراد رميه ، وسوس نفسه بالدعاء حذر الخيبة ورجاء الإصابة .

(٢) الأثر : ١٤٣٩٣ - « حوثرة بن محمد بن قديد المنقرى » ، أبو الأزهر الوراق روى عنه ابن ماجة ، وابن خزيمة ، وابن صاعد ، وغيرهم . ذكره ابن حبان فى الثقات . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ١/٢/٢٨٣ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَقَالَ مَا نَهَـٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ ﴾ (٢٠)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : وقال الشيطان لآدم وزوجته حواء : ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة أن تأكلا ثمرَها ، إلا لئلا تكونا ملكين .

* * *

= وأسقطت « لا » من الكلام ، لدلالة ما ظهر عليها ، كما أسقطت من قوله : ﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا ﴾ ، [سورة النساء : ١٧٦] . والمعنى : يبين الله لكم أن لا تضلوا .

* * *

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يزعم أن معنى الكلام : ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا كراهة أن تكونا ملكين ، كما يقال : « إياك أن تفعل » كراهيةَ أن تفعل .

* * *

= « أو تكونا من الخالدين » ، فى الجنة ، الماكثين فيها أبداً ، فلا تموتا .[1]

* * *

والقراءة على فتح « اللام » ، بمعنى : ملكين من الملائكة .

* * *

وروى عن ابن عباس ، ما : —

١٤٣٩٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى حماد قال ، حدثنا عيسى الأعمى ، عن السدىّ قال : كان ابن عباس يقرأ : ﴿ إِلَّآ أَنْ تَكُونَا مَلِكَيْنِ ﴾ ، بكسر « اللام » .

* * *

وعن يحيى بن أبى كثير ، ما : —

---

(١) انظر تفسير « الخلود » فيما سلف من فهارس اللغة (خلد) .

١٤٣٩٥ – حدثني أحمد بن يوسف قال، حدثني القاسم بن سلام قال، حدثنا حجاج، عن هرون قال، حدثنا يعلى بن حكيم، عن يحيى بن أبي كثير : أنه قرأها: ﴿مَلِكَيْنِ﴾، بكسر «اللام». ٨/١٠٥

* * *

وكأنّ ابن عباس ويحيى وجّها تأويل الكلام إلى أن الشيطان قال لهما: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين من الملوك = وأنهما تأوّلا في ذلك قول الله في موضع آخر: ﴿قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَ يَبْلَى﴾، [سورة طه : ١٢٠].

* * *

قال أبو جعفر : والقراءة التي لا أستجيز القراءة في ذلك بغيرها، القراءةُ التي عليها قرأة الأمصار وهي، فتح «اللام» من: ﴿مَلَكَيْنِ﴾، بمعنى: ملكين، من الملائكة، لما قد تقدم من بياننا في أن كل ما كان مستفيضاً في قرأة الإسلام من القراءة، فهو الصواب الذي لا يجوزُ خلافه.

* * *

القول في تأويل قوله ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ (٢١)

قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بقوله: «وقاسمهما»، وحلف لهما، كما قال في موضع آخر: ﴿تَقَاسَمُوا بِاللهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ﴾، [سورة النمل : ٤٩]، بمعنى تحالفوا بالله، وكما قال خالد بن زهير [ابن] عمّ أبي ذؤيب: (١)

(١) جاء في المطبوعة والمخطوطة «خالد بن زهير عم أبي ذؤيب»، ولم أجد هذا القول لأحد، بل الذي قالوه أن «خالد بن زهير الهذلي»، هو ابن أخت أبي ذؤيب، أو: ابن أخيه، أو: ابن عم أبي ذؤيب. فالظاهر أن صواب الجملة هو ما أثبت. انظر خزانة الأدب ٢ : ٣٢٠، ٣/٣٢١ : ٥٩٧، ٥٩٨، ٦٤٧، ٦٤٨.

وَقَاسَمَهَا بِاللهِ جَهْداً لَأَنْتُمُ ... أَلَذُّ مِنَ السَّلْوَى إِذَا مَا نَشُورُهَا(١)

بمعنى : وحالفها بالله ، وكما قال أعشى بنى ثعلبة :

رَضِيعَىْ لِبَانٍ ، ثَدْىَ أُمٍّ تَقَاسَمَا ... بِأَسْحَمَ دَاجٍ عَوْضُ لَا نَتَفَرَّقُ(٢)

بمعنى : تحالفا

* * *

(١) ديوان الهذليين ١ : ١٥٨ ، من قصائده التى تقارضها هو وأبو ذؤيب فى المرأة التى كانت صديقة عبد عمرو بن مالك ، فكان أبو ذؤيب رسوله إليها ، فلما كبر عبد عمرو احتال لها أبو ذؤيب فأخذها منه وخادنها . وغاضبها أبو ذؤيب ، فكان رسوله إلى هذه المرأة ابن عمه خالد بن زهير ، ففعل به ما فعل هو بعبد عمرو بن مالك ، أخذ منه المرأة فخادنها ، فغاضبه أبو ذؤيب وغاضبها ، وقال لها حين جاءت تعتذر إليه :

تُرِيدِينَ كَيْمَا تَجْمَعِينِى وَخَالِدًا ! ... وَهَلْ يُجْمَعُ السَّيْفَانِ وَيْحَكِ فِى غِمْدِ !
أَخَالِدُ ، مَا رَاعَيْتَ من ذِى قَرَابَةٍ ... فَتَحْفَظَنِى بِالْغَيْبِ ، أَوْ بَعْضَ مَا تُبْدِى
دَعَاكَ إِلَيْهَا مُقْلَتَاهَا وَجِيدُهَا ... فَمِلْتَ كَمَا مَالَ الْمُحِبُّ عَلَى عَمْدِ

ثم قال لخالد :

رَعَى خَالِدٌ سِرِّى ، لَيَالِىَ نَفْسُهُ ... تَوَالَى على قَصْدِ السَّبِيلِ أُمُورُهَا
فَلَمَّا تَرَامَاهُ الشَّبَابُ وَغَيُّهُ ، ... وَفِى النَّفْسِ مِنْهُ فِتْنَةٌ وَفُجُورُهَا
لَوَى رَأْسَهُ عَنِّى ، ومَالَ بِوُدِّهِ ... أَغَانِيجُ خَوْدٍ كَانَ قِدْماً يَزُورُهَا

فأجابه خالد من أبيات :

فَلَا تَجْزَعَنْ مِنْ سُنَّةٍ أَنْتَ سِرْتَهَا ... وَأَوَّلُ رَاضٍ سُنَّةً مَنْ يَسِيرُهَا
فَإِنَّ الَّتِى فِينَا زَعَمْتَ ، ومِثْلُهَا ... لَفِيكَ ، وَلَكِنِّى أَرَاكَ تَجُورُهَا
تَنَقَّذْتَهَا مِنْ عَبْدِ عَمْرِو بن مَالِكٍ ... وَأَنْتَ صَفِىُّ النَّفْسِ مِنْهُ وَخِيرُهَا
يُطِيلُ ثَوَاءً عِنْدَهَا لِيَرُدَّهَا ... وَهَيْهَاتَ مِنْهُ دُورُهَا وقُصُورُهَا
وَقَاسَمَهَا بالله . . . .

و « السلوى » ، العسل . « شار العسل يشوره » ، أخذه من موضعه فى الخلية .

(٢) ديوانه : ١٥٠ ، اللسان (عوض) (سحم) من قصيدة مضت منها أبيات كثيرة .

وقوله : « إنى لكما لمن الناصحين » أى : لممن ينصح لكما فى مشورته لكما، وأمره إياكما بأكل ثمر الشجرة التى نهيتماعن أكل ثمرها، وفى خبرى إياكما بما أخبركما به ، من أنكما إن أكلتماه كنتما ملكين أو كنتما من الخالدين ، كما : —

١٤٣٩٦ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين » ، فحلف لهما بالله حتى خدعهما ، وقد يُخْدع المؤمن بالله ، فقال : إنى خلقت قبلكما ، وأنا أعلم منكما ، فاتبعانى أرشدكما . وكان بعض أهل العلم يقول : « من خادَعنا بالله خُدِعْنا » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « فدلاّهما بغرور » ، فخدعهما بغرور .

* * *

يقال منه : « ما زال فلان يدلىّ فلاناً بغرور » ، بمعنى : ما زال يخدعه بغرور ، ويكلمه بزخرف من القول باطل .(١)

* * *

= « فلما ذاقا الشجرة »، يقول : فلما ذاق آدم وحواء ثمر الشجرة، يقول : طعماه(٢) = « بدت لهما سوآتهما » ، يقول : انكشفت لهما سوآتهما ، لأن الله

وقد ذكرت هذا البيت فى شرح بيت سالف ١٠ : ٤٥١ ، تعليق : ١ = و « الأسحم » ، الضارب إلى السواد ، و « عوض » لما يستقبل من الزمان بمعنى : « أبداً » . واختلفوا فى معنى « بأسحم داج » ، وإقسامه به . فقالوا : أراد الليل . وقالوا : أراد سواد حلمة ثدى أمه . وقيل أراد الرحم وظلمته . وقيل : أراد الدم ، لسواده ، تغمس فيه اليد عند التحالف .

(١) انظر تفسير « الغرور » فيما سلف ص : ١٢٣ ، تعليق : ٢ والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « ذاق » فيما سلف ص : ٢٠٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

أعراهما من الكسوة التى كان كساهما قبل الذنب والخطيئة ، فسلبهما ذلك بالخطيئة التى أخطآ والمعصية التى ركبا [١]= « وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة » ، يقول : أقبلا وجعلا يشدّان عليهما من ورق الجنة ، ليواريا سوآتهما ، كما : —

١٤٣٩٧ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة » ، قال : جعلا يأخذان من ورق الجنة، فيجعلان على سوآتهما .

١٤٣٩٨ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن أبى بكر ، عن الحسن ، عن أبى بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان آدم كأنه نخلةٌ سَحُوق، [٢] كثيرُ شعر الرأس ، فلما وقع بالخطيئة بدت له عورته ، وكان لا يراها ، فانطلق فارًّا ، فتعرّضت له شجرة فحبسته بشعره ، فقال لها : أرسلينى ! فقالت : لست بمرسلتك ! فناداه ربه : يا آدم ، أمنّى تفرّ ؟ قال : لا ، ولكنى استحييتك . [٣]

١٤٣٩٩ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا سفيان بن عيينة وابن مبارك، عن الحسن بن عمارة ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كانت الشجرة التى نهى الله عنها آدم وزوجته ، السنبلة . فلما أكلا منها بدت لهما سوآتهما ، وكان الذى ١٠٦/٨

---

(١) انظر تفسير « بدا » فيما سلف ٥ : ٩/٥٨٢ : ٣٥٠ .
= وتفسير « السوأة » فيما سلف ١٠ : ٢٢٩ ، وما سيأتى ص : ٣٦١ ، تعليق : ٣

(٢) « نخلة سحوق » . هى الطويلة المفرطة التى تبعد ثمرها على المجتنى .

(٣) الأثر : ١٤٣٩٨ — « الحجاج » هو : « الحجاج بن المنهال » ، مضى مراراً .
و « أبو بكر » هو « أبو بكر الهذلى » ، مضى برقم : ٥٩٧ ، ٨٣٧٦ ، ١٣٠٥٤ ، وهو ضعيف ليس بثقة .
وهذا الخبر ، ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٤٥٨ ، عن سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن أبى بن كعب موقوفاً غير مرفوع . ثم قال ابن كثير : « وقد رواه ابن جرير وابن مردويه ، من طرق ، عن الحسن عن أبى بن كعب مرفوعاً ، والموقوف أصح إسناداً » . وهو كما قال . وسيأتى برقم : ١٤٤٠٣ ، من طريق سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة ، موقوفاً .

وَارى عنهما من سوآتهما أظفارُهما ، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، ورق التين ، يلصقان بعضها إلى بعض. فانطلق آدم مولّياً فى الجنة ، فأخذت برأسه شجرة من الجنة ، فناداه : أى آدم أمنى تفرّ ؟ قال : لا ، ولكنى استحييتك يارب ! قال: أما كان لك فيما منحتك من الجنة وأبحتُك منها مندوحةٌ عما حرمت عليك ؟ قال: بلى يا رب ، ولكن وعزتك ما حسبت أن أحداً يحلف بك كاذباً ! قال : وهو قول الله : « وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين». قال : فبعزّتى لأهبطنك إلى الأرض ، ثم لاتنال العيش إلا كدًّا . قال : فأهبط من الجنة ، وكانا يأكلان فيها رغداً ، فأهبطا فى غير رغد من طعام وشراب ، فعُلّم صنعة الحديد ، وأُمر بالحرث ، فحرث وزرع ثم سقى ، حتى إذا بلغ حصد ، ثم داسَه ، ثم ذرّاه ، ثم طحنه ، ثم عجنه ، ثم خبزه ، ثم أكله ، فلم يبلغْه حتى بُلِّغَ منه ما شاء الله أن يبلغَ .(١)

١٤٤٠٠ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « يخصفان » ، قال : يرقعان ، كهيئة الثوب .

١٤٤٠١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : يخصفان عليهما من الورق كهيئة الثوب .

١٤٤٠٢ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما » ، وكانا قبل ذلك

---

(١) الأثر : ١٤٣٩٩ — « الحسن بن عمارة بن المضرب البجلى » ، كان على قضاء بغداد فى ولاية المنصور . قال أحمد : « متروك الحديث ، كان منكر الحديث ، وأحاديثه موضوعة ، لا يكتب حديثه » . والقول فيه أشد من هذا . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/٢/٣٠٠ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٢٧ .

وكان فى المطبوعة : « عن الحسن عن عمارة » ، وهو خطأ محض ، صوابه ما أثبت من المخطوطة ، وابن كثير فى تفسيره ٣ : ٤٥٩ .

وفى المطبوعة وابن كثير : « فلم يبلغه ، حتى بلغ . . . » كل ذلك بالغين المعجمة ، والذى فى المخطوطة مهمل ، وظنى أنه الصواب المطابق للسياق .

لا يريانها = « وطفقا يخصفان » ، الآية .

١٤٤٠٣ – . . . . قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قال، حدثنا الحسن، عن أبي ابن كعب : أن آدم عليه السلام كان رجلاً طُوالاً كأنه نخلة سَحُوق ، كثير شعر الرأس . فلما وقع بما وقع به من الخطيئة ، بدت له عورته عند ذلك ، وكان لا يراها . فانطلق هارباً في الجنة ، فعلقت برأسه شجرة من شجر الجنة ، فقال لها : أرسليني ! قالت : إني غير مرسلتك ! فناداه ربه : يا آدم ، أمنّي تفرّ ؟ قال : رب إني استحييتك .(١)

١٤٤٠٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جعفر بن عون ، عن سفيان الثوري ، عن ابن أبي ليلى ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة » ، قال : ورق التين .

١٤٤٠٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن ابن أبي ليلى ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة » ، قال : ورق التين .

١٤٤٠٦ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن حسام بن مِصَكّ ، عن قتادة = وأبي بكر ، عن غير قتادة = قال : كان لباس آدم في الجنة ظُفُراً كله . فلما وقع بالذنب ، كُشِط عنه وبدت سوأته = قال أبو بكر : قال غير قتادة : « فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة » ، قال : ورق التين .(٢)

١٤٤٠٧ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا

---

(١) الأثر : ١٤٤٠٣ – انظر التعليق على الأثر السالف رقم : ١٤٣٩٨ ، فهذا هو الخبر الموقوف ، وهو أصح إسناداً من ذاك المرفوع .

(٢) الأثر : ١٤٤٠٦ – « حسام بن مصك بن ظالم بن شيطان الأزدي » ، ضعيف فاحش الخطأ والوهم . مضى برقم : ١١٧٢٠ . وكان في المطبوعة : « حسام بن معبد » لم يحسن قراءة المخطوطة .

و « أبو بكر » ، هو « أبو بكر الهذلي » ، ضعيف أيضاً ، مضى قريباً برقم : ١٤٣٩٨ .

معمر ، عن قتادة فى قوله : « بدت لهما سوآتهما » ، قال : كانا لا يريان سوآتهما .

١٤٤٠٨ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة قال ، حدثنا عمرو قال : سمعت وهب بن منبه يقول : ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾، [سورة الأعراف : ٢٧] . قال : كان لباس آدم وحواء عليهما السلام نوراً على فروجهما ، لا يرى هذا عورة هذه ، ولا هذه عورة هذا . فلما أصابا الخطيئة بدت لهما سوآتهما .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (٢٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: ونادى آدمَ وحواءَ ربُّهما : ألم أنهكما عن أكل ثمرة الشجرة التى أكلتما ثمرها ، وأعلمكما أن إبليس لكما عدو مبين = يقول : قد أبان عداوته لكما ، بترك السجود لآدم حسداً وبغياً ،(٢) كما :– ١٠٧/٨

١٤٤٠٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن أبى معشر ، عن محمد بن قيس قوله : « وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين » ، لم أكلتها وقد نهيتك عنها ؟ قال : يا رب ، أطعمتنى حواء ! قال لحواء : لم أطعمته ؟ قالت : أمرتنى الحية ! قال للحية ، لم أمرتها ؟ قالت : أمرنى إبليس ! قال : ملعون مدحور ! أما أنت يا حواء

---

(١) الأثر : ١٤٤٠٨ – قال ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٤٦٠ : « رواه ابن جرير بسند صحيح إليه » .

(٢) انظر تفسير « مبين » فيما سلف من فهارس اللغة (بين) .

فكما دمّيت الشجرة تَدْمَيْن كل شهر . وأما أنت يا حية ، فأقطع قوائمك فتمشين على وجهك ، وسيشدخُ رأسك من لقيك ، اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ .(١)

١٤٤١٠ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا عباد بن العوّام ، عن سفيان بن حسين ، عن يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما أكل آدم من الشجرة قيل له : لم أكلت من الشجرة التى نهيتك عنها ؟ قال : حواء أمرتنى ! قال : فإنى قد أعقبتها أن لا تحمل إلا كَرْهاً ، ولا تضع إلا كرهاً . قال : فرنّت حواء عند ذلك ، فقيل لها : الرنّة عليك وعلى ولدك .(٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (٢٣)

قال أبو جعفر : وهذا خبرٌ من الله جل ثناؤه عن آدم وحواء فيما أجاباه به ، واعترافِهما على أنفسهما بالذنب ، ومسألتهما إياه المغفرة منه والرحمة ، خلاف جواب اللعين إبليس إياه .

ومعنى قوله : « قالا ربنا ظلمنا أنفسنا » ، قال آدم وحواء لربهما : يا ربنا ، فعلنا بأنفسنا من الإساءة إليها بمعصيتك وخلاف أمرك ،(٣) وبطاعتنا عدوَّنا وعدوَّك فيما لم يكن لنا أن نطيعه فيه ، من أكل الشجرة التى نهيتنا عن أكلها = « وإن لم تغفر لنا » ، يقول : وإن أنت لم تستر علينا ذنبنا فتغطيه علينا ، وتترك فضيحتنا

---

(١) الأثر : ١٤٤٠٩ – مضى الخبر مطولا بهذا الإسناد رقم : ٧٥٢ ، مع اختلاف يسير فى لفظه . وانظر تخريجه هناك .

(٢) « رنت المرأة ترن رنيناً » : أى صوتت وصاحت من الحزن والجزع . و « الرنة » : الصيحة الحزينة عند البكاء .

(٣) هكذا فى المخطوطة والمطبوعة ، ولعل الصواب : « فعلنا الظلم بأنفسنا » . وانظر تفسير « الظلم » فيما سلف من فهارس اللغة (ظلم) .

به بعقوبتك إيانا عليه[١] = « وترحمنا » ، بتعطفك علينا ، وتركك أخذنا به[٢] = « لنكونن من الخاسرين » ، يعنى : لنكونن من الهالكين .

* * *

وقد بينا معنى « الخاسر » فيما مضى بشواهده ، والرواية فيه ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[٣]

* * *

١٤٤١١ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : قال آدم عليه السلام : يا رب، أرأيتَ إن تبتُ واستغفرتك؟ قال : إذاً أدخلك الجنة . وأما إبليس فلم يسأله التوبة ، وسأل النَّظِرة ، فأعطى كلَّ واحد منهما ما سأل .

١٤٤١٢ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا » ، الآية ، قال : هى الكلمات التى تلقَّاها آدم من ربه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (٢٤)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن فعله بإبليس وذريته ، وآدم وولده ، والحية .

يقول تعالى ذكره لآدم وحواء وإبليس والحية : اهبطوا من السماء إلى الأرض، بعضكم لبعض عدوّ ، كما : —

---

(١) انظر تفسير « المغفرة » فيما سلف من فهارس اللغة (غفر) .
(٢) انظر تفسير « الرحمة » فيما سلف من فهارس اللغة (رحم) .
(٣) انظر تفسير « الخسارة » فيما سلف ص: ٣١٥، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

١٤٤١٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو بن طلحة، عن أسباط، عن السدى : « اهبطوا بعضكم لبعض عدو » ، قال : فلعنَ الحية ، وقطع قوائمها، وتركها تمشى على بطنها ، وجعل رزقها من التراب ، وأهبطوا إلى الأرض : آدم، وحواء ، وإبليس ، والحية .(١)

١٤٤١٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة، عن أبى عوانة ، عن إسمعيل بن سالم ، عن أبى صالح : «اهبطوا بعضكم لبعض عدو» ، قال : آدم، وحواء، والحية .(٢)

* * *

١٠٨/٨ وقوله : « ولكم فى الأرض مستقر »،(٣) يقول: ولكم، يا آدم وحواء، وإبليس والحية = فى الأرض قرارٌ تستقرونه ، وفراش تمتهدونه ،(٤) كما : –

١٤٤١٥ – حدثنى المثنى قال، حدثنا آدم العسقلانى قال، حدثنا أبو جعفر، عن الربيع ، عن أبى العالية فى قوله : « ولكم فى الأرض مستقر » ،قال : هو قوله : ﴿ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا ﴾ ، [سورة البقرة: ٢٢] .(٥)

* * *

وروى عن ابن عباس فى ذلك ، ما : –

١٤٤١٦ – حدثت عن عبيد الله، عن إسرائيل ، عن السدى ، عمن حدثه ، عن ابن عباس قوله : « ولكم فى الأرض مستقر » ، قال : القبور .(٦)

* * *

---

(١) الأثر : ١٤٤١٣ – « عمرو بن طلحة » ، هو « عمرو بن حماد بن طلحة القناد » ، منسوباً إلى جده . وقد مضى مئات من المرات فى هذا الإسناد وغيره، «عمرو بن حماد ، عن أسباط » . وقد سلف برقم : ٧٥٥ .

(٢) الأثر : ١٤٤١٤ – مضى برقم : ٧٥٤ .

(٣) انظر تفسير نظيرة هذه الآية فيما سلف ١ : ٥٣٥ – ٥٤١ .

(٤) انظر تفسير « مستقر » فيما سلف ١ : ٥٣٩/ ١١ : ٤٣٤ ، ٥٦٢–٥٧٢

(٥) الأثر : ١٤٤١٥ – مضى برقم : ٧٦٥ . وكان فى المطبوعة والمخطوطة هنا : « هو الذى جعل ... » ، بزيادة « هو » ، وهو سبق قلم من الناسخ .

(٦) الأثر : ١٤٤١٦ – انظر ما سلف رقم : ٧٦٧ ، بغير هذا الإسناد .

قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبرَ آدم وحواءَ وإبليس والحية ، إذ أهبطوا إلى الأرض : أنهم عدوٌّ بعضهم لبعض ،وأن لهم فيها مستقرًّا يستقرون فيه ، ولم يخصصها بأن لهم فيها مستقرًّا فى حال حياتهم دون حال موتهم ، بل عمَّ الخبرَ عنها بأن لهم فيها مستقرًّا ، فذلك على عمومه ، كما عمّ خبرُ الله ، ولهم فيها مستقر فى حياتهم على ظهرها ، وبعد وفاتهم فى بطنها ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴾، [سورة المرسلات : ٢٥ ، ٢٦].

* * *

وأما قوله : « ومتاع إلى حين » ، فإنه يقول جل ثناؤه : « ولكم فيها متاع » ، تستمتعون به إلى انقطاع الدنيا ،(١) وذلك هو الحين الذى ذكره ، كما : —

١٤٤١٧ — حدثت عن عبيد الله بن موسى قال ، أخبرنا إسرائيل ، عن السدى ، عمن حدثه ، عن ابن عباس : « ومتاع إلى حين » ، قال : إلى يوم القيامة ، وإلى انقطاع الدنيا .

* * *

و « الحين » نفسه : الوقت ، غير أنه مجهول القدر(٢) ، يدل على ذلك قول الشاعر :(٣)

وَمَا مِرَاحُكَ بَعْدَ الحِلْمِ وَالدِّينِ وَقَدْ عَلَاكَ مَشِيبٌ حِينَ لَا حِينِ(٤)

أى : وقت لا وقت .

* * *

(١) انظر تفسير « المتاع » فيما سلف ١ : ٥٣٩ — ٥٤١ / ١١ : ٧١ ، تعليق : ٢ . والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الحين » فيما سلف ١ : ٥٤٠ ، ولم يذكر هنا هناك فى تفسير نظيرة هذه الآية .

(٣) هو جرير .

(٤) ديوانه : ٥٨٦ ، وسيبويه ١ : ٣٥٨ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢١٢ ، والخزانة ٢ : ٩٤ ، وغيرها . مطلع قصيدة فى هجاء الفرزدق ، ورواية الديوان ، وسيبويه :

* ملبالُ جَهْلِكَ بَعْدَ الحِلْمِ وَالدِّينِ *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ (٢٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال الله للذين أهبطهم من سمواته إلى أرضه : « فيها تحيون » ، يقول : فى الأرض تحيون ، يقول : تكونون فيها أيام حياتكم = « وفيها تموتون » ، يقول : فى الأرض تكون وفاتكم = « ومنها تخرجون » ، يقول : ومن الأرض يخرجكم ربكم ويحشركم إليه لبعث القيامة أحياء .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه للجهلة من العرب الذين كانوا يتعرّون للطواف ، اتباعاً منهم أمرَ الشيطان ، وتركًا منهم طاعةَ الله، فعرفهم انخداعهم بغروره لهم ، حتى تمكن منهم فسلبهم من ستر الله الذى أنعمَ به عليهم ، حتى

وبعده :

لِلْغَانِيَاتِ وِصَالٌ لَسْتُ قَاطِعَهُ ... عَلَى مَوَاعِدَ مِنْ خُلْفٍ وَتَلْوِينِ
إِنِّى لَأَرْهَبُ تَصْدِيقَ الْوُشَاةِ بِنَا ... أَوْ أَنْ يَقُولَ غَوِىٌّ للنَّوَى: بِينِى

و « المراح » (بكسر الميم) : المرح والاختيال والتبختر ، وذلك من جنون الشباب واعتداده بنفسه . وكأن رواية الديوان هى الجودى .

وأنشده سيبويه شاهداً على إلغاء « لا » وإضافة « حين » الأولى إلى « حين » الثانية، قال: فإنما هو حين حين ، و « لا » بمنزلة « ما » إذا ألغيت .

وهذا الذى ذكر أبو جعفر هو قول أبى عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ٢١٢ ، وجاء بالبيت كما رواه هنا ، وإن كان فى مطبوعة مجاز القرآن : « وما مزاحك » بالزاى ، وهو خطأ مطبعى فيما أظن .

أبدى سوآتهم وأظهرها من بعضهم لبعض ، مع تفضل الله عليهم بتمكينهم مما يسترونها به ، وأنهم قد سار بهم سيرته فى أبويهم آدم وحواء اللذين دلاّهما بغرور حتى سلبهما ستر الله الذى كان أنعم به عليهما حتى أبدى لهما سوآتهما فعرّاهما منه : « يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً » ، يعنى بإنزاله عليهم ذلك ، خلقه لهم ، ورزقه إياهم = و «اللباس» ما يلبسون من الثياب[1] = « يوارى سوآتكم » ، يقول : يستر عوراتكم عن أعينكم[2] = وكنى بـ « السوآت » ، عن العورات .

* * *

= واحدتها « سوأة» ، وهى « فعلة » من « السوء » ، وإنما سميت « سوأة » ، لأنه يسوء صاحبها انكشافُها من جسده ،[3] كما قال الشاعر :[4]

خَرَقُوا جَيْبَ فَتَاتِهِمُ لَمْ يُبَالُوا سَوْأَةَ الرَّجُلِهْ[5]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٤١٨ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « لباساً يوارى سوآتكم » ، قال : كان ناس من العرب يطوفون بالبيت عراةً ، ولا يلبس أحدهم ثوباً طاف فيه . ١٠٩/٨

١٤٤١٩ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن

(١) انظر تفسير « اللباس » فيما سلف ٣ : ٤٨٩– ٤٩١/٥ : ٤٨٠/١١ : ٢٧٠ .
(٢) انظر تفسير « وارى » فيما سلف ١٠ : ٢٢٩ .
(٣) انظر تفسير « السوأة » فيما سلف ١٠ : ٢٢٩/ وهذا الجزء ص : ٣٥٢ .
(٤) لم أعرف قائله .
(٥) الكامل ١ : ١٦٥ ، وشرح الحماسة ١ : ١١٧ ، واللسان (رجل) ، وغيرهما ، وقبل البيت .

كُلُّ جَارٍ ظَلَّ مُغْتَبِطاً غَيْرَ جِيرَانِى بَنِى جَبَلَهْ

وروايتهم : « لم يبالوا حرمة الرجله » . وكنى بقوله : « جيب فتاتهم » ، عن عورتها وفرجها . وأنث « الرجل » ، فجعل المرأة : « رجلة » .

ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

١٤٤٢٠ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد المدني قال ، سمعت مجاهداً يقول في قوله : « يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً » ، قال : أربع آيات نزلت في قريش . كانوا في الجاهلية لا يطوفون بالبيت إلاّ عراة .

١٤٤٢١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة ، عن عوف قال: سمعت معبداً الجهني يقول في قوله : « يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً » ، قال : اللباس الذي تلبسون .

١٤٤٢٢ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم » ، قال : كانت قريش تطوف عراة ، لا يلبس أحدهم طاف ثوباً فيه . وقد كان ناس من العرب يطوفون بالبيت عراة .

١٤٤٢٣ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا محمد بن جعفر وسهل بن يوسف ، عن عوف ، عن معبد الجهني : « يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم » ، قال : اللباس الذي يواري سوآتكم ، وهو لَبُوسكم هذه .[1]

١٤٤٢٤ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « لباساً يواري سوآتكم » ، قال : هي الثياب .

١٤٤٢٥ – حدثنا الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا أبو سعد قال ، حدثني من سمع عروة بن الزبير يقول : اللباس : الثياب .

١٤٤٢٦ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال ،

---

(١) « اللبوس » ، الثياب ، وهو مذكر ، فإن ذهبت به إلى « الثياب » جاز لك أن تؤنث ، وكان في المطبوعة : هو لبوسكم هذا » ، وأثبت ما في المخطوطة .

حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوآتكم » ، قال : يعنى ثيابَ الرجل التى يلبسها .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَرِيشاً ﴾

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة الأمصار : ﴿ وَرِيشاً ﴾ ، بغير « ألف » .

* * *

وذكر عن زر بن حبيش والحسن البصرى : أنهما كانا يقرآنه : ﴿ وَرِياشاً ﴾.

١٤٤٢٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن أبان العطار قال ، حدثنا عاصم : أن زر بن حبيش قرأها : ﴿ وَرِياشاً ﴾ .

* * *

قال أبو جعفر : والصوابُ من القراءة فى ذلك ، قراءة من قرأ : ﴿ وَرِيشاً ﴾ بغير « ألف » ، لإجماع الحجة من القرأة عليها .

وقد رُوِى عن النبى صلى الله عليه وسلم خبرٌ فى إسناده نظر : أنه قرأه : ﴿ وَرِيَاشاً ﴾ .(١)

فمن قرأ ذلك : ﴿ وَرِيَاشاً ﴾ فإنه محتمل أن يكون أراد به جمع « الريش » ، كما تجمع « الذئب » ، « ذئاباً » ، و « البئر » « بئاراً » .

ويحتمل أن يكون أراد به مصدراً ، من قول القائل : « راشه الله يَريشه رياشاً ورِيشاً » ، (٢) كما يقال : « لَبِسه يلبسه لباساً ولِبْساً » ، وقد أنشد بعضهم : (٣)

---

(١) سيأتى هذا الخبر بإسناده رقم : ١٤٤٤٦ .

(٢) أراد هنا أن يجعل « ريشا » مصدراً بكسر « الراء » ، كما هو بين فى معانى القرآن للفراء ١ : ٣٧٥ ، ولذلك ضبطها كذلك ، والذى نص عليه أهل اللغة أن المصدر « ريشا » بفتح فسكون .

(٣) هو حميد بن ثور الهلالى .

فَلَمَّا كَشَفْنَ اللِّبْسَ عَنْهُ مَسَحْنَهُ بِأَطْرَافِ طَفْلٍ زَانَ غَيْلاً مُوشَّمَا(١)

بكسر « اللام » من « اللبس » .

و« الرياش »، فى كلام العرب، الأثاث ، وما ظهر من الثياب من المتاع مما يلبس أو يُحْشى من فراش أو دِثَار.

و« الريش » إنما هو المتاع والأموال عندهم . وربما استعملوه فى الثياب والكسوة دون سائر المال . يقولون : « أعطاء سرجاً بريشه » ، و « رحْلاً بريشه » ، أى بكسوته وجهازه . ويقولون : « إنه لحسن ريش الثياب » ، وقد يستعمل « الرياش » فى الخصب ورَفاهة العيش .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال : « الرياش » ، المال .

١١٠/٨ ١٤٤٢٨ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن

---

(١) ديوانه : ١٤ ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٣٧٥ ، واللسان (لبس) (طفل) ، والمخصص ٤ : ٣٥، وغيرها . وهذا بيت من قصيدة له طويلة فى ديوانه ، أرجح أنها مختلطة الترتيب، وهذا البيت مما اختلط . فإنه فى صفة الرحل ، فقال فيه (كما ورد فى الديوان البيت رقم : ٣٧) ، بعد أن زينته الجوارى (والشعر فى الديوان كثير الخطأ ، فصححته) .

تَنَاهَى عَلَيْهِ الصَّانِعَاتُ ، وَشَاكَلَتْ بِهِ الخيلَ حَتَّى هَمَّ أَنْ يَتَحَمْحَمَا

ثم قال بعد رقم : ٤٠ .

تَخَالُ خِلالَ الرَّقْمِ لَمَّا سَدَلْنَهُ حِصَاناً تَهَادَى سَامِيَ الطَّرْفِ مُلْجَمَا

وقال قبل البيت (وهما فى ترتيب الديوان : ٣٢ ، ٣٣) :

فَزَيَّنَّهُ بِالعِهْنِ حَتَّى لَوَ أَنَّهُ يُقَالُ لَهُ : هَابِ ، هَلُمَّ ! لَأَقْدَمَا

جعل الهودج قد صار كأنه فرس عليه زينته وجلاله وسرجه . وقوله : « فلما كشفن اللبس عنه » ، يعنى الهودج . و « مسحنه » يعنى الجوارى اللواتى صنعه وزوقنه وزينه . و « الطفل » (بفتح فسكون) هو البنان الناعم ، وأراد : مسحنه بأطراف بنان طفل ، فجعل « طفلا » بدلا من « البنان » . و « الغيل » (بفتح فسكون) الساعد الريان الممتلىء . و « الموشم » ، عليه الوشم ، وكان زينة الجاهلية أبطلها الإسلام ، ولعن الله متخذها ، رجلا كان أو امرأة .

على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وريشاً » ، يقول : مالاً .

١٤٤٢٩ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وريشاً » ، قال : المال .

١٤٤٣٠ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٤٤٣١ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ورياشاً »، قال : أما « رياشاً » ، فرياش المال .(١)

١٤٤٣٢ – حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد المدنى قال، حدثنى من سمع عروة بن الزبير يقول : « الرياش »، المال .

١٤٤٣٣ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك قوله : « ورياشاً » ، يعنى ، المال .

* * *

* ذكر من قال : هو اللباس ورفاهة العيش .

١٤٤٣٤ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ورياشاً » ، قال : « الرياش » ، اللباس والعيش والنّعيم .

١٤٤٣٥ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا محمد بن جعفر ، وسهل بن يوسف ، عن عوف ، عن معبد الجهنى : « ورياشاً » ، قال : « الرياش » ، المعاش .

١٤٤٣٦ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا عوف قال ، قال معبد الجهنى : « ورياشاً » ، قال : هو المعاش .

* * *

---

(١) حيث جاءت « رياش » القراءة الثانية فى هذه الأخبار ، فإنى تاركها على ما هى عليه ألا غيرها إلى قراءتنا .

وقال آخرون : « الريش » ، الجمال .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٤٣٧ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله : « ورياشاً » ، قال : « الريش » ، الجمال .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك .

فقال بعضهم : « لباس التقوى » ، هو الإيمان .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٤٣٨ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ولباس التقوى » ، هو الإيمان .

١٤٤٣٩ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدي : « ولباس التقوى » ، الإيمان .

١٤٤٤٠ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسن قال ، أخبرني حجاج ، عن ابن جريج : « ولباس التقوى » ، الإيمان .

* * *

وقال آخرون : هو الحياء .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٤٤١ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا محمد بن جعفر وسهل بن يوسف ، عن عوف ، عن معبد الجهني في قوله : « ولباس التقوى » ، الذي ذكر الله في القرآن ، هو الحياء .

١٤٤٤٢ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا

عوف قال ، قال معبد الجهني ، فذكر مثله .

١٤٤٤٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة ، عن عوف ، عن معبد ، بنحوه .

* * *

وقال آخرون : هو العمل الصالح .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٤٤٤ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « ولباس التقوى ذلك خير » ، قال : « لباس التقوى » ، العمل الصالح .

* * *

وقال آخرون : بل ذلك هو السَّمْت الحسَن .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٤٤٥ – حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة قال، حدثنا عبد الله بن داود ، عن محمد بن موسى ، عن . . . . بن عمرو ، عن ابن عباس : « ولباس التقوى » ، قال : السمت الحسن في الوجه .(١)

١٤٤٤٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق بن الحجاج قال ، حدثنا إسحق بن إسمعيل ، عن سليمان بن أرقم ، عن الحسن قال : رأيت عثمان بن عفان على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عليه قميصٌ قُوهيّ محلول الزرّ ،(٢) وسمعته يأمر بقتل الكلاب ، وينهى عن اللعب بالحمام ، ثم قال : يا أيها الناس ،

---

(١) الأثر : ١٤٤٤٥ – في هذا الإسناد في المخطوطة : « عن الدنا بن عمرو » ، كلمة لم أعرف كيف تقرأ ، فوضعت مكانها نقطاً ، وكان في المطبوعة : « الزباء بن عمرو » ، لا أدري من أين جاء بهذا الاسم !! ووجدت في تفسير ابن كثير ٣ : ٤٦٢ : « الديال بن عمرو » ، وهذا أيضاً . لم أعرف ما يكون .

« محمد بن موسى » ، لم أستطع أن أحدد من يكون .

(٢) « القميص القوهي » ، منسوب إلى « قوهستان » ، وهي أرض متصلة بنواحي هراة ونيسابور ، ينسب إليها ضرب من الثياب .

١١١/٨ اتقوا الله فى هذه السرائر ، فإنّى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « والذى نفس محمد بيده ، ما عمل أحدٌ قط سرًّا إلا ألبسه الله رداءَ علانية ، [١] إن خيراً فخيراً ، وإن شرًّا فشراً ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ وَرِيَاشاً ﴾ = ولم يقرأها : ﴿ وَرِيشاً ﴾ = ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ ﴾ ، قال : السمتُ الحسن . [٢]

* * *

وقال آخرون : هو خشية الله .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٤٤٧ – حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد المدنى قال ، حدثنى من سمع عروة بن الزبير يقول : « لباس التقوى » ، خشية الله .

* * *

وقال آخرون : « لباس التقوى » ، فى هذه المواضع ، ستر العورة .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٤٤٨ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ولباس التقوى » ، يتقى الله ، فيوارى عورته ، ذلك « لباس التقوى » .

* * *

---

(١) نص ابن كثير فى تفسيره ، نقلا عن هذا الموضع من الطبرى : « ما أسر أحد سريرة إلا ألبسها الله رداءها علانية » ، ولا أدرى من أين جاء هذا الاختلاف : وفى المطبوعة : « رداءه » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٤٤٤٦ – « إسحق بن الحجاج الرازى الطاحونى » ، مضى برقم : ٢٣٠ ، ١٦١٤ ، ١٠٣١٤ .

و « إسحق بن إسماعيل » لعله « إسحق بن إسماعيل الرازى » ، أبو يزيد ، حبويه . مترجم فى ابن أبى حاتم ١/١/٢١٢ .

و « سليمان بن أرقم » ، أبو معاذ . ضعيف جداً ، متروك الحديث ، مضى برقم : ٤٩٢٣ .

فمن أجل ضعف « سليمان بن أرقم » ، قال أبو جعفر فيما سلف ص: ٣٦٣ ، تعليق : ١ ، أن فى إسناد هذا الخبر نظراً .

وهذا الخبر رواه ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، وضعفه ، ثم قال : « وقد روى الأئمة ، الشافعى وأحمد والبخارى فى كتاب الأدب من طرق صحيحة ، عن الحسن : أنه سمع أمير المؤمنين عثمان بن عفان يأمر بقتل الكلاب وذبح الحمام يوم الجمعة على المنبر » . قلت : وخبر أحمد فى المسند رقم : ٥٢١ ، وخبر البخارى فى الأدب المفرد ص : ٣٣٢ ، ٣٣٣ برقم : ١٣٠١ .

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة المكيين والكوفيين والبصريين : ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ ، برفع « ولباس » .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة المدينة : ﴿وَلِبَاسَ التَّقْوَى﴾ ، بنصب « اللباس » ، وهى قراءة بعض قرأة الكوفيين .

* * *

فمن نصب « ولباس » ، فإنه نصبه عطفاً على « الريش » ، بمعنى : قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوآتكم وريشاً ، وأنزلنا لباسَ التقوى .

* * *

وأما الرفع ، فإن أهل العربية مختلفون فى المعنى الذى ارتفع به « اللباس » .

فكان بعض نحويى البصرة يقول : هو مرفوع على الابتداء ، وخبره فى قوله : « ذلك خير » . وقد استخطأه بعض أهل العربية فى ذلك وقال : هذا غلط ، لأنه لم يعد على « اللباس » فى الجملة عائد ، فيكون « اللباس » إذا رفع على الابتداء ، وجعل « ذلك خير » خبراً .

* * *

وقال بعض نحويى الكوفة : « ولباس » ، يرفع بقوله : ولباس التقوى خير ، ويجعل « ذلك » من نعته . (١)

* * *

قال أبو جعفر : وهذا القول عندى أولى بالصواب فى رافع « اللباس » ، لأنه لاوجه للرفع إلا أن يكون مرفوعاً بـ « خير » ، وإذا رفع بـ « خير » لم يكن فى ذلك وجه إلا أن يجعل « اللباس » نعتاً ، لا أنه عائد على « اللباس » من ذكره فى قوله : « ذلك خير » ، فيكون « خير » مرفوعاً بـ « ذلك » ، و « ذلك » ، به .

* * *

(١) هذا قول الفراء ١ : ٣٧٥ .

فإذ ، كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام = إذا رفع « لباس التقوى » = : ولباس التقوى ذلك الذى قد علمتموه ، خير لكم يا بنى آدم ، من لباس الثياب التى توارى سوآتكم ، ومن الرياش التى أنزلناها إليكم ، هكذا فالبَسوه .

* * *

وأما تأويل من قرأه نصباً ، فإنه : « يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوآتكم وريشاً ولباس التقوى » ، هذا الذى أنزلنا عليكم من اللباس الذى يوارى سوآتكم. والريش ، ولباس التقوى خير لكم من التعرِّى والتجرد من الثياب فى طوافكم بالبيت ، فاتقوا الله والبسوا ما رزقكم الله من الرياش ، ولا تطيعوا الشيطان بالتجرد والتعرِّى من الثياب ، فإن ذلك سخرية منه بكم وخدعة ، كما فعل بأبويكم آدم وحواء ، فخدعهما حتى جرّدهما من لباس الله الذى كان ألبسهما بطاعتهما له ، فى أكل ما كان الله نهاهما عن أكله من ثمر الشجرة التى عصَياه بأكلها .

* * *

قال أبو جعفر : وهذه القراءة أولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب ، أعنى نصب قوله : ﴿ وَلِبَاسَ التَّقْوَى ﴾ ، لصحة معناه فى التأويل على ما بيّنت ، وأن الله إنما ابتدأ الخبر عن إنزاله اللباس الذى يوارى سوآتنا والرياش ، توبيخاً للمشركين الذين كانوا يتجرّدون فى حال طوافهم بالبيت ، ويأمرهم بأخذ ثيابهم والاستتار بها فى كل حال ، مع الإيمان به واتباع طاعته = ويعلمهم أن كلّ ذلك خير من كلّ ما هم عليه مقيمون من كفرهم بالله ، وتعرِّيهم ، لا أنه أعلمهم أن بعض ما أنزل إليهم خيرٌ من بعض .

ومما يدل على صحة ما قلنا فى ذلك ، الآياتُ التى بعد هذه الآية ، وذلك قوله : « يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزِعُ عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما » وما بعد ذلك من الآيات إلى قوله : « وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » ، فإنه جل ثناؤه يأمر فى كل ذلك بأخذ الزينة من الثياب ، واستعمال اللباس ، وترك التجرّد والتعرّى ، وبالإيمان به ، واتباع أمره والعمل بطاعته ، ١١٢/٨

وينهى عن الشرك به واتباع أمر الشيطان ، مؤكداً فى كل ذلك ما قد أجمله فى قوله : « يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوآتكم وريشاً ولباسَ التقوى ذلك خير » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصحة فى تأويل قوله : « ولباس التقوى » ، استشعار النفوس تقوى الله ، فى الانتهاء عما نهى الله عنه من معاصيه ، والعمل بما أمر به من طاعته ، وذلك يجمع الإيمان ، والعمل الصالح ، والحياء ، وخشية الله ، والسمتَ الحسن . لأن من اتقى الله كان به مؤمناً ، وبما أمره به عاملاً ، ومنه خائفاً ، وله مراقباً ، ومن أن يُرَى عند ما يكرهه من عباده مستحيياً . ومن كان كذلك ظهرت آثار الخير فيه ، فحسن سَمْته وهَدْيه ، ورُئِيَتْ عليه بهجة الإيمان ونوره .

وإنما قلنا عنى بـ « لباس التقوى » ، استشعارَ النفس والقلب ذلك = لأن « اللباس » ، إنما هو ادِّراع ما يلبس ، واجتياب ما يكتسى ،[1] أو تغطية بدنه أو بعضه به . فكل من ادَّرع شيئاً واجتابهُ حتى يُرَى عَيْنه أو أثرُه عليه ،[2] فهو له «لابس» . ولذلك جعل جل ثناؤه الرجال للنساء لباساً ، وهن لهم لباساً ،

---

(١) فى المطبوعة : « واحتباء ما يكتسى » ، غير ما فى المخطوطة ، لخطأ فى نقطها ، فأساء غاية الإساءة ، كان فى المخطوطة : « واحتتاب » ، وصواب قراءتها ما أثبت وانظر التعليق التالى . « اجتاب الثوب اجتياباً » ، لبسه ، قال لبيد :

فَبِتِلْكَ إِذْ رَقَصَ اللَّوَامِعُ بِالضُّحَى وَاجْتَابَ أَرْدِيَةَ السَّرَابِ إِكَامُهَا
أَقْضِى اللُّبَانَةَ لاَ أُفَرِّطُ رِيبَةً أَوْ أَنْ يَلُومَ بِحَاجَةٍ لَوَّامُهَا

(٢) فى المطبوعة : « فكل من ادرع شيئاً واحتبى به حتى يرى هو أو أثره عليه » ، أساء كما أساء فى السالف ، ولكن كان الخطأ أعذر له ، لأنه فيها « فكل من ادرع شيئاً واحبا » هذا آخر السطر ، ثم بدأ فى السطر التالى « به حتى يرى عنه أو أثره عليه » . فجاء الناشر فجعلها « واحتبى به » والصواب ما أثبت ، وإنما قطع الناسخ الكلمة فى سطرين !! وانظر التعليق السالف .

وجعل الليل لعباده لباساً . (١)

* * *

* ذكر من تأول ذلك بالمعنى الذى ذكرنا من تأويله ، إذا قرئ قوله : ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَى ﴾ ، رفعاً .

١٤٤٤٩ – حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولباس التقوى » ، الإيمان = « ذلك خير » ، يقول : ذلك خير من الرياش واللباس يوارى سوآتكم .

١٤٤٥٠ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولباس التقوى » ، قال : لباس التقوى خير ، وهو الإيمان .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (٢٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ذلك الذى ذكرت لكم أنى أنزلته إليكم ، أيها الناس ، من اللباس والرياش ، من حجج لله وأدلته التى يعلم بها من كفر صحة توحيد الله ، وخطأ ما هم عليه مقيمون من الضلالة = « لعلهم يذكرون » ، يقول جل ثناؤه : جعلت ذلك لهم دليلاً على ما وصفت ، ليذكروا فيعتبروا وينيبوا إلى الحق وترك الباطل ، رحمة منى بعبادى . (٢)

* * *

وأما قوله فى المطبوعة : « حتى يرى هو أو أثره عليه » ، فقد غيره تغييراً لا يجدى ، وصواب قراءة المخطوطة كما أثبت .

(١) شاهد الأول آية « سورة البقرة » : ١٨٧ : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ .
وشاهد الثانى آية « سورة النبأ » : ١٠ : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ .

(٢) انظر تفسير « آية » فيما سلف من فهارس اللغة (أيى) .
= وتفسير « يذكر » فيما سلف منها (ذكر) .

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : يا بنى آدم ، لا يخدعنكم الشيطان فيبدى سوآتكم للناس بطاعتكم إياه عند اختباره لكم ، كما فعل بأبويكم آدم وحواء عند اختباره إياهما فأطاعاه وعصيا ربهما ، فأخرجهما بما سبَّب لهما من مكره وخدعه ، من الجنة ، ونزع عنهما ما كان ألبسهما من اللباس ، ليريهما سوآتهما بكشف عورتهما ، وإظهارها لأعينهما بعد أن كانت مستترةً .

* * *

وقد بينا فيما مضى أن معنى « الفتنة » ، الاختبار والابتلاء ، بما أغنى عن إعادته . (١)

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فى صفة « اللباس » الذى أخبر الله جل ثناؤه أنه نزعه عن أبوينا ، وما كان .

فقال بعضهم : كان ذلك أظفاراً .

* ذكر من لم يذكر قوله فيما مضى من كتابنا هذا فى ذلك :

١٤٤٥١ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن عكرمة : « ينزع عنهما لباسهما » ، قال : لباس كل دابة منها ، ولباس الإنسان الظُّفر ، فأدركت آدم التوبة عند ظُفُره = أو قال : أظفاره .

١٤٤٥٢ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبد الحميد الحمانى ، عن نضر

(١) انظر تفسير « الفتنة » فيما سلف ١١ : ٣٨٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

١١٣/٨ أبي عمر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : تركت أظفاره عليه زينة ومنافع ، في قوله : « ينزع عنهما لباسهما » .(١)

١٤٤٥٣ – حدثني أحمد بن الوليد القرشي قال، حدثنا إبراهيم بن أبي الوزير قال ، أخبرنا مخلد بن الحسين ، عن عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس في قوله : « ينزع عنهما لباسهما » ، قال : كان لباسهما الظفر ، فلما أصابا الخطيئة نزع عنهما ، وتركت الأظفار تذكرة وزينة .

١٤٤٥٤ – حدثني المثنى قال، حدثنا الحماني قال ، حدثنا شريك ، عن سماك ، عن عكرمة في قوله : « ينزع عنهما لباسهما » ، قال : كان لباسه الظفر ، فانتهت توبته إلى أظفاره .

* * *

وقال آخرون : كان لباسهما نوراً .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٤٥٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن وهب بن منبه : « ينزع عنهما لباسهما » ، النور .

١٤٤٥٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة قال ، حدثنا عمرو قال : سمعت وهب ابن منبه يقول في قوله : « ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما » ، قال : كان لباس آدم وحواء نوراً على فروجهما ، لا يرى هذا عورة هذه ، ولا هذه عورة هذا .

* * *

---

(١) الأثر : ١٤٤٥٢ – « عبد الحميد الحماني » هو « عبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني » ، مضى برقم : ٧١٨ ، ٧٨٦٣ .

و « نضر ، أبو عمر » هو « النضر بن عبد الرحمن » ، أبو عمر الخراز ، مضى أيضاً برقم : ٧١٨ ، ١٠٣٧٣ ، وكان في المطبوعة : « نصر بن عمر » ، غير ما في المخطوطة ، وهو فيها : « نصر أبي عمر » ، غير منقوطة .

وقال آخرون : إنما عنى الله بقوله : « ينزع عنهما لباسهما » ، يسلبهما تقوى الله .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٤٥٧ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا مطلب بن زياد ، عن ليث ، عن مجاهد : « ينزع عنهما لباسهما » ، قال : التقوى . (١)

١٤٤٥٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن ليث ، عن مجاهد : « ينزع عنهما لباسهما » ، قال : التقوى .

١٤٤٥٩ – حدثني المثنى قال ، حدثنا الحماني قال ، حدثنا شريك ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في تأويل ذلك عندي أن يقال : إن الله تعالى حذر عباده أن يفتنهم الشيطان كما فتن أبويهم آدم وحواء ، وأن يجرِّدهم من لباس الله الذي أنزله إليهم ، كما نزع عن أبويهم لباسهما . « اللباس » المطلق من الكلام بغير إضافة إلى شيء في متعارف الناس ، وهو ما اجتابَ فيه اللابس من أنواع الكُسى ، (٢) أو غطى بدنه أو بعضه .

وإذ كان ذلك كذلك ، فالحق أن يقال : إن الذي أخبر الله عن آدم وحواء من لباسهما الذي نزعه عنهما الشيطان، هو بعض ما كانا يواريان به أبدانهما وعورتهما .

---

(١) الأثر : ١٤٤٥٧ – « مطلب بن زياد بن أبي زهير الثقفي » ، قال ابن سعد : « كان ضعيفاً في الحديث جداً » ، وقال ابن عدي : « وله أحاديث حسان وغرائب ، ولم أر له منكراً ، وأرجو أنه لا بأس به » . مترجم في التهذيب ، والبخاري في الكبير ٤/٢/٨ ، ولم يذكر فيه جرحاً ، وابن أبي حاتم ٤/١/٣٦٠ ، وذكر أن أحمد ويحيى بن معين وثقاه . وقال أبو حاتم : « يكتب حديثه ، ولا يحتج به » .

(٢) في المطبوعة : « هو ما اختار فيه اللابس من أنواع الكساء » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، فغير كما سلف قريباً ، فرددتها إلى أصلها .

وقوله : « اجتاب فيه اللابس » ، أدخل « فيه » مع « اجتاب » ، وهو صحيح في قياس العربية ، لأنهم قالوا : « اجتاب الثوب والظلام » ، إذا دخل فيهما ، فأعطى « اجتاب » معنى « دخل » ، فألحق بها حرف الجر ، لمعنى الدخول .

وقد يجوز أن يكون ذلك كان ظفراً = ويجوز أن يكون كان ذلك نوراً = ويجوز أن يكون غير ذلك = ولا خبر عندنا بأيٍّ ذلك تثبت به الحجة ، فلاقول فى ذلك أصوب من أن يقال كما قال جلّ ثناؤه : « ينزع عنهما لباسهما » .

* * *

وأضاف جل ثناؤه إلى إبليس إخراجَ آدم وحواء من الجنة ، ونزعَ ما كان عليهما من اللباس عنهما ، وإن كان الله جل ثناؤه هو الفاعل ذلك بهما عقوبة على معصيتهما إياه، إذ كان الذى كان منهما فى ذلك عن تسْنيةِ ذلك لهما بمكره وخداعه ،(١) فأضيف إليه أحياناً بذلك المعنى ، وإلى الله أحياناً بفعله ذلك بهما .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢٧)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بذلك : إن الشيطان يراكم هو = و«الهاء» فى « إنه » عائدة على الشيطان = و« قبيله » ، يعنى : وصنفه وجنسه الذى هو منه واحدٌ جمع جيلاً ،(٢) وهم الجن ، كما : —

١٤٤٦٠ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « إنه يراكم هو وقبيله » ، قال : الجن والشياطين .

---

(١) فى المطبوعة : « عن تشبيه ذلك لهما» ، ولا معنى له ، وهو فى المخطوطة غير منقوط ، وهذا صواب قراءته ، « سنى له الأمر»، سهله ويسره وفتحه .

(٢) فى المطبوعة : «الذى هو منه واحد جمعه قبل»، غير ما فى المخطوطة ، وفى المخطوطة كما كتبتها ، إلا أنه كتب «صلا» و « الجيم » بين القاف والجيم غير منقوطة . واستظهرت هذا من نص أبى عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ٢١٣ ، وهو : « أى : وجيله الذى هو منه » ، ومن نص صاحب لسان العرب : « ويقال لكل جمع من شىء واحد ، قبيل» . و « الجيل » كل صنف من الناس ، أو الأمة . يقال : « الترك جيل، والصين جيل ، والعرب جيل ، والروم جيل » ، وهم كل قوم يختصون بلغة ، وتنشأ من جمعهم أمة وصنف من الناس موصوف معروف .

١٤٤٦١ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « إنه يراكم هو وقبيله » ، قال : « قبيله » ، نسله .

* * *

وقوله : « من حيث لا ترونهم » يقول : من حيث لا ترون أنتم ، أيها الناس ، الشيطان وقبيله = « إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون » ، يقول : جعلنا الشياطين نُصراء الكفار الذين لا يوحِّدون الله ولا يصدقون رسله .[1] ٨/١١٤

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٨)

قال أبو جعفر : ذكر أن معنى « الفاحشة » ، في هذا الموضع ،[2] ما : –

١٤٤٦٢ – حدثني علي بن سعيد بن مسروق الكندي قال ، حدثنا أبو محياة، عن منصور ، عن مجاهد : « وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها » ، قال : كانوا يطوفون بالبيت عراة ، يقولون : « نطوف كما ولدتنا أمهاتنا » ، فتضع المرأة على قُبُلها النِّسعة أو الشيء ،[3] فتقول :

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ فَمَا بَدَا مِنْهُ فَلَا أُحِلُّهُ[4]

---

(١) انظر تفسير « ولي » فيما سلف من فهارس اللغة (ولي) .

(٢) انظر تفسير « الفاحشة » ، و « الفحشاء » فيما سلف : ص : ٢١٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) « القبل » (بضمتين) : فرج المرأة والرجل . و « النسعة » : قطعة من الجلد مضفورة عريضة ، تجعل على صدر البعير .

(٤) الأثر : ١٤٤٦٢ – « أبو محياة » ، هو « يحيى بن يعلى بن حرملة التيمي » ، ثقة . مترجم في التهذيب ، والكبير ٣١١/٢/٤ ، وابن أبي حاتم ١٩٦/٢/٤ .
وسيأتي تخريج الخبر في تخريج الآثار : ١٤٥٠٣ – ١٤٥٠٦ .

١٤٤٦٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد فى قوله : « وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا » ، فاحشتهم : أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة .

١٤٤٦٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة ، عن مفضل ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

١٤٤٦٤م – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عمران بن عيينة ، عن عطاء ابن السائب ، عن سعيد بن جبير والشعبي : « وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا » ، قال : كانوا يطوفون بالبيت عراة .

١٤٤٦٥ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها » ، قال : كان قبيلة من العرب من أهل اليمن يطوفون بالبيت عراة ، فإذا قيل : لم تفعلون ذلك ؟ قالوا : « وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها » .

١٤٤٦٦ – حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا إسرائيل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وإذا فعلوا فاحشة » ، قال : طوافهم بالبيت عراة .

١٤٤٦٧ – حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا أبو سعد ، عن مجاهد : « وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا » ، قال : فى طواف الحُمْس فى الثياب ، وغيرهم عراة .[1]

١٤٤٦٨ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا » ،

---

(١) « الحمس » ، جمع « أحمس » هم قريش ، لتشددهم فى دينهم ، وانظر تفسير ذلك مفصلا فيما سلف ٣ : ٥٥٧ ، تعليق : ١ ، وانظر الأثر رقم : ٣٨٣٢ ، وأنها : « ملة قريش » .

قال : كان نساؤهم يطفن بالبيت عراة ، فتلك الفاحشة التي وجدوا عليها آباءهم : « قل إن الله لا يأمر بالفحشاء » ، الآية .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام إذاً : وإذا فعل الذين لا يؤمنون بالله ، الذين جعل الله الشياطين لهم أولياء ، قبيحاً من الفعل ، وهو « الفاحشة » ، وذلك تعرّيهم للطواف بالبيت وتجردهم له ، فعُذِلوا على ما أتوا من قبيح فعلهم وعوتبوا عليه ، قالوا : « وجدنا على مثل ما نفعل آباءنا ، فنحن نفعل مثل ما كانوا يفعلون ، ونقتدى بهديهم ، ونستنّ بسنتهم ، والله أمرنا به ، فنحن نتبع أمره فيه » .

يقول الله جل ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « قل » ، يامحمد ، لهم : « إن الله لا يأمر بالفحشاء » ، يقول : لا يأمر خلقه بقبائح الأفعال ومساويها = « أتقولون » ، أيها الناس ، « على الله ما لا تعلمون » ، يقول : أتروون على الله أنه أمركم بالتعرّى والتجرد من الثياب واللباس للطواف ،[1] وأنتم لا تعلمون أنه أمركم بذلك ؟

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه : قل ، يا محمد ، لهؤلاء الذين يزعمون أنّ الله أمرهم بالفحشاء كذباً على الله : ماأمر ربى بما تقولون ، بل « أمر ربى بالقسط » ، يعنى : بالعدل ،[2] كما :— ١١٥/٨

١٤٤٦٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن

---

(١) هكذا فى المطبوعة والمخطوطة : « أتروون على الله » ، وأنا أرجح أن الصواب « أتزورون » ، أى : أتقولون الزور والكذب . .

(٢) انظر تفسير « القسط » فيما سلف ص : ٢٢٤ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

ابن أبي نجيح ، عن مجاهد: « قل أمر ربي بالقسط » ، بالعدل .

١٤٤٧٠ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « قل أمر ربي بالقسط » ، و « القسط » ، العدل .

* * *

وأما قوله : « وأقيموا وُجوهكم عند كل مسجد » ، فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله .

فقال بعضهم : معناه : وجِّهوا وجوهكم حيث كنتم في الصلاة إلى الكعبة .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٤٧١ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد » ، إلى الكعبة حيثما صليتم ، في الكنيسة وغيرها .

١٤٤٧٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد » ، قال : إذا صليتم فاستقبلوا الكعبة، في كنائسكم وغيرها .

١٤٤٧٣ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : «وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد» ، هو « المسجد» ، الكعبة .

١٤٤٧٤ – حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا خالد بن عبدالرحمن، عن عمر بن ذر ، عن مجاهد في قوله : « وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد » ، قال : الكعبة ، حيثما كنت .

١٤٤٧٥ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد » ، قال : أقيموها للقبلة ، هذه القبلة التي أمركم الله بها .

* * *

وقال آخرون : بل عنى بذلك : واجعلوا سجودكم لله خالصاً، دون ما سواه من الآلهة والأنداد.

* ذكر من قال لك .

١٤٤٧٦ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : « وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد » ، قال : في الإخلاص ، أن لا تدعوا غيره ، وأن تخلصوا له الدين .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذين التأويلين بتأويل الآية ، ما قاله الربيع : وهو أن القوم أُمِروا أن يتوجهوا بصلاتهم إلى ربهم ، لا إلى ماسواه من الأوثان والأصنام، وأن يجعلوا دعاءهم لله خالصاً، لا مُكاءً ولا تصدية .(١)

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية ، لأن الله إنما خاطب بهذه الآية قوماً من مشركي العرب، لم يكونوا أهل كنائس وبيع ، وإنما كانت الكنائس والبِيَع لأهل الكتابين . فغير معقول أن يقال لمن لا يصلي في كنيسة ولا بِيعة : « وجِّه وجهك إلى الكعبة في كنيسة أو بِيعةٍ » .

* * *

وأما قوله : « وادعوه مخلصين له الدين » ، فإنه يقول : واعملوا لربكم مخلصين له الدين والطاعة ، لا تخلطوا ذلك بشرك ، ولا تجعلوا في شيء مما تعملون له شريكاً ،(٢) كما : —

١٤٤٧٧ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « وادعوه مخلصين له الدين » ، قال : أن تخلصوا له الدين والدعوة والعمل ، ثم توجِّهون إلى البيت الحرام .

* * *

---

(١) « المكاء » : الصفير ، و « التصدية » : التصفيق . كانوا يطوفون بالبيت عراة يصفرون بأفواههم ، ويصفقون بأيديهم .

(٢) انظر تفسير « الدعاء » ، و « الإخلاص » فيما سلف من فهارس اللغة (دعا) و (خلص) .

القول فى تأويل قوله ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « كما بدأكم تعودون » .

فقال بعضهم : تأويله : كما بدأكم أشقياء وسُعَداء ، كذلك تبعثون يوم القيامة .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٤٧٨ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبدالله قال، حدثنى معاوية، عن على، عن ابن عباس قوله: « كما بدأكم تعودون * فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة »، قال : إن الله سبحانه بدأ خلق ابن آدم مؤمناً وكافراً ، كما قال جل ثناؤه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾، [سورة التغابن:] ١، ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدأ خلقهم ، مؤمناً وكافراً . ٨ / ١١٦

١٤٤٧٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور قال ، حدثنا أصحابنا ، عن ابن عباس : « كما بدأكم تعودون » ، قال : يبعث المؤمن مؤمناً والكافر كافراً .

١٤٤٨٠ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا يحيى بن الضريس، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن رجل ، عن جابر قال : يبعثون على ما كانوا عليه ، المؤمن على إيمانه ، والمنافق على نفاقه .(١)

١٤٤٨١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن أبى جعفر الرازى ، عن الربيع ، عن أبى العالية قال: عادوا إلى علمه فيهم، ألم تسمع إلى قول الله فيهم : « كما بدأكم تعودون »؟ ألم تسمع قوله : « فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة » ؟

---

(١) الأثر : ١٤٤٨٠ – « يحيى بن الضريس بن يسار البجلى الرازى»، ثقة ، كان صحيح الكتب ، جيد الأخذ . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢٨٢/٢/٤ ، وابن أبى حاتم ١٥٨/٢/٤ .

١٤٤٨٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبيد الله ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، « كما بدأكم تعودون » ، قال رُدُّوا إلى علمه فيهم .

١٤٤٨٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو همام الأهوازي قال ، حدثنا موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب في قوله : « كما بدأكم تعودون » ، قال : من ابتدأ الله خلقه على الشِّقْوة صار إلى ما ابتدأ الله خلقه عليه ، وإن عمل بأعمال أهل السعادة ، كما أن إبليس عمل بأعمال أهل السعادة ، ثم صار إلى ما ابتدئ عليه خلقه . ومن ابتدئ خلقه على السعادة ، صار إلى ما ابتدئ عليه خلقه ، وإن عمل بأعمال أهل الشقاء ، كما أن السحرة عملت بأعمال أهل الشقاء ،[1] ثم صاروا إلى ما ابتدئ عليه خلقهم .

١٤٤٨٤ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن وِقَاء بن إياس أبي يزيد ، عن مجاهد : « كما بدأكم تعودون » ، قال : يبعث المسلم مسلماً ، والكافر كافراً .[2]

١٤٤٨٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو دكين قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي يزيد ، عن مجاهد : « كما بدأكم تعودون » ، قال : يبعث المسلم مسلماً ، والكافر كافراً .[3]

١٤٤٨٦ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا محمد ابن أبي الوضاح ، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير : « كما بدأكم تعودون »، قال : كما كتب عليكم تكونون .

---

(١) يعني سحرة فرعون ، الذين آمنوا بموسى عليه وعلى نبينا السلام .

(٢) الأثر : ١٤٤٨٤ – « وقاء بن إياس الأسدي الوالبي » ، أبو يزيد ، ثقة ، متكلم فيه ، قال يحيى بن سعيد : « ما كان بالذي يعتمد عليه » . مترجم في التهذيب ، والكبير ٤/٢/١٨٨ ، ولم يذكر فيه جرحاً ، وابن أبي حاتم ٤/٢/٤٩ . وكان في المخطوطة : « ورقاء بن إياس » ، والصواب ما في المطبوعة .

(٣) الأثر : ١٤٤٨٥ – « أبو يزيد » ، هو « وقاء بن إياس » ، المترجم في التعليق السالف .

١٤٤٨٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا الحماني قال ، حدثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد ، مثله .

١٤٤٨٨ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « كما بدأكم تعودون » فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة » ، يقول : كما بدأكم تعودون ، كما خلقناكم، فريق مهتدون ، وفريق ضال ، كذلك تعودون وتخرجون من بطون أمهاتكم .

١٤٤٨٩ – حدثنا ابن بشار، قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : تُبعث كل نفس على ما كانت عليه .(١)

١٤٤٩٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو داود الحفرى، عن شريك، عن سالم ، عن سعيد بن جبير : « كما بدأكم تعودون »، قال: كما كتب عليكم تكونون .

١٤٤٩١ – حدثني المثنى قال ، حدثنا الحماني قال ، حدثنا حماد بن زيد ، عن ليث ، عن مجاهد قال : يبعث المؤمن مؤمناً ، والكافر كافراً .

١٤٤٩٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « كما بدأكم تعودون » ، شقيًّا وسعيداً .

١٤٤٩٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك قراءة ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

(١) الأثر : ١٤٤٨٩ – « أبو سفيان » ، هو « طلحة بن نافع القرشي الواسطي » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ٦٦٥٤ ، ١١٥١٧ ، ١١٥١٨ . وهو الذي يروى عن جابر ، والأعمش راويته . وكان في المطبوعة والمخطوطة : « عن سفيان ، عن جابر » ، وهو خطأ لاشك فيه ، صوابه منقولا عن تفسير الطبري ، في تفسير ابن كثير ٣ : ٤٦٦ .

وهذا خبر صحيح الإسناد . رواه مسلم في صحيحه ١٧ : ٢١٠ ، من طريقين عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر ، ولفظه : « يبعث كل عبد على ما مات عليه » .

ورواه ابن ماجة في سننه ١٤١٤ ، رقم : ٤٢٣٠ ، من طريق شريك ، عن الأعمش ، ولفظه : « يحشر الناس على نياتهم » .

وقال آخرون : معنى ذلك : كما خلقكم ولم تكونوا شيئاً ، تعودون بعد الفناء .

* ذكر من قال ذلك :

١١٧/٨ ١٤٤٩٤ – حدثنا ابن وكيع قال ،حدثنا غندر ، عن عوف ، عن الحسن : « كما بدأكم تعودون » ، قال : كما بدأكم ولم تكونوا شيئاً فأحياكم ، كذلك يميتكم ، ثم يحييكم يوم القيامة .

١٤٤٩٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبد الأعلى ، عن عوف ، عن الحسن : « كما بدأكم تعودون » ، قال : كما بدأكم فى الدنيا ، كذلك تعودون يوم القيامة أحياء .

١٤٤٩٦ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ،عن قتادة :« كما بدأكم تعودون » ، قال : بدأ خلقهم ولم يكونوا شيئاً ، ثم ذهبوا ، ثم يعيدهم .

١٤٤٩٧ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « كما بدأكم تعودون فريقاً هدى » ، يقول : كما خلقناكم أول مرة ، كذلك تعودون .

١٤٤٩٨ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « كما بدأكم تعودون » ، يحييكم بعد موتكم .

١٤٤٩٩ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « كما بدأكم تعودون » ، قال : كما خلقهم أولاً ، كذلك يعيدهم آخراً .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى تأويل ذلك بالصواب ، القولُ الذى قاله من قال : معناه : كما بدأكم الله خلقاً بعد أن لم تكونوا شيئاً ، تعودون بعد فنائكم خلقاً مثله ، يحشركم إلى يوم القيامة = لأن الله تعالى ذكره : أمر نبيه صلى الله

عليه وسلم أن يُعْلم بما فى هذه الآية قوماً مشركين أهلَ جاهلية، لا يؤمنون بالمعاد، ولا يصدِّقون بالقيامة . فأمره أن يدعوهم إلى الإقرار بأن الله باعثهم يوم القيامة ، ومثيبُ من أطاعه ، ومعاقبُ من عصاه . فقال له : قل لهم : أمرَ ربى بالقسط ، وأن أقيموا وجوهكم عند كل مسجد ، وأن ادعوه مخلصين له الدين ، وأن أقرُّوا بأنْ كما بدأكم تعودون = فترك ذكر « وأن أقروا بأن » ، كما ترك ذكر « أن » مع « أقيموا » ، إذ كان فيما ذكر دلالة على ما حذف منه .

وإذ كان ذلك كذلك ، فلا وجه لأن يؤمر بدعاء من كان جاحداً النشورَ بعد الممات ، إلى الإقرار بالصفة التى عليها ينشر من نُشِر ، وإنما يؤمر بالدعاء إلى ذلك من كان بالبعث مصدِّقاً ، فأما من كان له جاحداً ، فإنما يدعى إلى الإقرار به ، ثم يعرَّف كيف شرائط البعث . على أن فى الخبر الذى رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى : —

١٤٥٠٠ — حدثناه محمد بن بشار قال، حدثنا يحيى بن سعيد قال ، حدثنا سفيان ، قال ، حدثنى المغيرة بن النعمان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: يُحْشر الناس عُراة غُرْلاً ، وأوّل من يكسى إبراهيم صلى الله عليه وسلم. ثم قرأ: ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ ، [سورة الأنبياء : ١٠٤].

١٤٥٠١ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا إسحق بن يوسف قال، حدثنا سفيان ، عن المغيرة بن النعمان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

١٤٥٠٢ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة ، عن المغيرة بن النعمان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة ، فقال : يا أيها الناس ، إنكم تحشرون

إلى الله حُفَاة غُرْلاً : ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ .(١)

* * *

= (٢) ما يبيِّن صحة القول الذى قلنا فى ذلك، من أن معناه : أن الخلقَ يعودون إلى الله يوم القيامة خلقاً أحياء ، كما بدأهم فى الدنيا خلقاً أحياء .

* * *

يقال منه : «بدأ الله الخلق يبدؤهم = وأبدأَهمُ يُبْدِئهم إبداءً »، بمعنى : خلقهم ، لغتان فصيحتان .

* * *

ثم ابتدأ الخبر جل ثناؤه عما سبق من علمه فى خلقه ، وجرى به فيهم قضاؤه ، ١١٨/٨
فقال: هدى الله منهم فريقاً فوفّقهم لصالح الأعمال فهم مهتدون ، وحقّ على فريق منهم الضلالة عن الهدى والرشاد ، باتخاذهم الشيطان من دون الله وليًّا .

* * *

وإذا كان التأويل هذا، كان « الفريق » الأول منصوباً بإعمال« هدى » فيه = و « الفريق » ، الثانى بوقوع قوله : « حق »على عائد ذكره فى «عليهم» ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ ، (٣) [سورة الإنسان : ٣١].

* * *

(١) الآثار : ١٤٥٠٠ – ١٤٥٠٢ – « المغيرة بن النعمان النخعى » ، ثقة ، مضى برقم : ١٣٦٢٢ .

وهذا الخبر رواه البخارى من طريق شعبة ، عن المغيرة فى صحيحه (الفتح ٨ : ١١/٣٣٢ : ٣٣١) مطولا ، ورواه مسلم فى صحيحه مطولا : ١٧ : ١٩٣ ، ١٩٤ من طريق شعبة أيضاً .
ورواه أحمد فى المسند مطولا ومختصراً برقم : ١٩٥٠ ، ٢٠٢٧ ، من طريق سفيان الثورى مختصراً ، كما رواه الطبرى . ثم رواه مطولا من طريق شعبة رقم : ٢٠٩٦ ، ٢٢٨١ ، ٢٢٨٢ .
ورواه النسائى فى سننه ٤ : ١١٧ .
وسيرويه أبو جعفر بأسانيده هذه فيما يلى ، فى تفسير «سورة الأنبياء» ١٧ : ٨٠ (بولاق) .
و « الغرل » جمع « أغرل » ، هو الأقلف الذى لم يختن .

(٢) هذا تمام الكلام الأول ، والسياق : « على أن فى الخبر الذى روى عن رسول الله . . . ما يبين صحة القول » .

(٣) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٧٦ .

ومن وجه تأويل ذلك إلى أنه : كما بدأكم فى الدنيا صنفين كافراً ومؤمناً ، كذلك تعودون فى الآخرة فريقين ، فريقاً هدى ، وفريقاً حق عليهم الضلالة = نصب « فريقاً » ، الأول بقوله : « تعودون » ، وجعل الثانى عطفاً عليه . وقد بينا الصواب عندنا من القول فيه .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (٣٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن الفريق الذى حق عليهم الضلالة ، إنما ضلوا عن سبيل الله وجارُوا عن قصد المحجة ، باتخاذهم الشياطين نُصراء من دون الله ، وظُهراء،[2] جهلاً منهم بخطأ ما هم عليه من ذلك، بل فعلوا ذلك وهم يظنون أنهم على هدى وحق ، وأن الصواب ما أتوه وركبوا .

وهذا من أبين الدلالة على خطأ قول من زعمَ أن الله لا يعذِّب أحداً على معصية ركبها أو ضلالة اعتقدها ، إلا أن يأتيها بعد علم منه بصواب وجهها ، فيركبها عناداً منه لربه فيها . لأن ذلك لو كان كذلك ، لم يكن بين فريق الضلالة الذى ضلّ وهو يحسَبُ أنه هادٍ . وفريق الهدى ،[3] فَرْقٌ . وقد فرَّق الله بين أسمائهما وأحكامهما فى هذه الآية .

* * *

(١) انظر تفسير « فريق » فيما سلف ١١ : ٤٩٠ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « ولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .
(٣) انظر تفسير « حسب » فيما سلف ١٠ : ٤٧٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ (٣١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين يتعرّون عند طوافهم ببيته الحرام، ويبدون عوراتهم هنالك من مشركى العرب ، والمحرِّمين منهم أكل ما لم يحرِّمه الله عليهم من حلال رزقه، تبرُّأً عند نفسه لربه :« يا بنى آدم خذوا زينتكم»، من الكساء واللباس=« عند كل مسجد وكلوا »،من طيبات ما رزقتكم، وحللته لكم = « واشربوا » ، من حلال الأشربة ، ولاتحرِّموا إلا ما حرمت عليكم فى كتابى أو على لسان رسولى محمد صلى الله عليه وسلم .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٥٠٣ – حدثنا يحيى بن حبيب بن عربى قال، حدثنا خالد بن الحارث قال ، حدثنا شعبة ، عن سلمة ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : إن النساء كنّ يطفن بالبيت عراة = وقال فى موضع آخر : بغير ثياب = إلاأن تجعل المرأة على فرجها خِرقة، فيما وُصِف إن شاء الله ، وتقول :(١)

اليَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ فَمَا بَدَا مِنْـهُ فَلَا أُحِلُّهُ

قال : فنزلت هذه الآية : « خذوا زينتكم عند كل مسجد » .(١)

---

(١) الأثر : ١٤٥٠٣ – حديث شعبة ، عن سلمة بن كهيل ، رواه أبو جعفر من ثلاث طرق ، سأخرجها فى هذا الموضع .

« يحيى بن حبيب بن عربى الشيبانى » ، أبو زكرياء ، ثقة ، مضى برقم : ٧٨١٨ ، مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٤/٢/١٣٧ .

« خالد بن الحارث بن عبيد الهجيمى » ، ثقة ثبت إمام . مضى برقم : ٧٥٠٧ ، ٧٨١٨ ، ٩٨٧٨ .

١٤٥٠٤ – حدثنا عمرو بن على قال: حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن سلمة بن كهيل ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كانوا يطوفون عراة ، الرجال بالنهار ، والنساء بالليل ، وكانت المرأة تقول :

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ فَمَا بَدَا مِنْهُ فَلَا أُحِلُّهُ

فقال الله : « خذوا زينتكم » .[1]

١٤٥٠٥ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن ابن عباس : « خذوا زينتكم عند كل مسجد » ، قال : الثياب . ١١٩/٨

١٤٥٠٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا غندر ووهب بن جرير ، عن شعبة ، عن سلمة بن كهيل قال : سمعت مسلماً البطين يحدث ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كانت المرأة تطوف بالبيت عريانة = قال غندر : وهى عريانة = قال ، وهب : كانت المرأة تطوف بالبيت وقد أخرجت صدرَها وما هنالك = قال غندر : وتقول : «من يعيرنى تِطْوافاً!» ،[2] تجعله على فرْجها وتقول :

و « سلمة » ، هو « سلمة بن كهيل » ، مضى مراراً .

و « مسلم البطين » هو « مسلم بن عمران » ، ثقة روى له الجماعة .

وهذا الخبر ، رواه مسلم فى صحيحه ١٨ : ١٦٢ ، من طريق غندر ، عن شعبة (وهو الآتى رقم : ١٤٥٠٦) .

ورواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٣١٩ ، ٣٢٠ من طريق أبى داود الطيالسى ، عن شعبة ، بنحوه ، ولكن قال : « نزلت هذه الآية : قل من حرم زينة الله » ، ثم قال الحاكم : « حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى .

(١) الأثر : ١٤٥٠٤ – مكرر الأثر السالف ، وهناك تخريجه .

(٢) « تطواف » (بكسر التاء) : ثوب كانوا يتخذونه للطواف ، قال النووى : « وكان أهل الجاهلية يطوفون عراة ، ويرمون ثيابهم ويتركونها ملقاة على الأرض ، ولا يأخذونها أبداً ، ويتركونها تداس بالأرجل حتى تبلى ، ويسمى : اللقاء – حتى جاء الإسلام ، فأمر الله بستر العورة فقال تعالى : خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم : لا يطوف بالبيت عريان » .

وروى « تطواف » (بفتح التاء) ، وفسروه بأنه « ذا تطواف » ، على حذف المضاف .

الْيَوْمَ يَبْدُوَ بَعْضَهُ أَوْ كُلُّهُ وَمَا بَدَا مِنْهُ فَلَا أُحِلُّهُ

فأنزل الله : « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد » .(١)

١٤٥٠٧ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنى معاوية، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد»، قال : كانوا يطوفون بالبيت عراة، فأمرهم الله أن يلبسوا ثيابهم ولا يتعرّوا .

١٤٥٠٨ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، أبى، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله: «خذوا زينتكم عند كل مسجد » الآية» قال: كان رجال يطوفون بالبيت عراة، فأمرهم الله بالزينة = و« الزينة » ، اللباس ، وهو ما يوارى السوأة ، وما سوى ذلك من جيّد البزّ والمتاع = فأمروا أن يأخذوا زينتهم عند كل مسجد .

١٤٥٠٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا المحاربى وابن فضيل، عن عبد الملك، عن عطاء: «خذوا زينتكم»، قال: كانوا يطوفون بالبيت عراة، فأمروا أن يلبسوا ثيابهم.

١٤٥١٠ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم، عن عبد الملك، عن عطاء ، بنحوه .

١٤٥١١ – حدثنى عمرو قال ، حدثنا يحيى قال، حدثنا عبد الملك ، عن عطاء فى قوله : « خذوا زينتكم عند كل مسجد » ، البسوا ثيابكم .

١٤٥١٢ – حدثنا يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم فى قوله : « خذوا زينتكم عند كل مسجد » ، قال : كان ناس يطوفون بالبيت عراة ، فنهوا عن ذلك

١٤٥١٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم: «خذوا زينتكم عند كل مسجد»، قال: كانوا يطوفون بالبيت عراة، فأمروا أن يلبسوا الثياب.

---

(١) الأثر : ١٤٥٠٦ – مكرر الأثرين السالفين : ١٤٥٠٣ ، ١٤٥٠٤ ، سلف تخريجه فى أولها . وهذا نص حديث مسلم .

١٤٥١٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن يمان ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد : « خذوا زينتكم عند كل مسجد »، قال : ما وارى العورة، ولو عَبَاءة .

١٤٥١٥ – حدثنا عمرو قال، حدثنا يحيى بن سعيد وأبو عاصم وعبد الله ابن داود ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد فى قوله : « خذوا زينتكم عند كل مسجد » ، قال : ما يوارى عورتك ، ولو عباءة .

١٤٥١٦ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « خذوا زينتكم عند كل مسجد » ، فى قريش ، لتركهم الثياب فى الطواف .

١٤٥١٧ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

١٤٥١٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى قال، حدثنا سفيان، عن سالم ، عن سعيد بن جبير : « خذوا زينتكم عند كل مسجد » ، قال : الثياب .

١٤٥١٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا زيد بن حباب ، عن إبراهيم ، عن نافع ، عن ابن طاوس ، عن أبيه : « خذوا زينتكم عند كل مسجد » ، قال : الشَّمْلة من الزينة .[1]

١٤٥٢٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن عيينة، عن عمرو، عن طاوس: « خذوا زينتكم عند كل مسجد » ، قال : الثياب .

١٤٥٢١ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا سويد وأبو أسامة، عن حماد ابن زيد ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير قال : كانوا يطوفون بالبيت عراة ،

---

(١) « الشملة » (بفتح فسكون) : كساء دون القطيفة ، سمى بذلك لأنه يشمل البدن . ومنه ما نهى رسول الله عنه فى الصلاة ، وهو « اشتمال الصماء » ، وهو أن يشتمل بالثوب حتى يجلل جسده كله ، ولا يرفع منه جانباً فيكون فيه فرجة تخرج منها يده .

فطافت امرأة بالبيت وهى عريانة فقالت : ١٢٠/٨

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ فَمَا بَدَا مِنْهُ فَلَا أُحِلُّهُ

١٤٥٢٢ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « خذوا زينتكم عند كل مسجد » ، قال : كان حى من أهل اليمن، كان أحدهم إذا قدم حاجًّا أو معتمراً يقول : « لا ينبغى أن أطوف فى ثوب قد دَنِسْتُ فيه»،(١) فيقول : « من يعيرنى مِئزراً ؟» ، فإن قدر على ذلك ، وإلا طاف عرياناً ، فأنزل الله فيه ما تسمعون : « خذوا زينتكم عند كل مسجد » .

١٤٥٢٣ – حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال الله : « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد»، يقول : ما يوارى العورة عند كل مسجد .

١٤٥٢٤ – حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهرى : أن العرب كانت تطوف بالبيت عراة ، إلا الحُمْس ، قريش وأحلافهم . فمن جاء من غيرهم وضع ثيابه وطاف فى ثياب أحمس ، فإنه لا يحل له أن يلبس ثيابه . فإن لم يجد من يعيره من الحمس، فإنه يلقى ثيابه ويطوف عرياناً. وإن طاف فى ثياب نفسه ، ألقاها إذا قضى طوافه ، يحرِّمها ، فيجعلها حراماً عليه . فلذلك قال الله : « خذوا زينتكم عند كل مسجد » .(٢)

١٤٥٢٥ – وبه عن معمر قال ، قال ابن طاوس ، عن أبيه : الشَّملة ، من الزينة .(٣)

١٤٥٢٦ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا

---

(١) « الدنس » فى الثياب ، لطخ الوسخ ونحوه ، حتى فى الأخلاق . وعنى بقوله : « دنست فيه » ، أى أتيت فيه ما يشين ويعيب من المعاصى .

(٢) انظر تفسير « الحمس » فيما سلف ص : ٣٧٨ ، تعليق : ١ .

(٣) الأثر : ١٤٥٢٥ – انظر الأثر رقم : ١٤٥١٩ .

عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « خذوا زينتكم عند كل مسجد » ، الآية ، كان ناسٌ من أهل اليمن والأعراب إذا حجوا البيت يطوفون به عُراة ليلاً ، فأمرهم الله أن يلبسوا ثيابهم ، ولا يتعرّوا فى المسجد .

١٤٥٢٧ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ، قال ابن زيد : « خذوا زينتكم » ، قال : زينتهم ، ثيابهم التى كانوا يطرحونها عند البيت ويتعرّون .

١٤٥٢٨ – وحدثنى به مرة أخرى بإسناده عن ابن زيد فى قوله : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ ، قال : كانوا إذا جاءوا البيت فطافوا به ، حرمت عليهم ثيابهم التى طافوا فيها . فإن وجدوا من يُعيرهم ثياباً ، وإلا طافوا بالبيت عراة . فقال : « من حرم زينة الله » ، قال : ثياب الله التى أخرج لعباده ، الآية .

* * *

وكالذى قلنا أيضاً قالوا فى تأويل قوله : « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا » .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٥٢٩ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : أحل الله الأكل والشرب ، ما لم يكن سَرَفاً أو مَخيلة .(١)

١٤٥٣٠ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس قوله : « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » ، فى الطعام والشراب .

١٤٥٣١ – حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ،

---

(١) « السرف » (بفتحتين) : وهو الإسراف ، ومجاوزة القصد . و « المخيلة » (بفتح الميم وكسر الخاء) : الاختيال والكبر ، وحديث ابن عباس المعروف : « كل ما شئت ، والبس ما شئت ، ما أخطأتك خلتان : سرف ومخيلة » ، رواه البخارى .

حدثنا أسباط ، عن السدى قال : كان الذين يطوفون بالبيت عراة يحرّمون عليهم الوَدَك ما أقاموا بالموسم ،[1] فقال الله لهم : « كلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » ، يقول : لا تسرفوا فى التحريم .

١٤٥٣٢ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد قال ، سمعت مجاهداً يقول فى قوله : « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا » ، قال : أمرهم أن يأكلوا ويشربوا مما رزقهم الله .

١٤٥٣٣ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ولا تسرفوا » ، لا تأكلوا حراماً ، ذلك الإسراف .

* * *

وقوله : « إنه لا يحب المسرفين » ، يقول : إن الله لا يحب المتعدّين حدّه فى حلال أو حرام ، الغالين فيما أحلّ الله أو حرم ، بإحلال الحرام وبتحريم الحلال ،[2] ولكنه يحبّ أن يحلّل ما أحل ويحرّم ما حرم ، وذلك العدل الذى أمر به . ١٢١/٨

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد ، لهؤلاء الجهلة من العرب الذين يتعرّون عند طوافهم بالبيت ، ويحرمون على أنفسهم ما أحللت لهم من طيبات الرزق : من حرّم ، أيها القوم ، عليكم زينة الله التى خلقها لعباده أن تتزيّنوا بها وتتجملوا بلباسها ، والحلال من رزق الله

(١) « الودك » : دسم اللحم ودهنه الذى يستخرج منه . و « الموسم » مجتمع الناس فى أيام الحج .
(٢) انظر تفسير « الإسراف » فيما سلف : ص : ١٧٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

الذى رزق خلقه لمطاعمهم ومشاربهم .[١]

* * *

واختلف أهل التأويل فى المعنىّ بـ « الطيبات من الرزق » ، بعد إجماعهم على أن « الزينة » ما قلنا .

فقال بعضهم : « الطيبات من الرزق » فى هذا الموضع ، اللحم . وذلك أنهم كانوا لا يأكلونه فى حال إحرامهم .

* ذكر من قال ذلك منهم :

١٤٥٣٤ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى فى قوله : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » ، وهو الودَك .[٢]

١٤٥٣٥ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » ، الذى حرموا على أنفسهم . قال: كانوا إذا حجُّوا أو اعتمروا ، حرموا الشاة عليهم وما يخرج منها .

١٤٥٣٦ – وحدثنى به يونس مرة أخرى قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « قل من حرم زينة الله » إلى آخر الآية ، قال : كان قوم يحرِّمون ما يخرج من الشاة ، لبنها وسمنها ولحمها ، فقال الله : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » ، قال : والزينة من الثياب .

١٤٥٣٧ – حدثنى المثنى قال، حدثنا حبان بن موسى قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن رجل ، عن الحسن قال : لما بعث الله محمداً فقال :

---

(١) انظر تفسير « الزينة » فيما سلف قريباً ص : ٣٨٩ ، وما بعدها – وتفسير « الطيبات » فيما سلف من فهارس اللغة (طيب) .

(٢) « الودك » سلف تفسيره فى ص : ٣٩٥ ، تعليق : ١ .

« هذا نبي ، هذا خياري ، استنّوا به » ، خذوا في سَنَنه وسبيله ، [١] لم تغلق دونه الأبواب ، ولم تُقَمْ دونه الحَجَبَة ، [٢] ولم يُغْدَ عليه بالجفان ، ولم يُرْجع عليه بها ، [٣] وكان يجلس بالأرض ، ويأكل طعامه بالأرض ، ويلعق يده ، ويلبس الغليظ ، ويركب الحمار ، ويُرْدِف بعده ، [٤] وكان يقول : « من رغب عن سنتي فليس مني » . قال الحسن : فما أكثر الراغبين عن سنته ، التاركين لها ! ثم إنّ عُلُوجاً فُسَّاقاً أكلة الربا والغُلول ، [٥] قد سفّههم ربي ومقتهم ، زعموا أن لا بأس عليهم فيما أكلوا وشربوا ، وزخرفوا هذه البيوت ، يتأوّلون هذه الآية : « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق » ، وإنما جعل ذلك لأولياء الشيطان ، قد جعلها ملاعبَ لبطنه وفرجه [٦] = من كلام لم يحفظه سفيان . [٧]

* * *

وقال آخرون : بل عنى بذلك ما كانت الجاهلية تحرم من البحائر والسوائب .

---

(١) في المطبوعة : « في سنته » ، وقراءتها في المخطوطة ما أثبت . « السنن » (بفتحتين) الطريقة : يقال : « امض على سننك » ، و « استقام فلان على سننه » ، أي طريقته .

(٢) « الحجبة » جمع « حاجب » ، وهو الذي يحول بين الناس والملك أن يدخلوا عليه .

(٣) في المطبوعة : « ولم يغد عليه بالجبار » ، وعلق عليها أنه في نسخه « بالجباب » ، وفي المخطوطة : « بالحسان » غير منقوطة ، وهي خطأ ، وصواب قراءتها ما أثبت ، كما وردت على الصواب في حلية الأولياء لأبي نعيم ٢ : ١٥٣ .

و « الجفان » جمع « جفنة » ، وهي قصعة الطعام العظيمة . ونص أبي نعيم : « أما والله ما كان يغدى عليه بالجفان ولا يراح » ، وهو أجود .

(٤) في المطبوعة : « ويردف عبده » ، غير ما في المخطوطة ، وفي أبي نعيم : « ويردف خلفه » ، وهو بمعنى ما رواه الطبري . أي : يردف خلفه على الدابة رديفاً .

(٥) في المطبوعة والمخطوطة : « ثم علوجاً » بإسقاط « إن » ، والصواب من حلية الأولياء . و « الغلول » : هو الخيانة في المغنم ، والسرقة من الغنيمة .

(٦) يعني قد جعل الآية بما تأولها به ، لعباً يلعب بتأويله ، ليفتح الباب لكل شهوة من شهوات بطنه وفرجه .

(٧) الأثر : ١٤٥٣٧ — الذي لم يحفظه سفيان ، حفظه غيره ، رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٢ : ١٥٣ ، ١٥٤ من طريق محمد بن محمد ، عن الحسن بن أحمد بن محمد ، عن أبي زرعة ، عن مالك بن إسماعيل ، عن مسلمة بن جعفر ، عن الحسن ، بنحو هذا اللفظ ، وهي صفة تحفظ ، وموعظة تهدى إلى طغاتنا في زماننا ، من الناطقين بغير معرفة ولا علم في فتوى الناس بالباطل الذي زخرفته لهم شياطينهم .

• ذكر من قال ذلك :

١٤٥٣٨ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » ، وهو ما حرم أهل الجاهلية عليهم من أموالهم : البحيرة ، والسائبة ، والوصيلة ، والحام .

١٤٥٣٩ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » ، قال : إن الجاهلية كانوا يحرمون أشياءَ أحلها الله من الثياب وغيرها، وهو قول الله: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا ﴾ [سورة يونس : ٥٩]، وهو هذا، فأنزل الله: « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾

قال أبو جعفر : يقول الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد = لهؤلاء الذين أمرتك أن تقول لهم: « من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق »، إذ عيُّوا بالجواب ،(١) فلم يدروا ما يجيبونك = : زينة الله التى أخرج لعباده وطيبات رزقه ، للذين صدّقوا الله ورسوله ، واتبعوا ما أنزل ١٢٢/٨
إليك من ربك ، فى الدنيا، وقد شركهم فى ذلك فيها من كفر بالله ورسوله وخالف

(١) « عى بالجواب » : إذا عجز عنه، وأشكل عليه ، ولم يهتد إلى صوابه .

أمر ربه ، وهى للذين آمنوا بالله ورسوله خالصة يوم القيامة ، لا يشركهم فى ذلك يومئذ أحدٌ كفر بالله ورسوله وخالف أمر ربه .(١)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٥٤٠ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصةً يوم القيامة » ، يقول : شارك المسلمون الكفار فى الطيبات ، فأكلوا من طيبات طعامها ، ولبسوا من خِيار ثيابها ، ونكحوا من صالح نسائها ، وخلصوا بها يوم القيامة .

١٤٥٤١ – وحدثنى به المثنى مرة أخرى بهذا الإسناد بعينه، عن ابن عباس فقال : « قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا »، يعنى : يشارك المسلمون المشركين فى الطيبات فى الحياة الدنيا ، ثم يُخْلص الله الطيبات فى الآخرة للذين آمنوا ، وليس للمشركين فيها شىء .

١٤٥٤٢ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال، حدثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس قال : قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » ، يقول : قل هى فى الآخرة خالصة لمن آمن بى فى الدنيا ، لا يشركهم فيها أحدٌ فى الآخرة .(٢) وذلك أن الزينة فى الدنيا لكل بنى آدم ، فجعلها خالصة لأوليائه فى الآخرة .

١٤٥٤٣ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى، عن سلمة بن نبيط ، عن

---

(١) انظر تفسير « خالصة » فيما سلف ٢ : ١٢/٣٦٥ : ١٤٨ ، ١٤٩

(٢) أسقطت المطبوعة : « فى الآخرة » من آخر هذه الجملة .

الضحاك : « قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » ، قال : اليهود والنصارى يشركونكم فيها فى الدنيا ، وهى للذين آمنوا خالصة يوم القيامة .

١٤٥٤٤ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن : « قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة »، خالصةً للمؤمنين فى الآخرة ، لايشاركهم فيها الكفار . فأما فى الدنيا فقد شاركوهم .

١٤٥٤٥ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » ، من عمل بالإيمان فى الدنيا خلصت له كرامة الله يوم القيامة ، ومن ترك الإيمان فى الدنيا قَدِم على ربّه لاعذرَ له .

١٤٥٤٦ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدىّ : « قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا » ، يشترك فيها معهم المشركون = « خالصة يوم القيامة » ، للذين آمنوا .

١٤٥٤٧ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » ، يقول : المشركون يشاركون المؤمنين فى الدنيا فى اللباس والطعام والشراب ، ويوم القيامة يَخْلُص اللباس والطعام والشراب للمؤمنين ، وليس للمشركين فى شىء من ذلك نصيبٌ .

١٤٥٤٨ — حدثنى القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : الدنيا يصيب منها المؤمن والكافر ، ويخلص خيرُ الآخرة للمؤمنين ، وليس للكافر فيها نصيب .

١٤٥٤٩ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد : « قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » ، قال : هذه يوم

القيامة للذين آمنوا ، لا يشركهم فيها أهل الكفر ، ويشركونهم فيها فى الدنيا . وإذا كان يوم القيامة ، فليس لهم فيها قليل ولا كثير .

* * *

وقال سعيد بن جبير فى ذلك بما : —

١٤٥٥٠ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا إسمعيل بن أبان ، وحبويه الرازى أبو يزيد ، عن يعقوب القمى ، عن سعيد بن جبير : « قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » ، قال: ينتفعون بها فى الدنيا، ولا يتبعهم إثمها .(١)

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « خالصة » .

فقرأ ذلك بعض قرأة المدينة :﴿ خَالِصَةٌ ﴾، برفعها ، بمعنى : قل هى خالصة للذين آمنوا .

* * *

وقرأه سائر قرأة الأمصار﴿ خَالِصَةً ﴾،بنصبها على الحال من «لهم»، وقد ترك ذكرها من الكلام اكتفاءً منها بدلالة الظاهر عليها ،على ما قد وصفت فى تأويل الكلام أن معنى الكلام: قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدينا مشتركة،وهى لهم فى الآخرة خالصة . ومن قال ذلك بالنصب ،جعل خبر «هى» فى قوله : «للذين آمنوا».(٢) ١٢٣/٨

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين عندى بالصحة ، قراءة من قرأ نصباً ، لإيثار العرب النصبَ فى الفعل إذا تأخر بعد الاسم والصفة ،(٣) وإن كان الرفع جائزاً ، غير أن ذلك أكثر فى كلامهم .

* * *

(١) الأثر : ١٤٥٥٠ — « إسماعيل بن أبان الوراق الأزدى ، أبو إسحق » ، شيعى ، ثقة صدوق فى الرواية . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٣٤٧/١/١ ، وابن أبى حاتم ١٦٠/١/١ . و « حبويه الرازى » ، أبو يزيد ، مضت ترجمته برقم : ١٤٣٦٥ .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٧٦ ، ٣٧٧ .

(٣) « الفعل » ، يعنى المصدر . و « الاسم » ، هو المشتق . و « الصفة » ، حرف الجر والظرف . انظر فهارس المصطلحات . وقد أسلف أبو جعفر فى ٢ : ٣٦٥ أن « خالصة » مصدر مثل « العافية » .

القول فى تأويل قوله ﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : كما بينت لكم الواجب عليكم فى اللباس والزينة، والحلال من المطاعم والمشارب والحرام منها ، وميزت بين ذلك لكم ، أيها الناس، كذلك أبيِّن جميع أدلتى وحججى ، وأعلامَ حلالى وحرامى وأحكامى، [1] لقوم يعلمون ما يُبَيَّن لهم ، ويفقهون ما يُمَيَّز لهم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد : قل ، يا محمد ، لهؤلاء المشركين الذين يتجرّدون من ثيابهم للطواف بالبيت ، ويحرمون أكل طيبات ما أحل الله لهم من رزقه : أيها القوم، إن الله لم يحرّم ما تحرمونه، بل أحل ذلك لعباده المؤمنين وطيَّبه لهم، وإنما حرم ربىِّ القبائح من الأشياء = وهى « الفواحش » [2] = « ما ظهر منها » ، فكان علانية = « وما بطن » ، منها فكان سرًّا فى خفاء . [3]

* * *

وقد روي عن مجاهد فى ذلك ما : —

١٤٥٥١ — حدثنى الحارث قال ، حدثنى عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد

---

(١) انظر تفسير « التفصيل » فيما سلف ص : ٢٣٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « آية » فيما سلف من فهارس اللغة (أيي) .

(١) انظر تفسير « الفاحشة » فيما سلف ص : ٣٧٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « ظهر » و « بطن » فيما سلف ص : ٢١٨ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

قال : سمعت مجاهداً يقول فى قوله : « ما ظهر منها وما بطن » ، قال : « ما ظهر منها » ، طوافُ أهل الجاهلية عراة = « وما بطن » ، الزنا

* * *

وقد ذكرت اختلاف أهل التأويل فى تأويل ذلك بالروايات فيما مضى ، فكرهت إعادته .(١)

* * *

وأما « الإثم » ، فإنه المعصية = « والبغى » ، الاستطالة على الناس .(٢)

* * *

يقول تعالى ذكره : إنما حرم ربى الفواحش مع الإثم والبغى على الناس .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٥٥٢ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « والإثم والبغى »، أما « الإثم » فالمعصية = و«البغى»، أن يبغى على الناس بغير الحق .

١٤٥٥٣ — حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد قال : سمعت مجاهداً فى قوله : « ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى »، قال : نهى عن « الإثم » ، وهى المعاصى كلها = وأخبر أن الباغىَ بَغْيُه كائنٌ على نفسه .(٣)

* * *

---

(١) انظر ما سلف ص ٢١٨ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الإثم » فيما سلف من فهارس اللغة (أثم) .
= وتفسير « البغى » فيما سلف ٢ : ٣/٣٤٢ : ٤/٣٢٢ : ٦/٢٨١ : ٢٧٦ .

(٣) فى المخطوطة : « أن اكتفى بغيه كائن على نفسه » ، وهو شىء لا يقرأ ، والذى فى المطبوعة أشبه بالصواب .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣٣)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : إنما حرم ربى الفواحش والشرك به ، أن تعبدوا مع الله إلهاً غيره = « ما لم ينزل به سلطاناً» ، يقول : حرم ربكم عليكم أن تجعلوا معه فى عبادته شِرْكاً لشىء لم يجعل لكم فى إشراككم إياه فى عبادته حجة ولا برهاناً = وهو « السلطان »[1] = « وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » ، يقول : وأن تقولوا إن الله أمركم بالتعرّى والتجرُّد للطواف بالبيت ، وحرم عليكم أكل هذه الأنعام التى حرمتموها وسيَّبتموها وجعلتموها وصائل وحوامى ، وغير ذلك مما لا تعلمون أن الله حرّمه ، أو أمر به ، أو أباحه ، فتضيفوا إلى الله تحريمه وحَظْره والأمر به ، فإن ذلك هو الذى حرمه الله عليكم دون ما تزعمون أن الله حرمه ، أو تقولون إن الله أمركم به ، جهلاً منكم بحقيقة ما تقولون وتضيفونه إلى الله .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (٣٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : تهدُّداً للمشركين الذين أخبر جل ثناؤه عنهم أنهم كانوا إذا فعلوا فاحشة قالوا : « وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها»[2] = ووعيداً منه لهم على كذبهم عليه ، وعلى إصرارهم على الشرك به والمقام على كفرهم = ومذكراً لهم ما أحلّ بأمثالهم من الأمم الذين كانوا قبلهم = : « ولكل أمة أجل » ،

---

(١) انظر تفسير « السلطان » فيما سلف ١١ : ٤٩٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) فى المطبوعة : « مهدداً للمشركين » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو ألصق بالسياق .

يقول : ولكل جماعة اجتمعت على تكذيب رُسل الله ،[١] وردّ نصائحهم ، والشرك بالله ، مع متابعة ربهم حججه عليهم = « أجل » ، يعنى : وقت لحلول العقوبات بساحتهم ، ونزول المثُلات بهم على شركهم[٢] = « فإذا جاء أجلهم » ، يقول : فإذا جاء الوقت الذى وقّته الله لهلاكهم ، وحلول العقاب بهم = « لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » ، يقول : لا يتأخرون بالبقاء فى الدنيا ، ولا يُمتَّعون بالحياة فيها عن وقت هلاكهم وحين حلول أجل فنائهم ،[٣] ساعة من ساعات الزمان = « ولا يستقدمون » ، يقول : ولا يتقدّمون بذلك أيضاً عن الوقت الذى جعله الله لهم وقتاً للهلاك . ١٢٤/٨

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٣٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره معرِّفاً خلقه ما أعدّ لحزبه وأهل طاعته والإيمان به وبرسوله ، وما أعدّ لحزب الشيطان وأوليائه والكافرين به وبرسله : « يا بنى آدم إما يأتينكم رسل منكم » ، يقول : إن يجئكم رسلى الذين أرسلهم إليكم بدعائكم إلى طاعتى ، والانتهاء إلى أمرى ونهيى = « منكم » ، يعنى : من أنفسكم ومن عشائركم وقبائلكم = « يقصون عليكم آياتى » ، يقول : يتلون عليكم آيات كتابى ، ويعرّفونكم أدلتى وأعلامى على صدق ما جاؤوكم به من عندى ، وحقيقة

(١) انظر تفسير « الأمة » فيما سلف ص : ٣٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الأجل » فيما سلف ص : ١١٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٣) فى المطبوعة : « يتمتعون » ، والصواب من المخطوطة .

ما دعوكم إليه من توحيدى[١] = « فمن اتقى وأصلح » ، يقول : فمن آمن منكم بما أتاه به رُسلى مما قص عليه من آياتى وصدّق، واتقى الله فخافه بالعمل بما أمره به والانتهاء عما نهاه عنه على لسان رسوله = « وأصلح » ، يقول : وأصلح أعماله التى كان لها مفسداً قبل ذلك من معاصى الله بالتحوُّب منها[٢] = « فلا خوف عليهم » ، يقول : فلا خوف عليهم يوم القيامة من عقاب الله إذا وردوا عليه = « ولا هم يحزنون »، على ما فاتهم من دنياهم التى تركوها ، وشهواتهم التى تجنَّبوها ، اتباعاً منهم لنهى الله عنها، إذا عاينوا من كرامة الله ما عاينوا هنالك .[٣]

١٤٥٥٤ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا هشام أبو عبد الله قال ، حدثنا هياج قال، حدثنا عبد الرحمن بن زياد، عن أبى سيّار السُّلَمى قال : إن الله جعل آدم وذريته فى كفّه فقال : « يا بنى آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ، ثم نظر إلى الرسل فقال : ﴿ يا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝ وَإِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾، [سورة المؤمنون : ٥١، ٥٢] ، ثم بثّهم .[٤]

* * *

فإن قال قائل : ما جواب قوله : « إما يأتينكم رسل منكم » ؟

---

(١) انظر تفسير « قص » فيما سلف ص : ١٢٠ ، ٣٠٧
= وتفسير « آية » فيما سلف من فهارس اللغة (أبى) .

(٢) « تحوب من إثمه » ، أى : تأثم منه ، أى : ترك الإثم وتوقاه .
= وانظر تفسير « أصلح » فيما سلف من فهارس اللغة (صلح) .

(٣) انظر تفسير « لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » فى نظائرها فيما سلف (خوف) (حزن) من فهارس اللغة .

(٤) الأثر : ١٤٥٥٤ — هذا إسناد مبهم لم أستطع تفسيره .
« أبو سيار السلمى » لم أعرف من يكون ، فمن أجل ذلك لم أستطع أن أميز من يكون : « عبد الرحمن ابن زياد » ، ولا « هياج » .
والأثر ، ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٨٢ ، ولم ينسبه لغير ابن جرير .

قيل : قد اختلف أهل العربية فى ذلك .

فقال بعضهم فى ذلك : الجوابُ مضمرٌ ، يدل عليه ما ظهر من الكلام ، وذلك قوله : « فمن اتقى وأصلح » . وذلك لأنه حين قال : « فمن اتقى وأصلح » ، كأنه قال : فأطيعوهم .

* * *

وقال آخرون منهم : الجواب : « فمن اتقى » ، لأن معناه : فمن اتقى منكم وأصلح . قال : ويدل على أنّ ذلك كذلك ، تبعيضه الكلام . فكان فى التبعيض اكتفاء من ذكر « منكم » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ (٣٦)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه: وأما من كذّب بإيتاء رسلى التى أرسلتها إليه ، وجحد توحيدى ، وكفر بما جاء به رسلى، واستكبر عن تصديق حُجَجى وأدلّتى = « فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » ، يقول: هم فى نار جهنم ماكثون لا يخرجون منها أبداً .(١)

* * *

(١) انظر تفسير ألفاظ هذه الآية فيما سلف من فهارس اللغة .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فمن أخطأ فعلاً ، وأجهلُ قولاً ، وأبعد ذهاباً عن الحق والصواب [1]=« ممن افترى على الله كذباً »، يقول : ممن اختلق على الله زُوراً من القول ، فقال إذا فعل فاحشة : إن الله أمرنا بها[2] = « أو كذب بآياته » ، يقول : أو كذب بأدلته وأعلامه الدالّة على وحدانيته ونبوّة أنبيائه ، فجحد حقيقتها ودافع صحتها = « أولئك »، يقول : من فعل ذلك ، فافترى على الله الكذب وكذب بآياته = « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب » ، يقول : يصل إليهم حظهم مما كتب الله لهم فى اللوح المحفوظ .[3]

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى صفة ذلك « النصيب »، الذى لهم فى « الكتاب» ، وما هو ؟

فقال بعضهم : هو عذاب الله الذى أعدّه لأهل الكفر به .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٥٥٥ — حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا مروان، عن إسمعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح قوله : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب » ، أى : من العذاب .

١٤٥٥٦ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة ، عن إسمعيل ، عن أبى صالح ، مثله .

---

(١) انظر تفسير « الظلم » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٢) انظر تفسير « افترى » فيما سلف ص : ١٨٩ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « نال » فيما سلف ٣ : ٦/٢٠ : ٥٨٧ .

= وتفسير « نصيب » فيما سلف ص : ١٣١ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

١٤٥٥٧ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب »، يقول : ما كتب لهم من العذاب . ١٢٥/٨

١٤٥٥٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال، أخبرنا هشيم، عن جويبر، عن كثير بن زياد، عن الحسن فى قوله : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب »، قال : من العذاب .

١٤٥٥٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو معاوية، عن جويبر، عن أبي سهل، عن الحسن قال : من العذاب .

١٤٥٦٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا المحاربى، عن جويبر، عن رجل، عن الحسن قال : من العذاب .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : أولئك ينالهم نصيبهم مما سبق لهم من الشقاء والسعادة .

* ذكر من قال ذلك:

١٤٥٦١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن آدم، عن شريك، عن سعيد : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب»، قال : من الشقوة والسعادة .

١٤٥٦٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد ابن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد: « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب »، كشقى وسعيد .(١)

١٤٥٦٣ – حدثنا واصل بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن فضيل، عن الحسن بن عمرو الفقيمى، عن الحكم قال : سمعت مجاهداً يقول : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب »، قال : هو ما سبق .

١٤٥٦٤ – حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن

(١) يعنى كقوله تعالى فى [سورة هود : ١٠٥] : ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ .

ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب » ، ما كتب لهم من الشقاوة والسعادة .

١٤٥٦٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ينالهم نصيبهم من الكتاب » ، ما كتب عليهم من الشقاوة والسعادة ، كشقي وسعيد .

١٤٥٦٦ – ....قال حدثنا ابن المبارك، عن شريك، عن جابر ، عن مجاهد، عن ابن عباس : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب » ، من الشقاوة والسعادة .

١٤٥٦٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن نمير وابن إدريس ، عن الحسن بن عمرو ، عن الحكم ، عن مجاهد : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب» ، قال : ما قد سبق من الكتاب .

١٤٥٦٨ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب » ، قال : ما سبق لهم في الكتاب .

١٤٥٦٩ – ....قال، حدثنا سويد بن عمرو ويحيي بن آدم، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد : « أولئك ينالهم نصيبهم » ، قال : من الشقاوة والسعادة .

١٤٥٧٠ – ....قال حدثنا أبو معاوية، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال : ما قُضي أو قُدِّر عليهم .

١٤٥٧١ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « ينالهم نصيبهم من الكتاب » ، ينالهم الذي كتب عليهم من الأعمال .

١٤٥٧٢ – حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال، حدثنا مروان بن معاوية ، عن إسمعيل بن سميع ، عن بكر الطويل ، عن مجاهد في قول الله : « أولئك

ينالهم نصيبهم من الكتاب» ، قال : قوم يعملون أعمالاً لا بُدَّ لهم من أن يعملوها .(١)

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك ، أولئك ينالهم نصيبهم من كتابهم الذى كتب لهم أو عليهم ، بأعمالهم التى عملوها فى الدنيا من خير وشر .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٥٧٣ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب » ، يقول : نصيبهم من الأعمال ، من عمل خيرًا جُزى به ، ومن عمل شرًّا جزى به .

١٤٥٧٤ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب » ، قال : من أحكام الكتاب ، على قدر أعمالهم .

١٤٥٧٥ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب » ، قال : ينالهم نصيبهم فى الآخرة من أعمالهم التى عملوا وأسْلَفوا .

١٤٥٧٦ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة قوله : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب » ، أى : أعمالهم ، أعمال السوء التى عملوها وأسلفوها .

١٤٥٧٧ – حدثنى أحمد بن المقدام قال ، حدثنا المعتمر قال ، قال أبى : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب » ، زعم قتادة : من أعمالهم التى عملوا .

١٤٥٧٨ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، حدثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك قوله : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب » ، ١٢٦/٨

---

(١) الأثر : ١٤٥٧٢ – « إسماعيل بن سميع الحنفى » ، مضى برقم : ٤٧٩١ ، ٤٧٩٣ . و « بكر الطويل » كأنه هو « بكر بن يزيد الطويل الحمصى » ، روى عن أبى هريرة الحمصى ، روى عنه أبو سعيد الأشج ، مترجم فى ابن أبى حاتم ٣٩٤/١/١ .

يقول : ينالهم نصيبهم من العمل . يقول : إن عمل من ذلك نصيبَ خير جُزِى خيراً ، وإن عمل شرًّا جُزِى مثله .

• • •

وقال آخرون : معنى ذلك : ينالهم نصيبهم مما وُعِدوا فى الكتاب من خير أو شرّ .

• ذكر من قال ذلك :

١٤٥٧٩ — حدثنا على بن سهل قال ، حدثنا زيد بن أبى الزرقاء ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس فى هذه الآية : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب » ، قال : من الخير والشر .

١٤٥٨٠ — . . . قال حدثنا زيد ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد قال : ما وُعدوا .

١٤٥٨١ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب » ، قال : ما وعدوا .

١٤٥٨٢ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب » ، قال : ما وعدوا فيه من خير أو شر .

١٤٥٨٣ — . . . قال حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ليث ، عن ابن عباس : : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب » ، قال : ما ما وُعِدوا مثله .

١٤٥٨٤ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : ما وُعِدوا فيه من خير أو شر .

١٤٥٨٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب » ، قال : ما وُعِدوا فيه .

١٤٥٨٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد في قوله : « أولئك ينالهم نصيبهم من « الكتاب » ، قال : ما وعدوا من خير أو شر .

١٤٥٨٧ – حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال، حدثنا مروان بن معاوية ، عن الحسن بن عمرو ، عن الحكم، عن مجاهد في قول الله : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب » ، قال : ينالهم ما سبق لهم من الكتاب .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب الذى كتبه الله على من افترى عليه .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٥٨٨ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب » ، يقول : ينالهم ما كتب عليهم . يقول : قد كتب لمن يفترى على الله أنّ وجهه مسوَدّ .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : أولئك ينالهم نصيبهم مما كتب لهم من الرزق والعمر والعمل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٥٨٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن ابن سعد قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع بن أنس: « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب » ، مما كتب لهم من الرزق .

١٤٥٩٠ – . . . قال حدثنا إسحق قال ، حدثنا محمد بن حرب، عن ابن لهيعة ، عن أبي صخر ، عن القرظي : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب» ، قال : عمله ورزقه وعمره .

١٤٥٩١ - حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب »، قال : من الأعمال والأرزاق والأعمار، فإذا في هذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم ، وقد فرغوا من هذه الأشياء كلها .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب ، قولُ من قال : معنى ذلك : أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب ، مما كتب لهم من خير وشر في الدنيا ، ورزق وعمل وأجل . وذلك أن الله جل ثناؤه أتبع ذلك قوله : « حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أينما كنتم تدعون من دون الله » ، فأبان بإتباعه ذلك قولَه : « أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب » ، أن الذي ينالهم من ذلك إنما هو ما كان مقضيًّا عليهم في الدنيا أن ينالهم، لأنه قد أخبر أن ذلك ينالهم إلى وقت مجيئهم رسلَه لتقبض أرواحهم . ولو كان ذلك نصيبهم من الكتاب ، أو مما قد أعدّ لهم في الآخرة ، لم يكن محدوداً بأنه ينالهم إلى مجيء رسل الله لوفاتهم ، لأن رسل الله لا تجيئهم للوفاة في الآخرة ، وأن عذابهم في الآخرة لا آخر له ولا انقضاء ، فإن الله قد قضى عليهم بالخلود فيه . فبيِّنٌ بذلك أن معناه ما اخترنا من القول فيه .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ (٣٧)

قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بقوله : « حتى إذا جاءتهم رسلنا » ، إلى أن جاءتهم رسلنا . يقول جل ثناؤه : وهؤلاء الذين افتروا على الله الكذب ، أو كذبوا بآيات ربهم ، ينالهم حظوظهم التي كتب الله لهم ، وسبق في علمه لهم ١٢١/٨

من رزق وعمل وأجل وخير وشر فى الدنيا ، إلى أن تأتيهم رسلنا لقبض أرواحهم . فإذا جاءتهم رسلنا ، يعنى ملك الموت وجنده = « يتوفونهم » ، يقول : يستوفون عددهم من الدنيا إلى الآخرة[1] = «قالوا أينما كنتم تدعون من دون الله » ، يقول : قالت الرسل : أين الذين كنتم تدعونهم أولياء من دون الله وتعبدونهم ، لا يدفعون عنكم ما قد جاءكم من أمر الله الذى هو خالقكم وخالقهم ، وما قد نزل بساحتكم من عظيم البلاء ؟ وهلا يُغيثونكم من كرب ما أنتم فيه فينقذونكم منه ؟ فأجابهم الأشقياء فقالوا : ضَلَّ عنا أولياؤنا الذين كنا ندعو من دون الله . يعنى بقوله : « ضلوا » ، جاروا وأخذوا غير طريقنا ، وتركونا عند حاجتنا إليهم فلم ينفعونا .[2] يقول الله جل ثناؤه : وشهد القوم حينئذ على أنفسهم أنهم كانوا كافرين بالله ، جاحدين وحدانيته .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن قيله لهؤلاء المفترين عليه ، المكذبين آياته يوم القيامة . يقول تعالى ذكره ، قال لهم حين وردوا عليه يوم القيامة ، ادخلوا ، أيها المفترون على ربكم ، المكذبون رسله ، فى جماعات من ضُرَبائكم[3] = « قد خلت من قبلكم » ، يقول : قد سلفت من قبلكم[4] = « من الجن والإنس فى النار » ، ومعنى ذلك : ادخلوا فى أمم هى فى النار ، قد خلت

(١) انظر تفسير « التوفى » فيما سلف : ١١ : ٤٠٩ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الضلال » فيما سلف من فهارس اللغة (ضلل) .
(٣) انظر تفسير « أمة » فيما سلف ص : ٤٠٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٤) انظر تفسير « خلا » فيما سلف ٣ : ١٠٠ ، ٤/١٢٨ : ٧/٢٨٩ : ٢٢٨ .

من قبلكم من الجن والإنس = وإنما يعنى بـ « الأمم » ، الأحزابَ وأهلَ الملل الكافرة = « كلما دخلت أمة لعنت أختها » ، يقول جل ثناؤه : كلما دخلت النارَ جماعةٌ من أهل ملة = « لعنت أختها »، يقول: شتمت الجماعة الأخرى من أهل ملتها ، تبرّياً منها .(١)

وإنما عنى بـ « الأخت » ، الأخوّة فى الدين والملة ، وقيل : « أختها » ، ولم يقل : « أخاها » ، لأنه عنى بها « أمة » وجماعة أخرى ، كأنه قيل : كلما دخلت أمة لعنت أمة أخرى من أهل ملتها ودينها .(٢)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٥٩٢ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « كلما دخلت أمة لعنت أختها » ، يقول : كلما دخل أهل ملة لعنوا أصحابهم على ذلك الدين ،(٣) يلعن المشركون المشركين ، واليهود اليهود ، والنصارى النصارى ، والصابئون الصابئين ، والمجوس المجوس ، تلعن الآخرةُ الأولى .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعاً ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : حتى إذا تداركت الأمم فى النار جميعاً، يعنى اجتمعت فيها .

* * *

(١) انظر تفسير « اللعن » فيما سلف ١٠ : ٤٨٩ ، تعليق : ١ .
(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٧٨ .
(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « كلما دخلت أهل ملة » ، والصواب ما أثبت .

يقال : « قد ادّاركوا » ، و « تداركوا » ، إذا اجتمعوا .(١)

* * *

نقول : اجتمع فيها الأوّلون من أهل الملل الكافرة والآخرون منهم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣٨)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن محاورة الأحزاب من أهل الملل الكافرة فى النار يوم القيامة . يقول الله تعالى ذكره : فإذا اجتمع أهل الملل الكافرة فى النار فادّاركوا ، قالت أخرى أهل كل ملة دخلت النار = الذين كانوا فى الدنيا بعد أولى منهم تقدّمتها وكانت لها سلفاً وإماماً فى الضلالة والكفر = لأولاها الذين كانوا قبلهم فى الدنيا : ربنا هؤلاء أضلونا عن سبيلك ، ودعونا إلى عبادة غيرك ، وزيّنوا لنا طاعة الشيطان ، فآتهم اليوم من عذابك الضعفَ على عذابنا ، كما : —

١٤٥٩٣ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « قالت أخراهم » ، الذين كانوا فى آخر الزمان = « لأولاهم » ، الذين شرعوا لهم ذلك الدين = « ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار » .

* * *

وأما قوله : «قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون » ، فإنه خبر من الله عن جوابه

(١) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢١٤ ، وفى نصه زيادة حسنة : « ويقال : تدارك لى عليه شىء ، أى اجتمع لى عنده شىء . وهو مدغم التاء فى الدال ، فثقلت الدال » .

لهم . يقول : قال الله للذين يدعونه فيقولون : « ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار » = : لكلكم ، أوّلكم وآخركم، وتابعوكم ومُتَّبَعوكم = «ضعف » ، يقول : مكرر عليه العذاب .

* * *

و « ضعف الشيء » ، مثله مرة .

* * *

وكان مجاهد يقول فى ذلك ما : —

١٤٥٩٤ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ،عن مجاهد فى قول الله. «عذاباً ضعفاً من النار قال لكل ضعف » ، مضعّف .

١٢٨/٨ ١٤٥٩٥ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٥٩٦ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى ، قال الله: « لكل ضعف » ، للأولى ، وللآخرة ضعف .

١٤٥٩٧ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان قال ، حدثنى غير واحد ، عن السدى ، عن مرة ، عن عبد الله : « ضعفاً من النار »، قال : أفاعى .

١٤٥٩٨ — حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان ، عن السدى ، عن مرة ، عن عبد الله : « فآتهم عذاباً ضعفاً من النار » ، قال : حيّات وأفاعى .

* * *

وقيل : إن « المضعَّف » ، فى كلام العرب ، ما كان ضعفين ،[١] و « المضاعف » ، ما كان أكثر من ذلك .

* * *

وقوله : « ولكن لا تعلمون » ، يقول : ولكنكم ، يا معشر أهل النار ، لا تعلمون ما قدْرُ ما أعدّ الله لكم من العذاب ، فلذلك تسأل الضعفَ منه الأمةُ الكافرةَ الأخرى لأختها الأولى .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ (٣٩)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : وقالت أولى كل أمة وملة سبقت فى الدنيا ، لأخراها الذين جاؤوا من بعدهم ، وحَدَثوا بعد زمانهم فيها ، فسلكوا سبيلهم واستنوا سنتهم : « فما كان لكم علينا من فضل » ، وقد علمتم ما حل بنا من عقوبة الله جل ثناؤه بمعصيتنا إياه وكفرنا بآياته ، بعدما جاءتنا وجاءتكم بذلك الرسل والنذر ،[٢] فهل أنبتم إلى طاعة الله ،[٣] وارتدعتم عن غوايتكم وضلالتكم ؟ فانقضت حجة القوم وخُصِموا ولم يطيقوا جواباً بأن يقولوا : « فضلنا عليكم إذ اعتبرنا بكم فآمنا بالله وصدقنا رسله » ،[٤] قال الله لجميعهم : فذوقوا جميعكم ، أيها الكفرة ، عذابَ

---

(١) فى المطبوعة : « الضعف ، فى كلام العرب » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « وكفرنا به وجاءتنا وجاءتكم بذلك الرسل » ، وفى المخطوطة : « وكفرنا به ما جاءتنا وجاءتكم » ، وهو غير مستقيم ، صوابه إن شاء الله ما أثبت . وهو سياق الآيات قبلها . هكذا استظهرته من تفسير الآيات السالفة .

(٣) فى المطبوعة : « هل انتهيتم » ، وفى المخطوطة : « هل أسم » ، وهذا صواب قراءتها ، وزدت الفاء فى أول « هل » ، لاقتضاء سياق الكلام إثباتها .

(٤) فى المطبوعة : « إنا اعتبرنا بكم » ، وفى المخطوطة : « إذا اعتبرنا بكم » ، والصواب ما أثبت .

جهنم ،[١] بما كنتم فى الدنيا تكسبون من الآثام والمعاصى ، وتجترحون من الذنوب والإجرام .[٢]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

• ذكر من قال ذلك :

١٤٥٩٩ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا المعتمر قال، سمعت عمران ، عن أبى مجلز : « وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون » ، قال : يقول : فما فضلكم علينا، وقد بين لكم ما صنع بنا ، وحُذِّرتم ؟

١٤٦٠٠ – حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل ، قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل » ، فقد ضللتم كما ضللنا .

* * *

وكان مجاهد يقول فى هذا بما : –

١٤٦٠١ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فما كان لكم علينا من فضل » ، قال : من التخفيف من العذاب .

١٤٦٠٢ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فما كان لكم علينا من فضل » ، قال : من تخفيف.

* * *

وهذا القول الذى ذكرناه عن مجاهد ، قولٌ لا معنى له . لأن قول القائلين :

---

(١) انظر تفسير : « ذوقوا العذاب » فيما سلف ١١ : ٤٢٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « كسب » فيما سلف ص : ٢٨٦ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

« فما كان لكم علينا من فضل » إن قالوا ذلك ، إنما هو توبيخ منهم على ما سلف منهم قبل تلك الحال، يدل على ذلك معنى « كان » في الكلام . ولو كان ذلك منهم توبيخاً لهم على قيلهم الذي قالوا لربهم : « آتهم عذاباً ضعفاً من النار » ، لكان التوبيخ أن يقال : « فما لكم علينا من فضل ، في تخفيف العذاب عنكم، وقد نالكم من العذاب ما قد نالنا » ، ولم يقل : « فما كان لكم علينا من فضل » .

• • •

القول في تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن الذين كذبوا بحججنا وأدلتنا فلم يصدقوا بها، ولم يتبعوا رسلنا[1] = « واستكبروا عنها »، يقول: وتكبروا عن التصديق بها وأنفوا من اتباعها والانقياد لها تكبراً[2] = « لا تفتح لهم »، لأرواحهم إذا خرجت من أجسادهم = « أبواب السماء » ، ولا يصعد لهم في حياتهم إلى الله قول ولا عمل ، لأن أعمالهم خبيثة، وإنما يرفع الكلم الطيبُ والعملُ الصالح، كما قال جل ثناؤه: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [سورة فاطر : ١٠] .

• • •

ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : « لا تفتح لهم أبواب السماء » .

فقال بعضهم : معناه : لا تفتح لأرواح هؤلاء الكفار أبواب السماء .

• ذكر من قال ذلك :

١٤٦٠٣ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يعلى ، عن أبي سنان ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « لا تفتح لهم أبواب السماء » ، قال : عنى بها الكفار ، ١٢٩/٨

(١) انظر تفسير « الآية » فيما سلف من فهارس اللغة (أبي) .

(٢) انظر تفسير « الاستكبار » فيما سلف ٦١ : ٥٤٠

أنّ السماء لا تفتح لأرواحهم ، وتفتح لأرواح المؤمنين .

١٤٦٠٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو معاوية ، عن أبي سنان ، عن الضحاك قال ، قال ابن عباس : تُفتح السماء لروح المؤمن ، ولا تفتح لروح الكافر .

١٤٦٠٥ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « لا تفتح لهم أبواب السماء » ، قال : إن الكافر إذا أُخِذ روحُه ، ضربته ملائكة الأرض حتى يرتفع إلى السماء ، فإذا بلغ السماء الدنيا ضربته ملائكة السماء فهبط ، فضربته ملائكة الأرض فارتفع ، فإذا بلغ السماء الدنيا ضربته ملائكة السماء الدنيا فهبط إلى أسفل الأرضين . وإذا كان مؤمناً نفخ روحه،[1] وفتحت له أبواب السماء، فلا يمرّ بملك إلاّ حيّاه وسلم عليه ، حتى ينتهى إلى الله ، فيعطيه حاجته ، ثم يقول الله : ردّوا روحَ عبدى فيه إلى الأرض ، فإنى قضيتُ من التراب خلقه ، وإلى التراب يعود ، ومنه يخرج .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك أنه لا يصعد لهم عمل صالح ولا دعاءٌ إلى الله .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٦٠٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبيد الله ، عن سفيان ، عن ليث ، عن عطاء، عن ابن عباس : « لا تفتح لهم أبواب السماء » ، لا يصعد لهم قولٌ ولا عمل .

١٤٦٠٧ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء » ، يعنى : لا يصعد إلى الله من عملهم شىء .

١٤٦٠٨ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى

---

(١) فى المطبوعة : « وإذا كان مؤمناً أخذ روحه » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « لا تفتح لهم أبواب السماء » ، يقول : لا تفتح لخير يعملون .

١٤٦٠٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان، عن منصور ، عن مجاهد : « لا تفتح لهم أبواب السماء » ، قال : لا يصعد لهم كلامٌ ولا عمل .

١٤٦١٠ – حدثنا مطر بن محمد الضبي قال، حدثنا عبد الله بن داود قال، حدثنا شريك ، عن منصور ، عن إبراهيم في قوله : « لا تفتح لهم أبواب السماء » ، قال : لا يرتفع لهم عمل ولا دعاء .(١)

١٤٦١١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد : « لا تفتح لهم أبواب السماء » ، قال : لا يرتفع لهم عمل ولا دعاء .

١٤٦١٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا الحماني قال : حدثنا شريك ، عن سعيد : « لاتفتح لهم أبواب السماء » ، قال : لا يرفع لهم عملٌ صالح ولا دعاء .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : لا تفتح أبواب السماء لأرواحهم ولا لأعمالهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٦١٣ – حدثني القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « لا تفتح لهم أبواب السماء » قال : لأرواحهم ولا لأعمالهم .

* * *

قال أبو جعفر : وإنما اخترنا في تأويل ذلك ما اخترنا من القول ، لعموم خبر الله جل ثناؤه أن أبواب السماء لا تفتح لهم . ولم يخصص الخبر بأنه يفتح لهم في شيء ، فذلك على ما عمّه خبر الله تعالى ذكره بأنها لا تفتح لهم في شيء ، مع تأييد الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قلنا في ذلك ، وذلك ما : —

---

(١) الأثر : ١٤٦١٠ – « مطر بن محمد الضبي » ، شيخ الطبري ، لم أجد له ترجمة ، ومضى أيضاً برقم : ١٢١٩٨ .

١٤٦١٤ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن زاذان ، عن البراء : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبضَ روح الفاجر ، وأنه يصعد بها إلى السماء ، قال : فيصعدون بها ، فلا يمرّون على ملأ من الملائكة إلا قالوا : « ما هذا الروح الخبيث » ؟ فيقولون : « فلان » ، بأقبح أسمائه التى كان يُدعى بها فى الدنيا ، حتى ينتهوا بها إلى السماء ، فيستفتحون له فلا يفتح له . ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط » .(١)

١٤٦١٥ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثمان بن عبد الرحمن ، عن ابن أبى ذئب ، عن محمد بن عمرو بن عطاء ، عن سعيد بن يسار ، عن أبى هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الميت تحضره الملائكة ، فإذا

---

(١) الأثر : ١٤٦١٤ – « المنهال » هو « المنهال بن عمرو الأسدى » ، ثقة ، رجح أخى توثيقه فى المسند رقم : ٧١٤ ، وفيما سلف رقم : ٣٣٧ ، ٧٩٩ .

و « زاذان » هو « أبو عبد الله » ، ويقال « أبو عمر » الكوفى الضرير . تابعى ثقة ، مضى أيضاً برقم : ٩٥٠٨ ، ١٣٠١٧ ، ١٣٠١٨ .

وهذا الخبر مختصراً رواه أحمد مطولا ومختصراً فى مسنده ٤ : ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، من طريقين ، و ٢٩٧ ، كلها من طريق الأعمش ، عن المنهال . ورواه أيضا ٤ : ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، من طريقين . أحدهما من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن يونس بن خباب ، عن المنهال ، والآخر من طريق أبى الربيع ، عن حماد بن زيد ، عن يونس بن خباب .

ورواه أبو داود الطيالسى فى مسنده ص : ١٠٢ ، مطولا من طريق أبى عوانة ، عن الأعمش .

ورواه أبو داود فى سننه ٣ : ٢٨٩ ، رقم : ٣٢١٢ مختصراً ، ورواه مطولا ٤ : ٣٣٠ رقم : ٤٧٥٣ .

ورواه الحاكم فى المستدرك ١ : ٣٧ – ٤٠ ، من طرق ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، فقد احتجا جميعا بالمنهال بن عمرو ، وزاذان أبى عمر الكندى . وفى هذا الحديث فوائد كثيرة لأهل السنة ، وقمع للمبتدعة ، ولم يخرجاه بطوله » .

وخرجه ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، وقال : « رواه أبو داود ، والنسائى ، وابن ماجة ، من طرق عن المنهال بن عمرو به » ثم ساق حديث أحمد فى المسند .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ١ : ٨٣ ، وزاد نسبته لابن أبى شيبة وهناد بن السرى ، وعبد بن حميد ، وابن مردويه ، والبيهقى فى كتاب عذاب القبر .

كان الرجلَ الصالحَ قالوا : « اخرجى أيتها النفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب ، اخرجى حميدة ، وأبشرى بروْح وريحان ، وربّ غير غضبان » ، قال : فيقولون ذلك حتى يُعرج بها إلى السماء ، فيستفتح لها ، فيقال : « من هذا »؟ فيقولون : « فلان » . فيقال : « مرحباً بالنفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب ،[1] ادخلى حميدة ، وأبشرى بروح وريحان ، ورب غير غضبان » ، فيقال لها ذلك حتى تنتهى إلى السماء التى فيها الله . وإذا كان الرجلَ السَّوْءَ قال : « اخرجى أيتها النفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث ، اخرجى ذميمة ، وأبشرى بحميم وغسَّاق ، وآخر من شكله أزواج » ، فيقولون ذلك حتى تخرج ، ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال : « من هذا » ؟ فيقولون : « فلان »، فيقولون : « لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث ، ارجعى ذميمة ، فإنه لم تفتح لك أبواب السماء » ،[2] فترسل بين السماء والأرض ، فتصير إلى القبر .[3] ٨/١٣٠

١٤٦١٦ – حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال، حدثنا ابن أبى فديك قال ، حدثنى ابن أبى ذئب ، عن محمد بن عمرو بن عطاء ، عن سعيد ابن يسار ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

* * *

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « بالنفس الطيبة التى كانت . . . » ، والظاهر أنها زيادة من الناسخ ، فإن روايتهم جميعا اتفقت على ما أثبت .

(٢) فى المطبوعة : « لا تفتح لك أبواب السماء » ، وفى المخطوطة : « لم تفتح » بغير « لك » ، وأثبت ما فى تفسير ابن كثير . وفى ابن ماجة : « لا تفتح لك » .

(٣) الأثر : ١٤٦١٥ ، ١٤٦١٦ – « عبد الرحمن بن عثمان بن أمية الثقفى » « أبو بحر البكراوى » ، ضعيف متكلم فيه ، قال أبو حاتم : « يكتب حديثه ولا يحتج به » . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٢/٢/٢٦٤ .

و « ابن أبى ذئب » ، هو « محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبى ذئب » ، ثقة حافظ ، مضى برقم : ٢٩٩٥ .

و « محمد بن عمرو بن عطاء القرشى العامرى» ، ثقة روى له الجماعة .

و « سعيد بن يسار » أبو الحباب المدنى ، تابعى ثقة لا يختلفون فى توثيقه . روى له الجماعة .

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة الكوفة : ﴿ لَا يُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ﴾ ، بالياء من « يفتح » ، وتخفيف « التاء » منها ، بمعنى : لا يفتح لهم جميعها بمرة واحدة وفتحةٍ واحدة .

• • •

وقرأ ذلك بعض المدنيين وبعض الكوفيين : ﴿ لَا تُفَتَّحُ ﴾ ، بالتاء وتشديد التاء الثانية ، بمعنى : لا يفتح لهم باب بعد باب ، وشىء بعد شىء .

• • •

قال أبو جعفر : والصواب فى ذلك عندى من القول أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان صحيحتا المعنى . وذلك أن أرواح الكفار لا تفتح لها ولا لأعمالهم الخبيثة أبوابُ السماء بمرة واحدة ، ولا مرة بعد مرة ، وباب بعد باب . فكلا المعنيين فى ذلك صحيح .

وكذلك « الياء » ، و « التاء » فى « يفتح » ، و « تفتح » ، لأن « الياء » بناء على فعل الواحد للتوحيد ، و « التاء » لأن « الأبواب » جماعة ، فيخبر عنها خبر الجماعة .(١)

• • •

وهذا خبر صحيح ، رواه عن ابن أبى ذئب غير « عبد الرحمن بن عثمان » . وسيأتى بإسناد ليس فيه ضعف ، فى الأثر التالى .

وهذا الخبر رواه ابن ماجة ص : ١٤٢٣ رقم : ٤٢٦٢ .

وذكره ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٤٧٥ ، ونسبه إلى أحمد ، والنسائى وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٨٣ ، وزاد نسبته إلى ابن حبان ، والحاكم وصححه ، والبيهقى فى البعث .

والأثر رقم : ١٤٦١٦ . هو إسناد صحيح للخبر السالف .

« ابن أبى فديك » ، هو « محمد بن إسماعيل بن مسلم بن أبى فديك » ، ثقة ، روى له الجماعة . مضى برقم : ٤٣١٩ ، ٩٤٨٢ ، ٩٨٧٦ .

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٧٨ ، ٣٧٩ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ (٤٠)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : ولا يدخل هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها ، الجنةَ التى أعدّها الله لأوليائه المؤمنين أبداً ، كما لا يلج الجمل فى سم الخياط أبداً ، وذلك ثَقب الإبرة .

* * *

وكل ثقب فى عين أو أنف أو غير ذلك ، فإن العرب تسميه « سَمًّا » وتجمعه « سموماً » ، و « السِّمام » ، فى جمع « السَّم » القاتل ، أشهر وأفصح من « السموم » . وهو فى جمع « السَّم » الذى هو بمعنى الثقب أفصح . وكلاهما فى العرب مستفيض . وقد يقال لواحد « السموم » التى هى الثقوب « سَمٌّ » و « سُمٌّ » ، بفتح السين وضمها ، ومن « السَّم » الذى بمعنى الثقب قول الفرزدق :

فَنَفَّسْتُ عَنْ سَمَّيْهِ حَتَّى تَنَفَّسَا وَقُلْتُ لَهُ : لَا تَخْشَ شَيْئًا وَرَائِيَا(١)

يعنى بسميه ، ثقبى أنفه .

* * *

(١) ديوانه : ٨٩٥ ، النقائض : ١٦٩ ، واللسان (سمم) ، من أول قصيدة هاجى بها جريراً ، ونصر البعيث وهجاه معا . وكان الذى هاج الهجاء بين جرير والفرزدق ، أن البعيث المجاشعى ، سرقت إبله ، سرقها ناس من بنى يربوع ، من رهط جرير ، فطلبها البعيث حتى وجدها فى أيديهم ، فأرسل لسانه فى بنى يربوع ، فاعترضه جرير ، فهجاه ، فانبعث الشر بالبعيث ، فانطلق الفرزدق بعد قليل ينصره ، فقال هذه القصيدة يهجو جريراً ، وينصر البعيث ويهجوه ، فيقول للبعيث :

دَعَانِى ٱبْنُ حَمْرَاءِ العِجَانِ وَلَمْ يَجِدْ لَهُ إِذْ دَعَا ، مُسْتَأْخَرًا عَنْ دُعَائِيَا
فَنَفَّسْتُ عن سَمَّيْهِ . . . . . .

« نفس عنه » ، فرج عنه كربته إذ أطبق عليه جرير ، فاستنقذه من تحت وطأته . فاستطاع أن يتنفس . وقوله : « لا تخش شيئا ورائيا » ، أى : لا تخش شيئا ما دمت درعاً لك وأنت من ورائى تحتمى بلسانى وهجائى جريراً . وأما قول أبى عبيدة : « أى لا تخش شيئاً يأتيك من خلفى » ، فليس عندى بشىء .

وكان فى المطبوعة : « شيئاً وراءنا » ، لم يحسن قراءة المخطوطة .

وأما « الخياط » فإنه « المِخْيَط »، وهي الإبرة. قيل لها : « خِيَاط » و« مِخْيَط »، كما قيل : « قِناع » و« مِقْنع »، و« إزاز » و« مِئْزر »، و« قِرام » و« مِقْرَم » ، و « لحاف » و « مِلْحف » .

وأما القرأة من جميع الأمصار فإنها قرأت قوله : ﴿ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾، بفتح «السين»، وأجمعت على قراءة : ﴿ الْجَمَلُ ﴾ بفتح « الجيم »، و « الميم » وتخفيف ذلك .

* * *

وأما ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير ، فإنه حكى عنهم أنهم كانوا يقرأون ذلك : ﴿الْجُمَّلُ ﴾، بضم « الجيم » وتشديد «الميم»، على اختلاف في ذلك عن سعيد وابن عباس.

* * *

فأما الذين قرأوه بالفتح من الحرفين والتخفيف ، فإنهم وجهوا تأويله إلى « الجمل » المعروف ، وكذلك فسروه .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٦١٧ — حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعي قال، حدثنا فضيل بن عياض، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله في قوله : « حتى يلج الجمل في سم الخياط »، قال : الجمل ابن الناقة ، أو : زوج الناقة .

١٤٦١٨ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان، عن أبي حصين ، عن إبراهيم، عن عبد الله: « حتى يلج الجمل في سم الخياط»، قال : « الجمل » ، زوج الناقة .

١٤٦١٩ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان، عن أبي حصين عن إبراهيم ، عن عبد الله ، مثله .

١٤٦٢٠ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن مهدي ، عن هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله قال : « الجمل »، زوج الناقة .

١٤٦٢١ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال، أخبرنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ، مثله .

١٤٦٢٢ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا قرة قال : سمعت الحسن يقول : « الجمل » ، الذى يقوم فى المِرْبد .(١)

١٤٦٢٣ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن : « حتى يلج الجمل فى سم الخياط » ، قال : حتى يدخل البعير فى خُرت الإبرة .(٢) ١٣١/٨

١٤٦٢٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن مهدى ، عن هشيم ، عن عباد بن راشد ، عن الحسن قال : هو الجمل ! فلما أكثروا عليه قال : هو الأشتر .(٣)

١٤٦٢٥ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال، حدثنا هشيم ، عن عباد بن راشد ، عن الحسن ، مثله .

١٤٦٢٦ – حدثنا المثنى قال، حدثنا الحجاج قال ، حدثنا حماد ، عن يحيى قال : كان الحسن يقرؤها : « حتى يلج الجمل فى سم الخياط » ، قال : فذهب بعضهم يستفهمه ، قال : أشتر ، أشتر .(٣)

١٤٦٢٧ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو النعمان عارم قال ، حدثنا حماد ابن زيد ، عن شعيب بن الحبحاب ، عن أبى العالية : « حتى يلج الجمل » ، قال : الجمل الذى له أربع قوائم .

١٤٦٢٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن أبى حصين = أو : حصين = ، عن إبراهيم ، عن ابن مسعود فى

---

(١) « المربد » (بكسر فسكون) : هو المكان الذى تحبس فيه الإبل ، يقال : « ربد الإبل يربدها ربداً » ، حبسها . ويقال : «مربد الغنم » أيضاً . وبه سمى « مربد البصرة » ، لأنه كان موضع سوق الإبل .

(٢) « خرت الإبرة » (بضم الخاء أو فتحها ، وسكون الراء) : هو ثقبها . وكان فى المطبوعة : « فى خرق » وهى صواب ، والمخطوطة تشبه أن تقرأ هكذا وهكذا .

(٣) « أشتر » ، وهو الجمل ، بالفارسية .

قوله : « حتى يلج الجمل فى سم الخياط » ، قال : زوج الناقة ، يعنى الجمل .

١٤٦٢٩ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك أنه كان يقرأ: « الجمل » ، وهو الذى له أربع قوائم .

١٤٦٣٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو تميلة ، عن عبيد ، عن الضحاك : « حتى يلج الجمل » ، الذى له أربع قوائم .

١٤٦٣١ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا زيد بن الحباب، عن قرة، عن الحسن : « حتى يلج الجمل » ، قال : الذى بالمربد .

١٤٦٣٢ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن مسعود : أنه كان يقرأ : ﴿ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ الأَصْفَرُ ﴾ .

١٤٦٣٣ – حدثنا نصر بن على قال، حدثنا يحيى بن سليم قال ، حدثنا عبد الكريم بن أبى المخارق ، عن الحسن فى قوله : « حتى يلج الجمل فى سم الخياط » ، قال : الجمل ابن الناقة = أو : بَعْلُ الناقة .

* * *

وأما الذين خالفوا هذه القراءة فإنهم اختلفوا .

فروى عن ابن عباس فى ذلك روايتان : إحداهما الموافقة لهذه القراءة وهذا التأويل .

* ذكروا الرواية بذلك عنه :

١٤٦٣٤ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « حتى يلج الجمل فى سم الخياط» ، والجمل ذو القوائم .

* * *

وذكر أن ابن مسعود قال ذلك .

١٤٦٣٥ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « حتى يلج الجمل في سم الخياط » ، وهو الجمل العظيم ، لا يدخل في خُرْت الإبرة ، [1] من أجل أنه أعظم منها .

* * *

والرواية الأخرى ما : –

١٤٦٣٦ – حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي قال، حدثنا فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن مجاهد، عن ابن عباس في قوله: ﴿ حَتَّى يَلِجَ الْجُمَّلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ قال : هو قَلْس السفينة .[2]

١٤٦٣٧ – حدثني عبد الأعلى بن واصل قال ، حدثنا أبو غسان مالك بن إسمعيل ، عن خالد بن عبد الله الواسطي، عن حنظلة السدوسي ، عن عكرمة ،عن ابن عباس : أنه كان يقرأ: ﴿ حَتَّى يَلِجَ الْجُمَّلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ ، يعني الحبل الغليظ = فذكرت ذلك للحسن فقال: « حتى يلجَ الجمَل » ، قال عبد الأعلى : قال أبو غسان ، قال خالد : يعني : البعير .

١٤٦٣٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة ، عن فضيل ، عن مغيرة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس: أنه قرأ: ﴿ الْجُمَّلُ ﴾، مثقّلة ، وقال : هو حبل السفينة .

١٤٦٣٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن مهدي ، عن هشيم ، عن مغيرة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : « الجمَّل »، حبال السفن .

١٤٦٤٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن آدم ، عن ابن مبارك ، عن حنظلة، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿ حَتَّى يَلِجَ الْجُمَّلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ ، قال : الحبل الغليظ .

---

(١) انظر ص : ٤٢٩ ، التعليق : ٢ .

(٢) « القلس » (بفتح فسكون) : هو حبل ضخم غليظ من ليف أو خوص ، وهو من حبال السفن .

١٤٦٤١ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس: ﴿ حَتَّى يَلِجَ الْجُمَّلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ ، قال : هو الحبل الذى يكون على السفينة .

* * *

واختُلِف عن سعيد بن جبير أيضاً فى ذلك ، فروى عنه روايتان : إحداهما مثل الذى ذكرنا عن ابن عباس : بضم « الجيم » وتثقيل « الميم » .

• ذكر الرواية بذلك عنه :

١٤٦٤٢ – حدثنا عمران بن موسى القزاز قال، حدثنا عبد الوارث بن سعيد قال ، حدثنا حسين المعلم ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير : أنه قرأها : ﴿ حَتَّى يَلِجَ الْجُمَّلُ ﴾ ، يعنى قُلُوس السفن ، يعنى : الحبال الغلاظ .(١)

* * *

والأخرى منهما بضم « الجيم » وتخفيف « الميم » .

• ذكر الرواية بذلك عنه :

١٤٦٤٣ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا عمرو، عن سالم بن عجلان الأفطس قال، قرأت على أبى: ﴿حَتَّى يَلِجَ الْجُمَّلَ ﴾، فقال: ﴿حَتَّى يَلِجَ الْجُمَلُ ﴾ خفيفة، هو حبل السفينة = هكذا أقرأنيها سعيد بن جبير . ١٣٢/٨

* * *

وأما عكرمة فإنه كان يقرأ ذلك : ﴿ الْجُمَّلُ ﴾ ، بضم « الجيم » وتشديد « الميم »، ويتأوّله كما : –

١٤٦٤٤ – حدثنى ابن وكيع قال، حدثنا أبو تميلة ، عن عيسى بن عبيد قال: سمعت عكرمة يقرأ: ﴿ الْجُمَّلُ ﴾ مثقلة ، ويقول: هو الحبل الذى يصعد به إلى النخل .

---

(١) « القلوس » جمع « قلس » ، انظر التعليق السالف .

١٤٦٤٥ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال ، حدثنا كعب بن فروخ قال ، حدثنا قتادة ، عن عكرمة فى قوله : ﴿ حَتَّى يَلِجَ الْجُمَّلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ ، قال : الحبل الغليظ فى خرق الإبرة .(١)

١٤٦٤٦ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله: ﴿ حَتَّى يَلِجَ الْجُمَّلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ ، قال : حبل السفينة فى سمّ الخياط .

١٤٦٤٧ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال عبد الله بن كثير : سمعت مجاهداً يقول : الحبل من حبال السفن .

* * *

وكأنّ من قرأ ذلك بتخفيف « الميم » وضم « الجيم » ، على ما ذكرنا عن سعيد ابن جبير ، على مثال « الصُّرَد » و « الجُعَل » ، وجهه إلى جماع «جملة» من الحبال جمعت « جُمَلاً » ، كما تجمع « الظلمة » ، « ظُلَماً » ، و « الخُرْبة » « خُرَباً » .

* * *

وكان بعض أهل العربية ينكر التشديد فى « الميم » ويقول : إنما أراد الراوى « الجُمَل » بالتخفيف ، فلم يفهم ذلك منه فشدّده .

* * *

١٤٦٤٨ – وحدثت عن الفراء، عن الكسائى أنه قال : الذى رواه عن ابن عباس كان أعجمياً .

* * *

وأما من شدد « الميم » وضم « الجيم » فإنه وجهه إلى أنه اسم واحد ، وهو الحبل ، أو الخيط الغليظ .

* * *

(١) الأثر : ١٤٦٤٥ – « كعب بن فروخ ، أبو عبد الله البصرى » ، ثقة . مترجم فى ابن أبى حاتم ١٦٢/٢/٣ . وسيأتى فى رقم : ١٤٦٥٠ .

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك عندنا، ما عليه قرآة الأمصار، وهو : ﴿ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾، بفتح « الجيم» و« الميم» من « الجمل »؛ وتخفيفها ، وفتح « السين » من « السم » ، لأنها القراءة المستفيضة فى قرأة الأمصار، وغير جائز مخالفة ما جاءت به الحجة متفقة عليه من القراءة .

وكذلك ذلك فى فتح « السين » من قوله : « سَمِّ الخياط» .

* * *

وإذ كان الصواب من القراءة ذلك ، فتأويل الكلام : ولا يدخلون الجنة حتى يلج = و« الولوج» الدخول ، من قولهم : « ولج فلا الدار يلِجَ ولوجاً » ،[1] بمعنى دخل = الجملُ فى سم الإبرة ، وهو ثقبها .

= « وكذلك نجزى المجرمين » ، يقول : وكذلك نثيب الذين أجرَموا فى الدنيا ما استحقوا به من الله العذاب الأليم فى الآخرة .[2]

* * *

وبمثل الذى قلنا فى تأويل قوله : : « سم الخياط » ، قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٦٤٩ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة وابن مهدى وسويد الكلبي ، عن حماد بن زيد ، عن يحيي بن عتيق قال : سألت الحسن عن قوله : « حتى يلج الجمل فى سم الخياط » ، قال : ثقب الإبرة .[3]

١٤٦٥٠ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال ، حدثنا

---

(١) انظر تفسير « الولوج » فيما سلف ٦ : ٣٠٢ ، وفيه زيادة فى مصادره .

(٢) انظر تفسير « الجزاء » ، و « الإجرام » فيما سلف من فهارس اللغة (جزى) (جرم) .

(٣) الأثر : ١٤٦٤٩ – « سويد الكلبى » ، هو : « سويد بن عمرو الكلبى » ، ثقة ثبت ، كان رجلا صالحاً متعبداً . وقال ابن حبان : « كان يقلب الأسانيد ، ويضع على الأسانيد الصحاح المتون الواهية » !! ووثقه النسائى وابن معين والعجلى . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١٤٩/٢/٢ ، وابن أبى حاتم ٢٣٩/١/٢ .

و « يحيى بن عتيق الطفاوى البصرى» ، ثقة ، وكان ورعاً متفنناً .

مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢٩٥/٢/٤ ، وابن أبى حاتم ١٧٦/٢/٤ .

كعب بن فروخ قال ، حدثنا قتادة، عن عكرمة : « فى سم الخياط » ، قال : ثقب الإبرة .(١)

١٤٦٥١ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ، مثله .

١٤٦٥٢ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : «فى سم الخياط » ، قال : جُحْر الإبرة .

١٤٦٥٣ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « فى سم الخياط » ، يقول : جُحْر الإبرة .

١٤٦٥٤ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنى عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فى سم الخياط » ، قال : فى ثقبه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لَهُمْ مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٤١)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : لهؤلاء الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها = « من جهنم مهاد » .

* * *

= وهو ما امتهدوه مما يقعد عليه ويضطجع ، كالفراش الذى يفرش ، والبساط الذى يبسط .(٢)

* * *

= « ومن فوقهم غواش » .

* * *

(١) الأثر : ١٤٦٥٠ – « كعب بن فروخ » ، مضى برقم : ١٤٦٤٥ .
(٢) انظر تفسير « المهاد » فيما سلف ٤ : ٦/٢٤٦ : ٧/٢٢٩ : ٤٩٤ .

وهو جمع « غاشية » ، وذلك ما غَشَّاهم فغطاهم من فوقهم .

* * *

وإنما معنى الكلام: لهم من جهنم مهاد من تحتهم فُرُش، ومن فوقهم منها لُحُف ، وإنهم بين ذلك .

* * *

وبنحو ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٦٥٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن موسى ابن عبيدة ، عن محمد بن كعب : « لهم من جهنم مهاد» : قال : الفراش = « ومن فوقهم غواش » ، قال : اللُّحُف .

١٤٦٥٦ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا جابر بن نوح ، عن أبي روق ، عن الضحاك : « لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش » ، قال : « المهاد » ، الفُرُش ، و « الغواشي » ، اللحف .

١٣٣/٨ ١٤٦٥٧ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش » ، أما « المهاد » كهيئة الفراش = و « الغواشي » ، تتغشاهم من فوقهم .

* * *

وأما قوله : « وكذلك نجزى الظالمين » ، فإنه يقول : وكذلك نثيب ونكافئ من ظلم نفسه ، فأكسبها من غضب الله ما لا قبل لها به بكفره بربه ، وتكذيبه أنبيائه .(١)

* * *

(١) انظر تفسير « الجزاء » و « الظلم » فيما سلف من فهارس اللغة (جزى) و (ظلم) .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (٤٢)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : « والذين صدّقوا الله ورسوله ، وأقرّوا بما جاءهم به من وحى الله وتنزيله وشرائع دينه ، وعملوا بما أمرهم الله به فأطاعوه ، وتجنبوا ما نهاهم عنه [١] = « لا نكلف نفساً إلا وسعها » ، يقول : لا نكلف نفساً من الأعمال إلا ما يسعها فلا تحرج فيه [٢] = « أولئك » ، يقول : هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات = « أصحاب الجنة » ، يقول : هم أهل الجنة الذين هم أهلها ، دون غيرهم ممن كفر بالله وعمل بسيئاتهم [٣] = « هم فيها خالدون » ، يقول [٤] : هم فى الجنة ماكثون ، دائمٌ فيها مكثهم ، [٥] لا يخرجون منها ، ولا يُسلبون نعيمها . [٦]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : أذهبنا من صدور هؤلاء الذين وَصَفَ صفتهم ، وأخبر أنهم أصحاب الجنة ، ما فيها من حقد وغِمْرٍ وَعداوة كان من

---

(١) انظر تفسير « الصالحات » فيما سلف من فهارس اللغة (صلح) .

(٢) انظر تفسير « التكليف » و « الوسع » فيما سلف ص : ٢٢٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « أصحاب الجنة » فيما سلف من فهارس اللغة (صحب) .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « فيها خالدون » ، بغير « هم » ، وأثبت نص التلاوة .

(٥) انظر تفسير « الخلود » فيما سلف من فهارس اللغة (خلد) .

(٦) فى المطبوعة والمخطوطة : « ولا يسلبون نعيمهم » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

بعضهم فى الدنيا على بعض ،[1] فجعلهم فى الجنة إذا أدخلهموها على سُرُر متقابلين ، لا يحسد بعضهم بعضاً على شىء خص الله به بعضهم وفضّله من كرامته عليه ، تجرى من تحتهم أنهار الجنة .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٦٥٨ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن جويبر ، عن الضحاك : « ونزعنا ما فى صدورهم من غل » ، قال : العداوة .

١٤٦٥٩ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة : « ونزعنا ما فى صدورهم من غل » ، قال : هى الإحَن .

١٤٦٦٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا ابن المبارك ، عن ابن عيينة ، عن إسرائيل أبى موسى ، عن الحسن ، عن على قال : فينا والله أهلَ بدر نزلت : ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [سورة الحجر : ٤٧] .

١٤٦٦١ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن إسرائيل قال : سمعته يقول : قال على عليه السلام : فينا والله أهلَ بدر نزلت : ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ .

١٤٦٦٢ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قال ، قال على رضى الله عنه : إنى لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير ، من الذين قال الله تعالى ذكره فيهم : ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾ ، رضوان الله عليهم .

١٤٦٦٣ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ،

---

(١) « الغمر » (بكسر فسكون) و « الغمر » (بفتحتين) : الحقد الذى يغمر القلب .

حدثنا أسباط ، عن السدى : « ونزعنا ما فى صدورهم من غل تجرى من تحتهم الأنهار » ، قال : إن أهل الجنة إذا سيقوا إلى الجنة فبلغوا ، وجدوا عند بابها شجرة فى أصل ساقها عينان ، فشربوا من إحداهما ، فينزع ما فى صدورهم من غِلّ ، فهو « الشراب الطهور » ، واغتسلوا من الأخرى ، فجرت عليهم « نَضْرة النعيم » ، فلم يشعَثُوا ولم يتّسخوا بعدها أبداً .

١٤٦٦٤ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية ، عن الجريرى ، عن أبى نضرة قال : يحبس أهل الجنة دون الجنة حتى يقضى لبعضهم من بعض ، حتى يدخلوا الجنة حين يدخلونها ولا يطلب أحدٌ منهم أحداً بقلامة ظُفُرٍ ظلمها إياه . ويحبس أهل النار دون النار ، حتى يقضى لبعضهم من بعض ، فيدخلون النار حين يدخلونها ولا يطلب أحدٌ منهم أحداً بقُلاَمة ظفر ظلمها إياه .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء الذين وصف جل ثناؤه ، وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، حين أدخلوا الجنة ورأوا ما أكرمهم الله به من كرامته ، وما صرف عنهم من العذاب المهين الذى ابتلى به أهل النار بكفرهم بربهم ، وتكذيبهم رُسله : « الحمد لله الذى هدانا لهذا » ، يقول : الحمد لله الذى وفقنا للعمل الذى أكسبنا هذا الذى نحن فيه من كرامة الله وفضله ، وصرف عذابه

---

(١) الأثر : ١٤٦٦٤ — « الجريرى » ، « سعيد بن إياس الجريرى » ، مضى برقم : ١٩٦ . و « أبو نضرة » ، هو « المنذر بن مالك بن قطعة العبدى » ، روى عن على . مضى برقم : ٦٣٣٧ .

عنا = « وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الولا الله » ، يقول : وما كنا لنرشد لذلك، لولا أن أرشدنا الله له ووفقنا بمنّه وطَوْله ، كما : — ١٣٤/٨

١٤٦٦٥ — حدثنا أبو هشام الرفاعى قال، حدثنا أبو بكر بن عياش قال ، حدثنا الأعمش ، عن أبى صالح ، عن[أبى سعيد]قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل أهل النار يرى منزله من الجنة ، فيقولون : « لو هدانا الله » ، فتكون عليهم حسرة . وكل أهل الجنة يرى منزله من النار ، فيقولون : « لولا أن هدانا الله » ! فهذا شكرهم .(١)

١٤٦٦٦ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة ، قال ، سمعت أبا إسحق يحدّث ، عن عاصم بن ضمرة ، عن على قال ، ذكر عمر = لشىء لا أحفظه = ، ثم ذكر الجنة فقال : يدخلون ، فإذا شجرة يخرج من تحت ساقها عينان . قال : فيغتسلون من إحداهما، فتجرى عليهم نضرة النعيم، فلا تشعَث أشعارهم ، ولا تغبرُّ أبشارهم . ويشربون من الأخرى ، فيخرج كل قذًى وقذر وبأس فى بطونهم .(٢) قال ، ثم يفتح لهم باب الجنة ، فيقال لهم :

---

(١) الأثر : ١٤٦٦٥ — جاء هكذا فى المخطوطة والمطبوعة : « عن أبى سعيد » ، يعنى أبا سعيد الخدرى .

وكأنه خطأ لاشك فيه ، فإنى لم أجد الخبر فى حديث أبى سعيد ، ولأن هذا الخبر معروف فى حديث أبى هريرة ، وبذلك خرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٨٥ ، فقال : « أخرج النسائى ، وابن أبى الدنيا ، وابن جرير فى ذكر الموت ، وابن مردويه عن أبى هريرة » ، وساق الخبر .

وذكره ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٤٧٧ ، فقال : « روى النسائى وابن مردويه ، واللفظ له ، من حديث أبى بكر بن عياش ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة » ، وساق الخبر .

وخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٠ : ٣٩٩ فقال : « عن أبى هريرة ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، وساق الخبر بنحوه من طريقين ، ثم قال : « رواه كله أحمد ، ورجال الرواية الأولى رجال الصحيح » ، ولم أعرف مكانه من المسند .

فهذا كله يوشك أن يقطع بأن ما فى المطبوعة والمخطوطة من قوله : « عن أبى سعيد » ، خطأ ، صوابه : « عن أبى هريرة » ، ولذلك وضعته بين القوسين .

(٢) فى المطبوعة : « قذى وقذر أو شىء فى بطونهم » ، وفى المخطوطة : « أوس » ، غير منقوطة وفوقها حرف (ط) دلالة على الشك والخطأ . وأثبت الصواب من حادى الأرواح لابن القيم ، والدر المنثور .

« سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين » . قال : فتستقبلهم الوِلدان، فيحفّون بهم كما تحفّ الولدان بالحميم إذا جاء من غيبته .[١] ثم يأتون فيبشرون أزواجهم ، فيسمونهم بأسمائهم وأسماء آبائهم . فيقلن : أنت رأيته ! قال : فيستخفهنّ الفرَح ، قال : فيجئن حتى يقفن على أُسْكُفَّة الباب.[٢] قال : فيجئيون فيدخلون، فإذا أسِرَّة بيوتهم بِجَندل اللؤلؤ ، وإذا صُرُوح صفر وخضر وحمر ومن كل لون ، وسُرُر مرفوعة ، وأكواب موضوعة ، ونمارق مصفوفة ، وزرابيُّ مبثوثة . فلولا أن الله قدَّرها لهم، لاَ لْتُمِعَتْ أبصارهم مما يرون فيها .[٣] فيعانقون الأزواج ، ويقعدون على السرر ، ويقولون: « الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق » ، الآية .[٤]

* * *

---

(١) « الحميم » ، ذو القرابة القريب الذى تحبه وتهتم لأمره .

(٢) « أسكفة الباب » (بضم الهمزة ، وسكون السين ، وضم الكاف ، بعدها فاء مشددة مفتوحة) : عتبة الباب التى يوطأ عليها .

(٣) « التمع الشىء » اختلسه وذهب به . و « التمع بصره » بالبناء بالمجهول ، اختلس واختطف فلا يكاد يبصر . ويقال مثله : « التمع لونه » ، ذهب وتغير .

(٤) الأثر : ١٤٦٦٦ — « عاصم بن ضمرة السلولى » ، وثقه ابن سعد وابن المدينى ، والعجلى ، وقال النسائى : « ليس به بأس » . ولكن الجوزجانى وابن عدى ضعفاه ، وقال ابن أبى حاتم : « كان ردىء الحفظ ، فاحش الخطأ ، على أنه أحسن حالا من الحارث — يعنى الأعور » . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣/١/٣٤٥ ، وميزان الاعتدال ٢ : ٣ .

وهذا الخبر ، ذكره ابن القيم فى حادى الأرواح (إعلام الموقعين) ١ : ٢٣٣ مطولا ، فقال : « وقال عدى بن الجعد فى الجعديات : أنبأنا زهير بن معاوية ، عن أبى إسحق ، عن عاصم بن ضمرة ، عن على قال » وليس فيه ذكر « عمر » .

ثم وجدت أبا جعفر قد رواه فى تفسيره (٢٤ : ٢٤ ، بولاق) ، من طريق مجاهد بن موسى ، عن يزيد ، عن شريك بن عبد الله ، عن أبى إسحق ، عن عاصم بن ضمرة ، عن على ، بنحوه .

ثم رواه بعد من طريق أبى إسحق ، عن الحارث الأعور ، عن على ، بنحوه .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٥ : ٣٤٢ ، ونسبه إلى ابن المبارك فى الزهد ، وعبد الرزاق ، وابن أبى شيبة ، وابن راهويه ، وعبد بن حميد ، وابن أبى الدنيا فى صفة الجنة ، والبيهقى فى البعث ، والضياء فى المختارة ، ولم ينسبه لابن جرير . وساقه مطولا .

وساقه ابن كثير فى تفسيره ٧ : ٢٧٣ ، من تفسير ابن أبى حاتم ، عن أبيه ، عن أبى غسان

القول فى تأويل قوله ﴿ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٤٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره مخبراً عن هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنهم يقولون عند دخولهم الجنة ، ورؤيتهم كرامة الله التى أكرمهم بها ، وهو أنّ أعداء الله فى النار : والله لقد جاءتنا فى الدنيا ، وهؤلاء الذين فى النار ، رسل ربنا بالحق من الأخبار عن وعد الله أهلَ طاعته والإيمان به وبرسله ، ووعيده أهلَ معاصيه والكفر به .

* * *

وأما قوله : « ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون » ، فإن معناه : ونادى منادٍ هؤلاء الذين وصف الله صفتهم ، وأخبر عما أعدّ لهم من كرامته : أنْ يا هؤلاء ، هذه تلكم الجنة التى كانت رسلى فى الدنيا تخبركم عنها ، أورثكموها الله عن الذين كذبوا رسله ، لتصديقكم إياهم وطاعتكم ربكم . وذلك هو معنى قوله : « بما كنتم تعملون » .

* * *

وبنحو ما قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

• ذكر من قال ذلك :

مالك بن إسماعيل ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحق ، عن عاصم بن ضمرة ، عن على بن أبى طالب ، بنحوه .

وليس فى هذه جميعاً ذكر « عمر » ، فقوله : « قال ذكر عمر ، لشىء لا أحفظه » غريب جداً لم أعرف تأويله ، ولا ما فيه من تحريف ، إلا أن يكون : « قال غندر ، لشىء لا أحفظه » و « غندر » هو « محمد بن جعفر » الراوى عن شعبة ، فيكون قوله « قال غندر » من قول « محمد ابن المثنى » ، والله أعلم .

١٤٦٦٧ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى : « ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون »، قال : ليس من كافر ولا مؤمن إلاّ وله فى الجنة والنار منزل، فإذا دخل أهل الجنة الجنةَ، وأهل النارَ النار، ودخلوا منازلهم، رفعت الجنة لأهل النار فنظروا إلى منازلهم فيها، فقيل لهم : « هذه منازلكم لو عملتم بطاعة الله »، ثم يقال : « يا أهل الجنة، رِثُوهم بما كنتم تعملون »، فتُقْسم بين أهل الجنة منازلهم.

١٤٦٦٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو بن سعد أبو داود الحفرى، [عن سعيد بن بكير]، عن سفيان الثورى، عن أبى إسحق، عن الأغرّ : « ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون »، قال : نودوا أنْ صِحُّوا فلا تسقموا، واخلُدوا فلا تموتوا، وانعموا فلا تَبْأسوا.(١)

١٤٦٦٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا قبيصة، عن سفيان، عن أبى إسحق، عن الأغر، عن أبى سعيد : « ونودوا أن تلكم الجنة »، الآية، قال: ينادى مناد : أن لكم أنْ تصحُّوا فلا تسقموا أبداً.(٢)

* * *

واختلف أهل العربية فى « أنْ » التى مع « تلكم ».

---

(١) الأثر : ١٤٦٦٨ – « عمر بن سعد »، « أبو داود الحفرى »، ثقة. مضى رقم : ٨٦٣، وهو يروى عن « سفيان الثورى » مباشرة، ولكن جاء هنا « عن سعيد بن بكير ».

وأما « سعيد بن بكير »، فهو فى المطبوعة « سعد بن بكر »، وأثبت ما فى المخطوطة. ولست أدرى من يكون ؟ أو عن أى شىء هو محرف.

و « الأغر » هو « الأغر »، أبو مسلم المدنى، روى عن أبى هريرة وأبى سعيد، وكانا اشتركا فى عتقه. روى عنه أبو إسحق السبيعى، تابعى ثقة. مترجم فى التهذيب، والكبير ١/٢/٤٤، وابن أبى حاتم ١/١/٣٠٨.

وهذا الخبر رواه مسلم فى صحيحه ١٧ : ١٧٤، من طريق عبد الرزاق، عن الثورى، عن أبى إسحق، عن الأغر، عن أبى سعيد الخدرى، وأبى هريرة، عن النبى صلى الله عليه وسلم، مطولا، بنحوه. وسيأتى مختصراً فى الذى يليه.

(٢) الأثر : ١٤٦٦٩ – هذا مختصر حديث مسلم (١٧ : ١٧٤) الذى خرجته فى التعليق السالف.

فقال بعض نحويي البصرة : هي « أنّ » الثقيلة ، خففت وأضمر فيها ، ولا يستقيم أن تجعلها الخفيفة، لأن بعدها اسماً ، والخفيفة لا تليها الأسماء ، وقد قال الشاعر : (١)

فِي فِتْيَةٍ كَسُيُوفِ الهِنْدِ ، قَدْ عَلِمُوا أَنْ هَالِكٌ كُلُّ مَنْ يَحْفَى وَيَنْتَعِلُ (٢)

وقال آخر : (٣)

أُكَاشِرُهُ وَأَعْلَمُ أَنْ كِلَانَا عَلَى مَا سَاءَ صَاحِبَهُ حَرِيصُ (٤)

قال : فمعناه : أنه كِلانا . قال : ويكون كقوله : ﴿ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا ﴾ ، في موضع « أي » ؛ وقوله : ﴿ أَنْ أَقِيمُوا ﴾ ، [سورة الشورى : ١٣] ، ولا تكون « أن » التي تعمل ١٣٥/٨

---

(١) هو الأعشى .

(٢) ديوانه : ٤٥ ، سيبويه ١ : ٢٨٢ ، ٤٤٠ ، ٢/٤٨٠ : ١٢٣ ، أمالي ابن الشجري ٢ : ٢ ، الإنصاف : ٨٩ ، والخزانة ٣ : ٤/٥٤٧ : ٣٥٦ ، وشرح شواهد العيني (بهامش الخزانة) ٢ : ٢٨٧ ، وغيرها .

وهذا البيت هكذا أنشده سيبويه ، وتبعه النحاة في كتبهم ، وهو بيت ملفق من بيتين ، يقول الأعشى في قصيدته المشهورة :

إِمَّا تَرَيْنَا حُفَاةً لَا نِعَالَ لَنَا إِنَّا كَذَلِكَ مَا نَحْفَى وَنَنْتَعِلُ
فَقَدْ أُخَالِسُ رَبَّ البَيْتِ غَفْلَتَهُ وَقَدْ يُحَاذِرُ مِنِّي ثُمَّ مَا يَئِلُ
وَقَدْ أَقُودُ الصِّبَا يَوْماً فَيَتْبَعُنِي وَقَدْ يُصَاحِبُنِي ذُو الشِّرَّةِ الغَزِلُ
وَقَدْ غَدَوْتُ إِلَى الحَانُوتِ يَتْبَعُنِي شَاوٍ مِشَلٌّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ
فِي فِتْيَةٍ كَسُيُوفِ الهِنْدِ، قَدْ عَلِمُوا أَنْ لَيْسَ يَدْفَعُ عَنْ ذِي الحِيلَةِ الحِيَلُ
نَازَعْتُهُمْ قُضُبَ الرَّيْحَانِ مُتَّكِئاً وَقَهْوَةً مُزَّةً رَاوُوقُهَا خَضِلُ
لَا يَسْتَفِيقُونَ مِنْهَا وَهْيَ رَاهِنَةٌ إِلَّا بِهَاتِ ، وَإِنْ عَلُّوا وَإِنْ نَهِلُوا

(٣) لم أعرف قائله .

(٤) سيبويه ١ : ٤٤٠ ، الإنصاف لابن الأنباري : ٨٩ ، ١٨٣ ، وأمالي ابن الشجري ١ : ١٨٨ ، وغيرها وقوله : « أكاشره » : أضاحكه .

فى الأفعال، لأنك تقول : « غاظنى أن قام »، و« أن ذهب »، فتقع على الأفعال، وإن كانت لا تعمل فيها . وفى كتاب الله : ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا ﴾، [سورة ص : ٦]، أى : امشوا .

* * *

وأنكر ذلك من قوله هذا بعض أهل الكوفة ، فقال : غير جائز أن يكون مع « أن » فى هذا الموضع « هاء » مضمرة، لأن « أن » دخلت فى الكلام لتَقِيَ ما بعدها. قال : « وأن » هذه التى مع « تلكم » هى الدائرة التى يقع فيها ما ضارع الحكاية ، وليس بلفظ الحكاية ، نحو : « ناديت أنك قائم ، » و «أنْ زيد قائم » و « أنْ قمت» ، فتلى كلَّ الكلام ، وجعلت « أن » وقاية ، لأن النداء يقع على ما بعده ، وسلم ما بعد « أن » كما سلم ما بعد « القول » . ألا ترى أنك تقول : « قلت : زيد قائم » و « قلت : قام »، فتليها ما شئت من الكلام ؟ فلما كان النداء بمعنى « الظن » وما أشبهه من « القول » ، سلم ما بعد « أن » ، ودخلت « أن » وقاية . قال : وأما « أى » ، فإنها لا تكون على « أن » ، لا يكون « أى » جواب الكلام ، و « أن » تكفى من الاسم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٤٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ونادى أهلُ الجنة أهلَ النار بعد دخولهموها : يا أهل النار ، قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا فى الدنيا على ألسن رسله ، من الثواب على الإيمان به وبهم ، وعلى طاعته ، فهل وجدتم ما وعد ربكم على ألسنتهم على

الكفر به وعلى معاصيه من العقاب؟[1] فأجابهم أهل النار : بأنْ نعم ، قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا ، كالذى : —

١٤٦٧٠ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا قالوا نعم»، قال : وجد أهل الجنة ما وُعدوا من ثواب، وأهلُ النار ما وُعدوا من عقاب.

١٤٦٧١ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا » ، وذلك أن الله وعد أهل الجنة النعيم والكرامة وكلَّ خير علمه الناس أو لم يعلموه ، ووعدَ أهل النار كلَّ خزى وعذاب علمه الناس أو لم يعلموه ، فذلك قوله : ﴿وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾ ، [سورة ص: ٥٨] . قال : فنادى أصحاب الجنة أصحابَ النار أنْ قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟ قالوا: نعم . يقول : من الخزى والهوان والعذاب . قال أهل الجنة: فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا من النعيم والكرامة = « فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين » .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « قالوا نعم » .

فقرأ ذلك عامة قرأة أهل المدينة والكوفة والبصرة: ﴿قَالُوا نَعَمْ﴾، بفتح العين من « نعم » .

* * *

ورُوِى عن بعض الكوفيين أنه قرأ: ﴿قَالُوا نَعِمْ﴾، بكسر « العين» ، وقد أنشد بيتاً لبنى كلب :

---

(١) انظر تفسير « أصحاب الجنة » و « أصحاب النار » فيما سلف من فهارس اللغة (صحب) .

نَعِمْ ، إذَا قالَهَا ، مِنْهُ مُحَقَّقَةٌ وَلاَ تَخِيبُ «عَسَى» مِنْهُ وَلاَ قَمَنُ[1]

بكسر « نعم » .

* * *

قال أبو جعفر والصواب من القراءة عندنا ﴿ نَعَمْ ﴾ بفتح « العين » ، لأنها القراءة المستفيضة فى قرأة الأمصار ، واللغة المشهورة فى العرب .

* * *

وأما قوله : «فأذن مؤذن بينهم» ، يقول : فنادى مناد ، وأعلم مُعْلِمٌ بينهم = «أن لعنة الله على الظالمين» ، يقول : غضب الله وسخطه وعقوبته على من كفر به.[2]

* * *

وقد بينا القول فى « أنّ » إذا صحبت من الكلام ما ضارع الحكاية ، وليس بصريح الحكاية ، بأنها تشددها العرب أحياناً ، وتوقع الفعل عليها فتفتحها وتخففها أحياناً ، وتعمل الفعل فيها فتنصبها به ، وتبطل عملها عن الاسم الذى يليها ، فيما مضى بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[3]

* * *

وإذ كان ذلك كذلك ، فسواء شُدِّدت « أن » أو خُفِّفت فى القراءة ، إذ كان معنى الكلام بأىّ ذلك قرأ القارئ واحداً ، وكانتا قراءتين مشهورتين فى قرأة الأمصار .

* * *

---

(١) لم أجد البيت ، ولم أعرف قائله . « قمن » ، جدير . يقول : لو قال لك : « عسى أن يكون ما تسأل » أو : « أنت قمن أن تنال ما تطلب » ، فذلك منه إنفاذ لما تسأل ، وتحقيق لما تطلب .

وكان فى المطبوعة : « ولا تجىء عسى » ، غير ما فى المخطوطة ، وهو الصواب . لأنه قال إن العدة بنعم محققة ، وبما هو أقل منها فى الوعد محقق أيضاً لا يخيب معها سائله .

(٢) انظر تفسير « اللعنة » فيما سلف ص : ٤١٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر ما سلف قريباً ص ٤٤٣ – ٤٤٥

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْآخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴾ (٤٥)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : إن المؤذن بين أهل الجنة والنار يقول : « إن لعنة الله على الظالمين » ، الذين كفروا بالله وصدّوا عن سبيله[١] = « ويبغونها عوجاً » ، يقول : حاولوا سبيل الله = وهو دينه[٢] = « أن يغيروه ويبدّلوه عما جعله الله له من استقامته[٣] = « وهم بالآخرة كافرون » ، يقول : وهم لقيام الساعة والبعث فى الآخرة والثواب والعقاب فيها جاحدون . ٨ / ١٣٦

* * *

والعرب تقول للميل فى الدّين والطريق « عِوَج » بكسر « العين » ، وفى ميل الرجل على الشىء والعطف عليه : « عاجَ إليه يَعُوج عِياجاً وعَوَجاً وعِوَجاً » ، بالكسر من « العين » والفتح ،[٤] كما قال الشاعر :[٥]

قِفَا نَسْأَلْ مَنَازِلَ آلِ لَيْلَى عَلَى عِوَجٍ إِلَيْهَا وَأُنْثِنَاءِ[٦]

ذكر الفراء أن أبا الجرّاح أنشده إياه بكسر العين من « عوج » ، فأما ما كان خلقة فى الإنسان ، فإنه يقال فيه : « عَوَج ساقه » ، بفتح العين .

* * *

---

(١) انظر تفسير « الصد » فيما سلف ١٠ : ٥٦٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « سبيل الله » فيما سلف من فهارس اللغة (سبل) .
(٣) انظر تفسير « بغى » فيما سلف ص : ٢٨٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٤) انظر تفسير « العوج » فيما سلف ٧ : ٥٣ ، ٥٤ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٩٨ .
(٥) لم أعرف قائلة .
(٦) اللسان (عوج) ، وروايته :

• مَتَى عِوَجٌ إِلَيْهَا وَأُنْثِنَاءِ •

وفى المطبوعة : « قفا نبكى » ، وهو من سوء قراءة الناشر للمخطوطة ، وصوابه ما أثبت كما فى رواية اللسان أيضاً .

القول فى تاويل قوله ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « وبينهما حجاب » ، وبين الجنة والنار حجاب ، يقول : حاجز ، وهو : السور الذى ذكره الله تعالى فقال : ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾، [سورة الحديد : ١٣] .وهو « الأعراف » التى يقول الله فيها : « وعلى الأعراف رجال » ، كذلك .

١٤٦٧١ م — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عبد الله بن رجاء ، عن ابن جريج قال : بلغنى عن مجاهد قال : « الأعراف » ، حجاب بين الجنة والنار .

١٤٦٧٢ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وبينهما حجاب » ، وهو « السور » ، وهو « الأعراف » .

* * *

وأما قوله : « وعلى الأعراف رجال » ، فإن « الأعراف » جمع ، واحدها « عُرْف » ، وكل مرتفع من الأرض عند العرب فهو « عُرْف » ، وإنما قيل لعُرف الديك « عرف » ، لارتفاعه على ما سواه من جسده ، ومنه قول الشماخ بن ضرار :

وَظَلَّتْ بِأَعْرَافٍ تَعَالَى ، كَأَنَّهَا رِمَاحٌ نَحَاهَا وِجْهَةَ الرِّيحِ رَاكِزُ(١)

---

(١) ديوانه : ٥٣ ، مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢١٥ ، ورواية ديوانه وغيره « وظلت تغالى بالبقاع كأنها » . وهذا البيت من آخر القصيدة فى صفة حمر الوحش ، بعد أن عادت من رحلتها الطويلة العجيبة فى طلب الماء ، يقودها العير ، فوصفه ووصفهن ، فقال :

مُحَامٍ على عَوْرَاتِهَا لاَ يَرُوعُهَا خَيَالٌ ، وَلاَ رَامِى الوُحُوشِ المَنَاهِزُ
وأَصْبَحَ فَوْقَ النَّشْزِ ، نَشْزِ حَمَامَةٍ ، لَهُ مَرْكَضٌ فِى مُسْتَوَى الأَرْضِ بَارِزُ

يعني بقوله : « بأعراف » ، بنشوز من الأرض ، ومنه قول الآخر:[١]

كُلُّ كِنَازٍ لَحْمُهُ نِيَافِ كَالْعَلَمِ الْمُوفِي عَلَى الْأَعْرَافِ[٢]

* * *

وكان السدى يقول : إنما سمى « الأعراف » أعرافاً ، لأن أصحابه يعرفون الناس .

١٤٦٧٢م – حدثني بذلك محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى .

* * *

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٦٧٣ – حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنا ابن عيينة ، عن عبيدالله بن أبي يزيد، سمع ابن عباس يقول : « الأعراف » ، هو الشيء المشرف .[٣]

١٤٦٧٤ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرناعبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن عبيد الله بن أبي يزيد قال : سمعت ابن عباس يقول ، مثله .[٤]

١٤٦٧٥ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثني أبي ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : « الأعراف » ، سور كعرف الديك .

١٤٦٧٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن

وَظَلَّتْ تَعَالَى بِالْيَفَاعِ . . . . . .

و « تعالى الحمر » احتكاك بعضها ببعض . يصف ضمور حمر الوحش ، كأنها رماح مائلة تستقبل مهب الرياح . وكان في المطبوعة : « تعالى » ، وهو خطأ . وفي المخطوطة هكذا : « وطلت بأعراف تعالى كأنها رماح وجهه راكز » ، صوابه ما أثبت .

(١) لم أعرف قائله .

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٢١٥ ، اللسان (نوف) ، « الكناز » المجتمع اللحم القويه . و « النياف » ، الطويل ، يصف جملا . و « العلم » الجبل .

(٣) الأثر : ١٤٦٧٣ – « عبيد الله بن أبي يزيد المكي » ، روى عن ابن عباس ، مضى برقم : ٣٧٧٨ . وكان في المطبوعة « عبيد الله بن يزيد » ، والصواب من المخطوطة .

(٤) الأثر : ١٤٦٧٤ – « عبيد الله بن أبي يزيد » ، المذكور آنفاً ، في المطبوعة والمخطوطة هنا « عبيد الله بن يزيد » .

جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، مثله .

١٤٦٧٧ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : « الأعراف » ، حجاب بين الجنة والنار ، سور له باب = قال أبو موسى : وحدثني عبيدالله بن أبي يزيد : أنه سمع ابن عباس يقول : إن الأعراف تَلٌّ بين الجنة والنار ، حُبس عليه ناسٌ من أهل الذنوب بين الجنة والنار (١)

١٤٦٧٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : « الأعراف » ، حجاب بين الجنة والنار ، سور له باب .

١٤٦٧٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن عبد الله بن الحارث، عن ابن عباس قال : « الأعراف»، سور بين الجنة والنار .

١٤٦٨٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنا معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قال : « الأعراف » ، سور بين الجنة والنار .

١٤٦٨١ – حدثني محمد بن سعدقال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وعلى الأعراف رجال » ، يعني بالأعراف : السور الذي ذكر الله في القرآن ، (٢) وهو بين الجنة والنار .

---

(١) الأثر : ١٤٦٧٧ – « عيسى » ، هو « عيسى بن ميمون المكي » صاحب التفسير ، مضى مئات من المرات ، وترجم في رقم : ٢٧٨ ، ٣٣٤٧ ، وكنيته « أبو موسى » فهو الراوي هنا عن « عبيد الله بن أبي يزيد » .

وكان في المطبوعة هنا أيضاً « عبيد الله بن يزيد » ، والصواب من المخطوطة . انظر التعليقين السالفين .

(٢) هو المذكور في آية سورة الحديد : ١٣ ، والمذكور آنفاً في الآثار السالفة .

١٤٦٨٢ – حدثنا الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : « الأعراف »، سور له عُرْف كعرف الديك .

١٣٧/٨ ١٤٦٨٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن أبي جعفر قال : « الأعراف » ، سور بين الجنة والنار .

١٤٦٨٤ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال ، حدثني عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول : « الأعراف » ، السور الذى بين الجنة والنار .

* * *

واختلف أهل التأويل فى صفة الرجال الذين أخبر الله جل ثناؤه عنهم أنهم على الأعراف ، وما السبب الذى من أجله صاروا هنالك ؟

فقال بعضهم : هم قوم من بنى آدم ، استوت حسناتهم وسيّئاتهم ، فجعلوا هنالك إلى أن يقضى الله فيهم ما يشاء ، ثم يدخلهم الجنة بفضل رحمته إياهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٦٨٥ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا يونس بن أبي إسحق قال ، قال الشعبي : أرسل إلىّ عبد الحميد بن عبد الرحمن ، وعنده أبو الزناد عبد الله بن ذكوان مولى قريش ، وإذا هما قد ذكرَا من أصحاب الأعراف ذكراً ليس كما ذكَرا، فقلت لهما : إن شئتما أنبأتكما بما ذكر حذيفة ، فقالا : هات! فقلت : إن حذيفة ذكر أصحاب الأعراف فقال : هم قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار ، وقصرت بهم سيّئاتهم عن الجنة ، فإذا صُرفت أبصارُهم تلقاء أصحاب النار قالوا : « ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين » . فبيناهم كذلك ، اطّلع إليهم ربك تبارك وتعالى فقال : اذهبوا وادخلوا الجنة ، فإنى قد غفرت لكم .(١)

(١) الأثر : ١٤٦٨٥ – « عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوى » ، وهو « الأعرج »، استعمله عمر بن عبد العزيز على الكوفة ، وكان أبو الزناد كاتباً له . ثقة ، روى له

١٤٦٨٦ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حصين ، عن الشعبي ، عن حذيفة : أنه سئل عن أصحاب الأعراف ، قال فقال : هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة ، وخلّفت بهم حسناتهم عن النار . قال : فوُقِفوا هنالك على السور حتى يقضى الله فيهم .

١٤٦٨٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير وعمران بن عيينة ، عن حصين ، عن عامر ، عن حذيفة قال : أصحاب الأعراف ، قومٌ كانت لهم ذنوب وحسنات ، فقصرت بهم ذنوبهم عن الجنة ، وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار ، فهم كذلك حتى يقضى الله بين خلقه ، فينفذ فيهم أمره .

١٤٦٨٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن جابر ، عن الشعبي ، عن حذيفة قال : أصحاب الأعراف ، قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فيقول : ادخلوا الجنة بفضلي ومغفرتي ، لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون .

١٤٦٨٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن يونس بن أبي إسحق ، عن عامر ، عن حذيفة ، قال : أصحاب الأعراف ، قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار ، وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة .

١٤٦٩٠ – حدثنا المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن أبي بكر الهذلي قال : قال سعيد بن جبير ، وهو يحدّث ذلك عن ابن مسعود قال : يحاسب الناس يوم القيامة، فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار . ثم قرأ قول الله : ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ ، [سورة الأعراف : ٧، ٨] . ثم قال : إن الميزان يخفّ

الجماعة مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٣/١/١٥ ، ونسب قريش : ٣٦٣ .
و « أبو الزناد » ، « عبد الله بن ذكوان » مولى على قريش » ، مضى برقم : ١١٨١٣ .

بمثقال حبة ويرجح . قال : فمن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف ، فوقفوا على الصراط ، ثم عرفوا أهل الجنة وأهل النار ، فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا : « سلام عليكم » ، وإذا صرفوا أبصارهم إلى يسارهم نظرُوا أصحاب النار قالوا : ﴿ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [سورة الأعراف : ٤٨] ، فيتعوذون بالله من منازلهم ، قال : فأما أصحاب الحسنات ، فإنهم يعطون نوراً فيمشون به بين أيديهم وبأيمانهم ، ويعطى كل عبد يومئذ نوراً ، وكل أمةٍ نوراً . فإذا أتوا على الصراط سَلب الله نور كل منافق ومنافقة . فلما رأى أهل الجنة ما لقى المنافقون ، (١) قالوا : «ربنا أتمم لنا نورنا» . وأما أصحاب الأعراف ، فإن النور كان فى أيديهم فلم ينزع من أيديهم ، فهنالك يقول الله : ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ ، فكان الطمع دخولاً . قال : فقال ابن مسعود : على أن العبد إذا عمل حسنة كتب له بها عشر ، وإذا عمل سيئة لم تكتب إلاّ واحدة . ثم يقول : هلك من غلب وُحْدَانُه أعشارَه . (٢)

١٤٦٩١ — حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع قال ، أخبرنى ابن وهب قال ، أخبرنى عيسى الحنّاط ، عن الشعبى ، عن حذيفة قال : أصحاب الأعراف ، قوم كانت لهم أعمال أنجاهم الله بها من النار ، وهم آخر من يدخل الجنة ، قد عرَفوا أهل الجنة وأهل النار . (٣) ١٣٨/٨

---

(١) فى المخطوطة : « فلما رأوا أهل الجنة » ، وهو جائز .

(٢) الأثر : ١٤٦٩٠ — « أبو بكر الهذلى » ، ليس بثقة ، ولا يحتج بحديثه . وقال غندر : « كان إمامنا ، وكان يكذب » . مضى برقم : ٥٩٧ ، ٨٣٧٦ ، ١٣٠٥٤ ، ١٤٣٩٨ . و « الوحدان » بضم الواو ، جمع « واحد » . و « الأعشار » جمع « عشر » .

(٣) الأثر : ١٤٦٩١ — « الوليد بن شجاع بن الوليد السكونى » ، « أبو همام » ، شيخ الطبرى ، تكلموا فيه ، وقال ابن معين : « لا بأس به ، ليس هو ممن يكذب » ، وقال أبو حاتم : « يكتب حديثه ولا يحتج به » . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٤/٢/٧ .

و « عيسى الحناط » ، هو « عيسى بن أبى عيسى الحناط الغفارى » ، وهو « عيسى بن ميسرة » ضعيف مضطرب الحديث لا يكتب حديثه . كان « خياطاً » ، ثم ترك ذلك وصار « حناطا » ، ثم ترك ذلك وصار يبيع الخبط . قال ابن سعد : « كان يقول : أنا خباط ، حناط ، خياط ،

١٤٦٩٢ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا أبو داود قال ، حدثنا همام ، عن قتادة قال ، قال ابن عباس : أصحاب الأعراف ، قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فلم تزد حسناتهم على سيئاتهم ، ولا سيئاتهم على حسناتهم .

١٤٦٩٣ – حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن عبد الله بن الحارث ، عن ابن عباس قال : « الأعراف » ، سور بين الجنة والنار ، وأصحاب الأعراف بذلك المكان ، حتى إذا بَدَا لله أن يعافيهم ، انطُلِق بهم إلى نهر يقال له : « الحياة » ، [1] حافتاه قَصَبُ الذهب ، مكلَّل باللؤلؤ ، ترابه المسك ، فألقوا فيه حتى تصلح ألوانهم ، ويبدوا في نحورهم شامَةٌ بيضاء يعرفون بها ، حتى إذا صلحت ألوانهم ، أتى بهم الرحمنُ فقال : تمنوا ما شئتم ! قال : فيتمنون ، حتى إذا انقطعت أمنيتهم قال لهم : لكم الذي تمنيتم ومثله سبعين مرة ! فيدخلون الجنة وفي نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها ، يسمَّون مساكين الجنة . [2]

١٤٦٩٤ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن حبيب ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن الحارث قال : أصحاب الأعراف ، يؤمر بهم إلى نهر يقال له : « الحياة » ، ترابه الوَرْس والزعفران ، وحافتاه قَصَبُ اللؤلؤ = قال : وأحسبه قال : مكلل باللؤلؤ = وقال : فيغتسلون فيه ، فتبدو في نحورهم شامة بيضاء ، فيقال لهم : تمنوا ! فيقال لهم : لكم ما تمنيتم وسبعون ضعفاً !

كلا قد عالجت » . وكان في المطبوعة هنا « الخياط » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وإن كان صواباً ما في المطبوعة .

مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٣/١/٢٨٩ .

(١) في ابن كثير ٣ : ٤٨١ « يقال له نهر الحياة » . وانظر الأثر التالي . و « قصب الذهب » ، أنابيب من الذهب ، مجوفة مستطيلة . وفي المطبوعة هنا وفيما يلي « قضب » ، بالضاد .

(٢) الأثر : ١٤٦٩٣ – سيرويه موقوفاً على عبد الله بن الحارث في الأثر التالي ، قال ابن كثير بعد أن ذكر الخبرين : « وعن عبد الله بن الحارث من قوله ، وهذا أصح » ، التفسير ٣ : ٤٨٢ .

وإنهم مساكين أهل الجنة = قال حبيب : وحدثني رجل : أنهم استوت حسناتهم وسيئاتهم .

١٤٦٩٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن حبيب ابن أبي ثابت ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن الحارث قال : أصحاب الأعراف، ينتهى بهم إلى نهر يقال له: « الحياة » ، حافتاه قصَب من ذهب = قال سفيان : أراه قال : مكلل باللؤلؤ = قال : فيغتسلون منه اغتسالةً فتبدو في نحورهم شامة بيضاء ، ثم يعودون فيغتسلون ، فيزدادون . فكلما اغتسلوا ازدادت بياضاً ، فيقال لهم : تمنوا ما شئتم! فيتمنون ما شاؤوا، فيقال لهم : لكم ما تمنيتم وسبعون ضعفاً ! قال : فهم مساكين أهل الجنة .

١٤٦٩٦ – حدثنا الحسن بن يحيي قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن حصين ، عن الشعبي ، عن حذيفة قال : أصحاب الأعراف ، قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فهم على سور بين الجنة والنار : « لم يدخلوها وهم يطمعون » .

١٤٦٩٧ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كان ابن عباس يقول : « الأعراف » ، بين الجنة والنار ، حبس عليه أقوام بأعمالهم . وكان يقول : قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فلم تزد حسناتهم على سيئاتهم ، ولا سيئاتهم على حسناتهم .

١٤٦٩٨ – حدثنا الحسن بن يحيي قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قال ، قال ابن عباس : أهل الأعراف ، قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم .

١٤٦٩٩ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو خالد، عن جويبر، عن الضحاك قال : أصحاب الأعراف ، قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم .

١٤٧٠٠ – . . . . وقال حدثنا يحيي بن يمان، عن شريك ، عن منصور ،

عن سعيد بن جبير قال : أصحاب الأعراف ، استوت أعمالهم .

١٤٧٠١ – حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال، أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : أصحاب الأعراف ، قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فوُقِفوا هنالك على السور .

١٤٧٠٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سفيع ، أو : سميع = قال أبو جعفر : كذا وجدت في كتاب « سفيع »[1] = ، عن أبي علقمة قال : أصحاب الأعراف ،قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم .[2]

* * *

وقال آخرون : كانوا قتلوا في سبيل الله عصاة لآبائهم في الدنيا .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٧٠٣ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يحيى بن يمان، عن أبي مسعر ، عن شرحبيل بن سعد قال : هم قوم خرجوا في الغزو بغير إذن آبائهم .

١٤٧٠٤ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني الليث قال ، حدثني خالد ، عن سعيد ، عن يحيى بن شبل : أن رجلاً من بني النضير أخبره ، عن رجل من بني هلال : أن أباه أخبره : أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف فقال : هم قوم غزوا في سبيل الله عصاةً لآبائهم، فقتلوا، فأعتقهم الله من النار بقتلهم في سبيله ، وحُبسوا عن الجنة بمعصية آبائهم ، فهم آخر من يدخل الجنة .[3] ١٣٩/٨

---

(١) في المخطوطة : « كتابي » ، ثم ضرب على « بي » ، وكتب بعدها « ب » ، وأخشى أن يكون الذي ضرب عليه الناسخ هو الصواب .

(٢) الأثر : ١٤٧٠٢ – « سفيع » ، لم أجد من ذكره .

وأما « سميع » الراوي عن ابن عباس ، فهو « سميع الزيات » « أبو صالح » ، ثقة مترجم في الكبير ٢/٢/١٩٠ ، وابن أبي حاتم ٢/١/٣٠٥ .

(٣) الأثر : ١٤٧٠٤ – « يحيى بن شبل » ، « مولى بني هاشم » لم أعرف حاله ، ترجم

١٤٧٠٥ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا يزيد بن هرون ، عن أبي معشر ، عن يحيى بن شبل مولى بني هاشم ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن أبيه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف ، فقال : قوم قتلوا في سبيل الله بمعصية آبائهم ، فمنعهم قتلهم في سبيل الله عن النار ، ومنعتهم معصية آبائهم أن يدخلوا الجنة .(١)

* * *

وقال آخرون : بل هم قوم صالحون فقهاء علماء .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٧٠٦ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن مجاهد قال : أصحاب الأعراف ، قوم صالحون فقهاء علماء .

* * *

له ابن أبي حاتم ١٥٧/٢/٤ ، ولم يذكر فيه جرحاً ، والبخاري في الكبير ٢٨٢/٢/٤ ، وذكره في التهذيب إلحاقاً فقال : « ولهم ، يحيى بن شبل شيخ آخر مدني ، أقدم من هذا ، يروى عنه أبو معشر حديثاً في أصحاب الأعراف » .

واقتصر البخاري على أنه يروى عنه سعيد بن أبي هلال . وأما ابن أبي حاتم ، فذكر أنه روى عن « عمر بن عبد الرحمن المزني ، وعن جده بن حسين (؟ ؟) عن علي رضي الله عنه » ثم قال : « روى عنه سعيد بن أبي هلال ، وعبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة ، وأبو معشر ، وموسى ابن عبيدة الربذي ، وابن أبي سبرة » .

وزادنا أبو جعفر في الأثر التالي أنه « مولى بني هاشم » ، ولم أجد لذلك ذكراً في الكتب التي بأيدينا .

وهذا خبر ضعيف ، لما فيه من المجاهيل ، ولأن « أبا معشر » نفسه ، قد تكلموا فيه ، وضعفوه . وانظر التعليق على الأثر التالي ، ففيه التخريج .

(١) الأثر : ١٤٧٠٥ – « يحيى بن شبل ، مولى بني هاشم » ، انظر الأثر السالف .

و « محمد بن عبد الرحمن المزني » ، لم أجد له ترجمة مفردة ، ويقال أيضاً « عمر بن عبد الرحمن المزني » ، ويقال : « عمرو بن عبد الرحمن » ، إن صلح ما في ترجمة أبيه في أسد الغابة .

وأبوه « عبد الرحمن المزني » ، ويقال « عبد الرحمن بن أبي عبد الرحمن » ، وقال ابن عبد البر في الاستيعاب : « وقد قيل : اسم أبيه محمد ، وهو الصواب إن شاء الله » .

وترجم له ابن عبد البر في الاستيعاب : ٣٩٩ ، وابن الأثير في أسد الغابة في موضعين ٣ : ٣٠٧ ، ٣٢٢ ، وابن حجر في الإصابة في موضعين : في « عبد الرحمن بن أبي عبد الرحمن الهلالي » وفي « عبد الرحمن المزني » ، ولم يشر إلى ذلك في واحدة من الترجمتين ، وهو عجيب ! ! واختلفوا في تسمية ولده ، فقال ابن حجر : « والد عمر ، ويقال : والد محمد » ، وقال ابن عبد البر : « وله

وقال آخرون : بل هم ملائكة ، وليسوا ببنى آدم .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٧٠٧ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية ، عن أبي مجلز قوله : « وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم » ، قال : هم رجال من الملائكة ، يعرفون أهل الجنة وأهل النار ، قال : « ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم » ، إلى قوله : « ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين » ، قال : فنادى أصحاب الأعراف رجالاً في النار يعرفونهم بسيماهم : « ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون * أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة » ، قال : فهذا حين دخل أهل الجنة الجنة: « ادخلو الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون » .

١٤٧٠٨ – حدثنا ابن عبد الأعلى قال، حدثنا المعتمر قال، سمعت عمران قال : قلت لأبي مجلز : يقول الله : « وعلى الأعراف رجال » ، وتزعم أنتَ أنهم الملائكة ؟ قال فقال : إنهم ذكور ، وليسوا بإناث .

١٤٧٠٩ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن سليمان التيمي ، عن أبي مجلز : « وعلى الأعراف رجال » ، قال : رجال من الملائكة ، يعرفون الفريقين جميعاً بسيماهم ، أهل النار وأهل الجنة ، وهذا قبل أن يدخل أهل الجنة الجنة .

ولد آخر يقال له : « عبد الرحمن » . أما ابن الأثير ، ففيه أن ولده « عمرو » ، وأن كنية « عبد الرحمن المزني » هي « أبو عمرو » .

وأما قوله في الأثر السالف: « أن رجلا من بني النضير » ، فهكذا جاء في المخطوطة والمطبوعة . وفي المراجع الأخرى : « أن رجلا من بني نضر » ، ولا أدري أهو بالضاد المعجمة أم الصاد المهملة . وأما « عن رجل من بني هلال » فكأنه يعني من « بني هلال بن رئاب » من « بني عمرو بن أد » ، وهم مزينة ، ومن بني هلال بن رئاب « إياس بن معاوية المزني » القاضي المشهور . انظر جمهرة الأنساب لابن حزم : ١٩٢ . ويدل على ذلك أن ابن حجر ترجم له في « عبد الرحمن بن أبي عبد الرحمن الهلالي » وفي « عبد الرحمن المزني » ، وذكر فيهما حديثه في الأعراف .

وهذا الخبر ذكروه جميعاً من طرق مختلفة ، وكلها مضطرب ، وقد جمع الكلام فيه الحافظ ابن حجر في الإصابة في الموضعين ، ولكنه لم يستوفه .

ومهما يكن من شيء ، فهو حديث ضعيف لضعف أبي معشر ، ولما يحيط به من الجهالة كما أسلفت في التعليق على الأثر السالف .

١٤٧١٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا محمد بن أبي عدى ، عن التيمى ، عن أبي مجلز ، بنحوه .

١٤٧١١ – . . . وقال ، حدثنا يحيي بن يمان، عن سفيان ، عن التيمى ، عن أبي مجلز قال : أصحاب الأعراف ، الملائكة .

١٤٧١٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا يعلى بن أسد قال ، حدثنا خالد قال ، أخبرنا التيمى ، عن أبي مجلز : « وعلى الأعراف رجال» ، قال : هم الملائكة.

١٤٧١٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن عمران بن حدير ، عن أبي مجلز : « وعلى الأعراف رجال » ، قال : هم الملائكة . قلت : يا أبا مجلز ، يقول الله تبارك وتعالى : « رجال » ، وأنت تقول : ملائكة ؟ قال : إنهم ذُكران ليسوا بإناث .

١٤٧١٤ – حدثني المثنى قال ، حدثنا الحجاج قال ، حدثنا حماد ، عن عمران بن حدير ، عن أبي مجلز فى قوله : « وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم »، قال : الملائكة . قال قلت : يقول الله : « رجال » ؟ قال : الملائكة ذكور .(١)

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى أصحاب الأعراف أن يقال كما قال الله جل ثناؤه فيهم : هم رجال يعرفون كُلاً من أهل الجنة وأهل النار بسيماهم ، ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصح سنده ، ولا أنه متفق على تأويلها، ولا إجماع من الأمة على أنهم ملائكة .

فإذ كان ذلك كذلك ، وكان ذلك لا يدرك قياساً ، وكان المتعارف بين أهل لسان العرب أن « الرجال » اسم يجمع ذكور بنى آدم دون إناثهم ودون سائر

---

(١) فى المخطوطة : « الملائكة » دون صفتهم « ذكور » ، كأنه قطع الكلام بالإثبات . وإن كان يخشى أيضاً أن يكون الناسخ أسقط ما ثبت فى المطبوعة .

الخلق غيرهم، كان بيِّناً أن ما قاله أبو مجلز من أنهم ملائكة ، قولٌ لامعنى له ، وأن الصحيح من القول فى ذلك ما قاله سائر أهل التأويل غيره. هذا مع من قال بخلافه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومع ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك من الأخبار ، وإن كان فى أسانيدها ما فيها ، وقد : —

١٤٧١٥ — حدثنى القاسم قال، حدثنى الحسين قال ، حدثنى جرير ، عن عمارة بن القعقاع ، عن أبى زرعة بن عمرو بن جرير قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف فقال : هم آخر من يفصل بينهم من العباد ، وإذا فرغ ربُّ العالمين من فصله بين العباد قال : أنتم قوم أخرجتكم حسناتكم من النار ، ولم تدخلكم الجنة ، وأنتم عُتَقائى ، فأرعوا من الجنة حيث شئتم.(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ (٤٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وعلى الأعراف رجال يعرفون أهل الجنة بسيماهم، ١٤٠/٨
وذلك بياض وجوههم ، ونضرةُ النعيم عليها = ويعرفون أهل النار كذلك بسيماهم ، وذلك سواد وجوههم، وزرقة أعينهم . فإذا رأوا أهل الجنة نادوهم : « سلام عليكم ».

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

---

(١) الأثر : ١٤٧١٥ — « عمارة بن القعقاع بن شبرمة الضبى ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ١٤٢٠٣ ، ١٤٢٠٩ .

و « أبو زرعة بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلى » ، ثقة ، روى له الجماعة مضى كثيراً ، آخرها أيضاً رقم : ١٤٢٠٣ ، ١٤٢٠٩ . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « أبو زرعة ، عن عمرو ابن جرير » ، وهو خطأ .

وهذا خبر مرسل حسن، خرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٨٧ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر. ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٤٨٢ .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٧١٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم » ، قال : يعرفون أهل النار بسواد الوجوه ، وأهل الجنة ببياض الوجوه .

١٤٧١٧ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم » ، قال : أنزلهم الله بتلك المنزلة ، ليعرفوا من في الجنة والنار ، وليعرفوا أهل النار بسواد الوجوه ، ويتعوّذوا بالله أن يجعلهم مع القوم الظالمين . وهم في ذلك يحيّون أهل الجنة بالسلام، لم يدخلوها ، وهم يطمعون أن يدخلوها ، وهم داخلوها إن شاء الله .

١٤٧١٨ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « بسيماهم » ، قال : بسواد الوجوه وزُرقة العيون .

١٤٧١٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم » ، الكفار بسواد الوجوه وزرقة العيون ، وسيما أهل الجنة مبيَضّة وجوههم .

١٤٧٢٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، حدثنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : أصحاب الأعراف إذا رأوا أصحاب الجنة عرَفوهم ببياض الوجوه ، وإذا رأوا أصحاب النار عرفوهم بسواد الوجوه .

١٤٧٢١ – حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : إن أصحاب الأعراف رجال كانت لهم ذنوبٌ عِظام ، وكان حَسْمُ أمرهم لله، فأقيموا ذلك المقام ، إذا

نظروا إلى أهل النار عرفوهم بسواد الوجوه ، فقالوا : « ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين »، وإذا نظروا إلى أهل الجنة عرفوهم ببياض الوجوه، فذلك قوله : « ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون » .

١٤٧٢٢ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال، حدثنا عبيد ابن سليمان قال، سمعت الضحاك في قوله: « وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم »، زعموا أن أصحاب الأعراف رجال من أهل الذنوب ، أصابوا ذنوباً ، وكان حَسْمُ أمرهم لله ، فجعلهم الله على الأعراف . فإذا نظروا إلى أهل النار عرفوهم بسواد الوجوه ، فتعوذوا بالله من النار . وإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوهم: « أن سلام عليكم »، قال الله : « لم يدخلوها وهم يطمعون » . قال : وهذا قول ابن عباس .

١٤٧٢٣ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « يعرفون كلاً بسيماهم » ، يعرفون الناس بسيماهم ، يعرفون أهل النار بسواد وجوههم ، وأهل الجنة ببياض وجوههم .

١٤٧٢٤ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : « يعرفون كلاً بسيماهم » ، يعرفون أهل النار بسواد وجوههم، وأهل الجنة ببياض وجوههم .

١٤٧٢٥ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم » ، قال : أهل الجنة بسيماهم . بيض الوجوه = وأهل النار بسيماهم ، سود الوجوه . قال : وقوله : « يعرفون كلاً بسيماهم » ، قال : أصحاب الجنة وأصحاب النار = « ونادوا أصحاب الجنة » ، قال : حين رأوا وجوههم قد ابيضت .

١٤٧٢٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك : « يعرفون كلاً بسيماهم » ، قال : بسواد الوجوه .

١٤٧٢٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن يمان، عن مبارك ، عن

الحسن ، « بسيماهم » ، قال : بسواد الوجوه وزرقة العيون .

* * *

و « السيماء » ، العلامة الدالة على الشيء ، في كلام العرب . وأصله من « السِّمَة » ، نقلت واوها التي هي فاء الفعل ، إلى موضع العين ، كما يقال : « اضمحلّ » ، و « امضحلّ » . وذكر سماعاً عن بعض بني عقيل : « هي أرض خامة » ، يعني « وَخِمة » . ومنه قولهم : « له جاه عند الناس » ، بمعنى « وجه » ، نقلت واوه إلى موضع عين الفعل .[1] وفيها لغات ثلاث : « سيما » مقصورة ، و « سيماء » ، ممدودة ، و « سيمياء » ، بزيادة ياء أخرى بعد الميم فيها ، ومدها ، على مثال « الكبرياء » ،[2] كما قال الشاعر :[3] ١٤١/٨

غُلَامٌ رَمَاهُ اللهُ بِالحُسْنِ إِذْ رَمَى لَهُ سِيمِيَاءٌ لَا تَشُقُّ عَلَى البَصَرِ.[4]

* * *

وأما قوله : « ونادوا أصحاب الجنة أن سلامٌ عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون » ، أي : حلت عليكم أمنة الله من عقابه وأليم عذابه .[5]

* * *

واختلف أهل التأويل في المعنيّ بقوله : « لم يدخلوها وهم يطمعون » .

فقال بعضهم : هذا خبر من الله عن أهل الأعراف : أنهم قالوا لأهل الجنة ما قالوا قبل دخول أصحاب الأعراف ، غير أنهم قالوه وهم يطمعون في دخولها .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٧٢٨ — حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قال : أهل الأعراف يعرفون الناسَ ، فإذا مرُّوا عليهم

---

(١) انظر « جاه » فيما سلف ٦ : ٤١٥ .

(٢) انظر تفسير « سيما » فيما سلف ٥ : ٥٩٤ — ٧/٥٩٧ : ١٨٩ ، ١٩٠ .

(٣) هو أسيد بن عنقاء الفزاري .

(٤) سلف البيت وتخريجه فيما سلف ٥ : ٧/٥٩٥ : ١٨٩ .

(٥) انظر تفسير « سلام » فيما سلف ص : ١١٤ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

بزُمْرة يُذْهب بها إلى الجنة قالوا : « سلام عليكم ». يقول الله لأهل الأعراف : لم يدخلوها ، وهم يطمعون أن يدخلوها .

١٤٧٢٩ – حدثني محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر قال ، تلا الحسن : « لم يدخلوها وهم يطمعون » ، قال : والله ما جعل ذلك الطمع فى قلوبهم ، إلا لكرامة يريدها بهم .

١٤٧٣٠ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « لم يدخلوها وهم يطمعون » ، قال : أنبأكم الله بمكانهم من الطمع .

١٤٧٣١ – حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن أبي بكر الهذلى قال ، قال سعيد بن جبير ، وهو يحدث ذلك عن ابن مسعود قال : أما أصحاب الأعراف ، فإن النور كان فى أيديهم ، فانتزع من أيديهم،(١) يقول الله : « لم يدخلوها وهم يطمعون » ، قال : فى دخولها . قال ابن عباس : فأدخل الله أصحاب الأعراف الجنة .

١٤٧٣٢ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا إسرائيل، عن جابر ، عن عكرمة وعطاء : « لم يدخلوها وهم يطمعون » ، قالا: فى دخولها .

* * *

وقال آخرون : إنما عنى بذلك أهلَ الجنة ، وأن أصحاب الأعراف يقولون لهم قبل أن يدخلوا الجنة: « سلام عليكم » ، وأهل الجنة يطمعون أن يدخلوها ، ولم يدخلوها بعدُ .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٧٣٣ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا وكيع قال ، حدثنا جرير، عن سليمان التيمى ، عن أبي مجلز : « ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون » ، قال : الملائكة ، يعرفون الفريقين جميعاً بسيماهم . وهذا قبل أن

(١) فى المطبوعة : « ما انتزع » ، والصواب من المخطوطة .

يدخل أهل الجنة الجنة، أصحاب الأعراف ينادون أصحابَ الجنة: أنْ سلام عليكم، لم يدخلوها وهم يطمعون فى دخولها.

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٤٧)

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وإذا صرفت أبصارُ أصحاب الأعراف تلقاء أصحاب النار= يعنى: حِيالَهم ووِجاههم= فنظروا إلى تشويه الله لهم= «قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين»، الذين ظلموا أنفسهم، فأكسبوها من سخطك ما أورثهم من عذابك ما هم فيه.

١٤٧٣٤ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى قال: وإذا مروا بهم = يعنى بأصحاب الأعراف = بزمرة يُذهب بها إلى النار، قالوا: «ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين».

١٤٧٣٥ – حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد قال، أخبرنا ابن المبارك، عن جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس قال: إن أصحاب الأعراف إذا نظروا إلى أهل النار وعرفوهم، قالوا: «ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين».

١٤٧٣٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى، عن أبى مكين، عن أخيه، عن عكرمة: «وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار»، قال: تحرد وجوههم للنار، فإذا رأوا أهل الجنة ذهبَ ذلك عنهم.(١)

---

(١) الأثر ١٤٧٣٦ – «أبو مكين»، هو «نوح بن ربيعة الأنصارى»، مضى برقم: ٩٧٤٢، ٩٨٣٩ وكان وكيع يهم فيقول: «أبو مكين» هو «نوح بن أبان»، أخو «الحكم بن أبان»، ونبهوا على هذا الوهم انظر ترجمة «نوح بن ربيعة» فى التهذيب وابن أبى حاتم ٤/١/٤٨٢.

١٤٧٣٧ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار »، فرأوا وجوههم مسودّة ، وأعينهم مزرقّة ، = « قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين » .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٤٨)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : « ونادى أصحاب الأعراف رجالاً »، من أهل الأرض = « يعرفونهم بسيماهم »، سيما أهل النار = « قالوا ما أغنى عنكم جمعكم » ، ما كنتم تجمعون من الأموال والعَدَد في الدنيا = « وما كنتم تستكبرون »، يقول : وتكبُّركم الذي كنتم تتكبرون فيها ،(١) كما : – ١٤٢/٨

١٤٧٣٨ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قال : فرّ بهم = يعني بأصحاب الأعراف = ناس من الجبّارين عرفوهم بسيماهم . قال يقول : قال أصحاب الأعراف : « ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون » .

١٤٧٣٩ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « ونادى أصحاب الأعراف رجالاً » ، قال : في النار = « يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم » ،

وأخوه ، يعني وكيع : « الحكم بن أبان العدني » ، وهو يروي عن طاوس وعكرمة ، ثقة . مترجم في التهذيب ، والكبير ١/٢/٣٣٤ ، وابن أبي حاتم ١/٢/١١٣ .

(١) انظر تفسير « الاستكبار » فيما سلف ١١ : ٥٤٠ / ١٢ : ٤٢١

وما كنتم تستكبرون» ، وتكبركم .[١]

١٤٧٤٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن سليمان التيمى ، عن أبى مجلز : « ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون »، قال: هذا حين دخل أهل الجنة الجنة ،= « أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة »، الآية ، قلت لأبى مجلز : عن ابن عباس ؟ قال : لا ، بل عن غيره .

١٤٧٤١ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن سليمان التيمى ، عن أبى مجلز : « ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم » ، قال : نادت الملائكة رجالاً فى النار يعرفونهم بسيماهم = « ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون * أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة»، قال : هذا حين دخل أهل الجنة الجنة = « ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون » .

١٤٧٤٢ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم » ، فالرجال ، عظماء من أهل الدنيا . قال : فبهذه الصفة عرَف أهلُ الأعراف أهلَ الجنة من أهل النار . وإنما ذكر هذا حين يذهب رئيس أهل الخير ورئيس أهل الشر يوم القيامة = قال : وقال ابن زيد فى قوله : « ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون » ، قال : على أهل طاعة الله .

* * *

(١) فى المطبوعة : « . . . جمعكم وتكبركم وما كنتم تستكبرون » ، وهو كذلك فى المخطوطة ، إلا أنه وضع فوق « وتكبركم » حرف (م) دلالة على أنه مقدم عن مكانه ، فرددته إلى الأصل ، وهو الصواب .

القول فى تأويل قوله : ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ (٤٩)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى المعنيِّين بهذا الكلام .

فقال بعضهم : هذا قِيل الله لأهل النار ، توبيخاً على ما كان من قِيلهم فى الدنيا ، لأهل الأعراف ، عند إدخاله أصحابَ الأعراف الجنة .

• ذكر من قال ذلك :

١٤٧٤٣ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قال : « أصحاب الأعراف » ، رجال كانت لهم ذنوب عظام ، وكان حَسْم أمرهم لله ، يقومون على الأعراف ، فإذا نظروا إلى أهل الجنة طمعوا أن يدخلوها ، وإذا نظروا إلى أهل النار تعوَّذوا بالله منها، فأدخلوا الجنة . فذلك قوله تعالى : « أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة » ، يعنى أصحابَ الأعراف = « ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون » .

١٤٧٤٤ – حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن جويبر ، عن الضحاك قال ، قال ابن عباس : إن الله أدخل أصحابَ الأعراف الجنة لقوله : « ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون » .

١٤٧٤٥ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : قال الله لأهل التكبر والأموال : « أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة » ، يعنى أصحاب الأعراف = « ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون » .

١٤٧٤٦ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « أهؤلاء» ، الضعفاء = « الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة

ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون » ، قال : فقال حذيفة : «أصحاب الأعراف » ، قوم تكافأت أعمالهم ، فقصَّرت بهم حسناتهم عن الجنة ، وقصَّرت بهم سيئاتهم عن النار ، فجعلوا على الأعراف ، يعرفون الناس بسيماهم . فلما قُضِي بين العباد، أذن لهم فى طلب الشفاعة، فأتوا آدم عليه السلام، فقالوا: يا آدم، أنت أبونا فاشفع لنا عند ربك ! فقال : هل تعلمون أحداً خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه، وسبقت رحمته إليه غضبه، [1] وسجدت له الملائكة، غيرى؟ فيقولون: ١٤٣/٨
لا ! قال : فيقول : ما عملت كُنْهَ ما أستطيع أن أشفع لكم ، [2] ولكن ائتوا ابنى إبراهيم ! قال : فيأتون إبراهيم عليه السلام فيسألونه أن يشفع لهم عند ربه ، فيقول: هل تعلمون من أحدٍ اتخذه الله خليلاً ؟ هل تعلمون أحداً أحرقه قومه فى النار فى الله، غيرى ؟ فيقولون :لا! فيقول : ماعملت فيه كُنْهَ ما أستطيع أن أشفع لكم، [3] ولكن ائتوا ابنى موسى ! فيأتون موسى عليه السلام ، فيقول : هل تعلمون من أحد كلمه الله تكليماً،وقرّبه نجيًّا، غيرى؟ فيقولون : لا ! فيقول : ما عملت فيه كُنْهَ ما أستطيع أن أشفع لكم ، ولكن ائتوا عيسى ! فيأتونه فيقولون : اشفع لنا عند ربك ! فيقول : هل تعلمون أحداً خلقه الله من غير أب، غيرى؟ فيقولون : لا ! فيقول : هل تعلمون من أحد كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله غيرى ؟ قال : فيقولون : لا ! قال : فيقول : أنا حجيجُ نفسى ، ما عملت فيه كُنْهَ ما أستطيع أن أشفع لكم، [4] ولكن ائتوا محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم !

---

(١) فى المطبوعة : « رحمة الله إليه غضبه » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) «كنه الشىء » قدره ونهايته وغايته وحقيقته ، يريد : ما عملت ما يبلغ بى مرتبة الشفاعة لكم . وفى المطبوعة : « ما علمت » ، وأثبت ما فى المخطوطة . وفى تفسير ابن كثير ، نقلا عن هذا الموضع من التفسير : « ما علمت كنهه ما أستطيع » ، والصواب ما فى مخطوطة الطبرى .

(٣) فى المطبوعة هنا أيضاً : « ما علمت » ، وأثبت ما فى المخطوطة . وفى المخطوطة : « ما عملت فيه ما أستطيع » ، بإسقاط « كنه » سهواً من الناسخ على الأرجح .

(٤) فى المطبوعة : « ما علمت كنه ما أستطيع » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، كما ذكرت فى التعليقين السالفين .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فيأتونى ، فأضرب بيدى على صدرى ، ثم أقول : أنا لها ! ثم أمشى حتى أقف بين يدى العرش ، فأثنى على ربى ، فيفتح لى من الثناء ما لم يسمع السامعون بمثله قطُّ ، ثم أسجد فيقال لى : يا محمد ، ارفع رأسك، سل تُعطَه ، واشفع تُشَفَّع ! فأرفع رأسى فأقول : رب ، أمتى ! فيقال : هم لك ، فلا يبقى نبى مرسل ولا ملك مقرَّب إلا غبَطنى يومئذ بذلك المقام ، وهو المقام المحمود . قال : فآتى بهم باب الجنة ، فأستفتح فيفتح لى ولهم ، فيُذهب بهم إلى نهر يقال له : « نهر الحيوان » ،(١) حافتاه قَصَب من ذهب مكلل باللؤلؤ ،(٢) ترابه المسك ، وحصباؤه الياقوت ، فيغتسلون منه ، فتعود إليهم ألوان أهل الجنة وريح أهل الجنة ،(٣) ويصيرون كأنهم الكواكب الدرّية ، ويبقى فى صدورهم شامات بيض يعرفون بها ، يقال لهم : « مساكين أهل الجنة » .

١٤٧٤٧ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك قال : إن الله أدخلهم بعد أصحاب الجنة ، وهو قوله : « ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون » ، يعنى أصحاب الأعراف . وهذا قول ابن عباس .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام على هذا التأويل الذى ذكرنا عن ابن عباس ، ومن ذكرنا قوله فيه =: قال الله لأهل التكبر عن الإقرار بوحدانية الله، والإذعان لطاعته وطاعة رسله ، الجامعين فى الدنيا الأموال مكاثرة ورياء : أيها الجبابرة

---

(١) فى المطبوعة : « نهر الحياة » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو المطابق لما فى تفسير ابن كثير .

(٢) « القصب » أنابيب مستطيلة مجوفة من الجوهر ، أو الذهب أو الفضة . وكان فى المطبوعة كما سلف آنفاً ص : ٤٥٥ ، تعليق : ١ ، « قضب » بالضاد ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وغيرها من المراجع .

(٣) فى المخطوطة : « وريح » ، بإسقاط « أهل الجنة » . وفى المطبوعة : « وريحهم »، وأثبت ما فى تفسير ابن كثير ٣ : ٤٨٥ ، نقلا عن هذا الموضع من تفسير الطبرى .

كانوا فى الدنيا ، [١] أهؤلاء الضعفاء الذين كنتم فى الدنيا أقسمتم لا ينالهم الله برحمة؟ قال : قد غفرت لهم ورحمتهم بفضلى ورحمتى ، ادخلوا يا أصحاب الأعراف الجنة لا خوف عليكم بعدها من عقوبة تعاقبون بها على ما سلف منكم فى الدنيا من الآثام والأجرام ، ولا أنتم تحزنون على شىء فاتكم فى دنياكم .

* * *

وقال أبو مجلز : بل هذا القول خبر من الله عن قيل الملائكة لأهل النار ، بعد ما دخلوا النار ، تعييراً منهم لهم على ما كانوا يقولون فى الدنيا للمؤمنين الذين أدخلهم الله يوم القيامة جنته . وأما قوله : « ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون » ، فخبر من الله عن أمره أهل الجنة بدخولها .

١٤٧٤٨ — حدثنى يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن سليمان التيمى ، عن أبى مجلز قال : نادت الملائكة رجالاً فى النار يعرفونهم بسيماهم : « ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون . أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة »، قال : فهذا حين يدخل أهل الجنة الجنةَ = « ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (٥٠)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن استغاثة أهل النار بأهل الجنة ، عند نزول عظيم البلاء بهم من شدة العطش والجوع ، عقوبةً من الله لهم

---

(١) فى المطبوعة : « أيها الجبابرة الذين كانوا فى الدنيا » ، زاد « الذين » ، وليست فى المخطوطة ، والذى فى المخطوطة حق الصواب .

على ما سلف منهم فى الدنيا من ترك طاعة الله ، وأداء ما كان فرض عليهم فيها فى أموالهم من حقوق المساكين من الزكاة والصدقة .

يقول تعالى ذكره : « ونادى أصحاب النار » ، بعد ما دخلوها = « أصحاب الجنة » ، بعد ما سكنوها = « أن » ، يا أهل الجنة = « أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله » ، أى : أطعمونا مما رزقكم الله من الطعام ، كما : — ٨/١٤٤

١٤٧٤٩ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله » ، قال : من الطعام .

١٤٧٥٠ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله » ، قال : يستطعمونهم ويستسقونهم .

* * *

= فأجابهم أهل الجنة ، إن الله حرم الماء والطعام على الذين جحدوا توحيده ، وكذبوا فى الدنيا رسله .

* * *

و « الهاء والميم » فى قوله : « إن الله حرّمهما » ، عائدتان على « الماء » وعلى « ما » التى فى قوله : « أو مما رزقكم الله » .

* * *

وبنحو ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٧٥١ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن عثمان الثقفى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله » ، قال : ينادى الرجلُ أخاه وأباه

فيقول : « قد احترقت ، أفض علىّ من الماء ! »، فيقال لهم : أجيبوهم ! فيقولون : « إن الله حرمهما على الكافرين » .

١٤٧٥٢ – وحدثني المثنى قال، حدثنا ابن دكين قال ، حدثنا سفيان ، عن عثمان ، عن سعيد بن جبير : « ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله » ، قال : ينادى الرجل أخاه : يا أخى ، قد احترقتُ فأغثنى ! فيقول : « إن الله حرمهما على الكافرين » .(١)

١٤٧٥٣ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « قالوا إن الله حرمهما على الكافرين» ، قال : طعامُ أهل الجنة وشرابُها .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ (٥١)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله عن قيل أهل الجنة للكافرين .

يقول تعالى ذكره : فأجاب أهلُ الجنة أهلَ النار : « إن الله حرمهما على الكافرين »، الذين كفروا بالله ورسله ، الذين اتخذوا دينهم الذى أمرهم الله به لهواً ولعباً ، يقول : سخرية ولعباً .(٢)

* * *

وروى عن ابن عباس فى ذلك ما : —

---

(١) الأثر : ١٤٧٥٢ – « ابن دكين » ، هو « الفضل بن دكين التيمى » ، مضى مراراً، منها : ٢٥٥٤ ، ٣٠٣٥ ، ٨٥٣٥ .

(٢) انظر تفسير « اللهو » فيما سلف ١١ : ٤٤١ .

= وتفسير « اللعب » فيما سلف ١١ : ٤٤١ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

١٤٧٥٤ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس في قوله : « الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً » ، الآية ، قال : وذلك أنهم كانوا إذا دُعوا إلى الإيمان سخِروا ممن دعاهم إليه وهزأوا به ، اغتراراً بالله .

* * *

= « وغرتهم الحياة الدنيا » ، يقول : وخدعهم عاجلُ ما هم فيه من العيش والخفض والدَّعة ، عن الأخذ بنصيبهم من الآخرة ، حتى أتتهم المنية[1] = يقول الله جل ثناؤه : « فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا » ، أي في هذا اليوم ، وذلك يوم القيامة = «ننساهم » ، يقول : نتركهم في العذاب المبين جياعاً عطاشاً بغير طعام ولا شراب ، كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا ، ورفضوا الاستعداد له بإتعاب أبدانهم في طاعة الله .

* * *

وقد بينا معنى قوله : « ننساهم » ، بشواهده فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته .[2]

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٧٥٥ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد : « فاليوم ننساهم » ، قال : نسوا في العذاب .

١٤٧٥٦ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « فاليوم ننساهم » ، قال : نتركهم كما تركوا لقاء يومهم هذا .

١٤٧٥٧ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « ننساهم » ، قال : نتركهم في النار .

---

(١) انظر تفسير « الغرور » فيما سلف ص : ٣٥١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « النسيان » فيما سلف ١١ : ٣٥٧ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

١٤٧٥٨ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ،عن علي ، عن ابن عباس : « فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا » ، قال : نتركهم من الرحمة ، كما تركوا أن يعملوا للقاء يومهم هذا .

١٤٧٥٩ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا » ، الآية ، يقول : نسيهم الله من الخير ، ولم ينسهم من الشرّ .

١٤٧٦٠ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد قال ، سمعت مجاهداً في قوله : « فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا » ، قال : نؤخرهم في النار .

* * *

وأما قوله : « وما كانوا بآياتنا يجحدون » ، فإن معناه : « اليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا » ، وكما كانوا بآياتنا يجحدون .

* * *

فـ « ما » التي في قوله : « وما كانوا » معطوفة على « ما » التي في قوله : « كما نسوا » .

* * *

١٤٥/٨ قال أبو جعفر : وتأويل الكلام : فاليوم نتركهم في العذاب ، كما تركوا العمل في الدنيا للقاء الله يوم القيامة ، وكما كانوا بآيات الله يجحدون = وهي حججه التي احتج بها عليهم ، من الأنبياء والرسل والكتب وغير ذلك[1] = « يجحدون » ، يكذبون ولا يصدقون بشيء من ذلك .[2]

* * *

(١) انظر تفسير « الآية » فيما سلف من فهارس اللغة (أي) .

(٢) انظر تفسير « الجحد » فيما سلف ١١ : ٣٣٤ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٥٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : أقسم ، يا محمد ، لقد جئنا هؤلاء الكفرة بكتاب = يعنى القرآن الذى أنزله إليه . يقول : لقد أنزلنا إليهم هذا القرآن ، مفصَّلاً مبيَّناً فيه الحق من الباطل = « على علم »، يقول : على علم منا بحقّ ما فُصِّل فيه ، من الباطل الذى مَيَّز فيه بينه وبين الحق[1] = « هدى ورحمة »، يقول: بيناه ليُهْدَى ويُرْحَم به قومٌ يصدقون به ، وبما فيه من أمر الله ونهيه، وأخباره ، ووعده ووعيده ، فينقذهم به من الضلالة إلى الهدى .

وهذه الآية مردودة على قوله: ﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الأعراف ٢] = « ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم » .

* * *

و « الهدى» فى موضع نصب على القطع من « الهاء » التى فى قوله : « فصلناه »، [2] ولو نصب على فعل « فصلناه »، [3] فيكون المعنى : فصلنا الكتاب كذلك = كان صحيحاً .

ولو كان قرئ : « هدى ورحمةٍ » كان فى الإعراب فصيحاً ، وكان خفض ذلك بالردّ على « الكتاب » . [4]

* * *

---

(١) انظر تفسير « التفصيل » فيما سلف ص : ٤٠٢ ، تعليق : ١، والمراجع هناك .

(٢) « القطع » ، الحال ، وانظر فهارس المصطلحات .

(٣) نصبه على « الفعل » ، أى : هو مفعول مطلق ، من غير فعله ، كأنه قال : فصلناه تفصيلا .

(٤) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٨٠ .

القول فى تأويل قوله ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « هل ينظرون إلا تأويله » ، هل ينتظر هؤلاء المشركون الذين يكذبون بآيات الله ويجحدون لقاءه = « إلا تأويله » ، يقول : إلا ما يؤول إليه أمرهم ، من وردوهم على عذاب الله ، وصِليِّهم جحيمه ، وأشباه هذا مما أوعدهم الله به .

* * *

وقد بينا معنى « التأويل » فيما مضى بشواهده ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .(١)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٧٦١ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « هل ينظرون إلا تأويله » ، أى : ثوابه = « يوم يأتى تأويله » ، أى : ثوابه .

١٤٧٦٢ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور قال ، حدثنا معمر ، عن قتادة : « هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتى تأويله » ، قال : « تأويله » ، عاقبته .

١٤٧٦٣ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن شبل ، عن ابن

---

(١) انظر تفسير « التأويل » فيما سلف ٦ : ١٩٩ — ٨/٢٠٦ : ٥٠٦ .

أبي نجيح : عن مجاهد ، « هل ينظرون إلا تأويله » ، قال : جزاءه = « يوم يأتي تأويله » ، قال : جزاؤه .

١٤٧٦٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن أبي زائدة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٤٧٦٥ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ،عن السدى : « هل ينظرون إلا تأويله »، أما « تأويله » ، فعواقبه، مثل وقعة بدر ، والقيامة ، وما وعد فيها من موعد .(١)

١٤٧٦٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس في قوله : « هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق » ، فلا يزال يقع من تأويله أمرٌ بعد أمر ، حتى يتم تأويله يوم القيامة، ففي ذلك أنزل : « هل ينظرون إلاتأويله»،حيث أثابَ الله تبارك وتعالى أولياءَه وأعداءه ثواب أعمالهم. يقول يومئذ الذين نسوه من قبل : « قد جاءت رسل ربنا بالحق » ، الآية .

١٤٧٦٧ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله » ، قال : يوم القيامة .

١٤٧٦٨ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله : « يوم يأتي تأويله » ، قال : يوم يأتي حقيقته ،(٢) وقرأ قول الله تعالى : ﴿ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ ﴾، [سورة يوسف : ١٠٠] .قال : هذا تحقيقها . وقرأ قول الله: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ ﴾، [سورة آل عمران : ٧] ، قال : ما يعلم

---

(١) في المطبوعة : « وما وعد فيه » وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) في المطبوعة : « يوم يأتي تحقيقه » وأثبت ما في المخطوطة ، وهو صواب محض .

حقيقته ومتى يأتى ، إلا الله تعالى .

* * *

وأما قوله : « يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل » ، فإن معناه : يوم يجيء ما يؤول إليه أمرهم من عقاب الله = « يقول الذين نسوه من قبل » ، أى : يقول الذين ضيّعوا وتركوا ما أمروا به من العمل المنجيهم مما آل إليه أمرهم يومئذ من العذاب ، من قبل ذلك فى الدنيا = « لقد جاءت رسل ربنا بالحق » ، أقسم المساكين حين عاينوا البلاءَ وحلّ بهم العقاب : أنّ رسل الله التى أتتهم بالنِّذارة وبلغتهم عن الله الرسالة ، [1] قد كانت نصحت لهم وصَدَقتهم عن الله ، وذلك حين لا ينفعهم التصديق . ولا ينجيهم من سَخَط الله وأليم عقابه كثرة القال والقيل. ١٤٦/٨

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٧٦٩ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : «يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق» ، أما « الذين نسوه » ، فتركوه ، فلما رأوا ما وعدهم أنبياؤهم ، استيقنوا فقالوا : « قد جاءت رسل ربنا بالحق » .

١٤٧٧٠ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « يقول الذين نسوه » ، قال : أعرضوا عنه.

١٤٧٧١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

(١) «النذارة» بكسر النون ، كالإنذار ، على وزن «الرسالة» ، وانظر ما كتبته آنفاً ١٠ : ٥٧٥ ، تعليق : ٢ .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ (٥٣)

قال أبو جعفر : وهذا خبرٌ من الله تعالى ذكره عن هؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم ، أنهم يقولون عند حلول سَخَط الله بهم ، وورودهم أليمَ عذابه ، ومعاينتهم تأويل ما كانت رسلُ الله تعِدهم : هل لنا من أصدقاءَ وأولياء اليوم فيشفعوا لنا عند ربنا ، فتنجينا شفاعتهم عنده مما قد حلّ بنا من سوء فعالنا فى الدنيا[١] = أو نردّ إلى الدنيا مرة أخرى، فنعمل فيها بما يرضيه ويُعْتِبُه من أنفسنا؟[٢] قال هذا القولَ المساكينُ هنالك ، لأنهم كانوا عهدوا فى الدنيا أنفسهم لها شفعاء تشفع لهم فى حاجاتهم ، فيذكروا ذلك فى وقت لا خُلة فيه لهم ولا شفاعة .

يقول الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه : «قد خسروا أنفسهم»،[٣] يقول : غَبَنوا أنفسهم حظوظها ، ببيعهم ما لاخطر له من نعيم الآخرة الدائم، بالخسيس من عَرَض الدنيا الزائل = « وضل عنهم ما كانوا يفترون » ، يقول : وأسلمهم لعذاب الله ، وحار عنهم أولياؤهم،[٤] الذين كانوا يعبدونهم من دون الله ،[٥] ويزعمون كذباً وافتراء أنهم أربابهم من دون الله .[٦]

١٤٧٧٢ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله: « قد خسروا أنفسهم »، يقول: شروها بخسران .

* * *

(١) انظر تفسير « الشفاعة » فيما سلف ١١ : ٥٤٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) « أعتبه من نفسه » ، أعطاه العتبى — وهى الرضا — ورجع إلى مسرته .
(٣) انظر تفسير « الخسارة » فيما سلف ص : ٣٥٧، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
(٤) فى المطبوعة : « وحاد » بالدال ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهى صواب .
(٥) انظر تفسير « الضلال » فيما سلف من فهارس اللغة (ضلل) .
(٦) انظر تفسير « الافتراء » فيما سلف ص : ٤٠٨ تعليق ٢ ، والمراجع هناك .

وإنما رفع قوله : « أو نردُّ » ولم ينصب عطفاً على قوله : « فيشفعوا لنا » ، لأن المعنى : هل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا = أو هل نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل ؟ = ولم يرد به العطف على قوله : « فيشفعوا لنا » .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن سيدكم ومصلح أموركم، أيها الناس ، هو المعبود الذى له العبادة من كل شىء[2] = « الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام » ، وذلك يوم الأحد ، والاثنين ، والثلاثاء ، والأربعاء ، والخميس ، والجمعة ، كما : —

١٤٧٧٣ — حدثنى المثنى قال، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبى بشر ، عن مجاهد قال : بدءُ الخلق العرشُ والماء والهواء ، وخلقت الأرض من الماء . وكان بدء الخلق يوم الأحد ، والاثنين ، والثلاثاء ، والأربعاء ، والخميس ، وجُمع الخلق فى يوم الجمعة، وتهوَّدت اليهودُ يوم السبت. ويوم من الستة الأيام كألف سنة مما تعدّون .

* * *

= « ثم استوى على العرش » .

* * *

(١) فى المخطوطة خلط وتكرار فى هذه الجملة ، وصوابها ما فى المطبوعة . وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٨٠ .

(٢) انظر تفسير « الرب » فيما سلف ١ : ١٤٢ — ١٤٣/١٢ : ٢٨٦ .

وقد ذكرنا معنى « الاستواء » واختلاف الناس فيه ، فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته .[١]

* * *

وأما قوله : « يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً » ، فإنه يقول : يورد الليل على النهار فيلبسه إياه ، حتى يذهب نضرته ونوره[٢] = « يطلبه » ، يقول : يطلب الليل النهار = « حثيثاً » ، يعنى : سريعاً .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٧٧٤ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « يطلبه حثيثاً » ، يقول : سريعاً .

١٤٧٧٥ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً » ، قال : يغشى الليل النهارَ فيذهب بضوئه ، ويطلبه سريعاً حتى يدركه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٥٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم ، كلّ ذلك بأمره ، أمرهن الله فأطعن أمرَه ، ألا لله

---

(١) انظر تفسير « الاستواء » فيما سلف ١ : ٤٢٨ – ٤٣١ .

(٢) انظر تفسير « الغشاوة » فيما سلف ١ : ٢٦٥ ، ٢٦٦ .

الخلق كله ، والأمرُ الذى لا يخالف ولا يردّ أمره ، دون ما سواه من الأشياء كلها ، ودون ما عبده المشركون من الآلهة والأوثان التى لا تضر ولا تنفع ، ولا تخلق ولا تأمر ، تبارك الله معبودُنا الذى له عبادة كل شىء ، ربُّ العالمين .(١) ١٤٧/٨

١٤٧٧٦ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا هشام أبو عبد الرحمن قال ، حدثنا بقية بن الوليد قال ، حدثنى عبد الغفار بن عبد العزيز الأنصارى ، عن عبد العزيز الشامى ، عن أبيه ، وكانت له صحبة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لم يحمد الله على ما عمل من عمل صالح وحمد نفسه ، قلّ شكره ، وحَبِط عمله . ومن زعم أن الله جعل للعباد من الأمر شيئاً فقد كفر بما أنزل الله على أنبيائه ، لقوله : « ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين » .(٢)

* * *

(١) انظر تفسير « تبارك » فيما سلف ص : ٢٣٨ ، تعليق ٢ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « رب » فيما سلف قريباً ص ٤٨٢ ، تعليق : ٢ والمراجع هناك .
= وتفسير « العالمين » فيما سلف من فهارس اللغة (علم) .

(٢) الأثر : ١٤٧٧٦ – « عبد الغفار بن عبد العزيز الأنصارى » ، هكذا جاء هنا فى المخطوطة والمطبوعة ، وهكذا نقله الحافظ ابن حجر عن هذا الموضع من التفسير فى ترجمة (أبو عبد العزيز) من الإصابة ، وهكذا نقله ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٤٨٩ .

ولكن الذى أطبقت عليه كتب التراجم ، والأسانيد الأخرى التى نقلها الحافظ ابن حجر ، فى موضع آخر من الإصابة أنه :

« عبد الغفور بن عبد العزيز » ، وكنوه « أبو الصباح » ، ونسبوه « الواسطى » ، وهو مترجم فى لسان الميزان ٤ : ٤٣ ، ٤٤ ، وابن أبى حاتم ٣/١/٥٥ ، وميزان الاعتدال ٢ : ١٤٢ ، وهو ضعيف منكر الحديث ، وأخرجه البخارى فى الضعفاء .

وأبوه هو : « عبد العزيز الشامى » ، ولم أجد له ذكراً ، إلا فى أثناء هذه الأسانيد .

وأبوه ، الذى له صحبة يقال اسمه « سعيد الشامى » ، وهو مترجم بذلك فى الإصابة ، وكنيته « أبو عبد العزيز » ، وهو مترجم أيضاً فى باب الكنى من الإصابة ، وفى أسد الغابة ٥ : ٢٤٧ .

وهذا الخبر ، رواه الحافظ ابن حجر فى الموضعين من ترجمة « أبى عبد العزيز » و « سعيد » ، وابن الأثير فى أسد الغابة ٥ : ٢٤٧ ، وابن كثير فى تفسيره ٣ : ٤٨٩ ، والسيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٩٢ .

وهو خبر ضعيف هالك الإسناد . و « بقية بن الوليد » كما قال ابن المبارك : « كان صدوقاً ، ولكنه يكتب عمن أقبل وأدبر » . وقال أحمد : « إذا حدث عن قوم ليسوا بمعروفين فلا تقبلوه » .

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ (٥٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ادعوا، أيها الناس، ربكم وحده ، فأخلصوا له الدعاء ، دون ما تدعون من دونه من الآلهة والأصنام = « تضرعاً »، يقول : تذلُّلاً واستكانة لطاعته [١] = « وخفية » ، يقول بخشوع قلوبكم ، وصحة اليقين منكم بوحدانيته فيما بينكم وبينه ، لا جهاراً ومراءاةً ، وقلوبكم غير موقنة بوحدانيته وربوبيته ، فعلَ أهل النفاق والخداع لله ولرسوله ، [٢] كما :—

١٤٧٧٧ — حدثني المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن المبارك بن فضالة ، عن الحسن قال : إنْ كانَ الرجل لقد جمع القرآن ، وما يشعرُ جارُه . وإن كان الرجل لقد فَقُه الفقهَ الكثير ، وما يشعرُ به الناس . وإن كان الرجل ليصلى الصلاة الطويلة فى بيته وعنده الزَّوْر ، [٣] وما يشعرون به . ولقد أدركنا أقواماً ما كان على الأرض من عمل يقدرون على أن يعملوه فى السرّ ، فيكون علانية أبداً ! ولقد كان المسلمون يجتهدون فى الدعاء ، وما يُسمع لهم صوت ، إن كان إلاّ همساً بينهم وبين ربهم ، وذلك أن الله يقول : « ادعوا ربكم تضرعاً وخفية » ، وذلك أن الله ذكر عبداً صالحاً فرضِى فعله فقال : ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴾ ، [سورة مريم : ٣] .

وقال يحيى بن معين : « كان يحدث عن الضعفاء بمئة حديث قبل أن يحدث عن الثقات » . وقال أبو زرعة : « بقية عجب ! ! إذا روى عن الثقات فهو ثقة» . وذكر قول ابن المبارك الذى تقدم ، ثم قال : « وقد أصاب ابن المبارك فى ذلك . ثم قال: هذا فى الثقات، فأما فى المجهولين ، فيحدث عن قوم لا يعرفون ولا يضبطون » .

(١) انظر تفسير « التضرع » فيما سلف ١١ : ٣٥٥ ، ٤١٤

(٢) انظر تفسير « خفية » فيما سلف ١١ : ٤١٤

(٣) « الزور » (بفتح فسكون) جمع « زائر » ، مثل « صاحب » و « صحب » . وفى المخطوطة : « الزور » مضبوطة بالقلم بضم الزاى وتشديد الواو مفتوحة ، وهو صواب أيضاً .

١٤٧٧٨ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن عاصم الأحول ، عن أبي عثمان النهدى ، عن أبي موسى قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم فى غزاة ،[١] فأشرفوا على وادٍ يكبرون ويهللون ويرفعون أصواتهم ، فقال : أيها الناس ، اربَعُوا على أنفسكم ، إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً ! إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم .[٢]

١٤٧٧٩ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس قوله : « ادعوا ربكم تضرعاً وخفية » ، قال : السر .

* * *

وأما قوله : « إنه لا يحب المعتدين » ، فإن معناه : إن ربكم لا يحب من اعتدى فتجاوز حدَّه الذى حدَّه لعباده فى دعائه ومسألته ربَّه ، ورفعه صوته فوق الحد الذى حدَّ لهم فى دعائهم إياه ، ومسألتهم ، وفى غير ذلك من الأمور ،[٣] كما :–

١٤٧٨٠ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا معتمر بن سليمان قال ، أنبأنا إسمعيل بن حماد بن أبي سليمان ، عن عباد بن عباد ، عن علقمة ، عن أبي مجلز : « ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين » ، قال : لا يسأل منازلَ الأنبياء عليهم السلام .

١٤٧٨١ – حدثنى القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس : « إنه لا يحب المعتدين » ،

---

(١) هذه الغزاة ، هى غزوة خيبر .

(٢) الأثر : ١٤٧٧٨ – رواه البخارى فى صحيحه (الفتح ٧ : ٣٦٣) ، ومسلم فى صحيحه ١٧ : ٢٥ من هذه الطريق ، مطولا .

وقوله : « اربعوا على أنفسكم » ، أى : ارفقوا بأنفسكم ، واخفضوا أصواتكم . وفى المخطوطة : « سميعا قريبا انا معكم » غير منقوطة ، وأثبت ما فى الصحيحين ، وفى المطبوعة ، حذف ما فى المخطوطة ، ولم يزد « وهو » التى زدتها .

(٣) انظر تفسير « الاعتداء » فيما سلف من فهارس اللغة (عدا) .

فى الدعاء ولا فى غيره = قال ابن جريج : إن من الدعاء اعتداءً ، يُكره رفعُ الصوتِ والنداءُ والصياحُ بالدعاء ، ويُؤمر بالتضرُّع والاستكانة .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (٥٦)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها » ، لا تشركوا بالله فى الأرض ولا تعصوه فيها ، وذلك هو الفساد فيها .

* * *

وقد ذكرنا الرواية فى ذلك فيما مضى ، وبينا معناه بشواهده .(١)

* * *

= « بعد إصلاحها » يقول : بعد إصلاح الله إياها لأهل طاعته ، بابتعاثه فيهم الرسل دعاة إلى الحق ، وإيضاحه حججه لهم (٢) = « وادعوه خوفاً وطمعاً » ، يقول : وأخلصوا له الدعاء والعمل ، ولا تشركوا فى عملكم له شيئاً غيره من الآلهة والأصنام وغير ذلك ، وليكن ما يكون منكم فى ذلك خوفاً من عقابه ، وطمعاً فى ثوابه . وإنّ مَن كان دعاؤه إياه على غير ذلك ، فهو بالآخرة من المكذبين ، لأنّ من لم يخف عقابَ الله ولم يرجُ ثوابه ، لم يبال ما ركب من أمر يسخَطه الله ولا يرضاه = « إن رحمة الله قريب من المحسنين » ، يقول تعالى ذكره : إن ثواب الله الذى وعد المحسنين على إحسانهم فى الدنيا ، قريب منهم ، وذلك هو رحمته ،(٣)

---

(١) انظر تفسير « الفساد فى الأرض » فيما سلف ١ : ٢٨٧ ، ٤١٦ ، ومواضع أخرى آخرها ١٠ : ٤٦١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الإصلاح » فيما سلف من فهارس اللغة (صلح) .

(٣) انظر تفسير « الرحمة » فيما سلف من فهارس اللغة (رحم)

= وتفسير « الإحسان » فيما سلف من فهارس اللغة (حسن) .

١٤٨/٨ لأنه ليس بينهم وبين أن يصيروا إلى ذلك من رحمته وما أعدّ لهم من كرامته إلا أن تفارق أرواحهم أجسادهم .

* * *

ولذلك من المعنى ذُكِّر قوله : « قريب » ، وهو من خبر « الرحمة » ، و « الرحمة » مؤنثة ، لأنه أريد به القرب فى الوقت لا فى النَّسب ، والأوقات بذلك المعنى إذا وقعت أخباراً للأسماء ،[1] أجرتها العرب مجرى الحال ، فوحّدتها مع الواحد والاثنين والجميع ، وذكَّرتها مع المؤنث ، فقالوا : « كرامة الله بعيد من فلان » ، و « هى قريب من فلان » ، كما يقولون : « هند قريب منا » ، و « الهندان منا قريب » ، و « الهندات منا قريب » ، لأن معنى ذلك : هى فى مكان قريب منا . فإذا حذفوا المكان وجعلوا « القريب » خلفاً منه ، ذكَّروه ووحَّدوه فى الجمع ، كما كان المكان مذكراً وموحداً فى الجمع . وأما إذا أنثوه ، أخرجوه مثنى مع الاثنين ، ومجموعاً مع الجميع ، فقالوا : « هى قريبة منا » ، و « هما منّا قريبتان » ، كما قال عروة [بن الورد] :[2]

عَشِيَّةَ لاَ عَفْرَاءُ مِنْكَ قَرِيبَةٌ فَتَدْنُو ، وَلاَ عَفْرَاءُ مِنْكَ بَعِيدُ[3]

فأنث « قريبة » ، وذكر « بعيداً » ، على ما وصفت . ولو كان « القريب » ، من « القرابة » فى النسب ، لم يكن مع المؤنث إلاّ مؤنثاً ، ومع الجميع إلا مجموعاً.[4]

* * *

(١) فى المطبوعة : « إذا رفعت أخباراً » ، لم يحسن قراءة المخطوطة .

(٢) هكذا جاء فى المخطوطة والمطبوعة ، والصواب أنه « عروة بن حزام » ، كما سترى فى التخريج ، وكأنه سهو من الناسخ وزيادة منه ، فإن هذا كله تابع فيه أبو جعفر ، الفراء فى معانى القرآن ، والفراء لم يذكر سوى « عروة » ، فزاد الناسخ سهواً « بن الورد » .

(٣) معانى القرآن للفراء ١ : ٣٨١ ، على ما ذكره أبو جعفر ، وهو نقله عنه . والبيت فى ديوان عروة بن حزام ، وفى تزيين الأسواق ١ : ٨٤ ، والبكرى فى شرح الأمالى : ٤٠١ ، من شعر له صواب إنشاده على الباء :

عَشِيَّةَ لاَ عَفْرَاءُ مِنْكَ بَعِيدَةٌ فَتَسْلُو ، وَلاَ عَفْرَاءُ مِنْكَ قَرِيبُ
وَإِنِّى لَتَغْشَانِى لِذِكْرَاكِ فَتْرَةٌ لَهَا بَيْنَ جِلْدِى وَالْعِظَامِ دَبِيبُ

(٤) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٨١ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢١٦ ، ٢١٧ .

وكان بعض نحويي البصرة يقول : ذكَّر « قريب » وهو صفة لـ « الرحمة » ، وذلك كقول العرب : « ريح خريق » ،[1] و « ملحفة جديد » ،[2] و « شاة سديس » .[3]

قال : وإن شئت قلت : تفسير « الرحمة » ههنا ، المطر ونحوه ، فلذلك ذكر ، كما قال : ﴿ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا ﴾ ، [سورة الأعراف : ٨٧] ، فذكَّر ، لأنه أراد الناس . وإن شئت جعلته كبعض ما يذكرون من المؤنث ، كقول الشاعر :[4]

* وَلاَ أَرْضَ أَبْقَلَ إِبْقَالَهَا *[5]

* * *

وقد أنكر ذلك من قِيله بعضُ أهل العربية ، ورأى أنه يلزمه إن جاز أن يذكِّر « قريباً » ، توجيهاً منه للرحمة إلى معنى المطر ، أن يقول : « هند قام » ، توجيهاً منه لـ « هند » وهي امرأة ، إلى معنى : « إنسان » ، ورأى أن ما شبَّه به قوله : « إن رحمة الله قريب من المحسنين » ، بقوله : « وإن كان طائفة منكم آمنوا » ، غير مُشْبِهِه . وذلك أن « الطائفة » فيما زعم مصدر ، بمعنى « الطيف » ، كما « الصيحة » و « الصياح » ، بمعنًى ، ولذلك قيل : ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ ﴾ ، [سورة هود : ٦٧] .

* * *

---

(١) « ريح خريق » : شديدة ، وقيل : لينة سهلة . ضد .

(٢) في المطبوعة : « وساحفة حديد » ، وفي المخطوطة : « وماحقه جديد » ، غير منقوطة والصواب ما أثبت ، وهو المثل الذي ضرب في هذا الباب . قال ابن سيده : « ملحفة جديد وجديدة » ، وقال سيبويه : وقد قالوا ملحفة جديدة ، وهي قليلة .

(٣) « شاة سديس » : أتت عليها السنة السادسة .

(٤) عامر بن جوين الطائي .

(٥) مضى البيت وتخريجه فيما سلف ١ : ٤٣٢ ، ونسيت أن أذكر هناك أنه سيأتي في هذا الموضع من التفسير ، ثم في ١٨ : ١١٨ (بولاق) ، وصدر البيت :

* فَلاَ مُزْنَةٌ وَدَقَتْ وَدْقَهَا *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٥٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، هو الذى يرسل الرياح نشراً بين يدى رحمته .(١)

* * *

و « النشر » بفتح « النون » وسكون « الشين » ،(١) فى كلام العرب ، من الرياح ، الطيبة اللينة الهبوب ، التى تنشئ السحاب . وكذلك كل ريح طيبة عندهم فهى « نشر » ، ومنه قول امرئ القيس :

كَأَنَّ الْمُدَامَ وَصَوْبَ الغَمَامِ وَرِيحَ الخُزَامَى وَنَشْرَ القُطُرْ (١)

* * *

وبهذه القراءة قرأ ذلك عامة قرأة الكوفيين ، خلا عاصم بن أبى النجود ، فإنه كان يقرؤه : « بشرًا » على اختلاف عنه فيه .

* * *

---

(١) القراءة التى أثبتها أبو جعفر فى تفسير الآية « نشرا » ، ولكنى أثبت فى الآية قراءتنا فى مصحفنا ، وسأثبتها فى سائر المواضع بقراءة أبى جعفر بالنون .

(١) ديوانه : ٧٩ ، واللسان (نشر) من قصيدة له طويلة ، وهذا البيت فى ذكر « هر » صاحبته وهذا البيت فى صفة رائحة ثغرها عند الصباح ، حين تتغير أفواه الناس ، يقول بعده :

يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنْيَابِهَا إِذَا طَرَّبَ الطَّائِرُ الْمُسْتَحِرْ

و « القطر » (بضمتين) : هو العود الذى يتبخر به . و « صوب الغمام » ، وقعه حيث يقع . و « يعل » يسقى بالمدام مرة بعد مرة . و « الطائر المستحر » ، الديك إذا صوت عند السحر . يصفها بطيب رائحة فمها ، حين تتغير الأفواه بعد النوم .

فروى ذلك بعضهم عنه : ﴿ بُشْراً ﴾ ، بالباء وضمها ، وسكون الشين .

وبعضهم ، بالباء وضمها وضم الشين .

وكان يتأوّل فى قراءته ذلك كذلك قوله : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ ﴾ [سورة الروم : ٤٦] ، تبشر بالمطر ، وأنه جمع « بشير » يبشر بالمطر ، جُمِع « بُشُراً » ، كما يجمع « النذير » « نُذُراً » .(١)

* * *

وأما قرأة المدينة وعامة المكيين والبصريين ، فإنهم قرأوا ذلك : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ نُشُراً ﴾ ، بضم « النون » ، و « الشين » بمعنى جمع « نَشور » جمع « نشراً » ، كما يجمع « الصبور » « صُبُراً » ، و « الشكور » « شُكُراً » .

* * *

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول : معناها إذا قرئت كذلك : أنها الريح التى تهبّ من كل ناحية ، وتجىء من كل وجه .(٢)

* * *

وكان بعضهم يقول : إذا قرئت بضم النون ، فينبغى أن تسكن شينها ، لأن ذلك لغة بمعنى « النَّشْر » بالفتح . وقال : العرب تضم النون من « النُّشْر » أحياناً ، وتفتح أحياناً بمعنى واحد . قال : فاختلاف القرأة فى ذلك على قدر اختلافها فى لغتها فيه . وكان يقول : هو نظير « الخَسْف » ، « والخُسْف » ، بفتح الخاء وضمها .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن قراءة من قرأ ذلك : ﴿ نَشْراً ﴾ و ﴿ نُشُراً ﴾ ، بفتح « النون » وسكون « الشين » ، وبضم « النون » و « الشين » قراءتان مشهورتان فى قرأة الأمصار .

---

(١) فى المطبوعة : « وأنه جمع بشير بشراً ، كما يجمع النذير نذراً » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢١٧ .

. . . . . .

. . . . . .

١٤٩/٨ فلا أحب القراءة بها ، وإن كان لها معنى صحيح ووجه مفهوم فى المعنى والإعراب ، لما ذكرنا من العلة .(١)

* * *

وأما قوله : « بين يدى رحمته » ، فإنه يقول : قدام رحمته وأمامها .

* * *

والعرب كذلك تقول لكل شيء حدث قدام شيء وأمامه : « جاء بين يديه » ، لأن ذلك من كلامهم جرى فى أخبارهم عن بنى آدم ، وكثر استعماله فيهم ، حتى قالوا ذلك فى غير ابن آدم وما لا يَدَ له .(٢)

* * *

و « الرحمة » التى ذكرها جل ثناؤها فى هذا الموضع ، المطر .

* * *

فمعنى الكلام إذاً : والله الذى يرسل الرياح ليّناً هبوبها ، طيباً نسيمها ، أمام غيْثه الذى يسوقه بها إلى خلقه ، فينشئ بها سحاباً ثقالاً حتى إذا أقلتها= و «الإقلال» بها ، حملها ، كما يقال : « استقلّ البعير بحمله » ، و « أقله » ، إذا حمله فقام به =ساقه الله لإحياء بلد ميت ، قد تعفّت مزارعه ، ودَرَست مشاربه ، وأجدب أهلُه ،(٣) فأنزل به المطر ، وأخرج به من كل الثمرات .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٧٨٢ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ،

---

(١) فى موضع هذه النقط سقط لاشك فيه ، ذكر فيه العلة التى سيشير إليها بعد . ولم أستطع أن أجد نقلا عن أبى جعفر يهدى إلى ما يسد هذا الخرم .

(٢) انظر تفسير « بين يديه » فيما سلف ٦ : ١٦٠ ، ٤٣٨ .

(٣) انظر تفسير « ميت » و « موت الأرض » فيما سلف ٣ : ٥/٢٧٤ : ٤٤٦ .

حدثنا أسباط ، عن السدى : « وهو الذى يرسل الرياح نشراً بين يدى رحمته » إلى قوله : « لعلكم تذكرون » ، قال : إن الله يرسل الريح فتأتى بالسحاب من بين الخافقين ، طرف السماء والأرض من حيث يلتقيان ، فيخرجه من ثَمَّ ، ثم ينشره فيبسطه فى السماء كيف يشاء ، ثم يفتح أبواب السماء ، فيسيل الماء على السحاب ، ثم يمطر السحاب بعد ذلك . وأما « رحمته » ، فهو المطر .

* * *

وأما قوله : « كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون » ، فإنه يقول تعالى ذكره : كما نحيي هذا البلد الميت بما ننزل به من الماء الذى ننزله من السحاب ، فنخرج به من الثمرات بعد موته وجدوبته وقُحُوط أهله ، كذلك نخرج الموتى من قبورهم أحياءً بعد فنائهم ودروس آثارهم = « لعلكم تذكرون » ، يقول تعالى ذكرُه للمشركين به من عبدة الأصنام ، المكذبين بالبعث بعد الممات ، المنكرين للثواب والعقاب : ضربتُ لكم، أيها القوم ، هذا المثل الذى ذكرت لكم : من إحياء البلد الميت بقَطْر المطر الذى يأتى به السحاب الذى تنشره الرياح التى وصفت صفتها ، لتعتبروا فتذكّروا وتعلموا أن من كان ذلك من قدرته ، فيسيرٌ فى قدرته إحياء الموتى بعد فنائها ، وإعادتها خلقاً سوياً بعد دُرُوسها .(١)

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٧٨٣ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون » ، وكذلك تخرجون ، وكذلك النشور ، كما نخرج الزرع بالماء .

* * *

١٤٧٨٤ — وقال أبو هريرة : إن الناس إذا ماتوا فى النفخة الأولى ، أمطر

---

(١) انظر تفسير « التذكر » فيما سلف ص : ٢٩٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

عليهم من ماء تحت العرش يُدعى « ماء الحيوان » أربعين سنة، فينبتون كما ينبت الزرع من الماء . حتى إذا استكملت أجسادهم، نفخ فيهم الروح، ثم تُلقى عليهم نَوْمة فينامون فى قبورهم . فإذا نفخ فى الصور الثانية عاشوا، وهم يجدون طعم النوم فى رؤوسهم وأعينهم، كما يجد النائم حين يستيقظ من نومه، فعند ذلك يقولون : ﴿يَاوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾، فناداهم المنادى : ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾[سورة يس : ٥٢] . (١)

* * *

١٤٧٨٥ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : «كذلك نخرج الموتى»، قال : إذا أراد الله أن يخرج الموتى ، أمطر السماء حتى تتشقق عنهم الأرض ، ثم يرسل الأرواح ، فتعود كل روح إلى جسدها ، فكذلك يحيى الله الموتى بالمطر كإحيائه الأرض .

* * *

(١) الأثر : ١٤٧٨٤ – هذا الخبر عن أبى هريرة ، رواه بغير إسناد ، وكنت أظنه من رواية السدى فى الأثر السالف ، ولكنى شككت فى ذلك ، فآثرت أن أضع له رقماً مستقلا . وأيا ما كان ، فإنى لم أجد نص هذا الخبر فى شىء من مراجعى . وحديث أبى هريرة فى البعث ، رواه مسلم فى صحيحه ١٨ : ٩١ ، قال :

«قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بين النفختين أربعون. قالوا : يا أبا هريرة: أربعون يوماً؟ قال: أبَيْتُ. قالوا : أربعون شهراً ؟ قال : أبيتُ . قالوا: أربعون سنة ؟ قال : أبيتُ ، ثم ينزل الله من السماء ماء فيَنْبُتُون كما يَنْبُتُ البَقْل . وَليس من الإنسانِ شىء إلاّ يَبْلَى، إلا عظماً واحدًا ، وهو عَجْبُ الذنب ، ومنه يُرَكَّبُ الخلقُ يوم القيامة » .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ (٥٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : والبلدُ الطيبة تربته، العذبةُ مشاربه ، يخرج نباته إذا أنزل الله الغيث وأرسل عليه الحيا ، بإذنه، طيباً ثمرُه فى حينه ووقته. والذى خَبُثَ فردؤت تربته ، وملحت مشاربه ، لا يخرج نباته إلا نكداً =

* * *

= يقول : إلا عَسِرًا فى شدة ، كما قال الشاعر : (١)

لاَ تُنْجِزُ الوعْدَ ،إنْ وَعَدْتَ،وإن أَعْطَيْتَ تَافِهاً نَكِدَا (٢) ٨/١٥٠

يعنى بـ « التّافه » ، القليل، وبـ « النكد » العسر. يقال منه : « نكِد يَنْكَد نكَداً، ونكْداً = فهو نَكَدٌ ونَكِدٌ » ، والنُّكْد ، المصدر. ومن أمثالهم : « نكْداً وجحداً » ، و « نُكداً وجُحْدا » . و « الجحد »، الشدة والضيق. ويقال : « إذا شُفِه وسئل : (٣) قد نَكَدوه ينكَدُونه نَكْداً » ، كما قال الشاعر : (٤)

وَأَعْطِ مَا أَعْطَيْتَهُ طَيِّباً ، لاَ خَيْرَ فِى المَنْكُودِ والنَّاكِدِ (٥)

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأه بعض أهل المدينة : ﴿ إلاّ نَكَدًا ﴾ ، بفتح الكاف .

* * *

(١) لم أعرف قائله .

(٢) مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢١٧ ولسان العرب (تفه) .

(٣) « شفه الرجل » (بالبناء للمجهول) ، إذا كثر سؤال الناس إياه فأعطى حتى نفد ما عنده فأفنى ماله . « فهو مشفوه » ومثله « منكود ، ومشمود ، ومعروك ، ومعجوز ، ومصفوف ، ومكثور عليه » . ويقال : « ماء مشفوه » ، كثير الشاربة ، وكذلك الماء والطعام .

(٤) لم أعرف قائله .

(٥) اللسان (نكد) ، وقد ذكرت البيت آنفاً ١ : ٤٤٢ ، تعليق : ١ .

وقرأه بعض الكوفيين بسكون الكاف : ﴿ نَكْدًا ﴾.

* * *

وخالفهما بعد سائر القرأة فى الأمصار ، فقرأوه : ﴿ إلاّ نَكِدًا ﴾ ، بكسر الكاف.

* * *

كأن من قرأه : « نكَداً » بنصب الكاف أراد المصدر .

وكأنّ من قرأه بسكون الكاف أراد كسرها ، فسكنها على لغة من قال : « هذه فِخْذ وكِبْد » ، وكان الذى يجب عليه إذا أراد ذلك أن يكسر « النون » من « نكد » حتى يكون قد أصاب القياس .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ، قراءةُ من قرأهُ : ﴿ نَكِداً ﴾ ، بفتح « النون » وكسر « الكاف » ، لإجماع الحجة من قرأة الأمصار عليه .

* * *

وقوله : « كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون » ، يقول : كذلك : نُبين آية بعد آية ، وندلى بحجة بعد حجة ، ونضرب مثلاً بعد مثل ، [1] لقوم يشكرون الله على إنعامه عليهم بالهداية ، وتبصيره إياهم سبيل أهل الضلالة ، باتباعهم ما أمرَهم باتباعه ، وتجنُّبهم ما أمرهم بتجنبه من سبل الضلالة . وهذا مثل ضرَبه الله للمؤمن والكافر ، فالبلد الطيب الذى يخرج نباته بإذن ربه ، مثل للمؤمن = والذى خَبُث فلا يخرج نباته إلا نكداً ، مثلٌ للكافر .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٧٨٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « والبلد الطيب يخرج نباته

---

(١) انظر تفسير « التصريف » فيما سلف ٣ : ٢٧٥ ، ٢٧٦/١١ : ٣٥٦ ، ٤٣٣/١٢ : ٢٥ = وتفسير « الآية » فيما سلف من فهارس اللغة (أيى) .

بإذن ربه والذى خبث لا يخرج إلا نكداً » ، فهذا مثل ضربه الله للمؤمن . يقول : هو طيب ، وعمله طيب ، كما البلد الطيب ثمره طيب . ثم ضرب مثلَ الكافر كالبلدة السَّبِخة المالحة التى يخرج منها النَّزُّ ،(١) فالكافر هو الخبيث ، وعمله خبيث .

١٤٧٨٧ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « والبلد الطيب »، و«الذى خبث» قال : كل ذلك من الأرض السِّباخ وغيرها ، مثل آدم وذريته ، فيهم طيب وخبيث .

١٤٧٨٨ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد ، بنحوه .

١٤٧٨٩ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذى خبث لا يخرج إلا نكداً » ، قال : هذا مثل ضربه الله فى الكافر والمؤمن .

١٤٧٩٠ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنى أحمد = يعنى ابن المفضل = قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذى خبث » ، هى السبخة لا يخرج نباتها إلا نكداً = و«النكد»، الشىء القليل الذى لا ينفع. فكذلك القلوب لما نزل القرآن، فالقلب المؤمن لما دخله القرآن آمن به وثبت الإيمان فيه، والقلب الكافر لما دخله القرآن لم يتعلق منه بشىء ينفعه، ولم يثبت فيه من الإيمان شىء إلا ما لا ينفع ، كما لم يُخْرِج هذا البلد إلاّ ما لا ينفع من النبات .

---

(١) فى المطبوعة : « التى لا تخرج منها البركة » ، زاد « لا » ، وليست فى المخطوطة اتباعا لما فى الدر المنثور ٣ : ٩٣ . وفى المخطوطة مثلها إلا أنه كتب « البرله » غير منقوطة . وهو غير مفهوم إذا قرئ : « تخرج منها البركة » . وصفة الأرض « السبخة » أنها أرض ذات ملح ونز ، وهو الماء تتحلب عنه الأرض ، فيصير مناقع . ومن أجل ذلك صار راجحا عندى أن ما أثبته هو الصواب ، وأن ما فى المخطوطة من فعل الناسخ .

١٤٧٩١ - حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد ، عن مجاهد : « والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكداً » ، قال : الطيب ينفعه المطر فينبت ، « والذي خبث » السباخُ ، لا ينفعه المطر ، لا يخرج نباته إلا نكداً . قال : هذا مثل ضربه الله لآدم وذريته كلهم ، إنما خلقوا من نفس واحدة ، فمنهم من آمن بالله وكتابه ، فطابَ . ومنهم من كفر بالله وكتابه ، فخَبُث .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (٥٩)

قال أبو جعفر : أقسم ربنا جل ثناؤه للمخاطبين بهذه الآية : أنه أرسل نوحاً إلى قومه ، منذرَهم بأسَه ، ومخوِّفَهم سَخَطه ، على عبادتهم غيره ، فقال لمن كفر منهم : يا قوم ، اعبدوا الله الذي له العبادة ، وذِلُّوا له بالطاعة ، واخضعوا له بالاستكانة ، ودعوا عبادة ما سواه من الأنداد والآلهة ، فإنه ليس لكم معبودٌ يستوجب عليكم العبادةَ غيرُه ، فإني أخاف عليكم إن لم تفعلوا ذلك « عذابَ يوم عظيم » ، يعني : عذابَ يوم يعظم فيه بلاؤكم بمجيئه إياكم بسخَط ربِّكم . ١٥١/٨

* * *

وقد اختلفت القرأة في قراءة قوله : « غيره » .

فقرأ ذلك بعض أهل المدينة والكوفة : ﴿ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرِهِ ﴾ ، بخفض « غير » على النعت لـ « الإله » .

* * *

وقرأه جماعة من أهل المدينة والبصرة والكوفة : ﴿ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ ،

برفع « غير »، ردًّا لها على موضع « من »، لأن موضعها رفع، لو نزعت من الكلام لكان الكلام رفعاً، وقيل: «ما لكم إله غيرُ الله».[١] فالعرب [لما وصفت من أن المعلوم بالكلام][٢] أدخلت «من» فيه أو أخرجت، وأنها تدخلها أحياناً فى مثل هذا من الكلام، وتخرجها منه أحياناً، تردّ ما نعتت به الاسم الذى عملت فيه على لفظه، فإذا خفضت، فعلى كلام واحد، لأنها نعت لـ « الإله ». وأما إذا رفعت، فعلى كلامين: «ما لكم غيره من إله»، وهذا قول يستضعفه أهل العربية.

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (٦٠)

قال أبو جعفر: وهذا خبر من الله جل ثناؤه، عن جواب مشركى قوم نوح لنوح، وهم « الملأ » = و« الملأ »، الجماعة من الرجال، لا امرأة فيهم[٣] = أنهم قالوا له حين دعاهم إلى عبادة الله وحده لاشريك له: « إنا لنراك »، يا نوح = « فى ضلال مبين »،[٤] يعنون فى أمر زائل عن الحق، مبين زواله عن قصد الحقّ لمن تأمله.[٥]

* * *

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٨٢ ، ٣٨٣ .

(٢) هكذا جاءت العبارة فى المطبوعة والمخطوطة، وفى الكلام سقط لاشك فيه، لم أستطع أن أرده إلى أصله، ولذلك وضعت هذه العبارة بين القوسين. والظاهر أن السقط طويل، لأن أبا جعفر خالف هنا فى هذا السياق ما درج عليه من ذكر أولى القراءتين بالصواب عنده.

(٣) انظر تفسير « الملأ » فيما سلف ٥ : ٢٩١، وقد فسره هناك بما فسرته كتب اللغة، أنهم وجوه القوم ورؤساؤهم وأشرافهم. وأما التفسير الذى هنا، فلم يرد فيها، وهو شىء ينبغى أن يقيد. وهذا نص الفراء فى معانى القرآن ١ : ٣٨٣ .

(٤) انظر تفسير « الضلال » و « مبين » فيما سلف من فهارس اللغة (ضلل) و (بين).

(٥) فى المطبوعة : « عن قصد الحد »، وهو لا معنى له، وهى فى المخطوطة سيئة الكتابة، وهذا صواب قراءتها. وانظر تفسير الآية التالية.

القول فى تأويل ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٦١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال : نوح لقومه مجيباً لهم : يا قوم ، لم آمركم بما أمرتكم به من إخلاص التوحيد لله ، وإفراده بالطاعة دون الأنداد والآلهة ، زوالاً منى عن محجة الحق ، وضلالاً لسبيل الصواب ، وما بى ما تظنون من الضلال ، ولكنّى رسول إليكم من رب العالمين بما أمرتكم به : من إفراده بالطاعة ، والإقرار له بالوحدانية ، والبراءة من الأنداد والآلهة .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٦٢)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن نبيه نوح عليه السلام أنه قال لقومه الذين كفروا بالله وكذبوه : « ولكنى رسول من رب العالمين » ، أرسلنى إليكم ، فأنا أبلغكم رسالات ربى ، وأنصح لكم فى تحذيرى إياكم عقابَ الله على كفركم به ، وتكذيبكم إياى ، وردّكم نصيحتى = « وأعلم من الله ما لا تعلمون» ، من أن عقابه لا يردُّ عن القوم المجرمين .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٦٣)

قال أبو جعفر : وهذا أيضاً خبر من الله عز ذكره عن قِيل نوح لقومه أنه قال لهم، إذ ردُّوا عليه النصيحة فى الله، وأنكروا أن يكون الله بعثه نبيًّا، وقالوا له: ﴿ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَراً مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ ، [سورة هود : ٢٧] =: « أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم »، يقول: أو عجبتم أن جاءكم تذكير من الله وعِظة، يذكركم بما أنزل ربكم = « على رجل منكم »، قيل: معنى قوله: « على رجل منكم » ، مع رجل منكم [١] = « لينذركم » ، يقول : لينذركم بأس الله ويخوِّفكم عقابه على كفركم به [٢] = « ولتتقوا » ، يقول : وكى تتقوا عقابَ الله وبأسه ، بتوحيده وإخلاص الإيمان به ، والعمل بطاعته = « ولعلكم ترحمون » ، يقول : وليرحمكم ربكم إن اتقيتم الله ، وخفتموه وحذِرتم بأسه .

* * *

وفتحت « الواو » من قوله : « أو عجبتم » ، لأنها واو عطف ، دخلت عليها ألف استفهام .[٣]

* * *

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٨٣ .
(٢) انظر تفسير « الإنذار » فيما سلف من فهارس اللغة (نذر) .
(٣) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٨٣ .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴾ (٦٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فكذب نوحاً قومه إذ أخبرهم أنه لله رسولٌ إليهم ، يأمرهم بخلع الأنداد ، والإقرار بوحدانية الله ، والعمل بطاعته ، وخالفوا أمر ربهم ، ولجُّوا فى طغيانهم يعمهون ، فأنجاه الله فى الفلك والذين معه من المؤمنين به ، وكانوا بنوح عليه السلام أنفساً عشرة ،(١) فيما : —

١٤٧٩٢ — حدثنى به ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : نوح ، وبنوه الثلاثة سامٌ وحام ويافث ، وأزواجهم ، وستة أناسىّ ممن كان آمن به .

* * *

وكان حمل معه فى الفلك من كل زوجين اثنين ، كما قال تبارك وتعالى : ﴿ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [سورة هود : ٤٠].

* * *

و « الفلك » ، هو السفينة .

* * *

٨/ ١٥٢ « وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا » ، يقول: وأغرق الله الذين كذبوا بحججه ، ولم يتبعوا رسله ، ولم يقبلوا نصيحته إياهم فى الله بالطوفان .

= « إنهم كانوا قوماً عمين »، يقول : عمين عن الحق ، كما : —

١٤٧٩٣ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد فى قول الله : «عمين»، قال: عن الحق .

---

(١) فى المخطوطة ما أثبت ، ولكن ناشر المطبوعة اجتهد فكتب « وكانوا بنوح عليه السلام ثلاث عشرة » ، وهو تصرف معيب ، فإن خبر ابن إسحق هذا سيأتى فى تفسير « سورة هود » ١٢ : ٢٦ (بولاق) ، وفيه : « فكانوا عشرة نفر بنوح وبنيه وأزواجهم »، فنوح وبنوه أربعة، وستة أناسى ، فهذه عشرة . أما الأزواج فإنه لم يدخلهن فى العدة كما ترى ، وإنما عنى عدد الرجال دون النساء .

١٤٧٩٤ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « قوماً عمين » ، قال : العَمَى ، العامى عن الحق .(١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (٦٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولقد أرسلنا إلى عاد أخاهم هوداً = ولذلك نصب « هوداً » ، لأنه معطوف به على « نوح » عليهما السلام = قال هود : ياقوم ، اعبدوا الله فأفردوا له العبادة ، ولا تجعلوا معه إلهاً غيره ، فإنه ليس لكم إله غيره = « أفلا تتقون » ، ربكم فتحذرونه ، وتخافون عقابه بعبادتكم غيره ، وهو خالقكم ورازقكم دون كل ما سواه .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ (٦٦) قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٦٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : مخبراً عما أجاب هوداً به قومُه الذين كفروا بالله : «قال الملأ الذين كفروا » ، يعني : الذين جحدوا توحيد الله وأنكروا رسالة الله هوداً إليهم (٢) = «إنا لنراك» ، ياهود «في سفاهة» ، يعنون : في ضلالة عن الحق والصواب

---

(١) انظر تفسير « العمى » فيما سلف ١١ : ٣٧٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الملأ » فيما سلف قريباً ص : ٤٩٩ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

بتركك ديننا وعبادة آلهتنا[١] = « وإنا لنظنك من الكاذبين »، فى قيلك : « إنّى رسول من رب العالمين » = قال : « يا قوم ليس بى سفاهة » ، يقول : أى ضلالة عن الحق والصواب = « ولكنى رسول من رب العالمين » ، أرسلنى ، فأنا أبلغكم رسالات ربى ، وأؤدّيها إليكم كما أمرنى أن أؤدّيها .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ﴿٦٩﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « أبلغكم رسالات ربّى »، أؤدى ذلك إليكم، أيها القوم[٢] = « وأنا لكم ناصح »، يقول : وأنا لكم فى أمرى إياكم بعبادة الله دون ما سواه من الأنداد والآلهة، ودعائكم إلى تصديقى فيما جئتكم به من عند الله، ناصحٌ، فاقبلوا نصيحتى ، فإنى أمين على وحى الله ، وعلى ما ائتمننى الله عليه من الرسالة ، لا أكذب فيه ولا أزيد ولا أبدّل ، بل أبلغ ما أمرت كما أمرت = « أو عجبتم أن ما جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم »، يقول : أو عجبتم أن أنزل الله وحيه بتذكيركم وعظتكم على ما أنتم عليه مقيمون من الضلالة ، على رجل منكم لينذركم بأس الله ويخوّفكم عقابه[٣] = « واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم

---

(١) انظر تفسير « السفاهة » فيما سلف ص : ١٥٣ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « البلاغ » فيما سلف ١٠ : ٥٧٥ / ١١ : ٩
(٣) انظر تفسير نظيرة هذه الآية فيما سلف قريبا : ص ٥٠١

نوح » ، يقول : فاتقوا الله فى أنفسكم ، واذكروا ما حلّ بقوم نوح من العذاب إذ عصوا رسولهم ، وكفروا بربهم ، فإنكم إنما جعلكم ربكم خلفاء فى الأرض منهم ، لمّا أهلكهم أبدلكم منهم فيها ،[1] فاتقوا الله أن يحلّ بكم نظير ما حل بهم من العقوبة ، فيهلككم ويبدل منكم غيركم ، سنّته فى قوم نوح قبلكم ، على معصيتكم إياه وكفركم به =« وزادكم فى الخلق بسطة » ، زاد فى أجسامكم طولاً وعِظَماً على أجسام قوم نوح ،[2] وفى قواكم على قواهم ،[3] نعمة منه بذلك عليكم ، فاذكروا نعمه وفضله الذى فضلكم به عليهم فى أجسامكم وقُوَاكم ،[4] واشكروا الله على ذلك بإخلاص العبادة له ، وترك الإشراك به ، وهجر الأوثان والأنداد = « لعلكم تفلحون » ، يقول : كى تفلحوا فتدركوا الخلود والبقاء فى النعيم فى الآخرة ، وتنجحوا فى طلباتكم عنده .[5]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله : « واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح » ، قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٧٩٥ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح » ، يقول : ذهب بقوم نوح ، واستخلفكم من بعدهم .

١٤٧٩٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح » ، أى : ساكنى الأرض بعد قوم نوح .

* * *

---

(١) انظر تفسير « خليفة » فيما سلف ١ : ٤٤٩/ ١٢ : ٢٨٨

(٢) انظر تفسير « البسطة » فيما سلف ٥ : ٣١٣ .

(٣) فى المطبوعة : « وفى قوامكم على قوامهم » ، وهو خطأ ، صوابه ما فى المخطوطة .

(٤) فى المطبوعة أيضا : « وقوامكم » ، صوابه من المخطوطة .

(٥) انظر تفسير « الفلاح » فيما سلف ص : ٣١٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

وبنحو الذى قلنا أيضاً قالوا فى تأويل قوله : « بسطة » .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٧٩٧ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وزادكم فى الخلق بسطة » ، قال : ما لقوّةِ قوم عاد.(١) ١٥٣/٨

* * *

وأما « الآلاء » ، فإنها جمع ، واحدها « إلَى » بكسر « الألف » فى تقدير « مِعًى » ، ويقال : « ألَى » فى تقدير : « قَفَا » بفتح « الألف » . وقد حكى سماعاً من العرب : « إلْى » مثل « حِسْى » . و« الآلاء » ، النعم .

* * *

وكذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٧٩٨ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فاذكروا آلاء الله » ، أى : نعم الله .

١٤٧٩٩ – حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أما « آلاء الله » ، فنعم الله .

١٤٨٠٠ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « فاذكروا آلاء الله » ، قال : آلاؤه ، نعمه .

* * *

قال أبو جعفر : و« عاد » ، هؤلاء القوم الذين وصف الله صفتهم ، وبعث إليهم هوداً يدعوهم إلى توحيد الله ، واتّباع ما أتاهم به من عنده ، هم ، فيما : –

١٤٨٠١ – حدثنا به ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : ولد عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « ما لقوام قوم عاد » ، والصواب ما فى المخطوطة .

وكانت مساكنهم الشِّحْر ، من أرض اليمن وما وَالى بلاد حضرموت إلى عُمَان ، كما :

١٤٨٠٢ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : أن عادًا قوم كانوا باليمن ، بالأحقاف .

١٤٨٠٣ – حدثنا ابن حميد قال،حدثنا سلمة قال ، حدثنا ابن إسحق ، عن محمد بن عبد الله بن أبي سعيد الخزاعى ، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة ، قال : سمعت على بن أبي طالب عليه السلام يقول لرجل من حضرموت : هل رأيت كثيباً أحمر تخالطه مَدَرَةٌ حمراء ، [1]ذا أرَاك وسِدْر كثير بناحية كذا وكذا من أرض حضرموت، [2]هل رأيته ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ! والله إنك لتنعته نعتَ رجل قد رآه ! قال : لا ، ولكنى قد حُدِّثت عنه . فقال الحضرمى : وما شأنه يا أمير المؤمنين ؟ قال : فيه قبرُ هود صلوات الله عليه .[3]

١٤٨٠٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال كانت منازل عاد وجماعتهم ، حين بعث الله فيهم هوداً ، الأحقاف . قال : و«الأحقاف»، الرملُ ، فيما بين عُمان إلى حضر موت ،فاليمن كله .[4] وكانوا مع ذلك قد فشوا فى الأرض كلِّها ، وقهروا أهلها بفضل قوّتهم التى آتاهم الله. وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله : صنم يقال له « صُداء » ، وصنم يقال له « صَمُود » ، وصنم

---

(١) « المدرة » ، الطين العلك الذى لا رمل فيه .

(٢) « الأراك » و « السدر » نبتان .

(٣) الأثر : ١٤٨٠٣ – « محمد بن عبد الله بن أبي سعيد الخزاعى » ، ترجم له البخارى فى الكبير ١/١/١٣٥ ، وساق الخبر ، بنحوه ، مطولا ، ولم يذكر فيه جرحاً . وابن أبي حاتم ٣/٢/٢٩٧ .

« أبو الطفيل » ، « عامر بن واثلة الكنانى » ، رأى النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو شاب ، ثبتت رؤيته رسول الله ، ولم يثبت سماعه منه . قالوا : كان آخر من مات من الصحابة سنة مئة ، أو ما بعدها .

(٤) فى المطبوعة : « باليمن » ، وأسقط « كله » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

يقال له « الهباء » . فبعث الله إليهم هوداً ، وهو من أوسطهم نسباً ، وأفضلهم موضعاً ، فأمرهم أن يوحّدوا الله ولا يجعلوا معه إلهاً غيره ، وأن يكفّوا عن ظلم الناس . لم يأمرهم فيما يذكر ، والله أعلم ، بغير ذلك . فأبوا عليه وكذبوه . وقالوا : « من أشدّ منا قوّة ! » . واتبعه منهم ناسٌ ، وهم يسيرٌ مكتتمون بإيمانهم.(١) وكان ممن آمن به وصدّقه رجلٌ من عاد يقال له : « مرثد بن سعد بن عفير » ، وكان يكتم إيمانه . فلما عتوا على الله تبارك وتعالى وكذبوا نبيهم ، وأكثروا فى الأرض الفساد ، وتجبّروا وبنوا بكل ريع آية عبثاً بغير نفع ، كلمهم هود فقال : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [سورة الشعراء : ١٢٨ - ١٣١] ، ﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ﴾ ، أى : ما هذا الذى جئتنا به إلا جنون أصابك به بعض آلهتنا هذه التى تعيب = ﴿ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة هود : ٥٣ - ٥٦] . فلما فعلوا ذلك أمسك الله عنهم المطر من السّماء ثلاث سنين ، فيما يزعمون ، حتى جهدهم ذلك . وكان الناس فى ذلك الزمان إذا نزل بهم بلاء أو جَهْد ، فطلبوا إلى الله الفرج منه ، كانت طَلِبتهم إلى الله عند بيته الحرام بمكة ، مسلمهم ومشركهم ، فيجتمع بمكة ناس كثيرٌ شتى مختلفةٌ أديانُهم ، وكلهم معظّم لمكة ، يعرف حُرْمتها ومكانَها من الله .

= قال ابن إسحق : وكان البيت فى ذلك الزمان معروفاً مكانه ،(٢) والحرم قائم فيما يذكرون ، وأهل مكة يومئذ العماليق = وإنما سموا « العماليق » ، لأن

---

(١) فى المطبوعة : « يكتمون إيمانهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المخطوطة : « وكان البيت فى زمان معروفاً مكانه » ، غير مستقيم ، والذى فى المطبوعة أقوم على السياق .

أباهم : «عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح» = وكان سيد العماليق إذ ذاك بمكة، فيما يزعمون رجلاً، يقال له معاوية بن بكر، وكان أبوه حيًّا فى ذلك الزمان، ولكنه كان قد كبر، وكان ابنه يرأس قومه. وكان السؤدد والشرف من العماليق، فيما يزعمون، فى أهل ذلك البيت. وكانت أم معاوية بن بكر، كلهدة ابنة الخيبرى، رجلٍ من عادٍ، فلما قَحَطَ المطر عن عاد وجُهِدوا، (١) قالوا: جهزوا منكم وفداً إلى مكة ١٥٤/٨ فليستسقوا لكم، فإنكم قد هلكتم! فبعثوا قيل بن عنز، (٢) ولقيم بن هزّال بن هزيل، (٣) وعتيل بن صُدّ بن عاد الأكبر، (٤) ومرثد بن سعد بن عفير، وكان مسلماً يكتم إسلامه، وجُلْهُمَة بن الخيبرى، خال معاوية بن بكر أخو أمه. ثم بعثوا لقمان ابن عاد بن فلان بن فلان بن صُدّ بن عاد الأكبر. فانطلق كل رجل من هؤلاء القوم معه رهط من قومه، حتى بلغ عدّة وفدهم سبعين رجلاً. فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر، وهو بظاهر مكة خارجاً من الحرم، فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وصِهْرَه. (٥)

= فلما نزل وفد عاد على معاوية بن بكر، أقاموا عنده شهرًا يشربون الخمر، وتغنّيهم الجرادتان = قينتان لمعاوية بن بكر. وكان مسيرهم شهرًا، ومقامهم شهرًا. فلما رأى معاوية بن بكر طُول مقامهم، وقد بعثهم قومُهم يتعوّذون بهم من البلاء الذى أصابهم، (٦) شقّ ذلك عليه، فقال: هلك أخوالى وأصهارى! وهؤلاء مقيمون

(١) «قحط المطر» (بفتحتين) و«قحط» (بالبناء للمجهول): احتبس. و«القحطة» احتباس المطر، ولما كان احتباس المطر معقباً للجدب، سمو الجدب قحطاً.

(٢) فى المطبوعة «بن عنز»، وفى المخطوطة: «عتر»، وفى التاريخ «عثر» وسيأتى بعد فى التاريخ «عنز».

(٣) فى المطبوعة: «من هذيل»، وأثبت ما فى المخطوطة، وهو مطابق لما فى تاريخ الطبرى.

(٤) فى المطبوعة: «وعقيل بن صد»، وأثبت ما فى المخطوطة، مطابقاً لما فى التاريخ، وإن الذى فى التاريخ هكذا: «ولقيم بن هزال بن هزيل بن عتيل بن ضد...» و«ضد» بالضاد فى التاريخ، وأظن الصاد أصح.

(٥) فى المطبوعة: «وأصهاره»، وأثبت ما فى المخطوطة، وهو مطابق لما فى التاريخ.

(٦) «يتغوثون» فى المطبوعة والتاريخ، وفى المخطوطة: «يتعوذون»، غير منقوطة، وهى صحيحة، فأثبتها.

عندى ، وهم ضيفى نازلون علىّ ! والله ما أدرى كيف أصنع بهم ؟ أستحى أن آمرهم بالخروج إلى ما بعثوا له ،(١) فيظنوا أنه ضيق منى بمقامهم عندى ، وقد هلك مَنْ وراءهم من قومهم جَهْداً وعطشاً !! أو كما قال . فشكَا ذلك من أمرهم إلى قينتيه الجرادتين ، فقالتا : قل شعراً نُغنّيهم به ، لا يدرون من قاله ، لعل ذلك أن يحرّكهم ! فقال معاوية بن بكر ، حين أشارتا عليه بذلك :

أَلاَ يَا قَيْلَ ، وَيْحَكَ ! قُمْ فَهَيْنِمْ ... لَعَلَّ اللهَ يُصْبِحُنَا غَمَامَا(٢)
فَيَسْقِي أَرْضَ عَادٍ ، إِنَّ عَادًا ... قَدَ أَمْسَوْا لاَ يُبِينُونَ الكَلاَمَا
مِنَ العَطَشِ الشَّدِيدِ ، فَلَيْسَ نَرْجُو ... بِهِ الشَّيْخَ الكَبِيرَ وَلاَ الغُلاَمَا
وَقَدْ كَانَتْ نِسَاؤُهُمْ بِخَيْرٍ ... فَقَدْ أَمْسَتْ نِسَاؤُهُمُ عَيَامَى(٣)
وَإِنَّ الْوَحْشَ تَأْتِيهِمْ جِهَارًا ... وَلاَ تَخْشَى لِعَادِيٍّ سِهَامَا
وَأَنْتُمْ هَهُنَا فِيمَا اشْتَهَيْتُمْ ... نَهَارَكُمْ وَلَيْلَكُمُ التَّمَامَا
فَقُبِّحَ وَفْدُكُمْ مِنْ وَفْدِ قَوْمٍ ... وَلاَ لُقُّوا التَّحِيَّةَ وَالسَّلاَمَا

فلما قال معاوية ذلك الشعر ، غنتهم به الجرادتان . فلما سمع القوم ما غنّتا به ، قال بعضهم لبعض : يا قوم ، إنما بعثكم قومُكم يتعوّذون بكم من هذا البلاء الذى نزل بهم ،(٤) وقد أبطأتم عليهم ! فادخلوا هذا الحرمَ واستسقوا لقومكم !

---

(١) فى المطبوعة : « إن أمرتهم بالخروج » وفى المخطوطة : « أن آمرهم بالخروج » ، فصح أنه قد سقط من الكلام ما أثبته من التاريخ .

(٢) الأبيات فى التاريخ ، وفى البداية والنهاية ١ : ١٢٦ . وفى التاريخ « يسقينا الغماما » ، وكذلك كانت فى المطبوعة ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وفى البداية والنهاية : « يمنحنا » .

(٣) فى المخطوطة : « نساؤهم عراما » ، والصواب ما فى التاريخ والمطبوعة ، « أعام القوم » هلكت إبلهم فلم يجدوا لبناً . و « العيمة » شدة شهوة اللبن . و « عام القوم » قل لبنهم من القحط . «رجل عيمان ، وامرأة عيمى» ، والجمع « عيام » و « عيامى » . وفى البداية والنهاية « نساؤهم أيامى » ، جمع « أيم » ، التى هلك زوجها .

(٤) فى المخطوطة : « سعودون » غير منقوطة ، وفى التاريخ والمطبوعة : « يتغوثون » ، وانظر التعليق السالف ص : ٥٠٩ ، رقم : ٦

فقال لهم مرثد بن سعد بن عفير : إنكم والله لا تُسْقَوْن بدعائكم ، ولكن إن أطعتم نبيَّكم ، وأنبتم إليه ، سُقِيتم ! فأظهر إسلامه عند ذلك ، فقال لهم جُلْهُمة بن الخيبريّ ، خال معاوية بن بكر ، حين سمع قوله ، وعرف أنه قد اتّبع دين هودٍ وآمن به :

أَبَا سَعْدٍ فَإِنَّكَ مِنْ قَبِيلٍ ذَوِي كَرَمٍ وَأُمُّكَ مِنْ ثَمُودِ (١)
فَإِنَّا لَنْ نُطِيعَكَ مَابَقِينَا وَلَسْنَا فَاعِلِينَ لِمَا تُرِيدُ (٢)
أَتَأْمُرُنَا لِنَتْرُكَ دِينَ رِفْدٍ وَرَمْلَ وَآلَ صُدَّ والعُبُودِ (٣)
وَنَتْرُكَ دِينَ آباءٍ كِرَامٍ ذَوِي رَأْيٍ وَنَتْبَعَ دِينَ هُودِ

ثم قالوا لمعاوية بن بكر وأبيه بكرٍ : احبِسَا عَنَّا مرثد بن سعد، فلا يقدمنَّ معنا مكة، فإنه قد اتبع دين هود ، وترك ديننَا ! ثم خرجوا إلى مكة يستسقون بها لعاد . فلما ولَّوا إلى مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية بن بكر حتى أدركهم بها ، قبل أن يدعوا الله بشيء مما خرجوا له . (٤) فلما انتهى إليهم ، قام يدعو الله بمكة ، وبها وفد عاد قد اجتمعوا يدعُون ، يقول : « اللهم أعطني سؤلي وحدي ولا تدخلني في شيء مما يدعوك به وفدُ عادٍ » ! وكان قيل بن عنز رأس وفد عاد . وقال وفد عاد : « اللهمّ أعطِ قَيْلاً ما سألك ، واجعل سؤلَنا مع سُؤله»! وكان قد

---

(١) الأبيات في تاريخ الطبري ١ : ١١٢ .

(٢) في المطبوعة : « لا نطيعك » ، وأثبت ما في المخطوطة ، مطابقاً لما في التاريخ .

(٣) في المخطوطة : « أتأمرنا بالسرك » ، غير منقوطة ، وفوقها حرف (ط) دلالة على الشك والخطأ ، والصواب ما في المطبوعة ، مطابقاً لما في التاريخ . وفي المطبوعة : « دين وفد ، ورمل والصداء مع الصمود »، غير ما في المخطوطة تغييراً تاماً . والذي أثبته من المخطوطة ، مطابق لما في التاريخ .

قال أبو جعفر في هذا الخبر ، بعد هذه الأبيات في تاريخه : « ورفد ، ورمل ، وضد ، قبائل من عاد ، والعبود منهم » .

(٤) في المطبوعة : « فقال : لا أدعو الله بشيء مما خرجوا له » ، زاد من عنده ما لا يحل له . وفي المخطوطة : « فقال أن يدعو الله بشيء مما خرجوا له » ، والصواب من تاريخ الطبري .

تخلّف عن وفد عاد حين دعا ، لقمانُ بن عاد ، وكان سيّد عادٍ . حتى إذا فرغوا من دعوتهم قام فقال : « اللهم إنى جئتك وحدى فى حاجتى ، فأعطنى سؤلى » ! وقال قيل بن عنز حين دعا : « يا إلهنا ، إن كان هود صادقاً فاسقِنا ، فإنّا قد هلكنا »! فأنشأ الله لهم سحائب ثلاثاً : بيضاء ، وحمراء ، وسوداء . ثم ناداه منادٍ من السحاب : « يا قيل ، اختر لنفسك ولقومك من هذه السحائب » . فقال : « اخترت السحابة السوداء ، فإنها أكثر السحاب ماءً » ! فناداه منادٍ : « اخترت رَمَاداً ، رِمْدِداً ، (١) لا تُبقى مِن آل عاد أحداً ، (٢) لا والداً تترك ولا ولداً ، إلا جعلته هَمِداً ، (٣) إلاّ بنى اللُّوذِيّة المُهَدَّى » = و « بنو اللوذية » ، بنو لقيم بن هزّال بن هزيلة بن بكر ، (٤) وكانوا سكاناً بمكة مع أخوالهم ، ولم يكونوا مع عاد بأرضهم ، فهم عادٌ الآخِرة ، ومن كان من نسلهم الذين بقُوا من عاد .

١٥٥/٨

= وساق الله السحابة السوداء ، فيما يذكرون ، التى اختارها قَيْل بن عنز بما فيها من النقمة إلى عاد ، حتى خرجت عليهم من وادٍ يقال له : « المغيث » . فلما رأوها استبشروا بها ، وقالوا : ﴿ هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا ﴾ ، يقول الله : ﴿ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾ [سورة الأحقاف : ٢٤ ، ٢٥] ، أى : كلّ شىء أُمِرَتْ به . وكان أوّل من أبصر ما فيها وعرف أنها رِيح ، فيما يذكرون ، امرأة من عاد يقال لها « مَهْدَد » . ، فلما تيقنت ما فيها صاحت ، (٥) ثم صَعِقت . فلما أن أفاقت قالوا : ماذا رأيت يا مهدد ؟ قالت : رأيتُ ريحاً فيها كشُهُب النار ، أمامها رجالٌ يقودُونها ! فسخّرها الله عليهم سبع

---

(١) « رماد رمدد » ، متناه فى الاحتراق والدقة . يقال : « رماد أرمد » و « رمدد » بكسر الراء وسكون الميم وكسر الدال و « رمدد » (بكسر الراء ، وسكون الميم ، وفتح الدال) .

(٢) فى المطبوعة : « لا تبق » ، وأثبت ما فى المخطوطة والتاريخ .

(٣) « هامد ، وهمد ، وهميد » ، ميت هالك . « همد ، همودا » ، مات وهلك .

(٤) فى التاريخ : « . . . هزال بن هزيل بن هزيلة بن بكر » ، وكأنه الصواب .

(٥) فى التاريخ « فلما تبينت » ، وكأنها أرجح .

ليال وثمانية أيام حسوماً، كما قال الله[١] =و« الحسوم »، الدائمة = فلم تدع من عاد أحداً إلا هلك . فاعتزل هُود ، فيما ذكر لى ، ومن معه من المؤمنين فى حظيرة ، ما يصيبه ومن معه من الريح إلا ما تلين عليه الجلود، وتَلتذُّ الأنفس ،[٢] وإنها لتمرُّ على عاد بالطَّعن بين السماء والأرض ، وتدمغهم بالحجارة . وخرج وفد عاد من مكّة حتى مرُّوا بمعاوية بن بكر وأبيه ،[٣] فنزلوا عليه . فبينما هم عنده ، إذ أقبل رجل على ناقة له فى ليلة مقمِرة مُسْىَ ثالثةٍ من مُصاب عادٍ ،[٤] فأخبرهم الخبر ، فقالوا له : أين فارقت هوداً وأصحابه ؟ قال : فارقتهم بساحل البحر . فكأنهم شكُّوا فيما حدّثهم به، فقالت هزيلة بنت بكر :[٥] صدَق وربِّ الكعبة![٦]

١٤٨٠٥ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا أبو بكر بن عياش قال، حدثنا عاصم ، عن الحارث بن حسّان البكرى قال : قدمتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمررت بامرأة بالرَّبَذَة ،[٧] فقالت : هل أنت حاملى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : نعم! فحملتها حتى قدِمت المدينة ، فدخلتُ المسجد، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر ، وإذا بلالٌ متقلِّدَ السيف ، وإذا رايات سُودٌ . قال قلت : ما هذا ؟ قالوا : عمرو بن العاص قدم من غزوته . فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من على منبره ، أتيته فأستأذنتُ ، فأذن لى ، فقلت : يا رسول الله ، إن بالباب امرأة من بنى تميم، وقد سألتنى أن أحملها إليك.

---

(١) سورة الحاقة : ٧ .

(٢) فى المطبوعة : « وتلتذ به » ، زاد ما ليس فى المخطوطة ولا التاريخ .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « وابنه » ، والصواب من التاريخ ، ومن أول الخبر .

(٤) « المسى » (بضم فسكون) ، المساء ، كالصبح والصباح . وفى المطبوعة والتاريخ : « مساء ثالثة » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٥) فى المطبوعة : « هذيلة » ، والصواب من المخطوطة والتاريخ .

(٦) الأثر : ١٤٨٠٤ — هذا الخبر رواه الطبرى فى تاريخه ، مختصراً فى أوله ، مطولا بعد هذا فى آخره ١ : ١١١ — ١١٣ .

(٧) فى المطبوعة : « على امرأة » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

قال : يا بلال ، ائذن لها . قال : فدخلتْ ، فلما جلست قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل بينكم وبين تميم شىء ؟ قلت : نعم! وكانت الدَّبَرَة عليهم [١] = فإن رأيت أن تجعل الدَّهنا بيننا وبينهم حاجزاً فعلت! قال : تقول المرأة: فأين تضطرُّ مُضَرَك ، يارسول الله؟ [٢] قال قلت : مَثَلى مَثَلُ مِعزى حملت حَتْفاً! [٣] قال قلت : وحملتُك تكونين علىَّ خَصْماً ! أعوذ بالله أن أكون كوافدِ عاد! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما وافدُ عادٍ ؟ قال قلت : على الخبير سقطتَ ! إنّ عاداً قَحَطت فبعثت من يستسقى لها، فبعثُوا رجالاً ، فمرُّوا على بكر بن معاوية، فسقاهم الخمر وتغنَّتهم الجرادتان شهراً ، ثم بعث من عنده رجلاً حتى أتى جبالَ مَهْرة، [٤] فدعَوْا ، فجاءت سحابات. قال : وكلما جاءت سحابة قال : اذهبى إلى كذا ! حتى جاءت سحابة ، فنودى منها [٥] : « خذها رَماداً رِمدداً ، لا

---

(١) فى المطبوعة : « وكانت لنا الدائرة عليهم » ، غير وزاد على ما فى المخطوطة ، وهو عبث بالنص ، والصواب من المخطوطة . « الدبرة » (بفتح الدال ، وسكون الباء أو فتحها) : الهزيمة لهم ، والدولة والظفر للآخرين .

(٢) فى المطبوعة : « فإلى أين يضطر مضطرك يا رسول الله » ، تصرف تصرفاً معيباً مشيناً وأساء غاية الإساءة . والصواب ما فى المخطوطة . « مضر » هو جذم العرب وهو « مضر بن نزار بن معد بن عدنان » ، ومنه تفرعت ، قريش وبنو تميم ، ولذلك قالت المرأة من تميم لرسول الله « مضرك » ، لأنه جده وجدها .

(٣) فى المطبوعة : « مثلى مثل ما قال الأول: معزى حملت حتفها » ، زاد هذا من غير هذه الرواية، وهى إساءة شديدة، وجعل : « حتفاً » ، « حتفها » ، فأثبت ما طابق روايته فى التاريخ وقوله : « معزى حملت حتفاً » ، أى حملت منيتها ، مثل لمن يحمل ما فيه هلاكه . وهو غير موجود فى كتب الأمثال .

(٤) « مهرة » (بفتح فسكون) ، حى عظيم ، وهو أبو قبيلة : « مهرة بن حيدان بن عمرو ابن الحاف بن قضاعة » ، وبلاد مهرة ، فى ناحية الشحر من اليمن ، ببلاد العنبر على ساحل البحر .

وكان فى المطبوعة والمخطوطة : «ثم فصلوا من عنده حتى أتوا جبال مهرة»، وهذه جملة يختل بها سياق الخبر اختلالا شديداً ، وتختلف الضمائر ، ولا يصبح للخبر رباط يمسكه ، وكأنه عبث من الناسخ ، فإن أبا جعفر روى هذا الخبر فى التاريخ بإسناده ولفظه ، فأثبت منه نص الخبر ، إذ هو الذى يستقيم به الكلام .

(٥) فى المطبوعة حذف « منها » ، لغير علة ظاهرة .

تدعُ من عادٍ أحداً » . قال : فسمعه وكتمهم حتى جاءهم العذاب [١] = قال أبو كريب : قال أبو بكر بعد ذلك فى حديث عادٍ ، قال : فأقبل الذى أتاهم ، فأتى جبال مهرة ، [٢] فصعد فقال : اللهم إنّى لم أجئك لأسير فأفاديه ، ولا لمريض فأشفيه ، فأسْقِ عاداً ما كنت مُسْقِيه ! قال : فرفعت له سحاباتٌ ، قال : فنودى منها : اختَرْ ! قال : فجعل يقول : اذهبى إلى بنى فلان ، اذهبى إلى بنى فلان . قال : فمرَّت آخرَها سحابةٌ سوداء ، فقال : اذهبى إلى عاد ! فنودى منها : « خُذْها رماداً رِمْدداً ، لا تدع من عاد أحداً » . قال : وكتمهم ، [٣] والقوم عند بكر بن معاوية ، يشربون . قال : وكره بكر بن معاوية أن يقولَ لهم ، من أجل أنهم عنده ، وأنهم فى طعامه . قال : فأخذَ فى الغناء وذكَّرهم . [٤] ١٥٦/٨

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « فسمعهم وكلمهم » ، والصواب من التاريخ .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « الذين أتاهم » ، والصواب من التاريخ .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « وكلمهم » ، والصواب من التاريخ .

(٤) الأثر : ١٤٨٠٥ — « أبو بكر بن عياش » ، ثقة ، كان من العباد الحفاظ المتقنين ، إلا أنه لما كبر ساء حفظه ، فكان يهم إذا روى . والخطأ والوهم شيئان لا ينفك عنهما البشر ، فمن كان لا يكثر ذلك منه ، فلا يستحق ترك حديثه ، بعد تقدم عدالته — هكذا قال ابن حبان ، وصدق . مضى برقم : ٢١٥٠ ، ٣٠٠٠ ، ٥٧٢٥ ، ٨٠٩٨ .

و « عاصم » ، هو « عاصم بن بهدلة » ، « عاصم بن أبى النجود » ، ثقة جليل مشهور ، مضى مراراً كثيرة .

وأما « الحارث بن حسان البكرى » ، فيقال فيه : « الحارث بن يزيد البكرى » ، ويقال اسمه : « حريث » ، وصحح ابن عبد البر أنه اسمه « الحارث بن حسان » ، فقال : « والأكثر يقولون الحارث بن حسان البكرى ، وهو الصحيح إن شاء الله » ، ولكن العجيب أن الحافظ ابن حجر قال فى التهذيب : « وصحح ابن عبد البر أن اسمه حريث » ، فوهم وهماً شديداً ، والذى نقلته نص ابن عبد البر فى الاستيعاب ! ! فليصحح ما فى التهذيب .

و « الحارث بن حسان البكرى » ، مترجم فى ابن سعد ٦ : ٢٢ ، والكبير للبخارى ١/٢/٢٥٩ ، والاستيعاب : ١٠٩ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٧١ ، وأسد الغابة ١ : ٣٢٣ ، والإصابة فى ترجمته ، والتهذيب . روى عنه أبو وائل ، وسماك بن حرب .

وسيأتى خبر « الحارث البكرى » ، بإسناد آخر : « عن عاصم ، عن أبى وائل ، عن الحارث ابن يزيد البكرى » .

وأما هذا الإسناد « عاصم ، عن الحارث بن حسان البكرى » ، ليس بينهما « أبو وائل » ، فقد قال ابن الأثير فى أسد الغابة فى ترجمة « الحارث » : « ورواه أحمد بن حنبل أيضاً ، وسعيد الأموى ، ويحيى الحمانى ، وعبد الحميد بن صالح ، وأبو بكر بن شيبة ، كلهم : عن أبى بكر

١٤٨٠٦ - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا زيد بن الحباب قال ، حدثنا سلام أبو المنذر النحوى قال ، حدثنا عاصم ، عن أبى وائل ، عن الحارث بن يزيد البكرى قال : خرجت لأشكوَ العلاء بن الحضرمىّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فررت بالربَذَة ، فإذا عجوزٌ منقَطعٌ بها ،[1]من بنى تميم، فقالت : يا عبد الله ، إنّ لى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجةً ، فهل أنت مبلغى إليه ؟ قال : فحملتها ، فقدمت المدينة . قال : فإذا رايات ،[2] قلت : ما شأن الناس ؟ قالوا : يريد أن يبعث بعمرو بن العاص وجهاً . [3] قال : فجلست حتى فرغ. قال : فدخل منزله = أو قال : رَحْله = فاستأذنت عليه ، فأذن لى ، فدخلت فقعدت ، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل كان بينكم وبين

ابن عياش ، عن عاصم ، عن الحارث ، ولم يذكر أبا وائل » . قال الحافظ ابن حجر فى التهذيب فى ترجمة « الحارث » : « وروى عنه عاصم بن بهدلة » ، والصحيح : عنه ، عن أبى وائل ، عن الحارث » .

وقال ابن عبد البر فى الاستيعاب : « واختلف فى حديثه : منهم من يجعله عن عاصم ابن بهدلة ، عن الحارث بن حسان ، لا يذكر فيه أبا وائل ، والصحيح فيه : عن عاصم ، عن أبى وائل ، عن الحارث بن حسان » . وكذا قال غيرهما .

وهذا الخبر بهذا الإسناد ، رواه أبو جعفر مرة أخرى فى تاريخه ١ : ١١٠ ، وروى صدره أحمد فى مسنده ٣ : ٤٨١ ، « عن أبى بكر بن عياش قال ، حدثنا عاصم بن أبى الفزر (؟؟) ، عن الحارث بن حسان البكرى » ، مختصراً ، وهو صدر الخبر . وأما ما جاء فى مطبوعة المسند « عاصم بن أبى الفزر » ، فأرجح أنه تحريف « عاصم بن أبى النجود » ، فالحديث حديثه ، ولم أعلم أنه يقال له : « عاصم بن أبى الفزر » .

ورواه من هذه الطريق نفسها مختصراً ، ابن ماجة فى سننه ص : ٩٤١ ، رقم : ٢٨١٦ ، بنحو لفظ أحمد .

وسيأتى تخريج خبر « الحارث » هذا ، فى الأثر التالى .

(١) « منقطع بها » (بضم الميم ، وفتح القاف والطاء) . يقال : « قطع بالرجل ، فهو مقطوع به » ، و « انقطع به ، فهو منقطع به » (كله بالبناء للمجهول) : إذا كان مسافراً ، فعطبت راحلته ، وذهب زاده وماله ، أو أتاه أمر لا يقدر معه على أن يتحرك .

(٢) عند هذا الموضع قال أبو جعفر ، فى روايته فى التاريخ : « قال أبو جعفر : أظنه قال : فإذا رايات سود » .

(٣) فى المطبوعة : « عمرو بن العاص » ، حذف الباء ، وهى ثابتة فى المخطوطة ، وفى رواية الخبر فى التاريخ .

تميم شيء ؟ قلت : نعم ! وكانت الدَّبَرة عليهم ، (١) وقد مررت بالربذة ، فإذا عجوز منهم مُنقطَعٌ بها ، فسألتني أن أحملها إليك، وها هي بالباب . فأذن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخلت ، فقلت : يا رسول الله ، اجعل بيننا وبين تميم الدَّهنا حاجزاً ، فحميت العجوزُ واستوفزت ، (٢) وقالت : فأين تضطرُّ مُضَرَكَ يا رسول الله ؟ (٣) قال ، قلت : أنا كما قال الأول : «معزى حملت حَتْفاً» ! (٤) حملت هذه ولا أشعر أنها كانت لي خصماً ! أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد ! قال : وما وافدُ عادٍ ؟ قلت (٥) : على الخبير سقطتَ ! قال : وهو يستطعمني الحديثَ. (٦) قلت : إن عاداً قُحِطوا فبعثوا «قَيْلاً» وافداً ، فنزل على بكرٍ ، فسقاه الخمرَ شهراً وتغنّيه جاريتان يقال لهما «الجرادتان» ، (٧) فخرج إلى جبال مهرة ، فنادى : « إني لم أجيء لمريض فأداويه ، ولا لأسير فأفاديه ، اللهم فأسقِ عاداً

---

(١) في المطبوعة : « وكانت لنا الدائرة عليهم » ، وفي المخطوطة : « وكانت الدابرة عليهم » ، غير منقوطة ، وأثبت رواية أبي جعفر في التاريخ ، ورواية أحمد في مسنده . وانظر التعليق السالف ص : ٥١٤ ، تعليق : ١ .

(٢) « حميت» : غضبت ،وأخذتها الحمية والأنفة والغيظ . و « استوفز الرجل في قعدته » ، إذا قعد قعوداً منتصباً غير مطمئن ، ولم يستو قائماً ، كالمتهيء للوثوب ، وذلك عند الشر والخصام والجدال والمماحكة .

(٣) في المطبوعة : « فإلى أين يضطر مضطرك » ، وهو تغير لما في المخطوطة وزيادة عما فيها ، كما فعل فيما سلف ص : ٥١٤ ، تعليق : ٢ .

(٤) في المطبوعة : « حتفها » ، وهي مطابقة لرواية أحمد في مسنده ، ولكن ما أثبته هو ما جاء في المخطوطة والتاريخ ، إلا أن في التاريخ : « حيفا » ، خطأ ، صوابه ما أثبت . انظر ما سلف ص : ٥١٤ ، تعليق : ٣ .

(٥) في المطبوعة والمخطوطة : « قال : على الخبير سقطت » ، وأثبت ما في التاريخ .

(٦) « استطعمه الحديث » ، أي أغراه أن يحدثه ، كأنه يريد أن يذيقه طعم حديثه . يقال ذلك إذا استدرجه ، وهو أعلم بالحديث منه ، وجاء تفسيره في خبر أحمد في مسنده : « وهو أعلم بالحديث منه ، ولكن يستطعمه » . وشرح هذا اللفظ في كتب اللغة غير واف ، فقيده هناك .

(٧) في المطبوعة : « وغنته جاريتان » ، غير ما في المخطوطة ، وهو مطابق لما في التفسير ومسند أحمد .

ما كانت تُسْقِيه»! (١) فمرت به سحابات سُودٌ ، فنودى منها (٢) : « خذها رماداً رِمْدِداً ، لا تبقى من عادٍ أحداً». قال : فكانت المرأة تقول : «لا تكن كوافد عادٍ»! فما بَلَغنى أنَّه ما أرسل عليهم من الريح ، يا رسول الله ، إلا قَدْرَ ما يجرى فى خاتمى (٣) = قال أبو وائل : فكذلك بلغنى . (٤)

---

(١) فى المطبوعة وتاريخ الطبرى : « اللهم أسق » وأثبت ما فى المخطوطة . وبقية الجملة محولة من مكانها فى المخطوطة ، وذلك قوله : « ما كنت تسقيه » ، وهى ثابته فى التاريخ ، ولكن جعلها فى المطبوعة والمخطوطة : « مسقيه » ، كما فى الأثر السالف ، ولكن « تسقيه » هى رواية أبى جعفر فى التاريخ ، ورواية أحمد أيضاً .

(٢) بعد قوله « فنودى منها » ، وضع « ما كنت مسقيه » ، كما أسلفت فى التعليق الماضى .

(٣) فى المطبوعة : « ففيما بلغنى » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو المطابق لرواية أبى جعفر فى التاريخ ، ورواية أحمد فى المسند .

(٤) الأثر : — ١٤٨٠٦ — هذا إسناد آخر للأثر السالف ، وهو الإسناد الذى أشرت إليه هناك أن فيه « أبا وائل » بين « عاصم بن بهدلة » و « الحارث بن حسان البكرى » ، وأنه هو الصحيح .

و « الحارث بن يزيد البكرى » ، هو « الحارث بن حسان البكرى » ، مختلف فى ذلك ، كما قلت فى التعليق على رقم : ١٤٨٠٥ .

و « سلام ، أبو المنذر النحوى » هو « سلام بن سليمان المزنى » ، قال يحيى بن معين : « لا شئ » ، وقال أبو حاتم : « صدوق ، صالح الحديث » . وقال الساجى : « صدوق ، يهم ، ليس بمتقن الحديث » . وقال ابن معين مرة أخرى : « يحتمل لصدقه » . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/٢/١٣٥ ، وابن أبى حاتم ٢/١/٢٥٩ ، وميزان الاعتدال ١ : ٤٠٠ .

وأما « أبو وائل » ، فهو « شقيق بن سلمة الأسدى » ، ثقة إمام ، مضى مراراً . أما المرأة المذكورة فى هذا الخبر ، والخبر السالف ، فهى :

« قيلة بنت مخرمة التميمية » ، من بنى العنبر بن عمرو بن تميم ، ويذكر فى بعض الكتب « الغنوية » ، وهو تصحيف « العنبرية » . وحديث « قيلة » حديث طويل ، فيه غريب كثير ، ذكره ابن حجر فى ترجمتها فى الإصابة .

وفى تحقيق خبرها ، وخبر « الحارث بن حسان البكرى » أو « حريث بن حسان الشيبانى » ، وافد بكر بن وائل (كما فى ترجمتها فى ابن سعد ٨ : ٢٢٨) ، فضل كلام ليس هذا موضعه .

وهذا الخبر رواه أبو جعفر فى تاريخه بهذا الإسناد نفسه . ورواه أحمد فى مسنده ٣ : ٤٨١ ، ٤٨٢ ، من طريقين : من طريق عفان ، عن سلام أبى المنذر ، عن عاصم = ثم رواه من طريق زيد بن الحباب ، عن أبى المنذر سلام بن سليمان النحوى ، عن عاصم بن أبى النجود ، بنحوه .

ورواه ابن سعد فى الطبقات ٦ : ٢٢ من طريق عفان ، عن سلام أبى المنذر ، مختصراً .

وروى البخارى صدره فى الكبير ١/٢/٢٥٩ .

١٤٨٠٧ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى: « وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره »، أنّ عاداً أتاهم هود، فوعظهم وذكّرهم بما قصّ الله فى القرآن، فكذبوه وكفروا، وسألوه أن يأتيهم بالعذاب، فقال لهم: ﴿ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ ﴾ [سورة الأحقاف: ٢٣]. وإن عاداً أصابهم حين كفروا قُحُوطُ المطر، (١) حتى جُهِدوا لذلك جَهْداً شديداً. وذلك أن هوداً دعا عليهم، فبعث الله عليهم الريح العقيم، وهى الريح التى لا تُلْقِح الشجرَ. فلما نظروا إليها قالوا: ﴿ هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ﴾ [سورة الأحقاف: ٢٤]. فلما دنت منهم، نظروا إلى الإبل والرجال تطيرُ بهم الريحُ بين السماء والأرض. فلما رأوها تبادَروا إلى البيوت، (٢) فلما دخلوا البيوت، دخلت عليهم فأهلكتهم فيها، ثم أخرجتهم

ورواه ابن الأثير فى ترجمة « الحارث » فى أسد الغابة، وابن عبد البر فى الاستيعاب مختصراً، وابن حجر فى الإصابة. ورواه ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٧/٥٠٢ : ٤٧٠، من طريق أحمد فى مسنده. ورواه أيضاً فى البداية والنهاية ١ : ١٢٧، ١٢٨، وقال: « ورواه ابن جرير، عن أبى كريب، عن زيد بن حباب، به. ووقع عنده: عن الحارث بن يزيد البكرى، فذكره. ورواه أيضاً، عن أبى كريب، عن أبى بكر بن عياش، عن عاصم، عن الحارث بن حسان البكرى، فذكره. ولم أر فى النسخة: أبا وائل، والله أعلم ». قلت: يعنى الأثر السالف، انظر التعليق هناك.

وقال ابن كثير أيضاً فى البداية والنهاية: « رواه الترمذى، عن عبد بن حميد، عن زيد بن الحباب، به. ورواه النسائى من حديث سلام أبى المنذر، عن عاصم بن بهدلة. ومن طريقه رواه ابن ماجة. وهكذا أورد هذا الحديث، وهذه القصة، عند تفسير هذه القصة غير واحد، من المفسرين، كابن جرير وغيره. وقد يكون هذا السياق لإهلاك عاد الآخرة، فما فيما ذكره ابن إسحق وغيره ذكر لمكة، ولم تبن إلا بعد إبراهيم الخليل، حين أسكن فيها هاجر وابنه إسماعيل، فنزلت جرهم عندهم، كما سيأتى. وعاد الأولى قبل الخليل. وفيه ذكر « معاوية بن بكر » وشعره، وهو من الشعر المتأخر عن زمان عاد الأولى، لا يشبه كلام المتقدمين. وفيه: أن فى تلك السحابة شرر نار، وعاد الأولى إنما أهلكوا بريح صرصر عاتية ».

وهذا نقد جيد جداً، لهذه الأخبار السالفة جميعاً، والخبر الآتى بعد هذا.

(١) فى التاريخ: « قحط من المطر ».

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة: « تنادوا البيوت »، وهو لا معنى له، صوابه من التاريخ « تبادروا »، أسرعوا.

من البيوت، فأصابتهم « فى يوم نحس » = والنحس، هو الشؤم = و« مستمرّ » ، استمر عليهم بالعذاب « سبعَ ليال وثمانية أيامٍ حُسوماً »[١] = حَسمت كل شىء مرّت به ، [٢] فلما أخرجتهم من البيوت قال الله : ﴿ تَنزِعُ النَّاسَ ﴾ من البيوت ، ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾ ، [سورة القمر : ٢٠] = انقعر من أصوله = « خاوية » ، خوت فسقطت .[٣] فلما أهلكهم الله ، أرسل عليهم طيراً سوداً ،[٤] فنقلتهم إلى البحر فألقتهم فيه ، فذلك قوله : ﴿ فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ﴾ سورة الأحقاف : ٢٥] . ولم تخرج ريحٌ قط إلا بمكيال ، إلا يومئذ ، فإنها عتَتْ على الخزَنة فغلبتهم ، فلم يعلموا كم كان مكيالها ، وذلك قوله : ﴿ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ ، [سورة الحاقة : ٦] = و « الصرصر » ، ذات الصوت الشديد .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٧٠)

١٥٧/٨

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قالت عاد له[٥] : أجئتنا تتوعّدنا بالعقاب من الله على ما نحن عليه من الدين ، كى نعبد الله وحده ، وندين له بالطاعة

---

(١) فى المطبوعة : « استمر عليهم العذاب » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو مطابق لما فى التاريخ .

(٢) هذا تفسير الآيات ، من « سورة القمر » : ١٩ ، و « سورة الحاقة » : ٧ .

(٣) هذا تفسير آية « سورة الحاقة » : ٧ = « كأنهم أعجاز نخل خاوية » .

(٤) فى المطبوعة : « أرسل إليهم » ، والصواب من المخطوطة والتاريخ .

(٥) فى المخطوطة : « قالت هود له » ، وهو ظاهر الخطأ ، صححه فى المطبوعة : « قالت عاد لهود » ، وأثبت ما دل عليه سهو الناسخ .

خالصاً ، ونهجر عبادة الآلهة والأصنام التى كان آباؤنا يعبدونها ، ونتبرأ منها ؟ فلسنا فاعلى ذلك ، ولا نحن متبعوك على ما تدعونا إليه ،[1] فائتنا بما تعدنا من العقابِ والعذاب على تركنا إخلاص التوحيد لله ، وعبادتنا ما نعبد من دونه من الأوثان ، إن كنت من أهل الصدق على ما تقول وتعِدُ .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ (٧١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال هود لقومه : قد حلّ بكم عذابٌ وغضبٌ من الله .

* * *

وكان أبو عمرو بن العلاء = فيما ذكر لنا عنه = يزعم أن « الرجز » و «الرجس» بمعنى واحد ، وأنها مقلوبة ، قلبت السين زاياً ، كما قلبت « ستّ » وهى من « سداس » بسين ،[2] وكما قالوا «قَرَبُوس» و «قَرَبُوت»[3] ، وكما قال الراجز :[4]

---

(١) فى المطبوعة : « ولا متبعيك » ، وفى المخطوطة : « ولا متبعوك » ، أسقط الناسخ « نحن » فأثبتها .

(٢) فى المطبوعة : « كما قلبت : شتز ، وهى من : شنس » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، والصواب ما أثبت ، يدل عليه شاهد الرجز الذى بعده .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « وقربوز » بالزاى (وهى فى المخطوطة غير منقوطة) ، والصواب المحكى عنه بالتاء . و « القربوس » حنو السرج » وهو بقاف وراء مفتوحتان ، بعدهما باء مضمومة .

(٤) هو علباء بن أرقم اليشكرى .

أَلاَ لَحَى اللهُ بَنِي السِّعْلاَتِ عَمْرَو بْنَ يَرْبُوعٍ لِئَامَ النَّاتِ
* لَيْسُوا بِأَعْفَافٍ وَلاَ أَكْيَاتِ *(١)

يريد « الناس » ، و « أكياس » ، فقلبت السين تاء ، كما قال رؤبة :

كَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ عَدِيدٍ مُبْزِي حَتَّى وَقَمْنَا كَيْدَهُ بِالرَّجْزِ(٢)

* * *

روى عن ابن عباس أنه كان يقول : « الرجس » ، السَّخط .(٣)

١٤٨٠٨ – حدثني بذلك المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنا معاوية ، عن على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « قد وقع عليكم من ربكم رجس » ، يقول: سَخَط

* * *

---

(١) نوادر أبي زيد : ١٠٤ ، ١٤٧ ، الحيوان ١ : ٦/١٨٧ : ١٦١ ، وفيه تخريج الأبيات ، وغيرها كثير . و « السعلاة » اسم الواحدة من نساء الجن، إذا لم تتغول لتفتن السفار . وزعموا أن عمرو بن يربوع تزوج السعلاة ، وأولدها ، وأنها أقامت فى بنى تميم حتى ولدت فيهم ، فلما رأت برقاً يلمع من شق بلاد السعالى ، حنت وطارت إليهم ، فقال عمرو بن يربوع :

أَلاَ لِلهِ ضَيْفُكِ ، يَا أُمَامَا . . . . . .

ولا يعرف تمام البيت كما قال أبو زيد فى نوادره : ١٤٦ .

رَأَى بَرْقًا فَأَوْضَعَ فَوْقَ بَكْرٍ فَلاَ ، لِلهِ ، مَا أَسَالَ وما أَغَامَا

وقوله : « ليسوا بأعفاف » ، هكذا جاء فى المطبوعة والمخطوطة . ورواية أبي زيد وغيره : « ليسو أعفاء » ، وهى القياس ، جمع « عفيف » ، وكأن « أعفاف » جمع « عف » ، وقد نصوا على أنهم لم يجمعوا « عفا » ، أو يكون كما جمع « شريف » على « أشراف » ، فى غير المضعف .

(٢) ديوانه : ٦٤ ، وهكذا جاء البيت الأول فى المخطوطة والمطبوعة . وهو لا يكاد يصح ، ورواية الديوان .

* مَا رَامَنَا من ذى عَدِيدٍ مُبْزِى *

يقال : « أبزى فلان بفلان » ، إذا غلبه وقهاه . و « وقم عدوه » ، أذله وقهره .

(٣) فى المطبوعة : « الرجز » مكان « الرجس » ، وبين أن الصواب ما أثبت .
= وانظر تفسير « الرجس » فيما سلف ١٠ : ١٢/٥٦٥ : ١١١، ١١٢، ١٩٤

وأما قوله : « أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم » ، فإنه يقول : أتخاصمونني في أسماء سمَّيتموها أصناماً ، لا تضر ولا تنفع [١] = « أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان » ، يقول : ما جعل الله لكم في عبادتكم إياها من حجة تحتجُّون بها ، ولا معذرة تعتذرون بها ، [٢] لأن العبادة إنما هي لمن ضرَّ ونفع ، وأثابَ على الطاعة وعاقب على المعصية ، ورزق ومنَع . فأما الجماد من الحجارة والحديد والنحاس ، فإنه لا نفع فيه ولا ضرّ ، إلا أن تتخذ منه آلةً ، ولا حجة لعابد عبده من دون الله في عبادته إياه ، لأن الله لم يأذن بذلك ، فيعتذر من عبدَه بأنه يعبده اتباعاً منه أمرَ الله في عبادته إياه . [٣] ولا هو = إذ كان الله لم يأذن في عبادته = مما يرجى نفعه ، أو يخاف ضرّه ، في عاجل أو آجل ، فيعبد رَجاء نفعه ، أو دفع ضره — « فانتظروا إني معكم من المنتظرين » ، يقول : فانتظروا حكمَ الله فينا وفيكم = « إني معكم من المنتظرين » ، حكمَه وفصل قضائه فينا وفيكم .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٧٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فأنجينا نوحاً والذين معه من أتباعه على الإيمان به والتصديق به وبما دعا إليه ، من توحيد الله ، وهجر الآلهة والأوثان = « برحمة منّا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا » ، يقول : وأهلكنا الذين كذَّبوا من قوم هود بحججنا جميعاً عن آخرهم ، فلم نبق منهم أحداً ، كما :—

---

(١) انظر تفسير « المجادلة » فيما سلف ص: ٨٦ ، تعليق ٤ . ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « سلطان » فيما سلف ص: ٤٠٤ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٣) في المطبوعة والمخطوطة : « فيعذر من عبده » ، والسياق يقتضي ما أثبت .

١٤٨٠٩ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد في قوله : « وقطعنا دابرَ الذين كذبوا بآياتنا » ، قال : استأصلناهم .

* * *

وقد بينا فيما مضى معنى قوله: ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ القَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ ، [سورة الأنعام : ٤٥] ، بشواهده ، بما أغنى عن إعادته . (١)

* * *

=« وما كانوا مؤمنين » ، يقول : لم يكونوا مصدّقين بالله ولا برسوله هود .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٧٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً .

* * *

و« ثمود » ، هو ثمود بن غاثر بن إرم بن سام بن نوح ، وهو أخو جَدِيس ابن غاثر ، (٢) وكانت مساكنهما الحِجْر ، بين الحجاز والشأم ، إلى وادي القُرَى وما حوله .

* * *

ومعنى الكلام : وإلى بني ثمود أخاهم صالحاً .

* * *

(١) انظر تفسير « قطع دابرهم » فيما سلف ١١ : ٣٦٣ ، ٣٦٤ .

(٢) في المطبوعة في الموضعين « ثمود بن عابر » ، و « جديس بن عابر » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو كذلك في تاريخ الطبري ١ : ١٠٣ « غاثر » بالغين والثاء ، إلا أنه جاء في التاريخ ١ : ١١٥ « جاثر » بالجيم والثاء ، وكأن الأول هو الأصل ، وأن الآخر على القلب عن الغين ، هذا إذا لم يكن خطأ .

وإنما منع « ثمود »، لأن « ثمود » قبيلة ، كما « بكر » قبيلة، وكذلك « تميم ».

* * *

« قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره » ، يقول : قال صالح لثمود : يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك له ، فما لكم إله يجوزُ لكم أن تعبدوه غيره ، وقد ١٥٨/٨ جاءتكم حُجَّة وبرهان على صدق ما أقول،[1] وحقيقةما إليه أدعو ،من إخلاص التوحيد لله ، وإفراده بالعبادة دون ما سواه ، وتصديقى على أنى له رسول . وبيِّنتى على ما أقول وحقيقة ما جئتكم به من عند ربى ، وحجتى عليه ، هذه الناقة التى أخرجَها الله من هذه الهَضْبة ، دليلاً على نبوّتى وصدق مقالتى ، فقد علمتم أن ذلك من المعجزات التى لا يقدر على مثلها أحدٌ إلا الله .

* * *

وإنما استشهد صالح ،فيما بلغنى ،على صحة نبوّته عند قومه ثمود بالناقة،لأنهم سألُوه إياها آيةً ودلالة على حقيقةِ قوله .

* ذكر من قال ذلك ، وذكر سبب قتل قوم صالح الناقة :

١٤٨١٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا إسرائيل ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن أبى الطفيل قال : قالت ثمود لصالح : ائتنا بآية إن كنت من الصادقين! قال : فقال لهم صالح : اخرجوا إلى هَضْبةٍ من الأرض ! فخرجوا ، فإذا هى تَتَمَخَّض كما تتمخَّض الحامل، ثم إنها انفرجت فخرجت من وسَطها الناقة، فقال صالح : «هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسُّوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم»= ﴿ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴾ [سورة الشعراء : ١٥٥] . فلما ملُّوها عقروها، فقال لهم: ﴿ تَمَتَّعُوا فِى دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾ [سورة هود : ٦٥] = قال عبد العزيز : وحدثنى رجل آخر : أنّ صالحاً قال لهم : إن آية العذاب أن تصبحوا غداً حُمْراً ، واليوم الثانى

(١) انظر تفسير « البينة » فيما سلف من فهارس اللغة (بين) .

صُفْراً، واليوم الثالث سُوداً . قال: فصبَّحهم العذاب، فلما رأوا ذلك تحنَّطُوا واستعدُّوا .(١)

١٤٨١٢ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى : « وإلى ثمود أخاهم صالحاً » ، قال : إن الله بعث صالحاً إلى ثمود ، فدعاهم فكذّبوه ، فقال لهم ما ذكر الله فى القرآن ، فسألوه أن يأتيهم بآية، فجاءهم بالناقة، لها شِرْب ولهم شِرْبُ يومٍ معلوم. وقال: «ذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء » . فأقرُّوا بها جميعاً ، فذلك قوله :﴿ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾ ، [سورة فصلت : ١٧] . وكانوا قد أقرُّوا به على وجه النفاق والتقيَّة ، وكانت الناقة لها شِرْبٌ، فيومَ تشرب فيه الماء تمرّ بين جبلين فيرحمانها ،(٢) ففيهما أثرُها حتى الساعة ، ثم تأتى فتقف لهم حتى يحلُبوا اللبنَ ، فيرويهم ، إنما تصبُّ صبًّا ،(٣) ويوم يشربون الماءَ لا تأتيهم . وكان معها فصيل لها ، فقال لهم صالح : إنه يولدُ فى شهركم هذا غلامٌ يكون هلاككم على يديه ! فولد لتسعة منهم فى ذلك الشهر ، فذبحوا أبناءهم ، ثم وُلد للعاشر فأبَى أن يذبح ابنه ، وكان لم يولد له قبل ذلك شيء . فكان ابن العاشر أزْرَق أحمرَ ، فنبت نباتاً سريعاً ، فإذا مرَّ بالتسعة فرأوه قالوا : لو كان أبناؤنا أحياءَ كانوا مثل هذا ! فغضب التِّسعة على صالح ، لأنه أمرهم بذبح أبنائهم = ﴿ فَتَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾

---

(١) الأثر : ١٤٨١٠ – « عبد العزيز بن رفيع الأسدى » ، تابعى ثقة ، روى له الجماعة . روى عن أنس ، وابن الزبير ، وابن عباس ، وابن عمر ، وأبى الطفيل . مترجم فى التهذيب . و « أبو الطفيل » ، هو : « عامر بن واثلة الليثى » ، مضى برقم : ٩١٩٦ .

وقوله : « تحنطوا » ، أى اتخذوا الحنوط ، كما يفعلون بالميت : و « الحنوط » ، هو ذريرة من مسك أو عنبر أو كافور أو صندل مدقوق ، أو صبر ، يتخذ للميت حتى لا يجيف ولا ينتن ، أو لا تظهر رائحته للحى . وسقط من الترقيم : « ١٤٨١١ » : سهواً منى .

(٢) فى المطبوعة : « فيرجمونها ، ففيها أثرها . . . » ، والصواب من المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « فكانت تصب اللبن صباً » ، غير ما فى المخطوطة وبدله .

[سورة النمل : ٤٩] . قالوا: نخرج فيرى الناس أنّا قد خرجنا إلى سفر، فنأتى الغار فنكون فيه، حتى إذا كان الليل وخرج صالح إلى المسجد، أتيناه فقتلناه، ثم رجعنا إلى الغار فكنا فيه، ثم رجعنا فقلنا: «ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون»، يصدقوننا، يعلمون أنّا قد خرجنا إلى سفر! فانطلقوا، فلما دخلوا الغارَ أرادوا أن يخرجوا من الليل، فسقط عليهم الغارُ فقتلهم، فذلك قوله: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ حتى بلغ ههنا: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة النمل : ٤٨-٥١].

= وكبر الغلام ابن العاشر، ونبت نباتاً عجباً من السرعة، فجلس مع قومٍ يصيبون من الشَّراب، فأرادُوا ماءً يمزجون به شرابهم، وكان ذلك اليوم يوم شِرب الناقة، فوجدوا الماء قد شربته الناقةُ، فاشتدّ ذلك عليهم، وقالوا فى شأن الناقة: ما نَصْنع نحن باللبن؟ لو كنا نأخذ هذا الماء الذى تشربه هذه الناقة فنُسْقيه أنعامنا وحروثنا، كان خيراً لنا! فقال الغلام ابن العاشر: هل لكم فى أن أعْقِرَها لكم؟ قالوا: نعم! فأظهروا دينَهم، فأتاها الغلام، فلما بَصُرت به شدّت عليه، فهرب منها، فلما رأى ذلك، دخل خلف صخرةٍ على طريقها فاستتر بها، فقال: أحيشوها علىّ! فأحاشوها عليه،(١) فلما جازت به نادوه: عليك!(٢) فتناولها فعقرها، فسقطت، فذلك قوله: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ [سورة القمر : ٢٩].

وأظهروا حينئذٍ أمرهم، وعقروا الناقة، وعتَوْا عن أمر ربهم، وقالوا: يا صالحُ ١٥٩/٨
ائتنا بما تعِدنا. وفزع ناسٌ منهم إلى صالح، وأخبروه أن الناقة قد عُقرت، فقال: علىّ بالفصيل! فطلبوا الفَصيل فوجدوه على رَابية من الأرض، فطلبوه، فارتفعت به حتى حلّقت به فى السماء، فلم يقدروا عليه. ثم رَغَا(٣) الفصيلُ

(١) فى المطبوعة: «أجيشوها ... فأجاشوها» بالجيم، والصواب بالحاء. «حاش عليه الصيد حوشاً وحياشاً» و «أحاشه عليه»، إذا نفره نحوه، وساقه إليه، وجمعه عليه.

(٢) «عليك»، إغراء، بمعنى: خذه.

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة: «ثم دعا»، والصواب ما أثبت. من «رغاء الناقة»، وهو صوتها إذا ضجت.

إلى الله، فأوحى الله إلى صالح : أنْ مُرْهم فليتمتَّعوا فى دارهم ثلاثة أيام ! فقال لهم صالح : تَمتَّعوا فى داركم ثلاثة أيام، وآية ذلك أن تُصبح وجوهكم أوَّل يوم مصفرَّة، والثانى محمرّة، واليوم الثالث مسوَدّة، واليومُ الرابعُ فيه العذاب. فلما رأوا العلامات تكفّنوا وتحنّطوا ولطّخوا أنفسهم بالمرّ، ولبسوا الأنْطاع، وحفروا الأسراب فدخلوا فيها ينتظرون الصيحة، حتى جاءهم العذاب فهلكوا. فذلك قوله: ﴿ فَدَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾.

١٤٨١٣ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال : لما أهلك الله عاداً وتقضّى أمرها، عَمِرتْ ثمود بعدَها واستُخْلِفوا فى الأرض،[1] فنزلوا فيها وانتشروا، ثم عتوا على الله ، فلما ظهر فسادهم وعبدوا غيرَ الله، بعث إليهم صالحاً = وكانوا قوماً عرَباً، وهو من أوسطهم نسباً وأفضلهم موضعاً =[2] رسولاً،[3] وكانت منازلهم الحِجر إلى قُرْح،[4] وهو وادى القرى، وبين ذلك ثمانية عشر ميلاً فيما بين الحجاز والشأم ! فبعث الله إليهم غلاماً شابًّا فدعاهم إلى الله حتى شَمِط وكبر،[5] لا يتبعه منهم إلا قليل مستضعَفون. فلما ألحّ عليهم صالح بالدعاء، وأكثر لهم التحذير، وخوَّفهم من الله العذاب والنقمة، سألوه أن يُريهم آية تكون مِصداقاً لما يقول فيما يدعوهم إليه، فقال لهم : أىَّ آية تريدون؟ قالوا : تخرج معنا إلى عِيدِنا هذا = وكان لهم عيد يخرجون إليه بأصنامهم وما يعبدون من دون الله، فى يوم معلوم من السنة = فتدعو إلهك وندْعُو آلهتنا، فإن

---

(١) « عمر يعمر » (نحو : فرح يفرح) و « عمر يعمر » (نحو : نصر ينصر) : عاش وبقى زماناً طويلا.

(٢) فى المطبوعة : « وكانوا قوماً عزباً »، وفى المخطوطة : « وكانوا قوماً عربا وهم من أوسطهم » والصواب ما أثبت.

(٣) السياق : « بعث إليهم صالحاً ... رسولا ».

(٤) « قرح » (بضم فسكون)، وهو سوق وادى القرى.

(٥) « شمط » : ابيض شعره.

استجيب لك اتَّبعناك ، وإن استجيب لنا اتَّبعتنا ! فقال لهم صالح : نعم ! فخرجوا بأوثانهم إلى عيدهم ذلك ، وخرج صالح معهم إلى الله فدعَوْا أوثانهم وسألوها أن لا يستجاب لصالح فى شىء ممّا يدعو به . ثم قال له جندع بن عمرو بن جواس ابن عمرو بن الدميل ،[1] وكان يومئذٍ سيّد ثمود وعظيمَهم : يا صالح ،أخرج لنا من هذه الصخرةِ = لصخرة منفردة فى ناحية الحِجْر ، يقال لها الكاثِبة = ناقةً مخترجة جَوْفاء وَبْرَاء = و « المخترجة » ،ما شاكلت البُخْت من الإبل.[2] وقالت ثمود لصالح مثل ما قال جندع بن عمرو = فإن فعلت آمنَّا بك وصَدَّقناك، وشهدنا أنَّ ما جئت به هو الحقّ ! وأخذ عليهم صالح مواثيقهم : لئن فعلتُ وفَعَل الله لتصدِّقُنِّى ولتؤمنُنَّ بى ! قالوا: نعم ! فأعطوه على ذلك عهودَهم . فدعا صالح ربَّه بأن يخرجَها لهم من تلك الهَضْبة ، كما وصفوا .

= فحدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن يعقوب ابن عتبة بن المغيرة بن الأخنس : أنه حدَّث أنَّهم نظروا إلى الهضبة ،حين دعا الله صالح بما دعا به ، تتمخَّض بالناقة تمخُّض النَّتُوج بولدها ،[3] فتحركت الهضبة ، ثم انتفضت بالناقة ،[4] فانصدعت عن ناقة ، كما وصَفوا ، جوفاءَ وَبْرَاء نَتُوج ، ما بين جنبيها لا يعلمه إلاّ الله عِظماً ، فآمن به جندع بن عمرو ومن كان معه على أمره من رهطه ، وأراد أشرافُ ثمود أن يؤمنوا به ويصدِّقوا ، فنهاهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد ، والحباب صاحبُ أوثانهم ، ورباب بن صمعر بن جلهس ، وكانوا

---

(١) فى المطبوعة « حراش » ، ولعل ما فى المخطوطة يقرأ كما أثبته ، وكما سيأتى فى نسب آخر بعد قليل .

(٢) شرح « المخترجة » ، لم أجده فى غير هذا الخبر ، وهو بمثله فى قصص الأنبياء للثعلبى . و « البخت » من الإبل ، جمال طوال الأعناق ، وهى الإبل الخراسانية ، تنتج من بين عربية وفالج .

(٣) « النتوج » (بفتح النون) : الحامل .

(٤) فى المطبوعة : « ثم أسقطت الناقة » غير ما فى المخطوطة ، وفيها : « ثم اسمعت الساقه » كل ذلك غير منقوطة ، فرأيت صواب قراءتها ما أثبت .

من أشراف ثمود ، فردُّوا أشرافَها عن الإسلام والدخول فيما دعاهم إليه صالح من الرَّحمة والنجاة ،[١] وكان لجندع ابن عم يقال له : « شهاب بن خليفة بن مخلاة بن لبيد بن جواس » ، فأراد أن يسلم ، فنهاه أولئك الرهط عن ذلك ، فأطاعهم ، وكان من أشرا ثمود وأفاضلها ، فقال رجل من ثمود يقال له : « مهوس بن عنمة ابن الدّميل » ، وكان مسلماً :

وَكَانَتْ عُصْبَةٌ مِنْ آلِ عَمْرٍو ... إِلَى دِينِ النَّبِيِّ دَعَوْا شِهَابَا[٢]
عَزِيزَ ثَمُودَ كُلِّهِمُ جَمِيعاً ... فَهَمَّ بِأَنْ يُجِيبَ وَلَوْ أَجَابَا
لَأَصْبَحَ صَالِحٌ فِينَا عَزِيزًا ... وَمَا عَدَلُوا بِصَاحِبِهِمْ ذُؤَابَا
وَلَكِنَّ الغُوَاةَ مِنَ آلِ حُجْرٍ ... تَوَلَّوْا بَعْدَ رُشْدِهِمْ ذُبَابَا[٣]

١٦٠/٨ فمكثت الناقة التى أخرجها الله لهم معها سَقْيها فى أرض ثمودَ ترعى الشجر وتشرب الماء ، فقال لهم صالح عليه السلام : « هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم » ، وقال الله لصالح : إن الماء قسمةٌ بينهم ، كُلّ شِرْبٍ مُحْتَضَر = أى : إن الماء نصفان ، لهم يوم ، ولها يوم وهى محتضرة ، فيومها لا تدع شربها .[٤] وقال : ﴿ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴾ [سورة الشعراء : ١٥٥] . فكانت ، فيما بلغنى والله أعلم ، إذا وردت ، وكانت تَرِد غِبًّا ،[٥] وضعت رأسها فى بئر فى الحجر يقال لها «بئر الناقة» ، فيزعمون أنها منها كانت تشرب إذا وردت ، تضع رأسَها فيها فما ترْفَعه حتى تشرب كل قطرة ماء فى الوادى ، ثم

---

(١) فى المطبوعة : « ورددوا أشرافها » بالواو ، والأجود ما فى المخطوطة .

(٢) الأبيات فى البداية والنهاية لابن كثير ١ : ١٣٤ ، وقصص الأنبياء للثعلبى : ٥٧ ، ٥٨ .

(٣) فى المطبوعة : « ذئابا » ، وفى البداية والنهاية « ذآبا » ، وكأن الصواب ما فى قصص الأنبياء ، وهو ما أثبته . والمخطوطة غير منقوطة .

(٤) هذا تفسير آية « سورة القمر » : ٢٨ .

(٥) « غبا » (بكسر الغين) ، أى : ترد يوماً ، وتدع يوماً ، ثم ترد .

ترفع رأسها فتفشَّج [١] = يعنى : تفحَّج لهم [٢] = فيحتلبون ما شاؤوا من لبن ، فيشربون ويدَّخرون ، حتى يملأوا كل آنيتهم ، ثم تصدر من غير الفجّ الذى منه وردت ، لا تقدِرُ على أن تصدر من حيث تردُ لضيقه عنها ، فلا ترجع منه . حتى إذا كان الغدُ ، كان يومهم ، فيشربون ما شاؤوا من الماء ، ويدّخرون ما شاؤوا ليوم الناقة ، فهم من ذلك فى سعة . وكانت الناقة ، فيما يذكرون ، تَصيف إذا كان الحرّ ظَهْرَ الوادى ، [٣] فتهرب منها المواشى ، أغنامُهم وأبْقَارهم وإبلُهم ، فتهبط إلى بطن الوادى فى حرِّه وجَدْبه = وذلك أن المواشى تنفِرُ منها إذا رأتها = وتشتو فى بطن الوادى إذا كان الشتاء ، فتهرب مَواشيهم إلى ظهر الوادى فى البرد والجدْب ، فأضرّ ذلك بمواشيهم ، للبلاءِ والاختبار . وكانت مرابعُها ، [٤] فيما يزعمون ، الحبابُ وحِسْمَى ، كل ذلك ترعى مع وادى الحِجر ، فكبر ذلك عليهم ، فعتوا عن أمر ربهم ، وأجمعوا فى عقر الناقة رأيَهم .

=وكانت امرأة من ثمودَ يقال لها : « عنيزة بنت غنم بن مجلز » ، تكنى بأم غنم ، وهى من بنى عبيد بن المهل ، أخى رُميل بن المهل ، [٥] وكانت امرأةَ ذؤاب ابن عمرو ، وكانت عجوزاً مسنة ، وكانت ذات بناتٍ حسان ، وكانت ذات مال من إبلٍ وبقر وغنم = وامرأة أخرى يقال لها : « صدوف بنت المحيا بن دهر بن المحيا » ، [٦] سيد بنى عبيد وصاحب أوثانهم فى الزمن الأول ، وكان الوادى يقال

---

(١) فى المطبوعة : « تفسح » ، والصواب ما أثبت ، « تفشجت الناقة » (بالجيم) ، تفاجت ، وذلك أن تباعد بين رجليها ، ومثله « تفشحت » بالحاء المهملة .

(٢) « تفحجت » ، باعدت بين رجليها .

(٣) فى المطبوعة : « بظهر الوادى » ، وأثبت ما فى المخطوطة . و « الظهر » ما غلظ وارتفع من الوادى . و « البطن » ، ما لان وسهل ورق واطمأن .

(٤) فى المطبوعة : « مراتعها » ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٥) فى المطبوعة : « دميل » ، وفى المخطوطة ما أثبته ظاهر « الراء » . وقد مضى آنفاً فى أنساب هذا الخبر « الدميل » ، فلا أدرى أهما واحد ، أم هما اسمان مختلفان .

(٦) فى المطبوعة : « بنت المحيا بن زهير » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وفى قصص الأنبياء : « مهر » .

له : « وادى المحيا »، وهو المحيَّا الأكبر ، جد المحيَّا الأصغر أبى صدوف = وكانت « صدوف » من أحسن الناس، وكانت غنيَّة ، ذات مالٍ من إبل وغنم وبقر = وكانتا من أشدّ امرأتين فى ثمود عداوةً لصالح ، وأعظمِه به كفراً ،(١) وكانتا تَحْتالان أن تُعْقَر الناقة مع كفرهما به،(٢) لما أضرَّت به من مواشيهما. وكانت صدوف عند ابن خالٍ لها يقال له : « صنتم بن هراوة بن سعد بن الغطريف » ، من بنى هليل ، فأسلم فحسن إسلامه ، وكانت صدوفُ قد فوَّضت إليه مالها ، فأنفقه على من أسلم معه من أصحاب صالح ، حتى رَقّ المال . فاطّلعت على ذلك من إسلامه صدوفُ ، فعاتبته على ذلك ، فأظهر لها دينه ، ودعاها إلى الله وإلى الإسلام ، فأبت عليه وبيَّتتْ له ،(٣) فأخذت بنيه وبناته منه فغيَّبتهم فى بنى عبيد بطنِها الذى هى منه . وكان صنتم زوجُها من بنى هليل ، وكان ابنَ خالها ، فقال لها : ردِّى علىَّ ولدى ! فقالت : حتى أنافِرك إلى بنى صنعان بن عبيد ، أو إلى بنى جندع بن عبيد ! فقال لها صنتم: بل أنافرك إلى بنى مرداس بن عبيد !(٤) وذلك أن بنى مرداس بن عبيد كانوا قد سارعوا فى الإسلام ، وأبطأ عنه الآخرون . فقالت : لا أنافرك إلاّ إلى من دعوتك إليه ! فقال بنو مرداس : والله لتعطِنَّه ولده

(١) فى المطبوعة : « وأعظمهم به كفراً » ، كأنه استنكر ما فى المخطوطة ، وهو صريح العربية : أن يعاد الضمير بعد أفعل التفضيل بالإفراد والتذكير ، مثل ما جاء فى حديث نساء قريش : « خير نساء ركبن الإبل صوالح قريش ، أحناه على ولد فى صغره ، وأرعاه على زوج فى ذات يده » ، وكما قال ذو الرمة :

وَمَيَّةُ أَحْسَنُ الثَّقَلَيْنِ جيداً وَسَالِفَةً ، وَأَحْسَنُهُ قَذَالاَ

وقد مضى ذكر ذلك فى الأجزاء السالفة ٥ : ٤٤٨ ، تعليق : ٢ وص : ٥٥٧ ، تعليق : ٦/١ : ٣٩٥ ، تعليق : ٧/١ : ٨٧ ، تعليق : ٤ .

(٢) فى المطبوعة : « وكانتا تحبان أن تعقر . . . » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو المطابق لما فى قصص القرآن للثعلبى .

(٣) فى المطبوعة : « وسبت ولده » ، وهو عبث محض ، وفى المخطوطة : « وسب له » غير منقوطة ، وكأن صواب قراءتها ما أثبت . « بيتت له » : فكرت فى الأمر وخمرته ودبرته ليلا .

(٤) فى المطبوعة : « بل أنا أقول إلى بنى مرداس » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، لسوء كتابتها ، فأتى بكلام غث .

طائعةً أو كارهة ! فلما رأت ذلك أعطته إياهم .

=ثم إن صدوف وعُنيزة مَحَلَتا فى عقر الناقة ،[١] للشقاء الذى نزل. فدعت صدوف رجلاً من ثمود يقال له: «الحباب» ، لعقر الناقة ، وعرضت عليه نفسها بذلك إن هو فعل ، فأبىَ عليها . فدعت ابن عم لها يقال له : « مصدع بنِ مهرج بن المحيَّا » ، وجعلت له نفسها ، على أن يعقر الناقة ، وكانت من أحسن الناسِ ، وكانت غنية كثيرة المال ، فأجابها إلى ذلك .

=ودعت عنيزة بنت غنم ، « قدارَ بن سالف بن جندع » ، رجلاً من أهل قُرْح. وكان قُدار رجلاً أحمرَ أزرقَ قصيراً ، يزعمون أنه كان لزَنْيَةٍ ، من رجل يقال له: « صهياد » ، ولم يكن لأبيه « سالف » الذى يدعى إليه ، ولكنه قد ولد على فراش « سالف » ، وكان يدعى له وينسب إليه . فقالت : أعطيتك أىَّ بناتى شئتَ على أن تعقر الناقة ! وكانت عنيزة شريفة من نساء ثمود ، وكان زوجها ذؤاب ابن عمرو ، من أشراف رجال ثمود . وكان قدار عزيزاً منيعاً فى قومه . فانطلق ١٦١/٨ قدار بن سالف ، ومصدع بن مهرج ، فاستنفرَا غُواةً من ثمود ، فاتّبعهما سبعة نفر ، فكانوا تسعة نفر ، أحدُ النفر الذين اتبعوهما رجل يقال له : « هويل بن ميلغ » ، خال قدار بن سالف ، أخو أمّه لأبيها وأمها ، ، وكان عزيزاً من أهل حجر = و « دعير بن غنم بن داعر » ، وهو من بنى خلاوة بن المهل = و « دأب بن مهرج » ، أخو مصدع بن مهرج ، وخمسة لم تحفظ لنا أسماؤهم . . . .[٢] فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء ، وقد كمن لها قُدار فى أصل صخرة على طريقها ، وكمن لها مصدع فى أصل أخرى . فمرت على مصدع فرماها بسهم ، فانتظَم به

---

(١) فى المطبوعة : « تحيلا فى عقر الناقة » ، وهو كلام هالك ، والصواب ما فى المخطوطة ولكن الناشر لم يعرف معناه . « محل به » : كاده ، واحتال فى المكر به حتى يوقعه فى الهلكة .

(٢) مكان النقط بياض فى المخطوطة إلى آخر السطر ، وفى الهامش حرف (ط) ، دلالة على الشك والخطأ .

عضَلةَ ساقها . وخرجت أم غنم عنيزة ، وأمرت ابنتها ، وكانت من أحسن الناس وجهاً ، فأسفرت لقدار وأرته إياه ،(١) ثم ذمَّرته ،(٢) فشدّ على الناقة بالسيف فخشَفَ عُرْقوبها ،(٣) فخرَّت ورغت رَغَاةً واحدة تحذّرُ سَقْبها ،(٤) ثم طعن في لبَّتها فنحرَها ، وانطلق سقبها حتى أتى جبلاً مُنيفاً ،(٥) ثم أتى صخرة في رأس الجبل فزعاً ولاذ بها(٦)= واسم الجبل فيما يزعمون « صنو » ،(٧)= فأتاهم صالح ، فلما رأى الناقة قد عقرت ،(٨) ثم قال : انتهكتم حرمة الله ، فأبشروا بعذاب الله تبارك وتعالى ونقمته ! فاتّبع السقبَ أربعةُ نفر من التّسعة الذين عقرُوا الناقة ، وفيهم « مصدع بن مهرج » ، فرماه مصدع بسهم ، فانتظَم قلبَه ، ثم جرَّ برجله فأنزله ، ثم ألقوا لحمَه مع لحم أمه .

=فلما قال لهم صالح : « أبشروا بعذاب الله ونقمته » ، قالوا له وهم يهزأون به : ومتى ذلك يا صالح ؟ وما آية ذلك ؟= وكانوا يسمون الأيام فيهم : الأحد « أول » والاثنين « أهون » ، والثلاثاء « دبار » ، والأربعاء « جبار » ، والخميس « مؤنس » ، والجمعة « العروبة » ، والسبت « شيار » ، وكانوا عقروا الناقة يوم الأربعاء= فقال لهم صالح حين قالوا ذلك : تصبحون غداة يوم مؤنس ، يعني يوم الخميس ،

---

(١) في المطبوعة : « فأسفرت عنه » بالزيادة وليست في المخطوطة ، ولا ضرورة لها .

(٢) « ذمرته » : شجعته وحثته وحرضته .

(٣) في المطبوعة : « فكشف عرقوبها » ، وأثبت ما في المخطوطة : « خشف رأسه بالحجر » ، شدخه . وكل ما شدخ ، فقد خشف . وقيل : « سيف خاشف ، وخشيف ، وخشوف » ، ماض . و « فحسف » ، هكذا غير منقوطة في المخطوطة .

(٤) هكذا في المخطوطة والمطبوعة : « رغاة واحدة » ، ولم تذكره كتب اللغة ، بل قالوا : المرة الواحدة من « الرغاء » « رغوة » ، والذي في الطبري جائز مثله في العربية .

(٥) في المطبوعة : « منيعا » ، وأثبت ما في المخطوطة . « والمنيف » العالي .

(٦) في المطبوعة : « فرغا ولاذ بها » ، وفي المخطوطة غير منقوطة ، وأرجح أن صواب قراءتها هنا ما أثبت

(٧) في المطبوعة : « صور » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وإن كنت في شك منه .

(٨) في المطبوعة ، حذف « ثم » ، وهي ثابتة في المخطوطة .

ووجوهكم مصفرّة ، ثم تصبحون يوم العروبة ، يعنى يوم الجمعة ، ووجوهكم محمرّة ، ثم تصبحون يوم شيار ، يعنى يوم السبت ، ووجوهكم مسودّة ، ثم يصبحكم العذاب يوم الأول ، يعنى يوم الأحد . فلما قال لهم صالح ذلك ، قال التسعة الذين عقروا الناقة : هلمّ فلنقتل صالحاً ، (١) إن كان صادقاً عجّلناه قبلنا ، وإن كان كاذباً يكون قد ألحقناه بناقتِه ! فأتوه ليلاً ليبيِّتوه فى أهله ، فدمغَتهم الملائكة بالحجارة . فلما أبطأوا على أصحابهم ، أتوا منزلَ صالح فوجدوهم مشدَّخين قد رُضِخوا بالحجارة ، فقالوا لصالح : أنت قتلتهم ! ثم همُّوا به ، فقامت عشيرته دونه ولبسوا السلاحَ وقالوا لهم : والله لا تقتلونه أبداً ، فقد وعدكم أنّ العذاب نازل بكم فى ثلاث ، فإن كان صادقاً لم تزيدوا ربَّكم عليكم إلا غضباً ، وإن كان كاذباً فأنتم من وراء ما تريدون ! فانصرفوا عنهم ليلتَهم تلك ، والنفر الذين رَضَختهم الملائكة بالحجارة ، التسعةُ الذين ذكرهم الله تعالى فى القرآن بقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ فِى الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ ، [سورة النمل : ٤٨ – ٥٢] .

=فأصبحوا من تلك الليلة التى انصرفوا فيها عن صالح ، وجوههم مصفرّة ، فأيقنوا بالعذاب ، وعرفوا أن صالحاً قد صدَقهم ، فطلبوه ليقتلوه . وخرج صالح هارباً منهم ، حتى لجأ إلى بطن من ثمود يقال لهم : « بنو غنم » ، فنزل على سيِّدهم رجلٍ منهم يقال له : « نفيل » ، يكنى بأبى هدب ، وهو مشرِك ، فغيَّبه ، فلم يقدروا عليه . فغدوا على أصحاب صالح فعذّبوهم ليدلُّوهم عليه ، فقال رجل من أصحاب صالح يقال له « ميدع بن هرم » : يانبى الله ، إنهم ليعذبوننا لندلُّهم عليك ، أفتدلُّهم عليك ! قال : نعم ؟ فدلهم عليه « ميدع بن هرم » ، فلما علموا بمكان صالح ، أتوا أبا هُدْب فكلموه ، فقال لهم : عندى صالح ، وليس لكم إليه سبيل ! فأعرضوا عنه وتركوه ، وشغلهم عنه ما أنزل الله بهم من عذابه . فجعل

(١) فى المطبوعة : « هلموا » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب أيضاً .

بعضهم يخبر بعضاً بما يرون فى وجوههم حين أصبحوا من يوم الخميس ، وذلك أن وجوههم أصبحت مصفرّة ، ثم أصبحوا يوم الجمعة ووجوههم محمرّة ، ثم أصبحوا يوم السبت ووجوههم مسودّة ، حتى إذا كان ليلة الأحد خرج صالح من بين أظهرهم ومن أسلم معه إلى الشأم ، فنزل رملة فلسطين ، وتخلّف رجل من أصحابه يقال له : « ميدع بن هرم» ، فنزل قُرْح = وهى وادى القرى ، وبين القرح وبين الحجر ثمانية عشر ميلاً = فنزل على سيِّدهم رجلٍ يقال له: « عمرو بن غنم »، وقد كان أكل من لحم الناقة ولم يَشْرَكْ فى قتلها ، فقال له ميدع بن هرم : يا عمرو بن غنم ، اخرج من هذا البلد ، فإن صالحاً قال : « من أقام فيه هلك ، ومن خرج منه نجا » ، فقال عمرو : ما شركت فى عَقْرها ، وما رضيت ما صُنع بها ! فلما كانت صبيحة الأحد، أخذتهم الصيحة، فلم يبق منهم صغير ولا كبير إلاّ هلك، إلا جارية مقعدة يقال لها : « الزُّرَيْعَة » ، وهى الكلبة ابنة السِّلق ،(١) كانت كافرة شديدةَ العداوة لصالح ، فأطلق الله لها رجليها بعد ما عاينت العذابَ أجمعَ ، فخرجت كأسرع ما يُرَى شىءٌ قط ، حتى أتت أهل قُرْحٍ فأخبرتهم بما عاينتْ من العذاب وما أصاب ثمود منه ،(٢) ثم استسقت من الماء فسُقِيت ، فلما شربت ماتت . ١٦٢/٨

١٤٨١٤ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، قال معمر ، أخبرنى من سمع الحسن يقول : لما عقرت ثمود الناقة ، ذهبَ فصيلها حتى صعد تلاًّ فقال : يا رب ، أين أمى ؟ ثم رغا رَغوةً ، فنزلت الصيحةُ فأخمدتهم .

---

(١) فى المطبوعة : « الدريعة ، وهى كليبة ابنة السلق » ، وفى المخطوطة « الدريعة وهى الكلبة ابنة السلق » ، وقرأتها كما أثبتها . و « السلق » ، الذئب ، ويزعمون أن الذئب يستولد الكلية ، وأن ولدها منها يقال له « الديسم » ، ويقال للكلاب « أولاد زارع » ، فرجحت أن صواب قراءتها « الزريعة » بالتصغير ، وأن الذى بعدها تفسير لها ، كما هو ظاهر .

و « السلق » (بكسر السين ، وسكون اللام) .

(٢) فى المطبوعة : « حتى أتت حيا من الأحياء ، فأخبرتهم » ، غير ما فى المخطوطة ، مع أن الصواب هو الذى فيها . و « قرح » سوق وادى القرى ، كما مر آنفاً .

١٤٨١٥ – حدثني محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن، بنحوه = إلا أنه قال : أصعد تلاً .

١٤٨١٦ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : أن صالحاً قال لهم حين عقروا الناقة : تمتّعوا ثلاثة أيام ! وقال لهم : آية هلاككم أن تصبح وجوهكم مصفرّة، ثم تصبح اليومَ الثانى محمرّة ، ثم تصبح اليوم الثالث مسودّة ، فأصبحت كذلك . فلما كان اليوم الثالث وأيقنوا بالهلاك، تكفّنوا وتحنّطوا، ثم أخذتهم الصيحة فأهمدتهم = قال قتادة : قال عاقر الناقة لهم : لا أقتلها حتى ترضوا أجمعين ! فجعلوا يدخلون على المرأة فى حِجْرها فيقولون: [1]أترضين ؟ فتقول : نعم ! = والصبيُّ ، حتى رضوا أجمعين ، فعقرها .

١٤٨١٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن أبى الزبير ، عن جابر بن عبد الله قال: لما مرّ النبي صلى الله عليه وسلم بالحِجر، قال : لا تسألوا الآيات ، فقد سألها قومُ صالح ، فكانت ترد من هذا الفجّ ،[2] وتصدر من هذا الفج ، فعتوا عن أمر ربهم ، فعقروها ، وكانت تشرب ماءهم يوماً ، ويشربون لبنها يوماً . فعقروها ، فأخذتهم الصيحة : أهمد الله مَنْ تحت أديم السماء منهم، إلاّ رجلاً واحداً كان فى حَرَم الله ، قيل : من هو ؟ قال : أبو رِغال ، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه .[3]

---

(١) فى المطبوعة : « فى خدرها » ، وأثبت ما فى المخطوطة . و « الحجر » (بكسر الحاء وفتحها ، وسكون الجيم) : الستر والحفظ ، يعنى حيث تستر . ولو قرىء : « فى حجرها » جمع « حجرة » ، وهو البيت لكان حسناً جداً .

(٢) قوله : « وكانت ترد . . . » ، يعنى الناقة .

(٣) الأثر : ١٤٨١٧ – « عبد الله بن عثمان بن خثيم » القارئ ، تابعى ثقة . مضى برقم : ٤٣٤١ ، ٥٣٨٨ ، ٧٨٣١ ، ٩٦٤٢ .

وهذا الخبر رواه أحمد فى المسند ٣ : ٢٩٦، من هذه الطريق نفسها بلفظه .

وذكره ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٥٠٥ ، وفى البداية والنهاية ١ : ١٣٧ ، وقال : « وهذا

١٤٨١٨ – .... قال عبد الرزاق ، قال معمر ، وأخبرني إسمعيل بن أمية : أنّ النبي صلى الله عليه وسلم مرّ بقبر أبي رِغال ، فقال : أتدرون ما هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ! قال : هذا قبر أبي رِغال ؟ قالوا : فمن أبو رِغال ؟ قال : رجل من ثمود ، كان في حرم الله ، فمنعه حرم الله عذابَ الله ، فلما خرج أصابه ما أصاب قومه ، فدفن ههنا ، ودفن معه غصن من ذهب ! فنزل القوم فابتدروه بأسيافهم ، فبحثوا عليه ، فاستخرجوا الغصن .(١)

١٤٨١٩ – ... قال عبد الرزاق ، قال معمر ، قال الزهري : أبو رِغال ، أبو ثقيف .

١٤٨٢٠ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن جابر قال : مرّ النبي صلى الله عليه وسلم بالحجر = ثم ذكر نحوه ، إلا أنه قال في حديثه : قالوا : من هو يا رسول

الحديث على شرط مسلم ، وهو ليس في شيء من الكتب الستة » .

وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (٦ : ٢٧٠) ، وقال : « وروى أحمد والحاكم بإسناد حسن ، عن جابر » ، وذكر الخبر .

وسيأتي بإسناد آخر رقم : ١٤٨٢٠ .

(١) الأثر : ١٤٨١٨ – هذا خبر مرسل .

« إسماعيل بن أمية الأموي » ، ثقة ، مضى برقم : ٢٦١٥ ، ٨٤٥٨ .

وهذا الخبر رواه أبو داود في سننه ٣ : ٢٤٥ رقم : ٣٠٨٨ ، موصولا من حديث محمد ابن إسحق ، عن إسماعيل بن أمية ، عن بجير بن أبي بجير ، قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول : سمعت رسول الله صلى الله وسلم يقول ، حين خرجنا إلى الطائف ، فررنا بقبر » .

وذكر ابن كثير في تفسيره ٣ : ٥٠٨ ، والبداية ١ : ١٣٧ ، حديث أبي داود هذا ، ثم قال : « هكذا رواه أبو داود ، عن يحيى بن معين ، عن وهب بن جرير بن حازم ، عن أبيه ، عن ابن إسحق ، به . قال شيخنا أبو الحجاج المزي : وهو حديث حسن عزيز . قلت : تفرد بوصله بجير بن أبي بجير هذا ، وهو شيخ لا يعرف إلا بهذا الحديث . قال يحيى بن معين : ولم أسمع أحداً روى عنه غير إسماعيل بن أمية . قلت [القائل ابن كثير] : وعلى هذا فيخشى أن يكون وهم في رفع هذا الحديث ، وإنما يكون من كلام عبد الله بن عمرو مما أخذه من الزاملتين . قال شيخنا أبو الحجاج ، بعد أن عرضت عليه ذلك : وهذا متحمل ، والله أعلم » .

وسيأتي بإسناد آخر رقم : ١٤٨٢٣ .

الله ؟ قال : أبو رِغال .[١]

١٤٨٢١ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا معاذ بن هشام قال ، حدثنا أبي ، عن قتادة قال : كان يقال إنّ أحمرَ ثمود الذى عقر الناقة كان ولد زَنْية .

١٤٨٢٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام قال ، حدثنا عنبسة ، عن أبي إسحق قال ، قال أبو موسى : أتيت أرض ثمود ، فذرعت مَصْدرَ الناقة ، فوجدته ستين ذراعاً .

١٤٨٢٣ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، وأخبرنى إسمعيل بن أمية بنحو هذا = يعنى بنحو حديث عبد الله بن عثمان ابن خثيم ، عن جابر = قال : ومرّ النبي صلى الله عليه وسلم بقبر أبي رِغال ، قالوا : ومن أبو رِغال ؟ قال : أبو ثقيف ، كان فى الحرم لما أهلك الله قومه ، منعه حرم الله من عذاب الله ، فلما خرج أصابه ما أصاب قومه ، فدفن ههنا ، ودفن معه غصن من ذهب . قال : فابتدره القوم يبحثون عنه ، حتى استخرجوا ذلك الغصن .

= وقال الحسن : كان للناقة يوم ولهم يومٌ ، فأضرّ بهم .[٢]

١٤٨٢٣ – حدثنا ابن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر ، عن الزهرى قال : لما مرّ النبي صلى الله عليه وسلم بالحجر قال : لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين ، أنْ يصيبكم مثل الذى أصابهم ! ثم ١٦٣/٨
قال : هذا وادى النَّفَر ![٣] ثم قَنَّع رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادى .[٤]

* * *

(١) الأثر : ١٤٨٢٠ – هذا إسناد آخر للخبر السالف رقم : ١٤٨١٧

(٢) الأثر : ١٤٨٢٣ – هذا إسناد آخر للأثر رقم : ١٤٨١٨ .
وأما كلمة الحسن البصرى الأخيرة ، فلا أدرى من قائلها .

(٣) « وادى النفر » ، كأنه يعنى التسعة من ثمود الذين كانوا يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ، والذين اجتمعوا على قتل صالح عليه السلام ، فدمر الله عليهم .

(٤) الأثر : ١٤٨٢٣ – حديث الزهرى هذا ، رواه البخارى فى مواضع من صحيحه (الفتح

وأما قوله : « ولا تمسوها بسوء » ، فإنه يقول : ولا تمسوا ناقة الله بعقرٍ ولا نحر[١] = « فيأخذكم عذابٌ أليم » ، يعنى : موجع .[٢]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (٧٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره ، مخبراً عن قيل صالح لقومه ، واعظاً لهم : واذكروا، أيها القوم ، نعمة الله عليكم = « إذ جعلكم خلفاء » ، يقول : تخلفون عاداً فى الأرض بعد هلاكها .

* * *

« وخلفاء » جمع « خليفة » . وإنما جمع « خليفة » « خلفاء » ، و « فُعلاء »

---

٦ : ٢٧٠) من طريق محمد بن مقاتل ، عن عبد الله بن المبارك ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن سالم بن عبد الله ، عن أبيه عبد الله بن عمر = ثم رواه بعد من طريق يونس ، عن الزهرى ، عن سالم ، عن ابن عمر . ثم رواه (الفتح ٨ : ٩٥) من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن سالم ، عن ابن عمر .

ورواه مسلم فى صحيحه ١٨ : ١١١ ، من طريق يونس ، عن الزهرى ، عن سالم ، عن ابن عمر .

وليس فى روايتهما ذكر « وادى النفر » .

وكان فى المخطوطة والمطبوعة : « ثم رفع رأسه » ، وهو تحريف بلا شك ، والصواب ما أثبت من رواية البخارى (الفتح ٨ : ٩٥) . و « قنع رأسه » ، غطاها بالقناع . وفى رواية البخارى الأخرى (الفتح ٦ : ٢٧٠) : « ثم تقنع بردائه وهو على الرحل » .

وقوله : « أجاز الوادى » ، أى قطعه وخلفه وراءه .

(١) انظر تفسير « المس » فيما سلف : ١١ : ٣٧٠ ، تعليق ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « أليم » فيما سلف من فهارس اللغة (ألم) .

إنما هى جمع « فعيل » ، كما « الشركاء » جمع « شريك » ، و « العلماء » جمع « عليم » ، « والحلماء » ، جمع « حليم » ، لأنه ذهب بالخليفة إلى الرجل ، فكأن واحدهم « خليف » ثم جمع « خلفاء » ، فأما لو جمعت « الخليفة » ، على أنها نظيرة « كريمة » و « حليلة » و « رغيبة » ، قيل « خلائف » ، كما يقال : « كرائم » و « حلائل » و « رغائب » ، إذ كانت من صفات الإناث . وإنما جمعت « الخليفة » على الوجهين اللذين جاء بهما القرآن ، لأنها جمعت مرّة على لفظها ، ومرة على معناها.[1]

* * *

وأما قوله : « وبوأكم فى الأرض » ، فإنه يقول : وأنزلكم فى الأرض ، وجعل لكم فيها مساكن وأزواجاً ،[2] = « تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً » ، ذكر أنهم كانوا ينقبون الصخر مساكن ، كما :—

١٤٨٢٤ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وتنحتون الجبال بيوتاً » ، كانوا ينقبون فى الجبال البيوت .

* * *

وقوله : « فاذكروا آلاء الله » ، يقول : فاذكروا نعمة الله التى أنعم بها عليكم[3] = « ولا تعثوا فى الأرض مفسدين » .

* * *

وكان قتادة يقول فى ذلك ما :—

١٤٨٢٥ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ،

---

(١) انظر تفسير « خليفة » فيما سلف ١ : ٤٤٩ — ٤٥٣/١٢ : ٢٨٨ ، ٥٠٥ وقد استوفى هنا مالم يذكره هناك .

(٢) انظر تفسير « بوأ » فيما سلف ص ٤ : ١٦٤ .

(٣) انظر تفسير « الآلاء » فيما سلف ص : ٥٠٦ .

وكان فى المطبوعة : « التى أنعمها » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، ولا أدرى لم تصرف الناشر فى مثل هذا !!

عن قتادة قوله : « ولا تعثوا فى الأرض مفسدين » ، يقول : لا تسيروا فى الأرض مفسدين .

* * *

وقد بينت معنى ذلك بشواهده واختلاف المختلفين فيه فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . (١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ ﴿٧٦﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : «قال الملأ الذين استكبروا من قومه » ، قال : الجماعة الذين استكبروا من قوم صالح عن اتباع صالح والإيمان بالله وبه(٢)= « للذين استضعفوا » ، يعنى : لأهل المسكنة من تبّاع صالح والمؤمنين به منهم ، دون ذوى شرفهم وأهل السُّؤدد منهم = « أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه » ، أرسله الله إلينا وإليكم ، قال الذين آمنوا بصالح من المستضعفين منهم : إنا بما أرسل الله به صالحاً من الحقّ والهدى مؤمنون ، يقول : مصدّقون مقرّون أنه من عند الله ، وأن الله أمر به ، وعن أمر الله دعانا صالح إليه = « قال الذين استكبروا » ، عن أمر الله وأمر رسوله صالحٌ — « إنا » ، أيها القوم ، « بالذى

---

(١) انظر تفسير « عثا » فيما سلف ٢ : ١٢٣ ، ٥/١٢٤ : ٤٩٩ .
= وتفسير « الفساد فى الأرض » فيما سلف : ٤٨٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الملأ » فيما سلف ٥ : ١٢/٢٩١ : ٤٩٩ ، ٥٠٣ .
= وتفسير « الاستكبار » فيما سلف : ١١ : ١٢/٥٤٠ : ٤٢١ ، ٤٦٧ .

آمنتم به » ، يقول : صدقتم به من نبوّة صالح ، وأن الذى جاء به حق من عند الله = « كافرون » ، يقول : جاحدون منكرون ، لا نصدّق به ولا نقرّ .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَـٰصَـٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (٧٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فعقرت ثمودُ الناقةَ التى جعلها الله لهم آية = « وعتوا عن أمر ربهم » ، يقول : تكبروا وتجبروا عن اتباع الله ، واستعلوا عن الحق ، كما :—

١٤٨٢٦ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وعتوا » ، علوا عن الحق ، لا يبصرون .(١)

١٤٨٢٧ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال مجاهد : « عتوا عن أمر ربهم » ، علوا فى الباطل .

١٤٨٢٨ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد ، عن مجاهد فى قوله : « وعتوا عن أمر ربهم » ، قال : عتوا فى الباطل وتركوا الحق .

١٤٨٢٩ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « وعتوا عن أمر ربهم » ، قال : علوا فى الباطل .

* * *

وهو من قولهم : « جبّار عاتٍ » ، إذا كان عالياً فى تجبُّره .

* * *

= « وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدُنا » ، يقول : قالوا: جئنا، يا صالح، بما تعدنا ١٦٤/٨

(١) فى المطبوعة : « لا يبصرونه » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

من عذاب الله ونقمته ، استعجالاً منهم للعذاب = « إن كنت من المرسلين » ، يقول : إن كنت لله رسولاً إلينا ، فإن الله ينصر رسله على أعدائه ، فعجّل ذلك لهم كما استعجلوه، يقول جل ثناؤه : « فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين».

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ (٧٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فأخذت الذين عقروا الناقةَ من ثمود = « الرجفة » ، وهى الصيحة .

* * *

و« الرجفة »، «الفعلة »من قول القائل: « رجَف بفلان كذا يرجُفُ رجْفًا »، وذلك إذا حرّكه وزعزعه ، كما قال الأخطل :

إمَّا تَرَيْنِي حَنَانِي الشَّيْبُ مِنْ كِبَرٍ ... كَالنَّسْرِ أَرْجُفُ، وَالإِنْسَانُ مَهْدُودُ(١)

* * *

(١) ديوانه : ١٤٦ من قصيدة له جيدة ، قالها فى يزيد بن معاوية ، وذكر فيها الشباب ذكراً عجباً ، وقد رأى إعراض الغوانى عنه من أجله ، يقول بعده :

وَقَدْ يَكُونُ الصِّبَى مِنِّى بِمَنْزِلَةٍ ... يَوْماً ، وتَقْتَادُنِى الهِيفُ الرَّعَادِيدُ
يَا قَلَّ خَيْرُ الغَوَانِى، كيف رُغْنَ بِهِ ... فَشُرْبُهُ وَشَلٌ فِيهِنَّ تَصْرِيدُ
أَعْرَضْنَ مِنْ شَمَطٍ فى الرَّأْسِ لَاحَ بِهِ ... فَهُنَّ مِنْهُ ، إذا أَبْصَرْنَهُ ، حِيدُ
قَدْ كُنَّ يَعْهَدْنَ مِنِّى مَضْحَكاً حَسَناً ... وَمَفْرِقاً حَسَرَتْ عَنْهُ العناقِيدُ
فَهُنَّ يَشْدُونَ مِنِّى بَعْضَ مَعْرِفَةٍ ، ... وَهُنَّ بالوُدِّ ، لاَ بُخْلٌ ولا جُودُ
قَدْ كَانَ عَهْدِى جَدِيداً، فَاسْتُبِدَّ بِهِ ، ... وَالعَهْدُ مُتَّبَعٌ مَا فِيه ، مَنْشُودُ
يَقُلْنَ : لاَ أَنْتَ بَعْلٌ يُسْتَقَادُ لَهُ، ... وَلاَ الشَّبَابُ الَّذِى قَدْ فَاتَ مَرْدُودُ

وإنما عنى بـ « الرجفة »، ههنا الصيحة التى زعزعتهم وحركتهم للهلاك، لأن ثمود هلكت بالصيحة ، فيما ذكر أهل العلم .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٨٣٠ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد فى قول الله : « الرجفة »، قال: الصيحة.

١٤٨٣١ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٤٨٣٢ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فأخذتهم الرجفة » ، وهى الصيحة .

١٤٨٣٣ – حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد ، عن مجاهد : « فأخذتهم الرجفة » ، قال : الصيحة .

* * *

وقوله : « فأصبحوا فى دارهم جاثمين » ، يقول : فأصبح الذين أهلك الله من ثمود = « فى دارهم » ، يعنى فى أرضهم التى هلكوا فيها وبلدتهم .

* * *

ولذلك وحَّد « الدار » ولم يجمعها فيقول : « فى دورهم » = وقد يجوز أن يكون أريد بها الدور، ولكن وجَّه بالواحدة إلى الجميع ، كما قيل: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [سورة العصر : ١، ٢] .

* * *

هَلْ لِلشَّبَابِ الذى قَدْ فاتَ مَرْدُودُ ؟ أَمْ هَلْ دَوَاءٌ يَرُدُّ الشَّيْبَ مَوْجُودُ ؟
لَنْ يَرْجِعَ الشَّيبُ شُبَّاناً، وَلَنْ يَجِدُوا عِدْلَ الشَّبَابِ لَهُمْ ، مَا أَوْرَقَ العُودُ
إِنَّ الشَّبَابَ لَمَحْمُودٌ بَشَاشَتُهُ والشَّيْبُ مُنْصَرِفٌ عَنْهُ ومَصْدُودُ

وهى أبيات ملئت عاطفة وحزناً وحسرة ، فاحفظها .

وقوله : « جاثمين » يعنى : سقوطاً صرعَى لا يتحركون ، لأنهم لا أرواح فيهم ، قد هلكوا . والعرب تقول للبارك على الركبة : « جاثم » ، ومنه قول جرير :

عَرَفْتُ المُنْتَأَى ، وَعَرَفْتُ مِنْهَا مَطَايَا القِدْرِ كَالحِدَإِ الجُثُومِ (١)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٨٣٤ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « فأصبحوا فى دارهم جاثمين » ، قال : ميتين .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ (٧٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فأدبر صالح عنهم حين استعجلوه العذاب وعقروا ناقة الله ، خارجاً عن أرضهم من بين أظهرهم ، (٢) لأن الله تعالى ذكره أوحَى إليه : إنىّ مهلكهم بعد ثالثة . (٣)

---

(١) ديوانه : ٥٠٧ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢١٨ ، من قصيدته فى هشام بن عبد الملك ، مضى منها بيت فيما سلف ١ : ١٧٠ .

يقول قبله :

وَقَفْتُ عَلَى الدِّيَارِ ، وَمَا ذَكَرْنَا كَدَارٍ بَيْنَ تَلْعَةَ والنَّظِيمِ

و « المنتأى » ، حفير النؤى حول البيت . و « مطايا القدر » ، أثافيها ، تركبها القدر فهى لها مطية . وجعلها كالحدإ الجثوم ، لسوادها من سخام النار .

وكان فى المخطوطة : « عرفت الصاى » ، غير منقوطة ، وخطأ ، صوابه ما فى المطبوعة .

(٢) انظر تفسير « تولى » فيما سلف ١٠ : ٥٧٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المطبوعة : « بعد ثلاثة » ، والصواب المحض ما أثبت من المخطوطة .

وقيل : إنه لم تهلك أمة ونبيها بين أظهرُها . (١)

فأخبر الله جل ثناؤه عن خروج صالح من بين قومه الذين عتوا على ربهم حين أراد الله إحلال عقوبته بهم ، فقال : « فتولى عنهم » صالح = وقال لقومه ثمود = « لقد أبلغتكم رسالة ربى » ، وأدّيت إليكم ما أمرنى بأدائه إليكم ربّى من أمره ونهيه(٢) = « ونصحت لكم »، فى أدائى رسالة الله إليكم ، فى تحذيركم بأسه بإقامتكم على كفركم به وعبادتكم الأوثان = « ولكن لا تحبون الناصحين » ، لكم فى الله ، الناهين لكم عن اتباع أهوائكم، الصادّين لكم عن شهوات أنفسكم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٨٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولقد أرسلنا لوطاً .

* * *

ولو قيل: معناه: واذكر لوطاً ، يا محمد ،« إذ قال لقومه »= إذ لم يكن فى الكلام صلة « الرسالة »، كما كان فى ذكر عاد وثمود = كان مذهباً .

* * *

وقوله : « إذ قال لقومه » ، يقول : حين قال لقومه من سَدُوم، وإليهم كان أرسل لوط = « أتأتون الفاحشة » ، وكانت فاحشتهم التى كانوا يأتونها ، التى عاقبهم الله عليها ، إتيان الذكور(٣) = « ما سبقكم بها من أحد من العالمين » ، يقول : ما سبقكم بفعل هذه الفاحشة أحد من العالمين ، وذلك كالذى : —

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٨٥ .

(٢) انظر تفسير « الإبلاغ » فيما سلف : ١٠ : ٥٧٥/١١ : ٩٥/١٢ : ٥٠٤ .

(٣) انظر تفسير « الفاحشة » فيما سلف : ص : ٤٠٢ ، تعليق : ٢، والمراجع هناك .

١٤٨٣٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا إسمعيل بن علية ، عن ابن أبي نجيح ، عن عمرو بن دينار قوله : « ما سبقكم بها أحد من العالمين » ، قال : ما رُؤِى ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط . ١٦٥/٨

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ (٨١)

قال أبو جعفر : يخبر بذلك تعالى ذكره عن لوط أنه قال لقومه ، توبيخاً منه لهم على فعلهم : إنكم ،أيها القوم ، لتأتون الرجال فى أدبارهم ، شهوة منكم لذلك، من دون الذى أباحه الله لكم وأحلّه من النساء = « بل أنتم قوم مسرفون » ، يقول : إنكم لقوم تأتون ما حرّم الله عليكم ، وتعصونه بفعلكم هذا .

* * *

وذلك هو « الإسراف » ، فى هذا الموضع .(١)

* * *

و « الشهوة» ، « الفَعْلة » ، وهى مصدر من قول القائل : « شَهِيتُ هذا الشىء أشهاه شهوة » ، ومن ذلك قول الشاعر :(٢)

وَأَشْعَثَ يَشْهَى النَّوْمَ قُلْتُ لَهُ: ارْتَحِلْ! إِذَا مَا النُّجُومُ أُعْرِضَتْ وَاسْبَطَرَّتِ (٣)

فَقَامَ يَجُرُّ البُرْدَ ، لَوْ أَنَّ نَفْسَهُ يُقَالُ لَهُ: خُذْهَا بِكَفَّيْكَ! خَرَّتِ (٤)

---

(١) انظر تفسير « الإسراف » فيما سلف : ص: ٣٩٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) لم أعرف قائله .

(٣) البيت الأول فى اللسان (شهى) ، ورواية اللسان : « واسْبَكَرَّتْ » .

وقوله : « وأشعث » ، يعنى رفيقه فى السفر ، طال عليه السفر ، فاغبر رأسه ، وتفرق شعره من ترك الأدهان . و « اسبطرت النجوم » ، امتدت واستقامت وأسرعت فى مسبحها . و « اسبكرت » ، مثلها .

(٤) « خرت » ، أى سقطت وتقوضت وهوت ، وكان فى المطبوعة : « جرت » بالجيم ، وهو خطأ صرف .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ (٨٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وما كان جواب قوم لوُط للوط ، إذ وبّخهم على فعلهم القبيح ، وركوبهم ما حرم الله عليهم من العمل الخبيث ، إلا أن قال بعضهم لبعض : أخرجوا لوطاً وأهله = ولذلك قيل : « أخرجوهم » ، فجمع ، وقد جرى قبل ذكر « لوط » وحده دون غيره .

* * *

وقد يحتمل أن يكون إنما جمع بمعنى : أخرجوا لوطاً ومن كان على دينه من قريتكم = فاكتفى بذكر « لوط » فى أول الكلام عن ذكر أتباعه ، ثم جمع فى آخر الكلام كما قيل : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ ، [سورة الطلاق : ١] .

* * *

وقد بينا نظائر ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .(١)

* * *

= « إنهم أناس يتطهرون » ، يقول : إن لوطاً ومن تبعه ، أناس يتنزهون عما نفعله نحنُ من إتيان الرجال فى الأدبار .(٢)

* * *

وهذا البيت الثانى ، ورد مثله فى شعر الأخطل ، قال :

وَأَبْيَضَ لاَ نَكْسٍ وَلاَ وَاهِنِ القُوَى ... سَقَيْنَا ، إِذَا أُولَى العَصَافِيرِ صَرَّتِ
حَبَسْتُ عَلَيْهِ الكَأْسَ غَيْرَ بَطِيئَةٍ ... مِنَ اللَّيْلِ ، حَتَّى هَرَّهَا وَأَهَرَّتِ
فَقَامَ يَجُرُّ البُرْدَ ، لَوْ أَنَّ نَفْسَهُ ... بِكَفَّيْهِ مِنْ رَدِّ الحُمَيَّا لَخَرَّتِ
وَأَدْبَرَ ، لَوْ قِيلَ : اتَّقِ السَّيْفَ لَمْ تُخَلْ ... ذُؤَابَتُهُ مِنْ خَشْيَةٍ إِقْشَعَرَّتِ

(١) انظر ما سلف ٢ : ٤٨٥ — ٤٨٧ ، وغيرها .

(٢) انظر تفسير « التطهر » فيما سلف ١٠ : ٣١٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٨٣٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا هانئ بن سعيد النخعى ، عن الحجاج ، عن القاسم بن أبى بزة ، عن مجاهد : « إنهم أناس يتطهرون » ، قال : من أدبار الرجال وأدبار النساء . (١)

١٤٨٣٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن مجاهد : « إنهم أناس يتطهرون » ، من أدبار الرجال وأدبار النساء .

١٤٨٣٨ – حدثنى المثنى قال، حدثنا الحجاج قال، حدثنا حماد ، عن الحجاج ، عن القاسم بن أبى بزة ، عن مجاهد فى قوله : « إنهم أناس يتطهرون » ، قال : يتطهرون من أدبار الرجال والنساء .

١٤٨٣٩ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الحسن بن عمارة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس فى قوله : « إنهم أناس يتطهرون » ، قال : من أدبار الرجال ومن أدبار النساء .

١٤٨٤٠ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى: « إنهم أناس يتطهرون » ، قال : يتحرَّجون .

١٤٨٤١ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « إنهم أناس يتطهرون » ، يقول : عابوهم بغير عَيْب ، وذمُّوهم بغير ذَمّ .

* * *

---

(١) الأثر : ١٤٨٣٦ – « هانىء بن سعيد النخعى » ، صالح الحديث ، مضى برقم : ١٣١٥٩ ، ١٣٩٦٥ .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴾ (٨٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فلما أبى قوم لوط = مع توبيخ لوط إياهم على ما يأتون من الفاحشة ، وإبلاغه إياهم رسالة ربه بتحريم ذلك عليهم = إلاّ التمادى فى غيّهم ، أنجينا لوطاً وأهله المؤمنين به ، إلاّ امرأته ، فإنها كانت للوط خائنة ، وبالله كافرة .

* * *

وقوله : « من الغابرين » ، يقول : من الباقين .

وقيل : « من الغابرين » ، ولم يقل « الغابرات » ، لأنه أريد أنها ممن بقى مع الرجال ، [١] فلما ضم ذكرها إلى ذكر الرجال قيل : « من الغابرين » . [٢]

* * *

والفعل منه : « غبَرَ يَغْبُرُ غُبُوراً ، وغَبْراً » ، [٣] وذلك إذا بقى ، كما قال الأعشى :

عَضَّ بِمَا أَبْقَى المَوَاسِى لَهُ مِنْ أَمَةٍ فِى الزَّمَنِ الغَابِرِ [٤]

وكما قال الآخر : [٥]

---

(١) فى المطبوعة : « لأنه يريد » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢١٨ ، ٢١٩ .

(٣) قوله : « وغبرا » ، ضبطته بفتح فسكون ، ولم يرد هذا المصدر فى شىء من كتب اللغة ، اقتصروا على المصدر الأول .

(٤) ديوانه : ١٠٦ ، مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢١٩ ، من قصيدته التى هجا بها علقمة ، ومدح عامراً ، كما أسلفت فى تخريج أبيات مضت من القصيدة ، وفى المطبوعة ومجاز القرآن « من أمه » ، وأثبت ما فى الديوان ، قال أبو عبيدة ، بعد البيت : « لم يختن فيما مضى ، فبقى من الزمن الغابر ، أى الباقى . ألا ترى أنه قال :

وَكُنَّ قَدْ أَبْقَيْنَ مِنْهَا أَذًى عِنْدَ المَلاَقِى وَافِىَ الشَّافِرِ

وهو هجاء لأم علقمة قبيح .

(٥) هو يزيد بن الحكم بن أبى العاص الثقفى .

وَأَبِي الَّذِي فَتَحَ البِلَادَ بِسَيْفِهِ فَأَذَلَّهَا لِبَنِي أَبَانَ الغَابِرِ (١)

يعنى : الباقى .

* * *

فإن قال قائل : فكانت امرأة لوط ممن نجا من الهلاك الذى هلك به قوم لوط ؟

١٦٦/٨ قيل : لا ، بل كانت فيمن هلك .

فإن قال : فكيف قيل : « إلا امرأته كانت من الغابرين » ، وقد قلت إن معنى « الغابر » ، الباقى ؟ فقد وجب أن تكون قد بقيت ؟

قيل : إن معنى ذلك غير الذى ذهبتَ إليه ، وإنما عنى بذلك، إلا امرأته

---

(١) خزانة الأدب ١ : ٥٥ ، وكان يزيد شريفاً عزيزاً ، وأبوه الحكم بن أبى العاصى الثقفى ، أحد أصحاب الفتوح الكثيرة فى فارس وغيرها ، وكذلك عمه عثمان بن أبى العاص صاحب رسول الله ، فدعاه الحجاج بن يوسف الثقفى ، فولاه فارس ، فلما جاء يأخذ عهده ، قال له الحجاج : يا يزيد ، أنشدنى بعض شعرك ، وإنما أراد أن ينشده مديحاً له ، فأنشده قصيدة يفخر فيها ، يقول :

وَأَبِي الَّذِي فَتَحَ البلادَ بِسَيْفِه فَأَذَلَّهـا لِبَنِي أَبَانَ الغَابِرِ
وأَبِي الَّذِي سَلَبَ ابْنَ كِسْرَى رايةً بيضاء تَخْفِقُ كالعُقَابِ الكَاسِرِ
وَإِذَا فَخَرْتُ فَخَرْتُ غَيْرَ مُكَذَّبٍ فَخْرًا أَدُقُّ به فَخَارَ الفَاخِرِ

فنهض الحجاج مغضباً ، وخرج يزيد من غير أن يودعه . فأرسل الحجاج حاجبه وراءه يرتجع منه العهد ، ويقول له : أيهما خير لك ، ما ورثك أبوك أم هذا ؟ فقال يزيد : قل له :

وَرِثْتُ جَدِّى مَجْدَهُ وَفَعَالَهُ وَوَرِثْتَ جَدَّكَ أَعْنُزاً بالطائفِ

ثم سار ولحق بسليمان بن عبد الملك وهو ولى العهد ، فضمه إليه وجعله من خاصته .

وروى صاحب الخزانة : « لبنى الزمان الغابر » ، وأما رواية أبى جعفر « لبنى أبان » ، فإنه يعنى عشيرته ورهطه ، فإن جده هو « أبو العاص بن بشر بن عبد دهمان بن عبد الله بن همام بن أبان ابن يسار الثقفى » .

وقوله « وأبى الذى سلب ابن كسرى راية » ، يعنى أباه الحكم فى فتح فارس ، وإصطخر سنة ٢٣ من الهجرة . (انظر تاريخ الطبرى ٥ : ٦ / وفتوح البلدان : ٣٩٣ ، ٣٩٤) .

كانت من الباقين قبلَ الهلاك ، والمعمَّرين الذين قد أتى عليهم دهرٌ كبيرٌ ، ومرّ بهم زمن كثيرٌ ، حتى هرِمت فيمن هرِم من الناس ، فكانت ممن غبرَ الدهرَ الطويلَ قبل هلاك القوم ، فهلكت مع من هلك من قوم لوط حين جاءهم العذاب .

* * *

وقيل : معنى ذلك : من الباقين فى عذاب الله .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٨٤٢ – حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : ﴿ إِلَّا عَجُوزاً فِى الْغَابِرِينَ ﴾ ، [سورة الشعراء : ١٧١ / سورة الصافات : ١٣٥] ، فى عذاب الله .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ (٨٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وأمطرنا على قوم لوط الذين كذبوا لوطاً ولم يؤمنوا به ، مطرًا من حجارة من سجّيل أهلكناهم به = « فانظر كيف كان عاقبة المجرمين » ، يقول جل ثناؤه : فانظر ، يا محمد ، إلى عاقبة هؤلاء الذين كذبوا الله ورسوله من قوم لوط ، فاجترموا معاصىَ الله ، وركبوا الفواحش ، واستحلوا ما حرم الله من أدبار الرجال ، كيف كانت ؟ وإلى أى شىء صارت ؟ هل كانت إلاّ البوار والهلاك ؟ فإنّ ذلك أو نظيرَه من العقوبة ، عاقبةُ من كذبك واستكبر عن الإيمان بالله وتصديقك إن لم يتوبوا ، من قومك .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (٨٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: وأرسلنا إلى ولد مدين = و « مدين »، هم ولدُه مديان بن إبراهيم خليل الرحمن ،[1] فيما : —

١٤٨٤٣ — حدثنا به ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق .

* * *

فإن كان الأمر كما قال : فـ « مدين »، قبيلة كتميم .

* * *

= وزعم أيضاً ابن إسحق : أن شعيباً الذى ذكر الله أنه أرسله إليهم، من ولد مدين هذا ، وأنه « شعيب بن ميكيل بن يشجر » ، قال : واسمه بالسريانية ، « يثرون » .[2]

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام = على ما قاله ابن إسحق : ولقد أرسلنا إلى ولد مدين ، أخاهم شعيب بن ميكيل ، يدعوهم إلى طاعة الله ، والانتهاء إلى أمره ، وترك السعى فى الأرض بالفساد ، والصدّ عن سبيله ، فقال لهم شعيب : يا قوم، اعبدوا الله وحده لا شريك له ، ما لكم من إله يستوجب عليكم العبادة

---

(١) فى المطبوعة : « مدين بن إبراهيم » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو مطابق لما فى تاريخ الطبرى ١ : ١٥٩ .

(٢) فى المخطوطة : « دروب » ، غير منقوطة ، بالباء ، وهذه أسماء لا أستطيع الآن ضبطها ، وانظر تاريخ الطبرى ١ : ١٦٧ ، والبداية والنهاية ١ : ١٨٥ .

غير الإله الذى خلقكم ، وبيده نفعكم وضركم = « قد جاءتكم بينة من ربكم » ، يقول : قد جاءتكم علامة وحجة من الله بحقيقة ما أقول ، وصدق ما أدعوكم إليه [١] = « فأوفوا الكيل والميزان » ، يقول : أتموا للناس حقوقهم بالكيل الذى تكيلون به ، وبالوزن الذى تزنون به [٢] = « ولا تبخسوا الناس أشياءهم » ، يقول : ولا تظلموا الناس حقوقهم ، ولا تنقصوهم إياها . [٣]

= ومن ذلك قولهم : « تَحْسَبُهَا حَمْقَاءَ وهى بَاخِسَةٌ » ، [٤] بمعنى : ظالمة = ومنه قول الله : ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ﴾ ، [سورة يوسف : ٢٠] ، يعنى به : ردىء .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٨٤٤ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « ولا تبخسوا الناس أشياءهم » ، يقول : لا تظلموا الناس أشياءهم .

١٤٨٤٥ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ولا تبخسوا الناس أشياءهم » ، قال : لا تظلموا الناس أشياءهم .

* * *

وقوله : « ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها » ، يقول : ولا تعملوا فى أرض

---

(١) انظر تفسير « بينة » فيما سلف من فهارس اللغة (بين) .

(٢) انظر تفسير « إيفاء الكيل والميزان » فيما سلف ص ٢٢٤

(٣) انظر تفسير « البخس » فيما سلف ٦ : ٥٦ .

(٤) هذا مثل ، انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٨٣ ، ٢١٩ ، وأمثال الميدانى ١ : ١٠٨ ، وجمهرة الأمثال : ٦٨ ، واللسان (بخس) ، وروايتهم : « وهى باخس » ، بمعنى : ذات بخس ، على النسب . يضرب المثل لمن يتباله وفيه دهاء . وذلك أن رجلا من بنى العنبر بن عمرو ابن تميم ، جاورته امرأة فحسبها حمقاء ، لا تعقل ، ولا تحفظ مالها . فقال لها : ألا أخلط مالى ومالك ؟ يريد أن يخلط ثم يقاسمها ، فيأخذ الجيد ويدع لها الردىء . فلما فعل وجاء يقاسمها ، نازعته ، فلم يخلص منها حتى افتدى منها بما أرادت . فلما عوتب فى اختداعه المرأة على ضعفها قال : « تحسبها حمقاء وهى باخس » .

الله بمعاصيه ، وما كنتم تعملونه قبل أن يبعث الله إليكم نبيه ، من عبادة غير الله، والإشراك به ، وبخس الناس فى الكيل والوزن[١]= « بعد إصلاحها » ، يقول بعد أن قد أصلح الله الأرض بابتعاث النبي عليه السلام فيكم ، ينهاكم عما لا يحل لكم، وما يكرهه الله لكم [٢]= « ذلكم خيرلكم» ، يقول : هذا الذى ذكرت لكم وأمرتكم به ، من إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وإيفاء الناس حقوقهم من الكيل والوزن ، وترك الفساد فى الأرض ، خيرٌ لكم فى عاجل دنياكم وآجل آخرتكم عند الله يوم القيامة = « إن كنتم مؤمنين » ، يقول : إن كنتم مصدقيَّ فيما أقول لكم ، وأؤدِّى إليكم عن الله من أمره ونهيه .

* * *

١٦٧/٨ القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (٨٦)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « ولا تقعدوا بكل صراط توعدون » ، ولا تجلسوا بكل طريق = وهو « الصراط » = توعدون المؤمنين بالقتل .[٣]

* * *

وكانوا، فيما ذكر، يقعدون على طريق من قصد شعيباً وأراده ليؤمن به، فيتوعَّدونه ويخوِّفونه ، ويقولون : إنه كذاب !

* ذكر من قال ذلك :

١٤٨٤٦ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ،

---

(١) انظر تفسير « الإفساد فى الأرض» فيما سلف ص٥٤٢، تعليق: ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الإصلاح » فيما سلف من فهارس اللغة (صلح) .
(٣) انظر تفسير « الصراط » فيما سلف ١ : ١٧٠ – ١٧٧ ، ثم فهارس اللغة (سرط) .

عن قتادة : « بكل صراط توعدون »، قال : كانوا يوعدون من أتى شعيباً وغشيه فأراد الإسلام .

١٤٨٤٧ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ولا تقعدوا بكل صراط توعدون » ، و « الصراط » ، الطريق ، يخوّفون الناس أن يأتوا شعيباً .

١٤٨٤٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله : « ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله » ، قال : كانوا يجلسون في الطريق ، فيخبرون من أتى عليهم : أن شعيباً عليه السلام كذاب ، فلا يفتنكم عن دينكم .

١٤٨٤٩ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تعالى : « بكل صراط »، قال : طريق = « توعدون » ، بكل سبيل حق .(١)

١٤٨٥٠ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

١٤٨٥١ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « ولا تقعدوا بكل صراط توعدون » ، كانوا يقعدون على كل طريق يوعدون المؤمنين .

١٤٨٥٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن قيس ، عن السدي : « ولا تقعدوا بكل صراط توعدون » ، قال : العشّارُون .

١٤٨٥٣ – حدثنا علي بن سهل قال، حدثنا حجاج قال، حدثنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي هريرة أو غيره = شك

---

(١) في المطبوعة : حذف « قال : طريق » ، وغير سائر العبارة فكتب : « توعدون كل سبيل حق » ، فأفسد الكلام إفساداً ! ! والصواب من المخطوطة .

أبو جعفر الرازى = قال : أتى النبيُّ صلى الله عليه وسلم ليلة أُسْرِى به على خشبة على الطريق ، لا يمرُّ بها ثوبٌ إلاّ شقته ، ولا شيء إلاّ خرقته ، قال : ما وهذا يا جبريل ؟ قال : هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه ! ثم تلا : « ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون » .(١)

* * *

وهذا الخبر الذي ذكرناه عن أبي هريرة ، يدلّ على أن معناه كان عند أبي هريرة : أن نبي الله شعيباً إنما نهى قومه بقوله : « ولا تقعدوا بكل صراط توعدون» ، عن قطع الطريق ، وأنهم كانوا قُطّاع الطريق .

* * *

وقيل : « ولا تقعدوا بكل صراط توعدون »، ولو قيل فى غير القرآن : « لا تقعدوا فى كلّ صراط »، كان جائزاً فصيحاً فى الكلام ، وإنما جاز ذلك لأن الطريق ليس بالمكان المعلوم ، فجاز ذلك كما جاز أن يقال : « قعد له بمكان كذا ، وعلى مكان كذا ، وفى مكان كذا » .

* * *

وقال : « توعدون » ، ولم يقل : « تَعِدُون » ، لأن العرب كذلك تفعل فيما أبهمت ولم تفصح به من الوعيد . تقول : « أوعدته » بالألف ، « وتقدّم منى إليه

---

(١) الأثر : ١٤٨٥٣ – هذا مختصر من أثر طويل ، سيرويه أبو جعفر بهذا الإسناد فى تفسير « سورة الإسراء » ١٥ : ٦ (بولاق) ، وسيأتى تخريجه هناك .

و « أبو جعفر الرازى » و « الربيع بن أنس » ، و « أبو العالية » ، ثقات جميعاً ، ومضوا فى مواضع مختلفة .

وهذا الخبر ذكره الهيثمى مطولا فى مجمع الزوائد ١ : ٦٧ – ٧٢ وقال : « رواه البزار ورجاله موثقون ، إلا أن الربيع بن أنس قال : عن أبى العالية أو غيره ، فتابعيه مجهول » .

ولكن نص أبى جعفر هنا وهناك ، يدل على أن أبا جعفر الرازى شك فى أنه عن أبى هريرة أو غيره من الصحابة ، فلعل ما فى رواية البزار مخالف لما فى رواية أبى جعفر الطبرى .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٤ : ١٤٤ مطولا ، ونسبه إلى البزار ، وأبى يعلى ، وابن جرير ، ومحمد بن نصر المروزى فى كتاب الصلاة ، وابن أبى حاتم ، وابن عدى ، وابن مردويه ، والبيهقى فى الدلائل .

وعيد » ، فإذا بينت عما أوعدت وأفصحت به ،[١] قالت : « وعدته خيراً » ، و « وعدته شرًّا » ، بغير ألف ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ النَّارُ وَعَدَهَا اللهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ ،[سورة الحج : ٧٢].

* * *

وأما قوله : « وتصدون عن سبيل الله من آمن به » ، فإنه يقول : وتردُّون عن طريق الله، وهو الردُّ عن الإيمان بالله والعمل بطاعته[٢]= « من آمن به » ، يقول : تردُّون عن طريق الله من صدق بالله ووحّده =« وتبغونها عوجاً » ، يقول : وتلتمسون لمن سلك سبيل الله وآمن به وعمل بطاعته[٣]= « عوجاً » ، عن القصد والحق ، إلى الزيغ والضلال ،[٤] كما : —

١٤٨٥٤ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وتصدون عن سبيل الله » ، قال : أهلها = « وتبغونها عوجاً » ، تلتمسون لها الزيغ .

١٤٨٥٥ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

١٤٨٥٦ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « وتبغونها عوجاً » ، قال : تبغون السبيل عن الحق عوجاً .

١٤٨٥٧ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وتصدون عن سبيل الله » ، عن الإسلام = تبغون السبيل = « عوجاً » ، هلاكاً .

١٦٨/٨

* * *

(١) في المخطوطة : « فإذا نصب عما أوعدت » غير منقوطة ، ولم أحسن توجيه قراءتها ، فتركت ما في المطبوعة على حاله، إذ كان صواباً واضحاً . ١ ، وانظر معاني القرآن للفراء ١ : ٣٨٥.

(٢) انظر تفسير « الصد » فيما سلف ص : ٤٤٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « بغى » فيما سلف ص : ٤٤٨ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « العوج » فيما سلف ٧ : ٥٤/١٢ : ٤٤٨ .

وقوله : « واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم » ، يذكرهم شعيب نعمة الله عندهم بأن كثّرَ جماعتهم بعد أن كانوا قليلاً عددهم ، وأنْ رَفعهم من الذلة والخساسة ، يقول لهم : فاشكروا الله الذى أنعم عليكم بذلك ، وأخلصوا له العبادة ، واتقوا عقوبته بالطاعة ، واحذروا نقمته بترك المعصية ، = « وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين » ، يقول : وانظروا ما نزل بمن كان قبلكم من الأمم حين عتوا على ربهم وعصوا رسله ، من المَثُلات والنقمات ، وكيف وجدوا عقبى عصيانهم ! إياه ؟[1] ألم يُهلك بعضهم غرقاً بالطوفان ، وبعضهم رجماً بالحجارة ، وبعضهم بالصيحة ؟

* * *

و« الإفساد » ، فى هذا الموضع ، معناه : معصية الله .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ (٨٧)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله تعالى ذكره : « وإن كان طائفة منكم » ، وإن كانت جماعة منكم وفرقة[3] = « آمنوا » ، يقول : صدّقوا بالذى أرسلتُ به من إخلاص العبادة لله ، وترك معاصيه ، وظلم الناس ، وبخسهم فى المكاييل والموازين ، فاتّبعونى على ذلك = « وطائفة لم يؤمنوا » ، يقول : وجماعة أخرى لم يصدّقوا بذلك ولم يتبعونى عليه = « فاصبروا حتى يحكم الله بيننا » ، يقول : فاحتبسوا على قضاء

---

(١) انظر تفسير « العاقبة » فيما سلف ١١ : ٢٧٢ ، ٢٧٣ / ١٢ : ١٢٩

(٢) انظر تفسير « الإفساد » فيما سلف ص : ٥٥٦ ، تعليق ١ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « طائفة » فيما سلف ٦ : ٥٠٠ / ٩ : ١٤١ / ١٢ : ٢٤٠ .

الله الفاصل بيننا وبينكم [١]= « وهو خير الحاكمين » ، يقول : والله خيرُ من يفصل وأعدل من يقضى ، لأنه لا يقع فى حكمه مَيْلٌ إلى أحدٍ ، ولا محاباة لأحدٍ .

* * *

٢/٩ القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴾ (٨٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « قال الملأ الذين استكبروا » ، يعنى بالملأ ، الجماعة من الرجال [٢]= ويعنى بالذين استكبروا ، الذين تكبروا عن الإيمان بالله ، والانتهاء إلى أمره ، واتباع رسوله شعيب ، لما حذرهم شعيبٌ بأسَ الله ، على خلافهم أمرَ ربهم ، وكفرهم به [٣] = « لنخرجنك يا شعيب » ، ومن تبعك وصدقك وآمن بك وبما جئت به معك = « من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا » ، يقول : لترجعن أنت وهم فى ديننا وما نحن عليه [٤]= قال شعيب مجيباً لهم : « أولو كنا كارهين » .

ومعنى الكلام : أن شعيباً قال لقومه : أتخرجوننا من قريتكم ، وتصدّوننا عن سبيل الله ، ولو كنا كارهين لذلك ؟ = ثم أدخلت « ألف » الاستفهام على « واو » « ولو » .

* * *

(١) انظر تفسير « الصبر » فيما سلف ٧ : ٥٠٨ ، تعليق ١ ، والمراجع هناك . = وتفسير « الحكم » فيما سلف ٩ : ١٧٥ ، ٣٢٤ ، ١١/٤٦٢ : ٤١٣

(٢) انظر تفسير « الملأ » فيما سلف ص : ٥٤٢ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك

(٣) انظر تفسير « استكبر » فيما سلف ص ٥٤٢ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « الملة » فيما سلف ص ٢٨٢ ، تعليق ٢ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾ (٨٩)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : قال شعيب لقومه إذ دعوه إلى العود إلى ملتهم، والدخول فيها ، وتوعّدوه بطرده ومن تبعه من قريتهم إن لم يفعل ذلك، هو وهم : « قد افترينا على الله كذباً » ، يقول : قد اختلقنا على الله كذباً ، (١) وتخرّصنا عليه من القول باطلاً =إن نحن عدنا فى ملتكم، فرجعنا فيها بعد إذ أنقذنا الله منها ، بأن بصّرنا خطأها وصوابَ الهدى الذى نحن عليه = وما يكون لنا أن نرجع فيها فندين بها ، ونترك الحق الذى نحن عليه = « إلا أن يشاء الله ربنا » ، إلا أن يكون سبق لنا فى علم الله أنّا نعود فيها ، فيمضى فينا حينئذ قضاء الله ، فينفذ مشيئته علينا =« وسع ربنا كل شىء علماً » ، يقول : فإن علم ربنا وسع كل شىء فأحاط به ، فلا يخفى عليه شىء كان ، ولا شىء هو كائن . (٢) فإن يكن سبق لنا فى علمه أنّا نعود فى ملتكم، ولا يخفى عليه شىء كان ولا شىء هو كائن، (٣) فلا بد من أن يكون ما قد سبق فى علمه، وإلاّ فإنا غير عائدين فى ملّتكم . ٣/٩

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٨٥٨ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ،

---

(١) انظر تفسير « الافتراء » فيما سلف ص: ٤٨١، تعليق : ٦، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « وسع » فيما سلف ص : ٢٠٧، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المطبوعة : « فلا يخفى » بالفاء ، ومثلها فى المخطوطة غير منقوطة ، والصواب بالواو .

حدثنا أسباط ، عن السدى : «قد افترينا على الله كذباً إن عدنا فى ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعودَ فيها إلاّ أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شىء علماً على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق » ، يقول : ما ينبغى لنا أن نعود فى شرككم بعد إذ نجانا الله منها ،إلا أن يشاء الله ربنا، فالله لا يشاء الشرك ، ولكن نقول : إلاّ أن يكون الله قد علم شيئاً ، فإنه وسع كل شىء علماً .

* * *

وقوله : « على الله توكلنا » ، يقول : على الله نعتمد فى أمورنا ، وإليه نستند فيما تعِدوننا به من شرِّكم، أيها القوم ، فإنه الكافى من توكَّل عليه .(١)

* * *

ثم فزع صلوات الله عليه إلى ربه بالدعاء على قومه = إذ أيس من فلاحهم ، وانقطع رجاؤه من إذعانهم لله بالطاعة ، والإقرار له بالرسالة ، وخاف على نفسه وعلى من اتبعه من مؤمنى قومه من فَسَقَتهم العطبَ والهلكة =(٢) بتعجيل النقمة، فقال : « ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق » ، يقول : احكم بيننا وبينهم بحكمك الحقّ الذى لا جور فيه ولا حَيْف ولا ظلم ، ولكنه عدل وحق = « وأنت خير الفاتحين » ، يعنى : خير الحاكمين .(٣)

* * *

ذكر الفرّاء أنّ أهلَ عُمان يسمون القاضى « الفاتح » و« الفتّاح » .(٤)

وذكر غيره من أهل العلم بكلام العرب : أنه من لغة مراد ،(٥) وأنشد لبعضهم بيتاً وهو :(٦)

---

(١) انظر تفسير « التوكل » فيما سلف ٧ : ٨/٣٤٦ : ١٠/٥٦٦ : ١٠٨ ، ١٨٤ .
(٢) السياق : « . . . بالدعاء على قومه . . . بتعجيل النقمة » .
(٣) انظر تفسير « الفتح » فيما سلف ٢ : ١٠/٢٥٤ : ٤٠٥ .
(٤) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٨٥ .
(٥) هو أبو عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ٢٢٠ ، ٢٢١ .
(٦) هو الأسعر الجعفى ، أو محمد بن حمران بن أبى حمران .

أَلاَ أَبْلِغْ بَنِى عُصْمٍ رَسُولاً بِأَنِّى عَنْ فُتَاحَتِكُمْ غَنِىُّ (١)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٨٥٩ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن مسعر ، عن قتادة ، عن ابن عباس قال : ما كنت أدرى ما قوله : « ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق » ، حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول : « تعالَ أفاتحك » ، تعنى : أقاضيك .

١٤٨٦٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق » ، يقول : اقض بيننا وبين قومنا .

١٤٨٦١ — حدثنى المثنى قال، حدثنا ابن دكين قال، حدثنا مسعر قال ، سمعت قتادة يقول ، قال ابن عباس : ما كنت أدرى ما قوله : « ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق » ، حتى سمعت ابنةَ ذى يزن تقول : « تعالَ أفاتحك » .

١٤٨٦٢ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله: « افتح بيننا وبين قومنا بالحق »، أي: اقض بيننا وبين قومنا بالحق .

١٤٨٦٣ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور قال، حدثنا معمر ، عن قتادة : « افتح بيننا وبين قومنا بالحق » ، اقض بيننا وبين قومنا بالحق .

١٤٨٦٤ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : أما قوله : « افتح بيننا » ، فيقول : احكم بيننا .

---

(١) سلف البيت وتخريجه ٢ : ٢٥٤ ، ولم أنسبه هناك إلى هذا الموضع من تفسير الطبرى ، فقيده ، ويزاد أنه فى مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٢٠ ، ٢٢١ ، وكان فى المطبوعة والمخطوطة هنا « فإنى عن فتاحتكم » ، والصواب ما سلف ، وما فى المخطوطة هناك .

١٤٨٦٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال الحسن البصري : « افتح احكم بيننا وبين قومنا » ، و﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾[سورة الفتح : ١] ، حكمنا لك حكماً مبيناً .

١٤٨٦٦ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « افتح » ، اقض .

١٤٨٦٧ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا أبو أحمد محمد بن عبد الله بن الزبير قال ، حدثنا مسعر ، عن قتادة ، عن ابن عباس قال : لم أكن أدري ما « افتح بيننا وبين قومنا بالحق » ، حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول لزوجها: « انطلق أُفاتحك » .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾ (٩٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وقالت الجماعة من كفرة رجال قوم شعيب = وهم « الملأ »[١] = الذين جحدوا آيات الله، وكذبوا رسوله، وتمادوا في غيّهم، لآخرين منهم : لئن أنتم اتبعتم شُعَيباً على ما يقول، وأجبتموه إلى ما يدعوكم إليه من توحيد الله، والانتهاء إلى أمره ونهيه، وأقررتم بنبوّته = « إنكم إذاً لخاسرون »، يقول : لمغبونون في فعلكم ، وترككم ملتكم التي أنتم عليها مقيمون ، إلى دينه الذي يدعوكم إليه = وهالِكُون بذلك من فعلكم .[٢]

٤/٩

* * *

(١) انظر تفسير « الملأ » فيما سلف ص ٥٦١، تعليق : ٢٢ والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الخسارة » فيما سلف ص: ٤٨١، تعليق : ٣، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ (٩١)

قال أبو جعفر : يقول : فأخذت الذين كفروا من قوم شعيب ، الرجفة .

وقد بيّنت معنى « الرجفة » قبل ، وأنها الزلزلة المحركة العذاب الله .(١)

* * *

« فأصبحوا فى دارهم جاثمين » ، على ركبهم ، موتىً هلكى .(٢)

* * *

وكانت صفة العذاب الذي أهلكهم الله به ، كما :—

١٤٨٦٨ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإلى مدين أخاهم شعيباً » ، قال : إن الله بعث شعيباً إلى مدين ، وإلى أصحاب الأيكة = و« الأيكة » ، هى الغيضة من الشجر = وكانوا مع كفرهم يبخَسون الكيل والميزان ، فدعاهم فكذبوه ، فقال لهم ما ذكر الله فى القرآن ، وما ردُّوا عليه . فلما عتوا وكذبوه ، سألوه العذابَ ، ففتح الله عليهم باباً من أبواب جهنم، فأهلكهم الحرّ منه، فلم ينفعهم ظلٌّ ولا ماء . ثم إنه بعثَ سحابةً فيها ريحٌ طيبة ،فوجدوا بَرْدَ الرّيح وطِيبها ،فتنادوا : «الظُّلّةَ ، عليكم بها » ! فلما اجتمعوا تحت السحابة رجَالهم ونساؤهم وصبيانهم ، انطبقت عليهم فأهلكتهم ، فهو قوله : ﴿ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ﴾ ، [سورة الشعراء : ١٨٩] .

١٤٨٦٩ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : كان من خبر قصّة شعيب وخبر قومه ما ذكر الله فى القرآن . كانوا أهلَ بخسٍ للناس فى مكاييلهم وموازينهم، مع كفرهم بالله ، وتكذيبهم نبيَّهم . وكان يدعوهم

---

(١) انظر تفسير « الرجفة » فيما سلف ص : ٥٤٤ ، ٥٤٥

(٢) انظر تفسير « الجثوم » فيما سلف : ص : ٥٤٥ ، ٥٤٦

إلى الله وعبادته ، وترك ظلم الناس وبخسهم فى مكاييلهم وموازينهم ، فقال نُصْحاً لهم ، وكان صادقاً : ﴿ مَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الْإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [سورة هود : ٨٨] . قال ابن إسحق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم = فيما ذكر لى يعقوب ابن أبى سلمة = إذا ذكر شعيباً قال : « ذاك خطيب الأنبياء » ! لحسن مراجعته قومه فيما يرادُ بهم . فلما كذَّبوه وتوعَّدوه بالرَّجْم والنفى من بلادهم ، وعتوا على الله ، أخذهمُ عذاب يوم الظُّلة ، إنه كان عذاب يوم عظيم . فبلغنى أن رجلاً من أهل مدين يقال له عمرو بن جلهاء ، لما رآها قال :

يَا قَوْمِ ، إِنَّ شُعَيْباً مُرْسَلٌ فَذَرُوا ... عنكم سُمَيْرًا وَعِمْرَانَ بْنَ شَدَّادِ
إِنِّى أَرَى غَبْيَةً يَا قَوْمِ قَدْ طَلَعَتْ ... تَدْعُو بِصَوْتٍ عَلَى صَمَّانَةِ الْوَادِى (١)
وَإِنَّكُمْ لَنْ تَرَوْا فِيهَا ضَحَاءَ غَدٍ ... إِلاَّ الرَّقِيمَ يُمَشِّى بَيْنَ أَنْجَادِ (٢)

و « سمير » و « عمران » ، كاهناهم = و « الرقيم » ، كلبهم . (٣)

١٤٨٧٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثنى ابن إسحق (٤) قال : فبلغنى ، والله أعلم ، أنَّ الله سلط عليهم الحرّ حتى أنضجهم ، ثم أنشأ لهم

---

(١) فى المطبوعة : « إنى أرى غيمة » ، وهى كذلك فى قصص الأنبياء ، وفى المخطوطة ما أثبت ، وهى فى الدر المنثور « عينة » خطأ ، صوابه ما أثبت .

و « الغبية » (بفتح فسكون) : الدفعة الشديدة من المطر ، وقيل : هى المطرة ليست بالكثيرة . وأراد بها هنا سحابة ذات غبية . و « الصمانة » ، و « الصمان » ، أرض صلبة ذات حجارة إلى جنب رمل .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « وإنكم إن تروا » ، والصواب ما أثبت ، وفى قصص الأنبياء : « فإنه لن يرى فيها » ، وفى الدر المنثور : « فإنه لا يرى » . وكان فى المطبوعة : « ما فيها إلا الرقيم . . . » زيادة مفسدة للوزن ، ليست فى المخطوطة ، ولعلها من الطباعة . و « الأنجاد » جمع « نجد » ، وهى الأرض المرتفعة . و « الضحاء » بفتح الضاد ، ممدوداً ، مثل « الضحى » (بضم الضاد) ، وهو إذا امتد النهار وقارب أن ينتصف . وكان فى المطبوعة : « ضحاة غد » .

(٣) الأثر : ١٤٨٦٩ — الدر المنثور ٣ : ١٠٣ ، وقصص الأنبياء للثعلبى : ١٤٤ .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « أبو سحق » ، وهو خطأ ظاهر .

الظُّلة كالسحابة السوداء، فلما رأوها ابتدرُوها يستغيثون ببَرْدها مماهم فيه من الحر، حتى إذا دَخلوا تحتها، أطبقت عليهم، فهلكوا جميعاً، ونجى الله شعيباً والذين آمنوا معه برحمته.

١٤٨٧١ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثنى أبو عبد الله البجلى قال: «أبو جاد» و «هوّز» و «حُطّى»، «وكلمون» و «سعفص» و «قرشت»، أسماء ملوك مدين، وكان ملكهم يوم الظلة فى زمان شعيب «كلمون»، فقالت أخت كلمون تبكيه:

كَلَمُونٌ(١) هَدَّ رُكْنِي هُلْكُهُ وَسْطَ المَحَلَّهْ
سَيِّدُ القَوْمِ أَتَاهُ الْـ حَتْفُ نَاراً وَسْطَ ظُلَّهْ
جُعِلَتْ نَارًا عَلَيْهِمْ، دَارُهُمْ كَالْمُضْمَحِلَّهْ(٢)

* * *

(١) فى المطبوعة والمخطوطة: «كلمون»، هكذا، وفى التاريخ ١ : ٩٩، وسائر الكتب «كلمن»، فتركتها على حالها هنا.

(٢) الأثر: ١٤٨٧١ – «أبو عبد الله البجلى»، لم أجد من يكنى بها، ولكن روى أبو جعفر فى تاريخه مثل هذا الخبر، فى ذكر هؤلاء الملوك (١ : ٩٩)، وإسناد يفسر هذا الإسناد قال:

«حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة بن الفضل، عن يحيى بن العلاء، عن القاسم بن سلمان، عن الشعبى قال: أبجد، وهوز، وحطى، وكلمن، وسعفص، وقرشت، كانوا ملوكاً جبابرة . . .»

و «يحيى بن العلاء البجلى»، كنيته «أبو سلمة»، ويقال «أبو عمرو». ولم أجد كنيته «أبو عبد الله»، ولكن ظاهر هذا الإسناد يرجح أن «أبا عبد الله البجلى»، هو نفسه «يحيى ابن العلاء البجلى»، والله أعلم.

و «يحيى بن العلاء البجلى»، قال أحمد: «كذاب يضع الحديث. مترجم فى التهذيب، والكبير ٤/٢/٢٩٧، وابن أبى حاتم ٤/٢/١٧٩.

وهذا الخبر رواه البغوى (هامش تفسير ابن كثير ٣ : ٥٢٠)، وقصص الأنبياء للثعلبى: ١٤٤، عن أبى عبد الله البجلى، وفيها جميعاً «كلمن»، وزدت منها ما بين القوسين، ولكنى كتبته كأخواته فى المخطوطة.

وروى فى البغوى: «كلمن قد هد ركنى»، وفى قصص الأنبياء: «كلمن أهدد ركنى»، ولا أدرى ما هذا!!

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (٩٢) ٥/٩

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فأهلك الذين كذبوا شعيباً فلم يؤمنوا به ، فأبادهم ، فصارت قريتهم منهم خاوية خلاءً = « كأن لم يغنوا فيها » ، يقول : كأن لم ينزلوا قطّ ولم يعيشوا بها حين هلكوا .

يقال : « غَنِيَ فلان بمكان كذا ، فهو يَغْنَى به غِنًى وغُنِيًّا » ، (١) إذا نزل به وكان به ، كما قال الشاعر : (٢)

وَلَقَدْ يَغْنَى بِهَا جِيرَانُكِ ٱلْـ ... ـمُمْسِكُو مِنْكِ بِعَهْدٍ وَوِصَالِ (٣)

---

(١) هذا المصدر الثانى « غنيا » ليس فى شىء من مراجع اللغة ، فيما عرفت ، وضبطته بضم الغين وكسر النون وتشديد الياء ، على زنة « فعول » وهكذا استظهرت . ولا أدرى أيصح ذلك أم لا يصح .

(٢) هو عبيد بن الأبرص .

(٣) ديوانه : ٥٨ ، مختارات ابن الشجرى ٢ : ٣٧ ، والخصائص لابن جنى ٢ : ٢٥٥ والمنصف لابن جنى ١ : ٦٦ ، والخزانة ٣ : ٢٣٧ ، وهى القصيدة الفاخرة التى لم يتجشم فيها إلا ما فى نهضته ووسعه ، عن غير اغتصاب واستكراه أجاءه إليه ، فقاد القصيدة كلها على أن آخر مصراع كل بيت منها منته إلى (ال) التعريف ، كما قال ابن جنى فى الخصائص ، وأولها :

يَا خَلِيلَيَّ أَرْبَعَا وَٱسْتَخْبِرَا ٱلْـ ... ـمَنْزِلَ الدَّارِسَ مِنْ أَهْلِ الحِلَالِ
مِثْلَ سَحْقِ البُرْدِ عَفَّى بَعْدَكِ ٱلْـ ... ـقَطْرُ مَغْنَاهُ ، وَتَأْوِيبُ الشَّمَالِ
وَلَقَدْ يَغْنَى بِهِ جِيرَانُكِ ٱلْـ ... ـمُمْسِكُو مِنْكِ بِأَسْبَابِ الوِصَالِ

واستمر بها على ذلك النهج . وكان فى المطبوعة : « المستمسكو » ، وهو تغيير لما فى المخطوطة ، والرواية معاً . وقوله : « الممسكو » يعنى « الممسكون » ، فحذف النون لطول الاسم ، لا للإضافة . وهكذا تفعل العرب أحياناً ، كما قال الأنصارى :

الْحَافِظُو عَوْرَةَ العَشِيرَةِ لاَ ... يَأْتِيهِمُ مِنْ وَرَائِنَا نَطَفُ

وقول الأخطل :

أَبَنِي كُلَيْبٍ ، إِنَّ عَمَّيَّ اللَّذَا ... قَتَلاَ المُلُوكَ وَفَكَّكَا الأَغْلاَلاَ

وقال رؤبة :

* وَعَهْدُ مَغْنَىَ دِمْنَةٍ بِضَلْفَعَا * (١)

إنما هو « مفعل » من « غنى » .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٨٧٢ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور قال، حدثنا معمر، عن قتادة : « كأن لم يغنوا فيها » ، كأن لم يعيشوا ، كأن لم ينعموا .

١٤٨٧٣ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية، عن على، عن ابن عباس : « كأن لم يغنوا فيها »، يقول : كأن لم يعيشوا فيها .

١٤٨٧٤ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « كأن لم يغنوا فيها » ، كأن لم يكونوا فيها قطّ .

وقوله : « الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين » ، يقول تعالى ذكره : لم يكن الذين اتّبعوا شعيباً الخاسرين، بل الذين كذّبوه كانوا هم الخاسرين الهالكين. (٢) لأنه أخبر عنهم جل ثناؤه : أن الذين كذبوا شعيباً قالوا للذين أرادوا اتباعه : « لئن اتبعتم شعيباً إنكم إذاً لخاسرون »، فكذبهم الله بما أحلّ بهم من عاجل نكاله ، ثم قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ما خسر تُبّاع شعيب، بل كان الذين كذبوا شعيباً لما جاءت عقوبة الله ، هم الخاسرين ، دون الذين صدّقوا وآمنوا به .

* * *

انظر سيبويه ١ : ٩٥ ، والمنصف ١ : ٦٧ .

(١) ديوانه : ٨٧ ، ومضى منها بيت فيما سلف ٢ : ٥٤٠ فى مديح قومه بنى تميم ، يقول :

هَاجَتْ ، وَمِثْلِى نَوْلُهُ أَنْ يَرْبَعَا حَمَامَةٌ هَاجَتْ حَمَامًا سُجَّعَا

أَبْكَتْ أَبَا الشَّعْثَاءِ وَالسَّمَيْدَعَا وعَهْدُ مَغْنَىَ دِمْنَةٍ بِضَلْفَعَا

بَادَتْ وَأَمْسَى خَيْمُهَا تَذَعْذَعَا

و « أبو الشعثاء » يعنى نفسه . و « ضلفع » ، اسم موضع .

(٢) انظر تفسير « الخسران » فيما سلف ص: ٥٦٥، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾ (٩٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فأدبر شعيب عنهم ، شاخصاً من بين أظهرهم حين أتاهم عذاب الله ،(١) وقال لما أيقن بنزول نقمة الله بقومه الذين كذّبوه ، حزناً عليهم : « يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربى » ، وأدّيت إليكم ما بعثنى به إليكم ،(٢) من تحذيركم غضبَه على إقامتكم على الكفر به ، وظلم الناس أشياءهم = « ونصحت لكم » ، بأمرى إياكم بطاعة الله ، ونهيكم عن معصيته — « فكيف آسى » ، يقول : فكيف أحزن على قوم جَحَدوا وحدانية الله وكذبوا رسوله ، وأتوجّع لهلاكهم ؟ (٣)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٨٧٥ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية، عن على بن أبى طلحة، عن ابن عباس قوله : « فكيف آسى » ، يعنى : فكيف أحزن .

١٤٨٧٦ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فكيف آسى » ، يقول : فكيف أحزن .

١٤٨٧٧ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال :

---

(١) انظر تفسير « تولى » فيما سلف ص : ٥٤٦، تعليق : ٢، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « البلاغ » فيما سلف ص : ٥٤٧ تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « الأسى » فيما سلف ١٠ : ٢٠٠ ، ٤٧٥ .

أصاب شعيباً على قومه حُزْن ، لما يرى بهم من نقمةِ الله ، ثم قال يعزى نفسه ، فيما ذكر الله عنه : « يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾ (٩٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، معرِّفَه سنّته فى الأمم التى قد خلَت من قبل أمته ، ومذكّرَ من كفر به من قريش ، لينزجروا عما كانوا عليه مقيمين من الشرك بالله ، والتكذيب لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « وما أرسلنا فى قرية من نبى » ، قبلك = « إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء » ، وهو البؤس وشَظَف المعيشة وضِيقها = و « الضراء » ، وهى الضُّرُّ وسوء الحال فى أسباب دُنياهم = « لعلهم يضرعون » ، يقول : فعلنا ذلك ليتضرّعوا إلى ربهم ، ويستكينوا إليه ، وينيبوا ، [1] بالإقلاع عن كفرهم ، والتوبة من تكذيب أنبيائهم .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٨٧٨ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « أخذنا أهلها بالبأساء والضراء » ، يقول : بالفقر والجوع . ٦/٩

* * *

(١) انظر تفسير « التضرع » فيما سلف ١١ : ٣٤٥ ، ١٢/٤١٤ : ٤٨٥ .

وقد ذكرنا فيما مضى الشواهدَ على صحّة القول بما قلنا فى معنى : « البأساء » ، و « الضراء » ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .(١)

* * *

وقيل : « يضرّعون » ، والمعنى : يتضرعون ، ولكن أدغمت « التاء » فى « الضاد » ، لتقارب مخرجهما .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٩٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : «ثم بدّلنا» ، أهلَ القرية التى أخذنا أهلها بالبأساء والضراء = « مكان السيئة » ، وهى البأساء والضراء . وإنما جعل ذلك « سيئة » ، لأنه ممّا يسوء الناس = ولا تسوءهم « الحَسَنة » ، وهى الرخاء والنعمة والسعة فى المعيشة(٢) = « حتى عفوا » ، يقول : حتى كثُروا .

* * *

وكذلك كل شىء كثر فإنه يقال فيه : « قد عفا » ،(٣) كما قال الشاعر :(٤)

وَلَكِنَّا نُعِضُّ السَّيْفَ مِنْهَا ... بِأَسْوُقِ عَافِيَاتِ الشَّحْمِ كُومِ(٥)

---

(١) انظر تفسير « البأساء » فيما سلف ٣ : ٣٤٩ - ٤/٣٥٣ : ٢٨٨/١١ : ٣٥٤
= وتفسير « الضراء » فيما سلف ٣ : ٣٤٩ - ٤/٣٥٣ : ٢٨٨/٧ : ٢١٤/١١ : ٣٥٥

(٢) انظر تفسير « الضراء » فيما سلف قبل فى التعليق السابق .
= وتفسير « السراء » فيما سلف ٧ : ٢١٣ .
= وتفسير « السيئة » و « الحسنة » ، فيما سلف من فهارس اللغة (سوأ) (حسن) .
= وتفسير « مس » فيما سلف ص : ٥٤٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « عفا » فيما سلف ٣ : ٤/٣٧٠ : ٣٤٣ .

(٤) هو لبيد .

(٥) مضى البيت وتخريجه وشرحه فيما سلف ٤ : ٣٤٣ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٨٧٩ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « مكان السيئة الحسنة » ، قال : مكان الشدة رخاء = « حتى عفوا » .

١٤٨٨٠ - حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « مكان السيئة الحسنة » ، قال : « السيئة » ، الشر، و« الحسنة »، الرخاء والمالُ والولد .

١٤٨٨١ - حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ،عن مجاهد: « مكان السيئة والحسنة »، قال :« السيئة»، الشر ، و « الحسنة » ،الخير .

١٤٨٨٢ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ،عن على ، عن ابن عباس قوله : « ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة » ، يقول : مكان الشدة الرَّخاء .

١٤٨٨٣ - حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا »، قال: بدلنا مكان ما كرهوا ما أحبُّوا فى الدنيا = « حتى عفوا » ، من ذلك العذاب = « وقالوا قد مسّ آباءنا الضراء والسراء » .

* * *

واختلفوا فى تأويل قوله : « حتى عفوا » .

فقال بعضهم نحو الذى قلنا فيه .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٨٨٤ - حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى

معاوية، عن علىّ، عن ابن عباس قوله: « حتى عفوا »، يقول: حتى كثروا وكثرت أموالهم.

١٤٨٨٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج، عن ابن جريج قال، قال ابن عباس: « حتى عفوا »، قال: جَمُّوا.(١)

١٤٨٨٦ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد: « حتى عفوا »، قال: كثرت أموالهم وأولادهم.

١٤٨٨٧ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، مثله.

١٤٨٨٨ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى: « حتى عفوا »، حتى كثروا.

١٤٨٨٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم: « حتى عفوا »، قال: حتى جَمُّوا وكثروا.

١٤٨٩٠ – ... قال، حدثنا جابر بن نوح، عن أبى روق، عن الضحاك، عن ابن عباس: « حتى عفوا »، قال: حتى جَمُّوا.

١٤٨٩١ – ... قال، حدثنا المحاربى، عن جويبر، عن الضحاك: « حتى عفوا »، يعنى: جَمُّوا وكثروا.

١٤٨٩٢ – ... قال، حدثنا عبد الله بن رجاء، عن ابن جريج، عن مجاهد: « حتى عفوا »، قال: حتى كثرت أموالهم وأولادهم.

١٤٨٩٣ – حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله: « حتى عفوا »، كثروا كما يكثر النّبات والرّيش،(٢) ثم أخذهم عند ذلك بغتة وهم لا يَشْعُرون.

* * *

(١) « جم الشىء »، و « استجم »، كثر. و « مال جم »، كثير.
(٢) « الريش » (بكسر الراء): المتاع والأموال.

وقال آخرون : معنى ذلك : حتى سُرُّوا .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٨٩٤ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « حتى عفوا » ، يقول : حتى سُرّوا بذلك .

* * *

٧/٩ قال أبو جعفر : وهذا الذى قاله قتادة فى معنى : « عفوا » ، تأويلٌ لا وجه له فى كلام العرب . لأنه لا يعرف « العفو » بمعنى السرور ، فى شىء من كلامها ، إلاّ أن يكون أراد : حتى سُرُّوا بكثرتهم وكثرةِ أموالهم ، فيكون ذلك وجهاً ، وإن بَعُد .

* * *

وأما قوله : « وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء » ، فإنه خبرٌ من الله عن هؤلاء القوم الذين أبدلهم مكان الحسنة السيئة التى كانوا فيها ، استدراجاً وابتلاءً ، أنهم قالوا إذ فعل ذلك بهم : هذه أحوال قد أصابتْ من قبلنا من آبائنا ، ونالت أسلافَنا ، ونحن لا نعدُو أن نكون أمثالَهم يصيبنا ما أصابهم من الشدة فى المعايش والرخاء فيها = وهى « السراء » ، لأنها تَسرُّ أهلها .(١)

وجهل المساكين شكرَ نعمة الله ، وأغفلوا من جهلهم استدامةَ فضلهِ بالإنابة إلى طاعته ، والمسارعة إلى الإقلاع عما يكرهه بالتوبة ، حتى أتاهم أمره وهم لا يشعرون .

يقول جل جلاله : « فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون » ، يقول : فأخذناهم بالهلاك والعذاب فجأة ، أتاهم على غِرّة منهم بمجيئه ،(٢) وهم لا يدرون ولا يعلمون أنّه يجيئهم ، بل هُم بأنه آتيهم مكذّبون حتى يعاينوه ويَرَوه .(٣)

* * *

---

(١) انظر تفسير « السراء » ومراجعه فيما سلف قريباً ص : ٥٧٣ ، تعليق : ١ .

(٢) انظر تفسير « البغتة » فيما سلف ١١ : ٣٢٥ ، ٣٦٠ ، ٣٦٨ .

(٣) انظر تفسير « شعر » فيما سلف ص : ٩٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾

سقط تفسير هذه الآيات الثلاث من المطبوعة ، ولم ينبه إليه الناشر . وهو ساقط أيضاً من المخطوطة ، وقد ساق الكلام فيها متصلا ليس بينه بياض ، فسها عن هذه الآيات الثلاث .

والظاهر أن هذا نقص قديم ، لا أدرى أهو من الطبرى نفسه ، أم من ناسخ النسخة العتيقة التى نقلت عنها نسختنا ، أم من ناسخ نسختنا التى بين أيدينا .

والدليل على أنه خرم قديم ، أنى لم أجد أحداً قط نقل شيئاً عن الطبرى وأخباره فى تفسير هذه الآية . لم يذكر ابن كثير شيئاً منسوباً إلى ابن جرير ، ولا السيوطى فى الدر المنثور ، ولا القرطبى ، ولا أبو حيان ، ولا أحد ممن هو مظنة أن ينقل عن أبى جعفر . فهذا يكاد يرجح أن جميع النسخ التى وقعت فى أيديهم كان فيها هذا الخرم ، ولكن لم ينبه أحد منهم إليه . ومن أجل ذلك وضعت الآيات وحدها ، وتركت مكان الخرم بياضاً فى هذه الصفحة والتى تليها .

القول فى تأويل قوله ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ (٩٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : أفأمن ، يا محمد ، هؤلاء الذين يكذّبون الله ورسوله ، ويجحدون آياته ، استدراجَ الله إيّاهم بما أنعم به عليهم فى دنياهم من صحّة الأبدان ورخاء العيش ، كما استدرج الذين قصّ عليهم قصصهم من الأمم قبلهم ،(١) فإنّ مكر الله لا يأمنه ، يقول : لا يأمن من ذلك أن يكون استدراجاً ، مع مقامهم على كفرهم ، وإصرارهم على معصيتهم = « إلا القوم الخاسرون » ، وهم الهالكون .(٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ (١٠٠)

قال أبو جعفر : يقول : أوَ لم يَبن للّذين يُستخلفون فى الأرض بعد هلاك آخرين قبلهم كانُوا أهلها ،(٣) فساروا سيرتهم ، وعملوا أعمالهم ، وعتوا عن أمر ربهم = « أنْ لو نشاء أصبناهم بذنوبهم » ، يقول : أن لو نشاء فعلنا بهم كما فعلنا بمن قبلهم ، فأخذناهم بذنوبهم ، وعجّلنا لهم بأسَنا كما عجلناه لمن كان قبلهم ممن ورثوا عنه الأرض ، فأهلكناهم بذنوبهم = « ونطبع على قلوبهم »،(٤) يقول :

---

(١) انظر تفسير « المكر » فيما سلف ص : ٩٥ ، ٩٧ تعليق : ١ ، والمراجع هناك

(٢) انظر تفسير «الخسران» فيما سلف ص : ٥٧٠ تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « هدى » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) .

(٤) انظر تفسير « الطبع » فيما سلف ١ : ٢٥٨ – ٩/٢٦١ : ٣٦٤ .

ونختم على قلوبهم = « فهم لا يسمعون » ، موعظةً ولا تذكيراً ، سماعَ منتفع بهما .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٨٩٥ – حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد : « أولم يهد » ، قال : يبيِّنْ .

١٤٨٩٦ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٤٨٩٧ – ... قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنى معاوية، عن على ، عن ابن عباس قوله : « أو لم يهد » ، أو لم يُبَيِّنْ .

١٤٨٩٨ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها » ، يقول : أو لم يتبين لهم .

١٤٨٩٩ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها » ، يقول : أو لم يتبين للذين يرثون الأرض من بعد أهلها = هم المشركون .

١٤٩٠٠ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها » ، أولم نُبَيِّنْ لهم = « أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم »، قال: و« الهدى » ، البيان الذى بُعث هادياً لهم ، مبيِّنًا لهم حتى يعرفوا . لولا البيان لم يعرفُوا .

* * *

تمّ الجزء الثانى عشر من تفسير الطبرى

ويليه الجزء الثالث عشر ، وأوّله

القول فى تأويل قوله :

﴿ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾

تتمة التخريج

بسم الله الرحمن الرحيم

تتمة التخريج

١ – الحديث : ١٣٨٠٩ « سعيد بن سليمان » فى إسناده : هو « سعيد بن سليمان الضبى الواسطى » . وهو ثقة معروف ، مترجم فى التهذيب ، وهو يروى عن شريك بن عبد الله بن أبى شريك القاضى . فليس هناك احتمال أن يكون الاسم محرفاً عن اسم آخر .

٢ – الحديث : ١٣٨٢٥ ذكره ابن كثير ٣ : ٣٨٨ ، من رواية ابن أبى حاتم ، ثم أشار إلى هذه الرواية عند الطبرى وإلى روايته عند البزار أيضاً ، ثم قال : « وهذا فيه نظر من وجوه ثلاثة : أحدها : أن اليهود لا يرون إباحة الميتة حتى يجادلوا . الثانى : أن الآية من الأنعام ، وهى مكية . الثالث : أن هذا الحديث رواه الترمذى عن محمد بن موسى الحرشى ، عن زياد بن عبد الله البكائى ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، بلفظ : أتى ناس النبىّ صلى الله عليه وسلم – فذكره ، وقال : حسن غريب ، وروى عن سعيد بن جبير مرسلا » . ثم ذكر روايتين من الطبرانى وأبى داود ، من طريقين عن ابن عباس ، وذكر أن حديث أبى داود رواه أيضاً ابن ماجة وابن أبى حاتم ، وأن إسناده صحيح . ثم قال : « ورواه ابن جرير من طرق متعددة عن ابن عباس ، وليس فيه ذكر اليهود . فهذا هو المحفوظ ، لأن الآية مكية ، واليهود لا يبيحون الميتة » .

وهذا تعليل صحيح جيد من الحافظ ابن كثير . والظاهر أن الوهم فى ذكر اليهود فى هذا الحديث هو من « عمران بن عيينة » راويه عن عطاء بن السائب .

وعمران هذا : هو أخو سفيان بن عيينة. وهو صالح الحديث — كما قال ابن معين وأبو زرعة، ولكنه كان يخطئ فى رواياته، ولذلك جرحه أبو حاتم بأنه «لا يحتج بحديثه ، لأنه يأتى بالمناكير » .

٣ — الخبر : ١٤١٥٧ هو وإن كان إسناده صحيحاً إلى كعب الأحبار ، ولكنه خبر منكر ، من الأقوال التى كان يقولها كعب هذا ، ثم لا نجد عليها أمارات الصحة فيما ينقل عن كتبهم . فينبغى التحرز من قبول مثل هذه الروايات .

٤ — الحديث : ١٤٢٤٣ الحديثان اللذان رواهما وهب بن جابر الخيوانى عن عبد الله بن عمرو — اللذان أشار إليهما أخى السيد محمود فى التعليق هنا — هما فى الحقيقة جزآن من رواية واحدة رواها وهب بن جابر عن عبد الله بن عمرو ، ومعهما جزء ثالث فى طلوع الشمس من مغربها . وقد روى الحاكم هذه الروايات فى رواية واحدة (٤ : ٥٠٠ — ٥٠١ من المستدرك) ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى . وقد روى منه قبل ذلك حديث « كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت » (المستدرك ١ : ٤١٥) ، وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووهب بن جابر من كبار تابعى الكوفة » . ووافقه الذهبى على تصحيحه . وكذلك روى هذا أحمد فى المسند : ٦٤٩٥ ، ٦٨١٩ ، ٦٨٢٨ ، ٦٨٤٢ . والظاهر الراجح عندى أن الحديث الذى رواه الطبرى هنا — هو جزء آخر من ذلك الحديث المطول ، ولكنى لم أجده متصلا به ، وإن كان الراجح عندى اتصاله .

٥ — الحديثان : ١٤٢٤٤ ، ١٤٢٤٥ هما من رواية جعفر بن عون عن المسعودى ، ومن رواية ابن علية عن المسعودى — عن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود . فذكر أخى السيد محمود فى تعليقه هنا أن « المسعودى » فى الإسنادين هو : « عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن مسعود » .

ثم أشار إلى بيان لى مضى فى الحديث : ٥٩١٩ (ج ٨ ص ٣٧٠ —

٣٧١) فى رواية لسفيان بن عيينة « « عن المسعودى عن القاسم » — ذكرت فيه أن « المسعودى » هو : « معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود » . وجزم بأن الصواب أن « المسعودى » هناك هو « المسعودى » هنا ، أى « عبد الرحمن بن عبد الله » .

وحين قرأت هذا ورجعت إلى بعض التراجم بدا لى أنه هو الصواب ، وكدت أكتبه هنا . ثم رأيت أن أزيد الأمر استيثاقاً ، فعدت إلى التراجم متأنياً ، ومراجعاً إياها فى التهذيب الكبير « تهذيب الكمال » ، فاستيقنت أن ما قلته هناك صحيح ، وأن ما قاله أخى السيد محمود فى الإسنادين اللذين هنا صحيح .

وذلك : أن لقب « المسعودى » ذائع فى كثرة من الرواة ، من أسرة عبد الله بن مسعود ، وأن الأمر يشتبه على المحدثين أحياناً فى تعيين شخص « المسعودى » فى إسناد معين ، إلا بقرائن قوية .

فالإسنادان اللذان هنا فيهما أن « المسعودى » يروى عن « القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود » . والذى يروى عن المسعودى هو « جعفر بن عون » فى أولهما ، و « ابن علية » فى ثانيهما . فعن ذلك يتعين أن يكون المسعودى هو : « عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود » ، وهو يروى عن ابن عم أبيه « القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود » . ولكن عبد الرحمن هذا متأخر قليلا ، هو من طبقة شعبة والثورى وابن عيينة ، ومات سنة ١٦٠ . ويروى عنه — جعفر بن عون وطبقته . ومن غير المحتمل أن يكون « المسعودى » فى هذين الإسنادين هو « معن بن عبد الرحمن » ، لأنه قديم لم يدركه جعفر بن عون وطبقته ، بل هو من شيوخ الثورى وطبقته ، ويروى عنه أيضاً « المسعودى عبد الرحمن بن عبد الله » الذى فى هذين الإسنادين .

وأما الإسناد السابق : ٩٥١٩ — الذى أشار إليه أخى السيد محمود — فشىء آخر :

وذلك : أنه مضى (ج ٨ ص ٣٧٠) الإسنادان : ٩٥١٨ ، ٩٥١٩ .
وهما فى الحقيقة ثلاثة أسانيد :

فالأول : من رواية سفيان « عن المسعودى ، عن جعفر بن عمرو بن حريث ، عن أبيه ، عن ابن مسعود » .

والثانى : من رواية سفيان ، عن المسعودى ، عن القاسم » — مرسلا .

والثالث : يقول فيه المسعودى : « فحدثنى جعفر بن عمرو بن حريث، عن أبيه » — مرفوعاً ، دون ذكر ابن مسعود .

فلو كان الإسناد الثانى وحده — دون ما قبله وما بعده — لاحتمل أن يكون « المسعودى » هو « عبد الرحمن بن عبد الله » ، وتكون رواية سفيان عنه من رواية الأقران ، وهى كثيرة .

ولكن الإسنادين الأول والثالث، اللذين فيهما رواية « المسعودى » عن جعفر بن عمرو بن حريث » — يعينان أن « المسعودى » فيهما هو : « معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود » وهو أخو « القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود » . وهو معروف بالرواية عن أخيه « القاسم » . وهو المذكور وحده من « المسعوديين » فى الرواة عن « جعفر بن عمرو بن حريث » فى تهذيب التهذيب ، وفى التهذيب الكبير للمزى ، الذى يستوعب فى ترجمة المترجم كل شيوخه وكل الرواة عنه . و « جعفر بن عمرو بن حريث » من طبقة قديمة ، لا أظن أن « المسعودى عبد الرحمن بن عبد الله » أدرك أحداً منها . وإنما يروى عن الرواة عنها ، كابن عم أبيه « معن بن عبد الرحمن » .

وعن ذلك لا يزال الراجح عندى —الشبيه باليقين— أن « المسعودى » فى ذينك الإسنادين السابقين : ٩٥١٨ ، ٩٥١٩ — هو « معن بن عبد الرحمن » ، وهو الصواب إن شاء الله .

٦ – ص ٣٠٨ – ٣٠٩ حديث « ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه يوم القيامة . . . » . ذكر أخى السيد محمود أن معناه رواه الترمذى فى أبواب صفة القيامة من حديث عدى بن حاتم ، وأنه قال : « هذا حديث حسن صحيح » . وأزيد أنه رواه أيضاً البخارى ومسلم ، كما فى شرح الترمذى للمباركفورى ج ٣ ص ٢٩١ . وفى معناه حديث آخر لابن عمر ، رواه أحمد والشيخان مطولاً . وقد مضى مطولاً ومختصراً : ٦٤٩٦ ، ٦٤٩٧ (ج ٦ ص ١١٩ – ١٢٠) . وفصلنا تخريجه هناك .

٧ – الحديث : ١٤٤٤٥ التابعى « . . . بن عمرو » الراوى عن ابن عباس ، والذى كتب فى مخطوطة الطبرى برسم غير مقروء ، والذى كتب فى مطبوعته « الزباء بن عمرو » ! ، والذى كتب فى مطبوعة ابن كثير « الديال بن عمرو » – هذا التابعى لم أستطع أنا أيضاً أن أعرف من هو ؟ ولا على أى رسم صحيح يرسم اسمه . ومن عجائب المصادفات أن هذا الإسناد بعينه سقط من مخطوطة الأزهر من ابن كثير، مع ثبوته فى مطبوعته . وقد تتبعت أسماء الرواة عن ابن عباس فى التهذيب الكبير للمزى – وهو عادة يذكر الرواة بالاستقراء التام – فلم أجد مايشبه أن يكون تصويباً لهذا الاسم المشكل . وكذلك تتبعت أسماء التابعين القريبى الرسم من هذا الرسم – فى ثقات ابن حبان ، فأعجزنى أن أعرفه .

٨ – الحديث : ١٤٤٤٦ فى لفظه : « ما عمل أحد قط سرًّا إلا ألبسه الله رداء علانية » – فأشار أخى السيد محمود إلى أن اللفظ فى تفسير ابن كثير ، نقلاً عن هذا الموضع من الطبرى : « ما أسر أحد سريرته » وتساءل من أين أتى هذا الاختلاف ؟ ! وقد جاء هذا الاختلاف من تصرف طابع ابن كثير فى غالب الظن ، لأن النص فى المخطوطة الأزهرية من تفسير ابن كثير (ج ٣ ص ١٩٤) موافق لما فى الطبرى هنا .

٩ – الحديث : ١٤٦١٥ ، ١٤٦١٦ رواه أحمد فى المسند : ٨٧٥٤ (ج ٢ ص ٣٦٤ – ٣٦٥ حلبى) .

١٠ – الحديث : ١٤٦٦٥ هو على اليقين من حديث أبي هريرة، كما حقق أخي السيد محمود . وما في الطبري [عن أبي سعيد] خطأ لاشك فيه . ولم أجده في مسند أبي سعيد من مسند الإمام أحمد . وهو ثابت فيه من حديث أبي هريرة : ١٠٦٦٠ (ج ٢ ص ٥١٢ حلبي) .

١١ – الحديث : ١٤٦٦٩ هكذا رواه الطبري مختصراً من حديث أبي سعيد وحده . وهو مطول في صحيح مسلم (٢ : ٣٥١ طبعة بولاق) ، من حديث أبي سعيد وأبي هريرة معاً ، كما ذكر أخي السيد محمود . وأزيد أنه رواه أيضاً أحمد في المسند : ٨٢٤١ (ج ٢ ص ٣١٩ حلبي) ، من حديثهما ، كرواية مسلم .

١٢ – الحديث : ١٤٨٠٥ « الحرث بن حسان البكري » : ترجمه ابن سعد ٦ : ٢٢ باسم « الحرث » ، ثم ترجمه مرة أخرى ٧ / ١ / ٣٩ باسم « حريث بن حسان الشيباني » ، وأشار إلى قصته مع هذه المرأة التي رافقته في سفره ، وهي « قيلة بنت مخرمة » . وحديثها في ترجمتها في الإصابة ٨ : ١٧١ – ١٧٣ ، والزوائد ٦ : ٨ – ١٢ .

كتبه

أحمد محمد شاكر

الفهارس

فهرس الآيات التى استدل بها فى غير موضعها من التفسير

السورة/الآية	الصفحة
آيات سورة البقرة	
٢٢	٣٥٨
٦٣	٣٢١
١٤٣	٣٠٨
٢٤٦	٦٨
٢٥٥	١٦
٢٥٧	٩٢
* * *	
آيات سورة آل عمران	
٧	٤٧٩
١٧٣	٧٦
١٨٥	٣٣١
* * *	
آيات سورة النساء	
٦	٢٢٢، ٢٢٤
٢٢، ٢٣	٧٣
٤٠	٢٨٠
١٧٦	٦٨، ٢٤٠، ٣٤٨
* * *	
آيات سورة المائدة	
٣	٦٩
٥	٨٧
١٠٣	١٣٢
* * *	

السورة/الآية	الصفحة
آيات سورة الأنعام	
١٤	٢١٦
٢٨	٤٤
٤٥	٥٢٤
١١٢	٧٨، ٨٣
١٢٥	٢٩٥
١٥١	٧٤
١٦١	٢٧١
* * *	
آيات سورة الأعراف	
٢	٤٧٧
٧، ٨	٤٥٣
١٢	٤١
٢٧	٣٥٥
٣٣	٧٢
٤٨	٤٥٤
٨٧	٤٨٩
١٥٠	٣٣٧
١٦٩	٢٤٢
١٨٩	١٨٣
* * *	
آيات سورة التوبة	
٥	٣٢، ٢٧٢
٣٦	٢٨٢
٨٣	٦٢
* * *	

السورة/الآية	الصفحة
آيات سورة يونس	
٦٩	٣٩٨
٩٠	١٤
* * *	
آيات سورة هود	
٢٧	٥٠١
٤٠	٥٠٢
٥٣–٥٦	٥٠٨
٦٥	٥٢٥
٦٧	٤٨٩
٨٨	٥٦٧
١٠٥	٤٠٩
* * *	
آيات سورة يوسف	
٢٠	٥٥٥
٤٠	٢٨٢
١٠٠	٤٧٩
* * *	
آيات سورة الحجر	
٣٦–٣٨	٣٣١
٣٧، ٣٨	٣٣٠، ٣٣١
٤٧	٤٣٨
* * *	
آية سورة النحل	
٦٢	١٥٢
* * *	

السورة/الآية	الصفحة
آية سورة الكهف	
١٠٣	٩٤
* * *	
آية سورة مريم	
٣	٤٨٥
* * *	
آيات سورة طه	
٧٧	١٤
١٢٠	٣٤٩
* * *	
آيات سورة الأنبياء	
١٥	٣٠٣
٢٣	٢١٢
٣٥	٣٣١
٩٥	٤١
١٠٤	٣٨٦، ٣٨٧
* * *	
آيات سورة الحج	
٤٦	٢٤
٧٢	٥٥٩
٧٨	١٠٤
* * *	
آيات سورة المؤمنون	
٥١، ٥٢	٤٠٦
* * *	
آيات سورة الفرقان	
٢٢	١٤٠
٦٧	١٧٤
* * *	

السورة/الآية	الصفحة
آيات سورة الشعراء	
٦١	١٤
٧٧	٣٦
١٢٨–١٣١	٥٠٨
١٥٥	٥٢٥، ٥٣٠
١٧١	٥٥٣
١٨٩	٥٦٦
* * *	
آيات سورة النحل	
٤٨–٥١	٥٢٧
٤٨–٥٢	٥٣٥
٤٩	٣٤٩، ٥٢٦، ٥٢٧
* * *	
آية سورة القصص	
٧٨	٣٠٨
* * *	
آية سورة العنكبوت	
٥٧	٣٣١
* * *	
آيات سورة الروم	
٣٠	٢٨٢
٤٦	٤٩١
* * *	
آية سورة لقمان	
١٣	١٢٤
* * *	
آية سورة الأحزاب	
٣٧	١٨٣
* * *	

السورة/الآية	الصفحة
آيات سورة فاطر	
١٠	٤٢١
١٢	١٢٢
* * *	
آيات سورة يس	
٥٢	٤٩٤
٦٠، ٦١	٣٠٧
* * *	
آية سورة الصافات	
١٣٥	٥٥٣
* * *	
آيات سورة ص	
٦	٤٤٥
٤٦	١٤٩
٥٨	٤٤٦
٧٩–٨١	٣٣١
٨٠، ٨١	٣٣٠، ٣٣١
* * *	
آيات سورة الزمر	
٥٦–٥٨	٤٥
* * *	
آيات سورة فصلت	
١٧	٥٢٦
٢٥	٥٦
* * *	
آيات سورة الشورى	
١٣	٢٣٠، ٤٤٤
٥١	١٦
* * *	

السورة/الآية	الصفحة
آية سورة الزخرف	
٣٦	١١٩
* * *	
آيات سورة الجاثية	
٢٨، ٢٩	٣١٢
* * *	
آيات سورة الأحقاف	
٢٣، ٢٤	٥١٩
٢٤، ٢٥	٥١٢
٢٥	٥٢٠
* * *	
آيات سورة الفتح	
١	٥٦٥
١٥	٦٢
* * *	
آية سورة الحجرات	
٢	٢٤٠
* * *	
آية سورة الذاريات	
٤٩	١٨٣
* * *	
آيات سورة القمر	
٢٠	٥٢٠
٢٩	٥٢٧
* * *	

السورة/الآية	الصفحة
آيات سورة الرحمن	
١٩ــ٢٢	١٢١
٣٩	٣٠٨
* * *	
آية سورة الحديد	
١٣	٤٤٩
* * *	
آية سورة الممتحنة	
١	٣٦
* * *	
آية سورة التغابن	
٢	٣٨٢
* * *	
آية سورة الطلاق	
١	٢٩٨، ٥٤٩
* * *	
آية سورة الحاقة	
٦	٥٢٠
* * *	
آيات سورة القيامة	
١٤، ١٦، ١٧، ١٩، ٢٢، ٢٣	
* * *	
آية سورة الإنسان	
٣١	٣٨٧
* * *	
آيات سورة المرسلات	
٢٥، ٢٦	٣٥٩
* * *	

السورة/الآية	الصفحة
آية سورة المطففين	
١٥	٢٠
* * *	
آيات سورة البينة	
٤	٢٨٦
٥	٢٨٢
* * *	

السورة/الآية	الصفحة
آيات سورة العصر	
١، ٢	٢٣٣، ٥٤٥
* * *	
آية سورة الكافرون	
٦	٢٨٦
* * *	

فهرس اللغة

هذا الفهرس مرتب على ترتيب معاجم اللغة ، على أصل الاشتقاق ، وعلى آخر الأصل باباً ، وأوله فصلاً .

(بدأ) بدأ : ٣٨٢ ، ٣٨٧
(بوأ) بوأه : ٥٤١
(ذرأ) ذرأ : ١٣٠ ، ١٣١
ذرية : ١٢٧ ، ١٢٨
(سوأ) ساء : ١٣٥
سوء العذاب : ٢٤٥
مسّه بسوء : ٥٤٠
السيئة : ٢٧٥ ، ٥٧٣
السوأة : ٣٤٧ ، ٣٥١ — ٣٥٥ ، ٣٦١ ، ٣٧٣
(ملأ) الملأ : ٤٩٩ ، ٥٠٣ ، ٥٤٢ ، ٥٦١ ، ٥٦٥
(نبأ) نبّأ : ٣٧ ، ٢٧٤ ، ٢٨٧
(نشأ) أنشأ : ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٥٥ ، ١٥٦

* * *

(حجب) حجاب ٤٤٩
(حسب) حسب : ٣٨٨
(ذهب) أذهبه : ١٢٦
(ربب) الربّ : ٢٨٦ ، ٤٨٢
(سبب) سببه : ٣٣
(صحب) أصحاب الجنة : ٤٣٧ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٦٤ ، ٤٧٢
أصحاب النار : ٤٠٧ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٦٦ ، ٤٧٢
أصحاب الأعراف : ٤٦٧
(صوب) أصابه : ٩٦
أصابه بذنبه : ٥٧٩
(طيب) الطيبات : ٣٩٦
البلد الطيب : ٤٩٥
(عقب) عاقبة : ١٢٩ ، ٥٥٣ ، ٥٦٠
(غضب) غضب الله : ٥٢١
(غيب) غائب : ٣٠٧
(قرب) يَقْرَب : ٢٢١ ، ٣٤٥
قريب : ٤٨٧ — ٤٨٩
ذو القربى : ٢٢٥
(قلب) تقليب الأفئدة : ٤٤
(كتب) الكتاب : ٤٠٨ — ٤١٤ ، ٤٧٧
(كسب) كسب : ٧٦ ، ١٢٠ ، ٢٦٦ ، ٢٨٦ ، ٤٢٠
(لعب) اللعب : ٤٧٤
(نصب) نصيب : ١٣١ ، ٤٠٨

* * *

(بغت) بغته : ٥٧٦

(بيت) البيات : ٢٩٩
(موت) مَيْتٌ : ٨٨ ، ٨٩
ميتة : ١٥٠ ، ١٩٠، ١٩٦
بلد ميت : ٤٩٢
(نبت) نبات : ٤٩٥
(نحت) ينحت : ٥٤١

* * *

(حثث) حثيث : ٤٨٣
(حرث) الحرث : ١٣٠ ، ١٣٩
(خبث) خبث : ٤٩٥
(ورث) أورثه : ٤٤٢ ،
يرث : ٥٧٩

* * *

(حجج) الحجة البالغة : ٢١١، ٢١٢
(حرج) حَرَج : ١٠٣ — ١٠٧، ٢٩٥ ، ٢٩٦
الحرجة : ١٠٣ ، ١٠٤
حِرْجٌ : ١٤٢
(خرج) الإخراج : ٢١١
أخرج لعباده : ٣٩٥
أخرج الموتى : ٤٩٣
(درج) درجة : ١٢٥ ، ٢٨٩
(زوج) زوج ، الأزواج : ١٤٩، ١٥٠ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ٣٤٥
(عوج) العوج : ٤٤٨ ، ٥٥٩
(ولج) يلج : ٤٢٧

* * *

(روح) إرسال الرياح : ٤٩٠
(سبح) سبحان : ١٠
(سفح) مسفوح : ١٩٠ ، ١٩٢
(شرح) شرح صدره : ٩٨
(صلح) أصلح : ٤٠٦، ٤٨٧ ، ٥٥٦
الصالحات : ٤٣٧
(فتح) يفتح ، الفاتح ، ٥٦٣ — ٥٦٥
تفتح أبواب السماء : ٤٢١ — ٤٢٦
(فلح) أفلح : ١٣٠ ، ٣١٢ ، ٥٠٥
(نصح) ينصح ، الناصح : ٣٥١ ، ٥٠٠ ، ٥٠٤ ، ٥٤٧ ، ٥٧١

* * *

(جحد) يجحد : ٤٧٦
(جهد) جَهْدَ أيمانهم : ٣٧
(حصد) الحصاد : ١٥٨ — ١٧٣
(خلد) خالد : ١١٨ ، ٣٤٨ ، ٤٠٧ ، ٤٣٧
(سجد) سجد : ٣٢٣
مسجد : ٣٨٠ ، ٣٨٩
(شدد) يبلغ أشدّه : ٢٢٢ — ٢٢٤
(شهد) شهد : ٢١٣
شهد على نفسه : ١٢٣ ، ٤١٥
شهداء : ١٨٩ ، ٢١٣
(صدد) صدّ : ٤٤٨ ، ٥٥٩
(صعد) يصعد فى السماء : ١٠٩ ، ١١٠
(عبد) عبد : ١٢ ، ١٣
(عهد) عهد الله : ٢٢٦

(عود) عاد ، يعود : ٣٨٢ ، ٥٦١ ، ٥٦٢
(فأد) أفئدة : ٥٨
(فسد) أفسد فى الأرض : ٤٨٧ ، ٥٤٢ ، ٥٥٦ ، ٥٦٠
(قعد) قعد : ٥٥٦
(مهد) مهاد : ٤٣٥
(نكد) نَكِدٌ : ٤٩٥
(هود) هادَ : ١٩٨
(وعد) وعد ، أوعد : ٥٥٨ ، ٥٥٩

* * *

(أخذ) أخذه بالبأساء : ٥٧٢
أخذه بغتة : ٥٧٣
أخذته الرجفة : ٥٤٤ ، ٥٦٦
أخذ زينته : ٣٨٩
أخذه العذاب : ٥٤٠
اتخذ : ٣٣٨ ، ٤٧٤

* * *

(أخر) الآخرة : ٢١٤
أخراهم : ٤١٧ ، ٤١٩
يستأجر : ٤٠٥
(أمر) الأمر : ٤٨٣
(بشر) بُشراً : ٤٩٠ — ٤٩٢
(بصر) بصيرة ، بصائر : ٢٤
أبصر : ٢٥
(بقر) البقر : ١٨٨ ، ٢٠١
(ثمر) الثمر : ١٥٧
أثمر : ١٥٧
(حجر) حجرٌ : ١٤٠ — ١٤٢
(حشر) حشر : ٤٦ ، ٥٠ ، ١١٥
(خبر) الخبير : ٢٣
(خسر) خسر ، الخاسر : ١٥٣ ، ٣١٥ ، ٣٥٧ ، ٤٨١ ، ٥٦٥ ، ٥٧٠ ، ٥٧٩
(دبر) قطع دابره : ٥٢٣ ، ٥٢٤
(دحر) مدحور : ٣٤٣
(ذكر) ذكَر ، تذكّر : ١١٣ ، ٢٢٦ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٧٢ ، ٤٩٣ ، ٥٠٤ ، ٥٤٠ ، ٥٦٠
ذكرٌ : ٥٠١ ، ٥٠٤
ذكرى : ٢٩٧
(سخر) مسخّر : ٤٨٣
(سرر) السراء : ٥٧٣ ، ٥٧٦
(شعر) شعر ، أشعر : ٣٨ — ٤٠ ، ٩٣ ، ٥٧٦
(صبر) صبر : ٥٦٠ ، ٥٦١
(صغر) الصاغر ، صغارٌ : ٩٦ ، ٩٧ ، ٣٣٠
(صور) صوّره : ٣١٧ — ٣٢١
(ضرر) الضراء : ٥٧٢ ، ٥٧٣
اضطر : ٧٠ ، ١٩٧
(طهر) تطهر : ٥٤٩ ، ٥٥٠
(ظفر) ذو ظفر : ١٩٨ — ٢٠٠
(ظهر) ظهر : ٢١٨ — ٢٢٠ ، ٤٠٢
ظاهر الإثم : ٧٢ — ٧٥
(عشر) معشر : ١١٥ ، ١٢٠
(عقر) عقر : ٥٤٣

(غبر) غبر ، غبوراً ، الغابر : ٥٥١ — ٥٥٣
(غرر) غرّه ، غرور : ٥٦ ، ١٢٣ ، ٣٥١ ، ٤٧٥
(غفر) غفر : ٣٥٧
غفور : ١٩٧ ، ٢٨٩
(قرر) مستقرّ : ٣٥٨
(كبر) أكابر : ٩٤
تكبر : ٣٢٩
استكبر : ٤٠٧ ، ٤٢١ ، ٤٦٧ ، ٥٤٢ ، ٥٦١
(كثر) كثّره : ٥٦٠
استكثر : ١١٥
(كفر) كفر ، الكافر : ٩٢ ، ١٢٣ ، ٤١٥ ، ٤٧٣ ، ٥٠٣، ٥٤٣، ٥٦٥، ٥٧١
(مكر) مكر ، يمكر : ٩٥ ، ٩٧
مكر الله : ٥٧٩
(نذر) أنذر : ١٢٠ ، ٢٩٧ ، ٥٠١ ، ٥٠٤
(نشر) نشراً : ٤٩٠ — ٤٩٢
(نظر) ينظر : ٢٤٥ ، ٤٧٨ ، ٥٥٣
أنظره : ٣٣١
انتظر ، منتظر : ٢٦٧ ، ٥٢٣
(نور) نوراً : ٨٨ — ٩٢
(وذر) يذر : ٤٦ ، ٥٧ ، ٧٢ ، ١٣٦ ، ٥٢٠ ، ٥٢٥
(وزر) وزير ، وزْر ، وازرة : ٢٨٦

* * *

(عجز) أعجز : ١٢٨
(معز) المعز : ١٨٨

* * *

(بأس) البأس : ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢٩٩ ، ٣٠٤
البأساء : ٥٧٢ ، ٥٧٣
(بخس) بخس : ٥٥٥
(درس) درست ، دارست : ٢٦ — ٣١
دراسة : ٢٤١
(رجس) الرجس : ١١٠ — ١١٢ ، ١٩٤ ، ٥٢١ ، ٥٢٢
(لبس) لبس عليه : ١٣٦
لباس : ٣٦١ ، ٣٧٣ — ٣٧٦
لباس التقوى : ٣٦٦ — ٣٧٢
(مسس) مسّه بسوء : ٥٤٠
مسه الغرّ : ٥٧٣
(وسوس) وسوس : ٣٤٦ ، ٣٤٧
(ريش) الريش ، الرياش : ٣٦٣ — ٣٦٦

* * *

(عرش) العرش : ٤٨٢ ، ٤٨٣
معروش : ١٥٦
(عيش) معايش : ٣٦
(فحش) فاحشة ، فواحش : ٢١٨ ، ٣٧٧ ، ٤٠٢ ، ٥٤٧
الفحشاء : ٣٧٧
(فرش) الفَرْش : ١٧٨ — ١٨١

* * *

(خرص) يخرص : ٦٥ ، ٢١١
(خلص) خلص ، أخلص خالصة ١٤٩ ، ٣٨١ ، ٣٩٩
(قصص) قصّ عليه ، يقص : ١٢٠ ، ٣٠٧ ، ٤٠٥

* * *

(عرض) أعرض : ٣٢
(فيض) أفاض : ٤٧٢ ، ٤٧٣

* * *

(بسط) بسطة : ٥٠٥
(خلط) ما اختلط بعظم : ٢٠٥
(خيط) سم الخياط : ٤٢٧–٤٣٥
(سرط) صراط : ٥٥٦ – ٥٥٨
صراط مستقيم : ١١٣ ، ٢٢٨ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٣٣٣ – ٣٣٨
(سلط) سلطان : ٤٠٤ ، ٥٢٣
(قسط) القسط : ٢٢٤ ، ٣٧٩
(هبط) اهبط : ١٥٨ ، ٢٣٩

* * *

(حفظ) حفيظ : ٢٥ ، ٣٣

* * *

(بدع) بديع : ١١
(تبع) تبع ، اتّبع : ٣٢ ، ٦٤ ، ١٨٢ ، ٢١٠ ، ٢١٤ ، ٢٢٨ ، ٢٣٨ ، ٢٩٧ ، ٣٤٥ ، ٥٦٥
(جمع) الجمع : ٤٦٧
(رجع) مرجع : ٣٧ ، ٢٨٧
(سرع) سريع العقاب : ٢٨٩

(سمع) يسمع : ٥٨٠
السميع : ٦٣
(شفع) شفعاء : ٤٨١
يشفع : ٤٨١
(شيع) الشيع : ٢٦٩
(ضرع) تضرّع : ٤٨٥ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣
(طبع) يطبع على قلبه : ٥٧٩
(طمع) يطمع : ٤٦٤
الطمع : ٤٨٧
(قطع) قطع دابره : ٥٢٣ ، ٥٢٤
(متع) متاع : ٣٥٩
استمتع : ١١٦
(منع) ما منعك : ٣٢٣
(نزع) نزع : ٤٣٧
(وسع) الوسع : ٢٢٥ ، ٤٣٧ ، ٥٦٢
واسعة : ٢٠٧
(وقع) وقع عليه غضب : ٥٢١

* * *

(بلغ) بلغ : ١١٧
بلّغه ، أبلغه : ٥٠٠ ، ٥٠٤ ، ٥٤٧ ، ٥٧١
بلغ أشدّه : ٢٢٢ – ٢٢٤
الحجة البالغة : ٢١٢

* * *

(حنف) حنيف : ٢٨٣
(خصف) يخصف : ٣٥٢
(خفف) خفت موازينه : ٣١٥
(خلف) خليفة ، خلائف : ٢٨٨ ، ٥٠٥ ، ٥٤٠ ، ٥٤١
استخلف : ١٢٦

(خوف) الخوف : ٤٨٧
لاخوف عليهم : ٤٠٦، ٤٦٩
(الرجف) الرجفة : ٥٤٤ ـ ٥٤٥ ، ٥٦٦
(زخرف) زخرف القول : ٥٥ ، ٥٦
(سرف) أسرف ، مسرف : ١٧٣ ، ١٧٧ ، ٣٩٥ ، ٥٤٨
(صدف) صدف : ٢٤٣ ، ٢٤٤
(صرف) صرف بصره : ٤٦٦
تصريف الآيات : ٢٥ ، ٢٦ ، ٤٩٦
(ضعف) ضِعْف : ٤١٧ ـ ٤١٩
استضعفه : ٥٤٢
(طوف) طائفة : ٢٤٠ ، ٥٦٠
(عرف) الأعراف : ٤٤٩ ـ ٤٦٠
أصحاب الأعراف : ٤٦٧
(قرف) اقترف : ٥٩ ، ٧٦
قرفه بتهمة : ٥٩
(كلف) كلّفه : ٢٢٥ ، ٤٣٧
(لطف) اللطيف : ٢٢
(وصف) الوصف : ١٠ ، ١١ ، ١٥٢

* * *

(خرق) خرق : ٨ ـ ١٠
(خلق) خلق ، الخلق ، خالق : ٧ ، ١٢ ، ٣١٧ ، ٤٨٣
اختلق : ٨
(ذوق) ذاق البأس : ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٣٥١ ، ٤٢٠
(رزق) رزقه : ١٨٢، ٢١٧، ٤٧٣
(سوق) ساق السحاب : ٤٩٢
(ضيق) ضيق : ١٠٣، ١٠٧، ١٠٨
(طفق) طفق : ٣٥٢
(فرق) فرقوا دينهم، فارقوا دينهم : ٢٦٨ ، ٢٦٩
تفرق : ٢٢٩
فريق : ٣٨٨
(فسق) فسق : ٧٦ ، ٨٥ ، ١٩٥
(ملق) إملاق : ٢١٧

* * *

(برك) مبارك : ٢٣٨
تبارك : ٤٨٤
(درك) لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار : ١٣ـ٢٢
ادّارك : ٤١٦ ، ٤١٧
(شرك) المشرك : ٣٢ ، ٨٧ ، ١٣٥ ، ١٣٦
أشرك : ٣٢، ٣٣ ، ٢٠٨ ، ٢١٥ ، ٤٠٤
شريك ، شركاء : ٧ ، ١٣٠ ، ١٤٨ ، ٢٨٣
(فلك) الفُلْك : ٥٠٢
(نسك) النسك : ٢٨٣
(هلك) أهلك : ١٢٤ ، ٢٩٩

* * *

(أبل) الإبل : ١٨٨
(أجل) أجل : ١١٧ ، ٤٠٥
أجّل له : ١١٧
(أكل) أكْل : ١٥٧
(أول) أولاهم : ٤١٧ ، ٤١٩
التأويل : ٤٧٨

(بدل) بدّل : ٦٢ ، ٥٦٣
(ثقل:) ثقلت موازينه : ٣٠٩ — ٣١٤
سحاب ثقال : ٤٩٢
(جدل) جادل : ٨٦ ، ٥٢٣
(حمل) الحمولة : ١٧٨ — ١٨١
(جمل) الجُمَّل، الجمَل: ٤٢٧ — ٤٣٥
(جعل) جعل : ٧ ، ٣٣ ، ٥٠ ، ٨٩ ، ٩٣ ، ١٠٣ ، ١١٠ ، ١٣٠ ، ٢٨٧ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣٧٧ ، ٤٦٦ ، ٥٠٤ ، ٥٤٠
(رجل) رجال : ٤٦٠
(رسل) إرسال الرياح : ٤٩٠
(سبل) السبُل: ٢٢٨ ، ٢٢٩
سبيل الله : ٦٤ ، ٦٥ ، ٤٤٨ ، ٥٥٩
(سهل) سهول : ٥٤١
(شمل) شمائلهم : ٣٣٨ — ٣٤٢
اشتمل : ١٨٨
(ضلل) ضلّ ، يضل : ٦٤ ، ٦٥ ، ٧١ ، ١٠٣ ، ١٥٣ ، ١٨٩ ، ٤١٥ ، ٤١٧ ،
ضلّ عنه : ٤٨١
ضلال مبين : ٤٩٩
ضلالة : ٣٨٧ ، ٤٠٠
(عدل) يعدل : ٢١٤ ، ٢٢٥
(غفل) غافل : ١٢٤ ، ١٢٥ ، ٢٤١ ، ٢٤٢
(غلل) الغل : ٤٣٧
(فصل) فصّل ، تفصيل : ٦٩ ، ١١٣ ، ٢٣٧ ، ٤٠٢ ، ٤٧٧
مفصّل : ٦٠
(فضل) فضل : ٤١٩
(قبل) قبيل : ٣٧٦
قبلاً : ٤٨ — ٥٠
(قلل) قليلاً : ٢٩٨ ، ٣١٦
أقل ، استقل : ٤٩٢
(قيل) قائل ، قيلولة : ٢٩٩
(كيل) الكيل : ٥٥٥
(مثل) مثل، أمثال: ٢٨٠ ، ٢٨١
(ملل) ملة : ٢٨٢ ، ٥٦١ ، ٥٦٢
(نيل) ناله : ٤٠٨ ، ٤٦٩
(هلل) أهلّ به لغير الله : ١٩٥
(وكل) وكيل : ١٣ ، ٣٣
توكل : ٥٦٣

* * *

(أثم) الإثم : ٤٠٣
ظاهر الإثم وباطنه ؛ ٧٢ — ٧٥
(ألم) أليم : ٥٤٠
(أمم) أمّة: ٣٧ ، ٤٠٥ ، ٤١٥
(تمم) تمّ : ٦٢
تماماً : ٢٣٢ ، ٢٣٣
(جرم) أجرم ، مجرم : ٩٣ ، ٩٦ ، ٢٠٧ ، ٥٥٣
(جثم) جاثم : ٥٤٦ ، ٥٦٦
(حكم) يحكم، حاكم: ١٣٥، ٥٦١
حكم : ٦٠
حكيم : ١١٨ ، ١٥٣

(ذأم) مذؤوم : ٣٤٢ ، ٣٤٣
(رحم) رحم ، يرحم : ٢٣٩ ، ٣٥٧
الرحمة : ٢٣٨ ، ٣٤٣ ، ٤٧٧ ، ٤٨٧ ، ٤٩٢ ، ٥٠١ ، ٥٢٣
ذو رحمة : ١٢٦ ، ٣٠٧
رحيم : ١٩٧ ، ٢٩٠
الأرحام : ١٨٨
(زعم) الزعم : ١٣٠
(سلم) دار السلام : ١١٤
السلام : ١١٤ ، ٤٦٤
الإسلام : ٢٨٣
(سمم) سمّ ، سم الخياط : ٤٢٧ ، ٤٣٥
(سوم) سيما : ٤٦٤ ، ٤٦٧
(شحم) الشحوم : ٢٠١
(طعم) يطعم ، طاعم : ١٩٠
(ظلم) ظلم ، ظالم : ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٤ ، ١٣٠ ، ١٨٩ ، ٢٤٣ ، ٢٧٥ ، ٣٠٥ ، ٣١٥ ، ٣٤٦ ، ٤٠٨ ، ٤٣٦ ، ٤٤٧ ، ٤٦٦
ظلم نفسه : ٣٥٦
ظلمات : ٨٨ ــ ٩٢
(علم) أعلم بكذا : ٦٥ ــ ٦٧
يعلم : ٦٦
عليم : ١٢ ، ٦٣ ، ١٨ ، ١٥٣
العالمون : ٥٤٧
ربّ العالمين : ٤٨٤ ، ٥٠٠ ، ٥٠٤
(غنم) الغنم : ٢٠١
(قدم) يستقدم : ٤٠٥
(قسم) أقسم : ٣٧ ، ٤٦٩
قاسمه : ٣٤٩ ، ٣٥٠
(قوم) أقام وجهه : ٣٨٠
قيم : ٢٨٢
يوم القيامة : ٣٩٩
صراط مستقيم : ١١٣
(كلم) كلمة ربك : ٦٢
(نعم) الأنعام : ١٣٠ ، ١٣٩ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٧٨ ،
(هلم) هلمّ : ٢١٣
(يتم) اليتيم : ٢٢١

* * *

(أذن) الإذن : ٤٩٥
أذن مؤذن : ٤٤٧
(أمن) آمن ، يؤمن ، مؤمن : ٣٨ ، ٦٧ ، ٩٥ ، ٢١٤ ، ٢٣٨ ، ٢٩٧ ، ٣٧٧ ، ٣٩٨ ، ٤٣٧ ، ٤٧٧ ، ٥٢٤ ، ٥٤٢ ، ٥٥٦ ، ٥٦٠
أمِن ، يأمن : ٥٧٩
أمين : ٥٠٤
(بطن) بطن : ٢١٨ ــ ٢٢٠ ، ٤٠٢
باطن الإثم : ٧٢ ــ ٧٥
(بين) بينه : ٣١ ، ٢٤٣ ، ٥٢٥ ، ٥٥٥
عدو مبين : ١٨٢ ، ٣٥٥
ضلال مبين : ٤٩٩

(جنن) جنة: ١٥٦، ٣٤٥، ٤٢٧
(حزن) ولا هم يحزنون : ٤٠٦ ، ٤٦٩
(حسن) الحسنة : ٢٧٤ ، ٥٧٣
تماما على الذى أحسن : ٢٣٣ — ٢٣٧
التى هى أحسن : ٢٢١
الإحسان : ٢١٥
المحسن : ٤٨٧
(حين) حين : ٣٥٩
(دون) من دونه: ٢٩٧، ٤١٥، ٥٤٨
(دين) الدين : ٣٨١
(زين) زيّن : ٣٧ ، ٩٢ ، ١٣٥ ، ١٣٦
زينة الله : ٣٩٥ ، ٣٩٦
أخذ زينته : ٣٨٩
(سكن) اسكن : ٣٤٥
(شطن) شياطين الإنس والجن : ٥٠ — ٥٥
(ضأن) الضأن : ١٨٧
(ظن) الظن : ٦٤ ، ٢١١
(فتن) يفتن : ٣٧٣
(لعن) لعن، لعنة : ٤١٦، ٤٤٧
(مكن) مكّنه : ٣١٥
مكانة : ١٢٨ ، ١٢٩
(وزن) الوزن : ٣٠٩
الميزان : ٢٢٤ ، ٥٥٥
موازين : ٣٠٩ — ٣١٤، ٣١٩
(يمن) أيمانهم : ٣٣٨ — ٣٤٢

* * *

(سفه) السفه : ١٥٣
سفاهة : ٥٠٣ ، ٥٠٤
(شبه) متشابه : ١٥٧
(عمه) يعمهون : ٤٦
(كره) كاره : ٥٦١

* * *

(أتى) آتى : ٦١ ، ٩٥ ، ٩٦، ١٥٨، ٢٣٢، ٢٨٩، ٤١٧
(أخو) أخت : ٤١٦
(أسى) أسى ، يأسَى : ٥٧١
(ألى) الآلاء : ٥٠٦ ، ٥٤١
(أبى) آية : ٢٦ ، ٣٧ ، ٩٥ ، ١١٣ ، ١٢٠ ، ٢١٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٣١٥ ، ٣٧٢ ، ٤٠٢ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٢١ ، ٤٧٦ ، ٤٩٦ ، ٥٠٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٥
(بدا) بدا ، يبدو : ٣٥١
أبدى : ٣٤٧
(بغى) بغى ، يبغى : ٢٨٥ ، ٤٤٨ ، ٥٥٩
البغْىُ : ٢٠٦ ، ٤٠٣
باغٍ : ١٩٧
ابتغى : ٦٠
(بلا) الابتلاء : ٢٨٩
(تلا) يتلو : ٢١٥
(ثوى) مثوى : ١١٧
(جزى) جزى يجزى : ٧٦ ، ١٥٢ ، ٢٠٦، ٢٤٤، ٢٧٥، ٤٣٦
الجزاء : ١٤٦

(حوى) الحوايا ، حاوياء : ٢٠٣ ـ ٢٠٥
(حيي) أحياه : ٨٩
الحياة الدنيا : ١٢٣ ، ٣٩٨ ، ٤٧٥
(خطا) خطوات الشيطان : ١٨٢
(خفي) خُفْية : ٤٨٥
(خلا) خلا ، يخلو : ٤١٥
(دعا) دعا ، يدعو : ٣٣ ، ٣٨١ ، ٤١٥ ، ٤٨٥ ، ٤٨٧
دعوى ، دعاء : ٣٠٣
(دلا) دلاّه : ٣٥١
(دنا) الحياة الدنيا : ١٢٣ ، ٣٩٨ ، ٤٧٥
(ردى) أرداه : ١٣٦
(سوى) استوى : ٤٨٣
(شها) شهوة : ٥٤٨
(صغا) صغا يصغَى ، ويصغو : ٥٨ ، ٥٩
صغوى معك : ٥٨
أصْغى الإناء : ٥٨
(طغا) طُغيان : ٤٦
(عتا) عتا عتوًّا : ٥٤٣
عات : ٥٤٣
(عثا) يعثو : ٥٤٢
(عدا) عاد : ١٩٧
عدواً : ٣٣ ـ ٣٦
عدوّ مبين : ١٨٢
الاعتداء : ٧١ ، ٤٨٦
(عفا) عفا، يعفو : ٥٧٣ ـ ٥٧٦
(علا) تعالى : ١٠
تعالوا : ٢١٥
(عمى) عمى : ٢٥
عمٍ : ٥٠٣
(غشى) أغشاه : ٤٨٣
غواشٍ : ٤٣٦
(غنى) غنى بالمكان : ٥٦٩ ، ٥٧٠
أغنى : ٤٦٧
الغنىّ : ١٢٦
(غوى) أغواه : ٣٣٣
الغاوى : ٣٣٣
غَوِى الفصيل : ٣٣٣
(فرى) الافتراء : ٥٧ ، ١٤٦ ، ١٥٣ ، ١٨٩ ، ٤٠٨ ، ٤٨١ ، ٥٦٢
(قرى) قرية : ٩٣، ٢٩٩، ٣٠٠ ، ٥٧٢
القُرَى : ١٢٤
(لقى) تلقاء : ٤٦٦
(لها) اللهو : ٤٧٤
(مرى) امترى : ٦١
(نجا) أنجاه : ٥٠٢ ، ٥٢٣ ، ٥٥١
نجّاه : ٥٦٢
(نسى) نسى : ٤٧٥ ، ٤٨٠
(هدى) هدى ، يهدى ، الهدى : ٩٨ ، ١٨٩ ، ٢١٢ ، ٢٣٨ ، ٢٤٣ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٣٨٧ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٧٧

هدى له : ٥٧٩ ، ٥٨٠
أهدى : ٢٤٢ ، ٢٤٣
اهتدى : ٦٥ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ٣٨٨ ، ٤٤٠
(هوى) الأهواء : ٧١ ، ٢١٤
(وحى) أوحى : ٣٢ ، ٥٠ ، ٧٧ ، ٨٦ ، ١٩٠
(ورى) واراه : ٣٤٧ ، ٣٦١
(وصى) وصّاه : ١٨٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩
(وفى) أوفى : ٢٢٦ ، ٥٥٥
أوفى الكيل : ٢٢٤
توفّاه : ٤١٥
(وقى) اتقى : ٢٢٩ ، ٢٣٩ ، ٤٠٦ ، ٥٠١ ، ٥٠٣
(ولى) ولاّه : ١١٨ ، ١١٩
ولى ، أولياء : ٧٧ ، ٨٦ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ٢٩٨ ، ٣٧٧ ، ٣٨٨
تولّى عنه: ٥٤٦ ، ٥٧١
(يدى) من بين أيديهم : ٣٣٨–٣٤٢
بين يديه ٤٩٢

أعلام المترجمين فى التعليق

الأرقام فى هذا الفهرس على أرقام الآثار ، لا الصفحات

إبراهيم التيمى (إبراهيم بن يزيد بن شريك)
إبراهيم بن نافع المكى المخزومى : ١٣٩٦٦
إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمى : ١٤٢٠٤ ، ١٤٢٠٥
أحمد بن الحسن بن جنيدب الترمذى (شيخ الطبرى) : ١٤٢١٢
أحمد بن عبد الرحمن بن وهب (شيخ الطبرى) : ١٤١٥١ ، ١٤١٥٢
أحمد بن عمرو البصرى (شيخ الطبرى) ١٣٩٢٨
أبو إسحق (إسماعيل بن إبان)
أبو إسحق السبيعى (أبو إسحق الهمدانى) : ١٤١٥٦ ، ١٤٢٤٣
أبو إسحق الهمدانى (أبو إسحق السبيعى) : ١٤٢٤٣
إسحق بن إسماعيل الرّازى (أبو يزيد ، حبويه) : ١٤٣٦٥ ، ١٤٤٤٦ ، ١٤٥٥٠
إسحاق بن الحجاج الرازى الطاحونى : ١٤٤٤٦
إسحق بن زياد العطار النصرى (شيخ الطبرى) : ١٤١٤٦
إسحق بن سليمان الرازى : ١٣٨٠٩
إسحق بن شاهين الواسطى (شيخ الطبرى) : ١٤٢٠٤
إسرائيل بن يونس بن أبى إسحق : ١٤٠٠٨
إسماعيل بن أبان الوراق الأزدى (أبو إسحق) : ١٤٥٥٠
إسماعيل بن أمية الأموىّ : ١٤٨١٨
إسماعيل بن أبى خالد : ١٣٦٩٨ ، ١٣٦٩٩ ، ١٤٢٩٩ — ١٤٣٠٢
إسماعيل بن سميع الحنفى : ١٤٥٧٢
إسماعيل بن عياش بن سلم العنسى : ١٤٢١٢
إسماعيل بن مسلم المكى ، مولى بنى مخزوم : ١٣٨٨٢ ، ١٤٢٩٩ ، — ١٤٣٠٢
الأسود بن عامر (شاذان) : ١٣٩٢٧
أشعث بن سليم بن أسود المحاربىّ (أشعث بن أبى الشعثاء) : ١٤٢٣٤
أشعث بن أبى الشعثاء (أشعث بن سليم)
أشعث بن عبد الرحمن بن زبيد الإيامى : ١٤٢٠٧
الأعرج (عبد الحميد بن عبد الرحمن

ابن زيد بن الخطاب)
الأغر (أبو مسلم المدنى) : ١٤٦٦٨
أنس بن سيرين : ١٤٢٢٩
ابن أنعم (عبد الرحمن بن زياد بن أنعم)

* * *

أبو بحر البكراوى (عبد الرحمن بن عثمان بن أمية)
أبو بدر (شجاع بن الوليد بن قيس)
بشر بن تيم بن مرة (بشير) : ١٣٨٣٧ ، ١٣٨٣٨
بشر بن معاذ العقدى : ١٤٢٤٩ ، ١٤٣٤٣
بشير بن تيم بن مرة (بشر) : ١٣٨٣٧ ، ١٣٨٣٨
بقية بن الوليد الحمصى : ١٤٢٦٦ ، ١٤٧٧٦
بكر الطويل (بكر بن يزيد الطويل)
أبو بكر الكاتب المعلم (عثمان بن سعد التميمى)
أبو بكر الهذلى : ١٤٣٩٨ ، ١٤٤٠٦ ، ١٤٦٩٠
أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبى سبرة القرشى : ١٤٠٤٤
بكر بن عمرو (أبو الصديق الناجى) : ١٤٢٩٣
أبو بكر بن عياش : ١٤٨٠٥
بكر بن قيس (أبو الصديق الناجى) : ١٤٢٩٣
بكر بن يزيد الحمصى (بكر الطويل) : ١٤٥٧٢
بلال بن يحيى العبسى : ١٤٣٣٣

* * *

تميم بن شاكر الباهلى (؟ ؟) : ١٤١٤٦

* * *

جابر بن يزيد بن الحارث الجعفى : ١٤٠٠٨
جرير بن حازم الأزدى : ١٤١٥٧
الجريرى (سعيد بن إياس)
أبو جعفر الرازى : ١٤٨٥٣
أبو جعفر المدائنى الهاشمى (عبدالله بن المسور)
جعفر بن ربيعة بن شرحبيل بن حسنة الكندى : ١٤٢١٩
جعفر بن عمرو بن حريث : الحديثان ١٤٢٤٤ ، ١٤٢٤٥ ، ص : ٥٨٨ ، رقم : ٥
جعفر بن عون بن جعفر بن عمرو ابن حريث المخزومى (أبو عون) : ١٤٢٤٤ ، ١٤٢٤٥ ، ١٤٣٣٦
جهير بن يزيد العبدى : ١٣٨٢٨

* * *

الحارث بن أبى أسامة : ١٤٣٣٣
الحارث بن حسان البكرى (الحارث ابن يزيد) (حريث بن حسان) : ١٤٨٠٥ ، ١٤٨٠٦
الحديث : ١٤٨٠٥ ، ص : ٥٩٠ ، رقم : ١٢
الحارث بن يزيد البكرى (الحارث ابن حسان) : ١٤٨٠٥ ، ١٤٨٠٦
أبو حازم الأشجعى : ١٤٢٤٧

أبو الحباب المدنى (سعيد بن يسار)
حبويه (أبو يزيد) (إسحق بن إسماعيل الرازى)
حجاج بن أرطاة : ١٣٩٦٥
الحجاج بن المنهال : ١٤٣٩٨
حريث بن حسان البكرى الشيبانى (الحارث بن حسان) : ١٤٨٠٥ ١٤٨٠٦
الحديث : ١٤٨٠٥ ص : ٥٩٠ رقم : ١٢
حسام بن مِصَكّ بن ظالم بن شيطان الأزدى : ١٤٤٠٦
الحسن بن عقبة المرادى ، أبو كيران : ١٤٢٣٨
الحسن بن عمارة بن المضرب العجلى : ١٤٣٩٩
حسين المعلم (حسين بن ذكوان العوذى)
حسين بن ذكوان العوذى (حسين المعلم) : ١٣٩١٥
الحكم بن أبان العدنى : ١٤٧٣٦
الحكم بن عتيبة الكندى : ١٤٢٢٢
حميد بن زياد الخراط (أبو صخر) : ١٤٢٤١
حميد بن هلال العدوى : ١٣٧٦٨
أبو حيان التيمى (يحيى بن سعيد بن حيان)
حيان الأعرج الجوفى : ١٣٩٦٧

* * *

خالد بن الحارث بن عبيد الهجيمى : ١٤٥٠٣
خالد بن عبد الرحمن الخراسانى المروروذى : ١٣٦٩٦
خالد بن عبد الله الطحان : ١٤٢٠٤
خالد بن أبى كريمة الأصبهانى (أبو عبد الرحمن الإسكاف) : ١٣٨٥٦
خالد بن مخلد القطوانى : ١٤٢١٠
خالد بن أبى يزيد الحرانى (أبو عبد الرحيم) : ١٣٨٥٥

* * *

أبو داود الحفرى (عمر بن سعد)
ابن دكين (الفضل بن دكين التيمى)
الديال بن عمرو (؟ ؟) : ١٤٤٤٥
الحديث : ١٤٤٤٥ ، ص : ٥٨٩ رقم : ٧

* * *

ابن أبى ذئب (محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة)

* * *

الربيع بن أنس : ١٤٨٥٣
أبو ربيعة ، (فهد) ، (زيد بن عوف القطعى)

* * *

زاذان (أبو عبد الله) أبو (عمر) الضرير ١٤٦١٤
الزباء بن عمرو (؟؟) : ١٤٤٤٥
الحديث : ١٤٤٤٥ ، ص : ٥٨٩ ، رقم : ٧
زبيد بن الحارث الإيامى : ١٤٢٠٧
زر بن حبيش : ١٤٢٠٧
زرارة بن أوفى الجرشى : ١٤٢٢٧ ، ١٤٢٢٨

أبو زرعة بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلي : ١٤٢٠٣ ، ١٤٢١٤ ، ١٤٧١٥
أبو زكريا (يحيى بن حبيب بن عربي)
أبو زميل (سماك بن الوليد الحنفي)
أبو الزناد (عبد الله بن ذكوان)
زيد بن أبي أنيسة الجزري : ١٣٨٥٥
زيد بن عوف القطعي (أبو ربيعة) ، (فهد) : ١٤٢١٥ ، ١٤٢١٨ ، ١٤٢٢١

* * *

سالم المكي (سالم بن عبد الله الخياط)
سالم بن عبد الله الخياط (سالم المكي) : ١٣٩٧٥
سبرة بن أبي فاكه (سبرة بن الفاكه) (سبرة بن أبي الفاكه) : ١٤٣٦٤
أبو سعد المدني (؟ ؟) : ١٤٣٢٧
سعد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري : ١٣٦٩٦
سعيد بن إياس الجريري : ١٤٦٦٤
سعيد بن بكر (؟ ؟) : ١٤٦٦٨
سعيد بن سليمان (الضبي) : ١٣٨٠٩
الحديث : ١٣٨٠٩ ، ص ٥٨٥ ، رقم : ١
سعيد بن عبد الملك بن واقد الحراني : ١٣٨٥٥
سعيد بن أبي عروبة : ١٤٢٤٩
سعيد بن عمرو السكوني (شيخ الطبري) : ١٤٢٦٦
سعيد بن مسروق الثوري : ١٣٧٦٦
سعيد بن يسار (أبو الحباب المدني) : ١٤٦١٥ ، ١٤٦١٦
أبو سفيان (طلحة بن نافع القرشي)
سفيان بن حسين الواسطي : ١٤٢٢٢
سفيع (؟ ؟) : ١٤٧٠٢
أبو سلمة (يحيى بن العلاء البجلي)
سلمة بن كهيل : ١٤٥٠٣
سليط بن بلال (؟ ؟) : ١٤١٤٩
سليم بن أسود بن حنظلة المحاربي (أبو الشعثاء) : ١٤٢٣٤
سليمان بن أرقم (أبو معاذ) : ١٤٤٤٦
سليمان بن عبد الرحمن بن عيسى التيمي : ١٤٢١٢
سليمان بن أبي هوذة : ١٣٨٣٦
سماك بن الوليد الحنفي (أبو زميل) : ١٣٨٣٢
سميع الزيات ، أبو صالح : ١٤٧٠٢
ابن سنان القزاز (محمد بن سنان)
سهل بن عامر البجلي : ١٤٢٠٨
سويد الكلبي (سويد بن عمرو)
سويد بن عمرو الكلبي : ١٤٦٤٩
أبو سيار السلمي (؟ ؟) : ١٤٥٥٤

* * *

شاذان (الأسود بن عامر)
شباك الضبي ، الأعمى : ١٤٠٢٤ ، ١٤٠٢٥
شجاع ، أبو بدر (شجاع بن الوليد)
شجاع بن الوليد بن قيس السكوني (أبو بدر) : ١٤٢٧٠
شريح بن عبيد بن شريح الحضرمي : ١٤٢١٢

أبو الشعثاء (سليم بن أسود المحاربى)
شعيب السرّاج(؟ ؟) : ١٣٨٣٦
شعيب بن الليث بن سعد المصرى : ١٤٢١٩
شقيق بن سامة الأسدى (أبو وائل) : ١٤٨٠٦
شمر بن عطية الأسدى الكاهلى : : ١٤٢٩٢
شيخ من التيم (؟؟) : ١٤٢٩٢

* * *

صالح ، مولى التوأمة (صالح بن نبهان) : ١٤٢٢٥
صالح بن نبهان (صالح ، مولى التوأمة) : ١٤٢٢٥
أبو الصباح (عبد الغفور بن عبد العزيز)
أبو صخر (حميد بن زياد الخراط)
أبو الصديق الناجى (بكر بن عمرو) (بكر بن قيس) : ١٤٢٩٣
صفوان بن عسال المرادى : ١٤٢٠٦ ، ١٤٢٠٨ ، ١٤٢١٦ — ١٤٢١٨ ، ١٤٢٤٢
أبو الصلت الثقفى : ١٣٨٦٢

* * *

الضال (معاوية بن عبدالكريم)
ضمضم بن زرعة بن ثوب الحميرى : ١٤٢١٢

* * *

أبو الطفيل (عامر بن واثلة الكنانى)
طلحة بن نافع القرشى الواسطى (أبو سفيان) : ١٤٤٨٩

* * *

ابن عائذ (عبد الرحمن بن عائذ الثمالى)
عاصم بن بهدلة (عاصم بن أبى النجود) : ١٤٢٠٦ ، ١٤٨٠٥
عاصم بن ضمرة السلولى : ١٤٦٦٦
عاصم بن أبى الفزر (؟ ؟) : ١٤٨٠٥
عاصم بن أبى النجود (عاصم بن بهدلة) : ١٤٢٠٦
أبو العالية : ١٤٨٥٣
عامر الشعبى : ١٤٢٤٦
عامر بن واثلة الكنانى (أبو الطفيل) : ١٤٨٠٣ ، ١٤٨١٠
عباد بن كثير الرملى : ١٤٢٦٦
ابن أم عبد (عبد الله بن مسعود) : ١٤٢٣٥
عبد الحميد الحمانى (عبد الحميد بن عبد الرحمن الحمانى)
عبد الحميد بن بيان السكرى (شيخ الطبرى) : ١٤٢٠٤
عبد الحميد بن عبد الرحمن الحمانى : ١٤٤٥٢
عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد ابن الخطاب ، الأعرج : ١٤٦٨٥
أبو عبد الرحمن (عبد الله بن عتبة ابن مسعود) : ١٣٨٥٧
أبو عبد الرحمن الإسكاف (خالد ابن أبى كريمة)
أبو عبد الرحمن الحبلى (عبد الله بن يزيد المعافرى)

عبد الرحمن المزنى (عبد الرحمن بن أبى عبد الرحمن) : ١٤٧٠٥
عبد الرحمن بن البخترى الطائى (شيخ الطبرى) : ١٣٨٨٢
عبد الرحمن بن بشر بن الحكم العبدى النيسابورى : ١٣٨٠٥
عبد الرحمن بن زبيد الإيامى : ١٤٢٠٧
عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقى ١٤٣٣٦
عبد الرحمن بن زياد (؟؟) : ١٤٥٥٤
عبد الرحمن بن عائذ الثمالى الأزدى : ١٣٧٦٩
عبد الرحمن بن أبى عبد الرحمن (عبد الرحمن المزنى) : ١٤٧٠٥
عبد الرحمن بن عبدالله بن عتبة بن عبدالله بن مسعود : ١٣٨٥٧ ، ١٤٢٤٤ ، ١٤٢٤٥
الحديثان : ١٤٢٤٤ ، ١٤٢٤٥
ص : ٥٨٦ ، رقم : ٥
عبدالرحمن بن عثمان بن أمية الثقفى (أبو بحر البكراوى) : ١٤٦١٥ ١٤٦١٦
عبد الرحمن بن محمد المحاربى : ١٣٨٨٢
عبد الرحمن بن مهدى : ١٣٩٦٧
عبد الرحمن بن هرمز ، الأعرج : ١٤٢١٩
عبد الرحمن بن يزيد المعافرى (أبو عبد الرحمن الحبلى) : ١٤٣٣٦
عبد الرحمن بن يعقوب ، مولى الحرقة : ١٤٢١٠
أبو عبد الرحيم (خالد بن أبى يزيد الحرانى)
عبد الصمد بن عبد الوارث بن سعيد ابن ذكوان العنبرى : ١٣٩١٥
عبد العزيز الشامى : ١٤٧٧٦
أبو عبد العزيز الشامى : ١٤٧٧٦
عبد العزيز بن أبان الأموى : ١٤٣٣٣
عبد العزيز بن رفيع الأسدى : ١٤٨١٠
عبد الغفار بن عبد العزيز الأنصارى (عبد الغفور بن عبد العزيز) : ١٤٧٧٦
عبد الغفور بن عبد العزيز الأنصارى (عبد الغفار) (أبو الصباح) : ١٤٧٧٦
أبو عبد الله (زاذان)
أبو عبد الله البجلى (؟؟) : ١٤٨٧١
عبد الله بن بكير الغنوى : ١٤٣٦٥
عبد الله بن خليفة الهمدانى : ١٤١٥٦
عبد الله بن ذكوان (أبو الزناد) : ١٤٦٨٥
عبد الله بن عتبة بن مسعود (أبو عبد الرحمن) : ١٣٨٥٧
عبد الله بن عثمان بن خثيم القارئ : ١٤٨١٧
عبد الله بن عمار اليمامى : ١٣٨٦٢
عبد الله بن عون المزنى : ١٤٢١١
عبد الله بن قيس : ١٤١٥٦
عبد الله بن مرة الخارفى : ١٣٨٥٢

عبد الله بن المسور بن عون بن جعفر ابن أبي طالب (أبو جعفر المدائني الهاشمي) : ١٣٨٥٢، ١٣٨٥٦
عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم : ١٤١٩٩
عبد الله بن مسعود (ابن أم عبد) : ١٤٢٣٥
عبد الله بن أبي الهذيل العنزي (أبو المغيرة) : ١٣٩٣٢
أبو عبد الملك (محمد بن أيوب الأزدي)
عبد الملك بن ميسرة الهلالي الزراد : ١٤٣٢٣
عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان العنبري : ١٣٩١٥
عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان العنبري (شيخ الطبري) : ١٣٩١٥
عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي : ١٤٢٢٩
عبدة بن سليمان الكلابي : ١٤٢٢٣
عبيد الله بن عدي بن الخيار النوفلي : ١٤١٥٧
عبيد الله بن أبي يزيد المكي : ١٤٦٧٣ — ١٤٦٧٧
أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود : ١٣٨٥٥ ، ١٤٢٢٩
عثمان القرقساني (؟ ؟) : ١٤٣٩١
عثمان بن سعد التميمي (أبو بكر الكاتب) : ١٣٧٤٣
عثمان بن يحيى (أبو عمرو القرقساني) (شيخ الطبري) : ١٤٣٩١
أبو عرفجة (؟ ؟) : ١٣٦٩٦
عطية العوفي (عطية بن سعد بن جنادة)
عطية بن سعد بن جنادة العوفي : ١٣٦٩٦ ، ١٤٢٠١ ، ١٤٢٠٢
العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب ، مولى الحرقة : ١٤٢١٠
علي بن صالح بن صالح بن حي الهمداني : ١٤١٥٦
عمارة بن القعقاع بن شبرمة الضبي : ١٤٢٠٣ ، ١٤٧١٥
أبو عمر (زاذان)
أبو عمر الخراز ، نضر (النضر بن عبد الرحمن)
عمر بن سعد (أبو داود الحفري) : ١٤٦٦٨
عمر بن عبد الرحمن المزني (عمرو) : ١٤٧٠٥
عمر بن هرون بن يزيد البلخي : ١٤٣٤٥
عمران بن عيينة
الحديث : ١٣٨٢٥ ، ص : ٥٨٥
رقم : ٢
أبو عمرو (يحيى بن العلاء البجلي)
أبو عمرو القرقساني (عثمان بن يحيى)
عمرو بن حماد بن طلحة القناد : ١٤٤١٣
عمرو بن سليم بن خلدة الأنصاري : ١٤٠٤٤
عمرو بن طلحة (عمرو بن حماد بن طلحة القناد)

عمرو بن عبد الرحمن المزنى (عمر) : ١٤٧٠٥
عمرو بن قيس الملائى : ١٤٢٧٠
عمرو بن مالك الراسبى (شيخ الطبرى) : ١٤٣٥٥
عمرو بن مرة المرادى : ١٣٨٥٢ ، ١٣٨٥٣ ، ١٣٨٥٤ ، ١٣٨٥٥
ابن عون (عبد الله بن عون المزنى)
أبو عون (جعفر بن عون بن عمرو بن حريث)
أبو عون الثقفى (محمد بن عبيد الله بن سعيد)
عوف الأعرابى (عوف بن أبى جميلة العبدى)
عوف بن أبى جميلة العبدى (عوف الأعرابى) : ١٤٢٢٩
عوف بن مالك بن نضلة الجشمى : ١٣٧٦٨
ابن عياش (إسماعيل بن عياش بن سلم)
عيسى الحناط (عيسى بن أبى عيسى الحناط)
عيسى بن أبى حفصة (؟؟) : ١٤١٤٦
عيسى بن عثمان الرملى (شيخ الطبرى) ١٤٢٠١
عيسى بن أبى عيسى (عيسى الحناط) : ١٤٦٩١
عيسى بن ميمون المكى (أبو موسى) : ١٤٦٧٧

* * *

ابن أبى فديك (محمد بن إسماعيل ابن مسلم)
الفضل بن دكين التيمى : ١٤٧٥٢
فضيل بن غزوان الضبى : ١٤٢٤٧
فضيل بن مرزوق العنزى الرقاشى ، الأغر : ١٤١٤٩
فهد ، (أبو ربيعة) ، (زيد بن عوف القطعى)

* * *

القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله ابن مسعود : ١٤٢٤٤ ، ١٤٢٤٥
الحديثان : ١٤٢٤٤ ، ١٤٢٤٥ ، ص : ٥٨٦ ، رقم : ٥
القرظى (محمد بن كعب)
القنبارى (موسى بن عبد العزيز)
قيلة بنت مخرمة التميمية : ١٤٨٠٥ ، ١٤٨٠٦
الحديث : ١٤٨٠٥ ، ص : ٥٩٠ رقم : ١٢

* * *

كعب بن فروخ ، أبو عبد الله البصرى : ١٤٦٤٥ ، ١٤٦٥٠
أبو كيران ، الحسن بن عقبة : ١٤٢٣٨

* * *

الليث بن سعد المصرى الإمام : ١٤٢١٩
ابن أبى ليلى (محمد بن عبد الرحمن ابن أبى ليلى)

* * *

مالك بن مغول بن عاصم البجلى : ١٤٢٠٨ ، ١٤٢٦٨
مالك بن يخامر السكسكى : ١٤٢١٢

محبوب بن الحسن الهاشمى (محمد بن الحسن) : ١٣٨٥٧
أبو المحجل (؟؟) : ١٤٢٧٩ — ١٤٢٨٢
محمد بن إسحق البلخى الجوهرى : ١٤١٤٦
محمد بن إسماعيل بن مسلم بن أبى فديك : ١٤٦١٥ ، ١٤٦١٦
محمد بن أيوب الأزدى (أبو عبد الملك) : ١٣٧٦٩
محمد بن جعفر بن أبى كثير الأنصارى : ١٤٢١٠
محمد بن الحسن بن هلال الهاشمى (محبوب) : ١٣٨٥٧
محمد بن رفاعة بن ثعلبة بن أبى مالك القرظى : ١٤٠١٨
محمد بن الزبرقان (أبو همام الأهوازى) : ١٣٩٦٠ ، ١٣٩٦١ ، ١٤٠٤٥
محمد بن سعد العوفى : ١٤٢٢٤
محمد بن سعيد الشهيد (؟؟) : ١٣٩٢٨
محمد بن سلمة الحرانىّ : ١٣٨٥٥
محمد بن سليم الراسبى (أبو هلال) : ١٣٩٦٧
محمد بن سنان القزاز (شيخ الطبرى) : ١٣٨٥٧
محمد بن سوقة : ١٤٣٦٥
محمد بن سيرين : ١٤٢٢٩
محمد بن عباد بن موسى الختلى (شيخ الطبرى) ١٣٩٢٧
محمد بن عبد الرحمن المزنى : ١٤٧٠٥
محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى : ١٤٢٠١ ، ١٤٢٠٢
محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبى ذئب : ١٤٦١٥ ، ١٤٦١٦
محمد بن عبد الله بن أبى سعيد الخزاعى : ١٤٨٠٣
محمد بن عبيد الله بن سعيد (أبو عون الثقفى) : ١٣٩٦٥
محمد بن عمار بن الحارث الرازى : ١٣٨٠٩
محمد بن عمارة الأسدى (شيخ الطبرى) : ١٤٢٠٨
محمد بن عمرو بن عطاء القرشى : ١٤٦١٥ ، ١٤٦١٦
محمد بن فضيل بن غزوان الضبى : ١٤٢٤٧
محمد بن كعب القرظى : ١٤٠٤٥ ، ١٤٢٤١
محمد بن موسى (؟؟) : ١٤٤٤٥
محمد بن هرون الحربى (أبو نشيط) (شيخ الطبرى) : ١٤٢٩٤
أبو محياة (يحيى بن يعلى بن حرملة)
المختار بن أبى عبيد بن مسعود الثقفى المتنبىء : ١٣٨٣٢
مرة الطيب (مرة بن شراحيل الهمدانى)
مرة بن شراحيل الهمدانى (مرة الطيب) : ١٤٢٧٠
مرثد بن عبد الله اليزنى : ١٤١٥٧
المسعودى (عبد الرحمن بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود)

(جعفر بن عون)
(معن بن عبد الرحمن بن عبد الله)
(القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود)
مسلم البطين (مسلم بن عمران)
أبو مسلم المدنى (الأغر) : ١٤٦٦٨
مسلم بن عمران (مسلم البطين) : ١٤٥٠٣
أبو مصلح الخراسانى (نصر بن مشارس)
مطر بن محمد الضبى (شيخ الطبرى) ١٤٦١٠
مطلب بن زياد بن أبى زهير الثقفى : ١٤٤٥٧
أبو معاذ (سليمان بن أرقم)
معاوية بن عبد الكريم الثقفى (الضال) : ١٤٢٤٨
معاوية بن عمرو المعنى ، الأزدى : : ١٤٢٧٥
معلل بن نفيل (؟؟) : ١٤٢٦٦
معن بن عبد الرحمن المسعودى : ١٤٢٤٤ ، ١٤٢٤٥
الحديثان ١٤٢٤٤ ، ١٤٢٤٥ ، ص : ٥٨٧ ، رقم : ٥
أبو المغيرة (عبد الله بن أبى الهذيل العنزى)
المغيرة بن النعمان النخعى : ١٤٥٠٠ — ١٤٥٠٢
المفضل بن إسحق (شيخ الطبرى) : ١٤٢٠٧
أبو مكين (نوح بن ربيعة) (نوح ابن أبان)
المنذر بن مالك بن قطعة العبدى (أبو نضرة) : ١٤٦٦٤
منصور بن المعتمر : ١٤٢٤٦
المنهال بن عمرو الأسدى : ١٤٦١٤
موسى (؟؟) : ١٤٣٣٣
أبو موسى (عيسى بن ميمون المكى)
موسى بن السائب الثقفى (. . ابن المسيب) : ١٤٢٢٣
موسى بن عبد الرحمن المسروقى (شيخ الطبرى) : ١٤٣٣٦
موسى بن عبد العزيز اليمانى القنبارى : ١٣٨٠٥
موسى بن عبيدة بن نشيط الربذى : ١٤٠٤٥
موسى بن المسيب الثقفى (ابن السائب) : ١٤٢٢٣
موسى بن هرون الهمدانى : ١٤٣٦٠

* * *

أبو نشيط (محمد بن هرون الحربى)
نصر بن مشارس (نصر بن مشيرس)
(أبو مصلح الخراسانى) : ١٤٣٤٥
نصر بن مشيرس (نصر بن مشارس)
نضر ، أبو عمر الخراز (النضر بن عبد الرحمن)
النضر بن عبد الرحمن ، أبو عمر الخراز : ١٤٤٥٢
أبو نضرة (المنذر بن مالك بن قطعة العبدى)
نوح بن أبان (أبو مكين) : ١٤٧٣٦
نوح بن ربيعة الأنصارى (أبو مكين) : ١٤٧٣٦

* * *
هانئ بن سعيد النخعي : ١٣٩٦٥ ، ١٤٨٣٦
أبو هلال (محمد بن سليم الراسبي)
هلال بن العلاء بن هلال الباهلي الرقي (شيخ الطبري) : ١٣٨٥٥
أبو همام (الوليد بن شجاع بن الوليد) (شيخ الطبري)
أبو همام الأهوازي (محمد بن الزبرقان)
هياج (؟ ؟) : ١٤٥٥٤
* * *
أبو وائل (شقيق بن سلمة)
وقاء بن إياس الوالبي الأسدي (أبو يزيد) : ١٤٤٨٤ ، ١٤٤٨٥
الوليد بن شجاع بن الوليد السكوني (أبو همام) (شيخ الطبري) : ١٤٦٩١
وهب بن جابر الخيواني : ١٤٢٤٣
الحديث : ١٤٢٤٣ ، ص : ٥٨٦ رقم : ٤
وهب بن جرير بن حازم الأزدي : ١٤١٥٧
* * *
يحيى بن أيوب الغافقي : ١٤١٥٧
يحيى بن أبي بكير الأسدي : ١٤٢٩٤
يحيى بن حبيب بن عربي الشيباني (أبو زكريا) : ١٤٥٠٣
يحيى بن سعيد بن حيان التيمي (أبو حيان) : ١٤٢١٤
يحيى بن سليم الطائفي : ١٤٣٥٥
يحيى بن شبل ، مولى بني هاشم : ١٤٧٠٤ ، ١٤٧٠٥
يحيى بن الضريس بن يسار البجلي : ١٤٤٨٠
يحيى بن عتيق الطفاوي البصري : ١٤٦٤٩
يحيى بن العلاء البجلي (أبو سلمة) (أبو عمرو) : ١٤٨٧١
يحيى بن عيسى التيمي : ١٤٢٠١
يحيى بن يعلى بن حرملة التيمي (أبو محياة) : ١٤٤٦٢
أبو يزيد (حبويه) (إسحق بن إسماعيل الرازي)
أبو يزيد (وقاء بن إياس الوالبي)
يزيد بن أبي حبيب المصري : ١٤١٥٧
يزيد بن زريع : ١٤٢٤٩
يزيد بن شريك التيمي : ١٤٢٠٤ ، ١٤٢٠٥
يوسف صهيب الكندي : ١٤٣٣٣
يونس بن عبيد بن دينار العبدي : ١٣٨٥٧ ، ١٤٢٠٤ ، ١٤٢٠٥

فهرس المصطلحات

الإجراء (الصرف) : ٢٣٤

الاسم (المشتق) : ٤٠١

أهل الإثبات : ٣٣٤

التفسير (البدل) : ٧

التفويض : ٩٢ ، ٣٣٤

الحشو (الزيادة) : ٣٢٤ — ٣٢٦

الردّ : ١٣٩ ، ٢١٦ ، ٢٣٤ ، ٤٧٧

الصفة (حرف الجر) : ٣٣٧ ، ٤٠١

الصفة (الظرف) : ٣٣٧ ، ٤٠١

الصلة (الزيادة) : ٣٢٥ ، ٣٢٦

الظاهر : ١٧٣ ، ٢٩٩ ، ٣٠١

الفعل (المصدر) : ٧٦ ، ٤٠١

الفعل ، النصب على الفعل (المفعول المطلق) : ٤٤٧

الفعل (خبر المبتدأ) : ١٩٥ ، ١٩٦

القدرية : ٣٣٤

القطع (الحال) : ٤٤٧

الوقوع (التعدى) : ٦٨ ، ٤٤٥

فهرس الفرق

* المعتزلة : الردّ على المعتزلة فى رؤية ربنا سبحانه يوم القيامة : ١٣ ــ ٢٢

* المعتزلة : الرد عليهم فى تفويض الأمور إلى العباد فى أفعالهم ، وأنه لا صنع لله سبحانه فى أفعالهم ، وأنه قد سوّى بينهم فى الأسباب التى بها يصلون إلى الطاعة والمعصية : ٩٢ ، ٩٣ ، ١٠٨ ، ١٠٩

* المعتزلة (القدرية) : ردّ زعمهم أن كل من كفر أو آمن ، فبتفويض الله أسباب ذلك إليه ، وأن السبب الذى به يصل المؤمن إلى الإيمان ، هو السبب الذى به يصل الكافر إلى الكفر : ٣٣٤

* المعتزلة : ردّ قولهم فى تأويل « الميزان » ، و « وزن الأعمال » ، يوم القيامة : ٣١٢ ــ ٣١٤

مباحث العربية والنحو وغيرهما

* « ألف الاستفهام » إدخالُها على « الواو » نحو : « أوَلو كنا كارهين » : ٥٦١

* « أنْ » الخفيفة ، تقع على الأفعال ، وإن لم تعمل فيها ، ولكن لا تليها الأسماء : ٤٤٤ ، ٤٤٥

* « أنْ » المخففة من « أنّ » المشددة ، وتليها الأسماء : ٤٤٣ — ٤٤٥

* « أن » المخففة ، تدخل الكلام لتنى ما بعدها : ٤٤٠

* « أن » المخففة تدور مع ماضارع الحكاية ، وليس بلفظ الحكاية ، نحو : « ناديت أن زيدٌ قائم » ، وجعلت وقاية لأن النداء يقع على ما بعدها ، فيسلم ما بعدها كما يسلم ما بعد القول فى قولك : « قلت : زيد قائم » : ٤٤٥

* « أنْ » قول من قال إنها بمعنى « أى » ، وردّ أبى جعفر ذلك ، لأن « أى » لا تكون جواب كلام ، و « أن » ، تكفى من الاسم : ٤٤٤ ، ٤٤٥

* « أنّ » بمعنى : « لعل » ، كقولهم : « اذهب إلى السوق أنك تشترى لى شيئاً » بمعنى : لعلك تشترى ، وقول عدى بن زيد :

أعاذِلَ ما يُدْرِيكِ أنَّ مَنِيَّتِي إلى سَاعةٍ فِى اليَوْمِ أوْ فِى ضُحَى الغَدِ

بمعنى : لعلّ منيتى : ٤١ — ٤٣

* « أو » هى بمعنى الشك : ٣٠١ ، ٣٠٢

* « أو » تحذف بعدها الواو ، استثقالا للجمع بين حرفى عطف ، نحو : « لقيتنى مملقاً أو أنا مسافر » ، بمعنى : أو وأنا مسافر ، حذفوا « الواو » وهم يريدونها : ٣٠٣

* « التاء » دخولها لإفادة التحقيق والمبالغة، نحو : « راوية » و « نسابة » : ١٤٨ ، ١٤٩

* « ثم » لا تدخلها العرب فى الكلام ، وهى مراد بها التقديم على ما قبلها من الخبر . فإذا قيل : « قام عبد الله ثم قعد عمرو » ، فغير جائز أن يكون قعود عمرو كان إلاّ بعد قيام عبد الله = ولكن قد يقدمونها فى الكلام ، إذا كان فيه دليل على أن معناها التأخير ، نحو « قام ثم عبد الله عمرو » ، أى : قام عمرو ثم عبد الله : ٣٢٢

* « ثم » لا تأتى فى كلام العرب إلا بإيذان انقطاع ما بعدها عما قبلها ، نحو : « قمت ثم قعدت » ، لا يكون القعود إلا بعد انقطاع القيام : ٣٢١

* « ثم » بمعنى « الواو » فى ضرورة الشعر ، نحو :

سَأَلْتُ رَبِيعَةَ : مَنْ خَيْرُهَا أَبًا ثُمَّ أُمًّا ؟ فَقَالَتْ : لِمَهْ

يعنى : أباً وأمًّا : ٣٢٢

* « السين » قلبها « زاياً » ، نحو « الرجس » و « الرجز » : ٥٢١
« السين » قلبها « تاءاً » ، نحو « قربوس » و « قربوت » : ٥٢١ ، ٥٢٢

* « الفاء » بمعنى « الواو » ، وقول أبى جعفر أن للفاء عند العرب من الحكم ما ليس للواو : ٣٠١

* « كان » اكتفاؤها بالاسم دون الخبر : ١٩٥

* « كم » ، المراد بها الكثرة : ٢٩٩ ، ٣٠٠

* « كما » ، معناها فى قوله : « كما لم يؤْمنوا به أوّل مرة » : ٤٥

* « عند » ، فى مثل قولك : « سيأتينى رزقى عند الله » ، أى : من عند الله = وغير جائز أن تقول : « جئت عند عبد الله » ، وأنت تريد : جئت من عند عبد الله : ٩٧

* « لا » ، دخولها للمنع ، فى قوله : « وما لكم أن لا تأكلوا » : ٦٨

* « لا » ، زيادتها فى الكلام حشواً : ٣٢٤
« لا » وجعلها اسماً للمنع : ٣٢٤

* « مالك » بمعنى « ما منعك » : ٦٨

* « مَنْ » فى لفظ الواحد ، ومعناها الجمع ، ولذلك قال تعالى : « ومن خفت موازينه فأولئك . . . » : ٣١٥

* « مَنْ » بمعنى « أىّ » أو فى مذهبها ، فى قوله : « إن ربك هو أعلمُ من يضل عن سبيله » : ٦٦

* « مِنْ » بمعنى التعقيب والبدل ، نحو : « أعطيتُك من دنيارك ثوباً » ، أى : مكان دينارك ثوباً : ١٢٧

* « نَعَم » بفتح النون والعين ، و « نِعَم » بكسر العين : ٤٤٦ ، ٤٤٧

* « هلمّ » ، أحكامها فى الأفراد والتثنية والجمع : ٢١٣

* « الواو » دلالتها على الوقت : ٣٠٢ ، ٣٠٣
« الواو » حذفها بعد « أو » استثقالا للجمع بين حرفى عطف ، نحو : « لقيتنى مملقاً أو أنا مسافر » ، بمعنى : أو وأنا مسافر : ٣٠٣

* « الواو » تدخل فى الكلام عطفاً ، فتوجب للذى بعدها من المعنى ، ما وجب للذى قبلها ، من غير دلالة منها بنفسها على أن ذلك فى وقت واحد ، أو فى وقتين مختلفين = أو إن كانا فى وقتين مختلفين ، أيهما المتقدم ، وأيهما المتأخر : ٣٢١ ، ٣٢٢

* * *

* « أفعل » فى النعت ، إذا أخرجوه إلى الأسماء جمع على « أفاعل » نحو « أحمر » و « أحامر » ، وحكى عنهم سماعاً « أحامرة » بالتاء : ٩٤

* « فعائل » جمع « فعلية » ، تهمز العرب ياءهُ ، لأنها زائدة نحو « مدينة » و « مدائن » ، فإذا كانت من « دان يدين » كان الأفصح أن تقول : «مداين» غير مهموز ، ووزنه عندئذ « مفاعل » : ٣١٧

* « مفاعل » فى جمع « مفعلة » من معتل العين ، لا تهمز ياؤها نحو « معايش » : ٣١٦

وربما همزت العرب ذلك ، تشبيهاً منها جمعها بجمع « فعيلة » نحو « مدينة » و « مدائن » : ٣١٧

* « مفعل » ، فى معتل العين ، جمعه على « أفعلة » تشبيهاً له بوزن « فعيل » نحو « مسيل » و « أمسلة » ، وهو من « سال يسيل » تشبيهاً له بنحو : « بعير » و « أبعرة » : ٣١٧

* « مفعل » فى المعتل العين ، جمعه على « فعلان » ، تشبيهاً له بوزن « فعيل » ، نحو : « مصير » و « مُصْران » ، وهو من « صار يصير » تشبيهاً له بنحو « بعير » و « بعران » : ٣١٧

* الجمع مرة على اللفظ ، ومرة على المعنى ، نحو « خليفة » ، جمعت على « خلائف » على لفظها ، وهو مؤنث ، وجمعت على «خلفاء» ذهاباً بها إلى الرجل ، فكأن واحدهم « خليف » ، نحو « شريك » و « شركاء » : ٥٤٠ ، ٥٤١

* الجموع التى لا واحد لها من لفظها : ١٨١ ، ١٨٧ ، ١٨٨

* نقل حروف الكلام من موضع إلى موضع ، نحو : « اضمحل » ، و « امضحلّ » و « جاهٌ » و « وجهٌ » : ٤٦٤

* * *

* « أفعل » غير مصروف فى كلامهم : ٢٣٤

* « أفعل » التفضيل ، كالمعرفة ، من أجل أن الألف واللام لا تدخلانه : ٢٣٤

* « الاستثناء » ، العرب تكتفى فى الاستثناء بالأسماء دون الأفعال (الأخبار) ، نحو : « قام الناس إلا أن يكون أخوك » ، لا تأتى « ليكون » بخبر ، وتجعلها مستغنية بالاسم : ١٩٥ ، ١٩٦

* « الترخيم » : ٣٣٤

* « الجحد » ، العرب ربما أعادت فى الكلام الذى فيه جحدٌ ، جحداً آخر كالاستيثاق والتوكيد له ، نحو :

مَا إنْ رَأَيْنَا مِثْلَهُنَّ لِمَعْشَرٍ سُودِ الرؤوس فَوَالجٌ وفُيُولُ

فأعاد على الجحد الذى هو « ما »، جحداً ، وهى « إن » ، فجمعهما للتوكيد: ٣٢٤ ، ٣٢٥

* « الحذف » ، اكتفاء بدلالة الظاهر عما حذف : ٢٢٤

* « حرف الجر » ، حذفه وهو مراد ، نحو : « توجه مكة » أى : إلى مكة ، وقول الشاعر :

كَأَنِّىَ إذْ أَسْعَى لِأَظْفَرَ طَائِراً مَعَ النَّجْمِ مِنْ جَوِّ السَّمَاء يَصُوبُ

بمعنى : لأظفر بطائر : ٣٣٦ ، ٣٣٧

* التفريق بين الخافض والمخفوض بما عمل فيه من الاسم ، قبيح فى كلام العرب غير فصيح ، نحو :

فَزَجَجْتُهُ مُتَمَكِّناً زَجَّ القَلُوصَ أَبِى مَزَادَهْ

أى : زج أبى مزادة القلوص : ١٣٧ ، ١٣٨

* إذا حذف الخافض ، تعلق الفعل بالمخفوض فنصبه : ١٢٥

* غير معلوم فى كلام العرب اسم مخفوض بغير خافض : ٦٦

* « العدد » الأفعال لا تعدّ ، وإنما تعدّ الأسماء . لا يجوز أن تقول : « عندى عشر صالحات » : ٢٨١

« العطف » على الخبر بالنهى ، نحو قوله :

حَجَّ وَأَوْصَى بِسُلَيْمَى الأَعْبُدَا . أَنْ لَا تَرَى وَلَا تُكَلِّمْ أَحَدَا
وَلَا يَزَلْ شَرَابُهَا مُبَرَّدَا

عطف على « أن لا ترى » ، وهو خبر ، بالنهى فقال : « ولا تكلم » ، و « لا يزلْ » : ٢١٥ ، ٢١٦

* إظهار الفاعل بعد الخبر بما لم يسمّ فاعله، نحو: «ضُرِب عبد الله، أخوك»، وأنه جائز فى العربية : ١٣٩

* لا تتبع نكرةٌ معرفة : ٢٣٥

* النكرة إذا كانت نعتاً للمعرفة ، نصبت على الحال : ٣٦

* « الواحد » ، والمراد به « الجميع » ، نحو : « إن الإنسان لفى خسر » : ٥٤٥

* تذكير المؤنث ، نحو : « فلا أرضَ أبقل إبقالها » : ٤٨٩

* الأوقات إذا وقعت أخباراً للأسماء ، أجرتها العرب مجرى الحال ، فوحدتها مع الواحد والاثنين والجميع ، وذكرتها مع المؤنث ، نحو : « كرامة الله بعيدٌ من فلان » و « هندٌ قريبٌ منّا » ، بمعنى : فى مكان قريب : ٤٤٨

* العرب تؤثر النصب فى الفعل (المصدر) ، إذا تأخر بعد الاسم (المشتق) ، والصفة (الظرف) : ٤٠١

* إذا اتفق معنى الفعلين ، كان سواء تقديم أحدهما وتأخير الآخر : نحو : « زرتنى فأكرمتنى » ، أو « أكرمتنى فزرتنى » ، إذ كانت « الزيارة » هنا هى « الكرامة » : ٣٠١

* * *

* « القول » ، حذفه اكتفاءً بدلالة ما ظهر من الكلام عليه : ١١٥

* « القول » حذفه لدلالة ما ظهر من الكلام عليه : ٢٩٨

* « القول » يليه ما شئت من الكلام ، لأن القول لا يقع على ما بعده نحو : « قلت : قام » ، و « قلت : زيد قائم » : ٤٤٥

* « القياس » ، وأول من قاس إبليس : ٣٢٧

* « الخبر » ، إخراجه عن الجميع ، والمراد به بعض دون بعض ، نحو : « إن فى هذه الدور لشرًّا » ، والشر فى واحدة منهن : ١٢١

* الخبر على المختلطين بلفظ واحد ، نحو : « أكلت خبزاً ولبناً » ، فلو قيل : « أكلت لبناً ، كان الكلام خطأ ، لأن اللبن يشرب ولا يؤكل : ١٢١ ، ١٢٢

* « الخطاب » توجهه العرب إلى الرجل ، بالأفعال تضيفها إليه ، والمراد بذلك سلفه : ٣٢٠ ، ٣٢١

* الخطاب ، الابتداء بخطاب الواحد ، ثم الالتفات إلى خطاب الجميع : ٢٩٨ ، ٥٤٩

* * *

* غير جائز خلاف القرأة فيما جاءت به مجمعة عليه : ٣٦

* القراءة وإن كانت صحيحة فى العربية ، لا يجوز القراءة بها ، إذا كانت مخالفة لما عليه الحجة مجمعة من قرأة الأمصار : ٢٣٦ ، ٢٨١

* إذا خلا القول من دلالة على صحته من بعض الوجوه التى يجب التسليم لها ، كان بيّناً فساده : ٣٠١

* أولى ما قرئ به كتابُ الله من الألسن ، أفصحها وأعرفها ، دون أنكرها وأشذّها : ٣١٧

* غير جائز توجيه شىء من كتاب الله إلى الشاذّ من لغات العرب ، وله فى الأفصح الأشهر معنى مفهوم ووجه معروف : ٣٢٢

* غير جائز أن يكون فى كتاب الله شىء لا معنى له ، ولكل كلمة فيه معنى صحيح : ٣٢٦

* « النسخ » المنسوخ · هو ما لم يجز اجتماعه وناسخه فى حال واحدة : ٢٧٣

فهرس التفسير

٣ تصدير الجزء الثانى عشر

٧ تفسير قوله تعالى : « وجعلوا له شركاء الجنّ وخلقهم » .

١٣ تأويل قوله تعالى : « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار » ، وقول من قال : ولا تحيط به الأبصار ، وهو يحيط بها .

١٤ حجة القائلين بهذه المقالة ، وأنه غير جائز الإحاطة به سبحانه .

١٥ إنكارهم أن يكون معنى « لا تدركه الأبصار » : لا تراه الأبصار .

١٦ قول من قال : « لا تراه الأبصار ، وهو يرى الأبصار » .

١٧ القول فيمن تأول الأخبار التى رويت على رسول الله ، بتصحيح القول برؤية أهل الجنة ربهم يوم القيامة ، وردّهم ذلك إلى عقولهم ، وزعمهم أن عقولهم تحيل جواز الرؤية على الله عز وجل .

١٨ قول من قال : « لا تدركه فى الدنيا ، وتدركه فى الآخرة » ، بمعنى : تراه ، وأن الآية على العموم .

١٩ قول من قال ذلك ، وقال إن الآية على الخصوص .

١٩ قول من قال ذلك ، وأنها على العموم ، وأن الله يحدث لأوليائه يوم القيامة حاسّة سادسة سوى حواسهم الخمس .

٢٠ ردّ أبى جعفر على كل طائفة ، وبيان تلبيس المعتزلة .

٢٢ قصد أبى جعفر فى تفسيره : البيان عن تأويل آى القرآن .

٣٤ قريش ، ودخولها على أبى طالب لما حضره الموت ، ليدعو رسول الله إلى المصالحة : أن يدعهم وآلهتهم ، ويدعوه وإلهه .

٣٨ طلب قريش أن يجعل لهم الصفا ذهباً .

٤٧ خبر المستهزئين من قريش .

٥٣ الأخبار فى شياطين الإنس ، كشياطين الجن .

٦٧ النهى عن ذبائح من لا كتاب له كالمجوس .

٧٧ تمام النهى عن ذبائح من لا كتاب له من المجوس .

٧٧ قريش ، وموالاتها فارس فى الجاهلية ، وجدالهم فى الذبائح والميتة ، والأخبار فى ذلك..

٨٩ خبر أبى جهل بن هشام ، وعمر بن الخطاب .

٩٨ حديث شرح الصدر للإسلام ، وتحقيقه .

١٠٨ الردّ على المعتزلة فى أفعال العباد ، وأسباب الكفر والإيمان .

١١٢ حديث الاستعاذة لمن دخل الخلاء : « اللهم إنى أعوذ بك من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم » .

١٢٠ القول فى رسل الإنس والجنّ .

١٣١ بيان النصيب الذى جعله المشركون لشركائهم فى الحرث والأنعام ، وكيف كان اعتقادهم فى ذلك .

١٥٤ خبر وأد البنات فى ربيعة ومضر .

١٥٨ بيان الصدقة المفروضة وغير المفروضة فى الثمر والحبّ ، يوم حصاده ، واختلاف المختلفين فى ذلك .

١٧٠ ترجيح أبي جعفر فى معنى « إيتاء حقه يوم حصاده » .

١٧٤ الأخبار فى النهى عن السرف .

١٧٦ بيان معنى « السرف » .

١٨٣ حجة الله على مَنْ بحر البحائر ، وسيَّب السوائب ، فى تحريم ما حرّموا .

١٩٠ آية المحرّمات التى حرمها الله على الطاعمين .

١٩٨ ما حرمه الله على اليهود .

٢١٥ البيان الفاصل فيما حرم الله . تحريم الشرك ، والوصية بالوالدين .

٢١٧ تحريم قتل الأولاد خشية الإملاق .

٢١٨ تحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن .

٢٢٠ تحريم قتل النفس .

٢٢١ تحريم أكل مال اليتيم .

٢٢٤ الوصية بإيفاء الكيل والميزان .

٢٢٥ الوصية بالعدل فى القول ، والوفاء بعهد الله .

٢٣٠ حديث عبد الله بن مسعود عن الصراط المستقيم ، والسبل التى على كلّ منها شيطان يدعو إليها .

٢٤٧ حديث طلوع الشمس من مغربها من رقم : ١٤٢٠١ — ١٤٢٤٩ .

٢٧٣ القول فى الناسخ والمنسوخ .

﴿ تَفْسِير سُورَةِ الأَعْرَاف ﴾

٢٩٣ القول فى تفسير السورة التى يذكر فيها الأعراف .

٣٠٤ حديث : « ما هلك قوم حتى يعذروا من أنفسهم » .

٣٠٨ مسألة الله خلقه عن أعمالهم وذنوبهم .

٣١١ الرد على المعتزلة فى تأويل معنى « الميزان » ، ووزن أعمال العباد يوم القيامة .

٣١٣ حديث عبد الله بن عمرو فى الميزان ، ووضع السجلّ فى كفة الميزان .

٣٢٦ حجة إبليس فى تركه السجود لأبينا آدم عليه السلام .

٣٢٧ قول الحسن وابن سيرين : « أول من قاس إبليس » .

٣٣٤ حديث : « إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقة » .

٣٦٧ حديث عثمان رحمه الله فى « لباس التقوى » .

٣٨٩ أخبار طواف أهل الجاهلية بالبيت عراةً .

٣٩٦ حديث الحسن فى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى حجة من احتج لزخرفة البيوت ، وأكل الربا والغلول . وهو حديث جليل .

٤٢٤ حديث الميت وقبض روحه ، وفتح أبواب السماء للمؤمن، وردّ روح الكافر.

٤٣٨ حديث على بن أبى طالب ، وما قاله فى أمر عثمان وطلحة والزبير .

٤٤٠ حديث أهل الجنة ، وأزواجهم ، وبيوتهم .

٤٥٠ بيان معنى « الأعراف » ، وأقوال المختلفين فى معناها .

٤٦٩ حديث الشفاعة ، وإتيان الناس آدم ، ثم إبراهيم ، حتى يبلغوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٤٨٦ حديث التهليل والتكبير ورفع الصوت وقوله صلى الله عليه وسلم : « أيها الناس اربعوا على أنفسكم ، إنكم لا تدعون أصمّ ولا غائباً » .

٤٩٨ خبر نوح عليه السلام .

٥٠٣ خبر هودٍ وقومه .

٥٠٧ خبر على فى قبر هودٍ ، وحديث قوم هودٍ فى خبر طويل .

٥١٣ حديث الحارث بن حسان البكرى ، ومقدمه هو والمرأة التميمية ، وحديثه فى أمر قوم هودٍ .

٥٢٤ خبر ثمود ، ونبيّهم صالح عليه السلام ، وخبر عقر الناقة .

٥٤٧ خبر قوم لوط .

٥٥٤ خبر مدين ، ونبيهم شعيب .

٥٦٦ تفصيل خبر شعيب وقومه ، وما أصابهم من الرجفة .

٥٧٧ ﴿ خرمٌ فى التفسير ، وسقوط تفسير ثلاث آيات ﴾

* * *

٥٨٥ تتمة التخريج ، كتبه السيد أحمد محمد شاكر .

* * *

٥٩٣ فهرس الآيات التى استدل بها فى غير موضعها من التفسير .

٥٩٨ فهرس اللغة

٦٠٩ فهرس أعلام المترجمين فى التعليق .

٦٢٠ فهرس المصطلحات .

٦٢١ فهرس الردّ على الفرق .

٦٢٢ فهرس مباحث العربية والنحو وغيرها .

٦٢٩ فهرس التفسير .

تراث الإسلام

تفسير الطبري

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ - ٣١٠ هـ

١٣

حققه وخرج أحاديثه
محمود محمد شاكر

راجع أحاديثه
أحمد محمد شاكر

الناشر
مكتبة ابن تيمية
القاهرة ت ٨٦٤٢٤٠

تفسير الطبري

الجزء الثالث عشر

فيه

تفسير سورة الأعراف

من ١٠١ – ٢٠٦

وتفسير سورة الأنفال

من ١ – ٤٧

والآثار من : ١٤٩٠١ – ١٦١٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله وحده لا شريك له ، يحيي ويميتُ وهو على كُلّ شيء قدير . الحمدُ لله الذى أَسْلم له ما فى السَّموات والأرضِ طوعاً وكرهاً ، وكُلُّهم آتيه يومَ القيامة عبداً . أحمدُه حَمْدَ عارفٍ بنَعمائِه ، راضٍ بقضائه ، صابرٍ على بلائه .

وصلّى الله على محمد رسول الله إلى عِباده ، وخِيرَتِه من خلقه ، أرسله بالهُدَى ودين الحقّ ، فبلّغَ عن ربِّه رسالته ، وبيَّن لهُمْ عن سُنَّته ، وتركَهُم على مَحَجَّةٍ بيضاء ، من أبصرها اهتدى ونَجَا ، ومن عَمِيَ عنها ضَلَّ وهَلَك .

* * *

وبعدُ ، ففى الساعة السادسة من صبيحة يوم السبت السادس والعشرين من ذى القعدة سنة ١٣٧٧ (١٤ يونيه سنة ١٩٥٨) ، قضى الله قضاءه بالحقِّ ، فألحق بالرفيق الأعلى أخى وشقِيقى السيد أحمد محمد شاكر ، مودَّعاً بالدُّعاء ، محفوفاً بالثناء . جاءه الأَجل فَشقّ إليه الطريق ، وأَمَاط عنه حِياطة الشفيق ، ونَضا عنه طبَّ كُلّ طبيب ، فقبضَ مَلَكُ الموتِ ودِيعتَه فى الأرضِ ، ثم استودعَ مَسَامعنا من ذكره اسماً باقياً ، ومَحَا عن الأَبْصَار من شخصه رسماً فانياً . فالحمدُ لله بارئ النَّسَمِ بما شاء ، ومُصَرِّفِها فيما شاء ، وقابِضِها حيثُ شاء .

اللهُمَّ هذا عَبْدُك وابن عبدك ، نشأ فى المأمور به من طاعتك ، ومات على الحقِّ فى عبادتك ، وعاش ما بينَهما مجاهدًا فى سبيل دينك ، ناطقاً بالحقِّ فى مرضاتك ، ذابًّا بقلمه ولسانه عن كتابك وسنة رسولك .

اللهمَّ تقبَّل عمله ، واغفرْ زَلَّته ، غير خَالٍ من عَفْوك ، ولا محرومٍ من إكرامك . اللهم أسْبِغْ عليه الواسعَ من فضلك ، والمأمولَ من إحسانك . اللَّهُمَّ أتمم عليه نعمتَك بالرضى ، وآنس وحشته فى قبرِه بالرحمةِ ، واجعَلْ جودَك بِلَالاً لَهُ من ظَمَأِ البِلَى ، ورضوانَك نوراً لَهُ فى ظَلامِ الثَّرَى .

اللَّهُمَّ هذا أخى وشقيقى ، فإن أبكه فغيرَ جازعٍ من قضائك ، ولا نافرٍ من القدر الجارى على عبادك ، بل أبكيه مستكيناً لابتلائك ، سائلاً له المأمول من غفرانك . اللهُمَّ واجعل بكائى عليه ماحياً لكُلِّ مساءةٍ نالتْهُ منّى ، وتَوْبةً من كُلِّ هَفْوةٍ نزغَ بها الشَّيْطان بينَه وبينى .

اللهُمَّ ارحمه ، اللهمَّ ارحمه ، اللهمَّ ارحمه ، لا إلٰه إلّا أنتَ ، بالرحمة أنشأتَنا من التراب ، وبالرحمةِ رَدَدْتَنا إلى التراب ، وبالرحمة نَؤوب إليك يومَ الحسابِ ، فارحمنا وارحمْه ، إنك أنت وَلِيُّنَا فى الدنيا والآخرة يا أرحم الراحمين

اللَّهُمَّ هذا عَبْدُك وابن عبدك ، فأنزله وأنزل الصالحين من آبائه وذرِّيّته وأهلِه منازل المقرَّبينَ من أهلِ طاعتك ، بيدك المُلْك ، إنّك على كُلِّ شىء قدير ؟

محمود محمد شاكر

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله ﴿ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآئِهَا وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (١٠١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : هذه القرى التى ذكرت لك ، يا محمد ، أمرَها وأمر أهلها = يعنى : قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وشعيب = « نقص عليك من أنبائها » ، فنخبرك عنها وعن أخبار أهلها ، وما كان من أمرهم وأمر رُسل الله التى أرسلت إليهم ،[1] لتعلم أنا ننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا على أعدائنا وأهل الكفر بنا ، ويعلم مكذبوك من قومك ما عاقبة أمر من كذّب رسل الله ، فيرتدعوا عن تكذيبك ، وينيبوا إلى توحيد الله وطاعته = « ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات » ، يقول : ولقد جاءت أهل القرى التى قصصت عليك نبأها ، = « رسلهم بالبينات » ، يعنى بالحجج البينات[2] = « فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل » . ٨/٩

* * *

[ثم] اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .[3]

فقال بعضهم : معناه : فما كان هؤلاء المشركون الذين أهلكناهم من أهل القرى ليؤمنوا عند إرسالنا إليهم بما كرهوا من قبل ذلك ،[4] وذلك يوم أخذ ميثاقهم

---

(١) انظر تفسير « القصص » فيما سلف ١٢ : ٤٠٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك . = وتفسير « النبأ » فيما سلف ١٢ : ٢٨٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « البينات » فيما سلف من فهارس اللغة (بين) .

(٣) الزيادة بين القوسين يقتضيها السياق .

(٤) فى المطبوعة : « بما كذبوا قبل ذلك » ، وفى المخطوطة : « بما يحدثوا قبل ذلك » ، واستظهرت أن يكون الصواب ما أثبت ، لقوله فى الأثر الذى استدل به « فآمنوا كرها » .

حين أخرجهم من ظهر آدم عليه السلام .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٩٠١ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل » ، قال : ذلك يوم أخذ منهم الميثاق فآمنوا كرهاً .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل ، بما سبق فى علم الله أنهم يكذبون به يوم أخرجهم من صُلب آدم عليه السلام .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٩٠٢ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، عن أبى بن كعب : « فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل » ، قال : كان فى علمه يوم أقرُّوا له بالميثاق .

١٤٩٠٣ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس قال : يحق على العباد أن يأخذوا من العلم ما أبدى لهم ربهم والأنبياء ، ويدعوا علمَ ما أخفى الله عليهم ،[1] فإن علمه نافذٌ فيما كان وفيما يكون ، وفى ذلك قال : « ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين » ، قال : نفذ علمه فيهم ، أيُّهم المطيع من العاصى حيث خلقهم فى زمان آدم . وتصديق ذلك حيث قال لنوح : ﴿ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ، [سورة هود : ٤٨] ، وقال فى ذلك : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ ، [سورة الأنعام : ٢٨] ، وفى ذلك قال : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ ، [سور الإسراء : ١٥] ،

(١) فى المخطوطة : « ولوا علم ما أخفى الله عليهم » ، وكأن الصواب ما فى المطبوعة .

وفى ذلك قال : ﴿ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ ، [سورة النساء : ١٦٥] ، ولا حجة لأحد على الله .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : « فما كانوا » ، لو أحييناهم بعد هلاكهم ومعاينتهم ما عاينوا من عذاب الله ، « ليؤمنوا بما كذبوا من قبل » هلاكهم ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٩٠٤ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « بما كذبوا من قبل » ، قال : كقوله : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ .

* * *

قال أبو جعفر : وأشبه هذه الأقوال بتأويل الآية وأولاها بالصواب ، القولُ الذى ذكرناه عن أبىّ بن كعب والربيع . وذلك أن من سبق فى علم الله تبارك وتعالى أنه لا يؤمن به ، فلن يؤمن أبداً . وقد كان سبق فى علم الله تبارك وتعالى لمن هلك من الأمم التى قص نبأهم فى هذه السورة ، أنه لا يؤمن أبداً ، فأخبر جل ثناؤه عنهم أنهم لم يكونوا ليؤمنوا بما هم به مكذبون فى سابق علمه ، قبل مجىء الرسل عند مجيئهم إليهم .

* * *

ولو قيل : تأويله : فما كان هؤلاء الذين وَرِثوا الأرض ، يا محمد ، من مشركى قومك من بعد أهلها ، الذين كانوا بها من عاد وثمود ، ليؤمنوا بما كذب به الذين ورثوها عنهم من توحيد الله ووعده ووعيده = كان وجهاً ومذهباً ، غير أنى لا أعلم قائلاً قاله ممن يعتمد على علمه بتأويل القرآن .

* * *

وأما الذى قاله مجاهد من أن معناه : لو ردّوا ما كانوا ليؤمنوا = فتأويلٌ

٩/٩ لا دلالة عليه من ظاهر التنزيل، ولا من خبر عن الرسول صحيح . وإذ كان ذلك كذلك ، فأولى منه بالصواب ما كان عليه من ظاهر التنزيل دليل .

* * *

وأما قوله : «كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين» ، فإنه يقول تعالى ذكره: كما طبع الله على قلوب هؤلاء الذين كفروا بربهم وعصوا رسله من هذه الأمم التى قصصنا عليك نبأهم ، يا محمد ، فى هذه السورة ، حتى جاءهم بأسُ الله فهلكوا به =« كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين » ، الذين كتب عليهم أنهم لا يؤمنون أبداً من قومك .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴾ (١٠٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولم نجد لأكثر أهل هذه القرى التى أهلكناها واقتصصنا عليك، يامحمد، نبأها=« من عهد»، يقول: من وفاء بما وصيناهم به ، من توحيد الله ، واتباع رسله ، والعمل بطاعته ، واجتناب معاصيه ، وهجر عبادة الأوثان والأصنام .

* * *

و « العهد » ، هو الوصية ، وقد بينا ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته .(٢)

* * *

= « وإن وجدنا أكثرهم »، يقول: وما وجدنا أكثرهم إلافسقة عن طاعة ربهم ، تاركين عهده ووصيته .

* * *

---

(١) انظر تفسير « الطبع » فيما سلف ١٢ : ٥٧٩، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « العهد » فيما سلف ١ : ٤١٠ ، ٢/٥٥٧ : ٣/٢٧٩ : ٢٠ - ٢٤ ، ٦/٣٤٩ : ٥٢٦ .

وقد بينا معنى « الفسق » ، قبل .[1]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٩٠٥ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله تبارك وتعالى : « وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين » ، قال : القرون الماضية .

١٤٩٠٦ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « وما وجدنا لأكثرهم من عهد » ، الآية، قال : القرون الماضية . و « عهده »، الذى أخذه من بنى آدم فى ظهر آدم ولم يفوا به .

١٤٩٠٧ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، عن أبى بن كعب : « وما وجدنا لأكثرهم من عهد » ، قال : فى الميثاق الذى أخذه فى ظهر آدم عليه السلام .

١٤٩٠٨ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين » ، وذلك أن الله إنما أهلك القرى لأنهم لم يكونوا حفظوا ما أوصاهم به .

* * *

---

(١) انظر تفسير « الفسق » فيما سلف ١٢ : ١٩٥، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (١٠٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ثم بعثنا من بعد نوح وهود وصالح ولوط وشعيب ، موسى بن عمران .

* * *

و « الهاء والميم » اللتان فى قوله : « من بعدهم » ، هى كناية ذكر الأنبياء عليهم السلام التى ذكرت من أول هذه السورة إلى هذا الموضع .

* * *

= « بآياتنا » يقول : بحججنا وأدلتنا[١] = «إلى فرعون وملئه » ، يعنى : إلى جماعة فرعون من الرجال[٢] = « فظلموا بها » ، يقول : فكفروا بها .

* * *

و « الهاء والألف » اللتان فى قوله : « بها » عائدتان على « الآيات » .

* * *

ومعنى ذلك : فظلموا بآياتنا التى بعثنا بها موسى إليهم = وإنما جاز أن يقال : « فظلموا بها ، » بمعنى : كفروا بها ، لأن الظلم وَضْعُ الشىء فى غير موضعه .

* * *

وقد دللت فيما مضى على أن ذلك معناه ، بما أغنى عن إعادته .[٣]

* * *

والكفر بآيات الله ، وضع لها فى غير موضعها ، وصرف لها إلى غير وجهها الذى عُنيت به = « فانظر كيف كان عاقبة المفسدين » ، يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فانظر ، يا محمد ، بعين قلبك ، كيف كان عاقبة

---

(١) انظر تفسير « الآية » فيما سلف فى فهارس اللغة (أيي) .

(٢) انظر تفسير « الملأ » فيما سلف ١٢ : ٥٦٥ تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الظلم » فيما سلف من فهارس اللغة (ظلم) .

هؤلاء الذين أفسدوا فى الأرض ؟ [١]= يعنى فرعون وملأه ، إذ ظلموا بآيات الله التى جاءهم بها موسى عليه السلام ، وكان عاقبتهم أنهم أغرقوا جميعاً فى البحر .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١٠٤)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : وقال موسى لفرعون : يا فرعون إنىّ رسول من رب العالمين.

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (١٠٥) قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (١٠٦) ١٠/٩

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة قوله : « حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق » .

فقرأه جماعة من قرأة المكيين والمدنيين والبصرة والكوفة : ﴿ حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لاَ أَقُولَ ﴾ ، بإرسال « الياء » من « على » ، وترك تشديدها ، بمعنى : أنا حقيقٌ بأن لاأقول على الله إلاالحق = فوجهوا معنى « على » إلى معنى « الباء » كما يقال : « رميت بالقوس » و « على القوس » = و « جئت على حال حسنة » و « بحال حسنة » . [٢]

---

(١) انظر تفسير « العاقبة » فيما سلف ١٢ : ٥٦٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « الفساد » فيما سلف ١٢ : ٥٦٠ تعليق : ٢، والمراجع هناك .

(٢) انظر ما سلف ١١ : ٣١٧ ، تعليق : ١، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٣٨٦ .

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول : إذا قرئ ذلك كذلك ، فمعناه : حريص على أن لا أقول ، أو : فحق أن لا أقول .[١]

* * *

وقرأ ذلك جماعة من أهل المدينة : ﴿ حَقِيقٌ عَلَيَّ أَلاَّ أَقُولَ ﴾ ، بمعنى : واجب عليَّ أن لا أقول ، وحق على أن لا أقول .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى ، قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القرأة ، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب فى فى قراءته الصوابَ .

* * *

وقوله : « قد جئتكم ببينة من ربكم » ، يقول : قال موسى لفرعون وملئه : قد جئتكم ببرهان من ربكم ، يشهدُ ، أيها القوم ، على صحة ما أقول ،[٢] وصدق ما أذكر لكم من إرسال الله إياى إليكم رَسولاً ، فأرسل يا فرعون معى بنى إسرائيل . فقال له فرعون : « إن كنت جئت بآية » ، يقول : بحجة وعلامة شاهدة على صدق ما تقول[٣] = « فأت بها إن كنت من الصادقين » .

* * *

---

(١) مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٢٤ ، وكان فى المطبوعة هنا : « حريص على أن لا أقول إلا بحق » ، وفى المخطوطة : « حريص على أن لا أقول بحق لا أقول » ، وكلتاهما خطأ ، والصواب من مجاز القرآن ، فهو نص كلامه .

(٢) انظر تفسير « البنية » فيما سلف ١٠ : ٢٤٢ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « آية » فيما سلف من فهارس اللغة (أبى) .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ ﴿١٠٨﴾

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : فألقى موسى عصاه = « فإذا هى ثعبان مبين » ، يعنى حية = « مبين » ، يقول : تتبين لمن يراها أنها حية .(١)

* * *

وبما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٩٠٩ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « فإذا هى ثعبان مبين » ، قال : تحولت حية عظيمة . وقال غيره : مثل المدينة .

١٤٩١٠ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فإذا هى ثعبان مبين » ، يقول : فإذا هى حية كاد يَتَسوَّره = يعنى : كاد يَثِبُ عليه .(٢)

١٤٩١١ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فإذا هى ثعبان مبين » ، و « الثعبان » ، الذكر من الحيات ، فاتحةً فاها، واضعة لحيها الأسفل فى الأرض ، والأعلى على سور القصر ،(٣) ثم توجهت نحو فرعون لتأخذه . فلما رآها ذُعِر منها ، ووثب فأحدث ، ولم يكن

---

(١) انظر تفسير « مبين » فيما سلف من فهارس اللغة (بين) .

(٢) فى المطبوعة : « كادت » بالتأنيث فى الموضعين وأثبت ما فى المخطوطة . و « الحية » ذكر وأنثى .

(٣) « اللحى » (بفتح اللام وسكون الحاء) ، وهما « لحيان » : وهما العظمان اللذان فيهما الأسنان من داخل الفم من كل ذى لحى .

يُحْدِث قبل ذلك ، وصاح : يا موسى ، خذها وأنا مؤمن بك ، وأرسل معك بنى إسرائيل ! فأخذها موسى فعادت عصًا .

١٤٩١٢ – حدثنى عبد الكريم بن الهيثم قال، حدثنا إبراهيم بن بشار قال ، حدثنا سفيان بن عيينة قال ، حدثنا أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « فإذا هى ثعبان مبين » ، قال : ألقى العصا فصارت حية ، فوضعت فُقْماً لها أسفل القبة ، وفُقْماً لها أعلى القبة[1] = قال عبد الكريم، قال إبراهيم : وأشار سفيان بإصبعه الإبهام والسبابة هكذا : شِبْه الطاق[2] = فلما أرادت أن تأخذه قال فرعون : يا موسى ، خذها! فأخذها موسى بيده، فعادت عصا كما كانت أول مرة.

١٤٩١٣ – حدثنا العباس بن الوليد قال، حدثنا يزيد بن هرون قال ، أخبرنا الأصبغ بن زيد ، عن القاسم بن أبى أيوب قال ، حدثنى سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : ألقى عصاه فتحولت حية عظيمة ، فاغرةً فاها ، مسرعة إلى فرعون . فلما رأى فرعون أنها قاصدةٌ إليه ، اقتحم عن سريره ،[3] فاستغاث بموسى أن يكفَّها عنه ، ففعل .

١٤٩١٤ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « ثعبان مبين » ، قال : الحية الذكر .

١٤٩١٥ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا إسمعيل بن عبد الكريم قال ، حدثنى عبد الصمد بن معقل : أنه سمع وهب بن منبه يقول : لما دخل موسى على فرعون ، قال له فرعون :[4] أعرفك ؟ قال : نعم ! قال : ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾؟ [سورة الشعراء : ١٨].قال: فرد إليه موسى الذى ردَّ ، ١١/٩

---

(١) « الفقم » (بضم فسكون) ، هو « اللحى » الذى فسرته قبل ، وهما « فقمان » .

(٢) « الطاق » ، هو عقد البناء ، وهو ما عطف من الأبنية كأنه القوس .

(٣) « اقتحم عن سريره » ، رمى بنفسه وسقط عن سريره .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « قال له موسى : أعرفك » ، وهو خطأ لاشك فيه ، صوابه من تفسير ابن كثير ٣ : ٥٢٧ .

فقال فرعون : خذوه ! فبادره موسى فألقى عصاه فإذا هى ثعبان مبين ، فحملت على الناس فانهزموا ، فمات منهم خمسة وعشرون ألفاً ، قتل بعضُهم بعضاً ، وقام فرعون منهزماً حتى دخل البيتَ .

١٤٩١٦ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا أبو سعد قال، سمعت مجاهداً يقول فى قوله : ﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾، [سورة طه : ٢٠]، (١) قال : ما بين لَحْيَيها أربعون ذراعاً .

١٤٩١٧ – حدثنا وكيع قال ، حدثنا عبدة بن سليمان ، عن جويبر ، عن الضحاك : « فإذا هى ثعبان مبين » ، قال : الحية الذكر .

* * *

قال أبو جعفر : وأما قوله : « ونزَع يده فإذا هى بيضاء للناظرين » ، فإنه يقول : وأخرج يده ، فإذا هى بيضاء تلوح لمن نظر إليها من الناس . (٢)

* * *

وكان موسى ، فيما ذكر لنا، آدمَ ، فجعل الله تحوُّل يده بيضاء من غير برص، له آية ، وعلى صدق قوله : « إنى رسول من رب العالمين » ، حجة .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٩١٨ – حدثنا العباس قال، أخبرنا يزيد قال، حدثنا الأصبغ بن زيد ، عن القاسم بن أبى أيوب قال ، حدثنى سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : أخرج يده من جيبه فرآها بيضاء من غير سوء = يعنى : من غير برص = ثم أعادها إلى كمّه ، فعادت إلى لونها الأول .

١٤٩١٩ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « فألقى عصاه فإذا هى حية تسعى » ، ليس هذا فى شىء من التلاوة ، والتلاوة ما أثبت .

(٢) انظر تفسير « نزع » فيما سلف ١٢ : ٤٣٧ .

معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « بيضاء للناظرين » ، يقول : من غير برص

١٤٩٢٠ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « ونزع يده فإذا هى بيضاء للناظرين » ، قال : نزع يده من جيبه بيضاء من غير برص .

١٤٩٢١ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٤٩٢٢ – حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ونزع يده » ، أخرجها من جيبه = « فإذا هى بيضاء للناظرين » .

١٤٩٢٣ – حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد قال ، سمعت مجاهداً يقول فى قوله : « ونزع يده » ، قال : نزع يده من جيبه = « فإذا هى بيضاء للناظرين » ، وكان موسى رجلاً آدم ، فأخرج يده فإذا هى بيضاء ، أشد بياضاً من اللبن = « من غير سوء » ، قال : من غير برص ، آيةً لفرعون .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ ﴿١١٠﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قالت الجماعة من رجال قوم فرعون والأشراف منهم[1] = « إن هذا » ، يعنون موسى صلوات الله عليه = « لساحر

(١) انظر تفسير « الملأ » فيما سلف ص ١٢ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

عليم » ، يعنون أنه يأخذ بأعين الناس بخداعه إياهم ، حتى يخيل إليهم العصا حية ، والآدم أبيض ، والشيء بخلاف ما هو به .

* * *

ومنه قيل : « سَحر المطرُ الأرضَ » ، إذا جادها ، فقطع نباتها من أصوله ، وقلب الأرض ظهرًا لبطن ، «فهو يَسْحَرُها سَحْرًا» ، و«الأرض مسحورة» ، إذا أصابها ذلك . [1] فشبه « سحر الساحر » بذلك ، لتخييله إلى من سحره أنه يرى الشيء بخلاف ما هو به ، [2] ومنه قول ذى الرمة فى صفة السراب :

وَسَاحِرَةِ العُيُونِ مِنَ المَوَامِى ... تَرَقَّصُ فى نَوَاشِرِهَا الأُرُومُ [3]

* * *

وقوله : « عليم » ، يقول : ساحر عليم بالسحر [4] = « يريد أن يخرجكم من

---

(١) هذا البيان عن معنى « سحر المطر الأرض » ، جيد جداً ، مبين عن معنى الكلمة ، وهو أوضح مما جاء فى كتب اللغة ، فليقيد هذا هناك .

(٢) انظر تفسير « السحر » فيما سلف ٢ : ٤٣٦ - ١١/٤٤٢ : ٢٦٥ .

(٣) ديوانه : ٥٩١ ، واللسان (أرم) ، بهذه الرواية ، أما رواية الديوان فهى :

وَسَاحِرَةِ السَّرابِ مِنَ المَوَامِى ... تَرَقَّصُ فِى عَسَاقِلِهَا الأُرُومُ
تَمُوتُ قَطَا الفَلَاةِ بِهَا أُوَامًا ... وَيَهْلِكُ فِى جَوَانِبِهَا النَّسِيمُ
بِهَا غُدُرٌ ، وَلَيْسَ بِهَا بِلَالٌ ... وَأَشْبَاحٌ تَحُولُ وَلَا تَرِيمُ

وهذا شعر غاية ! ، والرواية التى هنا هى رواية أبى عبيدة فى مجاز القرآن . ورواية أبى عمرو ابن العلاء : « فى نواشرها » . وكان فى المطبوعة : « نواشزها » بالزاى ، وهى فى المخطوطة غير منقوطة . و « الموامى » جمع موماة ، وهى المفازة الواسعة الملساء ، لا ماء بها ولا أنيس . و « العساقل » جمع « عسقلة » ، و « العساقيل » جمع « عسقول » ، وهى قطع السراب التى تلمع وتتريع لعين الناظر . و « الأروم » جمع « إرم » ، وهى الأعلام ، وقيل : هى قبور عاد وإرم . ورواية ديوانه « وساجرة » بالجيم ، أى مملوءة من السراب . يصف السراب وهو يترجرج ، فترى الحجارة والأعلام ترتفع فيه وتنخفض ، وهو يتحرك بها .

وأما رواية أبى جعفر « ترقص فى نواشرها » ، فلم أجد له تفسيراً عند أحد من شراح الشعر ، أو فى كتب اللغة . وظنى أنه يعنى به السراب كما قال « فى عساقلها » ، وأنها من « نشر الشيء » بسطه ومده ، وعنى به ما يمتد من السراب وينبسط .

(٤) انظر تفسير « عليم » فيما سلف من فهارس اللغة (علم) .

١٢/٩ أرضكم »، أرض مصر ، معشر القبط السحرة[١] =، وقال فرعون للملأ : « فماذا تأمرون» ، يقول : فأى شيء تأمرون أن نفعل فى أمره؟ بأى شيء تشيرون فيه ؟

* * *

وقيل : « فماذا تأمرون » ، والخبر بذلك عن فرعون ،ولم يذكر فرعون ، وقلما يجيء مثل ذلك فى الكلام، وذلك نظير قوله : ﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَةُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدْتُهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ * ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ ﴾، [سورة يوسف : ٥١، ٥٢]. فقيل : «ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب»، من قول يوسف، ولم يذكر يوسف ، ومن ذلك أن يقول : « قلت لزيد قم ، فإنى قائم » ، وهو يريد : « فقال زيد إنّى قائم » .[٢]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴾ (١١١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره . قال الملأ من قوم فرعون لفرعون : أرجئه ، أى : أخِّره .

* * *

وقال بعضهم : معناه : احبس .

* * *

و « الإرجاء » ، فى كلام العرب التأخير . يقال منه « أرجيت هذا الأمر » ،

---

(١) هكذا فى المخطوطة مضبوطة بشدة على السين : « السحرة » ، ولو قرئت « بسحره » ، لكان صواباً جيداً .

(٢) انظر تفصيل ذلك فى معانى القرآن للفراء ١ : ٣٨٧

و« أرجأته » ، إذا أخرته . ومنه قول الله تعالى : ﴿ تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ ﴾ ، [سورة الأحزاب : ٥١] ، تؤخر ، فالهمز من كلام بعض قبائل قيس ، يقولون : « أرجأت هذا الأمر » ، وترك الهمز من لغة تميم وأسد، يقولون : « أرجيته » .(١)

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة المدينة وبعض العراقيين : ﴿ أَرْجِهِ ﴾ بغير الهمز ، وبجرّ « الهاء » .

* * *

وقرأه بعض قرأة الكوفيين : ﴿ أَرْجِهْ ﴾ بترك الهمز وتسكين « الهاء » ، على لغة من يقف على الهاء فى المكنىّ فى الوصل ،(٢) إذا تحرك ما قبلها ، كما قال الراجز :(٣)

أَنْحَى عَلَيَّ الدَّهْرُ رِجْلاً وَيَدَا ... يُقْسِمُ لاَ يُصْلِحُ إِلَّا أَفْسَدَا
فَيُصْلِحُ الْيَوْمَ وَيُفْسِدُهُ غَدَا (٤)

وقد يفعلون مثل هذا بهاء التأنيث ، فيقولون : « هذه طلحَهْ قد أقبلت » ، كما قال الراجز :(٥)

لَمَّا رأى أَنْ لاَ دَعَهْ وَلاَ شِبَعْ ... مَالَ إِلَى أَرْطَاةِ حِقْفٍ فَاضْطَجَعْ (٦)

* * *

(١) تفصيل اللغات ونسبتها إلى قبائلها ، ليس فى شىء من معاجم اللغة ، فهى زيادة تقيد فى مكانها هناك .

(٢) « المكنى » ، الضمير .

(٣) هو دويد بن زيد بن نهد القضاعى ، وهو أحد المعمرين .

(٤) طبقات فحول الشعراء : ٢٨ ، والمعمرين : ٢٠ ، وأمالى الشريف ١ : ١٣٧ ، والشعر والشعراء : ٥١ ، والمؤتلف والمختلف : ١١٤ ، وشرح شواهد الشافية : ٢٧٤ ؛ وغيرها كثير ، وهو من قديم الشعر ، كما قال ابن سلام . ورواية هذه الأبيات تختلف اختلافاً كبيراً فى المراجع جميعاً ، كما أشرت إليه فى شرح طبقات ابن سلام .

وكان فى المطبوعة « ألحى على الدهر » ، و « فقسمه لا نصلح » ، وهذا خطأ فاسد صوابه فى المخطوطة ، ومعانى القرآن للفراء .

(٥) يقال هو : منظور بن حبة الأسدى .

(٦) معانى القرآن للفراء ١ : ٣٨٨ ، إصلاح المنطق : ١٠٨ ، وتهذيب إصلاح المنطق ١ : ١٦٧ ،

وقرأه بعض البصريين : ﴿ أَرْجِئْهُ ﴾ بالهمز وضم « الهاء » ، على لغة من ذكرت من قيس .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءات فى ذلك بالصواب ، أشهرها وأفصحها فى كلام العرب ، وذلك ترك الهمز وجرُّ « الهاء » ، وإن كانت الأخرى جائزة ، غير أن الذى اخترنا أفصح اللغات وأكثرها على ألسن فصحاء العرب .

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « أرجه » .

فقال بعضهم : معناه : أخره .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٩٢٤ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج ، أخبرنى عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس قوله : « أرجه وأخاه » ، قال : أخِّره .

* * *

وقال آخرون : معناه : احبسه .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٩٢٥ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « أرجه وأخاه » ، أى : احبسه وأخاه .

* * *

وشرح شواهد الشافية : ٢٧٤ – ٢٧٦ ، ٤٨٠ ، يصف ظبياً ، يقول قبله :

يَا رُبَّ أَبَّازٍ مِنَ العُفْرِ صَدَعْ تَقَبَّضَ الذِّئْبُ إِلَيْهِ وَاجْتَمَعْ

قال التبريزى فى شرحها : « يصف ظبياً . والأباز : الذى يقفز . والعفر من الظباء : التى تعلو ألوانها حمرة . وتقبض : أى أنه جمع قوائمه ليثبت على الظبى . لما رأى أن لا دعه ، يعنى الذئب ، لما رأى أنه لا يشبع من الظبى ولا يدركه ، وأنه قد تعب فى طلبه . مال إلى أرطاة فاضطجع عندها . والأرطى : ضرب من شجر الرمل ، واحدته أرطاة . والحقف : المعوج من الرمل » .

وأما قوله : « وأرسل فى المدائن حاشرين » ، يقول : من يحشرُ السحرة فيجمعهم إليك .[1]

* * *

وقيل : هم الشُّرَط .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٩٢٦ – حدثنى عباس بن أبى طالب قال ، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال ، حدثنا الحكم بن ظهير ، عن السدى ، عن ابن عباس : «وأرسل فى المدائن حاشرين» ، قال : الشرط .

١٤٩٢٧ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن إسمعيل بن إبراهيم ابن مهاجر ، عن أبيه ، عن مجاهد : « وأرسل فى المدائن حاشرين » ، قال : الشرط .

١٤٩٢٨ – قال حدثنا حميد ، عن قيس ، عن السدى : « وأرسل فى المدائن حاشرين » ، قال : الشرط

١٤٩٢٩ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا إسمعيل بن إبراهيم بن مهاجر ، عن أبيه ، عن مجاهد ، عن ابن عباس فى قوله : « فى المدائن حاشرين » ، قال : الشرط .

١٤٩٣٠ – حدثنى عبد الكريم بن الهيثم قال ، حدثنا إبراهيم بن بشار قال ، حدثنا سفيان قال ، حدثنا أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « وأرسل فى المدائن حاشرين » ، قال : الشرط .

* * *

---

(١) انظر تفسير « الحشر » فيما سلف ١٢ : ١١٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن مشورة الملأ من قوم فرعون على فرعون ، أن يرسل فى المدائن حاشرين يحشرون كل ساحر عليم .

* * *

= وفى الكلام محذوف ، اكتفى بدلالة الظاهر من إظهاره ، وهو : فأرسل فى المدائن حاشرين ، يحشرون السحرة .

* * *

= « فجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجرًا » ، يقول : إن لنا لثواباً على غلبتنا موسى عندك [1] = « إن كنا » ، يا فرعون ، « نحن الغالبين » .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٩٣١ — حدثنا العباس قال ، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا الأصبغ بن زيد ، عن القاسم بن أبى أيوب قال ، حدثنى سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : « فأرسل فى المدائن حاشرين » ، فحشر له كل ساحر متعالم ، فلما أتوا فرعون قالوا : بما يعملُ هذا الساحر ؟ [2] قالوا : يعمل بالحيات . قالوا : والله ما فى الأرض قوم يعملون بالسحر والحيات والحبال والعصى أعلم منا ، فما أجرنا إن غلبنا؟ فقال لهم : أنتم قرابتى وحامّتى ، [3] وأنا صانع إليكم كل شىء أحببتم .

١٤٩٣٢ — حدثنى عبد الكريم بن الهيثم قال ، حدثنا إبراهيم بن بشار قال ،

---

(١) انظر تفسير « الأجر » فيما سلف من فهارس اللغة (أجر) .

(٢) فى المطبوعة : « بم يعمل » وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب أيضاً .

(٣) فى المطبوعة : « وحاميتى » ، والصواب من المخطوطة . و « الحامة » و « الحميم » خاصة الرجل من أهله وولده وذوى قرابته .

حدثنا سفيان قال ، حدثنا أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال فرعون : لا نغالبه = يعنى موسى = إلا بمن هو منه ، فأعدّ علماء من بنى إسرائيل ، فبعث بهم إلى قرية بمصر يقال لها : « الفرما » ، يعلمونهم السحر كما يعلم الصبيان الكِتَاب فى الكتّاب . قال : فعلموهم سحراً كثيراً . قال : وواعد موسى فرعون موعداً ، فلما كان فى ذلك الموعد ، بعث فرعون فجاء بهم وجاء بمعلمهم معهم ، فقال له : ماذا صنعت ؟ قال : قد علمتهم من السحر سحراً لا يطيقه سحر أهل الأرض ، إلا أن يكون أمرًا من السماء ، فإنه لا طاقة لهم به ، فأما سحر أهل الأرض ، فإنه لن يغلبهم . فلما جاءت السحرة قالوا لفرعون : أئن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين ؟ قال : نعم ، وإنكم إذاً لمن المقربين .[1]

١٤٩٣٣ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين » ، فحشروا عليه السحرة = « فلما جاء السحرة فرعون قالوا إنّ لنا لأجرًا إنْ كنا نحن الغالبين » ، يقول : عطية تعطينا = « إن كنا نحن الغالبين * قال نعم وإنكم لمن المقربين » .

١٤٩٣٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن اسحق : « أرجه وأخاه وأرسل فى المدائن حاشرين * يأتوك بكل ساحر عليم » ، أى كاثره بالسحرة ، لعلك أن تجد فى السحرة من يأتى بمثل ما جاء به . وقد كان موسى وهرون خرجا من عنده حين أراهم من سلطان الله ما أراهم .[2] وبعث فرعون فى مملكته ، فلم يترك فى سلطانه ساحراً إلا أتى به . فذكر لى ، والله أعلم ، أنه جمع له خمسة عشر ألف ساحر . فلما اجتمعوا إليه ، أمرهم أمره ، وقال لهم : قد جاءنا ساحرٌ ما رأينا مثله قط ، وإنكم إن غلبتموه أكرمتكم وفضلتكم وقرّبتكم على أهل مملكتى !

---

(١) هكذا جاءت فى المخطوطة ، كما كتبتها ، لم يذكر لفظ الآية كما هو فى التلاوة .

(٢) فى المطبوعة : « من سلطانه » ، وكان فى المخطوطة : « من سلطان وبعث فرعون » ، أسقط من الكلام ما أثبته من تاريخ الطبرى ١ : ٢١٠ .

قالوا : وإن لنا ذلك إن غلبناه ؟ قال : نعم ! .[١]

١٤٩٣٥ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة قال : السحرة كانوا سبعين = قال أبو جعفر : أحسبه أنا قال : ألفاً .[٢]

١٤٩٣٦ – قال حدثنا يحيى بن واضح قال، حدثنا موسى بن عبيدة، عن ابن المنذر قال : كان السحرة ثمانين ألفاً .

١٤٩٣٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن خيثمة ، عن أبي سودة ، عن كعب قال : كان سحرة فرعون اثنى عشر ألفاً .

* * *

١٤/٩ القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوٓا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴾ ﴿١١٥﴾

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه قال فرعون للسحرة ، إذ قالوا له : إن لنا عندك ثواباً إن نحن غلبنا موسى ؟ قال : نعم ، لكم ذلك ، وإنكم لممن أقرّ به وأدْنيه منى = « قالوا يا موسى » ، يقول : قالت السحرة لموسى : يا موسى ، اختر أن تلقى عصاك ، أونلقى نحن عصينا .

ولذلك أدخلت « أن » مع « إما » ، فى الكلام، لأنها فى موضع أمر بالاختيار . فـ « أن » إذاً فى موضع نصب لما وصفت من المعنى ، لأن معنى الكلام : اختر أن تلقى أنت ، أونلقى نحن ، والكلام مع « إما » إذا كان على وجه الأمر ، فلا بد

---

(١) الأثر : ١٤٩٣٤ – هذا جزء من خبر طويل رواه أبو جعفر ؛ بإسناده هذا فى تاريخه ١ : ٢١٠ .

(٢) يعنى « سبعين ألفاً » .

من أن يكون فيه « أن » ، كقولك للرجل : « إما أن تمضى ، وإما أن تقعد » ، بمعنى الأمر : امض أو اقعد . فإذا كان على وجه الخبر ، لم يكن فيه « أن » كقوله: ﴿ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ [سورة التوبة : ١٠٦] .وهذا هو الذى يسمى « التخيير »[١]= وكذلك كل ما كان على وجه الخبر ، و « إما » فى جميع ذلك مكسورة .[٢]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ (١١٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: قال موسى للسحرة : ألقوا ما أنتم ملقون ! فألقت السحرة ما معهم، فلما ألقوا ذلك =« سحروا أعين الناس »، خيلوا إلى أعين الناس بما أحدثوا من التخييل والخُدَع أنها تسعى[٣]= « واسترهبوهم » ، يقول : واسترهبوا الناس بما سحروا فى أعينهم، حتى خافوا من العصىّ والحبال ، ظنًّا منهم أنها حيات = « وجاؤوا »، كما قال الله ، = « بسحر عظيم »، بتخييل عظيم كبير من التخييل والخداع .[٣] وذلك كالذى : —

١٤٩٣٨ — حدثنا موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط عن السدى قال : قال لهم موسى : ألقوا ما أنتم ملقون ! فألقوا حبالهم وعصيهم !

---

(١) قوله : « وهذا الذى يسمى التخيير » ، هو الحكم الأول فى دخول « أن » مع « إما » ، أما الذى يجىء على وجه الخبر نحو : « إما يعذبهم ، وإما يتوب عليهم » ، فهم يسمونه « الإبهام » . وكان حق أبى جعفر أن يقدم قوله : « وهذا الذى يسمى التخيير » قبل قوله : « فإذا كان على وجه الخبر » ، لرفع الشبهة عن كلامه .

(٢) انظر معانى القرآن ١ : ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، وهو فصل جيد جداً .

(٣) انظر تفسير « السحر » فيما سلف ص : ١٩ ، تعليق ٢ ، والمراجع هناك .

وكانوا بضعة وثلاثين ألف رجل، ليس منهم رجل إلا معه حبل وعصا = «فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم»، يقول : فرّقوهم، [١] فأوجس فى نفسه خيفةً موسى .

١٤٩٣٩ – حدثنى عبد الكريم قال، حدثنا إبراهيم بن بشار قال ، حدثنا سفيان قال ، حدثنا أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : ألقوا حبالاً غلاظاً طوالاً وخشباً طوالاً . قال : فأقبلت يخيَّل إليه من سحرهم أنها تسعى .

١٤٩٤٠ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال : صفّ خمسة عشر ألف ساحر ، مع كل ساحر حباله وعصيه . وخرج موسى معه أخوه يتكئ على عصاه، حتى أتى الجمعَ، وفرعونُ فى مجلسه مع أشراف مملكته، ثم قالت السحرة : ﴿ يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى * قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴾ ، [سورة طه : ٦٥، ٦٦] . [٢] فكان أوّل ما اختطفوا بسحرهم بصرَ موسى وبصرَ فرعون، ثم أبصارَ الناس بعدُ . ثم ألقى كل رجل منهم ما فى يده من العصىّ والحبال، فإذا هى حيات كأمثال الجبال، [٣] قد ملأت الوادى يركبُ بعضها بعضاً = ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴾ ، [سورة طه : ٦٧] ، وقال : والله إن كانت لعصيًّا فى أيديهم ، ولقد عادت حيات ! وما تعدو عصايَ هذه ! [٤] أو كما حدّث نفسه . [٥]

١٤٩٤١ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية ، عن هشام الدستوائى قال، حدثنا القاسم بن أبى بزة قال : جمع فرعون سبعين ألف ساحر، وألقوا سبعينَ ألف حبل، وسبعين ألف عصاً، حتى جعل يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى .

---

(١) « فرقوهم » (بتشديد الراء) ، أدخلوا عليهم الفرق (بفتح الفاء والراء) ، وهو الفزع .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة ، وقف ولم يتم الآية ، فكان فيهما : « فإذا حبالهم وعصيهم فكان أول ما اختطفوا . . . » ، والصواب ما جاء فى التاريخ ، كما أثبته .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « كأمثال الحبال » بالحاء ، والصواب من التاريخ .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « وما تعدو هذه » بإسقاط « عصاى » ، أثبتها من التاريخ .

(٥) الأثر : ١٤٩٤٠ – وهو جزء من أثر طويل رواه أبو جعفر فى تاريخه ١ : ٢١٠ ، ٢١١ ، وهو تابع للأثر السالف رقم : ١٤٩٣٤ ، وبينهما فصل من كلام .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ (١١٧)

يقول تعالى ذكره : وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك ، فألقاها فإذا هى تلقم وتبتلع ما يسحرون كذباً وباطلاً .

* * *

يقال منه : « لقفت الشيء فأنا ألقفُه لَقْفاً ، ولَقَفَاناً » .(١)

* * *

= وذلك كالذى : —

١٤٩٤٢ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « وأوحينا إلى موسى أن ألق أعصاك »، فألقى موسى عصاه ، فتحولت حية، فأكلت سحرهم كله .

١٤٩٤٣ — حدثنا عبد الكريم بن الهيثم قال، حدثنا إبراهيم بن بشار قال . حدثنا سفيان قال ، حدثنا أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : فألقى عصاه فإذا هى حية تلقف ما يأفكون = لا تمر بشيء من حبالهم وخُشُبهم التى ألقوها إلا التقمته ، فعرفت السحرة أن هذا أمرٌ من السماء ، وليس هذا بسحر ، فخرُّوا سجَّداً وقالوا : آمنا بربّ العالمين ، رب موسى وهرون .(٢)

١٤٩٤٤ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : أوحى الله إلى موسى : لا تخف ، وألق ما فى يمينك تلقف ما يأفكون . فألقى عصاه ، فأكلت كل حية لهم . فلما رأوا ذلك سجدوا وقالوا : آمنا برب العالمين ، رب موسى وهرون .

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٩٠ .

(٢) هذا تضمين آية « سورة طه » : ٧٠ .

١٤٩٤٥ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : أوحى الله إليه : أنْ ألق ما فى يمينك ! فألقى عصاه من يده ، فاستعرَضت ما ألقوا من حبالهم وعصيهم ، وهى حيات فى عين فرعون وأعين الناس تسعى ، فجعلت تلقفها ، تبتلعها ، حية حية ، حتى ما يرى بالوادى قليل ولا كثير مما ألقوه . ثم أخذها موسى ، فإذا هى عصاه فى يده كما كانت ، ووقع السحرة سجداً قالوا : « آمنا برب العالمين رب موسى وهرون . لو كان هذا سحراً ما غلبنا » ! (١)

١٤٩٤٦ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن هشام الدستوائى قال ، حدثنا القاسم بن أبى بزة قال : أوحى الله إليه : أن ألق عصاك ! فألقى عصاه ، فإذا هى ثعبان فاغرٌ فاه ، فابتلع حبالهم وعصيهم . فألقى السحرة عند ذلك سجّداً ، فما رفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنارَ وثوابَ أهلهما . (٢)

* * *

١٤٩٤٧ – (٣) حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « يأفكون » ، قال : يكذبون.

١٤٩٤٨ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « فإذا هى تلقف ما يأفكون » ، قال : يكذبون .

١٤٩٤٩ – حدثنا إبراهيم بن المستمر قال ، حدثنا عثمان بن عمر قال ، حدثنا قرة بن خالد السدوسى ، عن الحسن : « تلقف ما يأفكون » ، قال : حبالهم وعصيهم ، تسترطها استراطاً . (٤)

* * *

---

(١) الأثر : ١٤٩٤٥ – هو جزء من خبر أبى جعفر فى تاريخه ١ : ٢١٠ ، ٢١١ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٤٩٤٠ .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « وثواب أهلها » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

(٣) أخشى أن يكون سقط قبل هذه الآثار تفسير « الإفك » بمعنى الكذب ، ولذلك فصلتها عن الآثار التى قبلها .

(٤) الأثر : ١٤٩٤٩ – « إبراهيم بن المستمر الهذلى الناجى العروقى » ، ثقة . روى عن أبيه « المستمر » ، وعن حيان بن هلال ، وأبى داود الطيالسى ، وأبى عاصم النبيل ، وغيرهم . روى عنه الأربعة ،

القول فى تأويل قوله ﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (١١٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فظهر الحق وتبين لمن شهده وحضره فى أمر موسى ، وأنه لله رسول يدعو إلى الحق = « وبطل ما كانوا يعملون » ، من إفك السحر وكذبه ومخايله .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٩٥٠ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فوقع الحق » ، قال : ظهر .

١٤٩٥١ – حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا إسمعيل ابن إبراهيم بن مهاجر ، عن أبيه ، عن مجاهد فى قوله : « فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون » ، قال : ظهر الحق ، وذهب الإفك الذى كانوا يعملون .

١٤٩٥٢ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « فوقع الحق » ، قال : ظهر الحق .

١٤٩٥٣ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فوقع الحق » ، ظهر موسى .

* * *

وابن خزيمة . وأبو حاتم . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ١ /١/ ١٤٠ .

و « عثمان بن عمر بن فارس بن لقيط العبدى » مضى برقم : ٥٤٥٨ ، ٨٣٣٢ .

و « سرط الطعام » ، و « استرطه » ، إذا ازدرده ، وابتلعه ابتلاعاً سهلا سريعاً لا غصة فيه .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴾ (١١٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فغلب موسى فرعون وجموعه =«هنالك»، عند ذلك=«وانقلبوا صاغرين»، يقول : وانصرفوا عن موطنهم ذلك بصغر مقهورين.[١]

* * *

يقال منه : « صغِرَ الرجل يصْغَر صَغَرًا وصُغْرًا وصَغارًا » .[٢]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ (١٢٠) قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ (١٢٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وألقى السحرة عند ما عاينوا من عظيم قدرة الله، ساقطين على وجوههم سجّداً لربهم،[٣] يقولون : « آمنا برب العالمين »، يقولون : صدقنا بما جاءنا به موسى ، وأنّ الذى علينا عبادته، هو الذى يملك الجنّ والإنس وجميع الأشياء، وغير ذلك،[٤] ويدبر ذلك كله = « رب موسى وهرون » ، لا فرعون ، كالذى :— ١٦/٩

١٤٩٥٤ — حدثنى عبد الكريم قال، حدثنا إبراهيم بن بشار قال ، حدثنا سفيان قال ، حدثنا أبو سعد ، عن عكرمة، عن ابن عباس قال : لما رأت السحرة ما رأت ، عرفت أن ذلك أمر من السماء وليس بسحر ، فخروا سجداً،[٥] وقالوا : « آمنا برب العالمين * رب موسى وهرون » .

* * *

---

(١) انظر تفسير « انقلب » فيما سلف ٣ : ١٦٣ / ٧ : ٤١٤ / ١٠ : ١٧٠ .
(٢) انظر تفسير « صغر » فيما سلف ١١٢ : ٩٦ ، ٣٣٠ .
(٣) انظر تفسير « سجد » فيما سلف من فهارس اللغة (سجد) .
(٤) انظر تفسير « العالمين » فيما سلف من فهارس اللغة (علم) .
(٥) فى المطبوعة : « خروا » بغير فاء ، وأثبت ما فى المخطوطة .

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ (١٢٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال فرعون للسحرة إذ آمنوا بالله = يعنى صدّقوا رسوله موسى عليه السلام ، لما عاينوا من عظيم قدرة الله وسلطانه : « آمنتم به » ، يقول : أصدقتم بموسى وأقررتم بنبوّته = « قبل أن آذن لكم » ، بالإيمان به = « إن هذا » ، يقول : تصديقكم إياه ، وإقراركم بنبوّته = « لمكر مكرتموه فى المدينة » ، يقول : لخدعة خدعتم بها من فى مدينتنا ، [1] لتخرجوهم منها = « فسوف تعلمون » ، ما أفعل بكم ، وما تلقون من عقابى إياكم على صنيعكم هذا .

* * *

وكان مكرهم ذلك ، فيما :—

١٤٩٥٥ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى ، فى حديث ذكره ، عن أبى مالك = وعلى بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : التقى موسى وأميرُ السحرة ، فقال له موسى : أرأيتك إن غلبتك أتؤمن بى ، وتشهد أنّ ماجئت به حق ؟ قال الساحر : لآتين غداً بسحر لا يغلبه سحر ، فوالله لئن غلبتنى لأومنن بك ، ولأشهدن أنك حق ! وفرعون ينظر إليهم ، فهو قول فرعون : « إن هذا لمكر مكرتموه فى المدينة » ، إذ التقيتما لتتظاهرا فتخرجا منها أهلها . [2]

* * *

(١) انظر « المكر » فيما سلف ١٢ : ٩٥ ، ٩٧ : ٥٩٧ .

(٢) الأثر : ١٤٩٥٥ — هذا جزء من خبر طويل ، رواه أبو جعفر فى تاريخه ١ : ٢١٣ .

القول فى تأويل قوله ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (١٢٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره ، مخبراً عن قيل فرعون للسحرة إذ آمنوا بالله وصدقوا رسوله موسى : « لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف »، وذلك أن يقطع من أحدهم يده اليمنى ورجله اليسرى ، أو يقطع يده اليسرى ورجله اليمنى ، فيخالف بين العضوين فى القَطْع ، فمخالفته فى ذلك بينهما هو « القطع من خلاف ».(١)

* * *

ويقال : إن أوّل من سن هذا القطع فرعون = « ثم لأصلبنكم أجمعين »، وإنما قال هذا فرعون ، لما رأى من خذلان الله إياه ، وغلبة موسى عليه السلام وقهره له .

١٤٩٥٦ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو داود الحفرى ، وحبويه الرازى، عن يعقوب القمى ، عن جعفر بن أبى المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس: « لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين »، قال: أوّل من صلّب، وأول من قطع الأيدى والأرجل من خلاف ، فرعون .(٢)

* * *

---

(١) انظر تفسير « القطع من خلاف » فيما سلف ١٠ : ٢٦٨ .

(٢) الأثر : ١٤٩٥٦ — « حبوية الرازى » ، هو « إسحق بن إسماعيل الرازى » ، « أبو يزيد » ، مضى برقم : ١٤٣٦٥ ، ١٤٥٥٠ .

القول فى تأويل قوله ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ ﴿١٢٦﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال السحرة مجيبة لفرعون ، إذ توعّدهم بقطع الأيدى والأرجل من خلاف ، والصلب : « إنا إلى ربّنا منقلبون » ، يعنى بالانقلاب إلى الله ، الرجوع إليه والمصير [١]=وقوله : « وما تنقم منا إلاّ أن آمنا بآيات ربنا » ، يقول ما تنكر منا ، يا فرعون، وما تجد علينا ، إلا من أجل أن آمنا، أى صدقنا[٢]= « بآيات ربنا »، يقول: بحجج ربّنا وأعلامه وأدلته التى لا يقدر على مثلها أنت ولا أحد، سوى الله الذى له ملك السموات والأرض.[٣] ثم فزعوا إلى الله بمسألته الصبرَ على عذاب فرعون ، وقبض أرواحهم على الإسلام ، فقالوا: « ربنا أفرغ علينا صبراً »، يعنون بقولهم : « أفرغ »، أنزل علينا حَبْساً يحبسنا عن الكفر بك ، [٤]عند تعذيب فرعون إيانا = « وتوفنا مسلمين » ، يقول : واقبضنا إليك على الإسلام دين خليلك إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، لا على الشرك بك .[٥]

١٤٩٥٧ – فحدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف »، فقتلهم ١٧/٩

---

(١) انظر تفسير « الانقلاب » فيما سلف ص : ٣٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « نقم » فيما سلف ١٠ : ٤٣٣ .
(٣) انظر تفسير « الآية » فيما سلف من فهارس اللغة (أبى) .
(٤) انظر تفسير « أفرغ علينا صبراً » فيما سلف ٥ : ٣٥٤ .
وتفسير = « الصبر » فيما سلف ١٢ : ٥٦١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٥) انظر تفسير « توفاه » فيما سلف ١٢ : ٤١٥ ،تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

وصلبهم ، كما قال عبد الله بن عباس ، حين قالوا : « ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفّنا مسلمين » . قال : كانوا فى أول النهار سحرة ، وفى آخر النهار شهداء .

١٤٩٥٨ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن عبدالعزيز ابن رفيع ، عن عبيد بن عمير قال : كانت السحرة أول النهار سحرة ، وآخر النهار شهداء .

١٤٩٥٩ - حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وألقى السحرة ساجدين » ، قال : ذكر لنا أنهم كانوا فى أوّل النهار سحرة ، وآخره شهداء .

١٤٩٦٠ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين » ، قال : كانوا أوّل النهار سحرة ، وآخره شهداء .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾ (١٢٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وقالت جماعة رجال من قوم فرعون لفرعون[١] : أتدع موسى وقومه من بنى إسرائيل[٢] = « ليفسدوا فى الأرض » ، يقول : كى يفسدوا خدمك وعبيدك عليك فى أرضك من مصر[٣] = « ويذرك وآلهتك » ،

---

(١) انظر تفسير « الملأ » فيما سلف ص ١٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « يذر » فيما سلف ١٢ : ١٣٦ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « الفساد فى الأرض » فيما سلف ص : ١٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك

يقول : « ويذرك » ، ويدع خِدْمتك موسى وعبادتك وعبادة آلهتك .

* * *

وفى قوله : « ويذرك وآلهتك » ، وجهان من التأويل .

أحدهما : أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض ، وقد تركك وترك عبادتك وعبادة آلهتك = وإذا وجه الكلام إلى هذا الوجه من التأويل ، كان النصبُ فى قوله : « ويذرك » ، على الصرف ، [1] لا على العطف به على قوله : « ليفسدوا » .

والثانى : أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض ، وليذرك وآلهتك = كالتوبيخ منهم لفرعون على ترك موسى ليفعل هذين الفعلين . وإذا وجِّه الكلام إلى هذا الوجه ، كان نصب « ويذرك » على العطف على « ليفسدوا » .

* * *

قال أبو جعفر : والوجه الأول أولى الوجهين بالصواب ، وهو أن يكون نصب « ويذرك » على الصرف ، لأن التأويل من أهل التأويل به جاء .

* * *

وبعدُ ، فإن فى قراءة أبىّ بن كعب الذى :—

١٤٩٦١ — حدثنا به أحمد بن يوسف قال ، حدثنا القاسم قال ، حدثنا حجاج ، عن هرون قال : فى حرف أبى بن كعب : ﴿ وَقَدْ تَرَكَوكَ أَنْ يَعْبُدُوكَ وَآلِهَتَك ﴾ . [2]

* * *

= دلالةً واضحةً على أن نصب ذلك على الصرف .

* * *

وقد روى عن الحسن البصرى أنه كان يقرأ ذلك: ﴿وَيَذَرُكَ وَآلِهَتَك ﴾، عطفاً بقوله : « ويذرك » على قوله : « أتذر موسى » .

---

(١) « الصرف » ، مضى تفسيره فى ٧ : ٢٤٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك . وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٩١ .

(٢) انظر أيضاً معانى القرآن للفراء ١ : ٣٩١ .

= كأنه وجَّه تأويله إلى : أتذر موسى وقومه، ويذرك وآلهتك ، ليفسدوا فى الأرض .

وقد تحتمل قراءة الحسن هذه أن يكون معناها : أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض ، وهو يذرك وآلهتك = فيكون « يذرك » مرفوعاً بابتداء الكلام والسلامة من الحوادث .(١)

* * *

وأما قوله : « وآلهتك » ، فإن قرأة الأمصار على فتح « الألف » منها ومدِّها ، بمعنى : وقد ترك موسى عبادتك وعبادة آلهتك التى تعبدها .

* * *

وقد ذكر عن ابن عباس أنه قال : كان له بقرة يعبدها .

* * *

وقد روى عن ابن عباس ومجاهد أنهما كانا يقرآنها : ﴿وَيَذَرَكَ وَإِلَاهَتَكَ﴾ بكسر الألف بمعنى : ويذرك وعبودتك .(٢)

* * *

قال أبو جعفر : والقراءة التى لا نرى القراءة بغيرها ، هى القراءة التى عليها قرأة الأمصار ، لإجماع الحجة من القرأة عليها .

* * *

* ذكر من قال : كان فرعون يعبد آلهة = على قراءة من قرأ : « ويذرك وآلهتك » .

١٤٩٦٢ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ويذرك وآلهته » ، وآلهته ، فيما زعم ابن عباس ، كانت البقر ،

---

(١) فى المطبوعة ، حذف قوله : « والسلامة من الحوادث » ، كأنه لم يفهمها ، وإنما أراد سلامته من العوامل التى ترفعه أو تنصبه أو تجره . وفى المخطوطة : « إلى ابتداء الكلام » ، وفى المطبوعة : « على ابتدا الكلام » ، والأجود ما أثبت .

(٢) انظر ما سلف ١ : ١٢٣ ، ١٢٤ ، وفيه تفسير « الإلاهة » ، وخبرا ابن عباس ومجاهد بإسنادهما ، وسيأتى برقم : ١٤٩٦٦ — ١٤٩٧١ .

كانوا إذا رأوا بقرة حسناء أمرهم أن يعبدوها ، فلذلك أخرج لهم عِجْلاً ، بقرة .

١٤٩٦٣ – حدثنا القاسم قال: حدثنا الحسين قال، حدثنا أبو سفيان ، عن عمرو ، عن الحسن قال : كان لفرعون جمانة معلقة فى نحره ، يعبدها ويسجد لها . ١٨/٩

١٤٩٦٤ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ، حدثنا أبان بن خالد قال ، سمعت الحسن يقول : بلغنى أن فرعون كان يعبدُ إلهاً فى السر ، وقرأ : « ويذرك وآلهتك » .

١٤٩٦٥ – حدثنا محمد بن سنان قال، حدثنا أبو عاصم ، عن أبى بكر ، عن الحسن قال : كان لفرعون إله يعبده فى السر .

* * *

* ذكر من قال : معنى ذلك : ويذرك وعبادتك، على قراءة من قرأ: ﴿وَإِلاَهَتَكَ﴾.

١٤٩٦٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن عيينة، عن عمرو بن دينار ، عن محمد بن عمرو بن الحسن، عن ابن عباس: ﴿ وَيَذَرَكَ وَإِلاَهَتَكَ ﴾، قال: إنما كان فرعون يُعْبَد ولا يَعْبُد .(١)

١٤٩٦٧ – . . . قال ، حدثنا أبى، عن نافع بن عمر، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس: أنه قرأ، ﴿ وَيَذَرَكَ وَإِلاَهَتَكَ ﴾، قال : وعبادتك ، ويقول : إنه كان يُعْبَد ولا يَعْبُد .(٢)

١٤٩٦٨ – حدثنا المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى

---

(١) الأثر : ١٤٩٦٦ – « محمد بن عمرو بن الحسن بن على بن أبى طالب» تابعى ثقة ، مضى برقم : ٢٨٩٢ ، ٢٨٩٢ م .

وكان فى المخطوطة والمطبوعة هنا : « محمد بن عمرو ، عن الحسن » ، وهو خطأ . وقد مضى الخبر على الصواب بهذا الإسناد فيما سلف رقم : ١٤٣ ، وسيأتى على الصواب برقم : ١٩٤٧١ .

(٢) الأثر : ١٤٩٦٧ – « نافع بن عمر » ، مضى مراراً ، وكان فى المخطوطة والمطبوعة « عن نافع ، عن ابن عمر » ، وهو خطأ ، والصواب كما مضى برقم : ١٤٢

معاوية، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿ وَيَذَرَكَ وَإِلَاهَتَكَ ﴾، قال : يترك عبادتك .

١٤٩٦٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس أنه كان يقرأ : ﴿وَإِلَاهَتَكَ﴾،يقول: وعبادتك.

١٤٩٧٠ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَيَذَرَكَ وَإِلَاهَتَكَ﴾، قال: عبادتك.

١٤٩٧١ – حدثنا سعيد بن الربيع الرازي قال، حدثنا سفيان ، عن عمرو ابن دينار ، عن محمد بن عمرو بن حسن ، عن ابن عباس : أنه كان يقرأ : ﴿ وَيَذَرَكَ وَإِلَاهَتَكَ ﴾، وقال : إنما كان فرعون يُعْبَد ولا يَعْبُد .(١)

* * *

وقد زعم بعضهم أن من قرأ: ﴿وَإِلَاهَتَكَ﴾ ، إنما يقصد إلى نحو معنى قراءة من قرأ: ﴿وَآلِهَتَكَ﴾ ، غير أنه أنّث وهو يريد إلهاً واحداً ، كأنه يريد : ويذرك وإلاهك = ثم أنث « الإله » فقال : « وإلاهتك » .

* * *

وذكر بعض البصريين أن أعرابيًّا سئل عن « الإلاهة » ، فقال : « هي عَلَمة »، يريد : علماً ، فأنث « العلم » ، فكأنه شيء نصب للعبادة يعبد . وقد قالت بنت عتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي :(٢)

تَرَوَّحْنَا مِنَ اللَّعْبَاء قَصْرًا وَأَعْجَلْنَا الْإِلَاهَةَ أَنْ تَؤُوبَا(٣)

---

(١) الأثر : ١٤٩٧١ – « محمد بن عمرو بن حسن بن علي بن أبي طالب » ، انظر التعليق على رقم : ١٤٩٦٦ .

(٢) في المخطوطة : « وقد قال عتيبة بن شهاب اليربوعي » ، وهو خطأ لا شك فيه ، وفي المطبوعة : « وقد قالت بنت عتيبة بن الحارث اليربوعي » ، وهو صواب من تغيير ناشر المطبوعة الأولى ، وقد أثبت حق النسب ، جامعاً بين ما في المخطوطة والمطبوعة .

ويقال هي « آمنة بنت عتيبة » ، ويقال اسمها « مية » ، وهي « أم البنين » . ويقال : هو لنائحة عتيبة .

(٣) بلاغات النساء : ١٨٩ ، معجم ما استعجم : ١١٥٦ ، معجم البلدان « اللعباء » ،

يعنى بـ « الإلاهة » ، فى هذا الموضع ، الشمس .

* * *

وكأنّ هذا المتأوّل هذا التأويل ، وجّه « الإلاهة » ، إذ أدخلت فيها هاء التأنيث ، وهو يريد واحد « الآلهة » ، إلى نحو إدخالهم « الهاء » فى « وِلْدتى » و « كوكبتى » و « مَاءتى » ،[1] وهو « أهلة ذاك » ، وكما قال الراجز :[2]

يَا مُضَرُ الْحَمْرَاءِ أَنْتِ أُسْرَتِى وَأَنْتِ مَلْجَاتِى وَأَنْتِ ظَهْرَتِى[3]

يريد : ظهرى .

* * *

وقد بين ابن عباس ومجاهد ما أرادا من المعنى فى قراءتهما ذلك على ما قرآ ، فلا وجه لقول هذا القائل ما قال ، مع بيانهما عن أنفسهما ما ذهبا إليه من معنى ذلك .

* * *

وقوله : « قال سنقتل أبناءهم » ، يقول : قال فرعون : سنقتل أبناهم الذكور من أولاد بنى إسرائيل = « ونستحيي نساءهم » ، يقول : ونستبقى إناثهم[4] = « وإنا

اللسان (لعب) (أله) ، وغيرها كثير . قالت ترثى أباها ، وقتل يوم خو ، قتلته بنو أسد ، وبعد البيت :

عَلَى مِثْلِ ابْنِ مَيَّةَ ، فَانْعَيَاهُ يَشُقُّ نَوَاعِمُ الْبَشَرِ الْجُيُوبَا
وَكَانَ أَبِى عُتَيْبَةُ شَمَّرِيًّا وَلاَ تَلْقَاهُ يَدَّخِرُ النَّصِيبَا
ضَرُوبًا بِالْيَدَيْنِ إِذَا اشْمَعَلَّتْ عَوَانُ الْحَرْبِ ، لاَ وَرِعًا هَيُوبَا

و « اللعباء » بين الربذة ، وأرض بنى سليم ، وهى لفزارة ، ويقال غير ذلك . و « قصرا » ، أى عشيا . وفى المطبوعة : « عصرا » ، وهى إحدى روايات البيت ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(١) فى المطبوعة : « أماتى » وهو خطأ ، صوابه ما فى المخطوطة .

(٢) لم أعرف قائله .

(٣) قوله : « ملجاتى » بتسهيل الهمزة ، وأصله « ملجأتى » ، وألحق التاء أيضاً فى هذا بقولهم : « ملجأ » فالحرفان جميعاً شاهد على ما قاله أبو جعفر .

(٤) انظر تفسير « الاستحياء » فيما سلف ٢ : ٤١ — ٤٨ .

فوقهم قاهرون »، يقول : وإنا عالون عليهم بالقهر ، يعنى بقهر الملك والسلطان.(١)

* * *

وقد بينا أن كل شيء عالٍ بقهر وغلبة على شيء ، فإن العرب تقول : « هو فوقه ».(٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٢٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: « قال موسى لقومه » ، من بنى إسرائيل، لما قال فرعون للملأ من قومه : « سنقتل أبناء بنى إسرائيل ونستحيي نساءهم » = « استعينوا بالله »، على فرعون وقومه فيما ينوبكم من أمركم = « واصبروا »، على ما نالكم من المكاره فى أنفسكم وأبنائكم من فرعون . وكان قد تبع موسى من بنى إسرائيل على ما : — ١٩/٩

١٤٩٧٢ — حدثنى عبد الكريم قال، حدثنا إبراهيم بن بشار قال ، حدثنا سفيان قال ، حدثنا أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال: لما آمنت السحرة ، اتبع موسى ستمئة ألف من بنى إسرائيل .

* * *

وقوله : « إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده »، يقول : إن الأرض لله، لعل الله أن يورثكم = إن صبرتم على ما نالكم من مكروه فى أنفسكم وأولادكم من فرعون ، واحتسبتم ذلك، واستقمتم على السداد = أرضَ فرعون وقومه، بأن يهلكهم

---

(١) انظر تفسير « القهر » فيما سلف ١١ : ٢٨٤ ، ٤٠٨

(٢) انظر تفسير « فوق » فيما سلف ١١ : ٢٨٤ ، وفهارس اللغة « فوق »

ويستخلفكم فيها ، فإن الله يورث أرضه من يشاء من عباده = « والعاقبة للمتقين » ، يقول : والعاقبة المحمودة لمن اتقى الله وراقبه ، فخافه باجتناب معاصيه ، وأدّى فرائضه . (١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ (١٢٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال قوم موسى لموسى ، حين قال لهم : « استعينوا بالله واصبروا » = « أوذينا » ، بقتل أبنائنا = « من قبل أن تأتينا » ، يقول : من قبل أن تأتينا برسالة الله إلينا ، لأن فرعون كان يقتل أولادهم الذكور حين أظلّه زمان موسى على ما قد بينت فيما مضى من كتابنا هذا . (٢)

* * *

وقوله : « ومن بعد ما جئتنا » ، يقول : ومن بعد ما جئتنا برسالة الله ، لأن فرعون لما غلبت سَحرَته ، وقال للملأ من قومه ما قال ، أراد تجديدَ العذاب عليهم بقتل أبنائهم واستحياء نسائهم .

* * *

وقيل : إن قوم موسى قالوا لموسى ذلك ، حين خافوا أن يدركهم فرعون وهم منه هاربون ، وقد تراءى الجمعان ، فقالوا له : « يا موسى أوذينا من قبل أن تأتينا » ، كانوا يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا = « ومن بعد ما جئتنا » ، اليوم يدركنا فرعون فيقتلنا .

* * *

(١) انظر تفسير « العاقبة » فيما سلف : ص ١٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر ما سلف ٢ : ٤١ — ٤٨ .

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٩٧٣ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « من قبل أن تأتينا » ، من قبل إرسال الله إياك وبعده .

١٤٩٧٣ م – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٤٩٧٤ – حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : فلما تراءى الجمعان فنظرت بنو إسرائيل إلى فرعون قد رَدِفهم ،[1] قالوا : « إنا لمدركون » ، وقالوا : « أوذينا من قبل أن تأتينا » ، كانوا يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا = « ومن بعد ما جئتنا » ، اليوم يدركنا فرعون فيقتلنا = إنا لمدركون .[2]

١٤٩٧٥ – حدثنى عبد الكريم قال ، حدثنا إبراهيم قال ، حدثنا سفيان قال ، حدثنا أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : سار موسى ببنى إسرائيل حتى هجموا على البحر ، فالتفتوا فإذا هم برَهَج دوابّ فرعون ، فقالوا : « يا موسى أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا » ، هذا البحر أمامنا ، وهذا فرعون بمن معه ! قال : « عسى ربكم أن يهلك عدوّكم ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون » .

* * *

وقوله : « قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم » ، يقول جل ثناؤه : قال موسى

---

(١) « ردفهم » : تبعهم .

(٢) الأثر : ١٤٩٧٤ – هو جزء من خبر طويل فرقه أبو جعفر فى مواضع من تفسيره ، ورواه فى تاريخه ١ : ٢١٤ .

لقومه : لعل ربكم أن يهلك عدوكم فرعون وقومه[١] = « ويستخلفكم » ، يقول : يجعلكم تخافونهم فى أرضهم بعد هلاكهم ، لا تخافونهم ولا أحداً من الناس غيرهم[٢] = « فينظر كيف تعملون » ، يقول : فيرى ربكم ما تعملون بعدهم ، من مسارعتكم فى طاعته ، وتثاقلكم عنها .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (١٣٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولقد اختبرنا قوم فرعون وأتباعه على ماهم عليه من الضلالة = « بالسنين » ، يقول : بالجُدوب سنة بعد سنة ، والقحوط .

* * *

يقال منه : « أسْنَتَ القوم » ، إذا أجدبوا .

* * *

« ونقص من الثمرات » ، يقول : واختبرناهم مع الجدوب بذهاب ثمارهم وغلاتهم إلا القليل = « لعلهم يذكرون » ، يقول : عظة لهم ، وتذكيراً لهم ، لينزجروا عن ضلالتهم ، ويفزعوا إلى ربهم بالتوبة .[٣] ٢٠/٩

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٩٧٦ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ،

---

(١) انظر تفسير « عسى » فيما سلف ١٠ : ٤٠٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك . ثم انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٢٥ .
= وتفسير « الإهلاك » فيما سلف من فهارس اللغة (هلك)

(٢) انظر تفسير « الاستخلاف » فيما سلف ١٢ : ١٢٦ .

(٣) انظر تفسير « التذكرة » فيما سلف من فهارس اللغة (ذكر)

عن أبي إسحق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله : « ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين » ، قال : سنى الجوع .

١٤٩٧٧ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « بالسنين » ، الجائحة = « ونقص من الثمرات » ، دون ذلك .

١٤٩٧٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٤٩٧٩ – حدثني القاسم بن دينار قال، حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن شيبان ، عن أبي إسحق ، عن رجاء بن حيوة في قوله : « ونقص من الثمرات » ، قال : حيث لا تحمل النخلة إلاّ ثمرة واحدة .[1]

١٤٩٨٠ – حدثني ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن إسرائيل، عن أبي إسحق، عن رجاء بن حيوة، عن كعب قال : يأتي على الناس زمانٌ لا تحمل النخلة إلاّ ثمرة.

١٤٩٨١ – حدثني المثنى قال، حدثنا الحماني قال ، حدثنا شريك ، عن أبي إسحق ، عن رجاء بن حيوة : « ونقص من الثمرات » ، قال : يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة إلاّ ثمرة .

١٤٩٨٢ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : «ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين» ، أخذهم الله بالسنين، بالجوع ، عاماً فعاماً = « ونقص من الثمرات » ، فأما « السنين » ، فكان ذلك في باديتهم وأهل مواشيهم = وأما « بنقص من الثمرات » ، فكان ذلك في أمصارهم وقراهم .

* * *

---

(١) الأثر : ١٤٩٧٩ – «القاسم بن دينار» ، منسوب إلى جده، وهو «القاسم بن زكريا بن دينار القرشي » ، أبو محمد الطحان . روى عن وكيع ، وعبيد الله بن موسى ، وعلي بن قادم ، وأبي داود الحفري . روى عنه مسلم ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجة ، وأبو حاتم ، وغيرهم . ثقة . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٣ /٢/ ١١٠ .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فإذا جاءت آل فرعون العافية والخصب والرخاء وكثرة الثمار ، ورأوا ما يحبون فى دنياهم[1] = « قالوا لنا هذه » ، نحن أولى بها = « وإن تصبهم سيئة » ، يعنى جدوب وقحوط وبلاء[2] = « يطيروا بموسى ومن معه » ، يقول : يتشاءموا بهم ، ويقولوا : ذهبت حظوظنا وأنصباؤنا من الرخاء والخصب والعافية ، مذ جاءنا موسى عليه السلام .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٩٨٣ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « فإذا جاءتهم الحسنة » ، العافية والرخاء = « قالوا لنا هذه » ، نحن أحق بها = « وإن تصبهم سيئة » ، بلاء وعقوبة = « يطيروا » ، يتشاءموا بموسى .

١٤٩٨٤ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

١٤٩٨٥ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه » ، قالوا : ما أصابنا هذا إلا بك ياموسى وبمن معك ، ما رأينا شرًّا ولا أصابنا حتى رأيناك ! وقوله : « فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه » ، قال : الحسنة

---

(١) انظر تفسير « الحسنة » فيما سلف من فهارس اللغة (حسن) .

(٢) انظر تفسير « السيئة » فيما سلف من فهارس اللغة (سوأ) .

ما يحبُّون . وإذا كان ما يكرهون قالوا : ما أصابنا هذا إلا بشؤم هؤلاء الذين ظلموا ! قال قوم صالح : ﴿ اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ ﴾ فقال الله : ﴿طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾ ، [سورة النمل : ٤٧].(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١٣١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ألا ما طائر آل فرعون وغيرهم = وذلك أنصباؤهم من الرخاء والخصب وغير ذلك من أنصباء الخير والشر = « إلا عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون » ، أن ذلك كذلك ، فلجهلهم بذلك كانوا يطَّيَّرون بموسى ومن معه .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٩٨٦ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « ألا إنما طائرهم عند الله » ، يقول : مصائبهم عند الله . قال الله : « ولكن أكثرهم لا يعلمون » .

٢١/٩ ١٤٩٨٧ – حدثنى القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « ألا إنما طائرهم عند الله » ، قال : الأمر من قبل الله .

* * *

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « إنما طائركم » ، بزيادة « إنما » ، وهو خطأ ، تلك آية أخرى .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٣٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وقال آل فرعون لموسى : يا موسى ، مهما تأتنا به من علامة ودلالة = « لتسحرنا » ، يقول : لتلفتنا بها عما نحن عليه من دين فرعون = « فما نحن لك بمؤمنين » ، يقول : فما نحن لك فى ذلك بمصدقين على أنك محق فيما تدعونا إليه .

* * *

وقد دللنا فيما مضى على معنى « السحر » ، بما أغنى عن إعادته .(١)

* * *

وكان ابن زيد يقول فى معنى « مهما تأتنا به من آية » ، ما : —

١٤٩٨٨ — حدثنى يونس قال ، [أخبرنا ابن وهب قال] ، قال ابن زيد فى قوله : « مهما تأتنا به من آية » ، قال : إن ما تأتنا به من آية = وهذه فيها زيادة « ما » .(٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى معنى « الطوفان » .

فقال بعضهم : هو الماء .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) انظر تفسير « السحر » فيما سلف ص : ٢٧ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) الأثر : ١٤٩٨٨ — الزيادة بين القوسين ، لا بد منها ، وهو إسناد دائر فى التفسير ، أقربه رقم : ١٤٩٨٥ ، وإنما هذا سهو من الناسخ .

١٤٩٨٩ – حدثني ابن وكيع قال، حدثنا حبويه أبو يزيد ، عن يعقوب القمىّ ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما جاء موسى بالآيات ، كان أوّل الآيات الطوفان ، فأرسل الله عليهم السماء . (١)

١٤٩٩٠ – حدثنا أبو هشام الرفاعى قال، حدثنا ابن يمان قال ، حدثنا سفيان ، عن إسمعيل ، عن أبى مالك قال : « الطوفان » ، الماء .

١٤٩٩١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : « الطوفان » ، الماء .

١٤٩٩٢ – . . . قال ، حدثنا جابر بن نوح ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : « الطوفان » ، الغرق .

١٤٩٩٣ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : « الطوفان » ، الماء ، و« الطاعون » ، على كل حال . (٢)

١٤٩٩٤ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : « الطوفان » ، الموت على كل حال .

١٤٩٩٥ – حدثنا محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : « الطوفان » ، الماء .

* * *

وقال آخرون : بل هو الموت .

* ذكر من قال ذلك :

١٤٩٩٦ – حدثنا أبو هشام الرفاعى قال، حدثنا يحيى بن يمان قال ،

---

(١) الأثر : ١٤٩٨٩ – « حبويه » ، « أبو يزيد » هو « إسحق بن إسماعيل الرازى » ، مضى برقم : ١٤٣٦٥ ، ١٤٥٥٠ ، ١٤٩٥٦ ، وكان فى المطبوعة : « حبويه الرازى » ، وهو صواب ، إلا أنه لم يحسن قراءة المخطوطة ، فغيرها ، وكان فيها : « حبوبه أبو مزيد » ، والصواب ما أثبت .

(٢) لعل صواب العبارة « والطاعون ، الموت على كل حال » .

حدثنا المنهال بن خليفة، عن الحجاج، عن الحكم بن ميناء، عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الطوفان الموتُ .(١)

١٤٩٩٧ – حدثني عباس بن محمد قال، حدثنا حجاج، عن ابن جريج قال : سألت عطاء : ما الطوفان ؟ قال : الموت .(٢)

١٤٩٩٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبد الله بن رجاء، عن ابن جريج، عن عطاء، عمن حدثه، عن مجاهد قال : « الطوفان » ، الموت .

١٤٩٩٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن عبد الله بن كثير : « فأرسلنا عليهم الطوفان » ، قال الموت = قال ابن جريج وسألت عطاء عن « الطوفان » ، قال : الموت = قال ابن جريج : وقال مجاهد : الموتُ على كل حال .

١٥٠٠٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن يمان، عن المنهال بن خليفة، عن حجاج، عن رجل، عن عائشة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الطوفان الموت .(٣)

---

(١) الأثر : ١٤٩٩٦ – « المنهال بن خليفة العجلي » ، « أبو قدامة » ، متكلم فيه . ضعفه ابن معين، والنسائي، والحاكم . وقال البخاري : « صالح، فيه نظر » ، وقال في موضع آخر : « حديثه منكر » ، وقال ابن حبان : « كان ينفرد بالمناكير عن المشاهير » . مترجم في التهذيب، والكبير ٤ / ٢ / ١٢ ، وابن أبي حاتم ٤ / ١ / ٣٥٧ ، وميزان الاعتدال ٣ : ٢٠٤ .

و « الحجاج » هو « الحجاج بن أرطاة » ، مضى مراراً .

و « الحكم بن ميناء الأنصاري » ، تابعي ثقة . مترجم في التهذيب، والكبير ١ / ٢ / ٣٤٠ ، وابن أبي حاتم ١ / ٢ / ١٢٧ .

وهذا الخبر، رواه ابن كثير في تفسيره ٣ : ٥٣٦ ، عن هذا الموضع ثم قال : « وكذا رواه ابن مردويه، من حديث يحيى بن يمان به، وهو حديث غريب » . قلت : بل هو ضعيف لضعف « المنهال بن خليفة » وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣ : ١٠٨ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم، وأبي الشيخ وانظر الأثر التالي رقم : ١٥٠٠٠

(٢) الأثر : ١٤٩٩٧ – « عباس بن محمد » ، هو « عباس بن محمد بن حاتم الدوري » شيخ الطبري، مضى برقم : ٧٧٠١ .

(٣) الأثر : ١٥٠٠٠ – هذا إسناد آخر للخبر رقم : ١٤٩٩٦ ، إلا أنه أبهم الراوي عن عائشة، وبينه هناك، وهو « الحكم بن ميناء » . وقد مضى تخريج هذا الخبر، وبيان ضعفه .

وقال آخرون : بل ذلك كان أمرًا من الله طاف بهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٠٠١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنا جرير ، عن قابوس بن أبي ظبيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « فأرسلنا عليهم الطوفان » ، قال : أمرُ الله ، الطوفان ، ثم قرأ ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ [سورة القلم : ١٩] .

* * *

وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة ، (١) يزعم أن « الطوفان » من السيل : البُعَاق والدُّباش، وهو الشديد .(٢)= ومن الموت ، المبَالغ الذَّريع السريع .(٣)

* * *

وقال بعضهم : هو كثرة المطر والريح .

* * *

وكان بعض نحويي الكوفيين يقول : « الطوفان » مصدر مثل « الرجحان » و « النقصان » ، لا يجمع .

* * *

وكان بعض نحويي البصرة يقول : هو جمع ، واحدها في القياس «الطوفانة».(٤)

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي ما قاله ابن عباس ، على ما رواه عنه أبو ظبيان(٥) : أنه أمر من الله طاف بهم ، وأنه مصدر من قول ٢٢/٩

---

(١) هو أبو عبيدة ، في مجاز القرآن ١ : ٢٢٦ .

(٢) « البعاق » (بضم الباء) : هو المطر الكثير الغزير الذي يتبعق بالماء تبعقاً ، أي يسيل به سيلا كثيفاً . و « سيل دباش » (بضم الدال) عظيم ، يجرف كل شيء جرفاً .

(٣) في المخطوطة : « المتابع » ، وفي مجاز القرآن : « المبالغ » ، والذي في المطبوعة « المتتابع » فآثرت نص أبي عبيدة .

(٤) هو الأخفش ، قال ابن سيدة : « الأخفش ثقة ، وإذا حكى الثقة شيئاً لزم قبوله » .

(٥) يعني الخبر رقم : ١٥٠٠١ .

القائل : « طاف بهم أمر الله يطوف طُوفَاناً » ، كما يقال : « نقص هذا الشيء ينقُص نُقْصَاناً » .

وإذا كان ذلك كذلك ، جاز أن يكون الذى طاف بهم المطر الشديد = وجاز أن يكون الموتَ الذريعَ . ومن الدلالة على أن المطر الشديد قد يسمى «طوفاناً» ، قول حُسَيل بن عُرْفطة (١) :

غَيَّرَ الجِدَّةُ مِنْ آيَاتِهَا خُرُقُ الرِّيحِ وَطُوفَانُ المَطَرْ (٢)

ويروى :

* خُرُقُ الرِّيحِ بِطُوفَانِ المَطَرْ *

وقول الراعى :

تُضْحِي إذَا العِيسُ أَدْرَكْنَا نَكَائِثَهَا خَرْقَاءَ يَعْتَادُهَا الطُّوفَانُ والزُّؤُدُ (٣)

وقول أبى النجم :

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « الحسن بن عرفطة » ، وهو خطأ ، وقال أبو حاتم « حسين بن عرفطة » ، هو خطأ . انظر نوادر أبى زيد ٧٥ ، ٧٧ ، وهو « حسيل بن عرفطة الأسدى » شاعر جاهلى .

(٢) نوادر أبى زيد : ٧٧ ، الوساطة : ٣٢٩ ، اللسان (طوف) ، وقبله

لَمْ يَكُ الحَقُّ عَلَى أَنْ هَاجَهُ رَسْمُ دَارٍ قَدْ تَعَفَّى بِالسِّرَرْ

قال أبو حاتم « بالسرر » بفتح السين والراء . و « الخرق » : القطع من الريح ، واحدتها « خرقة » . و « طوفان المطر » ، كثرته . وروى الأصمعى « خرق » (يعنى بضم الخاء والراء) . هذا نص ما فى نوادر أبى زيد .

و « خرق » (بضمتين) جمع « خريق » ، وهى الريح الشديدة الهبوب التى تخترق المواضع .

(٣) اللسان (نكث) (زأد) ، ولعلها من شعره الذى مدح به عبد الله بن معاوية بن أبى سفيان (انظر خزانة الأدب ٣ : ٢٨٨)

و « النكائث » جمع « نكيثة » ، وهى جهد قوة النفس . يقال : « فلان شديد النكيثة » ، أى النفس . ويقال : « بلغت نكيثته » (بالبناء للمجهول) أى : جهد نفسه . و « بلغ فلان نكيثة بعيره » ، أى : أقصى مجهوده فى السير .

قَـدْ مَـدَّ طُوفَانٌ فَبَثَّ مَـدَدَا شَهْرًا شَـآبِيبَ وَشَهْرًا بَرَدَا(١)

* * *

وأما « القُـمَّل » ، فإن أهل التأويل اختلفوا فى معناه .

فقال بعضهم : هو السوس الذى يخرج من الحنطة .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٠٠٢ ــ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن يعقوب القمى ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : « القمّل » ، هو السوس الذى يخرج من الحنطة .

١٥٠٠٣ ــ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد، بنحوه .

* * *

وقال آخرون : بل : هو الدَّبَى ، وهو صغار الجراد الذى لا أجنحة له .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٠٠٤ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قال « القمّل » ، الدبى .

١٥٠٠٥ ــ حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط، عن السدى ، قال : الدبى ، القمّل .

١٥٠٠٦ ــ حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : « القمل » ، هو الدَّبَى .

و « الزؤد » (بضم الهمزة وسكونها) : الفزع والخوف . و « خرقاء » من صفة الناقة . وهى التى لا تتعهد مواضع قوائمها من نشاطها . يصفها بالحدة كأنها مجنونة ، إذا كلت العيس ، بقيت قوتها وفضل نشاطها .

(١) لم أجده فى مكان آخر . و « الشآبيب » . جمع « شؤبوب » ، وهى الدفعة من المطر . ويقال : « لا يقال للمطر شآبيب ، إلا وفيه برد » .

١٥٠٠٧ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال : « القمّل » ، الدبىَ .

١٥٠٠٨ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال،حدثنا محمد بن ثور قال ، حدثنا معمر ، عن قتادة قال : « القمّل » ، هى الدَّبىَ ،وهى أولاد الجراد .

١٥٠٠٩ – حدثنا ابن وكيع قال،حدثنا جابر بن نوح ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : « القمل » ، الدبى .

١٥٠١٠ – . . . . . قال حدثنا يحيي بن آدم، عن قيس،عمن ذكره، عن عكرمة قال : « القمل » ، بناتُ الجراد .

١٥٠١١ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمى قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : « القمل » ، الدبىّ .

* * *

وقال آخرون : بل « القمل » ، البراغيثُ .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٠١٢ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل » ، قال : زعم بعض الناس فى القمل أنّها البراغيث .

* * *

وقال بعضهم : هى دوابُّ سُودٌ صغار .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٠١٣ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن أبي بكر قال ، سمعت سعيد بن جبير والحسن قالا : « القمّل » ، دوابّ سود صغار .

* * *

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يزعم[١] : أن « القمَّل » عند العرب الحمْنان = و « الحمنان » ضرب من القِرْدان ، واحدتها « حَمْنانة » ، فوق القَمقامة .[٢]

و « القمَّل » جمع ، واحدتها ، « قملة » ، وهى دابة تشبه القَمْل تأكلها الإبل فيما بلغنى ، وهى التى عناها الأعشى فى قوله :[٣]

قَوْمٌ تُعَالِجُ قُمَّلاً أَبْنَاؤُهُمْ وَسَلَاسِلًا أُجُدًا وَبَابًا مُؤْصَدَا[٤]

---

(١) هو أبو عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ٢٢٦ .

(٢) « القمقامة » ، صغار القردان (جمع قراد) وهو أول ما يكون صغيراً ، لايكاد يرى من صغره ، وهو أيضاً ضرب من القمل شديد التشبث بأصول الشعر

(٣) فى المطبوعة : « الأعمش » ، وهو خطأ فى الطباعة .

(٤) ديوانه : ١٥٤ ، واللسان (قمل) . من قصيدته التى قالها لكسرى حين أراد من بنى ضبيعة (رهط الأعشى) رهائن ، لما أغار الحارث بن وعلة على بعض السواد ، فأخذ كسرى قيس بن مسعود ، ومن وجد من بكر ، فجعل يحبسهم ، فقال له الأعشى :

مَنْ مُبْلِغٌ كِسْرَى ، إِذَا مَا جَاءَهُ عَنِّى مَآلِكَ مُخْمِشَاتٍ شُرَّدَا
آلَيْتُ لَا نُعْطِيهِ مِنْ أَبْنَائِنَا رُهُنًا ، فَيُفْسِدُهُمْ كَمَنْ قَدْ أَفْسَدَا
حَتَّى يُفِيدُكَ مِنْ بَنِيهِ رَهِينَةً نَعْشٌ ، وَيَرْهَنُكَ السِّمَاكُ الفَرْقَدَا

يقول : من يبلغ عنى كسرى تغضبه ، رسائل تأتيه من كل مكان : أننا آلينا أن لا نعطيه من أبنائنا رهائن ، يتولى إفسادهم كما أفسد رجالا من قبل ، ولن ينال منا ذلك حتى تعطيه نجوم السماء رهائن من صواحباتها . ثم قال له :

لَسْنَا كَمَنْ جَعَلَتْ إِيَادٌ دَارَهَا تَكْرِيتَ ، تَمْنَعُ حَبَّهَا أَنْ يُحْصَدَا
قَوْمًا يُعَالِجُ . . . . . .
. . . . . .
جَعَلَ الإِلَهُ طَعَامَنَا فِى مَالِنَا رِزْقًا تَضَمَّنَهُ لَنَا لَنْ يَنْفَدَا

يقول : لسنا كإياد التى آتتك الرهائن فانها نزلت تكريت تنظر ما يحصد من الزرع من سنة إلى سنة ، فهم حراثون ، قد قملوا ، فقام أبناؤهم يعالجون القمل ، ويجرون السلاسل ليشدوها على الأجران ، ويجهدون فى تغليق أبوابها . أما نحن ، فالله قد جعل إبلنا رزقنا ، ضمنت لنا من ألبانها طعاماً لا ينفد ، ونزعنا عن أعناقنا ربقة عبودية القرى والأمصار ، إلى حرية البادية ، نغدو فيها ونروح ، ليس لك علينا سلطان . وهذا من شعر أحرار العرب .

وكان الفراء يقول : لم أسمع فيه شيئاً، فإن يكن جمعاً، فواحده « قامل »، مثل « ساجد » و« راكع »، [١] وإن يكن اسماً على معنى جمع، [٢] فواحدته « قملة ».

* * *

٢٣/٩ * ذكر المعانى التى حدثت فى قوم فرعون بحدوث هذه الآيات، والسبب الذى من أجله أحدثها الله فيهم.

١٥٠١٤ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يعقوب القمى، عن جعفر بن المغيرة عن سعيد بن جبير قال : لما أتى موسى فرعون قال له : أرسل معى بنى إسرائيل ! فأبى عليه، فأرسل الله عليهم الطوفان = وهو المطر = فصبّ عليهم منه شيئاً، فخافوا أن يكون عذاباً، فقالوا لموسى : ادع لنا ربّك أن يكشف عنا المطر، فنؤمن لك، ونرسل معك بنى إسرائيل! [٣] فدعا ربه، فلم يؤمنوا، ولم يرسلوا معه بنى إسرائيل، فأنبت لهم فى تلك السنة شيئاً لم ينبته قبل ذلك من الزرع والثمر والكلأ. فقالوا : هذا ما كنا نتمنّى، فأرسل الله عليهم الجراد فسلّطه على الكلأ، فلما رأوا أثره فى الكلأ عرفوا أنه لا يُبقى الزرع. فقالوا : يا موسى، ادْع لنا ربك فيكشف عنا الجرادَ فنؤمن لك، ونرسل معك بنى إسرائيل ! فدعا ربه، فكشف

و « الأجد » (بضمتين) : القوى الموثق. يقال : « ناقة أجد »، قوية وثيقة التركيب. و « ناقة مؤجدة القرى »، مثله. ويقال : « الحمد لله الذى آجدنى بعد ضعف »، أى : قوانى. و « المؤصد » من « أوصد الباب » أغلقه وأطبقه، فهو « موصد » و « مؤصد » بالهمز، ومثله قوله تعالى ذكره : « إنها عليهم مؤصدة » بالهمز، أى مطبقة.

(١) فى المطبوعة : « فإن لم يكن جمعاً »، بزيادة « لم »، وهى مفسدة للكلام، والصواب من المخطوطة.

(٢) لم أجد هذا فى معانى القرآن للفراء، فى هذا الموضع من تفسير الآية. انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٩٣، بل قال الفراء هناك : « القمل، وهو الدبى الذى لا أجنحة له »، ولم يزد.

(٣) فى المطبوعة : « ادع لنا ربك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى إسرائيل »، غير ما فى المخطوطة، ولم يكتب نص آية « سورة الأعراف » : ١٣٤. وكان فى المخطوطة ما أثبته، إلا أنه كتب : « لئن كشف عنا المطر فنؤمن لك »، وصواب الجملة ما أثبت إن شاء الله.

عنهم الجرادَ، فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بنى إسرائيل! فدَاسُوا وأحرزُوا فى البيوت، [١] فقالوا: قد أحرزْنَا ! فأرسل الله عليهم القُمَّل = وهو السُّوس الذى يخرج منه = فكان الرجل يخرج عشرة أجربةٍ إلى الرحى، فلا يردّ منها ثلاثة أقفِزة. فقالوا: يا موسى، ادع لنا ربك يكشف عنا القمَّل، فنؤمن لك ونرسل معك بنى إسرائيل! فدعا ربَّه فكشف عنهم، فأبوا أن يرسلوا معه بنى إسرائيل. فبينا هو جالس عند فرعون، إذ سمع نقيق ضِفْدَع فقال لفرعون: ما تلقى أنت وقومك من هذا! فقال: وما عسى أن يكون كيدُ هذا! فما أمسوا حتى كان الرجل يجلس إلى ذَقْنه فى الضفادع، ويهمُّ أن يتكلم فتثب الضفادع فى فيه. فقالوا لموسى: ادع لنا ربك يكشف عنا هذه الضفادع، فنؤمن لك ونرسل معك بنى إسرائيل! [فكشف عنهم فلم يؤمنوا]، [٢] فأرسل الله عليهم الدم، فكان ما استقوا من الأنهار والآبار، أوما كان فى أوعيتهم، وجدُوه دماً عَبِيطاً. [٣] فشكوا إلى فرعون فقالوا: إنا قد ابتلينا بالدّم، وليس لنا شراب! فقال: إنه قد سحركم! فقالوا: من أين سحرنا، ونحن لا نجد فى أوعيتنا شيئاً من الماء إلا وجدناه دماً عبيطاً؟ فأتوه فقالوا: يا موسى، ادعُ لنا ربك يكشف عنا هذا الدم، فنؤمن لك، ونرسل معك بنى إسرائيل! فدعا ربه فكشف عنهم، فلم يؤمنوا، ولم يرسلوا معه بنى إسرائيل.

١٥٠١٥ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حبويه أبو يزيد، عن يعقوب القمى، عن جعفر، عن ابن عباس قال: لما خافوا الغرق، قال فرعون: يا موسى، ادع لنا ربك يكشف عنّا هذا المطر، فنؤمن لك = ثم ذكر نحو حديث ابن حميد، عن يعقوب. [٤]

---

(١) «داس الناس الحب» درسوه. و «أحرز الشيء»: ضمه وحفظه، وصانه عن الأخذ.

(٢) ما بين القوسين، ليس فى المخطوطة، وفى المخطوطة عند هذا الموضع، حرف (ط) بين «إسرائيل» و «فأرسل» و (ط) أخرى فى الهامش، دلالة على الخطأ. والذى فى المطبوعة صواب إن شاء الله.

(٣) «الدم العبيط»، هو الطرى.

(٤) الأثر: ١٥٠١٥ - «حبويه»، «أبو يزيد»، هو «إسحاق بن إسماعيل البرازى»،

١٥٠١٦ – حدثنا موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدى قال : ثم إن الله أرسل عليهم = يعنى على قوم فرعون = الطوفان، وهو المطر، فغرق كل شيء لهم، فقالوا : يا موسى، ادع لنا ربَّك يكشف عنَّا ونحن نؤمن لك، ونرسل معك بنى إسرائيل ! فكشفه الله عنهم، (١) ونبتت به زروعهم، فقالوا : ما يسرّنا أنا لم نمطر ! فبعث الله عليهم الجراد، فأكل حروثهم، فسألوا موسى أن يدعو ربّه، فيكشفه، ويؤمنوا به . فدعا فكشفه، وقد بقى من زروعهم بقيّة، فقالوا : لم تؤمنون، وقد بقى من زروعنا بقية تكفينا ؟ فبعث الله عليهم الدَّبى = وهو القمل = فلحس الأرض كلها، (٢) وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيعضُّه، وكان لأحدهم الطعام فيمتلئ دَبًى، حتى إن أحدهم ليبنى الأسطوانة بالجصّ، فيزلّقُها حتى لا يرتقى فوقها شيء، (٣) يرفع فوقها الطعام، فإذا صعد إليه ليأكله وجده ملآن دَبًى، فلم يصابوا ببلاء كان أشدَّ عليهم من الدبى = وهو « الرِّجْز » الذى ذكر الله فى القرآن أنه وقع عليهم = فسألوا موسى أن يدعو ربه فيكشف عنهم ويؤمنوا به، فلما كُشف عنهم، أبوا أن يؤمنوا . فأرسل الله عليهم الدَّم، فكان الإسرائيلى يأتى هو والقِبْطى يستقيان من ماء واحد، فيخرج ماءُ هذا القبطى دماً، ويخرج للإسرائيلى ماءً . فلما اشتدَّ ذلك عليهم، سألوا موسى أن يكشفه ويؤمنوا به، فكشف ذلك، فأبوا أن ٢٤/٩
يؤمنوا، وذلك حين يقولُ الله : ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴾ (٤) [سورة الزخرف : ٥٠].

مضى برقم : ١٤٣٦٥، ١٤٥٥٠، ١٤٩٥٦، ١٤٩٨٩، وكان فى المطبوعة هنا « حبوبة الرازى »، والصواب من المخطوطة، ومن تحقيق ذلك فيما سلف من الأرقام التى ذكرتها .

(١) فى المطبوعة : « فكشف الله عنهم »، وأثبت ما فى المخطوطة والتاريخ .

(٢) « لحس الجراد النبات »، إذا أكله ولم يبق منه شيئاً، ومنه قيل لسنوات القحط الشداد : « اللواحس »، لأنها تلحس كل شيء .

(٣) « زلق البناء أو المكان يزلقه تزليقاً »، إذا ملسه حتى لا يثبت عليه شيء .

(٤) الأثر : ١٥٠١٦ – هو جزء من خبر طويل رواه أبو جعفر فى تاريخه ١ : ٢١١، ٢١٢

١٥٠١٧ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر، عن قتادة : « فأرسلنا عليهم الطوفان » ، قال : أرسل الله عليهم الماءَ حتى قاموا فيه قياماً، ثم كشف عنهم فلم يؤمنوا ،[1] وأخصبت بلادهم خصباً لم تخصب مثله ، فأرسل الله عليه الجرادَ فأكله إلاّ قليلاً ، فلم يؤمنوا أيضاً . فأرسل الله القمّل = وهى الدَّبى ، وهى أولاد الجراد = فأكلت ما بقى من زروعهم ، فلم يؤمنوا . فأرسل الله عليهم الضفادع ، فدخلت عليهم بيوتهم ، ووقعت فى آنيتهم وفُرشهم ، فلم يؤمنوا. ثم أرسل الله عليهم الدمَ ، فكان أحدهم إذا أراد أن يشرب تحوّل ذلك الماء دماً ، قال الله : « آيات مفصلات» .

١٥٠١٨ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فأرسلنا عليهم الطوفان » حتى بلغ « مجرمين » ، قال : أرسل الله عليهم الماء حتى قاموا فيه قياماً ، فدعوا موسى ، فدعا ربّه فكشفه عنهم. ثم عادوا لسوء ما يحضر بهم . ثم أنبتت أرضهم ، ثم أرسل الله عليهم الجراد ، فأكل عامةَ حروثهم وثمارهم . ثم دعوا موسى فدعا ربه فكشف عنهم ، ثم عادوا بشرّ ما يحضر بهم . فأرسل الله عليهم القمل ، هذا الدبى الذى رأيتم ، فأكل ما أبقى الجراد من حُروثهم ، فلحسه . فدعوا موسى ، فدعا ربه فكشفه عنهم. ثم عادوا بشر ما يحضر بهم . ثم أرسل الله عليهم الضفادع حتى ملأت بيوتهم وأفنيتهم. فدعوا موسى ، فدعا ربه فكشف عنهم . ثم عادوا بشرّ ما يحضر بهم ، فأرسل الله عليهم الدم ، فكانوا لا يغترفون من مائهم إلا دماً أحمر ، حتى لقد ذُكر أنّ عدو الله فرعون ، كان يجمع بين الرجلين على الإناء الواحد، القبطى والإسرائيلى ، فيكون مما يلى الإسرائيلى ماءً ، ومما يلى القبطى دماً . فدعوا موسى ، فدعا ربه فكشفه عنهم ، فى تسع آياتٍ :

---

(١) فى المخطوطة : «ثم كشف عنهم فلم ينتفعوا » ، وتركت ما فى المطبوعة على حاله ، لقوله فى الأخرى : « فلم يؤمنوا أيضاً » .

السنين ونقص من الثمرات ، وأراهم يدَ موسى عليه السلام وعصاه .

١٥٠١٩ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « فأرسلنا عليهم الطوفان » ، وهو المطر ، حتى خافوا الهلاك ، فأتوا موسى فقالوا : يا موسى ، ادع لنا ربك أن يكشف عنّا المطر ، [إنا نؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل ، فدعا ربّه فكشف عنهم المطر] .(١) فأنبت الله به حرثهم ، وأخصب به بلادهم ، فقالوا : ما نحبُّ أنا لم نُمطر بترك ديننا ، فلن نؤمن لك ، ولن نرسل معك بني إسرائيل ! فأرسل الله عليهم الجراد ، فأسرعَ في فسادِ ثمارهم وزروعهم ، فقالوا : يا موسى ، ادع لنا ربك [أن يكشف عنا الجراد ، فإنا سنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل!].(٢) فدعا ربه ، فكشف عنهم الجراد ، وكان قد بقي من زرعهم ومعاشهم بقايا ، فقالوا ، قد بقي لنا ما هو كافينا ، فلن نؤمن لك ، ولن نرسل معك بني إسرائيل . فأرسل الله عليهم القُمَّل = وهو الدَّبى = فتتبع ما كان ترك الجراد ، فجزعوا وأحسُّوا بالهلاك ، قالوا : يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا الدَّبى ، فإنا سنؤمن لك ، ونرسل معك بني إسرائيل ! فدعا ربه فكشف عنهم الدَّبى ، فقالوا : ما نحن لك بمؤمنين ، ولا مرسلين معك بني إسرائيل ! فأرسل الله عليهم الضفادع ، فملأ بيوتهم منها ، ولقُوا منها أذًى شديداً لم يلقوا مثله فيما كان قبله ، أنها كانت تثبُ في قدورهم ، فتفسد عليهم طعامهم ، وتطفىء نيرانهم . قالوا : يا موسى ، ادع لنا ربك أن يكشف عنا الضفادع ، فقد لقينا منها بلاءً وأذًى ، فإنا سنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل ! فدعا ربه ، فكشف عنهم الضفادع ، فقالوا : لا نؤمن لك ، ولا نرسل معك بني إسرائيل ! فأرسل الله عليهم الدّم ، فجعلوا لا يأكلون إلا الدم ، ولا يشربون إلا الدم ، فقالوا : يا موسى ، ادع لنا ربك أن يكشف عنّا الدم ، فإنا سنؤمن لك ،

---

(١) في المخطوطة ، أسقط ما بين القوسين ، وإثباته حق الكلام .

(٢) ما بين القوسين ، ليس في المخطوطة .

٢٥/٩ ونرسل معك بنى إسرائيل ! فدعا ربه ، فكشف عنهم الدم ، فقالوا : يا موسى ، لن نؤمن لك ، ولن نرسل معك بنى إسرائيل ! فكانت آيات مفصّلات بعضها على إثر بعض ، ليكون لله عليهم الحجة ، فأخذهم الله بذنوبهم ، فأغرقهم فى اليمّ .

١٥٠٢٠ — حدثنى عبد الكريم قال، حدثنا إبراهيم قال ، حدثنا سفيان قال ، حدثنا أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : أرسل على قوم فرعون الآيات : الجراد ، والقمّل ، والضفادع ، والدم ، آياتٌ مفصّلات . قال : فكان الرجل من بنى إسرائيل يركبُ مع الرجل من قوم فرعون فى السّفينة ، فيغترف الإسرائيلى ماءً ، ويغترف الفرعونى دماً . قال : وكان الرجل من قوم فرعون ينام فى جانب ، فيكثر عليه القمل والضفادع حتى لا يقدر أن ينقلب على الجانب الآخر . فلم يزالوا كذلك حتى أوحى الله إلى موسى : أنْ أسْرِ بعبادِى إنكم متّبعون .

١٥٠٢١ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : لما أتى موسى فرعون بالرسالة ، أبى أن يؤمن وأن يرسل معه بنى إسرائيل ، فاستكبر ، قال : لن أرسل معك بنى إسرائيل ! (١) فأرسل الله عليهم الطوفان = وهو الماء = أمطر عليهم السماء ، حتى كادوا يهلكون ، وامتنع منهم كل شىء ، فقالوا : يا موسى ، ادع لنا ربك بما عهد عندك ، لئن كشفت عنّا هذا لنؤمننّ لك ولنرسلن معك بنى إسرائيل ! فدعا الله فكشف عنهم المطر ، فأنبت الله لهم حُروثهم ، وأحيى بذلك المطر كلّ شىء من بلادهم ، فقالوا : والله ما نحبّ أنا لم نكن أمطرنا هذا المطر ، ولقد كان خيراً لنا ، فلن نرسل معك بنى إسرائيل ، ولن نؤمن لك يا موسى ! فبعث الله عليهم الجراد ، فأكل عامة حروثهم ، وأسرع الجراد فى فسادِها ، فقالوا : يا موسى ، ادع لنا ربك يكشف عنا الجراد ، فإنا مؤمنون لك ، ومرسلون معك بنى إسرائيل !

---

(١) فى المطبوعة : « لن نرسل » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

فكشف الله عنهم الجراد . وكان الجراد قد أبقى لهم من حروثهم بقيّة ، فقالوا : قد لنا بقى من حروثنا ما كان كافيينا ، فما نحن بتاركى ديننا ، ولن نؤمن لك ، ولن نرسل معك بنى إسرائيل ! فأرسل الله عليهم القمّل = و « القمّل » ، الدبى ، وهو الجراد الذى ليست له أجنحة = فتتبع ما بقى من حروثهم وشجرهم وكل نبات كان لهم ، فكان القمّل أشدّ عليهم من الجراد ، فلم يستطيعوا للقمل حيلةً ، وجزعوا من ذلك . وأتوا موسى فقالوا : يا موسى ، ادع لنا ربك يكشف عنا القمل ، فإنه لم يبق لنا شيئاً ، قد أكل ما بقى من حروثنا ! ولئن كشفت عنا القمل لنؤمنن لك ، ولنرسلن معك بنى إسرائيل ! فكشف الله عنهم القمل ، فنكثوا ، وقالوا : لن نؤمن لك ، ولن نرسل معك بنى إسرائيل ! فأرسل الله عليهم الضفادع ، فامتلأت منها البيوتُ ، فلم يبق لهم طعام ولا شراب إلا وفيه الضفادع ، فلقوا منها شيئاً لم يلقوه فيما مضى ، فقالوا : يا موسى ، ادع لنا ربّك لئن كشفت عنا الرِّجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى إسرائيل ! قال : فكشف الله عنهم ، فلم يفعلوا ، فأنزل الله : « فلمّا كشفنا عنهم الرجز إلى أجلهم بالغوه إذا هم ينكثون » ، إلى « وكانوا عنها غافلين » .

١٥٠٢٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا أبو تميلة قال ، حدثنا الحسن بن واقد ، عن زيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كانت الضفادع برّية ، فلما أرسلها الله على آل فرعون ، سمعت وأطاعت ، فجعلت تغرق أنفسها فى القُدُور وهى تغلى ، وفى التنانير وهى تفور ، فأثابها الله بحسن طاعتها بَرْدَ الماء .

١٥٠٢٣ — حدثنا ابن حميد ، قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : فرجع عدوّ الله = يعنى فرعون ، حين آمنت السحرة = مغلوباً مغلولاً ، ثم أبى إلا الإقامة على الكفر ، والتمادىَ فى الشر ، فتابع الله عليه بالآيات ، وأخذه بالسنين ، فأرسل عليه الطوفان ، ثم الجراد ، ثم القمل ، ثم الضفادع ، ثم الدم ، آيات مفصلات ، فأرسل الطوفان = وهو الماء = ففاض على وجه الأرض ثم ركد ، لا يقدرون على أن

يحرُثوا ولا يعملوا شيئاً، حتى جُهِدوا جوعاً . فلما بلغهم ذلك، قالوا: يا موسى ،
٩/٢٦ ادع لنا ربك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل !
فدعا موسى ربه ، فكشفه عنهم ، فلم يفُوا له بشيء مما قالوا ، فأرسل الله عليهم
الجراد ، فأكل الشجر ، فيما بلغني ، حتى إنْ كان ليأكل مساميرَ الأبواب من
الحديد ، حتى تقع دورهم ومساكنهم ، فقالوا مثل ما قالوا ، فدعا ربه فكشفه
عنهم ، فلم يفوا له بشيء مما قالوا . فأرسل الله عليهم القمّل، فذكر لي أنّ موسى
أمر أن يمشي إلى كثيب حتى يضربه بعصاه . فمضى إلى كثيبٍ أهيل عظيم ،[1]
فضربه بها، فانثالَ عليهم قمّلاً ،[2] حتى غلب على البيوت والأطعمة، ومنعهم
النوم والقرار . فلما جهدهم قالوا له مثل ما قالوا ، فدعا ربه فكشفه عنهم ، فلم
يفوا له بشيء مما قالوا ، فأرسل الله عليهم الضفادع ، فملأت البيوت والأطعمة
والآنية، فلا يكشف أحدٌ ثوباً ولا طعاماً ولا إناء إلاّ وجد فيه الضفادع قد غلبت
عليه . فلما جهدهم ذلك قالوا له مثل ما قالوا ، فدعا ربه فكشفه عنهم ، فلم
يفوا له بشيء مما قالوا . فأرسل الله عليهم الدم ، فصارت مياه آل فرعون دماً ،
لا يستقون من بئر ولا نهر ، ولا يغترفون من إناء ، إلا عاد دماً عبيطاً .[3]

١٥٠٢٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال ، حدثنا محمد بن
إسحق ، عن محمد بن كعب القرظي : أنه حُدِّث : أن المرأة من آل فرعون كانت
تأتي المرأةَ من بني إسرائيل حين جَهدهم العطش ، فتقول : اسقيني من مائك !
فتغرف لها من جرّتها أو تصبّ لها من قربتها، فيعود في الإناء دماً، حتى إن كانت
لتقول لها: اجعليه في فيك ، ثم مُجّيه في فيّ فتأخذ في فيها ماءً، فإذا مجته في فيها
صار دماً ، فمكثوا في ذلك سبعةَ أيام .[4]

---

(١) « كثيب أهيل » (على وزن أفعل) : منهال لا يثبت رمله حتى يسقط .
(٢) « انثال التراب انثيالا » : انصب انصباباً من كل وجه .
(٣) الأثر : ١٥٠٢٣ – هذا الخبر رواه أبو جعفر في تاريخه ١ : ٢١٥ .
(٤) الأثر : ١٥٠٢٤ – هذا الخبر رواه أبو جعفر في تاريخه مطولا ١ : ٢١٥ ، ٢١٦.

١٥٠٢٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : الجراد يأكل زروعهم ونباتهم، والضفادع تسقط على فرشهم وأطعمتهم، والدم يكون في بيوتهم وثيابهم ومائهم وطعامهم .

= قال ، حدثنا شبل ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد قال : لما سال النِّيلُ دماً، فكان الإسرائيلي يستقي ماء طيّباً ، ويستقي الفرعوني دماً . ويشتركان في إناء واحد ، فيكون ما يلي الإسرائيلي ماءً طيّباً ، وما يلي الفرعوني دماً .

١٥٠٢٦ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن أبي بكر قال، حدثني سعيد بن جبير : أن موسى لمّا عالج فرعون بالآيات الأربع : العصا ، واليد ، ونقص من الثمرات ، والسنين = قال : يارب ، إن عبدك هذا قد علا في الأرض وَعتَا في الأرض، وبغى عليّ وعلا عليك ، وعالى بقومه، ربِّ خذ عبدك بعُقوبة تجعلها له ولقومه نِقْمةً، وتجعلها لقومي عظةً، ولمن بعدي آيةً في الأمم الباقية ! فبعث الله عليهم الطوفان = وهو الماء = وبيوت بني إسرائيل وبيوت القبط مشتبكة مختلطة بعضها في بعض، فامتلأت بيوت القبط ماءً حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم، من جَلَس منهم غرق ،[1] ولم يدخل في بيوت بني إسرائيل قطرة . فجعلت القبط تنادي موسى : ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل ! قال : فواثقوا موسى ميثاقاً أخذَ عليهم به عهودهم . وكان الماء أخذهم يوم السبت ، فأقام عليهم سبعة أيام إلى السبت الآخر . فدعا موسى ربه ، فرفع عنهم الماء، فأعشبت بلادهم من ذلك الماء، فأقاموا شهراً في عافية، ثم جحدوا وقالوا : ما كان هذا الماء إلا نعمة علينا ، وخصباً لبلادنا ، ما نحب أنه لم يكن .

= قال : وقد قال قائل لابن عباس : إني سألت ابن عمر عن الطوفان، فقال : ما أدري، موتاً كان أو ماء! فقال ابن عباس : أما يقرأ ابن عمر «سورة العنكبوت»، حين

(١) في المطبوعة والمخطوطة : «من حبس» ، والصواب ما أثبت .

ذكر الله قوم نوح فقال : ﴿ فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ [سورة العنكبوت : ١٤] .

أرأيت لو ماتوا ، إلى مَنْ جاء موسى عليه السلام بالآيات الأربع بعد الطوفان ؟

= قال فقال موسى : يارب إن عبادك قد نقضُوا عهدك ، وأخلفوا وعدِى ، رب خذهم بعقوبة تجعلها لهم نقمة ، ولقومى عظة ، ولمن بعدهم آية فى الأمم الباقية ! ٢٧/٩

قال : فبعث الله عليهم الجراد ، فلم يدع لهم ورقةً ولا شجرة ولا زهرة ولا ثمرة إلا أكله ،(١) حتى لم يُبْقِ جَنًى ،(٢) حتى إذا أفنى الخضر كلها ، أكل الخشب ، حتى أكل الأبواب وسقوف البيوت . وابتلى الجراد بالجوع ، فجعل لا يشبع ، غير أنه لا يدخل بيوتَ بنى إسرائيل ، فعجُّوا وصاحُوا إلى موسى ،(٣) فقالوا : يا موسى ، هذه المرّة ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننّ لك ولنرسلنّ معك بنى إسرائيل ! فأعطوه عهدَ الله وميثاقه ، فدعا لهم ربّه ، فكشف الله عنهم الجراد بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت ، ثم أقاموا شهراً فى عافية ، ثم عادوا لتكذيبهم ولإنكارهم ولأعمالهم أعمال السَّوْء . قال : فقال موسى : يا رب ، عبادُك ، قد نقضوا عهدى ، وأخلفوا موعدى ، فخذهم بعقوبة تجعلُها لهم نقمة ، ولقومى عظة ، ولمن بعدى آية فى الأمم الباقية ! فأرسل الله عليهم القمَّل = قال أبو بكر : سمعت سعيد بن جبير والحسن يقولان : كان إلى جنبهم كثيب أعفر بقرية من قرى مصر تدعى « عين شمس »،(٤) فمشى موسى إلى ذلك الكثيب ، فضربه بعصاه ضربةً صارَ قمّلاً تدبّ إليهم = وهى دوابّ سود صغار . فدبّ إليهم القمّل ، فأخذ أشعارهم وأبشارهم وأشفارَ عيونهم وحواجبهم ، ولزم جلودَهم كأنه الجدرىّ عليهم ، فصرخوا وصاحوا إلى موسى : إنا نتوب ولا نعود ،

---

(١) فى المطبوعة : « إلا أكلها » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب .

(٢) « الجنى » الثمر كله .

(٣) « عج يعج عجا » : رفع صوته وصاح بالدعاء والاستغاثة .

(٤) « الكثيب الأعفر » : هو هنا الأحمر .

فادع لنا ربك ! فدعا ربه فرفع عنهم القمل بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت . فأقاموا شهراً فى عافية ، ثم عادوا وقالوا : ما كنّا قط أحق أن نستيقن أنه ساحر مِنّا اليوم ، جعل الرَّمل دواباً ! وعزّة فرعون لا نصدّقه أبداً ولا نتبعه ! فعادوا لتكذيبهم وإنكارهم ، فدعا موسى عليهم فقال : يارب إن عبادك نقضوا عهدى ، وأخلفوا وعدى ، فخذهم بعقوبة تجعلها لهم نقمة ، ولقومى عظة ، ولمن بعدى آية فى الأمم الباقية ! فأرسل الله عليهم الضفادع ، فكان أحدهم يضطجع فتركبه الضفادع ، فتكون عليه رُكاماً حتى ما يستطيع أن ينصرف إلى الشق الآخر ، ويفتح فاه لأكلته ، فيسبق الضفدع أكلته إلى فيه ، ولا يعجن عجيناً إلا تسدّحت فيه ، (١) ولا يطبخ قِدْراً إلا امتلأت ضفادع ، فعذّبوا بها أشد العذاب ، فشكوا إلى موسى عليه السلام وقالوا : هذه المرة نتوب ولا نعود ! فأخذ عهدهم وميثاقهم . ثم دعا ربه فكشف الله عنهم الضفادع بعد ما أقام عليهم سبعاً من السبت إلى السبت . فأقاموا شهراً فى عافية ، ثم عادوا لتكذيبهم وإنكارهم وقالوا : قد تبيّن لكم سحره ، يجعل التراب دواباً ، ويجىء بالضفادع فى غير ماء ! فآذوا موسى عليه السلام ، فقال موسى : يا رب إن عبادك نقضوا عهدى ، وأخلفوا وعدى ، فخذهم بعقوبة تجعلها لهم عقوبة ، ولقومى عظة ، ولمن بعدى آية فى الأمم الباقية ! فابتلاهم الله بالدم ، فأفسد عليهم معايشهم ، فكان الإسرائيلى والقبطىّ يأتيان النيل فيستقيان ، فيخرج للإسرائيلىّ ماءً ، ويخرج للقبطى دماً . ويقومان إلى الحُبّ فيه الماءُ ، (٢) فيخرج الإسرائيلى فى إنائه ماءً ، وللقبطى دماً .

١٥٠٢٧ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد

---

(١) فى المطبوعة : « تشدخت » بالشين والخاء ، ولا معنى لها هنا ، وهى من المخطوطة غير منقوطة ، وكأن هذا صواب قراءتها . يقال : « سدح الشىء » إذا بسطه على الأرض أو أضجعه . و « انسدح الرجل » استلقى وفرج رجليه . وقوله « تسدح » (بتشديد الدال) ، قياس عربى صحيح .

(٢) « الحب » (بضم الحاء) : الجرة الضخمة يكون فيها الماء .

قال ، سمعت مجاهداً فى قوله : « فأرسلنا عليهم الطوفان » ، قال : الموت = « والجراد » قال : الجراد يأكل أمتعتهم وثيابهم ومسامير أبوابهم = « والقمل » ، هو الدّبى ، سلطه الله عليهم بعد الجراد = قال : « والضفادع » ، تسقط فى أطعمتهم التى فى بيوتهم وفى أشربتهم .(١)

* * *

وقال بعضهم : « الدم » ، الذى أرسله الله عليهم ، كان رُعافاً .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٠٢٨ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا أحمد بن خالد قال ، حدثنا يحيى بن أبى بكير قال ، حدثنا زهير قال ، قال زيد بن أسلم : أما « القمل » فالقمل = وأما « الدم » ، فسلط الله عليهم الرُّعاف .(٢)

* * *

وأما قوله : « آيات مفصلات » ، فإن معناه : علامات ودلالات على صحّة نبوّة موسى ،(٣) وحقيقة ما دعاهم إليه(٤) = « مفصلات » ، قد فصل بينها ، فجعل بعضها يتلو بعضاً ، وبعضها فى إثر بعض .(٥) ٢٨/٩

* * *

---

(١) الأثر : ١٥٠٢٧ – « أبو سعد المدنى » ، وكان فى المخطوطة ، والمطبوعة : « ابن سعد » ، وهو خطأ ، وهو إسناد مر مراراً ، أقربه رقم : ١٤٩١٦ .

(٢) الأثر : ١٥٠٢٨ – « أحمد بن خالد » ، كأنه « أحمد بن خالد بن موسى الوهبى » ، مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ١ / ١ / ٤٩

و « يحيى بن أبى بكير الأسدى » ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ٧٥٤٤ ، و « زهير » ، هو : « زهير بن محمد التميمى » ، مضى برقم : ٥٢٣٠ ، ٦٦٢٨ .

(٣) انظر تفسير « آية » فيما من فهارس اللغة (أى)

(٤) فى المطبوعة : « وحقية » مكان « وحقيقة » ، فعل بها كما فعل بكل أخواتها من قبل . انظر ما سلف ١٢ : ٢٤٤ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٥) وانظر تفسير « التفصيل » فيما سلف ١٢ : ٤٧٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٠٢٩ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قال : فكانت آيات مفصلات بعضها فى إثر بعض ، ليكون لله الحجة عليهم ، فأخذهم الله بذنوبهم ، فأغرقهم فى اليمّ .

١٥٠٣٠ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « آيات مفصلات » ، قال : يتبع بعضها بعضاً ، ليكون لله عليهم الحجة ، فينتقم منهم بعد ذلك . وكانت الآية تمكث فيهم من السبت إلى السبت ، وترفع عنهم شهراً ، قال الله عز وجل : « فانتقمنا منهم فأغرقناهم فى اليمّ » الآية .

١٥٠٣١ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، قال ابن إسحق : « آيات مفصلات » ، أى : آية بعد آية ، يتبع بعضُها بعضاً .(١)

* * *

وكان مجاهد يقول فيما ذكر عنه فى معنى « المفصلات » ، ما :–

١٥٠٣٢ – حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد قال ، سمعت مجاهداً يقول فى « آيات مفصلات » ، قال : معلومات .

* * *

(١) الأثر : ١٥٠٣١ – هو قطعة من الأثر السالف رقم : ١٥٠٢٣ ، أسقطها أبو جعفر من صلب الكلام ، وأفردها ههنا . وأما فى التاريخ ١ : ٢١٥ ، فقد ساق الخبر متصلا ، وفيه هذه الجملة من التفسير .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ (١٣٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فاستكبر هؤلاء الذين أرسل الله عليهم ما ذكر فى هذه الآيات من الآيات والحجج ، عن الإيمان بالله وتصديق رسوله موسى صلى الله عليه وسلم ، واتباعه على ما دعاهم إليه ، وتعظموا على الله وعتوا عليه[1] = « وكانوا قوماً مجرمين » ، يقول : كانوا قوماً يعملون بما يكرهه الله من المعاصى والفسق ، عتوًّا وتمرّداً .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « ولما وقع عليهم الرجز » ، ولما نزل بهم عذاب الله ، وحلّ بهم سخطه .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى ذلك « الرجز » الذى أخبر الله أنه وقع بهؤلاء القوم .

فقال بعضهم : كان ذلك طاعوناً .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٠٣٣ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يعقوب القمى ، عن جعفر بن المغيرة ، عن سعيد بن جبير قال : وأمر موسى قومه من بنى إسرائيل = وذلك

---

(١) انظر تفسير « الاستكبار » فيما سلف ١٢ : ٥٦١ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك :

(٢) انظر تفسير « الإجرام » فيما سلف ١٢ : ٢٠٧ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

بعد ما جاء قوم فرعونَ بالآيات الخمس: الطوفان وما ذكر الله فى هذه الآية ، فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بنى إسرائيل = فقال : ليذبح كل رجل منكم كبشاً ، ثم ليخضب كفّه فى دمه ، ثم ليضرب به على بابه ! فقالت القبط لبنى إسرائيل : لم تعالجُون هذا الدمَ على أبوابكم ؟ (١) فقالوا : إن الله يرسل عليكم عذاباً ، فنسلم وتهلكون .فقالت القبط : فما يعرفكم الله إلاّ بهذه العلامات؟ فقالوا: هكذا أمرنا به نبيّنا! فأصبحوا وقد طُعِن من قوم فرعون سبعون ألفاً، فأمسوا وهم لا يتدافنون. فقال فرعون عند ذلك : « ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفتَ عنا الرجز » ، وهو الطاعون ، « لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى إسرائيل » . فدعا ربه ، فكشفه عنهم ، فكان أوفاهم كلّهم فرعون، فقال لموسى : اذهب ببنى إسرائيل حيث شئت .

١٥٠٣٤ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا حبويه الرازى وأبوداود الحفرى ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير = قال حبويه ، عن ابن عباس = « لئن كشفت عنا الرجز » ، قال : الطاعون .

* * *

وقال آخرون : هو العذاب .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٠٣٥ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « الرجز » ، العذاب .

١٥٠٣٦ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٥٠٣٧ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فلما كشفنا عنهم الرجز » ، أى العذاب .

١٥٠٣٨ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور قال ،

---

(١) فى المطبوعة : « لم تجعلون » ، وفى المخطوطة كما أثبتها . سيئة الكتابة ، ومعناها قريب من الصواب إن شاء الله .

حدثنا معمر ، عن قتادة : « ولما وقع عليهم الرجز » ، يقول : العذاب .

١٥٠٣٩ – حدثني يونس قال : أخبرنا بن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « ولما وقع عليهم الرجز » ، قال ، « الرجز » ، العذاب الذي سلط الله عليهم من الجراد والقمل وغير ذلك ، وكلّ ذلك يعاهدونه ثم ينكثون . ٢٩/٩

* * *

وقد بينا معنى « الرجز » فيما مضى من كتابنا هذا ، بشواهده المغنية عن إعادتها .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين بالصواب في هذا الموضع أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر عن فرعون وقومه أنهم لما وقع عليهم الرجز = وهو العذاب والسخط من الله عليهم = فزعوا إلى موسى بمسألته ربّه كشفَ ذلك عنهم . وجائز أن يكون ذلك « الرجز » كان الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، لأن كل ذلك كان عذاباً عليهم = وجائز أن يكون ذلك « الرجز » كان طاعوناً ، ولم يخبرنا الله أيّ ذلك كان ، ولا صحّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأيّ ذلك كان، خبرٌ ، فنسلم له . فالصواب أن نقول فيه كما قال جل ثناؤه : « ولما وقع عليهم الرجز » ، ولا نتعداه إلا بالبيان الذي لا تمانع فيه بين أهل التأويل، وهو : لمّا حل بهم عذاب الله وسخطه .

* * *

= « قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك »، يقول : بما أوصاك وأمرك به .

* * *

وقد بينا معنى : « العهد » ، فيما مضى .(٢)

* * *

= « لئن كشفت عنا الرجز » ، يقول : لئن رفعت عنا العذاب الذي نحن

---

(١) انظر تفسير « الرجز » فيما سلف ٢ : ١١٦ – ١١٨/١٢ : ٥٢١ .

(٢) انظر تفسير « العهد » فيما سلف ص: ١٠، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

فيه[1] = « لنؤمننّ لك »، يقول : لنصدقن بما جئت به ودعوت إليه ، ولنقرّنّ به لك = « ولنرسلن معك بنى إسرائيل » ، يقول : ولنخلّين معك بنى إسرائيل ، فلا نمنعهم أن يذهبوا حيث شاؤوا .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾ (١٣٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فدعا موسى ربه فأجابه ، فلما رفع الله عنهم العذاب الذى أنزله بهم = « إلى أجل هم بالغوه » ، ليستوفوا عذابَ أيامهم التى جعلَها الله لهم من الحياة أجلاً ، إلى وقت هلاكهم[2] = « إذا هم ينكثون »، يقول : إذا هم ينقضون عهودَهم التى عاهدوا ربَّهم وموسى ، ويقيمون على كفرهم وضلالهم .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٠٤٠ - حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « إلى أجل هم بالغوه » ، قال : عدد مسمًّى لهم من أيامهم .

١٥٠٤١ - حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

١٥٠٤٢ - حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ،

---

(١) انظر تفسير « الكشف » فيما سلف ١١ : ٣٥٤ .

(٢) انظر تفسير « الأجل » فيما سلف ١٢ : ٤٠٥ ، تعليق : ٢ ، والمرجع هناك .

حدثنا أسباط ، عن السدى : « فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون » ، قال : ما أعطوا من العهود ، وهو حين يقول الله : « ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين » ، وهو الجوع = « ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ (١٣٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فلما نكثوا عهودهم = « انتقمنا منهم » يقول : انتصرنا منهم بإحلال نقمتنا بهم ، [1] وذلك عذابه = « فأغرقناهم فى اليم » ، وهو البحر ، كما قال ذو الرمة :

دَاوِيَّةٌ وَدُجَى لَيْلٍ كَأَنَّهُمَا ... يَمٌّ تَرَاطَنُ فِى حَافَاتِهِ الرُّومُ [2]

---

(١) انظر تفسير « الانتقام » فيما سلف ١١ : ٤٧ ، ٥٦ ، ٥٧ .

(٢) ديوانه : ٥٧٦ ، من قصيدة باذخة ، وهذا البيت منها فى صفه فلاة مخوفة ، يقول قبله :

بَيْنَ الرَّجَا وَالرَّجَا مِنْ جَنْبِ وَاصِيَةٍ ... يَهْمَاءَ ، خَابِطُهَا بِالخَوْفِ مَكْعُومُ
لِلجِنِّ بِاللَّيْلِ فِى حَافَاتِهَا زَجَلٌ ... كَمَا تَجَاوَبَ يَوْمَ الرِّيحِ عَيْشُومُ
هَنًّا ، وَهَنًّا ، وَمِنْ هَنًّا ، لَهُنَّ بِهَا ... ذَاتَ الشَّمَائِلِ وَالأَيْمَانِ هَيْنُومُ
دَوِيَّةٌ وَدُجَى لَيْلٍ ....

« الرجا » الناحية . و « الواصية » ، فلاة تتصل بفلاة مخوفة أخرى ، كأن بعضها يوصى بعضاً بالأهوال . و « خابطها » السارى فيها لا يكاد يهتدى . « يهماء » ، مبهمة لايكاد المرء يهتدى فيها . و « مكعوم » مشدود الفم ، لا يطيق أن ينطق من الرعب . و « زجل الجن » ، صوتها وعزيفها . و « العيشوم » نبت له خشخشة إذا هبت عليه الريح . و « الهينوم » ، الهينمة ، وهو صوت تسمعه ولا تفهمه . يقول : تأتيه هذه الأصوات من يمين وشمال . و « الدوية » و « الداوية » ، الفلاة التى يسمع فيها دوى الصوت ، لبعد أطرافها . وهذا شعر فاخر .

وكما قال الراجز : (١)

* كَبَاذِخٍ أَلْيَمٌ سَقَاهُ أَلْيَمُ * (٢)

* * *

= « بأنهم كذبوا بآياتنا » ، يقول : فعلنا ذلك بهم بتكذيبهم بحججنا وأعلامنا التى أريناهموها (٣) = « وكانوا عنها غافلين » ، يقول : وكانوا عن النقمة التى أحللناها بهم ، غافلين قبل حلولها بهم أنّها بهم حالّةٌ .

* * *

و « الهاء والألف » فى قوله : « عنها » ، كناية من ذكر « النقمة » .

فلو قال قائل : هى كناية من ذكر « الآيات » ، ووجّه تأويل الكلام إلى : وكانوا عنها معرضين = فجعل إعراضهم عنها غفولاً منهم عنها إذْ لم يقبلوها ، كان مذهباً .

* * *

يقال من « الغفلة » ، « غفل الرجل عن كذا يغفُل عنه غَفْلة وغُفُولاً وغَفَلاً » . (٤)

* * *

---

(١) هو العجاج .

(٢) ديوانه : ٦٣ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٢٧ ، من أرجوزة ذكر فيها مسعود بن عمرو العتكى الأزدى ، وما أصابه وقومه من تميم رهط العجاج . فقال يذكر تميما وخزيمة ، وقيس عيلان ، حين اجتمعت كتائبهم وجيوشهم :

وَأَصْحَرُوا حين أُسْتَجَمَّ الجَمُّ بِذِى عُبَابٍ بَحْرُهُ غِطَمُّ
كَبَاذِخٍ اليَمٌّ سَقَاهُ اليَمُّ لَهُ نَوَاحٍ وَلَهُ أُسْطُمُّ

وكان فى المطبوعة : « كمادح اليم » ، وهو خطأ ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، وقوله : « كباذخ اليم » ، يعنى موج البحر ، « سقاه اليم » ، أى : أمده اليم ، فهو لا يزال فى علو وارتفاع . و « الغطم » ، البحر الكثير الماء الملتطم الموج . و « أسطم البحر » ، مجتمعه ووسطه ، حيث يضرب بعضه بعضاً من كثرته .

(٣) انظر تفسير « آية » فيما سلف من فهارس اللغة (أيى)

(٤) انظر تفسير « الغفلة » فيما سلف ٢ : ٢٤٤ ، ٣١٦ / ٣ : ١٢٧ ، ١٨٤ / ٩ : ١٦٢ ولم يبين فيما سلف هذا البيان الذى جاء به هنا .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴾ (١٣٧) ٩/٣٠

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وأورثنا القوم الذين كان فرعون وقومه يستضعفونهم فيذبحون أبناءهم ، ويستحيون نساءهم ، ويستخدمونهم تسخيراً واستعباداً من بنى إسرائيل[1] = « مشارق الأرض » ، الشأم ، وذلك ما يلى الشرق منها = « ومغاربها التى باركنا فيها » ، يقول : التى جعلنا فيها الخير ثابتاً دائماً لأهلها .[2]

وإنما قال جل ثناؤه : « وأورثنا » ، لأنه أورث ذلك بنى إسرائيل بمهلك من كان فيها من العمالقة .

* * *

وبمثل الذى قلنا فى قوله : « مشارق الأرض ومغاربها » ، قال أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك :

١٥٠٤٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن يمان ، عن إسرائيل ، عن فرات القزاز ، عن الحسن فى قوله : « وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها » ، قال : الشأم .

١٥٠٤٤ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا إسرائيل ، عن فرات القزاز قال ، سمعت الحسن يقول ، فذكر نحوه .

١٥٠٤٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا قبيصة، عن سفيان ، عن فرات

---

(١) انظر تفسير « الاستضعاف » فيما سلف ١٢ : ٥٤٢.

(٢) انظر تفسير « البركة » فيما سلف من فهارس اللغة (برك)

القزاز ، عن الحسن ، « الأرض التى باركنا فيها » ، قال : الشأم .

١٥٠٤٦ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض الأرض ومغاربها التى باركنا فيها » ، هى أرض الشأم .

١٥٠٤٧ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قوله : « مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها »، قال : التى بارك فيها ، الشأم .

* * *

وكان بعض أهل العربية يزعم أن « مشارق الأرض ومغاربَها »، نصب على المحلّ ، بمعنى : وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون فى مشارق الأرض ومغاربها = وأن قوله : « وأورثنا » إنما وقع على قوله : « التى باركنا فيها » . (١)

وذلك قولٌ لا معنى له ، لأن بنى إسرائيل لم يكن يستضعفهم أيام فرعون غيرُ فرعون وقومه ، ولم يكن له سلطان إلا بمصر ، فغير جائز والأمر كذلك أن يقال : الذين يستضعفون فى مشارق الأرض ومغاربها .

* * *

فإن قال قائل : فإن معناه : فى مشارق أرض مصر ومغاربها = فإن ذلك بعيد من المفهوم فى الخطاب ، مع خروجه عن أقوال أهل التأويل والعلماء بالتفسير .

* * *

وأما قوله : « وتمت كلمة ربك الحسنى »، فإنه يقول : وَفَى وعدُ الله الذى وعد بنى إسرائيل بتمامه على ما وعدهم ، من تمكينهم فى الأرض، ونصره إياهم على عدوّهم فرعون= « وكلمته الحسنى » قوله جل ثناؤه : ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ

(١) يعنى بالوقوع ، أنه تعدى إليه ، فهو له مفعول به .

فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ [سورة القصص : ٥ ، ٦] .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٠٤٨ – حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد فى قول الله : « وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل » ، قال : ظهرَ قوم موسى على فرعون ، و «تمكين الله لهم فى الأرض » ، ما ورَّثهم منها .(١)

١٥٠٤٩ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

* * *

وأما قوله : « ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه » ، فإنه يقول : وأهلكنا ما كان فرعون وقومه يصنعونه من العِمارات والمزارع = « وما كانوا يعرشون » ؛ يقول : وما كانوا يبنون من الأبنية والقصور ، وأخرجناهم من ذلك كله ، وخرَّبنا جميع ذلك .

* * *

وقد بينا معنى « التعريش » ، فيما مضى بشواهده.(٢)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٠٥٠ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله: «وما كانوا يعرشون»، يقول : يبنون.

---

(١) فى المطبوعة : « ظهور قوم موسى . . . » ثم : « وما ورثهم منها » بزيادة الواو ، وأثبت ما فى المخطوطة ، فهو مستقيم غاية الاستقامة .

(٢) انظر تفسير « التعريش » فيما سلف ١٢ : ١٥٦ .

١٥٠٥١ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ،عن مجاهد: « يعرشون » ، يبنون البيوت والمساكن ما بلغت ، وكان عنبهم غير معرَّش .(١) ٢١/٩

١٥٠٥٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

واختلفت القرأة في قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة الحجاز والعراق : ﴿ يَعْرِشُونَ ﴾ بكسر الراء = سوى عاصم ابن أبي النجود ، فإنه قرأه بضمّها .

* * *

قال أبو جعفر : وهما لغتان مشهورتان في العرب يقال: « عَرَش يعرِش ويعرُش » .

فإذ كان ذلك كذلك ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، لاتّفاق معْنَيَي ذلك ،(٢) وأنهما معروفان من كلام العرب . وكذلك تفعل العرب في « فَعَل »، إذا ردّته إلى الاستقبال تضمُّ العين منه أحياناً وتكسره أحياناً . غير أن أحبَّ القراءتين إليّ كسر « الراء » ، لشهرتها في العامة ، وكثرة القرأة بها ، وأنها أصحُّ اللغتين .

* * *

(١) في المطبوعة : « غير معروش » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) في المطبوعة : « معنى ذلك » بالإفراد ، وأثبت ما في المخطوطة بالتثنية .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ (١٣٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وقطعنا ببنى إسرائيل البحر بعد الآيات التى أريناهموها ، والعبر التى عاينوها على يدى نبىّ الله موسى ، فلم تزجرهم تلك الآيات ، ولم تعظهم تلك العبر والبينات ! حتى قالوا= مع معاينتهم من الحجج ما يحق أن يذكُرَ معها البهائم ، إذ مرُّوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، يقول : يقومون على مُثُل لهم يعبدونها من دون الله [1] =«اجعل لنا» يا موسى «إلهاً» ، يقول : مثالاً نعبده وصنما نتخذُه إلهاً ، كما لهؤلاء القوم أصنامٌ يعبدونها . ولا تنبغى العبادة لشىء سوى الله الواحد القهار . وقال موسى صلوات الله عليه : إنكم ، أيها القوم ، قوم تجهلون عظمة الله وواجبَ حقه عليكم ، ولا تعلمون أنه لا تجوز العبادة لشىء سوى الله الذى له ملك السموات والأرض .

* * *

وذكر عن ابن جريج فى ذلك ما :—

١٥٠٥٣ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج : « وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم » ، قال ابن جريج : «على أصنام لهم » ، قال : تماثيل بقر . فلما كان عجل السامرىّ شبّه لهم أنه من تلك البقر ، فذلك كان أوّل شأن العجل : « قالوا : يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون » .

* * *

(١) انظر تفسير « العكوف » فيما سلف ٣ : ٤١ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ .
و « المثل » (بضمتين) جمع « مثال » (بكسر الميم) ، وهو الصورة ، مثل « التمثال » .

وقيل : إن القوم الذين كانوا عكوفاً على أصنام لهم الذين، ذكرهم الله فى هذه الآية ، قوم كانوا من لَخْم .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٠٥٤ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا بشر بن عمر قال ، حدثنا العباس بن المفضل ، عن أبى العوّام ، عن قتادة : « فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم » ، قال : على لخم.(١)

* * *

وقيل : إنهم كانوا من الكنعانيين الذين أمر موسى عليه السلام بقتالهم .

وقـــد : –

١٥٠٥٥ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهرى : أن أبا واقد الليثى قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حنين ، فمررنا بِسدْرة ، (٢)قلت : يانبى الله ، اجعل لنا هذه ذات أنواط كما للكفار ذاتُ أنواط = وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدرة يعكفون حولها(٣) = فقال النبى صلى الله عليه وسلم : الله أكبر ! هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى : « اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة » ، إنكم ستركبون سنن الذين من قبلكم .(٤)

١٥٠٥٦ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا

---

(١) الأثر : ١٥٠٥٤ – « بشر بن عمر بن الحكم بن عقبة الزهرانى الأزدى » ، روى له الجماعة . مضى برقم : ٣٣٧٥ .

و « العباس بن المفضل » ، هكذا فى المخطوطة والمطبوعة ، وأرجح أنه « العباس بن الفضل الأنصارى الواقفى » ، مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٢ /١/ ٢١٢ ، وهو متروك الحديث .

و « أبو العوام » ، هو « عمران بن داور القطان » ، مضى برقم : ٧٥٠٣ .

(٢) « السدرة » ، وواحدتها « سدرة » ، هو شجر النبق .

(٣) « ناط الشىء ينوطه نوطا» ، علقه . و « الأنواط » ما يعلق على الهودج أو غيره ، وهى المعاليق .

(٤) الأثر : ١٥٠٥٥ – خبر أبى واقد الليثى ، فى « ذات أنواط » ، رواه أبو جعفر من أربع طرق ، هذا أولها ، وهو خبر مرسل ، لأن الزهرى لم يسنده . وسيأتى تخريجه فى الذى يليه .

معمر ، عن الزهرى ، عن سنان بن أبى سنان ، عن أبى واقد الليثى قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حنين ، فمررنا بسدرة ، فقلنا ، يا نبى الله ، اجعل لنا هذه ذات أنواط ، فذكر نحوه . (١)

١٥٠٥٧ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحجاج قال ، حدثنا حماد ، عن محمد بن إسحق ، عن الزهرى ، عن سنان بن أبى سنان ، عن أبى واقد الليثى ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نحوه . (٢)

١٥٠٥٨ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا ابن صالح قال ، حدثنى الليث قال ، حدثنى عقيل ، عن ابن شهاب قال ، أخبرنى سنان بن أبى سنان الديلى ، عن أبى واقد الليثى : أنهم خرجوا من مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ، قال : وكان للكفار سدرة يعكفون عندها ، ويعلقون بها أسلحتهم ، يقال لها : « ذات أنواط » ، قال : فمررنا بسدرة خضراء عظيمة ، قال : فقلنا : يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط . قال : قلتم ، والذى نفسى بيده ، ما قال قوم موسى : « اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون » ، إنها السنن ، لتركبن سنن من كان قبلكم . (٣) ٣٢/٩

* * *

(١) الأثر : ١٥٠٥٦ - « سنان بن أبى سنان = الديلى أو الدؤلى = الجدرى » ، تابعى ثقة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١٦٣/٢/٢ ، وابن أبى حاتم ٢٥٢/١/٢ .

وهذا الخبر رواه أحمد فى مسنده ٥ : ٢١٨ من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، بنحوه .

(٢) الأثر : ١٥٠٥٧ - رواه ابن إسحق فى سيرته ٤ : ٨٤ ، عن « أبى واقد الليثى ، الحارث بن مالك قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ، ونحن حديثو عهد بكفر » ، وفى المطبوعة الحلبية « أن الحارث بن مالك » ، بزيادة « أن » ، وهى زيادة فاسدة ، ليست فى سائر النسخ .

(٣) الأثر : ١٥٠٥٨ - « ابن صالح » : هو « عبد الله بن صالح الجهنى المصرى » ، « أبو صالح » ، كاتب الليث بن سعد . وأسقط فى المطبوعة والمخطوطة [حدثنى المثنى قال] ، وأبو جعفر لم يدرك أبا صالح ، وإنما يروى عنه عن طريق « المثنى » ، كما سلف فى إسناده الدائر فى التفسير ، وأقربه : ١٥٠٥٠ : « حدثنا المثنى قال حدثنا عبد الله بن صالح » . وقد رواه البخارى كما سترى عن أبى صالح

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (١٣٩)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قيل موسى لقومه من بنى إسرائيل . يقول تعالى ذكره : قال لهم موسى : إن هؤلاء العُكوف على هذه الأصنام، الله مُهْلِكٌ ما هم فيه من العمل، ومفسده ومخسرهم فيه، بإثابته إياهم عليه العذاب المهين = « وباطل ما كانوا يعملون »، من عبادتهم إياها، فمضمحلّ، لأنه غير نافعهم عند مجيء أمر الله وحلوله بساحتهم ،(١) ولا مدافع عنهم بأسَ الله إذا نزل بهم ، ولا منقذهم من عذابه إذا عذبهم فى القيامة ، فهو فى معنى ما لم يكن .(٢)

* * *

مباشرة ، فلذلك ثبت أنه قد سقط من الإسناد : [حدثنى المثنى] فزدتها ، لذلك . وانظر مثل هذا الإسناد فيما سلف : ٢٣٥٠ .

و « الليث » هو « الليث بن سعد » الإمام .

و « عقيل » ، هو « عقيل بن خالد الأيلى » ، مضى برقم : ١٩ ، ٢٣٥٠ ، ثقة ثبت حجة .

وهذا الخبر رواه أحمد من طريق حجاج ، عن ليث بن سعد ، بنحوه ، ورواه البخارى مختصراً فى تاريخه ١٦٤/٢/٢ قال : « وقال لنا أبو صالح حدثنى الليث ، حدثنى عقيل، عن ابن شهاب ، أخبرنى سنان بن أبى سنان الدؤلى ، ثم الجدرى، عن أبى واقد الليثى ، سمع النبى صلى الله عليه وسلم : لتركبن سنن من قبلكم » .

وزاد أحمد طريقاً أخرى فى مسنده لخبر أبى واقد ، طريق مالك بن أنس، عن الزهرى ، عن سنان ابن أبى سنان (المسند رقم ٥ : ٢١٨) .

ورواه أبو داود الطيالسى فى مسنده : ١٩١ من طريق إبراهيم بن سعد الزهرى، [عن الزهرى] ، عن سنان بن أبى سنان ، نحوه . وفى المسند إسقاط [الزهرى] .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ١١٤ ، وزاد نسبته لابن أبى شيبة ، والنسائى ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، وأبى الشيخ ، وابن مردويه .

و « السنن » (بفتحتين) : نهج الطريق .

(١) فى المطبوعة : « غير نافع » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « الباطل » فيما سلف من فهارس اللغة (بطل) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٠٥٩ - حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل = حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد = قالا جميعاً ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « إن هؤلاء متبر ما هم فيه » ، يقول : مهلك ما هم فيه .

١٥٠٦٠ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « إن هؤلاء متبر ما هم فيه »، يقول : خُسْران .

١٥٠٦١ - حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون » ، قال : هذا كله واحد كهيئة : « غفور رحيم » ، « عفوّ غفور » . قال : والعرب تقول : « إنه البائس لمُتَبَّرٌ » ، و« إنه البائس لَمُخَسَّرٌ » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١٤٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال موسى لقومه : أسِوَى الله ألتمسكم إلهاً ، وأجعل لكم معبوداً تعبدونه ،[1] والله الذى هو خالقكم فضلكم على عالمى دهركم وزمانكم ؟[2] يقول : أفأبغيكم معبوداً لا ينفعكم ولا يضركم تعبدونه ، وتتركون عبادة من فضلكم على الخلق ؟ إن هذا منكم لجهل !

* * *

(١) انظر تفسير « بغى » فيما سلف ١٢ : ٥٥٩ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « العالمين » فيما سلف من فهارس اللغة (علم) .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ (١٤١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لليهود من بنى إسرائيل الذين كانوا بين ظهرانى مهاجَر رسول الله صلى الله عليه وسلم : واذكروا = مع قيلكم هذا الذى قلتموه لموسى بعد رؤيتكم من الآيات والعبر ، وبعد النعم التى سلفت منى إليكم ، والأيادى التى تقدمت= فعلَكم ما فعلتم = « إذ أنجيناكم من آل فرعون »، وهم الذين كانوا على منهاجه وطريقته فى الكفر بالله من قومه[1]= « يسومونكم سوء العذاب » ، يقول : إذ يحملونكم أقبح العذاب وسيئه .[2]

* * *

وقد بينا فيما مضى من كتابنا هذا ما كان العذاب الذى كان يسومهم سيئه .[3]

* * *

= « يقتلون أبناءكم» ، الذكورَ من أولادهم =«ويستحيون نساءكم »، يقول : يستبقون إناثهم[4] = « وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم » ، يقول : وفى سومهم إياكم سوء العذاب ، اختبار من الله لكم ونعمة عظيمة .[5]

* * *

(١) انظر تفسير « الآل » فيما سلف ٢ : ٣/٣٧ : ٢٢٢ ، تعليق ٣/٦ : ٨/٣٢٦ : ٤٨٠

(٢) انظر تفسير « السوم » فيما سلف ٢ : ٤٠ .

(٣) انظر ما سلف ٢ : ٤٠ ، ٤١ .

(٤) انظر تفسير « الاستحياء » فيما سلف ٢ : ٤٦ – ٤٨/ ١٣ : ٤١ .

(٥) انظر تفسير « البلاء » فيما سلف ١٢ : ٢٨٩ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك . وكان فى المطبوعة : « وتعمد عظيم » ، ولا معنى له ، والصواب ما أثبت ، وانظر ما سلف فى تفسير نظيرة هذه الآية ٢ : ٤٨ ، ٤٩ ، فنه استظهرت الصواب .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وواعدنا موسى لمناجاتنا ثلاثين ليلة.(١) وقيل إنها ثلاثون ليلة من ذى القعدة .

=« وأتممناها بعشر » ، يقول : وأتممنا الثلاثين الليلة بعشر ليال تتمة أربعين ليلة.

* * *

وقيل : إن العشر التى أتمها به أربعين ، عشر ذى الحجة .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٠٦٢ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد : « وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر » ، قال : ذو القعدة ، وعشر ذى الحجة . ٩/ ٢٣

١٥٠٦٣ — . . . . قال، حدثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد: « وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر »، قال : ذو القعدة ، وعشر ذى الحجة . فى ذلك اختلفوا .(٢)

١٥٠٦٤ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وواعدنا موسى ثلاثين ليلة »، هو ذو القعدة ، وعشر من ذى الحجة ، فذلك قوله : « فتم ميقات ربه أربعين ليلة » .

١٥٠٦٥ — حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه قال ، زعم حضرمىٌّ أن الثلاثين التى كان واعدَ موسى ربه ، كانت

---

(١) انظر تفسير « المواعدة » فيما سلف ٢ : ٥٨ — ٦٠ ، فى نظيرة هذه الآية .

(٢) الأثر : ١٥٠٦٣ — وضعت النقط ، لأنه اختصار أراد به أن صدر الإسناد هو صدر الإسناد الذى قبله ، وقد مضى مثل ذلك مراراً ولم أشر إليه ، فآثرت منذ الآن ، أن أضع النقط تنبيهاً على ذلك ، فهو رواية سفيان بن وكيع ، عن جرير ، كما مضى مراراً مثل هذا الإسناد .

ذا القعدة ، والعشرَ من ذى الحجة التى تمم الله بها الأربعين .

١٥٠٦٦ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « وواعدنا موسى ثلاثين ليلة » ، قال : ذو القعدة = « وأتممناها بعشر » ، قال : عشر ذى الحجة = قال ابن جريج : قال ابن عباس مثله .

١٥٠٦٧ – حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد قال ، سمعت مجاهداً يقول فى قوله : « وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر » ، قال : ذو القعدة ، والعشر الأول من ذى الحجة .

١٥٠٦٨ – .... قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحق ، عن مسروق : « وأتممناها بعشر » ، قال : عشر الأضحى .

* * *

وأما قوله : « فتم ميقات ربه أربعين ليلة » ، فإنه يعنى : فكمل الوقت الذى واعد الله موسى أربعين ليلة ، وبلغها ،[1] كما :–

١٥٠٦٩ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « فتم ميقات ربه » ، قال : فبلغ ميقات ربه أربعين ليلة .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (١٤٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : لما مضى لموعد ربه قال لأخيه هرون : « اخلفنى فى قومى » ، يقول : كن خليفتى فيهم إلى أن أرجع .

* * *

(١) انظر تفسير « التمام » فيما سلف ٣ : ١٧ ، ١٨ / ٤ : ٧ / ١٢ : ٦٢ .
= وتفسير « الميقات » فيما سلف ٣ : ٥٥٣ – ٥٥٥ .

يقال منه : « خَلَفه يَخْلُفه خِلافة » .[١]

* * *

= « وأصلح » ، يقول : وأصلحهم بحملك إياهم على طاعة الله وعبادته ، كما :—

١٥٠٧٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : « وقال موسى لأخيه هرون اخلفني في قومي وأصلح » ، وكان من إصلاحه أن لا يدع العجل يُعْبد .

* * *

وقوله : « ولا تتبع سبيل المفسدين » ، يقول ولا تسلك طريق الذين يفسدون في الأرض ، بمعصيتهم ربهم ، ومعونتهم أهل المعاصي على عصيانهم ربهم ، ولكن اسلك سبيل المطيعين ربهم .[٢]

* * *

وكانت مواعدة الله موسى عليه السلام بعد أن أهلك فرعون ، ونجّى منه بني إسرائيل ، فيما قال أهل العلم ، كما : —

١٥٠٧١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني الحجاج ، عن ابن جريج قوله : « وواعدنا موسى ثلاثين ليلة » ، الآية ، قال يقول : إن ذلك بعد ما فرغ من فرعون وقبل الطور ، لما نجى الله موسى عليه السلام من البحر وغرّق آل فرعون ، وخلص إلى الأرض الطيبة ، أنزل الله عليهم فيها المنّ والسلوى ، وأمره ربه أن يلقاه ، فلما أراد لقاء ربه ، استخلف هرون على قومه ، وواعدهم أن يأتيهم إلى ثلاثين ليلة ، ميعاداً من قِبَله ، من غير أمر ربه ولا ميعاده . فتوجه ليلتي ربه ، فلما تمت ثلاثون ليلة ، قال عدو الله السامريُّ : ليس يأتيكم موسى ، وما يصلحكم إلاّ إله تعبدونه ! فناشدهم هرون وقال : لا تفعلوا ، انظروا ليلتكم هذه ويومكم هذا ، فإن جاء وإلا فعلتم ما بدا لكم ! فقالوا : نعم ! فلما أصبحوا

---

(١) انظر تفسير « الخلافة » فيما سلف ١٢ : ٥٤٠ ، ٥٤١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « اتبع » و « الفساد » فيما سلف من فهارس اللغة (تبع) (فسد) .

من غد ولم يروا موسى ، عاد السامرى لمثل قوله بالأمس . قال : وأحدث الله الأجل بعد الأجل الذى جعله نبيهم عشرًا ،[1] فتم ميقات ربه أربعين ليلة ، فعاد هرون فناشدهم إلا ما نظروا يومهم ذلك أيضاً، فإن جاء وإلا فعلتم ما بدا لكم ! ثم عاد السامرى الثالثة لمثل قوله لهم ، وعاد هرون فناشدهم أن ينتظروا ، فلما لم يروا . . . . . .

. . . . . .

. . . . . .[2]

١٥٠٧٢ – قال القاسم ، قال الحسين ، حدثنى حجاج قال ، حدثنى أبو بكر بن عبد الله الهذلىّ قال : قام السامرى إلى هرون حين انطلق موسى فقال : يا نبى الله ، إنا استعرنا يوم خرجنا من القبط حليًّا كثيراً من زينتهم، وإن ٣٤/٩
الجند الذين معك قد أسرعوا فى الحلى يبيعونه وينفقونه،[3] وإنما كان عارية من آل فرعون ، فليسوا بأحياء فنردّها عليهم ، ولا ندرى لعل أخاك نبىّ الله موسى إذا جاء يكون له فيها رأى ، إما يقرّبها قرباناً فتأكلها النار ، وإما يجعلها للفقراء دون الأغنياء ! فقال له هرون : نِعْمَ ما رأيت وما قلت ! فأمر منادياً فنادى : من كان عنده شىء من حلىّ آل فرعون فليأتنا به ! فأتوه به ، فقال هرون : يا سامرى ، أنت أحق من كانت عنده هذه الخزانة ! فقبضها السامرى ، وكان عدو الله الخبيث صائغاً، فصاغ منه عجلاً جسداً ، ثم قذف فى جوفه تُرْبة من القبضة التى قبض من أثر فرس جبريل عليه السلام إذ رآه فى البحر ، فجعل

---

(١) فى المطبوعة : « بينهم عشرا » ، وفى المخطوطة غير منقوطة ، وهذا صوابها .

(٢) الأثر ١٥٠٧١ – هذا خبر لم يتم كما ترى ، ولم أجده فى مكان آخر . وسبب ذلك أن قوله « فلما لم يروه » هو فى المخطوطة فى آخر الصفحة اليسرى ، ثم بدأ بعدها : « قال القاسم » ، فظاهر أن الناسخ عجل ، فأسقط من الخبر تمامه ، لما قلب الصفحة ، وبدأ الخبر التالى بعده .

(٣) فى المطبوعة : « وإن الذين معك » ، حذف « الجند » ، لأنها غير منقوطة ، فلم يحسن قراءتها .

يخور ، ولم يخر إلا مرة واحدة ، وقال لبنى إسرائيل : إنما تخلف موسى بعد الثلاثين الليلة يلتمس هذا ! ﴿ هذا إِلَٰهُكُمْ وإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴾ [سورة طه : ٨٨]. يقول : إن موسى عليه السلام نسى ربَّه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولما جاء موسى للوقت الذى وعدنا أن يلقانا فيه[1] = « وكلمه ربه » ، وناجاه = « قال » موسى لربه = « أرنى أنظر إليك » ، قال الله له مجيباً : « لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل » .

* * *

وكان سبب مسألة موسى ربه النظرَ إليه ، ما :—

١٥٠٧٣ — حدثنى به موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : إن موسى عليه السلام لما كلمه ربه ، أحب أن ينظر إليه = قال : « رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى » ، فحفَّ حول الجبل [بملائكة] ،[2] وحفَّ حول الملائكة بنار ، وحفّ حول النار بملائكة ، وحفّ حول الملائكة بنار ، ثم تجلى ربه للجبل .

١٥٠٧٤ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن

---

(١) انظر تفسير « الميقات » فيما سلف قريباً ص : ٨٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) هذه الزيادة بين القوسين يقتضيها السياق .

أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله ﴿ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾ [سورة مريم: ٥٢] ، قال : حدثني من لقي أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرّبه الربّ حتى سمع صَرِيف القلم ،[1] فقال عند ذلك من الشوق إليه : « رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل » .

١٥٠٧٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن أبي بكر الهذلي قال : لما تخلف موسى عليه السلام بعد الثلاثين حتى سمع كلام الله ، اشتاق إلى النظر إليه فقال : ربّ أرني أنظر إليك ! قال : لن تراني ، وليس لبشر أن يطيق أن ينظر إليّ في الدنيا ، من نظر إليّ مات ! قال : إلهي ، سمعت منطقك ، واشتقت إلى النظر إليك ، ولأن أنظر إليك ثم أموتُ ، أحب إليّ من أن أعيش ولا أراك ! قال : فانظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني .

١٥٠٧٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله قال، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « أرني أنظر إليك » : قال : أعطني .

١٥٠٧٧ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : استخلف موسى هرون على بني إسرائيل وقال : إني متعجل إلى ربي ، فاخلفني في قومي ولا تتبع سبيل المفسدين . فخرج موسى إلى ربه متعجلاً للقيّه شوقاً إليه ، وأقام هرون في بني إسرائيل ومعه السامري يسير بهم على أثر موسى ليلحقهم به . فلما كلم الله موسى ، طمع في رؤيته ، فسأل ربه أن ينظر إليه، فقال الله لموسى : إنك لن تراني ، « ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني » الآية . قال ابن إسحق : فهذا ما وصل إلينا في كتاب الله عن خبر موسى لما طلب النظر إلى ربه ، وأهل الكتاب يزعمونَ وأهلُ التوراة : أنْ قد كان لذلك تفسير وقصة وأمور كثيرة ، ومراجعة لم تأتنا في كتاب الله ، والله أعلم .

= قال ابن إسحق : عن بعض أهل العلم الأوّل بأحاديث أهل الكتاب ، أنهم

---

(١) « صريف القلم والباب والناب » ، ونحوها : وهو مثل «الصرير» ، وهو صوت ممتد حاد .

يجدون فى تفسير ما عندهم من خبر موسى حين طلب ذلك إلى ربه ، أنه كان من كلامه إياه حين طمع فى رؤيته ، وطلب ذلك منه ، وردّ عليه ربه منه ما ردّ : أن موسى كان تطهّر وطهّر ثيابه ، وصام للقاء ربه. فلما أتى طور سيناء ، ودنا الله له فى الغمام فكلّمه ، سبحه وحمّده وكبره وقدّسه ، مع تضرع وبكاء حزين ، ثم أخذ فى مِدْحته فقال : ربّ ما أعظمك وأعظم شأنك كله ! من عظمتك أنه لم يكن شىء من قبلك ، فأنت الواحد القهار ، كأن عرشك تحت عظمتك ناراً توقد لك ، وجعلت سرادقاً [من نور] من دونه سرادق من نور ، [1] فما أعظمك ربّ وأعظم ملكك ! جعلت بينك وبين ملائكتك مسيرة خمسمئة عام. فما أعظمك رب وأعظم ملكك فى سلطانك ! وإذا أردت شيئاً تقضيه فى جنودك الذين فى السماء أو الذين فى الأرض ، وجنودك الذين فى البحر ، بعثت الروح من عندك لا يراها شىء من خلقك ، إلاّ أنت إن شئت ، [2] فدخلت فى جوف من شئت من أنبيائك ، فبلغوا من أردت من عبادك . [3] وليس أحد من ملائكتك يستطيع شيئاً من عظمتك ولا من عرشك ولا يسمع صوتك ، فقد أنعمت علىّ وأعظمت علىّ فى الفضل ، وأحسنت إلىّ كلّ الإحسان ! عظمتنى فى أمم الأرض ، وعظمتنى عند ملائكتك ، وأسمعتنى صوتك ، وبذلت لى كلامك ، وآتيتنى حكمتك ، فإن أعدّ نعماك لا أحصيها ، وإن أُرِد شكرك لا أستطيعه . [4] دعوتك ، ربّ ، على

٩/ ٣٥

---

(١) الزيادة بين القوسين مما يقتضيه السياق .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « بعثت الريح » ، ولا أشك أن الصواب ما أثبت ، ويعنى بذلك ما قال الله سبحانه فى « سورة غافر » : ١٥ :

﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾ .

(٣) فى المطبوعة : « لما أردت من عبادك » ، وفى المخطوطة : « ما أردت » ، والصواب ما أثبت .

(٤) فى المطبوعة : « وإن أردت شكرك لا أستطيعها » ، وفى المخطوطة : « وإن أرد شكرك لا أستطيعها » ، والصواب ما أثبت .

فرعون بالآيات العظام والعقوبة الشديدة ، فضربت بعصاى التى فى يدى البحر فانفلق لى ولمن معى ! ودعوتك حين أجزتُ البحر ، (١) فأغرقت عدوك وعدوّى . وسألتك الماء لى ولأمتى ، فضربت بعصاى التى فى يدى الحجر ، فمنه أرويتنى وأمتى . وسألتك لأمتى طعاماً لم يأكله أحد كان قبلهم ، فأمرتنى أن أدعوك من قبل المشرق ومن قبل المغرب ، فناديتك من شرقى أمتى فأعطيتهم المن من مشرق لنفسى ، (٢) وآتيتهم السلوى من غربيهم من قبل البحر . واشتكيت الحر فناديتك ، فظللت عليهم بالغمام . فما أطيق نعماك على أن أعدّها ولا أحصيها ، وإن أردت شكرها لا أستطيعه . (٣) فجئتك اليوم راغباً طالباً سائلاً متضرعاً ، لتعطينى ما منعت غيرى . أطلب إليك وأسألك ياذا العظمة والعزة والسلطان ، أن ترينى أنظر إليك ، فإنى قد أحببت أن أرى وجهك الذى لم يره شىء من خلقك ! قال له رب العزة : ألا ترى يا ابن عمران ما تقول ؟ (٤) تكلمت بكلام هو أعظم من سائر الخلق ! لا يرانى أحد فيحيى ، [ليس فى السموات معمرى ، فإنهن قد ضعفن أن يحملن عظمتى وليس فى الأرض معمرى ، فإنها قد ضعفت أن تسع بجندى] . (٥) فلستُ فى مكان واحد ، فأتجلى لعين تنظر إلىّ . قال موسى : يا رب ، أن أراك وأموت ، أحب إلىّ من أن لا أراك وأحيى . قال له رب العزة : يا ابن عمران ، تكلمتَ بكلام هو أعظم من سائر الخلق ، لا يرانى أحد فيحيى ! قال : رب تمم على نعماك ، وتمم علىّ فضلك ، وتمم علىّ إحسانك ، بهذا الذى سألتك ، (٦) ليس لى أن أراك

(١) فى المطبوعة : « جزت » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب أيضاً .

(٢) فى المطبوعة : « مشرق لنفسى » ، وهذه جملة مضطربة لا أدرى ما صوابها .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « لا أستطيعها » ، والصواب ما أثبت .

(٤) فى المطبوعة : « فلا ترى » وأثبت ما فى المخطوطة .

(٥) هذه العبارة التى بين القوسين ، لم أدر ما هى ، قد جاءت فى المخطوطة هكذا : « فى السماء معمرى . . . » ، وسائر الجملة كما فى المطبوعة . وأنا فى شك من ألفاظها ، ولم أستطع أن أهتدى إلى تحريفها ، فوضعتها بين القوسين . والخبر كله مضطرب اللفظ ، ولم أجده فى مكان آخر . فلذلك تركته كما هو ، إلا أن يكون خطأ ظاهراً .

(٦) فى المطبوعة : « هذا الذى سألتك » ، وأثبت ما فى المخطوطة . وكذلك كانت فى المطبوعة فى الجملة التالية .

فأقبض ، ولكن أحب أن أراك فيطمئن قلبي . قال له : يا ابن عمران ، لن يرانى أحد فيحيى ! قال موسى : رب تمم علىّ نعماك ، وتمم علىّ فضلك ، وتمم على إحسانك بهذا الذى سألتك ، فأموت على إثر ذلك ، (١) أحب إلى من الحياة ! فقال الرحمن المترحّم على خلقه : قد طلبت يا موسى [وحسب] ، لأعطينّك سؤلك ، (٢) إن استطعت أن تنظر إلىّ ، فاذهب فاتخذ لوحين ، ثم انظر إلى الحجر الأكبر فى رأس الجبل ، فإن ما وراءه وما دونه مضيق لا يسع إلا مجلسك يا ابن عمران . ثم انظر فإنى أهبط إليك وجنودى من قليل وكثير ، ففعل موسى كما أمره ربه ، نحت لوحين ثم صعد بهما إلى الجبل ، فجلس على الحجر ، فلما استوى عليه أمر الله جنوده الذين فى السماء الدنيا فقال : ضعى أكتافك حول الجبل . فسمعت ما قال الرب ، ففعلت أمره . ثم أرسل الله الصواعق والظلمة والضباب على ما كان يلى الجبل الذى يلى موسى ، أربعة فراسخ من كل ناحية ، ثم أمر الله ملائكة الدنيا أن يمرّوا بموسى ، فاعترضوا عليه ، فمروا به طيرانَ النُّغَر ، (٣) تنبع أفواههم بالتقديس والتسبيح بأصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد ، فقال موسى بن عمران عليه السلام : رب ، إنى كنت عن هذا غنيًّا ، ما ترى عيناى شيئاً ، قد ذهب بصرهما من شعاع النور المتصفّف على ملائكة ربى ! ثم أمر الله ملائكة السماء الثانية : أن اهبطوا على موسى ، فاعترضوا عليه ! فهبطوا أمثال الأسد لهم لَجَبٌ بالتسبيح والتقديس ، (٤) فنزع العبد الضعيف ابن عمران مما رأى ومما سمع ، فاقشعرّت كل شعرة فى رأسه وجلده ، ثم قال : ندمت على مسألتى إياك ، فهل ينجينى من مكانى الذى أنا فيه شىء ؟

٩/ ٣٦

---

(١) فى المطبوعة : « هذا الذى سألتك . ليس لى أن أراك ، فأموت » ، زادها قياساً على السالف قبلها ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) هذه الكلمة بين القوسين ، هكذا هى فى المخطوطة ، ولا أدرى ما قراءتها . وأما فى المطبوعة ، فقد حذفها ، وغير ما بعدها وكتب : « وأعطيتك » . مكان « لأعطينك »

(٣) « النغر » (بضم ففتح) : ضرب من الطير حمر المناقير وأصول الأحناك ، يقال : هو البلبل عند أهل المدينة .

(٤) « اللجب » (بفتحتين) : ارتفاع الأصوات واختلاطها .

فقال له كبير الملائكة ورأسهم[١]: يا موسى ، اصبر لما سألت ، فقليل من كثير ما رأيت ! ثم أمر الله ملائكة السماء الثالثة : أن اهبطوا على موسى ، فاعترضوا عليه ! فأقبلوا أمثال النسور لهم قَصْفٌ ورَجْفٌ ولجبٌ شديد،[٢] وأفواههم تنبع بالتسبيح والتقديس ، كلجَب الجيش العظيم ، كلهب النار .[٣] ففزع موسى وأسِيَتْ نفسه ، وساء ظنه ،[٤] وأيِسَ من الحياة ، فقال له كبير الملائكة ورأسهم : مكانك يا ابن عمران ، حتى ترى ما لا تصبر عليه ! ثم أمر الله ملائكة السماء الرابعة : أن اهبطوا فاعترضوا على موسى بن عمران ! فأقبلوا وهبطوا عليه ، لا يشبههم شيء من الذين مرُّوا به قبلهم ، ألوانهم كلهب النار ، وسائر خلقهم كالثلج الأبيض ، أصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس ، لا يقاربهم شيء من أصوات الذين مروا به قبلهم . فاصطكّت ركبتاه ، وأرعد قلبه ، واشتد بكاؤه ، فقال كبير الملائكة ورأسهم : يا ابن عمران ، اصبر لما سألت ، فقليل من كثيرٍ ما رأيت ! ثم أمر الله ملائكة السماء الخامسة : أن هبطوا فاعترضوا على موسى ! فهبطوا عليه سبعةَ ألوان ، فلم يستطع موسى أن يُتبعهم طرفه ، ولم ير مثلهم ، ولم يسمع مثل أصواتهم ، وامتلأ جوفه خوفاً ، واشتد حزنه وكثر بكاؤه ، فقال له كبير الملائكة ورأسهم : يا ابن عمران ، مكانك حتى ترى ما لا تصبر عليه ! ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة : أن اهبطوا على عبدى الذى طلب أن يرانى موسى بن عمران ، واعترضوا

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « خير الملائكة » ، وكأن الصواب « كبير الملائكة » ، كما أثبتها ، وقد جاءت « خير الملائكة » فى جميع المواضع الآتية ، إلا الأخير منها فقد كتبت على الصواب : « كبير » .

(٢) فى المطبوعة : « نخف » ، وفى المخطوطة : « دصف » ، غير منقوطة ، وصواب قراءتها ما أثبت . و « القصف » و « القصيف » صوت الرعد وما أشبهه .

(٣) فى المطبوعة : « أو كلهب » بزيادة « أو » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٤) فى المطبوعة : « وأيست نفسه ، وأساء ظنه » ، وأثبت ما فى المخطوطة وهو الصواب . يقال : « أسيت نفسه » أى : حزنت . وانظر تفسير «ساء ظنه» فيما سلف ٣ : ٥٨٥ ، تعليق : ١ ، ومعناه : خامرته الظنون السيئة .

عليه ! فهبطوا عليه ، في يد كل ملك مثل النخلة الطويلة ناراً أشد ضوءاً من الشمس ، ولباسهم كلهب النار ، إذا سبحوا وقدسوا جاوبهم من كان قبلهم من ملائكة السموات كلهم يقولون بشدة أصواتهم : « سبوح قدوس ، رب العزة أبداً لا يموت » ، في رأس كل ملك منهم أربعة أوجه ، فلما رآهم موسى رفع صوته يسبح معهم حين سبحوا وهو يبكي ويقول : « رب اذكرني ولا تنس عبدك ، لا أدري أأنفاتُ مما أنا فيه أم لا ، إن خرجت أحرقت ، وإن مكثت مت » ! فقال له كبير الملائكة ورئيسهم[1] : قد أوشكت يا ابن عمران أن يمتلىء جوفك ، وينخلع قلبك ، ويشتد بكاؤك ، فاصبر للذي جلست لتنظر إليه يا ابن عمران ! وكان جبل موسى جبلاً عظيماً ، فأمر الله أن يحمل عرشه ، ثم قال : مرُّوا بي على عبدي ليراني ، فقليل من كثيرٍ ما رأى ! فانفرج الجبل من عظمة الرب ، وغشّى ضوء عرش الرحمن جبل موسى ، ورفعت ملائكة السموات أصواتها جميعاً ، فارتجّ الجبل فاندكّ وكل شجرة كانت فيه ، وخرّ العبد الضعيفُ موسى بن عمران صعقاً على وجهه ، ليس معه روحه ، فأرسل الله الحياة برحمته ، فتغشاه الروح برحمته ،[2] وقلب الحجر الذي كان عليه وجعله كالمعدة كهيئة القبة ،[3] لئلا يحترق موسى . فأقامه الروح ، مثل الأم أقامت جنينها حين يصرع . قال : فقام موسى يسبح الله ويقول : آمنت أنك ربي ، وصدقت أنه لا يراك أحد فيحيي ، ومن نظر إلى ملائكك انخلع قلبه ، فما أعظمك ربّ ، وأعظم ملائكتك ، أنت رب الأرباب وإله الآلهة وملك الملوك ، ٣٧/٩
تأمر الجنود الذين عندك فيطيعونك وتأمر السماء وما فيها فتطيعك ، لا تستنكف من ذلك ، ولا يعد لك شيء ، ولا يقوم لك شيء ، رب تبت إليك ، الحمد لله الذي لا شريك له ، ما أعظمك وأجلّك ربَّ العالمين !

* * *

(١) انظر التعليق السالف ص : ٩٥ ، تعليق : ١ .
(٢) في المطبوعة أسقط « الروح » من الجملة .
(٣) هكذا في المخطوطة والمطبوعة : « كالمعدة » ، ولا أدري أيصح هذا أم لا ؟

القول فى تأويل قوله ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فلما اطّلع الرب للجبل ، جعل الله الجبل دكًّا ، أى : مستوياً بالأرض = « وخر موسى صعقاً » ، أى : مغشيًّا عليه .(١)

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٠٧٨ — حدثنى الحسين بن محمد بن عمرو العنقزى قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قول الله : « فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًّا » ، قال : ما تجلى منه إلاّ قدر الخنصر = « جعله دكًّا » ، قال : تراباً = « وخر موسى صعقاً » ، قال : مغشيًّا عليه .

١٥٠٧٩ — حدثنا موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط قال : زعم السدى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال : تجلى منه مثل الخنصر ، فجعل الجبل دكًّا وخر موسى صعقاً ، فلم يزل صعقاً ما شاء الله .

١٥٠٨٠ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وخر موسى صعقاً » ، قال : مغشيًّا عليه .

١٥٠٨١ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًّا » ، قال : انقعر بعضه على بعض = « وخر موسى صعقاً » ، أى : ميتاً .

١٥٠٨٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « وخر موسى صعقاً » ، أى : ميتاً .

---

(١) انظر تفسير « الصعقة » فيما سلف ٢ : ٨٣ ، ٨٤ / ٩ : ٣٥٩ .

١٥٠٨٣ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة فى قوله : « دكًّا » ، قال : دك بعضه بعضاً .

١٥٠٨٤ – حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك قال: سمعت سفيان يقول فى قوله : « فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًّا » ، قال: ساخ الجبل فى الأرض ، حتى وقع فى البحر فهو يذهب معه .

١٥٠٨٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين، عن حجاج، عن أبى بكر الهذلى : « فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًّا » ، انقعر فدخل تحت الأرض، فلا يظهر إلى يوم القيامة .

١٥٠٨٦ – حدثنا أحمد بن سهيل الواسطى قال ، حدثنا قرة بن عيسى قال ، حدثنا الأعمش ، عن رجل ، عن أنس ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لما تجلى ربه للجبل ، أشار بإصبعه ، فجعله دكًّا = وأرانا أبو إسمعيل بإصبعه السبابة .[1]

١٥٠٨٧ – حدثنى المثنى قال، حدثنى الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا حماد ، عن ثابت ، عن أنس : أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية : « فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًّا »، قال هكذا بإصبعه ،[2] =ووضع النبى صلى الله عليه وسلم الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر= فساخ الجبل .[3]

---

(١) الأثر : ١٥٠٨٦ – « أحمد بن سهيل الواسطى » ، شيخ الطبرى ، لم أجد له ترجمة .
و « قرة بن عيسى » ، لم أجد له ترجمة ولا ذكراً .
وهذا الخبر ذكره ابن كثير فى تفسيره نقلا عن هذا الموضع ، ولم يزد على أن قال : « هذا الإسناد فيه رجل مبهم لم يسم » .

(٢) « قال » هنا بمعنى : أشار .

(٣) الأثر : ١٥٠٨٧ – « حماد » ، هو « حماد بن سلمة » ، مضى مراراً .
و«ثابت» هو « ثابت بن أسلم البنانى » ، ثقة ، روى له الجماعة : مضى برقم : ٢٩٤٢ ، ٧٠٣٠ .
وهو إسناد رجالة ثقات .

١٥٠٨٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا هدبة بن خالد قال ، حدثنا حماد ابن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًّا »، قال : وضع الإبهام قريباً من طرف خنصره ، قال : فساخ الجبل = فقال حميد لثابت : تقول هذا ؟ قال : فرفع ثابت يده فضرب صدر حُمَيْد، وقال: يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقوله أنس، وأنا أكتمه ! (١)

١٥٠٨٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه ، عن الربيع : « فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًّا وخرّ موسى صعقاً »، وذلك أن الجبل حين كُشِف الغطاء ورأى النور ، صارَ مثل دكّ من الدكّات. (٢)

وهذا الخبر رواه الترمذي في تفسير الآية ، من طريق سليمان بن حرب ، عن حماد ، ثم قال : « هذا حديث صحيح غريب ، لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة » .

وذكره ابن كثير في تفسيره ٣ : ٥٤٦ ، عن هذا الموضع من تفسير الطبري ، ولكنه كتب إسناده هكذا : « حدثنا حماد ، عن ليث ، عن أنس » ثم قال : « هكذا وقع في هذه الرواية : حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن ليث ، عن أنس » وليس ذلك كما نقل ، فان الثابت في المخطوطة والمطبوعة ، « حماد ، عن ثابت ، عن أنس » ، ليس فيها « ليث » ، فلا أدري كيف وقع هذا للحافظ ابن كثير ، ولا من أين ؟ .

وانظر تخريج الأثر التالي .

(١) الأثر : ١٥٠٨٨ – هو مطول الأثر السالف . وقد رواه ابن كثير في تفسيره ٣ : ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ثم قال : « وهكذا رواه الإمام أحمد في مسنده : حدثنا أبو المثنى ، معاذ ابن معاذ العنبري ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا ثابت البناني ، عن أنس بن مالك » ثم ذكر الخبر بنحوه . ثم قال : « وهكذا رواه الترمذي في تفسير هذه الآية ، عن عبد الوهاب بن الحكم الوراق ، عن معاذ بن معاذ » .

ورواه الحاكم في المستدرك ٢ : ٣٢٠ ، من طريق عفان بن مسلم ، عن حماد بن سلمة ، وعن طريق سليمان بن حرب ، عن حماد ، بنحو حديث هدبة بن خالد ، عن حماد ، ثم قال : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم » ، ووافقه الذهبي .

وقال ابن كثير : « وهذا إسناد صحيح له علة فيه » . بعد أن ذكر خبر أبي جعفر .

و « حميد » المذكور في هذا الخبر ، هو « حميد الطويل » .

(٢) لعل صواب من « الدكاوات » ، كما سيأتي في ص : ١٠١ ، تعليق : ١ .

١٥٠٩٠ – حدثنا الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو معد ، عن مجاهد : « ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه » ، فإنه أكبر منك وأشد خلقاً = « فلما تجلى ربه للجبل » ، فنظر إلى الجبل لا يتمالك ، وأقبل الجبل يندك على أوله.(١)

٣٨/٩ فلما رأى موسى ما يصنع الجبل ، خرّ صعقاً .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : ﴿ دَكًّا ﴾ .

فقرأته عامة قرأة أهل المدينة والبصرة : « دكًّا » ، مقصوراً بالتنوين بمعنى : « دكّ الله الجبل دكًّا » أى : فتته ، واعتباراً بقول الله : ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ ، [سورة الفجر : ٢١] . وقوله : ﴿ وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾ [سورة الحاقة : ١٤] ، واستشهد بعضهم على ذلك بقول حميد :(٢)

يَدُكُّ أَرْكَانَ الجِبَالِ هَزَمُهْ تَخْطِرُ بِالبِيضِ الرِّقَاقِ بُهَمُهْ(٣)

* * *

وقرأته عامة قرأة الكوفيين : ﴿ جَعَلَهُ دَكَّاءَ ﴾ ، بالمد وترك الجر والتنوين ، مثل

---

(١) هكذا فى المطبوعة : وفى المخطوطة : « على أداله » أيضاً ، ولكن بشدة على اللام ، فكأنها تقرأ : « على أذله » ، وهى أوضح معنى من التى فى المطبوعة . يعنى أنه ذل أشد ذل فاندك .

(٢) حميد ، هو حميد الأرقط .

(٣) لم أجد البيتين فى مكان ، وفى تاريخ الطبرى ٧ : ٤١ ، أبيات من رجز ، كأن هذا الذى هنا من تمامها .

وكان فى المطبوعة هنا : « هدمه » ، والصواب ما أثبت ، والمخطوطة غير منقطوطة ، وكأنها هناك راء مهملة لا دال . و « الهزم » » (بفتحتين) و « الهزيم » هو صوت الرعد الذى يشبه التكسر ، ومثله قول رؤبة فى صفة جيش لجب :

* يُرْجِفُ أَنْضَادَ الجِبَالِ هَزَمَهُ *

و « تخطر » أى تمشى متمايلة ، تهز سيوفها معجبة مدلة بقوتها وبأسها و « البهم » جمع « بهمة » (بضم فسكون) : وهو الفارس الشجاع الذى لا يدرى من أين يؤتى له ، ولا من أن يدخل عليه مقاتله ، من شدة بأسه ويقظته . و « البيض الرقاق » : السيوف الرقيقة من حسن صقلها .

« حمراء » ، و« سوداء » . وكان ممن يقرأه كذلك ، عكرمة ، ويقول فيه ما : —

١٥٠٩١ — حدثني به أحمد بن يوسف قال، حدثنا القاسم بن سلام قال ، حدثنا عباد بن عباد ، عن يزيد بن حازم ، عن عكرمة قال : « دكّاء من الدكّاوات» . وقال: لما نظر الله تبارك وتعالى إلى الجبل صار صَحراء تراباً . (١)

* * *

واختلف أهل العربية فى معناه إذا قرئ كذلك .

فقال بعض نحويي البصرة: العرب تقول: « ناقة دكّاء»، ليس لها سنام . وقال: « الجبل » مذكر ،فلا يشبه أن يكون منه ، إلا أن يكون جعله : « مثل دكاء »، حذف«مثل»، وأجراه مجرى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [سورة يوسف: ٨٢] .

* * *

وكان بعض نحويي الكوفة يقول : معنى ذلك : جعل الجبل أرضاً دكاء ، ثم حذفت « الأرض » ، وأقيمت « الدكاء » مقامها ، إذ أدّت عنها .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب عندى، قراءةُ من قرأ : ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾، بالمد وترك الجر ، لدلالة الخبر الذى رويناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على صحته . وذلك أنه روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « فساخ الجبل » ، (٢) ولم يقل : « فتفتت » ولا « تحول تراباً » . ولا شك أنه إذا ساخ فذهب ، ظهرَ وجهُ الأرض، فصار بمنزلة الناقة التى قد ذهب سنامها، وصارت

---

(١) الأثر : ١٥٠٩١ — « عباد بن عباد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدى » ، ثقة، روى له الجماعة . مترجم فى التهذيب ، وابن أبي حاتم ٣ /١/٨٢ .

و « يزيد بن حازم بن زيد الأزدى الجهضمى » ، وثقه أحمد وابن معين ، وهو أخو « جرير ابن حازم » ، أكبر منه . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/٢/٣٢٥ ، وابن أبي حاتم ٤/٢/٢٥٧ .

وقوله : « دكاء من الدكاوات » ، « الدكاوات » جمع « دكاء » ، وهى الرابية من الطين ليست غليظة ، وأجروه مجرى الأسماء ، لغلبته ، كقولهم : « ليس فى الخضراوات صدقة » .

وكان فى المطبوعة : « صار صخرة تراباً » ، وفى المخطوطة : « صار صحرا ترابا » ، وهذا صواب قراءتها .

(٢) يعنى فى الأثرين رقم : ١٥٠٨٧ ، ١٥٠٨٨ .

دكاء بلا سنام . وأما إذا دك بعضه ، فإنما يكسر بعضه بعضاً ويتفتت ولا يتسوخ .

وأما « الدكاء» فإنها خَلَفٌ من « الأرض »، فلذلك أنثت،[1] على ما قد بينت .

* * *

فمعنى الكلام إذاً : فلما تجلى ربه للجبل ساخ ، فجعل مكانه أرضاً دكاء .

* * *

وقد بينا معنى « الصعق » بشواهده فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٤٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فلما ثاب إلى موسى عليه السلام فهمه من غشيته ، وذلك هو الإفاقة من الصعقة التى خرّ لها موسى صلى الله عليه وسلم = « قال سبحانك »، تنزيهاً لك، يا رب ، وتبرئةً أن يراك أحد فى الدنيا ،[3] ثم يعيش = « تبت إليك »، من مسألتى إياك ما سألتك من الرؤية = « وأنا أوّل المؤمنين »، بك من قومى ، أن لا يراك فى الدنيا أحد إلا هلك .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

• ذكر من قال ذلك :

١٥٠٩٢ ــ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبد الله بن موسى ، عن أبى

---

(١) فى المطبوعة : « فلذلك أتت » ، وفى المخطوطة : « فلذلك أتيت » ، وصواب ذلك ما أثبت .

(٢) انظر تفسير « الصعق » فيما سلف ٢ : ٨٣ ، ٨٤ / ٩ : ٣٥٩ .

(٣) انظر تفسير « سبحان » فيما سلف ١٢ : ١٠، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية فى قوله : « تبت إليك وأنا أوّل المؤمنين » ، قال : كان قبله مؤمنون ، ولكن يقول : أنا أوّل من آمن بأنه لا يراك أحد من خلقك إلى يوم القيامة .

١٥٠٩٣ -- حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : لما رأى موسى ذلك وأفاق ، عرف أنه قد سأل أمرًا لا ينبغى له ، فقال : « سبحانك تبت إليك وأنا أوّل المؤمنين » ، قال أبو العالية : عنى : إنى أوّل من آمن بك أنه لن يراك أحدٌ قبل يوم القيامة .

١٥٠٩٤ -- حدثنى عبد الكريم بن الهيثم قال، حدثنا إبراهيم بن بشار قال ، قال سفيان ، قال أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « وخر موسى صعقاً »، فمرّت به الملائكة وقد صعق، فقالت : يا ابن النساء الحيّض، لقد سألت ربك أمرًا عظيماً ! فلما أفاق قال : سبحانك لا إله إلا أنت تبت إليك وأنا أوّل المؤمنين ! قال : أنا أوّل من آمن أنه لا يراك أحدٌ من خلقك = يعنى : فى الدنيا .

١٥٠٩٥ -- حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين» ، يقول : أنا أوّل من يؤمن أنه لا يراك شىء من خلقك . ٣٩/٩

١٥٠٩٦ -- حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد : « سبحانك تبت إليك »، قال : من مسألتى الرؤية .

١٥٠٩٧ -- حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا أبو سعد ، عن مجاهد : « قال سبحانك تبت إليك » ، أن أسألك الرؤية .

١٥٠٩٨ -- حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو نعيم ، عن سفيان ، عن عيسى بن ميمون ، عن رجل ، عن مجاهد : « سبحانك تبت إليك » ، أن أسألك الرؤية .

١٥٠٩٩ -- حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا

ابن عيينة ، عن عيسى بن ميمون ، عن مجاهد فى قوله : « سبحانك تبت إليك » ، قال : تبت إليك من أن أسألك الرؤية .

* * *

وقال آخرون : معناه : قوله : وأنا أول المؤمنين بك من بنى إسرائيل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥١٠٠ ــ حدثنى الحسين بن عمرو بن محمد العنقزى قال ، حدثنا أبى قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « وأنا أول المؤمنين » ، قال : أول من آمن بك من بنى إسرائيل .

١٥١٠١ ــ حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « وأنا أول المؤمنين » ، يعنى : أول المؤمنين من بنى إسرائيل .

١٥١٠٢ ــ حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « وأنا أول المؤمنين » ، أنا أول قومى إيماناً .

١٥١٠٣ ــ حدثنا ابن وكيع والمثنى قالا ، حدثنا أبو نعيم ، عن سفيان ، عن عيسى بن ميمون ، عن رجل ، عن مجاهد : « وأنا أول المؤمنين » ، يقول : أول قومى إيماناً .

١٥١٠٤ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وأنا أول المؤمنين » ، قال : أنا أول قومى إيماناً .

١٥١٠٥ ــ حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد قال ، سمعت مجاهداً يقول فى قوله : « وأنا أول المؤمنين » ، قال : أول قومى آمن .

* * *

قال أبو جعفر : وإنما اخترنا القول الذى اخترناه فى قوله : « وأنا أول المؤمنين » ،

على قول من قال: معناه : أنا أول المؤمنين من بنى إسرائيل = لأنه قد كان قبله فى بنى إسرائيل مؤمنون وأنبياء، منهم ولدُ إسرائيل لصُلْبه ، وكانوا مؤمنين وأنبياء . فلذلك اخترنا القول الذى قلناه قبل .

• • •

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ (١٤٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره، قال الله لموسى : يا موسى : « إنى اصطفيتك على الناس »، يقول : اخترتك على الناس [١]=« برسالاتى » إلى خلقى ، أرسلتك بها إليهم = « وبكلامى » ، كلمتك وناجيتك دون غيرك من خلقى = « فخذ ما آتيتك » يقول: فخذ ما أعطيتك من أمرى ونهيى وتمسك به، واعمل به [. . .] [٢] = « وكن من الشاكرين »، لله على ما آتاك من رسالته، وخصك به من النجوى ، [٣] بطاعته فى أمره ونهيه ، والمسارعة إلى رضاه .

• • •

---

(١) انظر تفسير « الاصطفاء » فيما سلف ٣ : ٩١ ، ٩٦ /٥ : ٦/٣١٢ : ٣٢٦ ، ٣٩٣ .

(٢) فى المطبوعة : « واعمل به يريد » ، وفى المخطوطة : « واعمل به يديك » ، ولا معنى لذلك هنا ، وكأنها محرفة عن « بجد » أو ما أشبه ذلك ، ولكنى لم أحسن معرفتها ، فتركت مكانها لفظا بين قوسين . وانظر تفسير قوله فى « سورة البقرة » : ٦٣- « خذوا ما آتيناكم بقوة » ج ٢ : ١٦٠ ، ١٦١.

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « وحصل به من النجوى » ، وصواب قراءتها ما أثبت .

القول فى تأويل قوله ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾

قال أبو جعفر يقول : تعالى ذكره : وكتبنا لموسى فى ألواحه .

* * *

وأدخلت الألف واللام فى « الألواح » ، بدلاً من الإضافة ، كما قال الشاعر : (١)

* والأحلامُ غيرُ عوازِب *(٢)

وكما قال جل ثناؤه : ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [سورة النازعات : ٤١] ، يعنى : هى مأواه .(٣)

* * *

وقوله : « من كل شىء » ، يقول : من التذكير والتنبيه على عظمة الله وعز سلطانه = « موعظة » ، لقومه ومن أمر بالعمل بما كتب فى الألواح(٤) = « وتفصيلاً لكل شىء » ، يقول : وتبييناً لكل شىء من أمر الله ونهيه .(٥)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥١٠٦ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد = أو : سعيد بن جبير ، وهو فى أصل

---

(١) هو النابغة الذبيانى .

(٢) مضى البيت وتخريجه وشرحه فيما سلف ٥ : ١٦٠ ، تعليق : ٣ ، ولم يذكر هناك موضعه هنا ، فليقيد ، والبيت ، برواية آنفاً :

لَهُمْ شِيمَةٌ لم يُعْطِها الدَّهْرُ غَيْرَهُمْ مِنَ الناسِ ، فالأحلامُ غيرُ عوازِبِ

(٣) انظر ما سلف ٥ : ١٦٠ ، ١٦١ .

(٤) انظر تفسير « الموعظة » فيما سلف من فهارس اللغة (وعظ) .

(٥) انظر تفسير « التفصيل » فيما سلف ص : ٦٨ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .

كتابي : عن سعيد بن جبير = في قول الله : « وتفصيلاً لكل شيء » ، قال : ما أمروا به ونهوا عنه . ٤٠/٩

١٥١٠٧ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

١٥١٠٨ – حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء » ، من الحلال والحرام .

١٥١٠٩ – حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد قال ، سمعت مجاهداً يقول في قوله : « وتفصيلاً لكل شيء » ، قال : ما أمروا به ونهوا عنه .

١٥١١٠ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء » ، قال عطية : [1] أخبرني ابن عباس : أن موسى صلى الله عليه وسلم انْصَلَتَ لما كربه الموت ، [2] قال : هذا من أجل آدم ! قد كان الله جعلنا في دار مثوًى لا نموت ، فخطأ آدم أنزلنا ههنا ! فقال الله لموسى : أبعث إليك آدم فتخاصمه ؟ قال : نعم ! فلما بعث الله آدم ، سأله

---

(١) هو « عطية العوفي » ، وهو جد « محمد بن سعد » الأعلى . انظر تفسير هذا الإسناد في رقم : ٣٠٥ .

(٢) في المطبوعة ، والدر المنثور ٣ : ٢١ : « أن موسى صلى الله عليه وسلم لما كربه الموت » . أسقط الذي كتبت : « انصلت » ، وهي في المخطوطة هكذا : « الطيب » غير منقوطة ، ولم أجد لها لفظاً يطابق رسمها ، ويجري في معناها أقرب من « انصلت » . يقال : « انصلت في الأمر » ، إذا انجرد وأسرع . يقال : « انصلت يعدو » » إذا أسرع ، و « المنصلت » : المسرع من كل شيء . وقد روى البخاري في صحيحه ، عن أبي هريرة قال : أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام . فلما جاءه صكه فرجع إلى ربه عز وجل فقال : أرسلتني إلى عبد لا يريد أن يموت » ، الحديث . فكأن هذا كان منه لما كره الموت وأبغضه ، فأسرع لما رآه يقول ما قال . هذا ما رأيت ، وفوق كل ذي علم عليم . وانظر أخبار وفاة موسى عليه السلام في البداية والنهاية ١ : ٣١٦ – ٣١٩ .

موسى ، فقال أبونا آدم عليهما السلام : يا موسى ، سألت الله أن يبعثني لك ! قال موسى : لولا أنت لم نكن ههنا ! قال له آدم : أليس قد آتاك الله من كل شيء موعظة وتفصيلاً ، أفلست تعلم أنه ما أصاب في الأرض من مصيبة ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن يبرأها ؟ (١) قال موسى : بلى ! فخصمه آدم صلى الله عليهما .. (٢)

١١٥١١١١ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن عبد الصمد بن معقل : أنه سمع وهباً يقول في قوله : « وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء » ، قال : كتب له : لا تشرك بي شيئاً من أهل السماء ولا من أهل الأرض ، فإن كل ذلك خلقي . لا تحلف باسمي كاذباً ، فإن من حلف باسمي كاذباً فلا أزكيه ، ووقر والديك .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وقلنا لموسى ، إذ كتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء : خذ الألواح بقوة .

* * *

وأخرج الخبر عن « الألواح » ، والمراد ما فيها .

* * *

---

(١) هذا تضمين آية « سورة الحديد » : ٢٢ .

(٢) الأثر : ١١٥١١١٠ — هذا خبر ضعيف الإسناد جداً ، كما سلف في شرح إسناده رقم : ٣٠٠٥ ..

والاحتجاج آدم وموسى عليهما السلام ، روى خبره البخاري ومسلم ، وسائر كتب السنن ، وانظر فصلا جيداً جمعه ابن كثير في البداية والنهاية ١ : ٨١١ — ٨٥٥ . ويقال : « خاصمه فخصمه » ، أي غلبه في الخصام . وهو الاحتجاج ..

واختلف أهل التأويل فى معنى « القوة » ، فى هذا الموضع .

فقال بعضهم : معناها : بجدٍّ .

* ذكر من قال ذلك :

١٥١١٢ – حدثنى عبد الكريم قال، حدثنا إبراهيم بن بشار قال ، حدثنا ابن عيينة قال ، قال أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « فخذها بقوة » ، قال : بجدّ

١٥١١٣ – حدثنى موسى قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فخذها بقوّة » ، قال : بجد واجتهاد .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك ، فخذها بالطاعة لله .

* ذكر من قال ذلك :

١٥١١٤ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن ابن سعد قال ، أخبرنا أبو جعفر ، عن الربيع بن أنس فى قوله : « فخذها بقوة » ، قال : بالطاعة .

* * *

وقد بينا معنى ذلك بشواهده، واختلاف أهل التأويل فيه، فى « سورة البقرة » عند قوله : ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ﴾ [سورة البقرة : ٦٣] ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قلنا لموسى : « وأمر قومك » ، بنى إسرائيل = « يأخذوا بأحسنها » ، يقول : يعملوا بأحسن ما يجدون فيها ، كما : –

(١) انظر ما سلف ٢ : ١٦٠ ، ١٦١ .

١٥١١٥ – حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وأمر قومك يأخذوا بأحسنها » ، بأحسن ما يجدون فيها :

١٥١١٦ – حدثني عبد الكريم قال، حدثنا إبراهيم قال ، حدثنا سفيان قال ، حدثنا أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « وأمر قومك يأخذوا بأحسنها » ، قال : أمر موسى أن يأخذها بأشدّ مما أمر به قومه .

* * *

فإن قال قائل : وما معنى قوله : « وأمر قومك يأخذوا بأحسنها » ، أكان من خصالهم ترك بعض ما فيها من الحسن ؟

قيل : لا ، ولكن كان فيها أمرٌ ونهيٌ ، فأمرهم الله أن يعملوا بما أمرهم بعمله ، ويتركوا ما نهاهم عنه ، فالعمل بالمأمور به ، أحسنُ من العمل بالمنهى عنه . ٤١/٩

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ (١٤٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لموسى ، إذ كتب فى الألواح من كل شيء : خذها بجدّ فى العمل بما فيها واجتهاد ، وأمر قومك يأخذوا بأحسن ما فيها ، وانهم عن تضييعها وتضييع العمل بما فيها والشرك بى ، فإن من أشرك بى منهم ومن غيرهم ، فإنى سأريه فى الآخرة عند مصيره إلىّ ، «دارَ الفاسقين» ، وهى نار الله التى أعدها لأعدائه .(١)

* * *

وإنما قال : « سأريكم دار الفاسقين » ، كما يقول القائل لمن يخاطبه : « سأريك غداً إلامَ يصير إليه حال من خالف أمرى ! » ، على وجه التهدُّد والوعيد لمن عصاهُ وخالف أمره .(٢)

* * *

(١) انظر تفسير « الفسق » فيما سلف . ص : ١١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) فى المطبوعة : « على وجه التهديد » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو محض الصواب .

وقد اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك .

فقال بعضهم بنحو ما قلنا فى ذلك .

* ذكر من قال ذلك .

١٥١١٧ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « سأريكم دار الفاسقين » ، قال : مصيرهم فى الآخرة .

١٥١١٨ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٥١١٩ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا مسلم قال، حدثنا مبارك ، عن الحسن فى قوله : « سأريكم دار الفاسقين » ، قال : جهنم .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : سأدخلكم أرض الشام ، فأريكم منازل الكافرين الذين هم سكانها من الجبابرة والعمالقة .

* ذكر من قال ذلك :

١٥١٢٠ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « سأريكم دار الفاسقين» ، منازلهم .

١٥١٢١ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « دار الفاسقين » ، قال : منازلهم .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : سأريكم دار قوم فرعون ، وهى مصر .

* ذكر من قال ذلك :

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .
. . . . . (١)

* * *

قال أبو جعفر : وإنما اخترنا القول الذى اخترناه فى تأويل ذلك ، لأن الذى قبل قوله جل ثناؤه : « سأريكم دار الفاسقين » ، أمرٌ من الله لموسى وقومه بالعمل بما فى التوراة . فأولى الأمور بحكمة الله تعالى أن يختم ذلك بالوعيد على من ضيّعه ، وفرّط فى العمل لله ، وحاد عن سبيله ، دون الخبر عما قد انقطع الخبر عنه ، أو عما لم يجر له ذكر .

القول فى تأويل قوله ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك .

فقال بعضهم : معناه : سأنزع عنهم فهم الكتاب .

* ذكر من قال ذلك :

١٥١٢٢ – حدثنا أحمد بن منصور المروزى قال، حدثنى محمد بن عبد الله ابن بكر قال : سمعت ابن عيينة يقول فى قول الله : « سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق »، قال يقول : أنزع عنهم فهم القرآن، وأصرفهم عن آياتى.(٢)

* * *

(١) هكذا بياض بالمخطوطة قدره خمسة أسطر ، وبهامش المخطوطة بالمداد الأحمر : « نقص ، كذا الأصل » .

(٢) الأثر : ١٥١٢٢ – « أحمد بن منصور بن سيار الرمادى » ، شيخ الطبرى ، مضى برقم : ١٠٢٦٠ ، ١٠٥٢١ .

و « محمد بن عبد الله بن بكر بن سليمان الخزاعى الصنعانى الخلنجى » ، صدوق . روى عنه النسائى ، وأبو حاتم وغيرهما . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣/٢/٢٩٥ .

قال أبو جعفر : وتأويل ابن عيينة هذا يدل على أن هذا الكلام كان عنده من الله وعيداً لأهل الكفر بالله ممن بعث إليه نبينا صلى الله عليه وسلم ، دون قوم موسى ، لأن القرآن إنما أنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، دون موسى عليه السلام .

* * *

وقال آخرون فى ذلك : معناه : سأصرفهم عن الاعتبار بالحجج .

* ذكر من قال ذلك :

١٥١٢٣ - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « سأصرف عن آياتى » ، عن خلق السموات والأرض والآيات فيها ، سأصرفهم عن أن يتفكروا فيها ويعتبروا .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : إن الله أخبر أنه يصرف عن آياته ، وهى أدلته وأعلامه على حقيقة ما أمر به عباده وفرض عليهم من طاعته فى توحيده وعدله ،[1] وغير ذلك من فرائضه . والسموات والأرض وكل موجود من خلقه ، فمن آياته ، والقرآن أيضًا من آياته ،[2] وقد عم بالخبر أنه يصرف عن آياته المتكبرين فى الأرض بغير الحق ، وهم الذين حقّت عليهم كلمة الله أنهم لا يؤمنون ، فهم عن فهم جميع آياته والاعتبار والادّكار بها مصروفون، لأنهم لو وفّقوا لفهم بعض ذلك فهُدوا للاعتبار به، اتعظوا وأنابوا إلى الحق، ٤٢/٩
وذلك غير كائن منهم، لأنه جلّ ثناؤه قال: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾، فلا تبديل لكلمات الله .

* * *

(١) فى المطبوعة : « على حقيقة ما أمر به عباده » ، فعل بها ما فعل بسوابقها . انظر ما سلف ص: ٦٨، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « آية » فيما سلف من فهارس اللغة (أبى) .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ (١٤٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وإن ير هؤلاء الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق و= « تكبرهم فيها بغير الحق »، تجبرهم فيها ، واستكبارهم عن الإيمان بالله ورسوله ،والإذعان لأمره ونهيه ،[١] وهم لله عبيدٌ يغذوهم بنعمته ،[٢] ويريح عليهم رزقه بكرة وعشيًّا ،[٣]= «كل آية »، يقول : كل حجة لله على وحدانيته وربوبته ، وكل دلالة على أنه لا تنبغى العبادة إلا له خالصة دون غيره[٤]= « لا يؤمنون بها »، يقول : لا يصدقوا بتلك الآية أنها دالة على ما هى فيه حجة ، ولكنهم يقولون : « هى سحر وكذب »=« وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً »، يقول : وإن ير هؤلاء الذين وصف صفتهم طريق الهدى والسداد الذى إن سلكوه نجوا من الهلكة والعطب ، وصاروا إلى نعيم الأبد ، لا يسلكوه ولا يتخذوه لأنفسهم طريقاً، جهلاً منهم وحيرة[٥]= « وإن يروا سبيل الغى » ، يقول : وإن يروا طريق الهلاك الذى إن سلكوه ضلّوا وهلكوا .

* * *

وقد بينا معنى « الغى » فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته .[٦]

---

(١) انظر تفسير « التكبر » فيما سلف : ٧٠، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) فى المطبوعة : « يغدوهم » بالدال المهملة ، والصواب ما أثبت

(٣) « أراح عليه حقه » ، رده عليه ، يقول الشاعر :

إلَّا تُرِيحِى عَلَيْنَا الْحَقَّ طَائِعَةً دُونَ الْقُضَاةِ ، فَقَاضِينَا إِلَى حَكَمِ

(٤) انظر تفسير « آية » فيما سلف من فهارس اللغة (أيي)

(٥) انظر تفسير « السبيل » فيما سلف من فهارس اللغة (سبل) .

= وتفسير « الرشد » فيما سلف ٣ : ٥/٤٨٢ : ٧/٤١٦ : ٥٧٦ .

(٦) انظر تفسير « الغى » فيما سلف ٥ : ١٢/٤١٦ : ٣٣٣ .

« يتخذوه سبيلاً » ، يقول : يسلكوه ويجعلوه لأنفسهم طريقاً ، لصرف الله إياهم عن آياته ، وطبعه على قلوبهم ، فهم لا يفلحون ولا ينجحون = « ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين » ، يقول تعالى ذكره : صرفناهم عن آياتنا أن يعقلوها ويفهموها فيعتبروا بها ويذكروا فينيبوا ، عقوبةً منا لهم على تكذيبهم بآياتنا = « وكانوا عنها غافلين » ، يقول : وكانوا عن آياتنا وأدلتنا الشاهدة على حقيقة ما أمرناهم به ونهيناهم عنه = « غافلين » ، لا يتفكرون فيها ، لاهين عنها ، لا يعتبرون بها ، فحق عليهم حينئذ قول ربنا فعَطِبوا .(١)

* * *

واختلف القرأة فى قراءة قوله « الرشد » .

فقرأ ذلك عامة قرأة المدينة وبعض المكيين وبعض البصريين : ﴿الرُّشْدِ﴾ ، بضم « الراء » وتسكين « الشين » .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة أهل الكوفة وبعض المكيين : ﴿ الرَّشَدِ ﴾ ، بفتح « الراء » و « الشين » .

* * *

ثم اختلف أهل المعرفة بكلام العرب فى معنى ذلك إذا ضمت راؤه وسكنت شينه ، وفيه إذا فتحتا جميعاً .

فذكر عن أبى عمرو بن العلاء أنه كان يقول : معناه إذا ضمت راؤه وسكنت شينه : الصلاح ، كما قال الله : ﴿ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا ﴾ ، [سورة النساء : ٦] ، بمعنى : صلاحاً . وكذلك كان يقرأه هو = ومعناه إذا فتحت راؤه وشينه : الرشد فى الدين ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رَشَدًا ﴾ [سورة الكهف : ٦٦] ،(٢)

---

(١) انظر تفسير « الغفلة » فيما سلف ص : ٧٥ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

(٢) قراءتنا وقراءة السبعة : « رشدا » (بضم الراء وسكون الشين) ، وقراءة أبى عمرو من السبعة كما ذكر أبو جعفر ، ولذلك استدل بها أبو عمرو فى هذا الموضع . ولم يذكر هذه القراءة أبو جعفر فى تفسير الآية من سورة الكهف .

بمعنى الاستقامة والصواب فى الدين .

* * *

وكان الكسائى يقول : هما لغتان بمعنى واحد ، مثل « السُّقم » و « السَّقَم » ، و « الحُزْن » و « الحَزَن » وكذلك « الرُّشْد » و « الرَّشَد » .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : إنهما قراءتان مستفيضةٌ القراءة بهما فى قرأة الأمصار ، متفقتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيبٌ الصوابَ بها .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (١٤٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وهؤلاء المستكبرون فى الأرض بغير الحق ، وكلّ مكذّبٍ حججَ الله ورسله وآياته ، وجاحدٍ أنه يوم القيامة مبعوث بعد مماته ، ومنكرٍ لقاء الله فى آخرته = ذهبت أعمالهم فبطلت ، وحصلت لهم أوزارها فثبتت ، لأنهم عملوا لغير الله ، وأتعبوا أنفسهم فى غير ما يرضى الله ، فصارت أعمالهم عليهم وَبالاً . يقول الله جل ثناؤه : « هل يجزون إلا ما كانوا يعملون » ، يقول : هل يثابون إلاّ ثواب ما كانوا يعملون ؟ [1] فصار ثواب أعمالهم الخلودَ فى نار أحاط بهم سرادقها ، إذ كانت أعمالهم فى طاعة الشيطان ، دون طاعة الرحمن ، نعوذ بالله من غضبه .

* * *

وقد بينا معنى « الحبوط » و « الجزاء » و « الآخرة » ، فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته . [2]

---

(١) فى المطبوعة : « هل ينالون إلا ثواب » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « الحبوط » فيما سلف ١١ : ٥١٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك . وتفسير « الجزاء » ، و « الآخرة » ، فيما سلف من فهارس اللغة (جزى) و (أخر) .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾ (١٤٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : واتخذ بنو إسرائيل قومُ موسى ، من بعد ما فارقهم موسى ماضياً إلى ربه لمناجاته ، ووفاءً للوعد الذى كان ربه وعده = « من حليهم عجلاً » ، وهو ولد البقرة ، فعبدوه .(١) ثم بين تعالى ذكره ما ذلك العجل فقال : « جسداً له خوار »= و « الخوار » صوت البقر= يخبر جل ذكره عنهم أنهم ضلوا بما لا يضل بمثله أهل العقل . وذلك أن الرب جلّ جلاله الذى له ملك السموات والأرض ، ومدبر ذلك ، لا يجوز أن يكونَ جسداً له خوار ، لا يكلم أحداً ، ولا يرشد إلى خير . وقال هؤلاء الذين قص الله قصَصهم لذلك : « هذا إلهنا وإله موسى » ، فعكفوا عليه يعبدونه ، جهلاً منهم ، وذهاباً عن الله وضلالاً .

* * *

وقد بينا سبب عبادتهم إياه ، وكيف كان اتخاذ من اتخذ منهم العجل . فيما مضى بما أغنى عن إعادته .(٢)

* * *

وفى « الحلى » لغتان : ضم «الحاء» وهو الأصل = وكسرها ، وكذلك ذلك فى كل ما شاكله من مثل «صلى» و « جثىّ » و « عتىّ » ، وبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب ، لاستفاضة القراءة بهما فى القرأة ، ولاتفاق معنييهما .(٣)

* * *

---

(١) مضى ذكر « العجل » فيما سلف ٢ : ٦٣ ، ٧٢ ، ٣٥٤ ، ٣٥٧/٩ : ٣٥٦ ، ولم يفسره إلا فى هذا الموضع .

(٢) انظر ما سلف ٢ : ٦٣ – ٦٨ / ثم ص : ٧٤ – ٧٨ .

(٣) فى المطبوعة : « لا تفارق بين معنييهما » ، غير ما فى المخطوطة ، فأفسد الكلام ومسخه . والصواب ما فى المخطوطة ، ولكنى زدت الواو ، لأنها حق الكلام .

وقوله : « ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً » ، يقول : ألم ير الذين عكفوا على العجل الذى اتخذوه من حليهم يعبدونه ، أن العجل لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً ؟ يقول : ولا يرشدهم إلى طريق ؟ [١] وليس ذلك من صفة ربهم الذى له العبادة حقاً ، بل صفته أنه يكلم أنبياءه ورسله ، ويرشد خلقه إلى سبيل الخير ، وينهاهم عن سبيل المهالك والردى .

يقول الله جل ثناؤه : « اتخذوه » ، أى : اتخذوا العجل إلهاً ، وكانوا باتخاذهم إياه ربًّا معبوداً ظالمين لأنفسهم ، لعبادتهم غير من له العبادة ، وإضافتهم الألوهة إلى غير الذى له الألوهة .

* * *

وقد بينا معنى « الظلم » فيما مضى بما أغنى عن إعادته . [٢]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (١٤٩)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « ولما سقط فى أيديهم » ، ولما ندم الذين عبدوا العجل الذى وصف جل ثناؤه صفته ، عند رجوع موسى إليهم ، واستسلموا لموسى وحكمه فيهم .

* * *

وكذلك تقول العرب لكل نادم على أمر فات منه أو سلف ، وعاجز عن شىء : « قد سُقِط فى يديه » و « أسقط » ، لغتان فصيحتان ، وأصله من الاستئسار ، وذلك أن يضرب الرجل الرجل أو يصرعه ، فيرمى به من يديه إلى الأرض ليأسره ،

---

(١) انظر تفسير « سبيل » فيما سلف من فهارس اللغة (سبل) .

(٢) انظر تفسير « الظلم » فيما سلف من فهارس اللغة (ظلم) .

فيكتفه . فالمرمىّ به مسقوط فى يدى الساقط به . فقيل لكل عاجز عن شىء ، وضارع لعجزه ،[١] متندّم على ما قاله : « سقط فى يديه » و « أسقط » .[٢]

* * *

وعنى بقوله : « ورأوا أنهم قد ضلوا » ، ورأوا أنهم قد جاروا عن قصد السبيل ، وذهبوا عن دين الله ، وكفروا بربهم ، قالوا تائبين إلى الله منيبين إليه من كفرهم به : « لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين » .

* * *

ثم اختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأه بعض قرأة أهل المدينة ومكة والكوفة والبصرة : ﴿ لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا ﴾ ، بالرفع ، على وجه الخبر .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة أهل الكوفة : ﴿ لَئِنْ لَمْ تَرْحَمْنَا رَبَّنَا ﴾ ، بالنصب ، بتأويل : لئن لم ترحمنا يا ربنا = على وجه الخطاب منهم لربهم .

واعتلّ قارئو ذلك كذلك بأنه فى إحدى القراءتين : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا لَئِنْ لَمْ تَرْحَمْنَا وَتَغْفِرْ لَنَا ﴾ ، وذلك دليل على الخطاب .[٣]

* * *

قال أبو جعفر : والذى هو أولى بالصواب من القراءة فى ذلك ، القراءةُ على وجه

---

(١) فى المطبوعة : : « ومضارع لعجزه » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٩٣ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٢٨ ، والذى قاله أبو جعفر تفصيل جيد ، وبيان عن أصل الحرف ، قلما تصيبه فى كتب اللغة .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « قالوا لئن ترحمنا ربنا وتغفر لنا » ، كسياق الآية فى مصحفنا ، وهذا لا دليل فيه على الخطاب . ولكن ما أثبته هو الذى فيه الدليل على الخطاب ، لتقديم قوله : « ربنا » ، وهى قراءة أبى بن كعب ، وهى كذلك فى مصحف عبد الله بن مسعود ، كما ذكر الفراء فى معانى القرآن ١ : ٣٩٣ . فقوله : « واعتل قارئو ذلك كذلك بأنه فى إحدى القراءتين » ، أرجح أنه يعنى إحدى قراءتى عبد الله بن مسعود . وأيضاً ، فإن الآية ستأتى بعد أسطر على الصواب فى المخطوطة ، ولكن يغيرها ناشر المطبوعة ، كما فى التعليق التالى .

الخبر بالباء فى ﴿ يَرْحَمْنَا ﴾ ، وبالرفع فى قوله : ﴿ رَبُّنَا ﴾ ، لأنه لم يتقدم ذلك ما يوجب أن يكون موجَّهاً إلى الخطاب .

* * *

والقراءة التى حكيت على ما ذكرنا من قراءتها : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا لَئِنْ لَمْ تَرْحَمْنَا ﴾ ،[1] لا نعرف صحتها من الوجه الذى يجب التسليم إليه . ٤٤/٩

* * *

ومعنى قوله : « لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا » ، لئن لم يتعطف علينا ربنا بالتوبة برحمته ، ويتغمد بها ذنوبنا ، لنكونن من الهالكين الذين حبطت أعمالهم .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولما رجع موسى إلى قومه من بنى إسرائيل ، رجع غضبان أسفاً ، لأن الله كان قد أخبره أنه قد فتن قومه ، وأن السامرى قد أضلّهم ، فكان رجوعه غضبان أسفاً لذلك

* * *

و « الأسف » شدة الغضب ، والتغيظ به على من أغضبه ، كما :—

١٥١٢٤ — حدثنى عمران بن بكار الكلاعى قال ، حدثنا عبد السلام بن محمد الحضرمى قال ، حدثنى شريح بن يزيد قال ، سمعت نصر بن علقمة يقول : قال أبو الدرداء : قول الله : « غضبان أسفاً » ، قال : « الأسف » ، منزلة وراء الغضب ،

---

(١) فى المطبوعة : « قالوا لئن ترحمنا ربنا » ، بتأخير « ربنا » ، والصواب تقديمها كما فى المخطوطة . وهو تصرف سىء من الناشر . انظر التعليق السالف .

(٢) انظر تفسير « الرحمة » و « المغفرة » و « الخسران » فيما سلف (رحم) (غفر) (خسر) .

أشدُّ من ذلك ، وتفسير ذلك فى كتاب الله : ذهب إلى قومه غضبان ، وذهب أسفاً .(١)

* * *

وقال آخرون فى ذلك ما : —

١٥١٢٥ — حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « أسفاً » قال : حزيناً .

١٥١٢٦ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً »، يقول: « أسفاً »، حزيناً ، وقال فى « الزخرف » : ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا﴾، [سورة الزخرف : ٥٥]، يقول: أغضبونا = و « الأسف » ، على وجهين: الغضب، والحزن .

١٥١٢٧ — حدثنا نصر بن على قال، حدثنا سليمان بن سليمان قال ، حدثنا مالك بن دينار قال ، سمعت الحسن يقول فى قوله : « ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً » ، قال : غضبان حزيناً .

* * *

وقوله : « قال بئسما خلفتمونى من بعدى » ، يقول : بئس الفعل فعلتم بعد فراقى إياكم وأوليتمونى فيمن خلفت ورائى من قومى فيكم ، ودينى الذى أمركم به وربكم .

* * *

---

(١) الأثر : ١٥١٢٤ — « عبد السلام بن محمد الحضرمى » ، يعرف بـ « سليم » ، مترجم فى التهذيب ، وقال : « وقد ذكره البخارى فلم يذكر فيه جرحاً » ، وابن أبى حاتم ٤٨/١/٣ ، وذكره ابن حبان فى الثقات .

و « شريح بن يزيد الحضرمى » ، « أبو حيوة » ، لم يذكر فيه البخارى جرحاً ، ووثقه ابن حبان. مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢٣١/٢/٢ .

و « نصر بن علقمة الحضرمى » ، « أبو علقمة » ، وثقه دحيم وابن حبان ، ولم يذكر فيه البخارى جرحاً . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١٠٢/٢/٤ ، وابن أبى حاتم ٤٦٩/١/٤ ، وروايته عن أبى الدرداء مرسلة .

يقال منه : « خلفه بخير » ، و« خلفه بشر » ، إذا أولاه فى أهله أو قومه ومن كان منه بسبيل من بعد شخوصه عنهم ، خيراً أو شرًّا .(١)

* * *

وقوله : « أعجلتم أمر ربكم » ، يقول : أسبقتم أمر ربكم فى نفوسكم وذهبتم عنه؟

* * *

يقال منه : «عجل فلان هذا الأمر » ، إذا سبقه = و «عجل فلانٌ فلاناً» ، إذا سبقه = و «لا تَعْجَلْنى يا فلان» ، لا تذهب عنى وتدعنى = و «أعجلته» ، استحثثته .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (١٥٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وألقى موسى الألواح .

* * *

ثم اختلف أهل العلم فى سبب إلقائه إياها .

فقال بعضهم : ألقاها غضباً على قومه الذين عبدوا العجل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥١٢٨ – حدثنا تميم بن المنتصر قال، أخبرنا يزيد قال ، أخبرنا الأصبغ ابن زيد ، عن القاسم بن أبى أيوب قال ، حدثنى سعيد بن جبير قال ، قال ابن عباس : لما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً ، فأخذ برأس أخيه يجرّه إليه، وألقى الألواح من الغضب .

١٥١٢٩ – وحدثنى عبد الكريم قال، حدثنا إبراهيم بن بشار قال، حدثنا ابن عيينة قال ، قال أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما رجع

(١) انظر تفسير « خلف » فيما سلف ص : ٨٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

موسى إلى قومه ، وكان قريباً منهم ، سمع أصواتهم ، فقال : إنى لأسمع أصواتَ قومٍ لاهين : فلما عاينهم وقد عكفوا على العجل ، ألقى الألواح فكسرها ، وأخذ برأس أخيه يجره إليه .

١٥١٣٠ – حدثنا موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : أخذ موسى الألواح ، ثم رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً ، فقال : ﴿يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾، إلى قوله :﴿فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ [سورة طه : ٨٦، ٨٧]، فألقى موسى الألواح ، وأخذ برأس أخيه يجره إليه=﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾[سورة طه : ٩٤] .

١٥١٣١ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : لما انتهى موسى إلى قومه فرأى ما هم عليه من عبادة العجل ، ألقى الألواح من يده ، ثم أخذ برأس أخيه ولحيته ، ويقول : ﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ [سورة طه : ٩٢، ٩٣] . ٩/٤٥

* * *

وقال آخرون : إنما ألقى موسى الألواح لفضائل أصابها فيها لغير قومه ، فاشتدّ ذلك عليه .

* ذكر من قال ذلك :

١٥١٣٢ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « أخذ الألواح » ، قال : رب ، إنى أجد فى الألواح أمةً خيرَ أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، فاجعلهم أمتى ! قال : تلك أمة أحمد ! قال : رب إنى أجد فى الألواح أمة هم الآخرون = أى آخرون فى الخلق= السابقون فى دخول الجنة ،[1] رب اجعلهم أمتى ! قال : تلك أمة أحمد !

(١) فى المطبوعة : « الآخرون السابقون = أى : آخرون فى الخلق ، سابقون فى دخول الجنة » . وأثبت ما فى المخطوطة .

قال : رب إنى أجد فى الألواح أمة أناجيلهم فى صدورهم يقرأونها ، = وكان من قبلهم يقرأون كتابهم نظرًا ، حتى إذا رفعوها لم يحفظوا شيئاً ، ولم يعرفوه . قال قتادة : وإن الله أعطاكم أيتها الأمة من الحفظ شيئاً لم يعطه أحداً من الأمم = قال : ربِّ اجعلهم أمتى ! قال : تلك أمة أحمد ! قال : رب إنى أجد فى الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر ، ويقاتلون فضول الضلالة ، حتى يقاتلوا الأعور الكذاب ، فاجعلهم أمتى ! قال : تلك أمة أحمد ! قال : رب إنى أجد فى الألواح أمة صدقاتهم يأكلونها فى بطونهم ، ثم يؤجرون عليها = وكان من قبلهم من الأمم إذا تصدق بصدقة فقبلت منه ، بعث الله عليها ناراً فأكلتها ، وإن ردّت عليه تركت تأكلها الطير والسباع . قال : وإن الله أخذ صدقاتكم من غنيكم لفقيركم = قال : رب اجعلهم أمتى ! قال : تلك أمة أحمد ! قال : رب إنى أجد فى الألواح أمة إذا همّ أحدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشر أمثالها إلى سبعمئة ، رب اجعلهم أمتى ! قال : تلك أمة أحمد ! قال : رب إنى أجد فى الألواح أمة إذا همّ أحدهم بسيئة لم تكتب عليه حتى يعملها ، فإذا عملها كتبت عليه سيئة واحدة ، فاجعلهم أمتى ! قال : تلك أمة أحمد ! قال : رب إنى أجد فى الألواح أمة هم المستجيبون والمستجاب لهم ، فاجعلهم أمتى ! قال : تلك أمة أحمد ، قال : رب إنى أجد فى الألواح أمة هم المشفّعون والمشفوع لهم ، فاجعلهم أمتى ! قال : تلك أمة أحمد ! قال : وذكر لنا أن نبى الله موسى عليه السلام نبذ الألواح وقال : اللهم اجعلنى من أمة أحمد ! قال : فأعطى نبى الله موسى عليه السلام ثنتين لم يعطهما نبيٌّ ، قال الله : ﴿ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي ﴾ [سورة الأعراف : ١٤٣] . قال : فرضى نبى الله ، ثم أعطى الثانية : ﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٥٩] ، قال : فرضى نبى الله صلى الله عليه وسلم كل الرضى .

١٥١٣٣ – حدثني محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قال: لما أخذ موسى الألواح قال : يا رب ، إني أجد في الألواح أمة هم خير الأمم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، فاجعلهم أمتي ! قال : تلك أمة أحمد ! قال : يا رب إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون السابقون يوم القيامة ، فاجعلهم أمتي ! قال : تلك أمة أحمد ، ثم ذكر نحو حديث بشر ابن معاذ = إلا أنه قال في حديثه: فألقى موسى عليه السلام الألواح ، وقال: اللهم اجعلني من أمة محمد صلى الله عليهما .

* * *

قال أبو جعفر : والذي هو أولى بالصواب من القول في ذلك ، أن يكون سبب إلقاء موسى الألواح كان من أجل غضبه على قومه لعبادتهم العجل ، لأن الله جل ثناؤه بذلك أخبر في كتابه فقال : « ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه » .

* * *

وذكر أن الله لما كتب لموسى عليه السلام في الألواح التوراة ،[1] أدناه منه حتى سمع صريف القلم .

* ذكر من قال ذلك :

١٥١٣٤ – حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا إسرائيل ، عن السدي ، عن أبي عمارة ، عن علي عليه السلام قال : كتب الله الألواح لموسى عليه السلام ،[2] وهو يسمع صريف الأقلام في الألواح . ٩/٤٦

١٥١٣٥ – . . . . قال حدثنا إسرائيل، عن عطاء بن السائب، عن سعيد

---

(١) في المطبوعة : « وذلك أن الله لما كتب » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) في المطبوعة : « لما كتب الله الألواح » ، والصواب حذف « لما » كما في المخطوطة .

بن جبير قال : أدناه حتى سمع صريف الأقلام . (١)

* * *

وقيل : إن التوراة كانت سبعة أسباع ، فلما ألقى موسى الألواح تكسرت ، فرفع منها ستة أسباعها ، وكان فيما رفع «تفصيل كل شيء» الذى قال الله : « وكتبنا له فى الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء» ، وبقى الهدى والرحمة فى السبع الباقى ، وهو الذى قال الله : ﴿ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٥٤] .

* * *

وكانت التوراة فيما ذكر سبعين وَقْر بعير ، يقرأ منها الجزء فى سنة ، كما : —

١٥١٣٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا محمد بن خالد المكفوف قال ، حدثنا عبد الرحمن ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس قال : أنزلت التوراة وهى سبعون وَقْر بعير ، يقرأ منها الجزء فى سنة ، لم يقرأها إلا أربعة نفر : موسى بن عمران ، وعيسى ، وعزير ، ويوشع بن نون ، صلوات الله عليهم .

* * *

واختلفوا فى « الألواح » .

فقال بعضهم : كانت من زُمرد أخضر

* * *

وقال بعضهم : كانت من ياقوت .

* * *

وقال بعضهم : كانت من بَرَد .

* * *

• ذكر الرواية بما ذكرنا من ذلك .

١٥١٣٧ — حدثنى أحمد بن إبراهيم الدَّروقى قال ، حدثنا حجاج بن محمد ،

---

(١) الأثر : ١٥١٣٥ — وضعت النقط فى هذا الخبر ، للدلالة على أن هذا الإسناد ملحق بالإسناد السالف ، وصدره هكذا : « حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا إسرائيل . . . » .

عن ابن جريج قال ، أخبرني يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : ألقى موسى الألواح فتكسرت ، فرفعت إلاّ سدسها = قال ابن جريج : وأخبرني أن الألواح من زبرجد وزمرد من الجنة .

١٥١٣٨ – وحدثني موسى بن سهل الرملي ، وعلي بن داود ، وعبد الله بن أحمد بن شبويه ، وأحمد بن الحسن الترمذي قالوا ، أخبرنا آدم العسقلاني قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية قال : كانت ألواح موسى عليه السلام من بَرَد .(١)

١٥١٣٩ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن أبي الجنيد ، عن جعفر بن أبي المغيرة قال : سألت سعيد بن جبير عن الألواح ، من أي شيء كانت ؟ قال : كانت من ياقوتة ، كتابة الذهب ، كتبها الرحمن بيده ، فسمع أهل السموات صريف القلم وهو يكتبها .

١٥١٤٠ – حدثني الحارث قال ، حدثنا القاسم قال، حدثنا عبد الرحمن ، عن محمد بن أبي الوضاح ، عن خصيف ، عن مجاهد أو سعيد بن جبير قال : كانت الألواح زمرداً ، فلما ألقى موسى الألواح بقي الهدى والرحمة ، وذهب التفصيل .

١٥١٤١ – قال ، حدثنا القاسم قال، حدثنا الأشجعي ، عن محمد بن مسلم ، عن خصيف ، عن مجاهد قال : كانت الألواح من زمرد أخضر .

* * *

وزعم بعضهم : أن الألواح كانت لوحين .

فإن كان الذي قال كما قال ، فإنه قيل : « وكتبنا له في الألواح » ، وهما لوحان ، كما قيل ، ﴿ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ ﴾ [سورة النساء : ١١] ، وهما أخوان .(٢)

* * *

(١) الأثر : ١٥١٣٨ – انظر الأثر رقم : ٩١٤ ، والتعليق عليه .

(٢) انظر ما قال في الجمع ، والمراد به اثنان فيما سلف ٨ : ٤١ – ٤٤ ، ومعاني القرآن للفراء ١ : ٣٩٤ .

وأما قوله : « وأخذ برأس أخيه يجره إليه » ، فإن ذلك من فعل نبي الله صلى الله عليه وسلم كان، لموجدته على أخيه هرون فى تركه أتباعه، وإقامته مع بنى إسرائيل فى الموضع الذى تركهم فيه ، كما قال جل ثناؤه مخبراً عن قيل موسى عليه السلام له : ﴿ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴾ [سورة طه : ٩٢، ٩٣]، حين أخبره هرون بعذره فقبل عذره، وذلك قيله لموسى : ﴿ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾، [سورة طه : ٩٤] ، وقال : « يا ابن أم إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى فلا تشمت بى الأعداء » ، الآية :

* *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « يا ابن أم » .

فقرأ ذلك عامة قرأة المدينة وبعض أهل البصرة : ﴿ يَا ابْنَ أُمَّ ﴾ بفتح « الميم » من « الأم » .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة أهل الكوفة : ﴿ ابْنَ أُمِّ ﴾ ، بكسر « الميم » من « الأم » .

* * *

واختلف أهل العربية فى فتح ذلك وكسره ، مع إجماع جميعهم على أنهما لغتان مستعملتان فى العرب .

فقال بعض نحويى البصرة : قيل ذلك بالفتح ، على أنهما اسمان جعلا اسماً واحداً ، كما قيل : « يا ابن عمَّ » ، وقال : هذا شاذ لا يقاس عليه . وقال : من قرأ ذلك : « يا ابن أمِّ » ، فهو على لغة الذين يقولون : « هذا غلامِ قد جاء » ، جعله اسماً واحداً آخره مكسور ، مثل قوله : « خازِ باز » . (١)

* * *

(١) « الخازباز » ، هو ضرب من الذبان ، و « خاز » و « باز » صوتان من صوت الذباب ، فجعلا واحداً ، وبنيا على الكسر ، لا يتغير فى الرفع والنصب والجر .

وقال بعض نحويي الكوفة : قيل « يا ابن أمّ » و « يا ابن عمّ » ، فنصب كما ينصب المعرب فى بعض الحالات ، فيقال : « يا حسرتا » ، « يا ويلتا » . قال : فكأنهم قالوا : « يا أماه » ، « وياعماه » ، ولم يقولوا ذلك فى « أخ » ، ولو قيل ذلك لكان صواباً . قال : والذين خفضوا ذلك ، فإنه كثر فى كلامهم حتى حذفوا الياء . قال : ولا تكاد العرب تحذف « الياء » إلا من الاسم المنادَى يضيفه المنادِى إلى نفسه ، إلا قولهم : « يا ابن أمّ » و « يا ابن عمّ » ، وذلك أنهما يكثر استعمالهما فى كلامهم ، فإذا جاء ما لا يستعمل أثبتوا « الياء » فقالوا : « يا ابن أبى » و « يا ابن أختى ، وأخى » و « يا ابن خالتى » ، و « يا ابن خالى » .[1] ٤٧/٩

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إذا فتحت « الميم » من « ابن أم » فمرادٌ به الندبة : يا ابن أماه ، وكذلك من « ابن عم » . فإذا كسرت فمرادٌ به الإضافة ، ثم حذفت « الياء » التى هى كناية اسم المخبر عن نفسه . وكأن بعض من أنكر تشبيه كسر ذلك إذا كسر ككسر الزاى من « خازباز »،[2] لأن « خاز باز » لا يعرف الثانى إلا بالأول ، ولا الأول إلا بالثانى ، فصار كالأصوات.

وحكى عن يونس الجرمى تأنيث « أم » وتأنيث « عم »،[3] وقال : لا يجعل اسمًا واحداً إلا مع « ابن » المذكر . قالوا : وأما اللغة الجيدة والقياسُ الصحيح ، فلغة من قال : « يا ابن أمى » بإثبات « الياء » ، كما قال أبو زبيد :

يَا ابْنَ أُمِّى ، وَيَا شُقَيِّقَ نَفْسِى أَنْتَ خَلَّفْتَنِى لِدَهْرٍ شَدِيدِ[4]

---

(١) هذه كلها مقالة الفراء فى معانى القرآن ١ : ٣٩٤ .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « من أنكر نسبته كسر ذلك . . . » ، وصواب قراءته ما أثبته « تشبيه » .

(٣) « يونس الجرمى » ، هكذا جاء هنا أيضاً ، وانظر ما سلف ١٠ : ١٢٠ ، تعليق : ١ ، ثم ١١ : ٥٤٤ ، تعليق : ٣ ، وما سيأتى ص : ١٣٨ .

(٤) أمالى اليزيدى ٩ ، جمهرة أشعار العرب : ١٣٩ واللسان (شقق) ، وشواهد العينى (هامش خزانة الأدب) ٤ : ٢٢٢ ، وغيرها . من قصيدة مختارة ، يرثى ابن أخته اللجلاج ، ويقال

وكما قال الآخر : (١)

يَا ابْنَ أُمِّي! وَلَوْ شَهِدْتُكَ إِذْ تَدْ عُو تَمِيمًا وَأَنْتَ غَيْرُ مُجَابِ (٢)

يرثى أخاه اللجلاج ، ويروى البيت :

يَا ابْنَ خَنْسَاء ، شِقَّ نَفْسِيَ يَا لَجْـــلَاجُ ، خَلَّيْتَنِي لِدَهْرٍ شَدِيدِ

وأما هذه الرواية ، فهى رواية النحاة جميعاً فى كتبهم فى باب النداء . يقول فيها :

كُلُّ مَيْتٍ قَدِ اغْتَفَرْتُ ، فَلَا أُو جَعُ مِنْ وَالِدٍ وَلَا مَوْلُودِ
غَيْرَ أَنَّ اللَّجْلَاجَ هَدَّ جَنَاحِي يَوْمَ فَارَقْتُهُ بِأَعْلَى الصَّعِيدِ
فِي ضَرِيحٍ عَلَيْهِ عِبْءٌ ثَقِيلٌ مِنْ تُرَابٍ وَجَنْدَلٍ مَنْضُودِ
عَنْ يَمِينِ الطَّرِيقِ عِنْدَ صَدٍ حَرٍّ انَ يَدْعُو بِاللَّيْلِ غَيْرَ مَعُودِ
صَادِيًا يَسْتَغِيثُ غَيْرَ مُغَاثٍ وَلَقَدْ كَانَ عُصْرَةَ الْمَنْجُودِ

وقوله : « شقيق » تصغير « شقيق » ، وهو الأخ .

(١) هو غلفاء بن الحارث ، وهو : معد يكرب بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندى ، وهو عم امرئ القيس بن حجر إمام الشعراء . وسمى « غلفاء » ، لأنه كان يغلف رأسه بالمسك . ويقال : هو أول من فعل ذلك .

(٢) النقائض : ٤٥٧ ، ١٠٧٧ ، الوحشيات رقم : ٢١٣ ، الأغانى ١٢ : ٢١٣ ، من قصيدة يرثى بها أخاه شرحبيل بن الحارث ، قتيل يوم الكلاب الأول (انظر خبر ذلك فى النقائض ، والأغانى) ، يقول قبله ، وهو أول الشعر :

إِنَّ جَنْبِي عَنِ الْفِرَاشِ لَنَابِي كَتَجَافِي الْأَسَرِّ فَوْقَ الظِّرَابِ
مِنْ حَدِيثٍ نَمَى إِلَيَّ فَلَا تَرْ قَأُ عَيْنِي ، وَلَا أُسِيغُ شَرَابِي
مُرَّةٌ كَالذُّعَافِ أَكْتُمُهَا النَّا سَ ، عَلَى حَرِّ مَلَّةٍ كَالشِّهَابِ
مِنْ شُرَحْبِيلَ إِذْ تَعَاوَرُهُ الْأَرْ مَاحُ فِي حَالِ لَذَّةٍ وَشَبَابِ
يَا ابْنَ أُمِّي . . . . . .
. . . . . .
لَتَرَكْتُ الْحُسَامَ تَجْرِي ظُبَاهُ مِنْ دِمَاءِ الْأَعْدَاءِ يَوْمَ الْكُلَابِ
ثُمَّ طَاعَنْتُ مِنْ وَرَائِكَ حَتَّى تَبْلُغَ الرُّحْبَ ، أَوْ تُبَزَّ ثِيَابِي

وقوله : « الأسر » ، هو البعير تخرج فى كركرته قرحة لا يقدر معها أن يبرك إلا على مستو من الأرض . و « الظراب » : جمع « ظرب » (بفتح ثم كسر) ، وهو من الحجارة ما كان ناتئاً فى جبل أو أرض خربة ، وكان طرفه الناتئ محدداً . و « الملة » (بفتح الميم) : الرماد الحار .

وإنما أثبت هؤلاء الياء فى « الأم » ، لأنها غير مناداة ، وإنما المنادى هو « الابن » دونها . وإنما تسقط العرب « الياء » من المنادى إذا أضافته إلى نفسها ، لا إذا أضافته إلى غير نفسها ، كما قد بينا .[1]

* * *

وقيل : إن هرون إنما قال لموسى عليه السلام : « يا ابن أم » ، ولم يقل : « يا ابن أبى » ، وهما لأب واحد وأم واحدة ، استعطافاً له على نفسه برحم الأم.[1]

* * *

وقوله : « إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى » ، يعنى بالقوم ، الذين عكفوا على عبادة العجل وقالوا : « هذا إلهنا وإله موسى » ، وخالفوا هرون. وكان استضعافهم إياه : تركهم طاعته واتباع أمره[2] = « وكادوا يقتلوننى » ، يقول : قاربوا ولم يفعلوا .[3]

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « فلا تشمت » .

فقرأ قرأة الأمصار ذلك : ﴿ فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ ﴾ ، بضم « التاء » من « تشمت » وكسر « الميم » منها ، من قولهم : « أشمت فلان فلاناً بفلان » ، إذا سره فيه بما يكرهه المشمت به .

* * *

وروى عن مجاهد أنه قرأ ذلك : ﴿ فَلَا تَشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ ﴾ .

١٥١٤٢ — حدثنى بذلك عبد الكريم قال ، حدثنا إبراهيم بن بشار قال ، حدثنا سفيان قال ، قال حميد بن قيس : قرأ مجاهد : ﴿ فَلَا تَشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ ﴾.

١٥١٤٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، عن حميد قال : قرأ مجاهد : ﴿ فَلَا تَشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ ﴾.

١٥١٤٤ — حدثت عن يحيى بن زياد الفراء قال ، حدثنا سفيان بن عيينة ،

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٣٩٤ .

(٢) انظر تفسير « استضعف » فيما سلف ص : ٧٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « كاد » فيما سلف ٢ : ٢١٨ .

عن رجل، عن مجاهد، أنه قال: ﴿ لَا تَشْمِتْ ﴾.[1]

* * *

وقال الفراء: قال الكسائى: ما أدرى، فلعلهم أرادوا: فلا تشمت بى الأعداءُ، فإن تكن صحيحة فلها نظائر. العرب تقول: «فَرِغت وفَرَغت»، فمن قال «فَرِغت»، قال: «أنا أفرُغ»، ومن قال: «فرِغت»، قال: «أنا أفرَغُ»، وكذلك: «ركِنت» «وركَنت»، و «شمِلهم أمرٌ»[2] و «شمَلهم»،[3] فى كثير من الكلام. قال: و «الأعداء» رفع، لأن الفعل لهم، لمن قال: «تشمَت» أو «تشمِت».[4]

* * *

قال أبو جعفر: والقراءة التى لا أستجيز القراءة إلا بها، قراءةُ من قرأ: ﴿ فَلَا تُشْمِتْ ﴾: بضم «التاء» الأولى، وكسر «الميم» من: «أشمتُّ به عدوه أشمته به»، ونصبِ «الأعداء»، لاجماع الحجة من قرأة الأمصار عليها، وشذوذ ما خالفها من القراءة، وكفى بذلك شاهداً على ما خالفها. هذا مع إنكار معرفة عامة أهل العلم بكلام العرب: «شمت فلان فلاناً بفلان»، و «شمت فلان بفلان يشمِت به»، وإنما المعروف من كلامهم إذا أخبروا عن شماتة الرجل بعدوِّه: «شمِت به» بكسر «الميم»: «يشمَت به»، بفتحها فى الاستقبال.

* * *

٤٨/٩ وأما قوله: «ولا تجعلنى مع القوم الظالمين»، فإنه قولُ هرون لأخيه موسى. يقول: لا تجعلنى فى موجدتك علىَّ وعقوبتك لى ولم أخالف أمرك، محلَّ من عصاك فخالف أمرك، وعبد العجل بعدك، فظلم نفسه، وعبد غيرَ من له العبادة، ولم أشايعهم على شىء من ذلك، كما: —

---

(١) الأثر: ١٥١٤٤ — رواه الفراء فى معانى القرآن ١ : ٣٩٤، وقال عند قوله: «عن رجل»: «أظنه الأعرج»، يعنى: «حميد بن قيس المكى» المذكور فى الإسنادين السالفين.

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة: «ركبت وركبت»، والصواب من معانى القرآن للفراء.

(٣) فى معانى القرآن: «وشملهم شر».

(٤) معانى القرآن للفراء ١ : ٣٩٤.

١٥١٤٥ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: «ولا تجعلني مع القوم الظالمين»، قال: أصحاب العجل.

١٥١٤٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، بمثله.

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (١٥١)

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قال موسى، لما تبين له عذر أخيه، وعلم أنه لم يفرط في الواجب الذي كان عليه من أمر الله، في ارتكاب ما فعله الجهلة من عبدة العجل: «رب اغفر لي»، مستغفراً من فعله بأخيه، ولأخيه من سالف سلف له بينه وبين الله:[1] تغمد ذنوبنا بستر منك تسترها به[2] = «وأدخلنا في رحمتك»، يقول: وارحمنا برحمتك الواسعة عبادك المؤمنين، فإنك أنت أرحم بعبادك من كل من رحم شيئاً.

* *

القول في تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾ (١٥٢)

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: «إن الذين اتخذوا العجل» إلهاً = «سينالهم غضب من ربهم»، بتعجيل الله لهم ذلك[3] = «وذلة»، وهي الهوان، لعقوبة الله

(١) في المطبوعة: «من سالف له»، أسقط «سلف»، وهي من المخطوطة.
(٢) انظر تفسير «المغفرة» فيما سلف من فهارس اللغة (غفر).
(٣) انظر تفسير «نال» فيما سلف ١٢ : ٤٠٨، تعليق: ٣، والمراجع هناك.

إياهم على كفرهم بربهم =[1] « فى الحياة الدنيا »، فى عاجل الدنيا قبل آجل الآخرة .

* * *

وكان ابن جريج يقول فى ذلك بما : —

١٥١٤٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج، عن ابن جريج قوله : « إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا وكذلك نجزى المفترين»، قال : هذا لمن مات ممن اتخذ العجل قبل أن يرجع موسى عليه السلام، ومن فرّ منهم حين أمرهم موسى أن يقتل بعضهم بعضاً .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا الذى قاله ابن جريج ، وإن كان قولاً له وجه ، فإن ظاهر كتاب الله، مع تأويل أكثر أهل التأويل ، بخلافه. وذلك أن الله عم بالخبر عمن اتخذ العجل أنه سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا ، وتظاهرت الأخبار عن أهل التأويل من الصحابة والتابعين بأن الله إذ رجع إلى بنى إسرائيل موسى عليه السلام ، تابَ على عبدة العجل من فعلهم بما أخبر به عن قيل موسى عليه السلام فى كتابه، وذلك قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [سورة البقرة : ٥٤]، ففعلوا ما أمرهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم . فكأن أمرُ الله إياهم بما أمرهم به من قتل بعضهم أنفُس بعض ، عن غضب منه عليهم بعبادتهم العجل. فكان قتل بعضهم بعضاً هواناً لهم وذلة أذلهم الله بها فى الحياة الدنيا ، وتوبة منهم إلى الله قبلها .

وليس لأحد أن يجعل خبرًا جاء الكتاب بعمومه، فى خاصٍّ مما عمه الظاهر ، بغير برهان من حجة خبر أو عقل. ولا نعلم خبرًا جاء بوجوب نقل ظاهر قوله : « إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم » ، إلى باطن خاصّ = ولا من العقل عليه دليل ، فيجب إحالة ظاهره إلى باطنه .

* * *

(١) انظر تفسير « الذلة » فيما سلف ٢ : ٧/٢١٢ : ١١/١٧١ : ٤٢١ .

ويعنى بقوله : « وكذلك نجزى المفترين » ، وكما جزيت هؤلاء الذين اتخذوا العجل إلهاً ، من إحلال الغضب بهم ، والإذلال فى الحياة الدنيا على كفرهم ربّهم ، وردّتهم عن دينهم بعد إيمانهم بالله ، كذلك نجزى كل من افترى على الله ، فكذب عليه ، وأقر بألوهية غيره ، وعبد شيئاً سواه من الأوثان ، بعد إقراره بوحدانية الله ، وبعد إيمانه به وبأنبيائه ورسله وقيل ذلك ، إذا لم يتب من كفره قبل قتله .(١)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعةٌ من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥١٤٨ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أيوب قال : تلا أبو قلابة : « سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا » الآية ، قال : فهو جزاء كل مفترٍ يكون إلى يوم القيامة : أن يذله الله عز وجل. ٦/٩

١٥١٤٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو النعمان عارم قال ، حدثنا حماد ابن زيد ، عن أيوب قال : قرأ أبو قلابة يوماً هذه الآية : « إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا وكذلك نجزى المفترين » ، قال : هى والله لكل مفترٍ إلى يوم القيامة .

١٥١٥٠ — . . . . قال حدثنا حجاج قال ، حدثنا حماد ، عن ثابت ، وحميد : أن قيس بن عُبَاد ، وجارية بن قدامة ، دخلا على على بن أبى طالب رضى الله عنه فقالا : أرأيت هذا الأمر الذى أنت فيه وتدعو إليه ، أعهدٌ عهده إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أم رأىٌ رأيته ؟ قال : ما لكما ولهذا ؟ أعرضا عن هذا ! فقالا : والله لا نعرضُ عنه حتى تخبرنا ! فقال : ما عهد إلىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلاّ كتاباً فى قراب سيفى هذا ! فاستلّه ، فأخرج الكتاب من قراب سيفه ، وإذا فيه : « إنه لم يكن نبىّ إلا له حرم ، وأنّى حرمت المدينة

(١) انظر تفسير « الافتراء » فيما سلف ١٢ : ٥٦٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

كما حرمَ إبراهيم عليه السلام مكة ، لا يحمل فيها السلاحُ لقتال . من أحدث حدثاً أو آوى مُحدِثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عَدْل ». فلما خرجا قال أحدهما لصاحبه : أما ترى هذا الكتاب ؟ فرجعا وتركاه وقالا : إنا سمعنا الله يقول : « إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم » الآية ، وإن القوم قد افتروا فرية ، ولا أدرى إلا ستنزل بهم ذلة .[1]

١٥١٥١ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة فى قوله : « وكذلك نجزى المفترين » ، قال : كل صاحب بدعة ذليلٌ .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٥٣)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله تعالى ذكره أنه قابلٌ من كل تائب إليه من ذنب أتاه، صغيرةً كانت معصيته أو كبيرةً ، كفراً كانت أو غير كفر ، كما

---

(١) الأثر : ١٥١٥٠ – كان إسناد هذا الخبر فى المطبوعة هكذا : « قال ، حدثنا حماد ، عن ثابت : أن حميد بن قيس بن عباد ، وحارثة بن قدامة » ، وفى المخطوطة : « قال حدثنا حماد عن ثابت وحميد بن قيس بن عباد ، وحارثه بن قدامة » ، « حارثه » غير منقوطة . وهما جميعاً خطأ ، صوابه ما أثبت .

و « حماد » هو : « حماد بن سلمة » ، ثقة مشهور ، مضى مراراً .

و « ثابت » هو « ثابت بن أسلم البنانى » ، مضى مراراً .

و « حميد » ، هو « حميد الطويل » ، وهو : « حميد بن أبى حميد » ، الإمام المشهور ، مضى مراراً ، وهو خال « حماد بن سلمة » .

وأما « قيس بن عباد القيسى الضبعى » ، فهو ثقة قليل الحديث ، روى عنه الحسن . قدم المدينة فى خلافة عمر . وهو ممن قتلهم الحجاج فيمن خرج مع ابن الأشعث . مترجم فى التهذيب ، وابن سعد ٩٥/١/٧ ، والكبير ١٤٥/١/٤ ، وابن أبى حاتم ١٠١/١٢/٣ ، وفى الإصابة فى القسم الثالث .

وأما « جارية بن قدامة بن زهير بن الحصين السعدى » ، يقال هو ابن عم الأحنف بن قيس ، ويقال هو : عمه . وقال الطبرانى : « ليس بعم الأحنف أخى أبيه ، ولكنه كان يدعوه عمه على سبيل

قبل من عَبَدة العجل توبتهم بعد كفرهم به بعبادتهم العجل وارتدادهم عن دينهم .

يقول جل ثناؤه : والذين عملوا الأعمال السيئة ، ثم رجعوا إلى طلب رضى الله بإنابتهم إلى ما يحب مما يكره ، وإلى ما يرضى مما يسخط ، من بعد سيئ أعمالهم ، وصدّقوا بأن الله قابل توبة المذنبين ، وتائبٌ على المنيبين ، بإخلاص قلوبهم ويقين منهم بذلك = « لغفور » ، لهم ، يقول : لساتر عليهم أعمالهم السيئة ، وغير فاضحهم بها = « رحيم » ، بهم ، وبكل من كان مثلهم من التائبين .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ (١٥٤)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « ولما سكت عن موسى الغضب » ، ولما كفّ عنه وسكن .(٢)

* * *

الإعظام له » . وجارية تميمى من أشراف تميم وكان شجاعاً فاتكاً ، وهو صحابى ثابت الصحبة . مترجم فى التهذيب ، وابن سعد ٧/١/٣٨ ، والكبير ١/٢/٢٣٦ ، وابن أبى حاتم ١/١/٥٢٠ ، وفى الإصابة ، وغيرها .

وهذا الخبر لم أهتد إليه بهذا الإسناد ، وهذه السياقة ، فى شىء من الكتب ، ولكن خبر الصحيفة ، عن « قيس بن عباد » ، رواه أحمد فى مسنده رقم : ٩٩٣ ، من طريق يحيى ، عن سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن قيس بن عباد قال : انطلقت أنا والأشتر إلى على ، فقلنا : هل عهد إليك نبى الله صلى الله عليه وسلم شيئاً لم يعهده إلى الناس عامة ؟ » ، وساق خبراً آخر .

وروى أحمد خبر الصحيفة فى مسند على رضى الله عنه ، بأسانيد مختلفة ، وألفاظ مختصرة ومطولة ، ومؤتلفة ومختلفة . انظر رقم : ٦١٥ ، ٨٧٢ ، ٨٧٤ ، ٩٥٤ ، ٩٦٢ ، ١٠٣٧ ، ١٢٩٧ ، ١٣٠٦ ، وليس فى شىء منها ذكر « جارية بن قدامة » . ومع ذلك فخبر أبى جعفر صحيح الإسناد ، فكأنهما حادثتان مختلفتان .

وكان فى المخطوطة : « ولا أدرى إلا سينزل به ذلة » ، والصواب ما صححه ناشر المطبوعة .

(١) انظر تفسير ألفاظ هذه الآية فى فهارس اللغة .

(٢) فى المطبوعة : « ولما كف موسى عن الغضب » ، وهو اجتهاد من ناشر المطبوعة الأولى ، ولم يصب . فإن المخطوطة أسقطت تفسير العبارة ، وجاء فيها هكذا : « ولما سكت عن موسى الغضب ،

وكذلك كل كافٍ عن شيء : « ساكت عنه » ، وإنما قيل للساكت عن الكلام « ساكت » ، لكفه عنه .[١]

وقد ذكر عن يونس الجرمى أنه قال[٢] : يقال : « سكت عنه الحزن » ، وكلُّ شيء ، فيما زعم ، ومنه قول أبي النجم :

وَهَمَّتِ الأَفْعَى بِأَنْ تَسِيحَا وَسَكَتَ الْمُكَّاءُ أَنْ يَصِيحَا[٣]

* * *

= « أخذ الألواح » ، يقول : أخذها بعد ما ألقاها ، وقد ذهب منها ما ذهب = « وفى نسختها هدى ورحمة » ، يقول : وفيما نسخ فيها ، أى كتب فيها[٤] = « هدى » بيان للحق = « ورحمة للذين هم لربهم يرهبون » ، يقول : للذين يخافون الله ويخشون عقابَه على معاصيه .[٥]

* * *

واختلف أهل العربية فى وجه دخول « اللام » فى قوله : « لربهم يرهبون » ،

وكذلك كل كاف . . . » ، والتفسير الذى أثبته الناشر الأول تفسير ذكره الزجاج قال : « معناه : ولما سكن . وقيل : معناه : ولما سكت موسى عن الغضب — على القلب ، كما قالوا : أدخلت القلنسوة فى رأسى ، والمعنى : أدخلت رأسى فى القلنسوة . قال : والقول الأول الذى معناه سكن ، هو قول أهل العربية » .

ولو أراد أبو جعفر ، لفسره كما فسره الزجاج ، فآثرت أن أضع تفسير أبى عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ٢٢٩ ، لأن الذى يليه هو قول أبى عبيدة فى مجاز القرآن .

(١) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٢٩ .

(٢) انظر ما سلف ص : ١٢٩ ، تعليق : ٣ .

(٣) لم أجد البيتين . وكان فى المطبوعة : « تسبحا » و « تصبحا » ، وهو خطأ وفساد ، ولأبى النجم أبيات كثيرة من الرجز على هذا الوزن ، ولم أجد الرجز بتمامه . وصواب قراءة ما كان فى المخطوطة هو ما أثبت .

(٤) انظر تفسير « النسخة » فيما سلف ٢ : ٤٧٢ .

= وكان فى المطبوعة هنا ، مكان قوله : « أى : كتب فيها » ، ما نصه : « أى : منها » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، لأن الناسخ كتبها بخط دقيق فى آخر السطر ، فوصل الكلام بعضه ببعض ، فساءت كتابته .

(٥) انظر تفسير « الهدى » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) .

مع استقباح العرب أن يقال فى الكلام : « رهبت لك » ، بمعنى : رهبتك = « وأكرمت لك » ، بمعنى : أكرمتك .

فقال بعضهم : ذلك كما قال جل ثناؤه : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ ، [سورة يوسف : ٤٣] ، أوصل الفعل باللام .

* * *

وقال بعضهم : من أجل ربِّهم يرهبون .

* * *

وقال بعضهم : إنّما دخلت عَقِيب الإضافة : الذين هم راهبون لربهم ، وراهبُو ربِّهم = ثم أدخلت « اللام » على هذا المعنى ، لأنها عَقِيب الإضافة ، لا على التكليف .(١)

* * *

وقال بعضهم : إنما فعل ذلك ، لأن الاسم تقدم الفعل ، فحسن إدخال « اللام » . ٩/٥٠

* * *

وقال آخرون : قد جاء مثله فى تأخير الاسم فى قوله : ﴿ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ ، [سورة النمل : ٧٢] .(٢)

* * *

وذكر عن عيسى بن عمر أنه قال : سمعت الفرزدق يقول : « نقدت له مئة درهم » ، يريد : نقدته مئة درهم .(٣) قال : والكلام واسع .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « لا على التعليق » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وكأنه يعنى بقوله : « التكليف » معنى « التعليق » ، لأن « التكليف » هو « التحميل » ، ولم أجد تفسير هذه الكلمة فى مكان آخر ، ولعلها من اصطلاح بعض قدماء النحاة .

(٢) انظر ما سلف ٦ : ٧/٥١١ : ١٦٤ ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٢٣٣ .

(٣) نقله الفراء فى معانى القرآن ١ : ٢٣٣ عن الكسائى ، قال : « سمعت بعض العرب يقول : نقدت لها مئة درهم ، يريد : نقدتها مئة ، لامرأة تزوجها » .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : واختار موسى من قومه سبعين رجلاً ، للوقت والأجل الذى وعده الله أن يلقاه فيه بهم ، [1] للتوبة مما كان من فعل سفهائهم فى أمر العجل ، كما : —

١٥١٥٢ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى ، قال : إن الله أمر موسى عليه السلام أن يأتيه فى ناسٍ من بنى إسرائيل ، يعتذرون إليه من عبادة العجل ، ووعدهم موعداً ، فاختار موسى قومه سبعين رجلاً على عينه ، ثم ذهب بهم ليعتذروا . فلما أتوا ذلك المكان قالوا : لن نؤمن لك يا موسى حتى نرى الله جهرة ، فإنك قد كلمته ، فأرناه ! فأخذتهم الصاعقة فماتوا ، فقام موسى يبكى ويدعو الله ويقول: رَبِّ ماذا أقول لبنى إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم ، لو شئتَ أهلكتهم من قبل وإيّاى! [2]

١٥١٥٣ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : اختار موسى من بنى إسرائيل سبعين رجلاً ، الخيِّر فالخيرَ ، وقال : انطلقوا إلى الله فتوبوا إليه مما صنعتم ، واسألوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم ، صوموا وتَطَهَّروا ، وطهِّروا ثيابكم! فخرج بهم إلى طورسيْناء، لميقات وقَّته له ربه . وكان لا يأتيه إلاّ بإذن منه وعلم . فقال السبعون = فيما ذكر لى = حين صنعوا ما أمرهم به، وخرجوا معه للقاء ربِّه، لموسى : اطلب لنا نسمع كلام ربِّنا! فقال : أفعل . فلما دنا موسى من الجبل ، وقع عليه عمودُ الغمام ، حتى تغشى الجبلَ كله . ودنا موسى فدخل فيه ، وقال للقوم: ادنوا . وكان موسى إذا كلمه الله وقَع على جبهته نور

(١) انظر تفسير « الميقات » فيما سلف ٣ : ٥٥٣ — ٥٥٥/١٣ : ٨٧ ، ٩٠

(٢) الأثر : ١٥١٥٢ — مضى مطولا برقم : ٩٥٨ ، ومراجعه هناك .

ساطعٌ لا يستطيع أحد من بنى آدم أن ينظر إليه ! فضرب دونه بالحجاب . ودنا القوم ، حتى إذا دخلوا فى الغمام وقَعوا سجوداً ، فسمعوه وهو يكلِّم موسى ، يأمره وينهاه : افعل ، ولا تفعل ! فلما فرغ الله من أمره ، انكشف عن موسى الغمام . فأقبل إليهم ، [1] فقالوا لموسى : لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ! فأخذتهم الرجفة = وهى الصاعقة = فافْتُلِتَتْ أرواحهم ، [2] فماتوا جميعاً ، وقام موسى عليه السلام يناشد ربّه ويدعوه ويرغب إليه ، ويقول : رب لو شئت أهلكتهم من قبلُ وإياى ! قد سفهوا ، أفتهلك مَنْ ورائى من بنى إسرائيل ؟ [3]

١٥١٥٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله : « واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا » ، قال : كان الله أمرَه أن يختار قومه سبعين رجلاً ، فاختار سبعين رجلاً ، فبرزَ بهم ليدعوا ربَّهم . فكان فيما دَعَوُا الله قالوا : اللهم أعطِنا ما لم تعطه أحداً بعدنا ! فكره الله ذلك من دعائهم ، فأخذتهم الرجفة . قال موسى : ربِّ لو شئت أهلكتهم من قبل وإيّاى !

١٥١٥٥ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا خالد بن حيان ، عن جعفر ، عن ميمون : « واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا » ، قال : لموعدهم الذى وعدهم .

١٥١٥٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « سبعين رجلاً لميقاتنا » ، قال : اختارهم لتمام الوعد .

* * *

وقال آخرون : إنما أخذتهم الرجفة من أجل دَعْواهم على موسى قتلَ هرون .

---

(١) فى المطبوعة : « وانكشف عن موسى . . . أقبل » ، غير ما فى المخطوطة . كما فعل آنفاً فى رقم : ٩٥٧ .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « فالتقت أرواحهم » ، ولا معنى لها ، صوابها ما أثبته . « افتلتت نفسه » (بالبناء للمجهول) : مات فلتة ، أى بغتة . وانظر ما سلف ٢ : ٨٧ ، تعليق : ١

(٣) الأثر : ١٥١٥٣ — مضى هذا الخبر برقم ٩٥٧ ، ومراجعه هناك .

* ذكر من قال ذلك :

٩/٥١ ١٥١٥٧ – حدثنا ابن بشار وابن وكيع قالا ، حدثنا يحيى بن يمان قال ، حدثنا سفيان قال ، حدثني أبو إسحق ، عن عمارة بن عبد السَّلولي ، عن علي رضي الله عنه قال : انطلق موسى وهرون وشبر وشبير ، فانطلقوا إلى سفح جَبَلٍ ، فنام هرون على سرير ، فتوفّاه الله . فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل قالوا له : أين هرون ؟ قال : توفاه الله ! قالوا : أنت قتلته ، حسدتنا على خُلقه ولينه = أو كلمة نحوها = قال : فاختاروا من شئتم ! قال : فاختاروا سبعين رجلاً . قال : فذلك قوله : « واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا » ، قال : فلما انتهوا إليه ، قالوا : يا هرون ، من قتلك ؟ قال : ما قتلني أحد ، ولكنني توفّاني الله ! قالوا : يا موسى : لن تعصَى بعد اليوم ! قال : فأخذتهم الرجفة . قال : فجعل موسى يرجع يميناً وشمالاً ، وقال : « يا رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منّا إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء » ، قال : فأحياهم الله وجعلهم أنبياءَ كلهم .(١)

١٥١٥٨ – حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحق ، عن رجل من بني سلول : أنه سمع عليًّا رضي الله عنه يقول في هذه الآية : « واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا » ، قال : كان هرون

---

(١) الأثر : ١٥١٥٧ – « عمارة بن عبد السلولي » ، هو أخو : « سليم بن عبد السلولي » و « زيد بن عبد السلولي » ، قال العجلي : « هم ثلاثة إخوة : سليم بن عبد ، وعمارة بن عبد ، وزيد بن عبد ، ثقات ، سلوليون ، كوفيون » . روى عن علي ، وحذيفة . لم يرو عنه غير أبي إسحق الهمداني . قال أحمد بن حنبل : « عمارة بن عبد ، مستقيم الحديث ، لا يروى عنه غير أبي إسحق » . وقال أبو حاتم : « شيخ مجهول لا يحتج بحديثه » . مترجم في ابن سعد ٦ : ١٥٨ ، وابن أبي حاتم ٣/١/٣٦٧ ، وميزان الاعتدال ٢ : ٢٤٨ ، ومر ذكره في التعليق على رقم : ٨٧٥٤ .

وهذا الخبر ، ذكره ابن كثير في تفسيره ٣ : ٥٦١ ، ٥٦٢ : « وهذا أثر غريب جداً ، وعمارة بن عبد هذا ، لا أعرفه » . فقد تبين مما ذكرت أنه معروف ، وأن ابن كثير لم يستوعب بحثه .

وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣ : ١٢٨ ، ونسبه إلى عبد بن حميد ، وابن أبي الدنيا في كتاب : من عاش بعد الموت ، وابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ ولم أجده في كتاب « من عاش بعد الموت » المطبوع ، فدل هذا على نقص النسخة المطبوعة منه .

حسنَ الخلق محبَّباً فى بنى إسرائيل . قال : فلما مات ، دَفَنه موسى . قال : فلما أتى بنى إسرائيل ، قالوا له : أين هرون ؟ قال : مات ! فقالوا : قتلته! قال : فاختار منهم سبعين رجلاً . قال : فلما أتوا القبرَ قال موسى : أقُتِلت أو مت ؟ قال : مِتّ ! فأُصعقوا ، فقال موسى : ربِّ ما أقول لبنى إسرائيل ؟ إذا رجعت يقولون : أنت قتلتهم ! قال : فأحيُوا وجُعِلوا أنبياء .

١٥١٥٩ — حدثنى عبد الله بن الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا أبى قال ، حدثنا الربيع بن حبيب قال : سمعت أبا سعيد = يعنى الرقاشى = وقرأ هذه الآية : « واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا » ، فقال : كانوا أبناءَ ما عدا عشرين ، ولم يتجاوزوا الأربعين ، وذلك أن ابن عشرين قد ذهب جهلُه وصباه ، وأنّ من لم يتجاوز الأربعين لم يفقد من عقله شيئاً .(١)

* * *

وقال آخرون : إنما أخذت القوم الرَّجفة ، لتركهم فِراق عبدة العجل ، لا لأنهم كانوا من عَبَدته .

* ذكر من قال ذلك :

١٥١٦٠ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا » ، فقرأ حتى بلغ : « السفهاء منا » ، ذكر لنا أن ابن عباس كان يقول : إنما تناولتهم الرجفة ، لأنهم لم يزايلوا

---

(١) الأثر : ١٥١٥٩ — « عبد الله بن الحجاج بن المنهال » ، لم أجد له ترجمة .
وأبوه « الحجاج بن المنهال الأنماطى » ، مضى مراراً كثيرة .
و « الربيع بن حبيب الحنفى » ، « أبو سعيد » . روى عن الحسن ، وابن سيرين ، وأبى جعفر الباقر . روى عنه أبو داود الطيالسى ، ويحيى القطان ، وعبد الصمد بن عبد الوارث . وثقه أحمد ويحيى . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢٥٣/١/٢ ، وابن أبى حاتم ٤٥٧/٢/١ .
و « أبو سعيد الرقاشى » ، هو فيما أرجح « قيس ، مولى أبى ساسان حضين بن المنذر الرقاشى » وكان أبو سعيد قليل الحديث . مترجم فى ابن سعد ١٥٤/١/٧ ، والكبير ١٥١/١/٤ ، وابن أبى حاتم ١٠٦/٢/٣ .
وهناك أيضاً « أبو سعيد الرقاشى » ، البصرى وهو « بيان بن جندب الرقاشى » ، روى عن أنس . مترجم فى الكبير ١٣٣/٢/١ ، وابن أبى حاتم ٤٢٤/١/١ ، ولسان الميزان ٢ : ٦٩ . قال ابن حبان فى الثقات : « يخطىء » .

القوم حين نَصَبُوا العجل ، وقد كرهوا أن يجامِعُوهم عليه .

١٥١٦١ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قوله : « واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا » ، ممن لم يكن قال ذلك القول ، على أنهم لم يجامعوهم عليه ، فأخذتهم الرجفة من أجل أنهم لم يكونوا باينوا قومَهم حين اتَّخذوا العجل . قال: فلما خرجوا ودعوا، أماتهم الله ثم أحياهم . فلما أخذتهم الرجفة قال : « رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإيّاى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا » .

١٥١٦٢ ــ حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد قال ، قال مجاهد : « واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا » = و « الميقات » ، الموعد = فلما أخذتهم الرجفة بعد أن خرج موسى بالسبعين من قومه يدعون الله ويسألونه أن يكشف عنهم البلاءَ فلم يستجب لهم ، علم موسى أنهم قد أصابوا من المعصية ما أصابَه قومهم = قال أبو سعد[1] : فحدثني محمد بن كعب القرظي قال : لم يستجب لهم ، من أجل أنهم لم ينهوهم عن المنكر ويأمروهم بالمعروف . قال : فأخذتهم الرجفة ، فماتوا ثم أحياهم الله .

١٥١٦٣ ــ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة ، عن عون ، عن سعيد بن حيان ، عن ابن عباس : أن السبعين الذين اختارهم موسى من قومه ، إنما أخذتهم الرجفة أنَّهم لم يرضَوا ولم ينهَوا عن العجل .

١٥١٦٤ ــ حدثنا ابن بشار قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا عون قال ، حدثنا سعيد بن حيان ، عن ابن عباس ، بنحوه . ٥٢/٩

* * *

واختلف أهل العربية في وجه نصب قوله : « قومه سبعين رجلاً لميقاتنا » .

فقال بعض نحويي البصرة: معناه : واختار موسى من قومه سبعين رجلاً = فلما نزع « من » أعمل الفعل ، كما قال الفرزدق :

---

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « قال ابن سعد » ، والصواب ما أثبت ، كما سلف في إسناد الخبر .

وَمِنَّا الَّذِى اُخْتِيرَ الرِّجَالَ سَمَاحَةً وَجُودًا، إِذَا هَبَّ الرِّيَاحُ الزَّعَازِعُ(١)

وكما قال الآخر : (٢)

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ ، فافْعَلْ مَا أُمِرْتَ بِهِ فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَالٍ وَذَا نَشَبِ(٣)

---

(١) ديوانه : ٥١٦ ، النقائض : ٦٩٦ ، سيبويه ١ : ١٨ ، الكامل ١ : ٢١ ، أمالى الشجرى ١ : ١٨٦ ، الخزانة ٣ : ٦٦٩ ، ٦٧٢ ، اللسان (خير) وغيرها كثير . وهو أول قصيدة ناقض بها جريراً ، وذكر فيها فضائل قومه بنى تميم ومآثرهم ، وعنى بهذا البيت أباه غالباً ، وهو أحد أجواد بنى تميم ، ثم قال بعده :

وَمِنَّا الَّذِى أَعْطَى الرَّسُولُ عَطِيَّةً أُسَارَى تَمِيمٍ ، والعُيُونُ دَوَامِعُ

يعنى الأقرع بن حابس ، الذى كلم رسول الله فى أصحاب الحجرات ، وهم بنو عمرو بن جندب ابن العنبر بن عمرو بن تميم ، فرد رسول الله سبيهم . ثم أفاض فى ذكر مآثرهم .

(٢) هو أعشى طرود : « إياس بن عامر بن سليم بن عامر » . وروى هذا البيت أيضاً فى شعر نسب إلى عمرو بن معد يكرب ، وإلى العباس بن مرداس ، وإلى زرعة بن السائب ، وإلى خفاف بن ندبة (الخزانة ١ : ١٦٦) .

(٣) ديوان الأعشين : ٢٨٤ ، سيبويه ١ : ١٧ ، المؤتلف والمختلف : ١٧ ، الكامل ١ : ٢١ ، أمالى الشجرى ١ : ٢/٣٦٥ : ٢٤٠ ، الخزانة ١ : ١٦٤ — ١٦٧ ، وغيرها كثير . فمن نسبها إلى أعشى طرود قال من بعد أبيات يذكر وصية أبيه له :

إِنِّى حَوَيْتُ عَلَى الأَقْوَامِ مَكْرُمَةً قِدْماً ، وَحَذَّرَنِى مَا يَتَّقُونَ أَبِى
وَقَالَ لِى قَوْلَ ذِى عِلْمٍ وتَجْرِبَةٍ بِسَالِفَاتِ أُمُورِ الدَّهْرِ والحِقَبِ
أَمَرْتُكَ الرُّشْدَ، فَافْعَلْ مَا أُمِرْتَ بِهِ فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَالٍ وَذَا نَشَبِ
لاَ تَبْخَلَنَّ بِمَالٍ عَنْ مَذَاهِبِهِ فِى غَيْرِ زَلَّةِ إِسْرَافٍ وَلاَ تَغَبِ
فَإِنَّ وُرَّاثَهُ لَنْ يَحْمَدُوكَ بِهِ إِذَا أَجَنُّوكَ بَيْنَ اللِّبْنِ وَالخَشَبِ

« التغب » : الهلاك ، يعنى إهلاك المال فى غير حقه . ويروى : « ذا مال وذا نسب » بالسين ، وهو أجود ، لأن النشب هو المال نفسه . وقوله : « بين اللبن والخشب » ، يعنى : ما يسوى عليه فى قبره من الطين والخشب .

وأما الشعر المنسوب إلى عمرو بن معد يكرب أو غيره فهو :

إِنِّى حَوَيْتُ عَلَى الأَقْوَامِ مَكْرُمَةً قِدْماً ، وَحَذَّرَنِى مَا يَتَّقُونَ أَبِى

وقال الراعى :

أُخْتَرْتُكَ النَّاسَ إِذْ غَثَّتْ خَلَائِقُهُمْ وَاعْتَلَّ مَنْ كَانَ يُرْجَى عِنْدَهُ السُّولُ (١)

* * *

وقال بعض نحويى الكوفة : إنما استُجيز وقوع الفعل عليهم إذا طرحت « من » ، لأنه مأخوذ من قولك : « هؤلاء خير القوم » و « خير من القوم » ، فلما جازت الإضافة مكان « من » ولم يتغير المعنى ، (٢) استجازُوا : أن يقولوا « اخترتكم رجلاً » ، و « اخترت منكم رجلاً » ، وقد قال الشاعر : (٣)

* فَقُلْتُ لَهُ : أُخْتَرْهَا قَلُوصًا سَمِينَةً * (٤)

فَقَالَ لِى قَوْلَ ذِى رَأْىٍ وَمَقْدِرَةٍ مُجَرِّبٍ عَاقِلٍ نَزْهٍ عَنِ الرِّيَبِ
قَدْ نِلْتَ مَجْداً فَحَاذِرْ أَنْ تُدَنِّسَهُ أَبٌ كَرِيمٌ ، وجَدٌّ غَيْرُ مُؤْتَشَبِ
أَمَرْتُكَ الخَيْرَ . . . . . .
وأُتْرُكْ خَلَائِقَ قَوْمٍ لَا خَلَاقَ لَهُمْ وَاعْمِدْ لِأَخْلَاقِ أَهْلِ الفَضْلِ والأَدَبِ
وَإِنْ دُعِيتَ لِغَدْرٍ أَوْ أُمِرْتَ بِهِ فَاهْرُبْ بِنَفْسِكَ عَنْهُ أَبْعَدَ الهَرَبِ

(١) لم أجد البيت فى مكان . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « إذ عنت » ، بالعين المهملة والنون . ولا معنى لها ، ورجحت أن الصواب « غثت » بالغين والثاء . يقال : « غثثت فى خلقك وحالك غثاثة وغثوثة » ، وذلك إذا ساء خلقه وحاله . و « الغث » الردىء من كل شىء . و « اعتل » ، طلب العلل لمنع العطاء .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « فإذا جازت الإضافة » ، وأثبت صواب سياقها من معانى القرآن للفراء ، فهو نص كلامه .

(٣) هو الراعى النميرى .

(٤) طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام : ٤٥٠ ، وما قبلها ، وشرح الحماسة ٤ : ٣٧ ، وما قبله ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٣٩٥ (وهذه روايته) ، وغيرها . وهو من شعر قاله الراعى لما نزل به ضيف من بنى كلاب فى سنة حصاء مجدبة ، وليس عنده قرى ، والكلابى على ناب له (وهى الناقة المسنة) ، فأمر الراعى ابن أخيه حبتراً ، فنحرها من حيث لا يعلم الكلابى ، فأطعمه لحمها ، فقال الراعى فى قصيدته يذكر أنه نظر إلى فاقة الكلابى :

فَأَبْصَرْتُهَا كَوْمَاءَ ذَاتَ عَرِيكَةٍ هِجَاناً مِنَ اللَّاتِى تَمَتَّعْنَ بِالصَّوَى
فَأَوْمَضْتُ إِيمَاضاً خَفِيًّا لِحَبْتَرٍ وَلِلَّهِ عَيْناً حَبْتَرٍ ! أَيُّمَا فَتَى

وقال الراجز : (١)

* تَحْتَ الَّتِى اخْتَارَ لَهُ اللهُ الشَّجَرْ *(٢)

بمعنى : اختارَها له الله من الشجر . (٣)

* * *

قال أبو جعفر : وهذا القول الثانى أولى عندى فى ذلك بالصواب ، لدلالة « الاختيار » على طلب « من » التى بمعنى التبعيض . ومن شأن العرب أن تحذف الشىء من حَشْو الكلام إذا عُرِف موضعه ، وكان فيما أظهرت دلالةٌ على ما حذفت. فهذا من ذلك إن شاء الله .

* * *

فَقُلْتُ لَهُ : أَلْصِقْ بِأَيْبَسِ سَاقِهَا فَإِنْ يُجْبَرِ الْمَرْقُوبُ لاَ يَرْقَأُ النَّسَا
فَقَامَ إِلَيْهَا حَبْتَرٌ بِسِلاَحِهِ ، مَضَى غَيْرَ مَنْكُودٍ ، وَمُنْصُلُهُ انْتَضَى
كَأَنِّى وَقَدْ أَشْبَعْتُهُ مِنْ سَنَامِهَا كَشَفْتُ غِطَاءً عَنْ فُؤَادِى فَانْجَلَى

وهذا تصوير جميل جيد ، لهذه الحادثة الطريفة . ثم قال :

فَقُلْتُ لِرَبِّ النَّابِ : خُذْهَا فَتِيَّةً ، وَنَابٌ عَلَيْهَا مِثْلُ نَابِكَ فِى الحَيَا

أى : خذ مكانها ناقة فتية ، وناقة أخرى مسنة مثل نابك المسنة ، يوم يأتى الخصب ، وتحيى أموالنا .

(١) هو العجاج

(٢) ديوانه : ١٥ ، معانى القرآن للفراء ١ : ٣٩٥ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٢٩ ، اللسان (خير) ، ورواية الديوان ، ومعانى القرآن : « تحت الذى » . وهو من قصيدته فى مدح عمر بن عبيد الله بن معمر التيمى ، مضت منها أبيات كثيرة ، انظر ما سلف ١٠ : ١٧٢ ، تعليق : ٢ ، وهذا البيت فى ذكر نبى الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ، وبيعتهم تحت الشجرة . وهى بيعة الرضوان فى عمرة الحديبية ، فذكر عهد رسول الله ، وعهد الصديق ، وعهد عمر ، وعهد المهاجرين ، وعهد الأنصار ، ثم ذكر بيعة الرضوان فقال :

وَعُصْبَةِ النَّبِىِّ إِذْ خَافُوا الحَصَرْ شَدُّوا لَهُ سُلْطَانَهُ حَتَّى أُقْتَسَرْ
بِالْقَتْلِ أَقْوَاماً وَأَقْوَاماً أُسَرْ تَحْتَ الَّذِى اخْتَارَ لَهُ اللهُ الشَّجَرْ

وفى المخطوطة : « تحت التى اختارها له الله » ، وهو خطأ ظاهر ، صوابه ما فى المطبوعة .

(٣) انظر مجاز القرآن ١ : ٢٢٩ ، ونصه : « تحت الشجرة التى اختار له الله من الشجر » .

وقد بينا معنى « الرجفة » فيما مضى بشواهدها ، وأنها : ما رجف بالقوم وزعزعهم وحرّكهم ، (١) أهلكهم بعدُ فأماتهم ، (٢) أو أصعقهم فسلب أفهامهم . (٣)

* * *

وقد ذكرنا الرواية فى غير هذا الموضع وقول من قال : إنها كانت صاعقة أماتتهم . (٤)

١٥١٦٥ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ،عن ابن أبى نجيح ،عن مجاهد : «فلما أخذتهم الرجفة » ، ماتوا ثم أحياهم.

١٥١٦٦ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « سبعين رجلاً لميقاتنا » ، اختارهم موسى لتمام الموعد = « فلما أخذتهم الرجفة » ، ماتوا ثم أحياهم الله .

١٥١٦٧ – حدثنى عبد الكريم قال، حدثنا إبراهيم قال ، حدثنا سفيان قال ، قال أبو سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « فلما أخذتهم الرجفة » ، قال : رُجف بهم .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « ما رجف بالقوم وأرعبهم » ، لم يحسن قراءة المخطوطة لأنها غير منقوطة ، ولأنها سيئة الكتابة ، فاجتهد وأخطأ . وقد مضى اللفظ على الصواب فيما سلف ، انظر التعليق التالى رقم : ٣ ، فى المراجع .

(٢) فى المطبوعة ، زاد « واوا » فكتب : « وأهلكهم » عطفاً على ما قبله ، فأفسد معنى أبى جعفر . وإنما أراد أبو جعفر أن الرجفة : إما أن تعقب الهلاك ، وتصعق من تنزل به فتسلبه فهمه من شدة الروع .

(٣) انظر تفسير « الرجفة » فيما سلف : ١٢ : ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٦٦

(٤) انظر ما سلف قديماً ٢ : ٨٤ – ٩٠ ، ثم ما سلف حديثاً ص : ١٤٠

القول فى تأويل قوله ﴿ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَـٰفِرِينَ ﴾ (١٥٥)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : معنى ذلك : أتهلك هؤلاء الذين أهلكتهم بما فعل السفهاء منا ، أى : بعبادة من عبد العجل ؟ قالوا : وكان الله إنما أهلكهم لأنهم كانوا ممن يعبد العجل . وقال موسى ما قال ، ولا علم عنده بما كان منهم من ذلك .(١)

* ذكر من قال ذلك :

١٥١٦٨ — حدثنا موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « أتهلكنا بما فعل السفهاء منا » ، فأوحى الله إلى موسى : إن هؤلاء السبعين ممّن اتخذ العجل ! فذلك حين يقول موسى : « إن هى إلا فتنتك تُضل بها من تشاء وتهدي من تشاء » .(٢)

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : إن إهلاكك هؤلاء الذين أهلكتهم ، هلاك لمن وراءهم من بنى إسرائيل، إذا انصرفت إليهم وليسوا معى = و « السفهاء »، على هذا القول ، كانوا المهلكين الذين سألوا أن يُريهم ربّهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٥١٦٩ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : لما أخذت الرجفة السبعين فماتوا جميعاً ، قام موسى يناشد ربّه ويدعوه ويرغب

(١) انظر تفسير « السفهاء » فيما سلف من فهارس اللغة (سفه) = وتفسير « الهلاك » فيما سلف (هلك) .

(٢) الأثر : ١٥١٦٨ — مضى قديماً برقم : ٩٥٨ بتمامه ، ومضى صدره قريباً برقم : ١٥١٥٢ .

إليه ، يقول : « رب لو شئتَ أهلكتهم من قبل وإيّاى » ، قد سفهوا ، أفتهلك من ورائى من بنى إسرائيل بما فعل السفهاء منا ؟ أي : إن هذا لهم هلاكٌ ، قد اخترت منهم سبعين رجلاً الخيِّر فالخيِّر ، أرجع إليهم وليس معى رجل واحد ! فما الذى يصدِّقوننى به ، أو يأمنوننى عليه بعد هذا ؟ (١)

* * *

وقال آخرون فى ذلك بما : —

٥٣/٩ ١٥١٧٠ — حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « أتهلكنا بما فعل السفهاء منا »، أتؤاخذنا وليس منا رجلٌ واحد تَرَكَ عبادتك، ولا استبدل بك غيرك ؟

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين بتأويل الآية ، قولُ من قال : إن موسى إنما حزن على هلاك السبعين بقوله : « أتهلكنا بما فعل السفهاء منا » ، وأنّه إنما عنى بـ « السفهاء » عبدةَ العجل . وذلك أنه محالٌ أن يكون موسى صلى الله عليه وسلم كان تخيَّر من قومه لمسألة ربِّه ما أراه أن يسألَ لهم إلا الأفضل فالأفضل منهم، ومحالٌ أن يكون الأفضلَ كان عنده مَنْ أشرك فى عبادة العجل واتخذَه دون الله إلهاً.

* * *

قال : فإن قال قائل : فجائز أن يكون موسى عليه السلام كان معتقداً أن الله سبحانه يعاقب قوماً بذنوب غيرهم ، فيقول : أتهلكنا بذنوب من عبد العجل ، ونحن من ذلك برآء ؟

قيل : جائز أن يكون معنى « الإهلاك » قبض الأرواح على غير وجه العقوبة ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ ﴾ ، [سورة النساء : ١٧٦] = يعنى : مات = فيقول : أتميتنا بما فعلَ السُّفهاء منّا ؟ (٢)

* * *

(١) الأثر : ١٥١٦٩ — مضى قديماً برقم : ٩٥٧ بتمامه ، ومضى قريباً بتمامه رقم : ١٥١٥٣ .

(٢) انظر تفسير « الهلاك » فيما سلف ٩ : ٣٠/١٠٤ : ١٤٧ ، وفهارس اللغة (هلك) .

وأما قوله : « إن هي إلا فتنتك » ، فإنه يقول جل ثناؤه : ما هذه الفعلة التي فعلتها قومي ، من عبادتهم ما عبدوا دونك ، إلا فتنة منك أصابتهم = ويعني بـ « الفتنة » ، الابتلاء والاختبار[1] = يقول : ابتليتهم بها ، ليتبين الذي يضل عن الحق بعبادته إياه ، والذي يهتدي بترك عبادته . وأضاف إضلالهم وهدايتهم إلى الله ، إذ كان ما كان منهم من ذلك عن سببٍ منه جل ثناؤه .

* * *

وبنحو ما قلنا في « الفتنة » قال جماعة من أهل التأويل

* ذكر من قال ذلك :

١٥١٧١ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : « إن هي إلا فتنتك » ، قال : بليتك .

١٥١٧٢ — . . . . قال ، حدثنا حبويه الرازي ، عن يعقوب ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير : « إلا فتنتك » ، إلا بليتك .[2]

١٥١٧٣ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن ابن سعد قال ، أخبرنا أبو جعفر ،[3] عن الربيع بن أنس : « إن هي إلا فتنتك » ، قال بليتك .

١٥١٧٤ — . . . . قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ابن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء » ، إن هو إلا عذابك تصيبُ به من تشاء ، وتصرفه عمن تشاء .[4]

---

(١) انظر تفسير « الفتنة » فيما سلف ١٢ : ٣٧٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) الأثر : ١٥١٧٢ — « حبويه الرازي » هو : « إسحق بن إسماعيل الرازي » « أبو يزيد » ، مضى مراراً ، آخر رقم : ١٥٠١٥ ، والراوي عن حبويه هو « ابن وكيع » ، كما هو ظاهر ، ولذلك وضعت نقطاً مكان اسمه ، في هذا الموضع وما يشابهه من المواضع ، حيث يختصر أبو جعفر شيخه من الإسناد .

(٣) في المطبوعة والمخطوطة : « أخبرنا ابن جعفر » ، وهو خطأ ظاهر جداً ، صوابه ما أثبت . وقد مضى هذا الإسناد وشبهه من رواية أبي جعفر الرازي عن الربيع ، انظر ما سلف قريباً : ١٥١٧١ .

(٤) الأثر : ١٥١٧٤ — شيخ الطبري في هذا الإسناد ، هو « المثنى » المذكور في الأثر

١٥١٧٥ ــ حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « إن هي إلا فتنتك » ، أنت فتنتهم .

* * *

وقوله : « أنت ولينا » ، يقول : أنت ناصرنا [١] = « فاغفر لنا »، يقول : فاستر علينا ذنوبَنا بتركك عقابَنا عليها = « وارحمنا »، تعطف علينا برحمتك = « وأنت خير الغافرين »، يقول : خير من صَفَح عن جُرم، وستَر على ذنب . [٢]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : مخبرًا عن دعاء نبيه موسى عليه السلام أنه قال فيه : « واكتب لنا » ، أي : اجعلنا ممن كتَبت له = « في هذه الدنيا حسنَةً » ، وهي الصالحات من الأعمال [٣] = « وفي الآخرة » ، ممن كتبتَ له المغفرة لذنوبه ، كما : ــ

١٥١٧٦ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قوله : « واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة » ، قال : مغفرة .

* * *

وقوله : « إنا هُدنا إليك » ، يقول : إنا تبنا إليك . [٤]

* * *

وبنحو ذلك قال أهل التأويل .

قبله . وسأضع هذه النقط، حيث يختصر أبو جعفر شيخه، ثم لا أنبه إليه ، ومعلوم أن المحذوف هو شيخه في الإسناد قبله .

(١) انظر تفسير « ولي » فيما سلف ١١ : ٢٨٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « المغفرة » ، و « الرحمة » فيما سلف من فهارس اللغة (غفر) و (رحم) .

(٣) انظر تفسير « الحسنة » فيما سلف من فهارس اللغة (حسن) .

(٤) انظر تفسير « هاد » فيما سلف ١٢ : ١٩٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

• ذكر من قال ذلك :

١٥١٧٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير، وابن فضيل،وعمران بن عيينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير = وقال عمران : عن ابن عباس = « إنا هدنا إليك » ، قال : تبنا إليك .

١٥١٧٨ – . . . . قال، حدثنا زيد بن حباب، عن حماد بن سلمة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، قال : تبنا إليك .

١٥١٧٩ – . . . . قال ، حدثنا جابر بن نوح، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : تبنا إليك .

١٥١٨٠ – . . . . قال ، حدثنا عبد الله بن بكر، عن حاتم بن أبي صغيرة ، عن سماك: أن ابن عباس قال في هذه الآية: « إنا هدنا إليك »، قال : تبنا إليك .(١)

١٥١٨١ – حدثني المثنى قال، حدثنا الحجاج قال ، حدثنا حماد ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير = قال : أحسبه عن ابن عباس : « إنا هدنا إليك » ، قال : تبنا إليك .

٩/٥٠ ١٥١٨٢ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « إنا هدنا إليك » ، يقول : تبنا إليك .

١٥١٨٣ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثني يحيى بن سعيد قال ، حدثنا

---

(١) الأثر : ١٥١٨٠ – « عبد الله بن بكر بن حبيب السهمي » ، ثقة ، من شيوخ أحمد ، مضى برقم : ٨٢٨٤ ، ١٠٨٨٥ ، ١١٢٣٢ .

و « حاتم بن أبي صغيرة » ، هو « حاتم بن مسلم » « أبو يونس » القشيري ، وقيل : الباهلي ، و « أبو صغيرة » ، هو أبو أمه ، ثقة . روى له الجماعة . مترجم في التهذيب ، والكبير ٧١/١/٢ ، وابن أبي حاتم ٢٥٧/٢/١ .

وكان في المخطوطة والمطبوعة : « حاتم بن أبي مغيرة » ، بالميم في أوله ، وهو خطأ محض .

سفيان قال ، حدثنا عبد الرحمن بن الأصبهانى ، عن سعيد بن جبير فى قوله : « إنا هدنا إليك » ، قال تبنا إليك .

١٥١٨٤ — . . . قال ، حدثنا عبد الرحمن ، ووكيع بن الجراح قالا ، حدثنا سفيان ، عن عبد الرحمن بن الأصبهانى ، عن سعيد بن جبير ، بمثله .

١٥١٨٥ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن ابن الأصبهانى ، عن سعيد بن جبير ، مثله .

١٥١٨٦ — . . . قال ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم قال : تبنا إليك .

١٥١٨٧ — . . . قال ، حدثنا محمد بن يزيد ، عن العوام ، عن إبراهيم التيمى قال : تبنا إليك .

١٥١٨٧ م — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم عن العوام ، عن إبراهيم التيمى ، مثله .

١٥١٨٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « إنا هدنا إليك » ، أى : إنا تبنا إليك .

١٥١٨٩ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة فى قوله : « هدنا إليك » ، قال : تبنا .

١٥١٩٠ — حدثنا موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « إنا هدنا إليك » ، يقول : تبنا إليك .

١٥١٩١ — حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « إنا هدنا إليك » ، يقول : تبنا إليك .

١٥١٩٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٥١٩٣ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن أبى جعفر الرازى ، عن

الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، قال : « هدنا إليك » ، قال : تبنا إليك .

١٥١٩٤ — . . . قال ، حدثنا أبي ، عن أبي حجير ، عن الضحاك ، قال : تبنا إليك .[١]

١٥١٩٥ — ... قال ، حدثنا المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : تبنا إليك .

١٥١٩٦ — وحدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول ، فذكر مثله .

١٥١٩٧ — . . . قال ، حدثنا أبي ، وعبيد الله ، عن شريك ، عن جابر ، عن مجاهد قال : تبنا إليك .

١٥١٩٨ — . . . قال ، حدثنا حبويه أبو يزيد ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، مثله .[٢]

١٥١٩٩ — . . . قال ، حدثنا أبي ، عن شريك ، عن جابر ، عن عبد الله بن يحيى ، عن علي عليه السلام قال : إنما سميت «اليهود» ، لأنهم قالوا : « هدنا إليك » .[٣]

١٥٢٠٠ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « إنا هدنا إليك » ، يعني : تبنا إليك .

١٥٢٠١ — حدثنا ابن البرقي قال ، حدثنا عمرو قال ، سمعت رجلاً يسأل سعيداً : « إنا هدنا إليك » ، قال : إنا هدنا إليك .

* * *

وقد بينا معنى ذلك بشواهده فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته .[٤]

* * *

---

(١) الأثر : ١٥١٩٤ — « أبو حجير » ، الذي يروى عن الضحاك ، ويروى عنه وكيع ، قال أحمد ابن حنبل : « ما حدثني عنه إلا وكيع » ، مترجم في لسان الميزان ٦ : ٣٦٣ ، ولم أجد له ترجمة في غيره من كتب الرجال .

(٢) الأثر : ١٥١٩٨ — « حبويه » ، « أبو يزيد » ، مضى قريباً برقم : ١٥١٧٢ .

(٣) الأثر : ١٥١٩٩ — « جابر بن عبد الله بن يحيى » ، هكذا هو في المخطوطة ، وفي المطبوعة « جابر ، عن عبد الله بن يحيى » ، ولم أجد لشيء من ذلك ذكراً في الكتب ، وهو محرف بلا شك عن شيء آخر . وانظر ما سلف رقم : ١٠٩٤ ، عن ابن جريج ، بمعنى هذا الخبر .

(٤) انظر تفسير « هاد » فيما سلف ص : ١٥٢ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٥٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال الله لموسى : هذا الذى أصبتُ به قومك من الرجفة ، عذابى أصيب به من أشاء من خلقى ، كما أصيب به هؤلاء الذين أصبتهم به من قومك[1]= « ورحمتى وسعت كل شىء » ، يقول : ورحمتى عمّت خلقى كلهم .[2]

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : مخرجه عامٌّ ، ومعناه خاص ، والمراد به : ورحمتى وَسِعت المؤمنين بى من أمة محمّدٍ صلى الله عليه وسلم . واستشهد بالذى بعده من الكلام ، وهو قوله : « فسأكتبها للذين يتقون » ، الآية .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٢٠٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو سلمة المنقرى قال ، حدثنا حماد ابن سلمة قال ، أخبرنا عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أنه قرأ : « ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون » ، قال : جعلها الله لهذه الأمة .[3]

---

(١) انظر تفسير « الإصابة » فيما سلف من فهارس اللغة (صوب) .

(٢) انظر تفسير « وسع » فيما سلف ١٢ : ٥٦٢ ، تعليق ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) الأثر : ١٥٢٠٢ — « أبو سلمة المنقرى » ، هو « أبو سلمة التبوذكى » : « موسى ابن إسماعيل المنقرى » ، مولاهم ، روى عنه البخارى ، وأبو داود ، وروى له الباقون من أصحاب الكتب الستة بالواسطة . ثقة إمام . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/١/٢٨٠ ، وابن أبى حاتم ٤/١/١٣٦ .

١٥٢٠٣ – حدثني عبد الكريم قال، حدثنا إبراهيم بن بشار قال ، قال سفيان قال ، أبو بكر الهذلي : فلما نزلت : « ورحمتي وسعت كل شيء » ، قال إبليس: أنا من « الشيء »! فنزعها الله من إبليس، قال : « فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون »، فقال اليهود: نحن نتقي ونؤتي الزكاة ونؤمن بآيات ربنا ! فنزعها الله من اليهود فقال : « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي » الآيات كلها . قال : فنزعها الله من إبليس ، ومن اليهود ، وجعلها لهذه الأمة .(١) ٥٥/٩

١٥٢٠٤ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : لما نزلت : « ورحمتي وسعت كل شيء » ، قال إبليس : أنا من « كل شيء! » .قال الله: « فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون » ، الآية ، فقالت اليهود : ونحن نتقي ونؤتي الزكاة ! فأنزل الله : « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي » ، قال : نزعها الله عن إبليس ، وعن اليهود ، وجعلها لأمة محمد : سأكتبها للذين يتقون من قومك .

١٥٢٠٥ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء » ، فقال إبليس : أنا من ذلك «الشيء » ! فأنزل الله: «فسأكتبها للذين يتقون » معاصي الله = « والذين هم بآياتنا يؤمنون »، فتمنتها اليهود والنصارى ، فأنزل الله شرطاً وثيقاً بيّناً ، فقال: «الذين يتبعون الرسول النبيّ الأمي »، فهو نبيكم، كان أميًّا لا يكتُب صلى الله عليه وسلم .

١٥٢٠٦ – حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية قال، أخبرنا خالد الحذاء ،

---

(١) الأثر : ١٥٢٠٣ – « عبد الكريم » ، هو « عبد الكريم بن الهيثم بن زياد القطان » ، شيخ الطبري ، ثقة ، مضى برقم : ٨٩٢ .

و « إبراهيم بن بشار الرمادي » ، ثقة . مضى برقم : ٨٩٢ ، ٦٣٢١ .

و « سفيان » هو : ابن عيينة .

و « أبو بكر الهذلي » ، ضعيف مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٤٦٩٠ .

عن أنيس بن أبي العريان ، عن ابن عباس في قوله : « واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدانا إليك » ، قال : فلم يعطها ، فقال : « عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون » إلى قوله : « الرسول النبيّ الأمي » .(١)

١٥٢٠٧ – حدثنا ابن وكيعٌ قال، حدثنا ابن علية، وعبد الأعلى ، عن خالد، عن أنيس أبي العُرْيان = قال عبد الأعلى، عن أنيس أبي العُرْيان = وقال : قال ابن عباس: « واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنّا هدنا إليك »، قال : فلم يعطها موسى ، قال : « عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها » ، إلى آخر الآية .(١)

١٥٢٠٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس قال: كان الله كتب في الألواح ذكر محمد وذكرَ أمته ، وما ذَخَرَ لهم عنده، وما يسّر عليهم في دينهم، وما وَسّع عليهم فيما أحلّ لهم ، فقال:

---

(١) الأثران ١٥٢٠٦ ، ١٥٢٠٧ – « أنيس أبو العريان الجاشعي » ، بغير (ابن) بينهما ، مترجم في الكبير ٤٤/٢/١ ، وابن أبي حاتم ٣٣٣/١/١ ، ولم يشر واحد منهما إلى أنه : « أنيس ابن أبي العريان » .

وفي المخطوطة في الخبر الأول : « أنيس بن أبي العريان » بإثبات (ابن) ، وفي الخبر الثاني في الموضعين كليهما « أنيس أبي العريان » بغير « ابن » كما أثبتها ، وأما في المطبوعة ، فإنه جعله في المواضع كلها « أنيس بن أبي العريان » ، وهو تصرف معيب لاشك في ذلك .

والظاهر أنه اختلف على ابن علية في رواية اسمه، رواه مرة « أنيس بن أبي العريان » ، ثم رواه أخرى « أنيس أبي العريان » ، كما في الأثر الثاني منهما ، وذكر الطبري قول عبد الأعلى ، ليؤيد به هذه الرواية عن ابن علية . فإن صح هذا الاختلاف على ابن عيينة ، وإلا فإنه ينبغي أن يكون أحد أمرين إما أن يكون صوابَ الخبر الأول : « أنيس أبي العريان » ، والثاني « أنيس أبي العريان » في الأولى ، وعن عبد الأعلى « أنيس بن أبي العريان » .

أو : أن يكون الأول عن ابن عيينة : « أنيس بن أبي العريان » ، والثاني أيضاً : « أنيس ابن أبي العريان » ، وعن عبد الأعلى : « أنيس أبي العريان » .

والله أعلم بالصواب في كل ذلك ، ولا مرجح عندي .

« عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون » = يعني : الشركَ = الآية .

* * *

وقال آخرون : بل ذلك على العموم في الدنيا ، وعلى الخصوص في الآخرة .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٢٠٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر، عن الحسن وقتادة في قوله : « ورحمتي وسعت كل شيء »، قالا : وسعت في الدنيا البَرَّ والفاجر ، وهي يوم القيامة للذين اتَّقوا خاصَّةً .

* * *

وقال آخرون : هي على العموم ، وهي التوبة .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٢١٠ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين * واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك »، فقال : سأل موسى هذا ، فقال الله : « عذابي أصيب من أشاء » = العذاب الذي ذكر = « ورحمتي »، التوبةُ = « وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون »، قال : فرحمته التوبةُ التي سأل موسى عليه السلام، كتبها الله لنا .

* * *

وأما قوله : « فسأكتبها للذين يتقون » ، فإنه يقول : فسأكتب رحمتي التي وسعت كل شيء = ومعنى « أكتب » في هذا الموضع : أكتب في اللوح الذي كُتِب فيه التوراة = « للذين يتقون »، [1] يقول: للقوم الذين يخافون الله ويخشون عقابه على الكفر به والمعصية له في أمره ونهيه، فيؤدُّون فرائضه، ويجتنبون معاصيه. [2]

* * *

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « الذين يتقون » بغير لام ، والصواب ما أثبت .

(٢) انظر تفسير « التقوى » فيما سلف من فهارس اللغة (وق) .

وقد اختلف أهل التأويل في المعنى الذى وصف الله هؤلاء القوم بأنهم يتقونه .

فقال بعضهم : هو الشرك .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٢١١ - حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « فسأكتبها للذين يتقون » ، يعني الشرك .

* * *

وقال آخرون : بل هو المعاصي كلها .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٢١٢ - حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة

٥٦/٩ « فسأكتبها للذين يتقون » ، معاصي الله .

* * *

وأما « الزكاة وإيتاؤها » ، فقد بيّنا صفتها فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته .(١)

* * *

وقد ذكر عن ابن عباس في هذا الموضع أنه قال في ذلك ما : -

١٥٢١٣ - حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « ويؤتون الزكاة » ، قال : يطيعون الله ورسوله .

* * *

= فكأنّ ابن عباس تأوّل ذلك بمعنى أنه العمل بما يزكّي النفسَ ويطهّرها من صالحات الأعمال .

* *

وأما قوله : « والذين هم بآياتنا يؤمنون » ، فإنه يقول: وللقوم الذين هم بأعلامنا وأدلتنا يصدّقون ويقرّون .(٢)

* * *

(١) انظر تفسير « إيتاء الزكاة » فيما سلف ١ : ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، وما بعده في فهارس اللغة (زكا) و (أتى) .

(٢) انظر تفسير « الآيات » و « الإيمان » فيما سلف من فهارس اللغة (أي) و (أمن) .

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾

قال أبو جعفر . وهذا القول إبانةٌ من الله جل ثناؤه عن أنّ الذين وَعَد موسى نبيَّه عليه السلام أن يكتب لهم الرحمة التى وصفَها جل ثناؤه بقوله: « ورحمتى وسعت كل شىء » ، هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنه لا يعلم لله رسولٌ وُصف بهذه الصفة = أعنى « الأمى »= غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. وبذلك جاءت الروايات عن أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٢١٤ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمران بن عيينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « فسأكتبها للذين يتقون » ، قال : أمه محمد صلى الله عليه وسلم .

١٥٢١٥ — . . . . قال، حدثنا زيد بن حباب ، عن حماد بن سلمة، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

١٥٢١٦ — حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ، حدثنا يحيى بن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد فى قوله : « فسأكتبها للذين يتقون » ، قال : أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فقال موسى عليه السلام : ليتنى خلقت فى أمّة محمد !

١٥٢١٧ — حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا ،حدثنا جرير ، عن عطاء، عن سعيد بن جبير: «فسأكتبها للذين يتقون»، قال: للذين يتّبعون محمداً صلى الله عليه وسلم.

١٥٢١٨ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن ليث ، عن شهر ابن حوشب ، عن نوف الحميرى قال: لما اختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقات ربه ، قال الله لموسى : أجعل لكم الأرض مسجداً وطهوراً ، وأجعل السكينة معكم

فى بيوتكم ،وأجعلكم تقرأون التوراة عن ظَهْر قلوبكم ،[1] يقرؤها الرجل منكم والمرأةُ ، والحرُّ والعبدُ ، والصغير والكبير . فقال موسى لقومه : إن الله قد يجعل لكم الأرض طهوراً ومسجداً . قالوا : لا نريد أن نصلى إلاّ فى الكنائس ! قال : ويجعل السكينة معكم فى بيوتكم . قالوا : لا نريد إلاّ أن تكون كما كانت ،فى التابوت ! قال : ويجعلكم تقرأون التوراة عن ظهر قلوبكم ،[2] ويقرؤها الرجل منكم والمرأة ، والحر والعبد ، والصغير والكبير . قالوا : لا نريد أن نقرأها إلا نظرًا ! فقال الله : « فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة » إلى قوله : « أولئك هم المفلحون ».

١٥٢١٩ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن نوف البكالى قال : لما انطلق موسى بوفد بنى إسرائيل، كلّمه الله فقال : إنى قد بسطت لهم الأرض طهوراً ومساجدَ يصلُّون فيها حيث أدركتهم الصلاة ، إلا عند مرحاضٍ أو قبر أو حمّام ،وجعلت السكينة فى قلوبهم ، وجعلتهم يقرأون التوراةَ عن ظهر ألسنتهم . قال : فذكر ذلك موسى لبنى إسرائيل، فقالوا : لا نستطيع حمل السكينة فى قلوبنا، فاجعلها لنا فى تابوت، ولا نقرأ التوراة إلا نظرًا ، ولا نصلى إلا فى الكنيسة . فقال الله : « فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة » حتى بلغ «أولئك هم المفلحون » . قال فقال موسى عليه السلام : ياربّ، اجعلنى نبيَّهم ! قال : نبيُّهم منهم ! قال : رب اجعلنى منهم ! قال : لن تدركهم ! قال : ياربّ، أتيتك بوفد بنى إسرائيل، فجعلت وِفادَتنا لغيرنا ! فأنزل الله ﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾[سورة الأعراف : ١٥٩].

---

(١) فى المطبوعة : « عن ظهور قلوبكم » ، بجمع « ظهور » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب محض .

(٢) فى المطبوعة : « عن ظهور » ، وانظر التعليق السالف .

(٣) الأثر : ١٥٢١٨ — « نوف الحميرى » ، هو « نوف البكالى » المذكور فى الأثرين التاليين : ١٥٢١٩ ، ١٥٢٢٠ . وهو « نوف بن فضالة الحميرى البكالى الشامى » . مضى برقم : ٣٩٦٥ ، ٩٤٤٦ ، ٩٤٥٦ .

= قال نوف البكالى : فاحمدوا الله الذى حفظ غيبتكم ، وأخذ لكم بسهمكم ، وجعل وفادة بنى إسرائيل لكم .

٥٧/٩ ١٥٢٢٠ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا معاذ بن هشام قال، حدثنى أبى ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن نوف البكالى ، بنحوه = إلا أنه قال : فإنى أنزل عليكم التوراة تقرأونها عن ظهر ألسنتكم ،رجالُكم ونساؤُكم وصبيانكم . قالوا: لا نُصلّى إلاّ فى كنيسة ، ثم ذكر سائر الحديث نحوه .

١٥٢٢١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا إسحق بن إسمعيل،عن يعقوب، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير : « فسأكتبها للذين يتقون » ، قال : أمة محمد صلى الله عليه وسلم .(١)

١٥٢٢٢ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فسأكتبها للذين يتقون» ، قال : هؤلاء أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

١٥٢٢٣ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : لما قيل:« فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون » ، تمنّتها اليهود والنصارى ،فأنزل الله شرطاً بيّناً وثيقاً فقال : « الذين يتبعون الرّسول النبىّ الأمّى » ، وهو نبيكم صلى الله عليه وسلم ، كان أمّيًّا لا يكتبُ .(٢)

* * *

وقد بينا معنى « الأمى » فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته .(٣)

* * *

وأما قوله: « الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل» ، فإن « الهاء »

---

(١) الأثر : ١٥٢٢١ – « إسحق بن إسماعيل » هو « حبويه » ، « أبو يزيد الرازى » ، الذى مضى قريباً برقم : ١٥١٩٨ ، وصرح هنا أول مرة باسمه .

(٢) الأثر : ١٥٢٢٣ – انظر الأثر السالف رقم : ١٥٢٠٥ .

(٣) انظر تفسير « الأمى » فيما سلف ٢ : ٢٥٧ – ٣/٢٥٩ : ٦/٤٤٢ : ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٥٢٢ / ثم انظر الآثار رقم : ٥٨٢٧ ، ٦٧٧٤ ، ٦٧٧٥ ، ١٥٢٠٥ .

فى قوله : « يجدونه » ، عائدة على « الرسول » ، وهو محمّد صلى الله عليه وسلم ، كالذى : —

١٥٢٢٤ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « الذين يتبعون الرسول النبي الأمىّ » ، هذا محمّدٌ صلى الله عليه وسلم .

١٥٢٢٥ — حدثنى ابن المثنى قال ، حدثنا عثمان بن عمر قال ، حدثنا فليح ، عن هلال بن على ، عن عطاء بن يسار قال : لقيت عبد الله بن عمرو فقلت : أخبرنى عن صفة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة . قال : أجل والله ، إنه لموصوف فى التوراة كصفتِه فى القرآن : يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومُبَشِّراً ونذيراً وحِرْزًا للأمّيين ، أنت عبدى ورسولى ، أسميتك المتوكّل ،[1] ليس بفظٍّ ولا غليظ ولا صخّاب فى الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، ولن نقبضه حتى نقيم به الملةَ العوجاء ، بأن يقولوا : « لا إله إلا الله » ، فنفتح به قلوباً غُلْفاً ، وآذاناً صُمًّا ، وأعيناً عُمْياً = قال عطاء : ثم لقيتُ كعباً فسألته عن ذلك ، فما اختلفا حرفاً ، إلا أن كعباً قال بلغته : قلوباً غُلُوفيا ، وآذاناً صموميا ، وأعيناً عُمْوميا .[2]

١٥٢٢٦ — حدثنى أبو كريب قال ، حدثنا موسى بن داود قال ، حدثنا فليح بن سليمان ، عن هلال بن على قال ، حدثنى عطاء قال : لقيت عبد الله

---

(١) فى المطبوعة : « سميتك » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٥٢٢٥ — « عثمان بن عمر بن فارس بن لقيط العبدى » ، ثقة ، من شيوخ أحمد ، روى له الجماعة ، سلف برقم : ٥٤٥٨ .

و « فليح » ، هو « فليح بن سليمان بن أبى المغيرة الخزاعى » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ٥٠٩٠ .

و « هلال بن على بن أسامة المدنى » ، وينسب إلى جده فيقال : « هلال بن أسامة » ، ثقة ، مضى برقم : ١٤٩٥ .

وانظر الآثار التالية .

ابن عمرو بن العاص ، فذكر نحوه = إلا أنه قال فى كلام كعب : أعيناً عموماً ، وآذاناً صموما ، وقلوباً غُلُوفاً .

١٥٢٢٧ — . . . . قال ، حدثنا موسى قال ، حدثنا عبد العزيز بن سلمة ، عن هلال بن على ، عن عطاء بن يسار ، عن عبد الله بنحوه = وليس فيه كلام كعب .

١٥٢٢٨ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال الله : « الذى يجدونه مكتوباً عندهم » ، يقول : يجدون نعتَه وأمرَه ونبوّته مكتوباً عندهم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَأْمُرُهُمْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَـٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : يأمر هذا النبيُّ الأميُّ أتباعَه بالمعروف = وهو الإيمان بالله ولزوم طاعته فيما أمر ونهى ، فذلك «المعروف» الذى يأمرهم به[1] = « وينهاهم عن المنكر » ، وهو الشرك بالله ، والانتهاء عمّا نهاهم الله عنه .[2]

وقوله : « ويحل لهم الطيبات » ، وذلك ما كانت الجاهلية تحرِّمه من البحائر والسَّوائب والوصائل والحوامى[3] = « ويحرم عليهم الخبَائث » ، وذلك لحم الخنزير والرِّبا وما كانوا يستحلونه من المطاعم والمشارب التى حرمها الله ،[4] كما :—

---

(١) انظر تفسير « المعروف » فيما سلف ٩ : ٢٠١ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « المنكر » فيما سلف ١٠ : ٤٩٦ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « الطيبات » فيما سلف ١١ : ٩٦ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٤) انظر تفسير « الخبائث » فيما سلف ١١ : ٩٦ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

١٥٢٢٩ - حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « ويحرم عليهم الخبائث » ، وهو لحم الخنزير والربا ، وما كانوا يستحلونه من المحرَّمات من المآكل التي حرمها الله .

* * *

٥٨/٩ وأما قوله: « ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم »، فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله .

فقال بعضهم : يعني بـ « الإصر » ، العهدَ والميثاقَ الذي كان أخذه على بني إسرائيل بالعمل بما في التوراة .

* ذكر من قال ذلك .

١٥٢٣٠ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جابر بن نوح ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « ويضع عنهم إصرهم » ، قال : عهدهم .

١٥٢٣١ - . . . . قال ، حدثنا المحاربي، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : عهدهم .

١٥٢٣٢ - حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن علي قال ، أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، مثله .

١٥٢٣٣ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن يمان ، عن مبارك ، عن الحسن : « ويضع عنهم إصرهم » ، قال : العهود التي أعطوها من أنفسهم .

١٥٢٣٤ - . . . . قال ، حدثنا ابن نمير، عن موسى بن قيس ، عن مجاهد : « ويضع عنهم إصرهم » ، قال : عهدهم .[1]

١٥٢٣٥ - حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدي : « ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم »، يقول: يضع عنهم عهودهم ومواثيقهم التي أخذت عليهم في التوراة والإنجيل .

---

(١) الأثر : ١٥٢٣٤ - « موسى بن قيس الحضرمي » ، مضى برقم : ٦٥١٣ .

١٥٢٣٦ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم »، ما كان الله أخذ عليهم من الميثاق فيما حرّم عليهم . يقول : يضع ذلك عنهم .

* * *

وقال بعضهم : عنى بذلك أنه يضع عمن اتّبع نبيّ الله صلى الله عليه وسلم، التشديدَ الذي كان على بني إسرائيل في دينهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٢٣٧ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم » ، فجاء محمد صلى الله عليه وسلم بإقالةٍ منه وتجاوزٍ عنه .

١٥٢٣٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا الحماني قال ، حدثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد : « ويضع عنهم إصرهم»، قال : البولَ ونحوه ، مما غُلِّظ على بني إسرائيل .

١٥٢٣٩ – . . . . قال ، حدثنا الحماني قال ، حدثنا يعقوب، عن جعفر ، عن سعيد قال : شدّة العمل .

١٥٢٤٠ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال مجاهد قوله : « ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم » ، قال : من اتبع محمداً ودينه من أهل الكتاب ، وُضع عنهم ما كان عليهم من التشديد في دينهم .

١٥٢٤١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن فضيل ، عن أشعث ، عن ابن سيرين قال : قال أبو هريرة لابن عباس : ما علينا في الدين من حَرَج أن نزني ونسرق ؟ قال: بلى! ولكن الإصر الذي كان على بني إسرائيل وُضِع عنكم .

١٥٢٤٢ - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « ويضع عنهم إصرهم » ، قال : إصرهم الذي جعله عليهم

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إنّ « الإصر » هو العهد = وقد بينا ذلك بشواهده في موضعٍ غير هذا بما فيه الكفاية[1] = وأن معنى الكلام: ويضع النبيُّ الأميُّ العهدَ الذي كان الله أخذ على بني إسرائيل، من إقامة التوراة والعملِ بما فيها من الأعمال الشديدة، كقطع الجلد من البول ، وتحريم الغنائم، ونحو ذلك من الأعمال التي كانت عليهم مفروضةً ، فنسخها حُكْمُ القرآن .

* * *

وأما « الأغلال التي كانت عليهم » ، فكان ابن زيد يقول بما : —

١٥٢٤٣ - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب، عنه في قوله : « والأغلال التي كانت عليهم » ، قال: «الأغلال»، وقرأ ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ [سورة المائدة : ٦٤]. قال: تلك الأغلال . قال: ودعاهم إلى أن يؤمنوا بالنبيّ فيضع ذلك عنهم .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (١٥٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فالذين صدّقوا بالنبي الأمي وأقرّوا بنبوّته[2] = « وعزّروه » ، يقول : وقرّوه وعظموه وحمَوه من الناس ،[3] كما : —

١٥٢٤٤ - حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني

---

(١) انظر تفسير « الإصر » فيما سلف ٦ : ١٣٥ - ١٣٨ ، ٥٦٠ .
(٢) انظر تفسير « الإيمان » فيما سلف من فهارس اللغة (أمن) .
(٣) انظر تفسير « التعزير » فيما سلف ١٠ : ١١٩ - ١٢١ .

معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « وعزروه » ، يقول : حموه ، وقوّروه .

١٥٢٤٥ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثني موسى ابن قيس، عن مجاهد : « وعزروه ونصروه » ، « عزّروه » ، سدّدوا أمره ، وأعانوا رسُوله = «ونصَرُوه » . ٥٩/٩

* * *

وقوله : « ونصروه » ، يقول: وأعانوه على أعداء الله وأعدائه، بجهادهم ونصب الحرب لهم = « واتبعوا النور الذى أنزل معه »، يعني القرآن والإسلام[1] = « أولئك هم المفلحون » ، يقول : الذين يفعلون هذه الأفعال التى وصف بها جل ثناؤه أتباع محمد صلى الله عليه وسلم، هم المنجحون المدرِكون ما طلبُوا ورَجَوْا بفعلهم ذلك .[2]

١٥٢٤٦ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : فما نقموا = يعنى اليهود = إلا أن حسدوا نبيّ الله ، فقال الله : « الذين آمنوا به وعزّروه ونصروه » ، فأما نصره وتعزيره ، فقد سبقتم به ، ولكن خياركم من آمن بالله واتّبع النور الذى أنزل معه .

* * *

يريد قتادة بقوله « فما نقَموا إلا أن حسدوا نبي الله »، أن اليهودَ كان محمد صلى الله عليه وسلم بما جاء به من عند الله رحمةً عليهم لو اتبعوه ، لأنه جاء بوضع الإصر والأغلال عنهم ، فحملهم الحسد على الكفر به ، وترك قبول التخفيف ، لغلبة خِذْلانِ الله عليهم .

* * *

---

(١) انظر تفسير « النور » فيما سلف ١١ : ٥٢٦ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك

(٢) انظر تفسير « الفلاح » فيما سلف : ١٢ : ٥٠٥، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد صلى الله عليه وسلم : « قل » ، يا محمد للناس كلهم = « إنّى رسول الله إليكم جميعاً » ، لا إلى بعضكم دون بعض ، كما كان من قبلى من الرُّسل مرسلاً إلى بعض الناس دون بعض . فمن كان منهم أرسل كذلك ، فإن رسالتى ليست إلى بعضكم دون بعض ، ولكنها إلى جميعكم .

وقوله : « الذى » من نعت اسم « الله » وإنما معنى الكلام : قل : يا أيها الناس إنى رسول الله ، الذى له ملك السموات والأرض ، إليكم .

ويعنى جل ثناؤه بقوله : « الذى له ملك السموات والأرض » ، الذى له سلطان السّموات والأرض وما فيهما ، وتدبير ذلك وتصريفه[1] = « لا إله إلا هو » ، يقول : لا ينبغى أن تكون الألوهة والعبادة إلا له جل ثناؤه ، دون سائر الأشياء غيره من الأنداد والأوثان ، إلاّ لمن له سلطان كل شىء ، والقادر على إنشاء خلق كل ماشاء وإحيائه ، وإفنائه إذا شاء إماتته = « فآمنوا بالله ورسوله » ، يقول جل ثناؤه : قل لهم : فصدّقوا بآيات الله الذى هذه صفته ، وأقرُّوا بوحدانيته ، وأنه الذى له الألوهة والعبادة ، وصدّقوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم أنّه مبعوث إلى خلقه ، داع إلى توحيده وطاعته .

* * *

(١) انظر تفسير « الملك » فيما سلف من فهارس اللغة (ملك) .

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (١٥٨)

قال أبو جعفر : أما قوله : « النبي الأميّ » ، فإنه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* *

وقد بينت معنى « النبى » فيما مضى بما أغنى عن إعادته = ومعنى قوله : «الأمى».[1]

* * *

= « الذى يؤمن بالله » ، يقول : الذى يصدق بالله وكلماته .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « وكلماته » .[2]

فقال بعضهم : معناه : وآياته .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٢٤٧ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « الذى يؤمن بالله وكلماته » ، يقول : آياته .

* * *

وقال آخرون : بل عنى بذلك عيسى بن مريم عليه السلام .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٢٤٨ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال مجاهد قوله : « الذى يؤمن بالله وكلماته »، قال : عيسى ابن مريم .

١٥٢٤٩ — وحدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد قال ، حدثنا

---

(١) انظر تفسير « النبى » فيما سلف ٢ : ١٤٠ — ١٤٢ / ٦ : ٢٨٤ ، ٣٨٠ ، وغيرها من المواضع .

= وتفسير « الأمى » ، فيما سلف قريباً ص: ١٦٣ ،تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الكلمة » فيما سلف من فهارس اللغة (كلم) .

أسباط ، عن السدى : « الذى يؤمن بالله وكلماته » ، فهو عيسى بن مريم .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا ، أنّ الله تعالى ذكره أمرَ عباده أن يصدّقوا بنبوّة النبيّ الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته ، ولم يخصص الخبرَ جل ثناؤه عن إيمانه من « كلمات الله » ببعض دون بعضٍ ، بل أخبرهم عن جميع « الكلمات » ، فالحق فى ذلك أن يعمّ القول ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤمن بكلمات الله كلّها ، على ما جاء به ظاهرُ كتابِ الله .

* * *

٦٠/٩ وأما قوله تعالى : « واتبعوه لعلكم تهتدون » ، فاهتدوا به ، أيها الناس ، واعملوا بما أمركم أن تعملوا به من طاعة الله = « لعلكم تهتدون » ، يقول : لكى تهتدوا فترشدوا وتصيبوا الحقّ فى اتّباعكم إيّاه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ (١٥٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « ومن قوم موسى » ، يعنى بنى إسرائيل= «أمة » ، يقول : جماعة[1] = «يهدون بالحق» ، يقول : يهتدون بالحق ، أى يستقيمون عليه ويعملون[2] = « وبه يعدلون » ، أى : وبالحق يعطُون ويأخذون ، ويُنصفون من أنفسهم فلا يجورون .[3]

* * *

وقد قال فى صفة هذه الأمة التى ذكرها الله فى الآية ، جماعةٌ أقوالاً ، نحن ذاكرو ما حضَرنا منها .

---

(١) انظر تفسير « أمة » فيما سلف ١٢ : ٤١٥ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الهدى » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) .
(٣) انظر تفسير « العدل » فيما سلف ٦ : ٥١ ، وفهارس اللغة (عدل) .

١٥٢٥٠ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، عن صدقة أبي الهذيل ، عن السدى : « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » ، قال : قوم بينكم وبينهم نهر من شُهْدٍ .(١)

١٥٢٥١ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قوله : « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » ، قال : بلغني أن بني إسرائيل لمّا قتلوا أنبياءَهم ، كفروا . وكانوا اثني عشر سبطاً ، تبرّأ سبطٌ منهم مما صنعوا ، واعتذروا ، وسألوا الله أن يفرّق بينهم وبينهم ، ففتح الله لهم نَفَقاً في الأرض ، فساروا فيه حتى خرجُوا من وراء الصين ، فهم هنالك ،

---

(١) الأثر : ١٥٢٥٠ – « صدقة أبي الهذيل » ، ترجم له البخاري في الكبير ٢/٢/٢٩٥ ، ولم يزد على أن قال : « عن السدى ، روى عنه ابن عيينة » ، ولم يذكر فيه جرحاً . وذكره في التهذيب وقال : « صدقة أبو الهذيل ، تقدم ذكره في ترجمة : صدقة بن أبي عمران » ، ولكن سقط من نسخة التهذيب ترجمة « صدقة بن أبي عمران » ، فلم يرد له ذكر في الكتاب . وأما ابن أبي حاتم ، فلم يذكره في كتابه ، لا في ترجمة خاصة ، ولا في ترجمة « صدقة بن أبي عمران » ، ولكن كلام ابن حجر في التهذيب قد يوهم أنهما شخص واحد ، ولكن الراجح أنهما رجلان ، لأن البخاري ترجم له ، ففرق بينهما .

وقوله : « نهر من شهد » يعني : نهراً من عسل من أنهار الجنة التي قال الله تعالى في سورة محمد : ١٥

﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ﴾

وبهذا اللفظ (شهد) ، ذكره ابن كثير في تفسيره ٣ : ٥٧٣ . وفي الدر المنثور ١ : ١٣٦ : « وبينهم نهر من سهل – يعني من رمل – يجرى » ، ثم جاء الألوسي في تفسير الآية (٩ : ٧٥) فنقل ذلك هكذا : « وبينهم نهر من رمل يجرى » ثم قال : « وضعف هذه الحكاية ابن الخازن ، وأنا لا أراها شيئاً ، ولا أظنك تجد لها سنداً يعول عليه ولو ابتغيت نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء » . ونقل الألوسي نقل من المعنى الذي ذكره السيوطي « سهل » – يعني من رمل » ، وهو فاسد جداً ، والصواب أن « سهل » ، محرف عن « شهد » ، وهو الصواب إن شاء الله .

هذا تحرير نص الخبر وتأويله ، وأما صحته أو ضعفه فهما بمعزل من تصحيح نصه ، ومثل هذا الخبر والذي يليه ، لا يؤخذ به إلا بحجة قاطعة يجب التسليم لها . ولا حجة في رواية موقوفة على السدى .

حُنَفاء مسلمُون يستقبلون قبلتنا = قال ابن جريج : قال ابن عباس : فذلك قوله : ﴿ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ [سورة الإسراء : ١٠٤] . و « وعد الآخرة » ، عيسى بن مريم ، يخرجون معه = قال ابن جريج : قال ابن عباس : ساروا فى السَّرَب سنة ونصفاً .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فرقناهم = يعنى قوم موسى من بنى إسرائيل ، فرقهم الله فجعلهم قبائل شتى ، اثنتى عشرة قبيلة .

* * *

وقد بينا معنى : « الأسباط » ، فيما مضى ، ومن هم .(٢)

* * *

واختلف أهل العربية فى وجه تأنيث « الاثنتى عشرة » ، و « الأسباط » جمع مذكر .

فقال بعض نحويى البصرة : أراد اثنتى عشرة فرقة ، ثم أخبر أن الفرق « أسباط » ، ولم يجعل العدد على « أسباط » .

* * *

وكان بعضهم يستخِلُّ هذا التأويل ويقول(٣) : لا يخرج العدد على غير

---

(١) الأثر : ١٥٢٥١ – هذا الخبر ، لم يروه أبو جعفر فى تفسير آية سورة الإسراء ، وهذا ضرب من اختصاره لتفسيره ، وربما دل ذلك على ضعف الخبر عنده ، لأنه لو صح عنه لذكره فى تفسير قوله تعالى : « فإذا جاء وعد الآخرة » ، أنه عيسى بن مريم عليه السلام .

(٢) انظر تفسير « الأسباط » فيما سلف ٢ : ١٢١ ، الخبر رقم : ١٠٤٧/٣ : ١٠٩ – ١١٣ ، ١٢٢/٦ : ٥٦٩ .

(٣) فى المخطوطة : « يستحكى هذا التأويل » ، وفى المطبوعة : « يستحكى على هذا التأويل » ، زاد « على » ، لأن وجه الكلام لا معنى له . والصواب عندى ما أثبت « يستخل » من « الخلل »

التالى ،[١] ولكن « الفرق » قبل « الاثنتى عشرة » ، حتى تكون « الاثنتا عشرة » مؤنثة على ما قبلها ، ويكون الكلام : وقطعناهم فرقاً اثنتى عشرة أسباطاً = فيصحّ التأنيث لما تقدّم .

* * *

وقال بعض نحويى الكوفة : إنما قال : « الاثنتى عشرة » بالتأنيث ، و « السبط » مذكر ، لأن الكلام ذهب إلى « الأمم » ، فغُلّب التأنيث ، وإن كان « السبط » ذكراً ، وهو مثل قول الشاعر :[٢]

وَإِنَّ كِلَابًا هَذِهِ عَشْرُ أَبْطُنٍ وَأَنْتَ بَرِئٌ مِنْ قَبَائِلِهَا العَشْرِ[٣]

ذهب بـ « البطن » إلى القبيلة والفصيلة ، فلذلك جمع « البطن » بالتأنيث .

* * *

وكان آخرون من نحويى الكوفة يقولون : إنما أنّثت « الاثنتا عشرة » و « السبط » ذكر ، لذكر « الأمم » .[٤]

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى أنّ « الاثنتى عشرة » أنثت لتأنيث « القطعة » ، ومعنى الكلام : وقطعناهم قِطَعاً اثنتى عشرة ، ثم ترجم عن « القِطَع » بـ « الأسباط » ، وغير جائز أن تكون « الأسباط » مفسرة

وهو الوهن والفساد ، وقالوا : « أمر مختل » أى فاسد واهن . فاستخرج أبو جعفر أو غيره قياساً من « الخلل » « استخل الشىء » ، أى استوهنه واستضعفه ، ووجد فيه خللا . وهو قياس جيد فى العربية . وهو صواب المعنى فيه إن شاء الله .

(١) فى المخطوطة : « على غير الثانى » ، وغيرها فى المطبوعة إلى : « على عين الثانى » ، وكلتاهما فاسدة المعنى ، والصواب ما أثبت . يعنى : ما يتلو العدد ، وهو « أسباط » ، وهو الظاهر فى الكلام ، وتقديره : « اثنى عشرة فرقة أسباطاً » ثم حذف « فرقة » وإضمارها ، يوجب أن يجرى العدد على ما يتلوه ، فصح بهذا ما أثبت من قراءة النص .

(٢) النواح الكلابى ، رجل من بنى كلاب .

(٣) سيبويه ٢ : ١٧٤ ، معانى القرآن للفراء ١ : ١٢٦ ، الإنصاف : ٣٢٣ ، العينى (هامش الخزانة) ٤ : ٤٨٤ ، واللسان (بطن) ، وغيرها . ولم أجد تتمة الشعر .

(٤) هو الفراء فى معانى القرآن ١ : ٣٩٧ .

عن « الاثنتى عشرة » وهى جمع ، لأن التفسير فيما فوق « العشر » إلى « العشرين » بالتوحيد لا بالجمع ، [١] و« الأسباط » جمع لا واحد ، وذلك كقولهم : « عندى اثنتاعشرة امرأة » . ولا يقال : «عندى اثنتا عشرة نسوة » ، فبيّن ذلك أن « الأسباط » ليست بتفسير للاثنتى عشرة ، [٢] وأن القول فى ذلك على ما قلنا . ٦١/٩

* * *

وأما «الأمم» ، فالجماعات = و« السبط » فى بنى إسرائيل نحو « القَرْن » . [٣]

* * *

وقيل : إنما فرّقوا أسباطاً لاختلافهم فى دينهم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (١٦٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « وأوحينا إلى موسى » ، إذ فرّقنا بنى إسرائيل قومه اثنتى عشرة فرقة ، وتيّهناهم فى التيه ، فاستسقوا موسى من العَطش وغَوْر الماء = « أن أضرب بعصاك الحجر » .

* * *

---

(١) « التفسير » ، هو « التمييز » ، فقوله : « مفسرة » أى تمييزاً فى الإعراب .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « فى ذلك أن الأسباط » ، وهو تركيب واه ضعيف ، ورجحت أن ما أثبت أشبه بالصواب .

(٣) انظر تفسير « الأمة » فيما سلف ص : ١٧٢ ، تعليق : ١ والمراجع هناك .
= وتفسير « السبط » فيما سلف ص : ١٧٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

وقد بينا السبب الذى كان قومه استسقوه ، وبينا معنى « الوحى » بشواهده .[١]

* * *

= « فانبجست » ، فانصبّت وانفجرت من الحجر اثنتا عشرة عيناً من الماء ، « قد علم كل أناس » ، يعنى كل أناس من الأسباط الاثنتى عشرة = « مشربهم » ، لا يدخل سبط على غيره فى شربه = « وظللنا عليهم الغمام » ، يكنُّهم من حرّ الشمس وأذاها .

* * *

وقد بينا معنى « الغمام » فيما مضى قبل ، وكذلك : « المن والسلوى » .[٢]

* * *

= « وأنزلنا عليهم المن والسلوى » ، طعاماً لهم = « كلوا من طيبات ما رزقناكم » ، يقول : وقلنا لهم : كلوا من حلال ما رزقناكم ، أيها الناس ، وطيّبناه لكم = « وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » ، وفى الكلام محذوف ، ترك ذكره استغناءً بما ظهر عما ترك ، وهو : « فأجمعوا ذلك ،[٣] وقالوا : لن نصبر على طعام واحد ، فاستبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير » = « وما ظلمونا » ، يقول : وما أدخلوا علينا نقصاً فى ملكنا وسلطاننا بمسألتهم ما سألوا ، وفعلهم ما فعلوا = « ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » ، أى : ينقصونها حظوظها باستبدالهم الأدنى بالخير ، والأرذل بالأفضل .

* * *

---

(١) انظر ما سلف ٢ : ١١٩ – ١٢٢ .
= وتفسير « الوحى » فيما سلف من فهارس اللغة (وحى) .

(٢) انظر تفسير « تظليل الغمام » فيما سلف ٢ : ٩٠ ، ٩١ .
= وتفسير « المن » و « السلوى » فيما سلف ٢ : ٩١ – ١٠١ .
= وتفسير سائر الآية ، وهى نظيرتها فيما سلف ٢ : ١٠١ ، ١٠٢ .

(٣) فى المطبوعة : « فأجمعوا ذلك » ، ظن ما فى المخطوطة خطأ ، فأصلحه ، يعنى فأفسده ! ! يقال : « أجم الطعام يأجمه أجما » ، إذا كرهه وملّه من طول المداومة عليه .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٦١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر أيضاً، يا محمد ، من خطأ فعل هؤلاء القوم، وخلافهم على ربهم ، وعصيانهم نبيّهم موسى عليه السلام ، وتبديلهم القولَ الذى أمروا أن يقولوه حين قال الله لهم : « اسكنوا هذه القرية » ، وهى قرية بيت المقدس[١] = « فكلوا منها » ، يقول : من ثمارِها وحبوبها ونباتها = « حيث شئتم » ، منها ، يقول : أنّى شئتم منها = « وقولوا حطة » ، يقول : وقولوا : هذه الفعلة « حِطّةٌ » ، تحطُّ ذنوبنا[٢] = « نغفر لكم » ، يتغمد لكم ربكم = « ذنوبكم » ، التى سلفت منكم ، فيعفو لكم عنها ، فلا يؤاخذكم بها[٣] = « سنزيد المحسنين » ، منكم ، وهم المطيعون لله ،[٤] على ما وعدتكم من غفران الخطايا .

* * *

وقد ذكرنا الروايات فى كل ذلك باختلاف المختلفين ، والصحيح من القول لدينا فيه فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته .[٥]

* * *

(١) انظر تفسير « القرية » فيما سلف ٢ : ١٠٢ ، ١٠٣ .
(٢) انظر تفسير « الحطة » فيما سلف ٢ : ١٠٥ – ١٠٩ .
(٣) انظر تفسير « المغفرة » فيما سلف من فهارس اللغة (غفر) .
(٤) انظر تفسير « الإحسان » فيما سلف من فهارس اللغة (حسن) .
(٥) انظر ما سلف فى تفسير نظيرة هذه الآية ٢ : ١٠٢ – ١١٢ .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴾ (١٦٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فغيَّر الذين كفروا بالله منهم ما أمرهم الله به من القول، فقالوا = وقد قيل لهم : قولوا : هذه حطة = : « حنطة فى شعيرة » . وقولهم ذلك كذلك، هو غير القول الذى قيل لهم قولوه. يقول الله تعالى : « فأرسلنا عليهم رجزاً من السماء » ، بعثنا عليهم عذاباً، أهلكناهم بما كانوا يغيِّرون مايؤمرون به ، فيفعلون خلاف ما أمرهم الله بفعله ، ويقولون غير الذى أمرهم الله بفعله .(١)

* * *

وقد بينا معنى «الرجز» فيما مضى .(٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾ (١٦٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : واسأل، يا محمد، هؤلاء اليهود ، وهم مجاوروك ، عن أمر « القرية التى كانت حاضرة البحر » ، يقول : كانت بحضرة البحر ، أى : بقرب البحر وعلى شاطئه . ٦٢/٩

* * *

واختلف أهل التأويل فيها .

---

(١) انظر تفسير نظيرة هذه الآية فيما سلف ٢ : ١١٢ – ١١٩ .

(٢) انظر تفسير « الرجز » فيما سلف ٢ : ١١٧ ، ١١٨/١٢ : ٥٢١/١٣ : ٧٢

فقال بعضهم : هي « أيلة » .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٢٥٢ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن إدريس ، عن محمد بن إسحق ، عن داود بن حصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر » ، قال : هي قرية يقال لها « أيلة » ، بين مَدْين والطور .

١٥٢٥٣ - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير في قوله : « واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر »، قال : سمعنا أنها أيلة .

١٥٢٥٤ - حدثني سلام بن سالم الخزاعي قال، حدثنا يحيى بن سليم الطائفي قال، حدثنا ابن جريج ، عن عكرمة قال: دخلتُ على ابن عباس والمصحف في حجره وهو يبكي ، فقلت : ما يبكيك ، جعلني الله فداك ؟ فقال : ويلك ، وتعرف القرية التي كانت حاضرة البحر؟ فقلت : تلك أيلة ! [1]

١٥٢٥٥ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن أبي بكر الهذلي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر » ، قال : هي أيلة .

١٥٢٥٦ - حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قال : هي قرية على شاطئ البحر ، بين مصر والمدينة ، يقال لها : « أيلة » .

---

(١) الأثر : ١٥٢٥٤ - « سلام بن سالم الخزاعي » ، شيخ الطبري ، مضى برقم : ٢٥٢ ، ٦٥٢٩ .

و « يحيى بن سليم الطائفي » ، مضى برقم : ٤٨٩٤ ، ٧٨٣١ .

وانظر هذا الخبر وتمامه فيما سيأتي رقم ١٥٢٧١ .

١٥٢٥٧ – حدثنا موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : هم أهل أيلة ، القرية التى كانت حاضرة البحر .

١٥٢٥٨ – حدثنى الحارث قال، حدثنا أبو سعد ، عن مجاهد فى قوله : « واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر » ، قال : أيلة .

* * *

وقال آخرون: معناه : ساحلُ مدين .

١٥٢٥٩ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر » الآية ، ذكر لنا أنها كانت قرية على ساحل البحر ، يقال لها أيلة .

* * *

وقال آخرون : هى مَقْنا

* ذكر من قال ذلك :

١٥٢٦٠ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر » ، قال : هى قرية يقال لها « مقنا » ، بين مدين وعَيْنُونى . (١)

* * *

---

(١) « عينونى » ، وتكتب أيضاً « عينونا » ، و « عينون » ، ذكرها ياقوت فى معجمه فى الباب ، وذكرها البكرى فى معجم ما استعجم فى « حبرى » ، ولم يفرد لها باباً .

قال ياقوت : « من قرى باب المقدس . وقيل : قريه من وراء البثنية من دون القلزم ، فى طرف الشام ، ذكرها كثير :

إذْ هُنَّ فِى غَلَسِ الظَّلَامِ قوارِبٌ أَعْدَادَ عَيْنٍ من عُيُونِ أُثَالِ
يَجْتَزْنَ أَوْدِيَةَ البُضَيْعِ جَوَازِعاً أَجْوَازَ عَيْنُونَا ، فَنَعْفَ قِبَالِ

وقال يعقوب : سمعت من يقول : عين أنا . . . وقال البكرى : هى قرية يطؤها طريق المصريين إذا حجوا . وأنا ، واد » .

وفى الخبر (ابن سعد ١/٢/٢١ ، ٢٢) : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كتب لنعيم ابن أوس ، أخى تميم الدارى ، أن له « حبرى » ، و « عينون » بالشأم ، قريتها كلها ، سهلها

وقال آخرون : هي مدين .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٢٦١ - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال ، حدثني محمد بن إسحق ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : هي قرية بين أيلة والطور ، يقال لها « مَدْين » .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك أن يقال : هي قرية حاضرة البحر = وجائز أن تكون أيلة = وجائز أن تكون مدين = وجائز أن تكون مقنا = لأن كل ذلك حاضرة البحر ، ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع العذر بأيٍّ ذلك من أيٍّ ، [1] والاختلاف فيه على ما وصفت . ولا يوصل إلى علم ما قد كان فمضى مما لم نعاينه ، إلا بخبر يوجب العلم . ولا خبر كذلك في ذلك .

* * *

وقوله : « إذ يعدون في السبت » ، يعني به أهله ، إذ يعتدون في السبت أمرَ الله ، ويتجاوزونه إلى ما حرمه الله عليهم .

* * *

يقال منه : « عدا فلان أمري » و « اعتدى » ، إذا تجاوزه . [2]

* * *

وجبلها وماءها وأنباطها وبقرها ، ولعقبه من بعده ، لا يحاقه فيها أحد ، ولا يلجه عليهم بظلم ، ومن ظلمهم وأخذ منهم شيئاً فإن عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، وكتب علي » .

قال البكري في معجم ما استعجم (٤٢٠) : « وكان سليمان بن عبد الملك إذا مر بها لم يعرج ويقول : أخاف أن تمسني دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

(١) في المطبوعة : « بأن ذلك من أي » ، ظن أنه يصحح ما في المخطوطة ، فخلط خلطاً لا مخرج منه . وهذا تعبير مضى مراراً ، وأشرت إليه ١ : ٥٢٠ س : ٢/١٦ : ٥١٧ س : ٣/١٥ : ٦٤ س : ٦/٧ : ٢٩١ س : ٨/٦ : ٨٥ ، ٨٦ تعليق : ١ ، فراجعه هناك . فقد غيره الناشر في كل هذه المواضع .

(٢) انظر تفسير : « عدا » و « اعتدى » فيما سلف ١٢ : ٣٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

وكان اعتداؤهم فى السبت : أن الله كان حرّم عليهم السبت ، فكانوا يصطادون فيه السمك .[١]

* * *

= « إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شُرَّعاً » ، يقول : إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم الذى نهوا فيه العمل = « شرّعاً » ، يقول : شارعة ظاهرةً على الماء من كل طريق وناحية ، كشوارع الطرق ، كالذى : —

١٥٢٦٢ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : « إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً » ، يقول : ظاهرة على الماء .[٢]

١٥٢٦٣ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « شرعاً » ، يقول : من كلّ مكان .

* * *

وقوله : « ويوم لا يسبتون » ، يقول : ويوم لا يعظمونه تعظيمهم السّبت ، وذلك سائر الأيام غير يوم السبت = « لا تأتيهم » ، الحيتان = « كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون » ، يقول : كما وصفنا لكم من الاختبار والابتلاء الذى ذكرنا ، ٦٣/٩
بإظهار السمك لهم على ظهر الماء فى اليوم المحرم عليهم صيده ، وإخفائه عنهم فى اليوم المحلل صيده[٣] = « كذلك نبلوهم » ، ونختبرهم[٤] = « بما كانوا يفسقون » ،

---

(١) انظر معنى « السبت » واعتداؤهم فيه فيما سلف ٢ : ١٦٦ — ٩/١٨٢ : ٣٦١ ، ٣٦٢ .

(٢) الأثر : ١٥٢٦٢ — « عثمان بن سعيد الزيات الأحول » ، لا بأس به ، مضى برقم : ١٣٧ . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « عثمان بن سعد » ، وهو خطأ محض .
و « بشر بن عمارة الخثعمى » ، ضعيف ، مضى أيضاً برقم : ١٣٧ .
وهذا الخبر جزء من خبر طويل مضى قديماً برقم : ١١٣٨ (٢ : ١٦٨) .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « وإخفائها » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

(٤) انظر تفسير « الابتلاء » فيما سلف من فهارس اللغة (بلا) .

يقول : بفسقهم عن طاعة الله وخروجهم عنها .[١]

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « ويوم لا يسبتون » .

فقرئ بفتح « الياء » من ﴿ يَسْبِتُونَ ﴾

= من قول القائل : « سبت فلان يسبت سَبْتاً وسُبُوتاً » ، إذا عظّم « السبت »

* * *

وذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرؤه : ﴿ وَيَوْمَ لَا يُسْبِتُونَ ﴾ بضم الياء .

= من « أسبت القوم يسبتون » ، إذا دخلوا فى « السبت » ، كما يقال : « أجمعنا » ، مرّت بنا جمعة ، و« أشهرنا » مرّ بنا شهر ، و« أسبتنا » ، مرّ بنا سبت .

* * *

ونصب « يوم » من قوله : « ويوم لا يسبتون » ، بقوله : « لا تأتيهم » ، لأن معنى الكلام : لا تأتيهم يوم لا يسبتون .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (١٦٤)[٢]

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر أيضاً ، يا محمد = « إذ قالت أمة منهم » ، جماعة منهم لجماعة كانت تعظ المعتدين فى السبت ، وتنهاهم عن معصية الله فيه[٣] = « لم تعظون قوماً الله

(١) انظر تفسير « الفسق » فيما سلف من فهارس اللغة (فسق) .

(٢) ضبطت الآية « معذرة » بالنصب على قراءتنا فى مصحفنا ، وتفسير أبى جعفر واختياره فى القراءة ، رفع « معذرة » ، فتنبه إليه .

(٣) انظر تفسير « أمة » فيما سلف ص : ١٧٦ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

مهلكهم » ، فى الدنيا بمعصيتهم إياه ، وخلافهم أمره ، واستحلالهم ما حرم عليهم = « أو معذبهم عذاباً شديداً » ، فى الآخرة ، قال الذين كانوا ينهونهم عن معصية الله مجيبهم عن قولهم : عظتنا إياهم معذرةٌ إلى ربكم، نؤدِّى فرضه علينا فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر = « ولعلهم يتقون » ، يقول : ولعلهم أن يتقوا الله فيخافوه ، فينيبوا إلى طاعته، ويتوبوا من معصيتهم إياه ، وتعدِّيهم على ما حرّم عليهم من اعتدائهم فى السبت ، كما : —

١٥٢٦٤ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة،عن ابن عباس : « قالوا معذرة إلى ربكم » ، لسخطنا أعمالهم .(١)

* * *

= « ولعلهم يتقون » ، أى : ينزعون عما هم عليه .(٢)

١٥٢٦٥ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ولعلهم يتقون » ، قال : يتركون هذا العمل الذى هم عليه .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « قالوا معذرة » .(٣)

فقرأ ذلك عامة قرأة الحجاز والكوفة والبصرة: ﴿ مَعْذِرَةٌ ﴾ بالرفع، على ما وصفتُ من معناها .

* * *

وقرأ ذلك بعض أهل الكوفة : ﴿ مَعْذِرَةً ﴾ نصباً، بمعنى : إعذاراً وعظناهم وفعلنا ذلك .

* * *

(١) الأثر : ١٥٢٦٤ — مضى مطولا برقم : ١١٣٩ (٢ : ١٧٠) .
(٢) انظر تفسير « اتق » فيما سلف من فهارس اللغة (وق) .
(٣) انظر ذكر هذه الآية وإعرابها فيما سلف ٢ : ١٠٧ ، ١٠٨ .

واختلف أهل العلم فى هذه الفرقة التى قالت : « لم تعظون قوما الله مهلكهم » ، هل كانت من الناجية ، أم من الهالكة !

فقال بعضهم : كانت من الناجية ، لأنها كانت هى الناهية الفرقة الهالكة عن الاعتداء فى السبت .(١)

* ذكر من قال ذلك :

١٥٢٦٦ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً » ، هى قرية على شاطئ البحر بين مكة والمدينة ، يقال لها : « أيلة » ، فحرم الله عليهم الحيتان يوم سبتهم ، فكانت الحيتان تأتيهم يوم سبتهم شرعاً فى ساحل البحر . فإذا مضى يوم السبت ، لم يقدروا عليها . فمكثوا بذلك ما شاء الله ، ثم إن طائفة منهم أخذوا الحيتان يوم سبتهم ، فنهتهم طائفة ، وقالوا : تأخذونها ، وقد حرمها الله عليكم يوم سبتكم ! فلم يزدادوا إلا غياً وعتواً ، وجعلت طائفة أخرى تنهاهم . فلما طال ذلك عليهم ، قالت طائفة من النهاة : تعلموا أن هؤلاء قوم قد حق عليهم العذاب،(٢) لم تعظون قوماً الله مهلكهم ، وكانوا أشد غضباً لله من الطائفة الأخرى ، فقالوا : « معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون » ، وكل قد كانوا ينهون ، فلما وقع عليهم غضب الله ، نجت الطائفتان اللتان قالوا : « لم تعظون قوماً الله مهلكهم » ، والذين قالوا : « معذرة إلى ربكم » ، وأهلك الله أهل معصيته الذين أخذوا الحيتان ، فجعلهم قردة وخنازير .

١٥٢٦٧ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « واسألهم عن القرية التى كانت ٦٤/٩

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « لأنها كانت من الناهية » ، ولا معنى لقوله : « من » ، هنا ، والصواب ما أثبت .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « تعلمون » ، والصواب ما أثبت : « تعلموا » فعل أمر ، بتشديد اللام ، بمعنى : اعلموا .

حاضرة البحر ، إلى قوله : « ويوم لا يسبتون لا تأتيهم » ، وذلك أن أهل قرية كانت حاضرة البحر ، كانت تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم . يقول : إذا كانوا يوم يسبتون تأتيهم شرعاً = يعني : من كل مكان = ويوم لا يسبتون لا تأتيهم ، وأنهم قالوا : لو أنا أخذنا من هذه الحيتان يوم تجيء ما يكفينا فيما سوى ذلك من الأيام ! فوعظهم قوم مؤمنون ونهوهم . وقالت طائفة من المؤمنين : إن هؤلاء قوم قد هموا بأمر ليسوا بمنتهين دونه ، والله مخزيهم ومعذبهم عذاباً شديداً . قال المؤمنون بعضهم لبعض : « معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون » ، إن كان هلاك ، فلعلنا ننجو ، وإما أن ينتهوا فيكون لنا أجراً . وقد كان الله جعل على بني إسرائيل يوماً يعبدونه ويتفرغون له فيه ، وهو يوم الاثنين . فتعدى الخبثاء من الاثنين إلى السبت ، وقالوا : هو يوم السبت ! فنهاهم موسى ، فاختلفوا فيه ، فجعل عليهم السبت ، ونهاهم أن يعملوا فيه وأن يعتدوا فيه ، وأنّ رجلاً منهم ذهب ليحتطب ، فأخذه موسى عليه السلام فسأله : هل أمرك بهذا أحد ؟ فلم يجد أحداً أمره ، فرجمه أصحابه .

١٥٢٦٨ — حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قال : قال بعض الذين نهوهم لبعض : « لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً » ، يقول : لم تعظونهم ، وقد وعظمتموهم فلم يطيعوكم ؟ فقال بعضهم : « معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون » .

١٥٢٦٩ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا معاذ بن هانئ قال ، حدثنا حماد ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً » ، قال : ما أدري أنجا الذين قالوا : « لم تعظون قوماً الله مهلكهم » أم لا ! قال : فلم أزل به حتى عرّفته أنهم قد نجوا ، فكساني حلة.(١)

---

(١) الأثر : ١٥٢٦٩ — « معاذ بن هانئ القيسي » ، ثقة ، روى عن همام بن يحيى ، ومحمد بن مسلم الطائفي ، وحماد بن سلمة ، وغيرهم . . مترجم في التهذيب ، والكبير ٤/١/٣٩٧ ، وابن أبي حاتم ٤/١/٢٥٠ .

١٥٢٧٠ - حدثني المثنى قال ، حدثنا حماد ، عن داود ، عن عكرمة قال : قرأ ابن عباس هذه الآية ، فذكر نحوه = إلا أنه قال في حديثه : فما زلت أبصِّره حتى عرَف أنهم قد نجوا .

١٥٢٧١ - حدثني سلام بن سالم الخزاعي قال ، حدثنا يحيى بن سليم الطائفي قال ، حدثنا ابن جريج ، عن عكرمة قال : دخلت على ابن عباس والمصحف في حجره ، وهو يبكي ، فقلت : ما يبكيك ، جعلني الله فداءك ؟ قال : فقرأ : « واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر » إلى قوله : « بما كانوا يفسقون » . قال ابن عباس : لا أسمع الفرقة الثالثة ذكرت ، نخاف أن نكون مثلهم ! فقلت : أما تسمع الله يقول : « فلما عتوا عمّا نهوا عنه »؟ فسُرِّي عنه ، وكساني حُلّة .[1]

١٥٢٧٢ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن جريج قال ، حدثني رجل ، عن عكرمة ، قال : جئت ابن عباس يوماً وهو يبكي ، وإذا المصحف في حجره ، فأعظمت أن أدنو ، ثم لم أزل على ذلك حتى تقدَّمت فجلستُ ، فقلت : ما يبكيك يا ابن عباس ، جعلني الله فداءك ؟ فقال : هؤلاء الورقات ! قال : وإذا هو في « سورة الأعراف » ، قال : تعرف أيلة ! قلت : نعم ! قال : فإنه كان بها حيّ من يهود ، سيقت الحيتان إليهم يوم السبت ، ثم غاصت لا يقدرون عليها حتى يغوصوا ، بعد كدٍّ ومؤنة شديدة ، وكانت تأتيهم يوم السبت شرعاً بيضاً سماناً كأنها الماخض ،[2] تنبطحُ ظهورَها لبطونها بأفنيتهم وأبنيتهم .[3] فكانوا كذلك برهة من الدهر ، ثم إن الشيطان أوحى إليهم فقال

---

(١) الأثر : ١٥٢٧١ - مضى صدر هذا الخبر ، وجزء آخر منه فيما سلف برقم : ١٥٢٥٤ .

(٢) « الماخض » ، التي قد دنا ولادها من الشاء وغيرها . وفي حديث الزكاة : « فاعمد إلى شاة قد امتلأت مخاضاً ، وشحماً » ، أي نتاجاً ، يعني بذلك سمنها وبضاضتها .

(٣) في المطبوعة وابن كثير ٣ : ٥٧٧ : « تنتطح » ، ولا معنى لها هنا ، وفي المخطوطة « تلتطع » ، كأنها من قولهم « لطع الرجل به الأرض » ، و « لطحه بالأرض » ، إذا ضربه بالأرض . وقاس منه « التطح » أي تتقلب ضاربة بظهورها وبطونها الأرض . وصوابها ما أثبت « تنبطح » أو

إنما نهيتم عن أكلها يوم السبت ، فخذوها فيه ، وكلوها فى غيره من الأيام ! فقالت ذلك طائفة منهم ، وقالت طائفة منهم : بل نُهيتم عن أكلها وأخذِها وصيدها فى يوم السبت . وكانوا كذلك ، حتى جاءت الجمعة المقبلة ، فعدت طائفة بأنفسها وأبنائها ونسائها ، واعتزلت طائفة ذات اليمين ، وتنحّت ، واعتزلت طائفة ذات اليسار وسكتت . وقال الأيمنون : ويلكم! اللهَ ، اللهَ ، ننهاكم أن تتعرّضوا لعقوبة الله ! [1] وقال الأيسرون : «لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً »؟ قال الأيمنون : «معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون » ! أى : ينتهون ، فهو ٩ / ٦٥ أحب إلينا أن لا يصابوا ولا يهلكوا ، وإن لم ينتهوا فمعذرة إلى ربكم . فمضوا على الخطيئة ، فقال الأيمنون : قد فعلتم ، يا أعداء الله ! والله لا نُسَايتكم الليلة فى مدينتكم ، [2] والله ما نراكم تصبحون حتى يصيبكم الله بخسف أو قذف أو بعض ما عنده من العذاب! [3] فلما أصبحوا ضربوا عليهم الباب ونادوا ، فلم يجابوا ، فوضعوا سلّماً ، وأعلوا سور المدينة رجلاً ، فالتفت إليهم فقال : أى عبادَ الله ، قردةٌ والله تعاوَى لها أذناب ! قال : ففتحوا فدخلوا عليهم ، فعرفت القردةُ أنسابها من الإنس ، ولا تعرف الإنس أنسابها من القردة ، فجعلت القرود تأتى نسيبها من الإنس فتشمّ ثيابه وتبكى ، فتقولُ لهم : ألم ننهكم عن كذا ؟ فتقول برأسها : نعم ! ثم قرأ ابن عباس : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ

« تتبطح» (بتشديد الطاء) ، أى تتمرغ فى البطحاء . وانظر ما سيأتى فى ص : ١٩٠ ، تعليق : ٢ . وقد حذف هذه الكلمة السيوطى فى روايته للخبر فى الدر المنثور ٣ : ١٣٧ ، كعادته إذا أشكل عليه الكلام .

(١) هذه الجملة : « وقال الأيمنون . . . . » ساقطة من المخطوطة ، ثابتة فى المطبوعة . وفى المطبوعة : « الله ينهاكم عن أن تعترضوا لعقوبة الله » ، ولا أدرى من أين جاء بها . وأثبت نص ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٥٧٧ ، وفى الدر المنثور ٣ : ١٣٧ : « ويلكم ، لا تتعرضوا لعقوبة الله » .

(٢) فى المطبوعة : « والله لا نبايتنكم » وفى ابن كثير : ٣ : ٥٧٧ : « لنأتينكم » ، وفى الدر المنثور ٣ : ١٣٧ : « لنسايتنكم » ، ومثله فى المخطوطة ، وأرجح أن الصواب ما أثبت ، يعنون أنهم لن يبيتوا معهم فى مدينتهم . فهذا ظاهر السياق .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة ، والدر المنثور : « ما أراكم » ، والصواب من ابن كثير .

ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾. قال: فأرى اليهود الذين نَهَوْا قد نجوا، ولا أرى الآخرين ذُكروا، ونحن نرى أشياء ننكرها فلا نقول فيها! قال قلت: إنّ، جعلني الله فداك، (١) ألا ترى أنهم قد كَرِهوا ما هم عليه، وخالفوهم وقالوا: «لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم»؟ قال: فأمرَ بي فكسيت بُرْدَين غليظين.

١٥٢٧٣ - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة، «واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر»، ذُكر لنا أنه إذا كان يوم السبت أقبلت الحيتان، حتى تتبطّح على سواحلهم وأفنيتهم، (٢) لما بلغها من أمر الله في الماء، فإذا كان في غير يوم السبت، بعدت في الماء حتى يطلبها طالبهم. فأتاهم الشيطان فقال: إنما حرم عليكم أكلها يوم السبت، فاصطادوها يوم السبت وكلوها فيما بعد! . . . . . (٣) قوله: «وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون»، صار القوم ثلاثة أصناف، (٤) أما صنف فأمسكوا عن حرمة الله ونهوا عن معصية الله، وأما صنف فأمسك عن حرمة الله هيبةً لله، وأما صنف فانتهك الحرمة ووقع في الخطيئة.

---

(١) في المطبوعة، والدر المنثور: «أي جعلني الله فداك»، ولا معنى لها، وحذفها ابن كثير في روايته الخبر. وأثبت ما في المخطوطة، وقوله: «إن» (مكسورة الألف مشددة النون) بمعنى: نعم، يعني: إنه قد كان، وإنهم قد نجوا. قال أبو عبيد في مثله: «وهذا اختصار من كلام العرب، يكتفى منه بالضمير، لأنه قد علم معناه». وقد قال مسعود بن عبد الله الأسدي:

قَالُوا: غَدَرْتَ! فَقُلْتُ: إنّ! وَرُبَّمَا نَالَ العُلَى وشَفَى الغَلِيلَ الغَادِرُ

(٢) في المطبوعة: «تنتطح»، وهي في المخطوطة واضحة كما أثبتها، وانظر التعليق السالف ص: ١٨٨، رقم: ٣.

(٣) وضعت هذه النقط، لدلالة على خرم في الخبر لاشك فيه، فإنه غير متصل. ولكن هكذا هو في المخطوطة. وفي المخطوطة لم يسق الآية هكذا بل كتب: (قوله: «وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً»، فقرأ حتى بلغ «ولعلهم يتقون»)، فكان هذا دليلا أيضاً على الخرم الذي وقع في نسخة التفسير. ولكن انظر بعض هذا الخبر بهذا الإسناد فيما سلف: ١١٤٠.

(٤) في المطبوعة: «فصار»، وأثبت ما في المخطوطة بغير فاء، لأني لا أعلم ما قبله من السقط الذي حدث، ما هو.

١٥٢٧٤ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس في قول الله : « حاضرة البحر » ، قال : حرمت عليهم الحيتان يوم السبت ، وكانت تأتيهم يوم السبت شُرّعاً ، بلاء ابتلوا، ولا تأتيهم في غيره إلا أن يطلبوها ، بلاء أيضاً ، بما كانوا يفسقون . فأخذوها يوم السبت استحلالاً ومعصية، فقال الله لهم : «كونوا قردة خاسئين» ، إلا طائفة منهم لم يعتدوا ونهوهم ، فقال بعضهم لبعض : « لم تعظون قوماً » .

١٥٢٧٥ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم » حتى بلغ « ولعلهم يتقون » ، لعلّهم يتركون ماهم عليه . قال : كانوا قد بُلوا بكفّ الحيتان عنهم ، وكانوا يسبتون في يوم السبت ولا يعلمون فيه شيئاً ، فإذا كان يوم السبت أتتهم الحيتان شُرّعاً ، وإذا كان غير يوم السبت لم يأت حوتٌ واحد . قال : وكانوا قوماً قد قَرِموا بحب الحيتان ولقوا منه بلاءً ، (١) فأخذ رجل منهم حوتاً فربط في ذنبه خيطاً ، ثم ربطه إلى خَشَفَةٍ ، (٢) ثم تركه في الماء، حتى إذا غربت الشمس من يوم الأحد، اجترّه بالخيط ثم شواه . فوجد جارٌ له ريح حوت ، فقال : يا فلان ، إني أجد في بيتك ريح نُونٍ ! (٣) فقال : لا ! قال : فتطلع في تنُّوره فإذا هو فيه ، فأخبره حينئذ الخبرَ ، فقال : إني أرى الله سيعذّبك . قال : فلما لم يره عجّل عذاباً ، فلما أتى السبت الآخر أخذ اثنين فربَطَهما ، ثم اطلع جارٌ له عليه ، فلما رآه لم يعجّل عذاباً ، جعلوا يصيدونه ، (٤) فاطلع أهل القرية عليهم ، فنهاهم الذين ينهون عن

---

(١) « قرم إلى اللحم » (بكسر الراء) « قرماً » بفتحتين : اشتدت شهوته إليه . وقوله : « لقوا منه » ، الضمير في « منه » عائد إلى مصدر « قرموا » ، أي : القرم .

(٢) في المطبوعة : « خسفة » ، ولا معنى لها ، وهي في المخطوطة غير منقوطة، والصواب ما أثبت . و « الخشفة » بالخاء المعجمة و « الحشفة » بالحاء المهملة (وبفتح الخاء والشين) : هي حجارة تنبت في الأرض نباتاً ، أو صخرة رخوة في سهل من الأرض .

(٣) « النون » : الحوت والسمك .

(٤) قوله : « جعلو يصيدونه » ، فخالف السياق المفرد السابق ، فأخشى أن يكون سقط

المنكر . فكانوا فرقتين : فرقة تنهاهم وتكفّ ، وفرقة تنهاهم ولا تكف . فقال الذين
٦٦/٩ نهوا وكفوا ، للذين ينهون ولا يكفون : « لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً » ؟ فقال الآخرون : « معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون » . فقال الله : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ ﴾ إلى قوله ﴿ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ . قال الله ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ . وقال لهم أهل تلك القرية : عملتم بعمل سَوْء ، من كان يريد يعتزل ويتطهّر فليعتزل هؤلاء ! قال : فاعتزل هؤلاء وهؤلاء فى مدينتهم ، وضربوا بينهم سوراً ، فجعلوا فى ذلك السور أبواباً يخرج بعضُهم إلى بعض . قال : فلما كان الليل طرقهم الله بعذابٍ ،(١) فأصبح أولئك المؤمنون لا يرون منهم أحداً ، فدخلوا عليهم فإذا هم قردة ، الرجل وأزواجه وأولاده ، فجعلوا يدخلون على الرجل يعرفونه فيقولون : يا فلان ، ألم نحذرك سطوات الله ؟ ألم نحذرك نقمات الله ؟ ونحذرك ونحذرك ؟ قال : فليس إلا بكاء ! (٢) قال : وإنما عذب الله الذين ظلموا ، الذين أقاموا على ذلك . قال : وأما الذين نَهَوْا ، فكلهم قد نهى ، ولكن بعضهم أفضل من بعض . فقرأ : ﴿ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾

١٥٢٧٦ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا المحاربى ، عن داود ، عن عكرمة قال : قرأ ابن عباس هذه الآية : « لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً » ، قال : لا أدرى أنجا القوم أو هلكوا ؟ فما زلت أبصّره حتى عرف أنهم نجوا ، وكسانى حُلّة .

من الكلام ما معناه أن بعض جيرانه اتبعوه وفشا فيهم ، فجعلوا يصيدونه . . .

(١) فى المطبوعة : « بعذابه » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المخطوطة : فليس إلا تكاكا » ، ولا أدرى ما وجهها ، وقد سلف فى الخبر رقم ١٥٢٧٢ ، فى آخره : « فتشم ثيابه فتبكى » ، فتركت ما فى المطبوعة على حاله ، حتى يتبين لما فى المخطوطة وجه مرضى من الصواب

١٥٢٧٧ - حدثني يونس قال ، أخبرني أشهب بن عبد العزيز ، عن مالك قال : زعم ابن رُومان أن قوله : « تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرّعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم » ، قال : كانت تأتيهم يوم السبت ، فإذا كان المساء ذهبتْ ، فلا يرى منها شيء إلى السبت . فاتخذ لذلك رجل منهم خيطاً ووتداً ، فربط حوتاً منها في الماء يوم السبت ، حتى إذا أمسوا ليلة الأحد أخذه فاشتواه ، فوجد الناس ريحه ، فأتوه فسألوه عن ذلك ، فجحدهم ، فلم يزالوا به حتى قال لهم : فإنه جلد حوتٍ وجدناه ! فلما كان السبت الآخر فعل مثل ذلك = ولا أدري لعله قال : ربط حوتين = فلما أمسى من ليلة الأحد أخذه فاشتواه ، فوجدوا ريحه ، فجاؤوا فسألوه ، فقال لهم : لو شئتم صنعتم كما أصنع ! فقالوا له : وما صنعت ؟ فأخبرهم ، ففعلوا مثل ما فعل ، حتى كثر ذلك . وكانت لهم مدينة لها رَبض ،[1] فغلّقوها ، فأصابهم من المسْخ ما أصابهم . فغدا إليهم جيرانهم ممن كان يكون حولهم ، يطلبون منهم ما يطلب الناس ، فوجدوا المدينة مغلقة عليهم ، فنادوا فلم يجيبوهم ، فتسوّروا عليهم ، فإذا هم قردة ، فجعل القرد يدنو يتمسّح بمن كان يعرف قبل ذلك ، ويدنو منه ويتمسّح به .

* * *

وقال آخرون : بل الفرقة التي قالت : « لم تعظون قوماً الله مهلكهم » ، كانت من الفرقة الهالكة .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٢٧٨ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن إدريس ، عن محمد بن إسحق ، عن داود بن حصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر » إلى قوله : « شرعاً » ، قال : قال ابن عباس : ابتدعوا السبت فابتلُوا فيه ، فحرّمت عليهم فيه الحيتان ، فكانوا إذا كان يوم

(١) « الربض » (بفتحتين) : هو الفضاء حول المدينة .

السبت شَرَعت لهم الحيتان ينظرون إليها فى البحر. فإذا انقضى السبتُ ، ذهبت فلم تُرَ حتى السبت المقبل . فإذا جاء السبت جاءت شرَّعاً . فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا كذلك ، ثم إنّ رجلاً منهم أخذ حوتاً فخزمه بأنفه ،(١) ثم ضرب له وتِداً فى الساحل ، وربطه وتركه فى الماء . فلما كان الغد ، أخذه فشواه فأكله . ففعل ذلك وهم ينظرُون ولا ينكرون ، ولا ينهاه منهم أحد ، إلا عصبة منهم نَهوه ، حتى ظهر ذلك فى الأسواق وفُعِل علانيةً . قال : فقالت طائفة للذين ينهون : « لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرة إلى ربكم » ، فى سخطنا أعمالهم ، « ولعلهم يتقون » فلما نسوا ماذُكِّروا به » ، إلى قوله : « قلنا لهم كونوا قردة خاسئين » ، قال ابن عباس : كانوا أثلاثاً : ثلث نَهوا ، وثلث قالوا : « لم تعظون قوما الله مهلكهم » ، وثلث أصحاب الخطيئة ، فما نجا إلا الذين نهوا ، وهلك سائرهم . فأصبح الذين نهوا عن السوء ذات يوم فى مجالسهم يتفقَّدون الناس لا يرونهم ، فعَلَوْا على دورهم ،(٢) فجعلوا يقولون : إنّ للناس لشأناً ، فانظروا ما شأنهم ! فاطلعوا فى دورهم ، فإذا القوم قد مسخوا فى ديارهم قردة ، يعرفون الرجل بعينه وإنه لقرد ، ويعرفون المرأة بعينها وإنها لقردة ، قال الله : ﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة البقرة : ٦٦] .

٦٧/٩

١٥٢٧٩ ــ حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن أبى بكر الهذلى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « أنجينا الذين ينهون عن السوء » الآية ، قال ابن عباس : نجا الناهون ، وهلك الفاعلون ، ولا أدرى ما صنع بالساكتين !

---

(١) فى المطبوعة : « فخرم أنفه » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهذا صواب قراءته ونقطه . « خزم الدابة » ثقب فى أنفها ثقباً ، وجعل فيه خزامة من شعر أو غيره ، و « الخزامة » (بكسر الخاء) الحلقة المعقودة .

(٢) فى المطبوعة : « فعلقوا عليهم دورهم » ، أراد أن يجتها فأخطأ أشنع الخطأ ، والصواب المبين ما فى المخطوطة ، كما أثبته .

١٥٢٨٠ – حدثنا ابن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، عن ابن عباس : « لم تعظون قوماً الله مهلكهم » ، قال : هم ثلاث فرق : الفرقة التي وَعَظت، والموعوظة التي وُعِظت، والله أعلم ما فعلت الفرقة الثالثة، وهم الذين قالوا : « لم تعظون قوماً الله مهلكهم » .

= وقال الكلبي : هما فرقتان : الفرقة التي وَعَظت، والتي قالت : « لم تعظون قوماً الله مهلكهم » ، قال : هي الموعوظة .

١٥٢٨١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمران بن عيينة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال : لأن أكون علمتُ من هؤلاء الذين قالوا : « لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً » ، أحبُّ إليّ مما عُدِل به !

١٥٢٨٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن عطاء قال، قال ابن عباس : « وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم » ، قال : أسمع الله يقول : « أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس » ، فليت شعري ما فُعِل بهؤلاء الذين قالوا : « لم تعظون قوماً الله مهلكهم » ؟

١٥٢٨٣ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يعقوب، عن جعفر، عن ماهان الحنفي أبي صالح في قوله : « تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرَّعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم » ، قال : كانوا في المدينة التي على ساحل البحر، وكانت الأيام ستة، الأحد إلى الجمعة . فوضعت اليهود يوم السبْت، وسبّتوه على أنفسهم، فسبّته الله عليهم، ولم يكن السبت قبل ذلك، فوكّده الله عليهم، وابتلاهم فيه بالحيتان، فجعلت تشرع يوم السبت، فيتقون أن يصيبُوا منها، حتى قال رجل منهم : والله ما السَّبت بيوم وكّده الله علينا، ونحن وكّدناه على أنفسنا، فلو تناولت من هذا السمك ! فتناول حوتاً من الحيتان، فسمع بذلك جارُه، فخاف العقوبة، فهرب من منزله . فلما مكث ما شاء الله ولم تصبه عقوبة، تناول غيرُه أيضاً في يوم

السبت . فلما لم تصبهم العقوبة ، كثر مَنْ تناول فى يوم السبت ، واتخذوا يوم السبت وليلةَ السبت عيداً يشربون فيه الخمورَ ، ويلعبون فيه المعازف . فقال لهم خيارهم وصلحاؤهم : ويحكم ، انتهوا عما تفعلون ، إن الله مهلكم أو معذِّبكم عذاباً شديداً ، أفلا تعقلون ؟ ولا تعدوا فى السبت! فأبوا ، فقال خيارهم : نضرب بيننا وبينهم حائطاً . ففعلوا ، وكان إذا كان ليلة السبت تأذَّوا بما يسمعون من أصواتهم وأصوات المعازف ، حتى إذا كانت الليلة التى مُسِخوا فيها ، سكتت أصواتهم أوّل الليل ، فقال خيارهم : ما شأن قومكم قد سكتَتْ أصواتهم الليلة؟ فقال بعضهم : لعل الخمر غلبتهم فناموا ! فلما أصبحوا ، لم يسمعوا لهم حسًّا ، فقال بعضهم لبعض : ما لنا لا نسمع من قومكم حسًّا ؟ فقالوا لرجل : اصعد الحائط ، وانظر ما شأنهم . فصعد الحائط ، فرآهم يموجُ بعضهم فى بعض ، قد مُسِخوا قردةً ، فقال لقومه : تعالوا فانظروا إلى قومكم ما لقُوا ! فصعدوا ، فجعلوا ينظرون إلى الرجل فيتوسَّمُون فيه ، فيقولون : أى فلان ، أنت فلان ؟ فيومئ بيده إلى صدره أنْ نعم ،(١) بما كسبت يداى .(٢)

١٥٢٨٤ — حدثنى يعقوب وابن وكيع قالا ، حدثنا ابن علية ، عن أيوب قال ، تلا الحسن ذات يوم : « واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر إذ يعدون فى السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرَّعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون » ، فقال : حوتٌ حرمه الله عليهم فى يوم ،(٣) وأحله لهم فيما سوى ذلك ، فكان يأتيهم فى اليوم الذى حرَّمه الله عليهم كأنه المخاض ،(٤) ٦٨/٩

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « أى نعم » ، والصواب الجيد ما أثبت .

(٢) الأثر : ١٥٢٨٣ — « ماهان أبو صالح الحنفى » ، قال البخارى « ماهان ، أبو سالم الحنفى ، . . . وقال بعضهم : ماهان ، أبو صالح ، ولا يصح » ، وقد مضى ذلك برقم : ٣٢٢٦ ، ١٣٢٩١ ، وهو مترجم فى التهذيب ، والكبير ٦٧/٢/٤ ، وابن أبى حاتم ٤٣٤/١/٤ .

(٣) فى المطبوعة : « كان حوتاً حرمه الله » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٤) فى المخطوطة : « كأنه المخاصر » غير منقوطة ، وكأن ما فى المطبوعة هو الصواب ، وقد سلف فى ص : ١٨٨ ، وتعليق : ٢ ، : « كانت تأتيهم . . . بيضاً سماناً كأنها الماخض » ، وفسرته هناك بأنه أراد بالماخض ، الشاة أو الناقة التى دنا ولادها ، وأنه عنى بذلك سمنها وتراوتها . و« المخاض » : الإبل الحوامل ، يريد بها التى امتلأت حملا وسمناً .

لا يمتنع من أحد . وقلّما رأيت أحداً يكثر الاهتمامَ بالذنب إلاّ واقعه ، (١) فجعلوا يَهتمُّون ويمْسِكون ، حتى أخذوه ، فأكلوا أوْخَمَ أكلة أكلها قوم قطُّ ، (٢) أبقاه خزياً في الدنيا ، وأشدُّه عقوبة في الآخرة ! (٣) وايم الله ، [ما حوتٌ أخذه قوم فأكلوه ، أعظم عند الله من قتل رجل مؤمن] ! (٤) وللمؤمن أعظم حرمة عند الله من حوت ، ولكنّ الله جعل موعدَ قوم الساعة ﴿وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ ، [سورة القمر : ٤٦] .

١٥٢٨٥ — حدثني يونس قال ، أخبرنا سفيان ، عن أبي موسى ، عن الحسن قال : جاءتهم الحيتان تشرع في حياضهم كأنها المخاض ، (٥) فأكلوا والله أوخم أكلة أكلها قوم قط ، (٦) أسوأه عقوبة في الدنيا ، وأشدُّه عذاباً في الآخرة ! وقال

---

(١) « الاهتمام » ، يريد : الهم به ، لا من « الاهتمام » بمعنى الاغتمام والحزن . وهو صريح القياس : « اهتم بالأمر » ، بمعنى « هم به » ، ولم تذكرها معاجم اللغة .

(٢) استعمال « قط » مع غير النفي ، أعني في المثبت ، مما أنكروه ، وقد جاء في الكلام كثيراً ، ونبه إليه ابن مالك في مشكلات الجامع الصحيح : ١٩٣ ، قال : « وفي قوله : ونحن أكثر ما كنا قط ، استعمال قط غير مسبوقة بنفي ، وهو مما خفي على كثير من النحويين . لأن المعهود استعمالها لاستغراق الزمان الماضي بعد نفي ، نحو : ما فعلت ذلك قط . وقد جاءت في هذا الحديث دون نفي وله نظائر » . وانظر الخبر الآتي رقم : ١٥٢٦٨ .

(٣) قوله : « أبقاه خزياً » ، أعاد الضمير مع « أفعل » التفضيل بالإفراد والتذكير ، وهي عائدة إلى « أكلة » ، وهي مؤنثة ، وذلك صريح العربية ، وقد مضت الإشارة إلى ذلك فيما سلف ٥ : ٤٨٨ ، تعليق : ١/٥ : ٥٥٧ ، تعليق : ١/٦ : ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، تعليق : ٢/٧ : ٨٧ ، تعليق : ٤/ والأثر رقم : ١٤٨١٣ .

وكان في المطبوعة : « أثقله خزياً » ، والصواب من الدر المنثور ٣ : ١٣٨ ، وفي المخطوطة : « أبقى خزياً في الدنيا ، وأشد عقوبة في الآخرة » .

(٤) هذه الجملة التي بين القوسين في المطبوعة ، ولم ترد في المخطوطة ، ولا في الدر المنثور ٣ : ١٣٨ ، ونصها في المخطوطة : « وايم الله ، للمؤمن أعظم حرمة » ، فلا أدري ، أهي زيادة من ناسخ لنسخة أخرى ، أم سقطت من ناسخ نسختنا .

(٥) في المخطوطة : « كأنها المحاصر » ، كما سلف في الخبر السالف ، انظر ص١٩٦ ، تعليق : ٤

(٦) انظر التعليق السالف رقم : ٣ .

الحسن : وقتل المؤمن والله أعظم من أكل الحيتان !

١٥٢٨٦ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن عطاء قال : كنت جالساً في المسجد ، فإذا شيخ قد جاء وجلس الناسُ إليه ، فقالوا : هذا من أصحاب عبد الله بن مسعود ! قال : قال ابن مسعود : « واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر » الآية، قال : لما حرم عليهم السبت ، كانت الحيتان تأتي يوم السبت ، وتأمن فتجيء ،(١) فلا يستطيعون أن يمسوها . وكان إذا ذهب السبت ذهبت ،فكانوا يتصيّدون كما يتصيد الناس. فلما أرادوا أن يعدوا في السبت، اصطادوا ، فنهاهم قوم من صالحيهم، فأبوا، وكثَّرَهم الفجّار ،(٢) فأراد الفُجار قتالهم ، فكان فيهم من لا يشتهون قتاله ، أبو أحدهم أو أخوه أو قريبه . فلما نهوهم وأبوا، قال الصالحون: إذاً نُتَّهم! وإنا نجعل بيننا وبينكم حائطاً !(٣) ففعلوا، فلما فقدوا أصواتهم قالوا : لو نظرتم إلى إخوانكم ما فعلوا ! فنظروا، فإذا هم قد مُسخوا قردةً، يعرفون الكبير بكبره، والصغير بصغره، فجعلوا يبكون إليهم. وكان هذا بعد موسى صلى الله عليه وسلم .

* * *

---

(١) في المطبوعة : « وتجيء » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) « كثرهم الفجار » ، أي : غلبوهم بكثرتهم .

(٣) في المخطوطة : « اداتهم » وإنا نجعل بيننا وبينكم حائطاً » ، هكذا ، فرأيت قراءتها كما أثبتها . أما في المطبوعة ، فقد غير الجملة وغير ضمائرها فكتب : « إنا نباينهم ، وإنا نجعل بيننا وبينهم حائطاً » . وقوله « إذا نتهم » ، يعني : إذا نتهم بما فعلتم من العدوان في السبت ، ويأخذنا الله بالعقاب ، ونحن برآء مما فعلتم .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ (١٦٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فلما تركت الطائفة التى اعتدت فى السبت ما أمرها الله به من ترك الاعتداء فيه، وضيّعت ما وَعظتْها الطائفة الواعظة وذكّرتها به ، [١] من تحذيرها عقوبةَ الله على معصيتها، فتقدّمت على استحلال ما حرم الله عليها [٢] ، أنجى الله الذين ينهون منهم عن « السوء » = يعنى عن معصية الله واستحلال حِرْمه [٣] = «وأخذنا الذين ظلموا »، يقول: وأخذ الله الذين اعتدوا فى السبت ، فاستحلوا فيه ما حرّم الله من صيد السمك وأكله، فأحلّ بهم بأسَه ، وأهلكهم بعذاب شديدٍ بئيس بما كانوا يخالفون أمر الله ، [٤] فيخرجون من طاعته إلى معصيته ، وذلك هو « الفسق » . [٥]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٢٨٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن جريج فى قوله : « فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء » ، قال : فلما نسُوا موعظة المؤمنين إياهم ، الذين قالوا : « لم تعظون قوماً » .

---

(١) فى المطبوعة : « وذكرتها ما ذكرتها به » ، زاد فى الكلام ما لا حاجة إليه به ، وخالف المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « النسيان » فيما سلف من فهارس اللغة (نسى)

(٣) « الحرم » (بكسر فسكون) ، هو « الحرام » .

(٤) فى المطبوعة : « بما كانوا يفسقون يخالفون » ، وقوله « يفسقون » كانت فى المخطوطة ، ولكنه ضرب عليها ، فكان حقاً على الناشر أن يحذفها كما فعلت .

(٥) انظر تفسير « الفسق » فيما سلف من فهارس اللغة (فسق)

١١٥٢٨٨٨ — حدثني محمد بن المثنى قال، حدثنا حرمي قال ، حدثني شعبة قال ، أخبرني عمارة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « أنجينا الذين ينهون عن السوء » ، قال : يا ليت شعري ، ما السوء الذي نهوا عنه ؟

* * *

وأما قوله : « بعذاب بئيس » ، فإن القرأة اختلفت في قراءته .

فقرأته عامة قرأة أهل المدينة : ﴿ بِعَذَابٍ بِئِيسٍ ﴾ ، بكسر الباء وتخفيف الياء، بغير همز ، على مثال « فعيل » .

* * *

وقرأ ذلك بعض قرأة الكوفة والبصرة : ﴿ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ ﴾ على مثال « فعيل »، ٦٩/٩ من « البؤس » ، بنصب الباء وكسر الهمزة ومدها .

* * *

وقرأ ذلك كذلك بعض المكيين ، غير أنه كسر باء : ﴿ بِئِيسٍ ﴾ على مثال « فعيل » .

* * *

وقرأه بعض الكوفيين : ﴿ بَيْئِسٍ ﴾ بفتح الباء وتسكين الياء ، وهمزة بعدها مكسورة ، على مثال « فَيْعِل » .

* * *

= وذلك شاذ عند أهل العربية ، لأن « فَيْعِل » إذا لم يكن من ذوات الياء والواو ، فالفتح في عينه الفصيحُ في كلام العرب ، وذلك مثل قولهم في نظيره من السالم : « صَيْقَل » و« بَيْطَر » ، وإنما تُكسر العين من ذلك في ذوات الياء والواو كقولهم : « سَيِّد » « وميِّت » ، وقد أنشد بعضهم قول امرىء القيس بن عابس الكندي :

كِلَاهُمَا كَانَ رَئِيسًا بَيْئِسًا يَضْرِبُ فِي يَوْمِ الهِيَاجِ القَوْنَسَا(١)

---

(١) تفسير أبي حيان ٤ : ٤٩٣ .

بكسر العين من « فيعِل » ، وهى الهمزة من « بيئس » ، فلعلّ الذى قرأ ذلك كذلك قرأه على هذه .

* * *

وذكر عن آخر من الكوفيين أيضاً أنه قرأه : ﴿ بَيْئَسٍ ﴾ ، نحو القراءة التى ذكرناها قبل هذه ، وذلك بفتح الباء وتسكين الياء وفتح الهمزة بعد الياء ، على مثال « فَيْعَل » مثل « صَيْقَل » .

* * *

وروى عن بعض البصريين أنه قرأه : ﴿ بَئِسٍ ﴾ بفتح الباء وكسر الهمزة ، على مثال « فَعِل » ، كما قال ابن قيس الرقيّات :

لَيْتَنى أَلْقَى رُقَيَّةَ فِى خَلْوَةٍ مِنْ غَيْرِ مَا بَئِسِ (١)

* * *

وروى عن آخر منهم أنه قرأ : ﴿ بِئْسَ ﴾ بكسر الباء وفتح السين ، على معنى : بِئْسَ العذاب .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه القراءات عندى بالصواب ، قراءةُ من قرأة : ﴿ بَئِيسٍ ﴾ بفتح الباء ، وكسر الهمزة ومدّها ، على مثال « فعيل » ، كما قال ذو الإصبع العَدْوانىّ :

حَنَقًا عَلَىَّ ، وَمَا تَرَى لِى فِيهِمُ أَثَرًا بَئِيسَا (٢)

---

(١) ديوانه : ٢٨٦ ، والخزانة ٣ : ٥٨٧ ، والعينى (بهامش الخزانة) ٤ : ٣٧٩ ، ورواية صاحب الخزانة « من غير ما أنس » ، وشرحها فقال : « الأنس ، بفتحتين ، بمعنى الإنس ، بكسر الهمزة وسكون النون ، وما زائدة ، وفيه مضاف محذوف ، تقديره : فى غير حضور إنس » ، وهذا فى ظنى ، اجتهاد من صاحب الخزانة ، وأن البيت مصحف صوابه ما فى الطبرى . وأما العينى ، فكتب « من غير ما يبس » (بالياء ثم الباء) ، وهو تصحيف لا شك فيه ، ومثله فى الديوان منقولا عنه . والصواب ما شرحه أبو جعفر .

(٢) الأغانى ٣ : ١٠٢ ، ١٠٣ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٣١ من شعر جيد فى ابن عم له كان يعاديه ، فكان يتدسس إلى مكارهه ، ويؤلب عليه ، ويسعى بينه وبين بنى عمه ، ويبغيه شراً ، فقال فيه :

= لأن هذا التأويل أجمعوا على أن معناه : شديد، فدلّ ذلك على صحة ما اخترنا.[١]

* * *

* ذكر من قال ذلك :

١٥٢٨٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن جريج قال ، أخبرني رجل ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : « وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس » ، أليم وجيع .

١٥٢٩٠ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « بعذاب بئيس » ، قال : شديد .

١٥٢٩١ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « بعذاب بئيس » ، أليم شديد .

١٥٢٩٢ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « بعذاب بئيس » ، قال : موجع .

١٥٢٩٣ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « بعذاب بئيس » ، قال : بعذاب شديد .

وَلِيَ ٱبْنُ عَمٍّ لَا يَزَا ... لُ إِلَيَّ مُنْكَرُهُ دَسِيسَا
دَبَّتْ لَهُ ، فَأَحَسَّ بَعْـ ... ـدَ البُرْءِ مِنْ سَقَمٍ رَسِيسَا
إِمَّا عَلَانِيَةً ، وَإِمَّا ... مُخْمِرًا أَكْلاً وَهِيسَا
إِنِّي رَأَيْتُ بَنِي أَبِيـ ... ـكَ يَحَمَّجُونَ إِلَيَّ شُوسَا
حَنَقًا عَلَيَّ ، . . . . . .

وقوله : « دبت له » ، يعني العداوة . و « الرسيس » : أول الحمى ، وقوله : « مخمرا » أي يستر ما يريد ، « أخمر الشيء » : ستره . « الأكل الوهيس » : الشديد ، يعني ما يغتابه به ويأكل به لحمه . و « التحميج » ، إدامة النظر ، والقلب كاره أو محنق . و « الشوس » جمع « أشوس » ، وهو الذي ينظر بمؤخر عينه مغيظاً متجرئاً .

وكان في المطبوعة : « ولن ترانا » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وإنما جاء بها من الأغاني .

(١) انظر تفسير « البأس » فيما سلف ١٢ : ٣٠٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ (١٦٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: فلما تمرّدوا ، فيما نهوا عنه من اعتدائهم فى السبت ، واستحلالهم ما حرّم الله عليهم من صيد السمك وأكله ، وتمادوا فيه[١] = « قلنا لهم كونوا قردة خاسئين » ، أى : بُعَداء من الخير .[٢]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٢٩٤ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فلما عتوا عما نهوا عنه »، يقول: لما مَرَد القوم على المعصية = « قلنا لهم كونوا قردة خاسئين » ، فصارُوا قردةً لها أذناب ، تعاوَى ، بعد ما كانوا رجالاً ونساءً .

١٥٢٩٥ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين »، فجعل الله منهم القردة والخنازير. فزعم أن شباب القوم صارُوا قردةً ، وأن المشيخة صاروا خنازيرَ .

١٥٢٩٦ — حدثنى المثنى قال، حدثنا الحمانى قال ، حدثنا شريك ، عن السدى ، عن أبى مالك أو سعيد بن جبير قال : رأى موسى عليه السلام رجلاً ٧٠/٩ يحمل قصَباً يوم السبت ، فضرب عنقه .

* * *

---

(١) انظر تفسير « عتا » فيما سلف ١٢ : ٥٤٣ .

(٢) انظر تفسير « خسأ » فيما سلف ٢ : ١٧٤ ، ١٧٥ .

القول فى تأويل قوله ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « وإذ تأذن » ، واذكر ، يا محمد ، إذ آذن ربك، وأعلمَ .(١)

* * *

= وهو « تفعل » من « الإيذان » ، كما قال الأعشى ، ميمون بن قيس :

أَذِنَ اليَوْمَ جِيرَتِى بِخُفُوفِ صَرَمُوا حَبْلَ آلِفٍ مَأْلُوفِ(٢)

يعنى بقوله : « أذِن » ، أعلم . وقد بينا ذلك بشواهده فى غير هذا الموضع .(٣)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٢٩٧ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « وإذ تأذن ربك » ، قال : أمرَ ربك .

١٥٢٩٨ — حدثنا الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا أبو سعد ، عن مجاهد : « وإذ تأذن ربك » ، قال : أمر ربك .

* * *

وقوله : « ليبعثن عليهم » ، يعنى : أعلم ربك ليبعثن على اليهود من يسومهم سوء

---

(١) كان فى المطبوعة : « إذ أذن ربك فأعلم » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) ديوانه : ٢١١ ، مطلع قصيدة له طويلة . وفى الديوان المطبوع « بحفوق » ، وهو خطأ صرف ، صوابه فى مصورة ديوانه . و « الخفوف » مصدر قولهم : « خف القوم عن منزلهم خفوفاً » ، ارتحلوا ، أو أسرعوا فى الارتحال ، وفى خطبته صلى الله عليه وسلم فى مرضه : « أيها الناس ، إنه قد دنا منى خفوف من بين أظهركم » ، أى قرب ارتحال ، منذراً صلى الله عليه وسلم بموته .

(٣) انظر تفسير « الإذن » فيما سلف ١١ : ٢١٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

العذاب . [١] قيل : إن ذلك ، العربُ ، بعثهم الله على اليهود ، يقاتلون من لم يسلم منهم ولم يعط الجزية ، ومن أعطى منهم الجزية كان ذلك له صغاراً وذلة .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

* ذكر من قال ذلك :

١٥٢٩٩ — حدثنى المثنى بن إبراهيم وعلى بن داود قالا ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب » ، قال : هى الجزية . والذين يسومونهم : محمد صلى الله عليه وسلم وأمّته ، إلى يوم القيامة .

١٥٣٠٠ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب » ، فهى المسكنة ، وأخذ الجزية منهم .

١٥٣٠١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال ابن عباس : « وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب » ، قال : يهود ، وما ضُرب عليهم من الذلة والمسكنة .

١٥٣٠٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب » ، قال : فبعث الله عليهم هذا الحىّ من العرب ، فهم فى عذاب منهم إلى يوم القيامة .

١٥٣٠٣ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم » ، قال : بعث

---

(١) انظر تفسير « البعث » فيما سلف من فهارس اللغة (بعث) ، وأخشى أن يكون الصواب « يعنى : أعلم ربك ليرسلن على اليهود » .

عليهم هذا الحى من العرب ، فهم فى عذاب منهم إلى يوم القيامة .

= وقال عبد الكريم الجزرّى : يُستحبُّ أن تُبعث الأنباط فى الجزية .[1]

١٥٣٠٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا إسحق بن إسمعيل، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد : « وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم » ، قال: العرب = « سوء العذاب » ، قال : الخراج . وأوّلُ من وضع الخراج موسى عليه السلام ، فجبى الخراجَ سبعَ سنين .

١٥٣٠٥ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يعقوب، عن جعفر ، عن سعيد: « وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم » ، قال : العرب = « سوء العذاب » ؟ قال : الخراج . قال : وأول من وضع الخراج موسى ، فجبى الخراج سبعَ سنين .

١٥٣٠٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يعقوب، عن جعفر ، عن سعيد : « وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب » ، قال : هم أهل الكتاب ، بعث الله عليهم العرب يجبُونهم الخراجَ إلى يوم القيامة، فهو سوء العذاب . ولم يجب نبيٌّ الخراجَ قطُّ إلا مُوسى صلى الله عليه ثلاث عشرة سنةً ، ثم أمسك ، وإلاّ النبي صلى الله عليه وسلم .

١٥٣٠٧ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب » ، قال : يبعث عليهم هذا الحى من العرب ، فهم فى عذاب منهم إلى يوم القيامة .

٧١/٩ ١٥٣٠٨ – . . . . قال أخبرنا معمر قال ، أخبرنى عبد الكريم ، عن

---

(١) القائل : « قال عبد الكريم الجزرى . . . » ، إلى آخر الكلام ، هو « معمر » ، وسيأتى بيان ذلك ومصداقه فى الأثر رقم : ١٥٣٠٨ ، رواية معمر ، عن عبد الكريم ، عن ابن المسيب .

ابن المسيب قال : يستحبُّ أن تبعث الأنباط فى الجزية .[١]

١٥٣٠٩ - حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط عن السدى : « وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب » ، يقول : إن ربك يبعث على بنى إسرائيل العرب فيسومونهم سوء العذاب ، يأخذون منهم الجزية ويقتلونهم .

١٥٣١٠ - حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة » ، ليبعثن على يَهُود .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٦٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن ربك، يا محمد ، لسريعٌ عقابه إلى من استوجَب منه العقوبة على كفره به ومعصيته = «وإنه لغفور رحيم » ، يقول: وإنه لذو صفح عن ذنوب من تاب من ذنوبه ، فأناب وراجع طاعته ، يستر عليها بعفوه عنها = « رحيم » ، له، أن يعاقبه على جرمه بعد توبته منها، لأنه يقبل التوبة ويُقيل العَثْرة .[٢]

* * *

---

(١) الأثر : ١٥٣٠٨ - انظر ختام الأثر السالف رقم : ١٥٣٠٣ .

(٢) انظر تفسير « سريع العقاب » ، و « غفور » و « رحيم » فيما سلف من فهارس اللغة (سرع) و (غفر) و (رحم) .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (١٦٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وفرّقنا بنى إسرائيل فى الأرض[١] = « أمماً » يعنى : جماعات شتى متفرّقين ،[٢] كما : —

١٥٣١١ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا إسحق بن إسمعيل، عن يعقوب، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس: « وقطعناهم فى الأرض أمماً »، قال : فى كل أرض يدخلها قومٌ من اليهود .[٣]

١٥٣١٢ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ،عن ابن أبى نجيح،عن مجاهد: « وقطعناهم فى الأرض أمماً »، قال: يهود .

* * *

وقوله : « منهم الصالحون » ، يقول : من هؤلاء القوم الذين وصفهم الله من بنى إسرائيل = « الصالحون » ، يعنى : من يؤمن بالله ورسله = « ومنهم دون ذلك »، يعنى : دون الصالح .

وإنما وصفهم الله جل ثناؤه بأنهم كانوا كذلك قبل ارتدادهم عن دينهم ، وقبل كفرهم بربهم ، وذلك قبل أن يبعث فيهم عيسى بن مريم صلوات الله عليه .

* * *

وقوله : « وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون » ، يقول : واختبرناهم بالرخاء فى العيش ،[٤] والخفض فى الدنيا والدعة ، والسعة فى الرزق ، وهى

---

(١) انظر تفسير « قطع » فيما سلف ص : ١٦٤ .

(٢) انظر تفسير « أمة » فيما سلف ص : ١٨٤ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٣) الأثر : ١٥٣١١ — « إسحق بن إسماعيل » ، هو « أبو يزيد » « حبويه » ، انظر ما سلف رقم : ١٥٢٢١ ، والتعليق عليه هناك .

(٤) انظر تفسير « الابتلاء » فيما سلف من فهارس اللغة (بلا) .

« الحسنات » التى ذكرها جل ثناؤه[١] = ويعنى بـ « السيئات » ، الشدة فى العيش ، والشظف فيه ، والمصائب والرزايا فى الأموال[٢] = « لعلهم يرجعون » ، يقول : ليرجعوا إلى طاعة ربهم وينيبوا إليها ، ويتوبوا من معاصيه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فخلف من بعد هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم[٣] = « خلف » ، يعنى : خَلَف سوء . يقول : حدث بعدهم وخلافَهم ، وتبدل منهم ، بَدَلُ سَوْءٍ .

* * *

يقال منه : « هو خَلَفُ صِدْقٍ » ، و« خَلْفُ سَوْءٍ » ، وأكثر ما جاء فى المدح بفتح « اللام » ، وفى الذم بتسكينها ، وقد تحرَّك فى الذم ، وتسكَّن فى المدح ، ومن ذلك فى تسكينها فى المدح قول حسان :

لَنَا القَدَمُ الأُولَى إِلَيْكَ ، وَخَلْفُنَا ... لِأَوَّلِنَا فِى طَاعَةِ اللهِ تَابِعُ[٤]

---

(١) انظر تفسير « الحسنات » فيما سلف من فهارس اللغة (حسن) .

(٢) انظر تفسير « السيئات » فيما سلف من فهارس اللغة (سوأ) .

(٣) انظر تفسير « خلف » فيما سلف ص : ١٢٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٤) ديوانه : ٢٥٤ ، وسيرة ابن هشام ٣ : ٢٨٣ واللسان (خلف) ، وسيأتى فى التفسير ١١ : ٥٩ بولاق ، من قصيدة بكى فيها سعد بن معاذ ، فى يوم بنى قريظة ورجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشهداء . وقوله : « القدم الأولى » ، يعنى سابقة الأنصار فى الإسلام . وروى السيرة : « فى ملة الله تابع » .

وأحسب أنّه إذا وُجّه إلى الفساد، مأخوذ من قولهم: « خلَف اللبن » ، إذا حمض من طُول تركه فى السقاء حتى يفسد، فكأنّ الرجل الفاسد مشبَّه به . وقد يجوز أن يكون من قولهم[1] : « خلَف فم الصائم »، إذا تغيرت ريحه . وأما فى تسكين « اللام » فى الذمّ، فقول لبيد :

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِى أَكْنَافِهِمْ وَبَقِيتُ فِى خَلْفٍ كَجِلْدِ الأَجْرَبِ[2]

* * *

وقيل : إن الخلف الذى ذكر الله فى هذه الآية أنهم خلَفوا من قبلهم ، هم النصارى .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٣١٣ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « فخلف من بعدهم خلف » ، قال: النصارى . ٧٢/٩

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : إن الله تعالى

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « منه قولهم » ، وهو خطأ .

(٢) ديوانه ، القصيدة : ٨ ، واللسان (خلف) ، وغيرهما كثير . يرثى بها أربد ، صاحبه وابن عمه ، قال :

قَضِّ اللُّبَانَةَ لَا أَبَالَكَ وَاذْهَبِ وَالْحَقْ بِأُسْرَتِكَ الكِرَامِ الغُيَّبِ

ذَهَبَ الَّذِينَ . . . . . .

يَتَأَكَّلُونَ مَغَالَةً وَخِيَانَةً وَيُعَابُ قَائِلُهُمْ وَإِنْ لَمْ يَشْغَبِ

يَا أَرْبَدَ الخَيْرِ الكَرِيمُ جُدُودُهُ خَلَّيْتَنِى أَمْشِى بِقَرْنٍ أَعْضَبِ

. . . . . .

إِنَّ الرَّزِيَّةَ ، لَا رَزِيَّةَ مِثْلُهَا فِقْدَانُ كُلِّ أَخٍ كَضَوْءِ الكَوْكَبِ

« المغالة » الفحش فى العداوة والوشاية عن تعاديه ، و « القرن الأعضب » ، المكسور ، يعنى أنه قد فتر حده بموت أربد .

ذكره، إنما وصف أنه خلَف القومَ الذين قصّ قصصهم فى الآيات التى مضت، خلْف سوءٍ ردىء، ولم يذكر لنا أنهم نصارى فى كتابه، وقصتهم بقصص اليهود أشبه منها بقصص النصارى.

وبعدُ، فإن ما قبل ذلك خبرٌ عن بنى إسرائيل، وما بعده كذلك، فما بينهما بأن يكون خبرًا عنهم أشبه، إذ لم يكن فى الآية دليل على صرف الخبر عنهم إلى غيرهم، ولا جاء بذلك دليل يوجب صحة القول به.

* *

فتأويل الكلام إذاً: فتبدّل من بعدهم بَدَل سوء، ورثوا كتاب الله فعَلِّموه،(١) وضيعوا العمل به، فخالفوا حكمه، يُرْشَون فى حكم الله، فيأخذون الرشوة فيه من عَرَض هذا العاجل «الأدنى»،(٢) يعنى بـ «الأدنى» الأقرب من الآجل الأبعد.(٣) ويقولون إذا فعلوا ذلك: إن الله سيغفر لنا ذنوبنا، تمنّيًا على الله الأباطيل، كما قال جل ثناؤه فيهم: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [سورة البقرة: ٧٩]= «وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه»، يقول: وإن شرع لهم ذنبٌ حرامٌ مثله من الرشوة بعد ذلك،(٤) أخذوه واستحلوه ولم يرتدعوا عنه. يخبر جل ثناؤه عنهم أنهم أهل إصرار على ذنوبهم، وليسوا بأهل إنابة ولا تَوْبة.

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل، وإن اختلفت عنه عباراتهم.

---

(١) فى المطبوعة: «تعلموه»، وصواب قراءة ما فى المخطوطة، هو ما أثبت.

(٢) انظر تفسير «عرض الدنيا» فيما سلف ٩: ٧١.

(٣) انظر تفسير «الأدنى» فيما سلف ٢: ١٣١.

(٤) فى المخطوطة: «وإن شرع لهم ذنباً»، سيئة الكتابة، والذى فى المطبوعة ليس ببعد عن الصواب، وإن كنت غير راض عنه.

* ذكر من قال ذلك :

١٥٣١٤ – حدثنا أحمد بن المقدام قال، حدثنا فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن سعيد بن جبير فى قوله : « يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عَرَض مثله يأخذوه » ، قال : يعملون الذنب ، ثم يستغفرون الله ، فإن عرض ذلك الذنب أخذوه .

١٥٣١٥ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبدالرحمن قال، حدثنا سفيان، عن منصور، عن سعيد بن جبير : « وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه »، قال: من الذنوب .

١٥٣١٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير، عن منصور ، عن سعيد بن جبير : « يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا » ، قال : يعملون بالذنوب = « وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه » ، قال: ذنبٌ آخر، يعملون به .

١٥٣١٧ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان، عن منصور ، عن سعيد بن جبير : « يأخذون عرض هذا الأدنى » ، قال : الذنوب = « وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه » ، قال : الذنوب .

١٥٣١٨ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « يأخذون عرض هذا الأدنى » ، قال : ما أشرف لهم من شيء فى اليوم من الدنيا حلالٌ أو حرام يشتهونه أخذوه ، ويبتغون المغفرة ، فإن يجدوا الغد مثلَه يأخذوه .

١٥٣١٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه = إلا أنه قال : يتمنَّون المغفرة

١٥٣٢٠ – حدثنا الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا أبو سعد، عن مجاهد : « يأخذون عرض هذا الأدنى » ، قال : لا يشرف لهم شيء من الدنيا إلا أخذوه ، حلالاً كان أو حراماً ، ويتمنون المغفرة، ويقولون : « سيغفر لنا »، وإن يجدوا عرضاً مثله يأخذوه .

١٥٣٢١ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فخلف من بعدهم خلف » ، إى والله، لَخَلْفُ سَوْء ورِثوا الكتابَ بعد أنبيائهم ورسلهم، ورَّثهم الله وَعهِد إليهم، وقال الله فى آية أخرى : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ﴾ [سورة مريم : ٥٩] ، قال: « يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا »، تمنوا على الله أمانىّ، وغِرّةٌ يغترُّون بها . = « وإن يأتهم عرض مثله » ، لا يشغلهم شىء عن شىء ولا ينهاهم عن ذلك، (١) كلما أشرف لهم شىء من الدنيا أكلوه ، لا يبالون حلالا كان أو حراماً .

١٥٣٢٢ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « يأخذون عرض هذا الأدنى » ، قال : يأخذونه إن كان حلالاً وإن كان حراماً = « وإن يأتهم عرض مثله »، قال : إن جاءهم حلال أو حرامٌ أخذوه . ٣/٩

١٥٣٢٣ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله: « فخلف من بعدهم خلف » إلى قوله: « ودرسوا ما فيه » ، قال : كانت بنو إسرائيل لا يستقضون قاضياً إلاّ ارتشى فى الحكم ، وإن خيارهم اجتمعوا، فأخذ بعضهم على بعض العهود أن لا يفعلوا ولا يرتشوا ، (٢) فجعل الرجل منهم إذا استُقْضِى ارتشى ، فيقال له : ما شأنك ترتشى فى الحكم ؟ فيقول : سيغفر لى ! فيطعن عليه البقية الآخرون من بنى إسرائيل فيما صنع . فإذا مات، أو نُزِع ، وجعل مكانه رجل ممن كان يطعن عليه، فيرتشى . يقول : وإن يأت الآخرين عرضُ الدنيا يأخذوه . وأما « عرض الأدنى »، فعرض الدنيا من المال .

١٥٣٢٤ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى

---

(١) فى المخطوطة : « لا يسلمهم شىء . . . » سيئة الكتابة ، وكأن ما فى المطبوعة صواب .
(٢) فى المخطوطة : « ولا يرتشى » ، والصواب ما فى المطبوعة .

قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا » ، يقول : يأخذون ما أصابوا ويتركون ما شاءوا من حلال أو حرام ، ويقولون : « سيغفر لنا » .

١٥٣٢٥ — وحدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « يأخذون عرض هذا الأدنى » ، قال : الكتاب الذي كتبوه = « ويقولون سيغفر لنا » ، لا نشرك بالله شيئاً = « وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه » ، يأتهم المحقّ برشوة فيخرجوا له كتاب الله ، ثم يحكموا له بالرشوة . وكان الظالم إذا جاءهم برشوة أخرجوا له « المثنّاة » ، وهو الكتاب الذي كتبوه ، فحكموا له بما في « المثنّاة » بالرشوة ، فهو فيها محق ، وهو في التوراة ظالم ، فقال الله : ﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ﴾ .

١٥٣٢٦ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن منصور ، عن سعيد بن جبير قوله : « فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى » ، قال : يعملون بالذنوب = « ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه » ، قال : الذنوب .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (١٦٩)

وقال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « ألم يؤخذ » ، على هؤلاء المرتشين في أحكامهم، القائلين : « سيغفر الله لنا فعلنا هذا »، إذا عوتبوا على ذلك = « ميثاقُ الكتاب » ، وهو أخذ الله العهود على بني إسرائيل ، بإقامة التوراة ، والعمل بما

فيها . فقال جل ثناؤه لهؤلاء الذين قص قصتهم فى هذه الآية ، موبخاً على خلافهم أمرَه، ونقضهم عهده وميثاقه: ألم يأخذ الله عليهم ميثاق كتابه، [1] ألا يقولوا على الله إلا الحق، ولا يُضيفوا إليه إلاّ ما أنزله على رسوله موسى صلى الله عليه وسلم فى التوراة ، وأن لا يكذبوا عليه ؟ كما : —

١٥٣٢٧ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلاّ الحق »، قال : فيما يوجبون على الله من غُفران ذنوبهم التى لا يزَالون يعودون فيها ولا يتُوبون منها .

* * *

وأما قوله : « ودرسوا ما فيه » ، فإنه معطوف على قوله : « ورثوا الكتاب » ، ومعناه : « فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب» ، « ودرسوا ما فيه » = ويعنى بقوله : « ودرسوا ما فيه » ، قرأوا ما فيه ، [2] يقول : ورثوا الكتاب فعلموا ما فيه ودرسوه ، فضيعوه وتركوا العمل به ، وخالفوا عهد الله إليهم فى ذلك ، كما : —

١٥٣٢٨ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله: « ودرسوا ما فيه »، قال : علّموه ، علّموا ما فى الكتاب الذى ذكر الله ، وقرأ : ﴿ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [سورة آل عمران : ٧٩].

* * *

قال أبو جعفر : « والدار الآخرة خير للذين يتقون » ، يقول جل ثناؤه : وما فى الدار الآخرة ، وهو ما فى المعادِ عند الله ، [3] مما أعدّ لأوليائه ، والعاملين بما أنزل فى كتابه، المحافظين على حدوده = « خير للذين يتقون الله »، [4] ويخافون ٧٤/٩

(١) انظر تفسير « الميثاق » فيما سلف ١٠ : ١١٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « درس » فيما سلف ٦ : ١٢/٥٤٦ : ٢٥ — ١٢/٣١ : ٢٤١ .
(٣) انظر تفسير « الدار الآخرة » فيما سلف من فهارس اللغة (أخر) .
(٤) انظر تفسير « التقوى » فيما سلف من فهارس اللغة (وق) .

عقابه ، فيراقبونه فى أمره ونهيه ، ويطيعونه فى ذلك كله فى دنياهم = « أفلا يعقلون » ، [١] يقول : أفلا يعقل هؤلاء الذين يأخذون عرض هذا الأدنى على أحكامهم ، ويقولون : « سيغفر لنا » ، أنّ ما عند الله فى الدار الآخرة للمتقين العادلين بين الناس فى أحكامهم ، خير من هذا العرض القليل الذى يستعجلونه فى الدنيا على خلاف أمر الله ، والقضاء بين الناس بالجور ؟

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ (١٧٠)

قال أبو جعفر : واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأ بعضهم : ﴿ يُمْسِكُونَ ﴾ بتخفيف الميم وتسكينها ، من « أمسك يمسك » .

* * *

وقرأه آخرون : ﴿ يُمَسِّكُونَ ﴾ ، بفتح الميم وتشديد السين ، من « مسّك يُمسّك » .

* * *

قال أبو جعفر : ويعنى بذلك : والذين يعملون بما فى كتاب الله = « وأقاموا الصلاة » ، بحدودها ، ولم يضيعوا أوقاتها [٢] = « إنا لا نُضيع أجر المصلحين » . يقول تعالى ذكره : فمن فعل ذلك من خلقى ، فإنى لا أضيع أجر عمله الصالح ، كما :—

١٥٣٢٩ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « والذين يمسكون بالكتاب » ، قال : كتاب الله الذى جاء به موسى عليه السلام .

---

(١) قراءة أبى جعفر كما هو بين ﴿ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ بالياء ، وتفسيره جرى عليها ، فلذلك تركتها هنا كما فسرها ، وإن كنت قد وضعت الآية فيما سلف برسم مصحفنا وقراءتنا . ولم يشر أبو جعفر إلى هذه القراءة .

(٢) انظر تفسير « إقامة الصلاة » فى فهارس اللغة (قوم) .

١٥٣٣٠ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج عن ابن جريج قال ، قال مجاهد قوله : « والذين يمسكون بالكتاب »، من يهود أو نصارى = « إنا لا نضيع أجر المصلحين » .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١٧١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر ، يا محمد ، إذ اقتلعنا الجبل فرفعناه فوق بني إسرائيل ، كأنه ظلة غمام من الظلال = وقلنا لهم : « خذوا ما آتيناكم بقوة » ، من فرائضنا ، وألزمناكم من أحكام كتابنا ، فاقبلوه ، اعملوا باجتهاد منكم في أدائه ، من غير تقصير ولا توان[1] = « واذكروا ما فيه » ، يقول : ما في كتابنا من العهود والمواثيق التي أخذنا عليكم بالعمل بما فيه = « لعلكم تتقون » ، يقول : كي تتقوا ربكم ، فتخافوا عقابه بتركم العمل به إذا ذكرتم ما أخذ عليكم فيه من المواثيق .

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٣٣١ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة » ، فقال لهم موسى : « خذوا ما آتيناكم بقوة » ، يقول: من العمل بالكتاب، وإلا خرّ عليكم

(١) انظر تفسير « بقوة » فيما سلف ١ : ١٦٠ ، ١٦١ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، وسائر فهارس اللغة (قوى) .

الجبل فأهلككم ! فقالوا : بل نأخذ ما آتانا الله بقوّة ، ثم نكثُوا بعد ذلك .

١٥٣٣٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة » ، فهو قوله : ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ ﴾ [سورة النساء : ١٥٤] ، فقال : « خذوا ما آتيناكم بقوة » ، وإلا أرسلته عليكم .

١٥٣٣٣ – حدثني إسحق بن شاهين قال، حدثنا خالد بن عبد الله، عن داود ، عن عامر ، عن ابن عباس قال : إنّ لأعلم خَلْقِ اللهِ لأيّ شيء سجدت اليهود على حَرْفِ وُجوههم : لما رفع الجبل فوقهم سَجَدُوا، وجعلوا ينظرون إلى الجبل مخافةَ أن يقع عليهم. قال : فكانت سجدةً رضيها الله، فاتخذوها سُنَّة .(١)

١٥٣٣٤ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا داود ، عن عامر ، عن ابن عباس ، مثله .

١٥٣٣٥ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة » ، أي بجدّ = « واذكروا ما فيه لعلكم تتقون » ، جبل نزعه الله من أصله ، ثم جعله فوق رؤوسهم ، فقال : لتأخذُنّ أمري ، أو لأرمينّكم به !

١٥٣٣٦ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال مجاهد : « وإذ نتقنا الجبل »، قال : كما تنتق الزُّبْدَة(٢)

---

(١) الأثر : ١٥٣٣٣ – « إسحق بن شاهين الواسطي » ، شيخ أبي جعفر ، لم أجد له ترجمة ، ومضى برقم : ٧٢١١ ، ٩٧٨٨ .

و « خالد بن عبد الله بن الرحمن المزني الواسطي » ، مضى برقم : ٧٢١١ .

و « داود » ، هو « داود بن أبي هند » .

و « عامر » هو الشعبي .

(٢) في المطبوعة : « كما تنتق الربذة » ، وهي في المخطوطة غير منقوطة ، فأساء إعجامها غاية الإساءة . و « نتق الزبدة » ، هو أن تنفض السقاء لكي تقتلع منه زبدته .

= قال ابن جريج : كانوا أبوا التوراة أن يقبلوها أو يؤمنوا بها = « خذوا ما آتيناكم بقوّة » ، قال : يقول لتؤمنن بالتوراة ولتقبلُنَّها ، أو ليقعَنَّ عليكم . ٧٥/٩

١٥٣٣٧ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله قال : هذا كتاب الله، أتقبلونه بما فيه ، فإن فيه بيانُ ما أحلَّ لكم وما حرَّم عليكم، وما أمركم وما نهاكم ! قالوا : انشُرْ علينا ما فيها ، فإن كانت فرائضها يسيرةً وحدودها خفيفةً، قبلناها ! قال: اقبلوها بما فيها ! قالوا : لا، حتى نعلم ما فيها، كيف حدودها وفرائضها ! فراجعوا موسى مراراً ، فأوحى الله إلى الجبل فانقلع فارتفع في السماء ، حتى إذا كان بين رؤوسهم وبين السماء قال لهم موسى : ألا ترون ما يقول ربّي؟ « لئن لم تقبلوا التوراةَ بما فيها لأرمينَّكم بهذا الجبل». قال: فحدثني الحسن البصريّ ، قال: لما نظروا إلى الجبل خرَّ كلُّ رجل ساجداً على حاجبه الأيسر، ونظر بعينه اليُمْنَى إلى الجبلِ، فَرَقاً من أن يسقط عليه، فلذلك ليس في الأرض يهوديٌّ يسجدُ إلاّ على حاجبه الأيسر ، يقولون : هذه السجدة التي رُفِعت عنا بها العقوبة = قال أبو بكر : فلما نشر الألواح فيها كتاب الله كَتَبه بيده، لم يبقَ على وجه الأرض جبلٌ ولا شجر ولا حجرٌ إلا اهتزّ، فليس اليوم يهوديّ على وجه الأرضِ صغيرٌ ولا كبير تقرأ عليه التوراة إلاّ اهتزّ ونَفَضَ لها رأسَه .

* * *

قال أبو جعفر : واختلف أهل العلم بكلام العرب في معنى قوله : « نتقنا » .

فقال بعض البصريين[1] : معنى « نتقنا » ، رفعنا ، واستشهد بقول العجاج :

* يَنْتُقُ أَقْتَادَ الشَّلِيلِ نَتْقَا *[2]

---

(١) هو أبو عبيدة ، كما يظهر لك من التخريج الآتي .

(٢) ديوانه : ٤٠ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٢٣٢ ، من أبيات يذكر فيها بعيره وسرعته وشدة سيره . و « الشليل » ، الحلس ، أو مسح من شعر أو صوف يجعل على عجز البعير وراء الرحل . و « الأقتاد » جمع « قتد » (بفتحتين) . خشب الرحل .

وكان في المطبوعة : « السليل » ، تابع المخطوطة ، وهي غير منقوطة .

وقال : يعني بقوله : « ينتق » ، يرفعها عن ظهره ، وبقول الآخر :[١]

* وَنَتَقُوا أَحْلَامَنَا الأَثَاقِلَا *[٢]

وقد حكى عن قائل هذه المقالة قول آخر :[٣] وهو أن أصل « النتق » و « النُّتُوق » ، كل شيء قلعته من موضعه فرميت به ، يقال منه : « نَتَقْتُ نَتْقاً » . قال : ولهذا قيل للمرأة الكثيرة [الولد] : « ناتق » ،[٤] لأنها ترمى بأولادها رَمْياً ، واستشهد ببيت النابغة :

لَمْ يُحْرَمُوا حُسْنَ الغِذَاءِ ، وَأُمُّهُمْ دَحَقَتْ عَلَيْكَ بِنَاتِقٍ مِذْكَارِ[٥]

* * *

---

(١) هو رؤبة بن العجاج .

(٢) ديوانه : ١٢٢ ، ومجاز القرآن ١ : ٢٣٢ ، واللسان (نتق) ، من أرجوزة تمدح فيها بقومه ، ثم مدح سليمان بن على ، قال فى ذكر قومه :

فالنَّاسُ إنْ فَصَّلْتَهُمْ فَصَائِلَا كُلٌّ إِلَيْنَا يَبْتَغِى الوَسَائِلَا
قَدْ جَرَّبُوا أَخْلَاقَنَا الجَلَائِلَا وَنَتَقُوا أَحْلَامَنَا الأَثَاقِلَا
فَلَمْ يَرَ النَّاسُ لَنَا مُعَادِلَا أَكْثَرَ عِزًّا وَأَعَزَّ جَاهِلَا

و « الأثاقل » جمع « الأثقل » ، يعنى أثقل من سائر أحلام الناس ، كما يقال « الأكابر » ، و « الأصاغر » ، و « الأماثل » .

(٣) يعنى أبا عبيدة أيضاً ، ولم أجده فى موضع آخر فيما طبع من مجاز القرآن .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « للمرأة الكبيرة » ، وهو لا يصح ، وإنما أسقط الناسخ ما أثبته بين القوسين ، والصواب ما أثبت .

(٥) ديوانه : ٥٠ ، واللسان (دحق) و (نتق) ، من قصيدته التى قالها فى زرعة بن عمرو بن خويلد ، حين لقى النابغة بعكاظ ، فأشار عليه أن يشير على قومه بنى ذبيان بترك حلف بنى أسد ، فأبى النابغة الغدر ، فتهدده زرعة وتوعده ، فلما بلغه تهدده ، ذمه وهجاه ، ومجد بنى أسد ، فقال فى أول شعره :

نُبِّئْتُ زُرْعَةَ ، وَالسَّفَاهَةُ كَاسْمِهَا يُهْدِى إِلَىَّ غَرَائِبَ الأَشْعَارِ

ثم يقول فى ذكر الغاضريين من بنى أسد حلفاء بنى ذبيان :

وَالغَاضِرِيُّونَ الَّذِينَ تَحَمَّلُوا بِلِوَائِهِمْ سَيْرًا لِدَارِ قَرَارِ

وقال آخر منهم: معناه فى هذا الموضع: ورفعناه . وقال : قالوا: «نَتَقَنى السَّيرُ»، حرَّكنى . وقال : قالوا : «ما نَتَق برجْلِه لا يركُض»، و«النتق»، نتق الدابة صاحبُها حين تعدُو به وتتعبه حتى يربو ، فذلك «النَّتق» و«النُّتُوق»، و«نتقتني الدَّابة»، و«نتقت المرأة تنْتُق نُتوقاً»، كثر ولدها .

* * *

وقال بعض الكوفيين : «نتقنا الجبل»، علَّقنا الجبل فوقهم فرفعناه ، ننتقه نتقاً ، و«امرأة مِنْتَاق»، كثيرة الولد : قال : وسمعت : «أخذ الجراب ، فنتق ما فيه»، [1] إذا نثر ما فيه . [2]

* * *

تَمْشِي بِهِمْ أُدْمٌ كَأَنَّ رِحَالَهَا عَلَقٌ هُرِيقَ عَلَى مُتُونِ صُوَارِ

. . . . . .

جَمْعاً يَظَلُّ بِهِ الفَضَاءُ مُعَضَّلاً يَدَعُ الإِكَامَ كَأَنَّهُنَّ صَحَارِي

لَمْ يُحْرَمُوا . . . . . .

. . . . . .

يصفهم فى البيت الأخير بالنعمة ، ولين العيش ، وأن أمهاتهم عشن بخير معيشة ، فكثر ولدهن . وقوله : «دحقت» ، وذلك أن المرأة إذا ولدت ولدها بعضهم فى إثر بعض قيل : «دحقت» ، «مذكار» ، تلد الذكور .

ورواية الديوان وغيره : «طفحت عليك» ، أى : اتسعت بولدها وغلبت ، كما يطفح الماء فيغطى ما حوله ويغرقه .

(١) فى المطبوعة : «ونتق» بالواو ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) لم يفسر أبو جعفر «الظلة» ، فانظر تفسيرها فيما سلف ٤ : ٢٦١ ، ٢٦٢ .

القول فى تأويل قوله ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ (١٧٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر، يا محمد، ربّك إذا استخرج ولد آدم من أصلاب آبائهم ، فقرّرهم بتوحيده ، وأشهد بعضهم على بعض شهادتهم بذلك وإقرارهم به ،[1] كما : —

١٥٣٣٨ — حدثنى أحمد بن محمد الطوسى قال، حدثنا الحسين بن محمد قال ، حدثنا جرير بن حازم ، عن كلثوم بن جبر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنَعْمَان = يعنى عَرَفة = فأخرج من صلبه كل ذرّية ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذرّ ثم كلمهم قِبَلاً ،[2] فقال: «ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا» ، الآية، إلى «ما فعل المبطلون» .[3]

---

(١) مضى أثر فى تفسير هذه الآية ، برقم : ١٠٨٥٥ ، لم يذكر هنا ، وهو من اختصار أبي جعفر .

(٢) فى المطبوعة : «فتلا ، فقال» ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، فظنه من التلاوة ، والصواب ما أثبته . يقال : «كلمه الله قبلا» ، أي عياناً ومقابلة لا من وراء حجاب ، وقد مضى تفسير هذا الحرف فيما سلف من الأخبار ١ : ٥١٤ ، تعليق : ٤/١ : ٢٦٦ ، تعليق : ٩/٣ : ٢٣١ ، تعليق : ٣ .

(٣) الأثر : ١٥٣٣٨ — خبر ابن عباس هذا ، من حديث كلثوم بن جبر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، رواه أبو جعفر بخمسة أسانيد : هذا ، ورقم : ١٥٣٣٩ — ١٥٣٤١ ، ثم رقم : ١٥٣٥٠ . وهذا الأول هو المرفوع وحده ، وسائرها موقوف على ابن عباس .

ورواه أبو جعفر بإسناده هذا مرفوعاً فى التاريخ ١ : ٦٧ .

ورواه مرفوعاً أحمد فى مسنده رقم : ٢٤٥٥ ، من طريق حسين بن محمد ، وهو طريق أبي جعفر .

ورواه مرفوعاً أيضاً ، الحاكم فى المستدرك ١ : ٢٧ ، من طريق إبراهيم بن مرزوق البصرى ، عن وهب بن جرير بن حازم ، عن جرير بن حازم ، بمثله ، وقال : «هذا حديث صحيح الإسناد ،

١٥٣٣٩ – حدثنا عمران بن موسى قال، حدثنا عبد الوارث قال ، حدثنا كلثوم بن جبر قال : سألت سعيد بن جبير عن قوله : « وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم »، قال: سألت عنها ابن عباس فقال : مسح ربك ظهر آدم، فخرجت كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، بنعمان هذه = وأشار بيده = فأخذ مواثيقهم ، وأشهدهم على أنفسهم : « ألست بربكم قالوا بلى » .(١)

ولم يخرجاه . وقد احتج مسلم ، بكلثوم بن جبر » ، ووافقه الذهبي ، ثم رواه في المستدرك ٢ : ٤٤٥ من طريق الحسين بن محمد المروروذي ، عن جرير بن حازم ، وصححه ، ووافقه الذهبي .

وذكره مرفوعاً ، الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ٢٥ / ٧ : ١٨٨ ، ١٨٩ ، وقال : « رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح » .

وأما من رواه موقوفاً فابن جرير بالأسانيد التالية : ١٥٣٣٩ – ١٥٣٤١ ، ١٥٣٥٠ ، وابن سعد في الطبقات ١/١/٨ ، من طريق ابن علية ، عن كلثوم ، ومن طريق حماد بن زيد ، عن كلثوم .

وذكره ابن كثير في تفسيره ٣ : ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، وفي تاريخه ١ : ٩٠ ، وأطال الكلام في تعليله ، وجعل كثرة رواة وقفه علة في رد رواية من رفعه ، وقال في ص : ٥٨٩ ، أنه قد بين أنه موقوف لا مرفوع ، فقال أخي السيد أحمد في شرح المسند : « وكأن ابن كثير يريد تعليل المرفوع بالموقوف ، وما هذه بعلة ، والرفع زيادة من ثقة ، فهي مقبولة صحيحة » . وقال أيضاً : « إسناده صحيح » .

ثم انظر تخريج الآثار التالية .

ورواة الخبر هم :

« أحمد بن محمد الطوسي » ، هو « أحمد بن محمد بن نيزك بن حبيب الطوسي » ، شيخ الطبري ، ثقة . مضى برقم : ٣٨٨٣ ، ٥٤٩٣ ، ٨٨٧٠ .

و « حسين بن محمد بن بهرام التميمي » ، ويقال له : « حسين المعلم » و « حسين المؤدب » . روى له الجماعة . مضى برقم : ٢٣٤٠ .

و « كلثوم بن جبر بن مؤمل الذيلي » ، ثقة من صغار التابعين ، مضى برقم : ٢٨٦١ ، ٢٨٦٦ ، ٦٢٤٠ .

و « نعمان » ، هو واد لهذيل ، من وراء عرفة ، على ليلتين من عرفة ، وهو « نعمان الأراك » ، يكثر وروده في شعرهم .

(١) الأثر : ١٥٣٣٩ – « عمران بن موسى بن حيان الليثي القزاز ، الصفار » ، شيخ الطبري ، ثقة . مضى برقم : ٢١٥٤ ، ٦٥٨٩ ، ٦٥٩١ ، ٨٦٨٣ .

و « عبد الوارث » ، هو : « عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان » ، أحد الأئمة الأعلام . مضى برقم : ٢١٥٤ ، ٦٥٨٩ ، ٦٥٩١ ، ٦٨١٩ ، وغيرها .

٧٦/٩ ١٥٣٤٠ – حدثنا ابن وكيع ويعقوب قالا، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا كلثوم بن جبر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى قوله : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا » ، قال : مسح ربك ظهر آدم فخرجت كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة بنعمان هذا الذى وراء عرفة ، وأخذ ميثاقهم : « ألست بربكم قالوا بلى شهدنا » = اللفظ لحديث يعقوب .(١)

١٥٣٤١ – وحدثنى يعقوب قال ، حدثنا ابن علية قال : ربيعة بن كلثوم ، عن أبيه ، فى هذا الحديث : « قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين » .(٢)

١٥٣٤٢ – حدثنا عمرو قال، حدثنا عمران بن عيينة قال ، أخبرنا عطاء ابن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : أول ما أهبط الله آدم

رواه أبو جعفر فى تاريخه ١ : ٦٧ ، موقوفاً أيضاً ، وإسناده صحيح . وأشار إليه ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٥٨٥ .

وكان فى المطبوعة هنا : « بنعمان هذا » ، وأثبت ما فى المخطوطة والتاريخ ، وهو صواب محض . وانظر التعليق على رقم : ١٥٣٣٨ .

* * *

تنبيه : قوله تعالى « ذريتهم » ، هى إحدى القراءتين ، وهى قراءتنا ، وفى القراءة الأخرى : « ذرياتهم » بالجمع ، ولم يذكر أبو جعفر هذه القراءة ، وجاء فى المخطوطة : « ذريتهم » كثيراً ، وفى بعض الأخبار « ذرياتهم » بالجمع . ولكن الناشر ، وضع فى جميع الأخبار « ذرياتهم » فغيرت ذلك ، وتبعت المخطوطة ، فحيث كتب « ذريتهم » بالإفراد ، أثبتها كذلك . وحيث كتب « ذرياتهم » بالجمع ، أثبتها كذلك ولم أغيرها .

(١) الأثر : ١٥٣٤٠ – « ابن علية » ، هو : « إسماعيل بن إبراهيم الأسدى » ، الإمام المشهور ، سلف مراراً كثيرة .

وهذا هو ثانى الآثار الموقوفة على ابن عباس ، ورواه بهذا الإسناد أبو جعفر فى تاريخه ١ : ٦٧ ، ورواه من هذه الطريق نفسها ، ابن سعد فى الطبقات ١/١/٨ ، بلفظه هذا .

إسناده صحيح ، وانظر التعليق على رقم : ١٥٣٣٨ .

(٢) الأثر : ١٥٣٤١ – رواه ابن سعد فى الطبقات ١/١/٨ ، واقتصر فيه إلى قوله تعالى : « يوم القيامة » . انظر التعليقات السالفة .

أهبطه بدَهْنَا أرض بالهند ، (١) فمسح الله ظهره ، فأخرج منه كل نَسَمة هو بارئها

(١) في المطبوعة : « بد جنى ، أرض بالهند » بالجيم . وأثبت ما في المخطوطة في هذا الموضع ، وفي تاريخ الطبري ١ : ٦٠ ، في هذا الخبر نفسه : « بد هناء أرض الهند » ، بآخره همزة ، كأنه من « الدهناء » ، وهي الفلاة كلها رمل . وليس صواباً كما سترى .

وهذا الحرف سيأتي في الخبر رقم : ١٥٣٤٧ في المطبوعة : « بدجنى » أيضاً ، بالجيم ، وهو تغيير من الناشر . أما المخطوطة ، ففيها « بدحنا » .

وقد روى ابن سعد هذا الخبر في الطبقات ١/١/٥ ، وفيه : « خلق آدم من أرض يقال لها دحناء » بالحاء ، وبالهمز ، ثم مثله في ١/١/٨ وفيه : « خلق الله آدم بدحناء » .

وقد وقع خلط شديد في اسم هذا الموضع ومكانه ، يحسن تفصيله في هذا الموضع .

١ — جاء في سيرة ابن هشام ، عن ابن إسحق : « ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف عن الطائف على دحنا ، حتى نزل الجعرانة ، فيمن كان معه من الناس ، ومعه من هوازن سبي كثير » . ومثله في تاريخ الطبري ٣ : ١٣٤ ، عن ابن إسحق .

فهذا موضع لاشك أنه في جزيرة العرب ، ذكره البكري في معجم ما استعجم : ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ولم يخلطه بغيره ، وضبطه بفتح الدال ، وسكون الحاء المهملة ، وفتح النون ، على وزن « فعلى » . وأما ياقوت في معجمه ، فضبطها مثله ثم قال : « ويروى فيها القصر والمد » .

وقال البكري في تحديدها : « موضع بسيف البحر » ، ثم عاد فذكر خبر ابن إسحق في سيرته . ثم قال : « هكذا وقع في كتاب السير ، بالنون ، وكذلك ذكره الطبري ، وليس هناك سيف . وأنا أراه أراد : « سلك على دحى » ، المتقدم ذكره . ولولا أنه غير محدد عندنا ، لارتفع الارتياب » (بفتح الدال وسكون الحاء ، بعدها ياء) ، هكذا ذكره البكري في معجمه : ٣٤٧ وقال : « موضع ، ذكره أبو بكر » ، ولم يبين .

وأما ياقوت فقال في « دحنا » : « هي من مخاليف الطائف » ، ولم يذكر ترجمة (دحى) التي ذكرها البكري .

وظني أن البكري نقل قوله : « موضع بسيف البحر » ، من بعض شراح الشعر ، فإنه أنشد شعر ربيعة بن جحدر الهذلي اللحياني :

فَلَوْ رجُلاً خَادَعْتُهُ لَخَدَعْتُهُ ... وَلَكِنَّمَا حُوتاً بِدَحْنَا أُقَامِسُ
أَقُولُ لَهُ ، كَيْمَا أُخَالِفَ رَوْغَهُ : ... وَرَاءَكَ مِلْ أَرْوَى شِيَاهُ كَوَانِسُ

فكأن شارح الشعر جعله موضعاً لسيف البحر ، لقوله : « حوتا بد حنا أقامس » ، وليس ذلك لزاماً ، إلا أن تكون « دحنا » موضع آخر غير المذكور في السيرة .

وأنشد أيضاً عن الأصمعي :

وَصَاحِبٍ لِي بِدَحْنَى ، أَيُّمَا رجُلٍ ... أَنَّى قُتِلْتَ وَأَنْتَ الفَارِسُ البَطَلُ !

ومهما يكن من شيء ، فهو موضع ببلاد العرب لاشك فيه ، وهو بمعزل عن « دحنا » الأخرى كما سترى بعد .

إلى أن تقوم الساعة ، ثم أخذ عليهم الميثاق : « وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة ، إنا كنا عن هذا غافلين » .(١)

١٥٣٤٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمران بن عيينة ، عن عطاء ،

---

٢ – وأما « دحنا » الأخرى ، المذكورة فى هذا الخبر ، فهى موصوفة فيه أنها « بأرض الهند » وذكرها البكرى فى مادة (واشم) : ١٣٦٤ ، قال : « قال ابن إسحق : يذكر أهل العلم أن مهبط آدم وحواء ، على جبل يقال له واشم ، من أرض الهند ، وهو اليوم وسط بين قراها ، بين الدهنج والمندل » ، وذكره الطبرى فى تاريخه ١ : ٦٠ ، وفيه : « وأما أهل التوراة فإنهم قالوا : أهبط آدم بالهند ، على جبل يقال له : واسم ، عند واد يقال له : بهيل ، بين الدهنج والمندل ، بلدين بأرض الهند » . وهو نص ابن إسحق كما رواه بإسناده .

فالأخبار التى ورد فيها ذكر هبوط آدم ، أو خلقه ، وفيها « دحنا » ، ولم يبين موضعها ، تبينها هذه الأخبار التى ذكرت ذلك ، وبينت أنه بأرض الهند . و « دحنا » ، بالحاء المهملة ، هى « دهنج » فى الأخبار التى ذكرتها قبل ، معربة . وهكذا جاءت فى المراجع « دحنا » بالحاء المهملة ، ولكن رواة كتب اللغة رووا لنا فى خبر ابن عباس : « إن الله مسح ظهر آدم بدجناء ، وهو اسم موضع ، ويروى بالحاء المهملة » ، هكذا ذكر صاحب لسان العرب فى (دجن) ، ثم فى (دحن) ، وقال : « وهو بين الطائف ومكة » ، فهذا أول الخلط ، وإنما هو موضع بالهند فى هذا الخبر ، أما الذى « بين الطائف ومكة » ، فهو « دحنا » العربية التى ذكرناها أولا .

وقال صاحب القاموس : « ودجنى ، بالضم أو بالكسر ، وقد يمد ، أرض خلق منها آدم عليه السلام ، أو هى بالحاء المهملة » ثم ذكرها فى (دحن) وقال : « ودحنى فى د ج ن » ، يعنى أنه هو هو ، وبضم الدال .

وعلق الزبيدى فى تاج العروس وقال : « وقد جاء ذكرها فى سيرة ابن إسحاق ، فى انصراف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف على دجناء . وجاء فى حديث ابن عباس : إن الله خلق آدم من دجناء ، فمسح ظهره بنعمان الأراك . وكان مسح ظهره بعد خروجه من الجنة ، بالاتفاق من الروايات » ، كل ذلك ذكره بالجيم .

فخلط أيضاً بين الموضعين ، الموضع الذى فى السيرة ، وموضع خلق آدم أو مهبطه . وإنما خلط اتباعاً للسهيلى فى الروض الأنف ٢ : ٣٠٥ .

وسبب هذا الخلط بلا ريب ، هو ذكر « نعمان الأراك » فى خبر خلق آدم ، و « نعمان الأراك » بأرض العرب ، فقال من لم يجمع أخبار الخلق أن « دحنا » ، أرض العرب ، ولم ينظر فيما جاء فى رواية الخبر الأخرى أنها بأرض الهند .

هذا ، وظنى أن « دحنا » ، و « دجنا » بالقصر والمد ، هو تعريب فى « دهنج » التى مضى ذكرها ، وهى الأرض التى بالهند ، أما التى ببلاد العرب ، فهى « دحنا » بالحاء ، لاغير . وهذا كاف إن شاء الله فى تحقيق هذه الكلمة .

(١) الأثر : ١٥٣٤٢ – « عمرو » ، هو : « عمرو بن على الفلاس » ، مضى مراراً كثيرة .

عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : أهبط آدم حين أهبط ، فمسح الله ظهره ، فأخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة ، ثم قال : « ألست بربكم قالوا بلى » . ثم تلا : « وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم » ، فجفّ القلمُ من يومئذ بما هو كائن إلى يوم القيامة .(١)

١٥٣٤٤ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم » ، قال : لما خلق الله آدم ، أخذ ذرّيته من ظهره مثل الذرّ ، فقبض قبضتين ، فقال لأصحاب اليمين : « ادخلوا الجنة بسلام » ، وقال للآخرين : « ادخلوا النارَ ولا أبالي » .(٢)

١٥٣٤٥ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن الأعمش ، عن حبيب ،

و « عمران بن عيينة » ، هو أخو : « سفيان بن عيينة » الإمام المشهور . قال ابن معين وأبو زرعة : « صالح الحديث » . وأما ابن أبي حاتم ، فقال : « لا يحتج بحديثه ، لأنه يأتي بالمناكير » . وقال العقيلي : « في حديثه وهم » . وقد مضى برقم : ٤١٨٩ ، ١٠٥٨٠ .

وهذا الخبر ، رواه أبو جعفر مختصراً في تاريخه ١ : ٦٠ ، وابن سعد مختصراً ١/١/٥ ، وسيأتي برقم : ١٥٣٤٣ ، من رواية وكيع ، عن عمران ، عن عطاء ، وليس فيه ذكر « دحنا » . وسيأتي بأسانيد أخر رقم : ١٥٣٤٦ ، ١٥٣٤٧ ، عن غير عمران ، عن عطاء .

(١) الأثر : ١٥٣٤٣ – هو طريق أخرى للأثر السالف ، ومن هذه الطريق ، رواه أبو جعفر في تاريخه ١ : ٦٧ ، وانظر التعليق السالف .

(٢) الأثر : ١٥٣٤٤ – هذا الخبر والذي يليه ، رواه من طريقين . رواه أولهما أبو جعفر في تاريخه ١ : ٦٧ .

« يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن التميمي النهشلي » ، وثقه أحمد وغيره ، وضعفه ابن معين وغيره . مضى برقم : ٣٠٠ ، ٦٣١٧ ، ٩٠٣٥ ، ١٤٢٠١ .

و « حبيب بن أبي ثابت » ، هو « حبيب بن قيس بن فيار » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ٩٠١٢ ، ٩٠٣٥ ، ١٠٤٢٣ ، وغيرها .

ومعنى هذا الخبر ، مخرج في مسانيد جماعة من الصحابة ، ولكني لم أجده بنصه عن ابن عباس في غير هذا الموضع ، وفي تاريخ الطبري . وانظر التعليق التالي .

عن ابن عباس قال : مسح الله ظهر آدم فأخرج كلّ طيبٍ فى يمينه ، وأخرج كل خبيثٍ فى الأخرى.(١)

١٥٣٤٦ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن علية ، عن شريك ، عن عطاء، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : مسح الله ظهر آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة .(٢)

١٥٣٤٧ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام قال ، حدثنا عمرو بن أبى قيس ، عن عطاء ، عن سعيد ، عن ابن عباس : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم » ،قال: لما خلق الله آدم مسح ظهره بدَحْنَا ،(٣) وأخرج من ظهره كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة ، فقال : « ألست بربكم قالوا بلى » ، قال : فيُرَوْن يومئذٍ جفّ القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة .(٤)

١٥٣٤٨ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى، عن المسعودى ، عن على ابن بذيمة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما خلق الله آدم عليه السلام ، أخذ ميثاقه ، فمسح ظهره ، فأخذ ذرّيته كهيئة الذرّ، فكتب آجالهم

---

(١) الأثر : ١٥٣٤٥ – هذه طريق أخرى للخبر السالف ، بغير لفظه ، أخرجه الآجرى فى كتاب الشريعة : ٢١١ ، ٢١٢ ، من طريق على بن مسهر عن الأعمش ، بغير هذا اللفظ وفى المخطوطة : « كل خبيث فى الآخرة » .

(٢) الأثر : ١٥٣٤٦ – انظر ما سلف رقم : ١٥٣٤٢ ، ١٥٣٤٣ ، حديث عطاء ، عن سعيد ، بغير هذا اللفظ .

وهذا خبر صحيح الإسناد ، وسيأتى من طريق أخرى فى الذى يليه .

(٣) فى المطبوعة « بد جنى » بالجيم ، وأثبت ما فى المخطوطة، وانظر تحقيق ذلك فى ص: ٢٢٥ ، تعليق : ١ .

(٤) الأثر : ١٥٣٤٧ – طريق أخرى للخبر السالف .

« عمرو بن أبى قيس الرازى » ، الأزرق ، ثقة ، وكان يهم فى الحديث قليلا ، مضى برقم : ٦٨٨٧ ، ٩٣٤٦ ، وغيرها .

وهذا الخبر رواه أبو جعفر فى التاريخ ١ : ٦٨ ، ورواه ابن سعد فى الطبقات ١/١/٨ ، من طريق منصور بن أبى الأسود ، عن عطاء بن السائب ، بنحو هذا اللفظ ، وفى آخره : « قال سعيد : فيرون أن الميثاق أخذ يومئذ » . ونسبه فى الدر المنثور ١ : ١٤١ لابن المنذر وحده .

وقوله : « يرون » (بضم الياء وفتح الراء) بالبناء للمجهول ، بمعنى : يظنون ذلك ويقدرونه ،

وأرزاقهم ومصائبهم = « وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى » .[١]

١٥٣٤٩ — . . . . قال حدثنا يزيد بن هرون، عن المسعودى ، عن على بن بذيمة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم » ، قال : لما خلق الله آدم ، أخذ ميثاقه أنه ربُّه ، وكتب أجله ومصائبَه ، واستخرج ذريّته كالذرّ ، وأخذ ميثاقهم ، وكتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبَهم .[٢]

١٥٣٥٠ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن ربيعة بن كلثوم بن جبر ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى قوله: « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم » ، قال : مسح الله ظهر آدم عليه السلام وهو ببطن نعمان = وادٍ إلى جنب عرفة = وأخرج ذريته من ظهره كهيئة الذرّ ، ثم أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا .[٣]

١٥٣٥١ — . . . . قال ، حدثنا أبى ، عن أبى هلال، عن أبى جَمْرَة الضُّبَعى ، عن ابن عباس قال ، أخرج الله ذريّة آدم عليه السلام من ظهره ٧٧/٩
كهيئة الذر وهو فى آذىٍّ من الماء .[٤]

---

(١) الأثر : ١٥٣٤٨ — هذا الخبر رواه أبو جعفر من طريقين ، هذا والذى يليه .
« المسعودى » ، هو : « عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود » ، مضى برقم : ٢١٥٦ ، ٢٧٢٩ ، ٢٩٣٧ ، ٥٥٦٣ ، وغيرها ، وهو ثقة ، اختلط بأخرة ، وتغير حفظه ، وما روى عنه الشيوخ القدماء ، فهو مستقيم . وسماع وكيع من المسعودى قديم .
« على بن بذيمة الجزرى » ، ثقة ، متكلم فيه بما لا يقدح ، مضى برقم : ٦٢٩ ، وغيرها .
وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ١ : ١٤١ ، ونسبه إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، وأبى الشيخ .

(٢) الأثر : ١٥٣٤٩ — « يزيد بن هرون السلمى » ، أحد الأعلام الحفاظ المشاهير ، مضى مراراً كثيرة . وقد روى « يزيد بن هرون » عن المسعودى أحاديث مختلطة ، بعد ما تغير حفظه ، كما ذكرت فى التعليق السالف .

(٣) الأثر : ١٥٣٥٠ — هذه طريق أخرى للأخبار السالفة ١٥٣٣٨ — ١٥٣٤١ ، ومضى تخريجها هناك .

(٤) الأثر : ١٥٣٥١ — « أبو هلال » ، هو « محمد بن سليم الراسبى » ، ثقة متكلم فيه ،

١٥٣٥٢ – حدثني علي بن سهل قال، حدثنا ضمرة بن ربيعة قال، حدثنا أبو مسعود، عن جويبر قال : مات ابن للضحاك بن مزاحم، ابنَ ستة أيام. قال فقال : يا جابر، إذا أنت وضعت ابني في لحده، فأبرزْ وجهه، وحلّ عنه عقده، فإن ابني مُجلْلَسٌ ومسئول ! ففعلت به الذي أمرني، فلما فرغت قلت : يرحمك الله، عمّ يسألُ ابنك ؟ مَنْ يسأله إيّاه ؟[1] قال : يُسْأل عن الميثاق الذي أقرّ به في صلب آدم عليه السلام. قلت : يا أبا القاسم، وما هذا الميثاق الذي أقرّ به في صلب آدم ؟ قال : حدثني ابن عباس : أن الله مسح صلب آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، وأخذ منهم الميثاق : أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وتكفّل لهم بالأرزاق، فلن تقوم الساعة حتى يولد من أعطى الميثاق يومئذ،[2] فمن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفَى به، نفعه الميثاق الأوّل، ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يفِ به، لم ينفعه الميثاق الأوّل، ومن مات

قال ابن أبي عدي، بعد أن ذكر له أحاديث كلها أو عامتها غير محفوظة : «وله غير ما ذكرت، وفي بعض رواياته مالا يوافقه عليه الثقات، وهو ممن يكتب حديثه». مضى برقم : ٢٩٩٦، ٤٦٨١، ١٣٩٦٧.

و «أبو جمرة الضبعي» هو : «نصر بن عمران بن عصام الضبعي»، ثقة مأمون. مضى برقم : ٥٩٩٥، ٦٢٢٨، وكان في المطبوعة والمخطوطة : «عن أبي حمزة»، وهو خطأ صرف.

«آذي الماء»، الأطباق التي تراها ترفعها من متنه الريح، دون الموج. ويأتي أيضاً بمعنى : الموج الشديد، وهو الأكثر. والمراد في هذا الخبر، هو المعنى الأول.

وكان في المطبوعة : «أذى» بغير مد، وليس صواباً، وفي المخطوطة «أدفى» وهو خطأ صرف.

وهذا الخبر، نقله ابن كثير في تفسيره ٣ : ٥٨٥، وخرجه السيوطي في الدر المنثور ١ : ١٤١، ونسبه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن منده في كتاب الرد على الجهمية، وأبي الشيخ.

(١) في المطبوعة والدر المنثور، أسقط قوله : «من يسأله إياه»، وهي ثابتة في المخطوطة، وفي ابن كثير، الناقل من هذا الموضع من التفسير.

(٢) في المخطوطة، أسقط من أول قوله «ثم تكفل لهم» إلى قوله : «تقوم الساعة»، وهي ثابتة في تفسير ابن كثير، والدر المنثور. وأما المطبوعة، فأسقطت من «وتكفل» إلى قوله : «تقوم الساعة»، وهي ثابتة في تفسير ابن كثير والدر المنثور. وأما المطبوعة، فأسقطت من «وتكفل» إلى قوله : «في صلبه».

صغيراً قبل أن يدرك الميثاق الآخر ، مات على الميثاق الأول على الفطرة .[١]

١٥٣٥٣ – حدثني يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني السريّ بن يحيى : أن الحسن بن أبي الحسن حدّثهم ، عن الأسود بن سريع من بني سعد قال : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعَ غزوات. قال: فتناول القوم الذرّيّة بعد ما قتَلوا المقاتلة، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاشتدّ عليه ، ثم قال : ما بال أقوام يتناولون الذرية ؟ فقال رجل : يا رسول الله ، أليسوا أبناءَ المشركين ؟ فقال : إن خيارَكم أولادُ المشركين! إلا أنها ليست نسمة تُولد إلا ولدت على الفطرة، فما تزال عليها حتى يبين عنها لِسانها ، فأبواها يهوّدانها أو ينصرانها = قال الحسن : ولقد قال الله ذلك في كتابه ،[٢] قال : « وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم »[٣]

---

(١) الأثر ١٥٣٥٢ – « علي بن سهل الرملي » ، شيخ الطبري ، مضى مراراً .
و « ضمرة بن ربيعة الفلسطيني » . ثقة ، مضى برقم : ٧١٣٤ ، ١٢٨٦٨ ، ١٣٦٥٠ .
و « أبو مسعود » الراوي عن « جويبر » ، أخشى أن يكون هو « سعيد بن إياس الجريري » ، ولست أحققه .
و « جويبر » ، لقب ، ويقال اسمه « جابر بن سعيد » . مضى كثيراً ، وجاء في هذا الخبر ، التصريح باسمه « جابر » ، فإلا يكن « جويبر » لقباً ، فهو تصغير « جابر » .
وهذا الخبر ، نقله ابن كثير في تفسيره ٣ : ٥٨٥ ، والسيوطي في الدر المنثور ١ : ١٤٣ .
(٢) في المطبوعة : « والله لقد قال الله » ، لا أدري من أين زاد ذلك !
(٣) الأثر : ١٥٣٥٣ – « السري بن يحيى بن إياس الشيباني » ، « أبو الهيثم » ، ثقة . ثبت ، روى عن الحسن البصري مترجم في التهذيب ، والكبير ٢/٢/١٧٦ ، وابن أبي حاتم ٢/١/٢٨٣
و « الأسود بن سريع بن حميري بن عبادة التميمي » ، صحابي ، كان شاعراً مشهوراً ، وكان أول من قص في مسجد البصرة ، وهو القائل في قصصه في الميت ، (البيان والتبين ١ : ٤٦٧/ طبقات فحول الشعراء ١٥١ ، تعليق : ٦) :

فإنْ تَنجُ مِنها ، تَنجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَإلَّا فَإنِّي لا إخَالُكَ ناجِيا

مترجم في الإصابة ، وأسد الغابة ، وابن سعد ٧/١/٢٨ ، والاستيعاب : ٤٤ ، والمعارف لابن قتيبة : ٢٧٦ ، والكبير للبخاري ١/١/٤٤٥ ، وابن أبي حاتم ١/١/١٢٩ ، وغيرها .
وهذا الخبر ، رواه من هذه الطريق ، أحمد في مسنده ٤ : ٢٤ ، مع خلاف يسير في لفظه ، وابن سعد مختصراً في الطبقات ٧/١/٢٨ ، والبخاري مختصراً في التاريخ ١/١/٤٤٥ .وابن عبد البر

١٥٣٥٤ – حدثنا عبد الرحمن بن الوليد قال، حدثنا أحمد ابن أبي طَيبة، عن سفيان بن سعيد، عن الأجلح، عن الضحاك = وعن منصور، عن مجاهد = عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم»، قال: أخذوا من ظهره، كما يؤخذ بالمشط من الرأس، فقال لهم: «ألست بربكم قالوا بلى»، قالت الملائكة: «شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين».(١)

في الاستيعاب بنحوه مطولا: ٤٤، وذكره ابن حجر في الإصابة في ترجمته وقال: «وأخرجه ابن حبان وابن السكن، من طريق السري».

ورواه أحمد في مسنده ٣: ٤٣٥، من طريق يونس بن محمد المؤدب، عن أبان بن يزيد، عن قتادة، عن الحسن مختصراً، ثم رواه بعده من طريق يونس بن عبيد عن الحسن، بنحوه. ثم رواه في ٤: ٢٤ من طريق سعيد، عن قتادة، عن الحسن، وبين الخبر أن ذلك كان في سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين.

ورواه الحاكم في المستدرك ٢: ١٢٣ من طريق يونس بن محمد المؤدب، ثم من طريق يونس بن عبيد، عن الحسن، بنحو ما رواه أحمد، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

ورواه البيهقي في السنن الكبرى ٩: ٧٧، من طريق يونس بن عبيد، عن الحسن. ثم رواه أيضاً في السنن ٩: ١٣٠، من طريق يونس بن محمد المؤدب، عن أبان بن يزيد، عن قتادة.

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٥: ٣١٦، ثم قال: «رواه أحمد بأسانيد، والطبراني في الكبير والأوسط كذلك... وبعض أسانيد أحمد، رجاله رجال الصحيح».

وخرجه ابن كثير في تفسيره ٣: ٥٨٤ وقال: «وأخرجه النسائي في سننه، من حديث هشيم، عن يونس بن عبيد، عن الحسن، قال حدثني الأسود بن سريع، فذكره، ولم يذكر قول الحسن البصري، واستحضاره الآية عند ذلك».

(١) الأثر: ١٥٣٥٤ – رواه أبو جعفر من طرق ثلاث، أولاها مرفوعة، والأخريان موقوفتان على عبد الله بن عمرو.

وهذا الخبر، إسنادان: «سفيان الثوري، عن الأجلح»، و«سفيان، عن منصور».

«عبد الرحمن بن الوليد الجرجاني» شيخ أبي جعفر، لم أجد له ترجمة، ولكنه روى عنه في التاريخ ٣: ٢٠٧، عن «أحمد بن أبي طيبة» أيضاً، ثم في المنتخب من ذيل المذيل (التاريخ: ١٣) ص: ٤٨، ٦٠.

و«أحمد بن أبي طيبة» هو: «أحمد بن عيسى بن سليمان الجرجاني»، قاضي قومس. قال أبو حاتم: «يكتب حديثه»، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن عدي: «حدث بأحاديث أكثرها غرائب». مترجم في التهذيب، والخلاصة: ٧، وابن أبي حاتم ٦٤/١/١. وضبط

١٥٣٥٥ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا يحيى بن سعيد قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو فى قوله : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم » ، قال : أخذهم كما يأخذ المشط من الرأس .(١)

١٥٣٥٦ – حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم » ، قال : أخذهم كما يأخذ المشط من الرأس = قال ابن حميد : كما يؤخذ بالمشط .(٢)

١٥٣٥٧ – حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهرى قال، حدثنا روح بن عبادة، وسعد بن عبد الحميد بن جعفر ، عن مالك بن أنس ، عن زيد بن أبى أنيسة ،

« طبية » فى الخلاصة بالظاء المعجمة ، ولكنه فى غيره بالطاء المهملة .

« وسفيان بن سعيد » هو الثورى ، وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « سفيان عن سعيد » ، وهو خطأ محض ، وإنما يروى عن الأجلح « سفيان بن سعيد الثورى » بغير واسطة الكبير ١/٢/٦٨ .

و « الأجلح » هو « الأجلح بن عبد الله بن حجية الكندى » ، مضى برقم : ٥٣٨٤ ، ١٠٨٥٧ ، وهو متكلم فيه ، ووثقه ابن عدى .

وهذا الخبر ، خرجه السيوطى مرفوعاً فى الدر المنثور ١ : ١٤٢ وزاد نسبته لابن منده فى كتاب الرد على الجهمية . وذكره ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٥٨٦ ، ٥٨٩ وضعف رفعه ، وبين أن وقفه أصح . وسيأتى قول الطبرى فيه ص : ٢٥٠ : « ولا أعلمه صحيحاً ، لأن الثقات الذين يعتمد على حفظهم وإتقانهم حدثوا بهذا الحديث عن الثورى ، فوقفوه على عبد الله بن عمرو ، ولم يرفعوه ، ولم يذكروا فى الحديث هذا الحرف الذى ذكره أحمد بن أبى طبية عنه » .

(١) الأثر : ١٥٣٥٥ – هذا الأثر والذى يليه ، هما الأثران الموقوفان الصحيحان . راجع التعليق السالف .

(٢) الأثر : ١٥٣٥٦ – هو موقوف على عبد الله بن عمرو ، صحيح الإسناد كالسالف .

وكان فى المخطوطة : « كما يؤخذ المشط » مرة أخرى ، بغير باء ، وكأن الصواب ما فى المطبوعة ، وبذلك ورد فى الدر المنثور . وانظر التعليق السالف .

وهذه الأخبار الثلاثة ، ذكرها ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٥٨٦ ، ٥٨٩ ، وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ١ : ١٤١ موقوفاً ، ونسبه إلى ابن أبى شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، وأبى الشيخ ، واللالكائى فى السنة ، وقصر فى نسبته إلى ابن جرير .

عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، عن مسلم بن يسار الجهني : أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية : « وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم » ، فقال عمر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الله خلق آدم، ثم مسح على، ظهره بيمينه، [1] فاستخرج منه ذرية فقال: « خلقت هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون » . ثم مسح على ظهره فاستخرج منه ذرية فقال: « خلقت هؤلاء للنار ، وبعمل أهل النار يعملون » . فقال رجل : يا رسول الله ، ففيم العمل ؟ قال: إن الله إذا خلق العبدَ للجنة ، استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من عمل أهل الجنة ، فيدخله الجنة . وإذا خلق العبد للنار ، استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من عمل أهل النار ، فيدخله النار. [2]

---

(١) في المطبوعة : « مسح ظهره » ، وأثبت ما في المخطوطة والتاريخ .

(٢) الأثر : ١٥٣٥٧ – « إبراهيم بن سعيد الجوهري الطبري » ، شيخ الطبري ، مضى مراراً .

و « سعد بن عبد الحميد بن جعفر الأنصاري » ، ثقة ، وضعفوه ، مضى برقم : ٣٩٥٩ ، ٩٢٢٥ ، ولكن ضعفه لا يضر في هذا الإسناد ، فإن « روح بن عبادة » ، ثقة بلا شك ، وهو العمدة في رواية الخبر في سائر الكتب .

و « زيد بن أبي أنيسة الجزري » ، ثقة ، مضى برقم : ٤٩٦٤ ، ٨٣٩٦

و « عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب » ، ثقة مأمون ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ١٤٦٨٥ .

و « مسلم بن يسار الجهني » ، تابعي ثقة ، قيل : لم يسمع من عمر ، وبينه وبينه « نعيم بن ربيعة الأزدي » ، كما سيأتي في الأثر التالي . مترجم في التهذيب ، والكبير ٤/١/٢٧٦ ، ولا أدري لم أغفله ابن أبي حاتم في كتابه ، أو هو سقط من تراجمه .

وهذا الخبر رواه أبو جعفر بإسناده هذا في تاريخه ١ : ٦٧ ، مع خلاف يسير في لفظه . ورواه مالك في الموطأ : ٨٩٨ ، ورواه أحمد في المسند رقم : ٣١١ ، وأبو داود في سننه ٤ : ٣١٢ رقم : ٤٧٠٣ ، والحاكم في المستدرك ١ : ٢٧ وقال : « هذا حديث صحيح على شرطهما ولم يخرجاه » ، وتعقبه الذهبي فقال : « فيه إرسال » ، ثم عاد الحاكم فرواه في المستدرك ٢ : ٣٢٤ ، ٥٤٤ وقال : « هذا حديث على شرط مسلم ، ولم يخرجاه » ، فخالف ما قاله أولا ، ولكن أعجب منه أن الذهبي في هذين الموضعين وافقه ، ولم يتعقبه بأنه فيه إرسال !! وهذا عجب ! ورواه الآجري في كتاب الشريعة : ١٧٠ ، وابن عبد البر في التقصي : ٥٤ ، وقال : « في إسناد هذا الحديث علتان قد بينتهما في كتاب التمهيد » . ورواه الترمذي في كتاب التفسير وقال : « هذا حديث حسن ، ومسلم بن يسار ، لم يسمع من عمر . وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وبين عمر ، رجلا » .

٧٨/٩ ١٥٣٥٨ – حدثنا إبراهيم قال، حدثنا محمد بن المصفى ، عن بقية ، عن عمر بن جُعْثُم القرشى قال ، حدثنى زيد بن أبى أنيسة ، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن ، عن مسلم بن يسار ، عن نعيم بن ربيعة ، عن عمر ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .(١)

وبعد كتابه ما تقدم ، وجدت الإمام ابن القيم قد ذكر الخبر فى شفاء العليل : ١٠٢٩ ، ما قاله ابن عبد البر فى التمهيد وقال : « قال الحاكم : هذا الحديث على شرط مسلم ، وليس كما قاله ، بل هو حديث منقطع . قال أبو عمر (ابن عبد البر) : هو حديث منقطع ، فإن مسلم بن يسار هذا ، لم يلق عمر بن الخطاب ، بينهما نعيم بن ربيعة . هذا إن صح أن الذى رواه عن زيد بن أبى أنيسة فذكر فيه نعيم بن ربيعة ، إذ ليس هو بأحفظ من مالك ، ولا ممن يحتج به إذا خالفه مالك . ومع ذلك فإن نعيم بن ربيعة ، ومسلم بن يسار جميعاً مجهولان غير معروفين بحمل العلم ونقل الحديث . وليس هو مسلم بن يسار العابد البصرى ، وإنما هو رجل مدنى مجهول . ثم ذكر من تاريخ ابن أبى خيثمة قال : قرأت على يحيى بن معين حديث مالك هذا ، فكتب بيده على مسلم بن يسار : لا يعرف . قال أبو عمر : هذا الحديث وإن كان عليل الإسناد ، فإن معناه عن النبى صلى الله عليه وسلم قد روى من وجوه كثيرة » ، ثم ساق أسماء من روى عنهم من الصحابة .

وخرجه ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٥٨٦ وفى تاريخه ١ : ٨٩ ، ٩٠ ، وقال بعد نقل كلام الترمذى : « كذا قاله أبو حاتم ، وأبو زرعة ، زاد أبو حاتم بينهما نعيم بن ربيعة . وهذا الذى قاله أبو حاتم ثم رواه أبو داود فى سننه عن محمد بن مصفى ، عن بقية ، عن عمر بن جعثم القرشى عن زيد بن أبى أنيسة ، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، عن مسلم بن يسار الجهنى ، عن نعيم بن ربيعة قال : كنت عند عمر ، . . . وقال الحافظ الدارقطنى : وقد تابع عمر بن جعثم ، يزيد بن سنان أبو فروة الرهاوى ، وقولهما أولى بالصواب من قول مالك . قال ابن كثير : الظاهر أن مالكاً إنما أسقط نعيم بن ربيعة عمداً ، لما جهل حال نعيم ولم يعرفه ، فإنه غير معروف إلا فى هذا الحديث . وكذلك يسقط ذكر جماعة ممن لا يرتضيهم ، ولهذا يرسل كثيراً من المرفوعات ، ويقطع كثيراً من الموصولات » .

وانظر التعليق على الخبر التالى .

(١) ١٥٣٥٨ – « محمد بن المصفى بن بهلول القرشى » ، حافظ صدوق ، متكلم فيه ، قيل إنه كان ممن يدلس تدليس التسوية . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/١/٢٤٦ ، وابن أبى حاتم ٤/١/١٠٤ .

و « بقية » ، هو « بقية بن الوليد » ، مضى مراراً .

و « عمر بن جعثم القرشى » ، ذكره ابن حبان فى الثقات ، مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣/١/١٠١ ، وكان فى المخطوطة : « عمر بن جعفر القرشى » ، وهو خطأ ، وكان فى المطبوعة : « عمر بن جعثم » ، وهو خطأ أيضاً .

و « نعيم بن ربيعة الأزدى » ، لم يذكر البخارى فيه جرحاً ، ولا ابن أبى حاتم . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/٢/٩٦ ، وابن أبى حاتم ٤/١/٤٦٠ .

١٥٣٥٩ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن عنبسة، عن عمارة، عن أبي محمد رجل من أهل المدينة ،(١) قال : سألت عمر بن الخطاب رحمة الله عليه ، عن قوله : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم » ، قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عنه كما سألتنى ، فقال : خلق الله آدم بيده ، ونفخ فيه من روحه ، ثم أجلسه ، فمسح ظهره بيده اليمنى ، فأخرج ذرءًا فقال: « ذَرْءٌ ذرأتهم للجنة »، ثم مسح ظهره بيده الأخرى، وكلتا يديه يمين ، فقال: «ذَرْءٌ ذرأتهم للنار ، يعملون فيما شئت من عمل، ثم أختم لهم بأسوأ أعمالهم فأدخلهم النار » .(٢)

١٥٣٦٠ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم » ، قال : إن الله خلق آدم عليه السلام ، ثم أخرج ذرّيته من صلبه مثل الذرّ ، فقال لهم : من ربكم ؟ قالوا : الله ربُّنا ! ثم أعادهم فى صلبه ، حتى يولد كل من أخذ ميثاقه، لايزاد فيهم ولا ينقص منهم إلى أن تقوم الساعة .(٣)

وهذا الخبر رواه البخارى فى الكبير ٤/٢/٩٦ ، ٩٧ عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن يزيد ، سمع أباه ، سمع زيداً ، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن ، عن مسلم بن يسار الجهنى ، عن نعيم بن ربيعة الأذدى » ، بنحوه مختصراً .

ورواه أبو داود فى السنن ٤ : ٣١٣ رقم : ٤٧٠٤ ، من طريق محمد بن المصفى ، عن بقية ، ولم يذكر لفظه ، وقال : « وحديث مالك أتم » .

وانظر ذكر هذه الرواية الموصولة ، فى التعليق على الخبر السالف .

(١) فى المطبوعة : « رجل من المدينة » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٥٣٥٩ – « عمارة » ، هو « عمارة بن عمير التيمى » ، روى له أصحاب الكتب الستة ، مضى برقم : ٣٢٩٤ ، ٥٧٨٩ .

و « أبو محمد ، رجل من أهل المدينة » ، لم أجد بياناً عنه فى شىء من الكتب .

وهذا الخبر ، رواه ابن عبد البر فى التمهيد (ملحق بكتاب التقصى) : ٣٠٢ ، بهذا الإسناد نفسه ، بلفظه ، إلا أن فيه : « ثم أختم لهم بشر أعمالهم » .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ١ : ١٤٢ ، ولم ينسبه لغير ابن جرير .

(٣) الأثر : ١٥٣٦٠ – هذا إسناد دائر فى التفسير ، مضى بيانه فى الخبر رقم : ١٨٦ ، ١٨٧ .

١٥٣٦١ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم » ، إلى قوله : «قالوا بلى شهدنا » ، قال ابن عباس : إن الله لما خلق آدم ، مسح ظهره وأخرج ذريته كلّهم كهيئة الذر ، فأنطقهم فتكلموا ، وأشهدهم على أنفسهم ، وجعل مع بعضهم النورّ ، وإنه قال لآدم : هؤلاء ذرّيتك آخذ عليهم الميثاق : أنا ربهم ، لئلا يشركوا بي شيئاً ، وعليّ رزقهم . قال آدم : فمن هذا الذي معه النُّور؟ قال : هو داود . قال : يارب ، كم كتبت له من الأجل ؟ قال : ستين سنة ! قال : كم كتبت لي ؟ قال : ألف سنة ، وقد كتبت لكل إنسان منهم كم يعمّر وكم يلبث ؟ قال : يا رب ، زده . قال : هذا الكتاب موضوعٌ ، فأعطه إن شئت من عمرك ! قال : نعم . وقد جفّ القلم عن أجل سائر بني آدم ، فكتب له من أجل آدم أربعين سنة ، فصار أجله مئة سنة . فلما عمر تسعمئة سنة وستين سنة ، جاءه ملك الموت ، فلما رآه آدم قال : مالك ؟ قال له : قد استوفيت أجلك ! قال له آدم : إنما عمرت تسعمئة وستين سنة ، وبقي أربعون سنة ! قال : فلما قال ذلك للملك ، قال الملك : قد أخبرني بها ربي ! قال : فارجع إلى ربك ، فاسأله . فرجع الملك إلى ربه ، فقال : مالك ؟ قال : يا رب رجعت إليك لما كنت أعلم من تكرمتك إياه . قال الله : ارجع فأخبره أنه قد أعطى ابنه داود أربعين سنة .(١)

١٥٣٦٢ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن الزبير بن موسى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : إن الله تبارك وتعالى ضرب منكبه الأيمن ، فخرجت كل نفس مخلوقة للجنة بيضاءَ

وخرجه السيوطي في الدر المنثور ١ : ١٤١ ونسبه إلى ابن أبي حاتم ، واللالكائي في السنة .

(١) الأثر : ١٥٣٦١ – هذا إسناد دائر في التفسير ، مضى بيان ضعفه في التعليق على رقم : ٣٠٥ .

نقية ، فقال : هؤلاء أهل الجنة . ثم ضرب منكبه الأيسر ، فخرجت كل نفس مخلوقة للنار سوداءَ ، فقال : هؤلاء أهل النار . ثم أخذ عهودهم على الإيمان والمعرفة له ولأمره ، والتصديق به وبأمره ، بنى آدم كلهم ، فأشهدهم على أنفسهم ، فآمنوا وصدّقوا وعرَفوا وأقرّوا . وبلغنى أنه أخرجهم على كفه أمثال الخردل = قال ابن جريج ، عن مجاهد قال : إن الله لما أخرجهم قال : يا عباد الله ، أجيبوا الله . و « الإجابة » ، الطاعة ، فقالوا : أطعنا ، اللهم أطعنا ،[1] اللهم لبيك ! قال : فأعطاها إبراهيم عليه السلام فى المناسك : «لبيك اللهم لبيّك » . وقال : ضرب متْنَ آدم حين خلقه . قال : وقال ابن عباس : خلق آدم ، ثم أخرج ذريته من ظهره مثل الذر ، فكلمهم ، ثم أعادهم فى صلبه ، فليس أحدٌ إلا وقد تكلم ، فقال : « ربى الله » . فقال : وكل خلْق خلَق فهو كائن إلى يوم القيامة ، وهى الفِطرة التى فطَر الناس عليها = قال ابن جريج : قال سعيد بن جبير : أخذ الميثاق عليهم بنَعْمان = و « نعمان » ، من وراء عرفة = « أن يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين » ، عن الميثاق الذى أخذ عليهم .[2] ٧٩/٩

١٥٣٦٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، عن أبى بن كعب قال : جمعهم يومئذٍ جميعاً ، ما هو كائن إلى يوم القيامة ، ثم استنطقهم وأخذ عليهم الميثاق ، وأشهدهم على أنفسهم : « ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين » أو يقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون » . قال : فإنى أشهد عليكم السموات السبع والأرَضين السبع ،

---

(١) فى المطبوعة ، كرر هنا « اللهم أطعنا » مرة أخرى ، فحذفتها مطابقاً للمخطوطة .

(٢) الأثر : ١٥٣٦٢ — « الزبير بن موسى بن ميناء المكى » ، ثقة ، مضى برقم : ٨٦٤٩ .

وهذا الخبر ، رواه الآجرى فى كتاب الشريعة ، مختصراً : ٢١٢ ، من طريق على بن الحسن ابن شقيق ، عن عبد الله بن المبارك ، عن ابن جريج ، عن الزبير موسى .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ١ : ١٤٤ ، ولم ينسبه إلى غير ابن جرير وأبى الشيخ .

وأشهد عليكم أباكم آدم : أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا ! اعلموا أنه لا إله غيرى ، ولا رب غيري ، ولا تشركوا بى شيئاً ، وأنى سأرسل إليكم رسلاً يذكّرونكم عهدى وميثاقى ، [١] وسأنزل عليكم كتبى ! [٢] قالوا : شهدنا أنك ربُّنا وإلهنا ، لا رب لنا غيرك ، ولا إله لنا غيرك . فأقرُّوا له يومئذٍ بالطاعة ، ورفع عليهم أباهم آدم فنظر إليهم ، فرأى منهم الغنىّ والفقير ، وحسن الصورة ، ودون ذلك ، فقال : رب ، لولا ساويت بينهم ! قال : فإنى أحب أن أشكر . قال : وفيهم الأنبياء عليهم السلام يومئذٍ مثلُ السُّرُج ، وخص الأنبياء بميثاق آخر ، قال الله : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٧] ، وهو الذى يقول تعالى ذكره : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ﴾ [سورة الروم : ٣٠] ، وفى ذلك قال : ﴿ هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى ﴾ [سورة النجم : ٥٦] . يقول : أخذنا ميثاقه مع النذر الأولى ، ومن ذلك قوله : ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٠٢] ، [وهو قوله تعالى] [٣] : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ ﴾ [سورة يونس : ٧٤] . قال : كان فى علمه يوم أقروا به ، من يصدّق ومن يكذّب . [٤]

---

(١) فى المطبوعة : « وسأرسل » ، وفى المخطوطة : « وأنا سأرسل » ، والصواب من مراجع الحديث المذكورة بعد .

(٢) ليس فى المخطوطة : « كتبى » ، سقطت من الناسخ .

(٣) هذه الزيادة بين القوسين ، من سائر المراجع ، وليست فى المخطوطة ولا المطبوعة .

(٤) الأثر : ١٥٣٦٣ — إسناد صحيح ، مضى مثله مراراً .

وهذا الخبر رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل ، فى زياداته على مسند أبيه ، (٥ : ١٣٥) عن شيخه محمد بن يعقوب الربالى ، عن المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، مختصراً . ونقله الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧ : ٢٥ وقال : « رواه عبد الله بن أحمد ، عن شيخه محمد بن يعقوب الربالى ، وهو مستور ، وبقية رجاله رجال الصحيح » .

ورواه الحاكم فى المستدرك مطولا ٢ : ٣٢٣ من طريق عبيد الله بن موسى ، عن أبى جعفر

١٥٣٦٤ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير في هذه الآية : « وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم » ، قال : أخرجهم من ظهر آدم ، وجعل لآدم عمر ألف سنة . قال : فعرضوا على آدم ، فرأى رجلا من ذرّيته له نور ، فأعجبه ، فسأل عنه ، فقال : هو داود ، قد جُعِل عمره ستين سنة ! فجعل له من عمره أربعين سنة . فلما احتُضِر آدمُ ، جعل يخاصمهم في الأربعين سنة ، فقيل له : إنك أعطيتها داود ! قال : فجعل يخاصمهم .

١٥٣٦٥ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يعقوب، عن جعفر ، عن سعيد في قوله : « وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم » ، قال : أخرج ذريته من ظهره كهيئة الذرّ ، فعرضهم على آدم بأسمائهم وأسماء آبائهم وآجالهم ! قال : فعرض عليه روح داود في نورٍ ساطع ، فقال : من هذا ؟ قال : هذا من ذرّيتك، نبيٌّ خليفة . قال : كم عمره ؟ قال : ستون سنة . قال : زيدوه من عمري أربعين سنة . قال : والأقلام رطبة تجري ، فأثبت لداود الأربعون ، وكان عمر آدم ألف سنة . فلما استكملها إلا الأربعين سنة ، بُعث إليه ملك الموت : فقال : يا آدم ، أمرت أن أقبضك . قال : ألم يبق من عمري أربعون سنة ؟ قال : فرجع

عيسى بن عبد الله بن ماهان ، عن الربيع بن أنس ، وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ، ووافقه الذهبي .

ورواه الآجري في كتاب الشريعة : ٢٠٧ ، من طريق حكام بن سلم الرازي ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس .

ورواه ابن عبد البر في التمهيد (ملحق بكتاب التقصي) : ٣٠٧ ، من طريق أحمد بن عبد الله ابن صالح ، عن عبيد الله بن موسى ، عن أبي جعفر الرازي ، وهو طريق الحاكم في المستدرك .

وذكره ابن كثير في تفسيره ٣ : ٥٨٨ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم ، وابن مردويه في تفسيريهما .

وخرجه السيوطي في الدر المنثور ١ : ١٤٢ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد ، وأبي الشيخ ، وابن منده في كتاب الرد على الجهمية ، واللالكائي ، وابن مردويه ، والبيهقي في الأسماء والصفات ، وابن عساكر في تاريخه .

ملك الموت إلى ربه ، فقال : إن آدم يدّعى من عمره أربعين سنة ! قال : أخبر آدم أنه جعلها لابنه داودَ والأقلام رطبة ، فأثبتت لداود .

١٥٣٦٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو داود ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، بنحوه .

١٥٣٦٧ – . . . . قال حدثنا ابن فضيل ، وابن نمير ، عن عبد الملك ، عن عطاء : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم » ، قال : أخرجهم من ظهر آدم حتى أخذ عليهم الميثاق ، ثم ردّهم فى صلبه .

١٥٣٦٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن نمير، عن نضر بن عربى : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم » ، قال : أخرجهم من ظهر آدم حتى أخذ عليهم الميثاق ، ثم ردّهم فى صلبه . ٩/٨٠

١٥٣٦٩ – . . . . قال حدثنا محمد بن عبيد، عن أبى بسطام ، عن الضحاك قال : حيث ذرأ الله خلقه لآدم عليه السلام ،[1] قال : خلقهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا : بلى .[2]

١٥٣٧٠ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم » ، قال : قال ابن عباس : خلق الله آدم ، ثم أخرج ذريته من ظهره ، فكلمهم الله وأنطقهم ، فقال : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى ! ثم أعادهم فى صلبه ، فليس أحدٌ من الخلق إلا قد تكلم فقال : « ربى الله » ، وإن القيامة لن تقوم حتى يولد من كان يومئذ أشهد على نفسه .

١٥٣٧١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو بن طلحة ، عن أسباط ،

---

(١) هذه عبارة غريبة ، ولكن هكذا هى فى المخطوطة والمطبوعة .

(٢) الأثر : ١٥٣٦٩ – « محمد بن عبيد » ، هو فيما أرجح « محمد بن عبيد بن أبى أمية الطنافسى » ، مضى برقم : ٤٠٥ ، ٩١٥٥ ، ١١٤١٨ .

و « أبو بسطام » ، هو « مقاتل بن حيان البلخى » ، مضى برقم : ٣٨٤٢ .

عن السدى : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى » ، وذلك حين يقول تعالى ذكره : ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً ﴾ ، [سورة آل عمران : ٨٣] . وذلك حين يقول : ﴿ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ . [سورة الأنعام : ١٤٩] ، يعنى يوم أخذ منهم الميثاق ، ثم عرضهم على آدم عليه السلام .(١)

١٥٣٧٢ — . . . . قال حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى قال أخرج الله آدم من الجنة ، ولم يهبط من السماء ، ثم مسح صفحة ظهره اليمنى ، فأخرج منه ذرّيته كهيئة الذرّ ، أبيض ، مثل اللؤلؤ ،(٢) فقال لهم : ادخلوا الجنة برحمتى ! ومسح صفحة ظهره اليسرى ، فأخرج منه كهيئة الذر سوداً ،(٣) فقال : ادخلوا النار ولا أبالى ! فذلك حين يقول : « أصحاب اليمين ، وأصحاب الشمال » ، ثم أخذ منهم الميثاق فقال : « ألست بربكم قالوا بلى » ، فأطاعه طائفة طائعين وطائفة كارهين على وجه التقية .(٤)

---

(١) الأثر : ١٥٣٧١ — « عمرو بن طلحة » ، هو « عمرو بن حماد بن طلحة القناد » ، من أكثر الرجال دوراناً فى التفسير ، مضى برقم : ١٦٨ ، وكان فى المطبوعة هنا وفى الذى يليه « عمر بن طلحة » ، وهو خطأ صرف .

وهذا الخبر ، جزء من خبر طويل رواه ابن عبد البر فى التمهيد (ملحق بكتاب التقصى) : ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، بإسناده عن محمد بن عبد الله بن سنجر ، عن عمرو بن حماد ، عن نصر بن نصر الهمدانى ، عن السدى ، عن أصحابه = قال عمرو : وأصحابه : أبو مالك وعن أبى صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة الهمدانى ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم » .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ١ : ١٤١ ، مطولا ، ولم ينسبه إلى غير ابن عبد البر فى التمهيد .

وانظر الأثر التالى رقم : ١٣٥٧٣ .

(٢) فى المطبوعة : « فأخرج منه ذرية بيضاء مثل اللؤلؤ ، كهيئة الذر » ، وهو موافق لما رواه ابن عبد البر ، ولكنى أثبت ما فى المخطوطة . وأما ما رواه أبو جعفر فى التاريخ فهو : « فأخرج منه ذرية كهيئة الذر بيضاً مثل اللؤلؤ » ، بالجمع « بيضاً » .

(٣) فى المطبوعة : « فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر » ، وهو مطابق لما فى التمهيد لابن عبد البر ، ولكنى أثبت ما فى المخطوطة ، وهو مطابق لما رواه أبو جعفر فى التاريخ

(٤) الأثر : ١٥٣٧٢ — هذا الخبر ، جزء من الخبر السالف الذى رواه ابن عبد البر

١٥٣٧٣ – حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى بنحوه = وزاد فيه بعد قوله : « وطائفة على وجه التقية » = فقال : هو والملائكة : « شهدنا أن يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين » أو يقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم » ، فلذلك ليس فى الأرض أحد من ولد آدم إلا وهو يعرف أن ربه الله ، ولا مشرك إلا وهو يقول لابنه : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ ﴾ = و«الأمة» الدين = ﴿وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ [سورة الزخرف : ٢٣]، وذلك حين يقول الله : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى »، وذلك حين يقول ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [سورة آل عمران : ٨٣]، وذلك حين يقول : ﴿ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة الأنعام ١٤٩]، يعنى يوم أخذ منهم الميثاق.(١)

١٥٣٧٤ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الكلبي : « من ظهورهم ذرياتهم » ، قال : مسح الله على صلب آدم ، فأخرج من صلبه من ذريته ، ما يكون إلى يوم القيامة ، وأخذ ميثاقهم أنه ربهم ، فأعطوه ذلك . ولا تسأل أحداً، كافراً ولا غيره(٢) : « من ربك؟ » ، إلا قال: « الله » = وقال الحسن مثل ذلك أيضاً .(٣)

١٥٣٧٥ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا حفص بن غياث ، عن جعفر ،

فى التمهيد (ملحق بكتاب التقصى) : ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، مطولا .

ورواه أبو جعفر فى تاريخه مختصراً بلفظه هذا ١ : ٦٨ .

(١) الأثر : ١٣٥٧٣ – هذا الخبر جزء من الخبرين السالفين فيما أرجح ١٥٣٧١ ، ١٥٣٧٢ .

وانظر تخريجهما فيما سلف ، ولكن صدر الخبر لم يرد فى شيء من المراجع .

(٢) فى المطبوعة : « ولا يسأل أحد كافر ولا غيره » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) الأثر : ١٥٣٧٤ – هذا الخبر خرجه السيوطى فى الدر المنثور ١ : ١٤١ من حديث ابن عباس ، ونسبه إلى عبد الرزاق ، وابن المنذر . وظاهر أنه من تفسير الكلبى ، بإسناده عن ابن عباس .

عن أبيه، عن على بن حسين : أنه كان يَعْزِلُ،[١] ويتأول هذه الآية : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرّيتهم » .[٢]

١٥٣٧٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظى فى قوله : « وإذ أخذ بك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم» قال : أقرّت الأرواح قبلَ أن تُخْلق أجسادها .[٣]

١٥٣٧٧ – حدثنا أحمد بن الفرج الحمصى قال، حدثنا بقية بن الوليد قال ، حدثنى الزبيدى ، عن راشد بن سعد ، عن عبد الرحمن بن قتادة النَّصْرى ، عن أبيه ، عن هشام بن حكيم : أن رجلاً أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله، أتبْدَأ الأعمال، أم قد قُضِي القضاء ؟[٤] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله أخذ ذرية آدم من ظهورهم ، ثم أشهدهم على أنفسهم ، ثم أفاض بهم فى كفيه ،[٥] ثم قال : « هؤلاء فى الجنة وهؤلاء فى النار » ، فأهل الجنة ميسَّرون لعمل أهل الجنة ، وأهل النار ميسَّرون لعمل أهل النار .[٦] ٩/٨١

---

(١) فى المطبوعة : « كان يقول ويتأول »، وهو كلام لا معنى له، صوابه ما كان فى المخطوطة . و « العزل » هو أن يعزل الرجل ماءه عن المرأة ، أى ينحيه عن رحمها إذا جامعها ، لئلا تحمل .

(٢) الأثر : ١٥٣٧٥ – خرجه السيوطى فى الدر المنثور ١ : ١٤٤ ، وزاد نسبته إلى ابن أبى شيبة .

(٣) الأثر : ١٥٣٧٦ – رواه ابن عبد البر فى التمهيد (ملحق بكتاب التقصى) : ٣٠١ ، من طريق قاسم بن أصبغ ، عن محمد بن الجهم ، عن روح بن عبادة ، عن موسى بن عبيدة .
وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ١ : ١٤١ ، وزاد نسبته إلى ابن أبى شيبة .

(٤) فى رواية أخرى « أم قد مضى القضاء » .

(٥) قوله : « أفاض بهم فى كفيه » : بسطهم متفرقين منبثين . وأصله ، من : « أفاض الضارب بالقداح »، إذا أجالها وضرب بها ، فوقعت منبثة متفرقة . وقد جاء هذا اللفظ فى خبر ابن عباس : « أخرج الله ذرية آدم من ظهره ، فأفاضهم إفاضة القدح » ، وهى الضرب به وإجالته عند القمار . وقد جاء فى رواية الطبرانى لهذا الخبر (مجمع الزوائد ٧ : ١٨٦) : « ثم نثرهم فى كفيه، أو كفه ».

(٦) الأثر : ١٥٣٧٧ – رواه أبو جعفر بأربعة أسانيد ، هذا ، والذى يليه إلى رقم ، ١٥٣٨٠ . وهو خبر قد نصوا قديماً على أنه مضطرب الإسناد . واضطرابه من وجوه سأبينها بعد : إن شاء الله ، فى هذا الموضع .

. . . . . .

« أحمد بن الفرج بن سليمان الكندى الحمصى » ، « أبو عتبة » يعرف بالحجازى . ورد بغداد غير مرة ، وحدث بها عن بقية بن الوليد ، وغيره . روى عنه عبد الله بن أحمد ابن حنبل ، وابن جرير ، والحسين بن إسماعيل المحاملى ، وغيرهم ، وكتب عنه ابن أبى حاتم ، وقال : « محله عندنا الصدق » . قال ابن عدى : « كان محمد بن عوف الطائى ، يضعفه ، ومع ضعفه يكتب حديثه » . قال محمد بن عوف الطائى : « الحجازى كذاب . . . وليس عنده فى حديث بقية بن الوليد عن الزبيدى ، أصل . هو فيها أكذب خلق الله . إنما هى أحاديث وقعت إليه فى ظهر قرطاس كتاب صاحب حديث ، فى أولها مكتوب : حدثنا يزيد بن عبد ربه ، قال حدثنا بقية » ، ثم رماه بأشياء . وذكره ابن حبان فى الثقات وقال : « يخطىء وهو مشهور بكنيته » . ومع ذلك ، فهذا الخبر الذى رواه عنه أبو جعفر ، رواه بعده عن محمد بن عوف الطائى وغيره ، فما قيل فيه لا يضر . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ١/١/٦٧ ، وتاريخ بغداد ٤ : ٣٣٩ — ٣٤١ ، وقد مضى برقم : ٦٨٩٩ ، بروايته عن بقية بن الوليد ، ولم يترجم هناك .

و « بقية بن الوليد الحمصى » ، ثقة ، تكلموا فيه من أجل تدليسه ، فإذا صرح بالسماع كانت روايته صحيحه ، وقد صرح بها فى هذا الأثر ، ولم يصرح فى الذى يليه . وقد مضى برقم : ١٥٢ ، ٥٥٦٣ ، ٦٥٢١ ، ٦٨٩٩ ، ٩٢٢٤ ، وغيرها .

و « الزبيدى » هو « محمد بن الوليد بن عامر الزبيدى الحمصى » ، ثقة ، روى له الشيخان . مضى برقم : ٦٦٥٦ ، ٦٨٩٩ .

و « راشد بن سعد المقرئ الحبرانى الحمصى » ، وثقه ابن سعد ، وابن معين وغيرهما . وقال أحمد : « لا بأس به » ، وقال الدارقطنى : « يعتبر به إذا لم يحدث عن متروك » . وشذ ابن حزم فضعفه . وذهبت عين راشد بن سعد فى يوم صفين ، وتوفى سنة ١٠٨ . مترجم فى التهذيب ، وابن سعد ١٦٢/٢/٧ ، والكبير ٢٦٦/١/٢ ، وابن أبى حاتم ٤٨٣/٢/١ ، وميزان الاعتدال ١ : ٣٣١ ، ومختصر تاريخ ابن عساكر ٥ : ٢٨٩ .

ومن عند رواية راشد بن سعد يبدأ الاضطراب فى إسناد الخبر ، وفى نسبة بعض رجاله ، والاختلاف فى لفظه . وهذه هى أسانيده التى وقعت لى ، جمعتها مع ذكر موضع كل إسناد :

١ — الزبيدىّ ، عن راشد بن سعد ، عن عبد الرحمن بن قتادة النصرى ، عن أبيه ، عن هشام بن حكيم =

الطبرى : ١٥٣٧٧ — ١٥٣٧٩ / الكبير للبخارى ١٩١/٢/٤ ، ١٩٢ / إسحق بن راهويه ، فى « شفاء العليل » لابن القيم : ١٠ / ابن كثير ٣ : ٥٨٨ .

٢ — الزبيدى ، عن راشد بن سعد ، عن عبد الرحمن بن قتادة النصرى ، عن هشام بن حكيم =

الآجرى فى الشريعة : ١٧٢ .

٣ — معاوية بن صالح ، عن راشد بن سعد ، عن عبد الرحمن بن قتادة ، عن هشام بن حكيم =

الطبرى : ١٥٣٨٠

٤ — معاوية بن صالح ، عن راشد بن سعد ، عن عبد الرحمن بن قتادة السلمى ، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم =

ابن سعد ١/١/٩ ثم ٧/٢/١٣٥ = المسند ٤ : ١٨٦ / المستدرك ١ : ٣١ / أسد الغابة ٣ : ٣١٩ / الإصابة ٤ : ١٧٩ ، فى ترجمة عبد الرحمن بن قتادة .

٥ — الزبيدى ، . . . عن عبد الرحمن بن قتادة ، عن أبيه ، وهشام بن حكيم =

الإصابة ٤ : ١٧٩ ، غير مبين تمام إسناده ، ولكنه عن راشد بن سعد بلا شك .

* * *

فالأسانيد الثلاثة الأولى ، والإسناد الخامس ، رواية الخبر فيها عن هشام بن حكيم ، أو عن قتادة النصرى . واختلف الزبيدى على راشد بن سعد ، فقال مرة : « عبد الرحمن بن قتادة ، عن أبيه ، عن هشام » وقال أخرى : « عبد الرحمن بن قتادة ، عن هشام » ، وأسقط ذكر « عن أبيه » .

وأما معاوية بن صالح ، فاختلف على راشد بن سعد ، فقال مرة : « عبد الرحمن بن قتادة عن هشام بن حكيم » ، كإسناد الزبيدى الثانى ، وقال مرة أخرى : « عبد الرحمن بن قتادة السلمى وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سمعت رسول الله » .

قال ابن حجر : « وأعل البخارى الحديث : بأن عبد الرحمن إنما رواه عن هشام بن حكيم . هكذا رواه معاويه بن صالح وغيره عن راشا بن سعد . وقال معاوية مرة أن عبد الرحمن قال : سمعت ، وهو خطأ . ورواه الزبيدى ، عن عبد الرحمن بن قتادة ، عن أبيه ، وهشام بن حكيم . وقيل عن الزبيدى : عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن هشام » (الإصابة ٤ : ١٧٩) .

* * *

أما الاختلاف الثانى فى نسبة بعض رجاله ، فإن الذى جاء فى الإسناد الأول والثانى : « عبد الرحمن بن قتادة النصرى » . ثم جاء فى الإسناد الرابع « عبد الرحمن بن قتادة السلمى » ، ولم يذكر فى ترجمة « عبد الرحمن بن قتادة السلمى » الصحابى أنه يقال له : « النصرى » ، وسيتبين ذلك فى الكلام بعد عن رجال الإسناد .

* * *

أما الاختلاف الثالث ، ففى لفظه . فهذا اللفظ الذى رواه أبو جعفر الطبرى هنا برقم ١٥٣٧٧ ،

. . . . . .

رواه بنحوه البخارى فى الكبير ٤/٢/١٩١ ، ١٩٢ ، والآجرى فى كتاب الشريعة : ١٧٢ ، وإسحق ابن راهويه (شفاء العليل : ١٠) ،ومجمع الزوائد ٧ : ١٨٦ ، والدر المنثور ١ : ١٤٣ ، وزاد نسبته إلى البزار والطبرانى ، وابن مردويه ، والبيهقى فى الأسماء والصفات ، وكل ذلك عن هشام بن حكيم .

وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ، وذكر هذا الخبر بلفظه ، عن هشام بن حكيم ، ثم قال : « رواه البزار والطبرانى وفيه بقية بن الوليد ، وهو ضعيف ، ويحسن حديثه بكثرة الشواهد . وإسناد الطبرانى حسن » .

وأما اللفظ الثانى : فهو عبد الرحمن بن قتادة السلمى ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« إن الله عز وجل خلق آدم ، ثم أخذ الخلق من ظهره . وقال : هؤلاء فى الجنة ولا أبالى ، وهؤلاء فى النار ولا أبالى . فقال قائل : يا رَسول الله ، فعلى ماذا نعمل ؟ قال : على مَوَاقع القَدَرِ »

وبهذا اللفظ ونحوه عن عبد الرحمن بن قتادة السلمى الصحابى ، رواه أحمد فى المسند ٤ : ١٨٦ ، وابن سعد فى الطبقات ١/١/٩ ثم ٧/٢/١٣٥ = ثم ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل ٢/٢/٢٧٦ = ثم الحاكم فى المستدرك ١ : ٣١ / مجمع الزوائد ٧ : ١٨٦ / الإصابة ٤ : ١٧٩ / تعجيل المنفعة : ٢٥٥ ، ٢٥٦ / الدر المنثور ١ : ١٤٤ ، ١٤٥ ، ونسبه إلى ابن سعد وأحمد .

قال الحاكم فى المستدرك : « هذا حديث صحيح ، قد اتفقا على الاحتجاج برواته عن آخرهم إلى الصحابة . وعبد الرحمن بن قتادة من بنى سلمة ، من الصحابة . وقد احتجا جميعاً بزهير بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس له راو غير أبى عثمان النهدى ، وكذلك احتج البخارى بحديث أبى سعيد بن المعلى ، وليس له راو غير حفص بن عاصم » . ووافقه الذهبى .

وأما الهيثمى فى مجمع الزوائد فقال : « رواه أحمد ، ورجاله ثقات » ، يعنى الإسناد الرابع الذى ذكرناه ، باللفظ الثانى .

* * *

ثم نفضى إلى القول فى « عبد الرحمن بن قتادة » .

فهو فى الإسناد الأول والثانى « عبد الرحمن بن قتادة النصرى » ، يروى عن أبيه ، عن هشام ، الحديث باللفظ الأول ، ولا يظهر من إسناده أنه صحابى ، فإن كان صحابياً ، فهو صحابى ، يروى عن صحابى ، عن صحابى ، وهو غريب نادر . فإذا صح ما قاله البخارى أن الراوى هو عبد الرحمن عن هشام ، وأن قوله : « عن أبيه » زيادة ، فهو رواية صحابى عن صحابى . ويحتمل أن يكون « عبد الرحمن بن قتادة النصرى » ، تابعياً .

ولكن لم يبين أحد أن « عبد الرحمن بن قتادة النصرى » ، غير « عبد الرحمن بن قتادة السلمى » ، و « السلمى » ، صحابى ، كما جاء فى نص الإسناد الرابع . وترجم للصحابى « عبد الرحمن بن قتادة السلمى » : ابن سعد ٧/٢/١٣٥ ثم ابن أبى حاتم ٢/٢/٢٧٦ وقال بعد : « روى عن هشام

١٥٣٧٨ – حدثني محمد بن عوف الطائي قال، حدثنا حيوة ويزيد قالا ، حدثنا بقية ، عن الزبيدي ، عن راشد بن سعد ، عن عبد الرحمن بن قتادة النصْري ، عن أبيه، عن هشام بن حكيم، عن النبي صلى الله عليه وسلم، مثله .(١)

١٥٣٧٩ – حدثني [عبد الله بن] أحمد بن شبويه قال، حدثنا إسحق بن إبراهيم ، قال ، حدثنا عمرو بن الحارث قال ، حدثنا عبد الله بن سالم ، عن الزبيدي قال ، حدثنا راشد بن سعد : أن عبد الرحمن بن قتادة حدّثه : أن أباه حدّثه : أن هشام بن حكيم حدثه : أنه قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم

بن حكيم ، روى عنه راشد بن سعد = ثم الاستيعاب : ٣٩٨/ وأسد الغابة ٣ : ٣١٩/ وتعجيل المنفعة : ٢٥٥ / والإصابة ٤٥ : ١٧٩ . ولم يذكر أحد منهم أن هذا « السلمي » يقال له « النصري » . وهذا غريب أيضاً .

ثم إنهم ترجموا لأبيه « قتادة النصري » في الكبير ١٨٥/١/٤ ، وقال : « سمع هشام بن حكيم ، روى عنه ابنه عبد الرحمن » ، وابن أبي حاتم ١٣٥/٢/٣ ، وقال مثله . أما « قتادة السلمي » ، فلم يذكر في الموضعين ، بل جاء ذكره في ترجمة « هشام بن حكيم » في التهذيب ، والإصابة . وهذا غريب أيضاً .

ونسبة « السلمي » ، مضبوطة بالقلم في ابن سعد وغيره بضم السين وفتح اللام ، نسبة إلى « سليم ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان » وأما الحاكم في المستدرك ، فقد بين أنه من « بني سلمة » (بفتح السين وكسر اللام) والنسبة إليها « السلمي » (بفتحتين) ؛ وهم من الأنصار . وسواء أكان هذا أو ذاك ، فلا أدري كيف يكون « نصرياً » من كان من هذه أو تلك . و « النصري » فيما أرجح ، إنما هو نسبة إلى « نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة » ، وهم من أبناء عمومة « سليم بن منصور » . فجائز أن يكون « عبد الرحمن بن قتادة » من بني « سليم ابن منصور » ، دخل في بني عمومته « نصر بن معاوية » فنسب إليهم أيضاً . ولا حجة لي في ذلك ، كما لا أجد حجة لما قاله الحاكم في المستدرك .

وقد أطلت في بيان هذا الاضطراب ، لأضبطه بعض الضبط . وبعد ذلك كله ، فمعنى الحديث صحيح ، مروي عن جماعة من الصحابة بأسانيد ليس فيها هذا الاضطراب . وهو اضطراب قديم ، كما نصوا على ذلك فيما نقلت آنفاً .

(١) الأثر : ١٥٣٧٨ – « محمد بن عوف بن سفيان الطائي » ، شيخ أبي جعفر ، حافظ ثقة ، من الرواة عن أحمد . مضى برقم : ٥٤٤٥ .

و « حيوة » ، هو « حيوة بن شريح بن يزيد الحضرمي » ، فقيه عالم ثقة ، مضى برقم : ٢٨٩١ ، ٣١٧٩ .

و « يزيد » هو « يزيد بن هارون » ، أحد الحفاظ الأعلام ، مضى مراراً كثيرة .

وهذا إسناد آخر . للخبر السالف

رجلٌ ، فذكر مثله .[١]

١٥٣٨٠ – حدثنا محمد بن عوف قال، حدثني أبو صالح قال ، حدثنا معاوية ، عن راشد بن سعد ، عن عبد الرحمن بن قتادة ، عن هشام بن حكيم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .[٢]

* * *

قال أبو جعفر : واختلف في قوله : « شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين » .

فقال السدي : هو خبرٌ من الله عن نفسه وملائكته ، أنه جل ثناؤه قال هو وملائكته ، إذ أقرَّ بنو آدم بربوبيته حين قال لهم[٣] : « ألست بربكم ؟ »، فقالوا :[٤] « بلى » .

---

(١) الأثر : ١٥٣٧٩ « عبد الله بن أحمد بن شبويه » ، هو « عبد الله بن أحمد بن محمد بن ثابت المروزي » ، شيخ أبي جعفر ، من أئمة الحديث ،مضى مراراً ، منها : ١٩٠٩ ، ٤٦١٢ ، ٤٩٢٣ . وكان في المطبوعة والمخطوطة : « حدثني أحمد بن شبويه » وهو خطأ لاشك فيه ، فلذلك زدت [عبد الله بن] بين القوسين ، أولا لأن « عبد الله » هو شيخ أبي جعفر الذي يروى عنه ، وثانياً ، لأن أباه « أحمد بن شبويه » ، مات سنة ٢٣٠ ، لم يدرك أبو جعفر أن يروى عنه .

و « إسحق بن إبراهيم » هو : « إسحاق بن إبراهيم بن العلاء الحمصي الزبيدي » ، ويقال له : « إسحق بن زبريق » أو « ابن زبريق » ، ثقة ، متكلم فيه جداً . مترجم في التهذيب ، والكبير ٣٨٠/١/١ ، وابن أبي حاتم ٢٠٩/١/١ .

و « عمرو بن الحارث بن الضحاك الزبيدي الحمصي » ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال الذهبي : « لا تعرف عدالته » . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٢٢٦/١/٣ ، وميزان الاعتدال ٢ : ٢٨٤ .

و « عبد الله بن سالم الأشعري الوحاظي » ، وثقه ابن حبان والدارقطني . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٧٦/٢/٢ .

وكان في المخطوطة والمطبوعة : « عبد الله بن مسلم » ، وهو خطأ لا شك فيه .

(٢) الأثر : ١٥٣٨٠ – « أبو صالح » هو « عبد الله بن صالح المصري » كاتب الليث ابن سعد . ثقة ، تكلموا فيه . مضى مراراً . انظر رقم : ١٨٦ .

و « معاوية بن صالح الحمصي » ، ثقة ، مضى مراراً . انظر رقم : ١٨٦ .

وانظر بعد هذا كله ، التعليق على رقم : ١٥٣٧٧ .

(٣) في المخطوطة : « حين قيل لهم » .

(٤) في المطبوعة : « قالوا بلى » ، ساقها مساق الآية .

فتأويل الكلام على هذا التأويل : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى » ، فقال الله وملائكته : شهدنا عليكم بإقراركم بأن الله ربكم ، كيلا تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين . وقد ذكرت الرواية عنه بذلك فيما مضى ، والخبرَ الآخرَ الذى روى عن عبد الله بن عمرو ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، بمثل ذلك .(١)

* * *

وقال آخرون : ذلك خبر من الله عن قيل بعض بنى آدم لبعض ، حين أشهد الله بعضهم على بعضٍ . وقالوا : معنى قوله : « وأشهدهم على أنفسهم » ، وأشهد بعضهم على بعضٍ بإقرارهم بذلك ، وقد ذكرت الرواية بذلك أيضاً عمن قاله قبلُ .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك بالصواب ، ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن كان صحيحاً ، ولا أعلمه صحيحاً ، لأن الثقات الذين يعتمد على حفظهم وإتقانهم ، حدّثوا بهذا الحديث عن الثورى ، فوقفوه على عبد الله ابن عمرو ، ولم يرفعوه ، ولم يذكروا فى الحديث هذا الحرف الذى ذكره أحمد ابن أبى طَيبة عنه .(٢) وإن لم يكن ذلك عنه صحيحاً ، فالظاهر يدلُّ على أنه خبر من الله عن قيل بنى آدم بعضهم لبعض ، لأنه جل ثناؤه قال : « وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا » ، فكأنه قيل : فقال الذين شهدوا على المقرّين حين أقروا فقالوا : «بلى» = : شهدنا عليكم بما أقررتم به على أنفسكم ، كيلا تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين .

* * *

(١) انظر خبر السدى رقم : ١٥٣٧٣ ، وخبر عبد الله بن عمرو : ١٥٣٥٤ .

(٢) انظر ما سلف فى التعليق على رقم : ١٥٣٥٤ .

القول فى تأويل قوله ﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ (١٧٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : شهدنا عليكم ، أيها المقرُّون بأن الله ربكم ، كيلا تقولوا يوم القيامة : « إنا كنا عن هذا غافلين » ، إنا كنا لا نعلم ذلك ، وكنا فى غفلة منه = « أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم » ، اتبعنا منهاجهم = « أفتهلكنا » ، بإشراك من أشرك من آبائنا ، واتباعنا منهاجَهم على جهلٍ منا بالحق ؟

ويعنى بقوله : « بما فعل المبطلون » ، بما فعل الذين أبطلوا ، فى دَعواهم إلهاً غير الله .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأ بعض المكيين والبصريين : ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾ ، بالياء بمعنى : شهدنا لئلا يقولوا ، على وجه الخبر عن الغَيَّب .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة أهل المدينة والكوفة : ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ ، بالتاء ، على وجه الخطابِ من الشهود للمشهود عليهم .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك ، أنهما قراءتان صحيحتا المعنى ، متّفقتا التأويل ، وإن اختلفت ألفاظهما . لأن العرب تفعل ذلك فى الحكاية ، كما قال الله : ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾ و ﴿لَيُبَيِّنُنَّهُ﴾ [سورة آل عمران : ١٨٧] . وقد بينا نظائر ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته .(١) ٩ /٨٢

* * *

(١) انظر ما سلف فى فهارس مباحث العربية والنحو وغيرها .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (١٧٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وكما فصلنا ، يا محمد ، لقومك آيات هذه السورة ، وبيّنا فيها ما فعلنا بالأمم السالفة قبلَ قومك ،[1] وأحللنا بهم من المَثُلات بكفرهم وإشراكهم فى عبادتى غيرى ، كذلك نفصل الآيات غيرها ونبيّنها لقومك ، لينزجروا ويرتدعوا ، فينيبوا إلى طاعتى ، ويتوبوا من شركهم وكفرهم ، فيرجعوا إلى الإيمان والإقرار بتوحيدى ، وإفراد الطاعة لى ، وترك عبادة ما سواى .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ (١٧٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « واتل » ، يا محمد ، على قومك = « نبأ الذى آتيناه آياتنا » ، يعنى خبره وقصته .[2]

* * *

وكانت آيات الله للذى آتاه الله إياها فيما يقال : اسم الله الأعظم = وقيل : النبوّة .

* * *

واختلف أهل التأويل فيه .

فقال بعضهم : هو رجل من بنى إسرائيل .[3]

---

(١) انظر تفسير « التفصيل » فيما سلف ص : ١٠٦ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك = وتفسير « الآية » فيما سلف من فهارس اللغة (أي) .

(٢) انظر تفسير « تلا » فيما سلف : ١٢ : ٢١٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك = وتفسير « النبأ » فيما سلف ص : ٧ تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر خبر « بلعم بن باعور » فى تاريخ الطبرى ١ : ٢٢٦ - ٢٢٨ .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٣٨١ – حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا شعبة ، عن منصور ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله فى هذه الآية : « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها »، قال: هو بَلْعَم .

١٥٣٨٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله ، مثله .

١٥٣٨٣ – . . . . قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان، عن منصور ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله قال : هو بلعم بن أَبَر .

١٥٣٨٤ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير، عن منصور ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن ابن مسعود فى قوله : « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا » ، قال : رجل من بنى إسرائيل يقال له : بَلْعَم بن أبَر .

١٥٣٨٥ – حدثنا محمد بن المثنى قال،حدثنا محمد بن جعفر،وابن مهدى، وابن أبي عدى قالوا ، حدثنا شعبة ، عن منصور، عن أبي الضحى ، عن مسروق، عن عبد الله : أنه قال فى هذه الآية ، فذكر مثله = ولم يقل : « بن أبر » .

١٥٣٨٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن عمرو ، عن منصور، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن ابن مسعود : « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها » ، قال : رجل من بنى إسرائيل يقال له : بلعم بن أَبَر .

١٥٣٨٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمران بن عيينة ، عن حصين ، عن عمران بن الحارث ، عن ابن عباس قال : هو بلعم بن باعر .

١٥٣٨٨ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن ابن مسعود فى قوله : « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا » إلى « فكان من الغاوين » ، هو بلعم بن أبَر .

١٥٣٨٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا

الثورى ، عن الأعمش ، عن منصور ، عن أبى الضحى ، عن مسروق ، عن ابن مسعود ، مثله = إلا أنه قال : ابن أَبُر ، بضم « الباء »

١٥٣٩٠ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها » ، قال : هو رجل من مدينة الجبارين يقال له : بلعم .

١٥٣٩١ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فانسلخ منها » ، قال: بلعام بن باعر ، من بنى إسرائيل .

١٥٣٩٢ – حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا أبو سعد قال ، سمعت مجاهداً يقول ، فذكر مثله .

١٥٣٩٣ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، أخبرنى عبد الله بن كثير : أنه سمع مجاهداً يقول ، فذكر مثله .

١٥٣٩٤ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا عبد الرحمن، وابن أبى عدى، عن شعبة ، عن حصين ،عن عكرمة قال فى « الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها » ، قال : هو بلعام .

١٥٣٩٥ – وحدثنا ابن وكيع قال، حدثنا غندر ، عن شعبة، عن حصين ، عن عكرمة قال : هو بلعم .

١٥٣٩٦ – . . . . قال حدثنا عمران بن عيينة، عن حصين ،عن عكرمة قال : هو بلعم .

١٥٣٩٧ – حدثنا حميد بن مسعدة قال،حدثنا بشر قال، حدثنا شعبة ، ٨٣/٩
عن حصين قال : سمعت عكرمة يقول : هو بلعام .

١٥٣٩٨ – حدثنا الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا إسرائيل، عن حصين، عن مجاهد قال : هو بلعم .

١٥٣٩٩ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا إسرائيل ، عن مغيرة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : هو بلعم .

= وقالت ثقيف : هو أمية بن أبي الصلت .(١)

* * *

وقال : آخرون : كان بلعم هذا من أهل اليمن .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤٠٠ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه، عن ابن عباس قوله : « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها »، قال : هو رجل يدعى بلعم ، من أهل اليمن .

* * *

وقال آخرون : كان من الكنعانيين .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤٠١ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها » ، قال : هو رجل من مدينة الجبارين ، يقال له: بلعم .

* * *

وقال آخرون : هو أمية بن أبي الصلت .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤٠٢ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ، حدثنا سعيد بن السائب ، عن غطيف بن أبي سفيان ، عن يعقوب ، ونافع بن عاصم ، عن عبد الله بن عمرو قال في هذه الآية : « الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها » ، قال : هو أمية بن أبي الصلت .(٢)

---

(١) هذه الجملة ، « وقالت ثقيف . . . » ، حذفت من المطبوعة ، وهي ثابتة في المخطوطة ، ولا أدرى أهي من كلام أبي جعفر ، أم كلام ابن عباس ، أو من كلام بعض رواة خبر ابن عباس . والأرجح أنها من قول بعض رواة الخبر .

(٢) الأثر : ١٥٤٠٢ – « سعيد بن السائب بن يسار الثقفي الطائفي » ، « سعيد بن

١٥٤٠٣ ــ حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا ابن أبي عدى قال، أنبأنا شعبة ، عن يعلى بن عطاء، عن نافع بن عاصم قال: قال عبد الله بن عمرو : هو صاحبُكم، أمية بن أبي الصلت .(١)

١٥٤٠٤ ــ حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا عبد الرحمن ، ووهب بن جرير قالا ، حدثنا شعبة ، عن يعلى بن عطاء ، عن نافع بن عاصم ، عن عبد الله بن عمرو ، بمثله .

١٥٤٠٥ ــ حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا يحيى بن سعيد قال ، حدثنا سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن رجل ، عن عبد الله بن عمرو : « ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه » ، قال : هو أمية بن أبي الصلت .

١٥٤٠٦ ــ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا غندر ، عن شعبة ، عن يعلى ابن عطاء قال : سمعت نافع بن عاصم بن عروة بن مسعود قال : سمعت عبد الله بن عمرو قال في هذه الآية : « الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها » ، قال : هو صاحبكم = يعنى أمية بن أبي الصلت .

١٥٤٠٧ ــ . . . . قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن حبيب، عن رجل ، عن عبد الله بن عمرو قال : هو أمية بن أبي الصلت .

أبي حفص » ثقة ، كان بعضهم يعده من الأبدال ، وكانت لا تجف له دمعة . مترجم في التهذيب ، والكبير ٢/١/٤٣٩ ، وابن أبي حاتم ٢/١/٣٠ .

و « غطيف بن أبي سفيان الطائفي » أو « غضيف » ، تابعي ثقة . مترجم في التهذيب (غضيف) ، والكبير ٤/١/١٠٦ (غطيف) ، وابن أبي حاتم ٣/٢/٥٥ ، (غضيف) . وكان في المطبوعة : « غضيف » ، وأثبت ما في المخطوطة .

و « نافع بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي » ، تابعي ثقة ، مترجم في التهذيب ، والكبير ٤/٢/٨٤ ، وابن أبي حاتم ٤/١/٤٥٤ .

(١) الأثر : ١٥٤٠٣ ــ « يعلى بن عطاء العامري الطائفي » ، مضى برقم : ٢٨٥٨ ، ١١٥٢٧ ، ١١٥٢٩ .

« نافع بن عاصم الثقفي » ، مضى في الأثر السالف ، ولذلك قال له عبد الله بن عمرو : « هو صاحبكم » ، لأنه ثقفي مثله .

١٥٤٠٨ - . . . . قال حدثنا يزيد، عن شريك ، عن عبد الملك ، عن فضالة = أو ابن فضالة = عن عبد الله بن عمرو قال : هو أمية .

١٥٤٠٩ - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن عبد الملك بن عمير قال : تذاكروا فى جامع دمشق هذه الآية : « فانسلخ منها » ، فقال بعضهم : نزلت فى بلعم بن باعوراء . وقال بعضهم : نزلت فى الراهب[1] = فخرج عليهم عبد الله بن عمرو بن العاص فقالوا : فيمن نزلت هذه ؟ قال : نزلت فى أمية بن أبى الصلت الثقفى .

١٥٤١٠ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الكلبى : « الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها » ، قال : هو أمية بن أبى الصلت = وقال: قتادةُ يشكّ فيه، يقول بعضهم : بلعم ، ويقول بعضهم : أمية بن أبى الصلت .

* * *

قال أبو جعفر : واختلف أهل التأويل فى الآيات التى كان أوتيها ، التى قال جل ثناؤه : « آتيناه آياتنا » .

فقال بعضهم : كانت اسمَ الله الأعظم .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤١١ - حدثنى موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : إن الله لما انقضت الأربعون سنة = يعنى التى قال الله فيها : ﴿ إِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ [سورة المائدة: ٢٦]. بعث يوشع بن نون نبيًّا، فدعا بنى إسرائيل، فأخبرهم أنه نبيٌّ، وأن الله قد أمره أن يقاتل الجبّارين، فبايعوه وصدّقوه . وانطلق رجل من بنى إسرائيل يقال له: « بلعم » وكان عالمًا ، يعلم الاسم

(١) « الراهب » ، هو « أبو عامر الراهب ، عبد عمرو بن صيفى بن مالك بن النعمان » ، كان يسمى فى الجاهلية « الراهب »، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم « أبا عامر الفاسق » ، وخبره مشهور فى السير .

الأعظم المكتوم ، فكفر ، وأتى الجبّارين فقال : لا ترهبوا بنى إسرائيل ، فإنى إذا خرجتم تقاتلونهم أدعو عليهم دعوةً فيهلكون ! وكان عندهم فيما شاء من الدنيا ، غير أنه كان لا يستطيع أن يأتى النساءَ من عِظَمهنّ ، [١] فكان ينكح أتاناً له ، [٢] وهو الذى يقول الله : « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها » ، أى : تبصَّر ، [٣] « فانسلخ منها » إلى قوله : « ولكنه أخلد إلى الأرض » . [٤] ٨٤/٩

١٥٤١٢ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا » ، قال : هو رجل يقال له « بلعم » ، وكان يعلم اسم الله الأعظم .

١٥٤١٣ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها » ، قال : كان لا يسأل الله شيئاً إلاّ أعطاه .

* * *

وقال آخرون : بل الآيات التى كان أوتيها ، كتابٌ من كتب الله .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤١٤ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو تميلة ، عن أبى حمزة ، عن جابر ، عن مجاهد ، وعكرمة ، عن ابن عباس قال : كان فى بنى إسرائيل بلعام بن باعر ، أوتى كتاباً . [٥]

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « النساء يعظمهن » ، غير ما فى المخطوطة ، فأفسد . وإنما عنى عظم نساء الجبارين ، وقد وصفوا بأجسام لا يعرف قدرها إلا الله .

(٢) « الأتان » أنثى الحمار .

(٣) فى المطبوعة : « أى تنصل » ، وأثبت ما فى المخطوطة . أما فى التاريخ : « فبصر » ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٤) الأثر : ١٥٤١١ – رواه أبو جعفر فى تاريخه ١ : ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، وسيأتى بتمامه برقم : ١٥٤٢٣ .

(٥) الأثر : ١٥٤١٤ – سيأتى مطولا برقم : ١٥٤٣٢ .

وقال آخرون : بل كان أوتى النبوّة .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤١٥ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد ، عن غيره = قال الحارث : قال عبد العزيز : يعني : عن غير نفسه =، عن مجاهد قال : هو نبي في بني إسرائيل ، يعني بلعم ، أوتي النبوّة ، فرشاه قومُه على أن يسكت ، ففعل وتركهم على ما هُمْ عليه .

١٥٤١٦ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه : أنه سُئل عن الآية : « واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها » ، فحدّث عن سَيَّار : أنه كان رجلاً يقال له «بلعام» ، وكان قد أوتي النبوّة ، وكان مجابَ الدعوة .(١)

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله تعالى ذكره أمرَ نبيه صلى الله عليه وسلم أن يتلو على قومه خبرَ رجلٍ كان آتاه حُجَجه وأدلته ، وهي « الآيات » .

وقد دللنا على أن معنى : « الآيات » ، الأدلة والأعلام ، فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته .(٢)

= وجائز : أن يكونَ الذي كان الله آتاه ذلك «بلعم» = وجائز أن يكون « أمية » .

وكذلك « الآيات » ، إن كانت بمعنى الحجة التي هي بعض كتب الله التي أنزلها على بعض أنبيائه ، فتعلمها الذي ذكره الله في هذه الآية ، وعناه بها ، فجائز أن يكون الذي كان أوتيها «بلعم» = وجائز أن يكون « أمية » ، لأن « أمية » كان ، فيما يقال ، قد قرأ من كتب أهل الكتاب .

---

(١) الأثر : ١٥٤١٦ – سيأتي بطوله برقم : ١٥٤٢٠ .

(٢) انظر تفسير « الآية » فيما سلف من فهارس اللغة (أي) .

وإن كانت بمعنى كتاب أنزله الله على مَنْ أمر نبيَّ الله عليه السلام أن يتلوَ على قومه نبأه = أو بمعنى اسم الله الأعظم = أو بمعنى النبوّة = فغير جائز أن يكون معنيًّا به « أمية »، لأن « أمية » لا تختلف الأمة فى أنه لم يكن أوتى شيئاً من ذلك، ولا خبرَ بأيِّ ذلك المراد ، وأيِّ الرجلين المعنيّ، يوجب الحجة ، ولا فى العقل دلالة على أيِّ ذلك المعنيُّ به من أيٍّ .(١)

فالصواب أن يقال فيه ما قال الله، ونُقِرّ بظاهر التنزيل على ما جاء به الوحى من الله .

* * *

وأما قوله : « فانسلخ منها » ، فإنه يعنى : خرج من الآيات التى كان الله آتاها إياه ، فتبرّأ منها .

وبنحو ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤١٧ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس، قال : لما نزل موسى عليه السلام . . . .(٢) = يعنى بالجبارين=ومن معه ، أتاه = يعنى بلعم = أتاه بنُو عمه وقومُه،(٣) فقالوا : إن موسى رجلٌ حديد ، ومعه جنودٌ كثيرة، وإنه إنْ يظهر علينا يهلكنا ، فادع الله أن يردَّ عنَّا موسى ومن معه . قال: إنى إن دعوت الله أن يردَّ موسى ومن معه، ذهبت دنياى وآخرتى ! فلم يزالوا به حتى دعا عليهم ، فسلخه الله مما كان عليه ، فذلك قوله : « فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين » .

---

(١) السياق : « ولا خبر بأى ذلك المراد ، وأى الرجلين المعنى . . . ولا فى العقل دلالة على أى ذلك المعنى به من أى » . وانظر تفسير « أى ذلك من أى » فيما سلف ص : ١٨٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « على أن ذلك المعنى به من أى » ، والصواب ما أثبت .

(٢) فى المخطوطة ، بياض بعد « عليه السلام » ، وبالهامش حرف (ط) دلالة على الخطأ

(٣) فى المطبوعة ، حذف « أتاه » الثانية .

١٥٤١٨ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : كان الله آتاه آياته فتركها .

١٥٤١٩ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال : قال ابن جريج ، قال ابن عباس : « فانسلخ منها » ، قال : نزع منه العلم .

* * *

وقوله : « فأتبعه الشيطان » ، يقول : فصيرّه لنفسه تابعاً ينتهي إلى أمره في معصية الله ، ويخالف أمر ربّه في معصية الشيطان وطاعة الرحمن .

* * *

وقوله : « فكان من الغاوين » ، يقول : فكان من الهالكين ، لضلاله وخلافه أمر ربه ، وطاعة الشيطان .(١) ٨٥/٩

*

القول في تأويل قوله ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولو شئنا لرفعنا هذا الذي آتيناه آياتنا بآياته التي آتيناه = « ولكنه أخلد إلى الأرض » ، يقول : سكن إلى الحياة الدنيا في الأرض ، وما إليها ، وآثر لذتها وشهواتها على الآخرة = « واتبع هواه » ، ورفض طاعة الله وخالف أمره .

* * *

وكانت قصة هذا الذي وصف الله خبره في هذه الآية ، على اختلاف من أهل العلم في خبره وأمره ، ما :-

١٥٤٢٠ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا المعتمر ، عن أبيه :

---

(١) انظر تفسير « غوى » فيما سلف ٥ : ٤١٦ / ١٢ : ٣٣٣ / ١٣ : ١١٤

أنه سئل عن الآية : « واتل عليهم نبأ الذين آتيناه آياتنا فانسلخ منها »، فحدّث عن سيار أنه كان رجلاً يقال له بلعام ، وكان قد أوتى النبوّة ، وكان مجاب الدعوة [١] قال : وإن موسى أقبل فى بنى إسرائيل يريد الأرض التى فيها بلعام = أو قال : الشأم = قال: فرُعب الناس منه رعْباً شديداً .قال : فأتوا بلعام، [٢] فقالوا : ادع الله على هذا الرجل وجيشه ! قال : حتى أُوَامر ربّى = أو حتى أؤامر [٣] = قال : فوامر فى الدعاء عليهم ، [٤] فقيل له : لا تدع عليهم ، فإنهم عبادي، وفيهم نبيهم ! قال: فقال لقومه: إنى قد وَامَرتُ ربى فى الدعاء عليهم، [٥] وإنى قد نهيت . قال : فأهدوا إليه هدية فقبلها ، ثم راجعوه ، فقالوا : ادع عليهم ! فقال : حتى أوَامر ! فوامر، فلم يَحُرْ إليه شىء . [٦] قال : فقال : قد وامرت فلم يَحُرْ إلىّ شىء ! [٧] فقالوا : لو كره ربك أن تدعو عليهم ، لنهاك كما نهاك المرةَ الأولى ! [٨] قال: فأخذ يدعو عليهم ، فإذا دعا عليهم جرَى على لسانه الدُّعاء على قومه، وإذا أراد أن يدعو أن يُفْتَح لقومه، دعا أن يفتَح لموسى وجيشه = أو نحواً من ذلك إن شاء الله . فقال: فقالوا: ما نراك تدعو إلاّ علينا ! قال:

---

(١) انظر الأثر السالف رقم : ١٥٤١٦ .

(٢) فى المطبوعة : « بلعاماً » بصرف الاسم الأعجمى .

(٣) الثانية « أؤامر » بالهمز ، وهى اللغة الفصحى . والأولى : « أوامر » بالواو ، بطرح الهمز ، وليست بفصيحة ، ولكن جرى بها هذا الخبر . وانظر التعليق التالى .

(٤) فى المطبوعة : « فآمر عليهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة . « وامر » ، مثل « آمر » ، ولكنها لغة غير مستجادة . وانظر التعليق السالف .

(٥) فى المطبوعة : « إنى آمرت » ، حذف « قد » ، وجعل « وامرت » « آمرت » ، وتابعت المخطوطة ، كما أسلفت فى التعليقات السالفة وفى الآتية أيضاً .

(٦) عبث الناشر بهذه الجملة بالزيادة والتحريف والحذف ، فجعلها هكذا : « فقال : حتى أوامر ربى ، فآمر ، فلم يأمره بشىء » . وأثبت الصواب من المخطوطة « أوامر » و « وامر » كل ذلك كما جرى عليه ما سلف ، بالواو . وأما قوله : « فلم يحر إليه شىء » ، أى : لم يرجع إليه شىء . « حار إليه يحور حوراً» ، رجع إليه ، ومنه « حاوره محاورة حواراً » فى الكلام . وقولهم : « أحار عليه جوابه » ، و « أحرت له جواباً » ، و « ما أحار بكلمة » .

(٧) جعلها فى المطبوعة أيضاً : « قد وامرت فلم يأمرنى بشىء» ، وانظر التعليق السالف .

(٨) فى المطبوعة : « فى المرة الأولى » ، زاد « فى » ، والذى فى المخطوطة أعلى .

ما يجرى على لسانى إلاّ هكذا ، ولو دعوت عليه ما استجيب لى ، ولكن سأدلّكم على أمرٍ عَسَى أن يكون فيه هلاكهم : إن الله يُبْغِض الزنا ، وإنهم إن وقعوا بالزنا هلكوا ، ورجوت أن يهلكهم الله ، فأخرجوا النساء فليستقبلنهم ،[1] وإنهم قوم مسافرون ، فعسى أن يزنُوا فيهلكوا . قال : ففعلوا ، وأخرجوا النساء يستقبلنهم .[2] قال : وكان للملك ابنة ، فذكر من عِظَمها ما الله أعلم به! قال : فقال أبوها ، أو بلعام : لا تُمكِّنِى نفسك إلا من موسى ! قال : ووقعوا فى الزنا . قال : وأتاها رأسُ سبط من أسباط بنى إسرائيل ، فأرادها على نفسه . قال : فقالت : ما أنا بممكنةٍ نفسِى إلاّ من موسى ! قال فقال : إنّ من منزلتى كذا وكذا ، وإن من حالى كذا وكذا ! قال : فأرسلت إلى أبيها تستأمره ، قال : فقال لها : فأمكنيه .[3] قال : ويأتيهما رجل من بنى هرون ومعه الرمح فيطعنهما . قال : وأيّده الله بقوة ، فانتظمهما جميعاً ، ورفعهما على رمحه .[4] قال فرآهما الناس = أو كما حدّث . قال : وسلط الله عليهم الطاعون . قال : فمات منهم سبعون ألفاً .

قال : فقال أبو المعتمر : فحدثنى سيّار : أن بلعاماً ركب حمارةً له ، حتى إذا أتى الفُلول = أو قال : طريقاً بين الفلول[5] = جعل يضربها ولا تُقْدِم .[6] قال : وقامت عليه فقالت : علامَ تضربنى ؟ أما ترى هذا الذى بين يديك! قال : فإذا الشيطان بين يديه . قال : فنزل فسجد له ، قال الله : « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين » إلى قوله : « لعلهم يتفكرون »

---

(١) فى المطبوعة : « لتستقبلهم » ، حذف الفاء والنون .

(٢) فى المطبوعة : « تستقبلهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « مكنيه » ، غير ما فى المخطوطة .

(٤) فى المخطوطة ، أسقط « ورفعهما » ، والصواب ما فى المطبوعة ، وابن كثير .

(٥) فى المطبوعة ، وتفسير ابن كثير : « . . . أتى المعلولى = أو قال : طريقاً من المعلولى » ، وهو لا معنى له . وفى المخطوطة : « العلول » و « بين العلول » ، وصححت قراءتها كما أثبتها ، لأن جيش موسى لما نزل به العذاب ، فهلك منه سبعون ألفاً ، صار من بقى منه فلولا . هذا ما رجحته .

(٦) فى المطبوعة : « ولا تتقدم » ، كما فى ابن كثير ، وأثبت ما فى المخطوطة .

= قال فحدّثني بهذا سيّار . ولا أدري لعله قد دخل فيه شيء من حديث غيره.[١]

١٥٤٢١ – حدثنا ابن عبد الأعلى قال، حدثنا المعتمر ، عن أبيه قال : وبلغني حديث رجلٍ من أهل الكتاب يحدّث : [٢]أن موسى سأل الله أن يطبَعه، وأن يجعله من أهل النار ، قال : ففعل الله . قال: أنبئت أن موسى قتَله بعدُ .

١٥٤٢٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن سالم أبي النضر : أنه حدّث : أنّ موسى لما نزل في أرض بني كنعان من أرض الشأم = [وكان بلعم ببالعة، قرية من قرى البلقاء . فلما نزل موسى ببني إسرائيل ذلك المنزل] [٣] = أتى قومَ بلعم إلى بلعم فقالوا له: يا بلعم ، إن هذا موسى بن عمران في بني إسرائيل ، قد جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويُحلِّها بني إسرائيل ويُسكنها، ٨٦/٩
وإنّا قومك، وليس لنا منزلٌ، وأنت رجل مجاب الدعوة، فاخرج فادعُ الله عليهم! [٤] فقال : ويلكم ! نبيُّ الله معه الملائكة والمؤمنون ، كيف أذْهبُ أدعو عليهم ، وأنا أعلم من الله ما أعلم !! قالوا: ما لنا من منزل! فلم يزالوا به يرقّقُونه ويتضرّعون إليه، [٥]حتى فتنوه فافتُتِن، فركب حمارةً له متوجّهاً إلى الجبل الذي يطلعه على

---

(١) الأثر : ١٥٤٢٠ – « المعتمر » هو « المعتمر بن سليمان بن طرخان التيمي » ، الإمام المشهور ، مضى مراراً .

و أبوه ، هو « سليمان بن طرخان التيمي » ، ويعرف بالتيمي ، وكنيته « أبو المعتمر » ، مضى مراراً .

و « سيار » الذي روى عنه هو : « سيار بن سلامة » ، أبو المنهال الرياحي ، الثقة المعروف ، مضى برقم : ٥٤٧٨ .

وهذا الخبر ، رواه ابن كثير في تفسيره ٣ : ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، والسيوطي في الدر المنثور ٣ : ١٤٧ ، مختصراً .

(٢) في المطبوعة : « فبلغني » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٣) الزيادة بين القوسين من تاريخ الطبري .

(٤) في المطبوعة : « وادع » بالواو ، وأثبت ما في المخطوطة والتاريخ .

(٥) في المطبوعة : « يرفعونه » ، وفي التاريخ : « يرفقونه » ، والصواب ما أثبت، من « الرقة » ، وهي الرحمة والشفقة ، يعني ما زالوا به لكي يرق لهم قلبه .

عسكر بنى إسرائيل، وهو جبل حُسْبان .(١) فلما سار عليها غير كثير، ربضت به ،(٢) فنزل عنها فضربها ، حتى إذا أذْلَقها ، قامت فركبها .(٣) فلم تسر به كثيراً حتى ربضت به ، ففعل بها مثل ذلك ، فقامت فركبها . فلم تسر به كثيراً حتى ربضت به ، فضربها. حتى إذا أذلقها ، أذن الله لها فكلّمته حُجّةً عليه ، فقالت : ويحك يا بلعم ، أين تذهب ؟ ألا ترى الملائكة أمامى تردُّنى عن وجهى هذا ؟(٤) أتذهب إلى نبىّ الله والمؤمنين تدعو عليهم! فلم ينزع عنها يضربها ،(٥) فخلّى الله سبيلها حين فعل بها ذلك . قال : فانطلقت حتى أشرفت به على رأس جبل حُسْبان ،(٦) على عسكر موسى وبنى إسرائيل ، جعل يدعو عليهم ، فلا يدعو عليهم بشىء إلا صرف به لسانه إلى قومه ،(٧) ولا يدعو لقومه بخير إلا صُرِف لسانه إلى بنى إسرائيل . قال : فقال له قومه : أتدرى يا بلعم ما تصنع ؟ إنما تدعو لهم ، وتدعو علينا ! قال : فهذا ما لا أملك ، هذا شىء قد غلب الله عليه ! قال : واندلع لسانه فوقع على صدره ،(٨) فقال لهم : قد ذهبت الآنَ منّى الدنيا والآخرة ، فلم يبق إلا المكر والحيلة ، فسأمكر لكم وأحتالُ . جمّلوا النساء وأعطوهنّ السِّلع .

---

(١) فى المطبوعة : « جبل حسان » ، وفى المخطوطة : « حسان » غير منقوطة ، وأثبت ما وافق رسمها فى التاريخ ، بضبطه هناك ، ولم أجد له ذكراً فى معاجم البلدان .

(٢) فى التاريخ : « فما سار عليها غير قليل حتى ربضت به » .

(٣) « الإذلاق » : أن يبلغ منه الجهد ، حتى يقلق ويتضور ، وفى حديث ماعز : « أنه صلى الله عليه وسلم أمر برجمه ، فلما أذلقته الحجارة جمز وفر » ، أى بلغت منه الجهد حتى قلق .

(٤) فى المطبوعة : « أما ترى الملائكة تردنى » ، وفى المخطوطة : « ألا ترى الملائكة ألا تردنى عن وجهى » ، وأثبت ما فى التاريخ .

(٥) فى المطبوعة « فضربها » ، والصواب من المخطوطة والتاريخ .

(٦) فى المطبوعة : « فانطلقت به حتى إذا أشرفت على رأس . . » ، وفى المخطوطة أسقط « به » من الجملة كلها وأثبت ما فى التاريخ ، وإن كان هناك « على جبل حسبان » ، بغير « رأس » . وانظر « حسبان » فى التعليق : ١ ، فقد كان فى المطبوعة هنا ، كمثله هناك .

(٧) فى المطبوعة : « ولا يدعو . . . بشر » ، وأثبت ما فى المخطوطة والتاريخ .

(٨) « اندلع لسانه » : خرج من الفم ، واسترخى ، وسقط على العنفقة كلسان الكلب . وفى أثر آخر عن بلعم : « إن الله لعنه ، فأدلع لسانه ، فسقطت أسلته على صدره ، فبقيت كذلك » .

ثم أرسلوهن إلى العسكر يبعثنها فيه، ومُرُوهن فلا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها، فإنهم إن زنى منهم واحد كُفيتُموهم ! ففعلوا . فلما دخل النساءُ العسكر، مرّت امرأة من الكنعانيين اسمها «كسبَى ابنة صور»، رأس أمته ، برجل من عظماء بنى إسرائيل ،[1] وهو زمرى بن شلوم ، رأس سبط شمعون بن يعقوب بن إسحق ابن إبراهيم . فقام إليها ، فأخذ بيدها حين أعجبَه جمالها، ثم أقبل بها حتى وقف بها على موسى عليه السلام، فقال : إنى أظنك ستقولُ هذه حرام عليك ؟ فقال : أجل ، هى حرام عليك، لا تقربْها ! قال: فوالله لا نُطيعك فى هذا ![2] فدخل بها قُبَّته فوقع عليها. وأرسل الله الطاعون فى بنى إسرائيل. وكان فنحاص بن العيزار ابن هرون ، صاحبَ أمر موسى ، وكان رجلاً قد أعطى بَسْطَةً فى الخلق، وقوة فى البطش، وكان غائباً حين صنع زمرى بن شلوم ما صنع ، فجاء والطّاعون يَحُوس فى بنى إسرائيل ،[3] فأخبر الخبرَ ، فأخذ حَرْبته ، وكانت من حديد كلها ، ثم دخل عليه القبة وهما متضاجعان ،[4] فانتظمهما بحربته ، ثم خرج بهما رافعهما إلى السماء ، والحربة قد أخذها بذراعه، واعتمد بمرفقه على خاصِرته ، وأسند الحربة إلى لَحْيَيه[5] = وكان بكر العيزار = وجعل يقول: اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك ! ورُفِع الطاعون. فحُسِب من هلك من بنى إسرائيل فى الطاعون، فيما بين أنْ أصاب زِمرى المرأة، إلى أن قتله فنحاص، فوُجدوا قد هلك منهم سبعون ألفاً = والمقلّل يقول: عشرون ألفاً = فى ساعة من النهار . فمن هنالك تُعطى

---

(١) فى التاريخ : «رأس أمته وبنى أبيه ، من كان منهم فى مدين ، هو كان كبيرهم ، برجل . . . » .

(٢) فى المطبوعة : «لا أطيعك» ، وأثبت ما فى المخطوطة والتاريخ .

(٣) فى المخطوطة ، والتاريخ : «يحوس» بالحاء المهملة . من قولهم : «تركت فلانا يحوس بنى فلان ويجوسهم» (بالجيم أيضاً) يتخللهم ، ويطلب فيهم ، ويدوسهم . و «الذئب يحوس الغنم» ، يتخللها ويفرقها . وفى المطبوعة : «يجوس» بالجيم .

(٤) فى التاريخ : «عليهما القبة» .

(٥) فى التاريخ والمخطوطة : «لحيته» ، والصواب ما فى المطبوعة ، كما سيأتى دليل ذلك من إعطاء بنى إسرائيل «اللحى» بنى فنخاص .

بنو إسرائيل ولد فنحاص بن العيزار بن هرون من كلِّ ذبيحةٍ ذبحُوها : القِبَةَ والذراع واللَّحْى ، [١] لاعتماده بالحربة على خاصرته ، وأخذه إياها بذراعه ، وإسناده إيّاها إلى لحييه [٢] = والبكرَ من كل أموالهم وأنفُسهم ، لأنه كان بكر العيزار . فى بلعم بن باعور ، أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم : « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها » ، يعنى بلعم =« فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين » ، إلى قوله : « لعلهم يتفكرون » . [٣]

١٥٤٢٣ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : انطلق رجل من بنى إسرائيل يقال له بلعم ، فأتى الجبارين ، فقال : لا ترهبوا من بنى إسرائيل ، فإنى إذا خرجتم تقاتلونهم أدعو عليهم فيهلكون. [٤] فخرج يوشع يقاتل الجبارين فى الناس ، وخرج بلعم مع الجبّارين على أتانه ، وهو يريد ٨٧/٩
أن يلعَنَ بنى إسرائيل . فكلما أراد أن يدعو على بنى إسرائيل ، دعا على الجبارين ، فقال الجبارون : إنك إنّما تدعو علينا ! فيقول : إنما أردت بنى إسرائيل ! فلما بلغ باب المدينة ، أخذ ملك بذنب الأتان فأمسكها ، فجعل يحرِّكها فلا تتحرك . فلما أكثر ضَرْبها ، تكلمت فقالت : أنت تنكحنى بالليل وتركبنى بالنهار ! ويلى منك ! ولو أنّى أطقتُ الخروج لخرجتُ ، ولكن هذا المَلَك يحبسنى ! وفى بلعم يقول الله : « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا » الآية . [٥]

١٥٤٢٤ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنى رجل

---

(١) فى المطبوعة : « الفشة » ، وأثبت ما فى المخطوطة والتاريخ و « القبة » (بكسر القاف وفتح الباء مخففة) ، وهى من الكرش ، « الحفث » (بفتح فكسر) ذات الطرائق من الكرش ، و « القبة » الأخرى إلى جنبه ، وليس فيها طرائق .

(٢) قوله : « والبكر » معطوف على قوله : « تعطى بنو إسرائيل . . . القبة . . . » .

(٣) الأثر : ١٥٤٢٢ — رواه ابن جرير فى تاريخه ١ : ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

(٤) « فيهلكون » ساقطة من المخطوطة والمطبوعة ، وهى ثابتة فى الأثر السالف ١٥٤١١ ، وفى التاريخ .

(٥) الأثر : ١٥٤٢٣ — مضى بعضه برقم : ١٥٤١١ ، وهو فى التاريخ ١ : ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

سمع عكرمة يقول : قالت امرأة منهم : أرونى موسى ، فأنا أفتنه ! قال : فتطيَّبت فمرت على رجلٍ يشبه موسى ، فواقعها ، فأُتى ابنُ هرون ، فأُخبر ، فأخذ سيفاً فطعن به فى إحليله حتى أخرجه وأخرجه من قُبُلها ،(١) ثم رفعهما حتى رآهما الناس ، فعُلِم أنه ليس موسى . ففضل آلُ هرون فى القُرْبان على آل موسى بالكَتِد والعضُد والفَخِذ .(٢) قال : فهو « الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها » ، يعنى بلعم .

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « ولو شئنا لرفعناه بها » .

فقال بعضهم : معناه : لرفعناه بعلمه بها .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤٢٥ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « ولو شئنا لرفعناه بها » ، لرفعه الله تعالى بعلمه .

* * *

وقال آخرون : معناه : لرفعناه عنه الحال التى صار إليها من الكفر بالله ، بآياتنا .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤٢٦ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « ولو شئنا لرفعناه بها » ، لدفعناه عنه .(٣)

١٥٤٢٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج عن مجاهد ولو شئنا لرفعناه بها ، لدفعناه عنه .(٤)

* * *

---

(١) فى المطبوعة ، أسقط « وأخرجه » من الكلام ، وهى فى المخطوطة . ومع ذلك فأنا فى شك من العبارة كلها . ولو قال : « من دبرها » ، لاستقام الكلام بعض الشىء ، ولظهرت الصورة بعض الظهور .

(٢) فى المطبوعة « بالكتف والعضد » ، وفى المخطوطة : « بالكتاب » ، ولعل صوابها ما قرأت « الكتد » ، هو مجتمع الكتفين . والله أعلم أى ذلك هو الصواب .

(٣) فى المطبوعة : « لرفعنا عنه بها » ، لا أدرى من أين جاء بذلك ، وأثبت ما فى المخطوطة . و « لدفعنا » بالدال .

(٤) فى المطبوعة : « لرفعنا عنه » ، وأثبت ما فى المخطوطة

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى تأويل ذلك بالصواب أن يقال : إن الله عمّ الخبر بقوله : « ولو شئنا لرفعناه بها » ، أنه لو شاء رفعه بآياته التى آتاه إياها ، و« الرفع »، يَعمّ معانى كثيرة : منها الرفع فى المنزلة عنده ، ومنها الرفع فى شرف الدنيا ومكارمها ، ومنها الرفع فى الذكر الجميلَ والثّناء الرفيع . وجائزٌ أن يكون الله عنى كلّ ذلك : أنه لو شاء لرفعه ، فأعطاه كل ذلك ، بتوفيقه للعمل بآياته التى كان آتاها إياه . وإذ كان ذلك جائزاً ، فالصواب من القول فيه أن لا يخصّ منه شىء ، إذ كان لا دلالة على خصوصه من خبرٍ ولا عقلٍ .

* * *

وأما قوله : « بها » فإن ابن زيد قال فى ذلك كالذى قلنا .

١٥٤٢٨ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ولو شئنا لرفعناه بها » ، بتلك الآيات .

* * *

وأما قوله : « ولكنه أخلد إلى الأرض » ، فإن أهل التأويل قالوا فيه نحو قولنا فيه .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤٢٩ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن أبى الهيثم ، عن سعيد بن جبير : « ولكنه أخلد إلى الأرض » ، يعنى : ركن إلى الأرض .

١٥٤٣٠ — . . . . قال ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير : « ولكنه أخلد إلى الأرض » ، قال : نزع إلى الأرض .

١٥٤٣١ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « أخلد » ، سكن .

١٥٤٣٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو تميلة ، عن أبى حمزة ، عن جابر ، عن مجاهد ، وعكرمة ، عن ابن عباس قال : كان فى

بنى إسرائيل بلعام بن باعر، أوتى كتاباً، فأخلد إلى شهوات الأرض ولذتها وأموالها، لم ينتفع بما جاء به الكتاب. (١)

١٥٤٣٣ – حدثنا موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدى: « ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه »، أما « أخلد إلى الأرض »، فاتبع الدنيا وركن إليها.

* * *

قال أبو جعفر: وأصل « الإخلاد » فى كلام العرب، الإبطاء والإقامة. يقال منه: « أخلد فلان بالمكان »، إذا أقام به = « وأخلد نفسه إلى المكان »، إذا أتاه من مكان آخر، (٢) ومنه قول زهير:

٨٨/٩ لِمَنِ الدِّيَارُ غَشِيتُهَا بِالْفَدْفَدِ كَالْوَحْيِ فِي حَجَرِ الْمَسِيلِ الْمُخْلِدِ (٣)

يعنى المقيم، ومنه قول مالك بن نويرة:

بِأَبْنَاءِ حَيٍّ مِنْ قَبَائِلِ مَالِكٍ وَعَمْرِو بْنِ يَرْبُوعٍ أَقَامُوا فَأَخْلَدُوا (٤)

* * *

---

(١) الأثر: ١٥٤٣٢ – مضى مختصراً برقم: ١٥٤١٤.

(٢) هذا التفسير الأخير، لا تجده فى شىء من معاجم اللغة، فقيده.

(٣) ديوانه: ٢٦٨، واللسان (خلد)، مطلع قصيدته فى سنان بن أبى حارثة المرى، وكان فى المطبوعة: « غشيتها بالفرقد »، والصواب ما فى المخطوطة والديوان، وإنما تابع ناشر المطبوعة، ما كان فى اللسان، فأخطأ بخطئه.

و « الفدفد » الموضع فيه غلظ وارتفاع، أو هى الأرض المستوية. و « الوحى » الكتابة. وقوله: « حجر المسيل »، لأنه أصلب الحجارة، فالكتابة فيه أبقى، ويضربه السيل لخلوده فيأخذ منه، فتخفى الكتابة. فشبه آثار الديار، بباقى الكتابة على صخرة ينتابها السيل، فيمحو جدة ما كتب فيها.

(٤) الأصمعيات: ٣٢٣، من قصيدة قالها فى يوم مخطط، وقبله، وهو أول الشعر:

إِلَّا أَكُنْ لَاقَيْتُ يَوْمَ مُخَطِّطٍ فَقَدْ خَبَّرَ الرُّكْبَانُ مَا أَتَوَدَّدُ

أَتَانِي بِنَفْرِ الْخَيْرِ مَا قَدْ لَقِيتُهُ رَزِينٌ، وَرَكْبٌ حَوْلَهُ مُتَعَضِّدُ

يُهِلُّونَ عُمَّارًا، إِذَا مَا تَغَوَّرُوا وَلَاقَوْا قُرَيْشًا خَبَّرُوهَا فَأَنْجَدُوا

وكان بعض البصريين يقول[١] : معنى قوله : « أخلد » ، لزم وتقاعس وأبطأ ، و « المخلد » ، أيضاً هو الذى يبطئ شيبُه من الرجال = وهو من اللواب ، الذى تبقى ثنايَاه حتى تخرج رَباعيتاه .[٢]

* * *

وأما قوله : « واتبع هواه » ، فإنّ ابن زيد قال فى تأويله ،[٣] ما :—

١٥٤٣٤ — حدثنى به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « واتبع هواه » ، قال : كان هَواهُ مع القوم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فمثل هذا الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها ، مثلُ الكلب الذى يلهث ، طردْته أو تركته .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله جعَل الله مثَله كمثل الكلب .

فقال بعضهم : مثّله به فى اللهث ، لتركه العمل بكتابِ الله وآياته التى آتاها إياه، وإعراضِه عن مواعظ الله التى فيها إعراض من لم يؤته الله شيئاً من ذلك .

فقال جل ثناؤه فيه ، إذْ كان سواء أمرُه، وُعِظ بآيات الله التى آتاها إياه أولم يوعظ ، فى أنه لا يتّعظ بها، ولا يترك الكفر به : فمثله مثل الكلب الذى سواءٌ أمره فى لهثه ، طرد أو لم يطرد، إذ كان لا يتركُ اللهث بحال .

---

(١) هو أبو عبيدة ، معمر بن المثنى .

(٢) مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٣٣ / ثم معانى القرآن للفراء ١ : ٣٩٩ .

(٣) فى المطبوعة : « كان ابن زيد قال » ، وهو سيء جداً ، لم يحسن قراءة المخطوطة .

• ذكر من قال ذلك :

١٥٤٣٥ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث » ، قال : تطرده ، هو مثل الذى يقرأ الكتاب ولا يعملُ به .

١٥٤٣٦ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال مجاهد : « فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث » ، قال : تطرده بدابتك ورجلك = « يلهث » ، قال : مثل الذى يقرأ الكتاب ولا يعمل بما فيه = قال ابن جريج : الكلب منقطع الفؤاد، [1] لا فؤاد له . إن حملت عليه يلهث ، أو تتركه يلهث . قال : مثل الذى يترك الهدى لا فؤاد له ، إنما فؤاده منقطع .

١٥٤٣٧ – حدثني ابن عبد الأعلى قال، حدثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن بعضهم : « فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهثِ » ، فذلك هو الكافر ، هو ضالٌّ إن وعظته وإن لم تعظه . [2]

١٥٤٣٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « فمثله كمثل الكلب » ، إن تحمل عليه الحكمة لم يحملها ، وإن ترك لم يهتد لخير ، كالكلب إن كان رابضًا لهث ، وإن طرد لَهَث .

١٥٤٣٩ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : آتاه الله آياته فتركها ،

---

(١) سقطت « منقطع » من المخطوطة ، وهي في سائر المراجع كما في المطبوعة .

(٢) الأثر ١٥٤٣٧ – « ابن عبد الأعلى » ، هو « محمد بن عبد الأعلى » .

و « ابن ثور » ، هو « محمد بن ثور » ، وكان في المطبوعة والمخطوطة « ابن توبة » ، وهو خطأ لا شك فيه . بل هذا اختصار الإسناد الذي سلف مراراً ، وآخره رقم ١٥٤١٠ ، وكأنه يعني بقوله « عن بعضهم » الكلبي ، ولذلك نكره

فجعل الله مثله كمثل الكلب : « إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث » .

١٥٤٤٠ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان » ، الآية ، هذا مثلٌ ضربه الله لمن عُرِض عليه الهدى فأبى أن يقبله وتركه = قال : وكان الحسن يقول : هو المنافق = « ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث » ، قال : هذا مثل الكافر ، ميتُ الفؤاد .

* * *

وقال آخرون : إنما مثّله جل ثناؤه بالكلب ، لأنه كان يلهث كما يلهثُ الكلب .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤٤١ – حدثنا موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث » ، وكان بلعم يلهث كما يلهث الكلب . وأما « تحمل عليه » ، فتشدُّ عليه .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب ، تأويلُ من قال : إنما هو مثلٌ لتركه العملَ بآيات الله التى آتاها إياه ، وأنّ معناه : سواء وعظ أو لم يوعظ ، فى أنه لا يترك ما هو عليه من خلافه أمر ربّه ، كما سواءٌ حمل على الكلب وطُرِد أو ترك فلم يطرد ، فى أنه لا يدَع اللهث فى كلتا حالتيه . ٨٩/٩

وإنما قلنا : ذلك أولى القولين بالصواب ، لدلالة قوله تعالى : « ذلك مثَلُ القوم الذين كذبوا بآياتنا » ، فجعل ذلك مثلَ المكذِّبين بآياته . وقد علمنا أن اللُّهَاث ليس فى خِلقة كل مكذّب كُتب عليه ترك الإنابة من تكذيبه بآيات الله ،[1] وأن ذلك إنما هو مثل ضربه الله لهم . فكان معلوماً بذلك أنّه للذى وصفَ الله صفته فى هذه الآية ، كما هو لسائر المكذبين بآيات الله ، مثلٌ .[2]

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « من تكذيب » ، والذى أثبت أرجح عندى فى سياقه .

(٢) السياق : « أنه للذى وصف الله صفته . . . مثل » ، خبر « أن » .

القول فى تأويل قوله ﴿ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١٧٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : هذا المثل الذى ضربتُه لهذا الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها، مثلُ القوم الذين كذبوا بحُججنا وأعلامِنا وأدلّتنا، فسلكوا فى ذلك سبيل هذا المنسلِخ من آياتنا الذى آتيناها إياه، فى تركه العمل بما آتيناه من ذلك.

* * *

وأما قوله : « فاقصص القصص »، فإنه يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فاقصص ، يا محمد ، هذا القصص الذى اقتصصتُه عليك[1] = من نبأ الذى آتيناه آياتنا وأخبارَ الأمم التى أخبرتك أخبارَهم فى هذه السورة ، واقتصَصْت عليك نبأهم ونبأ أشباههم ،[2] وما حلّ بهم من عقوبتنا ، ونزل بهم حين كذبوا رسلَنا من نقمتنا =[3] على قومك من قريش ، ومَنْ قِبَلَك من يهود بنى إسرائيل ، ليتفكروا فى ذلك ، فيعتبروا وينيبوا إلى طاعتنا ، لئلا يحلّ بهم مثل الذى حلّ بمن قبلهم من النّقم والمثلات ، ويتدبّره اليهود من بنى إسرائيل ، فيعلموا حقيقةَ أمرك وصحّة نبوّتك ، إذ كان نبأ « الذى آتيناه آياتنا » ، من خفىّ علومهم ، ومكنونِ أخبارهم ، لا يعلمه إلا أحبارُهم ، ومن قرأ الكُتب ودرسها منهم . وفى علمك بذلك = وأنت أميٌّ لا تكتب ، ولا تقرأ ، ولا تدرس الكتب ، ولم تجالس أهل العلم = الحجّةُ البينة لك عليهم بأنك لله رسول ، وأنك لم تعلم ما علِمت من ذلك وحالُك الحال التى أنت بها ، إلاّ بوحى من السماء .[4]

* * *

(١) فى المطبوعة : « الذى قصصته » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « وقصصت نبأهم » ، غير ما فى المخطوطة ، كالتعليق السالف .

(٣) السياق : « فاقصص يا محمد هذا القصص الذى اقتصصته عليك . . . على قومك من قريش » .

(٤) انظر تفسير « القصص » فيما سلف ص : ٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

وبنحو ذلك كان أبو النضر يقول .

١٥٤٤٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن محمد ، عن سالم أبي النضر : « فاقصص القصص لعلهم يتفكّرون » ، يعني بني إسرائيل ، إذ قد جئتهم بخبر ما كان فيهم ممّا يخفُون عليك = « لعلهم يتفكرون » ، فيعرفون أنه لم يأت بهذا الخبر عمّا مضى فيهم إلا نبيٌّ يأتيه خبرُ السماء .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴾ (١٧٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ساءَ مثلاً القوم الذين كذبوا بحجج الله وأدلته فجحدوها ، وأنفسَهم كانوا ينقصُون حظوظَها ويبخسونها منافعها ، بتكذيبهم بها ، لا غيرَها .

* * *

وقيل : «ساء مثلاً» ، من السوء ، [1] بمعنى : بئس مثلاً [2] = [مَثَل القوم] [3] = وأقيم «القوم» مقام «المثل» وحذف « المثل » ، إذ كان الكلام مفهوماً معناه ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾ [سورة البقرة : ١٧٧] ، فإن معناه : ولكن البرّ ، برُّ من آمن بالله = وقد بينا نظائر ذلك في مواضع غير هذا ، بما أغنى عن إعادته . [4]

* * *

(١) في المطبوعة : « من الشر » ، وفي المخطوطة غير منقوطة ، والصواب ما أثبت .

(٢) الكلام . انظر تفسير « ساء » فيما سلف ٨ : ١٣٨ ، ٣٥٨ / ٩ : ١٠١ ، ٢٠٥ / ١٠ : ٤٦٥ = والنحاة يعدون « ساء » فعلا جامداً يجرى مجرى « نعم » و « بئس » .

(٣) ما بين القوسين زيادة لا يتم الكلام إلا بها ، ولكن الناسخ خلط في هذه الجملة خلطاً شديداً ، فحذف من قوله بعد : « ولكن البر بر من آمن » ، كلمة « بر » ، ففسد الكلام .

(٤) انظر التعليق السالف رقم : ٢ ، ثم ٣ : ٣٣٨ ، ٣٣٩ / ١٠ : ٣١٣ ، وما سلف من فهارس مباحث العربية والنحو وغيرها ، في باب الحذوف .

القول فى تأويل قوله ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾ (١٧٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : الهداية والإضلال بيد الله ، و « المهتدى » = وهو السالك سبيل الحق ، الراكبُ قصدَ المحجّة = فى دينه ، من هداه الله لذلك فوفّقه لإصابته ، والضالُّ من خذله الله فلم يوفقه لطاعته . ومن فعل الله ذلك به فهو « الخاسر » ، يعنى الهالك .

* * *

وقد بينا معنى : « الخسارة » و « الهداية » ، و « الضلالة » ، فى غير موضع من كتابنا هذا ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ﴾

٩٠/٩ قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولقد خلقنا لجهنّم كثيراً من الجن والإنس .

* * *

يقال منه : « ذرأ الله خلقه يذرؤهم ذَرْءًا » .(٢)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) انظر تفسير هذه الألفاظ فى فهارس اللغة (هدى) ، (خسر) ، (ضلل) .

(٢) انظر تفسير « ذرأ » فيما سلف ١٢ : ١٣٠ ، ١٣١ ، وهناك زيادة فى مصادره .

١٥٤٤٣ – حدثني على بن الحسين الأزدى قال ، حدثنا يحيى بن يمان ، عن مبارك بن فضالة ، عن الحسن فى قوله : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس » ، قال : مما خلقنا .(١)

١٥٤٤٤ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن أبى زائدة ، عن مبارك ، عن الحسن فى قوله : « ولقد ذرأنا لجهنم » ، قال : خلقنا .

١٥٤٤٥ – . . . . قال حدثنا زكريا ، عن عتاب بن بشير ، عن على ابن بذيمة ، عن سعيد بن جبير قال : أولاد الزنا ، ممّا ذرأ الله لجهنم .

١٥٤٤٦ – . . . . قال حدثنا زكريا بن عدى ، وعثمان الأحول ، عن مروان بن معاوية ، عن الحسن بن عمرو ، عن معاوية بن إسحق ، عن جليس له بالطائف ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله لما ذرأ لجهنم ما ذرأ ، كان ولدُ الزنا ممن ذرأ لجهنم .(٢)

١٥٤٤٧ – حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ،

---

(١) الأثر : ١٥٤٤٣ – « على بن الحسن الأزدى » ، وفى المطبوعة والمخطوطة : « على بن الحسين » ، وتبعت ما مضى برقم : ١٠٢٥٨ ، لموافقته لما فى تاريخ الطبرى . وقد ذكرت هناك أنى لم أجد له ترجمة ، وبينت مواضع روايته عنه فى التاريخ . ووقع هناك خطأ ، فإن الذى فى الإسناد « على بن الحسن» ، وكتبت أنا فى الهامش والتعليق : « على بن الحسين » ، وكذلك فعلت فى الفهارس ، فليصحح ذلك . ووقع خطأ آخر فى الفهارس ، كتبت رقم : (١٠٢٨٥) ، وصوابه (١٠٢٥٨) .

(٢) الأثر : ١٥٤٤٦ – « زكريا بن عدى بن زريق التيمى » ، شيخ أبى كريب ، وهو راوى الخبر ، ثقة جليل ، مضى برقم : ١٥٦٦ .

« عثمان الأحول » ، شيخ أبى كريب ، هو « عثمان بن سعيد القرشى » ، الزيات الأحول الطبيب الصائغ . مضى برقم : ١٣٧ ، ١١٥٤٧ .

و « مروان بن معاوية الفزارى » ، الحافظ الثقة ، مضى برقم : ١٢٢٢ ، ٣٣٢٢ ، ٣٨٤٢ ، ٧٦٨٥ .

و « الحسن بن عمرو الفقيمى التيمى » ، ثقة أخرج له البخارى فى صحيحه ، مضى برقم : ٣٧٦٥

و « معاوية بن إسحق بن طلحة التيمى » ، تابعى ثقة ، مضى برقم : ٣٢٢٦ .

وهذا إسناد ضعيف ، لجهالة من روى عنه « معاوية بن إسحق » ، وهو « جليس له بالطائف » .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ١٤٧ ، وزاد نسبته إلى ابن أبى حاتم ، وأبى الشيخ وابن مردويه .

حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولقد ذرأنا لجهنم » ، يقول : خلقنا .

١٥٤٤٨ – حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد قال : سمعت مجاهداً يقول فى قوله : « ولقد ذرأنا لجهنم » ، قال : لقد خلقنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس .

١٥٤٤٩ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « ولقد ذرأنا لجهنم » ، خلقنا .

* * *

قال أبو جعفر : وقال جل ثناؤه : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس » ، لنفاذ علمه فيهم بأنهم يصيرون إليها بكفرهم بربهم .

* * *

وأما قوله : « لهم قلوبٌ لا يفقهون بها » ، فإن معناه : لهؤلاء الذين ذرأهم الله لجهنم من خلقه ، قلوب لا يتفكرون بها فى آيات الله ، ولا يتدبرون بها أدلته على وحدانيته ، ولا يعتبرون بها حُجَجه لرسله ، [1] فيعلموا توحيد ربهم ، ويعرفوا حقيقة نبوّة أنبيائهم . فوصفهم ربنا جل ثناؤه بأنهم : « لا يفقهون بها » ، لإعراضهم عن الحق ، وتركهم تدبُّر صحة [نبوّة] الرسل ، [2] وبُطُول الكفر .

وكذلك قوله : « ولهم أعين لا يبصرون بها » ، معناه : ولهم أعين لا ينظرون بها إلى آيات الله وأدلته ، فيتأملوها ، ويتفكروا فيها ، فيعملوا بها صحة ما تدعوهم إليه رسلهم ، وفسادِ ما هم عليه مقيمون ، من الشرك بالله ، وتكذيب رسله . فوصفهم الله بتركهم إعمالها فى الحقّ ، أنهم لا يبصرون بها . [3]

وكذلك قوله : « ولهم آذان لا يسمعون بها » ، آيات كتاب الله ، فيعتبروها ويتفكروا فيها ، ولكنهم يعرضون عنها ويقولون : ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا

---

(١) انظر تفسير « الفقه » فيما سلف ١١ : ٥٧٢ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « صحة الرشد » ، ولا معنى لها ، واستظهرت الصواب من سياق تفسيره ، وزدت [نبوة] بين القوسين ، لتطلب الكلام لها .

(٣) فى المطبوعة : « بأنهم لا يبصرون » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾، [سورة فصلت : ٢٦].

وذلك ونظير وصف الله إياهم فى موضع آخر بقوله: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾،[سورة البقرة : ١٧١] .والعرب تقول ذلك للتارك استعمال بعض جوارحه فيما يصلح له ، ومنه قول مسكين الدارمى :

أَعْمَى إِذَا مَا جَارَتِى خَرَجَتْ حَتَّى يُوَارِىَ جَارَتِى السِّتْرُ(١)
وَأَصَمُّ عَمَّا كَانَ بَيْنَهُمَا سَمْعِى ، وَمَا بِالسَّمْعِ مِنْ وَقْرِ

فوصف نفسه لتركه النظر والاستماع ، بالعمى والصمم ، ومنه قول الآخر :(٢)

وَعَوْرَاءِ اللِّئَامِ صَمَمْتُ عَنْهَا وَإِنِّى لَوْ أَشَاءُ بِهَا سَمِيعُ(٣)
وَبَادِرَةٍ وَزَعْتُ النَّفْسَ عَنْهَا وَقَدْ تَثِقَتْ مِنَ الْغَضَبِ الضُّلُوعُ(٤)

---

(١) أمالى المرتضى ١ : ٤٣ ، ٤٤ ثم ٤٧٤ ، من قصيدة رواها وشرحها ، وخزانة الأدب ١ : ٤٦٨ ، وصواب رواية البيت الأول : « جارتى الخدر » ، لأن قبله :

مَا ضَرَّ جَارِى إِذْ أُجَاوِرُهُ أَنْ لَا يَكُونَ لِبَيْتِهِ سِتْرُ

ورواية الشطر الثانى : « سمعى ، وما بى غيره وقر » ، بغير إقواء .

(٢) هو عبد الله بن مرة العجلى .

(٣) حماسة البحترى : ١٧٢ ، وأنسيت أين قرأتها فى غير الحماسة . والذى فى حماسة البحترى : « وعوراء الكلام » ، وكانت فى المخطوطة : و « عوراء اللام » ، وكأن الصواب ما فى الحماسة .

و « العوراء » ، الكلمة القبيحة ، أو التى تهوى جهلا فى غير عقل ولا رشد . ومن أجود ما قيل فى ذلك ، قول حاتم الطائى ، أو الأعور الشنى :

وعَوْرَاءَ جَاءَتْ مِنْ أَخٍ فَرَدَدْتُهَا بِسَالِمَةِ الْعَيْنَيْنِ طَالِبَةٍ عُذْرَا
وَلَوْ أَنَّنِى إِذْ قَالَهَا قُلْتُ مِثْلَهَا وَلَمْ أَعْفُ عَنْهَا ، أَوْرَثَتْ بَيْنَنَا غِمْرَا
فَأَعْرَضْتُ عَنْهُ وَانْتَظَرْتُ بِهِ غَداً لَعَلَّ غَدًا يُبْدِى لِمُنْتَظِرٍ أَمْرَا
وَقُلْتُ لَهُ : عُدْ بِالْأُخُوَّةِ بَيْنَنَا ! وَلَمْ أَتَّخِذْ مَا كَانَ مِنْ جَهْلِهِ قَمْرَا
لِأَنْزِعَ ضَبًّا كَامِناً فِى فُؤَادِهِ وَأَقْلِمَ أَظْفَارًا أَطَالَ بِهَا الْحَفْرَا

(٤) فى المطبوعة : « ولو بنيت من العصب » ، وهو كلام فاسد ، غير ما فى المخطوطة ،

وذلك كثير فى كلام العرب وأشعارها .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤٥٠ ــ حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد قال : سمعت مجاهداً يقول فى قوله : « لهم قلوب لا يفقهون بها » ، قال : لا يفقهون بها شيئاً من أمر الآخرة = « ولهم أعين لا يبصرون بها » ، الهدى= « ولهم آذان لا يسمعون بها » ، الحقّ . ثم جعلهم كالأنعام سواءً ، ثم جعلهم شرًّا من الأنعام ، [1] فقال : « بل هم أضل » ، ثم أخبر أنهم هم الغافلون . ٩١/٩

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴾ (١٧٩)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « أولئك كالأنعام » ، هؤلاء الذين ذرأهم لجهنم ، هم كالأنعام ، وهى البهائم التى لا تفقه ما يقال لها ، [2] ولا تفهم ما أبصرته ، لما يصلح ولما لا يَصْلُح ، [3] ولا تعقل بقلوبها الخيرَ من الشر ، فتميز

وكان فيها « وقد تعب من العصب » ، غير منقوطة ، فلم يفهمها ، فأتى بما لا يعقل . وفى حماسة البحترى : « إذا تيقت » ، ووضع كسرة تحت التاء ، وفتح القاف . ولا معنى له .

و « البادرة » ، الخطأ والسقطات التى تسبق من المرء إذا ما غضب واحتد ، من فعل أو قول . و « وزع النفس عن الشىء » ، كفها وحبسها . و « تثق الرجل » ، امتلأ غضباً وغيظاً . و « التأق » ، شدة الامتلاء حتى لا موضع لمزيد .

(١) فى المخطوطة : « ثم جعلهم كالأنعام ، ثم جعلهم سواء شراً من الأنعام » ، فحذف ناشر المطبوعة كلمة « سواء » ، ولكنى أثبتها فى حاق مكانها .

(٢) انظر تفسير « الأنعام » فيما سلف ١٢ : ١٣٩ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المطبوعة : « مما يصلح ، ومما لا يصلح » ، أثبت ما فى المخطوطة وهو جيد .

بينهما . فشبههم الله بها، إذ كانوا لا يتذكّرون ما يرون بأبصارهم من حُججه ، ولا يتفكرون فيما يسمعون من آى كتابه . ثم قال : « بل هم أضل » ، يقول : هؤلاء الكفرة الذين ذرأهم لجهنم، أشدُّ ذهاباً عن الحق، وألزم لطريق الباطل ، من البهائم، [1] لأن البهائم لااختيار لها ولا تمييز فتختار وتميز ، وإنما هى مسخَّرة، ومع ذلك تهرب من المضارّ ، وتطلب لأنفسها من الغذاء الأصلح . والذين وصفَ الله صفتهم فى هذه الآية ، مع ما أعطوا من الإفهام والعقول المميِّزة بين المصالح والمضارّ ، تترك ما فيه صلاحُ دنياها وآخرتها ، وتطلب ما فيه مضارّها ، فالبهائم منها أسدُّ ، وهى منها أضل ، كما وصفها به ربُّنا جل ثناؤه .

وقوله : « أولئك هم الغافلون » يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين وصفتُ صفتهم، القومُ الذين غفلوا = يعنى : سهوا[2] = عن آياتى وحججى ، وتركوا تدبرُّها والاعتبارَ بها والاستدلالَ على ما دلّت عليه من توحيد ربّها، لا البهائم التى قد عرّفها ربُّها ما سخَّرها له .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (١٨٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « ولله الأسماء الحسنى » ، وهى كما قال ابن عباس : —

١٥٤٥١ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال : حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها » ، ومن أسمائه : « العزيز الجبار » ، وكل أسمائه حسن .

---

(١) انظر تفسير « الضلال » فيما سلف من فهارس اللغة (ضلل) .

(٢) انظر تفسير « غفل » فيما سلف ص : ١١٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

١٥٤٥٢ – حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن هشام بن حسّان ، عن ابن سيرين ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن لله تسعة وتسعين اسمًا ، مئة إلا واحداً ، من أحصاها كُلَّها دخل الجنة .(١)

* * *

وأما قوله : « وذروا الذين يلحدون فى أسمائه » ، فإنه يعنى به المشركين .(٢)

* * *

وكان إلحادهم فى أسماء الله ، أنهم عدَلوا بها عمّا هى عليه ، فسموا بها آلهتهم وأوثانهم ، وزادوا فيها ، ونقصوامنها ، فسموا بعضها « اللات » ، اشتقاقاً منهم لها من اسم الله الذى هو « الله » ، وسموا بعضها « العُزَّى » ، اشتقاقاً لها من اسم الله الذى هو « العزيز » .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤٥٣ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمى قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وذروا الذين يلحدون فى أسمائه» ، قال : إلحاد الملحدين : أن دعوا « اللات » ، فى أسماء الله .

---

(١) الأثر : ١٥٤٥٢ – « هشام بن حسان القردوسى » ، ثقة . روى له الجماعة ، مضى برقم : ٢٨٢٧ ، ٧٢٨٧ ، ٩٨٣٧ ، ١٠٢٥٨ .

وهذا إسناد صحيح .

رواه البخارى من طريق أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة (الفتح ٥ : ١١/٢٦٢ : ١٨٠ – ١٩٤) ، شرحه ابن حجر مستقصى غاية الاستقصاء .

ورواه مسلم فى صحيحه ، من مثل طريق البخارى ، ثم من طريق معمر ، عن أيوب ، عن ابن سيرين ، عن أبي هريرة (مسلم ١٧ : ٤ ، ٥) .

ورواه أحمد فى مسنده من طرق ، رقم : ٧٤٩٣ ، ٧٦١٢ ، ٨١٣١ ، ٩٥٠٩ ، ١٠٤٨٦ ، ١٠٥٣٩ ، ١٠٦٩٦ . وانظر تخريجه هناك .

وفى بعض طرقه زيادة : « وإن الله وتر يحب الوتر » أو « إنه وتر يحب الوتر » .

(٢) انظر تفسير « ذر » فيما سلف من فهارس اللغة (وذر) .

١٥٤٥٤ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « وذروا الذين يلحدون في أسمائه » ، قال : اشتقوا « العزى » من « العزيز » ، واشتقوا « اللات » من « الله » .

* * *

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله : « يلحدون » .

فقال بعضهم : يكذّبون .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤٥٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله قال ، حدثني معاوية ، عن ابن عباس قوله : « وذروا الذين يلحدون في أسمائه » ، قال : « الإلحاد » ، التكذيب .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : يشركون .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤٥٦ – حدثني محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « يلحدون » ، قال : يشركون .[1]

* * *

وأصل « الإلحاد » في كلام العرب ، العدول عن القصد ، والجورُ عنه ، والإعراض . ثم يستعمل في كل معوَجّ غير مستقيم . ولذلك قيل للحَدْ القبر : « لحد »، لأنه في ناحية منه ، وليس في وسطه . يقال منه : « ألحد فلانٌ يُلْحِد إلحاداً » ، « ولَحد يلَحَد لَحْداً ولحُودًا »[2] .

وقد ذكر عن الكسائي أنه كان يفرّق بين « الإلحاد » و « اللحْد » ، فيقول

---

(١) الأثر : ١٠٤٥٦ – « ابن ثور » هو « محمد بن ثور الصنعاني » ، مضى في الإسناد مراراً ، آخره رقم : ١٥٤٣٧ ، حيث صححت خطأ آخر هناك . ثم ما سيأتي : ١٥٤٥٩ . وكان في المطبوعة والمخطوطة هنا « حدثنا أبو ثور » ، وهو خطأ محض .

(٢) المصدر الثاني « اللحود » ، قلما تجده في معاجم اللغة ، فقيده .

فى « الإلحاد » ، إنه العدول عن القصد، وفى « اللحد » ، إنه الركون إلى الشيء .
وكان يقرأ جميع ما فى القرآن : ﴿ يُلْحِدُونَ ﴾ بضم الياء وكسر الحاء ، إلا التى
٩٢/٩ فى « النحل » ، فإنه كان يقرؤها : ﴿ يَلْحَدُون ﴾ بفتح الياء والحاء ،[1] ويزعم
أنّه بمعنى الركون .

وأما سائر أهل المعرفة بكلام العرب ، فيرون أن معناهما واحدٌ ، وأنهما لغتان
جاءتا فى حرفٍ واحدٍ بمعنى واحد .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة أهل المدينة وبعض البصريين والكوفيين : ﴿ يُلْحِدُون ﴾ ، بضم
الياء وكسر الحاء ، من « ألحد يُلْحِد » ، فى جميع القرآن .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة أهل الكوفة : ﴿ يَلْحَدُونَ ﴾ بفتح الياء والحاء ، من
« لحَدَ يَلْحَدُ » .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك ، أنهما لغتان بمعنى واحد ،
فبأيتهما قرأ القارئ فمصيبٌ الصوابَ فى ذلك ، غير أنّى أختار القراءة بضمّ الياء،
على لغة من : قال : « ألحد » ، لأنها أشهر اللغتين وأفصحهما .

* * *

وكان ابن زيد يقول فى قوله : « وذروا الذين يلحدون فى أسمائه » ، أنه منسوخٌ .

١٥٤٥٧ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى
قوله : « وذَرُوا الذين يلحدون فى أسمائه » ، قال : هؤلاء أهل الكفر ، وقد نُسِخ ،
نَسَخه القتال .

* * *

---

(١) آية سورة النحل : ١٠٣ على قراءة الكسائى : ﴿ لِسَانُ الَّذِى يَلْحَدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ ﴾ .
وهى قراءة عامة قرأة أهل الكوفة ، كما قال ابن جرير بعد فى تفسيره ١٤ : ١٢٠ (بولاق) ،
ولم يفرد الكسائى بالذكر هناك ، لأنه خالفهم فى قراءة الحرف فى غير هذا الموضع .

= ولا معنى لما قال ابن زيد فى ذلك من أنه منسوخ ، لأن قوله : « وذروا الذين يلحدون فى أسمائه » ، ليس بأمر من الله لنبيّه صلى الله عليه وسلم بترك المشركين أن يقولوا ذلك ، حتى يأذن له فى قتالهم . وإنما هو تهديد من الله للملحدين فى أسمائه ، ووعيد منه لهم ، كما قال فى موضع آخر : ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ﴾ الآية ، [سورة الحجر : ٣] ، وكقوله : ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ، [سورة العنكبوت : ٦٦] . وهو كلام خرج مخرج الأمر بمعنى الوعيد والتهديد ، ومعناه : أنْ مَهِّل الذين يلحدون ، يا محمد ، فى أسماء الله إلى أجل هم بالغوه ، (١) فسوف يجزون ، إذا جاءهم أجل الله الذى أجّلهم إليه ، (٢) جزاءَ أعمالهم التى كانوا يعملونها قبل ذلك ، من الكفر بالله ، والإلحاد فى أسمائه ، وتكذيب رسوله .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (١٨١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ومن الخلق الذين خلقنا « أمة » ، يعنى جماعة (٣) = « يهدون » ، يقول : يهتدون بالحق (٤) = « وبه يعدلون » ، يقول : وبالحق يقضُون ويُنصفون الناس ، (٥) كما قال ابن جريج :—

١٥٤٥٨ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن

---

(١) فى المطبوعة : « أن تمهل » ، لم يحسن قراءة المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « الذى أجله إليهم » ، غير الضمائر ، فأفسد الكلام إفساداً .

(٣) انظر تفسير « أمة » فيما سلف ص : ٢٠٨ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « هدى » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) .

(٥) انظر تفسير « عدل » فيما سلف ص : ١٧٢ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

ابن جريج قوله : « أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » ، قال ابن جريج : ذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قال : هذه أمتي ! قال : بالحق يأخُذون ويعطون ويَقْضُون .

١٥٤٥٩ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » . . . .[1]

١٥٤٦٠ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : قوله : « وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » ، بلغنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا قرأها : هذه لكم ، وقد أعطى القوم بين أيديكم مثلَها : ﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾، [سورة الأعراف : ١٥٩] .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١٨٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : والذين كذبوا بأدلتنا وأعلامنا فجحدوها ، ولم يتذكروا بها ، سنمهله بغِرّته ، ونزين له سوء عمله ،[2] حتى يحسب أنه فيما هو عليه من تكذيبه بآياتِ الله إلى نفسه محسن ، وحتى يبلغ الغايةَ التي كُتِبتْ له من

---

(١) وضعت هذه النقط ، لأن الخبر لم يتم ، فإما أن يكون سقط من الناسخ ، وإما أن يكون إسناداً آخر للخبر الذي يليه .

(٢) فاجأنا أبو جعفر بطرح ضمير الجمع منصرفاً إلى ضمير المفرد ، وهو غريب جداً . ولكن هكذا هو في المخطوطة والمطبوعة . وتركته على حاله ، لأني أظن أن أبا جعفر كان أحياناً يستغرقه ما يريد أن يكتب ، فربما مال به الفكر من شق الكلام إلى شق غيره . وقد مضى مثل ذلك في بعض المواضع ، حيث أشرت إليها . وهذا مفيد في معرفة تأليف المؤلفين ، وما الذي يعتريهم وهم يكتبون . ولذلك لم أغيره ، احتفاظاً بخصائص ما كتب أبو جعفر . وأنا أستبعد أن يكون ذلك من الناسخ ، لأن الجملة أطول من يسهو الناسخ في نقلها كل هذا السهو ، ويدخل في جميع ضمائرها كل هذا التغيير . ثم انظر ما سيأتي ص : ٣٣٨ ، تعليق : ٢

المَهَل ، ثم يأخذه بأعماله السيئة ، فيجازيه بها من العقوبة ما قد أعدّ له . وذلك استدراج الله إياه .

* * *

وأصل « الاستدراج » ، اغترارُ المستدرَج بلطف من [استدرجه] ، (١) حيث يرى المستدرَج أن المستدرِج إليه محسنٌ ، حتى يورّطه مكروهاً .

* * *

وقد بينا وجه فعل الله ذلك بأهل الكفر به فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . (٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ (١٨٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وأُؤخر هؤلاء الذين كذّبوا بآياتنا .

* * *

[وأصل « الإملاء » من قولهم : « مضى عليه مَلِيٌّ ، ومِلاوَة ومُلاوَة] ، ومَلاوة » = بالكسر والضم والفتح = « من الدهر » ، (٣) وهى الحين ، ومنه قيل : انتظرتُك مليًّا . (٤)

* * *

(١) ما بين القوسين ، ساقط من المخطوطة والمطبوعة ، والسياق يقتضيها كما ترى .

(٢) غاب عنى موضعه فلم أجده .

(٣) لا شك أنه قد سقط من كلام أبى جعفر شىء ، أتممته استظهاراً ، من مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٣٤ ، وضعته بين قوسين . وسيتبين لك بعد أن الكلام فى هذه الفقرات مقطع غير متصل ، فلا أدرى أهو من الناسخ أم من بنى أبى جعفر ، ولذلك فصلت بعضه عن بعض . فتنبه إلى هذا الفصل بين المتتابعين ، بكلام مفسر ، كما ترى . وكان فى المطبوعة : « ملاءة » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٤) انظر تفسير « الإملاء » فيما سلف ٧ : ٤٢١ ، ٤٢٢ .

= [١] ليبلغوا بمعصيتهم ربهم ، المقدارَ الذى قد كتبه لهم من العقاب والعذاب ، ثم يقبضهم إليه .

* * *

= « إن كيدى » .

* * *

= « والكيد » ، هو المكر .[٢]

* * *

٩٣/٩ وقوله : « متين » ، يعنى : قوىٌّ شديدٌ ، ومنه قول الشاعر :[٣]

[عدلن عدول الناس وأقبح] يَبْتَلِى أَفَانِينَ مِنْ أَلْهُوبِ شَدٍّ مُمَاتِنِ[٤]

يعنى : سيراً شديداً باقياً لا ينقطع .[٥]

* * *

---

(١) سياق الكلام : « وأوخر هؤلاء . . . ليبلغوا . . . »

(٢) انظر تفسير « الكيد » فيما سلف ٧ : ٨/١٥٦ : ٥٤٧ .

(٣) لم أعرف قائله .

(٤) جاء البيت من المطبوعة :

عدلن عدول الناس وأقبح يبتلى أقاس من الهراب شد مماتن

وفى المخطوطة :

عدلن عدول الناس دامحّ سلى امابس من الهرب سد مماس

غير منقوط إلا ما نقطته .

وصدر البيت لم أعرف له وجهاً ، وأما قراءة عجز البيت ، فصوابه قراءته ما أثبته بلا ريب ، وإنما يصف نوقاً أو خيلا . و « الأفانين » جمع « أفنون » ، وهو الجرى المختلط من جرى الفرس والناقة . يقال : « جرى الفرس أفانين من الجرى » ، و « افتن الفرس فى جريه » ، و « الألهوب » : أن يجتهد الفرس فى عدوه ويضطرم ، حتى يثير الغبار . يقال : « شد ألهوب » . ويقال : « ألهب الفرس » ، اضطرم جريه . و « الشد » ، العدو . يقال : « شد الفرس وغيره فى العدو ، شداً ، واشتد » ، أى : أسرع وعدا عدواً شديداً .

وتركت صدر البيت بحاله ، حتى أجد له مرجعاً يصححه .

(٥) فى المخطوطة : « يعنى سبباً شديداً » ، وما فى المطبوعة قريب من الصواب .

القول فى تأويل ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (١٨٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : أو لم يتفكر هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا ، فيتدبروا بعقولهم ويعلموا أن رسولنا الذي أرسلناه إليهم لا جنّة به ولا خبل ، وأن الذى دعاهم إليه هو [الرأى] الصحيح ، والدين القويم ، والحق المبين ؟ (١)

* * *

وإنما نزلت هذه الآية فيما قيل ، (٢) كما : —

١٥٤٦١ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان على الصّفا ، (٣) فدعا قريشاً فجعل يفخّذهم فخذاً فخذاً : « يا بنى فلان ، يا بنى فلان ! » ، (٤) فحذّرهم بأس الله ووقائع الله، فقال قائلهم : «إن صاحبكم هذا لمجنون ! باتَ يصوّت إلى الصباح = أو : حتى أصبح » ! فأنزل الله تبارك وتعالى : « أوَ لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلاّ نذير مبين » .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « هو الدين الصحيح القويم » ، غير ما فى المخطوطة ، وزدت ما بين القوسين استظهاراً من السياق .

(٢) فى المطبوعة : « ولذا نزلت هذه الآية » ، وفى المخطوطة : « وإذا أنزلت » ، ورأيت أن الصواب ما أثبت ، على شك منى أن يكون فى الكلام خرم .

(٣) هكذا فى المطبوعة والمخطوطة وابن كثير : « كان على الصفا » ، وأرجح أن صوابها : « قام على الصفا » ، كما جاء فى سائر الأخبار فى تفسير آية سوره الشعراء : ٢١٤ (تفسير الطبرى ١٩ : ٧٣ — ٧٦ ، بولاق) .

(٤) « فخذ الرجل بنى فلان تفخيذاً » ، دعاهم فخذاً فخذاً . و « الفخذ » فرقة من فرق

ويعنى بقوله : « إن هو إلاّ نذير مبين » ، ما هو إلا نذيرٌ ينذركم عقاب الله على كفركم به ، [١] إن لم تنيبوا إلى الإيمان به . [٢]

ويعنى بقوله : « مبين » ، قد أبان لكم ، أيها الناس ، إنذارُه ما أنذركم به من بأس الله على كفركم به . [٣]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٨٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : أو لم ينظر هؤلاء المكذبون بآيات الله ، فى ملك الله وسلطانه فى السموات وفى الأرض ، [٤] وفيما خلق جل ثناؤه من شىء فيهما ، فيتدبروا ذلك ، ويعتبروا به ، ويعلموا أن ذلك لمن لانظير له ولا شبيه ، [٥] ومِن فِعْلِ من لا ينبغى أن تكون العبادة والدين الخالص إلاّ له ، فيؤمنوا به ، ويصدّقوا رسوله وينيبوا إلى طاعته ، ويخلعوا الأنداد والأوثان ، ويحذرُوا أن تكون آجالهم قد اقتربت ، [٦] فيهلكوا على كفرهم ، ويصيروا إلى عذاب الله وأليم عقابه .

* * *

وقوله : « فبأى حديث بعده يؤمنون » ، يقول : فبأىّ تخويفٍ وتحذير ترهيب بعد تحذير محمد صلى الله عليه وسلم وترهيبه الذى أتاهم به من عند الله فى آى كتابه ،

الجماعات والعشائر . يقال : « الشعب » ، ثم « القبيلة » ، ثم « الفصيلة » ، ثم « العمارة » ، ثم « البطن » ، ثم « الفخذ » .

(١) فى المطبوعة : « منذركم » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « النذير » فيما سلف ١١ : ٣٦٩ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « مبين » فيما سلف من فهارس اللغة (بين) .

(٤) انظر تفسير « الملكوت » فيما سلف ١١ : ٤٧٠ .

(٥) فى المطبوعة : « ممن لا نظير له » ، غير ما فى المخطوطة ، بلا علة .

(٦) انظر تفسير « الأجل » فيما سلف ص : ٧٣ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

يصدّقون ، إن لم يصدقوا بهذا الكتاب الذى جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى ؟ (١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (١٨٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن إعراض هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا ، التاركى النظر فى حجج الله والفكر فيها ، لإضلال الله إياهم ، ولو هداهم الله لاعتبروا وتدبّروا فأبصروا رُشْدهم ، ولكن الله أضلّهم ، فلا يبصرون رشداً ولا يهتدون سبيلاً ، ومن أضلّه عن الرشاد فلا هادى له إليه ، ولكن الله يدعهم فى تَمَادِيهم فى كفرهم ، وتمرُّدهم فى شركهم ، يترددون ، ليستوجبوا الغايةَ التى كتبها الله لهم من عُقوبته وأليم نَكاله .(٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى الذين عنوا بقوله : « يسألونك عن الساعة » .

فقال بعضهم : عنى بذلك قومُ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش ،

---

(١) انظر تفسير « الحديث » فيما سلف ٨ : ٥٩٢ ، ٥٩٣ .

(٢) انظر تفسير « الضلال » و « الهدى » فيما سلف من فهارس اللغة (ضلل) ، (هدى)
= تفسير « يذر » فيما سلف ص : ٣٦ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « الطغيان » فيما سلف ١٢ : ٤٦ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « العمه » فيما سلف ١ : ٣٠٩ – ١٢/٣١١ : ٤٦ .

وكانوا سألوا عن ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤٦٢ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قال: قالت قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم: إنّ بيننا وبينك قرابة ، فأسِرّ إلينا متى الساعة! فقال الله ! ﴿ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ﴾ .(١)

* * *

وقال آخرون : بل عُنِى به قوم من اليهود .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤٦٣ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنا محمد بن إسحق قال ، حدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال ، حدثنى سعيد بن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال جَبَل بن أبى قشير، وشمول ابن زيد ، لرسول الله صلى الله عليه وسلم(٢) : يا محمد، أخبرنا متى الساعة إن كنت نبيًّا كما تقول، فإنا نعلم متى هى؟ فأنزل الله تبارك وتعالى: « يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربى»، إلى قوله: « ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .(٣) ٩٤/٩

١٥٤٦٤ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن إسمعيل بن أبى خالد ، عن طارق بن شهاب قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم لا يزال يذكُر من شأن الساعة حتى نزلت : « يسألونك عن الساعة أيّان مرساها » .(٤)

* * *

---

(١) الأثر : ١٥٤٦٢ – سيأتى برقم : ١٥٤٨١ .

(٢) فى المطبوعة : « حمل بن أبى قشير » ، وهى فى المخطوطة كما أثبتها غير منقوطة . والصواب أيضاً فى سيرة ابن هشام ٢ : ١٦٢ ، ٢١٨ ، وكتب هناك : « شمويل » ، وهما سواء ، وفى المطبوعة هنا « سمول » غير منقوطة كما فى المخطوطة .

(٣) الأثر : ١٥٤٦٣ – سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٨ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٢٢١٦ .

(٤) الأثر : ١٥٤٦٤ – « إسماعيل بن أبى خالد الأحمسى » ثقة ثبت ، مضى برقم : ٥٦٩٤ ، ٥٧٧٧ ، ١٢٢٨٠ .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن قوماً سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة ، فأنزل الله هذه الآية = وجائز أن يكون كانوا من قريش = وجائز أن يكونوا كانوا[1] من اليهود ، ولا خبر بذلك عندنا يجوِّز قَطْعَ القول على أىّ ذلك كان .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الآية إذاً : يسألك القومُ الذين يسألونك عن الساعة : « أيان مرساها » ؟ يقول : متى قيامها ؟

* * *

ومعنى « أيان » : متى ، فى كلام العرب ، ومنه قول الراجز :[2]

أَيَّانَ تَقْضِى حَاجَتِى أَيَّانَا أَمَا تَرَى لِنُجْحِهَا إِبَّانَا[3]

* * *

ومعنى قوله : « مرساها » ، قيامها ، من قول القائل : « أرساها الله فهى مُرْسَاة » ، و« أرساها القوم » ، إذا حبسوها ، و « رسَت هى ، ترسُو رُسُوًّا » .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤٦٥ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال،

و « طارق بن شهاب الأحمسى » ، رأى النبى صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه مرسلا ، مضى مراراً ، رقم : ٩٧٤٤ ، ١١٦٨٢ ، ١٢٠٧٣ — ١٢٠٧٥ ، ١٢٠٨٥ . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « مخارق بن شهاب » ، وهو خطأ صرف ، صوابه من ابن كثير .

وهذا الخبر ساقه ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٦٠٩ ، وقال : « ورواه النسائى من حديث عيسى بن يونس ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، به . وهذا إسناد جيد قوى » .

(١) فى المطبوعة : « أن يكون كانوا » مرة أخرى ، ولكنى أثبت ما فى المخطوطة .

(٢) لم أعرف قائله .

(٣) مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٣٤ ، اللسان (أبن) . و « إبان الشىء » ، زمنه ووقته الذى يصلح فيه ، أو يكون فيه .

حدثنا أسباط ، عن السدى : « يسألونك عن الساعة أيان مرساها » ، يقول : متى قيامها ؟

١٥٤٦٦ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يسألونك عن الساعة أيان مرساها » ، متى قيامها ؟

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : مُنتهاها = وذلك قريب المعنى من معنى من قال : معناه : « قيامها » ، لأن انتهاءها ، بلوغها وقتها .

وقد بينا أن أصل ذلك : الحبس والوقوف .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤٦٧ ــ حدثنا المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على، عن ابن عباس قوله : « يسألونك عن الساعة أيان مرساها » ، يعنى : منتهاها .

* * *

وأما قوله : « قل إنما علمها عند ربى لا يجلِّيها لوقتها إلا هو » ، فإنه أمرٌ من الله نبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم بأن يجيب سائليه عن الساعة بأنه لا يعلم وقت قيامها إلا الله الذى يعلم الغيب ، وأنه لا يظهرها لوقتها ولا يعلمها غيرُه جل ذكره ، كما :ــ

١٥٤٦٨ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « قل إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو » ، يقول : علمها عند الله ، هو يجليها لوقتها ، لا يعلم ذلك إلا الله .

١٥٤٦٩ ــ حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « لا يجليها » ، يأتى بها .

١٥٤٧٠ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال مجاهد : « لا يجليها » ، قال : لا يأتى بها إلا هو .

١٥٤٧١ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى : « لا يجليها لوقتها إلا هو » ، يقول : لا يرسلها لوقتها إلاّ هو .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : معنى ذلك : ثقلت الساعة على أهل السموات والأرض أن يعرفوا وقتها ومجيئها ، لخفائها عنهم ، واستئثار الله بعلمها .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤٧٢ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى قوله : « ثقلت فى السموات والأرض » ، يقول : خفيت فى السموات والأرض ، فلم يعلم قيامها متى تقوم ملَك مقرَّب ، ولا نبيٌّ مرسل .

١٥٤٧٣ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور = وحدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق = جميعاً ، عن معمر ، عن بعض أهل التأويل : « ثقلت فى السموات والأرض » ، قال : ثقل علمها على أهل السموات وأهل الأرض، إنهم لا يعلمون . ٩٥/٩

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : أنها كَبُرت عند مجيئها على أهل السموات والأرض .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤٧٤ - حدثني محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور = وحدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق = جميعاً ، عن معمر قال ، قال الحسن في قوله : « ثقلت في السموات والأرض » ، يعني : إذا جاءت ثقلت على أهل السماء وأهل الأرض . يقول : كبرت عليهم .

١٥٤٧٥ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « ثقلت في السموات والأرض » ، قال : إذا جاءت انشقت السماء ، وانتثرت النجوم ، وكوِّرت الشمس ، وسُيِّرت الجبال ، وكان ما قال الله . فذلك ثقلها .

١٥٤٧٦ - حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قال : قال بعض الناس في « ثقلت » : عظمت .

* * *

وقال آخرون : معنى قوله : « في السموات والأرض » ، على السموات والأرض .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤٧٧ - حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ثقلت في السموات والأرض » ، أي : على السموات والأرض .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى ذلك عندي بالصواب ، قولُ من قال : معنى ذلك : ثقلت الساعة في السموات والأرض على أهلها ، أن يعرفوا وقتها وقيامها ، لأن الله أخفى ذلك عن خلقه ، فلم يطلع عليه منهم أحداً . وذلك أن الله أخبرَ بذلك بعد قوله : « قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو » ، وأخبر بعده أنها لا تأتي إلا بغتة ، فالذي هو أولى : أن يكون ما بين ذلك أيضاً خبراً عن خفاء علمها عن

الخلق ، إذ كان ما قبله وما بعده كذلك .

* * *

وأما قوله : « لا تأتيكم إلا بغتة » ، فإنه يقول : لا تجيء الساعة إلا فجأة ، لا تشعرون بمجيئها ،[1] كما : —

١٥٤٧٨ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « لا تأتيكم إلا بغتة » ، يقول : يبغتهم قيامها ، تأتيهم على غفلة .

١٥٤٧٩ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « لا تأتيكم إلا بغتة » ، قضى الله أنها لا تأتيكم إلا بغتة . قال : وذكر لنا أنّ نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : إن الساعة تهيج بالناس والرجل يُصْلِح حوضه ، والرجلُ يسقي ماشيته ، والرجل يقيم سلعته فى السوق ، والرجل يخفض ميزانه ويرفعه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١٨٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : يسألك هؤلاء القوم عن الساعة ، كأنك حَفِيٌّ عنها .

* * *

[واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « حفى عنها »].[2]

فقال بعضهم : يسألونك عنها كأنك حفى بهم . وقالوا : معنى قوله : « عنها » ، التقديم ، وإن كان مؤخراً .

---

(١) انظر تفسير « البغتة » فيما سلف ١١ : ٣٢٥ ، ٣٦٠ ، ١٢/٣٦٨ : ٥٧٦ .

(٢) الزيادة بين القوسين ، يقتضيها نهج أبي جعفر فى تفسيره .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤٨٠ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « يسألونك كأنك حفيٌّ عنها » ، يقول : كأن بينك وبينهم مودة ، كأنك صديق لهم . قال ابن عباس : لما سأل الناسُ محمداً صلى الله عليه وسلم عن الساعة ، سألوه سؤال قوم كأنهم يرون أن محمداً حفي بهم ، فأوحى الله إليه : إنما علمها عنده ، استأثر بعلمها ، فلم يطلع عليها ملكاً ولا رسولاً .

١٥٤٨١ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر قال ، قال قتادة : قالت قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم : إن بيننا وبينك قرابة ، فأسِرَّ إلينا متى الساعة ؟ فقال الله : « يسألونك كأنك حفي عنها » .[1]

١٥٤٨٢ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة « يسألونك كأنك حفي عنها » ، أي : حفي بهم . قال : قالت قريش : يا محمد ، أسرَّ إلينا علم الساعة ، لما بيننا وبينك من القرابة = لقرابتنا منك .

١٥٤٨٣ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، وهانئ بن سعيد ، عن حجاج ، عن خصيف ، عن مجاهد وعكرمة : « يسألونك كأنك حفي عنها » ، قال : حفي بهم حين يسألونك .

١٥٤٨٤ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « يسألونك كأنك حفي عنها » ، قال : قريب منهم ، وتحفَّى عليهم = قال : وقال أبو مالك : كأنك حفي بهم . قال : قريب منهم، وتحفَّى عليهم = قال وقال أبو مالك : كأنك حفي بهم، فتحدثهم.[2] ٩٦/٩

١٥٤٨٥ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ،

---

(١) الأثر : ١٥٤٨١ – مضى برقم : ١٥٤٦٢ .

(٢) الأثر : ١٥٤٨٤ – « أبو مالك » ، في هذا الخبر ، لم أعرف من يكون ؟

حدثنا أسباط ، عن السدى : « يسألونك كأنك حفى عنها » ، كأنك صديق لهم .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : كأنك قد استحفيت المسألة عنها فعلمتها .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤٨٦ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « كأنك حفى عنها » ، استحفيت عنها السؤال حتى علمتها .

١٥٤٨٧ – حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو سعد ، عن مجاهد فى قوله : « كأنك حفى عنها » ، قال : استحفيت عنها السؤال حتى علمت وقتها .

١٥٤٨٨ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك : « يسألونك كأنك حفى عنها » ، قال : كأنك عالم بها .

١٥٤٨٩ – . . . . قال حدثنا جابر بن نوح ، عن أبى روق ، عن الضحاك : « يسألونك كأنك حفىّ عنها » ، قال : كأنك تعلمها .[1]

١٥٤٩٠ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنى عبيد بن سليمان ، عن الضحاك قوله : « يسألونك كأنك حفى عنها » ، يقول : يسألونك عن الساعة ، كأن عندك علماً منها = قل : إنما علمها عند ربى .

١٥٤٩١ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن بعضهم : « كأنك حفى عنها » ، كأنك عالم بها .

١٥٤٩٢ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « كأنك حفى عنها » ، قال : كأنك بها عالم . وقال : أخفى علمها على

---

(١) الأثر : ١٥٤٨٩ – « جابر بن نوح » ، مضى برقم : ٥٦٩٤ ، ٩٨٦٣ ، وفى المطبوعة « حامد بن نوح » ، وفى المخطوطة ، سىء الكتابة ، وهذا صوابه .

خلقه . وقرأ: ﴿ إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ ، [سورة لقمان: ٣٤] ، حتى ختم السورة .

١٥٤٩٣ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « يسألونك كأنك حفي عنها » ، يقول : كأنك يعجبك سؤالهم إياك = « قل إنما علمها عند الله » .

* * *

وقوله : « كأنك حفي عنها » ، يقول : لطيف بها .(١)

* * *

فوجّه هؤلاء تأويل قوله : « كأنك حفي عنها » ، إلى حفيّ بها . وقالوا : تقول العرب : « تحفّيت له في المسألة » و« تحفيت عنه » . قالوا : ولذلك قيل : « أتينا فلاناً نسأل به » ، بمعنى : نسأل عنه .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك بالصواب ، قول من قال : معناه : كأنك حفي بالمسألة عنها فتعلمها .

فإن قال قائل : وكيف قيل: « حفي عنها » ، ولم يُقَل : « حفي بها » ، إن كان ذلك تأويل الكلام ؟

قيل : إن ذلك قيل كذلك ، لأن « الحفاوة » ، إنما تكون في المسألة ، وهي البشاشة للمسئول عند المسألة ، والإكثار من السؤال عنه ، و« السؤال » ، يوصل بـ« عن » مرة ، و بـ« الباء » مرة . فيقال : « سألت عنه » ، و« سألت به » . فلما وضع قوله : « حفي » ، موضع « السؤال » ، وصل بأغلب الحرفين اللذين يوصل بهما « السؤال » وهو « عن » ، كما قال الشاعر :(٢)

---

(١) هذه الجملة التي أفردتها ، لا أشك أنها ليست من كلام ابن عباس في الأثر السالف ، ولذلك فصلت بينهما . بقي بعد أني أخشى أن يكون سقط من الناسخ شيء قبل هذه الجملة ، فإن الذي ذكره أبو جعفر قولان فقط ، لا ثلاثة أقوال ، وهذه الجملة الأخيرة . متعلقة بالقول الأول ، وكأنها تفسير له .

(٢) هو المعطل الهذلي .

سُؤَالَ حَفِيٍّ عَنْ أَخِيهِ ، كَأَنَّهُ بِذِكْرَتِهِ وَسْنَانُ أَوْ مُتَوَاسِنُ (١)

* * *

وأما قوله : « قل إنما علمها عند الله » ، فإن معناه : قل ، يا محمد ، لسائليك عن وقت الساعة وحين مجيئها : لا علم لى بذلك ، ولا علم به إلا [عند] الله الذى يعلم غيب السموات والأرض (٢) = « ولكن أكثر الناس لا يعلمون » ، يقول : ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن ذلك لا يعلمه إلا الله ، بل يحسبون أن علم ذلك يوجد عند بعض خلقه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٨٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد ، لسائليك عن الساعة : « أيان مرساها؟ » = « لا أملك لنفسى نفعاً ولا ضرًّا » ، ٩٧/٩

(١) ديوان الهذليين ٣ : ٤٥ من قصيدة له طويلة . وبهذه الرواية التى رواها أبو جعفر « سؤال حفى » ، يختل سياق الشعر . وروايته فى ديوانه :

فَإِنْ تَرَنِى قَصْداً قَرِيباً ، فَإِنَّهُ بَعِيدٌ عَلَى المَرْءِ الحِجَازِىِّ آيِنُ
بَعِيدٌ عَلَى ذِى حَاجَةٍ ، وَلَوَأَنَّنِى إِذَا نَفَجَتْ يَوْماً بِهَا الدَّارُ آمِنُ
يَقُولُ الَّذِى أَمْسَى إِلَى الحِرْزِ أَهْلُهُ : بِأَىِّ الحَشَا أَمْسَى الخَلِيطُ المُبَايِنُ
سُؤَالَ الغَنِىِّ عَنْ أَخِيهِ ، كَأَنَّهُ بِذِكْرَتِهِ وَسْنَانُ أَوْ مُتَوَاسِنُ

و « الذى أمسى إلى الحرز أهله » ، هو الذى صار فى مكان حصين آمناً مطمئناً ، فهو يسأل عنه ويقول : « بأى الحشا » ، بأى النواحى أمسى فلان ؟ وهو صاحبه المفارق . ثم يقول : إنه يسأل سؤال غير حفى — لا سؤال حفى — « سؤال غنى عن أخيه » ، وإنما يذكره كالنائم أو المتناوم ، لقلة حفاوة به . فهذا نقيض رواية أبى جعفر .

وكان فى المطبوعة : « يذكره وسنان » ، والصواب من المخطوطة والديوان .

(٢) فى المطبوعة : « ولا يعلم به إلا الله » وليس بجيد ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وزدت ما يقتضيه السياق بين قوسين .

يقول : لا أقدر على اجتلاب نفع إلى نفسي ، ولا دفع ضر يحلّ بها عنها ، إلا ما شاء الله أن أملكه من ذلك ، بأن يقوّيني عليه ويعينني [١] = « ولو كنت أعلم الغيب » ، يقول : لو كنت أعلم ما هو كائن مما لم يكن بعد [٢] = « لاستكثرت من الخير » ، يقول : لأعددت الكثير من الخير . [٣]

* * *

ثم اختلف أهل التأويل في معنى « الخير » الذي عناه الله بقوله : « لاستكثرت من الخير » . [٤]

فقال بعضهم : معنى ذلك : لاستكثرت من العمل الصالح .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٤٩٤ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج قوله : « قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرًّا » ، قال : الهدى والضلالة = « ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير » ، قال : « أعلم الغيب » ، متى أموت = لاستكثرت من العمل الصالح .

١٥٤٩٥ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٥٤٩٦ — حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء » ، قال : لاجتنبت ما يكون من الشرّ واتّقيته .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : « ولو كنت أعلم الغيب » ، لأعددت للسنة المجدبة من المخصبة ، ولعرفت الغلاء من الرُّخْص ، واستعددت له في الرُّخْص .

* * *

---

(١) انظر تفسير « ملك » فيما سلف ١٠ : ١٤٧ ، ١٨٧ ، ٣١٧ .

(٢) انظر تفسير « الغيب » فيما سلف ١١ : ٤٦٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « استكثر » فيما سلف ١٢ : ١١٥ .

(٤) انظر تفسير « الخير » فيما سلف ٢ : ٥٠٥/٧ : ٩١ .

وقوله : « وما مسني السوء » ، يقول : وما مسني الضر [١] = « إن أنا إلا نذير وبشير » ، يقول : ما أنا إلا رسولٌ لله أرسلني إليكم ، أنذر عقابه من عصاه منكم وخالف أمره ، وأبشّرَ بثوابه وكرامته من آمن به وأطاعه منكم .[٢]

* * *

وقوله : « لقوم يؤمنون » ، يقول : يصدقون بأني لله رسول ، ويقرون بحقيقة ما جئتهم به من عنده .[٣]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ (١٨٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « هو الذي خلقكم من نفس واحدة » ، يعني بـ « النفس الواحدة » ، آدم ،[٤] كما :—

١٥٤٩٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد : « خلقكم من نفس واحدة » ، قال : آدم عليه السلام .[٥]

---

(١) انظر تفسير « المس » فيما سلف ١٢ : ٥٧٣ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « نذير » فيما سلف ص : ٢٩٠ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « بشير » فيما سلف ١١ : ٣٦٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) في المطبوعة : « بحقية ما جئتهم به » ، والصواب من المخطوطة ، وقد غيرها في مئات من المواضع ، انظر ما سلف ص : ١١٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك . و« الحقيقة » ، مصدر ، بمعنى الصدق والحق ، كما أسلفت .

(٤) انظر تفسير « نفس واحدة » فيما سلف ٧ : ٥١٣ ، ٥١٤ .

(٥) الأثر : ١٥٤٩٧ — مضى برقم : ٨٤٠٢ .

١٥٤٩٨ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : هو الذى خلقكم من نفس واحدة من آدم .(١)

* * *

ويعنى بقوله : « وجعل منها زوجها » ، وجعل من النفس الواحدة ، وهو آدم = « زوجها » ، حواء ،(٢) كما :–

١٥٤٩٩ – حدثنى بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وجعل منها زوجها » ، حواء ، فجعلت من ضلع من أضلاعه ، ليسكن إليها .(٣)

* * *

ويعنى بقوله : « ليسكن إليها » ، ليأوى إليها ، لقضاء حاجته ولذته .(٤)

* * *

ويعنى بقوله : « فلما تغشاها » ، فلما تدثّرها لقضاء حاجته منها ، فقضى حاجته منها = « حملت حملاً خفيفاً » ، وفى الكلام محذوف ، ترك ذكرُه استغناءً بما ظهر عما حذف ، وذلك قوله : « فلما تغشاها حملت » ، وإنما الكلام : فلما تغشاها = فقضى حاجته منها = حملت .

* * *

وقوله : « حملت حملاً خفيفاً » ، يعنى بـ « خفة الحمل » ، الماء الذى حملته حواء فى رَحِمها من آدم ، أنه كان حملاً خفيفاً ، وكذلك هو حملُ المرأة ماءَ الرجل ، خفيفٌ عليها .

* * *

وأما قوله : « فمرت به » ، فإنه يعنى : استمرّت بالماء ، قامت به وقعدت ، وأتمت الحمل ، كما : –

١٥٥٠٠ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن أبى عمير ، عن أيوب قال : سألت الحسن عن قوله : « حملت حملاً خفيفاً فمرت به » ، قال :

(١) الأثر : ١٥٤٩٨ – مضى برقم : ٨٤٠١ .
(٢) انظر تفسير « جعل » فيما سلف من فهارس اللغة (جعل) .
(٣) الأثر : ١٥٤٩٩ – مضى برقم : ٨٤٠٥ .
(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « لقضاء الحاجة ولذته » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

لو كنت امرءاً عربياً لعرفت ما هي ؟ إنما هي : فاستمرّت به .[1]

١٥٥٠١ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً فمرت به » ، استبان حملها .

١٥٥٠٢ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « فمرت به »، قال : استمرّ حملها

١٥٥٠٣ – حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله: « حملت حملاً خفيفاً » ، قال: هي النطفة = وقوله : « فمرّت به » ، يقول : استمرّت به . ٩٨/٩

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك ، فشكّت فيه .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٥٠٤ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس في قوله : « فمرت به » ، قال : فشكت ، أحملت أم لا ؟

* * *

ويعني بقوله : « فلما أثقلت » ، فلما صار ما في بطنها من الحمل الذي كان خفيفاً ، ثقيلاً ، ودنت ولادتها .

* * *

يقال منه : « أثقلت فلانة » ، إذا صارت ذات ثقل بحملها ، كما يقال : « أتمر فلان » ، إذا صار ذا تمر ، كما : –

١٥٥٠٥ – حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فلما أثقلت » ، كبر الولد في بطنها .

* * *

---

(١) الأثر : ١٥٥٠٠ – « أبو عمير » ، هو « الحارث بن عمير البصري » ، ثقة متكلم فيه . مترجم في التهذيب ، والكبير ٢٧٤/٢/١ ، وابن أبي حاتم ٨٣/٢/١ .
و « أيوب » ، هو السختياني ، : « أيوب بن أبي تميمة ، كيسان » ، مولى عنزة ، روى له

قال أبو جعفر : « دعوا الله ربهما » ، يقول : نادى آدم وحواء ربهما وقالا : يا ربنا ، « لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين » .

* * *

واختلف أهل التأويل فى معنى « الصلاح » ، الذى أقسم آدم وحواء عليهما السلام أنه إن آتاهما صالحاً فى حمل حواء : لنكونن من الشاكرين .

فقال بعضهم : ذلك هو أن يكون الحمل غلاماً .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٥٠٦ — حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر قال ، قال الحسن فى قوله : « لئن آتيتنا صالحاً » ، قال : غلاماً .

* * *

وقال آخرون : بل هو أن يكون المولود بشراً سويًّا مثلهما ، ولا يكون بهيمة .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٥٠٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن زيد بن جبير الجُشَمى ، عن أبى البخترى فى قوله : « لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين » ، قال : أشفقا أن يكون شيئاً دون الإنسان .(١)

١٥٥٠٨ — . . . . قال ، حدثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن زيد ابن جبير ، عن أبى البخترى قال : أشفقا أن لا يكون إنساناً .

١٥٥٠٩ — . . . . قال ، حدثنا محمد بن عبيد ، عن إسمعيل ، عن أبى صالح قال : لما حملت امرأة آدم فأثقلت ، كانا يشفقان أن يكون بهيمة ، فدعوا ربهما : « لئن آتيتنا صالحاً » ، الآية .

١٥٥١٠ — . . . . قال ، حدثنا جابر بن نوح ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : أشفقا أن يكون بهيمة .

الجماعة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤٠٩/١/١ ، وابن أبى حاتم ٢٥٥/١/١ .

(١) الأثر : ١٥٥٠٧ — « زيد بن جبير الجشمى الطائى » ، ثقة ، روى له الجماعة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٣٥٦/١/٢ ، وابن أبى حاتم ٥٥٨/٢/١ .

وكان فى المطبوعة : « الحسمى » ، غير منقوطة كما فى المخطوطة ، والصواب ما أثبت .

١٥٥١١ – حدثني القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال سعيد بن جبير : لما هبط آدم وحواء ألقيت الشهوة في نفسه ، فأصابها . فليس إلا أن أصابها حملت ، فليس إلا أن حملت تحرك في بطنها ولدها ،(١) قالت : ما هذا ؟ فجاءها إبليس فقال [لها : إنك حملت فتلدين ! قالت : ما ألد ؟ قال] :(٢) أترين في الأرض إلا ناقةً أو بقرة أو ضائنة أو ماعزة ، أو بعض ذلك !(٣) [ويخرج من أنفك ، أو من أذنك ، أو من عينك] .(٤) قالت : والله ما مني شيء إلا وهو يضيق عن ذلك ! قال : فأطيعيني وسميه « عبد الحارث » = [وكان اسمه في الملائكة : « الحارث »] =(٥) تلدي شبهكما مثلكما ! قال : فذكرت ذلك لآدم عليه السلام فقال : هو صاحبنا الذي قد علمت !(٦) فمات ، ثم حملت بآخر ، فجاءها فقال : أطيعيني وسميه « عبد الحارث » = وكان اسمه في الملائكة « الحارث » = وإلا ولدت ناقة أو بقرة أو ضائنة أو ماعزة ، أو قتلته ، فإني أنا قتلت الأول ! قال : فذكرت ذلك لآدم ، فكأنه لم يكرهه ، فسمته « عبد الحارث » ، فذلك قوله : « لئن آتيتنا صالحاً » ، يقول : شبهنا مثلنا = « فلما آتاهما صالحاً » ، قال : شبههما مثلهما .(٧)

١٥٥١٢ – حدثني موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « فلما أثقلت » ، كبر الولد في بطنها ، جاءها إبليس فخوّفها وقال لها :

---

(١) هذا تعبير جيد ، يصور سرعة حدوث ذلك ، ولو شاء أن يقوله قائل ، لقال : « فليس إلا أن أصابها حتى حملت . . . » ، فتهوى العبارة من قوة إلى ضعف .

(٢) الزيادة بين القوسين من الدر المنثور ٣ : ١٥٢ ، وهي زيادة لا بد منها. والمخطوطة مضطربة في هذا الموضع .

(٣) في المطبوعة والدر المنثور : « هو بعض ذلك » .

(٤) الزيادة بين القوسين من الدر المنثور ، ولا يستقيم الكلام إلا بها .

(٥) هذه الزيادة أيضاً من الدر المنثور .

(٦) في المطبوعة : « هو صاحبنا الذي قد أخرجنا من الجنة » ، وفي المخطوطة : « الذي قد فات » وبين « قد » و « فات » حرف « ط » ، وبالهامش « ط » ، و « كذا » . وأثبت نص العبارة من الدر المنثور .

(٧) الأثر : ١٥٥١١ – هذه أخبار باطلة كما أشرنا إليه مراراً .

ما يدريك ما فى بطنك ؟ لعله كلب ، أو خنزير ، أو حمار ! وما يدريك من أين يخرج ؟ أمن دبرك فيقتلك ، أو من قُبُلك، أو ينشق بطنك فيقتلك ؟ فذلك حين «دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً»، يقول: مثلنا = «لنكونن من الشاكرين».

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله أخبر عن آدم وحواء أنهما دعوا الله ربهما بحمل حواء ، وأقسما لئن أعطاهما ما فى بطن حواء ، صالحاً ، ليكونان لله من الشاكرين .

و « الصلاح » ، قد يشمل معانى كثيرة : منها « الصلاح » فى استواء الخلق ، ومنها « الصلاح » فى الدين، و « الصلاح »، فى العقل والتدبير . ٩٩/٩

وإذ كان ذلك كذلك ، ولا خبر عن الرسول يوجب الحجة بأن ذلك على بعض معانى « الصلاح » دون بعض، ولا فيه من العقل دليل، وجب أن يُعَمَّ كما عمَّه الله فيقال: إنهما قالا : « لئن آتيتنا صالحاً »، بجميع معانى « الصلاح» .(١)

* * *

وأما معنى قوله : « لنكونن من الشاكرين» ، فإنه: لنكونن ممن يشكرك على ما وهبت له من الولد صالحاً .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١٩٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فلما رزقهما الله ولداً صالحاً كما سألا = « جعلا له شركاء فيما آتاهما » ، ورزقهما .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى « الشركاء » التى جعلاها فيما أوتيا من المولود .

فقال بعضهم : جعلا له شركاء فى الاسم .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) انظر تفسير « الصلاح » فيما سلف من فهارس اللغة (صلح) .

١٥٥١٣ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الصمد قال ، حدثنا عمر بن إبراهيم ، عن قتادة ، عن الحسن، عن سمرة بن جندب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كانت حوّاء لا يعيش لها ولد ، فنذرت لئن عاش لها ولد لتسمينه « عبد الحارث » ، فعاش لها ولد ، فسمته « عبد الحارث » ،(١) وإنما كان ذلك عن وحي الشيطان .(٢)

---

(١) في المطبوعة : « من وحي الشيطان » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو الموافق لما في المراجع .

(٢) الأثر : ١٥٥١٣ – « عبد الصمد » ، هو « عبد الصمد بن عبد الوارث » . مضى مراراً .

و « عمر بن إبراهيم العبدي » ، وثقه أحمد وغيره ، ولكنه قال : « يروي عن قتادة أحاديث مناكير ، يخالف » . وقال أبو حاتم : « يكتب حديثه ولا يحتج به » ، وقال ابن عدي : يروي عن قتادة أشياء لا يوافق عليها ، وحديثه خاصة عن قتادة مضطرب » . وذكره ابن حبان في الثقات وقال : « يخطىء ، ويخالف » . ثم ذكره في الضعفاء فقال : « كان ممن ينفرد عن قتادة بما لا يشبه حديثه . فلا يعجبني الاحتجاج به إذا انفرد . فأما فيما روى عن الثقات ، فإن اعتبر به معتبر لم أر بذلك بأساً » ، وقال الدار قطني : « لين ، يترك » . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٣/١/٩٨ ، وميزان الاعتدال ٢ : ٢٤٨ .

وهذا الخبر رواه أحمد في مسنده ٥ : ١١ ، بغير هذا اللفظ ، ورواه بهذا اللفظ الحاكم في المستدرك ٢ : ٥٤٥ ، وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبي . وأخرجه الترمذي في تفسير الآية وقال : « هذا حديث حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم ، عن قتادة . وقد رواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه » .

وخرجه ابن كثير في تفسيره ٣ : ٦١١ ، ٦١٢ ، وأعله من ثلاثة وجوه : الأول : أن عمر ابن إبراهيم لا يحتج به = الثاني : أنه قد روى من قول سمرة نفسه غير مرفوع = الثالث : أن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا ، وذكر بعض أخبار أبي جعفر بأسانيدها رقم : ١٥٥٢٦ – ١٥٥٢٨ ، ثم قال : « وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن رضي الله عنه أنه فسر الآية بذلك ، وهو من أحسن التفاسير ، وأولى ما حملت عليه الآية . ولو كان هذا الحديث عنده محفوظاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عدل عنه هو ولا غيره ، ولا سيما مع تقواه وورعه . فهذا يدلك على أنه موقوف على الصحابي ، ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب من آمن منهم ، مثل كعب أو وهب بن منبه وغيرهما ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله ، إلا أننا برئنا من عهدة المرفوع ، والله أعلم » .

قلت : وسترى أن أبا جعفر قد رجح أن المعني بذلك آدم وحواء ، قال : « لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك » . وإجماع أهل التأويل في مثل هذا ، مما لا يقوم الأول : لأن الآية مشكلة ، ففيها نسبة الشرك إلى آدم الذي اصطفاه ربه ، بنص كتاب الله ، وقد أراد أبو جعفر أن يخرج من ذلك ، فزعم (ص : ٣١٥) أن القول عن آدم وحواء انقضى عند قوله : « جعلا له شركاء فيما آتاهما ، ثم استأنف قوله : « فتعالى الله عما يشركون » ، يعني عما يشرك به مشركو العرب من عبدة الأوثان . وهذا مخرج ضعيف جداً .

الثاني : أن مثل هذا المشكل في أمر آدم وحواء ، ونسبة الشرك إليهما ، مما لا يقضى به ، إلا بحجة

١٥٥١٤ ــ حدثني محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا معتمر ، عن أبيه قال ، حدثنا أبو العلاء، عن سمرة بن جندب : أنه حدث : أن آدم عليه السلام سمى ابنه « عبد الحارث » .

١٥٥١٥ ــ . . . . قال ، حدثنا المعتمر ، عن أبيه قال، حدثنا ابن علية ، عن سليمان التيمى ، عن أبى العلاء بن الشخّير ، عن سمرة بن جندب قال : سمى آدمُ ابنه « عبد الحارث » .(١)

١٥٥١٦ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن اسحق ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كانت حوّاء تلد لآدم فتعبِّدهم لله ، وتسميه « عبيد الله » و « عبد الله » ونحو ذلك ، فيصيبهم الموت . فأتاها إبليسُ وآدمَ فقال : إنكما لو تسميانه بغير الذى تسميانه لعاش ! فولدت له رجلاً فسماه « عبد الحارث » ، ففيه أنزل الله تبارك وتعالى : « هو الذى خلقكم من نفس واحدة » ، إلى قوله : « جعلا له شركاء فيما آتاهما » ، إلى آخر الآية .

١٥٥١٧ ــ حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى

يجب التسليم لها من نص كتاب، أو خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا خبر بذلك ، إلا هذا الخبر الضعيف الذى بينا ضعفه ، وأنه من رواية عمر بن إبراهيم ، عن قتادة . وروايته عن قتادة مضطربة ، خالف فيها ما روى عن الحسن ، أنه عنى بالآية بعض أهل الملل والمشركون .

هذا ، وقد رد هذا القول ، جماعة من المفسرين ، كابن كثير فى تفسيره ، والفخر الرازى (٣ : ٣٤٣ – ٣٤٥) ، وحاول الزمخشرى فى تفسيره أن يرده فلم يحسن ، وتعقبه أحمد بن محمد بن المنير فى الإنصاف . وغير هؤلاء كثير .

ولكن بعد هذا كله ، نجد أن تفسير ألفاظ الآية ، ومطابقته للمعنى الصحيح الذى ذهب العلماء إليه فى نفى الشرك عن أبينا آدم عليه السلام ، وفى أن الآية لا تعنى أبانا آدم وأمنا حواء = بقى مبهماً ، لم يتناوله أحد ببيان صحيح . وكنت أحب أن يتيسر لى بيانه فى هذا الموضع ، ولكنى وجدت الأمر أعسر من أن أتكلم فيه فى مثل هذا التعليق .

(١) الأثر : ١٥٥١٤ ، ١٥٥١٥ – « أبو العلاء بن الشخير » ، منسوب إلى جده ، وهو : « يزيد بن عبد الله بن الشخير العامرى» ، تابعى عابد ثقة، كان يقرأ فى المصحف حتى يغشى عليه ، فكان أخوه مطرف يقول له : « أغن عنا مصحفك صائر اليوم » . مترجم فى التهذيب ، وابن سعد ٧/١/١١٣ ، والكبير ٤/٢/٣٤٥ ، وابن أبى حاتم ٤/٢/٢٧٤ .

قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله في آدم : « هو الذي خلقكم من نفس واحدة » ، إلى قوله : « فمرت به » ، فشكّت : أحبلت أم لا = « فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحًا » الآية ، فأتاهما الشيطان فقال : هل تدريان ما يولد لكما ؟ أم هل تدريان ما يكون ؟ أبهيمة يكون أم لا ؟ وزيّن لهما الباطل ، إنه غويٌّ مبين . وقد كانت قبل ذلك ولدت ولدين فماتا ، فقال لهما الشيطان : إنكما إن لم تسمياه بي ، لم يخرج سويًّا ، ومات كما مات الأولان ! فسميا ولدهما « عبد الحارث » ، فذلك قوله : « فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما » ، الآية .

١٥٥١٨ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : لما ولد له أول ولد ، أتاه إبليس فقال : إنّي سأنصح لك في شأن ولدك هذا ، تسميه « عبد الحارث » . فقال آدم : أعوذ بالله من طاعتك ! = قال ابن عباس : وكان اسمه في السماء « الحارث » = قال آدم : أعوذ بالله من طاعتك ، إني أطعتك في أكل الشجرة فأخرجتني من الجنة ، فلن أطيعك ! فمات ولده ، ثم ولد له بعد ذلك ولد آخر ، فقال : أطعني وإلا مات كما مات الأول ! فعصاه . فمات ، فقال : لا أزال أقتلهم حتى تسميه « عبد الحارث » ! فلم يزل به حتى سماه « عبد الحارث » ، فذلك قوله : « جعلا له شركاء فيما آتاهما » ، أشركه في طاعته في غير عبادة ، ولم يشرك بالله ، ولكن أطاعه .

١٥٥١٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا . . . . ، عن هرون قال ، أخبرنا الزبير بن الخِرِّيت ، عن عكرمة قال : ما أشرك آدم ولا حواء ، وكان لا يعيش لهما ولد ، فأتاهما الشيطان فقال : إن سرّكما أن يعيش لكما ولد فسمياه « عبد الحارث » ! فهو قوله : « جعلا له شركاه فيما آتاهما » .(١)

---

(١) الأثر : ١٥٥١٩ — كان الإسناد في المطبوعة : « حدثنا ابن حميد ، قال حدثنا سلمة ، عن هرون » ، لا أدري من أين جاء بقوله : « سلمة » ! ! فإن المخطوطة فيها بياض في هذا

١٠٠/٩ ١٥٥٢٠ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً » ، قال : كان آدم عليه السلام لا يولد له ولد إلا مات . فجاءه الشيطان فقال : إن سرّك أن يعيش ولدك هذا فسمّه « عبد الحارث » ! ففعل ، قال : فأشركا فى الاسم ، ولم يشركا فى العبادة .

١٥٥٢١ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد ، عن قتادة : «فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما» ، ذكر لنا أنه كان لا يعيش لهما ولد ، فأتاهما الشيطان فقال لهما : سمياه « عبد الحارث » ! وكان من وحى الشيطان وأمره ، وكان شركاً فى طاعة ، ولم يكن شركاً فى عبادة .(١)

١٥٥٢٢ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون » ، قال : كان لا يعيش لآدم وامرأته ولد . فقال لهما الشيطان : إذا ولد لكما ولد فسمياه « عبد الحارث » ! ففعلا وأطاعاه ، فذلك قول الله : « فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء » ، الآية .

الموضع هكذا : « حدثنا ابن حميد قال حدثنا عن هرون » ، فوضعت مكان البياض نقطاً . وفيها بعد « عكرمة » وقبل « قال » خط معقوف ، وفى الهامش أمام البياض ، وعند هذه العلامة حرف (ط) ثم إلى جوارها حرف (ا) عليه ثلاثة نقط . كل ذلك دال على الشك والخطأ .

و « هرون » هو النحوى الأعور ، : « هرون بن موسى الأزدى » ، صاحب القراءات ، ثقة . مضى برقم : ٤٩٨٥ ، ١١٦٩٣ .

و « الزبير بن الخريت » ثقة ، مضى أيضاً برقم : ٤٩٨٥ ، ١١٦٩٣ .

وإسناد أبى جعفر فى الموضعين ، فى رواية « الزبير بن الخريت ، عن عكرمة » هو : « حدثنى المثنى قال ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، قال حدثنا هرون النحوى ، قال حدثنى الزبير بن الخريت ، عن عكرمة » ، فأخشى أن يكون سقط من التفسير هنا إسناد ابن حميد ، وخبره ، ثم صدر إسناد بعده ، هو إسناد أبى جعفر السالف : « حدثنا المثنى قال حدثنا مسلم بن إبراهيم ، عن هرون . . . » ، إلى آخر الإسناد ، والله أعلم .

(١) فى المطبوعة : « فى طاعته . . . فى عبادته » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

١٥٥٢٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن فضيل ، عن سالم بن أبي حفصة ، عن سعيد بن جبير قوله : « أثقلت دعوا الله ربهما » إلى قوله : « فتعالى الله عما يشركون » ، قال : لما حملت حوّاء فى أوّل ولد ولدته حين أثقلت ، أتاها إبليس قبل أن تلد فقال : يا حوّاء ، ما هذا الذى فى بطنك ؟ فقالت : ما أدرى ! فقال: من أين يخرج ؟ من أنفك، أو من عينك، أو من أذنك؟ قالت : لا أدرى! قال: أرأيت إن خرج سليمًا، أمطيعتى أنت فيما آمرك به؟[1] قالت: نعم ! قال : سميه « عبد الحارث » = وقد كان يسمى إبليس « الحارث » = فقالت : نعم ! ثم قالت بعد ذلك لآدم : أتانى آت فى النوم فقال لى كذا وكذا ! فقال : إن ذلك الشيطان فاحذريه ، فإنه عدوُّنا الذى أخرجنا من الجنة ! ثم أتاها إبليس فأعاد عليها، فقالت: نعم ! فلما وضعته أخرجه الله سليمًا، فسمته « عبد الحارث » ، فهو قوله : « جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون » .

١٥٥٢٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير وابن فضيل، عن عبد الملك، عن سعيد بن جبير قال : قيل له : أشرك آدم ؟ قال : أعوذ بالله أن أزعم أن آدم أشرك ، ولكن حواء لما أثقلت أتاها إبليس فقال لها : من أين يخرج هذا ؟ من أنفك، أو من عينك ، أو من فيك ! فقنّطها، ثم قال : أرأيت إن خرج سويًّا = زاد ابن فضيل : لم يضرك ولم يقتلك = أتطيعنى ؟ قالت : نعم ! قال : فسميه « عبد الحارث » ، ففعلت = زاد جرير : فإنما كان شركه فى الاسم .[2]

١٥٥٢٥ – حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : فولدت غلاماً = يعنى حواء = فأتاهما إبليس فقال : سموه عبدى وإلا قتلته ! قال له آدم عليه السلام : قد أطعتك وأخرجتنى من الجنة ! فأبى أن

---

(١) فى المطبوعة : « أتطيعينى أنت » ، والصواب الجيد من المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « شركة » بالتاء فى آخره ، والصواب ما أثبت .

يطيعه ، فسماه « عبد الرحمن » ، فسلط الله عليه إبليس فقتله . فحملت بآخر ، فلما ولدته قال لها : سميه عبدى وإلا قتلته ! قال له آدم: قد أطعتك فأخرجتنى من الجنة ! فأبى ، فسماه « صالحاً » ، فقتله . فلما أن كان الثالث قال لهما : فإذ غلبتمونى فسموه « عبد الحارث » ، [1] وكان اسم إبليس ، وإنما سمى « إبليس » حين أبلس = فَعَنَوَا ، [2] فذلك حين يقول الله تبارك وتعالى : «جعلا له شركاء فيما آتاهما» ، يعنى : فى التسمية .

* * *

وقال آخرون : بل المعنىّ بذلك : رجلٌ وامرأة من أهل الكفر من بنى آدم ، جعلا لله شركاء من الآلهة والأوثان حين رزقهما ما رزقهما من الولد . وقالوا: معنى الكلام : « هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها » ، أي : هذا الرجل الكافر= «حملت حملاً خفيفاً فلما أثقلت» ، دعوتما الله ربكما . قالوا : وهذا مما ابتدىء به الكلام على وجه الخطاب ، ثم رُدّ إلى الخبر عن الغائب ، كما قيل: ﴿ هُوَ الَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِى الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ ، [سورة يونس: ٢٢] . وقد بينا نظائر ذلك بشواهده فيما مضى قبل .[3]

* ذكر من قال ذلك :

١٥٥٢٦ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا سهل بن يوسف ، عن عمرو ، عن الحسن : « جعلا له شركاء فيما آتاهما » ، قال : كان هذا فى بعض أهل الملل ، ولم يكن بآدم .

١٥٥٢٧ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن ١٠١/٩

(١) فى المطبوعة : « فإذ غلبتم فسموه » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « ففعلوا » ، وهو خطأ لاشك فيها ، لو كان لقال : « ففعلا » ، ورسم المخطوطة غير منقوطة هو ما أثبت ، وصواب قراءته ما قرأت .

= يقال : « عنا له يعنو » : إذا خضع له وأطاعه .

(٣) انظر ما سلف ١ : ٣/١٥٤ : ٣٠٤ ، ٦/٣٠٥ : ٢٣٨ ، ٨/٤٦٤ : ١١/٤٤٧ : ٢٦٤ .

معمر قال ، قال الحسن : عنى بهذا ذرية آدم ، من أشرك منهم بعده = يعنى بقوله : « فلما آتاهما صالحًا جعلا له شركاء فيما آتاهما » .

١٥٥٢٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كان الحسن يقول : هم اليهود والنصارى، رزقهم الله أولاداً فهوَّدوا ونصَّروا .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين بالصواب ، قول من قال : عنى بقوله : « فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء » فى الاسم ، لا فى العبادة = وأن المعنىَّ بذلك آدم وحواء ، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك .

* * *

فإن قال قائل : فما أنت قائل = إذ كان الأمر على ما وصفت فى تأويل هذه الآية ، وأن المعنىّ بها آدم وحواء = فى قوله : « فتعالى الله عما يشركون » ؟ أهو استنكاف من الله أن يكون له فى الأسماء شريك ، أو فى العبادة ؟ فإن قلت : «فى الأسماء»، دلّ على فساده قوله : «أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون» ؟ فإن قلت : « فى العبادة » ، قيل لك : أفكان آدم أشرك فى عبادة الله غيره ؟

قيل له : إن القول فى تأويل قوله : « فتعالى الله عما يشركون » ، ليس بالذى ظننت . وإنما القول فيه: فتعالى الله عما يشرك به مشركو العرب من عبدة الأوثان . فأما الخبر عن آدم وحواء ، فقد انقضى عند قوله : « جعلا له شركاء فيما آتاهما »، ثم استؤنف قوله : « فتعالى الله عما يشركون » ،(٢) كما :—

١٥٥٢٩ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « فتعالى الله عما يشركون »، يقول : هذه فصْلٌ من آية آدم ، خاصة فى آلهة العرب .

* * *

(١) الآثار ١٥٥٢٦ — ١٥٥٢٨ — انظر التعليق على الأثر السالف رقم : ١٥٥١٣ .
(٢) انظر التعليق على الأثر رقم : ١٥٥١٣ .

واختلفت القرأة في قراءة قوله : « شركاء » .

فقرأ ذلك عامة قرأة أهل المدينة وبعض المكيين والكوفيين : ﴿ جَعَلاَ لَهُ شِرْكاً ﴾، بكسر الشين ، بمعنى الشِّرْكة .(١)

* * *

وقرأه بعض المكيين وعامة قرأة الكوفيين وبعض البصريين : ﴿ جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ ﴾، بضم الشين ، بمعنى جمع « شريك » .

* * *

قال أبو جعفر : وهذه القراءة أولى القراءتين بالصواب ، لأن القراءة لو صحت بكسر الشين ، لوجب أن يكون الكلام : فلما آتاهما صالحاً جعلا لغيره فيه شركاً = لأن آدم وحواء لم يدينا بأن ولدهما من عطية إبليس ، ثم يجعلا لله فيه شركاً لتسميتهما إياه بـ «عبد الله» ، وإنما كان يدينان لا شك بأن ولدهما من رزق الله وعطيته ، ثم سمياه « عبد الحارث » ، فجعلا لإبليس فيه شركاً بالاسم .

فلو كانت قراءة من قرأ : ﴿ شِرْكًا ﴾ ، صحيحة ، وجب ما قلنا ، أن يكون الكلام : جعلا لغيره فيه شركاً . وفي نزول وحي الله بقوله : « جعلا له » ، ما يوضح عن أن الصحيح من القراءة : ﴿ شُرَكَاءَ ﴾ ، بضم الشين ، على ما بينت قبل .

* * *

فإن قال قائل : فإن آدم وحواء إنما سميا ابنهما « عبد الحارث » ، و « الحارث » واحد ، وقوله : « شركاء » جماعة ، فكيف وصفهما جل ثناؤه بأنهما « جعلا له شركاء » ، وإنما أشركا واحداً !

قيل : قد دللنا فيما مضى على أن العرب تخرج الخبر عن الواحد مخرج الخبر عن الجماعة ، إذا لم تقصد واحداً بعينه ولم تسمّه ، كقوله : ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ ، [سورة آل عمران : ١٧٣] ، وإنما كان القائل ذلك واحداً ،

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٤٠٠ .

فأخرج الخبر مخرج الخبر عن الجماعة ، إذ لم يقصد قصده . وذلك مستفيض في كلام العرب وأشعارها .(١)

* * *

وأما قوله : « فتعالى الله عما يشركون » ، فتنزيه من الله تبارك وتعالى نفسَه ، وتعظيم لها عما يقول فيه المبطلون ، ويدّعون معه من الآلهة والأوثان ،(٢) كما :—

١٥٥٣٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : «فتعالى الله عما يشركون» ، قال : هو الإنكاف ، أنكف نفسه جل وعز = يقول : عظّم نفسه = وأنكفته الملائكة ، وما سبّح له .

١٥٥٣١ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة قال : سمعت صدقة يحدّث ، عن السدي قال : هذا من الموصول والمفصول ، قوله : « جعلا له شركاء فيما آتاهما » ، في شأن آدم وحواء ، ثم قال الله تبارك وتعالى : « فتعالى الله عما يشركون » ، قال : عما يشرك المشركون ، ولم يعنهما .(٣) ١٠٢/٩

* * *

(١) انظر ما سلف ١ : ٢٩٢ ، ٢/٢٩٣ : ٤٨٥ — ٤٨٧ ، ٤/٥٠٠ : ٦/١٩١ : ٧/٣٦٤ : ٤٠٤ — ١٢/٤١٣ : ٢١٣ .

(٢) انظر تفسير « تعالى » فيما سلف ١٢ : ١٠ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) عند هذا الموضع ، انتهى الجزء العاشر من مخطوطتنا ، وفي آخرها ما نصه :

« نجز الجز العاشر من كتاب البيان ، بحمد الله وعونه ،

وحسن توفيقه ويمنه . وصلى الله على محمد .

يتلوه في الحادي عشر إن شاء الله تعالى

القول في تأويل قوله : ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ .

وكان الفراغ من نسخه في شهر جمادى الأولى سنة خمس عشرة وسبعمئة .

غفر الله لكاتبه ومؤلفه ، ولمن كُتِب لأجله ولجميع المسلمين .

الحمد لله رب العالمين »

القول فى تأويل قوله ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ (١٩١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : أيشركون فى عبادة الله ، فيعبدون معه = « ما لا يخلق شيئاً » ، والله يخلقها وينشئها ؟ وإنما العبادة الخالصة للخالق لا للمخلوق .

* * *

وكان ابن زيد يقول فى ذلك بما :—

١٥٥٣٢ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد قال : ولد لآدم وحواء ولد فسمياه « عبد الله » ، فأتاهما إبليس فقال : ما سميتما يا آدم ويا حواء ابنكما ؟ قال : وكان ولد لهما قبل ذلك ولد فسمياه « عبد الله » فمات . فقالا : سميناه « عبد الله » ! فقال إبليس : أتظنان أن الله تارك عبده عندكما ؟ لا والله ، ليذهبن به كما ذهبَ بالآخر ! ولكن أدلكما على اسم يبقى لكما ما بقيتما ، فسمِّياه « عبد شمس »! قال : فذلك قول الله تبارك وتعالى : « أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون » ، آلشمس تخلق شيئاً حتى يكون لها عبد ؟ إنما هى مخلوقة ! وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خدعهما مرتين ، خدعهما فى الجنة ، وخدعهما فى الأرض .(١)

* * *

وقيل : « وهم يخلقون » ، فأخرج مكنيَّهم مخرج مكنىّ بنى آدم ،(٢) وقد قال :

ثم يتلوه فى أول الجزء الحادى عشر من المخطوطة :

« بسم الله الرحمن الرحيم
ربِّ يسِّر برحمتك »

(١) الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أجده . وفى الدر المنثور ٣ : ١٥٢ « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خدعهما مرتين . قال زيد : خدعهما فى الجنة ، وخدعهما فى الأرض » .

(٢) « المكنى » الضمير .

« أيشركون ما » ، فأخرج ذكرهم بـ « ما » لا بـ « من » ، مخرج الخبر عن غير بنى آدم ، لأن الذى كانوا يعبدونه إنما كان حجراً أو خشباً أو نحاساً أو بعض الأشياء التى يخبر عنها بـ « ما » لا بـ « من »، فقيل لذلك: « ما »، ثم قيل « وهم »، فأخرجت كنايتهم مُخْرَج كناية بنى آدم، لأن الخبر عنها بتعظيم المشركين إياها، نظير الخبر عن تعظيم الناس بعضهم بعضاً .

• • •

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ (١٩٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : أيشرك هؤلاء المشركون فى عبادة الله ما لا يخلق شيئاً من خلق الله، ولا يستطيع أن ينصرهم إن أراد الله بهم سوءاً أو أحل بهم عقوبة ، ولا هو قادر إن أراد به سوءاً نصر نفسه ولا دفع ضر عنها ؟ وإنما العابد يعبد ما يعبده لاجتلاب نفع منه أو لدفع ضر منه عن نفسه ، وآلهتهم التى يعبدونها ويشركونها فى عبادة الله ، لا تنفعهم ولا تضرهم ، بل لا تجتلب إلى نفسها نفعاً ولا تدفع عنها ضرًّا ، فهى من نفع غير أنفسها أو دفع الضر عنها أبعدُ؟ يعجِّب تبارك وتعالى خلقه من عظيم خطأ هؤلاء الذين يشركون فى عبادتهم اللهَ غيرَه .

• • •

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴾ (١٩٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره فى وَصفه وعيبه ما يشرك هؤلاء المشركون فى عبادتهم ربَّهم إياه . ومن صفته أنكم ، أيها الناس، إن تدعوهم إلى الطريق المستقيم والأمر الصحيح السديد لا يتبعوكم ، لأنها ليست تعقل شيئاً ، فتترك من الطرق ما كان عن القصد منعدلاً جائراً ، وتركب ما كان مستقيماً سديداً .

* * *

وإنما أراد الله جل ثناؤه بوصف آلهتهم بذلك من صفتها ، تنبيهَهم على عظيم خطئهم وقبح اختيارهم . يقول جل ثناؤه : فكيف يهديكم إلى الرشاد مَنْ إن دُعى إلى الرشاد وعُرِّفه لم يعرفه، ولم يفهم رشاداً من ضلال، وكان سواءً دعاءُ داعيه إلى الرشاد وسكوته، لأنه لا يفهم دعاءه ، ولا يسمع صوته ، ولا يعقل ما يقال له . يقول : فكيف يُعبد من كانت هذه صفته، أم كيف يُشْكِل عظيمُ جهل من اتخذ ما هذه صفته إلهاً ؟ وإنما الرب المعبود هو النافع من يعبده ، الضارّ من يعصيه ، الناصرُ وليَّه ، الخاذل عدوه ، الهادى إلى الرشاد من أطاعه ، السامع دعاء من دعاه .

* * *

وقيل : « سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون »، فعطف بقوله : « صامتون » وهو اسم، على قوله : « أدعوتموهم » ، وهو فعل ماض، ولم يقل : « أم صمتم »،(١) كما قال الشاعر :(٢)

---

(١) انظر سيبويه ١ : ٤٣٥ ، ٤٥٦ .

(٢) لم أعرف قائله .

سَوَاءٌ عَلَيْكَ النَّفْرُ أَمْ بِتَّ لَيْلَةً بِأَهْلِ الْقِبَابِ مِنْ نُمَيْرِ بْنِ عَامِرِ (١)

وقد ينشد: ﴿أم أنتَ بائتٌ﴾.

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (١٩٤) ١٠٣/٩

قال أبو جعفر: يقول جل ثناؤه لهؤلاء المشركين من عبدة الأوثان، موبخهم على عبادتهم ما لا يضرهم ولا ينفعهم من الأصنام: «إن الذين تدعون»، أيها المشركون، آلهةً = «من دون الله»، وتعبدونها، شركاً منكم وكفراً بالله = «عباد أمثالكم»، يقول: هم أملاك لربكم، كما أنتم له مماليك. فإنْ كنتم صادقين أنها تضر وتنفع، وأنها تستوجب منكم العبادة لنفعها إياكم، فليستجيبوا لدعائكم إذا دعوتموهم،(٢) فإن لم يستجيبوا لكم، لأنها لا تسمع دعاءكم، فأيقنوا بأنها لا تنفع ولا تضر، لأن الضر والنفع إنما يكونان ممن إذا سُئِل سمع مسألة سائله وأعطى وأفضل، ومن إذا شكى إليه من شيء سمع، فضرّ من استحق العقوبة، ونفع من لا يستوجب الضرّ.

* * *

(١) معانى القرآن للفراء ١ : ٤٠١، وكان فى المطبوعة والمخطوطة «عليك الفقر»، وهو خطأ محض، صوابه من المعانى. و «النفر» بمعنى: النفر من منى فى أيام الحج، وهو الثانى من أيام التشريق.

(٢) انظر تفسير «الاستجابة» فيما سلف ٣ : ٤٨٣، ٧/٤٨٤ : ٤٨٦ – ٤٨٨/ ١١ : ٣٤١.

القول فى تأويل قوله ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ (١٩٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين عبدوا الأصنام من دونه ، معرِّفهم جهل ما هم عليه مقيمون: ألا صنامكم هذه، أيها القوم =« أرجل يمشون بها » ، فيسعون معكم ولكم فى حوائجكم ، ويتصرفون بها فى منافعكم =«أم لهم أيد يبطشون بها »، فيدفعون عنكم وينصرونكم بها عند قصد من يقصدكم بشرّ ومكروه = « أم لهم أعين يبصرون بها » ، فيعرفونكم ما عاينوا وأبصروا مما تغيبون عنه فلا ترونه = « أم لهم آذان يسمعون بها » ، فيخبرونكم بما سمعوا دونكم مما لم تسمعوه . يقول جل ثناؤه : فإن كانت آلهتكم التى تعبدونها ليس فيها شىء من هذه الآلات التى ذكرتُها، والمعظَّم من الأشياء إنما يعظَّم لما يرجى منه من المنافع التى توصل إليه بعض هذه المعانى عندكم ، فما وجه عبادتكم أصنامكم التى تعبدونها ، وهى خالية من كل هذه الأشياء التى بها يوصل إلى اجتلاب النفع ودفع الضر ؟

وقوله : « قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون » ، [قل ، يا محمد ، لهؤلاء المشركين من عبدة الأوثان : ادعو شركاءكم الذين جعلتموهم لله شركاء فى العبادة = «ثم كيدون»]،(١) أنتم وهى(٢)= «فلا تنظرون» ، يقول : فلا تؤخرون بالكيد والمكر ،(٣) ولكن عجِّلوا بذلك . يُعْلِمه جل ثناؤه بذلك أنهم لن يضروه ، وأنه قد عصمه منهم، ويُعَرِّف الكفرة به عجز أوثانهم عن نصرة من بغى أولياءهم بسوء .

---

(١) هذه العبارة التى بين الأقواس ، استظهرتها من سياق الآية والتفسير ، وظاهر أنها قد سقطت من الناسخ ، وأن الكلام بغيرها ، أو بغير ما يقوم ما مقامها ، لا يستقيم .

(٢) فى المطبوعة : « أنتم وهن » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

ثم انظر تفسير « الكيد » فيما سلف ص: ٢٨٨، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الإنظار » فيما سلف ١٢ : ٣٣١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ وَلِيِّـَۧ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (١٩٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد ، للمشركين من عبدة الأوثان = « إن ولي » ، نصيرى ومعينى وظهيرى عليكم [١] = « الله الذى نزل الكتاب » علىّ بالحق ، وهو الذى يتولى من صلح عمله بطاعته من خلقه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ (١٩٧)

قال أبو جعفر : وهذا أيضاً أمر من الله جل ثناؤه لنبيه أن يقوله للمشركين . يقول له تعالى ذكره : [٢] قل لهم : إن الله نصيرى وظهيرى ، والذين تدعون أنتم ، أيها المشركون، من دون الله من الآلهة، لا يستطيعون نصركم، ولا هم مع عجزهم عن نصرتكم يقدرون على نصرة أنفسهم . فأى هذين أولى بالعبادة وأحق بالألوهة ؟ أمن ينصر وليه ويمنع نفسه ممن أراده، أم من لا يستطيع نصر وليه ويعجز عن منع نفسه ممن أراده وبغاه بمكروه ؟

* * *

(١) انظر تفسير « الولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .

(٢) فى المطبوعة : « بقوله تعالى » ، وفى المخطوطة مثله غير منقوط ، والصواب : « يقول له » .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (١٩٨)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل للمشركين : وإن تدعوا ، أيها المشركون ، آلهتكم إلى الهدى = وهو الاستقامة إلى السداد = « لا يَسمعوا » ، يقول : لا يسمعوا دعاءكم = « وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون » .

* * *

وهذا خطاب من الله نبيَّه صلى الله عليه وسلم . يقول : وترى ، يا محمد ، آلهتهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون = ولذلك وحَّد .[1] ولو كان أمر النبي صلى الله عليه وسلم بخطاب المشركين ، لقال : « وترونهم ينظرون إليكم » .[2]

* * *

وقد روى عن السدى فى ذلك ما :—

١٥٥٣٣ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون » ، قال : هؤلاء المشركون . ١٠٤/٩

* * *

وقد يحتمل قول السدى هذا أن يكون أراد بقوله : « هؤلاء المشركون » ، قول الله : « وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا » .

* * *

وقد كان مجاهد يقول فى ذلك ، ما :—

١٥٥٣٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن

---

(١) يعنى أن الخطاب أولا كان للمشركين جميعاً ، فقال : « وإن تدعوهم » ، ثم قال « وتراهم » على الإفراد ، خطاباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) فى المخطوطة : « وترونهم ينظرون إليك . . . » ، وبعد « إليك » بياض بقدر كلمة . والذى فى المطبوعة شبيه بالصواب .

ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون » ، ما تدعوهم إلى الهدى .

* * *

وكأنّ مجاهداً وجّه معنى الكلام إلى أن معناه : وترى المشركين ينظرون إليك وهم لا يبصرون = فهو وجهٌ ، ولكن الكلام فى سياق الخبر عن الآلهة ، فهو بوصفها أشبه .

* * *

قال أبو جعفر : فإن قال قائل : فما معنى قوله : « وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون » ؟ وهل يجوز أن يكون شيء ينظر إلى شيء ولا يراه ؟

قيل : إن العرب تقول للشيء إذا قابل شيئاً أو حاذاه : « هو ينظر إلى كذا » ، ويقال : « منزل فلان ينظر إلى منزلى » ، إذا قابله . وحكى عنها : « إذا أتيتَ موضع كذا وكذا فنظر إليك الجبل ، فخذ يميناً أو شمالاً » ، وحدثت عن أبي عبيد قال : قال الكسائى : « الحائط ينظر إليك » ، إذا كان قريباً منك حيث تراه ، ومنه قول الشاعر :(١)

إِذَا نَظَرَتْ بِلاَدَ بَنِى تَمِيمٍ بِعَيْنٍ أَوْ بِلاَدَ بَنِى صُبَاحِ (٢)

---

(١) لم أعرف قائله .

(٢) نوادر أبي زيد : ١٣١ ، أساس البلاغة (عين) ، المقاييس ٤ : ٢٠٣ ، ورواية أبي زيد :

إِذَا نَظَرَتْ بِلاَدَ بنى حَبِيبٍ بِعَيْنٍ ، أَوْ بِلاَدَ بنى صَبَاحِ
رَمَيْنَاهُمْ بِكُلِّ أَقَبَّ نَهْدٍ وَفِتْيَانِ الغُدُوِّ مَعَ الرَّوَاحِ

ولا أدرى ما « بنو حبيب » ، وأما « بنو صباح » ، فهم فى ضبة ، والظاهر أن فى غيرهم من العرب أيضاً « بنو صباح » . انظر الاشتقاق : ١٢٢ . وروايه الزمخشرى وابن فارس « بلاد بنى نمير » ، فلا أدرى ما أصح ذلك ، حتى يعرف صاحب الشعر ، وفيمن قيل .

قال الزمخشرى قبل استشهاده بالشعر : « نظرت الأرض بعين أو بعينين » ، إذا طلع بأرض ما ترعاه الماشية بغير استمكان . وقال ابن فارس : إذا طلع النبت ، وكل هذا محمول ، واستعارة وتشبيه .

يريد : تقابل نبتُها وعُشْبها وتحاذَى .

* * *

قال أبو جعفر : فمعنى الكلام : وترى ، يا محمد ، آلهة هؤلاء المشركين من عبدة الأوثان ، يقابلونك ويحاذونك ، وهم لا يبصرونك ، لأنه لا أبصار لهم .

وقيل : « وتراهم » ، ولم يقل : « وتراها » ، لأنها صور مصوَّرة على صور بنى آدم عليه السلام .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ (١٩٩)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك :

فقال بعضهم : تأويله : « خذ العفو » من أخلاق الناس ، وهو الفضل وما لا يجهدهم .(١)

* ذكر من قال ذلك :

١٥٥٣٥ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد ابن عبد الرحمن ، عن القاسم ، عن مجاهد فى قوله : « خذ العفو » ، قال : من أخلاق الناس وأعمالهم ، بغير تحسس .(٢)

١٥٥٣٦ ــ حدثنا يعقوب وابن وكيع قالا، حدثنا ابن علية، عن ليث ، عن مجاهد فى قوله : « خذ العفو »، قال : عفو أخلاق الناس ، وعفوَ أمورهم .

١٥٥٣٧ ــ حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثنى ابن أبى الزناد ،

---

(١) انظر تفسير « العفو » فيما سلف ٤ : ٣٣٧ – ٣٤٣ .

(٢) فى المخطوطة هنا، وفى الذى يليه رقم : ١٥٥٣٩ « تحسيس » بالياء، ولا أدرى ما هو . و « تحسس الشىء » تبحثه وتطلبه ، كأنه يعنى الاستقصاء فى الطلب، ويؤيد هذا ما سيأتى برقم : ١٥٥٤٢ .

عن هشام بن عروة ، عن أبيه فى قوله : « خذ العفو » ، الآية ، قال عروة : أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يأخذ العفو من أخلاق الناس .(١)

١٥٥٣٨ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن ابن الزبير قال : ما أنزل الله هذه الآية إلا فى أخلاق الناس : « خذ العفو وأمر بالعرف » ، الآية .(٢)

١٥٥٣٩ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج قال : بلغنى عن مجاهد : خذ العفو من أخلاق الناس وأعمالهم بغير تحسس .(٣)

١٥٥٤٠ – . . . . قال حدثنا أبو معاوية ، عن هشام بن عروة ، عن وهب بن كيسان ، عن ابن الزبير : « خذ العفو » ، قال : من أخلاق الناس ، والله لآخذنّه منهم ما صحبتهم .(٤)

١٥٥٤١ – . . . . قال ، حدثنا عبدة بن سليمان ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن ابن الزبير(٥) ، قال : إنما أنزل الله : « خذ العفو » ، من أخلاق الناس .

١٥٥٤٢ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « خذ العفو » ، قال : من أخلاق

---

(١) الأثر : ١٥٥٣٧ – رواه البخارى فى صحيحه (الفتح ٨ : ٢٢٩) من طريق عبد الله ابن براد ، عن أبى أسامة ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير . وانظر ما قاله فيه الحافظ ابن حجر .

(٢) الأثر : ١٥٥٣٨ – « هشام بن عروة بن الزبير » ، ثقة ، معروف ، مضى مراراً . وأبوه « عروة بن الزبير » ، يروى عن أخيه « عبد الله بن الزبير » . وكان فى المطبوعة هنا : « عن أبى الزبير » ، وهو خطأ ، صوابه ما كان فى المخطوطة .

وهذا خبر صحيح ، رواه البخارى فى صحيحه (الفتح ٨ : ٢٢٩) وسيأتى برقم ١٥٥٤١ ، بإسناد آخر

(٣) انظر التعليق السالف ، ص : ٣٢٦ رقم : ٢ .

(٤) الأثر : ١٥٥٤٠ – « ابن الزبير » ، وهو « عبد الله بن الزبير » ، وكان فى المخطوطة والمطبوعة هنا « أبى الزبير » ، وهو خطأ صححناه آنفاً .

(٥) فى المطبوعة هنا « عن أبى الزبير » ، وهو خطأ كما أسلفت .

الناس وأعمالهم ، من غير تحسس = أو : تجسس ، شك أبو عاصم . (١)

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : خذ العفو من أموال الناس ، وهو الفضل . قالوا : وأمر بذلك قبل نزول الزكاة ، فلما نزلت الزكاة نُسِخ .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٥٤٣ - حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « خذ العفو » ، يعني خذ ما عفا لك من أموالهم ، وما أتوك به من شيء فخذه . فكان هذا قبل أن تنزل « براءة » بفرائض الصدقات وتفصيلها ، وما انتهت الصدقات إليه . ١٠٥/٩

١٥٥٤٤ - حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « خذ العفو » ، أما « العفو » ، فالفضل من المال ، نسختها الزكاة .

١٥٥٤٥ - حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، حدثنا عبيد بن سليمان قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : « خذ العفو » ، يقول : خذ ما عفا من أموالهم . وهذا قبل أن تنزل الصدقة المفروضة .

* * *

وقال آخرون : بل ذلك أمرٌ من الله نبيَّه صلى الله عليه وسلم بالعفو عن المشركين ، وترك الغلظة عليهم ، قبل أن يفرض قتالهم عليه .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٥٤٦ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « خذ العفو » ، قال : أمره فأعرض عنهم عشر سنين بمكة . قال : ثم أمره بالغلظة عليهم ، وأن يقعد لهم كل مَرْصد ، وأن يحصرهم . ثم قال : ﴿ فَإِنْ تَابُوا

---

(١) « التجسس » ، مثل « التحسس » ، مع خلاف يسير ، وانظر ما سلف ص : ٣٢٦ ، تعليق رقم : ٢ .

وأقاموا الصلاة ﴾ ، [سورة التوبة : ٥ ، ١١] الآية ، كلها . وقرأ : ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾ ، [سورة التوبة : ٧٣ / سورة التحريم : ٩] . قال : وأمر المؤمنين بالغلظة عليهم فقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة ﴾ ، [سورة التوبة : ١٢٣] ، بعد ما كان أمرهم بالعفو . وقرأ قول الله : ﴿ قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ﴾ [سورة الجاثية : ١٤] ، ثم لم يقبل منهم بعد ذلك إلا الإسلام أو القتل ، فنسخت هذه الآية العفو .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب ، قول من قال : معناه : خذ العفو من أخلاق الناس ، واترك الغلظة عليهم = وقال : أُمر بذلك نبيّ الله صلى الله عليه وسلم فى المشركين .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ، لأن الله جل ثناؤه أتبع ذلك تعليمه نبيَّه صلى الله عليه وسلم محاجَّته المشركين فى الكلام ، وذلك قوله : «قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون » ، وعقَّبه بقوله : ﴿ وإخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون * وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها ﴾ ، فما بين ذلك ، بأن يكون من تأديبه نبيَّه صلى الله عليه وسلم فى عشرتهم به ،(٢) أشبهُ وأولى من الاعتراض بأمره بأخذ الصدقة من المسلمين .

* * *

فإن قال قائل : أفمنسوخ ذلك ؟

قيل : لا دلالة عندنا على أنه منسوخ ، إذ كان جائزاً أن يكون = وإن كان الله أنزله على نبيه عليه السلام فى تعريفه عشرةَ من لم يؤْمَر بقتاله من المشركين = مراداً به تأديبُ نبيّ الله والمسلمين جميعاً فى عشرة الناس ، وأمرهم بأخذ عفو

---

(١) مضى خبر آخر برقم : ٤١٧٥ ، فيه ذكر هذه الآية ، وتفسيرها بذلك عن ابن عباس .

(٢) قوله : « به » فى آخر الجملة ، متعلق بقوله فى أولها « من تأديبه » ، كأنه قال « من تأديبه به » ، أى بهذا الذى بين الآيتين .

أخلاقهم ، فيكون وإن كان من أجلهم نزل ، تعليماً من الله خلقَه صفةَ عشرة بعضهم بعضاً ، [إذا] لم يجب استعمال الغلظة والشدة فى بعضهم : (١) فإذا وجب استعمال ذلك فيهم ، استعمل الواجبَ ، فيكون قوله : « خذ العفو » ، أمرًا بأخذه ما لم يجب غيرُ العفو ، فإذا وجب غيره أخذ الواجب وغير الواجب إذا أمكن ذلك . فلا يحكم على الآية بأنها منسوخة ، لما قد بينا ذلك فى نظائره فى غير موضع من كتبنا .(٢)

* * *

وأما قوله : « وأمر بالعرف » ، فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله .

فقال بعضهم : بما —

١٥٥٤٧ — حدثنى الحسن بن الزبرقان النخعى قال ، حدثنى حسين الجعفى ، عن سفيان بن عيينة ، عن رجل قد سماه قال : لما نزلت هذه الآية : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا جبريل ، ما هذا ؟ قال : ما أدرى ، حتى أسأل العالم ! قال : ثم قال جبريل ، يا محمد ، إن الله يأمرك أن تَصِل من قطعك ، وتعطى من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك .(٣)

١٥٥٤٨ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا سفيان ، عن أُمَىّ قال : لما أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : ما هذا يا جبريل ؟ قال : إن الله يأمرك أن تعفوَ عمن ظلمك ، وتعطىَ من حرمك ، وتصل من قطعك .(٤)

* * *

---

(١) فى المطبوعة « لم يجب » ، بغير « إذا » ، فوضعها بين قوسين ، فالسياق يتطلبها ، وإلا اضطرب الكلام .

(٢) انظر مقالة أبى جعفر فى « النسخ » فيما سلف من فهارس الأجزاء الماضية .

(٣) الأثر : ١٥٥٤٧ — « الحسن بن الزبرقان النخعى » ، شيخ الطبرى ، مضى برقم : ٢٩٩٥ . والرجل الذى لم يسم فى هذا الخبر هو « أمى بن ربيعة » ، الذى سيأتى فى الخبر التالى .

(٤) الأثر : ١٥٥٤٨ — « سفيان » هو ابن عيينة .

وقال آخرون بما :—

١٥٥٤٩ — حدثني محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه : « وأمر بالعرف »، يقول : بالمعروف .

١٥٥٥٠ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وأمر بالعرف »، قال : أما « العرف »، فالمعروف. ١٠٦/٩

١٥٥٥١ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة : « وأمر بالعرف » ، أى : بالمعروف .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأمر الناس بالعرف = وهو المعروف فى كلام العرب ، مصدر فى معنى : « المعروف » .

* * *

يقال : «أوليته عُرْفا ، وعارفاً ، وعارفة »،[1] كل ذلك بمعنى : «المعروف ».[2]

* * *

فإذ كان معنى « العرف » ذلك فمن « المعروف» صلة رحم من قطع ، وإعطاء من حرم ، والعفو عمن ظلم . وكل ما أمر الله به من الأعمال أو ندب إليه ، فهو من « العرف ». ولم يخصص الله من ذلك معنى دون معنى ، فالحق فيه أن يقال : قد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأمر عباده بالمعروف كله، لا ببعض معانيه دون بعض .

* * *

و « أمى » هو : « أمى بن ربيعة المرادى الصيرفى » ، سمع الشعبى ، وعطاء ، وطاوس . روى عنه سفيان بن عيينة ، وشريك . ثقة . مترجم فى التهذيب ، وابن سعد ٦ : ٢٥٤ ، والكبير ٦٧/٢/١ ، وابن أبى حاتم ٣٤٧/١/١ .

وكان فى المخطوطة فوق « أمى » حرف (ط) دلالة على الخطأ ، وبالهامش (كذا) ، ولكن الناسخ جهل الاسم فأشكل عليه . فجاء فى المطبوعة فجعله « أبى » ، وكذلك فى تفسير ابن كثير ٣ : ٦١٨ ، والصواب ما أثبت . وهذا الخبر ، رواه « أمى بن ربيعة » ، عن الشعبى ، كما يظهر ذلك من روايات الخبر فى ابن كثير ، والدر المنثور ٣ : ١٥٣ .

(١) قوله : « عارفاً » ، لم أجدها فى المعاجم ، وهى صحيحة فيما أرجح .

(٢) انظر تفسير « المعروف » فيما سلف ص : ١٦٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

وأما قوله : « وأعرض عن الجاهلين » ، فإنه أمر من الله تعالى نبيَّه صلى الله عليه وسلم أن يعرض عمن جهل .[١] وذلك وإن كان أمرًا من الله نبيَّه ، فإنه تأديب منه عز ذكره لخلقه باحتمال من ظلمهم أو اعتدى عليهم ،[٢] لا بالإعراض عمن جهل الواجبَ عليه من حق الله ، ولا بالصفح عمن كفر بالله وجهل وحدانيته ، وهو للمسلمين حَرْبٌ .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٥٥٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » ، قال أخلاقٌ أمر الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم ودلَّه عليها .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢٠٠)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « وإما ينزغنك من الشيطان نزغ » ، وإما يغضبنك من الشيطان غضب يصدُّك عن الإعراض عن الجاهلين ، ويحملك على مجازاتهم = « فاستعذ بالله » ، يقول : فاستجر بالله من نزغه =[٣] « إنه سميع عليم » ،

---

(١) انظر تفسير « الإعراض » فيما سلف ١٢ : ٣٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك . = وتفسير « الجهل » فيما سلف ٢ : ٨/١٨٣ : ٨٩ — ١١/٩٢ : ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ .

(٢) يعنى أن « الجهل » هنا بمعنى السفه والتمرد والعدوان ، لا بمعنى « الجهل » الذى هو ضد العلم والمعرفة .

(٣) انظر تفسير « الاستعاذة » فيما سلف ١ : ٦/١١١ : ٣٣٦ .

يقول: إن الله الذى تستعيذ به من نزغ الشيطان = «سميع»، لجهل الجاهل عليك، ولاستعاذتك به من نزغه، ولغير ذلك من كلام خلقه، لا يخفى عليه منه شيء = «عليم»، بما يذهب عنك نزغ الشيطان، وغير ذلك من أمور خلقه،[1] كما :-

١٥٥٥٣ - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين»، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فكيف بالغضب يا ربِّ؟ قال: «وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم».

١٥٥٥٤ - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: «وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم»، قال: علم الله أن هذا العدوَّ مَنيع ومَريد.

* * *

وأصل «النزغ»، الفساد، يقال: «نزغ الشيطان بين القوم»، إذا أفسد بينهم، وحمّل بعضهم على بعض. ويقال منه: «نزغ ينزَغ»، و«نغز ينغز».

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ (٢٠١)

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: «إن الذين اتقوا» اللهَ من خلقه، فخافوا عقابه، بأداء فرائضه واجتناب معاصيه = «إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا»،[2] ويقول: إذا ألمَّ بهم لَمَمٌ من الشيطان،[3] من غضب أو غيره مما

(١) انظر تفسير «سميع» و «عليم» فيما سلف من فهارس اللغة (سمع) و (علم).
(٢) انظر تفسير «المس» فيما سلف ص: ٣٠٣، تعليق: ١، والمراجع هناك.
(٣) في المطبوعة: «إذا ألم بهم طيف»، لم يحسن قراءة المخطوطة، فاستبدل بما كان فيها.

يصدّ عن واجب حق الله عليهم ، تذكروا عقاب الله وثوابه ، ووعده ووعيده ، وأبصروا الحق فعملوا به ، وانتهوا إلى طاعة الله فيما فرض عليهم ، وتركوا فيه طاعة الشيطان .

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « طيف » .

فقرأته عامة قرأة أهل المدينة والكوفة : ﴿ طَائِفٌ ﴾ ، على مثال « فاعل » .

* * *

وقرأه بعض المكيين والبصريين والكوفيين : ﴿ طَيْفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ ﴾ .[1]

* * *

واختلف أهل العلم بكلام العرب فى فرق ما بين « الطائف » و « الطيف » .

فقال بعض البصريين : « الطائف » و « الطيف » ، سواء ، وهو ما كان كالخيال والشيء يلم بك.[2] قال : ويجوز أن يكون « الطيف » مخففاً عن «طَيِّف» ، مثل « ميْت ، ومَيِّت » .

* * *

وقال بعض الكوفيين : « الطائف » ، ما طاف بك من وسوسة الشيطان . ١٠٧/٩
وأما « الطيف » ، فإنما هو من اللّمم والمسّ .

* * *

وقال آخر منهم : « الطيف » ، اللمم ، و «الطائف» ، كل شيء طاف بالإنسان .

* * *

وذكر عن أبى عمرو بن العلاء أنه كان يقول : « الطيف » ، الوسوسة .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب ، قراءة من قرأ : ﴿ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ ﴾ ، لأن أهل التأويل تأولوا ذلك بمعنى الغضب ، والزلة تكون من المطيف به . وإذا كان ذلك معناه ، كان معلوماً = إذ كان « الطيف » إنما

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٠٢ .

(٢) نسبها أبو جعفر إلى البصريين ، وهى فى لسان العرب (طوف) ، منسوبة إلى الفراء ، وهو كوفى ، ولم أجدها فى المطبوع من معانى القرآن .

هو مصدر من قول القائل : « طاف يطيف » = أن ذلك خبر من الله عما يمس الذين اتقوا من الشيطان ، وإنما يمسهم ما طاف بهم من أسبابه ، وذلك كالغضب والوسوسة . وإنما يطوف الشيطان بابن آدم ليستزلّه عن طاعة ربه ، أو ليوسوس له . والوسوسة والاستزلال ، هو « الطائف من الشيطان » .(١)

* * *

وأما « الطيف » فإنما هو الخيال، وهو مصدر : « من طاف يَطِيف » ، ويقول: لم أسمع فى ذلك « طاف يطيف »،(٢) ويتأوله بأنه بمعنى « الميت »،وهو من الواو .

* * *

وحكى البصريون وبعض الكوفيين سماعاً من العرب :(٣) « طاف يطيف »، و « طِفْتُ أطِيف »، وأنشدوا فى ذلك :(٤)

أنَّى أَلَمَّ بِكَ الخَيَالُ يَطِيفُ وَمَطَافُهُ لَكَ ذِكْرَةٌ وَشُعُوفُ(٥)

* * *

وأما التأويل ، فإنهم اختلفوا فى تأويله .

فقال بعضهم : ذلك « الطائف » ، هو الغضب .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٥٥٥ — حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا، حدثنا ابن يمان ، عن

---

(١) من أول قوله : « وأما الطيف » ، إلى آخر الفقرة الثانية المختومة ببيت من الشعر ، لا أشك أنه قد وضع فى غير موضعه . فهو يقول بعد : « ويقول : لم أسمع فى ذلك » ، وهذا القائل غير أبى جعفر بلا شك ، ولم أستطع تحديد موضعه من الأقوال السالفة . فلذلك تركته مكانه وفصلته . وكان حقه أن يقدم قبل قوله : « قال أبو جعفر : وأولى القراءتين . . . » .

(٢) قوله : « ولم أسمع فى ذلك طاف يطيف » ، يعنى فى « الطائف » .

(٣) هذا نص كلام أبى عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ٢٣٧ ، إلى آخره .

(٤) كعب بن زهير .

(٥) ديوانه : ١١٣ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٣٧ ، واللسان (طيف) (شعف)، من قصيدة له طويلة .

و « الشعوف » مصدر من قولهم « شعفه حب فلانة» ، إذا أحرق قلبه، ووجد لذة اللوعة فى احتراقه ، وفى ذهاب لبه حتى لا يعقل غير الحب .

أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد : « إذا مسهم طائف » ، قال : و « الطيف » الغضب .

١٥٥٥٦ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد ابن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد في قوله : « إذا مسهم طيف من الشيطان » ، قال : هو الغضب .(١)

١٥٥٥٧ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عبد الله بن رجاء ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد قال : الغضب .

١٥٥٥٨ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « إذا مسهم طَيْف من الشيطان تذكروا » ، قال : هو الغضب .

١٥٥٥٩ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « طائف من الشيطان » ، قال : الغضب .

* * *

وقال آخرون : هو اللَّمَّة والزلَّة من الشيطان .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٥٦٠ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا » ، و « الطائف » اللَّمَّة من الشيطان = « فإذا هم مبصرون » .

١٥٥٦١ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « إن الذين اتقوا إذا مسهم

---

(١) تركت ما في الآثار على ما جاء في المخطوطة : « طائف » مرة ، و « طيف » أخرى ، وهما قراءتان في الآية كما سلف قبل .

طائفٍ من الشيطان » ، يقول : نزغٌ من الشيطان = « تذكروا » .

١٥٥٦٢ – حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا » ، يقول : إذا زلّوا تابوا .

* * *

قال أبو جعفر : وهذان التأويلان متقاربا المعنى ، لأن « الغضب » من استزلال الشيطان ، و « اللمة » من الخطيئة أيضاً منه ، وكلّ ذلك من طائف الشيطان .[1] وإذ كان ذلك كذلك ، فلا وجه لخصوص معنى منه دون معنى ، بل الصواب أن يعم كما عمه جل ثناؤه فيقال : إن الذين اتقوا إذا عرض لهم عارض من أسباب الشيطان ، ما كان ذلك العارض ، تذكروا أمر الله وانتهوا إلى أمره .

* * *

وأما قوله : « فإذا هم مبصرون » ، فإنه يعني : فإذا هم مبصرون هُدَى الله وبيانه وطاعته فيه ، فمنتهون عما دعاهم إليه طائف الشيطان ، كما :–

١٥٥٦٣ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « فإذا هم مبصرون » ، يقول : إذا هم منتهون عن المعصية ، آخذون بأمر الله ، عاصون للشيطان .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ (٢٠٢) ١٠٨/٩

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وإخوان الشياطين تمدهم الشياطين في الغي .[2] يعني بقوله : « يمدونهم » ، يزيدونهم ، ثم لا ينقصون عما نقص عنه

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « وكان ذلك » ، والصواب ما أثبت .

(٢) انظر تفسير « الغي » فيما سلف ص : ٢٦١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان .(١)

وإنما هذا خبرٌ من الله عن فريقى الإيمان والكفر ، بأن فريق الإيمان وأهل تقوى الله إذا استزلهم الشيطان تذكروا عظمة الله وعقابه ، فكفَّتهم رهبته عن معاصيه ، وردّتهم إلى التوبة والإنابة إلى الله مما كان منهم زلّةً = وأن فريق الكافرين يزيدهم الشيطان غيًّا إلى غيهم إذا ركبوا معصية من معاصى الله ، ولا يحجزهم تقوى الله ، ولا خوف المعاد إليه عن التمادى فيها والزيادة منها ، فهو أبداً فى زيادة من ركوب الإثم ، والشيطان يزيده أبداً ، لا يُقصر الإنسى عن شىء من ركوب الفواحش ، ولا الشيطان من مدّه منه ، (٢) كما : —

١٥٥٦٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « وإخوانهم يمدونهم فى الغىّ ثم لا يقصرون » ، قال : لا الإنس يقصرون عما يعملون من السيئات ، ولا الشياطين تُمْسك عنهم .

١٥٥٦٥ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وإخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون » ، يقول : هم الجن ، يوحون إلى أوليائهم من الإنس = « ثم لا يقصرون » ، يقول : لا يسأمون .

١٥٥٦٦ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإخوانهم يمدونهم فى الغىّ » ، إخوان الشياطين من المشركين ، يمدهم الشيطان فى الغىّ = « ثم لا يقصرون » .

١٥٥٦٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ،

---

(١) فى المطبوعة : « ثم لا يقصرون عما قصر عنه الذى اتقوا » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وبنحو المعنى ذكره أبو حيان فى تفسيره ٤ : ٤٥١ ، قال : « ثم لا ينقصون من إمدادهم وغوايتهم » . فلذلك أبقيت ما فى المخطوطة على حاله ، وإن كنت فى شك من جودته .

(٢) هكذا فعل الطبرى ، أتى بالضمائر مفردة بعد الجمع ، وقد تكرر ذلك فى مواضع كثيرة من تفسيره ، أقربها ما أشرت إليه فى ص : ٢٨٦ ، تعليق : ٢ .

قال ابن جريج ، قال عبد الله بن كثير : وإخوانهم من الجن يمدون إخوانهم من الإنس = « ثم لا يقصرون » ، يقول : ثم لا يقصر الإنسان . قال : و « المد » الزيادة ، يعنى أهل الشرك. يقول : لا يُقصر أهل الشرك كما يقصر الذين اتقوا ، لا يرعَوُون، لا يحجزهم الإيمان(١) = قال ابن جريج : قال مجاهد : « وإخوانهم »، من الشياطين = « يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون »، استجهالاً يمدون أهل الشرك = قال ابن جريج : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ [سورة الأعراف : ١٧٩] . قال : فهؤلاء الإنس . يقول الله : « وإخوانهم يمدونهم فى الغى » .

١٥٥٦٨ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنى محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « وإخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون » ، قال : إخوان الشياطين ، يمدهم الشياطين فى الغىّ = « ثمّ لا يقصرون » .

١٥٥٦٩ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد = « وإخوانهم » ، من الشياطين ، « يمدونهم فى الغى » ، استجهالاً .

* * *

وكان بعضهم يتأول قوله : « ثم لا يقصرون » ، بمعنى : ولا الشياطين يقصرون فى مدّهم إخوانَهم من الغىّ .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٥٧٠ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وإخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون » ، عنهم ولا يرحمونهم .

* * *

قال أبو جعفر : وقد بينا أولى التأويلين عندنا بالصواب . وإنما اخترنا ما اخترنا

---

(١) فى المطبوعة مكان « لا يرعوون » ، « لأنهم لا يحجزهم . . . » ، لم يحسن قراءتها ، لأنها كانت فى المخطوطة : « لا يرعون » ، والصواب ما أثبت « ارعوى عن القبيح » ، ندم ، فانصرف عنه وكف .

من القول فى ذلك على ما بيناه، لأن الله وصفَ فى الآية قبلها أهل الإيمان به، وارتداعَهم عن معصيته وما يكرهه إلى محبته عند تذكرهم عظمته ، ثم أتبع ذلك الخبرَ عن إخوان الشياطين وركوبهم معاصيه ، فكان الأولى وصفهم بتماديهم فيها ،[1] إذ كان عَقِيب الخبر عن تقصير المؤمنين عنها .

* * *

وأما قوله : « يمدونهم » ، فإنّ القرأة اختلفت فى قراءته .

فقرأه بعض المدنيين : ﴿ يُمِدُّونَهُمْ ﴾ ، بضم الياء ، من « أمددت » .

* * *

وقرأته عامة قرأة الكوفيين والبصريين : ﴿ يَمُدُّونَهُمْ ﴾ : بفتح الياء من «مددت » .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك عندنا : ﴿ يَمُدُّونَهُمْ ﴾ ، بفتح الياء ، لأن الذي يمد الشياطينُ إخوانَهم من المشركين ، إنما هو زيادة من جنس الممدود . وإذا كان الذى مد من جنس الممدود ، كان كلام العرب « مددت » لا «أمددت» .[2] ١٠٩/٩

* * *

وأما قوله : « يقصرون » ، فإن القرأة على لغة من قال : « أقصَرْت أقْصِر » . وللعرب فيه لغتان : « قَصَرت عن الشيء » و « أقصرت عنه » .[3]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وإذا لم تأت ، يا محمد ، هؤلاء المشركين بآيمن الله = «قالوا لولا اجتبيتَهَا » ، يقول : قالوا : هلاّ اخترتها واصطفيتها .[4]

* * *

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « وكان الأولى » بالواو ، والسياق يقضى الفاء .

(٢) انظر تفسير « مد » و « أمد » فيما سلف ١ : ٣٠٦ — ٧/٣٠٨ : ١٨١ .

(٣) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٠٢ ، وصحح الخطأ هناك ، فإنه ضبط « قصر » بضم الصاد ، والصواب فتحها لا صواب غيره .

(٤) انظر تفسير « لولا » فيما سلف ١١ : ٣٥٦ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك.

= من قول الله تعالى : ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [سورة آل عمران : ١٧٩]، يعني : يختار ويصطفي . وقد بينا ذلك في مواضعه بشواهده .(١)

* * *

ثم اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك .

فقال بعضهم : معناه : هلا افتعلتها من قِبَل نفسك واختلقتها ؟ بمعنى : هلا اجتبيتها اختلاقاً ؟ كما تقول العرب : «لقد اختار فلان هذا الأمر وتخيره اختلاقاً» .(٢)

* ذكر من قال ذلك :

١٥٥٧١ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها »، أي : لولا أتيتنا بها من قِبَل نفسك ؟ هذا قول كفار قريش .

١٥٥٧٢ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد قوله : « وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها » ، قالوا : لولا اقتضبتها ! (٣) قالوا : تخرجها من نفسك .

١٥٥٧٣ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد في قوله : « وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها »، قالوا : لولا تقوّلتها ، جئتَ بها من عندك ؟

١٥٥٧٤ — حدثني المثنى قال ، حدثني عبد الله قال، حدثني معاوية ، عن

---

(١) انظر تفسير « اجتبى » فيما سلف ٧ : ١١/٤٣٧ : ٥١٢ ، ٥١٣ .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٤٠٢ ، والتعليق عليه هناك . وهذا معنى غريب جداً في « اختار » ، أنا في ريب منه ، إلا أن يكون أراد أن العرب تقول في مجازها « اختار الشيء اختلاقاً » ، كل ذلك بمعنى : اختلقه ، لا أن « اختار » بمعنى اختلق . وإن كان صاحب اللسان قد أتبع قول الفراء الآتي بعد ص : ٣٤٣ « وهو في كلام العرب جائز أن يقول : « لقد اختار لك الشيء واجتباه وارتجله » .

(٣) « اقتضب الكلام اقتضاباً » ، ارتجله من غير تهيئة أو إعداد له . يقال : « هذا شعر مقتضب ، وكتاب مقتضب » .

على ، عن ابن عباس قوله : « لولا اجتبيتها » ، يقول : لولا تلقَّيتها = وقال مرة أخرى : لولا أحدَثتها فأنشأتها .

١٥٥٧٥ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « قالوا لولا اجتبيتها » ؟ يقول : لولا أحدثتها ؟

١٥٥٧٦ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قوله : « لولا اجتبيتها » ، قال : لولا جئت بها من نفسك !

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : هلا أخذتها من ربك وتقبَّلتها منه ؟(١)

* ذكر من قال ذلك :

١٥٥٧٧ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « لولا اجتبيتها » ، يقول : لولا تقبَّلتها من الله !

١٥٥٧٨ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « لولا اجتبيتها » ، يقول: لولا تلقَّيتَها من ربك !

١٥٥٧٩ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « لولا اجتبيتها » ، يقول : لولا أخذتها فجئت بها من السماء .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بالصواب في ذلك ، تأويلُ من قال : تأويله : هلا أحدثتها من نفسك ! لدلالة قول الله : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَٰذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾، فبيَّن ذلك أن الله إنما أمر نبيه صلى الله عليه

(١) في المطبوعة والمخطوطة ، في هذا الموضع ، والذي يليه في الأثر : « تقبلتها » ، وفي الأثر الذي بعده : « تلقيتها » ؛ في المخطوطة والمطبوعة ، وأرجو أن يكون هذا الأخير هو الصواب ، كما سلفت في رقم : ١٥٥٧٤ ، وإن كان الأول جائزاً .

وسلم ،(١) بأن يجيبهم بالخبر عن نفسه أنه إنما يتبع ما ينزل عليه ربه ويوحيه إليه ، لا أنه يحدث من قبل نفسه قولاً وينشئه فيدعو الناس إليه .

* * *

وحكى عن الفراء أنه كان يقول: « اجتبيت الكلام » و « اختلقته » ، و « ارتجلته » ، إذا افتعلته من قِبَل نفسك .(٢)

١٥٥٨٠ – حدثني بذلك الحارث قال، حدثنا القاسم ، عنه .

* * *

قال أبو عبيدة : كان أبو زيد يقول : إنما تقول العرب ذلك للكلام يبتدئه الرجل ،(٣) لم يكن أعدّه قبل ذلك في نفسه . قال أبو عبيدة : و « اخترعته » ، مثل ذلك .(٤)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢٠٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد ، للقائلين لك إذا لم تأتهم بآية: «هلا أحدثتها من قبل نفسك ! »: إن ذلك ليس لي ، ولا يجوز لي فعله ، لأن الله إنما أمرني باتباع ما يوحى إليّ من عنده ، فإنما أتبع ما يوحى إليّ من ربي ، لأني عبده ، وإلى أمره أنتهي ، وإياه أطيع(٥) = « هذا بصائر من ربكم » ، يقول : هذا القرآن والوحي الذي أتلوه عليكم = « بصائر من ربكم » ، يقول : حجج عليكم ، وبيان لكم من ربكم . ١١٠/٩

* * *

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « يبين ذلك أن الله ... » ، والسياق يقتضي ما أثبت .

(٢) انظر ما سلف ص ٣٤١ ، تعليق رقم : ٢ .

(٣) في المطبوعة : « يبديه الرجل » ، وفي المخطوطة : « البديه الرجل » ، وكأن الصواب ما أثبت .

(٤) في المطبوعة : « واخترعه » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٥) انظر تفسير « الاتباع » ، و « الوحي » فيما سلف من فهارس اللغة (تبع) و (وحي) .

= واحدتها « بصيرة »، كما قال جل ثناؤه : ﴿ هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾، [سورة الجاثية : ٢٠] .(١)

* * *

وإنما ذكر « هذا » ووحّد فى قوله : « هذا بصائر من ربكم » ، لما وصفت من أنه مرادٌ به القرآن والوحى .

* * *

وقوله : « وهدى » ، يقول : وبيان يهدى المؤمنين إلى الطريق المستقيم = «ورحمة»، رحم الله به عباده المؤمنين ، فأنقذهم به من الضلالة والهلكة = « لقوم يؤمنون » ، يقول : هو بصائر من الله وهدى ورحمة لمن آمن، يقول : لمن صدّق بالقرآن أنه تنزيل الله ووحيه ، وعمل بما فيه ، دون من كذب به وجحده وكفر به ،(٢) بل هو على الذين لا يؤمنون به عمًى وخزى .(٣)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْآنُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٢٠٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين به ، المصدقين بكتابه ، الذين القرآنُ لهم هدى ورحمة : «إذا قرئ» عليكم ، أيها المؤمنون، «القرآن» = « فاستمعوا له» ، يقول : اصغوا له سمعكم ، لتتفهموا آياته ، وتعتبروا بمواعظه (٤) = « وأنصتوا » ،

---

(١) انظر تفسير « بصيرة » فيما سلف ١٢ : ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) انظر تفسير « الهدى » و « الرحمة » و « الإيمان » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) ، (رحم) ، (أمن) .

(٣) فى المطبوعة : « غم » ، وفى المخطوطة « عم » غير منقوطة ، وهذا صواب قراءتها ، لقوله تعالى فى سورة فصلت : ٤٤ ، فى صفة القرآن : « والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى » .

(٤) انظر تفسير « استمع » فيما سلف من فهارس اللغة (سمع) .

إليه لتعقلوه وتتدبروه ، ولا تلغوا فيه فلا تعقلوه = « لعلكم ترحمون » ، يقول : ليرحمكم ربكم باتعاظكم بمواعظه ، واعتباركم بعبره ، واستعمالكم ما بينه لكم ربكم من فرائضه فى آيه .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى الحال التى أمر الله بالاستماع لقارئ القرآن إذا قرأ والإنصات له .

فقال بعضهم : ذلك حال كون المصلى فى الصلاة خلف إمام يأتمّ به ، وهو يسمع قراءة الإمام ، عليه أن يستمع لقراءته . وقالوا : فى ذلك أنزلت هذه الآية .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٥٨١ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم ، عن المسيب بن رافع قال : كان عبد الله يقول : كنا يسلم بعضنا على بعض فى الصلاة : « سلام على فلان ، وسلام على فلان » . قال : فجاء القرآن : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » .(١)

١٥٥٨٢ — . . . . قال ، حدثنا حفص بن غياث ، عن إبراهيم الهجرى ، عن أبى عياض ، عن أبى هريرة قال : كانوا يتكلمون فى الصلاة ، فلما نزلت هذه الآية « وإذا قرئ القرآن » ، والآية الأخرى ، أمروا بالإنصات .(٢)

---

(١) الأثر : ١٥٥٨١ — « أبو بكر بن عياش » ، ثقة معروف ، مضى مراراً .
و « عاصم » ، هو « عاصم بن أبى النجود » ، « عاصم بن بهدلة » ، ثقة مضى مراراً .
و « المسيب بن رافع الأسدى » ، تابعى ثقة ، لم يلق ابن مسعود ، مضى برقم : ١٢٨ ، ٦١٧٥ .
و « عبد الله » ، هو ابن مسعود .
فهذا الخبر منقطع الإسناد . وذكره ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٦٢٣ .

(٢) الأثر : ١٥٥٨٢ — سيأتى بإسناد آخر ، بلفظ آخر رقم : ١٥٦٠١ .
« حفص بن غياث » ثقة مأمون ، أخرج له الجماعة ، مضى مراراً .
« إبراهيم الهجرى » ، هو « ابراهيم بن مسلم الهجرى » ، وهو ضعيف ، مضى برقم : ١١ ، ٤١٧٣ .

١٥٥٨٣ - حدثني أبو السائب قال ، حدثنا حفص ، عن أشعث ، عن الزهري قال : نزلت هذه الآية في فتى من الأنصار ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما قرأ شيئاً قرأه ، فنزلت : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا ».

١٥٥٨٤ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا المحاربي ، عن داود بن أبي هند ، عن بشير بن جابر قال : صلى ابن مسعود ، فسمع ناساً يقرأون مع الإمام ، فلما انصرف قال : أما آن لكم أن تفقهوا ! أما آن لكم أن تعقلوا ؟ « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » ، كما أمركم الله .(١)

١٥٥٨٥ - حدثنا حميد بن مسعدة قال ، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا الجريري ، عن طلحة بن عبيد الله بن كريز قال : رأيت عبيد بن عمير وعطاء بن أبي رباح يتحدثان ، والقاص يقص ، فقلت : ألا تستمعان إلى الذكر وتستوجبان الموعود ؟ قال : فنظرا إلي ، ثم أقبلا على حديثهما . قال : فأعدت ، فنظرا إلي ، ثم أقبلا على حديثهما . قال : فأعدت الثالثة ، قال : فنظرا إلي فقالا : إنما ذلك في الصلاة : «وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » .(٢)

١٥٥٨٦ - حدثني العباس بن الوليد قال ، أخبرني أبي قال ، سمعت الأوزاعي

و « أبو عياض » ، هو « عمر بن الأسود العنسي » ، ثقة من عباد أهل الشام . مضى برقم : ١٣٨٢ ، ١١٢٥٥ ، ١٢٨٠٤ .

وهذا خبر ضعيف الإسناد ، لضعف إبراهيم الهجري .

ورواه البيهقي في السنن ٢ : ١٥٥ ، بنحوه ، وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣ : ١٥٦ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة في المصنف ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه .

(١) الأثر : ١٥٥٨٤ - « بشير بن جابر » هكذا في المطبوعة وابن كثير ٣ : ٦٢٣ . وفي المخطوطة : « بسر » غير منقوط ، وقد أعياني أن أجد له وجهاً ، أو أن أجد « بشير بن جابر » في شيء من المراجع .

(٢) الأثر : ١٥٥٨٥ - « طلحة بن عبيد بن كريز الخزاعي » ، أبو المطرف المصري . ثقة قليل الحديث . مترجم في التهذيب ، وابن سعد ١٦٦/١/٧ ، والكبير ٣٤٨/٢/٢ . وابن أبي حاتم ٤٧٤/١/٢ .

و « كريز » (بفتح الكاف ، وكسر الراء) .

قال ، حدثنا عبد الله بن عامر قال ، حدثني زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن هذه الآية : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » ، قال : نزلت في رفع الأصوات وهم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في الصلاة .(١)

١٥٥٨٧ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي هاشم إسماعيل بن كثير ، عن مجاهد في قوله : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » ، قال : في الصلاة .

١٥٥٨٨ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن رجل ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » ، قال : في الصلاة . ١١١/٩

١٥٥٨٩ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال ، حدثنا ليث ، عن مجاهد : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » ، قال : في الصلاة .

١٥٥٩٠ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة قال ، سمعت حميداً الأعرج قال ، سمعت مجاهداً يقول في هذه الآية : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » ، قال : في الصلاة .

١٥٥٩١ – . . . . قال ، حدثني عبد الصمد قال ، حدثنا شعبة قال ، حدثنا حميد ، عن مجاهد ، بمثله .

١٥٥٩٢ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، وابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » ، قال : في الصلاة المكتوبة .

---

(١) الأثر : ١٥٥٨٦ – « عبد الله بن عامر الأسلمي » ، روى عنه الأوزاعي ، وابن أبي ذئب ، وسليمان بن بلال وغيرهم . ضعفه أحمد وابن معين ، وأبو زرعة ، وأبو حاتم . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٢/٢/١٢٣ ، وميزان الاعتدال ٢ : ٥٠ .

وهذا خبر ضعيف لضعف « عبد الله بن عامر » . ورواه الواحدي في أسباب النزول : ١٧١ ، ١٧٢ من طريق أبي منصور المنصوري ، عن عبد الله بن عامر ، بمثله .

١٥٥٩٣ — . . . . قال، حدثنا المحاربى ، عن ليث ، عن مجاهد= وعن حجاج ، عن القاسم بن أبى بزة ، عن مجاهد= ، وعن ابن أبى ليلى ، عن الحكم= عن سعيد بن جبير : « وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » ، قال : فى الصلاة المكتوبة .

١٥٥٩٤ — . . . . قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان، عن أبى هاشم ، عن مجاهد : فى الصلاة المكتوبة .

١٥٥٩٥ — . . . . قال ، حدثنا أبى، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .

١٥٥٩٦ — . . . . قال، حدثنا المحاربى ، وأبو خالد، عن جويبر ، عن الضحاك قال : فى الصلاة المكتوبة .

١٥٥٩٧ — . . . . قال، حدثنا جرير وابن فضيل ، عن مغيرة ، عن إبراهيم : قال فى الصلاة المكتوبة .

١٥٥٩٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وإذا قرى القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » ، قال : كانوا يتكلمون فى صلاتهم بحوائجهم أوّلَ ما فرضت عليهم، فأنزل الله ما تسمعون : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » .

١٥٥٩٩ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا »، قال: كان الرجل يأتى وهم فى الصلاة : فيسألهم كم صليتم ؟ كم بقى ؟ فأنزل الله : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » = وقال غيره: كانوا يرفعون أصواتهم فى الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار، فأنزل الله : « وإذا قرئ القرآن » .

١٥٦٠٠ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو خالد والمحاربى، عن أشعث ، عن الزهرى ، قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ ، ورجل يقرأ ، فنزلت :

« وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » .

١٥٦٠١ — . . . . قال ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن الهجري ، عن أبي فياض ، عن أبي هريرة قال : كانوا يتكلمون في الصلاة ، فلما نزلت : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » ، قال : هذا في الصلاة .(١)

١٥٦٠٢ — . . . . قال ، حدثنا أبي ، عن حريث ، عن عامر قال : في الصلاة المكتوبة .

١٥٦٠٣ — حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » ، قال : إذا قرئ في الصلاة .

١٥٦٠٤ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له » ، يعني : في الصلاة المفروضة .

١٥٦٠٥ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري ، عن أبي هاشم ، عن مجاهد قال : هذا في الصلاة ، في قوله « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له » = قال : أخبرنا الثوري ، عن ليث ، عن مجاهد : أنه كره إذا مرّ الإمام بآية خوف أو بآية رحمة أن يقول أحد ممن خلفه شيئاً . قال : السكوت = قال أخبرنا الثوري ، عن ليث ، عن مجاهد قال : لا بأس إذا قرأ الرجل في غير الصلاة أن يتكلم .

١٥٦٠٦ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون » ، قال : هذا إذا قام الإمام للصلاة ، « فاستمعوا له وأنصتوا » .

---

(١) الأثر : ١٥٦٠١ — « الهجري » ، هو « إبراهيم بن مسلم الهجري » ، ومضى هذا الخبر برقم : ١٥٥٨٢ ، بنحوه ، وبينا ضعف إسناده هناك .

١٥٦٠٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن يونس، عن الزهري قال: لا يقرأ مَن وراء الإمام فيما يجهر به من القراءة، تكفيهم قراءه الإمام وإن لم يُسْمِعهم صوته، ولكنهم يقرأون فيما لم يجهر به سرًّا في أنفسهم. ولا يصلح لأحد خلفه أن يقرأ معه فيما يجهر به سرًّا ولا علانية . قال الله : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون » .

١١٢/٩ ١٥٦٠٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن لهيعة ، عن ابن هبيرة ، عن ابن عباس : « أنه كان يقول في هذه : « واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة » ، هذا في المكتوبة . وأما ما كان من قصص أو قراءة بعد ذلك، فإنما هي نافلة . إن نبي الله صلى الله عليه وسلم قرأ في صلاة مكتوبة ، وقرأ أصحابه وراءه ، فخلّطوا عليه . قال : فنزل القرآن : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون » ، فهذا في المكتوبة .

* * *

وقال آخرون : بل عُني بهذه الآية ، الأمرُ بالإنصات للإمام في الخطبة ، إذا قرأ القرآن في خطبته .(١)

* ذكر من قال ذلك :

١٥٦٠٩ – حدثنا تميم بن المنتصر قال، حدثنا إسحق الأزرق، عن شريك، عن سعيد بن مسروق، عن مجاهد في قوله : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا»، قال : الإنصات للإمام يوم الجمعة .

١٥٦١٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو خالد، وابن أبي عتبة ، عن العوّام ، عن مجاهد قال : في خطبة يوم الجمعة .

* * *

وقال آخرون : عني بذلك الإنصات في الصلاة ، وفي الخطبة .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) في المطبوعة : « إذا قرىء القرآن في خطبة » ، وأثبت ما في المخطوطة .

١٥٦١١ – حدثني ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن منصور قال : سمعت إبراهيم بن أبي حمزة يحدث : أنه سمع مجاهداً يقول في هذه الآية: « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا »، قال : في الصلاة والخطبة يوم الجمعة .

١٥٦١٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا هرون ، عن عنبسة ، عن جابر ، عن عطاء قال : وجب الصُّمُوت في اثنتين ، عند الرجل يقرأ القرآن وهو يصلي ، وعند الإمام وهو يخطب .

١٥٦١٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد: « وإذا قرئ القرآن »، قال: وجب الإنصات في اثنتين،(١) في الصلاة والإمام يقرأ ، والجمعة والإمام يخطب .

١٥٦١٤ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين، قال: حدثنا هشيم، أخبرنا من سمع الحسن يقول : في الصلاة المكتوبة ، وعند الذكر .

١٥٦١٥ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري ، عن جابر ، عن مجاهد قال : وجب الإنصات في اثنتين ، في الصلاة ويوم الجمعة .

١٥٦١٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن بقية بن الوليد قال : سمعت ثابت بن عجلان يقول : سمعت سعيد بن جبير يقول في قوله : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » ، قال : الإنصات يوم الأضحى، ويوم الفطر، ويوم الجمعة ، فيما يجهر به الإمام من الصلاة .(٢)

---

(١) في المطبوعة : « وإذا قرىء القرآن، وجب الإنصات قال: وجب في اثنتين . وهو مضطرب . صوابه من المخطوطة ، بحذف ما زاده ، وتقديم ما أخره .

(٢) الأثر : ١٥٦١٦ – « ثابت بن عجلان الأنصاري السلمي » ، متكلم فيه ، وثقه بعضهم ، ومرضه آخرون . مترجم في التهذيب ، والكبير ١٦٦/٢/١ ، ولم يذكر فيه جرحاً ، وابن أبي حاتم ٤٥٥/١/١ .

١٥٦١٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن [عون] قال ، أخبرنا هشيم ، عن الربيع بن صبيح ، عن الحسن قال : في الصلاة وعند الذكر .(١)

١٥٦١٨ – حدثنا ابن البرقي قال، حدثنا ابن أبي مريم قال ، حدثنا يحيى ابن أيوب قال ، حدثني ابن جريج ، عن عطاء بن أبي رباح قال : أوجب الإنصات يوم الجمعة قول الله تعالى ذكره: « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون » ، وفي الصلاة مثل ذلك .

* * *

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، قولُ من قال : أمروا باستماع القرآن في الصلاة إذا قرأ الإمام، وكان من خلفه ممن يأتمّ به يسمعه ، وفي الخطبة .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا قرأ الإمام فأنصتوا »،(٢) وإجماع الجميع على أن [على] من سمع خطبة الإمام ممن عليه الجمعة ، الاستماعَ والإنصاتَ لها ،(٣) مع تتابع الأخبار بالأمر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه لا وقت يجب على أحد استماع القرآن ، والإنصات لسامعه، من قارئه ، إلا في هاتين الحالتين،(٤) على اختلاف في إحداهما ، وهي حالة أن يكون خلف إمام مؤتم به . وقد صح الخبر عن رسول

---

(١) الأثر : ١٥٦١٧ – « عمرو بن عون الواسطي » ، مضى مراراً . وكان في المخطوطة : « قال حدثنا عمرو بن قال أخبرنا هشيم » ، سقط من الإسناد ما أثبته من القوسين . وكان في المطبوعة : « عمرو بن حماد » ، مكان « عمرو بن عون » ، وهو فاسد وسيء جداً .

وقد مضى مراراً مثل إسناد « المثنى » هذ إلى « هشيم » برقم : ٣١٥٩ ، ٣٨٧٩ ، ١٠٩٦٢ ، وغيرها . فمن هذ استظهرت ما أثبته ، وهو الصوب إن شاء الله .

(٢) انظر تخريج الخبر في السنن الكبرى ٢ : ١٥٥ ، ١٥٦ .

(٣) الزيادة بين القوسين لا بد منها، والسياق : « أن على من سمع . . . الاستماع والإنصات » .

(٤) في المخطوطة حرف (ط) فوق « لسامعه» ، دلالة على الخطأ والشك في صحته ، ولكنه مستقيم . وهو عطف على ما قبله ، كأنه قال : وأنه لا وقت يجب الإنصات لسامعه ، من قارئه » .

الله صلى الله عليه وسلم بما ذكرنا من قوله : « إذا قرأ الإمام فأنصتوا » ، فالإنصات خلفه لقراءته واجب على من كان به مؤتماً سامعاً قراءته، بعموم ظاهر القرآن والخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ (٢٠٥) ١١٣/٩

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « واذكر »، أيها المستمع المنصت للقرآن، إذا قرئ فى صلاة أو خطبة[1] =، « ربك فى نفسك »، يقول : اتعظ بما فى آى القرآن واعتبر به ، وتذكر معادك إليه عند سماعكه = « تضرعاً » ، يقول : افعل ذلك تخشعاً لله وتواضعاً له[2] = « وخيفة »، يقول : وخوفاً لله من أن يعاقبك على تقصير يكون منك فى الاتعاظ به والاعتبار، وغفلة عما بين الله فيه من حدوده .[3] = « ودون الجهر من القول » ، يقول : ودعاء باللسان لله فى خفاء لا جهار .[4] يقول : ليكن ذكر الله عند استماعك القرآن فى دعاء إن دعوت غير جهار ، ولكن فى خفاء من القول ، كما : —

---

(١) رد ابن كثير ما ذهب إليه الطبرى فى تفسير هذه الآية فقال : « زعم ابن جرير ، وقبله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : أن المراد بها أمر السامع للقرآن فى حال استماعه للذكر على هذه الصفة . وهذا بعيد ، مناف للإنصات المأمور به . ثم إن المراد بذلك فى الصلاة كما تقدم ، أو فى الصلاة والخطبة . ومعلوم أن الإنصات إذ ذاك أفضل من الذكر باللسان ، سواء كان سراً أو جهراً . وهذا الذى قالاه ، لم يتابعا عليه . بل المراد الحض على كثرة الذكر من العباد بالغدو والآصال ، لئلا يكونوا من الغافلين » . تفسير ابن كثير ٣ : ٦٢٦ ، ٦٢٧ .

وهذا الذى قاله هو الصواب المحض إن شاء الله .

(٢) انظر تفسير « التضرع » فيما سلف ١٣ : ٥٧٢ تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الخوف » فيما سلف ٩ : ١٢٣ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « الجهر » فيما سلف ٢ : ٩/٨٠ : ٣٤٤ ، ١١/٣٥٨ : ٣٦٨ .

١٥٦١٩ – حدثني يونس قال، أخبرنا بن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول » ، لا يجهر بذلك .

١٥٦٢٠ – حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا أبو سعد قال : سمعت مجاهداً يقول في قوله : « واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول »، الآية ، قال : أمروا أن يذكروه في الصدور تضرعاً وخيفة .

١٥٦٢١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن التيمي ، عن أبيه، عن حيان بن عمير ،عن عبيد بن عمير في قوله : « واذكر ربك في نفسك »، قال: يقول الله : «إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي ، وإذا ذكرني عبدي وحده ذكرته وحدي ، وإذا ذكرني في ملأ ذكرته في أحسنَ منهم وأكرم » . (١)

١٥٦٢٢ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قوله: « واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة »، قال : يؤمر بالتضرع في الدعاء والاستكانة ، ويكره رفع الصوت والنداء والصياح بالدعاء .

* * *

وأما قوله : « بالغدو والآصال » ، فإنه يعني : بالبُكَر والعشيّات .

* * *

وأما « الآصال » فجمع ، واختلف أهل العربية فيها .

---

(١) الأثر : ١٥٦٢١ – « ابن التيمي » ، هو : « معتمر بن سليمان بن طرخان التيمي » وأبوه « سليمان بن طرخان التيمي » ، وقد مضيا مراراً

و « حيان بن عمر القيسي الجريري » ، ثقة قليل الحديث روى عبد الرحمن بن سمرة ، وابن عباس ، وسمرة بن جندب وغيرهم . روى عنه سليمان التيمي ، وسعيد الجريري ، وقتادة . مترجم في التهذيب ، وابن سعد ١٣٧/١/٧ ، ١٦٥ ، والكبير ٥٠/١/٢ ، وابن أبي حاتم ٢٤٤/٢/١ .

و « عبيد بن عمير بن قتادة الجندعي » ، قاص أهل مكة ، تابعي ثقة من كبار التابعين ، مضى برقم : ٩١٨٠ ، ٩١٨١ ، ٩١٨٩ ، وغيرها .

فقال بعضهم : هي جمع « أصيل » ، كما « الإيمان » جمع « يمين » ، و « الأسرار » ، جمع « سرير » .(١)

* * *

وقال آخرون منهم : هي جمع « أصُل » ، « والأصُل » جمع « أصيل » .(٢)

* * *

وقال آخرون منهم : هي جمع « أصل » و « أصيل » ، قال : وإن شئت جعلت « الأصُل » جمعاً لـ « الأصيل » ، وإن شئت جعلته واحداً . قال : والعرب تقول : « قد دنا الأصُل » ، فيجعلونه واحداً .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا القول أولى بالصواب في ذلك ، وهو أنه جائز أن يكون جمع « أصيل » و « أصُل » ، لأنهما قد يجمعان على أفعال . وأما « الآصال » ، فهي فيما يقال في كلام العرب : ما بين العصر إلى المغرب .

* * *

وأما قوله « ولا تكن من الغافلين » ، فإنه يقول : ولا تكن من اللاّهين إذا قرئ القرآن عن عظاته وعبره وما فيه من عجائبه ، ولكن تدبر ذلك وتفهمه ، وأشعره قلبك بذكرٍ لله ،(٣) وخضوعٍ له ، وخوفٍ من قدرة الله عليك إن أنت غفلت عن ذلك .

١٥٦٢٣ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « بالغدو والآصال » ، قال : بالبكر والعشي = « ولا تكن من الغافلين » .

١٥٦٢٤ — حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا معرّف ابن واصل السعدي قال : سمعت أبا وائل يقول لغلامه عند مغيب الشمس : آصَلْنا بعدُ ؟ (٤)

---

(١) « السرير » الذي جمعه « أسرار » ، هو « سرير الكمأة » ، وهو ما يكون عليها من التراب والقشور والطين ، وليس للكمأة عروق ، ولكن لها أسرار .

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٢٣٩ .

(٣) في المخطوطة والمطبوعة : « بذكر الله » ، والسياق يتطلب ما أثبت .

(٤) الأثر : ١٥٦٢٤ — « معرف بن واصل السعدي » ، « أبو بدل » أو « أبو يزيد » ،

١٥٦٢٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال، قال ابن جريج ، قال مجاهد قوله : « بالغدو والآصال » ، قال : « الغدو » ، آخر الفجر ، صلاة الصبح = « والآصال » ، آخر العشي ، صلاة العصر . قال : وكل ذلك لها وقت ، أول الفجر وآخره . وذلك مثل قوله في « سورة آل عمران » : ﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ ، [سورة آل عمران : ٤١] . وقيل : « العشي » ، ميل الشمس إلى أن تغيب ، و « الإبكار » ، أول الفجر .(١)

١٥٦٢٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن محمد بن شريك ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس، سئل عن [صلاة الفجر فقال : إنها لفي كتاب الله ولا يقوم عليها] . . . . . ثم قرأ: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ ، الآية [سورة النور : ٣٦] .(٢)

ثقة . كان إمام مسجد بني عمرو بن سعيد بن تميم ، أمهم ستين سنة ، لم يسه في صلاة قط ، لأنها كانت تهمه . روى عن أبي وائل وإبراهيم التيمي ، والنخعي ، والشعبي . وغيرهم . مترجم في التهذيب ، وابن سعد ٦ : ٢٤٨ ، والكبير ٤/٢/٣٠ ، وابن أبي حاتم ٤/١/٤١٠ .

و « أبو وائل » هو « شقيق بن سلمة الأسدي » ، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يره ، حجة في العربية .

وقوله : « آصل » ، أي : دخل في الأصيل .

(١) الأثر : ١٥٦٢٥ – آخر هذا الخبر ، مضى برقم : ٧٠٢٤ ، من طريق أخرى .

(٢) الأثر : ١٥٦٢٦ – « محمد بن شريك المكي » ، ثقة ، مضى برقم : ١٠٢٦٠ ، مترجم في التهذيب ، وابن سعد ٥ : ٣٦٠ ، والكبير ١/١/١١٢ ، وابن أبي حاتم ٣/٢/٢٨٤ .

وهكذا جاء الخبر في المخطوطة ، كما هو في المطبوعة ، وأنا أكاد أقطع أنه خطأ وتحريف ، وفيه سقط ، ولكني لم أجد الخبر بإسناده ، فلذلك لم أغيره ، ووجدت نص الخبر بغير إسناد في الدر المنثور ٥ : ٥٢ ، عن صلاة الضحى ، لا صلاة الفجر ، وهو الصواب إن شاء الله قال :

(وأخرج ابن أبي شيبة ، والبيهقي في شعب الإيمان ، عن ابن عباس قال : إنَّ صلاة الضحى لفي القرآن ، وما يَغُوص عليها إلاَّ غوَّاصٌ ، في قوله : « في بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ »)

١٥٦٢٧ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « واذكر ربك فى نفسك تضرعاً وخيفة » ، إلى قوله : « بالغدو والآصال » ، أمر الله بذكره ، ونهى عن الغفلة . أما « بالغدو » ، فصلاة الصبح = « والآصال » ، بالعشى .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴾ (٢٠٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : لا تستكبر ، أيها المستمع المنصت للقرآن ، عن عبادة ربك ، واذكره إذا قرئ القرآن تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول ، فإن الذين عند ربك من ملائكته ، لا يستكبرون عن التواضع له والتخشع ، وذلك هو « العبادة »(٢) = « ويسبحونه » ، يقول : ويعظمون ربهم بتواضعهم له وعبادتهم(٣) = « وله يسجدون » ، يقول : ولله يصلون = وهو سجودهم = (٤) فصلوا أنتم أيضاً له وعظموه بالعبادة ، كما يفعله من عنده من ملائكته . ١١٤/٩

* * *

آخر سُورةِ الأَعرافِ (٥)

فهذا صواب العبارة ، ولكنى وضعت ما كان فى المخطوطة والمطبوعة بين قوسين ، لأنى لم أجد الخبر بإسناده . ووضعت مكان السقط نقطاً . ثم أتممت الآية إلى غايتها أيضاً .

(١) الأثر : ١٥٦٢٧ – كان فى المخطوطة والمطبوعة : « . . . حدثنا يزيد قال ، حدثنا سويد قال ، حدثنا سعيد . . . » ، زاد فى الإسناد « قال حدثنا سويد » ، وهو خطأ محض ، وإنما كرر الكتابة كتب « يزيد » ، ثم كتب « سويد » ، وزاد فى الإسناد . وهذا إسناد دائر فى التفسير ، آخره رقم : ١٥٥٩٨ .

(٢) انظر تفسير « العبادة » فيما سلف من فهارس اللغة (عبد) .

(٣) انظر تفسير « التسبيح » فيما سلف ١ : ٤٧٤ – ٦/٤٧٦ : ٣٩١ ، ومادة (سبح) فى فهارس اللغة .

(٤) انظر تفسير « السجود » فيما سلف من فهارس اللغة (سجد) .

(٥) عند هذا الموضع انتهى جزء من التقسيم القديم الذى نقلت عنه نسختنا ، وفيها ما نصه :

« والحمد لله ربّ العالمين ، وصلى الله على محمد وآله وسلم كثيرًا . الحمد لله رب العالمين »

تفسير

سُورَةِ الأَنْفَالْ

﴿ القول فى تفسير السورة التى يذكر فيها الأنفال ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ رَبِّ يَسِّر ﴾

القول فى تأويل قوله ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى معنى « الأنفال » التى ذكرها الله فى هذا الموضع .

فقال بعضهم : هى الغنائم ، وقالوا : معنى الكلام : يسألك أصحابك ، يا محمد ، عن الغنائم التى غنمتها أنت وأصحابك يوم بدر ، لمن هى ؟ فقل : هى لله ولرسوله .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٦٢٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا وكيع قال ، حدثنا سويد بن عمرو ، عن حماد بن زيد ، عن عكرمة ، « يسألونك عن الأنفال » ، قال : « الأنفال » ، الغنائم .

١٥٦٢٩ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله : « يسألونك عن الأنفال » ، قال : « الأنفال » ، الغنائم .

١٥٦٣٠ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن مجاهد قال : « الأنفال »، المغنم .

١٥٦٣١ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو خالد الأحمر، عن جويبر، عن الضحاك : « يسألونك عن الأنفال » ، قال : الغنائم .

١٥٦٣٢ - حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ يقول، حدثنا عبيد بن سليمان قال، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « الأنفال »، قال : يعنى الغنائم .

١٥٦٣٣ - حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنى معاوية، عن على بن أبى طلحة، عن ابن عباس قوله : « يسألونك عن الأنفال »، قال : « الأنفال » ، الغنائم .

١٥٦٣٤ - حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال، حدثنى عمى قال، حدثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس : « يسألونك عن الأنفال » ، « الأنفال » ، الغنائم .

١٥٦٣٥ - حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة فى قوله : « يسألونك عن الأنفال » ، قال : « الأنفال » ، الغنائم .

١٥٦٣٦ - حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد : « الأنفال » ، الغنائم .

١٥٦٣٧ - حدثنا أحمد بن إسحق، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا ابن المبارك، عن ابن جريج، عن عطاء : « يسألونك عن الأنفال » ، قال : الغنائم .

* * *

وقال آخرون : هى أنفال السرايا .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٦٣٨ - حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا على بن صالح بن حىّ قال : بلغنى فى قوله : « يسألونك عن الأنفال »، قال : السرايا .

* * *

وقال آخرون : « الأنفال » ، ما شذّ من المشركين إلى المسلمين ، من عَبْد أو دابة ، وما أشبه ذلك .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٦٣٩ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا جابر بن نوح ، عن عبد الملك ، عن عطاء في قوله : « يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول » ، قال : هو ما شذّ من المشركين إلى المسلمين بغير قتال ، دابّة أو عبدٌ أو متاعٌ ، ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم يصنع فيه ما شاء .

١٥٦٤٠ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن نمير ، عن عبد الملك ، عن عطاء : « يسألونك عن الأنفال » ، قال : هي ما شذّ من المشركين إلى المسلمين بغير قتال ، من عبد أو أمة أو متاع أو ثَقَل ،[1] فهو للنبي صلى الله عليه وسلم يصنع فيه ما شاء .

١٥٦٤١ – . . . . قال ، حدثنا عبد الأعلى ، عن معمر ، عن الزهري : أن ابن عباس سئل عن : « الأنفال » ، فقال : السَّلَب والفرس .

١٥٦٤٢ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ويقال « الأنفال » ، ما أخذ مما سقط من المتاع بعد ما تُقَسَّم الغنائم ، فهي نفلٌ لله ولرسوله .

١٥٦٤٣ – حدثني القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، أخبرني عثمان بن أبي سليمان ، عن محمد بن شهاب : أن رجلاً قال لابن عباس : ما « الأنفال » ؟ قال : الفرَس والدِّرع والرمحُ .[2]

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « أو نفل » ، والصواب ما أثبت . و « الثقل » (بفتحتين) ، متاع المسافر وحشمه .

(٢) الأثر : ١٥٦٤٣ – « عثمان بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم النوفلي » ، ثقة ، كان قاضياً على مكة . مترجم في التهذيب ، وابن سعد ٥ : ٣٥٧ ، وابن أبي حاتم ٣/١/١٥٢ ، وهذا الخبر ، رواه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الأموال ص ٣٠٤ رقم : ٧٥٧ مطولا .

١٥٦٤٤ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا عبد الوارث بن سعيد قال، قال ابن جريج، قال عطاء: « الأنفال »، الفرس الشاذّ والدرع والثوب.

١٥٦٤٥ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الزهري، عن ابن عباس قال: كان ينفّل الرجل سَلَب الرجل وفرسه.(١)

١١٥/٩ ١٥٦٤٦ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، أخبرني مالك بن أنس، عن ابن شهاب، عن القاسم بن محمد قال: سمعت رجلاً سأل ابن عباس عن « الأنفال »، فقال ابن عباس: الفرس من النَّفَل، والسلب من النفل. ثم عاد لمسألته، فقال ابن عباس ذلك أيضاً. ثم قال الرجل: « الأنفال »، التي قال الله في كتابه، ما هي؟ قال القاسم: فلم يزل يسأله حتى كاد يُحْرِجه، فقال ابن عباس: أتدرون ما مثل هذا، مَثَلُ صَبِيغ الذي ضربه عمر بن الخطاب رضي الله عنه؟(٢)

١٥٦٤٧ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن القاسم بن محمد قال، قال ابن عباس: كان عمر رضي الله عنه إذا سئل عن شيء قال: « لا آمرك ولا أنهاك ». ثم قال ابن عباس: والله ما بعث الله نبيه عليه السلام إلا زاجراً آمراً، محلِّلاً محرِّماً = قال القاسم: فسلِّط على ابن عباس رجل يسأله عن: « الأنفال »، فقال ابن عباس: كان الرجل ينفّل فرس الرجل وسلاحه. فأعاد عليه الرجل، فقال له مثل ذلك، ثم أعاد عليه حتى أغضبه، فقال ابن عباس: أتدرون ما مَثَل هذا، مثل صبيغ الذي ضربه عمر حتى سالت الدماء على عقبيه = أو: على رجليه؟ = فقال الرجل: أمّا أنت فقد انتقم الله لعمر منك!

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة: « فرس الرجل وسلبه »، ولكن في المخطوطة فوق « فرس » و « سلبه » حرف « م »، دلالة على التقديم والتأخير، ففعلت ذلك.

(٢) الأثر: ١٥٦٤٦ – رواه مالك في الموطأ ص: ٤٥٥، بلفظه هذا.

« صبيغ »، هو « صبيغ بن عسل بن سهل الحنظلي »، ترجم له ابن حجر في الإصابة،

١٥٦٤٧ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا ابن المبارك ، عن عبد الملك ، عن عطاء : « يسألونك عن الأنفال » ، قال : يسألونك فيما شذ من المشركين إلى المسلمين فى غير قتال ، من دابة أو[عبد] ،(١) فهو نفل للنبى صلى الله عليه وسلم .

* * *

وقال آخرون : « النفل » ، الخمس الذى جعله الله لأهل الخُمُس .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٦٤٨ – حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا عبد الوارث ابن سعيد ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « يسألونك عن الأنفال » ، قال : هو الخمس . قال المهاجرون : لِمَ يُرْفع عنا هذا الخمس ،(٢) لم يُخْرج منا ؟ فقال الله : هو لله والرسول .

١٥٦٤٩ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا عباد بن العوام ، عن الحجاج ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : أنهم سألوا النبى صلى الله عليه وسلم عن الخمس بعد الأربعة الأخماس ، فنزلت : « يسألونك عن الأنفال » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب فى معنى : « الأنفال » ، قولُ من قال : هى زيادات يزيدها الإمام بعض الجيش أو جميعهم ، إما من سَهْمه على حقوقهم من القسمة ،(٣) وإما مما وصل إليه بالنفل أو ببعض أسبابه ، ترغيباً

فى القسم الثالث ، وكان صبيغ وفد على عمر المدينة ، وجعل يسأل عن متشابه القرآن ، فضربه عمر حتى دمى رأسه ، فقال : حسبك يا أمير المؤمنين ، قد ذهب الذى كنت أجده فى رأسى ! ونفاه عمر إلى البصرة، وكتب إليهم أن لا يجالسوه، فلم يزل صبيغ وضيعاً فى قومه ، بعد أن كان سيداً فيهم .

(١) ما بين القوسين ، فى المطبوعة وحدها ، مكانه فى المخطوطة بياض .

(٢) فى المخطوطة : « لم يرفع هنا » ، والصواب ما فى المطبوعة .

(٣) فى المطبوعة : « إما من سلبه على حقوقهم » ، وفى المخطوطة : « إما سلمه على حقوقهم » ، وصواب قراءة المخطوطة ما أثبت ، والذى فى المطبوعة لا معنى له .

له ، وتحريضاً لمن معه من جيشه على ما فيه صلاحهم وصلاح المسلمين ، أو صلاح أحد الفريقين . وقد يدخل فى ذلك ما قال ابن عباس من أنه الفرس والدرع ونحو ذلك ، ويدخل فيه ما قاله عطاء من أن ذلك ما عاد من المشركين إلى المسلمين من عبد أو فرس ، لأن ذلك أمره إلى الأمام ، إذا لم يكن ما وصلوا إليه بغلبة وقهر ،[1] يفعل ما فيه صلاح أهل الإسلام ، وقد يدخل فيه ما غلب عليه الجيش بقهر .

* * *

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصواب ، لأن «النفل» فى كلام العرب ، إنما هو الزيادة على الشىء ، يقال منه : « نفّلتك كذا » و« أنفلتك » ، إذا زدتك .

و « الأنفال » ، جمع « نَفَل » ، ومنه قول لبيد بن ربيعة :

إنَّ تقْوَى رَبِّنا خَيْرُ نَفَلْ وَبِإذْنِ اللهِ رَيْثِى وَعَجَلْ[2]

فإذ كان معناه ما ذكرنا ، فكل مَن زِيد من مقاتلة الجيش على سهمه من الغنيمة = إن كان ذلك لبلاء أبلاه ، أو لغَنَاء كان منه عن المسلمين = بتنفيل الوالى ذلك إيّاه ، فيصير حكم ذلك له كالسلب الذى يسلبه القاتل ، فهو منفل ما زيد من ذلك، لأن الزيادة نَفَلٌ ، [والنَّفَل] ، وإن كان مستوجِبَهُ فى بعض الأحوال لحق ، ليس هو من الغنيمة التى تقع فيها القسمة .[3] وكذلك كل ما رُضِخ لمن لا سهم له فى الغنيمة ، فهو « نفل »،[4] لأنه وإن كان مغلوباً عليه، فليس مما وقعت عليه القسمة .

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « لغلبة » ، وصواب قراءتها « بغلبة » .

(٢) ديوانه ٢ : ١١ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٤٠ ، اللسان (نفل) ، وغيرها كثير ، فاتحة قصيدة له طويلة .

(٣) كانت هذه الجملة فى المطبوعة هكذا : « لأن الزيادة وإن كانت مستوجبة فى بعض الأحوال بحق ، فليست من الغنيمة التى تقع فيها القسمة » ، غير ما كان فى المخطوطة كل التغيير ، والجملة فى المخطوطة كما أثبتها ، إلا أن صدرها كان هكذا : « لأن الزيادة انفعل وإن كان مستوجبه» ، غير منقوطة ، سيئة الكتابة ، وظاهر أن صوابها ما أثبت ، مع زيادة ما زدت بين القوسين .

(٤) « رضخ له من المال » ، أعطاه عطية مقاربة ، أى قليلة .

فالفصل = إذا كان الأمر على ما وصفنا = بين « الغنيمة » و « النفل » ، أن « الغنيمة » ، هي ما أفاء الله على المسلمين من أموال المشركين بغلبة وقهر ، نفّل منه منفِّل أو لم ينفل ، و « النفل » هو ما أعطيه المرء على البلاء والغَنَاء عن الجيش على غير قسمة . (١)

* * *

وإذْ كان ذلك معنى « النفل » ، فتأويل الكلام : يسألك أصحابك ، يا محمد ، عن الفضل من المال الذي تقع فيه القسمة من غنيمة كفار قريش الذين قتلوا ببدر ، لمن هو ؟ قل لهم يا محمد : هو لله ولرسوله دونكم ، يجعله حيث شاء .

* * *

واختلف في السبب الذي من أجله نزلت هذه الآية . ١١٦/٩

فقال بعضهم : نزلت في غنائم بدر ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان نفّل أقواماً على بلاء ، فأبلى أقوام ، وتخلف آخرون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاختلفوا فيها بعد انقضاء الحرب ، فأنزل الله هذه الآية على رسوله ، يعلمهم أن ما فعل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فماضٍ جائزٌ .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٦٥٠ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا معتمر بن سليمان قال ، سمعت داود بن أبي هند يحدث ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : « من أتى مكان كذا وكذا ، فله كذا وكذا ، أو فعل كذا وكذا ، فله كذا وكذا » ، فتسارع إليه الشبان ، وبقي الشيوخ عند الرايات ، فلما فتح الله عليهم جاءوا يطلبون ما جعل لهم النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال لهم الأشياخ : لا تذهبوا به دوننا ! فأنزل الله عليه الآية ، « فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم » . (٢)

---

(١) في المطبوعة : « هو ما أعطيه الرجل » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٥٦٥٠ — خبر ابن عباس هذا ، يرويه أبو جعفر من أربعة طرق ، من

١٥٦٥١ – حدثنا المثنى قال، حدثنا عبد الأعلى = وحدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبد الأعلى = قال، حدثنا داود، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما كان يوم بدر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صنع كذا وكذا، فله كذا وكذا»، قال: فتسارع فى ذلك شبان الرجال، وبقيت الشيوخ تحت الرايات. فلما كان الغنائم،(١) جاءوا يطلبون الذى جعُل لهم، فقالت الشيوخ: لا تستأثروا علينا، فإنا كنا رِدْءًا لكم،(٢) وكنا تحت الرايات، ولو انكشفتم انكشفتم إلينا! (٣) فتنازعوا، فأنزل الله: «يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين». (٤)

١٥٦٥٢ – حدثنى إسحق بن شاهين قال، حدثنا خالد بن عبد الله، عن داود، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من فعل كذا فله كذا وكذا من النفل». قال فتقدم الفتيان، ولزم المشيخةُ الراياتِ، فلم يبرحوا. فلما فُتح عليهم، قالت المشيخة: كنا ردءًا لكم، فلو انهزمتم انحزتم إلينا،(٥) لا تذهبوا بالمغنم دوننا! فأبى الفتيان وقالوا: جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا! فأنزل الله: «يسألونك عن الأنفال قل الأنفال

رقم ١٥٦٥٠ – ١٥٦٥٣، إلا آخرها فهو غير مرفوع إلى ابن عباس. وهو خبر صحيح الإسناد.

فمن هذه الطريق الأولى «معتمر بن سليمان عن داود، . . .»، رواه الحاكم فى المستدرك ٢: ٣٢٦، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه» ووافقه الذهبى، والبيهقى فى السنن الكبرى ٦: ٣١٥، وفيهما زيادة بعد «لا تذهبوا به دوننا»: «فقد كنا ردءاً لكم».

وخرجه ابن كثير فى تفسيره ٤: ٦، والسيوطى فى الدر المنثور ٣: ١٥٩.

(١) فى المطبوعة: «فلما كانت الغنائم»، وأثبت ما فى المخطوطة.

(٢) «الردء»، العون، ينصر المرء ويشد ظهره، وهو له قوة وعماد.

(٣) «انكشف القوم»، انهزموا. وقوله: «انكشفتم إلينا»، أى رجعتم بعد الهزيمة إلينا، وكان فى المطبوعة: «لفئتم إلينا»، بمعنى رجعتم، ولكنى أثبت ما فى المخطوطة.

(٤) الأثر: ١٥٦٥١ – هذه هى الطريق الثانية لخبر ابن عباس السالف.

«عبد الأعلى» هو «عبد الأعلى بن عبد الأعلى القرشى السامى»، ثقة، أخرج له الجماعة. مضى برقم: ٤٧٥١، ٨٢٨٢.

(٥) «انحاز إليه»، انضم إليه.

لله والرسول » . قال : فكان ذلك خيراً لهم ، وكذلك أيضاً أطيعونى فإنى أعلم .(١)

١٥٦٥٣ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا داود ، عن عكرمة فى هذه الآية : « يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول »، قال : لما كان يوم بدر ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من صنع كذا فله من النفل كذا » ! فخرج شبان الرجال ، فجعلوا يصنعونه ، فلما كان عند القسمة قال الشيوخ : نحن أصحاب الرايات ، وقد كنا رِدْءًا لكم ! فأنزل الله فى ذلك : « قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين » .(٢)

١٥٦٥٤ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا يعقوب الزهرى قال ، حدثنى المغيرة بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن سليمان بن موسى ، عن مكحول مولى هذيل ، عن أبى سلام ، عن أبى أمامة الباهلى ، عن عبادة بن الصامت قال : أنزل الله حين اختلف القوم فى الغنائم يوم بدر : « يسألونك عن الأنفال » إلى قوله : « إن كنتم مؤمنين » ، فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم ، عن بَوَاء .(٣)

---

(١) الأثر : ١٥٦٥٢ – « إسحق بن شاهين الواسطى » ، شيخ الطبرى ، مضى مراراً آخرها رقم : ١١٥٠٤ .

و « خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن الواسطى الطحان » ، مضى مراراً آخرها رقم : ١١٥٠٤ .

وهذا الخبر بهذا الإسناد رواه أبو داود فى سننه ٣ : ١٠٢ رقم : ٢٧٣٧ مع خلاف يسير فى لفظه . وآخره هناك : « فكذلك أيضاً فأطيعونى ، فإنى أعلم بعاقبة هذا منكم » . ورواه البيهقى فى السنن ٦ : ٢٩١ ، ٢٩٢ .

ورواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ١٣١ ، ١٣٢ وقال : « هذا حديث صحيح ، فقد احتج البخارى بعكرمة ، وقد احتج مسلم بداود بن أبى هند ، ولم يخرجاه » ، وقال الذهبى : « صحيح ، قلت هو على شرط البخارى » ، والزيادة فيهما كما فى سنن أبى داود .

وخرجه ابن كثير فى تفسيره ٤ : ٦ . وزاد نسبته إلى النسائى ، وابن مردويه (واللفظ هناك له) ، وابن حبان .

(٢) الأثر : ١٥٦٥٣ – انظر التعليق على الآثار السالفة .

(٣) الأثر : ١٥٦٥٤ – خبر عبادة بن الصامت ، مروى هنا من طريقين ، هذه أولاهما .

١٥٦٥٥ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن محمد قال ، حدثني عبد الرحمن بن الحارث وغيره من أصحابنا ، عن سليمان بن موسى الأشدق ، عن مكحول، عن أبي أمامة الباهلي قال : سألت عبادة بن الصامت عن «الأنفال»، فقال : فينا معشرَ أصحاب بدر نزلت ، حين اختلفنا في النَّفَل وساءت فيه أخلاقنا،

« إسحق » ، هو « إسحق بن الحجاج الطاحوني » ، مضى برقم : ٢٣٠ ، ١٦١٤ ، ١٠٣١٤ .

و « يعقوب الزهري » ، هو « يعقوب بن محمد بن عيسى الزهري » ، مختلف فيه، وهو ثقة إن شاء الله ، مضى برقم : ٢٨٦٧ ، ٨٠١٢ . كان في المطبوعة هنا « الزبيري » ، وهو في المخطوطة غير منقوط ، وأقرب قراءته ما أثبت ، وهو الصواب بلا ريب ، فإن يعقوب بن محمد الزهري ، هو الذي يروي عن المغيرة .

و « المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي » ، مختلف فيه ، ذكره ابن حبان في الثقات ، ووثقه ابن معين ، مترجم في التهذيب ، والكبير ٣٢١/١/٤ ، ابن أبي حاتم ٢٢٥/١/٤ ، لم يذكرا فيه جرحاً .

وأبوه : « عبد الرحمن بن الحارث بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي » ، ثقة ، مترجم في التهذيب ، ابن أبي حاتم ٢٢٤/٢/٢ . روى عنه ابن إسحق في سيرته في مواضع . انظر ١ : ٣٦٧ .

و « سليمان بن موسى الأموي » الأشدق ، أبو هشام . ثقة ، مضى برقم : ١١٣٨٢ .

و « مكحول ، مولى هذيل » ، هو « مكحول الشامي ، أبو عبد الله » ، الفقيه التابعي ، وكان من سبي كابل ، وكانت في لسانه لكنة ، جاء في حديثه : « ما فعلت في تلك الهاجة » ، يريد « الحاجة » ، قلب الحاء هاء . مترجم في التهذيب ، وابن سعد ١٦٠/٢/٧ ، والكبير ٢١/٢/٤ ، وابن أبي حاتم ٤٠٧/٢/٤ .

و « أبو سلام » ، هو الأسود الحبشي الأعرج ، واسمه « ممطور » ، في الطبقة الأولى من تابعي أهل الشام . مترجم في التهذيب ، والكبير ٥٧/٢/٤ ، وابن أبي حاتم ٤٣١/١/٤ .

و « أبو أمامة الباهلي » واسمه : « صدي بن عجلان » صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروى عن رسول الله ، وعن جماعة من الصحابة .

وهذا الخبر ، رواه مكحول مرة من طريق أبي سلام عن أبي أمامة ، ورواه في الذي يليه عن أبي أمامة بلا واسطة .

فمن هذه الطريق الأولى رواه أحمد في المسند ٥ : ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، مطولا ، وبغير هذا اللفظ من طريق معاوية بن عمرو ، عن أبي إسحق ، عن عبد الرحمن بن عياش بن أبي ربيعة عن سليمان ابن موسى ، عن أبي سلام ، عن أبي أمامة ، لا ذكر فيها لمكحول . ورواه البيهقي في السنن الكبرى ٦ : ٢٩٢ ، من طريق عبد الرحمن بن الحارث ، عن سليمان الأشدق ، عن مكحول ، عن أبي سلام ، عن أبي أمامة ، مطولا ، كرواية أحمد . ورواه الحاكم في المستدرك ٢ : ١٣٥ ، بمثله.

وقوله «عن بواء» ، كان في المطبوعة «عن بسواء» ، هنا ، وفي الخبر التالي ، وهو خطأ محض، وسيأتي تفسيره في سياق الخبر التالي .

فنزعه الله من أيدينا ، فجعله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين عن بَوَاء = يقول : على السواء = فكان فى ذلك تقوى الله ، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وصلاحُ ذاتِ البين .(١)

* * *

وقال آخرون : بل إنما أنزلت هذه الآية ، (٢) لأن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله من المغنم شيئاً قبل قسمتها ، فلم يعطه إياه ، إذ كان شِرْكاً بين الجيش ، فجعل الله جميعَ ذلك لرسوله صلى الله عليه وسلم .(٣)

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) الأثر : ١٥٦٥٥ - « سليمان بن موسى الأشدق » ، مر فى التعليق السالف . وكان فى المطبوعة « الأسدى » ، لم يحسن قراءة المخطوطة لأنها غير منقوطة .

وهذا الخبر من رواية « محمد بن إسحق » ، مذكور فى سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، بإسناده هذا ، ثم فى ٢ : ٣٢٢ ، بغير إسناد .

ورواه الطبرى بإسناده هذا فى التاريخ ٢ : ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

ورواه أحمد فى مسنده ٥ : ٣٢٢ ، من طريقين ، عن محمد بن إسحق .

ورواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ١٣٦ ، بالإحالة على لفظه الذى قبله .

ثم رواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٣٢٦ ، من طريق وهب بن جرير بن حازم ، عن محمد ابن إسحق ، يقول حدثنى الحارث بن عبد الرحمن ، عن مكحول ، عن أبى أمامة ، وقال : « صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه » ، وقال الذهبى : على شرط مسلم . ولا أدرى كيف هذا ، فإن الثابت فى سيرة ابن إسحق ، من رواية ابن هشام أنه من روايته عن « عبد الرحمن بن الحارث » ، لا عن « الحارث بن عبد الرحمن » ، وهو خطأ . هذا فضلا عن أنه مروى بغير هذا اللفظ فى سيرة ابن هشام ، وفى سائر من رواه عن ابن إسحق ، إلا يونس بن بكير .

فإن البيهقى فى السنن الكبرى ٦ : ٢٩٢ رواه من طريق يونس بن بكير ، عن ابن إسحق ، عن « عبد الرحمن بن الحارث » ، بنحو لفظ الحاكم فى المستدرك ثم قال : « ورواه جرير بن حازم ، عن محمد بن إسحق ، مع تقصير فى إسناده » . و « جرير بن حازم » الذى روى الحاكم الخبر من طريقه ، ثقة ثبت حافظ ، روى له الجماعة . ولكن قال ابن حبان وغيره : « كان يخطىء ، لأن أكثر ما كان يحدث من حفظه » ، فكأن هذا مما أوجب الحكم عليه بأنه يقصر أحياناً ويخطىء ، والصواب المحض ، هو ما أجمعت عليه الرواية عن ابن إسحق « عبد الرحمن بن الحارث » .

وذكره بلفظه هنا ، الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧ : ٢٦ ، هو والخبر الذى قبله ، من الطريق المطولة ، ثم قال : « ورجال الطريقين ثقات » .

وخرجه ابن كثير فى تفسيره ٦ : ٥ ، والسيوطى فى الدر المنثور ٣ : ١٥٩ .

(٢) فى المطبوعة ، حذف «بل» من صدر الكلام .

(٣) فى المطبوعة : « لرسول الله » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

١٥٦٥٦ – حدثني إسمعيل بن موسى السدى قال، حدثنا أبو الأحوص ، عن عاصم ، عن مصعب بن سعد ، عن سعد قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر بسيف فقلت : يا رسول الله ، هذا السيف قد شفَى الله به من المشركين ! فسألته إياه ، فقال : ليس هذا لى ولا لك ! قال : فلما ولَّيت قلت : أخاف أن يعطيه من لم يُبْلِ بلائى! فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفى، قال فقلت : أخاف أن يكون نزل فىَّ شىء ! قال : إن السيف قد صارَ لى ! قال : فأعطانيه ، ونزلت : « يسألونك عن الأنفال » .(١) ٩/١١٧

١٥٦٥٧ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو بكر قال ، حدثنا عاصم ، عن مصعب بن سعد ، عن سعد بن مالك قال : لما كان يوم بدر جئت بسيفٍ . قال : فقلت : يا رسول الله ، إن الله قد شفى صَدرِى من المشركين = أو نحو هذا = فهبْ لى هذا السيف ! فقال لى : هذا ليس لى ولا لك ! فرجعت فقلت : عسى أن يعطى هذا من لم يُبْلِ بلائى! فجاءنى الرسول، فقلت : حدث فِىَّ حدثٌ ! فلما انتهيت قال : يا سعد ، إنك سألتنى السيف وليس لى ، وإنه قد صار لى ، فهو لك ! ونزلت : « يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول » .(٢)

---

(١) الأثر : ١٥٦٥٦ – خبر « صعا بن مالك » ، وهو « سعد بن أبى وقاص » ، رواه أبو جعفر من سبع طرق ، بألفاظ مختلفة ، إلا رقم : ١٥٦٥٩ ، فهو منقطع الإسناد . وهى من رقم ١٥٦٥٦ – ١٥٦٥٩ ثم من ١٥٦٦٢ – ١٥٦٦٤ .

رواه من طريق عاصم ، عن مصعب بن سعد برقم ١٥٦٥٦ ، ١٥٦٥٧ .

ومن طرق سماك بن حرب ، عن مصعب بن سعد برقم ١٥٦٥٨ ، ١٥٦٦٢ ، ١٥٦٦٣ .

ومن طريق محمد بن عبيد الله ، أبى عون الثقفى ، عن مصعب بن سعد رقم : ١٥٦٥٩ ، منقطعاً .

ومن طريق مجاهد ، عن سعد بن أبى وقاص : ١٥٦٦٤ .

وهذا تفسير إسناد الخبر الأول :

« إسماعيل بن موسى السدى الفزارى » ، شيخ الطبرى ، مضى برقم : ٨٤٩ ، ٩٦٨٢ .

و « أبو الأحوص » ، هو « سلام بن سليم الحنفى » ، الثقة الحافظ ، مضى مراراً كثيرة .

و « عاصم » ، هو « عاصم بن أبى النجود » ، مضى مراراً .

و « مصعب بن سعد بن أبى وقاص الزهرى » ، تابعى ثقة ، مضى برقم : ٨٩٤١ ، ١١٤٥٠ .

وهو إسناد صحيح ، ولم أجده فى موضع آخر من طريق أبى الأحوص عن مصعب .

(٢) الأثر : ١٥٦٥٧ – إسناد صحيح . ورواه من هذه الطريق أحمد فى المسند رقم :

١٥٦٥٨ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن سماك ابن حرب ، عن مصعب بن سعد ، عن أبيه قال : أصبت سيفاً يوم بدر فأعجبني ، فقلت : يا رسول الله ، هبه لي ! فأنزل الله : « يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول » .(١)

١٥٦٥٩ – حدثنا ابن المثنى وابن وكيع = قال ابن المثنى : حدثني أبو معاوية = وقال ابن وكيع : حدثنا أبو معاوية = قال ، حدثنا الشيباني ، عن محمد بن عبيد الله ، عن سعد بن أبي وقاص قال : فلما كان يوم بدر ،(٢) قتل أخي عُمَيْر ، وقتلت سعيد بن العاص وأخذت سيفه ، وكان يسمى « ذا الكتيفة » ،(٣) فجئت به إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : اذهب فاطرحه في القَبَض !(٤) فطرحته ورجعتُ ، وبي ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي ، وأخذ سَلَبي ! قال : فما جاوزت إلا قريباً ، حتى نزلت عليه « سورة الأنفال » ، فقال : اذهب فخذ سيفك ! = ولفظ الحديث لابن المثنى .(٥)

١٥٣٨ ، بنحوه ، مطولا .

ورواه أبو داود في سننه ٣ : ١٠٣ رقم ٢٧٤٠ ، بنحوه مطولا .

ورواه الحاكم في المستدرك ٢ : ١٣٢ ، بنحوه مطولا ، وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبي .

ورواه البيهقي في السنن ٦ : ٢٩١ ، وخرجه ابن كثير في تفسيره ٤ : ٤ ، وقال : « رواه أبو داود » والترمذي ، والنسائي من طرق ، عن أبي بكر بن عياش ، وقال الترمذي : حسن صحيح » .

(١) الأثر : ١٥٦٥٨ – هو مختصر الحديث رقم : ١٥٦٦٢ ، وهو إسناد صحيح ، وسأخرجه هناك .

---

(٢) في المطبوعة : « لما كان » ، حذف الفاء ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٣) « ذو الكتيفة » على وزن « عظيمة » ، و « الكتيفة » : حديدة عريضة طويلة ، وربما كانت كأنها صحيفة ، وربما سموا السيف « كتيفاً » .

(٤) « القبض » (بفتحتين) قال أبو عبيد القاسم بن سلام : « القبض ، الذي تجمع عنده الغنائم » . وقال غيره : بمعنى المقبوض ، وهو ما جمع من الغنيمة قبل أن تقسم .

(٥) الأثر : ١٥٦٥٩ – « أبو معاوية » ، هو الضرير ، « محمد بن خازم التميمي السعدي » ثقة ، من شيوخ أحمد ، روى له الجماعة .

١٥٦٦٠ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يونس بن بكير = وحدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة جميعًا ، عن محمد بن إسحق قال ، حدثني عبد الله ابن أبي بكر ، عن بعض بني ساعدة قال : سمعت أبا أسَيْد مالك بن ربيعة يقول : أصبت سيف بني عائذ يوم بدر ، وكان السيف يدعى « المرْزُبان » ، فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يردُّوا ما في أيديهم من النفل ، أقبلت به فألقيته في النفل ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنع شيئاً يُسْأله ، فرآه الأرقم ابن أبي الأرقم المخزومي، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاه إياه .(١)

وكان في المطبوعة هنا : « قال ابن المثنى حدثني معاوية » ، حذف « أبو » ، كأنه ظن أن ابن المثنى قال : « معاوية » ، وأن ابن وكيع قال « أبو معاوية » ، وأن هذا هو وجه الاختلاف ! والصواب أن الاختلاف في أن ابن المثنى قال : « حدثني » ، وأن ابن وكيع قال : « حدثنا » . فهذا مبلغ الإساءة في التصرف ! !

و « الشيباني » ، هو « أبو إسحق الشيباني » : « سليمان بن أبي سليمان » الثقة الحجة ، مضى مراراً كثيرة .

و « محمد بن عبيد الله بن سعيد الثقفي » ، « أبو عون الثقفي » ، تابعي ثقة ولكنه لم يدرك سعد ابن أبي وقاص ، وروايته عن سعد مرسلة . (انظر شرح الإسناد في مسند أحمد) . مضى برقم : ٧٥٩٥ ، ١٣٩٦٥ .

وهذا الخبر ضعيف الإسناد ، لانقطاعه .

رواه أحمد في مسنده برقم : ١٥٥٦ ، ورواه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الأموال : ٣٠٣ ، بمثله . وقال في خلال الخبر « . . . قتلت سعيد بن العاص = وقال غيره : العاص بن سعيد . قال أبو عبيد : هذا عندنا هو المحفوظ » . ثم قال تعقيباً عليه : « قال أبو عبيد : وقال أهل العلم بالمغازي : قاتل العاص ، علي بن أبي طالب » . والذي قاله أبو عبيد هو الصواب .

فالذي جاء في الخبر هنا « سعيد بن العاص » ، وهم ، فإن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص ابن أمية الأموي ، متأخر ، قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وله تسع سنين ، وهو لم يشرك قط . وقتل أبوه « العاص بن سعيد » يوم بدر كافراً ، أما جده « سعيد بن العاص بن أمية » ، فمات قبل بدر مشركاً . ويكون الصواب كما قال ابن حجر في الإصابة في ترجمة « عمير بن أبي وقاص » : « العاص بن سعيد بن العاص » ، ويكون الاختلاف إذن في الذي قتله : أهو علي بن أبي طالب ، أم سعد بن أبي وقاص ؟ وإن كنت لم أجد هذا الاختلاف . وهذا موضع يحتاج إلى فضل تحقيق . وانظر التعليق على رقم : ١٥٦٦٤ .

هذا ، وقد رأيت بعد في الروض الأنف ٢ : ٧٦ ، هذا الخبر عن أبي عبيد وفيه « العاصي ابن سعيد بن العاصي » في صلب الخبر ، ورأيت ذكر هذا الاختلاف في الروض الأنف ٢ : ١٠٢ ، ١٠٣

(١) الأثر : ١٥٦٦٠ – « عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري » ،

١٥٦٦١ – حدثني يحيى بن جعفر قال، حدثنا أحمد بن أبي بكر ، عن يحيى بن عمران ، عن جده عثمان بن الأرقم = وعن عمه ، عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر : ردُّوا ما كان من الأنفال ! فوضع أبو أسيد الساعديّ سيف ابن عائذ ، « المرزبان »، فعرفه الأرقم فقال : هبه لي، يا رسول الله ! قال : فأعطاه إياه .(١)

ثقة روى له الجماعة ، مضى برقم : ٤٨٠٨ .

وأما قوله : « بعض بني ساعدة » ، فقد جعلها في المطبوعة « قيس بن ساعدة »، لا أدري لم غير ما في المخطوطة .

وأما « أبو أسيد مالك بن ربيعة الأنصاري » ، من بني ساعدة بن كعب بن الخزرج ، فهو الصحابي المشهور ، فجعله في المطبوعة : « أبا أسيد بن مالك بن ربيعة » ، زاد « بن » بلا مراجعة .

وأما « سيف بني عائذ » فجعلها « سيف ابن عائذ » ، كما في الخبر التالي، وهي في المخطوطة سيئة الكتابة . والصواب من سيرة ابن هشام ، وفيها : « سيف بني عائذ المخزوميين » . و « عائذ » في المخطوطة غير منقوطة ، وفي المطبوعة : « عائد » بالدال المهملة . والصواب ما في سيرة ابن هشام . وفي بني مخزوم : « بنو عائذ بن عمران بن مخزوم » (بالذال المعجمة) رهط آل المسيب ، وفي بني مخزوم أيضاً : « بنو عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم » (بالباء والدال المهملة) ، وهم رهط آل السائب . انظر الروض الأنف ٢ : ٧٦ ، ونسب قريش ٣٣٣ ثم : ٣٤٣ ، ولم أجد ما أرجح به أحدهما على الآخر .

وهذا الخبر رواه ابن إسحق في سيرته ، ابن هشام ٢ : ٢٩٦، بلفظه ، وانظر التعليق على الخبر التالي .

(١) الأثر : ١٥٦٦١ – هذا مختصر الأثر السالف من طريق أخرى .

« يحيى بن جعفر » ، هو « يحيى بن أبي طالب » ، « يحيى بن جعفر بن الزبير قال » ، شيخ الطبري . محدث مشهور ثقة . مضى برقم : ٢٨٤ .

و « أحمد بن أبي بكر » هو « أحمد بن القاسم بن الحارث بن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن ابن عوف الزهري » ، كنيته « أبو مصعب الزهري»، ثقة، روى له الجماعة . مترجم في التهذيب ، والكبير ٦/٢/١ ، وابن أبي حاتم ٤٣/١/١ .

و « يحيى بن عمران بن عثمان بن الأرقم بن الأرقم المخزومي » ، روى عن أبيه ، وعمه « عبد الله ابن عثمان » . روى عنه عطاف بن خالد ، وأبو مصعب الزهري « أحمد بن أبي بكر » ، وغيرهما . ذكره ابن حبان في الثقات . مترجم في تعجيل المنفعة : ٤٤٦ ، والكبير ٢٩٧/٢/٤ ، ولم يذكر فيه جرحاً ، وابن أبي حاتم ١٧٧/٢/٤ ، ١٧٨ ، وقال ابن أبي حاتم: « سألت أبي عنه فقال : شيخ مدني مجهول » .

وأما قوله « وعن عمه ، عن جده » ، فكان في المطبوعة والمخطوطة « عن عمه ، عن جده » بغير واو العطف ، وهو لا يستقيم ، بل هو خطأ محض بل الصواب أن « يحيى بن عمران » ،

١٥٦٦٢ حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة، عن سماك بن حرب، عن مصعب بن سعد، عن أبيه قال: أصبت سيفاً = قال: فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، نفلّنيه! فقال: ضعه! ثم قام فقال: يا رسول الله، نفلنيه! قال: ضعه! قال: ثم قام فقال: يا رسول الله، نفلنيه! أجعل كمن لا غَنَاء له؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ضعه من حيث أخذته! فنزلت هذه الآية: «يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول».(١)

١٥٦٦٣ حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا إسرائيل، عن سماك، عن مصعب بن سعد، عن سعد قال: أخذت سيفاً من المغنم فقلت: يا رسول الله، هب لى هذا! فنزلت: «يسألونك عن الأنفال».(٢)

١٥٦٦٤ - حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا إسرائيل، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد فى قوله: «يسألونك عن الأنفال»، قال: قال سعد: كنت أخذت سيفَ سعيد بن العاص بن أمية، فأتيت رسول الله

رواه عن جده مباشرة، ورواه مرة أخرى عن عمه «عبد الله بن عثمان»، عن جده أيضاً.

و «عبد الله بن عثمان بن الأرقم بن الأرقم المخزومى»، مترجم فى تعجيل المنفعة ٢٢٨، وابن أبى حاتم ١١٣/٢/٢، ولم يذكروا فيه جرحاً.

وهذا الخبر، مختصر الذى قبله، ولم أجده فى مكان آخر.

(١) الأثر: ١٥٦٦٢ - طريق أخرى لخبر سعد بن أبى وقاص، كما بينه فى رقم: ١٥٦٥٦.

وهو خبر صحيح الإسناد، من طريق سماك بن حرب، عن مصعب بن سعد.

وبهذا الإسناد رواه أحمد فى المسند رقم: ١٥٦٧، ١٦١٤ فى خبر طويل، مضى بعضه فى شأن تحريم الخمر رقم: ١٢٥١٨، من تفسير الطبرى. ورواه أبو داود الطيالسى فى مسنده ص: ٢٨ رقم: ٢٠٨. ورواه مسلم فى صحيحه ١٢: ٥٣، ٥٤، ورواه البيهقى فى السنن الكبرى ٦: ٢٩١، وخرجه ابن كثير فى تفسيره ٤: ٥ ورواه أبو جعفر النحاس فى الناسخ والمنسوخ ١٥٠، من طريق زهير بن معاوية عن سماك بن حرب، بغير هذا اللفظ

(٢) الأثر: ١٥٦٦٣ مختصر الذى قبله

صلى الله عليه وسلم ، فقلت : أعطني هذا السيف يا رسول الله ! فسكت ، فنزلت : « يسألونك عن الأنفال » ، إلى قوله : « إن كنتم مؤمنين » ، قال : فأعطانيه رسول الله صلى الله عليه وسلم .(١)

* * *

وقال آخرون : بل نزلت : لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوا قسمة الغنيمة بينهم يوم بدر ، فأعلمهم الله أنّ ذلك لله ولرسوله دونهم ، ليس لهم فيه شيء . وقالوا : معنى « عن » في هذا الموضع « من » ،(٢) وإنما معنى الكلام : يسألونك من الأنفال . وقالوا : قد كان ابن مسعود يقرأه : ﴿ يَسْأَلُونَكَ الأَنْفَالَ ﴾ ، ١١٨/٩ على هذا التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) الأثر : ١٥٦٦٤ - « إسرائيل » ، هو « إسرائيل بن يونس بن أبي إسحق السبيعي » مضى مراراً كثيرة .

و « إبراهيم بن المهاجر بن جابر البجلي » ، ثقة ، متكلم فيه ، مضى برقم : ١٢٩١ في نحو هذا الإسناد .

و « مجاهد » هو « مجاهد بن جبر المكي المخزومي » ، الإمام الثقة ، روى عن سعد بن أبي وقاص وغيره الصحابة .

فهذا خبر صحيح الإسناد من إسرائيل ، إلى مجاهد .

أما « الحارث » ، فهو « الحارث بن أبي أسامه » ، وهو ثقة ، مضى برقم : ١٠٢٩٥ ، وغيره .

وأما « عبد العزيز » ، فهو « عبد العزيز بن أبان الأموي » ، من ولد « سعيد بن العاص ابن أمية » ، وهو كذاب خبيث يضع الأحاديث . مضى برقم : ١٠٢٩٥ ، وغيره ، راجع فهارس الرجال .

فمن هذا ضعف إسناده ، حتى أجد له رواية عن غير هذا الكذاب ، كما قاله أهل الجرح والتعديل .

هذا ، وقد جاء في هذا الخبر ذكر « سعيد بن العاص بن أمية » ، مبيناً ، وكنت قلت في التعليق على رقم : ١٥٦٥٩ أن « سعيد بن العاص بن أميه » مات مشركاً قبل يوم بدر ، فلذلك لم يصح عندنا قوله في ذلك الخبر « قتلت سعيد بن العاص » . أما في هذا الخبر ، فإنه مستقيم ، لأنه قال : « أخذت سيف سعيد بن العاص » ، فسيفه بلا ريب كان مشهوراً معروفاً عن سعد بن أبي وقاص ، وكان عند ولده المقتول ببدر « العاص بن سعيد بن العاص » ، وظاهر أنه كان معه يقاتل به يوم بدر فقتل وهو معه ، فأخذه سعد بن أبي وقاص . ومع ذلك يظل أمر الاختلاف في قتل « العاص ابن سعيد بن العاص » قائماً كما هو ، أقتله علي بن أبي طالب ، كما قال أصحاب السير والمغازي ، أم قتله سعد بن أبي وقاص ، كما دل عليه الخبر الصحيح عنه . راجع التعليق على رقم : ١٥٦٥٩ . وانظر الروض الأنف ٢ : ١٠٢ ، ١٠٣ وذكر هذا الاختلاف .

(٢) انظر « عن » بمعنى « من » فيما سلف ١ : ٤٤٦ ، تعليق : ٦ .

١٥٦٦٥ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا مؤمل قال، حدثنا سفيان ، عن الأعمش قال : كان أصحاب عبد الله يقرأونها : ﴿ يَسْأَلُونَكَ الْأَنْفَالَ ﴾ .

١٥٦٦٦ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : هي في قراءة ابن مسعود : ﴿ يَسْأَلُونَكَ الأَنْفَالَ ﴾ .

* * *

* ذكر من قال ذلك :

١٥٦٦٧ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال، حدثني معاوية ، عن علي، عن ابن عباس قوله : « يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول » ، قال : « الأنفال » ، المغانم ، كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة ، ليس لأحد منها شيء ، ما أصاب سرايا المسلمين من شيء أتوه به ، فمن حبس منه إبرة أو سِلْكاً فهو غُلول .(١) فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم منها ، قال الله : يسألونك عن الأنفال ، قل : الأنفال لي جعلتها لرسولي ، ليس لكم فيها شيء = « فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين » ، ثم أنزل الله: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ ﴾ [سورة الأنفال : ٤١] . ثم قسم ذلك الخُمس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولمن سمى في الآية .(٢)

١٥٦٦٨ – حدثنا القاسم قال ،حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « يسألونك عن الأنفال » ، قال : نزلت في المهاجرين والأنصار ممن شهد بدرًا . قال : واختلفوا ، فكانوا أثلاثاً . قال : فنزلت : « يسألونك

---

(١) في المخطوطة « فمن حبسه منه » ، والصواب ما في المطبوعة ، وهو مطابق لما في البيهقي . و « الغلول » ، هي الخيانة في المغنم ، والسرقة من الغنيمة .

(٢) الأثر : ١٥٦٦٧ – هذا الإسناد ، سلف بيانه برقم ١٨٣٣ ، ٨٤٧٢ ، وأنه إسناد منقطع . لأن « علي بن طلحة » لم يسمع من ابن عباس التفسير

وهذا الخبر ، رواه البيهقي من هذه الطريق نفسها ، في السنن الكبرى ٦ ٢٩٣ ، مطولا

عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول » ، وملّكه الله رَسوله ، يقسمه كما أراه الله .(١)

١٥٦٦٩ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا عباد بن العوّام ، عن الحجاج ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده : أن الناس سألوا النبي صلى الله عليه وسلم الغنائم يوم بدر ، فنزلت : « يسألونك عن الأنفال » .(٢)

١٥٦٧٠ – . . . . قال ، حدثنا عباد بن العوّام ، عن جويبر ، عن الضحاك : « يسألونك عن الأنفال »، قال : يسألونك أن تنفّلهم .

١٥٦٧١ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا حماد بن زيد قال ، حدثنا أيوب ، عن عكرمة فى قوله : « يسألونك عن الأنفال »، قال : يسألونك الأنفال .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى أخبرَ فى هذه الآية عن قوم سألوا رَسول الله صلى الله عليه وسلم الأنفال أن يُعطيهموها ، فأخبرهم الله أنها لله، وأنه جعلها لرسوله .

وإذا كان ذلك معناه ، جاز أن يكون نزولها كان من أجل اختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها = وجائز أن يكون كان من أجل مسألة من سأله

---

(١) فى المطبوعة : « فقسمه » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٥٦٦٩ – « عباد بن العوام الواسطى » ، ثقة ، من شيوخ أحمد . مضى برقم : ٥٤٣٣ .

و « الحجاج » ، هو « الحجاج بن أرطاة النخعى » ، مضى برقم : ٣٢٩٩ ، ٣٩٦٠ ، ٤٢٤٦ ، ٩٦٣١ ، ١٠١٣٨ ، وهو ثقة ، إلا أنه كان يدلس عن « عمرو بن شعيب » ، وقال محمد بن نصر : « الغالب على حديثه الإرسال والتدليس وتغيير الألفاظ » ، واشترطوا فى حديثه التصريح بالسماع . وهذا مما لم يصرح فيه بالسماع .

فهذا خبر ضعيف ، لهذه العلة .

و « عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص » ، أنكروا عليه كثرة روايته عن أبيه ، عن جده عبد الله بن عمرو ، قال أبو زرعة : « إنما سمع أحاديث يسيرة ، وأخذ صحيفة كانت عنده فرواها »، وهو ثقة فى نفسه ، وأحاديثه « عن أبيه عن جده » ، محتملة ، ولكنهم لم يدخلوه فى صحاح ما خرجوا

السيف الذى ذكرنا عن سعد أنه سأله إياه = وجائز أن يكون من أجل مسألة من سأله قسم ذلك بين الجيش .

* * *

واختلفوا فيها : أمنسوخة هى أم غير منسوخة ؟

فقال بعضهم : هى منسوخة . وقالوا : نسخها قوله : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ ﴾ [سورة الأنفال : ٤١] ، الآية .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٦٧٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن جابر ، عن مجاهد وعكرمة قالا : كانت الأنفال لله وللرسول ، فنسختها : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ ﴾ .

١٥٦٧٣ – حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يسألونك عن الأنفال » ، قال : أصاب سعد ابن أبى وقاص يوم بدر سيفاً ، فاختصم فيه وناسٌ معه . فسألوا النبى صلى الله عليه وسلم ، فأخذه النبى صلى الله عليه وسلم منهم ، فقال الله : « يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول » ، الآية ، فكانت الغنائم يومئذ للنبى صلى الله عليه وسلم خاصة ، فنسخها الله بالخُمس .

١٥٦٧٤ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال، أخبرنى سليم مولى أم محمد، عن مجاهد فى قوله : « يسألونك عن الأنفال » ، قال : نسختها : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ﴾.(١)

---

(١) الأثر : ١٥٦٧٤ – « سليم مولى أم محمد » ، لم أجده ، والذى يروى عن مجاهد ، ويروى عنه ابن جريج ، فهو « سليم ، أبو عبيد الله مولى أم على » ، مضى برقم : ٤٣٠٥ ، وهو مترجم فى التهذيب ، والكبير ١٢٧/٢/٢ ، وابن أبى حاتم ٢١٣/١/٢ ، وهو من كبار أصحاب مجاهد ، ذكره ابن حبان فى الثقات .

١٥٦٧٥ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا شريك » ، عن جابر ، عن مجاهد وعكرمة = أو : عكرمة وعامر = قالا : نسخت الأنفال: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ﴾ .

* * *

وقال آخرون : هي محكمة ، وليست منسوخة . وإنما معنى ذلك : « قل الأنفال لله »، وهي لا شك لله مع الدنيا بما فيها والآخرة = وللرسول ، يضعها في مواضعها التي أمره الله بوضعها فيه .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٦٧٦ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ، قال ابن زيد في قوله : « يسألونك عن الأنفال » ، فقرأ حتى بلغ : « إن كنتم مؤمنين » ، ١١٩/٩ فسلّموا لله ولرسوله يحكمان فيها بما شاءا ، ويضعانها حيث أرادا ،فقالوا : نعم ! ثم جاء بعد الأربعين: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ الآية، [سورة الأنفال : ٤١] ، ولكم أربعة أخماس . وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر : « وهذا الخمس مردود على فقرائكم» ،يصنع الله ورسوله في ذلك الخمس ما أحبّا ، ويضعانه حيث أحبّا . ثم أخبرنا الله بالذي يحب من ذلك . ثم قرأ الآية: ﴿لِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْلَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾ [سورة الحشر : ٧] .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله جعل ثناؤه أخبر أنه جعل الأنفال لنبيه صلى الله عليه وسلم ، يُنفّل من شاء ، فنفّل القاتل السَّلَب وجعل للجيش في البَدْأة الربع ،وفي الرجعة الثلث بعد الخمس.(١) ونفّل

(١) « البدأة » ، ابتداء سفر الغزو ، و « الرجعة » القفول منه . وكان إذا نهضت سرية من جملة العسكر المقبل على العدو ،فأوقعت بطائفة من العدو ، فما غنموا كان لهم الربع، ويشركهم

قوماً بعد سُهْمَانهم بعيرًا بعيرًا فى بعض المغازى . فجعل الله تعالى ذكره حكم الأنفال إلى نبيه صلى الله عليه وسلم، ينفِّل على ما يرى مما فيه صلاحُ المسلمين ، وعلى من بعده من الأئمة أن يستَنّوا بسُنته فى ذلك .

وليس فى الآية دليل على أن حكمها منسوخ ، لاحتمالها ما ذكرتُ من المعنى الذي وصفت . وغير جائز أن يحكم بحكم قد نزل به القرآن أنه منسوخ ، إلا بحجة يجب التسليم لها ، فقد دللنا فى غير موضع من كتبنا على أن لا منسوخ إلا ما أبطل حكمه حادثُ حكمٍ بخلافه ، ينفيه من كل معانيه ، أو يأتى خبرٌ يوجب الحجةَ أن أحدهما ناسخٌ الآخرَ .(١)

* * *

وقد ذكر عن سعيد بن المسيب : أنه كان ينكر أن يكون التنفيل لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، تأويلاً منه لقول الله تعالى : « قل الأنفال لله والرسول » .

١٥٦٧٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبدة بن سليمان ، عن محمد ابن عمرو قال : أرسل سعيد بن المسيب غلامه إلى قوم سألوه عن شيء ، فقال : إنكم أرسلتم إلى تسألونى عن الأنفال ، فلا نَفَل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

وقد بينا أن للأئمة أن يتأسَّوْا برسول الله صلى الله عليه وسلم فى مغازيهم بفعله ، فينفِّلوا على نحو ما كان ينفل ، إذا كان التنفيل صلاحاً للمسلمين .

* * *

سائر العسكر فى ثلاثة أرباع ما غنموا . وإذا فعلت ذلك عند عود العسكر ، كان لهم من جميع ما غنموا الثلث ، لأن الكرة الثانية أشق عليهم ، والخطر فيها أعظم . وذلك لقوة الظهر عند دخولهم ، وضعفه عند خروجهم . وهم فى الأول أنشط وأشهى للسير والإمعان فى بلاد العدو ، وهم عند القفول أضعف وأفتر وأشهى للرجوع إلى أوطانهم ، فزادهم لذلك .

(١) انظر مقالته أبى جعفر فى « النسخ » فيما سلف فى فهارس الموضوعات ، وفهارس النحو والعربية وغيرهما .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فخافوا الله، أيها القوم ، واتقوه بطاعته واجتناب معاصيه ، وأصلحوا الحال بينكم .

* * *

واختلف أهل التأويل فى الذى عنى بقوله : « وأصلحوا ذات بينكم » .

فقال بعضهم : هو أمر من الله الذين غنموا الغنيمة يوم بدر ، وشهدوا الوقعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ اختلفوا فى الغنيمة : أن يردّ ما أصابوا منها بعضُهم على بعض .(١)

* ذكر من قال ذلك :

١٥٦٧٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم » ، قال : كان نبى الله ينفِّل الرجل من المؤمنين سَلَب الرجل من الكفار إذا قتله ، ثم أنزل الله : « فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم » ، أمرهم أن يردّ بعضهم على بعض .

١٥٦٧٩ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : بلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان ينفّل الرجل على قدر جِدّه وغَنَائه على ما رأى ، حتى إذا كان يوم بدر ، وملأ الناسُ أيديهم غنائم ، قال أهل الضعف من الناس : ذهب أهل القوة بالغنائم ! فذكروا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ، فنزلت : « قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم »، ليردّ أهل القوة على أهل الضعف .

* * *

(١) فى المطبوعة : « أن يردوا » بالجمع ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو الصواب .

وقال آخرون : هذا تحريج من الله على القوم ، ونهيٌ لهم عن الاختلاف فيما اختلفوا فيه من أمر الغنيمة وغيره .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٦٨٠ – حدثني محمد بن عمارة قال، حدثنا خالد بن يزيد = وحدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد = قالا ، حدثنا أبو إسرائيل ، عن فضيل ، عن مجاهد في قول الله : « فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم » ، قال: حَرَّج عليهم .

١٥٦٨١ – حدثني الحارث قال ، حدثنا القاسم قال، حدثنا عباد بن العوام ، عن سفيان بن حسين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : « فاتقوا الله أصلحوا ذات بينكم » ، قال : هذا تحريجٌ من الله على المؤمنين ،أن يتقوا ويصلحوا ذات بينهم = قال عباد ، قال سفيان : هذا حين اختلفوا في الغنائم يوم بدر .

١٥٦٨٢ – حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم»، أي لا تَسْتَبُّوا . ١٢٠/٩

* * *

واختلف أهل العربية في وجه تأنيث « البين » .

فقال بعض نحويي البصرة : أضاف « ذات » إلى « البين » ، وجعله «ذاتاً» ، لأن بعضَ الأشياء يوضع عليه اسم مؤنث ، وبعضاً يذكر ، نحو « الدار » و « الحائط » ، أنث « الدار » وذكر « الحائط » .

* * *

وقال بعضهم : إنما أراد بقوله : « ذات بينكم » ، الحال التي للبين ، فقال : وكذلك « ذات العشاء » ، يريد الساعة التي فيها العشاء ، قال : ولم يضعوا مذكرًا لمؤنث ، ولا مؤنثاً لمذكر ، إلا لمعنى .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا القول أولى القولين بالصواب ، للعلة التي ذكرتها له .

* * *

وأما قوله : « وأطيعوا الله ورسوله » ، فإن معناه : وانتهوا ، أيها القوم الطالبون الأنفال ، إلى أمر الله وأمر رسوله فيما أفاء الله عليكم ، فقد بين لكم وجوهه وسبله = « إن كنتم مؤمنين » ، يقول : إن كنتم مصدقين رسول الله فيما آتاكم من عند ربكم ، كما :—

١٥٦٨٣ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين » ، فسلموا لله ولرسوله ، يحكمان فيها بما شاءا ، ويضعانها حيث أرادا .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ليس المؤمن بالذي يخالف الله ورسوله ، ويترك اتباعَ ما أنزله إليه في كتابه من حدوده وفرائضه ، والانقياد لحكمه ، ولكن المؤمن هو الذي إذا ذكر الله وَجِل قلبه ، وانقاد لأمره ، وخضع لذكره ، خوفاً منه ، وفَرَقاً من عقابه ، وإذا قرئت عليه آيات كتابه صدّق بها ،(١) وأيقن أنها من عند الله ، فازداد بتصديقه بذلك ، إلى تصديقه بما كان قد بلغه منه قبل ذلك ، تصديقاً . وذلك هو زيادة ما تلي عليهم من آيات الله إيّاهم إيماناً (٢) = « وعلى ربهم يتوكلون » ، يقول : وبالله يوقنون ، في أن قضاءه فيهم ماضٍ ، فلا يرجون غيره ، ولا يرهبون سواه . (٣)

* * *

(١) انظر تفسير « التلاوة » فيما سلف ص : ٢٥٢ ، تعليق ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « زيادة الإيمان » فيما سلف ٧ : ٤٠٥ .
(٣) انظر تفسير « الوكيل » فيما سلف ١٢ : ٥٦٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٦٨٤ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم » ، قال : المنافقون ، لا يدخل قلوبهم شىء من ذكر الله عند أداء فرائضه ،ولا يؤمنون بشىء من آيات الله ، ولا يتوكلون على الله ، ولا يصلّون إذا غابوا ، ولا يؤدُّون زكاة أموالهم . فأخبر الله سبحانه أنهم ليسوا بمؤمنين ، ثم وصف المؤمنين فقال : « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم » ، فأدوا فرائضه = « وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً » ، يقول تصديقاً = « وعلى ربهم يتوكلون » ، يقول : لا يرجون غيره .

١٥٦٨٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبد الله ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد : « الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم » ، قال : فَرِقت .

١٥٦٨٦ – . . . . قال ، حدثنا أبى، عن سفيان ، عن السدى : « الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم»، قال: إذا ذكر الله عند الشىء وجِلَ قلبه .

١٥٦٨٧ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم » ، يقول : إذا ذكر الله وَجِل قلبه .

١٥٦٨٨ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « وجلت قلوبهم » ، قال : فرقت .

١٥٦٨٩ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن

ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وجلت قلوبهم » ، فرقت .

١٥٦٩٠ — . . . . قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن سفيان قال : سمعت السدى يقول فى قوله : « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم » ، قال : هو الرجل يريد أن يظلم = أو قال : يهمّ بمعصية = أحسبه قال : فينزع عنه .

١٥٦٩١ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان الثورى ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن شهر بن حوشب ، عن أبى الدرداء فى قوله : « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم » ، قال : الوجل فى القلب كإحراق السَّعَفة ،(١) أما تجد له قشعريرة ؟ قال : بلى ! قال : إذا وجدت ذلك فى القلب فادع الله ، فإن الدعاء يذهب بذلك .

١٥٦٩٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم » ، قال : فرقاً من الله تبارك وتعالى ، ووَجلاً من الله ، وخوفاً من الله تبارك وتعالى . ٩/١٢١

* * *

وأما قوله : « زادتهم إيماناً » ، فقد ذكرت قول ابن عباس فيه .(٢)

* * *

وقال غيره فيه ، ما : —

١٥٦٩٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً » ، قال : خشية .

١٥٦٩٤ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون » ، قال : هذا نعت أهل الإيمان ، فأثبت نَعْتهم ووصفهم ، فأثبت صِفَتهم .

* * *

(١) « السعفة » (بفتحتين) ورق جريد النخل إذا يبس .

(٢) يعنى رقم : ١٥٦٨٤ .

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : الذين يؤدون الصلاة المفروضة بحدودها ، وينفقون مما رزقهم الله من الأموال فيما أمرهم الله أن ينفقوها فيه ، من زكاة وجهاد وحج وعمرة، ونفقةٍ على من تجب عليهم نفقته، فيؤدُّون حقوقهم = « أولئك » ، يقول : هؤلاء الذين يفعلون هذه الأفعال[1] = « هم المؤمنون » ، لا الذين يقولون بألسنتهم : « قد آمنا » ، وقلوبهم منطوية على خلافه نفاقاً ، لا يقيمون صلاة ، ولا يؤدُّون زكاة .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٦٩٥ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ابن صالح ، عن على ، عن ابن عباس : « الذين يقيمون الصلاة » ، يقول : الصلوات الخمس = « ومما رزقناهم ينفقون » ، يقول : زكاة أموالهم[2] = « أولئك هم المؤمنون حقًّا » ، يقول : برئوا من الكفر . ثم وصف الله النفاق وأهله فقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ : إلى قوله ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ﴾ ، [سورة النساء: ١٥٠، ١٥١] فجعل الله المؤمن مؤمناً حقًّا ، وجعل الكافر كافراً حقًّا ، وهو قوله : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾ [سورة التغابن : ٢] .

---

(١) انظر تفسير « إقامة الصلاة » ، و « الرزق » ، و « النفقة » فيما سلف من فهارس اللغة (قوم) ، (رزق) ، (نفق) .

(٢) انظر تفسير « حقا » فيما سلف من فهارس اللغة (حقق) .

١٥٦٩٦ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: « أولئك هم المؤمنون حقًّا »، قال: استحقُّوا الإيمان بحق، فأحقه الله لهم.

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (٤)

قال أبو جعفر: يعنى جل ثناؤه بقوله: « لهم درجات »، لهؤلاء المؤمنين الذين وصف جل ثناؤه صفتهم = « درجات »، وهى مراتب رفيعة.(١)

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى هذه « الدرجات » التى ذكر الله أنها لهم عنده، ما هى؟

فقال بعضهم: هى أعمال رفيعة، وفضائل قدّموها فى أيام حياتهم.

* ذكر من قال ذلك:

١٥٦٩٧ – حدثنى أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا إسرائيل، عن أبى يحيى القتات، عن مجاهد: « لهم درجات عند ربهم »، قال: أعمال رفيعة.(٢)

* * *

وقال آخرون: بل ذلك مراتب فى الجنة.

* ذكر من قال ذلك:

١٥٦٩٨ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا

---

(٤) انظر تفسير « الدرجة » فيما سلف ١٢: ٢٨٩، تعليق: ١، والمراجع هناك.

(٥) الأثر: ١٥٦٩٧ – « أبو يحيى القتات »، ضعيف، مضى برقم: ١٢١٣٩.

سفيان، عن هشام ، عن جبلة ، عن عطية ، عن ابن محيريز : « لهم درجات عند ربهم » ، قال : الدرجات سبعون درجة ، كل درجة حُضْر الفرس الجواد المضمَّر سبعين سنة .(١)

* * *

وقوله : « ومغفرة » ، يقول : وعفو عن ذنوبهم، وتغطية عليها (٢)=«ورزق كريم » ، قيل : الجنة = وهو عندى : ما أعد الله فى الجنة لهم من مزيد المآكل والمشارب وهنىء العيش .(٣)

١٥٦٩٩ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق، عن هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة : « ومغفرة » ، قال : لذنوبهم = « ورزق كريم » ، قال : الجنة .

* * *

---

(١) الأثر ١٥٦٩٨ - «سفيان» هو ، الثورى .
و «هشام» هو : «هشام بن حسان القردوسى» ، مضى برقم : ٢٨٣٧ ، ٧٢٨٧ ، ٩٨٣٧ ، ١٠٢٥٨ .
و «جبلة» هو «جبلة بن سحيم التيمى» ، مضى برقم : ٣٠٠٣ ، ١٠٢٥٨ ، وكان فى المطبوعة والمخطوطة : «هشام بن جبلة» ، وهو خطأ صرف .
وأما «عطية» ، فلا أعرف من يكون ، وأنا فى شك منه .
و «ابن محيريز» ، هو : «عبد الله بن محيريز الجمحى» ، مضى برقم : ٨٧٢٠ ، ١٠٢٥٨ .
وهذا الخبر ، روى مثله فى تفسير غير هذه الآية ، فيما سلف برقم : ١٠٢٥٨ قال : «حدثنا على بن الحسين الأزدى ، قال حدثنا الأشجعى ، عن سفيان ، عن هشام بن حسان ، عن جبلة ابن سحيم ، عن ابن محيريز» ، ليس فيه «ابن عطية» هذا الذى هنا .
و «الحضر» (بضم فسكون) ، ارتفاع الفرس فى عدوه .
و «المضمر» ، هو الذى أحد للسباق والركض .
(٢) انظر تفسير «المغفرة» فيما سلف من فهارس اللغة (غفر)
(٣) انظر تفسير «كريم» فيما سلف ٨ : ٢٥٩

القول فى تأويل قوله ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾ ۝٦

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى الجالب لهذه « الكاف » التى فى قوله: « كما أخرجك » ، وما الذى شُبِّه بإخراج الله نبيه صلى الله عليه وسلم من بيته بالحق .

فقال بعضهم : شُبِّه به فى الصلاح للمؤمنين ، اتقاؤهم ربهم ، وإصلاحهم ذات بينهم ، وطاعتهم الله ورسوله . وقالوا : معنى ذلك : يقول الله : وأصلحوا ذات بينكم ، فإن ذلك خير لكم ، كما أخرج الله محمداً صلى الله عليه وسلم من بيته بالحق ، فكان خيراً له .(١)

* ذكر من قال ذلك :

١٥٧٠٠ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا داود ، عن عكرمة : « فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين * كما أخرجك ربك من بيتك بالحق » ، الآية ، أى : إن هذا خيرٌ لكم ، كما كان إخراجك من بيتك بالحق خيراً لك .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : كما أخرجك ربك ، يا محمد ، من بيتك بالحق على كره من فريق من المؤمنين ، كذلك هم يكرهون القتال ، فهم يجادلونك فيه بعد ما تبين لهم . ١٢٢/٩

* ذكر من قال ذلك :

١٥٧٠١ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا

(١) فى المطبوعة ، والمخطوطة « كان خيراً له » ، بغير فاء ، والصواب ما أثبت ، وهى فى المخطوطة صيغة الكتابة .

عيسى . عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق » ، قال : كذلك يجادلونك في الحق .

١٥٧٠٢ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق » ، كذلك يجادلونك في الحقِّ ، القتالِ .

١٥٧٠٣ – . . . . قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق » ، قال : كذلك أخرجك ربك .(١)

١٥٧٠٤ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قال : أنزل الله في خروجه = يعني خروج النبي صلى الله عليه وسلم = إلى بدر ، ومجادلتهم إياه فقال : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون » ، لطلب المشركين ، « يجادلونك في الحق بعد ما تبين » .

* * *

واختلف أهل العربية في ذلك .

فقال بعض نحويي الكوفيين : ذلك أمر من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يمضي لأمره في الغنائم ، على كره من أصحابه ، كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العير وهم كارهون .(٢)

* * *

وقال آخرون منهم : معنى ذلك : يسألونك عن الأنفال مجادلةً ، كما جادلوك يوم بدر فقالوا : « أخرجتنا للعير ، ولم تعلمنا قتالاً فنستعدَّ له » .

* * *

---

(١) هكذا في المخطوطة والمطبوعة ، ولعل الصواب : « قال : كذلك يجادلونك » ، وهو ما تدل عليه الآثار السالفة عن مجاهد .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٤٠٣ .

وقال بعض نحويي البصرة. يجوز أن يكون هذا « الكاف » في « كما أخرجك »، على قوله: « أولئك هم المؤمنون حقًّا » ، « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق». وقال: « الكاف » بمعنى « على » .(١)

* * *

وقال آخر منهم(٢): هي بمعنى القسم . قال: ومعنى الكلام : والذي أخرجك ربّك .(٣)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب، قولُ من قال في ذلك بقول مجاهد ، وقال : معناه : كما أخرجك ربك بالحقّ على كره من فريق من المؤمنين ، كذلك يجادلونك في الحق بعد ما تبين = لأن كلا الأمرين قد كان ، أعني خروج بعض من خرج من المدينة كارهاً ، وجدالهم في لقاء العدو وعند دنوّ القوم بعضهم من بعض ، فتشبيه بعض ذلك ببعض ، مع قرب أحدهما من الآخر ، أولى من تشبيهه بما بَعُد عنه .

* * *

وقال مجاهد في « الحق » الذي ذكر أنهم يجادلون فيه النبيّ صلى الله عليه وسلم بعد ما تبينوه : هو القتال .

١٥٧٠٥ - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: « يجادلونك في الحق » ، قال : القتال .

١٥٧٠٦ - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

---

(١) في المطبوعة : « وقيل : الكاف . . . » ، كأنه قول آخر ، والصواب ما في المخطوطة . ولعل قائل هذا هو الأخفش . لأنه الذي قال : « الكاف بمعنى : على » ، وزعم أن من كلام العرب إذا قيل لأحدهم : « كيف أصبحت » ، أن يقول : « كخير » ، والمعنى : على خير .
وانظر تفسير « كما » فيما سلف ٣ : ٢٠٩ ، في قوله تعالى : « كما أرسلنا فيكم رسولا » [سورة البقرة : ١٥١]

(٢) في المطبوعة : « وقال آخرون » . جمعاً ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو الصواب ، وقائل ذلك هو أبو عبيدة معمر بن المثنى

(٣) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة : ٢٤٠ - ٢٤١ .

١٥٧٠٧ - حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

• • •

وأما قوله : « من بيتك » ،فإن بعضهم قال : معناه : من المدينة .

• ذكر من قال ذلك :

١٥٧٠٨ - حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح: « كما أخرجك ربك من بيتك »، المدينة، إلى بدر .

١٥٧٠٩ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : أخبرني محمد بن عباد بن جعفر في قوله : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق » ، قال : من المدينة إلى بدر .

• • •

وأما قوله : « وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون » ، فإن كراهتهم كانت، كما :-

١٥٧١٠ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال ، حدثني محمد بن مسلم الزهري، وعاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر ، ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا ، عن عبد الله ابن عباس ، قالوا : لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان مقبلاً من الشأم، ندب إليهم المسلمين ،(١) وقال : هذه عير قريش فيها أموالهم،(٢) فاخرجوا إليها ، لعل الله أن ينفلكموها ! فانتدب الناس ، فخفّ بعضهم وثقُل بعضهم ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حرباً .(٣)

١٥٧١١ - حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي: « وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون »، لطلب المشركين .

• • •

---

(١) « ندب الناس إلى حرب أو معونة ، فانتدبوا » ، أي : دعاهم فاستجابوا وأسرعوا إليه .

(٢) « العير » ، (بكسر العين) : القافلة ، وكل امتاروا عليه من إبل وحمير وبغال هي قافلة تجارة قريش إلى الشام .

(٣) الآثار ١٥٧١٠ - سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٧ - ٢٥٨

ثم اختلف أهل التأويل فى الذين عُنُوا بقوله: « يجادلونك فى الحق بعد ما تبين » .

فقال بعضهم : عُنى بذلك أهلُ الإيمان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين كانوا معه حين توجَّه إلى بدر للقاء المشركين .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٧١٢ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : لما شاور النبى صلى الله عليه وسلم فى لقاء القوم ، وقال له سعد بن عبادة ما قال ، وذلك يوم بدراً ، أمرَ الناس فتعبَّوْا للقتال،[1] وأمرهم بالشوكة ، وكره ذلك أهل الإيمان ، فأنزل الله : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون * يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينتظرون » . ١٢٣/٩

١٥٧١٣ – حدثنى ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : ثم ذكر القومَ = يعنى أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم = ومسيرَهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين عرف القوم أن قريشاً قد سارت إليهم ، وأنهم إنما خرجوا يريدون العيرَ طمعاً فى الغنيمة ، فقال : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق » ، إلى قوله : « لكارهون » ، أى كراهيةً للقاء القوم، وإنكاراً لمسير قريش حين ذُكِروا لهم .[2]

* * *

وقال آخرون : عُنى بذلك المشركون .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٧١٤ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى

---

(١) « عبى الجيش » و « عبأه » بالهمز ، واحد . و « تعبوا للقتال » و « تعبأوا » ، تهيأوا له .

(٢) الأثر : ١٥٧١٣ – سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٢ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٥٦٥٥ .

قوله : « يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون » ، قال : هؤلاء المشركون ، جادلوه فى الحق [١]= « كأنما يساقون إلى الموت »، حين يدعون إلى الإسلام = « وهم ينظرون » ، قال : وليس هذا من صفة الآخرين ، هذه صفة مبتدأة لأهل الكفر .

١٥٧١٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا يعقوب بن محمد قال ، حدثنى عبد العزيز بن محمد ، عن ابن أخى الزهرى ، عن عمه قال : كان رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر : « كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون » ، خروجَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العير .[٢]

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك ما قاله ابن عباس وابن إسحق ، من أن ذلك خبرٌ من الله عن فريق من المؤمنين أنهم كرهوا لقاء العدو ، وكان جدالهم نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم أن قالوا : « لم يُعلمنا أنا نلقى العدو فنستعد لقتالهم ، وإنما خرجنا للعير » . ومما يدلّ على صحته قولُه[٣] : ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ ، ففى ذلك الدليلُ الواضح لمن فهم عن الله، أنّ القوم قد كانوا للشوكة كارهين ، وأن جدالهم كان فى القتال ، كما قال مجاهد ، كراهيةً منهم له = وأنْ لا معنى لما قال ابن زيد ، لأن الذى قبل قوله : « يجادلونك فى الحق » ، خبرٌ عن أهل الإيمان ، والذى يتلوه

---

(١) فى المطبوعة : « جادلوك » ، وأثبت الصواب الجيد من المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٥٧١٥ — « يعقوب بن محمد الزهرى » ، مضى قريباً برقم ١٥٦٥٤ ، وهو يروى عن ابن أخى الزهرى مباشرة ، ولكنه روى عنه هنا بالواسطة .
« عبد العزيز بن محمد بن عبيد بن أبى عبيد الدراوردى » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ١٠٦٧٦ .
و « ابن أخى الزهرى » ، هو « محمد بن عبد الله بن مسلم الزهرى » ، ثقة ، متكلم فيه، روى له الجماعة . يروى عن عمه « ابن شهاب الزهرى » .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « على صحة قوله » ، والصواب ما أثبت .

خبرٌ عنهم ، فأن يكون خبرًا عنهم ، أولى منه بأن يكون خبرًا عمن لم يجرِ له ذكرٌ .

* * *

وأما قوله : « بعد ما تبين » ، فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله .

فقال بعضهم : معناه : بعد ما تبين لهم أنك لا تفعل إلا ما أمرك الله .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٧١٦ — حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : بعد ما تبين أنك لا تصنع إلاّ ما أمرك الله به .

* * *

وقال آخرون : معناه : يجادلونك فى القتال بعد ما أمرت به .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٧١٧ — روي الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس .(١)

* * *

وأما قوله : « كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون » ، فإن معناه : كأن هؤلاء الذين يجادلونك فى لقاء العدوّ، من كراهتهم للقائهم إذا دعوا إلى لقائهم للقتال، « يساقون إلى الموت » .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٧١٨ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال ، قال ابن إسحق : « كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون » ، أي كراهةً للقاء القوم ، وإنكاراً لمسير قريش حين ذكروا لهم .(٢)

* * *

(١) الأثر : ١٥٧١٧ — هكذا جاء فى المخطوطة والمطبوعة ، لم يذكر نصاً ، وكأن صواب العبارة : « رواه الكلبي ... » .

(٢) الأثر : ١٥٧١٨ — سيرة بن هشام ٢ : ٣٢٢ ، وهو جزء من الخبر السالف رقم : ١٥٧١٣ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: واذكروا ، أيها القوم = « إذ يعدكم الله إحدى الطائفتين » ، يعنى إحدى الفرقتين ،(١) فرقة أبى سفيان بن حرب والعير ، وفرقة المشركين الذين نَفَروا من مكة لمنع عيرهم .

* * *

وقوله : « أنها لكم » ، يقول : أن ما معهم غنيمة لكم = « وتودون أنّ غير ذات الشوكة تكون لكم » ، يقول : وتحبون أن تكون تلك الطائفة التى ليست لها شوكة = يقول : ليس لها حدٌّ ،(٢) ولا فيها قتال = أن تكون لكم . يقول : تودُّون أن تكون لكم العيرُ التى ليس فيها قتال لكم ، دون جماعة قريش الذين جاءوا لمنع عيرهم ، الذين فى لقائهم القتالُ والحربُ .

* * *

وأصل « الشوكة » ، من « الشوك » .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٧١٩ — حدثنا على بن نصر ، وعبد الوارث بن عبد الصمد قالا ، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال ، حدثنا أبان العطار قال ، حدثنا هشام بن عروة، عن عروة : أن أبا سفيان أقبل ومن معه من رُكبان قريش مقبلين من الشأم ،(٣) فسلكوا طريق الساحل . فلما سمع بهم النبى صلى الله عليه وسلم ، ندب أصحابه ، وحدّثهم بما معهم من الأموال ، وبقلة عددهم . فخرجوا ١٢٤/٩

(١) انظر تفسير « الطائفة » فيما سلف ١٢ : ٥٦٠ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
(٢) « الحد » (بفتح الحاء) هو : الحدة (بكسر الحاء) ، والبأس الشديد ، والنكاية .
(٣) الركبان » و « الركب » ، أصحاب الإبل فى السفر ، وهو اسم جمع لا واحد له .

لا يريدون إلا أبا سفيان والركب معه ، لا يرونها إلا غنيمة لهم ، لا يظنون أن يكون كبيرُ قتالٍ إذا رأوهم . وهي التي أنزل الله فيها[١] : « وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم » .[٢]

١٥٧٢٠ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن مسلم الزهري ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر ، ويزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا،[٣] عن عبد الله بن عباس ، كُلٌّ قد حدثني بعض هذا الحديث ، فاجتمع حديثهم فيما سُقت من حديث بدر ، قالوا : لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان مقبلاً من الشأم، ندب المسلمين إليهم وقال: هذه عير قريش ، فيها أموالهم ، فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفِّلكموها ! فانتدب الناس، فخف بعضهم وثقل بعض ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حرباً . وكان أبو سفيان يستيقن حين دنا من الحجاز ويتحسس الأخبار ،[٤] ويسأل من لقي من الركبان ، تخوفاً على

---

(١) في المطبوعة : « وهي ما أنزل الله » ، وفي المخطوطة : « وهي أنزل الله » ، وأثبت ما في تاريخ الطبري .

(٢) الأثر : ١٥٧١٩ – « علي بن نصر بن علي بن نصر بن علي الجهضمي » ، الثقة الحافظ ، شيخ الطبري ، روى عنه مسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وأبو زرعة ، وأبو حاتم ، والبخاري ، في غير الجامع الصحيح . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٣/١/٢٠٧ .

و « عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث العنبري » ، شيخ الطبري . ثقة ، مضى برقم : ٢٣٤٠ .

وأبوه : «عبد الصمد بن عبد الوارث بن سعيد العنبري » ، ثقة ، مضى مراراً كثيرة .

و « أبان العطار » ، هو « أبان بن يزيد العطار » ، ثقة ، مضى برقم : ٣٨٣٢ ، ٩٦٥٦ .

وهذا الخبر رواه أبو جعفر ، بإسناده هذا في التاريخ ٢ : ٢٦٧ ، مطولا مفصلا ، وهو كتاب من عروة بن الزبير إلى عبد الملك بن مروان . وكتاب عروة إلى عبد الملك بن مروان كتاب طويل رواه الطبري مفرقاً في التاريخ، وسأخرجه مجموعاً في تعليق على الأثر ١٦٠٨٣ .

(٣) القائل « من علمائنا . . . » إلى آخر السياق ، هو محمد بن إسحق .

(٤) في المطبوعة ، وفي تاريخ الطبري ، وفي سيرة ابن هشام : « وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس » ، ليس فيها « يستيقن » ، وليس فيها واو العطف في « يتحسس » ، ولكن المخطوطة واضحة ، فأثبتها .

أموال الناس ،(١) حتى أصاب خبراً من بعض الركبان : « إن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك » ! (٢) فحذر عند ذلك، واستأجر ضمضم بن عمرو الغفارى ، فبعثه إلى مكة ، وأمره أن يأتى قريشاً يستنفرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أن محمداً قد عرّض لها فى أصحابه . فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكة .(٣) وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه حتى بلغ وادياً يقال له « ذَفِرَان»، فخرج منه،(٤) حتى إذا كان ببعضه ، نزل ، وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم ، فاستشار النبى صلى الله عليه وسلم الناسَ ، وأخبرهم عن قريش . فقام أبو بكر رضوان الله عليه ، فقال فأحسن . ثم قام عمر رضى الله عنه ، فقال فأحسن . ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله ، امض إلى حيث أمرك الله ، فنحن معك، والله، لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ ، سورة المائدة: ٢٤ ، ولكن : اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا معكما مقاتلون ! فوالذى بعثك بالحق، لئن سرت بنا إلى بَرْك الغِمَاد = يعنى : مدينة الحبشة(٥) = لجالدنا معك مَن دونه حتى تبلغه! فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً، ثم دعا له بخير. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أشيروا علىّ

وكان فى المطبوعة : « يتجسس » بالجيم ،وإنما هى بالحاء المهملة ، و « تحسس الخبر » ، تسمعه بنفسه وتبحثه وتطلبه .

(١) فى المطبوعة : « تخوفا من الناس » ، وفى سيرة ابن هشام : « تخوفاً على أمر الناس » ، وأثبت ما فى تاريخ الطبرى .

(٢) « استنفر الناس » ، استنجدهم واستنصرهم ، وحثهم على الخروج للقتال .

(٣) عند هذا الموضع انتهى ما فى سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، وسيصله بالآتى فى السيرة بعد ٢ : ٢٦٦ ، وعنده انتهى الخبر فى تاريخ الطبرى ٢ : ٢٧٠ ، وسيصله بالآتى فى التاريخ أيضاً ٢ : ٢٧٣ .

وانظر التخريج فى آخر هذا الخبر .

(٤) فى السيرة وحدها « فجزع فيه » ، وهى أحق بهذا الموضع ، ولكنى أثبت ما فى المطبوعة والمخطوطة والتاريخ . و « جزع الوادى » ، قطعه عرضاً .

(٥) « برك الغماد » ، « برك » (بفتح الباء وكسرها) ، و « الغماد » ، (بكسر الغين وضمها » . قال الهمدانى : « برك الغماد » ، فى أقاصى اليمن (معجم ما استعجم : ٢٤٤) .

أيها الناس != وإنما يريد الأنصار ، وذلك أنهم كانوا عَدَدَ الناس ، وذلك أنهم حين بايعوه على العقبة قالوا : «يا رسول الله ، إنا برآء من ذِمامك حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصلت إلينا فأنت فى ذمتنا ،(١) نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا» ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نُصرته إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه ،(٢) وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدوٍّ من بلادهم = قال : فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال له سعد بن معاذ : لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال : أجل ! قال : فقد آمنا بك وصدّقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت ، فوالذى بعثك بالحق إن استعرضتَ بنا هذا البحرَ فخضته لخُضناه معك ،(٣) ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ،(٤) إنا لصُبُرٌ عند الحرب ، صُدُقٌ عند اللقاء ،(٥) لعلّ الله أن يريك منا ما تَقرُّ به عينك ، فسر بنا على بركة الله ! فسُرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ، ونشّطه ذلك . ثم قال : سيروا على بركة الله وأبشروا ، فإن الله قد وعدنى إحدى الطائفتين ،(٦) والله لكأنى أنظر الآن إلى مصارع القوم غداً .(٧)

---

(١) « الذمام » و « الذمة » ، العهد والكفالة والحرمة .

(٢) فى المطبوعة « خاف أن لا تكون الأنصار » ، وأثبت ما فى سيرة ابن هشام ، وتاريخ الطبرى . و « يتخوف » ساقطه من المخطوطة .

و « دهمه » (بفتح الهاء وكسرها) : إذا فاجأه على غير استعداد .

(٣) « استعرض البحر ، أو الخطر » : أقبل عليه لا يبالى خطره . وهذا تفسير للكلمة ، استخرجته ، لا تجده فى المعاجم .

(٤) فى المطبوعة : « أن يلقانا عدونا غداً » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، وهذا هو الموافق لما فى سيرة ابن هشام ، وتاريخ الطبرى .

(٥) « صدق » (بضمتين) جمع « صدوق » ، مجازه : أن يصدق فى قتاله أو عمله ، أى يجد فيه جداً ، كالصدق فى القول الذى لا يخالطه كذب ، أى ضعف .

(٦) قوله فى آخر الجملة الآتية « غداً » ، ليست فى سيرة ابن هشام ولا فى التاريخ ، ولكنها ثابتة فى المخطوطة .

(٧) الأثر : ١٥٧٢٠ – هذا الخبر ، روى صدر منه فيما سلف : ١٥٧١٠ ، وهو فى

١٥٧٢١ - حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى : أن أبا سفيان أقبل فى عير من الشأم فيها تجارة قريش، وهى اللَّطيمة،(١) فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها قد أقبلت، فاستنفر الناس، فخرجوا معه ثلثمئة وبضعة عشر رجلاً. فبعث عيناً له من جُهَينة، حليفًا للأنصار، يدعى «ابن أريقط»،(٢) فأتاه بخبر القوم. وبلغ أبا سفيان خروج محمد صلى الله عليه وسلم، فبعث إلى أهل مكة يستعينهم، فبعث رجلاً من بنى غِفار يدعى ضمضم بن عمرو، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ولا يشعر ١٢٥/٩ بخروج قريش، فأخبره الله بخروجهم، فتخوف من الأنصار أن يخذلوه ويقولوا : «إنا عاهدنا أن نمنعك إن أرادك أحد ببلدنا»! فأقبل على أصحابه فاستشارهم فى طلب العِير، فقال له أبو بكر رحمة الله عليه : إنىّ قد سلكت هذا الطريق، فأنا أعلم به، وقد فارقهم الرجل بمكان كذا وكذا. فسكت النبي صلى الله عليه وسلم، ثم عاد فشاورهم، فجعلوا يشيرون عليه بالعير. فلما أكثر المشورة، تكلم سعد ابن معاذ، فقال: يا رسول الله، أراك تشاور أصحابك فيشيرون عليك، وتعود فتشاورهم، فكأنك لا ترضى ما يشيرون عليك، وكأنك تتخوف أن تتخلف عنك الأنصار! أنت رسول الله، وعليك أنزل الكتاب، وقد أمرك الله بالقتال، ووعدك النصر، والله لا يخلف الميعاد، امض لما أمرت به، فوالذى بعثك بالحق لا يتخلف عنك رجل من الأنصار! ثم قام المقداد بن الأسود الكندى فقال : يا رسول الله، إنا لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى : ﴿اذهَبْ أنْتَ وَرَبُّكَ

سيرة ابن هشام مفرق ٢ : ٢٥٧، ٢٥٨، ثم ٢ : ٢٦٦، ٢٦٧.

وفى تاريخ الطبرى ٢ : ٢٧٠ ثم ٢ : ٢٧٣، ثم تمامه أيضاً فى : ٢٧٣.

(١) «اللطيمة»، هو الطيب، و «لطيمة المسك»، وعاؤه ثم سموا العير التى تحمل الطيب والمسجد، ولفيس بز التجار: «اللطيمة».

(٢) فى المطبوعة : «ابن الأريقط»، وأثبت ما فى المخطوطة.

فَقَاتِلَا إِنَّا هَٰهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ ، [سورة المائدة : ٢٤] ، ولكنا نقول : أقدم فقاتل ، إنا معك مقاتلون ! ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، وقال : إن ربى وعدنى القوم ، وقد خرجوا ، فسيروا إليهم ! فساروا .

١٥٧٢٢ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم » ، قال : الطائفتان ، إحداهما : أبو سفيان بن حرب إذ أقبل بالعير من الشأم ، والطائفة الأخرى : أبو جهل معه نفر من قريش . فكره المسلمون الشوكة والقتال ، وأحبوا أن يلقوا العير ، وأراد الله ما أراد .

١٥٧٢٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين » ، قال : أقبلت عير أهل مكة = يريد : من الشأم[1] = فبلغ أهل المدينة ذلك ، فخرجوا ومعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدون العير . فبلغ ذلك أهل مكة ، فسارعوا السير إليها ، لا يغلب عليها النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه . فسبقت العير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان الله وعدهم إحدى الطائفتين ، فكانوا أن يلقوا العير أحبَّ إليهم ، وأيسر شوكة ، وأحضر مغنماً . فلما سبقت العير وفاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين يريد القوم ، فكره القوم مسيرهم لشوكةٍ فى القوم .

١٥٧٢٤ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم » ، قال : أرادوا العير . قال : ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فى شهر ربيع الأول ، فأغار

(١) فى المخطوطة : « يريد الشأم » ، وما فى المطبوعة هو الصواب .

كُرْز بن جابر الفهرى يريد سَرْح المدينة حتى بلغ الصفراء ،[١] فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فركب فى أثره ، فسبقه كرز بن جابر . فرجع النبي صلى الله عليه وسلم فأقام سَنَته . ثم إن أبا سفيان أقبل من الشأم فى عير لقريش ، حتى إذا كان قريباً من بدر ، نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فأوحى إليه : « وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم » ، فنفر النبي صلى الله عليه وسلم بجميع المسلمين ، وهم يومئذ ثلثمئة وثلاثة عشر رجلاً ، منهم سبعون ومئتان من الأنصار ، وسائرهم من المهاجرين . وبلغ أبا سفيان الخبر وهو بالبطم ،[٢] فبعث إلى جميع قريش وهم بمكة ، فنفرت قريش وغضبت .

١٥٧٢٥ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم » ، قال : كان جبريل عليه السلام قد نزل فأخبره بمسير قريش وهى تريد عيرها ، ووعده إما العيرَ وإما قريشاً ، وذلك كان ببدر ، وأخذوا السُّقاة وسألوهم ، فأخبروهم ، فذلك قوله : « وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم » ، هم أهل مكة .

---

(١) « السرح » ، المال يسام فى المرعى ، من الأنعام والماشية ترعى . و « الصفراء » . قرية فويق ينبع ، كثيرة المزارع والنخل ، وهى من المدينة على ست مراحل ، وكان يسكنها جهينة والأنصار ونهد .

(٢) هكذا جاء فى المطبوعة والمخطوطة ، ولم أجد مكاناً ولا شيئاً يقال له « البطم » ، وأكاد أقطع أنه تحريف محض ، وأن صوابه ﴿ بِإِضَمٍ ﴾ . و « إضم » واد بجبال تهامة ، وهو الوادى الذى فيه المدينة . يسمى عند المدينة « قناة » ، ومن أعلى منها عند السد يسمى « الشظاة » ، ومن عند الشظاة إلى أسفل يسمى « إضما » . وقال ابن السكيت : « إضم » ، واد يشق الحجاز حتى يفرغ فى البحر ، وأعلى إضم « القناة » التى تمر دوين المدينة . و « إضم » من بلاد جهينة .

والمعروف فى السير أن أبا سفيان فى تلك الأيام ، نزل على ماء كان عليه مجدى بن عمرو الجهنى ، فلما أحس بخبر المسلمين ، ضرب وجه عيره ، فساحل بها ، وترك بدراً بيسار . فهو إذن قد نزل بأرض جهينة ، و « إضم » من أرضهم ، وهو يفرغ إلى البحر ، فكأن هذا هو الطريق الذى سلكه . ولم أجد الخبر فى مكان حتى أحقق ذلك تحقيقاً شافياً .

١٥٧٢٦ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد في قوله : « وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم » ، إلى آخر الآية ، خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى بدر وهم يريدون يعترضون عيرًا لقريش . قال : وخرج الشيطان في صورة سُرَاقة بن جعشم، حتى أتى أهل مكة فاستغواهم ، وقال : إنّ محمداً وأصحابه قد عرَضوا لعيركم ! وقال : لا غالبَ لكم اليوم من الناس من مثلكم ، وإنّي جار لكم أن تكونوا على ما يكره الله ! فخرجوا، ونادوا أن لا يتخلف منا أحد إلا هدمنا داره واستبحناه ! وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالروحاء عيناً للقوم ، فأخبره بهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله قد وعدكم العير أو القوم ! فكانت العير أحبّ إلى القوم من القوم ، كان القتال في الشوكة ، والعير ليس فيها قتال ، وذلك قول الله عز وجل : « وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم » ، قال : « الشوكة » ، القتال ، و « غير الشوكة » ، العير . ٩/١٢٦

١٥٧٢٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا يعقوب بن محمد الزهري قال ، حدثنا عبد الله بن وهب ، عن ابن لهيعة ، عن ابن أبي حبيب ، عن أبي عمران ، عن أبي أيوب قال : أنزل الله جل وعز : « وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم » ، فلما وعدنا إحدى الطائفتين أنها لنا ، طابت أنفسنا : و « الطائفتان » ، عير أبي سفيان ، أو قريش .(١)

---

(١) الأثر : ١٥٧٢٧ – « يعقوب بن محمد الزهري » ، سلف قريباً رقم : ١٥٧١٥ .
و « عبد الله بن وهب المصري » ، الثقة ، مضى برقم ٦٦١٣ ، ١٠٣٣٠ .
و « ابن لهيعة » ، مضى الكلام في توثيقه مراراً .
و « ابن أبي حبيب » ، هو « يزيد بن أبي حبيب المصري » ، ثقة مضى مراراً كثيرة .
و « أبو عمران » هو : « أسلم أبو عمران » ، « أسلم بن يزيد التجيبي » ، روى عن أبي أيوب ، تابعي ثقة ، وكان وجيهاً بمصر . مترجم في التهذيب ، والكبير ٢٥/٢/١ ، وابن أبي حاتم ٣٠٧/١/١ .
وسيأتي في هذا الخبر بإسناد آخر ، في الذي يليه .
ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٦ : ٧٣ ، ٧٤ مطولا ، وقال : « رواه الطبراني ، وإسناده حسن » .

١٥٧٢٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أسلم أبي عمران الأنصاري= أحسبه قال : قال أبو أيوب =: « وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم » ، قالوا : « الشوكة » القوم ، و« غير الشوكة » العير ، فلما وعدنا الله إحدى الطائفتين ، إما العير وإما القوم ، طابت أنفسنا .(١)

١٥٧٢٩ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثني يعقوب بن محمد قال ، حدثني غير واحد في قوله : « وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم » ، إن « الشوكة »، قريش .

١٥٧٢٩ م – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم » ، هي عير أبي سفيان، ودّ أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن العير كانت لهم ، وأن القتال صُرِف عنهم .

١٥٧٣٠ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم » ، أي : الغنيمة دون الحرب .(٢)

* * *

وأما قوله : « أنها لكم » ، ففتحت على تكرير « يعد » ، وذلك أن قوله : « يعدكم الله » ، قد عمل في « إحدى الطائفتين » .

فتأويل الكلام : « وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين » ، يعدكم أن إحدى الطائفتين لكم ، كما قال : ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾ ،(٣) [سورة محمد : ١٨]

* * *

(١) الأثر : ١٥٧٢٨ – « أسلم ، أبو عمران الأنصاري » ، هو الذي سلف في الإسناد السابق ، وسلف تخريجه .

(٢) الأثر : ١٥٧٣٠ – سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٢ ، وهو تابع الأثرين السالفين ، رقم : ١٥٧١٣ ، ١٥٧١٨ .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٤٠٤ ، وزاد « فأن ، في موضع نصب كما نصب الساعة » .

قال : « وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم » ، فأنث « ذات » ، لأنه مرادٌ بها الطائفة .[١] ومعنى الكلام : وتودون أن الطائفة التى هى غير ذات الشوكة تكون لكم ، دون الطائفة ذات الشوكة .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ (٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ويريد الله أن يحق الإسلام ويعليه[٢] = « بكلماته » ، يقول : بأمره إياكم ، أيها المؤمنون ، بقتال الكفار ، وأنتم تريدون الغنيمة ، والمال[٣] = وقوله : « ويقطع دابر الكافرين » ، يقول : يريد أن يَجُبَّ أصل الجاحدين توحيدَ الله .

* * *

وقد بينا فيما مضى معنى « دابر » ، وأنه المتأخر ، وأن معنى : « قطعه » ، الإتيان على الجميع منهم .[٤]

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٧٣١ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قول الله : « ويريد الله أن يحق الحق بكلماته » ، أن يقتل هؤلاء الذين أراد أن يقطع دابرهم ، هذا خيرٌ لكم من العير .

---

(١) انظر ما قاله آنفاً فى « ذات بينكم » ص : ٣٨٤ .
(٢) انظر تفسير « حق » فيما سلف من فهارس اللغة (حقق) .
(٣) انظر تفسير « كلمات الله » فيما سلف ١١ : ٣٣٥ ، وفهارس اللغة (كلم) .
(٤) انظر تفسير « قطع الدابر » ١١ : ٣٦٣ ، ٣٦٤/١٢ : ٥٢٣ ، ٥٢٤ .

١٥٧٣٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين»، أى : الوقعة التى أوقع بصناديد قريش وقادتهم يوم بدر .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ (٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ويريد الله أن يقطع دابر الكافرين ، كيما يحق الحق ، كيما يُعبد الله وحده دون الآلهة والأصنام، ويعزّ الإسلام ، وذلك هو « تحقيق الحق » = « ويبطل الباطل » ، يقول: ويبطل عبادة الآلهة والأوثان والكفر ، ولو كره ذلك الذين أجرموا فاكتسبوا المآثم والأوزار من الكفار .(٢)

١٥٧٣٣ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون » ، هم المشركون .

* * *

وقيل : إن « الحق » فى هذا الموضع ، الله عز وجل .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ (٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « ويبطل الباطل » ، حين تستغيثون ربكم = فـ « إذْ » من صلة « يبطل » .

* * *

(١) الأثر : ١٥٧٣٢ – سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٢، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٥٧٣٠ .

(٢) انظر تفسير « المجرم » فيما سلف ص: ٧٠، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

ومعنى قوله : « تستغيثون ربكم » ، تستجيرون به من عدوكم ، وتدعونه للنصر عليهم = « فاستجاب لكم » ، يقول : فأجاب دعاءكم ،(١) بأنى ممدكم بألف من الملائكة يُرْدِف بعضهم بعضاً ، ويتلو بعضهم بعضاً .(٢) ١٢٧/٩

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، وجاءت الرواية عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* ذكر الأخبار بذلك :

١٥٧٣٤ — حدثنى محمد بن عبيد المحاربى قال ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، عن عكرمة بن عمار قال ، حدثنى سماك الحنفى قال : سمعت ابن عباس يقول : حدثنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : لما كان يوم بدر ، ونظرَ رَسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وعِدّتهم ، ونظر إلى أصحابه نَيِّفاً على ثلثمئة ، فاستقبل القبلة ، فجعل يدعو يقول : « اللهم أنجز لى ما وعدتنى ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد فى الأرض ! » ، فلم يزل كذلك حتى سقط رداؤه ، وأخذه أبو بكر الصديق رضى الله عنه فوضع رداءه عليه ، ثم التزمه من ورائه ،(٣) ثم قال : كفاك يا نبى الله ، بأبى وأمى ، مناشدتك ربك ، فإنه سينجز لك ما وعدك ! فأنزل الله : « إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنىّ ممدكم بألف من الملائكة مردفين » .(٤)

---

(١) انظر تفسير « استجاب » فيما سلف ص : ٣٢١ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الإمداد » فيما سلف ١ : ٣٠٧ ، ٧/٣٠٨ : ١٨١ .

(٣) « التزمه » ، احتضنه أو اعتنقه .

(٤) الأثر : ١٥٧٣٤ — « عكرمة بن عمار اليمامى العجلى » ، ثقة ، مضى برقم : ٨٤٩ ، ٢١٨٥ ، ٨٢٢٤ ، ١٣٨٣٢ .

و « سماك الحنفى » ، هو « سماك بن الوليد الحنفى » ، « أبو زميل » ، ثقة . مضى برقم : ١٣٨٣٢ .

وهذا الخبر ، رواه مسلم فى صحيحه ١٢ : ٨٤ — ٨٧ ، مطولا من طريق هناد بن السرى ، عن عبد الله بن المبارك ، عن عكرمة .

١٥٧٣٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس قال: لما اصطفَّ القوم، قال أبو جهل: اللهم أولانا بالحق فانصره! ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فقال: يا رب، إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض أبداً!

١٥٧٣٦ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قال: قام النبي صلى الله عليه وسلم فقال: اللهم ربنا أنزلت على الكتاب، وأمرتني بالقتال، ووعدتني بالنصر، ولا تخلف الميعاد! فأتاه جبريلُ عليه السلام، فأنزل الله: ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ * بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾،(١) [سورة آل عمران: ١٢٤، ١٢٥].

١٥٧٣٧ – حدثني أبو السائب قال، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي إسحق، عن زيد بن يُثَيْع قال: كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يدعو يقول: اللهم انصر هذه العصابة، فإنك إن لم تفعل لن تعبد في الأرض! قال: فقال أبو بكر: بعضَ مناشدتك مُنْجِزَك ما وعدك.(٢)

ورواه أحمد في مسنده رقم: ٢٠٨، ٢٢١، من طريق أبي نوح قراد، عن عكرمة ابن عمار. مطولا

وروى بعضه أبو داود في سننه ٣: ٨٢.

ورواه الترمذي في كتاب التفسير، مختصراً، من طريق محمد بن بشار، عن عمر بن يونس اليمامي، عن عكرمة، وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب، لا نعرفه من حديث عمر، إلا من حديث عكرمة بن عمار، عن أبي زميل».

ورواه أبو جعفر الطبري في تاريخه، من هذه الطريق نفسها ٢: ٢٨٠.

(١) الأثر: ١٥٧٣٦ – هذا الخبر لم يذكره أبو جعفر في تفسير آية سورة آل عمران ٧: ١٧٣ – ١٩٠.

(٢) الأثر: ١٥٧٣٧ – «أبو إسحق»، هو الهمداني السبيعي، وكان في المطبوعة: «ابن إسحق» غير ما في المخطوطة، فأساء.

١٥٧٣٨ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى قال : أقبل النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الله ويستغيثه ويستنصره، فأنزل الله عليه الملائكة .

١٥٧٣٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قوله: « إذ تستغيثون ربكم » ، قال : دعا النبي صلى الله عليه وسلم .

١٥٧٤٠ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق: « إذ تستغيثون ربكم » ، أى : بدعائكم ، حين نظروا إلى كثرة عدوهم وقلة عددهم = « فاستجاب لكم »، بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعائكم معه .(١)

١٥٧٤١ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي حصين ، عن أبي صالح قال : لما كان يوم بدر جعل النبي صلى الله عليه وسلم يناشد ربه أشد النِّشدة يدعو ،(٢) فأتاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال: يا رسول الله ، بعض نِشْدَتك ، فوالله ليفيَنَّ الله لك بما وعدك!

* * *

وأما قوله : « أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين » ، فقد بينا معناه .(٣)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك:

و « زيد بن يثيع الهمدانى » ، ويقال : « . . . أثيع » و « أثيل » . آخره لام . روى عن أبي بكر الصديق ، وعلى ، وحذيفة ، وأبي ذر ، وعنه أبو إسحق السبيعى فقط . ذكره ابن حبان فى الثقات ، مترجم فى التهذيب ، وابن سعد : ١٥٥ ، والكبير ٢/١/٣٧٣ ، وابن أبي حاتم ١/٢/٥٧٣ فى « زيد بن نفيع الهمدانى » ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه ، ولكن العجب أنه كان هنا فى المطبوعة والمخطوطة ، « زيد بن نفيع » أيضاً .

و « يثيع » بالياء ، والثاء ، مصغراً ، هكذا ضبط . وقال ابن دريد فى كتاب الاشتقاق : ٢٤٩ : « يثيع » « يفعل » من « ثاع ، يثيع » ، إذا اتسع وانبسط .

(١) الأثر : ١٥٧٤٠ – سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٥٧٣١ ، وليس فى سيرة ابن هشام « معه » ، فى آخر الخبر .

(٢) « النشدة » (بكسر فسكون) مصدر : « نشدتك الله » ، أى سألتك به واستحلفتك .

(٣) انظر ما سلف ص : ٤٠٩ .

١٥٧٤٢ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين » ، يقول : المزيد ، كما تقول : « ائت الرجل فزده كذا وكذا » .

١٥٧٤٣ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أحمد بن بشير ، عن هرون بن عنترة ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « مردفين » ، قال : متتابعين .(١)

١٥٧٤٤ – . . . . قال ، حدثني أبي، عن سفيان ، عن هرون بن عنترة ، [عن أبيه] ، عن ابن عباس ، مثله .(٢)

١٥٧٤٥ – حدثني سليمان بن عبد الجبار قال، حدثنا محمد بن الصلت قال ، حدثنا أبو كدينة ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « ممدكم بألف من الملائكة مردفين » ، قال : وراء كل ملك ملك .(٣)

١٥٧٤٦ – حدثني ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة ، عن أبي كدينة يحيى بن المهلب ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « مردفين » ، قال : متتابعين .(٤)

١٥٧٤٧ – . . . . قال ، حدثنا هانئ بن سعيد، عن حجاج بن أرطاة،

---

(١) الأثر : ١٥٧٤٣ – « أحمد بن بشير الكوفي » ، مضى برقم ٧٨١٩ ، ١١٠٨٤ .
و « هرون بن عنترة بن عبد الرحمن » ، مضى مراراً كثيرة آخرها : ١١٠٨٤ .
وأبوه « عنترة بن عبد الرحمن » ، مضى أيضاً ، انظر رقم ١١٠٨٤ .

(٢) الأثر : ١٥٧٤٤ . زيادة « عن أبيه » بين القوسين ، هو ما أرجح أنه الصواب ، وأن إسقاطها من الناسخ . انظر الإسناد السالف .

(٣) الأثر : ١٥٧٤٥ – « سليمان بن عبد الجبار بن زريق الخياط » ، شيخ الطبري ، مضى برقم : ٥٩٩٤ ، ٩٧٤٥ .
و « محمد بن الصلت بن الحجاج الأسدي » ، مضى برقم : ٣٠٠٢ ، ٥٩٩٤ ، ٩٧٤٥ .
و « أبو كدينة » ، « يحيى بن المهلب البجلي » ، مضى برقم : ٤١٩٣ ، ٥٩٩٤ ، ٩٧٤٥ .
و « قابوس بن أبي ظبيان الجنبي » ، مضى برقم : ٩٧٤٥ ، ١٠٦٨٣ .
وأبوه « أبو ظبيان » ، هو : « حصين بن جندب الجنبي » ، مضى برقم : ٩٧٤٥ ، ١٠٦٨٣ .

(٤) الأثر : ١٥٧٤٦ – انظر رجال الأثر السالف .

عن قابوس قال : سمعت أبا ظبيان يقول : « مردفين » ، قال : الملائكة ، بعضهم على إثر بعض .(١) ١٢٨/٩

١٥٧٤٨ — . . . . قال ، حدثنا المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : « مردفين » ، قال : بعضهم على إثر بعض .

١٥٧٤٩ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٥٧٥٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « مردفين » ، قال : ممدّين = قال ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير قال : « مردفين » ، « الإرداف » ، الإمداد بهم .

١٥٧٥١ — حدثني بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « بألف من الملائكة مردفين » ، أي : متتابعين .

١٥٧٥٢ — حدثنا [محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور] قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « بألف من الملائكة مردفين » ، يتبع بعضهم بعضاً .(٢)

---

(١) الأثر : ١٥٧٤٧ — « هانئ بن سعيد النخعي » ، شيخ ابن وكيع ، سلف برقم : ١٣١٥٩ ، ١٣٩٦٥ ، ١٤٨٣٦ .

(٢) الأثر : ١٥٧٥٢ — صدر هذا الإسناد خطأ لاشك فيه . وهو كما وضعته بين القوسين ، جاء في المطبوعة . أما المخطوطة ، فهو فيها هكذا : « حدثنا محمد بن عبد الله قال ، حدثنا محمد ابن ثور قال ، حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال حدثنا أحمد بن المفضل . . . » ، وهو خلط لا ريب ، وهما إسنادان .

فالإسناد الأول ، هو : « حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد ثور ، عن معمر . . . » ، وهو إسناد دائر في التفسير .

والإسناد الثاني ، وهو هذا كما يجب أن يكون :

« حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل . . . » ، وهو إسناد دائر في التفسير ؛ أقربه رقم : ١٥٧٣٨ .

وظاهر أنه قد سقط تمام إسناد « محمد بن عبد الأعلى » .

١٥٧٥٣ – حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله: « مردفين »، قال: « المردفين »، بعضهم على إثر بعض، يتبع بعضهم بعضاً.

١٥٧٥٤ – حدثت عن الحسين قال، سمعت أبا معاذ قال، حدثنا عبيد ابن سليمان قال، سمعت الضحاك يقول فى قوله: « بألف من الملائكة مردفين »، يقول: متتابعين، يوم بدر.

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك.

فقرأته عامة قرأة أهل المدينة: ﴿ مُرْدَفِينَ ﴾، بنصب الدال.

* * *

وقرأه بعض المكيين وعامة قرأة الكوفيين والبصريين: ﴿ مُرْدِفِينَ ﴾.

* * *

وكان أبو عمرو يقرؤه كذلك، ويقول فيما ذكر عنه: هو من « أردف بعضهم بعضاً ».

* * *

وأنكر هذا القول من قول أبى عمرو بعض أهل العلم بكلام العرب وقال: إنما « الإرداف »، أن يحمل الرجل صاحبه خلفه. قال: ولم يسمع هذا فى نعت الملائكة يوم بدر.

* * *

واختلف أهل العلم بكلام العرب فى معنى ذلك إذا قرئ بفتح الدال أو بكسرها.

فقال بعض البصريين والكوفيين: معنى ذلك إذا قرئ بالكسر: أن الملائكة جاءت يتبع بعضهم بعضاً، على لغة من قال: « أردفته ». وقالوا: العرب تقول: « أردفته ». و « رَدِفته »، بمعنى « تبعته »، و « أتبعته »، واستشهد لصحة قولهم ذلك بما قال الشاعر:(١)

---

(١) هو: حزيمة بن نهد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة، من قدماء الشعراء فى الجاهلية. و « حزيمة » بالحاء المهملة المفتوحة، وكسر الزاى، هكذا ضبطه فى تاج

إِذَا الْجَوْزَاءُ أَرْدَفَتِ الثُّرَيَّا ظَنَنْتُ بِآلِ فَاطِمَةَ الظُّنُونَا (٤)

العروس ، وقال : « وحزيمة بن نهد » فى قضاعة . وهو فى كتب كثيرة « خزيمة بن نهد » ، أو « خزيمة بن مالك بن نهد » (اللسان : ردف) . وقد قرأت فى جمهرة الأنساب لابن حزم : ٤١٨ ، أن « نهد بن زيد » ، ولد « خزيمة » و « حزيمة » ، فهذا يقتضى التوقف والنظر فى ضبطه ، وأيهما كان صاحب القصة والشعر . وإن كان الأرجح هو الأول .

(١) الأغانى ١٣ : ٧٨ ، معجم ما استعجم : ١٩ ، سمط اللآلئ : ١٠٠ ، شرح ديوان أبى ذؤيب : ١٤٥ . المعارف لابن قتيبة : ٣٠٢ ، الأزمنة والأمكنة ٢ : ١٣٠ ، جمهرة الأمثال : ٣١ ، الأمثال للميدانى ١ : ٦٥ ، اللسان (ردف) ، (قرظ) .

وسبب هذا الشعر : أن حزيمة بن نهد كان مشئوماً فاسداً متعرضاً للنساء ، فعلق فاطمة بنت يذكر ابن عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، (وهو أحد القارظين المضروب بهما المثل) ، فاجتمع قومه وقومها فى مربع ، فلما انقضى الربيع ، ارتحلت إلى منازلها فقيل له : يا حزيمة : لقد ارتحلت فاطمة ! قال : أما إذا كانت حية ففيها أطمع ! ثم قال فى ذلك :

إِذَا الْجَوْزَاءُ أَرْدَفَتِ الثُّرَيَّا ظَنَنْتُ بِآلِ فاطِمَةَ الظُّنُونَا
ظَنَنْتُ بِهَا ، وَظَنُّ المرءِ حُوبٌ وَإِنْ أَوْفَى ، وَإِنْ سَكَنَ الحجُونا
وَحَالَتْ دُونَ ذَلِكَ مِنْ هُمُومِى هُمُومٌ تُخْرِجُ الشَّجَنَ الدَّفِينَا
أَرَى ابْنَةَ يَذْكُرٍ ظَعَنَتْ فَحَلَّتْ جَنُوبَ الحَزْنِ ، يا شَحَطاً مُبِيناً !

فبلغ ذلك ربيعة ، فرصدوه ، حتى أخذوه فضربوه . فمكث زماناً ، ثم إن حزيمة قال ليذكر ابن عنزة : أحب أن تخرج حتى نأتى بقرظ . فمرا بقليب فاستقيا ، فسقطت الدلو ، فنزل يذكر ليخرجها . فلما صار إلى البئر ، منعه حزيمة الرشاء ، وقال : زوجنى فاطمة ! فقال : على هذه الحال ، اقتساراً ! أخرجنى أفعل ! قال : لا أخرجك ! فتركه حتى مات فيها . فلما رجع وليس هو معه ، سأله عنه أهله ، فقال : فارقنى ، فلست أدرى أين سلك ! فاتهمته ربيعة ، وكان بينهم وبين قومه قضاعة فى ذلك شر ، ولم يتحقق أمر فيؤخذ به ، حتى قال حزيمة :

فَتَاةٌ كَأَنَّ رُضَابَ العَبِيرِ بِفِيهَا ، يُعَلُّ بِهِ الزَّنْجَبِيلُ
قَتَلْتُ أَبَاهَا عَلَى حُبِّهَا ، فَتَبْخَلُ إِنْ بَخِلَتْ أَوْ تُنِيلُ

فعندئذ ، ثارت الحرب بين قضاعة وربيعة .

قال أبو بكر بن السراج فى معنى بيت الشاهد : « إن الجوزاء تردف الثريا فى اشتداد الحر ، فتتكبد السماء فى آخر الليل ، وعند ذلك تنقطع المياه وتجف ، فيتفرق الناس فى طلب المياه ، فتغيب عنه محبوبته ، فلا يدرى أين مضت ، ولا أين نزلت » . وانظر أيضاً شرحه فى الأزمنة والأمكنة ٢ : ١٣٠ ، ١٣١ .

قالوا : فقال الشاعر : « أردفت » ، وإنما أراد « رَدِفت » ، جاءت بعدها ، لأن الجوزاء تجيء بعد الثريا .

وقالوا : معناه إذا قرئ « مردَفين » ، أنه مفعول بهم ، كأن معناه : بألف من الملائكة يُرْدِف الله بعضهم بعضاً . (١)

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك ، إذا كسرت الدال : أردفت الملائكة بعضها بعضاً = وإذا قرئ بفتحها : أردف الله المسلمين بهم .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك عندى ، قراءةُ من قرأ : ﴿ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ ، بكسر الدال ، لإجماع أهل التأويل على ما ذكرت من تأويلهم ، أن معناه : يتبع بعضهم بعضاً ، ومتتابعين = فى إجماعهم على ذلك من التأويل ، الدليلُ الواضحُ على أن الصحيح من القراءة ما اخترنا فى ذلك من كسر الدال ، بمعنى : أردف بعض الملائكة بعضاً . ومسموعٌ من العرب : « جئت مُرْدِفاً لفلان » ، أى : جئت بعده .

وأما قول من قال : معنى ذلك إذا قرئ « مردَفين » بفتح الدال : أن الله أردفَ المسلمين بهم = فقولٌ لا معنى له ، إذ الذكر الذى فى « مردفين » من الملائكة دون المؤمنين . وإنما معنى الكلام : أن يمدكم بألف من الملائكة يُرْدَف بعضهم ببعض . ثم حذف ذكر الفاعل ، وأخرج الخبر غير مسمًّى فاعلُه فقيل : « مردَفين » ، بمعنى مردَفٌ بعض الملائكة ببعض .

ولو كان الأمر على ما قاله من ذكرنا قوله ، وجب أن يكون فى « المردفين » ذكر المسلمين ، لا ذكر الملائكة . وذلك خلاف ما دلّ عليه ظاهر القرآن .

* * *

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٠٤ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٤١ .

وقد ذكر فى ذلك قراءة أخرى ، وهى ما : —

١٥٧٥٥ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، قال عبد الله بن يزيد ﴿مُرَدِّفِينَ﴾ و ﴿مُرِدِّفِينَ﴾ و ﴿مُرُدِّفِينَ﴾، مثقّل[1] على معنى : « مُرْتَدِفين ».

١٥٧٥٦ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا يعقوب بن محمد الزهرى قال ، حدثنى عبد العزيز بن عمران ، عن الزمعى ، عن أبى الحويرث ، عن محمد بن جبير ، عن على رضى الله عنه قال : نزل جبريل فى ألف من الملائكة عن ميمنة النبى صلى الله عليه وسلم وفيها أبو بكر رضى الله عنه ، ونزل ميكائيل عليه السلام فى ألف من الملائكة عن ميسرة النبى صلى الله عليه وسلم ، وأنا فيها .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١٠) ٩/١٢٩

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : لم يجعل الله إردافَ الملائكة بعضها بعضاً وتتابعها بالمصير إليكم ، أيها المؤمنون ، مدداً لكم = « إلا بشرى » لكم ، أى : بشارة

(١) ضبطها القرطبى فى تفسيره ٧ : ٣٧١ .

(٢) الطبرى : ١٥٧٥٦ — « عبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن ابن عوف الزهرى» ، الأعرج ، يعرف « بابن أبى ثابت » ، كان صاحب نسب وشعر ، ولم يكن صاحب حديث ، وكان يشتم الناس ويطعن فى أحسابهم . قال البخارى « منكر الحديث ، لا يكتب حديثه » ، وقال ابن أبى حاتم : « منكر الحديث جداً » . مضى برقم : ٨٠١٢ .

و « الزمعى » ، هو « موسى بن يعقوب الزمعى القرشى » ، ثقة ، متكلم فيه مضى برقم : ٩٩٢٣ ، وكان فى المطبوعة هناك « الربعى » ، وهى فى المخطوطة غير منقوط ، وهذا صوابه ، وهو الذى يروى عن أبى الحويرث .

و « أبو الحويرث » هو : « عبد الرحمن بن معاوية بن الحويرث الأنصارى الزرقى » ، ثقة ، متكلم فيه حتى قالوا : « لا يحتج بحديثه » . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٢/٢/٢٨٤ .

و « محمد بن جبير بن مطعم » ، ثقة تابعى مضى برقم : ٩٢٦٩ .

وهو إسناد ضعيف جداً .

لكم ، تبشركم بنصر الله إياكم على أعدائكم[١] = « ولتطمئن به قلوبكم » ، يقول : ولتسكن قلوبكم بمجيئها إليكم ، وتوقن بنصر الله لكم[٢] = « وما النصر إلا من عند الله » ، يقول : وما تنصرون على عدوكم ، أيها المؤمنون ، إلا أن ينصركم الله عليهم ، لا بشدة بأسكم وقواكم ، بل بنصر الله لكم ، لأن ذلك بيده وإليه ، ينصر من يشاء من خلقه = « إن الله عزيز حكيم » ، يقول : إن الله الذى ينصركم ، وبيده نصرُ من يشاء من خلقه = « عزيز » ، لا يقهره شيء ، ولا يغلبه غالب ، بل يقهر كل شيء ويغلبه ، لأنه خلقه = « حكيم » ، يقول : حكيم فى تدبيره ونصره من نصر، وخذلانه من خذل من خلقه ، لا يدخل تدبيره وهن ولا خلل.[٣]

* * *

وروى عن عبد الله بن كثير عن مجاهد فى ذلك ، ما :—

١٥٧٥٧ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، أخبرنى ابن كثير : أنه سمع مجاهداً يقول : ما مدّ النبي صلى الله عليه وسلم مما ذكر الله غيرُ ألف من الملائكة مردفين ، وذكر « الثلاثة » و « الخمسة » بشرى ، ما مدُّوا بأكثر من هذه الألف الذى ذكر الله عز وجل فى « الأنفال » ، وأما « الثلاثة » و « الخمسة » ، فكانت بشرَى .

* * *

وقد أتينا على ذلك فى « سورة آل عمران » ، بما فيه الكفاية .[٤]

* * *

---

(١) انظر تفسير « البشرى » فيما سلف ص : ٣٠٣، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الاطمئنان » فيما سلف ٥ : ٩/٤٩٢ : ١١/١٦٥ : ٢٢٤ .

(٣) انظر تفسير « عزيز » و « حكيم » فيما سلف من فهارس اللغة (عزز) ، (حكم) .

(٤) انظر ما سلف ٧ : ١٧٣ — ١٩٢ .

القول فى تأويل قوله ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « ولتطمئن به قلوبكم »، « إذ يغشيكم النعاس » ، ويعنى بقوله : « يغشيكم النعاس » ، يلقى عليكم النعاس [١] = « أمنة » يقول : أماناً من الله لكم من عدوكم أن يغلبكم ، وكذلك النعاس فى الحرب أمنة من الله عز وجل .

* * *

١٥٧٥٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن عاصم ، عن أبى رزين ، عن عبد الله قال : النعاس فى القتال ، أمنةٌ من الله عز وجل ، وفى الصلاة من الشيطان .[٢]

١٥٧٥٩ — حدثنى الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى فى قوله : « يغشاكم النعاس أمنة منه » ،[٣] عن عاصم ، عن أبى رزين ، عن عبد الله بنحوه ، قال : قال عبد الله ، فذكر مثله .

١٥٧٦٠ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن أبى رزين ، عن عبد الله ، بنحوه .

* * *

---

(١) انظر تفسير « يغشى » فيما سلف ١ : ٢٦٥ ، ١٢/٢٦٦ : ٤٣٦ : ٤٨٣ .
= وتفسير « النعاس » فيما سلف ٧ : ٣١٦ .

(٢) الأثر : ١٥٧٥٨ — انظر هذا الخبر بإسناد آخر فيما سلف رقم : ٨٠٨٣ .

(٣) قوله : « يغشاكم النعاس » قراءة أخرى فى الآية ، وسأثبتها كما جاءت فى المخطوطة بعد .

و «الأمنة» مصدر من قول القائل : «أمنت من كذا أمْنَة ، وأماناً ، وأمْناً» وكل ذلك بمعنى واحد .(١)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٧٦١ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : «أمنة منه» ، أماناً من الله عز وجل .

١٥٧٦٢ — . . . . قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : «أمنة» ، قال : أمناً من الله .

١٥٧٦٣ — حدثنى يونس قال ، حدثنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد قوله : «إذ يغشيكم النعاس أمنة منه» ، قال : أنزل الله عز وجل النعاس أمنة من الخوف الذى أصابهم يوم أحد . فقرأ : ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا﴾ ، [سورة آل عمران : ١٥٤] .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : «إذ يغشيكم النعاس أمنة منه» ،

فقرأ ذلك عامة قرأة أهل المدينة : ﴿يُغْشِيكُمُ النُّعَاسَ﴾ ، بضم الياء وتخفيف الشين ، ونصب «النعاس» ، من : «أغشاهم الله النعاس فهو يغشيهم» .

* * *

وقرأته عامة قرأة الكوفيين : ﴿يُغَشِّيكُمُ﴾ ، بضم الياء وتشديد الشين ، من : «غشّاهم الله النعاس فهو يغشّيهم» .

* * *

وقرأ ذلك بعض المكيين والبصريين : ﴿يَغْشَاكُمُ النُّعَاسُ﴾ ، بفتح الياء ورفع «النعاس» ، بمعنى : «غشيهم النعاس فهو يغشاهم» .

---

(١) انظر تفسير «أمنة» فيما سلف ٧ : ٣١٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

واستشهد هؤلاء لصحة قراءتهم كذلك بقوله فى « آل عمران » : ﴿ يَغْشَى طَائِفَةً ﴾ [سورة آل عمران : ١٥٤] .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى ذلك بالصواب : ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمْ ﴾ ، على ما ذكرت من قراءة الكوفيين ، لإجماع جميع القرأة على قراءة قوله : « وينزل عليكم من السماء ماء » ، بتوجيه ذلك إلى أنه من فعل الله عز وجل ، فكذلك الواجب أن يكون كذلك « يغشيكم » ، إذ كان قوله : « وينزل » ، عطفاً على « يغشى » ، ليكون الكلام متسقاً على نحو واحد .

* * *

وأما قوله عز وجل : « وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به » ، فإن ذلك مطرٌ أنزله الله من السماء يوم بدر ليطهر به المؤمنين لصلاتهم ، لأنهم كانوا أصبحوا ٩/١٣٠ يومئذ مُجْنِبين على غير ماء . فلما أنزل الله عليهم الماء اغتسلوا وتطهروا ، وكان الشيطان قد وسوس إليهم بما حزنهم به من إصباحهم مجنبين على غير ماء ، فأذهب الله ذلك من قلوبهم بالمطر . فذلك ربطه على قلوبهم ، وتقويته أسبابهم ، وتثبيته بذلك المطر أقدامهم ، لأنهم كانوا التقوا مع عدوهم على رملة ميثاء ،(١) فلبَّدها المطر ، حتى صارت الأقدام عليها ثابتة لا تسوخ فيها ، توطئةً من الله عز وجل لنبيه عليه السلام وأوليائه ، أسبابَ التمكن من عدوهم والظفر بهم .

* * *

وبمثل الذى قلنا تتابعت الأخبار عن [أصحاب] رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم من أهل العلم .(٢)

---

(١) فى المطبوعة : « على رملة هشاء » ، ولا أصل لذلك فى اللغة ، كلام لا يقال . وهو فى المخطوطة سيء الكتابة قليلا ، صواب قراءته ما أثبت . و « الرملة الميثاء » ، اللينة السهلة . قد تسوخ فيها الرجل قليلا .

(٢) هذه الزيادة بين القوسين لا بد منها ، والأخبار الآتية تدل على صحة ذلك . وكان فى المخطوطة أمام هذا السطر حرف (ط) دلالة على الخطأ والشك .

* ذكر الأخبار الواردة بذلك :

١٥٧٦٤ – حدثنا هرون بن إسحق قال، حدثنا مصعب بن المقدام قال، حدثنا إسرائيل قال، حدثنا أبو إسحق، عن حارثة، عن على رضى الله عنه قال : أصابنا من الليل طَشٌ من المطر[١] = يعنى الليلة التى كانت فى صبيحتها وقعة بدر = فانطلقنا تحت الشجرة والحَجَف نستظل تحتها من المطر،[٢] وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ربه : « اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الأرض! » ، فلما أن طلع الفجر، نادى: « الصلاةَ ،عبادَ الله! » ، فجاء الناس من تحت الشجر والحجف ، فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحرّض على القتال .[٣]

١٥٧٦٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حفص بن غياث، وأبو خالد، عن داود، عن سعيد بن المسيب: « ماء ليطهركم به » ، قال : طش يوم بدر .

١٥٧٦٦ – حدثنى الحسن بن يزيد قال، حدثنا حفص، عن داود، عن سعيد، بنحوه .[٤]

---

(١) « الطش » ، المطر القليل ، وهو فوق « الرذاذ » .

(٢) فى المطبوعة : « تحت الشجر » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب جيد .
= و « الحجف » (بفتحتين) جمع « حجفة » . وهى الترس ، يكون من الجلود ليس فيه خشب ولا عقب ، وهو مثل « الدرقة » .

(٣) الأثر : ١٥٧٦٤ – « هرون بن إسحق الهمدانى » ، شيخ الطبرى ، مضى برقم : ٣٠٠١ ، ١٠٨٧٣ .
و « مصعب بن المقدام الخثعمى » ، ثقة ، مضى برقم : ١٢٩١ ، ٣٠٠١ ، ١٠٨٧٣ ، وغيرها .
و « إسرائيل » هو « إسرائيل بن يونس بن إسحق السبيعى » ، ثقة حافظ ، مضى مراراً كثيرة .
و « أبو إسحق » ، هوجد « إسرائيل » ، « أبو إسحق السبيعى » ، مضى مراراً .
و « حارثة » هو « حارثة بن مضرب العبدى »، من ثقات التابعين ، مضى برقم : ٢٠٥٧ ، ٨٥٩٧ .
وهو خبر صحيح الإسناد ، خرجه السيوطى مختصراً بغير هذا اللفظ ، ونسبه إلى ابن جرير ، وأبى الشيخ ، وابن مردويه . الدر المنثور ٣ : ١٧١ .

(٤) الأثر : ١٥٧٦٦ – « الحسن بن يزيد » ، لم أجد فى شيوخ أبى جعفر ، وفيمن

١٥٧٦٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا محمد بن أبي عدى، وعبد الأعلى، عن داود ، عن الشعبي ، وسعيد بن المسيب ، قالا : طش يوم بدر .

١٥٧٦٨ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا ابن أبي عدى، عن داود ، عن الشعبي ، وسعيد بن المسيب فى هذه الآية : « ينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان »، قالا : طشٌ كان يوم بدر ، فثبَّت الله به الأقدام .

١٥٧٦٩ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إذ يغشاكم النعاس أمنة منه» الآية ، ذكر لنا أنهم مُطِروا يومئذ حتى سال الوادى ماءً ، واقتتلوا على كثيب أعفر ،(١) فلبَّده الله بالماء ، وشرب المسلمون وتوضأوا وسقوْا ، وأذهب الله عنهم وسواس الشيطان .

١٥٧٧٠ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قال : نزل النبي صلى الله عليه وسلم = يعنى : حين سار إلى بدر= والمسلمون بينهم وبين الماء رملة دَعْصَة ،(٢) فأصاب المسلمين ضعف شديد، وألقى الشيطان فى قلوبهم الغيظ ، فوسوس بينهم : تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله، وقد غلبكم المشركون على الماء، وأنتم تصلُّون مُجْنِبين ! فأمطر الله عليهم مطرًا شديداً ، فشرب المسلمون وتطهروا ، وأذهب الله عنهم رجز الشيطان ، وثبت

روى عن حفص بن غياث ، من يقال له « الحسن بن يزيد » ، وأرجح أنه : « الحسن بن عرفة بن يزيد العبدى » ، شيخ أبي جعفر ، نسبه إلى جده ، وقد مضى برقم : ٩٣٧٣ ، ١٢٨٥١ .

(١) « الأعفر » ، الرمل الأحمر .

(٢) « رملة دعصة » ، هكذا جاء فى التفسير ، فى المخطوطة والمطبوعة ، وفى ابن كثير ، وضبطته بفتح الدال ، لأنى رجوت أن يكون صفة ، كقولهم : « الدعصاء » ، وهى أرض سهلة فيها رملة تحمى عليها الشمس ، فتكون رمضاؤها أشد من غيرها ، قال :

وَالْمُسْتَجِيرُ بِعَمْرٍو عِنْدَ كُرْبَتِهِ كَالْمُسْتَجِيرِ مِنَ الدَّعْصَاءِ بِالنَّارِ

ولكن كتب اللغة لم تذكر « دعصة » ، هذه . وفى بعض الأخبار الأخرى « رملة دهسة » . و « الدهس » ، و « الدهاس » ، أرض سهلة لينة يثقل فيها المشى .

الرمل حين أصابه المطر ، ومشى الناس عليه والدوابّ ، فساروا إلى القوم ، وأمدّ الله نبيه بألف من الملائكة ، فكان جبريل عليه السلام فى خمسمئة من الملائكة مجنِّبةً ، وميكائيل فى خمسمئة مجنبةً .(١)

١٥٧٧١ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « إذ يغشاكم النعاس أمنة منه » إلى قوله : « ويثبت به الأقدام » ، وذلك أن المشركين من قريش لما خرجوا لينصروا العير ويقاتلوا عنها ، نزلوا على الماء يوم بدر ، فغلبوا المؤمنين عليه ، فأصاب المؤمنين الظمأ ، فجعلوا يصلون مجنبين مُحْدِثين ، حتى تعاظم ذلك فى صدور أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله من السماء ماء حتى سال الوادى ، فشرب المسلمون ، وملأوا الأسقية ، وسقوا الرِّكاب ، واغتسلوا من الجنابة ، فجعل الله فى ذلك طهوراً ، وثبت الأقدام . وذلك أنه كانت بينهم وبين القوم رَملة ، فبعث الله عليها المطر ، فضربها حتى اشتدّت ، وثبتت عليها الأقدام .

١٥٧٧٢ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، فسبقهم المشركون إلى ماء بدر فنزلوا عليه ، وانصرف أبو سفيان وأصحابه تِلْقاء البحر ، فانطلقوا . قال : فنزلوا على أعلى الوادى ، ونزل محمد صلى الله عليه وسلم فى ٩/١٣١
أسفله ، فكان الرجل من أصحاب محمد عليه السلام يُجْنِب فلا يقدر على الماء ، فيصلى جُنُباً ، فألقى الشيطان فى قلوبهم فقال : كيف ترجون أن تظهروا عليهم ، وأحدكم يقوم إلى الصلاة جنباً على غير وضوء !. قال : فأرسل الله عليهم المطر ، فاغتسلوا وتوضأوا وشربوا ، واشتدّت لهم الأرض ، وكانت بطحاء تدخل فيها أرجلهم ،(٢) فاشتدّت لهم من المطر ، واشتدُّوا عليها .

---

(١) « المجنبة » (بتشديد النون مكسورة) ، هى الكتيبة التى تأخذ إحدى ناحيتى الجيش ، « المجنبة اليمنى » ، و « المجنبة اليسرى » ، وهى : « الميمنة » و « الميسرة » .

(٢) « البطحاء » ، تراب لين مما جرته السيول ، وهو « الأبطح » ، يكون فى مسيل الوادى .

١٥٧٧٣ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : غلب المشركون المسلمين فى أول أمرهم على الماء، فظمئ المسلمون وصلوا مجنبين محدثين ،وكانت بينهم رمال، فألقى الشيطان فى قلوب المؤمنين الحَزَن ، فقال : تزعمون أن فيكم نبيًّا ،وأنكم أولياء الله ، وقد غلبتم على الماء ، وتصلون مُجْنبين محدثين! قال : فأنزل الله عز وجل ماء من السماء ، فسال كل وادٍ ، فشرب المسلمون وتطهروا ، وثبتت أقدامهم ، وذهبت وسوسة الشيطان .

١٥٧٧٤ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « ماء ليطهركم به » ، قال : المطر ، أنزله عليهم قبل النعاس = «رجز الشيطان » ، قال: وسوسته . قال : فأطفأ بالمطر الغبار ، والتبدت به الأرض ،(١) وطابت به أنفسهم ، وثبتت به أقدامهم .

١٥٧٧٥ – حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ماء ليطهركم به » ، أنزله عليهم قبل النعاس ، طبّق بالمطر الغبار ، ولبّد به الأرض ، وطابت به أنفسهم ، وثبتت به الأقدام .

١٥٧٧٦ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ماء ليطهركم به » ، قال : القطر = « ويذهب عنكم رجز الشيطان » ، وساوسه . أطفأ بالمطر الغبار ، ولبد به الأرض ،(٢) وطابت به أنفسهم، وثبتت به أقدامهم .

١٥٧٧٧ – حدثني المثنى قال : حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن

---

(١) فى المخطوطة : « واسب به » غير منقوطة ، كأنها « وأثبتت به» ، بالبناء للمجهول ، والذى فى المطبوعة جيد ، وقريب أن يكون قد حرفه الناسخ .

(٢) فى المخطوطة : « تطق بالمطر الغبار ، وبدت به الأرض » ، وهو محرف ، والذى فى المطبوعة أشبه بالصواب .

ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « رجز الشيطان » ، وسوسته .

١٥٧٧٨ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به » ، قال : هذا يوم بدر ، أنزل عليهم القطر = « وليذهب عنكم رجز الشيطان » ، الذي ألقى في قلوبكم : ليس لكم بهؤلاء طاقة ! = « وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام » .

١٥٧٧٩ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول : حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « إذ يغشاكم النعاس أمنة منه » ، إلى قوله : « ويثبت به الأقدام » ، إن المشركين نزلوا بالماء يوم بدر ، وغلبوا المسلمين عليه ، فأصاب المسلمين الظمأ ، وصلوا محدثين مجنبين ، فألقى الشيطان في قلوب المؤمنين الحزَن ، ووسوس فيها : إنكم تزعمون أنكم أولياء الله ، وأن محمداً نبي الله ، وقد غلبتم على الماء ، وأنتم تصلون محدثين مجنبين ! فأمطر الله السماء حتى سال كل واد ، فشرب المسلمون وملأوا أسقيتهم ،[1] وسقوا دوابهم ، واغتسلوا من الجنابة ، وثبت الله به الأقدام . وذلك أنهم كان بينهم وبين عدوهم رملة لا تجوزها الدواب ، ولا يمشي فيها الماشي إلا بجَهد . فضربها الله بالمطر حتى اشتدت ، وثبتت فيها الأقدام .

١٥٧٨٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « إذ يغشاكم النعاس أمنة منه » ، أي : أنزلت عليكم الأمنة حتى نمتم لا تخافون ، = « وينزل عليكم من السماء ماء » ، للمطر الذي أصابهم تلك الليلة ،[2] فحبس المشركون أن يسبقوا إلى الماء ، وخلّى سبيل المؤمنين إليه = « ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام » ، ليذهب عنهم شك

---

(١) في المخطوطة : « وبلوا أسقيتهم » . كأنها تقرأ « وبلوا » ، والذي في المطبوعة جيد ، قد مضى مثله في الأخبار .

(٢) في المطبوعة : « ونزل عليكم من السماء المطر الذي أصابهم . . . » ، وفي المخطوطة « ونزلت عليكم من السماء المطر الذي أصابهم . . » ، وأثبت ما في سيرة ابن هشام وهو الجيد .

الشيطان ، بتخويفه إياهم عدوهم ، واستجلاد الأرض لهم ،(١) حتى انتهوا إلى منزلهم الذى سبقوا إليه عدوهم .(٢)

١٥٧٨١ – حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : ثم ذكر ما ألقى الشيطان فى قلوبهم من شأن الجنابة ، وقيامهم يصلون بغير وضوء ، فقال : « إذ يغشيكم النعاسَ أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام » ، حين تشتدون على الرمل ، وهو كهيئة الأرض .

١٥٧٨٢ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا داود بن أبى هند قال : قال رجل عند سعيد بن المسيب = وقال مرة : قرأ ١٣٢/٩ = « وينزل عليكم من السماء ماء ليطهِّركم به » ،(٣) فقال سعيد : إنما هى : ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ . قال : وقال الشعبى : كان ذلك طشًّا يوم بدر .

* * *

وقد زعم بعض أهل العلم بالغريب من أهل البصرة ، أن مجاز قوله : « ويثبت به الأقدام » ، ويفرغ عليهم الصبر وينزله عليهم ، فيثبتون لعدوهم .(٤)

---

(١) « استجلاد الأرض » : من « الجلد » (بفتحتين) ، وهى الأرض الصلبة ، يعنى أنها صارت أرضاً صلبة غليظة ، بعد أن كانت رملة ميثاء لينة .

و « استجلدت الأرض » ، مما لم تذكره معاجم اللغة ، وهو عريق فصيح .

(٢) الأثر : ١٥٧٨٠ – سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٣ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٥٧٤٠ .

وكان فى المطبوعة : « الذى سبق » ، غير ما كان فى المخطوطة ، وهو المطابق لما فى سيرة ابن هشام ، وهو الصواب .

(٣) فى المطبوعة كتب « ليطهركم بها » ، غير ما فى المخطوطة ، ولا أدرى من أين جاء بها ، ولم أجد قراءة كهذه القراءة ، بل المعروف أن قراءة عامة القرأة « ليطهركم به » بتشديد الهاء مكسورة ، من « طهر » مضعفاً ، وأن سعيد بن المسيب ، قد انفرد بقراءة « ليطهركم » ، كما ضبطتها ، بضم الياء ، وسكون الطاء وكسر الهاء . من « أطهر » ، وهى قراءة شاذة . انظر شواذ القراءات لابن خالويه : ٤٩ ، وتفسير أبى حيان ٤ : ٤٦٨ .

(٤) هو أبو عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ٢٤٢ .

وذلك قولٌ خِلافٌ لقول جميع أهل التأويل من الصحابة والتابعين، وحَسْبُ قولٍ خطأً أن يكون خلافاً لقول من ذكرنا، وقد بينا أقوالهم فيه، وأن معناه : ويثبت أقدام المؤمنين بتلبيد المطر الرمل حتى لا تسوخ فيه أقدامهم وحوافر دوابّهم .(١)

* * *

وأما قوله : « إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنّي معكم » ، أنصركم(٢) = « فثبتوا الذين آمنوا » ، يقول : قوُّوا عزمهم ، وصححوا نياتهم في قتال عدوهم من المشركين.(٣)

* * *

وقد قيل : إن تثبيت الملائكة المؤمنين ، كان حضورهم حربهم معهم .

* * *

وقيل : كان ذلك معونتهم إياهم بقتال أعدائهم .

* * *

وقيل : كان ذلك بأن الملك يأتي الرجلَ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقول: سمعت هؤلاء القوم = يعني المشركين = يقولون : والله لئن حملوا علينا لننكشفن !(٤) فيحدِّث المسلمون بعضهم بعضاً بذلك ، فتقوى أنفسهم . قالوا : وذلك كان وحي الله إلى ملائكته .

* * *

وأما ابن إسحق فإنه قال بما :—

١٥٧٨٣ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « فثبتوا الذين آمنوا » ، أي : فآزروا الذين آمنوا .(٥)

* * *

---

(١) انظر تفسير « تثبيت الأقدام » فيما سلف ٥ : ٧/٣٥٤ : ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

* * *

هذا ، وقد أغفل أبو جعفر هنا إفراد تفسير « يذهب عنكم رجز الشيطان » و « وليربط على قلوبكم » .

وانظر تفسير « الرجز » فيما سلف : ص: ١٧٩، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « مع » فيما سلف ٣ : ٥/٢١٤ : ٣٥٣ .

(٣) انظر تفسير «التثبيت» فيما سلف ٥ : ٧/٣٥٤/٢٧٢، ٢٧٣، ومادة (ثبت) في فهارس اللغة.

(٤) « الانكشاف » ، الانهزام .

(٥) الأثر : ١٥٧٨٣ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٣، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٥٧٨٠.

القول فى تأويل قوله ﴿ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ (١٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : سأرْعَبُ قلوب الذين كفروا بى ، أيها المؤمنون ، منكم ، وأملأها فرقاً حتى ينهزموا عنكم[1] = « فاضربوا فوق الأعناق ».

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « فوق الأعناق » .

فقال بعضهم : معناه : فاضربوا الأعناق .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٧٨٤ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية : « فاضربوا فوق الأعناق » ، قال : اضربوا الأعناق .

١٥٧٨٥ — . . . . قال ، حدثنا أبى، عن المسعودى ، عن القاسم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى لم أبعث لأعذّب بعذاب الله ، إنما بعثت لضرب الأعناق وشدّ الوَثَاق .

١٥٧٨٦ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « فاضربوا فوق الأعناق » ، يقول : اضربوا الرقاب .

* * *

واحتج قائلو هذه المقالة بأن العرب تقول : « رأيت نفس فلان » ، بمعنى : رأيته . قالوا : فكذلك قوله : « فاضربوا فوق الأعناق » ، إنما معناه : فاضربوا الأعناق .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك ، فاضربوا الرؤوس .

---

(١) انظر تفسير « إلقاء الرعب » فيما سلف ٧ : ٢٧٩ .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٧٨٧ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة : « فاضربوا فوق الأعناق » ، قال : الرؤوس .

* * *

واعتلّ قائلوا هذه المقالة بأن الذى « فوق الأعناق » ، الرؤوس. قالوا : وغير جائز أن تقول « فوق الأعناق » ، فيكون معناه : « الأعناق » . قالوا : ولو جاز ذلك ، جاز أن يقال[1] : « تحت الأعناق » ، فيكون معناه : « الأعناق » . قالوا : وذلك خلاف المعقول من الخطاب ، وقلبٌ لمعانى الكلام .[2]

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : فاضربوا على الأعناق ، وقالوا : « على » و « فوق » معناهما متقاربان، فجاز أن يوضع أحدهما مكان الآخر .[3]

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله أمر المؤمنين، مُعَلِّمَهم كيفية قتلِ المشركين وضربهم بالسيف : أن يضربوا فوق الأعناق منهم والأيدى والأرجل. وقوله « فوق الأعناق » ، محتمل أن يكون مراداً به الرؤوس ، ومحتمل أن يكون مراداً له : من فوق جلدة الأعناق،[4] فيكون معناه : على الأعناق. وإذا احتمل ذلك ، صحّ قولُ من قال ، معناه : الأعناق . وإذا كان الأمر محتملاً ما ذكرنا من التأويل ، لم يكن لنا أن نوجّهه إلى بعض معانيه دون بعض، إلا بحجة يجب التسليم لها . ولا حجة تدلّ على خصوصه ، فالواجب أن يقال : إن الله أمر بضرب رؤوس المشركين وأعناقهم وأيديهم وأرجلهم، أصحابَ نبيه صلى الله عليه وسلم الذين شهدوا معه بدرًا .

* * *

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « ولو جاز ذلك كان أن يقال » ، وهو فاسد ، صوابه ما أثبت .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « وقلب معانى الكلام » ، وصواب السياق ما أثبت .

(٣) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٤٢ .

(٤) فى المطبوعة حذف « من » ، وهى فى المخطوطة سيئة الكتابة .

وأما قوله: «واضربوا منهم كل بنان»، فإن معناه: واضربوا ، أيها المؤمنون ، من عدوكم كل طَرَف ومَفْصِل من أطراف أيديهم وأرجلهم .

* * *

و « البنان » جمع « بنانة » ، وهى أطراف أصابع اليدين والرجلين ، ومن ذلك قول الشاعر :(١)

أَلاَ لَيْتَنِي قَطَّعْتُ مِنِّي بَنَانَةً وَلاَقَيْتُهُ فِي الْبَيْتِ يَقْظَانَ حاذِرَا (٢) ١٣٣/٩

---

(١) هو العباس بن مرداس السلمى .

(٢) مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٤٢ ، اللسان (بنن) ، ولم أجده فى مكان آخر . وقال أبو عبيدة بعد البيت : « يعنى أبا ضب ، رجلا من هذيل ، قتل هريم بن مرداس وهو نائم ، وكان جاورهم بالربيع » .

وقد روى أبو الفرج الأصبهانى فى الأغانى ١٣ : ٦٦ (ساسى)، عن أبى عبيدة، أن هريم ابن مرداس كان مجاوراً فى خزاعة ، فى جوار رجل منهم يقال له عامر ، فقتله رجل من خزاعة يقال له خويلد . فالذى قاله أبو عبيدة هنا مضطرب ، وهو زيادة بين قوسين فى النسخة المطبوعة ، فأخشى أن لا تكون من قول أبى عبيدة .

وأما « أبو ضب » الرجل من هذيل ، فهو شاعر معروف من بنى لحيان ، من هذيل ، له شعر فى بقية أشعار الهذليين وأخبار ، انظر رقم : ١٣ ، ١٤ من الشعر . وجاء أيضاً فى البقية من شعر هذيل ٤٣ ، ما نصه : « وقال عباس بن مرداس ، وأخواله بنو لحيان » :

لاَ تَأْمَنَنْ بالعَادِ والخِلْفِ بَعْدَهَا جِوَارَ أُناسٍ يَبْتَنُونَ الحَصَائِرَا

ذكر « جواراً » كان فى بنى لحيان ، فأجابه رجل من بنى لحيان ، يذكر عقوقه أخواله ، ويتهدده بالقتل .

جَزَى اللهُ عَبَّاساً عَلَى نَأْيِ دَارِهِ عُقُوقاً كَحَرِّ النَّارِ يَأْتِي المَعَاشِرَا
فَوَاللهِ لَوْلاَ أَنْ يُقَالَ: ابْنُ أُخْتِهِ! لَفَقَّرْتُهُ ، إِنِّي أُصِيبُ المَفَاقِرَا
فِدًى لأَبِي ضَبٍّ تِلاَدِي ، فإِنَّنَا تَكَلَّنَا عَلَيْهِ دَاخِلاً وَمُجَاهِرَا
وَمَطْعَنَهُ بالسَّيْفِ أَحْشَاءَ مالِكٍ بِمَا كَانَ مَنَّى أَوْرَدُوهُ الجَرَائِرَا

فقد ذكر فى هذا الشعر « أبا ضب » ، ومقتله « مالكا » . ولم أقف بعد على « مالك » هذا ، ولكنى أظن أن شعر عباس هذا ، يدخل فى خبر مقتل « مالك » الذى قتله « أبو ضب » ، لا فى خبر مقتل أخيه « هريم بن مرداس » ، فذاك خبر معروف رجاله .

يعني بـ « البنانة » واحدة « البنان » .

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٧٨٨ – حدثنا أبو السائب قال، حدثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية : « واضربوا منهم كل بنان » ، قال : كل مفصِل .

١٥٧٨٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن إدريس، عن أبيه ، عن عطية : « واضربوا منهم كل بنان » ، قال : المفاصل .

١٥٧٩٠ – . . . . قال ، حدثنا المحاربي، عن جويبر ، عن الضحاك : « واضربوا منهم كل بنان » ، قال : كل مفصل .

١٥٧٩١ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة : « واضربوا منهم كل بنان »، قال : الأطراف. ويقال : كل مفصل .

١٥٧٩٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس: « واضربوا منهم كل بنان »، يعني : بالبنان، الأطراف .

١٥٧٩٣ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قوله : « واضربوا منهم كل بنان » ، قال : الأطراف .

١٥٧٩٤ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال، حدثنا عبيد بن سليمان قال، سمعت الضحاك يقول في قوله: «واضربوا منهم كل بنان » ، يعني : الأطراف .

* * *

وقوله « حاذرا » ، أي : مستعداً حذراً متيقظاً . وقال شمر : « الحاذر » ، المؤذي الشاك السلاح ، وفي شعر العباس بن مرداس ما يشعر بذلك :

وَإِنِّي حاذِرٌ أَنْمِي سِلاَحِي إلى أَوْصالِ ذَيَّالٍ مَنِيعِ

وكان في المطبوعة : « قطعت منه بنانة » ، فأفسد الشعر إفساداً ، إذ غير الصواب المحض الذي في المخطوطة ، متابعاً خطأ الرواية المحرفة في لسان العرب .

القول فى تأويل قوله ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (١٣)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « ذلك بأنهم » ، هذا الفعل من ضرب هؤلاء الكفرة فوق الأعناق وضرب كل بنان منهم ، جزاءٌ لهم بشقاقهم الله ورسوله ، وعقاب لهم عليه .

* * *

ومعنى قوله : « شاقوا الله ورسوله » ، فارقوا أمرَ الله ورسوله وعصوهما ، وأطاعوا أمرَ الشيطان .(١)

* * *

ومعنى قوله : « ومن يشاقق الله ورسوله » ، ومن يخالف أمرَ الله وأمر رسوله ففارق طاعتهما(٢) = « فإن الله شديد العقاب » ، له . وشدة عقابه له : فى الدنيا ، إحلالُه به ما كان يحلّ بأعدائه من النقم ، وفى الآخرة ، الخلودُ فى نار جهنم = وحذف [illegible] من الكلام ، لدلالة الكلام عليها .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (١٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : هذا العقابُ الذى عجلته لكم ، أيها الكافرون المشاقّون لله ورسوله ، فى الدنيا ، من الضرب فوق الأعناق منكم ، وضرب

---

(١) انظر تفسير « الشقاق » فيما سلف ٣ : ١١٥ ، ١١٦ ، ٨/٣٣٦ : ٣١٩/ ٩ : ٢٠٤ .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « وفارق » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

كل بنان ، بأيدى أوليائى المؤمنين ، فذوقوه عاجلاً ، واعلموا أن لكم فى الآجل والمعاد عذابَ النار .(١)

* * *

ولفتح « أن » من قوله : « وأن للكافرين » ، من الإعراب وجهان :

أحدهما : الرفع ، والآخر : النصبُ .

فأما الرفع ، فبمعنى : ذلكم فذوقوه ، ذلكم وأن للكافرين عذاب النار= بنية تكرير « ذلكم » ، كأنه قيل : ذلكم الأمر ، وهذا .

وأما النصب : فمن وجهين : أحدهما : ذلكم فذوقوه ، واعلموا ، أو : وأيقنوا أن للكافرين = فيكون نصبه بنية فعل مضمر ، قال الشاعر :

وَرَأَيْتِ زَوْجَكِ فِى الوَغَى مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحَا (٢)

بمعنى : وحاملاً رمحاً .

والآخر : بمعنى : ذلكم فذوقوه ، وبأن للكافرين عذاب النار = ثم حذفت « الباء » ، فنصبت .(٣)

* * *

(١) انظر تفسير « الذوق » فيما سلف ١٢ : ٤٢٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) مضى البيت مراراً وتخريجه ، انظر آخرها ما سلف ١١ : ٥٧٧ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٠٥ ، ٤٠٦ .

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ ﴿١٦﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله = « إذا لقيتم الذين كفروا » فى القتال = « زحفاً » ، يقول : متزاحفاً بعضكم إلى بعض = و « التزاحف » ، التدانى والتقارب[1] = « فلا تولوهم الأدبار » ، يقول : فلا تولوهم ظهوركم فتنهزموا عنهم ، ولكن اثبتوا لهم ، فإن الله معكم عليهم[2] = « ومن يولهم يومئذ دبره » ، يقول : ومن يولهم منكم ظهره = « إلا متحرفاً للقتال » ، يقول : إلا مستطرداً لقتال عدوه ، يطلب عورةً له يمكنه إصابتها فيكرّ عليه = « أو متحيزاً إلى فئة » أو : إلا أن يوليهم ظهره متحيزًا إلى فئة ، يقول : صائرًا إلى حيّز المؤمنين الذين يفيئون به معهم إليهم لقتالهم ،[3] ويرجعون به إليهم معهم .[4]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٧٩٥ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن جويبر ، عن الضحاك : « إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة » ، قال : « المتحرف » ، المتقدم من أصحابه ليرى غِرّة من العدوّ فيصيبها . قال ، و « المتحيز » ، الفارّ إلى

(١) هذا الشرح لقوله : « التزاحف » ، لا تجده فى معاجم اللغة ، فيقيد .
(٢) انظر تفسير « التولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .
=وتفسير « الدبر » فيما سلف ٧ : ١٠٩ ، ١٠/١١٠ : ١٧٠ .
(٣) انظر تفسير « فئة » فيما سلف ٩ : ٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٤) فى المطبوعة : « يرجعون به معهم إليهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه . وكذلك من فرّ اليوم إلى أميره وأصحابه . قال الضحاك : وإنما هذا وعيد من الله لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، أن لا يفروا. ١٣٤/٩
وإنما كان النبيُّ عليه الصلاة والسلام وأصحابه فئتَهم .(١)

١٥٧٩٦ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى : « ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة » ، أما « المتحرف » ، يقول : إلا مستطرداً يريد العودة = « أو متحيزاً إلى فئة » ، قال : « المتحيز » ، إلى الإمام وجنده إن هو كرّ فلم يكن له بهم طاقة ، ولا يُعذَر الناس وإن كثروا أن يُوَلُّوا عن الإمام .

* * *

واختلف أهل العلم فى حكم قول الله عز وجل : « ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم » ، هل هو خاص فى أهل بدر ، أم هو فى المؤمنين جميعاً ؟

فقال قوم : هو لأهل بدر خاصة ، لأنه لم يكن لهم أن يتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عدوه وينهزموا عنه ، فأما اليومَ فلهم الانهزام .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٧٩٧ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا داود ، عن أبى نضرة فى قول الله عز وجل : « ومن يولهم يومئذ دبره » ، قال : ذاك يوم بدر ، ولم يكن لهم أن ينحازوا ، ولو انحاز أحدٌ لم ينحز إلا إلى(٢) = قال أبو موسى : يعنى : إلى المشركين .

١٥٧٩٨ — حدثنا إسحق بن شاهين قال، حدثنا خالد ، عن داود ، عن

---

(١) فى المطبوعة : حذف « وأصحابه » ، تحكماً .

(٢) وقف على قوله : « إلى » ، كأنه يشير بيده إلى الفئة الأخرى ، والتى فسرها أبو موسى ، وهو ابن المثنى ، بقوله : يعنى : إلى المشركين .

أبي نضرة ، عن أبي سعيد قوله عز وجل : « ومن يولهم يومئذ دبره » ، ثم ذكر نحوه = إلا أنه قال : ولو انحازوا انحازوا إلى المشركين ، ولم يكن يومئذ مسلم في الأرض غيرهم .

١٥٧٩٩ – حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا بشر بن مفضل قال ، حدثنا داود ، عن أبي نضرة ، عن سعيد قال : نزلت في يوم بدر : «ومن يولهم يومئذ دبره » .

١٥٨٠٠ – حدثنا ابن المثنى وعلى بن مسلم الطوسى = قال ابن المثنى : حدثني عبد الصمد = وقال على : حدثنا عبد الصمد = قال ، حدثنا شعبة ، عن داود ، يعني ابن أبي هند ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد : « ومن يولهم يومئذ دبره » ، قال : يوم بدر = قال أبو موسى : حدثت أن في كتاب غندر هذا الحديث : عن داود ، عن الشعبي ، عن أبي سعيد .

١٥٨٠١ – حدثنا أحمد بن محمد الطوسى قال، حدثنا على بن عاصم ، عن داود بن أبي هند، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدرى قال: إنما كان ذلك يوم بدر، لم يكن للمسلمين فئة إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأما بعد ذلك، فإن المسلمين بعضهم فئة لبعض . (١)

١٥٨٠٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبد الأعلى قال، حدثنا داود ، عن أبي نضرة : «ومن يولهم يومئذ دبره » ، قال : هذه نزلت في أهل بدر .

١٥٨٠٣ – حدثنا يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن ابن عون قال :

---

(١) الآثار : ١٥٧٩٧ – ١٥٨٠١ – « دواد » هو « ابن أبي هند » مضى مراراً .
و « أبو نضرة » هو « المنذر بن مالك بن قطعة العبدى » ، ثقة ، مضى مراراً آخرها رقم : ١٤٦٦٤ .
و « أبو سعيد » ، هو أبو سعيد الخدرى ، صاحب رسول الله .
وهذا الخبر رواه الحاكم في المستدرك ٢ : ٣٢٧ ، من طريق شعبة ، عن داود بن أبي هند ، بمثله ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبي .

كتبت إلى نافع أسأله عن قوله : « ومن يولهم يومئذ دبره » ، أكان ذلك اليوم ، أم هو بعد ؟ قال : وكتب إلىّ : « إنما كان ذلك يوم بدر » .

١٥٨٠٤ — حدثنا على بن سهل قال، حدثنا زيد ، عن سفيان ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : إنما كان الفرار يوم بدر ، ولم يكن لهم ملجأ يلجأون إليه . فأما اليوم ، فليس فرارٌ .

١٥٨٠٥ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن الربيع ، عن الحسن : « ومن يولهم يومئذ دبره » ، قال : كانت هذه يوم بدر خاصة ، ليس الفرار من من الزحف من الكبائر.

١٥٨٠٦ — . . . . قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن رجل ، عن الضحاك : « ومن يولهم يومئذ دبره » ، قال : كانت هذه يوم بدر خاصة .

١٥٨٠٧ — . . . . قال ، حدثنا روح بن عبادة ، عن حبيب بن الشهيد ، عن الحسن : « ومن يولهم يومئذ دبره » ، قال : نزلت فى أهل بدر .

١٥٨٠٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ومن يولهم يومئذ دبره » ، قال : ذلكم يوم بدر .

١٥٨٠٩ — حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن المبارك بن فضالة ، عن الحسن : « ومن يولهم يومئذ دبره » ، قال : ذلك يوم بدر. فأما اليوم ، فإن انحاز إلى فئة أو مصر = أحسبه قال : فلا بأس به .

١٥٨١٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا قبيصة بن عقبة قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن عون قال : كتبت إلى نافع : « ومن يولهم يومئذ دبره » ، قال : إنما هذا يوم بدر .

١٥٨١١ — حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال ، حدثنا ابن المبارك ، عن ابن لهيعة قال ، حدثنى يزيد بن أبى حبيب قال : أوجب الله لمن فرّ يوم بدر النارَ . قال : « ومن يولهم يومئذ دبره إلاّ متحرفاً لقتال أو متحيزًا إلى

فئة فقد باء بغضب من الله » ، فلما كان يوم أحد بعد ذلك قال : ﴿ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ ، [سورة آل عمران : ١٥٥] . ثم كان حنين ، بعد ذلك بسبع سنين فقال : ﴿ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴾ ، [سورة التوبة : ٢٥] : ﴿ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ﴾ ، [سورة التوبة : ٧] .

١٣٥/٩ ١٥٨١٢ — حدثني يعقوب قال ، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا ابن عون ، عن محمد : أن عمر رحمة الله عليه بلغه قتل أبي عبيد فقال : لو تحيز إليّ ! إنْ كنتُ لَفِئَةً ! (١)

١٥٨١٣ — حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، حدثنا ابن المبارك ، عن جرير بن حازم قال ، حدثني قيس بن سعد قال : سألت عطاء بن أبي رباح عن قوله : « ومن يولهم يومئذ دبره » ، قال : هذه منسوخة بالآية التي في الأنفال : ﴿ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾ ، [سورة الأنفال : ٦٦] . قال : وليس لقوم أن يفرُّوا من مثليهم . قال ونسخت تلك إلاّ هذه العِدّة . (٢)

١٥٨١٤ — حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن

---

(١) الأثر : ١٥٨١٢ — « أبو عبيد بن مسعود الثقفي » ، صحابي ، وهو صاحب يوم الجسر المعروف بجسر أبي عبيد . وكان عمر لما ولي الخلافة ، عزل خالد بن الوليد عن العراق والأعنة ، وولى أبا عبيد بن مسعود الثقفي سنة ١٣ . ولما وجه يزدجر جموعه إلى جيش أبي عبيد ، عبر أبو عبيد الجسر في المضيق ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، وأنكى أبو عبيد في الفرس ، وضرب أبو عبيد مشفر الفيل ، فبرك عليه الفيل فقتله . واستشهد من المسلمين يومئذ ألف وثمانمئة ، ويقال أربعة آلاف ، ما بين قتيل وغريق . انظر الاستيعاب : ٦٧١ ، وتاريخ الطبري ٤ : ٦٧ — ٧٠ . وانظر الأثر رقم : ١٥٨١٤ ، ١٥٨١٥ .

وفي كثير من الكتب « أبو عبيدة » في هذا الخبر ، وهو خطأ .

وكان في المطبوعة هنا : « لو تحيز إلى لكنت له فئة » ، غير ما في المخطوطة بلا أمانة ولا معرفة .

(٢) الأثر : ١٥٨١٣ — « قيس بن سعد المكي » ، ثقة ، مضى برقم : ٢٩٤٣ ، ٩٤١٣ ، وكان في المخطوطة والمطبوعة : « قيس بن سعيد » ، وهو خطأ .

سليمان التيمى ، عن أبى عثمان قال : لما قتل أبو عبيد ، جاء الخبر إلى عمر فقال : يا أيها الناس ، أنا فئتكم .(١)

١٥٨١٥ — . . . . قال ابن المبارك : عن معمر وسفيان الثورى وابن عيينة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : قال عمر رضى الله عنه : أنا فئة كل مسلم .

* * *

وقال آخرون : بل هذه الآية حكمها عام فى كل من ولى الدبر عن العدو منهزماً .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٨١٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قال : أكبر الكبائر الشرك بالله ، والفرار من الزحف ، لأن الله عز وجل يقول : « ومن يولهم يومئذ دبره فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين فى هذه الآية بالصواب عندى ، قولُ من قال : حكمها محكم ، وأنها نزلت فى أهل بدر ، وحكمها ثابت فى جميع المؤمنين ، وأن الله حرّم على المؤمنين إذا لقوا العدو ، أن يولوهم الدبر منهزمين إلا لتحرفٍ لقتال ، أو لتحيز إلى فئة من المؤمنين حيث كانت من أرض الإسلام ، وأن من ولاّهم الدبر بعد الزحف لقتالٍ منهزماً بغير نية إحدى الخلتين اللتين أباح الله التولية بهما ، فقد استوجب من الله وعيده ، إلاّ أن يتفضل عليه بعفوه .

وإنما قلنا هى محكمة غير منسوخة ، لما قد بينا فى غير موضع من كتابنا هذا

---

(١) الأثر : ١٥٨١٤ — « أبو عثمان » ، مجهول ، روى عن أنس بن مالك ، ومعقل ابن يسار . روى عنه « سليمان التيمى » ، قال ابن المدينى : « لم يرو عنه غيره ، وهو مجهول » مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٤/٢/٤٠٨ .

وغيره :[١] أنه لا يجوز أن يحكم لحكم آية بنسخ، وله فى غير النسخ وجه، إلا بحجة يجب التسليم لها، من خبر يقطع العذر، أو حجة عقل. ولا حجة من هذين المعنيين تدل على نسخ حكم قول الله عز وجل : « ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة ».

* * *

وأما قوله : « فقد باء بغضب من الله »، يقول : فقد رجع بغضب من الله[٢] = « ومأواه جهنم »، يقول : ومصيره الذى يصير إليه فى معاده يوم القيامة جهنم[٣] = « وبئس المصير »، يقول : وبئس الموضع الذى يصير إليه ذلك المصير.[٤]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله، ممن شهد بدراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقاتل أعداء دينه معه من كفار قريش : فلم تقتلوا المشركين، أيها المؤمنون، أنتم، ولكن الله قتلهم.

* * *

وأضاف جل ثناؤه قتلهم إلى نفسه، ونفاه عن المؤمنين به الذين قاتلوا المشركين، إذ كان جل ثناؤه هو مسبِّب قتلهم، وعن أمره كان قتالُ المؤمنين إياهم. ففى ذلك أدلُّ الدليل على فساد قول المنكرين أن يكون لله فى أفعال خلقه صُنْعٌ به وَصَلوا إليها.

---

(١) انظر ما قاله فى « النسخ »، فى فهارس الموضوعات، وفى فهارس اللغة والنحو وغيرهما.

(٢) انظر تفسير « باء » فيما سلف ١٠ : ٢١٦، تعليق : ٢، والمراجع هناك.

(٣) انظر تفسير « مأوى » فيما سلف ١٠ : ٤٨١، تعليق : ٣، والمراجع هناك.

(٤) انظر تفسير « المصير » فيما سلف ٩ : ٢٠٥، تعليق : ٥، والمراجع هناك.

وكذلك قوله لنبيه عليه السلام : « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » ، فأضاف الرمىَّ إلى نبي الله، ثم نفاه عنه، وأخبر عن نفسه أنه هو الرامى، إذ كان جل ثناؤه هو الموصل المرمىَّ به إلى الذين رُمُوا به من المشركين ، والمسبِّب الرمية لرسوله .

فيقال للمنكرين ما ذكرنا[1] : قد علمتم إضافة الله رَمْيَ نبيه صلى الله عليه وسلم المشركين إلى نفسه، بعد وصفه نبيَّه به، وإضافته إليه، وذلك فعلٌ واحد ،[2] كان من الله تسبيبه وتسديده ، [3] ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحذفُ والإرسال ، فما تنكرون أن يكون كذلك سائر أفعال الخلق المكتسبة : من الله الإنشاء والإنجاز بالتسبيب، ومن الخلق الاكتسابُ بالقُوى؟ فلن يقولوا فى أحدهما قولاً إلا ألزموا فى الآخر مثله .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٨١٧ — حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ،عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قول الله: « فلم تقتلوهم » ، لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حين قال هذا: « قتلت »، وهذا : «قتلت» = « وما رميت إذ رميت» ، قال : لمحمد حين حَصَب الكفار . ٩/١٢٦

١٥٨١٨ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

١٥٨١٩ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة: «للمسلمين ما ذكرنا» ، وهو خطأ صرف ، وظاهر أن كاتب النسخة التى نقل عنها ناسخ المخطوطة ، قد وصل « راء » المنكرين بالياء والنون ، ولم يضع شرطة الكاف كعادتهم ، فقرأها خطأ ، ونقلها خطأ .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « ذلك » بغير واو ، والكلام لا يستقيم بغيرها .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « بتسبيبه » ، وهو خطأ من الناسخ ، صوابه ما أثبت بغير باء فى أوله ، كما يدل عليه السياق .

قتادة : « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » ، قال : رماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحصباء يوم بدر .

١٥٨٢٠ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أيوب ، عن عكرمة قال : ما وقع منها شيء إلاّ في عين رجل .

١٥٨٢١ – حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث قال، حدثنا أبي قال ، حدثنا أبان العطار قال ، حدثنا هشام بن عروة قال : لما ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرًا قال: هذه مصارعهم ! ووَجد المشركون النبيَّ صلى الله عليه وسلم قد سبقهم إليه ونزل عليه ، فلما طلعوا عليه زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « هذه قريش قد جاءت بجَلَبَتها وفخرها ، تحادُّك وتكذب رسولك، اللهم إني أسألك ما وعدتني ! » . فلما أقبلوا استقبلهم ، فحثا في وجوههم ، فهزمهم الله عز وجل .(١)

١٥٨٢٢ – حدثنا أحمد بن منصور قال، حدثنا يعقوب بن محمد قال ، حدثنا عبد العزيز بن عمران قال ، حدثنا موسى بن يعقوب بن عبد الله بن زمعة ، عن يزيد بن عبد الله ، عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة ، عن حكيم بن حزام قال: لما كان يوم بدر، سمعنا صوتاً وقع من السماء كأنه صوت حصاة وقعت في طَسْت ، ورمى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الرمية فانهزمنا .(٢)

---

(١) الأثر : ١٥٨٢١ – « أبان العطار » ، هو « أبان بن يزيد العطار » ، ثقة ، مضى : ٣٨٣٢ ، ٩٦٥٦ ، ١٣٥١٨ ، ١٥٧١٩ .

وهذا الخبر رواه أبو جعفر في تاريخه ٢ : ٢٦٨ في أثناء خبر طويل ، قد مضى بعضه برقم : ١٥٧١٩ ، وهو من كتاب عروة إلى عبد الملك بن مروان ، ورواه أبو جعفر مفرقاً في التاريخ ، سأخرجه مجموعاً في تخريج الأثر رقم : ١٦٠٨٣ .

وكان في المطبوعة هنا : « قد جاءت بخيلائها وفخرها » ، وهو تصرف قبيح . وأثبت ما في المخطوطة ، وهو مطابق لما في التاريخ .

و « الجلبة » ، هو اختلاط الناس إذ تجمعوا ، وصاح بعضهم ببعض يذمره ويستحثه ، كالذي يكون في اجتماع الجيوش .

(٢) الأثر : ١٥٨٢٢ – « أحمد بن منصور بن سيار بن المعارك الرمادي » ، شيخ الطبري ، ثقة مضى برقم : ١٠٢٦٠ ، ١٠٥٢١ .

١٥٨٢٣ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا أبو معشر، عن محمد بن قيس، ومحمد بن كعب القرظي قالا : لما دنا القوم بعضهم من بعض، أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضه من تراب فرمى بها في وجوه القوم، وقال: « شاهت الوجوه ! »، فدخلت في أعينهم كلهم، وأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتلونهم ويأسرونهم، وكانت هزيمتهم في رمية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنزل الله: «وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى»، الآية، إلى: « إن الله سميع عليم ».

١٥٨٢٤ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: « وما رميت إذ رميت »، الآية، ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أخذ يوم بدر ثلاثة أحجار ورمى بها وجوه الكفار، فهزموا عند الحجر الثالث.

و « يعقوب بن محمد الزهري »، مختلف فيه، وهو صدوق، ولكن لا يبالي عمن حدث. مضى برقم: ٢٨٦٧، ٨٠١٢، ١٥٦٥٤، ١٥٧١٤.

و « عبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز الزهري »، الأعرج، يعرف بابن أبي ثابت. ضعيف، كان صاحب نسب، لم يكن من أصحاب الحديث. مضى برقم: ٨٠١٢، ١٥٧٥٦.

و « موسى بن يعقوب بن عبد الله بن وهب بن زمعة الأسدي القرشي »، ثقة، متكلم فيه، وقال أحمد: « لا يعجبني حديثه »، وقال أبو داود: « له مشايخ مجهولون ». مضى برقم: ٩٩٢٣، ١٥٧٥٦.

و « يزيد بن عبد الله بن وهب بن زمعة الأسدي القرشي »، روى عنه ابن أخيه « موسى بن يعقوب ». مترجم في الكبير ٤/٢/٣٤٦، وابن أبي حاتم ٤/٢/٢٧٦، ولم يذكرا فيه جرحاً.

و « أبو بكر بن سليمان بن أبي حثمة العدوي »، كان من علماء قريش. ثقة. مترجم في التهذيب، والكنى للبخاري: ١٣، وابن أبي حاتم ٤/٢/٣٤١.

وهذا خبر ضعيف الإسناد، لضعف « عبد العزيز بن عمران الزهري »، وذكره ابن كثير في تفسيره ٤: ٣٢، وقال: « غريب من هذا الوجه »، فقصر في بيان إسناده.

بيد أن الهيثمي ذكره في مجمع الزوائد ٦: ٨٤، وقال: « رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وإسناده حسن »، فلعله إسناد غير هذا، فإنه قد ضعف عبد العزيز بن عمران في هذا الباب مراراً كثيرة.

وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣: ١٧٤، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه.

١٥٨٢٥ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين التقى الجمعان يوم بدر لعلى : « أعطنى حصاً من الأرض»، فناوله حصى عليه تراب، فرمى به وجوه القوم، فلم يبق مشرك إلا دخل فى عينيه من ذلك التراب شيء، ثم رَدِفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم،(١) فذكر رميةَ النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » .

١٥٨٢٦ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » ، قال : هذا يوم بدر، أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث حصيات، فرمى بحصاة فى ميمنة القوم، وحصاة فى ميسرة القوم، وحصاة بين أظهرهم، وقال : « شاهت الوجوه !» ، وانهزموا، فذلك قول الله عز وجل : « ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى » .

١٥٨٢٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثني معاوية، عن على، عن ابن عباس قال : رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده يوم بدر فقال : يا رب، إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد فى الأرض أبداً ! فقال له جبريل : خذ قبضة من التراب ! فأخذ قبضة من التراب، فرمى بها فى وجوههم، فمامن المشركين من أحد إلا أصابَ عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة، فولَّوا مدبرين .

١٥٨٢٨ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال : قال الله عز وجل فى رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين بالحصباء من يده حين رماهم : «ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى »، أى : لم يكن ذلك برميتك، لولا الذى جعل الله فيها من نصرك، وما ألقى فى صدور عدوك منها حين هزمهم الله .(٢)

* * *

(١) « ردفه » (بفتح فكسر) : اتبعه وردمه .

(٢) الأثر : ١٥٨٢٨ – سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٣ ، وهو تابع الأثر السالف رقم :

وروى عن الزهري في ذلك قول خلاف هذه الأقوال ، وهو ما : —

١٥٨٢٩ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهري : « وما رميت إذ رميت »، قال: جاء أبي بن خلف الجمحي ١٣٧/٩
إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم حائل، فقال: « آ لله محيي هذا ، يا محمد ، وهو رميم ؟» ،وهو يفتُّ العظم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يحييه الله، ثم يميتك ، ثم يدخلك النار ! قال : فلما كان يوم أحد قال : والله لأقتلن محمداً إذا رأيته ! فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : بل أنا أقتله إن شاء الله .(١)

* * *

١٥٧٨٣ . وكان في المطبوعة والمخطوطة ، أغفل ذكر « وما رميت إذ رميت » ، وأتى ببقية الآية . وكان في المخطوطة « حين هزمهم » ، بغير ذكر لفظ الجلالة ، فغيرها في المطبوعة فقال : « فهزمتهم » . وأثبت ما في سيرة ابن هشام .

(١) أخشى أن يكون في هذا الموضع من التفسير نقص ، فإني وجدت ابن كثير (٤ : ٣٢) قد ذكر في تفسير هذه الآية ما نسبه إلى ابن جرير ، وهذا نصه بترتيبه وتعليقه :

« وههنا قولان آخران غريبان جدًّا :

أحدهما : قال ابن جرير : حدثني محمد بن عوف الطائي ، حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا صفوان بن عمرو ، حدثنا عبد الرحمن بن جبير :أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم ابن أبي الحقيق بخيبر ، دعا بقوس ، فأُتِيَ بقوسٍ طويلة ، وقال : جيئوني بقوس غيرها . فجاؤوه بقوسٍ كَبْداء ، فرمى النبيّ صلى الله عليه وسلم الحصن ، فأقبل السهم يهوي حتى قتل ابن أبي الحقيق ، وهو في فراشه ،فأنزل الله :«وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ اللهَ رَمَى».

وهذا غريب ، وإسناده جيد إلى عبد الرحمن بن جبير بن نفير ،ولعله أشتبه عليه، أو أنه أراد أن الآيه تعم هذا كله ، وإلا فسياق الآية في سورة الأنفال في قصة بدرٍ لا محالة ، وهذا مما لا يخفى على أئمة العلم ، والله أعلم .

والثاني : روى ابن جرير أيضاً ، والحاكم في مستدركه ، بإسناد صحيح إلى سعيد

. . . . . .

ابن المسيّب والزهرى أنهما قالا : أنزلت فى رمية النبي صلى الله عليه وسلم يوم أُحُدٍ أُبَيَّ بن خلفٍ بالحربة فى لَأْمَته ، فخدشه فى تَرْقُوَته ، فجعل يتدأدأ عن فرسه مراراً . حتى كانت وفاتُه بعد أيام قاسى فيها العذاب الأليمَ ، موصولاً بعذابِ البرزخ ، المتصل بعذاب الآخرة .

وهذا القول عن هذين الإمامين غريب أيضًا جدًّا ، ولعلهما أرادا أن الآية تتناوله بعمومها ، لا أنها نزلت فيه خاصة ، كما تقدم ، والله أعلم » .

قلت : والخبر الأول منهما ، رواه الواحدى فى أسباب النزول : ١٧٤ من طريق « صفوان ابن عمرو ، عن عبد العزيز بن جبير » ، وقوله : « عبد العزيز » ، خطأ ، صوابه ما فى تفسير ابن كثير .

ثم إن السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ١٧٥ ، خرج هذين الخبرين منسوبين إلى ابن جرير أيضاً ، وزاد نسبته الأول منهما إلى ابن أبى حاتم . وذكر الثانى وزاد نسبته إلى ابن المنذر ، وابن أبى حاتم .

ثم زاد السيوطى فى الدر المنثور هذا الخبران ، أنقلهما أيضاً بنصهما منه :

الأول : «أخرج عبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن أبى حاتم ، عن سعيد بن المسيّب قال : لما كان يوم أُحُد ، أخذ أُبيُّ بن خلفٍ يركض فرسه حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واعترض رجالٌ من المسلمين لأُبيّ بن خلف ليقتلوه . فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : استأخروا ! فاستأخرُوا ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حربته فى يده فرمى بها أُبيّ بن خلف ، وكسر ضِلَعاً من أضلاعه ، فرجع أُبيّ بن خلف إلى أصحابه ثقيلاً ، فاحتملوه حين وَلَّوا قافلين ، فطفقوا يقولون : لا بأس ! فقال أُبيّ حين قالوا له ذلك : والله لو كانت بالناس لقتلتهم! ألم يقلْ : إنِّى أقتلك إن شاء الله ؟ فانطلق به أصحابه يَنْعَشونه حتى مات ببعض الطريق ، فدفنوه . قال ابن المسيب : وفى ذلك أنزل الله تعالى : وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ الآية » .

الثانى : « وأخرج ابن جرير وابن المنذر ، عن الزهرى فى قوله : وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ . قال : حيث رمَى أُبيَّ بنَ خلف يوم أُحُدٍ بحربته ،

وأما قوله : « وليبلى المؤمنين منه بلاء حسناً» ، فإنّ معناه : وكى ينعم على المؤمنين بالله ورسوله بالظفر بأعدائهم ،[١] ويغنّمهم ما معهم ، ويكتب لهم أجور أعمالهم وجهادهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .[٢]

* * *

وذلك « البلاء الحسن » ، رمى الله هؤلاء المشركين ، ويعنى بـ « البلاء الحسن » ، النعمة الحسنة الجميلة ، وهى ما وصفت وما فى معناه .[٣]

* * *

١٥٨٣٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال فى قوله : « وليبلى المؤمنين منه بلاء حسناً» ، أى : ليعرّف المؤمنين من نعمه عليهم ، فى إظهارهم على عدوهم مع كثرة عددهم وقلة عددهم ، ليعرفوا بذلك حقه ، وليشكروا بذلك نعمته .[٤]

* * *

وقوله : « إن الله سميع عليم » ، يعنى : إن الله سميع ، أيها المؤمنون ، لدعاء النبى صلى الله عليه وسلم ، ومناشدته ربه ، ومسألته إياه إهلاكَ عدوه وعدوكم ، فقيل له : إنْ يَكُ إلاَّ جَحْش ! قال : أليسَ قال : أنا أقتلك ؟ والله لو قالها لجميع الخلق لماتوا ! » .

فهذا كله ، يوشك أن يرجح سقوط شىء من أخبار أبى جعفر فى هذا الموضع . إلا أن تكون هذه الأخبار ستأتى فيما بعد فى غير هذا الموضع . أما فيما سلف ، فإن خبر « أبى بن خلف » قد مضى فى حديث السدى رقم : ٧٩٤٣ (ج ٧ : ٢٥٥) .

والخبر الأول رواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٣٢٧ ، من طريق محمد بن فليح ، عن موسى ابن عقبة ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى .

(١) فى المطبوعة : « ولينعم » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « ويثبت لهم أجور أعمالهم » ، وهو لا معنى له ، ولم يحسن قراءة المخطوطة ، لخطأ فى نقطها .

(٣) انظر تفسير « البلاء » فيما سلف ص : ٨٥ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .

(٤) الأثر : ١٥٨٣٠ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٥٨٢٨ . وفى السيرة سقط من السياق قوله « مع كثرة عددهم » ، فيصحح هناك .

ولقيلكم وقيل جميع خلقه = « عليم » ، بذلك كله ، وبما فيه صلاحكم وصلاح عباده ، وغير ذلك من الأشياء ، محيط به ، فاتقوه وأطيعوا أمرَه وأمر رسوله .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (١٨)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « ذلكم » ، هذا الفعل = من قتل المشركين ، ورميهم حتى انهزموا ، وابتلاء المؤمنين البلاء الحسن بالظفر بهم ، وإمكانهم من قتلهم وأسرهم = فعلنا الذى فعلنا = « وإنّ الله موهن كيد الكافرين » ، يقول : واعلموا أن الله مع ذلك مُضْعِف(٢) = « كيد الكافرين » ، يعنى : مكرهم ،(٣) حتى يَذِلُّوا وينقادوا للحق ، أو يُهْلَكوا .(٤)

* * *

وفى فتح « أن » من الوجوه ما فى قوله : ﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ﴾ ، [سورة الأنفال : ١٤] ، وقد بينته هنالك .(٥)

* * *

وقد اختلفت القرأة فى قرأة قوله : « موهن » .

فقرأته عامة قرأة أهل المدينة وبعض المكيين والبصريين : ﴿مُوَهِّنُ﴾ بالتشديد ، من : « وهّنت الشىء » ، ضعّفته .

* * *

---

(١) انظر تفسير « سميع » و « عليم » فيما سلف من فهارس اللغة (سمع) ، (علم) .

(٢) انظر تفسير « الوهن » فيما سلف ٧ : ٢٣٤ ، ٩/٢٦٩ : ١٧٠ .

(٣) انظر تفسير « الكيد » فيما سلف ص : ٣٢٢ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٤) فى المخطوطة : « ويهلكوا » ، وصواب السياق ما أثبت .

(٥) انظر ما سلف ص : ٤٣٤ .

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفيين : ﴿ مُوهِنُ ﴾ ، من « أوهنته ، فأنا موهنه » ، بمعنى : أضعفته .

* * *

قال أبو جعفر : والتشديد فى ذلك أعجبُ إلىّ ، لأن الله تعالى ذكره كان ينقض ما يبرمه المشركون لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، عقداً بعد عَقْدٍ ، وشيئاً بعد شيء . وإن كان الآخرُ وجهاً صحيحاً .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمشركين الذين حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » ، يعنى : أن تستحكموا الله على أقطع الحزبين للرحم ، وأظلم الفئتين ، وتستنصروه عليه ، فقد جاءكم حكم الله ، ونصرُه المظلوم على الظالم ، والمحق على المبطل .(١)

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٨٣١ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » ، قال : إن تستقضوا فقد جاءكم القضاء .

---

(١) انظر تفسير « الاستفتاح » و « الفتح » فيما سلف ٢ : ١٠/٢٥٤ : ٤٠٥ ، ١٢/٤٠٦ ، ٥٦٣ .

١٥٨٣٢ — . . . . قال ، حدثنا سويد بن عمرو الكلبي ، عن حماد ابن زيد ، عن أيوب ، عن عكرمة : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » ، قال : إن تستقضوا فقد جاءكم القضاء .

١٥٨٣٣ — حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » ، يعني بذلك المشركين : إن تستنصروا فقد جاءكم المدد .

١٥٨٣٤ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، أخبرني عبد الله بن كثير ، عن ابن عباس قوله : « إن تستفتحوا » ، قال : إن تستقضوا القضاء = وإنه كان يقول : « وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئاً » ، قلت : للمشركين ؟ قال : لا نعلمه إلا ذلك[1] .

١٥٨٣٥ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » ، قال : كفار قريش في قولهم : « ربنا افتح بيننا وبين محمد وأصحابه » ! ففُتح بينهم يوم بدر .

١٥٨٣٦ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

١٥٨٣٧ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » ، قال : استفتح ١٣٨/٩
أبو جهل فقال : « اللهم » = يعني محمداً ونفسه = « أيُّنا كان أفجرَ لك ، اللهم وأقطعَ للرحم ، فأحِنْه اليوم » ![2] قال الله : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » .

١٥٨٣٨ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهري في قوله : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » ، قال : استفتح

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة ، « لا نعلم » ، والجيد ما أثبت .

(٢) يقال : « أحانه الله » ، أهلكه . و « الحين » (بفتح فسكون) : الهلاك ، أو هو أجل الهلاك على التحقيق .

أبو جهل بن هشام فقال : « اللهم أيُّنَا كان أفجر لك وأقطعَ للرحم ، فأحنه اليوم ! » يعني محمداً عليه الصلاة والسلام ونفسه . قال الله عز وجل : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » ، فضربه ابنا عفراء : عوف ومعوِّذ ، وأجهزَ عليه ابن مسعود .

١٥٨٣٩ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني الليث قال ، حدثني عقيل ، عن ابن شهاب قال : أخبرني عبد الله بن ثعلبة بن صُعَير العدوى ، حليف بني زهرة : أن المستفتح يومئذ أبو جهل ، وأنه قال حين التقى القوم : « أينا أقطعُ للرحم ، وآتانا بما لا يُعرف ، فأحِنْه الغداة »! فكان ذلك استفتاحه ، فأنزل الله في ذلك : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » ، الآية .[1]

١٥٨٤٠ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » ، الآية ، يقول : قد كانت بدرٌ قضاءً وعِبْرةً لمن اعتبر .

---

(١) الأثر : ١٥٨٣٩ — « عبد الله بن ثعلبة بن صعير العدوى » ، مسح رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه ورأسه زمن الفتح ، ودعا له . وقال أبو حاتم : « رأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو صغير » ، وقال البخاري في التاريخ : « عبد الله بن ثعلبة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مرسل ، إلا أن يكون عن أبيه ، وهو أشبه » . مترجم في الإصابة ، والتهذيب ، وأسد الغابة ، والاستيعاب : ٣٤١ ، وابن أبي حاتم ٢/٢/١٩ .

وهذا الخبر سيأتي من طريق ابن إسحق ، عن الزهري ، برقم : ١٥٨٤٦ ، ١٥٨٤٨ ، ومن طريق صالح بن كيسان ، عن الزهري ، رقم : ١٥٨٤٧ .

ورواه أحمد في مسنده ٥ : ٤٣١ ، ٤ من طريق يزيد بن هرون ، عن ابن إسحق ، عن الزهري ، وص : ٤٣١ ، ٤٣٢ ، من طريق يعقوب بن إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن ابن إسحق ، عن الزهري .

ورواه الحاكم في المستدرك ٢ : ٣٢٨ من طريق يزيد بن هرون ، عن محمد بن إسحق ، عن الزهري = ثم من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل ، عن أبيه ، عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن صالح بن كيسان ، عن الزهري ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبي .

وهذا الإسناد الثاني الذي ذكره الحاكم ، لم أجده في المسند ، و« إبراهيم بن سعد » يروى عن « صالح بن كيسان » ، وعن « الزهري » ، وعن « ابن إسحق » .

١٥٨٤١ — حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : كان المشركون حين خرجوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم من مكة ، أخذوا بأستار الكعبة واستنصروا الله وقالوا : « اللهم انصر أعز الجندين ، وأكرم الفئتين ، وخير القبيلتين »! فقال الله : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » ، يقول : نصرت ما قلتم ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم .

١٥٨٤٢ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » إلى قوله : « وأن الله مع المؤمنين » ، وذلك حين خرج المشركون ينظرون عِيرَهم ، وأن أهلَ العير ، أبا سفيان وأصحابه ، أرسلوا إلى المشركين بمكة يستنصرونهم ، فقال أبو جهل : « أينا كان خيرًا عندك فانصره » ! وهو قوله : « إن تستفتحوا » ، يقول : تستنصروا .

١٥٨٤٣ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » ، قال : إن تستفتحوا العذاب ، فعُذِّبوا يوم بدر . قال : وكان استفتاحهم بمكة ، قالوا : ﴿ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ، [سورة الأنفال : ٣٢] . قال : فجاءهم العذاب يوم بدر . وأخبر عن يوم أحد : « وإن تعودوا نعد ولن تغنى عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين » .

١٥٨٤٤ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن فضيل ، عن مطرف ، عن عطية قال : قال أبو جهل يوم بدر : « اللهم انصر أهدى الفئتين ، وخير الفئتين وأفضل » فنزلت : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » ،

١٥٨٤٥ — . . . . قال ، حدثنا عبد الأعلى ، عن معمر ، عن الزهرى : أن أبا جهل هو الذى استفتح يوم بدر وقال : « اللهم أينا كان أفجر وأقطع لرحمه ، فأحِنْه اليوم » ! فأنزل الله : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » .

١٥٨٤٦ — . . . . قال ، حدثنا يزيد بن هرون ، عن ابن إسحق ،

عن الزهرى ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير : أن أبا جهل قال يوم بدر : « اللهمّ أقطعنا لرحمه ، وآتانا بما لا نعرف ، فأحنه الغداة ! » . وكان ذلك استفتاحاً منه ، فنزلت : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » ، الآية .(١)

١٥٨٤٧ — . . . . قال ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن إبراهيم بن سعد ، عن صالح بن كيسان ، عن الزهرى ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير قال : كان المستفتح يوم بدر أبا جهل ، قال : « اللهم أقطعنا للرحم ، وآتانا بما لا نعرف ، فأحنه الغداة ! » ، فأنزل الله : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » .(٢)

١٥٨٤٨ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن بن إسحق قال ، حدثنى محمد بن مسلم الزهرى ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير ، حليف بنى زهرة قال : لما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض ، قال أبو جهل : « اللهم أقطعنا للرحم ، وآتانا بما لا نعرف ، فأحنه الغداة ! » ، فكان هو المستفتح على نفسه =(٣) قال ابن إسحق : فقال الله : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » ، لقول أبى جهل : « اللهم أقطعنا للرحم ، وآتانا بما لا نعرف ، فأحنه الغداة ! » ، قال : « الاستفتاح » ، الإنصاف فى الدعاء .(٤)

١٥٨٤٩ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو معشر ، عن يزيد بن رومان وغيره قال : أبو جهل يوم بدر : « اللهم انصر أحب الدينين إليك ، دينَنا العتيق ، أم دينهم الحديث » ! فأنزل الله : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » ، إلى قوله : « وأن الله مع المؤمنين » . ١٣٩/٩

* * *

(١) الأثر : ١٥٨٤٦ — انظر تخريج الأثر رقم : ١٥٨٣٩ ، والخبرين التاليين .

(٢) الأثر : ١٥٨٤٧ — انظر تخريج الآثار السالفة ، والذى سيليه .

(٣) قول : « على نفسه » ، ليست فى سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٠ . وانظر تخريج الخبر ، بعد .

(٤) الأثر : ١٥٨٤٨ — هما خبران ، أولهما إلى قوله : « المستفتح على نفسه » ، رواه ابن هشام فى سيرته ٢ : ٢٨٠ ، وسائر الخبر ، رواه فى سيرته ٢ : ٣٢٤ ، وهو تابع الأثر : ١٥٨٣٠ .

وانظر تخريج الأثر رقم : ١٥٨٣٩ .

وأما قوله : « وإن تنتهوا فهو خير لكم » ، فإنه يقول : « وإن تنتهوا » ، يا معشر قريش ، وجماعة الكفار ، عن الكفر بالله ورسوله ، وقتال نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به = « فهو خير لكم » ، في دنياكم وآخرتكم [١] = « وإن تعودوا نعد » ، يقول : وإن تعودوا لحربه وقتاله وقتال أتباعه المؤمنين = « نعد » ، أي : بمثل الوقعة التي أوقعت بكم يوم بدر .

* * *

وقوله : « ولن تغني عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت » ، يقول : وإن تعودوا نعد لهلاككم بأيدي أوليائي وهزيمتكم ، ولن تغني عنكم عند عودي لقتلكم بأيديهم وسَبْيكم وهزمكم [٢] = « فئتكم شيئاً ولو كثرت » ، يعني : جندهم وجماعتهم من المشركين ، [٣] كما لم يغنوا عنهم يوم بدر ، مع كثرة عددهم وقلة عدد المؤمنين ، شيئاً = « وأن الله مع المؤمنين » ، يقول جل ذكره : وأن الله مع من آمن به من عباده على من كفر به منهم ، ينصرهم عليهم ، أو يظهرهم كما أظهرهم يوم بدر على المشركين . [٤]

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٨٥٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق في قوله : « وإن تنتهوا فهو خير لكم » ، قال : يقول لقريش = « وإن تعودوا نعد » ، لمثل الوقعة التي أصابتكم يوم بدر = « ولن تغني عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين » ، أي : وإن كثر عددكم في أنفسكم لن يغني عنكم شيئاً . وإني مع المؤمنين ، أنصرهم على من خالفهم . [٥]

* * *

---

(١) انظر تفسير « الانتهاء » فيما سلف ٢٠ : ٥٦٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « أغنى » فيما سلف ٧ : ١٣٣

(٣) انظر تفسير « فئة » فيما سلف ص : ٤٣٥ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « مع » فيما سلف ص : ٤٢٨ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٥) الأثر : ١٥٨٥٠ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٤ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٥٨٤٨ ، في القسم الثاني منه .

وقد قيل : إن معنى قوله : « وإن تعودوا نعد » ، وإن تعودوا للاستفتاح ، نعد لفتح محمد صلى الله عليه وسلم .

وهذا القول لا معنى له ، لأن الله تعالى قد كان ضمن لنبيه عليه السلام حين أذن له فى حرب أعدائه ، إظهارَ دينه وإعلاءَ كلمته ، من قبل أن يستفتح أبو جهل وحزبه ، فلا وجه لأن يقال والأمر كذلك : « إن تنتهوا عن الاستفتاح فهو خير لكم ، وإن تعودوا نعد » ، لأن الله قد كان وعد نبيه صلى الله عليه وسلم الفتح بقوله : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ ، [سورة الحج : ٣٩] ، استفتح المشركون أو لم يستفتحوا .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٨٥١ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإن تعودوا نعد » ، إن تستفتحوا الثانية ، نفتح لمحمد صلى الله عليه وسلم = « ولن تغنى عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين » ، محمد وأصحابه .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « وأن الله مع المؤمنين » .

ففتحها عامة قرأة أهل المدينة بمعنى : ولن تغنى عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت وأن الله لمع المؤمنين=[1] فعطف بـ « أن » على موضع « ولو كثرت » ، كأنه قال : لكثرتها ، ولأن الله مع المؤمنين . ويكون موضع « أن » حينئذ نصباً على هذا القول .[2]

* * *

وكان بعض أهل العربية يزعم أن فتحها إذا فتحت ، على : « وأنّ الله موهن كيد الكافرين » ، « وأن الله مع المؤمنين » ، عطفاً بالأخرى على الأولى .

* * *

وكان فى المطبوعة و « إن الله مع المؤمنين ينصرهم » ، وفى المخطوطة مثله إلا أن فيها « أنصرهم » ، وأثبت نص ما فى سيرة ابن هشام ، والذى فى المخطوطة بعضه سهو من الناسخ وعجلة .

(١) فى المطبوعة : « مع المؤمنين » بغير لام ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وأنا فى شك منه .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٠٧ .

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفيين والبصريين : ﴿ وَإِنَّ اللهَ ﴾ ، بكسر الألف ، على الابتداء ، واعتلوا بأنها في قراءة عبد الله : ﴿ وإنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾.

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب ، قراءة من كسر « إن » للابتداء ، لتقضّي الخبر قبل ذلك عما يقتضي قوله : « وأن الله مع المؤمنين » .[1]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ (٢٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله = « أطيعوا الله ورسوله » ، فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه = « ولا تولوا عنه » ، يقول : ولا تدبروا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مخالفين أمره ونهيه[2] = « وأنتم تسمعون » . أمرَه إياكم ونهيه ، وأنتم به مؤمنون ، كما : —

١٥٨٥٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون » ، أي : لا تخالفوا أمره ، وأنتم تسمعون لقوله ، وتزعمون أنكم منه .[3]

* * *

---

(١) في المطبوعة : « عما يقضي قوله » ، والصواب ما في المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « التولي » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .

(٣) الأثر : ١٥٨٥٢ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٤ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٥٨٥٠ .

وكا في المطبوعة هنا « وتزعمون أنكم مؤمنون » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو المطابق لما في سيرة ابن هشام .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ (٢١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله من أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم : لا تكونوا ، أيها المؤمنين ، فى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كالمشركين الذين إذا سمعوا كتاب الله يتلى عليهم قالوا : « قد سمعنا » ، بآذاننا = « وهم لا يسمعون » ، يقول : وهم لا يعتبرون ما يسمعون بآذانهم ولا ينتفعون به ، لإعراضهم عنه ، وتركهم أن يُوعُوه قلوبهم ويتدبروه . فجعلهم الله ، إذ لم ينتفعوا بمواعظ القرآن وإن كانوا قد سمعوها بآذانهم ،[1] بمنزلة من لم يسمعها . يقول جل ثناؤه لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تكونوا أنتم فى الإعراض عن أمر رسول الله ، وترك الانتهاء إليه وأنتم تسمعونه بآذانكم ، كهؤلاء المشركين الذين يسمعون مواعظ كتاب الله بآذانهم ، ويقولون : « قد سمعنا » ، وهم عن الاستماع لها والاتعاظ بها معرضون كمن لا يسمَعُها .[2]

٩/١٤٠

* * *

وكان ابن إسحق يقول فى ذلك ما :—

١٥٨٥٣ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون » ، أى : كالمنافقين الذين يظهرون له الطاعة ، ويُسِرُّون المعصية .[3]

١٥٨٥٤ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا

---

(١) فى المطبوعة : « فجعلهم الله لما لم ينتفعوا » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المخطوطة : « وهم لاستعمالها والاتعاظ بها » ، والصواب ما فى المطبوعة ، وإنما هو إسقاط من الناسخ فى كتابته . وكان فى المطبوعة : « كن لم يسمعها » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) الأثر : ١٥٨٥٣ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٤ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٥٨٥٢ .

عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « وهم لا يسمعون » ، قال : عاصون .

١٥٨٥٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

* * *

قال أبو جعفر : وللذي قال ابن إسحق وجه ، ولكن قوله : « ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون»، في سياق قَصَص المشركين ، ويتلوه الخبر عنهم بذمّهم، وهو قوله : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ ، فلأن يكون ما بينهما خبرًا عنهم، أولى من أن يكون خبرًا عن غيرهم .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٢٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إنّ شر ما دبّ على الأرض من خلق الله عند الله ،(١) الذين يصغون عن الحق لئلا يستمعوه ، (٢) فيعتبروا به ويتعظوا به ، وينكُصون عنه إن نطقوا به ،(٣) الذين لا يعقلون عن الله أمره ونهيه ، فيستعملوا بهما أبدانهم .

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) انظر تفسير « دابة » فيما سلف ٣ : ١١/٢٧٥ : ٣٤٤ .

(٢) انظر تفسير « الصم » فيما سلف ١ : ٣٢٨ – ٣/٣٣١ : ١٠/٣١٥ : ٤٧٨/ ١١ : ٣٥٠ .

(٣) انظر تفسير « البكم » فيما سلف ١ : ٣٢٨ – ٣/٣٣١ : ١١/٣١٥ : ٣٥٠ .

١٥٨٥٦ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « إن شر الدواب عند الله » ، قال : « الدواب » ، الخلق .

١٥٨٥٧ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، عن عكرمة قال: وكانوا يقولون :« إنا صم بكم عما يدعو إليه محمد ، لا نسمعه منه ، ولا نجيبه به بتصديق ! » فقتلوا جميعاً بأحد ، وكانوا أصحابَ اللواء .

١٥٨٥٨ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « الصم البكم الذين لا يعقلون » ، قال : الذين لا يتّبعون الحق .

١٥٨٥٩ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « إن شر الدوابّ عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون » ، وليس بالأصم في الدنيا ولا بالأبكم ، ولكن صمّ القلوب وبُكمها وعُميها ! وقرأ : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾، [سورة الحج : ٤٦].

* * *

واختلف فيمن عنى بهذه الآية .

فقال بعضهم : عُنى بها نفرٌ من المشركين .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٨٦٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال ، قال ابن عباس : « الصم البكم الذين لا يعقلون » ، نفرٌ من بني عبد الدار ، لا يتبعون الحق .

١٥٨٦١ – . . . . قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : « الصم البكم الذين لا يعقلون » ، قال : لا يتبعون الحق = قال، قال ابن عباس : هم نفرٌ من بني عبد الدار .

١٥٨٦١ م – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن

ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

* * *

وقال آخرون : عُنى بها المنافقون .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٨٦٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « إن شرّ الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون » ، [أى : المنافقون الذين نهيتكم أن تكونوا مثلهم ، بُكمٌ عن الخير ، صم عن الحق ، لا يعقلون] ، لا يعرفون ما عليهم فى ذلك من النقمة والتّباعة .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك بالصواب ، قولُ من قال بقول ابن عباس : وأنه عُنى بهذه الآية مشركو قريش ، لأنها فى سياق الخبر عنهم .

* * *

---

(١) الأثر : ١٥٨٦٢ – سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٤ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٥٨٥٣ . والذى بين القوسين سقط من ناسخ المخطوطة بلا شك ، لأن إسقاطه يجعل الخبر غير مطابق للترجمة ، لأنه عندئذ لا ذكر فيه للمنافقين . هذا فضلا عن أن أبا جعفر ينقل تفسير ابن إسحق فى سيرته بنصه فى كل ما مضى ، فلا معنى لاختصاره هنا اختصاراً مخلا ، فثبت أن ذلك من الناسخ فزدته من السيرة .

أما الجملة التى أثبتها الناسخ ، وهى الخارجة عن القوسين . فكانت فى المخطوطة : « . . . من النعمة والساعة » ، الأولى خطأ ، صوابها ما أثبت .

فجاء الناشر ، ولم يفهم معنى للكلام ، فجعله هكذا : « . . . من النعمة والسمة » ، فصار خلطاً لا خير فيه ، ولا معنى له . ورددته إلى الصواب والحمد لله .

و « التباعة » ، (بكسر التاء) ، مثل « التبعة » (بفتح التاء وكسر الباء) : ما فيه إثم يتبع به صاحبه . يقال : « ما عليه من الله فى هذا تبعة ولا تباعة » ، أى : مطالبة يطلب بإثمها .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ (٢٣)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية ، وفى معناها .

فقال بعضهم : عنى بها المشركون . وقال : معناها : أنهم لو رزقهم الله الفهم لما أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم ، لم يؤمنوا به ، لأن الله قد حكم عليهم أنهم لا يؤمنون .

* ذكر من قال ذلك :

١٤١/٩ ١٥٨٦٣ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج : قوله : « ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم » ، لقالوا : ﴿ ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا ﴾ ، [سورة يونس : ١٥] ، ولقالوا : ﴿ لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا ﴾ [سورة الأعراف : ٢٠٣] ، ولو جاءهم بقرآن غيره = « لتولوا وهم معرضون » .

١٥٨٦٤ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون » ، قال : لو أسمعهم بعد أن يعلم أن لا خير فيهم ، ما انتفعوا بذلك ، ولتولوا وهم معرضون .

١٥٨٦٥ — وحدثنى به مرة أخرى فقال : « لو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم » ، بعد أن يعلم أن لا خير فيهم ، ما نفعهم بعد أن نفذ علمه بأنهم لا ينتفعون به .

* * *

وقال آخرون : بل عنى بها المنافقون . قالوا : ومعناه ما :—

١٥٨٦٦ — حدثنا به ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم » ، لأنفذ لهم قولهم الذى قالوا بألسنتهم ،(١) ولكن

(١) فى المطبوعة : « الذى قالوه » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، مطابقاً لما فى السيرة

القلوب خالفت ذلك منهم ، ولو خرجوا معكم لتولوا وهم معرضون ،(١) ما وفّوا لكم بشيء مما خرجوا عليه .(٢)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى تأويل ذلك بالصواب عندى ما قاله ابن جريج وابن زيد ، لما قد ذكرنا قبل من العلة ، وأن ذلك ليس من صفة المنافقين.(٣)

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الآية إذاً : ولو علم الله فى هؤلاء القائلين خيراً ، لأسمعهم مواعظ القرآن وعِبَره ، حتى يعقلوا عن الله عز وجل حججه منه ، ولكنه قد علم أنه لا خير فيهم ، وأنهم ممن كتب لهم الشقاء فهم لا يؤمنون ، ولو أفهمهم ذلك حتى يعلموا ويفهموا ، لتولوا عن الله وعن رسوله ،(٤) وهم معرضون عن الإيمان بما دلهم على صحته مواعظُ الله وعبره وحججه ،(٥) معاندون للحق بعد العلم به .(٦)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « إذا دعاكم لما يحييكم » ، فقال بعضهم : معناه : استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم للإيمان .

---

(١) كانت هذه الجملة الآتية فى المخطوطة والمطبوعة هكذا : « فأوفوا لكم بشر مما خرجوا عليه » ، وهو لا معنى له . وصوابها ما أثبت من سيرة ابن هشام .

(٢) الأثر : ١٥٨٦٦ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٤ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٥٨٦٢ .

(٣) انظر ص : ٤٦١ .

(٤) انظر تفسير « التولى » فيما سلف ١٢ : ٥٧١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٥) فى المطبوعة : « . . . دلهم على حقيقته » ، وفى المخطوطة : « . . . دلهم على حجته » ، وهذا صواب قراءتها .

(٦) انظر تفسير « الإعراض » فيما سلف ص : ٣٣٢ تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٨٦٧ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى : « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم »، قال : أمّا « ما يحييكم »،[1] فهو الإسلام، أحياهم بعد موتهم، بعد كفرهم .

* * *

وقال آخرون : للحق .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٨٦٨ – حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد فى قول الله : « لما يحييكم »، قال : الحق .

١٥٨٦٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله .

١٥٨٧٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله : « إذا دعاكم لما يحييكم »، قال : الحق .

١٥٨٧١ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام قال، حدثنا عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد فى قوله : « استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم »، قال : للحق .

* * *

وقال آخرون : معناه : إذا دعاكم إلى ما فى القرآن .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٨٧٢ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « أما يحييكم »، بإسقاط « ما » والجيد إثباتها .

قوله : « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » ، قال : هو هذا القرآن ، فيه الحياة والثقة والنجاة والعصمة فى الدنيا والآخرة .(١)

* * *

وقال آخرون : معناه : إذا دعاكم إلى الحرب وجهاد العدو .

ذكر من قال ذلك :

١٥٨٧٣ — حدثنا ابن حميد قال، جدثنا سلمة ، عن ابن إسحق، « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم »، أى : للحرب الذى أعزكم الله بها بعد الذل، وقوّاكم بعد الضعف ، ومنعكم بهامن عدوكم بعدالقهر منهم لكم.(٢)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، قولُ من قال : معناه : استجيبوا لله وللرسول بالطاعة ، إذا دعاكم الرسول لما يحييكم من الحق . وذلك أن ذلك إذا كان معناه ، كان داخلاً فيه الأمر بإجابتهم لقتال العدو والجهاد ، والإجابة إذا دعاكم إلى حكم القرآن ، وفى الإجابة إلى كل ذلك حياة المجيب . أما فى الدنيا ، فبقاء الذكر الجميل ،(٣) وذلك له فيه حياة . وأما فى الآخرة ، فحياة الأبد فى الجنان والخلود فيها .(٤)

* * *

وأما قول من قال : معناه : الإسلام ، فقول لا معنى له . لأن الله قد وصفهم بالإيمان بقوله : « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » ، فلا وجه لأن يقال للمؤمن : استجب لله وللرسول إذا دعا إلى الإسلام والإيمان .(٥)

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « الحياة والعفة » ، وهى فى المخطوطة كما أثبتها غير منقوطة « الثاء » ، ثم زاد ناشرها أيضاً فأسقط من الكلام « والنجاة » ، وهذا من أسوأ العبث وأقبحه .

(٢) الأثر : ١٥٨٧٣ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٤ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٥٨٦٦ .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « فيقال الذكر الجميل » ، وهو لا معنى له . صوابه ما أثبت .

(٤) انظر تفسير « الاستجابة » فيما سلف ص : ٤٠٩ ، تعليق ١ ، والمراجع هناك .

(٥) فى المطبوعة : « إذا دعاك » ، وأثبت ما فى المخطوطة

وبَعْدُ ، ففيما :—

١٤٢/٩ ١٥٨٧٤ — حدثنا أحمد بن المقدام العجلى قال، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا روح بن القاسم ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبى هريرة قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبيّ وهو يصلى فدعاه : أيْ أُبَيّ! فالتفت إليه أبيّ ولم يجبه . ثم إن أبيًّا خفف الصلاة، ثم انصرف إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : السلام عليك ، أيْ رسول الله ! قال : وعليك ، ما منعك إذ دعوتك أن تجيبنى ؟ قال : يا رسول الله ، كنت أصلى ! قال : أفلم تجد فيما أوحى إلىّ : « استجيبوا للهوللرسول إذا دعاكم لما يحييكم »؟ قال : بلى، يا رسول الله ! لا أعود .(١)

---

(١) الأثر : : ١٥٨٧٤ — سيأتى من طريق أخرى فى الذى يليه .

« أحمد بن المقدام بن سليمان العجلى » ، شيخ الطبرى ، ثقة ، مضى برقم : ١٢٨٦١ .

و « يزيد بن زريع العيشى » ، ثقة حافظ مضى مراراً ، برقم : ١٧٦٩ ، ٢٥٣٣ ، ٥٤٢٩ ، ٥٤٣٨ ، وغيرها .

و « روح بن القاسم التميمى الطبرى » ، ثقة ، مضى برقم : ٦٦١٣ .

و « العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب ، مولى الحرقة » ، تابعى ثقة ، مضى برقم : ٢٢١ ، ١٤٢١٠ .

وأبوه : « عبد الرحمن بن يعقوب ، مولى الحرقة » ، تابعى ثقة . مضى برقم : ١٤٢١٠ .

وهذا الخبر رواه أحمد فى مسنده ٢ : ٤١٢ ، ٤١٣ ، من طريق عبد الرحمن بن إبراهيم ، عن العلاء بن عبد الرحمن . عن أبيه ، بنحوه ، مطولا .

ورواه الترمذى فى « فضائل القرآن، باب ماجاء فى فضل الفاتحة » ، من طريق عبد العزيز ابن محمد الدراوردى ، عن العلاء ، بنحوه مطولا ، وقال : « هذا حديث حسن صحيح. وفى الباب عن أنس بن مالك » .

وخرجه ابن كثير فى تفسيره ١ : ٢٢ ، ٢٣ .

ثم انظر حديث البخارى (الفتح ٨ : ١١٩ ، ٢٣١) ، وهو حديث أبى سعيد بن المعلى ، بنحو هذه القصة عن أبى بن كعب . وقد فصل الحافظ ابن حجر هناك الكلام فيه ، وخرج حديث أبى بن كعب . وانظر أيضاً الموطأ : ٨٣، خبر مالك عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب: أن أبا سعيد مولى عامر بن كريز ، أخبره : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى أبى بن كعب وهو يصلى . . . » بغير هذا السياق ، وماقاله فيه الحافظ ابن حجر ، وابن كثير فى تفسيره ، حيث أشرنا إلى موضعه .

١٥٨٧٥- حدثنا أبو كريب قال، حدثنا خالد بن مخلد ، عن محمد بن جعفر ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبيّ وهو قائم يصلي ، فصرخ به[فلم يجبه، ثم جاء] ، (١) فقال : يا أبيّ ، ما منعك أن تجيبني إذ دعوتك ؟ أليس الله يقول : « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » ؟ قال أبي : لا جَرَم يا رسول الله ، لا تدعوني إلا أجبتُ وإن كنت أصلي! (٢)

• • •

= ما يُبِين عن أن المعنيّ بالآية، هم الذين يدعوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ما فيه حياتهم بإجابتهم إليه من الحق بعد إسلامهم . لأن أبيًّا لاشك أنه كان مسلماً في الوقت الذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم ما ذكرنا في هذين الخبرين .

• • •

القول في تأويل قوله ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (٢٤)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك .

فقال بعضهم : معناه : يحول بين الكافر والإيمان ، وبين المؤمن والكفر .

• ذكر من قال ذلك :

---

(١) هذا الذي بين القوسين ، ليس في المخطوطة ، زاده ناشر المطبوعة ، لا أدري من أين ؟ وفي الخبر سقط لاشك فيه ، ولكني لم أجد الخبر بنصه هذا .

(٢) الأثر : ١٥٨٧٥ - إسناد آخر للخبر السالف . وقد خرجته هناك .

« خالد بن مخلد القطواني » ، ثقة من شيوخ البخاري، وأخرج له مسلم » مضى مراراً ، برقم : ٢٢٠٦ ، ٤٥٧٧ ، ٨١٦٦ ، ٨٣٩٧ ، وغيرها .

و « محمد بن جعفر بن أبي كثير الزرقي » ، ثقة معروف ، مضى برقم : ٢٢٠٦ ، ٨٣٩٧ .

١٥٨٧٦ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن عبد الله الرازى ، عن سعيد بن جبير : « يحول بين المرء وقلبه » ، قال : بين الكافر أن يؤمن ، وبين المؤمن أن يكفر .(١)

١٥٨٧٧ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أحمد = قالا ، حدثنا سفيان = وحدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرازق قال ، حدثنا الثورى = ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن عبد الله الرازى ، عن سعيد بن جبير ، بنحوه .

١٥٨٧٨ – حدثنى أبو زائدة زكريا بن أبى زائدة قال، حدثنا أبو عاصم، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن عبد الله ، عن سعيد بن جبير ، مثله .

١٥٨٧٩ – حدثنى أبو السائب وابن وكيع قالا ، حدثنا أبو معاوية ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير : « يحول بين المرء وقلبه » ، قال : يحول بين المؤمن وبين الكفر ، وبين الكافر وبين الإيمان .

١٥٨٨٠ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا محمد بن فضيل ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن عبد الله الرازى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « يحول بين المرء وقلبه » ، يحول بين الكافر والإيمان وطاعة الله .

١٥٨٨١ – . . . . قال ، حدثنا حفص، عن الأعمش ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس : « يحول بين المرء وقلبه » ، قال : يحول بين المؤمن والكفر ، وبين الكافر والإيمان .

١٥٨٨٢ – حدثنا بن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال، حدثنا عبيد ابن سليمان، وعبد العزيز بن أبى روّاد ، عن الضحاك فى قوله : « يحول بين المرء

---

(١) الأثر : ١٥٨٧٦ – « عبد الله بن عبد الله الرازى » ، « أبو جعفر الرازى » ، قاضى الرى ، ثقة ، لا بأس به . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٢/٢/٩٢ .
وهو غير « أبى جعفر الرازى التميمى » ، « عيسى بن ماهان » .

وقلبه » ، قال : يحول بين الكافر وطاعته ، وبين المؤمن ومعصيته .

١٥٨٨٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة ، عن أبي روق ، عن الضحاك بن مزاحم ، بنحوه .

١٥٨٨٤ – . . . . قال ، حدثنا المحاربي، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : يحول بين المرء وبين أن يكفر ،(١) وبين الكافر وبين أن يؤمن .

١٥٨٨٥ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، حدثنا عبد العزيز بن أبي روّاد ، عن الضحاك بن مزاحم : « يحول بين المرء وقلبه » ، قال : يحول بين الكافر وبين طاعة الله ، وبين المؤمن ومعصية الله .

١٥٨٨٦ – حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد الزبيري قال ، حدثنا ابن أبي رواد ، عن الضحاك ، نحوه .

١٥٨٨٧ – وحدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ يقول ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك بن مزاحم يقول ، فذكر نحوه .

١٥٨٨٨ – حدثني المثنى قال ، حدثنا الحجاج بن منهال قال ، حدثنا المعتمر بن سليمان قال ، سمعت عبد العزيز بن أبي رواد يحدث ، عن الضحاك ابن مزاحم في قوله : « يحول بين المرء وقلبه » ، قال : يحول بين المؤمن ومعصيته .

١٥٨٨٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه» ، يقول : يحول بين المؤمن وبين الكفر ، ويحول بين الكافر وبين الإيمان . ١٤٣/٩

١٥٨٩٠ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه » ، يقول : يحول بين الكافر وبين طاعته ، ويحول بين المؤمن وبين معصيته .

---

(١) هكذا في المخطوطة والمطبوعة : « يحول بين المرء » ، ولو ظننت أنها : « يحول بين المؤمن » ، لكان في الذي سلف ما يرجحه .

١٥٨٩١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا المحاربي ، عن ليث ، عن مجاهد : « يحول بين المرء وقلبه » ، قال : يحول بين المؤمن وبين الكفر ، وبين الكافر وبين الإيمان .

١٥٨٩٢ – . . . قال، حدثنا أبي ، عن ابن أبي روّاد ، عن الضحاك : « يحول بين المرء وقلبه » ، يقول : يحول بين الكافر وبين طاعته ، وبين المؤمن وبين معصيته .

١٥٨٩٣ – . . . .قال ، حدثنا إسحق بن إسمعيل، عن يعقوب القمي ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير : « يحول بين المرء وقلبه » ، يحول بين المؤمن والمعاصي ، وبين الكافر والإيمان .

١٥٨٩٤ – . . . .قال ، حدثنا عبيدة ، عن إسمعيل ، عن أبي صالح : « يحول بين المرء وقلبه » ، قال : يحول بينه وبين المعاصي .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : يحول بين المرء وعقله ، فلا يدرى ما يعمل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٨٩٥ – حدثنا عبيد الله بن محمد الفريابي قال، حدثنا عبد المجيد ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « يحول بين المرء وقلبه » ، قال : يحول بين المرء وعقله .

١٥٨٩٦ – حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « يحول بين المرء وقلبه » ، حتى يتركه لا يعقل .

١٥٨٩٧ – حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٥٨٩٨ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « يحول بين المرء وقلبه » ، قال :

هو كقوله : « حالَ » ، حتى تركه لا يعقل . (١)

١٥٨٩٩ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا معقل بن عبيد الله ، عن حميد ، عن مجاهد : « يحول بين المرء وقلبه » ، قال : إذا حال بينك وبين قلبك ، كيف تعمل ؟

١٥٩٠٠ – . . . قال ، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا شريك، عن خصيف، عن مجاهد: « يحول بين المرء وقلبه »، قال : يحول بين قلب الكافر وأن يعمل خيرًا .

* * *

وقال آخرون : معناه : يحول بين المرء وقلبه ، أن يقدر على إيمان أو كفر إلا بإذنه .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٩٠١ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه » ، قال : يحول بين الإنسان وقلبه ، فلا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر إلاّ بإذنه .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : أنه قريب من قلبه ، لا يخفى عليه شيء أظهره أو أسرّه .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٩٠٢ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور قال، حدثنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « يحول بين المرء وقلبه » ، قال : هى كقوله : ﴿ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾، [سورة ق : ١٦] .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب عندى فى ذلك أن يقال : إن ذلك

---

(١) فى المطبوعة : « قال : هى يحول بين المرء وقلبه حتى يتركه لا يعقل » ، غير ما فى المخطوطة كل التغيير ، لأنه لم يفهمه ، وهذا من أسوأ التصرف وأقبحه وأبعده من الأمانة . وإنما أراد أن « يحول » مضارعاً ، بمعنى « حال » ماضياً ، ولذلك قال « حتى تركه لا يعقل » . فانظر أى فساد أدخله الناشر بلا ورع !

خبرٌ من الله عز وجل أنه أملك لقلوب عباده منهم ، وأنه يحولُ بينهم وبينها إذا شاء ، حتى لا يقدر ذو قلب أن يُدرك به شيئاً من أيمان أو كفر ، أو أن يَعِي به شيئاً ، أو أن يفهم ، إلا بإذنه ومشيئته. وذلك أن « الحول بين الشيء والشيء » ، إنما هو الحجز بينهما ، وإذا حجز جل ثناؤه بين عبد وقلبه فى شيء أن يدركه أو يفهمه ،[1] لم يكن للعبد إلى إدراك ما قد منع اللهُ قلبَه إدراكَه سبيلٌ .

وإذا كان ذلك معناه ، دخل فى ذلك قول من قال : « يحول بين المؤمن والكفر ، وبين الكافر والإيمان » ، وقول من قال : « يحول بينه وبين عقله » ، وقول من قال : « يحول بينه وبين قلبه حتى لا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر إلا بإذنه » ، لأن الله عز وجل إذا حال بين عبد وقلبه ، لم يفهم العبد بقلبه الذى قد حيل بينه وبينه ما مُنِع إدراكه به ، على ما بيَّنتُ .

غير أنه ينبغى أن يقال : إن الله عم بقوله : « واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه » ، الخبرَ عن أنه يحول بين العبد وقلبه ، ولم يخصص من المعانى التى ذكرنا شيئاً دون شيء ، والكلام محتمل كل هذه المعانى ، فالخبر على العموم حتى يخصه ما يجب التسليم له .

* * *

وأما قوله : « وأنه إليه تحشرون » ، فإن معناه : واعلموا ، أيها المؤمنون ، أيضاً ، مع العلم بأن الله يحول بين المرء وقلبه : أنّ الله الذى يقدر على قلوبكم ، وهو أملك بها منكم ، إليه مصيركم ومرجعكم فى القيامة ،[2] فيوفّيكم جزاء أعمالكم ، المحسنَ منكم بإحسانه ، والمسيءَ بإساءته ، فاتقوه وراقبوه فيما أمركم ونهاكم هو ورسوله أن تضيعوه ، وأن لا تستجيبوا لرسوله إذا دعاكم لما يحييكم ، فيوجب ذلك سَخَطَه ، وتستحقوا به أليم عذابه حين تحشرون إليه . ٩/١٤٤

* * *

---

(١) انظر تفسير « المرء » فيما سلف ٢ : ٩/٤٤٦ ٤٣٠

(٢) انظر تفسير « الحشر » فيما سلف ص ٢٣ ، تعليق ١ ، والمراجع هناك

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (٢٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله : « اتقوا » ، أيها المؤمنون = « فتنة » ، يقول : اختباراً من الله يختبركم ، وبلاء يبتليكم[١] = « لا تصيبن » ، هذه الفتنة التى حذرتكموها[٢] = « الذين ظلموا » ، وهم الذين فعلوا ما ليس لهم فعله إما أجْرام أصابوها ، وذنوب بينهم وبين الله ركبوها . يحذرهم جل ثناؤه أن يركبوا له معصية ، أو يأتوا مأثمًا يستحقون بذلك منه عقوبة .[٣]

* * *

وقيل : إن هذه الآية نزلت فى قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم الذين عُنوا بها .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٩٠٣ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن إبراهيم قال ، حدثنا الحسن بن أبى جعفر قال ، حدثنا داود بن أبى هند ، عن الحسن فى قوله : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » ، قال: نزلت فى على، وعثمان، وطلحة ، والزبير ، رحمة الله عليهم .

١٥٩٠٤ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر : « واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة »، قال قتادة : قال الزبير ابن العوام: لقد نزلت، وما نرى أحداً منا يقع بها. ثم خُلِّفْنا، فى إصابتنا خاصة.[٤]

---

(١) انظر تفسير « الفتنة » فيما سلف ص : ١٥١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الإصابة » فيما سلف ٢ : ٩٦ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الخصوص » فيما سلف ٢ : ٦/٤٧١ : ٥١٧ .

(٤) فى المطبوعة : « ثم خصتنا فى إصابتنا خاصة » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو فيها غير منقوط ، وظننت أن صواب نقطها ما أثبت . يعنى : أنهم بقوا بعد الذين مضوا ، فإذا هى فى إصابتهم خاصة

١٥٩٠٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا زيد بن عوف أبو ربيعة قال ، حدثنا حماد ، عن حميد ، عن الحسن : أن الزبير بن العوام قال : نزلت هذه الآية : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » ، وما نظننا أهلها ، ونحن عُنينا بها .(١)

١٥٩٠٦ – . . . .قال ، حدثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن الصامت بن دينار ، عن ابن صهبان قال : سمعت الزبير بن العوام يقول : قرأت هذه الآية زماناً ، وما أرانا من أهلها ، فإذا نحن المعنيون بها : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب » .(٢)

١٥٩٠٧ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » ، قال : هذه نزلت فى أهل بدر خاصة ، وأصابتهم يوم الجمل ، فاقتتلوا .

١٥٩٠٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن ابن أبى خالد ، عن السدى : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب » ، قال : أصحاب الجمل .

١٥٩٠٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنا معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » ، قال : أمر الله المؤمنين أن لا يقرُّوا المنكر بين أظهرهم ، فيعمَّهم الله بالعذاب .

---

(١) الأثر : ١٥٩٠٥ – « زيد بن عوف القطعى » ، « أبو ربيعة » . ولقبه « فهد » ، متكلم فيه ، ضعيف ، مضى برقم : ٥٦٢٣ ، ١٤٢١٥ ، ١٤٢١٨ .

(٢) الأثر : ١٥٩٠٦ – « الصلت بن دينار الأزدى » « أبو شعيب » ، « المجنون » . متروك لا يحتج بحديثه . مترجم فى التهذيب . والكبير ٢ / ٢ / ٣٠٥ ، وابن أبى حاتم ٢ / ١ / ٤٣٧ . وميزان الاعتدال ١ : ٤٦٨ .

و « ابن صهبان » هو « عقبة بن صهبان الحدانى الأزدى » ، تابعى ثقة . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣ / ١ / ٣١٢ ، ولم أجدهم ذكروا له رواية عن الزبير بن العوام ، ولكنه روى عن عثمان ، وعياض بن حمار ، وعبد الله بن مغفل ، وأبى بكرة الثقفى ، وعائشة

١٥٩١٠ - . . . . قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » ، قال : هي أيضاً لكم .

١٥٩١١ - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة »، قال : « الفتنة » ، الضلالة .

١٥٩١٢ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن المسعودي ، عن القاسم قال : قال عبد الله : ما منكم من أحد إلا وهو مشتمل على فتنة، إن الله يقول : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [سورة الأنفال : ٢٨]، فليستعذ بالله من مُضِلاَّت الفتن .(١)

١٥٩١٣ - حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا مبارك ابن فضالة ، عن الحسن قال : قال الزبير : لقد خُوِّفنا بها = يعني قوله: « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » .

* * *

واختلف أهل العربية في تأويل ذلك .

فقال بعض نحويي البصرة : « اتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا » ، قوله : « لا تصيبن » ، ليس بجواب ، ولكنه نهي بعد أمرٍ . ولو كان جواباً ما دخلت « النون » .

* * *

وقال بعض نحويي الكوفة قوله : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا » ، أمرهم ثم نهاهم . وفيه طرَفٌ من الجزاء ، (٢) وإن كان نهياً . قال : ومثله قوله :

---

(١) الأثر : ١٥٩١٢ - انظر الأثر التالي رقم : ١٥٩٣٤ ، ونصه : « فمن استعاذ منكم ، فليستعذ . . » ، وكأنه الصواب .

(٢) في المطبوعة : « ومنكم ظرف من الجزاء » ، فجاء الناشر بكلام غث لا معنى له . وفي المخطوطة : « ومنه طرف » ، وصواب قراءته ما أثبت ، مطابقاً لما في معاني القرآن للفراء .

﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ﴾ ، [سورة النمل : ١٨] ، أمرهم ثم نهاهم ، وفيه تأويل الجزاء (١)

وكأن معنى الكلام عنده : اتقوا فتنة ، إن لم تتقوها أصابتكم

وأما قوله : « واعلموا أن الله شديد العقاب » ، فإنه تحذير من الله ، ووعيد لمن واقع الفتنة التي حذره إياها بقوله : « واتقوا فتنة » . يقول : اعلموا ، أيها المؤمنون ، أن ربكم شديد عقابه لمن افتتن بظلم نفسه ، وخالف أمره فأثم به .(٢)

القول في تأويل قوله ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٢٦) ١٤٥/٩

قال أبو جعفر : وهذا تذكير من الله عز وجل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومناصحة ، يقول : أطيعوا الله ورسوله ، أيها المؤمنون ، واستجيبوا له إذا دعاكم لما يحييكم ، ولا تخالفوا أمره ، وإن أمركم بما فيه عليكم المشقة والشدة ، فإن الله يهونه عليكم بطاعتكم إياه ، ويعجل لكم منه ما تحبون ، كما فعل بكم إذ آمنتم به واتبعتموه وأنتم قليل يستضعفكم الكفار فيفتنونكم عن دينكم ،(٣) وينالونكم بالمكروه في أنفسكم وأعراضكم ،(٤) تخافون منهم أن يتخطفوكم فيقتلوكم ويصطلموا

(١) هذه مقالة الفراء في معاني القرآن ١ : ٤٠٧ .

(٢) انظر تفسير « شديد العقاب » فيما سلف من فهارس اللغة (شدد) ، (عقب) .

(٣) انظر تفسير « القليل » فيما سلف ١ : ٣٢٩/٨ ، ٤٣٩ ، ٥٧٧/٩ ، ٣٣١ .

(٤) انظر تفسير « المستضعف » فيما سلف ١٢ : ٥٤٢/١٣ ، ٧٦ ، ١٣١ .

جميعكم [١] = « فآواكم » ، يقول : فجعل لكم مأوى تأوون إليه منهم [٢] =« وأيدكم بنصره » ، يقول : وقواكم بنصره عليهم حتى قتلتم منهم من قتلتم ببدر [٣] = « ورزقكم من الطيبات »، يقول : وأطعمكم غنيمتهم حلالاً طيباً [٤] =« لعلكم تشكرون »، يقول : لكي تشكروه على ما رزقكم وأنعم به عليكم من ذلك وغيره من نعمه عندكم. [٥]

* * *

واختلف أهل التأويل فى «الناس» الذين عنوا بقوله : « أن يتخطفكم الناس » .

فقال بعضهم : كفار قريش .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٩١٤ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة قوله : « واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس » ، قال : يعنى بمكة ، مع النبى صلى الله عليه وسلم ومن تبعه من قريش وحلفائها ومواليها قبل الهجرة .

١٥٩١٥ – حدثنا ابن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الكلبى = أو قتادة ، أو كلاهما [٦] = « واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون » ، أنها نزلت فى يوم بدر ، كانوا يومئذ يخافون أن يتخطفهم الناس، فآواهم الله وأيدهم بنصره .

---

(١) انظر تفسير « الخطف » فيما سلف ١ : ٣٥٧ .

(٢) وانظر تفسير « المأوى » فيما سلف ص : ٤٤١ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « أيد » فيما سلف ٢ : ٣١٩ ، ٥/٣٢٠ : ٦/٣٧٩ : ١١/٢٤٢ : ٢١٣ ، ٢١٤ .

(٤) انظر تفسير « الرزق » فيما سلف من فهارس اللغة (رزق) .

= و « الطيبات» فيما سلف منها (طيب) .

(٥) فى المطبوعة : « لكى تشكروا » ، وفى المخطوطة : « لكى تشكرون » ، ورجحت ما أثبت .

(٦) هكذا فى المخطوطة والمطبوعة : « أو كلاهما » ، وهو جائز

١٥٩١٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، بنحوه .

* * *

وقال آخرون : بل عُنى به غيرُ قريش .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٩١٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرني أبي قال ، سمعت وهب بن منبه يقول في قوله عز وجل : « تخافون أن يتخطفكم الناس » ، قال : فارس .

١٥٩١٨ – . . . . قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا إسمعيل بن عبدالكريم قال، حدثني عبد الصمد : أنه سمع وهب بن منبه يقول، وقرأ : « واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس » : و« الناس » إذ ذاك، فارس والروم .

١٥٩١٩ – . . . . قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض » ، قال: كان هذا الحي من العرب أذلَّ الناس ذلاً ،وأشقاهُ عيشاً ، وأجوعَه بطوناً،[1] وأعراه جلوداً ، وأبينَه ضلالاً ، [مكعومين ، على رأس حجر ، بين الأسدين فارس والروم ، ولا والله ما في بلادهم يومئذ من شيء يحسدون عليه] .[2] من عاش منهم عاش شقيًّا ، ومن مات منهم رُدِّيَ في النار ، يؤكلون ولا يأكلون . والله ما نعلم قبيلاً من حاضر أهل الأرض يومئذ كانوا أشرَّ منهم منزلاً ،[3] حتى جاء الله بالإسلام ،

---

(١) في المطبوعة : « بطوناً » وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) هذه الجملة بين القوسين لابد منها ، فإن الترجمة أن فارس والروم هما المعنيان بهذا . وقد أثبتها من رواية الطبري قبل ، كما سيأتي في التخريج . وإغفال ذكرها في الخبر ، يوقع في اللبس والغموض .

(٣) قوله : « أشر منهم منزلا » لم ترد في الخبر الماضي ، وكان مكانها : « والله ما نعلم قبيلا يومئذ من حاضر الأرض كانوا أصغر حظاً ، وأدق فيها شأناً ، منهم » .

فمكّن به فى البلاد ، ووسّع به فى الرزق، وجعلكم به ملوكاً على رقاب الناس . فبالإسلام أعطى الله ما رأيتم ، فاشكروا الله على نعمه ، فإن ربكم منعمٌ يحب الشكر ، وأهل الشكر فى مزيد من الله تبارك وتعالى .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب ، قولُ من قال : « عُنى بذلك مشركو قريش » ، لأن المسلمين لم يكونوا يخافون على أنفسهم قبل الهجرة من غيرهم ، لأنهم كانوا أدنى الكفار منهم إليهم ، وأشدّهم عليهم يومئذ ، مع كثرة عددهم ، وقلة عدد المسلمين .

* * *

وأما قوله : « فآواكم » ، فإنه يعنى : آواكم المدينة ، وكذلك قوله : « وأيدكم بنصره » ، بالأنصار .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٩٢٠ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فآواكم » ، قال: إلى الأنصار بالمدينة =« وأيدكم بنصره » ، وهؤلاء أصحابُ محمد صلى الله عليه وسلم ، أيدهم بنصره يوم بدر .

١٥٩٢١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة :« فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات »، يعنى المدينة .

* * *

(١) الأثر : ١٥٩١٩ — مضى هذا الخبر بإسناده مطولا فيما سلف رقم : ٧٥٩١ ، ومنه اجتلبت الزيادة والتصحيح .

القول فى تأويل قوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله من أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله = « لا تخونوا الله » ، وخيانتهم الله ورسوله ، كانت بإظهار من أظهر منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الإيمانَ فى الظاهر والنصيحةَ ، وهو يستسرُّ الكفر والغش لهم فى الباطن ، يدلُّون المشركين على عورتهم ، ويخبرونهم بما خفى عنهم من خبرهم .(١) ٩/١٤٦

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فيمن نزلت هذه الآية ،وفى السبب الذى نزلت فيه .

فقال بعضهم : نزلت فى منافق كتب إلى أبى سفيان يطلعه على سرِّ المسلمين .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٩٢٢ — حدثنا القاسم بن بشر بن معروف قال،حدثنا شبابة بن سوّار قال ، حدثنا محمد المُحْرِم قال : لقيت عطاء بن أبى رباح فحدثنى قال ،حدثنى جابر بن عبد الله: أن أبا سفيان خرج من مكة، فأتى جبريلُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال : إن أبا سفيان فى مكان كذا وكذا ! فقال النبى صلى الله عليه وسلم لأصحابه : إن أبا سفيان فى مكان كذا وكذا ، فاخرجوا إليه واكتموا ! قال : فكتب رجل من المنافقين إلى أبى سفيان : « إن محمداً يريدكم ، فخذوا حذركم » ! فأنزل الله عز وجل : « لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم » .(٢)

* * *

---

(١) انظر تفسير « الخيانة » فيما سلف ٩ : ١٩٠ .

(٢) الأثر : ١٥٩٢٢ — « القاسم بن بشر بن معروف » ، شيخ الطبرى ، مضى برقم : ١٠٥٠٩ ، ١٠٥٣١ .

وقال آخرون: بل نزلت فى أبى لبابة، فى الذى كان من أمره وأمر بنى قريظة.(١)

* ذكر من قال ذلك :

١٥٩٢٣ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى أبو سفيان ، عن معمر ، عن الزهرى قوله: « لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم » ، قال : نزلت فى أبى لبابة، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأشار إلى حلقه: إنه الذَّبح = قال الزهرى : فقال ، أبو لبابة: لا والله ، لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموتَ

و « شبابة بن سوار الفزارى » ، ثقة ، مضى مراراً : ٣٧ ، ٦٧٠١ ، ١٠٠٥١ ، وغيرهما .

و « محمد المحرم » ، هو : « محمد بن عمر المحرم » ، وقد ترجم صاحب لسان الميزان لثلاثة : « محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير المكى » (ج ٥ : ٢١٦) ، و « محمد بن عمر المحرم » ج (٥ : ٣٢٠) و « محمد المحرم » (ج ٥ : ٤٣٩) ، وقال هم واحد ، وأن « محمد بن عمر » صوابه : « محمد ابن عمير » منسوباً إلى جده . و « محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثى » ، مضى برقم : ٧٤٨٤ .

وترجم البخارى فى الكبير ١/١/١٤٢ « محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثى المكى » ، عن عطاء ، وليس بذاك الثقة . ولم يذكر أنه « محمد المحرم » .

ثم ترجم أيضاً فى الكبير ١/١/٢٤٨ « محمد المحرم » ، عن عطاء والحسن ، منكر الحديث . فكأنهما عنده رجلان .

وترجم ابن أبى حاتم ٣/٢/٣٠٠ « محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثى » ، وضعفه ، ولم يذكر أنه « محمد المحرم » .

ثم ترجم « محمد بن عمر المحرم » ، روى عن عطاء ، روى عنه شبابة ، وقال : « ضعيف الحديث ، واهى الحديث » ، ولم يذكر أنه الذى قبله .

وترجم الذهبى فى ميزان الاعتدال ٣ : ٧٧ « محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثى » ، ويقال له : « محمد المحرم » .

ثم ترجم فى الميزان ٣ : ١١٣ « محمد بن عمر المحرم » ، عن عطاء ، وعنه شبابة ، وضعفه ، ولم يذكر أنه الذى قبله .

وترجم عبد الغنى بن سعيد فى المؤتلف والمختلف : ١١٧ ، « محمد بن عبيد بن عمير المحرم » ، عن : « عطاء عن بن أبى رباح » .

والظاهر أن الذى قاله الحافظ فى لسان الميزان ، من أن هؤلاء جميعاً واحد ، هو الصواب إن شاء الله ، من أنهم جميعاً رجل واحد .

وكان فى المطبوعة : « محمد بن المحرم » ، غير ما كان فى المخطوطة بزيادة « بن » بينهما .

وهذا خبر ضعيف جداً ، لضعف « محمد المحرم » ، وهو متروك الحديث . وقد ذكر الخبر ابن كثير فى تفسيره ٤ : ٤٣ ، ٤٤ ، ثم قال : « هذا حديث غريب جداً ، وفى سنده وسياقه نظر » .

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « فى أبى لبابة ، الذى كان من أمره » ، والسياق يقتضى زيادة « فى » كما أثبتها .

أو يتوب الله عليّ ! فمكث سبعة أيام لا يذوق طعاماً ولا شراباً حتى خرّ مغشيًّا عليه ، ثم تاب الله عليه . فقيل له : يا أبا لبابة ، قد تِيبَ عليك ! قال : والله لا أحُلُّ نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يَحُلُّني . فجاءه فحله بيده . ثم قال أبو لبابة : إن من توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت بها الذنب ، وأن أنخلع من مالي ! قال : يجزيك الثلث أن تصدّق به .(١)

١٥٩٢٤ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة قال ، حدثنا إسمعيل بن أبي خالد قال : سمعت عبد الله ابن أبي قتادة يقول : نزلت : « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » ، في أبي لبابة .(٢)

* * *

وقال آخرون : بل نزلت في شأن عثمان رحمة الله عليه .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٩٢٥ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا يونس ابن الحارث الطائفي (٣) قال ، حدثنا محمد بن عبيد الله بن عون الثقفي ، عن المغيرة ابن شعبة قال : نزلت هذه الآية في قتل عثمان رحمة الله عليه : « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول » ، الآية .

* * *

---

(١) الأثر : ١٥٩٢٣ – خبر أبي لبابة بن عبد المنذر الأنصاري ، حين فعل ذلك يوم بني قريظة ، وعرف أنه خان الله ورسوله ، في سيرة ابن هشام ٣ : ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، وفي غيره . ثم إنه لما عرف ذلك ارتبط في سارية المسجد ، وقال : « لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله علي مما صنعت » .

ورواه الواحدي في أسباب النزول : ١٧٥ ، وروى بعضه مالك في الموطأ : ٤٨١ .

(٢) الأثر : ١٥٩٢٤ – « عبد الله بن أبي قتادة الأنصاري » . تابعي ثقة ، روى له الجماعة ، مترجم في التهذيب .

(٣) الأثر : ١٥٩٢٥ – « يونس بن الحارث الطائفي الثقفي » ، ضعيف ، إلا أنه لا يتهم بالكذب ، وقال ابن معين : « كنا نضعفه ضعفاً شديداً » . وقال أحمد : « أحاديثه مضطربة » . مترجم في التهذيب ، والكبير ٤/٢/٤٠٩ ، ولم يذكر فيه جرحاً ، وابن أبي حاتم ٤/٢/٢٣٧ ، وضعفه .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : إن الله نهى المؤمنين عن خيانته وخيانة رسوله ، وخيانة أمانته = وجائز أن تكون نزلت فى أبى لبابة = وجائز أن تكون نزلت فى غيره ، ولا خبر عندنا بأىّ ذلك كان يجب التسليم له بصحته .

فمعنى الآية وتأويلها ما قدمنا ذكره .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٩٢٦ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول » ، قال : نهاكم أن تخونوا الله والرسول ، كما صنع المنافقون .

١٥٩٢٧ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « لا تخونوا الله والرسول» الآية ، قال : كانوا يسمعون من النبى صلى الله عليه وسلم الحديث فيفشونه حتى يبلغ المشركين .

* * *

واختلفوا فى تأويل قوله : « وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » .

فقال بعضهم : لا تخونوا الله والرسول ، فإن ذلك خيانة لأمانتكم وهلاك لها .

و « محمد بن عبيد الله بن سعيد » ، « أبو عون الثقفى » ، ثقة ، مضى برقم : ٧٥٩٥ ، ١٣٩٦٥ ، ١٥٦٥٩ .

وكان فى المطبوعة : « محمد بن عبد الله بن عون الثقفى » ، ومثله فى المخطوطة . إلا أنه قد يقرأ « محمد بن عبيد الله » ، والصواب ما أثبت ، لأن يونس بن الحارث الطائفى ، يروى عن أبى عون الثقفى ، و « أبو عون » اسم جده « سعيد » لا « عون » .

و « أبو عون الثقفى » ، لا أظنه روى عن المغيرة بن شعبة ، فالمغيرة مات سنة خمسين ، ويقال قبلها . والمذكور فى ترجمته أنه يروى عن « عفان بن المغيرة بن شعبة » ، فهذا إسناد منقطع على الأرجح عندى .

وقوله : « نزلت فى قتل عثمان » ، يعنى أن حكمها يشمل فعل عثمان رضى الله عنه ، فإنه قتل خيانة لله ولرسوله ، وخيانة للأمانة ، إذ نقض القتلة بيعة له فى أعناقهم ، رحم الله عثمان وغفر له .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٩٢٨ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم » ، فإنهم إذا خانوا الله والرسول فقد خانوا أماناتهم .

١٥٩٢٩ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » ، أى : لا تظهروا لله من الحق ما يرضى به منكم ، ثم تخالفوه فى السرّ إلى غيره ، فإن ذلك هلاك لأماناتكم ، وخيانة لأنفسكم .(١)

* * *

قال أبو جعفر : فعلى هذا التأويل قوله : « وتخونوا أماناتكم »، فى موضع نصب على الصرف ،(٢) كما قال الشاعر :(٣)

لاَ تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ عارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ(٤)

ويروى : « وتأتِى مثله » .(٥) ١٤٧/٩

* * *

وقال آخرون : معناه : لا تخونوا الله والرسول ، ولا تخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٩٣٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ،

---

(١) الأثر : ١٥٩٢٩ – سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٥ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٥٨٧٣ .

(٢) فى المطبوعة : « على الظرف » ، وفى المخطوطة : « على الطرف » ، والصواب ما أثبت . وانظر معنى « الصرف » فيما سلف من فهارس المصطلحات .

وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٠٨ .

(٣) هو المتوكل الليثى ، وينسب لغيره .

(٤) سلف البيت ، وتخريجه ١ : ٣/٥٦٩ : ٥٥٢ .

(٥) يعنى على غير النصب .

عن علي ، عن ابن عباس قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم »، يقول : « لا تخونوا » ، يعني : لا تنقصوها .

* * *

قال أبو جعفر : فعلى هذا، التأويل : لا تخونوا الله والرسول ، ولا تخونوا أماناتكم .

* * *

واختلف أهل التأويل في معنى « الأمانة » التي ذكرها الله في قوله : « وتخونوا أماناتكم » .

فقال بعضهم : هي ما يخفى عن أعين الناس من فرائض الله .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٩٣١ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « وتخونوا أماناتكم »، و « الأمانة » ، الأعمال التي أمين الله عليها العباد = يعني الفريضة . يقول : « ولا تخونوا » ، يعني : لا تنقصوها .

١٥٩٣٢ – حدثنا علي بن داود قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله » ، يقول : بترك فرائضه = « والرسول » ، يقول : بترك سننه = وارتكاب معصيته = قال : وقال مرة أخرى : « لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم » ، و « الأمانة » ، الأعمال ، ثم ذكر نحو حديث المثنى .

وقال آخرون : معنى « الأمانات » ، ههنا ، الدين .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٩٣٣ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في

قوله : « وتخونوا أماناتكم » ، دينكم = « وأنتم تعلمون » ، قال : قد فعل ذلك

(٢)

المنافقون، وهم يعلمون أنهم كفار يظهرون الإيمان . وقرأ: ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾ [سورة النساء : ١٤٢]. قال : هؤلاء المنافقون ، أمنهم الله ورسوله على دينه ،فخانوا ، وأظهروا الإيمان وأسرُّوا الكفر .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام إذاً : يا أيها الذين آمنوا ، لا تنقصوا الله حقوقه عليكم من فرائضه ، ولا رسوله من واجب طاعته عليكم ، ولكن أطيعوهما فيما أمراكم به ونهياكم عنه ، لا تنقصوهما = «وتخونوا أماناتكم» ، وتنقصوا أديانكم وواجب أعمالكم ولازمَها لكم = «وأنتم تعلمون » ، أنها لازمة عليكم ، واجبة بالحجج التى قد ثبتت لله عليكم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين : واعلموا، أيها المؤمنون ، أنما أموالكم التى خوَّلكموها الله، وأولادكم التى وهبها الله لكم، اختبارٌ وبلاء، أعطاكموها ليختبركم بها ويبتليكم ، لينظر كيف أنتم عاملون من أداء حق الله عليكم فيها ، والانتهاء إلى أمره ونهيه فيها[1]= « وأن الله عنده أجر عظيم »، يقول: واعلموا أن الله عنده خيرٌ وثواب عظيم، على طاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم ، فى أموالكم وأولادكم التى اختبركم بها فى الدنيا . وأطيعوا الله فيما كلفكم فيها ، تنالوا به الجزيل من ثوابه فى معادكم .[2]

* * *

١٥٩٣٤ – حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا المسعودى ،

---

(١) انظر تفسير « الفتنة » فيما سلف ص : ٤٨٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الأجر » فيما سلف من فهارس اللغة (أجر) .

عن القاسم ، عن عبد الرحمن ، عن ابن مسعود في قوله : « إنما أموالكم وأولادكم فتنة » ، قال : ما منكم من أحد إلا وهو مشتمل على فتنة ، فمن استعاذ منكم فليستعذ بالله من مُضِلاّت الفتن .[1]

١٥٩٣٥ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله : « واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة »، قال « فتنة » ، الاختبار ، اختبارهم . وقرأ: ﴿ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٣٥] .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (٢٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله ، إن تتقوا الله بطاعته وأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه، وترك خيانته وخيانة رسوله وخيانة أماناتكم = « يجعل لكم فرقاناً » ، يقول: يجعل لكم فصلاً وفرْقاً بين حقكم وباطل من يبغيكم السوء من أعدائكم المشركين ، بنصره إياكم عليهم ، وإعطائكم الظفر بهم[2] = « ويكفر عنكم سيئاتكم » ، يقول : ويمحو عنكم ما سلف من ذنوبكم بينكم وبينه[3] = « ويغفر لكم » ، يقول : ويغطيها فيسترها عليكم ، فلا يؤاخذكم بها[4] = « والله ذو الفضل العظيم » ، يقول : والله الذي يفعل ذلك بكم ، له

---

(١) الأثر : ١٥٩٣٤ – انظر الأثر السالف رقم ١٥٩١٢ ، والتعليق عليه .

(٢) انظر تفسير « الفرقان » فيما سلف ١ : ٩٨ ، ٣/٩٩ : ٦/٤٤٨ : ١٦٢ ، ١٦٣ .

(٣) انظر تفسير « التكفير » فيما سلف من فهارس اللغة (كفر) .
= وتفسير « السيئات » فيما سلف من الفهارس (سوأ) .

(٤) انظر تفسير « المغفرة » فيما سلف من فهارس اللغة (غفر) .

الفضل العظيم عليكم وعلى غيركم من خلقه بفعله ذلك وفعل أمثاله . وإنّ فعله جزاءٌ منه لعبده على طاعته إياه ، لأنه الموفق عبده لطاعته التى اكتسبها ، حتى استحقّ من ربه الجزاء الذى وعدَه عليها . (١)

* * *

١٤٨/٩ وقد اختلف أهل التأويل فى العبارة عن تأويل قوله : « يجعل لكم فرقاناً » .

فقال بعضهم : مخرجاً .

* * *

وقال بعضهم : نجاة .

* * *

وقال بعضهم : فصلاً .

* * *

= وكل ذلك متقارب المعنى ، وإن اختلفت العبارات عنها ، وقد بينت صحة ذلك فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته .(٢)

* * *

* ذكر من قال : معناه : المخرج .

١٥٩٣٦ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد: « إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً » ، قال : مخرجاً .

١٥٩٣٧ - . . . . قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد : « إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً » ، قال : مخرجاً .

١٥٩٣٨ - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن عنبسة، عن جابر ، عن مجاهد : « فرقاناً » ، مخرجاً .

١٥٩٣٩ - حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد « فرقاناً » ، قال : مخرجاً فى الدنيا والآخرة .

---

(١) انظر تفسير « الفصل » ، فيما سلف فهارس اللغة (فصل)

(٢) يعنى ما سلف : ٩٨ ، ٩٩

١٥٩٤٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٥٩٤١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا هانئ بن سعيد ، عن حجاج ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « فرقاناً » ، قال : « الفرقان » ، المخرج .

١٥٩٤٢ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « فرقاناً » ، يقول : مخرجاً .

١٥٩٤٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري ، عن منصور ، عن مجاهد : « فرقاناً » ، مخرجاً .

١٥٩٤٤ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن رجاء البصري قال ، حدثنا زائدة ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

١٥٩٤٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك : « فرقاناً » ، قال : مخرجاً .

١٥٩٤٦ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، سمعت عبيداً يقول ، سمعت الضحاك يقول : « فرقاناً » ، مخرجاً .

١٥٩٤٧ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

١٥٩٤٨ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا حميد، عن زهير ، عن جابر ، عن عكرمة ، قال : « الفرقان » ، المخرج .

* * *

* ذكر من قال : معناه : النجاة .

١٥٩٤٩ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن عنبسة ، عن جابر ، عن عكرمة : « إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً » ، قال : نجاة .

١٥٩٥٠ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا إسرائيل ،

عن رجل ، عن عكرمة ومجاهد فى قوله : « يجعل لكم فرقاناً » ، قال عكرمة: المخرج = وقال مجاهد : النجاة .

١٥٩٥١ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يجعل لكم فرقاناً » ، قال : نجاة .

١٥٩٥٢ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « يجعل لكم فرقاناً » ، يقول : يجعل لكم نجاة .

١٥٩٥٣ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « يجعل لكم فرقاناً » ، أى : نجاة .

* * *

* ذكر من قال فصلاً .

١٥٩٥٤ — . . . . . .

«يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً »، قال: فرقان يفرق فى قلوبهم بين الحق والباطل ، حتى يعرفوه ويهتدوا بذلك الفرقان .(١)

١٥٩٥٥ — حدثنا ابن حميد قال،حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً » ، أى : فصلاً بين الحق والباطل ، ليظهر به حقكم ، ويخفى به باطل من خالفكم .(٢)

* * *

---

(١) الأثر : ١٥٩٥٤ — إسناد هذا الخبر ساقط فى المخطوطة ، جعل مكانه بياضاً نحواً من سطر ونصف ، فجاء ناشر المطبوعة ووصل الكلام دون أن يشير إلى ذلك البياض . وظاهر أنه خبر قائم برأسه ، كما وضعته .

(٢) الأثر : ١٥٩٥٥ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٥ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٥٩٢٩ . وكان فى المطبوعة : « يظهر » بغير لام ، وهى فى المخطوطة تقرأ هكذا وهكذا ، وأثبت نص ما فى السيرة ، باللام فى أولها .

و « الفرقان » فى كلام العرب ، مصدرٌ من قولهم : « فرقت بين الشيء والشيء أفرُق بينهما فَرْقاً وفُرْقاناً » .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾ (٣٠)

قال أبوجعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، مذكِّرَه نعمه عليه : واذكر ، يا محمد ، إذ يمكر بك الذين كفروا من مشركى قومك كى يثبتوك .(٢)

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله « ليثبتوك » .

فقال بعضهم : معناه ليقيِّدوك .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٩٥٦ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك » ، يعنى : ليوثقوك .

١٥٩٥٧ — . . . . قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ليثبتوك » ، ليوثِقوك .

١٥٩٥٨ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك » ، الآية ، يقول : ليشدُّوك

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٩٨ ، ٣/٩٩ : ٦/٤٤٨ : ١٦٢ ، ١٦٣ .

(٢) انظر تفسير « المكر » فيما سلف ١٢ : ٩٥ ، ٩٧ ، ١٣/٥٧٩ : ٣٣

وَثاقاً . وأرادوا بذلك نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ بمكة .

١٥٩٥٩ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ومقسم قالا : قالوا : « أوثقوه بالوثاق » .

١٥٩٦٠ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ،عن السدى : « ليثبتوك » ، قال : « الإثبات » ، هو الحبس والوَثاق.

* * *

وقال آخرون : بل معناه الحبس .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٩٦١ – حدثنا القاسم قال،حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، سألت عطاء عن قوله : «ليثبتوك»،قال : يسجنوك = وقالها عبد الله ابن كثير . ١٤٩/٩

١٥٩٦٢ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : قالوا : « اسجنوه » .

* * *

وقال آخرون : بل معناه : ليسحروك .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٩٦٣ – حدثني محمد بن إسمعيل البصرى المعروف بالوساوسى قال ، حدثنا عبد المجيد بن أبي روّاد ، عن ابن جريج ، عن عطاء، عن عبيد بن عمير ، عن المطلب بن أبي وَداعة : أن أبا طالب قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يأتمر به قومك ؟ قال : يريدون أن يسحروني ويقتلوني ويخرجوني ! فقال : من أخبرك بهذا ؟ قال : ربي ! قال : نعم الرب ربك ، فاستوص به خيراً ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا أستوصي به ! بل هو يستوصي بي خيراً ! فنزلت : « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك » ، الآية .[1]

---

(١) الأثر ١٥٩٦٣ « محمد بن إسماعيل البصري » ، المعروف بـ « الوساوسي » شيخ

١٥٩٦٤ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال، قال ابن جريج، قال عطاء: سمعت عبيد بن عمير يقول: لما ائتمروا بالنبي صلى الله عليه وسلم ليقتلوه أو يثبتوه أو يخرجوه، قال له أبو طالب: هل تدرى ما ائتمروا بك؟ قال: نعم! قال: فأخبره، قال: من أخبرك؟ قال: ربي! قال: نعم الرب ربك، استوص به خيراً! قال: أنا استوصى به، أو هو يستوصى بي؟[1]

* * *

الطبرى، لم أجد النص على أنه «الوساوسى»، والذى يروى عنه أبو جعفر فى تاريخه، فى مواضع «محمد بن إسماعيل الضرارى»، وهو «محمد بن إسماعيل بن أبي ضرار الرازى»، صدوق. مترجم فى التهذيب، وابن أبي حاتم ١٩٠/٢/٣، وذكر فى التهذيب أن أبا جعفر محمد بن جرير الطبرى، روى عنه، ولم يذكروا أنه يعرف بالوساوسى.

وترجم ابن أبي حاتم لأخيه: «أحمد بن إسماعيل بن أبي ضرار الرازى»، ٤١/١/١، فوجدت فى لباب الأنساب ٢ : ٢٧٣ : «الوساوسى، عرف بها «أحمد بن إسماعيل الوساوسى البصرى»، فدل هذا على ترجيح أن يكون «محمد بن إسماعيل بن أبي ضرار» يقال له «الوساوسى» أيضاً.

و «عبد المجيد بن أبي رواد»، هو «عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد الأزدى»، روى عن ابن جريج وغيره. وثقه أحمد وابن معين. وغيرهما. وضعفه أبو حاتم وابن سعد. ومنهم من قال هو ثبت فى حديثه عن ابن جريج، ومنهم من قال: روى عن ابن جريج أحاديث لا يتابع عليها. مترجم فى التهذيب، وابن أبي حاتم ٦٤/١/٣.

«عبيد بن عمير بن قتادة الليثي» ثقة، مضى برقم: ٩١٨٠، ٩١٨١، ٩١٨٩، ١٥٦٢١.

وكان فى المخطوطة والمطبوعة: «عبيد بن عمير بن المطلب بن أبي وداعة»، وهو خطأ لاشك فيه.

و «المطلب بن أبي وداعه السهمى القرشى»، له صحبة. مترجم فى التهذيب، والكبير ٧/٢/٤، وابن أبي حاتم ٣٥٨/١/٤، ولم يذكر لعبيد بن عمير رواية عنه.

وهذا الخبر رواه ابن كثير فى تفسيره ٤ : ٤٦، ٤٧، وقال: «وذكر أبي طالب فى هذا، غريب جداً، بل منكر. لأن هذه الآية مدنية. ثم إن هذه القصة، واجتماع قريش على هذا الائتمار والمشاورة على الإثبات أو النفى أو القتل، إنما كانت ليلة الهجرة سواء. وكان ذلك بعد موت أبي طالب بنحو من ثلاث سنين، لما تمكنوا منه واجترأوا عليه بسبب موت عمه أبي طالب، الذى كان يحوطه وينصره ويقوم بأعبائه».

فلو صح ما قاله ابن كثير، كان هذا الخبر من الأخبار التى دعتهم إلى أن يقولوا فى «عبد المجيد ابن أبي رواد» أنه روى عن ابن جريج أحاديث لا يتابع عليها. ومع ذلك فإن حجاجاً قد روى عنه مثل رواية عبد المجيد. انظر التعليق على الأثر التالى، فإنى أذهب مذهباً غير مذهب ابن كثير فى الخبر. وانظر أيضاً رقم: ١٥٩٧٦، فإن ابن جريج سيقول إن هذه الآية مكية، لا مدنية.

(١) الأثر: ١٥٩٦٤ – انظر التعليق على الأثر السالف. سلف ما قاله ابن كثير فى نقد هذا الخبر. والذى دفعه أن يقول ما قال، من أنه كان ليلة الهجرة، ما رواه ابن جرير فى الأثر

وكأنّ معنى مكر قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم به ليثبتوه ، كما :—

١٥٩٦٥ — حدثنا سعيد بن يحيى الأموى قال، حدثنى أبى قال ، حدثنا محمد بن إسحق ، عن عبد الله بن أبى نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس = قال وحدثنى الكلبى ، عن زاذن مولى أم هانئ ، عن ابن عباس : أن نفرًا من قريش من أشراف كل قبيلة، اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة، فاعترضهم إبليس فى صورة شيخ جليل ،[1] فلما رأوه قالوا : من أنت ؟ قال شيخ من نجد ، سمعت أنكم اجتمعتم ، فأردت أن أحضركم، ولن يعدمكم منى رأىٌ ونصحٌ .[2] قالوا : أجل ، ادخل ! فدخل معهم ، فقال : انظروا إلى شأن هذا الرجل ،[3] والله

الذى يليه ، والذى ترجم له بقوله : « وكأن معنى مكر قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم به ليثبتوه ، كما حدثنى . . . » وساق خبر ائتمارهم به ليلة الهجرة .

ولكن جائز أن يكون الخبران الأولان ، فى شأن آخر ، وليلة أخرى ، بل أكاد أقطع أن الخبر الذى رواه ابن جريج ، لا علاقة له بأمر الهجرة ، وأن ابن كثير تابع الطبرى فيما ظنه ظناً .

وذلك أن ابن إسحق وغيره ، رووا أن أشراف قريش اجتمعوا يوماً فى الحجر ، فذكروا رسول الله ، وزعموا أنهم صبروا منه على أمر عظيم . فبينا هم فى ذلك إذ طلع عليهم رسول الله ، فأقبل يمشى حتى استلم الركن، ثم مر بهم طائفاً بالبيت ، فغمزوه ببعض القول . فعرف الغضب فى وجهه صلى الله عليه وسلم . فلما مر بهم الثانية ، غمزوه بمثلها ، ثم مر الثالثة ، ففعلوا فعلتهم ، فوقف ثم قال : « أتسمعون يا معشر قريش ، أما والذى نفسى بيده ، لقد جئتكم بالذبح » . فاستكانوا ورفأوه بأحسن القول رهبة ورغبة . فلما كان الغد ، اجتمعوا فى الحجر فقال بعضهم لبعض : « ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه ، حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه » . فبينا هم كذلك ، طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، وأحاطوا به يقولون : « أنت الذى تقول كذا وكذا؟ »، لما كان من عيب آلهتهم ، فيقول : « نعم ، أنا الذى أقول ذلك » ، فأخذ بعضهم بمجمع ردائه ، فقام أبو بكر دونه وهو يبكى ويقول : « أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله » ! (سيرة ابن هشام ١ : ٣٠٩ ، ٣١٠) ، وانظر الخبر التالى رقم : ١٥٩٧٤ ، والتعليق عليه .

وكان هذا قبل الهجرة بزمان طويل ، فى حياة أبى طالب . فكأن هذا الخبر ، هو الذى قال عبيد بن عمير فى روايته عن المطلب بن أبى وداعة أنه ائتمار قومه به . فإذا صح ذلك، لم يكن لما قال ابن كثير وجه ، ولصح هذا الخبر لصحة إسناده .

(١) فى المخطوطة : « فى صورة جليل » ، وفوق « جليل » حرف (ط) دليلا على الخطأ ، والصواب ما فى المطبوعة ، مطابقاً لما فى سيرة ابن هشام .

(٢) « لن يعدمكم » ، أى : لا يعدوكم ويخطئكم منى رأى ونصح .

(٣) فى المطبوعة : « فى شأن » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

ليوشكن أن يُواثبكم فى أموركم بأمره . [١] قال : فقال قائل : احسبوه فى وَثاق ، ثم تربصوا به ريبَ المنون، حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء ، زهير والنابغة ، إنما هو كأحدهم ! قال : فصرخ عدوُّ الله الشيخ النجدى فقال : والله ، ما هذا لكم برأى ! [٢] والله ليخرجنه ربه من محبسه إلى أصحابه ، فليوشكن أن يثبوا عليه حتى يأخذوه من أيديكم فيمنعوه منكم ، فما آمن عليكم أن يخرجوكم من بلادكم ! قالوا : فانظروا فى غير هذا . قال : فقال قائل: فأخرجوه من بين أظهركم تستريحوا منه ، فإنه إذا خرج لن يضركم ما صنع وأين وقع ، إذا غاب عنكم أذاه واسترحتم ، وكان أمره فى غيركم . فقال الشيخ النجدى : والله ما هذا لكم برأى ، ألم تروا حلاوة قوله ، وطلاقة لسانه ، وأخذَ القلوب ما تسمع من حديثه ؟ والله لئن فعلتم ، ثم استعرَض العرب ، لتجتمعن عليكم ، ثم ليأتين إليكم حتى يخرجكم من بلادكم ويقتل أشرافكم ! قالوا : صدق والله ! فانظروا رأياً غير هذا ! قال : فقال أبو جهل : والله لأشيرن عليكم برأى ما أراكم أبصرتموه بعد ، ما أرى غيره ! قالوا : وما هو ؟ قال : نأخذ من كل قبيلة غلاماً وَسيطاً شابًّا نَهْداً، [٣] ثم يعطى كل غلام منهم سيفاً صارماً، ثم يضربوه ضربة رجل واحد ، فإذا قتلوه تفرق دمه فى القبائل كلها ، فلا أظن هذا الحى من بنى هاشم يقدرون على حرب قريش كلها ، فإنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل ، [٤] واسترحنا وقطعنا عنا أذاه . فقال الشيخ النجدى : هذا والله الرأى ، القولُ ما قال الفتى ، لا أرى غيره ! قال: فتفرقوا على ذلك وهم مُجْمعون له، قال: فأتى جبريل النبيَّ

---

(١) فى المطبوعة : « أن يواتيكم فى أموركم » ، وهو لا معنى له ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهى غير منقوطة ، وصواب قراءتها ما أثبت .

(٢) فى المطبوعة : « رأى » بغير باء ، والصواب من المخطوطة .

(٣) « الوسيط » : حسيباً فى قومه ، من أكرمهم حسباً ونسباً ومجداً . وكان فى المطبوعة « وسطا » ، والصواب ما فى المخطوطة . و « غلام نهد » : كريم ، ينهض إلى معالى الأمور . وأصل « النهد » : المرتفع .

(٤) « العقل » ، الدية .

صلى الله عليه وسلم فأمره أن لا يبيت فى مضجعه الذى كان يبيت فيه تلك الليلة ، وأذن الله له عند ذلك بالخروج ، وأنزل عليه بعد قدومه المدينة « الأنفال » ، يذكره نعمه عليه، وبلاءه عنده : « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » ، وأنزل فى قولهم : « تربصوا به ريبَ المنون، حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء » : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴾ ، [سورة الطور : ٣٠]. وكان يسمى ذلك اليوم : «يوم الزحمة » ، للذى اجتمعوا عليه من الرأى .(١)

١٥٩٦٦ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال،(٢) حدثنا محمد بن ثور، عن معمر ، عن قتادة ومقسم فى قوله : « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك » ، قالا : تشاوروا فيه ليلة وهم بمكة ، فقال بعضهم : إذا أصبح فأوثقوه بالوثاق . وقال بعضهم : بل اقتلوه . وقال بعضهم : بل أخرجوه . فلما أصبحوا رأوا عليًّا رحمة الله عليه ، فردَّ الله مكرهم . ١٥٠/٩

١٥٩٦٧ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنى أبى ، عن عكرمة قال : لما خرج النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى الغار ، أمر عليَّ بن أبى طالب فنام فى مضجعه ، فبات المشركون يحرسونه ، فإذا رأوه نائماً حسبوا أنه النبى صلى الله عليه وسلم فتركوه . فلما أصبحوا ثاروا إليه وهم يحسبون أنه النبى صلى الله عليه وسلم ، فإذا هم بعلىّ ، فقالوا : أين صاحبك ؟ قال :

---

(١) الأثر : ١٥٩٦٥ — سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٤ — ١٢٨ ، وإسناده هناك « قال ابن إسحق ، فحدثنى من لا أتهم من أصحابنا ، عن عبد الله بن أبى نجيح ، عن مجاهد بن جبير أبى الحجاج ، وغيره ممن لا أتهم ، عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما » ، ثم ساق الخبر بغير هذا اللفظ .

ومما اعترض به على هذا الخبر أن آية « سورة الطور » ، آية مكية فى سورة مكية ، نزلت قبل الهجرة بزمان ، وسياق ابن إسحق للآية بعد الخبر ، يوهم أنها نزلت ليلة الهجرة ، أو بعد الهجرة ، وهذا لا يكاد يصح .

(٢) سقط من المطبوعة : « محمد » وكتب « بن عبد الأعلى » ، وهى ثابتة فى المخطوطة .

لا أدرى ! قال : فركبوا الصعب والذَّلول فى طلبه .(١)

١٥٩٦٨ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرزاق عن معمر قال ، أخبرنى عثمان الجزرىّ : أن مقسماً مولى ابن عباس أخبره ، عن ابن عباس فى قوله : « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك » ، قال : تشاورت قريش ليلة بمكة ، فقال بعضهم : إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق = يريدون النبى صلى الله عليه وسلم . وقال بعضهم : بل اقتلوه . وقال بعضهم : بل أخرجوه . فأطلع الله نبيه على ذلك ، فبات على رحمه الله على فراش النبى صلى الله عليه وسلم تلك الليلة ،(٢) وخرج النبى صلى الله عليه وسلم حتى لحق بالغار ، وبات المشركون يحرسون علياً يحسبون أنه النبى صلى الله عليه وسلم . فلما أصبحوا ثاروا إليه ، فلما رأوا علياً رحمة الله عليه، ردّ الله مكرهم ،فقالوا ، أين صاحبك ؟ قال : لا أدرى! فاقتصُّوا أثره ، فلما بلغوا الجبل ومرُّوا بالغار ، رأوا على بابه نسج العنكبوت ، قالوا : لو دخل ههنا لم يكن نَسْجٌ على بابه ! فمكث فيه ثلاثاً .(٣)

---

(١) « الصعب » من الإبل ، هو الذى لم يركب قط ، لأنه لا ينقاد لراكبه ، ونقيضه « الذلول » ، وهو السهل المنقاد . مثل لركوب كل مركب فى طلب ما يريده المرء ، سهل المركب أو صعب .

(٢) فى المخطوطة ، سقط من الناسخ « الليلة » ، وزادتها المطبوعة .

(٣) الأثر : ١٥٩٦٨ – « عثمان الجزرى » ، يقال له : « عثمان المشاهد » . روى عن مقسم ، روى عنه معمر ، والنعمان بن راشد . قال أبو حاتم : « لا أعلم روى عنه غير معمر ، والنعمان » . وسئل عنه أحمد فقال : « روى أحاديث مناكير ، زعموا أنه ذهب كتابه » . مترجم فى ابن أبى حاتم ١٧٤/١/٣ .

وكان فى المطبوعة : « عثمان الجريرى » ، والمخطوطة ، كما أثبتها ، غير أنه غير منقوط .

وهذا الخبر رواه أحمد فى مسنده برقم : ٣٢٥١ ، وقال أخى : « فى إسناده نظر ، من أجل عثمان الجزرى ، كالإسناد ٢٥٦٢ » ، وقد استظهر هناك أن « عثمان الجزرى » هو « عثمان بن ساج » ، ولكن ما قاله ابن أبى حاتم ، يرجح أن « عثمان الجزرى » ، غير « عثمان بن ساج » .

وقد وجدت بعد فى مجمع الزوائد ٧ : ٢٧ ، هذا الخبر ، بنحوه ثم قال : « رواه أحمد والطبرانى ، وفيه « عثمان بن عمرو الجزرى » ، وثقه ابن حبان ، وضعفه غيره ، وبقية رجاله رجال الصحيح » .

ولا أزال أشك فى أن « عثمان الجزرى » ، غير « عثمان بن عمرو بن ساج » .

١٥٩٦٩ – حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » ، قال : اجتمعت مشيخة قريش يتشاورون فى النبىّ صلى الله عليه وسلم بعد ما أسلمت الأنصار ، وفَرِقوا أن يتعالى أمره إذا وجد ملجأ لجأ إليه .(١) فجاء إبليس فى صورة رجل من أهل نجد ، فدخل معهم فى دار الندوة ، فلما أنكروه قالوا : من أنت ؟ فوالله ما كل قومنا أعلمناهم مجلسنا هذا ! قال : أنا رجل من أهل نجد ، أسمع من حديثكم وأشير عليكم ! فاستحيَوْا ، فخلَّوْا عنه . فقال بعضهم : خذوا محمداً إذا اضطجع على فراشه ،(٢) فاجعلوه فى بيت نتربص به ريبَ المنون = و« الريب » ، هو الموت ، و« المنون » ، هو الدهر = قال إبليس : بئسما قلت ! تجعلونه فى بيت ، فيأتى أصحابه فيخرجونه ، فيكون بينكم قتال ! قالوا : صدق الشيخ ! قال : أخرجوه من قريتكم ! قال إبليس : بئسما قلت ! تخرجونه من قريتكم ، وقد أفسد سفهاءكم ، فيأتى قرية أخرى فيفسد سفهاءهم ، فيأتيكم بالخيل والرجال ! قالوا : صدق الشيخ ! قال أبو جهل = وكان أولاهم بطاعة إبليس = : بل نعمد إلى كل بطن من بطون قريش ، فنخرج منهم رجلاً ، فنعطيهم السلاح ، فيشدُّون على محمد جميعاً فيضربونه ضربة رجل واحد ، فلا يستطيع بنو عبد المطلب أن يقتلوا قريشاً ، فليس لهم إلا الدية ! قال إبليس : صدق ، وهذا الفتى هو أجودكم رأياً ! فقاموا على ذلك . وأخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، فنام على الفراش ، وجعلوا عليه العيون . فلما كان فى بعض الليل ، انطلق هو وأبو بكر إلى الغار ، ونام على بن أبى طالب على الفراش ، فذلك حين يقول الله : « ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك » = و« الإثبات » ، هو الحبس والوثاق = وهو قوله : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ

---

(١) « فرقوا » ، خافوا وفزعوا .

(٢) فى المطبوعة : « إذا اصطبح على فراشه » ، لا أدرى من أين جاء بها !

مِنْهَا وَإِذًا لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [سورة الإسراء: ٧٦] ، يقول : يهلكهم . فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، لقيه عمر فقال له : ما فعل القوم ؟ وهو يرى أنهم قد أهلكوا حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم ، وكذلك كان يُصنع بالأمم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أخِّروا بالقتال .

١٥٩٧٠ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ليثبتوك أو يقتلوك » ، قال : كفار قريش ، أرادوا ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يخرج من مكة .

١٥٩٧١ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

١٥٩٧٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا هانئ بن سعيد ، عن حجاج ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه = إلا أنه قال : فعلوا ذلك بمحمد .

١٥٩٧٣ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: « وإذ يمكر بك الذين كفروا ١٥١/٩
ليثبتوك أو يقتلوك»، الآية ، هو النبي صلى الله عليه وسلم، مكروا به وهو بمكة .

١٥٩٧٤ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله : « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك » إلى آخر الآية ، قال : اجتمعوا فتشاوروا في رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا : اقتلوا هذا الرجل . فقال بعضهم: لا يقتله رجل إلا قُتل به ! قالوا : خذوه فاسجنوه ، واجعلوا عليه حديداً . قالوا : فلا يدعكم أهل بيته ! قالوا : أخرجوه . قالوا : إذاً يستغوى الناس عليكم . (١)

---

(١) « يستغوى الناس » ، أي : يدعوهم إلى التجمع. يقال : « تغاووا عليه حتى قتلوه » ، إذا تجمعوا وتعاونوا في الشر . والأجود عندي : « يستعوى » (بالعين المهملة) . يقال : « استعوى فلان جماعة » ، إذا نعق بهم إلى الفتنة . ويقال : « تعاوى بنو فلان على فلان » و « تغاووا »

قال : وإبليس معهم فى صورة رجل من أهل نجد ، واجتمع رأيهم أنه إذا جاء يطوف البيت ويستلم ، أن يجتمعوا عليه فيغمُّوه ويقتلوه ،[1] فإنه لا يدرى أهله من قتله ، فيرضون بالعقل ، فنقتله ونستريح ونعقله ! فلما أن جاء يطوف بالبيت ، اجتمعوا عليه فغمُّوه ، فأتى أبو بكر فقيل له ذاك ، فأتى فلم يجد مدخلاً . فلما أن لم يجد مدخلاً قال : ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [سورة غافر : ٢٨] . قال : ثم فرَّجها الله عنه . فلما أن حطّ الليل ،[2] أتاه جبريل عليه السلام فقال ، من أصحابك؟ فقال : فلان وفلان وفلان . فقال : لا ، نحن أعلم بهم منك ،[3] يا محمد ، هم ناموس ليل ![4] قال : وأخذ أولئك من مضاجعهم وهم نيام ، فأتى بهم النبى صلى الله عليه وسلم ، فقدَّم أحدهم إلى جبريل فكحّله ثم أرسله ، فقال : ما صورته يا جبريل ؟ قال : كُفيتَه يا نبى الله !

(بالغين المعجمة) ، إذا تجمعوا عليه . و « استعوى القوم » ، استغاث بهم . وأصله من « العواء » ، عواء الكلب ، فتجاوبه كلاب الحى .

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « فيعموه » بالعين المهملة ، ولها وجه ضعيف عندى ، وصوابها بالغين المعجمة . يقال : « غم الشىء يغمه » ، إذا علاه وغطاه وستره حتى لا فرجة فيه ، ومنه قول النمر بن تولب ، يصف اجتماع المقاتلة فى الحرب :

زَبَنَتْكَ أَنْ كَانَ العَدُوُّ ، فَأَصْبَحَتْ أَجَأٌ وَحَيَّةُ مِنْ قُرَارِ دِيَارِهَا
وَكَأَنَّهَا دَقَرَى ، تَخَايَلَ نَبْتُهَا أُنُفٌ يَغُمُّ الضَّالَّ نَبْتُ بِحَارِهَا

ومنه قيل للغمة « غمة » ، وقيل : « سحاب أغم » ، لا فرجة فيه . وانظر بعد ذلك صفة اجتماعهم عليه صلى الله عليه وسلم بأبى هو وأمى ، وأن أبا بكر لم يجد مدخلا ، وقوله أيضاً : « ثم فرجها الله عنه » . فكل هذا يدل على صواب قراءتها كما أثبتها . وهذه الصفحة من المخطوطة ، يكاد أكثرها يكون غير منقوط .

(٢) فى المطبوعة : « فلما أن كان الليل » ، غير ما فى المخطوطة ، وكان فيها « فلما أن حبط » وصواب قراءتها إن شاء الله ما أثبت . و « حط الليل » ، نزل وأطبق .

(٣) فى المخطوطة : « فقال : فلان وفلان وفلان ، فقال لا . فقال جبريل عليه السلام : نحن أعلم بهم منك . . . » ، أخشى أن يكون سقط من الكلام شىء ، والذى فى المطبوعة اجتهاد من الناشر ، تركته على حاله .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « هو ناموس ليل » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

و « الناموس » دويبة أغبر ، كهيئة الذرة ، تلكع الناس وتلسعهم . وقولهم : « هم ناموس ليل » ، يعنى حقارتهم وقلة شأنهم .

ثم قدّم آخر، فنقر فوق رأسه بعصاً نقرة ثم أرسله ، فقال: ما صورته يا جبريل؟ فقال : كُفيته يا نبي الله ! ثم أتى بآخر فنقر فى ركبته ، فقال : ما صورته يا جبريل ؟ قال : كفيته ! ثم أتى بآخر فسقاه مَذْقة ،(١) فقال : ما صورته يا جبريل ؟ قال : كفيته يا نبي الله ! وأتى بالخامس ،(٢) فلما غدا من بيته ، فمرّ بنبّال فتعلق مِشْقَص بردائه،(٣) فالتوى فقطع الأكحل من رجله .(٤) وأما الذى كحلت عيناه ، فأصبح وقد عمى . وأما الذى سقى مَذْقةً ، فأصبح وقد استسقى بطنه. وأما الذى نقر فوق رأسه، فأخذته النقبة = و«النقبة»، قرحة عظيمة(٥) = = أخذته فى رأسه . وأما الذى طعن فى ركبته ، فأصبح وقد أقعد . فذلك قول الله : « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » .

١٥٩٧٥ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قوله : « ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » ، أى : فمكرت بهم بكيدى المتين ، حتى خلّصك منهم .(٦)

---

(١) « المذقة » ، الطائفة من اللبن الممزوج بالماء .

(٢) لم يذكر ما فعل جبريل عليه السلام بالخامس ، وإن كان قد ذكر ما آل إليه أمره ، فأخشى أن يكون سقط من الكلام شيء .

(٣) فى المطبوعة « مر » حذف الفاء ، وهو صواب ، فأثبتها من المخطوطة . و « المشقص » ، نصل السهم إذا كان طويلا غير عريض .

(٤) « الأكحل » ، عرق الحياة ، ويقال له : « نهر البدن » ، وهو عرق فى اليد ووسط الذراع ، وفى كل عضو منه شعبة ، لها اسم على حدة ، إذا قطع لم يرقأ الدم .

(٥) فى المطبوعة : « النقدة » ، فى الموضعين . وأما المخطوطة ، فالأولى، يوشك أن يكتبها « النقبة » إلا أنه يزيد فى رأس الباء ، ثم كتب بعد « النقدة » ولم أجد فى القروح ما يقال له : « نقدة » .

و « النقبة » (بضم فسكون) أول بدء الجرب ، ترى الرقعة مثل الكف بجنب البعير أو وركه أو بمشفره ، ثم تتمشى فيه حتى تشريه كله ، أى تملؤه كله . فلعل هذه هى المرادة هنا .

(٦) الأثر : ١٥٩٧٥ — سيرة ابن هشام ١ : ٣٢٥ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٥٩٥٥ .

وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « فكرت لهم » ، وأثبت ما فى سيرة ابن هشام ، وهى أجود .

١٥٩٧٦ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة قوله : « وإذ يمكر بك الذين كفروا » ، قال : هذه مكية = قال ابن جريج ، قال مجاهد : هذه مكية .(١)

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام إذاً : واذكر ، يا محمد ، نعمتي عندك ، بمكري بمن حاول المكرَ بك من مشركي قومك ، بإثباتك أو قتلك أو إخراجك من وطنك ، حتى استنقذتك منهم وأهلكتهم ، فامض لأمري في حرب من حاربك من المشركين ، وتولى عن إجابة ما أرسلتك به من الدين القيم، ولا يَرْعَبَنَّك كثرة عددهم ، فإن ربّك خيرُ الماكرين بمن كفر به ، وعبد غيره ، وخالف أمره ونهيه .

* * *

وقد بينا معنى « المكر » فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .(٢)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (٣١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وإذا تتلى على هؤلاء الذين كفروا آياتِ كتاب الله الواضحةَ لمن شرح الله صدره لفهمه(٣) = « قالوا » ، جهلاً منهم، وعناداً للحق ، وهم يعلمون أنهم كاذبون في قيلهم = « لو نشاء لقلنا مثل هذا » ،

---

(١) الأثر : ١٥٩٧٦ – انظر التعليق على الأثر السالف رقم : ١٥٩٦٤ . كأنه يعني أن هذه الآية ، معنى بها أمر من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة . والقطع بأن هذه الآية أو اللواتي تليها آيات نزلت بمكة ، أمر صعب ، لا يكاد المرء يطمئن إلى صوابه ، والاعتراض على ذلك له وجوه كثيرة لا محل لذكرها هنا .

(٢) انظر تفسير « المكر » فيما سلف ١٢ : ٩٥ ، ٩٧ ، ١٣/٥٧٩ : ٣٣ ، ٤٩١ .

(٣) انظر تفسير « التلاوة » فيما سلف ص : ٣٨٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك

الذى تُلِى علينا = « إن هذا إلا أساطير الأولين »، يعنى : أنهم يقولون: ما هذا القرآن الذى يتلى عليهم إلاّ أساطير الأولين .

* * *

و« الأساطير » جمع « أسطر » ، وهو جمع الجمع ، لأن واحد « الأسطر » « سطر » ، ثم يجمع « السطر »، « أسطر » و « سطور » ، ثم يجمع « الأسطر » « أساطير » و « أساطر » .(١)

وقد كان بعضُ أهل العربية يقول : واحد « الأساطير »، « أسطورة » .

* * *

وإنما عنى المشركون بقولهم : « إن هذا إلاّ أساطير الأولين » ، إنْ هذا القرآن الذى تتلوه علينا، يا محمد، إلاّ ما سطّره الأولون وكتبوه من أخبار الأمم! كأنهم أضافوه إلى أنه أخذ عن بنى آدم ، وأنه لم يوحِه الله إليه .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٩٧٧ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج قوله : « وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل ١٥٢/٩
هذا»، قال : كان النضر بن الحارث يختلف تاجرًا إلى فارس ، فيمرّ بالعِباد وهم يقرأون الإنجيل ويركعون ويسجدون .(٢) فجاء مكة ، فوجد محمداً صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه وهو يركع ويسجد ، فقال النضر : « قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا! »، للذى سَمِع من العباد . فنزلت : « وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد

---

(١) انظر تفسير « الأساطير » فيما سلف ١١ : ٣٠٨ — ٣١٠ .

(٢) « العباد » ، قوم من قبائل شتى من بطون العرب ، اجتمعوا على النصرانية قبل الإسلام ، فأنفوا أن يسموا بالعبيد ، فقالوا : « نحن العباد » ، ونزلوا بالحيرة . فنسب إلى « العباد » ، ومنهم عدى بن زيد العبادى الشاعر .

سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا » ، قال : فقص ربُّنا ما كانوا قالوا بمكة ، وقص قولهم إذ قالوا: « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك »، الآية .

١٥٩٧٨ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : كان النضر بن الحارث بن علقمة ، أخو بنى عبد الدار ، يختلف إلى الحيرة ، فيسمع سَجْع أهلها وكلامهم . فلما قدم مكة ، سمع كلام النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن ، فقال : « قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إنْ هذا إلاّ أساطير الأولين »، يقول: أساجيع أهل الحيرة .(١)

١٥٩٧٩ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير قال : قتل النبيُّ صلى الله عليه وسلم يوم بدر صبرًا: عقبةَ بن أبي معيط ، وطعيمة بن عدى ، والنضر بن الحارث . وكان المقداد أسر النضر ، فلما أمر بقتله، قال المقداد : يا رسول الله ، أسيرى! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه كان يقول فى كتاب الله ما يقول ! فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله ، فقال المقداد : أسيرى ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم أغْنِ المقداد من فضلك ! فقال المقداد: هذا الذى أردت ! وفيه أنزلت هذه الآية: « وإذا تتلى عليهم آياتنا » ، الآية .

١٥٩٨٠ – حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال، أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل يوم بدر ثلاثة رهط من قريش صبرًا: المطعم بن عدىّ، والنضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط . قال : فلما أمر بقتل النضر ، قال المقداد بن الأسود: أسيرى ، يا رسول الله! قال: إنه كان يقول فى كتاب الله وفى رسوله ما كان يقول ! قال: فقال ذلك مرتين أو ثلاثًا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم أغْنِ المقداد من فضلك! وكان المقداد أسر النضر. (٢)

---

(١) « الأساجيع » جمع « أسجوعة»، ما سجع به الكاهن وغيره . وانظر ما سلف رقم : ١٣١٥٧ .

(٢) الأثر ١٥٩٨٠ – هكذا جاء فى رواية هذا الخبر « المطعم بن عدى » ، مكان

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٣٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : واذكر ، يا محمد ، أيضاً ما حلّ بمن قال : « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم »، إذ مكرت بهم، فأتيتهم بعذاب أليم[1]= وكان ذلك العذاب، قتلُهم بالسيف يوم بدر .

* * *

وهذه الآية أيضاً ذكر أنها نزلت فى النضر بن الحارث .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٩٨١ — حدثنى يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، حدثنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير فى قوله : « وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء » ، قال : نزلت فى النضر بن الحارث .[2]

١٥٩٨٢ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا

« طعيمة بن عدى » ، وكأنه ليس خطأ من الناسخ ، لأن ابن كثير فى تفسيره ٤ : ٥١ ، قال : « وهكذا رواه هشيم ، عن أبى بشر جعفر بن أبى وحشية ، عن سعيد بن جبير أنه قال : المطعم بن عدى ، بدل طعيمة . وهو غلط ، لأن المطعم بن عدى لم يكن حياً يوم بدر ، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ : لو كان المطعم بن عدى حياً ، ثم سألنى فى هؤلاء النتنى ، لوهبتهم له ! يعنى الأسارى ، لأنه كان قد أجار رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم رجع من الطائف » .

وانظر التعليق على رقم : ١٥٩٨١ .

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « مكرت لهم » ، وليست بشىء .

(٢) الأثر : ١٥٩٨١ — « أبو بشر » ، هو « جعفر بن إياس » ، « جعفر بن أبى وحشية » ، مضى مراراً كثيرا . وكان فى تعليق ابن كثير ، الذى نقلته فى التعليق على الخبر السالف « جعفر بن أبى دحية » ، وهو خطأ محض .

عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : « إن كان هذا هو الحق من عندك » ، قال : قول النضر بن الحارث = أو : ابن الحارث بن كَلَدة .

١٥٩٨٣ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك » ، قول النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة ، من بني عبد الدار .

١٥٩٨٤ — . . . . قال ، أخبرنا إسحق قال ، أخبرنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « إن كان هذا هو الحق من عندك » ، قال : هو النضر بن الحارث بن كلدة .

١٥٩٨٥ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا طلحة بن عمرو ، عن عطاء قال : قال رجل من بني عبد الدار يقال له النضر ابن كلدة: « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم » ، فقال الله: ﴿وَقَالوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسابِ﴾ ، [سورة ص: ١٦] ، وقال: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ، [سورة الأنعام : ٩٤] ، وقال: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ﴾ [سورة المعارج : ١ ، ٢] . قال عطاء : لقد نزل فيه بضعَ عشرة آية من كتاب الله .

١٥٩٨٦ — حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قال : فقال = يعني النضر بن الحارث = : اللهم إن كان ما يقول محمد هو الحق من عندك ، فأمطر علينا حجارة من السماء أو ١٥٣/٩

---

(١) الأثر : ١٥٩٨٢ — في المطبوعة : « النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة » . والصواب ما في المخطوطة ، لأن الاختلاف في نسبة هكذا : « النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة ابن عبد مناف بن عبد الدار » أو : « النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار » انظر سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٠ ، ٣٢١ . وقد غير ما في المخطوطة بلا حرج ولا ورع .

ائتنا بعذاب أليم ! قال الله : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ .

١٥٩٨٧ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن عنبسة ، عن ليث ، عن مجاهد فى قوله : « إن كان هذا هو الحق من عندك » الآية ، قال : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ ﴾ .

١٥٩٨٨ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك » الآية ، قال : قال ذلك سُفَّهُ هذه الأمة وجهلتها ، [1]فعاد الله بعائدته ورحمته على سَفَهة هذه الأمة وجهلتها .[2]

١٥٩٨٩ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : ثم ذكر غِرَّة قريش واستفتاحهم على أنفسهم، إذ قالوا: « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك » ، أى : ما جاء به محمد= « فأمطر علينا حجارة من السماء » ، كما أمطرتها على قوم لوط = « أو ائتنا بعذاب أليم » ، أى : ببعض ما عذبت به الأمم قبلنا .[3]

* * *

واختلف أهل العربية فى وجه دخول « هو » فى الكلام .

فقال بعض البصريين : نصب « الحق » ، لأن « هو »، والله أعلم، حُوِّلت

---

(١) فى المطبوعة : « سفهة هذه الأمة » ، غير ما فى المخطوطة ، طرح الصواب المحض يقال : « سفيه » ، والجمع « سفهاء » و « سفاه » (بكسر السين) و « سفه » ، بضم السين وتشديد الفاء المفتوحة . والذى فى كتب اللغة أن « سفاه » و « سفه » ، و « سفائه » جمع « سفيهة » . وسيأتى فى المخطوطة بعد قليل « سفهه » ، وكأنها جائزة أيضاً .

(٢) هكذا فى المخطوطة أيضاً « سفهة » ، فتركتها على حالها . انظر التعليق السالف . وكأنه إتباع لقوله « جهلة » ، وهذا من خصائص العربية .

(٣) الأثر : ١٥٩٨٩ – سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٥ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٥٩٧٥ .

وكان فى المطبوعة : « ثم ذكر غيرة قريش » ، وهو لا معنى له ، صوابه من المخطوطة وابن هشام . يعنى : اغترارهم بأمرهم ، وغفلتهم عن الحق .

زائدة فى الكلام صلةَ توكيدٍ ، كزيادة « ما » ، ولا تزاد إلا فى كل فعل لا يستغنى عن خبر ، وليس هو بصفة ، لـ « هذا » ، لأنك لو قلت : « رأيت هذا هو » ، لم يكن كلاماً . ولا تكون هذه المضمرة من صفة الظاهرة ، ولكنها تكون من صفة المضمرة ، نحو قوله : ﴿وَلَـٰكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الزخرف : ٧٦] و﴿ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾ [سورة المزمل : ٢٠] .

لأنك تقول : « وجدته هو وإياى » ، فتكون « هو » صفة .[1] وقد تكون فى هذا المعنى أيضاً غير صفة ، ولكنها تكون زائدة ، كما كان فى الأول . وقد تجرى فى جميع هذا مجرى الاسم ، فيرفع ما بعدها ، إن كان ما بعدها ظاهراً أو مضمراً فى لغة بنى تميم ، يقولون فى قوله : « إن كان هذا هو الحق من عندك » ، « ولكن كانوا هم الظالمون » ،[2] و « تجدوه عند الله هو خيرٌ وأعظم أجراً » ،[3] كما تقول : « كانوا آباؤهم الظالمون » ، جعلوا هذا المضمر نحو « هو » و « هما » و « أنت » زائداً فى هذا المكان ، ولم تجعل مواضع الصفة ، لأنه فصْلٌ أراد أن يبين به أنه ليس ما بعده صفةً لما قبله ، ولم يحتج إلى هذا فى الموضع الذى لا يكون له خبر .

* * *

وكان بعض الكوفيين يقول : لم تدخل « هو » التى هى عماد فى الكلام ،[4] إلا لمعنى صحيح . وقال : كأنه قال : « زيد قائم » ، فقلت أنت : « بل عمرو هو القائم » ، فـ « هو » لمعهود الاسم ، و « الألف واللام » لمعهود الفعل ،[5] [« والألف واللام »] التى هى صلة فى الكلام ،[6] مخالفة لمعنى « هو » ، لأن دخولها وخروجها واحد

---

(١) « الصفة » ، هو « ضمير الفصل » ، وانظر التعليق التالى رقم : ٤ .

(٢) فى المطبوعة : « هم الظالمين » ، خالف المخطوطة وأساء .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « هو خيراً » ، ولا شاهد فيه ، صوابه ما أثبت .

(٤) « العماد » ، اصطلاح الكوفيين ، والبصريون يقولون : « ضمير الفصل » ، ويقال له أيضاً : « دعامة » و « صفة » . انظر ما سلف ٢ : ٣١٢ ، تعليق ٢ ، ثم ص ٣١٣ ، ٣٧٤ / ثم ٧ : ٤٢٩ ، تعليق : ٢ .

(٥) « الفعل » ، يعنى الخبر .

(٦) ما بين القوسين ، مكانه بياض فى المخطوطة ، ولكن ناشر المطبوعة ضم الكلام بعضه

فى الكلام . وليست كذلك « هو ». وأما التى تدخل صلة فى الكلام ، فتوكيدٌ شبيه بقولهم : « وجدته نفسَه »، تقول ذلك، وليست بصفة « كالظريف » و « العاقل ».(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : تأويله : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » ، أى : وأنت مقيم بين أظهرهم . قال : وأنزلت هذه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مقيم بمكة . قال : ثم خرجَ النبي صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم ، فاستغفر من بها من المسلمين ، فأنزل بعد خروجه عليه ، حين استغفر أولئك بها : « وما كان الله معذّبهم وهم يستغفرون » . قال: ثم خرج أولئك البقية من المسلمين من بينهم، فعذّب الكفار .

* ذكر من قال ذلك :

١٥٩٩٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يعقوب ، عن جعفر بن أبى المغيرة، عن ابن أبزى قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم بمكة، فأنزل الله عليه:

إلى بعض . وأثبت ما بين القوسين استظهاراً ، وكأنه الصواب إن شاء الله . وقوله : « صلة » ، أى : زيادة ، انظر تفسير ذلك فيما سلف ١ : ١٩٠ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤/٥٤٨ : ٥/٢٨٢ : ٤٦٠ ، ٧/٤٦٢ : ٣٤٠ ، ٣٤١ .

(١) انظر مبحث ضمير « العماد » فى معانى القرآن للفراء ١ : ٥٠ — ٥٢ ، ١٠٤ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ .

وما سلف من التفسير ٢ : ٣١٢ ، ٧/٣١٣ : ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، وغيرها فى فهارس مباحث العربية والنحو وغيرها .

« وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » ، قال : فخرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فأنزل الله : « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » . قال : فكان أولئك البقية من المسلمين الذين بقوا فيها يستغفرون = يعني بمكة = فلما خرجوا أنزل الله عليه : « وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه » . قال : فأذن الله له في فتح مكة ، فهو العذاب الذي وعدهم .

١٥٩٩١ – حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حصين ، عن أبي مالك في قوله : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » ، يعني النبي صلى الله عليه وسلم = « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ، يعني : من بها من المسلمين = « وما لهم ألا يعذبهم الله » ، يعني مكة ، وفيهم الكفار .[1]

١٥٩٩٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن حصين ، عن أبي مالك في قول الله : « وما كان الله ليعذبهم » ، يعني أهل مكة = « وما كان الله معذبهم » ، وفيهم المؤمنون يستغفرون ، يُغفر لمن فيهم من المسلمين . ١٠٤/٩

١٥٩٩٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا إسحق بن إسماعيل الرازي ، وأبو داود الحفري ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن ابن أبزى : « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ، قال: بقية من بقي من المسلمين منهم . فلما خرجوا قال : « وما لهم ألا يعذبهم الله » .[2]

١٥٩٩٤ – . . . . قال ، حدثنا عمران بن عيينة ، عن حصين ، عن أبي مالك : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » ، قال : أهل مكة .

---

(١) في المطبوعة : « وفيها الكفار » ، أما المخطوطة فتقرأ : « بغير مكة ، وفيهم الكفار » ، ولعل ما في المطبوعة أولى بالإثبات .

(٢) الأثر : ١٥٩٩٣ – « إسحق بن إسماعيل الرازي » هو « حبويه ، أبو يزيد » سلف مراراً ، آخرها رقم : ١٥٣١١ .

١٥٩٩٥ — . . . . وأخبرنا أبي ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك : « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ، قال : المؤمنون من أهل مكة = « وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام » ، قال : المشركون من أهل مكة .

١٥٩٩٦ — . . . . قال ، حدثنا أبو خالد ، عن جويبر ، عن الضحاك : « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ، قال : المؤمنون يستغفرون بين ظهرانيهم .

١٥٩٩٧ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ، يقول : الذين آمنوا معك يستغفرون بمكة ، حتى أخرجك والذين آمنوا معك .

١٥٩٩٨ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال ابن عباس : لم يعذب قريةً حتى يخرج النبي منها والذين آمنوا معه ، ويلحقه بحيث أُمِر = « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ، يعني المؤمنين . ثم عاد إلى المشركين فقال : « وما لهم ألا يعذبهم الله » .

١٥٩٩٩ — حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » ، قال : يعني أهل مكة .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وما كان الله ليعذب هؤلاء المشركين من قريش بمكة وأنت فيهم ، يا محمد ، حتى أخرجك من بينهم = « وما كان الله معذبهم » ، وهؤلاء المشركون ، يقولون : « يا رب غفرانك ! » ، وما أشبه ذلك من معاني الاستغفار بالقول . قالوا : وقوله : « وما لهم ألا يعذبهم الله » ، في الآخرة .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٠٠٠ — حدثنا أحمد بن منصور الرمادي قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا عكرمة ، عن أبي زميل ، عن ابن عباس : إن المشركين كانوا يطوفون

بالبيت يقولون : «لبيك ، لبَّيك ، لا شريك لك »،[١] فيقول النبي صلى الله عليه وسلم : « قَدْ ، قَدْ ! »،[٢] فيقولون : « إلا شريك هو لك ، تملكه وما ملك »،[٣] ويقولون : « غفرانك ، غفرانك ! » ، فأنزل الله : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » . فقال ابن عباس : كان فيهم أمانان : نبيّ الله ، والاستغفار . قال : فذهب النبي صلى الله عليه وسلم وبقي الاستغفار = « وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون » ، قال : فهذا عذاب الآخرة . قال : وذاك عذاب الدنيا .[٤]

١٦٠٠١ – حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو معشر ، عن يزيد بن رومان ، ومحمد بن قيس قالا : قالت قريش بعضها لبعض : محمد أكرمه الله من بيننا : « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا » الآية . فلما أمسوا ندموا على ما قالوا ، فقالوا : « غفرانك اللهم ! » ، فأنزل الله : « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » إلى قوله : « لا يعلمون » .

١٦٠٠٢ – حدثني ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : كانوا يقولون = يعني المشركين = : والله إن الله لا يعذبنا ونحن نستغفر ، ولا يعذّب أمة ونبيها معها حتى يخرجه عنها ! وذلك من قولهم ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم . فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ، يذكر له جَهالتهم وغِرّتهم واستفتاحهم على أنفسهم ، إذ قالوا : « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء » ، كما أمطرتها على قوم لوط . وقال : حين نعى

---

(١) في المطبوعة : « لبيك ، لا شريك لك لبيك » ، غير ما في المخطوطة .

(٢) « قد ، قد » ، أي حسبكم ، لا تزيدوا . يقال : « قدك » ، أي حسبك ، يراد بها الردع والزجر .

(٣) في المطبوعة ، زاد زيادة بلا طائل ، كتب : « فيقولون : لا شريك لك ، إلا شريك هو لك » .

(٤) الأثر ١٦٠٠٠ – « أبو زميل » هو : « سماك بن الوليد الحنفي اليمامي » ، مضى برقم : ١٣٨٣٢ ، ١٥٧٣٤

عليهم سوء أعمالهم : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ، أى : لقولهم : [« إنا نستغفر ومحمد بين أظهرنا » = « وما لهم ألا يعذبهم الله » ، وإن كنت بين أظهرهم] ، وإن كانوا يستغفرون كما يقولون[1] = « وهم يصدون عن المسجد الحرام » ، أى : من آمن بالله وعبده ، أى : أنت ومن تبعك .[2]

١٦٠٠٣ — حدثنا الحسن بن الصباح البزار . . . . . .

قال ، حدثنا أبو بردة ، عن أبى موسى قال : إنه كان قبلُ أمانان ، قوله : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ، قال : أما النبى صلى الله عليه وسلم فقد مضى ، وأما الاستغفار فهو دائر فيكم إلى يوم القيامة .[3]

١٦٠٠٤ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا يونس ١٠٠/٩

---

(١) كانت هذه الجملة هكذا فى المخطوطة والمطبوعة : « أى بقولهم ، وإن كانوا يستغفرون كما قال وهم يصدون . . . » ، أسقط من الكلام ما لابد منه وحرف . فأثبت الصواب بين الأقواس ، وفى سائر العبارة ، من سيرة ابن هشام .

(٢) الأثر : ١٦٠٠٣ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٥ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٥٩٨٩ .

(٣) الأثر : ١٦٠٠٤ — « الحسن بن الصباح البزار » ، شيخ الطبرى ، مضى برقم : ٤٤٤٢ ، ٩٨٥٧ .

وهذا الإسناد قد سقط منه رواة كثيرون ، وكان فى المخطوطة « بردة » فجعلها الناشر « أبو بردة » ، وأصاب وهو لا يدرى .

وهذا الخبر روى مثله مرفوعاً الترمذى فى سننه فى تفسير هذه السورة ، وهذا إسناده : « حدثنا سفيان بن وكيع ، حدثنا ابن نمير ، عن إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر ، عن عباد بن يوسف ، عن أبى بردة بن أبى موسى ، عن أبيه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنزل الله على أمانين لأمتى : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ، فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة » .

ثم قال الترمذى : « هذا حديث غريب ، وإسماعيل بن إبراهيم يضعف فى الحديث » .

أما خبر الطبرى ، فلا شك أنه خبر موقوف على أبى موسى الأشعرى .

وكان فى المطبوعة : « إنه كان فيكم أمانان » ، غير ما فى المخطوطة ، وصواب قراءته ما أثبت .

ابن أبي اسحق ، عن عامر أبي الخطاب الثوري قال : سمعت أبا العلاء ويقول : كان لأمة محمد صلى الله عليه وسلم أمَنَتَان، فذهبت إحداهما وبقيت الأخرى : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » ، الآية .[1]

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » ، يا محمد، وما كان الله معذب المشركين وهم يستغفرون أي : لو استغفروا .[2] قالوا : ولم يكونوا يستغفرون ، فقال جل ثناؤه إذ لم يكونوا يستغفرون : « وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام » .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٠٠٥ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ، قال : إن القوم لم يكونوا يستغفرون، ولو كانوا يستغفرون ما عُذِّبوا . وكان بعض أهل العلم يقول : هما أمانان أنزلهما الله : فأما أحدهما فمضى، نبيُّ الله . وأما الآخر فأبقاه الله رحمة بين أظهركم ، الاستغفارُ والتوبةُ .

١٦٠٠٦ – حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قال : قال الله لرسوله : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ، يقول : ما كنت أعذبهم وهم يستغفرون، ولو استغفروا وأقرُّوا بالذنوب لكانوا مؤمنين ، وكيف لا أعذبهم وهم لا يستغفرون ؟ وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن محمد وعن المسجد الحرام ؟

١٦٠٠٧ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ، قال يقول : لو استغفروا لم أعذبهم .

---

(١) الأثر : ١٦٠٠٥ – « عامر ، أبي الخطاب الثوري » ، لم أجد له ذكر ، وأخشى أن يكون في اسمه تحريف .

(٢) في المخطوطة والمطبوعة : « أن لو استغفروا » ، وكأن الصواب ما أثبت .

وقال آخرون : معنى ذلك : وما كان الله ليعذبهم وهم يُسلمون . قالوا : و « استغفارهم » ، كان فى هذا الموضع ، إسلامَهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٠٠٨ – حدثنا سوّار بن عبد الله قال، حدثنا عبد الملك بن الصباح قال ، حدثنا عمران بن حدير ، عن عكرمة فى قوله : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ، قال : سألوا العذاب ، فقال : لم يكن ليعذبهم وأنت فيهم ، ولم يكن ليعذبهم وهم يدخلون فى الإسلام .

١٦٠٠٩ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله : « وأنت فيهم » ، قال : بين أظهرهم = وقوله : « وهم يستغفرون » ، قال : يُسلمون .

١٦٠١٠ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » ، بين أظهرهم = « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ، قال : وهم يسلمون[1] = « وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون » ، قريش ، « عن المسجد الحرام » .[2]

١٦٠١١ – حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا محمد ابن عبيد الله ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد: « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » ، قال : بين أظهرهم = « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون »، قال : دخولهم فى الإسلام .

* * *

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وفيهم من قد سبق له من الله الدخول فى الإسلام.

---

(١) فى المخطوطة : « وهم مسلمون » ، والصواب ما فى المطبوعة .

(٢) كان فى المطبوعة سياق الآية بلا فصل ، وهو قوله : « قريش » ، التى اثبتها من المخطوطة . وكان فى المخطوطة « وهم مسلمون يعذبهم الله » ، بياض بين الكلامين ، وفى الهامش حرف (ط) دلالة على الخطأ

* ذكر من قال ذلك :

١٦٠١٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » ، يقول : ما كان الله سبحانه يعذب قوماً وأنبياؤهم بين أظهرهم حتى يخرجهم . ثم قال : « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ، يقول : ومنهم من قد سبق له من الله الدخول في الإيمان ، وهو الاستغفار . ثم قال : « وما لهم ألا يعذبهم الله »، فعذبهم يوم بدر بالسيف .

* * *

وقال آخرون : بل معناه : وما كان الله معذبهم وهم يصلُّون .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٠١٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ، يعني : يصلُّون ، يعني بهذا أهل مكة .

١٦٠١٤ – حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال ، حدثنا حسين الجعفي ، عن زائدة ، عن منصور ، عن مجاهد في قول الله : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ، قال : يصلون .

١٦٠١٥ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك بن مزاحم يقول في قوله : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم »، يعني أهل مكة . يقول : لم أكن لأعذبكم وفيكم محمد . ثم قال : « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ، يعني : يؤمنون ويصلون . ١٥٦/٩

١٦٠١٦ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير، عن منصور ، عن مجاهد في قوله : « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ، قال : وهم يصلون .

* * *

وقال آخرون: بل معنى ذلك : وما كان الله ليعذب المشركين وهم يستغفرون.

قالوا: ثم نسخ ذلك بقوله : « وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام ».

* ذكر من قال ذلك :

١٦٠١٧ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح ، عن الحسين ابن واقد، عن يزيد النحوى، عن عكرمة والحسن البصرى قالا : قال فى « الأنفال»: « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ، فنسختها الآية التى تليها: « وما لهم ألا يعذبهم الله »، إلى قوله : « فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » ، فقوتلوا بمكة ، وأصابهم فيها الجوع والحَصْر .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال عندى فى ذلك بالصواب، قولُ من قال: تأويله : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » ، يا محمد، وبين أظهرهم مقيم، حتى أخرجك من بين أظهرهم ، لأنىّ لا أهلك قرية وفيها نبيها = « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ، من ذنوبهم وكفرهم ، ولكنهم لا يستغفرون من ذلك ، بل هم مصرُّون عليه ، فهم للعذاب مستحقون = كما يقال : « ما كنت لأحسن إليك وأنت تسيء إلىّ »، يراد بذلك: لا أحسن إليك، إذا أسأت إلىّ، ولو أسأت إلىّ لم أحسن إليك ، ولكن أحسن إليك لأنك لا تسيء إلىّ . وكذلك ذلك = ثم قيل: « وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام » ، بمعنى : وما شأنهم، وما يمنعهم أن يعذبهم الله وهم لا يستغفرون الله من كفرهم فيؤمنوا به ،(١) وهم يصدون المؤمنين بالله ورسوله عن المسجد الحرام ؟

وإنما قلنا: «هذا القول أولى الأقوال فى ذلك بالصواب» ، لأن القوم = أعنى مشركى مكة = كانوا استعجلوا العذاب ، فقالوا : « اللهم إن كان ما جاء به محمد هو الحق ، فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم » ، فقال الله لنبيه : « ما كنت لأعذبهم وأنت فيهم ، وما كنت لأعذبهم لو استغفروا ،

---

(١) انظر تفسير «مالك» فيما سلف ٥ : ٣٠١ ، ٣٠٢/٩ : ٧ .

وكيف لا أعذبهم بعد إخراجك منهم ، وهم يصدون عن المسجد الحرام؟ » . فأعلمه جل ثناؤه أن الذى استعجلوا من العذاب حائق بهم ونازل ،[1] وأعلمهم حال نزوله بهم ، وذلك بعد إخراجه إياه من بين أظهرهم . ولا وجه لإيعادهم العذابَ فى الآخرة ، وهم مستعجلوه فى العاجل ، ولا شك أنهم فى الآخرة إلى العذاب صائرون . بل فى تعجيل الله لهم ذلك يوم بدر ، الدليلُ الواضحُ على أن القول فى ذلك ماقلنا .

وكذلك لا وجه لقول من وجَّه قوله : « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ، إلى أنه عُنى به المؤمنين ، وهو فى سياق الخبر عنهم ، وعما الله فاعل بهم . ولا دليل على أن الخبر عنهم قد تقضَّى ، وعلى ذلك [كُنِـى] به عنهم ،[2] وأن لا خلاف فى تأويله من أهله موجودٌ .

وكذلك أيضاً لا وجه لقول من قال : ذلك منسوخ بقوله : « وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام » ، الآية ، لأن قوله جل ثناؤه : « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » ، خبرٌ ، والخبر لا يجوز أن يكون فيه نسخ ، وإنما يكون النسخ للأمر أو النهى .

* * *

(١) فى المطبوعة : « ان الذين استعجلوا العذاب حائق بهم » ، وفى المخطوطة كما أثبته إلا أنه كتب مكان « حائق » « حاق » ، وهو سهو .

(٢) فى المطبوعة : « وعلى أن ذلك به عنوا ، ولا خلاف فى تأويله » ، وفى المخطوطة ، كما أثبته ، إلا أنه سقط منه [كنى] كما أثبته بين القوسين . وإن كنت أظن فى الكلام سقطاً .

هذا وقد ذكر أبو جعفر النحاس فى الناسخ والمنسوخ : ١٥٤ ، هذا الرأى ، ثم قال : « جعل الضميرين مختلفين ، وهو قول حسن ، وإن كان محمد بن جرير قد أنكره ، لأنه زعم أنه لم يتقدم للمؤمنين ذكر ، فيكنى عنهم . وهذا غلط ، لأنه قد تقدم ذكر المؤمنين فى غير موضع من السورة .

فإن قيل : لم يتقدم ذكرهم فى هذا الموضع .

فالجواب : أن فى المعنى دليلا على ذكرهم فى هذا الموضع . وذلك أن من قال من الكفار : « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء » ، إنما قال ذلك مستهزئاً ومتعنتاً . ولو قصد الحق لقال : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له = ولكنه كفر وأنكر أن يكون الله يبعث رسولا بوحى من الله ، أى : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك ، فأهلك الجماعة من الكفار والمسلمين . فهذا معنى ذكر المسلمين ، فيكون المعنى : كيف يهلك الله المسلمين؟ فهذا المعنى : « ما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » يعنى المؤمنين = « وما لهم ألا يعذبهم الله » ، يعنى الكافرين » .

واختلف أهل العربية فى وجه دخول « أن » فى قوله : « وما لهم ألا يعذبهم الله ».

فقال بعض نحويي البصرة : هى زائدة ههنا ، وقد عملت كما عملت « لا » وهى زائدة ، وجاء فى الشعر :(١)

لَوْ لَمْ تَكُنْ غَطَفَانُ لاَ ذُنُوبَ لَهَا إِلَيَّ ، لاَمَ ذَوُو أَحْسَابِهَا عُمَرَا (٢)

* * *

وقد أنكر ذلك من قوله بعض أهل العربية وقال : لم تدخل « أن » إلا لمعنى صحيح ، لأن معنى : « وما لهم » ، ما يمنعهم من أن يعذبوا . قال : فدخلت « أن » لهذا المعنى ، وأخرج بـ « لا » ، ليعلم أنه بمعنى الجحد ، لأن المنع جحد . قال : و « لا » فى البيت صحيح معناها ، لأن الجحد إذا وقع عليه جحد صار خبراً .(٣) وقال : ألا ترى إلى قولك : « ما زيد ليس قائماً » ، فقد أوجبت القيام ؟ قال : وكذلك « لا » فى هذا البيت .(٤)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وما لهؤلاء المشركين ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام ، ولم يكونوا أولياء الله=« إن أولياؤه » ،(٥) يقول : ما ١٠٧/٩

---

(١) هو الفرزدق .

(٢) سلف البيت وتخريجه ٥ : ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، وروايته هناك : « إذن للام ذود أحسابها » ، وقد فسرته هناك ، وزعمت أن « الذنوب » بفتح الذال بمعنى : الحظ والنصيب عن الشرف والحسب والمروءة .

أما رواية البيت كما جاءت هنا ، وفى الديوان ، توجب أن تكون « الذنوب » جمع « ذنب » . فهذا فرق ما بين الروايتين والمعنيين .

(٣) يعنى قوله : « خبراً » ، أى : إثباتاً .

(٤) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ١٦٣ – ١٦٦ ، وما سلف من التفسير ٥ : ٣٠٠ – ٣٠٥ .

(٥) انظر تفسير « ولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .

أولياء الله = « إلا المتقون » ، يعني : الذين يتقون الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه[١] = « ولكن أكثرهم لا يعلمون » ، يقول : ولكن أكثر المشركين لا يعلمون أنّ أولياء الله المتقون ، بل يحسبون أنهم أولياء الله .

* * *

وبنحو ما قلنا قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٠١٨ – حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون » ، هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٦٠١٩ – حدثني محمد بن عمرو قال : حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « إن أولياؤه إلاّ المتقون » ، مَن كانوا ، وحيث كانوا .

١٦٠٢٠ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٦٠٢١ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلاّ المتقون » ، الذين يحرّمون حرمته ،[٢] ويقيمون الصلاة عنده ، أي : أنت = يعني النبي صلى الله عليه وسلم = ومن آمن بك = « ولكن أكثرهم لا يعلمون » .[٣]

* * *

---

(١) وتفسير « التقوى » فيما سلف من فهارس اللغة (وق) .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة مكان : « يحرمون حرمته » ، « يخرجون منه » ، وهذا من عجائب التحريف من طريق الاختصار ! ! ، والصواب من سيرة ابن هشام .

(٣) الأثر : ١٦٠٢١ – سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٠٠٣ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ (٣٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وما لهؤلاء المشركين ألا يعذبهم الله ، وهم يصدون عن المسجد الحرام الذين يصلون لله فيه ويعبدونه ، ولم يكونوا لله أولياء ، بل أولياؤه الذين يصدونهم عن المسجد الحرام ، وهم لا يصلون فى المسجد الحرام= « وما كان صلاتهم عند البيت » ، يعنى بيت الله العتيق= « إلا مُكاء » ، وهو الصفير .

* * *

يقال منه : « مكا يمكو مَكوًا ومُكاءً » وقد قيل : إن « المكو » أن يجمع الرجل يديه ، ثم يدخلهما فى فيه ، ثم ويصيح . ويقال منه : « مَكت است الدابة مُكاء » ، إذا نفخت بالريح . ويقال : « إنه لا يمكو إلا است مكشوفة » ، ولذلك قيل للاست : « المَكْوة » ، سميت بذلك ،(١) ومن ذلك قول عنترة :

وَحَلِيلِ غَانِيَةٍ تَرَكْتُ مُجَدَّلاً تَمْكُو فَرِيصَتُهُ كَشِدْقِ الأَعْلَمِ (٢)

وقول الطِّرِمَّاح :

---

(١) تمامه سياقه أن يقال : « سميت بذلك لصفيرها » .

(٢) من معلقته المشهورة الغالية . سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٦ ، والمعانى الكبير : ٩٨١ ، واللسان (مكا) وبعد البيت :

سَبَقَتْ يَدَايَ لَهُ بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ وَرَشَاشِ نَافِذَةٍ كَلَوْنِ العَنْدَمِ

« الحليل » ، الزوج ، و « الغانية » : البارعة الحسن والجمال ، استغنت بجمالها عن التجمل . « مجدلا » ، صريعاً على الجدالة ، وهى الأرض . و « الفريصة » ، لحمة عند نغض الكتف ، فى وسط الجنب ، عند منبض القلب ، وهما فريصتان ، وهى التى ترعد عند الفزع ، فيقال للفزع : « أرعدت فرائصه » ، وإصابة الفريصة مقتل . و « الأعلم » ، الجمل المشقوق الشفة العليا . خرج إليه هذا القتيل ، مدلا بقوته وشبابه ، يحفزه أن ينال إعجاب صاحبته الغانية الجميلة به إذا قتل عنترة ، فلم يكد حتى عاجله بالطعنة التى وصف ما وصف من اتساعها كشدق البعير الأعلم .

فَنَحَا لِأُولاَهَا بِطَعْنَةِ مُحْفَظٍ تَمْكُو جَوَانِبُهَا مِنَ الإِنْهَارِ (١)

بمعنى : تصوّت .

* * *

وأما « التصدية » ، فإنها التصفيق ، يقال منه : « صدّى يصدّى تصدية » ، و « صفّق » ، و « صفّح » ، بمعنى واحد .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٠٢٢ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن موسى بن قيس ، عن حجر بن عنبس : « إلا مكاء وتصدية » ، قال : « المكاء » ، التصفير = و « التصدية » ، التصفيق .(٢)

١٦٠٢٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية، عن على ، عن ابن عباس قوله : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » ، « المكاء » ، التصفير = و « التصدية » ، التصفيق .

١٦٠٢٤ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى

---

(١) ديوانه ١٤٩ ، والمعانى الكبير : ٩٨٣ ، وهو بيت من قصيدة مدح بها خالد بن عبد الله القسرى ، ولكن هذا البيت ، مفرد وحده لا صلة له بما قبله ، وهى قصيدة ناقصة بلا شك . وشرحه ابن قتيبة فقال : « نحا » انحرف ، و « المحفظ » ، المغضب . و « تمكو » ، تصفر ، وذلك عند سيلانها . و « الإنهار » ، سعة الطعنة ، ومنه قول قيس بن الخطيم ، يصف طعنة :

طَعَنْتُ ابْنَ عَبْدِ الْقَيْسِ طَعْنَةَ ثَائِرٍ لَهَا نَفَذٌ لَوْلاَ الشُّعَاعُ أَضَاءَهَا
مَلَكْتُ بِهَا كَفِّى فَأَنْهَرْتُ فَتْقَهَا يَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا

(٢) الأثر : ١٦٠٢٢ — « موسى بن قيس الحضرمى » ، « عصفور الجنة » ، مضى برقم : ١٦٠٢٢ .

و « حجر بن عنبس الحضرمى » ، « أبو العنبس » ، ويقال : « أبو السكن » ، قال ابن معين : « شيخ كوفى ثقة مشهور » . تابعى ، وكان شرب الدم فى الجاهلية ، وشهد مع على الجمل وصفين مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/١/٦٨ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٢٦٦ .

قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » ، يقول : كانت صلاة المشركين عند البيت « مكاء » = يعني الصفير = و« تصدية » ، يقول : التصفيق .

١٦٠٢٥ – حدثني محمد بن عمارة الأسدي قال ، حدثنا عبيد الله بن موسى قال ، أخبرنا فضيل ، عن عطية : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » ، قال : التصفيق والصفير .

١٦٠٢٦ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن قرة بن خالد ، عن عطية ، عن ابن عمر قال : « المكاء » ، التصفيق ، و « التصدية » ، الصفير . قال : وأمال ابن عمر خدّه إلى جانب .

١٦٠٢٧ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا وكيع ، عن قرة بن خالد ، عن عطية ، عن ابن عمر : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » ، قال : « المكاء » و « التصدية » ، الصفير والتصفيق .

١٦٠٢٨ – حدثني الحارث قال ، حدثنا القاسم قال ، سمعت محمد بن الحسين يحدث ، عن قرة بن خالد ، عن عطية العوفي ، عن ابن عمر قال : « المكاء » ، الصفير ، و « التصدية » ، التصفيق .

١٦٠٢٩ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا أبو عامر قال ، حدثنا قرة ، عن عطية ، عن ابن عمر في قوله : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » ، قال : « المكاء » الصفير ، و« التصدية » ، التصفيق= وقال قرة : وحكى لنا عطية فعل ابن عمر ، فصفر ، وأمال خده ، وصفق بيديه .

١٦٠٣٠ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني بكر بن مضر ، عن جعفر بن ربيعة قال : سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف يقول في قول الله : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » ، قال بكر : ١٥٨/٩
فجمع لي جعفر كفيه ، ثم نفخ فيهما صفيراً ، كما قال له أبو سلمة .

١٦٠٣١ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : « المكاء » ، الصفير ، و « التصدية » ، التصفيق .

١٦٠٣٢ – . . . . قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا سلمة بن سابور، عن عطية ، عن ابن عمر : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » ، قال : تصفير وتصفيق .(١)

١٦٠٣٣ – . . . . قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية ، عن ابن عمر ، مثله .

١٦٠٣٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حبويه أبو يزيد ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفّرون ويصفقون، فأنزل الله: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ﴾ ، [سورة الأعراف : ٣٢] ، فأمروا بالثياب .

١٦٠٣٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا الحماني قال ، حدثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد قال : كانت قريش يعارضون النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف يستهزئون به، يصفرون ويصفقون ، فنزلت : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » .

١٦٠٣٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد: « إلا مكاء »، قال: كانوا ينفخون في أيديهم، و « التصدية »، التصفيق.

---

(١) الأثر : ١٦٠٣٢ – « سلمة بن سابور » ، روى عن عطية العوفي ، وعبد الوارث مولى أنس . روى عنه أبو نعيم ، والفضل بن موسى ، وغيرهما . ضعفه ابن معين ، وثقه ابن حبان وقال : « كان يحيى القطان يتكلم فيه ، ومن المحال أن يلحق بسلمة ما جنت يدا عطية » . أما البخاري فاقتصر على قوله « كان يحيى يتكلم في عطية » ، كأنه لا يريد استضعافه . مترجم في لسان الميزان ٣ : ٦٨ ، والكبير ٢ / ٢ / ٨٤ ، وابن أبي حاتم ٢ / ١ / ١٦٣ ، وضعفه، وميزان الاعتدال ١ : ٤٠٦ ، واقتصر فقال « جرحوه »

١٦٠٣٧ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « إلا مكاء وتصدية »، قال : « المكاء »، إدخال أصابعهم في أفواههم ، و « التصدية » التصفيق، يخلطون بذلك على محمد صلى الله عليه وسلم صلاتَه .

١٦٠٣٨ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله = إلا أنه لم يقل : « صلاته » .

١٦٠٣٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : « المكاء » ، إدخال أصابعهم في أفواههم ، و « التصدية » ، التصفيق . قال : نفرٌ من بني عبد الدار ، كانوا يخلطون بذلك كله على محمد صلاتَه .

١٦٠٤٠ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا طلحة بن عمرو ، عن سعيد بن جبير : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية »، قال: من بين الأصابع = قال أحمد: سقط عليّ حرف ، وما أراه إلا الحَذْف [1] = والنفخ والصفير منها ، وأراني سعيد بن جبير حيث كانوا يَمْكون من ناحية أبي قُبَيس .[2]

١٦٠٤١ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق بن سليمان قال ، أخبرنا طلحة ابن عمرو ، عن سعيد بن جبير في قوله : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية »، قال : « المكاء » ، كانوا يشبّكون بين أصابعهم ويصفرون بها ، فذلك «المكاء» . قال: وأراني سعيد بن جبير المكان الذي كانوا يمكون فيه نحو أبي قُبَيس .

١٦٠٤٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا محمد بن حرب

---

(١) « الخذف » ، رميك بحصاة أو نواة تأخذها بين سبابتيك ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن « الخذف » وقال : « إنه يفقأ عيناً ، ولا ينكى العدو ، ولا يحرز صيداً » .

(٢) « أبو قبيس » ، اسم الجبل المشرف على بطن مكة .

قال ، حدثنا ابن لهيعة ، عن جعفر بن ربيعة ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن في قوله : « مكاء وتصدية » ، قال : « المكاء » النفخ = وأشار بكفه قِبَل فيه = و « التصدية » ، التصفيق .

١٦٠٤٣ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : « المكاء » ، الصفير ، و « التصدية » ، التصفيق .

١٦٠٤٤ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، مثله .

١٦٠٤٥ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » ، قال : كنا نُحَدَّث أن « المكاء » ، التصفيق بالأيدي ، و « التصدية » ، صياح كانوا يعارضون به القرآن .

١٦٠٤٦ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « مكاء وتصدية » ، قال : « المكاء » ، التصفير ، و « التصدية » ، التصفيق .

١٦٠٤٧ – حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » ، و « المكاء » ، الصفير ، على نحو طير أبيض يقال له : « المكّاء » يكون بأرض الحجاز ،[1] و « التصدية » ، التصفيق .

١٦٠٤٨ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وما كان صلاتهم عند البيت إلاّ مكاء وتصدية » ، قال : « المكاء » ، صفير كان أهل الجاهلية يُعلنون به . قال : وقال في « المكاء » ، أيضاً : صفير في أيديهم ولعب .

* * *

---

(١) « المكاء » (بضم الميم وتشديد الكاف) ، وجمعه « مكاكي » طائر نحو القنبرة ، إلا أن في جناحيه بلقاً . سمي بذلك ، لأنه يجمع يديه ، ثم يصفر فيهما صفيراً حسناً .

وقد قيل فى « التصدية » : إنها « الصد عن بيت الله الحرام » . وذلك قول لا وجه له ، لأن « التصدية » ، مصدر من قول القائل : « صدّيت تصدية » . وأما « الصدّ » فلا يقال منه : « صدّيت » ، إنما يقال منه : « صددْت » ، فإن شدّدت منها الدال على معنى تكرير الفعل قيل : « صدّدْتَ تصديداً » .[1] إلا أن يكون صاحب هذا القول وجّه « التصدية » إلى أنه من « صَدّدت » ، ثم قلبت إحدى داليه ياء ، كما يقال : « تظنَّيْتُ » من « ظننت » ، وكما قال الراجز :[2] ١٥٩/٩

* تَقَضِّىَ البَازِى إذَا البَازِى كَسَرْ *[3]

يعنى : تقضُّض البازى ، فقلب إحدى ضاديه ياء ، فيكون ذلك وجهاً يوجّه إليه .

* * *

* ذكر من قال ما ذكرنا فى تأويل « التصدية » .

١٦٠٤٩ — حدثنى أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا طلحة بن عمرو ، عن سعيد بن جبير : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » ، صدهم عن بيت الله الحرام .

١٦٠٥٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق بن سليمان قال ، أخبرنا طلحة ابن عمرو ، عن سعيد بن جبير : « وتصدية » قال : « التصدية » ، صدّهم الناس عن البيت الحرام .

١٦٠٥١ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وتصدية » ، قال : التصديد ، عن سبيل الله ،[4] وصدّهم عن الصلاة وعن دين الله .

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « صددت تصدية » ، وهو خطأ ظاهر ، صوابه ما أثبت .

(٢) هو العجاج .

(٣) سلف البيت وتخريجه وشرحه ٢ : ١٥٧ ، وسيأتى فى التفسير ٣٠ : ١٣٥ (بولاق) .

(٤) فى المطبوعة : « التصدية » ، وفى المخطوطة توشك أن تقرأ هكذا وهكذا ، ورأيت الأرجح أن تكون « التصديد » ، فأثبتها .

١٦٠٥٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » ، قال : ما كان صلاتهم التي يزعمون أنها يُدْرَأ بها عنهم= « إلا مكاء وتصدية » ، وذلك ما لا يرضى الله ولا يحبّ ، ولا ما افترض عليهم ، ولا ما أمرهم به .(١)

* * *

وأما قوله : « فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » ، فإنه يعني العذابَ الذي وعدهم به بالسيف يوم بدر . يقول للمشركين الذين قالوا : « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء » الآية ، حين أتاهم بما استعجلوه من العذاب = « ذوقوا »، أي : اطعموا ، وليس بذوق بفم ، ولكنه ذوق بالحس، ووجود طعم ألمه بالقلوب .(٢) يقول لهم : فذوقوا العذابَ بما كنتم تجحدون أن الله معذبكم به على جحودكم توحيدَ ربكم ، ورسالةَ نبيكم صلى الله عليه وسلم .

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٠٥٣ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون »، أي : ما أوقع الله بهم يوم بدر من القتل.(٣)

١٦٠٥٤ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج : « فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون»، قال: هؤلاء أهل بدر، يوم عذبهم الله .

١٦٠٥٥ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » ، يعني أهل بدر ، عذبهم الله يوم بدر بالقتل والأسر .

---

(١) الأثر : ١٦٠٥٢ – سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٦ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٠٢١ .

(٢) انظر تفسير « الذوق » فيما سلف ص ٤٣٤ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) الأثر : ١٦٠٥٣ – سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٦، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٠٥ .

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ (٣٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن الذين كفروا بالله ورسوله ينفقون أموالهم ،(١) فيعطونها أمثالهم من المشركين ليتقوّوا بها على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به ، ليصدّوا المؤمنين بالله ورسوله عن الإيمان بالله ورسوله ،(٢) فسينفقون أموالهم فى ذلك ، ثم تكون نفقتهم تلك عليهم = « حسرة » ، يقول : تصير ندامة عليهم ،(٣) لأن أموالهم تذهب ، ولا يظفرون بما يأملون ويطمعون فيه من إطفاء نور الله ، وإعلاء كلمة الكفر على كلمة الله ، لأن الله مُعْلى كلمته ، وجاعل كلمة الكفر السفلى ، ثم يغلبهم المؤمنون ، ويحشر الله الذين كفروا به وبرسوله إلى جهنم ، فيعذبون فيها ،(٤) فأعظم بها حسرة وندامة لمن عاش منهم ومن هلك ! أما الحىّ ، فحُرِب ماله وذهبَ باطلاً فى غير دَرَك نفع ، ورجع مغلوباً مقهوراً محروباً مسلوباً .(٥) وأما الهالك ، فقتل وسُلب ، وعُجِّل به إلى نار الله يخلُد فيها ، نعوذ بالله من غضبه .

* * *

وكان الذى تولّى النفقةَ التى ذكرها الله فى هذه الآية فيما ذُكر ، أبا سفيان .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) انظر تفسير « الإنفاق » فيما سلف من فهارس اللغة (نفق) .

(٢) انظر تفسير « الصد » فيما سلف ١٢ : ٥٥٩ تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الحسرة » فيما سلف ٣ : ٧/٢٩٥ : ١١/٣٣٥ : ٣٢٥ .

(٤) انظر تفسير « الحشر » فيما سلف ص : ٤٧٢ تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٥) فى المطبوعة : « محزونا مسلوباً » ، والسياق يتقضى ما أثبت .
« محروب » ، مسلوب المال .

١٦٠٥٦ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يعقوب القمى ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير فى قوله : « إن الذين كفروا ينفقون أموالهم » الآية ، « والذين كفروا إلى جهنم يحشرون » ، قال : نزلت فى أبى سفيان بن حرب . استأجر يوم أحد ألفين من الأحابيش من بنى كنانة ،(١) فقاتل بهم النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وهم الذين يقول فيهم كعب بن مالك :

وَجِئْنَا إِلَى مَوْجٍ مِنَ البَحْرِ وَسْطَهُ أَحَابِيشُ ، مِنْهُمْ حَاسِرٌ وَمُقَنَّعُ (٢)
ثَلَاثَةُ آلَافٍ ، وَنَحْنُ نَصِيَّةٌ ثَلَاثُ مِئِينَ ، إِنْ كَثُرْنَ ، فَأَرْبَعُ (٣)

١٦٠/٩ ١٦٠٥٧ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا إسحق بن إسمعيل ، عن يعقوب القمى ، عن جعفر ، عن ابن أبزى : « إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله » ، قال : نزلت فى أبى سفيان : استأجر يوم أحد ألفين ليقاتل بهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، سوى من استجاش من العرب .(٣)

---

(١) « الأحابيش » ، هم بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، وعضل ، والديش ، من بنى الهون بن خزيمة ، والمصطلق ، والحيا ، من خزاعة . وسميت « الأحابش » ، لاجتماعها وانضمامها محالفة لقريش ، فى قتال بنى ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة . (انظر المحبر : ٢٤٦ ، ٢٦٧) و (نسب قريش : ٩) .

(٢) سيرة ابن هشام ٣ : ١٤١ ، طبقات فحول الشعراء : ١٨٣ ، نسب قريش : ٩ ، وغيرها .

ويعنى بقوله : « فجئنا إلى موج » ، جيش الكفار يوم أحد ، يموج موجه . وكان عدة المشركين بأحد ثلاثة آلاف . و « الحاسر » ، الذى لا درع له ، ولا بيضة على رأسه . و « المقنع » ، الدارع الذى لبس سلاحه ، ووضع البيضة على رأسه .

(٣) « نصية » ، أى : خيار أشراف ، أهل جلد وقتال . يقال : « انتصى الشىء » ، اختار ناصيته ، أى أكرم ما فيه . وكان فى المطبوعة : « ونحن نظنه » ، وهو خطأ صرف ، وهى فى المخطوطة ، كما كتبتها غير منقوطة .

وهكذا جاء الرواية فى المخطوطة : « إن كثرن فأربع » ، كأنه يعنى أنهم كانوا ثلاثمئة ، فإن كثروا فأربعمئة . وهو لا يصح ، لأن عدة المسلمين يوم أحد كانت سبعمئة . فصواب الرواية ما أنشده ابن إسحق وابن سلام .

« إِنْ كَثُرْنَا وَأَرْبَعُ »

(٤) « استجاش » ، طلب منه الجيش وجمعه على عدوه .

١٦٠٥٨ — . . . . قال، أخبرنا أبي ، عن خطاب بن عثمان العصفرى، عن الحكم بن عتيبة : « إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله » ، قال : نزلت فى أبى سفيان . أنفق على المشركين يوم أحد أربعين أوقية من ذهب ، وكانت الأوقية يومئذ اثنين وأربعين مثقالاً .(١)

١٦٠٥٩ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله» ، الآية ، قال : لما قدم أبو سفيان بالعير إلى مكة أشَّبَ الناس ودعاهم إلى القتال ، (٢) حتى غزا نبيَّ الله من العام المقبل . وكانت بدر فى رمضان ، يوم الجمعة صبيحة سابع عشرة من شهر رمضان . وكانت أحد فى شوال يوم السبت لإحدى عشرة خلت منه فى العام الرابع .

١٦٠٦٠ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : قال الله فيما كان المشركون ، ومنهم أبو سفيان ، يستأجرون الرجال يقاتلون محمداً بهم : « إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله » ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم = « فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة » ، يقول : ندامة يوم القيامة وويلٌ (٣) = « ثم يغلبون » .

١٦٠٦١ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « ينفقون أموالهم ليصدوا

---

(١) الأثر : ١٦٠٥٨ — « خطاب بن عثمان العصفرى » ، لم أجد له ترجمة فى غير ابن أبى حاتم ١/٢/٢٨٦ ، وقال : « خطاب العصفرى » روى عن الشعبى ، روى عنه وكيع ، ومحمد بن ربيعة ، وأبو نعيم . سمعت أبى يقول ذلك . وسألته عنه فقال : « شيخ » . ولم يذكر أن اسم أبيه « عثمان » .

(٢) فى المطبوعة : « أنشد الناس » ، وهو لا معنى له . وفى المخطوطة : « أنسب » ، غير منقوطة ، وصواب قراءتها ما أثبت . و « التأشيب » ، التحريش بين القوم ، و « التأشيب » ، التجميع ، يقال : « تأشب به أصحابه » ، أى : اجتمعوا إليه وطافوا به . أراد أنه جمعهم وحرضهم على القتال .

(٣) فى المطبوعة : « وويلا » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب أيضاً .

عن سبيل الله »، الآية حتى قوله : « أولئك هم الخاسرون» ، قال : فى نفقة أبى سفيان على الكفار يوم أحد .

١٦٠٦٢ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٦٠٦٣ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال ، حدثنا محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرى ، ومحمد بن يحيى بن حبان ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ،(١) [وغيرهم من علمائنا ، كلهم قد حدث بعض الحديث عن يوم أحد . وقد اجتمع حديثهم كله فيما سقت من الحديث عن يوم أحد ، قالوا : أو من قاله منهم : لما أصيب] يوم بدر من كفار قريش من أصحاب القليب ، (٢) ورجع فَلُّهم إلى مكة ،(٣) ورجع أبو سفيان بعِيره ، مشى عبد الله بن أبى ربيعة ،(٤) وعكرمة ابن أبى جهل ، وصفوان بن أمية ، فى رجال من قريش أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر ، فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كان له فى تلك العير من قريش تجارة، فقالوا : يا معشر قريش ، إن محمداً قد وَتَرَكم وقتل خياركم ،(٥) فأعينونا

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « الحصين بن عبد الرحمن وعمرو بن سعد بن معاذ» ، وهو خطأ ، فقد مضى مراراً مثله . وصوابه من سيرة ابن هشام .

(٢) هذه الزيادة بين القوسين من سيرة ابن هشام، وإنما فعلت ذلك ، لأن المطبوعة خالفت المخطوطة خطأ فيها ، فكتب فى المطبوعة : « قالوا : لما أصابت المسلمون يوم بدر . . . » ، وكان فى المخطوطة : « قالوا : لما أصيبت قريش ، أو من قاله منهم ، يوم بدر » ، وهو غير مستقيم ، فرجح قوله : « أو من قال منهم» ، أن الناسخ قد عجل فى نقل بقية الإسناد ، وخلط الكلام فاضطرب . فلذلك أثبته بنصه من السيرة .

(٣) « الفل » (بفتح الفاء) : المنهزمون ، الراجعون من جيش قد هزم .

(٤) فى المطبوعة : « عبد الله بن ربيعة » ، خطأ محض .

(٥) « وتر القوم » ، أدرك فيهم مكروهاً بقتل أو غيره . و « الموتور » الذى قتل له قتيل فلم يدرك بدمه .

بهذا المال على حربه ، لعلنا أن ندرك منه ثأراً بمن أصيب منا ! ففعلوا . قال : ففيهم ، كما ذكر عن ابن عباس ،[١] أنزل الله : « إن الذين كفروا ينفقون أموالهم » إلى قوله : « والذين كفروا إلى جهنم يحشرون » .[٢]

١٦٠٦٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق: « إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله » ، إلى قوله : «يحشرون »، يعنى النفرَ الذين مشوا إلى أبى سفيان ، وإلى من كان له مال من قريش فى تلك التجارة، فسألوهم أن يُقَوُّوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،[٣] ففعلوا .[٤]

١٦٠٦٥ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنى سعيد بن أبى أيوب ، عن عطاء بن دينار فى قول الله : « إن الذين كفروا ينفقون أموالهم »، الآية ، نزلت فى أبى سفيان بن حرب .[٥]

* * *

وقال بعضهم : عنى بذلك المشركون من أهل بدر .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٠٦٦ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله » الآية ، قال : هم أهل بدر .

* * *

---

(١) الذى فى سيرة ابن هشام : « قال ابن إسحق ، ففيهم ، كما ذكر لى بعض أهل العلم » ، ولم يسند الكلام إلى ابن عباس .

(٢) الأثر : ١٦٠٦٣ – سيرة ابن هشام ٣ : ٦٤ .

(٣) فى المطبوعة : « أن يعينوهم » ، وفى سيرة ابن هشام : « يقووهم بها » ، بزيادة .

(٤) الأثر : ١٦٠٦٤ سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٧ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٠٥٣ .

(٥) الأثر : ١٦٠٦٥ – « سعيد بن أبى أيوب مقلاص المصرى » ، مضى مراراً، آخرها رقم : ١٣١٧٨ . وكان فى المخطوطة : « سعيد بن أيوب » ، وصححه ناشر المطبوعة .

و « عطاء بن دينار الهذلى المصرى » ، مضى أيضاً برقم : ١٦٠ ، ١٣١٧٨ ، بمثل هذا الإسناد .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى ما قلنا ، وهو أن يقال : إن الله أخبرَ عن الذين كفروا به من مشركى قريش ، أنهم ينفقون أموالهم ليصدُّوا عن سبيل الله . لم يخبرنا بأىّ أولئك عَنَى ، غير أنه عم بالخبر « الذين كفروا » . وجائز أن يكون عَنَى المنفقين أموالهم لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بأحد = وجائز أن يكون عنى المنفقين منهم ذلك ببدر = وجائز أن يكون عنى الفريقين . وإذ كان ذلك كذلك ، فالصواب فى ذلك أن يعمّ كما عم جل ثناؤه الذين كفروا من قريش .

* * *

١٦١/٩ القول فى تأويل قوله ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾ (٣٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : يحشر الله هؤلاء الذين كفروا بربهم وينفقون أموالهم للصدّ عن سبيل الله، إلى جهنم، ليفرق بينهم = وهم أهل الخبث ، كما قال وسماهم « الخبيث » = وبين المؤمنين بالله وبرسوله ، وهم « الطيبون » ، كما سماهم جل ثناؤه . فميَّز جل ثناؤه بينهم بأن أسكن أهل الإيمان به وبرسوله جناته، وأنزل أهل الكفر نارَه .(١)

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٠٦٧ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال، حدثنى معاوية ،

---

(١) انظر تفسير « الخبيث » فيما سلف ص : ١٦٥، تعليق : ٣ ، ٤ ، والمراجع هناك . = وتفسير « الطيب » فيما سلف من فهارس اللغة (طيب) .

عن على ، عن ابن عباس قوله : « ليميز الله الخبيث من الطيب » ، فميّز أهل السعادة من أهل الشقاوة .

١٦٠٦٨ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : ثم ذكر المشركين وما يصنع بهم يوم القيامة ، فقال : «ليميز الله الخبيث من الطيب » ، يقول : يميز المؤمن من الكافر ، فيجعل الخبيث بعضه على بعض .

* * *

ويعنى جل ثناؤه بقوله : « فيجعل الخبيث بعضه على بعض » ، فيجعل الكفار بعضهم فوق بعض = « فيركمه جميعاً » ، يقول : فيجعلهم ركاماً ، وهو أن يجمع بعضهم إلى بعض حتى يكثروا ، كما قال جل ثناؤه فى صفة السحاب : ﴿ ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا ﴾ ، [سورة النور : ٤٣] ، أى : مجتمعاً كثيفاً ، وكما :—

١٦٠٦٩ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « فيركمه جميعاً » ، قال : فيجمعه جميعاً بعضه على بعض .

* * *

وقوله : « فيجعله فى جهنم » يقول : فيجعل الخبيث جميعاً فى جهنم = فوحّد الخبر عنهم لتوحيد قوله : « ليميز الله الخبيث » ، ثم قال : «أولئك هم الخاسرون » ، فجمع ، ولم يقل : « ذلك هو الخاسر » ، فردّه إلى أول الخبر .

ويعنى بـ « أولئك » ، الذين كفروا ، وتأويله : هؤلاء الذين ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله «هم الخاسرون» ، ويعنى بقوله : « الخاسرون » ، الذين غُبنت صفقتهم ، وخسرت تجارتهم .(١) وذلك أنهم شَرَوْا بأموالهم عذابَ الله فى الآخرة ، وتعجّلوا بإنفاقهم إياها فيما أنفقوا من قتال نبىّ الله والمؤمنين به ، الخزىَ والذلّ .

* * *

(١) انظر تفسير « خسر » فيما سلف ١٢ : ٥٧٩ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (٣٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « قل »، يا محمد ، « للذين كفروا » ، من مشركى قومك = « إن ينتهوا » ، عما هم عليه مقيمون من كفرهم بالله ورسوله ، وقتالك وقتال المؤمنين ، فينيبوا إلى الإيمان[1] = يغفر الله لهم ما قد خلا ومضى من ذنوبهم قبل إيمانهم وإنابتهم إلى طاعة الله وطاعة رسوله بإيمانهم وتوبتهم[2] = « وإن يعودوا »، يقول : وإن يعد هؤلاء المشركون لقتالك بعد الوقعة التى أوقعتها بهم يوم بدر = فقد مضت سنتى فى الأولين منهم ببدر ، ومن غيرهم من القرون الخالية ،[3] إذ طغوا وكذبوا رسلى ولم يقبلوا نصحهم ، من إحلال عاجل النِّقَم بهم ، فأحلّ بهؤلاء إن عادوا لحربك وقتالك ، مثل الذى أحللت بهم .[4]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٠٧٠ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله : «فقد مضت سنة الأولين» ، فى قريش يوم بدر ، وغيرها من الأمم قبل ذلك .

١٦٠٧١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

---

(١) انظر تفسير « الانتهاء » فيما سلف : ٤٥٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « سلف » فيما سلف ٦ : ٨/١٤ : ١٣٨ ، ١١/١٥٠ : ٤٨ .
(٣) انظر تفسير « سنة » فيما سلف ٧ : ٨/٢٢٨ : ٢٠٩ .
(٤) فى المطبوعة : « الذين أحللت بهم » ، وفى المخطوطة سيئة الكتابة ، صوابها ما أثبت .

١٦٠٧٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٦٠٧٣ – حدثني ابن وكيع قال ،[1] حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « فقد مضت سنة الأولين » ، قال : في قريش وغيرها من الأمم قبل ذلك .

١٦٠٧٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال في قوله : « قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا » ، لحربك = « فقد مضت سنة الأولين » ، أي : من قُتل منهم يوم بدر .[2]

١٦٠٧٥ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وإن يعودوا » ، لقتالك = « فقد مضت سنة الأولين » ، من أهل بدر .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٣٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله : وإن يعد هؤلاء لحربك ، فقد رأيتم سنتي فيمن قاتلكم منهم يوم بدر ، وأنا عائد بمثلها فيمن حاربكم منهم ، فقاتلوهم حتى لا يكون شرك ، ولا يعبد إلا الله وحده لا شريك له ، فيرتفع البلاء عن عباد الله من الأرض = وهو « الفتنة »[3] = « ويكون الدين ١٦٢/٩

(١) في المطبوعة : « حدثنا المثنى قال ، حدثنا ابن وكيع . . . » ، وهو خطأ ظاهر ، وصوابه من المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٦٠٧٤ – سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٧ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٠٦٤ .

(٣) انظر تفسير « الفتنة » فيما سلف : ٤٨٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

كله لله » ، يقول : وحتى تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصةً دون غيره .[1]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٠٧٦ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة » ، يعنى : حتى لا يكون شرك .

١٦٠٧٧ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن يونس ، عن الحسن فى قوله : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة » ، قال : « الفتنة » ، الشرك .

١٦٠٧٨ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة » ، يقول : قاتلوهم حتى لا يكون شرك = « ويكون الدين كله لله » ، حتى يقال : « لا إله إلا الله » ، عليها قاتل نبى الله صلى الله عليه وسلم ، وإليها دعا .

١٦٠٧٩ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة » ، قال : حتى لا يكون شرك .

١٦٠٨٠ — حدثنى الحارث قال: حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا مبارك ابن فضالة ، عن الحسن فى قوله : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة » ، قال : حتى لا يكون بلاء .

---

(١) وتفسير « الدين » فيما سلف ١ : ١٥٥ ، ٦/١٥٦ : ٢٧٣ — ٢٧٥ ، وغيرها فى فهارس اللغة (دين) .

١٦٠٨١ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » ، أى : لا يفتن مؤمن عن دينه ، ويكون التوحيد لله خالصاً ليس له فيه شرك ، ويُخلع ما دونه من الأنداد .(١)

١٦٠٨٢ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة » ، قال : حتى لا يكون كفر = « ويكون الدين كله لله » ، لا يكون مع دينكم كفر .

١٦٠٨٣ – حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد قال ، حدثني أبى قال ، حدثنا أبان العطار قال ، حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه : أن عبد الملك بن مروان كتبَ إليه يسأله عن أشياء، فكتب إليه عروة : « سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو . أما بعد ، فإنك كتبت إلىّ تسألنى عن مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، وسأخبرك به ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله . كان من شأن خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة، أن الله أعطاه النبوة ، فنعم النبيُّ ! ونعم السيد ! ونعم العشيرة ! فجزاه الله خيراً ، وعرّفنا وجهه فى الجنة ، وأحيانَا على ملته ، وأماتنا عليها ، وبعثنا عليها . وأنه لما دعا قومه لما بعثه الله له من الهدى والنور الذى أنزل عليه، لم يَبْعُدوا منه أوّلَ ما دعاهم إليه ،(٢) وكادوا

---

(١) الأثر : ١٦٠٨١ – هذا نص ابن هشام فى سيرته ، من روايته عن ابن إسحق ، فأنا أكاد أقطع أن هذا الخبر ملفق من خبرين :

أولها هذا الإسناد الأول ، سقط نص خبره .

والآخر إسناد أبى جعفر إلى ابن إسحق ، وهو هذا :

« حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق فى قوله : . . . »، ثم هذا السياق الذى هنا ، وهو نص ما فى ابن هشام .

انظر سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٧ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٠٧٤ .

(٢) فى المطبوعة : « لم ينفروا منه » ، غير ما فى المخطوطة ، وهو مطابق لما فى التاريخ .

يسمعون له ، [١] حتى ذكر طواغيتهم . وقدم ناس من الطائف من قريش ، لهم أموال ، أنكر ذلك ناسٌ واشتدّوا عليه ، [٢] وكرهوا ما قال ، وأغروا به من أطاعهم ، فانصفق عنه عامة الناس فتركوه ، [٣] إلا من حفظه الله منهم ، وهم قليل . فمكث بذلك ما قدّر الله أن يمكث ، ثم ائتمرت رؤوسهم بأن يفتنوا من اتبعه عن دين الله من أبنائهم وإخوانهم وقبائلهم ، فكانت فتنةٌ شديدة الزلزال ، [٤] فافتُتِن من افتتن ، وعصم الله من شاء منهم . فلما فُعِل ذلك بالمسلمين ، أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا إلى أرض الحبشة . وكان بالحبشة ملك صالح يقال له « النجاشي » ، لا يُظلم أحد بأرضه ، [٥] وكان يُثْنَى عليه مع ذلك [صلاح] ، [٦] وكانت أرض الحبشة متجراً لقريش ، يَتَجَرون فيها ، ومساكن لتِجارهم ، [٧] يجدون فيها رَفاغاً من الرزق وأمناً ومَتْجَراً حسناً ، [٨] فأمرهم بها النبي صلى الله عليه وسلم ، فذهب إليها عامتهم لما قُهِروا بمكة ، وخاف عليهم الفتن . [٩] ومكث هو فلم يبرح . فمكث ذلك

---

(١) في المطبوعة : « وكانوا يسمعون » ، غير ما في المخطوطة ، وهو مطابق للتاريخ .

(٢) في المطبوعة : « أنكر ذلك عليه ناس » ، زاد « عليه » ، وفي التاريخ : « أنكروا ذلك عليه » ، ليس فيه « ناس » .

(٣) في المطبوعة : « فانعطف عنه » ، غير ما في المخطوطة عبثاً ، وهو مطابق لما في التاريخ . و « انصفق عنه الناس » ، رجعوا وانصرفوا . و « انصفقوا عليه » : أطبقوا واجتمعوا ، أصله من « الصفقة » ، وهو الاجتماع على الشيء . وإنما غير المعنى استعمال الحرف ، في الأولى « عنه » ، وفي الأخرى « عليه » . وهذا من محاسن العربية .

(٤) في المخطوطة : « شدودة الزلزال » ، وهو سهو من الناسخ .

(٥) في المخطوطة : « لا يظلم بأرضه » ، وصححها الناشر وتصحيحه مطابق لما في التاريخ .

(٦) الزيادة بين القوسين من تاريخ الطبري .

(٧) قوله : « ومساكن لتجارهم » ، ليست في التاريخ ، وفي المطبوعة : « لتجارتهم » ، وهو خطأ ، صوابه من المخطوطة ، وابن كثير .

(٨) في المطبوعة : « رتاعاً من الرزق » ، خالف المخطوطة ، لأنها غير منقوطة ، وهي مطابقة لما في التاريخ . و « الرفاغ » مصدر « رفغ » (بفتح فضم) ، وهو قياس العربية ، والذي في المعاجم « رفاغة » . يقال : « إنه لفي رفاغة من العيش » ، و « رفاغية » (على وزن : ثمانية) : سعة من العيش وطيب وخصب . و « عيش رافغ » .

(٩) في المطبوعة والمخطوطة : « وخافوا عليهم الفتن » ، والجيد ما أثبته من التاريخ .

سنوات ، يشتدُّون على من أسلم منهم. (١) ثم إنه فشا الإسلام فيها ، ودخل فيه رجال من أشرافهم ومَنَعَتهم .(٢) فلما رأوا ذلك ، استرخوْا استرخاءة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه . (٣) وكانت الفتنة الأولى هي أخرجت من خرج من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قِبَل أرض الحبشة ، مخافتَها ، وفراراً مما كانوا فيه من الفتن والزلزال . فلما استُرْخى عنهم ، ودخل في الإسلام من دخل منهم ، تُحُدِّث باسترخائهم عنهم .(٤) فبلغ ذلك من كان بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه قد استُرْخِيَ عمن كان منهم بمكة ، وأنهم لا يفتنون . فرجعوا إلى مكة ، وكادوا يأمنون بها ،(٥) وجعلوا يزدادون ويكثرون . وأنه أسلم من الأنصار بالمدينة ناس كثير ، وفشا بالمدينة الإسلام ، وطفق أهل المدينة يأتون ١٦٣/٩ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة. فلما رأت ذلك قريش تذامرَتْ على أن يفتنوهم ويشتدّوا عليهم ،(٦) فأخذوهم ، وحرصوا على أن يفتنوهم ، فأصابهم جَهْدٌ شديد.

---

(١) في التاريخ : « فمكث بذلك سنوات » ، وهي أجود .

(٢) إلى هذا الموضع ، انتهى ما رواه أبو جعفر في تاريخه ٢ : ٢٢٠ ، ٢٢١ ، إلا أنه لم يذكر في ختام الجملة « ومنعتهم » .

وقوله : « ومنعتهم » (بفتحات) : جمع « مانع » ، مثل « كافر » و « كفرة » ، وهم الذين يمنعون من يريدهم بسوء .

وانظر تخريج الخبر في آخر هذا الأثر .

(٣) « الاسترخاء » ، السعة والسهولة . « استرخوا عنهم » ، أرخوا عنهم شدة العذاب والفتنة .

(٤) في المطبوعة : « تحدث بهذا الاسترخاء عنهم » ، وفي المخطوطة هكذا : « تحددوا استرخاهم عنهم » ، وأثبت الصواب من تفسير ابن كثير .

(٥) من أول قوله : « فلما رأوا ذلك استرخوا . . . » ، إلى هذا الموضع ، لم يذكره أبو جعفر في تاريخه ، ثم يروى ما بعده ، كما سأبينه بعد في التعليق .

(٦) في المطبوعة والمخطوطة : « توامرت على أن يفتنوهم » ، وأثبت ما في التاريخ . أما ابن كثير في تفسيره فنقل : « توامروا على أن يفتنوهم » . وفي المطبوعة وحدها : « ويشدوا عليهم » ، وأثبت ما في التاريخ وابن كثير .

و « تذامر القوم » ، حرّض بعضهم بعضاً وحثّه على قتال أو غيره . و « ذمر حزبه تذميراً » ، شجعه وحثه ، مع لوم واستبطاء .

وكانت الفتنة الآخرة . فكانت ثنتين : فتنة أخرجت من خرج منهم إلى أرض الحبشة ، حين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، وأذن لهم فى الخروج إليها = وفتنة لما رجعوا ورأوا من يأتيهم من أهل المدينة. ثم إنه جاء رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من المدينة سبعون نقيباً ، [1] رؤوس الذين أسلموا ، فوافوه بالحج ، فبايعوه بالعقبة ، وأعطوه عهودهم على أنّا منك وأنت منا ، [2] وعلى أن من جاء من أصحابك أو جئتنا ، فإنا نمنعك مما نمنع منه أنفسنا . فاشتدت عليهم قريش عند ذلك. فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يخرجوا إلى المدينة ، وهى الفتنة الآخرة التى أخرج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ، وخرج هو ، وهى التى أنزل الله فيها : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » . [3]

١٦٠٨٤ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنى عبد الرحمن ابن أبى الزناد ، عن أبيه ، عن عروة بن الزبير : أنه كتب إلى الوليد : « أما بعد ، فإنك كتبتَ إلىّ تسألنى عن مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، وعندى ،

---

(١) فى المطبوعة : « سبعون نفساً » ، وفى المخطوطة : « سبعين نفسا » ، غير منقوطة ، والصواب ما أثبته من تاريخ الطبرى ، وتفسير ابن كثير .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « وأعطوه على أنا منك . . » ، سقط من الكلام « عهودهم » ، أثبتها من التاريخ ، وفى تفسير ابن كثير « وأعطوه عهودهم ومواثيقهم » .

(٣) الأثر : ١٦٠٨٣ — « أبان العطار » ، هو « أبان بن يزيد العطار » ، وقد سلف شرح هذا الإسناد : ١٥٧١٩ ، ١٥٨٢١ ، وغيرهما ، وهو إسناد صحيح .

وكتاب عروة إلى عبد الملك بن مروان قد رواه أبو جعفر مفرقاً فى تفسيره ، وفى تاريخه ، فما رواه فى تفسيره آنفاً رقم : ١٥٧١٩ ، ١٥٨٢١ أما فى تاريخه ، فقد رواه مفرقاً فى مواضع ، هذه هى ٢ : ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٥ ، ٢٦٧ — ٢٦٩ / ثم ٣ : ١١٧ ، ١٢٥ ، ١٣٢ ، وعسى أن أستطيع أن ألم شتات هذا الكتاب من التفسير والتاريخ ، حتى أخرج منه كتاب عروة إلى عبد الملك كاملا ، فهو من أوائل الكتب التى كتبت عن سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهذا الخبر نفسه ، مفرق فى موضعين من التاريخ ٢ : ٢٢٠ ، ٢٢١ كما أشرت إليه فى ص : ٤٤٣ تعليق : ١ / ثم ٢ : ٢٤٠ ، ٢٤١ .

ونقله ابن كثير عن هذا الموضع من التفسير فى تفسيره ٤ : ٦١ ، ٦٢ .

ثم انظر التعليق على الأثر التالى .

بحمد الله ، من ذلك علم بكل ما كتبتَ تسألني عنه ، وسأخبرك إن شاء الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله » ، ثم ذكر نحوه . (١)

١٦٠٨٥ – حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا قيس ، عن الأعمش ، عن مجاهد : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة » ، قال : « يَسَاف » و « نائلة » ، صنمان كانا يعبدان . (٢)

* * *

وأما قوله : « فإن انتهوا » ، فإن معناه : فإن انتهوا عن الفتنة ، وهي الشرك بالله، وصارُوا إلى الدين الحق معكم (٣) = «فإن الله بما يعملون بصير » ، يقول : فإن الله لا يخفى عليه ما يعملون من ترك الكفر والدخول في دين الإسلام ، (٤) لأنه يبصرهم ويبصر أعمالكم ، (٥) والأشياء كلها متجلية له ، لا تغيب عنه ، ولا

---

(١) الأثر : ١٦٠٨٤ – « عبد الرحمن بن أبي الزناد » ، هو « عبد الرحمن بن عبد الله ابن ذكوان » ، مضى برقم : ١٦٩٥ ، ٩٢٢٥ ، وقال أخي السيد أحمد أنه ثقة ، تكلم فيه بعض الأئمة . ثم قال : وقد وثقه الترمذي وصحح عدة من أحاديثه ، بل قال في السنن ٣ : ٥٩ : « هو ثقة حافظ » .

وممن ضعف « عبد الرحمن بن أبي الزناد » ابن معين قال : « ليس ممن يحتج به أصحاب الحديث، ليس بشيء » . وقال أحمد : « مضطرب الحديث » ، وقال ابن المديني : « كان عند أصحابنا ضعيفاً » ، وقال ابن المديني : « ما حدث به بالمدينة فهو صحيح ، وما حدث ببغداد أفسده البغداديون » . وقال أيضاً : « حديثه بالمدينة مقارب ، وما حدث به بالعراق فهو مضطرب » . وقال ابن سعد : « كان كثير الحديث ، وكان يضعف لروايته عن أبيه » .

وأبوه « عبد الله بن ذكوان » ، أبو الزناد ، ثقة ، روى له الجماعة ،

وقد روى « عبد الرحمن بن أبي الزناد » ، أن الذي كتب إليه عروة ، هو « الوليد بن عبد الملك ابن مروان » ، والإسناد السالف أصح وأوثق ، أنه كتب إلى « عبد الملك بن مروان » ، فأنا أخشى أن يكون هذا الخبر مما اضطربت فيه رواية « ابن أبي الزناد » ، عن أبيه .

(٢) « إساف » (بكسر الألف وفتحها) و « يساف » (بكسر الياء وفتحها) ، واحد . وقد مضى ذلك في الخبر : ١٠٤٣٣ ، والتعليق عليه ٩ : ٢٠٨ ، تعليق : ١ .

وكان في المخطوطة هنا : « ساف ونافلة » ، وهو خطأ محض .

(٣) انظر تفسير « الانتهاء » فيما سلف ص : ٥٣٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « بصير » فيما سلف من فهارس اللغة (بصر) .

(٥) في المطبوعة : « يبصركم » ، والصواب من المخطوطة .

يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين .

* * *

وقد قال بعضهم : معنى ذلك ، فإن انتهوا عن القتال .

* * *

قال أبو جعفر : والذى قلنا فى ذلك أولى بالصواب ، لأن المشركين وإن انتهوا عن القتال ، فإنه كان فرضاً على المؤمنين قتالهم حتى يسلموا .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ (٤٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وإن أدبر هؤلاء المشركون عما دعوتموهم إليه ، أيها المؤمنون ، من الإيمان بالله ورسوله ، وترك قتالكم على كفرهم ، فأبوا إلاّ الإصرار على الكفر وقتالكم ، فقاتلوهم ، وأيقنوا أنّ الله معينكم عليهم وناصركم[1] = « نعم المولى » ، هو لكم ، يقول : نعم المعين لكم ولأوليائه[2] = « ونعم النصير » ، وهو الناصر .[3]

* * *

١٦٠٨٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وإن تولوا » ، عن أمرك إلى ما هم عليه من كفرهم ، فإن الله هو مولاكم الذى أعزكم

---

(١) انظر تفسير « التولى » فيما سلف (٩ : ١٤١) ، تعليق : . . . ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « المولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .

(٣) انظر تفسير « النصير » فيما سلف ١٠ : ٤٨١ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .

ونصركم عليهم يوم بدر ، فى كثرة عددهم وقلة عددكم = «نعم المولى ونعم النصير ».(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ ﴾ ٢/١٠

قال أبو جعفر : وهذا تعليم من الله عز وجل المؤمنين قَسْمَ غنائمهم إذا غنموها . يقول تعالى ذكره : واعلموا، أيها المؤمنون ، أن ما غنمتم من غنيمة .

* * *

واختلف أهل العلم فى معنى « الغنيمة » و « الفىء » .

فقال بعضهم : فيهما معنيان ، كل واحد منهما غير صاحبه .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٠٨٧ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن الحسن بن صالح قال : سألت عطاء بن السائب عن هذه الآية : « واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه » ، وهذه الآية : ﴿ مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ ﴾ [سورة الحشر : ٧] ، قال قلت : ما « الفىء » ، وما « الغنيمة » ؟ قال : إذا ظهر المسلمون على المشركين وعلى أرضهم وأخذوهم عنوةً ، فما أخذوا من مال ظهروا عليه فهو « غنيمة » ، وأما الأرض فهو فى سوادنا هذا « فىء » .(٢)

* * *

وقال آخرون : « الغنيمة » ، ما أخذ عنوة ، و« الفىء » ، ما كان عن صلح .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٠٨٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان الثورى قال :

---

(١) الأثر : ١٦٠٨٦ – سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٧ ، مع اختلاف يسير فى سياقه ، وهو تابع الأثرين السالفين : ١٦٠٧٤ ، ١٦٠٨١ ، وانظر التعليق على هذا الأثر الأخير ، وما استظهرته هناك .

(٢) فى المطبوعة : « فهى فى سوادنا » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو مستقيم .

« الغنيمة » ، ما أصاب المسلمون عنوة بقتال ، فيه الخمس ، وأربعة أخماسه لمن شهدها . و « الفيء » ، ما صولحوا عليه بغير قتال ، وليس فيه خمس ، هو لمن سمّى الله .

* * *

وقال آخرون : « الغنيمة » و« الفيء » ، بمعنى واحد . وقالوا : هذه الآية التى فى « الأنفال » ، ناسخة قوله : ﴿ مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ الآية ، [سورة الحشر : ٧] .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٠٨٩ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة فى قوله : ﴿ مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ ، قال : كان الفيء فى هؤلاء ، ثم نسخ فى ذلك « سورة الأنفال » ، فقال : « واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » ، فنسخت هذه ما كان قبلها فى « سورة الأنفال » ،[1] وجعل الخمس لمن كان له الفيء فى « سورة الحشر » ، وسائر ذلك لمن قاتل عليه .[2]

* * *

٣/١٠ وقد بينا فيما مضى « الغنيمة » ، وأنها المال يوصل إليه من مال من خوّل الله مالَه أهلَ دينه ، بغلبة عليه وقهرٍ بقتال .[3]

* * *

فأما « الفيء » ، فإنه ما أفاء الله على المسلمين من أموال أهل الشرك ، وهو

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « ما كان قبلها فى سورة الحشر » ، وسيأتى على الصواب كما أثبته فى تفسير « سورة الحشر » ٢٨ : ٢٥ (بولاق) ، ويعنى بذلك أنها نسخت قوله فى أول سورة الأنفال : « يسألونك عن الأنفال » .

(٢) الأثر : ١٦٠٨٩ – سيأتى هذا الخبر مطولا فى تفسير « سورة الحشر » ٢٨ : ٢٥ ، ٢٦ (بولاق) .

(٣) انظر تفسير « الغنيمة » فيما سلف فى تفسير « النفل » ص : ٣٦١ – ٣٨٥ .

ما ردّه عليهم منها بصلح من غير إيجاف خيل ولا ركاب. وقد يجوز أن يسمى ما ردّته عليهم منها سيوفهم ورماحهم وغير ذلك من سلاحهم « فيئاً » ، لأن « الفيء » ، إنما هو مصدر من قول القائل: « فاء الشيء يفيء فيئاً » ، إذا رجع = و« أفاءه الله » ، إذا ردّه .(١)

غير أن الذى ردّ حكم الله فيه من الفيء بحكمه فى « سورة الحشر » ،(٢) إنما هو ما وصفت صفته من الفيء ، دون ما أوجف عليه منه بالخيل والركاب ، لعلل قد بينّها فى كتاب: ﴿ كتاب لطيف القول ، فى أحكام شرائع الدين ﴾ ، وسنبينه أيضاً فى تفسير « سورة الحشر » ، إذا انتهينا إليه إن شاء الله تعالى .(٣)

* * *

وأما قول من قال : الآية التى فى « سورة الأنفال » ، ناسخةٌ الآيةَ التى فى « سورة الحشر » ، فلا معنى له ، إذ كان لا معنى فى إحدى الآيتين ينفى حكم الأخرى . وقد بينا معنى « النسخ » ، وهو نفى حكم قد ثبت بحكمٍ خلافه ، فى غير موضع ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .(٤)

* * *

وأما قوله: « من شيء » ، فإنه مرادٌ به: كل ما وقع عليه اسم « شيء » ، مما خوّله الله المؤمنين من أموال من غلبوا على ماله من المشركين ، مما وقع عليه القَسْم ، حتى الخيط والمِخْيط ، (٥) كما : —

١٦٠٩٠ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا

---

(١) انظر تفسير « فاء » فيما سلف ٤ : ٤٦٥ ، ٤٦٦ .

(٢) فى المطبوعة : « . . . الذى ورد حكم الله فيه من الفيء يحكيه فى سورة الحشر » ، غير ما فى المخطوطة ، فأفسد الكلام إفساداً تاماً .

(٣) انظر ما سيأتى ٢٨ : ٢٤ — ٢٧ (بولاق) .

(٤) انظر مقالته فى « النسخ » فى فهارس النحو والعربية وغيرهما ، وفى مواضع فيها مراجع ذلك كله فى كتابه هذا .

(٥) « المخيط » ، الإبرة ، وهو ما خيط به .

سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد قوله : « واعلموا أنما غنمتم من شيء » ، قال : المخيط من « الشيء » .

١٦٠٩١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، بمثله .

١٦٠٩٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو نعيم الفضل قال ، حدثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك .

فقال بعضهم قوله : « فأن لله خمسه » ، مفتاحُ كلامٍ ،(١) ولله الدنيا والآخرة وما فيهما ، وإنما معنى الكلام : فإن للرسول خمسه .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٠٩٣ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم قال : سألت الحسن عن قول الله : « واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول » ، قال : هذا مفتاح كلامٍ ، لله الدنيا والآخرة .

١٦٠٩٤ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن قيس ابن مسلم قال : سألت الحسن بن محمد عن قوله : « واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه » ، قال : هذا مفتاح كلامٍ ، لله الدنيا والآخرة .(٢)

---

(١) يعني أنه افتتاح بذكر الله تعالى ذكره ، وانظر ما سلف ٦ : ٢٧٢ ، تعليق : ٥ .

(٢) الأثران : ١٦٠٩٣ ، ١٦٠٩٤ – « الحسن بن محمد » ، هو « الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب » ، وهو « الحسن بن محمد بن الحنفية » ، وهو الذي يروي عنه « قيس بن مسلم » ، لا يعني « الحسن البصري » .

١٦٠٩٥ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أحمد بن يونس قال ، حدثنا أبو شهاب ، عن ورقاء ، عن نهشل ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث سرية فغنموا، خمّس الغنيمة، فضرب ذلك الخمس فى خمسة . ثم قرأ : « واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول » . قال : وقوله : « فأن لله خمسه » ، مفتاح كلام ، لله ما فى السموات وما فى الأرض ، فجعل الله سهم الله وسهم الرسول واحداً .(١)

١٦٠٩٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن مغيرة، عن إبراهيم: « فأن لله خمسه » ، قال : لله كل شيء .

١٦٠٩٧ – حدثنا المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال، أخبرنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم فى قوله: « واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه » ، قال : لله كل شيء ، وخُمس لله ورسوله، ويقسم ما سوى ذلك على أربعة أسهم .

١٦٠٩٨ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الأعلى قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قال : كانت الغنيمة تقسم خمسة أخماس، فأربعة أخماس لمن قاتل

وهذا الخبر رواه أبو عبيد القاسم بن سلام فى كتاب الأموال : ١٤ ، ٣٢٦ ، ٣٣٠ ، رقم : ٣٩ ، ٨٣٦ ، ٨٤٦ ، وسيأتى مطولا برقم : ١٦١٢١ .

(١) الأثر : ١٦٠٩٥ – « أحمد بن يونس » ، هو « أحمد بن عبد الله بن يونس التميمى » ، مضى برقم : ٢١٤٤ ، ٢٣٦٢ ، ٥٠٨٠ .

و « أبو شهاب » ، هو « عبد ربه بن نافع الكنانى » ، الحناط ، ثقة ، مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣/١/٤٢ .

و « ورقاء » ، هو « ورقاء بن عمرو اليشكرى » ، مضى برقم : ٦٥٣٤ .

و « نهشل » ، هو « نهشل بن سعيد بن وردان النيسابورى » ، ليس بثقة ، وقال أبو حاتم : « ليس بقوى ، متروك الحديث ، ضعيف الحديث» ، وقال ابن حبان : « يروى عن الثقات ما ليس من أحاديثهم ، لا يحل كتب حديثه إلا على التعجب » .

وقال البخارى : « أحاديثة مناكير ، قال إسحق بن إبراهيم : كان نهشل كذاباً » . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/٢/١١٥ ، وابن أبى حاتم ٤/١/٤٩٦ ، وميزان الاعتدال ٣ : ٢٤٣ .

وانظر الخبر رقم : ١٦١٢٠ .

وكان فى المطبوعة : « فجعل سهم الله » ، غير ما فى المخطوطة وحذف ، فأثبت ما فى المخطوطة .

عليها ، ويقسم الخمس الباقى على خمسة أخماس ، فخمس لله والرسول .

١٦٠٩٩ – حدثنا عمران بن موسى قال، حدثنا عبد الوارث قال ، حدثنا أبان ، عن الحسن قال : أوصى أبو بكر رحمه الله بالخمس من ماله ، وقال : ألا أرضى من مالى بما رضى الله لنفسه .

١٦١٠٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا محمد بن فضيل، عن عبد الملك ، عن عطاء : « واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول » ، قال: خمس الله وخمس رسوله واحد . كان النبي صلى الله عليه وسلم يحمل منه ويضع فيه ما شاء .[1] ٤/١٠

١٦١٠١ – حدثنى المثنى قال، حدثنا الحجاج قال ، حدثنا أبو عوانة ، عن المغيرة ، عن أصحابه ، عن إبراهيم : « واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه » ، قال : كل شيء لله، الخمس للرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : فإن لبيت الله خمسه وللرسول .

* ذكر من قال ذلك :

١٦١٠٢ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع بن الجراح ، عن أبى جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية الرياحى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يؤتَى بالغنيمة ، فيقسمها على خمسة، تكون أربعة أخماس لمن شهدها ، ثم يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه ، فيأخذ منه الذى قبض كفه ، فيجعله للكعبة ، وهو سهم الله . ثم يقسم ما بقى على خمسة أسهم ، فيكون سهم

---

(١) فى المطبوعة : « ويصنع فيه » ، وأثبت ما فى المخطوطة . وقد قرأت فى كتاب الأموال لأبى عبيد القاسم بن سلام ، فى خبر آخر : « يحمل منه ويعطى ، ويضعه حيث شاء ، ويصنع به ما شاء » ص ١٤ ، ٣٢٦ ، رقم : ٤٠ ، ٨٣٧ .

للرسول ، وسهم لذى القربى ، وسهم لليتامى ، وسهم للمساكين ، وسهم لابن السبيل .

١٦١٠٣ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية : « واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه » إلى آخر الآية ، قال : فكان يُجاء بالغنيمة فتوضع ، فيقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة أسهم ، فيجعل أربعة بين الناس ، ويأخذ سهماً . ثم يضرب بيده فى جميع ذلك السهم ، فما قَبَض عليه من شيء جعله للكعبة ، فهو الذى سُمّى لله ، ويقول : لا تجعلوا لله نصيباً ، فإن لله الدنيا والآخرة ، ثم يقسم بقيته على خمسة أسهم : سهم للنبى صلى الله عليه وسلم ، وسهم لذوى القربى ، وسهم لليتامى ، وسهم للمساكين ، وسهم لابن السبيل .(١)

* * *

وقال آخرون : ما سُمّى لرسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك، فإنما هو مرادٌ به قرابته ، وليس لله ولا لرسوله منه شيء .

* ذكر من قال ذلك :

١٦١٠٤ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنا معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قال : كانت الغنيمة تقسم على خمسة أخماس ، فأربعة منها لمن قاتل عليها ، وخمس واحد يقسم على أربعة: فربع لله والرسول ولذى القربى = يعنى قرابة النبى صلى الله عليه وسلم = فما كان لله والرسول فهو لقرابة النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم يأخذ النبى صلى الله عليه وسلم من الخمس شيئاً . والربع الثانى لليتامى ، والربع الثالث للمساكين ، والربع الرابع لابن السبيل .(٢)

* * *

---

(١) الأثران : ١٦١٠٢ ، ١٦٠١٣ – رواه أبو عبيد القاسم بن سلام فى كتاب الأموال ، من طريق حجاج ، عن أبى جعفر الرازى ، بمثل لفظ الأول . كتاب الأموال : ١٤ ، ٣٢٥ ، رقم ٤٠٠ ، ٨٣٥ .

(٢) الأثر : ١٦١٠٤ – رواه أبو عبيد القاسم بن سلام ، بهذا الإسناد نفسه ، وبلفظه ،

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، قولُ من قال : قوله : « فأن لله خمسه »، « افتتاح كلام » ، وذلك لإجماع الحجة على أنّ الخمس غير جائز قسمه على ستة أسهم . ولو كان لله فيه سهم ، كما قال أبو العالية ، لوجب أن يكون خمس الغنيمة مقسوماً على ستة أسهم . وإنما اختلف أهل العلم فى قسمه على خمسة فما دونها ، فأما على أكثر من ذلك ، فما لا نعلم قائلاً قاله غير الذى ذكرنا من الخبر عن أبى العالية . وفى إجماع من ذكرت ، الدلالةُ الواضحةُ على صحة ما اخترنا .

* * *

فأما من قال : « سهم الرسول لذوى القربى » ، فقد أوجب للرسول سهماً ، وإن كان صلى الله عليه وسلم صرفه إلى ذوى قرابته ، فلم يخرج من أن يكون القسم كان على خمسة أسهم ، ، وقد : —

١٦١٠٥ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه » ، الآية ، قال : كان نبى الله صلى الله عليه وسلم إذا غنم غنيمة جعلت أخماساً ، فكان خمس لله ولرسوله ، ويقسم المسلمون ما بقى . وكان الخمس الذى جُعل لله ولرسوله ، لرسوله ولذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل .[1] فكان هذا الخمس خمسة أخماس : خمس لله ورسوله ، وخمس لذوى القربى ، وخمس لليتامى ، وخمس للمساكين ، وخمس لابن السبيل .

فى كتاب الأموال ص : ١٣ ، ٣٢٥ ، رقم : ٣٧ ، ٨٣٤ ، وفى آخره تفسير « ابن السبيل » ، قال : « وهو الضعيف الفقير الذى ينزل بالمسلمين » .

وانظر ما سيأتى رقم : ١٦١٢٤ ، ١٦١٢٩ .

(١) فى المخطوطة خطأ ، أسقط « رسوله » الثانية ، والكلام يقتضيها كما فى المطبوعة ، وعلى هامش المخطوطة حرف « ا » عليها ثلاث نقط ، دلالة على موضع السقط .

١٦١٠٦ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن موسى بن أبي عائشة قال : سألت يحيي بن الجزار عن سهم النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : هو خُمْس الخمس.(١)

١٦١٠٧ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن عيينة ، وجرير ، عن موسى ابن أبي عائشة ، عن يحيي بن الجزار ، مثله . ٥/١٠

١٦١٠٨ – حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن موسى بن أبي عائشة ، عن يحيي بن الجزار ، مثله .

١٦١٠٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « فأن لله خمسه » ، قال : أربعة أخماس لمن حضر البأس ، والخمس الباقي لله والرسول ، خمسه يضعه حيث رأى ، وخمسه لذوى القربى ، وخمسه لليتامى ، وخمسه للمساكين ، ولابن السبيل خمسه .

* * *

وأما قوله : « ولذى القربى » ، فإن أهل التأويل اختلفوا فيهم .

فقال بعضهم : هم قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني هاشم .

* ذكر من قال ذلك :

١٦١١٠ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثني أبي ؛ عن شريك ، عن خصيف ، عن مجاهد قال : كان آل محمد صلى الله عليه وسلم لا تحلّ لهم الصدقة ، فجعل لهم خمس الخمس .

١٦١١١ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا شريك ، عن خصيف ، عن مجاهد قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم وأهلُ

---

(١) الأثر : ١٦١٠٦ – « موسى بن أبي عائشة المخزومي » ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ١١٤٠٨ .

و « يحيى بن الجزار العرني » ، ثقة ، مضى برقم : ٥٤٢٥ .

وكان في المخطوطة : « يحيي الجزار » ، والصواب ما في المطبوعة ، ولكنه يأتي في الذي يليه في المخطوطة على الصواب .

ورواه أبو عبيد في الأموال ص: ١٣ ، رقم : ٣٤ ، ٣٥ ، وص : ٣٢٤ ، رقم : ٨٣١ ، ٨٣٢ .

بيته لا يأكلون الصدقة ، فجعل لهم خمس الخمس .

١٦١١٢ – حدثنا أحمد قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا عبد السلام ، عن خصيف ، عن مجاهد قال : قد علم الله أنّ فى بنى هاشم الفقراء ، فجعل لهم الخمس مكانَ الصدقة .

١٦١١٣ – حدثنى محمد بن عمارة قال ، حدثنا إسمعيل بن أبان قال ، حدثنا الصباح بن يحيى المزنى ، عن السدى ، عن أبى الديلم قال ، قال على بن الحسين ، رحمة الله عليه ، لرجل من أهل الشأم : أما قرأت فى « الأنفال » : « واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول » الآية ؟ قال : نعم ! قال : فإنكم لأنتم هم ؟ قال : نعم ![1]

١٦١١٤ – حدثنا الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا إسرائيل ، عن خصيف ، عن مجاهد قال : هؤلاء قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين لا تحل لهم الصدقة .

١٦١١٥ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن حجاج ، عن عطاء ، عن ابن عباس : أن نَجْدة كتب إليه يسأله عن ذوى القربى ، فكتب إليه كتاباً : « نزعم أنا نحن هم ، فأبى ذلك علينا قومنا » .[2]

---

(١) الأثر : ١٦١١٣ – « إسماعيل بن أبان الوارق الأزدى » ، ثقة ، صدوق فى الرواية ، قال البزار : « إنما كان عيبه شدة تشيعه ، لا أنه غير عليه فى السماع » ، وإما « إسماعيل بن أبان الغنوى » ، فهو كذاب ، ومضى إسماعيل الوراق برقم : ١٤٥٥٠ .

وأما « صباح بن يحيى المزنى » ، فهو شيعى أيضاً ، متروك ، بل متهم ، هكذا قال الحافظ ابن حجر والذهبى . وذكره البخارى ، فقال : « فيه نظر » ، وقال أبو حاتم : « شيخ » . مترجم فى لسان الميزان ٣ : ١٦٠ ، والكبير ٢/٢/٣١٥ ، وابن أبى حاتم ٢/١/٤٤٢ ، وميزان الاعتدال ١ : ٤٦٢ .

وأما « أبو الديلم » ، فلم أعرف من يكون ، وهكذا أثبته من المخطوطة ، وهو فى المطبوعة : « عن ابن الديلمى » ، يعنى « عبد الله بن فيروز الديلمى » ، التابعى الثقة ، ولا أظن أنه يروى عن على بن الحسين بن على بن أبى طالب .

وهذا إسناد هالك كما ترى .

(٢) الأثر : ١٦١١٥ – « نجدة ابن عويمر الحرورى » ، من رؤوس الخوارج .

١٦١١٦ — . . . قال حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « فأن لله خمسه » ، قال : أربعة أخماس لمن حضر البأس ، والخمس الباقي لله وللرسول ، خمسه يضعه حيث رأى ، وخمسٌ لذوي القربى ، وخمس لليتامى ، وخمس للمساكين ، ولابن السبيل خمسه .

* * *

وقال آخرون : بل هم قريش كلها .

* ذكر من قال ذلك :

١٦١١٧ — حدثني يونس بن عبد الأعلى قال، أخبرني عبد الله بن نافع ، عن أبي معشر ، عن سعيد المقبري قال : كتب نجدة إلى ابن عباس يسأله عن ذي القربى قال : فكتب إليه ابن عباس : « قد كنا نقول : إنّا هم ، فأبى ذلك علينا قومنا ، وقالوا : قريش كلها ذوو قربى » .[1]

* * *

وقال آخرون : سهم ذي القربى كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم صار من بعده لوليّ الأمر من بعده .

* ذكر من قال ذلك :

١٦١١٨ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : أنه سئل عن سهم ذي القربى فقال : كان طُعْمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان حيًّا ،[2] فلما توفي جُعل لوليّ الأمر من بعده .

* * *

وقال آخرون : بل سهم ذي القربى كان لبني هاشم وبني المطلب خاصةً .

وكتاب ابن عباس إلى نجدة ، رواه أبو عبيد في كتاب الأموال من طرق ص : ٣٣٢ — ٣٣٥ ، رقم : ٨٥٠ — ٨٥٢ ، وانظر ما سيأتي رقم : ١٦١١٧ .

(١) الأثر : ١١٦١٧ — انظر التعليق السالف ، من طريق أبي معشر ، رواه أبو عبيد رقم : ٨٥٠ ، مطولا ، بنحوه .

(٢) « الطعمة » (بضم الطاء) : الرزق والمأكلة ، يعني به الفيء .

وممن قال ذلك الشافعي ، وكانت علته فى ذلك ما : —

١٦١١٩ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنا محمد بن إسحق قال ، حدثنى الزهرى ، عن سعيد بن المسيب ، عن جبير بن مطعم قال : لما قَسَمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم ذى القربى من خيبر على بنى هاشم وبنى المطلب ، مشيت أنا وعثمان بن عفان رحمة الله عليه، فقلنا: يا رسول الله ، هؤلاء إخوتك بنو هاشم ، لا ننكر فضلهم ، لمكانك الذى جعلك الله به منهم ، أرأيت إخواننا بنى المطلب ، أعطيتهم وتركتنا ، وإنما نحن وهم منك بمنزلة واحدة ؟ فقال : إنهم لم يفارقونا فى جاهلية ولا إسلام ، إنما بنو هاشم وبنو المطلب شىء واحد ! ثم شبَّك رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه إحداهما بالأخرى .(١) ٦/١٠

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب عندى ، قولُ من قال : « سهم ذى القربى ، كان لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى هاشم وحلفائهم من بنى المطلب » ، لأنّ حليف القوم منهم ، ولصحة الخبر الذى ذكرناه بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

واختلف أهل العلم فى حكم هذين السهمين = أعنى سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسهم ذى القربى = بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال بعضهم : يُصرفان فى معونة الإسلام وأهله .

* ذكر من قال ذلك :

١٦١٢٠ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا أحمد بن يونس قال ، حدثنا أبو شهاب ، عن ورقاء ، عن نهشل، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : جُعل

---

(١) الأثر : ١٦١١٩ — رواه الشافعى فى الأم من طرق ، منها طريق محمد بن إسحق ، انظر الأم ٤ : ٧١ ، ورواه أبو داود فى سننه ٣ : ٢٠١ ، رقم : ٢٩٨٠ ، وأبو عبيد القاسم ابن سلام فى الأموال : ٣٣١ ، رقم : ٨٤٢ .

سهم الله وسهم الرسول واحداً ، ولذى القربى ، فجعل هذان السهمان فى الخيل والسلاح. وجُعل سهم اليتامى والمساكين وابن السبيل ، لا يُعْطَى غيرَهم .(١)

١٦١٢١ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم قال : سألت الحسن عن قول الله : « واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى » ، قال : هذا مفتاح كلامٍ ، لله الدنيا والآخرة . ثم اختلف الناس فى هذين السهمين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال قائلون : سهم النبى صلى الله عليه وسلم لقرابة النبى صلى الله عليه وسلم = وقال قائلون : سهم القرابة لقرابة الخليفة = واجتمع رأيهم أن يجعلوا هذين السهمين فى الخيل والعدّة فى سبيل الله ، فكانا على ذلك فى خلافة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما .

١٦١٢٢ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم قال : سألت الحسن بن محمد ، فذكر نحوه .(٢)

١٦١٢٣ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عمر بن عبيد ، عن الأعمش ، عن إبراهيم قال : كان أبو بكر وعمر رضى الله عنهما يجعلان سهم النبى صلى الله عليه وسلم فى الكُرَاع والسلاح .(٣) فقلت لإبراهيم : ما كان على رضى الله عنه يقول فيه ؟ قال : كان علىٌّ أشدَّهم فيه .

١٦١٢٤ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين » الآية ، قال ابن عباس : فكانت

---

(١) الأثر : ١٦١٢٠ – هذا مطول الأثر السالف ومختصره رقم : ١٦٠٩٥ ، وقد شرحت إسناده هناك .

(٢) الأثران : ١٦١٢١ ، ١٦١٢٢ – « الحسن بن محمد بن الحنفية » ، وقد سلف شرح إسناد هذا الخبر ، كما سلف مختصراً برقم : ١٦٠٩٣ ، ١٦٠٩٤ .

(٣) « الكراع » (بضم الكاف) . اسم يجمع الخيل والسلاح .

الغنيمة تقسم على خمسة أخماس : أربعة بين من قاتل عليها ، وخمس واحد يقسم على أربعة : لله وللرسول ولذى القربى = يعنى : قرابة النبي صلى الله عليه وسلم = فما كان لله وللرسول فهو لقرابة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يأخذ النبي صلى الله عليه وسلم من الخمس شيئاً . فلما قبض الله رسوله صلى الله عليه وسلم ردّ أبو بكر رضى الله عنه نصيبَ القرابة فى المسلمين ، فجعل يحمل به فى سبيل الله ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا نورث ، ما تركنا صدقة .(١)

١٦١٢٥ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : أنه سئل عن سهم ذى القربى فقال : كان طعمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما تُوُفى ، حمل عليه أبو بكر وعمر فى سبيل الله ، صدقةً على رسول الله صلى الله عليه وسلم . (٢)

* * *

وقال آخرون : سهم ذوى القربى من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى ولى أمر المسلمين .

* ذكر من قال ذلك :

١٦١٢٦ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا عمرو بن ثابت ، عن عمران بن ظبيان ، عن حُكَيم بن سعد ، عن على رضى الله عنه قال : يعطى كل إنسان نصيبه من الخمس، ويلى الإمام سهم الله ورسوله .(٣)

---

(١) الأثر : ١٦١٢٤ – مضى قبل صدره برقم : ١٦١٠٤ ، ومضى تخريجه هناك ، وانظر أيضاً من تمامه رقم : ١٦١٢٩ .

(٢) الأثر : ١٦١٢٥ – انظر ما سلف رقم : ١٦١١٨ ، وما سيأتى ١٦١٢٧ .

(٣) الأثر : ١٦١٢٦ – « عمران بن ظبيان الحنفى » ، فيه نظر ، كان يميل إلى التشيع ، وضعفه العقيلى ، وابن عدى . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣/١/٣٠٠ ، ومضى برقم : ١٢١٠٠ .

و « حكيم بن سعد الحنفى » ، « أبو تحيى » ، محله الصدق . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٨٧/١/٢ ، وابن أبى حاتم ٢٨٦/٢/١ .

و « حكيم » ، بضم الحاء ، مصغراً . و « تحيى » بكسر التاء .

١٦١٢٧ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : أنه سئل عن سهم ذوى القربى فقال : كان طعمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان حيًّا ، فلما توفى جعل لولى الأمر من بعده . (١)

* * *

وقال آخرون : سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مردود فى الخمس ، والخمس مقسوم على ثلاثة أسهم : على اليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل . وذلك ٧/١٠
قول جماعة من أهل العراق .

* * *

وقال آخرون : الخمس كله لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* ذكر من قال ذلك :

١٦١٢٨ – حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا عبد الغفار قال ، حدثنا المنهال بن عمرو قال : سألت عبد الله بن محمد بن على ، وعلى ابن الحسين ، عن الخمس فقالا : هو لنا . فقلت لعلى : إن الله يقول : « واليتامى والمساكين وابن السبيل » ، فقالا : يتامانا ومساكيننا .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا ، أن سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مردودٌ فى الخمس، والخمس مقسوم على أربعة أسهم، على ما روى عن ابن عباس : للقرابة سهم ، ولليتامى سهم ، وللمساكين سهم ، ولابن السبيل سهم ، لأن الله أوجبَ الخمس لأقوام موصوفين بصفات ، كما أوجب الأربعة الأخماس لآخرين . وقد أجمعوا أنّ حق الأربعة الأخماس لن يستحقه غيرهم ، فكذلك حق أهل الخمس لن يستحقه غيرهم . فغير جائز أن يخرج عنهم إلى غيرهم ، كما غير جائز أن تخرج بعض السهمان التى جعلها الله لمن سماه فى كتابه بفقد بعض من يستحقه ، إلى غير أهل السهمان الأُخَر .

* * *

(١) الأثر : ١٦١٢٧ – مضى بلفظه ، برقم : ١٦١١٨ ، وانظر ما سلف : ١٦١٢٥ .

وأما « اليتامى » ، فهم أطفال المسلمين الذين قد هلك آباؤهم .[١]

* * *

و « المساكين » ، هم أهل الفاقة والحاجة من المسلمين .[٢]

* * *

و « ابن السبيل » ، المجتاز سفرًا قد انقُطِع به ، [٣] كما : —

١٦١٢٩ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قال : الخمس الرابع لابن السبيل ، وهو الضيف الفقير الذي ينزل بالمسلمين .[٤]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٤١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : أيقنوا ، أيها المؤمنون ، أنما غنمتم من شيء فمقسوم القسم الذي بينته وصدّقوا به ، إن كنتم أقررتم بوحدانية الله وبما أنزل الله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم يوم فَرَق بين الحق والباطل ببدر ،[٥] فأبان فَلَج المؤمنين وظهورَهم على عدوهم ، وذلك « يوم التقى الجمعان » ، جمعُ المؤمنين وجمعُ المشركين ، والله على إهلاك أهل الكفر وإذلالهم بأيدي المؤمنين ، وعلى غير ذلك مما يشاء = « قدير » ، لا يمتنع عليه شيء أراده .[٦]

* * *

(١) انظر تفسير « اليتامى » فيما سلف ٧ : ٥٤١ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « المساكين » فيما سلف ١٠ : ٥٤٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « ابن السبيل » فيما سلف ٨ : ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

وقوله : « انقطع به » بالبناء للمجهول ، وهو إذا عجز عن سفره من نفقة ذهبت ، أو عطبت راحلته ، أو فني زاده .

(٤) الأثر : ١٦١٢٩ — انظر ما سلف رقم : ١٦١٠٤ ، ١٦١٢٤ ، والتعليق عليهما .

(٥) انظر تفسير « الفرقان » فيما سلف ص : ٤٨٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٦) انظر تفسير « قدير » فيما سلف من فهارس اللغة (قدر) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

• ذكر من قال ذلك :

١٦١٣٠ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله: «يوم الفرقان» ، يعنى : بـ« الفرقان »، يوم بدر ، فرّق الله فيه بين الحق والباطل .

١٦١٣١ – حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .(١)

١٦١٣٢ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثنى الليث قال، حدثنى عقيل ، عن ابن شهاب ، عن عروة بن الزبير = وإسحق قال ، حدثنا عبد الرزاق، عن معمر ، عن الزهرى ، عن عروة بن الزبير = يزيد أحدهما على صاحبه = فى قوله : « يوم الفرقان » ، يوم فرق الله بين الحق والباطل ، وهو يوم بدر ، وهو أوّل مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان رأسَ المشركين عُتبةُ بن ربيعة ، فالتقوا يوم الجمعة لتسع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان ، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمئة وبضعة عشر رجلاً ، والمشركون ما بين الألف والتسعمئة . فهزم الله يومئذ المشركين ، وقتل منهم زيادة على سبعين ، وأسر منهم مثل ذلك .

١٦١٣٢م – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر، عن مقسم : « يوم الفرقان » ، قال : يوم بدر ، فرق الله بين الحق والباطل .

١٦١٣٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن عثمان الجزرى ، عن مقسم فى قوله : « يوم الفرقان » ، قال : يوم

---

(١) الأثر : ١٦١٣١ – انظر هذا الخبر بنصه فيما سلف رقم : ١٢٥ .

بدر ، فرق الله بين الحق والباطل .[١]

١٦١٣٤ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « يوم الفرقان يوم التقى الجمعان » ، يوم بدر ، و « بدر » ، بين المدينة ومكة . ٨/١٠

١٦١٣٥ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثني يحيى بن يعقوب أبو طالب ، عن أبي عون محمد بن عبيد الله الثقفي ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، عبد الله بن حبيب قال ، قال الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه : كانت ليلة «الفرقان يوم التقى الجمعان» ، لسبع عشرة من شهر رمضان .[٢]

١٦١٣٦ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : «يوم التقى الجمعان» ، قال ابن جريج ، قال ابن كثير : يوم بدر .

١٦١٣٧ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان » ، أي : يوم فرقت بين الحق والباطل بقدرتي ،[٣] يوم التقى الجمعان منكم ومنهم .[٤]

---

(١) الأثر : ١٦١٣٣ « عثمان الجزري » ، مضى برقم : ١٥٩٦٨ ، وأنه غير « عثمان ابن عمرو بن ساج » . وأحاديثه مناكير .

(٢) الأثر : ١٦١٣٥ – « يحيى بن يعقوب بن مدرك الأنصاري » ، أبو طالب القاص ، مترجم في الكبير ٤/٢/٣١٢ ، وابن أبي حاتم ٤/٢/١٩٨ ، ولسان الميزان ٦ : ٢٨٢ ، وميزان الاعتدال ٣ : ٣٠٦ ، قال البخاري : « منكر الحديث » ، وقال أبو حاتم : « محله الصدق ، لم يرو شيئاً منكراً ، وهو ثقة في الحديث ، أدخله البخاري في كتاب الضعفاء » ، قال ابن أبي حاتم : « فسمعت ابي يقول : يحول من هناك » .

و « أبو عون » ، « محمد بن عبيد الله الثقفي » ، مضى مراراً آخرها رقم : ١٥٩٢٥ ، وكان في المطبوعة : « عن ابن عون ، عن محمد بن عبد الله الثقفي » ، فأفسد الإسناد كل الإفساد ، وكان في المخطوطة : « عن ابن عون ، محمد بن عبيد الله الثقفي » ، وهو خطأ هين ، صوابه ما أثبت .

(٣) في المطبوعة : « أي : يوم فرق بين الحق والباطل ببدر ، أي : يوم التقى الجمعان » ، لعب بما في المخطوطة لعباً ، فأساء وجانب الأمانة . ولم يكن في المخطوطة من خطأ إلا أنه كتب « فرق » مكان « فرقت » . والذي أثبته نص المخطوطة ، وسيرة ابن هشام .

(٤) الأثر : ١٦١٣٧ – سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٨ ، وهو تابع الأثر السالف رقم ١٦٠٨٦ .

١٦١٣٨ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان » ، وذاكم يوم بدر ، يوم فرق الله بين الحق والباطل .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : أيقنوا ، أيها المؤمنون : واعلموا أن قسم الغنيمة على ما بيّنه لكم ربكم ، إن كنتم آمنتم بالله وما أنزل على عبده يوم بدر ، إذ فرق بين الحق والباطل من نصر رسوله =« إذ أنتم » ، حينئذ،« بالعدوة الدنيا »، يقول : بشفير الوادى الأدنى إلى المدينة [1] = « وهم بالعدوة القصوى » ، يقول : وعدوكم من المشركين نزولٌ بشَفير الوادى الأقصى إلى مكة = « والركب أسفل منكم » ، يقول : والعير فيه أبو سفيان وأصحابه فى موضع أسفل منكم إلى ساحل البحر .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦١٣٩ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « إذ أنتم بالعدوة الدنيا » ، قال : شفير الوادى الأدنى ، وهم بشفير الوادى الأقصى= « والركب أسفل منكم » ، قال : أبو سفيان وأصحابه، أسفلَ منهم .

---

(١) « شفير الوادى » : ناحيته من أعلاه ، وهو حده وحرفه .

١٦١٤٠ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى » ، وهما شفير الوادى . كان نبيُّ الله بأعلى الوادى ، والمشركون أسفلَه = « والركب أسفل منكم » ، يعنى : أبا سفيان ، [انحدر بالعير على حوزته] ،[1] حتى قدم بها مكة .

١٦١٤١ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى » ، من الوادى إلى مكة = « والركب أسفل منكم » ، أى : عير أبى سفيان التى خرجتم لتأخذوها وخرجوا ليمنعوها ، عن غير ميعاد منكم ولا منهم .[2]

١٦١٤٢ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله : « والركب أسفل منكم » ، قال : أبو سفيان وأصحابه ، مقبلون من الشأم تجاراً ، لم يشعروا بأصحاب بدر ، ولم يشعر محمد صلى الله عليه وسلم بكفار قريش ، ولا كفار قريش بمحمد وأصحابه ، حتى التقى على ماء بدر من يسقى لهم كلهم .[3] فاقتتلوا ،[4] فغلبهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فأسروهم .

١٦١٤٣ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

١٦١٤٤ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

---

(١) هكذا كتب هذه الجملة بين القوسين ناشر المطبوعة ، ولا أدرى ما هو . والذى فى المخطوطة : « الخدم بالعير على حورته » هكذا ، ولم أستطع أن أجد لقراءتها وجهاً أطمئن إليه ، ولم أجد الخبر فى مكان آخر .

(٢) الأثر : ١٦١٤١ – سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٨ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦١٣٧ .

(٣) فى المطبوعة : « حتى التقيا » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٤) « فاقتتلوا » ، مكررة فى المخطوطة مرتين ، وأنا فى ريب من هذه الجملة كلها .

١٦١٤٥ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى قال : ذكر منازل القوم والعير فقال : « إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب » ، هو أبو سفيان [1] = « أسفل منكم » ، على شاطىء البحر .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « إذ أنتم بالعدوة » .

فقرأ ذلك عامة قرأة المدنيين والكوفيين : ﴿بِالْعُدْوَةِ﴾ ، بضم العين .

* * *

وقرأه بعض المكيين والبصريين : ﴿بِالْعِدْوَةِ﴾ ، بكسر العين .

* * *

قال أبو جعفر : وهما لغتان مشهورتان بمعنى واحد ، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيبٌ ، يُنْشَد بيت الراعى :

وَعَيْنَانِ حُمْرٌ مَآقِيهِمَا كَمَا نَظَرَ العِدْوَةَ الجُؤْذَرُ [2]

بكسر العين من « العدوة » ، وكذلك ينشد بيت أوس بن حجر : ٩/١٠

وَفَارِس لَوْ تَحُلُّ الخَيْلُ عِدْوَتَهُ وَلَّوْا سِرَاعاً، وَمَا هَمُّوا بِإِقْبَالِ [3]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره : ولو كان اجتماعكم فى الموضع الذى اجتمعتم فيه ، أنتم أيها المؤمنون وعدوكم من المشركين ، عن ميعاد منكم ومنهم ، = « لاختلفتم فى الميعاد » ، لكثرة عدد عدوكم ، وقلة عددكم ، ولكن الله جمعكم

---

(١) فى المطبوعة : « أبو سفيان وعيره » ، زاد ما ليس فى المخطوطة .

(٢) لم أجد البيت فى مكان آخر ، وللراعى أبيات كثيرة مفرقة على هذا الوزن ، كأنه منها .

(٣) من قصيدته فى رثاء فضالة بن كلدة الأسدى ، والبيت فى منتهى الطلب ، وليس فى ديوانه ، يقول قبله :

على غير ميعاد بينكم وبينهم[1]=« ليقضى الله أمراً كان مفعولاً » ، وذلك القضاء من الله ، [2] كان نصره أولياءه من المؤمنين بالله ورسوله ، وهلاك أعدائه وأعدائهم ببدر بالقتل والأسر ، كما : —

١٦١٤٦ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد » ، ولو كان ذلك عن ميعاد منكم ومنهم ، ثم بلغكم كثرة عددهم وقلة عددكم ، ما لقيتموهم = « ولكن ليقضى الله أمرًا كان مفعولا »، أى : ليقضى الله ما أراد بقدرته، من إعزاز الإسلام وأهله، وإذلال الشرك وأهله ، عن غير مَلأٍ منكم،[3] ففعل ما أراد من ذلك بلطفه .[4]

١٦١٤٧ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد ، أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب قال ، أخبرنى عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك : أن عبد الله بن كعب قال : سمعت كعب بن مالك يقول فى غزوة بدر : إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون عِيرَ قريش،

أَمْ مَنْ لِعَادِيَةٍ تَرْدِى مُلَمْلَمَةٍ ... كَأَنَّهَا عَارِضٌ فى هَضْبِ أَوْعَالِ
لَمَّا رأوك عَلَى نَهْدٍ مَرَاكِلُهُ ... يَسْعَى بِبَزٍّ كَمِيٍّ غَيْرِ مِعْزَالِ
وَفَارِسٍ لا يَحُلُّ القَوْمُ عُدْوَتَهُ ... .

وهذه أجود من روايته « لو تحل » ، فالنفى هنا حق الكلام .

(١) انظر تفسير « الميعاد » فيما سلف ٦ : ٢٢٢ .

(٢) انظر تفسير « القضاء » فيما سلف ١١ : ٢٦٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المطبوعة : « عن غير بلاء » ، وفى سيرة ابن هشام ، فى أصل المطبوعة مثله ، وهو كلام فاسد جداً . وفى مخطوطة الطبرى ، ومخطوطات ابن هشام ومطبوعة أوربا ، : « عن غير ملأ » ، كما أثبتها .

يقال : « ما كان هذا الأمر عن ملأ منا » ، أى : عن تشاور واجتماع . وفى حديث عمر حين طعن : « أكان هذا عن ملأ منكم ؟ » ، أى : عن مشاورة من أشرافكم وجماعتكم .

ثم غير ناشر المطبوعة الكلمة التى بعدها ، كتب « فعل » ، مكان « ففعل » . وكل هذا عبث وذهاب ورع .

(٤) الأثر : ١٦١٤٦ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٨ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦١٤١ .

حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد .[1]

١٦١٤٨ – حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن ابن عون ، عن عمير بن إسحق قال : أقبل أبو سفيان فى الركب من الشام ، وخرج أبو جهل يمنعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فالتقوا ببدر ، ولا يشعر هؤلاء بهؤلاء، ولا هؤلاء بهؤلاء، حتى التقت السُّقَاة . قال: وَنَهَدَ الناسُ بعضهم لبعض .[2]

* * *

(١) الأثر : ١٦١٤٧ – « عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصارى » ، ثقة ، روى عن أبيه . وروى عنه الزهرى . كان أعلم قومه وأوعاهم . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٢/٢/٢٤٩ .

و « عبد الله بن كعب بن مالك الأنصارى » ، ثقة ، كان قائد أبيه حين عمى، روى عن أبيه . روى عنه ابنه عبد الرحمن ، وروى عنه الزهرى . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٢/٢/١٤٢ .

وكان فى المخطوطة : « إنما يخرج رسول الله » ، وهو جيد عربى . ولكنه فى المراجع « إنما خرج » ، فأثبته كما فى المطبوعة .

وهذا الخبر جزء من خبر كعب بن مالك ، الطويل فى أمر غزوة تبوك ، وما كان من تخلفه حتى تاب الله عليه .

رواه أحمد فى مسنده ٣ : ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٦/٤٥٩ : ٣٨٧ .

ورواه البخارى فى صحيحه (الفتح ٨ : ٨٦) .

ورواه مسلم فى صحيحه من هذه الطريق ١٧ : ٨٧ .

(٢) الأثر : ١٦١٤٨ – « ابن عون » ، هو « عبد الله بن عون المزنى » ، مضى مراراً .

و « عمير بن إسحق القرشى » ، لم يرو عنه غير ابن عون ، متكلم فيه . مضى برقم : ٧٧٧٦ .

وكان فى المطبوعة : « عمر بن إسحق » ، لم يحسن قراءة المخطوطة .

وقوله : « نهد الناس بعضهم لبعض » ، نهضوا إلى القتال . يقال : « نهد القوم إلى عدوهم ، ولعدوهم » ، أى : صمدوا له وشرعوا فى قتاله . و « نهدوا يسألونه » ، أى : شرعوا ونهضوا .

وكأن ناشر المطبوعة لم يفهمها أو لم يحسن قراءتها ، فكتب مكان « نهد » : « نظر الناس . . . » ، وهذا من طول عبثه بهذا النص الجليل ، حتى ألف العبث واستمر عليه واستمرأه .

القول فى تأويل قوله ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٤٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولكن الله جمعهم هنالك ، ليقضى أمرًا كان مفعولاً = « ليهلك من هلك عن بينة » .

* * *

وهذه اللام فى قوله : « ليهلك » مكررة على « اللام » فى قوله : « ليقضى » ، كأنه قال : ولكن ليهلك من هلك عن بينة ، جَمَعكم .

* * *

ويعنى بقوله : « ليهلك من هلك عن بينة » ، ليموت من مات من خلقه ، [1] عن حجة لله قد أثبتت له وقطعت عذره ، وعبرة قد عاينها ورآها [2] = « ويحيي من حى عن بينة » ، يقول : وليعيش من عاش منهم عن حجة لله قد أُثبتت له وظهرت لعينه فعلمها ، جمعنا بينكم وبين عدوكم هنالك .

* * *

وقال ابن إسحق فى ذلك بما : —

١٦١٤٩ — حدثنا ابن حميد قال ،حدثنا سلمة عن ابن إسحق : « ليهلك من هلك عن بينة » ، [أى ليكفر من كفر بعد الحجة] ، [3] لما رأى من الآية والعبرة ، [4] ويؤمن من آمن على مثل ذلك . [5]

* * *

---

(١) انظر تفسير « هلك » فيما سلف ص : ١٤٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « بينة » فيما سلف من فهارس اللغة (بين) .

(٣) هذه الزيادة بين القوسين لابد منها ، أضفتها من سيرة ابن هشام .

(٤) فى المطبوعة : « من الآيات والعبر » ، وفى المخطوطة : « من الآيات والعبرة » ، وأثبت الصواب من سيرة ابن هشام .

(٥) الأثر : ١٦١٤٩ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٨ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦١٤٦ .

وأما قوله : « وإن الله لسميع عليم »، فإن معناه : « وإن الله » ، أيها المؤمنون، = « لسميع » ، لقولكم وقول غيركم ، حين يُرى الله نبيه فى منامه ويريكم ، عدوكم فى أعينكم قليلاً وهم كثير ، ويراكم عدوكم فى أعينهم قليلاً = « عليم » ، بما تضمره نفوسكم ، وتنطوى عليه قلوبكم ، حينئذ وفى كل حال .[1]

يقول جل ثناؤه لهم ولعباده : فاتقوا ربكم ، [2]أيها الناس ، فى منطقكم : أن تنطقوا بغير حق ، وفى قلوبكم : أن تعتقدوا فيها غيرَ الرُّشد ، فإن الله لا يخفى عليه خافية من ظاهر أو باطن .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ (٤٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وإن الله ، يا محمد ، سميع لما يقول أصحابك ، عليم بما يضمرونه ، إذ يريك الله عدوك وعدوهم « فى منامك قليلاً » ، يقول : يريكهم فى نومك قليلاً ، فتخبرهم بذلك ، حتى قويت قلوبهم ، واجترأوا على حرب عدوهم = ولو أراك ربك عدوك وعدوهم كثيرًا ، لفشل أصحابك فجبنوا ١٠/١٠ وخاموا ،[3] ولم يقدروا على حرب القوم ، [4]ولتنازعوا فى ذلك ،[5] ولكن الله

---

(١) انظر تفسير « سميع » و « عليم » فيما سلف من فهارس اللغة (سمع) ، (علم) .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « واتقوا » بالراو ، و « والفاء » ، هنا حق الكلام .

(٣) فى المطبوعة : « فجبنوا وخافوا » ، غير ما فى المخطوطة . يقال : « خام فى القتال » ، إذا جبن ، فنكل ونكص وتراجع .

(٤) انظر تفسير « فشل » فيما سلف ٧ : ١٦٨ ، ٢٨٩ .

(٥) انظر تفسير « التنازع » فيما سلف ٧ : ٨/٢٨٩ : ٥٠٤

سلمهم من ذلك بما أراك فى منامك من الرؤيا، إنه عليم بما تُجنُّه الصدور،[١] لا يخفى عليه شيء مما تضمره القلوب .[٢]

* * *

وقد زعم بعضهم أن معنى قوله: «إذ يريكهم الله فى منامك قليلاً» ، أى : فى عينك التى تنام بها = فصيّر « المنام » ، هو العين ، كأنه أراد : إذ يريكهم الله فى عينك قليلاً .[٣]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦١٥٠ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « إذ يريكهم الله فى منامك قليلاً » ، قال : أراه الله إياهم فى منامه قليلاً ، فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك، فكان تثبيتاً لهم .

١٦١٥١ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

١٦١٥٢ — . . . . وقال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٦١٥٣ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « إذ يريكهم الله فى منامك قليلاً » ، الآية ، فكان أول ما أراه من ذلك نعمةً من نعمه عليهم ، شجّعهم بها على عدوهم، وكفّ بها عنهم ما تُخُوِّف عليهم من

---

(١) فى المطبوعة : « بما تخفيه الصدور » ، غير ما فى المخطوطة بلا طائل ، وهما بمعنى .

(٢) انظر تفسير « ذات الصدور » فيما سلف ٧ : ١٥٥ ، ١٠/٣٢٥ : ٩٤ .

(٣) هو أبو عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ٢٤٧ .

ضعفهم ،[1] لعلمه بما فيهم .[2]

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « ولكن الله سلم » .

فقال بعضهم : معناه : ولكن الله سلم للمؤمنين أمرهم ، حتى أظهرهم على عدوهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٦١٥٤ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ولكن الله سلم »، يقول: سلم الله لهم أمرهم حتى أظهرهم على عدوهم .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولكن الله سلم أمره فيهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٦١٥٥ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور قال ، حدثنا معمر ، عن قتادة : « ولكن الله سلم » ، قال : سلم أمره فيهم.

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك بالصواب عندى ما قاله ابن عباس ، وهو أن الله سلم القومَ = بما أرى نبيه صلى الله عليه وسلم فى منامه = من الفشل

---

(١) فى المطبوعة : و « كفاهم بها ما تخوف . . . » ، وفى المخطوطة : « وكمها عنهم ما تخوف »، وصل الكلام ، وأثبت نص ابن هشام . وضبطه الخشنى بالبناء للمجهول .

وفى السيرة ، بعد تمام الكلام ، : « قال ابن هشام : (تخوف) ، مبدلة من كلمة ذكرها ابن إسحق ، ولم أذكرها » . فجاء أبو ذر الخشنى فى تعليقه على السيرة فقال : « يقال الكلمة : (تخوف) ، بفتح التاء والخاء والواو ، وقيل : كانت (تخوفت) وأصلح ذلك ابن هشام ، لشناعة اللفظ فى حق الله عز وجل » .

وهذا لا يقال ، لأن ابن هشام يصرح بأنه نسيها ولم يذكرها ، فأبدل منها غيرها ، فهو لم يغير ذلك لعلة إلا علة النسيان .

(٢) الأثر : ١٦١٥٣ – سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٨ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦١٤٩ .

والتنازع ، حتى قويت قلوبهم ، واجترأوا على حرب عدوهم . وذلك أن قوله : « ولكن الله سلم » ، عقيب قوله : « ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم فى الأمر » ، فالذى هو أولى بالخبر عنه أنه سلمهم منه جل ثناؤه ، ما كان مخوفاً منه لو لم يُرِ نبيَّه صلى الله عليه وسلم من قلة القوم فى منامه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ (٤٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « وإن الله لسميع عليم » = إذ يرى الله نبيه فى منامه المشركين قليلاً ، وإذ يريهم الله المؤمنين إذ لقوهم فى أعينهم قليلاً وهم كثير عددهم ، ويقلل المؤمنين فى أعينهم ، ليتركوا الاستعداد لهم ، فتهون على المؤمنين شوكتهم ، كما : —

١٦١٥٦ — حدثنى ابن بزيع البغدادى قال ، حدثنا إسحق بن منصور ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحق ، عن أبى عبيدة ، عن عبد الله قال : لقد قلّلوا فى أعيننا يوم بدر ، حتى قلت لرجل إلى جنبى : تراهم سبعين؟ قال : أراهم مئة ! قال : فأسرنا رجلاً منهم فقلنا : كم هم ؟ قال : ألفاً .[1]

١٦١٥٧ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحق ، عن أبى عبيدة ، عن عبد الله ، بنحوه .

---

(١) الأثر : ١٦١٥٦ — « ابن بزيع البغدادى » ، هو « محمد بن عبد الله بن بزيع البغدادى » ، من شيوخ مسلم ، مضى برقم : ٢٤٥١ ، ٣١٣٠ ، ١٠٢٣٩ .
وكان فى المطبوعة : « كنا ألفاً » ، زاد « كنا » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب محض .

١٦١٥٨ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « وإذ يريكموهم إذ التقيتم فى أعينكم قليلاً » ، قال ابن مسعود: قللوا فى أعيننا ، حتى قلت لرجل : أتُرَاهم يكونون مئة ؟ .

١٦١٥٩ – حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : قال ناس من المشركين : إن العيرَ قد انصرفت فارجعوا . فقال أبو جهل : الآن إذ برز لكم محمد وأصحابه ! فلا ترجعوا حتى تستأصلوهم . وقال : يا قوم لا تقتلوهم بالسلاح ، ولكن خذوهم أخذاً ، فاربطوهم بالحبال ! = يقوله من القدرة فى نفسه . ١١/١٠

* * *

وقوله : «ليقضى الله أمرًا كان مفعولاً» ، يقول جل ثناؤه: قلّلتكم ،أيها المؤمنون، فى أعين المشركين ، وأريتكموهم فى أعينكم قليلاً ، حتى يقضى الله بينكم ما قضى من قتال بعضكم بعضاً ، وإظهاركم ، أيها المؤمنون ، على أعدائكم من المشركين والظفر بهم ، لتكون كلمة الله هى العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى . وذلك أمرٌ كان الله فاعلَه وبالغاً فيه أمرَه ، كما : –

١٦١٦٠ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « ليقضى الله أمرًا كان مفعولا» ، أى : ليؤلف بينهم على الحرب ، للنقمة ممن أراد الانتقام منه ، والإنعام على من أراد إتمام النعمة عليه من أهل ولايته . (١)

* * *

= « وإلى الله ترجع الأمور » ، يقول جل ثناؤه : مصير الأمور كلها إليه فى الآخرة ، فيجازى أهلها على قدر استحقاقهم ،المحسنَ بإحسانه ،والمسيءَ بإساءته .

* * *

(١) الأثر : ١٦١٦٠ – سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٨ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦١٥٣ .

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٤٥)

قال أبو جعفر : وهذا تعريفٌ من الله جل ثناؤه أهل الايمان به ، السيرةَ فى حرب أعدائه من أهل الكفر به ، والأفعالَ التى يُرْجَى لهم باستعمالها عند لقائهم النصرة عليهم والظفر بهم . ثم يقول لهم جل ثناؤه : « ياأيها الذين آمنوا » ، صدقوا الله ورسوله = إذا لقيتم جماعة من أهل الكفر بالله للحرب والقتال ،[1] فاثبتوا لقتالهم ، ولا تنهزموا عنهم ولا تولوهم الأدبار هاربين ، إلاّ متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة منكم = « واذكروا الله كثيراً » ، يقول : وادعوا الله بالنصر عليهم والظفر بهم ، وأشعروا قلوبكم وألسنتكم ذكره = « لعلكم تفلحون » ، يقول : كيما تنجحوا فتظفروا بعدوكم ، ويرزقكم الله النصرَ والظفر عليهم ،[2] كما :—

١٦١٦١ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يا أيها الذين آمنوا إذا القيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » ، افترضَ الله ذكره عند أشغل ما تكونون ، عند الضِّراب بالسيوف .

١٦١٦٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة » ، يقاتلونكم فى سبيل الله = « فاثبتوا واذكروا الله كثيراً » ، اذكروا الله الذى بذلتم له أنفسكم والوفاء بما أعطيتموه من بيعتكم = « لعلكم تفلحون » .[3]

* * *

---

(١) انظر تفسير « فئة » فيما سلف ص : ٤٥٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الفلاح » فيما سلف ص : ١٦٩ ، تعليق ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) الأثر : ١٦١٦٢ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٩ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦١٦ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٤٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين به : أطيعوا، أيها المؤمنون ، ربكم ورسوله فيما أمركم به ونهاكم عنه ، ولا تخالفوهما فى شىء = « ولا تنازعوا فتفشلوا » ، يقول : ولا تختلفوا فتفرقوا وتختلف قلوبكم[1] = « فتفشلوا » ، يقول : فتضعفوا وتجبنوا ،[2] = « وتذهب ريحكم » .

* * *

وهذا مثلٌ . يقال للرجل إذا كان مقبلاً ما يحبه ويُسَرّ به[3] : « الريح مقبلةٌ عليه » ، يعنى بذلك : ما يحبه، ومن ذلك قول عبيد بن الأبرص :

كَمَا حَمَيْنَاكَ يَوْمَ النَّعْفِ مِنْ شَطَبٍ ... وَالفَضْلُ لِلقَوْمِ مِنْ رِيحٍ وَمِنْ عَدَدِ[4]

---

(١) انظر تفسير « التنازع » فيما سلف ص : ٥٦٩، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الفشل » فيما سلف ص : ٥٦٩ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المطبوعة : « مقبلا عليه ما يحبه » ، زاد « عليه » ، وليست فى المخطوطة .

(٤) ديوانه : ٤٩ ، من أبيات قبله ، يقول :

دَعَا مَعَاشِرَ فَاسْتَكَّتْ مَسَامِعُهُمْ ... يَالَهْفَ نَفْسِي لَوْ تَدْعُو بَنِي أَسَدِ

لَا يَدَّعُونَ إِذَا خَامَ الكُمَاةُ، وَلَا ... إِذَا السُّيُوفُ بِأَيْدِي القَوْمِ كَالْوَقَدِ

لَوْ هُمْ حُمَاتُكَ بِالمَحْمَى حَمَوْكَ وَلَمْ ... تُتْرَكْ لِيَوْمٍ أَقَامَ النَّاسَ فِى كَبَدِ

كَمَا حَمَيْنَاكَ . . . . . .

. . . . . .

والبيت الثانى من هذه الأبيات جاء هكذا فى مخطوطة الديوان : « لا يدعوا إذا حام الكماة ولا إذا .. » ، فصححه الناشر المستشرق « تدعو إذن حامى الكماة لا كسلا » ، فجاء بالنشاشة كلها فى شطر واحد . فيصحح كما أثبته . ويعنى بقوله : « لا يدعون إذا خام الكماة » ، أى : لا يتنادون بترك الفرار ، و « خام » نكص ، كما قال الآخر :

تَنَادَوْا : يَا آلَ عَمْرٍو لَا تَفِرُّوا! ... فَقُلْنَا : لَا فِرَارَ وَلَا صُدُودَا

و « النعف » ، ما انحدر من حزونة الجبل . و « شطب » جبل فى ديار بنى أسد .

يعنى : من البأس والكثرة .[١]

* * *

وإنما يراد به فى هذا الموضع : وتذهب قوتكم وبأسكم ، فتضعفوا ويدخلكم الوهن والخلل .

* * *

= « واصبروا » ، يقول : اصبروا مع نبيّ الله صلى الله عليه وسلم عند لقاء عدوكم ، ولا تنهزموا عنه وتتركوه = « إن الله مع الصابرين » ، يقول : اصبروا فإنى معكم.[٢]

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦١٦٣ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله : « وتذهب ريحكم » ، قال : نصركم . قال : وذهبت ريحُ أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ،[٣]حين نازعوه يوم أحد. ١٢/١٠

١٦١٦٤ — حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد: « وتذهب ريحكم » ، فذكر نحوه .

١٦١٦٥ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه = إلا أنه قال : ريح أصحاب محمد حين تركوه يوم أحد .

١٦١٦٦ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » ، قال :

---

(١) فى المخطوطة : « من الناس » ، والصواب ما فى المطبوعة .

(٢) انظر تفسير « مع » فيما سلف ص : ٤٥٥ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك

(٣) فى المطبوعة : « أصحاب رسول الله » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

حَدُّكم وجِدُّكم!.(١)

١٦١٦٧ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: «وتذهب ريحكم»، قال: ريح الحرب.

١٦١٦٨ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: «وتذهب ريحكم»، قال: «الريح»، النصر، لم يكن نصر قط إلا بريح يبعثها الله تضرب وجوه العدو، فإذا كان ذلك لم يكن لهم قِوَام.

١٦١٦٩ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق: «ولا تنازعوا فتفشلوا»، أي: لا تختلفوا فيتفرق أمركم = «وتذهب ريحكم»، فيذهب حَدُّكم(٢) = «واصبروا إن الله مع الصابرين»، أي: إني معكم إذا فعلتم ذلك.(٣)

١٦١٧٠ – حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: «ولا تنازعوا فتفشلوا»، قال: الفشل، الضعف عن جهاد عدوه والانكسار لهم، فذلك «الفشل».

* * *

(١) في المطبوعة: «حربكم وجدكم»، وهي في المخطوطة توشك أن تقرأ كما قرأها، ولكن الكتابة تدل على أنه أراد «حدكم»، و«الحد» بأس الرجل ونفاذه في نجدته. يقال: «فلان ذو حد»، أي بأس ونجدة. ولو قرئت: «وحدتكم»، كان صواباً، «الحد» و«الحدة» (بكسر الحاء)، واحد. وانظر التعليق التالي.

(٢) في المطبوعة: «جدكم»، بالجيم، والصواب ما في سيرة ابن هشام، وفيها «حدتكم»، وفي مخطوطاتها «حدكم»، وهما بمعنى، كما أسلفت في التعليق قبله.

(٣) الأثر: ١٦١٦٩ – سيرة ابن هشام ٢: ٣٢٩، وهو تابع الأثر السالف رقم: ١٦١٦٢.

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ (٤٧)

قال أبو جعفر: وهذا تقدُّمٌ من الله جل ثناؤه إلى المؤمنين به وبرسوله، أن لا يعملوا عملاً إلا لله خاصة، وطلب ما عنده، لا رئاء الناس، كما فعل القوم من المشركين فى مسيرهم إلى بدر طلبَ رئاء الناس. وذلك أنهم أخبروا بفَوْت العير رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه،[1] وقيل لهم: «انصرفوا فقد سلمت العير التى جئتم لنصرتها!»، فأبوا وقالوا: «نأتى بدراً فنشرب بها الخمر، وتعزف علينا القيان، وتتحدث بنا العرب فيها»،[2] فَسُقُوا مكان الخمر كؤوس المنايا، كما —

١٦١٧١ — حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد قال، حدثنى أبى قال، حدثنا أبان قال، حدثنا هشام بن عروة، عن عروة قال: كانت قريش قبل أن يلقاهم النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر، قد جاءهم راكب من أبى سفيان والركب الذين معه: إنا قد أجزنا القوم، وأن ارجعوا.[3] فجاء الركب الذين بعثهم أبو سفيان الذين يأمرون قريشاً بالرجعة بالجُحفة، فقالوا: «والله لا نرجع حتى ننزل بدرًا، فنقيم فيه ثلاث ليالٍ، ويرانا من غَشِينا من أهل الحجاز، فإنه لن يرانا أحد من العرب وما جمعنا فيقاتلنا». وهم الذين قال الله: «الذين خرجوا من ديارهم بطرًا ورئاء الناس»، والتقوا هم والنبىّ صلى الله عليه وسلم، ففتح الله على رسوله، وأخزى أئمة الكفر،

---

(١) فى المخطوطة: «بقرب العير»، والصواب ما فى المطبوعة.

(٢) فى المطبوعة: «وتتحدث بنا العرب لمكاننا فيها»، زاد ما ليس فى المخطوطة.

(٣) فى المطبوعة: «فارجعوا»، وأثبت ما فى المخطوطة، وهو مطابق لما فى التاريخ.

وشفى صدور المؤمنين منهم .[١]

١٦١٧٢ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثني ابن إسحق = في حديث ذكره = قال ، حدثني محمد بن مسلم ، وعاصم بن عمر ،[٢] وعبد الله ابن أبي بكر ، ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا ، عن ابن عباس قال : لما رأى أبو سفيان أنه أحرز عيره ، أرسل إلى قريش : إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم ، فقد نجاها الله ، فارجعوا ! فقال أبو جهل ابن هشام : والله لا نرجع حتى نرد بدرًا = وكان « بدر » موسمًا من مواسم العرب ، يجتمع لهم بها سوق كل عام = فنقيم عليه ثلاثًا ، وننحر الجُزُر ، ونطعم الطعام ، ونسقى الخمور ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب ، فلا يزالون يهابوننا أبدًا ، فامضوا .[٣]

١٦١٧٣ – قال ابن حميد ، حدثنا سلمة قال ، قال ابن إسحق : « ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرًا ورئاء الناس » ، أي : لا تكونوا كأبي جهل وأصحابه الذين قالوا : « لا نرجع حتى نأتي بدرًا ، وننحر الجزر ، ونسقى بها الخمر ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب ، فلا يزالون يهابوننا » ، أي : لا يكونن ١٣/١٠
أمركم رياءً ولا سمعة ، ولا التماس ما عند الناس ، وأخلصوا لله النية والحِسْبة في نصر دينكم ، ومؤازرة نبيكم ، أي : لا تعملوا إلا لله ، ولا تطلبوا غيره .[٤]

١٦١٧٤ – حدثني محمد بن عمارة الأسدي قال ، حدثنا عبيد الله بن موسى قال ، أخبرنا إسرائيل = وحدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ،

---

(١) الأثر : ١٦١٧١ – هذا من كتاب عروة بن الزبير إلى عبد الملك بن مروان ، الذي خرجته آنفًا من تاريخ الطبري مجموعًا برقم : ١٦٠٨٣ . وهذا القسم في تاريخ الطبري ٢ : ٢٦٩ .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « عاصم بن عمرو » ، وهو خطأ ، إنما هو « عاصم بن عمر بن قتادة » ، سلف مرارًا ، وانظر سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٧ .

(٣) الأثر : ١٦١٧٢ – سيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٠ ، وتاريخ الطبري ٢ : ٢٧٦ ، من أثر طويل .

(٤) الأثر : ١٦١٧٣ – سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٩ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦١٦٩ . وفي لفظه اختلاف يسير .

حدثنا إسرائيل = عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « الذين خرجوا من ديارهم بطرًا ورئاء الناس » ، قال : أصحاب بدر .

١٦١٧٥ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : « بطرًا ورئاء الناس » ،قال : أبو جهل وأصحابه يوم بدر .

١٦١٧٦ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله = قال ابن جريج ، وقال عبد الله بن كثير : هم مشركو قريش ، وذلك خروجهم إلى بدر .

١٦١٧٧ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرًا ورئاء الناس » ، يعني : المشركين الذين قاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر .

١٦١٧٨ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « خرجوا من ديارهم بطرًا ورئاء الناس » ، قال : هم قريش وأبو جهل وأصحابه ، الذين خرجوا يوم بدر .

١٦١٧٩ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرًا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط » ، قال : كان مشركو قريش الذين قاتلوا نبي الله يوم بدر ، خرجوا ولهم بَغْي وفخر. وقد قيل لهم يومئذ : « ارجعوا ، فقد انطلقت عيركم، وقد ظفرتم » . قالوا : « لا والله ، حتى يتحدث أهل الحجاز بمسيرنا وعددنا ! » . قال: وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ: « اللهم إنّ قريشاً أقبلت بفخرها وخيلائها لتحادّك ورسولك » !

١٦١٨٠ – حدثني محمد بن الحسين قال،حدثنا أحمد بن المفضل قال ،

حدثنا أسباط ، عن السدى قال : ذكر المشركين وما يُطعِمُون على المياه فقال : « لا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله » .

١٦١٨١ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « الذين خرجوا من ديارهم بطرًا » ، قال : هم المشركون ، خرجوا إلى بدر أشرًا وبطرًا .

١٦١٨٢ — حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظى قال : لما خرجت قريش من مكة إلى بدر ، خرجوا بالقيان والدفوف ، فأنزل الله : « ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرًا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط » .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام إذاً : ولا تكونوا ، أيها المؤمنون بالله ورسوله ، فى العمل بالرياء والسمعة ، وترك إخلاص العمل لله، واحتساب الأجر فيه ، كالجيش من أهل الكفر بالله ورسوله الذين خرجوا من منازلهم بطرًا ومراءاة الناس بزيّهم وأموالهم وكثرة عددهم وشدة بطانتهم[1] = « ويصدون عن سبيل الله » ، يقول : ويمنعون الناس من دين الله والدخول فى الإسلام ، بقتالهم إياهم ، وتعذيبهم من قدروا عليه من أهل الإيمان بالله[2] = « والله بما يعملون » ، من الرياء والصدّ عن سبيل الله، وغير ذلك من أفعالهم = « محيط »، يقول : عالم بجميع ذلك ، لا يخفى عليه منه شىء ، وذلك أن الأشياء كلها له متجلّية ، لا يعزب عنه منها شىء ، فهو لهم بها معاقب ، وعليها معذّب .[3]

* * *

(١) انظر تفسير « الرئاء » فيما سلف ٥ : ٥٢١ ، ٥٢٢ / ٨ : ٣٥٦ / ٩ : ٣٣١ .

(٢) انظر تفسير « الصد » فيما سلف ص : ٥٢٩ ، تعليق ٢ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « سبيل الله » فيما سلف من فهارس اللغة (سبل) .

(٣) انظر تفسير « محيط » فيما سلف ٩ : ٢٥٢ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

تَمّ الجزء الثالث عشر من تفسير الطبرى

ويليه الجزء الرابع عشر، وأوّله :

القول فى تأويل قوله :

﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾

تتمة التخريج

بسم الله الرحمن الرحيم

تتمة التخريج

١ — الحديث : ١٥٠٥٥ — ١٥٠٥٨ ، رواه الطبرى بأربعة أسانيد . ونزيد : أنه رواه أيضاً الترمذى فى كتاب الفتن (ج ٣ ص ٢١٣) ، من طريق سفيان ، عن الزهرى ، عن سنان بن أبى سنان ، عن أبى واقد الليثى ، بنحوه ، وقال : « هذا حديث حسن صحيح » .

وقد ذكر أخى السيد محمود نسبة السيوطى إياه للنسائى ، ولم أجده فيه . ولم ينسبه النابلسى فى ذخائر المواريث : ١٠٤٦١ لغير الترمذى . فإما هو فى السنن الكبرى للنسائى ، وإما أن تكون نسبته للنسائى خطأ من السيوطى أو من الناسخين ، ويكون صواب نسبته للترمذى ، وهذا الذى أرجحه .

٢ — الحديث : ١٥٠٨٨ — نسبه الحافظ ابن كثير للإمام أحمد عن أبى المثنى معاذ بن معاذ ، عن حماد بن سلمة . وهو فى المسند بهذا الإسناد : ١٢٢٨٧ (ج ٣ ص ١٢٥ طبعة الحلبى) .

٣ — الحديث : ١٥١٥٠ — هو حديث منقطع الإسناد ، لأن راويه ثابتاً البنانى وحميداً الطويل من صغار التابعين ، لم يدركا القصة التى حكياها ، من دخول قيس بن عباد وجارية بن قدامة على علىّ بن أبى طالب . ولم يذكرا أنهما سمعاها من أحدهما . ومثل هذا يكون مرسلا عند أهل الرواية .

٤ — الحديث : ١٥٢٢٥ ، ١٥٢٢٦ — ورواه أحمد فى المسند : ٦٦٢٢ ، عن موسى بن داود ويونس بن محمد ، عن فليح ، بهذا الإسناد نحوه . وكذلك رواه البخارى ٤ : ٢٨٧ — ٢٨٨ (فتح) ، عن محمد بن

سنان ، عن فليح ، به نحوه . ولكنه لم يذكر فى آخره رواية عطاء عن كعب الأحبار .

وكذلك رواه ابن سعد ٨٨/٢/١ ، من طريق فليح .

٥ ــ الحديث : ١٥٢٢٧ ــ « عبد العزيز بن سلمة » فى الإسناد ــ خطأ من الناسخين ، صوابه « عبد العزيز بن أبى سلمة » . وهو « عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلمة الماجشون » أحد الأئمة الأعلام .

والحديث ــ من هذا الوجه رواه البخارى مختصراً ٨ : ٤٤٩ ــ ٤٥٠ (فتح)،وابن سعد ٨٨/٢/١ ــ كلاهما من طريق عبد العزيز بن أبى سلمة ، عن هلال ، به نحوه .

٦ ــ الحديث : ١٥٣٥٣ ــ أزيد أنه رواه أيضاً ابن حبان فى صحيحه ، رقم : ١٣٢ ، بتحقيقنا .

٧ ــ الحديث : ١٥٥٨٤ ــ « بشير بن جابر » فى الإسناد : محرف ، وهو فى المخطوطة غير منقوط . وصوابه « يسير بن جابر » : بضم الياء التحتية فى أوله وبالسين المهملة . ويقال فى اسمه « أسير » بضم الهمزة . وفى التقريب « يسير ، بالتصغير ، ابن عمرو ، أو ابن جابر ، الكوفى . وقيل : أصله أسير ، فقلبت الهمزة » . وله حديث آخر فى المسند : ٣٦٤٣ ، عن ابن مسعود . وهو تابعى معروف ، أخرج له الشيخان .

٨ ــ الحديث : ١٥٧٣٧ ــ هو حديث مرسل ، سواء أكان راويه « زيد بن يثيع » أم « زيد بن نفيع » ، إذ يكون رواية تابعى عن بعض قصة بدر ، لم يذكر أنه رواه عن أبى بكر أو عن غيره من الصحابة .

و « زيد بن يثيع » أو « أثيع » : تابعى معروف ، كما ترجمه أخى السيد محمود . ولكن الذى كان فى مخطوطة الطبرى ومطبوعته « زيد بن نفيع » . فهذا تابعى آخر ، ترجمه البخارى فى الكبير ٣٧١/١/٢ .

وذكر أخى السيد محمود أنه ترجمه ابن أبى حاتم والبخارى، وهو كما قال. ولكن الاشتباه بين الترجمتين ، الذى كان سببه تعليق العلامة عبد الرحمن بن يحيى اليمامى على التاريخ الكبير فى ترجمة « زيد بن نفيع » — لا يسوغ تغيير الاسم فى هذا الإسناد ، بعد اتفاق المطبوعة والمخطوطة عليه ، فيكون صواب الاسم فى هذا الإسناد « زيد بن نفيع » دون تردد . وليست روايته هنا عن أبى بكر ، حتى يظن أنه « زيد بن يثيع » . بل روايته هنا مرسلة ، عن قصة أبى بكر فى غزوة بدر .

وقد ذكر العلامة الشيخ عبد الرحمن بن يحيى اليمامى فى تعليقه على ترجمة « زيد بن نفيع » فى التاريخ الكبير ٣٧١/١/٢ أن ابن أبى حاتم ترجمه فى الجرح ، ورجح أنه تصرف من الناسخين ، وأن صوابه « زيد بن يثيع » ! دون برهان يؤيد ما رجح . ثم صنع مثل ذلك فى كتاب الجرح والتعديل ٥٧٣/٢/١ ، جزم بأن « زيد بن نفيع » هو « زيد بن يثيع » أو « أثيع » ، قال : « وهو مشهور ، فحقه أن يذكر فى باب الياء أو فى باب الألف » !! يعنى فى حروف آباء من اسمه « زيد » .

وهذا تحكم صرف ، فإن ابن أبى حاتم ذكره فى « باب النون » : « زيد بن نفيع » ، فليس معقولاً أن يكون هذا تحريفاً من الناسخين ، لأن الناسخ يتصحف عليه الاسم مثلاً ، ولكنه لا ينقل الاسم من « باب الياء » « يثيع » إلى « باب النون » « نفيع » ، كما هو بديهى واضح .

ثم يزيد الأمر وضوحاً وتوكيداً ثبوت هذا الاسم فى أصول الطبرى « زيد بن نفيع » بالنون . ولا يكاد أحد يظن أن الناسخين تواطأ تحريفهم فى أصول الطبرى من ناحية وأصول كتاب الجرح من ناحية أخرى ، على تصحيف واحد ، ونقل الاسم من « يثيع » بالياء إلى « نفيع » بالنون ،

وشتان ما بين الكتابين وما بين ناسخيهما .

وأما أن ابن أبي حاتم لم يترجم « زيد بن يثيع » في باب الياء أو « أثيع » في باب الألف — فلا يدل على أن اسم « نفيع » محرف أو مصحف عن « يثيع » ، وهذا بديهي لا يكاد يشك فيه أحد .

٩ — الحديث ١٦٠٠٠ — « أبو حذيفة » : هو النهدي البصري ، موسى بن مسعود ، مضى توثيقه مراراً .

وهذا إسناد صحيح .

والحديث رواه أيضاً ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن أبي حذيفة — بهذا الإسناد . كما نقله عنه ابن كثير ٤ : ٥٢ — ٥٣ .

وذكره السيوطي ٣ : ١٨١ ، وزاد نسبته لابن المنذر ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقي في السنن .

١٠— الحديثان : ١٦٠٨٣ ، ١٦٠٨٤ — هما حديثان مرسلان ، من رواية عروة بن الزبير التابعي ، عن هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة . وفيهما تفصيل جيد لخبر الهجرة . وهما — كما قال أخي السيد محمود — من أوائل الكتب التي كتبت عن سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي الخبر الأول : أن عروة كتب بذلك إلى عبد الملك بن مروان . وفي الثاني : أن الكتاب كان إلى الوليد بن عبد الملك ، والذي رجحه أخي السيد محمود أن الكتاب كان إلى عبد الملك . وهو كما قال ، لأن إسناد الأول — إلى عروة — أصح من إسناد الثاني .

١١— الحديث : ١٦١١٩ — أزيد أنه رواه أيضاً الإمام أحمد في المسند : ١٦٨١١ (ج ٤ ص ٨١ حلبي) . وإسناده صحيح .

١٢— الحديث : ١٦١٥٦ ، ١٦١٥٧ — هما إسنادان لحديث واحد .

والإسنادان ضعيفان ، من أجل الانقطاع بين أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود وبين أبيه ، إذ لم يسمع أبو عبيدة من أبيه ، كان صغيراً لا يذكر من أبيه شيئاً . والحديث ذكره ابن كثير ٤ : ٧٣ ونسبه أيضاً لابن أبي حاتم . ولم ينسبه إليه السيوطي ، بل نسبه (٣ : ١٨٩) لابن أبي شيبة ، وابن جرير ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه . فقط .

أحمد محمد شاكر

الفهارس

فهرس الآيات التى استدل بها فى غير موضعها من التفسير

السورة / الآية	الصفحة
آيات سورة البقرة	
٥٤	١٣٤
٦٣	١٠٩
٦٦	١٩٤
٧٩	٢١١
١٧١	٢٧٩
١٧٧	٢٧٥
* * *	
آيات سورة آل عمران	
٤١	٣٥٦
٧٩	٢١٥
٨٣	٢٤٢، ٢٤٣
١٢٤، ١٢٥	٤١٠
١٥٤	٤٢٠، ٤٢١
١٥٥	٤٣٩
١٧٣	٣١٦
١٧٩	٣٣٩، ٣٤١
١٨٧	٢٥١
* * *	
آيات سورة النساء	
٦	١١٥
١١	١٢٧
١٤٢	٤٨٦
١٥٠، ١٥١	٣٨٨
١٥٤	٢١٨

السورة / الآية	الصفحة
آيات سورة النساء	
١٦٥	٩
١٧٦	١٥٠
* * *	
آيات سورة المائدة	
٢٤	٤٠٠، ٤٠٢، ٤٠٣
٢٦	٢٥٧
٦٤	١٦٨
* * *	
آيات سورة الأنعام	
٢٨	٨
٩٤	٥٠٦
١٤٩	٢٤٢، ٢٤٣
* * *	
آيات سورة الأعراف	
٣٢	٥٢٤
١٠٢	٢٣٩
١٤٣	١٢٤
١٥٤	١٢٦
١٥٩	١٢٤، ١٦٢، ٢٨٦
* * *	
آيات سورة الأنفال	
١٤	٤٤٩
٢٨	٤٧٥
٣٢	٤٥٢

السورة / الآية	الصفحة
آيات سورة الأنفال	
٤١	٣٧٨، ٣٨٠، ٣٨١
٦٦	٤٣٩
* * *	
آيات سورة التوبة	
٥	٣٢٩
٧	٤٣٩
١١	٣٢٩
٢٥	٤٣٩
٧٣	٣٢٩
١٠٦	٢٧
١٢٣	٣٢٩
* * *	
آيات سورة يونس	
١٥	٤٦٢
٢٢	٣١٤
٧٤	٢٣٩
* * *	
آية سورة هود	
٤٨	٨
* * *	
آيات سورة يوسف	
٤٣	١٣٩
٥١، ٥٢	٢٠
٨٢	١٠١
* * *	
آية سورة الحجر	
٣	٢٨٥
* * *	

السورة / الآية	الصفحة
آية سورة النحل	
١٠٣	٢٨٤ هـ
* * *	
آيات سورة الإسراء	
١٥	٨
٧٦	٤٩٨، ٤٩٩
١٠٤	١٧٤
* * *	
آية سورة الكهف	
٦٦	١١٥
* * *	
آيات سورة مريم	
٥٢	٩١
٥٩	٢١٣
* * *	
آيات سورة طه	
٢٠	١٧
٦٥، ٦٦	٢٨
٦٧	٢٨
٨٦، ٨٧	١٢٣
٨٨	٩٠
٩٢، ٩٣	١٢٣، ١٢٨
٩٤	١٢٣، ١٢٨
* * *	
آية سورة الأنبياء	
٣٥	٤٨٧
* * *	
آيات سورة الحج	
٣٩	٤٥٦
٤٦	٤٦٠
* * *	

السورة / الآية	الصفحة
آيات سورة النور	
٣٦	٣٥٦
٤٣	٥٣٥
* * *	
آية سورة الشعراء	
١٨	١٦
* * *	
آيات سورة النحل	
١٨	٤٧٦
٤٧	٤٨
٧٢	١٣٩
* * *	
آيات سورة القصص	
٦،٥	٧٨،٧٧
* * *	
آيات سورة العنكبوت	
١٤	٦٦
٦٦	٢٨٥
* * *	
آية سورة الروم	
٣٠	٢٣٩
* * *	
آية سورة لقمان	
٣٤	٣٠٠
* * *	
آيات سورة الأحزاب	
٧	٢٣٩
٥١	٢١
* * *	

السورة / الآية	الصفحة
آية سورة ص	
١٦	٥٠٦
* * *	
آيات سورة غافر	
١٥	٩٢ه
٢٨	٥٠٠
* * *	
آيات سورة الزخرف	
٢٣	٢٤٣
٥٠	٥٩
٥٥	١٢١
٧٦	٥٠٨
* * *	
آيات سورة الجاثية	
١٤	٣٢٩
٢٠	٣٤٤
* * *	
آيات سورة محمد	
١٥	١٧٣ ه
١٨	٤٠٦
* * *	
آية سورة ق	
١٦	٤٧١
* * *	
آية سورة الطور	
٣٠	٤٩٦
* * *	
آية سورة النجم	
٥٦	٢٣٩
* * *	

السورة / الآية	الصفحة
آية سورة القمر	
٤٦	١٩٧
* * *	
آية سورة الحشر	
٧	٣٨١، ٥٤٥، ٥٤٦
* * *	
آية سورة التغابن	
٢	٣٨٨
* * *	
آية سورة التحريم	
٩	٣٢٩
* * *	
آية سورة القلم	
١٩	٥٢
* * *	
آيات سورة المعارج	
١، ٢	٥٠٦، ٥٠٧
* * *	
آية سورة المزمل	
٢٠	٥٠٨
* * *	
آية سورة النازعات	
٤١	١٠٦
* * *	
آية سورة الفجر	
٢١	١٠٠
* * *	

فهرس اللغة

هذا الفهرس مرتب على ترتيب معاجم اللغة، على أصل الاشتقاق، وعلى آخر الأصل باباً، وأوله فصلا .

(بوأ) باء : ٤٤١
(خسأ) خاسىء : ٢٠٣
(ذرأ) ذرأ : ٢٧٦ — ٢٧٨
ذرية : ٢٢٢ ، ٢٥١
(رجأ) الإرجاء : ٢٠ — ٢٢
(سوأ) ساء : ٢٧٥
السيئة ، السيئات : ٤٧ ، ١٣٦ ، ٢٠٩ ، ٤٨٧
السوء : ١٩٩
سوء العذاب : ٨٥ ، ٢٠٥
(فيأ) الفيء : ٥٤٥ — ٥٤٧
فئة : ٤٣٥ ، ٤٥٥ ، ٥٧٤
(قرأ) قرأ، القرآن : ٣٤٤
(مرأ) المرء : ٤٧٢
(ملأ) ملأ : ١٢ ، ١٨ ، ٣٦
(نبأ) النبأ ، الأنباء : ٧، ٢٥٢
النبيّ : ١٧١
* * *
(توب) تاب : ١٠٢ ، ١٣٧
(ثعب) ثعبان : ١٥ — ١٨
(جوب) استجاب : ٣٢١، ٤٠٩، ٤٦٣
(دبب) الدواب : ٤٥٩ .
(ذنب) الذنوب : ١٧٨
(ذهب) ذهبت ريحه : ٥٧٥
أذهبه : ٤٢١
(رعب) الرعب . ٤٢٩
(ركب) الركب . ٥٦٣
(رهب) يرهب : ١٣٨
استرهبه : ٢٧
(شرب) المشرب : ١٧٧
(صلب) صلّب : ٣٤
(صوب) أصابه : ٤٧ ، ١٥٦ ، ٤٧٣
(طيب) الطيب : ٣٥٤
الطيبات : ١٦٥ ، ١٧٧، ٤٧٧
(عقب) عاقبة : ١٣ ، ٤٣
شديد العقاب : ٤٣٣ ، ٤٧٦
(غرب) مغارب الأرض : ٧٦
(غضب) غضب الله : ١٣٣
غضبان : ١٢٠
(غيب) الغيب : ٣٠٢
(قرب) اقترب : ٢٩٠
ذو القربى : ٥٥٣—٥٥٩
المقربون : ٢٦

(قلب) انقلب : ٣٢ ، ٣٥
(كتب) كتب له : ١٥٢، ١٥٦، ١٥٩

* * *

(بغت) بغتة : ٢٩٧
(بيت) من بيتك : ٣٩٤
(ثبت) يثبتُ : ٥٧٤
أثبته : ٤٩١ — ٤٩٣
تثبيت الأقدام : ٤٢٨
(حوت) حيتان : ١٨٣
(سبت) الاعتداء فى السبت : ١٨٣
سبت يسبت : ١٨٣ ، ١٨٤
(سكت) سكت عنه الغضب : ١٣٧ ، ١٣٨
(سنت) أسنت القوم : ٤٥
(شمت) يشمت : ١٣١ ، ١٣٢
(صمت) صامت : ٣٢٠
(نصت) أنصت : ٣٤٤ — ٣٥٣
(وقت) ميقات : ٨٧، ٩٠، ١٤٠

* * *

(بعث) بعث : ١٢ ، ٢٠٥
(حدث) حديث : ٢٩١
(خبث) الخبيث : ٥٣٤
الخبائث : ١٦٥
(غوث) استغاث : ٤٠٩
(لهث) يلهث : ٢٧١ — ٢٧٣
(نكث) ينكث : ٧٣
(ورث) ورث الكتاب : ٢١١
أورثه : ٤٢ ، ٧٦

* * *

(درج) درجة : ٣٨٩
استدرجه : ٢٨٧
(زوج) الزوج : ٣٠٤

* * *

(ريح) ذهبت ريحه : ٥٧٥
الريح : ٥٧٥
(سبح) يسبح : ٣٥٧
سبحانك : ١٠٢
(صلح) أصلح : ٨٨ ، ٣٨٣
الصالح : ٢٠٨ ، ٣٠٦، ٣٠٨ ، ٣٢٣
المصلح : ٢١٦
(فتح) استفتح : ٤٥٠ — ٤٥٤
الفتح : ٤٥٠ — ٤٥٤
(فلح) أفلح : ٥٧٤
المفلح : ١٦٩
(لوح) الألواح : ١٠٦ ، ١٢٢— ١٢٨ ، ١٣٨

* * *

(سلخ) السلخ : ٢٦٠
(نسخ) نسخة : ١٣٨

* * *

(أيد) أيده : ٤٧٧
(جرد) الجراد : ٤٩
(جسد) جسد : ١١٧
(خلد) أخلد : ٢٦١ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١
(رشد) الرشد : ١١٤ — ١١٦
(زيد) زادتهم إيماناً : ٣٨٥ ، ٣٨٧

(سجد) يسجد : ٣٥٧ ،
ساجد، سجد: ٣٢، ١٧٨
(شهد) أشهده : ٢٢٢
(صدد) يصد : ٥٠٩ ، ٥٢٩ ، ٥٨١ .
صدد تصديداً : ٥٢٧
(عبد) العبد : ٥٦٠
عباد : ٣٢١
العبادة : ٣٥٧
(عهد) عهد : ١٠
عهد عندك : ٧٢
(فسد) الإفساد فى الأرض : ٣٦
المفسد : ١٣ ، ٨٨
(قرد) قردة : ٢٠٣
(كيد) كاد : ١٣١
كاده : ٣٢٢
الكيد : ٢٨٨ ، ٤٤٩
(لحد) ألحد : ٢٨٣ ، ٢٨٤
(مدد) مده : ٣٣٧ ، ٣٤٠
أمده : ٤٠٩
(هود) هاد إليه : ١٥٢ — ١٥٥
(ودد) ودّ : ٣٩٨
(وعد) واعداه : ٨٦
ميعاد : ٥٦٥
تواعدوا : ٥٦٥

• • •

(أخذ) أخذ برأسه : ١٢٨
أخذتهم الرجفة : ١٤٨
أخذهم بالسنين : ٤٥
أخذ الميثاق : ٢١٤
يأخذ بأحسنه : ١٠٩
خذها بقوة : ١٠٨، ١٠٩
اتخذ: ١١٤، ١١٧، ١٣٣
(عوذ) استعاذ : ٣٣٢

• • •

(أجر) أجر: ٢٤، ٢١٦، ٤٨٦
(أخر) الدار الآخرة : ٢١٥
لقاء الآخرة : ١١٦
(أصر) الإصر : ١٦٦ — ١٦٨
(بشر) بشير : ٣٠٣
بشرى : ٤١٨
(بصر) يبصر : ٢٧٨ — ٢٨٠
مبصر : ٣٣٧
بصير : ٥٤٣
بصائر : ٣٤٣ ، ٣٤٤
(بطر) البطر : ٥٧٨، ٥٨١
(تبر) متبّر : ٨٣ ، ٨٤
(ثمر) الثمرات : ٤٥
(جهر) الجهر : ٣٥٣
(حسر) حسرة : ٥٢٩
(حشر) يحشر : ٤٧٢ ، ٥٢٩
الحاشر : ٢٣
(حضر) حاضرة البحر : ١٧٩ — ١٨٢
(خرر) خرّ صعقاً : ٩٧
(خسر) خاسر : ١١٩ ، ١٢٠ ، ٢٧٦ ، ٥٣٥
(خور) خوار : ١١٧
(خير) الخير : ٣٠٢
اختار قومه: ١٤٤ — ١٤٧
(دبر) دبر الأدبار : ٤٣٥
قطع دابره : ٤٠٧

(دمر) دمر : ٧٨
(دور) الدار الآخرة : ٢١٥
دار الفاسقين : ١١٠
(ذكر) ذكره : ٤٥ ، ١٩٩ ، ٢٥٣ ، ٣٣٧
ذكر الله : ٥٧٤
(سحر) سحر أعين الناس : ٢٧
يسحر : ٤٩
ساحر ، سحرة ١٩ ، ٢٤ ، ٣٢
أرض مسحورة : ١٩
(سطر) أساطير : ٥٠٣
(شكر) يشكر : ٤٧٧
الشاكر : ١٠٥ ، ٣٠٨
(صبر) الصبر : ٣٥ ، ٤٢ ، ٧٦
يصبر : ٥٧٦
الصابر : ٥٧٦
(صدر) ذات الصدور : ٥٧٠
(صغر) صاغر : ٣٢
(صير) المصير : ٤٤١
(ضرر) الضر : ٣٠٢ ، ٣٠٣
(طهر) طهره : ٤٢١
(طير) تطير ، اطير : ٤٧
طائر : ٤٨
(ظهر) الظهور : ٢٢
(عذر) معذرة : ١٨٥
(عزر) التعزير : ١٦٨
(غفر) غفر ، يغفر : ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٣٣ ، ١٧٨ ، ٢١١ ، ٤٨٧ ، ٥٣٦
استغفر ٥٠٩ ، ٥١٧
مغفرة : ٣٩٠
غفور : ١٣٧ ، ٢٠٧
(فكر) يتفكر : ٢٧٥ ، ٢٨٩
(قدر) قدير : ٥٦٠
(قرر) استقرّ : ٩٠
(قصر) أقصر ، يقصر : ٣٣٩ ، ٣٤٠
(قهر) قاهر : ٤٢
(كبر) تكبر : ١١٤
استكبر : ٧٠ ، ٣٥٧
(كثر) استكثر : ٣٠٢
(كفر) الكافر : ١٠
كفر تكفيراً : ٤٨٧
(مرر) مرّت به : ٣٠٤ ، ٣٠٥
(مكر) مكر : ٣٣ ، ٤٩١ ، ٤٩٤ ، ٥٠٢
(نذر) نذير : ٢٩٠ ، ٣٠٣
(نصر) نصره نصراً : ١٦٨ ، ١٦٩ ، ٣١٩ ، ٣٢٣
النصير : ٥٤٤
(نظر) نظر كذا : ٣٢٥ ، ٣٢٦
ينظر : ٤٥
أنظره : ٣٢٢
(نكر) المنكر : ١٦٥
(نور) النور : ١٦٩
(وذر) يذر : ٣٦ ، ٣٧ ، ٢٨١ ، ٢٩١

* * *

(جوز) جاوز : ٨٠
(حير) متحير ٤٣٥
(الرجز) الرجز ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ١٧٩ ، ٤٢٨

(عزز) عزيز : ٤١٨
(ميز) مازه يميزه : ٣٥٤
* * *
(أنس) أناس : ١٧٧
(بأس) بئس : ١٢١ ، ٤٤١
بئيس ، بئس : ١٩٩ — ٢٠٢
(بجس) انبجس : ١٧٧
(خمس) الخمس : ٥٤٨ — ٥٥٣
(درس) درس : ٢١٥
(مسس) مسه : ٣٠٣ ، ٣٣٣
(نعس) النعاس : ٤١٩
(نفس) نفس واحدة : ٣٠٣
* * *
(بطش) يبطش : ٣٢٢
(عرش) يعرش : ٧٨ ، ٧٩
* * *
(خصص) خاصة : ٤٧٣
(قصص) قصّ القصص : ٧ ، ٢٧٤
(نقص) نقص : ٤٥
* * *
(عرض) العرَض : ٢١١ ، أعرض ، معرض : ٣٣٢ ٤٦٣
* * *
(حبط) حبط : ١١٦
(حطط) حطة : ١٧٨
(حوط) محيط : ٥٨١
(ربط) ربط على قلبه ٤٢٨
(سبط) أسباط : ١٧٤ — ١٧٦
(سقط) سقط فى يده : ١١٨
* * *
(وعظ) يعظ : ١٨٤ ، ١٨٥
موعظة : ١٠٦
* * *
(تبع) اتبع : ٨٨ ، ١٦١ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ، ٢٦١ ، ٢٧١ ، ٣٢٠ ، ٣٤٣
(جمع) الجمع : ٥٦٠
جميعاً : ١٧٠
(رجع) يرجع : ٢٠٩ ، ٢٥٢
(رفع) رفعه : ٢٦١ ، ٢٦٨
(سرع) سريع العقاب : ٢٠٧
(سمع) يسمع : ٢٧٨ — ٢٨٠ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨
استمع : ٣٤٤ — ٣٥٣
سميع : ٣٣٣ ، ٤٤٨ ، ٥٩٦
(شرع) شرعاً : ١٨٣
(صنع) يصنع : ٧٨
(ضرع) التضرع : ٣٥٣
(ضفدع) الضفادع : ٤٩
(ضيع) أضاع : ٢١٦
(طبع) يطبع : ١٠
(قطع) قطع دابره : ٤٠٧
قطعه : ١٧٤ ، ٢٠٨
(معع) مع : ٤٢٨ ، ٤٥٥ ، ٥٧٦
(نزع) نزع يده : ١٧
تنازعوا ٥٦٩ ، ٥٧٥
(نفع) النفع : ٣٠٢
(وسع) وسع . ١٥٦

(وضع) يضع عنهم إصرهم : ١٦٦ — ١٦٨
(وقع) وقع الحق : ٣١
وقع الرجز : ٧٠

* * *

(بلغ) بالغ : ٧٣
(فرغ) فرغ : ١٣٢
أفرغ علينا صبراً : ٣٥
(نزغ) نزغه نزغاً : ٣٣٢، ٣٣٣

* * *

(أسف) الأسف : ١٢٠ ، ١٢١
(حرف) متحرّف : ٤٣٥
(خطف) تخطفه : ٤٧٦
(خفف) خفيف : ٣٠٤
(خلف) خلف يخلف : ٢٠٩
خلف : ٢٠٩ ، ٢١٠
خلف اللبن : ٢١٠
خلف فم الصائم : ٢١٠
خلفه يخلفه : ٧٧ ، ٧٨ ، ١٢١ ، ١٢٢
من خلاف : ٣٤
استخلفه : ٤٥
(خوف) خيفة : ٣٥٣
(رجف) الرجفة : ١٤٨
(ردف) مردف : ٤٠٩ ، ٤١٢ — ٤١٤ — ٤١٧
(زحف) الزحف : ٤٣٥
(سلف) سلف : ٥٣٦
(صرف) صرف عنه : ١١٢
(ضعف) يستضعف : ٧٦ ، ١٣١ ، ٤٧٦
(طوف) طائف : ٣٣٣ - ٣٣٧
طائفة : ٣٩٨
طوفان : ٤٩ — ٥٤
(عرف) العرف : ٣٣٠ ، ٣٣١
المعروف : ١٦٥
(عكف) يعكف : ٨٠
(كشف) كشف عنه الرجز : ٧٢، ٧٣
(لقف) يلقف : ٢٩

* * *

(حقق) الحق : ٣٩٣، ٤٠٧، ٤٠٨
حقا : ٣٨٨
أحق الحق : ٤٠٧، ٤٠٨
حقيق : ١٣
(ذوق) ذاقه : ٤٣٤ ، ٥٢٨
(رزق) رزق : ١٧٧، ٣٨٨، ٣٩٠، ٤٧٧
(سوق) يساق إلى الموت : ٣٩٧
(شرف) مشارف الأرض : ٧٦
(شقق) شاقه : ٤٣٣
(صعق) خرّق صعقاً : ٩٧، ١٠٢
(فرق) الفرقان : ٤٨٧، ٤٨٨ - ٤٩١
يوم الفرقان : ٥٦٠
فريق : ٣٩١
(فسق) يفسق : ١٨٤ ، ١٩٩
فاسق : ١١
دار الفاسقين : ١١٠
(فوق) هو فوقه : ٤٢
فوق الأعناق : ٤٢٩ ، ٤٣٠
أفاق : ٠٢

(نتق) نتق الجبل : ٢١٧، ٢١٩ ـ ٢٢١
نتقت المرأة : ٢٢٠، ٢٢١
امرأة منتاق : ٢٢١
(نفق) أنفق : ٣٨٨ ، ٥٢٩
(وثق) الميثاق : ٢١٥

* * *

(أفك) يأفك : ٢٩
(برك) بارك : ٧٦
(دكك) دكا ، دكاء : ٩٧ ، ١٠٠ ـ ١٠٢
(شرك) أشرك : ٢٥١ ، ٣١٧ ، ٣١٨
شركاء : ٣٠٨ ـ ٣١٧، ٣٢٢
(شوك) ذات الشوكة : ٣٩٨
(مسك) أمسك ، مسّك: ٢١٦
(ملك) يملك لنفسه : ٣٠١ ، ٣٠٢
ملك السموات : ١٧٠
الملكوت : ٢٩٠
(هلك) أهلك : ٤٥ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٥٠ ، ١٨٥ ، ٢٥١ ، ٥٦٨

* * *

(أجل) أجل: ٧٣ ، ٢٩٠
(أصل) الآصال : ٣٥٤، ٣٥٥ـ ٣٥٧
(أول) آل : ٨٥
(بدل) بدل : ١٧٩
(بطل) بطل : ٣١
باطل : ٨٣
أبطل الباطل : ٤٠٨
المبطل : ٢٥١
(ثقل) ثقل : ٢٩٥
أثقلت المرأة : ٣٠٥
(جدل) يجادل : ٣٩١
(جعل) جعل يجعل : ٨٠ ، ٩٧، ١٣٢ ، ٣٠٤ ، ٣٠٨ ، ٤١٧ ، ٤٨٧
(جهل) يجهل : ٨٠
الجاهل : ٣٣٢
(حمل) حمل ، حمل خفيف : ٣٠٤
(حول) حال بينهما: ٤٦٧ـ ٤٧٢
(ذلل) ذلة : ١٣٣
(رسل) أرسل : ١٧٩
أرسله معه : ٧٣
رسالة : ١٠٥
(سبل) سبيل : ٨٨ ، ١١٧
سبيل الله : ٥٢٩ ، ٥٨١
سبيل الرشد ، سبيل الغي : ١١٤
ابن السبيل : ٥٦٠
(سفل) أسفل : ٥٦٣
(شمل) شمل : ١٣٢
(ضلل) ضلّ : ١٩
أضل : ١٥١ ، ٢٧٦ ، ٢٩١
أضل من كذا : ٢٨١

(ظلل) ظلل : ١٧٧
ظلة : ٢١٧
(عجل) عجل أمره : ١٢٢
العجل : ١١٧ ، ١٣٣
(عدل) يعدل : ١٧٢ ، ٢٨٥
(عقل) يعقل : ٢١٦ ، ٤٦١
(غفل) غافل : ٧٥ ، ١١٥ ، ٢٢٢ ، ٢٨١ ، ٣٥٥
(غلل) الأغلال : ١٦٦ — ١٦٨
(فشل) فشل : ٥٦٩ ، ٥٧٥
(فصل) تفصيل الآيات : ١٠٦ ، ٢٥٢
آيات مفصلات : ٦٨ ، ٦٩
(فضل) الفضل : ٤٨٧ ، ٤٨٨
فضّل : ٨٤
(فعل) مفعول : ٥٦٥ ، ٥٧٢
(قتل) يقتلون أبناءكم : ٨٥
(قلل) قلله فى عينه : ٥٧٢
قليل : ٤٧٦
(قمل) القمل : ٥٤ — ٥٧
(نفل) الأنفال : ٣٦١ — ٣٦٦ — ٣٨٢
(نول) ناله : ١٣٣
(وجل) وجل : ٣٨٥
(وكل) توكل : ٣٨٥

* * *

(ألم) عذاب أليم : ٥٠٥
(أمم) يا ابن أمّ : ١٢٨ — ١٣١
أمة ، أمم : ١٧٢ ، ١٧٦ ، ١٨٤ ، ٢٠٨ ، ٢٨٥
الأمّى : ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٧١

(بكم) البكم : ٤٥٩
(تمم) أتمه : ٨٦
تم : ٨٦ ، ٨٧
تمت الكلمة : ٧٦ ، ٧٧
(جرم) مجرم : ٧٠ ، ٤٠٨
(حرم) المسجد الحرام : ٥٠٩
(حكم) حكيم : ٤١٨
(رحم) يرحم : ١١٩ ، ١٢٠ ، ٣٤٤
راحم : ١٣٣
رحمة : ١٣٣ ، ١٣٨ ، ١٥٦ ، ٣٤٤
رحيم : ١٣٧ ، ٢٠٧
(ركم) ركمه ، ركام : ٥٣٥
(سلم) مسلم : ٣٥
سلم : ٥٧١
(سوم) سامه : ٨٥ ، ٢٠٤
(صمم) الصم : ٤٥٩
(صنم) أصنام : ٨٠
(ظلم) ظلم ، ظالم : ١٢ ، ١١٧ ، ١٣٢ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٩٩ ، ٢٧٥ ، ٤٧٣
(علم) عليم : ١٩ ، ٢٤ ، ٣٣٣ ، ٤٤٨ ، ٥٦٩
العالمون : ١٣ ، ٣٢ ، ٨٤
(غمم) الغمام : ١٧٧
(غنم) غنم ، الغنيمة : ٥٤٥ — ٥٤٧
(قوم) أقام الصلاة : ٢١٦ ، ٣٨٨
(كرم) رزق كريم : ٣٩٠

(كلم) كلام الله : ١٠٥
كلمات الله : ١٧١ ، ١٧٢ ، ٤٠٧
(نعم) نعم : ٥٤٤
الأنعام : ٢٨٠
(نقم) نقم : ٣٥
انتقم منه : ٧٤
(نوم) المنام : ٥١٩ ، ٥٧١
(يتم) اليتامى : ٥٦٠
(يمم) اليمّ : ٧٤ ، ٧٥

* * *

(أذن) أذن له : ٣٣
تأذن : ٢٠٤
(أمن) آمن : ٧ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٧٣ ، ١٣٧ ، ١٦٠ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ٢٩٠ ، ٣٠٣ ، ٣٤٤ ، ٤٣٥ ، ٤٥٧ ، ٤٦٣ ، ٤٨٠ ، ٤٨٧ ، ٥٦٠ ، ٥٧٤
المؤمن : ٤٩ ، ١٠٢ ، ٣٨٥ ، ٣٨٨
زادتهم إيماناً : ٣٨٥ ، ٣٨٧
أمنة : ٤١٩ ، ٤٢٠
الأمانة : ٤٨٥ ، ٤٨٦
(بنن) البنان : ٤٣١ ، ٤٣٢
(بين) ذات البين : ٣٨٣ ـ ٣٨٥
بينة ، بينات : ٧ ، ١٤ ، ٥٦٨
ثعبان مبين : ١٥
نذير مبين : ٢٩٠
تبين : ٣٩٧
(جنن) جنة : ٢٨٩
(حزن) الحزْن ، الحزَن : ١١٦
(حسن) يأخذ بأحسنه : ١٠٩
الحسنة : الحسنات : ٤٧ ، ١٥٢ ، ٢٠٩
الحسنى : ٧٧
الأسماء الحسنى : ٢٨١ ـ ٢٨٣
المحسن : ١٧٨
(خون) يخون : ٤٨٠
(دون) دون : ٢٠٨
من دون الله : ٣٢١ ، ٣٢٣
(دين) الدين : ٥٣٨ ـ ٥٤٢
(ركن) ركن : ١٣٢
(سكن) يسكن إليه : ٣٠٤
المساكين : ٥٦٠
(سنن) سنة : ٥٣٦
(طمن) اطمأن : ٤١٨
(عون) استعان : ٤٢
(فتن) فتنة : ١٥١ ، ٤٧٣ ، ٤٨٦ ، ٥٣٧
(متن) متين : ٢٨٨
(منن) المنّ : ١٧٧
(وهن) أوهن ، موهن : ٤٤٩ ، ٤٥٠

* * *

(أله) إلاهة : ٣٨ ـ ٤١
(سفه) السفهاء : ١٤٩

(عمه) يعمه : ٢٩١
(فقه) يفقه : ٢٧٨
(كره) كاره : ٣٩١ ، ٣٩٤

* * *

(أتى) أتى على قوم : ٨٠
أتاه بكذا : ٥٠٥
آتى : ١٠٥ ، ٢٥٢ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨
إيتاء الزكاة : ١٦٠
(أخو) إخوان : ٣٣٧
(أذى) آذاه : ٤٣
(أوى) آواه : ٤٧٧
مأوى : ٤٤١
(أبي) آيه : ١٢ ، ١٤ ، ٣٥ ، ٤٩ ، ٦٨ ، ٧٥ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١٦٠ ، ٢٥٢ ، ٢٥٩ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٨٦ ، ٣٤٠ ، ٥٠٢
(بغى) يبغى : ٨٤
(بلا) بلاه ، يبلوه : ١٨٣ ، ٢٠٨
بلاء : ٨٥
أبلى : ٤٤٨
(تلا) تلا ، يتلو : ١٥٢ ، ٣٨٥ ، ٥٠٢
(جبا) اجتباه : ٣٤١ — ٣٤٣
(جزى) جزاه : ١١٦ ، ١٣٥
(جلا) جلاه : ٢٩٤
تجلي : ٩٧
(حفى) حفي : ٢٩٧ — ٣٠١
(حلى) الحلي : ١١٧
(حيي) حي يحيي : ٥٦٨
أحياه : ٤٦٤
الحياة الدنيا : ١٣٤
استحياه : ٤١ ، ٨٥
(دما) الدم : ٤٩ ، ٦٨
(دنا) الأدنى : ٢١١
الحياة الدنيا : ١٣٤
العدوة الدنيا : ٥٦٣
(رأى) رئاء : ٥٧٨ ، ٥٨١
(رسا) مرسى : ٢٩٣ ، ٢٩٤
(زكى) إيتاء الزكاة : ١٦٠
(سقى) استسقى : ١٧٦
(سلا) السلوى : ١٧٧
(سما) الأسماء الحسنى : ٢٨١ — ٢٨٣
(سنا) السنة ، السنون ، وأخذهم بالسنين : ٤٥
(سوى) سواء : ٣٢٠
(صدا) صدى تصدية : ٥٢٢ ، ٥٢٧
(صفا) اصطفاه : ١٠٥
(صلا) أقام الصلاة : ٢١٦ ، ٣٨٨
(طغى) طغيان : ٢٩١
(عتا) عتا : ٢٠٣
(عدا) يعدو : ١٨٢
العدوة الدنيا ، العدوة القصوى : ٥٦٣ ، ٥٦٥
(عسى) عسى : ٤٥ ، ٢٩٠

(عفا) العفو : ٣٢٦ ـ ٣٣٠
(علا) تعالى الله : ٣١٧
(غدا) الغدوّ : ٣٥٤
(غشى) غشاه : ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١
تغشاه : ٣٠٤
(غنى) أغنى عنه : ٤٥٥
(غوى) الغيّ : ١١٤ ، ٣٣٧
الغاوى : ٢٦١
(فأو) فئة : ٤٣٥ . ٤٥٥ ، ٥٧٤
(فرى) المفترى : ١٣٥
(قرا) القرية ، القرى : ٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩
(قصا) العدوة القصوى : ٥٦٣
(قضى) يقضى : ٥٦٥ ، ٥٧٢
(قوى) خذها بقوة : ١٠٨ ، ١٠٩
أخذ بقوة : ٢١٧
(لقى) لقاء الآخرة : ١١٦
(مكا) مكاء : ٥٢١ ، ٥٢٢
(ملا) أملى له : ٢٨٧
(نجا) أنجاه : ٨٥ ، ١٩٩
(نسى) نسى : ١٩٩
(نها) انتهى : ٤٥٥، ٥٣٦، ٥٤٣
(هدى) يهدى : ١١٧ ، ١٥١ ، ١٧٢ ، ٢٧٦ ، ٢٨٥ ،
الهادى : ٢٩١ ،
اهتدى ، المهتدى : ١٧٢ ، ٢٧٦
هدى : ١٣٨ ، ٣٢٠ ، ٣٢٤ ، ٣٤٤
(هوى) الهوى : ٢٧١
(وحى) أوحى : ٢٩ ، ١٧٧ ، ٣٤٣
(وفى) توفاه : ٣٥
(وقى) اتقى : ١٥٩ ، ١٨٥ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٣٣٣ ، ٣٨٣ ، ٤٧٣ ، ٤٨٧ ، ٥٢٠
(ولى) الولىّ ، الأولياء : ١٥٢ ، ٣٢٣ ، ٥١٩
المولى : ٥٤٤
ولاّه دبره : ٤٣٥
تولاه : ٣٢٣ ، ٥٤٤
تولى عنه : ٤٦٣ ، ٤٥٧

أعلام المترجمين فى التعليق

الأرقام فى هذا الفهرس على أرقام الآثار ، لا الصفحات

أبان العطار (أبان بن يزيد العطار)
أبان بن يزيد العطار : ١٥٧١٩ ، ١٥٨٢١ ، ١٦٠٨٣ ، ١٦٠٨٤ ، ١٦١٧١ (١٦٠٨٣ ، ١٦٠٨٤ ، ص : ٥٨٨ ، تعليق رقم : ١٠)
إبراهيم الهجرى (إبراهيم بن مسلم الهجرى)
إبراهيم بن بشار الرمادى : ١٥٢٠٣
إبراهيم بن سعيد الجوهرى (شيخ الطبرى) : ١٥٣٥٧
إبراهيم بن المستمر الهذلى الناجى العروقى (شيخ الطبرى) : ١٤٩٤٩
إبراهيم بن مسلم الهجرى : ١٥٥٨٢ ، ١٥٦٠١
إبراهيم بن المهاجر بن جابر البجلى : ١٥٦٦٤
الأجلح (الأجلح بن عبد الله بن حجية)
الأجلح بن عبد الله بن حجية الكندى : ١٥٣٥٤
أحمد بن بشير الكوفى : ١٥٧٤٣
أحمد بن أبى بكر (أحمد بن القاسم بن الحارث بن زرارة)
أحمد بن خالد : ١٥٠٢٨
أحمد بن خالد بن موسى الوهبى : ١٥٠٢٨
أحمد بن سهيل الواسطى (شيخ الطبرى) : ١٥٠٨٦
أحمد بن شبويه (أحمد بن محمد ابن شبويه)
أحمد بن أبى طيبة (أحمد بن عيسى ابن سليمان الجرجانى)
أحمد بن عبد الله بن يونس التميمى (أحمد بن يونس) : ١٦٠٩٥
أحمد بن عيسى بن سليمان الجرجانى (أحمد بن أبى طيبة) : ١٥٣٥٤
أحمد بن الفرج بن سليمان الكندى (أبو عتبة) : ١٥٣٧٧
أحمد بن القاسم بن الحارث بن زرارة بن مصعب الزهرى (أحمد بن أبى بكر) : ١٥٦٦١
أحمد بن محمد الطوسى (أحمد بن محمد بن نيزك بن حبيب الطوسى)
أحمد بن محمد بن شبوية : ١٥٣٧٩
أحمد بن محمد بن نيزك بن حبيب الطوسى (شيخ الطبرى) : ١٥٣٣٨
أحمد بن المقدام بن سليمان العجلى (شيخ الطبرى) : ١٥٨٧٤
أحمد بن منصور بن سيار بن المعارك الرمادى (شيخ الطبرى) : ١٥١٢٢ ، ١٥٨٢٢

أحمد بن يونس (أحمد بن عبد الله ابن يونس)
أبو الأحوص (سلام بن سليم الحنفى)
الأزرق (عمرو بن أبى قيس)
أبو إسحق السبيعى الهمدانى : ١٥٧٣٧ ، ١٥٧٦٤
أبو إسحق الشيبانى (سليمان بن أبى سليمان)
إسحق بن إبراهيم بن العلاء الزبيدى (إسحق بن زبريق) : ١٥٣٧٩
إسحق بن إسماعيل الرازى (حبويه) (أبو يزيد) : ١٥٠١٥ ، ١٥١٧٢ ، ١٥١٩٨ ، ١٥٢٢١ ، ١٥٩٩٣
إسحق بن الحجاج الطاحونى : ١٥٦٥٤
إسحق بن زبريق (إسحق بن إبراهيم ابن العلاء)
إسحق بن شاهين الواسطى (شيخ الطبرى) : ١٥٣٣٣ ، ١٥٦٥٢
إسرائيل بن يونس بن أبى إسحق السبيعى : ١٥٦٦٤ ، ١٥٧٦٤
أسلم ، أبو عمران (أسلم بن يزيد التجيبى)
أسلم بن يزيد التجيبى (أبو عمران) : ١٥٧٢٧ ، ١٥٧٢٨
إسماعيل بن أبان الوراق الأزدى : ١٦١١٣
إسماعيل بن إبراهيم الأسدى (بن علية) : ١٥٣٤٠
إسماعيل بن أبى خالد الأحمس : ١٥٤٦٤
إسماعيل بن موسى السدى الفزارى : ١٥٦٥٦
الأسود بن سريع بن حميرى التميمى : ١٥٣٥٣
أبو أسيد (مالك بن ربيعة الأنصارى)
أسير بن جابر (يسير بن جابر)
الأشدق (سليمان بن موسى الأموى)
أبو أمامة الباهلى (صدى بن عجلان) ١٥٦٥٤ ، ١٥٦٥٥
أمى بن ربيعة المرادى الصيرفى : ١٥٥٤٧ ، ١٥٥٤٨
أنيس ، أبو العريان المجاشعى : ١٥٢٠٦ ، ١٥٢٠٧
أنيس بن أبى العريان المجاشعى : ١٥٢٠٦ ، ١٥٢٠٧
أيوب السختيانى (أيوب بن أبى تميمة ، كيسان)
أيوب بن أبى تميمة ، كيسان (أيوب السختيانى) : ١٥٥٠٠

* * *

أبو بدل (معروف بن واصل السعدى)
ابن بزيع البغدادى (محمد بن عبد الله بن بزيع)
أبو بسطام (مقاتل بن حيان البلخى)
أبو بشر (جعفر بن إياس)
بشر بن عمارة الخثعمى : ١٥٢٦٢
بشر بن عمر بن الحكم بن عقبة الزهرانى : ١٥٠٥٤
بشير بن جابر (صوابه : يسير بن جابر) : ١٥٥٨٤ (ص : ٥٨٦ ، تعليق رقم : ٧)

بقية بن الوليد : ١٥٣٥٨ ، ١٥٣٧٧
أبو بكر الهذلى : ١٥٢٠٣
أبو بكر بن سليمان بن أبى حثمة العدوى : ١٥٨٢٢
أبو بكر بن عياش : ١٥٥٨١
بيان بن جندب الرقاشى (أبو سعيد الرقاشى) : ١٥١٥٩

* * *

أبو تحيى (حكيم بن سعد الحنفى)
ابن التيمى (معتمر بن سليمان بن طرخان)

* * *

ابن أبى ثابت (عبد العزيز بن عمران ابن عبد العزيز بن عمر الزهرى)
ثابت بن أسلم البنانى : ١٥٠٨٧ ، ١٥٠٨٨ ، ١٥١٥٠
ثابت بن عجلان الأنصارى السلمى : ١٥٦١٦
ابن ثور (محمد بن ثور الصنعانى)

* * *

جابر بن سعيد (جويبر) : ١٥٣٥٢
جابر بن عبد الله بن يحيى (؟؟) : ١٥١٩٩
جابر بن نوح : ١٥٤٨٩
جارية بن قدامة بن زهير السعدى : ١٥١٥٠
جبل بن أبى قشير (حمل بن أبى قشير) : ١٥٤٦٣
جبلة بن سحيم التيمى ١٥٦٩٨
أبو جعفر الرازى (عبد الله بن عبد الله الرازى)
أبو جعفر الرازى التيمى (عيسى بن ماهان)
جعفر بن إياس (جعفر بن أبى وحشية) : ١٥٩٨١
جعفر بن أبى وحشية (جعفر بن إياس) : ١٥٩٨١
أبو جمرة (نصر بن عمران بن عصام الضبعى)
جويبر (جابر بن سعيد) : ١٥٣٥٢

* * *

حاتم بن أبى صغيرة القشيرى : ١٥١٨٠
حاتم بن مسلم القشيرى : ١٥١٨٠
الحارث بن أبى أسامة : ١٥٦٦٤
الحارث بن عمير البصرى (أبو عمير) : ١٥٥٠٠
حارثة بن مضرب العبدى : ١٥٧٦٤
حبويه الرازى (إسحاق بن إسماعيل)
ابن أبى حبيب (يزيد بن أبى حبيب)
حبيب بن أبى ثابت (حبيب بن قيس بن نيار)
حبيب بن قيس بن نيار (حبيب بن أبى ثابت) : ١٥٣٤٤
الحجاج بن أرطاة النخعى : ١٤٩٩٦ ، ١٥٦٦٩
الحجاج بن المنهال الأنماطى : ١٥١٥٧
حجر بن عنبس الحضرمى (أبو العنبس) (أبو السكن) : ١٦٠٢٢

أبو جحير : ١٥١٩٤
أبو حذيفة النهدى (موسى بن مسعود) : ١٦٠٠٠ ، ص : ٥٨٨ ، تعليق رقم : ٩
الحسن بن الزبرقان النخعى (شيخ الطبرى) : ١٥٥٤٧
الحسن بن الصباح البزار (شيخ الطبرى) : ١٥٦٠٤
الحسن بن عرفة بن يزيد العبدى (شيخ الطبرى) : ١٥٧٦٦
الحسن بن عمرو الفقيمى التميمى : ١٥٤٤٦
الحسن بن محمد بن على بن أبى طالب (الحسن بن محمد بن الحنفية) : ١٦٠٩٣ ، ١٦٠٩٤ ، ١٦١٢١ ، ١٦١٢٢
الحسن بن يزيد (شيخ الطبرى) (؟؟) : ١٥٧٦٦
حسين المعلم (حسين المؤدب)
(الحسين بن محمد بن بهرام)
الحسين بن محمد بن بهرام التميمى (حسين المعلم) (حسين المؤدب) : ١٥٣٣٨
حصين بن جندب الجنبى (أبو ظبيان) : ١٥٧٤٥
حفص بن غياث : ١٥٥٨٢ ، ١٥٧٦٦
الحكم بن ميناء الأنصارى : ١٤٩٩٦ ، ١٥٠٠٠
حكيم بن سعد الحنفى (أبو تحيى) : ١٦١٢٦
حماد بن سلمة : ١٥٠٨٧ ، ١٥١٥٠
حمل بن أبى قشير (جبل بن أبى قشير) : ١٥٤٦٣
حميد الطويل (حميد بن أبى حميد)
حميد بن أبى حميد (الطويل) : ١٥١٥٠
أبو الحويرث (عبد الرحمن بن معاوية بن الحويرث)
حيان بن عمر القيسى الجريرى : ١٥٦٢١
حيوة بن شريح بن يزيد الحضرمى : ١٥٣٧٨

* * *

خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن المزنى الواسطى الطحان : ١٥٣٣٣ ، ١٥٦٥٢
خالد بن مخلد القطوانى : ١٥٨٧٥
خطاب العصفرى (خطاب بن عثمان) : ١٦٠٥٨
أبو الخطاب الثورى ، عامر : ١٦٠٠٥
خطاب بن عثمان العصفرى (خطاب العصفرى) : ١٦٠٥٨

* * *

داود بن أبى هند : ١٥٣٣٣ ، ١٥٦٥٢ ، ١٥٧٩٧ — ١٥٨٠١
أبو الديلم (؟؟) : ١٦١١٣
ابن الديلمى (عبد الله بن فيروز الديلمى)

* * *

راشد بن سعد المقرئى الحبرانى

الحمصي : ١٥٣٧٧
الراهب (أبو عامر الفاسق) : ١٥٤٠٩
الربيع بن حبيب الحنفي : ١٥١٥٧
أبو ربيعة (فهد) (زيد بن عوف القطعي)
روح بن القاسم التميمي الطبري : ١٥٨٧٤

* * *

ابن زبريق (إسحق بن إبراهيم بن العلاء)
الزبيدي (محمد بن الوليد بن عامر)
الزبير بن الخريت : ١٥٥١٩
الزبير بن موسى بن ميناء المكي : ١٥٣٦٢
زكريا بن عدي بن زريق التيمي : ١٥٤٤٦
الزمعي (موسى بن يعقوب الزمعي)
أبو زميل (سماك بن الوليد)
أبو الزناد (عبد الله بن ذكوان)
ابن أخي الزهري (محمد بن عبد الله بن مسلم)
زهير بن محمد التميمي : ١٥٠٢٨
زيد بن أثيع الهمذاني : ١٥٧٣٧
زيد بن أثيل الهمداني : ١٥٧٣٧
زيد بن أبي أنيسة الجزري : ١٥٣٥٧
زيد بن جبير الجشمي الطائي : ١٥٥٠٧
زيد بن عبد السلولي : ١٥١٥٧
زيد بن عوف القطعي (أبو ربيعة) (فهد) : ١٥٩٠٥
زيد بن نفيع الهمداني (زيد بن يثيع) : ١٥٧٣٧ (ص : ٥٨٦ تعليق رقم : ٨)
زيد بن يثيع الهمداني (زيد بن نفيع) : ١٥٧٣٧ (ص : ٥٨٦ تعليق رقم : ٨)

* * *

السريّ بن يحيى بن إياس الشيباني ، (أبو الهيثم) : ١٥٣٥٣
أبو سعد المدني : ١٥٠٢٧
سعد بن عبد الحميد بن جعفر الأنصاري : ١٥٣٥٧
سعد بن مالك (سعد بن أبي وقاص) : ١٥٦٥٦
سعد بن أبي وقاص (سعد بن مالك) : ١٥٦٥٦
أبو سعيد الخدري : ١٥٧٩٧ — ١٥٨٠١
أبو سعيد الرقاشي (قيس ، مولى أبي ساسان) (بيان بن جندب) : ١٥١٥٩
سعيد بن إياس الجريري (أبومسعود) : ١٥٣٥٢
سعيد بن أبي أيوب ، مقلاص المصري : ١٦٠٦٥
سعيدبن أبي حفص (سعيدبن السائب)
سعيد بن السائب بن يسار الثقفي الطائفي (سعيد بن أبي حفص) : ١٥٤٠٢
سعيد بن العاص بن أمية : ١٥٦٥٩ ، ١٥٦٦٤

سفيان بن سعيد الثورى : ١٥٣٥٤ ، ١٥٦٩٨
سفيان بن عيينة : ١٥٢٠٣ ، ١٥٣٤٢ ، ١٥٥٤٨
أبو السكن (حجر بن عنبس)
أبو سلام ، الأسود الحبشى الأعرج (ممطور) : ١٥٦٥٤
سلام بن سالم الخزاعى (شيخ الطبرى) : ١٥٢٥٤
سلام بن سليم الحنفى (أبو الأحوص) : ١٥٦٥٦
أبو سلمة المنقرى التبوذكى (موسى ابن إسماعيل المنقرى)
سلمة بن سابور : ١٦٠٣٢
سليم (عبد السلام بن محمد الحضرمى)
سليم ، مولى أم محمد : ١٥٦٧٤
سليم ، أبو عبيد الله ، مولى أم على : ١٥٦٧٤
سليم بن عبد السلولى : ١٥١٥٧
سليمان التيمى (سليمان بن طرخان)
سليمان بن أبى سليمان الشيبانى ، أبو إسحق : ١٥٦٥٩
سليمان بن طرخان التيمى (سليمان التيمى) : ١٥٤٢٠ ، ١٥٨١٤
سليمان بن عبد الجبار بن زريق الخياط (شيخ الطبرى) : ١٥٧٤٥
سليمان بن موسى الأموى ، الأشدق ١٥٦٥٤ ، ١٥٦٥٥
سماك الحنفى (سماك بن الوليد)
سماك بن الوليد الحنفى اليمامى (أبو زميل) : ١٥٧٣٤ ، ١٦٠٠٠
سنان بن أبى سنان الديلى الجذرى : ١٥٠٥٦
سيار بن سلامة (أبو المنهال الرياحى) ١٥٤٢٠

* *

شبابة بن سوار الفزارى : ١٥٩٢٢
ابن شبويه (عبد الله بن أحمد بن محمد بن ثابت) (أحمد بن محمد بن شبويه)
شريح بن يزيد الحضرمى(أبو يزيد) : ١٥١٢٤
أبو شعيب (الصلت بن دينار الأزدى (المجنون)
شقيق بن سلمة الأسدى (أبو وائل) : ١٥٦٢٤
أبو شهاب (عبد ربه بن نافع الكنانى)
الشيبانى (سليمان بن أبى سليمان ، أبو إسحق)

* * *

ابن صالح (عبدالله بن صالح الجهنى)
أبو صالح (عبد الله بن صالح المصرى)
صباح بن يحيى المزنى : ١٦١١٣
صبيغ بن عسل بن سهل الحنظلى : ١٥٦٤٦
صدقة ، أبو الهذيل : ١٥٢٥٠
صدقة بن أبى عمران : ١٥٢٥٠
صدى بن عجلان (أبو أمامة الباهلى) : ١٥٦٥٤ ، ١٥٦٥٥
أبو صغيرة : ١٥١٨٠
الصلت بن دينار الأزدى (أبو شعيب المجنون) : ١٥٩٠٦

ابن صهبان (عقبة بن صهبان الحدانى)

* * *

ضمرة بن ربيعة الفلسطينى : ١٥٣٥٢

* * *

طارق بن شهاب الأحمسى : ١٥٤٦٤
الطحان (القاسم بن زكريا بن دينار)
طعيمة بن عدى : ١٥٩٨٠
طلحة بن عبيد بن كريز الخزاعى (أبو المطرف) : ١٥٥٨٥

* * *

أبو ظبيان (حصين بن جندب الجنبى)

* * *

العاص بن سعيد بن العاص : ١٥٦٥٩ ، ١٥٦٦٤
عاصم بن عمر بن قتادة : ١٦١٧٢
عاصم بن أبى النجود : ١٥٥٨١ ، ١٥٦٥٦
عامر الشعبى : ١٥٣٣٣
عامر ، أبو الخطاب الثورى : ١٦٠٠٥
عباد بن عباد بن المهلب بن أبى صفرة الأزدى : ١٥٠٩١
عباد بن العوام الواسطى : ١٥٦٦٩
عبادة بن الصامت : ١٥٦٥٤ ، ١٥٦٥٥
العباس بن الفضل الأنصارى الواقفى : ١٥٠٥٤
عباس بن محمد بن حاتم الدورى (شيخ الطبرى) : ١٤٩٩٧
العباس بن المفضل (العباس بن الفضل)
ابن عبدالأعلى (محمد بن عبدالأعلى)
عبد الأعلى بن عبد الأعلى القرشى السامى : ١٥٦٥١
عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد ابن الخطاب : ١٥٣٥٧
عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله ابن عياش بن أبى ربيعة المخزومى : ١٥٦٥٤
عبد الرحمن بن أبى الزناد (عبدالرحمن بن عبد الله بن ذكوان) : ١٦٠٨٤
عبد الرحمن بن عبد الله بن ذكوان (عبد الرحمن بن أبى الزناد) : ١٦٠٨٤
عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة ابن عبدالله بن مسعود (المسعودى) : ١٥٣٤٨
عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب ابن مالك الأنصارى : ١٦١٤٧
عبد الرحمن بن قتادة النصرى (السلمى) : ١٥٣٧٧
عبد الرحمن بن معاوية بن الحويرث الأنصارى (أبو الحويرث) : ١٥٧٥٦
عبد الرحمن بن الوليد بن الجرجانى (شيخ الطبرى) : ١٥٣٥٤
عبد الرحمن بن يعقوب ، مولى الحرقة : ١٥٨٧٤
عبد السلام بن محمد الحضرمى (سليم) : ١٥١٢٤
عبد الصمد بن عبد الوارث بن سعيد العنبرى : ١٥٥١٣ ، ١٥٧١٩

عبد العزيز بن أبان الأموى : ١٥٦٦٤
عبد العزيز بن سلمة (عبد العزيز بن أبى سلمة) : ١٥٢٢٧ ، ص : ٥٨٦ ، تعليق رقم : ٥
عبد العزيز بن أبى سلمة (عبدالعزيز ابن عبد الله بن أبى سلمة الماجشون ١٥٢٢٧ ، ص : ٥٨٦ ، تعليق رقم : ٥
عبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز الأموى : ١٥٨٢٢
عبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز ابن عمر بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى (ابن أبى ثابت) : ١٥٧٥٦
عبد العزيز بن محمد بن عبيد بن أبى عبيد الدراوردى : ١٥٧١٥
عبد الكريم بن الهيثم بن زيادالقطان : ١٥٢٠٣
عبد الله بن أحمد بن شبويه (عبدالله ابن أحمد بن محمد بن ثابت)
عبد الله بن أحمد بن محمد بن ثابت (المروزى) (عبد الله بن أحمد ابن شبويه) (شيخ الطبرى) : ١٥٣٧٩
عبد الله بن بكر بن حبيب السهمى : ١٥١٨٠
عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى : ١٥٦٦٠
عبد الله بن ثعلبة بن صعير العدوى ١٥٨٣٩
عبد الله بن الحجاج بن المنهال : ١٥١٥٧
عبد الله بن ذكوان (أبو الزناد) : ١٦٠٨٤
عبد الله بن الزبير : ١٥٥٣٨ ، ١٥٥٤٠
عبد الله بن سالم الأشعرى الوحاظى : ١٥٣٧٩
عبد الله بن صالح الجهنى المصرى (أبو صالح) : ١٥٠٥٨ ، ١٥٣٨٠
عبد الله بن فيروز الديلمى (ابن الديلمى) : ١٦١١٣
عبد الله بن عامر الأسلمى : ١٥٥٨٦
عبد الله بن عبد الله الرازى (أبوجعفر الرازى) : ١٥٨٧٦
عبد الله بن عثمان بن الأرقم بن الأرقم المخزومى : ١٥٦٦١
عبد الله بن عون المزنى (ابن عون) : ١٦١٤٨
عبد الله بن أبى قتادة الأنصارى : ١٥٩٢٤
عبد الله بن كعب بن مالك الأنصارى : ١٦١٤٧
عبد الله بن محيريز الجمحى : ١٥٦٩٨
عبد الله بن مسعود : ١٥٥٨١
عبد الله بن وهب المصرى : ١٥٧٢٧
عبد المجيد بن أبى رواد (عبد المجيد ابن عبد العزيز بن أبى رواد)
عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبى

رواد الأزدى : ١٥٩٦٣
عبد الملك بن مروان : ١٥٧١٩ ، ١٥٨٢١ ، ١٦٠٨٣ ، ١٦٠٨٤ ، ١٦١٧١ ، (١٦٠٨٣ ، ١٦٠٨٤ ص : ٥٥٨ ، تعليق رقم : ١٠)
عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان : ١٥٣٣٩
عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث العنبرى : ١٥٧١٩
عبد ربه بن نافع الكنانى (أبو شهاب) ١٦٠٩٥
عبيد بن عمير بن قتادة الجندعى الأنصارى : ١٥٦٢١ ، ١٥٩٦٣
أبو عبيد بن مسعود الثقفى : ١٨٥١٢
أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود : ١٦١٥٦ ، ١٦١٥٧ ، ص : ٥٨٨ ، تعليق رقم : ١٢
أبو عتبة (أحمد بن الفرج بن سليمان)
عثمان الأحول (عثمان بن سعيد القرشى)
عثمان الجزري (عثمان المشاهد) (عثمان بن ساج) (عثمان بن عمرو الجزرى) : ١٥٩٦٨ ، ١٦١٣٣
عثمان المشاهد (عثمان الجزى)
أبو عثمان (عن أنس بن مالك) : ١٥٨١٤
عثمان بن ساج (عثمان الجزرى) : ١٥٩٦٨ ، ١٦١٣٣
عثمان بن سعيد الزيات الأحول القرشى : ١٥٢٦٢ ، ١٥٤٤٦
عثمان بن أبى سليمان بن جبير بن مطعم : ١٥٦٤٣
عثمان بن عمر بن فارس بن لقيط العبدى : ١٤٩٤٩ ، ١٥٢٢٥
عثمان بن عمرو الجزري (عثمان الجزري) : ١٥٩٦٨ ، ١٦١٣٣
عروة بن الزبير: ١٥٥٣٨ ، ١٥٧١٩ ، ١٥٨٢١ ، ١٦٠٨٣ ، ١٦٠٨٤ ، ١٦١٧١ .
(١٦٠٨٣ ، ١٦٠٨٤ ، ص : ٥٨٨ ، تعليق رقم : ١٠)
أبو العريان ، أنيس المجاشعى : ١٥٢٠٦ ، ١٥٢٠٧
عصفور الجنة (موسى بن قيس الحضرمى)
عطاء بن دينار الهذلى المصرى : ١٦٠٦٥
عطية (؟؟) : ١٥٦٩٨
عطية العوفى : ١٦٠٣٢
عقبة بن صهبان الحدانى الأزدى : ١٥٩٠٦
عقيل بن خالد الأيلى : ١٥٠٥٨
عكرمة بن عمار اليمامى العجلى : ١٥٧٣٤
أبو العلاء بن الشخير (يزيد بن عبد الله بن الشخير)
العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب ، مولى الحرقة : ١٥٨٧٤
أبو علقمة (نصر بن علقمة الحضرمى)

على بن بديمة الجزري : ١٥٣٤٨
على بن الحسن الأزدى (على بن الحسين) : ١٥٤٤٣
على بن الحسين الأزدى (على بن الحسن) : ١٥٤٤٣
على بن سهل الرملى (شيخ الطبرى) : ١٥٣٥٢
على بن طلحة : ١٥٦٦٤
على بن نصر بن على بن نصر بن على الجهضمى (شيخ الطبرى) : ١٥٧١٩
ابن علية (إسماعيل بن إبراهيم)
عمارة بن عبد الساولى : ١٥١٥٧
عمارة بن عمير التيمى : ١٥٣٥٩
عمر بن إبراهيم العبدى : ١٥٥١٣
عمر بن الأسود العنسى (أبو عياض) : ١٥٥٨٢
عمر بن جعثم القرشى : ١٥٣٥٨
أبو عمران (أسلم بن يزيد التجيبى)
عمران بن داور القطان (أبو العوام) : ١٥٠٥٤
عمران بن ظبيان الحنفى : ١٦١٢٦
عمران بن عيينة : ١٥٣٤٢
عمران بن موسى بن حبان الليثى القزاز : (شيخ الطبرى) : ١٥٣٣٩
عمرو بن الحارث بن الضحاك الزبيدى : ١٥٣٧٩
عمرو بن حماد بن طلحة القناد : ١٥٣٧١
عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله ابن عمرو بن العاص : ١٥٦٦٩
عمرو بن طلحة (عمرو بن حماد ابن طلحة)
عمرو بن على الفلاس (شيخ الطبرى) : ١٥٣٤٢
عمرو بن عون الواسطى : ١٥٦١٧
عمرو بن أبى قيس الرازى ، الأزرق : ١٥٣٤٧
أبو عمير (الحارث بن عمير البصرى)
عمير بن إسحق القرشى : ١٦١٤٨
أبو العنبس (حجر بن عنبس)
عنترة بن عبد الرحمن : ١٥٧٤٣
أبو العوام (عمر بن داور القطان)
ابن عون (عبد الله بن عون المزنى)
أبو عون الثقفى (محمد بن عبيد الله ابن سعيد الثقفى)
أبو عياض (عمر بن الأسود العنسى)
عيسى بن ماهان (أبو جعفر الرازى التميمى) : ١٥٨٧٦

* * *

غضيف بن أبى سفيان الطائفى (غطيف) : ١٥٤٠٢
غطيف بن أبى سفيان الطائفى (غضيف) : ١٥٤٠٢

* * *

فليح بن سليمان بن أبى المغيرة الخزامى : ١٥٢٢٥
فهد (أبو ربيعة) (زيد بن عوف القطعى)

* * *

قابوس بن أبى ظبيان الجنبى ١٥٧٤٥

القاسم بن بشر بن معروف (شيخ الطبرى) : ١٥٩٢٢
القاسم بن دينار (القاسم بن زكريا ابن دينار)
القاسم بن زكريا بن دينار القرشى الطحان (أبو محمد الطحان) : ١٤٩٧٩
قتادة النصرى (السلمى) : ١٥٣٧٧
أبو قدامة (المنهال بن خليفة)
قيس ، مولى أبى ساسان ، حضين ابن المنذر الرقاسى (أبو سعيد) : ١٥١٥٩
قيس بن عباد القيسى الضبعى : ١٥١٥٠
قيس بن مسلم : ١٦٠٩٣ ، ١٦٠٩٤

* * *

أبو كدينة (يحيى بن المهلب)
كعب بن مالك الأنصارى : ١٦١٤٧
كلثوم بن جبر بن مؤمل الديلى : ١٥٣٣٨

* * *

أبو لبابة بن عبد المنذر الأنصارى : ١٥٩٢٣
ابن لهيعة : ١٥٧٢٧
الليث بن سعد : ١٥٠٥٨

* * *

أبو مالك (؟ ؟) : ١٥٤٨٤
مالك بن ربيعة الأنصارى ، أبو أسيد : ١٥٦٦٠
ماهان ، أبو سالم الحنفى : ١٥٢٨٣
ماهان ، أبو صالح الحنفى : ١٥٢٨٣
مجاهد بن جبر المكى المخزومى : ١٥٦٦٤
المجنون (أبو شعيب) (الصلت بن دينار)
محمد المحرم (محمد بن عمر) (محمد ابن عبيد) (محمد بن عبد الله ابن عبيد) : ١٥٩٢٢
أبو محمد ، رجل من أهل المدينة : ١٥٣٥٩
أبو محمد الطحان (القاسم بن زكريا ابن دينار)
محمد بن إسحق ، صاحب السيرة : ١٥٦٥٥
محمد بن إسماعيل البصرى ، الوساوسى : ١٥٩٦٣
محمد بن إسماعيل بن أبى ضرار الرازى : ١٥٩٦٣
محمد بن ثور الصنعانى : ١٥٤٣٧ ، ١٥٤٥٦
محمد بن جبير بن مطعم : ١٥٧٥٦
محمد بن جعفر بن أبى كثير الزرقى : ١٥٨٧٥
محمد بن خازم التميمى (أبو معاوية ، الضرير) : ١٥٦٥٩
محمد بن سليم الراسبى (أبو هلال) : ١٥٣٥١
محمد بن شريك المكى : ١٥٦٢٦
محمد بن الصلت بن الحجاج الأسدى : ١٥٧٤٥
محمد بن عبد الأعلى (شيخ الطبرى) : ١٥٤٣٧

محمد بن عبد الله بن بزيغ البغدادى (ابن بزيع) (شيخ الطبرى) : ١٦١٥٦
محمد بن عبد الله بن بكر بن سليمان الخزاعى : ١٥١٢٢
محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثى (محمد المحرم) : ١٥٩٢٢
محمد بن عبد الله بن مسلم الزهرى (ابن أخى الزهرى) : ١٥٧١٥
محمد بن عبيد (محمد بن عبيد بن أبى أمية الطنافسى): ١٥٣٦٩
محمد بن عبيد بن عمير المحرم (محمد المحرم) : ١٥٩٢٢
محمد بن عبيد الله بن سعيد (أبو عون الثقفى) : ١٥٦٥٩ ، ١٥٩٢٥ ، ١٦١٣٥
محمد بن عمر المحرم (محمد المحرم) (محمد بن عبيد) (محمد بن عبدالله بن عبيد) : ١٥٩٢٢
محمد بن عمرو بن الحسن بن على بن أبى طالب : ١٤٩٦٦
محمد بن عوف بن سفيان الطائى (شيخ الطبرى) : ١٥٣٧٨
محمد بن المصفى بن بهلول القرشى : ١٥٣٥٨
محمد بن الوليد بن عامر الزبيدى، الحمصى : ١٥٣٧٧
محمد بن يعقوب الربالى : ١٥٣٦٣
ابن محيريز (عبد الله بن محيريز)
مروان بن معاوية الفزارى : ١٥٤٤٦
المستمر الهذلى : ١٤٩٤٩
أبو مسعود (سعيدبن إياس الجريرى)
المسعودى (عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة)
مسلم بن يسار الجهنى : ١٥٣٥٧
المسيب بن رافع الأسدى : ١٥٥٨١
أبو مصعب الزهرى (أحمد بن أبى بكر)
مصعب بن سعد بن أبى وقاص الزهرى : ١٥٦٥٦
مصعب بن المقدام الخثعمى : ١٥٧٦٤
أبو المطرف (طلحة بن عبيد بن كريز)
المطعم بن عدى : ١٥٩٨٠
المطلب بن أبى وداعة السهمى القرشى : ١٥٩٦٣ ، ١٥٩٦٤
معاذ بن هانئ القيسى : ١٥٢٦٩
أبو معاوية ، الضرير (محمد بن خازم)
معاوية بن إسحق بن طلحة التيمى : ١٥٤٤٦
معاوية بن صالح الحمصى : ١٥٣٨٠
معتمر بن سليمان بن طرخان التيمى (ابن التيمى) : ١٥٤٢٠ ، ١٥٦٢١
معرّف بن واصل السعدى : ١٥٦٢٤
المغيرة بن شعبة : ١٥٩٢٥
المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث
ابن عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة المخزومى : ١٥٦٥٤
مقاتل بن حيان البلخى (أبو بسطام) ١٥٣٦٩

مكحول ، مولى هذيل ، الشامى : ١٥٦٥٤
ممطور (أبو سلام ، الأسود الحبشى : ١٥٦٥٤
أبو المنهال الرياحى (سيار بن سلامة)
المنهال بن خليفة العجلى (أبو قدامة) : ١٤٩٩٦
المنذر بن مالك بن قطعة العبدى (أبو نضرة) : ١٥٧٩٧ — ١٥٨٠١
موسى بن إسماعيل المنقرى (أبو سلمة التبوذكي) : ١٥٢٠٢
موسى بن أبى عائشة المخـــزومى : ١٦١٠٦
موسى بن قيس الحضرمى (عصفور الجنة) : ١٥٢٣٤ ، ١٦٠٢٢
موسى بن مسعود (أبو حذيفة النهدى) : ١٦٠٠٠ ، ص : ٥٨٨ ، تعليق رقم : ٩
موسى بن يعقوب بن عبد الله بن وهب بن زمعة الأسدى القرشى الزمعى : ١٥٧٥٦ ، ١٥٨٢٢

* * *

نافع بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفى : ١٥٤٠٢ ، ١٥٤٠٣
نافع بن عمر : ١٤٩٦٧
نجدة بن عويمر الحروري : ١٦١١٥
نصر بن علقمة الحضرمى (أبو علقمة) : ١٥١٢٤
نصر بن عمران بن عصام الضبعى (أبو جمرة) : ١٥٣٥١
النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة : ١٥٩٨٢
أبو نضرة (المنذر بن مالك بن قطعة العبدى)
نعيم بن ربيعة الأزدى : ١٥٣٥٧ ، ١٥٣٥٨
نهشل بن سعيد بن وردان النيسابورى : ١٦٠٩٥
نوف الحميرى البكالى (نوف بن فضالة)
نوف بن فضالة الحميرى البكالى : ١٥٢١٨ ، ١٥٢١٩ ، ١٥٢٢٠

* * *

هرون الأعور النحوى (هرون بن موسى)
هرون بن إسحق الهمدانى (شيخ الطبرى) : ١٥٧٦٤
هرون بن عنترة بن عبد الرحمن : ١٥٧٤٣
هرون بن موسى الأزدى (هرون الأعور ، النحوى) : ١٥٥١٩
هانئ بن سعيد النخعى : ١٥٧٤٧
أبو الهذيل ، صدقة : ١٥٢٥٠
هشام بن حسان القردوسى : ١٥٤٥٢ ، ١٥٦٩٨
هشام بن عروة بن الزبير : ١٥٥٣٨
أبو هلال (محمد بن سليم الراسبى)
هلال بن أسامة (هلال بن على ابن أسامة)
هلال بن على بن أسامة المدنى (هلال بن أسامة) ١٥٢٢٥

أبو الهيثم (السرى بن يحيى بن إياس)
* * *
أبو وائل (شقيق بن سلمة الأسدى)
أبو واقد الليثى : ١٥٠٥٥ — ١٥٠٥٨
ورقاء بن عمرو اليشكرى : ١٦٠٩٥
الوساوسى (محمد بن إسماعيل البصرى)
(أحمد بن إسماعيل الوساوسى)
الوليد بن عبد الملك بن مروان : ١٦٠٨٤
* * *
أبو يحيى القتات : ١٥٦٩٧
يحيى بن أبى بكر الأسدى : ١٥٠٢٨
يحيى بن الجزار العرنى : ١٦١٠٦
يحيى بن جعفر (يحيى بن جعفر ابن الزبرقان)
يحيى بن جعفر بن الزبرقان (يحيى ابن أبى طالب) : ١٥٦٦١
يحيى بن سليم الطائفى : ١٥٢٥٤
يحيى بن أبى طالب (يحيى بن جعفر ابن الزبرقان)
يحيى بن عمران بن عثمان بن الأرقم ابن الأرقم المخزومى : ١٥٦٦١
يحيى ابن عيسى بن عبد الرحمن التميمى النهشلى : ١٥٣٤٤
يحيى بن المهلب البجلى (أبو كدينة) : ١٥٧٤٥
يحيى بن يعقوب بن مدرك الأنصارى : ١٦١٣٥
أبو يزيد (حبويه) (إسحاق بن إسماعيل)
أبو يزيد (شريح بن يزيد الحضرمى)
أبو يزيد (معرف بن واصل السعدى)
يزيد بن حازم بن زيد الأزدى : ١٥٠٩١
يزيد بن أبى حبيب المصرى : ١٥٧٢٧
يزيد بن زريع العيشى : ١٥٨٧٤
يزيد بن عبد الله بن الشخير العامرى (أبو العلاء بن الشخير) : ١٥٥١٤ ، ١٥٥١٥
يزيد بن عبد الله بن وهب بن زمعة الأسدى القرشى : ١٥٨٢٢
يزيد بن هرون السلمى : ١٣٥٧٨ ، ١٥٣٤٨
يسير بن جابر (أسير بن جابر) : ١٥٥٨٤ ، ص : ٥٨٦ ، تعليق رقم : ٧
يعقوب الزهرى (يعقوب بن محمد ابن عيسى)
يعقوب بن محمد بن عيسى الزهرى : ١٥٦٥٤ ، ١٥٧١٥ ، ١٥٧٢٧ ، ١٥٨٢٢
يعلى بن عطاء العامرى : ١٥٤٠٣
أبو يونس (حاتم بن أبى صغيرة)
يونس بن الحارث الطائفى الثقفى : ١٥٩٢٥

فهرس المصطلحات

الإبهام (التخيير) : ٢٧
الإرسال : ١٣
الباطن : ١٣٤
التخيير ، الاختيار (الإبهام) : ٢٧
التفسير (التمييز) : ١٧٥ ، ١٧٦
التكليف (التعايق بحرف الجر) : ١٣٩
الحوادث (العوامل) : ٣٨
الدعامة (ضمير الفصل) : ٥٠٨
الصرف : ٣٧ ، ٤٨٤
الصفة (ضمير الفصل) : ٥٠٨
الصلة (الزيادة) : ٥٠٨
الظاهر : ١٠ ، ١٣٤ ، ١٧٢ ، ٢٦٠
العماد (ضمير الفصل) : ٥٠٨
الفعل (الخبر) : ٥٠٨
الكناية : ١٢ ، ٧٥ ، ١٢٩
المحل (النصب على المحل) : ٧٧
المكنى (الضمير) : ٢١ ، ٣١٨
الوقوع (التعدى) : ٧٧ ، ١٤٦

الرد على الفرق

- الردّ على المعتزلة فى خلق أفعال العباد المكتسبة ، فمن الله الإنشاء والإنجاز بالتسبيب ، ومن الخلق الاكتساب بالقوى : ٤٤١ ، ٤٤٢ .

مباحث العربية والنحو وغيرها

- « الألف واللام » لمعهود الخبر : ٥٠٨
- « الألف واللام » ، إدخالها بدلاً من الإضافة ، كقوله :

• والأحلام غير عوازب •

أى : وأحلامهم غير عوازب ، وقوله تعالى : « فإن الجنة هى المأوى » ، أى هى مأواه : ١٠٦

- « إما » إذا كان الكلام معها على وجه الأمر ، فلا بدّ من دخول « أن » ، كقولك : « إما أن تمضى ، وإما أن تقعد » ، ويسمى ذلك « التخيير » أو « الإبهام » .

فإذا كان على وجه الخبر ، لم يكن فيه « أن » ، نحو قوله : « وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم » : ٢٧

- « أن » دخولها مع « إما » فى التخيير والأمر ، نحو : « إما أن تمضى ، وإما أن تقعد » ، وتركها إذا كان الكلام خبراً ، نحو « إما يعذبهم وإما يتوب عليهم » : ٢٧
- « أن » دخولها زائدةً فى الكلام ، وعملها وهى زائدة : ٥١٩
- « إن » بمعنى « ما » ، كقوله : « وإن وجدنا لأكثرهم من عهد » : ١٠
- « أيان » ، بمعنى : متى : ٢٩٣
- « الباء » بمعنى « عن » فى نحو قولك : « تحفيت به فى المسألة » و « تحفيت عنه » ، و « سألت به » و « سألت عنه » : ٣٠٠ ، ٣٠١ .

وقع خطأ فى السطر : ٧ ، « تحفيت له » والصواب « به » .

- « تاء التأنيث » إدخالها فى المذكر نحو قولهم : « هو أهلة ذلك » ، و « هذه ماءتى » : ٤٠ ، ٤١ .
- « ذات »، إضافتها إلى المذكر والمؤنث : ٣٨٤ ، ٤٠٧
- « على » بمعنى « الباء » كقولهم : « رميت بالقوس » ، و « على القوس » ، و « جئت على حال حسنة » ، و « بحال حسنة » : ١٣
- « على » و « فوق » تقارب معنييهما ، ووضع إحداهما مكان الأخرى: ٤٣٠
- « اللام » قبح إدخالها فى نحو قولك « رهبت لك » بمعنى : رهبتك : ١٣٩
- « اللام » حسن إدخالها على الاسم إذا تقدم الفعل ، نحو: « إن كنتم للرّؤيا تعبرون » : ١٣٩
- « اللام »، قول الفرزدق: « نقدت له مئة درهم »، بمعنى : نقدته مئة درهم: ١٣٩
- « فوق » و « على » تقارب معناهما ، ووضع أحدهما مكان الآخر : ٤٣٠
- « فوق » فى قولهم « هو فوقه » ، بمعنى أنه علا عليه بقهر وغلبة : ٤٢
- « فى » بمعنى : على : ٢٩٦
- « الكاف » فى « كما » وما الجالب لها : ٣٩١
- « الكاف » فى « كما » بمعنى القسم : ٣٩٣
- « كما » ، معناها ، والجالب للكاف فيها : ٣٩١
- « لا » دخولها زائدة فى الكلام ، وعملها وهى زائدة : ٥١٩
- « ما » زيادتها فى الكلام : ٥٠٨
- « مِنْ » حذفها من الكلام وإعمال الفعل ، ، نحو قوله : « واختار موسى قومه سبعين رجلاً » : ١٤٤ — ١٤٧ .
- « مِنْ » ، معناها التبعيض : ١٤٧

* « مهما » ، زيادة « ما » فيها : ٤٩

* « نون التوكيد » ، دخولها فى النهى : ٤٧٥ ، ٤٧٦

* « نفس » زيادتها فى الكلام ، يقول : « رأيت نفس فلان » بمعنى : رأيته : ٤٢٩ .

* « الهاء » الضمير ، إسكانها فى الوصل ، إذا تحرك ما قبلها ، نحو : « أرجِهْ وأخاه » : ٢١ .

* « هاء » التأنيث ، الوقف عليها بالسكون ، نحو قوله : « هذه طلحة قد أقبلت » : ٢١ .

* « هنالك » بمعنى : عند ذلك : ٣٢

* « ياء » الإضافة ، إثباتها وحذفها ، وحكم آخر ما حذفت منه ، نحو : « يا ابن أم » و « يا ابن عم » : ١٢٨ — ١٣١

* « ياء » الإضافة ، العرب لا تكاد تحذفها إلا من الاسم المنادى يضيفه المنادى إلى نفسه : ١٢٩ ، ١٣١

* * *

* « فَعَل » ، و « فعَّل » بتشديد العين ، والفرق بينهما فى المعنى : ٤٥٠

* « فُعْل » و « فَعَل » فى المصادر ، والفرق بينهما فى المعنى ، نحو قولهم : « الرشد » و « الرشد » : ١١٥ ، ١١٦

* المصدر على وزن « فعلان » ، نحو : « نقصان » و « رجحان » و « طوفان » : ٥٢ ، ٥٣

* « فيعل » ، إذا لم يكن من ذوات الياء والواو ، فالفتح فى عينه هو الفصيح فى كلام العرب ، نحو : « صيقل » ، و « نيرب » ، وإنما تكسر العين من ذلك فى ذوات الياء والواو ، نحو « سيد » و « ميت » : ٢٠٠ ، ٢٠١ .

* * *

- « الالتفات» من الغائب إلى المخاطب ، ومن المخاطب إلى الغائب : ٣١٤
- الأمر والنهى ، فيهما طرف من الجزاء : ٤٧٥
- تأنيث المذكر فى نحو قولهم « كوكبتى » و « ماءتى » و « هو أهلة ذلك »: ٤٠ ، ٤١
- « الجحد » إذا وقع الجحد على الجحد ، صار خبراً : ٥٠٩
- ذكر الجمع والمراد به المثنى ، كقوله : « فإن كان له إخوة » ، يعنى : أخوان : ١٢٧
- « الحذف »،من شأن العرب أن تحذف الشىء من حشو الكلام إذا عرف موضعه ، وكان فيما أظهرت ، دلالة على ما حذفت : ١٤٧
- « الحذف » حذف ما كان مفهوماً معناه ، نحو : « ولكن البرّ من آمن » أى : بر من آمن : ٢٧٥
- « الحكاية » العرب تأتى بها على وجه الخبر ، وعلى وجه الخطاب ، نحو قوله : « لتبيننه للناس » و « ليبيننه » : ٢٥١
- « الصرف » نصب الفعل على الصرف : ٣٧
- « الضمير » ، الوقوف على « الهاء » فى الوصل ، إذا تحرك ما قبلها نحو قوله :

* فَيُصْلِحُ اليَوْمَ وَيُفْسِدُهُ غَدًا *

تنبيه : وقع خطأ فى هذا الموضع ،حيث ضمت الهاء من «يفسده »،والصواب إسكانها،فليصحح .

- « الضمير » ، دخوله فى الكلام توكيداً ، ولا يدخل زائداً إلاّ فى كل فعل لا يستغنى عن خبر .

حكم ما بعد ضمير الفصل فى الإعراب

قول الكوفيين : إن العماد يدخل لمعهود الاسم : ٥٠٨ ، ٥٠٩

- « العدد » خروجه على غير المعدود فى التأنيث ، فى نحو قوله : « وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطاً أمما » : ١٧٤ — ١٧٦

- عطف الاسم على الفعل، نحو قوله: « سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون »، بمعنى : أم صمتم : ٣٢٠ ، ٣٢١

- « فعل » الماضى ، إذ ردّوه إلى الاستقبال ، ضموا العين تارة ، وكسروها تارة : ٧٩

- النصب على المحل ، فى قوله : « مشارق الأرض ومغاربها » : ٧٧

- وصف المذكر بالمؤنث فى قراءة من قرأ : « فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاء »، وتأويل ذلك بحذف « مثل » ، أى : مثل دكاء ، أو « أرضاً دكاء » ، نحذف « أرضاً » : ١٠١

- الوقف بالسكون على هاء التأنيث، نحو : « هذه طلحهْ قد أقبلت » : ٢١

- العرب تخرج الخبر عن الواحد مخرج الخبر عن الجماعة ، إذا لم تقصد واحداً بعينه ولم تسمه ، نحو قوله: « الذين قال لهم الناس إنّ الناس قد جمعوا لكم »، وإنما كان القائل ذلك واحداً : ٣١٦ ، ٣١٧

- القول فى « يا ابن أمّ » و « يا ابن عمّ » ،بفتح الميم وكسرها: ١٢٨ — ١٣١

* * *

- « العام » ، ومعناه « الخاص » : ١٥٦

- «العموم» ، الخبر على العموم، حتى يخصه ما يجب التسليم له : ٤٧٢

- « النسخ » ، غير جائز أن يحكم بحكم نزل به القرآن أنه منسوخ ، إلا بحجة يجب التسليم لها، وأنه لا منسوخ إلا ما أبطل حكمه حادثُ حكم بخلافه ، ينفيه من كل معانيه ، أو يأتى خبر يوجب الحجة أن أحدهما ناسخ الآخر ٣٨٢

* « النسخ » يكون فى الأمر والنهى ، والخبر لا يجوز أن يكون فيه نسخ : ٥١٨

* « النسخ » نفى حكم قد ثبت ، بحكم خلافه : ٥٤٧

* لا يجوز أن يحكم لحكم آية بنسخ ، وله فى غير النسخ وجه ، إلا بحجة يجب التسليم لها ، من خبر يقطع العذر ، أو حجة عقل : ٤٤١

* ليس لأحد أن يجعل خبراً جاء الكتاب بعمومه ، فى خاصّ مما عمه الظاهر ، بغير برهان من حجة خبر أو عقل : ١٣٤

فهرس التفسير

٣ تصدير الجزء الثالث عشر .

٧ تفسير قوله تعالى : « تلك القرى نقصّ عليك من أنبائها » .

١٢ بعثة موسى إلى فرعون .

١٥ صفة حية موسى .

٢٤ خبر موسى والسحرة .

٤٩ بيان معنى « الطوفان » فى خبر موسى ، وكيف كان .

٥٤ بيان معنى « القمّل » فى خبر موسى .

٥٧ ما حدث فى قوم فرعون بحدوث آيات موسى ، والسبب الذى من أجله أحدثها الله فيهم ، والأخبار فى ذلك .

٦٨ بيان معنى « الدم » فى خبر موسى .

٧٠ بيان معنى « الرجز » فى خبر موسى .

٨٠ القوم الذين كانوا يعكفون على أصنام لهم، فى خبر خروج بنى إسرائيل ، والاختلاف فى ذلك .

٨١ ذكر من قال إنهم من «لخم » ، وإنهم من « الكنعانيين» .

٨١ خبر أبى واقد الليثى فى السِّدْرة التى يقال لها « ذات أنواط» على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٨٥ العذاب الذى كان يسومه فرعون بنى إسرائيل .

٨٦ بيان عدة الأيام التى واعدها ربنا ، موسى عليه السلام .

٨٨ الأخبار فى مواعدة الله موسى بعد أن أهلك فرعون .

٩٠ مسألة موسى ربه النظر إليه فى قوله : « رب أرنى أنظر إليك »، والأخبار فى ذلك .

٩٧ بيان تجلى الله سبحانه للجبل ، واندكاك الجبل .

١١٧ عبادة العجل .

١٢٢ السببُ فى إلقاء موسى الألواح ، واختلافهم فى ذلك .

١٢٥ قول من زعم أن الله أدنى موسى حتى سمع صريف الأقلام .

١٢٦ ألواح موسى ، والاختلاف فى صفتها ونعتها .

١٤٠ اختيار موسى من قومه سبعين رجلا للتوبة مما فعل أصحاب العجل، والأخبار فى ذلك . وما كان من خبر الرجفة التى أخذتهم .

١٤١ الاختلاف فى سبب الرجفة . قول من قال : إنما أخذتهم من أجل دعواهم على موسى قتل هرون .

١٤٣ قول من قال : أخذتهم لتركهم فراق العجل ، لا لأنهم كانوا من عبدته .

١٤٨ قول من قال : « الرجفة » ، إنما كانت صاعقة .

١٤٩ أخبار إهلاك بنى إسرائيل بما فعل سفهاؤهم ، والاختلاف فى ذلك .

١٥٦ « الخصوص » و « العموم » .

١٦١ « النبىّ الأمى » ، والذين اتبعوه .

١٦٤ صفة رسول الله فى التوراة .

١٦٦ « الإصر » الذى كان على بنى إسرائيل، والاختلاف فى معناه .

١٧٠ بعثة رسول الله إلى الناس جميعاً ، لا إلى بعض دون بعض .

١٧٢ الأقوال فى « الأمة » من قوم موسى ، الذى يهدون بالحق وبه يعدلون .

١٧٩ « القرية التى كانت حاضرة البحر » ، والاختلاف فيها .

١٨٠ قول من قال : هى أيلة .

١٨١ قول من قال : هى ساحل مدين .

١٨١ قول من قال : هى مقنا .

١٨٢ قول من قال : هى مدين ، وترجيح أبى جعفر بين ذلك .

١٨٣ الاعتداء فى السبت .

١٨٦ الاختلاف فى الفرقة التى قالت : « لم تعظون قوماً الله مهلكهم »، هل كانت من الناجية ، أم من الهالكة .

١٨٦ قول من قال : كانت من الناجية ، والأخبار فى ذلك .

١٩٣ قول من قال : كانت من الهالكة ، والأخبار فى ذلك .

٢٠٤ القوم الذين وعد الله أن يبعثهم على بنى إسرائيل إلى يوم القيامة ، يسومونهم سوء العذاب .

٢٠٥ قول من قال : هم العرب .

٢١٠ « الخلف » الذين خلفوا بنى إسرائيل هم النصارى ، ونقض ذلك .

٢١٢ ما كان من الرشوة فى بنى إسرائيل ، والأخبار فى ذلك .

٢١٧ نتق الجبل على بنى إسرائيل كأنه ظلة .

٢١٩ الخبر عن نتق الجبل على بنى إسرائيل ، وصفة سجودهم يومئذ ، وبقاؤهم على السجود على الحاجب الأيسر – وأنه ليس اليوم يهودى تقرأ عليه التوراة إلا اهتز ونفض لها رأسه .

٢٢٢ استخراج الذرية من ظهور بنى آدم ، وإشهادهم على أنفسهم بالربوبية .

٢٢٢ الأخبار فى مسح ظهر آدم ، وإخراج ذريته بنعمان ، من عرفة .

٢٢٤ خبر هبوط آدم بالهند ، ومسح ظهره هنالك .

٢٢٦ خبر استخراج ذرية آدم ، وقوله لأصحاب اليمين ، « ادخلوا الجنة بسلام » ، وللآخرين : « ادخلوا النار ولا أبالى » .

٢٣١ خبر تناول المسلمين ذرية المشركين ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « ألا إنها ليست نسمة تولد إلا ولدت على الفطرة » .

٢٣٣ سؤال من سأل : « فيم العمل ، يا رسول الله ؟ » .

٢٣٧ خبر آدم وداود .

٢٤٠ خبر آدم وداود أيضاً .

٢٤٤ خبر أخذ ولد آدم من ظهره ، ثم قوله تعالى : « وهؤلاء فى النار ولا أبالى » ، وهو خبر مضطرب جمعت روايته فى هذا المكان .

٢٥٢ الاختلاف فى الذى انسلخ من آيات الله ، وقول من قال إنه رجل من بنى إسرائيل ، هو « بلعم » .

٢٥٥ قول من قال : « بلعم ، من أهل اليمن» ، ومن قال : من الكنعانيين ، وقول من قال : هو أمية بن أبى الصلت .

٢٥٧ الاختلاف فى الآيات التى أوتيها المنسلخ من آيات الله . قول من قال : هو اسم الله الأعظم .

٢٥٨ قول من قال : هو كتاب من كتب الله .

٢٥٩ قول من قال : هى النبوة . ترجيح أبى جعفر بين هذه الأقوال .

٢٦١ الأخبار فى قصة الذى انسلخ من آيات الله ، وما كان من أمر موسى والكنعانيين .

٢٨٢ الأسماء الحسنى ، والخبر أنها تسعة وتسعون اسماً ، مئة إلاّ واحداً ، من أحصاها كلها دخل الجنة .

٢٨٣ الإلحاد فى أسماء الله ، وما معناه .

٢٨٩ موقف رسول الله على « الصفا » ودعاؤه قريشاً فخذاً فخذاً .

٣٠٣ خلق الناس من نفس واحدة ، وأنه آدم ، والأخبار فى ذلك .

٣٠٨ اختلاف المختلفين فى « الشركاء » التى جعلاها فيما أوتيا من المولود .

٣٠٨ ذكر من قال : شركاء فى الاسم ، والأخبار فى ذلك ، وأنه عنى به آدم وحواء .

٣١٤ قول من قال : عنى به رجل وامرأة من أهل الكفر .

٣٢٦ معنى قوله : « خذ العفو » ، واختلاف المختلفين فيه ، قول من قال: معناه : العفو من أخلاق الناس .

٣٢٨ قول من قال : العفو من أموال الناس ، قبل نزول الزكاة .

٣٢٨ قول من قال : هو أمر بالعفو عن المشركين ، وترك الغلظة عليهم ، قبل أن يفرض قتالهم .

٣٢٩ ردّ أبى جعفر هذا القول الآخر .

٣٤٥ الاختلاف فى الحال التى أمر الله فيها بالاستماع لقارئ القرآن والإنصات له .

قول من قال : ذلك أمر للمصلى خلف إمام يأتم به ، وهو يسمع قراءة الإمام ، والأخبار الواردة فى ذلك .

٣٥٠ قول من قال : الأمر بالإنصات للإمام فى الخطبة ، إذا قرأ القرآن فى خطبته .

٣٥٠ قول من قال : الإنصات فى الصلاة والخطبة .

٣٥٢ ترجيح أبى جعفر أن الإنصات فى الصلاة ، إذا قرأ الإمام ، وكان من يأتمّ به يسمعه ، وفى الخطبة .

﴿ تفسير سورة الأنفال ﴾

٣٦١ اختلافهم فى معنى « الأنفال » ، قول من قال : هى الغنائم .

٣٦٢ قول من قال : هى أنفال السرايا .

٣٦٣ قول من قال : هى ما شذ من المشركين إلى المسلمين من عبد أو دابة ونحوها .

٣٦٤ خبر صبيغ ، وعمر بن الخطاب رضى الله عنه .

٣٦٥ قول من قال : هو الخمس الذى جعله الله لأهل الخمس . وترجيح أبى جعفر فى الاختلاف بين المختلفين .

٣٦٧ الاختلاف فى السبب الذى نزلت فيه آية الأنفال . قول من قال : نزلت فى غنائم بدر ، والأخبار فى ذلك .

٣٧١ قول من قال : نزلت لأن بعض أصحاب رسول الله سأله فى المغنم شيئاً فلم يعطه إياه، والأخبار فى ذلك .

٣٧٧ قول من قال : نزلت لأن أصحاب رسول الله سألوه قسمة الغنيمة بينهم يوم بدر ، والأخبار فى ذلك .

٣٧٩ ترجيح أبى جعفر بين هذه الأقوال المختلفة .

٣٨٠ الاختلاف فى نسخ آية الأنفال ، قول من قال : هى منسوخة .

٣٨١ قول من قال : هى محكمة غير منسوخة . وترجيح أبى جعفر إحكامها .

٣٨٢ « النسخ » حكمه وشرطه .

٣٨٢ قول سعيد بن المسيب أنه لا تنفيل لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٣٩٣ ذكر يوم بدر .

٣٩٨ خبر الخروج إلى يوم بدر ، وعير أبى سفيان ، والأخبار فى ذلك .

٤٠٩ خبر إرداف الملائكة يوم بدر ، وسائر الأخبار فى ذلك .

٤٢٢ النعاس والمطر يوم بدر ، والأخبار فى ذلك .

٤٣٦ اختلافهم فى قوله « ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال » ، هل هو خاص فى أهل بدر ، أم هو فى المؤمنين جميعاً ؟ قول من قال : هو لأهل بدر خاصة .

٤٤٠ قول من قال : حكمها عام . وترجيح أبى جعفر ، أنها محكمة ، وأنها نزلت فى أهل بدر ، وحكمها ثابت فى جميع المؤمنين .

٤٤١ « النسخ » .

٤٤٢ الأخبار فى رمية رسول الله يوم بدر .

٤٤٦ خبر قتل رسول الله ، أبىّ بن خلف يوم أحد .

٤٤٨ (تنبيه) ، وقع فى هذه الصفحة خطأ فادح ، فإن السطرين الأخيرين من الصلب ، حقهما أن يكون فى الهامش ، من أول قوله : «إن يك إلا جحش» ، إلى آخر العبارة ، وهو تابع للتعليق فى الصفحة السالفة . فليصحح .

٤٥٠ أخبار استفتاح المشركين .

٤٦٦ حديث أبي بن كعب حين ناداه رسول الله ، وهو فى الصلاة ولم يجبه .

٤٧١ بيان معنى حول الله بين المرء وقلبه .

٤٧٣ أخبار الفتنة التى لا تصيب الذين ظلموا خاصة ،وما ذكر من أنها فى أمر على وعثمان وطلحة والزبير .

٤٧٨ خبر قتادة فى صفة العرب فى الجاهلية ، وما أنعم الله عليهم بالإسلام .

٤٨٠ النهى عن خيانة الرسول وخيانة الأمانة ، وأن آية النهى نزلت فى منافق كتب إلى أبى سفيان .

٤٨١ قول من قال : نزلت فى أبى لبابة ، وخبره فى أمر بنى قريظة .

٤٨٢ قول من قال : نزلت فى شأن قتل عثمان .

٤٩٢ خبر أبى طالب حين سأل رسول الله : ما يأتمر بك قومك ؟ وأنهم أرادوا أن يسحروه أو يقتلوه أو يخرجوه .

٤٩٤ خبر اجتماع قريش فى دار الندوة ،ومعهم الشيخ النجدى ،وهجرة رسول الله ، من رقم : ١٥٩٦٥ — ١٥٩٧٤ .

٥٠٣ خبر النضر بن الحارث الذى قال : « لو نشاء لقلنا مثل هذا » .

٥٠٤ خبر قتل عقبة بن أبى معيط ، وطعيمة بن عدى ، والنضر بن الحارث ، يوم بدر صبراً .

٥٠٥ أخبار النضر بن الحارث فى مقالته : « أمطر علينا حجارة من السماء » .

٥١١ ما كان المشركون يقولون فى طوافهم وتلبيتهم .

٥١٤ القول فى الاستغفار .

٥١٨ « النسخ » .

٥٢٢ صفة المكاء والتصدية عند البيت فى زمن الجاهلية ، والأخبار فى ذلك .

٥٣٠ خبر استئجار أبى سفيان الأحابيش يوم أحد .

٥٣١ خبر فيه تاريخ موقعة بدر وأحد .

٥٣٢ خبر يوم أحد .

٥٣٩ كتاب عروة بن الزبير إلى عبد الملك بن مروان فيما كان من أمر خروج رسول الله من مكة ، وذكر فيه الهجرة إلى الحبشة ، وما لقى المسلمون بمكة ، وإسلام النقباء من الأنصار ، وقد خرجت الخبر فى التعليق ، وذكرت مواضعه فى التفسير والتاريخ .

٥٤٥ الفرق بين « الغنيمة » و « الفىء » .

٥٤٧ إبطال قول من قال : سورة الأنفال ، ناسخة الآية التى فى سورة الحشر .

٥٤٧ « النسخ » .

٥٥٠ الخمس ، لله وللرسول ، بمعنى لرسول الله ، وقول من قال : لبيت الله خمسه وللرسول .

٥٥١ قول من قال : ما سمى من الخمس لرسول الله ، فمراد به قرابته .

٥٥٣ المراد بذوى القربى فى آية الخمس ، قول من قال : هم قرابة رسول الله من بنى هاشم .

٥٥٥ قول من قال : هم قريش كلها .

٥٥٥ قول من قال : كان الخمس لرسول ، ثم صار من بعده لولى الأمر .

٥٥٥ قول من قال : لبنى هاشم وبنى المطلب خاصة .

٥٥٦ خبر جبير بن مطعم ، وقول رسول الله : « إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد » .

٥٥٦ الاختلاف فى سهم رسول الله وسهم ذى القربى بعد رسول الله ، قول من قال : يصرفان فى معونة الإسلام وأهله .

٥٥٨ قول من قال : هو إلى ولىّ أمر المسلمين .

٥٥٩ قول من قال : هو مردود فى الخمس ، مقسوم على اليتامى والمساكين وابن السبيل .

٥٥٩ قول من قال : هو كله لقرابة رسول الله ، وترجيح أبى جعفر الصواب من ذلك .

٥٦١ « يوم الفرقان » ، هو يوم بدر ، وتأريخ موقعة بدر فى الخبر رقم : ١٦١٣٢ ، ١٦١٣٥

٥٦٣ صفة منزل المقاتلة يوم بدر بعدوتى الوادى ، والركب أسفل منهم .

٥٦٩ معنى قوله : « إذ يريكهم الله فى منامك قليلاً » ، والأخبار فى ذلك .

٥٧٨ خروج المشركين إلى بدر طلب رثاء الناس ، والأخبار فى ذلك .

* * *

٥٨٥ تتمة التخريج ، كتبه السيد أحمد محمد شاكر .

* * *

٥٩٣ فهرس الآيات التى استدل بها فى غير موضعها من التفسير .

٥٩٧ فهرس اللغة .

٦٠٨ فهرس أعلام المترجمين فى التعليق .

٦٢٢ فهرس المصطلحات .

٦٢٣ فهرس الرد على الفرق .

٦٢٤ فهرس مباحث النحو والعربية وغيرها .

٦٣٠ فهرس التفسير .

تراث الإسلام

تفسير الطبري

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ - ٣١٠ هـ

١٤

حققه وخرج أحاديثه

محمود محمد شاكر

الناشر

مكتبة ابن تيمية

القاهرة ت ٨٦٤٢٤٠

الجزء الرابع عشر

فيـــه

تفسير سورة الأنفال

من ٤٨ — ٧٥

وتفسير سورة التوبة

من ١ — ١٢٩

والآثار من ١٦١٨٣ — ١٧٥١٧

تفسير الطبري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله حمدًا يستَبْقِى سابغَ نِعْمتِه ، ويستديم الموصُولَ من مِنَّتِه ، ويقرِّبُنَا إخلاصُه إلى رِضْوانه ، ويُجِيرنَا صِدْقُه من سَخَطِه ، ويُحْيِي قلوبَنَا بذِكْرِه ، ويُؤَدِّى بنا إلى حِفْظ العهْدِ فى طاعته ، ورِعَاية حَقِّه فى عِبادته ، ويُنْجِينَا مَذْخُورُه من كَرْب المَوْتِ عند لِقاءِ المنيَّةِ ، ويكُفُّ عنَّا باقِيه عذابَ الآخرة ، ثُمَّ يكونُ غَنَاءً لنا يَوْمَ لا تُغْنِي نَفْسٌ عن نَفْسٍ شيئًا .

وصلَّى اللهُ على البَشِير الدَّاعِينَا بترْغيبه إلى جَنَّته ، والنَّذِير المُبْعِدِنا بترهِيبهِ عن نارِه ، صلاةً تُبْلِغُنا رضاهُ سبحانَه ، وتحفُّنَا برَفْرَف رَحْمتِه يَومَ لا ظِلَّ إلّا ظِلُّه ، وتُصفّى كَدَرَ أعمالِنَا يومَ لا يَشْفَع شافعٌ إلاّ من بَعْدِ إذنِه ، وهو الغفور الرحيم ، يُقيل عَثْرةَ عِباده برأفتِه ، ويتغمَّدُ إساءتهم بإحسانه .

وبعدُ ، فقد أَبْليتُ شَبابى وصَدْرًا منْ كُهُولتِي ، وأَخِي يومئذٍ رُكْنٌ من العلمِ باذخٌ ، آوِى إليه إذ حَزَبنى أمرٌ ، أو ضَاقَ علىَّ مَسْلَك . فأصبحتُ فإذا الركنُ قد سَاخَ ، وإذا أنا قد أُفْرِدْتُ إفرادَ السَّارى فى فَلَاة بغير دليلٍ . كان نُورًا يُضِيء الطريقَ ، فلمّا طَفِئَ ، أصبحتُ فى ظَلْماء يَنْهانى سوادُهَا أن أسيرَ .

وكنتُ أعمل فى هـذا التفسير وَحْدى بَعيدًا عنه ، هكذا كان . لم يكنْ يشاركنى فى قراءة نَصِّه ، ولا فى كشفِ مُبْهِمه ، ولا فى تقويم ما اعوَجَّ من نَهْجِه ، ولا فى تخريجِ ما تولَّيتُه من رواية حديثه . وَقَضيتُ دهرًا وأنا أظنُّ أنّ الأمرَ كُلَّه ثمرةُ جُهْدِى وعلمى ! ! فلمَّا قبضَ الله إليه عبدَه الصالحَ رحمة الله عليه ، وبقيتُ أيضاً أعمل وَحْدى بعيدًا عنه أىَّ بُعْدٍ ! ! فعندئذٍ وجَدْتُ مَسَّ الحقِّ فى فَقْدِه ، وإذا هو كانَ يكون مَعِى وإن خِلْتُه بعيدًا ، وكانَ يكونُ مُعِينى وإن لم أسْتَعِنْه ، وكان يكون نورَ طَريقى ، وإن خلتُ الطريقَ مُضِيئًا من ذات نَفْسِه !

فأىُّ هَدْيٍ طُمِس عنِّى بفقْدِك ! وأىُّ دليلٍ نأَى عنِّى برحيلِك ! وأَى نورٍ غارَ عنّى بغيابِك ! وأَىُّ حُزْنٍ بَقِى لى بفَنائِك ! فيا أبنَ أَبى وأمِّى :

لَوْ كَانَ يُنجِى من الرَّدَى حَذَرٌ ... نَجَّاكَ مِمَّا أصابَكَ الحَذَرُ
يَرْحَمُكَ اللهُ مِنْ أَخِى ثِقةٍ ... لَمْ يكُ فى صَفْوِ وُدِّهِ كَدَرُ
فَهَكَذَا يَذْهَبُ الزَّمَانُ ، ويَفْـــنَى العِلْمُ فِيهِ ، ويَدْرُسُ الأَثَرُ

محمود محمد شاكر

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (٤٨) ١٠/١٤

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم » ، وحين زين لهم الشيطان أعمالهم ، وكان تزيينه ذلك لهم ، [١] كما : —

١٦١٨٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قال : جاء إبليس يوم بدر فى جُنْد من الشياطين ، معه رايته ، فى صورة رجل من بنى مُدلج ، والشيطان فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم ، [٢] فقال الشيطان للمشركين : « لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم » . فلما اصطف الناس ، أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضةً من التراب فرمى بها فى وجوه المشركين ، فولّوا مدبرين. وأقبل جبريل إلى إبليس ، فلما رآه ، وكانت يده فى يد رجل من المشركين ، انتزع إبليس يده فولّى مدبراً هو وشيعته ، فقال الرجل : يا سراقة ، تزعم أنك لنا جار ؟ قال : « إنى أرى ما لا ترون إنى أخاف الله والله شديد العقاب » ، وذلك حين رأى الملائكة .

---

(١) انظر تفسير « زين » فيما سلف ١٢ : ١٣٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) فى المطبوعة ، حذف قوله : « والشيطان » ، وساق الكلام سياقاً واحداً .

١٦١٨٤ – حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا ، أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : أتى المشركين إبليس فى صورة سراقة ابن مالك بن جعشم الكنانىّ الشاعر ، ثم المدلجى ، فجاء على فرس ، فقال للمشركين : « لا غالب لكم اليوم من الناس » ! فقالوا : ومن أنت ؟ قال : أنا جاركم سراقة ، وهؤلاء كنانة قد أتوكم !

١٦١٨٥ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال ، قال ابن إسحق ، حدثنى يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير قال : لما أجمعت قريش المسير ، ذكرت الذى بينها وبين بنى بكر = يعنى من الحرب= فكاد ذلك أن يثنيهم،[1] فتبدّى لهم إبليس فى صورة سراقة [بن مالك] بن جعشم المدلجىّ ، وكان من أشراف بنى كنانة ، فقال : « أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة [من خلفكم بشىء] تكرهونه » ! فخرجوا سراعاً .[2]

١٦١٨٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال ، قال ابن إسحق فى قوله : « وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم » ، فذكر استدراج إبليس إياهم ، وتشبهه بسراقة بن مالك بن جعشم لهم ،[3] حين ذكروا ما بينهم وبين بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة فى الحرب التى كانت بينهم ،[4] يقول الله : « فلما تراءت الفئتان » ، ونظر عدوّ الله إلى جنود الله من الملائكة قد أيّد الله بهم رسوله والمؤمنين على عدوهم = « نكص على عقبيه وقال إنى برىء منكم إنى أرى ما لا ترون » ، وصدق عدوّ الله ، إنه رأى ما لا يرون = وقال : « إنى أخاف الله والله شديد العقاب » ، فأوردهم ثم أسلمهم .

---

(١) فى المطبوعة : « أن يشبطهم » ، غير ما فى المخطوطة ، وهو مطابق لما فى السيرة .

(٢) الأثر : ١٦١٨٥ – سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٣ ، والزيادة بين الأقواس منها .

(٣) فى المطبوعة ، حذف « لهم » ، وهى ثابتة فى المخطوطة وسيرة ابن هشام .

(٤) فى المطبوعة : « من الحرب » ، غير ما فى المخطوطة ، وهو مطابق لما فى سيرة ابن هشام . والناشر كما تعلم وترى ، كثير العبث بكلام أهل العلم .

قال : فذكر لى أنهم كانوا يرونه فى كل منزل فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم لا ينكرونه . حتى إذا كان يوم بدر والتقى الجمعان، كان الذى رآه حين نكص : « الحارث بن هشام » أو : « عمير بن وهب الجمحى » ، فذُكر أحدهما ، فقال : « أينَ ، أينَ سُرَاقَ ! » ،[1] ومثَل عدوُّ الله فذهب .[2]

١٦١٨٧ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم » ، إلى قوله : « شديد العقاب » ، قال : ذُكر لنا أنه رأى جبريل تنزل معه الملائكة ، فزعم عدو الله أنه لا يَدَىْ له بالملائكة ، وقال : « إنى أرى ما لا ترون إنى أخاف الله » ، وكذب والله عدو الله ، ما به مخافة الله، ولكن علم أن لا قوة له ولا منعة له، وتلك عادة عدو الله لمن أطاعه واستقاد له،[3] حتى إذا التقى الحق والباطل أسلمهم شر مُسْلَم،[4] وتبرأ منهم عند ذلك .

١٦١٨٨ – حدثنى القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم » الآية ، قال : لما كان يوم بدر ، سار إبليس برايته وجنوده مع المشركين ، وألقى فى قلوب المشركين : أنّ أحداً لن يغلبكم ، وإنى جار لكم ! فلما التقوا ، ونظر الشيطان إلى أمداد الملائكة ، نكص على عقبيه = قال : رجع مدبراً = وقال : « إنّى أرى ما لا ترون » ، الآية . ١٠/١٥

١٦١٨٩ – حدثنا أحمد بن الفرج قال ، حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز

---

(١) هذه الجملة والتى تليها غيرها الناشر كل التغير ، فكتب : « فقال : أين سراقة ! أسلمنا عدو الله وذهب » . والذى فى المخطوطة مطابق لما فى سيرة ابن هشام » . وقوله : « مثل » ، أى : انتصب ونهض .

(٢) الأثر : ١٦١٨٦ – سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٨ ، ٣١٩ ، وأخر صدر الخبر فجعله فى آخره . وهذا الخبر لم يروه ابن هشام فى سياق تفسير هذه الآيات فى سيرته ٢ : ٣٢٩ ، تابعاً للأثر السالف رقم : ١٦١٧٣ ، بل ذكر الآية ثم قال : « وقد مضى تفسير هذه الآية » .

(٣) فى المطبوعة : « واستعاذ به » ، غير ما فى المخطوطة بسوء أمانته ورأيه . و « استقاد له » ، انقاد له وأطاعه .

(٤) « مسلم » (بضم فسكون ففتح) مصدر ميمى ، بمعنى « الإسلام » .

ابن الماجشون قال ، حدثنا مالك ، عن إبراهيم بن أبي عبلة ، عن طلحة بن عبيد الله بن كريز : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما رؤى إبليس يوماً هو فيه أصغرُ ، ولا أحقرُ ، ولا أدحرُ ، ولا أغيظُ من يوم عرفة ، وذلك مما يرى من تنزيل الرحمة والعفو عن الذنوب ، إلا ما رأى يوم بدر ! قالوا : يا رسول الله ، وما رأى يوم بدر ؟ قال : أما إنه رأى جبريل يَزَعُ الملائكة .(١)

١٦١٩٠ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن حميد بن هلال ، عن الحسن في قوله : « إني أرى ما لا ترون » ، قال : رأى جبريل معتجراً ببُرْدٍ ،(٢) يمشي بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي يده اللجام ، ما رَكِبَ .

١٦١٩١ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا هاشم بن القاسم قال ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن حميد بن هلال قال : قال الحسن ، وتلا هذه الآية : « وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم » الآية ، قال : سار إبليس مع المشركين ببدر برايته وجنوده ، وألقى في قلوب المشركين أن أحداً لا يغلبكم وأنتم تقاتلون على دين

---

(١) الأثر : ١٦١٨٩ – رواه مالك في الموطأ : ٤٢٢ ، بنحو هذا اللفظ ، وانظر التقصي لابن عبد البر : ١٢ ، ١٣ .

« أحمد بن الفرج بن سليمان الحمصي » ، شيخ الطبري ، مضى برقم : ٦٨٩٩ ، ١٥٣٧٧ .

و « عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون التيمي » ، فقيه المدينة ومفتيها في زمانه ، وهو فقيه ابن فقيه ، وهو ضعيف الحديث . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٢/٢/٣٥٨ .

و « إبراهيم بن أبي عبلة الرملي » ، مضى برقم : ١١٠١٤ .

و « طلحة بن عبيد الله بن كريز بن جابر الكعبي » ، كان قليل الحديث ، مضى برقم : ١٥٥٨٥ .

وهذا خبر مرسل .

وقوله : « يزع الملائكة » ، أي : يرتبهم ويسويهم ، ويصفهم للحرب ، فكأنه يكفهم عن التفرق والانتشار ، و « الوازع » ، هو المقدم على الجيش ، الموكل بالصفوف وتدبير أمرهم ، وترتيبهم في قتال العدو . من قولهم : « وزعه » ، أي : كفه وحبسه عن فعل أو غيره .

(٢) « الاعتجار » ، هو لف العمامة على استدارة الرأس ، من غير إدارة تحت الحنك . وإدارتها تحت الحنك هو « التلحي » (بتشديد الحاء) .

آبائكم ،[١] ولن تغلبوا كثرةً ! فلما التقوا نكص على عقبيه = يقول : رجع مدبراً = وقال : « إنى برىء منكم إنى أرى ما لا ترون » ، يعنى الملائكة .

١٦١٩٢ – حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب قال : لما أجمعت قريش على السير قالوا : إنما نتخوف من بنى بكر ! فقال لهم إبليس ، فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم : أنا جار لكم من بنى بكر ، ولا غالب لكم اليوم من الناس .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام : « وإن الله لسميع عليم » ، فى هذه الأحوال = وحين زين لهم الشيطان خروجهم إليكم ، أيها المؤمنون ، لحربكم وقتالكم وحسَّن ذلك لهم وحثهم عليكم ، وقال لهم : لا غالب لكم اليوم من بنى آدم ، فاطمئنوا وأبشروا = « وإنى جار لكم » ، من كنانة أن تأتيكم من ورائكم فيغيذكم ،[٢] أجيركم وأمنعكم منهم ، فلا تخافوهم ، واجعلوا حدَّكم وبأسكم على محمد وأصحابه [٣] = « فلما تراءت الفئتان » ، يقول : فلما تزاحفت جنود الله من المؤمنين وجنود الشيطان من المشركين ، ونظر بعضهم إلى بعض = « نكص على عقبيه » ، يقول : رجع القهقرى على قفاه هارباً .[٤]

* * *

يقال منه : « نكص ينكُص وينكِص نكوصاً » ، ومنه قول زهير :

هُمْ يَضْرِبُونَ حَبِيكَ البَيْضِ إِذْ لَحِقُوا لاَ يَنْكُصُونَ، إِذَا مَا اسْتُلْحِمُوا وَحَمُوا[٥]

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « لن يغلبكم » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « فيغيركم » ، ومثلها فى المخطوطة غير منقوطة ، وهذا صواب قراءتها بعد إصلاح فسادها .

(٣) فى المطبوعة : « جدكم » بالجيم ، وانظر ما سلف ج ١٣ ص : ٥٧٧ ، تعليق : ١ .

(٤) انظر تفسير « العقب » فيما سلف ٣ : ١١/١٦٣ : ٤٥٠ .

(٥) ديوانه : ١٥٩ ، من قصيدته فى هرم بن سنان ، وهى من جياد شعره .
و « حبيك البيض » ، طرائق حديده . و « البيض » جمع « بيضة » ، هى الخوذة من سلاح

وقال للمشركين : « إنى برىء منكم إنى أرى ما لا ترون » ، يعنى أنه يرى الملائكة الذين بعثهم الله مدداً للمؤمنين ، والمشركون لا يرونهم[١] = إنى أخاف عقاب الله ، وكذب عدوُّ الله = « والله شديد العقاب » .[٢]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَـٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٤٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « وإن الله لسميع عليم » ، فى هذه الأحوال = « وإذ يقول المنافقون » ، وكرّ بقوله : « إذ يقول المنافقون » ، على قوله : « إذ يريكهم الله فى منامك قليلاً » = « والذين فى قلوبهم مرض» ، يعنى : شك فى الإسلام ، لم يصحّ يقينهم ، ولم تُشرح بالإيمان صدورهم[٣] = « غرّ هؤلاء دينهم » ، يقول : غر هؤلاء الذين يقاتلون المشركين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من أنفسهم ، دينُهم[٤] = وذلك الإسلام .

* * *

وذُكر أن الذين قالوا هذا القول ، كانوا نفرًا ممن كان قد تكلم بالإسلام من مشركى قريش ، ولم يستحكم الإسلام فى قلوبهم .

المحارب ، على شكل بيضة النعام ، يلبسها الفارس على رأسه لتقيه ضرب السيوف والرماح . و « استلحم الرجل » (بالبناء للمجهول) : إذا نشب فى ملحمة القتال ، فلم يجد مخلصاً . وقوله : « وحموا » ، من قولهم : « حمى من الشىء حمية ومحمية » ، إذا فارت نفسه وغلت ، وأنف أن يقبل ما يراد به من ضيم ، ومنه : « أنف حمى » .

(١) انظر تفسير « برىء » فيما سلف من فهارس اللغة (برأ) .

(٢) انظر تفسير « شديد العقاب » فيما سلف من فهارس اللغة (عقب) .

(٣) انظر تفسير « مرض » فيما سلف ١ : ٢٧٨ - ٢٨١ / ١٠ : ٤٠٤ .

(٤) انظر تفسير « الغرور » فيما سلف ١٢ : ٤٧٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

* ذكر من قال ذلك :

١٦١٩٣ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا عبد الأعلى قال، حدثنا داود، عن عامر فى هذه الآية : « إذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غرّ هؤلاء دينهم» ، قال : كان ناسٌ من أهل مكة تكلموا بالإسلام، فخرجوا مع المشركين يوم بدر ، فلما رأوا قلة المسلمين قالوا : « غرّ هؤلاء دينهم » . ١٦/١٠

١٦١٩٤ – حدثنى إسحق بن شاهين قال، حدثنا خالد، عن داود ، عن عامر ، مثله .(١)

١٦١٩٥ – حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا يحيى ابن زكريا ، عن ابن جريج ، عن مجاهد فى قوله : « إذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غرّ هؤلاء دينهم » ، قال : فئة من قريش: أبو قيس بن الوليد بن المغيرة ،(٢) وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، والحارث بن زمعة بن الأسود بن المطلب، وعلى بن أمية بن خلف ، والعاصى بن منبّه بن الحجاج ، خرجوا مع قريش من مكة وهم على الارتياب ، فحبسهم ارتيابهم . فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : « غرّ هؤلاء دينهم » ، حتى قدموا على ما قدموا عليه ، مع قلة عددهم وكثرة عدوهم، فشرّد بهم من خلفهم .(٣)

١٦١٩٦ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن

---

(١) الأثر : ١٦١٩٤ – « إسحق بن شاهين الواسطى » ، شيخ الطبرى مضى برقم : ٧٢١١ ، ٩٧٨٨ . وكان فى المخطوطة « أبو إسحق بن شاهين » ، وهو خطأ ، صوابه ما فى المطبوعة . وكنيته « أبو بشر » .

(٢) مكان « ابو قيس بن » ، بياض فى المخطوطة ، وفوق البياض حرف (ط) دلالة على الخطأ ، وبعدها « الوليد بن المغيرة » ، فكتب ناشر المطبوعة : « قيس بن الوليد بن المغيرة » ، وأخطأ ، إنما هو « أبو قيس بن الوليد » ، وهو الذى شهد بدراً ، وقتله حمزة بن عبد المطلب . فأثبته . والظاهر أن البياض لا يراد به إلا هذا الذى أثبته ، لا زيادة عليه .

(٣) فى المطبوعة ، حذف « فشرد بهم من خلفهم » ، وهى ثابتة فى المخطوطة .

معمر ، عن الحسن : « إذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم » ، قال : هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر ، فسموا « منافقين » = قال معمر : وقال بعضهم : قوم كانوا أقرُّوا بالإسلام وهم بمكة ، فخرجوا مع المشركين يوم بدر ، فلما رأوا قلة المسلمين قالوا : « غر هؤلاء دينهم » .

١٦١٩٧ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض » ، إلى قوله : « فإن الله عزيز حكيم » ، قال : رأوا عصابة من المؤمنين تشرّدت لأمر الله .[1] وذكر لنا أن أبا جهل عدو الله لما أشرف على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال : « والله لا يُعبد الله بعد اليوم ! » ، قسوة وعُتُوًّا .

١٦١٩٨ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج فى قوله : « إذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض » ، قال : ناس كانوا من المنافقين بمكة ، قالوه يوم بدر ، وهم يومئذ ثلثمئة وبضعة عشر رجلاً .

١٦١٩٩ — . . . قال حدثنى حجاج ، عن ابن جريج فى قوله : « إذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض » ، قال : لما دنا القوم بعضهم من بعض ، فقلَّل الله المسلمين فى أعين المشركين ، وقلَّل المشركين فى أعين المسلمين ، فقال المشركون : « غرّ هؤلاء دينهم » ، وإنما قالوا ذلك من قلّتهم فى أعينهم ، وظنوا أنهم سيهزمونهم لا يشكون فى ذلك ، فقال الله : « ومن يتوكل على الله فإنّ الله عزيز حكيم » .

* * *

وأما قوله : « ومن يتوكل على الله » ، فإن معناه : ومن يسلم أمره إلى الله ،

---

(١) فى المطبوعة : « تشددت » ، وفى المخطوطة : « تسردت » ، وكأن صواب قراءتها ما أثبت ، « تشرد فى الأرض » ، هرب ونفر ، وكأنه يعنى هجرتهم إلى الله ورسوله . هكذا اجتهدت ، والله أعلم .

ويثق به ، ويرض بقضائه، فإن الله حافظه وناصره[١] = لأنه « عزيز » ، لا يغلبه شيء ، ولا يقهره أحد ، فجارُه منيع ، ومن يتوكل عليه مكفيٌّ.[٢]

وهذا أمرٌ من الله جل ثناؤه المؤمنين به من أصحاب رسول الله وغيرهم ، أن يفوِّضوا أمرهم إليه ، ويسلموا لقضائه ، كيما يكفيهم أعداءهم ، ولا يستذلهم من ناوأهم ، لأنه « عزيز » غير مغلوب ، فجاره غير مقهور = « حكيم » ، يقول : هو فيما يدبر من أمر خلقه حكيم ، لا يدخل تدبيره خلل .[٣]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ (٥٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولو تعاين، يا محمد ، حين يتوفى الملائكةُ أرواحَ الكفار ، فتنزعها من أجسادهم ، تضرب الوجوه منهم والأستاه ، ويقولون لهم : ذوقوا عذاب النار التى تحرقكم يوم ورودكم جهنم .[٤]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) انظر تفسير « التوكل » فيما سلف ١٣ : ٣٨٥ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) فى المطبوعة : « . . . عليه يكفه » ، غير ما فى المخطوطة ، وهو محض الصواب .

(٣) انظر تفسير « عزيز » ، و « حكيم » فيما سلف من فهارس اللغة (عزز) ، (حكم) .

(٤) انظر تفسير « التوفى » فيما سلف ١٣ : ٣٥ ، تعليق ٥ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « الأدبار » فيما سلف ١٣ : ٤٣٥ ، تعليق ٢ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « الذوق » فيما سلف ١٣ : ٥٢٨ ، تعليق ٢ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « الحريق » فيما سلف ٧ : ٤٤٦ ، ٤٤٧ .

١٦٢٠٠ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله : « إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم » ، قال : يوم بدر .

١٦٢٠١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن سليم ، عن إسمعيل بن كثير ، عن مجاهد: « يضربون وجوههم وأدبارهم » ، قال : وأستاههم ، ولكن الله كريم يكنّي .[1] ١٧/١٠

١٦٢٠٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، حدثنا سفيان ، عن أبي هاشم، عن مجاهد في قوله : « يضربون وجوههم وأدبارهم » ، قال : وأستاههم، ولكنه كريم يكنّي .[2]

١٦٢٠٣ – حدثني محمد بن المثنى قال، حدثنا وهب بن جرير قال ، أخبرنا شعبة ، عن يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير في قوله : « يضربون وجوههم وأدبارهم »، قال : إن الله كنى، ولو شاء لقال: « أستاههم » ، وإنما عنى بـ« أدبارهم » ، أستاههم .

١٦٢٠٤ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج، عن مجاهد قال: أستاههم، يوم بدر= قال ابن جريج، قال ابن عباس : إذا أقبل المشركون بوجوههم إلى المسلمين، ضربوا وجوههم بالسيوف. وإذا ولّوا ، أدركتهم الملائكة فضربوا أدبارهم .

١٦٢٠٥ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا عباد بن راشد ، عن الحسن قال : قال رجل : يا رسول الله ، إني رأيت بظهر

---

(١) الأثر : ١٦٢٠١ – « يحيى بن سليم الطائفي » ، ثقة ، مضى برقم : ٤٨٩٤ ، ٩٧٨٨ ، وكان في المطبوعة « يحيى بن أسلم » ، وهو خطأ محض ، والمخطوطة مضطربة الكتابة . و « إسماعيل بن كثير الحجازي» ، ثقة ، مضى برقم : ٨٩٢٩ .

(٢) في المطبوعة : « ولكن الله » ، وأثبت ما في المخطوطة .

أبي جهل مثل الشراك ! [١] قال : ما ذاك ؟ قال : ضربُ الملائكة .

١٦٢٠٦ – حدثنا محمد قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا إسرائيل ، عن منصور، عن مجاهد : أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إني حملت على رجل من المشركين فذهبت لأضربه، [٢] فندرَ رأسُه ؟ [٣] فقال : سبقك إليه الملك .

١٦٢٠٧ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثني حرملة : أنه سمع عمر مولى غفرة يقول : إذا سمعت الله يقول : « يضربون وجوههم وأدبارهم »، فإنما يريد : أستاههم. [٤]

* * *

قال أبو جعفر : وفي الكلام محذوف ، استغني بدلالة الظاهر عليه من ذكره ، وهو قوله : « ويقولون » ، « ذوقوا عذاب الحريق » ، حذفت « يقولون » ، كما حذفت من قوله : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا ﴾ [سورة السجدة : ٢١] ، بمعنى : يقولون : ربنا أبصرنا . [٥]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (٥١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره، مخبراً عن قيل الملائكة لهؤلاء المشركين الذين قتلوا ببدر ، أنهم يقولون لهم وهم يضربون وجوههم وأدبارهم : « ذوقوا عذاب

---

(١) « الشراك » ، سير النعل الذي يكون على ظهرها .

(٢) انظر ما أسلفت في تفسير « ذهب يفعل » ، فيما سلف ١١ : ١٢٨ ، تعليق : ١ ، ثم ١١ : ٢٥٠ ، ٢٥١ ، وص ٢٥٠ تعليق : ١ .

(٣) « ندر الشيء » سقط . يقال : « ضرب يده بالسيف فأندرها » ، أي قطعها فسقطت .

(٤) الأثر ١٦٢٠٧ – « حرملة بن عمران التجيبي » ، ثقة ، مضى برقم : ٦٨٩٠ ، ١٣٢٤٠

و « عمر ، مولى غفرة » ، هو « عمر بن عبد الله المدني » ، أبو حفص ، ليس به بأس ، كان صاحب مرسلات ورقائق . مترجم في التهذيب وابن أبي حاتم ٣/١/١١٩ .

(٥) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٤١٣ .

الله الذى يحرقكم » ، هذا العذاب لكم = « بما قدمت أيديكم » ، أى : بما كسبت أيديكم من الآثام والأوزار ، واجترحتم من معاصى الله أيام حياتكم ،[١] فذوقوا اليوم العذابَ ، وفى معادكم عذابَ الحريق ، وذلك لكم بأن الله « ليس بظلام للعبيد » ، لا يعاقب أحداً من خلقه إلا بجرم اجترمه ، ولا يعذبه إلاّ بمعصيته إياه ، لأن الظلم لا يجوز أن يكون منه .

* * *

وفى فتح « أن » من قوله : « وأن الله » ، وجهان من الإعراب :

أحدهما : النصبُ ، وهو للعطف على « ما » التى فى قوله : « بما قدمت » ، بمعنى : « ذلك بما قدمت أيديكم » ، وبأن الله ليس بظلام للعبيد ، فى قول بعضهم ، والخفض ، فى قول بعضٍ .

والآخر : الرفع ، على « ذلك بما قدمت » ، وذلك أن الله .[٢]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (٥٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فِعْلُ هؤلاء المشركون من قريش الذين قتلوا ببدر ، كعادة قوم فرعون وصنيعهم وفعلهم وفعل من كذّب بحجج الله ورسله من الأمم الخالية قبلهم ،[٣] ففعلنا بهم كفعلنا بأولئك .

* * *

---

(١) انظر تفسير « قدمت أيديكم » فيما سلف ٢ : ٣٦٨/٧ : ٤٤٧/٨ : ٥١٤/١٠ : ٤٩٧ .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤١٣ .

(٣) انظر تفسير « آل » فيما سلف ٢ : ٣٧/٦ : ٣٢٦ .

وقد بينا فيما مضى أن « الدأب » ، هو الشأن والعادة، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .(١)

* * *

١٦٢٠٨ – حدثنى الحارث قال، حدثنى عبد العزيز قال ، حدثنا شيبان ، عن جابر ، عن عامر ومجاهد وعطاء : « كدأب آل فرعون » ، كفعل آل فرعون، كسُنَنِ آل فرعون .

* * *

وقوله : « فأخذهم الله بذنوبهم » ، يقول : فعاقبهم الله بتكذيبهم حججه ورسله ، ومعصيتهم ربهم ، كما عاقب أشكالهم والأمم الذين قبلهم = « إن الله قوى » ، لايغلبه غالب ، ولا يرد قضاءه رادٌّ ، يُنْفِذ أمره ، ويُمضى قضاءه فى خلقه = شديد ١٠/١٨ عقابه لمن كفر بالله وجحد حُججه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٥٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وأخذنا هؤلاء الذين كفروا بآياتنا من مشركى قريش ببدر بذنوبهم ،(٢) وفعلنا ذلك بهم ، بأنهم غيَّروا ما أنعم الله عليهم به من ابتعاثه رسولَه منهم وبين أظهرهم ، بإخراجهم إياه من بينهم ، وتكذيبهم له ، وحربهم إياه ، فغيرنا نعمتنا عليهم بإهلاكنا إياهم ، كفعلنا ذلك فى الماضين قبلهم ممن طغى علينا وعصى أمرَنا .

* * *

(١) انظر تفسير « الدأب » فيما سلف ٦ : ٢٢٣ – ٢٢٥ .
(٢) انظر تفسير « الأخذ » فيما سلف من فهارس اللغة (أخذ) .

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٢٠٩ – حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : «ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمةً أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ، يقول : « نعمة الله »، محمد صلى الله عليه وسلم ، أنعم به على قريش ، وكفروا ، فنقله إلى الأنصار .

* * *

وقوله : « وأن الله سميع عليم » ، يقول : لايخفى عليه شىء من كلام خلقه ، يسمع كلام كلّ ناطق منهم بخير نطق أو بشرٍّ = «عليم» ، بما تضمره صدورهم ، وهو مجازيهم ومثيبهم على ما يقولون ويعملون ، إن خيراً فخيراً ، وإن شرًّا فشرًّا .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾ (٥٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : غير هؤلاء المشركون بالله ، المقتولون ببدر ، نعمةَ ربهم التى أنعم بها عليهم ، بابتعاثه محمداً منهم وبين أظهرهم ، داعياً لهم إلى الهدى ، بتكذيبهم إياه ، وحربهم له = «كدأب آل فرعون» ، كسنة آل فرعون وعادتهم وفعلهم بموسى نبىّ الله ،(٢) فى تكذيبهم إياه وقصدهم لحربه ،(٣) وعادة

(١) انظر تفسير «سميع» و «عليم» فيما سلف من فهارس اللغة (سمع) ، (علم) .
(٢) انظر تفسير «الدأب» فيما سلف ص : ١٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
= وتفسير «آل» فيما سلف ص : ١٨ ، تعليق ٣ ، والمراجع هناك .
(٣) فى المطبوعة : «وتصديهم لحربه» ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب محض .

من قبلهم من الأمم المكذبة رسلَها وصنيعهم = «فأهلكناهم بذنوبهم» ، بعضاً بالرجفة ، وبعضاً بالخسف ، وبعضاً بالريح = « وأغرقنا آل فرعون » ، فى اليم = « وكل كانوا ظالمين » ، يقول : كل هؤلاء الأمم التى أهلكناها كانوا فاعلين ما لم يكن لهم فعله ، من تكذيبهم رسلَ الله ، والجحود لآياته . فكذلك أهلكنا هؤلاء الذين أهلكناهم ببدر ، إذ غيروا نعمة الله عندهم ، بالقتل بالسيف ، وأذللنا بعضهم بالإسار والسِّبَاء .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٥٥)

قال أبوجعفر : يقول تعالى ذكره : إن شر ما دبّ على الأرض عند الله ، (١) الذين كفروا بربهم ، فجحدوا وحدانيته ، وعبدوا غيره = « فهم لا يؤمنون » ، يقول : فهم لا يصدِّقون رسلَ الله ، ولا يقرُّون بوحيه وتنزيله .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾ (٥٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « إن شر الدواب عند الله الذين كفروا » ، «الذين عاهدت منهم» ، يا محمد ، يقول : أخذت عهودهم ومواثيقهم أن لا يحاربوك ، (٢) ولا يظاهروا عليك محارباً لك ، كقريظة ونظرائهم ممن كان بينك وبينهم عهد

---

(١) انظر تفسير « الدابة » فيما سلف ٣ : ٢٧٤ ، ١١/٢٧٥ : ١٣/٣٤٤ : ٤٥٩ .
(٢) انظر تفسير « العهد » فيما سلف ١٣ : ٧٢ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

وعقد = « ثم ينقضون » ، عهودهم ومواثيقهم كلما عاهدوك وواثقوك ،[١] حاربوك وظاهروا عليك،[٢] وهم لا يتقون الله، ولا يخافون فى فعلهم ذلك أن يوقع بهم وقعة تجتاحهم وتهلكهم ، كالذى : —

١٦٢١٠ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد قوله: « الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم » ، قال: قريظة ، ما لأوا على محمد يوم الخندق أعداءه .

١٦٢١١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

* * *

القول تأويل قوله ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (٥٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فإما تلقيَنَّ فى الحرب هؤلاء الذين عاهدتهم فنقضوا عهدك مرة بعد مرة من قريظة، ١٩/١٠ فتأسرهم[٣] = «فشرد بهم من خلفهم» ، يقول : فافعل بهم فعلاً يكون مشرِّداً مَن خلفهم من نظرائهم ، ممن بينك وبينه عهد وعقد .

* * *

و « التشريد » ، التطريد والتبديد والتفريق .

* * *

وإنما أمِرَ بذلك نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل بالناقض العهد بينه

---

(١) فى المطبوعة : « كلما عاهدوا دافعوك وحاربوك » ، وفى المخطوطة : « كلما عاهدوا دافعوك وحاربوك » ، وكأن الصواب ما أثبت .

(٢) انظر تفسير « النقض » فيما سلف ٩ : ١٠/٣٦٣ : ١٢٥ .

(٣) انظر تفسير « ثقف » فيما سلف ٣ : ٧/٥٦٤ : ١١٠ .

وبينهم إذا قدر عليهم ، فعلاً يكون إخافةً لمن وراءهم، ممن كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه عهد ، حتى لا يجترئوا على مثل الذى اجترأ عليه هؤلاء الذين وصف الله صفتهم فى هذه الآية من نقض العهد .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٢١٢ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على، عن ابن عباس قوله : « فإما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم » ، يعنى : نكّل بهم من بعدهم .

١٦٢١٣ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى، عن أبيه ، عن ابن عباس : « فشرد بهم من خلفهم »، يقول: نكل بهم من وراءهم .

١٦٢١٤ — حدثننا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فإما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم » ، يقول : عظْ بهم من سواهم من الناس .

١٦٢١٥ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فإما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم » ، يقول: نكل بهم من خلفهم، مَنْ بعدهم من العدوّ، لعلهم يحذرون أن ينكُثوا فتصنع بهم مثل ذلك .

١٦٢١٦ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير : « فشرد بهم من خلفهم » ، قال : أنذر بهم من خلفهم .

١٦٢١٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ،

عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس قال : نكّل بهم من خلفهم ، مَنْ بعدهم = قال ابن جريج ، قال عبد الله بن كثير : نكل بهم مَنْ وراءهم .

١٦٢١٨ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « فإما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون » ، أى : نكل بهم من وراءهم لعلهم يعقلون .(١)

١٦٢١٩ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال، سمعت الضحاك بن مزاحم يقول فى قوله: « فشرد بهم من خلفهم » ، يقول : نكل بهم من بعدهم .

١٦٢٢٠ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قول الله : « فإما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم » ، قال : أخفهم بما تصنع بهؤلاء . وقرأ : ﴿ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ (٢) [سورة الأنفال: ٦٠]

* * *

وأما قوله : « لعلهم يذكرون » ، فإن معناه : كى يتعظوا بما فعلت بهؤلاء الذين وصفت صفتهم، (٣) فيحذروا نقضَ العهد الذى بينك وبينهم خوفَ أن ينزل بهم منك ما نزل بهؤلاء إذا هم نقضوه .

* * *

(١) الأثر : ١٦٢١٨ – سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٩ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦١٧٣ ، ثم هو فى الحقيقة تابع الأثر السالف رقم : ١٦١٨٦ ، سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٨ ، ٣١٩.

(٢) الأثر : ١٦٢٢٠ – انظر الأثر التالى رقم : ١٦٢٤٢ ، والتعليق عليه .

(٣) انظر تفسير « التذكر » فيما سلف من فهارس اللغة (ذكر) .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ (٥٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « وإما تخافن » ، يا محمد ، من عدوك بينك وبينه عهد وعقد ، أن ينكث عهده ، وينقض عقده ، ويغدر بك = وذلك هو « الخيانة » والغدر[١] = « فانبذ إليهم على سواء » ، يقول : فناجزهم بالحرب ، وأعلمهم قبل حربك إياهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم ، بما كان منهم من ظهور أمار الغدر والخيانة منهم ،[٢] حتى تصير أنتَ وهم على سواء فى العلم بأنك لهم محارب ، فيأخذوا للحرب آلتها ، وتبرأ من الغدر = « إن الله لا يحب الخائنين » ، الغادرين بمن كان منه فى أمان وعهد بينه وبينه أن يغدر به فيحاربه ، قبل إعلامه إياه أنه له حرب ، وأنه قد فاسخه العقد .

* * *

فإن قال قائل : وكيف يجوز نقضُ العهد بخوف الخيانة ، و« الخوف » ظنٌّ = لا يقين ؟[٣]

قيل : إن الأمر بخلاف ما إليه ذهبت ، وإنما معناه : إذا ظهرت أمارُ الخيانة من عدوك ،[٤] وخفت وقوعهم بك ، فألق إليهم مقاليد السِّلم وآذنهم بالحرب .[٥] وذلك كالذى كان من بنى قريظة إذ أجابوا أبا سفيان ومن معه من ٢٠/١٠

(١) انظر تفسير « الخيانة » فيما سلف ١٣ : ٤٨٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « النبذ » فيما سلف ٢ : ٤٠١ ، ٤٠٢/٧ : ٤٥٩ .
وفى المطبوعة : « آثار الغدر » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، و « الأمار » و « الأمارة » ، العلامة ، ويقال : « أمار » جمع « أمارة » .
(٣) انظر تفسير « الخوف » فيما سلف ١١ : ٣٧٣ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .
(٤) فى المطبوعة : « آثار الخيانة » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وانظر التعليق السالف رقم : ٢ .
(٥) فى المخطوطة : « وأد » ، وبعدها بياض ، صوابه ما فى المطبوعة .

المشركين إلى مظاهرتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحاربتهم معهم ،[١] بعد العهد الذى كانوا عاهدوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على المسالمة ، ولن يقاتلوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم . [٢] فكانت إجابتهم إياه إلى ذلك ، موجباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم خوف الغدر به وبأصحابه منهم . فكذلك حكم كل قوم أهل موادعةٍ للمؤمنين ، ظهر لإمام المسلمين منهم من دلائل الغدر مثل الذى ظهرَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من قريظة منها ، فحقٌّ على إمام المسلمين أن ينبذ إليهم على سواء ، ويؤذنهم بالحرب .

* * *

ومعنى قوله : « على سواء » ، أى : حتى يستوى علمك وعلمهم بأن كل فريق منكم حرب لصاحبه لاسِلْم .[٣]

* * *

وقيل : نزلت الآية فى قريظة .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٢٢١ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فانبذ إليهم على سواء » ، قال : قريظة .

* * *

وقد كان بعضهم يقول : « السواء » ، فى هذا الموضع ، المَهَل .[٤]

* ذكر من قال ذلك :

١٦٢٢٢ — حدثنى على بن سهل قال، حدثنا الوليد بن مسلم قال : إنه مما تبين لنا أن قوله : « فانبذ إليهم على سواء » ، أنه : على مهل = كما حدثنا بكير ، عن مقاتل بن حيان فى قول الله : ﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ

---

(١) فى المطبوعة : « ومحاربتهم معه » ، وأثبت ما فى المخطوطة .
(٢) فى المخطوطة : « ولم يقاتلوا » ، وما فى المطبوعة شبيه بالصواب .
(٣) انظر تفسير « السواء » فيما سلف ١٠ : ٤٨٨ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٤) فى المطبوعة : « وقد قال بعضهم » ، غير الجملة كلها بلا شىء .

مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * فَسِيحُوا فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾، [سورة التوبة : ١ ، ٢]

* * *

وأما أهل العلم بكلام العرب ، فإنهم فى معناه مختلفون .

فكان بعضهم يقول : معناه : فانبذ إليهم على عدل = يعنى : حتى يعتدل علمك وعلمهم بما عليه بعضكم لبعض من المحاربة ، واستشهدوا لقولهم ذلك بقول الراجز :(١)

وَٱضْرِبْ وُجُوهَ ٱلْغُدُرِ ٱلْأَعْدَاءِ حَتَّى يُجِيبُوكَ إِلَى ٱلسَّوَاءِ(٢)

يعنى : إلى العدل

* * *

وكان آخرون يقولون : معناه : الوسَط ، من قول حسان :

يَا وَيْحَ أَنْصَارِ ٱلرَّسُولِ ورَهْطِهِ بَعْدَ ٱلْمُغَيَّبِ فِى سَوَاءِ ٱلْمُلْحَدِ(٣)

بمعنى : فى وسط اللَّحْد .

* * *

وكذلك هذه المعانى متقاربة ، لأن « العدل » ، وسط لا يعلو فوق الحق ولا يقصّر عنه . وكذلك « الوسط » ، عدل ، واستواء علم الفريقين فيما عليه بعضهم لبعض بعد المهادنة ،(٤) عدل من الفعل ووسط . وأما الذى قاله الوليد بن مسلم من أن معناه : « المهل » ، فما لا أعلم له وجهاً فى كلام العرب .

* * *

---

(١) لم أعرف قائله .

(٢) كان فى المطبوعة : « الغدر للأعداء » ، وهو خطأ ، صوابه من المخطوطة . و « الغدر » (بضمتين) ، جمع « غدور » ، مثل « صبور » ، وهو : الغادر المستمرئ للغدر .

(٣) سلف البيت وتخريجه وشرحه فيما مضى ٢ : ٤٩٦ ، تعليق : ٢ .

(٤) فى المطبوعة : « واستواء الفريقين . . . » ، وفى المخطوطة : « واستواء على الفريقين » ، وصواب قراءتها ما أثبت ، وهو حق المعنى .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾ (٥٩)

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأ ذلك عامة قرأة الحجاز والعراق : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ ﴾ ، بكسر الألف من « إنهم » ، وبالتاء فى « تحسبن » = بمعنى : ولا تحسبن ، يا محمد ، الذين كفروا سبقونا ففاتونا بأنفسهم . ثم ابتدئ الخبر عن قدرة الله عليهم فقيل : إن هؤلاء الكفرة لا يعجزون ربهم ، إذا طلبهم وأراد تعذيبهم وإهلاكهم ، بأنفسهم فيفوتوه بها .

* * *

وقرأ ذلك بعض قرأة المدينة والكوفة : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ، بالياء فى « يحسبن » وكسر الألف من ﴿ إِنَّهُمْ ﴾ .

* * *

وهى قراءة غير حميدة ، لمعنيين ،[1] أحدهما خروجها من قراءة القرأة وشذوذها عنها = والآخر : بعدها من فصيح كلام العرب . وذلك أن « يحسب » يطلب فى كلام العرب منصوباً وخبره ، كقوله : « عبد الله يحسب أخاك قائماً » و « يقوم » و « قام » . فقارئ هذه القراءة أصحب « يحسب » خبرًا لغير مخبر عنه مذكور . وإنما كان مراده ، ظنّى :[2] ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزوننا = فلم يفكر فى صواب مخرج الكلام وسُقمه ، واستعمل فى قراءته ذلك كذلك ، ما ظهر له من مفهوم الكلام . وأحسب أن الذى دعاه إلى ذلك ، الاعتبارُ بقراءة عبد الله . وذلك أنه فيما ذكر فى مصحف عبد الله : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

٢١/١٠

(١) هذه القراءة التى ردها أبو جعفر ، هى قراءتنا اليوم .

(٢) فى المطبوعة : « وإنما كان مراد بطى ولا يحسبن » ، فأتى بعجب لا معنى له . وقوله الطبرى : « ظنى » ، يقول كما نقول اليوم . « فيما أظن »

أَنَّهُمْ سَبَقُوا إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ﴾، وهذا فصيح صحيح ، إذا أدخلت « أنهم » فى الكلام، لأن « يحسبن » عاملة فى « أنهم » ، وإذا لم يكن فى الكلام « أنهم » كانت خالية من اسم تعمل فيه .

وللذى قرأ ذلك من القرأة وجهان فى كلام العرب ، وإن كانا بعيدين من فصيح كلامهم :

أحدهما : أن يكون أريد به : ولا يحسبن الذين كفروا أن سبقوا، أو : أنهم سبقوا= ثم حذف « أن » و « أنهم » ، كما قال جل ثناؤه : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾، [سورة الروم : ٢٤]، بمعنى : أن يريكم ، وقد ينشد فى نحو ذلك بيت لذى الرمة :

أَظَنَّ ابْنُ طُرْثُوثٍ عُتَيْبَةُ ذَاهِبًا بِعَادِيَّتِي تَكْذَابُهُ وَجَعَائِلُهْ(١)

---

(١) ديوانه ٤٧٣ ، من قصيدة ذكر فيها « المهاجر بن عبد الله الكلابى » والى اليمامة ، وكان للمهاجر عريف من السعاة بالبادية يقال له : « رومى » ، فاختلف ذو الرمة ، وعتيبة ابن طرثوث فى بئر عادية ، فخاصم ذو الرمة إلى رومى ، فقضى رومى لابن طرثوث قبل فصل الخصومة ، وكتب له بذلك سجلا ، فقال ذو الرمة من قصيدته تلك ، برواية ديوانه :

أَقُولُ لِنَفْسِي ، لاَ أُعَاتِبُ غَيْرَهَا وَذُو اللُّبِّ مَهْمَا كَانَ ، لِلنَّفْسِ قَائِلُهْ
لَعَلَّ ابْنَ طُرْثُوثٍ عُتَيْبَةُ ذَاهِبٌ بِعَادِيَّتِي تَكْذَابُهُ وَجَعَائِلُهْ
بِقَاعٍ ، مَنَعْنَاهُ ثَمَانِينَ حِجَّةً وَبِضْعًا ، لَنَا أَحْرَاجُه وَمَسَايِلُهْ

ثم ذكر المهاجر بالذكر الجميل ، ثم قال :

يَعِزُّ ، ابْنَ عَبْدِ اللهِ ، مَنْ أَنْتَ نَاصِرٌ وَلاَ يَنْصُرُ الرَّحْمَنُ مَنْ أَنْتَ خَاذِلُهْ
إِذَا خَافَ قَلْبِي جَوْرَ سَاعٍ وَظُلْمَهُ ذَكَرْتُكَ أُخْرَى فَاطْمَأَنَّتْ بَلاَبِلُهْ
تَرَى اللهَ لاَ تَخْفَى عَلَيْهِ سَرِيرَةٌ لِعَبْدٍ ، وَلاَ أَسْبَابُ أَمْرٍ يُحَاوِلُهْ
لَقَدْ خَطَّ رُومِيٌّ ، وَلاَ زَعَمَاتِهِ ، لِمُتْبَةَ خَطًّا لَمْ تُطَبَّقْ مَفَاصِلُهْ
بِغَيْرِ كِتَابٍ وَاضِحٍ مِنْ مُهَاجِرٍ وَلاَ مُقْعَدٍ مِنِّي بِخَصْمٍ أُجَادِلُهْ

بمعنى : أظن ابن طرثوث أن يذهب بعاديتى تكذابه وجعائله ؟ وكذلك قراءة من قرأ ذلك بالياء ، يوجه « سبقوا » إلى « سابقين » ، على هذا المعنى .(١)

والوجه الثانى على أنه أراد إضمار منصوب بـ «يحسب» ، كأنه قال : ولا يحسب الذين كفروا أنهم سبقوا = ثم حذف « أنهم » وأضمر .(٢)

وقد وجّه بعضهم معنى قوله : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾ ، [سورة آل عمران : ١٧٥] : إنما ذلكم الشيطان يخوف المؤمن من أوليائه ، وأن ذكر « المؤمن » مضمر فى قوله : « يخوف » ، إذ كان الشيطان عنده لا يخوّف أولياءه .(٣)

* * *

وقرأ ذلك بعض أهل الشأم : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ بالتاء من «تحسبن» = ﴿ سَبَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾ ، بفتح الألف من « أنهم » ، بمعنى : ولا تحسبن الذين كفروا أنهم لا يعجزون .

* * *

قال أبو جعفر : ولا وجه لهذه القراءة يُعقل ، إلا أن يكون أراد القارئ بـ«لا» التى فى « يعجزون » ، « لا » التى تدخل فى الكلام حشواً وصلة ،(٤) فيكون معنى الكلام حينئذ : ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا أنهم يعجزون = ولا وجه لتوجيه حرف فى كتاب الله إلى التطويل ،(٥) بغير حجة يجب التسليم لها ، وله فى الصحة مخرج .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك عندى ، قراءة من قرأ :

وهذه قصة حية . وكان فى المطبوعة : « عيينة » ، والصواب من الديوان ، ومما يدل عليه الشعر السالف إذ سماه « عتبة » ، ثم صغره . و « العادية » ، البئر القديمة ، كأنها من زمن « عاد » . و « التكذاب » ، مصدر مثل « الكذب » . و « الجعائل » ، الرشى ، تجعل للعامل المرتشى .

(١) انظر هذا فى معانى القرآن للفراء ١ : ٤١٤ – ٤١٦ .

(٢) كان فى المطبوعة : « ثم حذف الهمز وأضمر » ، وهو كلام لا تفلته الحساسة . وصواب قراءة المخطوطة : « أنهم » كما أثبتها ، وهو واضح جداً

(٣) انظر ما سلف ٧ : ٤١٧ ، تفسير هذه الآية .

(٤) « الصلة » ، الزيادة ، كما سلف مراراً ، انظر فهارس المصطلحات فيما سلف .

(٥) « التطويل » ، الزيادة أيضاً . انظر ما سلف ١ : ١١٨ ، ٢٢٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، وهو هناك « التطول » .

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ﴾، بالتاء ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ ﴾، بكسر الألف من «إنهم»، ﴿ لَا يُعْجِزُونَ ﴾، بمعنى : ولا تحسبن أنت ، يا محمد ، الذين جحدوا حجج الله وكذبوا بها، سبقونا بأنفسهم ففاتونا، إنهم لا يعجزوننا = أى : يفوتوننا بأنفسهم، ولا يقدرون على الهرب منا ،(١) كما :—

١٦٢٢٣ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون » ، يقول : لا يفوتون.

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « وأعدوا » ، لهؤلاء الذين كفروا بربهم، الذين بينكم وبينهم عهد ، إذا خفتم خيانتهم وغدرهم ، أيها المؤمنون بالله ورسوله = « ما استطعتم من قوة » ، يقول : ما أطقتم أن تعدّوه لهم من الآلات التى تكون قوة لكم عليهم ، (٢) من السلاح والخيل = « ترهبون به عدو الله وعدوكم » ، يقول : تخيفون بإعدادكم ذلك عدوّ الله وعدوكم من المشركين .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٢٢٤ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال ، سمعت أسامة ابن زيد ، عن صالح بن كيسان ، عن رجل من جهينة ، يرفع الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ، ألا إنّ الرمى هو القوة ، ألا إنّ الرمى هو القوة .(٣)

---

(١) انظر تفسير « أعجز » فيما سلف ١٢ : ١٢٨ .

(٢) انظر تفسير « الاستطاعة » ، فيما سلف ٤ : ٩/٣١٥ : ٢٨٤ .

(٣) الأثر : ١٦٢٢٤ — « ابن إدريس » ، هو « عبد الله بن إدريس الأودى » الإمام ، مضى مراراً . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « أبو إدريس » ، وهو خطأ صرف .

١٦٢٢٥ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا سعيد بن شرحبيل قال ، حدثنا ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، وعبد الكريم بن الحارث ، عن أبي على الهمدانى : أنه سمع عقبة بن عامر على المنبر يقول : قال الله : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » ، ألا وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر : قال الله : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ، ألا إن القوة الرمى ، ألا إن القوة الرمى ، ثلاثاً .(١)

و « أسامة بن زيد الليثى » ، ثقة ، مضى برقم : ٢٨٦٧ ، ٣٣٥٤ .

و « صالح بن كيسان المدنى » ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ١٠٢٠ ، ٥٣٢١ .

وسيأتى هذا الخبر من طرق أخرى رقم : ١٦٢٢٦ – ١٦٢٢٨ ، وسأذكرها عند كل واحد منها ، وانظر تخريج الخبر التالى .

(١) الأثر : ١٦٢٢٥ – « سعيد بن شرحبيل الكندى » ، روى عنه البخارى، وروى له النسائى وابن ماجة بالواسطة . ثقة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/١/٤٤٢ ، وابن أبى حاتم ٢/١/٣٣ .

و « ابن لهيعة » ، مضى مراراً ،ومضى الكلام فى أمر توثيقه .

و « يزيد بن أبى حبيب الأزدى المصرى » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً آخرها : ١١٨٧١ .

و « عبد الكريم بن الحارث بن يزيد الحضرمى المصرى » ، ثقة ، مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣/١/٦٠ .

و « أبو على الهمدانى » ، هو « ثمامة بن شفى الهمدانى » المصرى ، ثقة ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/٢/١٧٧ ، وابن أبى حاتم ١/١/٤٦٦ .

وهذا إسناد فيه ضعف لمن ضعف ابن لهيعة، والطبرى نفسه سيقول فى ص: ٣٧، تعليق: ٢، أنه سند فيه وهاء » .

بيد أن هذا الخبر روى من طرق صحيحة جداً :

رواه مسلم فى صحيحه ١٣ : ٦٤ ، من طريق هارون بن معروف ، عن ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن أبى على ثمامة بن شفى ، بمثله .

ورواه أبو داود فى سننه ٣ : ٢٠ ، رقم : ٢٥١٤ ، من طريق سعيد بن منصور ، عن ابن وهب ، بمثله .

ورواه ابن ماجة فى سننه : ٩٤٠ رقم : ٢٨١٣ ، من طريق يونس بن عبد الأعلى ، عن ابن وهب بمثله .

ورواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٣٢٨ ، من طريق سعيد بن أبى أيوب ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن أبى الخير ، عن عقبة ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين . ولم يخرجه البخارى ، لأن صالح بن كيسان أوقفه» ووافقه الذهبى .

١٦٢٢٦ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا محبوب ، وجعفر بن عون ، ووكيع ، وأبو أسامة ، وأبو نعيم = ، عن أسامة بن زيد ، عن صالح بن كيسان ، ١٠ / ٢٢ عن رجل ، عن عقبة بن عامر الجهني قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » ، فقال : ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة ، الرمي، ثلاث مرات .(١)

١٦٢٢٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن أسامة بن زيد ، عن صالح بن كيسان ، عن رجل ، عن عقبة بن عامر : أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية على المنبر ، فذكر نحوه .(٢)

١٦٢٢٨ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا أسامة بن زيد ، عن صالح بن كيسان ، عن عقبة بن عامر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم، نحوه .(٣)

١٦٢٢٩ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا موسى بن عبيدة ، عن أخيه ، محمد بن عبيدة، عن أخيه عبد الله بن عبيدة ، عن عقبة بن عامر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ، ألا إن القوة الرمي .(٤)

---

(١) الأثر : ١٦٢٢٦ – « محبوب » ، هو « محبوب بن محرز القواريري » ، وثقه ابن حبان ، وضعفه الدارقطني . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٤/١/٣٨٨ .
و « جعفر بن عون المخزومي » ، ثقة ، أخرج له الجماعة ، مضى برقم : ٩٥٠٦ .
وهذا الخبر رواه الترمذي من طريق وكيع عن أسامة بن زيد ، ثم قال : « وقد روى بعضهم هذا الحديث عن أسامة بن زيد ، عن صالح بن كيسان ، عن عقبة بن عامر ، وحديث وكيع أصح ، وصالح بن كيسان لم يدرك عقبة بن عامر ، وأدرك ابن عمر » . وانظر الخبر رقم : ١٦٢٢٨ .

(٢) الأثر : ١٦٢٢٧ – هو مكرر الأثر السالف ، وانظر تخريجه ، رواه من هذه الطريق ، الترمذي في سننه ، كما سلف .

(٣) الأثر : ١٦٢٢٨ – هذا هو الحديث الذي أشار إليه الترمذي ، وقال فيه : « صالح ابن كيسان ، لم يدرك عقبة بن عامر» . انظر ما سلف : ١٦٢٢٦ .

(٤) الأثر : ١٦٢٢٩ – « موسى بن عبيدة بن نشيط الربذي » ، ضعيف بمرة ، لا تحل الرواية عنه . سلف مراراً ، آخرها رقم : ١١٨١١ ، ١٤٠٤٥ ، روى عن أخويه « عبد الله » و « محمد » وأخوه « محمد بن عبيدة بن نشيط الربذي» ، لم أجد له ترجمة ، وهو مذكور في ترجمة

١٦٢٣٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن شعبة ابن دينار ، عن عكرمة في قوله: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة»، قال: الحصون = « ومن رباط الخيل »، قال: الإناث .(١)

١٦٢٣١ – حدثنا علي بن سهل قال، حدثنا ضمرة بن ربيعة ، عن رجاء ابن أبي سلمة قال: لقي رجل مجاهداً بمكة، ومع مجاهد جُوَالَق،(٢) قال: فقال مجاهد : هذا من القوة ! = ومجاهد يتجهز للغزو .

١٦٢٣٢ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ، من سلاح .

* * *

وأما قوله : « ترهبون به عدو الله وعدوكم » =

= فقال ابن وكيع :

١٦٢٣٣ – حدثنا أبي، عن إسرائيل ، عن عثمان بن المغيرة الثقفي ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : « ترهبون به عدو الله وعدوكم » ، قال : تخزون به عدو الله وعدوكم .

١٦٢٣٤ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن عثمان ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، مثله .

١٦٢٣٥ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا إسرائيل ، عن خصيف ، عن عكرمة وسعيد بن جبير ، عن ابن عباس: « ترهبون به عدو الله

أخيه « موسى » ، وترجمة أخيه « عبد الله » ، وأنه روى عنه . وكان أكبر من أخيه موسى بثمانين سنة . وأخوه « عبد الله بن عبيدة بن نشيط الربذي » ، روى عن جماعة من الصحابة ، وثقه بعضهم ، وضعفه آخرون ، وقال أحمد : « موسى بن عبيدة وأخوه ، لا يشتغل بهما » . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٢/٢/١٠١ .

(١) الأثر : ١٦٢٣٠ – « شعبة بن دينار الكوفي » ، روى عن عكرمة ، وأبي بردة بن أبي موسى الأشعري ، ثقة . مترجم في التهذيب ، والكبير ٢/٢/٢٤٥ ، وابن أبي حاتم ٢/١/٣٦٨ .

(٢) « الجوالق » (بضم الجيم ، وفتح اللام أو كسرها) ، وعاء من الأوعية ، هو الذي نسميه اليوم في مصر محرفاً « الشوال » .

وعدوكم»، قال: تخزون به عدو الله وعدوكم. وكذا كان يقرؤها: ﴿ تُخْزُونَ ﴾.(١)

١٦٢٣٧ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال: حدثنا إسرائيل، عن عثمان بن المغيرة، وخصيف، عن مجاهد، عن ابن عباس: «ترهبون به»، تخزون به.(٢)

١٦٢٣٨ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا إسرائيل، عن خصيف، عن عكرمة، عن ابن عباس، مثله.

* * *

يقال منه: «أرهبت العدو، ورهَّبته، فأنا أرهبه وأرهِّبه، إرهاباً وترهيباً، وهو الرَّهَب والرُّهْب»، ومنه قول طفيل الغنوى:

وَيْلُ أُمِّ حَيٍّ دَفَعْتُمْ فِي نُحُورِهِمُ بَنِي كِلَابٍ غَدَاةَ الرُّعْبِ وَالرَّهَبِ(٣)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل فى هؤلاء «الآخرين»، من هم، وما هم؟

فقال بعضهم: هم بنو قريظة.

* ذكر من قال ذلك:

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة: «وكذا كان يقرؤها: ترهبون»، والصواب الذى لاشك فيه هنا، هو «تخزون»، كما أثبتها، وقد ذكر قراءة ابن عباس هذه، ابن خالويه فى القراءات الشاذة: ٥٠ (وفى المطبوعة خطأ، كتب: يجرون به عدو الله، والصواب ما أثبت)، وقال أبو حيان فى تفسيره ٤: ٥١٢: «وقرأ ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد: «تخزون به»، مكان: ترهبون به = وذكرها الطبرى على جهة التفسير لا على جهة القراءة، وهو الذى ينبغى، لأنه مخالف لسواد المصحف».

قلت: وقد رأيت بعد أن الطبرى ذكرها أيضاً على جهة القراءة، ولا يستقيم نصه إلا بما أثبت.

(٢) سقط من الترقيم: ١٦٢٣٦، سهواً.

(٣) ديوانه: ٥٦، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١: ٢٤٩ يمدح بها بنى جعفر بن كلاب، من أبيات ثلاثة، مفردة.

١٦٢٣٩ – حدثت عن عمار بن الحسن قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وآخرين من دونهم » ، يعني : من بني قريظة .

١٦٢٤٠ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وآخرين من دونهم » ، قال : قريظة .

* * *

وقال آخرون : من فارس .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٢٤١ – حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » ، هؤلاء أهل فارس .

* * *

وقال آخرون : هم كل عدو للمسلمين ، غير الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يشرِّد بهم من خلفهم . قالوا : وهم المنافقون .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٢٤٢ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قول الله : « فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم » ، قال : أخفهم بهم ، لما تصنع بهؤلاء . وقرأ : « وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » . (١) ٢٣/١٠

١٦٢٤٣ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » ، قال : هؤلاء المنافقون ، لا تعلمونهم لأنهم معكم ، يقولون : لا إله إلا الله ، ويغزون معكم .

* * *

---

(١) الأثر : ١٦٢٤٢ – هذا مكرر الأثر السالف رقم ١٦٢٢٠ ، ولا أدري فيم جاء به هنا مفرداً ، وأما الأثر الذي عناه ، فهو الذي يليه ، والظاهر أنه خطأ من الطبري نفسه في النقل ولفظ هذا الخبر ، يخالف لفظ الخبر السالف قليلا .

وقال آخرون : هم قوم من الجنّ .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله أمر المؤمنين بإعداد الجهاد وآلة الحرب وما يتقوّون به على جهاد عدوه وعدوهم من المشركين ، من السلاح والرمى وغير ذلك ، ورباط الخيل = ولا وجه لأن يقال : عنى بـ « القوة » ، معنى دون معنى من معانى « القوة » ، وقد عمّ الله الأمر بها .

فإن قال قائل : فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بيّن أن ذلك مرادٌ به الخصوص بقوله : « ألا إن القوة الرمى »؟ (١)

قيل له : إن الخبر ، وإن كان قد جاء بذلك ، فليس فى الخبر ما يدلّ على أنه مرادٌ بها الرمى خاصة ، دون سائر معانى القوة عليهم ، فإن الرمى أحد معانى القوة ، لأنه إنما قيل فى الخبر : « ألا إن القوة الرمى » ، ولم يقل : « دون غيرها » ، ومن « القوة » أيضاً السيف والرمح والحربة ، وكل ما كان معونة على قتال المشركين ، كمعونة الرمى أو أبلغ من الرمى فيهم وفى النكاية منهم . هذا مع وهاء سند الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .(٢)

* * *

وأما قوله : « وآخرين من دونهم لا تعلمونهم » ، فإن قول من قال : عنى به الجن ، أقربُ وأشبهُ بالصواب ، لأنه جل ثناؤه قد أدخل بقوله : « ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » ، الأمرَ بارتباط الخيل لإرهاب كل عدوٍّ لله وللمؤمنين يعلمونهم . ولا شك أن المؤمنين كانوا عالمين بعداوة قريظة وفارس لهم ، لعلمهم بأنهم مشركون ، وأنهم لهم حرب . ولا معنى لأن يقال ، وهم يعلمونهم لهم

---

(١) انظر الآثار السالفة رقم : ١٦٢٢٤ — ١٦٢٢٩ .

(٢) هذه مرة أخرى تختلف فيها كتابة المخطوطة ، فههنا : « وهاء » ، كما أثبتها ، وكان فى المطبوعة : « وهى » ، وانظر ما كتبته مما سلف ٩ : ٥٣١ ، تعليق : ٢ .
ثم انظر ما قلته فى تخريج الخبر السالف رقم : ١٦٢٢٥ ، وما ذكرته من الطريق الصحيحة فى رواية هذا الخبر .

أعداءً : «وآخرين من دونهم لا تعلمونهم »، ولكن معنى ذلك إن شاء الله: ترهبون بارتباطكم ، أيها المؤمنون ، الخيلَ عدوَّ الله وأعداءكم من بنى آدم الذين قد علمتم عداوتهم لكم ، لكفرهم بالله ورسوله ، وترهبون بذلك جنساً آخر من غير بنى آدم ، لا تعلمون أماكنهم وأحوالهم ، الله يعلمهم دونكم ، لأن بنى آدم لا يرونهم . وقيل : إن صهيل الخيل يرهب الجن ، وأن الجن لا تقرب داراً فيها فرس .(١)

* * *

فإن قال قائل : فإن المؤمنين كانوا لا يعلمون ما عليه المنافقون ، فما تنكر أن يكون عُنِى بذلك المنافقون ؟

قيل : فإن المنافقين لم يكن تروعهم خيل المسلمين ولا سلاحهم ، وإنما كان يَرُوعهم أن يظهر المسلمون على سرائرهم التى كانوا يستسرُّون من الكفر ، وإنما أمر المؤمنون بإعداد القوة لإرهاب العدو ، فأما من لم يرهبه ذلك، فغير داخل فى معنى من أمر بإعداد ذلك له المؤمنون . وقيل : « لا تعلمونهم »، فاكتفى لـ « العلم »، بمنصوب واحد فى هذا الموضع ، لأنه أريد : لا تعرفونهم ، كما قال الشاعر :(٢)

---

(١) ذكر ابن كثير فى تفسيره خبرين ، أحدهما رواه ابن أبى حاتم ، عن يزيد بن عبد الله ابن عريب، عن أبيه عن جده: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : هم الجن ، فى هذه الآية . ثم قال رواه الطبرانى ، وزاد : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يخبل بيت فيه عتيق الخيل » ، (انظر الإصابة ترجمة : عريب) ، ثم قال ابن كثير : « هذا الحديث منكر ، لا يصح إسناده ولا متنه » . وانظر القرطبى ٨ : ٣٨ .

وهذا الذى قاله الطبرى ، رده العلماء من قوله ، وحق لهم . وقد رجح ابن كثير وأبو حبان (٤ : ٥١٣) ، أن المعنى بذلك هم المنافقون ، وهو القول الذى رده أبو جعفر فيما يلى ، ورد أبى جعفر رد محكم .

فإن كان لنا أن نختار ، فإنى أختار أن يكون عنى بذلك ، من خفى على المؤمنين أمره من أهل الشرك ، كنصارى الشأم وغيرهم ، ممن لم ينظر المؤمنون عداوتهم بعد ، وهى آتية سوف يرونها عياناً بعد قليل . وفى الكلام فضل بحث ليس هذا مكانه، والآية عامة لا أدرى كيف يخصصها أبو جعفر ، بخبر لا حجة فيه .

(٢) هو النمر بن تولب العكلى .

فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُنِي وَوَهْبًا وأَنَّا سَوْفَ يَلْقَاهُ كِلاَنَا(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ (٦٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: وما أنفقتم، أيها المؤمنون، من نفقة فى شراء آلة حرب من سلاح أو حراب أو كُرَاع أو غير ذلك من النفقات ،(٢) فى جهاد أعداء الله المشركين يخلفه الله عليكم فى الدنيا ، ويدّخر لكم أجوركم على ذلك عنده حتى يوفّيكموها يوم القيامة(٣) =« وأنتم لا تظلمون » ، يقول : يفعل ذلك بكم ربكم ، فلا يضيع أجوركم عليه .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) الاقتضاب : ٣٠٣ ، المفصل للزمخشرى : ٨٨ . وكان النمر بن تولب ، نازع رجلا يقال له « وهب » ، من قومه ، فى بئر تدعى « الدحول » (بالحاء المهملة) ، فى أرض عكل ، نميرة الماء ، يقول فيها من هذه الأبيات :

ولكنَّ الدَّحُولَ إِذَا أَتَاهَا عِجَافُ المَالِ تترُكُهُ سِمَانَا

وكان النمر سقاه منها ، فلم يشكر له ، وخان الأمانة ونازعه فيها فقال :

يُرِيدُ خِيَانَتِي وَهْبٌ ، وأَرْجُو مِنَ اللهِ البراءَةَ وَالأَمَانَا
فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُنِي وَوَهْبًا وَيَعْلَمُ أَنْ سَيَلْقَاهُ كِلاَنَا
وَإِنَّ بَنِى رَبِيعَةَ بَعْدَ وَهْبٍ كَرَاعِى البَيْتِ يَحْفَظُهُ فخانَا

وكان البيت فى المطبوعة والمخطوطة :

فإن الله يعلمنى وأنا سوف يلقاهُ كلانا

(٢) انظر تفسير « النفقة » فيما سلف من فهارس اللغة (نفق) .

(٣) انظر تفسير « وفى » فيما سلف ١٢ : ٢٢٤ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

١٦٢٤٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، « وما تنفقوا من شيء فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون » ، أى : لا يضيع لكم عند الله أجرُه فى الآخرة ، وعاجل خَلَفه فى الدنيا .(١)

* * *

٢٤/١٠ القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (٦١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإما تخافنّ من قوم خيانة وغدراً، فانبذ إليهم على سواء، وآذنهم بالحرب = « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » ، وإن مالوا إلى مسالمتك ومتاركتك الحربَ ، إما بالدخول فى الإسلام ، وإما بإعطاء الجزية ، وإما بموادعة ، ونحو ذلك من أسباب السلم والصلح(٢)= «فاجنح لها» ، يقول : فمل إليها ، وابذل لهم ما مالوا إليه من ذلك وسألوكه .

* * *

يقال منه : « جنح الرجل إلى كذا يجنح إليه جنوحاً » ، وهى لتميم وقيس ، فيما ذكر عنها ، تقول : « يجنُح » ، بضم النون ، وآخرون يقولون : «يَجْنِح» بكسر النون ، وذلك إذا مال ، ومنه قول نابغة بنى ذبيان :

جَوَانِحَ قَدْ أَيْقَنَّ أَنَّ قَبِيلَهُ إِذَا مَا ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ أَوَّلُ غَالِبِ(٣)

« جوانح » ، موائل

* * *

(١) الأثر : ١٦٢٤٤ – سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٢١٨ .

(٢) انظر تفسير « السلم » فيما سلف ٤ : ٢٥١ – ٢٥٥ .

(٣) ديوانه : ٤٣ ، من شعره المشهور فى عمرو بن الحارث الأعرج ، حين هرب إلى الشأم ، من النعمان بن المنذر فى خبر المتجردة ، وقبله ، ذكر فيها غارة جيشه ، والنسور التى تتبع الجيش :

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٢٤٥ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « وإن جنحوا للسلم » ، قال : للصلح ، ونسخها قوله : ﴿ أَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ [سورة التوبة : ٥] .

١٦٢٤٦ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : : « وإن جنحوا للسلم » ، إلى الصلح = « فاجنح لها » ، قال : وكانت هذه قبل « براءة » ، وكان نبي الله صلى الله عليه وسلم يوادع القوم إلى أجل ، فإما أن يسلموا ، وإما أن يقاتلهم ، ثم نسخ ذلك بعد فى « براءة » فقال : ﴿أَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ ، وقال : ﴿ قَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً ﴾ ، [سورة التوبة : ٣٦] ، ونبذ إلى كل ذى عهد عهده ، وأمره بقتالهم حتى يقولوا « لا إله إلا الله » ، ويسلموا ، وأن لا يقبل منهم إلا ذلك . وكل عهد كان فى هذه السورة وفى غيرها ، وكل صلح يصالح به المسلمون المشركين يتوادعون به ، فإن «براءة» جاءت بنسخ ذلك ، فأمر بقتالهم على كل حال حتى يقولوا : « لا إله إلا الله » .

١٦٢٤٧ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح ، عن الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة والحسن البصرى قالا : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » ، نسختها الآية التى فى « براءة» قوله : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ ، إلى قوله : ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [سورة التوبة : ٢٩] .

إِذَا مَا غَزَوْا بِالْجَيْشِ ، حَلَّقَ فَوْقَهُمْ عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِى بِعَصَائِبِ
يُصَاحِبْنَهُمْ حَتَّى يَغِرْنَ مُغَارَهُمْ مِنَ الضَّارِيَاتِ بِالدِّمَاءِ الدَّوَارِبِ
تَرَاهُنَّ خَلْفَ الْقَوْمِ خُزْرًا عُيُونُهَا جُلُوسَ الشُّيُوخِ فِى ثِيَابِ الْمَرَانِبِ
جَوَانِحَ قَدْ أَيْقَنَّ . . . . .

وهذا من جيد الشعر وخالصه .

١٦٢٤٨ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » ، يقول : وإن أرادوا الصلح فأرده .

١٦٢٤٩ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » ، أى : إن دعوك إلى السلم = إلى الإسلام = فصالحهم عليـــه. (١)

١٦٢٥٠ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها »، قال : فصالحهم. قال : وهذا قد نسخه الجهاد.

* * *

قال أبو جعفر : فأما ما قاله قتادة ومن قال مثل قوله، من أن هذه الآية منسوخة ، فقولٌ لا دلالة عليه من كتابٍ ولا سنة ولا فطرة عقل .

وقد دللنا فى غير موضع من كتابنا هذا وغيره على أن الناسخ لا يكون إلا ما نفى حكم المنسوخ من كل وجه . فأما ما كان بخلاف ذلك ، فغير كائنٍ ناسخاً. (٢)

وقول الله فى براءة : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾، غير نافٍ حكمُه حكمَ قوله : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها»، لأن قوله : «وإن جنحوا للسلم »، إنما عنى به بنو قريظة ، وكانوا يهوداً أهلَ كتاب، وقد أذن الله جل ثناؤه للمؤمنين بصلح أهل الكتاب ومتاركتهم الحربَ على أخذ الجزية منهم .

وأما قوله ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ فإنما عُنى به مشركو العرب من عبدة الأوثان ، الذين لا يجوز قبول الجزية منهم . فليس فى إحدى

---

(١) الأثر : ١٦٢٤٩ – سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣٠ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٢٤٤ ، وفى السيرة : « إلى السلم على الإسلام » .

(٢) انظر مقالته فى « النسخ » فيما سلف ١١ : ٢٠٩ ، وما بعده وما قبله فى فهارس الكتاب ، وفى فهارس العربية والنحو وغيرها .

الآيتين نفى حكم الأخرى ، بل كل واحدة منهما محكمة فيما أنزلت فيه .

١٦٢٥١ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وإن جنحوا للسلم » ، قال : قريظة .

* * *

وأما قوله : « وتوكل على الله » ، يقول : فوِّض إلى الله، يا محمد ، أمرك، واستكفِه ، واثقاً به أنه يكفيك،[1] كالذى :–

١٦٢٥٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « وتوكل على الله » ، إن الله كافيك .[2] ٢٥/١٠

* * *

وقوله : « إنه هو السميع العليم » ، يعنى بذلك : إن الله الذى تتوكل عليه ، « سميع » ، لما تقول أنت ومن تسالمه وتتاركه الحربَ من أعداء الله وأعدائك عند عقد السلم بينك وبينه ، وما يشترط كل فريق منكم على صاحبه من الشروط[3]= « العليم » ، بما يضمره كل فريق منكم للفريق الآخر من الوفاء بما عاقده عليه ، ومن المضمر ذلك منكم فى قلبه ، والمنطوى على خلافه لصاحبه .[4]

* * *

(١) انظر تفسير « التوكل » فيما سلف ص : ١٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) الأثر : ١٦٢٥٢ – سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣٠ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٢٤٩ .

(٣) فى المطبوعة : « ويشرط كل فريق . . . » ، وفى المخطوطة : « ويشترط . . . » ، والصواب بينهما ما أثبت .

(٤) انظر تفسير « سميع » و « عليم » فيما سلف من فهارس اللغة (سمع) ، (علم) .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٦٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وإن يرد ، يا محمد ، هؤلاء الذين أمرتك بأن تنبذ إليهم على سواء إن خفت منهم خيانة ، وبمسالمتهم إن جنحوا للسلم ، خداعَك والمكرَ بك[1] = « فإن حسبك الله » ، يقول : فإن الله كافيكهم وكافيك خداعَهم إياك ، [2]لأنه متكفل بإظهار دينك على الأديان ، ومتضمِّنٌ أن يجعل كلمته العليا وكلمة أعدائه السفلى = « هو الذى أيدك بنصره » ، يقول : الله الذى قواك بنصره إياك على أعدائه[3] = « وبالمؤمنين » ، يعنى : بالأنصار .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٢٥٣ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، « وإن يريدوا أن يخدعوك » ، قال : قريظة .

١٦٢٥٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله » ، هو من وراء ذلك .[4]

١٦٢٥٥ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « هو الذى أيدك بنصره » ، قال : بالأنصار .

* * *

---

(١) انظر تفسير « الخداع » فيما سلف ١ : ٢٧٣ — ٢٧٧ ، ٣٠٢ / ٩ : ٣٢٩ .

(٢) انظر تفسير « حسبك » فيما سلف ١١ : ١٣٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « أيد » فيما سلف ١٣ : ٤٧٧ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٤) الأثر : ١٦٢٥٤ — سيرة ابن هشام ، ٢ : ٣٣١ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٢٥٢ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٦٣)

قال أبو جعفر : يريد جل ثناؤه بقوله : « وألف بين قلوبهم » ، وجمع بين قلوب المؤمنين من الأوس والخزرج ، بعد التفرق والتشتت ، على دينه الحق ، فصيَّرهم به جميعاً بعد أن كانوا أشتاتاً ، وإخواناً بعد أن كانوا أعداء .

وقوله : « لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم » ، يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : لو أنفقت ، يا محمد ، ما فى الأرض جميعاً من ذهب وورِقٍ وعَرَض ، ما جمعت أنت بين قلوبهم بحيْلك ، [1] ولكن الله جمعها على الهدى فأتلفت واجتمعت ، تقوية من الله لك وتأييداً منه ومعونة على عدوك . يقول جل ثناؤه : والذى فعل ذلك وسبَّبه لك حتى صاروا لك أعواناً وأنصاراً ويداً واحدة على من بغاك سوءاً ، هو الذى إن رام عدوٌّ منك مراماً يكفيك كيده وينصرك عليه . فثق به ، وامض لأمره ، وتوكل عليه .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٢٥٦ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وألف بين قلوبهم » ، قال : هؤلاء الأنصار ، ألف بين قلوبهم من بعد حرب ، فيما كان بينهم . [2]

---

(١) « الحيل » (بفتح فسكون) ، القوة ، مثل « الحول » ، يقال : « إنه لشديد الحيل » ، وفى الحديث : « اللهم ذا الحيل الشديد » . وهو لا يزال يستعمل كذلك فى عامية مصر .

(٢) ما بين « من بعد حرب » و « فيما كان بينهم » ، بياض فى المخطوطة ، فيه معقوفة بالحمرة ، لا أدرى أهو بياض تركه لسقط ، أم هو سهو من الناسخ ملأه بالحمرة .

١٦٢٥٧ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن بشير بن ثابت ، رجل من الأنصار : أنه قال فى هذه الآية : « لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم » ، يعنى : الأنصار [١].

١٦٢٥٨ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « وألف بين قلوبهم » ، على الهدى الذى بعثك به إليهم = « لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » ، بدينه الذى جمعهم عليه = يعنى الأوس والخزرج . [٢]

١٦٢٥٩ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن يمان، عن إبراهيم الخوزىّ، عن الوليد بن أبى مغيث، عن مجاهد قال: إذا التقى المسلمان فتصافحا غُفِر لهما . ٢٦/١٠
قال قلت لمجاهد : بمصافحة يغفر لهما ؟ [٣] فقال مجاهد: أما سمعته يقول : « لو أنفقت ما فى الأرض جميعًا ما ألفت بين قلوبهم » ؟ فقال الوليد لمجاهد : أنت أعلم منى . [٤]

١٦٢٦٠ – حدثنا عبد الكريم بن أبى عمير قال، حدثنى الوليد ، عن أبى عمرو قال ، حدثنى عبدة بن أبى لبابة ، عن مجاهد ، ولقيته وأخذ بيدى فقال : إذا تراءى المتحابّان فى الله، [٥] فأخذ أحدهما بيد صاحبه وضحك إليه، تحاتّت

---

(١) الأثر : ١٦٢٥٧ – « بشير بن ثابت الأنصارى » ، مولى النعمان « بن بشير » ، ذكره ابن حبان فى الثقات . روى عنه شعبة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/٢/٩٧ ، وابن أبى حاتم ١/١/٣٧٢ .

(٢) الأثر : ١٦٢٥٨ – سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣١ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٢٥٤ .

(٣) فى المخطوطة : « يغفر له » ، والذى فى المطبوعة أجود .

(٤) الأثر : ١٦٢٥٩ – « إبراهيم الخوزى » ، هو : « إبراهيم بن يزيد الخوزى الأموى» ، مولى عمر بن عبد العزيز ، ضعيف ، مضى برقم : ٧٤٨٤ ، وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « إبراهيم الجزرى » ، وهو خطأ محض .

و « الوليد بن أبى مغيث » ، نسب إلى جده ، ولم أجده منسوباً إليه فى غير هذا المكان ، وإنما هو : « الوليد بن عبد الله بن أبى مغيث » ، مولى بنى عبد الدار ، ثقة . روى عن يوسف بن ماهك ، ومحمد بن الحنفية . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/٢/١٤٦ ، وابن أبى حاتم ٤/٢/٩ .

(٥) « تراءى الرجلان » ، رأى أحدهما الآخر .

خطاياهما كما يتحاتُّ ورق الشجر . (١) قال عبدة : فقلت له : إنّ هذا ليسير! قال : لا تقل ذلك ، فإن الله يقول : « لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم » ! قال عبدة : فعرفت أنه أفقه منى . (٢)

١٦٢٦١ – حدثنى محمد بن خلف قال، حدثنا عبيد الله بن موسى قال ، حدثنا فضيل بن غزوان قال: أتيت أبا إسحق فسلمت عليه فقلت(٣) : أتعرفنى؟ فقال فضيل : نعم ! لولا الحياء منك لقبّلتك = حدثنى أبو الأحوص ، عن عبدالله قال : نزلت هذه الآية فى المتحابين فى الله : « لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم» . (٤)

١٦٢٦٢ – حدثنى يعقوب قال، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا ابن عون ،

---

(١) « تحات ورق الشجر » ، تساقط من غصنه إذا ذبل ، ثم انتثر .

(٢) الأثر : ١٦٢٦٠ – « عبد الكريم بن أبى عمير » ، شيخ الطبرى ، سلف برقم : ٧٥٧٨ ، ١١٣٦٨ ، ١٢٨٦٧ .

و « الوليد » ، هو « الوليد بن مسلم » ، سلف مراراً .

و « أبو عمرو » ، هو الأوزاعى الإمام .

و « عبدة بن أبى لبابة الأسدى » ، مضى برقم : ٥٨٥٩ .

وانظر الخبر الآتى رقم : ١٦٢٦٣ .

(٣) فى المستدرك : « لقيت أبا إسحق بعد ما ذهب بصره » .

(٤) الأثر : ١٦٢٦١ – « أبو إسحق » هو : السبيعى .

و « أبو الأحوص » ، هو « عوف بن مالك بن نضلة » ، تابعى ثقة ، مضى مراراً .

و « عبد الله » ، هو « عبد الله بن مسعود » .

وهذا الخبر رواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٣٢٩ ، من طريق يعلى بن عبيد ، عن فضيل ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى .

ورواه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧ : ٢٧ ، ٢٨ ، من طريق أخرى ، وقال : « رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح ، غير جنادة بن سلم ، وهو ثقة » .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ١٩٩ ، وزاد نسبته إلى ابن المبارك ، وابن أبى شيبة ، وابن أبى الدنيا فى كتاب الإخوان ، والنسائى ، وابن أبى حاتم ، وأبى الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقى فى شعب الإيمان .

وسيأتى من طريق أخرى رقم : ١٦٢٦٤ .

عن عمير بن إسحق قال : كنا نُحدَّث أن أوّل ما يرفع من الناس = أو قال : عن الناس = الألفة .[١]

١٦٢٦٣ – حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ، حدثنا أيوب بن سويد ، عن الأوزاعي قال ، حدثني عبدة بن أبي لبابة ، عن مجاهد = ثم ذكر نحو حديث عبد الكريم ، عن الوليد .[٢]

١٦٢٦٤ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة ، وابن نمير ، وحفص ابن غياث =، عن فضيل بن غزوان ، عن أبي إسحق ، عن أبي الأحوص قال : سمعت عبد الله يقول : « لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم » ، الآية ، قال : هم المتحابون في الله .[٣]

* * *

وقوله : « إنه عزيز حكيم » ، يقول : إن الله الذي ألف بين قلوب الأوس والخزرج بعد تشتت كلمتهما وتعاديهما ، وجعلهم لك أنصاراً = «عزيز» ، لا يقهره شيء ، ولا يردّ قضاءه رادٌّ ، ولكنه ينفذ في خلقه حكمه . يقول : فعليه فتوكل ، وبه فثق = « حكيم » ، في تدبير خلقه .[٤]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٦٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « يا أيها النبي حسبك الله » ، وحسب من اتبعك من المؤمنين ، الله . يقول لهم جل ثناؤه : ناهضوا

---

(١) الأثر ١٦٢٦٢ - « عمير بن إسحق » . مضى قريباً برقم ١٦١٤٨

(٢) الأثر ١٦٢٦٣ – انظر ما سلف رقم ١٦٢٦٠ ، والتعليق عليه

(٣) الأثر ١٦٢٦٤ – طريق أخرى للأثر السالف رقم ١٦٢٦١

(٤) انظر تفسير « عزيز » و « حكيم » فيما سلف من فهارس اللغة (عزز) ، (حكم)

عدوكم ، فإن الله كافيكم أمرهم ، ولا يهولنكم كثرة عددهم وقلة عددكم ، فإن الله مؤيدكم بنصره .(١)

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٢٦٥ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا مؤمل بن إسمعيل قال، حدثنا سفيان ، عن شوذب أبى معاذ ، عن الشعبى فى قوله : « يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين »، قال : حسبك الله، وحسب من اتبعك من المؤمنين ، الله.(٢)

١٦٢٦٦ – حدثنى أحمد بن عثمان بن حكيم الأودى قال، حدثنا عبيد الله ابن موسى قال ، أخبرنا سفيان ، عن شوذب ، عن الشعبى فى قوله : « يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين »، قال : حسبك الله ، وحسب من معك.

١٦٢٦٧ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عبيد الله ، عن سفيان ، عن شوذب ، عن عامر ، بنحوه = إلا أنه قال : حسبك الله ، وحسب من شهد معك .

١٦٢٦٨ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب ، عن ابن زيد فى قوله : « يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين » ، قال : يا أيها النبى حسبك الله ، وحسب من اتبعك من المؤمنين ؛ إنّ حسبك أنت وهم ، الله .

* * *

فـ « منْ » من قوله : « ومن اتبعك من المؤمنين » ، على هذا التأويل الذى

---

(١) انظر تفسير « حسب » فيما سلف ص : ٤٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) الأثر : ١٦٢٦٥ – « شوذب ، أبو معاذ » ، ويقال : « أبو عثمان » ، مولى البراء ابن عازب . قال سفيان ، عن شوذب : « كنت تياساً ، فنهانى البراء بن عازب عن عسب الفحل » . روى عنه سفيان الثورى ، وشعبة . مترجم فى الكبير ٢/٢/٢٦١ ، وابن أبى حاتم ٢/١/٣٧٧ ، وكان فى المطبوعة : « شوذب بن معاذ » ، وهو خطأ ، صوابه فى المخطوطة .
وسيأتى فى الإسنادين التاليين .

ذكرناه عن الشعبي ، نصب ، عطفاً على معنى « الكاف » فى قوله : « حسبك الله » ، لا على لفظه ، لأنها فى محل خفض فى الظاهر ، وفى محل نصب فى المعنى . لأن معنى الكلام : يكفيك الله ، ويكفى من اتبعك من المؤمنين .

* * *

وقد قال بعض أهل العربية فى « من » ، أنها فى موضع رفع على العطف على اسم « الله » ، كأنه قال : حسبك الله ومتبعوك إلى جهاد العدو من المؤمنين ، دون القاعدين عنك منهم . واستشهد على صحة قوله ذلك بقوله : « حرض المؤمنين على القتال » .[1] ١٠/٢٧

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ ﴿٦٦﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « يا أيها النبي حرِّض المؤمنين على القتال » ، حُثَّ متبعيك ومصدِّقيك على ما جئتهم به من الحق ، على قتال من أدبر وتولى عن الحق من المشركين[2] = « إن يكن منكم عشرون » رجلاً = « صابرون » ، عند لقاء العدو ، ويحتسبون أنفسهم ويثبتون

---

(١) هو الفراء فى معانى القرآن ١ : ٤١٧ .

(٢) انظر تفسير « التحريض » فيما سلف ٨ : ٥٧٩ .

لعدوهم = « يغلبوا مئتين » ، من عدوهم ويقهروهم = « وإن يكن منكم مئة » ، عند ذلك « يغلبوا » ، منهم « ألفاً » = « بأنهم قوم لا يفقهون » ، يقول : من أجل أن المشركين قوم يقاتلون على غير رجاء ثواب ، ولا لطلب أجر ولا احتساب ، لأنهم لم يفقهوا أن الله مُوجبٌ لمن قاتل احتساباً ، وطلب موعود الله فى الميعاد ، ما وعد المجاهدين فى سبيله ، فهم لا يثبتون إذا صدقوا فى اللقاء ، خشية أن يُقتلوا فتذهب دنياهم .[1] ثم خفف تعالى ذكره عن المؤمنين ، إذ علم ضعفهم فقال لهم : « الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً » ، يعنى : أن فى الواحد منهم عن لقاء العشرة من عدوهم ضعفاً = « فإن يكن منكم مئة صابرة » ، عند لقائهم للثبات لهم = « يغلبوا مئتين » منهم = « وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين » منهم = « بإذن الله » ، يعنى : بتخلية الله إياهم لغلبتهم ، ومعونته إياهم[2] = « والله مع الصابرين » ، لعدوهم وعدو الله ، احتساباً فى صبره ، وطلباً لجزيل الثواب من ربه ، بالعون منه له ، والنصر عليه .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

* ذكر من قال ذلك :

١٦٢٦٩ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا محمد بن محبب قال ، حدثنا سفيان ، عن ليث ، عن عطاء فى قوله : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين » ، قال : كان الواحد لعشرة ، ثم جعل الواحد باثنين ، لا ينبغى له أن يفرَّ منهما .[3]

١٦٢٧٠ — حدثنا سعيد بن يحيى قال ، حدثنا أبى قال ، حدثنا ابن جريج ،

---

(١) انظر تفسير « فقه » فيما سلف ١٣ : ٢٧٨ ؛ تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الإذن » فيما سلف ١١ : ٢١٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) الأثر : ١٦٢٦٩ — « محمد بن محبب بن إسحق القرشى » ، ثقة ، مضى برقم : ٦٣٢٠ .

عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس قال : جعل على المسلمين على الرجل عشر من الكفار ، فقال : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين » ، فخفف ذلك عنهم ، فجعل على الرجل رجلان . قال ابن عباس : فما أحبّ أن يعلم الناس تخفيف ذلك عنهم .

١٦٢٧١ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال : قال محمد بن إسحق ، حدثني عبد الله بن أبي نجيح المكي ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن عبد الله ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية ، ثقلت على المسلمين ، وأعظموا أن يقاتل عشرون مئتين ، ومئة ألفاً ، فخفف الله عنهم . فنسخها بالآية الأخرى فقال : « الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين » ، قال : وكانوا إذا كانوا على الشطر من عدوهم لم ينبغ لهم أن يفروا منهم . وإن كانوا دون ذلك ، لم يجب عليهم أن يقاتلوا ، وجاز لهم أن يتحوّزوا عنهم .[1]

١٦٢٧٢ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين » ، قال : كان لكل رجل من المسلمين عشرة ، لا ينبغي له أن يفرّ منهم . فكانوا كذلك حتى أنزل الله : «الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين » ، فعبأ لكل رجل من المسلمين رجلين من المشركين ، فنسخ الأمر الأول = وقال مرة أخرى في قوله : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين » ، فأمر الله الرجل من المؤمنين أن يقاتل عشرة من الكفار ، فشق ذلك على المؤمنين ، ورحمهم الله ، فقال : « إن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين » ، ١٠/١٥٨

(١) الأثر : ١٦٢٧١ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣١ ، وهو تابع الأثر التالي رقم : ١٦٢٨٥ ، قدم الطبري وأخر في هذا الموضع ، فاختلف ترتيب نقله من تفسير ابن إسحق في سيرته .

فأمر الله الرجلَ من المؤمنين أن يقاتل رجلين من الكفار.

١٦٢٧٣ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال » ، إلى قوله : « بأنهم قوم لا يفقهون »، وذلك أنه كان جعل على كل رجل من المسلمين عشرة من العدو يؤشِّبهم = يعني : يغريهم[1] = بذلك، ليوطنوا أنفسهم على الغزو ، وأن الله ناصرهم على العدو ، ولم يكن أمراً عزمه الله عليهم ولا أوجبه ، ولكن كان تحريضاً ووصية أمر الله بها نبيه ، ثم خفف عنهم فقال: « الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً » ، فجعل على كل رجلٍ رجلين بعد ذلك ، تخفيفاً ، ليعلم المؤمنون أن الله بهم رحيم ، فتوكلوا على الله وصبروا وصدقوا . ولو كان عليهم واجباً ، كفّروا إذنْ كلَّ رجل من المسلمين [نكل] عمن لقي من الكفار إذا كانوا أكثر منهم فلم يقاتلوهم .[2] فلا يغرَّنك قولُ رجالٍ ! فإني قد سمعت رجالاً يقولون : إنه لا يصلح لرجل من المسلمين أن يقاتل حتى يكون على كل رجل رجلان ، وحتى يكون على كل رجلين أربعة ، ثم بحساب ذلك . وزعموا أنهم يعصون الله إن قاتلوا حتى يبلغوا عدةَ ذلك ، وأنه لا حرج عليهم أن لا يقاتلوا حتى يبلغوا عدةَ أن يكون على كل رجل رجلان ، وعلى كل رجلين أربعة، وقد قال الله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٧]، وقال الله: ﴿ فَقَاتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة النساء : ٨٤] ، فهو التحريض الذي أنزل الله

---

(١) « التأشيب » التحريش بين القوم بالشر ، ومثله « التأشيب » بمعنى الإغراء بالعدو ، انظر ما سلف في التعليق على رقم : ١٦٠٥٩ ، ج ١٣ : ٥٣١ ، تعليق رقم : ٢ ، وكتب اللغة مقصرة في بيان معنى هذا الحرف من العربية .

(٢) في المطبوعة : « ولو كان عليهم واجباً الغزو إذا بعد كل رجل من المسلمين عمن لقي من الكفار » ، جاء بكلام لا معنى له . وكان في المخطوطة : « ولو كان عليهم واجباً كفروا إذا كل رجل من المسلمين عمن لقي من الكفار » ، وصواب الجملة ما أثبت ، ولكن الناسخ أسقط ، والله أعلم ، [نكل] التي وضعها بين القوسين . و « نكل عن عدوه » ، نكص .

عليهم فى « الأنفال » ، فلا تعجزنّ ، قاتلْ ، قد سقطت بين ظَهْرَىْ أناس كما شاء الله أن يكونوا . (١)

١٦٢٧٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح ، عن الحصين ، عن زيد ، عن عكرمة والحسن قالا : قال فى « سورة الأنفال » = « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين وإن يكن منكم مئة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون » ، ثم نسخ فقال : « الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً » ، إلى قوله : « والله مع الصابرين » .

١٦٢٧٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن عكرمة فى قوله : « إن يكن منكم عشرون صابرون » ، قال : واحد من المسلمين وعشرة من المشركين . ثم خفف عنهم ، فجعل عليهم أن لا يفرّ رجل من رجلين .

١٦٢٧٦ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله : « إن يكن منكم عشرون صابرون » ، إلى قوله : « وإن يكن منكم مئة » ، قال : هذا لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، جعل على الرجل منهم قتال عشرة من الكفار ، (٢) فضجوا من ذلك ، فجعل على الرجل قتال رجلين ، تخفيفاً من الله .

١٦٢٧٧ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إبراهيم بن يزيد ، عن عمرو بن دينار ، وأبى معبد ، عن ابن عباس قال : إنما أمر الرجل أن يصبر نفسه لعشرة ، والعشرة لمئة ، إذ المسلمون قليل ، فلما كثر

---

(١) فى المطبوعة : « فلا يعجزك قاتل قد سقطت » ، وهو بلا معنى ، صوابه ما فى المخطوطة كما أثبته ، وهو فيها غير منقوط ، وهذا صواب قراءة . وقوله : « فلا تعجزن » ، يعنى لا تقعد عن القتال عجزاً ، ولكن قاتل ، فإنك قد وقعت بين عدد من العدو ، كما شاء الله أن يكون عددهم ، قلوا أو كثروا .

(٢) فى المطبوعة فى الموضعين حذف « قتال » ، لأنها فى المخطوطة : « فقال » ، وصواب قراءتها ما أثبت .

المسلمون ، خفف الله عنهم . فأمر الرجل أن يصبر لرجلين ، والعشرة للعشرين ، والمئة للمئتين .

١٦٢٧٨ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين » ، قال : كان فرض عليهم إذا لقي عشرون مئتين أن لا يفروا ، فإنهم إن لم يفروا غَلَبوا ، ثم خفف الله عنهم وقال : « إن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين » ، فيقول : لا ينبغي أن يفر ألف من ألفين ، فإنهم إن صبروا لهم غلبوهم . ٢٩/١٠

١٦٢٧٩ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين » ، جعل الله على كل رجل رجلين ، بعد ما كان على كل رجل عشرة = وهذا الحديث عن ابن عباس .

١٦٢٨٠ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يزيد بن هرون ، عن جرير بن حازم ، عن الزبير بن الخرِّيت ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : كان فُرِض على المؤمنين أن يقاتل الرجل منهم عشرة من المشركين ، قوله : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين وإن يكن منكم مئة يغلبوا ألفاً » ، فشق ذلك عليهم ، فأنزل الله التخفيف ، فجعل على الرجل أن يقاتل الرجلين ، قوله : « إن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين » ، فخفف الله عنهم ، ونُقِصوا من النصر بقدر ذلك .(١)

١٦٢٨١ – حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين » ، يقول : يقاتلوا مئتين ، فكانوا أضعف من ذلك ، فنسخها الله عنهم ، فخفف

---

(١) في المطبوعة : « ونقصوا من الصبر » ، زاد « واواً » ، وغير « النصر » ، فأفسد الكلام . غفر الله له .

فقال : «فإن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين» ، فجعل أول مرة الرجل لعشرة ، ثم جعل الرجل لاثنين .

١٦٢٨٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين » ، قال : كان فرض عليهم إذا لقي عشرون مئتين أن لا يفروا ،فإنهم إن لم يفرُّوا غَلَبوا . ثم خفف الله عنهم فقال : « إن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله » ، فيقول : لا ينبغي أن يفرّ ألف من ألفين ، فإنهم إن صبروا لهم غلبوهم .

١٦٢٨٣ – حدثنا الحسن قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا الثوري ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : كان هذا واجباً : أن لا يفر واحد من عشرة .

١٦٢٨٤ – وبه قال : أخبرنا الثوري ، عن الليث ، عن عطاء ، مثل ذلك .

* * *

وأما قوله : « بإنهم قوم لا يفقهون» ، فقد بيّنا تأويله .(١)

* * *

وكان ابن إسحق يقول في ذلك ما : –

١٦٢٨٥ – حدثنا به ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « بأنهم قوم لا يفقهون »، أي : لا يقاتلون على نِيَّةٍ ولا حقٍّ فيه،ولا معرفة بخير ولا شر .(٢)

* * *

قال أبو جعفر : وهذه الآية = أعني قوله : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين » = وإن كان مخرجها مخرج الخبر ، فإن معناها الأمر . يدلّ على

---

(١) انظر ما سلف ص : ٥١ .

(٢) الأثر : ١٦٢٨٥ – سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣١ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٢٥٧ ، وقد أخره أبو جعفر عن موضعه إلى هذا الموضع ، وقدم عليه الخبر رقم : ١٦٢٧١ ، وهو تال له في تفسير السورة في سيرة ابن هشام .

وكان في المطبوعة . «ولا معرفة لخير» ، وأثبت ما في المخطوطة والسيرة .

ذلك قوله : « الآن خفف الله عنكم » ، فلم يكن التخفيف إلا بعد التثقيل . ولو كان ثبوت العشرة منهم للمئة من عدوهم كان غير فرض عليهم قبل التخفيف ، وكان ندباً ، لم يكن للتخفيف وجه ، لأن التخفيف إنما هو ترخيص فى ترك الواحد من المسلمين الثبوتَ للعشرة من العدو . وإذا لم يكن التشديد قد كان له متقدِّماً ، لم يكن للترخيص وجه ، إذ كان المفهوم من الترخيص إنما هو بعد التشديد . وإذ كان ذلك كذلك ، فمعلوم أن حكم قوله : « الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً » ، ناسخ لحكم قوله : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين وإن يكن منكم مئة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا » . وقد بينا فى كتابنا ﴿ كتاب البيان عن أصول الأحكام ﴾ ،[1] أن كل خبرٍ من الله وعد فيه عباده على عملٍ ثواباً وجزاء ، وعلى تركه عقاباً وعذاباً ، وإن لم يكن خارجاً ظاهرُه مخرج الأمر ، ففى معنى الأمر = بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « وعلم أن فيكم ضعفاً » .

فقرأه بعض المدنيين وبعض البصريين : ﴿ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضُعْفاً ﴾ ، بضم « الضاد » فى جميع القرآن ، وتنوين « الضعف » ، على المصدر من : « ضَعُف الرجل ضُعْفاً » .

* * *

وقرأه ذلك عامة قرأة الكوفيين : ﴿ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً ﴾ ، بفتح « الضاد » ، على المصدر أيضاً من « ضَعُف » .

* * *

وقرأه بعض المدنيين : ﴿ ضُعَفَاء ﴾ ، على تقدير « فعلاء » جمع « ضعيف » على ٣٠/١٠
« ضعفاء » ، كما يجمع « الشريك » ، « شركاء » ، و « الرحيم » ، « رُحماء » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءات فى ذلك بالصواب ، قراءة من قرأه : ﴿ وَعَلِمَ

---

(١) فى المطبوعة : « كتاب لطيف البيان » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، والكتاب هو هو .

أنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً ﴾، و﴿ ضُعْفاً ﴾، بفتح الضاد أو ضمها، لأنهما القراءتان المعروفتان، وهما لغتان مشهورتان فى كلام العرب فصيحتان بمعنى واحد ، فبأيّهما قرأ القارئ فهو مصيبٌ الصوابَ .

* * *

فأما قراءة من قرأ ذلك : « ضعفاء » ، فإنها عن قراءة القرأة شاذة ، وإن كان لها فى الصحة مخرج ، فلا أحبُّ لقارئٍ القراءةَ بها .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٦٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ما كان لنبى أن يحتبس كافراً قدر عليه وصار فى يده من عبدة الأوثان للفداء أو للمنّ .

* * *

و« الأسر » فى كلام العرب : الحبس ، يقال منه : « مأسورٌ »، يراد به : محبوس . ومسموع منهم : « أبـاله الله أسْراً » .(١)

* * *

وإنما قال الله جل ثناؤه [ذلك]لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، يعرِّفه أن قتل المشركين الذين أسرهم صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثم فادى بهم ،كان أولى بالصواب من أخذ الفدية منهم وإطلاقهم .

* * *

(١) انظر تفسير « الأسير » فيما سلف ٢ : ٣١١ ، ٣١٢ .
وأما قوله: « أباله الله أسرا » ، فإن « الأسر » « بضم الألف وسكون السين » ، وهو احتباس البول ، يقال : « أخذه الأسر » . وهذه الجملة كانت فى المخطوطة : « أبى الله أسراً » ، وفى لسان العرب ، كما فى المطبوعة « أناله بالنون » ، وفى أساس البلاغة : « وفى أدعيتهم : أبى لك الله أسرا » . والذى فى المخطوطة وأساس البلاغة يرجح صواب ما قرأته بالباء .

وقوله : « حتى يثخن فى الأرض » ، يقول : حتى يبالغ فى قتل المشركين فيها ، ويقهرهم غلبة وقسراً .

* * *

يقال منه : « أثخن فلان فى هذا الأمر » ، إذا بالغ فيه . وحكى : « أثخنته معرفةً » ، بمعنى : قتلته معرفةً .

* * *

= « تريدون » ، يقول للمؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تريدون » ، أيها المؤمنون ، « عرض الدنيا » ، بأسركم المشركين = وهو ما عَرَض للمرء منها من مال ومتاع .[1] يقول : تريدون بأخذكم الفداء من المشركين متاع الدنيا وطُعْمها = « والله يريد الآخرة » ، يقول : والله يريد لكم زينة الآخرة وما أعدّ للمؤمنين وأهل ولايته فى جناته ، بقتلكم إياهم ، وإثخانكم فى الأرض . يقول لهم : فاطلبوا ما يريد الله لكم وله اعملوا ،[2] لا ما تدعوكم إليه أهواء أنفسكم من الرغبة فى الدنيا وأسبابها = « والله عزيز » ، يقول : إن أنتم أردتم الآخرة ، لم يغلبكم عدوّ لكم ، لأن الله عزيز لا يقهر ولا يغلب = وأنه « حكيم »[3] فى تدبيره أمرَ خلقه .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال هل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٢٨٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض » ، وذلك يوم بدر ، والمسلمون يومئذ قليل ، فلما كثروا واشتد سلطانهم ، أنزل الله تبارك وتعالى بعد هذا فى الأسارى : ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ ، [سورة محمد : ٤] ، فجعل الله النبيَّ والمؤمنين فى أمر الأسارى بالخيار ، إن

---

(١) انظر تفسير « العرض » فيما سلف ٩ : ١٣/٧١ : ٢١١

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « واطلبوا » ، والسياق للفاء لا للواو .

(٣) انظر تفسير « عزيز » و « حكيم » فيما سلف من فهارس اللغة (عزز) ، (حكم) .

شاؤوا قتلوهم ، وإن شاؤوا استعبدوهم ، وإن شاؤوا فادَوْهم .

١٦٢٨٧ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا » ، الآية ، قال : أراد أصحاب نبيّ الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر الفداءَ ، ففادوهم بأربعة آلاف أربعة آلاف.[1] ولعمرى ما كان أثخن رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ! وكان أول قتال قاتله المشركين .

١٦٢٨٨ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن فضيل، عن حبيب بن أبى عمرة ، عن مجاهد قال : « الإثخان » ، القتل .[2]

١٦٢٨٩ – حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا شريك ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير فى قوله : « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض » ، قال : إذا أسرتموهم فلا تفادوهم حتى تثخنوا فيهم القتلَ .

١٦٢٩٠ – . . . . قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا إسرائيل ، عن خصيف ، عن مجاهد : « ما كان لنبي أن يكون له أسرى » ، الآية ، نزلت الرخصة بعدُ ، إن شئت فمنّ ، وإن شئت ففاد .

١٦٢٩١ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض » ، يعنى الذين أسروا ببدر . ٣١/١٠

١٦٢٩٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ما كان لنبي أن يكون له أسرى » ، من عدوه = «حتى يثخن فى الأرض » ، أى:

---

(١) فى المطبوعة حذف « أربعة آلاف » ، الثانية ، كأنها لم تعجبه ، غفر الله له ! !

(٢) الأثر : ١٦٢٨٨ – « حبيب بن أبى عمرة » ، القصاب ، أو : اللحام ، « أبو عبد الله الحمانى » ، ثقة قليل الحديث سلف برقم : ١٠٢٢٤ .

يثخن عدوه حتى ينفيهم من الأرض = « تريدون عرض الدنيا » ، أى : المتاع والفداء بأخذ الرجال = « والله يريد الآخرة » ، بقتلهم ، لظهور الدين الذى يريدون إطفاءه ، الذى به تدرك الآخرة .(١)

١٦٢٩٣ – حدثنى أبو السائب قال ، حدثنا أبو معاوية قال ، حدثنا الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبى عبيدة ، عن عبد الله قال : لما كان يوم بدر وجىء بالأسرى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تقولون فى هؤلاء الأسرى ؟ فقال أبو بكر : يا رسول الله ، قومك وأهلك ، استبقهم واستأنهم ،(٢) لعل الله أن يتوب عليهم . وقال عمر : يا رسول الله ، كذبوك وأخرجوك ، قدّمهم فاضرب أعناقهم ! وقال عبد الله بن رواحة : يا رسول الله ، انظر وادياً كثير الحطب فأدخلهم فيه ، ثم أضرمه عليهم ناراً . قال : فقال له العباس : قُطِعتْ رَحِمُك ! قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبهم ، ثم دخل . فقال ناس : يأخذ بقول أبى بكر . وقال ناس : يأخذ بقول عُمر . وقال ناس : يأخذ بقول عبد الله بن رواحة . ثم خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنّ الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن ، وإن الله ليشدد قلوبَ رجال حتى تكون أشد من الحجارة ! وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال : ﴿ مَنْ تَبِعَنِى فَإِنَّهُ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة إبراهيم : ٣٦] ، ومثلك يا أبابكر مثل عيسى قال : ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ ، الآية [سورة المائدة : ١١٨] .

---

(١) الأثر : ١٦٢٩٢ – سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣٢ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٢٧١ . وفى لفظ سيرة ابن هشام بعض الاختلاف ، وأشك فى قوله هناك : « أى : قتلهم لظهور الدين الذى يريد إظهاره ، والذى تدرك به الآخرة » .

(٢) كان فى المطبوعة : « واستأن بهم » ، وهو نص الخبر فى مسند أحمد وغيره ، من « الأناة » . يقال : « استأنى بالشىء » ، ترفق به ، وأخره وانتظر به ، وتربص به . ونقل صاحب أساس البلاغة : « واستأنيت فلاناً » : لم أعجله ، وأنشد لابن مقبل :

وقَوْمٌ بأَيدِيهِمْ رِماحُ رُدَينَةٍ شَوَارِعَ تَسْتأنى دَماً أو تَسَلَّفُ

قال : « تنظره أو تتعجله » .

ورواية « واستأنهم » هذه هى الثابتة فى تاريخ أبى جعفر ، فى رواية هذا الخبر .

ومثلك ياعمر مثل نوح ، قال : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً ﴾ ، [سورة نوح : ٢٦] ، ومثلك كمثل موسى قال : (١) ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ [سورة يونس : ٨٨] . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنتم اليوم عالة ، (٢) فلا ينفلتنّ أحدٌ منهم إلا بفداء أو ضرب عنق . قال عبد الله بن مسعود : إلا سهيل بن بيضاء ، فإني سمعته يذكر الإسلام ! فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما رأيتني في يوم أخوفَ أن تقع عليّ الحجارة من السماء ، مني في ذلك اليوم ، حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إلاّ سهيل بن بيضاء . قال : فأنزل الله : « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض » ، إلى آخر الثلاث الآيات . (٣)

---

(١) في المطبوعة : « ومثلك يا ابن رواحة كمثل موسى » ، زاد من عنده ما ليس في المخطوطة ، وهو اجتراء قبيح بلا علم ، فإن الحديث ليس فيه هذه الزيادة ، والقول فيه موجه إلى عمر ، ولم يذكر فيه عن ابن رواحة مثل ، كما في جميع المراجع ، بل في بعضها : « وإن مثلك يا عمر كمثل موسى » . فهذه زيادة لا تحل لأحد .

وإنما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب مثل لعبد الله بن رواحة ، والله أعلم ، لما في مشورته من النكال الشديد ، فإنه لا يعذب بالنار إلا رب النار سبحانه وتعالى ، وأعاذنا من عذاب جهنم بفضله ورحمته ومنه على كل عاص من عباده .

(٢) « العالة » ، الفقراء ذوي الفاقة ، جمع « عائل » . و « عال الرجل » ، احتاج وافتقر .

(٣) الأثر : ١٦٢٩٣ — إسناده منقطع ، لأن « أبا عبيدة بن عبد الله بن مسعود » ، لم يسمع من أبيه .

وهذا الخبر رواه أحمد في مسنده من هذه الطريق نفسها رقم : ٣٦٣٢ — ٣٦٣٤ ،

ورواه الحاكم في المستدرك ٣ : ٢١ ، ٢٢ ، من طريق جرير بن عبد الحميد ، عن الأعمش ، وقال « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » ، وقال الذهبي : « صحيح ، سمعه جرير ابن عبد الحميد » .

ورواه الطبري في تاريخه ٢ : ٢٩٥ ، بلفظه وإسناده .

ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ٦ : ٨٦ ، ٨٧ ، وفصل الكلام فيه ، وقال : « رواه أحمد . . . ورواه الطبراني ، وفيه أبو عبيدة ، ولم يسمع من أبيه ، ولكن رجاله ثقات » .

ورواه الواحدي في أسباب النزول : ١٧٨

وأما قوله « إلا سهيل بن بيضاء » ، فهو خطأ من بعض الرواة ، وإنما هو « سهل بن بيضاء » أخو « سهيل » لأبيه وأمه ، قال ابن سعد : « أسلم بمكة وكتم إسلامه ، فأخرجته قريش معها في نفير بدر ، فشهد بدراً مع المشركين ، فأسر يومئذ . فشهد له عبد الله بن مسعود أنه رآه يصلي بمكة ،

١٦٢٩٤ – حدثنا ابن بشار قال، [حدثنا عمر بن يونس اليمامى] قال ، حدثنا عكرمة بن عمار قال ، حدثنا أبو زميل قال ، حدثنى عبد الله بن عباس قال : لما أسروا الأسارى، يعنى يوم بدر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين أبو بكر وعمر وعلى ؟ قال : ما ترون فى الأسارى ؟ فقال أبو بكر : يا رسول الله ، هم بنو العم والعشيرة، وأرى أن تأخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار، وعسى الله أن يهديهم للإسلام ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ترى يا ابن الخطاب ؟ فقال : لا والذى لا إله إلا هو، ما أرى الذى رأى أبو بكر، يا نبى الله ، ولكن أرى أن تمكننا منهم ، فتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من العباس فيضرب عنقه ، وتمكنى من فلان ، نسيبٍ لعمر ، فأضرب عنقه ، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها . فهوِىَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهوَ ما قلت . (١) قال عمر : فلما كان من الغد ، جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا هو وأبو بكر قاعدان يبكيان، فقلت : يا رسول الله ، أخبرنى من أىّ شىء تبكى أنتَ وصاحبك ، فإن وجدت بكاء بكيت ، وإن لم أجد بكاء تباكيت ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبكى للذى عرَض لأصحابى من أخذهم الفداء ، ولقد عُرِض على عذابكم أدنى من هذه الشجرة ! لشجرة قريبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله عز وجل : « ما كان لنبى أن تكون ١٠/٣٢ له أسرى حتى يثخن فى الأرض » ، إلى قوله : « حلالاً طيباً » ، وأحلّ الله الغنيمة لهم . (٢)

* * *

فخل عنه . والذى روى القصة فى سهيل بن بيضاء قد أخطأ ، سهيل بن بيضاء أسلم قبل عبد الله ابن مسعود ، ولم يستخف بإسلامه ، وهاجر إلى المدينة ، وشهد بدراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلماً ، لاشك فيه . فخلط من روى ذلك الحديث ما بينه وبين أخيه، لأن سهيلا أشهر من أخيه سهل ، والقصة فى سهل » ، ابن سعد ٤/١/١٥٦ .

(١) هذا الخبر عن ابن عباس ، عن عمر رضى الله عنه ، كما سترى فى التخريج .

(٢) الأثر : ١٦٢٩٤ – « أبو زميل » ، هو « سماك بن الوليد الحنفى » ، سلف أخيراً

القول فى تأويل قوله ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٦٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لأهل بدر الذين غنموا وأخذوا من الأسرى الفداء: « لولا كتاب من الله سبق » ، يقول : لولا قضاء من الله سبق لكم أهل بدر فى اللوح المحفوظ ، بأن الله مُحِلٌّ لكم الغنيمة ، وأن الله قضى فيما قضى أنه لا يُضِلّ قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ،[1] وأنه لا يعذب أحداً شهد المشهد الذى شهدتموه ببدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ناصراً دينَ الله = لنالكم من الله ، بأخذكم الغنيمة والفداء ، عذاب عظيم .[2]

* * *

برقم : ١٥٧٣٤ ، ١٦٠٠ ، وسائر رجال الإسناد قد مضوا جميعاً .

وكان فى المطبوعة والمخطوطة: «حدثنا ابن بشار قال حدثنا عكرمة بن عمار » ، وهو إسناد مختل ، والظاهر أن الناسخ كتب « ابن بشار » فى آخر الصفحة ، كما هو فى مخطوطتنا ، ثم لما انتقل إلى أول الصفحة التالية كتب : « حدثنا عكرمة بن عمار » ، فأسقط من الإسناد ما أثبته بين القوسين ، واستظهرته من رواية صدر هذا الخبر نفسه فى الترمذى ، فى كتاب التفسير ، حيث رواه مختصراً ، قال : « حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا عمر بن يونس اليمامى ، حدثنا عكرمة بن عمار ، حدثنا أبو زميل ، حدثنى عبد الله بن عباس ، حدثنى عمر بن الخطاب » .

وقد مضى مختصراً كما فى الترمذى ، برقم : ١٥٧٣٤ ، وقد بينت تخريج الخبر هناك .

وهذا الخبر مطولا رواه أحمد فى مسنده رقم : ٢٠٨ ، ٢٢١ ، من طريق أبى نوح قراد ، عن عكرمة بن عمار .

ورواه مسلم فى صحيحه مطولا ١٢ : ٨٤ – ٨٧ ، من طريق هناد بن السرى ، عن ابن المبارك ، عن عكرمة ، ثم من طريق زهير بن حرب ، عن عمر بن يونس الحنفى (اليمامى) ، عن عكرمة .

ورواه أبو جعفر فى التاريخ ٢ : ٢٩٤ ، مطولا ، من طريق أحمد بن منصور ، عن عاصم ابن على ، عن عكرمة .

ورواه الواحدى فى أسباب النزول : ١٧٩ .

وهو حديث صحيح ، لا يعرف إلا من طريق عكرمة بن عمار ، كما سلف .

وخرجه ابن كثير فى تفسير ٤٥ : ١٨ ، ١٩ .

(١) انظر تفسير « كتاب » فيما سلف من فهارس اللغة (كتب) .

(٢) انظر تفسير « المس » فيما سلف ١٣ : ٣٣٣ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٢٩٥ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا ابن أبى عدى قال، حدثنا عوف ، عن الحسن فى قوله : « لولا كتاب من الله سبق » الآية ، قال : إن الله كان مُطْعِم هذه الأمة الغنيمةَ ، وإنهم أخذوا الفداء من أسارى بدر قبل أن يؤمروا به . قال : فعاب الله ذلك عليهم ، ثم أحله الله .

١٦٢٩٦ – حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع قال، حدثنا بشر بن المفضل عن عوف ، عن الحسن فى قول الله : « لولا كتاب من الله سبق » الآية ، وذلك يوم بدر ، وأخذ أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم المغانمَ والأسارى قبل أن يؤمروا به ، وكان الله تبارك وتعالى قد كتب فى أم الكتاب : « المغانم والأسارى حلال لمحمد وأمته »، ولم يكن أحله لأمة قبلهم ، وأخذوا المغانم وأسروا الأسارى قبل أن ينزَّل إليهم فى ذلك ، قال الله : « لولا كتاب من الله سبق » ، يعنى فى الكتاب الأول . أن المغانم والأسارى حلال لكم = « لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » .

١٦٢٩٧ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « لولا كتاب من الله سبق » الآية ، وكانت الغنائم قبل أن يبعث النبى صلى الله عليه وسلم فى الأمم ، إذا أصابوا مغنمًا جعلوه للقربان ، وحرم الله عليهم أن يأكلوا منه قليلاً أو كثيراً . حُرِّم ذلك على كل نبى وعلى أمته ، فكانوا لا يأكلون منه ، ولا يغلُّون منه ، ولا يأخذون منه قليلاً ولا كثيراً إلا عذبهم الله عليه . وكان الله حرمه عليهم تحريماً شديداً ، فلم يحله لنبىّ إلاّ لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وكان قد سبق من الله فى قضائه أن المغنم له ولأمته حلال ، فذلك قوله يوم بدر ، فى أخذ الفداء من الأسارى : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » .

١٦٢٩٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة ، عن عروة ، عن

الحسن : « لولا كتاب من الله سبق » ، قال : إن الله كان مُعطِيَ هذه الأمة الغنيمةَ ، وفعلوا الذى فعلوا قبل أن تُحَلّ الغنيمة .

١٦٢٩٩ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ،حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر قال ، قال الأعمش فى قوله: «لولا كتاب من الله سبق » ، قال : سبق من الله أن أحل لهم الغنيمة .

١٦٣٠٠ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن بشير بن ميمون قال : سمعت سعيداً يحدث ، عن أبى هريرة ، قال : قرأ هذه الآية : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » ، قال : يعنى : لولا أنه سبق فى علمى أنى سأحلُّ الغنائم ، لمسكم فيما أخذتم من الأسارى عذاب عظيم .(١)

١٦٣٠١ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا جابر بن نوح ، وأبو معاوية بنحوه ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أحلت الغنائم لأحدٍ سُودِ الرؤوس من قبلكم ، كانت تنزل نارٌ من السماء وتأكلها ، حتى كان يوم بدر ، فوقع الناس فى الغنائم ، فأنزل الله : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم »، حتى بلغ ، « حلالاً طيباً » .

١٦٣٠٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، بنحوه = قال : فلما كان يوم بدر أسرَع الناس فى الغنائم .(٢)

---

(١) الأثر : ١٦٣٠٠ – « بشير بن ميمون الخراسانى الواسطى »، أبو صيفى ، ضعيف، منكر الحديث ، متهم بالوضع . وقال أبو حاتم : « ضعيف الحديث ، وعامة روايته مناكير » . وأجمعوا على طرح حديثه ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/٢/١٠٥ ، وابن أبى حاتم ١/١/٣٧٩ ، وميزان الاعتدال ١ : ١٥٣ ، ١٥٤ .

و « سعيد » هو « سعيد بن أبى سعيد المقبرى » .

(٢) الأثران : ١٦٣٠١ ، ١٦٣٠٢ – حديث صحيح الإسناد ، إلا ما كان من أمر « جابر بن نوح الحمانى » ، ليس حديثه بشىء ، ضعيف ، قال يحيى بن معين : « جابر بن نوح ،

١٦٣٠٣ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن فضيل ، عن أشعث بن سوار ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة ، قال : أسر المسلمون من المشركين سبعين وقتلوا سبعين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اختاروا أن تأخذوا منهم الفداء فتقوَّوْا به على عدوكم ، وإن قبلتموه قتل منكم سبعون = أو تقتلوهم! فقالوا : بل نأخذ الفدية منهم ،وقُتل منهم سبعون ، قال عبيدة، وطلبوا الخيرتين كلتيهما .(١) ١٠/٣٣

١٦٣٠٤ – حدثنا أبو كريب قال،حدثنا ابن فضيل ، عن أشعث ، عن عبيدة قال: كان فداء أسارى بدر مئة أوقية ، و « الأوقية » أربعون درهماً ، ومن الدنانير ستة دنانير .(٢)

١٦٣٠٥ – حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم قالا، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا ابن عون ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة : أنه قال فى أسارى بدر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن شئتم قتلتموهم ، وإن شئتم فاديتموهم واستشْهِد منكم بعِدَّتهم ! فقالوا : بلى،(٣) نأخذ الفداء فنستمتع به، ويستشهد منا بعِدَّتهم .

إمام مسجد بنى حمان ، ولم يكن بثقة ، كان ضعيفاً » . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/٢/٢١٠ ، وابن أبى حاتم ١/١/٥٠٠ ، وميزان الاعتدال ١ : ١٧٦ ، وأبو كريب رواه عن جابر ، وعن أبى معاوية ، فحديث أبى معاوية هو الصحيح .

وهذا الخبر رواه الترمذى فى كتاب التفسير من طريق عبد بن حميد ، عن معاوية بن عمرو ، عن زائدة ، عن الأعمش ، وقال : « هذا حديث حسن صحيح » .

ورواه البيهقى فى السنن ٦ : ٢٩٠ من طريق محاضر ، عن الأعمش ، ومن طريق أبى معاوية، عن الأعمش .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٢٠٣ ، وزاد نسبته إلى النسائى ، وابن أبى شيبة فى المصنف ، وابن أبى حاتم ، وأبى الشيخ ، وابن مردويه .

(١) « الخيرة » (بكسر الخاء وسكون الياء ، أو فتح الياء) ، هو ما يختار ويصطفى من الخير .

(٢) انظر تقدير « الأوقية » فيما سلف فى الأثر رقم : ١٦٠٥٨ .

(٣) انظر مجىء « بلى » فى غير جحد ، فيما سلف فى الأثر رقم : ٧٨١ ج ١ : ٥٥٤ / ثم ٢ : ٢٨٠ ، ١٠/٥١٠ : ٩٨ ، تعليق : ٤ / ثم ١٠ : ٢٥٣ ، تعليق : ٣/ثم ١٢ : ١٧٤ ، تعليق : ٣ .

١٦٣٠٦ – حدثني أحمد بن محمد الطوسي قال، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال ، حدثنا همام بن يحيي قال ، حدثنا عطاء بن السائب ، عن أبي وائل ، عن عبد الله بن مسعود قال : أمر عمر رحمه الله بقتل الأسارى ، فأنزل الله : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » .(١)

١٦٣٠٧ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « لولا كتاب من الله سبق » ، قال : : كان المغنم محرَّماً على كل نبي وأمته ، وكانوا إذا غنموا يجعلون المغنم لله قرباناً تأكله النار . وكان سبق في قضاء الله وعلمه أن يحلّ المغنم لهذه الأمة ، يأكلونه في بطونهم .

١٦٣٠٨ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن عطاء في قول الله : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم »، قال : كان في علم الله أن تحلّ لهم الغنائم ، فقال: « لولا كتاب من الله سبق »، بأنه أحل لكم الغنائم = « لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : لولا كتاب من الله سبق لأهل بدر، أن لا يعذبهم ، لمسهم عذاب عظيم .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٣٠٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أحمد الزبيري ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد : « لولا كتاب من الله سبق » ، قال : لأهل بدر ، من السعادة .

١٦٣١٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن نمير، عن ورقاء ، عن ابن

---

(١) الأثر : ١٦٣٠٦ – « همام بن يحيى بن دينار الأزدي » ، ثقة ، مضى برقم : ١٠١٩٠ ، ١١٧٢٥ .
وهذا خبر صحيح إسناده .

أبي نجيح ، عن مجاهد : « لولا كتاب من الله سبق » ، لأهل بدر ، مَشْهدَهم .

١٦٣١١ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن : « لولا كتاب من الله سبق » ، قال : سبق من الله خيرٌ لأهل بدر .

١٦٣١٢ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » ، كان سبق لهم من الله خير ، وأحلّ لهم الغنائم .

١٦٣١٣ – حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا عبد الوارث ابن سعيد ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن : « لولا كتاب من الله سبق » ، قال : « سبق » ، أن لا يعذب أحداً من أهل بدر .

١٦٣١٤ – حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « لولا كتاب من الله سبق » ، لأهل بدر ، ومشهدَهم إياه .

١٦٣١٥ – حدثني يونس قال ، أخبرني ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » ، لمسكم فيما أخذتم من الغنائم يوم بدر قبل أن أحلها لكم . فقال : سبق من الله العفو عنهم والرحمة لهم ، سبق أنه لا يعذب المؤمنين ، لأنه لا يعذب رَسوله ومن آمن به وهاجر معه ونصره .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : « لولا كتاب من الله سبق » ، أن لا يؤاخذ أحداً بفعل أتاه على جهالة = « لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٣١٦ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن

ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « لولا كتاب من الله سبق » ، لأهل بدر ، ومشهدَهم إياه ، قال : كتاب سبق لقوله : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ ﴾ [سورة التوبة : ١١٥] ، سبق ذلك ، وسبق أن لا يؤاخذ قوماً فعلوا شيئاً بجهالة = « لمسكم فيما أخذتم » ، قال ابن جريج ، قال ابن عباس : « فيما أخذتم » ، مما أسرتم . ثم قال بعد : « فكلوا مما غنمتم » . ١٠/٣٤

١٦٣١٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : عاتبه في الأسارى وأخذ الغنائم ، ولم يكن أحد قبله من الأنبياء يأكل مغنماً من عدوٍّ له . (١)

١٦٣١٨ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد قال ، حدثني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نُصِرت بالرعب ، وجُعِلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأعطيت جوامع الكلم ، وأحلّت لي المغانم ، ولم تحلّ لنبيٍّ كان قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، خمسٌ لم يُؤْتَهُنَّ نبيٌّ كان قبلي = قال محمد (٢) : فقال : « ما كان لنبيّ » ، أي : قبلك = « أن يكون له أسرى » إلى قوله : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم » ، أي : من الأسارى والمغانم = « عذاب عظيم » ، أي : لولا أنه سبق مني أن لا أعذب إلا بعد النهي ، ولم أكن نهيتكم ، لعذبتكم فيما صنعتم . ثم أحلها له ولهم رحمةً ونعمةً وعائدةً من الرحمن الرحيم . (٣)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، ما قد بيناه قبلُ . وذلك أن قوله : « لولا كتاب من الله سبق » ، خبر عامٌّ غير محصور على معنى دون

---

(١) الأثر : ١٦٣١٧ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣١ ، وهو سابق الأثر السالف رقم : ١٦٢٩٢ في ترتيب السيرة .

(٢) قوله : « محمد » ، يعني محمد بن إسحق ، لا « محمد بن علي » .

(٣) الأثر : ١٦٣١٨ — سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣٢ ، وصدره تابع الأثر السالف رقم : ١٦٣١٧ ، وسابق للأثر رقم : ١٦٢٩٢ ، ثم روى صدراً من الأثر رقم : ١٦٢٩٢ ، وأتبعه بما يليه في السيرة .

معنى ، وكل هذه المعانى التى ذكرتها عمن ذكرت ، مما قد سبق فى كتاب الله أنه لا يؤاخذ بشىء منها هذه الأمة ، وذلك : ما عملوا من عمل بجهالة ، وإحلال الغنيمة ، والمغفرة لأهل بدر ، وكل ذلك مما كتب لهم . وإذ كان ذلك كذلك ، فلا وجه لأن يخصّ من ذلك معنى دون معنى ، وقد عم الله الخبر بكل ذلك ، بغير دلالة توجب صحة القول بخصوصه .

١٦٣١٩ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : لم يكن من المؤمنين أحد ممن نُصِر إلا أحبَّ الغنائم ، إلا عمر بن الخطاب ، جعل لا يلقى أسيراً إلا ضرب عنقه ، وقال : يا رسول الله ، ما لنا وللغنائم ، نحن قوم نجاهد فى دين الله حتى يُعبد الله ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو عذبنا فى هذا الأمر يا عمر ما نجا غيرك ! قال الله : لا تعودوا تستحلون قبل أن أحلّ لكم .

١٦٣٢٠ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال ، قال ابن إسحق : لما نزلت : « لولا كتاب من الله سبق » ، الآية ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو نزل عذابٌ من السماء لم ينج منه إلا سعد بن معاذ، لقوله: يا نبى الله، كان الإثخان فى القتل أحبّ إلى من استبقاء الرجال .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٦٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين من أهل بدر : « فكلوا » ، أيها المؤمنون = « مما غنمتم » ، من أموال المشركين = « حلالاً » ، بإحلاله لكم = «طيباً واتقوا الله »، يقول: وخافوا الله أن تعودوا، أن تفعلوا فى دينكم شيئاً بعد هذه

(١) الأثر : ١٦٣٢٠ — لم أجد هذا الخبر فى سيرة ابن هشام ، فيما أقدر .

من قبل أن يُعْهَد فيه إليكم ، كما فعلتم فى أخذ الفداء وأكل الغنيمة ، وأخذتموهما من قبل أن يحلاّ لكم = « إن الله غفور رحيم » .(١)

* * *

وهذا من المؤخر الذى معناه التقديم ، وتأويل الكلام : «فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً » ، « إن الله غفور رحيم » ، « واتقوا الله » .

* * *

ويعنى بقوله : « إن الله غفور » ، لذنوب أهل الإيمان من عباده = « رحيم » ، بهم ، أن يعاقبهم بعد توبتهم منها .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمدصلى الله عليه وسلم : يا أيها النبي ، قل لمن فى يديك وفى يدى أصحابك من أسرى المشركين الذين أخذ منهم من الفداء ما أخذ: « إن يعلم الله فى قلوبكم خيراً » ، يقول : إن يعلم الله فى قلوبكم إسلاماً = « يؤتكم خيراً مما أخذ منكم » ، من الفداء = « ويغفر لكم » ، يقول : ويصفح لكم عن عقوبة جُرْمكم الذى اجترمتموه بقتالكم نبى الله وأصحابه وكفركم بالله = « والله غفور » ، لذنوب عباده إذا تابوا = « رحيم » ، بهم ، أن يعاقبهم عليها بعد التوبة .(٢) ١٠/٣٥

* * *

(١) انظر تفسير ألفاظ الآية فيما سلف من فهارس اللغة .
(٢) انظر تفسير ألفاظ هذه الآية فيما سلف من فهارس اللغة .

وذكر أن العباس بن عبد المطلب كان يقول : فيّ نزلت هذه الآية .

* ذكر من قال ذلك .

١٦٣٢١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن إدريس، عن ابن إسحق، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس قال : قال العباس : فيّ نزلت: « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض »، فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم بإسلامي . وسألته أن يحاسبني بالعشرين الأوقية التي أخذ مني، فأبى، فأبدلني الله بها عشرين عبداً، كلهم تاجر، ما لي في يديه .[1]

* * *

وقـــد : —

١٦٣٢٢ – حدثنا بهذا الحديث ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، قال محمد، حدثني الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، عن جابر بن عبد الله ابن رئاب قال : كان العباس بن عبد المطلب يقول: فيّ والله نزلت، حين ذكرتُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم إسلامي = ثم ذكر نحو حديث ابن وكيع .[2]

١٦٣٢٣ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : « قل لمن في أيديكم من الأسرى » الآية، قال : ذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم لما قدم عليه مالُ البحرين ثمانون ألفاً، وقد توضأ لصلاة الظهر،

---

(١) الأثر : ١٦٣٢١ – في المطبوعة : « أبي إسحق »، والصواب من المخطوطة، وانظر التعليق التالي .

(٢) الأثر : ١٦٣٢٢ – هذا الخبر والذي قبله، ذكرهما الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ٨، مطولا، وقال : « رواه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار، ورجال الأوسط رجال الصحيح، غير ابن إسحق، وقد صرح بالسماع » .

وظاهر أنه يعني إسناداً غير هذين الإسنادين، فإن الأول لم يصرح فيه بالسماع، والثاني فيه « الكلبي » .

وذكره الواحدي في أسباب النزول، عن الكلبي، مطولا : ١٨٠، ١٨١ .

وكان في المطبوعة والمخطوطة : « جابر بن عبد الله بن رباب »، وهو خطأ، صوابه ما أثبت .

فما أعطى يومئذ شاكياً ولا حرم سائلاً ، وما صلى يومئذ حتى فرّقه ، وأمر العباس أن يأخذ منه ويحثى ، فأخذ . قال : وكان العباس يقول : هذا خير مما أخذ منا ، وأرجو المغفرة .

١٦٣٢٤ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « يا أيها النبي قل لمن فى أيديكم من الأسرى » الآية ، وكان العباس أسر يوم بدر ، فافتدى نفسه بأربعين أوقية من ذهب ، فقال العباس حين نزلت هذه الآية : لقد أعطانى الله خصلتين ، ما أحبّ أن لى بهما الدنيا : أنى أسرت يوم بدر ففديت نفسى بأربعين أوقية، فآتانى أربعين عبداً ، وأنا أرجو المغفرة التى وعدنا الله .

١٦٣٢٥ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « يا أيها النبي قل لمن فى أيديكم من الأسرى »، إلى قوله : « والله غفور رحيم » ، يعنى بذلك : من أسر يوم بدر . يقول: إن عملتم بطاعتى ونصحتم لرسولى ، آتيتكم خيراً مما أخذ منكم، وغفرت لكم .

١٦٣٢٦ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس : « يا أيها النبي قل لمن فى أيديكم من الأسرى » ، عباس وأصحابه، قال: قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: آمنا بما جئت به ، ونشهد إنك لرسول الله ، لننصحن لك على قومنا . فنزل : « إن يعلم الله فى قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم » ، إيماناً وتصديقاً ، يخلف لكم خيراً مما أصيب منكم = « ويغفر لكم »، الشرك الذى كنتم عليه . قال : فكان العباس يقول : ما أحب أن هذه الآية لم تنزل فينا ، وأن لى الدنيا، لقد قال : « يؤتكم خيراً مما أخذ منكم » ، فقد أعطانى خيراً مما أخذ منى مئة ضعف، وقال : « يغفر لكم » ، وأرجو أن يكون قد غُفِر لى .

١٦٣٢٧ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الأسرى » الآية ، يعنى العباسَ وأصحابه ، أسروا يوم بدر . يقول الله : إن علمتم بطاعتى ونصحتم لى ولرسولى ، أعطيتكم خيراً مما أخذ منكم وغفرت لكم . وكان العباس بن عبد المطلب يقول : لقد أعطانا الله خصلتين ، ما شىء هو أفضل منهما: عشرين عبداً . وأما الثانية، فنحن فى موعود الصادق ننتظر المغفرة من الله سبحانه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٧١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه : وإن يرد هؤلاء الأسارى الذين فى ٣٦/١٠
أيديكم = « خيانتك » ، أى الغدر بك والمكرَ والخداع ، بإظهارهم لك بالقول خلافَ ما فى نفوسهم[١] = « فقد خانوا الله من قبل»، يقول : فقد خالفوا أمر الله من قبل وقعة بدر ، وأمكن منهم ببدر المؤمنين[٢] = « والله عليم » ، بما يقولون بألسنتهم ويضمرونه فى نفوسهم= « حكيم »، فى تدبيرهم وتدبير أمور خلقه سواهم .[٣]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك:

١٦٣٢٨ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن

---

(١) انظر تفسير « الخيانة » فيما سلف ص : ٢٥ ، تعليق: ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « أمكن » فيما سلف ١١ : ٢٦٣/ ١٢ : ٣١٥
(٣) انظر تفسير « عليم » و « حكيم » فيما سلف من فهارس اللغة (علم) ، (حكم) .

ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس : « وإن يريدوا خيانتك » ، يعني العباس وأصحابه في قولهم : « آمنا بما جئت به ، ونشهد إنك رسول الله، لننصحن لك على قومنا »، يقول: إن كان قولهم خيانة = « فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم » ، يقول : قد كفروا وقاتلوك ، فأمكنك الله منهم .

١٦٣٢٩ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: « وإن يريدوا خيانتك » الآية ، قال : ذكر لنا أن رجلاً كتب لنبي الله صلى الله عليه وسلم ، ثم عمد فنافق ، فلحق بالمشركين بمكة ، ثم قال : « ما كان محمد يكتب إلا ما شئت!» ، فلما سمع ذلك رجل من الأنصار، نذر لئن أمكنه الله منه ليضربنه بالسيف . فلما كان يوم الفتح ، أمَّن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلاّ عبد الله بن سعد بن أبي سرح، ومِقْيَس بن صُبابة ، [1] وابن خطل ، وامرأة كانت تدعو على النبيّ صلى الله عليه وسلم كل صباح. فجاء عثمان بابن أبي سرح ، وكان رضيعه = أو : أخاه من الرضاعة = فقال: يا رسول الله، هذا فلان أقبل تائباً نادماً ! فأعرض نبي الله صلى الله عليه وسلم . فلما سمع به الأنصاريّ أقبل متقلداً سيفه ،فأطاف به،[2] وجعل ينظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يومئ إليه . ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدّم يده فبايعه ، فقال : أما والله لقد تلوَّمتك فيه لتوفي نذرك ! [3] فقال: يا نبيّ الله، إنّي هِبْتك ، فلولا أوْمضت إليّ ! [4] فقال : إنه لا ينبغي لنبيٍّ أن يومض .[5]

١٦٣٣٠ – حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ،

---

(١) في المطبوعة : « بن ضبابة » ، وهو خطأ محض .

(٢) يقال : « طاف بالقوم ، وأطاف بهم » ، إذا استدار ، وجاء من نواحيهم وهو يحوم حولهم .

(٣) « تلوم في الأمر » و « تلوم به » ، انتظر وتلبث وتأنى ، وتعدية مثل هذا الفعل من صريح العربية .

(٤) « أومض إليه » ، أشار إشارة خفية ، من « إيماض البرق » ، إذا لمع لمعاً خفياً ، ثم يخفى .

(٥) الأثر : ١٦٣٢٩ – انظر مسند أحمد ٣ : ١٥١، حديث أنس ، بغير هذا اللفظ .

حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم » ، يقول : قد كفروا بالله ونقضوا عهده ، فأمكن منهم ببدر .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن الذين صدقوا الله ورسوله = « وهاجروا » ، يعنى هجروا قومهم وعشيرتهم ودورهم ، يعنى تركوهم وخرجوا عنهم ، وهجرهم قومهم وعشيرتهم[1] = « وجاهدوا فى سبيل الله » ، يقول : بالغوا فى إتعاب نفوسهم وإنصابها فى حرب أعداء الله من الكفار[2] = « فى سبيل الله » ، يقول : فى دين الله الذى جعله طريقاً إلى رحمته والنجاة من عذابه[3] = « والذين آووا ونصروا » ، يقول : والذين آووا رسول الله والمهاجرين معه ، يعنى : أنهم جعلوا لهم مأوًى يأوون إليه ، وهو المثوى والمسكن ، يقول : أسكنوهم ، وجعلوا لهم من منازلهم مساكنَ إذ أخرجهم قومهم من منازلهم[4] = « ونصروا » ، يقول : ونصروهم على أعدائهم وأعداء الله من المشركين = « أولئك بعضهم أولياء بعض » ، يقول : هاتان الفرقتان ، يعنى المهاجرين والأنصار ، بعضهم أنصار بعض ، وأعوان على من سواهم من

---

(١) انظر تفسير « المهاجرة » فيما سلف ٤ : ٣١٧ ، ٧/٣١٨ : ٩/٤٩٠ : ١٠٠ ، ١٢٢ .

(٢) انظر تفسير « المجاهدة » فيما سلف ٤ : ١٠/٣١٨ : ٢٩٢ ، ٤٢٣ .

(٣) انظر تفسير « سبيل الله » فيما سلف من فهارس اللغة (سبل) .

(٤) انظر تفسير « آوى » ، و « المأوى » فيما سلف ١٣ : ٤٧٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

المشركين ، وأيديهم واحدة على من كفر بالله ، وبعضهم إخوان لبعض دون أقربائهم الكفار .(١)

* * *

وقد قيل : إنما عنى بذلك أن بعضهم أولى بميراث بعض ، وأن الله ورّث بعضهم من بعض بالهجرة والنصرة ، دون القرابة والأرحام ، وأن الله نسخ ذلك بعدُ بقوله : ﴿ وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ ﴾ ، [سورة الأنفال : ٧٥ / وسورة الأحزاب : ٦] .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٣٣١ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ،حدثني معاوية ، عن علي، عن ابن عباس قوله : «إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض »، يعني : في الميراث، ٣٧/١٠ جعل الميراث للمهاجرين والأنصار دون ذوي الأرحام ،قال الله: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلاَيَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا ﴾ ، يقول : ما لكم من ميراثهم من شيء. وكانوا يعملون بذلك حتى أنزل الله هذه الآية: ﴿وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ ﴾ [سورة الأنفال ٧٥/ سورة الأحزاب : ٦] ، في الميراث ، فنسخت التي قبلها ، وصار الميراث لذوي الأرحام .

١٦٣٣٢ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « إن الذين آمنوا وهاجروا وهاجدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله » ،يقول : لا هجرة بعد الفتح ، إنما هو الشهادة بعد ذلك = « والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض » ، إلى قوله : « حتى يهاجروا » . وذلك أن المؤمنين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه سلم على ثلاث منازل : منهم المؤمن المهاجر المباين لقومه في الهجرة ، خرج إلى

(١) انظر تفسير « الولي » فيما سلف من فهارس اللغة (ولي)

قوم مؤمنين فى ديارهم وعقارهم وأموالهم= « وآووا ونصروا »،(١) وأعلنوا ما أعلن أهل الهجرة ، وشهروا السيوف على من كذّب وجحد ، فهذان مؤمنان ، جعل الله بعضهم أولياء بعض، فكانوا يتوارثون بينهم ، إذا توفى المؤمن المهاجر ورثه الأنصارى بالولاية فى الدين . وكان الذى آمن ولم يهاجر لا يرث من أجل أنه لم يهاجر ولم ينصر ، فبرّأ الله المؤمنين المهاجرين من ميراثهم ، وهى الولاية التى قال الله : « ما لكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا » . وكان حقًّا على المؤمنين الذين آووا ونصروا إذا استنصروهم فى الدين أن ينصروهم إن قاتلوا ، إلا أن يستنصروا على قوم بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم ميثاق ، فلا نصر لهم عليهم ، إلاّ على العدوّ الذين لا ميثاق لهم . ثم أنزل الله بعد ذلك أن ألحق كل ذى رحم برحمه من المؤمنين الذين هاجروا والذين آمنوا ولم يهاجروا . فجعل لكل إنسان من المؤمنين نصيباً مفروضاً بقوله: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[سورة الأنفال: ٧٥]، وبقوله : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [سورة التوبة: ٧١] .

١٦٣٣٣ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : الثلاث الآيات خواتيم الأنفال ، فيهن ذكر ما كان من ولاية رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مهاجرى المسلمين وبين الأنصار فى الميراث، ثم نسخ ذلك آخرها: ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

١٦٣٣٤ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير قوله : « إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا » ، إلى قوله : « بما تعملون بصير » ، قال : بلغنا أنها كانت فى الميراث ، لا يتوارث المؤمنون الذين هاجروا، والمؤمنون الذين لم يهاجروا . قال : ثم نزل بعد : ﴿ وَأُولُوا

(١) فى المطبوعة : «وفى قوله : آووا ونصروا» ، زاد ما ليس فى المطبوعة .

الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾، فتوارثوا ولم يهاجروا = قال ابن جريج، قال مجاهد: خواتيم « الأنفال » الثلاث الآيات، فيهن ذكر ما كان والىَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين المسلمين وبين الأنصار فى الميراث، ثم نسخ ذلك آخرها: ﴿ وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾.

١٦٣٣٥ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: « والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا » إلى قوله: « ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا »، قال: لبث المسلمون زماناً يتوارثون بالهجرة، والأعرابى المسلم لا يرث من المهاجر شيئاً، فنسخ ذلك بعد ذلك، فألحق الله[1]: ﴿وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلاَّ أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفاً ﴾،[سورة الأحزاب : ٦]، أى: من أهل الشرك، فأجيزت الوصية،[2] ولا ميراث لهم، وصارت المواريث بالملل، والمسلمون يرث بعضهم بعضاً من المهاجرين والمؤمنين، ولا يرث أهل ملتين. ٣٨/١٠

١٦٣٣٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح، عن الحسن، عن يزيد، عن عكرمة والحسن قالا: « إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله » إلى قوله: « ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا »، كان الأعرابى لا يرث المهاجر، ولا يرثه المهاجر، فنسخها فقال: ﴿ وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

١٦٣٣٧ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال،

---

(١) فى المطبوعة: « قول الله »، مكان « فألحق الله »، وأثبت ما فى المخطوطة، وهو الصواب.

(٢) فى المخطوطة: « حبرت الوصية »، هكذا غير منقوط، وكأن الصواب ما فى المطبوعة. ولو قرئت: « خيرت الوصية » (بالبناء للمجهول)، لكان وجهاً.

حدثنا أسباط ، عن السدى : « إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض » ، فى الميراث = « والذين آمنوا ولم يهاجروا » ، وهؤلاء الأعراب = « ما لكم من ولايتهم من شىء » ، فى الميراث = « وإن استنصروكم فى الدين » يقول : بأنهم مسلمون = « فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والذين كفروا بعضهم أولياء بعض » ، فى الميراث = « والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم » ، ثم نسختها الفرائض والمواريث ، = « وأولوا الأرحام » ، الذين توارثو على الهجرة = « بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » ، فتوارث الأعرابُ والمهاجرون .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٧٢)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله تعالى ذكره : « والذين آمنوا » ، الذين صدقوا بالله ورسوله = « ولم يهاجروا » ، قومهم الكفار ، ولم يفارقوا دارَ الكفر إلى دار الإسلام = « ما لكم » ، أيها المؤمنون بالله ورسوله ، المهاجرون قومَهم المشركين وأرضَ الحرب[2] = « من ولايتهم » ، يعنى : من نصرتهم وميراثهم .

* * *

(١) كانت هذه الجملة فى المطبوعة : « . . . فأولئك منكم ، الذين توارثوا على الهجرة فى كتاب الله ، ثم نسختها الفرائض والمواريث ، فتوارث الأعراب والمهاجرون » ، قدم وأخر فيما كان فى المخطوطة ، وهو : « . . . فأولئك منكم ، ثم نسختها الفرائض والمواريث ، الذى توارثوا على الهجرة فى كتاب الله ، فتوارث الأعراب والمهاجرون » ، واستظهرت الصواب كما كتبته .

(٢) انظر تفسير « الهجرة » فيما سلف ص : ٧٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

وقد ذكرت قول بعض من قال : « معنى الولاية ، ههنا الميراث » ، وسأذكر إن شاء الله من حضرني ذكره بعدُ .

* * *

= « من شيء حتى يهاجروا » ، قومَهم ودورَهم ، من دار الحرب إلى دار الإسلام = « وإن استنصروكم فى الدين » ، يقول : إن استنصركم هؤلاء الذين آمنوا ولم يهاجروا = « فى الدين » ، يعنى : بأنهم من أهل دينكم على أعدائكم وأعدائهم من المشركين = « فعليكم » ، أيها المؤمنون من المهاجرين والأنصار ، « النصر » = « إلاّ » أن يستنصروكم = « على قوم بينكم وبينهم ميثاق » ، يعنى : عهد قد وثّق به بعضكم على بعض أن لا يحاربه [1] = « والله بما تعملون بصير » ، يقول : والله بما تعملون فيما أمركم ونهاكم من ولاية بعضكم بعضاً ، أيها المهاجرون والأنصار ، وترك ولاية من آمن ولم يهاجر ونصرتكم إياهم عند استنصاركم فى الدين ، وغير ذلك من فرائض الله التى فرضها عليكم = « بصير » ، يراه ويبصره ، فلا يخفى عليه من ذلك ولا من غيره شيء . [2]

١٦٣٣٨ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا » ، قال : كان المسلمون يتوارثون بالهجرة ، وآخى النبي صلى الله عليه وسلم بينهم ، فكانوا يتوارثون بالإسلام والهجرة . وكان الرجل يسلم ولا يهاجر ، لا يرث أخاه . فنسخ ذلك قوله : ﴿ وأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالمُهَاجِرِينَ ﴾ [سورة الأحزاب : ٦] .

١٦٣٣٩ — حدثنا محمد قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهرى : أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ على رجل دخل فى الإسلام فقال :

---

(١) انظر تفسير « الميثاق » فيما سلف ١٣ : ٢١٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « بصير » فيما سلف من فهارس اللغة (بصر) .

تقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتحج البيت ، وتصوم رمضان ، وأنك لا ترى نار مشرك إلا وأنت حرب .[١]

١٦٣٤٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « وإن استنصروكم فى الدين » ، يعنى : إن استنصركم الأعراب المسلمون، أيها المهاجرون والأنصار ، على عدوهم، فعليكم أن تنصروهم ، إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق .

١٦٣٤١ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس: ترك النبي صلى الله عليه وسلم الناسَ يوم تُوفى على أربع منازل : مؤمن مهاجر ، والأنصار ، وأعرابى مؤمن لم يهاجر ، إن استنصره النبي صلى الله عليه وسلم نصره ، وإن تركه فهو إذْنُه ،[٢] وإن استنصر النبي صلى الله عليه وسلم فى الدين كان حقًّا عليه أن ينصره ، فذلك قوله : « وإن استنصروكم فى الدين فعليكم النصر » = والرابعة: التابعون بإحسان . ٣٩/١٠

١٦٣٤٢ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « إن الذين آمنوا وهاجروا » ، إلى آخر السورة ، قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى وترك الناس على أربع منازل[٣] : مؤمن مهاجر ، ومسلم أعرابى ، والذين آووا ونصروا ، والتابعون بإحسان .

* * *

---

(١) يعنى بذلك : أن يبعد منزله عن منزل المشرك ، حتى لا يرى ناره ، نهى منه صلى الله عليه وسلم عن جوار المشرك .

(٢) فى المطبوعة : « فهو إذن له » ، ثبت ما فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « قال رسول الله » ، وذلك أن كاتب المخطوطة وصل لام « قال » بألف « إن » ، ووصل ألف « إن » بنونها .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ (٧٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « والذين كفروا » ، بالله ورسوله = «بعضهم أولياء بعض » ، يقول : بعضهم أعوان بعض وأنصاره ، وأحق به من المؤمنين بالله ورسوله .[١]

* * *

وقد ذكرنا قول من قال : « عنى بذلك أن بعضهم أحق بميراث بعض من قرابتهم من المؤمنين » ،[٢] وسنذكر بقية من حضرنا ذكره .

١٦٣٤٣ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن السدى ، عن أبى مالك قال : قال رجل : نورّث أرحامنا من المشركين ! فنزلت : « والذين كفروا بعضهم أولياء بعض » ، الآية .

١٦٣٤٤ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » ، نزلت فى مواريث مشركى أهل العهد .

١٦٣٤٥ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا » ، إلى قوله : « وفساد كبير » ، قال : كان المؤمن المهاجر والمؤمن الذى ليس بمهاجر ، لا يتوارثان وإن كانا أخوين مؤمنين . قال : وذلك لأن هذا الدين كان بهذا البلد

---

(١) انظر تفسير « ولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .

(٢) فى المطبوعة : « عنى بيان أن بعضهم » ، وهو سياق فاسد . وفى المخطوطة : « عنى بيان بعضهم » ، غير منقوط ، مضطرب أيضاً فاسد . والصواب ما أثبت .

قليلاً ، حتى كان يوم الفتح ، فلما كان يوم الفتح ، وانقطعت الهجرة ، توارثوا حيثما كانوا بالأرحام . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا هجرة بعد هذا الفتح » ، وقرأ : ﴿ وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : أن الكفار بعضهم أنصار بعض = وأنه لا يكون مؤمناً من كان مقيماً بدار الحرب لم يهاجر . (١)

* ذكر من قال ذلك :

١٦٣٤٦ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « والذين كفروا بعضهم أولياء بعض » ، قال : كان ينزل الرجل بين المسلمين والمشركين ، فيقول : إن ظهر هؤلاء كنت معهم ، وإن ظهر هؤلاء كنت معهم ! فأبى الله عليهم ذلك ، وأنزل الله فى ذلك ، فلا تراءى نار مسلم ونار مشرك ، (٢) إلا صاحب جزية مُقِرّ بالخراج .

١٦٣٤٧ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : حض الله المؤمنين على التواصل ، فجعل المهاجرين والأنصار أهل ولاية فى الدين دون سواهم ، وجعل الكفار بعضهم أولياء بعض . (٣)

* * *

وأما قوله : « إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » ، فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله .

فقال بعضهم : معناه : إلا تفعلوا ، أيها المؤمنون ، ما أمرتم به من موارثة المهاجرين منكم بعضهم من بعض بالهجرة ، والأنصار بالإيمان ، دون أقربائهم من أعراب المسلمين ودون الكفار = « تكن فتنة » ، يقول : يحدث بلاء فى الأرض

---

(١) فى المطبوعة : « ولم » بزيادة الواو .

(٢) قوله : « لا تراءى نار مسلم ومشرك » ، أسند التراءى إلى النار ، كناية عن الجوار ، وانظر التعليق السالف ص : ٨٣ ، ، رقم : ١

(٣) الأثر : ١٦٣٤٧ – سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣٢ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٣١٨ .

بسبب ذلك [١] = « وفساد كبير » ، يعنى : ومعاصٍ لله .[٢]

* ذكر من قال ذلك :

١٦٣٤٨ – حدثنى يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » ، إلا تفعلوا هذا ، تتركوهم يتوارثون كما كانوا يتوارثون = « تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » . قال : ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الإيمان إلا بالهجرة ، ولا يجعلونهم منهم إلا بالهجرة .[٣] ٤٠/١٠

١٦٣٤٩ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « والذين كفروا بعضهم أولياء بعض » ، يعنى فى الميراث = « إلا تفعلوه » ، يقول : إلا تأخذوا فى الميراث بما أمرتكم به = « تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » ،

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : إلا تَناصروا ، أيها المؤمنون ، فى الدين ، تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٣٥٠ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، قال : جعل المهاجرين والأنصار أهلَ ولاية فى الدين دون من سواهم ، وجعل الكفار بعضهم أولياء بعض ، ثم قال : « إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » ، أى : إلا يوالِ المؤمن المؤمن من دون الكافر ، وإن كان ذا رحم به = « تكن فتنة فى الأرض » ، أى : شبهة فى الحق والباطل ، وظهور الفساد فى الأرض ، بتولّى

---

(١) انظر تفسير « الفتنة » فيما سلف ١٣ : ٥٣٧ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الفساد » فيما سلف ١٣ : ٣٦ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المخطوطة : « ولا يجعلونهم مقيم » ، والصواب ما فى المطبوعة .

المؤمن الكافرَ دون المؤمن . [١] ثم رد المواريث إلى الأرحام .[٢]

١٦٣٥١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج قوله : « إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » ، قال : إلا تعاونوا وتناصروا فى الدين = « تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بتأويل قوله : « والذين كفروا بعضهم أولياء بعض » ، قول من قال : معناه : أن بعضهم أنصار بعض دون المؤمنين ، وأنه دلالة على تحريم الله على المؤمن المقامَ فى دار الحرب وترك الهجرة ، لأن المعروف فى فى كلام العرب من معنى « الولىّ » ، أنه النصير والمعين ، أو : ابن العم والنسيب.[٣] فأما الوارث فغير معروف ذلك من معانيه ، إلا بمعنى أنه يليه فى القيام بإرثه من بعده . وذلك معنى بعيد ، وإن كان قد يحتمله الكلام . وتوجيه معنى كلام الله إلى الأظهر الأشهر ، أولى من توجيهه إلى خلاف ذلك .

وإذ كان ذلك كذلك ، فبيِّنٌ أن أولى التأويلين بقوله : « إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » ، تأويلُ من قال : إلا تفعلوا ما أمرتكم به من التعاون والنصرة على الدين ، تكن فتنة فى الأرض = إذْ كان مبتدأ الآية من قوله : « إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله » ، بالحث على الموالاة على الدين والتناصر جاء ، فكذلك الواجب أن تكون خاتمتها به .

* * *

---

(١) كان فى المطبوعة بعد قوله « فساد كبير » ما نصه : « إن يتول المؤمن الكافر دون المؤمن ، ثم رد المواريث إلى الأرحام » ، ومثلها فى المخطوطة إلا أنه كتب « إن يتولى » . وهو كلام مضطرب ، سببه أن « المؤمن » ذكر فى الكلام مرات ، فأسقط ما بين « المؤمت » فى قوله « إلا يوال المؤمن المؤمن » ، إلى قوله بعد : « يتولى المؤمن الكافر » ، فاضطراب الكلام . وصححته على الصواب من سيرة ابن هشام .

(٢) الأثر : ١٦٣٥٠ – سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٣٤٧ ، وفيه جزء منه .

(٣) انظر تفسير « الولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « وكذلك » ، بالواو ، والفاء حق السياق .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (٧٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا » ، آوَوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين معه ونصروهم ، ونصروا دين الله ، أولئك هم أهل الإيمان بالله ورسوله حقًّا ، لا من آمن ولم يهاجر دارَ الشرك ، وأقام بين أظهر أهل الشرك ، ولم يغزُ مع المسلمين عدوهم[1] = « لهم مغفرة » ، يقول : لهم ستر من الله على ذنوبهم ، بعفوه لهم عنها[2] = « ورزق كريم » ، يقول : لهم فى الجنة مطعم ومشرب هنيٌّ كريم ،[3] لا يتغير فى أجوافهم فيصير نجْواً ،[4] ولكنه يصير رشحاً كرشح المسك[5].

* * *

وهذه الآية تنبئ عن صحة ما قلنا : أن معنى قول الله : « بعضهم أولياء بعض » فى هذه الآية ، وقوله : « ما لكم من ولايتهم من شىء » ، إنما هو النصرة والمعونة ، دون الميراث . لأنه جل ثناؤه عقّب ذلك بالثناء على المهاجرين والأنصار والخبر عما لهم عنده ، دون من لم يهاجر بقوله : « والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا

---

(١) انظر تفسير « هاجر » و « جاهد » ، و « آوى » فيما سلف قريباً ص ٧٧ ، تعليق : ١ — ٤ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « المغفرة » فيما سلف من فهارس اللغة (غفر) .

(٣) انظر تفسير « رزق كريم » فيما سلف

وكان فى المطبوعة هنا « طعم ومشرب » ، والصواب من المخطوطة .

(٤) « النجو » ، ما يخرج من البطن .

(٥) روى مسلم وأبو داود من حديث جابر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ إنّ أهْلَ الجنّةِ يأكلونَ فِيها ويَشْرَبُون ، ولا يَتْفُلون ولا يَبُولون ولا يَتَغوّطون ولا يَمْتَخِطون . قِيل : فما بالُ الطّعام ؟ قال : جُشاء ورَشْحٌ كَرَشْحِ المِسْك ، يُلهمون التسبيح والتحميد كما تُلهمُونَ النفَس ﴾

(صحيح مسلم ١٧ : ١٧٣) .

فى سبيل الله والذين آووا ونصروا » ، الآية ، ولو كان مراداً بالآيات قبل ذلك ، الدلالةُ على حكم ميراثهم ، لم يكن عَقِيبَ ذلك إلا الحثّ على إمضاء الميراث على ما أمر . [١] وفى صحة ذلك كذلك ، الدليلُ الواضح على أن لا ناسخ فى هذه الآيات لشىء ، ولا منسوخ .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « والذين آمنوا » ، بالله ورسوله ، ٤١/١٠
بعد تبيانى ما بيَّنت من ولاية المهاجرين والأنصار بعضهم بعضاً ، وانقطاع ولايتهم ممن آمن ولم يهاجر حتى يهاجر = « وهاجروا » ، دارَ الكفر إلى دار الإسلام = « وجاهدوا معكم » ، أيها المؤمنون = « فأولئك منكم » ، فى الولاية ، يجب عليكم لهم من الحق والنصرة فى الدين والموارثة ، مثل الذى يجب لكم عليهم ، ولبعضكم على بعض ، [٢] كما :-

١٦٣٥٢ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، قال : ثم ردّ المواريث إلى الأرحام ممن أسلم بعد الولاية من المهاجرين والأنصار دونهم ، إلى الأرحام التى بينهم ، [٣] فقال : « والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » ، أى : بالميراث [٤] = « إن الله بكل شىء عليم » . [٥]

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « إلا الحث على مضى » ، وفى المخطوطة : « على أمضى » ، وصواب قراءتها ما أثبت .

(٢) انظر تفسير « هاجر » ، و « جاهد » فيما سلف ص : ٨٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « ثم المواريث إلى الأرحام التى بينهم » ، أسقط من الكلام تمام الكلام الذى أثبته من سيرة ابن هشام ، وسبب ذلك كما فعل فى رقم : ١٦٣٥٠ ، هو ذكر « الأرحام » مرتين ، فاختلط عليه بصره فنقل ما نقل .

(٤) فى المطبوعة : « أى : فى الميراث » ، وهو خطأ ، صوابه فى المخطوطة والسيرة .

(٥) الأثر : ١٦٣٥٢ - سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣٣ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٣٥٠ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٧٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : والمتناسبون بالأرحام = « بعضهم أولى ببعض » ، فى الميراث ، إذا كانوا ممن قسم الله له منه نصيباً وحظًّا ، من الحليف والولى = « فى كتاب الله » ، يقول : فى حكم الله الذى كتبه فى اللوح المحفوظ والسابق من القضاء[1] = « إن الله بكل شىء عليم » ، يقول : إن الله عالم بما يصلح عباده ، فى توريثه بعضهم من بعض فى القرابة والنسب ، دون الحلف بالعقد ، وبغير ذلك من الأمور كلها ، لا يخفى عليه شىء منها . [2]

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٣٥٣ — حدثنا أحمد بن المقدام قال ، حدثنا المعتمر بن سليمان قال ، حدثنا أبى ، قال ، حدثنا قتادة أنه قال : كان لا يرث الأعرابىُّ المهاجرَ ، حتى أنزل الله : « وألوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » .

١٦٣٥٤ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا معاذ بن معاذ قال ، حدثنا ابن عون ، عن عيسى بن الحارث : أن أخاه شريح بن الحارث كانت له سُرِّيَّة ، فولدت منه جارية ، فلما شبت الجارية زُوِّجت ، فولدت غلاماً ، ثم ماتت السرِّية ، واختصم شريح بن الحارث والغلام إلى شريح القاضى فى ميراثها ، فجعل شريح بن الحارث يقول : ليس له ميراث فى كتاب الله ! قال : فقضى شريح بالميراث للغلام . قال : « وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » ، فركب ميسرة بن يزيد إلى ابن الزبير ، فأخبره بقضاء شريح وقوله ، فكتب ابن

(١) انظر تفسير « كتاب » فيما سلف ص : ٦٤ ، تعليق ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « عليم » فيما سلف من فهارس اللغة (علم) .

الزبير إلى شريح : « إن ميسرة أخبرنى أنك قضيت بكذا وكذا » ، وقلت : « وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » ، وإنه ليس كذلك ، إنما نزلت هذه الآية : أنّ الرجل كان يعاقد الرجل يقول : «ترثنى وأرثك » ، فنزلت : « وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » . فجاء بالكتاب إلى شريح ، فقال شريح : أعتقها حيتان بطنها ![1] وأبى أن يرجع عن قضائه .[2]

١٦٣٥٥ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية ، عن ابن عون قال ، حدثنى عيسى بن الحارث قال : كانت لشريح بن الحارث سُرِّية ، فذكر نحوه = إلا إنه قال فى حديثه : كان الرجل يعاقد الرجل يقول : « ترثنى وأرثك » ، فلما نزلت تُرِك ذلك .[2]

آخر تفسير « سورة الأنفال »

والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله .

---

(١) فى المطبوعة : « جنين » ، غير ما فى المخطوطة . وفى أخبار القضاة لوكيع « جنان بطنها » ، والذى هنا ، وفى أخبار القضاة ، مشكل ، فأثبته حتى أعرف صوابه ، أو يعرفه غيرى .

(٢) الأثر : ١٦٣٥٤ ، ١٦٣٥٥ – رواه وكيع فى أخبار القضاة ٢ : ٣٢٠ ، ٣٢١ ، من طريق عمرو بن بشر ، عن حسن بن عيسى ، عن عبد الله ، عن ابن عون ، بنحوه .

تفسير

سُورَةِ التَّوْبَةِ

﴿ القول فى تفسير السورة التى يذكر فيها التوبة ﴾

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ بَرَاءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ ﴿٢﴾

قال أبو جعفر : يعنى بقوله جل ثناؤه : « براءة من الله ورسوله » ، هذه براءة من الله ورسوله .

فـ « براءة » ، مرفوعة بمحذوف ، وهو « هذه » كما قوله : ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا ﴾ ، ١٠/٤٢ [سورة النور : ١] ، مرفوعة بمحذوف هو « هذه » . ولو قال قائل : « براءة » مرفوعة بالعائد من ذكرها فى قوله : « إلى الذين عاهدتم » ، وجعلها كالمعرفة ترفع ما بعدها ، إذ كانت قد صارت بصلتها وهى قوله : « من الله ورسوله » ، كالمعرفة ، وصار معنى الكلام : البراءة من الله ورسوله ، إلى الذين عاهدتم من المشركين[1] = كان مذهباً غير مدفوعة صحته ، وإن كان القول الأول أعجبَ إلىّ ، لأن من شأن العرب أن يضمروا لكلّ معاين ، نكرةً كان أو معرفةً ذلك المعاين ، « هذا » و « هذه » ، فيقولون عند معاينتهم الشىء الحسنَ : « حسن والله » ، والقبيحَ : « قبيح والله » ، يريدون : هذا حسن والله ، وهذا قبيح والله ، فذلك اخترت القول الأول .

* * *

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « براءة » مكان « البراءة » ، والسياق يقتضى ما أثبت إن شاء الله .

وقال : « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم » ، والمعنى إلى الذين عاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين ، لأن العهود بين المسلمين والمشركين عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يكن يتولى عقدها إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من يعقدها بأمره ، ولكنه خاطب المؤمنين بذلك لعلمهم بمعناه ، وأن عقودَ النبي صلى الله عليه وسلم على أمته كانت عقودهم ، لأنهم كانوا لكل أفعاله فيهم راضين ، ولعقوده عليهم مسلِّمين ، فصار عقده عليهم كعقودهم على أنفسهم ، فلذلك قال : « إلى الذين عاهدتم من المشركين » ، لما كان من عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده .

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فيمن بَرِئَ الله ورسوله إليه من العهد الذى كان بينه وبين رسول الله من المشركين ، فأذن له فى السياحة فى الأرض أربعة أشهر .

فقال بعضهم : هم صنفان من المشركين : أحدهما كانت مدة العهد بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أقلَّ من أربعة أشهر ، وأُمْهِل بالسياحة أربعة أشهر = والآخر منهما : كانت مدة عهده بغير أجل محدود ، فقُصِر به على أربعة أشهر ليرتاد لنفسه ، ثم هو حرب بعد ذلك لله ولرسوله وللمؤمنين ، يقتل حيثما أدرك ويؤسَرُ ، إلاّ أن يتوب .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٣٥٦ — حدثنا بن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضى الله عنه أميراً على الحاجّ من سنة تسع ، ليقيم للناس حجهم ، والناسُ من أهل الشرك على منازلهم من حجهم . فخرج أبو بكر ومن معه من المسلمين ، ونزلت « سورة براءة » فى نقض ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين من العهد الذى كانوا عليه فيما بينه وبينهم : أن لا يُصَدَّ عن البيت أحد جاءه، وأن لا يُخَاف أحد فى الشهر الحرام . وكان ذلك عهداً عامًّا بينه وبين الناس من أهل الشرك . وكانت بين

ذلك عهود بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبائل من العرب خصائصَ إلى أجل مسمًّى ،(١) فنزلت فيه وفيمن تخلف عنه من المنافقين فى تبوك ، وفى قول من قال منهم ، فكشف الله فيها سرائر أقوام كانوا يستخفون بغير ما يظهرون ، منهم من سُمِّى لنا، ومنهم من لم يُسَمَّ لنا، فقال: « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين » ، أى : لأهل العهد العام من أهل الشرك من العرب = « فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر » ، إلى قوله: « إن الله برىء من المشركين ورسوله»، أى : بعد هذه الحجة .(٢)

* * *

وقال آخرون : بل كان إمهالُ الله عز وجل بسياحة أربعة أشهر ، مَنْ كان من المشركين بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ، فأما من لم يكن له من رسول الله عهد ، فإنما كان أجله خمسين ليلة ، وذلك عشرون من ذى الحجة والمحرم كله . قالوا : وإنما كان ذلك كذلك ، لأن أجَل الذين لا عهد لهم كان إلى انسلاخ الأشهر الحرم، كما قال الله: ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ ،الآية [سورة التوبة : ٥]. قالوا : والنداء ببراءة، كان يوم الحج الأكبر ، وذلك يوم النحر فى قول قوم ، وفى قول آخرين يوم عرفة ، وذلك خمسون يوماً . قالوا : وأما تأجيل الأشهر الأربعة ، فإنما كان لأهل العهد بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من يوم نزلت « براءة » . قالوا : ونزلت فى أول شوّال ، فكان انقضاء مدة أجلهم ، انسلاخ الأشهر الحرم . وقد كان بعض من يقول هذه المقالة يقول : ابتداء التأجيل كان للفريقين واحداً = ٤٣/١٠
أعنى الذى له العهد ، والذى لا عهد له = غير أن أجل الذى كان له عهد كان أربعة أشهر ، والذى لا عهد له انسلاخ الأشهر الحرم ، وذلك انقضاء المحرم .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) « خصائص » يعنى لأنها لهم خاصة دون غيرهم .
(٢) الأثر : ١٦٣٥٦ – سيرة ابن هشام ٤ : ١٨٨

١٦٣٥٧ – حدثنا المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس فى قوله : « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر» ، قال : حدّ الله للذين عاهدوا رسوله أربعة أشهر ، يسيحون فيها حيثما شاؤوا، وحدّ أجل من ليس له عهد، انسلاخَ الأشهر الحرم من يوم النحر إلى انسلاخ المحرم ، فذلك خمسون ليلة . فإذا انسلخ الأشهر الحرم ، أمره بأن يضع السيف فيمن عاهد .

١٦٣٥٨ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال: لما نزلت « براءة من الله » ، إلى : « وأن الله مخزى الكافرين » ، يقول : براءة من المشركين الذين كان لهم عهد يوم نزلت « براءة »، فجعل مدة من كان له عهد قبل أن تنزل « براءة »، أربعة أشهر ، وأمرهم أن يسيحوا فى الأرض أربعة أشهر . وجعل مدة المشركين الذين لم يكن لهم عهد قبل أن تنزل « براءة » ، انسلاخ الأشهر الحرم، وانسلاخ الأشهر الحرم من يوم أذن ببراءة إلى انسلاخ المحرّم ، وهى خمسون ليلة : عشرون من ذى الحجة ، وثلاثون من المحرم = « فإذا انسلخ الأشهر الحرم » إلى قوله : « واقعدوا لهم كل مرصد » ، يقول : لم يبق لأحد من المشركين عهد ولا ذمة منذ نزلت « براءة » وانسلخ الأشهر الحرم ، ومدة من كان له عهد من المشركين قبل أن تنزل « براءة » ، أربعة أشهر من يوم أذّن ببراءة ، إلى عشر من أول ربيع الآخر ، فذلك أربعة أشهر .

١٦٣٥٩ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين » ، قبل أن تنزل « براءة » ، عاهد ناساً من المشركين من أهل مكة وغيرهم ، فنزلت : براءةٌ من الله إلى كل أحد ممن كان عاهدك من المشركين ، فإنى أنقض العهد الذى بينك وبينهم ، فأؤجلهم أربعة أشهر يسيحون

حيث شاؤوا من الأرض آمنين . وأجَّل من لم يكن بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد، انسلاخَ الأشهر الحرم ، من يوم أذَّن ببراءة، وأذن بها يوم النحر، فكان عشرين من ذى الحجة والمحرم ثلاثين ، فذلك خمسون ليلة . فأمر الله نبيه إذا انسلخ المحرم أن يضع السيف فيمن لم يكن بينه وبين نبي الله صلى الله عليه وسلم عهد ، يقتلهم حتى يدخلوا فى الإسلام . وأمر بمن كان له عهد إذا انسلخ أربعةٌ من يوم النحر ، أن يضع فيهم السيف أيضاً ، يقتلهم حتى يدخلوا فى الإسلام . فكانت مدة من لا عهد بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين ليلة من يوم النحر ، ومدة من كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد، أربعة أشهر : من يوم النحر ، إلى عشر يخلُون من شهر ربيع الآخر .

١٦٣٦٠ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « براءة من الله ورسوله » ، إلى قوله : « وبشر الذين كفروا بعذاب أليم » ، قال: ذكر لنا أن عليًّا نادى بالأذان ، وأُمِّر على الحاجّ أبو بكر رحمة الله عليهما . وكان العامَ الذى حج فيه المسلمون والمشركون ، ولم يحج المشركون بعد ذلك العام = قوله : « الذين عاهدتم من المشركين » إلى قوله : « إلى مدتهم » ، قال : هم مشركو قريش ، الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم زمنَ الحديبية ، وكان بقى من مدتهم أربعة أشهر بعد يوم النحر ، وأمر الله نبيه أن يوفِّى بعهدهم إلى مدتهم ، ومن لاعهد له انسلاخَ المحرّم ، ونبذ إلى كل ذى عهد عهده ، وأمر بقتالهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ولا يقبل منهم إلا ذلك .

* * *

وقال آخرون : كان ابتداء تأخير المشركين أربعة أشهر وانقضاء ذلك لجميعهم ، وقتاً واحداً. قالوا: وكان ابتداؤه يوم الحج الأكبر ، وانقضاؤه انقضاء عشر من ربيع الآخر. ١٠/٤٤

* ذكر من قال ذلك :

١٦٣٦١ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين» ،

قال : لما نزلت هذه الآية . برئ من عهد كل مشرك ، ولم يعاهد بعدها إلا من كان عاهد، وأجرى لكلّ مدتهم = « فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر » ، لمن دخل عهده فيها ، من عشر ذى الحجة ، والمحرم ، وصفر ، وشهر ربيع الأول ، وعشر من ربيع الآخر .

١٦٣٦٢ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو معشر قال ، حدثنا محمد بن كعب القرظى وغيره قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أميراً على الموسم سنة تسع ، وبعث علىّ بن أبى طالب ، رضى الله عنهما ، بثلاثين أو أربعين آية من « براءة » ، فقرأها على الناس ، يؤجِّل المشركين أربعة أشهر يسيحون فى الأرض ، فقرأ عليهم « براءة » يوم عرفة ، أجَّل المشركين عشرين من ذى الحجة ، والمحرم ، وصفر ، وشهر ربيع الأول ، وعشرًا من ربيع الآخر ، وقرأها عليهم فى منازلهم ، وقال : لا يحجنّ بعد عامنا هذا مشرك ، ولا يطوفنّ بالبيت عُريان .

١٦٣٦٣ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر » ، عشرون من ذى الحجة ، والمحرم ، وصفر ، وربيع الأول ، وعشر من ربيع الآخر . كان ذلك عهدَهم الذى بينهم .

١٦٣٦٤ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « براءة من الله ورسوله » ، إلى أهل العهد : خزاعة ، ومُدْلج ، ومن كان له عهد منهم أو غيرهم .[1] أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك حين فرغ ، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجَّ ، ثم قال : إنه يحضر المشركون فيطوفون عُرَاةً ، فلا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك . فأرسل أبا بكر وعليًّا رحمة الله عليهما فطافا بالناس بذى المجاز ، وبأمكنتهم التى كانوا يتبايعون بها ، وبالمواسم كلها ، فآذنوا أصحابَ العهد بأن يأمنوا أربعة أشهر ، فهى الأشهر المتواليات : عشرون من آخر ذى الحجة إلى عشر يخلون

(١) فى المخطوطة : « ومن كان له أو غيرهم » ، والذى فى المطبوعة : « ومن كان له عهد من غيرهم » ، وصححتها كما ترى .

من شهر ربيع الآخر ، ثم لا عهد لهم . وآذن الناس كلهم بالقتال إلاّ أن يؤمنوا .

١٦٣٦٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين » ، قال : أهل العهد: مدلج ، والعرب الذين عاهدهم ، ومن كان له عهد . قال : أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك حين فرغ منها وأراد الحج ، ثم قال : إنه يحضر البيت مشركون يطوفون عراة ، فلا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك . فأرسل أبا بكر وعليًّا رحمة الله عليهما، فطافا بالناس بذى المجاز ، وبأمكنتهم التى كانوا يتبايعون بها ، وبالموسم كله ، وآذنوا أصحابَ العهد بأن يأمنوا أربعة أشهر ، فهى الأشهر الحرم المنسلخات المتواليات : عشرون من آخر ذى الحجة إلى عشر يخلون من شهر ربيع الآخر ، ثم لا عهد لهم . وآذن الناس كلهم بالقتال إلا أن يؤمنوا. فآمن الناس أجمعون حينئذ، ولم يَسِحْ أحد . وقال: حين رجع من الطائف، مضى من فوره ذلك فغزا تبوك، بعد إذ جاء إلى المدينة .

* * *

وقال آخرون ممن قال: « ابتداء الأجل لجميع المشركين وانقضاؤه كان واحداً »: كان ابتداؤه يوم نزلت « براءة » ، وانقضاء الأشهر الحرم ، وذلك انقضاء المحرم .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٣٦٦ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهرى : « فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر » ، قال : نزلت فى شوال ، فهذه الأربعة الأشهر : شوال ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم . ١٠/٤٥

* * *

وقال آخرون : إنما كان تأجيلُ الله الأشهرَ الأربعة المشركين فى السياحة، لمن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد مدته أقل من أربعة أشهر . أما من كان له عهد مدته أكثر من أربعة أشهر ، فإنه أمر صلى الله عليه وسلم أن يُتمّ له عهده إلى مدته .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٣٦٧ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر قال : قال الكلبي : إنما كانت الأربعة الأشهر لمن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد دون الأربعة الأشهر ، فأتم له الأربعة . ومن كان له عهد أكثر من أربعة أشهر ، فهو الذى أمر أن يتم له عهده ، وقال: ﴿أَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ﴾، [سورة التوبة : ٤] .

* * *

قال أبو جعفر رحمه الله : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب، قولُ من قال : الأجلُ الذى جعله الله لأهل العهد من المشركين، وأذن لهم بالسياحة فيه بقوله : « فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر »، إنما هو لأهل العهد الذين ظاهروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونقضوا عهدهم قبل انقضاء مدته. فأما الذين لم ينقضوا عهدهم ولم يظاهروا عليه ، فإن الله جل ثناؤه أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بإتمام العهد بينه وبينهم إلى مدته بقوله: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾، [سورة التوبة : ٤] .

فإن ظنّ ظانٌّ أن قول الله تعالى ذكره: ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾، [سورة التوبة : ٥] ، يدلُّ على خلاف ما قلنا فى ذلك ، إذ كان ذلك ينبىء على أن الفرض على المؤمنين كان بعد انقضاء الأشهر الحرم،(١) قتلَ كل مشرك ، فإن الأمر فى ذلك بخلاف ما ظن، وذلك أن الآية التى تتلو ذلك تبين عن صحة ما قلنا، (٢) وفسادِ ما ظنه من ظنّ أن انسلاخ الأشهر

(١) فى المطبوعة : « ينبئ عن أن . . . » ، وقد سلف مراراً أن استعمل أبو جعفر « على » مع « ينبئ » ، فأثبتها كما فى المخطوطة ، وهى جائزة لتضمنها معنى « يدل » .

(٢) فى المطبوعة : « تنبئ عن صحة » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

الحرم كان يبيح قتل كل مشرك ، كان له عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو لم يكن كان له منه عهد ، وذلك قوله : ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ ، [سورة التوبة : ٧] ، فهؤلاء مشركون ، وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالاستقامة لهم فى عهدهم ، ما استقاموا لهم بترك نقض صلحهم ، وترك مظاهرة عدوهم عليهم .

وبعدُ ، فى الأخبار المتظاهرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه حين بعث عليًّا رحمة الله عليه ببراءة إلى أهل العهود بينه وبينهم ، أمره فيما أمره أن ينادى به فيهم : « ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعهده إلى مدته » ، أوضحُ الدليل على صحة ما قلنا . وذلك أن الله لم يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بنقض عهد قوم كان عاهدهم إلى أجل فاستقاموا على عهدهم بترك نقضه ، وأنه إنما أجل أربعة أشهر من كان قد نقض عهده قبل التأجيل ، أو من كان له عهد إلى أجل غير محدود . فأما من كان أجل عهده محدوداً ، ولم يجعل بنقضه على نفسه سبيلاً ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بإتمام عهده إلى غاية أجله مأموراً . وبذلك بعث مناديه ينادى به فى أهل الموسم من العرب .

١٦٣٦٨ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا قيس ، عن مغيرة ، عن الشعبى قال ، حدثنى محرّر بن أبى هريرة ، عن أبى هريرة قال : كنت مع على رحمة الله عليه ، حين بعثه النبى صلى الله عليه وسلم ينادى . فكان إذا صَحِل صوته ناديتُ .[1] قلت : بأى شىء كنتم تنادون ؟ قال : بأربع : لا يطُفْ بالكعبة عُريان ، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدٌ

---

(١) « صحل صوته » ، هو البحح . وله معنى آخر شبيه به فى حديث أم معبد ، فى صفة رسول الله ، بأبى هو وأمى ، صلى الله عليه وسلم قالت : « وفى صوته صحل » ، (بفتحتين) ، وهو مثل البحة فى الصوت . فلا يكون حاداً رفيعاً .

٤٦/١٠ فعهده إلى مدته ، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، ولا يحج بعد عامنا هذا مشرك .(١)

١٦٣٦٩ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا عفان قال ، حدثنا قيس ابن الربيع قال ، حدثنا الشيباني، عن الشعبي قال : أخبرنا المحرّر بن أبي هريرة ، عن أبيه قال : كنت مع علي رضي الله عنه ، فذكر نحوه = إلا أنه قال : ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدٌ فعهده إلى أجله .(٢)

* * *

قال أبو جعفر : وقد حدث بهذا الحديث شعبة ، فخالف قيساً في الأجل .

١٦٣٧٠ – فحدثني يعقوب بن إبراهيم ومحمد بن المثنى قالا ،حدثنا عثمان ابن عمر قال، حدثنا شعبة ، عن المغيرة ، عن الشعبي ، عن المحرّر بن أبي هريرة، عن أبيه قال : كنت مع علي حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم ببراءة إلى أهل مكة ، فكنت أنادي حتى صَحِل صوتي. فقلت : بأي شيء كنت تنادي ؟ قال : أمرنا أن ننادي : أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن ، ومن كان بينه وبين رسول

---

(١) الأثر : ١٦٣٦٨ – رواه أبو جعفر بثلاثة أسانيد ، وسيأتي تخريجه فيما بعد .
« قيس » ، هو : « قيس بن الربيع الأسدي » ، لينه أحمد وغيره ، وقد سلف مراراً آخرها رقم : ١٢٨٠٢ .
و « مغيرة » هو : « مغيرة بن مقسم الضبي » ، ثقة، روى له الجماعة . سلف مراراً، آخرها رقم : ١١٣٤٠ .
و « محرر بن أبي هريرة » ، تابعي ثقة ، قليل الحديث ، سلف برقم : ٢٨٦٣ .
وهذا خبر ضعيف إسناده ، لضعف « قيس بن الربيع » .

(٢) الأثر : ١٦٣٦٩ – هذا الإسناد الثاني من حديث المحرر بن أبي هريرة .
« عفان » ، هو : « عفان بن مسلم بن عبد الله الصفار » ، روى له الجماعة ، كان يروي عن قيس بن الربيع ، ويقع فيه . مضت ترجمته برقم : ٥٣٩٢ .
و « الشيباني » هو « أبو إسحق الشيباني » ، « سليمان بن أبي سليمان » ، الإمام ، مضى مراراً ، من آخرها رقم : ١٢٤٨٩ .
وعلة إسناده ضعف « قيس بن الربيع » .
ولكن رواه الحاكم في المستدرك ٢ : ٣٣١ من طريق شعبة ، عن سليمان الشيباني ، وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبي . انظر التعليق التالي .

الله صلى الله عليه وسلم عهد فأجله إلى أربعة أشهر ، فإذا حلّ الأجل فإن الله برىء من المشركين ورسوله ، ولا يطُفْ البيت عريان ، ولا يحجّ بعد العام مشرك .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأخشى أن يكون هذا الخبر وهماً من ناقله فى الأجل ، لأن الأخبار متظاهرة فى الأجل بخلافه ، مع خلاف قيس شعبة فى نفس هذا الحديث على ما بينته .

* * *

١٦٣٧١ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أبى إسحق ، عن الحارث الأعور ، عن على رحمة الله عليه قال : أمرت بأربع : أمرت أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ، ولا يطف رجل بالبيت عرياناً ، ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مسلمة ، وأن يتمّ إلى كل ذى عهد عهده .(٢)

---

(١) الأثر : ١٦٣٧٠ – هذا هو الإسناد الثالث :

« عثمان بن عمر بن فارس العبدى » ، ثقة روى له الجماعة ، مضى مراراً . منها رقم : ٥٤٥٨ ، وغيره .

وهذا الخبر من طريق شعبة ، عن المغيرة ، رواه أحمد فى مسنده رقم : ٧٩٦٤ ، ورواه النسائى فى سننه ٥ : ٢٣٤ .

ورواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٣٣١ من طريق أخرى ، عن النضر بن شميل ، عن شعبة ، عن سليمان الشيبانى وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى . انظر التعليق السالف .

واستوفى الكلام فيه ابن كثير فى تفسيره ٤ : ١١١ ، وفى التاريخ ٥ : ٣٨ ، وقال فى التاريخ : « وهذا إسناد جيد ، ولكن فيه نكارة من جهة قول الرواى : إن من كان له عهد فأجله إلى أربعة أشهر . وقد ذهب إلى هذا ذاهبون ، ولكن الصحيح : أن من كان له عهد فأجله إلى أمده بالغاً ما بلغ ، ولو زاد على أربعة أشهر . ومن ليس له أمد بالكلية ، فله تأجيل أربعة أشهر . بقى قسم ثالث ، وهو : من له أمد يتناهى إلى أقل من أربعة أشهر من يوم التأجيل ، وهذا يحتمل أن يلتحق بالأول ، فيكون أجله إلى مدته وإن قل . ويحتمل أن يقال إنه يؤجل إلى أربعة أشهر ، لأنه أولى ممن ليس له عهد بالكلية » .

وانظر شرح الخبر فى مسند أحمد .

(٢) الأثر : ١٦٣٧١ – « الحارث الأعور » ، هو « الحارث بن عبد الله الهمدانى » ،

١٦٣٧٢ – حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن زيد بن يثيع قال : نزلت « براءة » ، فبعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر ، ثم أرسل علياً فأخذها منه . فلما رجع أبو بكر قال : هل نزل فيّ شيء ؟ قال : لا ، ولكني أمرت أن أبلغها أنا أو رجل من أهل بيتي . فانطلق إلى مكة ،[1] فقام فيهم بأربع : أن لا يدخل مكة مشرك بعد عامه هذا ، ولا يطف بالكعبة عريان ، ولا يدخل الجنة إلاّ نفس مسلمة ، ومن كان بينه وبين رسول الله عهدٌ فعهده إلى مدته .[2]

١٦٣٧٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة ، عن زكريا ، عن أبي إسحق ، عن زيد بن يثيع ، عن علي قال : بعثني النبي صلى الله عليه وسلم حين أنزلت : « براءة » بأربع : أن لا يطف بالبيت عريان ، ولا يقرب المسجد الحرام مشرك بعد عامهم هذا ، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو إلى مدته ، ولا يدخل الجنة إلاّ نفس مسلمة .[2]

١٦٣٧٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن عبد الأعلى ، عن معمر ،

ضعيف جداً ، سلف مراراً ، انظر رقم : ١٧٤ .

فإسناده ضعيف . وسيأتي بإسناد آخر رقم : ١٦٣٧٤ .

(١) قوله : « فانطلق » ، يعني علياً رحمه الله .

(٢) الأثران : ١٦٣٧٢ ، ١٦٣٧٣ – حديث زيد بن يثيع ، سيرويه من ثلاث طرق ، هذا ، والذي يليه ، ثم رقم : ١٦٣٧٩ .

و « زيد بن يثيع » ، أو « أثيع » بالتصغير فيهما، تابعي ثقة قليل الحديث ، مضى برقم : ١٥٧٣٧ .

وهذا الخبر رواه أحمد في مسنده رقم : ٥٩٤ ، من طريق سفيان ، عن أبي إسحق السبيعي ، وإسناده صحيح .

ورواه الترمذي في كتاب الحج ، باب ما جاء في كراهية الطواف عرياناً ، وقال : « وفي الباب عن أبي هريرة ، قال أبو عيسى : حديث علي حسن » . ويعني بحديث أبي هريرة ما سلف رقم : ١٦٣٦٨ – ١٦٣٧٠ .

ثم رواه أيضاً في كتاب التفسير وقال : « هذا حديث حسن صحيح » .

وروى أحمد في مسند أبي بكر رقم: ٤ ، نحو هذا الحديث مطولا ، من حديث زيد بن يثيع ، عن أبي بكر .

عن أبي إسحق ، عن الحارث ، عن على رحمة الله عليه ، قال : بعثت إلى أهل مكة بأربع ، ثم ذكر الحديث .(١)

١٦٣٧٥ – حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهرى قال ، حدثنا حسين بن محمد قال ، حدثنا سليمان بن قرم ، عن الأعمش ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر ببراءة ، ثم أتبعه علياً فأخذها منه . فقال أبو بكر : يا رسول الله ، حدث فيّ شيء ؟ قال : لا ، أنت صاحبي في الغار وعلى الحوض ، ولا يؤدّى عنى إلا أنا أو عليّ ! وكان الذى بعث به علياً أربعاً : لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، ولا يحجّ بعد العام مشرك ، ولا يطف بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو إلى مُدّته .(٢)

١٦٣٧٦ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن ابن أبي خالد ، عن عامر قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم علياً رحمة الله عليه ، فنادى : ألا لا يحجنّ بعد العام مشرك ، ولا يطف بالبيت عريان ، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فأجله إلى مدته ، والله برىء من المشركين ورسوله . ٤٧/١٠

١٦٣٧٧ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة قال ، حدثنا محمد بن إسحق ، عن حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف ، عن أبي جعفر محمد بن على بن حسين

---

(١) الأثر : ١٦٣٧٤ – انظر التعليق على الأثر رقم : ١٦٣٧١ .

(٢) الأثر : ١٦٣٧٥ – « حسين بن محمد المروزى » ، روى له الجماعة ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٥٣٣٨ .

و « سليمان بن قرم بن معاذ التيمى » ، ثقة ، غمزوه بالغلو فى التشيع . مضى برقم : ٩١٦٣ .

و « الحكم » هو « الحكم بن عتيبة » ، مضى مراراً .

وهذا الخبر رواه الترمذى فى كتاب التفسير ، من طريق أخرى ، من طريق عباد بن العوام ، عن سفيان بن الحسين ، عن الحكم بن عتيبة ، بنحوه ، وقال : « هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، من حديث ابن عباس » .

ابن على قال : لما نزلت براءة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان بعث أبا بكر الصديق رحمة الله عليه ليقيم الحج للناس ، قيل له : يا رسول الله ، لو بعثتَ إلى أبى بكر ! فقال : لا يؤدِّى عنى إلاّ رجل من أهل بيتى ! ثم دعا على ابن أبى طالب رحمة الله عليه ، فقال : اخرج بهذه القصَّة من صدر « براءة » ، وأذِّن فى الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بِمنًى : أنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطف بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو إلى مدته . فخرج على بن أبى طالب رحمة الله عليه على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء ، حتى أدرك أبا بكر الصديق بالطريق . فلما رآه أبو بكر قال : أميرٌ أو مأمور ؟ قال : مأمور ، ثم مضيا رحمة الله عليهما ، فأقام أبو بكر للناس الحج ، والعرب إذ ذاك فى تلك السنة على منازلهم من الحجّ التى كانوا عليها فى الجاهلية . حتى إذا كان يوم النحر ، قام على بن أبى طالب رحمة الله عليه ، فأذن فى الناس بالذى أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا أيها الناس ، لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطف بالبيت عريان ، ومن كان له عهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو له إلى مدته . فلم يحجّ بعد ذلك العام مشرك ، ولم يطف بالبيت عريان . ثم قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان هذا من « براءة » ، فيمن كان من أهل الشرك من أهل العهد العامّ ، وأهل المدة إلى الأجل المسمى .(١)

١٦٣٧٨ – حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : لما نزلت هذه الآيات إلى رأس أربعين آية ، بعث بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبى بكر وأمَّره على الحج . فلما سار فبلغ

---

(١) الأثر : ١٦٣٧٧ – سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٠ ، ١٩١ .
« حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف الأنصارى » ، ثقة ، تكلموا فيه ، حتى قال ابن سعد : « كان قليل الحديث ، ولا يحتجون بحديثه » ، مضى برقم : ١١٧٤١ .

الشجرة من ذى الحليفة ، أتبعه بعلىّ فأخذها منه . فرجع أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، بأبى أنت وأمى ، أنزل فى شأنى شىء ؟ قال : لا ، ولكن لا يبلّغ عنى غيرى ، أو رجل منى ، أما ترضى يا أبا بكر أنك كنت معى فى الغار ، وأنك صاحبى على الحوض ؟ قال : بلى ، يا رسول الله ! فسار أبو بكر على الحاجّ ، وعلىّ يؤذن ببراءة ، فقام يوم الأضحى فقال : لا يقربنّ المسجد الحرام مشرك بعد عامه هذا ، ولا يطوفنّ بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فله عهده إلى مدته ، وإن هذه أيام أكل وشرب ، وإن الله لا يدخل الجنة إلاّ من كان مسلماً . فقالوا : نحن نبرأ من عهدك وعهد ابن عمك إلاّ من الطعن والضرب ! فرجع المشركون ، فلام بعضهم بعضاً وقالوا : ما تصنعون ، وقد أسلمت قريش ؟ فأسلموا .

١٦٣٧٩ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أبى إسحق، عن زيد بن يثيع ، عن على قال : أمرت بأربع : أن لا يقربَ البيتَ بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، وأن يتم إلى كل ذى عهد عهده = قال معمر : وقاله قتادة .(١)

* * *

قال أبو جعفر : فقد أنبأت هذه الأخبار ونظائرها عن صحة ما قلنا ، وأن أجل الأشهر الأربعة إنما كان لمن وصفنا . فأما من كان عهده إلى مدة معلومة، فلم يجعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين لنَقْضِه ومظاهرة أعدائهم عليهم سبيلاً ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وَفَى له بعهده إلى مدته، عن أمر الله ٤٨/١٠
إياه بذلك . وعلى ذلك دلّ ظاهرُ التنزيل ، وتظاهرت به الأخبار عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

وأما الأشهر الأربعة ، فإنها كانت أجلَ من ذكرنا . وكان ابتداؤها يوم

(١) الأثر : ١٦٣٧٩ — انظر التعليق على الأثرين رقم : ١٦٣٧٢ ، ١٦٣٧٣ .

الحج الأكبر ، وانقضاؤها انقضاء عشر من ربيع الآخر ، فذلك أربعة أشهر متتابعة ، جُعِل لأهل العهد الذين وصفنا أمرهم ، فيها ، السياحةُ فى الأرض ، يذهبون حيث شاؤوا ، لا يعرض لهم فيها من المسلمين أحدٌ بحرب ولا قتل ولا سلب .

* * *

فإن قال قائل : فإذا كان الأمر فى ذلك كما وصفت ، فما وجه قوله : ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ ، [سورة التوبة : ٥] . وقد علمت أنّ انسلاخها انسلاخ المحرّم ، وقد زعمت أن تأجيل القوم من الله ومن رسوله كان أربعة أشهر ، وإنما بين يوم الحجّ الأكبر وانسلاخ الأشهر الحرم خمسون يوماً أكثرُه ، فأين الخمسون يوماً من الأشهر الأربعة ؟

قيل : إن انسلاخَ الأشهر الحرم ، إنما كان أجل من لا عهد له من المشركين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأشهر الأربعة لمن له عهد ، إما إلى أجل غير محدود ، وإما إلى أجل محدود قد نقضه ، فصار بنقضه إياه بمعنى من خيف خيانته ، فاستحقّ النبذ إليه على سواء ، غير أنه جُعل له الاستعداد لنفسه والارتياد لها من الأجل الأربعة الأشهر . ألا ترى الله يقول لأصحاب الأشهر الأربعة ، ويصفهم بأنهم أهل عهد : « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا فى فى الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزى الله » ، ووصف المجعول لهم انسلاخ الأشهر الحرم أجلاً ، بأنهم أهل شرك لا أهل عهد فقال : « وأذانٌ من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله » الآية = « إلا الذين عاهدتم من المشركين » الآية ؟ ثم قال : « فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » ، فأمر بقتل المشركين الذين لا عهد لهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم ، وبإتمام عهد الذين لهم عهد ، إذا لم يكونوا نقضوا عهدهم بالمظاهرة على المؤمنين ، وإدخال النقص فيه عليهم .

* * *

فإن قال قائل : وما الدليل على أن ابتداء التأجيل كان يوم الحج الأكبر ،

دون أن يكون كان من شوال، على ما قاله قائلو ذلك ؟

قيل له : إن قائلى ذلك زعموا أن التأجيل كان من وقت نزول « براءة » ، وذلك غير جائز أن يكون صحيحاً ، لأن المجعول له أجلُ السياحة إلى وقت محدود ، إذا لم يعلم ما جُعل له، ولا سيما مع عهد له قد تقدم قبل ذلك بخلافه، فكمن لم يجعل له ذلك، لأنه إذا لم يعلم ما له فى الأجل الذى جُعل له وما عليه بعد انقضائه ، فهو كهيئته قبل الذى جُعل له من الأجل. ومعلوم أن القوم لم يعلموا بما جُعل لهم من ذلك ، إلاّ حين نودى فيهم بالموسم . وإذا كان ذلك كذلك، صحَّ أن ابتداءه ما قلنا ، وانقضاءه كان ما وصفنا .

* *

وأما قوله : « فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر » ، فإنه يعنى : فسيروا فيها مقبلين ومدبرين ، آمنين غير خائفين من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعه .

* * *

يقال منه: « ساح فلان فى الأرض يسيح ، سياحة، وسُيُوحاً، وسَيَحاناً » .

* * *

وأما قوله: « واعلموا أنكم غير معجزى الله »، فإنه يقول لأهل العهد من الذين كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدٌ قبل نزول هذه الآية: اعلموا ، أيها المشركون ، أنكم إن سحتم فى الأرض ، واخترتم ذلك مع كفركم بالله، على الإقرار بتوحيد الله وتصديق رسوله = « غير معجزى الله » ، يقول : غير مُفِيتيه بأنفسكم ، لأنكم حيث ذهبتم وأين كنتم من الأرض ، فى قبضته وسلطانه ، لا يمنعكم منه وزيرٌ ، ولا يحول بينكم وبينه إذا أرادكم بعذاب معقلٌ ولا موئل ،(١) إلا الإيمان به وبرسوله ، والتوبة من معصيته . يقول : فبادروا عقوبته بتوبة ، ودعوا السياحة التى التى لا تنفعكم . ٤٩/١٠

* * *

(١) انظر تفسير « الإعجاز » فيما سلف ١٢ : ١٣/١٢٨ : ٣١

وأما قوله : « وأن الله مخزى الكافرين » ، يقول : واعلموا أن الله مُذلُّ الكافرين ، ومُورثهم العارَ فى الدنيا ، والنارَ فى الآخرة .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وإعلامٌ من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر .

* * *

وقد بينا معنى « الأذان » ، فيما مضى من كتابنا هذا بشواهده .(٢)

* * *

وكان سليمان بن موسى يقول فى ذلك ما :—

١٦٣٨٠ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قال : زعم سليمان بن موسى الشامىّ أن قوله : « وأذان من الله ورسوله » ، قال : «الأذان » ، القصص ، فاتحة «براءة» حتى تختم : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ ، [سورة التوبة : ٢٨]، فذلك ثمان وعشرون آية .(٣)

١٦٣٨١ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وأذان من الله ورسوله » ، قال : إعلام من الله ورسوله .

* * *

ورفع قوله : « وأذان من الله » ، عطفاً على قوله : « براءة من الله » ، كأنه قال : هذه براءة من الله ورسوله ، وأذانٌ من الله .

* * *

---

(١) انظر تفسير « الخزى » فيما سلف ١٠ : ٣١٨ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الأذان » فيما سلف . . . تعليق : . . . والمراجع هناك .

(٣) الأثر : ١٦٣٨٠ — « سليمان بن موسى الأموى الدمشقى » ، الأشدق ، فقيه أهل الشأم فى زمانه . مضى برقم : ١٥٦٥٤ ، ١٥٦٥٥ .

وأما قوله : « يوم الحج الأكبر » ، فإن فيه اختلافاً بين أهل العلم .

فقال بعضهم : هو يوم عرفة .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٣٨٢ – حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال، أخبرنا أبو زرعة وهب الله بن راشد قال ، أخبرنا حيوة بن شريح قال ، أخبرنا أبو صخر : أنه سمع أبا معاوية البجلي من أهل الكوفة يقول: سمعت أبا الصهباء البكرى وهو يقول : سألت على بن أبي طالب رضى الله عنه عن« يوم الحج الأكبر»فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر بن أبي قحافة رضى الله عنه يقيم للناس الحج ، وبعثني معه بأربعين آية من براءة ، حتى أتى عرفة فخطب الناس يوم عرفة ، فلما قضى خطبته التفت إلي فقال : قم ، يا على، وأد رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فقمت فقرأت عليهم أربعين آية من « براءة » ، ثم صدرنا ،(١) حتى أتينا منى ، فرميت الجمرة ونحرتُ البدنة ، ثم حلقت رأسى ، وعلمت أن أهل الجمع لم يكونوا حضروا خطبة أبي بكر يوم عرفة ، فطفقت أتتبع بها الفساطيط أقرؤها عليهم .(٢) فمن ثَمَّ إخال حسبتم أنه يوم النحر ، ألا وهو يوم عرفة .(٣)

---

(١) « صدر عن الماء والبلاد » ، رجع . و « الصدر » ، (بفتحتين) ليلة رجوع الناس من عرفة إلى منى . و « صدار البيت » (بضم الصاد وتشديد الدال) : الحجاج الراجعون من حجهم .

(٢) « الفساطيط » جمع « فسطاط » ، مثل السرادق ، وهو أصغر منه ، يتخذه المسافرون .

(٣) الأثر : ١٦٣٨٢ – سبق شرح هذا الإسناد برقم : ٥٣٨٦ . « أبو زرعة »، « وهب الله بن راشد المصرى » ، مضى مراراً ، آخرها برقم : ١١٥١٠ ، ومراجعه هناك . وكان فى المطبوعة هنا : « أبو زرعة وهبة الله بن راشد قالا » ، جعله رجلين ! ومثله فى المخطوطة مثله ، إلا أنه كتب « قال » بالإفراد ، قدم الكنية على الاسم . والصواب ما أثبت .

و « حيوة بن شريح » ، مضى مراراً ، آخرها : ١١٥١٠ .

و « أبو صخر » ، هو « حميد بن زياد الخراط » ، قال أحمد: «ليس به بأس » ، أخرج له مسلم . مضى برقم ٤٣٢٥ ، وغيرها كثير .

و « أبو معاوية البجلى » ، هو « عمار بن معاوية الدهنى » ، كما صرح به الطبرى فى رقم : ٤٣٢٥ ، وهو ثقة . مضى فى مواضع .

١٦٣٨٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أبي إسحق قال : سألت أبا جُحَيفة عن « يوم الحج الأكبر» فقال: يوم عرفة. فقلت: أمن عندك، أو من أصحاب محمد ؟ قال: كلٌّ ذلك.[1]

١٦٣٨٤ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن جريج ، عن عطاء قال : الحج الأكبر ، يوم عرفة .

١٦٣٨٥ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي، عن عمر بن الوليد الشنّيّ ، عن شهاب بن عبّاد العَصَريّ ، عن أبيه قال: قال عمر رحمه الله: يوم الحج الأكبر ، يوم عرفة = فذكرته لسعيد بن المسيب فقال : أخبرك عن ابن عمر : أن عمر قال : الحج الأكبر يومُ عرفة .

١٦٣٨٦ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا عمر بن الوليد الشنى قال ، حدثنا شهاب بن عباد العصرى، عن أبيه قال : سمعت عمر بن الخطاب رحمة الله عليه يقول: هذا يوم عرفة ، يوم الحج الأكبر ، فلا يصومَنَّه أحد . قال: فحججت بعد أبي فأتيت المدينة، فسألت عن أفضل أهلها، فقالوا: سعيد بن المسيب ، فأتيته فقلت : إني سألت عن أفضل أهل المدينة فقالوا : سعيد بن المسيب ، فأخبرني عن صوم يوم عرفة ؟ فقال: أخبرك عمن هو أفضل مني مئة ضعف ،[2] عمر ، أو : ابن عمر ، كان ينهى عن صومه ويقول: هو يوم الحج الأكبر.[3]

و « أبو الصهباء البكرى » ، سلف بيانه برقم : ٥٣٨٦ .
وهو إسناد صحيح .

(١) الأثر : ١٦٣٨٣ – « أبو جحيفة السوائى » ، هو « وهب بن عبد الله » ويقال له « وهب الخير » ، مات رسول الله قبل أن يبلغ الحلم . ثقة ، روى له الجماعة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١٦٢/٢/٤ ، وابن أبى حاتم ٢٢/٢/٤ .

(٢) فى المخطوطة : « أفضل منى أضعافاً » ، وفى المخطوطة : « أفضل منى ضعف » ، والصواب من تفسير ابن كثير ٤ : ١١٣ .

(٣) الأثران : ١٦٣٨٥ ، ١٦٣٨٦ – « عمر بن الوليد الشنى » ، « أبو سلمة العبدى » ، ثقة ، مضى برقم : ٤٣٥ ، ١١١٨٥ .

١٦٣٨٧ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا عبد الصمد ابن حبيب ، عن معقل بن داود قال : سمعت ابن الزبير يقول : يوم عرفة هذا ، يوم الحج الأكبر ، فلا يصمه أحد .(١)

١٦٣٨٨ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا غالب ابن عبيد الله قال: سألت عطاء عن يوم الحج الأكبر فقال: يوم عرفة ، فأفِضْ ١٠/٥٠ منها قبل طلوع الفجر. (٢)

١٦٣٨٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج قال ، أخبرني محمد بن قيس بن مخرمة قال : خطب النبي صلى الله عليه وسلم عشية عرفة ثم قال: « أما بعد » = وكان لا يخطب إلا قال : أما بعد = « فإن هذا يوم الحج الأكبر ».(٣)

١٦٣٩٠ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا عبد الوهاب ، عن مجاهد قال : يوم الحج الأكبر ، يوم عرفة .

« شهاب بن عباد العصري العبدي » ، روى عن أبيه ، وهو غير « شهاب بن عباد العبدي » ، شيخ البخاري ومسلم . ذكره ابن حبان في الثقات . مترجم في التهذيب ،والكبير ٢/٢/٢٣٥ ، وابن أبي حاتم ٢/١/٣٦١ ، ولم يذكرا فيه جرحاً . وذكر في التهذيب في ترجمته : « قال الدارقطني : صدوق زائغ » ، وظني أنه أخطأ ، ذاك « شهاب بن عباد » آخر ، ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال ١ : ٤٥١ .

وأبوه : « عباد العصري » ، روى عن عمر ، مترجم في ابن أبي حاتم ٣/١/٨٨ .

(١) الأثر : ١٦٣٨٧ – « عبد الصمد بن حبيب الأزدي العوذي » ، ضعفه البخاري وأحمد . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٣/١/٥١ .

و « معقل بن داود » ، لم أجد له ترجمة ، وفي ترجمة « عبد الصمد بن حبيب » ، أنه روى عن « معقل القسملي » ، ولكني لم أجد لهذا « القسملي » ، « الأزدي » ، ذكراً في شيء من مراجعي .

(٢) الأثر : ١٦٣٨٨ – « غالب بن عبيد الله العقيلي الجزري » ، منكر الحديث ، مضى برقم : ١٢٢١٤ .

(٣) الأثر : ١٦٣٨٩ – « محمد بن بكر بن عثمان البرساني » ، ثقة ، مضى مراراً .

و « محمد بن قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف » ، تابعي ثقة ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا ، مضى برقم : ١٠٥٢٠ .

١٦٣٩١ – حدثني الحارث قال، حدثنا القاسم قال ، حدثنا إسحق بن سليمان، عن سلمة بن بُخْت ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : يوم الحج الأكبر ، يوم عرفة .(١)

١٦٣٩٢ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، أخبرني طاوس ، عن أبيه قال ، قلنا : ما الحج الأكبر ؟ قال : يوم عرفة .

١٦٣٩٣ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال : أخبرنا ابن جريج ، عن محمد بن قيس بن مخرمة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب يوم عرفة فقال : هذا يوم الحج الأكبر .

* * *

وقال آخرون : هو يوم النحر .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٣٩٤ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا سفيان، عن أبي إسحق ، عن الحارث، عن علي قال : يوم الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٣٩٥ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا مصعب بن سلام ، عن الأجلح ، عن أبي إسحق ، عن الحارث قال: سمعت علياً يقول : الحج الأكبر ، يوم النحر.

١٦٣٩٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام قال، حدثنا عنبسة ، عن أبي إسحق ، عن الحارث قال: سألت علياً عن الحج الأكبر فقال : هو يوم النحر .

١٦٣٩٧ – حدثنا ابن أبي الشوارب قال، حدثنا عبد الواحد قال، حدثنا سليمان

---

(١) الأثر : ١٦٣٩١ – « إسحق بن سليمان الرازي » ، سلف مراراً .
و « سلمة بن بخت » مدني ، مولى قريش ، قال أحمد : « لا بأس به » ، ووثقه ابن معين . مترجم في الكبير ٨٣/٢/٢ ، وابن أبي حاتم ١٥٦/١/٢ . وكان في المطبوعة : « سلمة بن محب » ، وهو خطأ محض ، وهي في المخطوطة ، غير منقوطة .

الشيبانى قال : سألت عبد الله بن أبى أوفى عن الحج الأكبر ، قال : فقال : يوم النحر . (١)

١٦٣٩٨ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن عيّاش العامرى ، عن عبد الله بن أبى أوفى قال : يوم الحج الأكبر ، يوم النحر . (٢)

١٦٣٩٩ — . . . . قال ، حدثنا سفيان ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عبد الله بن أبى أوفى قال : يوم الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٤٠٠ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن عبد الملك قال : دخلت أنا وأبو سلمة على عبد الله بن أبى أوفى ، قال : فسألته عن يوم الحج الأكبر ، فقال : يوم النحر ، يوم يُهَرَاقُ فيه الدم .

١٦٤٠١ — حدثنا عبد الحميد بن بيان قال ، أخبرنا إسحق ، عن سفيان ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عبد الله قال : يوم الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٤٠٢ — حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ، حدثنا ابن إدريس ، عن الشيبانى قال : سألت ابن أبى أوفى عن يوم الحج الأكبر قال : هو يوم النحر .

١٦٤٠٣ — حدثنى يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا الشيبانى ، عن عبد الله بن أبى أوفى قال : يوم الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٤٠٤ — . . . . قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عبد الملك بن عمير قال ، سمعت عبد الله بن أبى أوفى ، وسُئل عن قوله : « يوم الحج الأكبر » ، قال : هو اليوم الذى يُرَاق فيه الدم ، ويُحلق فيه الشعر .

---

(١) الأثر : ١٦٣٩٦ — « الحارث » ، فى هذا الإسناد وما قبله ، هو « الحارث الأعور » ، وقد مضى بيان ضعفه مراراً .

(٢) الأثر : ١٦٣٩٨ — « عياش العامرى » ، هو « عياش بن عمرو العامرى » ، ثقة ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤٨/١/٤ ، وابن أبى حاتم ٦/٢/٣ .
و « عبد الله بن أبى أوفى الأسلمى » ، صحابى شهد بيعة الرضوان . مضى برقم : ٧٧٥٨ .

١٦٤٠٥ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا أبو داود قال ، حدثنا شعبة ، عن الحكم قال : سمعت يحيى بن الجزار يحدّث، عن على: أنه خرج يوم النحر على بغلة بيضاء يريد الجبّانة، فجاء رجل فأخذ بلجام بغلته ، فسأله عن الحج الأكبر ، فقال : هو يومك هذا ، خَلِّ سبيلها . (١)

١٦٤٠٦ – حدثنا عبد الحميد بن بيان قال، حدثنا إسحق ، عن مالك ابن مغول،وشُتَير، عن أبى إسحق، عن الحارث ، عن على قال : يوم الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٤٠٧ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن عيينة ، عن أبى إسحق ، عن الحارث ، عن على قال: سئل عن يوم الحج الأكبر قال : هو يوم النحر.

١٦٤٠٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن يحيى بن الجزار ، عن على : أنه لقيه رجل يوم النحر فأخذ بلجامه ، فسأله عن يوم الحج الأكبر، قال : هو هذا اليوم . (٢)

١٠/٥١ ١٦٤٠٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن آدم ، عن قيس ، عن عبد الملك بن عمير ، وعياش العامرى ، عن عبد الله بن أبى أوفى قال : هو اليوم الذى تُهَراق فيه الدماء .(٣)

– ١٦٤١٠ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن عيينة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن ابن أبى أوفى قال : الحج الأكبر ، يوم تُهَرَاق فيه الدماء،ويحلق فيه الشعر، ويَحِلّ فيه الحرام .

١٦٤١١ – حدثنى عيسى بن عثمان بن عيسى الرملى قال، حدثنا يحيى بن

---

(١) الأثر : ١٦٤٠٥ – «يحيى بن الجزار» ، ثقة ، كان يغلو فى التشيع ، لم يسمع من على إلا ثلاثة أحاديث ، هذا أحدها ، والحديث الآخر ، مضى برقم : ٥٤٢٥ ، ١٦١٠٦ . وانظر الأثر التالى رقم: ١٦٤٠٨ .

(٢) الأثر : ١٦٤٠٨ – هومكرر الأثر . رقم : ١٦٤٠٥ ، مختصراً .

(٣) الأثر : ١٦٤٠٩ – انظر التعليق على رقم : ١٦٣٩٨ .

عيسى ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن سنان قال : خطبنا المغيرة بن شعبة يوم الأضحى على بعير فقال : هذا يوم الأضحى ، وهذا يوم النحر ، وهذا يوم الحج الأكبر .

١٦٤١٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ،عن الأعمش ، عن عبد الله ابن سنان قال : خطبنا المغيرة بن شعبة يوم الأضحى على بعير وقال : هذا يوم الأضحى ، وهذا يوم النحر، وهذا يوم الحج الأكبر .

١٦٤١٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن الأعمش ، عن عبد الله ابن سنان قال : خطبنا المغيرة بن شعبة ، فذكر نحوه .(١)

١٦٤١٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن حماد بن سلمة ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٤١٥ – حدثنا ابن أبي الشوارب قال، حدثنا عبد الواحد قال، حدثنا سليمان الشيباني قال ، سمعت سعيد بن جبير يقول : الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٤١٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن أبي جحيفة قال : الحج الأكبر ، يوم النحر. (٢)

١٦٤١٧ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر قال : اختصم على بن عبد الله بن عباس ورجل من آل شيبة في «يوم الحج الأكبر»، قال على : هو يوم النحر . وقال الذى من آل شيبة :

---

(١) الآثار ١٦٤١١ – ١٦٤١٣ – «عبد الله بن سنان الأسدى» ، «أبو سنان» ، روى عن على ، وابن مسعود، وضرار بن الأزور ، والمغيرة بن شعبة . روى عنه الأعمش ، وأبو حصين . وهو ثقة له أحاديث . توفى أيام الحجاج، قبل يوم الجماجم . مترجم فى ابن سعد ٦ : ١٢٣، وابن أبي حاتم ٢/٢/٦٨ ، وتعجيل المنفعة ص : ٢٢٤ .

وكان فى المطبوعة : «عبد الله بن يسار» ، فى المواضع كلها ، خطأ محض ، وهو فى المخطوطة : «سان» غير منقوط كله .

(٢) الأثر : ١٦٤١٦ – «أبو جحيفة» ، «وهب بن الله» ، سلف برقم : ١٦٣٨٣ .

هو يوم عرفة . فأرسل إلى سعيد بن جبير فسألوه ، فقال : هو يوم النحر ، ألا ترى أن من فاته يوم عرفة لم يفته الحج ، فإذا فاته يوم النحر فقد فاته الحج ؟

١٦٤١٨ – حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا يونس ، عن سعيد بن جبير أنه قال : الحج الأكبر ، يوم النحر. قال فقلت له : إن عبد الله ابن شيبة ، ومحمد بن على بن عبد الله بن عباس اختلفا فى ذلك ، فقال محمد ابن على : هو يوم النحر . وقال عبد الله : هو يوم عرفة . قال سعيد بن جبير : أرأيت لو أن رجلاً فاته يوم عرفة ، أكان يفوته الحج ؟ وإذا فاته يوم النحر فاته الحج !

١٦٤١٩ – حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ،حدثنا ابن إدريس ، عن الشيبانى ، عن سعيد بن جبير قال : الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٤٢٠ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه قال، حدثني رجل، عن أبيه، عن قيس بن عبادة قال : ذو الحجة العاشر النحرُ ، وهو يوم الحج الأكبر .

١٦٤٢١ – حدثنا ابن بشار قال،حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحق ، عن عبد الله بن شداد قال : يوم الحج الأكبر ، يوم النحر . والحج الأصغر ، العمرة .

١٦٤٢٢ – حدثنا عبد الحميد بن بيان قال ، أخبرنا إسحق، عن شريك ، عن أبي إسحق ، عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال : الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٤٢٣ – حدثنا ابن وكيع قال،حدثنا المحاربى، عن مسلم الحجبى قال : سألت نافع بن جبير بن مطعم عن يوم الحج الأكبر ، قال : يوم النحر .

١٦٤٢٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن عنبسة، عن المغيرة ، عن إبراهيم قال : كان يقال : الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٤٢٥ – حدثنا ابن وكيع قال،حدثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن جابر ،

عن عامر قال : يوم الحج الأكبر ، يوم يُهَراق فيه الدم ، ويحلّ فيه الحرام .

١٦٤٢٦ – حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم أنه قال: يوم الحج الأكبر ، يوم النحر ، الذى يحلّ فيه كل حرام .

١٦٤٢٧ – . . . . قال حدثنا هشيم، عن إسمعيل بن أبي خالد، عن الشعبي ، عن علي قال : يوم الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٤٢٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة ، عن ابن عون قال : سألت محمداً عن يوم الحجّ الأكبر فقال : كان يوماً وافق فيه حج رسول الله ٥٢/١٠
صلى الله عليه وسلم وحج أهل الوَبر .

١٦٤٢٩ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا الحكم بن بشير قال ، حدثنا عمر بن ذر قال : سألت مجاهداً عن يوم الحج الأكبر فقال : هو يوم النحر .

١٦٤٣٠ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن مجاهد: يوم الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٤٣١ – حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن ثور ، عن مجاهد : يوم الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٤٣٢ – حدثنا أحمد قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر قال : يوم الحجّ الأكبر ، يوم النحر = وقال عكرمة : يوم الحج الأكبر ، يوم النحر ، يوم تهراق فيه الدماء ، ويحلّ فيه الحرام = قال وقال مجاهد : يوم يجمع فيه الحج كله ، وهو يوم الحج الأكبر .

١٦٤٣٣ – . . . . قال حدثنا إسرائيل، عن عبد الأعلى، عن محمد بن علي : يوم الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٤٣٤ – . . . . قال ، حدثنا إسرائيل، عن عبد الأعلى ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

١٦٤٣٥ – . . . . قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا حماد بن سلمة ،

عن سماك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، مثله .

١٦٤٣٦ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أبي إسحق قاله ، قال على : الحج الأكبر ، يوم النحر = قال : وقال الزهرى : يوم النحر ، يوم الحج الأكبر .

١٦٤٣٧ – حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال، حدثنا عمى عبد الله ابن وهب قال ، أخبرنى يونس، وعمرو، عن الزهرى، عن حميد بن عبدالرحمن، عن أبي هريرة قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر فى الحجة التى أمَّره رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها قبل حجة الوداع ، فى رَهْط يؤذِّنون فى الناس يوم النحر : ألا لا يحجّ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان=قال الزهرى : فكان حميد يقول : يوم النحر ، يوم الحج الأكبر .(١)

١٦٤٣٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الشعبي ، عن أبي إسحق قال : سألت عبد الله بن شداد عن الحج الأكبر، والحج الأصغر ، فقال : الحج الأكبر يوم النحر ، والحج الأصغر العمرة .

١٦٤٣٩ – . . . . قال أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أبي إسحق قال ، سألت عبد الله بن شداد ، فذكر نحوه

١٦٤٤٠ – . . . . قال أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا ابن عيينة ، عن عبد الملك بن عمير قال : سمعت عبد الله بن أبي أوفى يقول : يوم الحج الأكبر ، يوم يوضع فيه الشعر، ويُهَراق فيه الدم ، ويحلّ فيه الحرام .(٢)

---

(١) الأثر : ١٦٤٣٧ – « يونس » ، هو « يونس بن يزيد الأيلى » ثقة ، سلف مراراً .
و « عمرو » ، هو « عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصارى » ، ثقة مضى مراراً .
و « حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى » ، الثقة ، مضى مراراً .
وهذا الخبر رواه البخارى فى صحيحه (الفتح ٣ : ٨/٣٨٧ : ٢٣٨ – ٢٤١) من طرق ، واستوفى الكلام عليه الحافظ ابن حجر هناك .
و بمثله فى السنن لأبي داود ٢ : ٢٦٤ ، رقم : ١٩٤٦ .
(٢) الأثر : ١٦٤٤٠ – انظر ما سلف رقم : ١٦٣٩٩ .

١٦٤٤١ — . . . . قال ، حدثنا الثورى ، عن أبى إسحق ، عن على قال : الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٤٤٢ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا قيس ، عن عياش العامرى ، عن عبد الله بن أبى أوفى : أنه سئل عن يوم الحج الأكبر فقال : سبحان الله ، هو يوم تهراق فيه الدماء ، ويحل فيه الحرام ، ويوضع فيه الشعر ، هو يوم النحر .(١)

١٦٤٤٣ — . . . . قال ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى حصين ، عن عبد الله بن سنان ، قال : خطبنا المغيرة بن شعبة على ناقة له فقال : هذا يوم النحر ، وهذا يوم الحج الأكبر .(٢)

١٦٤٤٤ — . . . . قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا حسن بن صالح ، عن مغيرة ، عن إبراهيم قال ، يوم الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٤٤٥ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز ، عن إبراهيم بن طهمان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم : يوم الحج الأكبر ، يوم النحر ، يحلّ فيه الحرام .

١٦٤٤٦ — حدثنى أحمد بن المقدام قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا ابن عون ، عن محمد بن سيرين ، عن عبد الرحمن بن أبى بكرة ، عن أبيه قال : لما كان ذلك اليوم ، قعد على بعير له ،(٣) وأخذ إنسان بخطامه = أو : زمامه = فقال : أى يوم هذا ؟ قال : فسكتنا حتى ظننا أنه سيسمّيه غير اسمه فقال : أليس يوم الحج ؟(٤)

---

(١) الأثر : ١٦٤٤٢ — انظر ما سلف رقم : ١٦٣٩٨ .

(٢) الأثر : ١٦٤٤٣ — انظر ما سلف رقم : ١٦٤١١ — ١٦٤١٣ ، وكان فى المطبوعة هنا أيضاً : «عبد الله بن يسار» ، والصواب «ابن سنان» ، كما فى المخطوطة أيضاً .

(٣) زاد فى المطبوعة هنا فكتب : «قعد على بعير له النبى» .

(٤) الأثر : ١٦٤٤٦ — رواه البخارى فى صحيحه (الفتح ٣ : ٤٥٩) من طريق أبى عامر العقدى ، عن قرة بن خالد ، عن محمد بن سيرين ، مطولا وفيه : «أليس يوم النحر» .

١٦٤٤٧ – حدثنا سهل بن محمد السجستانى قال ، حدثنا أبو جابر الحرمى قال ، حدثنا هشام بن الغاز الجرشى ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر عند الجمرات فى حجة الوداع فقال : هذا يوم الحج الأكبر .(١) ٥٣/١٠

---

(١) الأثر : ١٦٤٤٧ – « سهل بن محمد بن عثمان السجستانى » ، هو « أبو حاتم » ، النحوى ، المقرئ ، البصرى المشهور . ذكره ابن حبان فى الثقات . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٢/١/٢٠٤ . وكان فى المطبوعة والمخطوطة ، وتفسير ابن كثير « سهل بن محمد الحسانى » . وكان الصواب هو ما أثبته لما سترى بعد .

و « أبو جابر الحرمى » ، هو « محمد بن عبد الملك الأزدى البصرى » ، نزيل مكة ، مشهور بكنيته . روى عنه « أبو حاتم السجستانى » ، فمن أجل ذلك صححت الاسم السالف « سهل بن محمد السجستانى » . ونسبته « الحرمى » ، كانت فى المخطوطة « الحرثى » ، تشبه أن تكون « باءاً » أو « تاءاً » أو « ثاءاً » ، أو « ميما » ، فرجحت أنها « ميم » لأنه نزيل مكة ، نسبة إلى « الحرم » . وكانت فى المطبوعة : « الحرثى » ، وفى تفسير ابن كثير « الحربى » ، ولم يوجد شيء من ذلك فى ترجمته .

و « أبو جابر » ، ذكره ابن حبان فى الثقات ، وقال أبو حاتم : « أدركته ، مات قبلنا بيسير ، وليس بقوى » . وهو مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/١/١٦٥ ، ولم يذكر فيه جرحاً ، وابن أبى حاتم ٤/١/٥ ، وميزان الاعتدال ٣ : ٩٥ .

و « هشام بن الغاز بن ربيعة الجرشى » ، ثقة صالح الحديث . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/٢/١٩٩ ، وابن أبى حاتم ٤/٢/٦٧ .

وهذا الخبر ، خرجه ابن كثير فى تفسيره ٤ : ١١٤ ، وقال : « هكذا رواه ابن أبى حاتم وابن مردويه ، من حديث أبى جابر – واسمه : محمد بن عبد الملك – به . ورواه ابن مردويه أيضاً من حديث الوليد بن مسلم ، عن هشام بن الغاز . ثم رواه من حديث سعيد بن عبد العزيز ، عن نافع ، به » .

وفاته أن البخارى أخرجه فى صحيحه تعليقاً (الفتح ٣ : ٤٥٩) ، مطولا ، وأخرجه أبو داود فى سننه ٢ : ٢٦٤ رقم : ١٩٤٥ ، من طريق مؤمل بن الفضل ، عن الوليد بن مسلم ، عن هشام ابن الغاز » ، بمثله مطولا .

وأخرجه ابن ماجة فى سننه : ١٠١٦ ، رقم : ٣٠٥٨ ، من طريق هشام بن عمار ، عن صدقة ابن خالد ، عن هشام بن الغاز ، بمثله ، مطولا .

وأخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ٥ : ١٣٩ .

وقال الحافظ ابن حجر (الفتح ٣ : ٤٥٩ ، ٤٦٠) : « وأخرجه الطبرانى عن أحمد بن المعلى ، والإسماعيلى عن جعفر الفريابى ، كلاهما عن هشام بن عمار = وعن جعفر الفريابى ، عن دحيم ، عن الوليد بن مسلم ، عن هشام بن الغاز ، ومن هذا الوجه أخرجه أبو داود » .

١٦٤٤٨ – حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن مرة الهمدانى ، عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقة حمراء مخضرمة ،(١) فقال : أتدرون أىّ يوم يومكم ؟ قالوا : يوم النحر ! قال : صدقتم ، يوم الحج الأكبر .(٢)

١٦٤٤٩ – حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا يحيى بن سعيد قال ، حدثنا شعبة قال ، أخبرنى عمرو بن مرة قال ، حدثنا مرة قال ، حدثنا رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه.

١٦٤٥٠ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال ، أخبرنا إسمعيل ابن أبى خالد ، عن أبيه ، عن . . . . . قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً بأربع كلمات حين حج أبو بكر بالناس ، فنادى ببراءة : إنه يوم الحج الأكبر ، ألا إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، ألا ولا يطوف بالبيت عريان ، ألا ولا يحج بعد العام مشرك ، ألا ومن كان بينه وبين محمد عهدٌ فأجله إلى مدته ، والله برىء

أما الحاكم ، فقد أخرجه فى المستدرك ٢ : ٣٣١ من طريق سليمان بن عبد الرحمن الدمشقى ، عن الوليد بن مسلم ، عن هشام بن الغاز ، ثم قال : « وهذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة . وأكثر هذا المتن مخرج فى الصحيحين إلا قوله : إن يوم الحج الأكبر ، يوم النحر سنة . فإن الأقاويل فيه عن الصحابة والتابعين رضى الله عنهم ، على خلاف بينهم فيه ، فمنهم من قال : يوم عرفة ، ومنهم من قال : يوم النحر » ، ووافقه الذهبى على صحته .

(١) « المخضرمة » ، المقطوع طرف أذنها ، وكان أهل الجاهلية يخضرمون نعمهم ، فلما جاء الإسلام ، أمرهم النبى صلى الله عليه وسلم أن يخضرموا من غير الموضع الذى يخضرم منه أهل الجاهلية ، فكانت خضرمة أهل الإسلام بائنة من خضرمة أهل الجاهلية .

(٢) الأثر : ١٦٤٤٨ – « رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، ربما كان : « عبد الله بن مسعود » ، فقد روى الخبر مطولا ابن ماجة فى السنن : ١٠١٦ ، رقم : ٣٠٥٧ ، من طريق إسماعيل بن توبة ، عن زافر بن سليمان ، عن أبى سنان ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله ابن مسعود » .

وسيأتى برقم : ١٦٤٥٤ ، من حديث شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن رجل من أصحاب رسول الله » ، كمثل ما فى رواية ابن ماجه ، ليس فيه « مرة الطيب » .

من المشركين ورسوله .[١]

١٦٤٥١ – حدثني يعقوب قال، حدثني هشيم ، عن حجاج بن أرطاة ، عن عطاء قال : يوم الحج الأكبر ، يوم النحر .

١٦٤٥٢ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « يوم الحج الأكبر » ، قال : يوم النحر ، يوم يحلّ فيه المحرم ، وينحر فيه البُدْن . وكان ابن عمر يقول : هو يوم النحر . وكان أبي يقوله . وكان ابن عباس يقول : هو يوم عرفة . ولم أسمع أحداً يقول إنه يوم عرفة إلاّ ابن عباس . قال ابن زيد : والحج يفوت بفوت يوم النحر ، ولا يفوت بفوت يوم عرفة ، إن فاته اليوم لم يفته الليل ، يقف ما بينه وبين طلوع الفجر .

١٦٤٥٣ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قال : يوم الأضحى ، يوم الحج الأكبر .

١٦٤٥٤ – حدثنا سفيان قال، حدثنا أبي ، عن شعبة ، عن عمرو بن مرة، قال ، حدثني رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في غرفتي هذه ، حسبته قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر على ناقة حمراء مُخَضرَمة فقال : أتدرون أي يوم هذا ؟ هذا يوم النحر ، وهذا يوم الحج الأكبر .[٢]

* * *

وقال آخرون : معنى قوله : « يوم الحج الأكبر » ، حين الحجّ الأكبر ووقته . قال : وذلك أيام الحج كلها، لا يوم بعينه .

---

(١) الأثر : ١٦٤٥٠ – « إسماعيل بن أبي خالد الأحمسي » ، مضى مراراً .
و « أبوه » : « أبو خالد الأحمسي البجلي » ، مترجم في التهذيب ، روى عن أبي هريرة ، وجابر بن سمرة . ذكره ابن حبان في الثقات .
وقد حذفت المطبوعة ما أثبت ، وهو « عن . . . » ، وبعدها بياض ، سقط من مخطوطة اسم الصحابي الذي روى عنه أبو خالد هذا الخبر .
ولم أجد الخبر في مكان آخر .

(٢) الأثر : ١٦٤٥٤ – انظر التعليق على رقم : ١٦٤٤٨ .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٤٥٥ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد: « يوم الحج الأكبر » ، حين الحجّ، أيامه كلها .

١٦٤٥٦ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا ابن عيينة ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : الحج الأكبر ، أيام منى كلها ، ومجامع المشركين حين كانوا بذى المجاز وعكاظ ومَجَنَّة، حين نودى فيهم : أن لا يجتمع المسلمون والمشركون بعد عامهم هذا ، وأن لا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدٌ فعهده إلى مدته .

١٦٤٥٧ – حدثني الحارث قال، حدثنا أبو عبيد قال ، كان سفيان يقول: « يوم الحج » ، و« يوم الجمل » ، و« يوم صفين » ، أى : أيامه كلها .

١٦٤٥٨ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج، عن مجاهد فى قوله : « يوم الحج الأكبر »، قال : حين الحجّ ، أى : أيامه كلها .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك عندنا بالصحة ، قولُ من قال : « يوم الحج الأكبر ، يوم النحر » ، لتظاهر الأخبار عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عليًّا نادى بما أرسله به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرسالة إلى المشركين ، وتلا عليهم « براءة » ، يوم النحر . هذا ، مع الأخبار التى ذكرناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم النحر : أتدرون أىّ يوم هذا ؟ هذا يوم الحج الأكبر .

وبعدُ ، فإن « اليوم » ، إنما يضاف إلى المعنى الذى يكون فيه، كقول الناس: ٥٤/١٠
« يوم عرفة » ، وذلك يوم وقوف الناس بعرفة = و« يوم الأضحى » ، وذلك يومْ

يضحون فيه = « ويوم الفطر » ، وذلك يوم يفطرون فيه . وكذلك« يوم الحج »، يوم يحجون فيه ، وإنما يحج الناس ويقضون مناسكهم يوم النحر ، لأن فى ليلة نهار يوم النحر ، الوقوفُ بعرفة غير فائت إلى طلوع الفجر ،[1] وفى صبيحتها يعمل أعمال الحج . فأما يوم عرفة ، فإنه وإن كان فيه الوقوف بعرفة، فغير فائت الوقوف به إلى طلوع الفجر من ليلة النحر ، والحج كله يوم النحر .

* * *

وأما ما قال مجاهد : من أن « يوم الحج » ، إنما هو أيامه كلها ، فإن ذلك وإن كان جائزاً فى كلام العرب ، فليس بالأشهر الأعرف فى كلام العرب من معانيه ، بل أغلبُ على معنى « اليوم » عندهم أنه من غروب الشمس إلى مثله من الغد . وإنما محمل تأويل كتاب الله على الأشهر الأعرف من كلام من نزل الكتابُ بلسانه .

* * *

واختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله قيل لهذا اليوم : « يوم الحج الأكبر » .

فقال بعضهم : سمى بذلك ، لأن ذلك كان فى سنة اجتمع فيها حجّ المسلمين والمشركين .

* ذكر من قال ذاك

١٦٤٥٩ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن قال : إنما سمى « الحج الأكبر » ، من أجل أنه حج أبو بكر الحجة التى حجها ، واجتمع فيها المسلمون والمشركون، فلذلك سمى« الحج الأكبر»، ووافق أيضاً عيدَ اليهود والنصارى.

١٦٤٦٠ – حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا

---

(١) فى المطبوعة : « الوقوف بعرفة كان إلى طلوع الفجر » ، غير ما فى المخطوطة ، وهو الصواب المحض .

حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال : يوم الحج الأكبر ، كانت حجة الوداع ، اجتمع فيه حج المسلمين والنصارى واليهود ، ولم يجتمع قبله ولا بعده .

١٦٤٦١ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن الحسن قال : قوله : « يوم الحج الأكبر » ، قال : إنما سمى « الحج الأكبر » ، لأنه يوم حج فيه أبو بكر ، ونُبذت فيه العهود .

* * *

وقال آخرون: « الحج الأكبر »، القِرانُ ،و « الحج الأصغر » ، الإفراد .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٤٦٢ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا أبو بكر النهشلي ، عن حماد ، عن مجاهد قال: كان يقال: « الحج الأكبر » ، و« الحج الأصغر»، فالحج الأكبر ، القِران = و« الحج الأصغر» ، إفراد الحج .

* * *

وقال آخرون : « الحج الأكبر » ، الحج = و« الحج الأصغر »، العمرة .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٤٦٣ – حدثنا ابن وكيع قال،حدثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، قال : « الحج الأكبر » ، الحج ، و « الحجّ الأصغر» ، العمرة .

١٦٤٦٤ – . . . . قال ، حدثنا عبد الأعلى، عن داود ، عن عامر قال : قلت له : هذا الحج الأكبر ، فما « الحج الأصغر » ، قال : العمرة .

١٦٤٦٥ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي قال : كان يقال : « الحج الأصغر » ، العمرة في رمضان .

١٦٤٦٦ – . . . . قال، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد قال : كان يقال : « الحج الأصغر » ، العمرة .

١٦٤٦٧ – . . . . قال ، حدثنا عبد الرحمن ، عن سفيان ، عن أبي أسماء ، عن عبد الله بن شداد قال : « يوم الحج الأكبر » ، يوم النحر ، و « الحج الأصغر » ، العمرة .

١٦٤٦٨ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري : أن أهل الجاهلية كانوا يسمون « الحج الأصغر » ، العمرة.

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك عندي ، قول من قال : « الحج الأكبر ، الحج » ، لأنه أكبر من العمرة بزيادة عمله على عملها ، فقيل له : « الأكبر » ، لذلك . وأما « الأصغر » ، فالعمرة ، لأن عملها أقل من عمل الحج ، فلذلك قيل لها : « الأصغر » ، لنقصان عملها عن عمله .

* * *

وأما قوله : « أن الله بريء من المشركين ورسوله » ، فإن معناه : أن الله بريء من عهد المشركين ورسوله ، بعد هذه الحجة .

* * *

قال أبو جعفر : ومعنى الكلام : وإعلام من الله ورسوله إلى الناس في يوم الحج الأكبر : أن الله ورسوله من عهد المشركين بريئان ، كما : –

١٦٤٦٩ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « أن الله بريء من المشركين ورسوله » ، أي : بعد هذه الحجة .[1]

* * *

---

(١) الأثر : ١٦٤٦٩ – سيرة ابن هشام ٤ : ١٨٨ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٣٥٦ .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوٓا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٣) ١٠/٥٥

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « فإن تبتم » ، من كفركم ، أيها المشركون ، ورجعتم إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له = دون الآلهة والأنداد[١] = فالرجوع إلى ذلك « خير لكم » ، من الإقامة على الشرك فى الدنيا والآخرة = « وإن توليتم » ، يقول : وإن أدبرتم عن الإيمان بالله ، وأبيتم إلا الإقامة على شرككم = «فاعلموا أنكم غير معجزى الله »، يقول : فأيقنوا أنكم لا تُفيتون الله بأنفسكم من أن يحلّ بكم عذابه الأليم وعقابه الشديد ، على إقامتكم على الكفر ،[٢] كما فعل بمن قبلكم من أهل الشرك من إنزال نقمه به،[٣] وإحلاله العذاب عاجلاً بساحته = « وبشر الذين كفروا » ، يقول : وأعلم ، يا محمد ، الذين جحدوا نبوتك وخالفوا أمر ربهم[٤] = « بعذاب »، موجع يحلُّ بهم .[٥]

١٦٤٧٠ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قوله : « فإن تبتم » ، قال : آمنتم .

* * *

---

(١) انظر تفسير « التوبة » فيما سلف من فهارس اللغة (توب) .

(٢) انظر تفسير « الإعجاز» فيما سلف ص : ١١١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المطبوعة : «كما فعل بذويكم من أهل الشرك » ، وفى المخطوطة : « كما فعل برونكم » ، ولا أدرى ما هو ، فآثرت أن أجعلها « بمن قبلكم » لتستقيم الضمائر بعد ذلك .

(٤) انظر تفسير « بشر » فيما سلف ١٣ : ٤١٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٥) انظر تفسير « أليم » فيما سلف من فهارس اللغة (ألم) .

القول فى تأويل قوله ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله » ، إلا من عَهْدِ الذين عاهدتم من المشركين ، أيها المؤمنون[١] = « ثم لم ينقصوكم شيئاً » ، من عهدكم الذى عاهدتموهم = « ولم يظاهروا عليكم أحداً » ، من عدوكم ، فيعينوهم بأنفسهم وأبدانهم ، ولا بسلاح ولا خيل ولا رجال[٢] = « فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم » ، يقول : فَفُوا لهم بعهدهم الذى عاهدتموهم عليه ، [٣] ولا تنصبوا لهم حرباً إلى انقضاء أجل عهدهم الذى بينكم وبينهم = « إن الله يحب المتقين » ، يقول : إن الله يحب من اتقاه بطاعته ، بأداء فرائضه واجتناب معاصيه .[٤]

١٦٤٧١ — حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم » ، يقول : إلى أجلهم .

١٦٤٧٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « إلا الذين عاهدتم من المشركين » ، أى : العهد الخاص إلى الأجل المسمى = « ثم لم ينقصوكم شيئاً ، الآية .[٥]

---

(١) انظر تفسير « المعاهدة » فيما سلف ص : ٢١ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « المظاهرة » فيما سلف ٢ : ٣٠٤ .
(٣) انظر تفسير « الإتمام » فيما سلف ١٣ : ٨٧ ، تعليق ١ ، والمراجع هناك .
(٤) انظر تفسير « التقوى » فيما سلف من فهارس اللغة (وقى) .
(٥) الأثر : ١٦٤٧٢ — سيرة ابن هشام ٢ : ١٨٨ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٤٦٩ .

١٦٤٧٣ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً » ، الآية ، قال : هم مشركو قريش ، الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية ، وكان بقى من مدتهم أربعة أشهر بعد يوم النحر . فأمر الله نبيه أن يوفّى لهم بعهدهم إلى مدتهم، ومن لا عهد له إلى انسلاخ المحرم ، ونبذ إلى كل ذى عهد عهده ، وأمره بقتالهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله، وأن لا يقبل منهم إلاّ ذلك .

١٦٤٧٤ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : مدة من كان له عهد من المشركين قبل أن تنزل « براءة » أربعة أشهر ، من يوم أذن ببراءة إلى عشر من شهر ربيع الآخر ، وذلك أربعة أشهر . فإن نقضَ المشركون عهدهم ، وظاهروا عدوًّا، فلا عهد لهم . وإن وفوْا بعهدهم الذى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يظاهروا عليه عدوًّا ، فقد أمر أن يؤدّى إليهم عهدهم وينى به .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ⊙

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « فإذا انسلخ الأشهر الحرم » ، فإذا انقضى ومضى وخرج .

* * *

يقال منه : «سلخنا شهر كذا نسلَخه سَلْخاً ، وسُلُوخاً» ، بمعنى : خرجنا منه .
ومنه قولهم : « شاة مسلوخة » ، بمعنى : المنزوعة من جلدها ، المخرجة منه .(١)

* * *

١٠/٥٦ ويعنى بـ « الأشهر الحرم » ، ذا القعدة ، وذا الحجة ، والمحرم .(٢)

* * *

وإنما أريد فى هذا الموضع انسلاخ المحرم وحده ، لأن الأذان كان ببراءة يوم الحج الأكبر . فمعلوم أنهم لم يكونوا أحلّوا الأشهرَ الحرمَ كلَّها = وقد دللنا على صحة ذلك فيما مضى = ولكنه لما كان متصلاً بالشهرين الآخرين قبله الحرامين ، وكان هو لهما ثالثاً ، وهى كلها متصل بعضها ببعض ، قيل : « فإذا انسلخ الأشهر الحرم » ، ومعنى الكلام : فإذا انقضت الأشهر الحرم الثلاثة عن الذين لا عهد لهم ، أو عن الذين كان لهم عهد فنقضوا عهدهم بمظاهرتهم الأعداءَ على رسول الله وعلى أصحابه ، أو كان عهدهم إلى أجل غير معلوم .

* * *

= « فاقتلوا المشركين » ، يقول : فاقتلوهم = «حيث وجدتموهم » ، يقول : حيث لقيتموهم من الأرض ، فى الحرم ، وغير الحرم ، فى الأشهر الحرم وغير الأشهر الحرم = «وخذوهم» يقول : وأسروهم = « واحصروهم » ، يقول : وامنعوهم التصرف فى بلاد الإسلام ودخول مكة = « واقعدوا لهم كل مرصد » ، يقول : واقعدوا لهم بالطلب لقتلهم أو أسرهم = « كل مرصد » ، يعنى : كل طريق ومرقَب .

* * *

وهو « مفعل » ، من قول القائل : « رصدت فلاناً أرصُده رَصْداً » ، بمعنى : رقبته .

* * *

«فإن تابوا» ، يقول : فإن رجعوا عما هم عليه من الشرك بالله وجحود نبوة نبيه محمد

---

(١) انظر تفسير « الانسلاخ » فيما سلف ١٣ : ٢٦٠ .

(٢) انظر تفسير « الأشهر الحرم » فيما سلف ٣ : ٥٧٥ – ٩/٥٧٩ : ٤٦٥ ، ٤٦٦/ ١١ : ٩١ ، ٩٤ .

صلى الله عليه وسلم ،[١] إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأنداد ، والإقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم = « وأقاموا الصلاة » ، يقول : وأدّوا ما فرض الله عليهم من الصلاة بحدودها = وأعطوا الزكاة التى أوجبها الله عليهم فى أموالهم أهلها[٢] =« فخلوا سبيلهم » ، يقول : فدعوهم يتصرفون فى أمصاركم ، ويدخلون البيت الحرام = « إن الله غفور رحيم » ، لمن تاب من عباده = فأناب إلى طاعته ، بعد الذى كان عليه من معصيته ، ساتر على ذنبه ، رحيم به ، أن يعاقبه على ذنوبه السالفة قبل توبته ، بعد التوبة .[٣]

* * *

وقد ذكرنا اختلاف المختلفين فى الذين أجلّوا إلى انسلاخ الأشهر الحرم .

* * *

وبنحو ما قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٤٧٥ – حدثنا عبد الأعلى بن واصل الأسدى قال ، حدثنا عبيد الله ابن موسى قال ، أخبرنا أبو جعفر الرازى ، عن الربيع ، عن أنس قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده ، وعبادته لا يشرك به شيئاً ، فارقها والله عنه راضٍ = قال : وقال أنس : هو دين الله الذى جاءت به الرسل وبلغوه عن ربهم ، قبل هَرْج الأحاديث ،[٤] واختلاف الأهواء . وتصديق ذلك فى كتاب الله فى آخر ما أنزل الله ، قال الله : « فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم » ، قال : توبتهم ، خلع الأوثان ، وعبادة ربهم ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، ثم قال فى آية أخرى : ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ

(١) انظر تفسير « التوبة » فيما سلف من فهارس اللغة (تاب) .
(٢) انظر تفسير « إقامة الصلاة » ، و « إيتاء الزكاة » فيما سلف من فهارس اللغة (قوم) ، (أتى) .
(٣) انظر تفسير « غفور » و « رحيم » فيما سلف من فهارس اللغة (غفر) ، (رحم) .
(٤) « هرج الأحاديث » ، الإكثار فيها ، واختلاف المختلفين ، واختلاط أصواتهم .

وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ﴾ [سورة التوبة : ١١] .(١)

١٦٤٧٦ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » ، حتى ختم آخر الآية . وكان قتادة يقول : خلوا سبيل من أمركم الله أن تخلوا سبيله، فإنما الناس ثلاثة : رَهْط مسلم عليه الزكاة ، ومشرك عليه الجزية ، وصاحب حرب يأمن بتجارته فى المسلمين إذا أعطى عُشُور ماله .

١٦٤٧٧ – حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « فإذا انسلخ الأشهر الحرم » ، وهى الأربعة التى عددت لك = يعنى : عشرين من ذى الحجة، والمحرم ، وصفر ، وربيعاً الأول، وعشرًا من شهر ربيع الآخر .

* * *

وقال قائلو هذه المقالة: قيل لهذه: « الأشهر الحرم » ، لأن الله عز وجل حرّم على المؤمنين فيها دماءَ المشركين، والعَرْضَ لهم إلاّ بسبيلِ خيرٍ .(٢)

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) الأثر : ١٦٤٧٥ – « عبد الأعلى بن واصل بن عبد الأعلى بن هلال الأسدى » ، شيخ الطبرى ، ثقة ، مضى برقم : ١١١٢٥ .

و « عبيد الله بن موسى بن أبى المختار العبسى »، روى له الجماعة، سلف مراراً ، آخرها: ١٣١٧٧.

وسائر رجال السند ، ثقات ، مضوا جميعاً ، إلا أبا جعفر الرازى ، فقد تكلموا فيه ، وهو ثقة إن شاء الله .

وهذا الخبر رواه ابن ماجة فى سننه : ٢٧ ، رقم : ٧٠ ، من طريقين : من طريق نصر بن على الجهضمى ، عن أبى أحمد ، عن أبى جعفر الرازى ، ثم من طريق أبى حاتم ، عن عبيد الله بن موسى العبسى ، عن أبى جعفر ، بمثله .

ورواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٣٣١ ، ٣٣٢ عن طريق إسحق بن سليمان الرازى ، عن أبى جعفر الرازى ، ولم يقل فيه : « قال أنس : وهو دين الله . . . » ، بل ساقه مدرجاً فى الحديث ، ثم قال : « وهذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ، وافقه الذهبى ، إلا أنه استدرك عليه فقال : « صدر الخبر مرفوع ، وسائره مدرج فيما أرى » ، وصدق الذهبى .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « والعرض لهم » ، وهو بمعنى « التعرض » .

١٦٤٧٨ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن إبراهيم بن أبي بكر : أنه أخبره عن مجاهد وعمرو بن شعيب في قوله : « فإذا انسلخ الأشهر الحرم » ، أنها الأربعة التي قال الله : « فسيحوا في الأرض » ، قال : هي « الحُرم » ، من أجل أنهم أومنوا فيها حتى يسيحوها .[1] ٥٧/١٠

١٦٤٧٩ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الأرض أربعة أشهر» ، قال : ضُرِب لهم أجلُ أربعة أشهر ، وتبرأ من كل مشرك . ثم أمر إذا انسلخت تلك الأشهر الحرم = « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد » ، لا تتركوهم يضربون في البلاد ، ولا يخرجوا لتجارة ،[2] ضيِّقوا عليهم بعدها . ثم أمر بالعفو[3] : « فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم » .

١٦٤٨٠ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « فإذا انسلخ الأشهر الحرم » ، يعني : الأربعة التي ضربَ لهم أجلاً = لأهل العهد العامّ من المشركين = « فاقتلوهم حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد » ، الآية .[4]

• • •

---

(١) الأثر : ١٦٤٧٨ – « إبراهيم بن أبي بكر الأخنسي » ، ثقة ، مضى برقم : ١٠٧٥٨ .

(٢) في المطبوعة : « ولا يخرجون للتجارة » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٣) في المخطوطة : « بعد ما أمر بالعفو » ، وفي المطبوعة : « بعدها أمر بالعفو » ، وصواب السياق يقتضي ما أثبت ، وزيادة « ثم » .

(٤) الأثر : ١٦٤٨٠ – سيرة ابن هشام ٤ : ١٨٩ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٤٧٢ ، وقوله : « لأهل العهد العام من المشركين » ، من كلام أبي جعفر ، استظهاراً مما سلف قبله في السيرة ، وفي رقم : ١٦٣٥٦ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ (٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه : وإن استأمنك ، يا محمد ، من المشركين ، الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم ، أحدٌ ليسمع كلام الله منك = وهو القرآن الذى أنزله الله عليه = « فأجره » ، يقول : فأمّنه حتى يسمع كلام الله وتتلوه عليه = « ثم أبلغه مأمنه » ، يقول : ثم رُدَّه بعد سماعه كلام الله إن هو أبَى أن يسلم ، ولم يتعظ بما تلوته عليه من كلام الله فيؤمن = « إلى مأمنه » ، يقول : إلى حيث يأمن منك وممن فى طاعتك ، حتى يلحق بداره وقومه من المشركين [1] = « ذلك بأنهم قوم لا يعملون » ، يقول : تفعل ذلك بهم ، من إعطائك إياهم الأمان ليسمعوا القرآن ، وردّك إياهم إذا أبوا الإسلام إلى مأمنهم ، من أجل أنهم قوم جهلة لا يفقهون عن الله حجة ، ولا يعلمون ما لهم بالإيمان بالله لو آمنوا ، وما عليهم من الوِزْر والإثم بتركهم الإيمان بالله .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٤٨١ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق: « وإن أحد من المشركين استجارك »، أى : من هؤلاء الذين أمرتك بقتالهم = « فأجره ». [2]

---

(١) انظر تفسير « الأمن » فيما سلف ١٣ : ٤٢٠ ، تعليق ١ ، والمراجع هناك .

(٢) الأثر : ١٦٤٨١ — سيرة ابن هشام ٤ : ١٨٩ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٤٨٠ .

١٦٤٨٢ – حدثني محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى : « فأجره حتى يسمع كلام الله » ، أما « كلام الله »، فالقرآن .

١٦٤٨٣ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره » ، قال : إنسان يأتيك فيسمع ما تقول ، ويسمع ما أنزل عليك ، فهو آمنٌ حتى يأتيك فيسمع كلام الله ، وحتى يبلغ مأمنه ، حيث جاءه .[1]

١٦٤٨٤ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

١٦٤٨٥ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم غازياً ، فلقى العدوَّ ، وأخرج المسلمون رجلاً من المشركين وأشرعوا فيه الأسنّة ، فقال الرجل : ارفعوا عنى سلاحكم ، وأسمعونى كلام الله ! فقالوا : تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وتخلع الأنداد، وتتبرأ من اللات والعزى ! فقال : فإنّى أشهدكم أنى قد فعلت !

١٦٤٨٦ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ثم أبلغه مأمنه » ، قال : إن لم يوافقه ما تتلو عليه وتحدثه،[2] فأبلغه . قال : وليس هذا بمنسوخ .

* * *

واختلف فى حكم هذه الآية ، هل هو منسوخ أو هو غير منسوخ ؟

فقال بعضهم : هو غير منسوخ ، وقد ذكرنا قول من قال ذلك .

* * *

وقال آخرون : هو منسوخ .

---

(١) فى المطبوعة : « حيث جاء » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « ما تتلو عليه وتحدثه » ، وفى المخطوطة فوق « تقول » حرف (ط) دلالة على الخطأ ، والصواب ما أثبت .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٤٨٧ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن جويبر ، عن الضحاك : « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » ، نسختها : ﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً ﴾ [سورة محمد: ٤] . ٥٨/١٠

١٦٤٨٨ – . . . . قال ، حدثنا سفيان ، عن السدى ، مثله .

* * *

وقال آخرون : بل نسخ قوله: « فاقتلوا المشركين » ، قوله: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ﴾ .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٤٨٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبدة بن سليمان ، عن ابن أبى عروبة، عن قتادة : ﴿ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ ﴾ ، [سورة محمد: ٤]، نسخها قوله : « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى، قولُ من قال : « ليس ذلك بمنسوخ » . وقد دللنا على أن معنى « النسخ » ، هو نفى حكم قد كان ثبت بحكم آخر غيره . (١) ولم تصحّ حجةٌ بوجوب حكم الله فى المشركين بالقتل بكل حال، ثم نسخه بترك قتلهم على أخذ الفداء، ولا على وجه المنّ عليهم . فإذ كان ذلك كذلك ، وكان الفداء والمنّ والقتل لم يزل من حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم من أول حرب حاربهم ،(٢) وذلك من يوم بدر = كان معلوماً أن معنى الآية : فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ، وخذوهم للقتل أو المنّ أو الفداء ، واحصروهم . وإذا كان ذلك معناه ، صحّ ما قلنا فى ذلك دون غيره .

* * *

(١) انظر ما قاله أبو جعفر فى « النسخ » مراراً فى فهارس الكتاب .

(٢) فى المطبوعة : « فكان الفداء » ، وهو خطأ ، لم يحسن قراءة المخطوطة .

القول فى تأويل قوله ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : أنىّ يكون، أيها المؤمنون بالله ورسوله ، وبأىّ معنى ، يكون للمشركين بربهم عهدٌ وذمة عند الله وعند رسوله ، يوفّى لهم به ، ويتركوا من أجله آمنين يتصرفون فى البلاد ؟[1] وإنما معناه : لا عهد لهم ، وأنّ الواجب على المؤمنين قتلهم حيث وجدوهم ، إلا الذين أعطوا العهد عند المسجد الحرام منهم ، فإن الله جل ثناؤه أمرَ المؤمنين بالوفاء لهم بعهدهم ، والاستقامة لهم عليه، ما داموا عليه للمؤمنين مستقيمين .

* * *

واختلف أهل التأويل فى الذين عنوا بقوله : « إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام » .

فقال بعضهم : هم قوم من جذيمة بن الدُّئِل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٤٩٠ ــ حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم » ، هم بنو جذيمة بن الدُّئِل .[2]

---

(١) انظر تفسير « العهد » و « المعاهدة » فيما سلف ص : ١٣٢ ، تعليق: ١ ، والمراجع هناك .

(٢) هكذا جاء هنا « بنو جذيمة بن الدئل » ، وفى رقم : ١٦٤٩١ : « جذيمة بكر كنانة » . ولا أعلم فى « الدئل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة » ، « جذيمة » فإن « جذيمة كنانة » إنما هم : « بنو جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة » ، أبناء عمومة « الدئل » ، و « بكر بن عبد مناة » .

١٦٤٩١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن محمد بن عباد بن جعفر قوله : « إلا الذين عاهدتم من المشركين » ، قال : هم جذيمة بكر كنانة .(١)

١٦٤٩٢ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « كيف يكون للمشركين » ، الذين كانوا هم وأنتم على العهد العام ،(٢) بأن لا تخيفوهم ولا يخيفوكم في الحرمة ولا في الشهر الحرام(٣) = « عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام » ، وهي قبائل بني بكر الذين كانوا دخلوا في عهد قريش وعقدهم يوم الحديبية ، إلى المدة التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، فلم يكن نَقَضَها إلاّ هذا الحيُّ من قريش ، وبنو الدُّئِل من بكر . فأمر بإتمام العهد لمن لم يكن نقض عهده من بني بكر إلى مدته = « فما استقاموا لكم » ، الآية .(٤)

* * *

وقال آخرون : هم قريش

وبنو جذيمة بن عامر بن عبد مناة ، هم أهل الغميصاء ، الذين أوقع بهم خالد بن الوليد بعد الفتح ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً رضي الله عنه ليتلافى خطأ خالد بن الوليد ، فودى لهم الدماء وما أصيب من الأموال ، حتى إنه إنه ليدى لهم ميلغة الكلب .

(انظر سيرة ابن هشام ٤ : ٧٠ – ٧٣) .

(١) الأثر : ١٦٤٩١ – راجع التعليق السالف . وكان في المطبوعة : « بكر ، من كنانة » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « كانوا وأنتم » ، وأثبت ما في سيرة ابن هشام .

(٣) في المطبوعة : « بأن لا تمنعوهم ولا يمنعوكم من الحرم » ، غير ما في المخطوطة ، لأنه لم يحسن قراءتها . والصواب ما في المخطوطة ، مطابقاً لما في السيرة .

وقوله : « في الحرمة » ، يعني في مكة البلد الحرام ، وسائر مناسك الحج ، وهي بضم الحاء وسكون الراء . وهي من « الحرمة » ، وهو ما لا يحل انتهاكه . وقد قصرت كتب اللغة في إثبات لفظ « الحرمة » بهذا المعنى الذي فسرته ، وهو كثير في أخبارهم بالمعنى الذي ذكرت ، فأثبته هناك . ومن أجل هذا ظن الناشر أنه حين كتب « من الحرم » ، أن « الحرمة » لا تأتي بمعنى « الحرم » .

(٤) الأثر : ١٦٤٩٢ – سيرة ابن هشام ٤ : ١٨٩ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٤٨١ .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٤٩٣ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : قال ابن عباس قوله : « إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام » ، هم قريش .

١٦٤٩٤ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام » ، يعني : أهل مكة .

١٦٤٩٥ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام » ، يقول : هم قوم كان بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم مدة ، ولا ينبغي لمشرك أن يدخل المسجد الحرام ، ولا يعطى المسلمَ الجزيةَ = « فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم » ، يعني أهل العهد من المشركين . ٥٩/١٠

١٦٤٩٦ – حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم » ، قال : هؤلاء قريش . وقد نسخ هذا الأشهر التي ضربت لهم ، وغدروا بهم فلم يستقيموا ، كما قال الله . فضرب لهم بعد الفتح أربعة أشهر ، يختارون من أمرهم : إما أن يسلموا ، وإما أن يلحقوا بأيِّ بلاد شاؤوا . قال : فأسلموا قبل الأربعة الأشهر ، وقبل قَتْلٍ .[1]

١٦٤٩٧ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم » ، قال : هو يوم الحديبية ،[2] قال : فلم يستقيموا ، نقضوا عهدهم ،

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « وقبل وقبل » ، ولا معنى له ، ولكنه في المخطوطة غير منقوط ، والصواب إن شاء الله ما أثبت .

(٢) كان في المطبوعة : « هم قوم جذيمة » ، وهذا كلام فاسد كل الفساد . وفي المخطوطة :

أي : أعانوا بني بكرٍ حِلْفِ قريش ، على خزاعة حِلْفِ النبي صلى الله عليه وسلم.(١)

* * *

وقال آخرون : هم قوم من خزاعة .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٤٩٨ – حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا ابن عيينة ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام » ، قال : أهل العهد من خزاعة .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب عندى ، قولُ من قال : هم بعضُ بني بكر من كنانة ، ممن كان أقام على عهده ، ولم يكن دخل فى نقض ما كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش يوم الحديبية من العهد مع قريش ، حين نقضوه بمعونتهم حلفاءَهم من بني الدُّئِل ، على حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من خزاعة .

* * *

وإنما قلتُ : هذا القول أولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، لأن الله أمر نبيه والمؤمنين بإتمام العهد لمن كانوا عاهدوه عند المسجد الحرام ، ما استقاموا على عهدهم . وقد بينّا أن هذه الآيات إنما نادى بها علىّ فى سنة تسع من الهجرة ، وذلك بعد فتح مكة بسنة ، فلم يكن بمكة من قريش ولا خزاعة كافرٌ يومئذ بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدٌ ، فيؤمر بالوفاء له بعهده ما استقام على عهده ، لأنّ من كان منهم من ساكني مكة ، كان قد نقض العهد وحورب قبل نزول هذه الآيات .

* * *

« هم يوم الحديبية » ، وصواب قراءته ما أثبت . وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كتب الهدنة بينه وبين قريش عام الحديبية ، تواثبت بنو بكر بن عبد مناة فقالت : « نحن فى عقد قريش وعهدهم » ، وتواثبت خزاعة فقالت : « نحن فى عقد محمد وعهده » (سيرة ابن هشام ٣ : ٣٣٢) . ثم كان بعد ذلك بمدة أن تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة ، وهم حلف رسول الله ، فكان ذلك أحد الأسباب الموجبة المسير إلى مكة وفتحها . وهذا ما دل عليه سائر الخبر .

(١) هو « حلفه » ، أي : حليفه ، وهو الذي بينه وبينه عهد .

وأما قوله : « إن الله يحب المتقين » ، فإن معناه : إن الله يحب من اتقى الله وراقبه فى أداء فرائضه، والوفاء بعهده لمن عاهده ، واجتناب معاصيه ، وترك الغدر بعهوده لمن عاهده .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ (٨)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : كيف يكون لهؤلاء المشركين الذين نقضوا عهدهم أو لمن لا عهد له منهم منكم ، أيها المؤمنون ، عهد وذمة ، وهم= « إن يظهروا عليكم » ، يغلبوكم = « لا يرقبوا فيكم إلاً ولا ذمة » .

* * *

واكتفى بـ« كيف » ، دليلاً على معنى الكلام ، لتقدم ما يراد من المعنى بها قبلها . وكذلك تفعل العرب ، إذا أعادت الحرف بعد مضىّ معناه ، استجازوا حذف الفعل ، كما قال الشاعر :(١)

وَخَبَّرْتُمَانِى أَنَّمَا ٱلْمَوْتُ فِى ٱلْقُرَى فَكَيْفَ وَهَٰذِى هَضْبَةٌ وَكَثِيبُ(٢)

فحذف الفعل بعد « كيف » ، لتقدم ما يراد بعدها قبلها. ومعنى الكلام : فكيف يكون الموت فى القرى ، وهذى هضبة وكثيب ، لا ينجو فيهما منه أحد ؟

* * *

(١) هو كعب بن سعد الغنوى .

(٢) الأصمعيات : ٩٩ ، طبقات فحول الشعراء : ١٧٦ ، أمالى القالى ٢ : ١٥١ ، جمهرة أشعار العرب : ١٣٥ ، ومعانى القرآن للفراء : ١ : ٤٢٤ وغيرها كثير . وهى من أشهر المراثى وأنبلها . وكان لكعب بن سعد أخ يقال له « أبو المغوار » ، فأخذ المدينة وباء ، فنصحوه بأن يفر بأخيه من الأرض الوبيئة ، لينجو من طوارق الموت ، فلما خرج به إلى البادية هلك أخوه ، فتفجع عليه تفجع العربى النبيل .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « لا يرقبوا فيكم إلاً ولا ذمة » .

فقال بعضهم ، معناه : لايرقبوا الله فيكم ولا عهداً .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٤٩٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد: ﴿لاَ يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلاًّ﴾، [سورة التوبة: ١٠] ، قال: الله .

١٦٥٠٠ – حدثنى يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن سليمان ، عن أبى مجلز فى قوله: ﴿لاَ يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً﴾ ، قال: مثل قوله: « جبرائيل» ، « ميكائيل » ، « إسرافيل » ، كأنه يقول : يضيف « جَبْر » ، و « ميكا » ، و« إسراف» ، إلى « إيل»،[1] يقول: عبد الله = « لا يرقبون فى مؤمن إلاً » ، كأنه يقول : لا يرقبون الله . ١٠/٦٠

١٦٥٠١ – حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنى محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « إلاً ولا ذمة » ، لا يرقبون الله ولا غيره .

* * *

وقال آخرون : « الإلّ » ، القرابة .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٥٠٢ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ،عن ابن عباس قوله: ﴿لاَ يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً﴾، يقول : قرابةً ولا عهداً . وقوله : « وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاً ولا ذمة » ، قال : « الإل » ، يعنى القرابة ، و«الذمة » ، العهد .

١٦٥٠٣ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال، حدثنى عمى

---

(١) فى المخطوطة : « كأنه يقول : يضاف جبر » ، وفى المخطوطة : « كأنه يقول جبر يضف جبر . . . » . وفى المخطوطة أيضاً « سراف » بغير ألف .

قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة » ، « الإلّ » ، القرابة ، و « الذمة » ، العهد ، يعني أهل العهد من المشركين ، يقول : ذمتهم .

١٦٥٠٤ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو معاوية وعبدة ، عن جويبر ، عن الضحاك ، « الإلّ » ، القرابة . (١)

١٦٥٠٥ – حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا محمد بن عبد الله ، عن سلمة بن كهيل ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً﴾ ، قال : « الإلّ » ، القرابة ، و « الذمة » ، العهد .

١٦٥٠٦ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت ، الضحاك يقول في قوله : ﴿لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً﴾ ، « الإل » ، القرابة ، و « الذمة » ، الميثاق .

١٦٥٠٧ – حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « كيف وإن يظهروا عليكم » ، المشركون = « لا يرقبوا فيكم » ، عهداً ولا قرابة ولا ميثاقاً .

* * *

وقال آخرون : معناه الحلف .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٥٠٨ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « لا يرقبوا فيكم إلاّ ولا ذمة » ، قال « الإلّ » ، الحلف ، و « الذمة » ، العهد .

* * *

وقال آخرون : « الإلّ » ، هو العهد ، ولكنه كرِّر لما اختلف اللفظان ، وإن كان معناهما واحداً .

---

(١) الأثر : ١٦٥٠٤ – في المطبوعة : « عن حوشب ، عن الضحاك » ، غير ما في المخطوطة ، وهو الصواب . وهذا إسناد مضى مثله مراراً .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٥٠٩ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « إلا »، قال : عهداً .

١٦٥١٠ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « لا يرقبوا فيكم إلاً ولا ذمة » ، قال : لا يرقبوا فيكم عهداً ولا ذمة . قال : إحداهما من صاحبتها كهيئة « غفور»،«رحيم » ، قال: فالكلمة واحدة ، وهي تفترق . قال: والعهد هو« الذمة » .

١٦٥١١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي،عن أبيه ، عن خصيف ، عن مجاهد « ولا ذمة » ، قال : العهد .

١٦٥١٢ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا قيس ، عن خصيف ، عن مجاهد : « ولا ذمة » ، قال : « الذمة » ، العهد .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء المشركين الذين أمر نبيّه والمؤمنين بقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم، وحصرهم والقعود لهم على كل مرصد : أنهم لو ظهروا على المؤمنين لم يرقبوا فيهم« إلا» .

و« الإلّ»، اسم يشتمل على معان ثلاثة : وهي العهد ، والعقد ، والحلف ، والقرابة ، وهو أيضاً بمعنى « الله » . فإذْ كانت الكلمة تشمل هذه المعاني الثلاثة ، ولم يكن الله خصّ من ذلك معنى دون معنى ، فالصواب أن يُعَمّ ذلك كما عمّ بها جل ثناؤه معانيها الثلاثة ، فيقال: لا يرقبون في مؤمنٍ اللهَ ولا قرابةً ولا عهداً ولا ميثاقاً .

ومن الدلالة على أنه يكون بمعنى « القرابة » ، قول ابن مقبل :

أَفْسَدَ النَّاسَ خُلُوفٌ خَلَفُوا قَطَعُوا الإلَّ وَأَعْرَاقَ الرَّحِمْ (١)

---

(١) من أبيات مفرقة ، لم أجدها مجموعة في مكان ، وهذا بيت لم أجده أيضاً في مكان آخر . و « خلوف » جمع « خلف » (بفتح فسكون) ، وهم بقية السوء والأشرار تخلف من سبقها . وفي المخطوطة : « أخلفوا » بالألف ، والصواب ما في المطبوعة . و « الأعراق » جمع « عرق » ، وعرق

بمعنى : قطعوا القرابة ، وقول حسان بن ثابت :

لَعَمْرُكَ إِنَّ إِلَّكَ مِنْ قُرَيْشٍ كَإِلِّ السَّقْبِ مِنْ رَأْلِ النَّعَامِ (١)

وأما معناه إذا كان بمعنى « العهد » ، فقول القائل : (٢)

وَجَدْنَاهُمُ كَاذِبًا إِلُّهُمْ وَذُو الإِلِّ وَالْعَهْدِ لاَ يَكْذِبُ ٦١/١٠٠

* * *

وقد زعم بعض من ينسب إلى معرفة كلام العرب من البصريين : أن « الإلّ » ، و « العهد » ، و « الميثاق » ، و « اليمين » ، واحد = وأن «الذمة» فى هذا الموضع ، التذمم ممن لا عهد له ، والجمع « ذِمَم » . (٣)

* * *

وكان ابن إسحق يقول : عنى بهذه الآية أهل العهد العام .

١٦٥١٣ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « كيف وإن يظهروا عليكم » ، أى : المشركون الذين لا عهد لهم إلى مدة من أهل العهد

كل شىء : أصله الذى منه ثبت . ويقال منه : « تدراكه أعراق خير ، وأعراق شر » .

(١) ديوانه : ٤٠٧ ، واللسان (ألل) ، من أبيات هجا بها أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخوه من الرضاعة ، وكان ممن يشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان أبو سفيان ممن يؤذى النبى صلى الله عليه وسلم ، ويهجوه ، ويؤذى المسلمين ، فانبرى له حسان فأخذ منه كل مأخذ . ثم أسلم فى فتح مكة ، وشهد حنيناً ، وثبت فيمن ثبت مع نبى الله ، وظل آخذاً بلجام بغلة رسول الله يكفها ورسول الله يركضها إلى الكفار . ثم ظل أبو سفيان بعد ذلك لا يرفع رأسه إلى رسول الله حياء منه .

ولكن كان من هجاء حسان له ، بعد البيت :

فَإِنَّكَ إِن تَمُتَّ إلى قُرَيْشٍ كَذَاتِ البَوِّ جائِلَةَ المَرَامِ
وَأَنْتَ مُنَوَّطٌ بِهِمُ هَجِينٌ كما نِيطَ السَّرَائِحُ بالخِدَامِ
فَلاَ تَفْخَرْ بِقَوْمٍ لَسْتَ مِنْهُمْ وَلاَ تَكُ كاللُّئَامِ بَنِي هِشَامِ

و « السقب » ، ولد الناقة ساعة يولد . و « الرأل » ، ولد النعام . يقول : ما قرابتك فى قريش ، إلا كقرابة الفصيل ، من ولد النعام !

(٢) لم أعرف قائله .

(٣) هو أبو عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ٢٥٣ .

العام = « لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة » .[١]

* * *

فأما قوله : « يرضونكم بأفواههم » ، فإنه يقول : يعطونكم بألسنتهم من القول، خلاف ما يضمرونه لكم فى نفوسهم من العداوة والبغضاء[٢] = « وتأبى قلوبهم » ، أى : تأبَى عليهم قلوبهم أن يذعنوا لكم، بتصديق ما يبدونه لكم بألسنتهم . يحذِّر جل ثناؤه أمرَهم المؤمنين ، ويشحذهم على قتلهم واجتياحهم حيث وجدوا من أرض الله، وأن لا يقصِّروا فى مكروههم بكل ما قدروا عليه = « وأكثرهم فاسقون » ، يقول : وأكثرهم مخالفون عهدَكم ، ناقضون له، كافرون بربهم ، خارجون عن طاعته .[٣]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (٩)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : ابتاع هؤلاء المشركون الذين أمركم الله، أيها المؤمنون ، بقتلهم حيث وجدتموهم ، بتركهم اتباعَ ما احتج الله به عليهم من حججه، يسيراً من العوض قليلاً من عَرَض الدنيا .[٤]

* * *

وذلك أنهم ، فيما ذُكر عنهم ، كانوا نقضوا العهد الذى كان بينهم وبين رسول

---

(١) الأثر : ١٦٥١٣ – سيرة ابن هشام ٤ : ١٨٩ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٤٩٢ .

(٢) انظر تفسير « بدت البغضاء من أفواههم » ٧ : ١٤٥ – ١٤٧ / و « يقولون بأفواههم » ٧ : ٣٧٨ / و « قالوا آمنا بأفواههم » ١٠ : ٣٠١ – ٣٠٨ .

(٣) انظر تفسير « الفسق » فيما سلف من فهارس اللغة (فسق) .

(٤) انظر تفسير « اشترى » فيما سلف ١٠ : ٣٤٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « الآيات » فيما سلف من فهارس اللغة (أبى) .
= وتفسير « الثمن القليل » فيما سلف ١٠ : ٣٤٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

الله صلى الله عليه وسلم بأكلة أطعمهموها أبو سفيان بن حرب .

١٦٥١٤ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً » ، قال : أبو سفيان بن حرب ، أطعم حلفاءه ، وترك حلفاء محمد صلى الله عليه وسلم .

١٦٥١٥ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

وأما قوله : « فصدوا عن سبيله » ، فإن معناه : فمنعوا الناس من الدخول في الإسلام ، وحاولوا ردّ المسلمين عن دينهم[1] = « إنهم ساء ما كانوا يعملون » ، يقول جل ثناؤه : إن هؤلاء المشركين الذين وصفت صفاتهم ، ساء عملهم الذي كانوا يعملون ، من اشترائهم الكفرَ بالإيمان ، والضلالة بالهدى ، وصدهم عن سبيل الله من آمن بالله ورسوله ، أو من أراد أن يؤمن .[2]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴾ (١٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : لا يتقي هؤلاء المشركون الذين أمرتكم ، أيها المؤمنون ، بقتلهم حيث وجدتموهم ، في قتل مؤمن لو قدروا عليه = « إلا ولا ذمة » ، يقول : فلا تبقوا عليهم ، أيها المؤمنون ، كما لا يبقون عليكم لو ظهروا عليكم[3] = « وأولئك هم المعتدون » ، يقول : المتجاوزون فيكم إلى ما ليس لهم بالظلم والاعتداء .[4]

* * *

(١) انظر تفسير « الصد » فيما سلف ١٣ : ٥٨١ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « سبيل الله » فيما سلف من فهارس اللغة (سبل) .
(٢) انظر تفسير « ساء » فيما سلف ١٣ : ٢٧٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « الإل » و « الذمة » فيما سلف قريباً ص : ١٤٥ — ١٤٩ .
(٤) انظر تفسير « الاعتداء » فيما سلف ١٣ : ١٨٢ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (١١)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : فإن رجع هؤلاء المشركون الذين أمرتكم ، أيها المؤمنون ، بقتلهم عن كفرهم وشركهم بالله ، إلى الإيمان به وبرسوله ، وأنابوا إلى طاعته = « وأقاموا الصلاة » ، المكتوبة ، فأدّوها بحدودها = « وآتوا الزكاة » ، المفروضة أهلَها[1] = « فإخوانكم فى الدين » ، يقول : فهم إخوانكم فى الدين الذى أمركم الله به ، وهو الإسلام = « ونفصل الآيات » ، يقول : ونبين حجج الله وأدلته على خلقه[2] = « لقوم يعلمون » ، ما بُيِّن لهم ، فنشرحها لهم مفصلة ، دون الجهال الذين لا يعقلون عن الله بيانه ومحكم آياته .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٥١٦ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين » ، يقول : إن تركوا اللات والعزّى ، وشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله = ٦٢/١٠
« فإخوانكم فى الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون » .

١٦٥١٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا حفص بن غياث ، عن ليث ،

---

(١) انظر تفسير « التوبة » و « إقامة الصلاة » و « إيتاء الزكاة » فى فهارس اللغة (توب) ، (قوم) ، (أتى) .

(٢) انظر تفسير « التفصيل » فيما سلف ١٣ : ٢٥٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك . = وتفسير « الآيات » فيما سلف من فهارس اللغة (أيى) .

عن رجل ، عن ابن عباس : « فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة » ، قال : حرّمت هذه الآية دماءَ أهل القِبْلة .

١٦٥١٨ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد : افترضت الصلاة والزكاة جميعاً لم يفرّق بينهما . وقرأ : « فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين » ، وأبى أن يقبل الصلاة إلا بالزكاة. وقال : رحم الله أبا بكر ، ما كان أفقهه !

١٦٥١٩ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا شريك ، عن أبي إسحق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله قال : أمرتم بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، ومن لم يزك فلا صلاة له .

* * *

وقيل : « فإخوانكم » ، فرفع بضمير : « فهم إخوانكم » ، إذ كان قد جرى ذكرهم قبل ، كما قال : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ﴾ ، [سورة الأحزاب : ٥] ، بمعنى : فهم إخوانكم في الدين .(١)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾ (١٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فإن نقض هؤلاء المشركون الذين عاهدتموهم من قريش ، عهودَهم من بعد ما عاقدوكم أن لا يقاتلوكم ولا يظاهروا عليكم أحداً من أعدائكم(٢) = « وطعنوا في دينكم » ، يقول : وقدَحوا في دينكم الإسلام ،

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٤٢٥ .
(٢) انظر تفسير « نكث » فيما سلف ١٣ : ٧٣ .

فثلبوه وعابوه[١] = « فقاتلوا أئمة الكفر » ، يقول : فقاتلوا رؤساء الكفر بالله[٢] = « إنهم لا أيمان لهم » ، يقول : إن رؤساء الكفر لا عهد لهم[٣] = « لعلهم ينتهون » ، لكى ينتهوا عن الطعن فى دينكم والمظاهرة عليكم .[٤]

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، على اختلاف بينهم فى المعنيَّين بأئمة الكفر .

فقال بعضهم : هم أبو جهل بن هشام ، وعتبة بن ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب ، ونظراؤهم . وكان حذيفة يقول : لم يأت أهلها بعدُ .

* ذكر من قال : هم من سمَّيتُ .

١٦٥٢٠ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم » ، إلى : « لعلهم ينتهون » ، يعنى أهل العهد من المشركين ، سماهم « أئمة الكفر » ، وهم كذلك . يقول الله لنبيه : وإن نكثوا العهد الذى بينك وبينهم ، فقاتلهم ، أئمةُ الكفر لا أيمان لهم[٥] = « لعلهم ينتهون » .

١٦٥٢١ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم » إلى : « ينتهون » ، فكان من أئمة الكفر : أبو جهل بن هشام ، وأمية بن خلف ، وعتبة بن ربيعة ، وأبو سفيان ، وسهيل ابن عمرو ، وهم الذين همُّوا بإخراجه .

١٦٥٢٢ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ،

---

(١) فى المطبوعة : « فثلموه » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « الإمام » فيما سلف ٣ : ١٨ .

(٣) انظر تفسير « اليمين » فيما سلف ٨ : ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٨١ .

(٤) انظر تفسير « الانتهاء » فيما سلف ١٣ : ٥٤٣ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٥) أثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب محض ، وصحفها فى المطبوعة هكذا ، كما ظن : « فقاتل أئمة الكفر لأنهم لا أيمان لهم » ، فزاد وغير ! !

عن قتادة : « أئمة الكفر » ، أبو سفيان ، وأبو جهل ، وأمية بن خلف ، وسهيل ابن عمرو ، وعتبة بن ربيعة .

١٦٥٢٣ – حدثنا ابن وكيع وابن بشار = قال، ابن وكيع ، حدثنا غندر = وقال ابن بشار ، حدثنا محمد بن جعفر = ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن مجاهد : « فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم » ، قال : أبو سفيان منهم .

١٦٥٢٤ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإن نكثوا أيمانهم » ، إلى : « ينتهون » ، هؤلاء قريش. يقول : إن نكثوا عهدهم الذى عاهدوا على الإسلام، وطعنوا فيه، فقاتلهم .(١)

١٦٥٢٥ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « فقاتلوا أئمة الكفر » ، يعنى رؤوسَ المشركين ، أهلَ مكة .

١٦٥٢٦ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله : « فقاتلوا أئمة الكفر » ، أبو سفيان بن حرب ، وأمية ابن خلف ، وعتبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وسهيل بن عمرو ، وهم الذين نكثوا عهد الله ، وهمُّوا بإخراج الرسول . وليس والله كما تأوَّله أهل الشبهات والبدع والفِرَى على الله وعلى كتابه .(٢) ٦٣/١٠

* * *

* ذكر الرواية عن حذيفة بالذى ذكرنا عنه :

١٦٥٢٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن زيد بن وهب، عن حذيفة : « فقاتلوا أئمة الكفر »، قال : ما قوتل أهلُ هذه الآية بعدُ .(٣)

---

(١) فى المطبوعة : « فقاتلوهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) « الفرى » (بكسر ففتح) جمع « فرية » ، وهى الكذب . ويعنى بذلك الخوارج ، فهم يستدلون بهذه الآية على قتال من خالفهم من أهل القبلة ، ويستحلون بها دماءهم وأموالهم .

(٣) الأثر : ١٦٥٢٧ – « زيد بن وهب الهمدانى الجهنى » ، تابعى مخضرم ، سمع عمر ،

١٦٥٢٨ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا حبيب بن حسان ، عن زيد بن وهب قال : كنت عند حذيفة فقرأ هذه الآية : « فقاتلوا أئمة الكفر » ، فقال : ما قوتل أهل هذه الآية بعدُ .(١)

١٦٥٢٩ – حدثني أبو السائب قال، حدثنا الأعمش ، عن زيد بن وهب قال : قرأ حذيفة : « فقاتلوا أئمة الكفر » ، قال : ما قوتل أهل هذه الآية بعدُ .(٢)

١٦٥٣٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان ، وإسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن صلة بن زفر : « إنهم لا أيمان لهم » ، لا عهد لهم .(٣)

١٦٥٣١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « وإن نكثوا أيمانهم » ، قال : عهدهم .

١٦٥٣٢ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وإن نكثوا أيمانهم » ، عهدهم الذى عاهدوا على الإسلام .

١٦٥٣٣ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان، عن أبي إسحق، عن صلة، عن عمار بن ياسر في قوله : « لا أيمان لهم »، قال : لا عهد لهم .(٤)

وعبد الله ، وحذيفة ، وأبا الدرداء . روى له الجماعة . مضى برقم : ٤٢٢٢ .

وهذا الخبر رواه البخارى مطولا (الفتح ٨ : ٢٤٣) ، بغير هذا اللفظ ، من طريق محمد ابن المثنى، عن يحيى بن سعيد ، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن زيد بن وهب قال ، كنا عند حذيفة . . »

وانظر الأثر التالى ، والذى بعده .

(١) الأثر : ١٦٥٢٨ – مكرر الأثر السالف ، وانظر تخريجه هناك .

و « حبيب بن حسان » ، هو « حبيب بن أبي الأشرس » ، وهو « حبيب بن أبي هلال » ، منكر الحديث ، متروك قال ابن حبان : « منكر الحديث جداً ، وكان قد عشق نصرانية ، فقيل إنه تنصر وتزوج بها . فأما اختلافه إلى البيعة من أجلها فصحيح » . وقال يحيى بن معين : « كانت له جاريتان نصرانيتان ، فكان يذهب معهما إلى البيعة » .

مترجم فى الكبير ٣١١/٢/١ ، وميزان الاعتدال ١ : ٢٠٩ ، ٢١١ ، ولسان الميزان ٢ : ١٦٧ ، ١٧٠ .

(٢) الأثر : ١٦٥٢٨ – مكرر الأثرين السالفين .

(٣) الأثر : ١٦٥٣٠ – « صلة بن زفر العبسى » تابعى ثقة . روى له الجماعة ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ٣٢٢/٢/٢ ، وابن أبي حاتم ٤٤٦/١/٢ .

وانظر رقم : ١٦٥٣٣ ، مرفوعاً إلى عمار بن ياسر . ورقم : ١٦٥٣٤ ، مرفوعاً إلى حذيفة .

(٤) الأثر : ١٦٥٣٣ – مكرر الأثر رقم ١٦٥٣٠ ، مرفوعاً إلى عمار بن ياسر .

١٦٥٣٤ – حدثني محمد بن عبيد المحاربي قال، حدثنا أبو الأحوص ، عن أبي إسحق ، عن صلة بن زفر ، عن حذيفة في قوله : « فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم »، قال : لا عهد لهم .(١)

* * *

وأما « النكث » فإن أصله النقض، يقال منه : « نكث فلان قُوَى حبله »، إذا نقضها .(٢)

* * *

و« الأيمان » جمع « اليمين » .(٣)

* * *

واختلفت القرأة في قراءة قوله : « إنهم لا أيمان لهم » .

فقرأه قرأة الحجاز والعراق وغيرهم: ﴿إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ﴾ ،بفتح الألف من « أيمان » بمعنى : لا عهود لهم ، على ما قد ذكرنا من قول أهل التأويل فيه .

* * *

وذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرأ ذلك : ﴿إِنَّهُمْ لاَ إِيمَانَ لَهُمْ﴾، بكسر الألف ، بمعنى : لا إسلام لهم .

* * *

وقد يتوجَّه لقراءته كذلك وجهٌ غير هذا . وذلك أن يكون أراد بقراءته ذلك كذلك : أنهم لا أمان لهم = أي : لا تؤمنوهم ، ولكن اقتلوهم حيث وجدتموهم = كأنه أراد المصدر من قول القائل : « آمنته فأنا أومنه إيماناً » .(٤)

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة في ذلك ، الذي لا أستجيز القراءة بغيره، قراءة من قرأ بفتح « الألف » ، دون كسرها ، لإجماع الحجة من القرأة على

و « صلة » ، هو « صلة بن زفر العبسي » كما سلف .

(١) الأثر : ١٦٥٣٤ – مكرر الأثرين السالفين، مرفوعاً إلى حذيفة .

(٢) انظر تفسير « النكث » فيما سلف ص : ١٥٣ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « اليمين » فيما سلف ص : ١٥٤ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٤٢٥ .

القراءة به ، ورفض خلافه ، ولإجماع أهل التأويل على ما ذكرت من أن تأويله : لا عهد لهم = و « الأيمان » التي هي بمعنى العهد، لا تكون إلا بفتح « الألف »، لأنها جمع « يمين » كانت على عقدٍ كان بين المتوادعين .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (١٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله ، حاضًّا لهم على جهاد أعدائهم من المشركين : « ألا تقاتلون » ، أيها المؤمنون، هؤلاء المشركين الذين نقضوا العهد الذي بينكم وبينهم ، وطعنوا في دينكم ، وظاهروا عليكم أعداءكم، [١] = « وهموا بإخراج الرسول » ، من بين أظهرهم فأخرجوه [٢] = « وهم بدأوكم أول مرة » ، بالقتال ، يعني فعلهم ذلك يوم بدر ، وقيل : قتالهم حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من خزاعة = « أتخشونهم » ، يقول : أتخافونهم على أنفسكم فتتركوا قتالهم خوفاً على أنفسكم منهم[٣] = « فالله أحق أن تخشوه » ، يقول : فالله أولى بكم أن تخافوا عقوبته بتركم جهادهم، وتحذروا سخطه عليكم، من هؤلاء المشركين الذين لا يملكون لكم ضرًّا ولا نفعاً إلاّ بإذن الله = « إن كنتم مؤمنين » ، يقول : إن كنتم مقرِّين أن خشية الله لكم أولى من خشية هؤلاء المشركين على أنفسكم .

* * *

(١) انظر تفسير « النكث » ، ص : ١٥٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الهم » فيما سلف ٩ : ١٩٩/١٠ : ١٠٠ .
(٣) انظر تفسير « الخشية » فيما سلف ١٠ ، ٣٤٤ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٥٣٥ – حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم » ، من بعد عهدهم = « وهموا بإخراج الرسول » ، يقول : هموا بإخراجه فأخرجوه = « وهم بدأوكم أول مرة » ، بالقتال . ٦٤/١٠

١٦٥٣٦ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وهم بدأوكم أول مرة » ، قال : قتال قريش حلفاءَ محمد صلى الله عليه وسلم .

١٦٥٣٧ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

١٦٥٣٨ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٦٥٣٩ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : أمر الله رسوله بجهاد أهل الشرك ممن نقض من أهل العهد الخاص ،[1] ومن كان من أهل العهد العامّ ، بعد الأربعة الأشهر التى ضرب لهم أجلاً ، إلا أن يعدُوَ فيها عادٍ منهم ، فيقتل بعدائه ،[2] فقال : « ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول » إلى قوله : « والله خبير بما تعملون » .[3]

* * *

(١) فى المطبوعة والمخطوطة أسقط « الخاص » ، وأثبتها من ابن هشام .

(٢) فى المطبوعة : « إلا أن يعودوا فيها على دينهم فيقبل بعد ثم قال » ، وهو كلام لا معنى له البتة . وفى المخطوطة : « إلا أن يعودوا فيها على دينهم فيقتل بعدائه ، فقال » ، وقد دخلها تحريف شديد ، فقوله : « يعودوا » ، هو تحريف : « يعدو » و « على دينهم » ، صوابها « عاد منهم » ، فأساء كتابتها ، والصواب من سيرة ابن هشام .

(٣) الأثر : ١٦٥٣٩ – سيرة ابن هشام ٤ : ١٩١ ، وهو تابع الأثر السالف قديماً رقم : ١٦٣٧٧ .

القول فى تأويل قوله ﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ (١٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قاتلوا، أيها المؤمنون بالله ورسوله ، هؤلاء المشركين الذين نكثوا أيمانهم ، ونقضوا عهودهم بينكم وبينهم ، وأخرجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم = « يعذبهم الله بأيديكم » ، يقول : يقتلهم الله بأيديكم = « ويخزهم » ، يقول : ويذلهم بالأسر والقهر[1] = « وينصركم عليهم » ، فيعطيكم الظفر عليهم والغلبة = « ويشف صدور قوم مؤمنين » ، يقول : ويبرئ داء صدور قوم مؤمنين بالله ورسوله ، بقتل هؤلاء المشركين بأيديكم ، وإذلالكم وقهركم إياهم . وذلك الداء ، هو ما كان فى قلوبهم عليهم من الموْجِدة بما كانوا ينالونهم به من الأذى والمكروه .

* * *

وقيل : إن الله عنى بقوله : « ويشف صدور قوم مؤمنين » ، صدورَ خزاعة حلفاءِ رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذلك أن قريشاً نقضوا العهد بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعونتهم بكرًا عليهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٥٤٠ — حدثنا محمد بن المثنى وابن وكيع قالا، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد فى هذه الآية : « ويشف صدور قوم مؤمنين » ، قال : خزاعة .

١٦٥٤١ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عمرو بن محمد العنقزى ، عن أسباط ، عن السدى : « ويشف صدور قوم مؤمنين » ، قال : خزاعة ، يشف صدورهم من بنى بكر .

---

(١) انظر تفسير « الإخزاء » فيما سلف ص : ١١٢ ، تعليق : ١، والمراجع هناك .

١٦٥٤٢ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى ، مثله .

١٦٥٤٣ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ويشف صدور قوم مؤمنين » ، خزاعة ، حلفاء محمد صلى الله عليه .

١٦٥٤٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبد الله بن رجاء، عن ابن جريج، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد : « ويشف صدور قوم مؤمنين » ، قال : حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من خزاعة .

١٦٥٤٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١٥)

قال أبو جعفر : يقول الله تعالى ذكره : ويذهب وَجْدَ قلوب هؤلاء القوم المؤمنين من خزاعة ،(١) على هؤلاء القوم الذين نكثوا أيمانهم من المشركين ، وغمَّها وكربَها بما فيها من الوجد عليهم ، بمعونتهم بكراً عليهم ،(٢) كما : –

١٦٥٤٦ – حدثنى ابن وكيع قال، حدثنا عمرو بن محمد العنقزى ، عن أسباط ، عن السدى : « ويذهب غيظ قلوبهم » ، حين قتلهم بنو بكر ، وأعانتهم قريش .

---

(١) انظر تفسير « الإذهاب » فيما سلف ١٢ : ١٢٦ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الغيظ » فيما سلف ٧ : ٢١٥ .

١٦٥٤٧ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدى ، مثله = إلا أنه قال : وأعانتهم عليهم قريش . (١)

* * *

وأما قوله : « ويتوب الله على من يشاء » ، فإنه خبر مبتدأ ، ولذلك رفع ، وجُزِم الأحرفُ الثلاثة قبل ذلك على وجه المجازاة ، كأنه قال : قاتلوهم ، فإنكم إن تقاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ، ويخزهم ، وينصركم عليهم = ثم ابتدأ فقال : « ويتوب الله على من يشاء » ، لأن القتال غير موجب لهم التوبةَ من الله ، وهو موجبٌ لهم العذابَ من الله ، والخزىَ ، وشفاءَ صدور المؤمنين ، وذهابَ غيظ قلوبهم ، فجزم ذلك شرطاً وجزاءً على القتال ، ولم يكن موجباً القتالُ التوبةَ ، فابتُدِئ الخبرُ به ورُفِع . (٢)

١٠/٦٥

* * *

ومعنى الكلام : ويمنّ الله على من يشاء من عباده الكافرين ، فيقبل به إلى التوبة بتوفيقه إياه = « والله عليم » ، بسرائر عباده ، ومَنْ هو للتوبة أهلٌ ، فيتوب عليه ، ومَنْ منهم غير أهل لها فيخذله = « حكيم » ، فى تصريف عباده من حال كفر إلى حال إيمان بتوفيقه من وفّقه لذلك (٣) = ومن حال إيمان إلى كفر ، بخذلانه من خذل منهم عن طاعته وتوحيده ، (٤) وغير ذلك من أمرهم . (٥)

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « وأعانهم » ، وفى المخطوطة : « وأعلمهم » ، وصواب قراءتها ما أثبت .
(٢) فى المطبوعة : « فابتدأ الحكم به » ، والصواب ما أثبت من المخطوطة .
(٣) فى المطبوعة : « بتوفيق » ، وأثبت ما فى المخطوطة .
(٤) السياق : « فى تصريف عباده من حال كفر . . . ومن حال إيمان » .
(٥) انظر تفسير « تاب » ، و « عليم » ، و « حكيم » فيما سلف من فهارس اللغة (توب) ، (علم) ، (حكم) .

القول فى تأويل قوله ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين الذين أمرهم بقتال هؤلاء المشركين، الذين نقضوا عهدهم الذى بينهم وبينه بقوله : « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم »، الآية، حاضًّا على جهادهم : « أم حسبتم » ، أيها المؤمنون[1] = أن يترككم الله بغير محنة يمتحنكم بها ، وبغير اختبار يختبركم به ، فيعرف الصادقَ منكم فى دينه من الكاذب فيه = « ولما يعلم الله الذين جاهدوا » ، يقول : أحسبتم أن تتركوا بغير اختبار يعرف به أهل ولايته المجاهدين منكم فى سبيله ، من المضيِّعين أمرَ الله فى ذلك المفرِّطين[2] = « ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله » ، يقول : « ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم » ، والذين لم يتخذوا من دون الله ولا من دون رسوله ولا من دون المؤمنين= « وليجة » .

* * *

= هو الشيء يدخل فى آخر غيره ، يقالُ منه : « ولج فلان فى كذا يلجِه ، فهو وليجة » .[3]

* * *

وإنما عنى بها فى هذا الموضع : البطانة من المشركين . نهى الله المؤمنين أن يتخذوا من عدوهم من المشركين أولياء ، يفشون إليهم أسرارهم = « والله خبير بما تعملون » ، يقول : والله ذو خبرة بما تعملون ،[4] من اتخاذكم من دون الله

---

(١) انظر تفسير « حسب » فيما سلف ١٢ : ٣٨٨ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الجهاد » فيما سلف ص: ٧٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٣) فى المخطوطة : « ولج فى فلان كذا » ، والذى فى المطبوعة أجود .
(٤) انظر تفسير « خبير » فيما سلف من فهارس اللغة (خبر) .

ودون رسوله والمؤمنين به أولياءَ وبطانةً ، بعد ما قد نهاكم عنه ، لا يخفى ذلك عليه ، ولا غيره من أعمالكم ، والله مجازيكم على ذلك ، إن خيراً فخيراً ، وإن شرًّا فشرًّا .

* * *

وبنحو الذى قلت فى معنى « الوليجة » ، قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٥٤٨ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولا المؤمنين وليجة » ، يتولَّجها ، من الولاية للمشركين .

١٦٥٤٩ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، « وليجة » ، قال : دَخَلاً .

١٦٥٥٠ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « أم حسبتم أن تتركوا» ، إلى قوله : « وليجة »، قال : أبى أن يدعهم دون التمحيص . وقرأ : « أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم » ، وقرأ : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ ، [سورة آل عمران : ١٤٢] ، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾الآيات كلها،(١) [سورة البقرة ٢١٤] ،أخبرهم أن لا يتركهم حتى يمحِّصهم ويختبرهم. وقرأ: ﴿أَلَمَ * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ﴾، لا يختبرون، ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ ، [سورة العنكبوت : ١ — ٣]، أبى الله إلا أن يمحِّص.

١٦٥٥١ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن : « وليجة » ، قال : هو الكفر والنفاق = أو قال أحدَهما .

* * *

---

(١) صدر هذه الآية ، لم يكن فى المخطوطة ولا المطبوعة ، كان بدؤها « ولما يأتكم . . . » .

وقيل : « أم حسبتم » ، ولم يقل : « أحسبتم » ، لأنه من الاستفهام المعترض فى وسط الكلام ، فأدخلت فيه « أم »، ليفرّق بينه وبين الاستفهام المبتدأ . وقد بينت نظائر ذلك فى غير موضع من الكتاب .(١) ٦٦/١٠

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴾ (١٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ما ينبغى للمشركين أن يعمروا مساجد الله وهم شاهدون على أنفسهم بالكفر . يقول : إن المساجد إنما تعمر لعبادة الله فيها ، لا للكفر به . فمن كان بالله كافراً، فليس من شأنه أن يعمُرَ مساجد الله .

* * *

وأما شهادتهم على أنفسهم بالكفر ، فإنها كما : —

١٦٥٥٢ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قوله : « ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر » ، يقول: ما ينبغى لهم أن يعمروها . وأما « شاهدين على أنفسهم بالكفر» ، فإن النصرانى يسأل: ما أنت؟ فيقول : نصرانى = واليهودى، فيقول : يهودى= والصابئ ، فيقول: صابئ = والمشرك يقول إذا سألته : ما دينك ؟ فيقول : مشرك ! لم يكن ليقوله أحدٌ إلا العرب .

١٦٥٥٣ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو العنقزى ، عن أسباط ، عن

---

(١) انظر ما سلف فى تفسير « أم » ٢ : ٤٩٢ — ٣/٤٩٤ : ٤/٩٧ : ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ثم انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٢٦ .

السدى : « ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله» ، قال يقول : ما كان ينبغى لهم أن يعمروها .

١٦٥٥٤ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى: «شاهدين على أنفسهم بالكفر » ، قال : النصرانى يقال له : ما أنت ؟ فيقول نصرانى = واليهودى يقال له : ما أنت ؟ فيقول : يهودى = والصابئ يقال له : ما أنت ؟ فيقول : صابئ .

* * *

وقوله : «أولئك حبطت أعمالهم »، يقول: بطلت وذهبت أجورها، لأنها لم تكن لله بل كانت للشيطان[1] = « وفى النار هم خالدون »، يقول: ماكثون فيها أبداً، لا أحياءً ولا أمواتاً .[2]

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله » . فقرأ ذلك عامة قرأة أهل المدينة والكوفة: ﴿ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ ﴾ ، على الجماع .[3]

* * *

وقرأ ذلك بعض المكيين والبصريين: ﴿ مَسْجِدَ ٱللَّهِ ﴾ ، على التوحيد ، بمعنى المسجد الحرام .

* * *

قال أبو جعفر : وهم جميعاً مجمعون على قراءة قوله:[4] ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ﴾ على الجماع ، لأنه إذا قرئ كذلك ، احتمل معنى الواحد والجماع ، لأن العرب

---

(١) انظر تفسير « حبط » فيما سلف ١١٣ : ١١٦ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الخلود » فيما سلف من فهارس اللغة (خلد) .

(٣) فى المطبوعة : « على الجمع » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، فى هذا الموضع وما يليه جميعاً .

(٤) يعنى أبو جعفر أن جميع القرأة مجمعون على قراءة الآية التالية : « إنما يعمر مساجد الله » ، على الجماع ، بلا خلاف بينهم فى ذلك ، ولذلك زدت تمام الآية ، وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « مساجد الله » ، دون : « إنما يعمر » .

قد تذهب بالواحد إلى الجماع ، وبالجماع إلى الواحد ، كقولهم : « عليه ثوب أخلاق » . (١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (١٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « إنما يعمر مساجد الله » ، المصدِّق بوحدانية الله، المخلص له العبادة = « واليوم الآخر »، يقول : الذى يصدق ببعث الله الموتى أحياءً من قبورهم يوم القيامة(٢) = « وأقام الصلاة »، المكتوبة، بحدودها = وأدَّى الزكاة الواجبة عليه فى ماله إلى من أوجبها الله له(٣) = « ولم يخش إلا الله» ، يقول : ولم يرهب عقوبة شيء على معصيته إياه، سوى الله(٤) = « فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين » ، يقول : فخليق بأولئك الذين هذه صفتهم ، أن يكونوا عند الله ممن قد هداه الله للحق وإصابة الصواب . (٥)

١٦٥٥٥ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنا معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر» ، يقول : من وحَّد الله ، وآمن باليوم الآخر . يقول : أقرّ بما أنزل

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٢٦ ، ٤٢٧ .

(٢) انظر تفسير « اليوم الآخر » فيما سلف من فهارس اللغة (أخر) .

(٣) انظر تفسير « إقامة الصلاة » و « إيتاء الزكاة » فيما سلف من فهارس اللغة (قوم) ، (أتى) .

(٤) انظر تفسير « الخشية » فيما سلف ص : ١٥٨ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٥) انظر تفسير « عسى » فيما سلف ١٣ : ٤٥ ، تعليق ١ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « الاهتداء » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) .

الله = « وأقام الصلاة » ، يعنى الصلوات الخمس = « ولم يخش إلا الله » ، يقول : ثم لم يعبد إلا الله = قال : « فعسى أولئك » ، يقول : إن أولئك هم المفلحون ، كقوله لنبيه : ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ ، [سورة الإسراء : ٧٩] : يقول : إن ربك سيبعثك مقاماً محموداً ، وهى الشفاعة ، وكل «عسى» ، فى القرآن فهى واجبة .

١٦٥٥٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : ثم ذكر قول قريش : إنَّا أهلُ الحرم ، وسُقاة الحاج ، وعُمَّار هذا البيت ، ولا أحد أفضل منا ! فقال : « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر » ، ٦٧/١٠
أى : إن عمارتكم ليست على ذلك ، « إنما يعمر مساجد الله » ، أى : من عمرها بحقها = « من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله » = فأولئك عمارها = « فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين » ، و « عسى » من الله حق . (١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (١٩)

قال أبو جعفر : وهذا توبيخ من الله تعالى ذكره لقوم افتخروا بالسقاية وسدانة البيت ، فأعلمهم جل ثناؤه أن الفخر فى الإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد فى سبيله ، لا فى الذى افتخروا به من السِّدانة والسقاية . (٢)

* * *

(١) الأثر : ١٦٥٥٦ — سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٢ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٥٣٩ .

(٢) انظر تفسير ألفاظ هذه الآية فيما سلف من فهارس اللغة .

وبذلك جاءت الآثار وتأويل أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٥٥٧ – حدثنا أبو الوليد الدمشقى أحمد بن عبد الرحمن قال، حدثنا الوليد بن مسلم قال ، حدثنى معاوية بن سلام ، عن جده أبى سلام الأسود ، عن النعمان بن بشير الأنصارى قال : كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من أصحابه ، فقال رجل منهم : ما أبالى أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام، إلاّ أن أسقى الحاج ! وقال آخر : بل عمارة المسجد الحرام ! وقال آخر : بل الجهاد فى سبيل الله خير مما قلتم ! فزجرهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وقال : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم = وذلك يوم الجمعة = ولكن إذا صليتُ الجمعة دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتيته فيما اختلفتم فيه . قال : ففعل، فأنزل الله تبارك وتعالى : «أجعلتم سقاية الحاج» إلى قوله : « والله لا يهدى القوم الظالمين » . (١)

١٦٥٥٨ – حدثنا المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى

---

(١) الأثر : ١٦٥٥٧ – « أحمد بن عبد الرحمن بن بكار القرشى ، الدمشقى » ، « أبو الوليد » ، شيخ الطبرى ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١١٤١٦ .

و « الوليد بن مسلم القرشى الدمشقى » ، سلف مراراً ، آخرها رقم : ٩٠٧١ روى له الجماعة .

و « معاوية بن سلام بن أبى سلام ممطور الحبشى» ، « أبو سلام الدمشقى » ، روى له الجماعة ، روى عن جده أبى سلام . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/١/٣٣٥ ، وابن أبى حاتم ٤/١/٣٨٣ .

و « أبو سلام الأسود » واسمه « ممطور » ، تابعى ثقة ، مضى برقم : ١٥٦٥٤ ، ١٥٦٥٥ .

وهذا الخبر رواه مسلم فى صحيحه (١٣ : ٢٥ ، ٢٦) ، من طريق أبى توبة ، عن معاوية ابن سلام، عن زيد بن سلام ، أنه سمع أبا سلام قال : حدثنى النعمان بن بشير ، ثم رواه من طريق يحيى بن حسان ، عن معاوية ، عن زيد ، بمثله .

وذكره ابن كثير فى تفسيره ٤ : ١٣١ ، ونسبه لأبى داود ، ولم أستطع أن أقف عليه فى السنن .

وزاد السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٢١٨ نسبته إلى ابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، وابن حبان ، والطبرانى ، وأبى الشيخ ، وابن مردويه .

وسيأتى بإسناد آخر رقم : ١٦٥٦٠ ، من طريق أخرى مرسلة .

معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر » ، قال العباس بن عبد المطلب حين أسر يوم بدر : لئن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد ، لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقى الحاج ، ونفك العانى ![1] قال الله : « أجعلتم سقاية الحاج » ، إلى قوله : « الظالمين » ، يعنى أن ذلك كان فى الشرك ، ولا أقبل ما كان فى الشرك .

١٦٥٥٩ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « أجعلتم سقاية الحاج » ، إلى قوله : « الظالمين » ، وذلك أن المشركين قالوا : عمارة بيت الله ، وقيام على السقاية ، خير ممن آمن وجاهد ، وكانوا يفخرون بالحرم ويستكبرون ،[2] من أجل أنهم أهله وعُمَّاره .[2] فذكر الله استكبارهم وإعراضهم، فقال لأهل الحرم من المشركين : ﴿ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكُصُونَ * مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴾ [سورة المؤمنون : ٦٦ ، ٦٧] ، يعنى أنهم يستكبرون بالحرم . وقال : « به سامراً » ، لأنهم كانوا يسمرون ، ويهجرون القرآن والنبىَّ صلى الله عليه وسلم . فخيَّر الإيمان بالله والجهاد مع نبى الله صلى الله عليه وسلم ، على عمران المشركين البيتَ وقيامهم على السقاية . ولم يكن ينفعهم عند الله مع الشرك به ، أن كانوا يعمرون بيته ويخدمونه . قال الله : « لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين » ، يعنى : الذين زعموا أنهم أهل العمارة ، فسماهم الله « ظالمين » ، بشركهم ، فلم تغن عنهم العمارة شيئاً .

١٦٥٦٠ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر عن يحيى بن أبى كثير ، عن النعمان بن بشير ، أن رجلاً قال : ما أبالى أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام ، إلا أن أسقى الحاج ! وقال آخر : ما أبالى أن لا

---

(١) « العانى » ، الأسير .

(٢) فى المطبوعة : « يستكبرون به » ، بزيادة « به » ، وليست فى المخطوطة ، وفيها « يسكثرون » وهو خطأ .

أعمل عملاً بعد الإسلام ، إلا أن أعمر المسجد الحرام ! وقال آخر : الجهاد فى سبيل الله أفضل مما قلتم ! فزجرهم عمر وقال : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم = وذلك يوم الجمعة = ولكن إذا صلى الجمعة دخلنا عليه ! فنزلت : « أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام » إلى قوله : « لا يستوون عند الله » . ٦٨/١٠

١٦٥٦١ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن عمرو ، عن الحسن قال : نزلت فى على ، وعباس ، وعثمان ، وشيبة ، تكلموا فى ذلك ، فقال العباس : ما أرانى إلا تارك سقايتنا ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقيموا على سقايتكم ، فإن لكم فيها خيراً .

١٦٥٦٢ — . . . . قال أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن إسمعيل ، عن الشعبى قال : نزلت فى على ، والعباس ، تكلما فى ذلك .

١٦٥٦٣ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرت عن أبى صخر قال : سمعت محمد بن كعب القرظى يقول : افتخر طلحة بن شيبة من بنى عبد الدار ، وعباس بن عبد المطلب ، وعلى بن أبى طالب ، فقال طلحة ، أنا صاحب البيت ، معى مفتاحه ، لو أشاء بِتُّ فيه ! وقال عباس : أنا صاحب السقاية والقائم عليها ، ولو أشاء بتُّ فى المسجد ! وقال على : ما أدرى ما تقولان ، لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس ، وأنا صاحب الجهاد ! فأنزل الله : « أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام » ، الآية كلها .

١٦٥٦٤ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن قال : لما نزلت : « أجعلتم سقاية الحاج » ، قال العباس :

---

(١) الأثر : ١٦٥٦٠ — « يحيى بن أبى كثير الطائى » ، ثقة ، روى له الجماعة ، روى عن زيد بن سلام بن أبى سلام ، وأرسل عن أبى سلام الحبشى وغيره . وهذا من مرسله عن النعمان بن بشير ، أو عن أبى سلام . وقد مضى برقم : ٩١٨٩ ، ١١٥٠٥ — ١١٥٠٧ .

ما أرانى إلا تارك سقايتنا ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أقيموا على سقايتكم، فإن لكم فيها خيراً .

١٦٥٦٥ – حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله » ، قال : افتخر على ، وعباس ، وشيبة بن عثمان ، فقال العباس: أنا أفضلكم ، أنا أسقى حُجَّاج بيت الله ! وقال شيبة : أنا أعمُر مسجد الله ! وقال على : أنا هاجرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأجاهد معه فى سبيل الله ! فأنزل الله : « الذين آمنوا وهاجَرُوا وجاهدوا فى سبيل الله » إلى « نعيم مقيم » .

١٦٥٦٦ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « أجعلتم سقاية الحاج » ، الآية، أقبل المسلمون على العباس وأصحابه الذين أسرُوا يوم بدر يعيِّرونهم بالشرك، فقال العباس: أما والله لقد كنَّا نَعمُر المسجدَ الحرام ، ونفُكُّ العانى ، ونحجب البيتَ ، ونسقى الحاج ! فأنزل الله: « أجعلتم سقاية الحاج » ، الآية .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام إذاً : أجعلتم ، أيها القوم، سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ، كإيمانِ من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله = « لا يستوون » هؤلاء ، وأولئك ، ولا تعتدل أحوالهما عند الله ومنازلهما ، لأن الله تعالى لا يقبل بغير الإيمان به وباليوم الآخر عملاً = « والله لا يهدى القوم الظالمين» ، يقول : والله لا يوفّق لصالح الأعمال من كان به كافراً ، ولتوحيده جاحداً .

* * *

ووضع الاسم موضع المصدر فى قوله : « كمن آمن بالله » ، إذ كان معلوماً

معناه ، كما قال الشاعر :[١]

لَعَمْرُكَ مَا الْفِتْيَانُ أَنْ تَنْبُتَ اللِّحَى وَلَكِنَّمَا الْفِتْيَانُ كُلُّ فَتًى نَدِى[٢]

فجعل خبر « الفتيان » ، « أن » ، وهو كما يقال : « إنما السخاء حاتم ، والشعر زهير » .[٣]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ (٢٠)

قال أبو جعفر : وهذا قضاءٌ من الله بيْن فِرَق المفتخرين الذين افتخرَ أحدهم بالسقاية ، والآخرُ بالسِّدانة . والآخر بالإيمان بالله والجهاد فى سبيله . يقول تعالى ذكره : « الذين آمنوا » بالله ، وصدقوا بتوحيده من المشركين = « وهاجروا » دورَ قومهم [٤] = « وجاهدوا » المشركين فى دين الله [٥] = « بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله » ، وأرفع منزلة عنده ،[٦] من سُقَاة الحاج وعُمَّار المسجد الحرام ، ٦٩/١٠
وهم بالله مشركون = « وأولئك » ، يقول : وهؤلاء الذين وصفنا صفتهم ، أنهم آمنوا وهاجروا وجاهدوا = « هم الفائزون » ، بالجنة ، الناجون من النار .[٧]

* * *

(١) لم أعرف قائله .
(٢) معانى القرآن للفراء ١ : ٤٢٧ ، شرح شواهد المغنى : ٣٢٥ . و « الندى » ، السخى .
(٣) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٢٧ .
(٤) انظر تفسير « هاجر » فيما سلف ص : ٨١ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٥) انظر تفسير « جاهد » فيما سلف ص : ١٦٣ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « سبيل الله » فيما سلف من فهارس اللغة (سبل) .
(٦) انظر تفسير « الدرجة » فيما سلف : ١٣ : ٣٨٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٧) انظر تفسير « الفوز » فيما سلف ١١ : ٢٨٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾ (٢١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : يبشر هؤلاء الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله[١] = « ربُّهم برحمة منه » ، لهم ، أنه قد رحمهم من أن يعذّبهم = وبرضوان منه لهم ، بأنه قد رضى عنهم بطاعتهم إياه ، وأدائهم ما كلّفهم[٢] = « وجنات » ، يقول : وبساتين[٣] = « لهم فيها نعيم مقيم » ، لا يزول ولا يبيد ، ثابت دائمٌ أبداً لهم .[٤]

١٦٥٦٧ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال ، حدثنا سفيان ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة ، قال الله سبحانه: أُعطيكم أفضل من هذا ! فيقولون : ربّنا، أىُّ شىء أفضل من هذا ؟ قال : رِضْوانى .[٥]

* * *

---

(١) انظر تفسير « التبشير » فيما سلف ص:١٣١ تعليق : ٤، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الرضوان » فيما سلف ١١ : ٢٤٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الجنات » فيما سلف من فهارس اللغة (جنن) .

(٤) انظر تفسير « النعيم » فيما سلف ١٠ : ٤٦١ ، ٤٦٢ .
= وتفسير « مقيم » فيما سلف ١٠ : ٢٩٣ .

(٥) الأثر : ١٦٥٦٧ — مضى هذا الخبر بإسناده ولفظه ، وسلف تصحيحه برقم : ٦٥١ (ج ٦ : ٢٦٢). وكان فى المطبوعة : « أبو أحمد الموسوى » ، خطأ محض ، لم يحسن قراءة المخطوطة .

القول فى تأويل قوله ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره = « خالدين فيها » ، ماكثين فيها ، يعنى فى الجنات[١] = « أبداً » ، لا نهاية لذلك ولا حدّ[٢] = « إن الله عنده أجر عظيم » ، يقول : إن الله عنده لهؤلاء المؤمنين الذين نعتَهم جل ثناؤه النعتَ الذى ذكره فى هذه الآية = « أجر » ، ثواب على طاعتهم لربّهم ، وأدائهم ما كلفهم من الأعمال[٣] = « عظيم » ، وذلك النعيم الذى وعدَهم أن يعطيهم فى الآخرة .[٤]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (٢٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله : لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم بطانة وأصدقاء تفشون إليهم أسرارَكم ، وتطلعونهم على عورة الإسلام وأهله ، وتؤثرون المُكْثَ بين أظهرهم على الهجرة إلى دار الإسلام[٥] = « إن استحبُّوا الكفر على الإيمان » ، يقول : إن اختاروا الكفر بالله ، على التصديق به والإقرار

---

(١) انظر تفسير « الخلود » فيما سلف من فهارس اللغة (خلد) .
(٢) انظر تفسير « أبداً » فيما سلف ١١ : ٢٤٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « الأجر » فيما سلف من فهارس اللغة (أجر) .
(٤) انظر تفسير « عظيم » فيما سلف من فهارس اللغة (عظم) .
(٥) انظر تفسير « ولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .

بتوحيده = « ومن يتولهم منكم » ، يقول : ومن يتخذهم منكم بطانة من دون المؤمنين ، ويؤثر المقام معهم على الهجرة إلى رسول الله ودار الإسلام[١] = « فأولئك هم الظالمون » ، يقول : فالذين يفعلون ذلك منكم ، هم الذين خالفوا أمرَ الله ، فوضعوا الولاية فى غير موضعها ، وعصوا الله فى أمره .[٢]

* * *

وقيل : إن ذلك نزل نهياً من الله المؤمنين عن موالاة أقربائهم الذين لم يهاجروا من أرض الشرك إلى دار الإسلام .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٥٦٨ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام » ، قال : أمروا بالهجرة ، فقال العباس بن عبد المطلب : أنا أسقى الحاج ! وقال طلحة أخو بنى عبد الدار : أنا صاحب الكعبة ، فلا نهاجر! فأنزلت : « لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء » إلى قوله : « يأتى الله بأمره » ، بالفتح ، فى أمره إياهم بالهجرة . هذا كله قبل فتح مكة .

* * *

---

(١) انظر تفسير « التولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .

(٢) انظر تفسير « الظلم » فيما سلف من فهارس اللغة (ظلم) .

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (٢٤)

قال أبو جعفر : يقول تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « قل » يا محمد ، للمتخلفين عن الهجرة إلى دار الإسلام ، المقيمين بدار الشرك : إن كان المقام مع آبائكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم = وكانت « أموال اقترفتموها » ، يقول : اكتسبتموها [١] = « وتجارة تخشون كسادها » ، بفراقكم بلدكم = « ومساكن ترضونها » ، فسكنتموها = « أحب إليكم » ، من الهجرة إلى الله ورسوله ، من دار الشرك = ومن جهاد فى سبيله ، يعنى : فى نصرة دين الله الذى ارتضاه [٢] = « فتربصوا » ، يقول : فتنظَّروا [٣] = « حتى يأتى الله بأمره » ، حتى يأتى الله بفتح مكة = « والله لا يهدى القوم الفاسقين » ، يقول : والله لا يوفّق للخير الخارجين عن طاعته وفى معصيته . [٤] ٧٠/١٠

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) انظر تفسير « الاقتراف » فيما سلف ١٢ : ٧٦ : ١٧٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك

(٢) انظر تفسير « الجهاد » فيما سلف من : ١٧٣ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « سبيل الله » فيما سلف من فهارس اللغة (سبل) .

(٣) انظر تفسير « التربص » فيما سلف ٩ : ٣٢٣ : تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « الهدى » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) .
= وتفسير « الفسق » فيما سلف من فهارس اللغة (فسق) .

١٦٥٦٩ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « حتى يأتي الله بأمره » ، بالفتح .

١٦٥٧٠ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « فتربصوا حتى يأتي الله بأمره » ، فتح مكة .

١٦٥٧١ – حدثنا محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها » ، يقول : تخشون أن تكسدفتبيعوها = « ومساكن ترضونها » ، قال : هي القصور والمنازل .

١٦٥٧٢ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وأموال اقترفتموها » ، يقول : أصبتموها .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ (٢٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « لقد نصركم الله » ، أيها المؤمنون = في أماكن حرب توطّنون فيها أنفسكم على لقاء عدوّكم ، ومشاهد تلتقون فيها أنتم وهم كثيرة = « ويوم حنين » ، يقول : وفي يوم حنين أيضاً قد نصركم .

* * *

و«حنين» وادٍ ، فيما ذكر ، بين مكة والطائف . وأجرِيَ ، لأنه مذكر اسم لمذكر . وقد يترك إجراؤه ، ويراد به أن يجعل اسمًا للبلدة التي هو بها ،[1] ومنه قول الشاعر :[2]

نَصَرُوا نَبِيَّهُمْ وَشَدُّوا أَزْرَهُ بِحُنَيْنَ يَوْمَ تَوَاكُلِ الأَبْطَالِ[3]

* * *

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٤٢٩ .

(٢) هو حسان بن ثابت .

(٣) ديوانه : ٣٣٤ ، ومعاني القرآن للفراء ١ : ٤٢٩ ، واللسان (حنن) ، وسيأتي في التفسير ١٦ : ١١١ (بولاق) ، وهو بيت مفرد .

١٦٥٧٣ – حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد قال ، حدثني أبي قال ، حدثنا أبان العطار قال، حدثنا هشام بن عروة ، عن عروة قال: « حُنَيْن » ، واد إلى جنب ذى المجاز .(١)

* * *

= « إذا أعجبتكم كثرتكم » ، وكانوا ذلك اليوم ، فيما ذكر لنا ، اثنى عشر ألفاً.

* * *

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك اليوم : لن نغلب من قِلَّة .

* * *

وقيل : قال ذلك رجل من المسلمين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

وهو قول الله : « إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً » ، يقول : فلم تغن عنكم كثرتكم شيئاً(٢)، = « وضاقت عليكم الأرض بما رحبت » ، يقول : وضاقت الأرض بسعتها عليكم .

* * *

و « الباء » ههنا فى معنى « فى » ، ومعناه : وضاقت عليكم الأرض فى رحبها، وبرحبها .(٣)

* * *

يقال منه : « مكان رحيب »، أى واسع . وإنما سميت الرِّحاب « رحاباً » لسَعَتها .

* * *

= « ثم وليتم مدبرين » ، عن عدوكم منهزمين = « مدبرين » ، يقول : وليتموهم، الأدبار ، وذلك الهزيمة . يخبرهم تبارك وتعالى أن النصر بيده ومن عنده ، وأنه ليس

وقوله : « تواكل الأبطال » ، من قولهم : « تواكل القوم » ، إذا اتكل بعضهم على بعض ، ولم يعفه فى مأزق الحرب . وفى الحديث أنه نهى عن المواكلة ، وهو : أن يكل كل امرىء صاحبه إلى نفسه ، فلا يعينه فيما ينوبه ، وهو مفض إلى الضعف والتقاطع وفساد الأمور ، أعاذنا الله من كل ذلك .

(١) الأثر : ١٦٥٧٢ – هو جزء من كتاب عروة ، إلى عبد الملك بن مروان ، الذى خرجته فيما سلف رقم : ١٦٠٨٣ ، ورواه الطبرى فى تاريخه ، فى أثناء خبر طويل ٢ : ١٢٥ .

(٢) انظر تفسير « أغنى » فيما سلف : ١٣ : ٤٤٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٣٠ .

بكثرة العدد وشدة البطش، وأنه ينصر القليلَ على الكثير إذا شاء ، ويخلّى الكثيرَ والقليلَ ، فيهزِم الكثيرُ .(١)

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٥٧٤ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين » ، حتى بلغ : « وذلك جزاء الكافرين » ، قال : « حنين » ، ما بين مكة والطائف ، قاتل عليها نبيُّ الله هوازن وثقيفَ ، وعلى هوازن : مالك بن عوف أخو بنى نصر ، وعلى ثقيف : عبد ياليل بن عمرو الثقفىّ . قال : وذُكر لنا أنه خرج يومئذ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر ألفاً : عشرة آلافٍ من المهاجرين والأنصار ، وألفان من الطُّلَقَاء . وذكر لنا أنّ رجلاً قال يومئذٍ : « لن نغلب اليوم بكَثْرة »! قال : وذكر لنا أن الطُّلَقَاء انجفَلوا يومئذ بالناس ،(٢) وجلَوْا عن نبى الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل عن بغلته الشهباء . وذكر لنا أن نبيَّ الله قال : « أى رب ، آتنى ما وعدتنى » ! ٧١/١٠
قال : والعباسُ آخذٌ بلجام بغلةِ رسول الله ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : نادِ : « يا معشر الأنصار ، ويا معشر المهاجرين! » ، فجعل ينادى الأنصار فَخِذاً فخِذاً ، ثم قال : « نادِ بأصحاب سورة البقرة » .(٣) قال : فجاء الناس عُنُقاً واحداً .(٤) فالتفت نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم ، وإذا عصابة من الأنصار ، فقال : هل معكم غيركم ؟ فقالوا : يا نبى الله ، والله لو عمدت إلى بَرْك الغِمادِ من ذى يَمَنٍ

---

(١) فى المطبوعة : « ويخلى القليل فيهزم الكثير » ؛ حذف بسوء رأيه فأفسد الكلام . وإنما أراد أن الله يخلى بين الكثير والقليل فلا ينصر القليل ، فيهزم الكثير القليل ، على ما جرت به العادة من غلبة الكثير على القليل .

(٢) « انجفل القوم عن رئيسهم » ، ذعروا ، فانقلعوا من حوله ، ففروا مسرعين .

(٣) فى المطبوعة : « ثم نادى بأصحاب سورة البقرة » ، غير ما فى المخطوطة عبثاً .

(٤) قوله : « عنقاً واحداً » ، أى : جملة واحدة . ويقال : « جاء القوم عنقاً عنقاً » ، أى : طائفة طائفة . ويقال : « هم عليه عنق » ، أى : هم عليه إلب واحد .

لكنَّا مَعَكَ،[١] ثم أنزل الله نصره، وهزَمَ عدوّهم ، وتراجع المسلمون . قال : وأخذ رسول الله كفًّا من تراب= أو : قبضةً من حَصْباء = فرمى بها وجوه الكفار ، وقال : «شاهَتِ الوجوه !» ، فانهزموا . فلما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم وأتى الجعرَّانة ، فقسم بها مغانم حنين ، وتألَّف أناساً من الناس ، فيهم أبو سفيان ابن حرب ، والحارث بن هشام ، وسهيل بن عمرو ، والأقرع بن حابس ، فقالت الأنصار : « أمن الرجل وآثر قومه » ![٢] فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى قُبّة له من أَدَم ، فقال : يا معشر الأنصار ، ما هذا الذى بلغنى ؟ ألم تكونوا ضُلاَّلاً فهداكم الله ، وكنتم أذلَّةً فأعزكم الله ، وكنتم وكنتم ! قال : فقال سعد ابن عبادة رحمه الله : ائذن لى فأتكلم ! قال : تكلم . قال : أما قولك : « كنتم ضلالا فهداكم الله » ، فكنا كذلك = « وكنتم أذلة فأعزكم الله » ، فقد علمت العربُ ما كان حىٌّ من أحياء العرب أمنعَ لما وراء ظهورهم منَّا ! فقال عمر : يا سعد، أتدرى من تُكَلِّم ! فقال : نعم ! أكلمُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفسى بيده ، لو سلكَتِ الأنصارُ وادياً والناس وادياً ، لسلكتُ وادى الأنصار ، ولولا الهِجرةُ لكنت امرءاً من الأنصار . وذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « الأنْصَار كَرِشى وعَيْبَتى ، فاقبلوا من مُحسِنهم ، وتجاوزوا عن مسيئهم » .[٣] ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا معشر الأنصار ، أما ترضون أن ينقلب الناس بالإبل والشاء ، وتنقلبون برسولِ الله إلى بيوتكم ! فقالت الأنصار : رضينا عن الله ورسوله ، والله ما قلنا ذلك إلاَّ حرصاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله

---

(١) انظر ما سلف فى تفسير « برك الغماد » رقم : ١٥٧٢٠ .

(٢) فى المطبوعة : « حن الرجل إلى قومه » ، غير ما فى المخطوطة بلا ورع .

(٣) « الكرش » ، وعاء الطيب ، و « العيبة » وعاء من أدم يكون فيه المتاع والثياب . يقول : الأنصار خاصتى وموضع سرى ، أثق بهم ، وأعتمد عليهم ، وهم أنفس ما أحرز .

ورسوله يصدِّقانكم ويعذِرانكم .[١]

١٦٥٧٥ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال: ذكر لنا أن أمَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم التى أرضعته ، أو ظِئْره من بنى سعد بن بكر ، أتته فسألته سَبَايا يوم حنين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى لا أملكهم ، وإنما لى منهم نصيبي ، ولكن ائتينى غداً فسلِينى والناس عندى ، فإنى إذا أعطيتُك نصيبي أعطاك الناس . فجاءت الغد ، فبسط لها ثوباً فقعدت عليه ، ثم سألته ، فأعطاها نصيبه . فلما رأى ذلك الناس ، أعطوْها أنصباءهم .

١٦٥٧٦ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة » ، الآية ، أن رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قال : يا رسول الله ، لن نغلب اليوم من قِلّة ! وأعجبته كثرة الناس، وكانوا اثنى عشر ألفاً . فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوُكِلوا إلى كلمة الرجل، فانهزموا عن رسول الله ، غير العباس ، وأبى سفيان بن الحارث ، وأيمن بن أم أيمن ، قتل يومئذ بين يديه . فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين الأنصار ؟ أين الذين بايعوا تحت الشجرة ؟ فتراجع الناس ، فأنزل الله الملائكةَ بالنصر . فهزموا المشركين يومئذٍ ، وذلك قوله : « ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها » ، الآية .

١٦٥٧٧ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن كثير بن عباس بن عبد المطلب ، عن أبيه قال : لما كان يوم حنين ، التقى المسلمون والمشركون ، فولّى المسلمون يومئذٍ . قال : فلقد رأيتُ النبى صلى الله عليه وسلم وما معه أحدٌ إلا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، آخذاً بغَرْزِ النبى صلى الله عليه وسلم ، لا يألو ما أسرع نحو ١٠/٧٢

(١) الأثر : ١٦٥٧٤ – رواه ابن سعد مختصراً فى الطبقات ٤/١/١١ ، ١٢ .

المشركين .[١] قال : فأتيت حتى أخذتُ بلجامه ، وهو على بغلة له شهباء ، فقال : يا عباس . ناد أصحابَ السمرة ! وكنت رجلاً صَيِّتاً ،[٢] فأذّنت بصوتي الأعلى : أين أصحاب السمرة ! فالتفتوا كأنها الإبل إذا حُشِرت إلى أولادها ،[٣] يقولون : « يا لبيك ، يا لبَّيك ، يا لبيك » ، وأقبل المشركون . فالتقوا هم والمسلمون ، وتنادت الأنصار : « يا معشر الأنصار » ، ثم قُصرت الدعوة في بني الحارث بن الخزرج ، فتنادوا : « يا بني الحارث بن الخزرج » ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمتطاوِل ، إلى قتالهم فقال : « هذا حين حَمِيَ الوَطِيس » ! [٤] ثم أخذ بيده من الحصباء فرماهم بها ، ثم قال : « انهزموا ورب الكعبة ، انهزموا وربِّ الكعبة » ! قال : فوالله ما زال أمرُهم مدبراً ، وحدُّهم كليلاً ، حتى هزمهم الله ، قال : فلكأنّي أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يركُضُ خلفهم على بَغْلَتِه.[٥]

---

(١) « الغرز » ، ركاب الدابة . و « لا يألو » لا يقصر .

(٢) « الصيت » (على وزن : جيد) : البعيد الصوت العاليه .

(٣) في المطبوعة : « إذا حنت إلى أولادها » ، غير ما في المخطوطة ، و « الحشر » ، الجمع. وفي المراجع الأخرى : « لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها » . والذي في طبقات ابن سعد ، موافق لما في المطبوعة .

(٤) « الوطيس » : حفرة تحتفر ، فتوقد فيها النار ، فإذا حميت يختبز فيها ويشوى ، ويقال لها « الإرة » وهذا من بليغ الكلام ، ولم تسمع هذه الكلمة من أحد قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٥) الأثر : ١٦٥٧٧ — « كثير بن العباس بن عبد المطلب » ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولد على عهد رسول الله ، ولم يسمع منه ، تابعي ثقة قليل الحديث . مترجم في التهذيب ، والكبير ٢٠٧/١/٤ ، وابن أبي حاتم ١٥٣/٢/٣ .

وهذا الخبر رواه أحمد في مسنده رقم : ١٧٧٥ من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري . وفصل أخي السيد أحمد تخريجه هناك ، ثم رقم : ١٧٧٦ .

ورواه مسلم في صحيحه ١٢ : ١١٣ ، من طريق يونس ، عن الزهري . ثم رواه أيضاً (١٢ : ١١٧) من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، ومن طريق سفيان بن عيينة عن الزهري .

ورواه الحاكم في المستدرك ٣ : ٣٢٧ ، من طريق يونس ، عن الزهري .

ورواه ابن سعد في الطبقات ١١٢/١/٢ = ١١/١/٤ ، الثاني طريق محمد بن عبد الله ، عن عمه ، عن ابن شهاب الزهري ، والأول من طريق محمد بن حميد العبدي ، عن معمر ، عن الزهري .

ثم انظر تاريخ الطبري ٣ : ١٢٨ ، حديث ابن إسحق ، في سيرة ابن هشام ٤ : ٨٧ ، ٨٨

١٦٥٧٨ – حدثنا ابن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب : أنهم أصابوا يومئذٍ ستة آلاف سَبْىٍ ، ثم جاء قومهم مسلمين بعد ذلك ، فقالوا : يا رسول الله : أنت خيرُ الناس وأبرُّ الناس ، وقد أخذت أبناءنا ونساءنا وأموالَنا ! فقال النبى صلى الله عليه وسلم : إن عندى من ترونَ ، وإن خير القولِ أصدقُه ، اختاروا : إما ذَراريكم ونساءكم ، وإمّا أموالكم . قالوا : ما كنا نعدِل بالأحساب شيئاً ! فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن هؤلاء جاءونى مسلمين ، وإنا خيَّرناهم بين الذَّرارىّ والأموال ، فلم يعدلوا بالأحساب شيئاً ، فمن كان بيده منهم شىء فطابت نفسُه أن يردَّه فليفعل ذلك ، ومن لا فليُعْطِنا ، وليكن قَرْضاً علينا حتى نصيب شيئاً ، فنعطيه مكانه . فقالوا : يا نبى الله ، رضينا وسلَّمنا ! فقال : إنى لا أدرى لعلَّ منكم من لا يرضَى ، فَمُروا عرفاءكم فايرفعوا ذلك إلينا . فرفعتْ إليه العُرَفاء أن قد رَضُوا وسَلَّموا .(١)

١٦٥٧٩ – حدثنا على بن سهل قال، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا حماد بن سلمة قال ، حدثنا يعلى بن عطاء ، عن أبى همام ، عن أبى عبد الرحمن = يعنى الفهرىّ = قال : كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة حنين ، فلما رَكَدت الشمس ،(٢) لبستُ لأْمتى ،(٣) وركبت فرسى ، حتى أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى ظِلِّ شجرة ، فقلت : يا رسول الله ، قد حان الرَّواح ! فقال : أجل ! فنادى : يا بِلاَل ! يا بلال ! فقام بلال من تحت سمرة ، فأقبل كأن ظله ظلُّ طير . فقال : لبيك وسعديك ، ونفسى فداؤك ، يا رسول الله ! فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : أسرج فرسى ! فأخرج سَرْجاً دَفَّتَاه حشْوهما ليفٌ ، ليس فيهما أَشَرٌ

(١) الأثر : ١٦٥٧٨ – رواه ابن سعد فى الطبقات ٢/١/١١٢ . ٨٧ ، ٨٨ .
(٢) « ركدت الشمس » ، ثبتت ، وذلك حين يقوم قائم الظهيرة .
(٣) « اللأمة » الدرع ، وسلاح الحرب كله .

ولا بَطَرٌ .(١) قال : فركب النبي صلى الله عليه وسلم ، فصافَفْناهم يومَنا وليلتنا ، فلما التقى الخيلان ، ولىّ المسلمون مدبرين ، كما قال الله . فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عباد الله، يا معشر المهاجرين ! ». قال: ومال النبي صلى الله عليه وسلم عن فرسه، فأخذ حَفْنَةً من تراب فرمى بها وجوههم ، فولوا مدبرين = قال يعلى بن عطاء : فحدثني أبناؤهم عن آبائهم أنهم قالوا : ما بقى مِنّا أحد إلاّ وقد امتلأت عيناه من ذلك التراب .(٢)

١٦٥٨٠ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحق قال : سمعت البراء وسأله رجل من قيس : فَرَرْتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين؟ فقال البراء: لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفرّ، وكانت هَوازن يومئذ رُماةً، وإنّا لما حملنا عليهم انكشَفُوا، فأكببْنا على الغنائم ، فاستقبلونا بالسِّهام ، ولقد رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم على ٧٣/١٠
بغلته البيضاء ، وإن أبا سفيان بن الحارث آخذٌ بلجامها وهو يقول :

---

(١) « الأشر » ، المرح والخيلاء . و « البطر » ، الطغيان في النعمة من قلة احتمالها .

(٢) الأثر : ١٦٥٧٩ – « يعلى بن عطاء العامري الطائفي » ، ثقة مضى برقم : ٢٨٥٨ ، ١١٥٢٧ ، ١١٥٢٩ .

و « أبو همام » هو « عبد الله بن يسار » ، روى عن عمرو بن حريث. وأبي عبد الرحمن الفهري . ثقة ، مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٢/٢/٢٠٢ .

و « أبو عبد الرحمن الفهري » ، صحابي مختلف في اسمه ، مترجم في الإصابة ، والتهذيب ، وأسد الغابة ٥ : ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، والاستيعاب : ٦٧٦ .

وهذا الخبر رواه أحمد في مسنده ٥ : ٢٨٦ من طريق بهز عن حماد بن سلمة ، ومن طريق عفان ، عن حماد .

ورواه ابن سعد في الطبقات ٢/١/١١٢ ، ١١٣ ، من طريق عفان ، عن حماد بن سلمة .

ورواه أبو داود في سننه ٤ : ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، برقم : ٥٢٣٣ من طريق موسى بن إسماعيل ، عن حماد مختصراً .

ورواه ابن عبد البر في الاستيعاب ٦٧٦ ، بغير إسناد .

ورواه ابن الأثير في أسد الغابة من طريق موسى بن إسماعيل ، عن حماد .

وخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٦ : ١٨١ ، ١٨٢ ، وقال : « رواه البزار ، والطبراني ، ورجالهما ثقات » .

أَنَا النَّبِيُّ لا كَذِبْ أَنا ابْنُ عبدِ المُطَّلِبْ (١)

١٦٥٨١ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن البراء قال : سأله رجل : يا أبا عُمارة ، وليتم يوم حنين ؟ فقال البراء وأنا أسمع : أشهد أن رسول الله لم يولِّ يومئذ دُبُره ، وأبو سفيان يقود بغلته . فلما غشيه المشركون نزل فجعل يقول :

أَنا النَّبِيُّ لا كَذِب أَنا ابْنُ عبدِ المطَّلِبْ

فما رُؤِي يومئذ أحدٌ من الناس كان أشدَّ منه .

١٦٥٨٢ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني جعفر بن سليمان ، عن عوف الأعرابي ، عن عبد الرحمن مولى أم برثن قال ، حدثني رجل كان من المشركين يوم حنين قال : لما التقينا نحن وأصحابَ محمد عليه السلام ، لم يقفوا لنا حَلَبَ شاةٍ أن كشفناهم ، فبينا نحن نسوقهم ، إذ انتهينا إلى صاحب البغلة الشهباء ، فتلقانا رجالٌ بيضٌ حسانُ الوجوه ، فقالوا لنا : « شاهت الوجوه ، ارجعوا » ! فرجعنا ، وركبنا القوم ، فكانت إياها . (٢)

---

(١) الأثران : ١٦٥٨٠ ، ١٦٥٨١ – خبر البراء بن عازب ، رواه مسلم من طرق كثيرة في صحيحه ١٢ : ١١٧ – ١٢١ ، ورواه من طريق شعبة ، عن أبي إسحق في ١٢ : ١٢١ . ورواه البخاري في صحيحه (الفتح ٨ : ٢٤) من طرق .

(٢) الأثر : ١٦٥٨٢ – « عبد الرحمن ، مولى أم برثن » ، هو « عبد الرحمن بن آدم ، صاحب السقاية » . وكانت أم برثن تعالج الطيب ، فأصابت غلاماً لقطة ، فربته حتى أدرك ، وسمته عبد الرحمن ، فكان مما يقال له « عبد الرحمن بن أم برثن » ، وإنما قيل له : « عبد الرحمن بن آدم » نسب إلى أبي البشر جميعاً ، « آدم » عليه السلام ، لم يكن يعرف له أب ، وهو ثقة ، مضى برقم : ٧١٤٥ .

وكان في المخطوطة : « مولى برثن » ، وهو خطأ ، وانظر الخبر التالي رقم : ١٩٥٨٧ من طريق أخرى .

وقوله : « لم يقفوا لنا حلب شاة » ، يعني : إلا قدر ما تحلب شاة ، كناية من قلة الزمن ، كما يقال : « فواق ناقة » ، و « الفواق » ما بين الحلبتين إذا قبض الجانب على الضرع ثم أرسله .

قوله : « فكانت إياها » ، يعني ، فكانت الهزيمة التي تعلم . وفي حديث معاوية بن عطاء:

١٦٥٨٣ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن يعقوب، عن جعفر، عن سعيد قال : أمدّ الله نبيه صلى الله عليه وسلم يوم حنين بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين . قال : ويومئذ سمّى الله الأنصار « مؤمنين » . قال : فأنزل الله سكينته على رسول الله وعلى المؤمنين، وأنزل جنوداً لم يَروها .

١٦٥٨٤ – حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله : « ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً » ، قال : كانوا اثنى عشر ألفاً .

١٦٥٨٥ – حدثنا محمد بن يزيد الأَدَمىّ قال، حدثنا معن بن عيسى، عن سعيد بن السائب الطائفي، عن أبيه، عن يزيد بن عامر، قال : لما كانت انكشافةُ المسلمين حين انكشفوا يوم حنين، ضَرَب النبي صلى الله عليه وسلم يدَه إلى الأرض فأخذ منها قبضة من تراب، فأقبل بها على المشركين وهم يتّبعون المسلمين، فحثّاها في وجوههم وقال : « ارجعوا، شاهت الوجوه! ». قال : فانصرفنا، ما يلقى أحدٌ أحداً إلاّ وهو يمسَحُ القَذَى عن عينيه .(١)

« كان معاوية رضي الله عنه إذا رفع رأسه من السجدة الأخيرة كانت إياها ». قالوا : اسم « كان » ضمير « السجدة » ، و « إياها » الخبر ، أي : كانت هي هي ، أي : كان يرفع منها وينهض قائماً إلى الركعة الأخرى من غير أن يقعد قعدة الاستراحة .

(١) الأثر : ١٦٥٨٥ – « محمد بن يزيد الأدمي الخراز » ، شيخ الطبري ، ثقة زاهد ، مضى برقم : ٤٨٩٤ .

و « معن بن عيسى الأشجعي ، القزاز » ، أحد أئمة الحديث ، روى له الجماعة . مترجم في التهذيب ، والكبير ٣٩٠/١/٤ ، وابن أبي حاتم ٢٧٧/١/٤ .

و « سعيد بن السائب الطائفي» ، ثقة ، مضى برقم : ١٥٤٠٢ .

وأبوه « السائب بن أبي حفص الطائفي» ، ثقة ، مترجم في الكبير ١٥٦/٢/٢ ، وابن أبي حاتم ٢٤٥/١/٢ .

و « يزيد بن عامر السوائي » « أبو حاجز » صحابي ، مترجم في التهذيب ، والكبير ٣١٦/٢/٤ ، وابن أبي حاتم ٢٨١/٢/٤ .

وهذا الخبر ، رواه البخاري في تاريخه ٣١٦/٢/٤ من طريق إبراهيم بن المنذر ، عن معن بن عيسى .

١٦٥٨٦ – وبه ، عن يزيد بن عامر السُّوائى قال : قيل له : يا أبا حاجز ، الرعب الذى ألقى الله فى قلوب المشركين ، ماذا وجدتم ؟ قال : وكان أبو حاجز مع المشركين يوم حنين ، فكان يأخذ الحصاة فيرمى بها فى الطَّستِ فيطنُّ ، ثم يقول : كان فى أجوافِنَا مثل هذا ! (١)

١٦٥٨٧ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسن بن عرفة قال ، حدثنى المعتمر ابن سليمان : عن عوف قال ، سمعت عبد الرحمن مولى أم برثن = أو : أم برثم = قال ، حدثنى رجل كان فى المشركين يوم حنين ، قال : لما التقينا نحن وأصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين لم يقوموا لنا حَلَب شاة . قال : فلما كشفناهم جعلنا نسُوقهم فى أدبارهم ، حتى انتهينا إلى صاحب البغلة البيضاء ، فإذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فتلقانا عندَه رجالٌ بيضٌ حسانُ الوجوه فقالوا لنا : « شاهت الوجوه ، ارجعوا ! » ، قال : فانهزمنا ، وركِبُوا أكتافنا ، فكانت إيَّاهَا . (٢)

* * *

ورواه ابن الأثير فى أسد الغابة ٥ : ١١٥ ، ١١٦ .

وخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد (٦ : ١٨٢ ، ١٨٣) ، حديثان ، كما جاء هنا فى التفسير ، وقال فى الأول والثانى « رواه الطبرانى ، ورجاله ثقات » .

(١) ١٦٥٨٦ – مكرر الأثر السالف ، وتخريجه هناك .

(٢) الأثر : ١٦٥٨٧ – « عبد الرحمن ، مولى أم برثن ، أو : أم برثم » ، بإبدال النون ميماً ، مضى فى الأثر رقم : ١٦٥٨٢ ، وكان فى المطبوعة هنا : « أو : أم مريم » ، وهو خطأ محض ، وتصرف فى رسم المخطوطة ، وهى غير منقوطة .

القول فى تأويل قوله ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (٢٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ثم من بعد ما ضاقت عليكم الأرض بما رحبت ، وتوليتكم الأعداءَ أدبارَكم ، كشف الله نازل البلاء عنكم ، بإنزاله السكينة = وهى الأمنة والطمأنينة = عليكم .

* * *

= وقد بينا أنها « فعيلة » ، من « السكون » ، فيما مضى من كتابنا هذا قبل ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[1] ٧٤/١٠

* * *

= « وأنزل جنوداً لم تروها » ، وهى الملائكة التى ذكرتُ فى الأخبار التى قد مضى ذكرها = « وعذب الذين كفروا » ، يقول : وعذب الله الذين جحدوا وحدانيّته ورسالةَ رسوله محمدٍ صلى الله عليه وسلم ، بالقتل وسَبْى الأهلين والذرارىّ ، وسلب الأموال ، والذلة = « وذلك جزاء الكافرين » ، يقول : هذا الذى فعلنا بهم من القتل والسبى = « جزاء الكافرين » ، يقول : هو ثواب أهل جحود وحدانيته ورسالة رسوله .[2]

١٦٥٨٨ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وعذب الذين كفروا » ، يقول : قتلهم بالسيف .

١٦٥٨٩ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو داود الحفرى ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد : « وعذب الذين كفروا » ، قال : بالهزيمة والقتل .

١٦٥٩٠ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين » ، قال : من بَقى منهم .

---

(١) انظر تفسير « السكينة » فيما سلف ٣ : ٦٦ ، ٥/٧٠ : ٣٢٦ — ٣٣٠ .

(٢) انظر تفسير « الجزاء » فيما سلف من فهارس اللغة (جزى) .

القول فى تأويل قوله ﴿ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ثم يتفضل الله بتوفيقه للتوبة والإنابة إليه ، من بعد عذابه الذى به عذّب من هلك منهم قتلاً بالسيف = « على من يشاء » ، أى : يتوب الله على من يشاء من الأحياء ، يُقْبِل به إلى طاعته = « والله غفور » ، لذنوب من أناب وتاب إليه منهم ومن غيرهم منها = « رحيم » ، بهم ، فلا يعذبهم بعد توبتهم ، ولا يؤاخذهم بها بعد إنابتهم .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله ، وأقرُّوا بوحدانيته : ما المشركون إلا نَجَس .

* * *

واختلف أهل التأويل فى معنى « النجس » ، وما السبب الذى من أجله سمّاهم بذلك .

فقال بعضهم : سماهم بذلك ، لأنهم يجنبون فلا يغتسلون ، فقال : هم نجس ،

---

(١) انظر تفسير « التوبة » ، و « غفور » و « رحيم » فيما سلف من فهارس اللغة (توب) ، (غفر) ، (رحم) .

ولا يقربوا المسجد الحرام = لأن الجنب لا ينبغى له أن يدخل المسجد .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٥٩١ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، فى قوله : « إنما المشركون نجس » ، لا أعلم قتادة إلا قال : « النجس » ، الجنابة .

١٦٥٩٢ – وبه ، عن معمر قال : وبلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم لقى حذيفة ، وأخذ النبيُّ صلى الله عليه وسلم بيده، فقال حذيفة : يا رسول الله ، إنىّ جُنُب! فقال : إنّ المؤمن لا ينجُس .

١٦٥٩٣ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة فى قوله : « يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس » ، أى : أجْنَابٌ .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : ما المشركون إلا رِجْسُ خنزير أو كلب .

وهذا قولٌ رُوِى عن ابن عباس من وجه غير حميد ، فكرهنا ذكرَه .

* * *

وقوله : « فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » ، يقول للمؤمنين : فلا تدعوهم أن يقربوا المسجد الحرام بدخولهم الحرَم . وإنما عنى بذلك منعَهم من دخول الحرم، لأنهم إذا دخلوا الحرم فقد قربوا المسجد الحرم .

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك .

فقال بعضهم فيه نحو الذى قلناه .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٥٩٤ – حدثنا بشر، وابن المثنى قالا ، حدثنا أبو عاصم قال ، أخبرنا ابن جريج قال، قال عطاء : الحرمُ كله قبلةٌ ومسجد . قال : « فلا يقربوا المسجد الحرام »، لم يعن المسجدَ وحده ، إنما عنى مكة والحرم . قال ذلك غير مرّةٍ .

* * *

وذكر عن عمر بن عبد العزيز فى ذلك ما : —

١٦٥٩٥ — حدثنا عبد الكريم بن أبى عمير قال ، حدثنى الوليد بن مسلم قال ، حدثنا أبو عمرو : أن عمر بن عبد العزيز كتب : « أنِ امنعوا اليهود والنصارى من دخول مساجد المسلمين » ، وأَتْبَعَ فى نهيه قولَ الله : « إنّما المشركون نجس » .

١٦٥٩٦ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن فضيل ، عن أشعث ، عن الحسن : « إنما المشركون نجس » ، قال : لاتصافحوهم ، فمن صافحَهم فليتوضأْ . ٧٥/١٠

* * *

وأما قوله : « بعد عامهم هذا » ، فإنه يعنى : بعد العام الذى نادَى فيه على رحمة الله عليه ببراءة ، وذلك عام حجَّ بالناس أبو بكر ، وهى سنة تسع من الهجرة ، كما : —

١٦٥٩٧ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » ، وهو العام الذى حجّ فيه أبو بكر ، ونادى علىّ رحمة الله عليهما بالأذان ، وذلك لتسع سنين مضين من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحجَّ نبىُّ الله صلى الله عليه وسلم من العام المقبل حجّة الوداع ، لم يحجَّ قبلها ولا بعدها .

* * *

وقوله : « وإن خفتم عيلة » ، يقول للمؤمنين : وإن خفتم فاقةً وفقراً ، بمنع المشركين من أن يقربوا المسجد الحرام = « فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء » .

* * *

يقال منه : « عال يَعِيلُ عَيْلةً وعُيُولاً » ، ومنه قول الشاعر :(١)

وَمَا يَدْرِى الْفَقِيرُ مَتَى غِنَاهُ وَمَا يَدْرِى الغَنِىُّ مَتَى يَعِيلُ(٢)

---

(١) هو أحيحة بن الجلاح .

(٢) سلف البيت وتخريجه وشرحه ، فيما سلف ٧ : ٤٥٩ ، وانظر مجاز القرآن ١ : ٢٥٥ .

وقد حكى عن بعضهم أنّ من العرب من يقولُ فى الفاقة : «عال يعول» بالواو.[١]

* * *

وذكر عن عمرو بن فائد أنه كان تأوّل قوله[٢] : « وإن خفتم عيلة » ، بمعنى : وإذ خفتم . ويقول : كان القوم قد خافُوا ، وذلك نحو قول القائل لأبيه : « إن كنت أبى فأكرمنى » ، بمعنى : إذ كنت أبى .

* * *

وإنما قيل ذلك لهم ، لأن المؤمنين خافوا بانقطاع المشركين عن دخول الحرم ، انقطاع تجاراتهم ، ودخول ضرر عليهم بانقطاع ذلك . وأمّنهم الله من العيلة ، وعوّضهم مما كانوا يكرهون انقطاعَه عنهم ، ما هو خير لهم منه ، وهو الجزية ، فقال لهم : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ ﴾ إلى : ﴿ صَاغِرُون ﴾ .

* * *

وقال قوم : بإدرار المطر عليهم .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٥٩٨ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » ، قال : لما نَفَى الله المشركين عن المسجد الحرام ، ألقى الشيطان فى قلوب المؤمنين الحَزَن ، قال : من أين تأكلون ، وقد نُفِىَ المشركون وانقطعت عنهم العِيرُ ![٣] فقال الله : « وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من

---

(١) انظر تفسير « عال » فيما سلف ٧ : ٥٤٨ ، ٥٤٩ .

(٢) « عمرو بن فائد » ، أبو على الأسوارى ، وردت عنه الرواية فى حروف من القرآن . مترجم فى طبقات القراء ١ : ٦٠٢ رقم : ٢٤٦٢ ، وابن أبى حاتم ٣/١/٢٥٣ ، ولسان الميزان ٤ : ٣٧٢ ، وميزان الاعتدال ، ٢ : ٢٩٨ ، وهو فى الحديث ليس بشىء ، بل هو منكر الحديث ، متروك .

(٣) فى المطبوعة : « وانقطعت عنكم » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب .

فضله إن شاء »، فأمرهم بقتال أهل الكتاب ، وأغناهم من فضله .

١٦٥٩٩ – حدثنا هناد بن السرى قال، حدثنا أبو الأحوص، عن سماك ، عن عكرمة فى قوله : « يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » ، قال : كان المشركون يجيئون إلى البيت ، ويجيئون معهم بالطعام، ويَتّجرون فيه. فلما نُهُوا أن يأتوا البيت، قال المسلمون : من أين لنا طعام ؟ فأنزل الله : « وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء »، فأنزل عليهم المطر ، وكثر خيرهم ، حتى ذهب عنهم المشركون .

١٦٦٠٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن على ابن صالح ،عن سماك، عن عكرمة: « إنما المشركون نجس »، الآية = ثم ذكر نحو حديث هنّاد ، عن أبى الأحوص .

١٦٦٠١ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا سفيان ، عن واقد ، عن سعيد بن جبير قال : لما نزلت : « إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » ، شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : مَنْ يأتينا بطعامنا ، ومن يأتينا بالمتاع ؟ فنزلت : « وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء » .

١٦٦٠٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن واقد مولى زيد بن خليدة ، عن سعيد بن جبير قال : كان المشركون يقدَمون عليهم بالتجارة ، فنزلت هذه الآية : « إنما المشركون نجس » إلى قوله : « عيلة » ، قال : الفقر = « فسوف يغنيكم الله من فضله » . ٧٦/١٠

١٦٦٠٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية العوفى قال : قال المسلمون : قد كنّا نصيب من تجارتهم وبياعاتهم ،

---

(١) الأثران : ١٦٦٠١ ، ١٦٦٠٢ – « واقد ، ولى زيد بن خليدة » ، ثقة ، سلف برقم : ١١٤٥٠ .

فنزلت : « إنما المشركون نجس » إلى قوله : « من فضله » .

١٦٦٠٤ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس قال، سمعت أبي= أحسبه قال : أنبأنا أبو جعفر= عن عطية قال : لما قيل : « ولا يحج بعد العام مشرك » ، قالوا : قد كنا نصيب من بياعاتهم فى الموسم ! قال : فنزلت : « يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرامَ بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله »، يعنى : بما فاتهم من بيَاعاتهم .

١٦٦٠٥ – حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا، حدثنا ابن يمان ، عن أبى سنان ، عن ثابت ، عن الضحاك : « وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله » ، قال : الجزية .

١٦٦٠٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن يمان وأبو معاوية ، عن أبى سنان ، عن ثابت ، عن الضحاك ، قال : أخرج المشركون من مكة ، فشقّ ذلك على المسلمين وقالوا : كنا نُصيب منهم التجارة والميرة ! فأنزل الله : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر » .

١٦٦٠٧ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله » ، كان ناس من المسلمين يتألّفون العير ، فلما نزلت « براءة » بقتال المشركين حيثما ثقفوا ، وأن يقعدُوا لهم كل مرصد ، قذف الشيطان فى قلوب المؤمنين : فمن أين تعيشون وقد أمرتم بقتال أهل العير ؟ فعلم الله من ذلك ما علم ، فقال : أطيعونى ، وامضوا لأمرى ، وأطيعوا رسولى ، فإنى سوف أغنيكم من فضلى . فتوكّلَ لهم الله بذلك .

١٦٦٠٨ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « إنما المشركون نجس » إلى قوله : « فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء » ، قال : قال المؤمنون : كنا نصيب

من متاجر المشركين ! فوعدهم الله أن يغنيهم من فضله ، عوضاً لهم بأن لا يقربوهم المسجد الحرام . فهذه الآية مع أول «براءة » ، فى القراءة ، ومع آخرها فى التأويل :[1] « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر » ، إلى قوله : « عن يد وهم صاغرون » ، حين أمر محمد وأصحابه بغزْوة تبوك .

١٦٦٠٩ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

١٦٦٠٩م – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : لما نفى الله المشركين عن المسجد الحرام ، شقّ ذلك على المسلمين ، وكانوا يأتون ببَيْعات ينتفع بذلك المسلمون .[2] فأنزل الله تعالى ذكره : « وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله » ، فأغناهم بهذا الخراج ، الجزيةَ الجاريةَ عليهم ، يأخذونها شهراً شهراً ، عاماً عاماً ، فليس لأحد من المشركين أن يقرب المسجد الحرام بعد عامهم بحالٍ ، إلا صاحب الجزية ، أو عبد رجلٍ من المسلمين .

١٦٦١٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن جريج قال ، أخبرنا أبو الزبير : أنه سمع جابر بن عبد الله يقول فى قوله : « إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » ، إلا أن يكون عبداً ، أو أحداً من أهل الذمّة .

١٦٦١١ – . . . . قال أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » ، قال : إلا صاحب جزية ، أو عبد لرجلٍ من المسلمين.

١٦٦١٢ – حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة قال ، حدثنا حجاج ، عن

---

(١) فى المطبوعة : « من أول براءة . . . ومن آخرها » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب محض .

(٢) فى المطبوعة : « ببياعات » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج . قال ، أخبرني أبو الزبير : أنه سمع جابر ابن عبد الله يقول في هذه الآية : « إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام » ، إلا أن يكون عبداً ، أو أحداً من أهل الجزية .

١٦٦١٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله : « وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله » ، قال : أغناهم الله بالجزية الجارية، شهراً فشهراً ، وعاماً فعاماً . ١٠/٧٧

١٦٦١٤ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا عباد بن العوام ، عن الحجاج ، عن أبي الزبير ، عن جابر : « إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » ، قال : لا يقرب المسجد الحرام بعد عامه هذا مشركٌ ولا ذميٌّ .

١٦٦١٥ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة » ، وذلك أن الناس قالوا : لتقطعنَّ عنا الأسواق ، ولتهلكن التجارة، وليذهبنَّ ما كنا نصيب فيها من المرافق![1] فقال الله عزوجل : « وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله » ، من وجه غير ذلك = « إن شاء » إلى قوله : « وهم صاغرون » ، ففي هذا عِوَض مما تخوَّفتم من قطع تلك الأسواق ، فعوَّضهم الله بما قطع عنهم من أمر الشرك ، ما أعطاهم من أعناق أهلِ الكتاب مِن الجزية .[2]

* * *

وأما قوله : « إن الله عليم حكيم » ، فإن معناه : « إن الله عليم » ، بما حدثتكم به أنفسكم ، أيها المؤمنون، من خوف العيلة عليها، بمنع المشركين من أن يقربوا

---

(١) في المطبوعة : « فنزل : وإن خفتم » ، ولم تكن « فنزل » في المخطوطة ، سها الكاتب وتجاوز ما كان ينقل منه ، وأثبته من نص ابن إسحق في سيرة ابن هشام .

(٢) الأثر : ١٦٦١٥ – سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٢ ، ١٩٣ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٥٥٦ .

المسجد الحرام ، وغير ذلك من مصالح عباده = « حكيم » ، فى تدبيره إياهم ، وتدبير جميع خلقه .[١]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ (٢٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسوله صلى الله عليه وسلم : « قاتلوا » ، أيها المؤمنون ، القومَ = « الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر » ، يقول : ولا يصدّقون بجنّة ولا نار[٢] = « ولا يحرّمون ما حرَّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق » ، يقول : ولا يطيعون الله طاعة الحقّ ، يعنى أنَّهم لا يطيعون طاعةَ أهلِ الإسلام[٣] = « من الذين أوتوا الكتاب » ، وهم اليهود والنصارَى .

* * *

وكل مطيع ملكاً وذا سلطانٍ ، فهو دائنٌ له . يقال منه : « دان فلان لفلان فهو يدين له ، دِيناً » ، قال زهير :

لَئِنْ حَلَلْتَ بِجَوٍّ فِى بَنِى أَسَدٍ ... فِى دِينِ عَمْرٍو وَحَالَتْ بَيْنَنَا فَدَكُ[٤]

* * *

---

(١) انظر تفسير « عليم » و « حكيم » فيما سلف من فهارس اللغة (علم) ، (حكم) .

(٢) انظر تفسير « اليوم الآخر » فيما سلف من فهارس اللغة (أخر) .

(٣) انظر تفسير « الدين » فيما سلف ١ : ٣/١٥٥ : ٩/٥٧١ : ٥٢٢ .

(٤) ديوانه : ١٨٣ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٨٦ ، من قصيدة من جيد الكلام ،

وقوله : « من الذين أوتوا الكتاب »، يعنى الذين أعطوا كتاب الله ،[1] وهم أهل التوراة والإنجيل = « حتى يعطوا الجزية » .

* * *

و « الجزية »، الفِعْلة من : « جزى فلان فلاناً ماعليه »، إذا قضاه، « يجزيه »، و « الجِزْية » مثل « القِعْدة » و « الجِلْسة » .

* * *

ومعنى الكلام : حتى يعطوا الخراجَ عن رقابهم ، الذى يبذلونه للمسلمين دَفْعاً عنها .

* * *

وأما قوله : « عن يد » ، فإنه يعنى : من يده إلى يد من يدفعه إليه .

* * *

وكذلك تقول العرب لكل معطٍ قاهرًا له، شيئاً طائعاً له أو كارهاً : «أعطاه عن يده ، وعن يد » . وذلك نظير قولهم : « كلمته فماً لفمٍ » ، و « لقيته كَفَّةً

أنذر بها الحارث بن ورقاء الصيداوى ، من بنى أسد ، وكان أغار على بنى عبد الله بن غطفان ، فغنم ، واستاق إبل زهير ، وراعيه يساراً :

يَا حَارِ ، لاَ أُرْمَيَنْ مِنكُمْ بِدَاهِيَةٍ ... لَمْ يَلْقَهَا سُوقَةٌ قَبْلِى ولا مَلِكُ
فَارْدُدْ يَسَاراً ، وَلاَ تَعْنُفْ عَلَىَّ وَلاَ ... تَمْعَكْ بِعِرْضِكَ إن الغَادِرَ المَعِكُ
وَلاَ تَكُونَنْ كَأَقْوَامٍ عَلِمْتُهُمُ ... يَلْوُونَ ما عِنْدَهُمْ حَتَّى إذَا نُهِكوا
طَابَتْ نُفُوسُهُمُ عن حَقِّ خَصْمِهِمُ ... مَخَافَةَ الشَّرِّ ، فَارْتَدُّوا لِمَا تَرَكُوا
تَعَلَّمَنْ : هاَ ، لَعَمْرُ اللهِ ذَا ، قَسَماً ... فَاقْصِدْ بِذَرْعِكَ ، وَانْظُرْ أَيْنَ تَنْسَلِكُ
لَئِنْ حَلَلْتَ . . . . . .
لَيَأْتِيَنَّكَ مِنِّى مَنْطِقٌ قَذَعٌ ... بَاقٍ ، كما دَنَّسَ القُبْطِيَّةَ الوَدَكُ

« جو » اسم لمواضع كثيرة فى الجزيرة ، وهذا « الجو » هنا فى ديار بنى أسد . و « عمرو » ، هو : « عمرو بن هند بن المنذر بن ماء السماء» ، و « فدك » قرية مشهورة بالحجاز ، لها ذكر فى السير كثير .

(١) انظر تفسير « الإيتاء » فيما سلف من فهارس اللغة (أتى) .

لكَفَّةٍ » ، [1] وكذلك : « أعطيته عن يدٍ ليد » .

* * *

وأما قوله : « وهم صاغرون » ، فإن معناه : وهم أذلاّء مقهورون .

* * *

يقال للذليل الحقير : « صاغر » .[2]

* * *

وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمره بحرب الروم ، فغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نُزولها غزوة تبوك .

• ذكر من قال ذلك :

١٦٦١٦ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » ، حين أمر محمدٌ وأصحابه بغزوة تبوك .

١٦٦١٧ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

* * *

واختلف أهل التأويل فى معنى « الصغار » ، الذى عناه الله فى هذا الموضع .

فقال بعضهم : أن يعطيها وهو قائمٌ ، والآخذ جالسٌ .

• ذكر من قال ذلك :

١٦٦١٨ — حدثنى عبد الرحمن بن بشر النيسابورى قال، حدثنا سفيان ، عن أبى سعد ، عن عكرمة : « حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » ، قال : ٧٨/١٠

---

(١) يقال : « لقيته كفة كفة » (بفتح الكاف ، ونصب التاء) ، إذ استقبلته مواجهته ، كأن كل واحد منهما قد كف صاحبه عن مجاوزته إلى غيره ومنعه. وانظر تفصيل ذلك فى مادته فى لسان العرب (كفف) .

(٢) انظر تفسير « الصغار » فيما سلف ١٣ : ٢٢ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

أى تأخذها وأنت جالس ، وهو قائم .(١)

* * *

وقال آخرون : معنى قوله : « حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » ، عن أنفسهم ، بأيديهم يمشون بها ، وهم كارهون . وذلك قولٌ رُوى عن ابن عباس ، من وجهٍ فيه نظر .

* * *

وقال آخرون : إعطاؤهم إياها ، هو الصغار .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (٣٠)

قال أبو جعفر : واختلف أهل التأويل فى القائل : « عزير ابن الله » .

فقال بعضهم : كان ذلك رجلاً واحداً ، وهو فِنْحاص .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٦١٩ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير قوله : « وقالت اليهود عزير ابن الله » ، قال : قالها رجل واحد ، قالوا : إن اسمه فنحاص . وقالوا : هو الذى قال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ ، [سورة آل عمران : ١٨١] .

* * *

---

(١) الأثر : ١٦٦١٨ — « عبد الرحمن بن بشر بن الحكم النيسابورى » ، شيخ الطبرى ، ثقة ، من شيوخ البخارى ، مضى برقم : ١٣٨٠٥ .

وفى المطبوعة : « عن ابن سعد » ، وهو خطأ ، خالف ما فى المخطوطة وانظر « أبا سعد » فى فهرس الرجال .

وقال آخرون : بل كان ذلك قول جماعة منهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٦٢٠ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا يونس بن بكير قال ، حدثنا محمد بن إسحق قال ، حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال ، حدثني سعيد بن جبير ، أو عكرمة، عن ابن عباس قال : أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سَلاّمُ بن مشكم ،ونعمانُ بن أوفى ،[1] وشأسُ بن قيس ،ومالك بن الصَّيف ، فقالوا : كيف نتّبعك وقد تركت قِبْلتنا ، وأنت لا تزعم أنّ عزيراً ابن الله؟فأنزل الله في ذلك من قولهم : « وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله » ، إلى : « أنى يؤفكون » .[2]

١٦٦٢١ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وقالت اليهود عزير ابن الله » وإنما قالوا : « هو ابن الله » ، من أجل أن عُزَيراً كان في أهل الكتاب ، وكانت التوراة عندهم ، فعملوا بها ما شاء الله أن يعملوا ،[3] ثم أضاعوها وعملوا بغير الحق ، وكان التّابوت فيهم . فلما رأى الله أنهم قد أضاعوا التوراة وعملوا بالأهواء، رفع الله عنهم التابوت ، وأنساهُم التوراة ، ونسخها من صدورهم ، وأرسل الله عليهم مرضاً ، فاستطلقت بطونهم حتى جعل الرجل يمشي كبدُه ، حتى نسوا التوراة ، ونسخت من صدورهم ، وفيهم عزير . فمكثوا ما شاء الله أن يمكثُوا بعد ما نسخت التوراة من صدورهم ، وكان عزير قبلُ من علمائهم ، فدعا عزيرٌ الله ، وابتهل إليه أن يردّ إليه الذي نسخَ من صدره من التوراة . فبينما هو يصلي مبتهلاً إلى الله ، نزل نورٌ من الله فدخل جَوْفه ، فعاد إليه الذي كان ذهبَ من جوفه من

---

(١) في سيرة ابن هشام : « ونعمان بن أوفى أبو أنس ، ومحمود بن دحية ، وشأس . . . » .

(٢) الأثر : ١٦٦٢٠ – سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٩ .

(٣) في المطبوعة : « يعملون بها ما شاء الله » ، وأثبت ما في المخطوطة .

التوراة ، فأذّن فى قومه فقال : يا قوم، قد آتانى الله التوراةَ وردّها إلىّ ! فعلقَ بهم يعلمهم ،[١] فمكثوا ما شاء الله وهو يعلمهم . ثم إنّ التابوت نزل بعد ذلك وبعد ذهابه منهم ، فلما رأوا التابوت عرَضوا ما كان فيه على الذى كان عزير يعلّمهم ، فوجدوه مثله ، فقالوا : والله ما أوتى عزير هذا إلا أنه ابن الله ! !

١٦٦٢٢ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط ، عن السدّى : « وقالت اليهود عزير ابن الله » ، إنما قالت ذلك ، لأنهم ظهرت عليهم العمالقة فقتلوهم ، وأخذوا التوراة ، وذهب علماؤهم الذين بقُوا، وقد دفنوا كتب التوراة فى الجبال .[٢] وكان عزير غلاماً يتعبّد فى رؤوس الجبال ، لا ينزل إلا يوم عيد . فجعل الغلام يبكى ويقول : « ربِّ تركتَ بنى إسرائيل بغير عالم » ! فلم يزل يبكى حتى سقطت أشْفارُ عينيه ، فنزل مرة إلى العيد ، فلما رجع إذا هو بامرأة قد مثلتْ له عند قبر من تلك القبور تبكى وتقول : « يا مطعماه ، ويا كاسياه » ! فقال لها ، ويحك ، من كان يطعمك أو يكسوك أو يسقيك أو ينفعك قبل هذا الرجل ؟[٣] قالت : الله ! قال : فإنّ الله حى لم يمت ! قالت : ٧٩/١٠
يا عزير ، فمن كان يعلّم العلماء قبلَ بنى إسرائيل؟ قال : الله ! قالت : فلم تبكى عليهم ؟ فلما عرف أنه قد خُصِم ،[٤] ولّى مدبراً ، فدعته فقالت : يا عزير ، إذا أصبحت غداً فأت نهر كذا وكذا فاغتسل فيه، ثم اخرج فصلِّ ركعتين ،

---

(١) فى المطبوعة : « فعلق يعلمهم » ، وفى المخطوطة « فعلق به يعلمهم » ، ورجحت صواب ما أثبت . يقال : « علقت أفعل كذا » بمعنى : طفقت . من قولهم : « علق بالشىء » ، إذا لزمه ، قال يزيد بن الطثرية :

عَلِقْنَ حَوْلِى يَسْأَلْنَ القِرَى أُصُلاً وليسَ يَرْضَيْنَ مِنِّى بالمعَاذِيرِ

بمعنى : طفقن (انظر طبقات فحول الشعراء : ٥٨٧ ، تعليق : ٤) .

(٢) فى المطبوعة : « فدفنوا » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة ، جعلها جميعاً بالواو على العطف ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٤) « خصم » ، أى : غلب فى الخصام والحجاج .

فإنه يأتيك شيخٌ ، فما أعطاك فخُذْه . فلما أصبح انطلق عزيرٌ إلى ذلك النهر ، فاغتسل فيه ، ثم خرج فصلى ركعتين . فجاء الشيخُ فقال : افتح فمك ! ففتح فمه ، فألقى فيه شيئاً كهيئة الجمرة العظيمة ، مجتمع كهيئة القوارير ، ثلاث مرار .[1] فرجع عزير وهو من أعلم الناس بالتوراة ، فقال : يا بنى إسرائيل ، إنى قد جئتكم بالتوراة ! فقالوا : يا عزيز ، ما كنت كذّاباً ! فعمد فربط على كل إصبع له قلماً ، وكتب بأصابعه كلها ، فكتب التوراة كلّها . فلما رجعَ العلماء ، أخبروا بشأن عزير ، فاستخرج أولئك العلماء كُتبهم التى كانوا دفنوها من التوراة فى الجبال ، وكانت فى خوابٍ مدفونة ،[2] فعارضوها بتوراة عزير ، فوجدوها مثلها ، فقالوا : ما أعطاك الله هذا إلا أنك ابنه !

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة أهل المدينة وبعض المكيين والكوفيين : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ ﴾ ، لا ينونون « عزيرًا » .

* * *

وقرأه بعض المكيين والكوفيين : ﴿ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾ ، بتنوين « عزير » قال : هو اسم مجْرًى وإن كان أعجميًّا ، لخفته . وهو مع ذلك غير منسوب إلى الله ، فيكون بمنزلة قول القائل : « زيدٌ ابن عبد الله » ، وأوقع « الابن » موقع الخبر . ولو كان منسوباً إلى الله لكان الوجه فيه ، إذا كان الابن خبرًا ، الإجراء ، والتنوين ، فكيف وهو منسوب إلى غير أبيه ؟ وأما من ترك تنوين « عزير » فإنه لما كانت الباء من « ابن » ، ساكنة مع التنوين الساكن ، والتقى ساكنان ، فحذف الأول منهما استثقالاً لتحريكه ، قال الراجز :[3]

---

(١) فى المطبوعة : « مجتمعاً » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، والدر المنثور . وهذا الموضع من الخبر ، يحتاج إلى نظر فى صحته ومعناه .

(٢) « خوابى » جمع « خابية » ، وهى الجرة الكبيرة .

(٣) لم أعرف قائله .

لَتَجِدَنِّي بِالأَمِيرِ بَرًّا وَبِالْقَنَاةِ مِدْعَسًا مِكَرًّا
إِذَا غُطَيْفُ السُّلَمِيُّ فَرًّا(١)

فحذف النون للساكن الذى استقبلها .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك، قراءةُ من قرأ : ﴿ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ ، بتنوين « عزير » ، لأن العرب لا تنون الأسماء إذا كان «الابن» نعتاً للاسم، [وتنونه إذا كان خبرًا] ، كقولهم : « هذا زيدٌ ابن عبد الله » ، فأرادوا الخبر عن «زيد» بأنه « ابن عبد الله » ،(٢) ولم يريدوا أن يجعلوا «الابن» له نعتاً و « الابن » فى هذا الموضع خبر لـ «عزير» ، لأن الذين ذكر الله عنهم أنهم قالوا ذلك ، إنما أخبروا عن «عزير» ، أنه كذلك ، وإن كانوا بقيلهم ذلك كانوا كاذبين على الله مفترين .

* * *

= « وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل » ، يعنى قول اليهود : « عزير ابن الله » . يقول : يُشْبه قول هؤلاء فى الكذب على الله والفرية عليه ونسبتهم المسيح إلى أنه لله ابنٌ ، كذِبَ اليهود وفريتهم على الله فى نسبتهم عزيراً إلى أنه لله ابن ،(٣) ولا ينبغى أن يكون لله ولدٌ سبحانه ،

---

(١) نوادر أبى زيد : ٩١ ، معانى القرآن للفراء ١ : ٤٣١ . اللسان (صهب) ، (دعص) ، (دعص) ، وغيرها ، وقبله فى النوادر :

جاءوا يجرُّونَ الحديدَ جَرًّا صُهْبَ السِّبالِ يَبتغونَ الشرَّا

وفى النوادر : « يجرون السود » ، وهذه رواية غيره .

(٢) هذه الجملة كانت فى المخطوطة هكذا : « لأن النون العرب من الأسماء إذا كان الابن نعتاً للاسم ، كقولهم : هذا زيد بن عبد الله ، فأرادوا الخبر عن زيد بأنه ابن الله » . وهو كلام مضطرب غاية الاضطراب .

وصححها فى المطبوعة هكذا : « لأن العرب لا تنون الأسماء ، إذا كان الابن نعتاً للاسم ، كقولهم : هذا زيد بن عبد الله ، فأرادوا الخبر عن عزير بأنه ابن الله » ، وهو أيضاً مضطرب .

فأبقيت تصحيح الناشر الأول فى صدر الجملة ، ثم صححت سائر الكلام بما يوافق المخطوطة ، ثم زدت فيه ما بين القوسين ، حتى يستقيم الكلام على وجه مرضى بعض الرضى . ولا أشك أن الناسخ قد أسقط قدراً من كلام أبى جعفر .

(٣) فى المطبوعة : « نسبة قول هؤلاء . . . ككذب اليهود وفريتهم » ، أخطأ فى قراءة

بل له ما فى السموات والأرض كلٌّ له قانتون .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٦٢٣ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « يضاهئون قول الذين كفروا من قبل » ، يقول : يُشبِّهون .

١٦٦٢٤ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يضاهئون قول الذين كفروا من قبل »، ضاهت النصارى قول اليهود قبلهم .

١٦٦٢٥ – حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدّى : « يضاهئون قول الذين كفروا من قبل » ، النصارى يضاهئون قول اليهود فى « عزير » .

١٦٦٢٦ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا حجاج، عن ابن جريج : «يضاهئون قول الذين كفروا من قبل» ، يقول : النصارى، يضاهئون قول اليهود . ٨٠/١٠

١٦٦٢٧ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « يضاهئون قول الذين كفروا من قبل » ، يقول : قالوا مثل ما قال أهل الأوثان .

* * *

وقد قيل : إن معنى ذلك : يحكون بقولهم قولَ أهل الأوثان،[1] الذين قالوا : « اللات، والعزّى ، ومناة الثالثة الأخرى » .[2]

* * *

« يشبه » ، فجعلها « نسبة » ، ثم زاد فى « كذب » كافاً أخرى فى أولها ، ليستقيم الكلام ، فلم يستقم . وقوله : « كذب » مفعول قوله : « يشبه » . وذلك معنى « المضاهأة » كما سيأتى .

(١) فى المطبوعة : « أهل الأديان » ، والصواب ما أثبت من المخطوطة .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٣٣ .

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة الحجاز والعراق :﴿ يُضَاهُونَ ﴾ ، بغير همز .

* * *

وقرأه عاصم : ﴿ يُضَاهِئُونَ ﴾ ، بالهمز ، وهى لغة لثقيف .

* * *

وهما لغتان ، يقال : « ضاهيته على كذا أضاهيه مضاهاة » ، و« ضاهأته عليه مُضَأهاة » ، إذا مالأته عليه وأعنته .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءَة فى ذلك ترك الهمز ، لأنها القراءة المستفيضة فى قرأة الأمصار ، واللغة الفصحى .

* * *

وأما قوله : « قاتلهم الله » ، فإن معناه ، فيما ذكر عن ابن عباس ، ما : —

١٦٦٢٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « قاتلهم الله » ، يقول : لعنهم الله . وكل شىء فى القرآن « قتل » ، فهو لعن .

* * *

وقال ابن جريج فى ذلك ما : —

١٦٦٢٩ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « قاتلهم الله » ، يعنى النصارى ، كلمةٌ من كلام العرب .(١)

* * *

فأما أهل المعرفة بكلام العرب فإنهم يقولون : معناه : قتلهم الله . والعرب تقول : « قاتعك الله » ، و« قاتعها الله » ، بمعنى : قاتلك الله . قالوا : و« قاتعك الله » أهون من « قاتله الله » .

وقد ذكروا أنهم يقولون : «شاقاه الله ما تاقاه » ، يريدون : أشقاه الله ما أبقاه .

---

(١) يعنى أنها كلمة تقولها العرب ، لا تريد بها معنى « القتل » ، كقولهم : « تربت يداك » ، لا يراد بها وقوع الأمر .

قالوا : ومعنى قوله : « قاتلهم الله » ، كقوله : ﴿ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴾ ، [سورة الذاريات : ١٠] ، و ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴾ ، [سورة البروج : ٤] ، واحدٌ هو بمعنى التعجب .

* * *

فإن كان الذى قالوا كما قالوا ، فهو من نادر الكلام الذى جاء على غير القياس ، لأنّ « فاعلت » لا تكاد أن تجيء فعلاً إلا من اثنين ، كقولهم : « خاصمت فلاناً » ، و « قاتلته » ، وما أشبه ذلك . وقد زعموا أن قولهم : « عافاك الله » منه ، وأن معناه : أعفاك الله ، بمعنى الدعاء لمن دعا له بأن يُعْفيه من السوء .

* * *

وقوله : « أنى يؤفكون » ، يقول : أىَّ وجه يُذْهبُ بهم ، ويحيدون؟ وكيف يصدُّون عن الحق ؟ وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى قبل.(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٣١)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : اتخذ اليهود أحبارهم ، وهم العلماء .

* * *

وقد بينت تأويل ذلك بشواهده فيما مضى من كتابنا هذا قبل . واحدهم « حَبْرٌ » ، و « حِبْرٌ » بكسر الحاء منه وفتحها .(٢)

وكان يونس الجرمى ، (٣) فيما ذكر عنه ، يزعم أنه لم يسمع ذلك إلا « حِبْر »

---

(١) انظر تفسير « الإفك » فيما سلف ١٠ : ١١/٤٨٦ : ٥٥٤ .

(٢) انظر تفسير « الحبر » فيما سلف ٦ : ٥٤٣ ، ١٠/٥٤٤ : ٣٤١ ، ٤٤٨ .

(٣) « يونس الجرمى » ، انظر ما سلف ١٠ : ١٢٠ ، تعليق : ١١/١ : ٥٤٤ ، تعليق : ٣ / ١٣ : ١٢٩ ، تعليق : ٣ = ١٣٨ ، تعليق : ٤

بكسر الحاء . ويحتج بقول الناس : « هذا مِدَادُ حِبْرٍ » ، يراد به مدادُ عالم .
وذكر الفرَّاء أنه سمعه « حِبْرًا » ، و « حَبْراً » بكسر الحاء وفتحها .

* * *

= والنصارى « رهبانهم » ،[1] وهم أصحاب الصوامع وأهل الاجتهاد فى دينهم منهم ،[2] كما : —

١٦٦٣٠ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سلمة ، عن الضحاك ، « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم » ، قال : قُرَّاءهم وعلماءهم .

* * *

= « أربابًا من دون الله » ، يعنى : سادةً لهم من دون الله ،[3] يطيعونهم فى معاصى الله ، فيحلون ماأحلُّوه لهم مماقد حرَّمه الله عليهم ، ويحرِّمون ما يحرِّمونه عليهم مما قد أحلَّه الله لهم ، كما : —

١٦٦٣١ — حدثنى الحسين بن يزيد الطحّان قال ، حدثنا عبد السلام بن حرب الملائى ، عن غطيف بن أعين ، عن مصعب بن سعد ، عن عدى بن حاتم قال : انتهيتُ إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ فى « سورة براءة » : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » ، فقال : أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ، ولكن كانوا يحلّون لهم فيُحلُّون .[4]

---

(١) قوله : « والنصارى ، ورهبانهم » هذا معطوف على قوله آنفاً : « اتخذ اليهود أحبارهم » .
(٢) انظر تفسير « الرهبان » فيما سلف ١٠ : ٥٠٢ ، ٥٠٣ .
(٣) انظر تفسير « الرب » فيما سلف ١ : ١٤٢ / ١٢ : ٢٨٦ ، ٤٨٢
(٤) الأثر : ١٦٦٣١ — حديث « عدى بن حاتم الطائى » ، رواه أبو جعفر من ثلاث طرق متابعة ، كلها من طريق عبد السلام بن حرب ، عن غطيف بن أعين ، من ١٦٦٣١ — ١٦٦٣٣ .
« الحسين بن يزيد السبيعى الطحان » ، شيخ الطبرى ، وثقه ابن حبان ، ولين حديثه أبو حاتم ، مضى برقم : ٢٨٩٢ ، ٧٨٦٣ ، ٩١٥٣ . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « الحسن بن يزيد » ، وهو خطأ .

١٦٦٣٢ – حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ، حدثنا مالك بن إسمعيل = وحدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد = جميعاً ، عن عبد السلام ابن حرب قال ، حدثنا غطيف بن أعين ، عن مصعب بن سعد ، عن عدى ابن حاتم قال : أتيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وفى عُنُقى صليبٌ من ذهب ، ٨١/١٠ فقال : يا عدىّ ، اطرح هذا الوثنَ من عنقك ! قال : فطرحته، وانتهيت إليه وهو يقرأ فى « سورة براءة »، فقرأ هذه الآية : « اتخذوا أحبارهم ورُهبانهم أرباباً من دون الله »، قال قلت : يا رسول الله، إنا لسنا نعبدُهم ! فقال : أليس يحرِّمون ما أحلَّ الله فتحرِّمونه ، ويحلُّون ما حرَّم الله فتحلُّونه ؟ قال قلت : بلى ! قال : فتلك عبادتهم ! = واللفظ لحديث أبى كريب .(١)

١٦٦٣٣ – حدثنى سعيد بن عمرو السكونى قال: حدثنا بقية ، عن قيس

و « عبد السلام بن حرب الملائى النهدى » ، الحافظ الثقة ، مضى برقم : ١١٨٤ ، ٥٤٧١ ، ١٢٤٧٨ .

و « غطيف بن أعين الشيبانى الجزرى » أو : « غصيف » وثقه ابن حبان، وقال الترمذى : « ليس بمعروف فى الحديث »، وضعفه الدارقطنى ، مترجم التهذيب ، والكبير ١٠٦/١/٤ ، ولم يذكر فيه جرحاً ، وترجمه ابن أبى حاتم فى « غضيف » بالضاد ، ٥٥/٢/٣ ، ولم يذكر فيه جرحاً . وسيأتى « غضيف » فى رقم : ١٦٦٣٣ .

و « مصعب بن سعد بن أبى وقاص » ، روى عن أبيه ، وعلى ، وعكرمة بن أبى جهل ، وعدى ابن حاتم، وابن عمر . وغيرهم، وروى عن غطيف بن أعين . وهو ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ٩٨٤١ ، ١١٤٥٠ .

وهذا الخبر مختصر الذى يليه ، فراجع التخريج التالى .

ورواه الترمذى من هذه الطريق نفسها عن الحسين بن يزيد الكوفى الطحان فى كتاب التفسير ، وقال : « هذا حديث حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب . وغطيف بن أعين ، ليس بمعروف فى الحديث » .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٢٣٠ ، وزاد نسبته إلى ابن سعد ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والطبرانى ، وأبى الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقى فى سننه . ولم أجده فى المطبوع من طبقات ابن سعد ، وضل عنى مكانه فى سنن البيهقى .

(١) الأثر : ١٦٦٣٢ – رواه من طريق مالك بن إسماعيل ، عن عبد السلام بن حرب ، بلفظه ، البخارى فى الكبير ١٠٦/١/٤ . وانظر التخريج السالف .

ابن الربيع ، عن عبد السلام بن حرب النهدي ، عن غضيف ، عن مصعب بن سعد ، عن عدى بن حاتم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ « سورة براءة » ، فلما قرأ : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » ، قلت : يا رسول الله ، إما إنهم لم يكونوا يصلون لهم ! قال : صدقت ، ولكن كانوا يُحلُّون ما حرَّم الله فيستحلُّونه ، ويحرِّمون ما أحلّ الله لهم فيحرِّمونه .

١٦٦٣٤ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ، حدثنا سفيان ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن أبى البختَرى ، عن حذيفة : أنه سئل عن قوله : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » ، أكانوا يعبدونهم ؟ قال : لا ، كانوا إذا أحلُّوا لهم شيئاً استحلوه ، وإذا حرَّموا عليهم شيئاً حرَّموه .

١٦٦٣٥ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن حبيب ، عن أبى البختَرى قال : قيل لأبى حذيفة ، فذكر نحوه = غير أنه قال : ولكن كانوا يحلُّون لهم الحرام فيستحلُّونه ، ويحرِّمون عليهم الحلال فيحرِّمونه .

١٦٦٣٦ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يزيد بن هرون ، عن العوام بن حوشب ، عن حبيب عن أبى البختَرى قال : قيل لحذيفة : أرأيت قول الله : « اتخذوا أحبارهم » ؟ قال : أمَا إنهم لم يكونوا يصومون لهم ولا يصلون لهم ، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلُّوه ، وإذا حرّموا عليهم شيئاً أحله الله لهم حرَّموه ، فتلك كانت رُبوبيَّتهم .

١٦٦٣٧ – . . . . قال ، حدثنا جرير وابن فضيل ، عن عطاء ، عن أبى البختَرى : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » ، قال : انطلقوا

---

(١) الأثر : ١٦٦٣٣ – « غضيف » ، هو « غضيف » بن أعين » ، و « غطيف » ، كما مر فى تخريج الأثر : ١٦٦٣١ . وكان فى المخطوطة : « حصف » وجعلها فى المطبوعة : « غطيف » ، والصواب ما أثبت . كما أشرت إليه فى التعليق المذكور .

إلى حلال الله فجعلوه حراماً ، وانطلقوا إلى حرام الله فجعلوه حلالاً ، فأطاعوهم فى ذلك . فجعل الله طاعتهم عبادتهم . ولو قالوا لهم : « اعبدونا » ، لم يفعلوا .

١٦٦٣٨ — حدثنى الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن أبى البخترى قال : سأل رجل حذيفة فقال : يا أبا عبدالله ، أرأيت قوله : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » ، أكانوا يعبدونهم؟ قال : لا ، كانوا إذا أحلُّوا لهم شيئاً استحلُّوه ، وإذا حرَّموا عليهم شيئاً حرَّموه .

١٦٦٣٩ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن أبى عدىّ ، عن أشعث ، عن الحسن : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً » ، قال : فى الطاعة .

١٦٦٤٠ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » ، يقول : زيَّنُوا لهم طاعتهم .

١٦٦٤١ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » ، قال عبد الله بن عباس : لم يأمروهم أن يسجُدوا لهم ، ولكن أمروهم بمعصية الله فأطاعوهم ، فسمَّاهم الله بذلك أرباباً .

١٦٦٤٢ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن نمير ، عن أبى جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً » ، قال : قلت لأبى العالية : كيف كانت الرُّبوبية التى كانت فى بنى إسرائيل ؟ قال : [لم يسبوا أحبارنا بشىء مضى] ، « ما أمرونا به ائتمرنا ، وما نهونا عنه انتهينا لقولهم » ، وهم يجدون فى كتاب الله ما أمروا به وما نهوا عنه ، فاستنصحوا الرجالَ ، ونبذُوا كتاب الله وراء ظهورهم . ٨٢/١٠

---

(١) هذه الجملة التى وضعتها بين القوسين من المخطوطة ، ولا أدرى ما هى ، ولكنى أثبتها كما جاءت ، فلعل أحداً يجد الخبر فى مكان آخر فيصححه .

١٦٦٤٣ – حدثني بشر بن سويد قال، حدثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي البختري ، عن حذيفة : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » ، قال : لم يعبدوهم ، ولكنهم أطاعوهم في المعاصي .(١)

* * *

وأما قوله : « والمسيح ابن مريم » ، فإن معناه : اتخذوا أحبارهم ورهبانهم والمسيحَ ابن مريم أرباباً من دون الله .

* * *

وأما قوله : « وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً » ، فإنه يعني به : وما أمر هؤلاء اليهود والنصارى الذين اتخذوا الأحبارَ والرهبان والمسيحَ أرباباً ، إلا أن يعبدوا معبوداً واحداً ، وأن يطيعوا إلا ربًّا واحداً ، دون أرباب شتَّى ، وهو الله الذي له عبادة كل شيء ، وطاعةُ كل خلق ، المستحقُّ على جميع خلقه الدينونة له بالوحدانية والربوبية = « لا إله إلا هو » ، يقول تعالى ذكره : لا تنبغي الألوهية إلا للواحد الذي أمر الخلقُ بعبادته ، ولزمت جميع العباد طاعته = « سبحانه عما يشركون » ، يقول : تنزيهاً وتطهيرًا لله عما يُشرك في طاعته وربوبيته ، القائلون : « عزير ابن الله » ، والقائلون : « المسيح ابن الله » ، المتخذون أحبارهم أرباباً من دون الله .(٢)

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (٣٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : يريد هؤلاء المتخذون أحبارَهم ورهبانهم والمسيحَ ابن مريم أرباباً = « أن يطفئوا نور الله بأفواههم» ، يعني : أنهم يحاولون

---

(١) الأثر : ١٦٦٤٣ – « بشر بن سويد » ، لم أجد من يسمى بهذا الاسم ، أخشى أن يكون : « بشر بن معاذ » شيخ الطبري ، عن « سويد بن نصر المروزي » .

(٢) انظر تفسير « سبحان » فيما سلف ١٣ : ١٠٢ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

بتكذيبهم بدين الله الذى ابتعثَ به رسوله، وصدِّهم الناسَ عنه بألسنتهم، أن يبطلوه، وهو النُّور الذى جعله الله لخلقه ضياءً [1] = « ويأبى الله إلا أن يتم نوره » ، يعلو دينُه ، وتظهر كلمته ، ويتم الحقّ الذى بعث به رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم = « ولو كره » إتمامَ الله إياه = «الكافرون»، يعنى : جاحديه المكذِّبين به.

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٦٤٤ – حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى: « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم » ، يقول : يريدون أن يطفئوا الإسلام بكلامهم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۙ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ (٣٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : الله الذى يأبى إلا إتمام دينه ولو كره ذلك جاحدوه ومنكروه = « الذى أرسل رسوله » ، محمداً صلى الله عليه وسلم = « بالهدى » ، يعنى : ببيان فرائض الله على خلقه ، وجميع اللازم لهم [2] = وبدين الحق ، وهو الإسلام = « ليظهره على الدين كله » ، يقول : ليعلى الإسلام على الملل كلها = « ولو كره المشركون » ، بالله ظهورَه عليها .

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فى معنى قوله : « ليظهره على الدين كله » .

---

(١) انظر تفسير « الإطفاء » فيما سلف ١٠ : ٤٥٨ .

(٢) انظر تفسير « الهدى » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) .

فقال بعضهم : ذلك عند خروج عيسى ، حين تصير الملل كلُّها واحدةً .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٦٤٥ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا يحيى بن سعيد القطان قال ، حدثنا شقيق قال ، حدثني ثابت الحدّاد أبو المقدام ، عن شيخ ، عن أبي هريرة في قوله : « ليظهره على الدين كله » ، قال : حين خروج عيسى بن مريم.[1]

١٦٦٤٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن فضيل بن مرزوق قال ، حدثني من سمع أبا جعفر : « ليظهره على الدين كله » ، قال : إذا خرج عيسى عليه السلام ، اتبعه أهل كل دين .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : ليعلمه شرائعَ الدين كلها ، فيطلعه عليها .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٦٤٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله : « ليظهره على الدين كله » ، قال : ليظهر الله نبيّه على أمر الدين كله ، فيعطيه إيّاه كله ، ولا يخفى عليه منه شيء . وكان المشركون واليهود يكرهون ذلك .

* * *

(١) الأثر : ١٦٦٤٥ – « ثابت الحداد » ، « أبو المقدام » هو : « ثابت بن هرمز الكوفي » مضى برقم : ٥٩٦٩ .

القول فى تأويل قوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ ٨٣/١٠

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله ، وأقروا بوحدانية ربهم ، إن كثيراً من العلماء والقُرَّاء من بنى إسرائيل من اليهود والنصارى[١] = « ليأكلون أموال الناس بالباطل » ، يقول : يأخذون الرشى فى أحكامهم ، ويحرّفون كتاب الله ، ويكتبون بأيديهم كتباً ثم يقولون : « هذه من عند الله » ، ويأخذون بها ثمناً قليلاً من سِفْلتهم[٢] = « ويصدُّون عن سبيل الله » ، يقول : ويمنعون من أرادَ الدخول فى الإسلام الدخولَ فيه ، بنهيهم إيّاهم عنه .[٣]

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٦٤٨ — حدثنى محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل » ، أما « الأحبار » ، فمن اليهود . وأما « الرهبان » ، فمن النصارى . وأما « سبيل الله » ، فمحمد صلى الله عليه وسلم .

* * *

---

(١) انظر تفسير « الأحبار » ، و « الرهبان » فيما سلف ص : ٢٠٩ ، تعليق : ٢ ، و ص : ٢٠٨ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير «أكل الأموال بالباطل» فيما سلف ٩ : ٣٩٢ ، تعليق: ١ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الصد » فيما سلف ص : ١٥١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « سبيل الله » فى فهارس اللغة (سبل) .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٣٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل » ، ويأكلها أيضاً معهم « الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » ، يقول : بشّر الكثيرَ من الأحبار والرهبان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ، والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله ، بعذابٍ أليم لهم يوم القيامة ، مُوجع من الله .(١)

* * *

واختلف أهل العلم فى معنى « الكنز » .

فقال بعضهم : هو كل مال وجبت فيه الزكاة ، فلم تؤدَّ زكاته . قالوا : وعنى بقوله : « ولا ينفقونها فى سبيل الله » ، ولا يؤدُّون زكاتها .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٦٤٩ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : كل مال أدّيت زكاته فليس بكنز ، وإن كان مدفوناً . وكل مالٍ لم تؤدَّ زكاته ، فهو الكنز الذى ذكره الله فى القرآن ، يكوى به صاحبه ، وإن لم يكن مدفوناً.(٢)

١٦٦٥٠ — حدثنا الحسن بن الجنيد قال، حدثنا سعيد بن مسلمة قال ، حدثنا إسمعيل بن أمية ، عن نافع ، عن ابن عمر : أنه قال : كل مالٍ أدّيت منه الزكاة فليس بكنز ، وإن كان مدفوناً . وكل مال لم تؤدَّ منه الزكاة ، وإن لم

---

(١) انظر تفسير « أليم » فيما سلف من فهارس اللغة (ألم) .

(٢) الأثر : ١٦٦٤٩ — حديث ابن عمر فى الكنز ، رواه أبو جعفر من طرق ، بألفاظ مختلفة ، موقوفاً على ابن عمر ، وهو الصواب . وإسناد هذا الخبر صحيح إلى ابن عمر .
رواه مالك بمعناه من طريق عبد الله بن دينار ، عن عبد الله بن عمر فى الموطأ : ٢٥٦ .

يكن مدفوناً ، فهو كنز .(١)

١٦٦٥١ – حدثني أبو السائب قال ، حدثنا ابن فضيل ، عن يحيى بن سعيد، عن نافع ، عن ابن عمر قال : أيُّما مالٍ أدّيت زكاته فليس بكنز ، وإن كان مدفوناً في الأرض. وأيُّما مالٍ لم تؤدّ زكاته ، فهو كنز يكوى به صاحبه، وإن كان على وجه الأرض .(٢)

١٦٦٥٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي وجرير ، عن الأعمش ، عن عطية ، عن ابن عمر قال : ما أدّيت زكاته فليس بكنز .(٣)

١٦٦٥٣ – . . . . قال ، حدثنا أبي، عن العمرى ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : ما أدّيت زكاته فليس بكنز ، وإن كان تحت سبع أرَضِين . وما لم تؤدّ زكاته فهو كنز ، وإن كان ظاهراً .(٤)

١٦٦٥٤ – . . . . قال، حدثنا جرير ، عن الشيباني ، عن عكرمة قال : ما أدّيت زكاته فليس بكنز .

---

(١) الأثر : ١٦٦٥٠ – « الحسن بن الجنيد البلخي » ، شيخ الطبري ، ويقال « الحسين » ، مضى برقم : ٨٤٥٨ . وكان في المخطوطة : « الحسين » وأثبت ما في المخطوطة .

و « سعيد بن مسلمة بن هشام بن عبد الملك بن مروان » ، ضعيف الحديث ، مضى برقم : ٨٤٥٨ .

و « إسماعيل بن أمية الأموي » ، مضى برقم : ٢٦١٥ ، ٨٤٥٨ .

وهذا إسناد ضعيف لضعف « سعيد بن مسلمة » .

(٢) الأثر : ١٦٦٥١ – رواه البيهقي في السنن ٤ : ٨٢ ، بنحو هذا اللفظ من طريق ابن نمير ، عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر ، وقال : « هذا هو الصحيح ، موقوف . وكذلك رواه جماعة عن نافع ، وجماعة عن عبيد الله بن عمر . وقد رواه سويد بن عبد العزيز ، وليس بالقوي ، مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

(٣) الأثر : ١٦٦٥٢ – « عطية » ، هو « عطية بن سعد العوفي » ، ضعيف الحديث ، مضى تضعيفه في رقم : ٣٠٥ .

(٤) الأثر : ١٦٦٥٣ – « العمري » ، هو « عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب » ، سلف مراراً . وهذا الإسناد هو الذي أشار إليه البيهقي فيما سلف رقم : ١٦٥٥١ ، في التعليق .

١٦٦٥٥ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدى قال : أما « الذين يكنزون الذهب والفضة » ، فهؤلاء أهل القبلة ، و« الكنز » ، ما لم تؤدّ زكاته وإن كان على ظهر الأرض ، وإن قلّ. وإن كان كثيراً قد أدّيت زكاته ، فليس بكنز .

١٦٦٥٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن جابر قال : قلت لعامر : مالٌ على رَفٍّ بين السماء والأرض لا تؤدَّى زكاته ، أكنز هو؟ قال : يُكْوَى به يوم القيامة .

* * *

وقال آخرون : كل مال زاد على أربعة آلاف درهم فهو كنزٌ ، أدّيت منه الزكاة أو لم تؤدّ .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٦٥٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبى حصين ، عن أبى الضحى، عن جعدة بن هبيرة ، عن على رحمة الله عليه قال : أربعة آلاف درهم فما دونها «نفقة » ، فما كان أكثر من ذلك فهو «كنز» ،[1]

١٦٦٥٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن أبى حصين ، عن أبى الضحى، عن جعدة بن هبيرة ، عن على مثله . ٨٤/١٠

١٦٦٥٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا الشعبى قال ، أخبرنى أبو حصين ، عن أبى الضحى ، عن جعدة بن هبيرة ، عن على رحمة الله عليه فى قوله : « والذين يكنزون الذهب والفضة » ، قال : أربعة آلاف درهم فما دونها نفقة ، وما فوقها كنز .

* * *

---

(١) الأثر : ١٦٦٥٧ – « جعدة بن هبيرة المخزومى » ، تابعى ولد على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو ابن أم هانىء بنت أبى طالب . خاله على رضى الله عنهم . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢٣٨/٢/١ ، وابن أبى حاتم ٥٢٦/١/١ .
وسيأتى بعد من طريقين .

وقال آخرون : « الكنز » كل ما فضل من المال عن حاجة صاحبه إليه .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٦٦٠ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا عبيد الله بن معاذ قال ، حدثنا أبي قال، حدثنا شعبة، عن ابن عبد الواحد: أنه سمع أبا مجيب قال : كان نعل سيف أبي هريرة من فضة ، فنهاه عنها أبو ذر وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من ترك صَفْرَاء أو بيضاء كُوِي بها .(١)

١٦٦٦١ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن الأعمش وعمرو بن مرة ، عن سالم بن أبي الجعد قال : لما نزلت: « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله » ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : تبًّا للذهب ! تبًّا للفضة ! يقولها ثلاثاً ، قال: فشق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالوا : فأيَّ مال نتخذ ؟! فقال عمر : أنا أعلم لكم

---

(١) الأثر : ١٦٦٦٠ – « ابن عبد الواحد » ، يقال : « عبد الله بن عبد الواحد الثقفي » ، ويقال : « فلان بن عبد الواحد ، رجل من ثقيف»، ويقال : « يحيى بن عبد الواحد » ويقال : « عبد الواحد » . مجهول ، وكان في المطبوعة : « عن أنس ، عن عبد الواحد » ، غير فيها وزاد ما لم يكن في المخطوطة .

و « أبو مجيب » ، الشاشي . مجهول .

وهذا الخبر رواه أحمد في مسنده ٥ : ١٦٨ من طريق محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن رجل من ثقيف يقال له فلان بن عبد الواحد قال : سمعت أبا مجيب .

وذكره الحافظ في تعجيل المنفعة : ٥١٨ ، في ترجمة « أبو محمد » . وذكر نص حديث أحمد ثم قال : « وهذا الحديث أخرجه البخاري في كتاب الكنى ، فيما حكاه الحاكم أبو أحمد عنه ، من طريق ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن عبد الله بن عبد الواحد الثقفي ، عن أبي مجيب الشاشي ، فذكره . وحكى الحاكم أنه قيل في اسم هذا الثقفي : يحيى ، وقيل : عبد الواحد . وقال : الاختلاف فيه على شعبة » .

وفي رواية أحمد : « لقي أبو ذر أبا هريرة ، وجعل = أراه قال = قبيعة سيفه فضة » .

و « قبيعة السيف » ، هي التي تكون على رأس قائم السيف . وقيل : هي ما تحت شاربي السيف ، مما يكون فوق الغمد ، فيجيء مع قائم السيف . والشاربان : أنفان طويلان أسفل القائم ، أحدهما من هذا الجانب ، والآخر من هذا الجانب .

وأما « نعل السيف » ، فهو ما يكون في أسفل جفنه من حديدة أو فضة .

ذلك ! فقال : يا رسول الله ، إن أصحابك قد شق عليهم ، وقالوا : فأيَّ المال نتخذ ؟ فقال : لساناً ذاكراً ، وقلباً شاكراً ، وزوجةً تُعين أحدكم على دينه .(١)

١٦٦٦٢ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا إسرائيل ، عن منصور ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن ثوبان ، بمثله .(٢)

١٦٦٦٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري ، عن منصور ، عن عمرو بن مرة ، عن سالم بن أبي الجعد قال : لما نزلت هذه الآية : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله » ، قال المهاجرون : وأيَّ المال نتّخذ ؟ فقال عمر : أسأل النبي صلى الله عليه وسلم عنه ! قال : فأدركته على بعيرٍ فقلت : يا رسول الله ، إن المهاجرين قالوا : فأيَّ المال نتخذه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لساناً ذاكراً ، وقلباً

---

(١) الأثر : ١٦٦٦١ – خبر عمر هذا رواه أبو جعفر من طرق . أولها هذا ، ثم رقم : ١٦٦٦٢ ، ١٦٦٦٣ ، ١٦٦٦٦ .

و « سالم بن أبي الجعد الأشجعي ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً . روى عن عمر ، ولم يدركه . ومن هذا ، هذا الخبر ، ورقم : ١٦٦٦٣ .

فهذا خبر ضعيف ، لانقطاعه . وانظر تخريج الخبر التالي ، وروايته في المسند من طريق عبد الله بن عمرو بن مرة ، عن عمرو بن مرة ، عن سالم ، عن ثوبان .

(٢) الأثر : ١٦٦٦٢ – « سالم بن أبي الجعد » ، عن « ثوبان » ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اشتراه ثم أعتقه .

و « سالم بن أبي الجعد » لم يسمع من ثوبان ، قال أحمد : « لم يسمع سالم من ثوبان ، ولم يلقه . بينهما : معدان بن أبي طلحة . وليست هذه الأحاديث بصحاح » .

وهذا الخبر رواه أحمد في المسند ٥ : ٢٧٨ من طريق إسرائيل ، عن منصور ، عن سالم .

ثم رواه أيضاً ٥ : ٢٨٢ ، من طريق وكيع ، عن عبد الله بن عمرو بن مرة ، عن عمرو ابن مرة ، عن سالم ، عن ثوبان .

ورواه الترمذي في كتاب التفسير ، من طريق عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن منصور ، بنحوه ، وقال : « هذا حديث حسن . سألت محمد بن إسماعيل(البخاري) فقلت له : سالم بن أبي الجعد سمع ثوبان ؟ فقال ! لا ؛ قلت له ، ممن سمع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : سمع من جابر بن عبد الله ، وأنس بن مالك ، وذكر غير واحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم » .

وسيأتي من طريق سالم عن ثوبان برقم : ١٦٦٦٦ .

وانظر تفسير ابن كثير ٤ : ١٥٥ .

شاكراً ، وزوجةً مؤمنةً ، تعين أحدكم على دينه .(١)

١٦٦٦٤ – حدثنا الحسن قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي أمامة قال: توفي رجل من أهل الصُّفَّة، فوُجد في مئزرِه دينارٌ ، فقال رسول اللهصلى الله عليه وسلم : كيَّةٌ ! ثم توفي آخر فوُجد في مئزره ديناران ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : كيَّتان ! (٢)

١٦٦٦٥ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن شهر بن حوشب ، عن صدىّ بن عجلان أبي أمامة قال : مات رجل : من أهل الصُّفَّة ، فوجد في مئزره دينارٌ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيَّةٌ ! ثم توفيّ آخر ، فوجد في مئزره ديناران ، فقال نبي الله : كيَّتان ! (٢)

١٦٦٦٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور، عن سالم، عن ثوبان قال : كنا في سفر ،ونحن نسير مع رسول الله عليه وسلم ، قال المهاجرون: لوددنا أنَّا علمنا أيُّ المال خيرٌ فنتخذه ؟ إذ نزل في الذهب والفضة ما نَزَل! فقال عمر : إن شئتم سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ! فقالوا : أجل !

---

(١) الأثر : ١٦٦٦٣ – انظر تخريج الآثار السالفة .

(٢) الأثران : ١٦٦٦٤ ، ١٦٦٦٥ – « شهر بن حوشب » ، مضى توثيقه مراراً .

فهذا خبر صحيح الإسناد ، رواه أحمد في المسند ٥ : ٢٥٣ ، من طرق ، من طريق سعيد ابن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن شهر . ورواه من طريق روح ، عن معمر ، عن قتادة ، ومن طريق حسين ، عن شيبان ، عن قتادة .

ورواه أيضاً ٥ : ٢٥٢ عن حجاج قال : سمعت شعبة يحدث عن قتادة وهاشم = قال حدثني شعبة أنبأنا قتادة قال : سمعت أبا الحسن يحدث = قال هاشم في حديثه: أبو الجعد مولى لبني ضبيعة ، عن أبي أمامة .

ثم رواه أيضاً ٥ : ٢٥٣ ، من حجاج ، عن شعبة ، عن عبد الرحمن ، من أهل حمص ، من بني العداء ، من كندة ، مختصراً .

وروى أحمد نحوه في حديث علي بن أبي طالب ، بإسناد ضعيف رقم : ٧٨٨ ، ١١٥٥ ، ١١٥٦ ، ١١٥٧ .

وانظر تفسير ابن كثير ٤ : ١٥٨ ، ١٥٩ .

فانطلق ، فتبعته أوضِع على بعيرى ،(١) فقال : يا رسول الله ، إن المهاجرين لما أنزل الله فى الذهب والفضة ما أنزل قالوا: وددنا أنّا علمنا أىُّ المال خير فنتخذه ؟ قال : نعم ! فيتخذ أحدكم لساناً ذاكراً ، وقلباً شاكراً ، وزوجةً تعين أحدَكم على إيمانه .(٢)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصحة ، القولُ الذى ذكر عن ابن عمر : من أن كل مالٍ أدّيت زكاته فليس بكنزٍ يحرُم على صاحبه اكتنازُه وإن كثر = وأنّ كل مالٍ لم تُؤَدَّ زكاته فصاحبه مُعاقب مستحقٌّ وعيدَ الله ، إلا أن يتفضل الله عليه بعفوه وإن قلّ ، إذا كان مما يجبُ فيه الزكاة .

وذلك أن الله أوجب فى خمس أواقٍ من الوَرِق على لسان رسوله رُبع عُشْرها ،(٣) وفى عشرين مثقالاً من الذهب مثل ذلك ، رُبْع عشرها ، فإذ كان ذلك فرضَ الله فى الذهب والفضّة على لسان رسوله ، فمعلومٌ أن الكثير من المال وإن بلغ فى الكثرة ألوفَ ألوفٍ ، لو كان = وإن أدّيت زكاته = من الكنوز التى أوعدَ الله أهلَها عليها العقاب ، لم يكن فيه الزكاة التى ذكرنا من رُبْع العُشْر . لأن ما كان فرضًا إخراجُ جميعِه من المال ، وحرامٌ اتخاذه ، فزكاته الخروجُ من جميعه إلى أهله ، لا رُبع عشُره . وذلك مثلُ المال المغصوب الذى هو حرامٌ على الغاصب إمساكُه ، وفرضٌ عليه إخراجه من يده إلى يده ، التطهُّر منه : ردُّه إلى صاحبه . فلو كان ما زادَ من المال على أربعة آلاف درهم ، أو ما فضل عن حاجة ربِّه التى لا بد منها ، مما يستحق صاحبُه باقتنائه = إذا أدّى إلى أهل السُّهْمان حقوقهم منها من الصدقة = وعيدَ الله ، لم يكن اللازمُ ربَّه فيه رُبْع عشره ، بل كان اللازم له الخروج من جميعه إلى أهله ، وصرفه فيما يجب عليه صرفه ، كالذى ذكرنا

٨٥/١٠

(١) « أوضع الراكب » ، أسرع بدابته إسراعاً دون العدو الشديد .
(٢) الأثر : ١٦٦٦٦ – مكرر الخبر رقم : ١٦٦٦٢ ، وانظر تخريج الأخبار السالفة .
(٣) « الورق » (بكسر الراء) ، الفضة .

من أن الواجب على غاصبِ رجلٍ مالَه ، رَدُّه على ربِّه .

* * *

وبعدُ ، فإن فيما : —

١٦٦٦٧ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور قال ، قال معمر ، أخبرني سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما من رجل لا يؤدِّي زكاةَ ماله ، إلا جُعل يوم القيامة صفائحَ من نار يُكْوَى بها جبينه وجبهته وظهره،[1] في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضى بين الناس ، ثم يرى سبيله ، وإن كانت إبلاً إلاَّ بُطِحَ لها بقاع قرقرٍ،[2] تطؤه بأخفافها = حسبته قال : وتعضه بأفواهها = يردّ أولاها على أخراها ، حتى يقضى بين الناس ، ثم يرى سبيله . وإن كانت غنماً فمثل ذلك ، إلا أنها تنطحه بقُرُونها ، وتطؤُه بأظلافها .[3]

* * *

=وفي نظائر ذلك من الأخبار التي كرهنا الإطالة بذكرها ، الدلالةُ الواضحة على أن الوعيد إنما هو من الله على الأموال التي لم تُؤَدَّ الوظائفُ المفروضةُ فيها لأهلها من الصدقة ، لا على اقتنائها واكتنازها . وفيما بيّنا من ذلك، البيانُ الواضح على أن الآية لخاصٍّ ، كما قال ابن عباس ، وذلك ما : —

١٦٦٦٨ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي

---

(١) في المخطوطة : « جسه » غير منقوطة ، والذي في مسلم : « جنباه وجبينه » والاختلاف في هذه الأحرف ذكرها مسلم في صحيحه ، وأثبت ما في المخطوطة لموافقته لما في مسند أحمد رقم : ٧٧٠٦ .

(٢) « بطح » (بالبناء للمجهول) ، ألقى على وجهه . و « القاع » : الأرض المستوية الفسيحة . و « قرقر » ، هي الصحراء البارزة الملساء .

(٣) الأثر : ١٦٦٦٧ — حديث صحيح . رواه مسلم مطولا في صحيحه ٧ : ٦٧ ، من طريق محمد بن عبد الملك الأموي ، عن عبد العزيز بن المختار ، عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبي صالح . ورواه من طرق أخرى عن أبي صالح ، ومن طرق عن أبي هريرة .

ورواه أحمد في مسنده رقم : ٧٥٥٣ ، مطولا ، وقد استوفى أخي السيد أحمد تخريجه هناك . ثم رواه أيضاً رقم : ٧٧٠٦ ، من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن سهيل بن أبي صالح ، مختصراً ، وفيه : « جبينه وجبهته وظهره » ، فمن أجل ذلك أثبت ما كان في المخطوطة (تعليق : ١) .

قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » ، يقول : هم أهل الكتاب . وقال : هي خاصّة وعامةٌ .

* * *

قال أبو جعفر : يعني بقوله : « هي خاصة وعامة » ، هي خاصة في المسلمين فيمن لم يؤدِّ زكاة ماله منهم ، وعامة في أهل الكتاب ، لأنهم كفار لا تقبل منهم نفقاتهم إن أنفقوا . يدلُّ على صحة ما قلنا في تأويل قول ابن عباس هذا ، ما :—

١٦٦٦٩ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها » إلى قوله : « هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » ، قال : هم الذين لا يؤدُّون زكاة أموالهم . قال : وكل مالٍ لا تؤدَّى زكاته ، كان على ظهر الأرض أو في بطنها ، فهو كنز . وكل مالٍ تؤدَّى زكاته فليس بكنز ، كان على ظهر الأرض أو في بطنها .

١٦٦٧٠ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « والذين يكنزون الذهب والفضة » ، قال : « الكنز » ، ما كنز عن طاعة الله وفريضته ، وذلك « الكنز » . وقال : افترضت الزكاة والصلاة جميعاً لم يفرِّق بينهما .

* * *

قال أبو جعفر : وإنما قلنا : « ذلك على الخصوص » ، لأن « الكنز » ، في كلام العرب : كل شيء مجموع بعضُه على بعضٍ ، في بطن الأرض كان أو على ظهرها ، يدلُّ على ذلك قول الشاعر : (١)

لَا دَرَّ دَرِّيَ إنْ أَطْعَمْتُ نازِلَهُمْ قَرْفَ الحَتِيِّ وعِنْدِي البُرُّ مَكْنُورُ (٢)

---

(١) هو المتنخل الهذلي .

(٢) ديوان الهذليين ٢ : ١٥ ، اللسان (كنز) ، وغيرهما كثير ، وهي أبيات جياد ، وصف فيها جوع الجائع وصفاً لا يبارى ، يقول بعده ، ووصف رجلا ضاقت نفسه ، وشردته البيد :

يعني بذلك : وعندى البرُّ مجموع بعضه على بعض . وكذلك تقول العرب للبدن المجتمع : « مكتنزٌ » ، لانضمام بعضه إلى بعض .

وإذا كان ذلك معنى « الكنز » عندهم ، وكان قوله : « والذين يكنزون الذهب والفضة » ، معناه : والذين يجمعون الذهب والفضة بعضهما إلى بعض ولا ينفقونها فى سبيل الله، وهو عامٌّ فى التلاوة ، ولم يكن فى الآية بيانُ كم ذلك القدر من الذهب والفضّة الذى إذا جمع بعضُه إلى بعض ،[1] استحقّ الوعيدَ=[2] كان معلوماً أن خصوص ذلك إنما أدرك، لوقْف الرسول عليه، وذلك كما بيّنا من أنه المال الذى لم يؤدَّ حق الله منه من الزكاة، دون غيره، لما قد أوضحنا من الدلالة على صحته . ١٠/٨٦

* * *

لَوْ أَنَّهُ جَاءَنِى جَوْعَانُ مُهْتَلِكٌ ... مِنْ بُؤْسِ النَّاسِ ، عَنْهُ الخيرُ مَحْجُوزُ
أَعْيَى وقَصَّرَ لَمَّا فَاتَهُ نَعَمٌ ... يُبَادِرُ اللَّيْلَ بالعَلْيَاءِ مَحْفُوزُ
حَتَّى يَجِئَ ، وَحِنُّ اللَّيْلِ يُوغِلُهُ ... والشَّوْكُ فِى وَضَحِ الرِّجْلَيْنِ مَرْكُوزُ
قَدْ حَالَ دُونَ دَرِيسَيْهِ مُؤَوِّبَةٌ ... نِسْعٌ ، لَهَا بِعِضَاهِ الأَرْضِ تَهْزِيزُ
كَأَنَّمَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَلَبَّتِهِ ... مِنْ جُلْبَةِ الجُوعِ جَيَّارٌ وإِرْزِيزُ
لَبَاتَ أُسْوَةَ حَجَّاجٍ وَإِخْوَتِهِ ... فِى جَهْدِنا ، أَوْ لَهُ شَفٌّ وَتَمْزِيزُ

« القرف » ، ما يقرف عن الشيء ، وهى قشره . و « الحتى » الدوم . يقول : لا أطعمه الخسيس ، والبر عندى مخزون بعضه على بعض .

ثم يقول : ضاعت إبله ، فتقاذفته البيد ، فهو من قلقه يصعد على الروابى يتنور ناراً يقصدها . ثم قال : يدفعه سواد الليل ومخاوفه ، وقد أضناه السير ، فوقع فى أرض ذات شوك ، فعلق به ، لا يكاد ينتشه من شدة ضعفه . ثم يقول : اشتدت ريح الشمال الباردة بالليل = وهى المؤوبة ، والشمال ، هى النسع = فطيرت عنه ثوبيه البالين ، فأخذه الجوع والبرد ، فحمى جوفه من شدة الجوع ، وذلك هو « الجيار » ، واصطكت أسنانه ، وذلك هو « الإرزيز » . ثم يقول : لو جاءنى هذا الجائع المشرد ، لكان بين أهله ، فهو عندى بمنزلة حجاج وإخوته ، وهم أولاد المتنخل ، فى ساعة العسرة ، بل لكان له فضل عليهم = وهو « الشف » = ، ولكان له زيادة وتمييز = وهو « التمزيز » .

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « لم يكن فى الآية » ، بغير واو ، والصواب إثباتها .
(٢) السياق : « وإذا كان ذلك معنى الكنز عندهم . . . كان معلوماً . . . » .

وقد كان بعض الصحابة يقول : هي عامة في كل كنز ، غير أنها خاصّة في أهل الكتاب ، وإياهم عَنَى الله بها .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٦٧١ – حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس قال، حدثنا هشيم قال ، حدثنا حصين ، عن زيد بن وهب قال : مررت بالرَّبَذَة فلقيت أبا ذَرّ ، فقلت : يا أبا ذرّ ، ما أنزلك هذه البلاد ؟ قال : كنت بالشأم ، فقرأت هذه الآية : « والذين يكنزون الذهب والفضة» الآية ، فقال معاوية : ليست هذه الآية فينا ، إنما هذه الآية في أهل الكتاب ! قال : فقلت : إنها لفينا وفيهم ! قال : فارتَفَع في ذلك بيني وبينه القولُ ، فكتب إلى عثمان يشكُوني ، فكتب إليّ عثمان أنْ أقبل إليّ ! قال : فأقبلت ، فلما قدمتُ المدينة ركِبني الناسُ كأنهم لم يروني قبل يومئذ ، فشكوت ذلك إلى عثمان ، فقال لي : تَنَحَّ قريباً . قلت : والله إني لن أدعَ ما كنتُ أقول ![1]

١٦٦٧٢ – حدثنا أبو كريب وأبو السائب وابن وكيع قالوا، حدثنا ابن إدريس قال ، حدثنا حصين ، عن زيد بن وهب قال : مررنا بالربذة ، ثم ذكر عن أبي ذر نحوه .[2]

---

(١) الأثر : ١٦٦٧١ – « أبو حصين » ، « عبد الله بن أحمد بن يونس اليربوعي » ، شيخ الطبري ، ثقة . مضى برقم : ١٢٣٣٦ .

و « حصين » ، هو « حصين بن عبد الرحمن الهذلي » ، ثقة سلف مراراً ، آخرها رقم : ١٢١٩٣ ، ١٢٣٠٤ .

و « زيد بن وهب الجهني » تابعي كبير ، هاجر إلى رسول الله ، ولم يدركه . مضى برقم : ٤٢٢٢ ، ١٦٥٢٧ ، ١٦٥٢٨ .

وهذا الخبر رواه البخاري في صحيحه (الفتح ٣ : ٨/٢١٧ : ٢٤٤) ، أولها من طريق هشيم ، عن حصين ، والثاني من طريق جرير ، عن حصين .

ورواه ابن سعد في الطبقات ١٦٦/١/٤ ، من طريق هشيم ، عن حصين .

وسيرويه أبو جعفر من طريق هشيم أيضاً برقم : ١٦٦٧٤ .

(٢) الأثر : ١٦٦٧٢ – هذا مكرر الذي قبله .

١٦٦٧٣ – حدثني أبو السائب قال، حدثنا ابن إدريس ، عن أشعث وهشام ، عن أبي بشر قال ، قال ، قال أبو ذر : خرجت إلى الشأم ، فقرأت هذه الآية : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله » ، فقال معاوية : إنما هي في أهل الكتاب ! قال فقلت : إنها لفينا وفيهم .(١)

١٦٦٧٤ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حصين ، عن زيد بن وهب قال : مررت بالرَّبَذة ، فإذا أنا بأبي ذر ، قال قلت له : ما أنزلك منزلك هذا ؟ قال : كنت بالشأم ، فاختلفت أنا ومعاوية في هذه الآية : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله » ، قال : فقال: نزلت في أهل الكتاب ! فقلت : نزلت فينا وفيهم = ثم ذكر نحو حديث هشيم ، عن حصين .(٢)

* * *

فإن قال قائل: فكيف قيل : « ولا ينفقونها في سبيل الله » ، فأخرجت « الهاء » و « الألف » مخرج الكناية عن أحدِ النوعين .

قيل : يحتمل ذلك وجهين :

أحدهما : أن يكون « الذهب والفضة » مراداً بها الكنوز ، كأنه قيل : والذين يكنزون الكُنُوز ولا ينفقونها في سبيل الله،لأن الذهب والفضة هي « الكنوز » ، في هذا الموضع .

والآخر : أن يكون استغنى بالخبر عن إحداهما في عائد ذكرهما ، من الخبر عن الأخرى ، لدلالة الكلام على أنّ الخبر عن الأخرى مثل الخبر عنها ، وذلك كثير موجود في كلام العرب وأشعارها ، ومنه قول الشاعر :(٣)

---

(١) الأثر : ١٦٦٧٣ – « أبو بشر » ، هو : « جعفر بن أبي وحشية » ، مضى مراراً . وهو إسناد منقطع .

(٢) الأثر : ١٦٦٧٤ – هو مكرر الأثر السالف رقم : ١٦٦٧١ ، انظر تخريجه هناك .

(٣) هو عمرو بن امرئ القيس ، من بني الحارث بن الخزرج ، جد عبد الله بن رواحة ، جاهلي قديم .

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ ، وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفُ (١)

فقال : « راض » ، ولم يقل : « راضون » ، وقال الآخر :(٢)

إِنَّ شَرْخَ الشَّبَابِ وَالشَّعَرَ الأَسْـ ـوَدَ مَا لَمْ يُعَاصَ كَانَ جُنُونَا (٣)

فقال : « يعاص » ، ولم يقل : « يعاصيا » فى أشياء كثيرة . ومنه قول الله : ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾، [سورة الجمعة: ١١]، ولم يقل « إليهما ».

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ (٣٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فبشر هؤلاء الذين يكنزون الذهب والفضة ، ولا يخرجون حقوق الله منها ، يا محمد ، بعذاب أليم = « يوم يحمى عليها فى نار جهنم » ، فـ « اليوم » من صلة « العذاب الأليم » ، كأنه قيل : يبشرهم بعذاب أليم ، يعذبهم الله به فى يوم يحمى عليها .

---

(١) جمهرة أشعار العرب : ١٢٧ ، سيبويه ١ : ٣٧ ، ٣٨ (منسوباً لقيس بن الخطيم ، وهو خطأ) ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٤٣٤ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٥٨، الخزانة ٢ : ١٩٠ ، وغيرها ، ومضى بيت منها ٢ : ٢١ ، وسيأتى فى التفسير ٢٢ : ٢٦/٦٨ : ٩٩ (بولاق) من قصيدة قالها لمالك بن العجلان النجارى ، فى خبر طويل ، يقول له :

يا مَالِ ، والسَّيِّدُ المُعَمَّمُ قَدْ يَطْرَأُ فى بَعْضِ رأيِهِ السَّرَفُ
خالَفْتَ فِى الرأيِ كلَّ ذِى فَخَرٍ والحقُّ ، يا مَالِ ، غيرُ مَا تَصِفُ

(٢) هو حسان بن ثابت .

(٣) ديوانه : ٤١٣ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٥٨ ، والكامل ٢ : ٧٩ ، واللسان (شرخ) ، و « الشرخ » : الحد ، أى غاية ارتفاعه، يعنى بذلك : أقصى قوته ونضارته وعنفوانه .

٨٧/١٠ ويعنى بقوله : « يحمى عليها » ، تدخل النار فيوقد عليها ، أى : على الذهب والفضة التى كنزوها = « فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم » .

* * *

وكل شىء أدخل النار ، فقد أحمى إحماءً ، يقال منه : « أحميت الحديدة فى النار أحميها إحماءً » .

* * *

وقوله : « فتكوى بها جباههم » ، يعنى بالذهب والفضة المكنوزة ، يحمى عليها فى نار جهنم ، يكوى الله بها . يقول : يحرق الله جباهَ كانزيها وجنوبَهم وظهورهم = « هذا ما كنزتم » ، ومعناه : ويقال لهم : هذا ما كنزتم فى الدنيا ، أيها الكافرون الذين منعوا كنوزهم من فرائض الله الواجبة فيها لأنفسكم = « فذوقوا ما كنتم تكنزون » ، يقول : فيقال لهم : فاطعَمُوا عذاب الله بما كنتم تمنعون من أموالكم حقوقَ الله وتكنزونها مكاثرةً ومباهاةً .(١)

وحذف من قوله : « هذا ما كنزتم » « ويقال لهم » ، لدلالة الكلام عليه .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٦٧٥ — حدثنى يعقوب قال ، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا أيوب ، عن حميد بن هلال قال : كان أبو ذر يقول : بشّر الكنّازين بكىّ فى الجباه ، وكىٍّ فى الجنوب ، وكىٍّ فى الظهور ، حتى يلتقى الحرُّ فى أجوافهم .(٢)

---

(١) انظر تفسير « ذاق » فيما سلف ص : ١٥ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

(٢) الأثر : ١٦٦٧٥ — « حميد بن هلال العدوى » ، ثقة ، متكلم فيه ، لأنه دخل فى عمل السلطان . وقال البزار فى مسنده : لم يسمع من أبى ذر . ومات حميد فى ولاية خالد بن عبد الله القسرى على العراق . مضى برقم : ١٣٧٦٨ .

١٦٦٧٦ — . . . . قال ، حدثنا ابن علية، عن الجريرى ، عن أبى العلاء ابن الشخير ، عن الأحنف بن قيس قال: قدمت المدينة ، فبينا أنا فى حَلْقَة فيها ملأ من قريش ، إذ جاء رجل أخشن الثياب ، أخشن الجسد، أخشن الوجه ،(١) فقام عليهم فقال: بشِّر الكنازين برضْفٍ يحمى عليه فى نار جهنم،(٢) فيوضع على حَلَمة ثدْى أحدهم حتى يخرج من نُغْضِ كتفه، ويوضع على نُغْضِ كتفه ،(٣) حتى يخرج من حَلَمة ثدييه، يتزلزل .(٤) قال : فوضع القوم رؤوسهم ، فما رأيت أحداً منهم رجع إليه شيئاً . قال : وأدبر ، فاتّبعته ، حتى جلس إلى ساريةٍ ، فقلت: ما رأيت هؤلاء إلاّ كرهوا ما قُلْت ! فقال: إن هؤلاء لا يعقلون شيئاً .(٥)

١٦٦٧٧ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا الحكم قال ، حدثنى عمرو بن قيس ، عن عمرو بن مرة الجملى ، عن أبى نصر ، عن الأحنف بن قيس قال : رأيت فى مسجد المدينة رجلاً غليظ الثياب ، رثّ الهيئة ، يطوف فى الحِلَق وهو يقول : بشر أصحاب الكنوز بكىٍّ فى جنوبهم ، وكى فى جباههم ، وكىٍّ فى

---

(١) فى المطبوعة : « خشن » فى المواضع الثلاث ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو المطابق لرواية مسلم . « الخشن » و « الأخشن » ، والأنثى « خشنة » و « خشناء » ، من الخشونة ، وهو الأحرش من كل شىء . ويقال : « رجل أخشن ، خشن » .

(٢) « الرضف » (بفتح فسكون) : الحجارة المحماة على النار ، والعرب يوغرون بها اللبن ، ويشوون عليها اللحم .

(٣) « نغض الكتف » (بضم فسكون ، أو فتح فسكون) و « ناغض الكتف » : هو عند أعلى الكتف ، عظم رقيق على طرفه ، ينغض إذا مشى الماشى ، أى يتحرك .

(٤) « يتزلزل » ، أى يتحرك ويضطرب ، كأنه يزل مرة بعد أخرى ، يقول : يضطرب الرضف المحمى نازلا من نغض الكتف حتى يخرج من حلمة الثدى .

(٥) الأثر : ١٦٦٧٦ — « الجريرى » ، هو « سعيد بن إياس الجريرى » ، الحافظ المشهور . روى له الجماعة ، مضى برقم : ١٩٦ ، ١٢٢٧٤ .

و « أبو العلاء بن الشخير » ، هو « يزيد بن عبد الله بن الشخير » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ١٥٥١٤ ، ١٥٥١٥ .

وهذا الخبر رواه البخارى بنحوه مطولا فى صحيحه (الفتح ٣ : ٢١٨) ، ورواه مسلم فى صحيحه ٧ : ٧٧ ، بلفظه من هذه الطريق ، مطولا أيضاً .

ظهورهم ! ثم انطلق وهو يتذمَّر يقول[١] : ما عسى تصنعُ بى قريش !![٢]

١٦٦٧٨ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قال : قال أبو ذر : بشر أصحاب الكنوز بكيٍّ فى الجباه ، وكيٍّ فى الجنوب ، وكيّ فى الظهور .

١٦٦٧٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس: « يوم يحمى عليها فى نار جهنم »، قال : حية تنطوى على جبينه وجبهته تقول : أنا مالُك الذى بخلت به ![٣]

١٦٦٨٠ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن سالم بن أبى الجعد ، عن معدان بن أبى طلحة ، عن ثوبان : أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : من ترك بعدَه كنزاً مثّلَ له يوم القيامة شُجَاعاً أقرعَ له زبيبتان،[٤] يتبعه، يقول: ويلك ما أنت؟ فيقول: أنا كنزك الذى تركته بعدك ! فلا يزال يتبعه حتى يُلْقِمه يده فيقضمها، ثم يتبعه سائر جسده .[٥]

---

(١) « يتذمر » ، أى : يصخب من الغضب ، كأنه يعاتب نفسه .

(٢) الأثر : ١٦٦٧٧ – « عمرو بن قيس الملائى » ، ثقة ، مضى مراراً .
و « عمرو بن مرة الجملى » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً .
و « أبو نصر » ، لم أعرف من هو ؟

(٣) الأثر : ١٦٦٧٩ – « قابوس بن أبى ظبيان الجنبى »، ضعيف ، لا يحتج به، مضى برقم : ٩٧٤٥ ، ١٠٦٨٣ .
وأبوه : « أبو ظبيان الجنبى » ، هو « حصين بن جندب » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى أيضاً برقم : ٩٧٤٥ ، ١٠٦٨٣ .
وانظر ما سلف فى حديث ابن مسعود رقم : ٨٢٨٥ – ٨٢٨٩ .

(٤) « الشجاع » ، ضرب من الحيات مارد خبيث . « والأقرع » ، هو الذى لا شعر له على رأسه ، قد تمعط عليه رأسه لكثرة سمه ، وطول عمره . و « الزبيبتان » : نكتتان سوداوان تكونان فوق عينيه ، وهو أوحش ما يكون من الحيات وأخبثه .

(٥) الأثر : ١٦٦٨٠ – « سالم بن أبى الجعد الأشجعى » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ٤٢٤٤ ، ١١٥٤٦ ، ١٦٦٦١ – ١٦٦٦٦ .
و « معدان بن أبى طلحة الكنانى » ، تابعى ثقة ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ٣٨/٢/٤ ، وابن أبى حاتم ٤٠٤/١/٤ .

١٦٦٨١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه قال : بلغني أن الكنوز تتحوَّل يوم القيامة شجاعاً يتبع صاحبه وهو يفرُّ منه ، ويقول : أنا كنزك ! لا يدرك منه شيئاً ، إلا أخذه .

١٦٦٨٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، عن عبد الله قال : والذى لا إله غيره ، لا يكوى عبد بكنزٍ فيمسُّ دينارٌ ديناراً ولا درهم درهماً ، ولكن يوسع جلده ، فيوضع كل دينار ودرهم على حِدَته . (١)

١٦٦٨٣ – . . . . قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، عن عبد الله قال : ما من رجل يكوَى بكنز فيوضع دينار على دينارٌ ولا درهم على درهم ، ولكن يوسَّع جلْده .(٢) ٨٨/١٠

* * *

وهذا الخبر ، ذكره ابن كثير فى تفسيره ٤ : ١٥٧ ، وقال : « رواه ابن حبان فى صحيحه من حديث يزيد بن سعيد، به . وأصل هذا الحديث فى الصحيحين ، من رواية أبى الزناد، عن الأعرج ، عن أبى هريرة ، رضى الله عنه = وفى صحيح مسلم من حديث سهيل بن أبى صالح ، عن أبيه ، عن أبى هريرة » ، وذكر الخبر .

(١) الأثر : ١٦٦٨٢ – هذا الخبر ، ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧ : ٢٩ ، ٣٠ ، وقال : « رواه الطبرانى ، ورجاله رجال الصحيح » .

وذكره ابن كثير فى تفسيره ٤ : ١٥٦ ، وقال : « وقد رواه ابن مردويه ، عن أبى هريرة مرفوعاً ، ولا يصح رفعه ، والله أعلم » .

وذكره السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٢٣٣ ، ونسبه إلى ابن أبى حاتم ، والطبرانى ، وأبى الشيخ ، ولم يذكر ابن جرير .

(٢) الأثر : ١٦٦٨٣ – هو مكرر الأثر السالف ، بإسناد آخر ، مختصراً .

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (٣٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن عدة شهور السنة عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله ، الذى كتبَ فيه كل ما هو كائن فى قضائه الذى قضى = « يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم » ، يقول : هذه الشهور الاثنا عشر منها أربعة أشهر حرم كانت الجاهلية تعظمهن ، وتحرِّمهن ، وتحرِّم القتال فيهن ، حتى لو لقى الرجل منهم فيهن قاتل أبيه لم يَهِجْهُ ، وهن : رجب مُضر ، وثلاثة متواليات ، ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم . وبذلك تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٦٦٨٤ — حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقى قال ، حدثنا زيد بن حباب قال ، حدثنا موسى بن عبيدة الربذى قال : حدثنى صدقة بن يسار ، عن ابن عمر قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع بمنًى فى أوسط أيام التشريق فقال : يا أيها الناس ، إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ، أوّلهن رجبُ مُضَر بين جمادى وشعبان ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم .(١)

---

(١) الأثر : ١٦٦٨٤ — « موسى بن عبد الرحمن المسروقى » ، شيخ الطبرى ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ٨٩٠٦ .

و « زيد بن حباب العكلى » ، مضى مراراً ، منها رقم : ١١١٣٤ .

١٦٦٨٥ – حدثنا محمد بن معمر قال ، حدثنا روح قال، حدثنا أشعث عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات ، ورجبُ مُضَر بين جمادى وشعبان . (١)

١٦٦٨٦ – حدثنا يعقوب قال، حدثنا إسمعيل بن إبراهيم قال ، حدثنا أيوب ، عن محمد بن سيرين، عن أبي بكرة: أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب فى حجة الوداع فقال : ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرم ثلاثة متواليات : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجبُ مضر الذى بين جمادى وشعبان .(٢)

و « موسى بن عبيدة بن نشيط الربذى » ، ضعيف جداً ، منكر الحديث مضى مراراً ، منها رقم : ١١١٣٤ .

و « صدقة بن يسار الجزرى » ، مكى ثقة ، روى عن ابن عمر . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/٢/٢٩٤ ، وابن أبي حاتم ٢/١/٤٢٨ .

وهذا إسناد ضعيف ، لضعف موسى بن عبيدة الربذى .

(١) الأثر : ١٦٦٨٥ – « محمد بن معمر بن ربعى البحرانى » ، شيخ الطبرى ، ثقة من شيوخ البخارى ومسلم ، مضى برقم : ٢٤١ ، ٣٠٥٦ ، ٥٣٩٣ .

و « روح » ، هو « روح بن عبادة القيسى » ، ثقة ، مضى مراراً كثيرة .

و « أشعث » ، هو « أشعث بن عبد الملك الحمرانى » ، ثقة مأمون ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/١/٤٣١ ، وابن أبي حاتم ١/١/٢٧٥ .

وهذا الخبر ، نقله ابن كثير فى تفسيره ٤ : ١٦٠ ، عن هذا الموضع ، ثم قال : « ورواه البزار ، عن محمد بن معمر ، به ، ثم قال : لا يروى عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه » .

(٢) الأثر : ١٦٦٨٦ – هذا خبر منقطع الإسناد ، لأن محمد بن سيرين لم يسمع من أبي بكرة ، ووصله البخارى فى مواضع من صحيحه ، من طريق « أيوب ، عن محمد بن سيرين ، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة ، عن أبي بكرة » (الفتح ١ : ١٤٥ ، ١٧٧ ، ٣/١٧٨ : ٦/٤٥٩ : ٢١٠ ، ٨/٢١١ : ٨٣ ، ٢٤٤) ، مطولا .

ووصله مسلم أيضاً فى صحيحه ١١ : ١٦٧ .

ورواه أحمد فى مسنده ٥ : ٣٧ ، منقطعاً ، كما رواه الطبرى ، وقد استوفى الحافظ ابن حجر ، تفصيل القول فى ذلك فى الفتح ، فى المواضع التى ذكرتها آنفاً .

والحديث صحيح متفق عليه .

١٦٦٨٧ – حدثنا مجاهد بن موسى قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سليمان التيمى قال، حدثنى رجل بالبحرين : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى خطبته فى حجة الوداع : ألا أن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً ، ثلاثة متواليات : ذو القعدة، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجبُ الذى بين جمادى وشعبان .

١٦٦٨٨ – حدثنا ابن حميدقال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن ابن أبى نجيح قوله : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم » ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ثلاثة متواليات : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب الذى بين جمادى وشعبان .

١٦٦٨٩ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال فى خطبته يوم منًى : ألا أن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان .

* * *

وهو قول عامة أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٦٩٠ – حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم »، أما « أربعة حرم، » فذو القعدة، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب . وأما « كتاب الله » ، فالذى عنده .

١٦٦٩١ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « إن عدة الشهور عند الله ٨٩/١٠

اثنا عشر شهراً » ، قال : يعرف بها شأن النسيء ، ما نقص من السنة .

١٦٦٩٢ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد في قول الله : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله » ، قال : يذكر بها شأن النسيء .

* * *

وأما قوله : « ذلك الدين القيم » ، فإن معناه : هذا الذي أخبرتكم به، من أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله ، وأن منها أربعة حرماً : هو الدين المستقيم ، كما : –

١٦٦٩٣ – حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ، حدثنا أسباط عن السدي : « ذلك الدين القيم » ، يقول : المستقيم .

١٦٦٩٤ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله : « ذلك الدين القيم » ، قال : الأمر القيم . يقول : قال تعالى: واعلموا، أيها الناس ، أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله الذي كتب فيه كل ما هو كائن ، وأن من هذه الاثني عشر شهراً أربعةُ أشهرٍ حرماً ، ذلك دين الله المستقيم ، لا ما يفعله النسيء من تحليله ما يحلل من شهور السنة ، وتحريمه ما يحرِّمه منها .(١)

وأما قوله : « فلا تظلموا فيهن أنفسكم» ، فإن معناه: فلا تعصوا الله فيها ، ولا تحلُّوا فيهن ما حرَّم الله عليكم ، فتكسبوا أنفسكم ما لا قِبَل لها به من سخط الله وعقابه ، كما : –

---

(١) « النسيء » ، هكذا جاءت في المخطوطة أيضاً ، بمعنى « الناسئ » ، وهو الذي كان يحلل لهم الشهر ويحرمه . وأخشى أن يكون وهماً من الناسخ ، فإن « النسيء » على وزن « فعيل » ، وهو بمعنى « مفعول » ، أو مصدر « نسأ الشهر » ، ولم أرهم قالوا في الرجل إلا « ناسئ » ، وجمعه « نسأة » ، مثل « فاسق » و « فسقة » .

وانظر ما سيأتي في تفسير « النسيء » ص : ٣٤٣ ، والخبر رقم : ١٦٧٠٨ ، ١٦٧٠٩ ، والتعليق هناك .

١٦٦٩٥ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « فلا تظلموا فيهن أنفسكم » ، قال : الظلم العمل بمعاصي الله ، والترك لطاعته .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل في الذي عادت عليه « الهاء »، و« النون » في قوله: « فيهن » .

فقال بعضهم : عاد ذلك على « الاثني العشر الشهر »،[1] وقال : معناه : فلا تظلموا في الأشهر كلِّها أنفسكم .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٦٩٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم » ، في كلِّهن . ثم خصَّ من ذلك أربعة أشهر فجعلهن حُرُماً ، وعظَّم حُرُماتهن ، وجعل الذنبَ فيهن أعظم ، والعمل الصالح والأجر أعظم .

١٦٦٩٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا سويد بن عمرو ، عن حماد ابن سلمة ، عن علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس : « فلا تظلموا فيهن أنفسكم » ، قال : في الشهور كلها .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فلا تظلموا في الأربعة الأشهر الحرُم أنفسكم = و«الهاء والنون » عائدة على « الأشهر الأربعة » .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٦٩٨ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : أما قوله : « فلا تظلموا فيهن أنفسكم » ، فإن الظلم في الأشهر الحرم

---

(١) في المطبوعة : « على الاثني عشر شهراً » ، وأثبت ما في المخطوطة .

أعظم خطيئةً ووِزْرًا ، من الظلم فيما سواها ، وإن كان الظلم على كل حال عظيماً، ولكن الله يعظِّم من أمره ما شاء . وقال : إن الله اصطفى صَفَايا من خلقه، اصطفى من الملائكة رسُلاً ، ومن الناس رسلاً ، واصطفى من الكلام ذكرَه ، واصطفى من الأرض المساجد ، واصطفى من الشهور رمضانَ والأشهر الحرم ، واصطفى من الأيام يوم الجمعة، واصطفى من الليالى ليلةَ القدر ، فعظِّموا ما عظم الله ، فإنما تعظم الأمور بما عظَّمها الله عند أهل الفهم وأهل العقل .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فلا تظلموا فى تصييركم حرامَ الأشهر الأربعة حلالاً ، وحلالها حراماً = أنفسَكم .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٦٩٩ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً » ، إلى قوله : « فلا تظلموا فيهن أنفسكم » ، أى : لا تجعلوا حرامها حلالاً ولا حلالها حراماً ، كما فعل أهل الشرك ، فإنما النسىء ، الذى كانوا يصنعون من ذلك، « زيادة فى الكفر يُضَل به الذين كفروا » ، الآية .(١)

١٦٧٠٠ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن الحسن : « فلا تظلموا فيهن أنفسكم » ، قال : ٩٠/١٠
« ظلم أنفسكم » ، أن لا تحرِّموهن كحرمتهن .

١٦٧٠١ — حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم، عن الحسن بن محمد بن على: « فلا تظلموا فيهن أنفسكم » ، قال : « ظلم أنفسكم » ، أن لا تحرِّموهن كحرمتهن .

١٦٧٠٢ — حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا

---

(١) الأثر : ١٦٦٩٩ — سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٣ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٦١٥ .

سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن الحسن بن محمد ، بنحوه .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب ، قولُ من قال : فلا تظلموا فى الأشهر الأربعة أنفسكم ، باستحلال حرامها ، فإن الله عظمها وعظّم حرمتها .

وإنما قلنا : ذلك أولى بالصواب فى تأويله ، لقوله : « فلا تظلموا فيهن » ، فأخرج الكناية عنه مُخْرَج الكناية عن جمع ما بين الثلاثة إلى العشرة . وذلك أن العرب تقول فيما بين الثلاثة إلى العشرة ، إذا كَنَتْ عنه : « فعلنا ذلك لثلاث ليال خلون ، ولأربعة أيام بقين » ، وإذا أخبرت عما فوق العشرة إلى العشرين قالت : « فعلنا ذلك لثلاث عشرة خلت ، ولأربع عشرة مضت » = فكان فى قوله جل ثناؤه : « فلا تظلموا فيهن أنفسكم » ، وإخراجه كناية عدد الشهور التى نهى المؤمنين عن ظلم أنفسهم فيهن مخرج عدد الجمع القليل من الثلاثة إلى العشرة ، الدليلُ الواضح على أن « الهاء والنون » ، من ذكر الأشهر الأربعة ، دون الاثنى العشر . لأن ذلك لو كان كناية عن « الاثنى عشر شهرًا » ، لكان : فلا تظلموا فيها أنفُسكم .[1]

* * *

فإن قال قائل : فما أنكرت أن يكون ذلك كنايةً عن « الاثنى عشر » ، وإن كان الذى ذكرت هو المعروف فى كلام العرب ؟ فقد علمت أن [من] المعروف من كلامها ،[2] إخراجُ كناية ما بين الثلاث إلى العشر ، بالهاء دون النون ، وقد قال الشاعر :[3]

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٣٥ .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « أن المعروف من كلامها » ، والسياق يقتضى إثبات ما أثبت بين القوسين ، لأن هذا القائل ، أقر أولا بأن ما قاله الطبرى هو « المعروف من كلامها » ، أى المشهور المتفق عليه . فالجيد أن يعترض عليه بشىء آخر ، هو « الجائز فى كلامها » ، فمن أجل هذا المعنى زدت « من » بين القوسين ، ليستقيم منطق الكلام .

(٣) هو عمر بن لجأ التيمى .

أَصْبَحْنَ فِى قُرْحٍ وَفِى دَارَاتِهَا سَبْعَ لَيَالٍ غَيْرَ مَعْلُوفَاتِهَا (١)

ولم يقل : « معلوفاتهن » ، وذلك كناية عن « السبع » ؟

قيل : إن ذلك وإن كان جائزًا ، فليس الأفصحَ الأعرفَ فى كلامها . وتوجيهُ كلام الله إلى الأفصح الأعرف ، أولى من توجيهه إلى الأنكر .

* * *

فإن قال قائل : فإن كان الأمر على ما وصفت ، فقد يجب أن يكون مباحاً لنا ظُلْمُ أنفسنا فى غيرهن من سائر شهور السنة ؟

قيل : ليس ذلك كذلك ، بل ذلك حرام علينا فى كل وقتٍ وزمانٍ ، ولكن الله عظَّم حرمة هؤلاء الأشهر وشرَّفهن على سائر شهور السنة ، فخصَّ الذنبَ فيهن بالتعظيم ، كما خصَّهن بالتشريف ، وذلك نظير قوله : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾ ، [سورة البقرة : ٢٣٨] . ولا شك أن الله قد أمرنا بالمحافظة على الصلوات المفروضات كلها بقوله : « حافظوا على الصلوات » ، ولم يبح ترك المحافظة عليهن ، بأمره بالمحافظة على الصلاة الوسطى ، ولكنه تعالى ذكره زادَها تعظيماً ، وعلى المحافظة عليها توكيداً ، وفى تضييعها تشديداً . فكذلك ذلك فى قوله : « منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم » .

* * *

وأما قوله : « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » ، فإنه يقول جل ثناؤه : وقاتلوا المشركين بالله ، أيها المؤمنون ، جميعاً غير مختلفين ، مؤتلفين غير مفترقين ، كما يقاتلكم المشركون جميعاً ، مجتمعين غير متفرقين ، كما :—

١٦٧٠٣ — حدثنى محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن المفضل قال ،

---

(١) حماسة أبى تمام ٤ : ١٥٧ ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٤٣٥ ، واللسان (قرح) ، غير منسوبة ودل على أنها لعمر بن لجأ ، أبيات رواها الأصمعى فى الأصمعيات ص : ٢٥ ، ٢٦ .
و « قرح » (بضم القاف وسكون الراء) ، هو سوق وادى القرى ، صلى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبنى به مسجد ، ورواية الحماسة واللسان : « حبس فى قرح » .

حدثنا أسباط ، عن السدى : « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » ، أما « كافة » ، فجميع ، وأمركم مجتمع .

١٦٧٠٤ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « وقاتلوا المشركين كافة » ، يقول : جميعاً .

١٦٧٠٥ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وقاتلوا المشركين كافة » ، أى : جميعاً .

* * *

و « الكافة » فى كل حال على صورة واحدة، لا تذكَّر ولا تجمع ، لأنها وإن كانت بلفظ « فاعلة »، فإنها فى معنى المصدر، ك «العافية» و«العاقبة» ، ولا تدخل العربُ فيها « الألف واللام » ، لكونها آخر الكلام ، مع الذى فيها من معنى المصدر ، كما لم يدخلوها إذا قاتلوا : « قاموا معاً » ، و« قاموا جميعاً » .[1] ٩١/١٠

* * *

وأما قوله : « واعلموا أن الله مع المتقين » ، فإن معناه : واعلموا، أيها المؤمنون بالله ، أنكم إن قاتلتم المشركين كافة ، واتقيتم الله فأطعتموه فيما أمركم ونهاكم ، ولم تخالفوا أمره فتعصوه ، كان الله معكم على عدوكم وعدوه من المشركين ، ومن كان الله معه لم يغلبه شىء ،[2] لأن الله مع من اتقاه فخافه وأطاعه فيما كلفه من أمره ونهيه .

* * *

(١) انظر تفسير « كافة » فيما سلف ٤ : ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٣٦ .

(٢) انظر تفسير « مع » فيما سلف ١٣ : ٥٧٦ تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ (٣٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ما النّسىء إلاّ زيادة فى الكفر .

* * *

و «النسىء» مصدر من قول القائل : « نسأت فى أيامك، ونسأ الله فى أجلك»، أى : زاد الله فى أيام عمرك ومدة حياتك ، حتى تبقى فيها حيًّا . وكل زيادة حدثت فى شىء ، فالشىء الحادث فيه تلك الزيادة بسبب ما حدث فيه : « نسىء » . ولذلك قيل للبن إذا كُثِّر بالماء : «نسىء» ، وقيل للمرأة الحبلى : « نَسُوء » و « نُسِئت المرأة »، لزيادة الولد فيها، وقيل : « نسأتُ الناقة وأنسأتها »، إذا زجرتها ليزداد سيرها .

وقد يحتمل أن : « النسىء » ، « فعيل » ، صرف إليه من « مفعول » ، كما قيل : « لعينٌ » و « قتيل» ، بمعنى : ملعون ومقتول . ويكون معناه : إنما الشهر المؤخَّر زيادة فى الكفر .

وكأنّ القول الأوّل أشبه بمعنى الكلام ، وهو أن يكون معناه : إنما التأخير الذى يؤخِّره أهل الشرك بالله من شهور الحرم الأربعة ، وتصييرهم الحرام منهن حلالاً ، والحلال منهن حراماً ، زيادة فى كفرهم وجحودهم أحكامَ الله وآياته .

* * *

وقد كان بعض القرأة يقرأ ذلك: ﴿ إِنَّمَا النَّسْىُ ﴾ بترك الهمز ، وترك مدّه = « يضل به الذين كفروا » .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة الكوفيين : ﴿ يَضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ بمعنى : يضل الله بالنسيء الذى ابتدعوه وأحدثوه ، الذين كفروا .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة المدينة والبصرة وبعض الكوفيين : ﴿ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ بمعنى : يزول عن محجة الله التى جعلها لعباده طريقاً يسلكونه إلى مرضاته ، الذين كفروا .

* * *

وقد حكى عن الحسن البصرى : ﴿ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ بمعنى : يُضِلُّ بالنسيء الذى سنه الذين كفروا ، الناسَ .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أن يقال : هما قراءتان مشهورتان ، قد قرأت بكل واحدةٍ القرأة أهلُ العلم بالقرآن والمعرفة به ، وهما متقاربتا المعنى . لأن من أضله الله فهو « ضالّ » ، ومن ضَلّ فبإضلال الله إياه وخذلانه له ضلّ . فبأيتهما قرأ القارئ ، فهو للصواب فى ذلك مصيبٌ .

* * *

وأما الصواب من القراءة فى « النسيء » ، فالهمزة ، وقراءته على تقدير « فعيل » لأنها القراءة المستفيضة فى قرأة الأمصار التى لا يجوز خلافها فيما أجمعت عليه .

* * *

وأما قوله : « يحلونه عاماً » ، فإن معناه : يُحلُّ الذين كفروا النسيء = و « الهاء » فى قوله : « يحلونه » ، عائدةٌ عليه .

ومعنى الكلام : يحلُّون الذى أخَّروا تحريمه من الأشهر الأربعة الحرم ، عاماً = « ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله » ، يقول : ليوافقوا بتحليلهم ما حلَّلوا من الشهور ، وتحريمهم ما حرموا منها ، عدّة ما حرّم الله[1] = « فيحلوا ما حرَّم الله زُيِّن لهم سوء أعمالهم » ، يقول : حُسِّن لهم وحُبِّب إليهم سيئ أعمالهم وقبيحها ،

(١) انظر تفسير « عدة » فيما سلف ٣ : ١٤/٤٥٩ : ٢٣٤ .

وما خولف به أمرُ الله وطاعته[١] = « والله لا يهدى القوم الكافرين » ، يقول : والله لا يوفق لمحاسن الأفعال وجميلها ، [٢] وما لله فيه رضًى ، القومَ الجاحدين توحيدَه ، والمنكرين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولكنه يخذّلهم عن الهُدى ، كما خذّل هؤلاء الناس عن الأشهر الحرم .[٣]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٠٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « إنما النسىء زيادة فى الكفر » ، قال : « النسىء » ، هو أن « جُنَادة بن عوف بن أمية الكنانى » ، كان يوافى الموسم كلَّ عام ، وكان يُكنى « أبا ثُمَامة » ، [٤] فينادى : « ألا إنّ أبا ثمامة لا يُحَابُ ولا يُعَاب ، [٥] ألا وإن صَفَرَ العامِ الأوّلِ العامَ حلالٌ » ، [٦] فيحله الناس ، فيحرم صَفَرَ عاماً ، ويحرِّم المحرم عاماً ، فذلك قوله تعالى : « إنما النسىء زيادة فى الكفر » إلى قوله : « الكافرين » . وقوله : « إنما النسىء زيادة فى الكفر » ، يقول : يتركون المحرم عاماً ، وعاماً يحرِّمونه . ٩٢/١٠

* * *

---

(١) انظر تفسير « زين » فيما سلف ص : ٧ تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) فى المطبوعة : « لمحاسن الأفعال وحلها » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، وصوابه ما أثبت .

(٣) انظر تفسير « هدى » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) .

(٤) انظر أخبار « النسأة » ، وخبر « جنادة بن عوف بن أمية » فى سيرة ابن هشام ١ : ٤٤ — ٤٧ ، والمحبر : ١٥٦ ، ١٥٧ ، وغيرهما . و « جنادة بن عوف » ، هو الذى قام عليه الإسلام من النسأة .

(٥) كان فى المطبوعة : « لا يجاب » بالجيم ، ووردت بالجيم فى كثير من الكتب ، منها لسان العرب (نسأ) ، ولكنه ورد فى المحبر : ١٥٧ ، بالحاء المهملة ، وهو من « الحوب » ، أى : الإثم ، أى : لا ينسب إلى الإثم . وانظر الخبر التالى رقم : ١٦٧١٠ .

(٦) فى المطبوعة : « صفر العام الأول حلال » ، حذف « العام » الثانية ، وهى ثابتة فى المخطوطة .

قال أبو جعفر : وهذا التأويلُ من تأويل ابن عباس ، يدل على صحة قراءة من قرأ ﴿النَّسْئُ﴾ ، بترك الهمز وترك المدّ ، وتوجيهه معنى الكلام إلى أنه « فَعْلٌ » ، من قول القائل : « نسيت الشيء أنساه » ، ومن قول الله ، ﴿ نَسُوا ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ ، [سورة التوبة : ٦٧] ، بمعنى : تركوا الله فتركهم .

١٦٧٠٧ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « إنما النسيء زيادة في الكفر » ، قال : فهو المحرَّم ، كان يحرِّم عاماً ، وصفرُ عاماً ، وزيد صفرٌ آخر في الأشهر الحُرُم . وكانوا يحرمون صفراً مرة ، ويحلُّونه مرة ، فعاب الله ذلك . وكانت هوازن وغطفان وبنو سُلَيْم تفعله .

١٦٧٠٨ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن أبي وائل : « إنما النسيء زيادة في الكفر » ، قال : كان « النسيء » ، رجلاً من بني كنانة ، (١) وكان ذا رأي فيهم ، وكان يجعل سنةً المحرمَ صفراً ، فيغزون فيه ، فيغنمون فيه ، ويصيبون ، ويحرِّمه سنة .

١٦٧٠٩ — . . . . قال حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن أبي وائل : « إنما النسيء زيادة في الكفر » ، الآية ، وكان رجل من بني كنانة يُسَمَّى « النسيء » ، فكان يجعل المحرَّم صفراً ، ويستحل فيه الغنائم ، فنزلت هذه الآية .

١٦٧١٠ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال ، سمعت ليثاً ، عن مجاهد قال ، كان رجل من بني كنانة يأتي كلَّ عام في الموسم على حمارٍ له ، فيقول : « أيها الناس ، إني لا أعاب ولا أحابُ ، (٢) ولا مَرَدَّ لما أقول ، إنَّا قد

---

(١) قوله : « كان النسيء رجلا » ، دال على صواب قوله هناك ص : ٢٣٧ ، تعليق ١ : ، على أن « النسيء » في ذلك الموضع صواب أيضاً ، وانظر الأثر التالي ، قوله : « وكان رجل من بني كنانة يسمى النسيء » ، وهذا كله لم تذكره كتب اللغة التي بين يدي .

(٢) « أحاب » مضى تفسيرها ص : ٢٤٥ ، تعليق : ٥ ، وكانت هنا في المطبوعة أيضاً « أجاب » بالجيم .

حرمنا المحرَّم وأخَّرنا صفر». ثم يجيء العام المقبل بعده فيقول مثل مقالته، ويقول: « إنا قد حرَّمنا صفر وأخَّرنا المحرَّم » ، فهو قوله : « ليواطئوا عدة ما حرم الله»، قال : يعني الأربعة = « فيحلوا ما حرم الله » ، لتأخير هذا الشهر الحرام .

١٦٧١١ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « إنما النسيء زيادة في الكفر » ، « النسيء » ، المحرّم ، وكان يحرم المحرَّم عاماً ويحرِّم صفر عاماً ، فالزيادة « صفر » ، وكانوا يؤخرون الشهور حتى يجعلون صفر المحرم ، فيحلوا ما حرم الله . وكانت هوازن وغطفان وبنو سليم يعظمونه ، وهم الذين كانوا يفعلون ذلك في الجاهلية .

١٦٧١٢ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة : « إنما النسيء زيادة في الكفر » إلى قوله : « الكافرين » ، عمد أناسٌ من أهل الضلالة فزادوا صفرًا في الأشهر الحرم ، فكان يقوم قائمهم في الموسم فيقول : « ألا إن آلهتكم قد حرمت العام المحرَّم » ، فيحرمونه ذلك العام . ثم يقوم في العام المقبل فيقول : « ألا إن آلهتكم قد حرمت صفر » ، فيحرمونه ذلك العام . وكان يقال لهما « الصفران » . قال : فكان أول من نَسَأ النسيء : بنو مالك بن كنانة، وكانوا ثلاثة : أبو ثمامة صفوان بن أمية أحد بني فقيم بن الحارث ، ثم أحد بني كنانة .(١)

---

(١) هكذا جاء في المخطوطة : « وكانوا ثلاثة » ، ثم لم يذكر غير واحد . وقوله : « أبو ثمامة ، صفوان بن أمية » ، مضى قبل في الأثر رقم : ١٦٧٠٦ أن « أبا ثمامة » هو « جنادة بن عوف بن أمية » ، أما « صفوان » هذا فقد ذكره أبو عبيد البكري في شرح الأمالي : ١٠ ، وقال : قال الليثي : كان الذي ابتزى للنسيء ، القلمس ، وهو : صفوان بن محرث ، أحد بني مالك بن كنانة ، وكان له بذلك ملكة وأكل ، وتوارثه بنوه إلى الإسلام » . ولكن الذي ذكره ابن حبيب في المحبر ، وابن هشام في سيرته ١ : ٤٤ . قال ابن إسحاق : « وكان أول من نسأ الشهور على العرب ، فأحلت ما أحل ، وحرمت منها ما حرم : القلمس ، وهو حذيفة بن عبد بن فقيم ابن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة . ثم قام بعده على ذلك ، ابنه :

١٦٧١٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « إنما النسيء زيادة في الكفر » ، قال : فرض الله الحج في ذي الحجة . قال : وكان المشركون يسمون الأشهر : ذو الحجة ، والمحرم ، وصفر ، وربيع ، وربيع ، وجمادى ، وجمادى ، ورجب ، وشعبان ، ورمضان ، وشوال ، وذو القعدة ، وذو الحجة يحجون فيه مرة ، ثم يسكتون عن المحرم فلا يذكرونه ، ثم يعودون فيسمُّون صفر صفر . ثم يسمون رجب جمادى الآخرة ، ثم يسمون شعبان رمضان، ثم يسمون رمضانَ شوالاً ، ثم يسمُّون ذا القعدة شوالاً ، ثم يسمون ذا الحجة ذا القعدة ، ثم يسمون المحرم ذا الحجة ، فيحجون فيه ، واسمه عندهم ذو الحجة . ثم عادوا بمثل هذه القصة ، فكانوا يحجون في في كل شهر عامين ، حتى وافق حجةُ أبي بكر رحمة الله عليه الآخرَ من العامين في ذي القعدة . ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم حجَّته التي حجَّ ، فوافق ذا الحجة فذلك حين يقول النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض » . ١٠/٩٣

١٦٧١٤ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن

عباد بن حذيفة . ثم قام بعد عباد : قلع بن عباد . ثم قام بعد قلع : أمية بن قلع . ثم قام بعد أمية : عوف بن أمية . ثم قام بعد عوف : أبو ثمامة جنادة بن عوف ، وكان آخرهم ، وعليه قام الإسلام » . وذلك ما قاله ابن حبيب ، وما قاله ابن حزم في الجمهرة : ١٧٨ ، والمصعب الزبيري في نسب قريش : ١٢ .

ولم أجد هذا الخبر في مكان آخر ، فأعرف مقالة قتادة في أمر النسيء والنسأة .

و « صفوان بن محرث » الذي ذكره البكري ، هو « صفوان بن أمية » المذكور في هذا الخبر ، وهو : « صفوان بن أمية بن محرث بن بن خمل بن شق بن رقبة بن مخدج بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة » ، وكان أحد حكام العرب في الجاهلية ، وأحد من حرم الخمر على نفسه في الجاهلية (انظر المحبر : ١٣٣ ، ٢٣٧/ أمالي القالي ١ : ٢٤٠ وذكر شعره في تحريم الخمر) . وبين من هذا كله أن « صفوان بن أمية » ، ليس من « بني فقيم بن الحارث بن مالك » . بل من بني « مخدج ابن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك » .

ثم انظر ص : ٢٥٠ ، تعليق : ١ ، وذكر « القلمس » للناسيء في شعر عبد الرحمن بن الحكم ، وأمه هي : « آمنة بنت علقمة بن صفوان بن أمية بن محرث » .

معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « إنما النسيء زيادة فى الكفر » ، قال : حجوا فى ذى الحجة عامين ، ثم حجوا فى المحرم عامين ، ثم حجُّوا فى صفر عامين . فكانوا يحجون فى كل سنة فى كل شهر عامين ، حتى وافقت حجة أبى بكر الآخرَ من العامين فى ذى القعدة، قبل حجة النبى صلى الله عليه وسلم بسنة . ثم حج النبى صلى الله عليه وسلم من قابلٍ فى ذى الحجة ، فذلك حين يقول النبى صلى الله عليه وسلم فى خطبته : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض » .

١٦٧١٥ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمران بن عيينة ، عن حصين ، عن أبى مالك : « إنما النسيء زيادة فى الكفر » ، قال: كانوا يجعلون السنة ثلاثةَ عشر شهرًا ، فيجعلون المحرَّم صفرًا، فيستحلُّون فيه الحرمات ، فأنزل الله : « إنما النسيء زيادة فى الكفر » .

١٦٧١٦ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « إنما النسيء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا » الآية ، قال : هذا رجل من بنى كنانة يقال له : « القَلَمَّس » ، كان فى الجاهلية . وكانوا فى الجاهلية لا يغير بعضهم على بعض فى الشهر الحرام ، يلقى الرجل قاتل أبيه فلا يمُدّ إليه يده . فلما كان هو ، قال : « اخرجوا بنا » ، قالوا له: « هذا المحرَّم » ! فقال : « ننسئه العام، هما العام صفران، فإذا كان عام قابلٍ قضينا، فجعلناهما محرَّمَين» . قال : ففعل ذلك . فلما كان عام قابل قال: « لا تغزوا فى صفر ، حرِّموه مع المحرم ، هما محرَّمان ، المحرَّم أنسأناه عاماً أوَّلُ ونقضيه . ذلك «الإنساء » ، وقال منافرهم :(١)

(١) فى المطبوعة : « وقال شاعرهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة . و « المنافر » ، هو المفاخر فى المنافرة . قال ابن سيده : « وكأنما جاءت المنافرة ، فى أول ما استعملت ، أنهم كانوا يسألون الحاكم : أينا أعز نفرا ؟ » . و « المنافرة » : هى أن يفتخر الرجلان كل واحد منهما على صاحبه ، ثم يحكما بينهما رجلا .

* ومِنَّا مُنْسِي الشُّهُورِ القَلَمَّسُ *(١)

وأنزل الله: « إنما النسيء زيادة فى الكفر » ، إلى آخر الآية .

* * *

وأما قوله : « زيادة فى الكفر » ، فإن معناه زيادة كُفْر بالنسيء ، إلى كفرهم بالله قبلَ ابتداعهم النسيء ،(٢) كما : —

١٦٧١٧ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « إنما النسيء زيادة فى الكفر » ، يقول : ازدادوا به كفراً إلى كفرهم .

* * *

وأما قوله : « ليواطئوا » ، فإنه من قول القائل : « واطأت فلاناً على كذا أواطئه مُواطأة » ، إذا وافقته عليه ، معيناً له ، غير مخالف عليه .

* * *

وروى عن ابن عباس فى ذلك ما :—

١٦٧١٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية، عن على، عن ابن عباس قوله: « ليواطئوا عدة ما حرم الله »، يقول: يشبهون .

* * *

---

(١) هكذا جاء فى المخطوطة مضطرب الميزان ، وذكره القرطبى فى تفسيره ٨ : ١٣٨ .

* ومِنَّا نَاسِئُ الشَّهْرِ القَلَمَّسُ *(١)

وهو أيضاً غير مستقيم ، والذى وجدته ، هو ما قاله عبد الرحمن بن الحكم بن أبى العاص ابن أمية ، قال :

نَمَانِى أبُو العَاصِى الأمِينُ وَهَاشِمٌ وعُثْمَانُ ، والنَّاسِى الشُّهُورَ القَلَمَّسُ

وأم عبد الرحمن بن الحكم ، ومروان بن الحكم ، هى : « آمنة بنت علقمة بن صفوان بن أمية بن محرث بن خمل بن شق » ، و « صفوان » هذا هو الذى جاء ذكره فى الخبر رقم : ١٦٧١٢ ، وأنه كان من « النسأة » ، وكل ناسىء كان يقال له : « القلمس » ، فهذا البيت يؤيد ما قاله قتادة بعض التأييد . وانظر البيت الذى ذكرته فى نسب قريش للمصعب الزبيرى ص : ٩٨ .

(٢) فى المطبوعة : « وقيل : ابتداعهم النسيء » ، غير ما فى المخطوطة ، فأفسد الكلام كله .

قال أبو جعفر : وذلك قريب المعنى مما بيّنّا ، وذلك أن ما شابه الشيء ، فقد وافقه من الوجه الذى شابهه .

وإنما معنى الكلام : أنهم يوافقون بعدة الشهور التى يحرّمونها ، عدة الأشهر الأربعة التى حرّمها الله ، لا يزيدون عليها ولا ينقصون منها ، وإن قدّموا وأخّروا . فذلك مواطأة عِدّتهم عدّةَ ما حرّم الله .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (٣٨)

قال أبو جعفر : وهذه الآية حثٌّ من الله جل ثناؤه المؤمنين به من أصحاب رسوله ، على غزو الروم ، وذلك غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك .

يقول جل ثناؤه : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله = « ما لكم » ، أىّ شىء أمرُكم = « إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله » ، يقول : إذا قال لكم رسولُ الله محمدٌ =: « انفروا » ، أى : اخرجوا من منازلكم إلى مغزاكم .

* * *

وأصل « النفر » ، مفارقة مكان إلى مكان لأمرٍ هاجه على ذلك . ومنه : « نفوراً الدابة » . غير أنه يقال : من النفر إلى الغزو : « نَفَر فلان إلى ثغر كذا ينْفِر نَفْرًا ونَفِيراً » ، وأحسب أن هذا من الفروق التى يفرّقون بها بين اختلاف المخبر عنه ،(١) ١٠/٩٤

(١) يعنى أبو جعفر ، أنهم لم يقولوا فى النفر إلى الغزو « نفوراً » فى مصدره ، وقد أثبتت كتب اللغة أنه يقال فى مصدره « نفر إلى الغزو نفوراً » .

وإن اتفقت معانى الخبر .[١]

* * *

فمعنى الكلام : ما لكم أيها المؤمنون ، إذا قيل لكم : اخرجُوا غزاة = « فى سبيل الله » ، أى : فى جهاد أعداءِ الله[٢] = « اثّاقلتم إلى الأرض » ، يقول : تثاقلتم إلى لزوم أرضكم ومساكنكم والجلوس فيها .

* * *

وقيل : « اثّاقلتم » لإدغام « الثاء » فى « التاء » فأحدثتْ لها ألف ،[٣] ليُتَوصَّل إلى الكلام بها ، لأن « التاء » مدغمة فى « الثاء » . ولو أسقطت الألف ، وابتدئ بها ، لم تكن إلا متحركة ، فأحدثت الألف لتقع الحركة بها ، كما قال جل ثناؤه : ﴿حَتَّى إِذَا ٱدَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً﴾ ، [سورة الأعراف : ٣٨] ، وكما قال الشاعر :[٤]

تُولِى الضَّجِيعَ إِذَا مَا ٱسْتَافَهَا خَصِراً عَذْبَ المَذَاقِ ، إِذَا مَا ٱثَّابَعَ القُبَلُ[٥]

[فهو من « الثقل » ، ومجازه مجاز « افتعلتم »] ، من « التثاقل » .[٦]

* * *

وقوله : « أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة » ، يقول جل ثناؤه : أرضيتم بحظ الدنيا والدّعة فيها ، عوضاً من نعيم الآخرة ، وما عند الله للمتقين فى جناته = « فما

---

(١) انظر « النفر » فيما سلف ٨ : ٥٣٦ ، ولم يفسره هناك .

(٢) انظر تفسير « سبيل الله » فيما سلف من فهارس اللغة (سبل) .

(٣) فى المطبوعة : « لأنه أدغم التاء فى الثاء فأحدث لها ألف » ، وكان فى المخطوطة : « لأنه غام » ، فلم يحسن قراءتها ، فغير الكلام ، فأثبته على الصواب من المخطوطة . وانظر ما سلف فى الإدغام ٢ : ٢٢٤ .

(٤) لم أعرف قائله .

(٥) مضى شرحه وتفسيره آنفاً ٢ : ٢٢٤ ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٤٣٨ .

(٦) مكان هذه الجملة فى المطبوعة : « فهو بنى الفعل افتعلتم من التثاقل » ، وهو كلام غث جداً . وفى المخطوطة : « فهو بين الفعل افعلتم من التثاقل » ، غير منقوط ، وصححت هذه العبارة اجتهاداً ، مؤتنساً بما قاله أبو عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ٢٦٠ ، قال : « ومجاز : اثاقلتم ، مجاز : افتعلتم ، من التثاقل ، فأدغمت التاء فى الثاء ، فثقلت وشددت » . يعنى أبو عبيدة : أنك لو بنيت « افتعل » من « الثقل » ، كان واجباً إدغام التاء فى الثاء . وانظر أيضاً معانى القرآن للفراء ١ : ٤٣٧ ، ٤٣٨ .

متاع الحياة الدنيا فى الآخرة » ، يقول : فما الذى يستمتع به المتمتعون فى الدنيا من عيشها ولذّاتها فى نعيم الآخرة والكرامة التى أعدّها الله لأوليائه وأهل طاعته[1]= « إلا قليل » ، يسير . يقول لهم : فاطلبوا ، أيها المؤمنون ، نعيم الآخرة ، وشرف الكرامة التى عند الله لأوليائه ، [2] بطاعتِه والمسارعة إلى الإجابة إلى أمره فى النفير لجهاد عدوّه .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٧١٩ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ما لكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض » ، أمروا بغزوة تبوك بعد الفتح ، وبعد الطائف ، وبعد حنين . أمروا بالنَّفير فى الصيف ، حين خُرِفت النخل ، [3] وطابت الثمار ، واشتَهُوا الظلال ، وشقّ عليهم المخرج .

١٦٧٢٠ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض » الآية ، قال : هذا حين أمروا بغزوة تبوك بعد الفتح وحنين وبعد الطائف . أمرهم بالنَّفير فى الصيف ، حين اختُرِفت النخل ، وطابت الثمار ، واشتهوا الظلال ، وشَقّ عليهم المخرج . قال : فقالوا : « الثقيل » ، ذو الحاجة ، والضَّيْعة والشغل ، [4] والمنتشرُ به أمره فى ذلك كله ، فأنزل الله : ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ ، [سورة التوبة : ٤١] .

* * *

---

(١) انظر تفسير « متاع » فيما سلف من فهارس اللغة (متع) .

(٢) فى المطبوعة : « وترف الكرامة » ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٣) « خرف النخل يخرفه خرفاً ، واخترفه اختراقاً » ، صرم ثمره واجتناه بعد أن يطيب .

(٤) فى المطبوعة : « فقالوا : منا الثقيل وذو الحاجة والضيعة . . . » ، غير ما فى المخطوطة ، وكان فى المخطوطة ما أثبت . وهو مقبول ، مع شكى فى أن يكون سقط من الكلام شىء .

القول فى تأويل قوله ﴿ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٣٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسوله ، متوعِّدَهم على ترك النَّفْر إلى عدوّهم من الروم : إن لم تنفروا ، أيها المؤمنون ، إلى من استنفرَكم رسولُ الله ، يعذّبكم الله عاجلاً فى الدنيا ، بتركِكم النَّفْر إليهم ، عذاباً مُوجعاً [١] = «ويستبدل قوماً غيركم» ، يقول : يستبدل الله بكم نبيَّه قوماً غيرَكم ، ينفرون إذا استنفروا ، ويجيبونه إذا دعوا ، ويطيعون الله ورسوله [٢] = « ولا تضروه شيئاً » ، يقول : ولا تضروا الله ، بتركِكم النّفير ومعصيتكم إياه ، شيئاً ، لأنه لا حاجة به إليكم ، بل أنتم أهل الحاجة إليه ، وهو الغنى عنكم وأنتم الفقراء = « والله على كل شىء قدير » ، يقول جل ثناؤه : والله على إهلاككم واستبدال قوم غيركم بكم ، وعلى كل ما يشاء من الأشياء ، قدير .[٣]

* * *

وقد ذكر أن « العذاب الأليم » فى هذا الموضع ، كان احتباسَ القَطْر عنهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٢١ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا زيد بن الحباب قال ، حدثنى عبد المؤمن بن خالد الحنفى قال ، حدثنى نجدة الخراسانى قال : سمعت ابن عباس ، وسئل عن قوله : « إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً » ، قال : إن رسول الله

وقوله : « الثقيل : ذو الحاجة والضيعة » هو تفسير قوله تعالى : « انفروا خفافاً وثقالا » ، جمع « ثقيل » ، كما سترى فى تفسير الآية ص : ٢٦٢ وما بعدها .

(١) انظر تفسير « النفر » فيما سلف قريباً ص : ٢٥١ .

(٢) انظر تفسير « الاستبدال » فيما سلف ٨ : ١٢٣ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « قدير » فيما سلف من فهارس اللغة (قدر) .

صلى الله عليه وسلم استنفر حيًّا من أحياء العرب فتثاقلوا عنه ، فأمسك عنهم المطر ، ٩٥/١٠
فكان ذلك عذابهم ، فذلك قوله : « إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليما » .(١)

١٦٧٢٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا عبد المؤمن ، عن نجدة قال : سألت ابن عباس ، فذكر نحوه = إلا أنه قال : فكان عذابهم أنْ أمسك عنهم المطر.(٢)

١٦٧٢٣ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً » ، استنفر الله المؤمنين فى لَهَبَان الحرِّ فى غزوة تبوك قِبَل الشأم ،(٣) على ما يعلم الله من الجَهْد .

* * *

وقد زعم بعضهم أن هذه الآية منسوخة .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٢٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح ، عن الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة والحسن البصرى قالا : قال : « إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً » ، وقال : ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا

---

(١) الأثر : ١٦٧٢١ – « زيد بن الحباب العكلى » ، سلف مراراً ، آخرها رقم : ١٦٦٨٤ .

و « عبد المؤمن بن خالد الحنفى » ، ثقة ، مضى برقم ١١٩١٤ .

و « نجدة الخراسانى » هو : « نجدة بن نفيع الحنفى » ، ثقة ، مضى أيضاً برقم : ١١٩١٤ .

وهذا الخبر ، رواه الطبرى فيما يلى برقم : ١٦٧٢٢ ، من طريق يحيى بن واضح ، عن عبد المؤمن . ورواه أبو داود فى سننه ٣ : ١٦ ، رقم : ٢٥٠٦ ، من طريق زيد بن الحباب ، مختصراً ، ورواه البيهقى فى السنن ٩ : ٤٨ ، بنحوه . وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٢٣٩ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر ، وأبى الشيخ ، وابن مردويه ، والحاكم ، وصححه الحاكم .

(٢) الأثر : ١٦٧٢٢ – هو مكرر الأثر السالف ، وهذا أيضاً لفظ أبى داود والبيهقى : « المطر » ، من طريق زيد بن الحباب السالف .

(٣) « لهبان الحر » ، (بفتح اللام والهاء)، شدته فى الرمضاء . ويقال : « يوم لهبان » ، صفة ، أى شديد الحر . و « اللهبان » مصدر مثل : اللهب ، واللهيب ، واللهاب (بضم اللام) ، وهو اشتعال النار إذا خلصت من الدخان .

عَنْ رَسُولِ اللهِ وَلاَ يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ إلى قوله: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، فنسختها الآية التى تلتها: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ ، [سورة التوبة : ١٢٠ - ١٢٢] .

* * *

قال أبو جعفر : ولا خبرَ بالذى قال عكرمة والحسن ، من نسخ حكم هذه الآية التى ذكرا،[1] يجب التسليم له ، ولا حجةَ نافٍ لصحة ذلك .[2] وقد رأى ثبوت الحكم بذلك عددٌ من الصحابة والتابعين سنذكرهم بعدُ، وجائزٌ أن يكون قوله : « إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً » ، الخاص من الناس ، ويكون المراد به من استنفرَه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفر ، على ما ذكرنا من الرواية عن ابن عباس .

وإذا كان ذلك كذلك ، كان قوله : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة » ، نهياً من الله المؤمنين عن إخلاء بلاد الإسلام بغير مؤمنٍ مقيم فيها ، وإعلاماً من الله لهم أن الواجب النَّفرُ على بعضهم دون بعض، وذلك على من استُنْفِرَ منهم دون من لم يُسْتَنْفَر . وإذا كان ذلك كذلك، لم يكن فى إحدى الآيتين نسخ للأخرى ، وكان حكم كل واحدة منهما ماضياً فيما عُنِيَتْ به .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « التى ذكروا » ، والصواب من المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « ولا حجة تأتى بصحة ذلك » وفى المخطوطة : « ولا حجة بات بصحه ذلك » ، غير منقوطة ، وصواب قراءتها ما أثبت .

القول فى تأويل قوله ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾

قال أبو جعفر : وهذا إعلامٌ من الله أصحابَ رسوله صلى الله عليه وسلم أنّه المتوكّل بنصر رسوله على أعداء دينه و إظهاره عليهم دونهم، أعانوه أو لم يعينوه ، = وتذكيرٌ منه لهم فعلَ ذلك به ، وهو من العدد فى قلة ، والعدوُّ فى كثرة ، فكيف به وهو من العدد فى كثرة ، والعدوّ فى قلة ؟

يقول لهم جل ثناؤه : إلا تنفروا، أيها المؤمنون، مع رسولى إذا استنفركم فتنصروه، فالله ناصره ومعينه على عدوّه ، ومغنيه عنكم وعن معونتكم ونصرتكم ، كما نصره = « إذ أخرجه الذين كفروا »، بالله من قريش من وطنه وداره = « ثانى اثنين » ، يقول : أخرجوه وهو أحد الاثنين ، أى : واحد من الاثنين .

* * *

وكذلك تقول العرب : « هو ثانى اثنين » ، يعنى : أحد الاثنين، و « ثالث ثلاثة ، ورابع أربعة » ، يعنى : أحد الثلاثة ، وأحد الأربعة . وذلك خلاف قولهم : « هو أخو ستة ، وغلام سبعة » ، لأن « الأخ » ، و « الغلام » غير الستة والسبعة ، « وثالث الثلاثة » ، أحد الثلاثة .

* * *

وإنما عنى جل ثناؤه بقوله : « ثانى اثنين » ، رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضى الله عنه، لأنهما كانا اللذين خرجا هاربين من قريش إذ همُّوا بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واختفيا فى الغار.

* * *

وقوله : « إذ هما فى الغار » ، يقول : إذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر

رحمة الله عليه ، فى الغار .

* * *

و« الغار » ، النقب العظيم يكون فى الجبل .

* * *

= « إذ يقول لصاحبه » ، يقول : إذ يقول رسول الله لصاحبه أبى بكر ، « لا تحزن » ، وذلك أنه خافَ من الطَّلَب أن يعلموا بمكانهما ، فجزع من ذلك ، ٩٦/١٠ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تحزن » ، لأن الله معنا والله ناصرنا ،[1] فلن يعلم المشركون بنا ولن يصلوا إلينا .

يقول جل ثناؤه : فقد نصره الله على عدوه وهو بهذه الحال من الخوف وقلة العدد ، فكيف يخذله ويُحْوِجه إليكم ، وقد كثَّر الله أنصاره وعدد جنوده ؟

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٢٥ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « إلا تنصروه » ، ذكر ما كان فى أول شأنه حين بعثَه . يقول الله : فأنا فاعلٌ ذلك به وناصره ، كما نصرته إذ ذاك وهو ثانى اثنين .

١٦٧٢٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « إلا تنصروه فقد نصره الله » ، قال : ذكر ما كان فى أول شأنه حين بُعثَ ، فالله فاعلٌ به كذلك ، ناصره كما نصره إذ ذاك ، « ثانىَ اثنين إذ هما فى الغار » .

١٦٧٢٧ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إلا تنصروه فقد نصره الله » الآية ، قال : فكان صاحبَه أبو بكر ، وأما

---

(٦) انظر تفسير « مع » فيما سلف ص : ٢٤٢ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

« الغار » ، فجبل بمكة يقال له : « ثَوْر » .

١٦٧٢٨ – حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد قال ، حدثني أبي قال ، حدثنا أبان العطار قال ، حدثنا هشام بن عروة ، عن عروة قال : لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه ، وكان لأبي بكر مَنِيحةٌ من غَنَم تروح على أهله ،(١) فأرسل أبو بكر عامر بن فهيرة في الغنم إلى ثور . وكان عامر بن فهيرةَ يروح بتلك الغنم على النبي صلى الله عليه وسلم بالغار في ثور ، وهو « الغار » الذي سماه الله في القرآن .(٢)

١٦٧٢٩ – حدثني يعقوب بن إبراهيم بن جبير الواسطي قال ، حدثنا عفان وحَبّان قالا ، حدثنا همام ، عن ثابت ، عن أنس ، أن أبا بكر رضي الله عنه حدّثهم قال : بينا أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار وأقدامُ المشركين فوق رؤوسنا ، فقلت : يا رسول الله ، لو أن أحدهم رفع قدَمَه أبصرنا ! فقال : يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟(٣)

---

(١) « المنيحة » ، شاة أو ناقة يعيرها الرجل أخاه ، يحتلبها وينتفع بلبنها سنة ، ثم يردها إليه .

(٢) الأثر : ١٦٧٢٨ – هذا جزء من كتاب عروة بن الزبير إلى عبد الملك بن مروان ، والذي خرجته فيما سلف برقم : ١٦٠٨٣ ، ومواضع أخرى كثيرة . وهذا الجزء من الكتاب ، في تاريخ الطبري ٢ : ٢٤٦ .

(٣) الأثر : ١٦٧٢٩ – « يعقوب بن إبراهيم بن جبير الواسطي » ، شيخ الطبري ، لم أجد له ترجمة في غير الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٤/٢/٢٠٢ .

و « عفان » هو « عفان بن مسلم بن عبد الله الصفار » ، ثقة ، من شيوخ أحمد والبخاري ، مضى برقم : ٥٣٩٢ .

و « حبان » ، هو « حبان بن هلال الباهلي » ، ثقة ، روى له الجماعة . مضى برقم : ٥٤٧٢ . « حبان » بفتح الحاء لا بكسرها .

و « همام » هو « همام بن يحيى بن دينار الأزدي » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً ، آخرها : ١٦٣٠٦ .

و « ثابت » ، هو « ثابت بن أسلم البناني » ، ثقة روى له الجماعة ، مضى برقم : ٢٩٤٢ ، ٧٠٣٠ .

وهذا الخبر رواه من طريق عفان بن مسلم ، ابن سعد في الطبقات ٣/١/١٢٣ ، وأحمد في مسنده رقم : ١١ ، والترمذي في تفسير الآية .

١٦٧٣٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن شريك ، عن إبراهيم ابن مهاجر ، عن مجاهد قال : مكث أبو بكر مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الغار ثلاثاً .

١٦٧٣١ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهرى : « إذ هما فى الغار »، قال : فى الجبل الذى يسمَّى ثوراً ، مكث فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ثلاث ليالٍ .

١٦٧٣٢ – حدثنا يونس قال، أخبرنا بن وهب قال ، أخبرنى عمرو بن الحارث ، عن أبيه : أن أبا بكر الصديق رحمة الله تعالى عليه حين خطب قال : أيُّكم يقرأ « سورة التوبة » ؟[1] قال رجل : أنا . قال : اقرأ . فلما بلغ : «إذ يقول لصاحبه لا تحزن » ، بكى أبو بكر وقال : أنا والله صاحبُه .[2]

ورواه من طريق حبان بن هلال ، البخارى فى صحيحه (الفتح ٨ : ٢٤٥)، ومسلم فى صحيحه ١٥ : ١٤٩ .

ورواه البخارى من طريق محمد بن سنان ، عن هلال فى صحيحه (الفتح ٧ : ٩) .

وقال الترمذى : « هذا حديث صحيح غريب ، إنما يروى من حديث همام . وقد روى هذا الحديث حبان بن هلال ، وغير واحد ، عن همام ، نحو هذا » .

وخرجه السيوطى فى الدر ٣ : ٢٤٢ ، وزاد نسبته إلى ابن أبى شيبة ، وأبى عوانة ، وابن حبان ، وابن المنذر ، وابن مردويه .

(١) فى المخطوطة : « سورة البقرة » ، وهو خطأ أبين من أن يدل على تصحيحه .

(٢) الأثر : ١٦٧٣٢ – « عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصارى المصرى » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ٥٩٧٣ .

وأبوه « الحارث بن يعقوب بن ثعلبة، أو : ابن عبد الله ، الأنصارى المصرى » . ثقة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/٢/٢٨٢ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٩٣ .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٤٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فأنزل الله طمأنينته وسكونه على رسوله[١] = وقد قيل : على أبى بكر = « وأيده بجنود لم تروها » ، يقول : وقوّاه بجنودٍ من عنده من الملائكة ، لم تروها أنتم[٢] = « وجعل كلمة الذين كفروا » ، وهى كلمة الشرك = « السُّفْلى » ، لأنها قُهِرَت وأذِلَّت ، وأبطلها الله تعالى ، ومحق أهلها ، وكل مقهور ومغلوب فهو أسفل من الغالب ، والغالب هو الأعلى = « وكلمة الله هى العليا » ، يقول : ودين الله وتوحيده وقولُ لا إله إلا الله ، وهى كلمتُه = « العليا » ، على الشرك وأهله ، الغالبةُ ،[٣] كما : —

١٦٧٣٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية عن على ، عن ابن عباس قوله : « وجعل كلمة الذين كفروا السفلى » ، وهى الشرك بالله = « وكلمة الله هى العليا » ، وهى : لا إله إلا الله .

* * *

وقوله : « وكلمة الله هى العليا » ، خبر مبتدأ ، غيرُ مردودٍ على قوله : « وجعل كلمة الذين كفروا السفلى » ، لأن ذلك لو كان معطوفاً على « الكلمة » الأولى ، لكان نصباً .[٤]

* * *

(١) انظر تفسير « السكينة » فيما سلف ص : ١٨٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « التأييد » فيما سلف ص : ٤٤ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « الأعلى » فيما سلف ٧ : ٢٣٤ .
(٤) انظر تفصيل ذلك فى معانى القرآن للفراء ١ : ٤٣٨ ، وهو فصل جيد واضح .

وأما قوله : « والله عزيز حكيم » ، فإنه يعنى : « والله عزيز » ، فى انتقامه
١٠/٩٧ من أهل الكفر به ، لا يقهره قاهر ، ولا يغلبه غالب ، ولا ينصر من عاقبه
ناصر= « حكيم» ، فى تدبيره خلقَه ، وتصريفه إياهم فى مشيئته .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى معنى « الخفة » و«الثقل » ، اللذين أمر الله من كان به أحدهما بالنفر معه .

فقال بعضهم : معنى « الخفة » ، التى عناها الله فى هذا الموضع ، الشباب = ومعنى « الثقل » ، الشيخوخة.

* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٣٤ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن رجل ، عن الحسن فى قوله : « انفروا خفافاً وثقالا » ، قال : شيباً وشبّاناً .

١٦٧٣٥ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حفص، عن عمرو ، عن الحسن قال : شيوخاً وشباناً .

١٦٧٣٦ — . . . . قال ، حدثنا ابن عيينة، عن على بن زيد، عن أنس ، عن أبى طلحة : « انفروا خفافاً وثقالاً » ، قال : كهولاً وشباناً ، ما أسمع الله عَذَر واحداً ! !(٢) فخرج إلى الشأم، فجاهد حتى مات .(٣)

---

(١) انظر تفسير « عزيز » و « حكيم » ، فيما سلف من فهارس اللغة (عزز) ، (حكم) .

(٢) فى المطبوعة : « عذر أحداً » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) الأثر : ١٦٧٣٦ — « على بن زيد بن عبد الله بن أبى مليكة » ، مضى مراراً ، وثقة أخى السيد أحمد فيما سلف رقم : ٤٨٩٧ ، وقد تكلم فيه أحمد وغيره قال : « ضعيف الحديث » . و « أنس » هو « أنس بن مالك » خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٦٧٣٧ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن المغيرة ابن النعمان قال : كان رجل من النَّخع ، وكان شيخاً بادناً، فأراد الغزوَ ، فمنعه سعد بن أبي وقاص فقال : إن الله يقول : « انفروا خفافاً وثقالاً »! فأذن له سعد . فقتل الشيخ ، فسأل عنه بعدُ عُمَرُ ، فقال : ما فعل الشيخ الذى كأنَّه من بنى هاشم؟(١) فقالوا : قتل يا أمير المؤمنين !(٢)

١٦٧٣٨ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يزيد بن هرون ، عن إسمعيل ، عن أبي صالح قال : الشابُّ والشيخ .

١٦٧٣٩ – . . . . قال ، حدثنا أبو أسامة، عن مالك بن مغول ، عن إسمعيل ، عن عكرمة قال : الشاب والشيخ .

١٦٧٤٠ – . . . . قال ، حدثنا المحاربى، عن جويبر ، عن الضحاك : كهولاً وشبَّاناً .

١٦٧٤١ – . . . . قال ، حدثنا حبويه، أبو يزيد ، عن يعقوب القمى ، عن جعفر بن حميد ، عن بشر بن عطية : كهولاً وشباناً (٣) .

و « أبو طلحة » ، هو « زيد بن سهل الأنصارى » ، صاحب رسول الله ، شهد العقبة ، وبدراً ، المشاهد كلها .

وهذا الخبر ، رواه ابن سعد فى الطبقات ٣/٢/٦٦ من طريق عفان بن مسلم ، عن حماد ابن سلمة ، عن ثابت ، وعلى بن زيد ، عن أنس ، مطولا ، بغير هذا اللفظ . ورواه الحاكم فى المستدرك ٣ : ٣٥٣ ، من هذه الطريق نفسها وقال : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه » .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٢٤٦ ، وزاد نسبته إلى ابن أبى عمر العدنى فى مسنده ، وعبد الله بن أحمد بن حنبل فى زوائد الزهد ، وأبى يعلى ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، وابن حبان ، وابن أبى حاتم ، وأبى الشيخ ، وابن مردويه .

وخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٩ : ٣١٢ ، بغير هذا اللفظ ، وقال : « رواه أبو يعلى ، ورجاله رجال الصحيح » .

(١) فى المطبوعة : « كان من بنى هاشم » ، وهو خطأ لاشك فيه ، فإن الرجل « من النخع » ، كما ذكر قبل ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٦٧٣٧ – « المغيرة بن النعمان النخعى » ، ثقة ، مضى برقم : ١٣٦٢٢ .

(٣) الأثر : ١٦٧٤١ – « حبويه ، أبو يزيد » ، هو « إسحق بن إسماعيل الرازى » ،

١٦٧٤٢ – حدثنا الوليد قال، حدثنا على بن سهل قال ، حدثنا الوليد بن مسلم ، عن بكير بن معروف ، عن مقاتل بن حيان ، فى قوله: « انفروا خفافاً وثقالاً » ، قال : شباناً وكهولاً .

١٦٧٤٣ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « انفروا خفافاً وثقالاً » ، قال : شباباً وشيوخاً ، وأغنياء ومساكين .

١٦٧٤٤ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال، قال الحسن : شيوخاً وشبّاناً .

١٦٧٤٥ – حدثنى سعيد بن عمرو قال، حدثنا بقية قال ، حدثنا حَرِيز قال ، حدثنى حبان بن زيد الشرعبىّ قال : نفرنا مع صَفْوان بن عمرو ، وكان والياً على حمص قِبَلَ الأفسوس، إلى الجَرَاجمة،(١) فلقيت شيخاً كبيراً هِمًّا،(٢) قد سقط حاجباه على عينيه ، من أهل دمشق ، على راحلته ، فيمن أغار .(٣) فأقبلت عليه فقلت : يا عمّ ، لقد أعذر الله إليك ! فرفع حاجبيه ، فقال : يا ابن

مضى مراراً ، منها رقم : ١٥٩٩٣ ، وكتب فى المطبوعة : « حيوة » ، وغير ما فى المخطوطة ، وهو خطأ محض .

وأما « جعفر بن حميد » ، فلم أجد له ذكراً فى شىء من مراجعى ، والذى يروى عنه يعقوب ابن عبد الله القمى ، هو : « جعفر بن أبى المغيرة الخزاعى القمى » ، والذى نقله ابن حجر فى التهذيب فى ترجمته عن أبى نعيم أن اسم « أبى المغيرة » هو : « دينار » لا « حميد » .

وأما « بشر بن عطية » ، فلم أجد من يسمى بهذا إلا « بشر بن عطية » ، رجل روى عنه مكحول ، يقال هو صحابى ، ويقال هو : « بشر بن عصمة المزنى » ، انظر لسان الميزان ٢ : ٢٦ ، ٢٧ ، فى الترجمتين ، والإصابة فى ترجمة الاسمين . وهذا كله مضطرب .

(١) « الأفسوس » ، بلد بثغور طرسوس ، و « طرسوس » مدينة بثغور الشأم بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم .

و « الجراجمة » ، نبط الشأم ، ويقال : هم قوم من العجم بالجزيرة .

وكان فى المخطوطة : « قبل الأفسون إلى الحراصه » ، والصواب ما فى المطبوعة وهو مطابق لما فى تفسير ابن كثير ٤ : ١٧٦ ، نقلا عن هذا الموضع من الطبرى .

(٢) « الهم » (بكسر الهاء) : الشيخ الكبير الفانى البالى .

(٣) فى المخطوطة : « أعات » ، والصواب ما فى المطبوعة ، وهو موافق لما فى ابن كثير .

أخى ، استنفرنا الله خفافاً وثقالاً ، من يحبّه الله يبتلّه ، ثم يعيده فيبتليه ،[1] إنما يبتلى الله من عباده من شكر وصبر وذكر ولم يعبد إلا الله .[2]

١٦٧٤٦ – حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسمعيل ، عن أبى صالح : « انفروا خفافاً وثقالاً » ، قال : كل شيخ وشابّ .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : مشاغيل وغير مشاغيل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٤٧ – حدثنا ابن بشار وابن وكيع قالا ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن الحكم فى قوله : « انفروا خفافاً وثقالاً » ، قال : مشاغيل وغير مشاغيل .

* * *

وقال آخرون : معناه : انفروا أغنياء وفقراء .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) فى المطبوعة : « من يحبه الله يبتليه ، ثم يعيده فيبقيه » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، فهو الصواب وحده .

(٢) الأثر : ١٦٧٤٥ – « بقية » هو « بقية بن الوليد » ، سلف مراراً كثيرة .

و « حريز » هو « حريز بن عثمان بن جبر الرحبى » ، ثقة مأمون ، ثبت فى الحديث ، وإنما وضع منه من وضع ، لأنه كان ينال من على رضى الله عنه ، ثم ترك ذلك . و « حريز » (بفتح الحاء ، وكسر الراء) . وقال أبو داود : « شيوخ حريز ، كلهم ثقات » . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٩٦/١/٢ ، وابن أبى حاتم ٢٨٩/٢/١ .

وكان فى المطبوعة : « جرير » ، وهو فى المخطوطة غير منقوط .

و « حبان بن زيد الشرعبى » (بكسر الحاء من : حبان) ، أبو خداش الحمصى ، ذكره ابن حبان فى الثقات ، وسلف قبل أن أبا داود ، وثق جميع شيوخ حريز بن عثمان . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٧٨/١/٢ ، وابن أبى حاتم ٢٦٩/٢/١ .

و « صفوان بن عمرو » ، كأنه هو « صفوان بن عمرو بن هرم السكسكى » ، ثقة . والذى حملنى على هذا الظن ، أنى رأيت فى ترجمته فى التهذيب عن أبى اليمان ، عن صفوان : « أدركت من خلافة عبد الملك ، وخرجنا فى بعث سنة ٩٤ » ، ولكنى لم أجد ذكراً لولايته على حمص .

وقد سلف « صفوان بن عمرو السكسكى » مراراً ، منها رقم : ٧٠٠٩ ، ١٢٨٠٧ ، ١٣١٠٨ .

١٦٧٤٨ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن عنبسة، عمن ذكره، عن أبي صالح : « انفروا خفافاً ، وثقالاً » ، قال : أغنياء وفقراء .

* * *

وقال آخرون : معناه : نِشاطاً وغير نِشاط .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٤٩ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « انفروا خفافاً وثقالاً » ، يقول : انفروا نِشاطاً وغير نِشاط . ٩٨/١٠

١٦٧٥٠ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر عن قتادة : « خفافاً وثقالاً » ، قال : نِشاطاً وغير نِشاط .

* * *

وقال آخرون : معناه : ركباناً ومشاةً .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٥١ – حدثنا علي بن سهل قال، حدثنا الوليد قال ، قال أبو عمرو : إذا كان النَّفْر إلى دروب الشأم ، نفر الناس إليها « خِفافاً» ، ركباناً . وإذا كان النَّفْر إلى هذه السواحل، نفروا إليها « خفافاً وثقالاً » ، ركباناً ومشاة .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : ذا ضَيْعة وغير ذي ضَيْعة .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٥٢ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « انفروا خفافاً وثقالاً » ، قال : « الثقيل » ، الذي له الضيعة ، فهو ثقيل يكره أن يُضيع ضَيْعته ويخرج = و « الخفيف » الذي لا ضيعة له، فقال الله : « انفروا خفافاً وثقالاً » .

١٦٧٥٣ – حدثنا ابن عبد الأعلى قال، حدثنا المعتمر ، عن أبيه قال :

زعم حضرمىّ أنه ذُكر له أن ناساً كانوا عسى أن يكون أحدهم عليلاً أو كبيراً فيقول : إن أجتنبْه إباءً ، فإنى آثم ![1] فأنزل الله : « انفروا خفافاً وثقالاً » .

١٦٧٥٤ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا أيوب ، عن محمد قال : شهد أيوب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرًا، ثم لم يتخلف عن غَزاة للمسلمين إلا وهو فى أخرى ،[2] إلا عاماً واحداً . وكان أيوب يقول : « انفروا خفافاً وثقالاً » ، فلا أجدنى إلاّ خفيفاً أو ثقيلاً .[3]

١٦٧٥٥ — حدثنا على بن سهل قال، حدثنا الوليد بن مسلم قال ، حدثنا حَرِيز بن عثمان ، عن راشد بن سعد ، عمن رأى المقداد بن الأسود فارسَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على تابوتٍ من توابيت الصَّيارفة بحمص ، وقد فَضَل عنه من عِظَمِه ، فقلت له : لقد أعذر الله إليك! فقال : أبتْ علينا «سورة البعوث» ،[4] « انفروا خفافاً وثقالاً » .[5]

---

(١) فى المطبوعة مكان : « إن أحتنبه إباء ، فإنى آثم » ما نصه : « فيقول : إنى أحسبه قال : أنا لا آثم » ، وهو مضطرب جداً ، وفى تفسير ابن كثير ٤ : ١٧٤ ، ١٧٥ ، اختصر الكلام وكتب : « فيقول : إنى لا آثم » ، وفى الدر المنثور ٣ : ٢٤٦ ، مثله مختصراً . وأما المخطوطة فكان رسمها هكذا : « فيقول : إن أحسبه أباً قال آثم » ، فآثرت قراءتها كما أثبتها ، ومعناه : إن أجتنب النفر إباء للغزو ، فإنى آثم ، ولكن علتى أو كبرى عذر يدفع عنى إثم التخلف . هذا ما رجحته ، والله أعلم .

(٢) فى المطبوعة : « إلا وهو فى أخرى » ، وفى المخطوطة : « فى آخرين » ، وحذف هذه العبارة ابن كثير فى تفسيره ، والسيوطى فى الدر المنثور . وهى صحيحة المعنى ، رواها ابن سعد « فى أخرى » كما فى المطبوعة : ورواها الحاكم : « إلا هو فيها » .

(٣) الأثر : ١٦٧٥٤ — رواه ابن سعد فى الطبقات ٣/٢/٤٩ من طريق إسماعيل ابن إبراهيم الأسدى ، وهو « ابن علية » ، مطولا مفصلا .

ورواه الحاكم فى المستدرك ٣ : ٤٥٨ ، من هذه الطريق نفسها ، مطولا .

(٤) هكذا جاء هنا فى المخطوطة : « البعوث » ، وأنا فى شك منه شديد ، لأنى لم أجد من سمى « سورة التوبة » ، « سورة البعوث » ، بل أجمعوا على تسميتها « سورة البحوث » ، كما سأفسره بعد ص : ٢٦٨ ، تعليق : ٢ . ثم انظر آخر التعليق على الخبر رقم : ١٦٧٥٦ .

(٥) الأثر : ١٦٧٥٥ . « حريز بن عثمان بن جبر الرحبى » ، مضى آنفاً برقم ١٦٧٤٥ . وكان فى المطبوعة : « جرير » ، وهو خطأ ، وفى المخطوطة غير منقوط .

و « راشد بن سعد المقرائى الحبرانى الحمصى » ، ثقة ، لا بأس به إذا لم يحدث عنه متروك ،

١٦٧٥٦ – حدثنا سعيد بن عمرو السكونى قال، حدثنا بقية بن الوليد قال : حدثنا حريز قال ، حدثنى عبد الرحمن بن ميسرة قال ، حدثنى أبو راشد الحبرانى قال : وافيت المقداد بن الأسود فارسَ رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً على تابوت من توابيت الصيارفة بحمص، قد فَضَل عنها من عِظَمه،[1] يريد الغزو، فقلت له : لقد أعذر الله إليك ! فقال ، أبَتْ علينا « سورة البُحُوث » :[2] « انفروا خفافاً وثقالاً » .[3]

* * *

وشيوخ « حريز بن عثمان » ثقات جميعاً، كما أسلفت فى رقم : ١٦٧٤٥ ، و « حريز » ثقة فى نفسه . وهذا الخبر سيأتى بعد هذا ، ليس فيه مجهول .

(١) فى المطبوعة : « فضل عنه » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، لأنه صواب محض ، فالتابوت ، يذكر ، وقد يؤنث .

(٢) فى المطبوعة : « البعوث » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو الموافق لرواية هذا الأثر فى المراجع التى سأذكرها . و « البحوث »: منهم من يقولها بضم الباء ، جمع « بحث » ، سميت بذلك لأنها بحثت عن المنافقين وأسرارهم ، أى : استثارتها وفتشت عنها .

وقد قال ابن الأثير إنه رأى فى « الفائق » للزمخشرى « البحوث » بفتح الباء ، ومطبوعة الفائق ، لا ضبط فيها . ثم قال ابن الأثير : « فإن صحت ، فهى فعول ، من أبنية المبالغة ، ويقع على الذكر والأنثى ، كامرأة صبور ، ويكون من باب إضافة الموصوف إلى الصفة » . أما الزمخشرى فقال : « سورة البحوث : هى سورة التوبة ، لما فيها من البحث عن المنافقين وكشف أسرارهم ، وتسمى المبعثرة » .

وهذا كله يؤيد ما ذهبت إليه فى ص٢٦٧، التعليق رقم : ٤.

(٣) الأثر : ١٦٧٥٦ – انظر التعليق على الأثر السالف رقم : ١٦٧٥٥ .

« سعيد بن عمرو السكونى » ، شيخ الطبرى ، ثقة ، مضى برقم : ٥٥٦٣ ، ٦٥٢١ ، وغيرهما .

و « بقية بن الوليد » ، مضى توثيقه ، ومن تكلم فيه قريباً رقم : ١٦٧٤٥ .

و « حريز » هو « حريز بن عثمان » ، سلف فى الأثر السالف ، ومراجعه هناك ، وكان فى المطبوعة هنا « جرير » أيضاً ، والمخطوطة غير منقوطة .

و « عبد الرحمن بن ميسرة الحضرمى » ، أبو سلمة الحمصى ، ثقة ، لأن أبا داود قال : « شيوخ حريز كلهم ثقات » . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٢/٢/٢٨٥ .

و « أبو راشد الحبرانى الحميرى الحمصى » ، تابعى ثقة . لم يرو عنه غير « حريز » . مترجم فى التهذيب ، والكنى للبخارى : ٣٠ .

وهذا الخبر رواه ابن سعد فى الطبقات ٣/١/١١٥ ، من طريق يزيد بن هارون ، عن

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك عندنا بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره أمر المؤمنين بالنَّفر لجهاد أعدائه فى سبيله ، خفافاً وثقالاً . وقد يدخل فى « الخفاف » كل من كان سهلاً عليه النفر لقوة بدنه على ذلك ، وصحة جسمه وشبابه ، ومن كان ذا يُسْرٍ بمالٍ وفراغ من الاشتغال ،[1] وقادراً على الظهر والركاب . ويدخل فى « الثقال » ، كل من كان بخلاف ذلك ، من ضعيف الجسم وعليله وسقيمه ، ومن مُعْسِرٍ من المال ، ومشتغل بضيعة ومعاش ، ومن كان لا ظهرَ له ولا ركاب ، والشيخ ذو السِّن والعِيَال .

فإذ كان قد يدخل فى « الخفاف » و « الثقال » من وصفنا من أهل الصفات التى ذكرنا ، ولم يكن الله جل ثناؤه خصَّ من ذلك صنفاً دون صنف فى الكتاب ، ولا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا نَصَب على خصوصه دليلاً ، وجب أن يقال : إن الله جل ثناؤه أمر المؤمنين من أصحاب رسوله بالنفر للجهاد فى سبيله خفافاً وثقالاً مع رسوله صلى الله عليه وسلم ، على كل حال من أحوال الخفّة والثقل .

* * *

١٦٧٥٧ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن سعيد بن مسروق ، عن مسلم بن صبيح قال : أول ما نزل من « براءة » : « انفروا خفافاً وثقالاً » .

حريز بن عثمان (وفى الطبقات : جرير ، وهو خطأ كما بينت) .

ورواه الحاكم فى المستدرك من طريق : بقية بن الوليد ، عن حريز بن عثمان (وفيه : جرير ، وهو خطأ) .

وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧ : ٣٠ ، وقال : « رواه الطبرانى ، وفيه بقية بن الوليد ، وفيه ضعف ، وقد وثق . وبقية رجاله ثقات » .

قلت : قد تبين من التخريج أنه رواه عن « حريز » ، « يزيد بن هارون » ، وهو ثقة روى له الجماعة ، كما سلف مراراً .

هذا ، وقد جاء فى مجمع الزوائد « سورة البعوث » ، وانظر ما كتبته آنفاً فى ص : ٢٦٧ ، تعليق : ٤ ، و ص : ٢٦٨ ، تعليق : ٢ .

(١) فى المطبوعة : « ذا تيسر » ، والذى فى المخطوطة محض الصواب .

١٦٧٥٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن سفيان، عن أبيه، عن أبي الضحى، مثله.

١٦٧٥٩ – حدثنا الحارث قال، حدثنا القاسم قال، حدثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد قال: إن أول ما نزل من «براءة»: «لقد نصركم الله في مواطن كثيرة»، قال: يعرِّفهم نصره، ويوطِّنهم لغزوة تَبُوك. ٩٩/١٠

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٤١)

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: «جاهدوا»، أيها المؤمنون، الكفارَ = «بأموالكم»، فأنفقوها في مجاهدتهم على دين الله الذي شرعه لكم، حتى ينقادوا لكم، فيدخلوا فيه طوعاً أو كرهاً، أو يعطوكم الجزية عن يدٍ صَغَاراً، إن كانوا أهل كتابٍ، أو تقتلوهم[1] = «وأنفسكم»، يقول: وبأنفسكم، فقاتلوهم بأيديكم، يخزهم الله وينصركم عليهم = «ذلكم خير لكم»، يقول: هذا الذي آمركم به من النفر في سبيل الله تعالى خفافاً وثقالاً، وجهادِ أعدائه بأموالكم وأنفسكم، خيرٌ لكم من التثاقل إلى الأرض إذا استنفرتم، والخلودِ إليها، والرضى بالقليل من متاع الحياة الدنيا عِوضاً من الآخرة = إن كنتم من أهل العلم بحقيقة ما بُيِّن لكم من فضل الجهاد في سبيل الله على القعود عنه.

* * *

(١) انظر تفسير «الجهاد» فيما سلف ص: ١٧٣، تعليق: ٥، والمراجع هناك.
= وتفسير «سبيل الله» فيما سلف من فهارس اللغة (سبل).

القول فى تأويل قوله ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَـٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (٤٢)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه للنبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت جماعة من أصحابه قد استأذنوه فى التخلّف عنه حين خرج إلى تبوك ، فأذن لهم : لو كان ما تدعو إليه المتخلفين عنك ، والمستأذنيك فى ترك الخروج معك إلى مغزاك الذى استنفرتهم إليه = « عرضاً قريباً » ، يقول : غنيمة حاضرة[1] = « وسفراً قاصداً » ، يقول : وموضعاً قريباً سهلاً = « لاتبعوك » ، ونفروا معك إليهما ، ولكنك استنفرتهم إلى موضع بعيد ، وكلفتهم سفراً شاقًّا عليهم ، لأنك استنهضتهم فى وقت الحرّ ، وزمان القَيْظ ، وحين الحاجة إلى الكِنّ = « وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم » ، يقول تعالى ذكره : وسيحلف لك ، يا محمد ، هؤلاء المستأذنوك فى ترك الخروج معك ، اعتذاراً منهم إليك بالباطل ، لتقبل منهم عذرهم ، وتأذن لهم فى التخلّف عنك ، بالله كاذبين = « لو استطعنا لخرجنا معكم » ، يقول : لو أطقنا الخروجَ معكم ، بوجود السَّعة والمراكب والظهور وما لا بُدَّ للمسافر والغازى منه ، وصحة البدن والقوى ، لخرجنا معكم إلى عدوّكم = « يهلكون أنفسهم » ، يقول : يوجبون لأنفسهم ، بحلفهم بالله كاذبين ، الهلاك والعطب ،[2] لأنهم يورثونها سَخَط الله ، ويكسبونها أليم عقابه = « والله يعلم إنهم لكاذبون » ، فى حلفهم بالله : « لو استطعنا لخرجنا معكم » ، لأنهم كانوا للخروج مطيقين ، بوجود السبيل إلى ذلك بالذى كان عندهم من الأموال ، مما يحتاج إليه الغازى فى غزوه ، والمسافر فى سفره ،

---

(١) انظر تفسير « العرض » فيما سلف ص: ٥٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الهلاك » فيما سلف ١٣ : ١٥٠ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

وصحة الأبدان وقوّى الأجسام .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٦٠ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « لو كان عرضاً قريباً » ، إلى قوله : « لكاذبون » ، إنهم يستطيعون الخروج ، ولكن كان تَبْطِئَةً من عند أنفسهم والشيطان ، وزَهَادة فى الخير .

١٦٧٦١ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « لو كان عرضاً قريباً » ، قال : هى غزوة تبوك .

١٦٧٦٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « والله يعلم إنهم لكاذبون » ، أى : إنهم يستطيعون .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ (٤٣)

قال أبو جعفر : وهذا عتابٌ من الله تعالى ذكره ، عاتبٌ به نبيَّه صلى الله عليه وسلم فى إذنه لمن أذن له فى التخلف عنه، حين شخص إلى تبوك لغزو الروم، من المنافقين .

يقول جل ثناؤه : « عفا الله عنك » ، يا محمد ، ما كان منك فى إذنك لهؤلاء المنافقين الذين استأذنوك فى ترك الخروج معك ، وفى التخلف عنك ، من قبل أن تعلم صدقه من كذبه[2] = « لم أذنت لهم » ، لأى شىء أذنت لهم ؟ = ١٠/١٠٠

(١) الأثر : ١٦٧٦٢ – سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٤ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٦٩٩ .
(٢) انظر تفسير « العفو » فيما سلف من فهارس اللغة (عفا) .

« حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين» ، يقول : ما كان ينبغى لك أن تأذن لهم فى التخلف عنك إذ قالوا لك : « لو استطعنا لخرجنا معك » ، حتى تعرف مَن له العذر منهم فى تخلفه، ومن لا عذر له منهم ، فيكون إذنك لمن أذنتَ له منهم على علم منك بعذره ، وتعلمَ مَنِ الكاذبُ منهم المتخلفُ نفاقاً وشكًّا فى دين الله .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٦٣ — حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « عفا الله عنك لم أذنت لهم »، قال : ناسٌ قالوا : استأذِنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن أذن لكم فاقعدوا ، وإن لم يأذن لكم فاقعدوا .

١٦٧٦٤ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا » الآية، عاتبه كما تسمعون، ثم أنزل الله التى فى « سورة النور »، فرخص له فى أن يأذن لهم إن شاء، فقال : ﴿فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ﴾، [سورة النور : ٦٢]، فجعله الله رخصةً فى ذلك من ذلك .

١٦٧٦٥ — حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عمرو بن ميمون الأودى قال : اثنتان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يؤمر فيهما بشىء : إذنه للمنافقين ، وأخذه من الأسارى ، فأنزل الله : « عفا الله عنك لم أذنت لهم » ، الآية .

١٦٧٦٦ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبيد بن سليمان قال، قرأت على سعيد بن أبى عروبة ، قال : هكذا سمعته من قتادة ، قوله : « عفا الله عنك لم

أذنت لهم » الآية ، ثم أنزل الله بعد ذلك فى « سورة النور » : ﴿ فَإِذَا ٱسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ ﴾ الآية .

١٦٧٦٧ — حدثنا صالح بن مسمار قال، حدثنا النضر بن شميل قال ، أخبرنا موسى بن سَرْوان، قال : سألت مورِّقاً عن قوله : « عفا الله عنك » ، قال : عاتبه ربه . (١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (٤٤)

قال أبو جعفر : وهذا إعلامٌ من الله نبيَّه صلى الله عليه وسلم سيمَا المنافقين : أن من علاماتهم التى يُعرفون بها، تخلُّفهم عن الجهاد فى سبيل الله، باستئذانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تركهم الخروجَ معه إذا استنفروا بالمعاذير الكاذبة .

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد، لا تأذنَ فى التخلُّف عنك إذا خرجت لغزو عدوّك ، لمن استأذنك فى التخلف من غير عذر ، فإنه لا يستأذنك فى ذلك إلا منافق لا يؤمن بالله واليوم الآخر . فأمَّا الذى يصدّق بالله، ويقرُّ بوحدانيته وبالبعث والدار الآخرة والثواب والعقاب ، فإنه لا يستأذنك فى

---

(١) الأثر . ١٦٧٦٧ — « صالح بن مسمار المروزى السلمى » ، شيخ الطبرى ، مضى برقم : ٢٢٤ .

و « النضر بن شميل المازنى » الإمام النحوى ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ١١٥١٢

و « موسى بن سروان العجلى » ، ويقال : « ثروان » و « فروان » مضى برقم : ١١٤١١ ، وكان فى المطبوعة هنا « موسى بن مروان » ، وهو خطأ ، وأثبت ما فى المخطوطة

و « مورق » ، هو « مورق بن مشمرج العجلى » ، ثقة عابد من العباد الخشن مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/٢/٥١ ، وابن أبى حاتم ٤/١/٤٠٣

ترك الغزو وجهاد أعداء الله بماله ونفسه [١]= « والله عليم بالمتقين »، يقول : والله ذو علم بمن خافه ، فاتقاه بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه، والمسارعة إلى طاعته في غزو عدوّه وجهادهم بماله ونفسه ، وغير ذلك من أمره ونهيه .[٢]

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٦٨ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله » ، فهذا تعييرٌ للمنافقين حين استأذنوا في القُعود عن الجهاد من غير عُذْر ، وعَذَر الله المؤمنين فقال : ﴿ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾ ، [سورة النور : ٦٢] .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ إِنَّمَا يَسْتَئْذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ (٤٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : إنما يستأذنك، يا محمد، في التخلف خِلافكَ وترك الجهاد معك، من غير عذر بيِّنٍ ، الذين لا يصدّقون بالله ولا يقرّون بتوحيده = « وارتابت قلوبهم» ، يقول : وشكت قلوبهم في حقيقة وحدانية الله ، وفي ثواب أهل طاعته ، وعقابه أهل معاصيه[٣]= « فهم ١٠/١٠١ في ريبهم يترددون »، يقول : في شكهم متحيِّرون ، وفي ظلمة الحيرة متردِّدون ، لا يعرفون حقًّا من باطل، فيعملون على بصيرة . وهذه صفة المنافقين .

* * *

(١) انظر تفسير « جاهد » فيما سلف ص : ٢٧٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « التقوى » فيما سلف من فهارس اللغة (وق) .

(٣) انظر تفسير « الارتياب » و « الريب » فيما سلف ١١ . ١٧٢ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك = ثم ١١ : ٢٨٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

وكان جماعة من أهل العلم يرون أن هاتين الآيتين منسوختان بالآية التى ذكرت فى « سورة النور » .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٦٩ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح، عن الحسين، عن يزيد، عن عكرمة والحسن البصرى قالا : قوله : « لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله » إلى قوله : « فهم فى ريبهم يترددون » ، نسختهما الآية التى فى « النور » : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ﴾ إلى ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. [سورة النور : ٦٢] .

* * *

وقد بيّنّا « الناسخ والمنسوخ » ، بما أغنى عن إعادته ههنا .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ (٤٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولو أراد هؤلاء المستأذنوك ، يا محمد ، فى ترك الخروج معك لجهاد عدوّك، الخروجَ معك = « لأعدُّوا له عدّة » ، يقول : لأعدوا للخروج عدة ، ولتأهّبوا للسفر والعدوّ أهْبَتهما(٢) = « ولكن كره الله انبعاثهم » ، يعنى خروجهم لذلك(٣) = « فثبطهم » ، يقول : فثقّل عليهم الخروجَ حتى استخفُّوا القعودَ فى منازلهم خِلافك، واستثقلوا السفر والخروج معك، فتركوا

(١) انظر مقالته فى « الناسخ والمنسوخ » فيما سلف ص٤٢ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك . وانظر الفهارس العامة ، وفهارس النحو والعربية وغيرها .

(٢) انظر تفسير « أعد » ، فيما سلف ص : ٣١ .

(٣) انظر تفسير « الكره » فيما سلف ٨ : ١٠٤ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
— وتفسير « البعث » فيما سلف ١١ : ٤٠٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

لذلك الخروج = « وقيل اقعدوا مع القاعدين » ، يعنى : اقعدوا مع المرضى والضعفاء الذين لا يجدون ما ينفقون ، ومع النساء والصبيان، واتركوا الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجاهدين فى سبيل الله .(١)

* * *

وكان تثبيط الله إياهم عن الخروج مع رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به ، لعلمه بنفاقهم وغشهم للإسلام وأهله ، وأنهم لو خرجوا معهم ضرُّوهم ولم ينفعوا . وذكر أن الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القعود كانوا : « عبد الله ابن أبىّ ابن سلول » ، و « الجدّ بن قيس » ، ومن كان على مثل الذى كانا عليه. كذلك :—

١٦٧٧٠ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : كان الذين استأذنوه فيما بلغنى ، من ذوى الشرف ، منهم : عبد الله بن أبىّ ابن سلول ، والجدّ بن قيس، وكانوا أشرافاً فى قومهم، فثبطهم الله، لعلمه بهم، أن يخرجوا معهم ،(٢) فيفسدوا عليه جنده .(٣)

* * *

(١) انظر تفسير « القعود » فيما سلف ٩ : ٨٥ .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « يخرجوا معهم » وفى سيرة ابن هشام : « معه » .

(٣) الأثر : ١٦٧٧٠ — سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٤ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٧٦٢. وكان فى المخطوطة : « فيفسدوا عليه حسه » غير منقوطة ، فاسدة الكتابة . والذى فى المطبوعة مطابق لما فى سيرة ابن هشام ، وهو الصواب .

القول فى تأويل قوله ﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٤٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : لو خرج، أيها المؤمنون ، فيكم هؤلاء المنافقون = « ما زادوكم إلا خبالاً »، يقول : لم يزيدوكم بخروجهم فيكم إلا فساداً وضرًّا ، ولذلك ثبَّطتُهم عن الخروج معكم .

* * *

وقد بينا معنى « الخبال »، بشواهده فيما مضى قبل .(١)

* * *

= « ولأوضعوا خلالكم» ، يقول : ولأسرعوا بركائبهم السَّير بينكم .

* * *

وأصله من « إيضاع الخيل والركاب » ، وهو الإسراع بها فى السير . يقال للناقة إذا أسرعت السير : « وضعت الناقة تَضَع وَضعاً ومَوْضوعاً » ، و« أوضعها صاحبها »، إذا جدّ بها وأسرع ، « يوضعها إيضاعاً » ، ومنه قول الراجز :(٢)

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعْ أَخُبُّ فِيهَا وَأَضَعْ.(٣)

* * *

---

(١) انظر تفسير « الخبال » فيما سلف ٧ : ١٣٩ ، ١٤٠ .

(٢) هو دريد بن الصمة .

(٣) سيرة ابن هشام ٤ : ٨٢ ، واللسان (وضع) ، وغيرهما ، وهذا رجز قاله دريد فى يوم غزوة حنين ، وكان خرج مع هوازن، عليهم مالك بن عوف النصرى ، ودريد بن الصمة يومئذ شيخ كبير ، ليس فيه شىء إلا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شيخاً مجرباً . وكان مالك بن عوف كره أن يكون لدريد بن الصمة رأى فى حربهم هذه أو ذكر ، فقال دريد : « هذا يوم لم أشهده ولم يفتنى » .

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعْ أَخُبُّ فِيهَا وَأَضَعْ
أَقُودُ وَطْفَاءَ الزَّمَعْ كَأَنَّهَا شَاةُ صَدَعْ

و « الجذع » ، الصغير الشاب . و « الخبب » ، ضرب من السير كالوضع . ثم وصف فرسه

وأما أصل « الخلال » ، فهو من « الخَلَل » ، وهى الفُرَج تكون بين القوم ، فى الصفوف وغيرها . ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم : « تَرَاصُّوا فِى الصُّفُوفِ لاَ يَتَخَلَّلْكُمْ [الشَّياطين ، كأنها] أَوْلاَدُ الحَذَفِ » .(١)

* * *

وأما قوله : « يبغونكم الفتنة » ، فإن معنى : « يبغونكم الفتنة » ، يطلبون لكم ما تفتنون به ، عن مخرجكم فى مغزاكم ، بتثبيطهم إياكم عنه .(٢)

* * *

يقال منه : « بغيتُه الشر » ، « وبغيتُه الخير » « أبغيه بُغاء » ، إذا التمسته له ، بمعنى : « بغيت له » . وكذلك « عكمتك » ، و « حلبتك » ، بمعنى : « حلبت لك » ، و « عكمت لك » ،(٣) وإذا أرادوا : أعنتك على التماسه وطلبه ، قالوا : « أبْغَيتُك كذا » ، و « أحلبتك » ، و « أعكمتك » ، أى : أعنتك عليه .(٤)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك : ١٠٢/١٠

١٦٧٧١ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن

فيما تمنى . « وطفاء » ، طويلة الشعر ، و « الزمعة » الهنة الزائدة الناتئة فوق ظلف الشاة . و « الشاة » هنا : الوعل وهو شاة الجبل . و « صدع » الفتى القوى من الأوعال .

(١) لم يذكر إسناده ، وهو حديث مشهور ، رواه أبو داود فى سننه ١ : ٢٥٢ ، رقم : ٦٦٧ ، بغير هذا اللفظ ، والنسائى فى السنن ٢ : ٩٢ . والذى وضعته بين القوسين من الحديث فيما رواه صاحب اللسان ، لأنه فى السنن : « كأنها الحذف » ، وفى اللسان أيضاً « كأنها بنات حذف » . أما المطبوعة فقد ضم الكلام بعضه إلى بعض ، مع أنه كان فى المخطوطة ، بياض بين « لا يتخللكم » ، وبين « أولاد الحذف » ، وفى الهامش حرف (ط) دلالة على الخطأ .

و « الحذف » ضأن سود جرد صغار ، ليس لها آذان ولا أذناب ، يجاء بها إلى الحجاز من جرش اليمن ، واحدتها « حذفة » (بفتحتين) ، شبه الشياطين بها .

(٢) انظر تفسير « الفتنة » فيما سلف ص : ٨٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) « عكمه » و « عكم له » ، هو أن يسوى له الأعدال على الدابة ويشدها .

(٤) انظر تفسير « بغى » فيما سلف ١٣ : ٨٤ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
ثم انظر مثل هذا التفصيل فيما سلف ٧ : ٥٣ .

معمر ، عن قتادة : « ولأوضعوا خلالكم » ، بينكم = « يبغونكم الفتنة » ، بذلك .

١٦٧٧٢ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : «ولأوضعوا خلالكم» ، يقول : [ولأوضعوا بينكم] ، خلالكم ، بالفتنة .[1]

١٦٧٧٣ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة » ، يبطئونكم قال : رفاعة بن التابوت ، وعبد الله بن أبيّ ابن سلول ، وأوس بن قيظيّ .

١٦٧٧٤ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « ولأوضعوا خلالكم » ، قال : لأسرعوا الأزقة[2] = « خلالكم يبغونكم الفتنة » ، يبطِّئونكم = عبد الله بن نبتل ، ورفاعة بن تابوت ، وعبد الله بن أبي ابن سلول .

١٦٧٧٥ — . . . . قال حدثنا الحسين قال، حدثني أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة : « ولأوضعوا خلالكم » ، قال : لأسرعوا خلالكم يبغونكم الفتنة بذلك .

١٦٧٧٦ — حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله : « لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً » ، قال : هؤلاء المنافقون في غزوة تبوك . يسلِّي الله عنه نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فقال : وما يُحزنكم ؟ لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ! يقولون : « قد جُمع لكم ، وفُعِل وفُعِل ، يخذِّلونكم» =«ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة » ، الكفر .

* * *

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « « ولأضعوا أسلحتهم خلالكم بالفتنة » ، وهو لا يفيد معنى ، وظني أن « أسلحتهم » هي « بينكم » ، وهو تفسير « خلالكم » كما مر في أثر قتادة السالف ، ولكنه أخر اللفظ الذي فسره وهو « خلالكم » .

(٢) هكذا في المطبوعة والمخطوطة : « الأزقة » ، وهو جمع « زقاق » « بضم الزاي » ، وهو الطريق الضيق ، دون السكة ، وجعل « الأزقة » مفعولا لقوله : « أسرعوا » ، غريب ، وأخشى أن يكون في الكلام خلل أو تصحيف .

وأما قوله : « وفيكم سَمَّاعون لهم » ، فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله .

فقال بعضهم : معنى ذلك : وفيكم سماعون لحديثكم لهم ، يؤدُّونه إليهم ، عيونَ لهم عليكم .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٧٧ – حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد: «وفيكم سماعون لهم »، يحدِّثون أحاديثكم، عيونٌ غير منافقين .

١٦٧٧٨ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « وفيكم سماعون لهم » ، قال : محدِّثون ، عيون، غير المنافقين .[1]

١٦٧٧٩ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وفيكم سماعون لهم » ، يسمعون ما يؤدُّونه لعدوِّكم .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وفيكم من يسمع كلامهم ويُطيع لهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٨٠ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة: « وفيكم سماعون لهم » ، وفيكم من يسمع كلامهم .

١٦٧٨١ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : كان الذين استأذنوا ، فيما بلغنى ، من ذوى الشرف ، منهم عبد الله بن أبى ابن سلول، والجدُّ بن قيس، وكانوا أشرافاً فى قومهم، فثبطهم الله ، لعلمه بهم : أن يخرجوا معهم، فيفسدوا عليه جُنده. وكان فى جنده قوم أهلُ محبةٍ لهم وطاعةٍ فيما يدعونهم إليه ، لشرفهم فيهم ، فقال : « وفيكم سمَّاعون لهم » .[2]

---

(١) فى المطبوعة : « غير منافقين » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٦٧٨١ – صدر هذا الخبر مضى برقم : ١٦٧٧٠ ، وساقه هنا فيما بعد ، وهو فى سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٤ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٧٦٢ .

قال أبو جعفر : فعلى هذا التأويل : وفيكم أهلُ سمع وطاعة منكم ، لو صحبوكم أفسدوهم عليكم ، بتثبيطهم إياهم عن السير معكم .

وأما على التأويل الأول ، فإن معناه: وفيكم منهم سمّاعون يسمعون حديثكم لهم ، فيبلغونهم ويؤدونه إليهم ، عيون لهم عليكم .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين عندى فى ذلك بالصواب ، تأويلُ من قال : معناه : « وفيكم سماعون لحديثكم لهم ، يبلغونه عنكم ، عيون لهم » ، لأن الأغلب من كلام العرب فى قولهم: « سمّاع »، وصف من وصف به أنه سماع للكلام ، كما قال الله جل ثناؤه فى غير موضع من كتابه : ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ ﴾ [سورة المائدة ٤١] ، واصفاً بذلك قوماً بسماع الكذب من الحديث . وأما إذا وصفوا الرجل بسماع كلام الرجل وأمره ونهيه وقبوله منه وانتهائه إليه، فإنما تصفه بأنه: « له سامع مطيع » ، ولا تكاد تقول : = « هو سماع مطيع » .(١)

* * *

وأما قوله : « والله عليم بالظالمين » ، فإن معناه : والله ذو علم بمن يوجّه أفعاله إلى غير وجوهها ، ويضعها فى غير مواضعها ، ومن يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعذر ، ومن يستأذنه شكًّا فى الإسلام ونفاقاً ، ومن يسمع حديث ١٠/١٠٣ المؤمنين ليخبر به المنافقين ، ومن يسمعه ليسرَّ بما سُرَّ به المؤمنون ،(٢) ويساء بما ساءهم ، لا يخفى عليه شىء من سرائر خلقه وعلانيتهم .(٣)

* * *

وقد بينا معنى «الظلم» فى غير موضع من كتابنا هذا، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .(٤)

* * *

---

(١) انظر تفسير « سماع » فيما سلف ١٠ : ٣٠٩ .

(٢) فى المطبوعة : « بما سر المؤمنين » ، وفى المخطوطة : « بما سر المؤمنون »، وصوابها ما أثبت .

(٣) انظر تفسير « عليم » فيما سلف من فهارس اللغة (علم) .

(٤) انظر تفسير « الظلم » فيما سلف من فهارس اللغة (ظلم) .

القول فى تأويل قوله ﴿ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾ (٤٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : لقد التمس هؤلاء المنافقون الفتنةَ لأصحابك، يا محمد ، التمسوا صدَّهم عن دينهم[١] ، وحرصوا على ردّهم إلى الكفرِ بالتخذيل عنه ،[٢] كفعل عبد الله بن أبيّ بك وبأصحابك يوم أحدٍ ، حين انصرف عنك بمن تبعه من قومه . وذلك كان ابتغاءهم ما كانوا ابتغوا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفتنة من قبل . ويعنى بقوله : « من قبل »، من قبل هذا = « وقلبوا لك الأمور » ، يقول : وأجالوا فيك وفى إبطال الدين الذى بعثك به الله الرأىَ بالتخذيل عنك ،[٣] وإنكار ما تأتيهم به ، وردّه عليك = « حتى جاء الحق » ، يقول : حتى جاء نصر الله = « وظهر أمر الله » ، يقول : وظهر دين الله الذى أمرَ به وافترضه على خلقه، وهو الإسلام[٤]= « وهم كارهون » ، يقول : والمنافقون بظهور أمر الله ونصره إياك كارهون .[٥] وكذلك الآن ، يظهرك الله ويظهر دينه على الذين كفروا من الروم وغيرهم من أهل الكفر به ، وهم كارهون .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك .

١٦٧٨٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وقلبوا

---

(١) انظر تفسير « ابتغى » فيما سلف قريبا ص : ٢٧٩ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الفتنة » فيما سلف ص : ٢٧٩ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « التقليب » فيما سلف ١٢ : ٤٤ ، ٤٥ ، ومادة (قلب) فى فهارس اللغة .

(٤) انظر تفسير « الظهور » فيما سلف ص: ٢١٤، ٢١٥ .

(٥) انظر تفسير « الكره » فيما سلف ص: ٢٧٦ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

لك الأمور » ، أى : ليخذّلوا عنك أصحابك ، ويردُّوا عليك أمرك = « حتى جاء الحق وظهر أمر الله » . (١)

* * *

وذكر أن هذه الآية نزلت فى نفرٍ مسمَّين بأعيانهم .

١٦٧٨٣ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن عمرو ، عن الحسن قوله : « وقلبوا لك الأمور » ، قال : منهم عبد الله بن أبىّ ابن سلول ، وعبد الله بن نبتل أخو بنى عمرو بن عوف ، ورفاعة بن رافع ، وزيد ابن التابوت القينقاعى . (٢)

* * *

وكان تخذيل عبد الله بن أبىٍّ أصحابَه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الغزاة ، كالذى : —

١٦٧٨٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن الزهرى ، ويزيد بن رومان ، وعبد الله بن أبى بكر ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وغيرهم ، كلٌّ قد حدَّث فى غزوة تبوك ما بلَغه عنها ، وبعض القوم يحدِّث ما لم يحدِّث بعضٌ ، وكلٌّ قد اجتمع حديثه فى هذا الحديث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم ، وذلك فى زمان عُسْرةٍ من الناس ، (٣) وشدة من الحرّ ، وجَدْبٍ من البلاد ، وحين طاب الثمار ، وأحبِبَّتِ الظلال ، (٤) فالناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشخوص عنها ، على الحال من الزمان الذى هم عليه . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلَّما يخرج فى غزوةٍ

---

(١) الأثر : ١٦٧٨٢ — سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٤ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٧٨١ .

(٢) الأثر : ١٦٧٨٢ — لم أجده فى سيرة ابن هشام . ولكنه فى تاريخ الطبرى ٣ : ١٤٣ ، بمثله .

(٣) فى السيرة : « فى زمان من عسرة الناس » .

(٤) « وأحبت الظلال » ليس فى سيرة ابن هشام ، وهو ثابت فى رواية أبى جعفر فى التاريخ ٣ : ١٤٢ . وكذلك فى المطبوعة : « والناس يحبون » وأثبت ما فى المخطوطة ، فهو مطلب السياق .

إلا كَنَى عنها، وأخبر أنه يريد غير الذى يَصْمِدُ له،[١] إلا ما كان من غزوة تبوك، فإنه بيَّنها للناس، لبعد الشُّقَّة، وشدة الزمان، وكثرة العدوّ الذى صَمَد له، ليتأهَّب الناس لذلك أُهْبَتَه. فأمر الناس بالجهاد، وأخبرهم أنه يريد الروم. فتجهز الناسُ على ما فى أنفسهم من الكره لذلك الوجه، لما فيه، مع ما عظَّموا من ذكر الروم وغزوهم.[٢]

= ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جَدَّ فى سفره، فأمر الناس بالجهازِ والانكماش،[٣] وحضَّ أهل الغنى على النفقة والحُمْلان فى سبيل الله.[٤]

=فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، ضرب عسكره على ثنية الوداع،[٥] وضرب عبد الله بن أبى ابن سلول عسكره على حِدَةٍ أسفلَ منه بحذاء «ذُبَاب»[٦] = جبل بالجبانة أسفل من ثنية الوداع = وكان فيما يزعمون، ليس بأقل العسكرين. ١٠/١٠٤
فلما سار رَسول الله صلى الله عليه وسلم، تخلف عنه عبد الله بن أبى فيمن تخلَّف

---

(١) «صمد للأمر يصمد»، قصده قصداً.

(٢) هذه الجملة الأخيرة من أول قوله: «فتجهز الناس»، لم أجدها فى هذا الموضع من سيرة ابن هشام ٤ : ١٥٩، وسأذكر موضع ما يليه فى التخريج، فإنه قد أسقط ما بعد ذلك، حتى بلغ ما بعده.

(٣) «الانكماش» الإسراع والجد فى العمل والطلب.

(٤) «الحملان» (بضم فسكون) مصدر مثل «الحمل»، يريد: حمل من لا دابة له على دابة يركبها فى وجهه هذا.

وهذه الجملة من أول قوله: «ثم إن رسول الله»، إلى هذا الموضع، فى سيرة ابن هشام ٤ : ١٦١، والذى يليه من موضع آخر سأبينه.

(٥) وهذه الجملة مفردة فى سيرة ابن هشام ٤ : ١٦٢، بعدها كلام حذفه أبو جعفر، ووصله بما بعده.

(٦) فى المطبوعة والمخطوطة: «على ذى حدة»، وكان فى المخطوطه كتب قبل «ذى» «دين» ثم ضرب عليها. ولم أجدهم قالوا: «على ذى حدة»، يؤيد صواب ذلك أن ابن هشام قال: «على حدة»، وذكر أبو جعفر هذا الخبر فى تاريخه ٣ : ١٤٣، فيه أيضاً «على حدة»، فمن أجل ذلك أغفلت ما كان فى المطبوعة والمخطوطة = وكان فى المطبوعة، وفى سيرة ابن هشام «نحو ذباب»، وفى المخطوطة: «نحوا»، والألف مطموسة قصيرة، والذى فى التاريخ ما أثبته «بحذاء»، وهو الصواب الذى لا شك فيه. وبيان موضع الجبل، ليس مذكوراً فى السيرة، وهو مذكور فى التاريخ.

من المنافقين وأهل الريب . وكان عبد الله بن أبى ، أخا بنى عوف بن الخزرج ، وعبد الله بن نبتل ، أخا بنى عمرو بن عوف ، ورفاعة بن زيد بن التابوت ،[1] أخا بنى قينقاع ، وكانوا من عظماء المنافقين ، وكانوا ممن يكيد للإسلام وأهله .

= قال : وفيهم ، فيما حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن البصرى ، أنزل الله : « لقد ابتغوا الفتنة من قبل » ، الآية .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (٤٩)

قال أبو جعفر : وذكر أن هذه الآية نزلت فى الجدّ بن قيس .

* * *

ويعنى جل ثناؤه بقوله : « ومنهم » ، ومن المنافقين = « من يقول ائذن لى » ، أقم فلا أشخَصُ معك = « ولا تفتنى » ، يقول : ولا تبتلنى برؤية نساء بنى الأصفر وبناتِهم . فإنّى بالنساء مغرمٌ ، فأخرج وآثَمُ بذلك .[3]

* * *

وبذلك من التأويل تظاهرت الأخبار عن أهل التأويل .

* ذكر الرواية بذلك عمن قاله :

١٦٧٨٥ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا

---

(١) فى المطبوعة : « رفاعة بن يزيد » ، وهو خطأ ، صوابه من المخطوطة ، والتاريخ .

(٢) الأثر : ١٦٧٨٤ — هذا خبر مفرق ، ذكرت مواضعه فيما سلف ، وهو فى سيرة ابن هشام ٤ : ١٥٩ / ثم ٤ : ١٦١ / ثم ٤ ١٦١ / ثم ٤ ١٦٢ ، وهو بتمامه فى تاريخ الطبرى ٣ : ١٤٢ ، ١٤٣ . والجزء الأخير من هذا الخبر ، مضى برقم ١٦٨٧٣

(٣) انظر تفسير « الفتنة » فيما سلف ص ٢٨٣ ، تعليق ٢ ، والمراجع هناك

عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله: « ائذن لي ولا تفتني » ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اغزُوا تبوك، تغنموا بنات الأصفر ونساء الروم ! فقال الجدّ : ائذن لنا ، ولا تفتنّا بالنساء .

١٦٧٨٦ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قالوا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اغزوا تغنَموا بنات الأصفر = يعني نساء الروم ، ثم ذكر مثله .

١٦٧٨٧ — . . . . قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس قوله: « ائذن لي ولا تفتني »، قال: هو الجدّ بن قيس ، قال : قد علمت الأنصار أني إذا رأيت النساء لم أصبر حتى أفتتن ، ولكن أعينك بمالي .

١٦٧٨٨ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن الزهري ، ويزيد بن رومان ، وعبد الله بن أبي بكر ، وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو في جهازه، للجد ابن قيس أخي بني سلمة : هل لك يا جدُّ العامَ في جلاد بني الأصفر ؟ فقال : يا رسول الله، أوْ تأذن لي ولا تفتني ، فوالله لقد عرف قومي ما رَجل أشدّ عُجْباً بالنساء منّي ، وإني أخشى إن رأيت نساءَ بني الأصفر أن لا أصبر عنهن ! فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: قد أذنت لك ! ففي الجدّ بن قيس نزلت هذه الآية : « ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني » الآية ، أي : إن كان إنما يخشى الفتنة من نساء بني الأصفر وليس ذلك به ، فما سقط فيه من الفتنة بتخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والرغبة بنفسه عن نفسه ، أعظم .(١)

١٦٧٨٩ — حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في

---

(١) الأثر : ١٦٧٨٨ — سيرة ابن هشام ٤ : ١٥٩ ، ١٦٠ ، وهو تابع صدر الأثر السالف رقم : ١٦٧٨٤ ، بعد قوله هناك : « وأخبرهم أنه يريد الروم » ، وبين الذي رواه أبو جعفر ، وما في السيرة خلاف يسير في ختام الخبر .

قوله : « ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى » ، قال : هو رجل من المنافقين يقال له جَدٌّ بن قيس ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : العامَ نغزو بنى الأصفر ونتّخذ منهم سرارىّ ووُصَفاءَ [١]= فقال : أى رسول الله ، ائذن لى ولا تفتنى ، إن لم تأذن لى افتتنت وقعدت ! [٢] وغضب [رسول الله صلى الله عليه وسلم] ، [٣] فقال الله : « ألا فى الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين » . وكان من بنى سلمة ، فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم : من سيدكم يا بنى سَلِمة ؟ فقالوا : جدُّ بن قيس ، غير أنه بخيلٌ جبان ! فقال النبى صلى الله عليه وسلم : وأىُّ داءٍ أدْوَى من البخل ، ولكن سيِّدكم الفتى الأبيض ، الجعدُ : بشر بن البراء بن مَعْرُور . [٤]

١٦٧٩٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية عن على ، عن ابن عباس قوله : « ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى » ، يقول : ائذن لى ولا تحرجنى = « ألا فى الفتنة سقطوا » ، يعنى : فى الحرج سقطوا .

١٦٧٩١ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى » ، ولا تؤثمنى ، ألا فى الإثم سقطوا .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « سرارى ووصفاناً » ، والصواب من المخطوطة . و « الوصفاء » جمع « وصيف » ، والأنثى « وصيفة » ، وجمعها « وصائف » ، وهو الخادم الغلام الشاب ، ومثله الخادمة .

(٢) فى المطبوعة : « ووقعت » ، مكان « وقعدت » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وأراد القعود عن الخروج إلى الغزوة خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) فى المطبوعة : « فغضب » ، وفى المخطوطة : « وغضب » ، وظاهر أنه سقط من الخبر ما أثبته بين القوسين .

(٤) فى المطبوعة : « الجعد الشعر البراء بن معرور » ، غير ما كان فى المخطوطة ، وهو الصواب المحض ، فإن الخبر هو خبر « بشر بن البراء بن معرور » فى تسويده على بنى سلمة . وأما أبوه « البراء بن معرور » ، فهو من أول من بايع بيعة العقبة الأولى ، وأول من استقبل القبلة ، وأول من أوصى بثلث ماله ، وهو أحد النقباء ، ومات قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قبل مقدم رسول الله المدينة بشهر ، ولما دفنوه ، وجهوا قبره إلى القبلة .

ويقال : « رجل جعد » ، يراد به أنه مدمج الخلق ، معصوب الجوارح ، شديد الأسر ، غير مسترخ ولا مضطرب ، وهو من حلية الكريم . ويراد به أيضاً : جعودة الشعر ، وهو مدح العرب ، لأن سبوطة الشعر إنما هى فى الروم وفى الفرس . وإنما أراد فى الخبر المعنى الأول .

وقوله : « وإن جهنم لمحيطة بالكافرين » ، يقول : وإن النار لمطيفة بمن كفر ١٠/١٠٥ بالله وجحد آياته وكذّب رسله ، محدقة بهم ، جامعة لهم جميعاً يوم القيامة .(١) يقول : فكفى للجدّ بن قيس وأشكاله من المنافقين بِصِلِيِّها خزياً .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴾ (٥٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، إن يصبك سرورٌ بفتح الله عليك أرضَ الروم فى غزاتك هذه ،(٢) يسؤ الجدَّ ابن قيس ونظراءه وأشياعهم من المنافقين ، وإن تصبك مصيبة بفلول جيشك فيها ،(٣) يقول الجد ونظراؤه : «قد أخذنا أمرنا من قبل » ، أى : قد أخذنا حذرَنا بتخلّفنا عن محمد ، وترك أتباعه إلى عدوّه = « من قبل » ، يقول : من قبل أن تصيبه هذه المصيبة = « ويتولوا وهم فرحون » ، يقول : ويرتدُّوا عن محمد وهم فرحون بما أصاب محمداً وأصحابه من المصيبة ،(٤) بفلول أصحابه وانهزامهم عنه ،(٣) وقتل من قُتِل منهم.

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

---

(١) انظر تفسير « الإحاطة » فيما سلف ١٣ : ٥٨١ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الإصابة » فيما سلف : ١٣ : ٤٧٣ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « الحسنة » فيما سلف من فهارس اللغة (حسن) .

(٣) الفلول » ، مصدر « فل » ، لازماً ، بمعنى : انهزم . وقد مر آنفاً فى كلام الطبرى أيضاً ، ولم أجد له ذكراً فى كتب اللغة . انظر ما سلف ٧ : ٣١٣ ، تعليق : ٣ ، وما قلته فى تصحيح ذلك استظهاراً من قولهم : « من فل ذل » ، أى : من انهزم وفر عن عدوه ، ذل .

(٤) انظر تفسير « التولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٩٢ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « إن تصبك حسنة تسؤهم » ، يقول : إن تصبك في سفرك هذه الغزوة تبوك = « حسنة تسؤهم » ، قال : الجدُّ وأصحابه .

١٦٧٩٣ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « قد أخذنا أمرنا من قبل » ، حِذْرنا .

١٦٧٩٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « قد أخذنا أمرنا من قبل » ، قال : حِذْرنا .

١٦٧٩٥ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إن تصبك حسنة تسؤهم » ، إن كان فتح للمسلمين ، كبر ذلك عليهم وساءَهم .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٥١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره، مؤدِّباً نبيّه محمداً صلى الله عليه وسلم : « قل »، يا محمد، لهؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عنك، لن يصيبنا، أيها المرتابون في دينهم = « إلا ما كتب الله لنا » ، في اللوح المحفوظ ، وقضاه علينا [1] = « هو مولانا » ، يقول : هو ناصرنا على أعدائه [2] = « وعلى الله فليتوكل المؤمنون » ،

(١) انظر تفسير « كتب » فيما سلف من فهارس اللغة (كتب) .
(٢) انظر تفسير « المولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .

يقول : وعلى الله فليتوكل المؤمنون ، فإنهم إن يتوكلوا عليه ، ولم يرجُوا النصر من عند غيره ، ولم يخافوا شيئاً غيره ، يكفِهم أمورهم ، وينصرهم على من بغاهم وكادهم .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾ (٥٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « قل » ، يا محمد ، لهؤلاء المنافقين الذين وصفتُ لك صفتهم وبينت لك أمرهم : هل تنتظرون بنا إلاّ إحدى الحَلَّتين اللتين هما أحسن من غيرهما ،(٢) : إما ظفرًا بالعدوّ وفتحاً لنا بِغَلَبَتِناهم ، ففيها الأجر والغنيمة والسلامة = وإما قتلاً من عدوِّنا لنا ، ففيه الشهادة ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار . وكلتاهما مما نُحبُّ ولا نكره = « ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده » ، يقول : ونحن ننتظر بكم أن يصيبكم الله بعقوبة من عنده عاجلة ، تهلككم = « أو بأيدينا » ، فنقتلكم = « فتربصوا إنا معكم متربصون » ، يقول : فانتظروا إنا معكم منتظرون ما الله فاعل بنا ، وما إليه صائرٌ أمر كلِّ فريقٍ منّا ومنكم .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

---

(١) انظر تفسير « التوكل » فيما سلف ص : ٤٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « التربص » فيما سلف ص ١٧٧ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك = وتفسير « الحسنى » فيما سلف ٩ : ٩٦ ، ٩٧ .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٧٩٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله: « هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين »، يقول : فتح أو شهادة = وقال مرة أخرى : يقول : القتل ، فهي الشهادة والحياة والرزق . وإمّا يخزيكم بأيدينا .

١٦٧٩٧ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه،عن ابن عباس قوله: « هل تربصون بنا إلاّ إحدى الحسنيين »، يقول : قتل فيه الحياة والرزق، وإما أن يغلب فيؤتيه الله أجراً عظيماً، ١٠٦/١٠ وهو مثل قوله : ﴿ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾،إلى﴿ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾ [سورة المائدة : ٧٤] .

١٦٧٩٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : « إلا إحدى الحسنيين » ، قال : القتل في سبيل الله ، والظهور على أعدائه .

١٦٧٩٩ – . . . . قال ، حدثنا محمد بن بكر، عن ابن جريج قال : بلغني عن مجاهد قال : القتل في سبيل الله ، والظهور .

١٦٨٠٠ – حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « إحدى الحسنيين » ، القتل في سبيل الله ، والظهور على أعداء الله .

١٦٨٠١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه = قال ابن جريج ، قال ابن عباس : « بعذاب من عنده » ، بالموت = « أو بأيدينا » ، قال: القتل .

١٦٨٠٢ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « هل تربصون بنا إلاّ إحدى الحسنيين » ، إلا فتحاً ، أو قتلاً في سبيل

الله = « ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا » ، أى : قتل .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴾ (٥٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « قل » ، يا محمد ، لهؤلاء المنافقين : أنفقوا كيف شئتم أموالكم فى سفركم هذا وغيره ، وعلى أى حال شئتم ، من حال الطوع والكره ،(١) فإنكم إن تنفقوها لن يتقبّل الله منكم نفقاتكم ، وأنتم فى شك من دينكم ، وجهلٍ منكم بنبوة نبيكم ، وسوء معرفة منكم بثواب الله وعقابه = « إنكم كنتم قوماً فاسقين » ، يقول : خارجين عن الإيمان بربكم .(٢)

* * *

وخرج قوله : « أنفقوا طوعًا أو كرهاً » ، مخرج الأمر ، ومعناه الجزاء ،(٣) والعرب تفعل ذلك فى الأماكن التى يحسن فيها « إن » ، التى تأتى بمعنى الجزاء ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ [سورة التوبة : ٨٠] ، فهو فى لفظ الأمر ، ومعناه الجزاء ،(٣) ومنه قول الشاعر :(٤)

أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي ، لاَ مَلُومَةً لَدَيْنَا ، وَلاَ مَقْلِيَّةً إِنْ تَقَلَّتِ(٥)

---

(١) انظر تفسير « الطوع » فيما سلف ٦ : ٥٦٤ ، ٥٦٥ .
= وتفسير « الكره » فيما سلف ص : ٢٨٣ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الفسق » فيما سلف ١٣ : ١١٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المطبوعة فى الموضعين : « ومعناه الخبر » ، وهو خطأ ، والصواب من المخطوطة ، وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٤١ .

(٤) هو كثير عزة .

(٥) سلف تخريجه وبيانه فى التفسير ٢ : ٢٩٤ ، ولم أشر هناك إلى هذا الموضع ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٤٤١ .

فكذلك قوله : « أنفقوا طوعاً أو كرهاً، إنما معناه : إن تنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يُتَقَبَّل منكم .

* * *

وقيل : إن هذه الآية نزلت فى الجدّ بن قيس، حين قال للنبى صلى الله عليه وسلم، لما عرض عليه النبى صلى الله عليه وسلم الخروج معه لغزو الروم : « هذا ما لى أعينك به » .

١٦٨٠٣ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : قال ، الجدّ بن قيس : إنى إذا رأيت النساء لم أصبر حتى أفتتن ، ولكن أعينك بمالى ! قال : ففيه نزلت : « أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم » ، قال : لقوله « أعينك بمالى » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾ (٥٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وما منع هؤلاء المنافقين ، يا محمد ، أن تقبل منهم نفقاتهم التى ينفقونها فى سفرهم معك ، وفى غير ذلك من السبل ، إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله .

= فـ « أن » الأولى فى موضع نصب ، والثانية فى موضع رفع ، [1] لأن معنى الكلام : مامنع قبول نفقاتهم إلا كفرهم بالله = « ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى » ،

---

(١) يعنى بالثانية « أن » المشددة فى « أنهم » ، وأما الأولى فهى « أن » الخفيفة

يقول : لا يأتونها إلا متثاقلين بها .(١) إلا أنهم لا يرجون بأدائها ثواباً ، ولا يخافون بتركها عقاباً ، وإنما يقيمونها مخافةً على أنفسهم بتركها من المؤمنين ، فإذا أمنوهم لم يقيموها = «ولا ينفقون » ، يقول : ولا ينفقون من أموالهم شيئاً = « إلا وهم كارهون » ، أن ينفقوه فى الوجه الذى ينفقونه فيه ، مما فيه تقوية للإسلام وأهله .(٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴾ (٥٥)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

١٠/١٠٧ فقال بعضهم : معناه : فلا تعجبك ، يا محمد ، أموال هؤلاء المنافقين ولا أولادهم فى الحياة الدنيا ، إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الآخرة . وقال : معنى ذلك التقديمُ ، وهو مؤخر .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٠٤ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم » ، قال : هذه من تقاديم الكلام ،(٣)

---

(١) انظر تفسير « كسالى » فيما سلف ٩ : ٣٣٠ ، ٣٣١ .

(٢) انظر تفسير « الكره » فيما سلف ص: ٢٩٣ ، تعليق : ١ والمراجع هناك .

(٣) هذه أول مرة أجد استعمال « تقاديم » جمعاً فى هذا التفسير . وهى جمع « تقديم » كأمثاله من قولهم « التكاذيب » ، « والتكاليف » ، و « التحاسين » ، و « التقاصيب » ، وما أشبهها .

وكان فى المخطوطة : « هذه من تقاديم الله ، ليعذبهم بها فى الآخرة » ، ولكن ناشر المطبوعة نقل هذا النص الثابت فى المطبوعة ، من الدر المنثور ٣ : ٢٤٩ ، وكأنه الصواب ، إن شاء الله ، ولذلك تركته على حاله .

وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٤٢ .

يقول : لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم فى الحياة الدنيا ، إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الآخرة .

١٦٨٠٥ – حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الآخرة .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا ، بما ألزمهم فيها من فرائضه .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٠٦ – حدثت عن المسيّب بن شريك، عن سلمان الأنصرى ، عن الحسن : « إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا » ، قال : بأخذ الزكاة ، والنفقة فى سبيل الله .(١)

١٦٨٠٧ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا » ، بالمصائب فيها ، هى لهم عذابٌ ، وهى للمؤمنين أجرٌ .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بالصواب فى ذلك عندنا ، التأويلُ الذى ذكرنا عن الحسن . لأن ذلك هو الظاهر من التنزيل ، فصرْفُ تأويله إلى ما دلّ عليه ظاهره، أولى من صرفه إلى باطنٍ لا دلالةَ على صحته .

وإنما وجّه من وجّه ذلك إلى التقديم وهو مؤخر ، لأنه لم يعرف لتعذيب الله المنافقين بأموالهم وأولادهم فى الحياة الدنيا، وجْهاً يوجِّهه إليه، وقال: كيف يعذِّبهم

---

(١) الأثر : ١٦٨٠٦ – « المسيب بن شريك التميمى ، أبو سعيد » ، ترك الناس حديثه ، وقال البخارى : « سكتوا عنه » . مترجم فى الكبير ٤/١/٤٠٨ ، وابن أبى حاتم ٤/١/٢٩٤ ، وميزان الاعتدال ٣ : ١٧١ ، ولسان الميزان ٦ : ٣٨ .

و « سلمان الأنصرى » ، هكذا فى المخطوطة ، وهو فى المطبوعة « الأقصرى » ، ولم أستطع أن أعرف شيئاً عن هذا الاسم

بذلك فى الدنيا وهى لهم فيها سرور ؟ وذهبَ عنه توجيهه إلى أنه من عظيم العذاب عليه، إلزامُه ما أوجب الله عليه فيها من حقوقه وفرائضه، إذ كان يلزمه ويؤخذ منه وهو غير طيِّب النفس، ولا راجٍ من الله جزاءً، ولا من الأخذ منه حمداً ولا شكراً، على ضجرٍ منه وكُرْهٍ .

* * *

وأما قوله : « وتزهق أنفسهم وهم كافرون » ، فإنه يعنى وتخرج أنفسهم ، فيموتوا على كفرهم بالله، وجحودهم نبوّةَ نبىّ الله محمد صلى الله عليه وسلم .

* * *

يقال منه : « زَهَقَت نفس فلان، و زَهِقَت »، فمن قال : « زَهَقت » قال : « تَزْهَق »، ومن قال : « زَهِقت »، قال : « تزهق »، « زهوقًا »، ومنه قيل : « زَهَق فلان بين أيدى القوم يَزْهَق زُهُوقاً » إذا سبقهم فتقدمهم . ويقال : « زهق الباطل » ، إذا ذهب ودرس .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾ (٥٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ويحلف بالله لكم، أيها المؤمنون ، هؤلاء المنافقون، كذباً وباطلاً، خوفاً منكم: «إنهم لمنكم» فى الدين والملة . يقول الله تعالى، مكذّباً لهم : « وما هم منكم» ، أى : ليسوا من أهل دينكم وملتكم ، بل هم أهل

(١) لا أدرى ما هذا ، فإن أصحاب اللغة لم يذكروا فى مضارع اللغتين إلا « تزهق » بفتح الهاء ، أما الأخرى فلا أدرى ما تكون ، ولا أجد لها عندى وجهاً ، فتركتها على حالها لم أضبطها .

شكٌّ ونفاقٍ = « ولكنهم قوم يفرقون » ، يقول : ولكنهم قوم يخافونكم ، فهم خوفاً منكم يقولون بألسنتهم : « إنا منكم » ، ليأمنوا فيكم فلا يُقْتَلوا .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴾ (٥٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : لو يجد هؤلاء المنافقون « ملجأ » ، يقول : عَصَراً يعتصِرون به من حِصْن ، ومَعْقِلاً يعتقِلون فيه منكم = « أو مغارات » ،

* * *

= وهى الغيران فى الجبال ، واحدتها : « مَغَارة » ، وهى « مفعلة » ، من : « غار الرجل فى الشيء ، يغور فيه » ، إذا دخل ، ومنه قيل ، « غارت العين » ، إذا دخلت فى الحدقة .

* * *

= « أو مدَّخلاً » يقول : سَرَباً فى الأرض يدخلون فيه .

* * *

وقال ، « أو مدّخلاً » ، لأنه من « ادَّخَل يَدَّخِل » .[1]

* * *

وقوله : « لولَّوا إليه » يقول : لأدبروا إليه ، هرباً منكم[2] = « وهم يجمحون » . يقول : وهم يسرعون فى مَشْيِهم .

* * *

وقيل : إن « الجماح » مشيٌ بين المشيين ،[3] ومنه قول مهلهل :

---

(١) فى المطبوعة : « أو مدخلا الآيه ، لأنه » ، وهو خطأ فى الطباعة فيما أرجح ، زاد « الآية » لشبهه بقوله : « لأنه » بعده ، وخالف الطابع المصحح ، فأثبت له ما صححه ! !

(٢) انظر تفسير « التولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .

(٣) هذا نص نادر لا تجده فى كتب اللغة ، فليقيد فيها هو وشاهده .

لَقَدْ جَمَحْتُ جِمَاحًا فِى دِمَائِهِمُ حَتَّى رَأَيْتُ ذَوِى أَحْسَابِهِمْ خَمَدُوا(١)

* * *

وإنما وصفهم الله بما وصفهم به من هذه الصفة، لأنهم إنما قاموا بين أَظْهُرِ ١٠/١٠٨
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على كفرهم ونفاقهم وعداوتهم لهم ولما هم عليه من الإيمان بالله وبرسوله ، لأنهم كانوا فى قومهم وعشيرتهم وفى دورهم وأموالهم ، فلم يقدروا على ترك ذلك وفراقه ، فصانعوا القوم بالنفاق ، ودافعوا عن أنفسهم وأموالهم وأولادهم بالكفر ودعوى الإيمان ، وفى أنفسهم ما فيها من البغض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل الإيمان به والعداوة لهم . فقال الله ، واصِفَهم بما فى ضمائرهم : « لو يجدون ملجأ أو مغاراتٍ » ، الآية .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٠٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية عن على ، عن ابن عباس قوله : « لو يجدون ملجأ » ، « الملجأ » ، الحِرْز فى الجبال ، « والمغارات » ، الغِيران فى الجبال . وقوله : « أو مدَّخلاً » ، و « المدّخل » ، السَّرَب .

١٦٨٠٩ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدّخلاً لولّوا إليه وهم يجمحون » ، « ملجأ » ، يقول : حرزاً = « أو مغارات » ، يعنى الغيران = « أو مدخلاً » ، يقول : ذهاباً فى الأرض ، وهو النفق فى الأرض ، وهو السَّرَب .

١٦٨١٠ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا

(١) لم أجد هذا البيت فيما وقفت عليه من شعر مهلهل . وقوله : «خمدا» ، أى : سكنوا فماتوا ، كما تنطفىء الجمرة .

عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدّخلاً » ، قال : حرزاً لهم يفرُّون إليه منكم .

١٦٨١١ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلاً » ، قال : محرزاً لهم، لفرُّوا إليه منكم = وقال ابن عباس: قوله: « لو يجدون ملجأ » ، حرزاً = « أو مغارات » ، قال : الغيران = « أو مدّخلاً » ، قال : نفقاً في الأرض .

١٦٨١٢ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد ، عن سعيد، عن قتادة : « لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدّخلاً » ، يقول : « لو يجدون ملجأ » ، حصوناً = « أو مغارات » ، غيراناً = « أو مدخلاً » ، أسراباً = « لولوا إليه وهم يجمحون » .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ (٥٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ومن المنافقين الذين وصفت لك، يا محمد، صفتهم في هذه الآيات = « من يلمزك في الصدقات » ، يقول : يعيبك في أمرها ، ويطعُنُ عليك فيها .

* * *

يقال منه : « لمز فلان فلاناً يَلْمِزُه ، ويَلْمُزُه » إذا عابه وقرصه ، وكذلك « همزه » ، ومنه قيل : « فلان هُمَزَةً لُمَزَة » ، ومنه قول رؤبة :

قَارَبْتُ بَيْنَ عَنَقِي وَجَمْزِي ... فِي ظِلِّ عَصْرَيْ بَاطِلِي وَلَمْزِي (١)

---

(١) ديوانه : ٦٤ ، من رجزه في أبان بن الوليد البجلي ، ثم ذكر فيها نفسه ، فقال :

ومنه قول الآخر : (١)

إِذَا لَقِيتُكَ تُبْدِي لِي مُكَاشَرَةً وَإِنْ أُغَيَّبْ، فَأَنْتَ العَائِبُ اللُّمَزَهْ (٢)

* * *

= « فإن أعطوا منها رضوا »، يقول: ليس بهم فى عيبهم إياك فيها ، وطعنهم عليك بسببها ، الدِّينُ ، ولكن الغضب لأنفسهم ، فإن أنت أعطيتهم منها ما يرضيهم رضوا عنك ، وإن أنت لم تعطهم منها سخطوا عليك وعابوك .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

فَإِن تَرَيْنِي الْيَوْمَ أُمَّ حَمْزِ قَارَبْتُ بَيْنَ عَنَقِي وَجَمْزِي
مِنْ بَعْدِ تَقْمَاصِ الشَّبَابِ الأَبْزِ فِي ظِلِّ عَصْرَيْ بَاطِلِي وَلَمْزِي
فَكُلُّ بَدْءِ صَالِحٍ أَوْ نِقْزِ لَاقٍ حِمَامَ الأَجَلِ المُجْتَزِّ

« أم حمز » ، يعنى « أم حمزة » . و « العنق » ضرب من العدو ، و « الجمز » فوق العنق ، ودون الحضر ، وهو العدو الشديد . يعنى ما تقارب من جريه لما كبر . و « تقماص الشباب » ، من « القمص » ، « قمص الفرس » ، إذا نفر واستن ، وهو أن يرفع يديه ويطرحهما معاً ، ويعجن برجليه . و « التقماص » مصدر لم تذكره كتب اللغة . و « الأبز » : الشديد الوثب ، المتطلق فى عدوه ، يقال : « ظبى أبوز ، وأباز » ، ولم يذكروا فى الصفات « الأبز » ، وهو هنا صفة بالمصدر . و « البدء » : السيد الشاب المقدم المستجاد الرأى . و « النقز » (بكسر النون) : الخسيس الرذال من الناس .

(١) هو زياد الأعجم .

(٢) مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٦٣ ، إصلاح المنطق : ٤٧٥ ، والجمهرة لابن دريد ٣ : ١٨ ، والمقاييس ٦ : ٦٦ ، واللسان (همز) ، وسيأتى فى التفسير ٣٠ : ١٨٨ (بولاق) بغير هذه الرواية ، وهى :

تُدْلِي بِوُدٍّ إِذَا لَاقَيْتَنِي كَذِباً وَإِنْ أُغَيَّبْ فأنت الهَامِزُ اللُّمَزَهْ

وهى رواية ابن السكيت ، وابن فارس ، والطبرى بعد ، ورواية ابن دريد ، وصاحب اللسان ، وابن دريد .

* إِذَا لَقِيتُكَ عن شَحْطٍ تُكَاشِرُنِي *

وقوله : « وإن أغيب » بالبناء للمجهول ، لا كما ضبط فى مجاز القرآن .

١٦٨١٣ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله : « ومنهم من يلمزك في الصدقات » ، قال : يروزك. (١)

١٦٨١٤ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « ومنهم من يلمزك في الصدقات » ، يروزك ويسألك ، (١) قال ابن جريج : وأخبرني داود بن أبي عاصم قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم بصدقة فقسمها ههنا وههنا حتى ذهبت . قال : ورآه رجل من الأنصار فقال : ما هذا بالعدل ؟ فنزلت هذه الآية .

١٦٨١٥ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله: « ومنهم من يلمزك في الصدقات » ، يقول : ومنهم من يطعُنُ عليك في الصدقات. وذكر لنا أن رجلاً من أهل البادية حديثَ عهدٍ بأعرابيّةٍ ، أتى نبي الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم ذهباً وفضة ، فقال : يا محمد ، والله لئن كان الله أمرك أن تعدل ، ما عدلت ! فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : ويلك ! فمن ذا يعدل عليك بعدي ! ثم قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : احذروا هذا وأشباهه فإن في أمتي أشباه هذا ، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، فإذا خرجوا فاقتلوهم ، ثم إذا خرجوا فاقتلوهم ، ثم إذا خرجوا فاقتلوهم . وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم، كان يقول: والذي نفسي بيده ،ما أعطيكم شيئاً ولا أمنعكموه ، إنما أنا خازن . ١٠٩/١٠

١٦٨١٦ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « ومنهم من يلمزك في الصدقات » ، قال : يطعن .

١٦٨١٧ — . . . . قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ،

---

(١) « رازه يروزه روزاً » ، اختبره وامتحنه، وقد ذكر هذا الخبر في المعاجم من كلام مجاهد ، وفسروه فقالوا : « يقال : رزت ما عند فلان ، إذا اختبرته وامتحنته والمعنى : يمتحنك ويذوق أمرك ، هل تخاف لائمته أم لا »

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي سعيد قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم قَسْماً ، إذ جاءه ابن ذي الخُوَيْصِرَة التميمي ، (١) فقال : اعدل ، يا رسول الله ! فقال : ويلك ، ومن يعدل إن لم أعدل ! فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، إئذن لي فأضرب عنقه ! قال : دَعْه ، فإن له أصحاباً يحتقر أحدكم صلاته مع صَلاتهم ، (٢) وصيامه مع صيامهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميَّة ، (٣) فينظر في قُذَذِه فلا ينظر شيئاً ، (٤) ثم ينظر في نَصْله ، فلا يجد شيئاً ، ثم ينظر في رِصَافه فلا يجد شيئاً ، (٥) قد سبق الفَرْثَ والدم ، (٦) آيتهم رجل أسود ، (٧) إحدى يده = أو قال : يديه = مثل ثدي المرأة ، أو مثل البَضْعَة تَدَرْدَرُ ، (٨) يخرجون على حين فترة من الناس . قال : فنزلت : « ومنهم من يلمزك في الصدقات » = قال أبو سعيد : أشهد أني سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشهد أن عليًّا رحمة الله عليه حين قتلهم ، جيء بالرجل على النعت الذي نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم . (٩)

١٦٨١٧م – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في

---

(١) في مسلم والبخاري « ذو الخويصرة » ، ليس فيها « ابن » ، وهذا هو المعروف المشهور .

(٢) في المطبوعة : « يحقر » ، وهي كذلك في رواية الخبر في الصحيحين ، ولكن هكذا جاءت في المخطوطة .

(٣) « مرق السهم من الرمية » ، خرج من الجانب الآخر خروجاً سريعاً . و « الرمية » ، المرمية ، يعني الصيد المرمى بالسهم ونحوه .

(٤) « القذذ » جمع « قذة » (بضم القاف) ، وهي ريش السهم .

(٥) « الرصاف » جمع « رصفة » (بفتحات) ، وهي العقبة التي تلوى على موضع الفوق من السهم .

(٦) « الفرث » ، سرجين الدابة ، ما دام في كرشها .

(٧) « الآية » ، العلامة .

(٨) « البضعة » القطعة من اللحم . « تدردر » ، « تتدردر » ، أي : تضطرب .

(٩) الأثر : ١٦٨١٧ – هذا حديث صحيح الإسناد ، رواه البخاري في صحيحه (الفتح ٦ : ٤٥٥) ومسلم في صحيحه ٧ : ١٦٥ ، من طريق الزهري ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن . وجاء الخبر من طرق صحاح كثيرة ، انظر شرح البخاري ، وصحيح مسلم .

قوله : « ومنهم من يلمزك فى الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون » ، قال : هؤلاء المنافقون ، قالوا : والله ما يعطيها محمد إلا من أحبّ ، ولا يؤثر بها إلا هواه ! فأخبر الله نبيه ، وأخبرهم أنه إنما جاءت من الله ، وإن هذا أمر من الله ليس من محمد : « إنما الصدقات للفقراء » ، الآية .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ (٥٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولو أنّ هؤلاء الذين يلمزوناك ، يا محمد ، فى الصدقات ، رَضوا ما أعطاهم الله ورسوله من عطاء ، وقسم لهم من قسم = « وقالوا حسبنا الله » ، يقول : وقالوا : كافينا الله ، [1] = « سيؤتينا الله من فضله ورسوله » ، يقول : سيعطينا الله من فضل خزائنه ، ورسوله من الصدقة وغيرها [2] = « إنا إلى الله راغبون » ، يقول : وقالوا : إنا إلى الله نرغب فى أن يوسع علينا من فضله ، فيغنينا عن الصدقة وغيرها من صلات الناس والحاجة إليهم .

* * *

(١) انظر تفسير « حسب » فيما سلف ص : ٤٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « آتى » و « فضل » فى فهارس اللغة (أتى) ، (فضل) .

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ما الصدقات إلا للفقراء والمساكين ، [1] ومن سماهم الله جل ثناؤه .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى صفة « الفقير » و « المسكين » .

فقال بعضهم : « الفقير » ، المحتاج المتعفف عن المسألة ، و « المسكين » ، المحتاج السائل. [2]

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨١٨ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن أشعث ، عن الحسن : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين » ، قال : « الفقير » ، الجالس فى بيته = و « المسكين » ، الذى يسعى .

١٦٨١٩ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثنا معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين » ، = قال : « المساكين » ، الطوافون ، و « الفقراء » ، فقراء المسلمين .

١٦٨٢٠ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن جرير بن حازم ١٠/١١٠
قال ، حدثنى رجل ، عن جابر بن زيد : أنه سئل عن « الفقراء » ، قال : « الفقراء » ، المتعففون ، و « المساكين » ، الذين يسألون .

---

(١) فى المطبوعة : « لا ينال الصدقات » ، وهو كلام غير مستقيم ، والصواب ما كان فى المخطوطة ، ولكنه لم يحسن قراءته .

(٢) انظر تفسير « المسكين » فيما سلف ١٣ : ٥٦٠ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

١٦٨٢١ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا معقل بن عبيد الله الجزريّ قال : سألت الزهري عن قوله : « إنما الصدقات للفقراء » ، قال : الذين فى بيوتهم لا يسألون، و« المساكين » ، الذين يخرجون فيسألون .(١)

١٦٨٢٢ – حدثنا الحارث قال، حدثنا القاسم قال، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن عبد الوارث بن سعيد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : « الفقير » ، الذى لا يسأل، و« المسكين » ، الذى يسأل .

١٦٨٢٣ – حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين » ، قال : « الفقراء » ، الذين لا يسألون الناس ، أهلُ حاجة(٢) = و « المساكين » ، الذين يسألون الناس .

١٦٨٢٤ – حدثنا الحارث قال، حدثنى عبد العزيز قال، حدثنا عبد الوارث، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : « الفقراء »، الذين لا يسألون ، و« المساكين» الذين يسألون .

* * *

وقال آخرون : « الفقير » ، هو ذو الزمانة من أهل الحاجة ، و« المسكين » ، هو الصحيح الجسم منهم .(٣)

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٢٥ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين » ، قال : « الفقير » ، من به زَمانة = و« المسكين» ، الصحيح المحتاج .

---

(١) الأثر : ١٦٨٢١ – « معقل بن عبيد الله الجزرى العبسى ، الحرانى » ، ثقة ، ليس به بأس . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٣٩٣/١/٤ ، وابن أبى حاتم ٢٨٦/١/٤ .
وكان فى المطبوعة : « الحرانى » ، مكان « الجزرى » ، وهو صواب ، ولكنى أثبت ما كان فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « وهم أهل حاجة » ، زاد ما ليس فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة ، أسقط « منهم» .

١٦٨٢٦ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين » ، أما «الفقير » ، فالزَّمِن الذى به زَمانة ، وأما « المسكين » ، فهو الذى ليست به زمانة .

* * *

وقال آخرون : « الفقراء » ، فقراء المهاجرين ، و « المساكين » ، من لم يهاجر من المسلمين ، وهو محتاج .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٢٧ – حدثنا الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا جرير بن حازم ، عن على بن الحكم ، عن الضحاك بن مزاحم : « إنما الصدقات للفقراء » ، قال : فقراء المهاجرين = و« المساكين » ، الذين لم يهاجروا .[1]

١٦٨٢٨ – . . . . قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم : « إنما الصدقات للفقراء المهاجرين » ، قال سفيان : يعنى : ولا يعطى الأعراب منها شيئاً .

١٦٨٢٩ – حدثنا ابن وكيع قال : حدثنى أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم قال : كان يقال : إنما الصدقة لفقراء المهاجرين .

١٦٨٣٠ – . . . . قال ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم قال : كانت تجعل الصدقة فى فقراء المهاجرين ، وفى سبيل الله .

١٦٨٣١ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ابن جبير ، وسعيد بن عبد الرحمن بن أبزى قالا :[2] كان ناس من المهاجرين لأحدهم الدار ، والزوجة ، والعبد ، والناقة يحج عليها ويغزو ، فنسبهم الله إلى أنهم فقراء ، وجعل لهم سهماً فى الزكاة .

١٦٨٣٢ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا

(١) الأثر : ١٦٨٢٧ – « على بن الحكم البنانى » ، ثقة ، له أحاديث . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣/١/١٨١ .

(٢) فى المطبوعة : « قال » ، والصواب من المخطوطة .

سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم قال : كان يقال : إنما الصدقات فى فقراء المهاجرين ، وفى سبيل الله .

* * *

وقال آخرون : « المسكين » ، الضعيف الكسب . (١)

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٣٣ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية قال، أخبرنا ابن عون ، عن محمد قال : قال عمر : ليس الفقير بالذى لا مال له، ولكن الفقير الأخلقُ الكسْب = قال يعقوب : قال ابن علية : « الأخلق»، المحارَفُ ، عندنا. (٢)

١٦٨٣٤ – حدثنا ابن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أيوب ، عن ابن سيرين : أن عمر بن الخطاب رحمه الله قال : ليس المسكين بالذى لا مال له ، ولكن المسكين الأخلقُ الكسْبِ .

* * *

وقال بعضهم : « الفقير » ، من المسلمين ، و« المسكين » من أهل الكتاب .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٣٥ – حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا عمر بن نافع قال : سمعت عكرمة فى قوله : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين » ، قال : لا تقولوا لفقراء المسلمين « مساكين »، إنما « المساكين »، مساكين أهل الكتاب .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال عندى بالصواب، قول من قال : «الفقير»، ١١١/١٠

---

(١) فى المطبوعة : « الضعيف البئيس » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، وكان فيها : « النسب » ، وهو تحريف ، دل على صوابه الآثار التالية .

(٢) أراد عمر : أن الفقير ، هو الذى لم يقدم لآخرته شيئاً يثاب عليه ، وأن الفقر الأكبر إنما هو فقر الآخرة ، وأن فقر الدنيا أهون الفقرين . و « الأخلق » من قولهم : « هضبة خلقاء » ، ملساء لا نبات بها . وللجبل المصمت الذى لا يؤثر فيه شىء « أخلق » . وفى حديث فاطمة بنت قيس : « أما معاوية ، فرجل أخلق من المال » ، أى : خلو عار منه .

وأما « المحارف » ، كما فسره ابن علية ، فهو المنقوص الحظ ، فهو محدود محروم ، إذا طلب الرزق لم يرزق ، ضد « المبارك » .

هو ذو الفقر والحاجة ، ومع حاجته يتعفَّف عن مسألة الناس والتذلل لهم ، فى هذا الموضع =و« المسكين » هو المحتاج المتذلل للناس بمسألتهم .

وإنما قلنا إن ذلك كذلك ، وإن كان الفريقان لم يُعْطَيا إلا بالفقر والحاجة ، دون الذلة والمسألة ، (١) لإجماع الجميع من أهل العلم أن « المسكين » ، إنما يعطى من الصدقة المفروضة بالفقر ، وأن معنى « المسكنة » ، عند العرب ، الذلة ، كما قال الله جل ثناؤه : ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ ﴾ ، [سورة البقرة : ٦١] ، يعنى بذلك : الهون والذلة ، لا الفقر . فإذ كان الله جل ثناؤه قد صنَّف من قسم له من الصدقة المفروضة قسماً بالفقر ، فجعلهم صنفين ، كان معلوماً أن كل صنف منهم غير الآخر . وإذ كان ذلك كذلك ، كان لا شك أن المقسوم له باسم « الفقير » ، غير المقسوم له باسم الفقر و« المسكنة » ، والفقير المعطَى ذلك باسم الفقير المطلق ، هو الذى لا مسكنة فيه ، والمعطى باسم المسكنة والفقر ، هو الجامع إلى فقره المسكنة ، وهى الذلّ بالطلب والمسألة .

* * *

= فتأويل الكلام ، إذ كان ذلك معناه : إنما الصدقات للفقراء : المتعفِّف منهم الذى لا يسأل ، والمتذلل منهم الذى يسأل .

* * *

وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو الذى قلنا فى ذلك خبرٌ .

١٦٨٣٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا إسمعيل بن جعفر ، عن شريك بن أبى نمر ، عن عطاء بن يسار ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس المسكين بالذى تردّه اللقمة واللقمتان ، والتمرة والتمرتان ، إنما المسكين المتعفف ! اقرأوا إن شئتم : ﴿ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً ﴾ (٢) [سورة البقرة : ٢٧٣] .

---

(١) فى المطبوعة : « الذلة والمسكنة » ، والصواب ما فى المخطوطة ، ولم يحسن قراءتها.

(٢) الأثر : ١٦٨٣٦ — « إسماعيل بن جعفر بن أبى كثير الأنصارى » ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ٦٨٨٤ ، ٨٣٩٨ .

ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم : « إنما المسكين المتعفف » ، على نحو ما قد جرى به استعمال الناس من تسميتهم أهل الفقر « مساكين » ، لا على تفصيل المسكين من الفقير .

ومما ينبيء عن أن ذلك كذلك ، انتزاعه صلى الله عليه وسلم بقول الله : [1] اقرأوا إن شئتم : «لا يسألون الناس إلحافاً » ، وذلك فى صفة من ابتدأ ذكره ووصفه بالفقر فقال : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ ، [سورة البقرة : ٢٧٣].

* * *

وقوله : « والعاملين عليها » ، وهم السعاة فى قبضها من أهلها ، ووضعها فى مستحقيها ، يعطون ذلك بالسعاية ، أغنياء كانوا أو فقراء .

* * *

وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٣٧ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا معقل بن عبيد الله قال : سألت الزهرى : عن « العاملين عليها » ، فقال : السعاة .

١٦٨٣٨ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « والعاملين عليها » ، قال : جُباتها ، الذين يجمعونها ويسعون فيها .

١٦٨٣٩ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد :

و « شريك بن أبى نمر » ، هو « شريك بن عبد الله بن أبى نمر القرشى » ثقة ، روى له البخارى ومسلم ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/٢/٢٣٧ ، وابن أبى حاتم ٢/١/٣٦٣ .

وهذا الخبر رواه البخارى من طريق محمد بن جعفر ، عن شريك بن أبى نمر (الفتح ٨ : ١٥٢) ، ورواه مسلم فى الصحيح من طريق إسماعيل بن جعفر ، عن شريك ، ومن طريق محمد بن جعفر ، عن شريك ، عن عطاء بن يسار ، وعبد الرحمن بن أبى عمرة ، عن أبى هريرة (٧ : ١٢٩) .

(١) فى المطبوعة : « انتزاعاً لقول الله » ، وهو خطأ ، صوابه فى المخطوطة . يقال : « انتزع بالآية ، وبالشعر » ، إذا تمثل به .

« والعاملين عليها » ، الذى يعمل عليها .

* * *

ثُمّ اختلف أهل التأويل فى قدر ما يعطى العامل من ذلك .

فقال بعضهم : يعطى منه الثُّمُن .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٤٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن حسن بن صالح ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : للعاملين عليها الثمن من الصدقة .

١٦٨٤١ – حدثت عن مسلم بن خالد، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد فى قوله : « والعاملين عليها » ، قال : يأكل العمال من السهم الثامن .

* * *

وقال آخرون : بل يعطى على قدر عُمالته .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٤٢ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنا عبد الوهاب ابن عطاء ، عن الأخضر بن عجلان قال ، حدثنا عطاء بن زهير العامرى ، عن أبيه : أنه لقى عبد الله بن عمرو بن العاص فسأله عن الصدقة : أىُّ مالٍ هى؟ فقال : مالُ العُرْجان والعُوران والعميان، وكل مُنْقَطَع به . (١) فقال له : إن للعاملين حقًّا والمجاهدين! قال : إن المجاهدين قوم أحل لهم، والعاملين عليها على قدر عُمالتهم . (٢) ثم قال : لا تحل الصدقة لغنىّ ، ولا لذى مِرَّةٍ سوىّ (٣). ١٠/١١٢

---

(١) « منقطع به » (بالبناء للمجهول) ، هو الرجل إذا عجز عن سفره من نفقة ذهبت ، أو قامت عليه راحلته ، أو أتاه أمر لا يقدر على أن يتحرك معه . يقال : « قطع به » ، و « انقطع به » .

(٢) فى المطبوعة : « وللعاملين » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) الأثر : ١٦٨٤٢ – « عبد الوهاب بن عطاء الخفاف » ، ثقة ، مضى برقم : ٥٤٢٩ ، ٥٤٣٢ ، ١٠٥٢٢ .

و « الأخضر بن عجلان الشيبانى » ، ثقة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/٢/٦٧ .

١٦٨٤٣ – حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد : يكون للعامل عليها إن عمل بالحق ، ولم يكن عمر رحمة الله عليه ولا أولئك يعطون العامل الثمن ، إنما يفرضون بقدر عُمالته .

١٦٨٤٤ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن أشعث ، عن الحسن: « والعاملين عليها » ، قال : كان يعطى العاملون .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، قولُ من قال : يعطى العامل عليها على قدر عُمالته وأجر مثله .

وإنما قلنا: ذلك أولى بالصواب ، لأن الله جل ثناؤه لم يقسم صدقة الأموال بين الأصناف الثمانية على ثمانية أسهم ، وإنما عرّف خلقه أن الصدقات لن تجاوز هؤلاء الأصناف الثمانية إلى غيرهم . وإذ كان كذلك ، بما سنوضح بعدُ ، وبما قد أوضحناه فى موضع آخر ، كان معلوماً أن من أعطى منها حقًّا ، فإنما يعطى على قدر اجتهاد المعطى فيه . وإذا كان ذلك كذلك ، وكان العامل عليها إنما يعطى على عمله ، لا على الحاجة التى تزول بالعطية ، كان معلوماً أن الذى أعطاه من ذلك إنما هو عِوَض من سعيه وعمله، وأن ذلك إنما هو قدر ما يستحقه عوضاً من عمله الذى لا يزول بالعطية ، وإنما يزول بالعزل .

* * *

وأما « المؤلفة قلوبهم » ، فإنهم قوم كانوا يُتَألَّفون على الإسلام، ممن لم تصحّ نصرته ، استصلاحاً به نفسَه وعشيرتَه ، كأبى سفيان بن حرب، وعيينة بن بدر ،

و « عطاء بن زهير بن الأصبغ العامرى » ، روى عن أبيه ، روى عنه شميط ، والأخضر بن عجلان ، هكذا ذكره ابن أبى حاتم ٣/١/٣٣٢ ، ولم أجد له ترجمة فى غيره .

وأبوه : « زهير بن الأصبغ العامرى » ، روى عن عبد الله بن عمرو ، روى عنه ابنه عطاء. مترجم فى الكبير ٢/١/٣٩٢ ، وابن حاتم ١/٢/٥٨٧ ، ولم يذكرا فيه جرحاً .

وهذا الخبر ، خرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٢٥٢ ، ولم ينسبه إلا إلى أبى الشيخ ، وفيه « عبد الله بن عمر » ، وهو خطأ .

والأقرع بن حابس ، ونظرائهم من رؤساء القبائل .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٤٥ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « والمؤلفة قلوبهم » ، وهم قوم كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أسلموا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرضَخ لهم من الصدقات ، [1] فإذا أعطاهم من الصدقات فأصابوا منها خيراً قالوا: هذا دين صالح ! وإن كان غير ذلك، عابوه وتركوه .

١٦٨٤٦ – حدثنا ابن عبد الأعلى قال، [2] حدثنا محمد بن ثور ،عن معمر، عن يحيى بن أبى كثير : إن المؤلفة قلوبهم من بنى أمية : أبو سفيان بن حرب = = ومن بنى مخزوم : الحارث بن هشام ، وعبد الرحمن بن يربوع = ومن بنى جُمَح : صفوان بن أمية = ومن بنى عامر بن لؤى : سهيل بن عمرو ،وحويطب ابن عبد العزى= ومن بنى أسد بن عبد العزى : حكيم بن حزام = ومن بنى هاشم : سفيان بن الحارث بن عبد المطلب = ومن بنى فزارة : عيينة بن حصن بن بدر = ومن بنى تميم : الأقرع بن حابس = ومن بنى نصر : مالك بن عوف = ومن بنى سليم : العباس بن مرداس = ومن ثقيف : العلاء بن حارثة = أعطى النبى صلى الله عليه وسلم كل رجل منهم مئة ناقة ، إلا عبد الرحمن بن يربوع ، وحويطب بن عبد العزى ، فإنه أعطى كلَّ رجل منهم خمسين.

١٦٨٤٧ – حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا

---

(١) « رضخ له من ماله رضيخة » ، أعطاه عطية مقاربة ، ليست بالكثيرة ، وأصله من « الرضخ » ، وهو كسر النوى وغيره ، كأنه كسر له من ماله شيئاً .

(٢) فى المطبوعة : « حدثنا عبد الأعلى » ، وهو خطأ ، صوابه من المخطوطة ، وهذا إسناد دائر فى التفسير وشيخ الطبرى « محمد بن عبد الأعلى » .

عيسى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهرى قال : قال صفوان ابن أمية : لقد أعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنه لأبغض الناس إلىّ ، فما بَرِح يعطينى حتى إنه لأحبُّ الناس إلى .(١)

١٦٨٤٨ – حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : ناس كان يتألفهم بالعطية ، عيينة بن بدر ومن كان معه .

١٦٨٤٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن حماد بن سلمة ، عن يونس ، عن الحسن : « والمؤلفة قلوبهم »، الذين يُؤَلَّفون على الإسلام .

١٦٨٥٠ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : وأما « المؤلفة قلوبهم » ، فأناس من الأعراب ومن غيرهم ، كان نبى الله صلى الله عليه وسلم يتألفهم بالعطية كيما يؤمنوا .

١٦٨٥١ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا معقل بن عبيد الله قال ، سألت الزهرى عن قوله : « والمؤلفة قلوبهم » ، فقال : من أسلم من يهودىّ أو نصرانى . قلت : وإن كان غنيًّا ؟ قال : وإن كان غنيًّا . ١١٣/١٠

١٦٨٥٢ – حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا معقل ابن عبيد الله الجزرى ، عن الزهرى : «والمؤلفة قلوبهم» ، قال : من هو يهودىّ أو نصرانىّ .(٢)

* * *

---

(١) الأثر : ١٦٨٤٧ – رواه مسلم فى صحيحه ١٥ : ٧٢ ، ٧٣ ، مطولا من طريق عبد الله بن وهب ، عن يونس ، عن ابن شهاب الزهرى ، عن سعيد بن المسيب ، عن صفوان بن أمية .
ورواه أحمد فى مسنده ٣ : ٤٠١ من طريق زكريا بن عدى ، عن سعيد بن المسيب ، عن صفوان ، (هكذا جاء هنا فى المسند) ، والصواب ما سيأتى فى المسند ٦ : ٤٦٥ ، من طريق زكريا بن عدى ، عن ابن المبارك ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب .

(٢) الأثر : ١٦٨٥٢ – « معقل بن عبيد الله الجزرى » ، مضى قريباً برقم : ١٦٨٢١ ، وكان فى المطبوعة هنا أيضاً « الحرانى » ، مكان « الجزرى » ، وهو صواب ، ولكنى أثبت ما فى المخطوطة .

ثم اختلف أهل العلم فى وجود المؤلفة اليوم وعدمها ، وهل يعطى اليوم أحدٌ على التألف على الإسلام من الصدقة ؟

فقال بعضهم : قد بطلت المؤلفة قلوبهم اليوم ، ولا سهم لأحد فى الصدقة المفروضة إلا لذى حاجة إليها ، وفى سبيل الله ، أو لعامل عليها .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٥٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير، عن أشعث ، عن الحسن: « والمؤلفة قلوبهم » ، قال : أما «المؤلفة قلوبهم » ، فليس اليوم .

١٦٨٥٤ – حدثنا أحمد قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل عن جابر ، عن عامر قال : لم يبق فى الناس اليوم من المؤلفة قلوبهم ، إنما كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٦٨٥٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال ، حدثنا عبد الرحمن بن يحيي ، عن حبان بن أبي جبلة قال :قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه: وأتاه عيينة بن حصن: ﴿ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾، [سورة الكهف: ٢٩] ، أى : ليس اليوم مؤلفة .

١٦٨٥٦ – حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا مبارك ، عن الحسن قال : ليس اليوم مؤلفة .

١٦٨٥٧ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر قال : إنما كانت المؤلفة قلوبهم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما ولى أبو بكر رحمة الله عليه ، انقطعت الرشى .

* * *

وقال آخرون : « المؤلفة قلوبهم » ، فى كل زمان ، وحقهم فى الصدقات .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٥٨ – حدثنا أحمد بن إسحق قال حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا

إسرائيل ، عن جابر ، عن أبي جعفر قال : في الناس اليوم ، المؤلفة قلوبهم .

١٦٨٥٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن أبي جعفر ، مثله .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي : أن الله جعل الصدقة في معنيين أحدهما : سدُّ خَلَّة المسلمين ، والآخر : معونة الإسلام وتقويته . فما كان في معونة الإسلام وتقوية أسبابه، فإنه يُعطاه الغني والفقير ، لأنه لا يعطاه من يعطاه بالحاجة منه إليه، وإنما يعطاه معونةً للدين . وذلك كما يعطى الذي يُعْطاه بالجهاد في سبيل الله ، فإنه يعطى ذلك غنيًّا كان أو فقيرًا ، للغزو ، لا لسدّ خلته . وكذلك المؤلفة قلوبهم ، يعطون ذلك وإن كانوا أغنياء ، استصلاحاً بإعطائهموه أمرَ الإسلام وطلبَ تقويته وتأييده . وقد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم من أعطى من المؤلفة قلوبهم ، بعد أن فتح الله عليه الفتوح ، وفشا الإسلام وعز أهله . فلا حجة لمحتجّ بأن يقول : « لا يتألف اليوم على الإسلام أحد ، لامتناع أهله بكثرة العدد ممن أرادهم » ، وقد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم من أعطى منهم في الحال التي وصفت .

* * *

وأما قوله : « وفي الرقاب » ، فإن أهل التأويل اختلفوا في معناه

فقال بعضهم ، وهم الجمهور الأعظم : هم المكاتبون ، يعطون منها في فك رقابهم .[1]

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٦٠ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق ، عن الحسن بن دينار ، عن الحسين : أن مكاتباً قام إلى أبي موسى الأشعري رحمه الله وهو يخطب الناسَ يوم الجمعة ، فقال : أيها الأمير ، حُثَّ الناس عليَّ ! فحثّ

(١) انظر تفسير « الرقاب » فيما سلف ٣ : ٩/٣٤٧ : ٣٥ ، ١٠/٣٦ : ٥٥٢ – ٥٥٧ .

عليه أبو موسى ، فألقى الناسُ عليه عمامة وملاءة وخاتماً ، حتى ألقوا سَواداً كثيراً ، فلما رأى أبو موسى ما ألقى عليه قال : اجمعوه ! فجمع ، ثم أمر به فبيع . فأعطى المكاتب مكاتبته ، ثم أعطى الفضل فى الرقاب ، ولم يردّه على الناس ، وقال : إنما أعطى الناسُ فى الرقاب .

١٦٨٦١ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا معقل بن عبيد الله قال ، سألت الزهرى عن قوله : « وفى الرقاب » ، قال : المكاتَبون . ١١٤/١٠

١٦٨٦٢ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وفى الرقاب » ، قال : المكاتَب

١٦٨٦٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا سهل بن يوسف ، عن عمرو ، عن الحسن : « وفى الرقاب » ، قال : هم المكاتبون .

* * *

وروى عن ابن عباس أنه قال : لا بأس أن تُعْتَقَ الرقبة من الزكاة .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى ، قولُ من قال : « عنى بالرقاب ، فى هذا الموضع ، المكاتبون » ، لإجماع الحجة على ذلك، فإن الله جعل الزكاة حقًّا واجباً على من أوجبها عليه فى ماله ، يخرجها منه ، لا يرجع إليه منها نفعٌ من عرض الدنيا ، ولا عِوَض . والمعتق رقبةً منها ، راجع إليه ولاء من أعتقه ، وذلك نفع يعود إليه منها .

* * *

وأما « الغارمون » ، الذين استدانوا فى غير معصية الله ، ثم لم يجدوا قضاء فى عين ولا عَرَض .

* * *

وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٦٤ – حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد قال : « الغارمون » ، من احترق بيته ، أو يصيبه السيل فيذهب متاعه ، ويدّانُ على عياله ، فهذا من الغارمين .

١٦٨٦٥ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد فى قوله : « والغارمين » ، قال : من احترق بيته ، وذهب السيل بماله ، وادّان على عياله .

١٦٨٦٦ – حدثنا أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن أبى جعفر قال : « الغارمين » ، المستدين فى غير سَرَف ، ينبغى للإمام أن يقضى عنهم من بيت المال .

١٦٨٦٧ – . . . . قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا معقل بن عبيد الله قال : سألنا الزهرى عن « الغارمين » ، قال : أصحاب الدين .

١٦٨٦٨ – . . . . قال ، حدثنا معقل ، عن عبد الكريم قال ، حدثنى خادم لعمر بن عبد العزيز خدمه عشرين سنة قال : كتب عمر بن عبد العزيز : أن يُعْطى الغارمون = قال أحمد : أكثر ظنى : من الصدقات .

١٦٨٦٩ – . . . . قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن جابر ، عن أبى جعفر قال : « الغارمون » ، المستدين فى غير سرف .

١٦٨٧٠ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : أما « الغارمون » ، فقوم غرّقتهم الديون فى غير إملاق ، [1] ولا تبذير ولا فساد.

١٦٨٧١ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « الغارم » ، الذى يدخل عليه الغُرْم .

١٦٨٧٢ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يحيى بن يمان ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد : « والغارمين » ، قال : هو الذى يذهب السيل والحريق بماله ، ويدّان على عياله .

---

(١) « الإملاق » هنا هو : إنفاق المال وتبذيره حتى يورث حاجة ، و « الإملاق » أيضاً : الإفساد . وانظر ما سلف فى الخبر رقم : ٦٢٣٣ ، ج ٥ : ٦٠٢ ، تعليق : ٢ .

١٦٨٧٣ – . . . . قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن جابر ، عن أبي جعفر قال : المستدين في غير فساد .

١٦٨٧٤ – . . . . قال ، حدثني أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن أبي جعفر ، قال : « الغارمون » ، الذين يستدينون في غير فساد ، ينبغي للإمام أن يقضي عنهم .

١٦٨٧٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن عثمان ابن الأسود ، عن مجاهد : هم قوم ركبتهم الديون في غير فساد ولا تبذير ، فجعل الله لهم في هذه الآية سهماً .

* * *

وأما قوله : « وفي سبيل الله » ، فإنه يعني : وفي النفقة في نصرة دين الله وطريقه وشريعته التي شرعها لعباده ، بقتال أعدائه ، وذلك هو غزو الكفار .(١)

* * *

وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٧٦ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وفي سبيل الله » ، قال : الغازي في سبيل الله .

١٦٨٧٧ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة : رجل عمل عليها ، أو رجل اشتراها بماله ، أو في سبيل الله ، أو ابن السبيل ، أو رجل كان له جار تصدّق عليه فأهداها له .(٢)

---

(١) انظر تفسير « سبيل الله » فيما سلف من فهارس اللغة (سبل) .

(٢) الأثر : ١٦٨٧٧ – رواه أبو داود في سننه ٢ : ١٥٨ ، رقم : ١٦٣٥ من طريق مالك ، عن زيد بن أسلم ، موقوفاً ، ثم رواه برقم : ١٦٣٦ ، من طريق معمر ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعاً .

ورواه ابن ماجة في سننه : ٥٨٩ ، رقم : ١٨٤١ ، مرفوعاً ، بنحوه .

١٦٨٧٨ — . . . . قال، حدثنا أبي ، عن ابن أبي ليلى ، عن عطية ، عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا تحل الصدقة لغني ، ١١٥/١٠ إلا لثلاثة : في سبيل الله ، أو ابن السبيل ، أو رجل كان له جار فتصدق عليه ، فأهداها له .(١)

* * *

وأما قوله : « وابن السبيل » ، فالمسافر الذي يجتاز من بلد إلى بلد .

* * *

و «السبيل » ، الطريق ،(٢) وقيل للضارب فيه : « ابن السبيل » ، للزومه إياه ، كما قال الشاعر :(٣)

أَنَا ابْنُ الحَرْبِ رَبَّتْنِي وَلِيداً إِلَى أَنْ شِبْتُ واكْتَهَلَتْ لِدَاتِي

وكذلك تفعل العرب ، تسمي اللازم لشيء يعرف به : « ابْنَه ».(٤)

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك .

١٦٨٧٩ — حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان ، عن جابر ، عن أبي جعفر قال : « ابن السبيل » ، المجتاز من أرض إلى أرض .

١٦٨٨٠ — حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا

---

(١) الأثر : ١٦٨٧٨ — « عطية » هو « عطية بن سعد بن جنادة العوفي » ، ضعيف ، مضى مراراً .

وهذا الخبر رواه أبو داود في سننه ٢ : ١٦٠ ، رقم : ١٦٣٧ ، من طريق سفيان ، عن عمران البارقي ، عن عطية ، بنحوه ، ثم قال أبو داود : « ورواه فراس ، وابن أبي ليلى ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مثله » .

وهو حديث ضعيف لضعف « عطية العوفي » .

(٢) انظر تفسير « السبيل » فيما سلف من فهارس اللغة (سبل) .

= وتفسير « ابن السبيل » فيما سلف ٣ : ٤/٣٤٥ : ٨/٢٩٥ : ٣٤٦ — ٣٤٧ .

(٣) لم أعرف قائله .

(٤) في المطبوعة والمخطوطة : « يعرف بابنه » ، وهو لا يستقيم ، صوابه ما أثبت .

مندل ، عن ليث ، عن مجاهد : « وابن السبيل » ، قال : لابن السبيل حق من الزكاة وإن كان غنيًّا ، إذا كان مُنْقَطَعاً به .

١٦٨٨١ – حدثنا أحمد قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا معقل بن عبيد الله قال : سألت الزهرى عن « ابن السبيل » ، قال : يأتى علىّ ابن السبيل وهو محتاج . قلت : فإن كان غنيًّا ؟ قال : وإن كان غنياً .

١٦٨٨٢ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وابن السبيل » ، الضيف ، جعل له فيها حق .

١٦٨٨٣ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال [ابن زيد] : « ابن السبيل » ، المسافر من كان ، غنيًّا أو فقيرًا ، إذا أصيبت نفقته أو فقدت ، أو أصابها شىء ، أو لم يكن معه شىء ، فحقه واجب .[1]

١٦٨٨٤ – حدثنا أحمد قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، أنه قال : فى الغنى إذا سافر فاحتاج فى سفره ، قال : يأخذ من الزكاة .

١٦٨٨٥ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن جابر ، عن أبى جعفر قال : « ابن السبيل » ، المجتاز من الأرض إلى الأرض .

* * *

وقوله : « فريضة من الله » ، يقول جل ثناؤه : قَسْمٌ قسمه الله لهم ، فأوجبه فى أموال أهل الأموال لهم[2] = « والله عليم » ، بمصالح خلقه فيما فرض لهم ، وفى غير ذلك ، لا يخفى عليه شىء . فعلى علمٍ منه فرض ما فرض من الصدقة ، وبما فيها من المصلحة = « حكيم » ، فى تدبيره خلقه ، لا يدخل فى تدبيره خلل .[3]

* * *

(١) الأثر : ١٦٨٨٣ – فى المطبوعة والمخطوطة : « قال قال ابن السبيل . . . » ، والزيادة بين القوسين من إسناده قبل ، وهو إسناد دائر فى التفسير ، أقربه رقم : ١٦٨٧٦ .

(٢) انظر تفسير « الفريضة » فيما سلف ٩ : ٢١٢ ، تعليق : ١ ، والمرجع هناك .

(٣) انظر تفسير « عليم » و « حكيم » فيما سلف من فهارس اللغة (علم) ، (حكم) .

واختلف أهل العلم فى كيفية قسم الصدقات التى ذكرها الله فى هذه الآية ، وهل يجب لكل صنف من الأصناف الثمانية فيها حق ، أو ذلك إلى رب المال ؟ ومن يتولى قسمها ، فى أن له أن يعطى جميعَ ذلك من شاء من الأصناف الثمانية .

فقال عامة أهل العلم : للمتولى قسمُها ووضعُها فى أىِّ الأصناف الثمانية شاء . وإنما سمَّى الله الأصناف الثمانية فى الآية ، إعلاماً منه خلقَه أن الصدقة لا تخرج من هذه الأصناف الثمانية إلى غيرها ، لا إيجاباً لقسمها بين الأصناف الثمانية الذين ذكرهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٨٨٦ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا هرون ، عن الحجاج بن أرطاة ، عن المنهال بن عمرو ، عن زرّ بن حبيش ، عن حذيفة فى قوله : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها » ، قال : إن شئت جعلته فى صنف واحد ، أو صنفين ، أو لثلاثة .

١٦٨٨٧ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن الحجاج ، عن المنهال ، عن زر ، عن حذيفة قال : إذا وضعتها فى صنف واحد أجزأ عنك .

١٦٨٨٨ – . . . . قال ، حدثنا جرير ، عن ليث ، عن عطاء ، عن عمر : « إنما الصدقات للفقراء » ، قال : أيُّما صنف أعطيته من هذا أجزأك .

١٦٨٨٩ – . . . . قال حدثنا ابن نمير ، عن عبد المطلب ، عن عطاء : « إنما الصدقات للفقراء » ، الآية ، قال : لو وضعتها فى صنف واحد من هذه الأصناف أجزأك . ولو نظرت إلى أهل بيت من المسلمين فقراء متعفِّفين فجبرتهم بها ، كان أحبَّ إلىَّ .

١٦٨٩٠ – . . . . قال أخبرنا جرير ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين وابن السبيل » ، فأىَّ صنف أعطيته من هذه الأصناف أجزأك . ١٠/١١٦

١٦٨٩١ - . . . . قال، حدثنا عمران بن عيينة ، عن عطاء ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس، مثله .

١٦٨٩٢ - . . . . قال ، حدثنا جرير، عن مغيرة ، عن إبراهيم : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها »، قال : إنما هذا شيء أعلمَهُ، فأيَّ صنف من هذه الأصناف أعطيته أجزأ عنك .

١٦٨٩٣ - . . . . قال ، حدثنا أبي ، عن شعبة ، عن الحكم، عن إبراهيم : « إنما الصدقات للفقراء » ، قال: في أيّ هذه الأصناف وضعتها أجزأك .

١٦٨٩٤ - . . . . قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير قال : إذا وضعتها في صنف واحد مما سمَّى الله أجزأك .

١٦٨٩٥ - . . . . قال، حدثنا أبي ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع ابن أنس ، عن أبي العالية قال : إذا وضعتها في صنف واحد مما سمَّى الله أجزأك .

١٦٨٩٦ - . . . . قال، حدثنا خالد بن حيان أبو يزيد، عن جعفر بن برقان ، عن ميمون بن مهران : « إنما الصدقات للفقراء » ، قال : إذا جعلتها في صنف واحد من هؤلاء أجزأ عنك .[1]

١٦٨٩٧ - . . . . قال، حدثنا محمد بن بشر ، عن مسعود ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين » » ، الآية ، قال : أعلمَ أهلَها مَنْ هم .

١٦٨٩٨ - . . . . قال ، حدثنا حفص ، عن ليث، عن عطاء ، عن عمر : أنه كان يأخذ الفرْض في الصدقة ، ويجعلها في صنف واحد .

* * *

وكان بعض المتأخرين يقول : إذا تولى رب المال قَسْمها ، كان عليه وضعها في ستة أصناف ، وذلك أن المؤلفة قلوبهم عنده قد ذهبوا ، وأنّ سهم العاملين

---

(١) الأثر : ١٦٨٩٦ - « خالد بن حيان الرقي » ، أبو يزيد الكندي الخراز ، ثقة ، متكلم فيه ، مترجم في التهذيب ، والكبير ١٣٣/١/٢ ، وابن أبي حاتم ٣٢٦/٢/١ .

يبطل بقسمه إياها . ويزعم أنه لا يجزيه أن يعطى من كل صنف أقل من ثلاثة أنفس . وكان يقول : إن تولى قَسْمها الإمامُ ، كان عليه أن يقسمها على سبعة أصناف ، لا يجزى عنده غير ذلك .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ومن هؤلاء المنافقين جماعة يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعيبونه [1] = « ويقولون هو أذن » ، سامعةٌ ، يسمع من كل أحدٍ ما يقول ، فيقبله ويصدِّقه .

* * *

وهو من قولهم : « رجل أذنة » ، مثل « فعلة » ، [2] إذا كان يسرع الاستماع والقبول ، كما يقال : « هو يَقَن ، ويَقِن » إذا كان ذا يقين بكل ما حُدِّث . وأصله من « أذِن له يأذَن » ، إذا استمع له . ومنه الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم : « ما أذِنَ الله لشىء كأذَنِه لنبىّ يتغنى بالقرآن » ، [3] ومنه قول عدى بن زيد :

---

(١) انظر تفسير « الأذى » فيما سلف ٨ : ٨٤ — ٨٦ ، وص : ٨٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) هكذا جاء فى المطبوعة والمخطوطة : « رجل أذنة مثل فعلة » ، وهذا شىء لم أعرف ضبطه ، ولم أجد له ما يؤيده فى مراجع اللغة ، والذى فيها أنه يقال : « رجل أذن » (بضم فسكون) و « أذن » (بضمتين) ، ولا أدرى أهذه على وزن « فعلة » (بضم ففتح) : « همزة » و « لمزة » ، أم على نحو وزن غيره . وأنا فى ارتياب شديد من صواب ما ذكره هنا ، وأخشى أن يكون سقط من الناسخ شىء ، أو أن يكون حرف الكلام .

(٣) هذا الحديث ، استدل به بغير إسناد ، وهو حديث صحيح ، رواه مسلم فى صحيحه (٦ : ٧٨ ، ٧٩) من حديث أبى هريرة .

أَيُّهَا القَلْبُ تَعَلَّلْ بِدَدَنْ إِنَّ هَمِّي فِي سَمَاعٍ وَأَذَنْ.(١)

* * *

وذكر أن هذه الآية نزلت فى نبتل بن الحارث.(٢)

١٦٨٩٩ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال ، ذكر الله غشّهم(٣) = يعنى : المنافقين = وأذاهم للنبى صلى الله عليه وسلم فقال : « ومنهم الذين يؤذون النبىّ ويقولون هو أذن »، الآية. وكان الذى يقول تلك المقالة، فيما بلغنى ، نبتل بن الحارث ، أخو بنى عمرو بن عوف ، وفيه نزلت هذه الآية، وذلك أنه قال : « إنما محمد أذُنٌ ! من حدّثه شيئاً صدّقه ! » ، يقول الله : « قل أذن خير لكم » ، أى : يسمع الخير ويصدّق به .(٤)

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « قل أذن خير لكم » .

فقرأ ذلك عامة قرأة الأمصار : ﴿ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ ﴾، بإضافة «الأذن» إلى « الخير » ، يعنى : قل لهم ، يا محمد : هو أذن خير ، لا أذن شرٍّ .

* * *

وذكر عن الحسن البصرى أنه قرأ ذلك: ﴿ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾، بتنوين « أذن »، ويصير « خير » خبراً له ، بمعنى : قل: من يسمع منكم ، أيها المنافقون ، ما تقولون ويصدقكم ، إن كان محمد كما وصفتموه ، من أنكم إذا أتيتموه ، فأنكرتم ما ذكر له عنكم من أذاكم إياه وعيبكم له ، سمع منكم وصدقكم = خيرٌ

---

(١) أمالى الشريف المرتضى ١ : ٣٣ ، واللسان (أذن) و (ددن) ، و « الدد » (بفتح الدال) و « الددن » ، اللهو . و « السماع » ، الغناء ، والمغنية يقال لها « المسمعة » .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « فى ربيع بن الحارث » ، وهو خطأ محض ، لاشك فيه .

(٣) فى المطبوعة : « ذكر الله عيبهم » ، أخطأ ، والصواب ما فى المخطوطة ، وسيرة ابن هشام .

(٤) الأثر : ١٦٨٩٩ – سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٥ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٧٨٢ ، وانظر خبر نبتل بن الحارث أيضاً فى سيرة ابن هشام ٢ : ١٦٨ .

(٥) فى المطبوعة : « إذا آذيتموه فأنكرتم » ، وهو كلام لا معنى له ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، والصواب ما أثبت .

لكم من أن يكذبكم ولا يقبل منكم ما تقولون . ثم كذبهم فقال : بل لا يقبل إلا من المؤمنين =« يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين » .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة عندى فى ذلك ، قراءةُ من قرأ : ﴿ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ ﴾ ، بإضافة « الأذن » إلى « الخير » ، وخفض « الخير » ، يعنى : قل هو أذن خير لكم ، لا أذن شرٍ .[1] ١١٧/١٠

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٠٠ – حدثنى المثنى قال ، حدثنى عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن » ، يسمع من كل أحد .

١٦٩٠١ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن » ، قال : كانوا يقولون : « إنما محمد أذن ، لا يحدّث عنا شيئاً ، إلا هو أذن يسمع ما يقال له » .

١٦٩٠٢ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ويقولون هو أذن » ، نقول ما شئنا ونحلف ، فيصدقنا .

١٦٩٠٣ – حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « هو أذن » ، قال : يقولون : « نقول ما شئنا ، ثم نحلف له فيصدقنا » .

١٦٩٠٤ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

* * *

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٤٤ .

وأما قوله : « يؤمن بالله » ، فإنه يقول : يصدِّق بالله وحده لا شريك له .

وقوله : « ويؤمن للمؤمنين » ، يقول : ويصدق المؤمنين ، لا الكافرين ولا المنافقين .

وهذا تكذيبٌ من الله للمنافقين الذين قالوا : « محمد أذن ! » ، يقول جل ثناؤه : إنما محمد صلى الله عليه وسلم مستمعُ خيرٍ ، يصدِّق بالله وبما جاء من عنده ، ويصدق المؤمنين ، لا أهل النفاق والكفر بالله .

* * *

وقيل : « ويؤمن للمؤمنين » ، معناه : ويؤمن المؤمنين ، لأن العرب تقول فيما ذكر لنا عنها : « آمنتُ له ، وآمنتُه » ، بمعنى : صدّقته ، كما قيل : ﴿رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ ، [سورة النمل : ٧٢] ، ومعناه : ردفكم = وكما قال : ﴿لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [سورة الأعراف : ١٥٤] ، ومعناه : للذين هم ربَّهم يرهبون .(١)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٠٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنى عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين » ، يعنى : يؤمن بالله ، ويصدق المؤمنين .

* * *

وأما قوله : « ورحمة للذين آمنوا منكم » ، فإن القرأة اختلفت فى قراءته : فقرأ ذلك عامة قرأة الأمصار : ﴿وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ ، بمعنى : قل هو

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٤٤ .

أذن خير لكم ، وهو رحمة للذين آمنوا منكم = فرفع « الرحمة » ، عطفاً بها على « الأذن » .

* * *

وقرأه بعض الكوفيين : ﴿ وَرَحْمَةٍ ﴾ ، عطفاً بها على « الخير » ، بتأويل : قل أذن خير لكم ، وأذن رحمة .[1]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك عندى ، قراءةُ من قرأه : ﴿ وَرَحْمَةٌ ﴾ ، بالرفع ، عطفاً بها على « الأذن » ، بمعنى : وهو رحمة للذين آمنوا منكم . وجعله الله رحمة لمن اتبعه واهتدى بهداه ، وصدّق بما جاء به من عند ربه ، لأن الله استنقذهم به من الضلالة ، وأورثهم باتّباعه جنّاته .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٦١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : لهؤلاء المنافقين الذين يعيبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون : « هو أذن » ، وأمثالِهم من مكذِّبيه ، والقائلين فيه الهُجْرَ والباطل ،[2] عذابٌ من الله موجع لهم فى نار جهنم .[3]

* * *

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٤٤ .
(٢) انظر تفسير « الأذى » فيما سلف ص : ٣٢٤ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « أليم » فيما سلف من فهارس اللغة (ألم) .

القول فى تأويل قوله ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٦٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله صلى الله عليه وسلم : يحلف لكم ، أيها المؤمنون ، هؤلاء المنافقون بالله ، ليرضوكم فيما بلغكم عنهم من أذاهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، وذكرِهم إياه بالطعن عليه والعيب له ، ومطابقتهم سرًّا أهلَ الكفر عليكم = بالله والأيمان الفاجرة: أنهم ما فعلوا ذلك ، وإنهم لعلى دينكم ، ومعكم على من خالفكم ، يبتغون بذلك رضاكم . يقول الله جل ثناؤه : « والله ورسوله أحق أن يرضوه »، بالتوبة والإنابة مما قالوا ونطقوا = « إن كانوا مؤمنين » ، يقول : إن كانوا مصدِّقين بتوحيد الله ، مقرِّين بوعده ووعيده .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٠٦ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ١١٨/١٠
قوله: « يحلفون بالله لكم ليرضوكم »، الآية ، ذكر لنا أن رجلاً من المنافقين قال : والله إن هؤلاء لخيارنا وأشرافنا، وإن كان ما يقول محمد حقًّا، لهم شرٌّ من الحمير! قال: فسمعها رجل من المسلمين فقال: والله إن ما يقول محمد حق ، ولأنت شر من الحمار ! فسعى بها الرجل إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إلى الرجل فدعاه فقال له : ما حملك على الذى قلت ؟ فجعل يلتَعنُ ،ويحلف بالله ما قال ذلك .[1] قال: وجعل الرجل المسلم يقول : اللهم صدِّق الصادق ، وكذِّب

(١) « التعن الرجل » ، إذا أنصف فى الدعاء على نفسه ، أو لعن نفسه .

الكاذب ! فأنزل الله فى ذلك : «يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (٦٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ألم يعلم هؤلاء المنافقون الذين يحلفون بالله كذباً للمؤمنين ليرضوهم ، وهم مقيمون على النفاق ، أنه من يحارب الله ورسوله ، ويخالفهما فيناوئهما بالخلاف عليهما = « فأن له نار جهنم »، فى الآخرة =« خالداً فيها»، يقول : لابثاً فيها مقيماً إلى غير نهاية؟ [١]= « ذلك الخزى العظيم »، يقول : فلُبْثُه فى نار جهنم وخلوده فيها ، هو الهوان والذلُّ العظيم .[٢]

* * *

وقرأت القرأة : ﴿ فَأَنَّ ﴾ ، بفتح الألف من «أن»، بمعنى : ألم يعلموا أنّ لمن حادّ الله ورسوله نارُ جهنم = وإعمال« يعلموا» فيها، كأنهم جعلوا « أن » الثانية مكررة على الأولى ، واعتمدوا عليها ، إذ كان الخبر معها دون الأولى .

* * *

وقد كان بعض نحويى البصرة يختار الكسر فى ذلك ، على الابتداء ، بسبب دخول « الفاء » فيها ، وأن دخولها فيها عنده دليلٌ على أنها جواب الجزاء ، وأنها إذا كانت للجزاء جواباً ، [٣] كان الاختيار فيها الابتداء .

* * *

---

(١) انظر تفسير « الخلود » فيما سلف من فهارس اللغة (خلد) .

(٢) انظر تفسير « الخزى » فيما سلف ص: ١٦٠، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المطبوعة : « إذا كانت جواب الجزاء » ، وفى المخطوطة : « إذا كانت للجواب جزاء » ، والصواب ما أثبت ، إنما أخطأ الناسخ .

قال أبو جعفر : والقراءة التى لا أستجيز غيرها، فتح الألف فى كلا الحرفين أعنى « أنّ » الأولى والثانية ، لأن ذلك قراءة الأمصار ، وللعلة التى ذكرت من جهة العربية .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾ (٦٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : يخشى المنافقون أن تنزل فيهم (١) =« سورة تنبئهم بما فى قلوبهم » ، يقول : تظهر المؤمنين على ما فى قلوبهم . (٢)

* * *

وقيل : إن الله أنزل هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن المنافقين كانوا إذا عابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكروا شيئاً من أمره وأمر المسلمين ، قالوا : « لعل الله لا يفشى سِرَّنا ! » ، فقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهم : « استهزئوا » ، متهدداً لهم متوعداً : « إن الله مخرج ما تحذرون » .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٠٧ – حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة » ، قال : يقولون القول بينهم ، ثم يقولون : « عسى الله أن لا يفشى سرنا علينا ! » .

١٦٩٠٨ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ،

---

(١) انظر تفسير « الحذر » فيما سلف ١٠ : ٥٧٥ .

(٢) انظر تفسير « النبأ » فيما سلف ١٣ : ٢٥٢، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله = إلا أنه قال : سِرَّنا هذا .

* * *

وأما قوله : « إن الله مخرجٌ ما تحذرون » ، فإنه يعنى به : إن الله مظهر عليكم ، أيها المنافقون ، ما كنتم تحذرون أن تظهروه ، فأظهر الله ذلك عليهم وفضحهم ،[1] فكانت هذه السورة تدعَى : ﴿ الفَاضِحَةَ ﴾ .

١٦٩٠٩ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كانت تسمَّى هذه السورة : ﴿ الفَاضِحَةَ ﴾ ، فاضحةَ المنافقين .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ (٦٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولئن سألت ، يا محمد ، هؤلاء المنافقين عما قالوا من الباطل والكذب ، ليقولن لك : إنما قلنا ذلك لعباً ، وكنا نخوض فى حديثٍ لعباً وهزؤاً ![2] يقول الله لمحمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد ، أبالله وآيات كتابه ورسوله كنتم تستهزئون ؟ ١١٩/١٠

* * *

وكان ابن اسحق يقول : الذى قال هذه المقالة : كما :—

١٦٩١٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : كان الذى قال هذه المقالة فيما بلغنى ، وديعة بن ثابت ، أخو بنى أمية بن زيد ، من بنى عمرو بن عوف .[3]

---

(١) انظر تفسير « الإخراج » فيما سلف ٢ : ١٢/٢٢٨ : ٢١١ .

(٢) انظر تفسير « الخوض » فيما سلف ١١ : ٥٢٩ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « اللعب » فيما سلف ١١ : ٥٢٩ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « الاستهزاء » فيما سلف ١١ : ٢٦٢ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٣) الأثر : ١٦٩١٠ — سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٥ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٨٩٩ .

١٦٩١١ – حدثنا على بن داود قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنا الليث قال ، حدثنى هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم : أن رجلاً من المنافقين قال لعوف بن مالك فى غزوة تبوك: ما لقُرَّائنا هؤلاء، أرغبُنا بطوناً وأكذبُنا ألسنةً، وأجبنُنا عند اللقاء ! فقال له عوف : كذبت، ولكنك منافق! لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فذهب عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره ، فوجد القرآن قد سبقه = قال زيد[1] : قال عبد الله بن عمر : فنظرت إليه متعلقاً بحَقَب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكُبُه الحجارة، [2] يقول : «إنما كنا نخوض ونلعب» ! فيقول له النبى صلى الله عليه وسلم : « أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون»؟ ما يزيده . [3]

١٦٩١٢ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثنى هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن عبد الله بن عمر قال: قال رجل فى غزوة تبوك فى مجلس : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء ، أرغبَ بطوناً ، ولا أكذبَ ألسناً ، ولا أجبن عند اللقاء ! فقال رجل فى المجلس : كذبتَ ، ولكنك منافق ! لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن . قال عبد الله بن عمر : فأنا رأيته متعلقاً بحَقَب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : «فقال زيد» ، بالفاء ، والسياق يقتضى إسقاطها .

(٢) «الحقب» (بفتحتين): حبل يشد به الرحل فى بطن البعير مما يلى ثيله ، لئلا يؤذيه التصدير ، أو يجتذبه التصدير فيقدمه . و «نكبته الحجارة» ، نمّت الحجارة رجله وظفره ، أى نالته وآذته وأصابته .

(٣) الأثر : ١٦٩١١ – «هشام بن سعد المدنى» ، ثقة ، متكلم فيه ، مضى برقم : ٥٤٩٠ ، ١١٧٠٤ ، ١٢٨٢١ .

«زيد بن أسلم العدوى» الفقيه ، روى عن عبد الله بن عمر ، روى له الجماعة . مضى مراراً كثيرة .

وسيأتى الخبر الذى يليه ، من طريق ابن وهب ، عنه .

وهذا إسناد صحيح .

تَنْكُبه الحجارة، وهو يقول : « يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب! »، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون * لا تعتذروا قد قد كفرتم بعد إيمانكم » .(١)

١٦٩١٣ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا أيوب ، عن عكرمة في قوله : « ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب » إلى قوله : « بأنهم كانوا مجرمين » ، قال : فكان رجل ممن إن شاء الله عفا عنه يقول : « اللهم إني أسمع آية أنا أعْنَى بها، تقشعرُّ منها الجلود، وتَجِبُ منها القلوب،(٢) اللهم فاجعل وفاتي قتلاً في سبيلك، لا يقول أحدٌ : أنا غسَّلت ، أنا كفَّنت ، أنا دفنت » ، قال : فأصيب يوم اليمامة ، فما أحدٌ من المسلمين إلا وُجد غيره .

١٦٩١٤ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : « ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب » ، الآية ، قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوته إلى تبوك ، وبين يديه ناس من المنافقين ، فقالوا : « يرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشأم وحصونها ! هيهات هيهات » ! فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك ، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : احبسوا عليَّ الرَّكْب! (٣) فأتاهم فقال : قلتم كذا، قلتم كذا . قالوا : « يا نبي الله، إنما كنا نخوض ونلعب » ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم ما تسمعون .

١٦٩١٥ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب » ، قال : بينما النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، ورَكْب من المنافقين يسيرون بين يديه، فقالوا : يظن هذا أن يفتح قصورَ الروم وحصونها ! فأطلع الله نبيه صلى الله عليه

---

(١) الأثر : ١٦٩١٢ – مكرر الأثر السالف ، وهو صحيح الإسناد .

(٢) « وجب قلبه يجب وجيباً » ، خفق واضطرب . وكان في المطبوعة : « وتجل » باللام ، كأنه يعني من « الوجل » ، ولكنه لم يحسن قراءة المخطوطة ، لأنها غير منقوطة .

(٣) في المطبوعة : « على هؤلاء الركب » ، زاد « هؤلاء » لغير طائل

وسلم على ما قالوا ، فقال : علىّ بهؤلاء النفر ! فدعاهم فقال : قلتم كذا وكذا ! فحلفوا : ما كنا إلا نخوض ونلعب !

١٦٩١٦ – حدثنا الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ،حدثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب وغيره قالوا : قال رجل من المنافقين : ما أرى قُرَّاءنا هؤلاء إلا أرغبنا بطوناً ، وأكذبنا ألسنة ، وأجبننا عند اللقاء ! فرُفع ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته ، فقال : يا رسول الله ، إنما كنا نخوض ونلعب ! فقال : « أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون »، إلى قوله : «مجرمين» ، وإن رجليه لتنسفان الحجارة ، (١) ١٠/١٢٠ وما يلتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو متعلق بنِسْعَةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم . (٢)

١٦٩١٧ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « إنما كنا نخوض ونلعب » ، قال : قال رجل من المنافقين : « يحدثنا محمد أن ناقة فلان بوادى كذا وكذا ، فى يوم كذا وكذا ! وما يدريه ما الغيب ؟ » .

١٦٩١٨ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « ليسفعان بالحجارة » ، غير ما كان فى المخطوطة مسيئاً فى فعله ، والصواب ما فى المخطوطة . « نسفت الناقة الحجارة والتراب فى عدوها تنسفه نسفاً » ، إذا أطارته ، وكذلك يقال فى الإنسان إذا اشتد عدوه .

(٢) « النسعة » (بكسر فسكون) : سير مضفور يجعل زماماً للبعير ، وقد تنسج عريضة تجعل على صدر البعير . ويقال للبطان والحقب : « النسعان » .

القول فى تأويل قوله ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ (٦٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء الذين وصفت لك صفتهم : « لا تعتذروا » ، بالباطل فتقولوا : « كنا نخوض ونلعب = « قد كفرتم » ، يقول : قد جحدتم الحق بقولكم ما قلتم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به [١] = « بعد أيمانكم » ، يقول : بعد تصديقكم به وإقراركم به = « إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة » . [٢]

* * *

وذكر أنه عُنِى : بـ « الطائفة » ، فى هذا الموضع ، رجلٌ واحد . [٣]

وكان ابن إسحق يقول فيما : —

١٦٩١٩ — حدثنا به ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : كان الذى عُفِى عنه ، فيما بلغنى مَخْشِىّ بن حُمَيِّر الأشجعى ، [٤] حليف بنى سلمة ، وذلك أنه أنكر منهم بعض ما سمع . [٥]

١٦٩٢٠ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا زيد بن حبان ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب : « إن نعف عن طائفة منكم » ، قال : « طائفة » ، رجل .

* * *

---

(١) فى المخطوطة : « يقول : لحم الحق » ، وهى لا تقرأ ، والذى فى المطبوعة مقارب للصواب ، فتركته على حاله .

(٢) انظر تفسير « العفو » فيما سلف من فهارس اللغة (عفا) .

(٣) انظر تفسير « الطائفة » فيما سلف ١٣ : ٣٩٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٤) فى سيرة ابن هشام فى هذا الموضع « مخشن بن حمير » ، وقد أشار ابن هشام إلى هذا الاختلاف فيما سلف من سيرته ، ابن هشام ٤ : ١٦٨ . ولكنى أثبت ما فى المخطوطة .

(٥) الأثر : ١٦٩١٩ — سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٥ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٩١٠ .

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : معناه : « إن نعف عن طائفة منكم » ، بإنكار ما أنكر عليكم من قبل الكفر = « نعذب طائفة » ، بكفره واستهزائه بآيات الله ورسوله .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٢٢ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر قال ، قال بعضهم : كان رجل منهم لم يمالئهم فى الحديث ،يسير مجانباً لهم ،[1] فنزلت : « إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة » ، فسُمِّى « طائفةً » وهو واحدٌ .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك. إن تتب طائفة منكم فيعفو الله عنه ، يعذب الله طائفة منكم بترك التوبة .

* * *

وأما قوله : « إنهم كانوا مجرمين » ، فإن معناه : نعذب طائفة منهم باكتسابهم الجرم ، وهو الكفر بالله ، وطعنهم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ (٦٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « المنافقون والمنافقات » ، وهم الذين يظهرون للمؤمنين الإيمانَ بألسنتهم ، ويُسِرُّون الكفرَ بالله ورسوله [3]= بعضهم

(١) فى المطبوعة : « فيسير » ، بالفاء ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « الإجرام » فيما سلف ١٣ : ٤٠٨ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « النفاق » فيما سلف ١ : ٢٣٤ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣ ، ٣٢٤ – ٣٢٧ ، ٣٤٦ – ٣٦٣ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤/٤١٤ : ٢٣٢ ، ٨/٢٣٣ : ٩/٥١٣ : ٧ .

من بعض » ، يقول : هم صنف واحد ، وأمرهم واحد ، فى إعلانهم الإيمان ، واستبطانهم الكفر= « يأمرون » مَنْ قبل منهم = « بالمنكر » ، وهو الكفر بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به وتكذيبه[1] = « وينهون عن المعروف » ، يقول : وينهونهم عن الإيمان بالله ورسوله ، وبما جاءهم به من عند الله[2] .

* * *

وقوله : « ويقبضون أيديهم » ، يقول : ويمسكون أيديهم عن النفقة فى سبيل الله ، ويكفُّونها عن الصدقة ، فيمنعون الذين فرضَ الله لهم فى أموالهم ما فرَض من الزكاة حقوقَهم ، كما :—

١٦٩٢٣ — حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « ويقبضون أيديهم » ، قال : لا يبسطونها بنفقة فى حق .

١٦٩٢٤ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٦٩٢٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٦٩٢٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

١٢١/١٠ ١٦٩٢٧ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ويقبضون أيديهم » ، لا يبسطونها بخير .

١٦٩٢٨ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « ويقبضون أيديهم » ، قال : يقبضون أيديهم عن كل خير .

* * *

(١) انظر تفسير « المنكر » فيما سلف ١٣ : ١٦٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « المعروف » فيما سلف ١٣ : ١٦٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

وأما قوله : « نسوا الله فنسيهم » ، فإن معناه : تركوا الله أن يطيعوه ويتبعوا أمره ، فتركهم الله من توفيقه وهدايته ورحمته .

* * *

وقد دللنا فيما مضى على أن معنى « النسيان » ، الترك ، بشواهده ، فأغنى ذلك عن إعادته ههنا .[1]

* * *

وكان قتادة يقول فى ذلك ما : —

١٦٩٢٩ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، قتادة قوله : « نسوا الله فنسيهم » ، نُسُوا من الخير ، ولم ينسوا من الشرّ .

* * *

قوله : « إن المنافقين هم الفاسقون » ، يقول : إن الذين يخادعون المؤمنين بإظهارهم لهم بألسنتهم الإيمانَ بالله ، وهم للكفر مستبطنون ،[2] هم المفارقون طاعةَ الله ، الخارجون عن الإيمان به وبرسوله .[3]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا هِىَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ (٦٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار » بالله = « نار جهنم » ، أن يصليهموها جميعاً = « خالدين فيها » ، يقول : ماكثين فيها أبداً ، لا يحيون فيها ولا يموتون[4] = « هى حسبهم » ، يقول : هى

---

(١) انظر تفسير « النسيان » فيما سلف ١٢ : ٤٧٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « النفاق » فيما سلف قريباً ص : ٣٣٧ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « الفسق » فيما سلف ص : ٢٩٣ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٤) انظر تفسير « الخلود » فيما سلف من فهارس اللغة (خلد) .

كافيتهم عقاباً وثواباً على كفرهم بالله [١]= « ولعنهم الله » ، يقول : وأبعدهم الله وأسحقهم من رحمته = « ولهم عذاب مقيم » ، يقول : وللفريقين جميعاً : يعنى من أهل النفاق والكفر ، عند الله = « عذابٌ مقيم » ، دائم لا يزول ولا يبيد. [٢]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ (٦٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد ، لهؤلاء المنافقين الذين قالوا : « إنما كنا نخوض ونلعب » : أبالله وآيات كتابه ورسوله كنتم تستهزئون ؟ = « كالذين من قبلكم » ، من الأمم الذين فعلوا فعلكم ، فأهلكهم الله ، وعجل لهم فى الدنيا الخزى ، مع ما أعدّ لهم من العقوبة والنكال فى الاخرة . يقول لهم جل ثناؤه : واحذروا أن يحل بكم من عقوبة الله مثل الذى حلّ بهم ، فإنهم كانوا أشد منكم قوةً وبطشاً ، وأكثر منكم أموالاً وأولاداً = « فاستمتعوا بخلاقهم » ، يقول : فتمتعوا بنصيبهم وحظهم من دنياهم ودينهم ، [٣] ورضوا بذلك من نصيبهم فى الدنيا عوضاً من نصيبهم فى الآخرة ، [٤]

---

(١) انظر تفسير « حسب » فيما سلف ص: ٣٠٤، تعليق ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « مقيم » فيما سلف ١٠ ٢٩٣ ، ٢٩٤/١٤ : ١٧٢ .

(٣) انظر تفسير « الاستمتاع » فيما سلف ١٢ : ١١٦، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « الخلاق » فيما سلف ٢ : ٤٥٢ - ٤٥٤/٤ : ٢٠١ - ٢٠٣/٦ : ٥٢٧ ، ٥٢٨ .

وقد سلكتم، أيها المنافقون، سبيلهم فى الاستمتاع بخلاقكم . يقول: فعلتم بدينكم ودنياكم ، كما استمتع الأمم الذين كانوا من قبلكم ، الذين أهلكتهم بخلافهم أمرى = « بخلاقهم » ، يقول : كما فعل الذين من قبلكم بنصيبهم من دنياهم ودينهم = « وخضتم » ، فى الكذب والباطل على الله = « كالذى خاضوا » ، يقول : وخضتم أنتم أيضاً، أيها المنافقون ، كخوض تلك الأمم قبلكم .(١)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٣٠ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثنى أبو معشر ، عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم : قال : لتأخذُنَّ كما أخذ الأمم من قبلكم، ذراعاً بذراع ، وشبراً بشبر ، وباعاً بباع ،حتى لو أن أحداً من أولئك دخل جُحر ضبٍّ لدخلتموه ! = قال أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم القرآن : «كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذى خاضوا » = قالوا : يا رسول الله ، كما صنعت فارس والروم ؟ قال : فهل الناس إلا هم ؟ (٢)

١٦٩٣١ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ،

---

(١) انظر تفسير « الخوض » فيما سلف ص: ٣٣٢، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) الأثر : ١٦٩٣٠ – إسناده ضعيف .

« أبو معشر » ، هو : « نجيح بن عبد الرحمن السندى » ، منكر الحديث ، مضى برقم : ١٢٧٥ .

ولكن هذا الخبر له أصل فى الصحيح ، فقد رواه البخارى فى صحيحه من طريق أحمد بن يونس ، عن ابن أبى ذئب ، عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى ، عن أبى هريرة (الفتح ١٣ : ٢٥٤) ، بغير هذا اللفظ .

يقال : « أخذ إخذ فلان » ، إذا سار بسيرته .

١٢٢/١٠ عن ابن جريج ، عن عمر بن عطاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قوله : « كالذين من قبلكم »، الآية قال ، قال ابن عباس : ما أشبه الليلة بالبارحة! « كالذين من قبلكم » ، هؤلاء بنو إسرائيل، شبهنا بهم ، لا أعلم إلا أنه قال : والذى نفسى بيده، لتَتَّبِعُنَّهم حتى لو دخل الرجل منهم جُحْر ضبٍّ لدخلتموه. (١)

١٦٩٣٢ = ... قال ابن جريج : وأخبرنى زياد بن سعد، عن محمد بن زيد ابن مهاجر، عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذى نفسى بيده ، لتتبعُنّ سَنَنَ الذين من قبلكم ، شبراً بشبراً ، وذراعاً بذراع ، وباعاً بباع ، حتى لو دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه ! قالوا : ومن هم ، يا رسول الله ؟ أهلُ الكتاب ! قال : فَمَهْ ! (٢)

---

(١) الأثر : ١٦٩٣١ – « عمر بن عطاء » ، هذا الراوى عن عكرمة هو: « عمر بن عطاء ابن وراز » ، وهو ضعيف ، ليس بشيء . قال أحمد : « كل شيء روى ابن جريج ، عن عمر ابن عطاء ، عن عكرمة ، فهو : ابن وراز . وكل شيء روى ابن جريج ، عن عمر بن عطاء ، عن ابن عباس ، فهو ابن أبى الخوار » ، فهما رجلان . وهو مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ١٢٦/١٣ ، وميزان الاعتدال ٢ : ٢٦٥ .

فهذا إسناد ضعيف أيضاً ، ولكن له أصل فى الصحيح ، كما سلف قبل .

(٢) الأثر : ١٦٩٣٢ – هذا إسناد تابع للإسناد السالف ، ولكنى فصلته عنه ، لأن الإسناد الأول قد تم برواية ابن جريج حديث ابن عباس ، ثم انتقل إلى إسناد آخر إلى أبى هريرة .

و « زياد بن سعد بن عبد الرحمن الخراسانى » ، وكان شريك ابن جريج ، وهو ثقة ، روى له الجماعة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٣٢٧/١/٢ ، وابن أبى حاتم ٥٣٣/٢/١ .

و « محمد بن زيد بن مهاجر بن قنفذ التيمى القرشى » ، ثقة ، مضى برقم : ١٠٥٢١ .

فهذا خبر صحيح الإسناد .

* * *

وأما قوله : « فه » ، فقد كتبها فى المطبوعة : « فن » ، وهى فى المخطوطة بالهاء واضحة عليها سكون ، ويدل على صواب ذلك ، اقتصار ابن جريج فى الخبر التالى على ذكر « فن » ، دون ذكر الخبر ، فهذا دال على أن الأولى مخالفة للثانية ، لا مطابقة لها .

واستعمال « مه » بمعنى الاستفهام ، قد ذكر له صاحب اللسان فى مادة « ما » ، شاهداً ، ولكنه أساء فى نقله عن ابن جنى بعده ، فلم يتبين ما أراد قبله . قال : « ما : حرف نفى ، وتكون بمعنى الذى ... وتكون موضوعة موضع : من، وتكون بمعنى الاستفهام وتبدل من الألف الهاء ، فيقال : مه ، قال الراجز :

١٦٩٣٣ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج، عن ابن جريج قال ، قال أبو سعيد الخدري أنه قال : فمن .(١)

١٦٩٣٤ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن : « فاستمتعوا بخلاقهم » ، قال : بدينهم .

١٦٩٣٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حذّركم أن تحدثوا في الإسلام حدَثاً ، وقد علم أنه سيفعل ذلك أقوامٌ من هذه الأمة ،(٢) فقال الله في ذلك : « فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا » ، وإنما حسبوا أن لا يقع بهم من الفتنة ما وقع ببني إسرائيل قبلهم ، وإن الفتنة عائدة كما بدأت .

* * *

قَدْ وَرَدَتْ مِنْ أَمْكِنَهْ ومِنْ هَهُنَا وَمِنْ هُنَهْ
إِنْ لَمْ أُرَوِّها فَمَهْ

قال ابن جني : يحتمل ، مه ، هنا وجهين : أحدهما أن تكون : فه ، زجراً منه ، أي : فاكفف عني . ولست أهلا للعتاب = أو : فه يا إنسان ، يخاطب نفسه ويزجرها » .

قلت : وهذا تحكم من أبي الفتح بن جني، فإن سياق الرجز يوجب أن يكون معناه: إن لم أرو أنا هذه الإبل ، فمن يرويها ؟ وهو صريح معنى الاستدلال الذي ساقه صاحب اللسان ، ولكنه أساء في البيان وقصر ، وأساء في إردافه الكلام ما أردفه من كلام أبي الفتح .

وهذا الخبر الذي رواه ابن جريج ، عن أبي هريرة ، دليل آخر ، وشاهد قوي على استعمالهم « مه » ، بمعنى الاستفهام .

(١) الأثر : ١٦٩٣٣ – حديث أبي سعيد الخدري ، في معنى الأخبار السالفة رواه البخاري في صحيحه (الفتح ١٣ : ٢٥٥) ، ومسلم في صحيحه ١٦ : ٢١٩ ، من طريق زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري .

وهذا الخبر رواه ابن جريج مختصراً على كلمة واحدة ، وهي « فمن » ، ليبين معنى رواية أبي هريرة قبل : « فه » ، أنها بمعنى « فمن » ، استفهاماً ، كما سلف في التعليق قبله .

(٢) جاء هكذا في المخطوطة : « حدثكم أن تحدثوا في الإسلام حدثاً ، وقد علمتم أنه . . . » ، وهو غير مقروء ، ولا مستقيم ، والذي في المطبوعة ، كأنه منقول من الدر المنثور ٣ : ٢٥٥ ، وقد نسبه إلى أبي الشيخ ، ولم ينسبه إلى ابن جرير ، وهو فضلا عن ذلك ، مختصر في الدر المنثور .

وأما قوله : « أولئك حبطت أعمالهم » ، فإن معناه : هؤلاء الذين قالوا : « إنما كنا نخوض ونلعب » ، وفعلوا فى ذلك فعل الهالكين من الأمم قبلهم = « حبطت أعمالهم »، يقول : ذهبت أعمالهم باطلاً ، فلا ثوابَ لها إلا النار ، لأنها كانت فيما يسخط الله ويكرهه[1]= « وأولئك هم الخاسرون » ، يقول : وأولئك هم المغبونون صفقتهم ،ببيعهم نعيم الآخرة بخلاقهم من الدنيا اليسيرِ الزهيدِ .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (٧٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ألم يأت هؤلاء المنافقين الذين يُسِرُّون الكفرَ بالله ، وينهون عن الإيمان به وبرسوله = « نبأ الذين من قبلهم » ، يقول : خبر الأمم الذين كانوا من قبلهم ،[3] حين عصوا رسلنا وخالفوا أمرنا ، ماذا حلّ بهم من عقوبتنا ؟

* * *

ثم بين جل ثناؤه مَنْ أولئك الأمم التى قال لهؤلاء المنافقين ألم يأتهم نَبَأُهم، فقال : « قوم نوح »، ولذلك خفض « القوم » ، لأنه ترجم بهم عن « الذين » ، و « الذين » فى موضع خفض .

* * *

(١) انظر تفسير « حبط » فيما سلف ص: ١٦٦، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الخسران » فيما سلف ١٣ : ٥٣٥ ، تعليق : ١، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « النبأ » فيما سلف ص: ٣٣١، تعليق : ٢، والمراجع هناك .

ومعنى الكلام : ألم يأت هؤلاء المنافقين خبر قوم نوح وصنيعى بهم ، إذ كذبوا رسولى نوحاً ، وخالفوا أمرى ؟ ألم أغرقهم بالطوفان ؟

= « وعاد » ، يقول : وخبر عاد ، إذ عصوا رسولى هوداً ، ألم أهلكهم بريح صرصر عاتية؟ = وخبر ثمود ، إذ عصوا رسولى صالحاً ، ألم أهلكهم بالرجفة ، فأتركهم بأفنيتهم خموداً ؟= وخبر قوم إبرهيم ، إذ عصوه وردُّوا عليه ما جاءهم به من عند الله من الحق ، ألم أسلبهم النعمة ، وأهلك ملكهم نمرود ؟ = وخبر أصحابِ مَدْين بن إبراهيم ، ألم أهلكهم بعذاب يوم الظلة إذ كذبوا رسولى شعيباً ؟=وخبر المنقلبة بهم أرضُهم ، فصار أعلاها أسفلها ، إذ عصوا رسولى لوطاً ،[1] وكذبوا ما جاءهم به من عندى من الحق ؟ يقول تعالى ذكره : أفأمن هؤلاء المنافقون الذين يستهزئون بالله وبآياته ورسوله ، أن يُسْلك بهم فى الانتقام منهم ، وتعجيل الخزى والنكال لهم فى الدنيا ، سبيلُ أسلافهم من الأمم ، ويحلّ بهم بتكذيبهم رسولى محمداً صلى الله عليه وسلم ما حلّ بهم فى تكذيبهم رُسلنا ، إذ أتتهم بالبينات .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٣٦ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « والمؤتفكات » ، قال : قوم لوط ، انقلبت بهم أرضهم ، فجعل عاليها سافلها . ١٢٣/١٠

١٦٩٣٧ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « والمؤتفكات » ، قال : هم قوم لوط .

* * *

---

(١) انظر تفسير « الائتفاك » فيما سلف ص : ٢٠٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « البينة » فيما سلف من فهارس اللغة (بين) .

فإن قال قائل : فإن كان عنى بـ « المؤتفكات » قوم لوط ، فكيف قيل : « المؤتفكات » ، فجمعت ولم توحّد ؟

قيل : إنها كانت قريات ثلاثاً ، فجمعت لذلك ، ولذلك جمعت بالتاء ، على قول الله : ﴿ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى ﴾ ، [سورة النجم : ٥٣].(١)

فإن قال : وكيف قيل : أتتهم رسلهم بالبينات ، وإنما كان المرسل إليهم واحـــداً ؟

قيل : معنى ذلك : أتى كل قرية من المؤتفكات رسولٌ يدعوهم إلى الله ، فتكون رُسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين بعثهم إليهم للدعاء إلى الله عن رسالته ، رسلاً إليهم ، كما قالت العرب لقوم نسبوا إلى أبى فديك الخارجى : « الفُدَيْكات » ، و « أبو فديك » ، واحدٌ ، ولكن أصحابه لما نسبوا إليه وهو رئيسهم ، دعوا بذلك ، ونسبوا إلى رئيسهم . فكذلك قوله : « أتتهم رسلهم بالبينات » .

* * *

وقد يحتمل أن يقال معنى ذلك : أتت قوم نوح وعاد وثمود وسائر الأمم الذين ذكرهم الله فى هذه الآية ، رسلهم من الله بالبينات .

* * *

وقوله : « فما كان الله ليظلمهم » ، يقول جل ثناؤه : فما أهلك الله هذه الأمم التى ذكر أنه أهلكها إلاّ بإجرامها وظلمها أنفسها ، واستحقاقها من الله عظيم العقاب ، لا ظلماً من الله لهم ، ولا وضعاً منه جل ثناؤه عقوبةً فى غير من هو لها أهلٌ ، لأن الله حكيم لا خلل فى تدبيره ، ولا خطأ فى تقديره ، ولكن القوم الذين أهلكهم ظلموا أنفسهم بمعصية الله وتكذيبهم رسله ، حتى أسخطوا عليهم ربهم ، فحقت عليهم كلمة العذاب فعذّبوا .

* * *

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٤٦ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٧١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وأما «المؤمنون والمؤمنات» ، وهم المصدقون بالله ورسوله وآيات كتابه ، فإن صفتهم : أن بعضهم أنصارُ بعض وأعوانهم [١] = « يأمرون بالمعروف »، يقول: يأمرون الناس بالإيمان بالله ورسوله، وبما جاء به من عند الله، [٢]= [« وينهون عن المنكر » . . . .] [٣]=« ويقيمون الصلاة »، يقول: ويؤدُّون الصلاة المفروضة [٤]= « ويؤتون الزكاة »، يقول : ويعطون الزكاة المفروضةَ أهلَها [٥]= « ويطيعون الله ورسوله » ، فيأتمرون لأمر الله ورسوله ، وينتهون عما نهياهم عنه = « أولئك سيرحمهم الله » ، يقول : هؤلاء الذين هذه صفتهم ، الذين سيرحمهم الله ، فينقذهم من عذابه ، ويدخلهم جنته ، لا أهل النفاق والتكذيب بالله ورسوله ، الناهون عن المعروف ، الآمرون بالمنكر ، القابضون أيديهم عن أداء حقّ الله من أموالهم=« إن الله عزيز حكيم »، يقول : إن الله ذو عزة فى انتقامه ممن انتقم من خلقه على معصيته وكفره به، لا يمنعه من الانتقام منه مانع، ولا ينصره منه ناصر= « حكيم»، فى انتقامه منهم، وفى جميع أفعاله . [٦]

* * *

(١) انظر تفسير « الأولياء » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .

(٢) انظر تفسير « المعروف » فيما سلف ص : ٣٣٨، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) ما بين القوسين زدته استظهاراً، وهو تمام الآية ، أخل به الناسخ ، وأسقط تفسيره ، كما هو بين من سياق أبى جعفر فى تفسيره .

انظر تفسير « المنكر » فيما سلف ص : ٣٣٨، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « إقامة الصلاة » فيما سلف من فهارس اللغة (قوم) .

(٥) انظر تفسير « إيتاء الزكاة » فيما سلف من فهارس اللغة (أتى) .

(٦) انظر تفسير « عزيز » ، و « حكيم » ، فيما سلف من فهارس اللغة (عزز) ، (حكم) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٣٨ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية قال : كل ما ذكره الله فى القرآن من « الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » ، فـ « الأمر بالمعروف » ، دعاء من الشرك إلى الإسلام = و « النهى عن المنكر »، النهى عن عبادة الأوثان والشياطين .

١٦٩٣٩ – . . . . قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « يقيمون الصلاة » ، قال : الصلوات الخمس .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (٧٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وعد الله الذين صدقوا الله ورسوله ، وأقرُّوا به وبما جاء به من عند الله، من الرجال والنساء = « جنات تجرى من تحتها الأنهار » ، يقول : بساتين تجرى تحت أشجارها الأنهار [1]= « خالدين فيها » ، يقول : لابثين فيها أبداً ، مقيمين لا يزول عنهم نعيمها ولا يبيد [2] = « ومساكن طيبة » ، يقول : ومنازل يسكنونها طيبةً . [3] ١٢٤/١٠

* * *

(١) انظر تفسير « جنة » فيما سلف من فهارس اللغة (جنن) .
(٢) انظر تفسير « الخلود » فيما سلف من فهارس اللغة (خلد) .
(٣) انظر تفسير « طيبة » فيما سلف من فهارس اللغة (طيب) .

و « طيبها » أنها ، فيما ذكر لنا ، كما :-

١٦٩٤٠ - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا إسحق بن سليمان، عن جَسْر ، عن الحسن قال : سألت عمران بن حصين وأبا هريرة عن آية فى كتاب الله تبارك وتعالى : « ومساكن طيبة فى جنات عدن » ، فقالا: على الخبير سقطت ! سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : قصرٌ فى الجنة من لؤلؤ ، فيه سبعون داراً من ياقوتة حمراء ، فى كل دار سبعون بيتاً من زمردة خضراء ، فى كل بيت سبعون سريراً .(١)

١٦٩٤١ - حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهرى قال ، حدثنا قرة بن حبيب ، عن جَسْر بن فرقد، عن الحسن ، عن عمران بن حصين وأبى هريرة قالا : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية : « ومساكن طيبة فى جنات عدن » ، قال : قصر من لؤلؤة ، فى ذلك القصر سبعون داراً من ياقوتة حمراء ، فى كل دار سبعون بيتاً من زبرجدة خضراء ، فى كل بيت سبعون سريراً ، على كل سرير سبعون فراشاً من كل لون، على كل فراش زوجة من الحور العين ، فى كل بيت سبعون مائدة ،

---

(١) الأثر : ١٦٩٤٠ - « إسحق بن سليمان الرازى » ، شيخ أبى كريب ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٣٢٢٤ .

و « جسر » هو : « جسر بن فرقد ، أبو جعفر القصاب » ، روى عنه إسحق بن سليمان ، وروى هو عن الحسن وغيره ، وكان رجلا صالحاً ، ولكنه فى الحديث ليس بشىء . مترجم فى الكبير ٢٤٥/٢/١ ، وقال : « ليس بذاك » ، وفى ابن أبى حاتم ٥٣٨/١/١ ، وميزان الاعتدال ١ : ١٨٤ ، ولسان الميزان ٢ : ١٠٤ .

وكان فى المطبوعة : « إسحق بن سليمان ، عن الحسن قال سألت » ، وأسقط اسم « جسر » ، لأنه كان فى المخطوطة قد كتب : « عن الحسن ، عن الحسن » ، ثم ضرب الناسخ على « الألف واللام » من « الحسن » الأولى ، فظنه قد ضرب عليه كله ، والصواب ما أثبت ، وسيأتى فى الإسناد التالى .

وهذا الخبر ، ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧ : ٣٠ ، ٣١ ، وقال : « رواه البزار والطبرانى فى الأوسط . وفيه جسر بن فرقد ، وهو ضعيف ، وقد وثقه سعيد بن عامر ، وبقية رجال الطبرانى ثقات » .

ثم خرجه فى مجمع الزوائد ١٠ : ٤٢٠ وقال : « رواه الطبرانى ، وفيه : جسر بن فرقد ، وهو ضعيف » ، فاختصر ما سلف .

وهو إسناد ضعيف كما قال ، فقد ضعف جسر بن فرقد ، البخارى وغيره من الأئمة .

على كل مائدة سبعون لوناً من طعام، فى كل بيت سبعون وصيفة ، ويعطى المؤمن من القوة فى غَداةٍ واحدة ما يأتى على ذلك كله أجمع .(١)

* * *

وأما قوله : « فى جنات عدن » ، فإنه يعنى : وهذه المساكن الطيبة التى وصفها جل ثناؤه ، « فى جنات عدن » .

* * *

و « فى » من صلة « مساكن » .

* * *

وقيل : « جنات عدن » ، لأنها بساتين خلد وإقامة ، لا يظعَنُ منها أحدٌ .

* * *

وقيل : إنما قيل لها « جنات عدن » ، لأنها دارُ الله التى استخلصها لنفسه ، ولمن شاء من خلقه = من قول العرب : « عَدَن فلان بأرض كذا » ، إذا أقام بها وخلد بها ، ومنه « المَعْدِن »، ويقال : « هو فى معدِن صدق » ، يعنى به : أنه فى أصلٍ ثابت . وقد أنشد بعض الرواة بيت الأعشى :

وَإِنْ يَسْتَضِيفُوا إِلَى حِلْمِهِ يُضَافُوا إِلَى رَاجِحٍ قَدْ عَدَنْ(٢)

---

(١) : ١٦٩٤١ – « قرة بن حبيب بن يزيد بن شهرزاد القنوى الرماح » ، ثقة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١٨٣/١/٤ ، وابن أبى حاتم ١٣٢/٢/٣ .

و « جسر بن فرقد » سلف فى الإسناد وقبله . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « حسن بن فرقد » ، وصوابه ما أثبت .

وهو إسناد ضعيف أيضاً .

(٢) ديوانه : ١٧ ، ومخطوطه ديوانه القصيدة رقم : ١٥ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٦٤ ، واللسان « وزن » ، وهى من كلمته الأولى التى أقبل بها على قيس بن معد يكرب الكندى ، ورواية الديوان « إلى حكمه » ، ولكنها فى المخطوطة ومجاز القرآن كما أثبتها ، ولكن المطبوعة كتب « حكمه » .

يقول قبله :

ولكنّ رَبِّى كَفَى غُرْبَتِى بِحَمْدِ الإِلَهِ ، فقد بَلَّغَنْ
أَخَا ثِقَةٍ عَالِياً كَعْبُهُ جَزِيلَ العَطَاءِ كَرِيمَ المِنَنْ

وينشد : « قد وَزَن » .(١)

* * *

وكالذى قلنا فى ذلك كان ابن عباس وجماعة معه، فيما ذكر ، يتأوّلونه .

١٦٩٤٢ – حدثنى إسحق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال ، حدثنا عتاب بن بشير ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « جنات عدن » ، قال : « معدن الرجل » ، الذى يكون فيه .

١٦٩٤٣ – حدثنا محمد بن سهل بن عسكر قال، حدثنا ابن أبى مريم قال، حدثنا الليث بن سعد ، عن زيادة بن محمد ، عن محمد بن كعب القرظى ، عن فضالة بن عبيد ، عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله يفتح الذكرَ فى ثلاث ساعات يبقين من الليل ، فى الساعة الأولى منهن ينظر فى الكتاب الذى لا ينظر فيه أحد غيره ، فيمحو ما يشاء ويثبت . ثم ينزل فى الساعة الثانية إلى جنة عدن ، وهى فى داره التى لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر ، وهى مسكنه، ولا يسكن معه من بنى آدم غير ثلاثة : النبيين ، والصديقين ، والشهداء ، ثم يقول : طوبى لمن دخلك ، وذكر فى الساعة الثالثة .(٢)

كَرِيمًا شَمائِلُهُ ، مِنْ بَنِى مُعَاوِيَةَ الأَكْرَمِينَ السُّنَنْ
فَإِنْ يَتْبَعُوا أَمْرَهُ يَرْشُدُوا وَإِنْ يَسْأَلُوا مَالَهُ لَا يَضِنّْ

و « استضاف إليه » ، لجأ إليه عند الحاجة .

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « قد وزن » ، بالواو ورواية الديوان : « قد رزن » بالراء ، وكله صحيح المعنى . وهذه التى ذكرها الطبرى ، هى الرواية التى فسرها صاحب اللسان فى « وزن » . يقال : « وزن الشىء » ، أى : رجح ، و « وزن الرجل وزانة » ، إذا كان متثبتاً ، و « رجل وزين الرأى » ، أصيله . و « رزن » بالراء مثله فى المعنى ، يقال : « رجل رزين » ، أى : وقور .

(٢) الأثران : ١٦٩٤٣ ، ١٦٩٤٤ – « زيادة بن محمد الأنصارى» ، منكر الحديث ، مترجم فى التهذيب، والكبير ٢/١/٤٠٧ ، وذكر إسناد هذا الخبر ، وابن أبى حاتم ١/٢/٦١٩ ، وميزان الاعتدال ١ : ٣٦١ ، وساق هذا الحديث بطوله ، وفيه ذكر الساعة الثالثة ، ثم قال : « وهذه ألفاظ منكرة ، لم يأت بها غير زيادة » .

وخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٠ : ٤١٢ وقال : « رواه البزار ، وفيه زيادة بن محمد ، وهو ضعيف » .

١٦٩٤٤ – حدثني موسى بن سهل قال ، حدثنا آدم قال، حدثنا الليث ابن سعد قال ، حدثنا زيادة بن محمد ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن فضالة ابن عبيد ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عدن دارُه = يعني : دار الله = التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر ، وهي مسكنه ، ولا يسكنها معه من بني آدم غير ثلاثة : النبيين ، والصديقين ، والشهداء . يقول الله تبارك وتعالى : طوبى لمن دخلك .(١)

* * *

وقال آخرون : معنى « جنات عدن » ، جنات أعناب وكروم .

* ذكر من قال ذلك :

١٢٥/١٠ ١٦٩٤٥ – حدثني أحمد بن أبي سريج الرازي قال، حدثنا زكريا بن عدي قال ، حدثنا عبيد الله بن عمرو ، عن زيد بن أبي أنيسة ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث : أن ابن عباس سأل كعباً عن جنات عدن ، فقال : هي الكروم والأعناب ، بالسريانية .(٢)

* * *

وقال آخرون : هي اسم لبُطْنان الجنة ووَسطها .

* ذكر من قال ذلك :

وكان في المطبوعة في الخبر الأول : « الكندي سعد ، عن زيادة بن محمد » ، وصوابه « الليث ابن سعد » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، لأنه وصل الحروف بعضها ببعض .

(١) الأثر : ١٦٩٤٤ – انظر التعليق السالف . و « آدم» ، هو « آدم بن أبي إياس » .

(٢) الأثر : ١٦٩٤٥ – « أحمد بن أبي سريج الرازي » ، هو « أحمد بن الصباح النهشلي الرازي » ، شيخ أبي جعفر . روى عنه البخاري ، وأبوداود ، والنسائي . ثقة . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ١/١/٥٦ .

و « زكريا بن عدي بن زريق التيمي » ، ثقة ، مضى برقم : ١٥٤٤٦ .

و « عبيد الله بن عمرو الرقي » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً ، منها رقم : ٧١٨٧ .

و « زيد بن أبي أنيسة الجزري » ، ثقة ، مضى مراراً آخرها : ١٣٨٥٥ .

و « يزيد بن أبي زياد القرشي » ، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، ثقة ، يضعف حديثه . مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٣٣٠٨ .

و « عبد الله بن الحارث بن نوفل الهاشمي » ، روى له الجماعة ، مضى أيضاً ، برقم : ١٣٣٠٨ .

١٦٩٤٦ – حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا بشر بن المفضل قال، حدثنا شعبة، عن سليمان الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن عبد الله قال: «عدن»، بُطْنان الجنة.

١٦٩٤٧ – حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا، حدثنا يحيى بن سعيد، عن سفيان وشعبة، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن عبد الله فى قوله: «جنات عدن»، قال: بُطْنان الجنة = قال ابن بشار فى حديثه، فقلت: ما بطنانها؟ = وقال ابن المثنى فى حديثه، فقلت للأعمش: ما بطنان الجنة؟ = قال: وَسطها.

١٦٩٤٨ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة، وأبى الضحى، عن مسروق، عن عبد الله: «جنات عدن»، قال: بطنان الجنة.

١٦٩٤٩ – . . . . . قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا شعبة، عن الأعمش، عن أبى الضحى، عن مسروق، عن عبد الله، بمثله.

١٦٩٥٠ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا ابن أبى عدى، عن شعبة، عن سليمان، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن عبد الله، مثله.

١٦٩٥١ – حدثنا أحمد ابن أبى سريج قال، حدثنا أبو أحمد الزبيرى قال، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبى الضحى، وعبد الله بن مرة، عنهما جميعاً، أو عن أحدهما، عن مسروق، عن عبد الله: «جنات عدن». قال: بطنان الجنة.

١٦٩٥٢ – حدثنا بن حميد قال، حدثنا جرير، عن منصور، عن أبى الضحى، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود فى قول الله: «جنات عدن»، قال: بُطْنان الجنة.

* * *

وقال آخرون : « عدن » ، اسم لقصر .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٥٣ – حدثني على بن سعيد الكندى قال، حدثنا عبدة أبو غسان ، عن عون بن موسى الكنانى ، عن الحسن قال : « جنات عدن » ، وما أدراك ما جنات عدن؟ قصرٌ من ذهَب، لا يدخله إلاّ نبي ، أو صدّيق، أو شهيد، أو حكم عدل ، ورفع به صوته . (١)

١٦٩٥٤ – حدثنا أحمدبن أبى سريج قال، حدثنا عبد الله بن عاصم قال ، حدثنا عون بن موسى قال : سمعت الحسن بن أبى الحسن يقول : جنات عدن، وما أدراك ما جنات عدن ؟ قصر من ذهب، لا يدخله إلانبيّ، أو صدّيق، أو شهيد، أو حكم عدل = رفع الحسن به صوته . (٢)

١٦٩٥٥ – حدثنا أحمد قال، حدثنا يزيد قال أخبرنا حماد بن سلمة ، عن يعلى بن عطاء ، عن نافع بن عاصم ، عن عبد الله بن عمرو قال : إن فى الجنة قصرًا يقال له « عدن » ، حوله البروج والرُّوح ، له خمسون ألف باب ، على كل باب حِبَرة، (٣) لا يدخله إلا نبيّ أو صدّيق .

١٦٩٥٦ – حدثنا الحسن بن ناصح قال، حدثنا أبو داود قال ، حدثنا شعبة، عن يعلى بن عطاء قال: سمعت يعقوب بن عاصم يحدث، عن عبد الله بن عمرو :

---

(١) الأثر : ١٦٩٥٣ – « عبدة ، أبو غسان » ، لم أعرف من يكون ؟
و « عون بن موسى الكنانى الليثى » ، أبو روح ، ثقة سمع الحسن . مترجم فى الكبير ٤/١/١٧ ، وابن أبى حاتم ٣/١/٣٨٦ .

(٢) الأثر : ١٦٩٥٤ – « أحمد بن أبى سريج » ، مضى برقم : ١٦٩٤٥
« عبد الله بن عاصم الحمانى» ، صدوق ، روى عنه أبو حاتم ، وأبو زرعة . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٢/٢/١٣٤ .
« عون بن موسى الكنانى » ، مضى قبله .

(٣) « الحبرة » (بكسر الحاء وفتح الباء) : ضرب من برود اليمن منمر . وقالوا : « ليس : حبرة ، موضعاً أو شيئاً معلوماً ، إنما هو شيء » . وكأنه هو المراد فى مثل هذا الخبر ، أى : ستور موشية .

إن فى الجنة قصرًا يقال له «عدن»، له خمسة آلاف باب، على كل باب خمسة آلاف حِبَرة، لا يدخله إلا نبي أو صدّيق أو شهيد.(١)

* * *

وقيل: هى مدينة الجنة.

* ذكر من قال ذلك:

١٦٩٥٧ - حدثت عن عبد الرحمن المحاربى، عن جويبر، عن الضحاك: فى «جنات عدن»، قال: هى مدينة الجنة، فيها الرُّسُل والأنبياء والشهداء، وأئمة الهدى، والناس حولهم بعدُ، والجنات حولها.

* * *

وقيل: إنه اسم نهر.

* ذكر من قال ذلك:

١٦٩٥٨ - حدثت عن المحاربى، عن واصل بن السائب الرقاشى، عن عطاء قال: «عدن»، نهر فى الجنة، جنّاته على حافتيه.

* * *

وأما قوله: «ورضوان من الله أكبر»، فإن معناه: ورضَى الله عنهم أكبر من ذلك كله،(٢) بذلك جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) الأثر: ١٦٩٥٦ - «الحسن بن ناصح»، هو «الحسن بن ناصح البصرى السراج»، قال ابن أبى حاتم: «روى عن عثمان بن عثمان الغطفانى، ومعتمر بن سليمان، ومعاذ بن معاذ، ويحيى بن راشد، سمع منه أبى فى الرحلة الثانية»، الجرح والتعديل ٣٩/٢/١، تاريخ بغداد ٧: ٤٣٥.

وهناك أيضاً: «الحسن بن ناصح الخلال المخرمى»، روى عن إسحق بن منصور، وغيره قال ابن أبى حاتم: «أدركته. ولم أكتب عنه، وكان صدوقاً»، وكأن هذا هو شيخ الطبرى. مترجم فى ابن أبى حاتم ٣٩/٢/١، وتاريخ بغداد ٧: ٤٣٥.

وكان فى المطبوعة: «الحسن بن ناجح»، وهو مخالفة لما فى المخطوطة.

و «يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفى»، ذكره ابن حبان فى الثقات، مترجم فى التهذيب، والكبير ٣٨٨/٢/٤، وابن أبى حاتم ٢١١/٢/٤.

(٢) انظر تفسير «الرضوان» فيما سلف ص ١٧٤، تعليق: ٢، والمراجع هناك.

١٦٩٥٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال : أخبرنا بن المبارك . عن مالك بن أنس ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة ! فيقولون: لبّيك ربّنا وسعْديك ! فيقول: هل رضيتم ؟ فيقولون : ما لنا لا نرضى ، وقد أعطيتنا ما لم تُعْطِ أحداً من خَلقك ؟ فيقول: أنا أعطيكم أفضلَ من ذلك . قالوا : يا ربّ، وأيُّ شيء أفضل من ذلك ! قال : أحِلُّ عليكم رضوَاني ، فلا أسخط عليكم بعده أبداً . (١) ١٢٦/١٠

١٦٩٦٠ – حدثنا ابن حميد قال، حدثني يعقوب ، عن حفص ، عن شمر قال : يجيء القرآن يوم القيامة في صورة الرجل الشاحب ، إلى الرجل حين ينشقُّ عنه قبره ، فيقول : أبشر بكرامة الله ! أبشر برضوان الله ! فيقول : مثلك من يبشَّر بالخير ؟ ومن أنت ؟ فيقول: أنا القرآن الذي كُنْت أسهر ليلك، وأُظمئ نهارك! فيحمله على رقبته حتى يُوافي به ربَّه، فيمثُلُ بين يديه فيقول : يا رب ، عبدك هذا، اجزه عني خيرًا، فقد كنت أسهر ليله، وأظمئ نهاره، وآمره فيطيعني ، وأنهاه فيطيعني . فيقول الرب تبارك وتعالى : فله حُلَّة الكرامة . فيقول : أي ربّ ، زدْهُ، فإنه أهلُ ذلك! فيقول: فله رِضْواني = قال : « ورضوانٌ من الله أكبر ». (٢)

* * *

(١) الأثر : ١٦٩٥٩ – هذا حديث صحيح رواه البخاري بهذا الإسناد نفسه ، وبلفظه في صحيحه (الفتح ١١ : ٣٦٣ ، ٣٦٤) ، واستوفى الكلام عليه الحافظ ابن حجر في شرحه . ورواه مسلم في صحيحه ١٧ : ١٦٨ ،

وانظر ما سلف رقم : ٦٧٥١ ، ١٦٥٦٧ ، من حديث جابر بن عبد الله ، غير مرفوع ، وما علقت به عليه هناك . وذكره ابن كثير في تفسيره في هذا الموضع ٤ : ٢٠٢ وقال : « رواه البزار في مسنده ، من حديث الثوري . وقال الحافظ الضياء المقدسي في كتابه صفة الجنة . هذا عندي على شرط الصحيح » .

(٢) الأثر : ١٦٩٦٠ – « يعقوب » ، هو : « يعقوب بن عبد الله القمي » ، ثقة ، مضى مراراً ، منها : ١٣٠٤٥ .

و « حفص » هو « حفص بن حميد القمي » ، ثقة ، مضى برقم : ٨٥١٨ .

وابتُدِئ الخبر عن « رضوان الله » للمؤمنين والمؤمنات أنه أكبر من كلّ ما ذكر جل ثناؤه ، فرفع ، وإن كان « الرضوان » فيما قد وعدهم . ولم يعطف به فى الإعراب على « الجنات » و « المساكن الطيبة » ، ليعلم بذلك تفضيلُ الله رضوانَه عن المؤمنين ، على سائر ما قسم لهم من فضله ، وأعطاهم من كرامته ، نظير قول القائل فى الكلام لآخر : « أعطيتك ووصلتك بكذا ، وأكرمتك ، ورضاى بعدُ عنك أفضل لك » . (١)

* * *

=« ذلك هو الفوز العظيم » ، هذه الأشياء التى وعدت المؤمنين والمؤمنات = « هو الفوز العظيم » ، يقول : هو الظفر العظيم ، والنجاء الجسيم ، لأنهم ظفروا بكرامة الأبد ، ونَجوْا من الهوان فى سَقَر ، (٢) فهو الفوز العظيم الذى لا شىء أعظم منه . (٤)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (٧٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « يا أيها النبى جاهد الكفار » ، بالسيف والسلاح = « والمنافقين » .

* * *

و « شمر » هو « شمر بن عطية الأسدى الكاهلى » ، ثقة ، مضى برقم : ١١٥٤٥ .

وانظر شواهد لبعض ألفاظ هذا الخبر فيما رواه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧ : ١٥٩ – ١٦٥ . ولم أجد هذا الخبر مسنداً بلفظه هذا .

(١) فى المطبوعة ، جعل الكلام هكذا : « أفضل ذلك ، هذه الأشياء التى وعدت المؤمنين والمؤمنات . . . » ، وهو غير مستقيم ، والذى أثبته هو الذى فى المخطوطة ، ولكن ظاهر أنه قد سقط من الناسخ بعض كلام أبى جعفر . فاستظهرت أن السياق هو ذكر لفظ الآية ، ثم تفسير « ذلك » بقوله : « هذه الأشياء . . . » ، فأثبتها كذلك ، وفصلت بين الكلامين فصلا تاماً .

وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٤٦ .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « الهوان فى السفر » ، وهو لا معنى له ، والصواب ما أثبت .

(٣) انظر تفسير « الفوز » فيما سلف ، ١١ : ٢٨٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

واختلف أهل التأويل فى صفة «الجهاد» الذى أمر الله نبيه به فى المنافقين .(١)

فقال بعضهم : أمره بجهادهم باليد واللسان ، وبكل ما أطاق جهادهم به .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٦١ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا حميد بن عبد الرحمن ، ويحيى ابن آدم ، عن حسن بن صالح ، عن على بن الأقمر ، عن عمرو بن أبى جندب ، عن ابن مسعود فى قوله : «جاهد الكفار والمنافقين» ، قال : بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، فإن لم يستطع فليكفهرّ فى وجهه .(٢)

* * *

وقال آخرون : بل أمره بجهادهم باللسان .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٦٢ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن

---

(١) انظر تفسير «الجهاد» فيما سلف ص: ٢٥٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
= وتفسير «المنافق» فيما سلف ص : ٣٣٩ ؛ تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) الأثر : ١٦٩٦١ – «حميد بن عبد الرحمن الرؤاسى» ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً .

و «يحيى بن آدم» ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً .

و «حسن بن صالح بن صالح بن حى الثورى» ، ثقة ، مضى مراراً .

و «على بن الأقمر الوادعى الهمدانى» ، ثقة ، روى له الجماعة . مضى مراراً .

و «عمرو بن أبى جندب» أو «عمرو بن جندب» ، هو «أبو عطية الوادعى» ، مختلف فى اسمه . ترجم له فى التهذيب ، فى الأسماء ، وفى الكنى ، وقال : «قال البخارى فى تاريخه : روى عنه أبو إسحق ، وعلى بن الأقمر» ، ثم قال : «والصواب أنه وإن كان يكنى أبا عطية ، فإنه غير الوادعى» . وهو ثقة ، من أصحاب عبد الله بن مسعود . ترجم له ابن أبى حاتم ٢٢٤/١/٣ باسم «عمرو بن جندب» ، وكان فى المطبوعة «عمرو بن جندب» ، ولكنى أثبت ما فى المخطوطة ، وهما صواب كما ترى .

وهذا الخبر ، خرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٢٥٨ ، ونسبه إلى ابن أبى شيبة ، وابن أبى الدنيا فى كتاب الأمر بالمعروف ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، وأبى الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقى فى شعب الإيمان .

وقوله : «فليكفهر فى وجه» : أى فليلقه بوجه منقبض عابس لاطلاقه فيه ولا بشر ولا انبساط .

على ، عن ابن عباس قوله : « يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم » ، فأمره الله بجهاد الكفار بالسيف ، والمنافقين باللسان ، وأذهبَ الرفق عنهم .

١٦٩٦٣ – حدثنا القاسم قال ، حدثني الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « جاهد الكفار والمنافقين » ، قال : « الكفار » ، بالقتال ، و « المنافقين » ، أن يغلُظ عليهم بالكلام .

١٦٩٦٤ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم » ، يقول : جاهد الكفار بالسيف ، واغلظ على المنافقين بالكلام ، وهو مجاهدتهم .

* * *

وقال آخرون : بل أمره بإقامة الحدود عليهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٦٥ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن : « جاهد الكفار والمنافقين » ، قال : جاهد الكفار بالسيف ، والمنافقين بالحدود ، أقم عليهم حدودَ الله .

١٦٩٦٦ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم » ، قال : أمر الله نبيّه ١٢٧/١٠ صلى الله عليه وسلم أن يجاهد الكفار بالسيف ، ويغلظ على المنافقين في الحدود .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في تأويل ذلك عندي بالصواب ، ما قال ابن مسعود : من أنّ الله أمر نبيّه صلى الله عليه وسلم من جهاد المنافقين بنحو الذي أمرَه به من جهاد المشركين .

* * *

فإن قال قائل : فكيف تركهم صلى الله عليه وسلم مقيمين بين أظهُرِ أصحابه ، مع علمه بهم ؟

قيل : إن الله تعالى ذكره إنما أمر بقتال من أظهرَ منهم كلمةَ الكفر، ثم أقام على إظهاره ما أظهر من ذلك. وأمّا مَنْ إذا اطُّلع عليه منهم أنه تكلم بكلمة الكفر وأُخِذ بها ، أنكرها ورجع عنها وقال : «إنى مسلم»، فإن حكم الله فى كلّ من أظهر الإسلام بلسانه ، أن يحقِنَ بذلك له دمه وماله ، وإن كان معتقداً غير ذلك ، وتوكّل هو جلّ ثناؤه بسرائرهم ، ولم يجعل للخلق البحثَ عن السرائر. فلذلك كان النبيّ صلى الله عليه وسلم ، مع علمه بهم وإطْلاع الله إياه على ضمائرهم واعتقاد صُدروهم ، كان يُقِرّهم بين أظهر الصحابة ، ولا يسلك بجهادهم مسلك جهاد من قد ناصبَه الحرب على الشرك بالله، لأن أحدهم كان إذا اطُّلع عليه أنه قد قال قولاً كفر فيه بالله ، ثم أخذ به أنكره وأظهر الإسلام بلسانه . فلم يكن صلى الله عليه وسلم يأخذه إلاّ بما أظهر له من قوله ، عند حضوره إياه وعزمه على إمضاء الحكم فيه، دون ما سلف من قولٍ كان نطقَ به قبل ذلك ، ودون اعتقاد ضميرِه الذى لم يُبِح الله لأحَدٍ الأخذَ به فى الحكم ، وتولّى الأخذَ به هو دون خلقه .

* * *

وقوله : « واغلظ عليهم » ،[1] يقول تعالى ذكره : واشدد عليهم بالجهاد والقتال والإرْهاب .[2]

* * *

وقوله : « ومأواهم جهنم » ، يقول : ومساكنهم جهنم ، وهى مثواهم ومأواهم[3] = « وبئس المصير » ، يقول : وبئس المكان الذى يُصَار إليه جهنّمُ .[4]

* * *

---

(١) انظر تفسير « الغلظة » فيما سلف ٧ : ٣٤١ .

(٢) فى المطبوعة : « والإرعاب » بالعين ، خالف ما هو الصواب فى العربية ، وفى المخطوطة . إنما يقال : « رعبه يرعبه رعباً ، فهو مرعوب ورعيب» و « رعبه » ترعيباً » ، ونصوا فقالوا : « ولا تقل : أرعبه » .

(٣) انظر تفسير « المأوى » فيما سلف ص : ٧٧ ، تعليق : والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « المصير » فيما سلف ١٣ ٤٤١ تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (٧٤)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى الذى نزلت فيه هذه الآية ، والقول الذى كان قاله ، الذى أخبر الله عنه أنه يحلف بالله ما قاله .

فقال بعضهم : الذى نزلت فيه هذه الآية : « الجُلاس بن سويد بن الصامت» .

* * *

وكان القولُ الذى قاله ، ما : —

١٦٩٦٧ — حدثنا به ابن وكيع قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه : « يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر » ، قال : نزلت فى الجلاس بن سويد بن الصامت ، قال : « إن كان ما جاء به محمد حقًّا ، لنحن أشرُّ من الحُمُر ! » ، (١) فقال له ابن امرأته : والله ، يا عدو الله ، لأخبرنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت ، فإنى إن لا أفعل أخاف أن تصيبنى قارعةٌ ، وأؤاخذ بخطيئتك ! فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الجلاس ، فقال : ياجُلاس ، أقلت كذا وكذا ؟ فحلف ما قال ، فأنزل الله تبارك وتعالى : « يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهمُّوا بما لم ينالوا وما نقَموا إلاّ أن أغناهم الله ورسوله من فضله » .

---

(١) انظر استعمال « أشر » ، فيما سلف فى الأثرين رقم : ٥٠٨٠ ، ١١٧٢٣ .
وكان فى المطبوعة : « الحمير » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

١٦٩٦٨ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو معاوية الضرير ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : نزلت هذه الآية : « يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم » ، في الجلاس بن سويد بن الصامت ، أقبل هو وابن امرأته مُصْعَب من قُباء ، فقال الجلاس : إن كان ما جاء به محمد حقًّا لنحن أشرُّ من حُمُرنا هذه التي نحن عليها! [1] فقال مصعب : أما والله ، يا عدو الله ، لأخبرنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلتَ ! فأتيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، وخشيت أن ينزَّل فيَّ القرآن ، أو تصيبني قارعة ، أو أن أخْلَط [بخطيئته] ، [2] قلت : يا رسول الله ، [3] أقبلت أنا والجلاس من قباء ، فقال كذا وكذا ، ولولا مخافة أن أُخْلَط بخطيئته ، [4] أو تصيبني قارعة ، ما أخبرتك . قال : فدعا الجلاس فقال له : يا جلاس ، أقلت الذي قال مصعب ؟ قال : فحلف ، فأنزل الله تبارك وتعالى : « يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم » ، الآية . ١٢٨/١٠

١٦٩٦٩ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : كان الذي قال تلك المقالة ، فيما بلغني ، الجلاس بن سويد بن الصامت ، فرفعها عنه رجلٌ كان في حجره ، يقال له : « عمير بن سعيد » ، [5] فأنكرها ، [6] فحلف

---

(١) في المطبوعة : « حميرنا » بالإفراد ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « أخلط » ، ليس فيها ذكر الخطيئة واستظهرتها من باقي الخبر ، ومن تفسير ابن كثير .

(٣) في المطبوعة : « يا رسول أقبلت » ، وهو من الطباعة .

(٤) في المطبوعة : « أن أؤاخذ بخطيئته » ، غير ما في المخطوطة ، وأثبت ما في المخطوطة ، فهو الصواب ، وهو موافق لما في تفسير ابن كثير ٤ : ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

(٥) في المخطوطة والمطبوعة : « سعيد » ، والذي في سيرة ابن هشام ، « سعد » ، ولكني تركت ما في المخطوطة ، لأني وجدت الحافظ ابن حجر في الإصابة ، ذكر هذا الاختلاف ، فأخشى أن تكون هذه رواية أبي جعفر في سيرة ابن إسحق .

(٦) في المطبوعة : « فأنكر » ، أثبت ما في المخطوطة ، موافقاً لابن هشام .

بالله ما قالها . فلما نزل فيه القرآن ، تاب ونزع وحسنت توبته ، فيما بلغني .(١)

١٦٩٧٠ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « كلمة الكفر » ، قال أحدهم : « لئن كان ما يقول محمد حقًّا لنحن شر من الحمير » ! فقال له رجل من المؤمنين : إن ما قال لحقٌّ ، ولأنت شر من حمار! قال : فهمَّ المنافقون بقتله ، فذلك قوله : « وهموا بما لم ينالوا » .

١٦٩٧١ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

١٦٩٧٢ – . . . . قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

١٦٩٧٣ – حدثني أيوب بن إسحق بن إبراهيم قال ، حدثنا عبد الله بن رجاء قال ، حدثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً في ظلّ شجرة ، فقال : إنه سيأتيكم إنسانٌ فينظر إليكم بعيني شيطان ، فإذا جاء فلا تكلموه . فلم يلبث أن طلع رجل أزرقُ ،(٢) فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : علامَ تشتمني أنت وأصحابك ؟ فانطلق الرجل فجاء بأصحابه ، فحلفوا بالله ما قالوا وما فعلوا ، حتى تجاوز عنهم ، فأنزل الله : « يحلفون بالله ما قالوا » ، ثم نعتهم جميعاً إلى آخر الآية .(٣)

* * *

(١) الأثر : ١٦٩٦٩ – سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٦ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٩١٩ .

(٢) إذا قيل : « رجل أزرق » ، فإنما يعنون زرقة العين ، وقد عدد الجاحظ في الحيوان ٥ : ٣٣٠ ، « الزرق من العرب » ، وكانت العرب تتشاءم بالأزرق ، وتعده لئيما . وانظر طبقات فحول الشعراء : ١١١ ، في قول مزرد ، في قاتل عمر رضي الله عنه :

وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ وَفَاتُهُ ... بِكَفَّيْ سَبَنْتَى أَزْرَقِ العَيْنِ مُطْرِقِ

(٣) الأثر : ١٦٩٧٣ – « أيوب بن إسحق بن إبراهيم بن سافري » ، أبو أيوب البغدادي ، =

وقال آخرون : بل نزلت فى عبد الله بن أبى ابن سلول : قالوا : والكلمة التى قالها ما :—

١٦٩٧٤ — حدثنا به بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يحلفون بالله ما قالوا » إلى قوله : « من ولىّ ولا نصير » ، قال : ذكر لنا أنّ رجلين اقتتلا ، أحدهما من جهينة ، والآخر من غِفار ، وكانت جهينة حلفاء الأنصار ، وظهر الغفارىّ على الجهنىّ ، فقال عبد الله بن أبىّ للأوس : انصروا أخاكم ، فوالله ما مثلنا ومَثَلُ محمد إلا كما قال القائل : « سمِّن كلبك يأكلك » ، وقال : ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ [سورة المنافقون : ٨] ، فسعى بها رجل من المسلمين إلى نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إليه فسأله ، فجعل يحلف بالله ما قاله ، فأنزل الله تبارك وتعالى : « يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر » .

١٦٩٧٥ — حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر » ، قال : نزلت فى عبد الله بن أبى ابن سلول .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال : إن الله تعالى أخبر عن المنافقين أنّهم يحلفون بالله كذباً على كلمة كُفْر تكلموا بها ، أنهم لم يقولوها . وجائز أن يكون ذلك القول ما روى عن عروة : أن الجلاس قاله = وجائز أن يكون قائله عبد الله بن أبى ابن سلول ، والقول ما ذكر قتادة عنه أنه قال .

شيخ الطبرى. قال ابن أبى حاتم : « كتبنا عنه بالرملة ، وذكرته لأبى فعرفه ، وقال : كان صدوقاً » . مترجم فى ابن أبى حاتم ١/١/٢٤١ ، وتاريخ بغداد ٧ : ٩ ، ١٠ .

و « عبد الله بن رجاء بن عمرو » ، أبو عمرو الغدانى . كان حسن الحديث عن إسرائيل . وهو ثقة . مترجم فى التهذيب .

وهذا إسناد صحيح . وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٢٥٨ ، وزاد نسبته إلى الطبرانى ، وأبى الشيخ ، وابن مردويه .

ولا علم لنا بأيّ ذلك من أيٍّ ، [1] إذ كان لا خبر بأحدهما يوجب الحجة ، ويُتوصَّل به إلى يقين العلم به ، وليس مما يدرك علمه بفطرة العقل ، فالصواب أن يقال فيه كما قال الله جل ثناؤه : « يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم » .

* * *

وأما قوله : « وهموا بما لم ينالوا » ، فإن أهل التأويل اختلفوا فى الذى كان همَّ بذلك ، وما الشىء الذى كان هم به .

[فقال بعضهم : هو رجل من المنافقين ، وكان الذى همَّ به] ، قتلَ ابن امرأته الذى سمع منه ما قال ، [2] وخشى أن يفشيه عليه .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٧٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : همَّ المنافق بقتله = يعنى قتل المؤمن الذى قال له : « أنت شر من الحمار » ! فذلك قوله : « وهمُّوا بما لم ينالوا » . ١٠/١٢٩

١٦٩٧٧ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله . [3]

* * *

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « بأن ذلك من ى » ، وهو لا معنى له ، وصوابه ما أثبت ، كما نبهت عليه مراراً انظر ما سلف : ١٣ : ٢٦٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) كان فى المخطوطة : « . . . وما الشىء الذى كان هم به قيل ابن امرأته » ، وجعلها فى المطبوعة : « . . . هم به أقتل ابن امرأته » ، وعلق عليه فقال : « فى العبارة سقط ، ولعل الأصل : فقال بعضهم : كان الذى هم الجلاس بن سويد ، والشىء الذى كان هم به قتل ابن امرأته إلخ ، تأمل » .

والصواب ، إن شاء الله ، ما أثبت بين القوسين ، لأن الخبر التالى من خبر مجاهد ، ولم يبين فيه اسم المنافق ، كما لم يبينه فى رقم : ١٦٩٧٠ ، وما بعده ، فالصواب الجيد ، أن يكون اسم المنافق مبهماً فى ترجمة سياق الأخبار ، كدأب أبى جعفر فى تراجم فصول تفسيره .

(٣) فى المطبوعة : « عن مجاهد ، به » ، وفى المخطوطة ، قطع فلم يذكر شيئاً ، فأقررت ما درج على مثله أبو جعفر .

وقال آخرون : كان الذى همّ ، رجلاً من قريش = والذى همّ به ، قتلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٧٨ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا شبل ، عن جابر ، عن مجاهد فى قوله : « وهموا بما لم ينالوا » ، قال : رجل من قريش ، همّ بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقال له : « الأسود » .

* * *

وقال آخرون : الذى همّ ، عبد الله بن أبى ابن سلول ، وكان همُّه الذى لم ينله ، قوله: ﴿ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ ﴾،[سورة المنافقون : ٨] ، من قول قتادة ، وقد ذكرناه.(١)

* * *

وقوله : « وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله » ، ذكر لنا أن المنافق الذي ذكر الله عنه أنه قال كلمة الكفر ، كان فقيراً فأغناه الله بأن قُتِل له مولًى ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ديتَه . فلما قال ما قال ، قال الله تعالى : « وما نقموا » ، يقول : ما أنكروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً .(٣) = « إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله » .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٧٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبومعاوية ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه: « وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله » ، وكان الجلاس قُتِل له مولًى ، فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته ، فاستغنى ، فذلك قوله : « وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله » .

١٦٩٨٠ – . . . . قال، حدثنا ابن عيينة، عن عمرو ، عن عكرمة قال :

---

(١) انظر ما سلف رقم : ١٦٩٧٤ .

(٢) انظر تفسير « نقم » فيما سلف ١٠ : ١٣/٤٣٣ : ٣٥ .

قضى النبي صلى الله عليه وسلم بالدية اثنى عشر ألفاً فى مولى لبنى عدىّ بن كعب، وفيه أنزلت هذه الآية : « وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله » .

١٦٩٨١ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وما نقموا إلاّ أن أغناهم الله ورسوله من فضله » ، قال : كانت لعبد الله بن أبيٍّ دية ، فأخرجها رسول الله صلى الله عليه وسلم له .

١٦٩٨٢ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن الزبير ، عن سفيان قال، حدثنا عمرو قال : سمعت عكرمة: أن مولى لبنى عدى ابن كعب قتل رجلاً من الأنصار ، فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدية اثنى عشر ألفاً ، وفيه أنزلت : « وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله » = قال عمرو : لم أسمع هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا من عكرمة= يعنى : الدية اثنى عشر ألفاً .

١٦٩٨٣ – حدثنا صالح بن مسمار قال ،حدثنا محمد بن سنان العَوَقىّ قال، حدثنا محمد بن مسلم الطائفى ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس : أن النبيّ صلى الله عليه وسلم جعل الدية اثنى عشر ألفاً . فذلك قوله : « وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله » ، قال : بأخذ الدِّية .[1]

* * *

وأما قوله: «فإن يتوبوا يك خيراً لهم » ، يقول تعالى ذكره: فإن يتب هؤلاء القائلون كلمةَ الكفر من قِيلهم الذى قالوه فرجعوا عنه، يك رجوعهم وتوبتهم من

---

(١) الأثر : ١٦٩٨٣ – « صالح بن مسمار السلمى المروزى » ، شيخ الطبرى ، مضى برقم : ٢٢٤ .

و « محمد بن سنان الباهلى العوقى » ، أبو بكر البصرى ، ثقة ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ١٠٩/١/١ ، وابن أبى حاتم ٢٧٩/٢/٣ .

و « محمد بن مسلم الطائفى » ، ثقة ، يضعف ، مضى برقم : ٤٤٧ ، ٣٤٧٣ ، ٤٤٩١ .

وهذا الخبر ، لم يذكره أبو جعفر فى باب الديات من تفسيره ، انظر ما سلف رقم ١٠١٤٣ ، فى ج ٩ : ٥٠ .

ذلك، خيراً لهم من النفاق[١] = « وإن يتولوا »، يقول : وإن يدبروا عن التوبة ، فيأتوها ويصرُّوا على كفرهم ، [٢] = « يعذبهم الله عذاباً أليمًا » ، يقول : يعذبهم عذاباً موجعاً فى الدنيا ، إما بالقتل ، وإما بعاجل خزى لهم فيها ، ويعذبهم فى الآخرة بالنار . [٣]

* * *

وقوله : « وما لهم فى الأرض من ولى ولا نصير » ، يقول : وما لهؤلاء المنافقين إن عذبهم الله عاجل الدنيا = « من ولى » ، يواليه على منعه من عقاب الله[٤] =« ولا نصير » ينصره من الله فينقذه من عقابه.[٥] وقد كانوا أهل عز ومنعة بعشائرهم وقومهم ، يمتنعون بهم ممن أرادهم بسوء ، فأخبر جل ثناؤه أن الذين كانوا يمنعونهم ممن أرادهم بسوء من عشائرهم وحلفائهم ، لا يمنعونهم من الله ولا ينصرونهم منه ، إن احتاجوا إلى نصرهم .

* * *

وذكر أن الذى نزلت فيه هذه الآية ، تاب مما كان عليه من النفاق .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٨٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو معاوية، عن هشام بن عروة عن أبيه : « فإن يتوبوا يك خيراً لهم » ، قال : قال الجلاس : قد استثنى الله لى التوبة ، فأنا أتوب . فقبل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ١٣٠/١٠

١٦٩٨٥ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا أبو معاوية ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه : « فإن يتوبوا يك خيراً لهم » ، الآية، فقال الجلاس :

---

(١) انظر تفسير « التوبة » فيما سلف من فهارس اللغة (توب) .
(٢) انظر تفسير « التولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .
(٣) انظر تفسير « أليم » فيما سلف من فهارس اللغة (ألم) .
(٤) انظر تفسير « الولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .
(٥) انظر تفسير « النصير » فيما سلف من فهارس اللغة (نصر) .

يا رسول الله ، إنى أرى الله قد استثنى لى التوبة ، فأنا أتوب ! فتابَ ، فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم منه .

* * *

القولُ فى تأويل قوله ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾ ﴿٧٧﴾

قال أبو جعفر : يقولُ تعالى ذكره : ومن هؤلاء المنافقين الذين وصفت لك ، يا محمد، صفتهم= « من عاهد الله »، يقول: أعطى الله عهداً [1]=« لئن أتانا من فضله»، يقول: لئن أعطانا الله من فضله، ورزقنا مالاً،ووسَّع علينا من عنده[2] = « لنصدقن » ، يقول : لنخرجن الصدقة من ذلك المال الذى رزقنا ربُّنا[3]= « ولنكونن من الصالحين »، يقول: ولنعملنّ فيها بعَمَل أهل الصلاح بأموالهم ، من صلة الرحم به، وإنفاقه فى سبيل الله.[4] يقول الله تبارك وتعالى : فرزقهم الله وآتاهم من فضله = «فلما آتاهم الله من فضله بخلوا به»،بفضل الله الذى آتاهم، فلم يصدّقوا منه، ولم يصلوا منه قرابةً،ولم ينفقوا منه فى حق الله =«وتولوا»، يقول: وأدبروا عن عهدهم الذى عاهدوه الله[5]= « وهم معرضون » ، عنه[6]= « فأعقبهم »

(١) انظر تفسير « عاهد » فيما سلف : ص ١٤١، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « آتى » ، و « الفضل » فيما سلف من فهارس اللغة (أتى) و (فضل) .
(٣) انظر تفسير « التصدق » فيما سلف ٩ : ٣١ ، ٣٧ ، ٣٨ .
(٤) انظر تفسير « الصالح » فيما سلف من فهارس اللغة (صلح) .
(٥) انظر تفسير « التولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .
(٦) انظر تفسير « الإعراض » فيما سلف ١٣ : ٤٦٣، تعليق : ٦، والمراجع هناك .

الله = « نفاقاً فى قلوبهم » ، ببخلهم بحق الله الذى فرضه عليهم فيما آتاهم من فضله، وإخلافهم الوعدَ الذى وعدُوا الله، ونقضهم عهدَه فى قلوبهم[1] = « إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه » ، من الصدقة والنفقة فى سبيله = « وبما كانوا يكذبون »، فى قيلهم، وحَرَمهم التوبة منه، لأنه جل ثناؤه اشترط فى نفاقهم أنَّه أعقبهموه إلى يوم يلقونه ، وذلك يوم مماتهم وخروجهم من الدنيا .

* * *

واختلف أهل التأويل فى المعنىِّ بهذه الآية .

فقال بعضهم: عُنى بها رجل يقال له: « ثعلبة بن حاطب »، من الأنصار.[2]

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٨٦ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله» ، الآية، وذلك أن رجلاً يقال له: « ثعلبة بن حاطب » ، من الأنصار ، أتى مجلساً فأشهدهم فقال : لئن آتانى الله من فضله ، آتيت منه كل ذى حقٍّ حقه، وتصدّقت منه ، ووصلت منه القرابة ! فابتلاه الله فآتاه من فضله، فأخلف الله ما وعدَه ، وأغضبَ الله بما أخلفَ ما وعده . فقصّ الله شأنه فى القرآن : « ومنهم من عاهد الله » ، الآية إلى قوله : « يكذبون » .

١٦٩٨٧ – حدثنى المثنى قال، حدثنا هشام بن عمار قال ، حدثنا محمد ابن شعيب قال ، حدثنا معان بن رفاعة السلمى ، عن أبى عبد الملك على بن يزيد الألهانى : أنه أخبره عن القاسم بن عبد الرحمن : أنه أخبره عن أبى أمامة الباهلى ، عن ثعلبة بن حاطب الأنصارى : أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ادع

---

(١) انظر تفسير « النفاق » فيما سلف ص : ٣٥٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) فى المخطوطة ، وقف عند قوله : « يقال له » ، ولم يذكر اسم الرجل ، واستظهره الناشر الأول من الأخبار ، وأصاب فيما فعل .

الله أن يرزقني مالاً ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ويحك يا ثعلبة ، قليل تؤدّى شكره ، خير من كثير لا تطيقه ! قال : ثم قال مرة أخرى ، فقال : أما ترضى أن تكون مثل نبيّ الله ، فوالذى نفسى بيده ، لو شئتُ أن تسيرَ معى الجبال ذهباً وفضة لسارت ! قال : والذى بعثك بالحق لئن دعوتَ الله فرزقنى مالاً ، لأعطينّ كلّ ذى حق حقه ! ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم ارزق ثعلبة مالاً ! قال : فاتّخذ غنماً ، فنمت كما ينمو الدُّود ، فضاقت عليه المدينة ، فتنحّى عنها ، فنزل وادياً من أوديتها ، حتى جعل يصلى الظهر والعصر فى جماعة ، ويترك ما سواهما . ثم نمت وكثرت ، فتنحّى حتى ترك الصلوات إلا الجمعة ، وهى تنمو كما ينمو الدود ، حتى ترك الجمعة . فطفق يتلقّى الركبان يوم الجمعة ، يسألهم عن الأخبار ، فقال ١٠/١٣١ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما فعل ثعلبة ؟ فقالوا : يا رسول الله ، اتخذ غنماً فضاقت عليه المدينة ! فأخبروه بأمره ، فقال : يا ويْحَ ثعلبة ، يا ويح ثعلبة ، يا ويح ثعلبة ! قال : وأنزل الله : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً ﴾ [سورة التوبة : ١٠٣] الآية ، ونزلت عليه فرائض الصدقة ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين على الصدقة ، رجلاً من جهينة ، ورجلاً من سليم ، وكتب لهما كيفَ يأخذان الصدقة من المسلمين ، وقال لهما : مرّا بثعلبة ، وبفلان ، رجل من بنى سليم ، فخذا صدقاتهما ! فخرجا حتى أتيا ثعلبة ، فسألاه الصدقة ، وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما هذه إلاّ جزية ! ما هذه إلاّ أخت الجزية ! ما أدرى ما هذا ! انطلقا حتى تفرُغا ثم عودا إلىّ . فانطلقا ، وسمع بهما السُّلمى ، فنظر إلى خيار أسنان إبله ، فعزلها للصدقة ، ثم استقبلهم بها . فلما رأوها قالوا : ما يجب عليك هذا ، وما نريد أن نأخذ هذا منك . قال : بلى ، فخذوه ، [1] فإنّ نفسى بذلك طيّبة ، وإنما هى لى ! فأخذوها منه . فلما فرغا من صدقاتهما ،

---

(١) « بلى » واستعمالها فى غير جحد ، قد سلف مراراً ، آخرها فى رقم : ١٦٣٠٥ ، ص : ٦٧ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

رجعا حتى مرّا بثعلبة ، فقال : أرونى كتابكما ! فنظر فيه ، فقال : ما هذه إلاّ أخت الجزية ! انطلقا حتى أرى رأيى . فانطلقا حتى أتيا النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما رآهما قال : يا ويح ثعلبة ! قبل أن يكلّمهما ، ودعا للسلمىّ بالبركة ، فأخبراه بالذى صنع ثعلبة ، والذى صنع السلمىّ ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيه : « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدّقن ولنكونن من الصالحين » إلى قوله : « وبما كانوا يكذبون » ، وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ من أقارب ثعلبة ، فسمع ذلك ، فخرج حتى أتاه ، فقال : ويحك يا ثعلبة ! قد أنزل الله فيك كذا وكذا ! فخرج ثعلبة حتى أتى النبى صلى الله عليه وسلم ، فسأله أن يقبل منه صدقته ، فقال : إن الله منعنى أن أقبل منك صدقتك ، فجعل يَحْثِى على رأسه التراب ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا عملك ، قد أمرتك فلم تطعنى ! فلما أبَى أن يقبض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، رجع إلى منزله ، وقُبِض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيئاً . ثم أتى أبا بكر حين استُخلِف ، فقال : قد علمت منزلتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وموضعى من الأنصار ، فاقبل صدقتى ! فقال أبو بكر : لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقبلها ! فقُبِض أبو بكر ، ولم يقبضها . فلما ولى عمر ، أتاه فقال : يا أمير المؤمنين ، اقبل صدقتى ! فقال : لم يقبلها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ، وأنا أقبلها منك ! فقُبِض ولم يقبلها ، ثم ولى عثمان رحمة الله عليه ، فأتاه فسأله أن يقبل صدقته فقال : لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر رضوان الله عليهما وأنا أقبلها منك ! [1] فلم يقبلها منه . وهلك ثَعْلبة فى خلافة عثمان رحمة الله عليه . [2]

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « وأنا لا أقبلها » ، والجيد حذف « لا » كما سلف فى مقالة أبى بكر وعمر ، وهو مطابق لما فى أسد الغابة .

(٢) الأثر : ١٦٩٨٧ – « هشام بن عمار بن نصير السلمى » ، ثقة ، روى له البخارى ،

١٦٩٨٨ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله » الآية ، ذكر لنا أن رجلاً من الأنصار أتى على مجلس من الأنصار ، فقال : لئن آتاه الله مالاً ليؤدّين إلى كل ذى حقّ حقه ! فآتاه الله مالاً ، فصنع فيه ما تسمعون ، قال : « فلما آتاهم من فضله بخلوا به » إلى قوله : « وبما كانوا يكذبون» . ذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم حدّث أن موسى عليه الصلاة والسلام لما جاء بالتوراة إلى بنى إسرائيل ، قالت بنو إسرائيل : إن التوراة كثيرة ، وإنا لا نفرُغ لها ، فسل لنا ربّك جِماعاً من الأمر نحافظ عليه ، ونتفرغ فيه لمعاشنا ! [1] قال : يا قوم ، مهلاً مهلاً !

وأبو داود ، والنسائى ، وابن ماجة . وتكلموا فيه قالوا : لما كبر تغير . ومضى برقم : ١١١٠٨ .

و « محمد بن شعيب بن شابور الأموى » ، ثقة ، مضى برقم : ١٦٩٨٧ .

و « معان بن رفاعة السلمى » أو : « السلامى » وهو المشهور ، لين الحديث ، يكتب حديثه ولا يحتج به . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤ / ٢ / ٧٠ ، وفى إحدى نسخه « السلمى » كما جاء فى الطبرى ، ولذلك تركته على حاله ، وابن أبى حاتم .

و « على بن يزيد الألهانى » ، « أبو عبد الملك » ، ضعيف بمرة ، روى من القاسم بن عبد الرحمن صاحب أبى أمامة نسخة كبيرة ، وأحاديثه هذه ضعاف كلها . مضى برقم : ١١٥٢٥ .

و « القاسم بن عبد الرحمن الشامى » ، تقدم بيان توثيقه ، وأن ما أنكر عليه إنما جاء من قبل الرواة عنه الضعفاء ، مضى برقم : ١٩٣٩ ، ١١٥٢٥ .

وأما ثعلبة بن حاطب الأنصارى ، ففى ترجمته خلط كثير . أهو رجل واحد ، أم رجلان ؟ أولهما هو الذى آخى رسول الله بينه وبين معتب بن الحمراء ، والذى شهد بدراً وأحداً . والآخر هو صاحب هذه القصة . يقال : إن الأول قتل يوم أحد . وجعلهما بعضهم رجلا واحداً ، ونفوا أن يكون قتل يوم أحد . انظر ترجمته فى الإصابة ، والاستيعاب : ٧٨ ، وأسد الغابة ١ : ٢٣٧ ، وابن سعد : ٣ / ٢ / ٣٢ .

وهذا الخبر رواه بهذا الإسناد ، ابن الأثير فى أسد الغابة ١ : ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، وخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧ : ٢١ ، ٣٢ ، وقال : « رواه الطبرانى ، وفيه على بن يزيد الألهانى ، وهو متروك » .

وهو ضعيف كل الضعف ، ليس له شاهد من غيره ، وفى بعض رواته ضعف شديد .

وهذا الخبر ، خرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٢٦٠ ، ونسبه إلى الحسن بن سفيان ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، وأبى الشيخ ، والعسكرى فى الأمثال ، والطبرانى ، وابن منده ، والبارودى ، وأبى نعيم فى معرفة الصحابة ، وابن مردوية ، والبيهقى فى الدلائل ، وابن عساكر .

(١) فى المطبوعة : « لمعايشنا » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

هذا كتاب الله ، ونور الله ، وعِصْمة الله ! قال : فأعادوا عليه ، فأعاد عليهم ، قالها ثلاثاً . قال : فأوحى الله إلى موسى : ما يقول عبادى ؟ قال : يا رب ، يقولون كيت وكيت . قال : فإنى آمرهم بثلاثٍ إن حافظوا عليهنّ دخلوا بهن الجنة ، أن ينتهوا إلى قسمة الميراثِ فلا يظلموا فيها ، ولا يدخلوا أبصارَهم البيوت حتى يؤذن لهم ، وأن لا يطعموا طعاماً حتى يتوضأوا وضوء الصلاة. قال : فرجع بهن نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم إلى قومه ، ففرحوا ، ورأوا أنهم سيقومون بهن . قال : فوالله مالبث القومُ إلاقليلاً حتى جَنَحُوا وانْقُطِع بهم. فلما حدّث نبيُّ الله بهذا الحديث عن بنى إسرائيل ، قال : تكفَّلوا لى بستٍّ ، أتكفل لكم بالجنة! قالوا : ما هنّ ، يا رسول الله ؟ قال : إذا حدثتم فلا تكذبوا ، وإذا وعدتم فلا تُخْلفوا ، وإذا اؤتمنتم فلا تخونوا ، وكُفُّوا أبصاركم وأيديكم وفروجكم : أبصارَكم عن الخيانة ، وأيديكم عن السرقة ، وفروجكم عن الزِّنا .

١٣٢/١٠

١٦٩٨٩ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : ثلاثٌ من كن فيه صار منافقاً وإن صامَ وصلى وزعم أنه مُسلم : إذا حدث كذب ، وإذا اؤتمن خان ، وإذا وعد أخلف .

* * *

وقال آخرون : بل المعنيُّ بذلك رجلان : أحدهما ثعلبة ، والآخر معتب ابن قشير .

* ذكر من قال ذلك :

١٦٩٩٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن عمرو ابن عبيد ، عن الحسن : « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله » الآية ،[1] وكان الذى عاهد الله منهم : ثعلبة بن حاطب ، ومعتب بن قشير ، وهما من بنى

(١) كان فى المطبوعة : « من فضله ، إلى الآخر » ، وهو غريب جداً ، وفى المخطوطة : « من فضله الآخر » ، وصواب قراءتها ما أثبت ، وإنما سها الناسخ كعادته .

عمرو بن عوف .[1]

١٦٩٩١ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله » ، قال رجلان خرجا على ملأٍ قعودٍ ، فقالا : والله لئن رزقنا الله لنصدقن ! فلما رزقهم الله بخلوا به .

١٦٩٩٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله » ، رجلان خرجا على ملأٍ قُعُود فقالا : والله لئن رزقنا الله لنصدقن ! فلما رزقهم بخلوا به ، =« فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم بما أخلفوا الله ما وعدوه » ، حين قالوا : «لنصدقن» ، فلم يفعلوا .

١٦٩٩٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

١٦٩٩٤ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن » الآية ، قال : هؤلاء صنف من المنافقين ، فلما آتاهم ذلك بخلوا به ، فلما بخلوا بذلك أعقبهم بذلك نفاقاً إلى يوم يلقونه ، ليس لهم منه توبة ولا مغفرة ولا عفو ، كما أصاب إبليس حين منعه التوبة .

* * *

قال أبو جعفر : في هذه الآية ، الإبانةُ من الله جل ثناؤه عن علامةِ أهل النفاق، أعني في قوله: « فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون » .

* * *

(١) الأثر : ١٦٩٩٠ – سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٦ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٩٦٩ .

وبنحو هذا القول كان يقول جماعة من الصحابة والتابعين، ورُوِيت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .(١)

* ذكر بعض من قال ذلك :

١٦٩٩٥ – حدثنا أبو السائب قال، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عمارة، عن عبدالرحمن بن يزيد قال، قال عبد الله: اعتبروا المنافق بثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدَر، وأنزل الله تصديقَ ذلك فى كتابه: « ومنهم عاهد الله لئن آتانا من فضله » إلى قوله : « يكذبون » .(٢)

١٦٩٩٦ – حدثنى محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة، عن سماك، عن صبيح بن عبد الله بن عميرة، عن عبد الله بن عمرو قال : ثلاث من كن فيه كان منافقاً: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان . قال : وتلا هذه الآية : « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين » ، إلى آخر الآية .(٣)

---

(١) فى المطبوعة : « ووردت به » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٦٩٩٥ – « عمارة » ، هو « عمارة بن عمير التيمى » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ٣٢٩٤ ، ٥٧٨٩ ، ١٥٣٥٩ .

و « عبد الرحمن بن يزيد النخعى » ، تابعى ثقة ، روى له الجماعة . مضى برقم : ٣٢٩٤ ، ٣٢٩٥ ، ٣٢٩٩ .

و « عبد الله » ، إنما يعنى « عبد الله بن مسعود » .

وهذا خبر صحيح الإسناد ، موقوف على ابن مسعود ، ولم أجده مرفوعاً عنه . وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ١ : ١٠٨ ، بلفظه هذا ، وقال : « رواه الطبرانى فى الكبير ، ورجاله رجال الصحيح » . وذكر قبله حديثاً نحوه ، ليس فيه الآية : « عن عبد الله ، يعنى ابن مسعود ، عن النبى صلى الله عليه وسلم » ، ثم قال : « رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح » .

(٣) الأثر : ١٦٩٩٦ – هذا الخبر ، يأتى بإسناد آخر بعده .

و « صبيح بن عبد الله بن عميرة » و « صبيح بن عبد الله العبسى » ، فى الذى يليه . وقد سلف برقم : ١٢٧٤١ ، ١٢٧٤٢ ، وسلف أن البخارى ترجم له فى الكبير ٣١٩/٢/٢ ، باسم « صبيح بن عبد الله » ، زاد فى الإسناد « العبسى » ، وعلق المعلق هناك أنه فى ابن ماكولا : « صبيح ابن عبد الله بن عمير التغلبى » والذى قاله الطبرى هنا « عميرة » ، ولم أجد ما أرجح به ، وترجم له ابن أبى حاتم ٤٤٩/١/٢ ، ولم يذكروا له رواية عن « عبد الله بن عمرو » ، وكان فى المطبوعة

١٦٩٩٧ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا أبو داود قال ، حدثنا شعبة ، عن سماك ، قال : سمعت صبيح بن عبد الله العبسيّ يقول : سألت عبد الله بن عمرو عن المنافق ، فذكر نحوه .[1]

١٣٣/١٠

١٦٩٩٨ – حدثني محمد بن معمر قال، حدثنا أبو هشام المخزومي قال ، حدثنا عبد الواحد بن زياد قال ، حدثنا عثمان بن حكيم قال ، سمعت محمد بن كعب القرظي يقول : كنت أسمع أن المنافق يعرف بثلاث : بالكذب، والإخلاف ، والخيانة، فالتمستُها في كتاب الله زماناً لا أجدُها ، ثم وجدتها في اثنتين من كتاب الله ،[2] قوله : « ومنهم من عاهد الله» حتى بلغ « وبما كانوا يكذبون»، وقوله : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [سورة الأحزاب : ٧٢] ، هذه الآية.

١٦٩٩٩ – حدثني القاسم بن بشر بن معروف قال، حدثنا شبابة قال ، حدثنا محمد المحرم قال : سمعت الحسن يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

هنا « عبد الله بن عمر » ، وأظنه خطأ ، يدل عليه ما في الخبر بعده . (وانظر ما يلي) .

وهذا الخبر بهذا الإسناد نقله أخي السيد أحمد في شرحه على المسند ، في مسند « عبد الله ابن عمرو بن العاص » رقم : ٦٨٧٩ ، ثم قال : « ورواه الحافظ أبو بكر الفريابي في كتاب صفة النفاق (ص : ٥٠ – ٥١) ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن غندر ، عن شعبة ، عن سماك ابن حرب ، عن صبيح بن عبد الله ، عن عبد الله بن عمرو» ، ثم ساق الخبر ، بنحوه ، ثم قال : « وهذا موقوف ، وإسناده صحيح ، وهو شاهد جيد لهذا الحديث ، لأنه مثله مرفوع حكماً . وصبيح ابن عبد الله ، بضم الصاد ، تابعي كبير ، أدرك عثمان وعلياً . وترجمه البخاري في الكبير ٢/٢/٣١٩ ، ولم يذكر فيه جرحاً » .

وحديث المسند ، حديث مرفوع .

وحديث آية المنافق ، رواه البخاري في صحيحه (الفتح ١ : ٨٣ ، ٨٤) من حديث أبي هريرة ، وعبد الله بن عمرو . ورواه مسلم في صحيحه (٢ : ٤٦ – ٤٨) ، من حديث عبد الله بن عمرو ، وأبي هريرة .

(١) الأثر : ١٦٩٩٧ – « صبيح بن عبد الله العبسي » ، انظر ما سلف رقم : ١٦٩٩٦ ، وكان في المطبوعة والمخطوطة « القيسي » بالقاف والياء ، وصححته من المراجع ، ومما سلف رقم : ١٢٧٤١ ، ١٢٧٤٢ .

(٢) في المطبوعة : « في آيتين » ، وأثبت ما في المخطوطة ، والذي رجح ذلك عندي ، أن الذي ذكره بعد هذا ، ثلاث آيات من سورة التوبة ، وآية من سورة الأحزاب ، فهذه أربعة . ولكنه أراد في سورتين من القرآن ، أو نحو ذلك .

ثلاث من كن فيه فهو منافق ، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم : إذا حدّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان. فقلت للحسن : يا أبا سعيد ، لئن كان لرجل علىّ دين فلقينى فتقاضانى ، وليس عندى ، وخفت أن يحبسنى ويهلكنى ، فوعدته أن أقضيه رأسَ الهلال ، فلم أفعل ، أمنافق أنا ؟ قال : هكذا جاء الحديث! ثم حدّث عن عبد الله بن عمرو : أن أباه لما حضره الموت قال : زوّجوا فلاناً ، فإنى وعدته أن أزوجه ، لا ألقى الله بثُلُثِ النفاق ! قال قلت : يا أبا سعيد ، ويكون ثُلُثُ الرجل منافقاً ، وثلثاه مؤمن ؟ قال : هكذا جاء الحديث قال : فحججت فلقيت عطاء بن أبى رباح ، فأخبرته الحديثَ الذى سمعته من الحسن ، وبالذى قلت له وقال لى ، فقال لى : [1] أعجزت أن تقول له : أخبرنى عن إخوة يوسف عليه السلام ، ألم يعدوا أباهم فأخلفوه ، وحدّثوه فكذبوه ، وأتمنهم فخانوه ، أفمنافقين كانوا ؟ ألم يكونوا أنبيـــاء ؟ أبوهم نبىٌّ ، وجدُّهم نبى ؟ قال : فقلت لعطاء : يا أبا محمد ، حدّثنى بأصل النفاق ، وبأصل هذا الحديث . فقال : حدثنى جابر ابن عبد الله : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما قال هذا الحديث فى المنافقين خاصّة ، الذين حدّثوا النبى فكذبوه ، وأتمنهم على سرّه فخانوه ، ووعدوه أن يخرجوا معه فى الغزو فأخلفوه . قال : وخرج أبو سفيان من مكة ، فأتى جبريلُ النبىَّ صلى الله عليه وسلم فقال : إن أبا سفيان فى مكان كذا وكذا . فقال النبى صلى الله عليه وسلم لأصحابه : إن أبا سفيان فى مكان كذا وكذا ، فاخرجوا إليه ، واكتموا. قال : فكتب رجل من المنافقين إليه : « إن محمداً يريدكم ، فخذوا حذركم ». فأنزل الله : ﴿ لاَ تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الأنفال : ٢٧] . ، وأنزل فى المنافقين : « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله » ، إلى : « فأعقبهم نفاقاً فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون » ، فإذا لقيت الحسن فأقرئه السلام ، وأخبره بأصل هذا الحديث ، وبما قلت

(١) فى المطبوعة : « فقال » ، أسقط « لى » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

لك . قال : فقدمت على الحسن فقلت : يا أبا سعيد ، إن أخاك عطاءً يقرئك السلام ، فأخبرته بالحديث الذى حدث ، وما قال لى ، فأخذ الحسن بيدى فأشالها ، (١) وقال : يا أهل العراق ، أعجزتم أن تكونوا مثلَ هذا ؟ سمع منى حديثاً فلم يقبله حتى استنبط أصله ، صدق عطاء ، هكذا الحديث ، وهذا فى المنافقين خاصة . (٢)

١٧٠٠٠ - حدثنى يعقوب قال ، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا يعقوب ، عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثلاث من كن فيه ، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم ، فهو منافق . فقيل له : ما هى يا رسول الله ؟ فقال النبى عليه السلام : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان .

١٧٠٠١ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين ، قال ، حدثنا مبشّر ، عن الأوزاعى ، عن هرون بن رياب ، عن عبد الله بن عمرو بن وائل : أنه لما حضرته الوفاة قال : إنّ فلاناً خطب إلىّ ابنتى ، وإنى كنت قلت له فيها قولاً شبيهاً بالعِدَة ، والله لا ألقى الله بثُلُث النفاق ، وأشهدكم أنى قد زوّجته . (٣)

* * *

(١) فى المطبوعة : « فأمالها » ، وهو لا معنى له البتة . وفى المخطوطة : « فأسالها » ، غير منقوطة ، وهذا صواب قراءتها . يقال : « شالت الناقة بذنبها وأشالته » ، رفعته . ويقال : « أشال الحجر ، وشال به ، وشاوله » ، رفعه ، ويقال : « شال السائل بيديه » ، إذا رفعهما يسأل بهما .

(٢) الأثر : ١٦٩٩٩ - « القاسم بن بشر بن أحمد بن معروف » ، شيخ الطبرى ، مضى برقم : ١٠٥٠٩ ، ١٠٥٣١ .

و « شبابة » ، هو « شبابة بن سوار الفزارى » ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ١٢٨٥١ ، وقبله . وكان فى المطبوعة : « أسامة » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، فحرفه تحريفاً منكراً .

و « محمد المحرم » ، هو « محمد بن عمر المحرم » ويقال هو : « محمد بن عبد الله بن عبيد ابن عمير الليثى » ، وهو منكر الحديث . سلف بيان حاله برقم : ١٥٩٢٢ ، تفصيلا ، ومواضع ترجمته . وكان فى المطبوعة : « محمد المخزمى » ، غير ما فى المخطوطة بلا دليل ولا بيان ، وهو إساءة وخطأ .

وهذا خبر منكر جداً ، أشار إليه البخارى فى التاريخ الكبير ٢٤٨/١/١ فى ترجمة « محمد المحرم » ، قال : « عن عطاء ، والحسن . منكر الحديث : إذا وعد أخلف ، سمع منه شبابة » ، يعنى هذا الخبر .

(٣) الأثر : ١٧٠٠١ - « مبشر » ، هو « مبشر بن إسماعيل الحلبى » ، ثقة ، من شيوخ أحمد ، روى الجماعة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١١/٢/٤ ، وابن أبى حاتم ٣٤٣/١/٤ . وكان فى المطبوعة : « ميسرة » ، تصرف تصرفاً معيباً ، وفى المخطوطة : « مسر » غير منقوطة .

وقال قوم : كان العهد الذى عاهد الله هؤلاء المنافقون، شيئاً نووه فى أنفسهم، ولم يتكلموا به .

١٠/١٣٤ * ذكر من قال ذلك :

١٧٠٠٢ - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال : سمعت معتمر بن سليمان التيمى يقول: ركبت البحرَ، فأصابنا ريحٌ شديدة، فنذر قوم منا نذوراً، ونويت أنا، لم أتكلم به. فلما قدمت البصرة سألت أبى سليمانَ فقال لى: يابُنَىّ، فِ به.(١)

= قال معتمر : وحدثنا كهمس ، عن سعيد بن ثابت قال قوله : « ومنهم من عاهد الله ، الآية ، قال : إنما هو شىء نووه فى أنفسهم ولم يتكلموا به، ألم تسمع إلى قوله: « ألم يعلموا أن الله يعلم سِرَّهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب » ؟(٢)

* * *

و « هرون بن رياب التميمى الأسيدى » ، كان من العباد ، ممن يخفى الزهد . ثقة . قال ابن حزم : « اليمان ، وهرون ، وعلى ، بنو رياب = كان هرون من أهل السنة ، واليمان من أئمة الخوارج ، وعلى من أئمة الروافض ، وكانوا متعادين كلهم » ! ! مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/٢/٢١٩ ، وابن أبى حاتم ٤/٢/٨٩ .

وأما « عبد الله بن عمرو بن وائل » ، فهذا غريب ولكنه صحيح ، فإنه « عبد الله بن عمرو ابن العاص بن وائل » ، فلا أدرى لم فعل ذلك فى سياق اسمه ، إلا أن يكون سقط من الناسخ .

هذا ، وقد كان الإسناد فى المطبوعة هكذا : « حدثنا القاسم ، قال حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال حدثنا ميسرة » ، وقد صححت « ميسرة » قبل ، أما « قال حدثنى حجاج عن ابن جريج » ، فقد كتبها ناسخ المخطوطة ، ولكنه ضرب عليها ضربات بالقلم ، يعنى بذلك حذفها ، ولكن الناشر لم يعرف اصطلاحهم فى الضرب على الكلام ، فأثبت ما حذفته .

(١) فى المطبوعة : « فه به » ، ولا يقال ذلك إلا عند الوقف ، والصواب « ف » على حرف واحد ، أمراً من « وفى يفى » . وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٧٠٠٢ - « كهمس بن الحسن التميمى » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/١/٢٣٩ ، وابن أبى حاتم ٣/٢/١٧٠ .

و « سعيد بن ثابت » ، هكذا هو فى المخطوطة ، ولم أجد له ذكراً فيما بين يدى من كتب الرجال ، وأخشى أن يكون قد دخله تحريف .

القول فى تأويل قوله ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ (٧٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ألم يعلم هؤلاء المنافقون الذين يكفرون بالله ورسوله سرًّا، ويظهرون الإيمان بهما لأهل الإيمان بهما جهراً = «أن الله يعلم سرهم»، الذى يسرُّونه فى أنفسهم ، من الكفر به وبرسوله = «ونجواهم»، يقول : « ونجواهم»، إذا تناجوا بينهم بالطعن فى الإسلام وأهله، وذكرهم بغير ما ينبغى أن يُذكروا به، فيحذروا من الله عقوبته أن يحلَّها بهم، وسطوته أن يوقعها بهم ، على كفرهم بالله وبرسوله ، وعيبهم للإسلام وأهله، فينزعوا عن ذلك ويتوبوا منه = « وأن الله علام الغيوب » ، يقول : ألم يعلموا أن الله علاَّم ما غاب عن أسماع خلقه وأبصارهم وحواسّهم ، مما أكنّته نفوسهم، فلم يظهرْ على جوارحهم الظاهرة، فينهاهم ذلك عن خداع أوليائه بالنفاق والكذب ، ويزجرهم عن إضمار غير ما يبدونه ، وإظهار خلاف ما يعتقدونه ؟[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٧٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : الذين يلمزون المطوّعين فى الصدقة على أهل المسكنة والحاجة بما لم يوجبه الله عليهم فى أموالهم ، ويطعنون فيها عليهم

(١) انظر تفسير « علام الغيوب » فيما سلف ١١ : ٢٣٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

بقولهم : « إنما تصدقوا به رياءً و سُمْعة ، ولم يريدوا وجه الله »[١] = ويلمزون الذين لا يجدون ما يتصدّقون به إلا جهدهم ، وذلك طاقتهم ، فينتقصونهم ويقولون : « لقد كان الله عن صدقة هؤلاء غنيًّا ! » ، سخريةً منهم بهم = « فيسخرون منهم سخر الله منهم » .

* * *

وقد بينا صفة « سخرية الله » ، بمن يسخر به من خلقه ، فى غير هذا الموضع ، بما أغنى عن إعادته ههنا .[٢]

* * *

= « ولهم عذاب أليم » ، يقول : ولهم من عند الله يوم القيامة عذابٌ موجع مؤلم .[٣]

* * *

وذكر أن المعنىّ بقوله : « المطوعين من المؤمنين » ، عبد الرحمن بن عوف ، وعاصم بن عدى الأنصارى = وأن المعنىّ بقوله : « والذين لا يجدون إلا جهدهم » ، أبو عقيل الأراشىّ ، أخو بنى أنيف .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٠٠٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات » ، قال : جاء عبد الرحمن بن عوف بأربعين أوقية من ذهب إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وجاءه رجل من الأنصار بصاع من طعام ، فقال بعض المنافقين : والله ما جاء عبد الرحمن بما جاء به إلاّ رياءً ! وقالوا : إن كان الله ورسولُه لَغنِيَّيْنِ عن هذا الصاع !

---

(١) انظر تفسير « اللمز » فيما سلف ص : ٣٠٠ ، ٣٠١ .
= وانظر تفسير « التطوع » فيما سلف ٣ : ٢٤٧ ، ٤٤١ ، وسيأتى تفسيره بعد قليل ص : ٣٩٢ ، ٣٩٣ .

(٢) لم يمض تفسير « سخر » ، وإنما عنى أبو جعفر قوله تعالى فى سورة البقرة : « الله يستهزئ بهم » ، انظر ما سلف ١ : ٣٠١ — ٣٠٦ .

(٣) انظر تفسير « أليم » فيما سلف من فهارس اللغة (ألم) .

١٧٠٠٤ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم » ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الناس يوماً فنادى فيهم : أن اجمعوا صدقاتكم ! فجمع الناس صدقاتهم . ثم جاء رجل من آخرهم بِمَنٍّ من تمر ، [1] فقال : يا رسول الله ، هذا صاع من تمرٍ ، بِتُّ ليلتى أجرُّ بالجرير الماءَ ، [2] حتى نلت صاعين من تمرٍ ، فأمسكت أحدَهما ، وأتيتك بالآخر . فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره فى الصدقات . فسخر منه رجال وقالوا : « والله إن الله ورسوله لغنيَّان عن هذا ! وما يصنعان بصاعك من شىء » ! ثم إن عبد الرحمن بن عوف ، ١٠/١٣٥ رجل من قريش من بنى زهرة ، قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : هل بقى من أحدٍ من أهل هذه الصدقات ؟ فقال : لا ! فقال عبد الرحمن بن عوف : إن عندى مئة أوقية من ذهب فى الصدقات . فقال له عمر بن الخطاب : أمجنون أنت ؟ فقال : ليس بى جنون ! فقال : فعلِّمنا ما قلت ؟ [3] قال : نعم ! مالى ثمانية آلاف ، أما أربعة آلافٍ فأقرضها ربىّ ، وأما أربعة آلاف فلى ! فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت ! وكره المنافقون فقالوا : « والله ما أعطى عبد الرحمن بن عوف عطيَّته إلاّ رياءً » ! وهم كاذبون ، إنما كان به متطوِّعاً ، فأنزل الله عذرَه وعذرَ صاحبه المسكين الذى جاء بالصاع من التمر ، فقال الله فى كتابه : « الذين يلمزون المطوّعين من المؤمنين فى الصدقات » ، الآية .

---

(١) فى المطبوعة : « من أحوجهم بمن من تمر » ، غير ما فى المخطوطة بلا طائل ، و « المن » مكيال .

(٢) « الجرير » ، الحبل ، وأراد أنه أنه كان يسقى الماء بالحبل .

(٣) فى المطبوعة : « أتعلم ما قلت » ، وفى المخطوطة : « أفعلمنا ما قلت » ، وهذا صواب قراءتها .

١٧٠٠٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة ، عن شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين » ، قال : جاء عبد الرحمن بن عوف بصدقة ماله أربعة آلاف ، فلمزه المنافقون وقالوا : « راءَى ! » = « والذين لا يجدون إلا جهدهم » ، قال : رجل من الأنصار آجرَ نفسه بصاع من تمر ، لم يكن له غيره ، فجاء به فلمزوه ، وقالوا : كان الله غنيًّا عن صاع هذا !

١٧٠٠٦ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

١٧٠٠٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

١٧٠٠٨ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : قوله : « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين »، الآية، قال : أقبل عبد الرحمن ابن عوف بنصف ماله ، فتقرَّب به إلى الله ، فلمزه المنافقون فقالوا : ما أعطى ذلك إلا رياء وسمعة! فأقبل رجل من فقراء المسلمين يقال له« حبحاب ، أبو عقيل»[1]

---

(١) « حبحاب » ، ذكره ابن حجر في الإصابة في « حبحاب » ، ثم قال : « قيل فيه بموحدتين ، والأشهر بمثلثتين ، وسيأتي » ولم يذكره في « حثحاث » كما يدل عليه تعقيبه هذا، وإنما ذكره في « جثجاث » بالجيم والثاء المثلثة فيما سلف قبله ، وقال هناك : « قيل : هو اسم أبي عقيل ، صاحب الصاع ، ضبطه السهيلي تبعاً لابن عبد البر ، وضبطه غير بالحاء المهملة . وقيل في اسمه غير ذلك . وتأتي ترجمته في الكنى » . بيد أن الحافظ ابن حجر قال في فتح الباري ٨ : ٢٤٩ : « وذكر السهيلي أنه رآه بخط بعض الحفاظ مضبوطاً بجيمين » .

ولم أجد في الاستيعاب لابن عبد البر ضبطاً له ، وهو مترجم هناك في « أبو عقيل صاحب الصاع » ص : ٦٧٣ ، وهو في مطبوعة الاستيعاب بالحاء والثاء المثلثة من ضبط مصححه . وفي السهيلي (الروض الأنف ٢ : ٣٣١) : « جثجاث » ، بالجيم والثاء .

وأما صاحب أسد الغابة فترجم له في « أبو عقيل ، صاحب الصاع » (٥ : ٢٥٧) ، ولم يضبطه ، وهو محرف في المطبوعة . ولكنه أورده في « حبحاب » (بالحاء والباء) ، وقال : هو أبو عقيل الأنصاري . أسد الغابة ١ : ٣٦٦ .

وترجم له ابن سعد في الطبقات ٣/٢/٤١ في « بني أنيف بن جشم بن عائذ الله ، من بلي ،

فقال : يا نبي الله، بِتُّ أجرُّ الحرير على صاعين من تمر ، أما صاع فأمسكته لأهلي ، وأما صاع فهاهوذا ! فقال المنافقون : « والله إن الله ورسوله لغنيَّان عن هذا ! » . فأنزل الله في ذلك القرآن : « الذين يلمزون » ، الآية .

١٧٠٠٩ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات » ، قال : تصدق عبد الرحمن بن عوف بشطر ماله، وكان ماله ثمانية آلاف دينار ، فتصدق بأربعة آلاف دينار ، فقال ناس من المنافقين : إن عبد الرحمن بن عوف لعظيم الرياء ! فقال الله: « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات» = وكان لرجل صاعان من تمر ، فجاء بأحدهما ، فقال ناس من المنافقين : إن

حلفا بني جحجبا بن كلفة » وقال : « أبو عقيل ، واسمه عبد الرحمن الإراشي الأنيفي » ، ولم يذكر خبر الصاع .

هذا ، وقد استوفى الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٨ : ٢٤٩ ، ذكر « أبي عقيل » ، فذكر الاختلاف في صاحب الصاع ، وهذا ملخصه :

الأول : أنه « الحبحاب ، أبو عقيل » ، وذكر ما رواه الطبري هنا وفيما سيأتي ، وما رواه غيره .

الثاني : أنه « سهل بن رافع » ، وحجته فيه ، خبر رواه الطبراني في الأوسط من طريق سعيد ابن عثمان البلوي ، « عن جدته بنت عدي أن أمهما عميرة بنت سهل بن رافع صاحب الصاع الذي لمزه المنافقون » ، وهكذا قال ابن الكلبي .

الثالث : من طريق عكرمة : أنه « رفاعة بن سهل بن رافع »، وقال: وعند أبي حاتم « رفاعة ابن سعد » ، ويحتمل أن يكون تصحيفاً ، ويحتمل أن يكون اسم « أبي عقيل » « سهل » ، ولقبه « حبحاب » = أو هما اثنان من الصحابة .

الرابع : في الصحابة « أبو عقيل بن عبد الله بن ثعلبة البلوي » ، بدري ، لم يسمه موسى ابن عقبة ، ولا ابن إسحق ، وسماه الواقدي « عبد الرحمن » . قال : واستشهد باليمامة . قال : وكلام الطبري يدل على أنه هو صاحب الصاع عنده . وتبعه بعض المتأخرين ، والأول أولى .

الخامس : أنه « عبد الرحمن بن سمحان » ؟ ؟ (هكذا جاء) .

السادس : أن صاحب الصاع هو « أبو خيثمة » : « عبد الله بن خيثمة ، من بني سالم ، من الأنصار » ، ودليله ما جاء في حديث توبة كعب بن مالك، وانظر الأثر رقم :١٧٠١٦ .

السابع : عن الواقدي أن صاحب الصاع ، هو « علية بن زيد المحاربي » .

وقال الحافظ : « وهذا يدل على تعدد من جاء بالصاع » .

وهذا اختلاف شديد ، يحتاج إلى فضل تحقيق ومراجعة ، قيدته هنا ليكون تذكرة لمن أراد تتبعه وتحقيقه .

كان الله عن صاع هذا لغنيًّا ! فكان المنافقون يطعنون عليهم ويسخرون بهم ، فقال الله : « والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم » .

١٧٠١٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا الحجاج بن المنهال الأنماطي قال ، حدثنا أبو عوانة، عن[عمر بن] أبي سلمة ، عن أبيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : تصدقوا ، فإني أريد أن أبعث بعثاً . قال : فقال عبد الرحمن بن عوف : يا رسول الله ، إن عندي أربعة آلاف ، ألفين أقرضهما الله ، وألفين لعيالي . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بارك الله لك فيما أعطيت ، وبارك لك فيما أمسكت ! فقال رجل من الأنصار : وإن عندي صاعين من تمرٍ ، صاعاً لربي ، وصاعاً لعيالي ! قال: فلمز المنافقون وقالوا : ما أعطى ابن عوف هذا إلاّ رياءً ! وقالوا: أو لم يكن الله غنيًّا عن صاع هذا ! فأنزل الله : « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين » ، إلى آخر الآية .(١)

١٧٠١١ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن

---

(١) الأثر : ١٧٠١٠ – « أبو عوانة » ، هو « الوضاح بن عبد الله اليشكري » ، ثقة روى له الجماعة ، مضى برقم : ٤٤٩٨ ، ١٠٣٣٦ ، ١٠٣٣٧ .

و « عمر بن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف » ، يضعف ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٢٧٥٥ . وكان في المطبوعة والمخطوطة : « أبو عوانة ، عن أبي سلمة »، وهو خطأ لا شك فيه ، صوابه من إسناده في تفسير ابن كثير ، ومن مجمع الزوائد .

وأبوه « أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً ، آخر : ١٢٨٢٢ .

خرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ٣٢ ، عن أبي سلمة ، وعن أبي هريرة ، ثم قال : « رواه البزار من طريقين : إحداهما متصلة عن أبي هريرة ، والأخرى عن أبي سلمة مرسلة . قال : ولم نسمع أحداً أسنده من حديث عمر بن أبي سلمة، إلا طالوت بن عباد . وفيه عمر بن أبي سلمة، وثقة العجلي ، وأبو خيثمة وابن حبان ، وضعفه شعبة وغيره . وبقية رجالها ثقات » .

وحديث البزار رواه ابن كثير في تفسيره ٤ : ٢١٢ ، ٢١٣ ، وهذا إسناده : « قال الحافظ أبو بكر البزار ، حدثنا طالوت بن عباد ، حدثنا أبو عوانة ، عن عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه ، عن أبي هريرة » ، وساق الخبر . ثم قال ابن كثير : « ثم رواه عن أبي كامل ، عن أبي عوانة ، عن عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه مرسلا . قال : ولم يسنده أحد إلا طالوت » .

ابن سعد قال ، أخبرنا أبو جعفر ، عن الربيع بن أنس فى قوله : « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات » ، قال : أصاب الناس جَهْدٌ شديد ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتصدّقوا ، فجاء عبد الرحمن بأربعمائة أوقية ، ١٠/١٣٦ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم بارك له فيما أمسك. فقال المنافقون : ما فعل عبد الرحمن هذا إلاّ رياء وسمعة ! قال : وجاء رجل بصاع من تمر ، فقال : يا رسول الله ، آجرت نفسى بصاعين ، فانطلقت بصاع منهما إلى أهلى ، وجئت بصاع من تمر . فقال المنافقون : إن الله غنىٌّ عن صاع هذا ! فأنزل الله هذه الآية : « والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم » .[1]

١٧٠١٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات » ، الآية ، وكان المطوعون من المؤمنين فى الصدقات ،[2] عبد الرحمن بن عوف ، تصدق بأربعة آلاف دينار ، وعاصم بن عدى أخا بنى العَجلان ،[3] وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رغّب فى الصدقة ، وحضّ عليها ، فقام عبد الرحمن بن عوف فتصدق بأربعة آلاف درهم ، وقام عاصم بن عدى فتصدق بمئة وَسْقٍ من تمر ، فلمزوهما وقالوا : ما هذا إلا رياء ! وكان الذى تصدّق بجهده : أبو عقيل ، أخو بنى أنيف ، الأراشى ، حليف بنى عمرو بن عوف ،[4] أتى بصاع من تمر فأفرغه فى الصدقة ، فتضاحكوا به وقالوا : إن الله لغنىٌّ عن صاع أبى عقيل !![5]

---

(١) الأثر : ١٧٠١١ — « عبد الرحمن بن سعد » ، هو « عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد الدشتكى الرازى » ، مضى برقم : ١٠٦٦٦ ، ١٠٨٥٥ .

(٢) فى المطبوعة : « من المطوعين » ، وكان فى المخطوطة قد كتب « وكان المطوعين » ، ثم عاد بالقلم على الياء فجعلها واواً ، فتصرف الناشر ولم يبال بفعل الناسخ . والذى أثبته مطابق لما فى السيرة . ولذلك غير الناسخ ما بعده فكتب ، « أخو بنى العجلان » ، غير ما فى المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « أخو بنى عجلان » ، تصرف تصرفاً معيباً .

(٤) قوله : « الأراشى ، حليف بنى عمر بن عوف » ، ليس فى المطبوع من سيرة ابن هشام ، وانظر التعليق السالف ص : ٣٨٤ ، رقم : ١

(٥) الأثر : ١٧٠١٢ — سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٦ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٦٩٩٠ .

١٧٠١٣ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا أبو النعمان الحكم عبدالله قال، حدثنا شعبة، عن سليمان، عن أبي وائل، عن أبي مسعود قال: لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل[١] = قال أبو النعمان : كنا نعمل = قال : فجاء رجل فتصدق بشيء كثير. قال: وجاء رجل فتصدق بصاع تمر، فقالوا: إن الله لغنيٌّ عن صاع هذا! فنزلت: «الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم». [٢]

١٧٠١٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا زيد بن حباب، عن موسى بن عبيدة قال، قال حدثني خالد بن يسار، عن ابن أبي عقيل، عن أبيه قال: بتُّ أجرُّ الجرير على ظهري على صاعين من تمر [٣]، فانقلبتُ بأحدهما إلى أهلي يتبلَّغون به، [٤] وجئت بالآخر أتقرَّب به، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. [٥] فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته، فقال : انثره في الصدقة. فسخر المنافقون منه. وقالوا:

---

(١) قوله «كنا نحامل»، من «المحاملة» وفسره الحافظ ابن حجر في الفتح فقال: «أي نحمل على ظهورنا بالأجرة. يقال : حاملت، بمعنى : حملت، كسافرت. وقال الخطابي : يريد : نتكلف الحمل بالأجرة، لنكسب ما نتصدق به. ويؤيده في الرواية الثانية التي بعده – يعني في البخاري – حيث قال : انطلق أحدنا إلى السوق فيحامل، أي : يطلب الحمل بالأجرة».

ويبين هذا أيضاً، تفسير أبي النعمان بقوله : «كنا نعمل»، وهو تفسير فيما أرجح، لا رواية أخرى في الخبر.

(٢) الأثر : ١٧٠١٣ – «أبو النعمان»، «الحكم بن عبد الله الأنصاري»، ثقة، قال البخاري: «حديثه معروف، كان يحفظ». وليس له في صحيح البخاري غير هذا الحديث. مترجم في التهذيب.

و «أبو مسعود»، هو «أبو مسعود الأنصاري البدري»، واسمه «عقبة بن عمرو بن ثعلبة»، صاحب رسول الله، شهد العقبة. وكان في المخطوطة : «عن ابن مسعود»، وهو خطأ صرف.

وهذا الخبر، رواه البخاري في صحيحه (الفتح ٣ : ٢٢٤) من طريق عبيد الله بن سعيد، عن أبي النعمان الحكم بن عبد الله البصري، بمثله، وفيه زيادة بعد قوله : «بشيء كثير»، هي «فقالوا : مرائي».

ثم رواه البخاري أيضاً في صحيحه (الفتح ٨ : ٢٤٩) من طريق بشر بن خالد، عن محمد ابن جعفر، عن شعبة، عن سليمان، عن أبي وائل، عن أبي مسعود، بغير هذا اللفظ، وفيه التصريح باسم «أبي عقيل» الذي أتى بنصف صاع. ومن هذه الطريق رواه مسلم في صحيحه ٧ : ١٠٥.

ثم انظر : ص : ٣٨٩، تعليق رقم : ١.

(٣) «الجرير» : الحبل، وسلف شرحه ص : ٣٨٣، تعليق : ٢.

(٤) «تبلغ ببعض الطعام»، أي : اكتفى به من كثيره، حتى يبلغ ما يشبعه.

(٥) قوله : «إلى رسول الله»، متعلق بقوله : «جئت»، لا بقوله : «أتقرب به»،

لقد كان الله غنيًّا عن صدقة هذا المسكين ! فأنزل الله : « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات » ، الآيتين .(١)

١٧٠١٥ – حدثنى يعقوب قال ، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا الجريرى ، عن أبى السليل قال : وقف على الحىّ رجل ،(٢) فقال : حدثنى أبى أو عمى فقال : شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : من يتصدق اليوم بصدقة أشهدُ له بها عند الله يوم القيامة؟ قال : وعلىّ عمامة لى . قال : فنزعت لَوْثًا أو لوثيْن لأتصدق بهما ،(٣) قال : ثم أدركنى ما يدرك ابن آدم ، فعصبت بها رأسى . قال : فجاء

أى : جئت به إلى رسول الله ، أتقرب به إلى الله .

(١) الأثر : ١٧٠١٤ – « موسى بن عبيدة بن نشيط الربذى » ، ضعيف بمرة ، لا تحل الرواية عنه ، كما قال أحمد . مضى مراراً ، آخرها رقم : ١١٨١١ .

وأما « خالد بن يسار » ، الذى روى عن ابن أبى عقيل ، وروى عنه « موسى بن عبيدة » ، فلم أجد له ترجمة ولا ذكر . وهناك « خالد بن يسار » ، روى عن أبى هريرة ، روى عنه شعيب ابن الحبحاب ، ولا أظنه هو هو ، وهذا أيضاً قالوا : هو مجهول .

وأما « ابن أبى عقيل » ، فاسمه « رضى بن أبى عقيل » ، مترجم فى الكبير ٢/١/٣١٣ ، وابن أبى حاتم ٢/١/٥٢٣ ، قالا : « روى عن أبيه ، وروى عنه محمد بن فضيل » ، ولم يذكر فيه جرحاً .

و « أبو عقيل » ، مضى ذكره ، وهو مترجم فى الكنى للبخارى : ٦٢ ، وابن أبى حاتم ٤/٢/٤١٦ ، وقالا : روى عنه ابنه : رضى بن أبى عقيل .

وهذا خبر ضعيف الإسناد جداً ، لضعف « موسى بن عبيدة » ، وللمجهول الذى فيه ، وهو « خالد بن يسار » .

بيد أن الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧ : ٣٢ ، ٣٣ ، روى هذا الخبر ، بنحو لفظه ، ثم قال : « رواه الطبرانى ، ورجاله ثقات ، إلا خالد بن يسار ، لم أجد من وثقه ولا جرحه » . فلا أدرى أرواه عن « خالد بن يسار » ، أحد غير « موسى بن عبيدة » فى إسناد الطبرانى ، أم رواه « موسى ابن عبيدة » ، فإن يكن « موسى » هو راويه ، فقد سلف مراراً أن ضعفه الهيثمى . والظاهر أنه من رواية « موسى » ، لأن رأيت ابن كثير فى تفسيره ٤ : ٢١٣ ، نقل هذا الخبر عن الطبرى ، ثم قال : « وكذا رواه الطبرانى من حديث زيد بن الحباب ، به . وقال : اسم أبى عقيل حباب (حبحاب) ، ويقال : عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة » (انظر ص : ٣٨٣ ، تعليق : ٢ . فهذا دال على أن فى إسناد الطبرانى « موسى بن عبيدة » ، الضعيف بمرة .

(٢) فى المسند : « وقف علينا رجل فى مجلسنا بالبقيع » ، واختلف لفظ الخبر بعد .

(٣) « لاث العمامة على رأسه ، يلوثها » أى : عصبها ولفها وأدارها . و « اللوث » : اللفة من لفائف العمامة .

رجل لا أرى بالبقيع رجلاً أقصرَ قِمَّة ، (١) ولا أشدَّ سواداً ، ولا أدَمَّ بعينٍ منه ، (٢) يقود ناقة لا أرى بالبقيع أحسن منها ولا أجمل منها . قال : أصدقةٌ هي ، يا رسول الله ؟ قال : نعم ! قال : فدُونَكها ! (٣) فألقى بخطامها = أو : بزمامها (٤) = قال : فلمزه رجل جالسٌ فقال : والله إنه ليتصدّق بها ، ولهي خيرٌ منه ! فنظر إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال : بل هو خير منك ومنها ! (٥) يقول ذلك ثلاثاً صلى الله عليه وسلم . (٦)

١٧٠١٦ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب قال ، أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك يقول : الذي تصدّق بصاع التمر فلمزه المنافقون : « أبو خيثمة الأنصاري » . (٧)

---

(١) « القمة » بالكسر ، شخص الإنسان إذا كان قائماً ، وهي « القامة » . وهذا هو المراد هنا . و « القمة » أيضاً ، رأس الإنسان ، وليس بمراد هنا .

(٢) في المطبوعة : « ولا أذم لعيني منه » ، وهو فاسد ، غير ما في المخطوطة . وهذه الجملة في مسند أحمد محرفة : « ولا آدم يعير بناقة » ، وفي تفسير ابن كثير نقلا عن المسند : « ولا أذم ببعير ساقه » ، فزاده تحريفاً . والصواب ما في تفسير الطبري .

« ولا أدم » من « الدمامة » ، « دم الرجل يدم دمامة » ، وهو القصر والقبح . وفي حديث ابن عمر : « لا يزوجن أحدكم ابنته بدميم » .

(٣) « دونكها » ، أي : خذها .

(٤) في المخطوطة : « فألقى الله بخطامها أو بزمامها » ، وهو خطأ ظاهر ، صوابه ما أثبت . ولكن ناشر المطبوعة حذف فكتب : « فألقى بخطامها » .

(٥) في المطبوعة والمخطوطة : « يقول ذلك نبينا صلى الله عليه وسلم » ، وهو تحريف من الناسخ ، وصوابه ما أثبت ، وذلك أنه رأى في النسخة التي نقلنا عنها : « يقول ذلك بلما » فقرأها « نبينا » ، وصوابه « ثلثاً » ، كما كانو يكتبونها بحذف الألف . واستظهرت ذلك من حديث أحمد في المسند قال : « ثلاث مرات » .

(٦) الأثر : ١٧١٥ – « أبو السليل » ، هو : « ضريب بن نقير بن سمير القيسي الجريري » ، ثقة . روى عن سعيد الجريري وغيره . مترجم في التهذيب ، والكبير ٢/٢/٣٤٣ ، وابن أبي حاتم ٢/١/٤٧٠ .

وهذا الخبر رواه أحمد في المسند ٥ : ٣٤ ، ونقله عنه ابن كثير في تفسيره ٤ : ٢١١ ، ٢١٢ ، بزيادة ، واختلاف في بعض لفظه ، كما أشرت إليه آنفاً في التعليقات .

(٧) الأثر : ١٧٠١٦ – « عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري » ، ثقة . مضى برقم : ١٦١٤٧ . وانظر ما سلف ج ١٣ : ٥٦٧ ، تعليق : ١ .

١٧٠١٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا محمد بن رجاء أبو سهل العبادانى قال ، حدثنا عامر بن يساف اليمامى ، عن يحيى بن أبى كثير اليمامى قال : جاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، مالى ثمانية آلاف ، جئتك بأربعة آلاف ، فأجعلها فى سبيل الله، وأمسكت أربعة آلاف لعيالى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بارك الله فيما أعطيت وفيما أمسكت ! وجاء رجل آخر فقال : يا رسول الله ، بتُّ الليلة أجرُّ الماء على صاعين ، فأما أحدهما فتركت لعيالى وأما الآخر فجئتك به ، أجعله فى سبيل الله ، فقال : بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت ! فقال ناس من المنافقين : والله ما أعطى عبد الرحمن إلا رياءً وسمعة، ولقد كان الله ورسوله غنيَّين عن صاع فلان! فأنزل الله : « الذين يلمزون المطوّعين من المؤمنين فى الصدقات»، يعنى عبد الرحمن بن عوف : « والذين لا يجدون إلا جهدهم » ، يعنى صاحب الصاع=« فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم » .(١) ١٣٧/١٠

١٧٠١٨ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال ، قال ابن عباس : أمر النبى صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يجمعوا صدقاتهم، وإذا عبد الرحمن بن عوف قد جاء بأربعة آلاف ، فقال: هذا مالى أقرضُه الله ، وقد بقى لى مثله . فقال له : بورك لك فيما أعطيت وفيما أمسكت ! فقال المنافقون : ما أعطى إلاّ رياءً ، وما أعطى صاحبُ الصّاع إلا رياءً ، إن كان الله ورسوله لغنيين عن هذا ! وما يصنع الله بصاع من شيء !

---

(١) الأثر : ١٧٠١٧ – « ومحمد بن رجاء » ، « أبو سهل العبادانى » ، لم أجد له ترجمة فيما بين يدى من المراجع .

و « عامر بن يساف اليمامى » ، وهو « عامر بن عبد الله بن يساف » وثقه ابن معين وغيره ، وقال ابن عدى : « منكر الحديث عن الثقات . ومع ضعفه يكتب حديثه ». مترجم فى ابن أبى حاتم ٣/١/٣٢٩ ، وميزان الاعتدال ٢ : ٧ ، وتعجيل المنفعة : ٢٠٦ ، ولسان الميزان ٣ : ٢٢٤ .

و « يحيى بن أبى كثير اليمامى » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٢٧٦٠ .

١٧٠١٩ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات » ، إلى قوله : « ولهم عذاب أليم » ، قال : أمر النبي عليه الصلاة والسلام المسلمين أن يتصدّقوا ، فقال عمر بن الخطاب : فألفَى ذلك مالي وافرًا ، فآخذ نصفه.(١) قال : فجئت أحمل مالاً كثيراً . فقال له رجل من المنافقين : ترائِـي يا عمر ! فقال : نعم ، أرائي الله ورسوله ،(٢) وأما غيرهما فلا ! قال : ورجلٌ من الأنصار لم يكن عنده شيء ، فواجَرَ نفسه ليجرّ الجرير على رقبته بصاعين ليلته ،(٣) فترك صاعاً لعياله ، وجاء بصاع يحمله ، فقال له بعض المنافقين : إن الله ورسوله عن صاعك لغنيّان ! فذلك قول الله تبارك وتعالى : « الذين يلمزون المطوّعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم » ، هذا الأنصاري = « فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم » .

* * *

وقد بينا معنى « اللمز » في كلام العرب بشواهده وما فيه من اللغة والقراءة فيما مضى .(٤)

* * *

وأما قوله : « المطوّعين » ، فإن معناه : المتطوعين ، أدغمت التاء في

---

(١) في المطبوعة : « فقام عمر بن الخطاب ، فألفى مالا وافراً ، فأخذ نصفه » ، لم يحسن قراءة ما في المخطوطة ، فحرف وبدل وحذف ، وأساء بما فعل غاية الإساءة . وإنما هذا قول عمر ، يقول : فألفى هذا الأمر بالصدقة ، مالي وافراً ، فآخذ نصفه .

(٢) في المطبوعة : « فقال عمر : أرائي الله . . . » ، وفي المخطوطة : « فقال نعم : إن الله ورسوله » ، لم يحسن كتابتها ، وأثبت الصواب من الدر المنثور ٣ : ٢٦٣ .

(٣) في المطبوعة : « فآجر نفسه » ، وهي الصواب المحض ، من قولهم : « أجر المملوك يأجره أجراً ، فهو مأجور » و « آجره إيجاراً ، ومؤاجرة » . وأما ما أثبته عن المخطوطة ، فليس بفصيح ، وإنما هو قياس ضعيف على قولهم في : « آمرته » ، « وامرته » ، وقولهم في « آكله » ، « واكله » على البدل ، وذلك كله ليس بفصيح ولا مرضي . وإنما أثبتها لوضوحها في المخطوطة ، ولأنه من الكلام الذي يقال مثله .

(٤) انظر تفسير « اللمز » فيما سلف ص : ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٨٢ .

الطاء ، فصارت طاء مشددة ، كما قيل : ﴿وَمَنْ يَطَّوَّعْ خَيْراً﴾ [سورة البقرة: ١٥٨] ، (١) يعني : يتطوَّع . (٢)

* * *

وأما « الجهد » ، فإن للعرب فيه لغتين . يقال : « أعطاني من جُهْده » ، بضم الجيم ، وذلك فيما ذكر ، لغة أهل الحجاز = ومن « جَهْده » بفتح الجيم ، وذلك لغة نجد . (٣)

وعلى الضم قراءة الأمصار ، وذلك هو الاختيار عندنا ، لإجماع الحجة من القرأة عليه .

وأما أهل العلم بكلام العرب من رواة الشعر وأهل العربية ، فإنهم يزعمون أنها مفتوحة ومضمومة بمعنى واحد ، وإنما اختلاف ذلك لاختلاف اللغة فيه ، كما اختلفت لغاتهم في « الوَجْد » ، « والوُجْد » بالضم والفتح ، من : « وجدت » . (٣)

* * *

وروى عن الشعبي في ذلك ما : —

١٧٠٢٠ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا جابر بن نوح ، عن عيسى ابن المغيرة ، عن الشعبي قال : « الجَهْدُ » ، و « الجُهْد » ، الجَهْد في العمل ، والجُهْد في القوت . (٤)

١٧٠٢١ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا حفص ، عن عيسى بن المغيرة ، عن الشعبي ، مثله .

---

(١) هذه القراءة ، ذكرها أبو جعفر فيما سلف ٣ : ٢٤٧ ، وهي قراءة عامة قرأة الكوفيين . وأما قراءتنا في مصحفنا اليوم : ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً﴾ .

(٢) انظر تفسير « التطوع » فيما سلف ٣ : ٢٤٧ ، ١٤/٤٤١ : ٣٨٢ ، وانظر معاني القرآن للفراء ١ : ٤٤٧ .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٤٤٧ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٢٦٤ ، وما سلف ص : ٣٨٢

(٤) في المطبوعة ، حذف قوله : « الجهد ، والجهد » وجعل « فالجهد » ، « الجهد » ، وبدأ به الكلام . وأثبت ما في المخطوطة .

١٧٠٢٢ — . . . . قال ، حدثنا ابن إدريس، عن عيسى بن المغيرة، عن الشعبي قال : الجَهْد فى العمل ، والجُهد فى القِيتَة .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (٨٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ادع الله لهؤلاء المنافقين ، الذين وصفت صفاتهم فى هذه الآيات(٢)، بالمغفرة، أو لا تدع لهم بها .

وهذا كلام خرج مخرج الأمر ، وتأويله الخبر ، ومعناه : إن استغفرت لهم ، يا محمد ، أو لم تستغفر لهم ، فلن يغفر الله لهم .

وقوله : « إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » ، يقول : إن تسأل لهم أن تُسْتَر عليهم ذنوبهم بالعفو منه لهم عنها ، وترك فضيحتهم بها، فلن يستر الله عليهم ، ولن يعفو لهم عنها ، ولكنه يفضحهم بها على رؤوس الأشهاد يوم القيامة(٣) = « ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله »، يقول جل ثناؤه: هذا الفعل من الله بهم ، وهو ترك عفوه لهم عن ذنوبهم ، من أجل أنهم جحدوا توحيد الله ورسالة رسوله = « والله لا يهدى القوم الفاسقين » ، يقول : والله لا يوفق للإيمان به وبرسوله ،(٤) ١٠/١٣٨

(١) فى المطبوعة : « والجهد فى المعيشة » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، فغيرها . و « القوت » و « القيت » (بكسر القاف) و « القيتة » (بكسر القاف) ، كله واحد ، وهو المسكة من الرزق ، وما يقوم به بدن الإنسان من الطعام .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « وصف صفاتهم » ، وما أثبت أبين .

(٣) انظر تفسير « الاستغفار » و « المغفرة » فيما سلف من فهارس اللغة (غفر) .

(٤) انظر تفسير « الهدى » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) .

من آثر الكفر به والخروج عن طاعته، على الإيمان به وبرسوله .[١]

* * *

ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه حين نزلت هذه الآية قال : «لأزيدنّ في الاستغفار لهم على سبعين مرة»، رجاءً منه أن يغفر الله لهم، فنزلت : ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [سورة المنافقون : ٦].

١٧٠٢٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبدة بن سليمان ، عن هشام ابن عروة ، عن أبيه : أن عبد الله بن أبي ابن سلول قال لأصحابه : لولا أنكم تُنْفقون على محمد وأصحابه لانفضُّوا من حوله ! وهو القائل : ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ [سورة المنافقون : ٨] ، فأنزل الله : «استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فان يغفر الله لهم » ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : لأزيدنّ على السبعين ! فأنزل الله : ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ .فأبى الله تبارك وتعالى أن يغفر لهم .

١٧٠٢٤ – حدثنا ابن حميد وابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن شباك ، عن الشعبي قال : دعا عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول النبيَّ صلى الله عليه وسلم إلى جنازة أبيه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : من أنت ؟ قال : حُباب بن عبد الله بن أبيّ . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: بل أنت عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول، إن« الحُبَاب »هو الشيطان .[٢] ثم قال النبي عليه السلام : إنه قد قيل لي : « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » ،فأنا أستغفر لهم سبعين وسبعين وسبعين ، وألبسه النبي صلى الله عليه وسلم قميصَه وهو عَرِقٌ .

---

(١) انظر تفسير « الفسق » فيما سلف: ٣٣٩ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) « الحباب » (بضم الحاء) ، الحية ، قال ابن الأثير : « ويقع على الحية أيضاً ، كما يقال لها شيطان ، فهما مشتركان فيه » .

١٧٠٢٥ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « إن تستغفر لهم سبعين مرة » ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : سأزيد على سبعين استغفارة! فأنزل الله في السورة التي يذكر فيها المنافقون: ﴿لَنْ يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ ، عزماً (١)

١٧٠٢٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٧٠٢٧ – . . . . قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

١٧٠٢٨ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

١٧٠٢٩ – . . . . قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا مغيرة ، عن الشعبي قال: لما ثَقُل عبد الله بن أبيّ، انطلق ابنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: إن أبي قد احْتُضِر ، فأحبُّ أن تشهده وتصلّي عليه! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما اسمك ؟ قال : الحُباب بن عبد الله . قال : بل أنت عبد الله بن عبد الله بن أبي ، إن « الحباب » اسم شيطان . قال : فانطلق معه حتى شهده وألبسه قميصه وهو عَرِق، وصلى عليه ، فقيل له: أتصلي عليه وهو منافق ؟ فقال: إن الله قال: « إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » ، ولأستغفرن له سبعين وسبعين ! = قال هشيم : وأشكُّ في الثالثة .

١٧٠٣٠ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم » إلى قوله : « القوم الفاسقين » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية: أسمعُ ربّي قد رَخّص لي فيهم، فوالله لأستغفرن أكثر من سبعين مرة،

(١) « عزما » ، يعني توكيداً ، وحقاً واجباً .

فلعل الله أن يغفر لهم ! فقال الله ، من شدة غضبه عليهم : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [سورة المنافقون : ٦] .

١٧٠٣١ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » ، فقال نبي الله : قد خيَّرني ربي ، فلأزيدنهم على سبعين ! فأنزل الله : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ ﴾ ، الآية .

١٧٠٣٢ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : لما نزلت : « إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لأزيدنّ على سبعين ! فقال الله : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ (٨١) ١٠/١٣٩

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فرح الذين خلَّفهم الله عن الغزو مع رسوله والمؤمنين به وجهاد أعدائه =« بمقعدهم خلاف رسول الله »، يقول : بجلوسهم في منازلهم [1]= « خلاف رسول الله »، يقول : على الخلاف لرسول الله في جلوسه

(١) انظر تفسير « القعود » فيما سلف ٩ : ٨٥/١٤ : ٢٧٧

ومقعده. وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم بالنَّفْر إلى جهاد أعداء الله ، فخالفوا أمْرَه وجلسوا فى منازلهم .

* * *

وقوله : « خِلاَف » ، مصدر من قول القائل : « خالف فلان فلاناً فهو يخالفه خِلافاً » ، فلذلك جاء مصدره على تقدير « فِعال » ، كما يقال : « قاتله فهو يقاتله قتالاً » ، ولو كان مصدراً من «خَلَفه» لكانت القراءة : « بمقعدهم خَلْفَ رسول الله» ، لأن مصدر : « خلفه» ، «خلفٌ» لا « خِلاف » ، ولكنه على ما بينت من أنه مصدر : « خالف » ، فقرئ : « خلاف رسول الله » ، وهى القراءة التى عليها قرأة الأمصار ، وهى الصواب عندنا .

* * *

وقد تأول ذلك بعضهم بمعنى : « بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم» ، [1] واستشهد على ذلك بقول الشاعر : [2]

عَقَبَ الرَّبِيعُ خِلَافَهُمْ ، فَكَأَنَّمَا بَسَطَ الشَّوَاطِبُ بَيْنَهُنَّ حَصِيرَا [3]

---

(١) هو أبو عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ٢٦٤ .

(٢) هو الحارث بن خالد المخزومى .

(٣) الأغانى ٣ : ٣٣٦ (دار الكتب) ١٥ : ١٢٨ (ساسى)، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٦٤ ، واللسان (عقب) ، (خلف) ، من قصيدة روى بعضها أبو الفرج فى أغانيه ، يقوله فى عائشة بنت طلحة تعريضاً ، وتصريحاً ببسرة جاريتها ، يقول قبله :

يَارَبْعَ بُسْرَةَ إن أضَرَّ بِكَ البِلَى فَلَقَدْ عَهِدتُكَ آهلاً مَعْمُورَا

ورواية أبى الفرج « عقب الرذاذ » ، و « الرذاذ » صغار المطر . وأما « الربيع » ، فهو المطر الذى يكون فى الربيع . قال أبو الفرج الأصبهانى : « وقوله : عقب الرذاذ ، يقول : جاء الرذاذ بعده . ومنه يقال : عقب لفلان غنى بعد فقر = وعقب الرجل أباه : إذا قام بعده مقامه . وعواقب الأمور ، مأخوذة منه ، واحدتها عاقبة ... والشواطب : النساء اللواتى يشطبن لحاء السعف ، يعملن منه الحصر . ومنه السيف المشطب ، والشطيبة : الشعبة من الشىء . ويقال : بعثنا إلى فلان شطيبة من خيلنا ، أى : قطعة » . قلت : وإنما وصف آثار الغيث فى الديار ، فشبه أرضها بالحصر المنمقة ، للطرائق التى تبقى فى الرمل بعد المطر .

وذلك قريبٌ لمعنى ما قلنا ، لأنهم قعدوا بعده على الخلافِ له .

* * *

وقوله : « وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله » ، يقول تعالى ذكره : وكره هؤلاء المخلفون أن يغزُوا الكفار بأموالهم وأنفسهم[1] = « فى سبيل الله » ، يعنى : فى دين الله الذى شرعه لعباده لينصروه ،[2] وميلاً إلى الدعة والخفض ، وإيثارًا للراحة على التعب والمشقة ، وشحًّا بالمال أن ينفقوه فى طاعة الله .

* * *

= « وقالوا لا تنفروا فى الحر » ، وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم استنفرهم إلى هذه الغزوة ، وهى غزوة تبوك ، فى حرٍّ شديد ،[3] فقال المنافقون بعضهم لبعض : « لا تنفروا فى الحر » ، فقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : «قل» لهم ، يا محمد = « نار جهنم » ، التى أعدّها الله لمن خالف أمره وعصى رسوله = « أشد حرًّا » ، من هذا الحرّ الذى تتواصون بينكم أن لا تنفروا فيه . يقول : الذى هو أشد حرًا ، أحرى أن يُحذر ويُتَّقى ، من الذى هو أقلهما أذًى = « لو كانوا يفقهون » ، يقول : لوكان هؤلاء المنافقون يفقهون عن الله وعظَه ، ويتدبَّرون آى كتابه ،[4] ولكنهم لا يفقهون عن الله ، فهم يحذرون من الحرّ أقله مكروهاً وأخفَّه أذًى ، ويواقعون أشدَّه مكروهاً[5] ، وأعظمه على من يصلاه بلاءً .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) انظر تفسير « الجهاد » فيما سلف ص : ٣٥٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « سبيل الله » فيما سلف من فهارس اللغة (سبل) .
(٣) انظر تفسير « النفر » فيما سلف ٥٨ : ١٤/٥٣٦ : ٢٥١ ، ٢٥٤
(٤) انظر تفسير « فقه » فيما سلف ص : ٥١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٥) فى المطبوعة والمخطوطة : « ويوافقون أشده مكروهاً » ، وهو خطأ من الناسخ ، والصواب ما أثبت .

١٧٠٣٣ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله » إلى قوله : « يفقهون » ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرَ الناس أن ينبعثوا معه ، وذلك في الصيف ، فقال رجال : يا رسول الله ، الحرُّ شديدٌ ، ولا نستطيع الخروجَ ، فلا تنفر في الحرّ ! فقال الله : « قل نار جهنم أشد حرًّا لو كانوا يفقهون » ، فأمره الله بالخروج .

١٧٠٣٤ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة في قوله : « بمقعدهم خلاف رسول الله » ، قال : هي غزوة تبوك .(١)

١٧٠٣٥ – حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرٍّ شديدٍ إلى تبوك ، فقال رجل من بني سَلِمة : لا تنفروا في الحرّ ! فأنزل الله : « قل نار جهنم » ، الآية .

١٧٠٣٦ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : [ثم] ذكر قول بعضهم لبعض ، حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاد ، وأجمع السير إلى تبوك ، على شدّة الحرّ وجدب البلاد . يقول الله جل ثناؤه : « وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرًّا » .(٢)

* * *

---

(١) في المطبوعة : « من غزوة تبوك » ، والصواب ما في المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٧٠٣٦ – سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٦ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٧٠١٢ . والزيادة بين القوسين منه .

القول فى تأويل قوله ﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ (٨٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فرح هؤلاء المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله ، فليضحكوا فرحين قليلاً فى هذه الدنيا الفانية بمقعدهم خلاف رسول الله، ولَهْوهم عن طاعة ربهم، فإنهم سيبكون طويلاً فى جهنم مكانَ ضحكهم القليل فى الدنيا = « جزاء » ، يقول : ثواباً منا لهم على معصيتهم، بتركهم النفر إذ ١٠/١٤٠ استنفروا إلى عدوّهم ، وقعودهم فى منازلهم خلافَ رسول الله[1] = « بما كانوا يكسبون » ، يقول : بما كانوا يجترحون من الذنوب .[2]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٠٣٧ — حدثنى أبو السائب قال، حدثنا أبو معاوية ، عن إسمعيل ، عن أبى رزين : « فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيراً »، قال يقول الله تبارك وتعالى : الدنيا قليل ، فليضحكوا فيها ما شاءوا ، فإذا صاروا إلى الآخرة بكوا بكاءً لاينقطع . فذلك الكثير .

١٧٠٣٨ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن يمان، عن منصور ، عن أبى رزين ، عن الربيع بن خثيم : « فليضحكوا قليلاً » ، قال : فى الدنيا = « وليبكوا كثيراً » ، قال : فى الآخرة .

١٧٠٣٩ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن ويحيى قالا، حدثنا سفيان ، عن إسمعيل بن سميع ، عن أبى رزين فى قوله : « فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً » ، قال : فى الآخرة .

١٧٠٤٠ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا

---

(١) انظر تفسير « الجزاء » ، فيما سلف من فهارس اللغة (جزى) .

(٢) انظر تفسير « الكسب » فيما سلف من فهارس اللغة (كسب) .

شعبة، عن منصور ، عن أبي رزين أنه قال في هذه الآية : « فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً » ، قال: ليضحكوا في الدنيا قليلاً ،وليبكوا في النار كثيراً . وقال في هذه الآية: ﴿وَإِذًا لاَ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾، [سورة الأحزاب : ١٦] ، قال: إلى آجالهم = أحد هذين الحديثين رفعه إلى ربيع بن خثيم . (١)

١٧٠٤١ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن: « فليضحكوا قليلاً » ، قال : ليضحكوا في الدنيا = « وليبكوا كثيراً »، في الآخرة ، في نار جهنم = « جزاء بما كانوا يكسبون » .

١٧٠٤٢ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فليضحكوا قليلاً » ، أي : في الدنيا = «وليبكوا كثيراً »، أي : في النار. ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : والذي نفسي بيده ، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ، ولبكيتم كثيراً . ذكر لنا أنه نودي عند ذلك ، أو قيل له : لا تُقَنِّط عبادي .

١٧٠٤٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان، عن منصور ، عن أبي رزين ، عن الربيع بن خثيم ، « فليضحكوا قليلاً » ، قال : في الدنيا = « وليبكوا كثيراً » ، قال: في الآخرة .

١٧٠٤٤ – . . . . قال ،حدثنا أبو معاوية، عن إسمعيل بن سميع ، عن أبي رزين : « فليضحكوا قليلاً » ، قال :في الدنيا ، فإذا صاروا إلى الآخرة بكوا بكاءً لا ينقطع . فذلك الكثير .

١٧٠٤٥ – حدثنا علي بن داود قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني

---

(١) الأثر : ١٧٠٤٠ – سيأتي هذا الجزء نفسه بإسناده في تفسيره آية «سورة الأحزاب » . وكان في المطبوعة هنا : « قال : أجلهم» ، وفي المخطوطة : « قال : آجالهم » ، أسقط « إلى » ، أثبتها من نص الخبر في تفسير سورة الأحزاب .

وكان في المطبوعة في هذا الأثر ، والذي قبله ، وما سيأتي : « الربيع بن خثيم » ، والصواب : « خثيم » ، كما سلف مراراً ، فغيرته ، ولم أنبه عليه .

معاوية، عن على ، عن ابن عباس قوله : « فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً » ، قال : هم المنافقون والكفار ، الذين اتخذوا دينهم هُزُوًا ولعباً . يقول الله تبارك وتعالى : «فليضحكوا قليلاً »، فى الدنيا = « وليبكوا كثيراً » ، فى النار .

١٧٠٤٦ — حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله: « فليضحكوا »، فى الدنيا ، « قليلاً » = « وليبكوا »، يوم القيامة، «كثيراً» . وقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴾ ، حتى بلغ : ﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ، [سورة المطففين : ٢٩ - ٣٦] .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ﴾ (٨٣)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فإن ردّك الله ، يا محمد ، إلى طائفة من هؤلاء المنافقين من غزوتك هذه[1]= « فاستأذنوك للخروج » معك فى أخرى غيرها = « فقل » لهم = « لن تخرجوا معى أبداً ولن تقاتلوا معى عدوًّا إنكم رضيتم بالقعود أوّل مرة » ، وذلك عند خروج النبى صلى الله عليه وسلم إلى تبوك[2]= «فاقعدوا مع الخالفين»، يقول: فاقعدوا مع الذين قعدوا من المنافقين خلافَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنكم منهم، فاقتدوا بهديهم،

(١) انظر تفسير « طائفة » فيما سلف ص : ٣٣٦ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « القعود » فيما سلف ص : ٣٩٧ ، تعليق ١ ، والمراجع هناك .

واعملوا مثل الذى عملوا من معصية الله ، فإنّ الله قد سَخِط عليكم .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٠٤٧ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : قال رجل : يا رسول الله ، الحر شديد ، ولا نستطيع الخروج ، فلا تنفر فى الحرّ ! = وذلك فى غزوة تبوك= فقال الله : « قل نار جهنم أشد حرًّا لو كانوا يفقهون » ، فأمره الله بالخروج . فتخلف عنه رجال ، فأدركتهم نفوسهم فقالوا : والله ما صنعنا شيئاً ! فانطلق منهم ثلاثة، فلحقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما أتوه تابوا، ثم رجعوا إلى المدينة، ١٠/١٤١ فأنزل الله : « فإن رجعك الله إلى طائفة منهم » إلى قوله : « ولا تقم على قبره » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هلك الذين تخلّفوا، فأنزل الله عُذْرَهم لما تابوا ، فقال : ﴿ لَقَدْ تَابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنْصَارِ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ، [سورة التوبة : ١١٧ ، ١١٨] .

١٧٠٤٨ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : «فإن رجعك الله إلى طائفة منهم » إلى قوله : « فاقعدوا مع الخالفين »، أى : مع النساء. ذكر لنا أنهم كانوا اثنى عشر رجلاً من المنافقين، قيل فيهم ما قيل .(١)

١٧٠٤٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنى معاوية، عن على، عن ابن عباس : «فاقعدوا مع الخالفين »، و «الخالفون»، الرجال.

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من التأويل فى قوله : « الخالفين »، ما قال ابن عباس .

---

(١) فى المطبوعة : « فقيل فيهم . . . » ، وكان فى المخطوطة : « قتل منهم ما قتل » ، صوابه ما فى المطبوعة .

* * *

فأمّا ما قال قتادة من أن ذلك النساء ، فقولٌ لا معنى له. لأن العرب لا تجمع النساء إذا لم يكن معهن رجال ، بالياء والنون ، ولا بالواو والنون . ولو كان معنيًّا بذلك النساء لقيل : « فاقعدوا مع الخوالف» ، أو « مع الخالفات » . ولكن معناه ما قلنا ، من أنه أريد به : فاقعدوا مع مرضى الرِّجال وأهل زَمانتهم ، والضعفاء منهم ، والنساء. وإذا اجتمع الرجال والنساء فى الخبر، فإن العرب تغلب الذكور على الإناث ، ولذلك قيل: « فاقعدوا مع الخالفين » ، والمعنى ما ذكرنا .

* * *

ولو وُجِّه معنى ذلك إلى: فاقعدوا مع أهل الفساد، من قولهم: « خَلَف الرجل عن أهله يَخْلُف خُلُوفاً » ، إذا فسد ، ومن قولهم : « هو خَلْف سَوْءٍ » = كان مذهباً . وأصله إذا أريد به هذا المعنى ، من قولهم: « خَلَف اللبن يَخْلُفُ خُلُوفاً » ، إذا خبث من طول وضعه فى السِّقاء حتى يفسد، ومن قولهم : « خَلَف فم الصائم» ، إذا تغيرت ريحه .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ (٨٤)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ولا تصلِّ ، يا محمد ، على أحد مات من هؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عن الخروج معك أبداً = « ولا تقم على قبره » ، يقول : ولا تتولَّ دفنه وتقبيره.(٢)

---

(١) انظر تفسير « خلف » فيما سلف : ١٣ : ٢٠٩ ، ٢١٠

(٢) فى المطبوعة : « وتقبره » ، غير ما فى المخطوطة . و « التقبير » بمعنى: الدفن ، من ألفاظ قدماء الفقهاء . وقد سلف استخدام أبى جعفر هذه اللفظة ، وتعليق عليها فيما سلف ٩ : ٣٨٧ ، تعليق : ١ .

* * *

من قول القائل : « قام فلان بأمر فلان » ، إذا كفاه أمرَه .

* * *

= « إنهم كفروا بالله » ، يقول : إنهم جحدوا توحيد الله ورسالة رسوله = وماتوا وهم خارجون من الإسلام ، مفارقون أمرَ الله ونهيه .(١)

* * *

وقد ذكر أن هذه الآية نزلت حين صلى النبي صلى الله عليه وسلم على عبد الله ابن أبيّ .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٠٥٠ – حدثنا محمد بن المثنى ، وسفيان بن وكيع ، وسوار بن عبد الله قالوا ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن عبد الله قال ، أخبرني نافع ، عن ابن عمر قال : جاء ابن عبد الله بن أبيّ ابن سلول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مات أبوه فقال : أعطني قميصَك حتى أكفّنه فيه ، وصلّ عليه ، واستغفر له . = فأعطاه قميصه = وإذا فرغتم فآذنوني .(٢) فلما أراد أن يصلي عليه ، [جذبه] عمر ،(٣) وقال : أليس قد نهاك الله أن تُصَلّيَ على المنافقين ؟ فقال : بل خيّرني وقال : « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم » ! قال : فصلى عليه . قال : فأنزل الله تبارك وتعالى : « ولا تُصَلِّ أحَدٍ منهم مات أبداً ولا تقم على قبره » ، قال : فترك الصلاة عليهم .(٤)

---

(١) انظر تفسير « الفسق » فيما سلف ص : ٣٩٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) في المطبوعة : « قال : وإذا فرغتم » ، وليس في المخطوطة : « قال» بل فيها : « وإذا وإذا فرغتم» ، بالتكرار .

(٣) « جذبه » التي بين القوسين ، ساقطة من المخطوطة ، زادها الناشر الأول ، وأصاب . .

(٤) الأثر : ١٧٠٥٠ – خبر « عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر » ، رواه البخاري في صحيحه (الفتح ٣ : ٨/١١٠ : ٢٥١ ، ٢٥٥) ، رواه من طريق يحيى بن سعيد ، عن عبيد الله ابن عمر ، ثم من طريق أبي أسامة ، عن عبيد الله ، ثم من طريق أنس بن عياض ، عن عبيد الله .

ورواه مسلم في صحيحه ١٧ : ١٢١ ، من طريق أبي أسامة ، عن عبيد الله بن عمر .

وسيأتي من رواية أبي جعفر ، من طريق أسامة ، في الذي يليه ، رقم : ١٧٠٥١ .

وخرجه ابن كثير في تفسيره ٤ : ٢١٧ – ٢١٩ ، فراجعه هناك .

١٧٠٥١ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن عبيد الله ، عن ابن عمر قال : لما توفى عبد الله بن أبي ابن سلول جاء ابنه عبد الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فسأله أن يعطيه قميصه يكفّن فيه أباه ، فأعطاه . ثم سأله أن يصلى عليه ، فقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأخذ بثوب النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : ابنَ سلول ! أتصلى عليه ، وقد نهاك الله أن تصلى عليه ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنما خيّرنى ربّى ، فقال : « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » ، وسأزيد على سبعين . فقال : إنه منافق ! فصلى عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله : « ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره » . (١)

١٧٠٥٢ – حدثنا سوار بن عبد الله العنبرى قال ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن مجاهد قال ، حدثنى عامر ، عن جابر بن عبد الله : أن رأسَ المنافقين مات بالمدينة ، فأوصى أن يصلى عليه النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، وأن يكفّن فى قميصه ، فكفنه فى قميصه ، وصلى عليه ، وقام على قبره ، فأنزل الله تبارك وتعالى : « ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره » . (٢)

١٧٠٥٣ – حدثنى أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سلمة ، عن يزيد الرقاشى ، عن أنس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يصلى على عبد الله بن أبي ابن سلول ، فأخذ جبريل عليه السلام بثوبه فقال : « ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره » . (٣) ١٠/١٤٢

---

(١) الأثر : ١٧٠٥١ – انظر التخريج السالف .

(٢) الأثر : ١٧٠٥٢ – حديث جابر بن عبد الله من هذه الطريق ، ذكره ابن كثير فى تفسيره ٤ : ٢١٩ ، عن مسند البزار ، من طريق عمرو بن على ، عن يحيى ، عن مجالد ، عن الشعبى ، عن جابر ، وقال : « وإسناده لا بأس به ، وما قبله شاهد له » .

وسيأتى حديث جابر من طريق أخرى رقم : ١٧٠٥٤ .

(٣) الأثر : ١٧٠٥٣ – « يزيد الرقاشى » ، هو « يزيد بن أبان الرقاشى » ، ضعيف ، بل متروك ، مضى برقم : ٦٦٥٤ ، ٦٧٢٨ ، ٧٥٧٧ ، وغيرها .

١٧٠٥٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن جابر قال : جاء النبيُّ صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن أبيّ وقد أدخل حُفْرته، فأخرجه فوضعه على ركبتيه ، وألبسه قميصه ، وتَفَل عليه من ريقه ، والله أعلم .(١)

١٧٠٥٥ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عبد الله ابن عباس : قال : سمعتُ عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : لما توفى عبد الله ابن أبى ابن سلول ، دُعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه ، فقام إليه . فلما وقف عليه يريد الصلاة ، تحوَّلتُ حتى قمت فى صدره فقلت : يا رسول الله ، أتصلى على عدوّ الله عبد الله بن أبى ، القائل يوم كذا كذا وكذا !! أعدِّد أيّامه،(٢) ورسول الله عليه السلام يتبسم، حتى إذا أكثرت عليه قال : أخِّر عنّى يا عمر ، إنى خُيِّرت فاخترت ، وقد قيل لى : «استغفر لهم أو لا تستغفر إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم »، فلو أنّى أعلم أنّى إن زدت على السبعين غفر له ، لزدت ! قال : ثم صلى عليه ، ومشى معه ، فقام على قبره ، حتى فرغ منه . قال : فعجبتُ لى وجُرْأتى (٣) على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله ورسوله أعلم ، فوالله ما كان إلاّ يسيراً حتى نزلت هاتان الآيتان : « ولا تصلِّ على أحد منهم مات أبداً » ، فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدَه على منافق ، ولا قام

---

(١) الأثر : ١٧٠٥٤ – حديث جابر ، مضى من طريق الشعبى آنفا رقم : ١٠٧٥٢ .

وأما هذه الطريق ، فنها رواه البخارى فى صحيحه (الفتح ٣ : ١١١) ، ومسلم فى صحيحه ١٧٥ : ١٢١ ، وروا أيضاً من طريق ابن جريج ، عن عمرو بن دينار .

وقوله : « والله أعلم » ، يعنى : والله أعلم بقضائه ، إذ فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل ، مع قضاء الله فى المنافقين بما قضى به فيهم .

(٢) هكذا فى السيرة : « أعدد أيامه » وظنها بعضهم خطأ ، وهى صواب . يعنى يعدد ما كان منه فى أيام من أيامه ، يوم قال كذا ، ويوم قال كذا .

(٣) فى المطبوعة : «أتعجب لى » ، وفى المخطوطة : « تعجبت » ، وأثبت نص ابن هشام فى سيرته . وفى السيرة : « وجرأتى » .

على قبره ، حتى قبضه الله .(١)

١٧٠٥٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة قال : لما مات عبد الله بن أبي ، أتى ابنه عبد الله بن عبد الله رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله قميصه ، فأعطاه ، فكفّن فيه أباه .(٢)

١٧٠٥٧ – حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني الليث قال ، حدثني عقيل ، عن ابن شهاب قال ، أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عبد الله بن عباس ، عن عمر بن الخطاب قال : لما مات عبد الله بن أبيّ = فذكر مثل حديث ابن حميد ، عن سلمة .(٣)

١٧٠٥٨ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره » الآية ، قال : بعث عبد الله بن أبيّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مريض ليأتيه ، فنهاه عن ذلك عمر . فأتاه نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما دخل عليه ، قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : أهلكك حبُّ اليهود ! قال فقال : يانبي الله، إني لم أبعث إليك لتؤنّبني ، ولكن بعثت إليك لتستغفر لي! وسأله قميصه أن يكفن فيه ، فأعطاه إياه ، فاستغفر له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فمات فكفن في قميص رسول الله صلى الله عليه

---

(١) الأثر : ١٧٠٥٥ – سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٦ ، ١٩٧ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٧٠٣٦ .

وحديث الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، رواه البخاري في صحيحه (الفتح ٨ : ٢٥٤) ، من طريق يحيى بن بكير ، عن الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب الزهري . وسيأتي من هذه الطريق برقم : ١٧٠٥٧ .

وخرجه ابن كثير في تفسيره ٤ : ٢١٨ .

وقوله : « أخر عني يا عمر » ، أي : أخر عني رأيك ، فاختصر إيجاز وبلاغة – هكذا قالوا : وقد ذكرت آنفا ج ١٠ : ٣٣٩ ، تعليق : ٦ ، أنهم قصروا من شرحه ، وأن معناه : اصرف عني رأيك وأبعده ، وأنه مما يزداد على بيان كتب اللغة .

(٢) الأثر : ١٧٠٥٦ – لم أجد هذا الخبر في سيرة ابن هشام .

(٣) الأثر : ١٧٠٥٧ – سلف تخريجه في رقم : ١٧٠٥٥ .

وسلم ، ونفث في جلده ، ودلاّه في قبره ، فأنزل الله تبارك وتعالى : « ولا تصل على أحد منهم مات أبداً» الآية . قال: ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كلّم في ذلك فقال : وما يغني عنه قميصي من الله = أو : ربي = وصلى عليه = وإني لأرجو أن يسلم به ألفٌ من قومه .(١)

١٧٠٥٩ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا ابن ثور، عن معمر ، عن قتادة قال : أرسل عبد الله بن أبي ابن سلول وهو مريض إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما دخل عليه ، قال له النبي صلى الله عليه وسلم : أهلكك حبُّ يهود ! قال : يا رسول الله، إنما أرسلت إليك لتستغفر لي، ولم أرسل إليك لتؤنبني! ثم سأله عبد الله أن يعطيه قميصه أن يكفّن فيه ، فأعطاه إياه ، وصلى عليه ، وقام على قبره ، فأنزل الله تعالى ذكره : « ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره » .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ (٨٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولا تعجبك، يا محمد ، أموالُ هؤلاء المنافقين وأولادهم ، فتصلي على أحدهم إذا مات وتقوم

---

(١) قوله : « وصلى عليه » ، هكذا في المخطوطة ، وجعلها في المطبوعة : « وصلاتي عليه » ، كأنه ظنه معطوفاً على قوله : « ما يغني عنه قميصي »، ولكن جائز أن يكون ما أثبته من المخطوطة ،هو الصواب، وهو خبر من قتادة أو غيره ، فصل به بين كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولذلك وضعته بين خطين .

على قبره، من أجل كثرة ماله وولده ، فإنى إنما أعطيته ما أعطيته من ذلك لأعذبه بها فى الدنيا بالغموم والهموم ، بما ألزمه فيها من المؤن والنفقات والزكوات ، وبما ينوبه فيها من الرزايا والمصيبات ، = « وتزهق أنفسهم » ، يقول : وليموت فتخرج نفسه من جسده ، [1] فيفارق ما أعطيته من المال والولد ، فيكون ذلك حسرة عليه عند موته ، ووبالاً عليه حينئذٍ ، ووبالاً عليه فى الآخرة، بموته جاحداً توحيدَ الله ، ونبوةَ نبيه محمد صلى الله عليه وسلم . ١٠/١٤٣

١٧٠٦٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن السدى : « وتزهق أنفسهم » ، فى الحياة الدنيا .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴾ (٨٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وإذا أنزل عليك، يا محمد ، سورة من القرآن ، بأن يقال لهؤلاء المنافقين : « آمنوا بالله » ، يقول : صدِّقوا بالله = « وجاهدوا مع رسوله » ، يقول : اغزوا المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم [2] = « استأذنك أولو الطول منهم » ، يقول : استأذنك ذوو الغنى والمال منهم فى التخلف عنك، والقعود فى أهله [3] = « وقالوا ذرنا » ، يقول : وقالوا لك : دعنا، [4] نكن ممن يقعد فى منزله مع ضعفاء الناس ومرضاهم ، ومن لا يقدر على

---

(١) انظر تفسير « زهق » فيما سلف ص : ٢٩٧ .

(٢) انظر تفسير « الجهاد » فيما سلف ص : ٣٩٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الطول » فيما سلف ٨ : ١٨٢ — ١٨٥ .

(٤) انظر تفسير « ذر » فيما سلف ١٣ : ٢٩١، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

الخروج معك فى السفر .(١)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى معنى « الطول » ، قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٠٦١ – حدثنى على بن داود قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « استأذنك أولو الطول »، قال : يعنى أهل الغنى .

١٧٠٦٢ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « أولو الطول منهم » ، يعنى الأغنياء .

١٧٠٦٣ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم » ، كان منهم عبد الله بن أبىّ ، والجدّ بن قيس . فنعى الله ذلك عليهم .(٢)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (٨٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : رضى هؤلاء المنافقون = الذين إذا قيل لهم : آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله ، استأذنك أهل الغنى منهم فى التخلف عن الغزو والخروج معك لقتال أعداء الله من المشركين = أن يكونوا فى منازلهم ،

---

(١) انظر تفسير « القعود » فيما سلف ص : ٤٠٤ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) الأثر : ١٧٠٦٣ – سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٧ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٧٠٥٥ ، غير أن ابن هشام قال : « وكان ابن أبى من أولئك ، فنعى الله ذلك عليه ، وذكره منه » . ولم يذكر هنا « الجد بن قيس » .

كالنساء اللواتى ليس عليهن فرض الجهاد ، فهن قعود فى منازلهن وبيوتهن[١] = « وطبع على قلوبهم » ، يقول : وختم الله على قلوب هؤلاء المنافقين = « فهم لا يفقهون » ، عن الله مواعظه ، فيتعظون بها .[٢]

* * *

وقد بينا معنى « الطبع » ، وكيف الختم على القلوب ، فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[٣]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى معنى « الخوالف » قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٠٦٤ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « رضوا بأن يكونوا مع الخوالف » ، قال : « الخوالف» ، هن النساء .

١٧٠٦٥ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « رضوا بأن يكونوا مع الخوالف »، يعنى النساء .

١٧٠٦٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حبويه أبو يزيد ، عن يعقوب القمى ، عن حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية : « رضوا بأن يكونوا مع الخوالف » ، قال : النساء .

١٧٠٦٧ – . . . . قال ، حدثنا المحاربى ، عن جويبر، عن الضحاك : « مع الخوالف » ، قال : مع النساء .

١٧٠٦٨ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة

---

(١) انظر تفسير « الخوالف » فيما سلف ص: ٤٠٥، تعليق ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « فقه » فيما سلف ص: ٣٩٩، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « الطبع » فيما سلف ١٣ : ١٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

قوله : « رضوا بأن يكونوا مع الخوالف » ، أى : مع النساء .

١٧٠٦٩ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة والحسن : « رضوا بأن يكونوا مع الخوالف » ، قالا : النساء .

١٧٠٧٠ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٧٠٧١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

١٧٠٧٢ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « رضوا بأن يكونوا مع الخوالف » ، قال : مع النساء .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (٨٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : لم يجاهد هؤلاء المنافقون الذين اقتصصت قصصهم المشركين ، لكن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، والذين صدقوا الله ورسوله معه ، هم الذين جاهدوا المشركين بأموالهم وأنفسهم ، فأنفقوا فى جهادهم أموالهم ، وأتعبوا فى قتالهم أنفسهم وبذلوها [1] = «وأولئك» ، يقول : وللرسول وللذين آمنوا معه ، الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم = «الخيرات» ، وهى خيرات الآخرة ، وذلك : نساؤها ، وجناتها ، ونعيمها . ١٠/١٤٤

* * *

(١) انظر تفسير « الجهاد » فيما سلف ص : ٤١١ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

= واحدتها «خَيْرَة» ، كما قال الشاعر : [١]

وَلَقَدْ طَعَنْتُ مَجَامِعَ الرَّبَلَاتِ رَبَلَاتِ هِنْدٍ خَيْرَةِ المَلِكَاتِ [٢]

و« الخيرة » ، من كل شيء ، الفاضلة . [٣]

* * *

= « وأولئك هم المفلحون » ، يقول : وأولئك هم المخلدون فى الجنات ، الباقون فيها ، الفائزون بها . [٤]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (٨٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : أعد الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وللذين آمنوا معه [٥] = « جنات » ، وهى البساتين ، [٦] تجرى من تحت أشجارها الأنهار = « خالدين فيها » ، يقول : لابثين فيها ، لا يموتون فيها ، ولا يظعنون عنها [٧] = « ذلك الفوز العظيم » ، يقول : ذلك النجاء العظيم ، والحظّ الجزيل . [٨]

* * *

---

(١) لرجل من بنى عدى ، عدى تيم تميم ، وهو جاهلى .

(٢) مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٦٧ ، واللسان (خير) ، و « الربلات » جمع « ربلة » (بفتح الراء وسكون الباء ، أو فتحها) ، وهى لحم باطن الفخذ . عنى أمراً قبيحاً . وقوله « خيرة » ، مؤنث « خير » ، صفة ، لا بمعنى التفضيل ، يقال : « رجل خير ، وامرأة خيرة » ، فإذا أردت التفضيل قلت : « فلانة خير الناس » .

(٣) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٦٧ .

(٤) انظر تفسير « الفلاح » فيما سلف ١٣ : ٥٧٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٥) انظر تفسير « أعد » فيما سلف ص : ٣١ ، ٢٧٦

(٦) انظر تفسير « الجنة » فيما سلف من فهارس اللغة (جنن) .

(٧) انظر تفسير « الخلود » فيما سلف من فهارس اللغة (خلد) .

(٨) انظر تفسير « الفوز » فيما سلف ص : ٣٥٧ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٩٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « وجاء » ، رسولَ الله صلى الله عليه وسلم = « المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم » ، فى التخلف = « وقعد » ، عن المجيء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهاد معه[1] = « الذين كذبوا الله ورسوله » ، وقالوا الكذب ، واعتذرُوا بالباطل منهم . يقول تعالى ذكره : سيُصيب الذين جحدوا توحيد الله ونبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم منهم ، عذابٌ أليم .[2]

* * *

فإن قال قائل : « وجاء المعذّرون » ، وقد علمت أن « المعذِّر » ، فى كلام العرب ، إنما هو : الذى يُعَذِّر فى الأمر فلا يبالغ فيه ولا يُحكمه ؟ وليست هذه صفة هؤلاء ، وإنما صفتهم أنهم كانوا قد اجتهدوا فى طلب ما ينهضون به مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عدوّهم ، وحرصوا على ذلك ، فلم يجدوا إليه السبيل ، فهم بأن يوصفوا بأنهم : « قد أعذروا » ، أولى وأحق منهم بأن يوصفو بأنهم « عذّروا » . وإذا وصفوا بذلك ،[3] فالصّواب فى ذلك من القراءة ، ما قرأه ابن عباس ، وذلك ما :—

١٧٠٧٣ — حدثناه المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى حماد قال ، حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك قال : كان ابن عباس يقرأ : ﴿ وَجَاءَ الْمُعْذِرُونَ ﴾ ، مخففةً ، ويقول : هم أهل العذر .

= مع موافقة مجاهد إياه وغيره عليه ؟

---

(١) انظر تفسير « القعود » فيما سلف ص : ٤١٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « أليم » فيما سلف من فهارس اللغة (ألم) .

(٣) فى المطبوعة : « بأنهم عذروا ، إذا وصفوا بذلك » ، كأنه متعلق بالسالف . والصواب أنه ابتداء كلام ، والواو فى « وإذا » ثابتة فى المخطوطة .

قيل : إن معنى ذلك على غير ما ذهبتَ إليه ، وأن معناه : وجاء المعتذِرون من الأعراب = ولكن « التاء » لما جاورت « الذال » أدغمت فيها ، فصُيِّرتا ذالاً مشدَّدة ، لتقارب مخرج إحداهما من الأخرى ، كما قيل : «يذَّكَّرون» فى « يتذكرون» ، و «يذَّكَّر» فى « يتذكر » ، وخرجت العين من « المعذِّرين » ، إلى الفتح ، لأن حركة التاء من « المعتذرين » ، وهى الفتحة ، نقلت إليها ، فحركت بما كانت به محركة . والعرب قد توجِّه فى معنى « الاعتذار » ، إلى « الإعذار » ، فيقول : « قد اعتذر فلان فى كذا » ، يعنى : أعذر ،[1] ومن ذلك قول لبيد :

إِلَى الحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا ... وَمَنْ يَبْكِ حَوْلاً كَامِلاً فَقَدِ اعْتَذَرْ[2]

فقال : « فقد اعتذر » ، بمعنى : فقد أعْذَر .

* * *

على أن أهل التأويل قد اختلفوا فى صفة هؤلاء القوم الذين وصفهم الله بأنهم جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم « معذِّرين » .

فقال بعضهم : كانوا كاذبين فى اعتذارهم ، فلم يعذرهم الله .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٠٧٤ - حدثنى أبو عبيدة عبد الوارث بن عبد الصمد قال ، حدثنى أبى ، عن الحسين قال : كان قتادة يقرأ : « وجاء المعذرون من الأعراب » ، قال : اعتذروا بالكذب .

١٧٠٧٥ - حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا يحيى ابن زكريا ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « وجاء المعذرون من الأعراب » ، قال : نفر من بنى غفار ، جاءوا فاعتذروا ، فلم يعذرهم الله .

* * *

= فقد أخبر من ذكرنا من هؤلاء : أن هؤلاء القوم إنما كانوا أهل اعتذار

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٤٧ ، ٤٤٨ .

(٢) سلف البيت وتخريجه ١ : ١١٩ ، تعليق : ١ .

بالباطل لا بالحق ، فغير جائز أن يوصفوا بالإعذار ، إلا أن يوصفوا بأنهم أعْذَرُوا فى الاعتذار بالباطل ، فأمّا بالحق = على ما قاله من حكينا قوله من هؤلاء = فغير جائز أن يوصَفوا به .

* * *

وقد كان بعضهم يقول : إنما جاءوا معذّرين غير جادّين ، يعرضون ما لا يريدون فعله . فمن وجّهه إلى هذا التأويل فلا كلفة فى ذلك، غير أنى لا أعلم أحداً من أهل العلم بتأويل القرآن وجّه تأويله إلى ذلك، فأستحبُّ القول به .(١)

* * *

وبعدُ ، فإن الذى عليه من القراءة قرأة الأمصار ، التشديد فى « الذال » ، أعنى من قوله: ﴿ المُعَذِّرُونَ ﴾ ، ففى ذلك دليلٌ على صحة تأويل من تأوله بمعنى الاعتذار ،لأن القوم الذين وُصفوا بذلك لم يكلفوا أمرًا عَذَّرُوا فيه ، وإنما كانوا فرقتين : إما مجتهد طائع ، وإما منافق فاسقٌ ، لأمر الله مخالف . فليس فى الفريقين موصوفٌ بالتعذير فى الشخوص مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما هو معذّر مبالغٌ ، أو معتَذِر . ١٠/١٤٥

فإذ كان ذلك كذلك ، وكانت الحجة من القرأة مجمعة على تشديد « الذال » من « المعذرين » ، عُلم أن معناه ما وصفناه من التأويل .

* * *

وقد ذكر عن مجاهد فى ذلك موافقة ابن عباس .

١٧٠٧٦ — حدثنى المثنى قال، أخبرنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، عن حميد قال: قرأ مجاهد: ﴿ وَجاءَ المُعْذِرُونَ ﴾، مخففةً ، وقال : هم أهل العذر .

١٧٠٧٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال : كان المعذرون ، [فيما بلغنى ، نفراً من بنى غِفارٍ ، منهم : خفاف بن أيماء بن

(١) فى المطبوعة : « فاستحبوا » جمعاً ، وإنما جاء الخطأ من سوء كتابة المخطوطة ، لأنه أراد أن يكتب بعد آخر الباء واواً ، ثم عدل عن ذلك ، فأخذ الناشر بما عدل عنه الناسخ ! !

رَحَضة ، ثم كانت القصة لأهل العذر ، حتى انتهى إلى قوله : « ولا على الذين إذا أتوك لتحملهم» ، الآية] .[١]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٩١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ليس على أهل الزمانة وأهل العجز عن السفر والغزو ،[٢] ولا على المرضى ، ولا على من لا يجد نفقة يتبلَّغ بها إلى مغزاه = « حرج » ، وهو الإثم ،[٣] يقول : ليس عليهم إثم ، إذا نصحوا لله ولرسوله فى مغيبهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم = « ما على المحسنين من سبيل » ، يقول : ليس على من أحسن فنصح لله ولرسوله فى تخلّفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجهاد معه ، لعذر يعذر به ، طريقٌ يتطرَّق عليه فيعاقب من قبله[٤] = « والله غفور رحيم » ، يقول : والله ساتر على ذنوب المحسنين ، يتغمدها بعفوه لهم عنها = « رحيم » ، بهم ، أن يعاقبهم عليها .[٥]

* * *

وذكر أن هذه الآية نزلت فى « عائذ بن عمرو المزنى » .

* * *

---

(١) الأثر : ١٧٠٧٧ – سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٧ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٧٠٦٣ . وكان هذا الخبر فى المخطوطة والمطبوعة مبتوراً ، أتممته من سيرة هشام ، ووضعت تمامه بين القوسين .

(٢) انظر تفسير « الضعفاء » فيما سلف ٥ : ٨/٥٥١ : ١٩ .

(٣) انظر تفسير « الحرج » فيما سلف ١٢ : ٢٩٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « المحسن » و « السبيل » فيما سلف من فهارس اللغة (حسن) ، (سبل) .

(٥) انظر تفسير « غفور » و « رحيم » فيما سلف من فهارس اللغة (غفر) ، (رحم)

وقال بعضهم فى « عبد الله بن مغفل » .

* * *

* ذكر من قال : نزلت فى « عائذ بن عمرو » .

١٧٠٧٨ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله » ، نزلت فى « عائذ بن عمرو » .

* * *

* ذكر من قال : نزلت فى « ابن مغفل » .

١٧٠٧٩ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ليس على الضعفاء ولا على المرضى » إلى قوله : « حزنًا أن لا يجدوا ما ينفقون » ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس أن ينبعثوا غازين معه ، فجاءته عصابة من أصحابه ، فيهم « عبد الله بن مغفل المزنى » ، فقالوا : يا رسول الله ، احملنا . فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله ما أجد ما أحملكم عليه! فتولوا ولهم بكاءٌ ، وعزيزٌ عليهم أن يجلسوا عن الجهاد ، [1] ولا يجدون نفقةً ولا محملاً . فلما رأى الله حرصَهم على محبته ومحبة رسوله ، أنزل عذرهم فى كتابه فقال : « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج » إلى قوله : « فهم لا يعلمون » .

* * *

(١) فى المطبوعة : « وعز عليهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو محض صواب .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴾ (٩٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولا سبيل أيضاً على النفر الذين إذا ما جاءوك، لتحملهم، يسألونك الحُمْلان ، ليبلغوا إلى مغزاهم لجهاد أعداءِ الله معك ، يا محمد ، قلت لهم : لا أجد حَمُولةً أحملكم عليها = « تولوا » ، يقول : أدبروا عنك ، [1]= « وأعينهم تفيض من الدمع حزناً » ، وهم يبكون من حزن على أنهم لا يجدون ما ينفقون ، [2] ويتحمَّلون به للجهادِ فى سبيل الله .

* * *

وذكر بعضهم : أن هذه الآية نزلت فى نفر من مزينة .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٠٨٠ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد: « ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه » ، قال : هم من مزينة .

١٧٠٨١ – حدثنى المثنى قال، أخبرنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم » ، قال : هم بنو مُقَرِّنٍ ، من مزينة . ١٠/١٤٦

١٧٠٨٢ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن جريج قراءةً ، عن مجاهد فى قوله : « ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم » ، إلى قوله : « حزناً أن لا يجدوا ما ينفقون » ، قال : هم بنو مقرِّن ، من مزينة .

---

(١) انظر تفسير « التولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .

(٢) انظر تفسير « تفيض من الدمع » فيما سلف ١٠ : ٥٠٧ .

١٧٠٨٣ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم » ، قال : هم بنو مقرِّن ، من مزينة .

١٧٠٨٤ – . . . . قال ، حدثنا أبي ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن عروة ، عن ابن مغفل المزني ، وكان أحد النفر الذين أنزلت فيهم : « ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم » ، الآية .

١٧٠٨٥ – حدثني المثنى قال ، أخبرنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، عن ابن جريج ، عن مجاهد في قوله : « تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً » ، قال : منهم ابن مقرِّن = وقال سفيان : قال الناس : منهم عرباض ابن سارية .

* * *

وقال آخرون ، بل نزلت في عِرْباض بن سارية .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٠٨٦ – حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان ، عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر بن حجر الكلاعي قالا : دخلنا على عرباض بن سارية ، وهو الذي أنزل فيه : « ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم » ، الآية .[1]

١٧٠٨٧ – حدثني المثنى قال ، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن قال ، حدثنا الوليد قال ، حدثنا ثور ، عن خالد ، عن عبد الرحمن بن عمرو ، وحجر بن حجر ، بنحوه .

* * *

وقال آخرون : بل نزلت في نفر سبعة ، من قبائل شتى .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) الأثر : ١٧٠٨٦ – « عبد الرحمن بن عمرو بن عبسة السلمي » ، ثقة ، مترجم في التهذيب . و « حجر بن حجر الكلاعي » ، ثقة ، مترجم في التهذيب .

١٧٠٨٨ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب وغيره قال : جاء ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحملونه ، فقال : « لا أجد ما أحملكم عليه » ! فأنزل الله : « ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم » الآية . قال : هم سبعة نفر : من بني عمرو بن عوف : سالم بن عمير = ومن بني واقف : هرمى بن عمرو [1] = ومن بني مازن بن النجار : عبد الرحمن بن كعب ، يكنى أبا ليلى = ومن بني المعلى : سلمان بن صخر = ومن بني حارثة : عبد الرحمن بن يزيد ، أبو عبلة ، وهو الذى تصدق بعرضه فقبله الله منه = ومن بني سَلِمة ، عمرو بن غنمة ، وعبد الله بن عمرو المزنى .

١٧٠٨٩ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قوله : «ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم» إلى قوله : «حزناً» ، وهم البكاؤون ، كانوا سبعة . [2]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٩٣) ٢/١١

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ما السبيل بالعقوبة على أهل العذر ، يا محمد، ولكنها على الذين يستأذنوك فى التخلف خلافك، وترك الجهاد معك ، وهم أهل غنى وقوّة وطاقة للجهاد والغزو ، نفاقاً وشكًّا فى وعد الله ووعيده [3] = « رضوا بأن يكونوا مع الخوالف » ، يقول : رضوا بأن يجلسوا بعدك مع النساء = وهن

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : «حرمى بن عمرو» ، والصواب «هرمى» بالهاء ، انظر ترجمته فى الإصابة.

(٢) الأثر : ١٧٠٨٩ – سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٧ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٧٠٧٧ ، وليس فيه فى هذا الموضع قوله : « وهم سبعة » . وأما عدتهم عند ابن إسحق فقد ذكرها ابن هشام فى سيرته ٤ : ١٦١ ، وقال : « وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم » ، ثم عددهم .

(٣) انظر تفسير « السبيل » فيما سلف من فهارس اللغة (سبل) .

« الخوالف » ، خلف الرجال فى البيوت ، ويتركوا الغزو معك ، [١]= « وطبع الله على قلوبهم » ، يقول : وختم الله على قلوبهم بما كسبوا من الذنوب [٢]= « فهم لا يعلمون » ، سوء عاقبتهم ، بتخلفهم عنك ، وتركهم الجهاد معك ، وما عليهم من قبيح الثناء فى الدنيا ، وعظيم البلاء فى الآخرة .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٩٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : يعتذر إليكم ، أيها المؤمنون بالله ، هؤلاء المتخلفون خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التاركون جهاد المشركين معكم من المنافقين ، بالأباطيل والكذب ، إذا رجعتم إليهم من سفركم وجهادكم = « قل » ، لهم ، يا محمد ، = « لا تعتذروا لن نؤمن لكم » ، يقول : لن نصدّقكم على ما تقولون = « قد نبأنا الله من أخباركم » ، يقول : قد أخبرنا الله من أخباركم ، وأعلمنا من أمركم ما قد علمنا به كذبكم [٣]= « وسيرى الله عملكم ورسوله » ، يقول : وسيرى الله ورسوله فيما بعدُ عملكم ، أتتوبون من نفاقكم ، أم تقيمون عليه ؟ = «ثم تردّون إلى عالم الغيب والشهادة» ، يقول : ثم ترجعون بعد مماتكم = «إلى عالم الغيب والشهادة » ، يعنى : الذى يعلم السرّ والعلانية ، الذى لا يخفى عليه بواطن أموركم

---

(١) انظر تفسير « الخوالف » فيما سلف ص : ٤١٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الطبع » فيما سلف ص : ٤١٣ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « نبأ » فيما سلف ص : ٣٤٤ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

وظواهرها [١]=«فينبئكم بما كنتم تعملون» ، فيخبركم بأعمالكم كلها سيئها وحسنها ، [٢] فيجازيكم بها : الحسنَ منها بالحسن ، والسيئَ منها بالسيئ .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ (٩٥) ٣/١١

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : سيحلف ، أيها المؤمنون بالله ، لكم هؤلاء المنافقون الذين فرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله = « إذا انقلبتم إليهم » ، يعنى : إذا انصرفتم إليهم من غزوكم [٣]=« لتعرضوا عنهم » ، فلا تؤنبوهم = « فأعرضوا عنهم » ، يقول جل ثناؤه للمؤمنين : فدعوا تأنيبهم ، وخلوهم وما اختاروا لأنفسهم من الكفر والنفاق [٤]= « إنهم رجس ومأواهم جهنم » ، يقول : إنهم نجس [٥] = « ومأواهم جهنم » ، يقول : ومصيرهم إلى جهنم ، وهى مسكنهم الذى يأوُونه فى الآخرة [٦]= « جزاء بما كانوا يكسبون » ، [٧] يقول : ثواباً بأعمالهم التى كانوا يعملونها فى الدنيا من معاصى الله . [٨]

* * *

(١) انظر تفسير « عالم الغيب والشهادة » فيما سلف من فهارس اللغة (غيب) ، (شهد) .
(٢) فى المخطوطة : « سيئها » وأسقط « وحسنها » ، والصواب ما فى المطبوعة .
(٣) انظر تفسير « الانقلاب » فيما سلف ١٣ : ٣٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٤) انظر تفسير « الإعراض » فيما سلف ص : ٣٦٩ ، تعليق : ٦ ، والمراجع هناك .
(٥) انظر تفسير « الرجس » فيما سلف ١٢ : ١٩٤ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
(٦) انظر تفسير « المأوى » فيما سلف ص : ٣٦٠ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
(٧) فى المطبوعة والمخطوطة « جزاء بما كانوا يعملون » ، سهو من النساخ فيما أرجح .
(٨) انظر تفسير « الجزاء » فيما سلف من فهارس اللغة (جزى) .
= وتفسير « الكسب » فيما سلف من فهارس اللغة (كسب) .

وذكر أن هذه الآية نزلت فى رجلين من المنافقين ، قالا : ما —

١٧٠٩٠ — حدثنا به محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا » ، إلى « بما كانوا يكسبون » ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له : ألا تغزو بنى الأصفر ، (١) لعلك أن تصيب بنت عظيم الرُّوم ، فإنهنّ حِسان ! (٢) فقال رجلان : قد علمت ، يا رسول الله ، أن النساء فتنة فلا تفتنَّا بهنّ ! فأذن لنا ! فأذن لهما . فلما انطلقا قال أحدهما : إن هو إلا شَحْمةٌ لأوّل آكلٍ ! (٣) فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم ينزل عليه فى ذلك شىء . فلما كان ببعض الطريق ، نزل عليه وهو على بعض المياه : ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وسَفَراً قَاصِداً لَاتَّبَعُوكَ وَلَـٰكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ﴾ [سورة التوبة : ٤٢] ، ونزل عليه : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ ﴾ ، [سورة التوبة : ٤٣] ، ونزل عليه : ﴿ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ ، [سورة التوبة : ٤٤] ، ونزل عليه : « إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون » . فسمع ذلك رجل ممن غزا مع النبى صلى الله عليه وسلم ، فأتاهم وهم خلفهم ، فقال : تعلمون أنْ قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدكم قرآن؟ قالوا : ما الذى سمعت ؟ قال : ما أدرى ، غير أنى سمعت أنه يقول : « إنهم رجس » ! فقال رجل يدعى « مخشيًّا » ، (٤) والله لوددت أنى أجلد مئة جلدة ، وأنى لست معكم ! فأتى رسول

(١) « بنو الأصفر » ، هم الروم .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة « فإنهم حسان » والصواب ما أثبت .

(٣) « الشحمة » ، عنى بها قطعة من « شحم سنام البعير » ، وشحمة السنام من أطايب البعير ، يسرع إليها الآكل ، قال زفر بن الحارث الكلابى :

وَكُنَّا حَسِبْنا كُلَّ بَيْضَاءَ شَحْمَةً ... لَيالِيَ قارَعْنا جُذَامَ وحِمْيَرَا
فَلَمَّا قَرَعْنا النَّبْعَ بالنَّبْعِ ، بَعْضَهُ ... بِبَعْضٍ ، أَبَتْ عِيدانُهُ أَنْ تَكَسَّرا

وفى المثل : « ما كل بيضاء شحمة ، ولا كل سوداء تمرة » .

(٤) فى المخطوطة : « مخشى » ، والصواب ما فى المطبوعة وهو « مخشى بن حمير الأشجعى » ، انظر ترجمته فى الإصابة .

الله صلى الله عليه وسلم، فقال : ما جاء بك ؟ فقال : وجْهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم تسفَعه الريح ، وأنا فى الكِنّ!! (١) فأنزل الله عليه : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي ﴾ [سورة التوبة: ٤٩]، ﴿ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ ﴾ [سورة التوبة : ٨١]، ونزل عليه فى الرجل الذى قال : «لوددت أنى أجْلد مئة جلدة» قول الله: ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾، [سورة التوبة : ٦٤]، فقال رجل مع رسول الله: لئن كان هؤلاء كما يقولون، ما فينا خير ! فبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فقال له : أنت صاحب الكلمة التى سمعتُ ؟ فقال : لا ، والذى أنزل عليك الكتاب ! فأنزل الله فيه : ﴿لَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [سورة التوبة : ٧٤]، وأنزل فيه ﴿ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾، [سورة التوبة : ٤٧] .

١٧٠٩١ — حدثنى يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب قال ، أخبرنى عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك : أن عبد الله بن كعب قال : سمعت كعبَ بن مالك يقول : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك، جلس للناس. فلما فعل ذلك، جاء المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ، ويحلفون له ، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً ، فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتَهم، وبايعهم، واستغفر لهم ، ووكل سرائرهم إلى الله ، وصدَقته حديثى . فقال كعب: والله ما أنعم الله علىّ من نعمة قطُّ، بعد أن هدانى للإسلام، أعظمَ فى نفسى من صدْق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن لا أكون كذبتُه فأهلك كما هلك الذين كذبوا، إن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحى، (٢) شرَّ

---

(١) «سفعته النار ، والشمس ، والسموم ، تسفعه سفعاً» ، لفحته لفحاً يسيراً فغيرت لون بشرته وسودته . و «الكن» (بكسر الكاف) : ما يرد الحر والبرد من الأبنية والمساكن ، وكل ما ستر من الشمس والسموم فهو كن .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : «حين أنزل الوحى ما قال لأحد» ، بإسقاط «شر» ، وهو لا يستقيم ، وأثبته من نص روايته فى صحيح مسلم .

ما قال لأحد : « سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم
٤/١١ إنهم رجسٌ ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون »، إلى قوله: « فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين » .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٩٦)

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: يحلف لكم، أيها المؤمنون بالله، هؤلاء المنافقون ، اعتذاراً بالباطل والكذب = « لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإنّ الله لا يرضى عن القوم الفاسقين »، يقول : فإن أنتم، أيها المؤمنون ، رضيتم عنهم وقبلتم معذرتهم ، إذ كنتم لا تعلمون صِدْقهم من كذبهم ، فإن رضاكم عنهم غيرُ نافعهم عند الله ، لأن الله يعلم من سرائر أمرهم ما لا تعلمون ، ومن خفيّ اعتقادهم ما تجهلون، وأنهم على الكفر بالله . . . . . (٢) يعنى أنهم الخارجون من الايمان إلى الكفر بالله، ومن الطاعة إلى المعصية . (٣)

* * *

---

(١) الأثر : ١٧٠٩١ – هذا مختصر من الخبر الطويل فى توبة كعب بن مالك ، رواه مسلم فى صحيحه ١٧ : ٨٧ – ١٠٠ ، من هذه الطريق ، وقد مضى جزء آخر منه برقم : ١٦١٤٧ .

(٢) لا أشك أن موضع هذه النقط خرم فى كلام أبى جعفر ، من ناسخ كتابه ، وكأن صواب الكلام : « وأنهم على الكفر بالله مقيمون ، وأنهم هم الفاسقون ، يعنى : أنهم الخارجون . . . » ، أو كلاماً شبيهاً بهذا .

(٣) انظر تفسير « الفسق » فيما سلف ص : ٤٠٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٩٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره الأعراب أشدُّ جحوداً لتوحيد الله ، وأشدّ نفاقاً، من أهل الحضر فى القرى والأمصار . وإنما وصفهم جل ثناؤه بذلك، لجفائهم ، وقسوة قلوبهم ، وقلة مشاهدتهم لأهل الخير ، فهم لذلك أقسى قلوباً، وأقلُّ علماً بحقوق الله .

* * *

وقوله : « وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله » ، يقول : وأخلق أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ، [1] وذلك فيما قال قتادة : السُّنن .

١٧٠٩٢ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله » ، قال : هم أقل علماً بالسُّنن .

١٧٠٩٣ — حدثنى المثنى قال ،حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن ابن مغراء ، عن الأعمش ، عن إبراهيم قال : جلس أعرابى إلى زيد بن صَوْحان وهو يحدث أصحابه، وكانت يده قد أصيبت يوم نهاوَنْد، فقال: والله إنّ حديثك ليعجبنى ، وإن يدك لَتُرِيبُنى ! فقال زيد: وما يُرِيبك من يدى؟ إنها الشمال ! فقال الأعرابى: والله ما أدرى، اليمينَ يقطعون أم الشمالَ ؟ فقال زيد بن صوحان: صدق الله : «الأعرابُ أشدُّ كفراً ونفاقاً وأجدر أن لا يعلموا حدودما أنزلَ الله على رسوله » . [2]

* * *

(١) انظر تفسير « حدود الله » فيما سلف ٨ : ٦٨ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) الأثر : ١٧٠٩٣ — « عبد الرحمن بن مغراء الدوسى » ، ثقة ، متكلم فيه . مضى برقم : ١١٨٨١ . وكان فى المطبوعة : « عبد الرحمن بن مقرن » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، فبدل من عند نفسه .

وقوله : « والله عليم حكيم » يقول : « والله عليم » ، بمن يعلم حدودَ ما أنزل على رسوله ، والمنافق من خلقه ، والكافرِ منهم ، لا يخفى عليه منهم أحد=« حكيم » ، فى تدبيره إياهم ، وفى حلمه عن عقابهم ، مع علمه بسرائرهم وخِداعهم أولياءه . (١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٩٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ومن الأعراب من يَعُدُّ نفقته التى ينفقها فى جهادِ مشرك ، أو فى معونة مسلم ، أو فى بعض ما ندب الله إليه عباده = « مغرماً » ، يعنى : غرماً لزمه ، لا يرجو له ثواباً ، ولا يدفع به عن نفسه عقاباً =«ويتربص بكم الدوائر» ، يقول : وينتظرون بكم الدوائر ، (٢) أن تدور بها الأيام والليالى إلى مكروهٍ ومجىء محبوب ، (٣) وغلبة عدوٍّ لكم . (٤) يقول الله تعالى ذكره : « عليهم دائرة السوء » ، يقول : جعل الله دائرة السوء عليهم ، ونزول المكروه بهم ، لا عليكم أيها المؤمنون ، ولا بكم= « والله سميع » ، لدعاء الداعين = « عليم » بتدبيرهم ، وما هو بهم نازلٌ من عقاب الله ، وما لهم إليه صائرون من أليم عقابه . (٥)

* * *

و « زيد بن صوحان العبدى » ، أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ، ثقة قليل الحديث ، مضى برقم : ١٣٤٨٦ .

وهذا الخبر رواه ابن سعد فى الطبقات ٦ : ٨٤ ، ٨٥ من طريق يعلى بن عبيد ، عن الأعمش ، عن إبراهيم .

(١) انظر تفسير « عليم » و « حكيم » ، فيما سلف من فهارس اللغة (علم) ، (حكم) .

(٢) انظر تفسير « التربص » فيما سلف ص : ٢٩١ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المطبوعة « وذنى محبوب » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهى سيئة الكتابة .

(٤) انظر تفسير « الدوائر » فيما سلف ١٠ : ٤٠٤ .

(٥) انظر تفسير « سميع » و « عليم » فيما سلف من فهارس اللغة (سمع) ، (علم) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٠٩٤ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قول الله : « ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرماً ويتربص بكم الدوائر » ، قال : هؤلاء المنافقون من الأعراب، الذين إنما ينفقون رياءً، اتّقاءَ أن يُغْزَوْا أو يُحارَبوا أو يقاتلوا ، ويرون نفقتهم مغرماً . ألا تراه يقول : « ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء » ؟

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأه عامة قرأة أهل المدينة والكوفة : ﴿ عَلَيهِم دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾ بفتح السين ، بمعنى النعت لـ « الدائرة » ، وإن كانت « الدائرة » مضافة إليه ، كقولهم : « هو رجل السَّوْء» و«امرؤ الصدق»، من كأنه إذا فُتح مصدرٌ من قولهم : «سؤته أسوءه سَوْءاً ومَساءَةً ومَسائِيَةً ». (١) ٥/١١

* * *

وقرأ ذلك بعض أهل الحجاز وبعض البصريين : ﴿ عَلَيهِم دَائِرَةُ السُّوءِ ﴾، بضم السين ، كأنه جعله اسماً ، كما يقال : عليه دائرة البلاء والعذاب . ومن قال : «عليهم دائرة السُّوء »فضم، لم يقل : « هذا رجل السُّوء» بالضم، و« الرجل السُّوء » ، (٢) وقال الشاعر : (٣)

وكَنْتُ كَذِئْبِ السَّوْءِ لَمَّا رَأَى دَماً بِصَاحِبِهِ يَوماً أَحَالَ عَلَى الدَّمِ (٤)

* * *

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٤٩ ، ٤٥٠ .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٥٠ .

(٣) هو الفرزدق .

(٤) ديوانه : ٧٤٩ ، وطبقات فحول الشعراء : ٣٠٦ ، والحيوان ٥ : ٣١٩ ، ٦ : ٢٩٨ ، واللسان (حول) ، وغيرها كثير ، من أبيات لها خبر طويل . وقوله : « أحال على الدم » ، أى : أقبل عليه . والذئبان ربما أقبلا على الرجل إقبالا واحداً ، وهما سواء على عدواته والجزم على

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك عندنا بفتح السين ، بمعنى : عليهم الدائرة التى تَسُوءهم سوءاً . كما يقال : «هو رجل صِدْق» ، على وجه النعت.

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٩٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ومن الأعراب من يصدِّق الله ويقرّ بوحدانيته ، وبالبعث بعد الموت ، والثواب والعقاب ، وينوى ما ينفق من نفقة فى جهاد المشركين ، [1] وفى سفره مع رسول الله صلى الله عليه وسلم = « قربات عند الله » ، و« القربات » جمع « قربة » ، وهو ما قرَّبه من رضى الله ومحبته = « وصلوات الرسول » ، يعنى بذلك : ويبتغى بنفقة ما ينفق ، مع طلب قربته من الله ، دعاءَ الرسول واستغفارَه له .

* * *

وقد دللنا ، فيما مضى من كتابنا ، على أن من معانى « الصلاة » ، الدعاء ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . [2]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٠٩٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنا معاوية ، عن على ،

أكله ، فإذا أدمى أحدهما وثب على صاحبه فمزقه وأكله ، وترك الإنسان (من كلام الجاحظ) . وقد كرر الفرزدق هذا المعنى فى قوله :

فَتًى لَيْسَ لِابْنِ العَمِّ كَالذِّئْبِ ، إِنْ رَأَى بِصَاحِبِهِ يَوْماً دَماً فَهْوَ آكِلُهْ

(١) فى المطبوعة : « ينوى بما ينفق» ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب .

(٢) انظر تفسير « الصلاة » فيما سلف من فهارس اللغة (صلا) .

عن ابن عباس قوله: « وصلوات الرسول »، يعني : استغفار النبيّ عليه السلام .

١٧٠٩٦ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول » ، قال : دعاء الرسول : هذه ثَنِيَّةُ الله من الأعراب .(١)

١٧٠٩٧ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر » ، قال : هم بنو مقرِّن ، من مزينة ، وهم الذين قال الله فيهم :﴿ وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً ﴾، [سورة التوبة: ٩٢]. قال: هم بنو مقرّن، من مزينة = قال، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج قوله : « الأعراب أشد كفرًا ونفاقاً » ، ثم استثنى فقال : « ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر » ، الآية .

١٧٠٩٨ – حدثنا أحمد قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا جعفر ، عن البختريّ بن المختار العبدى قال، سمعت عبد الرحمن بن معقل قال : كنا عشرة ولد مقرّن ، فنزلت فينا : « ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر » ، إلى آخر الآية .(٢)

* * *

---

(١) « الثنية » ، ما استثنى من شيء ، وفى حديث كعب الأحبار : « الشهداء ثنية الله فى الأرض » ، يعنى هم من الذين استثناهم الله من الصعقة الأولى ، تأول ذلك فى قوله تعالى : « ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله » ، فجعل منهم الشهداء ، لأنهم أحياء عند ربهم يرزقون .

(٢) الأثر : ١٧٠٩٨ – « البختري بن المختار العبدى » ، ثقة . مترجم فى الكبير ١٣٦/٢/١ وابن أبى حاتم ٤٢٧/١/١ .

و « عبد الرحمن بن معقل المزنى » ، تابعى ثقة ، وعده بعضهم فى الصحابة لهذا الحديث . فقال الحافظ بن حجر : « إنما عنى بقوله : كنا = أباه وأعمامه ، وأما هو فيصغر عن ذلك . ومن أعمامه عبد الرحمن بن مقرن ، ذكره ابن سعد فى الصحابة » . وهو مترجم فى التهذيب ، وابن سعد ٦ : ١٢٢ ، وابن أبى حاتم ٢٨٤/٢/٢ .

قال أبو جعفر : قال الله : « ألا إنها قُرْبة لهم » ، يقول تعالى ذكره : ألا إنّ صلوات الرسول قربة لهم من الله .

وقد يحتمل أن يكون معناه : ألا إنّ نفقته التى ينفقها كذلك ، قربةٌ لهم عند الله = « سيدخلهم الله فى رحمته » ، يقول : سيدخلهم الله فيمن رحمه فأدخله برحمته الجنة = « إن الله غفورٌ » ، لما اجترموا = « رحيم » ، بهم مع توبتهم وإصلاحهم أن يعذبهم .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (١٠٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : والذين سبقوا الناس أولاً إلى الإيمان بالله ورسوله = « من المهاجرين » ، الذين هاجروا قومهم وعشيرتهم ، وفارقوا منازلهم وأوطانهم[2] = « والأنصار » ، الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه من أهل الكفر بالله ورسوله[3] = « والذين اتبعوهم بإحسان » ، يقول : والذين سلكوا سبيلهم فى الإيمان بالله ورسوله ، والهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام ، طلبَ رضى الله[4] = « رضى الله عنهم ورضوا عنه » .

٦/١١

وكان فى المطبوعة : « عبد الله بن مغفل » ، غير ما فى المخطوطة ، وبدل ، وصحف ، وأساء إساءة لا يعذر فيها .

(١) انظر تفسير « غفور » و « رحيم » فيما سلف من فهارس اللغة (غفر) ، (رحم) .

(٢) انظر تفسير « الهجرة » فيما سلف ص : ١٧٣ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الأنصار » فيما سلف ١٠ : ٤٨١ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « الإحسان » فيما سلف من فهارس اللغة (حسن) .

واختلف أهل التأويل فى المعنىّ بقوله : « والسابقون الأوّلون » .

فقال بعضهم : هم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان ، أو أدْركوا .

* ذكر من قال ذلك .

١٧٠٩٩ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا محمد بن بشر ، عن إسمعيل ، عن عامر : « والسابقون الأوّلون » ، قال : من أدرك بيعة الرضوان .

١٧١٠٠ — . . . . قال ، حدثنا ابن فضيل، عن مطرف ، عن عامر قال : المهاجرون الأوّلون ، من أدرك البيعة تحت الشجرة .

١٧١٠١ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا يحيى قال ، حدثنا إسمعيل بن أبى خالد ، عن الشعبى قال : المهاجرون الأولون ، الذين شهدوا بيعة الرضوان .

١٧١٠٢ — حدثنى الحارث قال : حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان عن مطرف ، عن الشعبى قال : «المهاجرون الأولون »، من كان قبل البيعة إلى البيعة، فهم المهاجرون الأوّلون، ومن كان بعد البيعة، فليس من المهاجرين الأولين .

١٧١٠٣ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا إسمعيل ومطرف ، عن الشعبى قال : « السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار » ، هم الذين بايعوا بيعة الرضوان .

١٧١٠٤ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، حدثنا هشيم ، عن داود ، عن عامر قال : فَصْل ما بين الهجرتين بيعة الرضوان، وهى بيعة الحديبية .

١٧١٠٥ — حدثنى المثنى قال: أخبرنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم قال ، أخبرنا إسمعيل بن أبى خالد ومطرف ، عن الشعبى قال : هم الذين بايعوا بيعة الرضوان .

١٧١٠٦ — حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا عبثر

أبو زبيد، عن مطرف، عن الشعبي قال : المهاجرون الأولون، من أدرك بيعة الرضوان .[١]

* * *

وقال آخرون : بل هم الذين صلوا القبلتين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* ذكر من قال ذلك :

١٧١٠٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن آدم ، عن قيس ، عن عثمان الثقفي ، عن مولى لأبي موسى ، عن أبي موسى قال : المهاجرون الأولون ، من صلى القبلتين مع النبيّ صلى الله عليه وسلم .

١٧١٠٨ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا قيس ابن الربيع ، عن عثمان بن المغيرة ، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير ، عن مولى لأبي موسى قال : سألت أبا موسى الأشعري عن قوله : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار »، قال : هم الذين صلوا القبلتين جميعاً .

١٧١٠٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن أبي هلال ، عن قتادة قال : قلت لسعيد بن المسيب : لم سُمُّوا « المهاجرين الأولين» ؟ قال : من صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم القبلتين جميعاً ، فهو من المهاجرين الأولين .

١٧١١٠ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن ابن أبي عروبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب قال : المهاجرون الأولون ، الذين صلوا القبلتين .

١٧١١١ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب قوله : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار »، قال : هم الذين صلوا القبلتين جميعاً .

١٧١١٢ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا عباس بن الوليد قال ، حدثنا

---

(١) الأثر : ١٧١٠٦ – « عبثر ، أبو زبيد » ، هو « عبثر بن القاسم الزبيدي ، أبو زبيد » ، مضى برقم : ١٢٤٠٢ ، وغيرها .

يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، مثله .

١٧١١٣ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال : أخبرنا هشيم ، عن بعض أصحابه ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب = وعن أشعث ، عن ابن سيرين = في قوله : « والسابقون الأولون » ، قال : هم الذين صلوا القبلتين .

١٧١١٤ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا معاذ بن معاذ قال ، حدثنا ابن عون ، عن محمد ، قال : المهاجرون الأولون ، الذين صلوا القبلتين .

١٧١١٥ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار » ، قال : ٧/١١
هم الذين صلوا القبلتين جميعاً .

* * *

وأما الذين اتبعوا المهاجرين الأولين والأنصار بإحسان ، فهم الذين أسلموا لله إسلامَهم ، وسلكوا منهاجهم في الهجرة والنصرة وأعمال الخير ، كما : –

١٧١١٦ – حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب قال : مرّ عمر برجل وهو يقرأ هذه الآية : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان » ، قال : من أقرأك هذه الآية ؟[1] قال : أقرأنيها أبيّ بن كعب . قال : لا تفارقْني حتى أذهب بك إليه ! فأتاه فقال : أنت أقرأت هذا هذه الآية ؟ قال : نعم ! قال : وسمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟! قال : [نعم!] .[2] قال : لقد كنتُ أرانا رُفِعنا رَفْعَةً لا يبلُغها أحدٌ بعدنا! فقال أبيّ : تصديق ذلك في أول الآية التي في أول الجمعة ،[3]

---

(١) استفهام عمر ، كما سيظهر في رقم : ١٧١١٨ ، عن قراءة الآية بخفض « الأنصار » وبالواو في « والذين» ، وقراءته هو ، رفع « الأنصار » وبغير واو في قوله « الذين اتبعوهم » .

(٢) الزيادة بين القوسين لا بد منها ، وليست في المخطوطة ولا المطبوعة ، ونقلتها من تفسير ابن كثير ٤ : ٢٢٩ .

(٣) في المطبوعة والمخطوطة : « قال : وتصديق ذلك في أول الآية » ، وهو غير مستقيم صوابه من تفسير ابن كثير ٤ : ٢٢٩ ، وانظر الأثر التالي .

وأوسط الحشر ، وآخر الأنفال. أما أول الجمعة : ﴿ وَآخَرِينَ مِنْهُم لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِم ﴾، [سورة الجمعة : ٣] ، وأوسط الحشر : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِم يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ ﴾، [سورة الحشر : ١٠] ، وأما آخر الأنفال : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ ﴾ ، [سورة الأنفال : ٧٥] .

١٧١١٧ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا الحسن بن عطية قال ، حدثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظى قال : مرّ عمر بن الخطاب برجل يقرأ « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار » حتى بلغ : « ورضوا عنه » ، قال : وأخذ عمر بيده فقال : من أقرأك هذا ؟ قال : أبى بن كعب ! فقال : لا تفارقنى حتى أذهب بك إليه ! فلما جاءه قال عمر : أنت أقرأت هذا هذه الآية هكذا ؟ قال : نعم ! قال : أنت سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال : نعم! قال : لقد كنت أظن أنّا رُفِعنا رَفْعة لا يبلغها أحدٌ بعدنا! فقال أبىّ : بلى، تصديق هذه الآية فى أول سورة الجمعة : ﴿ وَآخَرِينَ مِنْهُم لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِم ﴾ إلى ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾، وفى سورة الحشر: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِم يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ ﴾ ، وفى الأنفال : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ ﴾ ، إلى آخر الآية .

* * *

وروى عن عمر فى ذلك ما :–

١٧١١٨ – حدثنى به أحمد بن يوسف قال، حدثنا القاسم قال ، حدثنا حجاج ، عن هرون ، عن حبيب بن الشهيد، وعن ابن عامر الأنصارى : أن عمر ابن الخطاب قرأ: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارُ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ ﴾، فرفع « الأنصار » ولم يلحق الواو فى « الذين »، فقال له زيد بن ثابت والذين اتبعوهم بإحسان » ، فقال عمر : « الذين اتبعوهم بإحسان » ، فقال زيد :

أمير المؤمنين أعلم ! فقال عمر : ائتونى بأبىّ بن كعب . فأتاه ، فسأله عن ذلك ، فقال أبى : « والذين اتبعوهم بإحسان » ، فقال عمر : إذاً نتابع أبيّاً .

* * *

قال أبو جعفر : والقراءة على خفض «الأنصار»، عطفاً بهم على «المهاجرين».

* * *

وقد ذكر عن الحسن البصرى أنه كان يقرأ: ﴿ الأَنْصَارُ ﴾، بالرفع ، عطفاً بهم على « السابقين » .

* * *

قال أبو جعفر : والقراءة التى لا أستجيز غيرها ، الخفضُ فى ﴿ الأَنْصَارِ ﴾ ، لإجماع الحجة من القرأة عليه ، وأن السابق كان من الفريقين جميعاً ، من المهاجرين والأنصار ، وإنما قصد الخبر عن السابق من الفريقين ، دون الخبر عن الجميع = وإلحاق « الواو » فى « الذين اتبعوهم بإحسان »، [1] لأن ذلك كذلك فى مصاحف المسلمين جميعاً ، على أن « التابعين بإحسان » ، غير « المهاجرين والأنصار» ، وأما « السابقون» ، فإنهم مرفوعون بالعائد من ذكرهم فى قوله: «رضى الله عنهم ورضوا عنه » .

* * *

ومعنى الكلام : رضى الله عن جميعهم لما أطاعوه ، وأجابوا نبيّه إلى ما دعاهم إليه من أمره ونهيه = ورضى عنه السابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان ، لما أجزل لهم من الثواب على طاعتهم إياه ، وإيمانهم به وبنبيه عليه السلام = « وأعد لهم جناتٍ تجرى تحتها الأنهار » ، يدخلونها = « خالدين فيها» ، لابثين فيها [2] = « أبداً » ، لا يموتون فيها ولا يخرجون منها [3] = « ذلك الفوز العظيم ». [4] ٨/١١

* * *

(١) قوله : « وإلحاق الواو » معطوف على قوله : « والقراءة التى لا أستجيز غيرها ، الخفض . . . » .

(٢) انظر تفسير « الخلد » فيما سلف من فهارس اللغة (خلد) .

(٣) انظر تفسير « أبداً » فيما سلف ص : ١٧٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « الفوز » فيما سلف ص : ٤١٥ ، تعليق : ٨ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ (١٠١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ومن القوم الذين حول مدينتكم من الأعراب منافقون ، ومن أهل مدينتكم أيضاً أمثالهم أقوامٌ منافقون .

* * *

وقوله : « مردوا على النفاق » ، يقول : مرَنُوا عليه ودَرِبوا به .

* * *

ومنه : «شيطانٌ مارد ، ومَرِيد »، وهو الخبيث العاتى. ومنه قيل: «تمرَّد فلان على ربه » ، أى : عتَا ، ومرنَ على معصيته واعتادها .(١)

* * *

وقال ابن زيد فى ذلك ما : —

١٧١١٩ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ومن أهل المدينة مردوا على النفاق »، قال : أقاموا عليه، لم يتوبوا كما تابَ الآخرون .

١٧١٢٠ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة،عن ابن اسحق : « ومن أهل المدينة مردوا على النفاق » ، أى : لجُّوا فيه ، وأبوْا غيرَه .(٢)

* * *

= « لا تعلمهم » ، يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لا تعلم،يا محمد ، أنت هؤلاء المنافقين الذين وصفتُ لك صفتهم ممن حولكم من الأعراب ومن أهل

---

(١) انظر تفسير «مريد» فيما سلف ٩ : ٢١١ ، ٢١٢ . وفى المطبوعة : «أى : عتا ومرد على معصيته . . .» ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٧١٢٠ — سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٨ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٧٠٨٩ .

المدينة ، ولكنا نحن نعلمهم ، كما : —

١٧١٢١ — حدثنا الحسن قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « وممن حولكم من الأعراب منافقون » إلى قوله : « نحن نعلمهم » ، قال : فما بال أقوام يتكلّفون علم الناس؟ فلانٌ فى الجنة وفلان فى النار ! فإذا سألت أحدهم عن نفسه قال : لا أدرى ! لعمرى أنتَ بنفسك أعلم منك بأعمال الناس ، ولقد تكلفت شيئاً ما تكلفته الأنبياء قبلك! قال نبى الله نوح عليه السلام : ﴿ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ، [سورة الشعراء : ١١٢] ، وقال نبى الله شعيب عليه السلام : ﴿ بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ [سورة هود : ٨٦] ، وقال الله لنبيه عليه السلام : « لا تعلمهم نحن نعلمهم » .

* * *

وقوله : « سنعذبهم مرتين » ، يقول : سنعذب هؤلاء المنافقين مرتين ، إحداهما فى الدنيا ، والأخرى فى القبر .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى التى فى الدنيا ، ما هى ؟

فقال بعضهم : هى فضيحتهم ، فضحهم الله بكشف أمورهم ، وتبيين سرائرهم للناس على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم .

* ذكر من قال ذلك :

١٧١٢٢ — حدثنا الحسين بن عمرو والعنقزى قال ، حدثنا أبى قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى ، عن أبى مالك ، عن ابن عباس فى قول الله : « وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق » إلى قوله : « عذاب عظيم » ، قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً يوم الجمعة فقال : اخرج يا فلان ، فإنك منافق ، اخرج ، يا فلان ، فإنك منافق . فأخرج من المسجد ناساً منهم ، فضحهم . فلقيهم عمر وهم يخرجون من المسجد ، فاختبأ منهم حياءً

أنه لم يشهد الجمعة ، وظن أنّ الناس قد انصرفوا . واختبأوا هم من عمر ، ظنّوا أنه قد علم بأمرهم . فجاء عمر فدخل المسجد ، فإذا الناس لم يصلُّوا ، فقال له رجل من المسلمين : أبشر ، يا عمر ، فقد فضح الله المنافقين اليوم ! فهذا العذاب الأول ، حين أخرجهم من المسجد . والعذاب الثانى ، عذابُ القبر .(١)

١٧١٢٣ – حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان ، عن السدى ، عن أبى مالك : « سنعذبهم مرتين » ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فيذكر المنافقين ، فيعذبهم بلسانه . قال : وعذاب القبر .

* * *

[وقال آخرون: ما يصبهم من السبي والقتل والجوع والخوف فى الدنيا].(٢)

* ذكر من قال ذلك :

١٧١٢٤ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « سنعذبهم مرتين » ، قال : القتل والسِّبَاء .

١٧١٢٥ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « سنعذبهم مرتين » ، بالجوع ، وعذاب القبر . ٩/١١
قال : « ثم يردون إلى هذا عذاب عظيم » ، يوم القيامة .

١٧١٢٦ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا جعفر بن عون ، والقاسم ، ويحيى بن آدم ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « سنعذبهم مرتين » ، قال : الجوع والقتل = وقال يحيى : الخوف والقتل .(٣)

١٧١٢٧ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : بالجوع والقتل .

---

(١) الأثر : ١٧١٢٢ – رواه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧ : ٣٣ ، وقال : « رواه الطبرانى فى الأوسط ، وفيه الحسين بن عمرو بن محمد العنقزى ، وهو ضعيف » .

(٢) هذه الترجمة التى بين القوسين ، ليست فى المخطوطة ولا المطبوعة ، استظهرتها من سياق الأخبار التالية .

(٣) فى المطبوعة : « بالجوع . . . بالخوف » ، بالباء فى أوله ، وأثبت ما فى المخطوطة .

١٧١٢٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن يمان، عن سفيان ، عن السدى ، عن أبى مالك : « سنعذبهم مرتين » ، قال : بالجوع وعذاب القبر .

١٧١٢٩ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « سنعذبهم مرتين » ، قال : الجوع والقتل .[1]

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : سنعذبهم عذاباً فى الدنيا ، وعذاباً فى الآخرة .

* ذكر من قال ذلك :

١٧١٣٠ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « سنعذبهم مرتين » ، عذاب الدنيا ، وعذاب القبر ، ثم يردون إلى عذاب عظيم . ذكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم أسرّ إلى حذيفة باثنى عشر رجلاً من المنافقين ، فقال : « ستة منهم تكفيكهم الدُّبيلة ،[2] سراج من نار جهنم ، يأخذ فى كتف أحدهم حتى تُفضى إلى صدره، وستة يموتون موتاً». ذكر لنا أن عمر بن الخطاب رحمه الله ، كان إذا مات رجل يرى أنه منهم ، نظر إلى حذيفة ، فإن صلى عليه صلى عليه، وإلا تركه. وذكر لنا أن عمر قال لحذيفة : أنشُدُك الله، أمنهم أنا ؟ قال : لا والله ، ولا أومِن منها أحداً بعدَك !

١٧١٣١ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن : « سنعذبهم مرتين » ، قال : عذاب الدنيا ، وعذاب القبر .

١٧١٣٢ – حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن العلاء قالا، حدثنا بدل بن المحبر قال ، حدثنا شعبة ، عن قتادة : « سنعذبهم مرتين » ، قال : عذاباً فى الدنيا ، وعذاباً فى القبر .

---

(١) فى المطبوعة : « بالجوع » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) « الدبيلة » فى اللغة ، خراج ودمل كبير ، تظهر فى الجوف ، فتقتل صاحبها غالباً ، وهى تصغير « دبلة » (بضم الدال وسكون الباء) ، بمثل معناها .

١٧١٣٣ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : عذاب الدنيا ، وعذاب القبر ، = ثم يردّون إلى عذاب النار .

* * *

وقال آخرون : كان عذابهم إحدى المرتين ، مصائبَهم في أموالهم وأولادهم ، والمرة الأخرى في جهنم .

* ذكر من قال ذلك :

١٧١٣٤ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « سنعذبهم مرتين »، قال : أما عذابٌ في الدنيا ، فالأموال والأولاد . وقرأ قول الله : ﴿ فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهم وَلاَ أَوْلاَدُهُم إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾،[سورة التوبة : ٥٥]، بالمصائب فيهم، هي لهم عذاب، وهي للمؤمنين أجر . قال : وعذاب في الآخرة ، في النار =« ثم يردون إلى عذاب عظيم »، قال : النار .

* * *

وقال آخرون : بل إحدى المرتين ، الحدود ، والأخرى عذابُ القبر .

ذكر ذلك عن ابن عباس من وجه غير مرتضًى .(١)

* * *

وقال آخرون : بل إحدى المرتين ، أخذ الزكاة من أموالهم ، والأخرى عذابُ القبر .

ذكر ذلك عن سليمان بن أرقم ، عن الحسن .

* * *

وقال آخرون : بل إحدى المرتين، عذابهُم بما يدخل عليهم من الغَيْظِ في أمر الإسلام .

* ذكر من قال ذلك :

١٧١٣٥ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « سنعذبهم مرتين »، قال : العذاب الذي وعدَهم مرتين ، فيما بلغني ، غَمُّهم بما هم

---

(١) في المطبوعة : « غير مرضى » ، وأثبت ما في المخطوطة

فيه من أمر الإسلام، [١] وما يدخل عليهم من غيظ ذلك على غير حِسْبة ، ثم عذابهم فى القبر إذا صاروا إليه ، ثم العذاب العظيم الذين يردُّون إليه ، عذابُ الآخرة ، [٢] والخُلْد فيه . [٣]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب عندى أن يقال : إن الله أخبر أنه يعذِّب هؤلاء الذين مرَدوا على النفاق مرتين ، ولم يضع لنا دليلاً يوصِّل به إلى علم صفة ذينك العذابين [٤] = وجائز أن يكون بعض ما ذكرنا عن القائلين ما أنبئنا عنهم. وليس عندنا علم بأىٍّ ذلك من أىٍّ . [٥] غير أن فى قوله جل ثناؤه «ثم يردّون إلى عذاب عظيم»، دلالة على أن العذاب فى المرّتين كلتيهما قبل دخولهم ١٠/١١ النار . والأغلب من إحدى المرتين أنها فى القبر .

* * *

وقوله : « ثم يردون إلى عذاب عظيم »، يقول : ثم يردُّ هؤلاء المنافقون، بعد تعذيب الله إياهم مرتين ، إلى عذاب عظيم ، وذلك عذاب جهنم .

* * *

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « فيما بلغنى عنهم ما هم فيه أمر الإسلام » ، والصواب من سيرة ابن هشام .

(٢) فى المطبوعة : « ويخلدون فيه » ، وفى المخطوطة : « ويخلد فيه » ، وصواب قراءتها من سيرة ابن هشام .

(٣) الأثر : ١٧١٣٥ – سيرة ابن هشام ٤ : ١٩٨ ، وهو تابع الأثر السالف رقم : ١٧١٢٠ .

(٤) فى المطبوعة : « نتوصل به » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٥) فى المطبوعة : « بأى ذلك من بأى ، على أن فى قوله . . . » ، فحرف وبدل وأفسد الكلام إفساداً .

وانظر القول فى « أى ذلك كان من أى » فيما سلف ص : ٣٦٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك ، فقد مضت أخواتها كثيراً ، وحرفها النساخ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٠٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ومن أهل المدينة منافقون مردوا على النفاق، ومنهم « آخرون اعترفوا بذنوبهم» ، يقول : أقرُّوا بذنوبهم = «خلطوا عملا صالحاً » ، يعنى جل ثناؤه بالعمل الصالح الذى خلطوه بالعمل السيئ : اعترافهم بذنوبهم، وتوبتهم منها ، والآخر السيئ : هو تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين خرج غازياً ، وتركهم الجهادَ مع المسلمين .

* * *

فإن قال قائل : وكيف قيل : « خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً » ، وإنما الكلام : خلطوا عملاً صالحاً بآخر سيئ ؟

قيل : قد اختلف أهل العربية فى ذلك .

فكان بعض نحويى البصرة يقول : قيل ذلك كذلك ، وجائزٌ فى العربية أن يكون « بآخر » ، [1] كما تقول « استوى الماء والخشبة » ، أى : بالخشبة ، « وخلطت الماء واللبن » .

وأنكر [آخر] أن يكون نظير قولهم [2] : « استوى الماء والخشبة » ، واعتلَّ فى ذلك بأن الفعل فى « الخلط » عامل فى الأول والثانى ، وجائز تقديم كل واحد منهما على صاحبه ، وأن تقديم « الخشبة » على « الماء » غير جائز فى قولهم : « استوى الماء والخشبة » ، وكان ذلك عنده دليلاً على مخالفة ذلك « الخلطَ » . [3]

* * *

(١) لا شك أن الناسخ أسقط شيئاً من كلام أبى جعفر ، وهو ظاهر لمن تأمل. وانظر التعليق التالى .

(٢) الذى بين القوسين فى المطبوعة وحدها ، ولكنه كان فيها « آخرون » . أما المخطوطة ففيها : « وأنكر أن يكون نظير قولهم . . . » ، وهذا أيضاً دال على إسقاط الناسخ بعض الكلام . وانظر التعليق التالى .

(٣) فى المطبوعة : « دليلا عندهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، ولكن الناشر الأول غيره

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى : أنه بمعنى قولهم : « خلطت الماء واللبن » ، بمعنى : خلطته باللبن .

* * *

= « عسى الله أن يتوب عليهم » ، يقول : لعلّ الله أن يتوب عليهم = « وعسى » من الله واجب ، [1] وإنما معناه : سيتوب الله عليهم ، ولكنه فى كلام العرب على ما وصفت = « إن الله غفور رحيم » ، يقول : إن الله ذو صفح وعفو لمن تاب عن ذنوبه ، وساترٌ له عليها = « رحيم » ، به أن يعذبه بها . [2]

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بهذه الآية ، والسبب الذى من أجله أنزلت فيه .

فقال بعضهم : نزلت فى عشرة أنفس كانوا تخلّفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، منهم أبو لبابة ، فربط سبعةٌ منهم أنفسهم إلى السّوارى عند مَقْدم النبى صلى الله عليه وسلم ، توبةً منهم من ذنبهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٧١٣٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً » ، قال : كانوا عشرة رَهْطٍ ، تخلّفوا عن النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، فلما حضرَ رُجوع النبى صلى الله عليه وسلم ، أوثق سبعةٌ منهم أنفسهم بسوارى المسجد ، فكان ممرّ النبى صلى الله عليه وسلم إذا رجع فى المسجد عليهم . [3]

لما وضع « آخرون » من عند نفسه . انظر التعليق السالف .

هذا ، وقد تركت الكلام على حاله ، لأنى لا أشك أن الناسخ تخطأ بعض كلام أبى جعفر .

(١) انظر تفسير « عسى » فيما سلف : ص ١٦٧ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « غفور » و « رحيم » فيما سلف من فهارس اللغة (غفر) ، (رحم) .

(٣) فى المطبوعة : « وكان » ، وأثبت ما فى المخطوطة بالفاء .

فلما رآهم قال : من هؤلاء الموثِقُون أنفسهم بالسوارى ؟ قالوا : هذا أبو لبابة وأصحابٌ له تخلفوا عنك ، يا رسول الله ، [وحلفوا لا يطلقهم أحد] ، حتى تطلقهم . وتعذرهم . (١) فقال النبي عليه السلام : وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم ، حتى يكون الله هو الذى يطلقهم ، رغبوا عنى وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين ! فلما بلغهم ذلك قالوا : ونحن والله لا نطلق أنفسنا حتى يكون الله الذى يطلقنا ! (٢) فأنزل الله تبارك وتعالى : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم » = و « عسى » من الله واجب . فلما نزلت ، أرسل إليهم النبي صلى الله عليه وسلم فأطلقهم وعَذَرَهُم .

* * *

وقال آخرون : بل كانوا ستة ، أحدهم أبو لبابة .

* ذكر من قال ذلك :

١٧١٣٧ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئًا عسى الله » إلى قوله : « إن الله غفور رحيم » ، وذلك ١١/١١
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا غزوة تبوك ، فتخلف أبو لبابة وخمسة معه عن النبي صلى الله عليه وسلم . ثم إن أبا لبابة ورجلين معه تفكّروا وندموا ، وأيقنوا بالهلكة ، وقالوا : « نكون فى الكِنّ والطمأنينة مع النساء ، ورسول الله والمؤمنون معه فى الجهاد ! والله لنوثقنّ أنفسنا بالسّوارى ، فلا نطلقها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يطلقنا ويعذرُنا » ، فانطلق أبو لبابة وأوثق نفسه ورجلان معه بسوارى المسجد ، وبقى ثلاثةُ نفرٍ لم يوثقوا أنفسهم . فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « تخلفوا عنك يا رسول الله حتى تطلقهم وتعذرهم » ، سقط بعض الكلام وتمامه فى الدر المنثور : « وحلفوا أنهم لا يطلقهم أحد حتى تطلقهم وتعذرهم » ، وآثرت ما وضعته بين القوسين .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « ونحن بالله » ، وآثرت ما كتبت .

من غزوته ، وكان طريقه فى المسجد ، فمرّ عليهم فقال : من هؤلاء الموثقو أنفسهم بالسوارى ؟ فقالوا : هذا أبو لبابة وأصحاب له ، تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذى تطلقهم وترضى عنهم ، وقد اعترفوا بذنوبهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله لا أطلقهم حتى أومر بإطلاقهم ، ولا أعذرهم حتى يكون الله هو يعذرهم ، وقد تخلفوا عنى ، ورغبوا بأنفسهم عن غزو المسلمين وجهادهم ! فأنزل الله برحمته : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم » = و« عسى » من الله واجب= فلما نزلت الآية أطلقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعذَرهم ، وتجاوز عنهم .

* * *

وقال آخرون : الذين ربطوا أنفسهم بالسوارى كانوا ثمانية .

* ذكر من قال ذلك :

١٧١٣٨ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يعقوب ، عن زيد بن أسلم : «وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم » ، قال : هم الثمانية الذين ربطوا أنفسهم بالسوارى ، منهم كرْدَم ، ومرداس ، وأبو لبابة .

١٧١٣٩ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد قال : الذين ربطوا أنفسهم بالسوارى : هلال ، وأبو لبابة ، وكردم ، ومرداس ، وأبو قيس .(١)

* * *

وقال آخرون : كانوا سبعة .

ذكر من قال ذلك :

١٧١٤٠ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة

(١) هؤلاء خمسة ، لم يذكر تمام الثمانية ، كما تدل عليه ترجمة الكلام .

قوله : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم » ، ذكر لنا أنهم كانوا سبعة رَهْطٍ تخلفوا عن غزوة تبوك ، فأما أربعة فخلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً : جدُّ بن قيس ، وأبو لبابة ، وحرام ، وأوس ، وكلهم من الأنصار ، وهم الذين قيل فيهم : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ ﴾ ، الآية .

١٧١٤١ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، ، عن معمر ، عن قتادة : « خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً » ، قال : هم نفر ممن تخلف عن تبوك ، منهم أبو لبابة ، ومنهم جد بن قيس ، تِيبَ عليهم = قال قتادة : وليسوا بثلاثة .

١٧١٤٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم » ، قال : هم سبعة ، منهم أبو لبابة ، كانوا تخلفوا عن غزوة تبوك ، وليسوا بالثلاثة .

١٧١٤٣ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً » ، نزلت فى أبى لبابة وأصحابه ، تخلفوا عن نبى الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، فلما قَفَل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته ، وكان قريباً من المدينة ، ندموا على تخلفهم عن رسول الله وقالوا : «نكون فى الظلال والأطعمة والنساء ، ونبى الله فى الجهاد واللأواء! والله لنوثقن أنفسنا بالسوارى ، ثم لا نطلقها حتى يكون نبى الله صلى الله عليه وسلم يطلقنا ويعذرنا! » ، وأوثقوا أنفسهم ، وبقى ثلاثة ، لم يوثقوا أنفسهم بالسوارى .[1] فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته ، فمرّ فى المسجد ، وكان طريقه ، فأبصرهم ، فسأل عنهم ، فقيل له : أبو لبابة وأصحابه ، تخلفوا عنك ، يانبى الله ، فصنعوا بأنفسهم ١٢/١١

(١) « بالسوارى » زيادة من المخطوطة ، ليست فى المطبوعة

ما ترى ، وعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذى تطلقهم ! فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : لا أطلقهم حتى أومر بإطلاقهم ، ولا أعذرهم حتى يعذرهم الله ، قد رغبوا بأنفسهم عن غزوة المسلمين ! فأنزل الله : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم» ، إلى «عسى الله أن يتوب عليهم » = و « عسى » من الله واجب = فأطلقهم نبيُّ الله وعذرهم .

* * *

وقال آخرون : بل عنى بهذه الآية أبو لبابة خاصة ، وذنبه الذى اعترف به فتيب عليه فيه ، [1] ما كان من أمره فى بنى قريظة .

* ذكر من قال ذلك :

١٧١٤٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم »، قال : نزلت فى أبي لبابة، قال لبنى قريظة ما قال .

١٧١٤٥ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم » ، قال : أبو لبابة ، إذ قال لقريظة ما قال ، أشار إلى حلقه : أن محمداً ذابحكم إن نزلتم على حُكْم الله .

١٧١٤٦ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ،حدثنا شبل ،عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم » ، فذكر نحوه = إلا أنه قال : إن نزلتم على حكمه .

١٧١٤٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد : ربط أبو لبابة نفسه إلى سارية، فقال : لا أحلُّ نفسى حتى يحلنى الله ورسوله ! قال : فحلَّه النبي صلى الله عليه وسلم : وفيه أنزلت هذه الآية : « وآخرون اعترفوا

---

(١) فى المطبوعة : « فتيب عليه منه » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهى صواب محض .

بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً » ، الآية .

١٧١٤٨ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا المحاربي ، عن ليث ، عن مجاهد : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم » ، قال : نزلت في أبي لبابة .

* * *

وقال آخرون : بل نزلت في أبي لبابة ، بسبب تخلفه عن تبوك .

* ذكر من قال ذلك :

١٧١٤٩ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال الزهري : كان أبو لبابة ممن تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، فربط نفسه بسارية، فقال : والله لا أحلّ نفسي منها، ولا أذوق طعاماً ولا شراباً ، حتى أموت أو يتوب الله عليّ! فمكث سبعة أيام لا يذوق طعاماً ولا شراباً حتى خرّ مغشيًّا عليه ، قال : ثم تاب الله عليه ، ثم قيل له : قد تيب عليك يا أبا لبابة ! فقال : والله لا أحلّ نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يحلني ! قال : فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فحله بيده ، ثم قال أبو لبابة : يا رسول الله ، إنّ من توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب ، وأن أنخلع من مالي كله صدقة إلى الله وإلى رسوله ! قال : يجزيك يا أبا لبابة الثلث .

* * *

وقال بعضهم : عنى بهذه الآية الأعراب .

* ذكر من قال ذلك :

١٧١٥٠ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً » ، قال فقال : إنهم من الأعراب .

١٧١٥١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يزيد بن هرون ، عن حجاج ابن أبي زينب قال : سمعت أبا عثمان يقول : ما في القرآن آية أرجى عندي لهذه

الأمة من قوله : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم » إلى : « والله غفور رحيم » .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب فى ذلك ، قولُ من قال : نزلت هذه الآية فى المعترفين بخطأ فعلهم فى تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتركهم الجهادَ معه ، والخروجَ لغزو الروم ، حين شخص إلى تبوك = وأن الذين نزل ذلك فيهم جماعة ، أحدهم أبو لبابة .

وإنما قلنا : ذلك أولى بالصواب فى ذلك ، لأن الله جل ثناؤه قال : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم » ، فأخبر عن اعتراف جماعة بذنوبهم ، ولم يكن المعترفُ ١٣/١١ بذنبه ، الموثقُ نفسه بالسارية فى حصار قريظة ، غير أبى لبابة وحده . فإذ كان ذلك [كذلك] ،(٢) وكان الله تبارك وتعالى قد وصف فى قوله : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم » بالاعتراف بذنوبهم جماعةً ، عُلِم أن الجماعة الذين وصفهم بذلك ليست الواحد ،(٣) فقد تبين بذلك أن هذه الصفة إذ لم تكن إلا لجماعة ، وكان لا جماعةَ فعلت ذلك ، فيما نقله أهل السير والأخبار وأجمع عليه أهل التأويل ، إلا جماعة من المتخلفين عن غزوة تبوك ، صحَّ ما قلنا فى ذلك . وقلنا : « كان منهم أبو لبابة » ، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك

* * *

---

(١) الأثر : ١٧١٥١ - « حجاج بن أبى زينب السلمى » ، « أبو يوسف الواسطى » ، « الصيقل » ، ضعيف ، ليس بقوى ولا حافظ . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/٢/٣٧٣ ، وابن أبى حاتم ١/٢/١٦١ ، وميزان الاعتدال ١ : ٢١٥ . وكان فى المطبوعة : « بن أبى ذئب » ، وهو خطأ ، والمخطوطة برسم المطبوعة غير منقوطة .

و « أبو عثمان » ، هو النهدى ، « عبد الرحمن بن مل » ، ثقة ، أسلم على عهد رسول الله ولم يلقه . مضى مراراً ، منها رقم : ١٣٠٩٧ - ١٣١٠٠ .

وهذا الخبر خرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٢٧٣ ، وزاد نسبته إلى ابن أبى شيبة ، وابن أبى الدنيا فى التوبة ، وابن المنذر ، وأبى الشيخ ، والبيهقى فى شعب الإيمان .

(٢) ما بين القوسين زيادة يقتضيها السياق .

(٣) فى المطبوعة : « أن الجماعة الذين وصفهم بذلك السبب غير الواحد » ، أساء قراءة المخطوطة ، فحرف وزاد من عنده ، ما أفسد الكلام وأهلكه .

القول فى تأويل قوله ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١٠٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد، خذ من أموال هؤلاء الذين اعترفوا بذنوبهم فتابوا منها = « صدقة تطهرهم » ، من دنس ذنوبهم[1] = «وتزكيهم بها »، يقول : وتنمّيهم وترفعهم عن خسيس منازل أهل النفاق بها، إلى منازل أهل الإخلاص[2] = « وصل عليهم » ، يقول : وادع لهم بالمغفرة لذنوبهم، واستغفر لهم منها = « إن صلاتك سكن لهم » ، يقول : إن دعاءك واستغفارك طمأنينة لهم، بأن الله قد عفا عنهم وقبل توبتهم[3] = « والله سميع عليم »، يقول : والله سميع لدعائك إذا دعوت لهم، ولغير ذلك من كلام خلقه = « عليم » ، بما تطلب لهم بدعائك ربّك لهم . وبغير ذلك من أمور عباده .[4]

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧١٥٢ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قال : جاءوا بأموالهم = يعنى أبا لبابة وأصحابه = حين أطلقوا، فقالوا : يا رسول الله ، هذه أموالنا فتصدّق بها عنا، واستغفر لنا ! قال: ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً! فأنزل الله : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم

---

(١) انظر تفسير « التطهير » فيما سلف : ١٢ : ٥٤٩ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « التزكية » فيما سلف من فهارس اللغة (زكا) .

(٣) انظر تفسير « الصلاة » فيما سلف من فهارس اللغة (صلا) .
= وتفسير « سكن » فيما سلف ١١ : ٥٥٧ .

(٤) انظر تفسير « سميع » و « عليم » فيما سلف من فهارس اللغة (سمع) ، (علم) .

وتزكيهم بها » ، يعني بالزكاة : طاعة الله والإخلاص =« وصل عليهم» ، يقول : استغفر لهم .

١٧١٥٣ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : لما أطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا لبابة وصاحبيه ، انطلق أبو لبابة وصاحباه بأموالهم ، فأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : خذ من أموالنا فتصدّق بها عنا ، وصلِّ علينا=يقولون : استغفر لنا = وطهرنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا آخذ منها شيئاً حتى أومر . فأنزل الله : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم » ، يقول : استغفر لهم من ذنوبهم التي كانوا أصابوا . فلما نزلت هذه الآية أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم جزءاً من أموالهم فتصدّق بها عنهم .

١٧١٥٤ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يعقوب ، عن زيد بن أسلم قال : لما أطلق النبي صلى الله عليه وسلم أبا لبابة والذين ربطوا أنفسهم بالسّواري ، قالوا : يا رسول الله ، خذ من أموالنا صدقة تطهرنا بها ! فأنزل الله : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم » ، الآية .

١٧١٥٥ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير قال : قال الذين ربطوا أنفسهم بالسواري حين عفا عنهم : يا نبيّ الله ؛ طهِّر أموالنا! فأنزل الله : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » . وكان الثلاثة إذا اشتكى أحدهم اشتكى الآخران مثله ، وكان عَمى منهم اثنان ، فلم يزل الآخر يدعو حتى عَمِي .

١٧١٥٦ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : الأربعة : جدُّ بن قيس ، وأبو لبابة ، وحرام ، وأوس ، هم الذين قيل فيهم : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم » ، أي : وقارٌ لهم ، وكانوا وعدوا من أنفسهم أن ينفقوا ويجاهدوا ويتصدّقوا . ١٤/١١

١٧١٥٧ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك ، قال : لما أطلق نبيّ الله صلى الله عليه وسلم أبا لبابة وأصحابه ، أتوا نبيّ الله بأموالهم فقالوا : يا نبي الله ، خذ من أموالنا فتصدّق به عنا ، وطهّرنا ، وصلّ علينا = يقولون : استغفر لنا = فقال نبي الله : لا آخذ من أموالكم شيئاً حتى أومر فيها ! فأنزل الله عز وجل : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم » ، من ذنوبهم التي أصابوا = « وصل عليهم » ، يقول : استغفر لهم . ففعل نبي الله عليه السلام ما أمرَه الله به .

١٧١٥٨ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس قوله : « خذ من أموالهم صدقة » ، أبو لبابة وأصحابه = « وصل عليهم » ، يقول : استغفر لهم ، لذنوبهم التي كانوا أصابوا .

١٧١٥٩ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم » ، قال : هؤلاء ناسٌ من المنافقين ممن كان تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، اعترفوا بالنفاق ، وقالوا : يا رسول الله ، قد ارتبنا ونافقنا وشككنا ، ولكن توبةٌ جديدة ، وصدقةٌ نخرجها من أموالنا ! فقال الله لنبيه عليه الصلاة والسلام : « خذ من أموالهم صدقةٌ تطهرهم وتزكيهم بها » ، بعد ما قال : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ﴾ ، [سورة التوبة : ٨٤].

* * *

واختلف أهل العربية في وجه رفع « تزكيهم » .

فقال بعض نحويي البصرة : رفع « تزكيهم بها » ، في الابتداء ، وإن شئت جعلته من صفة « الصدقة » ، ثم جئت بها توكيداً ، وكذلك « تطهرهم » .

* * *

وقال بعض نحويي الكوفة : إن كان قوله : « تطهرهم » للنبي عليه السلام ، فالاختيار أن تجزم ، لأنه لم يعد على « الصدقة » عائد ، [1] و « تزكيهم » ، مستأنفٌ . وإن كانت الصدقة تطهرهم وأنت تزكيهم بها ، جاز أن تجزم الفعلين وترفعهما .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب في ذلك من القول ، أن قوله : « تطهرهم » ، من صلة « الصدقة » ، لأن القرأة مجمعة على رفعها ، وذلك دليل على أنه من صلة « الصدقة » . وأما قوله : « وتزكيهم بها » ، فخبر مستأنفٌ ، بمعنى : وأنت تزكيهم بها ، فلذلك رفع .

* * *

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله : « إن صلاتك سكن لهم » .

فقال بعضهم : رحمة لهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٧١٦٠ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، « إن صلاتك سكن لهم » ، يقول : رحمة لهم .

* * *

وقال آخرون : بل معناه : إن صلاتك وقارٌ لهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٧١٦١ — حدثنا بشر قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « إن صلاتك سكن لهم » ، أي : وقارٌ لهم .

* * *

واختلفت القرأة في قراءة ذلك .

فقرأته قرأة المدينة : ﴿ إِنَّ صَلَوَاتِكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ بمعنى : دعواتك .

* * *

---

(١) في المطبوعة : « بأنه لم يعد » ، وأثبت ما في المخطوطة .

وقرأ قرأة العراق وبعض المكيين : ﴿ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ ، بمعنى : إن دعاءك .

* * *

قال أبو جعفر : وكأنّ الذين قرأوا ذلك على التوحيد ، رأوا أن قراءته بالتوحيد أصحُّ ، لأن فى التوحيد من معنى الجمع وكثرة العدد ما ليس فى قوله : « إن صلواتك سكن لهم » ، إذ كانت « الصلوات » ، هى جمع لما بين الثلاث إلى العشر من العدد ، دون ما هو أكثر من ذلك . والذى قالوا من ذلك ، عندنا كما قالوا ، وبالتوحيد عندنا القراءةُ لا العلة ، لأن ذلك فى العدد أكثر من « الصلوات » ، [1] ولكن المقصود منه الخبر عن دعاء النبى صلى الله عليه وسلم وصلواته أنه سكن لهؤلاء القوم ، [2] لا الخبر عن العدد . وإذا كان ذلك كذلك ، كان التوحيد فى « الصلاة » ، أولى .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (١٠٤)

قال أبو جعفر : وهذا خبرٌ من الله تعالى ذكره ، أخبر به المؤمنين به : أن قبول توبة من تاب من المنافقين ، وأخذ الصدقة من أموالهم إذا أعطوها ، ليسا إلى نبىّ الله صلى الله عليه وسلم = وأن نبىَّ الله حين أبى أن يطلق من ربط نفسه بالسوارى من المتخلفين عن الغزو معه ، وحين ترك قبول صدقتهم بعد أن أطلق الله عنهم حين أذن له فى ذلك ، إنما فعل ذلك من أجل أن ذلك لم يكن إليه صلى الله عليه وسلم ، وأن ذلك إلى الله تعالى ذكره دون محمد ، وأن محمداً إنما يفعل ما يفعل من تركٍ وإطلاقٍ

(١) فى المطبوعة : « وبالتوحيد عندنا القراءة لا لعلة أن ذلك فى العدد . . . » ، غير ما فى المخطوطة ، وهو صواب محض .

(٢) فى المطبوعة : « وصلاته » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

وأخذ صدقة وغير ذلك من أفعاله، بأمر الله. فقال جل ثناؤه: ألم يعلم هؤلاء المتخلفون عن الجهاد مع المؤمنين، الموثقو أنفسهم بالسوارى، القائلون: «لا نُطاق أنفسنا حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يطلقنا»، السائلو رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذَ صدقة أموالهم، أنّ ذلك ليس إلى محمد، وأن ذلك إلى الله، وأن الله هو الذى يقبل توبة من تابٍ من عباده أو يردُّها، ويأخذ صدقة من تصدّق منهم أو يردُّها عليه دون محمد، فيوجّهوا توبتهم وصدقتهم إلى الله، ويقصدوا بذلك قصدَ وجهه دون محمد وغيره، ويخلصوا التوبة له، ويريدوه بصدقتهم، ويعلموا أن الله هو التواب الرحيم؟ = يقول: المراجع لعبيده إلى العفو عنهم إذا رجعوا إلى طاعته، الرحيم بهم إذا هم أنابوا إلى رضاه من عقابه.(١)

* * *

وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما: —

١٧١٦٢ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: قال الآخرون = يعنى الذين لم يتوبوا من المتخلفين: هؤلاء، يعنى الذين تابوا، كانوا بالأمس معنا لا يكلّمون ولا يجالَسون، فما لهم؟ فقال الله: «إن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم».(١)

١٧١٦٣ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة قال، أخبرنى رجل كان يأتى حماداً ولم يجلس إليه = قال شعبة: قال العوام بن حوشب: هو قتادة، أو ابن قتادة، رجل من محارب = قال: سمعت عبد الله بن السائب = وكان جاره = قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: ما من عبدٍ تصدق بصدقة إلا وقعت فى يد الله، فيكون هو الذى يضعُها فى يد السائل. وتلا هذه الآية: «وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات».(٢)

---

(١) انظر تفسير «التوبة»، «التواب»، «الرحيم»، فيما سلف من فهارس اللغة (توب)، (رحم).

(٢) الأثر: ١٧١٦٣ — «قتادة»، أو «ابن قتادة»، رجل من محارب. لم أجده هكذا.

١٧١٦٤ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن عبد الله بن السائب ، عن عبد الله بن أبى قتادة المحاربى ، عن عبد الله بن مسعود قال: ما تصدّق رجلٌ بصدقة إلا وقعت فى يد الله قبل أن تقع فى يد السائل ، وهو يضعها فى يد السائل . ثم قرأ: «ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات » .(١)

١٧١٦٥ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان، عن عبد الله بن السائب، عن عبد الله بن قتادة، عن ابن مسعود، بنحوه .(١)

١٧١٦٦ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن السائب ، عن عبد الله بن أبى قتادة ، قال قال عبد الله : إن الصدقة تقع فى يد الله قبل أن تقع فى يد السائل . ثم قرأ هذه الآية : « هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات» .(١)

ولم أجد أحداً تكلم فى أمره أو ذكره . وصريح هذا الإسناد يدل على أن « قتادة » أو « ابن قتادة » المحاربى ، هذا ، هو الذى أخبر شعبة ، وهو الذى كان يأتى حماداً ، ولم يجلس إليه ، وأنه هو الذى سمع من عبد الله بن السائب ، وكان جاره ، وأن « عبد الله بن السائب » هو الذى سمع من عبد الله ابن مسعود . وهذا إشكال :

فإن « عبد الله بن السائب » ، هو « عبد الله بن السائب الكندى » ، روى عن أبيه ، وزادان الكندى . وعبد الله بن معقل بن مقرن ، وعبد الله بن قتادة المحاربى (كما سيأتى فى الآثار التالية) . وروى عنه الأعمش ، وأبو إسحق الشيبانى ، والعوام بن حوشب ، وسفيان الثورى . وهو ثقة ، مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٢/٢/٧٥ ، ولم يذكروا له رواية عن ابن مسعود كما ترى ، بل ذكروا روايته عن « عبد الله بن قتادة المحاربى » ، كما سيأتى فى الآثار التالية .

فأنا أخشى أن يكون فى إسناد هذا الخبر شىء ، بدلالة الآثار التى تليه ، وهى مستقيمة على ما ذكر فى كتب الرجال ، وأخشى أن يكون شعبة سمعه عن رجل كان يأتى حماداً ولم يجلس إليه ، عن عبد الله بن السائب ، عن قتادة ، أو ابن قتادة ، رجل من محارب = ثم سمعه من العوام بن حوشب ، عن عبد الله بن السائب ، عن قتادة ، أو ابن قتادة ، رجل من محارب = وأن يكون الناسخ قد أفسد الإسناد . وانظر الكلام على « عبد الله بن أبى قتادة المحاربى » أو « عبد الله بن قتادة » فى التعليق على الآثار التالية .

(١) الآثار : ١٧١٦٤ – ١٧١٦٦ – « عبد الله بن السائب الكندى » ، مضى فى التعليق السالف .

١٧١٦٨ – حدثنا أبو كريب [قال، حدثنا وكيع] قال، حدثنا عباد بن منصور، عن القاسم: أنه سمع أبا هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه، فيربِّيها لأحدكم كما يربِّى أحدكم مُهْرَه، حتى إن اللقمة لتصيرُ مثل أُحُدٍ. وتصديق ذلك فى كتاب الله: «وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات»، (١) و﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَا وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَاتِ﴾، (٢) [سورة البقرة: ٢٧٦].

١٧١٦٩ – حدثنا سليمان بن عمر بن الأقطع الرَّقى قال، حدثنا ابن المبارك، عن سفيان، عن عباد بن منصور، عن القاسم، عن أبى هريرة، ولا أراه إلا قد رفعه قال: إن الله يقبل الصدقة = ثم ذكر نحوه. (٣)

وأما «عبد الله بن أبى قتادة المحاربى»، فهو هكذا فى جميعها، إلا فى رقم: ١٧١٦٥، فإنه فى المخطوطة: «عبد الله بن قتادة»، ولكن ناشر المطبوعة زاد «أبى» من عند نفسه.

وأما كتب التراجم، فلم تذكر سوى «عبد الله بن قتادة المحاربى»، ترجم له ابن أبى حاتم ١٤١/٢/٢ وقال: «روى عن عبد الله بن مسعود، روى عنه عبد الله بن السائب، سمعت أبى يقول ذلك». وترجم له أيضاً الحافظ ابن حجر فى تعجيل المنفعة: ٢٣٣، وقال: «عن ابن مسعود، وعنه عبد الله بن السائب. وثقه ابن حبان»، ثم قال: «كلام البخارى يدل على أنه لم يرو شيئاً مسنداً فإنه قال: روى عن ابن مسعود قوله فى الصدقة، قاله الثورى، عن عبد الله بن السائب، عنه».

وأما «عبد الله بن أبى قتادة»، فلم أجد ذكره هكذا إلا فى تفسير أبى جعفر.

وهذا الخبر ذكره السيوطى فى الدر المنثور ١: ٢٧٥، ونسبه إلى عبد الرزاق، والحكيم الترمذى فى نوادر الأصول، وابن أبى حاتم، والطبرانى.

وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٣: ١١١، وقال: «رواه الطبرانى فى الكبير، وفيه: عبد الله بن قتادة المحاربى، لم يضعفه أحد، وبقية رجاله ثقات».

(١) هكذا جاءت الآية فى المخطوطة «وهو الذى يقبل التوبة»، كما رواه أحمد فى المسند أيضاً رقم: ١٠٠٩٠، بهذا الإسناد، بمثل هذا الخطأ، فإن التلاوة: «ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة...»، وقد استظهر أخى السيد أحمد أنه خطأ قديم، كما قال فى التعليق على الخبر رقم: ٦٢٥٣ فيما سلف. وأما فى المطبوعة، فقد صححها الناشر «أن الله هو يقبل التوبة...». وأثبت ما فى المخطوطة ليعلم هذا الخطأ.

(٢) الأثر: ١٧١٦٨ – سلف هذا الخبر بهذا الإسناد برقم: ٦٢٥٣، وخرجه أخى السيد أحمد هناك.

(٣) الأثر: ١٧١٦٩ – «سليمان بن عمر بن خالد الأقطع الرقى»، مضى برقم: ٦٢٥٤. وكان فى المطبوعة «الربى»، لم يحسن قراءة المخطوطة، وصواب قراءتها «الرقى». مضى برقم: ٦٢٥٤، وخرجه أخى السيد أحمد فيما سلف.

١٧١٧٠ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أيوب ، عن القاسم بن محمد ، عن أبي هريرة قال : إن الله يقبل الصدقة إذا كانت من طيِّب ، ويأخذها بيمينه ، وإن الرّجل يتصدق بمثل اللقمة ، فيربِّيها الله له كما يربِّى أحدكم فصيله أو مُهْره، فتربو فى كف الله = أو قال : فى يد الله = حتى تكون مثل الجبل .[1] ١٦/١١

١٧١٧١ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات » ، ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : والذى نفس محمد بيده ، لا يتصدق رجلٌ بصدقة فتقع فى يد السائل، حتى تقع فى يد الله !

١٧١٧٢ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « وأن الله هو التواب الرحيم » ، يعنى : إن استقاموا .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١٠٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « وقل » ، يا محمد ، لهؤلاء الذين اعترفوا لك بذنوبهم من المتخلفين عن الجهاد معك = « اعملوا» لله بما يرضيه ، من طاعته ، وأداء فرائضه =« فسيرى الله عملكم ورسوله »،

(١) الأثر : ١٧١٧٠ – مضى برقم : ٦٢٥٦ ، من طريق محمد بن عبد الملك ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، بنحوه . وخرجه أخى السيد أحمد هناك ، وأشار إلى رواية الطبرى فى هذا الموضع ، وصحح إسناده هذا .

يقول : فسيرى الله إن عملتم عملكم ، ويراه رسوله والمؤمنون ، فى الدنيا = « وستردون » ، يوم القيامة ، إلى من يعلم سرائركم وعلانيتكم ، فلا يخفى عليه شىء من باطن أموركم وظواهرها[1] = « فينبئكم بما كنتم تعملون » ، يقول : فيخبركم بما كنتم تعملون ، [2]وما منه خالصاً ، وما منه رياءً ، وما منه طاعةً ، وما منه لله معصية ، فيجازيكم على ذلك كله جزاءكم ، المحسن بإحسانه ، والمسىء بإساءته .

* * *

١٧١٧٣ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » ، قال : هذا وعيدٌ .[3]

* * *

---

(١) انظر تفسير « عالم الغيب والشهادة » فيما سلف من فهارس اللغة (غيب) ، (شهد) .

(٢) انظر تفسير « النبأ » فيما سلف من فهارس اللغة (نبأ) .

(٣) عند هذا الموضع انتهى الجزء الحادى عشر من مخطوطتنا ، وفى نهايته ما نصه :

« نجز المجلد الحادى عشر من كتاب البيان ،

بحمد الله وعونه وحُسْن توفيقه

يتلوه فى الجزء الثانى عشر ، إن شاء الله تعالى :

القول فى تأويل قوله : ﴿ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

وكان الفراغ من نسخه فى شهر شعبان المبارك سنة خمس عشرة وسبعمئة . غفر الله لمؤلفه ، ولصاحبه ، ولكاتبه ، ولجميع المسلمين .

آمين ، آمين ، آمين ، آمين ، آمين »

ثم يتلوه الجزء الثانى عشر ، وأوله :

« بسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحيم

رَبِّ يَسِّرْ »

القول فى تأويل قوله ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (١٠٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ومن هؤلاء المتخلفين عنكم حين شخصتم لعدوّكم ، أيها المؤمنون، آخرون .

* * *

ورفع قوله : « آخرون » ، عطفاً على قوله : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً » .

* * *

= « وآخرون مرجون » ، يعنى : مُرْجئون لأمر الله وقضائه .

* * *

يقال منه : « أرجأته أرجئه إرجاء، وهو مرجأ » ، بالهمز وترك الهمز ، وهما لغتان معناهما واحد . وقد قرأت القرأة بهما جميعاً .(١)

* * *

وقيل : عُنى بهؤلاء الآخرين ، نفرٌ ممن كان تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، فندموا على ما فعلوا ، ولم يعتذروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده مقدمه ، ولم يوثقوا أنفسهم بالسوارى ، فأرجأ الله أمرهم إلى أن صحّت توبتهم، فتاب عليهم وعفا عنهم .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧١٧٤ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قال : وكان ثلاثة منهم = يعنى : من المتخلفين عن

---

(١) انظر تفسير « الإرجاء » فيما سلف ١٣ : ٢٠ ، ٢١ .

غزوة تبوك = لم يوثقوا أنفسهم بالسوارى ، أرجئوا سَبْتَةً ، (١) لا يدرون أيعذبون أو يتاب عليهم ، فأنزل الله : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ ، [سورة التوبة : ١١٧ ، ١١٨] .

١٧١٧٥ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية = يعني قوله : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » = أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من أموالهم = يعني من أموال أبي لبابة وصاحبيه = فتصدّق بها عنهم ، وبقي الثلاثة الذين خالفوا أبا لبابة ، ولم يوثقوا ، ولم يذكروا بشيء ، ولم ينزل عذرهم ، وضاقت عليهم الأرض بما رحُبت ، وهم الذين قال الله : « وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم » . فجعل الناس يقولون : هلكوا ! إذ لم ينزل لهم عذر . وجعل آخرون يقولون : عسى الله أن يغفرَ لهم ! فصاروا ١٧/١١ مرجئين لأمر الله ، حتى نزلت : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ﴾ ، الذين خرجوا معه إلى الشام = ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ ، ثم قال : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ﴾ ، يعني المرجئين لأمر الله ، نزلت عليهم التوبة ، فعُمُّوا بها ، فقال : ﴿ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ .

١٧١٧٦ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا سويد بن عمرو ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن عكرمة : « وآخرون مرجون لأمر الله » ، قال : هم الثلاثة الذين خُلِّفُوا .

١٧١٧٧ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا

---

(١) قوله : « سبتة » ، أي برهة من الدهر .

عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وآخرون مرجون لأمر الله » ، قال : هلال بن أمية ، ومرارة بن ربعيّ ، وكعب بن مالك ، من الأوس والخزرج .(١)

١٧١٧٨ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وآخرون مرجون لأمر الله » ، هلال بن أمية ، ومرارة بن ربعيّ ، وكعب بن مالك ، من الأوس والخزرج .(١)

١٧١٧٩ — . . . . قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٧١٨٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

١٧١٨١ — . . . . قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك ، مثله .

١٧١٨٢ — حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « وآخرون مرجون لأمر الله » ، هم الثلاثة الذين خلفوا عن التوبة = يريد : غير أبي لبابة وأصحابه = ولم ينزل الله عذرهم ، فضاقت عليهم الأرض بما رحبت . وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فرقتين : فرقة تقول : «هلكوا!» ، حين لم ينزل الله فيهم ما أنزل في أبي لبابة وأصحابه .

---

(١) الأثر : ١٧١٧٧ — « مرارة بن ربعى » ، هكذا جاء في المخطوطة في هذا الخبر ، وفي الذي يليه . وصححه في المطبوعة : « مرارة بن الربيع » ثم جاء في رقم : ١٧١٨٣ في المخطوطة : « مرارة بن ربيعة » ، وكلاهما غير المشهور المعروف في كتب تراجم الصحابة ، والكتب الصحاح ، فهو فيها جميعاً « مرارة بن الربيع الأنصاري » ، من بني عمرو بن عوف .

وأما « مرارة بن ربعى بن عدى بن يزيد بن جشم » ، فلم يذكره غير ابن الكلبي ، وقال : « كان أحد البكائين » .

فأثبت ما في مخطوطة الطبري ، لاتفاق الاسم بذلك في مواضع ، وأخشى أن يكون في اسمه خلاف لم يقع إلى خبره . وانظر ما سيأتي رقم : ١٧٤٣٦ .

ثم انظر رقم : ١٧٤٣٣ ، وما بعده ، وفيها « ابن ربيعة » و « ابن الربيع » .

وتقول فرقة أخرى: «عسى الله أن يعفو عنهم!»، وكانوا مرجئين لأمر الله. ثم أنزل الله رحمته ومغفرته فقال: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ الآية، وأنزل: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾، الآية.

١٧١٨٣ - حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: «وآخرون مرجون لأمر الله»، قال: كنا نُحدَّث أنهم الثلاثة الذين خُلِّفوا: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن ربيعة، رهط من الأنصار.[1]

١٧١٨٤ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: «وآخرون مرجون لأمر الله»، قال: هم الثلاثة الذين خُلِّفوا.

١٧١٨٥ - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق: «وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم»، وهم الثلاثة الذين خلفوا، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم، حتى أتتهم توبتهم من الله.[2]

* * *

وأما قوله: «إما يعذبهم»، فإنه يعني: إما أن يحجزهم الله عن التوبة بخذلانه، فيعذبهم بذنوبهم التي ماتوا عليها في الآخرة = «وإما يتوب عليهم»، يقول: وإما يوفقهم للتوبة فيتوبوا من ذنوبهم، فيغفر لهم = «والله عليم حكيم»، يقول: والله ذو علم بأمرهم وما هم صائرون إليه من التوبة والمقام على الذنب = «حكيم»، في تدبيرهم وتدبير من سواهم من خلقه، لا يدخل حكمه خَلَلٌ.[3]

* * *

(١) الأثر: ١٧١٨٣ - «مرارة بن ربيعة»، المعروف «مرارة بن الربيع»، ولكن هكذا جاء في المخطوطة، وصححه الناشر في المطبوعة. وانظر رقم: ١٧١٧٧

(٢) الأثر: ١٧١٨٥ - سيرة ابن هشام ٤: ١٩٨، ١٩٩، وهو تابع الأثر السالف رقم: ١٧١٣٥.

(٣) انظر تفسير «عليم» و «حكيم» فيما سلف من فهارس اللغة (علم) و (حكم).

القول فى تأويل قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ (١٠٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : والذين ابتنوا مسجداً ضراراً ، وهم ، فيما ذكر ، اثنا عشر نفساً من الأنصار .

* ذكر من قال ذلك :

١٧١٨٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن الزهريّ ، ويزيد بن رومان ، وعبد الله بن أبي بكر ، وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم قالوا : أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم=يعنى : من تبوك = حتى نزل بذى أوان = بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار . وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهّز إلى تبوك ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا قد بنينا مسجداً لذى العلّة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية ، وإنا نحب أن تأتينا فتصلى لنا فيه! فقال : إنى على جناح سفر وحالِ شُغْلٍ = أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم = ولو قَدْ قَدِمنا أتيناكم إن شاء الله ، فصلّينا لكم فيه. فلما نزل بذى أوان ، أتاه خبرُ المسجد ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدُّخْشُم ، أخا بنى سالم بن عوف ، ومعن ابن عدى = أو أخاه : عاصم بن عدى= أخا بنى العجلان فقال : انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرّقاه! فخرجا سريعين حتى أتيا بنى سالم بن عوف ، وهم رهط مالك بن الدخشم ، فقال مالك لمعن : أنْظِرنى حتى أخرج إليك بنارٍ من أهلى ! فدخل [إلى] أهله ، فأخذ سعَفاً من النخل ، فأشعل فيه ناراً ، ثم خرجا يشتدان حتى دخلا المسجد وفيه أهله ، فحرّقاه وهدماه ، وتفرقوا عنه . ونزل فيهم من القرآن ما نزل : «والذين اتخذوا مسجداً ضِراراً وكفراً » إلى آخر القصة . وكان الذين بنوه

١٨/١١

اثنى عشر رجلاً : خِذَام بن خالد، من بنى عبيد بن زيد ،[١] أحد بنى عمرو ابن عوف ، ومن داره أخرج مسجد الشقاق = وثعلبة بن حاطب ، من بنى عبيد ، وهو إلى بنى أمية بن زيد = ومعتب بن قشير ، من بنى ضبيعة بن زيد = وأبو حبيبة ابن الأزعر ، من بنى ضبيعة بن زيد = وعباد بن حنيف ، أخو سهل بن حنيف ، من بنى عمرو بن عوف = وجارية بن عامر ، وابناه : مجمع بن جارية ، وزيد ابن جارية ، ونبتل بن الحارث ، وهم من بنى ضبيعة = وبَحْزَج ،[٢] وهو إلى بنى ضبيعة = وبجاد بن عثمان ، وهو من بنى ضبيعة = ووديعة بن ثابت ، وهو إلى بنى أمية ، رهط أبى لبابة بن عبد المنذر .[٣]

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام : والذين ابتنوا مسجداً ضراراً لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكفراً بالله لمحادّتهم بذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، ويفرّقوا به المؤمنين ، ليصلى فيه بعضهم دون مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعضهم فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيختلفوا بسبب ذلك ويفترقوا = « وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل » ، يقول : وإعداداً له لأبى عامر الكافر ، الذى خالف الله ورسوله ، وكفر بهما ، وقاتل رسول الله = « من قبل » ، يعنى من قبل بنائهم ذلك المسجد . وذلك أن أبا عامر هو الذى كان حزّب الأحزاب = يعنى : حزّب الأحزاب لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم = فلما خذله الله ، لحق بالروم يطلب النَّصْر من ملكهم على نبى الله ، وكتب إلى أهل مسجد الضِّرار[٤] يأمرهم ببناء المسجد الذى كانوا بنوه ، فيما ذكر عنه ، ليصلى فيه ، فيما يزعم ، إذا

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « خذام بن خالد بن عبيد » ، وأثبت ما فى سيرة ابن هشام .

(٢) فى المطبوعة : « وبخذج » ، والصواب ما فى المخطوطة وسيرة ابن هشام .

(٣) الأثر : ١٧١٨٦ — سيرة ابن هشام ٤ : ١٧٣ ، ١٧٤ .

(٤) انظر تفسير « الضرار » فيما سلف ٥ : ٧ ، ٨ ، ٤٦ ، ٦/٥٣ : ٨٥ — ٩١ .

رجع إليهم . ففعلوا ذلك . وهذا معنى قول الله جل ثناؤه : « وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل ».

= « وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى »، يقول جل ثناؤه : وليحلفن بانوه : «إن أردنا إلاّ الحسنى »، ببنائناه ، إلاّ الرفق بالمسلمين ، والمنفعة والتوسعة على أهل الضعف والعلة ومن عجز عن المصير إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة فيه ، [1] وتلك هى الفعلة الحسنة = « والله يشهد إنهم لكاذبون »، فى حلفهم ذلك ، وقيلهم : « ما بنيناه إلاّ ونحن نريد الحسنى! » ، ولكنهم بنوه يريدون ببنائه السُّوآى ، ضراراً لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكفراً بالله، وتفريقاً بين المؤمنين ، وإرصاداً لأبى عامر الفاسق .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٩/١١ ١٧١٨٧ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله قال، حدثنى معاوية ، عن ابن عباس قوله : « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً»، وهم أناس من الأنصار ابتنوا مسجداً، فقال لهم أبوا عامر : ابنوا مسجدكم، واستعدُّوا بما استطعتم من قوةٍ ومن سلاح ، فإنى ذاهب إلى قيصر ملك الروم ، فآتى بجند من الروم ، فأخرج محمداً وأصحابه ! فلما فرغوا من مسجدهم ، أتو النبى عليه والصلاة السلام فقالوا : قد فرغنا من بناء مسجدنا ، فنحبُّ أن تصلى فيه ، وتدعو لنا بالبركة ! فأنزل الله فيه : ﴿ لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَٱللَّهُ لاَ يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ ﴾.

١٧١٨٨ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « والذين اتخذوا مسجداً

---

(١) فى المطبوعة : « ومن عجز عن المسير » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب .

ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين » ، قال : لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد قُباء ، خرج رجالٌ من الأنصار ، منهم : بجزج ، [١] جدُّ عبد الله بن حنيف ، [٢] ووديعة بن حزام ، ومجمع بن جارية الأنصاري ، فبنَوا مسجد النفاق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبجزج [٣] : ويلك ! ما أردت إلى ما أرى ! فقال : يا رسول الله ، والله ما أردت إلا الحسنى ! وهو كاذب ، فصدَّقه رسول الله ، وأراد أن يعذِره ، فأنزل الله : « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله » ، يعني رجلاً منهم يقال له « أبو عامر » كان محارباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان قد انطلق إلى هرقل ، فكانوا يرصدون [إذا قدم] أبو عامر أن يصلي فيه ، [٤] وكان قد خرج من المدينة محارباً لله ولرسوله = « وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون » .

١٧١٨٩ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل » ،

---

(١) في المطبوعة : « بخدج » ، وأثبت ما في سيرة ابن هشام ٤ : ١٧٤ ، كما سلف في رقم : ١٧١٨٦ . ورأيت بعد في المحبر : ٤٧ : « بخدج » ولم أتمكن من تصحيحه . ثم انظر جمهرة الأنساب لابن حزم : ٣١٦ في نسب « سهل بن حنيف » ، و « عثمان بن حنيف » ، و « عباد ابن حنيف » . وانظر التعليق التالي .

(٢) ما أدري قوله : « جد عبد الله بن حنيف » ، ولست أدري أهو من كلام ابن عباس أو من كلام غيره ، وإن كنت أرجح أنه من كلام غيره ، لأني لم أجد في الصحابة ولا التابعين « عبد الله ابن حنيف» ، وجده « بجزج » . والمذكور في المنافقين الذين بنوا مسجد الضرار : « عباد بن حنيف » ، أخو « سهل بن حنيف » . فأخشى أن يكون سقط من الخبر شيء ، فاختلط الكلام . وفي نسب « سهل بن حنيف » « عمرو ، وهو بجزج ، بن حنش بن عوف بن عمرو » (انظر ابن سعد ٣/٢/٣٩ ، ثم : ٥ : ٥٩) ، وجمهرة الأنساب لابن حزم : ٣١٦ ، ولكن هذا قديم جداً في الجاهلية ، وهو بلا شك غير « بجزج » ، الذي كان من أمره ما كان في مسجد الضرار .

فهذا الذي هنا يحتاج إلى فضل تحقيق ، لم أتمكن من بلوغه .

(٣) في المطبوعة : « لبخدج » ، وانظر التعليقات السالفة .

(٤) في المطبوعة ، ساق الكلام سياقاً واحداً هكذا : « وكانوا يرصدون أبا عامر أن يصلي فيه » ، وفي المخطوطة : « وكانوا يرصدون أبو عامر أن يصلي فيه » ، وبين الكلامين بياض ، وفي الهامش حرف (ط) دلالة على الخطأ ، وأثبت ما بين القوسين من الدر المنثور ١ : ٢٧٦ ، وروى الخبر من طريق ابن مردويه ، وابن أبي حاتم . وهذا الذي أثبته يطابق في معناه ما سيأتي في الآثار التالية .

قال : أبو عامر الراهب ، انطلق إلى قيصر ، فقالوا: « إذا جاء يصلى فيه»، كانوا يرون أنه سيظهر على محمد صلى الله عليه .

١٧١٩٠ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « والذين اتخذوا مسجداً ضرارًا وكفرًا »، قال : المنافقون = « لمن حارب الله ورسوله »، لأبي عامر الراهب .

١٧١٩١ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٧١٩٢ — . . . . قال ، حدثنا أبو إسحق قال، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين » ، قال : نزلت في المنافقين = وقوله : « وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل » ، قال : هو أبو عامر الراهب .

١٧١٩٣ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

١٧١٩٤ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا سويد بن عمرو ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير : «والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفرًا» ، قال : هم بنو غنم بن عوف .

١٧١٩٥ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ،حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أيوب ،عن سعيد بن جبير : « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفرًا »، قال : هم حيّ يقال لهم : « بنو غنم » .

١٧١٩٦ — حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير في قوله : « والذين اتخذوا مسجداً ضرارًا وكفرًا » ، قال : هم حي يقال لهم : « بنو غنم » = قال أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن عروة،عن عائشة قالت : « وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله » ،

أبو عامر الراهب ، انطلق إلى الشأم ، فقال الذين بنوا مسجد الضرار : إنما بنيناه ليصلى فيه أبو عامر .

١٧١٩٧ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً » ، الآية ، عمد ناسٌ من أهل النفاق ، فابتنوا مسجداً بقباء ، ليضاهوا به مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم بعثوا إلى رسول الله ليصلِّي فيه . ذكر لنا أنه دعا بقميصه ليأتيهم ، حتى أطلعه على ٢٠/١١ ذلك = وأما قوله : « وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله » ، فإنه كان رجلاً يقال له : « أبو عامر » ، فرّ من المسلمين فلحق بالمشركين ، فقتلوه بإسلامه .(١) قال : إذا جاء صلى فيه ، فأنزل الله : « لا تقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى » ، الآية .

١٧١٩٨ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفرًا » ، هم ناس من المنافقين ، بنوا مسجداً بقباء يُضارُّون به نبيّ الله والمسلمين = « وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله » ، كانوا يقولون: إذا رجع أبو عامر من عند قيصر من الروم صلى فيه! وكانوا يقولون: إذا قدم ظهر على نبيّ الله صلى الله عليه وسلم.

١٧١٩٩ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد فى قوله : « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل » ، قال : مسجد قباء ، كانوا يصلون فيه كلهم . وكان رجل من رؤساء المنافقين يقال له: « أبو عامر » ، أبو : «حنظلة غسيل الملائكة » ،

---

(١) قوله : « فقتلوه بإسلامه » ، كلام صحيح ، وإن ظن بعضهم أنه لا يستقيم ، وذلك أن أبا عامر الراهب ، لما خرج إلى الروم مات هناك سنة تسع أو عشر . (الإصابة فى ترجمة ولده : حنظلة غسيل الملائكة بن أبي عامر) . فكأنه يقال أيضاً أن الروم قتلته بإسلامه ، كما جاء فى هذا الخبر . وأما قوله بعد : « قال : إذا جاء صلى فيه » ، فهو من كلام قتادة . وانظر الأخبار التالية ، فإنه يقال إنه تنصر .

و« صيفى »، [واحق] .[١] وكان هؤلاء الثلاثة من خيار المسلمين ، فخرج أبو عامر هارباً هو وابن عبد ياليل ، من ثقيف ،[٢] وعلقمة بن علاثة ، من قيس ، من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لحقوا بصاحب الروم . فأما علقمة وابن عبد ياليل ،[٣] فرجعا فبايعا النبي صلى الله عليه وسلم وأسلما . وأما أبو عامر ، فتنصر وأقام . قال : وبنى ناسٌ من المنافقين مسجد الضرار لأبى عامر ، قالوا : « حتى يأتى أبو عامر يصلى فيه » ، وتفريقاً بين المؤمنين ، يفرقون به جماعتهم ،[٤] لأنهم كانوا يصلون جميعاً فى مسجد قباء . وجاءوا يخدعون النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ، ربما جاء السيلُ ، فقطع بيننا وبين الوادي ،[٥] ويحول بيننا وبين القوم ، ونصلى فى مسجدنا ،[٦] فإذا ذهب السيل صلينا معهم! قال : وبنوه على النفاق . قال : وانهار مسجدهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) فى المطبوعة : « وأخيه » ، والذى فى المخطوطة كما أثبته غير مقروء قراءة ترتضى . ويمكن أن تكون « وأخوه » ، ولكنه عندئذ خطأ ، صوابه أن يكون و « أخيه » ، كما أثبته ناشر المطبوعة . بيد أن السياق يدل على أن ما بين القوسين اسم ثالث ، هو اسم أخى حنظلة ، وصيفى ، ولم أستطع أن أجد خبر ذلك .

وأما « صيفى » ، فقد ذكره ابن حجر فى الإصابة فى ترجمة « صيفى » ، وأنه كان ممن شهد أحداً ، ونسب ذلك إلى ابن سعد والطبرانى ، ولم أجده فى المطبوع من طبقات ابن سعد .

(٢) الذى جاء فى المخطوطة والمطبوعة : « ابن بالين » ، وإن كان فى المخطوطة غير منقوط . وهو خطأ لاشك فيه عندى ، وأن صوابه : « وابن عبد ياليل » كما أثبته . فإن ابن عبد البر فى الاستيعاب : ١٠٥ ، فى ترجمة « حنظلة الغسيل » ، ذكر أن أبا عامر الفاسق لما فتحت مكة ، لحق بهرقل هارباً إلى الروم ، فمات كافراً عند هرقل ، وكان معه هناك « كنانة بن عبد ياليل » و « علقمة بن علاثة » ، فاختصما فى ميراثه إلى هرقل ، فدفعه إلى كنانة بن عبد ياليل ، وقال لعلقمة : هما من أهل المدر ، وأنت من أهل الوبر .

و « كنانة بن عبد ياليل الثقفى » ، ترجم له ابن حجر فى القسم الرابع ، وذكره ابن سلام الجمحى ، فى طبقات فحول الشعراء ص : ٢١٧ ، فى شعراء الطائف ، ولم يورد له خبراً بعد ذكره .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « وابن بالين » ، وفى المخطوطة غير منقوطة . انظر التعليق السالف .

(٤) فى المطبوعة : « بين جماعتهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٥) فى المطبوعة : « يقطع » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٦) فى المطبوعة : « فنصلى » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

قال : وألقى الناس عليه التِّبن والقُمامة ، (١) فأنزل الله : « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين » ، لئلا يصلى فى مسجد قباء جميعُ المؤمنين = « وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل أبى عامر = « وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون » .

١٧٢٠٠ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا هرون ، عن أبى جعفر ، عن ليث : أن شقيقاً لم يدرك الصلاة فى مسجد بنى عامر ، فقيل له : مسجد بنى فلان لم يصلُّوا بعدُ ! فقال : لا أحب أن أصلى فيه ، فإنه بُنى على ضرار ، وكل مسجد بُنِىَ ضراراً أو رياءً أو سمعة ، فإن أصله ينتهى إلى المسجد الذى بُنى على ضرار .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : لا تقم ، يا محمد ، فى المسجد الذى بناه هؤلاء المنافقون ، ضراراً وتفريقاً بين المؤمنين ، وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله . ثم أقسم جل ثناؤه ، فقال : «لمسجد أسِّس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم » ، أنت = « فيه » .

* * *

يعنى بقوله : « أسس على التقوى » ، ابتدىء أساسه وأصله على تقوى الله وطاعته = « من أول يوم » ، ابتدىء فى بنائه = « أحق أن تقوم فيه » ، يقول : أولى أن تقوم فيه مصلِّياً .

* * *

(١) فى المطبوعة : « النتن والقمامة » والصواب ما فى المخطوطة . و « التبن » عصيفة الزرع ، فهو الذى يلقى . وأما « النتن » فالرائحة الكريهة ، فكأنه ظن أن « النتن » مجاز لمعنى « الأقذار » ، لنتن رائحتها ! وهو باطل .

وقيل معنى قوله : « من أول يوم » ، مبدأ أول يوم كما تقول العرب : « لم أره من يوم كذا » ، بمعنى : مبدؤه = و«من أول يوم» ، يراد به : من أول الأيام ، كقول القائل : « لقيت كلَّ رجل » ، بمعنى كل الرجال .

* * *

واختلف أهل التأويل فى المسجد الذى عناه بقوله : « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم » .

فقال بعضهم : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى فيه منبره وقبره اليوم .

* ذكر من قال ذلك :

٢١/١١ ١٧٢٠١ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو معاوية ، عن إبراهيم بن طهمان ،عن عثمان بن عبيد الله قال : أرسلنى محمد بن أبى هريرة إلى ابن عمر ، أسأله عن المسجد الذى أسس على التقوى ، أىّ مسجد هو ؟ مسجد المدينة ، أو مسجد قباء ؟ قال : لا ، مسجد المدينة .(١)

١٧٢٠٢ — . . . . قال، حدثنا القاسم بن عمرو العنقزى، عن الدراوردى ، عن عثمان بن عبيد الله، عن ابن عمر ، وزيد بن ثابت، وأبى سعيد قالوا: المسجد الذى أسس على التقوى ، مسجد الرسول .(٢)

---

(١) الأثر : ١٧٢٠١ — « إبراهيم بن طهمان الخراسانى » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ٣٧٢٦ ، ٣٧٢٧ ، ٤٩٣١ .

و « عثمان بن عبيد الله بن أبى رافع » ، مولى سعيد بن العاص . رأى أبا هريرة ، وأبا قتادة ، وابن عمر ، وأبا أسيد ، يضفرون لحاهم . مترجم فى ابن أبى حاتم ١٥٦/١/٣ . وسيأتى فى الأثرين التاليين رقم : ١٧٢٠٢ ، ١٧٢٠٣ .

وأما قوله : « أرسلنى محمد بن أبى هريرة » ، فإنى أرتاب فيه كل الارتياب ، وأرجح أنه : « محرز بن أبى هريرة » ، ولم أجد لأبى هريرة ولد يقال له «محمد» ، بل ولده هم « المحرر بن هريرة » ، و « وعبد الرحمن بن أبى هريرة » ، و « بلال بن أبى هريرة » . ومضى « المحرر بن أبى هريرة » برقم : ٢٨٦٣ ، ١٦٣٦٨ — ١٦٣٧٠ .

(٢) الأثر : ١٧٢٠٢ — « القاسم بن عمرو بن محمد العنقزى » ، مولى قريش ، سمع أباه . مترجم فى الكبير ١٧٢/١/٤ ، وابن أبى حاتم ١١٥/٢/٣ ، ولم يذكرا فيه جرحاً .

١٧٢٠٣ — . . . . . قال، حدثنا أبي، عن ربيعة بن عثمان، عن عثمان بن عبيد الله بن أبي رافع قال: سألت ابن عمر عن المسجد الذى أسس على التقوى، قال: هو مسجد الرسول. (١)

١٧٢٠٤ — . . . . قال، حدثنا ابن عيينة، عن أبي الزناد، عن خارجة ابن زيد، عن زيد قال: هو مسجد النبي صلى الله عليه وسلم.

١٧٢٠٥ — . . . . قال، حدثنا أبي، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن ذكوان، عن أبيه، عن خارجة بن زيد، عن زيد قال: هو مسجد الرسول.

١٧٢٠٦ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا يحيي بن سعيد، حدثنا حميد الخراط المدنى قال: سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن قال: مر بى عبد الرحمن ابن أبي سعيد فقلت: كيف سمعت أباك يقول فى المسجد الذى أسس على التقوى؟ فقال لى: [قال أبي] (٢): أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدخلت عليه فى بيت بعض نسائه، فقلت: يا رسول الله، أيُّ مسجدٍ الذى أسس على التقوى؟ قال: فأخذ كفًّا من حصباء فضرب به الأرض، ثم قال: هو مسجدكم هذا!= [فقلت]: (٣) هكذا سمعت أباك يذكر. (٤)

« الدراوردى »، هو « عبد العزيز بن محمد بن عبيد الدراوردى »، ثقة، روى له الجماعة، مضى برقم: ١٠٦٧٦، ١٥٧١٤.

و « عثمان بن عبيد الله بن أبي رافع »، مضى فى الأثر السالف.

(١) الأثر: ١٧٢٠٣ — « ربيعة بن عثمان بن ربيعة التيمى »، ثقة. مترجم فى التهذيب، والكبير ٢/١/٢٦٤، وابن أبي حاتم ١/٢/٤٧٦.

و « عثمان بن عبيد الله بن أبي رافع»، مضى فى الأثرين السالفين.

(٢) هذه الزيادة بين القوسين لابد منها، استظهرتها من لفظ حديث مسلم. ولو قلت: « قال قال أبي »، لكان مطابقاً لما فى المسند.

(٣) فى المخطوطة: « ثم هكذا سمعت أباك يذكر »، وفى المطبوعة حذف « ثم » وجعل « يذكر »، « يذكره ». فزدت ما بين القوسين إتماماً للسياق. ونص روايته مسلم: « قال فقلت: أشهد أنى سمعت أباك هكذا يذكره ».

(٤) الأثر: ١٧٢٠٦ — رواه مسلم فى صحيحه ٩: ١٦٨، ١٦٩ من هذه الطريق نفسها، مع اختلاف يسير فى بعض لفظه.

ورواه أحمد فى مسنده ٣: ٢٤، من هذه الطريق، نفسها مع خلاف فى بعض لفظه.

١٧٢٠٧ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن أسامة بن زيد، عن عبد الرحمن بن أبي سعيد ، عن أبيه قال : المسجد الذى أسس على التقوى ، هو مسجدُ النبيِّ الأعظمُ .

١٧٢٠٨ – حدثنا حميد بن مسعدة قال، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا داود ، عن سعيد بن المسيب قال : إن المسجد الذى أسس على التقوى من أول يوم ، وهو مسجد المدينة الأكبر .

١٧٢٠٩ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا ابن أبي عدى ، عن داود قال ، قال سعيد بن المسيب ، فذكر مثله = إلا أنه قال : الأعظم .

١٧٢١٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيي بن سعيد القطان، عن ابن حرملة ، عن سعيد بن المسيب قال : هو مسجد النبي صلى الله عليه وسلم .

١٧٢١١ – حدثنا الحسن بن يحيي قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن أبي الزناد ، عن خارجة بن زيد = قال: أحسبه عن أبيه = قال: مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، الذى أسس على التقوى .

* * *

وقال آخرون : بل عنى بذلك مسجد قُباء .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٢١٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم » ، يعني مسجد قُباء .

١٧٢١٣ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، نحوه .

١٧٢١٤ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا فضيل ابن مرزوق، عن عطية: « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم »، هو مسجد قباء .

١٧٢١٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة ، عن صالح بن حيان ، عن ابن بريدة قال : مسجد قُباء ، الذى أسس على التقوى ، بناه نبى الله صلى الله عليه وسلم .(١)

١٧٢١٦ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : المسجد الذى أسس على التقوى ، مسجد قباء .

١٧٢١٧ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن الزهرى، عن عروة بن الزبير : الذين بُنى فيهم المسجدُ الذى أسس على التقوى ، بنو عمرو بن عوف .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب ، قول من قال : هو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، لصحة الخبَر بذلك عن رسول الله .(٢)

* ذكر الرواية بذلك .

١٧٢١٨ – حدثنا أبو كريب وابن وكيع = قال أبو كريب : حدثنا وكيع = وقال ابن وكيع : حدثنا أبى = عن ربيعة بن عثمان التيمى ، عن عمران بن أبى أنس ، رجل من الأنصار ، عن سهل بن سعد قال : اختلف رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد الذى أسس على التقوى، فقال أحدهما : هو ٢٢/١١
مسجد النبىّ! وقال الآخر : هو مسجد قباء ! فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه، فقال : هو مسجدى هذا = اللفظ لحديث أبى كريب، وحديث سفيان نحوه .(٣)

---

(١) الأثر : ١٧٢١٥ – «صالح بن حيان القرشى» ، ضعيف الحديث ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/٢/٢٧٦ ، وابن أبى حاتم ٢/١/٣٩٨ ، وميزان الاعتدال ١ : ٤٥٥ . «ابن بريدة» ، هو «عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسلمى» ، ثقة ، مضى برقم : ١٢٥٢٣ .

(٢) يعنى الخبر الذى رواه أحمد ومسلم وأبو جعفر آنفاً برقم : ١٧٢٠٦ ، وما سيأتى من الأخبار .

(٣) الأثر : ١٧٢١٨ – «ربيعة بن عثمان التيمى» ، ثقة ، مضى برقم : ١٧٢٠٣ .

١٧٢١٩ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو نعيم ، عن عبد الله بن عامر الأسلمى ، عن عمران بن أبى أنس ، عن سهل بن سعد ، عن أبىّ بن كعب : أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن المسجد الذى أسس على التقوى فقال : مسجدى هذا .(١)

١٧٢٢٠ – حدثنى يونس قال : أخبرنى ابن وهب قال ، حدثنى الليث ، عن عمران بن أبى أنس ، عن ابن أبى سعيد ، عن أبيه ، قال : تمارى رجلان فى المسجد الذى أسس على التقوى من أول يوم ، فقال رجل : هو مسجد قباء ! وقال آخر : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فقال رسول الله : هو مسجدى هذا .(٢)

١٧٢٢١ – حدثنى بحر بن نصر الخولانى قال ، قرئ على شعيب بن الليث ،

و « عمران بن أبى أنس العامرى المصرى » ثقة . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣/٢/٢٩٤ . وأما قول أبى جعفر « رجل من الأنصار » ، فظنى أن ذلك لأنه يقال إنه مولى « أبى خراش السلمى ، أو الأسلمى » ، قال ابن سعد : « كانوا يزعمون أنهم من بنى عامر بن لؤى ، والناس يقولون إنهم موالى ، ثم انتمى بعد ذلك إلى اليمن » .

ولم أجدهم ذكروا له سماعاً من سهل بن سعد الأنصارى ، وهو خليق أن يروى عنه ، لأن سهل ابن سعد مات سنة ٨٨ ، وعمران مات سنة ١١٧ .

و « سهل بن سعد بن مالك الساعدى الأنصارى » ، له ولأبيه صحبة ، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن أبى بن كعب ، وعاصم بن عدى ، وعمرو بن عبسة ، ومروان بن الحكم ، وهو دونه .

وهذا الخبر تفرد به أحمد من هذه الطريق نفسها ، فى مسنده ٥ : ٣٣١ ، ثم رواه فى ص : ٣٣٥ ، من طريق عبد الله بن عامر ، عن عمران بن أبى أنس ، عن سهل بن سعد ، وانظر الخبر التالى .

وخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧ : ٣٤ ، وقال : « رواه أحمد والطبرانى باختصار ، ورجالهما رجال الصحيح » .

(١) الأثر : ١٧٢١٩ – « عبد الله بن عامر الأسلمى » ، ضعيف ، ذاهب الحديث ، مضى برقم : ١٥٥٨٦ .

وهذا الخبر رواه أحمد فى مسنده ٥ : ١١٧ ، من طريق أبى نعيم ، عن عبد الله بن عامر الأسلمى : ومن طريق عبد الله بن الحارث الأسلمى ، عن عبد الله بن عامر .

وهذا إسناد ضعيف ، لضعف « عبد الله بن عامر الأسلمى » .

(٢) الأثر : ١٧٢٢٠ – هذا حديث صحيح ، رواه الترمذى فى كتاب التفسير ، ورواه

عن أبيه ، عن عمران بن أبي أنس ، عن سعيد بن أبي سعيد الخدري قال : تماري رجلان ، فذكر مثله .(١)

١٧٢٢٢ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، حدثني سَحْبَل ابن محمد بن أبي يحيى قال، سمعت عمي أنيس بن أبي يحيى يحدث، عن أبيه، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المسجد الذي أسس على التقوى ، مسجدي هذا ، وفي كلٍّ خيرٌ .(٢)

١٧٢٢٣ – حدثني المثنى قال، حدثني الحماني قال ، حدثنا عبد العزيز ، عن أنيس ، عن أبيه ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم، بنحوه.(٣)

١٧٢٢٤ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا صفوان بن عيسى قال ، أخبرنا أنيس بن أبي يحيى ، عن أبيه ، عن أبي سعيد : أن رجلاً من بني خُدْرة

أحمد في مسنده ٣ : ٨ ، ٨٩ ، وقال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح . وقد روى هذا عن أبي سعيد من غير هذا الوجه، رواه أنيس بن أبي يحيى ، عن أبيه ، عن أبي سعيد » ، وهو ما سيرويه ، أبو جعفر من رقم : ١٧٢٢٢ – ١٧٢٢٤ .

(٤) الأثر : ١٧٢٢١ – « بحر بن نصر بن سابق الخولاني » ، شيخ أبي جعفر ، مضى برقم : ١٠٥٨٨ ، ١٠٦٤٧ .

وهذا الخبر ، ذكره ابن كثير في تفسيره ٤ : ٢٤٣، من مسند أحمد قال : « حدثنا موسى بن داود قال ، حدثنا ليث ، عن عمران بن أبي أنس ، عن سعيد بن أبي سعيد قال : تماري رجلان » . ولم أستطع أن أستخرجه من المسند في ساعتي هذه ، وقال ابن كثير : « تفرد به أحمد » .

(٢) الأثر : ١٧٢٢٢ – « سحبل بن محمد بن أبي يحيى سمعان الأسلمي » ، هو « عبد الله ابن محمد بن أبي يحيى » ، وقد ينسب إلى جده. ثقة . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٢/٢/١٥٦ . وفي بعض الكتب غير مضبوط « سحيل » بالياء ، وضبطه في التقريب بفتح السين المهملة ، وسكون الحاء ، بعدها موحدة . وكان في المطبوعة : « سجل » ، والصواب ما في المخطوطة .

و « أنيس بن أبي يحيى سمعان الأسلمي » ، ثقة . مترجم في التهذيب ، والكبير ١/٢/٤٣ ، وابن أبي حاتم ١/١/٣٣٤ .

وأبوه « سمعان » ، « أبو يحيى ، الأسلمي » ، تابعي ثقة . مترجم في التهذيب ، والكبير ٢/٢/٢٠٥ ، وابن أبي حاتم ٢/١/٣١٦ .

وهذا الخبر رواه أحمد في مسنده ٣ : ٢٣ من طريق : يحيى ، عن أنيس بن أبي يحيى ، بنحوه . ثم رواه أيضاً ٣ : ٩١ من طريق صفوان ، عن أنيس ، بنحوه (رواه أبو جعفر برقم : ١٧٢٢٤) . وإسناده صحيح . وسيأتي من طرق أخرى بعده .

(٣) الأثر : ١٧٢٢٣ – مكرر الذي قبله .

ورجلاً من بنى عمرو بن عوف ، امتريا فى المسجد الذى أسس على التقوى ، فقال الخدرىُّ : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال العوفى : هو مسجد قباء . فأتيا النبى صلى الله عليه وسلم وسألاه فقال : هو مسجدى هذا ، وفى كلٍّ خيرٌ .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ (١٠٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فى حاضرى المسجد الذى أسس على التقوى من أول يوم ، رجال يحبُّون أن ينظفوا مقاعدَهم بالماء إذا أتوا الغائط ، والله يحبّ المتطهّرين بالماء .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٢٢٥ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا أبو داود قال، حدثنا همام ابن يحيى ، عن قتادة، عن شهر بن حوشب قال : لما نزل : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا » ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الطُّهور الذى أثنى الله عليكم ؟ قالوا : يا رسول الله ، نغسل أثر الغائط .(٢)

---

(١) الأثر : ١٧٢٢٤ — رواه أحمد فى مسنده، كما أشرت إليه فى التعليق على رقم : ١٧٢٢٢ و « صفوان بن عيسى الزهرى » ، من شيوخ أحمد ، ثقة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٣١٠/٢/٢ ، وابن أبى حاتم ٤٢٥/١/٢ .

(٢) الأثر : ١٧٢٢٥ — حديث شهر بن حوشب المرسل ، سيأتى ذكره فى التعليق على رقم : ١٧٢٢٨ ، بعده .

١٧٢٢٦ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لأهل قُباء: إن الله قد أحسن عليكم الثناء فى الطُّهور، فما تصنعون ؟ قالوا : إنا نغسل عنَّا أثر الغائط والبوْل .

١٧٢٢٧ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قال : لما نزلت : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا » ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : يا معشر الأنصار ، ما هذا الطُّهور الذى أثنى الله عليكم فيه ؟ قالوا : إنا نَسْتطيب بالماء إذا جئنا من الغائط .

١٧٢٢٨ – حدثني جابر بن الكردى قال، حدثنا محمد بن سابق قال ، حدثنا مالك بن مغول ، عن سيَّارٍ أبى الحكم ، عن شهر بن حوشب ، عن محمد ابن عبد الله بن سلام قال: قام علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ألا أخبرونى ، فإن الله قد أثنى عليكم بالطُّهور خيرًا ؟ فقالوا: يا رسول الله ، إنا نجد عندنا مكتوباً فى التوراة، الاستنجاءُ بالماء .(١)

---

(١) الأثر : ١٧٢٢٨ – حديث شهر بن حوشب ، عن محمد بن عبد الله بن سلام ، سيأتى من طرق ، هذا ثم : ١٧٢٢٩ – ١٧٢٣١ ، ١٧٢٤٠ .

« جابر بن الكردى بن جابر الواسطى » ، شيخ الطبرى ، ثقة مضى برقم : ٧٢١٦ .

و « محمد بن سابق التميمى » ، ثقة ، قيل إنه ليس ممن يوصف بالضبط فى الحديث . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/١/١١١ ، وابن أبى حاتم ٣/٢/٢٨٣ ، ولم يذكرا فيه جرحاً .

و « مالك بن مغول بن عاصم البجلى » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ٥٤٣١ ، ١٠٨٧٢ ، ١٤٢٦٨ .

و « سيار ، أبو الحكم العنزى » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ٣٩ .

و « شهر بن حوشب الأشعرى » ، ثقة ، مضى برقم : ١٤٨٩ ، ٥٢٤٤ ، ٦٦٥٠ – ٦٦٥٢ ، وبعدها كثير .

و « محمد بن عبد الله بن سلام بن الحارث الخزرجى الإسرائيلى » ، له رؤية ورواية محفوظة . مترجم فى تعجيل المنفعة : ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، والكبير ١/١/١٨ ، وابن أبى حاتم ٣/٢/٢٩٧ ، والاستيعاب : ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، وأسد الغابة ٤ : ٣٢٤ ، والإصابة ، فى ترجمته .

وهذا الخبر رواه أحمد فى مسنده ٦ : ٦ ، من طريق « يحيى بن آدم ، حدثنا مالك – يعنى ابن مغول – قال سمعت سياراً أبا الحكم غير مرة يحدث عن شهر بن حوشب ، عن محمد بن عبد الله ابن سلام قال : لما قدم رسول الله . . . »

١٧٢٢٩ – حدثنا سفيان بن وكيع قال، حدثنا [يحيى بن رافع] ، عن مالك بن مغول قال، سمعت سياراً أبا الحكم غير مرة يحدث، عن شهر بن حوشب، عن محمد بن عبد الله بن سلام قال : لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم على أهل قُباء قال : إن الله قد أثنى عليكم بالطهور خيراً = يعني قوله : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا » = قالوا : إنا نجده مكتوباً عندنا في التوراة، الاستنجاءُ بالماء .(١) ٢٣/١١

١٧٢٣٠ – حدثنا أبو هشام الرفاعي قال، حدثنا [يحيى بن رافع]، قال، حدثنا مالك بن مغول ، عن سيار ، عن شهر بن حوشب ، عن محمد بن عبد الله ابن سلام = قال يحيى : ولا أعلمه إلا عن أبيه = قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لأهل قباء : إن الله قد أثنى عليكم في الطهور خيراً ! قالوا : إنا نجده

ورواه البخاري في التاريخ الكبير ١/١/١٨ من طريق محمد بن يوسف ، عن مالك بن مغول ، بنحوه ، ثم قال : « وقال إسحق ، عن جرير ، عن ليث ، عن رجل من الأنصار من أهل قباء : لما نزلت ، بهذا » . فبين الاختلاف فيه على شهر بن حوشب ، وأنه أبهم الرجل من الأنصار .

وأشار إليه الحافظ ابن عبد البر في ترجمته وقال : « حديثه مخرج في التفسير ، ويختلف في إسناد حديثه هذا ، ومنهم من يجعله مرسلا » ، والمرسل هو رواية الطبري السالفة رقم : ١٧٢٢٥ ، وقال ابن حجر في الإصابة : « قال ابن منده : رواه داود بن أبي هند ، عن شهر مرسلا ، لم يذكر محمداً ولا أباه » .

ورواه ابن الأثير في أسد الغابة في ترجمته .

وسيأتي في رقم : ١٧٢٣٠ ، قول يحيى بن آدم « ولا أعلم إلا عن أبيه » . فانظر التعليق على الأثر هناك .

(١) الأثر : ١٧٢٢٩ – « يحيى بن رافع » ، هكذا جاء في الموضعين في مطبوعة الطبري ومخطوطته ، ولا أدري كيف وقع هذا ، فليس في هذه الطبقة من الرواة من أعرفه يقال له « يحيى ابن رافع » ، وأما « يحيى بن رافع الثقفي » ، فهذا قديم جداً سمع عثمان وأبا هريرة ، ومضى برقم : ٥٧٧٧ ، ولكنه لما وقع هكذا في الموضعين أثبته على حاله .

أما الذي لا أكاد أشك فيه ، فالصواب أنه « يحيى بن آدم » ، كما جاء في مسند أحمد ، وكما ذكره الحافظ ابن حجر في تعجيل المنفعة ، والإصابة ، وذكر أيضاً رواية أبي هشام الرفاعي عن يحيى بن آدم ، كما سترى بعد ، من طريق البغوي .

وهذا الخبر ، رواه ابن حجر في الإصابة ، وقال : « أخرجه أحمد ، والبخاري في تاريخه ، وأبو بكر بن أبي شيبة ، وابن قانع ، والبغوي » . وانظر التعليق على رقم : ١٧٢٢٨ ، وعلى رقم : ١٧٢٣٠ .

مكتوباً علينا فى التوراة ، الاستنجاءُ بالماء . وفيه نزلت : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا » .(١)

---

(١) الأثر : ١٧٢٣٠ – هكذا « يحيى بن رافع » ، والصواب المرجح « يحيى بن آدم » كما سلف فى التعليق الماضى .

ومن هذا الطريق ذكره الحافظ ابن حجر فى الإصابة وتعجيل المنفعة ، وفيه زيادة « ولا أعلمه إلا عن أبيه » ، ونسبه إلى البغوى فى الصحابة ، ثم أعقبه بقوله : « قال قال أبو هشام (يعنى الرفاعى) ، وكتبته من أصل كتاب يحيى بن آدم ، ليس فيه عن أبيه » ثم قال : « وقال البغوى : حدث به الفريابى ، عن مالك بن مغول ، عن سيار ، عن شهر ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، لم يذكر أباه » . ثم قال : « روى سلمة بن رجاء ، عن مالك بن مغول ، فزاد فيه : عن أبيه . وقال أبو زرعة الرازى : الصحيح عندنا عن محمد ، ليس فيه : عن أبيه » .

وخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ١ : ٢١٢ ، ٢١٣ على محمد بن عبد الله بن سلام ، عن أبيه ، ثم قال : « رواه الطبرانى فى الكبير ، وفيه شهر بن حوشب ، وقد اختلفوا فيه . ولكنه وثقه أحمد ، وابن معين ، وأبو زرعة ، ويعقوب بن أبى شيبة » ثم خرجه عن محمد بن عبد الله بن سلام ، ثم قال : « رواه أحمد عن محمد بن عبد الله بن سلام ، ولم يقل : عن أبيه ، كما قال الطبرانى . وفيه شهر أيضاً » .

فهذا الذى ذكرته دال ، أولا ، على أن صواب الاسم « يحيى بن آدم » ، لا « يحيى بن رافع » كما وقع فى المخطوطة والمطبوعة . ودال أيضاً على الاختلاف فى هذا الخبر اختلافاً يوجب النظر .

ثم بقى شىء آخر ، لم أجد من ذكره فى الكلام على هذا الخبر ، أرجو أن أكون أصبت فى ذكره وبيانه .

وذلك أن الثناء من الله على رجال يحبون أن يتطهروا ، كانوا يلزمون المسجد الذى أسس على التقوى من أول يوم ، وهو مسجد قباء بلاشك . وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما سأل هؤلاء عن ثناء الله عليهم . وهؤلاء الرجال هم من بنى عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، ومنزلهم بقباء . وهم قوم عرب على دينهم فى الجاهلية ، لم يذكر أحد أنهم كانوا يهوداً .

وخبر شهر بن حوشب هذا ، عن محمد بن عبد الله بن سلام ، ذكر فيه ثناء الله على هؤلاء الرجال ، وأن جوابهم كان : « إنا نجد عندنا مكتوباً فى التوراة ، الاستنجاء بالماء » ، فظاهر هذا الخبر يدل على أن دينهم كان اليهودية . وذلك ما لم أجد قائلا قال به .

و « محمد بن عبد الله بن سلام » ، وأبوه « عبد الله بن سلام بن الحارث » ، من بنى قينقاع ، من اليهود ، من ذرية يوسف النبى عليه السلام ، وكان عبد الله بن سلام حليف القواقل من الخزرج ، وهم بنو عمرو بن عوف بن الخزرج ، وليسوا من « بنى عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس » فى شىء ، ومنازل هؤلاء غير منازل هؤلاء . وفى إسلام عبد الله بن سلام (سيرة ابن هشام ٢ : ١٦٣) ، أنه قال ، وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهجرته : « فلما نزل بقباء ، فى بنى عمرو بن عوف ، أقبل رجل حتى أخبر بقدومه ، وأنا فى رأس نخلة لى أعمل فيها » ، فعبد الله بن سلام ، وولده لم يكن منهم أحد بقباء .

فقوله فى الخبر رقم : ١٧٢٢٨ « قام علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ألا أخبرونى . . . » ، إلى آخر الخبر ، مشكل جداً ، لأن الخبر خبر محمد بن عبد الله بن سلام ، والضمير فيه راجع

١٧٢٣١ – حدثني عبد الأعلى بن واصل قال ، حدثنا إسمعيل بن صبيح اليشكري قال ، حدثنا أبو أويس المدني ، عن شرحبيل بن سعد ، عن عويم بن ساعدة ، وكان من أهل بدر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل قباء : إني أسمع الله قد أثنى عليكم الثَّناء في الطهور ،(١) فما هذا الطهور ؟ قالوا : يا رسول الله ، ما نعلم شيئاً ، إلا أن جيراناً لنا من اليهود رأيناهم يغسلون أدبارهم من الغائط ، فغسلنا كما غسلوا .(٢)

إليه وإلى قومه أو حلفائه بني عمرو بن عوف بن الخزرج ، وهذا لا يصح البتة ، بدليل قوله في الذي يليه : أن ذلك كان « لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم على أهل قباء » .

وهذا الذي ذكرت اضطراب شديد في صلب الخبر ، لا يرفعه شيء . ومهما يكن من أمر إسناده ، واختلاف المختلفين فيه على شهر بن حوشب ، فإن علته في سياقه ، أشد من علته في إسناده عندي . والله أعلم من أين أتى هذا الاضطراب؟ والذي لاشك فيه : أنه بعيد جدًّا أن يكون هذا الجواب من كلام بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، وأنه أشبه بأن يكون كلام أحد من حلفائهم اليهود . وأوضح منه ما جاء في خبر عويم بن ساعدة (رقم : ١٧٢٣١) ، وهو : « ما نعلم شيئاً ، إلا أن جيراناً لنا من اليهود ، رأيناهم يغسلون أدبارهم من الغائط ، فغسلنا كما غسلوا » . فهذا أبين ، وأقرب إلى سياق ما سئلوا عنه ، وأدنى إلى رفع الاضطراب . والله تعالى أعلم .

(١) في المسند : « قد أحسن عليكم الثناء » ، ولو قرىء في ما في المخطوطة : « قد أسنى » بمعنى : رفع ، لكان حسناً .

(٢) الأثر : ١٧٢٣١ – « عبد الأعلى بن واصل بن عبد الأعلى بن هلال الأسدي » ، شيخ الطبري ، مضى برقم : ١١١٢٥ .

و « إسماعيل بن صبيح اليشكري » ، ثقة ، مضى برقم : ٢٩٩٦ ، ٨٦٤٠ ، ١١١٥٨ .

و « أبو أويس المدني » ، هو « عبد الله بن عبد الله بن أويس بن مالك الأصبحي » ، صدوق ، ليس بحجة ، مضى برقم : ٨٦٤٠ .

و « شرحبيل بن سعد الخطمي » ، قال أخي السيد أحمد فيما سلف رقم : ٨٣٩٦ : « الحق أنه ثقة ، إلا أنه اختلط في آخر عمره ، إذ جاوز المئة . وقد فصلنا القول فيه في شرح المسند : ٢١٠٤ .

وأخرج له ابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما ، والكلام في تضعيفه شديد ، وذكر الحافظ ابن حجر في التهذيب ، روايته عن عويم بن ساعدة فقال : « وفي سماعه من عويم بن ساعدة نظر ، لأن عويماً مات في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ويقال : في خلافة عمر رضي الله عنه » .

وهذا الخبر رواه أحمد في مسنده ٣ : ٤٢٢ من طريق حسين بن محمد ، عن أبي أويس ، بنحوه .

وذكره ابن كثير في تفسير ٤ : ٤١ ، ثم قال : « ورواه ابن خزيمة في صحيحه » . وخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ١ : ٢١٢ ، وقال : « رواه أحمد ، والطبراني في الثلاثة . وفيه شرحبيل بن سعد ، ضعفه مالك ، وابن معين ، وأبو زرعة ، ووثقه ابن حبان » .

١٧٢٣٢ – حدثني محمد بن عمارة قال، حدثنا محمد بن سعيد قال ، حدثنا إبراهيم بن محمد ، عن شرحبيل بن سعد قال : سمعت خزيمة بن ثابت يقول : نزلت هذه الآية : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين » ، قال : كانوا يغسلون أدبارهم من الغائط .

١٧٢٣٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن ابن أبي ليلى ، عن عامر قال : كان ناس من أهل قُباء يستنجون بالماء ، فنزلت : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين » .

١٧٢٣٤ – حدثنا الحسن بن عرفة قال ، حدثنا شبابة بن سوار، عن شعبة ، عن مسلم القُرِّيّ قال : قلت لابن عباس : أصبُّ على رأسي ؟ = وهو محرم = قال : ألم تسمع الله يقول : « إن الله يحب التوّابين ويحب المتطهرين » ؟[1]

١٧٢٣٥ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا حفص ، عن داود ، وابن أبي ليلى، عن الشعبي ، قال، لما نزلت : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا »، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل قباء : ما هذا الذي أثنى الله عليكم ؟ قالوا : ما منّا من أحدٍ إلا وهو يستنجي من الخلاء .

١٧٢٣٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن عبد الحميد المدني ، عن إبراهيم بن إسمعيل الأنصاري : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعويم بن ساعدة : ما هذا الذي أثنى الله عليكم : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين » ؟ قال : نوشك أن نغسل الأدبار بالماء ![2]

---

(١) الأثر : ١٧٢٣٤ – « مسلم القرى » بضم القاف وتشديد الراء ، نسبة إلى بني قرة ، من عبد القيس وهو مولاهم = هو : « مسلم بن مخراق العبدي القريّابي » ، ثقة ، مترجم في التهذيب ، والكبير ٤/١/٢٧١ ، وابن أبي حاتم ٤/١/١٩٤ .

(٢) الأثر : ١٧٢٣٦ – « عبد الحميد المدني »، ظني أنه « عبد الحميد بن سليمان الخزاعي، أبو عمر المدني الضرير » ، روى عن أبي حازم، وأبي الزناد، وروى عنه هشيم، وهو من أقرانه ، ضعيف الحديث . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٣/١/١٤ .

و « إبراهيم بن إسماعيل الأنصاري » ، ظني أيضاً أنه « إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع بن جارية

١٧٢٣٧ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن ابن سعد قال ، أخبرنا أبو جعفر ، عن حصين ، عن موسى بن أبي كثير قال : بدء حديث هذه الآية في رجال من الأنصار من أهل قباء : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين » ، فسألهم النبي صلى الله عليه وسلم ، قالوا : نستنجي بالماء .(١)

١٧٢٣٨ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أصبغ بن الفرج قال، أخبرني ابن وهب قال ، أخبرني يونس ، عن أبي الزناد قال : أخبرني عروة بن الزبير ، عن عويم بن ساعدة ، من بني عمرو بن عوف ، ومعن بن عدي ، من بني العجلان ، وأبي الدحداح = فأما عويم بن ساعدة ، فهو الذي بلغنا أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنِ الذين قال الله فيهم : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين » ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم الرجال ، منهم عويم بن ساعدة = لم يبلغنا أنه سمَّى منهم رجلاً غير عويم .(٢)

الأنصاري المدني » ، روى عن الزهري وغيره ، وهو ضعيف أيضاً ، كثير الوهم . مترجم في التهذيب والكبير ٢٧١/١/١ ، وابن أبي حاتم ٨٤/١/١ .

وفي تفسير ابن كثير ٤ : ٢٤١ « عن إبراهيم بن المعلى الأنصاري » ، ولم أجد له ذكراً في كتب الرجال .

(١) الأثر : ١٧٢٣٧ – « عبد الرحمن بن سعد » ، هو « عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد الدشتكي » ، مضى برقم : ١٠٦٦٦ ، ١٠٨٥٥ ، ١٧٠١١ .

و « أبو جعفر » هو « أبو جعفر الرازي » ، مضى مراراً كثيرة .

و « حصين » هو « حصين بن عبد الرحمن السلمي » ، مضى مراراً آخرها : ١٦٦٧١ .

و « موسى بن أبي كثير الأنصاري » ، ثقة ، في الحديث : مترجم في التهذيب ، والكبير ٢٩٣/١/٤ ، وابن أبي حاتم ٧/١/٤ .

(٢) الأثر : ١٧٢٣٨ – « أصبغ بن الفرج بن سعيد بن نافع الأموي » ، الفقيه المصري ، ثقة كان وراق ابن وهب ، وكان من أجل أصحابه ، وكان من أعلم خلق الله كلهم برأي مالك . مترجم في التهذيب ، والكبير ٣٧/٢/١ ، وابن أبي حاتم ٣٢١/١/١ .

وهذا الخبر جزء من حديث السقيفة (الفتح ١٢ : ١٣٣) ، وعلق عليه الحافظ ابن حجر هناك ، وذكر طرقه . وذكره في الإصابة في ترجمة « عويم بن ساعدة » ، وذكر هذه الزيادة عن الإسماعيلي قال : « وزاد الإسماعيلي في روايته قال الزهري ، فأخبرني عروة بن الزبير أن الرجلين

١٧٢٣٩ – حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن هشام بن حسان قال ، حدثنا الحسن قال : لما نزلت هذه الآية : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين » ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما هذا الذى ذكركم الله به فى أمر الطهور ، فأثنى به عليكم ؟ قالوا : نغسل أثر الغائط والبول .

١٧٢٤٠ – حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن مالك بن مغول قال ، سمعت سياراً أبا الحكم يحدّث ، عن شهر بن حوشب ، ٢٤/١١
عن محمد بن عبد الله بن سلام قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة = أو قال : قدم علينا رسول الله = فقال : إن الله قد أثنى عليكم فى الطهور خيراً ، أفلا تخبرونى ؟ قالوا : يا رسول الله ، إنا نجد علينا مكتوباً فى التوراة ، الاستنجاءُ بالماء = قال مالك : يعنى قوله : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا » .(١)

١٧٢٤١ – حدثني أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية قال : لما نزلت هذه الآية : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا » ، سألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما طهوركم هذا الذى ذكرَ الله؟

اللذين لقياهما ، هما : عويم بن ساعدة ، ومعن بن عدى ، فأما عويم ، فهو الذى بلغنا . . . » ، بنحوه .

وخبر السقيفة ، رواه البخارى (الفتح ١٢ : ١٢٨ – ١٣٩) من طريق عبد العزيز بن عبد الله ، عن إبراهيم بن سعد ، عن صالح ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن ابن عباس .

ورواه أحمد فى مسنده رقم : ٣٩١ ، من طريق مالك بن أنس ، عن ابن شهاب الزهرى . (وفى المسند : « عويمر بن ساعدة » ، وهو خطأ ، صوابه : عويم بن ساعدة) .

ورواه ابن سعد فى الطبقات ٣١/٢/٣ ، مختصراً ، وفيه نحو لفظ خبر أبى جعفر ، من طريق يعقوب بن إبراهيم بن سعد الزهرى ، عن أبيه ، عن صالح بن كيسان ، عن ابن شهاب ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، وفيه « قال ابن شهاب : وأخبرنى عروة بن الزبير أن الرجلين اللذين لقوهما ، عويم بن ساعدة ، ومعن بن عدى . فأما عويم بن ساعدة ، فهو الذى بلغنا . . . » ، بنحوه .

(١) الأثر : ١٧٢٤٠ – هذا مكرر الآثار السالفة من رقم : ١٧٢٢٥ ، ثم رقم : ١٧٢٢٨ – ١٧٢٣٠ ، فانظر التعليق عليها هناك .

قالوا : يا رسول الله، كنا نستنجى بالماء فى الجاهلية ، فلما جاء الإسلام لم ندعْه . قال : فلا تدَعوه .

١٧٢٤٢ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : كان فى مسجد قُباء رجال من الأنصار يوضِّئون سَفِلَتهم بالماء، [١] يدخلون النخل والماء يجرى فيتوضئون، فأثنى الله بذلك عليهم فقال : «فيه رجال يحبون أن يتطهروا»، الآية .

١٧٢٤٣ – حدثنا أحمد قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا طلحة بن عمرو ، عن عطاء قال : أحدث قوم الوضوء بالماء من أهل قباء ، فنزلت فيهم : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين » .

* * *

وقيل : « والله يحب المطهرين »، وإنما هو : «المتطهِّرين»، ولكن أدغمت التاء فى الطاء، فجعلت طاء مشددة، لقرب مخرج إحداهما من الأخرى . [٢]

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (١٠٩)

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة قوله : « أفمن أسس بنيانه » .

فقرأ ذلك بعض قرأة أهل المدينة : ﴿ أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ

---

(١) قوله : « يوضئون سفلتهم » يعنى ، يغسلون أدبارهم . و « السفلة » بمعنى المقعدة والدبر ، لم تذكر فى كتب اللغة ، والمذكور بهذا المعنى « السافلة » . وضبطتها « بفتح السين وكسر الفاء » قياساً على قولهم : « سفلة البعير » ، وهى قوائمه ، لأنها أسفل .

(٢) انظر تفسير « المطهر » فيما سلف ٤ : ٣٨٤ .

اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ﴾، على وجه ما لم يسمَّ فاعله فى الحرفين كليهما .

* * *

وقرأت ذلك عامة قرأة الحجاز والعراق : ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ﴾ ، على وصف «من» بأنه الفاعل الذى أسس بنيانه .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وهما قراءتان متفقتا المعنى ، فبأيّهما قرأ القارئ فمصيبٌ . غير أن قراءته بتوجيه الفعل إلى « من »، إذ كان هو المؤسس ،(٢) أعجبُ إلىّ .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام إذًا : أىُّ هؤلاء الذين بنوا المساجد خير ، أيها الناس، عندكم : الذين ابتدأوا بناء مسجدهم على اتقاء الله ، بطاعتهم فى بنائه، وأداء فرائضه ورضىً من الله لبنائهم ما بنوه من ذلك ، وفعلهم ما فعلوه=خيرٌ ، أم الذين ابتدأوا بناءَ مسجدهم على شفا جُرُفٍ هارٍ ؟

* * *

يعنى بقوله : « على شفا جرف » ، على حرف جُرُف .(٣)

* * *

و«الجرف »، من الركايا، ما لم يُبْنَ له جُولٌ(٤)

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « على وصف من بناء الفاعل » ، وهو خلط فى الكلام ، صوابه ما فى المخطوطة ، وهو ما أثبته .

(٢) فى المطبوعة : « إذ كان من المؤسس » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو محض صواب .

(٣) انظر تفسير « الشفا » فيما سلف ٧ : ٨٥ ، ٨٦ .

(٤) فى المطبوعة : « من الركى » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو مطابق لما فى مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٦٩ ، وهذا نص كلامه .

و « الركايا » جمع « ركية » ، وتجمع أيضاً على « ركى » ، بحذف التاء ، وهى البئر .

و « الجول » (بضم الجيم) ، هو جانب البئر والقبر إلى أعلاها من أسفلها .

وهذا التفسير الذى ذكره أبو عبيدة ، لم أجده فى تفسير الكلمة فى كتب اللغة ، ولكنه جائز صحيح المعنى ، إن صحت روايته .

« هار »، يعنى متهوِّر. وإنما هو «هائر »، ولكنه قلب ، فأخّرت ياؤها فقيل : «هارٍ»، كما قيل: « هو شاكى السلاح »،[١] و « شائك »،وأصله من « هار يهور فهو هائر »، وقيل : « هو من هارَ يهار »، إذا انهدم . ومن جعله من هذه اللغة قال: «هِرْت يا جرف» ، ومن جعله « من هار يهور »، قال: «هُرْت يا جرف» .

* * *

قال أبو جعفر : وإنماهذا مَثَلٌ. يقول تعالى ذكره: أيّ هذين الفريقين خير؟ وأيّ هذين البناءين أثبت؟ أمَن ابتدأ أساس بنائه على طاعة الله ، وعلمٍ منه بأن بناءه لله طاعة ، والله به راضٍ ، أم من ابتدأه بنفاق وضلال ، وعلى غير بصيرة منه بصواب فعله من خطئه ، فهو لا يدرى متى يتبين له خطأ فعله وعظيم ذنبه ، فيهدمه، كما يأتى البناءُ على جرف ركيّةٍ لا حابس لماء السيول عنها ولغيره من المياه، ثَرِيّةِ التراب متناثرة ،[٢] لا تُلْبِثه السيول أن تهدمه وتنثره ؟

* * *

= يقول الله جل ثناؤه: « فانهار به فى نار جهنم »، يعنى : فانتثر الجرف الهارى ببنائه فى نار جهنم، كما : —

١٧٢٤٤ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « فانهار به » ، يعنى قواعده = « فى نار جهنم » .[٣]

١٧٢٤٥ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « فانهار به » ، يقول: فخرّ به .

١٧٢٤٦ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ٢٥/١١
قوله : « أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله » إلى قوله : « فانهار به فى نار جهنم »،

---

(١) فى المطبوعة : « شاك السلاح » ، والصواب ما فى المخطوطة ، بالياء فى آخره .

(٢) فى المطبوعة : « ترى به التراب متناثراً » ، غير ما فى المخطوطة ، إذ كانت غير منقوطة ، ويقال : « أرض ثرية » ، إذا كانت ذات ثرى وندى . و « ثريت الأرض فهى ثرية » ، إذا نديت ولانت بعد الجدوبة واليبس .

(٣) فى المطبوعة ، أسقط « يعنى » .

قال : والله ما تناهَى أنْ وقع فى النار . ذكر لنا أنه تحفَّرت بقعة منها ،[١] فرُؤى منها الدخان .

١٧٢٤٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج : بنو عمرو بن عوف . استأذنوا النبى صلى الله عليه وسلم فى بنيانه ، فأذن لهم ، ففرغوا منه يوم الجمعة ، فصلوا فيه الجمعة ويوم السبت ويوم الأحد . قال : وانهار يوم الاثنين . قال : وكان قد استنظرهم ثلاثاً ، السبت والأحد والاثنين =« فانهار به فى نار جهنم »، مسجد المنافقين ، انهار فلم يتناهَ دون أن وقع فى النار = قال ابن جريج : ذكر لنا أن رجالاً حفروا فيه ، فأبصروا الدخان يخرج منه .

١٧٢٤٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحمانى قال ، حدثنا عبد العزيز ابن المختار ، عن عبد الله الداناج ، عن طلق بن حبيب ، عن جابر قوله : « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً » ، قال : رأيت المسجد الذى بنى ضراراً يخرج منه الدخان على عهد النبى صلى الله عليه وسلم .[٢]

١٧٢٤٩ — حدثنا محمد بن مرزوق البصرى قال ، حدثنا أبو سلمة قال ، حدثنا عبد العزيز بن المختار ، عن عبد الله الداناج قال ، حدثنى طلق العنزى ،

---

(١) فى المطبوعة : « أنه حفرت بقعة منه » ، وأثبت ما فى المخطوطة . وقوله « تحفرت » أى : صارت فيها حفرة ، وكأنه غيرها لأنها لم تذكر فى كتب اللغة ، ولكنها قياس عربى عريق . وقوله « منها » أى : من أرض مسجد الضرار .

(٢) الأثر : ١٧٢٤٨ — « عبد العزيز بن المختار الأنصارى ، الدباغ » ، ثقة ، روى له الجماعة . مضى برقم : ١٦٨٥ .

و « عبد الله الداناج » ، هو « عبد الله بن فيروز » و « دانا » بالفارسية ، العالم . ثقة ، مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٢/٢/١٣٦ .

و « طلق بن حبيب العنزى » ، ثقة ، سمع جابراً . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/٢/٣٦٠ ، وابن أبى حاتم ٢/١/٤٩٠ .

وهذا خبر صحيح الإسناد ، خرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٢٧٩ ، وقال : « أخرجه مسدد فى مسنده ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والحاكم ، وصححه ، وابن مردويه » .

وسيأتى بإسناد آخر فى الذى يليه .

عن جابر بن عبد الله قال : رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار .(١)

١٧٢٥٠ – حدثني سلام بن سالم الخزاعي قال ، حدثنا خلف بن ياسين الكوفي قال : حججت مع أبي في ذلك الزمان = يعني : زمان بني أمية = فمررنا بالمدينة ، فرأيت مسجد القبلتين = يعني مسجد الرسول = وفيه قبلة بيت المقدس ، فلما كان زمان أبي جعفر ، قالوا : يدخل الجاهل فلا يعرف القبلة ! فهذا البناءُ الذي ترون ، جرى على يَدِ عبد الصمد بن علي . ورأيت مسجد المنافقين الذي ذكره الله في القرآن ، وفيه حجر يخرج منه الدخان ، وهو اليوم مَزْبَلة .(٢)

* * *

قوله : « والله لا يهدي القوم الظالمين » ، يقول : والله لا يوفق للرشاد في أفعاله ، من كان بانياً بناءه في غير حقه وموضعه ، ومن كان منافقاً مخالفاً بفعله أمرَ الله وأمرَ رسوله .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (١١٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : لا يزال بنيان هؤلاء الذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً = « ريبة » يقول : لا يزال مسجدهم الذي بنوه = « ريبة في قلوبهم » ،

---

(١) الأثر : ١٧٢٤٩ – هو مكرر الأثر السالف .

«محمد بن مرزوق» ، هو «محمد بن محمد بن مرزوق الباهلي» . شيخ الطبري ، مضى برقم : ٢٨ ، ٨٢٢٤ .

و «أبو سلمة» ، هو : «موسى بن إسماعيل المنقري التبوذكي» ، ثقة . مضى برقم : ١٥٢٠٢ .

(٢) الأثر : ١٧٢٥٠ – « سلام بن سالم الخزاعي » ، شيخ الطبري ، مضى برقم : ٢٥٢ ، ٦٥٢٩ .

و « خلف بن ياسين الكوفي » ، مضى برقم : ٢٥٢ ، ورواية « سلام بن سالم الخزاعي »

يعني : شكًّا ونفاقاً فى قلوبهم ، يحسبون أنهم كانوا فى بنائه مُحْسنين[1] = « إلا أن تقطع قلوبهم » ، يعني : إلا أن تتصدع قلوبهم فيموتوا = « والله عليم » ، بما عليه هؤلاء المنافقون الذين بنوا مسجد الضرار ، من شكهم فى دينهم ، وما قصدوا فى فى بنائهموه وأرادوه ، وما إليه صائرٌ أمرهم فى الآخرة ، وفى الحياة ما عاشوا ، وبغير ذلك من أمرهم وأمر غيرهم = « حكيم » ، فى تدبيره إياهم ، وتدبير جميع خلقه .[2]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٢٥١ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثني معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم » ، يعني : شكًّا = « إلا أن تقطع قلوبهم » ، يعني الموت .

١٧٢٥٢ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « ريبة فى قلوبهم » ، قال : شكًّا فى قلوبهم = « إلا أن تقطع قلوبهم » ، إلى أن يموتوا .

١٧٢٥٣ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : «لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم» ، يقول : حتى يموتوا .

عنه . وذكر أخى السيد أحمد هناك أنه قد يكون « خلف بن ياسين بن معاذ الزيات » ، وهو كذاب . والظاهر أنه هو هو ، لأن خلفاً يروى فى هذا الخبر عن أبيه ، وأبوه « ياسين بن معاذ الزيات » ، وهو أيضاً ضعيف متروك الحديث ، وكان من كبار فقهاء الكوفة ، روى عن الزهرى ، ومكحول ، وحماد بن أبى سليمان ، وهو مترجم فى لسان الميزان ٦ : ٢٣٨ ، والكبير ٤/٢/٤٢٩ ، وقال : « يتكلمون فيه ، منكر الحديث » ، وابن أبى حاتم ٤/٢/٣١٢ ، وذكر أنه قد روى عنه ابنه خلف . ولكنه لم يترجم « خلف بن ياسين بن معاذ » . وهذا الخبر الشاهد بأن « ياسين » أبا خلف ، كان على عهد بنى أمية ، ورواية خلف ابنه عنه ، وشيوخ « ياسين » الذين روى عنهم ، كل ذلك دال على صواب ما ذهب إليه أخى ، من أن « خلف بن ياسين الكوفى » ، هو « خلف بن ياسين بن معاذ الزيات » .

(١) انظر تفسير « الريبة » فيما سلف ص : ٢٧٥ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « عليم » و « حكيم » فيما سلف من فهارس اللغة (علم) ، (حكم)

١٧٢٥٤ – حدثني مطر بن محمد الضبي قال ، حدثنا أبو قتيبة قال، حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد في قوله : « إلا أن تقطع قلوبهم » ، قال : إلا أن يموتوا .(١)

١٧٢٥٥ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « إلا أن تقطع قلوبهم »، قال: يموتوا .

١٧٢٥٦ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « إلا أن تقطع قلوبهم » ، قال : يموتوا . ٢٦/١١

١٧٢٥٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٧٢٥٨ – . . . . قال ، حدثنا سويد قال، حدثنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن قتادة والحسن : « لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم » ، قالا : شكًّا في قلوبهم .

١٧٢٥٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا إسحق الرازي قال، حدثنا أبوسنان عن حبيب : « لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم » ، قال : غيظاً في قلوبهم .

١٧٢٦٠ – . . . . قال، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « إلا أن تقطع قلوبهم » ، قال : يموتوا .

١٧٢٦١ – . . . . قال، حدثنا إسحق الرازي، عن أبي سنان، عن حبيب: « إلا أن تقطع قلوبهم » ، إلا أن يموتوا .

١٧٢٦٢ – . . . . قال ، حدثنا قبيصة،عن سفيان ، عن السدي : « ريبة في قلوبهم »،قال: كفر. قلت: أكفر مجمّع بن جارية؟ قال : لا، ولكنها حزازة.

---

(١) الأثر : ١٧٢٥٤ – « مطر بن محمد الضبي » ، انظر ما سلف رقم : ١٢١٩٨ ، ١٤٦١٠.

١٧٢٦٣ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن السدى : « لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم » ، قال : حزازة فى قلوبهم .

١٧٢٦٤ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « لايزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم »، لا يزال ريبة فى قلوبهم راضين بما صنعوا، كما حُبِّب العجل فى قلوب أصحاب موسى . وقرأ : ﴿ وَأُشْرِبُوا فِى قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾، [سورة البقرة : ٩٣]، قال : حبَّه = « إلا أن تقطع قلوبهم »، قال : لا يزال ذلك فى قلوبهم حتى يموتوا = يعنى المنافقين .

١٧٢٦٥ – حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا قيس ، عن السدى ، عن إبراهيم : « ريبة فى قلوبهم » ، قال شكًّا . قال قلت : يا أبا عمران ، تقول هذا وقد قرأت القرآن ؟ قال : إنما هى حَزَازة .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « إلا أن تقطع قلوبهم » .

فقرأ ذلك بعض قرأة الحجاز والمدينة والبصرة والكوفة : ﴿ إِلاَّ أَنْ تُقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ﴾ ، بضم التاء من «تقطع»، على أنه لم يسمَّ فاعله، وبمعنى : إلا أن يُقَطِّع الله قلوبهم.

* * *

وقرأ ذلك بعض قرأة المدينة والكوفة : ﴿ إِلاَّ أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ﴾، بفتح التاء من « تقطع »، على أن الفعل للقلوب . بمعنى : إلا أن تتقطَّع قلوبهم ، ثم حذفت إحدى التاءين .

* * *

وذكر أن الحسن كان يقرأ : ﴿ إِلَى أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ﴾ ، بمعنى : حتى تتقطع قلوبهم .(١)

* * *

وذكر أنها فى قراءة عبد الله : ﴿ وَلَوْ قُطِّعَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾، وعلى الاعتبار بذلك

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٥٢ .

قرأ من قرأ ذلك : ﴿ إلاَّ أَنْ تُقَطَّعَ ﴾ ، بضم التاء .

* * *

قال أبو جعفر : والقول عندى فى ذلك أن الفتح فى التاء والضم متقاربا المعنى ، لأن القلوب لا تتقطع إذا تقطعت ، إلا بتقطيع الله إياها ، ولا يقطعها الله إلاّ وهى متقطعة . وهما قراءتان معروفتان ، قد قرأ بكل واحد منهما جماعة من القرأة ، فبأتيهما قرأ القارئ فمصيبٌ الصوابَ فى قراءته .

وأما قراءة ذلك : ﴿ إِلَى أَنْ تَقَطَّعَ ﴾ ، فقراءةٌ لمصاحف المسلمين مخالفةٌ ، ولا أرى القراءة بخلاف ما فى مصاحفهم جائزةً .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (١١١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن الله ابتاعَ من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بالجنة =« وعدًا عليه حقًّا »=يقول : وعدهم الجنة جل ثناؤه ، وعداً عليه حقًّا أن يوفِّى لهم به ، فى كتبه المنزلة : التوراة والإنجيل والقرآن ، إذا هم وَفَوا بما عاهدوا الله ، فقاتلوا فى سبيله ونصرةِ دينه أعداءَه ، فقَتَلوا وقُتِلوا=« ومن أوفى بعهده من الله » ، يقول جل ثناؤه : ومن أحسن وفاءً بما ضمن وشرط من الله = «فاستبشروا» ، يقول ذلك للمؤمنين : فاستبشروا ، أيها المؤمنون ، الذين صَدَقوا الله فيما عاهدوا ، ببيعكم أنفسكم وأموالكم بالذى بعتموها من ربكم به ، فإن ذلك هو الفوز العظيم ، [1] كما :—

---

(١) انظر تفسير ألفاظ هذه الآية فيما سلف من فهارس اللغة .

١٧٢٦٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يعقوب ، عن حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية قال : ما من مسلم إلاّ ولله فى عنقه بَيْعة ، وَفى بها أو مات عليها ، فى قول الله : « إن الله اشترى من المؤمنين » إلى قوله : « وذلك هو الفوز العظيم » ، ثم حلاّهم فقال : « التائبون العابدون » إلى « وبشر المؤمنين » . ٢٧/١١

١٧٢٦٧ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم » ، يعنى : بالجنة .

١٧٢٦٨ – . . . . قال، حدثنا سويد قال، أخبرنا ابن المبارك ، عن محمد ابن يسار ، عن قتادة : أنه تلا هذه الآية : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » ، قال : ثامَنَهُم الله ، فأغلى لهم الثمن .(١)

١٧٢٦٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى منصور بن هرون ، عن أبى إسحق الفزارى ، عن أبى رجاء ، عن الحسن : أنه تلا هذه الآية : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم » ، قال : بايعهم فأغلى لهم الثمن .

١٧٢٧٠ – حدثنا الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظى وغيره قالوا : قال عبد الله بن رواحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : اشترط لربِّك ولنفسك ما شئت ! قال : أشترط لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأشترط لنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم . قالوا : فإذا فعلنا ذلك، فماذا لنا ؟ قال: الجنة! قالوا : ربح البيعُ ، لا نُقيل ولا نستقيل !(٢) فنزلت : « إن الله اشترى من المؤمنين » ، الآية .

---

(١) « ثامنت الرجل فى المبيع » ، إذا قاولته فى ثمنه وفاوضته ، وساومته على بيعه واشترائه .

(٢) « أقاله البيع يقيله إقالة » ، و « تقايلا البيعان » ، إذا فسخا البيع ، وعاد المبيع إلى مالكه ، والثمن إلى المشترى ، إذا كان قد ندم أحدهما أو كلاهما . وتكون « الإقالة » فى البيعة والعهد . و « استقاله » . طلب إليه أن يقيله .

١٧٢٧١ — . . . . قال ، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا عبيد بن طفيل العبسى قال ، سمعت الضحاك بن مزاحم ، وسأله رجل عن قوله : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم » ، الآية ، قال الرجل : ألا أحمل على المشركين فأقاتل حتى أقتل ؟ قال : ويلك ! أين الشرط ؟ « التائبون العابدون » .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْأٓمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١١٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن الله اشترى من المؤمنين التائبين العابدين أنفسهم وأموالهم = ولكنه رفع ، إذ كان مبتدأ به بعد تمام أخرى مثلها . والعرب تفعل ذلك ، وقد تقدّم بياننا ذلك فى قوله : ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ [سورة البقرة : ١٨] ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .(٢)

* * *

ومعنى : «التائبون» ، الراجعون مما كرهه الله وسخطه إلى ما يحبّه ويرضاه ،(٣) كما :—

١٧٢٧٢ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام بن سلم ، عن ثعلبة بن سهيل قال ، قال الحسن فى قول الله : « التائبون » ، قال : تابوا إلى الله من الذنوب كلها .(٤)

---

(١) الأثر : ١٧٢٧١ — « عبيد بن طفيل العبسى » ، هو « الغطفانى » ، « أبو سيدان » ، و « عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان » ، ولكنه فى كتب الرجال « الغطفانى » . وقد مضى برقم : ٢٥٤٧ .

(٢) انظر ما سلف ١ : ٣٣٠ ، ٣٣١ .

(٣) انظر تفسير « تائب » فيما سلف من فهارس اللغة (توب) .

(٤) الأثر : ١٧٢٧٢ — « ثعلبة بن سهيل الطهوى » ، ثقة ، مضى برقم : ١٢٢٧٣ . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/٢/١٧٥ ، وابن أبى حاتم ١/١/٤٦٤ .

١٧٢٧٣ – حدثنا سوار بن عبد الله العنبرى قال، حدثنى أبى ، عن أبى الأشهب ، عن الحسن : أنه قرأ « التائبون العابدون » ، قال : تابوا من الشرك ، وبرئوا من النفاق .

١٧٢٧٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة ، عن أبى الأشهب قال : قرأ الحسن : « التائبون العابدون » ، قال : تابوا من الشرك ، وبرئوا من النفاق .

١٧٢٧٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا منصور بن هرون ، عن أبى إسحق الفزارى ، عن أبى رجاء ، عن الحسن قال : التائبون من الشرك .

١٧٢٧٦ – حدثنا الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا جرير بن حازم قال : سمعت الحسن قرأ هذه الآية : « التائبون العابدون » ، قال الحسن : تابوا والله من الشرك، وبرئوا من النفاق .

١٧٢٧٧ – حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « التائبون » ، قال : تابوا من الشرك ، ثم لم ينافقوا فى الإسلام .

١٧٢٧٨ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج : « التائبون » ، قال : الذين تابوا من الذنوب ، ثم لم يعودوا فيها .

* * *

وأما قوله : « العابدون » فهم الذين ذلُّوا خشيةً لله وتواضعاً له، فجدُّوا فى خدمته ،[1] كما : –

١٧٢٧٩ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « العابدون » ، قوم أخذوا من أبدانهم فى ليلهم ونهارهم .

١٧٢٨٠ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن ثعلبة بن سهيل

---

(١) انظر تفسير « العابد » فيما سلف من فهارس اللغة (عبد) .

٢٨/١١ قال ، قال الحسن فى قول الله : « العابدون » ، قال : عبدوا الله على أحايينهم كلها ، فى السراء والضراء .

١٧٢٨١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى منصور بن هرون ، عن أبى إسحق الفزارى ، عن أبى رجاء ، عن الحسن : « العابدون » ، قال : العابدون لربهم .

* * *

وأما قوله : « الحامدون » ، فإنهم الذين يحمدون الله على كل ما امتحنهم به من خير وشر ، [1] كما : –

١٧٢٨٢ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « الحامدون » ، قوم حمدوا الله على كل حال .

١٧٢٨٣ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن ثعلبة قال ، قال الحسن : « الحامدون » ، الذين حمدوا الله على أحايينهم كلها ، فى السرّاء والضرّاء .

١٧٢٨٤ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى منصور بن هرون ، عن أبى إسحق الفزارى ، عن أبى رجاء ، عن الحسن : « الحامدون » ، قال : الحامدون على الإسلام .

* * *

وأما قوله : « السائحون » ، فإنه الصائمون ، كما : –

١٧٢٨٥ – حدثنى محمد بن عيسى الدامغانى وابن وكيع قالا ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن عبيد بن عمير =

١٧٢٨٦ – وحدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عمرو بن الحارث ، عن عمرو ، عن عبيد بن عمير قال : سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن « السائحين » فقال : هم الصائمون . [2]

---

(١) انظر تفسير « الحمد » فيما سلف ١ : ١٣٥ – ١١/١٤١ : ٢٤٩ .

(٢) الأثر : ١٧٢٨٦ – قال ابن كثير فى تفسيره ٤ : ٢٤٩ : « هذا مرسل جيد » ، وذكره السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٢٨١ ، من طريق عبيد بن عمير ، عن أبى هريرة ، ونسبه

١٧٢٨٧ – حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع قال، حدثنا حكيم بن حزام قال ، حدثنا سليمان ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « السائحون » ، هم الصائمون .

١٧٢٨٨ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا إسرائيل ، عن الأعمش، عن أبي صالح ،عن أبي هريرة قال : « السائحون »، الصائمون .(١)

١٧٢٨٩ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله قال : « السائحون » ، الصائمون .(٢)

١٧٢٩٠ – . . . . قال، حدثنا يحيى قال ، حدثنا سفيان قال ، حدثني عاصم ، عن زر ، عن عبد الله ، بمثله .

١٧٢٩١ – حدثني محمد بن عمارة الأسدي قال ، حدثنا عبيد الله قال ، أخبرنا شيبان ، عن أبي إسحق ، عن أبي عبد الرحمن قال : السياحةُ الصيام .

١٧٢٩٢ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن عطية قال ، حدثنا إسرائيل، عن أشعث،عن سعيد بن جبير ،عن ابن عباس قال : « السائحون » ، الصائمون.

١٧٢٩٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن أبيه = وإسرائيل، عن أشعث = عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : « السائحون » ، الصائمون .

١٧٢٩٤ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا الحماني قال، حدثنا إسرائيل ، عن أشعث ، عن سعيد بن جبير قال : « السائحون » ، الصائمون .

إلى الفريابي ، ومسدد في مسنده ، وابن جرير ، والبيهقي في شعب الإيمان . بيد أن ابن جرير لم يرفعه من هذه الطريق إلى أبي هريرة كما ترى .

(١) الأثران : ١٧٢٨٧ ، ١٧٢٨٨ – أولها مرفوع ، والآخر موقوف على أبي هريرة ، وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣ : ٢٨١ ، ونسبه إلى ابن جرير وأبي الشيخ ، وابن مردويه ، وابن النجار ، مرفوعاً ، وذكره السيوطي في تفسيره ٤ : ٢٤٨ ، وقال : « وهذا الموقوف أصح » .

(٢) الأثر : ١٧٢٨٩ – خرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ٣٤ ، ٣٥ ، عن عبد الله ابن مسعود ، ثم قال : «رواه الطبراني، وفيه عاصم بن بهدلة . وثقة جماعة ، وضعفه آخرون، وبقية رجاله رجال الصحيح » .

١٧٢٩٥ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن أشعث بن أبي الشعثاء، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، مثله.

١٧٢٩٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله ، مثله .

١٧٢٩٧ – . . . . قال ، حدثنا أبي ، عن أبيه، عن أبي إسحق ، عن عبد الرحمن قال : « السائحون » ، هم الصائمون .

١٧٢٩٨ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « السائحون » ، قال : يعني بالسائحين ، الصائمين .

١٧٢٩٩ – حدثنا ابن وكيع قال،حدثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : « السائحون » ، هم الصائمون .

١٧٣٠٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « السائحون » ، الصائمون .

١٧٣٠١ – . . . . قال، حدثنا عبد الله قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قال : كل ما ذكر الله في القرآن ذكر السياحة، هم الصائمون .[1]

١٧٣٠٢ – . . . . قال،حدثنا أبي ، عن المسعودي ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل، عن أبي عمرو العبدي قال: « السائحون »، الذين يُديمون الصيام من المؤمنين .

١٧٣٠٣ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن ثعلبة بن سهيل قال ، قال الحسن : « السائحون » ، الصائمون .

١٧٣٠٤ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني منصور بن

---

(١) في المطبوعة ، حذف « ذكر » من قوله : « ذكر السياحة » . والعبارة مضطربة بعض الاضطراب . وانظر أجود منها في رقم : ١٧٣٠٦ .

هرون، عن أبى إسحق الفزارى، عن أبى رجاء، عن الحسن قال : « السائحون » ، الصائمون شهر رمضان .

١٧٣٠٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو خالد ، عن جويبر ، عن ٢٩/١١ الضحاك قال : « السائحون » ، الصائمون .

١٧٣٠٦ – . . . . قال، حدثنا أبو أسامة ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : كل شيء فى القرآن « السائحون » ، فإنه الصائمون .

١٧٣٠٧ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك : « السائحون » ، الصائمون .

١٧٣٠٨ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « السائحون » ، يعنى الصائمين .

١٧٣٠٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن نمير ، ويعلى، وأبو أسامة ، عن عبد الملك ، عن عطاء قال : « السائحون » ، الصائمون .

١٧٣١٠ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن عطاء ، مثله .

١٧٣١١ – . . . . قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة قال ، حدثنا عمرو : وأنه سمع وهب بن منبه يقول : كانت السياحة فى بنى إسرائيل ، وكان الرجل إذا ساح أربعين سنةً ، رأى ما كان يرى السائحون قبله . فساح وَلَدُ بغيٍّ أربعين سنة ، فلم ير شيئاً ، فقال : أى ربِّ ، أرأيت إن أساء أبواى وأحسنت أنا ؟ قال : فَأَرِى ما رَأى السائحون قبله = قال ابن عيينة : إذا ترك الطعام والشراب والنساء ، فهو السَّائح .

١٧٣١٢ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة « السائحون » ، قوم أخذوا من أبدانهم ، صوماً لله .

١٧٣١٣ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا

إبراهيم بن يزيد ، عن الوليد بن عبد الله ، عن عائشة قالت : سياحةُ هذه الأمة الصيام .[١]

* * *

وقوله : « الراكعون الساجدون » ، يعني المصلين ، الراكعين فى صلاتهم ، الساجدين فيها ،[٢] كما : —

١٧٣١٤ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى منصور بن هرون عن أبى إسحق الفزارى ، عن أبى رجاء ، عن الحسن : « الراكعون الساجدون » ، قال : الصلاة المفروضة .

* * *

وأما قوله : « الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر » ، فإنه يعنى أنهم يأمرون الناس بالحق فى أديانهم ، واتباع الرشد والهدى ، والعمل[٣] = وينهونهم عن المنكر ، وذلك نهيهم الناسَ عن كل فعل وقول نهى الله عبادَه عنه .[٤]

* * *

وقد روى عن الحسن فى ذلك ما : —

١٧٣١٥ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى منصور بن هرون، عن أبى إسحق الفزارى، عن أبى رجاء، عن الحسن : « الآمرون بالمعروف»، لا إله إلاّ الله = « والناهون عن المنكر » ، عن الشرك .

١٧٣١٦ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن ثعلبة بن سهيل

---

(١) الأثر : ١٧٣١٣ — « إبراهيم بن يزيد الخوزى » ، متروك الحديث ، مضى برقم : ٧٤٨٤ ، ١٦٢٥٩ .

و « الوليد بن عبد الله بن أبى مغيث » ، ثقة ، مضى برقم : ١٦٢٥٩ ، ولم يدرك أن يروى عن عائشة ، فهو مرسل عن عائشة .

فهذا خبر ضعيف الإسناد جداً .

(٢) انظر تفسير « الركوع » ، و « السجود » فيما سلف من فهارس اللغة (ركع) ، (سجد) .

(٣) انظر تفسير « المعروف » فيما سلف ص : ٣٤٧، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « المنكر » فيما سلف ص : ٣٤٧، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

قال ، قال الحسن فى قوله : « الآمرون بالمعروف » ، قال : أمَا إنهم لم يأمروا الناس حتى كانوا من أهلها = « والناهون عن المنكر » ، قال : أمَا إنهم لم ينهوا عن المنكر حتى انتهوا عنه .

١٧٣١٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنى إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، قال : كل ما ذكر فى القرآن « الأمر بالمعروف » ، و « النهى عن المنكر » ، فالأمر بالمعروف ، دعاءٌ من الشرك إلى الإسلام = والنهى عن المنكر ، نهىٌ عن عبادة الأوثان والشياطين .

* * *

قال أبو جعفر : وقد دللنا فيما مضى قبل على صحة ما قلنا : من أن « الأمر بالمعروف » هو كل ما أمر الله به عباده أو رسوله صلى الله عليه وسلم ، و « النهى عن المنكر » ، هو كل ما نهى الله عنه عبادَه أو رسولُه . وإذ كان ذلك كذلك ، ولم يكن فى الآية دلالة على أنها عُنى بها خصوصٌ دون عموم ، ولا خبر عن الرسول ، ولا فى فطرة عقلٍ ، فالعموم بها أولى ، لما قد بينا فى غير موضع من كُتُبنا .

* * *

وأما قوله : « والحافظون لحدود الله » ، فإنه يعنى : المؤدّون فرائض الله ، المنتهون إلى أمره ونهيه ، الذين لا يضيعون شيئاً ألزمهم العملَ به ، ولا يركبون شيئاً نهاهم عن ارتكابه ، [1] كالذى :—

١٧٣١٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « والحافظون لحدود الله » ، يعنى القائمين على طاعة الله . وهو شرطٌ اشترطه على أهل الجهاد ، إذا وَفَوا لله بشرطه ، وفى لهم بشرطهم . [2]

---

(١) انظر تفسير « الحفظ » فيما سلف ٥ : ٨/١٦٧ : ١٠/٢٩٥ : ١١/٥٦٢ : ٥٣٢ .
= وتفسير « الحدود » فيما سلف : ص : ٤٢٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) فى المطبوعة : « إذا وفوا الله بشرطه ، وفى لهم شرطهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

٣٠/١١ ١٧٣١٩ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « والحافظون لحدود الله » ، قال : القائمون على طاعة الله .

١٧٣٢٠ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن ثعلبة بن سهيل قال، قال الحسن في قوله : « والحافظون لحدود الله » ، قال : القائمون على أمر الله .

١٧٣٢١ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني منصور بن هرون ، عن أبي إسحق الفزاري ، عن أبي رجاء، عن الحسن: « والحافظون لحدود الله » ، قال : لفرائض الله .

* * *

وأما قوله : « وبشر المؤمنين »، فإنه يعني : وبشّر المصدِّقين بما وعدهم الله إذا هم وفَّوا الله بعهده ، أنه مُوفٍّ لهم بما وعدهم من إدخالهم الجنة ، (١) كما : –

١٧٣٢٢ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا هوذة بن خليفة قال ، حدثنا عوف ، عن الحسن : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم »، حتى ختم الآية ، قال : الذين وفوا ببيعتهم=« التائبون العابدون الحامدون »،حتى ختم الآية ، فقال : هذا عملهم وسيرهم في الرخاء ، ثم لقوا العدوّ فصدَقوا ما عاهدوا الله عليه .

* * *

وقال بعضهم : معنى ذلك : وبشر من فعل هذه الأفعال = يعني قوله : « التائبون العابدون » ، إلى آخر الآية = وإن لم يغزوا

* ذكر من قال ذلك :

١٧٣٢٣ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني منصور بن هرون، عن أبي إسحق الفزاري ، عن أبي رجاء ، عن الحسن : « وبشر المؤمنين »، قال : الذين لم يغزوا .

* * *

---

(١) انظر تفسير « التبشير » فيما سلف ص: ١٧٤ ، تعليق : ١، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ما كان ينبغى للنبي محمدٍ صلى الله عليه وسلم ، والذين آمنوا به=« أن يستغفروا » ، يقول : أن يدعوا بالمغفرة للمشركين ، ولو كان المشركون الذين يستغفرون لهم = « أولى قربى » ، ذوى قرابة لهم = « من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم » ، يقول : من بعد ما ماتوا على شركهم بالله وعبادة الأوثان ، وتبين لهم أنهم من أهل النار ، لأن الله قد قضى أن لا يغفر لمشرك ، فلا ينبغى لهم أن يسألوا ربهم أن يفعل ما قد علموا أنه لا يفعله . فإن قالوا : فإن إبراهيم قد استغفر لأبيه وهو مشرك ؟ فلم يكن استغفارُ إبراهيم لأبيه إلا لموعدة وعدها إياه . فلما تبين له وعلم أنه لله عدوٌّ ، خلاّه وتركه ، وترك الاستغفار له ، وآثر الله وأمرَه عليه ، فتبرأ منه حين تبين له أمره .(١)

* * *

واختلف أهل التأويل فى السبب الذى نزلت هذه الآية فيه .

فقال بعضهم : نزلت فى شأن أبى طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يستغفر له بعد موته ، فنهاه الله عن ذلك .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٣٢٤ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة ، دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية ، فقال : يا عم ، قل : لا إله إلا الله ، كلمةً

(١) انظر تفسير ألفاظ الآية فيما سلف من فهارس اللغة .

أحاجُّ لك بها عند الله ! فقال له أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب ، أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لأستغفرن لك ما لم أنْهَ عنك ! فنزلت : « ما كان النبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين » ، ونزلت : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ ، [سورة القصص : ٥٦] .

١٧٣٢٥ – حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال ، حدثنا عمي عبد الله بن وهب قال ، حدثني يونس ، عن الزهري قال ، أخبرني سعيد بن المسيب ، عن أبيه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاةُ ، جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عم ، قل : لا إله إلا الله ، كلمةً أشهد لك بها عند الله ! قال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب ، أترغب عن مِلَّة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعيدُ له تلك المقالة ، حتى قال أبو طالب آخرَ ما كلَّمهم : « هو على ملة عبد المطلب » ، وأبى أن يقول : « لا إله إلا الله » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله لأستغفرنَّ لك ما لم أنْهَ عنك ! فأنزل الله : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين » ، وأنزل الله في أبي طالب ، فقال لرسول الله : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ الآية .(١) ٣١/١١

١٧٣٢٦ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا

---

(١) الأثر : ١٧٣٢٥ – هذا حديث صحيح . رواه البخاري في صحيحه (الفتح ٣ : ١٧٦ ، ١٧٧) من طريق إسحق ، عن يعقوب بن ابراهيم ، عن أبي صالح ، عن ابن شهاب الزهري ، ورواه أيضاً (الفتح ٨ : ٢٥٨) من طريق إسحق بن إبراهيم ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، ثم رواه أيضاً (الفتح ٨ : ٣٨٩) من طريق أبي اليمان ، عن شعيب ، عن الزهري .

ورواه مسلم في صحيحه ١ : ٢١٣ – ٢١٦ ، من طرق ، أولها هذه الطريق التي رواها منه أبو جعفر .

ورواه أحمد في مسنده ٥ : ٤٣٣ ، من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري . وكلها أسانيد صحاح .

وسيأتي برقم : ١٧٣٢٨ ، عن سعيد بن المسيب ، لم يرفعه إلى أبيه ، بغير هذا اللفظ .

عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين »، قال : يقول المؤمنون : ألا نستغفر لآبائنا، وقد استغفر إبراهيم لأبيه كافراً ؟ فأنزل الله : « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلاّ عن موعدة وعدها إيّاه »، الآية .

١٧٣٢٧ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن عمرو بن دينار : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك ، فلا أزال أستغفر لأبي طالب حتى ينهاني عنه ربّي ! فقال أصحابه : لنستغفرن لآبائنا كما استغفر النبي صلى الله عليه وسلم لعمه ! فأنزل الله : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين » إلى قوله : « تبرأ منه » .

١٧٣٢٨ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يزيد بن هرون ، عن سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب قال : لما حضر أبا طالب الوفاةُ ، أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل بن هشام ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيْ عم ، إنك أعظم الناس عليّ حقاً، وأحسنهم عندي يداً ، ولأنت أعظم عليّ حقاً من والدي، فقل كلمة تجب لي بها الشفاعة يوم القيامة، قل: لا إله إلا الله = ثم ذكر نحو حديث ابن عبد الأعلى ، عن محمد بن ثور .

* * *

وقال آخرون : بل نزلت في سبب أمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك أنه أراد أن يستغفر لها ، فمنع من ذلك .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٣٢٩ — حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا فضيل، عن عطية قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وقف على قبر أمّه حتى سخنت عليه الشمس، رجاءَ أن يؤذن له فيستغفر لها، حتى نزلت :

« ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى » ، إلى قوله : « تبرأ منه » .

١٧٣٣٠ — . . . . قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا قيس ، عن علقمة ابن مرثد ، عن سليمان بن بريدة ، عن أبيه : أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى رَسْمَ = قال : وأكثر ظني أنه قال : قَبْرٍ [1] = فجلس إليه ، فجعل يخاطبُ ، ثم قام مُسْتَعْبِرًا ، [2] فقلت : يا رسول الله ، إنّا رأينا ما صنعت ! قال : إني استأذنت ربي في زيارة قبر أمّي ، فأذن لي ، واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي . فما رؤي باكياً أكثر من يومئذٍ . [3]

١٧٣٣١ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ما كان للنبي والذين آمنوا » ، إلى : « أنهم أصحاب الجحيم » ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يستغفر لأمّه ، فنهاه الله عن ذلك ، فقال : وإن إبراهيم خليل الله قد استغفر لأبيه ! فأنزل الله : « وما كان استغفار إبراهيم » ، إلى « لأواه حليم » .

* * *

---

(١) في المطبوعة : « أتى رسما — وأكبر ظني أنه قال : قبراً » ، غير ما في المخطوطة ، والصواب ما فيها لأنه ذكر المضاف « أتى رسم » ثم فصل وقال : « قبر » ، فيما رجح من ظنه ، يعني : « رسم قبر » ، على الإضافة .

(٢) في المخطوطة : « ثم قام مستغفراً » ، والصواب ما في المطبوعة ، وتفسير ابن كثير ٤ : ٢٥٠ ، نقلا عن هذا الموضع من تفسير أبي جعفر .

(٣) الأثر : ١٧٣٣٠ — « علقمة بن مرثد الحضرمي » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ١١٣٣٠ .

و « سليمان بن بريدة بن الحصيب الأسلمي » ، ثقة ، روى عن أبيه ، ثقة ، مضى برقم : ١١٣٣٠ .

وأبوه « بريدة بن الحصيب الأسلمي » ، صحابي ، أسلم قبل بدر ، ولم يشهدها . فهذا خبر صحيح الإسناد ، وذكره ابن كثير في تفسيره ٤ : ٣٥ ، بهذا اللفظ .

ورواه أحمد في مسنده ٥ : ٣٥٩ ، من طريق حسين بن محمد ، عن خلف عن خليفة ، عن سليمان بن بريدة ، عن أبيه ، بغير هذا اللفظ مطولا .

ورواه من طريق محارب بن دثار ، عن ابن بريدة ، عن أبيه (٥ : ٣٥٥) ، ثم من طريق القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبي بريدة ، عن أبيه (٥ : ٣٥٦) .

وقال آخرون : بل نزلت من أجل أن قوماً من أهل الإيمان كانوا يستغفرون لموتاهم من المشركين ، فنهوا عن ذلك .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٣٣٢ – حدثني المثنى قال، حدثني عبد الله بن صالح قال ، حدثنا معاوية، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين » ، الآية ، فكانوا يستغفرون لهم، حتى نزلت هذه الآية . فلما نزلت ، أمسكوا عن الاستغفار لأمواتهم ، ولم ينههم أن يستغفروا للأحياء حتى يموتوا ، ثم أنزل الله : « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه » ، الآية .

١٧٣٣٣ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين » ، الآية ، ذكر لنا أن رجالاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا : يا نبي الله ، إن من آبائنا ٣٢/١١
من كان يُحْسِن الجوار ، ويصل الأرحام، ويفك العاني، ويوفي بالذمم، أفلا نستغفر لهم ؟ قال : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : بلى ! والله لأستغفرنّ لأبي ، كما استغفر إبراهيم لأبيه ! قال : فأنزل الله : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين » حتى بلغ : «الجحيم»، ثم عذر الله إبراهيم فقال : « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلاّ عن موعدة وعدها إيّاه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه » . قال : وذكر لنا أن نبيّ الله قال : أوحى إليّ كلمات فدخلن في أذني ، ووَقَرْنَ في قلبي : أمرت أن لا أستغفر لمن مات مشركاً، ومن أعطى فَضْلَ ماله فهو خيرٌ له ، ومن أمسك فهو شرٌّ له ، ولا يلوم اللهُ على كَفَافٍ .(١)

* * *

(١) « الكفاف » (بفتح الكاف) ، وهو من الرزق على قدر حاجة المرء ، لا يفضل منه شيء . وإذا لم يكن عنه المرء فضل عن قوته ، لم يلمه الله تعالى ذكره ، على أن لا يعطي أحداً . وانظر مثل هذا المعنى فيما سلف رقم : ٤١٧٣ .

واختلف أهل العربية فى معنى قوله : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين » .

فقال بعض نحويي البصرة : معنى ذلك : ما كان لهم الاستغفار = وكذلك معنى قوله : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ ﴾، وما كان لنفس الإيمان = ﴿ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ ﴾، [سورة يونس : ١٠٠].

* * *

وقال بعض نحويي الكوفة : معناه : ما كان ينبغى لهم أن يستغفروا لهم . قال : وكذلك إذا جاءت «أن» مع «كان»، فكلها بتأويل : ينبغى، ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ﴾ [سورة آل عمران : ١٦١]، ما كان ينبغى له، ليس هذا من أخلاقه . قال : فلذلك دخلت « أن » لتدل على الاستقبال ،[1] لأن « ينبغى » تطلب الاستقبال .

* * *

وأما قوله : « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه » ، فإن أهل العلم اختلفوا فى السبب الذى أنزل فيه .

فقال بعضهم : أنزل من أجل أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يستغفرون لموتاهم المشركين ، ظنًّا منهم أن إبراهيم خليل الرحمن قد فعل ذلك، حين أنزل الله قوله خبراً عن إبراهيم : ﴿ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ [سورة مريم : ٤٧].

وقد ذكرنا الرواية عن بعض من حضرنا ذكره ، وسنذكر عمن لم يذكره .

١٧٣٣٤ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحق ، عن أبي الخليل، عن على قال : سمعت رجلاً يستغفر لوالديه وهما مشركان، فقلت : أيستغفر الرجل لوالديه وهما مشركان ؟ فقال : أو لم يستغفر إبراهيم لأبيه ؟ قال : فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له ،

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « تدل » بغير لام ، والسياق يقتضى إثباتها .

فأنزل الله : « وما كان استغفار إبراهيم » إلى « تبرأ منه » .[١]

١٧٣٣٥ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا يحيى ، عن سفيان ، عن أبي إسحق ، عن أبي الخليل ، عن علي : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستغفر لأبويه وهما مشركان، حتى نزلت : « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه » ، إلى قوله : « تبرأ منه » .[٢]

* * *

وقيل : « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة » ، ومعناه : إلا من بعد موعدة، كما يقال: « ما كان هذا الأمر إلا عن سبب كذا» ، بمعنى : من بعد ذلك السبب ، أو من أجله . فكذلك قوله : « إلا عن موعدة » ، من أجل موعدة وبعدها .[٣]

* * *

وقد تأوّل قوم قولَ الله : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى »، الآية، أنّ النهي من الله عن الاستغفار للمشركين بعد مماتهم، لقوله : «من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم» . وقالوا : ذلك لا يتبينه أحدٌ إلا بأن يموت على كفره ، وأما وهو حيٌّ فلا سبيل إلى علم ذلك ، فللمؤمنين أن يستغفروا لهم .

---

(١) الأثر : ١٧٣٣٤ – « أبو الخليل » ، هو « عبد الله بن أبي الخليل الهمداني » ، ثقة ، مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٢/٢/٤٥ ، وابن سعد في الطبقات ٦ : ١٦٩ ، وقال : « روى عن علي ثلاثة أحاديث ، من حديث أبي إسحق» . وفرق بينه وبين «عبد الله بن الخليل الحضرمي» (الطبقات ٦ : ١٧٠) ، وكذلك فعل ابن أبي حاتم وغيره .

وهذا الخبر رواه أحمد في مسنده رقم : ١٠٨٥ من طريق وكيع ، عن سفيان ، عن أبي إسحق ، ومن طريق عبد الرحمن ، عن سفيان ، عنه . ورواه قبله رقم : ٧٧١، من طريق يحيى بن آدم، عن سفيان . وانظر الخبر التالي .

(٢) الأثر : ١٧٣٣٥ – رواه أحمد في المسند رقم : ٧٧١ ، من طريق يحيى بن آدم أيضاً ، ولكن بغير هذا اللفظ ، وأن المستغفر رجل من المسلمين ، كالذي سلف . وانظر بيانه في شرح أخي السيد أحمد .

(٣) انظر تفسير « عن » بمعنى « بعد » فيما سلف ١٠ : ٣١٣ .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٣٣٦ – حدثنا سليمان بن عمر الرقى، حدثنا عبد الله بن المبارك ، عن سفيان الثورى ، عن الشيبانى ، عن سعيد بن جبير قال : مات رجل يهودى وله ابنٌ مسلم ، فلم يخرج معه ، فذكر ذلك لابن عباس فقال : كان ينبغى له أن يمشى معه ويدفنه ، ويدعو له بالصلاح ما دام حياً، فإذا مات ، وكله إلى شأنه! ثم قال : « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلاّ عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه » ، لم يدعُ .(١)

١٧٣٣٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا فضيل ، عن ضرار بن مرة ، عن سعيد بن جبير قال : مات رجل نصرانى، فوكله ابنه إلى أهل دينه ، فأتيت ابن عباس فذكرت ذلك له، فقال : ما كان عليه لو مشى معه وأجنّه واستغفر له ؟(٢) ثم تلا : « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلاّ عن موعدة وعدها إياه » ، الآية .(٣) ١١/٣٣

* * *

وتأوّل آخرون «الاستغفارَ»، فى هذا الموضع ، بمعنى الصلاة .(٤)

* ذكر من قال ذلك :

١٧٣٣٨ – حدثنى المثنى قال، حدثنى إسحق قال ، حدثنا كثير بن

---

(١) الأثر : ١٧٣٣٦ – « الشيبانى » هو « ضرار بن مرة » ، « أبو سنان الشيبانى » الأكبر ، ثقة ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/٢/٣٤٠ ، وابن أبى حاتم ٢/١/٤٦٥ . ومضى له ذكر فى رقم : ١٠٢٣٨ ، للتفريق بينه وبين « أبى سنان الشيبانى » الأصغر ، وهو « سعيد بن سنان البرجمى » . وسيأتى فى الخبر التالى ، التصريح باسمه .

(٢) « أجنه » ، واراه فى قبره .

(٣) الأثر : ١٧٣٣٧ – « ضرار بن مرة » ، هو الشيبانى ، سلف فى التعليق قبله . وفى لفظ هذا الخبر اضطراب ظاهر ، فإن الخبر الأول قبله عن الشيبانى ، دال على النهى عن الاستغفار له بعد موته ، وفى هذا الخبر ، إذن بالاستغفار له بعد موته . ولا أدرى من أين جاء هذا الاختلاف على الشيبانى فى لفظه .

(٤) فى المخطوطة : « بمعنى الصلاح » ، والصواب ما فى المطبوعة ، كما دل عليه الأثر التالى .

هشام ، عن جعفر بن برقان قال ، حدثنا حبيب بن أبي مرزوق ، عن عطاء ابن أبي رباح قال: ما كنت أدع الصلاةَ على أحدٍ من أهل هذه القبلة، ولو كانت حبشيةً حُبْلى من الزنا ، لأني لم أسمع الله يَحْجُب الصلاة إلاّ عن المشركين ، يقول الله : « ما كان للنبيّ والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين » .

* * *

وتأوّله آخرون ، بمعنى الاستغفار الذى هو دعاء .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٣٣٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن عصمة بن زامل ، عن أبيه قال : سمعت أبا هريرة يقول : رحم الله رجلاً استغفر لأبي هريرة ولأمّه، قلت : ولأبيه ؟ قال : لا ، إن أبي مات وهو مشرك .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وقد دللنا على أن معنى « الاستغفار » : مسألة العبد ربَّه غفرَ الذنوب . وإذ كان ذلك كذلك ، وكانت مسألة العبد ربَّه ذلك قد تكون فى الصلاة وفى غير الصلاة ،(٢) لم يكن أحد القولين اللذين ذكرنا فاسداً ، لأن الله عمَّ بالنهى عن الاستغفار للمشرك ، بعد ما تبين له أنه من أصحاب الجحيم ، ولم يخصص عن ذلك حالاً أباح فيها الاستغفار له .

* * *

---

(١) الأثر : ١٧٣٣٩ – « عصمة بن زامل الطائى » ، مترجم فى الكبير ٤/١/٦٣ ، وابن أبى حاتم ٣/٢/٢٠ ، ولسان الميزان ٤ : ١٦٨ ، ١٦٩ ، وقال : « روى عن أبيه ، عن أبى هريرة . وعنه وكيع ، وجميل بن حماد الطائى . قال البرقانى : قلت للدارقطنى : جميل بن حماد ، عن عصمة بن زامل ، فذكر هذا الاسناد . فقال : إسناد بدوى ، يخرج اعتباراً » .

وكان فى المطبوعة : « عصمة بن راشد » ، غير ما فى المخطوطة كأنه بحث فلم يجده ، فظنه تحريفاً .

وأبوه : « زامل بن أوس الطائى» ، مترجم فى الكبير ٢/١/٤٠٥ ، وابن حاتم ١/٢/٦١٧ ، ولسان الميزان ٢ : ٤٦٩ ، وقال الدارقطنى : إسناد يروى ، يخرج اعتباراً . وذكره ابن حبان فى الثقات .

(٢) انظر تفسير الاستغفار ، فيما سلف من فهارس اللغة (غفر) .

وأما قوله : « من بعد ما تبيَّن لهم أنهم أصحاب الجحيم »، فإن معناه ما قد بيَّنتُ ، من أنه : من بعد ما يعلمون بموته كافراً أنه من أهل النار .

* * *

وقيل : « أصحاب الجحيم » ، لأنهم سكانها وأهلها الكائنون فيها ، كما يقال لسكان الدار : « هؤلاء أصحاب هذه الدار » ، بمعنى : سكانها .[1]

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٣٤٠ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : «من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم» ، قال : تبيّن للنبى صلى الله عليه وسلم أن أبا طالب حين ماتَ أن التوبة قد انقطعت عنه .

١٧٣٤١ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قال : «تبيَّن له» حين مات ، وعلم أن التوبة قد انقطعت عنه = يعنى فى قوله : « من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم » .

١٧٣٤٢ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك فى قوله : « ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين » الآية ، يقول : إذا ماتوا مشركين ، يقول الله : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عليهِ الْجَنَّةَ ﴾،[2] الآية، [سورة المائدة : ٧٢].

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « فلما تبين له أنه عدو الله تبرأ منه» .

قال بعضهم : معناه : فلما تبين له بموته مشركاً بالله ، تبرأ منه ، وترك الاستغفار له .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) انظر تفسير « أصحاب النار » وغيرها فيما سلف من فهارس اللغة (صحب) .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « ومن يشرك » ، وهو سهو ، والتلاوة ما أثبت .

١٧٣٤٣ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن حبيب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات = « فلما تبين له أنه عدوٌّ لله تبرّأ منه » .

١٧٣٤٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن حبيب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات = فلما مات ، تبين له أنه عدوّ لله .

١٧٣٤٥ – حدثني الحارث قال،حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان ، عن حبيب ابن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لم يزل إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات ، فلما مات لم يستغفر له .

١٧٣٤٦ – حدثني المثنى قال،حدثنا عبد الله قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلاّ عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه » ، يعني : استغفر له ما كان حيًّا ، فلما مات أمسك عن الاستغفار له .

١٧٣٤٧ – حدثني مطر بن محمد الضبي قال، حدثنا أبو عاصم ، وأبو قتيبة مسلم بن قتيبة ، قالا ، حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد في قوله : « فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه » ، قال : لما مات . ٣٤/١١

١٧٣٤٨ – حدثنا محمد بن المثنى قال،حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، مثله .

١٧٣٤٩ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد: « فلما تبين له أنه عدو لله »، قال : موته وهو كافر .

١٧٣٥٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثني أبي ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، مثله .

١٧٣٥١ – . . . . قال ، حدثنا ابن أبي غنية ، عن أبيه ، عن الحكم : « فلما تبين له أنه عدوّ لله تبرأ منه » ، قال : حين مات ولم يؤمن .(١)

١٧٣٥٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن عمرو بن دينار : « فلما تبين له أنه عدوّ لله تبرأ منه » ، موته وهو كافر .

١٧٣٥٣ – . . . . قال ، حدثنا عمرو بن عون قال، حدثنا هشيم ، عن جويبر ،عن الضحاك في قوله: « فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه » ، قال : لما مات .

١٧٣٥٤ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة : « فلما تبين له أنه عدو لله » ، لما مات على شركه = « تبرأ منه » .

١٧٣٥٥ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ يقول ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه » ، كان إبراهيم صلوات الله عليه يرجو أن يؤمن أبوه ما دام حياً ، فلما مات على شركه تبرأ منه .

١٧٣٥٦ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه » ، قال : موته وهو كافر .

١٧٣٥٧ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال :

---

(١) الأثر : ١٧٣٥١ – « ابن أبي غنية » ، هو « يحيى بن عبد الملك بن حميد بن أبي غنية الخزاعي » ، مضى مراراً ، آخر رقم : ١١٠٨٥ .

وأبوه : « عبد الملك بن حميد بن أبي غنية » ، يروي عن « الحكم بن عتيبة » ، مضى أيضاً رقم : ١٠٥٩٧ ، ١١٠٨٥ .

وكان في المطبوعة : « حدثنا البراء بن عتبة » ، غير ما في المخطوطة، لأن الناسخ أساء نقطه، وصوابه ما أثبت .

ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات ، فلما مات تبين له أنه عدوّ لله ، فلم يستغفر له .(١)

١٧٣٥٨ — . . . . قال ، حدثنا أبو أحمد قال، أبو إسرائيل ، عن على ابن بذيمة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « فلماتبين له أنه عدو لله » ، قال : فلما مات .

* * *

وقال آخرون : معناه : فلما تبين له فى الآخرة . وذلك أن أباه يتعلّق به إذا أرادَ أن يجوز الصراط ، فيمرّ به عليه ، حتى إذا كاد أن يجاوزه، حانت من إبراهيم التفاتةٌ ، فإذاهو بأبيه فى صورة قِرْد أو ضَبُع ، فيخلى عنه ويتبرأ منه حينئذ .(٢)

* ذكر من قال ذلك :

١٧٣٥٩ — حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا حفص بن غياث قال، حدثنا عبد الله بن سليمان قال : سمعت سعيد بن جبير يقول : إن إبراهيم يقولُ يوم القيامة : « ربِّ والدى ، ربِّ والدى » ! فإذا كانت الثالثة ، أخذ بيده، فيلتفت إليه وهو ضِبْعانٌ ،(٣) فيتبرأ منه .

١٧٣٦٠ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن عبيد ابن عمير قال : إنكم مجموعون يوم القيامة فى صعيدٍ واحد ، يسمعكم الداعى ، وينفُذُكم البصر. قال: فتزفِرُ جهنم زفرةً لا يبقى مَلَكٌ مُقَرَّب ولا نبيٌّ مرسل إلا وقع

---

(١) الأثر : ١٧٣٥٧ — « أحمد بن إسحق الأهوازى » ، شيخ أبى جعفر ، مضى مراراً كثيرة ، وهو إسناد دائر فى التفسير . وكان فى المخطوطة والمطبوعة هنا : « محمد بن إسحق » وهو خطأ محض .

(٢) فى المطبوعة : « فخلى عنه وتبرأ منه » ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٣) « الضبعان » (بكسر فسكون) ، ذكر الضباع ، لا يكون بالألف والنون إلا للمذكر . والأنثى « الضبع » (بفتح فضم) ، ويقال للذكر أيضاً « ضبع » . وبالتذكير جاء فى كلام الطبرى آنفاً وسيأتى فى الذى يلى هذا الخبر .

لركبتيه، تُرْعَد فرائصُه! قال: فحسبته يقول: نَفْسى نفسى ! ويضربُ الصِّراط على جهنم كحدِّ السيف، [١] دحْضٍ مَزِلَّةٍ، [٢] وفى جانبيه ملائكة معهم خطاطيف كشوك السَّعْدان. قال: فيمضون كالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الركاب، وكأجاويد الرجال، [٣] والملائكة يقولون: «ربِّ سلِّمْ سلِّم»، فناجٍ سالمٌ ومخدوش ناجٍ، ومكدوسٌ فى النار، [٤] فيقول: إبراهيم لأبيه: إنى كنت آمرك فى الدنيا فتعصينى، ولست تاركك اليوم، فخُذْ بحقْوى! [٥] فيأخذ بِضَبْعَيْه، [٦] فيمسخ ضَبُعاً، فإذا رآه قد مُسِخَ تبرَّأ منه. [٧]

* * *

(١) فى المطبوعة: «فيضرب الصراط على جسر جهنم»، زاد «جسر»، وليست فى المخطوطة.

(٢) فى المطبوعة: «وحضر من له»، وهو كلام خلو من كل معنى. وفى المخطوطة «دحصر مزله»، غير منقوطه، وعلى الصاد مثل الألف (ا)، ومثلها على هاء «مزله»، وهو شك من الكاتب، ولو قرأها قارئ: «وخطر مزلة» لكان له شبه معنى، ولكن واو العطف فساد فى الكلام. والصواب ما قرأته إن شاء الله، ويؤيده ما جاء فى حديث أبى ذر: «إن خليلى صلى الله عليه وسلم قال: إن دون جسر جهنم طريقاً ذا دحض». و «الدحض» (بفتح الدال وسكون الحاء) الزلق. و «المزلة» (بفتح الزاى أو كسرها) الموضع الذى تزل فيه الأقدام. ويقال: «مزلة مدحاض».

ثم وجدت صواب ما قرأت فى المستدرك للحاكم ٤ : ٥٨٣، كما سترى بعد.

(٣) وقوله: «وكأجاويد الركاب، وكأجاويد الرجال»، «الأجاويد» جمع «أجواد»، وهى جمع «جواد»، وهو الفرس السابق الجيد، ثم يقال: «فرس جواد الشد»، إذا كان يجود بحضره وجريه جوداً متتابعاً، لا يكل. و «الركاب»: الإبل التى يسار عليها، واحدتها «راحلة»، ولا واحد لها من لفظها. وأما «الرجال»، فظنى أنه جمع «رجيل»، و «الرجيل» من الخيل، الموطوء الركوب الذى لا يعرق. أو يكون جمع «رجل»، يعنى الرجال العدائين، لأنه أتى فى جمع الزوائد: «كجرى الفرس، ثم كسعى الرجل».

بيد أن رواية اللسان فى مادة (جود) قال: «وفى حديث الصراط: ومنهم من يمر كأجاويد الخيل»، ورواية الحاكم فى المستدرك: «وكأجاويد الخيل والمراكب».

(٤) «مكدوس»، مدفوع فيها، من «الكدس»، وهو الصرع والإلقاء، «كدس به الأرض»، صرعه، وألصقه بها. و «كدسه»: طرده من ورائه وساقه. وهذه التى هنا هى إحدى الروايتين. والرواية الأخرى «مكردس». و «المكردس» الذى جمعت يداه ورجلاه وأوثق، ثم ألقى على الأرض، كما يفعل بالأسير. وهذه رواية الحاكم فى المستدرك.

(٥) «الحقو» (بفتح الحاء وكسرها، وسكون القاف): مشد الإزار من الجنب.

(٦) «الضبع» (بفتح فسكون): من الإنسان وغيره، وسط العضد بلحمه.

(٧) الأثر: ١٧٣٦٠ — حديث الصراط، رواه الحاكم فى المستدرك ٤ : ٥٨٢ — ٥٨٤ من

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، قولُ الله ، وهو خبره عن إبراهيم أنه لما تبين له أن أباه لله عدوٌّ ، تبرأ منه ، وذلك حال علمه ويقينه أنه لله عدوٌّ ، وهو به مشرك ، وهو حالُ موته على شركه .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ (١١٤)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى « الأوّاه » .

فقال بعضهم : هو الدعّاء .(١)

* ذكر من قال ذلك :

١٧٣٦١ — حدثنا ابن بشار ، قال حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله قال : « الأوّاه » ، الدعّاء .

١٧٣٦٢ — حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ، حدثنا أبو بكر ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله قال : « الأوّاه » ، الدعّاء . ٣٥/١١

١٧٣٦٣ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثنى جرير ابن حازم ، عن عاصم بن بهدلة ، عن زرّ بن حبيش قال : سألت عبد الله عن « الأواه » ، فقال : هو الدعّاء .

طريق هشام بن سعد ، عن زيد بن المسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبى سعيد الخدرى . مطولا ، وقال : « حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه بهذه السياقة » . وليس فيه ذكر أبينا إبراهيم عليه السلام .

ومن حديث الصراط ما خرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٠ : ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، من حديث عائشة ، « رواه أحمد ، وفيه ابن لهيعة ، وهو ضعيف ، وقد وثق . وبقية رجاله رجال الصحيح » . وفى هذا الخبر ذكر ما أشرت إليه فى التعليق ص : ٥٢٢ ، « من قوله : « كأجاويد الخيل والركاب » وخرجه الهيثمى أيضاً (١٠ : ٣٥٩ ، ٣٦٠) ، عن عبد الله بن مسعود ، خبراً فيه « كجرى الفرس ، ثم كسعى الرجل» كما أشرت إليه فى التعليق رقم : ٢ ، ص : ٥٢٢ .

(١) « الدعاء » (بتشديد العين) : الكثير الدعاء .

١٧٣٦٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا محمد بن بشر ، عن ابن أبي عروبة ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله ، مثله .

١٧٣٦٥ – . . . . قال ، حدثنا قبيصة، عن سفيان ، عن عبد الكريم عن أبي عبيدة، عن عبد الله قال : « الأوّاه » ، الدعّاء .

١٧٣٦٦ – . . . . قال ، حدثنا أبي، عن سفيان، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله ، مثله .

١٧٣٦٧ – حدثنا أحمد قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا سفيان، وإسرائيل، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله ، مثله .(١)

١٧٣٦٨ – حدثني يعقوب بن إبراهيم وابن وكيع قالا، حدثنا ابن علية قال، حدثنا داود بن أبي هند قال، نُبِّئتُ عن عبيد بن عمير قال : « الأوّاه »، الدعاء .

١٧٣٦٩ – حدثني إسحق بن شاهين قال، حدثنا داود، عن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي ، عن أبيه قال : « الأوّاه » ، الدعّاء

* * *

وقال آخرون : بل هو الرحيم .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٣٧٠ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان ، عن سلمة، عن مسلم البطين، عن أبي العُبَيْدَيْنِ قال: سئل عبد الله عن «الأوّاه» فقال : الرحيم .(٢)

---

(١) الآثار : ١٧٣٦٣–١٧٣٦٧– حديث زر ، عن عبد الله بن مسعود ، خرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ٣٥ ، وقال : « رواه الطبراني ، وفيه عاصم – يعني عاصم بن أبي النجود – وهو ثقة وقد ضعف » .

(٢) الأثر : ١٧٣٧٠ – خبر أبي العبيدين ، عن عبد الله ، رواه الطبري من طرق من رقم : ١٧٣٧٠ – ١٧٣٧٨ ، ١٧٣٨٦ .

١٧٣٧١ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثني محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة، عن الحكم قال : سمعت يحيى بن الجزار يحدث، عن أبي العبيدين، رجل ضرير البصر : أنه سأل عبد الله عن « الأواه » ، فقال : الرحيم .(١)

١٧٣٧٢ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا المحاربي = وحدثنا خلاد بن أسلم قال، أخبرنا النضر بن شميل = جميعاً، عن المسعودي، عن سلمة بن كهيل، عن أبي العبيدين : أنه سأل ابن مسعود فقال : ما « الأواه » ؟ قال : = الرحيم .

١٧٣٧٣ – حدثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة قال، حدثنا ابن إدريس، عن الأعمش، عن الحكم، عن يحيى بن الجزار، عن أبي العبيدين : أنه جاء إلى عبد الله = وكان ضرير البصر = فقال : يا أبا عبد الرحمن، من نسأل إذا لم نسألك ؟ فكأن ابن مسعود رقّ له، قال : أخبرني عن « الأوّاه » ؟ قال : الرحيم.

١٧٣٧٤ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي = ، عن سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن مسلم البطين، عن أبي العبيدين قال : سألت عبد الله عن « الأواه » ، فقال : هو الرحيم .

١٧٣٧٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن الحكم، عن يحيى بن الجزار قال جاء أبو العبيدين إلى عبد الله فقال له : ما حاجتك ؟ قال : ما « الأواه » ؟ قال : الرحيم .

١٧٣٧٦ – . . . . قال، حدثنا ابن إدريس، عن الأعمش، عن الحكم،

« سلمة » ، هو « سلمة بن كهيل الحضرمي » ثقة ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٤٥٠٣

و « مسلم البطين » ، هو « مسلم بن عمران » . ثقة . مضى برقم : ١٤٥٠٣ – ١٤٠٥٦ .

و « أبو العبيدين » ، هو « معاوية بن سبرة بن حصين السوائي العامري الأعمى » ، ثقة ، كان ابن مسعود يدنيه ويقربه ، مترجم في التهذيب ، والكبير ٤/١/٣٢٩ ، وابن أبي حاتم ٤/١/٣٨٧ .

وهذا الخبر ، خرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ٣٥ ، مطولا وقال : « رواه كله الطبراني بأسانيد ، ورجال الروايتين الأوليين ، ثقات » .

(١) الأثر : ١٧٣٧١ – « يحيى بن الجزار العرني » ، ثقة ، مضى برقم : ٥٤٢٥ ، ١٦٤٠٦ ، ١٦٤٠٥ ، ١٦٤٠٨ .

عن يحيى بن الجزار ، عن أبي العبيدين، رجل من بني سَوَاءَة ، قال : جاء رجل إلى عبد الله فسأله عن « الأوّاه » ، فقال له عبد الله : الرحيم .

١٧٣٧٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا المحاربي ، وهانئ بن سعيد ، عن حجاج ، عن الحكم ، عن يحيى بن الجزار ، عن أبي العبيدين ، عن عبد الله قال : « الأواه » ، الرحيم .

١٧٣٧٨ – حدثني يعقوب وابن وكيع قالا، حدثنا ابن علية ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن يحيى بن الجزار : أن أبا العبيدين ، رجل من بني نمير = قال يعقوب : كان ضريرَ البصر ، وقال ابن وكيع : كان مكفوفَ البصر = سأل ابن مسعود فقال : ما « الأواه » ؟ قال : الرحيم .

١٧٣٧٩ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن زكريا ، عن أبي إسحق ، عن أبي ميسرة قال : « الأواه » ، الرحيم .

١٧٣٨٠ – . . . . قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان، عن أبي إسحق ، عن أبي ميسرة ، مثله .

١٧٣٨١ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي إسحق ، عن أبي ميسرة ، مثله .

١٧٣٨٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا محمد بن بشر ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن قال : هو الرحيم .

١٧٣٨٣ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كنا نحدّث أن « الأواه » الرحيم .

١٧٣٨٤ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « إن إبراهيم لأواه » ، قال : رحيم .

* * *

وقال عبد الكريم الجزري ، عن أبي عبيدة ، عن ابن مسعود مثل ذلك .

١٧٣٨٥ – حدثنا أحمد قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن عبد الكريم ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله قال : « الأواه » ، الرحيم . ٣٦/١١

١٧٣٨٦ – حدثنا أحمد قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن سلمة ، عن مسلم البطين ، عن أبي العبيدين : أنه سأل عبد الله عن « الأواه » ، فقال : الرحيم .

١٧٣٨٧ – . . . . قال، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحق ، عن عمرو بن شرحبيل قال : « الأواه » ، الرحيم .

١٧٣٨٨ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا مبارك ، عن الحسن قال : « الأواه » ، الرحيم بعباد الله .

١٧٣٨٩ – . . . . قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنا أبو خيثمة زهير قال ، حدثنا أبو إسحق الهمداني ، عن أبي ميسرة ، عن عمرو بن شرحبيل قال : « الأواه » ، الرحيم ، بلحن الحبشة .

* * *

وقال آخرون : بل هو الموقن .(١)

* ذكر من قال ذلك :

١٧٣٩٠ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي = ، عن سفيان ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : « الأواه »، الموقن .

١٧٣٩١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن آدم ، عن ابن مبارك ، عن خالد، عن عكرمة، عن ابن عباس قال : « الأواه » ، الموقن، بلسان الحبشة.

١٧٣٩٢ – . . . . قال، حدثنا حميد بن عبد الرحمن، عن حسن ، عن

---

(١) في المخطوطة في هذا الموضع ، وفي أكثر المواضع التالية « الموفق » ، وفي بعضها « الموقن » ، والذي في المطبوعة أشبه بالصواب ، فتركته على حاله ، حتى أجد ما يرجحه .

مسلم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس، قال ، « الأواه » ، الموقن ، بلسان الحبشة .

١٧٣٩٣ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، سمعت سفيان يقول : « الأواه » ، الموقن = وقال بعضهم : الفقيه الموقن .

١٧٣٩٤ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا سفيان ، عن جابر ، عن عطاء قال : « الأواه » ، الموقن ، بلسان الحبشة .

١٧٣٩٥ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن إدريس،عن أبيه ، عن رجل ، عن عكرمة قال : هو الموقن ، بلسان الحبشة .

١٧٣٩٦ – . . . . قال ، حدثنا ابن نمير ، عن الثوري، عن مجالد ، عن أبي هاشم ، عن مجاهد قال : « الأواه » ، الموقن .

١٧٣٩٧ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا الثوري ، عن مسلم ، عن مجاهد قال : « الأواه » ، الموقن .

١٧٣٩٨ – . . . . قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قابوس ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس قال : « الأواه » ، الموقن .

١٧٣٩٩ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « أواه » ، موقن .

١٧٤٠٠ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم، قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « أواه » ، قال : مؤتمن موقن .

١٧٤٠١ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال : سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « إن إبراهيم لأواه حليم » ، قال : « الأواه » ، الموقن .

* * *

وقال آخرون : هي كلمة بالحبشة ، معناها المؤمن .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤٠٢ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس : « لأواه حليم » ، قال: « الأواه »، هو المؤمن ، بالحبشية .(١)

١٧٤٠٣ – حدثنا علي بن داود قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية، عن علي ، عن ابن عباس قوله: «إن إبراهيم لأواه»، يعني : المؤمن التواب .

١٧٤٠٤ – حدثنا أحمد قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا حسن بن صالح ، عن مسلم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : « الأواه » ، المؤمن .

١٧٤٠٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « الأواه » ، المؤمن ، بالحبشية .(٢)

* * *

وقال آخرون : هو المسبِّح ، الكثير الذكر لله .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤٠٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا الحماني قال ، حدثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد قال : « الأواه » ، المسبِّح .

١٧٤٠٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا المحاربي ، عن حجاج ، عن الحكم، عن الحسن بن مسلم بن يناق: أن رجلاً كان يكثر ذكر الله ويسبِّح ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : إنه أوَّاه .

١٧٤٠٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يزيد بن حيان، عن ابن لهيعة ، عن الحارث بن يزيد ، عن علي بن رباح، عن عقبة بن عامر قال : « الأواه » ، الكثير الذكر لله .

* * *

وقال آخرون : هو الذي يكثر تلاوة القرآن .

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة: « بالحبشة »، والصواب ما أثبت، كما سيأتي في المخطوطة في التالية .

(٢) في المطبوعة فقط : « بالحبشة » ، وأثبت ما في المخطوطة .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤٠٩ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن يمان قال ، حدثنا المنهال ابن خليفة ، عن حجاج بن أرطاة ، عن عطاء ، عن ابن عباس : أن النبيّ صلى الله عليه وسلم دفن ميتاً ، فقال: يرحمك الله ، إن كنت لأواهاً ! = يعني تلاّءً للقرآن .(١) ٣٧/١١

* * *

وقال آخرون : هو من التأوُّه .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤١٠ – حدثنا ابن المثنى قال ،حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي يونس القشيري ،عن قاصٍّ كان بمكة : أن رجلاً كان في الطواف فجعل يقول : أوّه !(٢) قال : فشكاه أبو ذر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : دعه ، إنه أوّاه !

١٧٤١١ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي = ، عن شعبة ، عن أبي يونس الباهلي قال : سمعت رجلا بمكة كان أصله روميًّا، يحدّث عن أبي ذر قال: كان رجل يطوف بالبيت ويقول في دعائه: « أوّه ! أوّه »، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : إنه أوّاه ! = زاد أبو كريب في حديثه قال : فخرجت ذات ليلة ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفن ذلك الرجل ليلاً ومعه المصباح.(٣)

١٧٤١٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا زيد بن الحباب ، عن جعفر بن سليمان قال، حدثنا أبو عمران، عن عبد الله بن رباح، عن كعب قال: «الأواه»،

---

(١) « تلاء » على وزن « فعال » بتشديد العين ، من « التلاوة » ، يعني كثير التلاوة للقرآن .

(٢) « أوه » بتشديد الواو ، وفيها لغات أخرى .

(٣) الأثران : ١٧٤١٠ ، ١٧٤١١ – « أبو يونس القشيري » ، أو « الباهلي »، هو « حاتم بن أبي صغيرة » ، ثقة ، مضى برقم : ١٥١٨٠ .

إذا ذكر النار قال : أوّه .

١٧٤١٣ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد العمّى ، عن أبي عمران الجونى ، عن عبد الله بن رباح ، عن كعب قال : كان إذا ذكر النار قال : أوّهْ .(١)

١٧٤١٤ – حدثنا الحسن قال، أخبرنا عبد الرزاق، عن جعفر بن سليمان قال ، أخبرنا أبو عمران قال ، سمعت عبد الله بن رباح الأنصارى يقول ، سمعت كعباً يقول : « إن إبراهيم لأواه »، قال: إذا ذكر النار قال : « أوّهْ من النار » .

* * *

وقال آخرون : معناه : إنه فقيهٌ .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤١٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « إن إبراهيم لأوّاه » ، قال : فقيه .

* * *

وقال آخرون : هو المتضرع الخاشع

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤١٦ – حدثنى المثنى قال، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا عبد الحميد بن بهرام قال ، حدثنا شهر بن حوشب ، عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسٌ ، قال رجل : يا رسول الله ،

---

(١) الأثر : ١٧١٤١٣ – « عبد العريز بن عبد الصمد العمى » ثقة ، مضى برقم : ٣٣٠٢ . وكان فى المطبوعة والمخطوطة ، « عبد العزيز ، عن عبد الصمد العمى » ، وهو خطأ محض ، وكان فى المطبوعة وحدها « القمى » ، وهو خطأ ، صوابه ما فى المخطوطة .

و « أبو عمران الجونى » ، هو « عبد الملك بن حبيب الأزدى » ، ثقة ، مضى برقم : ١٣٠٤٢،٨٠

و « عبد الله بن رباح الأنصارى » ، ثقة ، مضى برقم : ٤٨ ، ١٣٠٤٢ .

و « كعب » ، هو « كعب الأحبار » المشهور .

ما « الأوّاه » ، قال : المتضرع ، قال : « إن إبراهيم لأوّاه حليم » .

١٧٤١٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن ابن مغراء ، عن عبد الحميد ، عن شهر ، عن عبد الله بن شداد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الأوّاه » ، الخاشعُ المتضرِّع .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب ، القولُ الذى قاله عبد الله بن مسعود ، الذى رواه عنه زرٌّ : أنه الدعّاء .(٢)

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ، لأن الله ذكر ذلك ، ووصف به إبراهيم خليله صلوات الله عليه ، بعد وصفه إياه بالدعاء والاستغفار لأبيه فقال : « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلاّ عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدوٌّ لله تبرأ منه » ، وترك الدعاء والاستغفار له . ثم قال : إن إبراهيم لدعّاء لربه، شاكٍ له، حليمٌ عمن سبّه وناله بالمكروه . وذلك أنه صلوات الله عليه وعد أباه بالاستغفار له ، ودعاءَ الله له بالمغفرة ، عند وعيد أبيه إياه ، وتهدُّده له بالشتم، بعد ما ردَّ عليه نصيحته فى الله وقوله : ﴿ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ ، فقال له صلوات الله عليه، ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ۝ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَنْ لَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾ ، [سورة مريم : ٤٦ – ٤٨]. فوفى لأبيه بالاستغفار له ، حتى تبيَّن له أنه عدو لله ، فوصفه الله بأنه دعّاء لربه، حليم عمن سفِه عليه .

* * *

---

(١) الأثران : ١٧٤١٦ ، ١٧٤١٧ – « عبد الحميد بن بهرام الفزارى » ، ثقة ، متكلم فى روايته عن شهر بن حوشب . مضى مراراً . انظر رقم : ١٦٠٥ ، ٤٢٢١ ، ٦٦٥٠ – ٦٦٥٢ .
و « شهر بن حوشب » ، ثقة ، متكلم فيه ، مضى مراراً .
و « عبد الله بن شداد بن الهاد الليثى » ، تابعى ثقة ، مضى برقم : ٥٠٨٨ . وهذا خبر مرسل .

(٢) انظر ما سلف من رقم ١٧٣٦١ – ١٧٣٦٨ .

وأصله من « التأوّه » ، وهو التضرع والمسألة بالحزن والإشفاق ، كما روى عبد الله بن شداد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم[١] = وكما روى عقبة بن عامر ، الخبرَ الذى حدّثنيه :—

١٧٤١٨ — يحيى بن عثمان بن صالح السهمى قال ، حدثنا أبى قال ، حدثنا ابن لهيعة قال ، حدثنى الحارث بن يزيد ، عن على بن رباح ، عن عقبة بن عامر : أنه قال لرجل يقال له « ذو البجادين » : « إنه أواه » ! وذلك أنه رجل كان يكثر ذكر الله بالقرآن والدعاء ، ويرفَعُ صوته .[٢] ٣٨/١١

* * *

(١) انظر رقم : ١٧١٤١٦ ، ١٧١٧ .

(٢) الأثر : ١٧٤١٨ — « يحيى بن عثمان بن صالح القرشى السهمى ، المصرى » شيخ الطبرى طعن عليه ، لأنه كان يحدث من غير كتبه . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٤/٢/١٧٥ .

وأبوه : « عثمان بن صالح بن صفوان السهمى المصرى » ، ثقة ، متكلم فيه . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣/١/١٥٤ قال أبو حاتم : « كان شيخاً صالحاً سليم الناحية ، قيل : كان يلقن ؟ قال : لا » .

و « ابن لهيعة » ، مضى مراراً ، وذكر الكلام فيه .

و « الحارث بن زبيد الحضرمى المصرى » ، ثقة ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/٢/٢٨٣ . وابن أبى حاتم ١/٢/٩٣ .

و « على بن رباح بن قصير اللخمى المصرى » ، ثقة ، مضى برقم : ٤٧٤٧ ، ١٠٣٤١ .

و « عقبة بن عامر الجهنى » ، صحابى ، ولى إمرة مصر .

و « ذو البجادين » ، هو « عبد الله بن عبد نهم المزنى » ، وهو مترجم فى الإصابة ، فى اسمه هذا ، وفى الاستيعاب : ٣٤٩ ، فى « عبد الله ذو البجادين المزنى » ، وفى مثله فى أسد الغابة ٣ : ١٢٣ .

وهذا الخبر رواه أحمد فى مسنده ٤ : ١٥٩ ، من هذه الطريق نفسها ، وخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٩ : ٣٦٩ ، وقال : « رواه أحمد ، والطبرانى ، وإسنادهما حسن » . وخرجه الحافظ ابن حجر فى الإصابة قال : « وأخرجه أحمد ، وجعفر بن محمد الفريابى فى كتاب الذكر ، من طريق ابن لهيعة . . . » وساق الإسناد والخبر .

وفى أمر « عبد الله ذى البجادين » ، إشكال هذا موضع عرضه مختصراً ، وذلك أن صاحب الإصابة ، ذكر فى ترجمته أنه كان دليل النبى صلى الله عليه وسلم فى هجرته ، وذكر خبراً ، رواه الهجرى فى نوادره (مخطوط) قال :

« قال عبد الله بن ذى البجادين المزنى ، وساق بالنبيّ صلى الله عليه وسلم سائداً فى الغائر من الرَّكوبة ، من الأبيض ، جبل العرج فى مُهاجَره :

ولذلك قيل للمتوجع من ألم أو مرض : «لا تتأوه» ، [١] كما قال المُثَقِّب العَبْدى :

إذَا ما قُمْتُ أرْحَلُها بِلَيْـلٍ تَأَوَّهُ آهَةَ الرَّجُلِ الحَزِينِ [٢]

ومنه قول الجَعْدىّ :

ضَرُوحٍ مَرُوحٍ تُتْبِعُ الْوُرْقَ بَعْدَما يُعَرِّسْنَ شَكْوَى ، آهَةً وتَنَمُّرَا [٣]

تَعَرَّضِى مَدَارِجاً وَسُومِى تَعَرُّضَ الجَوْزاء لِلنُّجُومِ

هذَا أبُو القاسِمِ فاسْتَقِيمِى

وذكر الحافظ هذا الشعر فى خبره ، وذكر صاحب لسان العرب خبر دلالته لنبينا صلى الله عليه وسلم فى مادة (بجد) ، وذكر الشعر فى مادة (درج) ، و (عرض) ، وفيه خبر الهجرى ، و (سوم) . والرجز يقوله لناقته ، يقول لها : « تعرضى » ، أى : خذى يمنة ويسرة ، وتنكبى الثنايا الغلاظ بين الجبال ، وهى « المدارج » — و « سومى » من السوم ، وهو سرعة المر ، مع قصد الصوب فى السير — « تعرض الجوزاء » ، لأن الجوزاء تمر على جنب معارضة ، ليست بمستقيمة فى السماء .

ويقال فى سبب تسميته « ذا البجادين » أنه حين أراد المسير إلى النبى صلى الله عليه وسلم قطعت أمه بجاداً باثنين ، فاتزر بواحد ، وارتدى بالآخر . ويقال انه لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله لأبيه : « دعنى أدله على الطريق » ! فأبى ، ونزع ثيابه عنه وتركه عرياناً . فاتخذ بجاداً من شعر وطرحه على عودته ، ثم لحقهم ، وأخذ بزمام ناقة النبى صلى الله عليه وسلم ، وأنشأ يرتجز ، بما ذكرناه من رجزه .

والذى رأيناه فى السير ، أن دليل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مهاجره هو : « عبد الله بن أريقط الليثى » ، و « عبد الله» هذا لم يكن مسلماً ، ولا وجد من طريق صحيح أنه أسلم بعد ذلك ، وكان مستأجراً . (ابن هشام ٢ : ١٣٦ / الروض الأنف ٢ : ٢٨ ، ثم ترجمته فى الإصابة وغيرها) . وهو بلا شك غير ذى البجادين ، لأن ذا البجادين ، مزنى ، ولأنه مات فى تبوك ، ولأنهم ذكروا أن النبى صلى الله عليه وسلم لم ينزل فى قبر أحد ، إلا خمسة ، منهم عبد الله المزنى ، ذو البجادين .

فإذا عرف هذا تباعد الإشكال الموهم أنهما رجل واحد ، واحتاج أمر دلالة ذى البجادين ، إلى إيضاح لم تذكره كتب السير .

(١) فى المطبوعة : « لم تتأوه » ، فعل ذلك لأن كاتب المخطوطة خلط فى كتابه « لا » ، فاجتهد الناشر ، والصواب ما أثبت .

(٢) ديوانه : ٢٩ ، المفضليات : ٥٨٦ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٧٠ طبقات فحول الشعراء : ٢٣١ ، واللسان (أوه) ، ومر ذكره هذا البيت ، فى التعليق على بيت من القصيدة فيما سلف ٢ : ٥٤٨ تعليق : ١ . وعنى بذلك ناقته ، تحن إلى ديارها وأوطانها .

(٣) ديوانه : ٣٣ ، ٥٢ ، وجمهرة أشعار العرب : ١٤٦ ، والمعانى الكبير : ٣١٥ ، من قصيدته النابغة ، التى سمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بأبى هو وأمى ، فلما بلغ قوله :

بَلَغْنا السَّماءَ مَجْدُنا وجُدُودُنا وَإنا لَنَبْغِى بَعْدَ ذَلِكَ مَظْهَرَا

ولا تكاد العرب تنطق منه : بـ « فعل يفعل » ، وإنما تقول فيه : « تَفَعَّل يَتَفَعَّل » ، مثل : « تأوّه يتأوه » ، « وأوّه يؤوِّه » .

كما قال الراجز :

* فَأَوَّهَ الرَّاعِي وَضَوْضَى أَكْلُبُهْ *(١)

وقالوا أيضاً : « أوْهِ منك ! » ، ذكر الفراء أن أبا الجرّاح أنشده :

فَأَوْهِ مِنَ الذِّكْرَى إِذَا مَا ذَكَرْتُهَا وَمِنْ بُعْدِ أَرْضٍ بَيْنَنَا وَسَمَاءِ(٢)

قال : وربما أنشدنا : ﴿ فَأَوِّ مِنَ الذِّكْرَى ﴾ ، بغيرها ، ولو جاء « فعل » منه على الأصل لكان : « آه ، يَؤوهُ ، أوْهًا » .

* * *

= ولأن معنى ذلك : « توجّع ، وتحزّن ، وتضرع » ، اختلف أهل التأويل فيه الاختلافَ الذى ذكرتُ . فقال من قال : معناه « الرحمة » : أن ذلك كان

فقال له : أين المظهر يا أبا ليلى ؟ فقال : الجنة ! قال : أجل ، إن شاء الله ثم أنشده ما فيها من الحكمة قال : « لا يفضض الله فاك » ، فبقى عمره أحسن الناس ثغراً ، كلما سقطت من عادت أخرى . وكان النابغة معمراً .

وقوله : « ضروح » ، أى تضرح برجلها ، رمحت بها ، أراد نشاطها وإبعادها فى سيرها . ويروى « خنوف » و « طروح » = و « مروح » شديدة النشاط ، من المرح . وقوله « تتبع الورق » ، هكذا فى المخطوطة ، ورواية ديوانه « تبعث الورق » ، و « تعجل الورق » ، وذلك أن تذعرها ، فتعجلها عن التعريس ، وهما روايتان واضحتا المعنى . وأما رواية التفسير ، فإن صحت ، فقد أراد أنها تتبع الشكوى والتأوه ، فتنزعج فتذعر . و « الورق » عنى بها القطا . و « القطا » ورق الألوان . وكان فى المطبوعة « الودق » وهو خطأ . وقوله : « وتنمرا » ، كان فى المطبوعة : « وتشمرا » ، وهو خطأ لا شك فيه ، والمخطوطة غير منقوطة ، وهذا صواب قراءتها . و « التنمر » الغضب . ورواية الديوان وغيره « وتذمرا » ، وهى أوضح وأبين . وقوله : « آهة » ، أى تأوهاً .

ورواية العجز فى الديوان : « يعرس تشكو آهة وتذمرا » ، والذى فى المخطوطة مطابق لما فى المعانى الكبير لابن قتيبة « شكوى » .

(١) لم أعرف قائله . « ضوضى » ، ضجت وصاحت . وفى الحديث حين ذكر رؤيته صلى الله عليه وسلم النار ، أعاذنا الله من عذابها : « أنه رأى فيها قوماً إذا أتاهم لهبها ضوضوا » ، أى أحدثوا ضوضاء من صياحهم وجلبتهم .

(٢) لسان العرب (أوه) ، لم أعرف قائله ، وذكر اختلاف روايته هناك .

من إبراهيم على وجه الرِّقة على أبيه ، والرحمة له ، ولغيره من الناس .

وقال آخرون : إنما كان ذلك منه لصحة يقينه ، وحسن معرفته بعظمة الله ، وتواضعه له .

وقال آخرون : كان لصحة إيمانه بربِّه .

وقال آخرون : كان ذلك منه عند تلاوته تنزيل الله الذى أنزله عليه .

وقال آخرون : كان ذلك منه عند ذكر ربِّه .

= وكلُّ ذلك عائد إلى ما قلتُ ، وتَقَارَبَ معنى بعض ذلك من بعض ، لأن الحزين المتضرِّع إلى ربه، الخاشع له بقلبه ، ينوبه ذلك عند مسألته ربَّه ، ودعائه إياه فى حاجاته ، وتعتوره هذه الخلال التى وجَّه المفسرون إليها تأويل قول الله : « إن إبراهيم لأوّاه حليمٌ » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١١٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وما كان الله ليقضى عليكم ، فى استغفاركم لموتاكم المشركين ، بالضلال ، بعد إذ رزقكم الهداية ، ووفقكم للإيمان به و برسوله ، حتى يتقدَّم إليكم بالنهى عنه، فتتركوا الانتهاء عنه . فأما قبل أن يبين لكم كراهية ذلك بالنهى عنه ، ثم تتعدوا نهيه إلى ما نهاكم عنه ، فإنه لا يحكم عليكم بالضلال ، لأن الطاعة والمعصية إنما يكونان من المأمور والمنهىّ ، فأما من لم يؤمر ولم ينه، فغير كائنٍ مطيعاً أو عاصياً فيما لم يؤمَرْ به ولم ينه عنه = « إن الله بكل شىء عليم »، يقول تعالى ذكره : إن الله ذو علم بما خالط أنفسكم عند نهى الله إياكم من الاستغفار لموتاكم المشركين ، من الجزع على ما سلف منكم

من الاستغفار لهم قبل تقدمه إليكم بالنهى عنه ، وبغير ذلك من سرائر أموركم وأمور عباده وظواهرها ، فبيَّن لكم حلمه فى ذلك عليكم ، ليضع عنكم ثِقَل الوَجْد بذلك .(١)

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤١٩ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون » ، قال : بيانُ الله للمؤمنين فى الاستغفار للمشركين خاصة ، وفى بيانه طاعتُه ومعصيته عامة ، فافعلوا أو ذَرُوا .

١٧٤٢٠ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون »، قال : بيانُ الله للمؤمنين : أن لا يستغفروا للمشركين خاصة ، وفى بيانه طاعتُه ومعصيته عامة ، فافعلوا أو ذَرُوا . ٣٩/١١

١٧٤٢١ – . . . . قال ،حدثنا إسحق قال،حدثنا عبد الله، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

١٧٤٢٢ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون »، قال : يبين الله للمؤمنين فى أن لا يستغفروا للمشركين . فى بيانه ، فى طاعته وفى معصيته ، فافعلوا أو ذروا .

* * *

(١) انظر تفسير ألفاظ هذه الآية فيما سلف من فهارس اللغة .

القول فى تأويل قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (١١٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن الله، أيها الناس، له سلطان السموات والأرض وملكهما، وكل من دونه من الملوك، فعبيده ومماليكه، بيده حياتهم وموتهم، يحيي من يشاء منهم ، ويميت من يشاء منهم. فلا تجزعوا، أيها المؤمنون ، من قتال من كفر بى من الملوك ، ملوك الروم كانوا أو ملوك فارس والحبشة ، أو غيرهم ، واغزوهم وجاهدوهم فى طاعتى ، فإنى المعزُّ من أشاء منهم ومنكم، والمذلُّ من أشاء .

وهذا حضٌّ من الله جل ثناؤه المؤمنين على قتال كلّ من كفر به من المماليك، وإغراءٌ منه لهم بحربهم .

وقوله : « وما لكم من دون الله من ولىّ ولا نصير » ، يقول : ومالكم من أحد هو لكم حليفٌ من دون الله يظاهركم عليه ، إن أنتم خالفتم أمرَ الله فعاقبكم على خلافكم أمرَه ، يستنقذكم من عقابه = « ولا نصير » ، ينصركم منه إن أراد بكم سوءاً . يقول : فبالله فثقوا، وإياه فارهبوا ، وجاهدوا فى سبيله من كفر به ، فإنه قد اشترى منكم أنفسكم وأموالكم بأن لكم الجنة ، تقاتلون فى سبيله فتَقْتُلون وتُقْتَلون. (١)

* * *

(١) انظر تفسير ألفاظ هذه الآية فيما سلف من فهارس اللغة .

القول فى تأويل قوله ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١١٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : لقد رزق الله الإنابة إلى أمره وطاعته، نبيّه محمدًا صلى الله عليه وسلم . والمهاجرين ديارَهم وعشيرتَهم إلى دار الإسلام، وأنصار رسوله فى الله [١] = الذين اتبعوا رَسول الله فى ساعة العسرة منهم من النفقة والظهر والزاد والماء [٢] = « من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم » ، يقول : من بعد ما كاد يميل قلوب بعضهم عن الحق ، ويشك فى دينه ويرتاب ، بالذى ناله من المشقة والشدّة فى سفره وغزوه [٣] = « ثم تاب عليهم» ، يقول : ثم رزقهم جلّ ثناؤه الإنابة والرجوع إلى الثبات على دينه ، وإبصار الحق الذى كان قد كاد يلتبس عليهم = « إنه بهم رؤوف رحيم» ، يقول : إن ربكم بالذين خالط قلوبَهم ذلك لما نالهم فى سفرهم من الشدة والمشقة رؤوف بهم = « رحيم» أن يهلكهم، فينزع منهم الإيمان، بعد ما قد أبلَوْا فى الله ما أبلوا مع رسوله، وصبروا عليه من البأساء والضراء . [٤]

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤٢٣ - حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا

---

(١) انظر تفسير « المهاجر » فيما سلف ص : ٤٣٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « العسرة » فيما سلف ٦ : ٢٨ ، ٢٩ .

(٣) انظر تفسير « الزيغ » فيما سلف ٦ : ١٨٣ ، ١٨٤ .

= وتفسير « فريق » فيما سلف ١٢ : ٣٨٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « رؤوف » و « رحيم » فيما سلف من فهارس اللغة (رأف) ، (رحم) .

عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « في ساعة العسرة » ، في غزوة تبوك .

١٧٤٢٤ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل : «في ساعة العسرة» ، قال : خرجوا في غزوةٍ ،[1] الرجلان والثلاثة على بعير . وخرجوا في حرٍّ شديد ، وأصابهم يومئذ عطش شديد ، فجعلوا ينحرون إبلهم فيعصرون أكراشها ، ويشربون ماءه ،[2] وكان ذلك عسرة من الماء ، وعسرة من الظهر ، وعسرة من النفقة .[3]

١٧٤٢٥ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « ساعة العسرة » ، قال : غزوة تبوك . قال : « العسرة » ، أصابهم جَهْدٌ شديد ، حتى إنّ الرجلين ليشقّان التمرة بينهما ، وإنهم ليمصّون التمرة الواحدة ، ويشربون عليها الماء .

١٧٤٢٦ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « الذين اتبعوه في ساعة العسرة » ، قال : غزوة تبوك . ٤٠/١١

١٧٤٢٧ — . . . . قال ، حدثنا زكريا بن عدي ، عن ابن مبارك ، عن معمر ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر : « الذين اتبعوه في ساعة العسرة » ، قال : عسرة الظهر ، وعسرة الزاد ، وعسرة الماء .[4]

---

(١) في المطبوعة : « في غزوة تبوك » ، زاد من عنده ، وليست في المخطوطة ، وهي بلا شك غزوة تبوك .

(٢) في المطبوعة : « ماءها » ، والذي في المخطوطة صواب أيضاً .

(٣) الأثر : ١٧٤٢٤ — « عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب الهاشمي » ، منكر الحديث ليس بمتقن ، لا يحتجون بحديثه من جهة حفظه . مضى برقم : ٤٨٧ ، وانظر الخبر رقم : ١٧٤٢٧ .

(٤) الأثر : ١٧٤٢٧ — « زكريا بن عدي بن زريق التميمي » ، ثقة ، مضى برقم : ١٥٦٦ ، ١٥٤٤٦ ، ١٦٩٤٥ . وكان في المطبوعة : « زكريا بن علي » ، والصواب ما في المخطوطة ، ولكن لم يحسن قراءته .

« عبد الله بن محمد بن عقيل » ، سلف برقم : ١٧٤٢٤ .

١٧٤٢٨ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : «لقد تاب الله على النبيّ والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة »، الآية، الذين اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك قِبَل الشأم فى لهَبَان الحرّ، على ما يعلم الله من الجهد ، أصابهم فيها جهدٌ شديد ، حتى لقد ذُكر لنا أن الرجلين كانا يشقّان التمرة بينهما ، وكان النفر يتناولون التمرة بينهم، يمصُّها هذا ثم يشرب عليها، ثم يمصُّها هذا ثم يشرب عليها، فتاب الله عليهم وأقفلهم من غزوهم .

١٧٤٢٩ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنى عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبى هلال، عن عتبة بن أبى عتبة ، عن نافع بن جبير بن مطعم ، عن عبد الله بن عباس : أنه قيل لعمر بن الخطاب رحمة الله عليه فى شأن العسرة ، فقال عمر : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك فى قيظ شديد، فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش، حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع ، حتى إن كان الرجل ليذهب يلتمسُ الماء، فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع ، حتى إن الرجل لينحر بعيره ، فيعصر فَرْثه فيشربه ،(١) ويجعل ما بقى على كبده ، فقال أبو بكر : يا رسول الله، إن الله قد عوّدك فى الدعاء خيراً ، فادع لنا ! قال: تحب ذلك ؟ قال : نعم ! فرفع يديه ، فلم يَرْجِعهما حتى قالت السماء، فأظلّت ، ثم سكبت ،(٢) فملأوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها ،(٣)

---

(١) « الفرث » ، سرجين الكرش ما دام فى الكرش .

(٢) « قالت السماء » ، أى : أقبلت بالسحاب ، وكان فى المطبوعة : « مالت » وأثبت ما فى المخطوطة . وهو مطابق لما فى مجمع الزوائد ، وفى ابن كثير ، وغيره « سالت » وليست بشىء . وهذا تعبير عزيز جيد .

وقوله : « فأظلت » ، أى : جاء السحاب بالظل ، و فى ابن كثير وغيره « فأهطلت »، وليست بشىء . وفى مجمع الزوائد : « فأطلت » ، وكأنه تصحيف .

(٣) فى المطبوعة : « ثم رجعنا ننظر فلم نجدها ، جاوزت العسكر » ، غير ما كان فى المخطوطة ، وهو صواب مطابق لما فى المراجع . وقوله : « ذهبنا ننظر » ، العرب تضع « ذهب » فى الكلام ظرفاً للفعل ، انظر ما سلف ١١ : ١٢٨ ، تعليق : ١ ، ثم ص : ٢٥٠ ، فى كلام أبى جعفر ، والتعليق : ١ ، ثم رقم : ١٦٢٠٦ .

جازت العسكر .[١]

١٧٤٣٠ – حدثني إسحق بن زيادة العطار قال، حدثنا يعقوب بن محمد قال ، حدثنا عبد الله بن وهب قال ، حدثنا عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن نافع بن جبير ، عن ابن عباس قال : قيل لعمر بن الخطاب رحمة الله عليه : حدِّثنا عن شأن جيش العسرة ! فقال عمر : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر نحوه .[٢]

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (١١٨)

---

(١) الأثر : ١٧٤٢٩ – « عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصاري المصري » ، ثقة متقن ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٣٥٧٠ ، ١٦٧٣٢ .

و « سعيد بن أبي هلال الليثي المصري » ، ثقة ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٣٥٧٠ .

و « عتبة بن أبي عتبة » ، هو « عتبة بن مسلم التيمي » ، ثقة ، مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٣/١/٣٧٤ .

و « نافع بن جبير بن مطعم » ، تابعي ثقة ، أحد الأئمة . مترجم في التهذيب ، والكبير ٤/٢/٨٢ ، وابن أبي حاتم ٤/١/٤٥١ .

ورجال إسناد هذا الخبر ثقات .

وهذا الخبر خرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٦ : ١٩٤ ، ١٩٥ ، وقال : « رواه البزار ، والطبراني في الأوسط ، ورجال البزار ثقات » .

وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣ : ٢٨٦ ، ونسبه إلى ابن جرير ، وابن خزيمة ، وابن حبان ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، وأبي نعيم ، والبيهقي في الدلائل .

وهو في دلائل النبوة لأبي نعيم ص : ١٩٠ في باب « ذكر ما كان في غزوة تبوك » ، بهذا الإسناد .

وذكره ابن كثير في تفسيره ٤ : ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، والبغوي بهامشه .

(٢) الأثر : ١٧٤٣٠ – « إسحق بن زيادة العطار » ، شيخ الطبري ، مضى برقم : ١٤١٤٦ ، ولم نجد له ذكراً ، وقد مضى هناك : « إسحق بن زياد العطار النصري » بغير تاء في « زياد » في المطبوعة والمخطوطة . وغير ممكن فصل القول في ذلك ، مالم نجد له ترجمة تهدي إلى الصواب .

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « لقد تاب الله على النبيّ والمهاجرين والأنصار » = « وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا » ، وهؤلاء الثلاثة الذين وصفهم الله في هذه الآية بما وصفهم به فيما قيل ، هم الآخرون الذين قال جل ثناؤه : ﴿ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة التوبة : ١٠٦] ، فتاب عليهم عز ذكره ، وتفضل عليهم .

وقد مضى ذكر من قال ذلك من أهل التأويل ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .(١)

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام إذاً : ولقد تاب الله على الثلاثة الذين خلفهم الله عن التوبة ، فأرجأهم عمَّن تاب عليه ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما : —

١٧٤٣١ — حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عمن سمع عكرمة في قوله : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا » ، قال : خُلِّفوا عن التوبة .

١٧٤٣٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : أما قوله : « خلفوا » ، فخلِّفوا عن التوبة .

* * *

= « حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت » ، يقول : بسعتها ،(٢) غمًّا وندماً على تخلفهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم = « وضاقت عليهم أنفسهم » ، بما نالهم من الوَجْد والكرْب بذلك = « وظنوا أن لا ملجأ » ، يقول : وأيقنوا بقلوبهم أن لا شيء لهم يلجأون إليه مما نزل بهم من أمر الله من البلاء ،(٣)

---

(١) انظر ما سلف ص : ٤٦٤ — ٤٦٧ .

(٢) انظر تفسير « رحب » فيما سلف . ص : ١٧٩ .

(٣) انظر تفسير « الظن » فيما سلف ٢ : ١٧ — ٢٠ ، ٥/٢٦٥ : ٣٥٢ .
= وتفسير « الملجأ » فيما سلف ص : ٢٩٨ .

بتخلفهم خِلافَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ينجيهم من كربه ، ولا مما
٤١/١١ يحذرون من عذاب الله ، إلا الله ، ثم رزقهم الإنابة إلى طاعته ، والرجوع إلى ما يرضيه عنهم ، لينيبوا إليه ، ويرجعوا إلى طاعته والانتهاء إلى أمره ونهيه = « إن الله هو التواب الرحيم » ، يقول : إن الله هو الوهّاب لعباده الإنابة إلى طاعته ، الموفّقُ من أحبَّ توفيقه منهم لما يرضيه عنه = « الرحيم » ، بهم ، أن يعاقبهم بعد التوبة ، أو يخذل من أراد منهم التوبةَ والإنابةَ ولا يتوب عليه .(١)

* * *

وبنحو ما قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤٣٣ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبى سفيان ، عن جابر فى قوله : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا » ، قال : كعب ابن مالك ، وهلال بن أمية ، ومُرارة بن ربيعة ، وكلهم من الأنصار .(٢)

١٧٤٣٤ — حدثنى عبيد بن محمد الوراق قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن الأعمش ، عن أبى سفيان ، عن جابر ، بنحوه = إلا أنه قال : ومرارة بن الربيع ، أو : ابن ربيعة ، شكّ أبو أسامة .(٣)

---

(١) انظر تفسير « التواب » ، و « الرحيم » ، فيما سلف من فهارس اللغة (ثوب) ، (رحم) .

(٢) الأثر : ١٧٤٣٣ — « مرارة بن ربيعة » ، المشهور : « مرارة بن الربيع » ، ولكنه هكذا جاء فى المخطوطة والمطبوعة هنا . ثم جاء فى الأخبار التالية « الربيع » . وقد مضى مثل هذا الاختلاف وأشد منه فيما سلف فى التعليق على رقم : ١٧١٧٧ ، ١٧١٧٨ ، ١٧١٨٣ . وذكر ابن كثير فى تفسيره ٤ : ٢٦٤ ، وذكر هذا الخبر فقال : « وكذا فى مسلم : ربيعة ، فى بعض نسخه ، وفى بعضها : مرارة بن الربيع » .

(٣) الأثر : ١٧٤٣٤ — « عبيد بن محمد الوراق » ، هو « عبيد بن محمد بن القاسم بن سليمان بن أبى مريم » ، « أبو محمد الوراق النيسابورى » ، سكن بغداد ، وحدث بها عن موسى بن هلال العبدى وأبى النضر هاشم بن القاسم ، والحسن بن موسى الأشيب ، ويعقوب بن محمد الزهرى ، وبشر بن الحارث . كان ثقة ، مات سنة ٢٥٥ ، ولم أجد له ترجمة فى غير تاريخ بغداد ١١ : ٩٧ ، وروى عنه الطبرى فى موضعين من تاريخه ٢ : ٢٠٢ ، ٢٥٠ ، روى عن روح بن عبادة .

وكان فى المطبوعة : « عبيد بن الوراق » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، لأن الناسخ كتب « عبيد بن محمد » كلمة واحدة مشتبكة الحروف .

١٧٤٣٥ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عكرمة وعامر : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا » ، قال : أرْجئوا ، في أوسط « براءة » .

١٧٤٣٦ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « الثلاثة الذين خلفوا » ، قال : الذين أرجئوا في أوسط « براءة » ، قوله : ﴿ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللهِ ﴾ ، [سورة التوبة : ١٠٦] ، هلال بن أمية ، ومرارة بن رِبْعيّ ، وكعب بن مالك .(١)

١٧٤٣٧ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا » ، الذين أرجئوا في وسط « براءة » .

١٧٤٣٨ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن أبيه ، عن ليث ، عن مجاهد : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا » ، قال : كلهم من الأنصار ، هلال بن أمية ، ومرارة بن ربيعة ، وكعب بن مالك .

١٧٤٣٩ – . . . . قال ، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا » ، قال : الذين أرجئوا .

١٧٤٤٠ – . . . . قال ، حدثنا جرير ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد قال : « الثلاثة الذين خلفوا » ، كعب بن مالك وكان شاعراً ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية ، وكلهم أنصاريّ .(٢)

١٧٤٤١ – . . . . قال ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، والمحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : كلهم من الأنصار : هلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع ، وكعب بن مالك .

وأما « مرارة بن الربيع » أو « ابن ربيعة » ، فانظر التعليق السالف .

(١) الأثر : ١٧٤٣٦ – « مرارة بن ربعي » ، هكذا في المخطوطة كما أثبته ، وفي المطبوعة « ابن ربيعة » ولكن هكذا ، جاء هنا ، كالذي مضى في رقم : ١٧١٧٧ ، ١٧١٧٨ ، فانظر التعليق هناك .

(٢) في المطبوعة : « أنصار » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو صواب محض .

١٧٤٤٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال: أخبرنا هاشم، عن جويبر، عن الضحاك قوله: « وعلى الثلاثة الذين خلفوا »، قال: هلال ابن أمية، وكعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، كلهم من الأنصار.

١٧٤٤٣ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: « وعلى الثلاثة الذين خلفوا »، إلى قوله: « ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم »، كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن ربيعة، تخلفوا في غزوة تبوك. ذكر لنا أن كعب بن مالك أوثق نفسه إلى سارية، فقال: لا أطلقها = ولا أطلق نفسي [1] = حتى يُطْلقني رسول الله صلى الله عليه وسلم! فقال رسول الله: والله لا أطلقه حتى يطلقه ربُّه إن شاء! وأما الآخر فكان تخلف على حائط له كان أدرك، [2] فجعله صدقة في سبيل الله، وقال: والله لا أطعمه! وأما الآخر، فركب المفاوز يتبع رسول الله، ترفعه أرض وتَضَعه أخرى، وقدماه تَشَلْشَلان دماً. [3]

١٧٤٤٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبيد الله، عن إسرائيل، عن السدي، عن أبي مالك قال: « الثلاثة الذين خلفوا »، هلال بن أمية، وكعب ابن مالك، ومرارة بن ربيعة.

١٧٤٤٥ – . . . . قال، حدثنا أبو داود الحفري، عن سلام أبي الأحوص، عن سعيد بن مسروق، عن عكرمة: « وعلى الثلاثة الذين خلفوا »، قال: هلال ابن أمية، ومرارة، وكعب بن مالك.

١٧٤٤٦ – حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية قال، أخبرنا بن عون،

---

(١) في المطبوعة: « لا أطلقها، أو لا أطلق نفسي »، وأثبت ما في المخطوطة.

(٢) « الحائط »، هو البستان من النخيل، إذا كان عليه حائط، وهو الجدار. ويقال لها أيضاً « حديقة »، لإحداق سوره بها. فإذا لم يكن عليها حائط، فهي « ضاحية »، لبروزها للعين. و« أدرك الثمر »، أي بلغ نضجه.

(٣) « تشلشلان »، « تتشلشلان »، على حذف إحدى التاءين. « تشلشل الماء والدم »، إذا تبع قطران بعضه بعضاً في سيلانه متفرقاً.

عن عمر بن كثير بن أفلح قال : قال كعب بن مالك : ما كنت فى غزاة أيسر ٤٢/١١
للظهر والنفقة منى فى تلك الغزاة ! قال كعب بن مالك : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : «أتجهز غداً ثم ألحقه» ، فأخذت فى جهازى ، فأمسيت ولم أفرغ . فلما كان اليوم الثالث ، أخذت فى جهازى ، فأمسيت ولم أفرغ ، فقلت : هيهات ! سار الناس ثلاثاً ! فأقمت . فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جعل الناس يعتذرون إليه ، فجئت حتى قمت بين يديه ، فقلت : ما كنت فى غزاة أيسر للظهر والنفقة منى فى هذه الغزاة ! فأعرض عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر الناس أن لا يكلمونا ، وأمرت نساؤنا أن يتحولن عنا . قال : فتسورت حائطاً ذات يوم ، فإذا أنا بجابر بن عبد الله ، فقلت : أى جابر ! نشدتك بالله ، هل علمتنى غششت الله ورسوله يوماً قط ؟ فسكت عنى فجعل لا يكلمنى .[1] فبينا أنا ذات يوم ، إذ سمعت رجلاً على الثنية يقول : كعب ! كعب ! حتى دنا منى ، فقال : بشروا كعباً .[2]

١٧٤٤٧ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب قال : غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك ، وهو يريد الروم ونصارى العرب بالشأم ، حتى إذا بلغ تبوك ، أقام بها بضع عشرة ليلة ، ولقيه بها وفد أذرح ووفد أيلة ، فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجزية ، ثم قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك ولم يجاوزها ، وأنزل الله : «لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة» الآية ،

---

(١) انظر «جعل» ، وأنها من حروف الاستعانة فيما سلف ١١ : ٢٥٠ ، فى كلام الطبرى ، والتعليق هناك رقم : ١ ، والتعليق على الأثر رقم : ١٣٨٦٢ .

(٢) الأثر : ١٧٤٤٦ — «عمر بن كثير بن أفلح المدنى» ، مولى أبى أيوب الأنصارى ، ثقة ذكره ابن حبان فى أتباع التابعين ، وكأنه لم يصح عنده لقيه للصحابة . وذكر غيره أنه روى عن كعب ابن مالك . وابن عمر ، وسفينة . ومضى برقم : ١٢٢٢٣ .

وهذا الخبر رواه أحمد فى مسنده ٤ : ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، من هذه الطريق نفسها بنحوه .

والثلاثة الذين خلفوا ، رَهْطٌ ، منهم : كعب بن مالك ، وهو أحد بنى سَلِمة ، ومرارة بن ربيعة ، وهو أحد بنى عمرو بن عوف ، وهلال بن أمية ، وهو من بنى واقف ، وكانوا تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك الغزوة فى بضعةٍ وثمانين رجلاً . فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، صَدَقه أولئك حديثهم ، واعترفوا بذنوبهم ، وكذب سائرهم ، فحلفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما حبسهم إلا العذر ، فقبل منهم رسول الله وبايعهم ، ووكَلَهم فى سرائرهم إلى الله ، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلام الذين خُلِّفوا ، وقال لهم حين حدَّثوه حديثهم واعترفوا بذنوبهم : قد صدقتم ، فقوموا حتى يقضى الله فيكم. فلما أنزل الله القرآن ، تابَ على الثلاثة ، وقال للآخرين : ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ ﴾ ، حتى بلغ : ﴿ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ [سورة التوبة : ٩٥ ، ٩٦].

= قال ابن شهاب : وأخبرنى عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك : أن عبد الله بن كعب بن مالك = وكان قائد كعبٍ من بنيه حين عَمِى = قال : سمعت كعب بن مالك يحدِّث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك . قال كعب : لم أتخلَّف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة غزاها قط ، إلا فى غزوة تبوك ، غير أنى قد تخلفت فى غزوة بدر ، ولم يعاتبْ أحداً تخلف عنها ، إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون عِيرَ قريش ، حتى جمع الله بينهم وبين عدوّهم على غير ميعاد . ولقد شهدتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة ، حين تواثقنا على الإسلام ، وما أحبُّ أن لى بها مشهد بدر ، وإن كانت بدر أذكرَ فى الناس منها .(١)

= فكان من خبرى حين تخلفت عن النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ،

---

(١) قوله : « أذكر » ، أى أشهر ذكراً .

أنى لم أكن قط أقوى ولا أيسرَ منى حين تخلفت عنه فى تلك الغزوة ، والله ما جمعت قبلها راحلتين قطُّ حتى جمعتُهما فى تلك الغزوة . فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حرٍّ شديد ، واستقبل سفرًا بعيداً ومفاوِزَ ، واستقبل عدوًّا كثيرًا ، فجلَّى للمسلمين أمرهم ليتأهَّبُوا أهبة غزوهم ، فأخبرهم بوجهه الذى يريد ، والمسلمون مع النبى صلى الله عليه وسلم كثير ، ولا يجمعهم كتاب حافظٌ = يريد بذلك : الديوان = قال كعب : فما رجلٌ يريد أن يتغيّب إلا يظنّ أن ذلك سيخفى ، مالم ٤٣/١١ ينزل فيه وَحْىٌ من الله . وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال ، وأنا إليهما أصعَرُ .(١) فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه ، وطفقت أغدو لكى أتجهز معهم ، [فأرجع ولم أقض شيئاً ، وأقول فى نفسى : « أنا قادر على ذلك إذا أردت ! » ، فلم يزل ذلك يتمادى بى ، حتى استمرّ بالناس الجدُّ . فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غادياً والمسلمون معه] ،(٢) ولم أقض من جهازى شيئاً . ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئاً . فلم يزل ذلك يتمادى[بى] ،(٣) حتى أسرعوا وتفارط الغزْوُ ،(٤) وهممت أن أرتحل فأدركهم ، فياليتنى فعلت ! فلم يُقْدَر ذلك لى . فطفقت إذا خرجت فى الناس بعد خروج النبى صلى الله عليه وسلم يحزننى أنىّ لا أرى لى أسوةً إلاّ رجلاً مغموصاً عليه فى النفاق ،(٥) أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء . ولم يذكرنى رسول الله صلى الله

---

(١) « أصعر » ، أى : أميل ، على وزن « أفعل » التفضيل ، وأصله من « الصعر » (بفتحين) ، وهو ميل فى الوجه ، كأنه يلتفت إليه شوقاً .

(٢) الذى بين القوسين ساقط من المخطوطة ، وأثبته من رواية مسلم فى صحيحه . وكان فى المطبوعة : « . . . لكى أتجهز معهم ، فلم أقضى من جهازى شيئاً » ، أما المخطوطة ، فكان فيها مايدل على أن الناسخ قد أسقط من الكلام : « . . . لكى أتجهز معهم والمسلمون معه ولم أقض من جهازى شيئاً » .

(٣) الزيادة بين القوسين ، من صحيح مسلم .

(٤) « تفارط الغزو » ، أى فات وقته ، ومثله « تفرط » ، وفى الحديث : « أنه نام عن العشاء حتى تفرطت » ، أى : فات وقتها .

(٥) « أسوة » ، أى : قدوة ومثلا . و « المغموص عليه » ، من قولهم « غمص عليه قولا قاله » ، أى : عابه عليه ، وطعن به عليه . ويعنى : مطعوناً فى دينه ، متهماً بالنفاق .

عليه وسلم حتى بلغ تبوك ، فقال وهو جالس فى القوم بتبوك : ما فعل كعب بن مالك ؟فقال رجل من بنى سَلِمَة : يا رسول الله ، حبسه بُرْداه ، والنظر فى عِطْفيْه ! (١) [فقال معاذ بن جبل : بئس ما قلت ! والله يا رسول الله ، ماعلمنا عليه إلا خيراً] ! (٢) فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبينا هو على ذلك ، رأى رجلاً مُبَيِّضاً يزول به السرابُ ، (٣) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كن أبا خيثمة ! فإذا هو أبو خيثمة الأنصارى ، وهو الذى تصدَّق بصاع التمر ، فلمزه المنافقون . (٤)

= قال كعب : فلما بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجَّه قافلاً من تبوك ، حضرنى بَثِّى ، (٥) فطفقت أتذكر الكذب ، وأقول : « بم أخرج من سَخَطه غداً » ؟ وأستعين على ذلك بكل ذى رأى من أهلى . فلما قيل : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظَلَّ قادماً ! » ، زاح عنى الباطل ، (٦) حتى عرفت أنى لن أنجو منه بشىء أبداً ، فأجمعت صدقه ، (٧) وصَبَح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادماً ، (٨) وكان إذا قدم من سفر ، بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ، ثم جلس للناس . فلما فعل ذلك ، جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له ، وكانوا

---

(١) « النظر فى عطفيه » ، كناية عن إعجابه بنفسه ، واختياله بحسن لبامه . و « العطفان » ، الجانبان ، فهو يتلفت من شدة خيلائه .

(٢) الزيادة بين القوسين ، من صحيح مسلم . وظاهر أن الناسخ أسقطها فى نسخه .

(٣) « المبيض » (بتشديد الباء وكسرها) ، هو لابس البياض . و « يزول به السراب » ، أى : يرفعه ويخفضه ، وإنما يحرك خياله .

(٤) « لمزه » ، عابه وحقره .

(٥) فى المطبوعة : « حضرنى همى » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، والذى فيها مطابق لرواية مسلم فى صحيحه . و « البث » ، أشد الحزن . وذلك أنه إذا اشتد حزن المرء ، احتاج أن يفضى بغمه وحزنه إلى صاحب له يواسيه ، أو يسليه ، أو يتوجع له .

(٦) « أظل قادماً » ، أى : أقبل ودنا قدومه ، كأنه ألقى على المدينة ظله . وقوله : « زاح عنى الباطل » ، أى : زال وذهب وتباعد .

(٧) « أجمعت صدقه » ، أى : عزمت على ذلك كل العزم ، « أجمع صدقه » و « أجمع على صدقه » ، سواء .

(٨) فى المطبوعة : « وأصبح » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو مطابق لما فى صحيح مسلم .

بضعةً وثمانين رجلاً ، فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ، ووكل سرائرهم إلى الله . حتى جئتُ ، فلما سلمت تبسم تبسُّم المغْضَب ثم قال : تعالَ ! فجئت أمشى حتى جلست بين يديه ، فقال لى : ما خلَّفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك ؟ قال قلت : يا رسول الله، إنى والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا ، لرأيت أنى سأخرج من سَخَطه بعذرٍ ، لقد أعطيتُ جَدَلاً ، (١) ولكنى والله لقد علمت لئن حدَّثتك اليوم حديثَ كذبٍ ترضى به عنى ، ليوشكنَّ الله أن يُسْخِطَكَ علىَّ ، ولئن حدثتك حديث صِدْق تَجدُ علىَّ فيه ، (٢) إنى لأرجو فيه عفوَ الله ، (٣) والله ما كان لى عُذْر ! والله ما كنت قطُّ أقوى ولا أيسرَ منى حين تخلفت عنك ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمَّا هذا فقد صَدَق ، قم حتى يقضى الله فيك ! فقمت ، وثار رجال من بنى سلمة فاتبعونى وقالوا : والله ما علمناك أذنبت ذنباً قبل هذا ! لقد عجزتَ فى أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر به المتخلفون ، (٤) فقد كان كافيَكَ ذنْبَكَ استغفارُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لك ! قال : فوالله ما زالوا يؤنِّبونى حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكذِّبَ نفسى ! قال : ثم قلت لهم : هل لَقِىَ هذا معى أحدٌ ؟ قالوا : نعم ، لقيه معك رجلان قالا مثلَ ما قلت ، وقيل لهما مثل ما قيل لك . قال قلت : من هما ؟ قالوا : مرارة ابن ربيع العامرى ، (٥) وهلال بن أمية الواقفى . فذكروا لى رجلين صالحين قد

---

(١) « الجدل » ، اللدد فى الخصومة ، والقدرة عليها ، وعلى مقابلة الحجة بالحجة .

(٢) « تجد » من « الوجد » ، وهو الغضب والسخط .

(٣) هكذا فى المخطوطة : « عفو الله » ومثله فى مسند أحمد ٣ : ٤٦٠ وفى صحيح مسلم « عقبى الله » ، أى : أن يعقبنى خيراً ، وأن يثيبنى عليه .

(٤) فى المطبوعة حذف « فى » من قوله : « لقد عجزت فى أن لا تكون » ، وهى ثابتة فى المخطوطة ، وهى مطابقة لما فى صحيح مسلم . وأما الذى فى المطبوعة ، فهو مطابق لما فى البخارى من رواية غيره .

(٥) فى المطبوعة : « ابن الربيع » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وانظر روايته فى مسلم « مرارة بن

شهدا بدراً ، فيهما أسوة . (١) قال : فمضيت حين ذكروهما لى . (٢)

= ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا أيُّها الثلاثة ، (٣) من بين من تخلّف عنه . قال : فاجتنبنا الناسُ وتغيَّروا لنا ، حتى تنكرت لى فى نفسى الأرض ، فما هى بالأرض التى أعرف . فلبثنا على ذلك خمسين ليلةً ، فأمّا صاحباى فاستكانا وقعدا فى بيوتهما يبكيان ، وأمّا أنا ، فكنت أشبَّ القوم وأجلدهم ، فكنت أخرج وأشهد الصلاة وأطوف فى الأسواق ، ولا يكلمنى أحدٌ ، وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة ، فأقول فى نفسى : «هل حرك شفتيه بردّ السلام أم لا؟» ، ثم أصلى معه ، وأسارقه النظر ، فإذا أقبلتُ على صلاتى نظر إلى ، وإذا التفت نحوه أعرض عنى ، حتى إذا طال ذلك علىّ من جَفْوة المسلمين ، مشيت حتى تسوَّرت جدار حائط أبى قتادة = وهو ابن عمى ، وأحبُّ الناس إلىّ = فسلمت عليه ، فوالله ما ردّ علىّ السلام ! فقلت : ياأبا قتادة ، أنشدك بالله ، هل تعلم أنى أحب الله ورسوله ؟ فسكت . قال : فعُدْت فناشدته ، فسكت ، فعدت فناشدته ، فقال : الله ورسوله أعلم ! ففاضت عيناى ، وتولَّيت حتى تسوَّرت الجدار . ٤٤/١

= فبينا أنا أمشى فى سوق المدينة ، إذا بنبطىّ من نَبَط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة ، يقول : من يدلُّ على كعب بن مالك؟ قال : فطفق الناس يشيرون

ربيعة » ، وما قالوا فى اختلاف رواه مسلم . وما قالوه أيضاً فى روايته « العامرى » ، وأن صوابها « العمرى » نسبة إلى بنى عمرو بن عوف .

(١) فى المطبوعة : « لى فيهما أسوة » ، زاد من عنده ما ليس فى المخطوطة ، ولا فى صحيح مسلم . وإنما هو من رواية البخارى ، بغير هذا الإسناد .

(٢) « مضيت » ، أى : أنفذت ما رأيت . من قولهم : « مضى فى الأمر مضاء » نفذ ، و « أمضاه » أنفذه .

(٣) قوله : « أيها الثلاثة » ، أى : خصصنا بذلك دون سائر المعتذرين . وهذه اللفظة تقال فى الاختصاص ، وتختص بالمخبر عن نفسه والمخاطب ، تقول : « أما أنا فأفعل هذا ، أيها الرجل » ، يعنى نفسه . انظر ما سلف ٣ : ١٤٧ ، تعليق : ١ ، فى الخبر رقم : ٢١٨٢ .

له ، حتى جاءنى فدفع إلىّ كتاباً من ملك غسان ، وكنت كاتباً ، فقرأته ، فإذا فيه : «أما بعدُ ، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هَوَانٍ ولا مَضْيَعةٍ ، فالحق بنا نُوَاسِك» .

= قال : فقلت حين قرأته : وهذا أيضاً من البلاء !! فتأمَّمتُ بها التنُّور فسجرته به .[1] حتى إذا مضت أربعون من الخمسين ، واستلبث الوحى ،[2] إذا رسولِ الله صلى الله عليه وسلم يأتينى فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك . قال فقلت : أطلِّقها ، أم ماذا أفعل ؟ قال : لا ، بل اعتزلها فلا تقربها . قال : وأرسل إلى صاحبى بذلك . قال : فقلت لامرأتى : الحقى بأهلك فكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الأمر .[3]

= قال : فجاءت امرأة هلالٍ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله، إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادمٌ ، فهل تكره أن أخدُمَه ؟ فقال : لا ، ولكن لا يقرَبَنْكِ ! قالت فقلت : إنه والله ما به حركة إلى شىء ! ووالله

---

(١) «فتأمت» ، وهكذا فى المخطوطة أيضاً ، وفى رواية البخارى «فيتممت» . وأما فى صحيح مسلم ، «فتيامت» ، وقال النووى : «هكذا هو فى جميع النسخ ببلادنا ، وهى لغة فى : تيممت ، ومعناها : قصدت» . وأما القاضى عياض ، فقال فى مشارق الأنوار (أمم) : «ومثله : فيتممت بها التنور ، كذا رواه البخارى . ولمسلم : فتأمت ، وكلاهما بمعنى ، سهل الهمزة فى رواية ، وحققها فى أخرى = أى : قصدت» .

ثم انظر تفسير «الأم» و «التأم» فى تفسير أبى جعفر فيما سلف ٥ : ٥٥٨ / ٨ : ٤٠٧ / ٩ : ٤٧١ .

وفى المطبوعة : «فتأمت به» ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو مطابق لما فى مسلم والبخارى ، إلا أن فى مسلم «فسجرتها بها» ، وفى البخارى : «فسجرته بها» . وأنث «بها» ، إرادة لمعنى الصحيفة ، وهى الكتاب ، ثم رجع بالضمير إلى «الكتاب» .

و «التنور» ، الكانون الذى يخبز فيه .

و «سجر التنور» ، أوقده وأحماه وأشبع وقوده ، وأراد : أنه زاد التنور التهاباً ، بإلقائه الصحيفة فى ناره . وهذا كلام معجب ، أراد به أن يسخر من رسالة ملك غسان إليه .

(٢) «استلبث» ، أى : أبطأ وتأخر .

(٣) فى المطبوعة : «تكونى عندهم» ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو مطابق لما فى صحيح مسلم . وفى البخارى بغير هذا الإسناد : «فتكَرَّفى» .

ما زال يبكى مُنْذ كان من أمره ما كان إلىّ يومه هذا ! قال : فقال لى بعض أهلى : لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى امرأتك ، فقد أذن لامرأة هلالٍ أن تخدُمه ؟ قال فقلت : لا أستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما يدرينى ماذا يقول لى إذا استأذنته فيها ، وأنا رجل شابٌّ !

= فلبثت بعد ذلك عشرليالٍ ، فكمل لنا خمسون ليلةً من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا .(١) قال : ثم صليت صلاة الفجر صباحَ خمسين ليلة على ظهر بيتٍ من بيوتنا ، فبينا أنا جالس على الحال التى ذكر الله منّا ،(٢) قد ضاقت علىّ نفسى وضاقت علىّ الأرض بما رحبت ، سمعتُ صوت صارخٍ أوْفى على جبل سَلْع ،(٣) يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك ، أبشر ! قال : فخررت ساجداً ، وعرفت أن قد جاء فرجٌ . قال : وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر ،(٤) فذهب الناس يبشروننا ،(٥) فذهب قِبَلَ صاحبى مبشرون ، وركض رجل إلىّ فرساً ، وسعى ساعٍ من أسْلَم قِبَلى ، وأوفى على الجبل ، وكان الصوت أسرعَ من الفرس . فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى ، نزعت له ثوبىَّ فكسوتهما إياه ببشارته ، والله ما أملك غيرهما يومئذ ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، وانطلقت أتأمم رسول الله صلى الله عليه وسلم .(٦)

---

(١) فى صحيح مسلم « حين نهى عن كلامنا » ، وضبط « نهى » بالبناء للمجهول ، ورواية أبى جعفر ، تصحح ضبطه بالبناء للمعلوم أيضاً .

(٢) فى المطبوعة : « التى ذكر الله عنا » ، غير ما فى المخطوطة ، هو مطابق لما فى صحيح مسلم ، وهو العربى العريق .

(٣) « أوفى عليه » ، صعده وارتفع عليه ، فأشرف على الوادى منه واطلع .

(٤) : « آذن » أعلم الناس بها . ورواية مسلم : « فآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناسَ » ، والذى هنا مطابق لرواية البخارى ، بغير هذا الإسناد .

(٥) « ذهب » ، سلف ما كتبته عن الاستعانة بقولهم : « ذهب » و « جعل » . انظر رقم : ١٧٤٢٩ ، ص : ٥٤١ ، تعليق ٣ ، والمراجع هناك .

(٦) انظر ص : ٥٥٣ ، تعليق : ١ .

فتلقّانى الناس فوجاً فوجاً يهنئونى بالتوبة ويقولون : لِتَهْنِكَ توبة الله عليك! [١] حتى دخلت المسجد ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد حوله الناس ، فقام إلىّ طلحة بن عبيد الله يُهَرول حتى صافحنى ، وهنأنى ، والله ما قام رجل من المهاجرين غيره = قال : فكان كعب لا ينساها لطلحة [٢] = قال كعب : فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، وهو يبرُقُ وجهه من السرور : أبشر بخير يومٍ مرَّ عليك منذ ولدتك أمك ! فقلت : أمن عندك ، يا رسول الله ، أم من عند الله؟ قال : لا ، بل من عند الله ! وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ١١/٤٥ إذا سُرَّ استنار وجهه ، حتى كأن وجهه قطعة قمر ، وكنا نعرف ذلك منه .

= قال : فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله ، إن من توبتى أن أنخلع من مالى صدقةً إلى الله وإلى رسوله . [٣] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمسك بعض مالك ، فهو خيرٌ لك ! قال فقلت : فإنى أمسك سهمى الذى بخيبر . وقلت : يا رسول الله ، إن الله إنما أنجانى بالصدق ، وإنّ من توبتى أن لا أحدِّث إلاّ صدقاً ما بقيت ! قال : فوالله ما علمت أحداً من المسلمين أبلاه الله فى صِدْق الحديث ، منذ ذكرت ذلك لرسول الله عليه السلام ، أحسن مما ابتلانى ، [٤]

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « لتهنك » ، وهى كذلك فى رواية البخارى بغير هذا الإسناد ، وفى صحيح مسلم المطبوع : « لتهنئك » ، وذكره القاضى عياض فى مشارق الأنوار (هنأ) فقال : « ولتهنك توبة الله ، يهمز ، ويسهل » . وقد ذكر صاحب لسان العرب (هنأ) أن العرب تقول : « ليهنئك الفارس » بجزم الهمزة ، و« ليهنيك الفارس » بياء ساكنة ، ولا يجوز « ليهنك » كما تقول العامة » ، والذى قاله ونسبه للعامة ، صواب لا شك فيه عندى .

(٢) قال الحافظ فى الفتح : « قالوا : سبب ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان آخى بينه وبين طلحة ، لما آخى بين المهاجرين والأنصار . والذى ذكره أهل المغازى أنه كان أخا الزبير ، لكن كان الزبير أخا طلحة فى أخوة المهاجرين ، فهو أخو أخيه » .

(٣) « انخلع من ماله » ، أى : خرج من جميع ماله ، وتعرى منه كما يتعرى الإنسان إذا خلع ثوبه . وأراد : إخراجه متصدقاً به .

(٤) « أبلاه » أى : أنعم عليه .

والله ماتعمّدت كِذْبَةً منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومى هذا ، وإنى أرجو أن يحفظنى الله فيما بقى . قال : فأنزل الله : « لقد تابَ الله على النبى » ، حتى بلغ : « وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا » إلى : « اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » .

= قال كعب : والله ماأنعم الله علىّ من نعمةٍ قطُّ بعد أن هدانى للإسلام أعظمَ فى نفسى من صدقى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، أن لا أكون كذبته ، (١) فأهلك كما هلك الذين كذبوه ، فإن الله قال للذين كذبوا ، حين أنزل الوحى ، شرَّ ماقال لأحدٍ : ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ إلى قوله : ﴿لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [سورة التوبة : ٩٥ ، ٩٦] .

= قال كعب : خُلِّفنا ، أيها الثلاثة ، (٢) عن أمر أولئك الذين قَبِل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبتهم حين حلفوا له ، فبايعهم واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرَنا حتى قضى الله فيه . فبذلك قال الله : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا » ، وليس الذى ذكر الله مما خُلِّفنا عن الغزو ، (٣) إنما هو تخليفه إيّانا ، (٤) وإرجاؤه أمرَنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه . (٥)

---

(١) « أن لا أكون » ، « لا » زائدة ، كالتى فى قوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٢] . انظر ما سلف فى تفسير الآية ١٢ : ٣٢٣ – ٣٢٥ .

(٢) فى المطبوعة : « خلفنا » دون « كنا » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، وما أثبته مطابق لرواية مسلم فى صحيحه .

(٣) فى صحيح مسلم : « مما خلفنا ، تخلفنا عن الغزو » ، والذى هنا وفى المخطوطة ، مطابق لما فى رواية البخارى بغير هذا الإسناد .

(٤) فى المطبوعة : « ختم الجملة بقوله : « فقبل منهم » بالجمع ، خالف ما فى المخطوطة ، وهو مطابق لما فى صحيح مسلم والبخارى .

(٥) الأثر : ١٧٤٤٧ – حديث كعب بن مالك ، سيرويه أبو جعفر من طرق ، سأبينها بعد . أما روايته هذه من طريق ابن وهب ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، فهو إسناد مسلم فى صحيحه ١٧ : ٨٧ ، ٩٨ ، وانظر التعليق على الأخبار التالية . وانظر الأثرين السالفين رقم : ١٦١٤٧ ، ١٧٠٩١ ، والتعليق عليهما .

١٧٤٤٨ – حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى الليث ، عن عقيل، عن ابن شهاب قال ، أخبرنى عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك: أن عبد الله بن كعب بن مالك = وكان قائد كعب من بنيه حين عمى = قال : سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، فذكر نحوه .(١)

١٧٤٤٩ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن عبد الرحمن بن كعب ، عن أبيه قال : لم أتخلف عن النبى صلى الله عليه وسلم فى غزاة غزاها إلا بدراً ، ولم يعاتب النبىُّ صلى الله عليه وسلم أحداً تخلف عن بدر ، ثم ذكر نحوه .(٢)

١٧٤٥٠ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق ، عن ابن شهاب الزهرى ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصارى ، ثم السلمى ، عن أبيه ، أن أباه عبد الله بن كعب = وكان قائد أبيه كعب حين أصيب بصره = قال : سمعت أبى كعبَ بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، وحديث صاحبيه ، قال : ما تخلفت عن رَسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة غزاها ، غير أنى كنت تخلفت عنه فى غزوة بدر ، ثم ذكر نحوه .(٣)

* * *

---

(١) الأثر : ١٧٤٤٨ – من هذه الطريق رواه الطريق البخارى فى صحيحه (الفتح ٨ : ٨٦ – ٩٣) ، وأحمد فى مسنده ٣ : ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، الحديث بطوله .

(٢) الأثر : ١٧٤٤٩ – من هذه الطريق ، طريق معمر ، رواه أحمد فى مسنده ٦ : ٣٨٧ – ٣٩٠ . وانظر أيضاً ما رواه أحمد فى مسنده ٣ : ٤٥٦ ، روايته من طريق يعقوب بن إبراهيم ، عن ابن أخى الزهرى محمد بن عبد الله ، عن عمه محمد بن مسلم الزهرى ، الحديث بطوله ، وصحيح مسلم ١٧ : ٩٨ – ١٠٠ .

(٣) الأثر : ١٧٤٥٠ – سيرة ابن هشام ٤ : ١٧٥ – ١٨١ ، الحديث بطوله .

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ (١١٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين، معرِّفهم سبيل النجاة من عقابه ، والخلاصِ من أليم عذابه : « يا أيها الذين آمنوا » ، بالله ورسوله = « اتقوا الله » ، وراقبوه، بأداء فرائضه ، وتجنب حدوده = « وكونوا » ، فى الدنيا ، من أهل ولاية الله وطاعته ، تكونوا فى الآخرة = « مع الصادقين » ، فى الجنة . يعنى : مع من صَدَق اللهَ الإيمانَ به ، فحقَّق قوله بفعله ، ولم يكن من أهل النفاق فيه ، الذين يكذِّب قيلَهم فعلُهم .

وإنما معنى الكلام : وكونوا مع الصادقين فى الآخرة باتقاء الله فى الدنيا ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَـٰٓئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾ [سورة النساء : ٧٠]. ٤٦/١١

* * *

وإنما قلنا : ذلك معنى الكلام ، لأن كون المنافق مع المؤمنين غيرُ نافعه بأىّ وجوه الكون كان معهم ، إن لم يكن عاملاً عملهم . وإذا عمل عملهم فهو منهم ، وإذا كان منهم ، كان وجهُ الكلام أن يقال : « اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » ، (١) ولتوجيه الكلام إلى ما وجَّهنا من تأويله ، فسَّر ذلك من فسَّره من أهل التأويل بأن قال : معناه : وكونوا مع أبى بكر وعمر ، أو : مع النبى صلى الله عليه وسلم والمهاجرين ، رحمة الله عليهم .

* * *

* ذكر من قال ذلك أو غيره فى تأويله :

---

(١) فى المطبوعة : « كان لا وجه فى الكلام أن يقال » ، غير ما فى المخطوطة ، والذى فيها ما أثبته ، وهو مستقيم صحيح . والذى جاء به من عنده مفسد للكلام .

١٧٤٥١ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يعقوب، عن زيد بن أسلم، عن نافع فى قول الله : « اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » ، قال : مع النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

١٧٤٥٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حبويه أبو يزيد ، عن يعقوب القمى ، عن زيد بن أسلم ،عن نافع قال : قيل للثلاثة الذين خُلِّفوا : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » ، محمدٍ وأصحابه .

١٧٤٥٣ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق بن إسمعيل ، عن عبد الرحمن المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « وكونوا مع الصادقين » ، قال : مع أبى بكر وعمر وأصحابهما ، رحمةُ الله عليهم .

١٧٤٥٤ – . . . . قال، حدثنا محمد بن يحيى قال ، حدثنا إسحق بن بشر الكاهلى قال ، حدثنا خلف بن خليفة ، عن أبى هاشم الرمّانى ، عن سعيد ابن جبير فى قول الله : « اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » ، قال : مع أبى بكر وعمر ، رحمة الله عليهما .[1]

١٧٤٥٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » ، قال : مع المهاجرين الصادقين

* * *

وكان ابن مسعود فيما ذكر عنه ، يقرؤه : ﴿وكُونُوا مِن الصَّادِقِينَ﴾، ويتأوّله : أنّ ذلك نهْىٌ من الله عن الكذب .

* ذكر الرواية عنه بذلك :

١٧٤٥٦ – حدثنى المثنى قال، حدثنا آدم العسقلانى قال ، حدثنا شعبة ،

---

(١) الأثر : ١٧٤٥٤ – « أبو هاشم الرمانى » ثقة ، روى له الجماعة . مختلف فى اسمه ، مضى برقم : ١٠٨١٨ .

عن عمرو بن مرة قال : سمعت أبا عبيدة بن عبد الله بن مسعود يقول : قال ابن مسعود : إن الكذب لا يحلُّ منه جدٌّ ولا هزلٌ ، اقرأوا إن شئتم : ﴿ يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وكُونُوا منَ الصَّادِقِينَ ﴾ ، قال : وكذلك هي قراءة ابن مسعود : « من الصادقين » ، فهل ترون في الكذب رُخْصَة ؟

١٧٤٥٧ — . . . . قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن شعبة ، عن عمرو بن مرة قال : سمعت أبا عبيدة ، عن عبد الله ، نحوه .

١٧٤٥٨ — . . . . قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة قال : سمعت أبا عبيدة يحدِّث عن عبد الله قال : الكذب لا يصلح منه جدٌّ ولا هزل ، اقرأوا إن شئتم : ﴿ يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وكُونُوا مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ = وهي كذلك في قراءة عبد الله = فهل ترون من رخصة في الكذب ؟

١٧٤٥٩ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبد الله قال : لا يصلح الكذب في هزلٍ ولا جدٍّ . ثم تلا عبد الله : « اتقوا الله وكونوا » ما أدري أقال : « من الصادقين » أو « مع الصادقين » ، وهو في كتابي « مع الصادقين » .

١٧٤٦٠ — . . . . قال ، حدثنا أبي ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن أبي معمر ، عن عبد الله ، مثله .

١٧٤٦١ — . . . . قال ، حدثنا أبي ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ، مثله .

* * *

قال أبو جعفر : والصحيح من التأويل في ذلك ، هو التأويل الذي ذكرناه عن نافع والضحاك . وذلك أنّ رسوم المصاحف كلّها مجمعة على : « وكونوا مع الصادقين » ، وهي القراءة التي لا أستجيز لأحدٍ القراءةَ بخلافها .

* * *

وتأويل عبد الله، رحمة الله عليه، فى ذلك على قراءته ، تأويلٌ صحيح ، غير أن القراءة بخلافها .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٢٠)

١١/٤٧ قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : لم يكن لأهل المدينة ، مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم = « ومن حولهم من الأعراب »، سُكّان البوادى ، الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، وهم من أهل الإيمان به ، أن يتخلفوا فى أهاليهم ولا دارٍ لهم ،[1] ولا أن يرغبوا بأنفسهم عن نفسه فى صحبته فى سفره والجهاد معه ، ومعاونته على ما يعانيه فى غزوه ذلك .[2] يقول : إنه لم يكن لهم هذا = « بأنهم »، من أجل أنهم، وبسبب أنهم = « لا يصيبهم »، فى سفرهم إذا كانوا معه = «ظمأ »، وهو العطش = « ولا نصب »، يقول : ولا تعب = « ولا مخمصة فى سبيل الله » ، يعنى : ولا مجاعة فى إقامة دين الله ونصرته ، وهدْم مَنَار الكفر[3] = « ولا يطأون موطئاً » ، يعنى : أرضاً ، يقول : ولا يطأون أرضاً =

(١) فى المطبوعة : « ولا دارهم » ، وأثبت ما فى المخطوطة .
(٢) انظر تفسير « رغب » فيما سلف ٣ : ٨٩ .
(٣) انظر تفسير « المخمصة » فيما سيأتى ص : ٥٦٤، تعليق : ١ .
= وتفسير « سبيل الله » فيما سلف من فهارس اللغة (سبل) .

« يغيظ الكفار » ، وطؤهم إياها[١]= « ولا ينالون من عدوّ نيلاً » ، يقول : ولا يصيبون من عدوّ الله وَعدُوّهم شيئاً فى أموالهم وأنفسهم وأولادهم = إلا كتب الله لهم بذلك كله ، ثوابَ عمل صالح قد ارتضاه[٢]= « إن الله لا يضيع أجر المحسنين » ، يقول : إن الله لا يدع محسناً من خلقه أحسن فى عمله فأطاعه فيما أمره ، وانتهى عما نهاه عنه ، أن يجازيه على إحسانه ، ويثيبه على صالح عمله.[٣] فلذلك كتبَ لمن فعل ذلك من أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب ما ذكر فى هذه الآية ، الثوابَ على كلّ ما فعل ، فلم يضيِّع له أجرَ فعله ذلك .

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فى حكم هذه الآية .

* * *

فقال بعضهم : هى محكمة ، وإنما كان ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصةً ، لم يكن لأحدٍ أن يتخلف إذا غزا خِلافَه فيقعد عنه ، إلا من كان ذا عُذْرٍ . فأما غيره من الأئمة والولاة ، فإن لمن شاء من المؤمنين أن يتخلّف خلافه ، إذا لم يكن بالمسلمين إليه ضرورة .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤٦٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه » ، هذا إذا غزا نبيُّ الله بنفسه ، فليس لأحد أن يتخلف . ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال : لولا أن أشقّ على أمتى ما تخلّفت خلف سريّة تغزو فى سبيل الله ، لكنى لا أجد سَعةً ، فأنطلق بهم معى ، ويشقّ علىّ = أو : أكره = أن أدعهم بعدى .

١٧٤٦٣ — حدثنا على بن سهل قال ، حدثنا الوليد بن مسلم قال ، سمعت

(١) انظر تفسير « الغيظ » فيما سلف ٧ : ٢١٥ / ١١٤ : ١٦ .
(٢) انظر تفسير « كتب » فيما سلف من فهارس اللغة (كتب) .
(٣) انظر تفسير « المحسن » فيما سلف من فهارس اللغة (حسن) .

الأوزاعى ، وعبد الله بن المبارك ، والفزارى ، والسبيعى ، وابن جابر ، وسعيد ابن عبد العزيز يقولون فى هذه الآية : « ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله » إلى آخر الآية ، إنها لأوّل هذه الأمة وآخرها من المجاهدين فى سبيل الله .

* * *

وقال آخرون هذه الآية : نزلت وفى أهل الإسلام قلة ، فلما كثروا نسخها الله ، وأباح التخلف لمن شاء فقال : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ﴾ [سورة التوبة : ١٢٢]

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤٦٤ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله »، فقرأ حتى بلغ : « ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون » ، قال : هذا حين كان الإسلام قليلاً . فلما كثر الإسلام بعدُ قال : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ ﴾ ، إلى آخر الآية .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى : أن الله عنى بها الذين وصفهم بقوله : ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ الآية [سورة التوبة : ٩٠]. ثم قال جل ثناؤه : « ما كان لأهل المدينة » ، الذين تخلفوا عن رسول الله ، ولا لمن حولهم من الأعراب الذين قعدوا عن الجهاد معه ، أن يتخلفوا خِلافَه ، ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه . وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ندب فى غزوته تلك كلَّ من أطاق النهوض معه إلى الشخوص ، إلا من أذن له ، أو أمره بالمقام بعده . فلم يكن لمن قدر على الشخوص التخلُّف . فعدّد ١١/٤٨ جل ثناؤه من تخلف منهم ، فأظهر نفاقَ من كان تخلُّفه منهم نفاقاً ، وعذر من كان تخلفه لعُذْرٍ ، وتاب على من كان تخلُّفه تفريطاً من غير شك ولا ارتياب

فى أمر الله ، إذ تاب من خطأ ما كان منه من الفعل . فأما التخلف عنه فى حال استغنائه ، فلم يكن محظوراً ، إذا لم يكن عن كراهةٍ منه صلى الله عليه وسلم ذلك. وكذلك حكم المسلمين اليوم إزاء إمامهم. فليس بفرضٍ على جميعهم النهوضُ معه ، إلا فى حال حاجته إليهم ، لما لا بُدَّ للإسلام وأهله من حضورهم واجتماعهم واستنهاضه إياهم ، فيلزمهم حينئذ طاعته .

وإذا كان ذلك معنى الآية ، لم تكن إحدى الآيتين اللتين ذكرنا ناسخةً للأخرى ، إذ لم تكن إحداهما نافيةً حكم الأخرى من كل وجوهه ، ولا جاء خبر يوجِّه الحجة بأن إحداهما ناسخة للأخرى .

* * *

وقد بينا معنى « المخمصة » ، وأنها المجاعة ، بشواهده ، وذكرنا الرواية عمن قال ذلك فى موضعٍ غير هذا ، فأغنى ذلك عن إعادته ههنا. (١)

* * *

وأما « النيل» ، فهو مصدر من قول القائل : « نالنى ينالنى » ، و « نلت الشىء فهو منَيل » . وذلك إذا كنت تناله بيدك ، وليس من « التناول» . وذلك أن « التناول » من « النوال » ، يقال منه : « نُلْتُ له ، أنول له » ، من العطيّة .

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول : « النيل » مصدر من قول القائل : « نالنى بخير ينولنى نوالاً » ، و « أنالنى خيراً إنالةً » . وقال : كأن « النيل » من الواو أبدلت ياء لخفتها وثقل الواو . وليس ذلك بمعروف فى كلام العرب ، بل من شأن العرب أن تصحِّح الواو من ذوات الواو ، إذا سكنت وانفتح ما قبلها ، كقولهم : « القَوْل » و «العَوْل » و « الحول » ولو جاز ما قال ، لجاز « القَيْل ». (٢)

* * *

---

(١) انظر تفسير « المخمصة » فيما سلف ٩ : ٥٣٢ – ٥٣٤ .

(٢) انظر تفسير « النيل » فيما سلف ٣ : ٦/٢٠ : ١٢/٥٨٧ : ٤٠٨ ، ١٣/٤٦٩ : ١٣٣ ولم يفسر « النيل » فيما سلف بمثل هذا البيان فى هذا الموضع . وهذه ملاحظة نافعة فى استخراج المنهج الذى ألف به أبو جعفر تفسيره هذا .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (١٢١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ » ، وسائر ما ذكر = « ولا ينالون من عدوٍّ نيلاً » = « ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة »، فى سبيل الله[1] = « ولا يقطعون»، مع رسول الله فى غزوه = « واديًا » إلا كتب لهم أجر عملهم ذلك، جزاءً لهم عليه ، كأحسن ما يجزيهم على أحسن أعمالهم التى كانوا يعملونها وهم مقيمون فى منازلهم ، كما :—

١٧٤٦٥ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة » ، الآية ، قال : ما ازداد قوم من أهليهم فى سبيل الله بُعْداً إلا ازدادوا من الله قرباً .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (١٢٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولم يكن المؤمنون لينفروا جميعاً.[2]

* * *

وقد بينا معنى « الكافة » بشواهده ، وأقوال أهل التأويل فيه ، فأغنى عن إعادته فى هذا الموضع.[3]

* * *

(١) لم يكن فى المخطوطة ولا المطبوعة : « ولا كبيرة » ، وردتها لأنها حق الكلام .

(٢) انظر تفسير « النفر » فيما سلف ٨ : ٥٣٦ / ١٤ : ٢٥٤، ٣٩٩

(٣) انظر تفسير « الكافة » فيما سلف ٤ : ٢٥٧ ، ٢٥٨ / ١٤ : ٢٤٢.

ثم اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى عناه الله بهذه الآية ، وما « النفر » ، الذى كرهه لجميع المؤمنين ؟

فقال بعضهم : وهو نَفْرٌ كان من قوم كانوا بالبادية ، بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمون الناس الإسلام ، فلما نزل قوله : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﴾ ، انصرفوا عن البادية إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، خشية أن يكونوا ممن تخلف عنه ، وممن عُنِى بالآية . فأنزل الله فى ذلك عذرهم بقوله : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة » ، وكره انصرافَ جميعهم من البادية إلى المدينة .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤٦٦ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة » ، قال : ناسٌ من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، خرجوا فى البوادى ، فأصابوا من الناس معروفاً ، ومن الخصب ما ينتفعون به ، ودعوا من وجدوا من الناس إلى الهدى ، فقال الناس لهم : ما نراكم إلاّ قد تركتم أصحابكم وجئتمونا ! فوجدوا فى أنفسهم من ذلك حرجاً ، وأقبلوا من البادية كلهم حتى دخلوا على النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال الله : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة » ، يبتغون الخير = « ليتفقهوا » ، وليسمعوا ما فى الناس ، وما أنزل الله بعدهم = « ولينذروا قومهم » ، الناس كلهم = « إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » . ٤٩/١١

١٧٤٦٧ — حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله = إلا أنه قال فى حديثه : فقال الله : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة » ، خرج بعض ، وقعد بعضٌ يبتغون الخير .

١٧٤٦٨ — . . . . قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، نحو حديثه عن أبى حذيفة .

١٧٤٦٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحو حديث المثنى عن أبي حذيفة = غير أنه قال في حديثه : ما نراكم إلا قد تركتم صاحبكم ! وقال : « ليتفقهوا » ، ليسمعوا ما في الناس .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك: وما كان المؤمنون لينفروا جميعاً إلى عدوّهم، ويتركوا نبيهم صلى الله عليه وسلم وحده ، كما : –

١٧٤٧٠ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد في قوله : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة » ، قال : ليذهبوا كلهم = فلولا نفر من كل حي وقبيلة طائفة ، وتخلف طائفة = « ليتفقهوا في الدين » ، ليتفقه المتخلفون مع النبي صلى الله عليه وسلم في الدين = ولينذر المتخلفون النافرين إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون .

* * *

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤٧١ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله قال، حدثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس قوله : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة » ، يقول : ما كان المؤمنون لينفروا جميعاً ، ويتركوا النبي صلى الله عليه وسلم وحده = « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة » ، يعني عصبة ، يعني السرايا ، ولا يتسرّوا إلا بإذنه ، فإذا رجعت السرايا وقد نزل بعدهم قرآن ، تعلمه القاعدون من النبي صلى الله عليه وسلم . قالوا : « إن الله قد أنزل على نبيكم بعدكم قرآناً، وقد تعلمناه » . فيمكث السرايا يتعلّمون ما أنزل الله على نبيهم بعدهم ، [ويبعث سرايا أخر ، فذلك قوله : « ليتفقهوا في الدين » ، يقول يتعلمون ما أنزل الله على نبيه] ،(١) ويعلموا السرايا إذا رجعت

(١) ما بين القوسين ، ليس في المخطوطة ، وزاده ناشر المطبوعة من الدر المنثور ٣ : ٢٩٢ ، فيما أرجح .

إليهم لعلهم يحذرون .(١)

١٧٤٧٢ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله: « وما كان المؤمنون لينفروا كافة »، إلى قوله: « لعلهم يحذرون » ، قال: هذا إذا بعث نبيُّ الله الجيوشَ، أمرهم أن لا يُعَرُّوا نبيه، وتقيم طائفة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تتفقه فى الدين ، وتنطلق طائفة تدعو قومها ، وتحذرهم وقائع الله فيمن خلا قبلهم .

١٧٤٧٣ – حدثنا الحسين قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة »، الآية ، كان نبى الله إذا غزا بنفسه لم يحلّ لأحد من المسلمين أن يتخلف عنه ، إلا أهل العذر. وكان إذا أقام فأسرت السرايا ، لم يحلّ لهم أن ينطلقوا إلاّ بإذنه . فكان الرجل إذا أسري فنزل بعده قرآن ، تلاه نبى الله على أصحابه القاعدين معه . فإذا رجعت السرية ، قال لهم الذين أقاموا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله أنزل بعدكم على نبيه قرآناً » ، فيقرئونهم ويفقهونهم فى الدين ، وهو قوله : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة » ، يقول : إذا أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم = « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة » ، يعنى بذلك : أنه لا ينبغى للمسلمين أن ينفروا جميعاً ونبيُّ الله قاعد ، ولكن إذا قعد نبيُّ الله ، تسرّت السرايا ، وقعد معه عُظْمُ الناس .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ما هؤلاء الذين نفروا بمؤمنين ، ولو كانوا مؤمنين لم ينفر جميعهم ، ولكنهم منافقون . ولو كانوا صادقين أنهم مؤمنون ، لنفر بعضٌ ليتفقه فى الدين ، ولينذر قومه إذا رجع إليهم .

---

(١) كان فى المطبوعة : « ويعلمونه » ، وفى الدر : « ويعلموه » ، وفى المخطوطة : « ويعلموا » عطفاً على قوله : « ليفقهوا » .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤٧٤ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة » ، فإنها ليست في الجهاد ، ولكن لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مُضَر بالسِّنين أجدبت بلادهم ، وكانت القبيلة منهم تُقْبل بأسرها حتى يحلُّوا بالمدينة من الجهْد ، ويعتلُّوا بالإسلام وهم كاذبون ، فضيَّقوا على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأجهدوهم ، وأنزل الله يخبر رسول الله أنهم ليسوا مؤمنين ، فردّهم رسول الله إلى عشائرهم ، وحذّر قومهم أن يفعلوا فعلهم ، فذلك قوله : « ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » .

* * *

وقد روى عن ابن عباس في ذلك قول ثالثٌ ، وهو ما : —

١٧٤٧٥ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة» إلى قوله : « لعلهم يحذرون » ، قال : كان ينطلق من كل حيّ من العرب عصابةٌ ، فيأتون النبي صلى الله عليه وسلم ، فيسألونه عما يريدونه من دينهم ، ويتفقهون في دينهم ، ويقولون لنبي الله : ما تأمرنا أن نفعله ، وأخبرنا ما نقول لعشائرنا إذا انطلقنا إليهم ؟ قال : فيأمرهم نبيّ الله بطاعة الله وطاعة رسوله ، ويبعثهم إلى قومهم بالصلاة والزكاة . وكانوا إذا أتوا قومهم نادوا : « إنّ من أسلم فهو منّا » ، وينذرونهم ، حتى إن الرجل ليعرِّف أباه وأمه . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرهم وينذرون قومهم .[1] فإذا رجعوا إليهم ، يدعونهم إلى الإسلام ، وينذرونهم النار ، ويبشرونهم بالجنة .

* * *

(١) هكذا جاءت هذه الجملة في المخطوطة والمطبوعة ، وهي جملة غريبة التركيب ، أخشى أن يكون سقط منها شيء .

وقال آخرون : إنما هذا تكذيب من الله لمنافقين أزروْا بأعراب المسلمين وغيرهم ، (١) فى تخلّفهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم ممن قد عذره الله بالتخلف .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤٧٦ — حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان ابن عيينة ، عن سليمان الأحول، عن عكرمة قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ﴾، إلى ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾، قال ناس من المنافقين : هلك من تخلف ! فنزلت : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة» ، إلى «لعلهم يحذرون » ، ونزلت : ﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ ، الآية[سورة الشورى : ١٦].

١٧٤٧٧ — حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة قال ، حدثنا سليمان الأحول ، عن عكرمة ، قال : سمعته يقول : لما نزلت : ﴿ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [سورة التوبة : ٣٩] ، ﴿ وَمَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ ﴾ إلى قوله : ﴿ لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، قال المنافقون : هلك أصحاب البدو الذين تخلفوا عن محمد ولم ينفروا معه! وقد كان ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا إلى البدو ، إلى قومهم يفقهونهم ، فأنزل الله : « وما كان المؤمنين لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ، إلى قوله : «لعلهم يحذرون » ، ونزلت : ﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ ﴾ ، الآية .

* * *

واختلف الذين قالوا : «عُنى بذلك النهىُ عن نَفْر الجميع فى السرية ، وترك

(١) فى المطبوعة : « بأعراب المسلمين وعزروهم » ، والصواب ما فى المخطوطة .

النبيّ عليه السلام وحده » ، فى المعنيّين بقوله : « ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم » .

فقال بعضهم : عُنى به الجماعة المتخلفة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقالوا: معنى الكلام : فهلاّ نفر من كل فرقة طائفة للجهاد ، ليتفقه المتخلفون فى الدين ، ولينذروا قومهم الذين نفروا فى السرية إذا رجعوا إليهم من غزوهم ؟ وذلك قول قتادة، وقد ذكرنا رواية ذلك عنه، من رواية سعيد بن أبى عروبة،[1] وقد :— ٥١/١١

١٧٤٧٨ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : «فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين » الآية ، قال : ليتفقه الذين قعدوا مع نبى الله = « ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم » ، يقول : لينذروا الذين خرجوا إذا رجعوا إليهم .

١٧٤٧٩ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر ، عن الحسن وقتادة: « وما كان المؤمنون لينفروا كافة » ، قالا: كافة ويَدَعوا النبيّ صلى الله عليه وسلم .

* * *

وقال آخرون منهم : بل معنى ذلك : لتتفقه الطائفة النافرة دون المتخلفة ، وتحذر النافرةُ المتخلفةَ .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤٨٠ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين» ، قال : ليتفقه الذين خرجوا ، بما يُريهم الله من الظهور على المشركين والنصرة ، وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم .

* * *

(١) انظر ما سلف رقم : ١٧٤٧٢ .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى تأويل ذلك بالصواب أن يقال : تأويلُه : وما كان المؤمنون لينفروا جميعاً ويتركوا رسول الله وحده ، وأن الله نهى بهذه الآية المؤمنين به أن يخرجوا فى غزو وجهادٍ وغير ذلك من أمورهم ، ويدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحيداً . ولكن عليهم إذا سَرَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية ، أن ينفر معها من كل قبيلة من قبائل العرب = وهى الفرقة[1] = « طائفة » ، وذلك من الواحد إلى ما بلغ من العدد ،[2] كما قال الله جل ثناؤه : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة » ، يقول : فهلا نفر من كل فرقةٍ منهم طائفة ؟[3] وهذا إلى ها هنا ، على أحد الأقوال التى رويت عن ابن عباس ، وهو قول الضحاك وقتادة .

وإنما قلنا : هذا القول أولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، لأن الله تعالى ذكره حظر التخلف خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المؤمنين به من أهل المدينة مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن الأعراب ، لغير عذر يُعذرون به ، إذا خرج رسول الله لغزوٍ وجهادِ عدوٍّ قبل هذه الآية بقوله : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ ، ثم عقب ذلك جل ثناؤه بقوله : «وما كان المؤمنون لينفروا كافة » ، فكان معلوماً بذلك = إذْ كان قد عرّفهم فى الآية التى قبلها اللازمَ لهم من فرض النَّفْر ، والمباحَ لهم من تركه فى حال غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشخوصه عن مدينته لجهاد عدوّ ، وأعلمهم أنه لا يسعهم التخلف خلافه إلا لعذر ، بعد استنهاضه بعضهم وتخليفه بعضهم = أن يكون عقيب تعريفهم ذلك ، تعريفُهم الواجبَ عليهم عند مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمدينته ،

---

(١) انظر تفسير « الفريق » و « الفرقة » فيما سلف : ص : ٥٣٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « طائفة » فيما سلف : ص : ٤٠٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « لولا » فيما سلف ١١ : ٣٥٦ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

وإشخاص غيره عنها ، كما كان الابتداءُ بتعريفهم الواجب عند شخوصه وتخليفه بعضهم .

* * *

وأما قوله : « ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم » ، (١) فإن أولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، قولُ من قال : ليتفقه الطائفة النافرة بما تعاين من نصر الله أهلَ دينه وأصحابَ رسوله ، على أهل عداوته والكفر به ، فيفقه بذلك من مُعاينته حقيقةَ علم أمر الإسلام وظهوره على الأديان ، من لم يكن فقهه ، ولينذروا قومهم فيحذروهم أن ينزل بهم من بأس الله مثل الذي نزل بمن شاهدوا وعاينوا ممن ظفر بهم المسلمون من أهل الشرك = إذا هم رجعوا إليهم من غزوهم = « لعلهم يحذرون » ، (٢) يقول : لعل قومهم ، إذا هم حذروهم ماعاينوا من ذلك ، يحذرون فيؤمنون بالله ورسوله ، حذراً أن ينزل بهم ما نزل بالذين أخبروا خبرَهم . ١١/٥٢

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصواب ، وهو قول الحسن البصرى الذى رويناه عنه ، (٣) لأن «النفر» قد بينا فيما مضى ، أنه إذا كان مطلقاً بغير صلة بشىء ، أنَّ الأغلب من استعمال العرب إياه فى الجهاد والغزو . (٤) فإذا كان ذلك هو الأغلب من المعانى فيه ، وكان جل ثناؤه قال : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين » ، علم أن قوله : « ليتفقهوا » ، إنما هو شرط للنفر لا لغيره ، إذْ كان يليه دون غيره من الكلام .

* * *

فإن قال قائل : وما تنكر أن يكون معناه : ليتفقه المتخلِّفون فى الدين ؟

قيل : ننكر ذلك لاستحالته . وذلك أن نَفْر الطائفة النافرة ، لو كان سبباً لتفقه المتخلفة ، وجب أن يكون مقامها معهم سبباً لجهلهم وترك التفقه ، وقد علمنا أن

---

(١) انظر تفسير « التفقه » فيما سلف ص : ٤١٣ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الحذر » فيما سلف ١٠ : ١٤/٥٧٥ : ٣٣١ .

(٣) انظر ما سلف رقم : ١٧٤٨٠ .

(٤) انظر ما سلف ص : ٢٥١ – ٢٥٦ .

مقامهم لو أقاموا ولم ينفروا لم يكن سبباً لمنعهم من التفقه .

* * *

وبعدُ ، فإنه قال جل ثناؤه : « ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم » ، عطفاً به على قوله : « ليتفقهوا فى الدين » ، ولا شك أن الطائفة النافرة لم ينفروا إلاّ والإنذار قد تقدّم من الله إليها ، وللإنذار وخوف الوعيد نَفرتْ ، فما وجْهُ إنذار الطائفة المتخلفة الطائفةَ النافرةَ ، وقد تساوتا فى المعرفة بإنذار الله إياهما ؟ ولو كانت إحداهما جائزٌ أن توصف بإنذار الأخرى ، لكان أحقَّهما بأن يوصف به ، الطائفة النافرة ، لأنها قد عاينت من قدرة الله ونصرة المؤمنين على أهل الكفر به ، ما لم تعاين المقيمة . ولكن ذلك إن شاء الله كما قلنا ، من أنها تنذر من حَيِّها وقبيلتها من لم يؤمن بالله إذا رجعت إليه : أن ينزل به ما أنزل بمن عاينته ممن أظفر الله به المؤمنين من نُظَرائه من أهل الشرك .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٢٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله ، قاتلوا من وليكم من الكفار دون من بَعُد منهم . [1] يقول لهم : ابدأوا بقتال الأقرب فالأقرب إليكم داراً ، دون الأبعد فالأبعد . وكان الذين يلون المخاطبين بهذه الآية يومئذ ، الروم ، لأنهم كانوا سكان الشأم يومئذ ، والشأم كانت أقرب إلى المدينة من العراق . فأما بعد أن فتح الله على المؤمنين البلاد ، فإن الفرض على

(١) انظر تفسير « ولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .

أهل كل ناحية ، قتالُ من وليهم من الأعداء دون الأبعد منهم ، ما لم يضطرّ إليهم أهل ناحية أخرى من نواحى بلاد الإسلام . فإن اضطروا إليهم ، لزمهم عونهم ونصرهم ، لأن المسلمين يدٌ على من سواهم .

* * *

ولصحة كون ذلك كذلك ، تأوّل كلٌّ من تأوّل هذه الآية ، أنّ معناها إيجاب الفرض على أهل كل ناحية قتالَ من وليهم من الأعداء .

* ذكر الرواية بذلك عنهم :

١٧٤٨١ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن شبيب ابن غرقدة البارقى ، عن رجل من بنى تميم قال ، سألت ابن عمر عن قتال الديلم قال : عليك بالروم ! (١)

١٧٤٨٢ — حدثنا ابن بشار ، وأحمد بن إسحق ، وسفيان بن وكيع قالوا ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن يونس ، عن الحسن : « قاتلوا الذين يلونكم من الكفار » ، قال : الديلم .

١٧٤٨٣ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن الربيع ، عن الحسن : أنه كان إذا سئل عن قتال الروم والديلم ، تلا هذه الآية : « قاتلوا الذين يلونكم من الكفار » .

١٧٤٨٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يعقوب قال ، حدثنا عمران أخى قال : سألت جعفر بن محمد بن على بن الحسين فقلت : ما ترى فى قتال الديلم ؟ فقال :

---

(١) الأثر : ١٧٤٨١ — « شبيب بن غرقدة البارقى » ، والمشهور « السلمى » ، مضى برقم : ٣٠٠٨ ، ٣٠٠٩ ، وهو تابعى ثقة . وهكذا جاء فى المخطوطة كما أثبته ، ولكن ناشر المطبوعة كتبه هكذا « عن شبيب بن غرقدة ، عن عروة البارقى ، عن رجل من بنى تميم » ، وهو لا يصح أبداً ، لأن « عروة البارقى » ، هو : « عروة بن أبى الجعد البارقى » ، وهو صحابى معروف ، مضى أيضاً برقم : ٣٠٠٨ . والذى حدث هناك أيضاً أنه زاد فى الإسناد « عروة » ، واستظهر أخى أنه زيادة فى الإسناد ، وهو الصواب ، ويؤيده ما حدث فى هذا الموضع ، من ناسخ أو ناشر . وعذره فيما أظن شهرة « شبيب بن غرقدة » أنه « السلمى » ، وأنه يروى عن « عروة البارقى » ، فلما رأى « شبيب بن غرقدة البارقى » ، ظن أنه خطأ فى الإسناد فأضاف « عن عروة » بين « غرقدة » ، و « البارقى » .

قاتلوهم ورابطوهم ، فإنهم من الذين قال الله : « قاتلوا الذين يلونكم من الكفار » .[1]

١٧٤٨٥ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن الربيع ، عن الحسن : أنه سئل عن الشأم والديلم ، فقال : « قاتلوا الذين يلونكم من الكفار » ، الديلم .

٥٣/١١ ١٧٤٨٦ — حدثني علي بن سهل قال ، حدثنا الوليد قال ، سمعت أبا عمرو ، وسعيد بن عبد العزيز يقولان : يرابط كل قوم ما يليهم من مسالحهم وحصونهم ، ويتأوّلان قول الله : « قاتلوا الذين يلونكم من الكفار » .

١٧٤٨٧ — حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « قاتلوا الذين يلونكم من الكفار » ، قال : كان الذين يلونهم من الكفار العربُ ، فقاتلهم حتى فرغ منهم . فلما فرغ قال الله : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ ، حتى بلغ ، ﴿ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ ، [سورة التوبة : ٢٩] . قال : فلما فرغ من قتال من يليه من العرب ، أمره بجهاد أهل الكتاب . قال : وجهادهم أفضل الجهاد عند الله .

* * *

وأما قوله : « وليجدوا فيكم غلظة » ، فإن معناه : وليجد هؤلاء الكفار الذين تقاتلونهم = « فيكم » ، أي : منكم شدةً عليهم[2] = « واعلموا أن الله مع المتقين » ، يقول : وأيقنوا ، عند قتالكم إياهم ، أن الله معكم ، وهو ناصركم عليهم ، فإن اتقيتم الله وخفتموه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ، فإن الله ناصر من اتقاه ومعينه .

* * *

---

(١) الأثر : ١٧٤٨٤ — « يعقوب بن عبد الله القمي » ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٦٩٦٠ . وهو يروي عن أخويه : « عبد الرحمن ، وعمران » ، ولم أجد لأخيه « عمران » ترجمة .

(٢) انظر تفسير « الغلظة » فيما سلف ٧ : ١٤/٣٤١ : ٣٦٠ .

القول فى تأويل قوله ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (١٢٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وإذا أنزل الله سورة من سور القرآن على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فمن هؤلاء المنافقين الذين ذكرهم الله فى هذه السورة من يقول : أيها الناس، أيكم زادته هذه السورة إيماناً؟ يقول : تصديقاً بالله وبآياته . يقول الله : « فأما الذين آمنوا » ، من الذين قيل لهم ذلك = « فزادتهم » ، السورة التى أنزلت = « إيماناً » ، وهم يفرحون بما أعطاهم الله من الإيمان واليقين .(١)

* * *

فإن قال قائل : أو ليس « الإيمان » ، فى كلام العرب ، التصديق والإقرارُ ؟(٢)

قيل : بلى !

فإن قيل : فكيف زادتهم السورة تصديقاً وإقراراً ؟

قيل : زادتهم إيماناً حين نزلت ، لأنهم قبل أن تنزل السورة لم يكن لزمهم فرضُ الإقرار بها والعمل بها بعينها ، إلاّ فى جملة إيمانهم بأن كل ماجاءهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم من عند الله فحقٌّ . فلما أنزل الله السورة ، لزمهم فرض الإقرار بأنها بعينها من عند الله ، ووجب عليهم فرض الإيمان بما فيها من أحكام الله وحدوده وفرائضه ، فكان ذلك هو الزيادة التى زادتهم نزول السورة حين نزلت من الإيمان والتصديق بها .

* * *

(١) انظر تفسير « استبشر » فيما سلف ٧ : ٣٩٦ .

(٢) انظر تفسير « الإيمان » فيما سلف من فهارس اللغة (أمن) .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤٨٨ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً » ، قال : كان إذا نزلت سورة آمنوا بها ، فزادهم الله إيماناً وتصديقاً ، وكانوا يستبشرون .

١٧٤٨٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : « فزادتهم إيماناً » ، قال : خشيةً .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴾ (١٢٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « وأما الذين في قلوبهم مرض » ، نفاق وشك في دين الله ، [1] فإن السورة التي أنزلت = « زادتهم رجساً إلى رجسهم » ، وذلك أنهم شكوا في أنها من عند الله ، فلم يؤمنوا بها ولم يصدّقوا ، فكان ذلك زيادة شكٍّ حادثةٍ في تنزيل الله ، لزمهم الإيمان به عليهم، بل ارتابوا بذلك ، فكان ذلك زيادة نَتْنٍ من أفعالهم ، إلى ماسلف منهم نظيره من النتن والنفاق . وذلك معنى قوله : «فزادتهم رجساً إلى رجسهم» [2] = « وماتوا » ، يعني : هؤلاء المنافقين أنهم هلكوا = « وهم كافرون » ، يعني : وهم كافرون بالله وآياته .

* * *

(١) انظر تفسير « المرض » فيما سلف ١ : ٢٧٨ – ٢٨١ / ١٠ : ١٤/٤٠٤ : ١٢ .
(٢) انظر تفسير « الرجس » فيما سلف ص : ٤٢٥ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله ﴿ أَوَ لَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (١٢٦)

١١/٥٤ قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة قوله : « أو لا يرون » .

فقرأته عامة قرأة الأمصار : ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ ﴾ ، بالياء ، بمعنى : أولا يرى هؤلاء الذين فى قلوبهم مرضُ النفاق ؟

* * *

وقرأ ذلك حمزة : ﴿ أَوَ لَا تَرَوْنَ ﴾ ، بالتاء ، بمعنى : أو لاترون أنتم ، أيها المؤمنون ، أنهم يفتنون ؟

* * *

قال أبو جعفر : والصواب عندنا من القراءة فى ذلك ، الياءُ ، على وجه التوبيخ من الله لهم ، لإجماع الحجة من قرأة الأمصار عليه ، وصحة معناه .

* * *

فتأويل الكلام إذاً : أو لا يرى هؤلاء المنافقون أنّ الله يختبرهم فى كل عام مرة أو مرتين ، بمعنى أنه يختبرهم فى بعض الأعوام مرة ، وفى بعضها مرتين [1] = ثم « لا يتوبون » ، يقول : ثم هم مع البلاء الذى يحلّ بهم من الله ، والاختبار الذى يعرض لهم ، لا ينيبون من نفاقهم ، ولا يتوبون من كفرهم ، ولا هم يتذكرون بما يرون من حجج الله ويعاينون من آياته ، فيتعظوا بها ، ولكنهم مصرُّون على نفاقهم ؟

* * *

واختلف أهل التأويل فى معنى « الفتنة » التى ذكر الله فى هذا الموضع أن هؤلاء المنافقين يفتنون بها .

فقال بعضهم : ذلك اختبارُ الله إياهم بالقحط والشدة .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) انظر تفسير « الفتنة » فيما سلف ص : ٢٨٦ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

١٧٤٩٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « أو لا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين » ، قال : بالسَّنة والجوع .

١٧٤٩١ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « يفتنون » ، قال : يبتلون = « فى كل عام مرة أو مرتين » ، قال : بالسنة والجوع .

١٧٤٩٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « أو لا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين »، قال : يبتلون بالعذاب فى كل عام مرة أو مرتين .

١٧٤٩٣ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين » ، قال : بالسنة والجوع .

* * *

وقال آخرون : بل معناه : أنهم يختبرون بالغزو والجهاد .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤٩٤ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله: « أوَلا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين »، قال : يبتلون بالغزو فى سبيل الله فى كل عام مرة أو مرتين.

١٧٤٩٥ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ،عن معمر ، عن الحسن ، مثله .

* * *

وقال آخرون : بل معناه أنهم يختبرون بما يُشيع المشركون من الأكاذيب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فيفتتن بذلك الذين فى قلوبهم مرض .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٤٩٦ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا شريك ، عن جابر ، عن أبي الضحى ، عن حذيفة : « أوَلا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين » ، قال : كنا نسمع في كل عام كذبة أو كذبتين ، فيضلُّ بها فئامٌ من الناس كثير .

١٧٤٩٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن شريك ، عن جابر ، عن أبي الضحى ، عن حذيفة قال : كان لهم في كل عام كذبة أو كذبتان .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال : إن الله عجَّب عبادَه المؤمنين من هؤلاء المنافقين ، ووبَّخ المنافقين في أنفسهم بقلّة تذكرهم، وسوء تنبههم لمواعظ الله التي يعظهم بها. وجائزٌ أن تكون تلك المواعظُ الشدائدَ التي ينزلها بهم من الجوع والقحط = وجائزٌ أن تكون ما يريهم من نُصرة رسوله على أهل الكفر به ، ويرزقه من إظهار كلمته على كلمتهم = وجائزٌ أن تكون ما يظهر للمسلمين من نفاقهم وخبث سرائرهم ، بركونهم إلى ما يسمعون من أراجيف المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه = ولا خبر يوجب صحةَ بعض ذلك دون بعض، من الوجه الذي يجب التسليم له . ولا قول في ذلك أولى بالصواب من التسليم لظاهر قول الله وهو: أولا يرون أنهم يختبرون في كل عام مرة أو مرتين ، بما يكون زاجراً لهم ، ثم لا ينزجرون ولا يتعظون ؟

* * *

٥٥/١١ القول فى تأويل قوله ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ (١٢٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : «وإذا ما أنزلت سورة »، من القرآن ، فيها عيبُ هؤلاء المنافقين الذين وصفَ جل ثناؤه صفتهم فى هذه السورة ، وهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم = «نظر بعضهم إلى بعض »، فتناظروا = « هل يراكم من أحد » ، إن تكلمتم أو تناجيتم بمعايب القوم يخبرهم به ، ثم قاموا فانصرفوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يستمعوا قراءة السورة التى فيها معايبهم . ثم ابتدأ جل ثناؤه قوله : « صرف الله قلوبهم » ، فقال : صرف الله عن الخير والتوفيق والإيمان بالله ورسوله قلوبَ هؤلاء المنافقين [1]= «ذلك بأنهم قوم لا يفقهون»، يقول : فعل الله بهم هذا الخذلان ، وصرف قلوبهم عن الخيرات ، من أجل أنهم قوم لا يفقهون عن الله مواعظه ، استكباراً ،ونفاقاً .[2]

* * *

واختلف أهل العربية فى الجالب حرفَ الاستفهام .

فقال بعض نحويى البصرة ، قال : « نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد »، كأنه قال: « قال بعضهم لبعض»، لأن نظرهم فى هذا المكان كان إيماءً، وشبيهاً به ،[3] والله أعلم .

* * *

وقال بعض نحويى الكوفة : إنما هو : وإذا ما أنزلت سورة قال بعضهم لبعض: هل يراكم من أحد ؟

* * *

---

(١) انظر تفسير « الصرف » فيما سلف ٣ : ١٩٤ / ١١ : ١٣/٢٨٦ : ١١٢ .

(٢) انظر تفسير « الفقه » فيما سلف ص : ٥٧٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المطبوعة : « وتنبيهاً به » ، وصواب قراءته ما أثبت .

وقال آخر منهم : هذا «النظر» ليس معناه «القول»، ولكنه النظر الذى يجلب الاستفهام، كقول العرب : « تناظروا أيهم أعلم » ، و «اجتمعوا أيهم أفقه»، أى : اجتمعوا لينظروا = فهذا الذى يجلب الاستفهام .

* * *

١٧٤٩٨ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن شعبة ، عن أبى حمزة ، عن ابن عباس قال : لاتقولوا : « انصرفنا من الصلاة » ، فإن قوماً انصرفوا فصرف الله قلوبهم ، ولكن قولوا : « قد قضينا الصلاة » .

١٧٤٩٩ — . . . . قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن أبى إسحق ، عن عمير بن تميم الثعلبى ، عن ابن عباس قال : لا تقولوا : « انصرفنا من الصلاة » ، فإن قوماً انصرفوا فصرف الله قلوبهم . (١)

١٧٥٠٠ — . . . . قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبى الضحى ، عن ابن عباس قال : لا تقولوا : « انصرفنا من الصلاة » ، فإن قوماً انصرفوا فصرف الله قلوبهم ، ولكن قولوا : « قد قضينا الصلاة » .

١٧٥٠١ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض » ، الآية ، قال : هم المنافقون .

* * *

وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما : —

١٧٥٠٢ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد » ، ممن

---

(١) الأثر : ١٧٤٩٩ — « عمير بن تميم الثعلبى»، هكذا فى المخطوطة أيضاً، لم أجد له ترجمة فى غير الجرح والتعديل ٣/١/٣٧٨ فى « عمير بن قميم الثعلبى » بالقاف . وقال المعلق أنه فى إحدى النسخ « عمير بن قثم التغلبى » . وفى الثقات والكنى للدولابى « بن تميم » . وقال ابن أبى حاتم : (قال يحيى بن سعيد ، وأبو نعيم ، هو « أبو هلال الطائى » ، وقال وكيع : هو « أبو تهلل » . روى عن ابن عباس ، روى عنه أبو إسحق الهمدانى ، ويونس بن أبى إسحق ، سمعت أبى يقول ذلك) .

سمع خبركم ، رآكم أحدٌ أخبره ؟ [١] إذا نزل شيء يخبر عن كلامهم . قال : وهم المنافقون . قال : وقرأ : ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا ﴾ ، حتى بلغ : ﴿ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ﴾ أخبره بهذا ؟ أكان معكم أحد ؟ سمع كلامكم أحد يخبره بهذا ؟

١٧٥٠٣ – حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا شعبة قال ، حدثنا أبو إسحق الهمداني ، عمن حدثه ، عن ابن عباس قال : لا تقل : « انصرفنا من الصلاة » ، فإن الله عيَّر قوماً فقال : « انصرفوا صرف الله قلوبهم » ، ولكن قل : « قد صلَّينا » .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٢٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره للعرب : لقد جاءكم ، أيها القوم ، رسول الله إليكم = « من أنفسكم » ، تعرفونه ، لا من غيركم فتتهموه على أنفسكم في النصيحة لكم [٢] = « عزيز عليه ماعنتم » ، أي : عزيز عليه عنتكم ، وهو دخول المشقة عليهم والمكروه والأذى [٣] = « حريص عليكم » ، يقول : حريص على هُدَى ضُلاَّلكم وتوبتهم ورجوعهم إلى الحق [٤] = « بالمؤمنين رؤوف » ، أي : رفيق = « رحيم » . [٥]

---

(١) في المخطوطة : « من يسمع خبركم ولكم أحد أخبره » ، وما في المطبوعة مطابق لما في الدر المنثور ٣ : ٢٩٣ ، وهو شبيه بالصواب إن شاء الله .

(٢) انظر تفسير « من أنفسهم » فيما سلف ٧ : ٣٦٩ .

(٣) انظر تفسير « عزيز » فيما سلف من فهارس اللغة (عزز) .
= وتفسير « العنت » فيما سلف ٤ : ٧/٣٦٠ : ١٤٠ – ٨/١٤٤ : ٢٠٦ .

(٤) انظر تفسير « الحرص » فيما سلف ٩ : ٢٨٤ .

(٥) انظر تفسير « رؤوف » فيما سلف ٣ : ٤/١٧١ : ١٤/٢٥١ : ٥٣٩ .
= وتفسير « رحيم » فيما سلف من فهارس اللغة (رحم) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٥٠٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن عيينة، عن جعفر بن محمد، عن أبيه فى قوله: « لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم » ، قال : لم يصبه شيء من شركٍ فى ولادته . ٥٦/١١

١٧٥٠٥ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن جعفر بن محمد فى قوله : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » ، قال : لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية . قال : وقال النبى صلى الله عليه وسلم: إنى خرجت من نكاحٍ ، ولم أخرج من سفاحٍ .

١٧٥٠٦ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الرزاق، عن ابن عيينة ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، بنحوه .

١٧٥٠٧ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم » ، قال : جعله الله من أنفسهم ، فلا يحسدونه على ما أعطاه الله من النبوة والكرامة .[1]

* * *

وأما قوله : « عزيز عليه ما عنتم » ، فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله .

فقال بعضهم : معناه : ما ضللتم .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٥٠٨ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا طلق بن غنام قال ، حدثنا الحكم بن ظهير ، عن السدى ، عن ابن عباس فى قوله : « عزيز عليه ما عنتم » ، قال : ما ضللتم .

* * *

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « ولا يحسدونه » بالواو ، والسياق يقتضى ما أثبت .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : عزيز عليه عَنَت مؤمنكم .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٥٠٩ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « عزيز عليه ما عنتم » ، عزيزٌ عليه عَنَتَت مؤمنهم .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك بالصواب ، قولُ ابن عباس . وذلك أن الله عمَّ بالخبر عن نبيّ الله أنه عزيز عليه ما عنتَ قومَه ، ولم يخصص أهل الإيمان به . فكان صلى الله عليه وسلم [كما جاء الخبرُ من] الله به ، عزيزٌ عليه عَنَتُ جمعهم .(١)

* * *

فإن قال قائل : وكيف يجوز أن يوصف صلى الله عليه وسلم بأنه كان عزيزاً عليه عنتُ جميعهم ، وهو يقتل كفارَهم ، ويسبي ذراريَّهم ، ويسلبهم أموالهم ؟

قيل : إن إسلامهم ، لو كانوا أسلموا ، كان أحبَّ إليه من إقامتهم على كفرهم وتكذيبهم إياه ، حتى يستحقوا ذلك من الله . وإنما وصفه الله جل ثناؤه بأنه عزيزٌ عليه عنتهم ، لأنه كان عزيزاً عليه أن يأتوا ما يُعنتهم ، وذلك أن يضلُّوا فيستوجبوا العنت من الله بالقتل والسبي .

* * *

وأما « ما » التى فى قوله : « ماعنتم » ، فإنه رفع بقوله : « عزيز عليه » ، لأن معنى الكلام ما ذكرت : عزيز عليه عنتكم .

* * *

وأما قوله : « حريص عليكم » ، فإن معناه ما قد بيَّنت ، وهو قول أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) فى المخطوطة ، بياض بين « كما » ، و « الله به » بقدر كلمتين ، وفى المطبوعة أتم الكلام هكذا : « كما وصفه الله به ، عزيزاً عليه » ، والزيادة بين القوسين استظهار منى ، وسائره كنص المخطوطة .

١٧٥١٠ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « حريص عليكم » ، حريص على ضالهم أن يهديه الله .

١٧٥١٠ م — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة فى قوله : « حريص عليكم » ، قال : حريص على من لم يسلم أن يسلم .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (١٢٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فإن تولى، يا محمد ، هؤلاء الذين جئتهم بالحق من عند ربك من قومك ، فأدبروا عنك ولم يقبلوا ما أتيتهم به من النصيحة فى الله ، وما دعوتهم إليه من النور والهدى [١] = « فقل حسبى الله » ، يكفينى ربى [٢] = « لا إله إلا هو » ، لا معبود سواه = « عليه توكلت » ، وبه وثقت ، وعلى عونه اتكلت ، وإليه وإلى نصره استندت ، فإنه ناصرى ومعينى على من خالفنى وتولى عنى منكم ومن غيركم من الناس [٣] = « وهو رب العرش العظيم » ، الذى يملك كلّ ما دونه ، والملوك كلهم مماليكه وعبيده . [٤]

وإنما عنى بوصفه جل ثناؤه نفسه بأنه «رب العرش العظيم» ، الخبرَ عن جميع ما دونه أنهم عبيده، وفى ملكه وسلطانه ، لأن «العرش العظيم » ، إنما كان يكون للملوك ، فوصف نفسه بأنه « ذو العرش » دون سائر خلقه ، وأنه الملك العظيم دون غيره ، وأن من دونه فى سلطانه وملكه ، جارٍ عليه حكمه وقضاؤه .

---

(١) انظر تفسير « التولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .

(٢) انظر تفسير « حسب » فيما سلف ص : ٣٤٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « التوكل » فيما سلف ص : ٢٩١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « العرش » فيما سلف ١٢ : ٤٨٢ .

١٧٥١١ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « فإن تولوا فقل حسبي الله » ، يعني الكفار ، تولوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذه في المؤمنين .

١١/٥٧ ١٧٥١٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عبيد بن عمير قال : كان عمر رحمة الله عليه لا يُثْبت آيةً في المصحف حتى يَشْهَدَ رجلان. فجاء رجل من الأنصار بهاتين الآيتين : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه » ، فقال عمر : لا أسألك عليهما بيّنةً أبداً ، كذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٧٥١٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا أحمد بن عبد الله ابن يونس ، عن زهير ، عن الأعمش ، عن أبي صالح الحنفي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله رحيم يحبّ كل رحيم ، يضع رحمته على كل رحيم. قالوا: يا رسول الله، إنا لنرحم أنفسنا وأموالنا = قال: وأراه قال : وأزواجنا =؟ قال : ليس كذلك ، ولكن كونوا كما قال الله : «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم * فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » . أراهُ قرأ هذه الآية كلها.[1]

١٧٥١٤ – حدثني محمد بن المثنى قال، حدثنا عبد الصمد قال ، حدثنا شعبة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف ، عن ابن عباس ، عن أبيّ بن كعب قال : آخر آية نزلت من القرآن : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم » ، إلى آخر الآية .

---

(١) الأثر : ١٧٥١٣ – « أحمد بن عبد الله بن يونس التميمي » ، ثقة ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٦٠٩٥

و « زهير » ، هو « زهير بن معاوية بن حديج الجعفي » ، ثقة، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٢٧٩٤ .

و « أبو صالح الحنفي » تابعي ثقة ، مضى برقم : ٣٢٢٦ ، ١٣٢٩١ – ١٣٢٩٣

وهذا خبر مرسل .

١٧٥١٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال ، حدثنا شعبة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، عن أبيّ قال : آخر آية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » ، الآية .(١)

١٧٥١٦ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي قال ، حدثنا شعبة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن أبيّ قال : أحدثُ القرآن عهداً بالله هاتان الآيتان : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم » ، إلى آخر الآيتين .(٢)

١٧٥١٧ – حدثني أبو كريب قال، حدثنا يونس بن محمد قال ، حدثنا أبان بن يزيد العطار، عن قتادة ، عن أبيّ بن كعب قال : أحدث القرآن عهداً بالله ، الآيتان : « لقد جاءكم رسول الله من أنفسكم » ، إلى آخر السورة .(٣)

* * *

آخر تفسير سورة التوبة (٤)

---

(١) الأثران : ١٧٥١٤ ، ١٧٥١٥ – « علي بن زيد بن جدعان » ، سيء الحفظ ، مضى مراراً آخرها رقم : ١٣٤٩٣ ، ١٦٧٣٦ .

و « يوسف بن مهران البصري »، ثقة، مضى مراراً، آخرها : ١٣٤٩٥ . وهذا الخبر رواه عبد الله ابن أحمد في مسند أبيه، ٥ : ١١٧، من طريق محمد بن أبي بكر ، عن بشر بن عمر ، عن شعبة ، بمثله .

وخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ٣٦ ، وقال : « رواه عبد الله بن أحمد ، والطبراني ، وفيه علي ابن زيد بن جدعان ، وهو ثقة سيء الحفظ ، وبقية رجاله ثقات » .

(٢) الأثر : ١٧٥١٦ – مكرر الذي قبله ، ولكنه مرسل عن أبي .

(٣) الأثر : ١٧٥١٧ – مرسل ، قتادة لم يرو عن أبي بن كعب .

(٤) بعد هذا في المخطوطة ما نصه :

« والحمد لله ربّ العالمين

يتلوه إن شاء الله تعالى

تفسير السورة التي يذكر فيها يونس»

تم الجزء الرابع عشر من تفسير الطبرى

ويليه الجزء الخامس عشر وأوّله :

تفسير السورة التى يذكر فيها يونس

الفهارس

فهرس الآيات التى استدل بها فى غير موضعها من التفسير

السورة / الآية	الصفحة
آيات سورة البقرة	
١٨	٥٠٠
٦١	٣٠٩
٩٣	٤٩٧
١٥٨	٣٩٣
٢١٤	١٦٤
٢٣٨	٢٤١
٢٧٣	٣٠٩، ٣١٠
* * *	
آيات سورة آل عمران	
١٤٢	١٦٤
١٦١	٥١٤
١٧٥	٣٠
١٨١	٢٠١
* * *	
آية سورة النساء	
٧٠	٥٥٨
* * *	
آيات سورة المائدة	
٤١	٢٨٢
٧٢	٥١٨
٧٤	٢٩٢
١١٨	٦١
* * *	

السورة / الآية	الصفحة
آيات سورة الأعراف	
١٢	٥٥٦ه
٣٨	٢٥٢
١٥٤	٣٢٧
* * *	
آيات سورة الأنفال	
٢٧	٣٧٨
٦٠	٢٤
٧٥	٧٨، ٧٩، ٨٠، ٤٣٨
* * *	
آيات سورة التوبة	
١ ، ٢	٢٦، ٢٧
٤	١٠٢
٥	٤١، ٤٢، ٩٧، ١٠٢، ١١٠
٧	١٠٣
١٠	١٤٦، ١٤٧
١١	١٣٥، ١٣٦
٢٨	١١٢
٢٩	٤١، ٥٧٦
٣٦	٤١
٣٩	٥٧٠
٤١	٢٥٣
٤٢—٤٤	٤٢٦، ٤٢٧
٤٧	٤٢٧

السورة / الآية	الصفحة
آيات سورة التوبة	
٤٩	٤٢٧
٥٥	٤٤٤
٦٤	٤٢٧
٦٧	٢٤٦
٧١	٧٩
٧٤	٤٢٧
٨٠	٢٩٣
٨١	٤٢٧
٨٤	٤٥٦
٩٠	٥٦٣
٩٢	٤٣٣
٩٥، ٩٦	٥٤٨، ٥٥٦
١٠٣	٣٧١
١٠٦	٥٤٣، ٥٤٥
١١٥	٧٠
١١٧، ١١٨	٤٠٤، ٤٦٥، ٤٦٧
١٢٠، ١٢٢	٢٥٥، ٢٥٦، ٥٦٣

* * *

آيات سورة يونس	
٨٨	٦٢
١٠٠	٥١٤

* * *

آية سورة هود	
٨٦	٤٤١

* * *

السورة / الآية	الصفحة
آية سورة إبراهيم	
٣٦	٦١

* * *

آية سورة الإسراء	
٧٩	١٦٨

* * *

آية سورة الكهف	
٢٩	٣١٥

* * *

آيات سورة مريم	
٤٦ — ٤٨	٥٣٢
٤٧	٥١٤

* * *

آيات سورة المؤمنون	
٦٦، ٦٧	١٧٠

* * *

آيات سورة النور	
١	٩٥
٦٢	٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٦

* * *

آية سورة الشعراء	
١١٢	٤٤١

* * *

آية سورة النمل	
٧٢	٣٢٧
آية سورة القصص	
٥٦	٥١٠

* * *

السورة / الآية	الصفحة
آيات سورة العنكبوت	
١—٣	١٦٤
* * *	
آية سورة الروم	
٢٤	٢٩
* * *	
آيات سورة الأحزاب	
٥	١٥٣
٦	٧٨، ٨٢، ٨٥
١٦	٤٠٢
٧٢	٣٧٧
* * *	
آية سورة الشورى	
١٦	٥٧٠
* * *	
آية سورة محمد	
٤	٥٩، ١٤٠
* * *	
آية سورة الذاريات	
١٠	٢٠٨
* * *	

السورة / الآية	الصفحة
آية سورة الحشر	
١٠	٤٣٨
* * *	
آيات سورة الجمعة	
٣	٤٣٨
١١	٢٢٩
* * *	
آيات سورة المنافقون	
٦	٣٩٥، ٣٩٧
٨	٣٦٤، ٣٦٦
* * *	
آية سورة نوح	
٢٦	٦٢
* * *	
آيات سورة المطففين	
٢٩—٣٦	٤٠٣
* * *	
آية سورة البروج	
٤	٢٠٨
* * *	

فهرس اللغة

هذا الفهرس مرتب على ترتيب معاجم اللغة ، على أصل الاشتقاق ، وعلى آخر الأصل باباً ، وأوّله فصلاً .

(بدأ) بدأ : ١٥٨
(برأ) برئ : ١٢ ، ١٣
براءة : ٩٥
تبرّأ منه : ٥٠٩
(رجأ) الإرجاء : ٤٦٤
مرجون : ٤٦٤
(سوأ) ساء : ١٥١
ساءه : ٢٨٩
السُّوء ، السَّوْء : ٤٣١ ، ٤٣٢
سوء عمله : ٢٤٣
السيء : ٤٤٦
(ضهأ) ضاهأ : ٢٠٧
(طفأ) أطفأ : ٢١٤
(ظمأ) الظمأ : ٥٦١
(لجأ) ملجأ : ٢٩٨ ، ٥٤٣
(نبأ) النبأ : ٣٤٤
نبّأه : ٣٣١ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٦٣
(نسأ) النسيء : ٢٤٣ — ٢٥٠
(هزأ) استهزأ : ٣٣١ ، ٣٣٢
(وطأ) وطيء موطئاً : ٥٦١
واطأ : ٢٥٠

* * *

(توب) تاب ، يتوب : ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٥٢ ، ١٦٢ ، ١٩٠ ، ٣٦٧ ، ٤٤٧ ، ٤٦٧ ، ٥٣٩ ، ٥٤٤ ، ٥٨١
تائب : ٥٠٠
التوبة : ٤٥٩
التواب : ٥٤٤ ، ٤٥٩
(حبب) استحب كذا على كذا : ١٧٥
(حرب) حارب الله ورسوله : ٤٦٩
(حسب) حَسِب يحسَب : ٢٨ ، ١٦٣
حسبُك : ٤٤ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٣٠٤ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٥٨٧
(دأب) دأب : ١٩ ، ٢٠
(دبب) الدوابّ : ٢١
(ذهب) أذهب غيظه : ١٦١
(ربب) أرباب : ٢٠٩
(رحب) رحُبَ : ١٧٩ ، ٥٤٣
رحيب : ١٧٩
(رغب) رغب بنفسه عنه : ٥٦١
راغب : ٣٠٤
(رقب) رقب : ١٤٦ ، ١٥١
فى الرقاب : ٣١٦

(رهب) أرهب : ٣٤ ، ٣٥
الرهبان : ٢٠٩ ، ٢١٦
(ريب) الريب ، الريبة : ٢٧٥
٤٩٤ ، ٤٩٥
الارتياب : ٢٧٥
(صحب) أصحاب الجحيم : ٥٠٩ ،
٥١٨
(صوب) أصابه : ٢٨٩ ، ٢٩٠ ،
٢٩١ ، ٤١٦ ، ٥٦١
مصيبة : ٢٨٩
(طيب) طيّب : ٧١
طيبة : ٣٤٨ — ٣٥٠
(عجب) أعجبه : ٤١٠
(عذب) عذاب عظيم : ٤٤٥
(عرب) الأعراب : ٤١٦—٤١٩ ،
٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣٢ ،
٤٤٠ ، ٥٦١
(عقب) أعقبه : ٣٦٩ ، ٣٧٠
شديد العقاب : ١٢ ، ١٩
على عقبيه : ١١
(غلب) غالب : ٧
يغلب : ٥١
(غيب) عالم الغيب : ٤٢٤ ،
٤٢٥ ، ٤٦٣
علام الغيوب : ٣٨١
(قلب) قلّب الأمور : ٤٨٣
انقلب : ٤٢٥
(قرب) يقرب : ١٩١
قُرْبى : ٥٠٩
قُرْبة قُرُبات : ٤٣٢
(كتب) كتاب : ٦٤
كتاب الله : ٩٠
كتب له : ٢٩٠ ، ٥٦٢ ،
٥٦٥
(كسب) يكسب : ٤٠١ ، ٤٢٥
(لعب) يلعب : ٣٣٢
(نصب) النَّصَب : ٥٦١

* * *

(عنت) عنت : ٥٨٤ — ٥٨٦

* * *

(بعث) الانبعاث : ٢٧٦
(نكث) نكث : ١٥٣ ، ١٥٧ ،
١٥٨

* * *

(حجج) الحجّ الأكبر : ١١٣—
١٣٠
سقاية الحاج : ١٦٨
(حرج) الحرج : ٤١٩
(خرج) الخروج : ٤٠٣
يخرج : ٤٠٣
الإخراج : ٣٣٢
(درج) درجة : ١٧٣
(ولج) وليجة : ١٦٣ ، ١٦٤

* * *

(جنح) جنح إليه : ٤٠
(جمح) جمح ، يجمح : ٢٩٨ ، ٢٩٩
(سبح) سبحانه : ٢١٣
(سيح) ساح فى الأرض : ١١١
السائح : ٥٠٢ — ٥٠٦
(صلح) الصالح : ٣٦٩ ، ٤٤٦ ،
٥٦٢
(فرح) فرِحٌ : ٢٨٩ ، ٣٩٧

(فلح) المفلح : ٤١٥
(مسح) المسيح : ٢٠١ ، ٢٠٨
(نصح) نصح لله ورسوله : ٤١٩

* * *

(سلخ) انسلخ : ١٣٣ ، ١٣٤
سلخ ، مسلوخة : ١٣٤

* * *

(أبد) أبداً : ١٧٥ ، ٤٠٣ ، ٤٠٥ ، ٤٣٩
(أيد) أيّده : ٤٤ ، ٢٦١
(جند) جنود : ١٨٩ ، ٢٦١
(جهد) جاهد : ٧٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ١٦٣ ، ١٦٨ ، ١٧٣ ، ٢٧٠ ، ٢٧٤ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٩٩ ، ٤١١ ، ٤١٤
الجُهْد : ٣٨٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤
الجهاد : ١٧٧
(حدد) حادّ الله ورسوله : ٣٣٠
حدود الله : ٤٢٩ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨
(حمد) الحامد : ٥٠٢
(خلد) خالد : ١٦٦ ، ١٧٤ ، ٣٣٠ ، ٣٣٩ ، ٣٤٨ ، ٤١٥ ، ٤٣٩
(ردد) ردّه ، يردّه : ٤٢٤ ، ٤٤٥
التردّد : ٢٧٥
(رصد) الإرصاد : ٤٦٩
مرصد : ١٣٤

(زيد) زاده إيماناً : ٥٧٧
زيادة فى الكفر : ٢٥٠
(سجد) الساجد : ٥٠٦
المسجد الحرام : ١٤١ ، ١٦٨ ، ١٩١
مساجد الله : ١٦٥ ، ١٦٧
(شرد) شرّد بهم : ٢٢ — ٢٤
(شهد) يشهد : ٤٧٠
شاهد : ١٦٥
الشهادة : ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٦٣
(صدد) صدّ يصدّ : ١٥١ ، ٢١٦
(عبد) العابد : ٥٠١
ظلام للعبيد : ١٨
(عدد) أعدّ : ٣١ ، ٢٧٦ ، ٤١٥ ، ٤٣٤
عُدّة : ٢٤٣ ، ٢٧٦
عِدّة : ٢٣٤
(عهد) عاهد : ٢١ ، ٩٥ ، ١٣٢ ، ١٤١ ، ٣٩٦
العهد : ٢١ ، ١٤١ ، ١٥٣
(فسد) فسادٌ كبير : ٨٦
(قصد) سفر قاصد : ٢٧١
(قعد) قعد : ٤١٦
قعد له : ١٣٤
القعود : ٤٠٣
القاعد : ٢٧٧ ، ٤١١ ، ٤١٢
مقعد : ٣٩٧
(كسد) الكساد : ١٧٧

(مدد) المدّة: ١٣٢
(مرد) مرد عليه : ٤٤٠
(وعد) موعدة : ٥٠٩

* * *

(أخذ) أخذه : ١٣٤
أخذ أمره : ٢٨٩
أخذه بذنبه : ١٩
الأخذ : ٦٤
اتّخذ: ١٦٣ ، ١٧٥ ، ٢٠٨ ، ٤٣٠ ، ٤٣٢ ، ٤٦٨
(نبذ) ينبذ : ٢٥

* * *

(أجر) أجرٌ : ١٧٥ ، ٥٦٢
(أخر) اليوم الآخر : ١٦٨ ، ١٩٨ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٤٣٢
(أسر) الأسر ، أسير ، أسرى : ٥٨ ، ٧٢
(أمر) يأتي الله بأمره : ١٧٧
(بشر) بشّره : ١٣١ ، ١٧٤ ، ٢١٧ ، ٥٠٨
استبشر : ٤٩٨ ، ٥٧٧
(بصر) بصير : ٨٢
(جدر) أجدَرُ : ٤٢٩
(جور) جارٌ : ٧
أجاره : ١٣٨
استجاره : ١٣٨
(حبر) الأحبار : ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٦
(حذر) يحذر : ٣٣١ ، ٥٧٣
(حصر) حصره : ١٣٤
(خبر) خبير : ١٦٣
الأخبار : ٤٢٤
(خسر) الخاسر : ٣٤٤
(خير) الخير : ٧٢
خيرة ، خيرات : ٤١٤ ، ٤١٥
(دبر) ولّى مدبراً : ١٧٩
الأدبار : ١٥
(دور) دائرة ، دوائر : ٤٣٠
(ذكر) تذكر : ٥٨١
يذّكّر : ٢٤
(سخر) سخر يسخر : ٣٨١ ، ٣٨٢
سخرية الله : ٣٨٢
(سرر) السرّ : ٣٨١
(سفر) سفر قاصد : ٢٧١
(شهر) الأشهر الحرم : ١٣٤
(صبر) صابر : ٥٠ ، ٥١
(صغر) صاغر : ٢٠٠ ، ٢٠١
(صير) المصير : ٣٦٠
(ضرر) ضرّه : ٢٥٤
ضِرار : ٤٦٩
(طهر) طهره تطهيراً : ٤٥٤
تطهّر : ٤٨٢
المطّهرون : ٤٩٠
(ظهر) ظهرَ الأمر : ٢٨٣
ظهر عليه : ١٤٥
أظهره عليه : ٢١٤
ظاهر عليه : ١٣٢
(عذر) اعتذر : ٣٣٦ ، ٤٢٤
المعذّر . المعتذر : ٤١٦ ، ٤١٧

(عزر) عُزير : ٢٠١
(عسر) العُسْرة : ٥٣٩
(عشر) عشيرة : ١٧٧
(عمر) عمر المكان : ١٦٥، ١٦٧
عمارة المسجد الحرام : ١٦٨
(غرر) غرّه : ١٢
(غفر) غفر يغفر : ٧٢، ٣٩٤،
استغفر : ٣٩٤ ، ٥٠٩
مغفرة : ٨٨
غفور : ٧٢ ، ١٣٥ ، ١٩٠ ، ٤١٩ ، ٤٣٤ ، ٤٤٧
(غور) غارت العين : ٢٩٨
الغار : ٢٥٨
مغارة : ٢٩٨
(غير) يغيّر، مغيّر : ١٩
(فقير) الفقير : ٣٠٥ — ٣١٠
(قبر) قبره قبراً : ٤٠٥
(قدر) قدير : ٢٥٤
(كبر) فساد كبير : ٨٦
(كفر) كفر : ٢١ ، ٢٨ ، ٥١، ٨٤ ، ١٣١ ، ١٨٩ ، ٢٩٤ ، ٣٣٦ ، ٣٩٤ ، ٣٦١ ، ٤٠٦
الكفر : ١٦٠ ، ١٧٥ ، ٤٢٩
كلمة الكفر : ٣٦١
الكافر ، الكفار : ١١٢، ٢١٤ ، ٢٤٣ ، ٢٨٩ ، ٢٩٧ ، ٣٣٩ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٤١١ ، ٥٦٢ ، ٥٧٤ ، ٥٧٨
(نذر) أنذر : ٥٧٣
(نصر) نصره ينصره : ٧٧، ٨٨، ١٦٠ ، ١٧٨ ، ٢٥٧ ،
استنصره : ٨٢
نصير : ٣٦٨ ، ٥٣٨
الأنصار : ٤٣٤ ، ٥٣٩
(نظر) نظر بعضهم إلى بعض : ٥٨٢
(نفر) نفر ينفر : ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٤ ، ٢٦٢ ، ٣٩٩ ، ٥٦٥
(نكر) المنكر : ٣٣٨ ، ٣٤٧ ، ٥٠٦
(نور) نور الله : ٢١٤
(هجر) هاجر : ٧٧ ، ٨١، ٨٢، ٨٨ ، ٨٩ ، ١٧٣
المهاجرون : ٤٣٤ ، ٥٣٩
(هور) هائر ، هار ، متهوّر : ٤٩٢
انهار : ٤٩٢
(وذر) ذرْ : ٤١١

* * *

(عجز) أعجز ، معجز : ٣١ ، ١١١ ، ١٣١
(عزز) عزيز : ١٥ ، ٤٨ ، ٥٩، ٢٦٢ ، ٣٤٧ ، ٥٨٤
(فوز) الفوز : ٣٥٧ ، ٤١٥ ، ٤٣٩ ، ٤٩٨
فائز : ١٧٣

(كنز) كنز ، يكنز : ٢١٧ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣٠
كنز الذهب والفضة : ٢١٧ — ٢٢٩
(لمـز) لمزه يلمزه : ٣٠٠
اللمز: ٣٨١، ٣٨٢، ٣٩٢

* * *

(أسس) أسّسه : ٤٧٥ ، ٤٩١
(بأس) بئس : ٣٦٠
(رجس) رِجْس : ٤٢٥ ، ٥٧٨
(مسس) مسّه عذاب : ٦٤
(نجس) نجسٌ : ١٩١ ، ١٩٢
(نفس) من أنفسكم : ٥٨٤

* * *

(عرش) العرش : ٥٨٧

* * *

(حرص) حريصٌ : ٥٨٤ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧
(خمص) مخمصة : ٥٦١ ، ٥٦٤
(ربص) تربّص: ١٧٧ ، ٢٩١ ، ٤٣٠
(نقص) نقصَهُ : ١٣٢
(نكص) نكص : ١١

* * *

(حرض) حرّض : ٥٠
(خوض) خاض ، يخوض : ٣٣٢ ، ٣٤١
(عرض) العَرَض القريب : ٢٧١
عرض الدنيا : ٥٩
أعرض ، معرض : ٣٦٩ ، ٤٢٥
(فرض) فريضة : ٣٢١
(فيض) يفيض من الدمع : ٤٢١
(قبض) قبض يده : ٣٣٨
(مرض) مرض : ١٢ ، ٥٧٨
المرضى : ٤١٩
(نقص) ينقُصُ : ٢٢

* * *

(ثبط) ثبيطه : ٢٧٦
(حبط) حبط عمله : ١٦٦ ، ٣٤٤
(حوط) محيط : ٢٨٩
(خلط) خلط : ٤٤٦
(ربط) رباط الخيل : ٣١
(سخط) يسخط : ٣٠١
(سقط) سقط فى الشيء : ٢٨٦

* * *

(حفظ) الحافظ : ٥٠٧
(غلظ) غلظ عليه : ٣٦٠
غلظة : ٥٧٦
(غيظ) يغيظ ، الغيظ : ١٦١ ، ٥٦٢

* * *

(بيع) البيع : ٤٩٨
بايع : ٤٩٨
(تبع) اتبعه : ٤٨ ، ٤٣٤ ، ٥٣٩
(خدع) يخدع : ٤٤
(رجع) رجعه : ٤٠٣
(ركع) الراكع : ٥٠٦
(سمع) سميع : ٢٠ ، ٤٣ ، ٤٣٠ ، ٤٥٤
سمّاع : ٢٨١ ، ٢٨٢

(طبع) طبع على قلبه : ٤١٣ ، ٤٢٤
(طوع) طوعاً : ٢٩٣
أطاع : ٣٤٧
المطوّع : ٣٨١ ، ٣٨٢، ٣٩٢
استطاع : ٣١
(قنع) قانعه الله : ٢٠٧
(قطع) قَطع الوادى : ٥٦٥
تقطعت قلوبهم : ٤٩٥، ٤٩٧ ، ٤٩٨
(متع) متاع الدنيا : ٢٥٣ ،
استمتع : ٣٤٠
(معع) مع : ٢٤٢ ، ٢٥٨ ، ٥٧٦
(منع) ما منعه : ٢٩٤
(وضع) أوضعوا خلالكم : ٢٧٨
وضعت الناقة : ٢٧٨

* * *

(بلغ) أبلغه : ١٣٨
(زيغ) يزيغ : ٥٣٩

* * *

(ألف) ألّف بينهم : ٤٥
المؤلفة قلوبهم : ٣١٢ — ٣١٦
(ثقف) يثقفُ : ٢٢
(جرف) جرُف : ٤٩١
(خفّف) خفف عنه : ٥١
خفّاف ، الخفة : ٢٦٢— ٢٧٠
(خلف) خلّفه : ٣٩٧، ٣٩٨، ٥٤٣
أخلف الوعد : ٣٧٠
تخلف عنه : ٥٦١
خَلف ، خلاف : ٣٩٨، ٣٩٩
الخالف : ٤٠٥
المخلفون : ٣٩٧ ، ٣٩٨
الخوالف : ٤١٢—٤١٤، ٤٢٣ ، ٤٢٤
(خوف) خاف يخاف : ٢٥ ، ١٩٢
(رأف) رؤوف : ٥٣٩ ، ٥٨٤
(ضعف) الضعف : ٥١ ، ٥٧ ، ٥٨
الضعفاء : ٤١٩
(صرف) صرف الله قلبه : ٥٨٢
انصرف : ٥٨٢ — ٥٨٤
(طوف) طائفة : ٣٣٦ ، ٤٠٣ ، ٥٧٢
(عرف) اعترف بذنبه : ٤٤٦
المعروف : ٣٣٨ ، ٣٤٧، ٥٠٦
(قرف) اقترف مالاً : ١٧٧
(كفف) كافّةً : ٢٤٢ ، ٥٦٥

* * *

(حرق) الحريق : ١٥
(حقق) حقًّا : ٨٨ ، ٤٩٨
دين الحقّ : ٢١٤
أحقّ : ١٥٨
(خلق) خلّاق : ٣٤٠
(ذوق) ذاق : ١٥ ، ٢٣٠
(رزق) رزق كريم : ٨٨

(زهق) يزهق : ٢٩٧ ، ٤١١
(سبق) سبق : ٣١ ، ٦٤
السابقون : ٤٣٤
(شقق) الشُّقة : ٢٧١
(صدق) الصدقة : ٣٠٠ ، ٣٠٥ ، ٣٨١ ، ٤٥٤ ، ٤٥٩
تصدق : ٣٦٩
الصادق : ٥٥٨
(ضيق) ضاقت الأرض : ٥٤٣
ضاقت نفسه : ٥٤٣
ضاق عليه : ١٧٩
(فرق) فرق يفرَق : ٢٩٨
التفريق : ٤٦٩
فرقة : ٥٧٢
فريق : ٥٣٩
(فسق) فاسق : ١٥٠ ، ١٧٧ ، ٢٩٣ ، ٣٣٩ ، ٣٩٥ ، ٤٠٥ ، ٤٢٨
(نفق) أنفق : ٣٩ ، ٤٥ ، ٢١٧ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ ، ٤١٩ ، ٤٢١ ، ٤٣٠ ، ٤٣٢ ، ٥٦٥
نفقة ٢٩٤ ، ٥٦٥
نفاق : ٣٧٠ ، ٤٢٩ ، ٤٤٠
المنافق : ٣٣١ ، ٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٤٤٠
(وثق) ميثاق : ٨٢

* * *

(أفك) يُؤْفك : ٢٠٨
المؤتفكات : ٣٤٥
(شرك) أشرك : ٢١٣
المشرك : ٣٤ ، ٩٥ ، ١٣٢ ، ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٦٥ ، ١٩٠ ، ٢١٤ ، ٢٤١
(ضحك) يضحك : ٤٠١
(هلك) أهلك : ٢١
أهلك نفسه : ٢٧١
(ملك) مُلْك : ٥٣٨

* * *

(أكل) أكل الأموال : ٢١٦
(ألل) الإل : ١٤٦ — ١٥٠ ، ١٥١
(أول) آل فرعون : ١٨ ، ٢٠
(بخل) بخل به : ٣٦٩
(بدل) استبدل : ٢٥٤
(بطل) أكل الأموال بالباطل : ٢١٦
(ثقل) ثقال ، الثقل : ٢٦٢ — ٢٧٠
اثّاقل : ٢٥٢
(جعل) جعل : ١٦٨ ، ٢٦١
(حلل) حلال : ٧١
حلّله : ٢٤٣
(حمل) يحمل : ٤٢١
(خبل) خبال : ٢٧٨
(خلل) أوضعوا خلالكم : ٢٧٨ ، ٢٧٩
الخلال ، الخلل : ٢٧٩
(دخل) مدّخل : ٢٩٨

(سبل) سبيل الله ، ٣٩ ، ٧٧ ، ٨٨ ، ١٥١ ، ١٦٨ ، ١٧٣ ، ١٧٧ ، ٢١٦ ، ٢٥٢ ، ٢٧٠ ، ٣٩٩ ، ٥٦١
في سبيل الله : ٣١٩
السبيل : ٤١٩ ، ٤٢٣
ابن السبيل : ٣٢ ، ٣٢١
خلى سبيله : ١٣٥
(سفل) السفلى : ٢٦١
(ضلل) أضل : ٥٣٦
(طول) الطَّوْل : ٤١١ ، ٤١٢
(عمل) العاملين على الصدقة : ٣١٠ — ٣١٢
(عيل) عال ، عيلة : ١٩٢ ، ١٩٣
(فصل) يفصّل الآيات : ١٥٢
(فضل) فضل الله : ١٩٢، ٣٠٤، ٣٦٦ ، ٣٦٩
(قبل) قبل يقبل : ٢٩٤ ، ٤٥٨
تقبل منه : ٢٩٣
(قتل) قاتله الله : ٢٠٧ ، ٢٠٨
(كسل) كُسالى : ٢٩٥
(كلل) كُلٌّ : ٢١
(نيل) نالَ ينال : ٣٦١، ٣٦٥
نال منه نيلاً : ٥٦٢ ، ٥٦٤
نال الشيء، تناوله : ٥٦٤
(وكل) التوكل : ١٥ ، ٤٣ ، ٢٩١ ، ٥٨٧

* * *

(ألم) عذاب أليم : ١٣١ ، ٢١٧ ، ٢٥٤ ، ٣٢٨ ، ٣٦٨ ، ٣٨٢ ، ٤١٦
(أمم) أئمة الكفر : ١٥٤
(تمم) أتمّ إليه عهده : ١٣٢
(جحم) أصحاب الجحيم : ٥٠٩ ، ٥١٨
(جرم) مجرم : ٣٣٧
(حرم) حرّم يحرّم : ١٩٨ ، ٢٤٣
الأشهر الحرم : ١٣٤ ، ٢٣٤ — ٢٣٨
المسجد الحرام : ١٤١ ، ١٦٨ ، ١٩١
(حكم) حكيم : ١٥ ، ٤٨ ، ٥٩ ، ٧٥ ، ١٦٢ ، ١٩٧ ، ٢٦٢ ، ٣٢١ ، ٣٤٧ ، ٤٣٠ ، ٤٦٧ ، ٤٩٥
(حلم) حليم : ٥٣٦
(ذمم) الذمة : ١٤٦ — ١٥٠ ، ١٥١
(رحم) يرحم : ٣٤٧
رحمة : ١٧٤ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٤٣٤
رحيم : ٧٢ ، ١٣٥ ، ١٩٠ ، ٤١٩ ، ٤٣٤ ، ٤٤٧ ، ٤٥٩ ، ٥٣٩ ، ٥٤٤ ، ٥٨٤
أولو الأرحام : ٩٠
(سلم) السِّلم : ٤٠
الإسلام : ٣٦١

(ظلم) يظلم : ٣٩ ، ٢٣٧ ، ٣٤٦
ظالم : ٢١ ، ١٧٢ ، ١٧٦ ، ٢٨٢ ، ٤٩٤
ظلاّم للعبيد : ١٨
(علم) العلم : ٣٨
عليم : ٢٠ ، ٤٣ ، ٧٥ ، ٩٠ ، ١٦٢ ، ١٩٧ ، ٢٨٢ ، ٣٢١ ، ٤٣٠ ، ٤٥٤ ، ٤٦٧ ، ٤٩٥ ، ٥٣٧
عالم الغيب والشهادة : ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٦٣
علاّم الغيوب : ٣٨١
(غرم) الغارمون : ٣١٧ — ٣١٩
(غنم) غنم : ٧١
(قدم) قدمت أيديكم : ١٨
(قوم) قام بأمره : ٤٠٦
أقام الصلاة : ١٣٥ ، ١٥٢ ، ١٦٧ ، ٣٤٧
استقام له : ١٤١
عذاب مقيم : ٣٤٠
نعيم مقيم : ١٧٤
(كرم) رزق كريم : ٨٨
(كلم) كلام الله : ١٣٨
كلمة الله : ٢٦١
كلمة الكفر : ٣٦١
كلمة الذين كفروا : ٢٦١
(نعم) نعمة : ١٩
أنعم : ١٩
نعيم : ١٧٤
(نقم) نقم : ٣٦٦
(همم) هم بكذا : ١٥٨ ، ٣٦١ ، ٣٦٥
(يوم) اليوم : ١٢٧ ، ١٢٨

* * *

(أذن) أذن له : ٢٧٢
يأذن : ٢٨٦ ، ٤١٦
إذْن الله : ٥١
أذُنٌ : ٣٢٤ — ٣٢٧
أذانٌ : ١١٢
استأذن : ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٤٠٣ ، ٤١١ ، ٤٢٣
(أمن) المأمن : ١٣٨
آمن : ٢١ ، ٧٧ ، ٨١ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٩٠ ، ١٩٨ ، ٢١٦ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٥١ ، ٣٢٧ ، ٤١١ ، ٤١٤ ، ٤٣٢ ، ٥٠٩ ، ٥٥٨ ، ٥٧٤ ، ٥٧٧
آمن له : ٤٢٤
الإيمان : ١٧٥ ، ٣٣٦
زيادة الإيمان : ٥٧٧
المؤمن : ٤٤ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٨٨ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٨٩ ، ٢٩١ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٨١ ، ٤٦٣ ، ٤٩٨ ، ٥٠٨ ، ٥٦٥
(آون) الآن : ٥١
(بين) بيّن له : ٥٠٩ ، ٥١٨ ، ٥٣٦
يتبين : ٢٧٢

بينة : ٣٤٥
(ثخن) أثخن : ٥٩
(ثمن) ثمن قليل : ١٥٠
(جنن) جنات : ١٧٤ ، ٣٤٨ ، ٤١٥ ، ٤٣٩ ، ٤٩٨
جنّات عدن : ٣٥٠ — ٣٥٥
(حزن) الحَزَن : ٤٢١
(حسن) حسنةٌ : ٢٨٩
الحسنى : ٢٩١ ، ٤٧٠
إحسان : ٤٣٤
المحسن : ٤١٩ ، ٥٦٢
(حنن) يوم حنين : ١٧٨
(خون) خيانة : ٢٥ ، ٧٥
الخائن : ٢٥
(دون) من دونهم : ٣٥
من دون الله : ١٦٣ ، ٢٠٩ ، ٥٣٨
(دين) دان يدين : ١٩٨
دين الحق : ٢١٤
(زين) زيّن له : ٧ ، ٢٤٣
(سكن) السكينة : ١٨٩ ، ٢٦١
سكنٌ : ٤٥٤
مساكن : ٣٤٨
المسكين : ٣٠٥ — ٣١٠
(طعن) طعن فى دينه : ١٥٣
(ظنن) ظنّ : ٥٤٣
(عدن) جنات عدن : ٣٥٠ — ٣٥٥
عدن بالمكان : ٣٥٠
معدن : ٣٥٠
(فتن) فتنه : ٢٨٦ ، ٥٧٩
الفتنة : ٨٥ ، ٨٦ ، ٢٧٩ ، ٢٨٣
(كون) ما كان لفلان : ٥٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٤ ، ٥١٥
(لعن) لعنه الله : ٣٤٠
(مكن) أمكن منه : ٧٥
(وطن) مواطن : ١٧٨
(يمن) يمين ، أيمان : ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٥٨

* * *

(أوه) أوّاهٌ : ٥٢٣ — ٥٣٦
أوّه ، تأوه : ٥٣٤ ، ٥٣٥
أوٍّ ، أوّهْ : ٥٣٥
(فقه) يفقه : ٥١ ، ٣٩٩ ، ٤١٣ ، ٥٨٢
يتفقه : ٥٧٣
(فوه) يرضونكم بأفواههم : ١٥٠
(كره) كره : ٢١٤ ، ٢٧٦ ، ٣٩٩
كرهاً : ٢٩٣
كارهٌ : ٢٨٣ ، ٢٩٥

* * *

(أبى) يأبى : ١٥٠ ، ٢١٤
(أتى) يأتى الله بأمره : ١٧٧
آتاه : ٧٢ ، ١٩٨ ، ٣٠٤ ، ٣٦٩
آتى الزكاة : ١٣٥ ، ١٥٢ ، ١٦٧ ، ٣٤٧
(أخا) إخوانكم فى الدين : ١٥٢

(أذى) آذاه : ٣٢٤ ، ٣٢٨
(أوى) آواه : ٧٧ ، ٨٨
المأوى : ٣٦٠ ، ٤٢٥
(أبى) آيات : ٢٠ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ٣٣٢
(بغى) بغاه ، وأبغاه : ٢٧٩
ابتغى : ٢٨٣
(بكى) يبكى : ٤٠١
(بنو) ابن السبيل ، ابن الحرب : ٣٢٠
(بنى) بنى ، بنيان : ٤٩١ ، ٤٩٤
(تقى) تاقاه الله : ٢٠٧
(ثنى) ثانى اثنين : ٢٥٧
(جزى) يجزى : ٥٦٥
الجزاء : ١٨٩ ، ٤٠١ ، ٤٢٥
الجزية : ١٩٩
(حمى) أحمى عليه : ٢٢٩ ، ٢٣٠
(خزى) أخزى : ١١٢ ، ١٦٠
الخزى : ٣٣٠
(خشى) خشى : ١٦٧ ، ١٧٧
الخشية : ١٥٨
(خلا) خلّى سبيله : ١٣٥
(رأى) تراءَى : ٧
(رضى) رضى بكذا من كذا : ٢٥٢
أرضاه بفيه : ١٥٠
رضوان الله : ١٧٤ ، ٣٥٥ — ٣٥٧ ، ٤٩١
(زكى) آتى الزكاة : ١٣٥ ، ١٥٢ ، ١٦٧ ، ٣٤٧
يزكّيه تزكية : ٤٥٤
(سقى) سقاية الحاجّ : ١٦٨
(سوى) على سواء : ٢٥ — ٢٧
استوى : ١٧٢
(شرى) اشترى : ١٥٠ ، ٤٩٨
(شفا) شفى صدره : ١٦٠
شفا جرف : ٤٩١
(شقى) شاقاه الله : ٢٠٧
(صلا) أقام الصلاة : ١٣٥ ، ١٥٢ ، ١٦٧ ، ٣٤٧
صلّى عليه : ٤٥٤
صلوات الرسول : ٤٣٢ ، ٤٥٤ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨
(ضهى) ضاهى : ٢٠٧
(عدا) المعتدى : ١٥١
(عسى) عسى : ١٦٧ ، ٤٤٧
(عفا) عفا عنه : ٢٧٢ ، ٣٣٦
(علا) العليا : ٢٦١
(غنى) أغنى عنه : ١٧٩
أغناه الله : ١٩٢ ، ٣٦٦
أغنياء : ٤٢٣
(فأو) فئة : ٧
(قوى) قوىّ : ١٩
قوة : ٣١ ، ٣٤٠
(كوى) كوى : ٢٢٩ ، ٢٣٠
(نجا) النجوى : ٣٨١
(نسى) نسى الله فنسيه : ٣٣٩
(نهى) انتهى : ١٥٤
(هدى) يهدى : ١٧٧ ، ٢٤٣ ،

٣٩٤ ، ٤٩٤ ، ٥٣٦
هدى : ١٧٢ ، ٢١٤
المهتدى : ١٦٧
(ودى) قطع الوادى : ٥٦٥
(وفى) وفّاه إليه : ٣٩
أوفى منه : ٤٩٨
توفاه الله : ١٥
(وقى) اتّقى : ٢٢ ، ٧١ ، ١٣٢ ، ١٤٥ ، ٢٤٢ ، ٢٧٥ ، ٥٣٦ ، ٥٥٨ ، ٥٧٦
تقوى : ٤٩١
(ولى) وليه يليه : ٥٧٤
ولّى يولى : ١٧٩ ، ٢٩٨
تولّى : ١٣١ ، ٢٨٩ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٤٢١ ، ٥٨٧
تولاه : ١٧٦
أولى به : ٩٠
ولىّ ، أولياء : ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٤ ، ٣٤٧ ، ٣٦٨ ، ٥٣٨
الولاية : ٨١
المولى : ٢٩٠
(يدى) عن يد : ١٩٩ ، ٢٠٠
قدمت أيديكم : ١٨

أعلام المترجمين فى التعليق

الأرقام فى هذا الفهرس على أرقام الآثار ، لا الصفحات

آدم بن أبى إياس : ١٦٩٤٤
إبراهيم الخوزى (إبراهيم بن يزيد الخوزى) : ١٦٢٥٩
إبراهيم بن إسماعيل الأنصارى (إبراهيم ابن إسماعيل بن مجمع ...) : ١٧٢٣٦
إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع بن جارية الأنصارى : ١٧٢٣٦
إبراهيم بن أبى بكر الأخنسى : ١٦٤٧٨
إبراهيم بن طهمان الخراسانى : ١٧٢٠١
إبراهيم بن أبى عبلة الرملى : ١٦١٨٩
إبراهيم بن يزيد الخوزى : ١٦٢٥٩ ، ١٧٣١٣
أحمد بن إسحق الأهوازى (شيخ الطبرى) : ١٧٣٥٧
أحمد بن أبى سريج الرازى (أحمد ابن الصباح)
أحمد بن الصباح النهشلى الرازى (أحمد بن أبى سريج) : ١٦٩٤٥ ، ١٦٩٥٤
أحمد بن عبد الرحمن بن بكار القرشى (أبو الوليد الدمشقى) : (شيخ الطبرى) : ١٦٥٥٧
أحمد بن عبد الله بن يونس التميمى : ١٧٥١٣
أحمد بن الفرج بن سليمان الحمصى (شيخ الطبرى) : ١٦١٨٩
أبو الأحوص (عوف بن مالك بن نضلة) :
الأخضر بن عجلان الشيبانى : ١٦٨٤٢
ابن إدريس (عبد الله بن إدريس الأودى)
أسامة بن زيد الليثى : ١٦٢٢٤
أبو إسحق السبيعى : ١٦٢٦١
أبو إسحق الشيبانى (سليمان بن أبى سليمان)
إسحاق بن إسماعيل الرازى (أبو يزيد) (حبويه) : ١٦٧٤١
إسحق بن زيادة العطار (شيخ الطبرى) : ١٧٤٢٩
إسحق بن سليمان الرازى : ١٦٣٩١ ، ١٦٩٤٠
إسحق بن شاهين الواسطى (شيخ الطبرى) : ١٦١٩٤
إسماعيل بن أمية الأموى : ١٦٦٥٠
إسماعيل بن جعفر بن أبى كثير الأنصارى : ١٦٨٣٦
إسماعيل بن أبى خالد الأحمسى : ١٦٤٥٠
إسماعيل بن صبيح اليشكرىّ : ١٧٢٣١

إسماعيل بن كثير الحجازى : ١٦٢٠١
الأشدق (سليمان بن موسى الشامى)
أشعث بن عبد الملك الحمرانى : ١٦٦٨٥
أصبغ بن الفرج بن سعيد بن نافع الأموى المصرى : ١٧٢٣٨
أنس بن مالك : ١٦٧٣٦
أنيس بن أبى يحيى الأسلمى : ١٧٢٢٢
أبو أويس المدنى (عبد الله بن عبد الله بن أويس) : ١٧٢٣١
أبو أيوب البغدادى (أيوب بن إسحق بن إبراهيم) (شيخ الطبرى)
أيوب بن إسحق بن إبراهيم بن سافرى (أبو أيوب البغدادى) (شيخ الطبرى) : ١٦٩٧٣

* * *

بحر بن نصر بن سابق الخولانى (شيخ الطبرى) : ١٧٢٢١
البختري بن المختار العبدى : ١٧٠٩٨
البراء بن عازب : ١٦٥٨٠ ، ١٦٥٨١
ابن بريدة (عبد الله بن بريدة بن الحصيب)
بريدة بن الحصيب الأسلمى : ١٧٣٣٠
أبو بشر (جعفر بن أبى وحشية)
بشر بن سويد (؟ ؟) : ١٦٦٤٣
بشر بن عصمة المزنى : ١٦٧٤١
بشر بن عطية : ١٦٧٤١
بشير بن ثابت الأنصارى : ١٦٢٥٧
بشير بن ميمون الخراسانى الواسطى : ١٦٣٠٠
بقية بن الوليد : ١٦٧٤٥، ١٦٧٥٦
أبو بكرة : ١٦٦٨٦
بلال بن أبى هريرة : ١٧٢٠١

* * *

أبو تهلل الطائى (عمير بن تميم الثعلبى) : ١٧٤٩٩

* * *

ثابت الحداد (أبو المقدام) (ثابت ابن هرمز)
ثابت بن أسلم البنانى : ١٦٧٢٩
ثابت بن هرمز الكوفى (ثابت الحداد) (أبو المقدام) : ١٦٦٤٥
ثعلبة بن حاطب الأنصارى : ١٦٩٨٧
ثعلبة بن سهيل الطهوى : ١٧٢٧٢
ثمامة بن شفى الهمدانى المصرى (أبو على الهمدانى) : ١٦٢٢٥
ثوبان ، مولى رسول الله : ١٦٦٦٢ ، ١٦٦٦٦

* * *

أبو جابر الحرمى (محمد بن عبدالملك الأزدى)
جابر بن الكردى بن جابر الواسطى (شيخ الطبرى) : ١٧٢٢٨
جابر بن نوح الحمانى : ١٦٣٠١ ، ١٦٣٠٢
أبو جحيفة السوائى (وهب بن عبد الله)

جثجاث ، أبو عقيل صاحب الصاع (حبحاب) : ١٧٠٠٨
الجريرى (سعيد بن إياس الجريرى)
جسر بن فرقد ، أبو جعفر القصاب : ١٦٩٤٠ ، ١٦٩٤١
جعدة بن هبيرة المخزومى : ١٦٦٥٧ — ١٦٦٥٩
جعفر بن حميد (؟ ؟) : ١٦٧٤١
جعفر بن دينار (جعفر بن أبى المغيرة الخزاعى) : ١٦٧٤١
أبو جعفر الرازى : ١٧٢٣٧
جعفر بن عون المخزومى : ١٦٢٢٦
جعفر بن أبى المغيرة الخزاعى (جعفر ابن دينار) : ١٦٧٤١
جعفر بن أبى وحشية (أبو بشر) : ١٦٦٧٣

* * *

حاتم بن أبى صغيرة (أبو يونس القشيرى) : ١٧٤١٠ ، ١٧٤١١
أبو حاجز (يزيد بن عامر السوائى)
الحارث الأعور (الحارث بن عبد الله الهمدانى)
الحارث بن زبيد الحضرمى المصرى : ١٧٤١٨
الحارث بن عبد الله الهمدانى (الحارث الأعور) : ١٦٣٧١ ، ١٦٣٩٥ ، ١٦٣٩٦
الحارث بن يعقوب بن ثعلبة الأنصارى المصرى : ١٦٧٣٢
حبان بن زيد الشرعبىّ : ١٦٧٤٥
حبان بن هلال الباهلى : ١٦٧٢٩
حبحاب ، أبو عقيل صاحب الصاع (جثجاث) : ١٧٠٠٨
حبويه ، أبو يزيد (إسحق بن إسماعيل)
حبيب بن أبى الأشرس (حبيب ابن حسان) (حبيب بن أبى هلال) ١٦٥٢٨
حبيب بن حسان (حبيب بن أبى الأشرس) (حبيب بن أبى هلال) : ١٦٥٢٨
حبيب بن أبى عمرة القصاب ، اللحام (أبو عبد الله الحمانى) : ١٦٢٨٨
حبيب بن أبى هلال (حبيب بن حسان) (حبيب بن أبى الأشرس) ١٦٥٢٨
حجاج بن أبى زينب السلمى (أبو يوسف الواسطى) (الصيقل) : ١٧١٥١
حجر بن حجر الكلاعى : ١٧٠٨٦
حرملة بن عمران التجيبى : ١٦٢٠٧
حريز بن عثمان بن جبر الرحبى : ١٦٧٤٥ ، ١٦٧٥٥ ، ١٦٧٥٦
الحسن بن جنيد البلخى (شيخ الطبرى) : ١٦٦٥٠
حسن بن صالح بن صالح بن حىّ الثورى : ١٦٩٦١
الحسن بن ناصح البصرى السراج : ١٦٩٥٦
الحسن بن ناصح المخرمى الخلال : ١٦٩٥٦

الحسين بن عمرو بن محمد العنقزى : ١٧١٢٢
حسين بن محمد المروزى : ١٦٣٧٥
الحسين بن يزيد السبيعى الطحان (شيخ الطبرى) : ١٦٦٣١
أبو حصين (عبد الله بن أحمد ابن يونس) (شيخ الطبرى) : ١٦٦٧١
حصين بن جندب (أبو ظبيان الجنى) : ١٦٦٧٩
حصين بن عبد الرحمن السلمى : ١٧٢٣٧
حصين بن عبد الرحمن الهذلى : ١٦٦٧١ ، ١٦٦٧٤
حفص بن حميد القمى : ١٦٩٦٠
الحكم بن عبد الله الأنصارى (أبو النعمان) : ١٧٠١٣
الحكم بن عتيبة : ١٦٣٧٥، ١٧٣٥١
حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف الأنصارى : ١٦٣٧٧
حميد بن زياد الخراط (أبو صخر) : ١٦٣٨٢
حميد بن عبد الرحمن الرؤاسى : ١٦٩٦١
حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى : ١٦٤٣٧
حميد بن هلال العدوى : ١٦٦٧٥
حيوة بن شريح : ١٦٣٨٢

* * *

أبو خالد الأحمسى البجلى : ١٦٤٥٠
خالد بن حيان الرقى (أبو يزيد الكندى ، الخراز) : ١٦٨٩٦
خالد بن يسار : ١٧٠١٤
خلف بن ياسين الكوفى (خلف ابن ياسين بن معاذ) : ١٧٢٥٠
خلف بن ياسين بن معاذ (خلف ابن ياسين الكوفى) : ١٧٢٥٠
أبو الخليل (عبدالله بن أبى الخليل الهمدانى)
أبو خيثمة (عبد الله بن خيثمة) : ١٧٠٠٨

* * *

الداناج (عبد الله بن فيروز)
الدراوردى (عبدالعزيز بن محمد عبيد)

* * *

ذو البجادين (عبد الله بن عبد نهم المزنى) (عبد الله ذو البجادين المزنى) : ١٧٤١٨

* * *

أبو راشد الحبرانى الحميرى الحمصى : ١٦٧٥٦
راشد بن سعد المقرائى الحبرانى : ١٦٧٥٥
ربيعة بن عثمان بن ربيعة التيمى : ١٧٢٠٣ ، ١٧٢١٨
رضى بن أبى عقيل : ١٧٠١٤
رفاعة بن سهل بن رافع (أبو عقيل ، صاحب الصاع) : ١٧٠٠٨
أبو روح (عون بن موسى الكنانى الليثى)
روح بن عبادة القيسى : ١٦٦٨٥

* * *

زامل بن أوس الطائى : ١٧٣٣٩
أبو زبيد ، عبثر (عبثر بن القاسم الزبيدى)
زكريا بن عدى بن زريق التيمى : ١٦٩٤٥ ، ١٧٤٢٧
أبو زميل (سماك بن الوليد الحنفى)
زهير بن الأصبغ العامرى : ١٦٨٤٢
زهير بن معاوية بن حديج الجعفى : ١٧٥١٣
زياد بن سعد بن عبد الرحمن الخراسانى : ١٦٩٣٢
زيادة بن محمد الأنصارى : ١٦٩٤٣ ، ١٦٩٤٤
زيد بن أثيع (يثيع) : ١٦٣٧٢ ، ١٦٣٧٣
زيد بن أسلم العدوى : ١٦٩١١
زيد بن أبى أنيسة الجزرى : ١٦٩٤٥
زيد بن حباب العكلى : ١٦٦٨٤ ، ١٦٧٢١
زيد بن سهل الأنصارى (أبو طلحة) : ١٦٧٣٦
زيد بن صوحان العبدى : ١٧٠٩٣
زيد بن وهب الهمدانى الجهنى : ١٦٥٢٧ ، ١٦٦٧١ ، ١٦٦٧٤
زيد بن يثيع (أثيع) : ١٦٣٧٢ ، ١٦٣٧٣

* * *

السائب بن أبى حفص الطائفى : ١٦٥٨٥
سالم بن أبى الجعد الأشجعى : ١٦٦٦١ ، ١٦٦٦٢ ، ١٦٦٦٣ ، ١٦٦٦٦ ، ١٦٦٨٠
سحبل بن محمد بن أبى يحيى سمعان الأسلمى (عبد الله بن محمد...) : ١٧٢٢٢
سعيد بن إياس الجريرى : ١٦٦٧٦
سعيد بن ثابت (؟؟) : ١٧٠٠٢
سعيد بن السائب الطائفى : ١٦٥٨٥
سعيد بن أبى سعيد المقبرى : ١٦٣٠٠
سعيد بن سنان البرجمى (أبو سنان الشيبانى) : ١٧٣٣٦
سعيد بن شرحبيل الكندى : ١٦٢٢٥
سعيد بن عمرو السكونى (شيخ الطبرى) : ١٦٧٥٦
سعيد بن مسلمة بن هشام بن عبد الملك بن مروان : ١٦٦٥٠
سعيد بن أبى هلال الليثى المصرى : ١٧٤٢٩
أبو سلام (معاوية بن سلام بن أبى سلام)
أبو سلام الأسود (ممطور) : ١٦٥٥٧
سلام بن سالم الخزاعى (شيخ الطبرى) ١٧٢٥٠
سلمان الأنصرى : ١٦٨٠٦
أبو سلمة (موسى بن إسماعيل المنقرى)
أبو سلمة العبدى (عمر بن الوليد الشنى)
سلمة بن بخت : ١٦٣٩١
أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف : ١٧٠١٠
سلمة بن كهيل الحضرمى : ١٧٣٧٠
أبو السليل (ضريب بن نفير بن سمير القيسى) : ١٧٠١٥

سليمان بن بريدة بن الحصيب الأسلمى : ١٧٣٣٠
سليمان بن أبى سليمان الشيبانى (أبو إسحق الشيبانى) : ١٦٣٦٩
سليمان بن عمر بن خالد الأقطع الرقى (شيخ الطبرى) : ١٧١٦٩
سليمان بن قرم بن معاذ التيمى : ١٦٣٧٥
سليمان بن موسى الأموى الشامى (الأشدق) : ١٦٣٨٠
سماك بن الوليد الحنفى (أبو زميل) : ١٦٢٩٤
سمعان ، أبو يحيى الأسلمى : ١٧٢٢٢
أبو سنان (عبد الله بن سنان الأسدى)
أبو سنان الشيبانى (ضرار بن مرة) (سعيد بن سنان)
أبو سهل العبادانى (محمد بن رجاء) : ١٧٠١٧
سهل بن بيضاء : ١٦٢٩٣
سهل بن حنيف : ١٧١٨٨
سهل بن رافع (أبو عقيل ، صاحب الصاع) : ١٧٠٠٨
سهل بن سعد بن مالك الساعدى الأنصارى : ١٧٢١٨
سهل بن محمد بن عثمان السجستانى (شيخ الطبرى) : ١٦٤٤٧
سهيل بن بيضاء : ١٦٢٩٣
سيار ، أبو الحكم العنزى : ١٧٢٢٨
أبو سيدان (عبيد بن طفيل)

* * *

شبابة بن سوار الفزارى : ١٦٩٩٩
شبيب بن غرقدة البارقى ، السلمى : ١٧٤٨١
شرحبيل بن سعد الخطمى : ١٧٢٣١
شريك بن أبى نمر (شريك بن عبد الله بن أبى نمر) : ١٦٨٣٦
شريك بن عبد الله بن أبى نمر (شريك بن أبى نمر) : ١٦٨٣٦
شعبة بن دينار الكوفى : ١٦٢٣٠
شمر بن عطية الأسدى الكاهلى : ١٦٩٦٠
شهاب بن عباد العصرىّ العبدى : ١٦٣٨٥ ، ١٦٣٨٦
شهر بن حوشب : ١٦٦٦٤ ، ١٦٦٦٥ ، ١٧٢٢٥ ، ١٧٢٢٨ ، ١٧٢٣٠ ، ١٧٤١٦ ، ١٧٤١٧ ،
شوذب ، أبو معاذ : ١٦٢٦٥ ، ١٦٢٦٦ ، ١٦٢٦٧
الشيبانى (ضرار بن مرة)(أبو سنان) (سعيد بن سنان)
الشيبانى (أبو إسحق الشيبانى) (سليمان بن أبى سليمان)

* * *

أبو صالح الحنفى : ١٧٥١٣
صالح بن حيان القرشى : ١٧٢١٥
صالح بن كيسان المدنى : ١٦٢٢٤ ، ١٦٢٢٦ ، ١٦٢٢٧ ، ١٦٢٢٨
صالح بن مسمار المروزى السلمى (شيخ الطبرى) : ١٦٧٦٧ ، ١٦٩٨٣
صبيح بن عبد الله العبسى (صبيح

ابن عبد الله بن عميرة) : ١٦٩٩٦ ، ١٦٩٩٧
صبيح بن عبد الله بن عميرة العبسى : ١٦٩٩٦ ، ١٦٩٩٧
أبو صخر (حميد بن زياد الخراط)
صدقة بن يسار الجزرى : ١٦٦٨٤
صفوان بن عمرو : ١٦٧٤٥
صفوان بن عمرو بن هرم السكسكى : ١٦٧٤٥
صفوان بن عيسى الزهرى : ١٧٢٢٤
صلة بن زفر القيسى : ١٦٥٣٠ ، ١٦٥٣٣
أبو الصهباء البكرى : ١٦٣٨٢
الصيقل (حجاج بن أبى زينب)

* * *

ضرار بن مرة الشيبانى (أبو سنان) : ١٧٣٣٦ ، ١٧٣٣٧
ضريب بن نفير بن سمير القيسى الجريرى (أبو السايل) : ١٧٠١٥

* * *

طالوت بن عباد : ١٧٠١٠
أبو طلحة (زيد بن سهل الأنصارى)
طلحة بن عبيد الله بن كريز بن جابر الكعبى : ١٦١٨٩
طلق بن حبيب العنزى : ١٧٢٤٨

* * *

أبو ظبيان الجنبى (حصين بن جندب)

* * *

عاصم بن أبى النجود : ١٧٣٦٣ — ١٧٣٦٧
أبو عامر الراهب : ١٧١٩٧
عامر بن عبد الله بن يساف (عامر ابن يساف) : ١٧٠١٧
عامر بن يساف اليمامى (عامر بن عبد الله بن يساف) : ١٧٠١٧
عباد العصرى : ١٦٣٨٥ ، ١٦٣٨٦
عباد بن حنيف : ١٧١٨٨
عبثر (أبو زبيد) (عبثر بن القاسم الزبيدى)
عبثر بن القاسم الزبيدى (أبو زبيد) : ١٧١٠٦
عبد الأعلى بن واصل بن عبد الأعلى ابن هلال الأسدى (شيخ الطبرى) : ١٦٤٧٥ ، ١٧٢٣١
عبد الحميد المدنى (عبد الحميد بن سليمان الخزاعى) : ١٧٢٣٦
عبد الحميد بن بهرام الفزارى : ١٧٤١٦ ، ١٧٤١٧
عبد الحميد بن سليمان الخزاعى (أبو عمر المدنى الضرير) : ١٧٢٣٦
عبد الرحمن ، مولى أم برثن (برثم) (عبد الرحمن بن آدم) : ١٦٥٨٢ ، ١٦٥٨٧
عبد الرحمن الإراشى الأنيفى (أبو عقيل صاحب الصاع) : ١٧٠٠٨
أبو عبد الرحمن الفهرىّ : ١٦٥٧٩
عبد الرحمن بن آدم (عبد الرحمن ابن أم برثن) : ١٦٥٨٢
عبد الرحمن بن بشر بن الحكم

النيسابورى (شيخ الطبرى) : ١٦٦١٨
عبد الرحمن بن سعد (عبد الرحمن ابن عبد الله بن سعد) : ١٧٠١١
عبد الرحمن بن سمحان (أبو عقيل صاحب الصاع) : ١٧٠٠٨
عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة البلوى (أبو عقيل بن عبد الله) (أبو عقيل ، صاحب الصاع) : ١٧٠٠٨
عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد الدشتكى الرازى (عبد الرحمن ابن سعد) : ١٧٠١١، ١٧٢٣٧
عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب ابن مالك الأنصارى : ١٧٠١٦
عبد الرحمن بن عمرو بن عبسة السلمى : ١٧٠٨٦
عبد الرحمن بن معقل المزنى : ١٧٠٩٨
عبد الرحمن بن مغراء الدوسى : ١٧٠٩٣
عبد الرحمن بن ملّ (أبو عثمان النهدى) : ١٧١٥١
عبد الرحمن بن أبى هريرة : ١٧٢٠١
عبد الرحمن بن يزيد النخعى : ١٦٩٩٥
عبد السلام بن حرب الملائى النهدى : ١٦٦٣١
عبد الصمد بن حبيب الأزدى العوذى : ١٦٣٨٧
عبد العزيز بن عبد الصمد العمى : ١٧٤١٣
عبد العزيز بن محمد بن عبيد الدراوردى ١٧٢٠٢
عبد العزيز بن المختار الأنصارى الدباغ : ١٧٢٤٨
عبد الكريم ببن الحارث بن يزيد الحضرمى المصرى : ١٦٢٢٥
عبد الكريم بن أبى عمير (شيخ الطبرى) : ١٦٢٦٠
عبد الله الداناج (عبدالله بن فيروز)
عبد الله ذو البجادين المزنى (ذو البجادين) : ١٧٤١٨
أبو عبد الله الحمانى (حبيب بن أبى عمرة)
عبد الله بن أحمد بن يونس اليربوعى (أبو حصين) (شيخ الطبرى) : ١٦٦٧١
عبد الله بن إدريس الأودىّ : ١٦٢٢٤
عبد الله بن أريقط : ١٧٤١٨
عبد الله بن أبى أوفى الأسلمى : ١٦٣٩٨
عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسلمى : ١٧٢١٥
عبد الله بن الحارث بن نوفل الهاشمى : ١٦٩٤٥
عبد الله بن حنيف : ١٧١٨٨
عبد الله بن أبى الخليل الهمدانى (أبو الخليل) : ١٧٣٣٤
عبد الله بن خيثمة (أبو خيثمة) : ١٧٠٠٨
عبدالله بن رباح الأنصارى : ١٧٤١٣

عبد الله بن رجاء بن عمرو (أبو عمر الغدانى) : ١٦٩٧٣
عبد الله بن السائب الكندى : ١٧١٦٣ — ١٧١٦٦
عبد الله بن سَلاَم الإسرائيلى : ١٧٢٣٠
عبدالله بن سنان الأسدى (أبو سنان) ١٦٤١١—١٦٤١٣ ، ١٦٤٤٣
عبد الله بن عاصم الحمانى : ١٦٩٥٤
عبد الله بن عامر الأسلمى : ١٧٢١٩
عبد الله بن عبد الله بن أويس بن مالك الأصبحى (أبو أويس المدنى) : ١٧٢٣١
عبدالله بن عبد نهم المزنى (ذو البجادين) : ١٧٤١٨
عبد الله بن عبد الواحد (ابن عبد الواحد) : ١٦٦٦٠
عبد الله بن عبيدة بن نشيط الربذى : ١٦٢٢٩
عبد الله بن فيروز (عبدالله ، الداناج) : ١٧٢٤٨
عبد الله بن قتادة المحاربى (عبد الله ابن أبى قتادة) : ١٧١٦٣ — ١٧١٦٦
عبدالله بن أبى قتادة المحاربى (عبد الله ابن قتادة) : ١٧١٦٣—١٧١٦٦
عبد الله بن عمرو بن العاص (عبدالله بن عمرو بن وائل) : ١٧٠٠١
عبد الله بن عمرو بن وائل (عبدالله ابن عمرو بن العاص بن وائل) : ١٧٠٠١
عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبى طالب الهاشمى : ١٧٤٢٤ ، ١٧٤٢٧
عبد الله بن محمد بن أبى يحيى سمعان الأسلمى (سحبل بن محمد...) : ١٧٢٢٢
عبد الله بن مسعود : ١٦٩٩٥
عبد الله بن يسار (أبو همام) : ١٦٥٧٩
عبد المؤمن بن خالد الحنفى : ١٦٧٢١
أبو عبد الملك (على بن يزيد الألهانى)
عبد الملك بن حبيب الأزدى (أبو عمران الجونىّ) : ١٧٤١٣
عبد الملك بن حميد بن أبى غنية الخزاعى (ابن أبى غنية) : ١٧٣٥١
عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون التيمى : ١٦١٨٩
عبد الملك بن مروان : ١٦٥٧٢ ، ١٦٧٢٨
عبد الواحد (ابن عبد الواحد) : ١٦٦٦٠
ابن عبد الواحد (عبد الله بن عبد الواحد) (يحيى بن عبد الواحد) (فلان بن عبد الواحد) (عبد الواحد) : ١٦٦٦٠
عبد الوهاب بن عطاء الخفاف : ١٦٨٤٢
عبدة ، أبو غسان : ١٦٩٥٣
عبدة بن أبى لبابة الأسدى : ١٦٢٦٠

عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم ابن عمر بن الخطاب (العمرى) : ١٦٦٥٣
عبيد الله بن عمرو الرقى : ١٦٩٤٥
عبيد الله بن موسى بن أبى المختار العبسى : ١٦٤٧٥
عبيد بن طفيل العبسى ، الغطفانى (أبو سيدان) : ١٧٢٧١
عبيد بن محمد بن القاسم بن سليمان ابن أبى مريم (عبيد بن محمد) : ١٧٤٣٤
عبيد بن محمد الوراق (عبيد بن محمد بن القاسم بن سليمان) : ١٧٤٣٤
أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود : ١٦٢٩٣
أبو العبيدين (معاوية بن سبرة ابن حصين)
عتبة بن أبى عتبة (عتبة بن مسلم التيمى) : ١٧٤٢٩
عتبة بن مسلم التيمى (عتبة بن أبى عتبة) : ١٧٤٢٩
أبو عثمان النهدى (عبد الرحمن بن مل)
عثمان بن صالح بن صفوان السهمى المصرى : ١٧٤١٨
عثمان بن عبيد الله بن أبى رافع : ١٧٢٠١ ، ١٧٢٠٢ ، ١٧٢٠٣
عثمان بن عمر بن فارس العبدى : ١٦٣٧٠
عدى بن حاتم الطائى : ١٦٦٣١ — ١٦٦٣٣
عروة البارقى (عروة بن أبى الجعد البارقى) : ١٧٤٨١
عروة بن أبى الجعد البارقى (عروة البارقى) : ١٧٤٨١
عروة بن الزبير : ١٦٥٧٢ ، ١٦٧٢٨
عصمة بن زامل الطائى : ١٧٣٣٩
عطاء بن زهير بن الأصبغ العامرى : ١٦٨٤٢
أبو عطية الوادعى (عمرو بن أبى جندب)
عطية بن سعد بن جنادة العوفى : ١٦٦٥٢ ، ١٦٨٧٨
عفان بن مسلم بن عبد الله الصفار : ١٦٣٦٩ ، ١٦٧٢٩
عقبة بن عامر الجهنى : ١٧٤١٨
عقبة بن عمرو بن ثعلبة (أبو مسعود الأنصارى) : ١٧٠١٣
ابن أبى عقيل (رضى بن أبى عقيل)
أبو عقيل ، صاحب الصاع (حبحاب) (جثجاث) (عبد الرحمن الإراشى الأنيفى) (سهل بن رافع) (رفاعة بن سهل بن رافع) (أبو عقيل بن عبد الله بن ثعلبة البلوى) (عبد الرحمن بن عبد الله ابن ثعلبة البلوى) (عبد الرحمن ابن سمحان)
أبو عقيل صاحب الصاع ، حبحاب (جثجاث) : ١٧٠٠٨ ، ١٧٠١٣ ، ١٧٠١٤
أبو عقيل بن عبد الله بن ثعلبة البلوى (عبد الرحمن بن عبد الله) (أبو عقيل صاحب الصاع) : ١٧٠٠٨

أبو العلاء بن الشخير (يزيد بن عبد الله بن الشخير)
علقمة بن مرثد الحضرمى : ١٧٣٣٠
أبو على الأسوارى (عمرو بن فائد)
أبو على الهمدانى (ثمامة بن شفى الهمدانى المصرى) : ١٦٢٢٥
على بن الأقمر الوادعى الهمدانى : ١٦٩٦١
على بن الحكم البنانى : ١٦٨٢٧
على بن رباح بن قصير اللخمى المصرى : ١٧٤١٨
على بن زيد بن جدعان : ١٧٥١٤ ، ١٧٥١٥
على بن زيد بن عبد الله بن أبى مليكة : ١٦٧٣٦
على بن يزيد الألهانى (أبو عبد الملك) : ١٦٩٨٧
علية بن زيد المحاربى : ١٧٠٠٨
عمار بن معاوية الدهنى (أبو معاوية البجلى) : ١٦٣٨٢
عمارة بن عمير التيمى : ١٦٩٩٥
عمر ، مولى غفرة (عمر بن عبد الله المدنى) : ١٦٢٠٧
أبو عمر الغدانى (عبد الله بن رجاء ابن عمرو)
عمر بن أبى سلمة بن عبد الرحمن ابن عوف : ١٧٠١٠
عمر بن عبد الله المدنى (عمر ، مولى غفرة) : ١٦٢٠٧
عمر بن عطاء بن أبى الخوّار : ١٦٩٣١
عمر بن عطاء بن وراز : ١٦٩٣١
عمر بن كثير بن أفلح المدنى : ١٧٤٤٦
عمر بن الوليد الشنى (أبو سلمة العبدى) : ١٦٣٨٥ ، ١٦٣٨٦
أبو عمران الجونى (عبد الملك بن حبيب)
عمران بن أنس العامرى المصرى : ١٧٢١٨
أبو عمرو الأوزاعى : ١٦٢٦٠
عمرو بن جندب (عمرو بن أبى جندب) (أبو عطية الوادعى) : ١٦٩٦١
عمرو بن أبى جندب (عمرو بن جندب) (أبو عطية الوادعى) : ١٦٩٦١
عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصارى المصرى : ١٦٤٣٧ ، ١٦٧٣٢ ، ١٧٤٢٩
عمرو بن فائد (أبو على الأسوارى) ص : ١٩٣ تعليق : ٢
عمرو بن قيس الملائى : ١٦٦٧٧
عمرو بن مرة الجملى : ١٦٦٧٧
العمرى (عبيد الله بن عمر بن حفص ابن عاصم)
عمير بن إسحق : ١٦٢٦٢
عمير بن تميم الثعلبى (عمير بن قميم الثعلبى) (عمير بن قثم التغلبى) (أبو هلال الطائى) (أبو تهلل الطائى) : ١٧٤٩٩
عمير بن قثم التغلبى (عمير بن تميم) : ١٧٤٩٩

عمير بن قميم الثعلبي (عمير بن تميم) : ١٧٤٩٩
أبو عوانة (الوضاح بن عبد الله اليشكرى)
عوف بن مالك بن نضلة (أبو الأحوص) : ١٦٢٦١
عون بن موسى الكنانى الليثى (أبو روح ١٦٩٥٣ ، ١٦٩٥٤
عويم بن ساعدة : ١٧٢٣٨
عياش العامرى (عياش بن عمرو العامرى)
عياش بن عمرو العامرى : ١٦٣٩٨

* * *

أبو غسان ، عبدة : ١٦٩٥٣
غضيف بن أعين الشيبانى (غطيف) : ١٦٦٣٣
غطيف بن أعين الشيبانى (غضيف) : ١٦٦٣١ ، ١٦٦٣٢
ابن أبى غنية (يحيى بن عبد الملك ابن حميد) (عبد الملك بن حميد)

* * *

فلان بن عبدالواحد (ابن عبدالواحد) ١٦٦٦٠

* * *

قابوس بن أبى ظبيان الجنبى : ١٦٦٧٩
القاسم بن بشر بن أحمد بن معروف (شيخ الطبرى) : ١٦٩٩٩
القاسم بن عبد الرحمن الشامى : ١٦٩٨٧
القاسم بن عمرو بن محمد العنقزى : ١٧٢٠٢
قتادة ، رجل من محارب (ابن قتادة) : (عبدالله بن قتادة) : ١٧١٦٣
ابن قتادة ، رجل من محارب (قتادة) (عبد الله بن قتادة) : ١٧١٦٣
قرة بن حبيب بن يزيد بن شهرزاد القنوى الرماح : ١٦٩٤١
قيس بن الربيع الأسدى : ١٦٣٦٨
أبو قيس بن الوليد بن المغيرة : ١٦١٩٥

* * *

كثير بن العباس بن عبد المطلب : ١٦٥٧٧
ابن الكردى (جابر بن الكردى) (شيخ الطبرى)
كعب الأحبار : ١٧٤١٣
كعب بن مالك : ١٧٤٤٧ — ١٧٤٥٠
كنانة بن عبد ياليل الثقفى : ١٧١٩٩
كهمس بن الحسن التميمى : ١٧٠٠٢

* * *

ابن لهيعة : ١٦٢٢٥ ، ١٧٤١٨

* * *

ابن الماجشون (عبد الملك بن عبد العزيز)
مالك بن مغول بن عاصم البجلى : ١٧٢٢٨
مبشر بن إسماعيل الحلبى : ١٧٠٠١
أبو مجيب الشاشى : ١٦٦٦٠
محبوب بن محرز القواريرى : ١٦٢٢٦
محرر بن أبى هريرة (محمد بن أبى هريرة) ١٦٣٦٨ ، ١٧٢٠١

محمد المحرم (محمد بن عمر المحرم) :
(محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير)
محمد بن بكر بن عثمان البرسانى : ١٦٣٨٩
محمد بن رجاء (أبو سهل العبادانى) :
١٧٠١٧
محمد بن زيد بن مهاجر بن قنفذ
التيمى : ١٦٩٣٢
محمد بن سابق التميمى : ١٧٢٢٨
محمد بن سنان الباهلى العوقى :
١٦٩٨٣
محمد بن سيرين : ١٦٦٨٦
محمد بن شعيب بن شابور الأموى :
١٦٩٨٧
محمد بن عبد الله بن سلام بن
الحارث الخزرجى الإسرائيلى :
١٧٢٢٨ ، ١٧٢٣٠
محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير
الليثى (محمد المحرم) : ١٦٩٩٩
محمد بن عبد الملك الأزدى (أبو جابر
الحرمى) : ١٦٤٤٧
محمد بن عبيدة بن نشيط الربذى :
١٦٢٢٩
محمد بن عمر المحرم (محمد المحرم) :
١٦٩٩٩
محمد بن قيس بن مخرمة بن المطلب :
١٦٣٨٩
محمد بن محبب بن إسحق القرشى :
١٦٢٦٩
محمد بن محمد بن مرزوق الباهلى
(محمد بن مرزوق) (شيخ
الطبرى) : ١٧٢٤٩
محمد بن مرزوق (محمد بن محمد
ابن مرزوق) (شيخ الطبرى)
محمد بن مسلم الطائفى : ١٦٩٨٣
محمد بن معمر بن ربعى البحرانى
(شيخ الطبرى) : ١٦٦٨٥
محمد بن أبى هريرة (محرر بن
أبى هريرة) : ١٧٢٠١
محمد بن يزيد الأدمى (شيخ الطبرى) :
١٦٥٨٥
مرارة بن ربعىّ (مرارة بن الربيع)
(مرارة بن ربيعة) : ١٧١٧٧ ،
١٧٤٣٦
مرارة بن الربيع (مرارة بن ربعى) :
١٧١٧٧ ، ١٧١٨٣ ، ١٧٤٣٣ ،
١٧٤٤٠ ، ١٧٤٤١ ، ١٧٤٤٢
مرارة بن ربيعة (مرارة بن ربعى) :
١٧١٧٧ ، ١٧١٨٣ ، ١٧٤٣٣ ،
١٧٤٣٤ ، ١٧٤٣٦ ، ١٧٤٤٣ ،
١٧٤٤٤
أبو مسعود الأنصارى البدرى (عقبة
ابن عمرو بن ثعلبة) : ١٧٠١٣
مسلم البطين (مسلم بن عمران)
مسلم القرّى (مسلم بن مخراق العبدى)
مسلم بن عمران (مسلم البطين) :
١٧٣٧٠
مسلم بن مخراق العبدى الفريابى
(مسلم القرّى) : ١٧٢٣٤
المسيب بن شريك التميمى : ١٦٨٠٦
مصعب بن سعد بن أبى وقاص :
١٦٦٣١ — ١٦٦٣٣

مطر . . محمد الضبي : ١٧٢٥٤
معان بن رفاعة السلمى (السلامى) ١٦٩٨٧
أبو معاوية البجلى (عمار بن معاوية الدهنى)
معاوية بن سلام بن أبى سلام ممطور الحبشى (أبو سلام) : ١٦٥٥٧
معاوية بن سبرة بن حصين السوائى العامرىّ (أبو العبيدين) : ١٧٣٧٠–١٧٣٧٨ ، ١٧٣٨٦
معدان بن أبى طلحة الكنانى : ١٦٦٦٢ ، ١٦٦٨٠
أبو معشر (نجيح بن عبد الرحمن السندى)
معقل القسملى (معقل بن داود)
معقل بن داود (معقل القسملى) : ١٦٣٨٧
معقل بن عبيد الله العبسى الجزرى الحرانى : ١٦٨٢١ ، ١٦٨٤٢
معن بن عدىّ : ١٧٢٣٨
معن بن عيسى الأشجعى القزاز : ١٦٥٨٥
مغيرة بن مقسم الضبي : ١٦٣٦٨
المغيرة بن النعمان النخعى : ١٦٧٣٧
أبو المقدام (ثابت الحداد) (ثابت بن هرمز الكوفى)
ابن أبى مليكة (على بن زيد بن عبد الله بن أبى مليكة)
ممطور (أبو سلام الأسود) : ١٦٥٥٧
مورق بن مشمرج العجلى : ١٦٧٦٧
موسى بن إسماعيل المنقرى التبوذكى (أبو سلمة) : ١٧٢٤٩
موسى بن ثروان العجلى (. . . سروان) (. . . فروان) : ١٦٧٦٧
موسى بن سروان العجلى (. . ثروان) (. . . فروان) : ١٦٧٦٧
موسى بن عبد الرحمن المسروقى (شيخ الطبرى) : ١٦٦٨٤
موسى بن عبيدة بن نشيط الربذى : ١٦٢٢٩ ، ١٦٦٨٤ ، ١٧٠١٤
موسى بن فروان العجلى (. . سروان) (. . . ثروان) : ١٦٧٦٧
موسى بن أبى كثير الأنصارى : ١٧٢٣٧

* * *

نافع بن جبير بن مطعم : ١٧٤٢٩
نجدة الخراسانى (نجدة بن نفيع الحنفى)
نجدة بن نفيع الحنفى (نجدة الخراسانى) : ١٦٧٢١ ، ١٦٧٢٢
نجيح بن عبد الرحمن السندى (أبو معشر) : ١٦٩٣٠
أبو نصر (؟؟) : ١٦٦٧٧
النضر بن شميل المازنى : ١٦٧٦٧
أبو النعمان (الحكم بن عبد الله الأنصارى)

* * *

هرون بن رياب التيمى الأسيدى : ١٧٠٠١
أبو هاشم الرمانى : ١٧٤٥٤

هشام بن سعد المدنى : ١٦٩١١
هشام بن عمار بن نصير السلمى : ١٦٩٨٧
هشام بن الغاز بن ربيعة الجرشى : ١٦٤٤٧
أبو هلال الطائى (عمير بن تميم الثعلبى) : ١٧٤٩٩
أبو همام (عبد الله بن يسار)
همام بن يحى بن دينار الأزدى : ١٦٣٠٦ ، ١٦٧٢٩

* * *

واقد ، مولى زيد بن خليدة : ١٦٦٠١ ، ١٦٦٠٢
الوضاح بن عبد الله اليشكرى (أبو عوانة) : ١٧٠١٠
أبو الوليد الدمشقى (أحمد بن عبد الرحمن بن بكار) (شيخ الطبرى)
الوليد بن عبد الله بن أبى مغيث : ١٦٢٥٩ ، ١٧٣١٣
الوليد بن مسلم القرشى : ١٦٢٦٠ ، ١٦٥٥٧
الوليد بن أبى مغيث (الوليد بن عبد الله بن أبى مغيث) : ١٦٢٥٩
وهب الخير (وهب بن عبد الله)
وهب بن عبد الله (وهب الخير) (أبو جحيفة السوائى) : ١٦٣٨٣ ، ١٦٤١٦

* * *

ياسين بن معاذ الزيات : ١٧٢٥٠
أبو يحيى ، سمعان الأسلمى : ١٧٢٢٢
يحيى بن آدم : ١٦٩٦١ ، ١٧٢٢٩ ، ١٧٢٣٠
يحيى بن الجزار العرنى : ١٦٤٠٥ ، ١٦٤٠٨ ، ١٧٣٧١
يحيى بن رافع (؟؟) : ١٧٢٢٩ ، ١٧٢٣٠
يحيى بن رافع الثقفى : ١٧٢٢٩
يحيى بن سليم الطائفى : ١٦٢٠١
يحيى بن عبد الله بن حميد بن أبى غنية الخزاعى (ابن أبى غنية) : ١٧٣٥١
يحيى بن عبد الواحد (ابن عبد الواحد) ١٦٦٦٠
يحيى بن عثمان بن صالح القرشى السهمى المصرى : (شيخ الطبرى) ١٧٤١٨
يحيى بن أبى كثير الطائى اليمامى : ١٦٥٦٠ ، ١٧٠١٧
يزيد بن أبان الرقاشى (يزيد الرقاشى) ١٧٠٥٣
يزيد بن أبى حبيب الأزدى المصرى : ١٦٢٢٥
يزيد بن أبى زياد القرشى : ١٦٩٤٥
يزيد الرقاشى (يزيد بن أبان الرقاشى) : ١٧٠٥٣
أبو يزيد ، حبويه (إسحق بن إسماعيل)
أبو يزيد الكندى الخراز (خالد بن حيان)

يزيد بن عامر السوائى (أبو حاجز) : ١٦٥٨٥
يزيد بن عبد الله بن الشخير (أبو العلاء ابن الشخير) : ١٦٦٧٦
يعقوب بن إبراهيم بن جبير الواسطى (شيخ الطبرى) : ١٦٧٢٩
يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفى : ١٦٩٥٦
يعقوب بن عبد الله القمى : ١٦٩٦٠ ، ١٧٤٨٤
يعلى بن عطاء العامرى الطائفى : ١٦٥٧٩
أبو يوسف الواسطى (حجاج بن أبى زينب) (الصيقل)
يوسف بن مهران البصرى : ١٧٥١٤ ، ١٧٥١٥
يونس الجرمى : ص : ٢٠٨ ، تعليق : ٣ .
أبو يونس القشيرى ، الباهلى (حاتم ابن أبى صغيرة) : ١٧٤١٠ ، ١٧٤١١
يونس بن يزيد الأيلى : ١٦٤٣٧

فهرس المصطلحات

الإجراء (الصرف) : ١٧٨ ، ٢٠٤

الباطن : ٢٩٦

التّرجمة (البدل) : ٣٤٤

التطويل (الزيادة) : ٣٠

تقاديم الكلام : ٢٩٥

الحشو : ٣٠

الردّ : ٢٦١

الصلة (الزيادة) : ٣٠

الظاهر : ٢٩٦

الكناية : ٢٢٨ ، ٢٤٠

ح ١٤ (٤٠)

مباحث العربية والنحو وغيرها

* « أم » دخولها للاستفهام المعترض فى وسط الكلام ، ليفرق بينه وبين الاستفهام المبتدأ : ١٦٥

* « أن » دخولها يدلّ على الاستقبال : ٥١٤

* « أن » مع « كان » تأويلها بمعنى «ينبغى » فى نحو قوله «ما كان لنبىّ أن يغلّ »، أى : ما كان ينبغى له : ٥١٤

* « أنْ » و « أنّ » ، من منصوب « حسب » و « ظنّ » : ٢٨ ، ٣٠

* « إن » بمعنى « إذ » فى نحو قوله : « إن كنت أبى فأكرمنى »، بمعنى : إذ كنت ١٩٣

* « أنّى » بمعنى : أىّ وجهٍ : ٢٠٨

* « الباء » بمعنى « فى » : ١٧٩

* « عن » بمعنى « من بعد » كقولهم : « ما كان الأمر إلا عن سبب كذا » ، أى : بعد ذلك السبب ، أو من أجله : ٥١٥

* « فى » بمعنى « من » نحو : « وليجدوا فيكم غلظة »، بمعنى : منكم : ٥٧٦ .

* « كيف » الاكتفاء بها دليلاً على معنى الكلام ، لتقدم ما يراد من المعنّى بها قبلها ، نحو قوله :

وخَبَّرْتُمانى أنَّما المَوْتُ بالقُرَى فَكَيْفَ وهذِى هَضْبَةٌ وكَثِيبُ

ومعناه : كيف يكون الموت فى القرى ، وهذى هضبة وكثيب لا ينجو فيهما منه أحد : ١٤٥

* « اللام » فى نحو قولهم « ردفكم » و « ردف لكم » : ٣٢٧

* « لعلّ » بمعنى « كى » : ٢٤

* « لم ؟ » بمعنى : لأىّ شىء : ٢٧٢

* « من » بمعنى المبدأ ، كقولك : « لم أره من يوم كذا » ، بمعنى : مبدأ ذلك ، اليوم : ٤٧٦

* « واو » المعية ، بمعنى « الباء » فى نحو قوله : « استوى الماء والخشبة » ، أى بالخشبة ، و « خلطت الماء واللبن » : ٤٤٦ ، ٤٤٧

* * *

* « القول » حذفه لدلالة الظاهر عليه : ١٧ ، ٢٣٠

* « ما كان له أن يفعل » ، معناها : ٥٨ ، ٥١٤

* « اليوم » يضاف إلى المعنى الذى يكون فيه ، نحو : « يوم الفطر » ، أى اليوم الذى يفطر فيه الناس : ١٢٧ ، ١٢٨

* « ابن » العرب تسمّى اللازم لشىء يعرف به : « ابنه » ، نحو : « ابن السبيل » ، و « ابن الحرب » : ٣٢٠

* « ابن » العرب لا تنونه إذا كان « الابن » نعتاً للاسم ، وتنونه إذا كان خبراً عنه : ٢٠٥

* « حسب » يطلب فى كلام العرب منصوباً وخبره : ٢٨

* « عسى » ، بمعنى « لعل » فى كلام العرب ، ولكنه من الله واجب : ١٦٧ ، ٤٤٧

* « علم » الاكتفاء لها بمنصوب واحد ، كقوله :

فإنّ اللهَ يَعْلَمُنِي وَوَهْباً وَأَنَّا سَوْفَ يلقاهُ كِلَانَا

: ٣٨ ، ٣٩

* « ينبغى » تطلب الاستقبال : ٥١٤

* * *

* « الأمر » تخرج العرب الكلام مخرج الأمر ، ومعناه الجزاء ، تفعل ذلك فى الأماكن التى يحسن فيها « إن » التى بمعنى الجزاء ، كقوله : « أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم » ، بمعنى : إن تنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم : ٢٩٣ ، ٢٩٤

* « التقديم و « التأخير » ، مثال منه : ٧١ ، ٧٢ ، ٢٩٥

* « الحذف » العرب إذا أعادت الحرف بعد مضىّ معناه ، استجازت حذف الفعل : ١٤٥

* وضع الاسم موضع المصدر فى نحو قوله :

لَعَمْرُكَ مَا الْفِتْيَانُ أَنْ تَنْبُتَ اللِّحَى وَلٰكِنَّمَا الفِتْيَانُ كُلُّ فَتًى نَدِى

جعل خبر « الفتيان » « أن تنبت » ، كما يقال : « إنما السخاء حاتِمٌ » : ١٧٢ ، ١٧٣

* الشيئان يذكران ، فيستغنى بالخبر عن أحدهما فى عائد ذكرهما من الخبر عن الأخرى ، لدلالة الكلام عن أن الخبر عن الأخرى مثل الخبر عنها نحو :

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ ، وَالرَّأْىُ مُخْتَلِفُ

لم يقل : « راضون » : ٢٢٨ ، ٢٢٩

* شأن العرب أن يضمروا لكل مُعايَنٍ ، نكرةً كان أو معرفة ذلك المعايَنُ : « هذا » و « هذه » ، فيقولون عند معاينتهم الشىء الحسن : « حسنٌ والله » ، أى : هذا حسن : ٩٥ .

* * *

* « الهمزة » فى قولك « أفعلت » ، بعد قولك « فعلت » بمعنى : الإعانة ، نحو « حلبتك » بمعنى : حلبت لك = و « أحلبتك » ، بمعنى أعنتك على الحلب : ٢٧٩

* « فاعل » لا تكاد تجىء فعلاً إلاّ من اثنين ، نحو « خاصم » ، ومن نادر

الكلام أن يجيء على غير القياس نحو : « قاتلهم الله » ، بمعنى : قتل : ٢٠٧ ، ٢٠٨

* « فاعلة » مصدر ، نحو : « العافية » و « العاقبة » : ٢٤٢

* « فعّال » بمعنى كثرة الفعل ، نحو قولك : « سمّاع » ، من كثرة سماعه الكلام الكذب أو نحوه ، فإذا أرادوا سماع كلام الرجل وأمره ونهيه قيل « سامع » : ٢٨٢

* « فعيل » بمعنى « مفعول » : ٢٤٣

* * *

* « الإدغام » وزن « تفاعل » ، إذا أدغمت التاء فى التاء ، أحدثت ألفاً تتوصل بها إلى الكلام ، نحو : « اثّاقل » فى « تثاقل » و « اتابع » فى « تتابع » : ٢٥٢

* « الإدغام » إدغام التاء إذا جاورت الدال ، لتقارب مخرجهما : ٤١٧ .

* « الاستفهام » ، الاستفهام المعترض ، والاستفهام المبتدأ ، ودخول « أم » للتفريق بين الأول والثانى : ١٦٥

* « التنوين » حذف نون التنوين لالتقاء الساكنين ، استثقالاً لتحريكه نحو :

* إِذَا غُطَيْفُ السُّلَمِيُّ فَرَّا *

حذف النون للساكن الذى استقبلها : ٢٠٤ ، ٢٠٥

* « الجمع » العرب قد تذهب بالواحد إلى الجماع ، وبالجماع إلى الواحد ، كقولهم : « عليه ثوبٌ أخلاق » : ١٦٦ ، ١٦٧

* « الجمع » ، ومراد به المفرد : ٣٣٦

* « الصرف » صرف الاسم الأعجمى لخفته ، نحو : « عزيرٌ ابن الله » : ٢٠٤

* « الصرف » يجرى المذكر إذا كان اسما لمذكّر ، نحو : « ويوم حنين » ، ويترك إجراؤه إذا أريد به أن يكون اسماً للبلدة نحو :

نَصَرُوا نبيَّهُمُ وشَدُّوا أزْرَهُ بحُنَيْنَ يَوْمَ تَوَاكُلِ الأبطالِ

يترك إجراء « حنين » : ١٧٨

* « العدد » العرب تقول فيما بين الثلاثة إلى العشرة ، إذا كَنَنْتَ عنه : « فعلنا ذلك لثلاث ليال خلون ، ولأربعة أيام بقين » .
وإذا أخبرت عما فوق العشرة إلى العشرين قالت : « فعلنا ذلك لثلاث عشرة خلت ، ولأربع عشرة مضت » : ٢٤٠

* « العدد » إخراج الكناية عن العدد من الثلاثة إلى العشرة ، بالنون ، وما فوق ذلك بالهاء : ٢٤٠ ، ٢٤١

* « العدد » قولهم : « ثانى اثنين » و « ثالث ثلاثة » ، فهو أحد الاثنين ، وأحد الثلاثة ، بخلاف قولهم : « هو أخو ستة ، وغلام سبعة » ، لأن « الأخ » و « الغلام » غير الستة والسبعة : ٢٥٧

* « المفرد » والمراد به « الجمع » ، كقولك : « لقيت كل رجل » ، بمعنى : كل الرجال : ٤٧٦

* « النكرة » بصلتها تكون كالمعرفة : ٩٥

* * *

* كلّ خبر من الله وعد فيه عباده على عمل ثواباً وجزاءً ، وعلى تركه عقاباً وعذاباً ، وإن لم يكن خارجاً ظاهرُه مخرج الأمر ، فنى معنى الأمر : ٥٧

* « النسخ » ، الناسخ لا يكون إلا ما نفى حكم المنسوخ من كلّ وجه ، فأما ما كان بخلاف ذلك ، فغيرُ كائن ناسخاً : ٤٢

* « النسخ» ، هو نفى حكم قد كان ثبت ، بحكم آخر غيره : ١٤٠

* « الخصوص » و « العموم » : ٢٢٥ ، ٢٢٦

* « الخصوص » و« العموم » ، إذا لم يكن فى الآية دلالة على أنها عنى بها

خصوص دون عموم ، ولم يكن خبر من الرسول ، ولا فى فطرة عقل ، فالعموم أولى بها : ٥٠٧

* « العموم » و « الخصوص » الخبر العام غير محصور على معنى دون معنى : فلا وجه لأن يخصّ بغير دلالة توجب صحة القول بخصوصه : ٧٠ ، ٧١

* * *

* لا وجه لتوجيه حرف فى كتاب الله إلى التطويل (الزيادة) بغير حجة يجب التسليم لها ، وله فى الصحة مخرج : ٣٠

* توجيه معنى كلام الله إلى الأظهر الأشهر ، أولى من توجيهه إلى خلاف ذلك : ٨٧ ، ١٢٨ ، ٢٤١

* صرف تأويل كلام الله إلى ما دلّ عليه ظاهرُه ، أولى من صرفه إلى باطن لا دلالة على صحته : ٢٩٦

فهرس التفسير

٣ تصدير الجزء الرابع عشر .

٧ تفسير قوله تعالى : « وإذ زيّن لهم الشيطان أعمالهم » ، وذلك يوم بدرٍ ، وتشبه إبليس فى صورة سراقة ، والأخبار فى ذلك .

١٢ مقالة المنافقين : « غرّ هؤلاء دينهم » .

٢٥ خوف خيانة العدو ، ونبذ العهد إليه .

٣١ بيان معنى « إعداد القوة للعدو » ، وأنه الرَّمْى ، والأحاديث فى ذلك .

٣٧ قول أبى جعفر أن « القوة » عامٌّ ، وأنه جميع آلة الحرب .

٤٢ « النسخ » وأحكامه .

٤٥ بيان معنى التأليف بين قلوب المؤمنين .

٥٠ أمر رسول الله بتحريض المؤمنين على القتال .

٥١ بيان العدد من المؤمنين الذى أمر أن يلقى عشرة أضعافه من المؤمنين ، ثم تخفيف الله سبحانه ذلك، بأن يلقى العدد منهم ضعفه ، والأخبار فى ذلك .

٥٨ أخذ الفدية من أسارى بدر ، وما نزل فى ذلك .

٦١ حديث أسارى بدر ، ومقالة أبى بكر وعمر وعبد الله بن رواحة .

٦٤ إحلال الغنيمة للمسلمين ، ولم تكن أحلت لأحد قبلهم ، والأخبار فى ذلك.

٧٠ « العموم » و« الخصوص » .

٧٢ أخبار فداء أسرى بدر .

٧٣ خبر مال البحرين الذى أتى به رسولُ الله .

٧٦ خبر يوم الفتح ، وأمان رسول الله الناس إلا عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، ومقيس بن صُبابة ، وابن خطل ، وامرأة كانت تدعو على رسول الله .

٧٧ معنى « ولاية » بعض المؤمنين بعضاً ، وما كان من التوارث كان بالهجرة والنصرة دون القرابة .

٧٨ منازل المؤمنين على عهد رسول الله .

٩٠ خبر لشريح القاضى فى قضائه .

﴿ تفسير سُورَة التَّوْبةِ ﴾

٩٥ تفسير سورة التوبة .

٩٦ من برئ إليهم رسول الله من العهد الذى كان بينه وبينهم ، فأذن لهم فى السياحة فى الأرض أربعة أشهر ، واختلاف المختلفين فيهم .

٩٦ سبب نزول سورة « براءة » .

١٠٠ تأمير أبى بكر على الحاج سنة تسع ، وبعث على بن أبى طالب بأربعين آية من « براءة » ، فقرأها على الناس .

١٠٢ ترجيح أبى جعفر بين أقوال المختلفين فى الأربعة الأشهر والإذن بالسياحة .

١٠٣ حديث أبى هريرة ، وكان مع على وهو ينادى بسورة « براءة » .

١٠٥ سائر الأخبار فى نزول « براءة » ، وبعثة أبى بكر وعلى .

١١٣ بيان معنى « الحج الأكبر » ، واختلاف المختلفين فيه .

١٢٧ ترجيح أبى جعفر بين أقوال المختلفين .

١٢٨ بيان السبب الذى من أجله قيل لهذا اليوم « يوم الحج الأكبر » .

١٣٨ إجارة المشرك المستجير حتى يسمع كلام الله، ثم إبلاغه مأمنه .

١٦٨ الأخبار فى سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام .

١٨٠ « يوم حنين » ، ومقالة من قال : « لن نغلب اليوم بكثرة » !

١٩٣ خوف المؤمنين انقطاع تجاراتهم ، لما نفى الله المشركين عن المسجد الحرام .

٢٠٢ خبر « عزير » ، الذى قالت اليهود : « عزير ابن الله » .

٢٠٩ حديث عدى بن حاتم فى اتخاذ الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله .

٢١٧ الاختلاف فى معنى كنز الذهب والفضة .

٢٢٣ ترجيح أبى جعفر بين الأقوال فى « الكنز » .

٢٢٤ حديث مانع الزكاة ، وجزاؤه فى الآخرة .

٢٢٥ « العموم » و « الخصوص » .

٢٢٧ خبر أبى ذرّ بالربذة ، وما كان منه فى أمر « الكنز » .

٢٣٠ بقية أخبار أبى ذرّ .

٢٣٤ عدة الشهور ، اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرم .

٢٤٣ النسىء ، وبيان معناه .

٢٤٥ النسأة فى الجاهلية ، وكيف كان النسىء ، والأخبار فى ذلك .

٢٥٦ « النسخ » .

٢٥٨ أخبار هجرة رسول الله وصاحبه أبى بكر ، وخبر الغار .

٢٦٢ اختلاف المختلفين فى النفر خفافاً وثقالاً .

٢٦٧ « سورة البعوث » أو « البحوث » ، وهى « سورة التوبة » .

٢٨٤ أخبار « غزوة تبوك » .

٢٨٥ أخبار الجدّ بن قيس ، ومقالته فى غزوة تبوك .

٣٠٢ أخبار لمز اللامز فى الصدقات .

٣٠٣ خبر « ذى الخويصرة التميمى » .

٣٠٥ الاختلاف فى صفة « الفقير » و « المسكين » .

٣٠٨ ترجيح أبى جعفر بين أقوالهم .

٣١١ اختلاف المختلفين فى قدر ما يعطى العامل على الزكاة .

٣١٢ بيان معنى « المؤلفة قلوبهم » من هم ، وتسميتهم ، والأخبار فى ذلك .

٣١٥ اختلاف أهل العلم فى وجود « المؤلفة » اليوم وعدمها ، وهل يعطى أحدٌ على التألف على الإسلام .

٣١٦ اختلافهم فى بيان معنى « وفى الرقاب » .

٣١٧ بيان معنى « الغارمين » .

٣٢٥ خبر الذين يؤذون نبىّ الله ، ويقولون ، « هو أذن » .

٣٣٣ خبر من أخبار المنافقين فى غزوة تبوك .

٣٤١ حديث : « لتأخذن كما أخذ الأمم من قبلكم ، شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع » .

٣٤٩ صفة مساكن المؤمنين فى الجنة .

٣٥١ خبر أبى الدرداء فى « جنة عدن » .

٣٥٨ الاختلاف فى صفة الجهاد الذى أمر الله نبيَّه به فى المنافقين .

٣٦١ خبر مقالة الجلاس بن سويد بن الصامت .

٣٧٠ خبر ثعلبة بن حاطب الأنصارى الذى سأل رسول الله أن يدعو الله أن يرزقه مالاً ، وما كان من أمره لما جاءه المال ، وخبره فى عهد أبى بكر وعمر وعثمان .

٣٧٦ حديث صفة المنافق : « إذا حدّث كذب » ، إلى آخر الحديث .

٣٨٢ خبر لمز المطوعين فى الصدقة ، ومقالة المنافقين ، والأخبار فى صاحب الصاع .

٣٩٥ خبر موت عبد الله بن أبى ابن سلول ، وألبسه رسول الله قميصه .

٤٠٦ بقية خبر موت عبد الله بن أبى ، والأخبار فى ذلك .

٤٢٣ أخبار البكائين ، الذى بكوا لما لم يجد رسول الله ما يحملهم عليه .

٤٢٦ خبر تبوك ، ومقالة من قال : « لا تفتنا بنساء بنى الأصفر » .

٤٣٥ الاختلاف فى بيان قوله : « والسابقون الأوّلون » .

٤٣٨ خبر عمر فى اختلاف القرأة .

٤٤٣ خبر حذيفة فى المنافقين .

٤٤٧ خبر الذين تخلفوا عن « غزوة تبوك » ، وربطوا أنفسهم فى سوارى المسجد .

٤٥٥ بقية خبر المتخلفين عن « غزوة تبوك » .

٤٥٩ أحاديث الصدقة ، وأنها تقع فى يد الله ، ويكون هو الذى يضعها فى يد السائل .

٤٦٤ بقية أخبار المتخلفين عن « غزوة تبوك » .

٤٦٨ مسجد الضرار ، والأخبار فى أمره وأمر أبى عامر الراهب .

٤٧٦ المسجد الذى أسس على التقوى ، واختلاف العلماء فيه .

٤٨٣ خبر أهل قباء ، وما أثنى الله به عليهم من حب التطهُّر ، والأخبار فى ذلك .

٤٩٣ خبر خروج الدخان من مسجد الضرار فى زمن بنى أمية .

٥٠٧ « العموم » و « الخصوص » .

٥٠٩ النهى عن الاستغفار للمشركين من ذوى القربى .

٥٠٩ خبر وفاة أبى طالب عم رسول الله، وآخر ما تكلم به أنه على دين عبدالمطلب.

٥١١ وقوف رسول الله على قبر أمه ، والأخبار فى ذلك .

٥٢١ خبر جمع الناس يوم القيامة ، وما يكون عن صفتهم يومئذ، ورؤية إبراهيم أباه ، ومسخه ضبعاً .

٥٣٣ خبر موت ذى البجادين ، وما كان من صفته .

٥٤٠ « غزوة العسرة » ، وهى « غزوة تبوك » ، ومخرج الناس إليها .

٥٤١ خبر عمر فى « غزوة العسرة » .

٥٤٤ خبر الثلاثة الذين خُلِّفوا ، وتوبة الله عليهم .

٥٤٧ حديث كعب بن مالك ، وما كان من تخلُّفه فى « غزوة تبوك » .

٥٦٥ النفر إلى القتال ، نفر فرقة ، وبقاء فرقة للتفقه فى الدين .

٥٦٦ النفر الذى كرهه لجميع المؤمنين ، واختلاف المختلفين فيه .

* * *

٥٩٣ فهرس الآيات التى استدلّ بها فى غير موضعها من التفسير .

* * *

٥٩٦ فهرس اللغة .

٦٠٩ فهرس أعلام المترجمين فى التعليق .

٦٢٥ فهرس المصطلحات .

٦٢٦ فهرس مباحث النحو والعربية وغيرها .

٦٣٢ فهرس التفسير .

تراث الإسلام

تفسير الطبري

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري
٢٢٤ - ٣١٠ هـ

١٥

حققه وخرج أحاديثه
محمود محمد شاكر

الناشر
مكتبة ابن تيمية
القاهرة ت ٨٦٤٢٤٠

الجزء الخامس عشر

فيـــه

تفسير سورة يونس

من ١ — ١٠٩

وتفسير سورة هود

من ١ — ١٢٣

وتفسير سورة يوسف

من ١ — ١٨

والآثار من ١٧٥١٨ — ١٨٨٧٩

تفسير الطبري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله لا شريكَ له ، أحمَدُه على عظيم نعمائه بلسانٍ لا يَفْتُرُ عن ذِكْره وشُكْره ، وأُخبتُ إليه بقلبٍ خاشعٍ لا يَحُولُ عن الذلّ لجبروته وعزّته ، وأضرَعُ إليه ضراعةَ عبدٍ مُقِرّ بذنبه ، مُسْتَتيبٍ من إساءته ، مُسْتَثيبٍ لمغفرته . اللهمّ إنى ظَلَمتُ نفسى ظُلْماً كبيراً ، ولا يغفر الذنوبَ إلاّ أنتَ ، فاغفرْ لى مَغْفِرةً من عندك وارحمنى ، إنك أنت الغَفُورُ الرَّحيم .

والحمدُ لله الذى ابتعث فينا رَسولًا من ذُرِّية أبينا إسماعيل ، فاستنقذنا به من تِيهِ الجاهليَّةِ إلى صراطه المستقيم ، وأخرجنا به من ظُلُمات الكُفْرِ إلى نور الإيمان ، وهدانا به إلى الحقّ بعد الضلالِ ، فخلعنا له الأندادَ فلا نعبدُ إلّا الله ، ونَسَفنا له الأَوثان فلا نسجُد إلّا لله ، ونفَيْنَا لَهُ الشركاء فلا نعبد إلّا الله ولا ندعو مع الله أحداً .

اللهمّ صلّ على رسولك النبى الأُمىّ صلاةً تقرِّبنا من رضاك ، وتنأَى بنا عن سَخَطك ، وتَكفينَا ما نخافُ من أمر الدنيا والآخرة ، وتجعله صلى الله عليه شهيداً علينا وشفيعاً لنا يوم القيامة .

اللهمّ إنى ضعيفٌ فخُذْ بيدى وقوِّ قلبى ، اللهمّ إنى ضالٌّ فاهدِ خُطَاىَ إلى سواء السبيل ، اللهمَّ إنّى خائفٌ فأنزل علىّ سكينة من عندك ، لا مَلجأ إلّا إليك ، ولا حول ولا قوّةَ إلا بكَ .

وبعد ، فهذا هو الجزء الخامس عشر من تفسير أبى جعفر الطبرى ، حالَ بينى وبين متابعة العمل فيه حائلٌ لا قِبَلَ لى بردِّه ، فالآن حين أواصلُ نشره ، متوجّهاً إلى ربِّى بما آتى وما آذرُ ، مُخْلصاً لَهُ عَمَلى ، متفرِّغاً لما حُمِّلتُ من أمانة تحقيقه والتعليق عليه ، مُعْرِضاً عن كُلّ شىء من أمر هذه الدُّنْيا ، إلّا من أمرٍ يُقرِّبنى إلى ربّ العالمين ، ويُبعِدنى من نَزَغاتِ الشياطين ، ويكفينِى كيدَ نفسى وكيدَ الكائدين .

اللهمَّ أعِنّى عَلَى عملٍ يُزْلِفُنِى إليك ، ويُدْنينى من مَرْضاتك ، ويدفَعُ عنِّى ما أستحقُّه بتقصيرٍ كانَ منّى فى حقّك ، إنك أنتَ أهل التقوى وأهلُ المَغفرة .

اللهمَّ لا إلٰه إلا أنتَ الحكيم الكريم ، سبحانَك ربّ السموات وربّ العرش العظيم ، لا إلٰهَ إلّا أنت ، عزَّ جاهُك ، وجَلّ ثناؤك .

اللهمّ رَحْمتك أرْجو ، فلا تَكِلْنِى إلى نفسى طَرْفةَ عينٍ ، وأصلحْ لى شأنى كُلَّه ، أنت حسبِى ونعم الوكيل ، وأنت وليّى فى الدنيا والآخرة ، توفّنى مُسْلِماً وألْحِقْنى بالصالحين .

محمود محمد شاكر

تفسير

سُورَةِ يُونُسَ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ القول فى تفسير السورة التى يذكر فيها يونس صلى الله عليه وسلم ﴾

« رَبِّ يَسِّرْ »

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الٓر ﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى ذلك .

فقال بعضهم تأويله : أنا الله أرى .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٥١٨ – حدثنا يحيى بن داود بن ميمون الواسطى قال، حدثنا أبو أسامة، عن أبى روق ، عن الضحاك فى قوله : « الر » ، أنا الله أرى . (١)

١٧٥١٩ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا شريك ، عن عطاء بن السائب ، عن أبى الضحى ، عن ابن عباس قوله : « الر »، قال : أنا الله أرى .

* * *

وقال آخرون : هى حروف من اسم الله الذى هو « الرحمن » .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٥٢٠ – حدثنى عبد الله بن أحمد بن شبويه قال ، حدثنا على بن

---

(١) الأثر : ١٧٥١٨ – « يحيى بن داود بن ميمون الواسطى » ، شيخ الطبرى ، مضى برقم : ٤٤٥١ ، ١١٥٤٥ .

الحسين قال ، حدثني أبي ، عن يزيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « الر » و « حم » و « نون » ، حروف « الرَّحمن » مقطعةً .

١٧٥٢١ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا عيسى بن عبيد، عن الحسين بن عثمان قال: ذكر سالم بن عبد الله « الر » و « حم » و « نون » ، فقال : اسم « الرحمن » مقطع = ثم قال : « الرحمن » .

١٧٥٢٢ — حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي حماد قال ، حدثنا مندل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير قال : « الر » و « حم » و « نون » ، هو اسم « الرحمن » .

١٧٥٢٣ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا سويد بن عمرو الكلبي ، عن أبي عوانة ، عن إسمعيل بن سالم ، عن عامر : أنه سئل عن « الر » و « حم » و « ص » ، قال : هي أسماء من أسماء الله مقطعة بالهجاء ، فإذا وصلتها كانت اسماً من أسماء الله .

* * *

٥٨/١١ وقال آخرون : هي اسم من أسماء القرآن .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٥٢٤ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « الر » ، اسم من أسماء القرآن .

* * *

قال أبو جعفر : وقد ذكرنا اختلاف الناس ، وما إليه ذهب كل قائل في الذي قال فيه ، وما الصواب لدينا من القول في ذلك في نظيره ، وذلك في أول « سورة البقرة » ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع . [1] وإنما ذكرنا في هذا الموضع القدرَ الذي ذكرنا ، لمخالفة من ذكرنا قوله في هذا ، قوله، في « ألم »، فأمَّا

(١) انظر ما سلف ١ : ٢٠٥ — ٢٢٤ .

الذين وفّقوا بين معانى جميع ذلك، فقد ذكرنا قولهم هناك ، مكتفىً عن الإعادة ههنـــا .(١)

* * *

القول فى تـأويل قوله ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ (١)

قال أبو جعفر : اختلف فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : تلك آيات التوراة .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٥٢٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو نعيم قال، حدثنا سفيان ، عن مجاهد : « تلك آيات الكتاب الحكيم» ، قال : التوراة والإنجيل .

١٧٥٢٦ — . . . . قال ، حدثنا إسحق قال،حدثنا هشام، عن عمرو ،عن سعيد ، عن قتادة: « تلك آيات الكتاب » ، قال: الكتُبُ التى كانت قبل القرآن .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : هذه آيات القرآن .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب ، تأويل من تأوّله : « هذه آيات القرآن » ، ووجّه معنى « تلك » إلى معنى « هذه » ، وقد بينا وجه توجيه « تلك » إلى هذا المعنى ، فى « سورة البقرة » ، بما أغنى عن إعادته .(٢)

* * *

و « الآيات » ، الأعلام = و « الكتاب » ، اسم من أسماء القرآن ، وقد بينا كل ذلك فيما مضى قبل .(٣)

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « مكتفيا » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب .

(٢) انظر ما سلف ١ : ٢٢٥ — ٢٢٨ .

(٣) انظر تفسير « الآية » فيما سلف من فهارس اللغة (أي) .

وإنما قلنا : هذا التأويل أولى فى ذلك بالصواب ، لأنه لم يجىء للتوراة والإنجيل قبلُ ذكرٌ ، ولا تلاوةٌ بعدُ ، فيوجه إليه الخبر .

* * *

فإذْ كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام : والرحمن ، هذه آيات القرآن الحكيم.

* * *

ومعنى « الحكيم » ، فى هذا الموضع ، « المحكم » ، صرف « مُفْعَل » إلى « فعيل » ، كما قيل : « عذاب أليم » ، بمعنى مؤلم ، [1] وكما قال الشاعر : [2]

* أمِنْ رَيْحانَةَ الدَّاعِى السَّمِيعُ * [3]

وقد بينا ذلك فى غير موضع من الكتاب . [4]

* * *

فمعناه إذاً : تلك آيات الكتاب المحكم ، الذى أحكمه الله وبيّنه لعباده ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ الٓرَ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [سورة هود : ١] .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : أكان عجباً للناس إيحاؤنا القرآن على رجل منهم ، بإنذارهم عقابَ الله على معاصيه ، كأنهم لم يعلموا أنّ الله قد أوحى

= وتفسير « الكتاب » فيما سلف ١ : ٩٤ – ٩٩ .

(١) انظر تفسير « حكيم » فيما سلف من فهارس اللغة (حكم) .

(٢) هو عمرو بن معد يكرب الزبيدى .

(٣) مضى البيت وتخريجه وشرحه فيما سلف ١ : ٢٨٣ .

(٤) انظر ما سلف ١ : ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، وغيره من المواضع فى فهارس مباحث العربية والنحو وغيرها .

من قبله إلى مثله من البشر ، فتعجّبوا من وحينا إليه .[1]

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٥٢٧ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عثمان بن سعيد قال ، حدثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق ، عن الضحاك، عن ابن عباس قال : لما بعث الله محمداً رسولاً ، أنكرت العرب ذلك، أو من أنكر منهم، فقالوا: اللهُ أعظمُ من أن يكون رسوله بشرًا مثل محمد ! فأنزل الله تعالى: «أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم » ، وقال : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً ﴾ [سورة يوسف : ١٠٩] .

١٧٥٢٨ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : عجبت قريش أن بُعث رجل منهم . قال: ومثل ذلك: ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً ﴾ ،[سورة الأعراف: ٦٥]، ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾، [سورة الأعراف : ٧٣] ، قال الله: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ ﴾ ، [سورة الأعراف : ٦٩] .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : أما كان عجباً للناس أن أوحينا إلى رجل منهم : أن أنذر الناس ، وأن بشر الذين آمنوا بالله ورسوله : « أن لهم قدم صدق » ، عطفٌ على « أنذر » .

* * *

(١) انظر تفسير « الوحى » و « الإنذار » فيما سلف من فهارس اللغة (وحى) ، (نذر) .

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله : « قدم صدق » .

فقال بعضهم: معناه : أن لهم أجراً حسناً بما قدّموا من صالح الأعمال

* ذكر من قال ذلك :

١٧٥٢٩ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك : « أن لهم قدم صدق عند ربهم »، قال : ثواب صِدق .

١٧٥٣٠ – . . . . قال ، حدثنا عبد الله بن رجاء ، عن ابن جريج، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد : « أن لهم قدم صدق عند ربهم » ، قال: الأعمال الصالحة . ٥٩/١١

١٧٥٣١ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ،عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم » ، يقول : أجراً حسناً بما قدّموا من أعمالهم .

١٧٥٣٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا زيد بن حباب ، عن إبراهيم ابن يزيد ، عن الوليد بن عبد الله بن أبى مغيث ، عن مجاهد : « أن لهم قدم صدق عند ربهم » ، قال : صلاتهم ، وصومهم ، وصدقتُهم ، وتسبيحُهم .[1]

١٧٥٣٣ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « قدم صدق » ، قال : خير .

١٧٥٣٤ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد: « قدم صدق » ، مثله .

١٧٥٣٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال : حدثنى حجاج ،

---

(١) الأثر : ١٧٥٣٢ – « زيد بن حباب التميمى » ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١١٤٩٠ .
وكان فى المطبوعة : « يزيد بن حبان » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، فتصرف أسوأ التصرف .
و « إبراهيم بن يزيد الخوزى » ، ضعيف ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٧٣١٣ .
و « الوليد بن عبد الله بن أبى مغيث » ، ثقة ، مضى برقم : ١٦٢٥٩ ، ١٧٣١٣ .
وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « الوليد بن عبد الله ، عن أبى مغيث » ، وهو خطأ محض .

عن ابن أبي جريج ، عن مجاهد ، مثله .

١٧٥٣٦ — . . . . قال : حدثني حجاج، عن أبي جعفر ، عن الربيع ابن أنس قال : « قدم صدق » ، ثواب صدق = « عند ربهم » .

١٧٥٣٧ — حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، مثله .

١٧٥٣٨ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وبشر الذين آمنوا أنّ لهم قدم صدق » ، قال : « القدم الصدق » ، ثواب الصّدق بما قدّموا من الأعمال .

* * *

وقال آخرون : معناه : أن لهم سابق صدق في اللوح المحفوظ ، من السعادة .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٥٣٩ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم » ، يقول : سبقت لهم السعادة في الذّكر الأوّل .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : أنّ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم شفيعٌ لهم، قَدَمَ صدق .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٥٤٠ — حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن فضيل بن عمرو بن الجون، عن قتادة = أو الحسن = «أن لهم قدم صدق عند ربهم » ، قال : محمدٌ شفيعٌ لهم . (١)

١٧٥٤١ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة

---

(١) الأثر : ١٧٥٤٠ — « فضيل بن عمرو بن الجون » ، لم أجد له ترجمة ، ولا أدري أهو « فضيل بن عمرو الفقيمي » ، أو غيره !

قوله : « وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم »، أى : سلَفَ صدقٍ عند ربهم .

١٧٥٤٢ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، عن زيد بن أسلم فى قوله : « أن لهم قدم صدق عند ربهم » ، قال: محمدٌ صلى الله عليه وسلم .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال عندى بالصواب، قولُ من قال : معناه : أنّ لهم أعمالاً صالحة عند الله ، يستوجبون بها منه الثوابَ .

* * *

وذلك أنه محكىٌّ عن العرب: « هؤلاء أهلُ القَدَم فى الإسلام »،أى : هؤلاء الذين قدّموا فيه خيراً ، فكان لهم فيه تقديم . ويقال : « له عندى قدم صِدْق، وقدم سوء » ، وذلك ما قدّم إليه من خير أو شر ، ومنه قول حسان بن ثابت :

لَنَا القَدَمُ العُلْيَا إِلَيْكَ ، وَحَلْفُنَا ... لِأَوَّلِنَا فِى طَاعَةِ اللهِ تَابِعُ (١)

وقول ذى الرمة :

لَكُمْ قَدَمٌ لاَ يُنْكِرُ النَّاسُ أَنَّهَا ... مَعَ الحَسَبِ العَادِىِّ طَمَّتْ عَلَى البَحْرِ (٢)

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام إذاً: وبشر الذين آمنوا أنّ لهم تقدِمة خير من الأعمال الصالحة عند ربِّهم .

* * *

---

(١) مضى البيت وتخريجه فيما سلف ١٣ : ٢٠٩ ، وروايته هناك : « لنا القدم الأولى » .

(٢) ديوانه ٢٧٢ ، من قصيدته فى مدح بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى ، يقول بعده :

خِلاَلَ النَّبِىِّ المُصْطَفَى عِنْدَ رَبِّهِ ... وَعُثْمَانَ وَالفَارُوقِ بَعْدَ أَبِى بَكْرِ

ورواية ديوانه : « طمت على الفخر » .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾ (٢)

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة أهل المدينة والبصرة : ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ، بمعنى : إن هذا الذى جئتنا به = يعنون القرآن = لسحر مبين .

* * *

وقرأ ذلك مسروق ، وسعيد بن جبير ، وجماعة من قرأة الكوفيين : ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾ .

* * *

وقد بينت فيما مضى من نظائر ذلك : أن كل موصوف بصفة ، يدلّ الموصوف على صفته ، وصفته عليه . [1] والقارئ مخيَّرٌ فى القراءة فى ذلك ، وذلك نظير هذا الحرف : «قال الكافرون إن هذا لسحر مبين» ، و « لساحر مبين » . [2] وذلك أنهم إنما وصفوه بأنه «ساحر» ، ووصفهم ما جاءهم به أن « سحر » ، يدل على أنهم قد وصفوه بالسحر . وإذْ كان ذلك كذلك ، فسواءٌ بأىِّ ذلك قرأ القارئ ، لاتفاق معنى القراءتين . ٦٠/١١

* * *

وفى الكلام محذوف ، استغنى بدلالة ما ذكر عما ترك ذكره ، وهو : « فلما بشرهم وأنذرهم وتلا عليهم الوحى » = قال الكافرون : إن هذا الذى جاءنا به لسحرٌ مبين .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام إذاً : أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى

---

(١) فى المطبوعة : « نزل الموصوف » ، وفى المخطوطة : « ترك » ، وصواب قراءتها ما أثبت .

(٢) انظر ما سلف ١١ : ٢١٦ ، ٢١٧ .

رجل منهم : أن أنذر الناس ، وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم ؟ فلما أتاهم بوحى الله وتلاه عليهم ، قال المنكرون توحيدَ الله ورسالة رسوله : إن هذا الذى جاءنا به محمدٌ لسحر مبين ، أى : يبين لكم عنه أنه مبطِلٌ فيما يدعيه .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن ربكم الذى له عبادة كل شىء ، ولا تنبغى العبادة إلا له ، هو الذى خلق السموات السبع والأرضين السبع فى ستة أيام ، وانفرد بخلقهما بغير شريك ولا ظهيرٍ ، ثم استوى على عرشه مدبراً للأمور ، وقاضياً فى خلقه ما أحبّ ، لا يضادُّه فى قضائه أحدٌ ، ولا يتعقب تدبيره مُتَعَقِّبٌ ، ولا يدخل أموره خلل(٢) = « ما من شفيع إلا من بعد إذنه » ، يقول : لا يشفع عنده شافع يوم القيامة فى أحدٍ ، إلاّ من بعد أن يأذن فى الشفاعة(٣) = « ذلكم الله ربكم » ، يقول جل جلاله : هذا الذى هذه صفته ، سيِّدكم ومولاكم ، لا من لا يسمع ولا يبصر ولا يدبِّر ولا يقضى من الآلهة والأوثان = « فاعبدوه » ،

---

(١) انظر تفسير « السحر » و « مبين » فيما سلف من فهارس اللغة (سحر) ، (بين) .

(٢) انظر تفسير « الاستواء » فيما سلف ١ : ٤٢٨ - ١٢/٤٣١ : ٤٨٣
= وتفسير « العرش » فيما سلف ١٢ : ٤٨٢ / ١٤ : ٥٨٧

(٣) انظر تفسير « الشفاعة » فيما سلف ١٢ : ٤٨١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « الإذن » فيما سلف ١٤ : ١١٢ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

يقول : فاعبدوا ربّكم الذى هذه صفته ، وأخلصوا له العبادة، وأفردوا له الألوهة والربوبية، بالذلة منكم له، دون أوثانكم وسائر ما تشركون معه فى العبادة = « أفلا تذكرون » ، يقول : أفلا تتعظون وتعتبرون بهذه الآيات والحجج،[1] فتنيبون إلى الإذعان بتوحيد ربكم وإفراده بالعبادة ، وتخلعون الأنداد وتبرأون منها ؟

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٥٤٣ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « يدبر الأمر » ، قال : يقضيه وحده .

١٧٥٤٤ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد ابن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بزة ، عن مجاهد : « يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه » ، قال : يقضيه وحده .

١٧٥٤٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « يدبر الأمر » ، قال : يقضيه وحده .

١٧٥٤٦ — . . . . قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٧٥٤٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

---

(١) انظر تفسير « التذكر » فيما سلف ١٢ : ٤٩٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴾ (٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إلى ربكم الذى صفته ما وصَفَ جل ثناؤه فى الآية قبل هذه ، معادُكم، أيها الناس ، يوم القيامة جميعاً [١]= « وعد الله حقًّا »= فأخرج « وعد الله » مصدَّراً من قوله : « إليه مرجعكم » ، لأنه فيه معنى « الوعد »، ومعناه : يعدكم الله أن يحييكم بعد مماتكم وعداً حقًّا ، فلذلك نصب « وعدَ الله حقًّا » = « إنه يبدأ الخلق ثم يعيده »، يقول تعالى ذكره : إن ربكم يبدأ إنشاء الخلق وإحداثه وإيجاده = « ثم يعيده »، يقول: ثم يعيده فيوجده حيًّا كهيئته يوم ابتدأه ، بعد فنائه وبِلاَئه ، [٢] كما : —

٦١/١١ ١٧٥٤٨ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « يبدأ الخلق ثم يعيده » ، قال : يحييه ثم يميته = قال أبو جعفر : وأحسبه أنا قال : « ثم يحييه » .

١٧٥٤٩ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عبد الله بن رجاء ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد : « يبدأ الخلق ثم يعيده » ، قال : يحييه ثم يميته ، ثم يحييه .

١٧٥٥٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن

---

(١) انظر تفسير « المرجع » فيما سلف ١٢ : ٢٨٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « البدء » و « العود » فيما سلف ١٢ : ٣٨٢ — ٣٨٨ .

ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « إنه يبدأ الخلق ثم يعيده » ، يحييه ، ثم يميته ، ثم يبدؤه ، ثم يحييه .

١٧٥٥١ — . . . . قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

* * *

وقرأت قرأة الأمصار ذلك : ﴿ إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ﴾ ، بكسر الألف من « إنه » ، على الاستئناف .

* * *

وذكر عن أبي جعفر الرازي أنه قرأه ، ﴿ أَنَّهُ ﴾ ، بفتح الألف من « أنه » .

* * *

= كأنه أراد : حقًّا أنه يبدأ الخلق ثم يعيده ، فـ « أنّ » حينئذ تكون رفعاً ، كما قال الشاعر : [1]

أَحَقًّا عِبَادَ اللهِ أَنْ لَسْتُ زَائِراً رُبَى جَنَّةٍ إِلاَّ عَلَيَّ رَقِيبُ [2]

* * *

وقوله : « ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط » ، يقول : ثم يعيده من بعد مماته كهيئته قبل مماته عند بعثه من قبره = « ليجزي الذين آمنوا » ، يقول : ليثيب من صدّق الله ورسوله ، وعملوا ما أمرهم الله به من الأعمال ، واجتنبوا ما نهاهم عنه ، على أعمالهم الحسنة [3] = « بالقسط » ، يقول : ليجزيهم على الحسن من أعمالهم التي عملوها في الدنيا الحسنَ من الثواب ، والصالحَ من الجزاء في الآخرة = وذلك هو « القِسط » ، و « القسط » ، العدلُ والإنصاف ، [4] كما : —

١٧٥٥٢ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن

---

(١) لم أعرف قائله .

(٢) في المطبوعة : « أباحبة إلا على رقيب » ، وهو تحريف لما في المخطوطة ، وهو فيها هكذا ، غير منقوط : « رباحه » ، وصواب قراءته ما أثبت .

(٣) انظر تفسير « الجزاء » فيما سلف من فهارس اللغة (جزى) .

(٤) انظر تفسير « القسط » فيما سلف ١٢ : ٣٧٩ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « بالقسط » ، بالعدل .

* * *

وقوله : « والذين كفروا لهم شَرَاب من حميم » ، فإنه جل ثناؤه ابتدأ الخبر عما أعدّ الله للذين كفروا من العذاب ، وفيه معنى العطف على الأول . لأنه تعالى ذكره عمّ بالخبر عن معادِ جميعهم ، كفارِهم ومؤمنيهم ، إليه . ثم أخبر أن إعادتهم ليجزي كلّ فريق بما عمل ، المحسنَ منهم بالإحسان ، والمسيءَ بالإساءة . ولكن لما كان قد تقدم الخبر المستأنَفُ عما أعدّ للذين كفروا من العذاب ، ما يدلُّ سامعَ ذلك على المرادِ ، ابتدأ الخبر ، والمعنىُّ العطف ، فقال : والذين جحدوا الله ورسولَه وكذبوا بآيات الله = « لهم شراب » في جهنم « من حميم » ، وذلك شراب قد أُغلي واشتدّ حره ، حتى إنه فيما ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم ليتساقطُ من أحدِهم حين يدنيه منه فروةُ رأسِه ، وكما وصفه جل ثناؤه : ﴿ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ﴾ ، [سورة الكهف : ٢٩] .

* * *

وأصله : « مفعول » صرف إلى « فعيل » ، وإنما هو « محموم » ، أي مسخّن . وكل مسخَّن عند العرب فهو « حميم » ، [1] ومنه قول المرقش :

وَكُلُّ يَوْمٍ لَهَا مِقْطَرَةٌ فِيهَا كِبَاءٌ مُعَدٌّ وَحَمِيمُ [2]

يعني بـ « الحميم » ، الماءَ المسخَّن .

* * *

وقوله : « عذاب أليم » ، يقول : ولهم مع ذلك عذاب موجع ، [3] سوى الشراب من الحميم ، بما كانوا يكفرون بالله ورسوله .

* * *

---

(١) انظر تفسير « حميم » فيما سلف ١١ : ٤٤٨ ، ٤٤٩ .

(٢) سلف البيت وتخريجه وشرحه ١١ : ٤٤٨ ، وروايته هناك : « في كل ممسى » .

(٣) انظر تفسير « أليم » فيما سلف من فهارس اللغة (ألم) .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ⑤

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض= « هو الذى جعل الشمس ضياء »، بالنهار=« والقمر نوراً »، بالليل. ومعنى : ذلك : هو الذى أضاء الشمسَ وأنار القمر= « وقدّره منازل »، يقول : قضاه فسوّاه منازلَ ، لا يجاوزها ولا يقصر دُونها ، على حالٍ واحدةٍ أبداً .(١)

* * *

وقال : « وقدّره منازل » ، فوحّده ، وقد ذكر « الشمس » و« القمر » ، فإن ٦٢/١١
فى ذلك وجهين :

أحدهما : أن تكون « الهاء » فى قوله : « وقدره » ، للقمر خاصة ، لأن بالأهلة يُعرف انقضاءُ الشهور والسنين ، لا بالشمس .

والآخر : أن يكون اكتفى بذكر أحدهما عن الآخر ، كما قال فى موضع آخر : ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾ ،[سورة التوبة: ٦٢] ، وكما قال الشاعر :(٢)

رَمَانِى بِأَمْرٍ كُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدِى بَرِيئًا ، وَمِنْ جُولِ الطَّوِىِّ رَمَانِى(٣)

* * *

(١) انظر تفسير « التقدير » فيما سلف ١١ : ٥٦٠ .

(٢) هو ابن أحمر ، أو : الأزرق بن طرفة بن العمرد الفراصى .

(٣) معانى القرآن للفراء ١ : ٤٥٨ ، اللسان (جول) ، وغيرهما . وكانت بينه وبين رجل حكومة فى بئر ، فقال خصمه : « إنه لص ابن لص » ، فقال هذا الشعر ، وبعده :

دَعانِىَ لِصًّا فِى لُصُوصٍ، وما دَعا بِها وَالِدِى فيما مضَى رجُلان

وقوله : « لتعلموا عدد السنين والحساب » ، يقول : وقدّر ذلك منازل = « لتعلموا » ، أنتم أيها الناس = « عدد السنين » ، دخول ما يدخل منها ، أو انقضاءَ ما يستقبل منها ، وحسابها= يقول : وحساب أوقات السنين ، وعدد أيامها ، وحساب ساعات أيامها = « ما خلق الله ذلك إلا بالحق » ، يقولُ جل ثناؤه : لم يخلق الله الشمس والقمر ومنازلهما إلا بالحق . يقول الحق تعالى ذكره : خلقت ذلك كله بحقٍّ وحدى ، بغير عون ولا شريك = « يفصل الآيات » ، يقول : يبين الحجج والأدلة[1]= « لقوم يعلمون » ، إذا تدبروها ، حقيقةَ وحدانية الله ، وصحةَ ما يدعوهم إليه محمد صلى الله عليه وسلم ، من خلع الأنداد ، والبراءة من الأوثان .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ (٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره ، منبِّهًا عبادَه على موضع الدّلالة على ربوبيته ، وأنه خالق كلِّ ما دونه : إن فى اعتقاب الليل النهارَ ، واعتقابِ النهار الليلَ ، إذا ذهب هذا جاء هذا ، وإذا جاء هذا ذهب هذا ،[3] وفيما خلق الله فى السموات من الشمس والقمر والنجوم ، وفى الأرض من عجائب الخلق الدالة على أن لها صانعاً ليس كمثله شىء = « لآيات » ، يقول : لأدلة وحججاً وأعلاماً واضحةً = « لقوم يتقون » الله ، فيخافون وعيده ويخشون عقابه على إخلاص العبادة لربهم .

* * *

ورواية البيت على الصواب : « ومن أجل الطوى » ، و « الطوى » : البئر . و « الجول » و « الجال » ناحية من نواحى البئر إلى أعلاها من أسفلها .

(١) انظر تفسير « التفصيل » فيما سلف : ١٤ : ١٥٢ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك = وتفسير « الآية » فيما سلف من فهارس اللغة (أي) .

(٢) انظر تفسير « اختلاف الليل والنهار » فيما سلف ٣ : ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

فإن قال قائل: أوَ لا دلالة فيما خلق الله فى السموات والأرض على صانعه، إلا لمن اتقى الله ؟

قيل: فى ذلك الدلالة الواضحةُ على صانعه لكل من صحّت فطرته، وبرئ من العاهات قلبه . ولم يقصد بذلك الخبرَ عن أن فيه الدلالة لمن كان قد أشعرَ نفسه تقوى الله ، وإنما معناه: إن فى ذلك لآيات لمن اتّقى عقاب الله، فلم يحمله هواه على خلاف ما وضحَ له من الحق، لأن ذلك يدلُّ كل ذى فطرة صحيحة على أن له مدبِّرًا يستحقّ عليه الإذعان له بالعبودة ، دون ما سواه من الآلهة والأنداد .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ ﴿٨﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن الذين لا يخافون لقاءَنا يوم القيامة ، فهم لذلك مكذِّبون بالثواب والعقاب، متنافسون فى زين الدنيا وزخارفها، راضُون بها عوضاً من الآخرة ، مطمئنين إليها ساكنين [1]= والذين هم عن آيات الله = وهى أدلته على وحدانيته، وحججه على عباده، فى إخلاص العبادة له = «غافلون»، معرضون عنها لاهون، [2] لا يتأملونها تأمُّل ناصح لنفسه ، فيعلموا بها حقيقة ما دلّتهم عليه، ويعرفوا بها بُطُول ما هم عليه مقيمون = « أولئك مأواهم النار»، يقول جل ثناؤه: هؤلاء الذين هذه صفتهم = « مأواهم » ، مصيرهم إلى النار نار

---

(١) انظر تفسير « الاطمئنان » فيما سلف ١٣ : ٤١٨ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الغفلة » فيما سلف ١٣ : ٢٨١ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

جهنم فى الآخرة [١]= « بما كانوا يكسبون » ، فى الدنيا من الآثام والأجْرام ، ويجْترحون من السيئات . [٢]

* * *

والعرب تقول : « فلان لا يرجو فلاناً » ، إذا كان لا يخافه ، ومنه قول الله جل ثناؤه : ﴿ مَا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً ﴾ ، [سورة نوح : ١٣] ، [٣] ومنه قول أبى ذؤيب :

إِذَا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَهَا وَخَالَفَهَا فِى بَيْتِ نُوبٍ عَوَاسِلِ [٤]

* * *

١١/٦٣ وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٥٥٣ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « واطمأنوا بها » ، قال : هو مثل قوله : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا ﴾.

١٧٥٥٤ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها »، قال: هو مثل قوله: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا ﴾ [سورة هود : ١٥] .

١٧٥٥٥ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

١٧٥٥٦ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : قوله « إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن

---

(١) انظر تفسير « المأوى » فيما سلف ١٤ : ٤٢٥ ، تعليق : ٦ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الكسب » فيما سلف من فهارس اللغة (كسب) .
(٣) انظر تفسير « الرجاء » فيما سلف ٩ : ١٧٤ ، ١٧٥ .
(٤) مضى البيت وتخريجه وشرحه فيما سلف ٩ : ١٧٤ .

آياتنا غافلون »، قال : إذا شئتَ رأيتَ صاحب دُنْيا ، لها يفرح ، ولها يحزن ، ولها يسخط ، ولها يرضى .

١٧٥٥٧ — حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها »، الآية كلها، قال : هؤلاء أهل الكفر . ثم قال : « أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون » .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ﴿١٠﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات » ، إن الذين صدّقوا الله ورسوله =« وعملوا الصالحات »، وذلك العمل بطاعة الله والانتهاء إلى أمره[1]= « يهديهم ربهم بإيمانهم » ، يقول : يرشدهم ربهم بإيمانهم به ، إلى الجنة ، كما :—

١٧٥٥٨ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجرى من تحتهم الأنهار في جنات النعيم » ، بلغنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قال : إن المؤمن إذا خرج من قبره صُوِّر له عمله في صورة حَسَنة ، فيقول له : ما أنت؟ فوالله إني لأراك امرأ صِدْقٍ ! فيقول : أنا عملك ! فيكون له نوراً وقائداً إلى الجنة . وأما الكافر إذا خرج من قبره ، صُوِّر له عمله في صورة سيئة وشارة سيئة ،[2]

(١) انظر تفسير « الصالحات » فيما سلف من فهارس اللغة (صلح) .

(٢) في المطبوعة : « وبشارة » ، والصواب ما أثبته من المخطوطة .

فيقول : ما أنت ؟ فوالله إني لأراك امرأ سَوْءٍ ! فيقول : أنا عملك ! فينطلق به حتى يدخله النار .

١٧٥٥٩ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « يهديهم ربهم بإيمانهم » ، قال : يكون لهم نوراً يمشون به .

١٧٥٦٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٧٥٦١ – . . . . قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٧٥٦٢ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله = وقال ابن جريج : « يهديهم ربهم بإيمانهم » ، قال : يَمْثُل له عمله في صورة حسنة وريحٍ طيبة ، يعارِض صاحبه ويبشره بكل خير ، فيقول له : من أنت ؟ فيقول : أنا عملك ! فيجعل له نوراً من بين يديه حتى يدخله الجنة ، فذلك قوله : « يهديهم ربهم بإيمانهم » . والكافر يَمْثُل له عمله في صورة سيئة وريح منتنة ، فيلازم صاحبه ويُلازِّهُ حتى يقذفه في النار .(١)

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : بإيمانهم ، يهديهم ربهم لدينه . يقول : بتصديقهم هَدَاهم .

* ذكر من قال ذلك :

. . . . . .

. . . . . .

---

(١) في المطبوعة : « ويلاده » ؛ بالدال ، وأثبت ما في المخطوطة . « لازه يلازه ملازة وازازاً » ، قارنه ولزمه ولصق به .

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . (١)

* * *

وقوله : « تجرى من تحتهم الأنهار » ، يقول : تجرى من تحت هؤلاء المؤمنين الذين وصف جل ثناؤه صفتهم ، أنهار الجنة = « فى جنات النعيم » ، يقول : فى بساتين النعيم ، الذى نعّم الله به أهل طاعته والإيمان به .(٢) ٦٤/١١

* * *

فإن قال قائل : وكيف قيل : « تجرى من تحتهم الأنهار » ، وإنما وصف جل ثناؤه أنهار الجنة فى سائر القرآن أنها تجرى تحت الجنات ؟ وكيف يمكن الأنهار أن تجرى من تحتهم ، إلا أن يكونوا فوق أرضها والأنهار تجرى من تحت أرضها ؟ وليس ذلك من صفة أنهار الجنة ، لأن صفتها أنها تجرى على وجه الأرض فى غير أخاديد ؟

قيل : إن معنى ذلك بخلاف ما إليه ذهبتَ ، وإنما معنى ذلك : تجرى من دونهم الأنهار إلى ما بين أيديهم فى بساتين النعيم ، وذلك نظير قول الله : ﴿ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ ، [سورة مريم : ٢٤]. ومعلوم أنه لم يجعل « السرى » تحتها وهى عليه قاعدة = إذ كان «السرى» ، هو الجدول = وإنما عنى به : جعل دونها بين يديها ، وكما قال جل ثناؤه مخبراً عن قيل فرعون ، ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي ﴾ ، [سورة الزخرف : ٥١] ، بمعنى : من دونى ، بين يدىّ .

* * *

---

(١) لم يذكر شيئاً بعد قوله : « ذكر من قال ذلك » ، وفى هامش المخطوطة « كذا » ، وهو دليل على أنه سقط قديم .

(٢) انظر تفسير « جنات النعيم » فيما سلف ١٠ : ٤٦١ ، ٤٦٢ .

وأما قوله : « دعواهم فيها سبحانك اللهم »، فإن معناه : دعاؤهم فيها : سبحانك اللهم ، [١] كما :—

١٧٥٦٣ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : أخبرت أن قوله : « دعواهم فيها سبحانك اللهم » ، قال : إذا مرّ بهم الطيرُ يشتهونه ، [٢] قالوا : « سبحانك اللهم » ، وذلك دعواهم ، فيأتيهم الملك بما اشتهوا، فيسلم عليهم، فيردّون عليه، فذلك قوله: « وتحيتهم فيها سلام » . قال : فإذا أكلوا حمدوا الله ربّهم ، فذلك قوله : « وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين » .

١٧٥٦٤ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « دعواهم فيها سبحانك اللهم » ، يقول : ذلك قولهم فيها = « وتحيتهم فيها سلام » .

١٧٥٦٥ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عبيد الله الأشجعي قال، سمعت سفيانًا يقول: « دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام »، قال : إذا أرادوا الشيء قالوا : « اللهم » ، فيأتيهم ما دَعَوا به .

* * *

وأما قوله: « سبحانك اللهم »، فإن معناه : تنزيهًا لك، يا رب ، مما أضاف إليك أهل الشرك بك ، من الكذب عليك والفِرْية . [٣]

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٥٦٦ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس قال ، سمعت أبي .

---

(١) انظر تفسير « الدعوى» فيما سلف ١٢ : ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

(٢) في المطبوعة : « فيشتهونه » بالفاء ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٣) انظر تفسير « سبحان » فيما سلف ١٤، ٢١٣، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

عن غير واحدٍ ، عطيةُ فيهم : « سبحان الله » ، تنزيهٌ لله .

١٧٥٦٧ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال، حدثنا سفيان ، عن عثمان بن عبد الله بن موهب قال : سمعت موسى بن طلحة قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن « سبحان الله » ، قال : إبراء الله عن السوء .(١)

١٧٥٦٨ – حدثنا أبو كريب ، وأبو السائب، وخلاد بن أسلم قالوا، حدثنا ابن إدريس قال ، حدثنا قابوس ، عن أبيه : أن ابن الكوّاء سأل عليًّا رضى الله عنه عن « سبحان الله » ، قال : كلمة رَضيها الله لنفسه .

١٧٥٦٩ – حدثنى نصر بن عبد الرحمن الأودى قال، حدثنا أبو أسامة ، عن سفيان بن سعيد الثورى ، عن عثمان بن عبد الله بن موهب الطلحى ، عن موسى بن طلحة قال : سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن « سبحان الله » ، فقال : تنزيهاً لله عن السوء .(١)

١٧٥٧٠ – حدثنى على بن عيسى البزار قال ، حدثنا عبيد الله بن محمد قال ، حدثنا عبد الرحمن بن حماد قال ، حدثنى حفص بن سليمان قال ، حدثنا طلحة بن يحيى بن طلحة ، عن أبيه ، عن طلحة بن عبيد الله قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير « سبحان الله » ، فقال : هو تنزيه الله من كل سوء .(٢)

---

(١) الأثر : ١٧٥٦٧ ، ١٧٥٦٩ – « سفيان » بن سعيد ، هو الثورى الإمام المشهور .

و « عثمان بن عبد الله بن موهب التيمى » ، مولى آل طلحة ينسب إلى جده يقال : « عثمان بن موهب » تابعى ثقة ، روى عن ابن عمر ، وأبى هريرة ، وأم سلمة . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣/١/١٥٥ .

و « موسى بن طلحة بن عبيد الله التيمى » ، تابعى ثقة ، روى عن أبيه وغيره من الصحابة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/١/٢٨٦ ، وابن أبى حاتم ٤/١/١٤٧ .

وهو خبر مرسل ، وسيأتى موصولا فى الذى يليه ، ولكنها أخبار لا يقوم إسنادها .

(٢) الأثر : ١٧٥٧٠ – « على بن عيسى البزار » ، شيخ الطبرى ، هو « على بن عيسى بن

١٧٥٧١ – حدثني محمد بن عمرو بن تمام الكلبي قال، حدثنا سليمان بن أيوب قال ، حدثني أبي ، عن جدي ، عن موسى بن طلحة ، عن أبيه قال : قلت : يا رسول الله ، قول « سبحان الله » ؟ قال : تنزيه الله عن السوء . (١)

* * *

=« وتحيتهم »، يقول: وتحية بعضهم بعضاً = « فيها سلام »، أي: سَلِمْتَ وأَمِنْتَ مما ابتُلي به أهل النار . (٢)

* * *

والعرب تسمى الملك « التحية »، ومنه قول عمرو بن معد يكرب :

٦٥/١١ أَزُورُ بِهَا أَبَا قَابُوسَ حَتَّى أُنِيخَ عَلَى تَحِيَّتِهِ بِجُنْدِي (٣)

يزيد البغدادي الكراجكي ، ثقة ، مضى برقم : ٢١٦٨ .

و « عبيد الله بن محمد بن حفص التيمي ، العيشي » ، من ولد عائشة بنت طلحة ، ثقة ، مستقيم الحديث . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٢/٢/٣٣٥ .

و « عبد الرحمن بن حماد بن عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله » ، منكر الحديث ، لا يحتج به . مترجم في لسان الميزان ٣ : ٤١٢ ، وابن أبي حاتم ٢/٢/٢٢٦ ، وميزان الاعتدال ٢ : ١٠٢ .

و « حفص بن سليمان الأسدي البزار » ، ضعيف الحديث ، مضى برقم : ٥٧٥٣ ، ١١٤٥٨ .

و « طلحة بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله التيمي » ، وثقه ابن معين وغيره ، وقال البخاري : « منكر الحديث » ، وقال في كتاب الضعفاء الصغير ص : ٤٦ : « ليس بالقوي » ، مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٢/١/٤٧٧ .

وأبوه : « يحيى بن طلحة بن عبيد الله التيمي » ، تابعي ثقة . مترجم في التهذيب ، والكبير ٤/٢/٢٨٣ ، وابن أبي حاتم ٤/٢/١٦٠ .

وهذا خبر هالك الإسناد ، كما رأيت .

(١) الأثر : ١٧٥٧١ – « محمد بن عمرو بن تمام الكلبي ، المصري » ، أبو الكروس ، شيخ الطبري ، مترجم في ابن أبي حاتم ٤/١/٣٤ .

و « سليمان بن أيوب بن سليمان بن عيسى بن موسى بن طلحة » روى نسخة، عن أبيه عن آبائه عامة، أحاديثه لا يتابع عليها ، وروى أحاديث مناكير . وذكره ابن حبان في الثقات . مترجم من التهذيب وابن أبي حاتم ٢/١/١٠١ .

وهذا خبر ضعيف الإسناد أيضاً .

(٢) انظر تفسير « التحية » فيما سلف ٨ : ٥٨٦ – ٥٩٠ .

(٣) من قصيدة طويلة له، رواها أبو علي القالي في أماليه ٣ : ١٤٧ – ١٥٠ ، واللسان (حيا) ، مع اختلاف في الرواية .

ومنه قول زهير بن جناب الكلبي :

مِنْ كُلِّ مَا نَالَ الفَتَى قَدْ نِلْتُهُ إِلاَّ التَّحِيَّهْ (١)

* * *

وقوله : « وآخر دعواهم » ، يقول : وآخر دعائهم (٢) = « أن الحمد لله رب العالمين » ، يقول : وآخر دعائهم أن يقولوا : « الحمد لله رب العالمين » ، ولذلك خففت « أن » ، ولم تشدّد ، لأنه أريد بها الحكاية

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (١١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولو يعجل الله للناس إجابةَ دعائهم فى الشرّ ، وذلك فيما عليهم مضرّة فى نفس أو مال = « استعجالهم بالخير » ، يقول : كاستعجاله لهم فى الخير بالإجابة إذا دعوه به = « لقضى إليهم أجلهم » ، يقول : لهلكوا ، وعُجِّل لهم الموت ، وهو « الأجل » . (٣)

* * *

وعنى بقوله : « لقضى » ، لفرغ إليهم من أجلهم ، (٤) ونُبذ إليهم ، (٥) كما قال أبو ذؤيب :

---

(١) من أبيات له ، ذكرتها فى شرح طبقات فحول الشعراء ٣٠ — ٣٢ ، وفى كتاب المعمرين : ٢٦ ، واللسان (بجل) ، (حيا) ، والأغانى ٢١ : ٦٦ (ساسى) ، وغيرها كثير .

(٢) انظر تفسير « الدعوى » فيما سلف ص : ٣٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الأجل » فيما سلف ١٣ : ٢٩٠ ، تعليق : ٦ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « قضى » فيما سلف ١٣ : ٥٦٦ ، تعليق ٢ ، والمراجع هناك .

(٥) فى المطبوعة : « وتبدى لهم » ، غير ما فى المخطوطة إذ لم يحسن قراءته .

وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا دَاوُدُ ، أَوْ صَنَعُ السَّوَابِغِ تُبَّعُ (١)

* * *

=« فنذر الذين لا يرجون لقاءنا » ، يقول : فندع الذين لا يخافون عقابنا ، ولا يوقنون بالبعث ولا بالنشور (٢)= « فى طغيانهم » ، يقول : فى تمرّدهم وعتوّهم (٣)= « يعمهون » ، يعنى : يترددون . (٤)

وإنما أخبر جل ثناؤه عن هؤلاء الكفرة بالبعث بما أخبر به عنهم ، من طغيانهم وترددهم فيه عند تعجيله إجابة دعائهم فى الشرّ لو استجاب لهم ، أن ذلك كان يدعوهم إلى التقرُّب إلى الوثن الذى يشرك به أحدهم ، أو يضيف ذلك إلى أنه من فعـــله .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٥٧٢ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير »، قال : قولُ الإنسان إذا غضب اولده وماله : « لابارك الله فيه ولعنه » !

١٧٥٧٣ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير » ، قال: قولُ الإنسان لولده وماله إذا غضب عليه: « اللهم لا تبارك فيه والعنه » !

---

(١) سلف البيت وتخريجه وشرحه ٢ : ٥٤٢ .

(٢) انظر تفسير « يذر » فيما سلف من فهارس اللغة (وذر) .

= وتفسير « الرجاء » فيما سلف ص : ٢٦ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الطغيان » فيما سلف ١٣ : ٢٩١ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « العمه » فيما سلف ١٣ : ٢٩١ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

فلو يعجّل الله الاستجابة لهم فى ذلك ، كما يستجاب فى الخير ، لأهلكهم .

١٧٥٧٤ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير » ، قال : قول الإنسان لولده وماله إذا غضب عليه : « اللهم لا تبارك فيه والعنه »=« لقضى إليهم أجلهم »، قال: لأهلك من دعا عليه ولأماته .

١٧٥٧٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير » ، قال : قول الرجل لولده إذا غضب عليه أو ماله: « اللهم لا تبارك فيه والعنه » ! قال الله : « لقضى إليهم أجلهم » ، قال : لأهلك من دعا عليه ولأماته . قال : « فنذر الذين لا يرجون لقاءنا » ، قال يقول : لا نهلك أهل الشرك ، ولكن نذرهم فى طغيانهم يعمهون .

١٧٥٧٦ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قوله : « ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير » ، قال : هو دعاء الرجل على نفسه وماله بما يكره أن يستجاب له .

١٧٥٧٧ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « لقضى إليهم أجلهم » ، قال : لأهلكناهم . وقرأ : ﴿ مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾، [سورة فاطر : ٤٥] . قال : يهلكهم كلهم .

* * *

ونصب قوله : « استعجالهم » ، بوقوع « يعجل » عليه ، كقول القائل : « قمت اليوم قيامَك » بمعنى : قمت كقيامك، وليس بمصدرٍ من « يعجل »، لأنه لو كان مصدراً لم يحسن دخول « الكاف » = أعنى كاف التشبيه = فيه .(١)

* * *

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٥٨ .

٦٦/١١ واختلفت القرأة فى قرأة قوله : « لقضى إليهم أجلهم » .

فقرأ ذلك عامة قرأة الحجاز والعراق : ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾، على وجه ما لم يسمَّ فاعله ، بضم القاف من « قضى » ورفع « الأجل » .

* * *

وقرأه عامة أهل الشأم : ﴿لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ﴾، بمعنى : لقضى الله إليهم أجلهم .

* * *

قال أبو جعفر : وهما قراءتان متفقتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، غير أنى أقرؤه على وجه ما لم يسمَّ فاعله ، لأن عليه أكثر القرأة .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (١٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وإذا أصابَ الإنسان الشدّة والجهد[١] = « دعانا لجنبه » ، يقول : استغاث بنا فى كشف ذلك عنه = « لجنبه » ، يعنى مضطجعاً لجنبه = « أو قاعداً أو قائماً » ، بالحال التى يكون بها عند نزول ذلك الضرّ به = « فلما كشفنا عنه ضره » ، يقول : فلما فرّجنا عنه الجهد الذى أصابه[٢] = « مرّ كأن لم يدعنا إلى ضر مسه » ، يقول : استمرَّ على طريقته الأولى قبل أن يصيبه الضر ، [٣]ونسى ما كان فيه من الجهد والبلاء أو تناساه ، وترك الشكر لربه الذى

---

(١) انظر تفسير « المس » فيما سلف ١٤ : ٦٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « الضر » فيما سلف من فهارس اللغة (ضرر) .
(٢) انظر تفسير « الكشف » فيما سلف ١١ : ١٣/٣٥٤ : ٧٣ .
(٣) انظر تفسير « مر » فيما سلف ١٣ : ٣٠٤ ، ٣٠٥ .

فرّج عنه ما كان قد نزل به من البلاء حين استعاذ به ، وعاد للشرك ودَعوى الآلهةِ والأوثانِ أرباباً معه . يقول تعالى ذكره: « كذلك زيّن للمسرفين ما كانوا يعملون » ، يقول : كما زُيِّن لهذا الإنسان الذى وصفنا صفتَه ،[1] استمرارُه على كفره بعد كشف الله عنه ما كان فيه من الضر ، كذلك زُيّن للذين أسرفوا فى الكذِب على الله وعلى أنبيائه ، فتجاوزوا فى القول فيهم إلى غير ما أذن الله لهم به ،[2] ما كانوا يعملون من معاصى الله والشرك به .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٥٧٨ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « دعانا لجنبه » ، قال : مضطجعاً .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ (١٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولقد أهلكنا الأمم التى كذبت رسل الله من قبلكم، أيها المشركون بربهم[3]= « لما ظلموا » ، يقول : لما أشركوا وخالفوا أمر الله ونهيه[4]=«وجاءتهم رسلهم»، من عند الله = « بالبينات »، وهى الآيات

(١) انظر تفسير « التزيين » فيما سلف ١٤ : ٢٤٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الإسراف » فيما سلف ١٢ : ٥٤٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « القرون » فيما سلف ١١ : ٢٦٣ .
(٤) انظر تفسير « الظلم » فيما سلف من فهارس اللغة (ظلم) .

والحجج التى تُبين عن صِدْق من جاء بها . [1]ومعنى الكلام : وجاءتهم رسلهم بالآيات البينات أنها حق = « وما كانوا ليؤمنوا » ، يقول : فلم تكن هذه الأمم التى أهلكناها ليؤمنوا برسلهم ويصدِّقوهم إلى ما دعوهم إليه من توحيد الله وإخلاص العبادة له = « وكذلك نجزى القوم المجرمين » ، يقول : تعالى ذكره : كما أهلكنا هذه القرون من قبلكم، أيها المشركون ، بظلمهم أنفسَهم ، وتكذيبهم رسلهم ، وردِّهم نصيحتَهم ، كذلك أفعل بكم فأهلككم كما أهلكتهم بتكذيبكم رسولكم محمداً صلى الله عليه وسلم ، وظلمكم أنفسكم بشرككم بربكم ، إن أنتم لم تُنيبوا وتتوبوا إلى الله من شرككم ، فإن من ثواب الكافر بى على كفره عندى ، أن أهلكه بسَخَطى فى الدنيا ، وأوردُه النار فى الآخرة .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (١٤)

قال أبو جعفر يقول تعالى ذكره : ثم جعلناكم، أيها الناس، خلائف من بعد هؤلاء القرون الذين أهلكناهم لما ظلموا ، تخلفونهم فى الأرض ، وتكونون فيها بعدهم [2]=«لننظر كيف تعملون،»يقول: لينظر ربكم أين عملكم من عمل من هلك من قبلكم من الأمم بذنوبهم وكفرهم بربهم ، تحتذون مثالَهم فيه، فتستحقون من العقاب ما استحقوا ، أم تخالفون سبيلَهم فتؤمنون بالله ورسوله وتقرّون بالبعث بعد الممات ، فتستحقون من ربكم الثواب الجزيل ، كما :—

١٧٥٧٩ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد،

---

(١) انظر تفسير « البينات » فيما سلف من فهارس اللغة (بين) .

(٢) انظر تفسير « الخلائف » فيما سلف ١٣ : ١٢٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

عن قتادة قوله: «ثم جعلناكم خلائف فى الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون»، ٦٧/١١
ذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: صدق ربُّنا، ما جعلنا خُلفاء إلا لينظر كيف أعمالُنا، فأرُوا الله من أعمالكم خيراً بالليل والنهار، والسر والعلانية.

١٧٥٨٠ - حدثنى المثنى قال، حدثنا زيد بن عوف أبو ربيعة فهد قال، حدثنا حماد، عن ثابت البنانى، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى: أن عوف بن مالك قال لأبى بكر رضى الله عنه: رأيتُ فيما يرى النائم كأن سبباً دُلِّى من السماء، فانتُشِط رسول الله صلى الله عليه وسلم، (١) ثم دُلِّى فانتُشِط أبو بكر، ثم ذُرِع الناس حول المنبر، (٢) ففضَل عمر رضى الله عنه بثلاث أذرع إلى المنبر. فقال عمر: دعنا من رؤياك، لا أرَبَ لنا فيها! فلما استخلف عمر قال: يا عوف، رؤياك! قال: وهل لك فى رؤياى من حاجة؟ أو لم تنتهرنى! قال: ويحك! إنى كرهت أن تنعَى لخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه! فقصَّ عليه الرؤيا، حتى إذا بلغ: «ذُرِع الناس إلى المنبر بهذه الثلاث الأذرع»، قال: أمّا إحداهن، فإنه كائن خليفةً. وأما الثانية، فإنه لا يخاف فى الله لومة لائم. وأما الثالثة، فإنه شهيد. قال فقال: يقول الله: «ثم جعلناكم خلائف فى الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون»، فقد استخلفت يا ابن أم عمر، فانظر كيف تعمل. وأما قوله: «فإنى لا أخاف فى الله لومة لائم»، فما شاء الله. وأما قوله: «فإنى شهيد»، فأنَّى لعمر الشهادة، والمسلمون مُطِيفون به! ثم قال: إن الله على ما يشاء قدير. (٣)

* * *

(١) «انتشط» (بالبناء للمجهول)، أى: انتزع، جذب إلى السماء ورفع إليها، من قولهم: «نشط الدلو من البئر»، إذا نزعها وجذبها من البئر صعداً بغير بكرة.

(٢) «ذرع الناس»، أى: قدر ما بينهم وبين المنبر بالذراع. يقال: «ذرع الثوب»، إذا قدره بالذراع.

(٣) الأثر: ١٧٥٨٠ - «زيد بن عوف القطعى»، «أبو ربيعة»، «فهد»، متروك، وقد مضى برقم: ٥٦٢٣، ١٤٢١٥، ١٤٢١٨، ١٤٢٢١. وكان فى المطبوعة هنا: «يزيد بن عوف، أبو ربيعة، بهذا»، ومثله فى تفسير ابن كثير ٤: ٢٨٧، وهو اتفاق غريب على الخطأ!

وهذا الخبر، رواه ابن سعد بغير هذا اللفظ، بإسناد حسن فى كتاب الطبقات الكبير ٣/١/٢٣٩.

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآىِٕ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (١٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وإذا قرئ على هؤلاء المشركين آيات كتاب الله الذى أنزلناه إليك ، يامحمد[١]= « بينات » ، واضحات ، على الحق دالاّت[٢]=« قال الذين لا يرجون لقاءنا » ، يقول : قال الذين لا يخافون عقابنا ، ولا يوقنون بالمعاد إلينا ، ولا يصدّقون بالبعث ، [٣]لك=« ائت بقرآن غير هذا أو بدّله » ، يقول : أو غيّره[٤]=« قل » لهم ، يا محمد = « ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى » ، أى : من عندى .[٥]

* * *

والتبديل الذى سألوه ، فيما ذكر ، أن يحوّل آية الوعيد آية وعد ، وآية الوعد وعيداً ، والحرامَ حلالاً ، والحلال حراماً . فأمر الله نبيّه صلى الله عليه وسلم أن يخبرهم أن ذلك ليس إليه ، وأن ذلك إلى من لا يردّ حكمه ، ولا يُتَعقّب قضاؤه ، وإنما هو رسول مبلّغ ومأمور مُتّبع .

* * *

وقوله : « إن أتبع إلا ما يوحى إلىّ » ، يقول : قل لهم : ما أتبع فى كل ما آمركم

---

(١) انظر تفسير « تلا » فيما سلف ١٣ : ٥٠٢ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « بينات » فيما سلف من فهارس اللغة (بين) .
(٣) انظر تفسير « الرجاء » فيما سلف ص : ٣٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٤) انظر تفسير « التبديل » فيما سلف ١١ : ٣٣٥/١٢ : ٦٢ ، وفهارس اللغة (بدل) .
(٥) انظر تفسير « تلقاء » فيما سلف ١٢ : ٤٦٦ .

به، أيها القوم، وأنهاكم عنه، إلا ما ينزله إلىّ ربى، ويأمرنى به[1]= « إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم » ، يقول : إنى أخشى من الله إن خالفت أمره ، وغيّرت أحكام كتابه، وبدّلت وَحيه، فعصيته بذلك، عذابَ يوم عظيمٍ هَوْلُه، وذلك: يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وَتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى . [2]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه، معرِّفَه الحجةَ على هؤلاء المشركين الذين قالوا له: «ائت بقرآن غير هذا أو بدله »= « قل » لهم، يا محمد= « لو شاء الله ما تلوته عليكم » ، أي : ما تلوت هذا القرآن عليكم ، أيها الناس ، بأن كان لا ينزله علىّ فيأمرنى بتلاوته عليكم [3]=« ولا أدراكم به » ، يقول : ولا أعلمكم به = « فقد لبثت فيكم عمرًا من قبله »، يقول: فقد مكثت فيكم أربعين سنة من قبل أن أتلوَه عليكم ، ومن قبل أن يوحيه إلىّ ربى = « أفلا تعقلون »، أنى لو كنت منتحلاً ما ليس لى من القول ، كنت قد انتحلته فى أيّام شبابى وحَداثتى ، وقبل الوقت الذى تلوته عليكم ؟ فقد كان لى اليوم، لو لم يوحى إلىّ وأومر بتلاوته عليكم ، مندوحةٌ عن معاداتكم ، ومتّسَعٌ، فى الحال التى كنت بها

---

(١) انظر تفسير « الوحى » فيما سلف من فهارس اللغة (وحى) .

(٢) هذا تضمين لآية سورة الحج : ٢ .

(٣) انظر تفسير « تلا » فيما سلف ص: ٤٠، رقم : ١ .

١١/٦٨ منكم قبل أن يوحى إلىّ وأومر بتلاوته عليكم .

* * *

وبنحو الذي قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٥٨١ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « ولاأدراكم به »، ولاأعلمكم .

١٧٥٨٢ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به » ، يقول : لو شاء الله لم يعلمكموه .

١٧٥٨٣ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به » ، يقول : ما حذّرتكم به .

١٧٥٨٤ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله » ، وهو قول مشركى أهل مكة ، للنبى صلى الله عليه وسلم . ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : « قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون » ، لبث أربعين سنة .

١٧٥٨٥ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به » ، ولا أعلمكم به .

١٧٥٨٦ – حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن، أنه كان يقرأ: ﴿ وَلا أَدْرَأْتُكُمْ بِهِ ﴾، يقول: ما أعلمتكم به.[1]

١٧٥٨٧ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ،

---

(١) فى المخطوطة : « ولا أدرأكم » ، وفى المطبوعة : « ولا أدراتكم » ، بغير همز ، والصواب ما أثبت ، كما نص عليه ابن خالويه فى شواذ القراءات ص : ٥٦ ، قال : « بالهمز والتاء » ، ومعانى القرآن للفراء .

أخبرنا عبيد ، قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « ولا أدراكم به » ، يقول : ولا أشعركم الله به .

* * *

قال أبو جعفر : وهذه القراءة التى حكيت عن الحسن ، عند أهل العربية غلطٌ .

* * *

وكان الفرّاء يقول فى ذلك : قد ذكر عن الحسن أنه قال : ﴿ وَلا أَدْرَأْتُكُمْ بِهِ ﴾. قال : فإن يكن فيها لغة سوى « دريت » و « أدريت » ، فلعل الحسن ذهب إليها . وأما أن تصلح من « دريت » أو « أدريت » فلا ، لأن الياء والواو إذا انفتح ما قبلهما وسكنتا ، صحّتا ولم تنقلبا إلى ألف ، مثل « قضيت » و « دعوت ». ولعل الحسن ذهب إلى طبيعته وفصاحته فهمزها ، لأنها تضارع : « درأت الحد » ، وشبهه . وربما غلطت العرب فى الحرف إذا ضارعه آخر من الهمز ، فيهمزون غير المهموز . وسمعت امرأة من طيّ تقول : « رثَأْتُ زوجى بأبيات » ، ويقولون : « لبّأتُ بالحجّ » و « حلأت السويق » ، فيغلطون ، لأن « حلأت » ، قد يقال فى دفع العطاش من الإبل ، و « لبأت » ذهب به إلى « اللبأ » لِبَأ الشاء ، و « رثأت زوجى » ، ذهبت به إلى « رثأت اللبن » ، إذا أنت حلبت الحليب على الرائب فتلك « الرثيئة ». [1]

* * *

وكان بعض البصريين يقول : لا وجه لقراءة الحسن هذه ، لأنها من « أدريت » مثل « أعطيت » ، إلا أن لغةً لبنى عقيل [2] : « أعطَاتُ » ، يريدون : أعطيت ، تحوّل الياء ألفاً ، قال الشاعر : [3]

---

(١) هذا نص الفراء بتمامه فى معانى القرآن ١ : ٤٥٩ ، مع خلاف يسير فى حروف قليلة .

(٢) فى المطبوعة : « لغة بنى عقيل » ، والصواب ما فى المخطوطة ، باللام .

(٣) هو حريث بن عناب (بالنون) الطائى .

لَقَدْ آذَنَتْ أَهْلَ الْيَمَامَةِ طَيِّئٌ ... بِحَرْبٍ كَنَاصَاةِ الأَغَرِّ الْمُشَهَّرِ (١)

يريد : كناصية ، حكى ذلك عن المفضّل ، وقال زيد الخيل :

لَعَمْرُكَ مَا أَخْشَى التَّصَعْلُكَ مَا بَقَا ... عَلَى الأَرْضِ قَيْسِيٌّ يَسُوقُ الأَبَاعِرَا (٢)

فقال : « بقا » ، وقال الشاعر : (٣)

لَزَجَرْتُ قَلْباً لاَ يَرِيعُ لزَاجِرٍ ... إِنَّ الغَوِيَّ إِذَا نُهَا لَمْ يُعْتِبِ (٤)

يريد: نُهِي . قال : وهذا كله على قراءة الحسن، وهى مرغوب عنها ، قال : وطيئ تصيّر كل ياء انكسر ما قبلها ألفاً، يقولون: « هذه جاراة »، (٥) وفى « الترقوة » « ترقاة » و « العَرْقوة » «عَرْقاة ».قال: وقال بعض طيئ : « قد لَقَتَ فزارة »، حذف الياء من « لقيت » لما لم يمكنه أن يحوّلها ألفاً ، لسكون التاء ، فيلتقى ساكنان. وقال : زعم يونس أن « نَسَا » و « رَضَا » لغة معروفة ، قال الشاعر : (٦)

---

(١) نوادر أبى زيد : ١٢٤ ، والمعانى الكبير : ١٠٤٨ ، اللسان (نصا) .

(٢) نوادر أبى زيد : ٦٨ ، وقبله

أُنْبِئْتُ أَنَّ ابْنًا لِتَيْمَاءَ هُهُنَا ... تَغَنَّى بِنَا سَكْرَانَ أَوْ مُتَسَاكِرَا

يَحُضُّ عَلَيْنَا عَامِرًا ، وَإِخَالُنَا ... سَنُصْبِحُ أَلْفاً ذَا زَوَائِدَ ، عَامِرَا

قال أبو زيد : « يقول : لا أخشى ما بقى قيسى يسوق إبلا ، لأنى أغير عليهم » .

(٣) هو لبيد .

(٤) ديوانه قصيدة رقم : ٦١ ، والأغانى ١٥ : ١٣٤ (ساسى) ، من مرثية أخيه أربد ، وقبله :

طَرِبَ الفُؤَادُ وَلَيْتَهُ لم يَطْرَبِ ... وَعَنَاهُ ذِكْرِى خُلَّةٍ لم تَصْقَبِ

سَفَهًا ، وَلَوْ أَنِّى أَطَعْتُ عَوَاذِلِى ... فيما يُشِرْنَ بِهِ بِسَفْحِ المِذْنَبِ

لَزَجَرْتُ قَلْبًا . . . . . .

والذى أثبته هو نص المخطوطة ، أما المطبوعة ، فإنه لم يحسن معرفة الشعر ، فكتبه هكذا : « زجرت فقلنا لا نريع » وهو عبث محض . و« راع يريع » ، إذا رجع وعاد، يقول: لا يصيخ لزاجر ولا يستمع له : و « أعتب » ، آب إلى رضى من يعاتبه .

(٥) يعنى فى « جارية » .

(٦) لم أعرف قائله ، ولم أجد البيت فى مكان آخر .

وَأُنْبِئْتُ بِالأَعْرَاضِ ذَا الْبَطْنِ خَالِدًا نَسًا أَوْ تَنَاسَى أَنْ يَعُدَّ الْمَوَالِيَا

* * *

٦٩/١١ وروُى عن ابن عباس فى قراءة ذلك أيضاً رواية أخرى ، وهى ما : —

١٧٥٨٨ — حدثنا به المثنى قال ، حدثنا المعلى بن أسد قال ، حدثنا خالد ابن حنظلة ، عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس : أنه كان يقرأ : ﴿ قُلْ لَوْ شَاءَ اللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَنْذَرْتُكُمْ بِهِ ﴾.

* * *

قال أبو جعفر : والقراءة التى لا نستجيزُ أن نعدوها ، [1] هى القراءة التى عليها قرأة الأمصار : ﴿ قُلْ لَوْ شاءَ اللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُمْ بِهِ ﴾ ، بمعنى : ولا أعلمكم به ، ولا أشعركم به .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (١٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء المشركين الذين نسبوك فيما جئتهم به من عند ربك إلى الكذب : أىُّ خلق أشدُّ تعدّياً ، [2] وأوضع لقيله فى غير موضعه ، [3] ممن اختلق على الله كذباً ، وافترى عليه باطلا [4] = « أو كذب بآياته » ، يعنى : بحججه ورسله وآيات كتابه ؟ [5] يقول له

---

(١) فى المطبوعة : « لا أستجيز أن تعدوها » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « أى خلق أشر بعدنا » ، وهو كلام ساقط جداً ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، لأنها غير منقوطة .

(٣) انظر تفسير « الظلم » فيما سلف من فهارس اللغة (ظلم) .

(٤) انظر تفسير « الافتراء » فيما سلف ١٣ : ١٣٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٥) انظر تفسير « الآية » فيما سلف من فهارس اللغة (أي) .

جل ثناؤه : قل لهم : ليس الذي أضفتموني إليه بأعجب من كذبكم على ربكم ، وافترائكم عليه ، وتكذيبكم بآياته = « إنه لا يفلح المجرمون » ، يقول : إنه لا ينجح الذين اجترموا الكفر فى الدنيا يوم القيامة ، إذا لقوا ربهم ، ولا ينالون الفلاح .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ويعبُد هؤلاء المشركون الذين وصفت لك، يا محمد صفتهم ، من دون الله الذى لا يضرهم شيئاً ولا ينفعهم، فى الدنيا ولا فى الآخرة، وذلك هو الآلهة والأصنام التى كانوا يعبدونها = « ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » ، يعنى : أنهم كانوا يعبدونها رجاء شفاعتها عند الله .(٢) قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم = « قل » لهم = « أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض » ، يقول : أتخبرون الله بما لا يكون فى السموات ولا فى الأرض؟(٣) وذلك أن الآلهة لا تشفع لهم عند الله فى السموات ولا فى الأرض . وكان المشركون يزعمون أنها تشفع لهم عند الله . فقال الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم : قل لهم : أتخبرون الله أنّ ما لا يشفع فى السموات ولا فى الأرض يشفع لكم فيهما ؟ وذلك باطلٌ

(١) انظر تفسير « الفلاح » فيما سلف ١٤ : ٤١٥ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك = وتفسير « الإجرام » فيما سلف من فهارس اللغة (جرم) .

(٢) انظر تفسير « الشفاعة » فيما سلف ص : ١٨ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « النبأ » فيما سلف من فهارس اللغة (نبأ) .

لا تعلم حقيقته وصحته ، بل يعلم الله أن ذلك خلاف ما تقولون ، وأنها لا تشفع لأحد، ولا تنفع ولا تضر = « سبحانه وتعالى عما يشركون »، يقول: تنزيهاً لله وعلواً عما يفعله هؤلاء المشركون ،[1] من إشراكهم فى عبادته ما لا يضر ولا ينفع ، وافترائهم عليه الكذب .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُواْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (١٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وما كان الناس إلا أهل دين واحد وملة واحدة ، فاختلفوا فى دينهم ، فافترقت بهم السبل فى ذلك = « ولولا كلمة سبقت من ربك » ، يقول : ولولا أنه سبق من الله أنه لا يهلك قوماً إلا بعد انقضاء آجالهم = « لقضى بينهم فيما فيه يختلفون » ، يقول: لقضى بينهم بأن يُهْلِك أهل الباطل منهم ، وينجى أهل الحق .[2]

* * *

وقد بينا اختلاف المختلفين فى معنى ذلك فى « سورة البقرة » ، وذلك فى قوله : ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ﴾، [سورة البقرة : ٢١٣] ، وبينا الصواب من القول فيه بشواهده ، فأغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[3]

* * *

١٧٥٨٩ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن

---

(١) انظر تفسير « سبحان » فيما سلف ص، ٣٠، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك = وتفسير « تعالى » فيما سلف ١٣ : ٣١٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك

(٢) انظر تفسير « قضى » فيما سلف من فهارس اللغة (قضى) .

(٣) انظر ما سلف ٤ : ٢٧٥ – ٢٨٠ .

ابن أبي نجيح ، عن مجاهد: « وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا » ، حين قتل أحدُ ابني آدم أخاه .

١٧٥٩٠ – حدثني المثنى قال ، حدثنا القاسم قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

١٧٥٩١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

* * *

القول في تأويل قوله ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ (٢٠) ٧٠/١١

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ويقول هؤلاء المشركون : هلاّ أنزل على محمد آيةٌ من ربه[1] = يقول : علَمٌ ودليلٌ نعلم به أن محمداً محقٌّ فيما يقول ؟[2] قال الله له : « فقل » ، يا محمد ، « إنما الغيب لله » ، أي : لا يُعلم أحدٌ يفعل ذلك إلا هو جل ثناؤه ، لأنه لا يعلم الغيب = وهو السرُّ والخفيّ من الأمور[3] = إلا الله . فانتظروا ، أيها القوم ، قضاءَ الله بيننا ، بتعجيل عقوبته للمبطل منا ، وإظهاره المحقَّ عليه ، إني معكم ممن ينتظر ذلك . ففعل ذلك جل ثناؤه ، فقضى بينهم وبينه بأن قتلهم يوم بدرٍ بالسيف .

* * *

(١) انظر تفسير « لولا » فيما سلف من فهارس مباحث العربية والنحو وغيرهما .
(٢) انظر تفسير « آية » فيما سلف من فهارس اللغة (أي) .
(٣) انظر تفسير « الغيب » فيما سلف من فهارس اللغة (غيب) .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ (٢١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وإذا رزقنا المشركين بالله فرجاً بعد كرب ، ورخاء بعد شدّة أصابتهم .

وقيل: عنى به المطر بعد القحط ، و « الضراء » ، هى الشدة ، و « الرحمة » ، هى الفرج . يقول : « إذا لهم مكر فى آياتنا » ، استهزاء وتكذيبٌ ، [1] كما : —

١٧٥٩٢ — حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد: « إذا لهم مكر فى آياتنا » ، قال : استهزاء وتكذيب .

١٧٥٩٣ — . . . . قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٧٥٩٤ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

وقوله: « قل الله أسرع مكراً » ، يقول تعالى ذكره : « قل » ، لهؤلاء المشركين المستهزئين من حججنا وأدلتنا، يا محمد =« الله أسرع مكراً » ، أى: أسرع مِحالاً بكم ، [2] واستدراجاً لكم وعقوبةً ، منكم ، من المكر فى آيات الله .

* * *

---

(١) انظر تفسير « الذوق » فيما سلف ١٤ : ٢٣٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « الضراء » فيما سلف ١٢ : ٥٧٣ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « المس » فيما سلف ص: ٣٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « المكر » فيما سلف ٣ : ٥٠٢ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) « المحال » (بكسر الميم) : الكيد والمكر .

والعرب تكتفى بـ « إذا » من « فعلت » ، و « فعلوا » ، فلذلك حُذِف « الفعل » معها .[١]

وإنما معنى الكلام : « وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم » ، مكروا فى آياتنا = فاكتفى من « مكروا » ، بـ « إذا لهم مكر » .

* * *

=« إن رسلنا يكتبون ما تمكرون » ، يقول : إن حفظتنا الذين نرسلهم إليكم ، أيها الناس ، يكتبون عليكم ما تمكرون فى آياتنا .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ (٢٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : الله الذى يسيركم ، أيها الناس ، فى البر على الظهر ، وفى البحر فى الفلك = « حتى إذا كنتم فى الفلك » ، وهى السفن[٢] = « وجرين بهم » ، يعنى : وجرت الفلك بالناس = « بريح طيبة » ، فى البحر = « وفرحوا بها » ، يعنى : وفرح ركبان الفلك بالريح الطيبة التى يسيرون بها .

* * *

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٥٩ ، ٤٦٠ .

(٢) انظر تفسير « الفلك » فيما سلف ١٢ : ٥٠٢ .

و « الهاء » فى قوله : « بها » ، عائدة على « الريح الطيبة » .

* * *

= « جاءتها ريح عاصف » ، يقول : جاءت الفلك ريحٌ عاصف ، وهى الشديدة .

* * *

والعرب تقول : « ريح عاصف ، وعاصفة » ،و « قد أعصفت الريح ، وعَصَفَت » ، و« أعصفت » ، فى بنى أسد ، فيما ذكر ، قال بعض بنى دُبَيْر : [1]

حَتَّى إذَا أَعْصَفَتْ رِيحٌ مُزَعْزِعَةٌ فِيهَا قِطَارٌ وَرَعْدٌ صَوْتُهُ زَجِلُ [2]

* * *

=« وجاءهم الموج من كل مكان » ، يقول تعالى ذكره : وجاء ركبانَ السفينة الموجُ من كل مكان = « وظنوا أنهم أحيط بهم » ، يقول : وظنوا أن الهلاك قد أحاط بهم وأحدق [3] = « دعوا الله مخلصين له الدين » ، يقول : أخلصوا الدعاء لله هنالك ، دون أوثانهم وآلهتهم ، وكان مفزعهم حينئذٍ إلى الله دونها ، كما :—

١٧٥٩٥ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة فى قوله : « دعوا الله مخلصين له الدين » ، قال : إذا مسّهم الضرُّ فى البحر أخلصوا له الدعاء .

١٧٥٩٦ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبى عبيدة فى قوله : « مخلصين له الدين » ، = « هيا شرا هيا » [4] تفسيره : يا حى يا قيوم .

١٧٥٩٧ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى

---

(١) لم أعرف قائله . و « بنو دبير » من بنى أسد .

(٢) معانى القرآن للفراء ١ : ٤٦٠ « مزعزعة » ، شديدة الهبوب ، تحرك الشجر توشك أن تقتلعه . و « قطار » جمع « قطر » ، وهو المطر . و « رعد زجل » رفيع الصوت مترددة عاليه .

(٣) انظر تفسير « الاحاطة » فيما سلف ١٤ : ٢٨٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٤) هكذا جاءت الكلمة ، ولم أستطع أن أعرف ما هى ، وهى أعجمية بلا ريب .

٧١/١١ قوله : « وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم » إلى آخر الآية ، قال : هؤلاء المشركون يدعون مع الله ما يدعون ، فإذا كان الضر لم يدعوا إلاّ الله ، فإذا نجاهم إذا هم يشركون .

* * *

=« لئن أنجيتنا » ، من هذه الشدة التى نحن فيها = « لنكونن من الشاكرين » ، لك على نعمك ، وتخليصك إيانا مما نحن فيه ، بإخلاصنا العبادة لك ، وإفراد الطاعة دون الآلهة والأنداد .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « هو الذى يسيركم » .

فقرأته عامة قرأة الحجاز والعراق : ﴿ هُوَ الَّذِى يُسَيِّرُكُمْ ﴾ من « السير » بالسين .

* * *

وقرأ ذلك أبو جعفر القارئ : ﴿ هُوَ الَّذِى يَنْشُرُكُمْ ﴾ ، من « النشر » ، وذلك البسط ، من قول القائل : « نشرت الثوب » ، وذلك بسطه ونشره من طيّه .

* * *

فوجّه أبو جعفر معنى ذلك إلى أن الله يبعث عباده فيبسطهم برًّا وبحراً = وهو قريب المعنى من « التسيير » .

* * *

وقال : « وجرين بهم بريح طيبة » ، وقال فى مواضع آخر : ﴿ فِى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾ ، فوحّد ، [سورة يس : ٤١] .

* * *

و « الفلك » اسم للواحدة ، والجماع ، ويذكر ويؤنث .(١)

* * *

قال : « وجرين بهم » ، وقد قال « هو الذى يسيركم » فخاطب ، ثم عاد

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٦٠ .

إلى الخبر عن الغائب . وقد بينت ذلك فى غير موضع من الكتاب ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[١]

* * *

وجواب قوله : « حتى إذا كنتم فى الفلك » = « جاءتها ريح عاصف » .

* * *

وأما جواب قوله : « وظنوا أنهم أحيط بهم » فـ « دعو الله مخلصين له الدين » .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فلما أنجى الله هؤلاء الذين ظنُّوا فى البحر أنهم أحيط بهم ، من الجهد الذى كانوا فيه ، أخلفوا الله ما وعدُوه ، وبغوا فى الأرض ، فتجاوزوا فيها إلى غير ما أذن الله لهم فيه ، من الكفر به ، والعمل بمعاصيه على ظهرها .[٢] يقول الله : يا أيها الناس ، إنما اعتداؤكم الذى تعتدونه على أنفسكم ، وإياها تظلمون . وهذا الذى أنتم فيه = « متاع الحياة الدنيا » ، يقول : ذلك بلاغ تبلغون به فى عاجل دنياكم .[٣]

* * *

وعلى هذا التأويل ، « البغى » يكون مرفوعاً بالعائد من ذكره فى قوله : « على

---

(١) انظر ما سلف ١ : ١٥٤ ، ٣/١٩٦ : ٣٠٤ ، ٦/٣٠٥ : ٢٣٨ ، ٨/٤٦٤ : ٤٤٧/ ١١ : ٢٦٤ ، ومواضع أخر ، اطلبها فى فهارس النحو والعربية وغيرهما .

(٢) انظر تفسير « البغى » فيما سلف ١٢ : ٤٠٣ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « المتاع » فيما سلف ١٤ : ٣٤٠ ، تعليق ٣ ، والمراجع هناك .

أنفسكم » ،[١] ويكون قوله « متاع الحياة الدنيا » ، مرفوعاً على معنى : ذلك متاع الحياة الدنيا ، كما قال : ﴿ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلاَغٌ ﴾ ، [سورة الأحقاف : ٣٥]، بمعنى : هذا بلاغ .

وقد يحتمل أن يكون معنى ذلك : إنما بغيكم فى الحياة الدنيا على أنفسكم ، لأنكم بكفركم تكسبونها غضبَ الله ، متاعُ الحياة الدنيا ، كأنه قال : إنما بغيكم متاعُ الحياة الدنيا ، فيكون « البغى » مرفوعاً بـ « المتاع »، و« على أنفسكم » من صلة « البغى »

* * *

وبرفع « المتاع » قرأت القرأة سوى عبد الله بن أبى إسحق، فإنه نصبه، بمعنى : إنما بغيكم على أنفسكم متاعاً فى الحياة الدنيا، فجعل « البغى » مرفوعاً بقوله: « على « أنفسكم » ، و« المتاع » منصوباً على الحال .[٢]

* * *

وقوله : « ثم إلينا مرجعكم » ، يقول : ثم إلينا بعد ذلك معادكم ومصيركم ، وذلك بعد الممات[٣] = « فننبئكم بما كنتم تعملون » ، يقول : فنخبركم يوم القيامة بما كنتم تعملون فى الدنيا من معاصى الله، ونجازيكم على أعمالكم التى سلفت منكم فى الدنيا .[٤]

* * *

---

(١) قراءتنا فى مصحفنا اليوم ، فى مصر وغيرها ، بنصب « متاع » ، وهى القراءة الأخرى التى سيذكرها أبو جعفر ، ولكنه جرى فيما سلف على تفسير قراءة الرفع .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٦١ ، فى تأويل القراءتين .

(٣) انظر تفسير « المرجع » فيما سلف ص : ٢٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « النبأ » فيما سلف ص : ٤٦ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إنما مثل ما تباهون فى الدنيا وتفاخرون به من زينتها وأموالها، مع ما قد وُكِّلَ بذلك من التكدير والتنغيص، وزواله بالفناء والموت = كمثل ماءٍ أنزلنا من السماء ، يقول : كمطر أرسلناه من السماء إلى الأرض = « فاختلط به نبات الأرض » ، يقول : فنبت بذلك المطر أنواعٌ من النبات ، مختلطٌ بعضها ببعض ، كما : —

١٧٥٩٨ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس قوله: « إنما مَثَل الحياة الدنيا كماء أنزلنا من السماء فاختلط به نبات الأرض » ، قال : اختلط فنبت بالماء كل لون مما يأكل الناس ، كالحنطة والشعير وسائر حبوب الأرض والبقول والثمار ، وما يأكله الأنعام والبهائم من الحشيش والمراعى . (١) ٧٢/١١

* * *

وقوله : « حتى إذا أخذت الأرض زخرفها » ، يعنى : ظهر حسنها وبهاؤها (٢) =« وازينت » ، يقول : وتزينت (٣) = « وظن أهلها » ، يعنى : أهل الأرض

(١) انظر تفسير « الأنعام » فيما سلف ١٣ : ٢٨٠ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الزخرف » فيما سلف ١٢ : ٥٥ ، ٥٦ .
(٣) انظر تفسير « الزينة » فيما سلف ص: ٣٧، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

= « أنهم قادرون عليها » ، يعني : على ما أنبتت .

* * *

وخرج الخبر عن « الأرض » والمعنى للنبات ، إذ كان مفهوماً بالخطاب ما عُنِي به .

* * *

وقوله : « أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً » ، يقول : جاء الأرض = « أمرنا » ، يعني : قضاؤنا بهلاك ما عليها من النبات = إما ليلاً وإما نهاراً = « فجعلناها » ، يقول : فجعلنا ما عليها = « حصيداً » ، يعني : مقطوعة مقلوعة من أصولها .[1]

* * *

= وإنما هي « محصودة » صرفت إلى « حصيد » .

* * *

= « كأن لم تغن بالأمس » ، يقول : كأن لم تكن تلك الزروع والنبات على ظهر الأرض نابتةً قائمة على الأرض قبل ذلك بالأمس .

* * *

وأصله من : « غَنِيَ فلان بمكان كذا ، يَغْنَى به » ، إذا أقام به ،[2] كما قال النابغة الذبياني :

غَنِيَتْ بِذٰلِكَ إذْ هُمُ لَكَ جِيرَةٌ مِنْهَا بِعَطْفِ رِسَالَةٍ وَتَوَدُّدِ[3]

* * *

يقول : فكذلك يأتي الفناء على ما تتباهون به من دنياكم وزخارفها ، فيفنيها ويهلكها ، كما أهلك أمرُنا وقضاؤنا نبات هذه الأرض بعد حسنها وبهجتها ، حتى صارت كأن لم تغن بالأمس ، كأن لم تكن قبل ذلك نباتاً على ظهرها .

يقول الله جل ثناؤه : « كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون » ، يقول : كما

---

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٢٧٧ .

(٢) انظر تفسير « غنى بالمكان » فيما سلف ١٢ : ٥٦٩ ، ٥٧٠ .

(٣) ديوانه : ٦٥ ، وسيأتي في التفسير ١٢ : ٦٦ (بولاق) ، وغيرهما ، من قصيدته المشهورة التي وصف فيها المتجردة ، وقبله :

فِي إثْرِ غانيةٍ رَمَتْكَ بِسَهْمِها فَأَصَابَ قلبَكَ غَيْرَ أَنْ لَمْ تَقْصِدِ

وكان في المطبوعة : « إذ هم لي جيرة » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو مطابق لرواية ديوانه .

بيناً لكم، أيها الناس، مثل الدنيا وعرّفناكم حكمها وأمرها، كذلك نُبين حججنا وأدلّتنا لمن تفكّر واعتبر ونظر.[1] وخصّ به أهلَ الفكر، لأنهم أهل التمييز بين الأمور، والفحص عن حقائق ما يعرض من الشُّبَه فى الصدور.

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك:

١٧٥٩٩ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: «حتى إذا أخذت الأرض زخرفها»، الآية، إى والله، لئن تشبّثَ بالدنيا وحَدِب عليها، لتوشك الدنيا أن تلفظه وتقضى منه.

١٧٦٠٠ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: «وازينت»، قال: أنبتت وحسُنَت.

١٧٦٠١ — حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عبد الرحمن بن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام قال: سمعت مروان يقرأ على المنبر هذه الآية: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا وَمَا كَانَ اللهُ لِيُهْلِكَهَا إِلاَّ بِذُنُوبِ أَهْلِهَا﴾، قال: قد قرأتها وليست فى المصحف. فقال عباس بن عبد الله ابن العباس: هكذا يقرؤها ابن عباس. فأرسلوا إلى ابن عباس فقال: هكذا أقرأنى أبىُّ بن كعب.[2]

---

(١) انظر تفسير «تفصيل الآيات» فيما سلف ص: ٢٤، تعليق: ١، والمراجع هناك.

(٢) الأثر: ١٧٦٠١ — «الحارث»، هو: «الحارث بن أبى أسامة»، ثقة، مضى مراراً.
و «عبد العزيز»، هو: «عبد العزيز» بن أبان الأموى، كذاب خبيث، وضاع للأحاديث، مضى مراراً، آخرها رقم: ١٤٣٣٣.
وأما «عبد الرحمن بن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام»، فلم أجد له ذكراً فى الرواة. وأبوه «أبو بكر بن عبد الرحمن»، «راهب قريش»، ثقة، فقيه، عالم، عاقل، سخى، كثير الحديث، أحد فقهاء المدينة السبعة. ترجم له ابن حجر فى التهذيب، وابن سعد فى الطبقات ٥: ١٥٣

١٧٦٠٢ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « كأن لم تغن بالأمس » ، يقول : كأن لم تعشْ ، كأن لم تَنْعَم .

١٧٦٠٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن إسمعيل قال ، سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يقول : في قراءة أبيّ : ﴿ كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ وَمَا أَهْلَكْنَاهَا إِلاَّ بِذُنُوبِ أَهْلِهَا كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ .(١)

* * *

واختلفت القرأة في قراءة قوله ، « وازينت » .

فقرأ ذلك عامة قرأة الحجاز والعراق : ﴿ وَازَّيَّنَتْ ﴾ بمعنى : وتزينت ، ولكنهم أدغموا التاء في الزاي ، لتقارب مخرجيهما ، وأدخلوا ألفاً ليوصل إلى قراءته ، إذ كانت التاء قد سكنت ، والساكن لا يُبْتَدأ به .

* * *

وحكى عن أبي العالية ، وأبي رجاء ، والأعرج ، وجماعة أخر غيرهم ، أنهم قرأوا ذلك : ﴿ وَأَزْيَنَتْ ﴾ ، على مثال « أفعلت » .

* * *

والزبيري في نسب قريش : ٣٠٣ ، ٣٠٤ . وذكر ابن سعد ولده فقال : « فولد أبو بكر : عبد الرحمن لا بقية له = وعبد الله ، وعبد الملك ، وهشاماً . . . » . ولم يذكر ذلك الزبيري في نسب قريش ، ولكنه ذكر قصة قال في أولها « فقال لابنه عبد الله اذهب إلى عمك المغيرة بن عبد الرحمن . . . » ثم قال في نفس القصة بعد قليل : « فذهب عبد الرحمن بن أبي بكر إلى عمه المغيرة بن عبد الرحمن » هذه واحدة = ثم قال ابن حجر في ترجمة : « عبد الله بن أبي بكر بن عبد الرحمن » : «وسماه ابن سعد لما عد أولاد أبي بكر بن عبد الرحمن : عبد الرحمن » ، ولكن نص ابن سعد مخالف لما قال الحافظ ابن حجر فهما عنده رجلان بلا شك في ذلك . ولم أجدهما أستقصى من الأخبار حتى أفصل في هذا الاختلاف .

و « عبد الله بن أبي بكر بن عبد الرحمن » ، ليس بثقة .

و « مروان » ، هو : « مروان بن الحكم » .

وهذا الخبر كما ترى ، هالك الإسناد من نواحيه . والقراءة التي فيه إذا صحت من غير هذا الطريق الهالك ، فهي قراءة تفسير ، كما هو معروف ، وكما أشرنا إليه مراراً في أشباهها . ولا يحل لقارئ أن يقرأ بمثلها على أنها نص التلاوة ، لشذوذها ، ولمخالفتها رسم المصحف بالزيادة ، بغير حجة يجب التسليم لها .

(١) الأثر : ١٧٦٠٣ – « أبو أسامة » ، هو « حماد بن أسامة بن زيد القرشي » ، ثقة ، روى له الجماعة مضى مراراً .

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك : ﴿ وَٱزَّيَّنَتْ ﴾ ، لإجماع الحجة من القرأة عليها .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَـٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٢٥) ٧٣/١١

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لعباده : أيها الناس ، لا تطلبوا الدنيا وزينتها ، فإن مصيرها إلى فناءٍ وزوالٍ ، كما مصير النبات الذى ضربه الله لها مثلاً ، إلى هلاكٍ وبَوَارٍ ، ولكن اطلبوا الآخرة الباقية ، ولها فاعملوا ، وما عند الله فالتمسوا بطاعته ، فإن الله يدعوكم إلى داره ، وهى جناته التى أعدّها لأوليائه ، تسلموا من الهموم والأحزان فيها ، وتأمنوا من فناءِ ما فيها من النّعيم والكرامة التى أعدّها لمن دخلها ، وهو يهدى من يشاء من خلقه فيوفقه لإصابة الطريق المستقيم ، وهو الإسلام الذى جعله جل ثناؤه سبباً للوصول إلى رضاه ، وطريقاً لمن ركبه وسلك فيه إلى جِنانه وكرامته ، [1] كما :—

١٧٦٠٤ — حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قال : « الله » ، السلام ، ودارُه الجنة .

١٧٦٠٥ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا

« وإسماعيل » ، هو « إسماعيل بن أبى خالد الأحمسى » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً . وأما « أبو سلمة بن عبد الرحمن » ، فلم يسمع من أبى بن كعب . فهو إسناد مرسل .

(١) انظر تفسير « الهداية » و « الصراط المستقيم » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) ، (سرط) ، (قوم) .

معمر ، عن قتادة فى قوله : « والله يدعو إلى دار السلام » ، قال : « الله » هو السلام ، ودارُه الجنة .

١٧٦٠٦ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أيوب ، عن أبى قلابة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ، قيل لى : « لتنم عينُك ، وليعقِل قلبك ، ولتسمع أُذُنك » ، فنامت عينى ، وعقل قلبى ، وسمعت أذنى . ثم قيل : « سيّدٌ بنى دارًا ثم صنع مأدُبة ، ثم أرسل داعياً ، فمن أجاب الداعى دخل الدار ، وأكل من المأدبة ، ورضى عنه السيد . ومن لم يجب الداعى ، لم يدخل الدار ، ولم يأكل من المأدبة ، ولم يرضَ عنه السيد » . فالله السيد ، والدار الإسلام ، والمأدبة الجنة ، والداعى محمد صلى الله عليه وسلم .[1]

١٧٦٠٧ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم » ، ذكر لنا أن فى التوراة مكتوباً : « يا باغى الخير هلمّ ، ويا باغى الشرِّ انتَهِ » .

١٧٦٠٨ – حدثنى الحسين بن سلمة بن أبى كبشة قال ، حدثنا عبد الملك ابن عمرو قال ، حدثنا عباد بن راشد ، عن قتادة قال ، حدثنى خُلَيد العَصَرىّ ، عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من يوم طلعت فيه شمسه ، إلاّ وبجَنَبَتَيْها ملكان يناديان ، يسمعُه خلق الله كلهم إلا الثّقلين[2] :

---

(١) الأثر : ١٧٦٠٦ – « أبو قلابة » ، هو : « عبد الله بن زيد الجرمى » ، أحد أعلام التابعين ، مضى مراراً .

فهذا خبر « مرسل » ، وسيأتى نحوه متصلا فى تخريج الأثر رقم : ١٧٦٠٩ .

(٢) « الجنبة » (بفتح الجيم والنون ، وبفتحها وإسكان النون) الناحية ، ورواة الحديث يروون « الجنبة » بفتحتين ، وأهل اللغة يؤثرون سكون النون . ويستدلون على ذلك بقول أبى صعترة البولانى :

فما نُطفةٌ مِنْ حَبِّ مُزْنٍ تَقَاذَفَتْ ... به جَنْبَتَا الجُودِىِّ والليلُ دَامِسُ
بِأَطْيَبَ مَنْ فِيهَا ، وَمَا ذُقْتُ طَعْمَهُ ، ... وَلَكِنَّنِى فِيما تَرَى العَيْنُ فَارِسُ

والذى رواه أهل الحديث جيد صحيح .

« يا أيها الناس، هلمُّوا إلى ربِّكم، إنّ ما قلّ وكفى، خير مما كثر وألْهَى » . قال: وأنزل ذلك فى القرآن فى قوله : « والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم » . (١)

١٧٦٠٩ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ليث بن سعد ، عن خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبى هلال ، عن جابر ابن عبد الله قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال : إنى رأيت فى المنام كأنّ جبريل عند رأسى ، وميكائيل عند رجلى، يقول أحدهما لصاحبه : اضرب له مثلاً! فقال: اسْمَعْ سمعتْ أُذنك، واعقل عقَل قلبك ، إنما مَثَلك ومَثَل أمتك ، كمثل ملك اتخذ داراً ، ثم بنى فيها بيتاً ، ثم جعل فيها مأدُبة ، ثم بعث رسولاً يدعو الناس إلى طعامه، فمنهم من أجاب الرسول، ومنهم من تركه .

---

(١) الأثر : ١٧٦٠٨ — « الحسين بن سلمة بن إسماعيل بن يزيد بن أبى كبشة الأزدى الطحان » ، شيخ الطبرى، ثقة . روى عنه الترمذى وابن ماجة وغيرهما ، مترجم فى التهذيب ، وأبى ابن حاتم ١/٢/٥٤ .

و « عبد الملك بن عمرو » ، هو « أبو عامر العقدى » ، ثقة ، مضى مراراً كثيرة ، آخرها رقم : ١٢٧٩٥ .

و « عباد بن راشد التميمى » ، ثقة وليس بالقوى ، روى له البخارى مقروناً بغيره . ، مضى برقم : ١١٠٦٠ ، ١٢٥٢٧ .

و « خليد بن عبد الله العصرى » ، روى عن أبى الدرداء ، وقال ابن حبان فى الثقات ، وذكره : يقال إن هذا مولى لأبى الدرداء . وفرق البخارى فى الكبير بين « خليد مولى أبى الدرداء » ، و « خليد بن عبد الله العصرى » ، وكذلك ابن أبى حاتم . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/١/١٨١ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٣٨٣ .

وهذا خبر صحيح الإسناد ، ورواه أحمد فى مسنده مطولا ٥ : ١٩٧ ، من طريق همام، عن قتادة ، عن خليد العصرى . وزيادته :

« وَلاَ آبَت شمس قَطُّ إلا بعث بِجَنبَتَيْهَا مَلَكان يُناديان ، يُسْمِعان أهل الأرض إلا الثَّقلين : اللهمّ أعطِ مُنفقًا خلفًا ، وأعط مُمْسكًا تلفًا » .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٣٠٤ ، مطولا ، وزاد نسبته إلى ابن أبى حاتم ، وأبى الشيخ ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، والبيهقى فى شعب الإيمان .

فالله الملك ، والدار الإسلام ، والبيتُ الجنّة ، وأنت يا محمد الرسولُ ، من أجابك دخل الإسلام ، ومن دخل الإسلام دخل الجنة ، ومن دخل الجنة أكل ما فيها.[1]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : للذين أحسنوا عبادَة الله فى الدنيا من خلقه ، فأطاعوه فيما أمر ونَهَى ، « الحسنى » .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى معنى « الحسنى » ، و« الزيادة » ، اللتين وعدهما المحسنين من خلقه .

فقال بعضهم : « الحسنى » ، هى الجنة ، جعلها الله للمحسنين من خلقه جزاء = و« الزيادة عليها » ، النظر إلى الله .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) الأثر : ١٧٦٠٩ – « خالد بن يزيد الجمحى المصرى » ، ثقة مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٣٣٧٧ .

و « سعيد بن أبى هلال الليثى المصرى » ، ثقة ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٧٤٢٩ ، روايته عن جابر مرسلة ، وحديثه عن جابر أورده البخارى معلقاً ، متابعة . وفى الترمذى : « سعيد بن أبى هلال ، لم يدرك جابراً » .

فهذا خبر مرسل عن جابر ، وصله الحاكم فى المستدرك ٢ : ٣٣٨ من طريق « عبد الله بن صالح ، عن الليث بن سعد ، عن خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبى هلال قال : سمعت أبا جعفر محمد بن على بن الحسين ، وتلا هذه الآية : « والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم » ، فقال : حدثنى جابر بن عبد الله » ، ثم قال الحاكم : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى » .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٣٠٤ ، وزاد نسبته إلى ابن مردويه ، والبيهقى فى الدلائل ، بمثل لفظ الحاكم وإسناده .

وكان فى المطبوعة : « أكل منها » ، وهو موافق لما فى سائر المراجع ، وأثبت مما فى المخطوطة ، لأنه واضح لا إشكال فى قراءته ، ولا فى معناه .

١٧٦١٠ – حدثنا ابن بشار قال، حدثناعبدالرحمن قال، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحق ، عن عامر بن سعد ، عن أبي بكر الصديق : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » ، قال: النظر إلى وجه ربهم .(١) ٧٤/١١

١٧٦١١ – حدثنا سفيان قال، حدثنا حميد بن عبد الرحمن، عن قيس ، عن أبي إسحق ، عن عامر بن سعد ، عن سعيد بن نمران ، عن أبي بكر : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » ، قال : النظر إلى وجه الله .(٢)

١٧٦١٢ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان ،

---

(١) الأثر : ١٧٦١٠ – « عامر بن سعد البجلي » ، تابعي ثقة ، له في الصحيح حديث واحد ، وروايته عن أبي بكر الصديق ، مرسلة . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٣/١/٣٢١ . وهذا الخبر ، أخرجه الآجري في الشريعة ص : ٢٥٧ ، من طرق ، مرسلا .

(٢) الأثر : ١٧٦١١ – « سعيد بن نمران الناعطي » ، روى عن أبي بكر الصديق ، روى عنه عامر بن سعد البجلي ، وكان سعيد بن نمران الناعطي ، من أصحاب علي بن أبي طالب ، وضمه إلى عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، حين ولاه اليمن، وشهد اليرموك، وكان ابنه مسافر بن سعيد بن نمران من أصحاب المختار ، مترجم في الكبير ٢/١/٤٧٣ ،وابن أبي حاتم، ٢/١/٦٨، وابن سعد ٦ : ٥٦ ، وقال البخاري « سمع أبا بكر » ، ولكن العجيب أن ابن حجر ترجم له في لسان الميزان ٣ : ٤٦ ، وقال : « مجهول » ، وكذلك قال الذهبي في ميزان الاعتدال ١ : ٣٩٢ . فأخشى أن يكون ذلك تجاوزاً من الذهبي وابن حجر ، وأنهما عنيا بقولهما « مجهول » أن حال روايته وسماعه من أبي بكر هو المجهول ، لا سعيد بن نمران نفسه . وإلا فكيف يكون مجهولا ، وهو مذكور مترجم ،وله عند الطبري في تاريخه ذكر ٤ : ١٢٦ ، في حوادث سنة ١٤ ،في فتح اليرموك ثم في سنة ١٧ (٤ : ١٩٤) في خبر سعد بن أبي وقاص وعمر بن الخطاب، وأن سعداً « أرسل إلى قوم من نساب العرب وذوي رأيهم وعقلائهم منهم سعيد بن نمران ، ومشعلة بن نعيم » . وفي باب ذكر الكتاب من بدء أمر الإسلام (تاريخ الطبري ٧ : ١٩٨) : « وكان يكتب لعلي ، سعيد بن نمران الهمداني ، ثم ولي قضاء الكوفة لابن الزبير » . وذكره وكيع أيضاً في أخبار القضاة ٢ : ٣٩٦، ٣٩٧، وقال: « لما قدم علي الكوفة ، ولى سعيد بن نمران الهمداني ثم عزله ، وولى مكانه عبيدة السلماني » ، ثم قال في ص ٣٩٧ : « فاستقضى ابن الزبير سعيد بن نمران الهمداني ، فقضى ثلاث سنين » . وذكر كتابته لعلي ، الجهشياري في الوزراء والكتاب ص : ٢٣ .

فثبت بهذا أنه معروف مشهور ، وأما « المجهول » ، فهو حال سماعه من أبي بكر ، لولا ما قاله البخاري من أنه سمع أبا بكر .

ومهما يكن من أمر ، فهذا خبر في إسناده نظر .

خرجه السيوطي في الدر المنثور ٣ : ٣٠٦ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة ، وابن خزيمة ، وابن المنذر ، وأبي الشيخ ، والدارقطني ، وابن منده في الرد على الجهمية ، واللالكائي والآجري ، والبيهقي ، كلاهما في الرؤية .

عن أبي إسحق ، عن عامر بن سعد « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » ، قال : النظر إلى وجه ربهم .

١٧٦١٣ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحق ، عن عامر بن سعد ، قال في هذه الآية : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » ، قال : « الزيادة » ، النظر إلى وجه الرحمن .

١٧٦١٤ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن مسلم بن نذير ، عن حذيفة : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » ، قال : النظر إلى وجه ربهم .(١)

١٧٦١٥ – حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي قال، حدثنا شريك قال ، سمعت أبا إسحق يقول في قول الله : « وزيادة »، قال : النظر إلى وجه الرحمن .

١٧٦١٦ – حدثني علي بن عيسى قال، حدثنا شبابة قال ، حدثنا أبو بكر الهذلي قال، سمعت أبا تميمة الهُجَيْمِيّ، يحدِّث عن أبي موسى الأشعري ، قال : إذا كان يومُ القيامة ، بعث الله إلى أهل الجنة منادياً ينادي : « هل أنجزكم الله ما وعدكم » ! فينظرون إلى ما أعد الله لهم من الكرامة ، فيقولون : نعم ! فيقول : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » ، النظرُ إلى وجه الرحمن .(٢)

١٧٦١٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن

---

(١) الأثر : ١٧٦١٤ – « مسلم بن نذير السعدي » ، ويقال : « مسلم بن يزيد » ، ويقال إن « يزيد » جده . روى عن حذيفة ، وروى عنه أبو إسحق السبيعي ، وهو من أهل الكوفة ، كان قليل الحديث ، ويذكرون أنه كان يؤمن بالرجعة . مترجم في التهذيب ، والكبير ٤/١/٢٧٣ ، وابن أبي حاتم ٤/١/١٩٧ ، ١٩٩ في « مسلم بن يزيد السعدي » . وابن سعد ٦ : ١٥٩ .

و « نذير » بضم النون ، على التصغير

(٢) الأثر : ١٧٦١٦ – « أبو بكر الهذلي »، ضعيف بمرة، مضى مراراً آخرها رقم : ١٤٦٩٠ .

و « أبو تميمة الهجيمي » ، هو « طريف بن مجالد » ، تابعي ثقة . مترجم في التهذيب ، والكبير ٢/٢/٣٥٦ ، وابن أبي حاتم ٢/١/٤٩٢ .

وهذا خبر ضعيف الإسناد ، وسيأتي في الأثرين التاليين .

المبارك ، عن أبي بكر الهذلي قال، أخبرنا أبو تميمة الهجيمي قال ، سمعت أبا موسى الأشعري يخطب على منبر البصرة يقول: إن الله يبعث يوم القيامة مَلَكاً إلى أهل الجنة فيقول : « يا أهل الجنة ، هل أنجزكم الله ما وعدكم » ! فينظرون، [1] فيرَون الحُلِيّ والحُلل والثمار والأنهار والأزواجَ المطهَّرة، فيقولون : « نعم، قد أنجزنا الله ما وعدنا » ! ثم يقول الملك : « هل أنجزكم الله ما وعدكم » ؟ ثلاث مرات ، فلا يفقدون شيئاً مما وُعِدوا، فيقولون: « نعم » ! فيقول: « قد بقي لكم شيء ، إن الله يقول : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » ، ألا إن الحسنى الجنة ، والزيادة النظرُ إلى وجه الله » . [2]

١٧٦١٨ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني شبيب ، عن أبان ، عن أبي تميمة الهجيمي : أنه سمع أبا موسى الأشعري يحدّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله يبعث يوم القيامة منادياً يُنادي أهلَ الجنة بصوت يسمع أوّلهم وآخرهم [3] : « إن الله وعدكم الحسنى وزيادةً ، فالحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الرحمن » . [4]

---

(١) في المطبوعة : « فينظرون ، إلى ما أعد الله لهم من الكرامة ، فيرون » ، زاد على المخطوطة ما ليس فيها ، أظنه فعله متابعاً لما جاء في الأثر السالف .

(٢) الأثر : ١٧٦١٧ – هو مكرر الذي قبله مطولا، وهو ضعيف بمرة ، لضعف « أبي بكر الهذلي » ، كما سلف .

(٣) في المخطوطة « يسمع أولهم آخرهم » ، وكأن الصواب ما في المطبوعة .

(٤) الأثر : ١٧٦١٨ – « شبيب بن سعيد التميمي الحبطي » ، أحاديثه مستقيمة ، ومضى برقم : ٦٦١٣ ، ١٢٠٨٥ ، غير أن ابن وهب حدث عنه بأحاديث مناكير ، قال ابن عدي : « ولعل شبيباً لما قدم مصر في تجارته ، كتب عنه ابن وهب من حفظه ، فغلط ووهم . وأرجو أن لا يتعمد الكذب وإذا حدث عنه ابنه أحمد ، فكأنه شبيب آخر يعني = يجود » .

و « أبان » ، هو « أبان بن أبي عياش فيروز » ، مولى عبد القيس ، كان رجلا صالحاً سخياً ، فيه غفلة ، يهم في الحديث ويخطئ فيه حتى أسقطوا روايته ، وحتى قال فيه شعبة : « لأن أشرب من بول حماري أحب إلي من أن أقول : حدثني أبان = ولأن يزني الرجل ، خير من أن يروي عن أبان » . ومضى برقم : ٦٧٢٨ .

فهذا أيضاً خبر هالك الإسناد .

١٧٦١٩ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا حماد ابن زيد، عن ثابت البنانى، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » ، قال: النظر إلى وجه ربهم . وقرأ : « ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة » ، قال : بعد النظر إلى وجْه ربهم .

١٧٦٢٠ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن سليمان بن المغيرة قال ، أخبرنا ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى فى قوله : « وزيادة » ، قال : قيل له : أرأيت قوله: « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » ؟ قال: إن أهل الجنة إذا دخلوا الجنة فأُعطوا فيها ما أُعْطُوا من الكرامة والنعيم ، قال: نودوا : « يا أهل الجنة، إن الله قد وعدكم الزيادة » ، فيتجلى لهم = قال ابن أبى ليلى : فما ظنك بهم حين ثَقُلت موازينهم ، وحين صارت الصُّحف فى أيمانهم ، وحين جاوزوا جسر جهنم ودخلوا الجنة ، وأعطوا فيها ما أعطوا من الكرامة والنعيم ؟ كل ذلك لم يكن شيئاً فيما رأوا ! (١)

١٧٦٢١ – . . . . قال ، حدثنا ابن المبارك ، عن معمر ، وسليمان بن المغيرة ، عن ثابت البنانى ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى: « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » ، قال : النظر إلى وجه ربهم . ٧٥/١١

١٧٦٢٢ – . . . . قال ، حدثنا الحجاج ، ومعلّى بن أسد قالا ، حدثنا حماد ابن زيد ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال : إذا دخل أهل الجنة الجنةَ قال لهم: إنه قد بقى من حقكم شىءٌ لم تُعْطَوْه ! قال : فيتجلى لهم تبارك وتعالى . قال : فيصغر عندهم كل شىء أعطوه . قال : ثم قال : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » ، قال : الحسنى الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه ربهم ، ولا يرهقُ وجوههم قترٌ ولا ذلةٌ بعد ذلك .

وخبر أبى موسى الأشعرى ، خرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣ : ٣٠٥ ، وزاد نسبته إلى ابن أبى حاتم ، والدارقطنى فى الرؤية ، وابن مردويه .

(١) الأثر : ١٧٦٢٠ – الآثار من رقم : ١٧٦١٩ إلى رقم : ١٧٦٢٣ ، راجع آخر التعليق التالى .

١٧٦٢٣ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ثابت البنانى ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » ، النظر إلى وجه الله .

١٧٦٢٤ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا هوذة قال ، حدثنا عوف ، عن الحسن فى قول الله : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » ، النظر إلى الربّ .

١٧٦٢٥ – حدثنا عمرو بن على ومحمد بن بشار قالا، حدثنا عبد الرحمن ابن مهدى ، عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى هذه الآية : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » ، قال : إذا دخل أهل الجنة الجنةَ، وأهلُ النارِ النارَ، نودوا : « يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعداً » ! قالوا : ما هو ؟ ألم تبيّض وجوهنا، وتُثْقِل موازيننا، وتُدخلنا الجنة، وتُنْجِنَا من النار ؟ فيكشف الحجابُ، فيتجلى لهم ، فوالله ما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه = ولفظ الحديث لعمرو .

١٧٦٢٦ – حدثنى المثنى قال، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا حماد ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن صهيب قال : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » ، قال : إذا دخل أهل الجنة الجنةَ، وأهل النار النار، نادى مناد : « يا أهل الجنة إنّ لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكُمُوه » . فيقولون : « وما هو؟ ألم يُثقل الله موازيننا ويبيِّض وجوهَنا ؟ »، ثم ذكر سائر الحديث نحو حديث عمرو بن على، وابن بشار، عن عبد الرحمن . (١)

---

(١) الأثر : ١٧٦٢٦ – هذا خبر صحيح ، رواه مسلم فى صحيحه ٣ : ١٦ ، ١٧ ، من طريق عبد الرحمن بن مهدى ، عن حماد بن سلمة ، ومن طريق يزيد بن هارون عن حماد .

ورواه أبو داود الطيالسى فى مسنده ص : ١٨٦ رقم : ١٣١٥ ، روايته عن حماد بن سلمة .

ورواه أحمد فى مسنده (٤ : ٣٣٢ ، ٣٣٣) من ثلاث طرق ، من طريق عبد الرحمن بن مهدى عن حماد ، ومن طريق يزيد بن هرون عن حماد ، ومن طريق عفان عن حماد = ثم رواه فى مسنده (٦ : ١٥) من طريق يزيد ، عن حماد .

١٧٦٢٧ — . . . . قال ، حدثنا الحمانى قال، حدثنا شريك ، عن أبى إسحق ، عن سعيد بن نمران ، عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » ، قال : النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى .(١)

١٧٦٢٨ — . . . . قال ، حدثنا شريك، عن أبى إسحق ، عن عامر ابن سعد ، مثله .

١٧٦٢٩ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : قوله : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » ، بلغنا أن المؤمنين لما دخلوا الجنة ناداهم مناد : إن الله وعدكم الحسنى ، وهى الجنة ، وأما الزيادة ، فالنظر إلى وجه الرحمن .

١٧٦٣٠ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

١٧٦٣١ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا إبراهيم بن المختار ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن كعب بن عجرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » ، قال : الزيادة ، النظرُ إلى وجه الرحمن تبارك وتعالى .(٢)

ورواه ابن ماجة فى سننه ص ٦٧ ، رقم : ١٨٧ من طريق حجاج بن المنهال ، عن حماد .

ورواه الترمذى فى كتاب التفسير من طريق عبد الرحمن بن مهدى عن حماد ، ثم قال : « حديث حماد ابن سلمة ، هكذا رواه غير واحد عن حماد بن سلمة مرفوعاً . وروى سليمان بن المغيرة هذا الحديث عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قوله ، ولم يذكر فيه : عن صهيب ، عن النبى صلى الله عليه وسلم » .

وهذا الذى أشار إليه الترمذى ، هو ما رواه أبو جعفر من رقم : ١٧٦١٩ — ١٧٦٢٣ .

ورواه الآجرى فى الشريعة : ٢٦١ من طريق يزيد بن هارون عن حماد ، ومن طريق هناد بن السرى ، عن قبيصة بن عقبة ، عن حماد .

(١) الأثر : ١٧٦٢٧ — « سعيد بن نمران » مضى برقم : ١٧٦١١ ، ولم يذكر أن أبا إسحق السبيعى ، سمع من سعيد بن نمران ، وظاهر أن بينهما « عامر بن سعد » ، كما سلف فى الآثار من رقم : ١٧٦١٠ — ١٧٦١٣ .

(٢) الأثر : ١٧٦٣١ — « إبراهيم بن المختار التميمى » ، « حبويه » ، « أبو إسماعيل الرازى »

١٧٦٣٢ – . . . قال ، حدثنا جرير ، عن ليث ، عن عبد الرحمن ابن سابط قال : « الحسنى » ، النضرة = و « الزيادة » ، النظر إلى وجه الله .

١٧٦٣٣ – حدثنا ابن البرقى قال ، حدثنا عمرو بن أبى سلمة قال ، سمعت زهيراً ، عمن سمع أبا العالية قال ، حدثنا أبىّ بن كعب : أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن قول الله : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » ، قال : الحسنى الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه الله .(١)

* * *

وقال آخرون فى « الزيادة » ، بما :–

١٧٦٣٤ – حدثنا به يحيى بن طلحة قال ، حدثنا فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن الحكم ، عن على رضى الله عنه : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » ، قال : « الزيادة » ، غرفة من لؤلؤة واحدةٍ لها أربعة أبواب .(٢)

١٧٦٣٥ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن الحكم ، عن على رضى الله عنه ، نحوه = إلا إنه قال : فيها أربعة أبواب .

١٧٦٣٦ – . . . . قال ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن الحكم بن عتيبة ، عن على رضى الله عنه ، مثل حديث يحيى بن طلحة ، عن فضيل ، سواءً . ٧٦/١١

* * *

روى عن شعبة ، ومالك ، وابن جريج ، وغيرهم . قال ابن معين : « ليس بذاك » ، وقال البخارى : « فيه نظر » ، وقال ابن حبان فى الثقات : « يتقى حديثه من رواية ابن حميد عنه » . مترجم فى التهذيب والكبير ١/١/٣٢٩ ، وابن أبى حاتم ١/١/١٣٨ ، وميزان الاعتدال ١ : ٣١ .

و « عطاء » ، هو « عطاء بن أبى مسلم الخراسانى » وهو « عطاء بن ميسرة » ، مضى مراراً . روى عن الصحابة مرسلا ، كابن عباس ، وعدى بن عدى الكندى ، والمغيرة بن شعبة ، وأبى هريرة ، وأبى الدرداء ، وأنس ، وكعب بن عجرة ، ومعاذ بن جبل ، وغيرهم .

فهذا خبر ضعيف الإسناد ، لضعف « إبراهيم بن المختار » ، ولأنه من مرسل عطاء عن كعب بن عجرة .

(١) الأثر : ١٧٦٣٣ – هذا خبر ضعيف إسناده ، لجهالة من روى عن أبى العالية .

(٢) الأثر : ١٧٦٣٤ – « الحكم » ، هو « الحكم بن عتيبة الكندى » مضى مراراً ، والثابت سماعه من التابعين ، فإنه ولد سنة ٥٠ ، ومات سنة ١١٣ ، وكان فيه تشيع إلا أن ذلك لم يظهر منه .

فهذا حديث ضعيف لإرساله عن على .

وقال آخرون : « الحسنى » ، واحدةٌ من الحسنات بواحدة = و « الزيادة » التضعيف إلى تمام العشر .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٦٣٧ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » ، قال : هو مثل قوله : ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ ، [سورة ق : ٣٥]، يقول : يجزيهم بعملهم ، ويزيدهم من فضله . وقال : ﴿ مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ ، [سورة الأنعام: ١٦٠].

١٧٦٣٨ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن قابوس، عن أبيه ، عن علقمة بن قيس: « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » ، قال قلت: هذه الحسنى ، فما الزيادة ؟ قال ألم تر أن الله يقول : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ ؟

١٧٦٣٩ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كان الحسن يقول في هذه الآية : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » ، قال : الزيادة بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف .

* * *

وقال آخرون : « الحسنى » حسنة مثل حسنة = و « الزيادة » ، زيادة مغفرة من الله ورضوان .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٦٤٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « للذين أحسنوا الحسنى » ، مثلها حسنى = « وزيادة » ، مغفرة ورضوان .

* * *

وقال آخرون : « الزيادة » ، ما أعطوا في الدنيا .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٦٤١ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة »، قال : « الحسنى » ، الجنة = « وزيادة » ، ما أعطاهم في الدنيا، لا يحاسبهم به يوم القيامة . وقرأوا : ﴿وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾، [سورة العنكبوت : ٢٧]. قال : ما آتاه مما يحبّ في الدنيا ، عُجِّل له أجره فيها .

* * *

وكان ابن عباس يقول في قوله : « للذين أحسنوا الحسنى » ، بما : –

١٧٦٤٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « للذين أحسنوا الحسنى » ، يقول : للذين شهدوا أن لا إله إلاّ الله .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تبارك وتعالى وَعَد المحسنين من عباده على إحسانهم الحسنى ، أن يجزيهم على طاعتهم إيّاه الجنة ، وأن تبيض وجوههم، ووعدهم مع الحسنى الزيادة عليها . ومن الزيادة على إدخالهم الجنة أن يكرمهم بالنظر إليه ، وأن يعطيهم غُرفاً من لآلئ ، وأن يزيدَهم غفراناً ورضواناً ، كل ذلك من زيادات عطاءِ الله إياهم على الحسنى التي جعلها الله لأهل جناته . وعمّ ربنا جل ثناؤه بقوله : « وزيادة »، الزيادات على « الحسنى » ، فلم يخصص منها شيئاً دون شيء . وغير مستنكَرٍ من فضل الله أن يجمع ذلك لهم ، بل ذلك كله مجموع لهم إن شاء الله . فأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، أن يُعَمَّ ، كما عمَّه عز ذكره .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (٢٦)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة » ، لا يغشى وجوههم كآبةٌ ، ولا كسوف ، حتى تصيرَ من الحُزن كأنما علاها قترٌ .

* * *

و « القتر » الغبار ، وهو جمع « قَتَرَة » ، ومنه قول الشاعر : [١]

مُتَوَّجٌ بِرِدَاءِ الْمُلْكِ يَتْبَعُهُ مَوْجٌ تَرَى فَوْقَهُ الرَّايَاتِ وَالْقَتَرَا [٢]

يعنى بـ « القتر » ، الغبار .

* * *

= « ولا ذلة » ، ولا هوان [٣] = « أولئك أصحاب الجنة » ، يقول : هؤلاء الذين وصفت صفتهم ، هم أهل الجنة وسكانها ، [٤] ومن هو فيها [٥] = « هم فيها خالدون » ، يقول : هم فيها ماكثون أبداً لا تبيد ، فيخافوا زوال نعيمهم ، ولا هم بمخرجين ، فتتنغّص عليهم لذّتُهم . [٦]

* * *

وبنحو الذي قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* * *

---

(١) هو الفرزدق .

(٢) ديوانه : ٢٩٠ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٧٧ ، واللسان (قتر) ، وغيرها ، ورواية ديوانه « معتصب برداء الملك » ، وهذا بيت من قصيدة مدح فيها بشر بن مروان ، وقبله :

كُلُّ امْرِئٍ آمِنٌ لِلْخَوْفِ أَمَّنَهُ بِشْرُ بن مَرْوَانَ والمَذْعُورُ من ذَعَرَا
فَرْعٌ تَفَرَّعَ فِى الأَعْيَاصِ مَنْصِبُهُ والعامِرَيْنِ ، لَهُ العِرْنَيْنُ مِنْ مُضَرَا

(٣) انظر تفسير « الذلة » فيما سلف ١٣ : ١٣٣ ، ١٣٤ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « أصحاب الجنة » فيما سلف من فهارس اللغة (صحب) .

(٥) فى المطبوعة : « ومن هم فيها » ، غير ما فى المخطوطة لغير طائل .

(٦) انظر تفسير « الخلود » فيما سلف من فهارس اللغة (خلد) .

وكان ابن أبي ليلى يقول فى قوله : « ولا يرهق وجوههم قتر » ، ما :—

١٧٦٤٣ — حدثنا محمد بن منصور الطوسى قال ، حدثنا عفان قال ، حدثنا ٧٧/١١
حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى : « ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة » ، قال : بعد نظرهم إلى ربهم .[1]

١٧٦٤٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحجاج ، ومعلّى بن أسد قالا : حدثنا حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، بنحوه .

١٧٦٤٥ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس قوله : « ولا يرهق وجوههم قتر » ، قال: سوادُ الوجوه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّئَاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : والذين عملوا السيئات فى الدنيا ، فعصوا الله فيها ، وكفروا به وبرسوله[2] = « جزاء سيئة » ، من عمله السيئ الذى عمله فى الدنيا = « بمثلها » ، من عقاب الله فى الآخرة = « وترهقهم ذلة » ، يقول : وتغشاهم ذلة وهوان ، بعقاب الله إياهم[3] = « ما لهم من الله من عاصم » ، يقول : ما لهم من الله من مانع يمنعهم ، إذا عاقبهم ، يحول بينه وبينهم .

* * *

(١) الأثر : ١٧٦٤٣ — « محمد بن منصور بن داود الطوسى » ، شيخ الطبرى ، مضى برقم : ٦٦٥٣ .

(٢) انظر تفسير « كسب » و « سيئة » ، فيما سلف من فهارس اللغة (كسب) ، (سوأ) .

(٣) انظر تفسير « الرهق » فيما سلف قريباً ص : ٧٢ .

= وتفسير « ذلة » فيما سلف ص : ٧٢ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

وبنحو الذى قلنا فى قوله : « وترهقهم ذلة » ، قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٦٤٦ - حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « وترهقهم ذلة » ، قال: تغشاهم ذلة وشدّة .

* * *

واختلف أهل العربية فى الرافع لـ « الجزاء » .

فقال بعض نحويى الكوفة : رفُع بإضمار « لهم » ، كأنه قيل : ولهم جزاء السَّيئة بمثلها ، كما قال : ﴿ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِى الْحَجِّ ﴾ ، [سورة البقرة: ١٩٦]، والمعنى : فعليه صيام ثلاثة أيام، قال: وإن شئت رفعت « الجزاءَ » بالباء فى قوله : « جزاء سيئة بمثلها » .(١)

* * *

وقال بعض نحويى البصرة : « الجزاء » ، مرفوع بالابتداء، وخبره « بمثلها » . قال : ومعنى الكلام : جزاء سيئة مثلها ، وزيدت « الباء » ، كما زيدت فى قولهم : « بحسبك قول السُّوء » .

وقد أنكر ذلك من قوله بعضُهم، فقال: يجوز أن تكون « الباء » فى «حسب» ، [زائدة]، (٢) لأن التأويل: إن قلت السوء فهو حسبك= فلما لم تدخل فى الخبر ، (٣) أدخلت فى « حسب»، « بحسبك أن تقوم »: إن قمت فهو حسبك .(٤) فإن مُدح ما بعد « حسب» ، أدخلت « الباء » ، فيما بعدها ، كقولك : « حسبك بزيد » ،

---

(١) هذه مقالة الفراء فى معانى القرآن ١ : ٤٦١ ، وفى المطبوعة : « وجزاء سيئة بمثلها » بالواو ، وفى معانى القرآن للفراء « فجزاء » بالفاء ، ولا أجد فى القرآن آية فيها مثل ذلك بالواو أو بالفاء ، وإنما عنى هذه الآية بعينها .

(٢) الزيادة بين القوسين لا بد منها حتى يستقيم الكلام .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « لم تدخل فى الجزاء » ، وهو خطأ لا ريبة فيه .

(٤) أخشى أن يكون سقط من الكلام شىء .

ولا يجوز « بحسبك زيد » ، لأن زيداً الممدوح ، فليس بتأويل خبرٍ . [١]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، أن يكون « الجزاء » مرفوعاً بإضمارٍ ، بمعنى : فلهم جزاء سيئة بمثلها ، لأن الله قال فى الآية التى قبلها : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » ، فوصف ما أعدّ لأوليائه ، ثم عقب ذلك بالخبر عما أعدّ الله لأعدائه ، فأشبهُ بالكلام أن يقال : وللذين كسبوا السيئات جزاءُ سيئة ، وإذا وُجِّه ذلك إلى هذا المعنى ، كانت الباء صلة للجزاء .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ (٢٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : كأنما ألبست وجوه هؤلاء الذين كسبوا السيئات [٢] = « قِطَعاً من الليل » ، وهى جمع « قطعة » .

* * *

وكان قتادة يقول فى تأويل ذلك : ما —

١٧٦٤٧ — حدثنا به محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً » ، قال : ظلمة من الليل .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « قطعاً » .

فقرأته عامة قرأة الأمصار : ﴿قِطَعاً﴾ ، بفتح الطاء ، على معنى جمع « قطعة » ،

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة فى هذا الموضع أيضاً : « فليس بتأويل جزاء » ، وهو فساد لا شك فيه.

(٢) انظر تفسير « الإغشاء » فيما سلف ١٢ : ٤٨٣ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

وعلى معنى أنّ تأويل ذلك : كأنما أُغشِيَت وَجْهَ كل إنسان منهم قطعةٌ من سواد الليل ، ثم جمع ذلك فقيل : « كأنما أغشِيت وجوههم قطعاً » ، من سواد، إذ جُمِع « الوجه » .

* * *

وقرأه بعض متأخرى القرأة : ﴿ قِطْعاً ﴾ بسكون الطاء ، بمعنى : كأنما أغشيت وجوههم سواداً من الليل ، وبقيةً من الليل ، ساعةً منه ، كما قال : ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ ﴾ ، [سورة هود : ٨١ / سورة الحجر : ٦٥] ، أى : ببقية قد بقيت منه .

ويعتلُّ لتصحيح قراءته كذلك ، أنه فى صحف أبىّ : ﴿ويَغْشَى وُجُوهَهُمْ قِطْعٌ مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمٌ ﴾ .(١)

* * *

قال أبو جعفر : والقراءة التى لا يجوز خلافها عندى ، قراءةُ من قرأ ذلك بفتح الطاء ، لإجماع الحجة من قرأة الأمصار على تصويبها ، وشذوذ ما عداها . وحسبُ الأخرى دلالةً على فسادها ، خروج قارئها عما عليه قرأة أهل أمصار الإسلام .(٢) ١١/٧٨

* * *

فإن قال لنا قائل : فإن كان الصواب فى قراءة ذلك ما قلت ، فما وجه تذكير « المظلم » وتوحيده ، وهو من نعت « القطع » ، و « القطع » ، جمع لمؤنث ؟

قيل : فى تذكير ذلك وجهان :(٣)

أحدهما : أن يكون قَطْعاً من « الليل » ،(٤) وأن يكون من نعت « الليل » ، فلما كان نكرةً ، و « الليل » معرفةً ، نصب على القَطْع ،(٤) فيكون معنى الكلام حينئذ : كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل المظلم = ثم حذفت الألف واللام

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٦٢ .

(٢) فى المطبوعة : « أهل الأمصار والإسلام » ، وهو عبث تحريف .

(٣) فى المطبوعة : « فى تذكيره » ؛ بالهاء مضافة ، وهو عبث أيضاً .

(٤) « القطع » (بفتح فسكون) ، الحال ، كما سلف مراراً شرحه وبيانه ، وانظر ما سلف ١١ : ٤٥٥/١٢ : ٤٧٧ ، وفهارس المصطلحات . وقد بين الطبرى فى هذا الموضع بأحسن البيان عن معنى « القطع » ، وقد سلف كلامنا فيه مراراً .

من « المظلم » ، فلما صار نكرة وهو من نعت « الليل » ، نصب على القطع . وتسمى أهل البصرة ما كان كذلك « حالاً » ، والكوفيون « قطعاً » .

والوجه الآخر : على نحو قول الشاعر : (١)

* لَوْ أَنَّ مِدْحَةَ حَيٍّ مُنْشِرٌ أَحَداً * (٢)

والوجه الأوّل أحسن وجهيه .

* * *

وقوله : « أولئك أصحاب النار » ، يقول : هؤلاء الذين وصفت لك صفتهم ، أهلُ النار الذين هم أهلها (٣) = « هم فيها خالدون » ، يقول : هم فيها ماكثون . (٤)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ (٢٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ويوم نجمع الخلق لموقف الحساب جميعاً ، (٥) ثم نقول حينئذ للذين أشركوا بالله الآلهةَ والأندادَ = « مكانكم » ، أى :

---

(١) هو أبو ذؤيب .

(٢) ديوانه : ١١٣ ، فى آخر قصيدة له ، ورواية الديوان :

لَوْ كانَ مِدْحَةُ حَيٍّ أَنْشَرَتْ أَحَدًا أَحْيَى أُبُوَّتَكِ الشُّمَّ الأَمَادِيحُ

وهذا لا شاهد فيه ، ويروى

* لَوْ كان مِدْحَةُ حَيٍّ مُنْشِرًا أَحَداً *

وهذا شاهد .

(٣) انظر تفسير « أصحاب النار » فيما سلف من فهارس اللغة (صحب) .

(٤) انظر تفسير « الخلود » ، فيما سلف من فهارس اللغة (خلد) .

(٥) انظر تفسير « الحشر » فيما سلف ١٣ : ٥٢٩ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

امكثوا مكانكم ، وقفوا فى موضعكم ، أنتم ، أيها المشركون ، وشُركاؤكم الذين كنتم تعبدونهم من دون الله من الآلهة والأوثان = « فزيّلنا بينهم » ، يقول : ففرّقنا بين المشركين بالله وما أشركوه به .

* * *

= [من قولهم : «زِلْت الشيء أزيلُه » ، إذا فرّقت بينه] وبين غيره وأبنته منه .[1] وقال : « فزيّلنا » ، إرادة تكثير الفعل وتكريره ، ولم يقل : « فزِلْنا بينهم » .

* * *

وقد ذكر عن بعضهم أنه كان يقرؤه : ﴿فَزَايَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ كما قيل : ﴿وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ﴾ ﴿وَلاَ تُصَاعِرْ خَدَّكَ﴾ ، [سورة لقمان : ١٨] . والعرب تفعل ذلك كثيراً فى « فعّلت» ، يلحقون فيها أحياناً ألفاً مكان التشديد ، فيقولون : « فاعلت » إذا كان الفعل لواحدٍ . وأما إذا كان لاثنين ، فلا تكاد تقول إلا « فاعلت » .[2]

* * *

= « وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون » ، وذلك حين تبرّأ الذين اتّبعوا من الذين اتُّبِعوا ورأوا العذاب وتقطّعت بهم الأسباب ، لما قيل للمشركين : « اتبعوا ما كنتم تعبدون من دون الله » ، ونصبت لهم آلهتهم ، قالوا : « كنا نعبد هؤلاء » ! ، فقالت الآلهة لهم : « ما كنتم إيانا تعبدون » ، كما :—

١٧٦٤٨ — حدثت عن مسلم بن خالد ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : يكون يومَ القيامة ساعةٌ فيها شدة ، تُنْصب لهم الآلهة التى كانوا يعبدون ، فيقال : « هؤلاء الذين كنتم تعبدون من دون الله » ! فتقول الآلهة : « والله ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل ، ولا نعلم أنكم كنتم تعبدوننا » ! فيقولون : « والله لإيّاكم

---

(١) هذه الزيادة بين القوسين ، استظهار من نص اللغة لا بد منه ، وكان الكلام فى المخطوطة سرداً واحداً ، وهو فساد من الناسخ . وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٩٢ .

(٢) انظر بيان هذا أيضاً فى معانى القرآن للفراء ١ : ٤٩٢ ، فهو نحو منه .

كنا نعبد » ! فتقول لهم الآلهة : « فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم إنْ كنا عن عبادتكم لغافلين » .

١٧٦٤٩ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم » ، قال : فرّقنا بينهم = « وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون » ! قالوا: بلى، قد كنا نعبدكم ! فقالوا : « كفى بالله شهيداً بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين » ، ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نتكلم ! فقال الله: « هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت » ، الآية .

* * *

وروى عن مجاهد أنه كان يتأول « الحشر »، في هذا الموضع ، الموت.

١٧٦٥٠ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن الأعمش قال : سمعتهم يذكرون عن مجاهد في قوله : « ويوم نحشرهم جميعاً » ، قال : « الحشر » ، الموتُ .

* * *

قال أبو جعفر : والذي قلنا في ذلك أولى بتأويله ، لأن الله تعالى ذكره أخبر أنه يقول يومئذ للذين أشركوا ما ذكر أنه يقول لهم ، ومعلومٌ أن ذلك غير كائن في القبر ، وأنه إنما هو خبرٌ عما يقال لهم ويقولون في الموقف بعد البعث .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ﴾ (٢٩) ٧٩/١١

قال أبو جعفر : ويقول تعالى ذكره ، مخبراً عن قيل شركاء المشركين من الآلهة والأوثان لهم يوم القيامة ، إذ قال المشركون بالله لها : إياكم كنا نعبد = « كفى

بالله شهيداً بيننا وبينكم » ، أى إنها تقول : حسبُنا الله شاهداً بيننا وبينكم ، أيها المشركون ، فإنه قد علم أنّا ما علمنا ما تقولون = « إنا كنا عن عبادتكم لغافلين» ، يقول : ما كنا عن عبادتكم إيانا دون الله إلاغافلين ، لا نشعر به ولا نعلم ، [1] كما :—

١٧٦٥١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « إن كنا عن عبادتكم لغافلين» ، قال : كُلُّ شىء يعبد من دون الله . [2]

١٧٦٥٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنى إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٧٦٥٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال مجاهد : « إن كنا عن عبادتكم لغافلين » ، قال : يقول ذلك كلُّ شىء كان يُعْبد من دون الله .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ وَرُدُّواْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَـٰهُمُ ٱلْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ (٣٠)

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة قوله : ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ﴾ ، بالباء ، بمعنى : عند ذلك تختبر كُلّ نفس ما قدمت من خيرٍ أو شرٍّ . [3]

وكان ممن يقرؤه ويتأوّله كذلك ، مجاهدٌ .

---

(١) انظر تفسير « الغفلة » فيما سلف ص : ٢٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) فى المطبوعة : « قال ذلك كل شىء » ، زاد « ذلك » وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو لا بأس به .

(٣) فى المطبوعة : « بما قدمت » بالباء ، لم يحسن قراءة المخطوطة .

= وانظر تفسير « الابتلاء » فيما سلف من فهارس اللغة (بلا) .

١٧٦٥٤ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد : « هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت» ، قال : تختبر .

١٧٦٥٥ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٧٦٥٦ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة وبعض أهل الحجاز : ﴿ تَتْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ ﴾ ، بالتاء .(١)

* * *

واختلف قارئو ذلك كذلك في تأويله .

فقال بعضهم : معناه وتأويله : هنالك تتبع كل نفس ما قدّمت في الدنيا لذلك اليوم .(٢)

وروى بنحو ذلك خبرٌ عن النبي صلى الله عليه وسلم ، من وجْه وسَنَدٍ غير مرتضى أنه قال: يُمَثَّل لكل قوم ما كانوا يعبدون من دون الله يوم القيامة ، فيتّبعونهم حتى يوردوهم النار . قال : ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : « هنالك تتلو كل نفس ما أسلفت » .(٣)

* * *

وقال بعضهم : بل معناه : يتلو كتاب حسناته وسيئاته ، يعني يقرأ ، كما قال جل ثناؤه: ﴿ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴾ ، [سورة الإسراء: ١٣].

* * *

(١) انظر هذه القراءة وتفسيرها فيما سلف ٢ : ٤١١ .

(٢) انظر تفسير « يتلو » فيما سلف من فهارس اللغة (تلا) .

(٣) لم أجد نص الخبر في غير هذا المكان ، مسنداً ولا غير مسند .

وقال آخرون : « تَتْلو » تعاين .[1]

* ذكر من قال ذلك :

١٧٦٥٧ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « هنالك تَتْلو كل نفس ما أسلفت » ، قال : ما عملت ، « تتلو » ، تعاينه .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان، قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القرأة، وهما متقاربتا المعنى . وذلك أن من تبع في الآخرة ما أسلفَ من العمل في الدنيا ، هجم به على مَوْرده ، فيخبر هنالك ما أسلف من صالح أو سيئ في الدنيا ، وإنّ مَنْ خَبَرَ ما أسلف في الدنيا من أعماله في الآخرة ، فإنما يخبرُ بعد مصيره إلى حيث أحلّه ما قدم في الدنيا من عمله ، فهو في كلتا الحالتين مُتَّبِع ما أسلف من عمله ، مختبرٌ له . فبأيتهما قرأ القارئ ، كما وصفنا، فمصيبٌ الصوابَ في ذلك .

* * *

وأما قوله: « وردّوا إلى الله مولاهم الحق » ، فإنه يقول : ورجع هؤلاء المشركون يومئذٍ إلى الله الذي هو ربُّهم ومالكهم ، الحقّ لا شك فيه، دون ما كانوا يزعمون أنهم لهم أرباب من الآلهة والأنداد = « وضل عنهم ما كانوا يفترون » ، يقول : وبطل عنهم ما كانوا يتخرّصون من الفرية والكذب على الله ، بدعواهم أوثانهم أنها لله شركاء ، وأنها تقرّبهم منه زُلْفَى ،[2] كما :–

١٧٦٥٨ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وردوا إلى الله مولاهم الحق وضلّ عنهم ما كانوا يفترون » ، قال : ما كانوا ١١/٨٠

(١) في المطبوعة في المواضع كلها « تبلو» بالباء ، وفي المخطوطة غير منقوطة ، والصواب بالتاء ، وذلك بين أيضاً من سياق التفسير لهذه القراءة .

(٢) انظر تفسير ألفاظ هذه الآية فيما سلف من فهارس اللغة .

يدعون معه من الأنداد والآلهة ، ما كانوا يفترون الآلهة ، وذلك أنهم جعلوها أنداداً وآلهة مع الله افتراءً وكذباً .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (٣١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد صلى الله عليه وسلم : « قل » ، يا محمد ، لهؤلاء المشركين بالله الأوثانَ والأصنامَ = « من يرزقكم من السماء » ، الغيثَ والقطر ، ويطلع لكم شمسها ، ويُغْطِش ليلها ، ويخرج ضُحَاها = ومن الأرض ، أقواتَكم وغذاءَكم الذى ينبته لكم ، وثمار أشجارها =« أم من يملك السمع والأبصار » ، يقول : أم من ذا الذى يملك أسماعكم وأبصاركم التى تسمعون بها : أن يزيدَ فى قواها ، أو يسلبكموها ، فيجعلكم صمًّا ، وأبصاركم التى تبصرون بها : أن يضيئها لكم وينيرها ، أو يذهب بنورها ، فيجعلكم عُمْياً لا تبصرون = « ومن يخرج الحى من الميت » ، يقول : ومن يخرج الشىء الحى من الميت = « ويخرج الميت من الحى » ، يقول : ويخرج الشىء الميت من الحىّ .

* * *

وقد ذكرنا اختلاف المختلفين من أهل التأويل ، والصواب من القول عندنا فى ذلك بالأدلة الدالّة على صحته ، فى « سورة آل عمران » ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . (١)

* * *

(١) انظر ما سلف ٦ : ٣٠٤ — ٣١٢ .

= « ومن يدبر الأمر » ، وقل لهم : من يُدبر أمر السماء والأرض وما فيهن ، وأمرَكم وأمرَ الخلق [١] ؟ = « فسيقولون الله » ، يقول جل ثناؤه : فسوف يجيبونك بأن يقولوا : الذى يفعل ذلك كله الله = « فقل أفلا تتقون » ، يقول : أفلا تخافون عقابَ الله على شرككم وادّعائكم ربًّا غيرَ من هذه الصفة صفتُه ، وعبادتكم معه من لا يرزقكم شيئاً ، ولا يملك لكم ضرًّا ولا نفعاً ، ولا يفعل فعلاً ؟

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ (٣٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لخلقه : أيها الناس ، فهذا الذى يفعل هذه الأفعال ، فيرزقكم من السماء والأرض ، ويملك السمع والأبصار ، ويخرج الحى من الميت والميت من الحى ، ويدبر الأمر = « الله ربُّكم الحق » ، لا شك فيه = « فماذا بعد الحق إلا الضلال » ، يقول : فأى شىء سوى الحق إلا الضلال ، وهو الجور عن قصد السبيل؟ [٢] يقول : فإذا كان الحقُّ هو ذا ، فادّعاؤكم غيرَه إلهاً وربًّا ، هو الضلال والذهاب عن الحق لا شك فيه = « فأنى تصرفون » ، يقول : فأىّ وجه عن الهدى والحق تُصرفون ، وسواهما تسلكون ، وأنتم مقرُّون بأن الذى تُصْرَفون عنه هو الحق ؟ [٣]

* * *

(١) انظر تفسير « تدبير الأمر » فيما سلف ص : ١٨، ١٩

(٢) انظر تفسير « الضلال » فيما سلف من فهارس اللغة (ضلل) .

(٣) انظر تفسير « الصرف » فيما سلف ١٤ : ٥٨٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : كما قد صُرِف هؤلاء المشركون عن الحق إلى الضلال = « كذلك حقت كلمة ربك » ، يقول : وجب عليهم قضاؤه وحكمه فى السابق من علمه = « على الذين فسقوا » ، فخرجوا من طاعة ربهم إلى معصيته وكفروا به [1] = « أنهم لا يؤمنون » ، يقول : لا يصدّقون بوحدانية الله ولا بنبوة نبيه صلى الله عليه وسلم .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ (٣٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « قل » ، يا محمد = « هل من شركائكم » ، يعنى من الآلهة والأوثان = « من يبدأ الخلق ثم يعيده » ، يقول : من ينشئ خَلْق شىء من غير أصل ، فيحدث خلقَه ابتداءً = « ثم يعيده » ، يقول : ثم يفنيه بعد إنشائه ، ثم يعيده كهيئته قبل أن يفنيَه ، فإنهم لا يقدرون على دعوى ذلك لها . وفى ذلك الحجة القاطعة والدّلالة الواضحة على أنهم فى دعواهم أنها أربابٌ ، وهى لله فى العبادة شركاء ، كاذبون مفترون . فقل لهم حينئذ ، يا محمد : الله يبدأ الخلق فينشئه من غير شىء ، ويحدثه من

(١) انظر تفسير « الفسق » فيما سلف من فهارس اللغة (فسق) .

غير أصل ، ثم يفنيه إذا شاء ، ثم يعيده إذا أراد كهيئته قبل الفناء = « فأنى تؤفكون » ، يقول : فأيّ وجه عن قصد السبيل وطريق الرُّشد تُصْرَفون وتُقْلَبُون؟ (١) كما : — ٨١/١١

١٧٦٥٩ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن : « فأنى تؤفكون » ، قال : أنى تصرفون ؟

* * *

وقد بينا اختلاف المختلفين فى تأويل قوله : « أنى تؤفكون » ، والصواب من القول فى ذلك عندنا ، بشواهده فى « سورة الأنعام » . (٢)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (٣٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « قل » ، يا محمد ، لهؤلاء المشركين = « هل من شركائكم » ، الذين تدعون من دون الله ، وذلك آلهتهم وأوثانُهم = « من يهدى إلى الحق » ، يقول : من يرشد ضالاً من ضلالته

---

(١) انظر تفسير « الأفك » فيما سلف ١٠ : ١١/٤٨٦ : ١٤/٥٥٤ : ٢٠٨ .

(٢) انظر ما سلف ١١ : ٥٥٤ . وقوله أنه ذكر ذلك فى سورة الأنعام ، وهم من أبى جعفر ، فإنه لم يفصل بيان معنى « الأفك » ، إلا فى سورة المائدة (١٠ : ٤٨٥ ، ٤٨٦) . ولم يذكر قط اختلاف المختلفين فى تفسيره . فأخشى أن يدل هذا النص ، على أن أبا جعفر كان قد باعد بين أطراف تفسيره ، فكان ينسى الموضع الذى فصل فيه أحياناً . بل لعل هذا يدل أيضاً على أنه كان قد شرع فى التفسير مطولا ، كما ذكر فى ترجمته ، ثم اختصره هذا الاختصار . ويدل أيضاً ، إذا صح ما قلته ، على أنه كان قد أعد مادة كتابه إعداداً تاماً ، ثم أدخل فى كتابة تفسيره تعديلا كبيراً ، فلم يثبت فيه كل ما كان أعده له . والله تعالى أعلم .

إلى قصد السبيل ، ويسدِّد جائراً عن الهدى إلى واضح الطريق المستقيم ؟ فإنهم لا يقدرون أن يدَّعوا أن آلهتهم وأوثانهم تُرشد ضالاًّ أو تهدى جائراً . وذلك أنهم إن ادَّعوا ذلك لها، أكذبتهم المشاهدة، وأبان عجزَها عن ذلك الاختبارُ بالمعاينة . فإذا قالوا: « لا »، وأقرُّوا بذلك، فقل لهم: فالله يهدى الضالَّ عن الهدى إلى الحق= « أفمن يهدى » ، أيها القوم ، ضالاًّ إلى الحقّ ، وجائراً عن الرشد إلى الرشد= « أحق أن يتبع » ، إلى ما يدعو إليه= « أمْ مَنْ لا يهدِّى إلا أن يُهدى » ؟

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة أهل المدينة : ﴿ أَمَّنْ لاَ يَهِدِّى ﴾ ، بتسكين الهاء ، وتشديد الدال ، فجمعوا بين ساكنين[1] = وكأنّ الذى دعاهم إلى ذلك أنهم وجَّهوا أصل الكلمة إلى أنه : أم من لا يهتدى ، ووجدوه فى خطّ المصحف بغير ما قرأوا ،[2] وأن التاء حذفت لما أدغمت فى الدال ، فأقرُّوا الهاء ساكنة على أصلها الذى كانت عليه ، وشدَّدوا الدال طلباً لإدغام التاء فيها ، فاجتمع بذلك سكون الهاء والدال ، وكذلك فعلوا فى قوله : ﴿ وَقُلْنَا لَهُمْ لاَ تَعْدُوا فِى السَّبْتِ ﴾، [سورة النساء: ١٥٤]،[3] وفى قوله: ﴿يَخِصِّمُونَ﴾ ، [سورة يس : ٤٩].[4]

* * *

وقرأ ذلك بعض قرأة أهل مكة والشأم والبصرة = ﴿ يَهَدِّى ﴾ ، بفتح الهاء وتشديد الدال، وأمُّوا ما أمَّه المدنيون من الكلمة، غير أنهم نقلوا حركة التاء من « يهتدى » ؛ إلى الهاء الساكنة ، فحرَّكوا بحركتها ، وأدغموا التاء فى الدال فشدَّدوها .

* * *

---

(١) انظر ما قاله فى شبه هذه القراءة فيما سلف ٩ : ٣٦٢ .

(٢) فى المطبوعة : « بغير ما قرروا » ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٣) انظر ما سلف فى هذه القراءة ٩ : ٣٦٢ .

(٤) انظر ما سيأتى فى هذه القراءة ٢٣ : ١١ (بولاق) .

وقرأ ذلك بعض قرأة الكوفة : ﴿ يَهِدِّى ﴾ ، بفتح الياء ، وكسر الهاء ، وتشديد الدال ، بنحو ما قصدَه قرأة أهل المدينة ، غير أنه كسر الهاء لكسرة الدال من « يهتدى » ، استثقالاً للفتحة بعدها كسرةٌ فى حرف واحدٍ .

* * *

وقرأ ذلك بعدُ ، عامة قرأة الكوفيين [1] : ﴿ أَمْ مَنْ لاَ يَهْدِى ﴾ ، بتسكين الهاء وتخفيف الدال . وقالوا : إن العرب تقول : « هديت » بمعنى « اهتديت » ، قالوا : فمعنى قوله : «أم من لا يهدى » : أم من لا يَهْتَدى : إلاّ أن يهدى .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءة فى ذلك بالصواب ، قراءةُ من قرأ : ﴿ أَمْ مَنْ لاَ يَهَدِّى ﴾ بفتح الهاء وتشديد الدال ، لما وصفنا من العلة لقارئ ذلك كذلك ، وأن ذلك لا يدفع صحته ذو علم بكلام العرب ، وفيهم المنكر غيره . وأحقُّ الكلام أن يقرأ بأفصح اللغات التى نزل بها ، كلامُ الله .

* * *

فتأويل الكلام إذاً : أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع ، أم من لا يهتدى إلى شىء إلاّ أن يهدى ؟

* * *

وكان بعض أهل التأويل يزعم أن معنى ذلك : أم من لا يقدر أن ينتقل عن مكانه إلا أن يُنْقل .

* * *

وكان مجاهد يقول فى تأويل ذلك ما :—

١٧٦٦٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدّى إلا أن يهدى » ، قال : الأوثان ، الله يهدى منها ومن غيرها من شاء لما شاء .

---

(١) فى المطبوعة : « وقرأ ذلك بعض عامة قرأة ، الكوفيين » ، جعل « بعد » ، « بعض» ، فأفسد الكلام وأسقطه .

١٧٦٦١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « أمن لا يهدى إلا أن يهدى » ، قال ، قال : الوثن .

* * *

وقوله : « فما لكم كيف تحكمون » ، ألا تعلمون أن من يهدى إلى الحق أحقُّ أن يتبع من الذى لا يهتدى إلى شيء ، إلا أن يهديه إليه هادٍ غيره ، فتتركوا اتّباع من لا يهتدى إلى شيء وعبادته ، وتتبعوا من يهديكم فى ظلمات البر والبحر ، وتخلصوا له العبادة فتفردوه بها وحده ، دون ما تشركونه فيها من آلهتكم وأوثانكم ؟ ٨٢/١١

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (٣٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وما يتبع أكثر هؤلاء المشركين إلا ظنا ، يقول : إلا ما لا علم لهم بحقيقته وصحته ، بل هم منه فى شكٍّ وريبة [١] =« إن الظن لا يغنى من الحق شيئاً » ، يقول : إن الشك لا يغنى من اليقين شيئاً ، ولا يقوم فى شيء مقامَه ، ولا ينتفع به حيث يُحتاج إلى اليقين [٢]= « إن الله عليم بما يفعلون » ، يقول تعالى ذكره : إن الله ذو علم بما يفعل هؤلاء المشركون ، من اتباعهم الظن ، وتكذيبهم الحق اليقين ، وهو لهم بالمرصاد ، حيث لا يُغنى عنهم ظنّهم من الله شيئاً . [٣]

* * *

---

(١) انظر تفسير « الظن » فيما سلف من فهارس اللغة (ظنن) .

(٢) انظر تفسير « أغنى » فيما سلف ١٤ : ١٧٩ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « عليم » فيما سلف من فهارس اللغة (علم) .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٣٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ما ينبغى لهذا القرآن أن يفترى من دون الله ، ، يقول : ما ينبغى له أن يتخرّصه أحد من عند غير الله .[١] وذلك نظير قوله : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ﴾،[سورة آل عمران: ١٦١]،[٢] بمعنى : ما ينبغى لنبى أن يغلّه أصحابُه .

وإنما هذا خبرٌ من الله جل ثناؤه، أنّ هذا القرآن من عنده، أنزله إلى محمدٍ عبده ، وتكذيبٌ منه للمشركين الذين قالوا : « هو شعر وكهانة » ، والذين قالوا : « إنما يتعلمه محمد من يحنّس الرومىّ » .[٣]

يقول لهم جل ثناؤه : ما كان هذا القرآن ليختلقه أحدٌ من عند غير الله ، لأن ذلك لا يقدر عليه أحدٌ من الخلق = « ولكن تصديق الذى بين يديه » ، يقول تعالى ذكره : ولكنه من عند الله ، أنزله مصدِّقاً لما بين يديه ، أى : لما قبله من الكتب التى أنزلت على أنبياء الله ، كالتوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله التى أنزلها على أنبيائه = « وتفصيل الكتاب » ، يقول : وتبيان الكتاب الذى كتبه الله على أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وفرائضه التى فرضها عليهم فى

---

(١) انظر تفسير « الافتراء » فيما سلف من فهارس اللغة (فرى) .

= وتفسير « ما كان » فيما سلف ٧ : ١٤/٣٥٣ : ٥٠٩ – ٥١٤ ، ٥٦١ ، ٥٦٥ .

(٢) هذه قراءة أهل المدينة والكوفة ، بضم الياء وفتح الغين ، بالبناء للمجهول ، وهى غير قراءتنا فى مصحفنا . وقد سلف بيانها وتفسيرها واختلاف المختلفين فيها فيما سلف ٧ : ٣٥٣ ، ٣٥٤ . وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٦٤ .

(٣) فى المطبوعة : « يعيش الرومى » ، وأثبت ما فى المخطوطة . وذاك تصرف لا خير فيه .

السابق من علمه = « لا ريب فيه » ، يقول : لا شك فيه أنه تصديق الذى بين يديه من الكتاب وتفصيل الكتاب ، من عند رب العالمين ، لا افتراءٌ من عند غيره ولا اختلاقٌ. (١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ (٣٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : أم يقول هؤلاء المشركون : افترى محمد هذا القرآن من نفسه فاختلقه وافتعله ؟ قل يا محمد لهم : إن كان كما تقولون إنى اختلقته وافتريته ، فإنكم مثلى من العرب ، ولسانى مثل لسانكم ، وكلامى [مثل كلامكم] ، (٢) فجيئوا بسورة مثل هذا القرآن .

* * *

و « الهاء » فى قوله «مثله » ، كناية عن القرآن .

وقد كان بعض نحويى البصرة يقول : معنى ذلك : قل فأتوا بسورة مثل سورته = ثم ألقيت « سورة » ، وأضيف « المثل » إلى ما كان مضافاً إليه « السورة » ، كما قيل : ﴿ وَاسْئَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ ، [سورة يوسف : ٨٢] ، يراد به : واسأل أهل القرية .

* * *

---

(١) انظر تفسير « التفصيل » فيما سلف ص : ٥٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « الريب » فيما سلف ١٤ : ٤٩٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « العالمين » فيما سلف ١٣ : ٨٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) فى المخطوطة : « ولسانى مثل لسانكم ، وكلامى فجيئوا » أسقط من الكلام ما وضعته بين القوسين استظهاراً ، أما المطبوعة ، فقد جعلها : « ولسانى وكلامى مثل لسانكم » ، فأساء .

وكان بعضهم ينكر ذلك من قوله ، ويزعم أن معناه : فأتوا بقرآن مثل هذا القرآن .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى، أن « السورة » ، إنما هى سورة من القرآن ، وهى قرآن ، وإن لم تكن جميع القرآن . فقيل لهم : « فأتوا بسورة مثله » ، ولم يقل : « مثلها»، لأن الكناية أخرجت على المعنى= أعنى معنى « السورة » = لا على لفظها ، لأنها لو أخرجت على لفظها لقيل : « فأتوا بسورة مثلها » .

* * *

=«وادعوا من استطعتم من دون الله»، يقول: وادعوا، أيها المشركون، على أن يأتوا بسورة مثلها مَنْ قدرتم أن تدعوا على ذلك من أوليائكم وشركائكم = «من دون الله » ، يقول: من عند غير الله ، فأجمِعُوا على ذلك واجتهدوا ، فإنكم لا تستطيعون أن تأتوا بسورةٍ مثله أبداً .

* * *

وقوله : « إن كنتم صادقين »، يقول : إن كنتم صادقين فى أن محمداً افتراه، فأتوا بسورة مثله من جميع من يعينكم على الإتيان بها . فإن لم تفعلوا ذلك ، فلا شك أنكم كَذَبَةٌ فى زعمكم أن محمداً افتراه، لأن محمداً لن يَعْدُوَ أن يكون بشراً مثلكم ، فإذا عجز الجميع من الخلق أن يأتوا بسورةٍ مثله ، فالواحد منهم عن أن يأتى بجميعه أعجز . ٨٣/١١

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (٣٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ما بهؤلاء المشركين ، يا محمد ، تكذيبك ولكن بهم التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه ممّا أنزل اللهعليك فى هذا القرآن ، [١] من وعيدهم على كفرهم بربهم = « ولما يأتهم تأويله »، يقول : ولما يأتهم بعدُ بَيان ما يؤول إليه ذلك الوعيد الذى توعّدهم الله فى هذا القرآن [٢]= « كذلك كذب الذين من قبلهم » ، يقول تعالى ذكره : كما كذب هؤلاء المشركون ، يا محمد ، بوعيد الله ، كذلك كذّب الأمم التى خلت قبلهم بوعيد الله إياهم على تكذيبهم رسلهم وكفرهم بربهم =«فانظر كيف كان عاقبة الظالمين » ، يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فانظر ، يا محمد ، كيف كان عُقْبى كفر من كفر بالله ، ألم نهلك بعضهم بالرجفة ،وبعضهم بالخسْف ، وبعضهم بالغرق ؟ [٣] يقول : فإن عاقبة هؤلاء الذين يكذبونك ويجحدون بآياتى من كفار قومك ، كالتى كانت عاقبة من قبلهم من كفرة الأمم ، إن لم ينيبوا من كفرهم ، ويسارعوا إلى التوبة .

* * *

(١) انظر تفسير « الإحاطة » فيما سلف ص : ٥١ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « التأويل » فيما سلف ١٢ : ٤٧٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « العاقبة » فيما سلف ١٣ : ٤٣ ، تعليق : ١ والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ ۖ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ (٤٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ومن قومك ، يا محمد ، من قريش ، من سوف يؤمن به يقول : من سوف يصدّق بالقرآن ويقرّ أنه من عند الله = « ومنهم لا يؤمن به » أبداً، يقول: ومنهم من لا يصدق به ولا يقرّ أبداً = « وربك أعلم بالمفسدين » ، يقول : والله أعلم بالمكذّبين به منهم ، الذين لا يصدقون به أبداً ، من كل أحدٍ ، لا يخفى عليه، وهو من وراء عقابه . فأما من كتبتُ له أنه يؤمن به منهم ، فإنى سأتوب عليه .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٤١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم : وإن كذبك ، يا محمد، هؤلاء المشركون ، وردّوا عليك ما جئتهم به من عند ربك ، فقل لهم: أيها القوم، لى دينى وعملى ، ولكم دينكم وعملكم ، لا يضرّنى عملكم ، ولا يضركم عملى ، وإنما يُجازَى كل عامل بعمله = « أنتم بريئون مما أعمل » ، لا تؤْخذون بجريرته = « وأنا برىء مما تعملون »، لا أوخذ بجريرة عملكم .[2] وهذا كما

(١) انظر تفسير « الفساد » فيما سلف ١٤ : ٨٦ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « برىء » فيما سلف ١٤ : ١٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

قال جل ثناؤه : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [سورة الكافرون : ١ - ٣] .

* * *

وقيل : إن هذه الآية منسوخة ، نسخها الجهاد والأمر بالقتال .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٦٦٢ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم » ، الآية ، قال : أمرَه بهذا ، ثم نَسَخه وأمرَه بجهادهم .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٤٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ومن هؤلاء المشركين من يستمعون إلى قولك = « أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون » ، يقول : أفأنت تخلق لهم السمع ، ولو كانوا لا سمع لهم يعقلون به ، أم أنا ؟

وإنما هذا إعلامٌ من الله عبادَه أن التوفيق للإيمان به بيده لا إلى أحد سواه . يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : كما أنك لا تقدر أن تسمع ، يا محمد ، من سلبته السمع ، فكذلك لا تقدر أن تفهم أمري ونهيي قلباً سلبته فهم ذلك ، لأني ختمتُ عليه أنه لا يؤمن .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (٤٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ومن هؤلاء المشركين ، مشركى قومك ، من ينظر إليك ، يا محمد، ويرى أعلامك وحُجَجك على نبوتك ، ولكن الله قد سلبه التوفيقَ فلا يهتدى ، ولا تقدر أن تهديه ، كما لا تقدر أن تحدث للأعمى بصراً يهتدى به = « أفأنت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون » ، يقول : أفأنت يا محمد، تحدث لهؤلاء الذين ينظرون إليك وإلى أدلتك وحججك ، فلا يوفَّقون للتصديق بك أبصارًا، لو كانوا عُمْياً يهتدون بها ويبصرون ؟ فكما أنك لا تطيق ذلك ولا تقدر عليه ولا غيرك ، ولا يقدر عليه أحدٌ سواى ، فكذلك لا تقدر على أن تبصِّرهم سبيلَ الرشاد أنت ولا أحدٌ غيري ، لأن ذلك بيدي وإلىَّ .

٨٤/١١

وهذا من الله تعالى ذكره تسليةٌ لنبيه صلى الله عليه وسلم عن جماعةٍ ممن كفر به من قومه وأدبر عنه فكذب ، وتعزية له عنهم ، وأمرٌ برفع طمعه من إنابتهم إلى الإيمان بالله .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَـٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٤٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن الله لا يفعل بخلقه ما لا يستحقون منه ، لا يعاقبهم إلا بمعصيتهم إيّاه، ولا يعذبهم إلا بكفرهم به = « ولكن الناس » ، يقول : ولكن الناس هم الذين يظلمون أنفسهم ، باجترامهم ما يورثها غضبَ الله وسخطه .

وإنما هذا إعلام من الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به، أنه لم يسلُبْ هؤلاء الذين أخبر جلّ ثناؤه عنهم أنهم لا يؤمنون الإيمانَ ابتداءً منه بغير جرم سلف منهم= وإخبارٌ أنه إنما سلبهم ذلك باستحقاقٍ منهم سَلْبَه، للذنوبِ اكتسبوها، فحق عليهم قول ربهم، وطبع على قلوبهم.

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ (٤٥)

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ويوم نحشر هؤلاء المشركين فنجمعهم فى موقف الحساب، [١] كأنهم كانوا قبل ذلك لم يلبثوا إلا ساعة من نهار يتعارفون فيما بينهم، [٢] ثم انقطعت المعرفة، وانقضت تلك الساعة = يقول الله: «قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين»، قد غُبن الذين جحدوا ثوابَ الله وعقابه حظوظَهم من الخير وهلكوا [٣] = «وما كانوا مهتدين»، يقول: وما كانوا موفّقين لإصابة الرشد مما فعلوا من تكذيبهم بلقاء الله، لأنه أكسبهم ذلك ما لا قِبَل لهم به من عذاب الله.

* * *

(١) انظر تفسير «الحشر» فيما سلف ص: ٧٧، تعليق: ٥، والمراجع هناك.
(٢) انظر تفسير «اللبث» فيما سلف ص: ٤١.
(٣) انظر تفسير «الخسران» فيما سلف ١٤: ٣٤٤، تعليق: ٢، والمراجع هناك.

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ (٤٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره وإما نرينّك، يا محمد، فى حياتك بعضَ الذى نعد هؤلاء المشركين من قومك من العذاب = « أو نتوفينك » ، قبل أن نريك ذلك فيهم [١] = « فإلينا مرجعهم » ، يقول : فمصيرهم بكل حال إلينا ، ومنقلبهم [٢] = « ثم الله شهيد على ما يفعلون » ، يقول جل ثناؤه : ثم أنا شاهد على أفعالهم التى كانوا يفعلونها فى الدنيا ، وأنا عالم بها لا يخفى علىّ شىء منها ، [٣] وأنا مجازيهم بها عند مصيرهم إلىّ ومرجعهم ، جزاءَهم الذى يستحقّونه ، كما : —

١٧٦٦٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وإما نرينك بعض الذى نعدهم » ، من العذاب فى حياتك = « أو نتوفينك » ، قبل = « فإلينا مرجعهم » .

١٧٦٦٤ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

١٧٦٦٥ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

---

(١) انظر تفسير « التوفى » فيما سلف ١٤ : ١٥ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « المرجع » فيما سلف ص : ٥٤ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الشهيد » فيما سلف من فهارس اللغة (شهد) .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٤٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: ولكل أمة خلت قبلكم ، أيها الناس ، رسول أرسلته إليهم ، كما أرسلت محمداً إليكم ، يدعون من أرسلتهم إليهم إلى دين الله وطاعته = « فإذا جاء رسولهم » ، يعنى : فى الآخرة ، كما : —

١٧٦٦٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ،عن مجاهد : « ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم »، قال: يوم القيامة . ٨٥/١١

* * *

وقوله : « قضى بينهم بالقسط » ، يقول : قضى حينئذ بينهم بالعدل[1] = « وهم لا يظلمون » ، من جزاء أعمالهم شيئاً ، ولكن يجازى المحسن بإحسانه . والمسيءُ من أهل الإيمان، إما أن يعاقبه الله ، وإما أن يعفو عنه. والكافرُ، يخلّد فى النار . فذلك قضاء الله بينهم بالعدل ، وذلك لا شكّ عدلٌ لا ظلمٌ .

١٧٦٦٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « قضى بينهم بالقسط » ، قال : بالعدل .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ (٤٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : ويقول هؤلاء المشركون من قومك ، يا محمد = « متى هذا الوعد » ، الذى تعدنا أنه يأتينا من

(١) انظر تفسير « القسط » فيما سلف ص : ٢١ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

عند الله ، وذلك قيام الساعة = « إن كنتم صادقين » ، أنت ومن تبعك ، فيما تعدوننا به من ذلك

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (٤٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « قل » ، يا محمد ، لمستعجليك وعيدَ الله ، القائلين لك : متى يأتينا الوعد الذى تعدنا إن كنتم صادقين؟ = « لا أملك لنفسى » ، أيها القوم ، أى : لا أقدرُ لها على ضرٍّ ولا نفع فى دنيا ولا دين [١] = « إلا ما شاء الله » ، أن أملكه ، فأجلبه إليها بإذنه . يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : قل لهم : فإذْ كنت لا أقدر على ذلك إلا بإذنه ، فأنا عن القدرة على الوصول إلى علم الغيب ومعرفة قيام الساعة ، أعجزُ وأعجز ، إلا بمشيئته وإذنه لى فى ذلك = « لكل أمة أجل » ، يقول : لكل قوم ميقاتٌ لانقضاء مدتهم وأجلهم ، فإذا جاء وقت انقضاء أجلهم وفناء أعمارهم [٢] = « لا يستأخرون » ، عنه ، « ساعة » ، فيمهلون ويؤخرون = « ولا يستقدمون » ، قبل ذلك ، لأن الله قضى أن لا يتقدم ذلك قبل الحين الذى قدّره وقضاه . [٣]

* * *

---

(١) انظر تفسير « الملك » فيما سلف ١٣ : ٣٠٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الأمة » فيما سلف من فهارس اللغة (أم) .

= وتفسير « الأجل » فيما سلف ص : ٣٣ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « استأخر » و « استقدم » فيما سلف ١٢ : ٤٠٤ ، ٤٠٥ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ (٥٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قل ، يا محمد ، لهؤلاء المشركين من قومك: أرأيتم إن أتاكم عذاب الله بياتاً، يقول: ليلا أو نهاراً، [١] وجاءت الساعة وقامت القيامة ، أتقدرون على دفع ذلك عن أنفسكم ؟ يقول الله تعالى ذكره : ماذا يستعجلُ من نزول العذاب ، [٢] المجرمون الذين كفروا بالله ، وهم الضّالون بحرّه دون غيرهم ، ثم لا يقدرون على دفعه عن أنفسهم ؟

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ (٥١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : أهنالك إذا وقع عذابُ الله بكم، أيها المشركون = « آمنتم به » ، يقول : صدّقتم به فى حالٍ لا ينفعكم فيها التصديق ، وقيل لكم حينئذ: آلآنَ تصدّقون به ، وقد كنتم قبل الآن به تستعجلون ، وأنتم بنزوله مكذّبون ؟ فذوقوا الآن ما كنتم به تكذّبون .

* * *

ومعنى قوله: « أثم » ، فى هذا الموضع : أهنالك ، وليست « ثُمَّ » هذه ها هنا التى تأتى بمعنى العطف . [٣]

* * *

(١) انظر تفسير « البيات » فيما سلف ١٢ : ٢٩٩ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الاستعجال » فيما سلف ص : ٣٣ .

(٣) انظر تفسير « ثم » فيما سلف ٢ : ٥٣٥ وفيه تفسير « ثم » المفتوحة ، بمعنى : هنالك . وقد قال القرطبى فى تفسيره ٨ : ٣٥١ : « وقيل إن « ثم » ههنا بمعنى « ثم » بفتح الثاء فتكون ظرفاً ، والمعنى : أهنالك ، وهو مذهب الطبرى » . وقال أبو حيان فى تفسيره ٥ : ١٦٧ « وقال الطبرى فى قوله : أثم ، بضم الثاء أن معناه : أهنالك ، وليست « ثم » هذه ههنا التى تأتى بمعنى العطف ، وما قاله الطبرى دعوى .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ثُم قِيلَ لِلَّذِين ظَلَمُوا ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ (٥٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « ثم قيل للذين ظلموا »، أنفسهم، بكفرهم بالله = « ذوقوا عذاب الخلد »، تجرّعوا عذابَ الله الدائم لكم أبداً ، الذى لا فناء له ولا زوال[1] = « هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون » ، يقول : يقال لهم : فانظروا هل تجزون ، أى : هل تثابون = « إلا بما كنتم تكسبون » ، يقول : إلا بما كنتم تعملون فى حياتكم قبل مماتكم من معاصى الله ؟[2]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ (٥٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ويستخبرك هؤلاء المشركون من قومك ، يا محمد، [3] فيقولون لك : أحق ما تقول، وما تعدنا به من عذاب الله فى الدار الآخرة جزاءً على ما كنا نكسِب من معاصى الله فى الدنيا ؟ قل لهم يا محمد : « إي وربى إنه لحق » ، لا شك فيه ، وما أنتم بمعجزى الله إذا أراد ذلك بكم ، بهربٍ ، أو امتناع ، بل أنتم فى قبضته وسلطانه وملكه، إذا أراد فعل ذلك بكم، فاتّقوا الله فى أنفسكم .[4] ٨٦١/١

* * *

(١) انظر تفسير « الذوق » فيما سلف ص : ٤٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « الخلد » فيما سلف من فهارس اللغة (خلد)
(٢) انظر تفسير « الجزاء » ، و « الكسب » فيما سلف من فهارس اللغة (جزى) ، (كسب) .
(٣) انظر تفسير « النبأ » فيما سلف ص : ٥٤ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .
(٤) انظر تفسير « الإعجاز » فيما سلف ١٤ : ١٣١ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (٥٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولو أن لكل نفس كفرت بالله = و « ظلمها » ، فى هذا الموضع ، عبادتُها غيرَ من تستحق عبادته ، [1] وتركها طاعة من يجب عليها طاعته = « ما فى الأرض » ، من قليل أو كثير = « لافتدت به » ، يقول : لافتدت بذلك كلِّه من عذاب الله إذا عاينته [2] = وقوله : « وأسروا الندامة لما رأوا العذاب » ، يقول : وأخفتْ رؤساء هؤلاء المشركين من وضعائهم وسفلتهم الندامةَ ، حين أبصرُوا عذاب الله قد أحاط بهم ، وأيقنوا أنه واقع بهم = « وقضى بينهم بالقسط » ، يقول : وقضى الله يومئذ بين الأتباع والرؤساء منهم بالعدل [3] = « وهم لا يظلمون » ، وذلك أنه لا يعاقب أحداً منهم إلا بجريرته ، ولا يأخذه بذنب أحدٍ ، ولا يعذِّب إلا من قد أعذر إليه فى الدنيا وأنذر وتابع عليه الحجج .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٥٥)

قال أبو جعفر : يقول جل ذكره : ألا إنّ كل ما فى السموات وكل ما فى الأرض من شىء ، لله مِلْك ، لا شىء فيه لأحدٍ سواه . يقول : فليس لهذا الكافر

---

(١) فى المطبوعة : « من يستحق عبادة » ، غير ما فى المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « الافتداء » فيما سلف من فهارس اللغة (فدى) .

(٣) انظر تفسير « القسط » فيما سلف ص : ٩٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

بالله يومئذٍ شيء يملكه فيفتدى به من عذاب ربّه، وإنما الأشياء كلها للذى إليه عقابه . ولو كانت له الأشياء التى هى فى الأرض ، ثم افتدى بها ، لم يقبل منه بدلاً من عذابه، فيصرف بها عنه العذاب ، فكيف وهو لا شيء له يفتدى به منه، وقد حقّ عليه عذاب الله ؟ يقول الله جل ثناؤه : « ألا إن وعد الله حق » ، يعنى أن عذابه الذى أوعد هؤلاء المشركين على كفرهم ، حقٌّ ، فلا عليهم أن لا يستعجلوا به ، فإنه بهم واقع لا شك = « ولكن أكثرهم لا يعلمون » ، يقول : ولكن أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون حقيقةَ وقوع ذلك بهم، فهم من أجل جهلهم به مكذّبون.

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ هُوَ يُحْيِـۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٥٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن الله هو المحيي المميت ، لا يتعذّر عليه فعلُ ما أراد فعله من إحياء هؤلاء المشركين إذا أراد إحياءهم بعد مماتهم ، ولا إماتتهم إذا أراد ذلك ، وهم إليه يصيرون بعد مماتهم ، فيعاينون ما كانوا به مكذبين من وعيدِ الله وعقابه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٥٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لخلقه : « يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم » ، يعنى : ذكرى تذكركم عقابَ الله وتخوّفكم وعيده[1] = « من

(١) انظر تفسير « الموعظة » فيما سلف ٨ : ٥٢٨ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

ربكم » ، يقول : من عند ربكم ، لم يختلقها محمد صلى الله عليه وسلم ، ولم يفتعلها أحد ، فتقولوا : لا نأمن أن تكون لا صحةَ لها . وإنما يعنى بذلك جلّ ثناؤه القرآن ، وهو الموعظة من الله .

وقوله : « وشفاء لما فى الصدور » ، يقول : ودواءٌ لما فى الصدور من الجهل ، يشفى به الله جهلَ الجهال ، فيبرئ به داءهم ، ويهدى به من خلقه من أراد هدايته به = « وهدى » ، يقول : وهو بيان لحلال الله وحرامه ، ودليلٌ على طاعته ومعصيته = « ورحمة » ، يرحم بها من شاء من خلقه ، فينقذه به من الضلالة إلى الهدى ، وينجيه من الهلاك والردى . وجعله تبارك وتعالى رحمة للمؤمنين به دون الكافرين به ، لأن من كفر به فهو عليه عمًى ، وفى الآخرة جزاؤه على الكفر به الخلودُ فى لظًى .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (٥٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « قل » ، يا محمد ، لهؤلاء المكذِّبين بك وبما أنزل إليك من عند ربك =[1] « بفضل الله » ، ٨٧/١١
أيها الناس ، الذى تفضل به عليكم ، وهو الإسلام ، فبيَّنه لكم ، ودعاكم إليه = « وبرحمته » ، التى رحمكم بها ، فأنزلها إليكم ، فعلَّمكم ما لم تكونوا تعلمون من كتابه ، وبصرَّكم بها معالم دينكم ، وذلك القرآن = « فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون » ، يقول : فإن الإسلام الذى دعاهم إليه ، والقرآن الذى أنزله عليهم ، خيرٌ مما يجمعون من حُطَام الدنيا وأموالها وكنوزها .

* * *

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « لهؤلاء المشركين بك » ، وهو فاسد جداً ، ورجحت أن الصواب ما أثبت .

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٦٦٨ – حدثنى على بن الحسن الأزدى قال، حدثنا أبو معاوية، عن الحجاج ، عن عطية ، عن أبى سعيد الخدرى فى قوله : « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا » ، قال : « بفضل الله »، القرآن = « وبرحمته » ، أن جعلكم من أهله .(١)

١٧٦٦٩ – حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعى قال، حدثنا فضيل ، عن منصور ، عن هلال بن يساف : « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا »، قال : بالإسلام الذى هداكم ، وبالقرآن الذى علّمكم .

١٧٦٧٠ – حدثنا أبو هشام الرفاعى قال، حدثنا ابن يمان قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن هلال بن يساف : « قل بفضل الله وبرحمته »، قال : بالإسلام والقرآن = « فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون » ، من الذهب والفضّة .

١٧٦٧١ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن هلال بن يساف فى قوله : « قل بفضل الله وبرحمته »، قال: « فضل الله » ، الإسلام، و « رحمته » ، القرآن .

١٧٦٧٢ – حدثنى على بن سهل قال، حدثنا زيد قال، حدثنا سفيان، عن منصور ، عن هلال بن يساف فى قوله : « قل بفضل الله وبرحمته » ، قال : الإسلام والقرآن .

---

(١) الأثر : ١٧٦٦٨ – « على بن الحسن الأزدى » ، شيخ الطبرى ، مضى برقم : ١٠٢٥٨ ، وأننا لم نجد له ترجمة . وكان فى المطبوعة هنا « بن الحسين » ، وهو خطأ ، وقع مثله عندنا فى هامش التعليق على الأثر المذكور ٩ : ٩٨ ، تعليق : ١

١٧٦٧٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو نعيم وقبيصة قالا ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن هلال بن يساف ، مثله .

١٧٦٧٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن هلال ، مثله .

١٧٦٧٥ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة : « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا »، أما فضله فالإسلام، وأما رحمته فالقرآن .

١٧٦٧٦ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن : « قل بفضل الله وبرحمته » ، قال : فضله الإسلام ، ورحمته القرآن .

١٧٦٧٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « قل بفضل الله وبرحمته » ، قال : القرآن .

١٧٦٧٨ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « وبرحمته » ، قال : القرآن .

١٧٦٧٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس قوله : « هو خير مما يجمعون » ، قال : الأموال وغيرها .

١٧٦٨٠ – حدثنا علي بن داود قال، حدثني أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « قل بفضل الله وبرحمته » ، يقول : فضله الإسلام ، ورحمته القرآن .

١٧٦٨١ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن هلال : « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا » ، قال : بكتاب الله ، وبالإسلام = « هو خير مما يجمعون » .

* * *

وقال آخرون : بل « الفضل » ، القرآن = و « الرحمة » ، الإسلام .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٦٨٢ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون » ، قال : « بفضل الله » ، القرآن = « وبرحمته » ، حين جعلهم من أهل القرآن .

١٧٦٨٣ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا جعفر بن عون قال ، حدثنا هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم قال : « فضل الله » ، القرآن ، و « رحمته » ، الإسلام .

١٧٦٨٤ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قوله : « قل بفضل الله وبرحمته » ، قال : « بفضل الله » ، القرآن = « وبرحمته » ، الإسلام .

١٧٦٨٥ – حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا » ، قال : كان أبي يقول : فضله القرآن ، ورحمته الإسلام . ١١/٨٨

* * *

واختلفت القرأة في قراءة قوله : « فبذلك فليفرحوا » .

فقرأ ذلك عامة قرأة الأمصار : ﴿ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ بالياء ﴿ هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ بالياء أيضاً ، على التأويل الذي تأولناه ، من أنه خبر عن أهل الشرك بالله . يقول : فبالإسلام والقرآن الذي دعاهم إليه ، فليفرح هؤلاء المشركون ، لا بالمال الذي يجمعون ، فإن الإسلام والقرآن خيرٌ من المال الذي يجمعون ، وكذلك :–

١٧٦٨٦ – حدثت عن عبد الوهاب بن عطاء ، عن هرون ، عن أبي التيّاح :

« فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون » ، يعنى الكفار .

* * *

ورُوى عن أبىّ بن كعب فى ذلك ما :—

١٧٦٨٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن أسلم المنقرى ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى ، عن أبيه ، عن أبىّ بن كعب : أنه كان يقرأ: ﴿ فَبِذَالِكَ فَلْتَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا تَجْمَعُونَ ﴾ ، بالتاء .

١٧٦٨٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال، أخبرنا هشيم ، عن الأجلح ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى ، عن أبيه ، عن أبى بن كعب ، مثل ذلك .

* * *

وكذلك كان الحسن البصرى يقول : غير أنه فيما ذُكر عنه كان يقرأ قوله : ﴿ هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ ، بالياء، الأول على وجه الخطاب ، والثانى على وجه الخبر عن الغائب .

* * *

وكان أبو جعفر القارئ ، فيما ذكر عنه ، يقرأ ذلك نحو قراءة أبىّ ، بالتاء جميعاً .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك ما عليه قرأة الأمصار من قراءة الحرفين جميعاً بالياء: ﴿ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ ، لمعنيين :

أحدهما : إجماع الحجة من القرأة عليه .

والثانى : صحته فى العربية، وذلك أن العرب لا تكاد تأمر المخاطب باللام والتاء ، وإنما تأمره فتقول : « أفعل ولا تفعل » .

وبعدُ ، فإنى لا أعلم أحداً من أهل العربية إلاّ وهو يستردئ أمر المخاطب باللام ، ويرى أنها لغة مرغوب عنها ، غير الفراء ، فإنه كان يزعم أن اللاّم فى

الأمر [هى البناء الذى خلق له] ، [١] واجهتَ به أم لم تُوَاجِهْ ، إلا أن العرب حذفت اللام من فعل المأمور المواجَه ، لكثرة الأمر خاصةً فى كلامهم ، كما حذَفوا التاء من الفعل . قال : وأنت تعلم أن الجازم والناصِب لا يقعان إلاّ على الفعل الذى أوله الياء والتاء والنون والألف ، فلما حُذِفت التاء ذهبت اللام ، وأُحدِثَت الألف فى قولك : « اضرب » و « افرح » ، لأن الفاء ساكنة ، فلم يستقم أن يستأنف بحرف ساكنٍ ، فأدخلوا ألفاً خفيفةً يقع بها الابتداء ، كما قال : ﴿ ادَّارَكُوا ﴾ ، [سورة الأعراف : ٣٨] . [٢] و ﴿ اثَّاقَلْتُمْ ﴾ ، [سورة التوبة : ٣٨] . [٣]

وهذا الذى اعتلّ به الفراء ، عليه لا له . وذلك أن العَرب إن كانت قد حذفت اللام فى المواجَه وتركتها ، فليس لغيرها إذا نطق بكلامها أن يُدْخِل فيه ما ليس منه ، ما دام متكلِّماً بلغتها . فإن فعل ذلك ، كان خارجاً عن لغتها . وكتابُ الله الذى أنزله على محمدٍ بلسانها ، [٤] فليس لأحدٍ أن يتلوه إلا بالأفصح من كلامها ، وإن كان معروفاً بعضُ ذلك من لغة بعضها ، فكيف بما ليس بمعروف من لغة حيٍّ ولا قبيلة منها ، وإنما هو دعوى لا تثبتُ بها [حجّة] ولا صحة . [٥]

* * *

(١) فى المطبوعة : « أن اللام فى ذى التاء الذى خلق له » ، وهو كلام ساقط بمرة واحدة . وكان فى المخطوطة : « أن اللام فى هى البناء . . . » ، والزيادة التى بين القوسين من عندى ، لأن الناسخ أسقط ، كما هو ظاهر . واستظهرت ذلك من كتاب الفراء ، وهذا كله نصه ، كما سيأتى .

(٢) فى المطبوعة : « اداركتم » ، وفى المخطوطة « قالوا : اداركوا واثاقلتم » ، وأثبت نص الفراء .

(٣) هذا كله نص الفراء فى معانى القرآن ١ : ٤٦٩ .

(٤) فى المطبوعة : « وكلام الله » ، والجيد ما فى المخطوطة .

(٥) فى المطبوعة : « لا ثبت بها ولا حجة » ، وفى المخطوطة : « لا تثبت بها ولا صحة » فزدت « حجة » بين القوسين ، لاقتضاء السياق إياها .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ (٥٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : « قل » ، يا محمد، لهؤلاء المشركين = « أرأيتم » أيها الناس = « ما أنزل الله لكم من رزق » ، يقول : ما خلق الله لكم من الرزق فخوّلكموه ، وذلك ما تتغذون به من الأطعمة = « فجعلتم منه حراماً وحلالاً » ، يقول : فحللتم بعضَ ذلك لأنفسكم ، وحرمتم بعضه عليها ، وذلك كتحريمهم ما كانوا يحرّمونه من حُروثهم التى كانوا يجعلونها لأوثانهم، كما وصفهم الله به فقال: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا ﴾ ، [سورة الأنعام : ١٣٦] .

ومن الأنعام ما كانوا يحرّمونه بالتبحير والتسييب ونحو ذلك ، مما قدّمناه فيما مضى من كتابنا هذا .[1]

٨٩/١١

يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « قل » ، يا محمد، « آلله أذن لكم » بأن تحرّموا ما حرّمتم منه، « أم على الله تفترون »، أى : تقولون الباطل وتكذبون ؟ [2]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٦٨٩ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قال: إن أهل الجاهلية كانوا يحرّمون أشياء أحلّها الله من الثياب وغيرها ، وهو قول الله : « قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه

---

(١) انظر ما سلف ١١ : ١١٦ — ١٣٤ .

(٢) انظر تفسير « الافتراء » فيما سلف من فهارس اللغة (فرى) .

حراماً وحلالاً » ، وهو هذا . فأنزل الله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ﴾ الآية ، [سورة الأعراف : ٣٢] .

١٧٦٩٠ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم » إلى قوله : « أم على الله تفترون » ، قال: هم أهل الشرك .

١٧٦٩١ – حدثني القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس قوله : « فجعلتم منه حراماً وحلالاً » ، قال : الحرث والأنعام = قال ابن جريج قال ، مجاهد : البحائر والسُّيَّب .

١٧٦٩٢ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « فجعلتم منه حراماً وحلالاً » ، قال : في البحيرة والسائبة .

١٧٦٩٣ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً » ، الآية ، يقول : كل رزق لم أحرِّم حرَّمتموه على أنفسكم من نسائكم وأموالكم وأولادكم ، آلله أذن لكم فيما حرمتم من ذلك ، أم على الله تفترون ؟

١٧٦٩٤ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله: « قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً »، فقرأ حتى بلغ : « أم على الله تفترون » ، وقرأ : ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا ﴾ ، [سورة الأنعام : ١٣٩]، وقرأ: ﴿ وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ ﴾ حتى بلغ : ﴿ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ ٱللهِ عَلَيْهَا ﴾ ،[سورة الأنعام: ١٣٨] . فقال : هذا قوله، جعل لهم رزقاً، فجعلوا منه حراماً وحلالاً ، وحرموا بعضه وأحلُّوا بعضه.

وقرأ: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ﴾، أيّ هذين حرّم على هؤلاء الذين يقولون وأحل لهؤلاء، ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا﴾، إلى آخر الآيات، [سورة الأنعام: ١٤٢ - ١٤٤].

١٧٦٩٥ - حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال، حدثنا عبيد بن سليمان قال، سمعت الضحاك يقول في قوله: «قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً»، هو الذي قال الله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيباً﴾ إلى قوله: ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾، [سورة الأنعام: ١٣٦].

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٦٠)

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وما ظن هؤلاء الذين يتخرّصون على الله الكذبَ، فيضيفون إليه تحريم ما لم يحرّمه عليهم من الأرزاق والأقوات التي جعلها الله لهم غذاءً، أنّ الله فاعلٌ بهم يوم القيامة بكذبهم وفريتهم عليه؟ أيحسبون أنه يصفح عنهم ويغفر؟ كلاّ، بل يصليهم سعيراً خالدين فيها أبداً = «إن الله لذو فضل على الناس»، يقول: إن الله لذو تفضُّل على خلقه، بتركه معاجلة من افترى عليه الكذب بالعقوبة في الدنيا، وإمهاله إياه إلى وروده عليه في القيامة

= « ولكن أكثرهم لا يشكرون » ، يقول : ولكن أكثر الناس لا يشكرونه على تفضُّله عليهم بذلك ، وبغيره من سائر نعمه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى الْأَرْضِ وَلَا فِى السَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ (٦١) ٩٠/١١

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « وما تكون » ، يا محمد = « فى شأن » ، يعنى : فى عمل من الأعمال = « وما تتلو منه من قرآن » ، يقول : وما تقرأ من كتاب الله من قرآن[1] = « ولا تعملون من عمل » ، يقول : ولا تعملون من عمل ، أيها الناس ، من خير أو شر = « إلا كنَّا عليكم شهوداً » ، يقول : إلا ونحن شهود لأعمالكم وشئونكم ، إذ تعملونها وتأخذون فيها .[2]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك رُوِى القول عن ابن عباس وجماعة .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٦٩٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « إذ تفيضون فيه » ، يقول : إذ تفعلون .

* * *

---

(١) انظر تفسير « التلاوة » فيما سلف من فهارس اللغة (تلا) .

(٢) انظر تفسير « الإفاضة » فيما سلف ٤ : ١٧٠ .

وقال آخرون : معنى ذلك ، إذ تشيعون فى القرآن الكذبَ .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٦٩٧ – حدثت عن المسيب بن شريك، عن أبى روق ، عن الضحاك : « إذ تفيضون فيه » ، يقول : تشيعون فى القرآن من الكذب .[1]

* * *

وقال آخرون معنى ذلك : إذ تفيضون فى الحق .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٦٩٨ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « إذ تفيضون فيه » ، فى الحق ما كان .

١٧٦٩٩ – . . . . قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٧٧٠٠ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

قال أبو جعفر : وإنما اخترنا القول الذي اخترناه فيه ، لأنه تعالى ذكره أخبر أنه لا يعمل عبادُه عملاً إلا كان شاهدَه ، ثم وصل ذلك بقوله : « إذ تفيضون فيه » ، فكان معلوماً أن قوله : « إذ تفيضون فيه » ، إنما هو خبرٌ منه عن وقت عمل العاملين أنه له شاهد = لا عن وَقْت تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم القرآن ، لأن ذلك لو كان خبراً عن شهوده تعالى ذكره وقتَ إفاضة القوم فى القرآن، لكانت القراءة بالياء : « إذ يفيضون فيه » ، خبراً منه عن المكذبين فيه .

فإن قال قائل : ليس ذلك خبراً عن المكذبين ، ولكنه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ،[2] أنه شاهده إذْ تلا القرآن .

---

(١) فى المطبوعة : « فتشيعون » بالفاء ، لم يحسن قراءة المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « ولكن خطاب » ، بحذف الهاء ، وأثبتها من المخطوطة .

=فإن ذلك لو كان كذلك، لكان التنزيل : « إذ تفيض فيه »، لأن النبي صلى الله عليه وسلم واحدٌ لا جمع، كما قال : « وما تتلو منه من قرآن »، فأفرده بالخطاب= ولكن ذلك فى ابتدائه خطابَه صلى الله عليه وسلم بالإفراد، ثم عَوْده إلى إخراج الخطاب على الجمع، نظير قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ ، [سورة الطلاق : ١]، وذلك أن فى قوله : « إذا طلقتم النساء »، دليلاً واضحاً على صرفه الخطابَ إلى جماعة المسلمين مع النبي صلى الله عليه وسلم مع جماعة الناس غيره، لأنه ابتدأ خطابه، ثم صرف الخطابَ إلى جماعة الناس والنبي صلى الله عليه وسلم فيهم .

= وخبرٌ عن أنه لا يعمل أحدٌ من عباده عملاً إلا وهو له شاهد، [1] يحصى عليه ويعلمه كما قال : « وما يعزب عن ربك »، يا محمد، عمل خلقه، ولا يذهب عليه علم شيء حيث كان من أرض أو سماء .

* * *

وأصله من « عزوب الرجل عن أهله فى ماشيته »، وذلك غيبته عنهم فيها . يقال منه : « عزَبَ الرَّجل عن أهله يَعْزُبُ ويَعْزِبُ » .

* * *

= لغتان فصيحتان، قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القرأة، وبأيتهما قرأ القارئ فمصيبٌ، لاتفاق معنييهما، واستفاضتهما فى منطق العرب، غير أنى أميل إلى الضم فيه، لأنه أغلب على المشهورين من القرأة .

* * *

وقوله : « من مثقال ذرة »، يعنى : من زنة نملة صغيرة .

* * *

يحكى عن العرب : « خذ هذا، فإنه أخف مثقالاً من ذاك»، أى : أخفُّ وزناً. [2]

* * *

---

(١) قوله : « وخبر عن أنه لا يعمل أحد » معطوف على قوله فى أول هذه الفقرة : « إنما هو خبر عن وقت عمل العاملين . . . » .

(٢) انظر تفسير « المثقال » فيما سلف ٨ : ٣٦٠، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٧٨، وهو نص كلامه .

و « الذرّة » واحدة : « الذرّ » ، و « الذر » ، صغار النمل .[1]

* * *

قال أبو جعفر : وذلك خبرٌ عن أنه لا يخفى عليه جل جلاله أصغر الأشياء ٩١/١١ وإن خف فى الوزن كلّ الخفة ، ومقاديرُ ذلك ومبلغه ، ولا أكبرها وإن عظم وثقل وزنه ، وكم مبلغ ذلك . يقول تعالى ذكره لخلقه : فليكن عملكم ، أيها الناس ، فيما يرضى ربّكم عنكم ، فإنّا شهود لأعمالكم ، لا يخفى علينا شيء منها ، ونحن محصُوها ومجازوكم بها .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « ولا أصغر من ذلك ولا أكبر » .

فقرأ ذلك عامة القرأة بفتح الراء من ﴿ أَصْغَرَ ﴾ و ﴿ أَكْبَرَ ﴾ ، على أن معناها الخفض ، عطفاً بالأصغر على الذرة ، وبالأكبر على الأصغر ، ثم فتحت راؤهما ، لأنهما لا يُجْرَيان .

* * *

وقرأ ذلك بعض الكوفيين : ﴿ وَلاَ أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرُ ﴾ ، رفعاً ، عطفاً بذلك على معنى : « المثقال » ، لأن معناه الرفع . وذلك أن « مِنْ » ، لو ألقيت من الكلام ، لرفع « المثقال » ، وكان الكلام حينئذ : « وما يعزُب عن ربك مثقالُ ذرة ، ولا أصغرُ من مثقال ذرة ولا أكبرُ » ، وذلك نحو قوله : ﴿ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ ﴾ و ﴿ غَيْرُ اللهِ ﴾ ، [سورة فاطر : ٣] .[2]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب ، قراءةُ من قرأ بالفتح ، على وجه الخفض والردّ على الذرة ، لأن ذلك قراءة قرأة الأمصار ، وعليه عوَامُّ القرأة ،

---

(١) انظر تفسير « الذرة » فيما سلف ٨ : ٣٦٠ ، ٣٦١ .

(٢) لم يذكر أبو جعفر قراءة الرفع فى هذه الآية ، فى موضعها من تفسير « سورة فاطر » ، فيما سيأتى ٢٢ : ٧٧ (بولاق) ، وسأشير إلى ذلك فى موضعه هناك . وهذا دليل آخر على اختصار أبى جعفر ، تفسيره فى مواضع ، كما أشرت إليه فى كثير من تعليقاتى .

وهو أصحّ فى العربية مخرجاً، وإن كان للأخرى وجهٌ معروفٌ .

* * *

وقوله : « إلا فى كتاب » ، يقول : وما ذاك كله إلاّ فى كتاب عند الله = « مبين » ،عن حقيقة خبر الله لمن نظر فيه ،[1] أنه لا شىء كان أو يكون إلا وقد أحصاه الله جل ثناؤه فيه ، وأنه لا يعزُب عن الله علم شىء من خلقه حيث كان من سمائه وأرضه .

* * *

١٧٧٠١ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « وما يعزب » ، يقول : لا يغيب عنه .

١٧٧٠٢ – حدثنى محمد بن عمارة قال ، حدثنا عبد الله قال ، أخبرنا إسرائيل ، عن أبى يحيى ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : « وما يعزب عن ربك » ، قال : ما يغيب عنه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ألا إن أنصار الله لا خوف عليهم فى الآخرة من عقاب الله، لأن الله رضى عنهم فآمنهم من عقابه= ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا .

* * *

و « الأولياء » ، جمع « ولى » ، وهو النصير ، وقد بينا ذلك بشواهده .[2]

* * *

---

(١) انظر تفسير « مبين » فيما سلف من فهارس اللغة (بين) .

(٢) انظر تفسير « الولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) ، ولكن ههنا تفصيل فى معنى « أولياء الله » ، لم يسبق له نظير .

واختلف أهل التأويل فيمن يستحقُّ هذا الاسم .

فقال بعضهم : هم قومٌ يُذْكَرُ الله لرؤيتهم ، لما عليهم من سيما الخير والإخبات .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٧٠٣ – حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا، حدثنا ابن يمان قال ، حدثنا ابن أبي ليلى، عن الحكم ، عن مقسم، وسعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون »، قال : الذين يُذْكَرُ الله لرؤيتهم.

١٧٧٠٤ – حدثنا أبو كريب وأبو هشام قالا، حدثنا ابن يمان، عن أشعث ابن إسحق ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن النبي صلى الله عليه وسلم، مثله .(١)

١٧٧٠٥ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن يمان، عن سفيان ، عن العلاء بن المسيب ، عن أبي الضحى ، مثله .

١٧٧٠٦ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن العلاء بن المسيب ، عن أبيه : « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ، قال: الذين يُذْكَر الله لرؤيتهم .

١٧٧٠٧ – . . . . قال ، حدثنا ابن مهدي ، وعبيد الله، عن سفيان ، عن العلاء بن المسيب ، عن أبي الضحى قال : سمعته يقول في هذه الآية : « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ، قال : من الناس مَفَاتِيح ، (٢) إذا رُأُوا ذُكِر الله لرؤيتهم .

---

(١) الأثر : ١٧٧٠٤ – « أشعث بن إسحق بن سعد بن مالك القمي» ، ثقة ، مضى برقم : ٧٨ ، وهذا خبر مرسل .

(٢) « مفاتيح » ، جمع « مفتاح » ، وهو الذي يفتح به الباب . وهذا مجاز ، إنما أراد أنهم يفتحون باب الخير للناس ، وأعظم الخير ذكر الله سبحانه وتعالى .

١٧٧٠٨ — .... قال، حدثنا أبي، عن مسعر، عن سَهْل أبي الأسد، عن سعيد بن جبير قال : سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن « أولياء الله » ، فقال : الذين إذا رُأوا ذُكر الله .[1]

١٧٧٠٩ — . . . . قال، حدثنا زيد بن حباب، عن سفيان، عن حبيب ابن أبي ثابت، عن أبي وائل، عن عبد الله : « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ، قال : الذين إذا رُأوا ذُكر الله لرؤيتهم

١٧٧١٠ — . . . . قال، حدثنا أبو يزيد الرازي، عن يعقوب، عن جعفر، عن سعيد بن جبير، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : هم الذين إذا رُأوا ذكر اللهُ . ٩٢/١١

١٧٧١١ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا فرات، عن أبي سعد، عن سعيد بن جبير قال : سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن « أولياء الله » ، قال : هم الذين إذا رُأوا ذُكِر الله .

١٧٧١٢ — . . . . قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا العوّام، عن عبد الله بن أبي الهذيل في قوله : « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » الآية، قال : إن ولي الله إذا رُؤِي ذُكِر الله .

* * *

وقال آخرون في ذلك بما : —

١٧٧١٣ — حدثنا أبو هشام الرفاعي قال، حدثنا ابن فضيل قال، حدثنا

---

(١) الأثر : ١٧٧٠٨ — « سهل أبو الأسد القراري الحنفي » ، ثقة، مترجم في الكبير ٢/٢/١٠٠ ، وابن أبي حاتم ٢/١/٢٠٦ ، وكان في المطبوعة : « سهل بن الأسد » ، وهو تصرف من الناشر وفساد، غير ما في المخطوطة .

و « القراري » ، بالقاف، قال البخاري : « وقرار، قبيلة » ، وهي من حنيفة، من بكر .

ومما يذكر في كتب الرجال « سهل الفزاري » بالفاء و « سهل بن فلان القراري » بالقاف، وهو عندهم مجهول، وأخشى أن يكون هو « سهل القراري » ، انظر أيضاً ابن أبي حاتم ٢/١/٢٠٦ ، وميزان الاعتدال ١ : ٤٣١ ، ولسان الميزان ٣ : ١٢٣ .

ومهما يكن، فهذا خبر مرسل، عن سعيد بن جبير .

أبي ، عن عمارة بن القعقاع الضبي ، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير البجلي ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من عباد الله عباداً يغبطهم الأنبياء والشهداء! قيل: من هم يا رسول الله ؟ فلعلّنا نحبّهم! قال : هم قوم تحابّوا في الله من غير أموالٍ ولا أنساب ، وجوههم من نورٍ على منابر من نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس . وقرأ : « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .(١)

١٧٧١٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن عمارة ، عن أبي زرعة ، عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله ! قالوا: يارسول الله، أخبرنا من هم وما أعمالهم ؟ فإنا نحبهم لذلك ! قال: هم قوم تحابّوا في الله بروح الله، على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنورٌ ، وإنهم لعلى نور ، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس. وقرأ هذه الآية: « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون» .(٢)

---

(١) الأثر : ١٧٧١٣ – « ابن فضيل » ، هو « محمد بن فضيل بن غزوان الضبي » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً كثيرة ، آخرها رقم : ١٤٢٤٧ . وكان في المطبوعة والمخطوطة « أبو فضيل » وهو خطأ ، صوابه من تفسير ابن كثير ٤ : ٣١٤ ، إذ نقل هذا الخبر عن هذا الموضع من التفسير .

وأبوه : « فضيل بن غزوان الضبي » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ١٤٢٤٧ .

و « عمارة بن القعقاع الضبي » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ١٤٢٠٣ ، ١٤٢٠٩ ، ١٤٧١٥ .

و « أبو زرعة بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلي » ، تابعي ثقة ، روى له الجماعة . مضى مراراً آخرها رقم : ١٤٧١٥ ، وكان في المطبوعة والمخطوطة : « أبو زرعة ، عن عمرو بن حمزة » ، ومثله في المخطوطة ، و « حمزة » سيئة الكتابة وإنما هي « جرير » ، دخل حرف منها على حرف . وقد مضى الخطأ في اسمه مراراً .

وهذا إسناد صحيح .

وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣ : ٣١٠ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي الدنيا ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقي .

(٢) الأثر : ١٧٧١٤ – سلف بيان رجاله في الإسناد السابق ، إلا أن أبا زرعة بن عمرو بن جرير ، لم يروعن عمر إلا مرسلا ، فهو إسناد جيد إلا أنه منقطع .

١٧٧١٥ – حدثنا بحر بن نصر الحولانى قال، حدثنا يحيى بن حسان قال، حدثنا عبد الحميد بن بهرام قال، حدثنا شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن ابن غنم، عن أبى مالك الأشعرى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يأتى من أفْنَاء الناس ونوازع القبائل، (١) قوم لم تَصل بينهم أرحام متقاربة، (٢) تحابُّوا فى الله، وتصافَوْا فى الله، يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور، فيجلسهم عليها، يفزع الناس فلا يفزعون، وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. (٣)

* * *

قال أبو جعفر: والصواب من القول فى ذلك أن يقال: «الولى» = أعنى

---

(١) «أفناء الناس»، أخلاطهم، ومن لا يدرى من أى قبيلة هو. و «نوازع القبائل»، جمع «نازع» على غير قياس، وهم الغرباء الذين يجاورون قبائل ليسوا منهم. وإنما قلت: «جمع على غير قياس»، لأن المشهور «نزاع القبائل» كما ورد فى أحاديث أخر. و «فاعل» الصفة للمذكر، لا يجمع عندهم على «فواعل» إلا سماعاً، نحو «فوارس» و «هوالك».

(٢) فى المطبوعة: «لم يتصل»، والصواب من المخطوطة ومسند أحمد.

(٣) الأثر: ١٧٧١٥ – «بحر بن نصر بن سابق الخولانى المصرى»، شيخ الطبرى، ثقة، مضى برقم: ٣٨٤١، ١٠٥٨٨، ١٠٦٤٧، وكان فى المطبوعة هنا «الحسن بن نصر الخولانى»، لا أدرى من أين جاء به هكذا، فأصاب بعض الصواب؟ وهذا عجب. أما المخطوطة، ففيها «الحسن بن الخولانى»، والصواب ما أثبت. وروايته عن «يحيى بن حسان» مضت برقم: ٢٦٤٣، إلا أنه وقع هناك خطأ أيضاً فى اسمه، فكتب «يحيى بن نصر»، وقد خبطنا فى تصحيحه خبط عشواء، والصواب «بحر بن نصر»، فليصحح هناك.

و «يحيى بن حسان التنيسى المصرى»، ثقة، مضى برقم: ٢٦٤٣، والراوى عنه هناك «بحر بن نصر» أيضاً، كما أسلفت.

و «عبد الحميد بن بهرام الفزارى»، ثقة، وثقه أحمد وغيره، مضى مراراً، آخرها رقم: ١٧٤١٧.

و «شهر بن حوشب»، مضى مراراً كثيرة، ومضى توثيقه، وثقه أخى السيد أحمد، رحمه الله وغفر له.

و «عبد الرحمن بن غنم الأشعرى»، مختلف فى صحبته، ويعد فى الطبقة الأولى من التابعين، بعثه عمر بن الخطاب يفقه الناس، ولازم معاذ بن جبل، وكان أفقه أهل الشأم، وهو الذى فقه عامة التابعين بالشأم، وكان له جلالة وقدر.

و «أبو مالك الأشعرى»، هو المشهور بكنيته، والمختلف فى اسمه، صحابى، مترجم فى الإصابة والتهذيب وسائر الكتب.

وهذا خبر صحيح الإسناد.

رواه أحمد فى مسنده مطولا ٥: ٣٤٣، وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٣: ٣١٠، وزاد نسبته إلى ابن أبى الدنيا فى كتاب الإخوان، وابن أبى حاتم، وابن مردويه، والبيهقى.

« ولى الله » = هو من كان بالصفة التى وصفه الله بها ، وهو الذى آمن واتقى ، كما قال الله : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك كان ابن زيد يقول :

١٧٧١٦ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ألا إنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ، من هم يا ربّ ؟ قال : «الذين آمنوا وكانوا يتقون » ، قال أبى : لن يُتَقَبَّل الإيمان إلا بالتقوى .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ (٦٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : الذين صدقوا الله ورسوله وما جاء به من عند الله ، وكانوا يتّقون الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه .

* * *

وقوله : « الذين آمنوا » ، من نعت « الأولياء » ، ومعنى الكلام : ألا إن أولياء الله الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

* * *

فإن قال قائل : فإذ كان معنى الكلام ما ذكرت عندك ، أفى موضع رفع « الذين آمنوا » ، أم فى موضع نصب ؟

قيل : فى موضع رفع . وإنما كان كذلك ، وإن كان من نعت « الأولياء » ، لمجيئه بعد خبر « الأولياء » ، والعرب كذلك تفعل خاصة فى « إنّ » ، إذا جاء نعت الاسم الذى عملت فيه بعد تمام خبره رفعوه فقالوا : « إن أخاك قائم الظريفُ »،

(١) فى المطبوعة والمخطوطة « أن يتقبل » ، والصواب ما أثبت .

كما قال الله : ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ ، [سورة سبأ : ٤٨] ، وكما قال : ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴾ ، [سورة ص : ٦٤] .(١)

* * *

٩٣/١١ وقد اختلف أهل العربية فى العلة التى من أجلها قيل ذلك كذلك ، مع أن إجماع جميعهم على أن ما قلناه هو الصحيح من كلام العرب . وليس هذا من مواضع الإبانة عن العلل التى من أجلها قيل ذلك كذلك .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٦٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : البشرى من الله فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، لأولياء الله الذين آمنوا وكانوا يتقون .(٢)

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى «البشرى» ، التى بشّر الله بها هؤلاء القوم ، ما هى ؟ وما صفتها ؟

فقال بعضهم : هى الرؤيا الصالحة يراها الرجل المسلم أو ترى له ، وفى الآخرة الجنة .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٧١٧ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا ابن أبى عدى ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن ذكوان ، عن شيخ ، عن أبى الدرداء ، قال : سألت رسول الله

---

(١) انظر معانى القرآن ١ : ٤٧٠ ، ٤٧١ .

(٢) انظر تفسير « البشرى » فيما سلف ١٤ : ٥٠٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية : « لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو تُرَى له . (١)

١٧٧١٨ — حدثنا العباس بن الوليد قال ، أخبرنى أبى قال ، أخبرنا الأوزاعى قال ، أخبرنى يحيى بن أبى كثير قال ، حدثنى أبو سلمة بن عبد الرحمن قال : سأل عبادةُ بن الصامت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية : « الذين آمنوا وكانوا يتقون * لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد سألتنى عن شىء ما سألنى عنه أحدٌ قبلك = أو قال : غيرك = قال : هى الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو تُرَى له . (٢)

---

(١) الأثر : ١٧٧١٧ — حديث أبى الدرداء ، رواه أبو جعفر من طرق ، أصنفها فى هذا الموضع لأحيل عليها فى تخريج الآثار ، أثراً أثراً .

١ — طريق ذكوان (أبى صالح السمان) ، عن شيخ ، عن أبى الدرداء ، رقم : ١٧٧١٧ ، ١٧٧٣٣

٢ — طريق ذكوان (أبى صالح السمان) ، عن أبى الدرداء ، بلا واسطة ، رقم : ١٧٧٣٥ ، ١٧٧٤١

٣ — طريق عطاء بن يسار ، عن رجل من أهل مصر ، عن أبى الدرداء ، بخمسة أسانيد ، رقم : ١٧٧٢٢ ، ١٧٧٢٣ ، ١٧٧٢٤ ، ١٧٧٣٤ ، ١٧٧٣٧ .

٤ — طريق عطاء بن يسار ، عن أبى الدرداء ، بلا واسطة ، رقم : ١٧٧٣٦ ، ١٧٧٤٣ .

٥ — طريق عمرو بن دينار ، عن فقيه من أهل مصر ، عن أبى الدرداء ، رقم : ١٧٧٣٨ .

٦ — طريق عمرو بن دينار ، عن أبى الدرداء ، بلا واسطة ، رقم : ١٧٧٤٣ .

وهذا تفسير الإسناد رقم : ١٧٧١٧ .

« سليمان » ، هو الأعمش » ، « سليمان بن مهران » ، أحد الأعلام ، مضى مراراً .

« ذكوان » ، هو « أبو صالح » ، « السمان » ، تابعى ثقة ، مضى مراراً .

و « شيخ » ، مجهول ، وظاهر أنه تابعى .

وعلة هذا الإسناد ، جهالة « الشيخ » الذى روى عنه أبو صالح السمان ، وسائر الإسناد صحيح حسن . وسيأتى فى رقم : ١٧٧٢٢ ، ١٧٧٣٤ ، ١٧٧٣٦ ، ١٧٧٣٧ ، برواية أبى صالح ، عن عطاء بن يسار فى الطريق الثانية والثالثة ، كما فصلتها آنفاً .

(٢) الأثر : ١٧٧١٨ — حديث عبادة بن الصامت من ثلاث طرق :

١ — طريق يحيى بن أبى كثير ، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ، عن عبادة بسبعة أسانيد ، رقم : ١٧٧١٨ ، ١٧٧١٩ ، ١٧٧٢٠ ، ١٧٧٢١ ، ١٧٧٣١ ، ١٧٧٣٩ ، ١٧٧٤٠ .

٢ — طريق حميد بن عبد الله المزنى ، عن عبادة بن الصامت ، بإسنادين ، رقم : ١٧٧٢٥ ، ١٧٧٥٦ .

٣ — طريق أيوب بن خالد بن صفوان ، عن عبادة رقم : ١٧٧٣٠ .

١٧٧١٩ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو داود ، عمن ذكره، عن يحيى ابن أبي كثير ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن عبادة بن الصامت قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى : « الذين آمنوا وكانوا يتقون * لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له .(١)

١٧٧٢٠ – حدثنا أبو قلابة قال ، حدثنا مسلم قال، حدثنا أبان ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن عبادة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، نحوه .(٢)

وهذا تفسير إسنادنا هذا .

« العباس بن الوليد بن مزيد الآملى البيروتى» ، شيخ الطبرى ، ثقة ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٣٤٦١ .

وأبوه : « الوليد بن مزيد الآملى البيروتى » ، ثقة ، قال الأوزاعى شيخه : « كتبه صحيحة» ، مضى برقم : ١١٨٢١ ، ١٣٤٦١ .

« الأوزاعى » ، هو الإمام المشهور .

و « يحيى بن أبي كثير الطائى » ، ثقة ، مضى برقم : ٩١٨٩ ، ١١٥٠٥ ، ١٢٧٦٠

و « أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى» ، ثقة ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٢٨٢٢ . وانظر التعليق على رقم : ١٧٧٢٠ فى سماع أبي سلمة من عبادة بن الصامت .

وهذا إسناد لم أجده عن طريق الأوزاعى ، وانظر التعليق على سائر حديث عبادة بن الصامت فى الأرقام التى ذكرتها آنفاً .

(١) الأثر : ١٧٧١٩ – هذا الإسناد لم أجده فى سنن أبي داود، يضعفه جهالة الراوى عن يحيى ابن أبي كثير ، ويسنده سائر الآثار التى رويت عن ثقات ، عن يحيى بن أبي كثير .

(٢) الأثر : ١٧٧٢٠ – «أبو قلابة» ، هو « عبد الملك بن محمد بن عبد الله الرقاشى الضرير » شيخ الطبرى ، ثقة . مضى برقم : ٤٣٣١ ، ٥٦٢٣ .

و « مسلم » ، هو « مسلم بن إبراهيم الأزدى الفراهيدى » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً كثيرة ، آخرها رقم : ١٣٥١٨ .

و « أبان » ، هو « أبان بن يزيد العطار » ، ثقة . مضى مراراً آخرها رقم : ١٣٥١٨ .

و « أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف » ، لم يسمع من عبادة بن الصامت ، يدل على ذلك الأثر التالى، وقوله فيه : « نبئت عن عبادة بن الصامت » . فقد ذكر المزى : « أنه لم يسمع من طلحة ، وعبادة بن الصامت . فأما عدم سماعه من طلحة فرواه ابن أبي خيثمة والدورى عن ابن معين . وأما عدم

١٧٧٢١ – حدثنا ابن المثنى ، وأبو عثمان بن عمر قالا ، حدثنا على بن يحيى ، عن أبى سلمة قال : نُبِّئت أن عبادة بن الصامت سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية : « لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » ، فقال : سألتنى عن شىء ما سألنى عنه أحد قبلك ! هى الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو تُرَى له .(١)

سماعه من عبادة ، فقاله ابن خراش . ولئن كان كذلك ، فلم يسمع أيضاً من عثمان ولا من أبى الدرداء ، فإن كلا منهما مات قبل طلحة » ، التهذيب فى ترجمته .

فإذا صح هذا ، وهو صحيح على الأرجح ، فأخبار أبى سلمة هذه عن عبادة بن الصامت أخبار ضعاف لانقطاعها . ولذلك لم يخرج منها شىء فى الصحاح .

ومن هذه الطريق ، رواه أحمد فى مسنده ٥ : ٣١٥ ، عن عفان ، عن أبان ، عن يحيى .

ورواه الدارمى فى سننه ٢ : ١٢٣ ، من طريق مسلم بن إبراهيم ، عن أبان ، وانظر التعليق على رقم : ١٧٧١٨ ، وسيأتى رقم : ١٧٧٤٠ .

(١) الأثر : ١٧٧٢١ – هذا إسناد مختل فى المطبوعة والمخطوطة على السواء ، وهو باطل لا شك فى بطلانه . وأظنه اضطرب على الناسخ من أصل أبى جعفر .

فقوله « قالا » ، يدل على أن الخبر روى عن « ابن المثنى » وعن « أبى عثمان بن عمر » ، وأن هذا الثانى شيخ للطبرى . ولم أجد فى شيوخه من هذه كنيته منسوباً إلى أبيه « عمر » .

وأخرى أنه قال «حدثنا على بن يحيى» ، وهو باطل أيضاً ، فليس فى الرواة عن أبى سلمة « على بن يحيى » .

ولا أكاد أشك أن « أبا عثمان » شيخ الطبرى ، هو « أبو عثمان » ، « أحمد بن محمد بن أبى بكر المقدمى » ، مضى برقم : ٨٧٦ ، ٣٠٣٠ .

وأن الذى روى عنه « محمد بن المثنى » ، هو فيما أرجح ، « عثمان بن عمر بن فارس بن لقيط العبدى » ، وقد سلفت روايته عنه فى رقم : ١٥٢٢٥ .

ولكن لست أدرى ، أروى أيضاً « أبو عثمان المقدمى » شيخ الطبرى ، عن « عثمان بن عمر بن فارس » أم لم يروعنه ، وإن كنت أرجح أنه خليق أن يروى عنه .

وأما قوله : « على بن يحيى » ، فظاهر أن صوابه : « على ، عن يحيى ، عن أبى سلمة » ، يعنى « على ابن المبارك » ، عن « يحيى بن أبى كثير » كما سيأتى فى الإسناد رقم : ١٧٧٣٩ .

وإذن ، فأخشى أن يكون صواب هذا الإسناد هو :

« حدثنا ابن المثنى ، وأبو عثمان قالا ، حدثنا عثمان بن عمر ، حدثنا على ، عن يحيى ، عن أبى سلمة » .

١٧٧٢٢ – حدثني أبو السائب قال ، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن عطاء بن يسار ، عن رجلٍ من أهل مصر ، عن أبي الدرداء: « لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة » ، قال : سأل رجلٌ أبا الدرداء عن هذه الآية فقال : لقد سألتني عن شيء ما سمعت أحداً سأل عنه بعد رجل سأل عنه رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل المسلم أو ترى له ، بشراه في الحياة الدنيا ، وبشراه في الآخرة الجنة .(١)

١٧٧٢٣ – حدثني سعيد بن عمرو السكوني قال، حدثنا عثمان بن سعيد ، عن سفيان ، عن ابن المنكدر ، عن عطاء بن يسار ، عن رجل من أهل مصر قال : سألت أبا الدرداء عن هذه الآية : « لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة » ، فقال : ما سألني عنها أحدٌ منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم غيرَك، إلا رجلاً

وبذلك يستقيم هذا الإسناد الهالك الذي وقع في المطبوعة والمخطوطة .

وتجد هذا الإسناد نفسه، عن محمد بن المثنى ، عن عثمان بن عمر بن فارس إلى أبي سلمة ، في تاريخ الطبري ٢ : ٢٠٨ .

ومهما يكن من شيء ، فهو بعد ذلك إسناد منقطع، لأن أبا سلمة لم يسمع من عبادة بن الصامت ، كما سلف في رقم : ١٧٧٢٠ .

ثم انظر التعليق على رقم : ١٧٧٣٩ ، فيما سيأتي .

(١) الأثر : ١٧٧٢٢ – هذا حديث أبي الدرداء من الطريق الثالثة، التي ذكرتها في التعليق على رقم : ١٧٧١٧ .

« أبو معاوية » الضرير هو « محمد بن خازم » ، إمام ثقة ، مضى مراراً .

و « الأعمش » ، هو « سليمان بن مهران » الإمام . مضى قريباً رقم : ١٧٧١٧ .

و « أبو صالح » هو « ذكوان » ، مضى برقم : ١٧٧١٧ .

و « عطاء بن يسار » تابعي ثقة ، مضى مراراً ، يروي عن أبي الدرداء مباشرة . ولكنه روى الخبر هنا عن رجل من أهل مصر ، وكان عطاء قد قدم مصر ، ومات بالإسكندرية .

فهذا خبر في إسناده علة ، الجهالة الذي روى عنه أبو الدرداء . وقد ذكر الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١٢ : ٣٣١ ، رواية الخبر عن عطاء بن يسار ، وقال : « ذكر ابن أبي حاتم ، عن أبيه أن هذا الرجل ليس بمعروف » ، ولكن في نسخة « الفتح » خطأ ، فإنه كتب « من طريق عطاء بن يسار ، عن رجل من أهل مصر ، عن عبادة » ، والصواب « عن أبي الدرداء » .

واحداً ! سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما سألني عنها أحدٌ منذ أنزلها الله غيرك إلا رجلا واحداً ، هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرَى له .(١)

١٧٧٢٤ – حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال، حدثنا سفيان ، عن ابن المنكدر، سمع عطاء بن يسار يخبر، عن رجل من أهل مصر : أنه سأل أبا الدرداء عن : « لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة » ، ثم ذكر نحو حديث سعيد بن عمرو السكوني ، عن عثمان بن سعيد .(٢) ٩٤/١١

١٧٧٢٥ – حدثني أبو حميد الحمصي أحمد بن المغيرة قال ، حدثني يحيى بن سعيد قال ، حدثنا عمر بن عمرو بن عبد الأحموسيّ ، عن حميد بن عبد الله المزني قال : أتى رجلٌ عبادةَ بن الصامت فقال : آية في كتاب الله أسألك عنها، قول الله : « لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة » ؟ فقال عبادة : ما سألني عنها أحدٌ قبلك ، سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مثل ذلك :

وهذا الخبر رواه أحمد في مسنده من طريق أبي معاوية عن الأعمش في موضعين من مسنده ٦ : ٤٤٧ ، ٤٥٢ .

وانظر التعليق على رقم : ١٧٧١٧ .

(١) الأثر : ١٧٧٢٣ – « سعيد بن عمرو بن سعيد السكوني » ، شيخ الطبري ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٤٢٦٦ . وكان في المخطوطة سيء الكتابة ، يشبه أن يكون « محمد بن عمرو » ، والصواب ما في المطبوعة .

و « عثمان بن سعيد » ، لعله : « عثمان بن سعيد بن دينار القرشي » ، ثقة مترجم في التهذيب .

و « سفيان » ، هو « سفيان بن عيينة » .

و « ابن المنكدر » ، هو « محمد بن المنكدر » ، أحد الأئمة الأعلام مضى مراراً برقم : ٣٨٢٩ ، ١٠٨٦٩ .

وهذا إسناد صحيح إلى عطاء ، كسائر الأسانيد السالفة ، إلا ما فيه من جهالة الرجل من أهل مصر .

رواه أحمد في مسنده ٦ : ٤٤٧ ، من طريق سفيان بن عيينة ، عن ابن المنكدر .

ورواه الترمذي في كتاب التفسير من سننه ، وفي كتاب الرؤيا ، من طريق ابن أبي عمر العدني ، عن سفيان .

وانظر التعليق على رقم : ١٧٧١٧ ، وسيأتي من طريق أخرى بعد هذه رقم : ١٧٧٢٤ ، وانظر أيضاً التعليق على رقم : ١٧٧٤٣ .

(٢) الأثر : ١٧٧٢٤ – هو مكرر الأثر السالف .

« عمرو بن عبد الحميد الآملي » ، شيخ الطبري ، مضى برقم : ٣٧٥٩ ، ١٠٣٧٨ .

ما سألني عنها أحدٌ قبلك! الرؤيا الصالحة يراها العبدُ المؤمن في المنام أو تُرَى له. (١)

١٧٧٢٦ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو بكر قال، حدثنا هشام، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الرؤيا الحسنة، هي البشرى، يراها المسلم أو تُرَى له. (٢)

١٧٧٢٧ – . . . . قال، حدثنا أبو بكر، عن أبي حصين، عن أبي صالح

---

(١) الأثر: ١٧٧٢٥ – حديث عبادة بن الصامت، هذه هي الطريق الثانية التي أشرت إليها في التعليق على رقم: ١٧٧١٨، وسيأتي من طريق أخرى رقم: ١٧٧٥٦.

«أبو حميد الحمصي»، «أحمد بن المغيرة»، هو «أحمد بن محمد بن المغيرة بن سيار» أو «أحمد بن محمد بن سيار»، هكذا يذكر في التفسير أحياناً، شيخ الطبري، مضى مراراً منها: ٣٤٧٣، ٥٧٥٣، ٨١٦٤، ٨٩٨٤.

و «يحيى بن سعيد»، هو العطار الشامي الدمشقي، ضعفوه، مضى برقم: ٥٧٥٣، ٩٢٢٤، ولكن أخي السيد أحمد في التعليق على رقم: ٥٧٥٣، مال إلى توثيقه.

و «عمر بن عمرو بن عبد الأحموسي» ويقال في اسمه: «عمرو»، صالح الحديث، من ثقات الشاميين، أدرك عبد الله بن بسر، ويروى عن أبي عمرو الأنصاري، والمخارق بن أبي المخارق الذي يروى عن ابن عمر، روى عنه يحيى بن سعيد العطار، مترجم في ابن أبي حاتم ١٢٧/١/٣، وتعجيل المنفعة: ٣١٣.

و «الأحموسي»، ضبطه الحافظ بالضم، والواو بعد الميم.

وأما «حميد بن عبد الله المزني»، فهكذا هو في المخطوطة، وفي مسند أحمد ٥: ٣٢٥ «حميد بن عبد الرحمن اليزني»، وفي ابن أبي حاتم «حميد بن عبد الله المدني». وأما في التاريخ الكبير للبخاري، فاقتصر على «حميد بن عبد الله» غير منسوب إلى بلدة أو قبيلة. وأمر نسبته، لم أستطع أن أفصل فيه، لقلة ما ذكر عنه. أما الاختلاف في اسم أبيه، فلم أجده في غير مسند أحمد، فلا أدري أهو خطأ في نسخة المسند أم لا. قال البخاري: «حميد بن عبد الله، سمع عبد الرحمن بن أبي عوف، ومالك بن أبي رشيد، سمع منه محمد بن الوليد الزبيدي، وصفوان بن عمرو، وعمر الأحموسي»، ومثله في ابن أبي حاتم. مترجم في الكبير ٣٥٢/٢/١، وابن أبي حاتم ٢٢٤/٢/١، ولم يذكرا فيه جرحاً.

وهذا خبر منقطع بين حميد، وعبادة بن الصامت.

(٢) الأثر: ١٧٧٢٦ – حديث أبي هريرة، رواه الطبري من: طريق ابن سيرين، عن أبي هريرة، وطريق أبي صالح، عن أبي هريرة.

«أبو بكر»، هو «أبو بكر بن عياش». ثقة، مضى مراراً، آخرها رقم: ١٤٨٠٥.

و «هشام» هو «هشام بن حسان الأزدي القردوسي»، أحد الأعلام، مضى مراراً كثيرة، كان من أحفظ الناس عن ابن سيرين.

فهذا خبر صحيح الإسناد. وانظر التخريج في الخبرين التاليين.

قال ، قال أبو هريرة : الرؤيا الحسنة ، بشرى من الله ، وهى المبشِّرات . (١)

١٧٧٢٨ – حدثنا محمد بن حاتم المؤدب قال، حدثنا عمار بن محمد قال ، حدثنا الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم : « لهم البشرى فى الحياة الدنيا » ، الرؤيا الصالحة يراها العبد الصالح أو تُرَى له = وهى فى الآخرة الجنة . (٢)

١٧٧٢٩ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا محمد بن يزيد قال ، حدثنا رشدين بن سعد ، عن عمرو بن الحارث ، عن أبى السَّمْح ، عن عبد الرحمن بن جبير ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لهم البشرى فى الحياة الدنيا » الرؤيا الصالحة ، يُبَشَّر بها العبد ، جزء من تسعة وأربعين جزءاً من النبوّة . (٣)

---

(١) الأثر : ١٧٧٢٧ – هذا حديث موقوف على أبى هريرة .

« أبو بكر » هو ، « أبو بكر بن عياش » ، كما سلف .

و « أبو حصين » هو : « عثمان بن عاصم بن حصين الأسدى » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً كثيرة .

و « أبو صالح » هو « ذكوان » السمان ، مضى قريباً برقم : ١٧٧١٧ . وهذا خبر موقوف صحيح الإسناد ، وسيأتى بعده مرفوعاً .

(٢) الأثر : ١٧٧٢٨ – « محمد بن حاتم بن سليمان الزمى » ، المؤدب ، شيخ أبى جعفر ، ثقة ، روى عنه الترمذى ، والنسائى ، وعبد الله بن أحمد بن حنبل ، وأبو حاتم الرازى ، وغيرهم . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣/٢/٢٣٨ ، وتاريخ بغداد ٢ : ٢٦٨ .

و « عمار بن محمد الثورى » ، ابن أخت « سفيان الثورى » ، لا بأس به ، روى عنه أحمد ، وأبو عبيد القاسم بن سلام ، وأبو كريب ، وثقه ابن سعد وابن معين ، والبخارى وقال : « كان أوثق من سيف » ، وسيف أخوه ، كان شيخاً كذاباً خبيثاً يضع الحديث . وقال ابن حبان فى عمار : « فحش خطأه وكثر وهمه ، فاستحق الترك » وظنى أن ابن حبان قد غالى فيه غلواً شديداً . ومع ذلك فأخشى أن يكون قوله هذا تفسيراً لقول البخارى إنه أوثق من سيف أخيه الكذاب ، وكأنه ضعفه شيئاً ، لا يبلغ منه مبلغ الترك والإسقاط ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/١/٢٩ ، وابن أبى حاتم ٣/١/٣٩٣ .

وإسناد هذا الخبر ، إسناد صالح . وأما الإسناد الجيد الصحيح ، فهو إسناد مسلم فى صحيحه ١٥ : ٢٣ ، حديث الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رؤيا المسلم يراها أو ترى له ، جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » .

(٣) الأثر : ١٧٧٢٩ – حديث عبد الله بن عمرو ، سيأتى من طريق أخرى رقم : ١٧٧٥٤

١٧٧٣٠ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا موسى بن عبيدة ، عن أيوب بن خالد بن صفوان ، عن عبادة بن الصامت أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » ، فقد عرفنا بشرى الآخرة ، فما بشرى الدنيا ؟ قال : الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له ، وهى جزء من أربعة وأربعين جزءاً = أو : ستين جزءاً = من النبوة . (١)

و « محمد بن يزيد » الذى روى عنه أبو كريب ، لم يبين هنا ، وأظنه « محمد بن يزيد الحزامى البزاز » روى عن ابن المبارك ، والوليد بن مسلم ، وضمرة بن ربيعة ، وشريك ، وابن عيينة . روى عنه البخارى فى التاريخ ، وأبو كريب ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/١/٢٦١ ، وابن أبى حاتم ٤/١/١٢٨ ، وميزان الاعتدال ٣ : ١٥٠ ، ولم يذكر فيه البخارى جرحاً .

وأما « رشدين بن سعد المصرى » ، فهو ضعيف الحديث ، مضى تضعيفه برقم : ١٩ ، ١٩٣٨ ، ٢١٧٦ ، ٢١٩٥ . و « أبو كريب » يروى عن « رشدين » مباشرة ، كما سلف فى الآثار التى ذكرتها.

و « عمرو بن الحارث بن يعقوب المصرى » ، ثقة حافظ ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٣٥٧٠ .

وأما « أبو السمح » ، فهو « دراج بن سمعان » ، مولى عبد الله بن عمرو بن العاص . ثقة ، متكلم فيه ، ورجح أخى السيد أحمد رحمه الله توثيقه فيما سلف ، رقم : ٣١٨٧ ، ٥٥١٨ . وكان فى المطبوعة : « عن أبى الشيخ » وهو خطأ صرف . وفى المخطوطة مثله رسماً غير منقوط . والصواب ما أثبت ، كما سيأتى فى رقم : ١٧٧٥٤ .

و « عبد الرحمن بن جبير المصرى » ، الفقيه ، ثقة ، روى عن عبد الله بن عمرو ، وعقبة بن عامر ، وعمرو بن غيلان بن سلمة الثقفى ، وأبى الدرداء ، . كان عبد الله بن عمرو به معجباً . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٢/٢/٢٢١ .

وهذا خبر ضعيف الإسناد ، لضعف « رشدين بن سعد » : وسيأتى بإسناد صالح فيما سيأتى رقم : ١٧٧٥٤ .

(١) الأثر : ١٧٧٣٠ – حديث عبادة بن الصامت ، هذا هو الطريق الثالث من طرقه .

« موسى بن عبيدة الربذى » ، ضعيف لا تحل الرواية عنه ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٦٢٢٩ .

و « أيوب بن خالد بن صفوان الأنصارى » ، ثقة ، متكلم فيه . روى عن جابر بن عبد الله ، وعن التابعين ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/١/٤١٢ ، وابن أبى حاتم ١/١/٢٤٥ ، وفرق البخارى فى تاريخه ، وابن أبى حاتم بينه وبين « أيوب بن خالد بن أبى أيوب الأنصارى ، » وكذلك فرق بينهما أبو زرعة ، قال الحافظ ابن حجر « وجعلها ابن يونس واحداً . قلت : وسبب ذلك أن خالد بن صفوان والد أيوب ، وأمه عمرة بنت أبى أيوب الأنصارى ، فهو جده لأمه ، فالأشبه قول ابن يونس ، فقد سبق إليه البخارى » . وقد رأيت أن البخارى قد فرق بينهما فى تاريخه ، فلا أدرى من أين قال ذلك الحافظ ابن حجر ؟

وهذا إسناد ضعيف ، لضعف « موسى بن عبيدة » ، وهو إسناد منقطع أيضاً ، لأن « أيوب بن خالد » لم يرو عن عبادة بن الصامت .

وكان فى المطبوعة : « أو سبعين جزءاً من النبوة » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

١٧٧٣١ – حدثنا على بن سهل قال، حدثنا الوليد بن مسلم قال ، حدثنا أبو عمرو قال ، حدثنا يحيى بن أبى كثير ، عن أبى سلمة ، عن عبادة بن الصامت : أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية : « لهم البشرى فى الحياة الدنيا » ، فقال : لقد سألتنى عن شىء ما سألنى عنه أحدٌ من أمّتى قبلك ! هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له ، وفى الآخرة الجنة .(١)

١٧٧٣٢ – حدثنى أحمد بن حماد الدولابى قال ، حدثنا سفيان ، عن عبيد الله بن أبى يزيد، عن أبيه ، عن سباع بن ثابت ، عن أم كرز الكعبية : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ذهبت النبوّة وبقيت المبشّرات .(٢)

---

(١) الأثر : ١٧٧٣١ – حديث عبادة بن الصامت ، هذه هى الطريق الأولى من طرقه ، كما فصلتها فى رقم : ١٧٧١٨ ، وهو إسناد آخر للخبر رقم : ١٧٧١٨ .

(٢) الأثر : ١٧٧٣٢ – « أحمد بن حماد بن سعيد الدولابى» ، شيخ الطبرى ، ثقة ، مضى برقم : ٢٥٩٣ ، ٣٥٧١ .

و « سفيان » ، هو « ابن عيينة » .

و « عبيد الله بن أبى يزيد المكى » ، ثقة ، مضى برقم : ٢٠ ، ٣٧٧٨ ، ١٠٢٧٤ ، ١٤٦٧٣ – ١٤٦٧٧ .

وأبوه « أبو يزيد المكى» ، ثقة ، مضى برقم : ٢٠ .

و « سباع بن ثابت» ، حليف لبنى زهرة ، عده ابن حجر وابن الأثير فى الصحابة ، مترجم ، فيهما ، وفى ابن أبى حاتم ٢/١/٣١٢ ، ولم يذكر له صحبة . وكان فى المخطوطة وحدها «سباع بن أبى ثابت » ، والصواب ما فى المطبوعة .

وهذا الخبر من طريق سفيان بن عيينة ، بهذا الإسناد ، ورواه ابن ماجة فى سننه ص : ١٢٨٣ ، رقم : ٣٨٩٦ ، والدارمى فى سننه ٢ : ١٢٣ ، بمثله . ورواه أحمد فى مسنده ٦ : ٣٨١ ، من طريق سفيان بن عيينة أيضاً ، وروى معه ثلاثة أحاديث بالإسناد نفسه وفيه «عبيد الله بن أبى يزيد ، عن أبيه عن سباع بن ثابت » ، فقال أبو عبد الرحمن ولده : «سمعت أبى يقول : سفيان يهم فى هذه الأحاديث . عبيد الله ، سمعها من سباع بن ثابت » ، ثم ساق أحد الأحاديث الأربعة من طريق عفان ، عن حماد بن زيد ، عن عبيد الله بن أبى يزيد ، قال حدثنى سباع بن ثابت » ، مصرحاً بالتحديث .

وذكر ابن أبى حاتم فى ترجمة « سباع بن ثابت » أن عبيد الله بن أبى يزيد ، روى عن سباع بن ثابت» من رواية ابن جريج ، وحماد بن زيد ، عنه . وقال : «وأما ابن عيينة ، فيروى عن عبيد الله بن أبى يزيد ، عن أبيه عن سباع بن ثابت » .

وهذا خبر صحيح ، على ما فيه من الاختلاف ، وإنما الوهم فيه من سفيان .

١٧٧٣٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن الأعمش ، عن ذكوان ، عن رجل ، عن أبي الدرداء ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : « لهم البشرى في الحياة الدنيا »، قال : الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له ، وفي الآخرة ، الجنة .(١)

١٧٧٣٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن عطاء بن يسار ، عن رجل كان بمصر ، قال : سألت أبا الدرداء عن هذه الآية : « لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة » ، فقال أبو الدرداء : ما سألني عنها أحد منذ سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما سألني عنها أحدٌ قبلك ، هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له ، وفي الآخرة الجنة .(٢)

١٧٧٣٥ – . . . . قال، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم ، عن أبي صالح ، عن أبي الدرداء قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن وقوله : «لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة » ، قال : ما سألني عنها أحد غيرُك ، هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرَى له. (٣)

---

(١) الأثر : ١٧٧٣٣ – حديث أبي الدرداء، من الطريق الأولى التي بينتها في التعليق على رقم : ١٧٧١٧ ، وروايته هنا من طريق الأعمش ، عن أبي صالح ذكوان . وانظر التعليق على رقم : ١٧٧١٧ . ومن هذه الطريق رواها أحمد في مسنده ٦ : ٤٤٥ ، بإسناده عن عبد الرزاق ، عن سفيان .

(٢) الأثر : ١٧٧٣٤ – حديث أبي الدرداء ، من الطريق الثالثة التي بينتها في رقم : ١٧٧١٧ ، وهو مكرر رقم ١٧٧٢٢ ، وقد خرجته هناك .

(٣) الأثر : ١٧٧٣٥ – هذه هي الطريق الثانية لحديث أبي الدرداء أيضاً ، ولكنه رواية أبي صالح ذكوان ، عن أبي الدرداء مباشرة ، كما سيأتي برقم : ١٧٧٤١ ، وقد فصلت ذلك في التعليق على رقم ١٧٧١٧ . وهذه هي الطريق التي أشار إليها الترمذي في سننه ، في كتاب التفسير ، تذييلا على الخبر الذي رواه أبو جعفر برقم : ١٧٧٢٤ .

و « عاصم » ، هو « عاصم بن بهدلة» ، و « عاصم بن أبي النجود » ، وهو ثقة ، روى له الجماعة ، روى له الشيخان مقروناً بغيره، لأنه كان في حفظه شيء . فأخشى أن يكون هذا الذي انفرد به مما ساء حفظه فيه . وانظر التعليق على سائر حديث أبي الدرداء .

١٧٧٣٦ — . . . . قال ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي الدرداء في قوله : « لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة » ، قال : سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما سألني عنها أحدٌ قبلك ، هي الرؤيا الصالحة يراها العبد أو تُرى له ، وفي الآخرة الجنة .(١) ١١/٥

١٧٧٣٧ — . . . . قال ، حدثنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن أبي صالح = قال ابن عيينة : ثم سمعته من عبد العزيز ، عن أبي صالح السمان = عن عطاء بن يسار ، عن رجل من أهل مصر قال : سألت أبا الدرداء عن هذه الآية : « لهم البشرى في الحياة الدنيا » ، قال : ما سألني عنها أحدٌ منذ سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما سألني عنها أحدٌ منذ أنزلت عليَّ إلا رجلٌ واحدٌ ، هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو تُرَى له .(٢)

١٧٧٣٨ — . . . . قال ، حدثنا عبد الله بكر السهمي ، عن حاتم بن أبي صغيرة ، عن عمرو بن دينار : أنه سأل رجلاً من أهل مصر فقيهاً ، قدم عليهم في بعض تلك المواسم ، قال قلت : ألا تخبرني عن قول الله تعالى ذكره : « لهم البشرى في الحياة الدنيا » ؟ قال : سألت عنها أبا الدرداء ، فأخبرني أنه سأل عنها

---

(١) الأثر : ١٧٧٣٦ — هذه هي الطريق الرابعة لحديث أبي الدرداء ، وهي رواية أبي صالح السمان « ذكوان » ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي الدرداء ، بلا واسطة . و « عطاء بن يسار » ، يروي عن أبي الدرداء .

وإسناده حسن . وانظر ما قلته في التعليق على رقم : ١٧٧١٧ ، وما سيأتي في رقم : ١٧٧٤٣ .

(٢) الأثر : ١٧٧٣٧ — حديث أبي الدرداء من الطريق الثالثة التي بينتها في رقم : ١٧٧١٧ .

وهذا الخبر سمعه ابن عيينة من عمرو بن دينار ، عن عبد العزيز بن رفيع ، ثم سمعه من عبد العزيز بن رفيع مباشرة .

و « عبد العزيز بن رفيع الأسدي » ، تابعي ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ١٤٨١٠ .

ومن هذه الطريق ، رواه الترمذي في السنن ، في كتاب التفسير ، تعقيباً للأثر السالف برقم : ١٧٧٢٤ .

ورواه أحمد في مسنده ٦ : ٤٤٧ ، من حديث سفيان بن عيينة ، عن عبد العزيز بن رفيع ، ليس بينهما « عمرو بن دينار » .

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: هي الرؤيا الحسنة يراها العبد أو تُرَى له . (١)

١٧٧٣٩ — . . . . قال ، حدثنا أبي ، عن علي بن مبارك ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن عبادة بن الصامت قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله : « لهم البشرى في الحياة الدنيا » ، قال : هي الرؤيا الصالحة يراها العبد أو تُرى له . (٢)

١٧٧٤٠ — حدثني المثنى قال ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، وأبو الوليد الطيالسي قالا ، حدثنا أبان قال ، حدثنا يحيى ، عن أبي سلمة ، عن عبادة بن الصامت قال ، قلت : يا رسول الله ، قال الله : «لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة » ؟ فقال : لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحدٌ قبلك = أو : أحدٌ من أمتي = قال : هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو تُرَى له . (٣)

١٧٧٤١ — . . . . قال ، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا حماد بن زيد ، عن عاصم بن بهدلة ، عن أبي صالح قال : سمعت أبا الدرداء ، وسئل عن

---

(١) الأثر : ١٧٧٣٨ — هذه هي الطريق الخامسة ، لحديث أبي الدرداء .

« عبد الله بن بكر بن حبيب السهمي » ، ثقة ، مضى برقم : ١٠٨٨٥ .

و « حاتم بن أبي صغيرة » ، ثقة ، مضى برقم : ١٧٤١٠ ، ١٧٤١١ .

و « عمرو بن دينار » ، لم يسمع من أبي الدرداء ، ولكنه رواه هنا عن مجهول ، وهو « فقيه من أهل مصر » . فهو حديث ضعيف .

(٢) الأثر : ١٧٧٣٩ — « حديث عبادة بن الصامت ، من الطريق الأولى التي بينتها في رقم : ١٧٧١٨ .

وقد فصلت الحديث عنه في التعليق على رقم : ١٧٧٢١ ، ذلك الإسناد المختل ، وفي رقم : ١٧٧٢٠ ، وبينت علته هناك .

ومن هذه الطريق رواه أحمد في مسنده ٥ : ٣١٥ .

وابن ماجة في سننه ص : ١٢٨٣ ، رقم : ٣٨٩٨ .

والحاكم في المستدرك ٢ : ٣٤٠ ، وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبي . وقد بينت قبل أن أبا سلمة بن عبد الرحمن لم يسمع من عبادة بن الصامت ، فهو إسناد منقطع . فهذه علته ، وإن كان سائر الإسناد صحيحاً .

(٣) الأثر : ١٧٧٤٠ — حديث عبادة من الطريق الأولى ، كالذي قبله ، وهو مكرر رقم : ١٧٧٢٠ ، وقد خرجته هناك .

« الذين آمنوا وكانوا يتقون * لهم البشرى فى الحياة الدنيا » ، قال : ما سألنى عنها أحدٌ قبلك منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها ، فقال : ما سألنى عنها أحدٌ قبلك ! هى الرؤيا الصالحة يراها العبد أو تُرى له . (١)

١٧٧٤٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبيد الله بن أبى يزيد ، عن نافع بن جبير ، عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله : « لهم البشرى فى الحياة الدنيا » ، قال : هى الرؤيا الحسنة يراها الإنسان أو تُرَى له . (٢)

١٧٧٤٣ — . . . . وقال ابن جريج ، عن عمرو بن دينار ، عن أبى الدرداء = أو ابن جريج ، عن محمد بن المنكدر ، عن عطاء بن يسار ، عن أبى الدرداء قال : سألت النبى صلى الله عليه وسلم عنها فقال : هى الرؤيا الصالحة . (٣)

١٧٧٤٤ — . . . . وقال ابن جريج ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : هى الرؤيا يراها الرجل .

١٧٧٤٥ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن يحيى بن أبى كثير قال : هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرَى له .

---

(١) الأثر : ١٧٧٤١ — حديث أبى الدرداء من الطريق الثانية ، وهو مكرر رقم : ١٧٧٣٥ ، وخرجته هناك .

(٢) الأثر : ١٧٧٤٢ — « عبيد الله بن أبى يزيد المكى » ، ثقة ، مضى قريباً رقم : ١٧٧٣٢ . و « نافع بن جبير بن مطعم النوفلى » ، تابعى مشهور ، أحد الأئمة . مضى برقم : ١٧٤٢٩ . وهذا الخبر ، رواه نافع عن صحابى لم يصرح باسمه ، لعله أبو هريرة ، وجهالة الصحابى لا تضر . فهو حديث صحيح إن شاء الله .

(٣) الأثر : ١٧٧٤٣ — حديث أبى الدرداء هذا من طريقين :

طريق عمرو بن دينار عن أبى الدرداء ، بلا واسطة ، وهى الطريق السادسة التى بينتها فى رقم : ١٧٧١٧ و « عمرو بن دينار » لم يسمع من أبى الدرداء ، كما بينت فى رقم : ١٧٧٣٨ ، فهو ضعيف لانقطاعه .

وطريق محمد بن المنكدر ، عن عطاء بن يسار ، عن أبى الدرداء ، وهى الطريق الرابعة . وقد سلف بيانها فى تخريج الخبر رقم : ١٧٧٣٦ ، وانظر أيضاً حديث محمد بن المنكدر ، عن عطاء بن يسار ، عن رجل من أهل مصر ، عن أبى الدرداء ، رقم : ١٧٧٢٣ ، ١٧٧٢٤ .

١٧٧٤٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبدة، عن هشام بن عروة، عن أبيه : « لهم البشرى فى الحياة الدنيا » ، قال : هى الرؤيا الصالحة يراها العبد الصالح .

١٧٧٤٧ – . . . . قال ، حدثنا ابن فضيل، عن ليث، عن مجاهد قال : هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرَى له .

١٧٧٤٨ – . . . . قال، حدثنا عبدة بن سليمان، عن طلحة القناد ، عن جعفر بن أبى المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « لهم البشرى فى الحياة الدنيا »، قال: هى الرؤيا الحسنة يراها العبد المسلم لنفسه أو لبعض إخوانه. (١)

١٧٧٤٩ – . . . . قال، حدثنا أبى، عن الأعمش، عن إبراهيم قال: كانوا يقولون : الرؤيا من المبشِّرات.

١٧٧٥٠ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن قيس بن سعد : أن رجلاً سأل النبى صلى الله عليه وسلم عنها فقال : ما سألنى عنها أحدٌ من أمّتى منذ أنزلت علىّ قبلك ! قال : هى الرؤيا الصالحة يراها الرجل لنفسه أو تُرَى له . (٢) ٩٦/١١

١٧٧٥١ – . . . . قال ، حدثنا عمرو بن عون قال، أخبرنا هشيم ، عن العوّام ، عن إبراهيم التيمى : أن ابن مسعود قال : ذهبت النبوّة وبقيت المبشِّرات ! قيل: وما المبشرات ؟ قال: الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو تُرَى له . (٣)

١٧٧٥٢ – . . . . قال، حدثنا عبد الله قال، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس فى قوله : « لهم البشرى فى الحياة الدنيا » ، فهو قوله لنبيه : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ ٱللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً ﴾، [سورة الأحزاب : ٤٧] . قال : هى

---

(١) الأثر : ١٧٧٤٨ – هذا خبر موقوف على ابن عباس .

(٢) الأثر : ١٧٧٥٠ – هذا خبر مرسل .

(٣) الأثر : ١٧٧٥١ – هذا خبر موقوف على ابن مسعود ، صحيح الإسناد .

الرؤيا الحسنة يراها المؤمن أو تُرَى له .

١٧٧٥٣ — . . . . قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا محمد بن حرب قال ، حدثنا ابن لهيعة ، عن خالد بن يزيد ، عن عطاء فى قوله : « لهم البشرى فى الحياة الدنيا » ، قال : هى رؤيا الرجل المسلم يبشَّر بها فى حياته .

١٧٧٥٤ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنى عمرو بن الحارث أن درَّاجاً أبا السمح حدثه ، عن عبد الرحمن بن جبير ، عن عبد الله ابن عمرو ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لهم البشرى فى الحياة الدنيا » ، الرؤيا الصالحة يبشَّر بها المؤمن ، جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوّة .(١)

١٧٧٥٥ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا أنس بن عياض ، عن هشام ، عن أبيه فى هذه الآية : « لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » ، قال : هى الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو تُرَى له .

١٧٧٥٦ — حدثنا محمد بن عوف قال ، حدثنا أبو المغيرة قال ، حدثنا صفوان قال ، حدثنا حميد بن عبد الله : أن رجلاً سأل عبادة بن الصامت عن قول الله : « لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » ، فقال عبادة : لقد سألتنى عن أمر ما سألنى عنه أحدٌ قبلك ، ولقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سألتنى فقال لى : يا عبادة ، لقد سألتنى عن أمر ما سألنى عنه أحدٌ من أمتى ! تلك

---

(١) الأثر : ١٧٧٥٤ — حديث عبد الله بن عمرو ، مضى من طريق أخرى ضعيفة ، برقم : ١٧٧٢٩ . « عمرو بن الحارث المصرى » ، ثقة ، مضى برقم : ١٧٧٢٩ .
و « دراج بن سمعان » ، « أبو السمح » ، ثقة ، مضى أيضاً برقم : ١٧٧٢٩ ، وتوثيق أخى السيد أحمد رحمه الله ، له .
وقد رواه أحمد مطولا فى مسنده ، برقم : ٧٠٤٤ ، من طريق حسن بن الأشيب ، عن ابن لهيعة ، عن دراج أبى السمح ، وقال أخى : « إسناده صحيح » .
وخرجه فى مجمع الزوائد ٧ : ١٧٥ ، وقال : « رواه أحمد من طريق ابن لهيعة عن دراج ، وحديثهما حسن ، وفيهما ضعف . وبقية رجاله ثقات » . وهذه الطريق الأخرى من رواية ابن وهب ، أوثق من طريق ابن لهيعة .
وخرجه الهيثمى أيضاً فى مجمع الزوائد ٧ : ٣٦ ، وقال نحوه .

الرؤيا الصالحة يراها المؤمن لنفسه أو تُرى له .(١)

* * *

وقال آخرون : هي بشارة يبشَّر بها المؤمن في الدنيا عند الموت .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٧٥٧ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، وقتادة : « لهم البشرى في الحياة الدنيا » ، قال : هي البشارة عند الموت في الحياة الدنيا .

١٧٧٥٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يعلى ، عن أبي بسطام ، عن الضحاك : « لهم البشرى في الحياة الدنيا » ، قال : يعلم أين هو قبل الموت .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر أنّ لأوليائه المتقين، البشرى في الحياة الدنيا . ومن البشارة في الحياة الدنيا ، الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له = ومنها بشرى الملائكة إياه عند خروج نفسه برحمة الله ، كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم : « أن الملائكة التي تحضره عند خروج نفسه تقول لنفسه: اخرجي إلى رحمة الله ورضوانه ».(٢)

---

(١) الأثر : ١٧٧٥٦ – هذه هي الطريق الثانية لحديث عبادة بن الصامت ، التي ذكرتها في رقم : ١٧٧١٨ .

« محمد بن عوف بن سفيان الطائي » ، شيخ الطبري ، مضى برقم : ٥٤٤٥ ، ١٢١٩٤ ، ١٣١٠٨ و « أبو المغيرة » ، هو « عبد القدوس بن الحجاج الخولاني » ، ثقة، مضى برقم : ١٠٣٧١ ، ١٢١٩٤ ، ١٣١٠٨ .

و « صفوان بن عمرو بن هرم السكسكي » ، ثقة ، مضى برقم : ٧٠٠٩ ، ١٢٨٠٧ ، ١٣١٠٨

رواه أحمد من هذه الطريق نفسها في المسند ٥ : ٣٢٥ ، عن أبي المغيرة ، عن صفوان ، عن حميد ابن عبد الرحمن اليزني .

و « حميد بن عبد الله » ، مضى برقم : ١٧٧٢٥ ، ويشبه هناك « المزني » ، وذكرت أن في ابن أبي حاتم « المدني » ، وفي المسند « اليزني » ، كما رأيت .

ثم اختلاف آخر ، في المسند « حميد بن عبد الرحمن اليزني » ، ولكني لم أجد هذا الاختلاف في شيء من الدواوين ، فأخشى أن يكون خطأ ناسخ من نساخ المسند .

وسلف في رقم : ١٧٧٢٥ . أن هذا إسناد منقطع بين « حميد بن عبد الله » ، وعبادة بن الصامت .

(٢) حديث بغير إسناد ، لم أستطع أن أجده بلفظه في مكان قريب .

= ومنها بشرى الله إياه ما وعده فى كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من الثواب الجزيل ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ ﴾ الآية ، [سورة البقرة : ٢٥] .

= وكل هذه المعانى من بُشرى الله إياه فى الحياة الدنيا ، بشره بها . ولم يخصص الله من ذلك معنى دون معنى ، فذلك مما عمَّه جل ثناؤه : أن لهم البشرى فى الحياة الدنيا » ، وأما فى الآخرة فالجنة .

* * *

وأما قوله : « لا تبديل لكلمات الله » ، فإن معناه : أن الله لا خُلْفَ لوعده ، ولا تغيير لقوله عما قال ، ولكنه يُمْضى لخلقه مواعيدَه و ينجزها لهم ، [1] وقد :—

١٧٧٥٩ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن أيوب ، عن نافع قال : أطال الحجاج الخطبة ، فوضع ابن عمر رأسَه فى حِجْرى . فقال الحجاج : إن ابن الزبير بدّل كتاب الله ! فقعد ابن عمر فقال : لا تستطيع أنت ذاك ولا ابن الزبير ! لا تبديل الكلمات الله ! فقال الحجاج : لقد أوتيت علماً إن نفعك ! [2] = قال أيوب : فلما أقبل عليه فى خاصَّة نفسه سكَتَ . [3] ٩٧/١١

* * *

---

(١) انظر تفسير « تبديل الكلمات » فيما سلف ١٢ : ٦٢ ، تعليق : ١ ، ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « لقد أوتيت علماً أن تفعل » ، وهو بين الفساد ، صوابه من المستدرك للحاكم .

(٣) الأثر : ١٧٧٥٩ — رواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، من طريق أبى النعمان ، عن إسماعيل بن علية ، عن أيوب ، بمثله ، ليس فيه كلمة أيوب . وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى .

وهذا خبر عظيم القدر فيه أخلاق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ظاهرة كما علمهم رسولهم ، من ترك هيبة الجبابرة ، ومن إنكار المنكر من القول والعمل ، ومن اليقظة لمعانى الكلام ومقاصد الأعمال ، ومن تعليم الناس جهرة أخطاء أمرائهم والولاة عليهم ، ومن الصبر على أذى هؤلاء الجبابرة إذا كان الأذى يمسهم فى خاصة أنفسهم . فأما إذا كان الأمر أمر الله وأمر رسوله ، وأمر الكتاب المنزل بالحق إلى الديانين والجبابرة جميعاً ، يأمرهم وينهاهم على السواء ، فهم لا يخافون جباراً قد عود سيفه سفح الدماء ، ودرب لسانه على اللذع والقرص واللجاجة . فرحم الله أمة كان هؤلاء النبلاء ، أئمتها وهداتها !

وقوله : « ذلك هو الفوز العظيم » ، يقول تعالى ذكره : هذه البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة = « وهى الفوز العظيم » ، يعنى الظفر بالحاجة والطَّلبة والنجاة من النار . (١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (٦٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : لا يحزنكَ ، يا محمد ، قول هؤلاء المشركين فى ربهم ما يقولون ، وإشراكهم معه الأوثان والأصنام (٢) = فإنّ العزة لله جميعاً ، يقول تعالى ذكره : فإن الله هو المنفرد بعزة الدنيا والآخرة ، لا شريك له فيها ، وهو المنتقم من هؤلاء المشركين القائلين فيه من القول الباطل مايقولون ، فلا ينصرهم عند انتقامه منهم أحدٌ ، لأنه لا يُعَازُّه شىء (٣) = « هو السميع العليم » ، يقول : وهو ذو السمع لما يقولون من الفرية والكذب عليه ، وذو علم بما يضمرونه فى أنفسهم ويعلنونه مُحْصًى ذلك عليهم كله ، وهو لهم بالمرصاد . (٤)

* * *

وكسرت « إن » من قوله : « إن العزة لله جميعاً » ، لأن ذلك خبرٌ من الله مبتدأ ، ولم يعمل فيها « القول » ، لأن « القول » عنى به قول المشركين ، وقوله : « إن العزة لله جميعاً » ، لم يكن قيل من المشركين ، ولا هو خبرٌ عنهم أنهم قالوه . (٥)

* * *

---

(١) انظر تفسير « الفوز » فيما سلف ١٤ : ٤٣٩ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الحزن » فيما سلف ١٠ : ٣٠٨ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « العزة » فيما سلف ١٠ : ٤٢١ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
(٤) انظر تفسير « السميع » و « العليم » فيما سلف من فهارس اللغة (سمع) ، (علم) .
(٥) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٧١ ، ٤٧٢ ، وفيه تفصيل موقع « إن » بعد « القول » وشبهه .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (٦٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ألا إن لله ، يا محمد ، كلَّ من فى السموات ومن فى الأرض ، ملكاً وعبيداً ، لا مالك لشىء من ذلك سواه . يقول : فكيف يكون إلهاً معبوداً من يعبُده هؤلاء المشركون من الأوثان والأصنام ، وهى لله ملك ، وإنما العبادة للمالك دون المملوك ، وللرب دون المربوب ؟ = « وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء » ، يقول جل ثناؤه : وأىُّ شىء يتبع من يدعو من دون الله = يعنى : غير الله وسواه = شركاء . ومعنى الكلام : أىُّ شىءٍ يتبع من يقول لله شركاء فى سلطانه وملكه كاذباً ، والله المنفرد بملك كل شىء فى سماء كان أو أرض ؟ = « إن يتبعون إلا الظن » ، يقول : ما يتبعون فى قيلهم ذلك ودعواهم إلا الظن ، يقول : إلا الشك لا اليقين [1] = « وإن هم إلا يخرصون » ، يقول : وإن هم إلا يتقوّلون الباطل تظنّياً وتَخرُّصاً للإفك ، [2] عن غير علمٍ منهم بما يقولون .

* * *

---

(١) انظر تفسير « الظن » فيما سلف من فهارس اللغة (ظنن) .

(٢) فى المطبوعة : «تظننا » ، وأثبت ما فى المخطوطة معجماً ، على قلة إعجام الحروف فيها . «والتظنى » ، هو « التظنن » ، وإنما قلبت نونه الآخرة ياء لتوالى النونات وثقل تواليها ، وهو كثير فاش فى كلام العرب .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ (٦٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إنّ ربكم، أيها الناس ، الذى استوجب عليكم العبادة ، هو الرب الذى جعل لكم الليل وفصله من النهار ، لتسكنوا فيه مما كنتم فيه فى نهاركم من التّعب والنّصَب ، وتهدأوا فيه من التصرف والحركة للمعاش ، والعناء الذى كنتم فيه بالنهار [1] = « والنهار مبصراً » ، يقول : وجعَل النهار مبصراً. فأضاف «الإبصار» إلى « النهار »، وإنما يُبْصَر فيه ، وليس « النهار » مما يبصر. ولكن لما كان مفهوماً فى كلام العرب معناه، خاطبهم بما فى لغتهم وكلامهم ، وذلك كما قال جرير :

لَقَدْ لُمْتِنَا يَا أُمَّ غَيْلاَنَ فِى السُّرَى ... وَنِمْتِ ، وَمَا لَيْلُ الْمَطِىِّ بِنَائِمِ [2]

فأضاف « النوم » إلى « الليل » ووصفه به ، ومعناه نفسه ، أنه لم يكن نائماً فيه هو ولا بَعيره .

* * *

يقول تعالى ذكره : فهذا الذى يفعل ذلك ، هو ربكم الذى خلقكم وما تعبدون ، لا ما لا ينفع ولا يضرُّ ولا يفعل شيئاً .

* * *

وقوله : «إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون »، يقول تعالى ذكره : إن فى اختلاف حال الليل والنهار وحال أهلهما فيهما، دلالةً وحججًا على أن الذى له العبادة خالصاً بغير شريك ، هو الذى خلق الليل والنهار ، وخالف بينهما بأن جعل هذا للخلق

---

(١) انظر تفسير « جعل » فيما سلف فى فهارس اللغة (جعل) .

(٢) ديوانه : ٥٥٤ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٧٩ ، من قصيدة له طويلة ، أجاب بها الفرزدق .

سكناً ، وهذا لهم معاشاً ، دون من لا يخلق ولا يفعل شيئاً ، ولا يضر ولا ينفع .

* * *

وقال : « لقوم يسمعون » ، لأن المراد منه : الذين يسمعون هذه الحجج ويتفكرون ٩٨/١١
فيها ، فيعتبرون بها ويتعظون . ولم يرد به : الذين يسمعون بآذانهم ، ثم يعرضون عن عبره وعظاته .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَـٰنٍۭ بِهَـٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٦٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال هؤلاء المشركون بالله من قومك ، يا محمد : « اتخذ الله ولداً » ، وذلك قولهم : « الملائكة بناتُ الله » . يقول الله منزّهاً نفسه عما قالوا وافتروا عليه من ذلك : « سبحان الله » ، تنزيهاً لله عما قالوا وادّعوا على ربهم [1] = « هو الغنى » ، يقول : اللهُ غنيٌّ عن خلقه جميعاً ، فلا حاجة به إلى ولد ، [2] لأن الولد إنما يَطْلُبه من يطلبه ، ليكون عوناً له فى حياته ، وذكراً له بعد وفاته ، والله عن كل ذلك غنيّ ، فلا حاجة به إلى معين يعينه على تدبيره ، ولا يبيدُ فيكون به حاجة إلى خلف بعده = « له ما فى السموات وما فى الأرض » ، يقول تعالى ذكره : لله ما فى السموات وما فى الأرض مِلْكاً ، والملائكةُ عباده وملكه ، فكيف يكون عبد الرجل وملكه له ولداً ؟ يقول : أفلا تعقلون ، أيها القوم خطأ ما تقولون ؟ = « إن عندكم من سلطان بهذا » ، يقول : ما عندكم ، أيها القوم ،

---

(١) انظر تفسير « سبحان » فيما سلف ص : ٤٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الغنى » فيما سلف ١٢ : ١٢٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

بما تقولون وتدّعون من أن الملائكة بنات الله ، من حجة تحتجون بها = وهى السلطان [١] = أتقولون على الله قولا لا تعلمون حقيقته وصحته ، وتضيفون إليه ما لا يجوز إضافته إليه ، جهلاً منكم بما تقولون ، بغير حجة ولا برهان ؟

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَـٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴾ ﴿٧٠﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « قل » ، يا محمد ، لهم = « إن الذين يفترون على الله الكذب » ، فيقولون عليه الباطل ، ويدّعون له ولداً [٢] = « لا يفلحون » ، يقول : لا يَبْقَون فى الدنيا [٣] = ولكن لهم متاع فى الدنيا يمتعون به ، وبلاغ يتبلغون به إلى الأجل الذى كُتِب فناؤهم فيه [٤] = « ثم إلينا مرجعهم » ، يقول : ثم إذا انقضى أجلهم الذى كتب لهم ، إلينا مصيرهم ومنقلبهم [٥] = « ثم نذيقهم العذاب الشديد » ، وذلك إصلاؤهم جهنم [٦] = « بما كانوا يكفرون » بالله فى الدنيا ، فيكذبون رسله ، ويجحدون آياته .

* * *

ورفع قوله : « متاع » ، بمضمر قبله ، إما « ذلك » ، وإما « هذا » . [٧]

* * *

(١) انظر تفسير « السلطان » فيما سلف ١٢ : ٥٢٣ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الافتراء » فيما سلف من فهارس اللغة (فرى) .
(٣) انظر تفسير « الفلاح » فيما سلف ص : ٤٦ ، ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٤) انظر تفسير « المتاع » فيما سلف ص : ٥٣ ، ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
(٥) انظر تفسير « المرجع » فيما سلف ص : ٩٨ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٦) انظر تفسير « الذوق » فيما سلف ص : ١٠٢ تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٧) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٧٢ ، وفيه « : إما (هو) ، وإما (ذاك) » .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾ (٧١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « واتل » ، على هؤلاء المشركين الذين قالوا : «اتخذ الله ولداً» من قومك[١] = « نبأ نوح » ، يقول : خبر نوح[٢] = « إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامى » ، يقول : إن كان عظم عليكم مقامى بين أظهركم وشقّ عليكم[٣] =« وتذكيرى بآيات الله » ، يقول : ووعظى إياكم بحجج الله ، وتنبيهى إياكم على ذلك[٤] = « فعلى الله توكلت » ، يقول ، إن كان شق عليكم مقامى بين أظهركم ، وتذكيرى بآيات الله ، فعزمتم على قتلى أو طردى من بين أظهركم ، فعلى الله اتكالى وبه ثقتى ، وهو سَنَدى وظهرى[٥] = « فأجمعوا أمركم » ، يقول : فأعدُّوا أمركم ، واعزموا على ما تنوُون عليه فى أمرى .[٦]

* * *

يقال منه : « أجمعت على كذا » ، بمعنى : عزمت عليه ،[٧] ومنه قول النبى

---

(١) انظر تفسير « التلاوة » فيما سلف من فهارس اللغة (تلا) .

(٢) انظر تفسير « النبأ » فيما سلف ص : ١٠٢ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « كبر » فيما سلف ١١ : ٣٣٦ ، ٣٣٧ .

(٤) انظر تفسير « التذكير » فيما سلف من فهارس اللغة (ذكر) .

(٥) انظر تفسير « التوكل » فيما سلف ١٤ : ٥٨٧ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٦) فى المطبوعة : « وما تقدمون عليه » ، وفى المخطوطة : « وما سومون » غير منقوطة ، وهو وهم من الناسخ ، والصواب الذى أرجحه ، ما أثبت ، لأن « الإجماع » هو إحكام النية والعزيمة .

(٧) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٧٣ ، وقد فصل القول فيه هناك .

صلى الله عليه وسلم : « من لم يُجْمِع على الصوم من الليل فلا صَوْم له » ، بمعنى : من لم يعزم ، [١] ومنه قول الشاعر : [٢]

يَالَيْتَ شِعْرِى وَالْمُنَى لاَ تَنْفَعُ هَلْ أَغْدُوَنْ يَوْماً وَأَمْرِى مُجْمَعُ [٣]

* * *

وروى عن الأعرج فى ذلك ما : —

١٧٧٦٠ — حدثنى بعض أصحابنا ، عن عبد الوهاب ، عن هرون ، عن أسيد ، عن الأعرج : « فأجمعوا أمركم وشركاءكم » ، يقول : أحكموا أمركم ، وادعوا شركاءكم . [٤] ٩٩/١

* * *

ونصب قوله : « وشركاءكم » ، بفعل مضمر له ، وذلك : « وادعوا شركاءكم » ، وعطف بـ « الشركاء » على قوله « أمركم » ، على نحو قول الشاعر :

---

(١) هذا حديث رواه بلا إسناد . وأخرجه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة ، من حديث حفصة أم المؤمنين . انظر سنن أبى داود ٢ : ٤٤١ ، ٤٤٢ ، رقم : ٢٤٥٤ .

(٢) لم أعرف قائله ، ولكنى أظنه لأبى النجم ، هكذا أذكر .

(٣) نوادر أبى زيد : ١٣٣ ، معانى القرآن للفراء ١ : ٤٧٣ ، اللسان (جمع) ، (زفا) ، وبعده فيما روى أبو زيد :

وَتَحْتَ رَحْلِى زَفَيَانٌ مَيْلَعُ حَرْفٌ ، إِذَا مَا زُجِرَتْ تَبَوَّعُ

(٤) الأثر : ١٧٧٦٠ — « عبد الوهاب » ، هو « عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى » ، مضى مراراً كثيرة ، آخرها رقم : ١٤٢٢٩ .

و « هرون » هو « هرون بن موسى » الأعور النحوى ، مضى برقم : ٤٩٨٥ ، ١١٦٩٣ ، ١٥٥١٤ ، ١٥٥١٥ .

و « أسيد » ، هو « أسيد بن أبى أسيد ، يزيد » ، البراد . روى الحروف عن الأعرج ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/١/٤٩ ، ولم يزد على أن قال « أسيد ، حدثنا موسى ، حدثنا هرون ، عن أسيد سمع عكرمة ، وعن الأعرج فى القراءة » ، لم يذكر له نسباً . وفى ابن أبى حاتم ١/١/٣١٦ ، فى ترجمة « أسيد بن يزيد المدنى » ، وقال : « روى عن الأعرج ، روى عنه هرون النحوى » . ثم أتبعه بترجمة « أسيد بن أبى أسيد البراد » ، وقال : « واسم أبى أسيد يزيد » ، ولم يذكر له رواية عن الأعرج ، ولا فى الرواة عنه هرون النحوى ، فجعلهما رجلين . بيد أنى رأيت ابن الجزرى فى طبقات القراء ١ : ٣٨١ فى ترجمة « الأعرج » ، وهو « عبد الرحمن بن هرمز » قال : « وروى عنه الحروف أسيد بن أبى أسيد » . وانظر هذا الاختلاف فى التهذيب ، وما قاله الحافظ ابن حجر هناك .

وَرَأَيْتِ زَوْجَكِ فِي الْوَغَى مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحَا (١)

فالرمح لا يُتَقَلَّد، ولكن لما كان فيما أظهر من الكلام دليلٌ على ما حذف، اكتفى بذكر ما ذكر منه مما حذف، (٢) فكذلك ذلك فى قوله : « وشركاءكم » .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته قرأة الأمصار: ﴿ وَشُرَكَاءَكُمْ ﴾، نصباً، وقوله: ﴿ فَأَجْمِعُوا ﴾، بهمز الألف وفتحها، من : « أجمعت أمرى فأنا أجمعه إجماعاً » .

* * *

وذكر عن الحسن البصرى أنه كان يقرؤه: ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ ﴾، بفتح الألف وهمزها = ﴿ وَشُرَكَاؤُكُمْ ﴾ ، بالرفع، على معنى : وأجمعوا أمركم، وليجمع أمرَهم أيضاً معكم شركاؤكم . (٣)

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك، قراءةُ من قرأ: ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ﴾ ، بفتح الألف من « أجمعوا » ونصب « الشركاء »، لأنها فى المصحف بغير واو ، ولإجماع الحجة على القراءة بها ، ورفض ما خالفها ، ولا يعترض عليها بمن يجوز عليه الخطأ والسهو .

* * *

وعنى بـ « الشركاء » ، آلهتهم وأوثانهم .

* * *

وقوله : « ثم لا يكن أمركم عليكم غمة » ، يقول : ثم لا يكن أمركم عليكم ملتبساً مشكِلاً مُبهَماً .

* * *

---

(١) مضى البيت وتخريجه فى مواضع ، آخرها ١٣ : ٤٣٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك ، وانظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٧٣ .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « فاكتفى » بالفاء ، والصواب حذفها ، وإنما خلط الناسخ .

(٣) انظر تفصيل هذا فى معانى القرآن للفراء ١ : ٤٧٣ .

=من قولهم : « غُمَّ على الناس الهلال » ، وذلك إذا أشكل عليهم فلم يتبيَّنوه ، ومنه قول [العجاج] : (١)

بَلْ لَوْ شَهِدْتِ النَّاسَ إِذْ تُكُمُّوا بِغُمَّةٍ لَوْ لَمْ تُفَرَّجْ غُمُّوا (٢)

وقيل : إن ذلك من « الغم » ، لأن الصدر يضيق به ، ولا يتبين صاحبه لأمره مَصدراً يَصْدُرُه ، يتفرَّج عليه ما بقلبه ، (٣) ومنه قول خنساء :

وَذِى كُرْبَةٍ رَاخَى ابْنُ عَمْرٍو خِنَاقَه وَغُمَّتَهُ عَنْ وَجْهِهِ فَتَجَلَّتِ (٤)

* * *

وكان قتادة يقول فى ذلك ما :—

١٧٧٦١ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « أمركم عليكم غمة » ، قال : لا يكبر عليكم أمركم .

* * *

وأما قوله : « ثم اقضوا إلىّ » ، فإن معناه : ثم أمضوا إلىّ ما فى أنفسكم وافرغوا منه ، كما :—

١٧٧٦٢ — حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « ثم اقضوا إلىّ ولا تنظرون » ، قال : اقضوا إلىّ ما كنتم قاضين .

١٧٧٦٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « ثم اقضوا إلىّ ولا تنظرون » ، قال : اقضوا إلىّ ما فى أنفسكم .

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « ومنه قول رؤبة » ، وأنا أرجح أنه خطأ من الناسخ ، فلذلك وضعته بين القوسين ، وإنما نقل هذا أبو جعفر من مجاز القرآن لأبى عبيدة ، وهو فيه على الصواب « العجاج » .

(٢) ديوانه : ٦٣ ، واللسان (غمم) ، (كمم) ، وغيرها . أول رجز له طويل فى ديوانه ، ذكر فيه مسعود بن عمرو العتكى ، وما أصابه وقومه من تميم رهط العجاج ، وسلف بيان ذلك ١٣ : ٧٥ ، تعليق : ٢ ، فى شرح بيت من هذا الرجز .

وقوله : « تكموا » من قوله : « تكممه » ، أى غطاه وغشاه ، ثم لما توالت الميمات فى « تكمموا » ، قلبت الأخيرة ياء ، كما قيل فى « التظنن » و « التظنى » ، فلما أسند إليه الواو ، قال : « تكموا » .

(٣) المطبوعة : « يتفرج عنه » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب .

(٤) ديوانها : ٢٧ ، وروايته « وَمُخْتَنِقٍ رَاخَى ابنُ عَمْرٍو » من رثائها فى أخيها صخر .

١٧٧٦٤ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد، مثله .

* * *

واختلف أهل المعرفة بكلام العرب في معنى قوله : « ثم اقضوا إليّ » .(١)

فقال بعضهم: معناه : امضوا إلى ، كما يقال : « قد قضى فلان » ، يراد : قد مات ومَضَى .

* * *

وقال آخرون منهم : بل معناه: ثم افرغوا إليّ . وقالوا : « القضاء »، الفراغ ، و« القضاء » من ذلك . قالوا: وكأنّ « قضى دينه» من ذلك ، إنما هو فَرَغ منه .

* * *

وقد حُكي عن بعض القرأة أنه قرأ ذلك: ﴿ ثُمَّ أَفْضُوا إِلَيَّ ﴾، بمعنى : توجّهوا إليّ حتى تصلوا إليّ ، من قولهم : « قد أفْضَى إليّ الوَجَع وشبهه » .(٢)

* * *

وقوله : « ولا تنظرون » ، يقول : ولا تؤخرون .

* * *

=من قول القائل : « أنظرت فلاناً بما لي عليه من الدين » .(٣)

* * *

قال أبو جعفر : وإنما هذا خبرٌ من الله تعالى ذكره، عن قول نبيه نوح عليه السلام لقومه: إنه بنُصرة الله له عليهم واثق ، ومن كيدهم وبوائقهم غير خائف(٤) = وإعلامٌ منه لهم أن آلهتهم لا تضرّ ولا تنفع . يقول لهم : أمضوا ما تحدّثون أنفسكم به فيّ ،على عزم منكم صحيح ، واستعينوا مع من شايعكم عليّ بآلهتكم

---

(١) انظر تفسير « قضى » فيما سلف ص : ٣٣ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .
= وانظر أيضاً معاني القرآن للفراء ١ : ٤٧٤ .

(٢) انظر بيان هذه القراءة في معاني القرآن للفراء ١ : ٤٧٤ .

(٣) انظر تفسير « الإنظار » فيما سلف ١٣ : ٣٢٢ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٤) في المطبوعة : « من كيدهم وتوائقهم » ، وهو قراءة فاسدة ، صوابها ما أثبت . والمخطوطة غير منقوطة . و « البوائق » ، جمع « بائقة » . يعني : غوائلهم وشرهم وظلمهم وبغيهم عليه .

التى تدْعون من دون الله ، ولا تؤخروا ذلك ، فإنى قد توكلت على الله ، وأنا به واثق أنكم لا تضرونى إلا أن يشاء ربى .

وهذا ، وإن كان خبراً من الله تعالى عن نوح ، فإنه حثٌّ من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على التأسّى به ، وتعريفٌ منه سبيلَ الرشاد فيما قلّده من الرسالة والبلاغ عنه. ١١/١٠٠

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (٧٢)

يقول تعالى ذكره ، مخبراً عن قيل نبيه نوح عليه السلام لقومه : « فإن توليتم » ، أيها القوم ، عنى بعد دعائى إياكم ، وتبليغ رسالة ربى إليكم ، مدبرين ، فأعرضتم عمّا دعوتكم إليه من الحقّ ، والإقرار بتوحيد الله ، وإخلاص العبادة له ، وترك إشراك الآلهة فى عبادته ، فتضييعٌ منكم وتفريطٌ فى واجب حق الله عليكم ، لا بسبب من قبلى ، فإنى لم أسألكم على ما دعوتكم إليه أجراً ، ولا عوضاً أعتاضه منكم بإجابتكم إياى إلى ما دعوتكم إليه من الحق والهدى ، ولا طلبت منكم عليه ثواباً ولا جزاءاً = « إن أجرى إلا على الله » ، يقول جل ثناؤه : إن جزائى وأجر عملى وثوابه إلا على ربى ، لا عليكم ، أيها القوم ، ولا على غيركم = « وأمرت أن أكون من المسلمين » ، وأمرنى ربى أن أكون من المذعنين له بالطاعة ، المنقادين لأمره ونهيه ، المتذللين له . ومن أجل ذلك أدعوكم إليه ، وبأمره آمركم بترك عبادة الأوثان .[1]

* * *

(١) انظر تفسير « التولى » و « الأجر » ، و « الإسلام » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) ، (أجر) ، (سلم) .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ (٧٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فكذب نوحاً قومه فيما أخبرهم به عن الله من الرسالة والوحى = « فنجيناه ومن معه » ، ممن حمل معه = فى «الفلك » ، يعنى : فى السفينة [١] = « وجعلناهم خلائف » ، يقول : وجعلنا الذين نجينا مع نوح فى السفينة ، خلائف فى الأرض من قومه الذين كذبوه [٢] = بعد أن أغرقنا الذين كذبوا بآياتنا ، = يعنى : حججنا وأدلتنا على توحيدنا ورسالة رسولنا نوح . يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم « فانظر »، يا محمد = « كيف كان عاقبة المنذرين» ، وهم الذين أنذرهم نوحٌ عقابَ الله على تكذيبهم إياه وعبادتهم الأصنام . يقول له جل ثناؤه : انظر ماذا أعقبهم تكذيبهم رسولَهم ، فإن عاقبة من كذّبك من قومك إن تمادوا فى كفرهم وطغيانهم على ربهم ، نحو الذى كان من عاقبة قوم نوح حين كذبوه . [٣] يقول جل ثناؤه : فليحذروا أن يحلّ بهم مثل الذى حلّ بهم ، إن لم يتوبوا .

* * *

(١) انظر تفسير « الفلك » فيما سلف ١٢ : ٥٠٢/١٥ : ٥٥

(٢) انظر تفسير « الخلافة » فيما سلف ص : ٣٨ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « العاقبة » فيما سلف ص : ٩٣ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ (٧٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ثم بعثنا من بعد نوح رسلاً إلى قومهم ، فأتوهم ببيّنات من الحجج والأدلّة على صدقهم ، وأنهم لله رسل ، وأن ما يدعونهم إليه حقّ =« فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل » ، يقول : فما كانوا ليصدّقوا بما جاءتهم به رسلهم ، بما كذب به قوم نوح ومن قبلهم من الأمم الخالية من قبلهم =« كذلك نطبع على قلوب المعتدين » ، يقول تعالى ذكره : كما طبعنا على قلوب أولئك فختمنا عليها ، فلم يكونوا يقبلون من أنبياء الله نصيحتهم ، ولا يستجيبون لدعائهم إيّاهم إلى ربهم ، بما اجترموا من الذنوب واكتسبوا من الآثام [1] = كذلك نطبع على قلوب من اعتدى على ربّه فتجاوز ما أمره به من توحيده ، وخالف ما دعاهم إليه رسلهم من طاعته ، [2] عقوبة لهم على معصيتهم ربّهم من هؤلاء الآخرين من بعدهم .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ (٧٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ثم بعثنا من بعد هؤلاء الرسل الذين أرسلناهم من بعد نوح إلى قومهم ، موسى وهرون ابنى عمران ، إلى فرعون مصر

(١) انظر تفسير « الطبع » فيما سلف ١٤ : ٤٢٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الاعتداء » فيما سلف من فهارس اللغة (عدا) .

وملئه ، يعنى : وأشراف قومه وسادتهم [١] = « بآياتنا » ، يقول : بأدلتنا على حقيقة ما دعوهم إليه من الإذعان لله بالعبُودة ، والإقرار لهما بالرسالة = « فاستكبروا » ، يقول : فاستكبروا عن الإقرار بما دعاهم إليه موسى وهرون [٢] = « وكانوا قوماً مجرمين » ، يعنى : آثمين بربهم ، بكفرهم بالله. [٣]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴾ ﴿٧٧﴾ ١٠١/١١

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « فلما جاءهم الحق من عندنا » ، يعنى : فلما جاءهم بيانُ مادعاهم إليه موسى وهرون ، وذلك الحجج التى جاءهم بها ، وهى الحق الذى جاءهم من عند الله = « قالوا إن هذا لسحر مبين » = يعنون أنه يبين لمن رآه وعاينه أنه سحر لا حقيقة له [٤] = « قال موسى » ، لهم = « أتقولون للحق لما جاءكم » ، من عند الله = « أسحر هذا » ؟

* * *

واختلف أهل العربية فى سبب دخول ألف الاستفهام فى قوله : « أسحر هذا » ؟ فقال بعض نحويى البصرة : أدخلت فيه على الحكاية لقولهم ، لأنهم قالوا : « أسحر هذا » ؟ فقال أتقولون : « أسحر هذا » ؟

* * *

---

(١) انظر تفسير « الملأ » فيما سلف ١٣ : ٣٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الاستكبار » فيما سلف ١٣ : ١١٤ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) قوله « آثمين بربهم » ، تعبير سلف مراراً فى كلام أبى جعفر ، وبينته وفسرته فيما سلف انظر ١٢ : ٣٠٣ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « السحر » فيما سلف ١٣ : ٤٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

وقال بعض نحويي الكوفة : إنهم قالوا : « هذا سحر »، ولم يقولوه بالألف ، لأن أكثر ما جاء بغير ألف . قال : فيقال : فلم أدخلت الألف ؟ فيقال : قد يجوز أن تكون من قِيلهم وهم يعلمون أنه سحر ، كما يقول الرجل للجائزة إذا أتته : « أحقٌّ هذا» ؟ وقد علم أنه حق . قال : وقد يجوز أن تكون على التعجّب منهم : أسحر هذا ؟ ما أعظمه ! (١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى ذلك في هذا بالصواب عندي ،أن يكون المفعولُ محذوفاً، ويكون قوله : « أسحر هذا »، من قيل موسى ، منكراً على فرعون وملئه قولهم للحق لما جاءهم : « سحر » ، فيكون تأويل الكلام حينئذ : قال موسى لهم : «أتقولون للحق لما جاءكم » = وهي الآيات التي أتاهم بها من عند الله حجة له على صدقه = سحرٌ، أسحرٌ هذا الحقّ الذي ترونه ؟ فيكون « السحر » الأوّل محذوفاً، اكتفاءً بدلالة قول موسى « أسحر هذا » ، على أنه مرادٌ في الكلام ، كما قال ذو الرمة :

فَلَمَّا لَبِسْنَ اللَّيْلَ،أَوْ حِينَ، نَصَّبَتْ لَهُ مِنْ خَدَا آذَانِهَا وَهْوَ جَانِحُ(٢)

يريد : أو حين أقبل، ثم حذف اكتفاءً بدلالة الكلام عليه، وكما قال جل ثناؤه : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ ﴾[سورة الإسراء:٧]، والمعنى : بعثناهم ليسوؤوا وجوهكم = فترك ذلك اكتفاء بدلالة الكلام عليه، في أشباه لما ذكرنا كثيرة، يُتْعب إحصاؤها .

* * *

وقوله : « ولا يفلح الساحرون »، يقول : ولا ينجح الساحرون ولا يَبقوْن. (٣)

* * *

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١ : ٤٧٤ .

(٢) مضى البيت وتخريجه وشرحه فيما سلف ١ : ٣٢٧ ، تعليق : ٢ .

(٣) انظر تفسير « الفلاح » فيما سلف ص : ١٤٦، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٧٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره قال فرعون وملأُه لموسى : « أجئنا لتلفتنا »، يقول : لتصرفنا وتلوينا = « عمّا وجدنا عليه آباءنا »، من قبل مجيئك ، من الدين .

* * *

=يقال منه : « لفت فلانٌ [عنق فلان »، إذا لواها ، كما قال رؤبة] : (١)

* لَفْتاً وتَهْزِيعاً سَوَاءَ اللَّفْتِ * (٢)

« التهزيع » ، الدق ، و« اللفت » ، اللّى ، كما : —

١٧٧٦٥ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « لتلفتنا » ، قال : لتلوينا عما وجدنا عليه آباءنا .

* * *

وقوله : « وتكون لكما الكبرياء فى الأرض » ، يعنى العظمة ، وهى « الفعلياء » من « الكبر »، ومنه قول ابن الرِّقاع :

---

(١) كان فى المخطوطة والمطبوعة : « كما قال ذو الرمة » ، وهو خطأ لا شك فيه ، صوابه ما أثبت ، كما دل عليه مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٨٠ ، وأنا أرجح أن ذلك من الناسخ ، لا من أبى جعفر ، لأنه نقل عن أبى عبيدة . وانظر مثل هذا فيما سلف ص: ١٥٠ ، تعليق : ١ : فوضعت الصواب بين القوسين .

(٢) ديوانه ٢٤ ، مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٨٠ ، اللسان (هزع) ، من رجز ذكر فيه نفسه ، يقول قبله ، مشبها نفسه بالأسد :

فَإِنْ تَرَيْنِي أَحْتَمِي بِالسَّكْتِ فَقَدْ أَقُومُ بِالْمَقَامِ الثَّبْتِ
أَشْجَعَ من ذى لِبَدٍ بِخَبْتِ يَدُقُّ صُلْباتِ العِظامِ رَفْتِي

و « الرفت» ، الدق والكسر . وقوله « سواء اللفت »، أى « سوى اللفت » « سواء » (بفتح السين) و « سوى » (بكسر السين)، بمعنى : غير .

سُؤْدَداً غَيْرَ فَاحِشٍ لاَ يُدَا نِيهِ تَجِبَّارَةٌ وَلاَ كِبْرِياءُ(١)

* * *

١٧٧٦٦ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن نمير، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: «وتكون لكما الكبرياء في الأرض»، قال: الملك.

١٧٧٦٧ — . . . . قال، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مجاهد: «وتكون لكما الكبرياء في الأرض»، قال: السلطان في الأرض.

١٧٧٦٨ — . . . . قال، حدثنا محمد بن بكر، عن ابن جريج، قال: بلغني عن مجاهد قال: الملك في الأرض.

١٧٧٦٩ — . . . . قال، حدثنا المحاربي، عن جويبر، عن الضحاك: «وتكون لكما الكبرياء في الأرض»، قال: الطاعة.

١٧٧٧٠ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: «وتكون لكما الكبرياء في الأرض»، قال: الملك.

١٧٧٧١ — . . . . قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

١٧٧٧٢ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

---

(١) لم أجد البيت في مكان آخر، وكان في المطبوعة: «تجباره»، ومثله في المخطوطة، أما ضبطه فقد شغلني، لأن أصحاب اللغة لم يذكروا في مصادر «الجبروت» سوى «التجبار» (بفتح فسكون) بمعنى الكبر. فكأن قارئه يقرؤه كما في المطبوعة والمخطوطة «تجباره» (بفتح فسكون)، مضافاً إلى الهاء. وظني أن الضبط الذي ذهبت إليه أجود، وإن لم يذكروه في المصادر في كتب اللغة التي بين أيدينا. ومصدر «تِفَعَّال» (بكسر التاء والفاء وتشديد العين)، هو قياس التصدير في «تَفَعَّل» لكنها صارت مسموعة لا يقاس على ما جاء منها الشافية ١ : ١٦٦)، نحو «تِمِلاَّق» ودخول التاء في مثله في المصادر جائز في العربية.

وبالضبط الذي ضبطته يستقيم وزن الشعر، فأخشى أن يكون هذا المصدر على هذا الميزان، مما أغفلته كتب اللغة.

١٧٧٧٣ – حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا سفيان ، ٢/١١
عن الأعمش ، عن مجاهد قال : السلطان في الأرض .

* * *

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال كلها متقارباتُ المعاني . وذلك أن الملك سلطان، والطاعة ملك ، غير أن معنى « الكبرياء »، هو ما ثبت في كلام العرب، ثم يكون ذلك عظمة بملك وسلطان وغير ذلك .

* * *

وقوله : « وما نحن لكما بمؤمنين » ، يقول : « وما نحن لكما » ، يا موسى وهرون = « بمؤمنين » ، يعني : بمقرِّين بأنكما رسولان أرسلتما إلينا .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾ ﴿٨٠﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وقال فرعون لقومه : ائتوني بكل من يسحر من السحرة ، عليم بالسحر [1] = « فلما جاء السحرة » ، فرعون = « قال موسى ألقوا ما أنتم ملقون »، من حبالكم وعصيِّكم .

* * *

وفي الكلام محذوف قد ترك وهو : « فأتوه بالسحرة ، فلما جاء السحرة » ، ولكن اكتفى بدلالة قوله : « فلما جاء السحرة » ، على ذلك ، فترك ذكره .

وكذلك بعد قوله : « ألقوا ما أنتم ملقون »، محذوفٌ أيضاً قد ترك ذكرُه ، وهو : « فألقوا حبالهم وعصيَّهم » = « فلما ألقوا قال موسى » ، ولكن اكتفى بدلالة ما ظَهَر من الكلام عليه ، فتُرك ذكره .

* * *

(١) انظر تفسير « السحر » فيما سلف ص: ١٥٥ : تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « عليم » فيما سلف من فهارس اللغة (علم) .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ (٨١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فلما ألقوا ما هم ملقوه ، قال لهم موسى : ما جئتم به السحر .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة الحجاز والعراق : ﴿مَاجِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ﴾ ، على وجه الخبر من موسى عن الذى جاءت به سحرة فرعون ، أنه سحرٌ . كأنَّ معنى الكلام على تأويلهم : قال موسى : الذى جئتم به ، أيها السحرة ، هو السحر .

* * *

وقرأ ذلك مجاهد وبعض المدنيين والبصريين : ﴿مَا جِئْتُمْ بِهِ آلسِّحْرُ﴾ ، على وجه الاستفهام من موسى إلى السحرة عما جاؤوا به : أسحر هو أم غيره؟ (١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب ، قراءةُ من قرأه على وجه الخبر لا على الاستفهام ، لأن موسى صلوات الله وسلامه عليه ، لم يكن شاكاً فيما جاءت به السحرة أنه سحر لا حقيقة له ، فيحتاج إلى استخبار السحرة عنه ، أى شىء هو ؟

وأخرى ، أنه صلوات الله عليه قد كان على علم من السحرة إنما جاء بهم فرعون ليغالبوه على ما كان جاءهم به من الحق الذى كان الله آتاه ، فلم يكن

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٧٥ ، وفيه تفصيل مفيد .

يذهب عليه أنهم لم يكونوا يصدّقونه فى الخبر عمّا جاءوه به من الباطل، فيستخبرهم أو يستجيز استخبارهم عنه ، ولكنه صلوات الله عليه أعلمهم أنه عالم ببطول ما جاءوا به من ذلك بالحق الذى أتاه ،[1] ومبطلٌ كيدهم بجَدِّه .[2] وهذه أولى بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأخرى.

* * *

فإن قال قائل : فما وجه دخول « الألف واللام » فى « السحر » ، إن كان الأمر على ما وصفت ، وأنت تعلم أن كلام العرب فى نظير هذا أن يقولوا : « ما جاءنى به عمرو درهمٌ = والذى أعطانى أخوك دينار » ، ولا يكادون أن يقولوا [3] : « الذى أعطانى أخوك الدرهم = وما جاءنى به عمرو الدينار » ؟

قيل له : بلى، كلام العرب إدخال « الألف واللام » فى خبر « ما » و « الذى » ، إذا كان الخبر عن معهود قد عرفه المخاطَب، والمخاطِب ، بل لا يجوز إذا كان ذلك كذلك إلا بالألف واللام ، لأنّ الخبر حينئذ خبرٌ عن شىء بعينه معروف عند الفريقين ، وإنما يأتى ذلك بغير « الألف واللام » ،[4] إذا كان الخبر عن مجهول غير معهود ولا مقصود قصدَ شىء بعينه ، فحينئذ لا تدخل الألف واللام فى الخبر .[5] وخبرُ موسى كان خبراً عن معروف عنده وعند السحرة . وذلك أنها كانت نسبت ما جاءهم به موسى من الآيات التى جعلها الله عَلَماً له على صدقه

---

(١) فى المخطوطة : « ما جاءوا به من ذلك الحق الذى أتاه » ، وأرجح أن ناسخ المخطوطة قد أسقط شيئاً من الكلام ، ولكن ما فى المطبوعة يؤدى عن معناه ، وذلك بزيادة الباء فى « بالحق » ، وإن كانت الجملة عندى ضعيفة .

(٢) فى المطبوعة : « بجده » بالجيم ، والصواب بالحاء . و « الحد » الشدة والبأس والسطوة .

(٣) هكذا فى المخطوطة « لا يكادون أن يقولوا » ، وبعد « يقولوا » حرف « ط » دلالة على الخطأ ، وليس خطأ . وقد عقد ابن هشام فى شواهد التوضيح لمشكلات الجامع الصحيح : ٩٨ — ١٠٢ فصلا جيداً فى وقوع خبر « كاد » مقروناً به « أن » ، وذكر شواهده فى الحديث وفى الشعر ، واحتج لذلك أحسن الاحتجاج .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة أسقط « واللام » .

(٥) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٧٥ .

ونبوته ، إلى أنه سحرٌ ، فقال لهم موسى : السحرُ الذى وصفتم به ما جئتكم به من الآيات ، أيها السحرة ، هو الذى جئتم به أنتم ، لا ما جئتكم به أنا . ثم أخبرهم أن الله سيبطله فقال : « إن الله سيبطله » ، يقول : سيذهب به . فذهب به تعالى ذكره ، بأن سلط عليه عصا موسى قد حوّلها ثعباناً يتلقّفه ، حتى لم يبق منه شيء = « إن الله لا يصلح عمل المفسدين » ، يعنى : إنه لا يصلح عمل من سعى فى أرض الله بما يكرهه ، وعمل فيها بمعاصيه .[1] ١٠٣/١١

* * *

وقد ذكر أن ذلك فى قرأة أبى بن كعب : ﴿ مَا أَتَيْتُمْ بِهِ سِحْرٌ ﴾ .

* * *

وفى قراءة بن مسعود : ﴿ مَاجِئْتُمْ بِهِ سِحْرٌ ﴾ ،[2] وذلك مما يؤيد قراءة من قرأ بنحو الذى اخترنا من القراءة فيه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ (٨٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره ، مخبراً عن موسى أنه قال للسحرة : « ويحق الله الحق » ، يقول : ويثبت الله الحق الذى جئتكم به من عنده ، فيعليه على باطلكم ويصححه = « بكلماته » ، يعنى : بأمره[3] = « ولو كره المجرمون » ، يعنى : الذين اكتسبوا الإثم بربّهم ،[4] بمعصيتهم إياه .

* * *

---

(١) انظر تفسير « الإفساد » فيما سلف من فهارس اللغة (فسد) .

(٢) انظر هاتين القراءتين فى معانى القرآن للفراء ١ : ٤٧٥ .

(٣) انظر تفسير « يحق الحق بكلماته » فيما سلف ١٣ : ٤٠٧ ، تعليق : ٢ ، ٣ ، والمراجع هناك.

(٤) انظر بيان معنى « أثم بربه » فيما سلف ص : ١٥٥ ، تعليق : ٣ : ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ (٨٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فلم يؤمن لموسى ، مع ما أتاهم به من الحجج والأدلّة = « إلا ذرية من قومه » ، خائفين من فرعون ، ومائهم .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى معنى « الذرية » ، فى هذا الموضع .

فقال بعضهم : « الذرية » ، فى هذا الموضع ، القليل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٧٧٤ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فما آمن لموسى إلا ذرّية من قومه »، قال ، كان ابن عباس يقول : « الذرية » ، القليل .

١٧٧٧٥ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله تعالى : « فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه » ، « الذرية » ، القليل ، كما قال الله تعالى : ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ ، [سورة الأنعام : ١٣٣] .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : فما آمن لموسى إلا ذرية من أرسل إليه موسى من بنى إسرائيل ، لطول الزّمان ، لأن الآباء ماتوا وبقى الأبناء ، فقيل لهم « ذرية » ، لأنهم كانوا ذرية من هلك ممن أرسل إليهم موسى عليه السلام . (١)

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) انظر تفسير « الذرية » فيما سلف ١٢ : ١٢٧ ، ١٢٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
= وانظر تفسيرها بمعنى « القليل » فى معانى القرآن للفراء ١ : ٤٧٦ .

١٧٧٧٦ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن عنبسة، عن محمد ابن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد في قوله : « فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه » ، قال : أولاد الذين أرسل إليهم من طول الزمان ، ومات آباؤهم .

١٧٧٧٧ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد=

١٧٧٧٨ ــ وحدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

١٧٧٧٩ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه » ، قال : أولاد الذين أرسل إليهم موسى ، من طول الزمان، ومات آباؤهم .

١٧٧٨٠ ــ حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا سفيان ، عن الأعمش : « فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملأهم أن يفتنهم »، قال : أبناء أولئك الذين أرسل إليهم، فطال عليهم الزمان، وماتت آباؤهم .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فما آمن لموسى إلا ذرية من قوم فرعون .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٧٨١ ــ حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملأهم أن يفتنهم » ، قال : كانت الذرية التي آمنت لموسى ، من أناس غير بني إسرائيل ، من قوم فرعون يسير ، منهم : امرأة فرعون، ومؤمن آل فرعون ، وخازن فرعون ، وامرأة خازنه .

* * *

وقد روى عن ابن عباس خبرٌ يدلُّ على خلاف هذا القول، وذلك ما :—

١٧٧٨٢ — حدثني به المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس قوله : « ذرية من قومه »، يقول : بني إسرائيل .

* * *

= فهذا الخبر، ينبيء عن أنه كان يرى أن « الذرية »، في هذا الموضع، [1] هم ١٠٤/١١
بنو إسرائيل دون غيرهم من قوم فرعون .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال عندي بتأويل الآية، القولُ الذي ذكرته عن مجاهد، وهو أن « الذرية »، في هذا الموضع، أريد بها ذُرّية من أرسل إليه موسى من بني إسرائيل، فهلكوا قبل أن يقرُّوا بنبوّته لطول الزمان، فأدركت ذريتهم، فآمن منهم من ذكر الله، بموسى .

وإنما قلت : « هذا القولُ أولى بالصواب في ذلك »، لأنه لم يجر في هذه الآية الآية ذكرٌ لغير موسى، فلأن تكون « الهاء »، في قوله : « من قومه »، من ذكر موسى لقربها من ذكره، أولى من أن تكون من ذكر فرعون، لبعد ذكره منها، إذ لم يكن بخلاف ذلك دليلٌ من خبرٍ ولا نظرٍ .

وبعدُ، فإن في قوله : « على خوف من فرعون وملئهم »، الدليلُ الواضح على أن « الهاء » في قوله : « إلا ذرية من قومه »، من ذكر موسى، لا من ذكر فرعون، لأنها لو كانت من ذكر فرعون، لكان الكلام، « على خوف منه »، ولم يكن : « على خوف من فرعون » .

* * *

وأما قوله : « على خوف من فرعون »، فإنه يعني على حال خوف ممن آمن من ذرية قوم موسى بموسى = فتأويل الكلام : فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه، من بني إسرائيل، وهم خائفون من فرعون وملأهم أن يفتنوهم .

* * *

(١) في المطبوعة : « ينبيء عنه »، وأثبت ما في المخطوطة .

وقد زعم بعض أهل العربية أنه إنما قيل : « فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه »، لأن الذين آمنوا به إنما كانت أمّهاتهم من بنى إسرائيل ، وآباؤهم من القبط ، فقيل لهم « الذرية » من أجل ذلك ، كما قيل لأبناء الفرس الذين أمهاتهم من العرب وآباؤهم من العجم : « أبناء » .[1]

والمعروف من معنى « الذرية » ، فى كلام العرب ، أنها أعقاب من نسبت إليه من قبل الرجال والنساء، كما قال الله جل ثناؤه : ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾، [سورة الإسراء : ٣]، وكما قال : ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ﴾، ثم قال بعد : ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ﴾ ، [سورة الأنعام : ٨٤، ٨٥] ، فجعل من كان من قبل الرجال والنساء من ذرية إبراهيم .

* * *

وأما قوله : « وملئهم » ، فإن « الملأ » الأشراف .[2] وتأويل الكلام : على خوف من فرعون ومن أشرافهم .

* * *

واختلف أهل العربية فيمن عُنى بالهاء والميم اللتين فى قوله : « وملئهم » ، فقال بعض نحويى البصرة : عُنى بها الذرية . وكأنّه وجّه الكلام إلى : « فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون »، وملأ الذرِّية من بنى إسرائيل .

* * *

وقال بعض : نحويى أهل الكوفة :[3] عنى بهما فرعون . قال : وإنما جاز ذلك، وفرعون واحد ، لأن الملك إذا ذكر بخوفٍ أو سفر أو قدوم من سفر ،[4] ذهب الوهم إليه وإلى من معه . وقال : ألا ترى أنك تقول : «قدم الخليفة فكثر الناس »، تريد ، بمن معه = « وقدم فغلت الأسعار »، لأنك تنوى بقدومه قدوم من معه ،.[5]

(١) هو الفراء فى معانى القرآن ١ : ٤٧٦ .

(٢) انظر تفسير « الملأ » فيما سلف ص : ١٥٥ تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) فى المطبوعة : « نحويى الكوفة » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٤) فى المطبوعة : « لخوف » ، والصواب من معانى القرآن للفراء . أما المخطوطة فقد أسقط ناسخها وكتب : « لأن الملك ، وقال ألا ترى » .

(٥) فى المطبوعة « : لأذا تنوى بقدومه . . . » ، وفى المخطوطة : « لأذا تنوى بقدومه وقدوم من معه » ، وهو خطأ ، وأثبت ما فى معانى القرآن للفراء .

قال : وقد يكون أن تريد بـ «فرعون» ، آل فرعون ، وتحذف « الآل » ، [1] فيجوز كما قال : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ ، [سورة يوسف : ٨٢] ، يريد أهل القرية ، والله أعلم. قال : ومثله قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ [سورة الطلاق : ١]. [2]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب ، قول من قال : « الهاء والميم » ، عائدتان على «الذرية » ، ووجّه معنى الكلام إلى أنه : على خوف من فرعون وملأ الذرية = لأنه كان فى ذرية القرن الذين أرسل إليهم موسى من كان أبوه قبطياً وأمه إسرائيلية . فمن كان كذلك منهم ، كان مع فرعون على موسى .

* * *

وقوله : « أن يفتنهم » ، يقول : كان إيمان من آمن من ذرية قوم موسى على خوف من فرعون = « أن يفتنهم » بالعذاب ، فيصدّهم عن دينهم ، ويحملهم على الرجوع عن إيمانهم والكفر بالله . [3]

وقال : « أن يفتنهم » ، فوحّد ، ولم يقل : «أن يفتنوهم » ، لدليل الخبر عن فرعون بذلك : أن قومه كانوا على مثل ما كان عليه ، لما قد تقدم من قوله : « على خوف من فرعون وملئهم » .

* * *

وقوله : « وإن فرعون لعال فى الأرض » ، يقول : تعالى ذكره : وإن فرعون لجبّارٌ مستكبر على الله فى أرضه =« وإنه لمن المسرفين» ، وإنه لمن المتجاوزين الحقّ إلى الباطل ، [4] وذلك كفره بالله ، وتركه الإيمان به ، وجحودُه وحدانية الله ، وادّعاؤه لنفسه الألوهة ، وسفكه الدماء بغير حِلّها . ١٠٥/١١

* * *

---

(١) فى المطبوعة ، «وبحذف» ، وفى المخطوطة : «فتحذف آل فرعون» ، وهو خطأ ، صوابه من معانى القرآن.

(٢) هذا الذى مضى نص مقالة الفراء فى معانى القرآن ١ : ٤٧٦ ، ٤٧٧ .

(٣) انظر تفسير « الفتنة » فيما سلف من فهارس اللغة (فتن) .

(٤) انظر تفسير « الإسراف » فيما سلف ص : ٣٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ (٨٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : مخبراً عن قيل موسى نبيّه لقومه : يا قوم إن كنتم أقررتم بوحدانية الله ، وصدّقتم بربوبيته = « فعليه توكلوا » ، يقول : فبه فثقوا ، ولأمره فسلموا ، [١] فإنه لن يخذل وليّه ، ولن يسلم من توكل عليه [٢] = « إن كنتم مسلمين » ، يقول : إن كنتم مذعنين لله بالطاعة ، فعليه توكلوا . [٣]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (٨٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فقال قوم موسى لموسى : « على الله توكلنا » ، أى : به وثقنا ، وإليه فوّضنا أمرنا .

وقوله : « ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين » ، يقول جل ثناؤه ، مخبراً عن قوم موسى : أنهم دعوا ربهم فقالوا : يا ربنا ، لا تختبر هؤلاء القوم الكافرين ولا تمتحنهم بنا ! [٤] = يعنون قوم فرعون .

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى سألوه ربّهم ، من إعاذته ابتلاء قوم فرعون بهم .

---

(١) انظر تفسير « التوكل » فيما سلف ص : ١٤٧ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .
(٢) فى المطبوعة : « ويسلم » ، وفى المخطوطة : « ولم يسلم » ، والصواب ما أثبت .
(٣) انظر تفسير « الإسلام » فيما سلف من فهارس اللغة (سلم) .
(٤) انظر تفسير « الفتنة » فيما سلف من فهارس اللغة (فتن) .

فقال بعضهم : سألوه أن لا يظهرهم عليهم ، فيظنّوا أنهم خيرٌ منهم ، وأنهم إنما سُلِّطوا عليهم لكرامتهم عليه وهوان الآخرين

* ذكر من قال ذلك :

١٧٧٨٣ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن عمران بن حدير ، عن أبي مجلز في قوله : « ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين » ، قال : لا يظهروا علينا ، فيروا أنهم خيرٌ منّا .

١٧٧٨٤ – حدثني المثنى قال ، حدثنا الحجاج قال ، حدثنا حماد ، عن عمران بن حدير ، عن أبي مجلز في قوله : « ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين » ، قال : قالوا : لا تظهرهم علينا ، فيروا أنهم خيرٌ منّا .

١٧٧٨٥ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن أبي الضحى : « ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين » ، قال : لا تسلّطهم علينا ، فيزدادوا فتنة .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك لا تسلطهم علينا فيفتنونا .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٧٨٦ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين » ، لا تسلطهم علينا فيفتنونا .

١٧٧٨٧ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين » ، قال : لا تسلطهم علينا فيضلونا .

١٧٧٨٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله = وقال أيضاً : فيفتنونا .

١٧٧٨٩ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن

ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين » ، لا تعذبنا بأيدى قوم فرعون ، ولا بعذاب من عندك ، فيقول قوم فرعون : « لو كانوا على حقّ ما سُلِّطنا عليهم ولا عُذِّبوا » ، فيفتنوا بنا .

١٧٧٩٠ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين » ، قال : لا تعذبنا بأيدى قوم فرعون ولا بعذاب من عندك ، فيقول قوم فرعون : « لو كانوا على حق ما سُلِّطنا عليهم ولا عذِّبوا » ، فيفتتنوا بنا .

١٧٧٩١ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن عنبسة ، عن محمد ابن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد قوله : « لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين »، قال : لا تصبنا بعذاب من عندك ولا بأيديهم، فيفتتنوا ويقولوا : « لو كانوا على حق ما سلّطنا عليهم وما عذّبوا » .

١٧٧٩٢ – حدثنى يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد فى قوله : « ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين» ، لا تبتلنا ربّنا فتجهدنا، وتجعله فتنة لهم ، هذه الفتنة. وقرأ: ﴿فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾، [سورة الصافات : ٦٣]، قال: المشركون ، حين كانوا يؤذون النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين ويرمونهم، أليس ذلك فتنة لهم وسوءًا لهم ، وهى بلية للمؤمنين ؟

* * *

١٠٦/١١ قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن القوم رغبوا إلى الله فى أن يُجيرهم من أن يكونوا محنةً لقوم فرعون وبلاءً، وكلُّ ما كان من أمر كان لهم مصدَّة عن اتباع موسى والإقرار به ، وبما جاءهم به ، فإنه لا شك أنه كان لهم «فتنة»، وكان من أعظم الأمور لهم إبعاداً من الإيمان بالله ورسوله . وكذلك من المصدَّة كان لهم عن الإيمان : أن لو كان قوم موسى عاجلتهم من الله محنةٌ

فى أنفسهم ، من بلية تنزل بهم ، فاستعاذ القوم بالله من كل معنى يكون صاداً لقوم فرعون عن الإيمان بالله بأسبابهم .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (٨٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ونجّنا ، يا ربنا ، برحمتك ، فخلّصنا من أيدى القوم الكافرين ، قوم فرعون ، لأنهم كانوا يستعبدونهم ويستعملونهم فى الأشياء القَذِرة من خدمتهم .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وأوحينا إلى موسى وأخيه أن اتخذا لقومكما بمصر بيوتاً .

* * *

=يقال منه : «تبوّأ فلان لنفسه بيتاً»، إذا اتخذه . وكذلك : « تبوّأ مصْحفاً » ، إذا اتخذه ، « وبوأته أنا بيتاً » ، إذا اتخذته له . (١)

* * *

= « واجعلوا بيوتكم قبلة » ، يقول : واجعلوا بيوتكم مساجدَ تصلّون فيها .

* * *

---

(١) انظر تفسير « بوأ » فيما سلف ٧ : ١٦٤/١٢ : ٥٤١ .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « واجعلوا بيوتكم قبلة » .[١]

فقال بعضهم فى ذلك نحو الذى قلنا فيه .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٧٩٣ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن حميد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « واجعلوا بيوتكم قبلة » ، قال : مساجد

١٧٧٩٤ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو نعيم قال، حدثنا سفيان ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قوله : « واجعلوا بيوتكم قبلة » ، قال : أمروا أن يتخذوها مساجد .

١٧٧٩٥ — . . . . قال، حدثنا أبو غسان مالك بن إسمعيل قال ، حدثنا زهير قال، حدثنا خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قول الله : « واجعلوا بيوتكم قبلة» ، قال : كانوا يَفْرَقون من فرعون وقومه أن يصلُّوا ، فقال لهم : « اجعلوا بيوتكم قبلة » ، يقول : اجعلوها مسجداً حتى تصلوا فيها .

١٧٧٩٦ — حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم : « واجعلوا بيوتكم قبلة » ، قال : خافوا ، فأمروا أن يصلوا فى بيوتهم .

١٧٧٩٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم: «واجعلوا بيوتكم قبلة»، قال: كانوا خائفين، فأمروا أن يصلوا فى بيوتهم .

١٧٧٩٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحمانى قال ، حدثنا شبل ، عن خصيف، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قوله : « واجعلوا بيوتكم قبلة » ، قال : كانوا خائفين، فأمروا أن يصلوا فى بيوتهم .

١٧٧٩٩ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن عيينة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد: « واجعلوا بيوتكم قبلة » ، قال : كانوا لا يصلون إلا فى البِيَع ، وكانوا لا يصلون إلا خائفين ، فأمروا أن يصلوا فى بيوتهم .

---

(١) انظر تفسير « القبلة » فيما سلف ٣ : ١٣١ .

١٧٨٠٠ — . . . . قال ، حدثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد قال : كانوا خائفين ، فأمروا أن يصلوا فى بيوتهم .

١٧٨٠١ — . . . . قال ، حدثنا عبد الله ، عن إسرائيل ، عن السدى ، عن أبى مالك : « واجعلوا بيوتكم قبلة » ، قال : كانت بنو إسرائيل تخاف فرعون ، فأمروا أن يجعلوا بيوتهم مساجد يصلون فيها .

١٧٨٠٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن ابن سعد قال ، أخبرنا أبو جعفر ، عن الربيع بن أنس فى قوله : « واجعلوا بيوتكم قبلة » ، يقول : مساجد .

١٧٨٠٣ — . . . . قال ، حدثنا أحمد بن يونس قال ، حدثنا إسرائيل ، عن منصور ، عن إبراهيم : « واجعلوا بيوتكم قبلة » ، قال : كانوا يصلون فى بيوتهم ، يخافون .

١٧٨٠٤ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا زيد بن الحباب ، عن أبى سنان ، عن الضحاك : « أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتاً » ، قال : مساجد .

١٧٨٠٥ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم فى قوله : « واجعلوا بيوتكم قبلة » ، قال : كانوا خائفين ، فأمروا أن يصلوا فى بيوتهم . ١٠٧/١١

١٧٨٠٦ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد فى قوله : « واجعلوا بيوتكم قبلة » ، قال : قال أبى[1] : اجعلوا فى بيوتكم مساجدكم تصلُّون فيها ، تلك « القبلة » .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : واجعلوا مساجدكم قِبَل الكعبة .

---

(١) فى المطبوعة وحدها : « قال قال أبى زيد » ، يعنى ، أباه زيداً ، والقائل هو « ابن زيد » . وأثبت ما فى المخطوطة .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٨٠٧ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن محمد بن عبدالرحمن ابن أبي ليلى ، عن المنهال، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « واجعلوا بيوتكم قبلة » ، يعني الكعبة.

١٧٨٠٨ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس في قوله : « واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين » ، قال : قالت بنو إسرائيل لموسى : لا نستطيع أن نظْهرَ صلاتنا مع الفراعنة ! فأذن الله لهم أن يصلوا في بيوتهم، وأمروا أن يجعلوا بيوتهم قِبَل القبلة.

١٧٨٠٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال، قال ابن عباس في قوله : « واجعلوا بيوتكم قبلة »، يقول: وجِّهوا بيوتكم، « مساجدكم »، نحو القبلة . ألا ترى أنه يقول :﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ ﴾ [سورة النور : ٣٦] .

١٧٨١٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد : « واجعلوا بيوتكم قبلة » ، قال : قِبَل القبلة .

١٧٨١١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « بيوتكم قبلة » ، قال : نحو الكعبة ، حين خاف موسى ومن معه من فرعون أن يصلُّوا في الكنائس الجامعة، فأمروا أن يجعلوا في بيوتهم مساجد مستقبلةً الكعبة يصلون فيها سرًّا .

١٧٨١٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد : « واجعلوا بيوتكم قبلة » ، ثم ذكر مثله ، سواء .

١٧٨١٣ – . . . . قال ، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد :

« وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتاً » ، مساجد .

١٧٨١٤ — . . . . قال حدثنا إسحق قال، حدثنا عبدالله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتاً »، قال : « مصر »، الإسكندرية

١٧٨١٥ — حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة »، قال : وذلك حين منعهم فرعون الصلاة، فأمروا أن يجعلوا مساجدهم فى بيوتهم ، وأن يوجهوا نحو القبلة .

١٧٨١٦ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ،عن قتادة : « بيوتكم قبلة » ، قال ، نحو القبلة .

١٧٨١٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا إسحق، عن أبي سنان، عن الضحاك: « وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتاً »، قال: مساجد = « واجعلوا بيوتكم قبلة » ، قال : قبل القبلة .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : واجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضاً .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٨١٨ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمران بن عيينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير : « واجعلوا بيوتكم قبلة » ، قال : يقابل بعضها بعضاً .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، القول الذى قدمنا بيانه وذلك أن الأغلب من معانى «البيوت »=وإن كانت المساجد بيوتاً =البيوت المسكونة، إذا ذكرت باسمها المطلق ، دون المساجد . لأن « المساجد » لها اسم هى به معروفة ، خاصٌ لها ، وذلك « المساجد » . فأمّا « البيوت » المطلقة بغير وصلها بشىء، ولا إضافتها إلى شىء ، فالبيوت المسكونة .

وكذلك « القبلة » ، الأغلب من استعمال الناس إيّاها فى قبل المساجد وللصلوات .

فإذا كان ذلك كذلك ، وكان غير جائز توجيه معانى كلام الله إلاّ إلى الأغلب من وجوهها ، المستعمل بين أهل اللسان الذى نزل به ، دون الخفىّ المجهول ، ما لم تأت دلالة تدل على غير ذلك = ولم يكن على قوله : « واجعلوا بيوتكم قبلة » ، دلالةٌ تقطع العذرَ بأن معناه غير الظاهر المستعمل فى كلام العرب = لم يجز لنا توجيهه إلى غير الظاهر الذى وصفنا . ١٠٨/١١

وكذلك القول فى قوله « قبلة » .

* * *

= « وأقيموا الصلاة » ، يقول تعالى ذكره : وأدُّوا الصلاة المفروضة بحدودها فى أوقاتها .(١)

وقوله : « وبشر الله المؤمنين » ، يقولُ جل ثناؤه لنبيه عليه السلام : وبشر مقيمى الصلاة ، المطيعى الله ، يا محمد ، المؤمنين ، بالثواب الجزيل منه .(٢)

* * *

(١) انظر تفسير « إقامة الصلاة » فيما سلف من فهارس اللغة (قوم) .

(٢) انظر تفسير « التبشير » فيما سلف ص : ١٢٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ (٨٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وقال موسى : يا ربّنا، إنك أعطيت فرعون وكبراء قومه وأشرافهم [١]= وهم «الملأ»=« زينة»، من متاع الدنيا وأثاثها [٢]= «وأموالاً»من أعيان الذهب والفضة = « فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك »، يقول موسى لربه : ربنا ، أعطيتهم ما أعطيتهم من ذلك ، ليضلُّوا عن سبيلك .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأه بعضهم: ﴿لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾،بمعنى : ليضلوا الناسَ عن سبيلك ، ويصدّوهم عن دينك .

* * *

وقرأ ذلك آخرون : ﴿لِيَضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾، بمعنى : ليضلوا هم عن سبيلك، فيجورُوا عن طريق الهدى . [٣]

* * *

فإن قال قائل : أفكان الله جل ثناؤه ، أعطَى فرعون وقومه ما أعطاهم من زينة الدنيا وأموالها ، ليضلوا الناس عن دينه = أو : ليضلُّوا هم عنه =؟ فإن كان لذلك أعطاهم ذلك ، فقد كان منهم ما أعطاهم لذلك ، [٤] فلا عتب عليهم فى ذلك ؟

---

(١) انظر تفسير « الملأ » فيما سلف ص : ١٦٦، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الزينة » فيما سلف ١٢ : ٣٨٩ .

(٣) انظر هاتين القراءتين فى معانى القرآن للفراء ١ : ٤٧٧ .

(٤) فى المطبوعة : « ما أعطاهم لأجله » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

قيل : إن معنى ذلك بخلاف ما توهمت .[١] وقد اختلف أهل العلم بالعربية في معنى هذه « اللام » التي في قوله : « ليضلوا » .

فقال بعض نحويي البصرة : معنى ذلك : ربنا فَضَلوا عن سبيلك ، كما قال : ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾، [سورة القصص : ٨]، أي : فكان لهم = وهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدواً وحزناً ، وإنما التقطوه فكان لهم . قال : فهذه « اللام » تجيء في هذا المعنى .[٢]

* * *

وقال بعض نحويي الكوفة : هذه « اللام » ، « لام كي »[٣]= ومعنى الكلام : ربنا أعطيتهم ما أعطيتهم ، كي يضلوا = ثم دعا عليهم .

* * *

وقال آخر : هذه اللامات في قوله : « ليضلوا » ، و « ليكون لهم عدواً » ، وما أشبهها بتأويل الخفض : آتيتهم ما آتيتهم لضَلالهم = والتقطوه لكونه = لأنه قد آلت الحالة إلى ذلك . والعرب تجعل « لام كي » ، في معنى « لام الخفض » و « لام الخفض » في معنى « لام كي » ، لتقارب المعنى ، قال الله تعالى : ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ ﴾[٤] ، [سورة التوبة : ٩٥] : أي : لإعراضكم ، ولم يحلفوا لإعراضهم ، وقال الشاعر :[٥]

سَمَوْتَ وَلَمْ تَكُنْ أَهْلاً لِتَسْمُو وَلَكِنَّ الْمُضَيِّعَ قَدْ يُصَابُ

قال : وإنما يقال : « وما كنت أهلا للفعل » ، ولا يقال : « لتفعل » ، إلا قليلاً . قال : وهذا منه .

* * *

---

(١) في المخطوطة ، أسقط الناسخ فكتب : « فلا عتب عليهم في ذلك بخلاف ما توهمت » ، وقد أصاب ناشر المطبوعة فيما استظهره من السياق .

(٢) أي معنى العاقبة والمآل .

(٣) هو الفراء في معاني القرآن ١ : ٤٧٧ .

(٤) في المطبوعة والمخطوطة : « يحلفون بالله » بغير السين ، وهذا حق التلاوة .

(٥) لم أعرف قائله .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى أنها « لام كى » = ومعنى الكلام : ربنا أعطيتهم ما أعطيتهم من زينة الحياة الدنيا والأموال لتفتنهم فيه ، ويضلوا عن سبيلك عبادك، عقوبة منك . وهذا كما قال جل ثناؤه : ﴿ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا * لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ ، [سورة الجن : ١٦ ، ١٧] .

* * *

وقوله : « ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم » ، هذا دعاء من موسى ، دعا الله على فرعون وملأه أن يغيِّر أموالهم عن هيئتها ، ويبدلها إلى غير الحال التى هى بها ، وذلك نحو قوله : ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا ﴾، [سورة النساء : ٤٧] ، يعنى به : من قبل أن نغيرها عن هيئتها التى هى بها .

* * *

=يقال منه : « طَمَسْت عينَه أَطْمِسُها وأطمُسُها طَمْساً وطُمُوساً » . وقد تستعمل العرب « الطمس » فى العفوّ والدثور ، وفى الاندقاق والدروس، (١) كما قال كعب بن زهير :

مِنْ كُلِّ نَضَّاحَةِ الذِّفْرَى إِذَا عَرِقَتْ عُرْضَتُهَا طَامِسُ الْأَعْلَامِ مَجْهُولُ (٢)

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فى هذا الموضع .

فقال جماعة منهم فيه مثل قولنا .

* ذكر من قال ذلك : ١٠٩/١١

١٧٨٢٠ – حدثنى زكريا بن يحيى بن زائدة قال ، حدثنا حجاج قال ، حدثنى ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير قال : بلغنا عن القرظى فى قوله : « ربنا اطمس على أموالهم » ، قال : اجعل سُكّرهم حجارة . (٣)

١٧٨٢١ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن

---

(١) انظر تفسير « الطمس » فيما سلف ٨ : ٤٤٤ ، ٤٤٥ .

(٢) سلف البيت وتجريحه وشرحه ٤ : ٤٢٤/٨ : ٤٤٤ .

(٣) سقط من الترقيم سهواً ، رقم : ١٧٨١٩ .

ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن محمد بن كعب القرظى قال : اجعل سكرهم حجارة .

١٧٨٢٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن يمان، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية : « اطمس على أموالهم »، قال : اجعلها حجارة .

١٧٨٢٣ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن بن سعد قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع بن أنس فى قوله : « اطمس على أموالهم » ، قال: صارت حجارة .

١٧٨٢٤ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ربنا اطمس على أموالهم » ، قال: بلغنا أن زروعهم تحوّلت حجارة .

١٧٨٢٥ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « ربنا اطمس على أموالهم » ، قال: بلغنا أن حَرْثاً لهم صارت حجارة .[1]

١٧٨٢٦ – حدثنا المثنى قال، حدثنا قبيصة بن عقبة قال، حدثنا سفيان : « ربنا اطمس على أموالهم » ، قال: يقولون : صارت حجارة

١٧٨٢٧ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا يحيى الحمانى قال ،أخبرنا ابن المبارك ، عن إسمعيل،عن أبى صالح فى قوله : « ربنا اطمس على أموالهم » ، قال : صارت حجارة .

١٧٨٢٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله: « ربنا اطمس على أموالهم » ، قال: بلغنا أن حروثاً لهم صارت حجارة .

١٧٨٢٩ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « ربنا اطمس على

---

(١) فى المطبوعة : « حروثاً » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب أيضاً .

أموالهم » ، قال : جعلها الله حجارة منقوشة على هيئة ما كانت .

١٧٨٣٠ — حدثنا يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله : « ربنا اطمس على أموالهم » ، قال : قد فعل ذلك ، وقد أصابهم ذلك ، طمَس على أموالهم فصارت حجارةً ، ذهبهم ودراهمهم وعَدَسهم ، وكلُّ شيء .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أهلكها .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٨٣١ — حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « ربنا اطمس على أموالهم » قال : أهلكها .

١٧٨٣٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله

١٧٨٣٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٧٨٣٤ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حثنى أبى قال : حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « ربنا اطمس على أموالهم » ، يقول : دمِّر عليهم وأهلك أموالهم .

* * *

وأما قوله : « واشدد على قلوبهم » ، فإنه يعنى : واطبع عليها حتى لا تلين ولا تنشرح بالإيمان ، كما :—

١٧٨٣٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : وقال موسى قبل أن يأتى فرعون : « ربنا اشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم » ، فاستجاب الله له ، وحال بين فرعون وبين الإيمان حتى أدركه الغرق ، فلم ينفعه الإيمان .

١٧٨٣٦ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى

قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « واشدد على قلوبهم » ، يقول : واطبع على قلوبهم = « حتى يروا العذاب الأليم » ، وهو الغرق .

١٧٨٣٧ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « واشدد على قلوبهم » ، بالضلالة .

١٧٨٣٨ – . . . . قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « واشدد على قلوبهم » ، قال : بالضلالة .

١٧٨٣٩ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

١١٠/١١ ١٧٨٤٠ – حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد ابن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « واشدد على قلوبهم » ، يقول : أهلكهم كفاراً .

* * *

وأما قوله : « فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم » ، فإن معناه : فلا يصدقوا بتوحيد الله ويقرُّوا بوحدانيته ، حتى يرو العذاب الموجع ، [1] كما : –

١٧٨٤١ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « فلا يؤمنوا » ، بالله ، فيما يرون من الآيات = « حتى يروا العذابَ الأليم » .

١٧٨٤٢ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٧٨٤٣ – . . . . قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

١٧٨٤٤ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ،

---

(١) انظر تفسير « الأليم » فيما سلف من فهارس اللغة (ألم) .

عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

١٧٨٤٥ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، سمعت المنقرى يقول : « فلا يؤمنوا » ، يقول : دعا عليهم .[١]

* * *

واختلف أهل العربية فى موضع « يؤمنوا » .

فقال بعض نحويي البصرة : هو نصبٌ ، لأن جواب الأمر بالفاء ، أو يكون دُعاء عليهم إذ عصوا . وقد حكى عن قائل هذا القول أنه كان يقول : هو نصبٌ ، عطفاً على قوله : « ليضلوا عن سبيلك » .

* * *

وقال آخر منهم ،[٢] وهو قول نحويي الكوفة : موضعه جزمٌ ، على الدعاء من موسى عليهم ، بمعنى : فلا آمنوا ، كما قال الشاعر :[٣]

فَلاَ يَنْبَسِطْ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْكَ مَا انْزَوَى ... وَلاَ تَلْقَنِي إلاَّ وَأَنْفُكَ رَاغِمُ[٤]

بمعنى : « فلا انبسط من بين عينيك ما انزوى » ، « ولا لقيتنى » ، على الدعاء .

* * *

---

(١) الأثر : ١٧٨٤٥ – « المنقرى » ، هكذا فى المطبوعة . وفى المخطوطة : « المعرى » غير منقوطة ، وقد أعيانى أن أعرف من يعنى .

(٢) هو أبو عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ٢٨١ .

(٣) هو الأعشى .

(٤) ديوانه : ٥٨ ، من قصيدته فى هجاء يزيد بن مسهر الشيبانى ، يقول له :

فَهَانَ عَلَيْنَا مَا يَقُولُ ابْنُ مُسْهِرٍ ... بِرَغْمِكَ إذْ حَلَّتْ عَلَيْنَا اللَّهَازِمُ

يَزِيدُ يَغُضُّ الطَّرْفَ دُونِي، كَأَنَّمَا ... زَوَى بين عَيْنَيْهِ عَلَيَّ المَحَاجِمُ

فَلَا يَنْبَسِطْ . . . . . .

. . . . . .

فَأُقْسِمُ بِاللهِ الَّذِي أَنَا عَبْدُهُ ... لَتَصْطَفِقَنْ يَوْماً عَلَيْكَ المَآتِمُ

وكان بعض نحويي الكوفة يقول : هو دعاء ، كأنه قال : اللهم فلا يؤمنوا . قال : وإن شئت جعلتها جواباً لمسألته إياه ، لأن المسألة خرجت على لفظ الأمر ، فتجعل : « فلا يؤمنوا » ، في موضع نصب على الجواب ، وليس يسهل. قال : ويكون كقول الشاعر : (١)

يَا نَاقُ سِيرِي عَنَقاً فَسِيحَا إِلَى سُلَيْمَانَ فَنَسْتَرِيحَا (٢)

قال : وليس الجواب يسهلُ في الدعاء ، لأنه ليس بشرط . (٣)

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك، أنه في موضع جزم على الدعاء ، بمعنى : فلا آمنوا = وإنما اخترت ذلك ، لأن ما قبله دعاءٌ ، وذلك قوله : « ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم »، فإلحاق قوله : « فلا يؤمنوا » ، إذ كان في سياق ذلك ، بمعناه أشبهُ وأولى .

* * *

وأما قوله : « حتى يروا العذاب الأليم » ، فإنّ ابن عباس كان يقول معناه : حتى يروا الغرق = وقد ذكرنا الرواية عنه بذلك من بعض وجوهها فيما مضى . (٤)

١٧٨٤٦ – حدثني القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال ابن عباس : « فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم » ، قال : الغرق .

* * *

---

(١) هو أبو النجم .

(٢) سيبويه ١ : ٤٢١ ، معاني القرآن للفراء ١ : ٤٧٨ ، وغيرهما . وسيأتي في التفسير ١٣ : ١٥٩ (بولاق) . من أرجوزة له في سليمان بن عبد الملك ، لم أجدها مجموعة في مكان . و « العنق » ، ضرب من السير . و « الفسيح » الواسع البليغ .

(٣) هذا الذي سلف نص كلام الفراء في معاني القرآن ١ : ٤٧٧ ، ٤٧٨ .

(٤) انظر ما سلف رقم : ١٨٧٣٥ ، ١٨٧٣٦ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٨٩)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله عن إجابته لموسى صلى الله عليه وسلم وهرون دعاءهما على فرعون وأشراف قومه وأموالهم . يقول جل ثناؤه : قال الله لهما : « قد أجيبت دعوتكما » ، فى فرعون وملأه وأموالهم .

* * *

فإن قال قائل : وكيف نسبت « الإجابة » إلى اثنين ، و « الدعاء » ، إنما كان من واحد ؟

قيل : إن الداعى وإن كان واحداً ، فإن الثانى كان مؤمِّناً ، وهو هرون ، فلذلك نسبت الإجابة إليهما ، لأن المؤمِّن داعٍ .[1] وكذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٨٤٧ — حدثنى محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن رجل ، عن عكرمة فى قوله : « قد أجيبت دعوتكما » ، قال : كان موسى يدعو ، وهرون يؤمن ، فذلك قوله : « قد أجيبت دعوتكما » .

* * *

وقد زعم بعض أهل العربية ، أن العرب تُخاطب الواحد خطاب الاثنين ، وأنشد فى ذلك :[2]

فَقُلْتُ لِصَاحِبِى لاَ تُعْجِلاَنَا بِنَزْعِ أُصُولِهِ وَٱجْتَزَّ شِيحَا[3]

* * *

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٧٨ .

(٢) هو مضرس بن ربعى الأسدى .

(٣) الصاحبى : ١٨٦ ، ابن يعيش ١٠ : ٤٩ ، واللسان (جزز) ، وسيأتى فى التفسير ٢٦ :

١١/١١١ ١٧٨٤٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا زكريا بن عدى، عن ابن المبارك عن إسمعيل بن أبى خالد، عن أبى صالح قال : « قد أجيبت دعوتكما » ، قال : دعا موسى وأمَّن هرون .

١٧٨٤٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، وزيد بن حباب ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب قال : دعا موسى وأمَّن هرون .

١٧٨٥٠ – . . . . قال، حدثنا أبو معاوية، عن شيخ له ، عن محمد بن كعب قال : دعا موسى وأمّن هرون .

١٧٨٥١ – حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية قال : « قد أجيبت دعوتكما » ، قال : دعا موسى وأمّن هرون .

١٧٨٥٢ – . . . . قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الرحمن بن سعد، وعبد الله بن أبى جعفر ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس قال : دعا موسى وأمّن هرون ، فذلك قوله : « قد أجيبت دعوتكما » .

---

١٠٣ ، (بولاق) . من كلمة له ، لم أجدها مجموعة فى مكان ، ومنها أبيات فى حماسة ابن الشجرى ٢٧ ، ٢٠٤ ، يقولها فى الشواء ، يقول قبل البيت :

وَفِتْيَانٍ شَوَيْتُ لَهُمْ شِوَاءً سَرِيعَ الشَّيِّ كُنْتُ بِهِ نَجِيحَا
فَطِرْتُ بِمُنْصُلِى فى يَعْمَلَاتٍ دَوَامِى الأَيْدِ يَخْبِطْنَ السَّرِيحَا
وَقُلْتُ لِصَاحِبِى : لا تَحْبِسَانَا . . . . . .

ويروى « لا تحبسنا » ، ولا شاهد فيها ، ويروى « واجدز » (بتشديد الزاى) وقلب « التاء » دالا ، ورواية الطبرى الآتية : « لا تحبسانا » أيضاً .

« النجيح » : المجد السريع . واليعملات : النوق . و « الدوامى » : قد دميت أيديها من طول السير وشدته . و « السريح » : خرق أو جلود تشد على أخفاف الإبل إذا دميت . ويقول لصاحبه : لا تحبسنا عن الشى = أو : لا تجعلنا نعجل عليك بالدعاء ، بطول تلبثك فى نزع الحطب من أصوله ، بل خذ ما من تيسر قضبانه وعيدانه ، وائتنا به لنشوى .

١٧٨٥٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن رجل ، عن عكرمة فى قوله : « قال قد أجيبت دعوتكما » ، قال : كان موسى يدعو وهرون يؤمّن ، فذلك قوله : « قد أجيبت دعوتكما » .

١٧٨٥٤ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « قد أجيبت دعوتكما » ، لموسى وهرون =قال ابن جريج ، قال عكرمة : أمّن هرون على دعاء موسى ، فقال الله : « قد أجيبت دعوتكما فاستقيما » .

١٧٨٥٥ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا بن وهب قال ، قال ابن زيد : كان هرون يقول « آمين » ، فقال الله : « قد أجيبت دعوتكما » ، فصار التأمين دعوةً ، صار شريكه فيها .

* * *

وأما قوله : « فاستقيما » ، فإنه أمرٌ من الله تعالى لموسى وهرون بالاستقامة والثبات على أمرهما ، من دعاء فرعون وقومه إلى الإجابة إلى توحيد الله وطاعته ، إلى أن يأتيهم عقابُ الله الذى أخبرهما أنه أجابَهما فيه ،[1] كما :–

١٧٨٥٦ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج قال ، ابن عباس : « فاستقيما » ، فامضيا لأمرى ، وهى « الاستقامة » = قال ابن جريج : يقولون : إن فرعون مكث بعد هذه الدعوة أربعين سنة .[2]

* * *

وقوله : « ولا تتبعانّ سبيل الذين لا يعلمون » ،[3] يقول : ولا تسلكانّ طريق

---

(١) انظر تفسير « الاستقامة » ، فيما سلف من فهارس اللغة (قوم) .

(٢) هكذا فى المطبوعة والدر المنثور : « بعد هذه الدعوة » ، وفى المخطوطة : « بعد هذه الآية » ، إلا أن « الآية » سيئة الكتابة .

(٣) انظر تفسير « اتبع » و « السبيل » فيما سلف من فهارس اللغة (تبع) ، (سبل) . وما سيأتى بعد قليل فى تفسير الآية التالية .

الذين يجهلون حقيقة وعْدى ، فتستعجلان قضائى ، فإن وعدى لا خلف له ، وإن وعيدى نازلٌ بفرعون ، وعذابى واقع به وبقومه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (٩٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وقطعنا ببنى إسرائيل البحر حتى جاوزوه[١]= « فأتبعهم فرعون » ، يقول : فتَبعهم فرعون وجنوده .

* * *

=يقال منه « أتْبَعته » ، و« تبعته » ، بمعنى واحد .

وقد كان الكسائى ، فيما ذكر أبو عبيد عنه ، يقول : إذا أريد أنه أتبعهم خيراً أو شرًّا ، فالكلام « أتبعهم » بهمز الألف ، وإذا أريد : اتبع أثرهم ، أو : اقتدى بهم ، فإنه من « اتّبعت » ، مشددة التاء ، غير مهموزة الألف .

* * *

=« بغيًا » على موسى وهرون ومن معهما من قومهما من بنى إسرائيل[٢]= « وعدْوًا » ، يقول : واعتداء عليهم .

* * *

وهو مصدر من قولهم : « عدا فلان على فلان فى الظلم ، يعدو عليه عَدْواً » ، مثل « غزا يغزو غَزْواً » .[٣]

* * *

(١) انظر تفسير « جاوز » فيما سلف ٥ : ٣٤٥/١٣ : ٨٠ .
(٢) انظر تفسير « البغى » فيما سلف ص : ٥٣ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « العدوان » فيما سلف ١٤ : ١٥١ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

وقد روى عن بعضهم أنه كان يقرأ: ﴿بَغْيًا وَعُدُوًّا﴾، وهو أيضاً مصدر من قولهم : « عَدَا يَعدُو عُدُوًّا » ، مثل : « علا يعلو عُلُوًّا » .(١)

* * *

= « حتى إذا أدركه الغرق » ، يقول : حتى إذا أحاط به الغرق (٢) = وفى الكلام متروك ، قد ترك ذكره لدلالة ما ظهر من الكلام عليه ، وذلك : « فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً » = فيه « فغرّقناه » = « حتى إذا أدركه الغرق » .

* * *

وقوله : « قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين » ، يقول : تعالى ذكره ، مخبراً عن قِيل فرعون حين أشفى على الغرق ، (٣) وأيقن بالهلكة : « آمنت » ، يقول : أقررت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأ بعضهم ، وهو قراءة عامّة المدينة والبصرة ، ﴿أَنَّهُ﴾ ، بفتح الألف من « أنه » ، على إعمال « آمنت » ، فيها ، ونصبها به . ١١٢/١١

* * *

وقرأ آخرون : ﴿آمَنْتُ إِنَّهُ﴾ ، بكسر الألف من « إنه » ، على ابتداء الخبر . وهى قراءة عامة الكوفيين .(٤)

* * *

قال أبو جعفر : والقول فى ذلك عندى أنهما قراءتان متقاربتا المعنى ، وبأيّتهما قرأ القارئ فمصيبٌ .

* * *

---

(١) انظر ما سلف ١٢ : ٣٥ ، ٣٦ .

(٢) انظر تفسير « الإدراك » فيما سلف ١٢ : ١٣ – ٢١ .

(٣) فى المطبوعة : « أشرف على الغرق » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، لأنها غير منقوطة ، وصواب قراءتها ما أثبت . « أشفى على الموت أو غيره » ، أشرف عليه ، وهو من « الشفى » ، وهو حرف كل شيء وحده .

(٤) انظر هاتين القراءتين فى معانى القرآن للفراء ١ : ٤٧٨ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٨٥٧ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب ، عن عبد الله بن شداد قال : اجتمع يعقوب وبنوه إلى يوسف وهم اثنان وسبعون ، وخرجوا مع موسى من مصر حين خرجوا وهم ستمئة ألف . فلما أدركهم فرعون فرأوه ، قالوا : يا موسى ، أين المخرجُ ؟ فقد أدركنا ، قد كنا نلقى من فرعون البلاء ؟ فأوحى الله إلى موسى : أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فِرْقٍ كالطود العظيم ، [1] ويبس لهم البحرُ ، وكشف الله عن وجه الأرض ، وخرج فرعون على فرس حِصان أدهَم ، على لونه من الدُّهْم ثمانمئة ألف ، سوى ألوانها من الدوابّ . وكانت تحت جبريل عليه السلام فرسٌ وَدِيق ليس فيها أنثى غيرها ، [2] وميكائيل يسوقهم ، لا يشذُّ رجل منهم إلا ضمّه إلى الناس . فلما خرج آخر بنى إسرائيل ، دنا منه جبريل ولَصِق به ، فوجد الحصان ريح الأنثى ، فلم يملك فرعون من أمره شيئاً ، وقال : أقدموا ، فليس القومُ أحقّ بالبحر منكم ! ثم أتبعهم فرعون ، حتى إذا همّ أوّلهم أن يخرجوا ، ارتطم ونادى فيها : « آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين » ، ونودى : « الآنَ وقد عصيتَ قبلُ وكنت من المفسدين » .

١٧٨٥٨ – حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس :=

= وعن عدى بن ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : رفعه أحدهما إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إن جبرائيل كان يدسُّ فى فم فرعون

---

(١) تضمين آية سورة الشعراء : ٦٣ .

(٢) « وديق » : مريدة للفحل تشتهيه ، وانظر ما سلف ٢ : ٥٢ .

الطين مخافة أن يقول : لا إله إلا الله . (١)

١٧٨٥٩ – حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي قال ، حدثنا أبي ، قال ، حدثنا شعبة ، عن عطاء بن السائب ، عن عدي بن ثابت ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : جعل جبرائيل عليه السلام يدسُّ = أو : يحشو = في فم فرعون الطين ، مخافة أن تدركه الرحمة . (١)

١٧٨٦٠ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن كثير ابن زاذان ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : قال لي جبريل : يا محمد ، لو رأيتني وأنا أغطُّه وأدسُّ من الحَالِ في فيه ، مخافة أن تدركه رحمة الله فيغفر له ! = يعني فرعون . (٢)

---

(١) الأثران : ١٧٨٥٨ ، ١٧٨٥٩ – خبر ابن عباس رواه أحمد من هذه الطريق ، طريق شعبة ، عن عدي بن ثابت ، وعطاء بن السائب ، في مسنده رقم : ٢١٤٤ ، ٣١٥٤ .

ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده ص : ٣٤١ رقم : ٢٦١٨ .

ورواه الحاكم في المستدرك ٢ : ٣٤٠ ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه إلا أن أكثر أصحاب شعبة أوقفوه على ابن عباس » ، ووافقه الذهبي . وانظر الموقوف فيما سيأتي رقم : ١٧٨٦٥ ،

ورواه الترمذي في كتاب التفسير وقال : « حسن غريب صحيح » .

وانظر ما سيأتي رقم : ١٧٨٦٢ .

(٢) الأثر : ١٧٨٦٠ – « حكام » ، هو « حكام بن سلم الكناني » ، ثقة ، ولكن قال أحمد فيه : « كان حسن الهيئة قدم علينا ، وكان يحدث عن عنبسة أحاديث غرائب » ، مضى مراراً .

و « عنبسة » ، هو « عنبسة بن سعيد الضريس » ، ثقة ، لا بأس به . مضى مراراً .

و « كثير بن زاذان النخعي » ، قال ابن معين : « لا أعرفه » ، وقال أبو حاتم وأبو زرعة : « هذا شيخ مجهول » ، لا نعلم أحداً حدث عنه إلا ما روى ابن حميد ، عن هارون بن المغيرة ، عن عنبسة ، عنه » . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٣/٢/١٥١ ، وميزان الاعتدال ٢ : ٣٥٣ ، وقال : « عن عاصم بن ضمرة ، له حديث منكر » .

و « أبو حازم » ، هو « سلمان الأشجعي » ، ثقة . مضى برقم : ٧٦١٦ .

فهذا خبر ضعيف جداً ، لضعف كثير بن زاذان .

وخرج نحوه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ٣٦ ، عن أبي هريرة وقال : « رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه : قيس بن الربيع ، وثقه شعبة والثوري ، وضعفه جماعة » .

وقوله : « أغطه » ، أي : أغطسه في الماء وأغمسه . و « الحال » ، الطين الأسود والحمأة ، وهو « حال البحر » . وكان في المطبوعة « وحمئه » ، غير ما في المخطوطة ، لأنه لم يعرف معناه ، فظنه خطأ .

١٧٨٦١ – حدثني المثنى قال ، حدثنا حجاج قال ، حدثنا حماد ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لما أغرق الله فرعون قال : « آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل » ، فقال جبريل : يا محمد ، لو رأيتني وأنا آخذ من حَالِ البحر وأدَسِّيه في فيه ، مخافة أن تدركه الرحمة .(١)

١٧٨٦٢ – حدثني المثنى قال ، حدثني عمرو ، عن حكام قال ، حدثنا شعبة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لما قال فرعون : « لا إله إلا الله » ، جعل جبريل يحشو في فيه الطين والتراب .(٢)

١٧٨٦٣ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر قال ، أخبرني من سمع ميمون بن مهران يقول في قوله : « آمنت أنه لا إله إلاّ الذى آمنت به بنو إسرائيل » ، قال : أخذ جبرائيل من حمأة البحر فضرب بها

---

(١) الأثر : ١٧٨٦١ – « علي بن زيد بن جدعان » ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٧١٥٤ – ١٧٥١٦ ، وثقه أخي السيد أحمد رحمه الله في المسند رقم : ٧٨٣ ، وفيما مضى من تعليقه على بعض أحاديث الطبري . ولكني رأيت الأئمة يضعفونه ، – لا أنهم يكذبونه – ويرونه إلى اللين أدنى ، وأنه كان يقلب الأحاديث وكان يحدث بالحديث اليوم ثم يحدث غداً ، فكأنه ليس بذاك ، وكان يسوء حفظه ، فأخشى أن يكون أخي جازف في توثيقه ، ولكني أرجح أنه يعتبر بحديثه ، ويكتب حديثه ، ولكن لا يحتج به ، وإنما روى له مسلم مقروناً بغيره . فهذا غاية علي بن زيد فيما أرى ، والله أعلم .

و « يوسف بن مهران » ، مضى مراراً رقم : ١٣٤٩٤ .

وهذا الخبر رواه أحمد في مسنده رقم : ٢٢٠٣ من طريق يونس ، عن حماد بن سلمة ، ورقم : ٢٨٢١ من طريق سليمان بن حرب ، عن حماد . وصححه أخي رحمه الله في الموضعين .

وخرجه الترمذي في كتاب التفسير من سننه ، من هذه الطريق نفسها ، وقال : « هذا حديث حسن » وكان في المطبوعة : « آخذ من حمأة البحر » ، وأثبت ما في المخطوطة ،

وقوله : « وأدسيه في فيه » (بتشديد السين) من قولهم « دساه » إذا غيبه أو أخفاه . وأصله « دسسه » مضعفاً ، ثم توالت السينات ، فقلبت أخراهن ياء . وكذلك جاء في المسند رقم : ٢٨٢١ ، وهو في المطبوعة « أدسه » ، وفي المخطوطة كما أثبتها ، إلا أنها غير منقوطة .

(٢) الأثر ١٧٨٦٢ – سلف تخريجه في رقم : ١٧٨٥٨ ، ١٧٨٥٩ .

فاه = أو قال : ملأ بها فاه = مخافة أن تدركه رحمة الله .

١٧٨٦٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا الحسين بن على ، عن جعفر ابن برقان، عن ميمون بن مهران قال : خطب الضحاك بن قيس ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن فرعون كان عبداً طاغياً ناسياً لذكر الله ، فلما أدركه الغرق قال : « آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين »، قال الله : « الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين » . ١١٣/١١

١٧٨٦٥ – . . . . قال ، حدثنى أبى، عن شعبة ، عن عدى بن ثابت، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أن فرعون لما أدركه الغرق جعل جبريل يحشو فى فيه التراب ، خشية أن يغفر له .[1]

١٧٨٦٦ – . . . . قال ، حدثنا محمد بن عبيد، عن عيسى بن المغيرة ، عن إبراهيم التيمى : أن جبريل عليه السلام قال : ما حسدتُ أحداً من بنى آدم الرحمة إلا فرعون،[2] فإنه حين قال ما قال، خشيت أن تصل إلى الربّ فيرحمه، فأخذت من حَمْأة البحر وزَبَده ، فضربت به عينيه ووجهه .

١٧٨٦٧ – . . . . قال ، أخبرنا أبو خالد الأحمر ، عن عمر بن يعلى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال، جبريل عليه السلام : لقد حشوت فاه الحمأة مخافة أن تدركه الرحمة .

* * *

---

(١) الأثر : ١٧٨٦٥ – هذا الخبر الموقوف على ابن عباس ، كما سلف فى تخريج رقم : ١٧٨٥٨ ، ١٧٨٥٩ .

وكان فى المطبوعة : « يحشو » بالشاء ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « ما خشيت على أحد » ، غير ما فى المخطوطة ، وهو الصواب المحض ، وأساء فى التغيير .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ (٩١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره، معرِّفًا فرعون قبح صَنيعه أيّام حياته ، وإساءته إلى نفسه أيام صحته ، بتماديه فى طغيانه ، ومعصيته ربه ، حين فزع إليه فى حال حلول سَخَطه به ، ونزول عقابه ، مستجيراً به من عذابه الواقع به ، لما ناداه وقد علته أمواج البحر ، وغشيته كَربُ الموت ، « آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين » له ، المنقادين بالذلة له ، المعترفين بالعبودية = الآن ، تقرُّ لله بالعبودية ، وتستسلم له بالذلة ، وتخلص له الألوهة ، وقد عصيته قبل نزول نقمته بك ، فأسخطته على نفسك ، وكنت من المفسدين فى الأرض ، الصادِّين عن سبيله ؟ فهلاَّ وأنت فى مَهَلٍ ، وباب التوبة لك منفتح ، أقررت بما أنت به الآن مقرٌّ ؟

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَـٰتِنَا لَغَـٰفِلُونَ﴾ (٩٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لفرعون : اليوم نجعلك على نَجْوةٍ من الأرض ببدنك ، ينظر إليك هالكاً من كذّب بهلاكك = « لتكون لمن خلفك آية » ، يقول : لمن بعدك من الناس عبرة يعتبرون بك ، فينزجرون عن معصية الله ، والكفر به والسعى فى أرضه بالفساد .

= و « النجوة » ، الموضع المرتفع على ما حوله من الأرض ، ومنه قول أوس ابن حجر :

فَمَنْ بِعَقْوَتِهِ كَمَنْ بِنَجْوَتِهِ وَالمُسْتَكِنُّ كَمَنْ يَمْشِي بِقِرْوَاحِ (١)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٨٦٨ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن أبى السليل ، عن قيس بن عباد وغيره قال : قالت بنو إسرائيل لموسى : إنه لم يمت فرعون ! قال : فأخرجه الله إليهم ينظرون إليه مثل الثور الأحمر .

١٧٨٦٩ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن سعيد الجريرى ، عن أبى السليل ، عن قيس بن عباد قال = وكان من أكثر الناس = أو : أحدث الناس = عن بنى إسرائيل، قال: فحدّثنا أن أول جنود فرعون لما انتهى إلى البحر، هابت الخيلُ اللَّهْبَ.(٢) قال: ومَثَّل لحصان منها فرس وَدِيق، (٣) فوجد ريحها = أحسبه أنا قال: = فانسلّ فاتَّبعته . قال : فلما تتامّ آخر جنود فرعون فى البحر، وخرج آخرُ بنى إسرائيل ، أُمر البحر فانطَبق عليهم . فقالت بنو إسرائيل: ما مات فرعون، وما كان ليموت أبداً ! فسمع الله تكذيبهم نبيَّه، قال:

---

(١) ديوانه ، قصيدة : ٤ ، بيت : ١٥ ، يصف السحاب والمطر بالشدة ، يغشى كل مكان وكل أحد .

« عقوة الدار » ، ساحتها وما حولها . و « المستكن » ، الذى اختبأ فى كن . و « القرواح » ، البارز الذى ليس يستره من السماء والشمس شىء .

(٢) فى المخطوطة : « اللهث » ، والذى فى المطبوعة هو الصواب إلا أن ضبطه بكسر اللام وسكون الهاء . و « اللهب » المهواة بين الجبلين، وهو الصدع الذى صدع فى البحر ، وانظر قوله تعالى : « فصار كل فرق كالطود العظيم » .

(٣) « فرس وديق » ، مريدة للفحل تشتهيه ، انظر ما سلف ص : ١٩٠ ، تعليق : ٢ .

فرمى به على الساحل كأنه ثور أحمرٌ ، يتراءآه بنو إسرائيل .

١٧٨٧٠ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب ، عن عبد الله بن شداد : « فاليوم ننجيك ببدنك » ، قال : « بدنه » ، جسده ، رمى به البحرُ .

١٧٨٧١ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « فاليوم ننجيك ببدنك » ، قال : بجسدك . ١١٤/١١

١٧٨٧٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٧٨٧٣ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

١٧٨٧٤ – حدثنا تميم بن المنتصر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا الأصبغ ابن زيد ، عن القاسم بن أبي أيوب قال ، حدثني سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما جاوز موسى البحرَ بجميع من معه ، التقى البحرُ عليهم = يعني : على فرعون وقومه = فأغرقهم ، فقال أصحاب موسى : إنا نخاف أن لا يكون فرعون غرق، ولا نؤمن بهلاكه . فدعا ربّه فأخرجه فنبذه البحر ،حتى استيقنوا بهلاكه .

١٧٨٧٥ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية » ، يقول : أنكر ذلك طوائف من بني إسرائيل ، فقذفه الله على ساحل البحر ينظرون إليه .

١٧٨٧٦ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « لتكون لمن خلفك آية » ، قال : لما أغرق الله فرعون ، لم تصدّق طائفة من الناس بذلك ، فأخرجه الله آيةً وعظةً .

١٧٨٧٧ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا

ابن التيمى ، عن أبيه ، عن أبى السليل ، عن قيس بن عباد ، أو غيره ، بنحو حديث ابن عبد الأعلى، عن معمر .

١٧٨٧٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبد الله بن رجاء ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد : « فاليوم ننجيك ببدنك »، قال : بجسدك .

١٧٨٧٩ – . . . . قال، حدثنا محمد بن بكر، عن ابن جريج قال، بلغنى عن مجاهد : « فاليوم ننجيك ببدنك » ، قال : بجسدك .[1]

١٧٨٨٠ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : كذّب بعض بنى إسرائيل بموت فرعون ، فرمى به على ساحل البحر ليراه بنو إسرائيل ، قال : أحمر ، كأنه ثور .[2]

* * *

وقال آخرون : تنجو بجسدك من البحر ، فنخرجه منه .[3]

* ذكر من قال ذلك :

١٧٨٨١ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال، حدثنى أبى، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية » ، يقول : أنجى الله فرعون لبنى إسرائيل من البحر ، فنظروا إليه بعد ما غرق .

* * *

فإن قال قائل : وما وجه قوله : « ببدنك » ؟ وهل يجوز أن ينجيه بغير بدنه ، فيحتاج الكلام إلى أن يقال فيه « ببدنك »؟

قيل : كان جائزاً أن ينجيه بهيئته حيًّا كما دخل البحر . فلما كان جائزاً

---

(١) الأثر : ١٧٨٧٩ – « محمد بن بكر بن عثمان البرسانى » ، مضى مراراً ، وروايته عن ابن جريج ، وفى المطبوعة : « محمد بن بكير » ، وهو خطأ ، لم يحسن قراءة المخطوطة .

(٢) فى المطبوعة : « قال : كأنه ثور أحمر » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب محض .

(٣) فى المطبوعة : « فتخرج منه » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

ذلك قيل : « فاليوم ننجيك ببدنك » ، ليعلم أنه ينجيه بالبدن بغير روح ، ولكن ميتاً .

* * *

وقوله : « وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون » ، يقول تعالى ذكره : « وإن كثيراً من الناس عن آياتنا » ، يعني : عن حججنا وأدلتنا على أن العبادة والألوهة لنا خالصة[1] = « لغافلون » ، يقول : لساهون ، لا يتفكرون فيها ، ولا يعتبرون بها .[2]

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (٩٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولقد أنزلنا بني إسرائيل منازلَ صِدْق.[3]

* * *

قيل : عنى بذلك الشأم وبيت المقدس .

وقيل : عُنِي به الشأم ومصر .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٨٨٢ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا المحاربي ، وأبو خالد ، عن جويبر ، عن الضحاك : « مبوأ صدق » ، قال : منازل صدق ، مصر والشأم .

---

(١) انظر تفسير « الآية » فيما سلف من فهارس اللغة (أبي) .

(٢) انظر تفسير « الغفلة » فيما سلف ص : ٨٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « بوأ » فيما سلف ص : ١٧١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

١٧٨٨٣ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: « مبوّأ صدق »، قال بوّأهم الله الشأم وبيت المقدس.

١٧٨٨٤ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: « ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق »، الشأم. وقرأ: ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٧١].

* * *

وقوله: « ورزقناهم من الطيبات »، يقول: ورزقنا بني إسرائيل من حلال الرزق = وهو « الطيب ».[1]

* * *

وقوله: « فما اختلفوا حتى جاءهم العلم »، يقول جل ثناؤه: فما اختلف هؤلاء الذين فعلنا بهم هذا الفعل من بني إسرائيل، حتى جاءهم ما كانوا به عالمين. وذلك أنهم كانوا قبل أن يبعث محمد النبيّ صلى الله عليه وسلم مجمعين على نبوّة محمد والإقرار به وبمبعثه، غير مختلفين فيه بالنعت الذي كانوا يجدونه مكتوباً عندهم، فلما جاءهم ما عرفوا كفر به بعضهم وآمن به بعضهم، والمؤمنون به منهم كانوا عدداً قليلاً. فذلك قوله: فما اختلفوا حتى جاءهم المعلوم الذي كانوا يعلمونه نبيًّا لله = فوضع « العلم » مكان « المعلوم ». ١١٥/١١

* * *

وكان بعضهم يتأول « العلم »، ههنا، كتابَ الله ووحيَه.

* ذكر من قال ذلك:

١٧٨٨٥ – حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله: « فما اختفوا حتى جاءهم العلم »،[2] قال: « العلم »، كتاب الله الذي

---

(١) انظر تفسير « الطيب » فيما سلف من فهارس اللغة (طيب).

(٢) في المطبوعة والمخطوطة: « ... حتى جاءهم العلم بغياً بينهم »، وليس هذا من تلاوة هذه الآية، ولا هو في تفسيرها، فحذفته. وأشباهها من الآيات التي ورد فيها ذكر العلم والبغي فيه في سورة آل عمران: ١٩/ سورة الشورى: ١٤/ سورة الجاثية: ١٧، وآثرت حذف هذه الزيادة من هذا

أنزله ، وأمره الذى أمرهم به ، وهل اختلفوا حتى جاءهم العلم بغياً بينهم ؟ أهل هذه الأهواء، هل اقتتلوا إلا على البغى ! قال : و« البغى » وجهان: وجه النّفاسة فى الدنيا ومن اقتتل عليها من أهلها، وبغى فى « العلم »، يرى هذا جاهلاً مخطئاً ، ويرى نفسه مصيباً عالماً ، فيبغى بإصابته وعلمه عَلَى هذا المخطئ .

* * *

وقوله : « إن ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون » ، يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إن ربَّك ، يا محمد ، يقضى بين المختلفين من بنى إسرائيل فيك يوم القيامة ، فيما كانوا فيه من أمرى فى الدنيا يختلفون ، بأن يدخل المكذبين بك منهم النار ، والمؤمنين بك منهم الجنة ، فذلك قضاؤه يومئذ فيما كانوا فيه يختلفون من أمر محمد صلى الله عليه وسلم .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ (٩٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فإن كنت ، يا محمد ، فى شك من حقيقة ما اخترناك فأنزلنا إليك ،[2] من أن بنى إسرائيل لم يختلفوا فى نبوّتك قبل أن تبعث رسولاً إلى خلقه ، لأنهم يجدونك عندهم مكتوباً ، ويعرفونك بالصفة التى أنت بها موصوف فى كتابهم فى التوراة والإنجيل

الموضع ، لأنى لم أجد أبا جعفر ذكر هذا الخبر فى تفسير شىء من هذه الآيات ، والظاهر أن المعنى أخذ بعضه ببعض ، فزاد ابن زيد فى التفسير من نظائر الآية فى السور الأخرى .

(١) انظر تفسير « القضاء » فيما سلف من فهارس اللغة (قضى) .

(٢) فى المطبوعة : « ما أخبرناك وأنزل إليك » ، وأثبت الصواب من المخطوطة .

= « فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك » ، من أهل التوراة والإنجيل ، كعبد الله بن سلام ونحوه ، من أهل الصدق والإيمان بك منهم ، دون أهل الكذب والكفر بك منهم .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٨٨٦ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس فى قوله : « فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك » ، قال : التوراة والإنجيل ، الذين أدركوا محمداً صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب فآمنوا به . يقول : فاسألهم إن كنت فى شك بأنك مكتوب عندهم .

١٧٨٨٧ – حدثنى يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليكَ فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك »، قال: هو عبد الله بن سلام ، كان من أهل الكتاب ، فآمن برسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٧٨٨٨ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ،عن مجاهد قوله :« فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك »، قال: هم أهل الكتاب

١٧٨٨٩ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك » ، يعنى أهل التقوى وأهلَ الإيمان من أهل الكتاب ، ممن أدرك نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

فإن قال قائل : أو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شكٍّ من خبَرِ الله

أنه حقٌّ يقين ، حتى قيل له : « فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك » ؟

قيل : لا ، وكذلك قال جماعة من أهل العلم .

١١٦/١١ ١٧٨٩٠ — حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير فى قوله : « فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك » ، فقال : لم يشك النبى صلى الله عليه وسلم ولم يسأل .

١٧٨٩١ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا سويد بن عمرو ، عن أبى عوانة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير فى قوله : « فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك » ، قال : ما شك وما سأل .

١٧٨٩٢ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا القاسم بن سلام قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير = ومنصور ، عن الحسن ، فى هذه الآية ، قال : لم يشك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسأل .

١٧٨٩٣ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك » ، ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا أشك ولا أسأل .

١٧٨٩٤ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك » ، قال : بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا أشك ولا أسأل .

* * *

فإن قال : فما وجه مخرج هذا الكلام ، إذنْ ، إن كان الأمر على ما وصفت ؟

قيل : قد بيّنا فى غير موضع من كتابنا هذا ، استجازة العرب قول القائل منهم لمملوكه : « إن كنت مملوكى فانته إلى أمرى » ، والعبد المأمور بذلك لا يشكُّ سيدُه القائل له ذلك أنه عبده . كذلك قول الرجل منهم لابنه : « إن كنت

ابنى فبرّئنى » ، وهو لا يشك فى ابنه أنه ابنه = وأنّ ذلك من كلامهم صحيح مستفيض فيهم ، وذكرنا ذلك بشواهده ، وأنّ منه قول الله : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ ، [سورة المائدة : ١١٦] ، وقد علم جل ثناؤه أن عيسى لم يقل ذلك . (١) وهذا من ذلك ، لم يكن صلى الله عليه وسلم شاكًّا فى حقيقة خبر الله وصحته ، والله تعالى ذكره بذلك من أمره كان عالماً ، ولكنه جل ثناؤه خاطبه خطاب قومه بعضهم بعضاً ، إذْ كان القرآن بلسانهم نزل .

* * *

وأما قوله : « لقد جاءك الحق من ربك » الآية ، فهو خبرٌ من الله مبتدأ .

يقول تعالى ذكره : أقسم لقد جاءك الحق اليقين من الخبر بأنك لله رسولٌ ، وأن هؤلاء اليهود والنصارى يعلمون صحّة ذلك ، ويجدون نعتك عندهم فى كتبهم = « فلا تكونن من الممترين » ، يقول : فلا تكونن من الشاكين فى صحة ذلك وحقيقته . (٢)

* * *

ولو قال قائل : إن هذه الآية خوطب بها النبى صلى الله عليه وسلم ، والمراد بها بعضُ من لم يكن صحّت بصيرته بنبوته صلى الله عليه وسلم ، ممن كان قد أظهر الإيمان بلسانه ، تنبيهاً له على موضع تعرُّف حقيقة أمره الذى يزيل اللَّبْس عن قلبه ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ ، [سورة الأحزاب : ١] ، كان قولاً غيرَ مدفوعةٍ صحته .

* * *

---

(١) انظر ما سلف ١١ : ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٤٧٩ .

(٢) انظر تفسير « الامتراء » فيما سلف ١٢ : ٦١ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ (٩٥)

قال أبو جعفر : ويقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : ولا تكونن ، يا محمد، من الذين كذّبوا بحجج الله وأدلته ، فتكون ممن غُبن حظه ، وباع رحمةَ الله ورضاه، بسَخَطه وعقابه .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ (٩٦) وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ (٩٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن الذين وجبت عليهم ، يا محمد = « كلمة ربك » ، هى لعنته إياهم بقوله : ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾، [سورة هود: ١٨]، فثبتت عليهم .

* * *

=يقال منه : « حق على فلان كذا يحقُّ عليه »، إذا ثبت ذلك عليه ووجب.(٢)

* * *

وقوله: « لا يؤمنون * ولو جاءتهم كل آية »، يقول : لا يصدقون بحجج الله ، ولا يقرُّون بوحدانية ربهم ، ولا بأنك لله رسول = « ولو جاءتهم كل آية » ، وموعظة وعبرة ، فعاينوها، حتى يعاينوا العذاب الأليم، كما لم يؤمن فرعون وملأُه

---

(١) انظر تفسير « الآية » فيما سلف من فهارس اللغة (أيى) .
= وتفسير « الخسران » فيما سلف من فهارس اللغة (خسر) .

(٢) انظر تفسير « حق » فيما سلف ص : ٨٥

إذ حقّت عليهم كلمة ربّك حتى عاينوا العذاب الأليم ، فحينئذ قال : ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرَائِيلَ﴾،[سورة يونس : ٩٠]، ١١٧/١١ حين لم ينفعه قيلُه، فكذلك هؤلاء الذين حقّت عليهم كلمة ربك من قومك من عبدة الأوثان وغيرهم ، لا يؤمنون بك فيتبعونك ، إلا فى الحين الذى لا ينفعهم إيمانهم .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٨٩٥ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون » ، قال : حقّ عليهم سَخَط الله بما عصوه .

١٧٨٩٦ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر ، عن قتادة : « إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون » ، حقّ عليهم سَخَط الله بما عصوه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (٩٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فهلاّ كانت قرية آمنت ؟ (١) وهى كذلك فيما ذكر فى قراءة أبىّ .

ومعنى الكلام : فما كانت قرية آمنت عند معاينتها العذاب ، ونزول سَخَط الله بها، بعصيانها ربَّها واستحقاقها عقابه، فنفعها إيمانها ذلك فى ذلك الوقت ، كما لم ينفع فرعون إيمانه حين أدركه الغرق بعد تماديه فى غيّه،واستحقاقه سَخَط الله

(١) انظر « لولا » بمعنى « هلا » ٢ : ٥٥٢ ، ١١/٥٥٣ : ٢٦٦ ، ٣٤٣ ، ٣٥٦ .

بمعصيته = إلا قوم يونس ، فإنهم نفعهم إيمانهم بعد نزول العقوبة وحلول السخط بهم . فاستثنى الله قوم يونس من أهل القرى الذين لم ينفعهم إيمانهم بعد نزول العذاب بساحتهم ، وأخرجهم منهم ، وأخبر خلقه أنه نفعهم إيمانهم خاصّةً من بين سائر الأمم غيرهم .

* * *

فإن قال قائل : فإن كان الأمر على ما وصفت من أن قوله : « فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها » ، بمعنى : فما كانت قرية آمنَت ، بمعنى الجحود ، فكيف نصب « قوم » ، وقد علمت أن ما قبل الاستثناء إذا كان جحداً ، كان ما بعده مرفوعاً ، وأن الصحيح من كلام العرب : « ما قام أحدٌ إلا أخوك » ، و« ما خرج أحدٌ إلاّ أبوك » ؟

قيل : إن ذلك فيما يكون كذلك ، إذا كان ما بعد الاستثناء من جنس ما قبله . وذلك أن « الأخ » من جنس« أحد »، وكذلك « الأب » ، ولكن لو اختلف الجنسان حتى يكون ما بعد الاستثناء من غير جنس ما قبله ، كان الفصيح من كلامهم النصبُ ، وذلك لو قلت : « ما بقى فى الدار أحدٌ إلا الوتدَ » ، و« ما عندنا أحدٌ إلا كلباً أو حماراً » ، لأن « الكلب » ، و« الوتد » ، و « الحمار » ، من غير جنس « أحد » ، ومنه قول النابغة الذبيانى :

* عَيِّتْ جَوَاباً وَمَا الرَّبْعُ مِنْ أَحَدِ *

ثم قال :

إِلَّا أَوَارِيَّ لأْياً ما أُبَيِّنُهَا وَالنُّؤْىَ كَالْحَوْضِ بِالْمَظْلُومَةِ الْجَلَدِ (١)

فنصب « الأوارى » ، إذ كان مستثنى من غير جنسه . فكذلك نصب « قوم يونس » ، لأنهم أمة غير الأمم الذين استثنوا منهم ، ومن غير جنسهم

---

(١) سلف الشعر وشرحه ٩ : ٢٠٣ ، تعليق : ٣ ، ٤ ، والمراجع هناك .

وشكلهم ، وإن كانوا من بنى آدم . وهذا الاستثناء الذى يسميه بعض أهل العربية الاستثناء المنقطع ،[1] ولو كان « قوم يونس » بعض « الأمة » الذين استثنوا منهم ، كان الكلام رفعاً ، ولكنهم كما وصفت .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك .

١٧٨٩٧ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس قوله : « فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها »، يقول: لم تكن قرية آمنت فنفعها الإيمان إذا نزل بها بأس الله ، إلا قرية يونس = قال ابن جريج ، قال : مجاهد : فلم تكن قرية آمنت فنفعها إيمانها ، كما نفع قوم يونس إيمانهم إلا قوم يونس .

١٧٨٩٨ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين » ، يقول : لم يكن هذا فى الأمم قبلهم، لم ينفع قريةً كفرت ثم آمنت حين حضرها العذابُ ، فتُرِكت ، إلاّ قوم ١١٨/١١
يونس، لما فقدوا نبيَّهم وظنوا أن العذاب قد دنا منهم، قذف الله فى قلوبهم التوبة، ولبسوا المسوح، [وفرقوا] بين كل بهيمة وولدها،[2] ثم عجُّوا إلى الله أربعين ليلةً. فلما عرف الله الصِّدق من قلوبهم ، والتوبة والندامة على ما مضى منهم ، كشف الله عنهم العذاب بعد أن تدلَّى عليهم . قال : وذكر لنا أن قوم يونس كانوا بنينوى أرضِ الموصل .

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١ : ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، وفيه زيادة بيان .

(٢) فى المطبوعة : « وألهوا بين كل بهيمة . . . » ، ولا معنى له ، وفى المخطوطة : « والهوا » غير منقوطة ، وقد أعيانى أن أجد لقراءتها وجهاً أرتضيه ، فوضعت (وفرقوا) بين قوسين ، لأن هذه الكلمة بهذا المعنى ولا شك ، كما يتبين من الآثار التالية ، ومن رواية هذا الأثر عن قتادة فى الدر المنثور ٣ : ٣١٧ وفيه مكان هذه الكلمة المبهمة : « وفرقوا » كالتى أثبت بين القوسين .

١٧٨٩٩ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « إلا قوم يونس » ، قال : بلغنا أنهم خرجوا فنزلوا على تل ، وفرقوا بين كل بهيمة وولدها ، يدعون الله أربعين ليلة ، حتى تاب عليهم .

١٧٩٠٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبد الحميد الحمانى، عن إسمعيل ابن عبد الملك، عن سعيد بن جبير قال : غشّى قوم يونس العذابُ ، كما يغشّى الثوبُ القبرَ .(١)

١٧٩٠١ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن صالح المرى ، عن قتادة ، عن ابن عباس : إن العذاب كان هبط على قوم يونس حتى لم يكن بينهم وبينه إلا قدر ثلثى ميل ، فلما دَعوْا كشف الله عنهم .

١٧٩٠٢ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد = وإسحق قال، حدثنا عبد الله، عن ورقاء = جميعاً عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد: « فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا » ، قال ، كما نفع قوم يونس = زاد أبو حذيفة فى حديثه ، قال : لم تكن قرية آمنت حين رأت العذاب فنفعها إيمانها ، إلا قوم يونس متعناهم .

١٧٩٠٣ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس قال ، حدثنا رجل قد قرأ القرآن فى صدره، فى إمارة عمر بن الخطاب رضى الله عنه،(٢) فحدّث عن قوم يونس حين أنذر قومه فكذّبوه ، فأخبرهم أن العذاب يصيبهم، وفارقهم .(٣) فلما رأوا ذلك وغشيهم العذاب، [لكنهم] خرجوا من مساكنهم،(٤) وصعدوا فى مكان رفيع ،وأنهم

---

(١) معنى هذا : كما يغشى القبر بالثوب ، إذا أدخل فيه صاحبه ، كما جاء فى رواية هذا الأثر فى الدر المنثور ٣ : ٣١٨ ، باللفظ الذى ذكرته . وانظر ما سيأتى رقم : ١٧٩٠٥ .

(٢) قوله : « قرأ القرآن فى صدره »، أى جمعه ، فحفظه جميعاً .

(٣) فى المطبوعة : « ففارقهم » بالفاء ، والصواب من المخطوطة .

(٤) فى المطبوعة : « لكنهم » ، ولا معنى لها ، وفى المخطوطة : « لكهم » غير منقوطة ، ولست

جأروا إلى ربهم ودعوه مخلصين له الدين : أن يكشف عنهم العذاب ، وأن يرجعَ إليهم رسولهم . قال : فى ذلك أنزل : « فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين » ، فلم تكن قرية غشيها العذاب ثم أمسك عنها ، إلا قوم يونس خاصة . فلما رأى ذلك يونس ، [لكنه] ذهب عاتباً على ربه ،[1] وانطلق مغاضباً وظنّ أن لن يُقدَر عليه ، حتى ركب فى سفينة ، فأصاب أهلَها عاصفُ الريح = فذكر قصة يونس وخبره .

١٧٩٠٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح قال : « لما رأوا العذاب ينزل ، فرّقوا بين كل أنثى وولدها من الناس والأنعام ، ثم قاموا جميعاً فدعو الله ، وأخلصوا إيمانهم فرأوا العذاب يكشف عنهم . قال يونس حين كشف عنهم العذاب : أرجع إليهم وقد كذَبْتُهم ! وكان يونس قد وعدهم العذاب بصبح ثالثةٍ ، فعند ذلك خرج مغضباً ، وساء ظنّه .[2]

١٧٩٠٥ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان ، عن إسمعيل بن عبد الملك ، عن سعيد بن جبير قال : لما أرسل يونس إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام ، وترك ما هم عليه . قال : فدعاهم فأبوا ، فقيل له : أخبرهم أن العذاب مصبِّحهم ، فقالوا : إنا لم نجرب عليه كذباً ، فانظروا ، فإن بات فيكم فليس بشىء ، وإن لم يبت فاعلموا أن العذاب مصبحكم . فلما كان فى جوف الليل أخذ عُلاَثَةً فتزوّد منها شيئاً ،[3] ثم خرج ، فلما أصبحوا تغشّاهم العذاب ،

أدرى ما صوابها ، والمشكل أنه جاء مثلها فيما يلى ، واستعصت على قراءتها فى الموضعين — فوضعتها بين القوسين فى الموضعين .

(١) انظر التعليق السالف .

(٢) انظر تفسير « ساء ظنه » فيما سلف ٣ : ٥٨٥ ، تعليق : ١٣/١ : ٩٥ ، تعليق : ٤ .

(٣) فى المطبوعة : « أخذ مخلاته فتزود فيها شيئاً » ، خالف رسم المخطوطة ، وفيها رسم ما أثبته غير منقوط . و « العلاثة » (بضم العين) : الأقط المخلوط بالسمن .

كما يتغشّى الإنسان الثوبَ فى القبر ، ففرقوا بين الإنسان وولده ، وبين البهيمة وولدها ، ثم عجّوا إلى الله فقالوا : آمنا بما جاء به يونس وصدّقنا ! فكشف الله عنهم العذاب. فخرج يونس ينظر العذاب فلم ير شيئاً، قال: جرّبوا علىّ كذباً ! فذهب مغاضباً لربه حتى أتى البحر .

١١٩/١١ ١٧٩٠٦ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحق ، عن عمرو بن ميمون قال ، حدثنا ابن مسعود فى بيت المال ، قال : إن يونس عليه السلام كان قد وعد قومه العذاب ، وأخبرهم أنه يأتيهم إلى ثلاثة أيام ، ففرّقوا بين كل والدة وولدها ، ثم خرجوا فجأروا إلى الله واستغفروه . فكف الله عنهم العذاب ، وغدا يونس ينظر العذاب فلم ير شيئاً . وكان من كذب ولم تكن له بيّنةٌ قُتِل ، فانطلق مغاضباً .

١٧٩٠٧ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا صالح المرى ، عن أبى عمران الجونى ، عن أبى الجَلْد جيلان قال : لما غشّى قوم يونس العذاب ، مشوا إلى شيخ من بقية علمائهم فقالوا له : إنّه قد نزل بنا العذاب ، فما ترى ؟ فقال : قولوا : « يا حىُّ حين لاحىَّ، ويا حى محيىَ الموتى، ويا حىُّ لا إله إلا أنت » ! فكشف عنهم العذاب ، ومُتّعوا إلى حين .(١)

١٧٩٠٨ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر قال: بلغنى فى حرف ابن مسعود : « فلولا » ، يقول : ﴿ فَهَلَّا ﴾ .

* * *

وقوله : « لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا » ، يقول : لما صدّقوا رسولهم ، وأقروا بما جاءهم به ، بعد ما أظلّهم العذاب وغشيهم أمْرُ الله

---

(١) الأثر : ١٧٩٠٧ – « أبو الجلد » ، هو « جيلان بن أبى فروة الأسدى » ، مضى برقم ٤٣٤ ، ٧٢٣ ، ١٩١٣ .

ونزل بهم البلاء، كشفنا عنهم عذاب الهوان والذلّ فى حياتهم الدنيا[1] = « ومتعناهم إلى حين » ، يقول : وأخّرنا فى آجالهم ولم نعاجلهم بالعقوبة ، وتركناهم فى الدنيا يستمتعون فيها بآجالهم إلى حين مماتهم ، ووقت فناء أعمارهم التى قضيتُ فناءها .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ (٩٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه : « ولو شاء » ، يا محمد = « ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً » ، بك ، فصدّقوك أنك لى رسول ، وأن ما جئتهم به وما تدعوهم إليه من توحيد الله وإخلاص العبودة له ، حقٌّ ، ولكن لا يشاء ذلك ، لأنه قد سبق من قضاء الله قبل أن يبعثك رسولاً أنه لا يؤمن بك ، ولا يتّبعك فيصدقك بما بعثك الله به من الهدي والنور ، إلا من سبقت له السعادةُ فى الكتاب الأوّل قبل أن تخلق السموات والأرض وما فيهن . وهؤلاء الذين عجبوا من صِدْق إيحائنا إليك هذا القرآن لتنذر به من أمرتك بإنذاره ، ممّن قد سبق له عندى أنهم لا يؤمنون بك فى الكتاب السابق .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٩٠٩ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى

---

(١) انظر تفسير « الخزى » فيما سلف ١٤ : ٣٣٠ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « المتاع » فيما سلف من فهارس اللغة (متع) .

معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً » ، ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ﴾ ، [سورة يونس : ١٠٠] ، ونحو هذا فى القرآن ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرص أن يؤمن جميعُ الناس ويتابعوه على الهدى ، فأخبره الله أنه لا يؤمن إلا من قد سبق له من الله السعادة فى الذكر الأوّل ، (١) ولا يضلّ إلا من سبق له من الله الشقاء فى الذّكر الأول .

* * *

فإن قال قائل : فما وجه قوله : « لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً » ، فـ « الكل » يدل على « الجميع » ، و « الجميع » على « الكل » ، فما وجه تكرار ذلك ، وكل واحدة منهما تغنى عن الأخرى ؟

قيل : قد اختلف أهل العربية فى ذلك :

فقال بعض نحويى أهل البصرة : جاء بقوله : « جميعاً » فى هذا الموضع توكيداً ، كما قال : ﴿لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ ، [سورة النحل : ٥١] ، فى قوله : « إلهين » دليل على « الاثنين » .

وقال غيره : جاء بقوله : « جميعاً » بعد « كلهم » ، لأن « جميعاً » لا تقع إلا توكيداً ، و « كلهم » يقع توكيداً واسماً ، فلذلك جاء بـ « جميعاً » بعد « كلهم » . قال : ولو قيل إنه جمع بينهما ليعلم أن معناهما واحد ، لجاز ههنا . قال : وكذلك : ﴿إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ ، العدد كله يفسر به ، فيقال : « رأيت قوماً أربعة » ، فلما جاء « باثنين » ، وقد اكتفى بالعدد منه ، لأنهم يقولون : « عندى درهم ودرهمان » ، ١٢٠/١١
فيكفى من قولهم : « عندى درهم واحد ، ودرهمان اثنان » ، فإذا قالوا : « دراهم » ، قالوا : « ثلاثة » ، لأن الجمع يلتبس ، و « الواحد » و « الاثنان » لا يلتبسان

---

(١) فى المطبوعة : « لا يؤمن من قومه » ، زاد ما ليس فى المخطوطة ، فحذفته .

ثم بُنِي الواحد والتثنية على بناء [ما] فى الجميع ، [١] لأنه ينبغى أن يكون مع كل واحدٍ واحدٌ ، لأن « درهماً » يدل على الجنس الذى هو منه ، و « واحد » ، يدلُّ على كل الأجناس . وكذلك « اثنان » ، يدلان على كل الأجناس ، « ودرهمان » ، يدلاّن على أنفسهما ، فلذلك جاء بالأعداد ، لأنه الأصل .

* * *

وقوله : « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » ، يقولُ جل ثناؤه لنبيّه محمد صلى الله عليه وسلم : إنه لن يصدقك ، يا محمد ، ولن يتبعك ويقرّ بما جئت به إلا من شاء ربك أن يصدّقك ، لا بإكراهك إياه ، ولا بحرصك على ذلك = « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » لك ، مصدقين على ما جئتهم به من عند ربك ؟ يقول له جل ثناؤه : فاصدَعْ بما تؤمر ، وأعرض عن المشركين الذين حقّت عليهم كلمة ربّك أنّهم لا يؤمنون .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (١٠٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه : وما كان لنفسٍ خلقتُها ، من سبيل إلى تصديقك ، يا محمد ، إلاّ بأن آذن لها فى ذلك ، [٢] فلا تجهدنّ نفسك فى طلب هداها ، وبلّغها وعيدَ الله ، وعرّفها ما أمرك ربك بتعريفها ، ثم خلّها ، فإن هداها بيد خالقها .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « لم يثن الواحد والتثنية على تنافى الجمع » ، وهو لا معنى له . وفى المخطوطة : « ثم بنى الواحد والتثنية على بنافى الجميع » ، هكذا غير منقوطة ، واستظهرت قراءتها كما أثبتها ، بزيادة «ما» بين « بناء » ، و « فى الجميع » . ومع ذلك فبقى فى بيان معنى هذا الكلام ، شىء فى نفسى ، أخشى أن يكون سقط منه شىء ، فإنه غير واضح عندى .

(٢) انظر تفسير « الإذن » فيما سلف ص : ١٨ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

وكان الثوري يقول في تأويل قوله : « إلا بإذن الله » ، ما :—

١٧٩١٠ — حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن سفيان في قوله : « وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله »، قال : بقضاء الله .

* * *

وأما قوله : « ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون » ، فإنه يقول تعالى ذكره : إن الله يهدي من يشاء من خلقه للإيمان بك ، يا محمد، ويأذن له في تصديقك فيصدقك ، ويتبعك ، ويقرّ بما جئت به من عند ربك = « ويجعل الرجس » ، وهو العذابُ وغضب الله[1] = « على الذين لا يعقلون » ، يعني : الذين لا يعقلون عن الله حججه ومواعظه وآياته التي دلّ بها جل ثناؤه على نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم ، وحقيقة ما دعاهم إليه من توحيد الله ، وخَلْع الأنداد والأوثان .

١٧٩١١ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « ويجعل الرجس » ، قال : السَّخَط .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٠١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قل ، يا محمد ، لهؤلاء المشركين من قومك ، السائليك الآياتِ على صحّة ما تدعوهم إليه من توحيد الله ، وخلع الأنداد والأوثان: انظروا، أيها القوم، ماذا في السمواتِ من الآيات الدّالة على حقيقة ما أدعوكم إليه من توحيد الله ، من شمسها وقمرها ، واختلافِ ليلها ونهارِها، ونزول الغيث بأرزاق العبادِ من سحابها = وفي الأرض من حبالها، وتصدُّعها بنباتها وأقوات أهلها ، وسائر صنوف عجائبها ، فإن في ذلك لكم إن عقلتم وتدبَّرتم عظةً ومعتبراً

(١) انظر تفسير « الرجس » فيما سلف ١٤ : ٥٧٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

ودلالةً على أن ذلك من فعل من لا يجوز أن يكون له فى ملكه شريك، ولا له على تدبيره وحفظه ظهير = يُغْنيكم عما سواه من الآيات .

يقول الله جل ثناؤه : « وما تُغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون » ، يقول جل ثناؤه : وما تغنى الحجج والعبر والرسل المنذرة عباد الله عقابه ،[1] عن قوم قد سبق لهم من الله الشقاء ، وقضى لهم فى أم الكتاب أنهم من أهل النار ، لا يؤمنون بشىء من ذلك ولا يصدِّقون به، ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ؟[2]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ١٢١/١١
ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ
ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ (١٠٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، محذِّراً مشركى قومه من حلول عاجل نقمه بساحتهم نحوَ الذى حلَّ بنظرائهم من قبلهم من سائر الأمم الخالية من قبلهم ، السالكة فى تكذيب رسل الله وجحود توحيد ربِّهم سبيلَهم : فهل ينتظر ، يا محمد ، هؤلاء المشركون من قومك، المكذِّبون بما جئتهم به من عند الله ، إلا يوماً يعاينون فيه من عذاب الله مثل أيام أسلافِهم الذين كانوا على مثل الذى هم عليه من المشرك والتكذيب ، الذين مضوا قبلهم فخَلَوْا من قوم نوح وعاد ثمود ؟ قل لهم ، يا محمد، إن كانوا ذلك ينتظرون : فانتظروا عقابَ الله إياكم ، ونزول سخطه بكم، إنى من المنتظرين هلاككم وبوارَكم بالعقوبة التى تحلُّ بكم من الله .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

(١) انظر تفسير « أغنى » فيما سلف ص : ٨٩ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « النذير » فيما سلف ١٠ : ١٥٨ .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٩١٢ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم » ، يقول: وقائع الله فى الذين خلوا من قبلهم ، قوم نوحٍ وعادٍ وثمود .

١٧٩١٣ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر عن أبيه ، عن الربيع بن أنس فى قوله : « فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا إنى معكم من المنتظرين » ، قال : خوّفهم عذابه ونقمته وعقوبته ، ثم أخبرهم أنه إذا وقع من ذلك أمرٌ ، أنجى الله رسله والذين آمنوا معه ، فقال الله : « ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا كذلك حقًّا علينا ننجى المؤمنين » .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٠٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره ، قل ، يا محمد ، لهؤلاء المشركين من قومك : انتظروا مثل أيام الذين خلوا من قبلكم من الأمم السالفة الذين هلكوا بعذاب الله ، فإن ذلك إذا جاء لم يهلك به سواهم ومن كان على مثل الذى هم عليه من تكذيبك، ثم ننجّى هناك رسولَنَا محمداً صلى الله عليه وسلم ومن آمن به وصدّقه واتبعه على دينه ، كما فعلنا قبل ذلك برُسلنا الذين أهلكنا أممهم ، فأنجيناهم ومن آمن به معهم من عذابنا حين حقّ على أممهم= « كذلك حقًّا علينا ننجى المؤمنين »، يقول: كما فعلنا بالماضين من رسلنا فأنجيناها والمؤمنين معها وأهلكنا أممها ،كذلك نفعل بك، يا محمد، وبالمؤمنين ،فننجيك وننجى المؤمنين بك ، حقًّا علينا غير شك .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٠٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، قل ، يا محمد ، لهؤلاء المشركين من قومك الذين عجبوا أن أوحيت إليك : إن كنتم فى شك ، أيها الناس ، من دينى الذى أدعوكم إليه ، فلم تعلموا أنه حقٌّ من عند الله ، فإنى لا أعبد الذين تعبدون من دون الله ، من الآلهة والأوثان التى لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى عنّى شيئاً ، فتشكّوا فى صحته .

وهذا تعريض ولحنٌ من الكلام لطيفٌ ، (١) وإنما معنى الكلام : إن كنتم فى شك من دينى ، فلا ينبغى لكم أن تشكوا فيه ، وإنما ينبغى لكم أن تشكوا فى الذى أنتم عليه من عبادة الأصنام التى لا تعقل شيئاً ، ولا تضر ولا تنفع . فأما دينى فلا ينبغى لكم أن تشكّوا فيه ، لأنى أعبد الله الذى يقبض الخلق فيميتهم إذا شاء ، وينفعهم ويضرُّهم إن شاء . (٢) وذلك أن عبادة من كان كذلك ، لا يستنكرها ذو فطرة صحيحة . وأما عبادة الأوثان ، فينكرها كل ذى لبٍّ وعقلٍ صحيح .

* * *

وقوله : « ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم » ، يقول : ولكن أعبد الله الذى يقبض

---

(١) « اللحن » ، التعريض والإيماء دون التصريح ، وذلك بأن تعدل الكلام عن جهته ، فيكون أجود له ، وأشد إثارة لفطنة سامعه .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « وينفعهم ويضر من يشاء » ، وكأنه سهو من الناسخ ، فإن السياق يقتضى ما أثبت .

أرواحكم فيميتكم عند آجالكم[١] = « وأمرت أن أكون من المؤمنين » ، يقول : وهو الذى أمرنى أن أكون من المصدّقين بما جاءنى من عنده .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (١٠٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « وأمرت أن أكون من المؤمنين » = « وأن أقم » ، و« أن » الثانية عطفٌ على « أن » الأولى .

ويعنى بقوله : « أقم وجهك للدين » ، أقم نفسك على دين الإسلام ،[٢] = « حنيفاً » مستقيماً عليه ، غير معوَجّ عنه إلى يهوديةٍ ولا نصرانيةٍ ، ولا عبادة وثن[٣] = « ولا تكونن من المشركين » ، يقول : ولا تكونن ممن يشرك فى عبادة ربه الآلهةَ والأندادَ ، فتكون من الهالكين . ١٢٢/١١

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (١٠٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولا تدع ، يا محمد ، من دون معبودك وخالقك شيئاً لا ينفعك فى الدنيا ولا فى الآخرة ، ولا يضرك فى دين ولا دنيا ، يعنى بذلك الآلهة والأصنام . يقول : لا تعبدها راجياً نفعها أو خائفاً ضرَّها ، فإنها

(١) انظر تفسير « التوفى » فيما سلف ص : ٩٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الوجه » فيما سلف ٢ : ٥١٠ – ٥١٢ ، ٥٢٦ – ١٠/٥٤٦ : ٢٣ ، وما بعدها .

(٣) انظر تفسير « الحنيف » فيما سلف ١٢ : ٢٨٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

لا تنفع ولا تضر = « فإن فعلت » ، ذلك، فدعوتها من دون الله = « فإنك إذاً من الظالمين » ، يقول : من المشركين بالله الظالمى أنفُسِهم .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وإِنْ يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (١٠٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه : وإن يصبك الله، يا محمد، بشدة أو بلاء ،(٢) فلا كاشف لذلك إلا ربّك الذى أصابك به ، دون ما يعبده هؤلاء المشركون من الآلهة والأنداد(٣) = « وإن يردك بخير » ، يقول : وإن يردك ربك برخاء أو نعمة وعافية وسرور(٤) = « فلا رادّ لفضله » ، يقول : فلا يقدر أحدٌ أن يحول بينك وبين ذلك، ولا يردّك عنه، ولا يحرمكه، لإنه الذى بيده السّرّاء والضرّاء، دون الآلهة والأوثان ، ودون ما سواه = « يصيب به من يشاء » ، يقول : يصيب ربك، يا محمد، بالرخاء والبلاء والسراء والضراء، من يشاء ويريد(٥) = « من عباده وهو الغفور»، لذنوب من تاب وأناب من عباده من كفره وشركه إلى الإيمان به وطاعته = « الرحيم » ، بمن آمن به منهم وأطاعه، أن يعذبه بعد التوبة والإنابة.(٦)

* * *

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « الظالم لنفسه » ، والسياق لا يليق به هذا ، وظنى أنه سهو من الناسخ ، فلذلك أبدلت به ما أثبت .

(٢) انظر تفسير « المس » فيما سلف ص: ٤٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « الضر » فيما سلف من فهارس اللغة (ضرر) .

(٣) انظر تفسير « الكشف » فيما سلف ١١ : ١٣/٣٥٤ : ١٥/٧٣ : ٣٦، ٢٠٥ .

(٤) انظر تفسير « الخير » فيما سلف من فهارس اللغة (خير) .

(٥) انظر تفسير « الإصابة » فيما سلف من فهارس اللغة (صوب) .

(٦) انظر تفسير « الغفور » و « الرحيم » فيما سلف من فهارس اللغة (غفر) ، (رحم) .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ (١٠٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم « قل »، يا محمد، للناس = « يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم » ، يعنى : كتاب الله ، فيه بيان كل ما بالناس إليه حاجة من أمر دينهم = « فمن اهتدى » ، يقول : فمن استقام فسلك سبيل الحق ، وصدّق بما جاء من عند الله من البيان = « فإنما يهتدى لنفسه » ، يقول : فإنما يستقيم على الهدى ويسلك قصد السبيل لنفسه ، فإياها يبغى الخيرَ بفعله ذلك لا غيرها[1] = « ومن ضل » ، يقول : ومن اعوج عن الحق الذى أتاه من عند الله ، وخالف دينَه وما بعث به محمداً والكتابَ الذى أنزله عليه = « فإنما يضل عليها » ، يقول : فإن ضلاله ذلك إنما يجنى به على نفسه، لا على غيرها، لأنه لا يؤخذ بذلك غيرها، ولا يورد بضلاله ذلك المهالكَ سوى نفسه ، ولا تزر وازرة وزر أخرى[2] = « وما أنا عليكم بوكيل » ، يقول : وما أنا عليكم بمسلَّط على تقويمكم، إنما أمركم إلى الله، وهو الذى يقوّم من يشاء منكم ، وإنما أنا رسول مبلّغ أبلغكم ما أرسلتُ به إليكم .[3]

* * *

---

(١) انظر تفسير « الاهتداء » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) .

(٢) انظر تفسير « الضلال » فيما سلف من فهارس اللغة (ضلل) .

(٣) انظر تفسير « وكيل » فيما سلف ١٢ : ٣٣ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ﴾ (١٠٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : واتبع ، يا محمد ، وحى الله الذى يوحيه إليك ، وتنزيله الذى ينزله عليك ، فاعمل به ، واصبر على ما أصابك فى الله من مشركى قومك من الأذى والمكاره ، وعلى ما نالك منهم ، حتى يقضى الله فيهم وفيك أمره بفعلٍ فاصلٍ = « وهو خير الحاكمين » ، يقول : وهو خير القاضين وأعدل الفاصلين.[1] فحكم جل ثناؤه بينه وبينهم يوم بَدْرٍ ، وقتلهم بالسيف ، وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم فيمن بقى منهم أن يسلك بهم سبيل من أهلك منهم ، أو يتوبوا ويُنيبوا إلى طاعته ، كما : —

١٧٩١٤ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وما أنت عليهم بوكيل * واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين » ، قال : هذا منسوخ = « حتى يحكم الله » ، حكم الله بجهادهم ، وأمره بالغلظة عليهم .[2]

---

(١) انظر تفسير « الحكم » فيما سلف ١٢ : ٥٦١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) عند هذا الموضع ، انتهى جزء من التقسيم القديم ، وفى مخطوطتنا بعد هذا ما نصه :

« آخر تفسير سورة يونس عليه السلام
والحمد لله وحده ، وصلى الله على محمد وآله .
يتلوه تفسير السورة التى يذكر فيها هود » .

يتلوه :

« بسم الله الرحمن الرحيم
ربِّ يسِّرْ »

تفسير
سورة هود

﴿ تفسير السورة التى يذكر فيها هود ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ (١)

قال أبو جعفر : قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فى تأويل قوله : « الر » ، ١٢٣/١١
والصواب من القول فى ذلك عندنا بشواهده ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .(١)

* * *

وقوله : « كتاب أحكمت آياته » ، يعنى : هذا الكتاب الذى أنزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو القرآن .

* * *

ورفع قوله : «كتاب » ، بنيَّة : « هذا كتاب » .

فأما على قول من زعم أن قوله : « الر » ، مرادٌ به سائر حروف المعجم التى نزل بها القرآن ، وجعلت هذه الحروف دلالةً على جميعها ، وأن معنى الكلام : « هذه الحروف كتاب أحكمت آياته » = فإن « الكتاب »، على قوله، ينبغى أن يكون مرفوعاً بقوله : « الر » .

* * *

وأما قوله: « أحكمت آياته ثم فصلت »، فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله .
فقال بعضهم : تأويله : أحكمت آياته بالأمر والنهى ، ثم فصلت بالثَّواب والعقاب.

* ذكر من قال ذلك :

١٧٩١٥ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنى

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٢٠٥ – ٦/٢٢٤ : ١٢/١٤٩ : ٢٩٣ ، ١٥/٢٩٤ : ٧ .

أبو محمد الثقفى ، عن الحسن فى قوله : « كتاب أحكمت آياته ثم فصلت » ، قال : أحكمت بالأمر والنهى ، وفصلت بالثواب والعقاب .(١)

١٧٩١٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا عبد الكريم بن محمد الجرجانى ، عن أبى بكر الهذلى ، عن الحسن : « الر كتاب أحكمت آياته » ، قال : أحكمت فى الأمر والنهى ، وفصلت بالوعيد .(٢)

١٧٩١٧ – حدثنى المثنى قال ،حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، عن رجل ، عن الحسن : « الر كتاب أحكمت آياته » ، قال : بالأمر والنهى = « ثم فصلت » ، قال : بالثواب والعقاب .

* * *

وروى عن الحسن قولٌ خلاف هذا ، ، وذلك ما :–

١٧٩١٨ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال،حدثنى حجاج،عن ابن جريج،عن أبى بكر،عن الحسن قال = وحدثنا عباد بن العوام،عن رجل، عن الحسن قال: « أحكمت» ، بالثواب والعقاب = « ثم فصلت » ، بالأمر والنهى .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : « أحكمت آياته » ، من الباطل = « ثم فصلت » ، فبيّن منها الحلال والحرام .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٩١٩ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » ، أحكمها الله من الباطل ، ثم فصلها بعلمه ، فبيّن حلاله وحرامه ، وطاعته ومعصيته .

* * *

---

(١) الأثر : ١٧٩١٥ – « أبو محمد الثقفى » ، الراوى عن الحسن ، لم أعلم من يكون .

(٢) الأثر : ١٧٩١٦ – « عبد الكريم بن محمد الجرجانى » ، قاضى جرجان ، روى عن قيس ابن الربيع ، وأبى حنيفة ، وزهير بن معاوية ، وابن جريج ، وغيرهم . روى عنه أبو يوسف القاضى ، وابن عيينة ، وهما أكبر منه ، والشافعى ، وغيرهم . مات سنة نيف وسبعين ومئة، فلا أدرى أيدرك محمد بن حميد أن يروى عنه أم لا ؟ مترجم فى التهذيب .

١٧٩٢٠ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « أحكمت آياته ثم فصلت » ، قال : أحكمها الله من الباطل ، ثم فَصَّلها ، بيَّنها .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك بالصواب ، قولُ من قال : معناه : أحكم الله آياته من الدَّخَل والخَلَل والباطل ، ثم فصَّلها بالأمر والنهى .

وذلك أن « إحكام الشيء » ، إصلاحه وإتقانه = و« إحكام آيات القرآن » ، إحكامها من خلل يكون فيها ، أو باطل يقدر ذو زيغ أن يطعن فيها من قِبَله .(١)

وأما « تفصيل آياته » ، فإنه تمييز بعضها من بعض ، بالبيان عما فيها من حلال وحرام ، وأمرٍ ونهى .(٢)

* * *

وكان بعض المفسرين يفسر قوله : « فصلت » ، بمعنى : فُسِّرت ، وذلك نحو الذى قلنا فيه من القول .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٩٢١ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى قال ، حدثنا ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « ثم فصلت » ، قال : فُسِّرت .

١٧٩٢٢ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فصلت » ، قال : فُسِّرت .

١٧٩٢٣ – . . . . قال ، حدثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج قال ، بلغنى عن مجاهد : « ثم فصلت » ، قال : فسِّرت .

١٧٩٢٤ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

---

(١) انظر تفسير « الإحكام » فيما سلف ٦ : ١٧٠ ، ١٧٤ – ١٨٢ .

(٢) انظر تفسير « تفصيل الآيات » فيما سلف ص : ٩١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

١٧٩٢٥ — . . . . قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٧٩٢٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

وقال قتادة : معناه : بُيِّنَتْ ، وقد ذكرنا الرواية بذلك قبلُ ، وهو شبيه المعنى بقول مجاهد .

* * *

وأما قوله : « من لدن حكيم خبير » ، فإن معناه : « حكيم » ، بتدبير الأشياء وتقديرها = « خبير » ، بما تؤول إليه عواقبُها .(١)

١٧٩٢٧ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة في قوله : « من لدن حكيم خبير » ، يقول : من عند حكيم خبير .(٢)

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ (٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ثم فُصِّلت بأن لا تعبدوا إلا الله وحده لا شريك له ، وتخلعوا الآلهة والأنداد . ثم قال تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد ، للناس : « إنني لكم » ، من عند الله = « نذيرٌ » ينذركم عقابه على معاصيه وعبادة الأصنام = « وبشير » ، يبشركم بالجزيل من الثواب على طاعته وإخلاص العبادة والألوهة له .(٣) ١٢٤/١١

* * *

(١) انظر تفسير « حكيم » و « خبير » فيما سلف من فهارس اللغة (حكم) ، (خبر) .

(٢) انظر تفسير « من لدن » فيما سلف ٦ : ٣٦٢ .

(٣) انظر تفسير « النذير » فيما سلف ص : ٢١٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « البشير » فيما سلف من فهارس اللغة (بشر) .

القول فى تأويل قول تعالى ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ (٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ثم فصلت آياته، بأن لا تعبدوا إلا الله ، وبأن استغفروا ربكم . ويعنى بقوله : « وأن استغفروا ربكم » ، وأن اعملوا ، أيها الناس، من الأعمال ما يرضى ربكم عنكم، فيستر عليكم عظيمَ ذنوبكم التى ركبتموها بعبادتكم الأوثان والأصنام، وإشراككم الآلهة والأنداد فى عبادته .[1]

وقوله : « ثم توبوا إليه »، يقول: ثم ارجعوا إلى ربكم بإخلاص العبادة له، دون ما سواه من سائر ما تعبدون من دونه ، بعد خلعكم الأنداد ، وبراءتكم من عبادتها،[2] ولذلك قيل : « وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه » ، ولم يقل: « وتوبوا إليه »، لأن « التوبة » معناها الرجوع إلى العمل بطاعة الله، و« الاستغفار » ، استغفار من الشرك الذى كانوا عليه مقيمين . والعملُ لله لا يكون عملاً له ، إلا بعد ترك الشرك به ، فأما الشرك فإنّ عمله لا يكون إلا للشيطان ، فلذلك أمرهم تعالى ذكره بالتوبة إليه بعد الاستغفار من الشرك، لأن أهل الشرك كانوا يَرَون أنهم يُطيعون الله بكثير من أفعالهم ، وهم على شركهم مقيمون .

وقوله : « يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى » ، يقول تعالى ذكره للمشركين الذين خاطبهم بهذه الآيات : استغفروا ربكم ثم توبوا إليه، فإنكم إذا فعلتم ذلك

---

(١) انظر تفسير « الاستغفار » فيما سلف من فهارس اللغة (غفر) .

(٢) انظر تفسير « التوبة » فيما سلف من فهارس اللغة (توب) .

بسط عليكم من الدنيا، ورزقكم من زينتها، وأنسأ لكم فى آجالكم إلى الوقت الذى قضى فيه عليكم الموت .[1]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٩٢٨ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى » ، فأنتم فى ذلك المتاع ، فخذوا بطاعة الله ومعرفة حقّه ، فإن الله منعم يحبّ الشاكرين ، وأهل الشكر فى مزيد من الله . وذلك قضاؤه الذى قضى .

* * *

وقوله : « إلى أجل مسمى » ، يعنى الموت .

١٧٩٢٩ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « إلى أجل مسمى » ، قال : الموت .

١٧٩٣٠ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إلى أجل مسمى » ، وهو الموت .

١٧٩٣١ – حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « إلى أجل مسمى » ، قال : الموت .

* * *

وأما قوله : « ويؤت كل ذى فضل فضله » ، فإنه يعنى : يثيب كل من تفضّل بفضل ماله أو قوته أو معروفه على غيره ، محتسباً بذلك ، مريداً به وجه الله = أجزلَ ثوابه وفضله فى الآخرة ، كما : –

١٧٩٣٢ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا

---

(١) انظر تفسير « المتاع » فيما سلف من فهارس اللغة (متع) .
= وتفسير « الأجل المسمى » فيما سلف من فهارس اللغة (أجل) .

عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ويؤت كل ذى فضل فضله » ، قال : ما احتسب به من ماله أو عمل بيده أو رجله أو كَلِمة ، أو ما تطوَّع به من أمره كله .

١٧٩٣٣ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال =

١٧٩٣٤ — . . . وحدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه = إلا أنه قال : أو عملٍ بيديه أو رجليه وكلامه ، وما تطوَّل به من أمره كله .

١٧٩٣٥ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج عن مجاهد ، بنحوه = إلا أنه قال : وما نطق به من أمره كله .

١٧٩٣٦ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ويؤت كل ذى فضل فضله » ، أى : فى الآخرة .

* * *

وقد روى عن ابن مسعود أنه كان يقول فى تأويل ذلك ، ما :—

١٧٩٣٧ — حدثت به عن المسيب بن شريك ، عن أبي بكر ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن مسعود فى قوله : « ويؤت كل ذى فضل فضله »، قال: من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ، ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات . فإن عوقب بالسيئة التى كان عملها فى الدنيا بقيت له عشر حسنات ، وإن لم يعاقب بها فى الدنيا أخذ من الحسنات العشر واحدة ، وبقيت له تسع حسنات . ثم يقول : هلك من غلب آحادُه أعشارَه ! !

* * *

وقوله : « وإن تولوا فإنى أخاف عليكم عذاب يوم كبير » ، يقول تعالى ذكره: وإن أعرضوا عما دعوتُهم إليه ،[1] من إخلاص العبادة لله ، وترك عبادة ١٢٥/١١

(١) انظر تفسير « التولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .

الآلهة، وامتنعوا عن الاستغفار لله والتوبة إليه، فأدبروا مُولِّين عن ذلك = « فإنى »، أيها القوم، « أخاف عليكم عذاب يوم كبير »، شأنُه، عظيمٍ هَوْلُه، وذلك يوم تجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون.

* * *

وقال جل ثناؤه: « وإن تولوا فإنى أخاف عليكم عذاب يوم كبير »، ولكنه مما قد تقدّمه قولٌ، والعرب إذا قدّمت قبل الكلام قولاً، خاطبت، ثم عادت إلى الخبر عن الغائب، ثم رجعت بعدُ إلى الخطاب. وقد بينا ذلك فى غير موضع، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع.(١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٤)

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: « إلى الله »، أيها القوم، مآبكم ومصيركم،(٢) فاحذروا عقابه إن توليتم عما أدعوكم إليه من التوبة إليه من عبادتكم الآلهة والأصنام، فإنه مخلدكم نارَ جهنم إن هلكتم على شرككم قبل التوبة إليه = « وهو على كل شىء قدير »، يقول: وهو على إحيائكم بعد مماتكم، وعقابكم على إشراككم به الأوثانَ، وغير ذلك مما أراد بكم وبغيركم قادرٌ.(٣)

* * *

(١) انظر ما سلف ١٣ : ٣١٤، تعليق، ٣ : والمراجع هناك.
(٢) انظر تفسير « المرجع » فيما سلف ص: ١٤٦، تعليق: ٥، والمراجع هناك.
(٣) انظر تفسير « قدير » فيما سلف من فهارس اللغة (قدر).

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ (٥)

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة قوله : « ألا إنهم يثنون صدورهم » .

فقرأته عامة قرأة الأمصار : ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾، على تقدير « يفعلون» من « ثنيت » ، و« الصدور » منصوبة .

واختلف قارئو ذلك كذلك فى تأويله .

فقال بعضهم : ذلك كان من فعل بعض المنافقين ، كان إذا مرّ برسول الله صلى الله عليه وسلم غطّى وجهه ، وثَنَى ظهره .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٩٣٨ — حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا ابن أبى عدى، عن شعبة ، عن حصين ، عن عبد الله بن شداد فى قوله : « ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم »، قال : كان أحدهم إذا مرّ برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بثوبه على وجهه ، وثنى ظهره .(١)

١٧٩٣٩ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حصين ، عن عبد الله بن شداد بن الهاد قوله : « ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه »، قال : من رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : كان المنافقون

---

(١) قوله : « قال بثوبه على وجهه » ، أى : أخذ ثوبه وحاول أن يغطى به وجهه حتى لا يراه صلى الله عليه وسلم . و « قال » حرف من اللغة ، يستخدم فى معان كثيرة ، ويراد به تصوير الحركة . انظر ما سلف ٢ : ٥٤٦ ، ٥٤٧/ الأثر : ٥٧٩٦ ج ٥ ص : ٤٠٠ ، تعليق: ١/ الأثر : ١٢٥٢٣ ج ١٠ ص : ٥٧٢ ، تعليق : ١/ الأثر : ١٧٤٢٩ ، ج ١٤ ص : ٥٤١ ، تعليق : ٢ .

إذا مرُّوا به ، ثنى أحدهم صدره ، ويطأطئ رأسه . فقال الله : « ألا إنهم يثنون صدورهم » ، الآية .

١٧٩٤٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، حدثنا هشيم ، عن حصين قال : سمعت عبد الله بن شداد يقول فى قوله : « يثنون صدورهم » ، قال : كان أحدهم إذا مرّ بالنبي صلى الله عليه وسلم ثَنَى صدره ، وتغشّى بثوبه ، كى لا يراه النبي صلى الله عليه وسلم .

* * *

وقال آخرون : بل كانوا يفعلون ذلك جهلاً منهم بالله ، وظنًّا أن الله يخفى عليه ما تضمره صدورهم إذا فعلوا ذلك .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٩٤١ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد: « يثنون صدورهم »، قال: شكًّا وامتراءً فى الحق ، ليستخفوا من الله إن استطاعوا .

١٧٩٤٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نحيح ، عن مجاهد : « يثنون صدورهم » ، شكًّا وامتراءً فى الحق ، = « ليستخفوا منه » ، قال : من الله إن استطاعوا .

١٧٩٤٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « يثنون صدورهم » ، قال : تضيق شكًّا .

١٧٩٤٤ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: « يثنون صدورهم »، قال: تضيق شكًّا وامتراءً فى الحق . قال : « ليستخفوا منه » ، قال : من الله إن استطاعوا .

١٧٩٤٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

١٧٩٤٦ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا هوذة قال، حدثنا عوف، عن الحسن فى قوله : « ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم » ، قال : من جهالتهم به ، قال الله : « ألا حين يستغشون ثيابهم »، فى ظلمة الليل، فى أجواف بيوتهم = « يعلم »، تلك الساعة =« ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور » . ١٢٦/١١

١٧٩٤٧ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان، عن منصور ، عن أبى رزين : « ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم »، قال : كان أحدهم يحنى ظهره، ويستغشى بثوبه .

* * *

وقال آخرون : إنما كانوا يفعلون ذلك لئلا يسمعوا كتاب الله . (١)

* ذكر من قال ذلك :

١٧٩٤٨ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ألا انهم يثنون صدورهم » ، الآية ، قال: كانوا [يحنون صدورهم لكيلا يسمعوا كتاب الله ، قال تعالى : « ألا حين] يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون » ، وذلك أخفى ما يكون ابن آدم ، إذا حنى صدره ، واستغشى بثوبه ، وأضمر همَّه فى نفسه، فإن الله لا يخفى ذلك عليه . (٢)

١٧٩٤٩ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « يستغشون ثيابهم » ، قال : أخفى ما يكون الإنسان إذا أسرَّ فى نفسه شيئاً وتغطَّى بثوبه ، فذلك أخفى ما يكون ، والله يطلع على ما فى نفوسهم ، والله يعلم ما يسرُّون وما يعلنون .

* * *

وقال آخرون : إنما هذا إخبارٌ من الله نبيَّه صلى الله عليه وسلم عن المنافقين

---

(١) فى المطبوعة : « كلام الله تعالى » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) ما بين القوسين ساقط من المخطوطة .

الذين كانوا يضمرون له العداوة والبغضاء ، ويبدون له المحبة والمودة ، أنهم معه وعلى دينه .[١] يقول جل ثناؤه : ألا إنهم يطوون صدورهم على الكفر ليستخفوا من الله . ثم أخبر جل ثناؤه أنه لا يخفى عليه سرائرهم وعلانيتهم .

* * *

وقال آخرون : كانوا يفعلون ذلك إذا ناجى بعضهم بعضاً .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٩٥٠ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه » ، قال : هذا حين يناجي بعضهم بعضاً . وقرأ : « ألا حين يستغشون ثيابهم » ، الآية .

* * *

وروى عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك : ﴿أَلَا إِنَّهُمْ تَثْنَوْنِي صُدُورُهُمْ﴾ ، على مثال : « تَحْلَوْلِي الثمرة » ، « تَفْعَوْعِل » .

١٧٩٥١ – حدثنا . . . قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة قال : سمعت ابن عباس يقرأ : ﴿أَلَا إِنَّهُمْ تَثْنَوْنِي صُدُورُهُمْ﴾ ، قال : كانوا لا يأتون النساء ولا الغائط إلا وقد تغشوا بثيابهم ، كراهة أن يُفْضُوا بفروجهم إلى السماء .[٢]

١٧٩٥٢ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال، سمعت محمد بن عباد بن جعفر يقول، سمعت ابن عباس يقرؤها : ﴿أَلَا إِنَّهُمْ تَثْنَوْنِي صُدُورُهُمْ﴾ قال : سألته عنها فقال : كان ناس يستحيون أن يتخلَّوا فيُفْضُوا إلى السماء ، وأن يصيبوا فيفْضُوا إلى السماء .

* * *

وروى عن ابن عباس في تأويل ذلك قول آخر ، وهو ما : –

---

(١) في المطبوعة : « وأنهم » بالواو ، وما في المخطوطة صواب جيد .

(٢) الأثر : ١٧٩٥١ – في المطبوعة : « حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة » ، وهذا ليس في المخطوطة ، بل الذي فيها ما أثبته : « حدثنا قال حدثنا أبو أسامة » ، بياض بين الكلامين وفوقه كتب « كذا » ، يعني ، هكذا البياض بالأصل .

١٧٩٥٣ – حدثنا به محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر قال، أخبرت، عن عكرمة: أن عباس قرأ: ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ تَثْنَوْنِي صُدُورُهُمْ ﴾، وقال ابن عباس : « تثنوني صدورهم » ، الشكُّ في الله ، وعمل السيئات = « يستغشون ثيابهم » ، يستكبر أو يستكنّ من الله ، والله يراه ، يعلم ما يسرُّون وما يعلنون .

١٧٩٥٤ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن رجل ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قرأ : ﴿أَلَا إِنَّهُمْ تَثْنَوْنِي صُدُورُهُمْ ﴾ ، قال عكرمة : « تثنوني صدورهم » ، قال : الشك في الله ، وعمل السيئات، فيستغشي ثيابه، ويستكنّ من الله، والله يراه، ويعلم ما يسرُّون وما يعلنون.

* * *

قال أبو جعفر: والصواب من القراءة في ذلك عندنا، ما عليه قرأة الأمصار، وهو : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ ﴾ ، على مثال « يفعلون » ، و« الصدور » ، نصب ، بمعنى : يحنون صدورهم ويكنُّونها ،[1] كما : –

١٧٩٥٥ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « يثنون صدورهم » ، يقول: يكنُّون .[1]

١٧٩٥٦ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ألا انهم يثنون صدورهم »، يقول : يكتمون ما في قلوبهم = « ألا حين يستغشون ثيابهم » ، يعلم ما عملوا بالليل والنهار .

١٧٩٥٧ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، حدثنا عبيد قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « ألا إنهم يثنون صدورهم » ، يقول : ﴿ تَثْنَوْنِي صُدُورُهُمْ ﴾ .

* * *

(١) في المطبوعة : « يكبونها » و « يكبون » ، بالباء في الموضعين ، والصواب ما في المخطوطة ، وهي منقوطة هناك فيهما .

١٢٧/١١ قال أبو جعفر : وهذا التأويل الذى تأوّله الضحاك على مذهب قراءة ابن عباس ، إلا أن الذى حدثنا ، هكذا ذكر القراءة فى الرواية .

* * *

قال أبو جعفر : فإذ كانت القراءة التى ذكرنا أولى القراءتين فى ذلك بالصواب ، لإجماع الحجة من القرأة عليها ، فأولى التأويلات بتأويل ذلك ، تأويلُ من قال : إنهم كانوا يفعلون ذلك جهلاً منهم بالله أنه يخفى عليه ما تضمره نفوسهم ، أو تناجوه بينهم.

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات بالآية ، لأن قوله : « ليستخفوا منه » ، بمعنى : ليستخفوا من الله ، وأن « الهاء » فى قوله ، « منه » ، عائدة على اسم « الله » ، ولم يجر لمحمّدٍ ذكر قبلُ ، فيجعل من ذكره صلى الله عليه وسلم ، وهى فى سياق الخبر عن « الله » . فإذ كان ذلك كذلك ، كانت بأن تكون من ذكر الله أولى . وإذا صحّ أن ذلك كذلك ، كان معلوماً أنهم لم يحدّثوا أنفسهم أنهم يستخفون من الله ، إلا بجهلهم به . فأخبرهم جل ثناؤه أنه لا يخفى عليه سرُّ أمورهم وعلانيتها على أىّ حالٍ كانوا ، تغشّوا بالثياب ، أو ظهروا بالبَرَاز ،[1] فقال : « ألا حين يستغشون ثيابهم » ، يعنى : يتغشّون ثيابهم ، يتغطونها ويلبسون .

* * *

يقال منه : « استغشى ثوبه ، وتغشّاه » ، قال الله : ﴿ وَٱسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ ﴾ ، [سورة نوح : ٧] ، وقالت الخنساء :

أَرْعَى النُّجُومَ وَمَا كُلِّفْتُ رِعْيَتَهَا وَتَارَةً أَتَغَشَّى فَضْلَ أَطْمَارِى[2]

* * *

(١) « البراز » (بفتح الباء) : الفضاء البعيد الواسع ، ليس فيه شجر ولا ستر .

(٢) ديوانها : ١٠٩ ، من شعرها فى مراثى أخيها صخر ، تقول قبله :

إِنِّى أَرِقْتُ فَبِتُّ اللَّيْلَ سَاهِرَةً كَأَنَّمَا كُحِلَتْ عَيْنِى بِعُوَّارِ

= « يعلم ما يسرون » ، يقول جل ثناؤه : يعلم ما يسرُّ هؤلاء الجهلة بربهم ، الظانُّون أن الله يخفى عليه ما أضمرته صدورهم إذا حنوها على ما فيها، وثنوها ، وما تناجوه بينهم فأخفوه[1] = « وما يعلنون » ، سواء عنده سرائرُ عباده وعلانيتهم = « إنه عليم بذلك الصدور » ، يقول تعالى ذكره : إن الله ذو علم بكل ما أخفته صدور خلقه ، من إيمان وكفر ، وحق وباطل ، وخير وشر ، وما تستجنُّه مما لم تُجنُّه بعدُ ،[2] كما : —

١٧٩٥٨ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « ألا حين يستغشون ثيابهم » ، يقول : يغطون رؤوسهم .

* * *

قال أبو جعفر : فاحذروا أن يطلع عليكم ربكم وأنتم مضمرون في صُدُوركم الشك في شيء من توحيده، أو أمره أو نهيه، أو فيما ألزمكم الإيمان به والتصديق، فتهلكوا باعتقادكم ذلك .

* *

« العوار » القذى . وقولها : « أرعى النجوم » ، تراقبها ، من غلبة الهم عليها ليلا ، فهي ساهرة تأنس بتطويح البصر في السموات . و « الأطمار » ، أخلاق الثياب . تقول : طال حدادها وحزنها ، فلا تبالي أن يكون لها جديد ، فهي في خلقان ثيابها ، فإذا طال سهرها ، وغلبها ما غلبها ، تغطت بأطمارها فعل الحزين ، وبكت أو انطوت على أحزانها .

(١) انظر تفسير « الإسرار » فيما سلف: ١٠٣

(٢) انظر تفسير « ذات الصدور » فيما سلف ١٣ : ٥٧٠ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

٢/١٢ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وما من دابّة فى الأرض إلا على الله رزقها » ، وما تدبّ دابّة فى الأرض .

* * *

و « الدابة » « الفاعلة » ، من « دبّ فهو يدبّ ، وهو دابٌّ ، وهى دابّة » .(١)

* * *

= « إلا على الله رزقها » ، يقول : إلا ومن الله رزقها الذى يصل إليها ، هو به متكفل ، وذلك قوتها وغذاؤها وما به عَيْشُها .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال بعض أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٩٥٩ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال مجاهد فى قوله : « وما من دابة فى الأرض إلا على رزقها » ، قال : ما جاءها من رزق فمن الله ، وربما لم يرزقها حتى تموت جوعاً ، ولكن ما كان من رزقٍ فمن الله .

١٧٩٦٠ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها » ، قال : كل دابة .

---

(١) انظر تفسير « الدابة » فيما سلف ١٤ : ٢١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

١٧٩٦١ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبامعاذ يقول ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « وما من دابة فى الأرض إلاّ على الله رزقها » ، يعنى كلّ دابة ، والناسُ منهم .

* * *

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يزعم أن كل مالٍ فهو « دابة » [١] = وأن معنى الكلام : وما دابة فى الأرض = وأن « من » زائدة .[٢]

* * *

وقوله : « ويعلم مستقرها » ، حيث تستقر فيه ، وذلك مأواها الذى تأوى إليه ليلاً أو نهارًا = « ومستودعها » الموضع الذى يودعها ، إما بموتها ، فيه ، أو دفنها .[٣]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٩٦٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن التيمى ، عن ليث ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس قال : « مستقرها » ، حيث تأوى = « ومستودعها » ، حيث تموت .

١٧٩٦٣ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « ويعلم مستقرها » ، يقول : حيث تأوى = « ومستودعها » ، يقول : إذا ماتت .

---

(١) فى المطبوعة : « كل ماش فهو دابة » ، والذى أثبته هو نص المخطوطة ، و « المال » عند العرب ، الإبل والأنعام ، وسائر الحيوان مما يقتنى . وهذا وجه . ولكن الذى فى مجاز القرآن ، وهذا نص كلامه ، فهو « كل آكل » ، ولا قدرة لى على الفصل فى صواب ما قاله أبو عبيدة ، لأن نسخة المجاز المطبوعة ، ربما وجد فيها خلاف لما نقل عن أبى عبيدة فى الكتب الأخرى .

(٢) هذا نص أبى عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ٢٨٥ .

(٣) انظر تفسير « المستقر » ، و « المستودع » فيما سلف ١ : ١١/٥٣٩ : ٤٣٤ ، ٥٦٢ – ١٢/٥٧٢ : ٣٥٨ ، ٣٥٩ .

١٧٩٦٤ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا المحاربي ، عن ليث، عن الحكم،
١٢/ عن مقسم ، عن ابن عباس : « يعلم مستقرها ومستودعها » ، قال : « المستقر » ، حيث تأوى = و« المستودع » ، حيث تموت .

* * *

وقال آخرون : « مستقرّها » ، في الرحم = « ومستودعها » ، في الصلب .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٩٦٥ - حدثنا المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ويعلم مستقرها »، في الرحم = « ومستودعها » ، في الصلب ، مثل التي في « الأنعام » .[1]

١٧٩٦٦ - حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ويعلم مستقرها ومستودعها »، فالمستقر ما كان في الرحم ، والمستودع ما كان في الصلب .

١٧٩٦٧ - حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد قال، سمعت الضحاك يقول في قوله : « ويعلم مستقرها » ، يقول : في الرحم = « ومستودعها » ، في الصلب .

* * *

وقال آخرون : « المستقر »، في الرحم = و« المستودع » ، حيث تموت .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٩٦٨ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، ويعلى، وابن فضيل، عن إسمعيل ، عن إبراهيم ، عن عبد الله : « ويعلم مستقرّها ومستودعها » ، قال : « مستقرها » ، الأرحام = « ومستودعها » ، الأرض التي تموت فيها .

١٧٩٦٩ - . . . . . قال ، حدثنا عبيد الله ، عن إسرائيل، عن السدى،

---

(١) انظر تفسير « سورة الأنعام » ١١ : ٥٦٢ - ٥٧٢ ، والآثار هناك .

عن مرة، عن عبد الله : «ويعلم مستقرها ومستودعها»، «المستقر» الرحم، و«المستودع» المكان الذى تموت فيه .

* * *

وقال آخرون : « مستقرها »، أيام حياتها = « ومستودعها » ، حيث تموت فيه .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٩٧٠ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن ابن سعد قال ، أخبرنا أبو جعفر ، عن الربيع بن أنس قوله : « ويعلم مستقرها ومستودعها » ، قال : « مستقرها » ، أيام حياتها = « ومستودعها » ، حيث تموت ، ومن حيث تُبْعث .

* * *

قال أبو جعفر : وإنما اخترنا القول الذى اخترناه فيه، لأن الله جل ثناؤه أخبر أن ما رُزقت الدوابّ من رزق فمنه ، فأولى أن يتبع ذلك أن يعلم مثواها ومستقرّها ، دون الخبر عن علمه بما تضمنته الأصلاب والأرحام .

* * *

ويعنى بقوله : « كل فى كتاب مبين » ، [مبينٍ] عدد كل دابة ،[1] ومبلغ أرزاقها ، وقدر قرارها فى مستقرّها ، ومدة لبثها فى مستودعها . كل ذلك فى كتاب عند الله مثبت مكتوب = « مبين » ، يبين لمن قرأه أن ذلك مثبت مكتوب قبل أن يخلقها ويوجدها .[2]

وهذا إخبارٌ من الله جل ثناؤه الذين كانوا يثنون صدورهم ليستخفوا منه ، أنه قد علم الأشياء كلها وأثبتها فى كتاب عنده قبل أن يخلقها ويوجدها .

يقول لهم تعالى ذكره : فمن كان قد علم ذلك منهم قبل أن يوجدهم ، فكيف يخفى عليه ما تنطوى عليه نفوسهم إذا ثنوا به صدورهم ، واستغشوا عليه ثيابهم ؟

* * *

---

(١) زدت ما بين القوسين ، لأنى رجحت أنه حق الكلام ، وأن الناسخ ظن أنه تكرار فتركه .

(٢) انظر تفسير « مبين » فيما سلف من فهارس اللغة (بين) .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : الله الذى إليه مرجعكم ، أيها الناس ، جميعاً = « هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام » ، يقول : أفيعجز من خلق ذلك من غير شىء ، أن يعيدكم أحياءً بعد أن يميتكم ؟

* * *

وقيل : إن الله تعالى ذكره خلق السموات والأرض وما فيهن فى الأيام الستة ، فاجتُزِئَ فى هذا الموضع بذكر خلق السموات والأرض ، من ذكر خلق ما فيهنّ .

١٧٩٧١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، أخبرنى إسمعيل بن أمية ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله ابن رافع مولى أم سلمة ، عن أبى هريرة قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فقال : خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق الجبال فيها يوم الأحد ، وخلق الشجر فيها يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبثّ فيها من كل دابة يوم الخميس ، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة فى آخر الخلق ، فى آخر ساعات الجمعة ، فيما بين العصر إلى الليل .(١)

---

(١) الأثر : ١٧٩٧١ — هذا حديث صحيح ، رواه مسلم فى صحيحه ١٧ : ١٢٣ ، ورواه أحمد فى مسنده ٢ : ٣٢٧ ، رقم : ٨٣٢٣ من ترقيم أخى رحمة الله عليه ، فى الجزء الذى لم يطبع من المسند . ورواه أبو جعفر فى تاريخه ١ : ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٢ ، جميعها من طريق القاسم بن بشر بن معروف ، والحسين بن على الصدائى ، عن حجاج ، فهو صدر إسناد آخر غير هذا الإسناد ، وإن اتفق سائره .

١٧٩٧٢ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قوله : « في ستة أيام » ، قال : بدأ خلق الأرض في يومين ، وقدّر فيها أقواتها في يومين .

١٧٩٧٣ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن كعب قال : بدأ الله خلق السموات والأرض يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس ، وفرغ منها يوم الجمعة ، فخلق آدم في آخر ساعة من يوم الجمعة . قال : فجعل مكان كل يوم ألف سنة .

١٧٩٧٤ – وحدثت عن المسيب بن شريك، عن أبي روق، عن الضحاك: ٤/١٢
« وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام » ، قال : من أيام الآخرة ، كل يوم مقداره ألف سنة. ابتدأ في الخلق يوم الأحد، وختم الخلق يوم الجمعة ، فسميت « الجمعة » ، وسَبَتَ يوم السبت ، فلم يخلق شيئاً .

* * *

وقوله : « وكان عرشه على الماء » ، يقول : وكان عرشه على الماء قبل أن يخلق السموات والأرض وما فيهن ،(١) كما : –

١٧٩٧٥ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « وكان عرشه على الماء » ، قبل أن يخلق شيئاً .

١٧٩٧٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

هذا وقد نبتت نابتة تريد أن تبطل نحو هذا الحديث بالرأي ، ثم بالطعن في الصحابي الجليل أبي هريرة. وسلك بعضهم إلى هذا مسلكاً معيباً عند أهل العلم ، في استجلاب ضروب من الملفقات ، يريد بها مذمة رجل من أصحاب رسول الله ، غير متثبت من الأصل الذي يبني عليه . فاللهم احفظ دينك من أهوائنا ، فما أهلك الدين والدنيا غير الهوى المسلط على عقولنا ونفوسنا . وفي هذا الأمر مقال ليس هذا مكانه .

(١) انظر تفسير « العرش » فيما سلف ١٢ : ٤٨٢/ ١٤ : ٥٨٧/ ١٥ : ١٨ .

١٧٩٧٧ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٧٩٧٨ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وكان عرشه على الماء » ، ينبئكم ربكم تبارك وتعالى كيف كان بدءُ خلقه قبل أن يخلق السموات والأرض .

١٧٩٧٩ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « وكان عرشه على الماء » ، قال : هذا بدء خلقه قبل أن يخلق السماء والأرض .

١٧٩٨٠ – حدثني المثنى قال ، حدثنا الحجاج قال، حدثنا حماد ، عن يعلى بن عطاء، عن وكيع بن حُدُس ، عن عمه أبي رزين العقيلي قال : قلت : يا رسول الله، أين كان ربُّنا قبل أن يخلق السموات والأرض ؟ قال: في عَمَاءٍ ،[1] ما فوقه هواء ، وما تحته هواء ، ثم خلق عرشه على الماء .[2]

١٧٩٨١ – حدثنا ابن وكيع ، ومحمد بن هرون القطان الرازق قالا، حدثنا يزيد بن هرون ، عن حماد بن سلمة ، عن يعلى بن عطاء ، عن وكيع بن

---

(١) « العماء » ، في كلام العرب ، السحاب . قال أبو عبيد القاسم بن سلام : « وإنما تأولنا هذا الحديث على كلام العرب المعقول عنهم ، ولا ندري كيف كان ذلك العماء » . وهذه كلمة عالم يعقل عن ربه ، ولا يتنكر لخبر رسوله المبلغ عنه ، العارف بصفاته ، ويقاس عليه مثله مما ورد في أحاديث بدء الخلق وأشباهها ، ما صح إسناد الخبر عن نبي الله ، بأبي هو وأمي . ونقل الترمذي في سننه عن أحمد ، عن يزيد ابن هرون : « العماء : أي ليس معه شيء » .

(٢) الأثر : ١٧٩٨٠ – « حماد » ، هو « حماد بن سلمة » ، مضى مراراً .

و « يعلى بن عطاء العامري الطائفي » ، ثقة ، مضى برقم : ٢٨٥٨ ، ١١٥٢٧ ، ١١٥٢٩ ، ١٦٥٧٩ .

و « وكيع بن حدس » ، أو « ابن عدس » أبو مصعب العقيلي الطائفي ، ذكره ابن حبان في الثقات . مترجم في التهذيب ، والكبير ١٧٨/٢/٤ ، وابن أبي حاتم ٣٦/٢/٤ .

و « أبو رزين العقيلي » ، هو « لقيط بن عامر بن المنتفق » أو « لقيط بن صبرة » ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مضى برقم : ٣٢٢٣ مضى التفريق هناك بينه وبين « لقيط بن صبرة » ، وهذا الخبر رواه الطبري في تاريخه ١ : ١٩ من هذه الطريق نفسها .

حُدُس ، عن عمه أبي رزين قال : قلت : يا رسول الله ، أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه ؟ قال : كان في عَماء ، ما فوقه هواء ، وما تحته هواء ، ثم خلق عرشه على الماء .(١)

١٧٩٨٢ – حدثنا خلاد بن أسلم قال أخبرنا النضر بن شميل قال، أخبرنا المسعودي قال، أخبرنا جامع بن شداد ، عن صفوان بن محرز، عن ابن حصين ، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أتى قومٌ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فدخلوا عليه ، فجعل يبشِّرهم ، ويقولون : أعطنا ! حتى ساء ذلك رسول الله ، ثم خرجوا من عنده . وجاء قوم آخرون فدخلوا عليه ، فقالوا : جئنا نسلّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونتفقه في الدين ، ونسأله عن بدء هذا الأمر ؟ قال : فاقبلوا البُشْرى إذ لم يقبلها أولئك الذين خرجوا ! قالوا : قبلنا ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان الله ولا شيء غيره ، وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر قبل كل شيء ، ثم خلق سبع سموات ، ثم أتاني آت فقال : تلك ناقتك قد ذهبت ، فخرجتُ ينقَطِع دونها السَّراب ،(٢)

ورواه أحمد في مسنده ٤ : ١١ من طريق يزيد بن هرون عن حماد، وص: ١٢ من طريق بهز ، عن حماد .

ورواه الترمذي في التفسير ، من طريق يزيد بن هرون ، وقال : « هذا حديث حسن » .

ورواه ابن ماجة في سننه ١ : ٦٤ ، رقم : ١٨٢ ، من طريق يزيد .

انظر الأثر التالي رقم : ١٧٩٨١ .

(١) الأثر : ١٧٩٨١ – هو مكرر الأثر السالف ، ومضى تخريجه هناك .

« محمد بن هرون القطان الرازق » ، شيخ الطبري ، هكذا جاء في المخطوطة أيضاً ، ومثله في التاريخ بغير « الرازق » ، ولم أجد ذلك في الذي بين يدي من الكتب . وشيخ الطبري الذي مر مراراً هو « محمد بن هرون بن إبراهيم الربعي الحربي البزاز » ، « أبو نشيط » ، وجائز أن يكون وضع « القطان » مكان « البزاز » فهما متقاربان في المعنى . أما « الرازق » ، فهذا مشكل . إنما يقال له « الحربي » أو « الربعي » وقد مضى « أبو نشيط » برقم : ٩٥١١ ، ١٠٣٧١ ، ١٤٢٩٤ .

(٢) هكذا في المخطوطة : « ينقطع دونها السراب » ، وهو صواب ، ودليله رواية أحمد في مسنده « فإذا السراب ينقطع بيني وبينها » ، بمعنى « ينتهي » ، كما يقال : « منقطع الوادي أو الرمل » ، حيث

ولوددتُ أنّي تركتها .(١)

١٧٩٨٣ – حدثنا محمد بن منصور قال، حدثنا إسحق بن سليمان قال، حدثنا عمرو بن أبي قيس، عن ابن أبي ليلى، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس في قوله : « وكان عرشه على الماء » ، قال : كان عرش الله على الماء، ثم اتخذ لنفسه جنّةً، ثم اتخذ دونها أخرى، ثم أطبقهما بلؤلؤة واحدة قال : ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ ، [سورة الرحمن : ٦٢] . قال : وهي التي

ينتهي إليه طرفه . يريد : ينتهي الطرف إلى منتهى السراب من قبل بصره ، فهو لا يراها . وروى صاحب اللسان حديث أبي ذر « فإذا هي يقطع دونها السراب » (بضم الياء وفتح القاف وتشديد الطاء) ، وقال : أي تسرع إسراعاً كثيراً تقدمت به وفاتت ، حتى إن السراب يظهر دونها ، أي من ورائها ، لبعدها في البر .

أما الحافظ ابن حجر في شرح حديث عمران بن حصين هذا ، فقد شرح رواية البخاري وهي « فإذا هي يقطع دونها السراب » وقال : يقطع ، بفتح أوله ، أي : يحول بيني وبين رؤيتها السراب » ، (الفتح ٦ : ٢٠٧) .

(١) الأثر : ١٧٩٨٢ – « خلاد بن أسلم » ، « أبو بكر الصفار » ، شيخ الطبري ، مضى برقم : ٣٠٠٤ ، ١١٥١٢ .

و « النضر بن شميل المازني النحوي » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ١١٥١٢ ، ١٦٧٦٧ .

و « المسعودي » ، هو « عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة » ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٥٣٤٩ .

و « جامع بن شداد المحاربي » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ٨٢٨٩ .

و « صفوان بن محرز بن زياد المازني » ، ثقة ، روى له الخمسة . مضى برقم : ٦٤٩٦ ، ١٢٨٦٦

و « ابن حصين » ، هو « عمران بن حصين الخزاعي » ، صحابي .

وهذا الخبر رواه الطبري في تاريخه ١ : ١٩ ، بهذا الإسناد نفسه .

ورواه البخاري مطولا من طريق الأعمش ، عن جامع بن شداد ، ورواه مختصراً من طريق سفيان ، عن جامع بن شداد (الفتح ٦ : ٢٠٥ – ٢٠٧) ، ومن طريق سفيان (الفتح ٨ : ٧٦) .

ورواه أحمد في مسنده من طرق ، من طريق سفيان عن جامع مختصراً (٤ : ٤٢٦ ، ٤٣٦) ومن طريق الأعمش ، عن جامع مطولا (٤ : ٤٣١ ، ٤٣٢) وهو إسناد البخاري بنحو لفظه .

وروايته من هذه الطرق الصحاح ، تقيم رواية المسعودي ، لأن « المسعودي » قد تكلموا فيه ، وأنه اختلط بأخرة ، والمرضي من حديثه ما سمعه القدماء منه . وكأن « النضر بن شميل » ممن روى عنه قديماً .

وقد رواه الحاكم في المستدرك ٢ : ٣٤١ من طريق روح بن عبادة عن المسعودي نفسه ، عن جامع بن شداد ، عن صفوان بن محرز ، عن بريدة الأسلمي الصحابي ، بلفظه وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي. ولا أدري متى سمع روح بن عبادة من المسعودي . فإن الاختلاف في « بريدة » و « عمران بن حصين » ، يحتاج إلى فضل تحقيق .

﴿ لَا تَعْلَمُ نَفْسٌ ﴾ = أو قال : وهما التى لا تعلم نفس = ﴿ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ، [سورة السجدة : ١٧] . قال : وهى التى لا تعلم الخلائق ما فيها = أو : ما فيهما = يأتيهم كل يوم منها = أو : منهما = تحفة .

١٧٩٨٤ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير قال : سئل ابن عباس عن قول الله : « وكان عرشه على الماء » ، قال : على أى شىء كان الماء ؟ قال : على متن الريح .(١)

١٧٩٨٥ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير قال : سُئل ابن عباس عن قوله : « وكان عرشه على الماء » ، على أى شىء كان الماء ؟ قال : على متن الريح .(٢)

١٧٩٨٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، مثله .(٣)

١٧٩٨٧ — . . . . قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا مبشّر الحلبى ، عن أرطاة بن المنذر ، قال : سمعت ضمرة يقول : إن الله كان عرشه على الماء ، وخلق السموات والأرض بالحق ، وخلق القلم فكتب به ما هو خالق وما هو كائن من خلقه ، ثم إن ذلك الكتاب سبّح الله ومجّده ألف عام قبل أن يخلق شيئاً من الخلق .(٤) ٥/١٢

---

(١) الأثر : ١٧٩٨٤ — رواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٣٤١ ، من طريق الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » ووافقه الذهبى .

وسيأتى فى الذى يليه من طريق الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، بلا واسطة . والأعمش يروى عن سعيد ابن جبير .

ورواه الطبرى فى تاريخه من هذه الطريق نفسها ١ : ٢٠ ، ٢١ .

(٢) الأثر : ١٧٩٨٥ — هو مكرر الأثر السالف ، من طريق الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، بلا واسطة ، ورواه بها الطبرى فى تاريخه ١ : ٢١ .

(٣) الأثر : ١٩٧٨٦ — مكرر الأثرين السالفين ، ورواه الطبرى فى تاريخه منها ١ : ٢١ .

(٤) الأثر : ١٧٩٨٧ — « مبشر الحلبى » ، هو « مبشر بن إسماعيل الحلبى » ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ١٧٠٠١ ، وكان فى المطبوعة : « ميسر » ، وهو خطأ .

١٧٩٨٨ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا إسمعيل بن عبد الكريم قال ، حدثني عبد الصمد بن معقل قال : سمعت وهب بن منبه يقول : إن العرش كان قبل أن يخلق الله السموات والأرض ، ثم قبض من صَفاة الماء [قبضة] ، (١) ثم فتح القبضة فارتفع دخاناً ، (٢) ثم قضاهُنّ سبع سموات في يومين . ثم أخذ طينة من الماء فوضعها مكان البيت ، ثم دحا الأرض منها ، ثم خلق الأقوات في يومين ، والسموات في يومين ، وخلق الأرض في يومين ، ثم فرغ من آخر الخلق يوم السابع . (٣)

* * *

وقوله : « ليبلوكم أيكم أحسن عملاً » ، يقول : تعالى ذكره : وهو الذي خلق السموات والأرض ، أيها الناس ، وخلقكم في سته أيام = « ليبلوكم » ، يقول : ليختبركم (٤) = « أيكم أحسن عملاً » ، يقول : أيكم أحسن له طاعة ، كما : –

١٧٩٨٩ – حدّثنا عن داود بن المحبر قال ، حدثنا عبد الواحد بن زيد ، عن كليب بن وائل ، عن عبد الله بن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه تلا

و « أرطاة بن المنذر السكوني » ، ثقة ، من أتباع التابعين ، مترجم في التهذيب ، والكبير ١/٢/٥٨ وابن أبي حاتم ١/١/٣٢٦ .

و « ضمرة بن حبيب بن صهيب الزبيدي » ثقة . مترجم في التهذيب ، والكبير ٢/٢/٣٣٨ ، وابن أبي حاتم ٢/١/٤٦٧ .

وهذا الخبر رواه أبو جعفر في تاريخه ١ : ٢١ من هذه الطريق نفسها .

(١) في المطبوعة : « ثم قبض قبضة من صفاء الماء » ، لم يحسن قراءة ما في المخطوطة ، فغيرها . وزدت « قبضة » بين قوسين ، من رواية هذا الخبر ، بغير هذا الإسناد ، في تاريخ الطبري .

و « صفاة الماء » ، كأنه عنى بها « الزبدة البيضاء » المذكورة في الأثر رقم : ٢٠٤٤ ، ٧٤٢٨ ، وفي الدر المنثور ٣ : ٣٢٢ ، من حديث الربيع بن أنس : « كان عرشه على الماء ، فلما خلق السموات والأرض ، قسم ذلك الماء قسمين ، فجعل صفاء (صفاة) تحت العرش ، وهو البحر المسجور ، فلا تقطر منه قطرة حتى ينفخ في الصور ، فينزل منه مثل الطل ، وتنبت منه الأجسام » .

(٢) في المطبوعة : « فارتفع دخان » ، وفي تاريخ الطبري : « فارتفعت دخاناً » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٣) الأثر : ١٧٩٨٨ – رواه الطبري في تاريخه ١ : ٢٠ من طريق محمد بن سهل بن عسكر ، عن إسماعيل بن عبد الكريم ، مختصراً .

(٤) انظر تفسير « البلاء » فيما سلف ١٣ : ٤٤٨ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

هذه الآية : « ليبلوكم أيكم أحسن عملاً » ، قال : أيكم أحسن عقلاً ، وأورع عن محارم الله ، وأسرع فى طاعة الله ؟ (١)

١٧٩٩٠ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « ليبلوكم أيكم أحسن عملاً » ، يعنى الثقلين .

* * *

وقوله : « ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين » ، يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولئن قلت لهؤلاء المشركين من قومك : إنكم مبعوثون أحياءً من بعد مماتكم ! فتلوت عليهم بذلك تنزيلى ووحيى = « ليقولن إن هذا إلا سحر مبين » ، أى : ما هذا الذى تتلوه علينا مما تقول ، إلا سحر مبينٌ لسامعه عن حقيقته أنه سحر . (٢)

* * *

وهذا على تأويل من قرأ ذلك : ﴿ إِنْ هٰذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ .

* * *

---

(١) الأثر : ١٧٩٨٩ – « داود بن المحبر الطائى الثقفى » ، صاحب « كتاب العقل » ، شبه لا شىء ، كان لا يدرى ما الحديث ، هكذا قال أحمد بن حنبل . وهو ضعيف صاحب مناكير ، وذكروا كتاب العقل ، فقال الدارقطنى : « كتاب العقل ، وضعه أربعة ، أولهم ميسرة بن عبد ربه ، ثم سرقه منه داود بن المحبر ، فركبه بأسانيد غير أسانيد ميسرة . وسرقه عبد العزيز بن أبى رجاء ، فركبه بأسانيد أخر . ثم سرقه سليمان بن عيسى السجزى ، فأتى بأسانيد أخر » . وقال الحاكم : « حدثونا عن الحارث بن أبى أسامة عنه بكتاب العقل ، وأكثر ما أودع فى ذلك الكتاب من الحديث الموضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم » . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢ / ١ / ٢٢٣ ، وابن أبى حاتم ١ / ٢ / ٤٢٤ .

و « عبد الواحد بن زيد البصرى » ، القاص ، شيخ الصوفية منكر الحديث ، ضعيف بمرة ، مترجم فى تعجيل المنفعة ص : ٢٦٦ ، وميزان الاعتدال ٢ : ١٥٧ ، وابن أبى حاتم ٣ / ١ / ٢٠ .

و « كليب بن وائل بن هبار التيمى اليشكرى » ، روى عن ابن عمر . ثقة ، وضعفه أبو زرعة ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤ / ١ / ٢٢٩ ، وابن أبى حاتم ٣ / ٢ / ١٦٧ .

فهذا حديث ضعيف بمرة ، ولا أصل له .

(٢) فى المطبوعة : « إلا سحر لسامعه مبين حقيقته أنه سحر » ، وفى المخطوطة : « إلا سحر لسامعه عن حقيقته أنه سحر » ، وبين « سحر » و « لسامعه » حرف « ط » دلالة على الخطأ . وصواب العبارة ما أثبته إن شاء الله .

وانظر تفسير « السحر » فيما سلف ص : ١٥٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

= وتفسير « مبين » فيما سلف من فهارس اللغة (بين) .

وأما من قرأ : ﴿ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سَاحِرٌ مُبِينٌ ﴾ ، فإنه يوجّه الخبر بذلك عنهم إلى أنهم وَصَفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه فيما أتاهم به من ذلك ساحرٌ مبين .

* * *

قال أبو جعفر : وقد بينا الصواب من القراءة فى ذلك فى نظائره ، فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته ههنا .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره ، ولئن أخرنا عن هؤلاء المشركين من قومك ، يا محمد ، العذابَ فلم نعجله لهم ، وأنسأنا فى آجالهم = « إلى أمة معدودة » ، ووقت محدود ، وسنين معلومة .

* * *

وأصل « الأمة » ما قد بينا فيما مضى من كتابنا هذا ، أنها الجماعة من الناس تجتمع على مذهب ودين ، ثم تستعمل فى معان كثيرة ترجع إلى معنى الأصل الذى ذكرت .[2] وإنما قيل للسنين « المعدودة » والحين ، فى هذا الموضع ونحوه : « أمة » ، لأن فيها تكون الأمة .[3]

* * *

وإنما معنى الكلام : ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى مجىء أمة وانقراض أخرى قبلها .

* * *

---

(١) انظر ما سلف ١١ : ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٦٥ .

(٢) انظر تفسير « الأمة » فيما سلف ١٣ : ٢٨٥ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « معدودة » فيما سلف ٣ : ٤١٧/٤ : ٢٠٨ ، وما بعدها .

وبنحو الذى قلنا من أن معنى « الأمة » ، فى هذا الموضع ، الأجل والحين ، قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٧٩٩١ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن = وحدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو نعيم = قال ، حدثنا سفيان الثورى ، عن عاصم ، عن أبى رزين ، عن ابن عباس =

١٧٩٩٢ — وحدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن عاصم ، عن أبى رزين ، عن ابن عباس : « ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة » ، قال : إلى أجل محدود .

١٧٩٩٣ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن أبى رزين ، عن ابن عباس ، بمثله .

١٧٩٩٤ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « إلى أمة معدودة » ، قال : أجل معدود .

١٧٩٩٥ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : إلى أجل معدود .

١٧٩٩٦ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « إلى أمة معدودة » ، قال : إلى حين .

١٧٩٩٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٧٩٩٨ — . . . . قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٧٩٩٩ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة » ، يقول : أمسكنا

عنهم العذاب = « إلى أمة معدودة » ، قال ابن جريج ، قال مجاهد : إلى حين .

٦/١٢ ١٨٠٠٠ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة » ، يقول : إلى أجل معلوم .[1]

* * *

وقوله : « ليقولن ما يحبسه » ، يقول : « ليقولن » ، هؤلاء المشركون = « ما يحبسه » ، أيُّ شيء يمنعه من تعجيل العذاب الذي يتوعّدنا به ؟[2] تكذيباً منهم به ، وظنًّا منهم أن ذلك إنّما أخر عنهم لكذب المتوعّد ، كما : –

١٨٠٠٢ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال قوله : « ليقولن ما يحبسه »، قال : للتكذيب به، أو أنه ليس بشيء .

* * *

وقوله : « ألا يوم يأتيهم ليس مصروفًا عنهم » ، يقول تعالى ذكره، تحقيقًا لوعيده ، وتصحيحًا لخبره : « ألا يوم يأتيهم » ، العذابُ الذي يكذبون به = « ليس مصروفًا عنهم » ، يقول : ليس يصرفه عنهم صارف ، ولا يدفعه عنهم دافع ، ولكنه يحلّ بهم فيهلكهم[3] = « وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون » ، يقول : ونزل بهم وأصابهم الذي كانوا به يسخرون من عذاب الله .[4] وكان استهزاؤهم به الذي ذكره الله، قيلهم قبل نزوله : «ما يحبسه »، و«هلا تأتينا به »؟[5]

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك كان بعض أهل التأويل يقول .

---

(١) تجاوزت في الترقيم رقم : ١٨٠٠١ ، سهواً .

(٢) انظر تفسير « الحبس » فيما سلف ١١ : ١٧٢ .

(٣) انظر تفسير « الصرف » فيما سلف ١١ : ١٣/٢٨٦ : ١٤/١١٢ : ١٥/٥٨٢ : ٨٤

(٤) انظر تفسير « حاق » فيما سلف ١١ : ٢٧٢ .
= وتفسير « الاستهزاء » فيما سلف من فهارس اللغة (هزأ)

(٥) في المطبوعة : « نقلا بأنبيائه » ، وهذا خلط لا معنى له . وفي المخطوطة : « ودعلا بانسانه » ، والكلمة الأولى سيئة الكتابة ، وسائر الحروف غير منقوطة ، وهذا صواب قراءتها إن شاء الله .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٠٠٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون » ، قال : ما جاءت به أنبياؤهم من الحق .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴾ (٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولئن أذقنا الإنسان منّا رخاءً وسعةً في الرزق والعيش، فبسطنا عليه من الدنيا[١] = وهي « الرحمة » التي ذكرها تعالى ذكره في هذا الموضع = « ثم نزعناها منه » ، يقول : ثم سلبناه ذلك ، فأصابته مصائب أجاحته فذهبت به[٢] = « إنه ليؤوس كفور »، يقول: يظل قَنِطًا من رحمة الله ، آيسًا من الخير .

* * *

وقوله : « يؤوس » ، «فعول»، من قول القائل: « يئس فلان من كذا، فهو يؤوس » ، إذا كان ذلك صفة له .[٣]

وقوله : « كفور » ، « يقول » : هو كفُور لمن أنعم عليه ، قليل الشكر لربّه المتفضل عليه بما كان وَهَبَ له من نعمته .[٤]

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

---

(١) انظر تفسير « الذوق » فيما سلف ص: ١٤٦ ، تعليق : ٦ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « النزع » فيما سلف ١٢ : ١٣/٤٣٧ : ١٧ .
(٣) انظر تفسير « اليأس » فيما سلف ٩ : ٥١٦ .
(٤) انظر تفسير « الكفر » فيما سلف من فهارس اللغة (كفر) .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٠٠٤ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤوس كفور » . قال : يا ابن آدم ، إذا كانت بك نعمة من الله من السعة والأمن والعافية ، فكفور لما بك منها . وإذا نزعت منك نبتغي قَدْعك وعقلك ،[1] فيؤوس من روح الله قنوطٌ من رحمته . كذلك المرء المنافق والكافر .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ (١٠) إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (١١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولئن نحن بسطنا للإنسان في دنياه ، ورزقناه رخاءً في عيشه ، ووسعنا عليه في رزقه ، وذلك هي النِّعم التي قال الله جل ثناؤه : « ولئن أذقناه نعماء »[2] = وقوله : « بعد ضراء مسته » ، يقول : بعد ضيق من العيش كان فيه ، وعسرة كان يعالجها[3] = « ليقولنّ ذهب السيئات عني » ، يقول تعالى ذكره : ليقولنّ عند ذلك : ذهب الضيق والعسرة عني ، وزالت الشدائد والمكاره = « إنه لفرح فخور » ، يقول تعالى ذكره : إن الإنسان لفرح بالنعم

---

(١) في المطبوعة : « يبتغي لك فراغك ، فيؤوس . . . » ، غير ما في المخطوطة ، وكان فيها هكذا : « نسعى فرعك وعقلك فيؤوس . . . » ، وصواب قراءتها ما أثبت . و « القدع » : الكف والمنع .

(٢) انظر تفسير « النعماء » فيما سلف من فهارس اللغة (نعم) .

(٣) انظر تفسير « المس » فيما سلف ص : ٢١٩ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « الضراء » فيما سلف ص : ٤٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

التى يعطاها ، مسرور بها[١] = « فخور » ، يقول : ذو فخر بما نال من السعة فى الدنيا ، وما بسط له فيها من العيش ،[٢] وينسى صُرُوفها ، ونكدَ العوَائص فيها ،[٣] ويدع طلب النعيم الذى يبقى ، والسرور الذى يدوم فلا يزول .

١٨٠٠٥ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « ذهب السيئات عنى » ، غِرَّةً بالله وجراءة عليه = « إنه لفرح » ، والله لا يحب الفرحين = « فخور » ، بعد ما أعطى ، وهو لا يشكر الله .

* * *

ثم استثنى جل ثناؤه من الإنسان الذى وصفه بهاتين الصفتين : « الذين صبروا وعملوا الصالحات » ، وإنما جاز استثناؤهم منه ، لأن « الإنسان » ، بمعنى الجنس ، ومعنى الجمع ، وهو كقوله : ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ، [سورة العصر : ١ — ٣] ،[٤] فقال تعالى ذكره : « إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات » ، فإنهم إن تأتهم شدّة من الدنيا وعسرة فيها ، لم يثنهم ذلك عن طاعة الله ، ولكنهم صبروا لأمره وقضائه . فإن نالوا فيها رخاء وسعةً ، شكروه ٧/١٢ وأدّوا حقوقه بما آتاهم منها . يقول الله : « أولئك لهم مغفرة » ، يغفرها لهم ، ولا يفضحهم بها فى معادهم = « وأجر كبير » ، يقول : ولهم من الله مع مغفرة ذنوبهم ، ثوابٌ على أعمالهم الصالحة التى عملوها فى دار الدنيا ، جزيلٌ ، وجزاءٌ عظيم .

١٨٠٠٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « إلا الذين صبروا » عند البلاء = « وعملوا الصالحات » ، عند النعمة

---

(١) انظر تفسير « فرح » فيما سلف ١٤ : ٢٨٩ .

(٢) انظر تفسير « فخور » فيما سلف ٨ : ٣٥٠ .

(٣) فى المطبوعة : « نكد العوارض » ، غير ما فى المخطوطة ، و « العوائص » جمع « عائص » أو « عائصة » ، ومثله « العوصاء » ، وكله معناه : الشدة والعسر والحاجة .

(٤) انظر معانى القرآن للفراء فى تفسير الآية . ومن هنا سأرجع إلى النسخة المخطوطة من معانى القرآن ، لأن بقية الكتاب لم تطبع بعد . والنسخة التى أرجع إليها هى المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم : ب ٢٤٩٨٦ ، مصورة عن نسخة مكتبة « بغدادلى وهبى » بالمكتبة السليمانية ، بالآستانة .

= « أولئك لهم مغفرة » ، لذنوبهم = « وأجر كبير » ، قال : الجنة .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (١٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فلعلك، يا محمد ، تارك بعض ما يوحى إليك ربك أن تبلغه من أمرك بتبليغه ذلك ، وضائقٌ بما يوحى إليك صدرُك، فلا تبلغه إياهم ، مخافة أن يقولوا : « لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك» ، له مصدّق بأنه لله رسولٌ ! يقول تعالى ذكره: فبلغهم ما أوحيته إليك، فإنك إنما أنت نذير تُنْذرهم عقابى ، وتحذرهم بأسى على كفرهم بى ، وإنما الآيات التى يسألونكها عندى وفى سلطانى ، أنزلها إذا شئت ، وليس عليك ، إلا البلاغ والإنذار = « والله على كل شىء وكيل » ، يقول : والله القيم بكل شىء ، وبيده تدبيره ، فانفذ لما أمرتك به ، ولا تمنعك مسألتهم إياك الآيات من تبليغهم وحيي ، والنفوذ لأمرى .(١)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال بعض أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٠٠٧ - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : قال الله لنبيه : فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك

---

(١) انظر تفسير ألفاظ هذه الآية فيما سلف من فهارس اللغة .

أن تفعل فيه ما أمرت ، وتدعو إليه كما أرسلت . قالوا : « لولا أنزل عليه كنز » ، لا نرى معه مالاً ! أين المال ؟= « أو جاء معه ملك » ينذر معه ؟ =« إنما أنت نذير » ، فبلغ ما أمرت .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (١٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : كفاك حجة على حقيقة ما أتيتهم به ، ودلالةً على صحة نبوّتك، هذا القرآن، من سائر الآيات غيره ، إذ كانت الآيات إنما تكون لمن أعطيها دلالةً على صدقه ، لعجز جميع الخلق عن أن يأتوا بمثلها. وهذا القرآن، جميع الخلق عَجَزَةٌ عن أن يأتوا بمثله ،[1] فإن هم قالوا « افتريته » ، أى : اختلقته وتكذّبته .[2]

* * *

= ودلّ على أن معنى الكلام ما ذكرنا، قوله : « أم يقولون افتراه » إلى آخر الآية . ويعنى تعالى ذكره بقوله : « أم يقولون افتراه » ، أى : أيقولون افتراه ؟

* * *

وقد دللنا على سبب إدخال العرب « أم » فى مثل هذا الموضع .[3]

* * *

=فقل لهم يأتوا بعشر سُور مثل هذا القرآن =« مفتريات » ، يعنى : مفتعلات مختلقات ، إن كان ما أتيتكم به من هذا القرآن مفترىً ، وليس بآية معجزة

(١) فى المطبوعة : « جميع الخلق عجزت » ، غير ما فى المخطوطة ، فأفسد الكلام إفساداً .

(٢) انظر تفسير « الافتراء » فيما سلف من فهارس اللغة (فرى) .

(٣) انظر تفسير « أم » فيما سلف ٢ : ٣/٤٩٢ : ٩٧/ ثم ١٤ : ١٦٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

كسائر ما سُئلته من الآيات ، كالكنز الذى قلتم هلاّ أنزل عليه ؟ أو الملك الذى قلتم : هلاّ جاء معه نذيرًا له مصدقًا ؟ فإنكم قومى ، وأنتم من أهل لسانى ، وأنا رجل منكم ، ومحالٌ أن أقدر أخلق وحدى مئة سورة وأربع عشرة سورة ، ولا تقدروا بأجمعكم أن تفتروا وتختلقوا عشر سور مثلها ، ولا سيما إذا استعنتم فى ذلك بمن شئتم من الخلق .

يقول جل ثناؤه ، قل لهم : وادعوا من استطعتم أن تدعوهم من دون الله = يعنى سوى الله = لافتراء ذلك واختلاقه من الآلهة . فإن أنتم لم تقدروا على أن تفتروا عشر سور مثله ، فقد تبين لكم أنكم كذبةٌ فى قولكم : « افتراه » ، وصحّت عندكم حقيقة ما أتيتكم به أنه من عند الله . ولم يكن لكم أن تتخيروا الآيات على ربكم ، وقد جاءكم من الحجة على حقيقة ما تكذبون به أنه من عند الله ، مثل الذى تسألون من الحجة ، وترغبون أنكم تصدّقون بمجيئها .

* * *

وقوله : « إن كنتم صادقين » ، لقوله : « فأتوا بعشر سور مثله » ، وإنما هو : قل : فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، إن كنتم صادقين أن هذا القرآن افتراه محمد = وادعوا من استطعتم من دون الله على ذلك ، من الآلهة والأنداد .

١٨٠٠٨ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « أم يقولون افتراه » ، قد قالوه = « قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات » ، وادعوا شهداءكم ، قال : يشهدون أنها مثله = هكذا قال القاسم فى حديثه .(١)

* * *

(١) يعنى أنه قال : « وادعوا شهداءكم » ، وإن لم يكن ذلك فى هذه الآية ، بل هو فى غيرها ، وهى آية سورة البقرة : ٢٣ :

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (١٤) ٨/١٢

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه : قل ، يا محمد ، لهؤلاء المشركين : فإن لم يستجب لكمْ من تدعون من دون الله إلى أنْ يأتوا بعشر سورٍ مثل هذا القرآن مفتريات ، ولم تطيقوا أنتم وهم أن تأتوا بذلك ، فاعلموا وأيقنوا أنه إنما أنزل من السماء على محمد صلى الله عليه وسلم بعلم الله وإذنه، وأن محمدًا لم يفتره، ولا يقدر أن يفتريه = « وأن لا إله إلاّ هو » ، يقول : وأيقنوا أيضًا أن لا معبود يستحق الألوهة على الخلق إلا الله الذى له الخلق والأمر ، فاخلعوا الأنداد والآلهة ، وأفردوا له العبادة .

* * *

وقد قيل إن قوله : « فإن لم يستجيبوا لكم » ، خطاب من الله لنبيه ، كأنه قال : فإن لم يستجب لك هؤلاء الكفار، يا محمد ، فاعلموا، أيها المشركون ، أنما أنزل بعلم الله = وذلك تأويل بعيدٌ من المفهوم .

* * *

وقوله : « فهل أنتم مسلمون » ، يقول : فهل أنتم مذعنون لله بالطاعة ، ومخلصون له العبادة ، بعد ثبوت الحجة عليكم ؟

* * *

وكان مجاهد يقول : عنى بهذا القول أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .

١٨٠٠٩ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فهل أنتم مسلمون » ، قال : لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .

١٨٠١٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال =

١٨٠١٠ م — وحدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون » ، قال : لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .

١٨٠١١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

وقيل : « فإن لم يستجيبوا لكم » ، والخطاب في أول الكلام قد جرى لواحدٍ ، وذلك قوله : « قل فأتوا » ، ولم يقل : « فإن لم يستجيبوا لك » ، على نحو ما قد بينا قبلُ في خطاب رئيس القوم وصاحب أمرهم ، أن العرب تخرج خطابه أحياناً مخرج خطاب الجمع ، إذ كانَ خطابه خطاباً لأتباعه وجنده ، وأحياناً مخرج خطاب الواحد، إذ كان في نفسه واحداً .[1]

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ (١٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: من كان يريد بعمله الحياة الدنيا، وإيّاها وزينتها يطلب به ،[2] نوفّ إليهم أجور أعمالهم فيها وثوابها [3] = « وهم فيها » ، يقول: وهم في الدنيا =« لا يبخسون » ، يقول: لا ينقصون أجرها، ولكنهم يوفونه فيها .[4]

* * *

(١) انظر ما سلف ١٢ : ٢٩٨ ، ٥٤٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) في المطبوعة : « وأثاثها وزينتها يطلب به » ، فأفسد الكلام وضامه ، وهو في المخطوطة على الصواب كما أثبته .

(٣) انظر تفسير « الزينة » فيما سلف ص : ١٧٧ ، تعليق : ٢ ، ٥ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « التوفية » فيما سلف من فهارس اللغة (وفى) .

(٤) انظر تفسير « البخس » فيما سلف ٦ : ١٢/٥٦ : ٥٥٥ .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٠١٢ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال، حدثنى أبى ،عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها » ، الآية، وهى ما يعطيهم الله من الدنيا بحسناتهم ، وذلك أنهم لا يظلمون نقيرًا . يقول : من عمل صالحًا التماس الدنيا، صومًا أو صلاةً أو تهجداً بالليل ، لا يعمله إلا لالتماس الدنيا ، يقول الله : أوفّيه الذى التمس فى الدنيا من المثابة ، وحبط عمله الذى كان يعملُ التماس الدنيا ، وهو فى الآخرة من الخاسرين .

١٨٠١٣ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن سعيد ابن جبير : « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفّ إليهم أعمالهم فيها » ، قال : ثوابَ ما عملوا فى الدنيا من خير أعطوه فى الدنيا ، وليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ما صَنعَوا فيها .

١٠٨١٤ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن سعيد ابن جبير قوله : « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفّ إليهم أعمالهم فيها» ، قال : وَزْنَ ما عملوا من خير أعطوا فى الدنيا ،[1] وليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها . قال : هى مثل الآية التى فى الروم : ﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِباً لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلاَ يَرْبُوا عِنْدَ اللهِ ﴾ ، [سورة الروم: ٣٩] .

١٨٠١٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن سفيان، عن منصور ، عن سعيد بن جبير : « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها » ، قال : من عمل للدنيا ، وُفِّيَهُ فى الدنيا .

---

(١) فى المطبوعة : « وربما عملوا من خير أعطوه فى الدنيا » ، وهو كلام ملتو لا معنى له . وفى المخطوطة ما أثبته ، إلا أن فيه « ورب ما عملوا » غير منقوطة ، وصواب قراءتها ما أثبت .

١٨٠١٦ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها » ، قال : من عمل عملاً مما أمر الله به ، من صلاة أو صدقة ، لا يريد بها وجهَ الله ، أعطاه الله في الدنيا ثوابَ ذلك مثلَ ما أنفق ، فذلك قوله : « نوفِّ إليهم أعمالهم فيها » ، في الدنيا = « وهم فيها لا يبخسون » ، أجر ما عملوا فيها = « أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها » ، الآية . ٩/١٢

١٨٠١٧ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري ، عن عيسى = يعني ابن ميمون = عن مجاهد في قوله : « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها » ، قال : ممن لا يقبل منه ، جُوزِي به ، يُعطَى ثوابَه .

١٨٠١٨ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن عيسى الجرشي ، عن مجاهد : « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها » ، قال : ممن لا يقبل منه ، يعجّل له في الدنيا .[1]

١٨٠١٩ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفِّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون » ، أي : لا يظلمون . يقول : من كانت الدنيا همَّه وسَدَمه ،[2] وطَلِبته ونيّته ، جازاه الله بحسناته في الدنيا ، ثم يفضي إلى الآخرة ، وليس له حسنة يعطى بها جزاءً . وأما المؤمن ، فيجازى بحسناته في الدنيا ، ويثاب عليها في الآخرة = « وهم فيها لا يبخسون » ، أي : في الآخرة لا يظلمون .

١٨٠٢٠ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور = وحدثنا

---

(١) الأثر : ١٨٠١٨ – « عيسى الجرشي » ، هو « عيسى بن ميمون الجرشي المكي » ، المذكور في الخبر السالف ، ومضى قبل مرات ، آخرها رقم : ١٤٦٧٧ .

(٢) « السدم » (بفتحتين) : الولوع بالشيء واللهج به ، والغم بطلبه ، والندم على فوته ، وفي الحديث :

« مَنْ كانت الدنيا همَّه وسَدَمَه ، جَعَل اللهُ فَقْرَه بين عينيه » .

الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق = جميعًا ، عن معمر ، عن قتادة : « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها » ، الآية ، قال : من كان إنما همّته الدنيا ، إياها يطلب ، أعطاه الله مالاً ، وأعطاه فيها ما يعيش ، وكان ذلك قِصاصًا له بعمله = « وهم فيها لا يبخسون » ، قال : لا يظلمون .

١٨٠٢١ — . . . . قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ليث ابن أبي سليم ، عن محمد بن كعب القرظي : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من أحسن من محسن ، فقد وقع أجره على الله في عاجل الدنيا وآجل الآخرة .(١)

١٨٠٢٢ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها » ، الآية ، يقول : من عمل عملاً صالحًا في غير تقوى = يعني : من أهل الشرك = أعطى على ذلك أجرًا في الدنيا : يصل رحمًا ، يعطي سائلاً ، يرحم مضطرًّا ، في نحو هذا من أعمال البرّ ، يعجل الله له ثواب عمله في الدنيا ، يُوسِّع عليه في المعيشة والرزق ، ويقرُّ عينه فيما خوّله ، ويدفع عنه من مكاره الدنيا ، في نحو هذا ، وليسَ له في الآخرة من نصيب .

١٨٠٢٣ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا حفص بن عمر أبو عمر الضرير قال ، حدثنا همام ، عن قتادة ، عن أنس في قوله : « نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون » ، قال : هي في اليهود والنصارى .

١٨٠٢٤ — . . . . قال ، حدثنا حفص بن عمر قال ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن أبي رجاء الأزدي ، عن الحسن : « نوف إليهم أعمالهم فيها »، قال: طيباتهم .

١٨٠٢٥ — حدثني يعقوب قال ، حدثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، مثله .

---

(١) الأثر : ١٨٠٢١ — هذا خبر مرسل .

١٨٠٢٦ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن علية ، عن أبي رجاء، عن الحسن ، مثله .

١٨٠٢٧ – حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن وهيب : أنه بلغه أن مجاهداً كان يقول في هذه الآية : هم أهل الرياء، هم أهل الرياء.

١٨٠٢٨ – . . . . قال أخبرنا ابن المبارك ، عن حيوة بن شريح قال ، حدثني الوليد بن أبي الوليد أبو عثمان : أن عقبة بن مسلم حدثه : أنّ شُفَيّ بن ماتع الأصبحي حدثه : أنه دخل المدينة ، فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس ، فقال : من هذا ؟ فقالوا : أبو هريرة ! فدنوت منه حتى قعدت بين يديه ، وهو يحدّث الناس، فلما سكت وَخَلا ،(١) قلت : أنشدك بحقّ ، وبحقّ ،(٢) لما حدثتني حديثًا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم عَقَلته وعلمتَه . قال : فقال أبو هريرة : أفعل ، لأحدّثنك حديثًا حدثنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ! ثم نَشَغ نشغةً ،(٣) ثم أفاق فقال : لأحدثنك حديثًا حدّثنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا البيت ، ما فيه أحدٌ غيري وغيره ! ثم نشَغ أبو هريرة نشغةً شديدة ، ثم مال خارًّا على وجهه ، واشتدّ به طويلاً ، ثم أفاق فقال : حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة، نزل إلى القيامة ليقضي بينهم ،(٤) وكلُّ أمة جاثيةٌ . فأوّل من يدعى به، رجلٌ جمع القرآن ، ورجل قُتِل في سبيل الله ، ورجل كثير المال . فيقول الله للقارئ : ألم أعلمك

---

(١) في المطبوعة : « وخلى » ، والصواب ما أثبت ، كما في المخطوطة .

(٢) « بحق ، وبحق » هذا قسم عليه ، يريد : « بحق كذا ، وبحق كذا » ، وهو اختصار .

(٣) « نشغ الرجل» ، شهق حتى يكاد يبلغ به الغشي . قال أبو عبيد : « وإنما يفعل ذلك الإنسان شوقاً إلى صاحبه ، أو إلى شيء فائت ، وأسفاً عليه وحباً للقائه » .

(٤) هكذا في المخطوطة والمطبوعة : « نزل إلى القيامة » ، وأنا في شك منها شديد ، وأظن الصواب ما في رواية الترمذي :

« يَنزِل إلى العِبَاد لِيقضِيَ بينهم » .

ما أنزلتُ على رسولى ؟ قال : بلى ، يا رب ! قال : فماذا عملت فيما عُلِّمت ؟ قال : كنت أقوم آناء الليل وآناء النهار ! فيقول الله له : كذبت ! وتقول له الملائكة : كذبت ! ويقول الله له : بل أردت أن يقال : « فلان قارئ » ، فقد قيل ذلك ! ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له : ألم أوسِّع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد ؟ قال : بلى ، يا رب ! قال : فماذا عملت فيما آتيتك ؟ قال كنت أصل الرحم ، وأتصدَّق . فيقول الله له : كذبت ! وتقول له الملائكة : كذبت ! ويقول الله له : بل أردت أن يقال : « فلان جواد » ، فقد قيل ذلك ! ويؤتى بالذى قتل فى سبيل الله فيقال له : فيما ذا قُتلت ؟ فيقول : أمرت بالجهاد فى سبيلك فقاتلت حتى قتلت . فيقول الله له : كذبت ! وتقول له الملائكة : كذبت ! ويقول الله له : بل أردت أن يقال : « فلان جرىء » ، وقد قيل ذلك ! ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتى فقال : يا أبا هريرة ، أولئك الثلاثة أوّل خلق الله تُسَعَّر بهم النار يوم القيامة .(١)

١٠/١٢

= قال الوليد أبو عثمان : فأخبرنى عقبة أن شفيًّا هو الذى دخل على معاوية فأخبره بهذا .

قال أبو عثمان : وحدثنى العلاء بن أبى حكيم : أنه كان سيَّافًا لمعاوية ، قال : فدخل عليه رجل فحدّثه بهذا عن أبى هريرة ، فقال أبو هريرة : وقد فعل بهؤلاء هذا ، فكيف بمن بقى من الناس ! ثم بكى معاوية بكاءً شديدًا حتى ظننا أنه هلك ، وقلنا : [قد جاءنا] هذا الرجل بشرٌّ ! (٢) ثم أفاق معاوية ومسح عن وجهه فقال : صدق الله ورسوله : « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها » ، وقرأ إلى : « وباطل ما كانوا يعملون » .(٣)

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « تسعر لهم » ، والصواب ما أثبت من سنن الترمذى .

(٢) فى المطبوعة : « قلنا هذا الرجل شر » ، وهو فاسد جداً ، وفى المخطوطة مثله إلا أن فيها : « بشر » ، والصواب ما أثبته من سنن الترمذى ، ووضعت الزيادة بين القوسين .

(٣) الأثر : ١٨٠٢٨ — « ابن المبارك » ، هو « عبد الله بن المبارك » ، الإمام المشهور

١٨٠٢٩ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان ، عن عيسى بن ميمون ، عن مجاهد : « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها » ، الآية ، قال : ممن لا يتقبل منه ، يصوم ويصلي يريد به الدنيا ، ويدفع عنه هَمّ الآخرة[1] = « وهم فيها لا يبخسون » ، لا ينقصون .

* * *

و « حيوة بن شريح التجيبي المصرى » ، روى له الجماعة ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٦٣٨٢ .

و « الوليد بن أبي الوليد القرشي ، أبو عثمان » ، ثقة ، مضى برقم : ٥٤٥٥

و « عقبة بن مسلم التجيبي المصرى » ، تابعي ثقة ، مضى مراراً آخرها رقم : ١٣٢٤٠ ، ١٣٢٤١

و « شفي بن ماتع الأصبحي المصرى» ، تابعي ثقة ، من ثقات المصريين، كان عالماً حكيما . وعده ابن جرير الطبرى فى الصحابة ، ولا يكاد يثبت . مترجم فى التهذيب ، وابن سعد ٢٠١/٢/٧ ، والكبير ٢٦٧/٢/٢ ، وابن أبي حاتم ٣٨٩/١/٢ ، والإصابة فى ترجمته فى القسم الرابع من حرف الشين . وقال الحافظ ابن حجر : « وأورد حديثه بقى بن مخلد فى مسنده أيضاً . ولم أر له رواية عن صحابي إلا عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، وحديثه عنه فى السنن . وجزم بأنه تابعي ، وأن حديثه مرسل : البخارى وابن حبان ، وأبو حاتم الرازى ، وغيرهم » .

وهذا الخبر رواه الترمذى فى « كتاب الزهد » ، فى باب « الرياء والسمعة » ، وقال : « هذا حديث حسن غريب » ، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « فالترمذى إذا قال : حسن غريب ، قد يعنى به أنه غريب من ذلك الطريق ، لكن المتن له شواهد صار بها من جملة الحسن » ، قلت : وغرابة هذا الحديث ، رواية « شفي بن ماتع » ، عن « أبي هريرة » ، وشفي لا تعرف له رواية مشهورة ثانية إلا عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، وإن كانت روايته عن أبي هريرة حسنة ، على غرابتها ، لأنه خليق أن يروى عنه ، وخليق أن يلقاه مرة بالمدينة ، كما جاء فى هذا الخبر .

وقد رواه مختصراً ، النسائى فى سننه ٦ : ٢٣ ، من طريق أخرى ، عن محمد بن عبد الأعلى ، عن خالد ، عن ابن جريج ، عن يوسف بن يوسف ، عن سليمان بن يسار ، قال : تفرق الناس عن أبي هريرة ، فقال له قائل من أهل الشام ، أيها الشيخ ، حدثني حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الحديث = فكأن هذا القائل من أهل الشأم ، هو « شفي بن ماتع » ، وأنه كان بالشأم قبل أن يسكن مصر ، و « شفي » ، فى الطبقة الثانية من تابعي أهل مصر ، كما عده ابن سعد . و « سليمان بن يسار الهلالى » ، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، وسمع من أبي هريرة ، فكأن هذا القائل ، أو شفي بن ماتع ، كان يومئذ صغيراً وهو يسأل أبا هريرة بالمدينة ، وكأن خبر النسائى ، هو الشاهد من الحديث الصحيح الذى جعل الترمذى يصف الخبر الأول بأنه « حسن غريب » .

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « ويدفع عنه وهم الآخرة » ، ولا معنى له ، وأرجح أن الصواب ما أثبت.

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (١٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين ذكرت أنّا نوفيهم أجور أعمالهم فى الدنيا = « ليس لهم فى الآخرة إلا النار » ، يصلونها = « وحبط ما صنعوا فيها » ، يقول : وذهب ما عملوا فى الدنيا[1] = « وباطل ما كانوا يعملون » ، لأنهم كانوا يعملون لغير الله ، فأبطله الله وأحبط عامله أجره .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُوْلَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « أفمن كان على بينة من ربه » ، قد بين له دينه ، فتبينه[2] = « ويتلوه شاهد منه » .[3]

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : يعنى بقوله : « أفمن كان على بينة من ربه » ، محمداً صلى الله عليه وسلم .

---

(١) انظر تفسير « حبط » فيما سلف ١٤ : ٣٤٤ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « البينة » فيما سلف من فهارس اللغة (بين) .

(٣) انظر تفسير « يتلو » ، و « شاهد » فيما سلف من فهارس اللغة (تلا) ، (شهد) .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٠٣٠ – حدثني محمد بن خلف قال ، حدثنا حسين بن محمد قال ، حدثنا شيبان ، عن قتادة ، عن عروة ، عن محمد بن الحنفية قال : قلت لأبي : يا أبت ، أنت التالي في : « ويتلوه شاهده منه » ؟ قال : لا والله يا بني ، وددت أني كنت أنا هو ، ولكنه لسانُه .

١٨٠٣١ – حدثني يعقوب ، وابن وكيع قالا ، حدثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن : « ويتلوه شاهد منه » ، قال : لسانه .

١٨٠٣٢ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا ابن أبي عدي ، عن عوف ، عن الحسن في قوله : « ويتلوه شاهد منه » ، قال : لسانه .

١٨٠٣٣ – حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا الحكم بن عبد الله أبو النعمان العِجْلي قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، مثله .(١)

١٨٠٣٤ – حدثني علي بن الحسن الأزدي قال ، حدثنا المعافى بن عمران ، عن قرة بن خالد ، عن الحسن ، مثله .

١٨٠٣٥ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « أفمن كان على بينة من ربه » ، وهو محمد ، كان على بيّنة من ربه .

١٨٠٣٦ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن قوله : « ويتلوه شاهد منه » ، قال : لسانه .

١٨٠٣٧ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « ويتلوه شاهد منه » ، قال : لسانه هو الشاهد .

١٨٠٣٨ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن شعبة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، مثله .

---

(١) الأثر : ١٨٠٣٣ – « الحكم بن عبد الله » ، « أبو النعمان العجلي » ، ثقة ، مضى برقم : ١٧٠١٣ .

١٨٠٣٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا غندر، عن عوف، عن الحسن، مثله .

* * *

وقال آخرون : يعنى بقوله : « ويتلوه شاهد منه » ، محمد صلى الله عليه وسلم .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٠٤٠ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا ابن أبى عدى، عن عوف، عن سليمان العلاف، عن الحسن بن على فى قوله : « ويتلوه شاهد منه » ، قال: « الشاهد » ، محمد صلى الله عليه وسلم .[1]

١٨٠٤١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا غندر، عن عوف قال، حدثنى سليمان العلاف قال : بلغنى أن الحسن بن على قال : « ويتلوه شاهد منه » ، قال : محمد صلى الله عليه وسلم . ١١/١٢

١٨٠٤٢ – . . . . قال، حدثنا أبو أسامة، عن عوف، عن سليمان العلاف، سمع الحسَن بن على : « ويتلوه شاهد منه » ، يقول : محمد، هو الشاهد من الله .[2]

١٨٠٤٣ – حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال : أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه » ، قال :

---

(١) الأثر : ١٨٠٤٠ – « سليمان العلاف » ، مترجم فى الكبير ٣١/٢/٢ ، وابن أبى حاتم ١٥٣/١/٢ ، ولم يذكرا فيه جرحاً ، وقالا : إنه بلغه عن الحسن ، روى عنه عوف ، وقال البخارى : مرسل . وكأنه يعنى هذا الحديث، انظر الخبر التالى .

وكان فى المطبوعة والمخطوطة « عن الحسين بن على » ، وهو خطأ ، يدل عليه ما ذكرته ، وانظر الخبر التالى ، والذى يليه .

(٢) الأثران : ١٨٠٤١ ، ١٨٠٤٢ – « سليمان العلاف » ، انظر التعليق السالف .

وفى الأثرين « الحسين بن على » فى المخطوطة والمطبوعة ، والصواب ما أثبت كما مر بك فى التعليق على الأثر السالف .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان على بينة من ربه ، والقرآن يتلوه شاهدٌ أيضًا من الله ،[١] بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٨٠٤٤ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد : « أفمن كان على بينة من ربه » ، قال : النبي صلى الله عليه وسلم .

١٨٠٤٥ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن نضر بن عربي ، عن عكرمة ، مثله .

١٨٠٤٦ – . . . . قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، مثله .

١٨٠٤٧ – حدثنا الحارث قال ، حدثنا أبو خالد ، سمعت سفيان يقول : « أفمن كان على بينة من ربه » ، قال : محمد صلى الله عليه وسلم .

* * *

وقال آخرون : هو علي بن أبي طالب .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٠٤٨ – حدثني محمد بن عمارة الأسدي قال ، حدثنا رزيق بن مرزوق قال ، حدثنا صباح الفراء ، عن جابر ، عن عبد الله بن نجيّ قال ، قال علي رضي الله عنه : ما من رجل من قريش إلا وقد نزلت فيه الآية والآيتان . فقال له رجُل : فأنتَ أي شيء نزل فيك ؟ فقال علي : أما تقرأ الآية التي نزَلت في هود : « ويتلوه شاهد منه » .[٢]

* * *

---

(١) في المطبوعة : « شاهد منه أيضاً » ، والذي في المخطوطة هو الجيد .

(٢) الأثر : ١٨٠٤٨ – « رزيق بن مرزوق الكوفي المقرئ البجلي » ، روى عن أبي الأحوص ، وابن عيينة ، وسهل بن شعيب . وروى عنه أحمد بن يحيى الصوفي ، وأبو حاتم الرازي ، وقال : « صدوق » مترجم في ابن أبي حاتم ١/٢/٥٠٦ .

و « صباح الفراء » ، لم أجده ، وأخشى أن يكون هو « صباح بن يحيى المزني » ، وهو الشيعي المتروك الذي سلف برقم : ١٦١١٣ .

وقال آخرون : هو جبريل .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٠٤٩ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن عكرمة . عن ابن عباس : « ويتلوه شاهد منه » ، أنه كان يقول : جبريل .

١٨٠٥٠ – حدثنا أبو كريب ، وابن وكيع قالا ، حدثنا ابن إدريس ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن إبراهيم : « ويتلوه شاهد منه » ، قال : جبريل .

١٨٠٥١ – وحدثنا به أبو كريب مرة أخرى ، بإسناده عن إبراهيم فقال : قال : يقولون : « عليّ » ، إنما هو جبريل .

١٨٠٥٢ – حدثنا أبو كريب ، وابن وكيع قالا ، حدثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : هو جبريل ، تلا التوراة والإنجيل والقرآن ، وهو الشاهد من الله .

١٨٠٥٣ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان = وحدثنا محمد بن عبد الله المخرّميّ ، قال ، حدثنا جعفر بن عون قال ، حدثنا سفيان = وحدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري = وحدثني المثنى قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان = عن منصور ، عن إبراهيم : « ويتلوة شاهد منه » ، قال : جبريل .

١٨٠٥٤ – حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن منصور ، عن إبراهيم ، مثله .

و « جابر » هو الجعفي « جابر بن يزيد الجعفي » ، وهو ضعيف ، بل ربما كان القول فيه أشد ، وكان فوق ذلك رافضياً يشتم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال ابن حبان : « كان من أصحاب عبد الله بن سبأ ، وكان يقول : إن عليا يرجع إلى الدنيا » مضى مراراً آخرها رقم : ١٤٠٠٨ .

و « عبد الله بن نجي بن سلمة الكوفي الحضرمي » ، ليس بالقوي ، كان أبوه على مطهرة على رضي الله عنه . قال البخاري : « فيه نظر » . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٢/٢/١٨٤ ، وميزان الاعتدال ٢ : ٨٢ ، وقال الذهبي : « روى عنه جابر الجعفي ، فالنكارة من جابر » ، ووثقه النسائي .

وكان في المطبوعة : « عبد الله بن يحيى » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، ولم يعرف الاسم .

١٨٠٥٥ – . . . . قال ، حدثنا سهل بن يوسف قال ، حدثنا شعبة ، عن منصور ، عن إبراهيم ، مثله .

١٨٠٥٦ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ، مثله .

١٨٠٥٧ – . . . . قال ، حدثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد قال : جبريل .

١٨٠٥٨ – . . . . قال ، حدثنا عبد الله ، عن إسرائيل ، عن السدى ، عن أبى صالح : « ويتلوه شاهد منه » ، قال : جبريل .

١٨٠٥٩ – . . . . قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن جويبر ، عن الضحاك : « ويتلوه شاهد منه » ، قال : جبريل

١٨٠٦٠ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك ، يقول فى قوله : « أفمن كان على بينة من ربه » ، يعنى محمداً ، هو على بينة من الله = « ويتلوه شاهد منه » ، جبريل ، شاهدٌ من الله ، يتلو على محمد ما بُعث به .

١٨٠٦١ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية قال : هو جبريل .

١٨٠٦٢ – . . . . قال ، حدثنا أبى ، عن نضر بن عربى ، عن عكرمة ، قال : هو جبريل .

١٨٠٦٣ – . . . . قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم قال : جبريل .

١٨٠٦٤ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « أفمن كان على بينة من ربه » ، يعنى محمداً ، على بينة من ربه = « ويتلوه شاهد منه » ، فهو

جبريل ، شاهد من الله بالذى يتلو من كتاب الله الذى أنزل على محمد . قال : ويقال : « ويتلوه شاهد منه » ، يقول : يحفظه المَلَك الذى معه .

١٨٠٦٥ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو النعمان عارم قال ، حدثنا حماد ابن زيد ، عن أيوب قال ، كان مجاهد يقول فى قوله : « أفمن كان على بينة من ربه » ، قال : يعنى محمداً ، « ويتلوه شاهد منه » ، قال : جبريل .

* * *

وقال آخرون : هو ملك يحفظه .

١٢/١٢ * ذكر من قال ذلك :

١٨٠٦٦ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ويتلوه شاهد منه » ، قال : معه حافظ من الله ، مَلَكٌ .

١٨٠٦٧ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يزيد بن هرون ، وسويد بن عمرو ، عن حماد بن سلمة ، عن أيوب ، عن مجاهد : « ويتلوه شاهد منه » ، قال : ملك يحفظه .

١٨٠٦٨ – . . . . قال ، حدثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، عمن سمع مجاهداً : « ويتلوه شاهد منه » ، قال : الملك .

١٨٠٦٩ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن نجيح ، عن مجاهد : « ويتلوه شاهد منه » ، يتبعه حافظٌ من الله ، مَلَكٌ .

١٨٠٧٠ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا حماد ، عن أيوب ، عن مجاهد : « ويتلوه شاهد منه » ، قال : الملك يحفظه : ﴿ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾ ، [سورة البقرة : ١٢١] . قال : يتّبعونه حقّ اتباعه .

١٨٠٧١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « ويتلوه شاهد منه » ، قال : حافظ من الله ، مَلَكٌ .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال التى ذكرناها بالصواب فى تأويل قوله : « ويتلوه شاهد منه » ، قولُ من قال : « هو جبريل » ، لدلالة قوله : « ومن قبله كتاب موسى إمامًا ورحمةً » ، على صحة ذلك . وذلك أن نبى الله صلى الله عليه وسلم لم يتلُ قبل القرآن كتابَ موسى ، فيكون ذلك دليلاً على صحة قول من قال : « عنى به لسان محمد صلى الله عليه وسلم ، أو : محمد نفسه ، أو : علىّ » ، على قول من قال : « عنى به علىّ » . ولا يعلم أنّ أحداً كان تلا ذلك قبل القرآن أو جاء به ، ممن ذكر أهل التأويل أنه عنى بقوله : « ويتلوه شاهد منه » ، غير جبريل عليه السلام .

* * *

فإن قال قائل : فإن كان ذلك دليلك على أن المعنىّ به جبريل ، فقد يجب أن تكون القراءة فى قوله : « ومن قبله كتابَ موسى » ، بالنصب ، لأن معنى الكلام على ما تأولتَ يجب أن يكون : ويتلو القرآنَ شاهدٌ من الله ، ومن قبل القرآن كتابَ موسى ؟

قيل : إن القرأة فى الأمصار قد أجمعت على قراءة ذلك بالرفع ، فلم يكن لأحدٍ خلافُها . ولو كانت القراءة جاءت فى ذلك بالنصب ، كانت قراءة صحيحةً ومعنى صحيحًا .

فإن قال : فما وجه رفعهم إذاً « الكتاب » ، على ما ادّعيت من التأويل ؟

قيل : وجه رفعهم هذا ، أنهم ابتدأوا الخبر عن مجىء كتاب موسى قبل كتابنا المنزل على محمد ، فرفعوه بـ « من » [ومنه] ،[1] والقراءة كذلك ، والمعنى الذى ذكرت من معنى تلاوة جبريل ذلك قبل القرآن ، وأن المراد من معناه ذلك ،

---

(١) فى المطبوعة : « فرفعوه بمن قبله والقراءة كذلك » ، غير ما فى المخطوطة ، لهذه الكلمة التى وضعتها بين القوسين ، وأنا أخشى أن تكون زيادة لا معنى لها ، ولذلك أثبتها بين القوسين ، كما فى المخطوطة .

وانظر تفسير الآية فى معانى القرآن للفراء .

وإن كان الخبر مستأنفاً على ما وصفت ، اكتفاءً بدلالة الكلام على معناه .

* * *

وأما قوله : « إماماً » ، فإنه نصب على القطع من « كتاب موسى » ،[١] وقوله : « ورحمة » ، عطف على « الإمام » ، كأنه قيل : ومن قبله كتاب موسى إماماً لبني إسرائيل يأتمّون به ، ورحمةً من الله تلاه على موسى ، كما : —

١٨٠٧٢ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن أبيه ، عن منصور ، عن إبراهيم في قوله : « ومن قبله كتاب موسى » ، قال : من قبله جاء بالكتاب إلى موسى .

* * *

= وفي الكلام محذوف ، قد ترك ذكره اكتفاءً بدلالة ما ذكر عليه منه، وهو : « أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمةً » ، = « كمن هو في الضلالة متردد لا يهتدي لرشد، ولا يعرف حقاً من باطل، ولا يطلب بعمله إلا الحياة الدنيا وزينتها » . وذلك نظير قوله : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ ، [سورة الزمر : ٩] .[٢] والدليل على حقيقة ما قلنا في ذلك أن ذلك عقيب قوله : « من كان يريد الحياة الدنيا » ، الآية ، ثم قيل : أهذا خير ، أمن كان على بينة من ربه ؟ والعرب تفعل ذلك كثيراً إذا كان فيما ذكرت دلالة على مرادها على ما حذفت ، وذلك كقول الشاعر :[٣]

وَأُقْسِمُ لَوْ شَيْءٌ أَتَانَا رَسُولُهُ سِوَاكَ، وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعَا[٤]

* * *

---

(١) « القطع » ، الحال ، كما سلف ص : ٧٦ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير الآية في معاني القرآن للفراء .

(٣) هو امرؤ القيس .

(٤) ديوانه : ١١٣ ، والخزانة ٤ : ٢٢٧ ، وغيرهما كثير ، وسيأتي في التفسير ١٣ : ١٠٢/ ٢٣ : ٢٩/١٢٨ : ٦٧ (بولاق) ، وهذا البيت قد كثر الاستدلال به على الحذف ، إلا أن البغدادي

وقوله : « أولئك يؤمنون به » ، يقول : هؤلاء الذين ذكرت ، يصدقون ويقرّون به ، إن كفر به هؤلاء المشركون الذين يقولون : إن محمداً افتراه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ومن يكفر بهذا القرآن ، فيجحد أنه من عند الله = « من الأحزاب » ، وهم المتحزّبة على مللهم[1] = « فالنار موعده » ، أنه يصير إليها فى الآخرة بتكذيبه . يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ١٢/١٣

أفاد فائدة جيدة فقال : « وعذرهم فى تقدير الجواب أن هذا البيت ساقط فى أكثر الروايات ، وقد ذكره الزجاجى فى أماليه الصغرى والكبرى فى جملة أبيات ثمانية ، رواها المبرد من قصيدة لأمرئ القيس ، ورأينا أن نقتصر عليها ، وهى :

بَعَثْتُ إِلَيْهَا والنُّجُومُ خَوَاضِعٌ ... حِذَاراً عَلَيْهَا أَنْ تَقُومَ فَتَسْمَعَا
فَجَاءَتْ قَطُوفَ المَشْيِ هَائِبَةَ السُّرَى ... يُدَافِعُ رُكْنَاهَا كَوَاعِبَ أَرْبَعَا
يُزَجِّيهَا مَشْيَ النَّزِيفِ وَقَدْ جَرَى ... صُبَابُ الكَرَى فِى مُخِّهِ فَتَقَطَّعَا
تَقُولُ وَقَدْ جَرَّدْتُهَا مِنْ ثِيَابِهَا ... كَمَا رُعْتَ مَكْحُولَ المَدَامِعِ أَتْلَعَا
أَجِدَّكَ لَوْ شَيْءٌ أَتَانَا رَسُولُهُ ... سِوَاكَ، وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعَا
إِذَنْ لَرَدَدْنَاهُ، وَلَوْ طَالَ مَكْثُهُ ... لَدَيْنَا ، وَلَكِنَّا بِحُبِّكَ وُلَّعَا
فَبِتْنَا تَصُدُّ الوُحْشُ عَنَّا ، كَأَنَّنَا ... قَتِيلَانِ لَمْ يَعْلَمْ النَّاسُ لَنَا مَصْرَعَا
إِذَا أَخَذَتْهَا هِزَّةُ الرَّوْعِ، أَمْسَكَتْ ... بِمَنْكِبِ مِقْدَامٍ عَلَى الهَوْلِ أَرْوَعَا

هذا ما قاله البغدادى ، وفيه قول لا يتسع له هذا المكان ، ولكن فيه فائدة تقيد .

(١) انظر تفسير « الحزب » فيما سلف ١ : ١٠/٢٤٤ : ٤٢٨ .

« فلا تك فى مرية منه » ، يقول : فلا تك فى شك منه ،[١] من أن موعدَ من كفر بالقرآن من الأحزاب النارُ ، وأن هذا القرآن الذى أنزلناه إليك من عند الله .

ثم ابتدأ جل ثناؤه الخبر عن القرآن فقال : إن هذا القرآن الذى أنزلناه إليك، يا محمد ، الحقّ من ربك لا شك فيه ، ولكنّ أكثر الناس لا يصدّقون بأن ذلك كذلك .

* * *

فإن قال قائل : أوَ كان النبى صلى الله عليه وسلم فى شكٍّ من أن القرآن من عند الله ، وأنه حق ، حتى قيل له : « فلا تك فى مرية منه » ؟

قيل : هذا نظير قوله : ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِى شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ﴾ ، [سورة يونس : ٩٤] ، وقد بينا ذلك هناك .[٢]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٠٧٣ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا أيوب قال : نبئت أن سعيد بن جبير قال : ما بلغنى حديثٌ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وَجهه ، إلاّ وجدت مصداقَه فى كتاب الله تعالى ، حتى قال : « لا يسمعُ بى أحدٌ من هذه الأمة ، ولا يهودى ولا نصرانىّ ، ثم لا يؤمن بما أرسلت به إلاّ دخل النار » . قال سعيد ، فقلت : أين هذا فى كتاب الله ؟ حتى أتيت على هذه الآية : « ومن قَبله كتاب موسى إمامًا ورحمةً أولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده » ، قال : من أهل الملل كُلّها .

١٨٠٧٤ — حدثنا محمد بن عبد الله المخرّمى، وابن وكيع قالا، حدثنا جعفر ابن عون قال ، حدثنا سفيان ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير فى قوله : « ومن

---

(١) انظر تفسير « المرية » فيما سلف من فهارس اللغة (مرى) .

(٢) انظر ما سلف قريباً ص : ٢٠٠ — ٢٠٣ .

يكفرُ به من الأحزاب » ، قال : من الملل كلها .

١٨٠٧٥ – حدثني يعقوب ، وابن وكيع قالا ، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا أيوب ، عن سعيد بن جبير قال : كنت لا أسمع بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه إلا وجدت مصداقه = أو قال : تصديقه = في القرآن ، فبلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة ، ولا يهودي ولا نصراني ، ثم لا يؤمن بما أرسلت به ، إلا دخل النار » ، فجعلت أقول : أين مصداقُها ؟ حتى أتيت على هذه : « أفمن كان على بينة من ربه » إلى قوله : « فالنار موعده » ، قال : فالأحزاب ، الملل كلها .

١٨٠٧٦ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر قال ، حدثني أيوب ، عن سعيد بن جبير قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من أحد يسمع بي من هذه الأمة ، ولا يهودي ولا نصراني ، فلا يؤمن بي إلا دخل النار » ، فجعلت أقول : أين مصداقها في كتاب الله ؟ قال : وقلّما سمعت حديثًا عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا وجدتُ له تصديقاً في القرآن ، حتى وجدت هذه الآيات ، « ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده » ، الملل كلها .[1]

١٨٠٧٧ – . . . . قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده » ، قال : الكفارُ أحزابٌ كلهم على الكفر .

١٨٠٧٨ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ ﴾ ، [سورة الرعد : ٣٦] ، أي :

---

(١) الآثار : ١٨٠٧٣ – ١٨٠٧٧ – هذه الآثار عن سعيد بن جبير ، والتي روى فيها الخبر مرسلا ، رواه الحاكم في المستدرك ٢ : ٣٤٢ ، موصولا مرفوعاً من حديث ابن عباس . وذلك من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن أبي عمرو البصري ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، وقال الحاكم « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبي .

وانظر حديث أبي هريرة ، في صحيح مسلم ٢ : ١٨٦ ، وما سيأتي من حديث أبي موسى رقم : ١٨٠٧٩ .

يكفر ببعضه ، وهم اليهود والنصارى . قال : بلغنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة ، ولا يهودي ولا نصراني ، ثم يموت قبل أن يؤمن بي ، إلاّ دخل النار .

١٨٠٧٩ – حدثني المثنى قال ، حدثنا يوسف بن عدي المصري قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن أبي موسى الأشعري : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من سمع بي من أمتي ، أو يهودي أو نصراني ، فلم يؤمن بي ، لم يدخل الجنة . (١)

* * *

(١) الأثر : ١٨٠٧٩ – « يوسف بن عدي المصري » ، هكذا في المخطوطة غير منقوط ، وفي المطبوعة : « النضري » ولا أدري في أين أتى بإعجامه هذا . والذي مر بنا في الخبر رقم : ١٠٣٠٩ ، رواية المثنى ، عن يوسف بن عدي ، عن ابن المبارك » وظننت هناك أنه : « يوسف بن عدي بن زريق التيمي » ، فلا أدري ما هذه النسبة التي هنا ، إلا أني أظن أنها « المصري » ، لأن « يوسف بن عدي » ، وإن يكن كوفياً ، إلا أنه سكن مصر ، ومات بها سنة ٢٣٢ .

وهذا الخبر رواه أحمد في مسنده ٤ : ٣٩٦ ، عن طريق محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، بهذا اللفظ . ومثله ٤ : ٣٩٨ ، من طريق عفان ، عن شعبة .

وخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٨ : ٢٦١ ، ٢٦٢ ، مطولا ، وفيه من قول أبي موسى الأشعري : « فقلت : ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا في كتاب الله عز وجل ، فقرأت فوجدت : ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده » ، فهذا نحو ما قاله سعيد بن جبير في الآثار السالفة . وقال الهيثمي بعد : « رواه الطبراني ، واللفظ له . وأحمد بنحوه في الروايتين ، ورجال أحمد رجال الصحيح ، والبزار أيضاً باختصار » .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أُوْلَـٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ (١٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وأى الناس أشد تعذيبًا ممن اختلق على الله كذباً فكذب عليه ؟ [1] = « أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم » ، [2] يعرضون يوم القيامة على ربهم ، فيسألهم عما كانوا فى دار الدنيا يعملون ، كما : —

١٨٠٨٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « ومن أظلم ممن افترى على الله كذبًا » ، قال : الكافر والمنافق = « أولئك يعرضون على ربهم » ، فيسألهم عن أعمالهم .

* * *

وقوله : « ويقول الأشهاد » ، يعنى الملائكة والأنبياء الذين شهدوهم وحفظوا عليهم ما كانوا يعملون = وهم جمع « شاهد » ، مثل « الأصحاب » ، الذى هو جمع « صاحب » = « هؤلاء الذين كذبوا على ربهم » ، يقول : شهد هؤلاء الأشهاد فى الآخرة ، على هؤلاء المفترين على الله فى الدنيا ، فيقولون : هؤلاء الذين كذبوا فى الدنيا على ربهم . يقول الله : « ألا لعنة الله على الظالمين » ، يقول : ألا غضب الله على المعتدين الذى كفروا بربهم . ١٤/١٢

* * *

وبنحو ما قلنا فى قوله : « ويقول الأشهاد » ، قال أهل التأويل .

---

(١) انظر تفسير « افترى » فيما سلف من فهارس اللغة (فرى)

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « يكذبون على ربهم » ، والأجود أن تبقى على سياقه الآية .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٠٨١ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ويقول الأشهاد » ، قال : الملائكة .

١٨٠٨٢ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : الملائكة .

١٨٠٨٣ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ويقول الأشهاد » ، و« الأشهاد » ، الملائكة ، يشهدون على بني آدم بأعمالهم .

١٨٠٨٤ – حدثني محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « الأشهاد » ، قال : الخلائق = أو قال : الملائكة .

١٨٠٨٥ – حدثنا الحسن بن يحيى قال : أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة ، بنحوه .

١٨٠٨٦ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « ويقول الأشهاد » ، الذين كانوا يحفظون أعمالهم عليهم في الدنيا = « هؤلاء الذين كذبوا على ربهم » ، حفظوه وشهدوا به عليهم يوم القيامة = قال ابن جريج : قال مجاهد : « الأشهاد » ، الملائكة .

١٨٠٨٧ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، قال : سألت الأعمش عن قوله : « ويقول الأشهاد » ، قال : الملائكة

١٨٠٨٨ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال : سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « ويقول الأشهاد » ، يعني الأنبياء والرسل ، وهو قوله : ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَٰؤُلَاءِ﴾ ، [سورة النحل : ٨٩] . قال : وقوله : « ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم » ، يقولون : يا ربنا أتيناهم بالحق فكذبوا ، فنحن نشهد عليهم أنهم كذبوا عليك ، يا ربنا .

١٨٠٨٩ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا ابن أبي عدى ، عن سعيد ، وهشام ، عن قتادة ، عن صفوان بن محرز المازنى قال : بينا نحن بالبيت مع عبد الله بن عمر ، وهو يطوف ، إذ عرض له رجل فقال : يا ابن عمر ، ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى النجوى ؟ [١] فقال : سمعت نبى الله صلى الله عليه وسلم يقول : يدنو المؤمن من ربه حتى يضع عليه كَنَفه فيقرّره بذنوبه ، فيقول : هل تعرف كذا ؟ فيقول : رب ، أعرف ! [٢] مرتين ، حتى إذا بلغ به ما شاء الله أن يبلغ قال : فإنى قد سترتها عليك فى الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم ؛ قال : فيعطى صحيفة حسناته = أو : كتابه = بيمينه . وأما الكفار والمنافقون ، فينادى بهم على رؤوس الأشهاد : « ألا هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين » . [٣]

١٨٠٩٠ – حدثنى يعقوب قال ، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا هشام ، عن قتادة ، عن صفوان بن محرز ، عن ابن عمر ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، نحوه . [٤]

١٨٠٩١ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : كنا نحدَّث أنه لا يخزَى يومئذ أحدٌ ، فيخفى خزيُه على أحد ممن خلق الله = أو : الخلائق .

* * *

---

(١) مضى فى رقم : ٦٤٩٧ : « أما سمعت » .

(٢) مضى فى رقم : ٦٤٩٧ : « رب اغفر » ، مكان « رب أعرف » .

(٣) الأثر : ١٨٠٨٩ – مضى هذا الخبر بإسناده ، وتخريجه فى رقم : ٦٤٩٧ (ج ٦ : ١١٩ ، ١٢٠) .

(٤) الأثر : ١٨٠٩٠ – مضى هذا الإسناد برقم : ٦٤٩٧ ، أيضاً .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ (١٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ألا لعنة الله على الظّالمين الذين يصدّون الناسَ عن الإيمان به ، والإقرار له بالعبودة ، وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأنداد ، من مشركى قريش ، وهم الذين كانوا يفتنون عن الإسلام من دخل فيه[1] = « ويبغونها عوجًا » ، يقول : ويلتمسون سبيل الله ، وهو الإسلام الذى دعا الناس إليه محمد ،[2] يقول : زيغًا وميلاً عن الاستقامة[3] = « وهم بالآخرة هم كافرون » ، يقول : وهم بالبعث بعد الممات ، مع صدهم عن سبيل الله ، وبغيهم إياها عوجًا = « كافرون » ، يقول : هم جاحدون ذلك منكرون .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ ﴾ (٢٠)

قال أبو جعفر : يعنى جل ذكره بقوله : « أولئك لم يكونوا معجزين فى الأرض » ، هؤلاء الذين وصف جل ثناؤه أنهم يصدّون عن سبيل الله ، يقول جل ثناؤه : إنهم لم يكونوا بالذى يُعجِزون ربهم بهربهم منه فى الأرض إذا أراد عقابهم ١٢/١٥ والانتقام منهم ، ولكنهم فى قبضته وملكه ، لا يمتنعون منه إذا أرادهم ، ولا يفوتونه

(١) انظر تفسير « الصد » فيما سلف ١٤ : ٢١٦ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « بغى » فيما سلف ١٤ : ٢٨٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « سبيل الله » فيما سلف من فهارس اللغة (سبل) .

(٣) انظر تفسير « العوج » فيما سلف ٧ : ٥٣ ، ١٢/٥٤ : ٤٤٨ ، ٥٥٩ .

هربًا إذا طلبهم[١] = « وما كان لهم من دون الله من أولياء » ، يقول : ولم يكن لهؤلاء المشركين إذا أراد عقابهم من دون الله ، أنصارٌ ينصرونهم من الله ،[٢] ويحولون بينهم وبينه إذا هو عذبهم ، وقد كانت لهم فى الدنيا مَنْعَة يمتنعون بها ممن أرادهم من الناس بسوء = وقوله : « يضاعف لهم العذاب » ، يقول تعالى ذكره : يزاد فى عذابهم ، فيجعل لهم مكان الواحد اثنان .[٣]

* * *

وقوله : « ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون » ، فإنه اختلف فى تأويله .

فقال بعضهم : ذلك وصَفَ الله به هؤلاء المشركين ، أنه قد ختم على سمعهم وأبصارهم ، وأنهم لا يسمعون الحق ، ولا يبصرون حجج الله ، سَمَاعَ منتفع ، ولا إبصارَ مهتدٍ .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٠٩٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون » ، صم عن الحقّ فما يسمعونه ، بُكْم فما ينطقون به ، عمى فلا يبصرونه ولا ينتفعون به .

١٨٠٩٣ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون » ، قال : ما كانوا يستطيعون أن يسمعوا خيرًا فينتفعوا به ، ولا يبصروا خيرًا فيأخذوا به .

١٨٠٩٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قال : أخبر الله سبحانه أنه حال بين أهل الشرك ، وبين طاعته فى الدنيا والآخرة . أما فى الدنيا ، فإنه قال : « ما كانوا

---

(١) انظر تفسير « الإعجاز » فيما سلف ص : ١٠٢ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .

(٣) انظر تفسير « المضاعفة » فيما سلف ١٢ : ٤١٧ — ٤١٩ .

يستطيعون السمع » ، وهى طاعته = « وما كانوا يبصرون » . وأما فى الآخرة ، فإنه قال : ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ * خَاشِعَةً ﴾ ، [سورة القلم : ٤٢ ، ٤٣] .

* * *

وقال آخرون : إنما عنى بقوله : « وما كان لهم من دون الله من أولياء » ، آلهةَ الذين يصدون عن سبيل الله . وقالوا : معنى الكلام : أولئك وآلهتهم ، « لم يكونوا معجزين فى الأرض يضاعَفُ لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون » ، يعنى الآلهة ، أنها لم يكن لها سمعٌ ولا بصر . وهذا قولٌ روى عن ابن عباس من وجه كرهت ذكره لضعْفِ سَنَده .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك يُضَاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع ولا يسمعونه ، وبما كانوا يبصرون ولا يتأمَّلون حجج الله بأعينهم فيعتبروا بها . قالوا : و « الباء » ، كان ينبغى لها أن تدخل ، لأنه قد قال : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ ، [سورة البقرة : ١٠] ، بكذبهم ، فى غير موضع من التنزيل أدخلت فيه « الباء » ، وسقوطها جائز فى الكلام ، كقولك فى الكلام : « لأجزينَّك ما عملت ، وبما عملت » ،[1] وهذا قول قاله بعض أهل العربية .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا ، ما قاله ابن عباس وقتادة ، من أن الله وصفهم تعالى ذكره بأنهم لا يستطيعون أن يسمعوا الحق سماع منتفع ، ولا يبصرونه إبصار مهتدٍ ، لاشتغالهم بالكفر الذى كانوا عليه مقيمين ، عن استعمال جوارحهم فى طاعة الله ، وقد كانت لهم أسماعٌ وأبصارٌ .

* * *

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « كقولك فى الكلام : لا حن بما فيك ما علمت وبما علمت » ، وهذا كلام يبرأ بعضه من بعض ، والظاهر أن الفساد كله من الناسخ ، لأنه كتب « لاحن » فى آخر الصفحة ، ثم قلب ، وبدأ الصفحة الأخرى . « بما فيك ما عملت » ، وهذا عجب . والصواب الذى أثبته ، هو نص كلام الفراء فى معانى القرآن .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ (٢١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين هذه صفتهم ، هم الذين غَبَنُوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله[١] = « وضل عنهم ما كانوا يفترون » ، وبطل كذبهم وإفكهم وفريتهم على الله،[٢] بادعائهم له شركاء ، فسلك ما كانوا يدعونه إلهًا من دون الله غير مسلكهم ، وأخذ طريقًا غير طريقهم ، فضَلّ عنهم ، لأنه سلك بهم إلى جهنم ، وصارت آلهتهم عدمًا لا شيء ، لأنها كانت فى الدنيا حجارة أو خشبًا أو نحاسًا = أو كان لله وليًّا فسلك به إلى الجنة . وذلك أيضًا غير مسلكهم ، وذلك أيضًا ضلالٌ عنهم .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴾ (٢٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : حقًّا إن هؤلاء القوم الذين هذه صفتهم فى الدنيا وفى الآخرة هم الأخسرون الذين قد باعوا منازلهم من الجنان ، بمنازل أهل الجنة من النار ، وذلك هو الخسران المبين .

* * *

وقد بينا فيما مضى أن معنى قولهم : « جرَمتُ » ، كسبت الذنب ، و « جرمته » ،[٣]

---

(١) انظر تفسير « الخسران » فيما سلف من فهارس اللغة (خسر) .

(٢) انظر تفسير « الضلال » و « الافتراء » فيما سلف من فهارس اللغة (ضلل) ، (فرى) .

(٣) انظر ما سلف ٩ : ٤٨٣ – ١٠/٤٨٥ : ٩٥ ، وكان فى المطبوعة : « جرمت » « أجرمته » بالألف ، والصواب ما فى المخطوطة ، وهو مطابق لما فى معانى القرآن .

وأن العرب كثر استعمالها إياه فى مواضع الأيمان ،[1] وفى مواضع « لا بد » ، كقولهم : « لا جرم أنك ذاهب » ، بمعنى : « لا بد » ، حتى استعملوا ذلك فى مواضع التحقيق ، فقالوا : « لاَجرَم لتقومن » ، بمعنى : حقًّا لتقومن .[2] ١٦/١٢
فمعنى الكلام : لا منع عن أنهم ، ولا صدَّ عن أنهم .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (٢٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن الذين صدقوا الله ورسوله ، وعملوا فى الدنيا بطاعة الله= « وأخبتوا إلى ربهم » .

* * *

واختلف أهل التأويل فى معنى « الإخبات » .

فقال بعضهم : معنى ذلك : وأنابوا إلى ربهم

* ذكر من قال ذلك :

١٨٠٩٥ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم » ، قال : « الإخبات » ، الإنابة .

١٨٠٩٦ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : قوله : « وأخبتوا إلى ربهم » ، يقول : وأنابوا إلى ربهم .

* * *

(١) انظر ما سلف ٩ : ٤٨٣ ، ولكنى لم أجد هناك هذا التفصيل الذى ذكره بعد ، ولا أظنه مر شيء منه ، إلا أن يكون فاتنى تقييده . وأخشى أن يكون سهواً من أبى جعفر .

(٢) انظر معانى القرآن للفراء فى تفسير هذه الآية ، وهذا بعض كلامه .

وقال آخرون : معنى ذلك : وخافوا .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٠٩٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس في قوله : « وأخبتوا إلى ربهم » ، يقول : خافوا .

* * *

وقال آخرون : معناه : اطمأنوا .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٠٩٨ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى = وحدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء = عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وأخبتوا إلى ربهم » ، قال : اطمأنوا .

١٨٠٩٩ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٨١٠٠ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : خشعوا

* ذكر من قال ذلك :

١٨١٠١ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « وأخبتوا إلى ربهم » ، « الإخبات » ، التخشُّع والتواضع .

* * *

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال متقاربة المعاني ، وإن اختلفت ألفاظها ، لأن الإنابة إلى الله من خوف الله ، ومن الخشوع والتواضع لله بالطاعة ، والطمأنينة إليه من الخشوع له، غير أن نفس « الإخبات» ، عند العرب: الخشوع والتواضع .

* * *

وقال : « إلى ربهم » ، ومعناه : وأخبتوا لربهم . وذلك أن العرب تضع « اللام » ، موضع « إلى » و « إلى » موضع « اللام » كثيرًا ، كما قال تعالى : ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴾ ، [سورة الزلزلة : ٥] ، بمعنى : أوحى إليها . وقد يجوز أن يكون قيل ذلك كذلك ، لأنهم وُصفوا بأنهم عَمَدوا بإخباتهم إلى الله .

* * *

وقوله : « أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون » ، يقول : هؤلاء الذين هذه صفتهم ، هم سكان الجنة الذين لا يخرجُون عنها ، ولا يموتون فيها ، ولكنهم فيها لابثُون إلى غير نهاية .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : مثل فريقى الكفر والإيمان ، كمثل الأعمى الذى لا يرى بعينه شيئًا ، والأصمّ الذى لا يسمع شيئًا ، فكذلك فريق الكفر لا يبصر الحق فيتبعه ويعمل به ، لشغله بكفره بالله ، وغلبة خذلان الله عليه ، لا يسمع داعى الله إلى الرشاد ، فيجيبه إلى الهدى فيهتدى به ، فهو مقيمٌ فى ضلالته ، يتردَّد فى حيرته . والسميع والبصير فذلك فريق الإيمان ،[2] أبصر حجج الله ، وأقر بما دلت عليه من توحيد الله ، والبراءة من الآلهة والأنداد ، ونبوة الأنبياء عليهم السلام ، وسمعَ داعى الله فأجابه ، وعملَ بطاعة الله ، كما : —

١٨١٠٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير

---

(١) انظر تفسير « أصحاب الجنة » و « الخلود » فى فهارس اللغة (صحب) ، (خلد) .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « فكذلك فريق الإيمان » ، وكأن الصواب ما أثبت .

والسميع » ، قال : « الأعمى » و « الأصم » ، الكافر = و « البصير » و « السميع » ، المؤمن .

١٨١٠٣ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع » ، الفريقان ، الكافران والمؤمنان . فأما الأعمى والأصم فالكافران ، وأما البصير والسميع ، فهما المؤمنان .

١٨١٠٤ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع » ، الآية ، هذا مثلٌ ضربه الله للكافر والمؤمن . فأما الكافر فصم عن الحق فلا يسمعه ، وعمى عنه فلا يبصره . وأما المؤمن ، فسمع الحق فانتفع به ، وأبصره فوعاه وحفظه وعمل به .

* * *

يقول تعالى : « هل يستويان مثلاً » ، يقول : هل يستوى هذان الفريقان على اختلاف حالتيهما فى أنفسهما عندكم ، أيها الناس ؟ فإنهما لا يستويان عندكم ، ١٢/١٧ فكذلك حال الكافر والمؤمن لا يستويان عند الله = « أفلا تذكرون » ، يقول جل ثناؤه : أفلا تعتبرون ، أيها الناس ، وتتفكرون ، فتعلموا حقيقة اختلاف أمريهما ، فتنزجروا عما أنتم عليه من الضلال إلى الهدى ، ومن الكفر إلى الإيمان ؟

* * *

= فالأعمى والأصم ، والبصير والسميع ، فى اللفظ أربعة ، وفى المعنى اثنان . ولذلك قيل : « هل يستويان مثلاً » .

وقيل : « كالأعمى والأصم » ، والمعنى : كالأعمى الأصمّ . وكذلك قيل : « والبصير والسميع » ، والمعنى : البصير السميع ، كقول القائل : « قام الظريف والعاقل » ، وهو ينعت بذلك شخصاً واحداً

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ ﴿٢٦﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه : إنى لكم ، أيها القوم ، نذيرٌ من الله ، أنذركم بأسَه على كفركم به ، فآمنوا به وأطيعوا أمره .

ويعنى بقوله : « مبين » ، يبين لكم عمَّا أرسل به إليكم من أمر الله ونهيه .[1]

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « إنى » .

فقرأ ذلك عامة قرأة الكوفة وبعض المدنيين بكسر « إنّ » على وجه الابتداء إذ كان فى « الإرسال » ، معنى : « القول » .

* * *

وقرأ ذلك بعض قرأة أهل المدينة والكوفة، والبصرة بفتح « أن » ، على إعمال « الإرسال » فيها ، كأنّ معنى الكلام عندهم : لقد أرسلنا نوحًا إلى قومه بأنّى لكم نذير مبين .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : إنهما قراءتان متفقتا المعنى ، قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القرأة، فبأيّتهما قرأ القارئ كان مصيبًا للصواب فى ذلك .

* * *

وقوله : « أن لا تعبدوا إلا الله » ، فمن كسر الألف فى قوله : « إنى » ، جعل قوله : « أرسلنا » ، عاملاً فى « أنْ » التى فى قوله : « أن لا تعبدوا إلا الله » ، ويصير

---

(١) انظر تفسير « نذير » و « مبين » فيما سلف من فهارس اللغة (نذر) ، (بين) .

المعنى حينئذ: ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه أن لا تعبدوا إلا الله ، وقل لهم : إنى لكم نذير مبين= ومن فتحها ردّ « أنْ » فى قوله : « أن لا تعبدوا » ، عليها . فيكون المعنى حينئذ : لقد أرسلنا نوحًا إلى قومه بأنى لكم نذير مبين ، بأن لا تعبدوا إلا الله .

* * *

ويعنى بقوله : [بأن لا تعبدوا إلا الله، أيها الناس]، عبادة الآلهة والأوثان،(١) وإشراكها فى عبادته ، وأفردوا الله بالتوحيد ، وأخلصوا له العبادة ، فإنه لا شريك له فى خلقه .

* * *

وقوله : « إنى أخاف عليكم عذاب يوم أليم » ، يقول: إنى ، أيها القوم، إن لم تخصُّوا الله بالعبادة ، وتفردوه بالتوحيد ، وتخلعوا ما دونه من الأنداد والأوثان = أخاف عليكم من الله عذابَ يوم مؤلم عقابُه وعذابُه لمن عُذِّب فيه .

* * *

وجعل « الأليم » ، من صفة « اليوم » وهو من صفة « العذاب » ، إذ كان العذاب فيه ، كما قيل : ﴿ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا ﴾ ، [سورة الأنعام : ٩٦] ، وإنما « السكن » من صفة ما سكن فيه ، دون الليل .

* * *

---

(١) هكذا جاءت الجملة فى المخطوطة والمطبوعة ، والسقط فيها ظاهر بين ، وكأن الصواب إن شاء الله :

« ويعنى بقوله : " أن لا تَعبدوا إلاَّ اللهَ " ، أى : اتركوا عبادة الآلهة . . . »

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ (٢٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فقال الكبراء من قوم نوح وأشرافهم = وهم « الملأ » [١] = الذين كفروا بالله وجحدوا نبوّة نبيهم نوح عليه السلام = « ما نراك » ، يا نوح ، « إلا بشرًا مثلنا » ، يعنون بذلك : أنه آدمى مثلهم فى الخلق والصُّورة والجنس ، كأنهم كانوا منكرين أن يكون الله يرسل من البشر رسولاً إلى خلقه .[٢]

* * *

وقوله : « وما نراك اتَّبعك إلاّ الذين هم أراذلنا بادى الرأى » ، يقول : وما نراك اتبعك إلا الذين هم سفلتنا من الناس ، دون الكبراء والأشراف ، فيما نرَى ويظهر لنا .

* * *

وقوله : « بادى الرأى » ، اختلفت القرأة فى قراءته .

فقرأته عامة قرأة المدينة والعراق : ﴿ بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ﴾ بغير همز « البادى » وبهمز « الرأى » ، بمعنى : ظاهر الرأى ، من قولهم : « بدا الشىء يبدو » ، إذا ظهر ، كما قال الراجز :[٣]

أَضْحَى لِخَالِى شَبَهِىَ بَادِى بَدِى وَصَارَ لِلْفَحْلِ لِسَانِى وَيَدِى[٤]

---

(١) انظر تفسير « الملأ » فيما سلف ص : ١٧٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « البشر » فيما سلف ١١ : ٥٢١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) أبو نخيلة السعدى .

(٤) هذا الرجز والذى يليه ، من رجز أبى نخيلة السعدى ، لا شك فى البيت الثانى منهما ، أما الأول فإنى أرتاب فى صحة إنشاده ، على الوجه الذى أنشده الفراء فى معانى القرآن . وقد خرج هذا الرجز ،

« بادى بدى » ، بغير همز ، وقال آخر :

* وقَدْ عَلَتْنِي ذُرْأَةٌ بادِي بَدِي *(١)

* * *

وقرأ ذلك بعض أهل البصرة : ﴿ بَادِئَ الرَّأْيِ ﴾ ، مهموزاً أيضًا ، بمعنى : مبتدأ الرأى ، من قولهم : « بدأت بهذا الأمر » ، إذا ابتدأت به قبل غيره .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك عندنا ، قراءة من قرأ : ﴿ بَادِيَ الرَّأْيِ ﴾ ، بغير همز « البادى » ، وبهمز « الرأى » ، لأن معنى ذلك الكلام : إلا الذين هم أراذلنا ، فى ظاهر الرأى ، وفيما يظهر لنا .

* * *

١٨/١٢ وقوله : « وما نرى لكم علينا من فضل » ، يقول : وما نتبين لكم علينا من فضل نلتموه بمخالفتكم إيانا فى عبادة الأوثان ، إلى عبادة الله وإخلاص العبودة له ، فنتبعكم

صديقنا وشيخنا عبد العزيز الميمنى الراجكوتى فى سمط اللآلىء : ٢٩٣ ، ٤٨٠ ، وفى اللسان (ذرأ) ، وتهذيب إصلاح المنطق ٢ : ٣٢ ، وسيبويه ٢ : ٥٤ ، ونوادر اليزيدى : ١٢٨ ، والأغانى (ساسى) ١٨ : ١٥١ ، وتاريخ ابن عساكر ٢ : ٣٢١ = وأزيد ، تاريخ الطبرى ٩ : ٢٧٣ ، والمعانى الكبير : ١٢٢٣ ، والفراء فى معانى القرآن ، ومجاز القرآن ١ : ٢٨٨ ، واللسان (بدا) ، والأبيات هى :

كَيْفَ التَّصَابِي فِعْلَ مَنْ لَمْ يَهْتَدِ وَقَدْ عَلَتْنِي ذُرْأَةٌ بَادِي بَدِي
وَرَثْيَةٌ تَنْهَضُ فِي تَشَدُّدِي بَعْدَ انْتِهَاضِي فِي الشَّبَابِ الأَمْلَدِ
وَبَعْدَ مَا أَذْكُرُ مِنْ تَأَوُّدِي وَبَعْدَ تَمْشَائِي وَتَطْوِيحِي يَدِي
وَمِشْيَتِي تَحْتَ الغُدَافِ الأَسْوَدِ

وذكرها صاحب اللسان فى (بدا) ، والتبريزى فى تهذيب إصلاح المنطق ، وزاد بعد قوله « ورثية تنهض فى تشددى » .

* وَصَارَ لِلفَحْلِ لِسَانِي وَيَدِي *

أما البيت الأول ، فلم أجده فى مكان ، وأخشى أن تكون « بادى بدى » فيه ، موضوعة مكان كلمة أخرى ، ولا شك أن موضع هذين البيتين ، ليس فى الموضع الذى وضع أحدهما فيه صاحب اللسان والتبريزى .

(١) انظر التعليق السالف . و « الذرأة » (بضم فسكون) ، الشيب فى مقدم الرأس .

طلبَ ذلك الفضل ، وابتغاءَ ما أصبتموه بخلافكم إيانا = «بل نظنكم كاذبين» .

* * *

وهذا خطاب منهم لنوحٍ عليه السلام، وذلك أنهم إنما كذبوا نوحاً دون أتباعه، لأن أتباعه لم يكونوا رُسلاً . وأخرج الخطابَ وهو واحد مخرج خطاب الجميع ، كما قيل : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ ، [سورة الطلاق : ١] .

* * *

قال أبو جعفر : وتأويل الكلام بل نظنّك، يا نوح ، فى دعواك أن الله ابتعثك إلينا رسولاً ، كاذبًا .

* * *

وبنحو ما قلنا فى تأويل قوله : « بادى الرأى » ، قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٨١٠٥ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس قوله : « وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادى الرأى » ، قال : فيما ظهر لنا .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾ (٢٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره ، مخبرًا عن قيل نوح لقومه إذ كذبوه ، وردّوا عليه ما جاءهم به من عند الله من النصيحة : « يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربى » ، على علمٍ ومعرفةٍ وبيان من الله لى ما يلزمنى له ، ويجب علىّ من

إخلاص العبادة له، وترك إشراك الأوثان معه فيها = « وآتانى رحمة من عنده »، يقول : ورزقنى منه التوفيق والنبوّة والحكمة ، فآمنت به وأطعته فيما أمرنى ونهانى[1] = « فعميت عليكم » .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة أهل المدينة وبعض أهل البصرة والكوفة : ﴿ فَعَمِيَتْ ﴾ ، بفتح العين ، وتخفيف الميم ، بمعنى : فعَمِيت الرحمة عليكم فلم تهتدوا لها ، فتقرّوا بها ، وتصدّقوا رسولكم عليها .

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفيين : ﴿ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ﴾ ، بضم العين وتشديد الميم ، اعتبارًا منهم ذلك بقراءة عبد الله ، وذلك أنها فيما ذكر فى قراءة عبد الله : ﴿ فَعَمَّاهَا عَلَيْكُمْ ﴾ .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب ، قراءةُ من قرأه : ﴿ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ﴾ ، بضم العين وتشديد الميم ، للذى ذكرَوا من العلة لمن قرأ به ، ولقربه من قوله : « أرأيتم إن كنت على بينة من ربى وآتانى رحمة من عنده » ، فأضاف « الرحمة » ، إلى الله ، فكذلك « تعميته على الآخرين » ، بالإضافة إليه أولى .

* * *

وهذه الكلمة مما حوّلت العرب الفعل عن موضعه . وذلك أن الإنسان هو الذى يعمى عن إبصار الحق ، إذ يعمى عن إبصاره . و « الحق » ، لا يوصف بالعمى ، إلا على الاستعمال الذى قد جرى به الكلام . وهو فى جوازه لاستعمال العرب إياه ، نظيرُ قولهم : « دخل الخاتم فى يدى ، والخف فى رجلى » ، ومعلوم أن الرجل هى

---

(١) انظر تفسير ما سلف من ألفاظ الآية فى فهارس اللغة .

التى تدخل فى الخفّ ، والإصبع فى الخاتم ، ولكنهم استعملوا ذلك كذلك ، لما كان معلومًا المرادُ فيه .[١]

* * *

وقوله : « أنلزمكموها وأنتم لها كارهون » ، يقول : أنأخذكم بالدخول فى الإسلام، وقد عماه الله عليكم = « وأنتم لها كارهون » ،[٢] يقول : وأنتم لإلزامناكمُوها = « كارهون » ، يقول : لا نفعل ذلك ، ولكن نكل أمركم إلى الله ، حتى يكون هو الذى يقضى فى أمركم ما يرى ويشاء .[٣]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

* ذكر من قال ذلك :

١٨١٠٦ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج، عن ابن جريج ، قال نوح : « يا قوم إن كنت على بينة من ربى » ، قال : قد عرفتها ، وعرفت بها أمره ، وأنه لا إله إلا هو = « وآتانى رحمة من عنده » ، الإسلام والهدى والإيمان والحكم والنبوّة .

١٨١٠٧ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « أرأيتم إن كنت على بينة من ربى » ، الآية ، أما والله لو استطاع نبىُّ الله صلى الله عليه وسلم لألزمها قومه ، ولكن لم يستطع ذلك ولم يملكه .

١٨١٠٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى قال ، حدثنا سفيان ، عن داود ، عن أبى العالية قال : فى قراءة أبىّ : ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا مِنْ شَطْرِ أَنْفُسِنَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ .

١٨١٠٩ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن

---

(١) هذا اختصار مقالة الفراء فى معانى القرآن ، فى تفسير الآية .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « عليكم لها كارهون » ، والجيد ما أثبت ، بزيادة : « وأنتم » .

(٣) انظر تفسير « الكره » فيما سلف من فهارس اللغة (كره) .

الزبير ، عن ابن عيينة قال ، أخبرنا عمرو بن دينار قال ، قرأ ابن عباس : ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا مِنْ شَطْرِ أَنْفُسِنَا ﴾ ، قال ، عبد الله : «من شَطْر أنفسنا» ، من تلقاء أنفسنا .

١٨١١٠ – حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس ، مثله .

١٩/١٢ ١٨١١١ – حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان ، عن داود بن أبي هند ، عن أبي العالية ، عن أبيّ بن كعب : ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا مِنْ شَطْرِ قُلُوبِنَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ .(١)

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ (٢٩)

قال أبو جعفر : وهذا أيضًا خبرٌ من الله عن قيل نوح لقومه ، أنه قال لهم : يا قوم لا أسألكم على نصيحتي لكم ، ودعايتكم إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له ، مالاً أجرًا على ذلك ، فتتهموني في نصيحتي ، وتظنون أن فعلي ذلك طلبُ عرض من أعراض الدنيا = « إن أجري إلاّ على الله » ، يقول : ما ثواب نصيحتي لكم ، ودعايتكم إلى، ما أدعوكم إليه ، إلاّ على الله ، فإنه هو الذي يجازيني ويثيبني عليه = « وما أنا بطارد الذين آمنوا » ، وما أنا بمقصٍ من آمن بالله ،

---

(١) هذه القراءة التي مرت في الأخبار السالفة ، بالزيادة في الآية ، قراءة شاذة لزيادتها على المصحف ، لا يحل لأحد أن يقرأ بها . وظني أن قوله : « من شطر أنفسنا » ، أو : « من شطر قلوبنا » تفسير مدرج في كتابة الآية ، وليس قراءة .

وأقرّ بوحدانيته ، وخلع الأوثان وتبرأ منها ، بأن لم يكونوا من عِلْيتكم وأشرافكم = « إنهم ملاقو ربهم » ، يقول : إن هؤلاء الذين تسألونى طردهم ، صائرون إلى الله ، والله سائلهم عما كانوا فى الدنيا يعملون ، لا عن شرفهم وحسبهم .

* * *

وكان قيل نوح ذلك لقومه ، لأن قومه قالوا له ، كما : —

١٨١١٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقو ربهم » ، قال : قالوا له : يا نوح ، إن أحببت أن نتبعك فاطردهم ، وإلا فلن نرضى أن نكون نحن وهم فى الأمر سواء . فقال : « ما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقو ربهم » ، فيسألهم عن أعمالهم .

١٨١١٣ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج = وحدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح = جميعًا ، عن مجاهد قوله : « إن أجرى إلا على الله » ، قال : جزائى .

١٨١١٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٨١١٥ — . . . . قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

وقوله : « ولكنى أراكم قوماً تجهلون » ، يقول : ولكنى ، أيها القوم ، أراكم قومًا تجهلونَ الواجبَ عليكم من حقّ الله ، واللازم لكم من فرائضه . ولذلك من جهلكم سألتمونى أن أطرد الذين آمنوا بالله .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَيَـٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٣٠)

قال أبو جعفر : يقول : ويا قوم من ينصرنى فيمنعنى من الله ، إن هو عاقبنى على طردى المؤمنين الموحِّدين الله ، إن طردتهم ؟= « أفلا تذكرون » ، يقول : أفلا تتفكرون فيما تقولون ، فتعلمون خطأه ، فتنتهوا عنه ؟

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (٣١)

قال أبو جعفر : وقوله : « ولا أقول لكم عندى خزائن الله » ، عطف على قوله : « ويا قوم لا أسألكم عليه أجرًا » .

* * *

ومعنى الكلام : « ويا قوم لا أسألكم عليه أجرًا » ، « ولا أقول لكم عندى خزائن الله » ، التى لا يفنيها شىء ، فأدعوكم إلى اتباعى عليها . ولا أعلم أيضًا الغيب = يعنى : ما خفى من سرائر العباد ، فإن ذلك لا يعلمه إلا الله = فأدَّعى الربوبية ، وأدعوكم إلى عبادتى . ولا أقول أيضًا : إنى ملك من الملائكة أرسلت إليكم ، فأكون كاذبًا فى دعواى ذلك ، بل أنا بشر مثلكم كما تقولون ، أمرت بدعائكم إلى الله ، وقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم = « ولا أقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيرًا » ، يقول : ولا أقول للذين اتبعونى وآمنوا بالله ووحَّدوه ،

الذين تستحقرهم أعينكم ، وقلتم : إنهم أراذلكم = « لن يؤتيهم الله خيرًا » ، وذلك الإيمان بالله = « الله أعلم بما فى أنفسهم » ، يقول : الله أعلم بضمائر صدورهم ، واعتقاد قلوبهم ، وهو ولىّ أمرهم فى ذلك ، وإنما لى منهم ما ظهر وبدا ، وقد أظهرُوا الإيمان بالله واتبعونى ، فلا أطردهم ولا أستحل ذلك = « إنى إذاً لمن الظالمين » ، يقول : إنىّ إن قلت لهؤلاء الذين أظهروا الإيمان بالله وتصديقى : « لن يؤتيهم الله خيرًا » ، وقضيت على سرائرهم بخلاف ما أبدته ألسنتهم لى ، على غير علم منّى بما فى نفوسهم ، وطردتهم بفعلى ذلك ، لمن الفاعلين ما ليس لهم فعله ، المعتدين ما أمرهم الله به ، وذلك هو « الظلم » .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٨١١٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قوله : « ولا أقول لكم عندى خزائن الله » ، التى لا يفنيها شىء ، فأكون ٢٠/١٢ إنما أدعوكم لتتبعونى عليها ، لأعطيكم منها = ولا أقول : إنى ملك نزلت من السماء برسالة ، ما أنا إلا بشر مثلكم ، ولا أعلم الغيب ، ولا أقول اتّبعونى على علم الغيب

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قَالُوا۟ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ (٣٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال قوم نوح لنوح عليه السلام : قد خاصمتنا فأكثرت خصومتنا ،(١) فأتنا بما تعدنا من العذاب ، إن كنت من

(١) انظر تفسير « الجدال » فيما سلف ١٢ : ٥٢٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

الصادقين فى عِداتك ودَعواك أنك لله رسول . يعنى : بذلك أنه لن يقدرَ على شىء من ذلك .

* * *

١٨١١٧ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « جادلتنا » ، قال : ما ريتَنا .

١٨١١٨ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٨١١٩ – وحدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد ، مثله .

١٨١٢٠ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال مجاهد : « قالوا يا نوح قد جادلتنا » ، قال : ماريتنا = « فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا » = قال ابن جريج : تكذيبًا بالعذاب ، وأنه باطلٌ .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٣٤﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: قال نوح لقومه ، حين استعجلوه العذاب : يا قوم ، ليس الذى تستعجلون من العذاب إلىّ، إنما ذلك إلى الله لا إلى غيره ، هو الذى يأتيكم به إن شاء = « وما أنتم بمعجزين » ، يقول : ولستم إذا أراد

تعذيبكم ، بمعجزيه ، أى : بفائتيه هرباً منه ، لأنكم حيث كنتم فى ملكه وسلطانه وقدرته ، حكمهُ عليكم جارٍ [١] = « ولا ينفعكم نصحى » ، يقول : ولا ينفعكم تحذيرى عقوبته ، ونزولَ سطوته بكم على كفركم به = « إن أردت أن أنصح لكم » ، فى تحذيرى إياكم ذلك ، لأن نصحى لا ينفعكم ، لأنكم لا تقبلونه [٢] = « إن كان الله يريد أن يغويكم » ، يقول : إن كان الله يريد أن يهلككم بعذابه = « هو ربكم وإليه ترجعون » ، يقول : وإليه تردُّون بعد الهلاك . [٣]

* * *

حكى عن طيئ أنها تقول : « أصبح فلان غاوياً » ، أى : مريضاً .

وحكى عن غيرهم سماعاً منهم : « أغويت فلاناً » ، بمعنى : أهلكتَه = و « غَوِىَ الفصيل » ، إذا فقد اللبن فمات .

وذكر أن قول الله : ﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ ، [سورة مريم : ٥٩] ، أى : هلاكاً . [٤]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ (٣٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : أيقول ، يا محمد ، هؤلاء المشركون من قومك : افترى محمد هذا القرآن ؟ وهذا الخبر عن نوح ؟ = قل لهم : إن افتريته فتخرصته واختلقته [٥] = « فعلىّ إجرامى » ، يقول : فعلىّ إثمى فى افترائى ما افتريت

---

(١) انظر تفسير « الإعجاز » فيما سلف ص : ٢٨٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « نصحت لك » فيما سلف ٣ : ٢١٢ .

(٣) انظر تفسير « المرجع » فيما سلف من فهارس اللغة (رجع) .

(٤) انظر تفسير « غوى » فيما سلف ١٢ : ٣٣٣ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٥) انظر تفسير « الافتراء » ، فيما سلف من فهارس اللغة (فرى) .

على ربيّ ، دونكم ، لا تؤاخذون بذنبي ولا إثمي ، ولا أؤاخذ بذنبكم = « وأنا بريء مما تجرمون » ، يقول : وأنا بريء مما تذنبون وتأثمون بربكم ، من افترائكم عليه .

* * *

ويقال منه : « أجرمت إجرامًا » ، و « جَرَمْت أجرِم جَرْمًا »،[1] كما قال الشاعر :[2]

طَرِيدُ عَشِيرَةٍ وَرَهِينُ ذَنْبٍ بِمَا جَرَمَتْ يَدِى وَجَنَى لِسَانِى[3]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ (٣٦)

قال أبو جعفر : يقول : تعالى ذكره : وأوحَى الله إلى نوح ، لمّا حقّ على قومه القولُ ، وأظلّهم أمرُ الله : أنه لن يؤمن، يا نوح ، بالله فيوحّده ، ويتبعك على ما تدعوه إليه = « من قومك إلا من قد آمن » ، فصدّق بذلك واتبعك = « فلا تبتئس » ، يقول : فلا تستكن ولا تحزن = « بما كانوا يفعلون » ، فإني مهلكهم ، ومنقذك منهم ومن اتبعك . وأوحى الله ذلك إليه ، بعد ما دعا عليهم نوحٌ بالهلاك فقال : ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ ، [سورة نوح : ٢٦] .

* * *

= وهو « تفتعل » من « البؤس» ، يقال : « ابتأس فلان بالأمر يبتئس ابتئاسًا » ؛

---

(١) انظر تفسير « الإجرام » فيما سلف من فهارس اللغة (جرم) .

(٢) هو الهيردان بن خطار بن حفص السعدى ، اللص ، وضبط اسمه بفتح الهاء ، وسكون الياء ، وضم الراء .

(٣) مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٨٨ ، واللسان (جرم) .

كما قال لبيد بن ربيعة :

فِي مَأْتَمٍ كَنِعاجِ صَا رَةَ يَبْتَئِسْنَ بِما لَقِينا (١)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٨١٢١ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن عن مجاهد : « فلا تبتئس » ، قال : لا تحزن . ٢١/١٢

١٨١٢٢ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، = وحدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٨١٢٣ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى، عن أبيه ، عن ابن عباس: « فلا تبتئس بما كانوا يفعلون » ، يقول : فلا تحزن .

١٨١٢٤ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « فلا تبتئس بما كانوا يفعلون » ، قال : لا تأسَ ، ولا تحزن .

١٨١٢٥ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن » ، وذلك حين

---

(١) ديوانه ٢ : ٤٦ (القصيدة : ٥٣ ، البيت : ٢١) ، اللسان (يأس) قصيدة له ، يذكر بنته أو امرأته وحالها بعد موته :

وَحَذِرْتُ بَعْدَ المَوْتِ يَوْ مَ تَشِينُ أَسْمَاءُ الجَبِينَا
فِي رَبْرَبٍ كَنِعَاجِ صَا رَةَ يَبْتَئِسْنَ بِمَا لَقِينَا
مُتَسَلِّبَاتٍ فِي مُسُو حِ الشَّعْرِ أَبْكَاراً وَعُونَا

وهذا شعر ، حسبك به من شعر !

دعا عليهم قال : ﴿ رَبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً ﴾ ، [سورة نوح : ٢٦] = قوله : « فلا تبتئس » ، يقول : فلا تأسَ ، ولا تحزن .

١٨١٢٦ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعتُ الضحاك يقول في قوله : « لن يؤمن من قومك إلاّ من قد آمن » ، فحينئذ دعا على قومه ، لما بيّن الله له أنه لن يؤمن من قومه إلاّ من قد آمن .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ (٣٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وأوحى إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن = وأن « اصنع الفلك » ، وهو السفينة ،[1] كما : –

١٨١٢٧ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « الفلك » ، السفينة .

* * *

وقوله : « بأعيننا » يقول : بعين الله ووحيه كما يأمرك ، كما : –

١٨١٢٧م – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « واصنع الفلك بأعيننا ووحينا » ، وذلك أنه لم يعلم كيف صنعةُ الفلك ، فأوحى الله إليه أن يصنعها على مثل جُؤْجُؤ الطائر .[2]

١٨١٢٨ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا

---

(١) انظر تفسير « الفلك » فيما سلف ١٢ : ٥٠٣/١٥ : ٥٠ ، ١٥٣ .

(٢) « جؤجؤ الطائر » (بضم الجيم ، ثم سكون الهمزة ، ثم ضم الجيم) : هو صدره .

عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ووحينا » ، قال : كما نأمرك .

١٨١٢٩ — حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد = وحدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « بأعيننا ووحينا » ، كما نأمرك .

١٨١٣٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس : « واصنع الفلك بأعيننا ووحينا » ، قال : بعين الله = قال ابن جريج : قال مجاهد : « ووحينا » ، قال : كما نأمرك .

١٨١٣١ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة في قوله : « بأعيننا ووحينا » ، قال : بعين الله ووحيه .

* * *

وقوله : « ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون » ، يقول تعالى ذكره : ولا تسألني في العفو عن هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم من قومك ، فأكسبوها تعدّياً منهم عليها بكفرهم بالله = الهلاك بالغرق ، إنهم مغرقون بالطوفان ، كما : —

١٨١٣٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « ولا تخاطبني » ، قال : يقول ، ولا تراجعني . قال : تقدّم أن لا يشفع لهم عنده .[1]

* * *

(١) « تقدم » ، يعني أمره بذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ويصنع نوح السفينة ، وكلما مرّ عليه جماعة من كبراء قومه[1] =« سخروا منه » ، يقول : هزئوا من نوح ، ويقولون له : أتحوّلت نجارًا بعد النبوّة ، وتعمل السفينة فى البر ؟ = فيقول لهم نوح : « إن تسخروا منا »، إن تهزأوا منا اليوم، فإنا نهزأ منكم فى الآخرة ، كما تهزأون منا فى الدنيا[2] = « فسوف تعلمون » ، إذا عاينتم عذابَ الله، مَن الذى كان إلى نفسه مُسيئًا منّا .

* * *

وكانت صنعة نوح السفينة ، كما : —

١٨١٣٣ — حدثنى المثنى ، وصالح بن مسمار قالا ، حدثنا ابن أبى مريم قال ، أخبرنا موسى بن يعقوب قال ، حدثنى فائد مولى عبيد الله بن على بن أبى رافع : أنّ إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبى ربيعة أخبره : أن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أخبرته : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لو رحم الله أحداً من قوم نوح ، لرحم أم الصبى ! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان نوح مكث فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله ، حتى كان آخر
٢٢/١٢ زمانه ، غَرس شجرةً فعظمت وذهبت كلّ مذهب ، ثم قطعها ، ثم جعل يعمل سفينة ، ويمرُّون فيسألونه ، فيقول : أعملها سفينةً ! فيسخرون منه ويقولون : تعمل سفينةً فى البرّ ! فكيف تجرى ؟ فيقول : سوف تعلمون . فلما فرغ منها ،

(١) انظر تفسير « الملأ » فيما سلف ص : ٢٩٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « سخر » فيما سلف ١٤ : ٣٨٢ ، تعليق : ٢ .

وفارَ التنور ، وكثر الماء فى السكك ، خشيت أمُّ الصبيِّ عليه ، وكانت تحبُّه حبًّا شديداً ، فخرجت إلى الجبل حتى بلغت ثُلُثه . فلما بلغها الماء خرجت ، حتى بلغت ثلثى الجبل . فلما بلغها الماء خرجت ، حتى استوت على الجبل ، فلما بلغ الماء رقبتها رفعتْه بين يديها حتى ذهب بها الماء . فلو رحم الله منهم أحداً لرحمَ أمَّ الصبيِّ .(١)

١٨١٣٤ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذكر لنا أنّ طول السفينة ثلثمئة ذراع ، وعرضها خمسون ذراعًا ، وطولها فى السماء ثلاثون ذراعًا ، وبابها فى عرضها .

١٨١٣٥ – حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا مبارك ، عن الحسن قال : كان طول سفينة نوح ألف ذراع ومئتى ذراع ،وعرضها ستمئة ذراع .

١٨١٣٦ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن

---

(١) الأثر : ١٨١٣٣ – « ابن أبى مريم » ، هو : « سعيد بن أبى مريم » ، ثقة : روى له الجماعة ، سلف مراراً ، آخرها : ١٢٧٧١ .

و « موسى بن يعقوب بن يعقوب الزمعى » ، ثقة ، متكلم فيه ، مضى توثيقه برقم : ٩٩٢٣ ، ورقم : ١٥٧٥٦ ، ١٥٨٢٢ ،وقال على بن المدينى : « ضعيف الحديث ، منكر الحديث »،وقال الأثرم: سألت أحمد عنه ، فكأنه لم يعجبه .

و « فائد ، مولى عبيد الله بن بن على بن أبى رافع ، عبادل » ، وهو « فائد ، مولى عبادل » ، ثقة لا بأس به . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١٣١/١/٤ ، وابن أبى حاتم ٨٤/٢/٣ .

و « إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبى ربيعة المخزومى » ، هو « إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى ربيعة » ، ثقة ، روى عن خالته عائشة ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢٩٦/١/١ ، وابن أبى حاتم ١١١/١/١ .

هذا إسناد « حسن » . ورواه الطبرى بهذا الإسناد نفسه فى تاريخه ١ : ٩١ . وقد رواه من هذه الطريق نفسها ، الحاكم فى المستدرك ٢ : ٣٤٢ ، ٥٤٧ ثم قال : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » ، ولكن الذهبى قال : « إسناده مظلم . وموسى ، ليس بذاك » ، وهذا شديد، وأقرب منه ما قاله ابن كثير فى تفسيره ٤ : ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ورواه عن هذا الموضع من تفسير الطبرى ، ومن تفسير الحبر أبى محمد بن أبى حاتم ، ثم قال : « وهذا حديث غريب من هذا الوجه . وقد روى عن كعب الأحبار ، ومجاهد بن جبير ، قصة هذا الصبى وأمه بنحو هذا » .

وخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٨ : ٢٠٠ ، وقال : « رواه الطبرانى فى الأوسط ، وفيه موسى بن يعقوب الزمعى ، وثقه ابن معين وغيره ، وضعفه ابن المدينى ، وبقية رجاله ثقات » .

مفضل بن فضالة ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس قال : قال الحواريُّون لعيسى بن مريم : لو بعثت لنا رجلاً شهد السفينة فحدَّثنا عنها ! قال : فانطلق بهم حتى انتهى بهم إلى كثيب من تراب ، فأخذ كفًّا من ذلك التراب بكفه ، قال : أتدرون ما هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : هذا كعب حام بن نوح . قال : فضرب الكثيب بعصاه ، قال : قم بإذن الله ! فإذا هو قائمٌ ينفُض التراب عن رأسه قد شَابَ ، قال له عيسى : هكذا هلكت ؟ قال : لا ، ولكن مِتُّ وأنا شابّ ، ولكنني ظننت أنّها الساعة ، فمن ثَمَّ شِبتُ ! قال : حدثنا عن سفينة نوح . قال : كان طولها ألف ذراع ومئتي ذراع ، وعرضها ستمئة ذراع ، وكانت ثلاث طبقات : فطبقة فيها الدوابُّ والوحش ، وطبقة فيها الإنس ، وطبقة فيها الطير ، فلما كثر أرواث الدوابِّ ، أوحى الله إلى نوح أن اغمز ذنَب الفيل ، فغمزه فوقع منه خنزيرٌ وخنزيرة ، فأقبلا على الرَّوْث . فلما وقع الفأر بجَرَز السفينة يقرضه ،[1] أوحى الله إلى نوح : أن اضرب بين عيني الأسدَ ، فخرج من منخره سِنَّور وسنّورة ، فأقبلا على الفأر . فقال له عيسى : كيف علم نوح أنّ البلاد قد غرقت ؟ قال : بعث الغرابَ يأتيه بالخبر ، فوجد جيفةً فوقع عليها ، فدعا عليه بالخوف ، فلذلك لا يألف البيوت . قال : ثم بعث الحمامة ، فجاءت بورق زيتون بمنقارها ، وطين برجليها ، فعلم أن البلاد قد غرقت . قال : فطوَّقَها الخضرة التي في عنقها ، ودعا لها أن تكون في أنسٍ وأمان ، فمن ثم تألف البيوت . قال : فقلنا : يا رسول الله ، ألا ننطلق به إلى أهلينا فيجلس معنا ويحدثنا ؟ قال : كيف يتبعكم من لا رزق له ؟ قال : فقال له عُدْ بإذن الله ! قال : فعاد ترابًا .[2]

---

(١) في المطبوعة « بحبل السفينة » ، وفي المخطوطة : « بحرر » غير منقوطة ، ورأيت أن أقرأها كذلك ، و « الجرز » (بفتح الجيم والزاي) صدر الإنسان أو وسطه ، كما قالوا له : « الجؤجؤ » ، وهو صدر الطائر . وفي تاريخ الطبري « بخرز » ، كأنه جمع « خرزة » .

(٢) الأثر ١٨١٣٦ — « المفضل بن فضالة بن أبي أمية القرشي » ليس بذاك ، وقيل : في

١٨١٣٧ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحق ، عمن لا يتّهم ، عن عبيد بن عمير الليثي : أنه كان يحدّث أنه بلغه : أنهم كانوا يبطشون به = يعني قوم نوح = فيخنقونه حتى يغشى عليه ، فإذا أفاق قال : « اللهمّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » ، حتى إذا تمادوا في المعصية ، وعظمت في الأرض منهم الخطيئة ، وتطاول عليه وعليهم الشأن ، واشتد عليه منهم البلاء ، وانتظر النَّجْل بعد النَّجْل ، فلا يأتي قرن إلاّ كان أخبثَ من القرن الذي قبله ، حتى أن كان الآخر منهم ليقول : « قد كان هذا مع آبائنا ومع أجدادنا هكذا مجنونًا » ! لا يقبلون منه شيئًا ، حتى شكا ذلك من أمرهم نوح إلى الله تعالى ، كما قص الله علينا في كتابه : ﴿ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا ﴾ ، إلى آخر القصة ، حتى قال : ﴿ رَبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ ، إلى آخر القصة ، [سورة نوح : ٥ – ٢٨]. فلما شكا ذلك منهم نوح إلى الله واستنصره عليهم ، أوحى الله إليه : «أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا»، أي : بعد اليوم، « إنهم مغرقون» . فأقبل نوح على عمل الفلك ، ولَهِيَ عن قومه ، وجعل يقطع الخشب ، ويضرب الحديد ، ويهيئ عدة الفلك من القار وغيره مما لا يصلحه إلا هو ، وجعل قومه يمرُّون به وهو في ذلك من عمله ، فيسخرون منه ويستهزئون به ، فيقول: «إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون * فسوف تعلمونَ من يأتيه عذاب يخزيه ويحلّ عليه ٢٣/١٢

حديثه نكارة ، مترجم في التهذيب ، والكبير ٤/١/٤٠٥ ، وابن أبي حاتم ٤/١/٣١٧ ، وميزان الاعتدال ٣ : ١٩٥ .

و « علي بن زيد بن جدعان » ، سلف مراراً ، آخرها رقم : ١٧٨٦١ ، وقد ذكرت هناك توثيق أخي السيد أحمد رحمه الله ، له . وذكرت تضعيف الأئمة لحديثه ، ورجحت أن يعتبر بحديثه .

وهذا خبر لا أشك أنه من بقية أخبار بني إسرائيل وأشباههم، لا يبلغ أن يكون شيئاً .

ورواه الطبري في تاريخه ١ : ٩١ ، ٩٢ .

عذاب مقيم » ، قال : ويقولون فيما بلغني : يا نوح قد صرت نجّارًا بعد النبوّة ! قال : وأعقم الله أرحام النساء فلا يولد لهم ولد . قال : ويزعم أهل التوراة أن الله أمره أن يصنع الفلك من خشب السّاج ، وأن يصنعه أزْوَر ،[1] وأن يطليه بالقار من داخله وخارجه ، وأن يجعل طوله ثمانين ذراعًا ، وأن يجعله ثلاثة أطباق ، سفلاً ، ووسطًا ، وعلواً ، وأن يجعل فيه كُوًى . ففعل نوح كما أمره الله ، حتى إذا فرغ منه ، وقد عهد الله إليه : « إذا جاء أمرُنا وفارَ التنور فاحمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل » ، وقد جعل التنُّور آية فيما بينه وبينه ، فقال : « إذا جاء أمرنا وفار التَّنُّور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين » ، واركب . فلما فار التنور ، حمل نوح في الفلك من أمرَه الله ، وكانوا قليلاً ، كما قال الله ، وحمل فيها من كل زوجين اثنين مما فيه الروح والشجر ، ذكر وأنثى ، فحمل فيه بنيه الثلاثة سام ، وحام ، ويافث ، ونساءهم ، وستة أناس ممن كان آمن به ، فكانوا عشرة نفر : نوح وبنوه وأزواجهم ، ثم أدخل ما أمره به من الدوابّ ، وتخلف عنه ابنه يام ، وكان كافرًا .[2]

١٨١٣٨ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن الحسن بن دينار ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس قال : سمعته يقول : كان أوّل ما حمل نوح في الفلك من الدواب الذرّة ، وآخر ما حمل الحمار . فلما أدخل الحمار رأسه وأدخَل صدره ، تعلق إبليس بذنبه ،[3] فلم تستقلّ رجلاه ، فجعل نوح يقول : ويحك ! ادخل ! فينهض فلا يستطيع ، حتى قال نوح : ويحك ادخل ! وإن كان الشيطان معك ! قال : كلمةٌ زلّت عن لسانه ، فلما قالها نوح خلّى الشيطان سبيله ، فدخل ودخل الشيطانُ معه . فقال

---

(١) « أزور » ، من « الزور » ، (بفتح فسكون) وهو الصدر ، و « الزور » (بفتحتين) ، وهو عوج الزور ، وهو أن يستدق جوشن الصدر ، ويخرج الكلكل ، كأنه عصر من جانبيه .

(٢) الأثر : ١٨١٣٧ — رواه الطبري في تاريخه ١ : ٩٢ ، ٩٣ .

(٣) في المطبوعة : « فلما دخل الحمار وأدخل رأسه مسك إبليس » ، وفي المخطوطة : « فلما أدخل

له نوح : ما أدخلك علىّ يا عدوّ الله؟ فقال : ألم تقل : « ادخل وإن كان الشيطان معك » ؟ قال : اخرج عنّى يا عدوّ الله ! فقال : مالك بدٌّ من أن تحملنى ! فكان ، فيما يزعمون ، فى ظهر الفلك ، فلما اطمأن نوح فى الفلك ، وأدخل فيه من آمن به ، وكان ذلك فى الشهر . . . .[1] من السنة التى دخل فيها نوح ، بعد ستمئة سنة من عمره ، لسبع عشرة ليلة مضت من الشهر . فلما دخل وحمل معه من حمل ، تحرك ينابيع الغوط الأكبر ،[2] وفتح أبواب السماء ، كما قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ ، [سورة القمر : ١١ ، ١٢] . فدخل نوح ومن معه الفلك ، وغطاه عليه وعلى من معه بطَبَقه.[3] فكان بين أن أرسل الله الماء ، وبين أن احتمل الماءُ الفلك ، أربعون يومًا وأربعون ليلة ، ثم احتمل الماء ، كما تزعم أهل التوراة ، وكثر الماء واشتدّ وارتفع . يقول الله لمحمد : ﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴾ ، [سورة القمر : ١٣] = و « الدسر » ، المسامير ، مسامير الحديد = فجعلت الفلك تجرى به ، وبمن معه فى موج كالجبال ، ونادى نوح ابنه الذى هلك فيمن هلك ، وكان فى معزلٍ ، حين رأى نوحٌ من صدق موعدِ ربه ما رأى فقال : « يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين » ، وكان شقيًّا قد أضمر كفرًا . قال : « سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء » ، وكان عَهِد الجبال وهى حِرْزٌ من الأمطار إذا كانت ، فظنّ أن ذلك كما كان يعهد . قال

الحمار ، وأدخل صدره . إبليس بذنبه » ، الأولى « أدخل » ، وبين الكلامين بياض ، وأثبت الصواب من تاريخ الطبرى .

(١) سقط من المخطوطة والمطبوعة عدد الشهر الذى ذكره ، وساق الكلام سياقاً واحداً ، فوضعت النقط دلالة على هذا السقط ، ولكن هكذا جاء أيضاً فى التاريخ .

(٢) « الغوط » (بفتح فسكون) و « الغائط » ، المتسع من الأرض مع طمأنينة ، وهو هنا : عمق الأرض الأبعد .

(٣) « الطبق » ، غطاء كل شيء . وكان فى المطبوعة : « بطبقة » ، وهو خطأ .

نوح : « لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين » ، وكثر الماء حتى طغى ، وارتفع فوق الجبال ، كما تزعم أهل التوراة ، بخمسة عشر ذراعًا ، فباد ما على وجه الأرض من الخلق ، من كل شيء فيه الروح أو شجر ، فلم يبق شيء من الخلائق إلا نوح ومن معه فى الفلك ، وإلا عُوج بن عُنُق ، فيما يزعم أهل الكتاب ، فكان بين أن أرسل الله الطُّوفان ، وبين أن غاض الماء ، ستة أشهر وعشر ليالٍ . (١)

١٨١٣٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن الحسن بن دينار ، عن على بن زيد بن جدعان = قال ابن حميد قال ، سلمة ، وحدثنى على بن زيد ، عن يوسف بن مهران قال : سمعته يقول : لما آذى نوحًا فى الفلك عَذِرة الناس ، أمر أن يمسح ذنب الفيل فمسحه ، فخرج منه خنزيران ، وكفى ذلك عنه . وإن الفأر توالدت فى الفلك ، فلما آذته ، أمر أن يأمر الأسد يعطس فعطس ، فخرج من منخريه هِرّان يأكلان عنه الفأر .

١٨١٤٠ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن على بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس قال : لما كان نوح فى السفينة ، قرض الفأر حبالَ السفينة ، فشكا نوح ، فأوحى الله إليه ، فمسح ذنب الأسد ، فخرج سِنَّوران . وكان فى السفينة عذرة ، فشكا ذلك إلى ربه ، فأوحى الله إليه ، فمسح ذنب الفيل ، فخرج خنزيران . ٢٤/١٢

١٨١٤١ — حدثنا إبراهيم بن يعقوب الجوزجانى قال ، حدثنا الأسود بن عامر قال ، أخبرنا سفيان بن سعيد ، عن على بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، بنحوه . (٢)

---

(١) الأثر : ١٨١٣٨ — رواه الطبرى فى تاريخه ١ : ٩٣ ، ٩٤ .

(٢) الأثر : ١٨١٤١ — « إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق الجوزجانى ، السعدى » ، شيخ الطبرى ، كان من الحفاظ ، مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ١٤٨/١/١ .
و « الأسود بن عامر ، شاذان » ، ثقة ، مضى برقم : ١٣٩٢٧ .

١٨١٤٢ – حدثت عن المسيب ، عن أبي روق، عن الضحاك قال ، قال سليمان القراسي : عمل نوح السفينة في أربعمئة سنة ، وأنبت الساج أربعين سنة ، حتى كان طوله أربعمئة ذراع ، والذراع إلى المنكب .(١)

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ﴿٤٠﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: مخبرًا عن قيل نوح لقومه : « فسوف تعلمون »، أيها القوم ، إذا جاء أمر الله، من الهالك، « من يأتيه عذاب يخزيه» ، يقول : الذي يأتيه عذابُ الله منا ومنكم يهينه ويذله(٢) = « ويحل عليه عذاب مقيم » ، يقول : وينزل به في الآخرة ، مع ذلك ، عذابٌ دائم لا انقطاع له ، مقيم عليه أبدًا .(٣)

* * *

وقوله : « حتى إذا جاء أمرُنا » ، يقول : « ويصنع نوح الفلك » ، « حتى إذا

---

(١) الأثر : ١٨١٤٢ – « المسيب » ، هو « المسيب بن شريك التميمي » ، متروك سلف برقم : ١٦٨٠٦ .

و « سليمان القراسي » ، لم أعرف من يكون .

وكان في المخطوطة والمطبوعة : « المسيب بن أبي روق » ، وهو خطأ صرف وسيأتي على الصواب برقم : ١٨١٧٣ .

قلت : وهذه الأخبار الآنفة ، كلها رجم من رجم أصحاب الكتب السالفة ، لا خير فيها ، إلا أنهم ربما أثبتوها في كتبهم ، لأنه كان هكذا يروى ، ولكن ما من أحد من أهل العلم يعدها حجة على شيء ، أو مظنة اعتقاد بصحتها .

(٢) انظر تفسير « الخزي » فيما سلف من فهارس اللغة (خزى) .

(٣) انظر تفسير « عذاب مقيم » فيما سلف ١٠ : ١٤/٢٩٣ : ١٧٤ ، ٣٤٠ .

جاء أمرنا » ، الذى وعدناه أن يجيء قومه ، من الطوفان الذى يغرقهم .

* * *

وقوله : « وفار التنور » ، اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك .

فقال بعضهم : معناه : انبجس الماء من وجه الأرض = « وفار التنور » ، وهو وجه الأرض .

* ذكر من قال ذلك :

١٨١٤٣ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال : أخبرنا العوّام بن حوشب ، عن الضحاك ، عن ابن عباس أنه قال فى قوله : « وفار التنور » ، قال : « التنور » ، وجه الأرض . قال : قيل له : إذا رأيت الماء على وَجه الأرض ، فاركب أنت ومن معك. قال : والعرب تسمى وجه الأرض : « تنور الأرض » .

١٨١٤٤ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن العوام ، عن الضحاك ، بنحوه .

١٨١٤٥ – حدثنا أبو كريب ، وأبو السائب قالا ، حدثنا ابن إدريس قال ، أخبرنا الشيبانى ، عن عكرمة فى قوله : « وفار التنور » ، قال : وجه الأرض .

١٨١٤٦ – حدثنا زكريا بن يحيى بن أبى زائدة ، وسفيان بن وكيع قالا ، حدثنا ابن إدريس ، عن الشيبانى ، عن عكرمة : « وفار التنور » ، قال : وجه الأرض .

* * *

وقال آخرون : هو تنويرُ الصبح ، من قولهم : « نوَّرَ الصبح تنويراً » .

* ذكر من قال ذلك :

١٨١٤٧ – حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ، حدثنا محمد بن فضيل قال ، حدثنا عبد الرحمن بن إسحق، عن عباس مولى أبى جحيفة، عن أبى جحيفة ،عن

على رضى الله عنه قوله : «حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور»، قال : هو تنوير الصبح .

١٨١٤٨ – حدثنا ابن وكيع ، وإسحق بن إسرائيل قالا ، حدثنا محمد بن فضيل ، عن عبد الرحمن بن إسحق ، عن زياد مولى أبى جحيفة ، عن أبى جحيفة ، عن على فى قوله : « وفار التنور » ، قال : تنوير الصبح .

١٨١٤٩ – حدثنا حماد بن يعقوب قال ، أخبرنا ابن فضيل ، عن عبد الرحمن ابن إسحق ، عن مولى أبى جحيفة = أراه قد سماه = ، عن أبى جحيفة ، عن على : « وفار التنور » ، قال : تنوير الصبح .

١٨١٥٠ – حدثنى إسحق بن شاهين قال ، حدثنا هشيم ، عن ابن إسحق عن رجل من قريش ، عن على بن أبى طالب رضى الله عنه : « وفار التنور » ، قال : طلع الفجر .

١٨١٥١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عبد الرحمن بن إسحق ، عن رجل قد سمّاه ، عن على بن أبى طالب قوله : « وفار التنور » ، قال : إذا طلع الفجر .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : وفار أعلى الأرض وأشرف مكانٍ فيها بالماء .

وقال : « التنور » ، أشرف الأرض .

* ذكر من قال ذلك :

١٨١٥٢ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور » ، كنا نحدّث أنه أعلى الأرض وأشرَفُها ، وكان عَلَمًا بين نوح وبين ربّه .

١٨١٥٣ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا سليمان قال ، حدثنا أبو هلال ، قال سمعت قتادة قوله : «وفار التنور» ، قال : أشرف الأرض وأرفعها ، فار الماء منه .

* * *

وقال آخرون : هو التنور الذى يُختَبز فيه .

* ذكر من قال ذلك :

١٨١٥٤ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور » ، قال : إذا رأيت تنُّور أهلك يخرج منه الماءُ ، فإنه هلاكُ قومك . ٢٥/١٢

١٨١٥٥ – حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم ، عن أبى محمد ، عن الحسن قال : كان تنورًا من حجارة ، كان لحوّاء حتى صار إلى نوح . قال : فقيل له : إذا رأيت الماء يفورُ من التنور ، فاركب أنتَ وأصحابك .

١٨١٥٦ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وفار التنور » ، قال : حين انبجس الماء ، وأمر نوحٌ أن يركب هو ومن معه فى الفلك .

١٨١٥٧ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وفار التنور » ، قال : انبجس الماء منه ، آيةً ، أن يركب بأهله ومن معه فى السفينة .

١٨١٥٨ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، نحوه = إلا أنه قال : آيةَ أن يركب أهلهُ ومن معه فى السفينة .

١٨١٥٩ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه = إلا أنه قال : آيةً بأن يركب بأهله ومن معهم فى السفينة .

١٨١٦٠ – حدثنى الحارث قال ، حدثنا القاسم قال ، حدثنا خلف بن خليفة ، عن ليث ، عن مجاهد قال : نبع الماء فى التنور ، فعلمت به امرأته فأخبرته . قال : وكان ذلك فى ناحية الكُوفة .

١٨١٦١ - . . قال، حدثنا القاسم قال ، حدثنا على بن ثابت ، عن السرى بن إسمعيل ، عن الشعبي : أنه كان يحلف بالله ، ما فار التَّنُّور إلا من ناحية الكوفة .

١٨١٦٢ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عبد الحميد الحمانى ، عن النضر أبى عمر الخزاز ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قوله : « وفار التنور » ، قال : فار التنُّور بالهند .

١٨١٦٣ - حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « وفار التنور » ، وكان آيةً لنوح ، إذا خرج منه الماء ، فقد أتى الناسَ الهَلاكُ والغرق .

* * *

وكان ابن عباس يقول فى معنى : « فار » ، نبع .

١٨١٦٤ - حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « وفار التنور» ، قال : نبع .

* * *

قال أبو جعفر : و« فوران الماء » ، سَوْرَة دفعته . يقال منه : « فار الماء يَفُور فَوْراً وفُؤوراً وفَوَرَاناً » ،[1] وذلك إذا سارت دفْعَتُه .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال عندنا بتأويل قوله : « التنور » ، قول من قال : «هو التنور الذى يخبز فيه» ، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب . وكلام الله لا يُوجَّه إلا إلى الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب ، إلا أن تقوم حجَّة على شيء منه بخلاف ذلك ، فيسلم لها . وذلك أنه جل ثناؤه إنما خاطبهم بما خاطبهم به ، لإفهامهم معنى ما خاطبهم به .

* * *

= « قلنا » ، لنوح حين جاء عذابنا قومه الذى وعدنا نوحًا أن نعذبهم به ، وفار التنور

(١) قوله « وفؤوراً » ، حذفها من المطبوعة ، وهى ثابتة فى المخطوطة .

الذى جعلنا فورانه بالماء آيةَ مجيء عذابنا بيننا وبينه لهلاك قومه = « احمل فيها » ، يعنى فى الفلك = « من كل زوجين اثنين » ، يقول : من كل ذكر وأنثى ، كما : —

١٨١٦٥ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « من كل زوجين اثنين » ، قال : ذكر وأنثى ، من كل صنف .

١٨١٦٦ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٨١٦٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « من كل زوجين اثنين » ، فالواحد « زوج » ، و « الزوجين » ، ذكر وأنثى من كل صنف .

١٨١٦٨ — . . . . قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله : « من كل زوجين اثنين » ، قال : ذكر وأنثى من كل صنف

١٨١٦٩ — . . . . قال ، حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

١٨١٧٠ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين » ، يقول : من كل صنف اثنين .

١٨١٧١ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « من كل زوجين اثنين » ، يعنى بالزوجين اثنين ، ذكر وأنثى .

* * *

وقال بعض أهل العلم بكلام العرب من الكوفيين ، « الزوجان » ، فى كلام العرب : الاثنان . قال ويقال : « عليه زوجَا نِعال » ، إذا كانت عليه

نعلان ، ولا يقال : « عليه زوجُ نعال » ، وكذلك : « عنده زوجا حمام » ، و« عليه زوجَا قيود » . وقال ألا تسمع إلى قوله : ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى ﴾ ، [سورة النجم : ٤٥] ، فإنما هما اثنان .[١] ٢٦/١٢

* * *

وقال بعض البصريين من أهل العربية فى قوله : « قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين » ، قال : فجعل « الزوجين » ، « الضربين » ، الذكور والإناث . قال : وزعم يونس أن قول الشاعر :[٢]

وَأَنْتَ امْرُؤٌ تَغْدُو عَلَى كُلِّ غِرَّةٍ فَتُخْطِئُ فِيهَا مَرَّةً وَتُصِيبُ[٣]

يعنى به الذئب . قال : فهذا أشذّ من ذلك .

* * *

وقال آخر منهم : « الزوج » ، اللون . قال : وكل ضرب يدعى « لوناً » ، واستشهد ببيت الأعشى فى ذلك :

وَكُلُّ زَوْجٍ مِنَ الدِّيباجِ يَلْبَسُهُ أَبُو قُدَامَةَ مَحْبُوًّا بِذَاكَ مَعَا[٤]

ويقول لبيد :

وَذِى بَهْجَةٍ كَنَّ المَقَانِبُ صَوْتَهُ وَزَيَّنَهُ أَزْوَاجُ نَوْرٍ مُشَرَّبِ[٥]

* * *

---

(١) انظر تفسير « الزوجين » فيما سلف ١٢ : ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٢) لم أعرف قائله .

(٣) اللسان (مرأ) ، ويعنى أنه سمى الذئب « امرءاً » ، جعله إنساناً ، فهذا شذوذه .

(٤) ديوانه : ٨٦ ، اللسان (زوج) ، من قصيدته فى « هوذة بن على الحنفى » ، وهو « أبو قدامة » ، وقبله :

مَنْ يَلْقَ هَوْذَةَ يَسْجُدْ غَيْرَ مُتَّئِبٍ إذا تَعَصَّبَ فَوْقَ التَّاجِ أَوْ وَضَعَا

لَهُ أَكَالِيلُ بِالْيَاقُوتِ زَيَّنَهَا صُوَّاغُهَا ، لاَ تَرَى عَيْباً ولاَ طَبَعَا

(٥) ديوانه : قصيدة ٩ ، البيت : ٢٥ ، يصف غيثاً تبرجت به الأرض ، يقول قبله :

وَغَيْثٍ بِدَكْدَاكٍ يَزِينُ وِهَادَهُ نَبَاتٌ كَوَشْىِ المَبْقَرِىِّ المُخَلَّبِ

وذكر أن الحسن قال في قوله : ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [سورة الذاريات : ٤٩] : السماء زوج ، والأرض زوج ، والشتاء زوج ، والصيف زوج ، والليل زوج ، والنهار زوج ، حتى يصير الأمر إلى الله الفرد الذي لا يشبهه شيء .

* * *

وقوله : « وأهلك إلا من سبق عليه القول » ، يقول : واحمل أهلك أيضاً في الفلك ، يعني بـ « الأهل » ، ولده ونساءه وأزواجه[1] = « إلا من سبق عليه القول » ، يقول : إلا من قلت فيهم : إني مهلكه مع مَنْ أُهْلِكُ من قومك .

* * *

ثم اختلفوا في الذي استثناه الله من أهله .

فقال بعضهم : هو بعض نساء نوح .

* ذكر من قال ذلك :

١٨١٧٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج : « وأهلك إلا من سبق عليه القول » ، قال : العذاب ، هي امرأته ، كانت في الغابرين في العذاب .[2]

* * *

أَرَبَّتْ عَلَيْهِ كُلُّ وَطْفَاءَ جَوْنَةٍ هَتُوفٍ مَتَى يُنْزِفْ لَهَا الوَبْلُ تَسْكُبِ
بِذِي بَهْجَةٍ كَنَّ المَقَانِبَ صَوْبُهُ وَزَيَّنَهُ أَطْرَافُ نَبْتٍ مُشَرَّبِ

هذه رواية الديوان ، وروى أيضاً : « ألوان نور مشرب » . و « الدكداك » ما ارتفع واستوى من الأرض ، و « الوهاد » ، ما اطمأن من الأرض ، و « المخلب » ، المخطط ، يصف النبت وزهره ، كأنه برود مخططة منشورة على الربى والوهاد . و « أربت » ، أقامت ، و « الوطفاء » السحابة الدانية من الأرض ، و « الجونة » ، السوداء ، وذلك لكثرة مائها ، و « هتوف » ، يهتف رعدها ويصوت . و « أنزف الشيء » ، أذهبه . يقول : أقامت عليه هذه السحابة الكثيرة الماء ترعد ، فلما ذهب الوبل ، جاءت بمطر سكب . و « البهجة » ، زهو النبات ، و « كن » ، منع وستر ، و « المقانب » ، جماعة الخيل . و « الصوب » المطر . و « مشرب » أشرب ألواناً من حمرة وصفرة وخضرة . يقول : جاء المطر فاستتروا به لطوله وارتفاعه . وأما رواية أبي جعفر ، فمعناها : أن المقانب منعته أن يرعاه أحد سواهم ، فلم يسمع به صوت .

(١) انظر تفسير « الأهل » فيما سلف ٨ : ١٩٢ .

(٢) في المطبوعة : « من الغابرين » ، غير ما في المخطوطة وهو صواب محض .

وقال آخرون : بل هو ابنه الذى غرق .

* ذكر من قال ذلك :

١٨١٧٣ – حدثت عن المسيب، عن أبى روق ، عن الضحاك فى قوله : « وأهلك إلا من سبق عليه القول » ، قال : ابنه ، غرق فيمن غرق .

* * *

وقوله : « ومن آمن » ، يقول : واحمل معَهم من صدقك واتبعك من قومك = يقول الله : « وما آمن معه إلا قليل » ، يقول : وما أقرّ بوحدانية الله مع نوح من قومه إلاّ قليل .

* * *

واختلفوا فى عدد الذين كانوا آمنوا معه ، فحملهم معه فى الفلك .

فقال بعضهم فى ذلك : كانوا ثمانية أنفس .

* ذكر من قال ذلك :

١٨١٧٤ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وأهلك إلاّ من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل » ، قال : ذكر لنا أنه لم يتمّ فى السفينة إلا نوح وامرأته ، وثلاثة بنيه ، ونساؤهم ، فجميعهم ثمانية .

١٨١٧٥ – حدثنا ابن وكيع ، والحسن بن عرفة قالا ، حدثنا يحيى بن عبد الملك بن أبى غنية ، عن أبيه ، عن الحكم : « وما آمن معه إلا قليل » ، قال: نوح ، وثلاثة بنيه ، وأربع كنائنه .

١٨١٧٦ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج : حُدّثت أن نوحاً حَمَل معه بنيه الثلاثة ، وثلاث نسوة لبنيه ، وامرأة نوح ، فهم ثمانية بأزواجهم . وأسماء بنيه : يافث، وسام ، وحام . وأصاب حام زوجته فى السفينة ، فدعا نوحٌ أن يغيّر نُطْفته ، ، فجاء بالسُّودان .

* * *

وقال آخرون : بل كانوا سبعة أنفس .

* ذكر من قال ذلك :

١٨١٧٧ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش : « وما آمن معه إلا قليل » ، قال : كانوا سبعة : نوح ، وثلاث كنائن له ، وثلاثة بنين .

* * *

وقال آخرون : كانوا عشرة سوى نسائهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٨١٧٨ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال : لما فار التنور ، حمل نوح في الفلك من أمره الله به ، وكانوا قليلاً كما قال الله ، فحمل بنيه الثلاثة : سام ، وحام ، ويافث ، ونساءهم ، وستة أناسي ممن كان آمن ، فكانوا عشرة نفر ، بنوح وبنيه وأزواجهم .(١)

* * *

وقال آخرون : بل كانوا ثمانين نفسًا .

* ذكر من قال ذلك :

١٨١٧٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال ابن عباس : حمل نوح معه في السفينة ثمانين إنساناً .

١٨١٨٠ – حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا سفيان : كان بعضهم يقول :كانوا ثمانين = يعني « القليل » الذي قال الله : « وما آمن معه إلا قليل » .

١٨١٨١ – حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال ، حدثنا زيد بن الحباب قال ، حدثني حسين بن واقد الخراساني قال ، حدثني أبو نهيك قال ، ٢٧/١٢

---

(١) الأثر : ١٨١٧٨ – سلف مختصراً برقم ١٤٧٩٢ ، وانظر التعليق عليه هناك .

سمعت ابن عباس يقول : كان فى سفينة نوح ثمانون رجلاً ، أحدهم جُرْهُم .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أن يقال كما قال الله : « وما آمن معه إلا قليل » ، يصفهم بأنهم كانوا قليلاً ، ولم يحُدّ عددهم بمقدارٍ ، ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح . فلا ينبغى أن يُتَجاوز فى ذلك حدُّ الله ، إذ لم يكن لمبلغ عدد ذلك حدٌّ من كتاب الله ، أو أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ (٤١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وقال نوح : اركبوا فى الفلك ، « بسم الله مجراها ومرساها » .

* * *

وفى الكلام محذوفٌ قد استغنى بدلالة ما ذُكر من الخبر عليه عنه ، وهو قوله : « قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل » = فحملهم نوح فيها = « وقال » لهم ، « اركبوا فيها » ، فاستغنى بدلالة قوله : « وقال اركبوا فيها » ، عن حمله إياهم فيها ، فتُرك ذكره .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « بسم الله مجراها ومرساها » .

فقرأته عامة قرأة أهل المدينة والبصرة وبعض الكوفيين : ﴿ بِسْمِ اللهِ مُجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ﴾ ، بضم الميم فى الحرفين كليهما . وإذا قرئ كذلك ، كان من « أجرى » و« أرسى » ، وكان فيه وجهان من الإعراب :

أحدهما : الرفع ، بمعنى : بسم الله إجراؤها وإرساؤها = فيكون « المجرى » و« المرسى » ، مرفوعين حينئذ بالباء التى فى قوله : « بسم الله » .

والآخر : النصب ، بمعنى : بسم الله عند إجرائها وإرسائها ، أو : وقت إجرائها وإرسائها = فيكون قوله : « بسم الله » ، كلامًا مكتفياً بنفسه ، كقول القائل عند ابتدائه فى عمل يعمله : « بسم الله » ، ثم يكون « المجرى » و « المرسى » منصوبين على ما نصبت العرب قولهم : « الحمدُ لله سِرارَك وإهلالَك » ، يعنون الهلال أوّله وآخره ، كأنهم قالوا : « الحمد لله أوّل الهلال وآخره » . ومسموع منهم أيضًا : « الحمدُ لله ما إهلالَك إلى سِرارِك » .[1]

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفيين : ﴿ بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ﴾ ، بفتح الميم من « مَجراها » وضمها من « مُرْساها » ، فجعلوا « مجراها » مصدرًا من : « جرى يجرى مَجْرى » ، و« مرساها » من : « أرسَى يُرْسى إرساء » .[2] وإذا قرئ ذلك كذلك ، كانَ فى إعرابهما من الوجهين ، نحو الذى فيهما ، إذا قرئا : « مُجراها ومُرساهَا » ، بضم الميم فيهما ، على ما بيَّنتُ .

* * *

وروى عن أبى رجاء العطاردى أنه كان يقرأ ذلك : ﴿ بِسْمِ اللهِ مُجْرِيهَا وَمُرْسِيهَا ﴾ ، بضم الميم فيهما ، ويصيرهما نعتًا لله . وإذا قرئا كذلك كان فيهما أيضًا وجهَان من الإعراب ، غير أن أحدهما الخفضُ ، وهو الأغلب عليهما من وجهى الإعراب ، لأن معنى الكلام على هذه القراءة : بسم الله مُجْرى الفلك ومرسيها = فـ «المجرى» نعت لاسم الله . وقد يحتمل أن يكون نصبًا ، وهو الوجه الثانى ، لأنه يحسن دخول الألف واللام فى « المجرى » و « المرسى » ، كقولك : « بسم الله

---

(١) قال الفراء فى معانى القرآن ، بعد ذلك : « يريدون : ما بين إهلالك إلى سرارك » .

(٢) انظر تفسير « الإرساء » فيما سلف ١٣ : ٢٩٣ .

المجريها والمرسيها » ، وإذا حذفتا نصبتا على الحال ، إذ كان فيهما معنى النكرة ، وإن كانا مضافين إلى المعرفة .

* * *

وقد ذكر عن بعض الكوفيين أنه قرأ ذلك : ﴿ مَجْرَاهَا ومَرْسَاهَا ﴾ ، بفتح الميم فيهما جميعا من « جرى » و « رسا » ، كأنه وجهه إلى أنه : فى حال جَرْيها وحال رُسُوّها ، وجعل كلتا الصفتين للفلك ، كما قال عنترة .

فَصَبَرْتُ نَفْسًا عِنْدَ ذَلِكَ حُرَّةً ترْسُو إذَا نَفْسُ الجَبانِ تَطَلَّعُ (١)

* * *

قال أبو جعفر : والقراءة التى نختارها فى ذلك قراءة من قرأ : ﴿ بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا ﴾ بفتح الميم ﴿ وَمُرْسَاهَا ﴾ ، بضم الميم ، بمعنى : بسم الله حين تَجْرى وحين تُرْسى .

وإنما اخترت الفتح فى ميم « مجراها » لقرب ذلك من قوله : « وهى تَجْرى بهم فى موج كالجبال » ، ولم يقل : « تُجْرَى بهم » ، ومن قرأ « بسم الله مُجْرَاها » ، كان الصواب على قراءته أن يقرأ : «وهى تُجْرى بهم » ، وفى إجماعهم على قراءة : ﴿ تَجْرِى ﴾ بفتح التاء ، دليل واضح على أن الوجه فى « مجراها » فتح الميم . وإنما اخترنا الضم فى « مرساها » ، لإجماع الحجة من القرأة على ضمّها .

ومعنى قوله : « مجراها » ، مسيرها = « ومرساها » ، وقفها ، من : وقَفَها الله وأرساها .

* * *

(١) ديوانه : ٨٩ من أبيات ، يقول قبله ، يذكر الغراب ، ويتشاءم به .

إنَّ الَّذِينَ نَعَبْتَ لِى بِفِرَاقِهِمْ قَدْ أَسْهَرُوا لَيْلَ التِّمَامِ وأَوْجَعُوا
وَعَرَفْتُ أَنَّ مَنِيَّتِي إنْ تَأْتِنِي لاَ يُنْجِنِي مِنْهَا الفِرَارُ الأَسْرَعُ
فَصَبَرْتُ عارِفَةً لِذَلِكَ حُرَّةً . . . . . .

و « نفس عارفة » ، حاملة للشدائد صبور ، إذا حملت على أمر احتملته ، من طول مكابدتها لأهوال هذه الحياة . و « ترسو » ، تثبت . و « تطلع » ، تنزو متلفتة إلى مهرب ، أو ناصر ، من الجزع والرعب .

وكان مجاهد يقرأ ذلك بضم الميم فى الحرفين جميعًا .

١٨١٨٢ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد =

١٨١٨٣ – ...قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : ﴿ بِسْمِ اللهِ مُجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ﴾ ، قال : حين يركبون ويجرون ويرسون . ٢٨/١٢

١٨١٨٤ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : بسم الله حين يركبون ويجرون ويرسون .

١٨١٨٥ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : ﴿ بِسْمِ اللهِ مُجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ﴾ ، قال : بسم الله حين يجرون وحين يرسون .

١٨١٨٦ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا جابر بن نوح قال ، حدثنا أبو روق ، عن الضحاك فى قوله : « اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها » ، قال : إذا أراد أن ترسى قال : « بسم الله » ، فأرست = وإذا أراد أن تجرى قال : « بسم الله » ، فجرت .

* * *

وقوله : « إن ربى لغفورٌ رَحيم » ، يقول : إن ربى لساتر ذنوب من تاب وأناب إليه ، رحيمٌ بهم أن يعذبهم بعدَ التوبة . (١)

* * *

(١) انظر تفسير « غفور » و « رحيم » فيما سلف من فهارس اللغة (غفر) ، (رحم) .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ﴾ (٤٢)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وهى تجرى بهم »، والفلك تجرى بنوح ومن معه فيها = « فى موج كالجبال ونادى نوح ابنه » ، يام = « وكان فى معزل »، عنه، لم يركب معه الفلك = « يا بنى اركب معنا » ، الفلك = « ولا تكن مع الكافرين » .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ (٤٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال ابن نوح ، لما دعاه نوح إلى أن يركب معه السفينة ، خوفًا عليه من الغرق : « سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء » ، يقول : سأصير إلى جبل أتحصّن به من الماء ،[1] فيمنعنى منه أن يغرقنى .

* * *

ويعنى بقوله : « يعصمنى » ، يمنعنى ، مثل « عصام القربة » ، الذى يشدُّ به رأسها ، فيمنع الماء أن يسيل منها .[2]

* * *

(١) انظر تفسير « أوى » فيما سلف ١٣ : ٤٧٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « يعصم » فيما سلف ١٠ : ٤٧٢ ، تعليق : ٢/١٥ : ٧٣ .

وقوله : « لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم » ، يقول : لا مانع اليوم من أمر الله الذى قد نزل بالخلق من الغرق والهلاك ، إلا من رَحِمْنا فأنقذنا منه ، فإنه الذى يمنع من شاء من خلقه ويعصم .

* * *

= و « مَنْ » فى موضع رفع ، لأن معنى الكلام: لا عاصم يَعصم اليوم من أمر الله إلا الله .

* * *

وقد اختلف أهل العربية فى موضع « من » ، فى هذا الموضع .

فقال بعض نحويي الكوفة : هو فى موضع نصب ، لأن المعصوم بخلاف العاصم ، والمرحوم معصوم . قال : كأن نصبه بمنزلة قوله : ﴿ مَالَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ﴾ ، [سورة النساء : ١٥٧] . قال : ومن استجاز : ﴿ اتِّبَاعُ الظَّنِّ ﴾ ، والرفع فى قوله :[1]

وَبَلْدَةٌ لَيْسَ بِها أَنِيسُ إِلاَّ الْيَعافِيرُ وَإِلاَّ العِيسُ [2]

لم يجز له الرفع فى « من » ، لأن الذى قال : « إلا اليعافير » ، جعل أنيس البرّ ، اليعافير وما أشبهها . وكذلك قوله : « إلا اتباع الظن » ، يقول : علمهم ظنٌّ . قال : وأنت لا يجوز لك فى وجه أن تقول : « المعصوم » هو « عاصم » فى حال ، ولكن لو جعلت « العاصم » فى تأويل « معصوم » ، [كأنك قلت] : « لا معصوم اليوم من أمر الله » ، [3] لجاز رفع « من » . قال : ولا ينكر أن يخرج « المفعول » على « فاعل » ألا ترى قوله : ﴿ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ﴾ ، [سورة الطارق : ٦] ، معناه ، والله

---

(١) هو جران العود .

(٢) سلف البيت وتخريجه فيما مضى ٩ : ٢٠٣ .

(٣) الزيادة بين القوسين من معانى القرآن للفراء ، وهو نص كلامه .

أعلم : مدفوق = وقوله : ﴿ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ ، [سورة الحاقة : ٢١] ، معناها : مرضيّة ، قال الشاعر :(١)

دَعِ الْمَكَارِمَ لاَ تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا وَاقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي(٢)

ومعناه : المكسوّ .

* * *

وقال بعض نحويي البصرة : « لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم » ، على : « لكن من رحم » ، ويجوز أن يكون على : لا ذا عصمة ، أى : معصوم ، ويكون « إلا من رحم » ، رفعًا ، بدلاً من « العاصم » .

* * *

قال أبو جعفر : ولا وجه لهذه الأقوال التى حكيناها عن هؤلاء ، لأن كلام الله تعالى إنما يُوَجَّه إلى الأفصح الأشهر من كلام من نزل بلسانه ، ما وُجِد إلى ذلك سبيل . ولم يضطرَّنا شيء إلى أن نجعل «عاصمًا» فى معنى « معصوم » ، ولا أن نجعل « إلا » بمعنى « لكن » ، إذ كنا نجد لذلك فى معناها الذى هو معناه ، فى المشهور من كلام العرب ، مخرجًا صحيحًا ، وهو ما قلنا : من أنَّ معنى ذلك : قال نوح لا عاصم اليوم من أمر الله ، إلا من رحمنا فأنجانا من عذابه ، كما يقال : « لا مُنجى اليوم من عذاب الله إلا الله » = « ولا مطعم اليومَ من طعام زيد إلا زيد » ،

---

(١) هو الحطيئة .

(٢) ديوانه : ٥٤ ، وطبقات فحول الشعراء : ٩٨ ، واللسان (طعم) ، (كسا) ، ومعانى القرآن للفراء ، وغيرها كثير ، فى خبره المشهور ، لما ذم الزبرقان ، واستعدى عليه عمر بن الخطاب ، وقال عمر لحسان : أهجاه ؟ قال : لا ، ولكنه ذرق عليه ! وقد فسرته على أن « الطاعم » و « الكاسى » ، على النسب ، أى : ذو الطعام ، يشتهيه ويستجيده من شرهه = وذو الكسوة ، يتخيرها ويتأنق فيها ، لا هم له فى المكارم . ولذلك قال الزبرقان لعمر : أو ما تبلغ مروءتى إلا أن آكل وألبس ! ! ومثل هذا قول عبد الرحمن بن حسان :

إِنِّى رَأَيْتُ مِنَ الْمَكَارِمِ حَسْبَكُمْ أَنْ تَلْبَسُوا حُرَّ الثِّيَابِ وَتَشْبَعُوا

فهذا هو الكلام المعروف والمعنى المفهوم .

* * *

٢٩/١٢ وقوله : « وحال بينهما الموج فكان من المغرقين » ، يقول : وحال بين نوح وابنه موجُ الماء فغرق ،[1] فكان ممّن أهلكه بالغرق من قوم نوح صلى الله عليه وسلم .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (٤٤)

قال أبو جعفر : يقول الله تعالى ذكره : وقال الله للأرض ، بعد ما تناهَى أمرُه فى هلاك قوم نوح بما أهلكهم به من الغرق : « يا أرض ابلعى ماءك » ، أى : تشرَّبى .

* * *

من قول القائل : «بَلِعَ فلان كذا يَبْلَعُه» ، أو : «بَلَعَه يَبْلَعُه» ، إذا ازدرَدَه .[2]

* * *

= « وياسماء أقلعى » ، يقول : أقلعى عن المطر ، أمسكى = « وغيض الماء » ، ذهبت به الأرض ونَشِفته ، « وقضى الأمر » ، يقول : قُضِى أمر الله ، فمضى بهلاك قوم نوح[3] = « واستوت على الجودىّ » ، يعنى : الفلك = « استوت » ، أرست = « على الجودىّ » ، وهو جبل ، فيما ذكر ، بناحية الموصل أو الجزيرة ،

---

(١) انظر تفسير « حال » فيما سلف ١٣ : ٤٧٢ .

(٢) الذى فى المعاجم « بلع » (بفتح فكسر) ، أما « بلع » (بفتحتين) ، فقد ذكرها ابن القطاع فى كتاب الأفعال ١ : ٨٥ وفرق بينهما وقال : «بَلِعَ الطعام بَلْعاً ، وبَلَعَ الماء والريق بَلْعاً» ، وذكر أيضاً ابن القوطية فى كتاب الأفعال : ٢٨١ ، مثل ذلك .

(٣) انظر تفسير « قضى » فيما سلف من فهارس اللغة (قضى) .

= « وقيل بعداً للقوم الظالمين » ، يقول : قال الله : أبعد الله القوم الظالمين الذين كفروا بالله من قوم نوح .(١)

* * *

١٨١٨٧ – حدثنا عباد بن يعقوب الأسدى قال ، حدثنا المحاربى ، عن عثمان بن مطر ، عن عبد العزيز بن عبد الغفور ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فى أول يوم من رجب ، ركب نوح السفينة ، فصام هو وجميع من معه ، وجرت بهم السفينة ستةَ أشهر ، فانتهى ذلك إلى المحرم ، فأرست السفينة على الجودىّ يوم عاشوراء ، فصام نوح ، وأمر جميع من معه من الوحش والدوابّ فصامُوا شكرًا لله .(٢)

١٨١٨٨ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : كانت السفينة أعلاها للطير ، ووسطها للناس ، وفى أسفلها السباع . وكان طولها فى السماء ثلاثين ذراعًا ، ودفعت من عَين وردة يوم الجمعة لعشر ليالٍ مضين من رجب ، وأرست على الجودىّ يوم عاشوراء ، ومرت بالبيت فطافت به سبعًا ، وقد رفعه الله من الغرق ، ثم جاءت اليمن ، ثم رجعت .(٣)

---

(١) انظر تفسير « استوى » فيما سلف ص : ١٨ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) الأثر : ١٨١٨٧ – « عباد بن يعقوب الأسدى » ، شيخ الطبرى ، ثقة فى الحديث ، شيعى الرأى ، مضى برقم : ٥٤٧٥ .

و « المحاربى » ، هو « عبد الرحمن بن محمد المحاربى » ، ثقة ، من شيوخ أحمد ، مضى مراراً .

و « عثمان بن مطر الشيبانى » ، ضعيف منكر الحديث ، متروك . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣/١/١٦٩ .

وأما « عبد العزيز بن عبد الغفور » ، فهذا اسم مقلوب ، وإنما هو « عبد الغفور بن عبد العزيز » ويقال : « عبد الغفار بن عبد العزيز » ويروى عنه « عثمان بن مطر » . وهو كذاب خبيث كان يضع الحديث ، ومضى برقم : ١٤٧٧٦ . ولكن العجب أن أبا جعفر رواه فى تاريخه مقلوباً أيضاً .

وأبوه « عبد العزيز الشامى » ، لم أجد له ذكراً ، كما أسلفت فى رقم : ١٤٧٧٦ ، وأخشى أن يكون هذا الإسناد : « عن أبيه ، عن أبيه » ، كما سلف .

وهذا خبر هالك من نواحيه جميعاً ، ووقع فيه الخلط فى اسم « عبد الغفور » جزاء ما خلط فى أحاديثه ومناكيره .

ورواه أبو جعفر فى تاريخه أيضاً ١ : ٩٦ .

(٣) الأثر : ١٨١٨٨ – رواه أبو جعفر فى تاريخه ١ : ٩٦ .

١٨١٨٩ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن أبي جعفر الرازي ، عن قتادة قال : هبط نوح من السفينة يوم العاشر من المحرم ، فقال لمن معه : من كان منكم اليوم صائمًا فليتمّ صَومه، ومن كان مفطراً فليصم .(١)

١٨١٩٠ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن أبي معشر، عن محمد بن قيس قال: [مَا] كان زَمَن نوحٍ شبر من الأرض ، إلاّ إنسانٌ يَدّعيه .(٢)

١٨١٩١ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذكر لنا أنّها = يعني الفُلْك = استقلّت بهم في عشر خلون من رجب ، فكانت في الماء خمسين ومئة يوم ، واستقرت على الجودي شهراً ، وأهبط بهم في عشر [خلَوْن] من المحرم يوم عاشوراء .(٣)

* * *

وبنحو ما قلنا في تأويل قوله : « وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي » ، قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٨١٩٢ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وغيض الماء » ، قال : نقص = « وقضي الأمر » ، قال : هلاك قوم نوح .

١٨١٩٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٨١٩٤ – حدثني القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ،

---

(١) الأثر : ١٨١٨٩ – رواه أبو جعفر في تاريخه ١ : ٩٦ .

(٢) الأثر : ١٨١٩٠ – كان في المخطوطة : « قال : كان زمن نوح شبر من الأرض لإنسان يدعيه » ، وكان في المطبوعة : « كان في زمن نوح شبر عن الأرض لا إنسان يدعيه » ، فزاد ، وأساء القراءة ، وأفسد الكلام . والصواب من تاريخ الطبري ١ : ٩٦ . وقوله : « إلا إنسان يدعيه » ، أي : يدعي أن الماء لم يعم الأرض كلها .

(٣) الأثر : ١٨١٩١ – رواه أبو جعفر في تاريخه ١ : ٩٦ ، والزيادة بين القوسين منه .

عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله = قال قال ابن جريج : « وغيض الماء » ، نَشِفَتهُ الأرض .(١)

١٨١٩٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله قال ، حدثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « يا سماء أقلعي » ، يقول : أمسكي = « وغيض الماء » ، يقول : ذهب الماء .

١٨١٩٦ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، « وغيض الماء » ، والغُيوض ذهاب الماء = « واستوت على الجودى » .

١٨١٩٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن نمير، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « واستوت على الجودى » ، قال : جبل بالجزيرة ، تشامخت الجبال من الغَرَق ، وتواضع هو لله ، فلم يغرق ، فأرسيتْ عليه .

١٨١٩٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « واستوت على الجودى » ، قال : الجودى جبل بالجزيرة، تشامخت الجبال يومئذ من الغرق وتطاوَلت ، وتواضع هو لله ، فلم يغرق ، وأرسيت سفينة نوح عليه .

١٨١٩٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين . قال ، حدثني حجاج ، ٣٠/١٢
عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

١٨٢٠٠ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ،عن أبيه ، عن ابن عباس قوله: « واستوت على الجودى » ، يقول : على الجبل ؛ واسمه « الجودى » .

١٨٢٠١ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان : « واستوت على الجودى » ، قال : جبل بالجزيرة ، شَمَخت الجبال ، وتواضعَ

(١) « نشفت الأرض الماء ، نشفاً » (بفتح النون وكسر الشين ، في الفعل) ، شربته .

حين أرادت أن ترفأ عليه سفينة نوح .[١]

١٨٢٠٢ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « واستوت على الجودى » ، أبقاها الله لنا بوادى أرض الجزيرة عبرة وآية .

١٨٢٠٣ – حدثت عن الحسين قال، سمعت أبا معاذ قال، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول : « واستوت على الجودى » ، هو جبلٌ بالموصل .

١٨٢٠٤ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذُكر لنا أن نوحًا بعث الغراب لينظر إلى الماء ، فوجد جيفة فوقع عليها ، فبعث الحمامةَ فأتته بورق الزيتون ، فأعْطيت الطوقَ الذى فى عُنقها ، وخضابَ رجليها .

١٨٢٠٥ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال : لما أراد الله أن يكفَّ ذلك = يعنى الطوفان = أرسل ريحًا على وجه الأرض ، فسكن الماء، واستدَّتْ ينابعُ الأرضِ الغمرَ الأكبر وأبوابُ السماء .[٢] يقول الله تعالى : « وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى» إلى « بعداً للقوم الظالمين»، فجعل الماء ينقص ويغيض ويُدبر . وكان استواء الفلك على الجودى ، فيما يزعم أهل التوراة ، فى الشهر السابع لسبع عشرة ليلة مضت منه ، فى أول يوم من الشهر العاشر ، رؤى رؤوس الجبال . فلما مضى بعد ذلك أربعون يومًا ، فتح نوح كُوَّة الفلك التى صنع فيها ، ثم أرسلَ الغراب لينظر له ما فعل الماءُ ، فلم يرجع إليه . فأرسل

---

(١) « رفأ السفينة يرفؤها » ، أدناها من الشط ، فعل متعد ، و « أرفأت السفينة نفسها » ، لازم ، ولكن هكذا جاء فى المخطوطة « أرادت أن ترفأ » ، وعندى أنه جائز أن يقال : « رفأت السفينة نفسها » ، لازماً .

(٢) هكذا فى المخطوطة والمطبوعة : « الغمر الأكبر » ، وأنا أرجح أنه خطأ محض ، وأن الصواب : « الغوط الأكبر » ، وبهذا اللفظ رواه صاحب اللسان فى مادة (غوط) . وقد سبق تفسير « الغوط الأكبر » فى الأثر رقم : ١٨١٣٨ ص : ٣١٥ ، تعليق : ٢ .

الحمامةَ ، فرجعت إليه ، ولم يجد لرجليها موضعًا ، فبسط يده للحمامة ، فأخذها . ثم مكث سبعة أيام ، ثم أرسلها لتنظر له ، فرجعت حين أمست ، وفى فيها ورَق زيتونة ، فعلم نوح أن الماء قد قلّ عن وجه الأرض . ثم مكث سبعة أيام ، ثم أرسلها ، فلم ترجع ، فعلم نوح أن الأرض قد برَزَت . فلما كملت السنة فيما بين أن أرسل الله الطوفان إلى أن أرسل نوح الحمامة ، ودخل يوم واحد من الشهر الأول من سنة اثنتين ، برز وجه الأرض ، فظهر اليبس ، وكشف نوح غطاء الفلك ، ورأى وجه الأرض . وفى الشهر الثانى من سنة اثنتين ، فى سبع وعشرين ليلة منه ، قيل لنوح : ﴿ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

١٨٢٠٦ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول : تزعُم ناسٌ أن من غرق من الولدان مع آبائهم . وليس كذلك ، إنما الولدان بمنزلة الطير وسائر من أغرق الله بغير ذنب ، ولكن حضرت آجالهم فماتوا لآجالهم ، والمدرِكون من الرجال والنساء كان الغرق عقوبة من الله لهم فى الدنيا ، ثم مصيرهم إلى النار .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ (٤٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ونادى نوح ربه فقال : ربِّ إنك وعدتنى أن تنجينى من الغرق والهلاك وأهلى ، وقد هلك ابنى ، وابنى من أهلى [1] = « وإن وعدك الحقُّ » ، الذى لا خلف له = « وأنت أحكم الحاكمين » ، بالحق ، فاحكم لى بأن تفى لى بما وعدتنى ، من أنْ تنجّى لى أهلى ، وترجع إلىّ ابنى ، كما :–

(١) انظر تفسير « الأهل » فيما سلف ص . . . ، تعليق : . . . ، والمراجع هناك .

١٨٢٠٧ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وأنت أحكم الحاكمين » ، قال : أحكم الحاكمين بالحق .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ (٤٦)

قال أبو جعفر : يقول الله تعالى ذكره: قال الله : يا نوح إن الذي غرقته فأهلكته الذي تذكر أنه من أهلك ، ليس من أهلك .

* * *

واختلف أهل التأويل في معنى قوله : « ليس من أهلك » .

فقال بعضهم : معناه : ليس من ولدك ، هو من غيرك . وقالوا : كان ذلك من حِنْثٍ .(١)

* ذكر من قال ذلك :

١٨٢٠٨ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم ، عن عوف ، عن الحسن في قوله : « إنه ليس من أهلك » ، قال : لم يكن ابنه .

١٨٢٠٩ – حدثنا أبو كريب، وابن وكيع قالا ، حدثنا يحيى بن يمان ، عن شريك ، عن جابر ، عن أبي جعفر : « ونادى نوح ابنه » ، قال : ابن امرأته . ١٢/٣١

١٨٢١٠ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن علية ، عن أصحابه ، ابن

---

(١) « الحنث » (بكسر الحاء وسكون النون) ، الذنب والمعصية . وفي الحديث « يكثر فيهم أولاد الحنث » ، أي : أولاد الزنا . ويروى « الخبث » (بالخاء مضمومة والباء) ، من « الخبث » ، وهو الفساد والفجور . وفي الحديث : « إذا كثر الخبث كان كذا وكذا » ، أي : الفسق والفجور . وفي الحديث « أنه أتى برجل مخدج سقيم ، وجد مع أمة يخبث بها » ، أي : يزني بها . ويقال : « هو ابن خبثة » ، لابن الزنية ، ولد لغير رشدة .

أبي عروبة فيهم ، [عن] الحسن قال : لا والله ، ما هو بابنه .(١)

١٨٢١١ – . . . قال ، حدثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن أبي جعفر : « ونادى نوح ابنه » ، قال : هذه بلغة طيّ ، لم يكن ابنه ، كان ابن امرأته .

١٨٢١٢ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، حدثنا هشيم ، عن عوف ، ومنصور ، عن الحسن في قوله : « إنه ليس من أهلك » ، قال : لم يكن ابنه ، وكان يقرؤها : ﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ .(٢)

١٨٢١٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : كنت عند الحسن فقال : « نادى نوح ابنه » ، لعمْر الله ما هو ابنه ! قال قلت : يا أبا سعيد ، يقول : « ونادى نوح ابنه » ! وتقول : ليس بابنه ! قال : أفرأيت قوله : « إنه ليس من أهلك » ؟ قال : قلت : إنَّه ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم معك ،(٣) ولا يختلف أهل الكتاب أنه ابنه . قال : إن أهل الكتاب يكذبون .

١٨٢١٤ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : سمعت الحسن يقرأُ هذه الآية : « إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح » ، فقال عند ذلك : والله ما كان ابنه . ثم قرأ هذه الآية ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ ، [سورة التحريم : ١٠] . قال سعيد : فذكرت ذلك ، لقتادة ، قال : ما كان ينبغي له أن يحلف !

١٨٢١٥ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « فلا تسألن ما ليس لك به علم » ، قال : تبيّن لنوح أنه ليس بابنه .

---

(١) الأثر : ١٨٢١٠ – كان في المطبوعة : « عن أصحاب ابن أبي عروبة فيهم الحسن » ، وهو كلام لا معنى له ، وخاصة بعد تصرفه في نص المخطوطة ، لأنه لم يفهم معنى هذا الإسناد ، إذ كان فيها : «عن أصحابه ابن أبي عروبة فيهم الحسن » ، وهذا أيضاً فاسد ، يصلحه ما زدته بين القوسين ، فإن « ابن علية » يروى عن « سعيد بن أبي عروبة » ، و « ابن أبي عروبة » روى عن « الحسن البصري » .

(٢) الأثر : ١٨٢١٢ – انظر ما سيأتي رقم : ١٨٢٤٦ .

(٣) في المخطوطة : « إنه ليس من أهلي » ، وفوقها حرف (طـ) دلالة على الخطأ .

١٨٢١٦ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « فلا تسألن ما ليس لك به علم » ، قال : بين الله لنوح أنه ليس بابنه .

١٨٢١٧ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال حدثنا عبد الله، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٨٢١٨ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج، عن مجاهد ، مثله = قال ابن جريج في قوله : « ونادى نوح ابنه » ، قال : ناداه وهو يحسبه أنه ابنه ، وكان وُلد على فراشه .

١٨٢١٩ – حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا إسرائيل ، عن ثوير ، عن أبي جعفر : « إنه ليس من أهلك » . قال : لو كان من أهله لنجا .[1]

١٨٢٢٠ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، سمع عبيد بن عمير يقول : نرى أن ما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم « الولد للفراش »، من أجل ابن نوح .

١٨٢٢١ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن علية ، عن ابن عون ، عن الحسن قال : لا والله ما هو بابنه .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٢٢٢ – حدثنا أبو كريب ، وابن وكيع قالا ، حدثنا ابن يمان ، عن

---

(١) الأثر : ١٨٢١٩ – « ثوير » ، هو « ثوير بن أبي فاختة » ، ضعيف، مضى مراراً ، آخرها رقم : ٩٨٣٣ . وكان في المطبوعة : « ثور » ، والصواب من المخطوطة .

سفيان ، عن أبي عامر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس في قوله : « ونادى نوح ابنه » ، قال : هو ابنه .

١٨٢٢٣ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن سفيان قال ، حدثنا أبو عامر ، عن الضحاك قال ، قال ابن عباس : هو ابنه ، ما بغت امرأة نبيٍّ قطُّ .

١٨٢٢٤ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا الثوري ، عن أبي عامر الهمدانيّ ، عن الضحاك بن مزاحم ، عن ابن عباس قال : ما بغت امرأة نبي قط . قال : وقوله : « إنه ليس من أهلك » ، الذين وعدتك أن أنجيهم معك .

١٨٢٢٥ – حدثنا الحسن قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن قتادة وغيره ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : هو ابنه : غير أنه خالفه في العمل والنية = قال عكرمة في بعض الحروف : ﴿ إِنَّهُ عَمِلَ عَمَلاً غَيْرَ صَالِحٍ ﴾ ، والخيانة تكون على غير بابٍ.

١٨٢٢٦ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كان عكرمة يقول : كان ابنه ، ولكن كان مخالفاً له في النية والعمل ، فمن ثَمَّ قيل له : « إنه ليس من أهلك » .

١٨٢٢٧ – حدثنا الحسن قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا الثوري ، وابن عيينة ، عن موسى بن أبي عائشة ، عن سليمان بن قتة قال : سمعت ابن عباس يُسْأل وهو إلى جنب الكعبة عن قول الله تعالى : ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ ، [سورة التحريم : ١٠] . قال : أما إنه لم يكن بالزنا ، ولكن كانت هذه تخبر الناس أنه مجنون ، وكانت هذه تدل ، على الأضياف . ثم قرأ : « إنه عملٌ غير صالح » = قال ابن عيينة : وأخبرني عمار الدُّهني : أنه سأل سعيد بن جبير عن ذلك فقال : كانَ ابن نوح ، إن الله لا يكذب ! قال : « ونادى نوح ٣٢/١٢

ابنه » قال : وقال بعض العلماء : ما فجرت امرأة نبيٍّ قط .

١٨٢٢٨ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن عيينة، عن عمار الدهني ، عن سعيد بن جبير قال : قال الله ، وهو الصادق ، وهو ابنه : « ونادى نوح ابنه » .

١٨٢٢٩ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن يمان، عن سعيد ، عن موسى ابن أبي عائشة ، عن عبد الله بن شداد ، عن ابن عباس قال : ما بَغَت امرأة نبي قط .

١٨٢٣٠ – حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال: سألت أبا بشر عن قوله : « إنه ليس من أهلك » ، قال : ليس من أهل دينك ، وليس ممن وعدتك أن أنجيهم = قال يعقوب : قال هشيم : كان عامة ما كان يحدِّثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير .

١٨٢٣١ – حدثنا ابن وكيع قال حدثنا محمد بن عبيد، عن يعقوب بن قيس قال : أتى سعيد بن جبير رجلٌ فقال : يا أبا عبد الله ، الذي ذكر الله في كتابه « ابن نوح » ابنُه هو ؟ قال : نعم والله ، إن نبيَّ الله أمره أن يركب معه في السفينة فعصى ، فقال : « سآوي إلى جبل يعصمني من الماء » . قال : « يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح » ، لمعصية نبي الله .

١٨٢٣٢ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، أخبرني أبو صخر، عن أبي معاوية البجلي ، عن سعيد بن جبير : أنه جاء إليه رجل فسأله . فقال : أرأيتك ابن نُوح ابنَه ؟ فسبَّحَ طويلاً ، ثم قال : لا إله إلا الله ، يحدِّث الله محمداً: « نادى نوح انبه » وتقول : ليس منه ؟ ولكن خالفه في العمل ، فليس منه من لم يؤمن .

١٨٢٣٣ – حدثني يعقوب، وابن وكيع قالا، حدثنا ابن علية، عن أبي هرون الغنوي ، عن عكرمة في قوله : « ونادى نوح ابنه » ، قال: أشهد أنه ابنه ، قال الله:

« ونادى نوح ابنه » .

١٨٢٣٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن إسرائيل، عن جابر ، عن مجاهد ، وعكرمة قالا : هو ابنه .

١٨٢٣٥ – حدثني فضالة بن الفضل الكوفي قال ، قال بزيع : سأل رجل الضحاك عن ابن نوح ، فقال : ألا تعجبون إلى هذا الأحمق ! يسألني عن ابن نوح ، وهو ابن نوح كما قال الله : قال نوح لابنه ! (١)

١٨٢٣٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا عبيد ، عن الضحاك أنه قرأ : « ونادى نوح ابنه » وقوله : « ليس من أهلك » ، قال : يقول: ليس هو من أهلك . قال يقول : ليس هو من أهل ولايتك، ولا ممن وعدتك أن أنجي من أهلك = « إنه عمل غير صالح » ، قال : يقول كان عمله في شرك .

١٨٢٣٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو معاوية ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : هو والله ابنه لصُلْبه .

١٨٢٣٨ – حدثني المثنى قال حدثنا عمرو بن عون قال، أخبرنا هشيم، عن جويبر ، عن الضحاك في قوله : «ليس من أهلك»، قال: ليس من أهل دينك، ولا ممن وعدتك أن أنجيه، وكان ابنه لصلبه .

١٨٢٣٩ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني

---

(١) الأثر : ١٨٢٣٥ – « فضالة بن الفضل بن فضالة التميمي الطهوي الكوفي » ، شيخ الطبري ، صدوق ربما أخطأ . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٣/٢/٧٩ .

و « بزيع » ، هو اللحام، أبو خازم ، وهو « بزيع بن عبد الله » سمع الضحاك. كان أبو نعيم يتكلم فيه ، وضعفه النسائي وغيره . وقال ابن عدي : « إنما أنكروا عليه ما يحكيه عن الضحاك من التفسير ولا يتابع عليه » . مترجم في الكبير ١/٢/١٣٠ ، وابن أبي حاتم ١/١/٤٢٠ ، ولسان الميزان ٢ : ١٢ ، وميزان الاعتدال ١ : ١٤٣ .

وهكذا جاء في المخطوطة والمطبوعة في آخر الخبر : « كما قال الله ، قال نوح لابنه » ، والآية : « ونادى نوح ابنه » ، وأخشى أن يكون أراد : « قال نوح لابنه : يا بني اركب معنا » .

معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « قال يا نوح إنه ليس من أهلك » ، يقول : ليس ممن وعدناه النجاة .

١٨٢٤٠ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « إنه ليس من أهلك » ، يقول : ليس من أهل ولايتك ، ولا ممن وعدتك أن أنجى من أهلك = « إنه عمل غير صالح » ، يقول : كان عمله فى شرك .

١٨٢٤١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا خالد بن حيان، عن جعفر بن برقان ، عن ميمون ، وثابت بن الحجاج . قالا : هو ابنه ، ولد على فراشه .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك بالصواب ، قولُ من قال: « تأويل ذلك : إنه ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم ، لأنه كان لدينك مخالفًا ، وبى كافراً = وكان ابنه » ، لأن الله تعالى ذكره قد أخبر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أنه ابنه فقال : « ونادى نوح ابنه » ، وغير جائز أن يخبر أنه « ابنه » ، فيكون بخلاف ما أخبر . وليس فى قوله : « إنه ليس من أهلك » ، دلالةٌ على أنه ليس بابنه، إذ كان قوله : « ليس من أهلك » ، محتملاً من المعنى ما ذكرنا ، ومحتملاً : « إنه ليس من أهل دينك » ، ثم يحذف « الدين » فيقال: « إنه ليس من أهلك » ، كما قيل : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾ ، [سورة يوسف : ٨٢] .

* * *

وأما قوله : « إنه عمل غير صالح »، فإن القرأة اختلفت فى قراءته .

فقرأته عامة قرأة الأمصار : ﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ ، بتنوين « عمل »، ورفع « غير » .

* * *

واختلف الذين قرأوا ذلك كذلك فى تأويله .

فقال بعضهم : معناه : إن مسألتك إيّاى هذه عملٌ غير صالح .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٢٤٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم : ٣٣/١٢
« إنه عمل غير صالح » ، قال : إن مسألتك إياى هذه ، عملٌ غير صالح .

١٨٢٤٣ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « إنه عمل غير صالح »، أى : سوء[1] = « فلا تسألن ما ليس لك به علم » .

١٨٢٤٤ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « إنه عمل غير صالح » ، يقول : سؤالك عما ليس لك به علم .

١٨٢٤٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن حَمزة الزيات ، عن الأعمش ، عن مجاهد قوله : « إنه عمل غير صالح » ، قال : سؤالك إياى ، عمل غير صالح = « فلا تسألن ما ليس لك به علمٌ » .

* * *

وقال آخرون : بل معناه : إن الذى ذكرت أنّه ابنك فسألتنى أن أنجيه ، عملٌ غير صالح ، أى : إنه لغير رشدة . وقالوا: « الهاء » فى قوله « إنه » ، عائدة على « الابن » .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٢٤٦ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن نمير، عن ابن أبى عروبة ، عن قتادة ، عن الحسن أنه قرأ : ﴿ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ ، قال : ما هو والله بابنه .[2]

* * *

وروى عن جماعة من السلف أنهم قرأوا ذلك: ﴿ إِنَّهُ عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ ﴾ ،

---

(١) أخشى أن يكون الصواب : « أى سؤالك إياى » ، ولكن هكذا هو المخطوطة والمطبوعة .

(٢) الأثر : ١٨٢٤٦ – انظر ما سلف رقم : ١٨٢١٢ .

على وجه الخبر عن الفعل الماضى ، « وغير » ، منصوبة . وممن روى عنه أنه قرأ ذلك كذلك ، ابنُ عباس .

١٨٢٤٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن عيينة ، عن موسى بن أبى عائشة ، عن سليمان بن قتة ، عن ابن عباس أنه قرأ : ﴿ عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ ﴾ .

* * *

ووجّهوا تأويل ذلك إلى ما : —

١٨٢٤٨ — حدثنا به ابن وكيع قال ، حدثنا غندر ، عن ابن أبى عروبة ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ إنّه عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ ﴾ ، قال : كان مخالفاً له فى النية والعمل .

* * *

قال أبو جعفر : = ولا نعلم هذه القراءة قرأ بها أحدٌ من قرأة الأمصار ، إلا بعض المتأخرين ، واعتلّ فى ذلك بخبر روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قرأ ذلك كذلك ، غيرِ صحيح السند . وذلك حديث روى عن شهر بن حوشب ، فمرة يقول : « عن أم سلمة » ، ومرة يقول : « عن أسماء بنت يزيد » ، ولا نعلم أبنت يزيد [يُريد] ؟[1] ، ولا نعلم لشهر سماعًا يصح عن أمّ سلمة .[2]

* * *

(١) فى المطبوعة : « ولا نعلم لبنت يزيد ، ولا نعلم لشهر . . . » ، وفى المخطوطة مثله ، إلا أن فيها : « أبنت يريد » ، ورأيت أن أبا جعفر أراد ما أثبت ، بهذه الزيادة بين القوسين ، وكأنه يقول : إنه يقول مرة « أم سلمة » ومرة « أسماء بنت يزيد » ، ولا نعلم أهى التى يريد بقوله : « أم سلمة » ، أم غيرها ، وانظر التعليق التالى .

(٢) . . . حديث شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد ، أو « أم سلمة » ، لم يذكر أبو جعفر إسناده ، وسأفصل القول فيه فى هذا الموضع ، فإن أبا جعفر لم يوف الأمر حقه ، ولم يبينه بياناً شافياً .

١ — وهذا الحديث ، رواه أحمد فى مسنده فى ثلاثة مواضع ٦ : ٤٥٤ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، كلها من طريق : حماد بن سلمة ، عن ثابت البنانى ، عن شهر بن حوشب ، عن « أسماء بنت يزيد » ، والطريق الأولى والثالثة ، مطولة ، فيها قراءة آية سورة الزمر : ٥٣

﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً وَلاَ يُبَالِي إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ .

. . . . . .

---

٢ – ومن هذه الطريق نفسها ، رواه أبو داود الطيالسى فى مسنده ص : ٢٢٦ ، رقم : ١٦٣١ ، مقتصراً على الآية الأولى ، « شهر بن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد الأنصارية » .

٣ – ورواه أبوداود فى سننه ٤ : ٤٧ ، من طريقين ، رقم : ٣٩٨٢ ، ٣٩٨٣ . الأولى : حماد ، عن ثابت ، عن شهر ، عن أسماء بنت يزيد .

الثانية : عبد العزيز بن المختار ، عن ثابت ، عن شهر قال : سألت أم سلمة : كيف كان رسول الله يقرأ هذه الآية ؟

٤ – ورواه الترمذى فى « القراءات » ، من طريق عبد الله بن حفص ، عن ثابت البنانى ، عن شهر ابن حوشب ، عن أم سلمة .

وقال : وقد روى هذا الحديث أيضاً عن شهر بن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد .

٥ – ورواه أبو نعيم فى الحلية ٨ : ٣٠١ ، من طريق محمد بن ثابت البنانى ، عن ثابت البنانى ، عن شهر بن حوشب ، عن أم سلمة . « وقال : حديث مشهور من حديث ثابت » ، وانظر رقم (٨) ، فإن الطيالسى جعله من حديث أم سلمة أم المؤمنين .

٦ – ورواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٢٤٩ ، مقتصراً على آية « سورة الزمر » ، التى ذكرتها فى رقم : ١ ، من طريق حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن شهر ، عن أسماء بنت يزيد ، ثم قال : « هذا حديث غريب عال ، ولم أذكر فى كتابى هذا عن شهر ، غير هذا الحديث الواحد » .

٧ – ورواه أحمد فى مسنده ٦ : ٢٩٤ ، ٣٢٢ ، من طريق هرون النحوى ، عن ثابت البنانى ، عن شهر بن حوشب ، عن أم سلمة (وذلك فى مسند : أم سلمة ، أم المؤمنين) .

٨ – ورواه أبو داود الطيالسى فى مسنده ص : ٢٢٣ ، رقم : ١٥٩٤ ، من طريق محمد بن ثابت البنانى ، عن أبيه ، عن شهر بن حوشب ، عن أم سلمة (فى مسند أم سلمة أم المؤمنين) .

وظنى أن أبا جعفر ذهب إلى أن شهراً دلس فى هذا الحديث ، فلا يعلم أأراد « أسماء بنت يزيد الأنصارية » ، أم « أم سلمة » أم المؤمنين ، ولذلك قال بعد : « ولا نعلم لشهر سماعاً يصح عن أم سلمة » ، ولا شك أن الطبرى عنى هنا « أم سلمة » أم المؤمنين .

و « أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية » ، هى مولاة « شهر بن حوشب » ، وكنيتها « أم سلمة » ، فلذلك صرح باسمها مرة ، وكناها أخرى ، وهذا لا يضر . و « شهر بن حوشب » ، كان أروى الناس عن مولاته « أم سلمة » ، « أسماء بنت يزيد » وقال أحمد : « ما أحسن حديثه » ، ووثقه ، وقال : « روى عن أسماء أحاديث حساناً » .

وقال الترمذى ، بعد أن ساق الخبر ، « وسمعت عبد بن حميد يقول : أسماء بنت يزيد ، هى أم سلمة الأنصارية ، كلا الحديثين عندى واحد . وقد روى شهر بن حوشب غير حديث عن أم سلمة الأنصارية ، وهى أسماء بنت يزيد . وقد روى عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، نحو هذا » وسنذكر حديث عائشة بعد .

ومع ذلك ، فرواية شهر بن حوشب ، عن « أم سلمة » أم المؤمنين ، قد ذكرها البخارى فى الكبير ٢/٢/٢٥٩ ، فقال : « سمع أم سلمة » ، ولم يزد ، ولم يذكر « أسماء بنت يزيد » ، ومن أجل ذلك خشيت أن يكون البخارى أراد « أم سلمة » ، « أسماء بنت يزيد » ، لا أم المؤمنين .

. . . . . .

وأما ابن أبي حاتم ٣٨٢/١/٢ فذكر أنه : « روى عن أم سلمة ، وأسماء بنت يزيد » ، ففرق ، ودل التفريق على أنه أراد « أم سلمة » ، أم المؤمنين .

وصرح الحافظ ابن حجر في ترجمته ، بسماعه عن « أم سلمة » أم المؤمنين . وروايته عن أم المؤمنين جائزة ، فإن « أم سلمة » زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، توفيت على الصحيح سنة ٦١ أو سنة : ٦٢ . وشهر بن حوشب عاش ثمانين سنة ، ومات سنة ١٠٠ ، ويقال سنة ١١١ ، أو سنة ١١٢ . فسماعه منها لا ينقضه شيء من شبهة العمر . أما الرواية ، فقد صحح العلماء أنه روى عنها .

فرد الطبري روايته بأنه لا يعلم له سماعاً عن أم المؤمنين ، لا يقوم على شيء ، فقد عرف ذلك غيره .

بيد أن الحافظ ابن حجر ، نقل في ترجمة « شهر بن حوشب » ، فذكر عن صالح بن محمد ، بعد توثيقه شهراً ، وأنه لم يوقف له على كذب ، ثم قال : « ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث في القراءات ، لا يأتي بها غيره » .

وقد كان شهر قارئاً ، ذكر ذلك الطبري نفسه ، حتى قال أيوب بن أبي حسين : « ما رأيت أحداً أقرأ لكتاب الله منه » ، فإن يكن في حديث شهر شيء ، فإنما هو غرابة خبره ، وهذا لا يضر إذا صح الإسناد .

ولكن يبقى الإشكال من ناحية أخرى ، رواية أحمد من طريق هرون النحوي ، عن ثابت البناني نفسه (كما في رقم ٧) ، والذي رواه الطيالسي رقم (٨) من طريق محمد بن ثابت ، عن ثابت ، يضم إليه رقم (٥) من رواية أبي نعيم ، ويضم إليها ، الطريق الثانية من رقم (٣) ، ثم رقم (٤) من رواية الترمذي ، وإن كان قد نقل عن « عبد بن حميد » ، أنهما واحد . كما سلف .

ورواية هذه الأخبار كلها تدور على « ثابت البناني ، عن شهر » ، فكأن ثابتاً البناني ، رواه عن شهر عن : أم سلمة أسماء بنت يزيد = وعنه عن أم سلمة أم المؤمنين ، فهما حديثان لا شك في ذلك ، لا كما قال « عبد بن حميد » ، ولكن هل روى ذلك أحد عن أم سلمة أم المؤمنين ، غير شهر بن حوشب ؟ لا أدري .

فإذا صح أن شهراً قد انفرد به عن أم المؤمنين ، فهل وقع الخطأ في ترك الفصل بينهما ، من ثابت أم من الذي يليه ؟ لا أدري أيضاً .

وإذا كانا حديثاً واحداً ، فكيف وقع التفريق في المسانيد ، فجعل حديثين ، وكيف وقع هذا التفريق ؟ ولم وقع ؟ أمجرد الشبهة من قبل الكنية « أم سلمة » ؟

هذا موضع يحتاج إلى تفصيل دقيق . وهذا ، فيما أظن ، هو الذي جعل أبا جعفر الطبري ، يتشكك في رواية الخبر ، لاختلاطه ، ولكنه علله بغير علة الاختلاط والاضطراب كما رأيت .

* * * وأما حديث عائشة ، الموافق لحديث أم سلمة ، في هذه القراءة ، فقد رواه البخاري في الكبير ٢٨٦/١/١ ، ٢٨٧ ، من طريق إبراهيم بن الزبرقان ، عن أبي روق ، عن محمد بن جحادة ، عن أبيه ، عن عائشة ، ثم رواه أيضاً منها ٢٥١/٢/١ .

ورواه الحاكم في المستدرك من هذه الطريق نفسها ، وقال الذهبي تعليقاً عليه « إسناده مظلم » .

وخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ١٥٥ ، وقال : « رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه حميد بن الأزرق ، ولم أعرفه . وبقية رجاله ثقات » .

والكلام في حديث عائشة يطول ، ففي رواية محمد بن حجادة الإيامي ، عن أبيه ، كلام ليس هذا موضع تحقيقه .

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ، ما عليه قرأة الأمصار ، وذلك رفع ﴿ عَمَلٌ ﴾ بالتنوين ورفع ﴿ غَيْرُ ﴾ ، يعنى : إن سؤالك إياى ما تسألنيه فى ابنك = المخالفِ دينَك ، الموالى أهلَ الشرك بى ، من النجاة من الهلاك ، وقد مضت إجابتى إياك فى دعائك : « لاَ تَذَرْ على الأرض من الكافرين ديَّاراً » ، ما قد مضى ، من غير استثناء أحد منهم = [1] عملٌ غير صالح ، لأنَّه مسألة منك إلىّ أن لا أفعل ما قد تقدّم منى القولُ بأنى أفعله ، فى إجابتى مسألتك إياى فعله . فذلك هو « العمل غير الصالح » .

* * *

وقوله : « فلا تسألن ما ليس لك به علم » ، نهىٌ من الله تعالى ذكرهُ نبيه نوحاً أن يسأله أسباب أفعاله التى قد طوى علمها عنه وعن غيره من البشر. يقول له تعالى ذكره : إنى ، يا نوح ، قد أخبرتك عن سؤالك سبب إهلاكى ابنك الذى أهلكته ، فلا تسألن بعدها عما قد طويتُ علمَه عنك من أسباب أفعالى ، وليس لك به علم = « إنى أعظك أن تكون من الجاهلين » ، فى مسألتك إياى عن ذلك .

* * *

وكان ابن زيد يقول فى قوله : « إنى أعظك أن تكون من الجاهلين » ما :—

١٨٢٤٩ — حدثنى به يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال قال ، ابن زيد فى قوله : « إنى أعظك أن تكون من الجاهلين » ، أن تبلغ الجهالة بك أنْ لا أفى لك بوعد وعدتك ، حتى تسألنى ما ليس لك به علم = « وإلا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين » .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « فلا تسألن ما ليس لك به علم » .

فقرأ ذلك عامة قرأة الأمصار : ﴿فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ ، بكسر النون وتخفيفها = ونَحَوْا بكسرها إلى الدلالة على « الياء » التى هى كناية اسم الله

---

(١) السياق : « إن سؤالك إياى ... عمل غير صالح » ، فقوله « عمل » ، خبر « إن » فى صدر الجملة .

[فى] : فلا تسألنى .[١]

وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض أهل الشام : ﴿ فَلَا تَسْأَلَنِّ ﴾ ، بتشديد النون وفتحها ، بمعنى : فلا تسألنَّ ، يا نوح ، ما ليس لك به علم .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ، تخفيفُ النون وكسرها ، لأن ذلك هو الفصيح من كلام العرب المستعمل بينهم .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (٤٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره ، مخبراً نبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم ، عن إنابة نوح عليه السلام بالتوبة إليه من زلَّته ، فى مسألته التى سألَها ربَّه فى ابنه : « قال ربِّ إنى أعوذ بك » ، أى : أستجير بك أن أتكلف مسألتك ما ليس لى به علم ،[٢] مما قد استأثرت بعلمه ، وطويتَ علمه عن خلقك ، فاغفر لى زلتى فى مسألتى إياك ما سألتك فى ابنى ، وإن أنت لم تغفرها لى وترحمنى فتنقذنى من غضبك = « أكن من الخاسرين » ، يقول : من الذين غبنوا أنفسهم حظوظَها وهلكوا .[٣] ٣٤/١٢

* * *

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : «كناية اسم الله فلا تسألن » وبنون مفردة فى آخرها . والصواب ، إن شاء الله ، ما أثبت ، بزيادة « فى » ، وزيادة الياء فى « تسألنى » .

(٢) انظر تفسير « عاذ » فيما سلف ١٣ : ٣٣٢ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الخسران » فيما سلف من فهارس اللغة (خسر) .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٤٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : يا نوح ، اهبط من الفلك إلى الأرض[١] = « بسلام منا » ، يقول : بأمن منا أنت ومن معك ، من إهلاكنا[٢] = « وبركات عليك » . يقول : وببركات عليك[٣] = « وعلى أمم ممن معك » ، يقول : وعلى قرون تجيء من ذرية من معك من ولدك .[٤] فهؤلاء المؤمنون من ذرية نوح الذين سبقت لهم من الله السعادة ، وبارك عليهم قبل أن يخلقهم فى بطون أمهاتهم وأصلاب آبائهم . ثم أخبر تعالى ذكره نوحًا عما هو فاعلٌ بأهل الشقاء من ذرّيته ، فقال له : « وأمم » ، يقول : وقرون وجماعة[٤] = « سنمتعهم » فى الحياة الدنيا ، يقول : نرزقهم فيها ما يتمتعون به ، إلى أن يبلغوا آجالهم[٥] = « ثم يمسهم منا عذاب أليم » ، يقول : ثم نذيقهم إذا وردوا علينا عذابًا مؤلمًا موجعًا .[٦]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٢٥٠ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظى : « قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم

---

(١) انظر تفسير « الهبوط » فيما سلف ١٢ : ٣٢٩ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « السلام » فيما سلف من فهارس اللغة (سلم) .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « وبركات عليك » ، مرة أخرى ، ولم يفسرها أيضاً ، فإن لم يكن سقط من التفسير شيء ، فالصواب ما أثبت بزيادة الياء ، دلالة على العطف على ما قبله .

(٤) انظر تفسير « الأمة » فيما سلف ص : ٢٥٢ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٥) انظر تفسير « المتاع » فيما سلف من فهارس اللغة (متع) .

(٦) انظر تفسير « المس » فيما سلف ص : ٢٥٦ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

ممن معك » ، إلى آخر الآية ، قال : دخل فى ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة ، ودخل فى ذلك العذاب والمتاع كل كافر وكافرة إلى يوم القيامة .

١٨٢٥١ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو داود الحفرى ، عن سفيان ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظى : « قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك » ، قال : دخل فى الإسلام كل ومؤمنة ،[1] وفى الشرك كل كافر وكافرة .

١٨٢٥٢ — حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك، قراءةً عن ابن جريج : « وعلى أمم ممن معك » ، يعنى : ممن لم يولد . قد قضى البركات لمن سبق له فى علم الله وقضائه السعادة = « وأمم سنمتعهم » ، من سبق له فى علم الله وقضائه الشقوة .[2]

١٨٢٥٣ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، بنحوه = إلا أنه قال : « وأمم سنمتعهم » ، متاع الحياة الدنيا ، ممن قد سبق له فى علم الله وقضائه الشقوة . قال : ولم يهلك الوَلَد يوم غرق قوم نُوح بذنب آبائهم ، كالطير والسباع ، ولكن جاء أجلهم مع الغرق .

١٨٢٥٤ — حدثنى يونس قال، قال : أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم » ، قال : هبطوا والله عنهم راضٍ ، هبطوا بسلام من الله . كانوا أهل رحمة من أهل ذلك الدهر ، ثم أخرج منهم نسلاً بعد ذلك ، أممًا ، منهم من رحم ، ومنهم من عذب . وقرأ : « وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم » ، وذلك إنما افترقت الأمم من تلك العصابة التى خرجت من ذلك الماء وسلمت .

١٨٢٥٥ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال ،

---

(١) فى المطبوعة : « دخل فى السلام » ، غير ما فى المخطوطة ، وأساء .

(٢) فى المطبوعة « الشقاوة » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، هنا وفى سائر المواضع الآتية .

حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك » ، الآية ، يقول : بركات عليك وعلى أمم ممن معك لم يولد وا ، أوجب الله لهم البركات لما سبق لهم فى علم الله من السعادة = « وأمم سنمتعهم »، يعنى : متاع الحياة الدنيا = « ثم يمسهم منا عذاب أليم »، لما سبق لهم فى علم الله من الشقاوة .

١٨٢٥٦ – حدثنى المثنى ، قال، حدثنا الحجاج بن المنهال قال، حدثنا حماد ، عن حميد، عن الحسن : أنه كان إذا قرأ « سورة هود » فأتى على : « يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك » ، حتى ختم الآية ، قال الحسن : فأنجى الله نوحًا والذين آمنوا ، وهلك المتمتعون ! حتى ذكر الأنبياء كل ذلك يقول : أنجاه الله وهلك المتمتعون !

١٨٢٥٧ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم » ، قال : بعد الرحمة

١٨٢٥٨ – حدثنا العباس بن الوليد قال، أخبرنى أبى قال ، أخبرنا عبد الله ابن شوذب قال، سمعت داود بن أبى هند يحدث ، عن الحسن : أنه أتى على هذه الآية : « اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم » ، قال : فكان ذلك حين بعث الله عاداً ، فأرسل إليهم هوداً ، فصدقه مصدقون ، وكذبه مكذبون ، حتى جاء أمر الله . فلما جاء أمر ٣٥/١٢
الله ، نجَّى الله هوداً والذين آمنوا معه وأهلك الله المتمتِّعين . ثم بعث الله ثمودَ ، فبعث إليهم صالحًا ، فصدقه مصدقون ، وكذبه مكذبون ، حتى جاء أمر الله . فلما جاء أمر الله نجى الله صالحًا والذين آمنوا معه ، وأهلك الله المتمتعين . ثم استقرأ الأنبياء نبيًّا نبيًّا ، على نحوٍ من هذا .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٤٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : هذه القصة التى أنبأتك بها من قصة نوح وخبره وخبر قومه = « من أنباء الغيب » ، يقول : هى من أخبار الغيب التى لم تشهدها فتعلمها[1] = « نوحيها إليك » ، يقول : نوحيها إليك نحن ، فنعرفكها = « ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا » الوحى الذى نوحيه إليك = « فاصبر » ، على القيام بأمر الله وتبليغ رسالته ، وما تلقى من مشركى قومك ، كما صبر نوح = « إن العاقبة للمتقين » ، يقول : إن الخير من عواقب الأمور لمن اتقى الله ،[2] فأدّى فرائضه ، واجتنب معاصيه ، فهم الفائزون بما يؤمّلون من النعيم فى الآخرة ، والظفر فى الدنيا بالطلبة ، كما كانت عاقبة نوح إذ صبر لأمر الله ، أنْ نجّاه من الهلكة مع من آمن به ، وأعطاه فى الآخرة ما أعطاه من الكرامة ، وغرّق المكذبين به فأهلكهم جميعهم .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٢٥٩ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا » ، القرآن ، وما كان علم محمد صلى الله عليه وسلم وقومه ما صنع نوح وقومه ، لولا ما بيّن الله له فى كتابه .

---

(١) انظر تفسير « النبأ » فيما سلف من فهارس اللغة (نبأ) .

(٢) انظر تفسير « العاقبة » فيما سلف ص : ١٥٣ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴾ (٥٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وأرسلنا إلى قوم عاد أخاهم هوداً ، فقال لهم : « يا قوم اعبدوا الله » ، وحده لا شريك له ، دون ما تعبدون من دونه من الآلهة والأوثان = « مالكم من إله غيره » ، يقول : ليس لكم معبود يستحق العبادة عليكم غيره ، فأخلصوا له العبادة ، وأفردوه بالألوهة = « إن أنتم إلا مفترون » ، يقول : ما أنتم ، فى إشراككم معه الآلهة والأوثان ، إلا أهل فرية مكذبون ، تختلقون الباطل ، لأنه لا إله سواه .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٥١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره ، مخبراً عن قيل هود لقومه : يا قوم لا أسألكم على ما أدعوكم إليه من إخلاص العبادة لله وخلع الأوثان والبراءة منها ، جزاءً وثواباً = « إن أجرى إلا على الذى فطرنى » ، يقول : إنْ ثوابى وجزائى على نصيحتى لكم ودعائكم إلى الله ، إلا على الذى خلقنى[2] = « أفلا تعقلون » ، يقول : أفلا تعقلون أنِّى لو كنت أبتغى بدعايتكم إلى الله غير النصيحة لكم ، وطلب الحظ لكم فى الدنيا والآخرة ، لالتمست منكم على ذلك بعض أعراض الدنيا ، وطلبت منكم الأجر والثواب ؟

* * *

(١) انظر تفسير « الافتراء » فيما سلف من فهارس اللغة (فرى) .

(٢) انظر تفسير « فطر » فيما سلف ١١ : ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٤٨٧ .

١٨٢٦٠ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إن أجرى إلا على الذى فطرنى » ، أى : خلقنى .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾ (٥٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره ، مخبراً عن قيل هود لقومه : « ويا قوم استغفروا ربكم » ، يقول : آمنوا به حتى يغفر لكم ذنوبكم .

* * *

= و « الاستغفار » ، هو الإيمان بالله فى هذا الموضع ، لأن هوداً صلى الله عليه وسلم إنما دعا قومه إلى توحيد الله ليغفر لهم ذنوبهم ، كما قال نوح لقومه : ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ * يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [سورة نوح : ٣ ، ٤]

* * *

وقوله : « ثم توبوا إليه » ، يقول : ثم توبوا إلى الله من سالف ذنوبكم وعبادتكم غيره ، بعد الإيمان به = « يرسل السماء عليكم مدراراً » ، يقول : فإنكم إن آمنتم بالله وتبتم من كفركم به ، أرسل قَطْر السماء عليكم يدرّ لكم الغيثَ فى وقت حاجتكم إليه ، وتحيَى بلادكم من الجدب والقَحط .(١)

* * *

(١) انظر تفسير « مدرار » فيما سلف ١١ : ٢٦٣ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٢٦١ – حدثنى على بن داود قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « مدراراً » ، يقول : يتبع بعضها بعضًا . ١٢/٣٦

١٨٢٦٢ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « يرسل السماء عليكم مدراراً » . قال : يدرّ ذلك عليهم قطراً ومطراً .

* * *

وأما قوله : « ويزدكم قوة إلى قوتكم » ، فإن مجاهداً كان يقول فى ذلك ، ما : –

١٨٢٦٣ – حدثنى به محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « ويزدكم قوّة إلى قوتكم » ، قال : شدّة إلى شدتكم .

١٨٢٦٤ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد = وإسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد =

١٨٢٦٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال مجاهد ، فذكر مثله .

١٨٢٦٦ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ويزدكم قوة إلى قوّتكم » ، قال : جعل لهم قوة ، فلو أنهم أطاعوه زادهم قوة إلى قوتهم . وذكر لنا أنه إنما قيل لهم : « ويزدكم قوة إلى قوتكم » ، قال : إنه كان قد انقطع النسل عنهم سنين ، فقال هود لهم : إن آمنتم بالله أحيى الله بلادكم، ورزقكم المال والولد = لأن ذلك من القوة .

* * *

وقوله : « ولا تتولوا مجرمين » ، يقول : ولا تدبروا عما أدعوكم إليه من توحيد الله ، والبراءة من الأوثان والأصنام = « مجرمين » ، يعنى : كافرين بالله . (١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٥٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال قوم هود لهود : يا هود ، ما أتيتنا ببيان ولا برهان على ما تقول ، فنسلم لك ونقرُّ بأنك صادق فيما تدعونا إليه من توحيد الله ، والإقرار بنبوتك = « وما نحن بتاركى آلهتنا » ، يقول : وما نحن بتاركى آلهتنا ، يعنى : لقولك أو من أجل قولك = « وما نحن لك بمؤمنين » ، يقول : قالوا : وما نحن لك بما تدّعى من النبوة والرسالة من الله إلينا ، بمصدِّقين .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ (٥٥)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قول قوم هود : أنهم قالوا له ، إذ نصح لهم ، ودعاهم إلى توحيد الله وتصديقه ، وخلع الأوثان والبراءة منها : لا نترك عبادة آلهتنا ، وما نقول إلا أن الذى حملك على ذمِّها والنهى عن عبادتها ، أنه أصابك منها خبَلٌ من جنونٌ . فقال هود لهم : إنى أشهد الله على نفسى ،

---

(١) انظر تفسير « التولى » و « الإجرام » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) ، (جرم) .

وأشهدكم أيضًا ، أيها القوم ، أنى برىء مما تشركون فى عبادة الله من آلهتكم وأوثانكم من دونه = « فكيدونى جميعًا » ، يقول : فاحتالوا أنتم جميعًا وآلهتكم فى ضرى ومكروهى[1] = « ثم لا تنظرون » ، يقول : ثم لا تؤخروا ذلك ،[2] فانظروا هل تنالوننى أنتم وهم بما زعمتم أن آلهتكم نالتنى به من السوء ؟

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٢٦٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « اعتراك بعض آلهتنا بسوء » ، قال : أصابتك الأوثان بجنون .

١٨٢٦٨ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « اعتراك بعض آلهتنا بسوء » ، قال : أصابك الأوثان بجنون .

١٨٢٦٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا ابن دكين قال ، حدثنا سفيان ، عن عيسى ، عن مجاهد : « إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء » ، قال : سببتَ آلهتنا وعبتها ، فأجنَّتك .

١٨٢٧٠ — .... قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « اعتراك بعض آلهتنا بسوء » ، أصابك بعض آلهتنا بسوء ، يعنون الأوثان .

١٨٢٧١ — .... قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء » ، قال : أصابك الأوثان بجنون .

---

(١) انظر تفسير « الكيد » فيما سلف ١٣ : ٤٤٩ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الإنظار » فيما سلف ص : ١٥١ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

١٨٢٧٢ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء » ، قال : تصيبك آلهتنا بالجنون .

١٨٢٧٣ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر ، عن قتادة : « إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء » ، قال : ما يحملك على ذمّ آلهتنا إلا أنه أصابك منها سوء . ٣٧/١٢

١٨٢٧٤ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : « إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء » ، قال : إنما تصنع هذا بآلهتنا ، أنّها أصابتك بسوء .

١٨٢٧٥ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال عبد الله بن كثير : أصابتك آلهتنا بشر .

١٨٢٧٦ – حدثت عن الحسين قال، سمعت أبا معاذ قال، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء » ، يقولون : نخشى أن يصيبك من آلهتنا سوء ، ولا نحب أن تعتريك ، يقولون : يصيبك منها سوء .

١٨٢٧٧ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء » ، يقولون : اختلط عقلك فأصابك هذا ، مما صنعت بك آلهتنا .

* * *

وقوله : « اعتراك » ، « افتعل » من : « عراني الشيء يعروني » ، إذا أصابك ، كما قال الشاعر :[1]

---

(١) هو أبو خراش الهذلي .

* مِنَ القَوْمِ يَعْرُوهُ اجْتِرَاءٌ وَمَأْثَمُ *(١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٥٦)

قال أبو جعفر : يقول : إنى على الله الذى هو مالكى ومالككم ، والقيِّم على جميع خلقه ، توكلت من أن تصيبونى ، أنتم وغيركم من الخلق بسوء ،(١) فإنه ليس من شىء يدبُّ على الأرض ،(٢) إلا والله مالكه ، وهو فى قبضته وسلطانه . ذليلٌ له خاضعٌ .

* * *

---

(١) ديوان الهذليين ٢ : ١٤٧ ، مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٩٠ ، من قصيدته التى ذكر فيها فراره من فائد وأصحابه الخزاعيين ، وكان لهم وتر عنده . فلما لقوه فر وعدا ، فذكر ذلك فى شعره ، ثم انتهى إلى ذكر رجل كان يتبعه وهو يعدو فقال :

أُوائِلُ بالشَّدِّ الذَّلِيقِ ، وَحَثَّنِي لَدَى المَتْنِ مَشْبُوحُ الذِّرَاعَيْنِ خَلْجَمُ
تَذَكَّرَ ذَحْلاً عِنْدَنَا ، وهو فاتِكٌ مِنَ القومِ ، يَعْرُوهُ اجْتِرَاءٌ ومَأْثَمُ

يقول : « أوائل بالشد » ، أطلب النجاة بالعدو السريع ، و « الذليق » ، الحديد السريع الشديد ، و « حثنى لدى المتن » ، يحثنى على عدوى ، رجل من ورائى ، كأنه من قربه قد ركب متنى ، « مشبوح الذراعين » ، من صفة هذا الرجل أنه عريض الذراعين ، « خلجم » ، طويل شديد . و « تذكر ذحلا » ، أى ثأراً ، فكان تذكره للثأر أحفز له على طلب أبى خراش . ثم قال : إنه فاتك من فتاكهم ، لا يرهب ، ويدفعه على ذلك « اجتراء » ، أى جرأة لا تكفها المخافة ، و « مأثم » ، أى طلب الأثام ، وهو المجازاة والعقوبة على إثمى الذى سلف إليهم . و « المأثم » و « الأثام » واحد .

وكان فى المطبوعة : « اجترام » ، وفى المخطوطة : « اجتراماً » ، وهما خطأ ، صوابه ما أثبت من ديوانه .

(٢) انظر تفسير « التوكل » فيما سلف من فهارس اللغة (وكل) .

(٣) انظر تفسير « دابة » فيما سلف ص : ٢٤٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

فإن قال قائل : وكيف قيل : « هو آخذ بناصيتها » ، فخصّ بالأخذ « الناصية » ، دون سائر أماكن الجسد .

قيل : لأن العرب كانت تستعمل ذلك فى وصفها من وصفته بالذلة والخضوع ، فتقول : « ما ناصية فلانٍ إلاّ بيد فلان » ، أى : إنه له مطيع ، يصرفه كيف شاء . وكانوا إذا أسروا الأسير فأرادوا إطلاقه والمنّ عليه ، جزّوا ناصيته ، ليعتدّوا بذلك عليه فخرًا عند المفاخرة . فخاطبهم الله بما يعرفون فى كلامهم ، والمعنى ما ذكرت .

* * *

وقوله : « إن ربى على صراط مستقيم » ، يقول : إن ربى على طريق الحقّ ، يجازى المحسن من خلقه بإحسانه ، والمسيء بإساءته ، لا يظلم أحداً منهم شيئًا ، ولا يقبل منهم إلا الإسلام والإيمان به ،[1] كما : —

١٨٢٧٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « إن ربى على صراط مستقيم » ، الحق .

١٨٢٧٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٨٢٨٠ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٨٢٨١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

---

(١) انظر تفسير « صراط مستقيم » فيما سلف من فهارس اللغة (سرط) ، (قوم) .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴾ (٥٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : مخبراً عن قيل هود لقومه : « فإن تولوا » ، يقول : فإن أدبروا معرضين عما أدعوهم إليه من توحيد الله وترك عبادة الأوثان [١] = « فقد أبلغتكم » ، أيها القوم = « ما أرسلت به إليكم » ، وما على الرَّسول إلا البلاغ = « ويستخلف ربى قوما غيركم » ، يهلككم ربى ، ثم يستبدل ربى منكم قومًا غيركم ، [٢] يوحِّدونه ويخلصون له العبادة = «ولا تضرونه شيئًا » ، يقول : ولا تقدرون له على ضرّ إذا أراد هلاككم ، أو أهلككم .

* * *

وقد قيل : لا يضره هلاككُم إذا أهلككم ، لا تنقصونه شيئًا ، لأنه سواء عنده كُنتم أو لم تكونوا .

* * *

= « إن ربى على كل شىء حفيظ » ، يقول : إن ربى على جميع خلقه ذو حفظ وعلم . [٣] يقول : هو الذى يحفظنى من أن تنالونى بسوء .

* * *

---

(١) كان حق الكلام أن يقول : « فإن أدبرتم معرضين عما أدعوكم إليه » ، فهو خطاب من هود لقومه ، أى : « فإن تتولوا » ، وحذف إحدى التاءين . وكأن هذا سهو من أبى جعفر رحمه الله وغفر له .

(٢) انظر تفسير « الاستخلاف » فيما سلف من فهارس اللغة (خلف) .

(٣) انظر تفسير « حفيظ » فيما سلف ٨ : ١٢/٥٦٢ : ٢٥ ، ٣٣ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَـٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ (٥٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولما جاء قوم هود عذابُنا ، نجينا منه هوداً والذين آمنوا بالله معه = « برحمة منا » ، يعنى : بفضل منه عليهم ونعمة = « ونجيناهم من عذاب غليظ » ، يقول : نجيناهم أيضًا من عذاب غليظ يوم القيامة ، كما نجيناهم فى الدنيا من السخطة التى أنزلتها بعادٍ .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ (٥٩)

٣٨/١٢ قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وهؤلاء الذين أحللنا بهم نقمتنا وعذابنا ، عادٌ ، جحدوا بأدلة الله وحججه ،[2] وعصوا رسله الذين أرسلهم إليهم للدعاء إلى توحيده واتباع أمره = « واتبعوا أمر كل جبار عنيد » ، يعنى : كلّ مستكبر على الله ،[3] حائد عن الحق ، لا يُذعن له ولا يقبله .

* * *

يقال منه : « عَنَد عن الحق ، فهو يعنِد عُنُوداً » و « الرجل عَاند ، وعَنُود » . ومن ذلك قيل للعرق الذى ينفجر فلا يرقأ : « عِرْق عاند » أى ضَارٍ ،[4] ومنه قول الراجز :[5]

---

(١) انظر تفسير « الغلظة » فيما سلف ١٤ : ٥٧٢ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الجحد » فيما سلف ١١ : ١٢/٠٣٤ : ٤٧٦ .
(٣) انظر تفسير « الجبار » فيما سلف ١٠ : ١٧٢ .
(٤) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٩١ ، ففيه زيادة بيان .
(٥) لم أعرف قائله .

* إِنِّى كَبِيرٌ لاَ أُطِيقُ العُنَّدَا *(١)

* * *

١٨٢٨٢ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « واتبعوا أمر كل جبار عنيد » ، المشرك .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَأُتْبِعُواْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾ (٦٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وأتبع عادٌ قومُ هود فى هذه الدنيا غضبًا من الله ، وسخطةً يوم القيامة مثلها ، لعنةً إلى اللعنة التى سلفت لهم من الله فى الدنيا(٢) = « ألا إن عادًا كفروا ربهم ألا بعدًا لعاد قوم هود » ، يقولُ : أبعدهم الله من الخير .(٣)

* * *

يقال : « كفر فلان ربه وكفر بربه » ، « وشكرت لك ، وشكرتك » .(٤)

* * *

وقيل = إن معنى : « كفروا ربهم » ، كفروا نعمةَ ربهم .

* * *

---

(١) مجاز القرآن ١ : ٢٩١ ، البطليوسى : ٤١٥ ، الجواليقى : ٣٣٦ ، اللسان (عند) ، وسيأتى فى التفسير ٢٩ : ٩٧ (بولاق) ، وغيرها ، وهى أبيات لشواهد الإكفاء ، يقول :

إِذَا رَحَلْتُ فَاجْعَلُونِى وَسَطَا إِنِّى كَبِيرٌ لاَ أُطِيقُ العُنَّدَا
وَلاَ أُطِيقُ البَكَرَاتِ الشُّرَّدَا

(٢) انظر تفسير « اللعنة » فيما سلف من فهارس اللغة (لعن) .

(٣) انظر تفسير « البعد » فيما سلف ص : ٣٣٥ .

(٤) انظر ما سلف ٣ : ٢١٢ ، مثله .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ (٦١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحًا فقال لهم : يا قوم، اعبدوا الله وحده لا شريك له، وأخلصوا له العبادة دون ما سواه من الآلهة، فما لكم من إله غيره يستوجب عليكم العبادة ، ولا تجوز الألوهة إلاّ له = « هو أنشأكم من الأرض » ، يقول : هو ابتدأ خلقكم من الأرض.(١)

* * *

وإنما قال ذلك ، لأنه خلق آدم من الأرض ، فخرج الخطاب لهم ، إذ كان ذلك فعله بمن هم منه .

* * *

= «واستعمركم فيها »، يقول: وجعلكم عُمَّارًا فيها، فكان المعنى فيه: أسكنكم فيها أيام حياتكم .

* * *

= من قولهم : « أعْمر فلانٌ فلانًا دارَه » ، و « هى له عُمْرَى » .(٢)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) انظر تفسير « الإنشاء » فيما سلف ١٢ : ١٥٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) « عمرى » (بضم فسكون ، فراء مفتوحة) ، مصدر مثل « الرجعى » : و « أعمره الدار » ، جعله يسكنها مدة عمره ، فإذا مات عادت إلى صاحبها . وكان ذلك من فعل الجاهلية ، فأبطله الله بالإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تعمروا ولا ترقبوا » ، فمن أعمر داراً أو أرقبها ، فهى لورثته من بعده » .

١٨٢٨٣ - حدثني محمد بن عمرو وقال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « واستعمركم فيها » ، قال : أعمركم فيها .

١٨٢٨٤ - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « واستعمركم فيها » ، يقول : أعمركم .

* * *

وقوله : « فاستغفروه » ، يقول : اعملوا عملاً يكون سببًا لستر الله عليكم ذنوبكم ، وذلك الإيمانُ به، وإخلاصُ العبادة له دون ما سواه ، واتباعُ رسوله صالح = « ثم توبوا إليه » ، يقول : ثم اتركوا من الأعمال ما يكرهه ربكم ، إلى ما يرضاه ويحبه = « إن ربي قريب مجيب » ، يقول : إن ربي قريب ممن أخلص له العبادة ورغب إليه في التوبة ، مجيبٌ له إذا دعاه .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ (٦٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قالت ثمود لصالح نبيِّهم : « يا صالح قد كنت فينا مرجوًّا » ، أي : كنا نرجُو أن تكون فينا سيداً قبل هذا القول الذي قلته لنا ، من أنه مالنا من إله غير الله [1] = « أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا » ، يقول : أتنهانا أن نعبد الآلهة التي كانت آباؤنا تعبدها = « وإننا لفي شك مما تدعونا إليه

(١) انظر تفسير « الرجاء » فيما سلف ٤ : ٣١٩ .

مريب » ، يعنون أنهم لا يعلمون صحّة ما يدعوهم إليه من توحيد الله ، وأن الألوهة لا تكون إلاّ لهُ خالصًا .

* * *

وقوله : « مريب » ، أى يوجب التهمة ، من : « أربته فأنا أريبه إرابةً » ، إذا فعلت به فعلاً يوجب له الريبة ، [1] ومنه قولى الهذلى : [2]

كُنْتُ إذَا أَتَوْتُه مِنْ غَيْبِ يَشَمُّ عِطْفِي وَيَبُزُّ ثَوْبِى
* كَأَنَّمَا أَرَبْتُهُ بِرَيْبِ * [3]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴾ (٦٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال صالح لقومه من ثمود : « يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربى » ، يقول : إن كنت على برهان وبيان من الله قد علمته وأيقنته [4] = « وآتانى منه رحمة » ، يقول : وآتانى منه النبوة والحكمة ٣٩/١٢

---

(١) انظر تفسير « الريبة » فيما سلف من فهارس اللغة (ريب) .

(٢) هو خالد بن زهير الهذلى .

(٣) ديوان الهذليين ١ : ١٦٥ ، واللسان (ريب) ، (بزز) ، (أتى) ، وغيرها كثير ، وسيأتى فى التفسير ٢٢ : ٧٦ (بولاق) . وكان خالد بن زهير ، ابن أخت أبى ذؤيب ، وكان رسول أبى ذؤيب إلى صديقته ، فأفسدها عليه ، فكان يشكك فى أمره ، فقال له خالد :

يَا قَوْمِ مَالِى وَأَبَا ذُؤَيْبِ كُنْتُ إذَا أَتَوْتُه من غَيْبِ

« أتوته » ، لغة فى « أتيته » ، وقوله : « من غيب » ، من حيث لا يدرى ، لأن « الغيب » ، هو الموضع الذى لا يدرى ما وراءه . و « يبز ثوبى » ، أى يجذبه إليه ، يريد أن يمسكه حتى يستخرج خبء نفسه ، من طول ارتيابه فيه .

(٤) انظر تفسير « البينة » فيما سلف من فهارس اللغة (بين) .

والإسلام = « فمن ينصرنى من الله إن عصيته » ، يقول : فمن الذى يدفع عنّى عقابه إذا عاقبنى إن أنا عصيته ، فيخلصنى منه = « فما تزيدوننى » ، بعذركم الذى تعتذرون به ، من أنكم تعبدُون ما كان يعبدُ آباؤكم = « غير تخسير » ، لكم يخسركم حظوظكم من رحمة الله ، [1] كما — :

١٨٢٨٥ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فما تزيدوننى غير تخسير » ، . يقول : ما تزدادون أنتم إلاّ خساراً .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾ (٦٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره ، مخبراً عن قيل صالح لقومه من ثمود ، إذ قالوا له : « وإننا لفى شك مما تدعونا إليه مريب » ، وسألوه الآية على مادعاهم إليه : « يا قوم هذه ناقة الله لكم آية » ، يقول : حجة وعلامة ودلالة على حقيقة ما أدعوكم إليه = « فذروها تأكل فى أرض الله » ، فليس عليكم رزقها ولا مؤونتها = « ولا تمسوها بسوء » ، يقول : لا تقتلوها ولا تنالوها بعَقْر = « فيأخذكم عذاب قريب » ، يقول : فإنكم إن تمسوها بسوء ، يأخذكم عذاب من الله غير بعيد فيهلككم .

* * *

(١) انظر تفسير « الخسران » فيما سلف من فهارس اللغة (خسر) .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ (٦٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فعقرت ثمود ناقة الله = وفى الكلام محذوفٌ قد ترك ذكرُه ، استغناءً بدلالة الظاهر عليه ، وهو : « فكذبوه » ، « فعقروها » = فقال لهم صالح : = « تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام » ، يقول : استمتعوا فى دار الدنيا بحياتكم ثلاثة أيام = « ذلك وعد غير مكذوب » ، يقول : هذا الأجل الذى أجّلتكم ، وَعْدٌ من الله ، وعدكم بانقضائه الهلاكَ ونزولَ العذاب بكم = « غير مكذوب » ، يقول : لم يكذبكم فيه من أعلمكم ذلك .

* * *

١٨٢٨٦ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فعقروها فقال تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب » ، وذكر لنا أن صالحًا حين أخبرهم أنّ العذاب أتاهم ، لبسُوا الأنطاع والأكسية ،[1] وقيل لهم : إن آية ذلك أن تصفرّ ألوانكم أوّل يوم ، ثم تحمرّ فى اليوم الثانى ، ثم تسودّ فى اليوم الثالث . وذكر لنا أنهم لما عقرُوا الناقة ندموا ، وقالوا : « عليكم الفَصيلَ » ؟ فصعد الفصيل القارَة = و « القارة » ، الجبل = حتى إذا كان اليوم الثالث استقبل القبلة ، وقال : « يا رب أمى ، يا رب أمى » ، ثلاثًا . قال : فأرسلت الصيحة عند ذلك .

= وكان ابن عباس يقول : لو صعدتم القارة لرأيتم عظام الفصيل . وكانت منازل ثمود بحجْر ، بين الشأم والمدينة .

١٨٢٨٧ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن

---

(١) « الأنطاع » جمع « نطع » (بكسر فسكون) ، وهو : الجلد والأدم . كانوا يتخذون لأنفسهم منها أكفاناً ، كما سيأتى فى آخر الحديث رقم : ١٨٢٩٠ ص : ٣٧٧

معمر ، عن قتادة : « تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام » ، قال : بقية آجالهم .

١٨٢٨٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : أن ابن عباس قال : لو صعدتم على القارة لرأيتم عظام الفصيل .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴾ (٦٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فلما جاء ثمود عذابُنا = « نجينا صالحًا والذين آمنوا به معه برحمة منا » ، يقول : بنعمة وفضل من الله = « ومن خزى يومئذ » ، يقول : ونجيناهم من هوان ذلك اليوم ، وذلّه بذلك العذاب[1] = « إن ربك هو القوى » ، فى بطشه ، إذا بطش بشىء أهلكه ، كما أهلك ثمود حين بطش بها = « العزيز » ، فلا يغلبه غالب ، ولا يقهره قاهر ، بل يغلب كل شىء ويقهره .[2]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

* ذكر من قال ذلك :

١٨٢٨٩ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن

---

(١) انظر تفسير « الخزى » فيما سلف من فهارس اللغة (خزى) .

(٢) انظر تفسير « القوى » فيما سلف ١٤ : ١٩ .

= وتفسير « العزيز » فيما سلف من فهارس اللغة (عزز)

معمر ، عن قتادة : « برحمة منا ومن خزى يومئذ » ، قال : نجاه الله برحمة منه ،[١] ونجاه من خزى يومئذ .

١٨٢٩٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن أبى بكر بن عبد الله ، عن شهر بن حوشب ، عن عمرو بن خارجة قال : قلنا له : حدّثنا حديثَ ثمود . قال : أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ثمود : كانت ثمودُ قومَ صالح ، أعمرهم الله فى الدنيا فأطال أعْمَارهم ، حتى جعل أحدهم يبنى المسكنَ من المدَر فينهدم ،[٢] والرَّجُل منهم حىٌّ . فلما رأوا ذلك ، اتخذوا من الجبال بيوتًا فَرِهين ، فنحتوها وجَابُوها وجوَّفوها .[٣] وكانوا فى سعةٍ من معايشهم . فقالوا : يا صالح ، ادع لنا ربك يخرج لنا آية نعلم أنك رسول الله ! فدعا صالح ربَّه ، فأخرج لهم الناقة ، فكان شِرْبُها يومًا ، وشِرْبهم يومًا معلومًا . فإذا كان يوم شربها خلَّوا عنها وعن الماء ، وحلبوها لبنًا ملأوا كل إناء ووعاء وسقاء . حتى إذا كان يوم شربهم صرفوها عن الماء ولم تشرب منه شيئًا ، فملأوا كل إناء ووعاء وسقاء . فأوحى الله إلى صالح : إن قومك سيعقرون ناقتك ! فقال لهم ، فقالوا : ما كنا لنفعل ! فقال : إلاّ تعقروها أنتم ، يوشكُ أن يولد فيكم مولود [يعقرها] .[٤] قالوا : ما علامة ذلك المولود ، فوالله لا نجده إلاّ قتلناه ! قال : فإنه غلام أشقَر ، أزرَق ، أصهَبُ ، أحمر . قال : وكان فى المدينة شيخان عزيزان منيعان ، لأحدهما ابن يرغب به عن المناكح ، وللآخر ابنة لا يجد لها كفؤاً ، فجمع بينهما مجلس ، فقال أحدهما لصاحبه : ما يمنعك أن تزوج ابنك ؟ قال : لا أجد له كفؤاً . قال : فإن ابنتى كفؤ له ، وأنا أزوجك . فزوّجه ، فولد

١٢/٤٠

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « برحمة منا » ، والسياق يقتضى ما أثبت .

(٢) « المدر » ، الطين العلك ، لا رمل فيه .

(٣) قوله : « وجابوها » ساقطة من المطبوعة . « جابوها » ، خرقوا الصخر وحفروه ، فاتخذوه بيوتاً .

(٤) الزيادة بين القوسين ، من تاريخ الطبرى .

بينهما ذلك المولود . وكان فى المدينة ثمانية رهط يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ، فلما قال لهم صالح : « إنما يعقرها مولود فيكم » ، اختاروا ثمانى نسوة قوابل من القرية ، وجعلوا معهن شُرَطًا ، كانوا يطوفون فى القرية ، فإذا وجدُوا المرأة تمخَضُ نظروا ما ولدُها ، إن كان غلامًا قلَّبنه فنظرن ما هو ،[1] وإن كانت جارية أعرضن عنها . فلما وجدوا ذلك المولود صرخ النسوة وقلن : « هذا الذى يريد رسول الله صالح » ! فأراد الشرَط أن يأخذوه ، فحال جدّاه بينهم وبينه ، وقالا : لو أن صالحًا أراد هذا قتلناه! فكان شرَّ مولود ، وكان يشبُّ فى اليوم شباب غيره فى الجمعة ، ويشبّ فى الجمعة شباب غيره فى الشهر ، ويشب فى الشهر شباب غيره فى السنة . فاجتمع الثمانية الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ، وفيهم الشيخان ، فقالوا : « استعمل علينا هذا الغلام » ،[2] لمنزلته وشرَف جدّيه ، فكانوا تسعة . وكان صالح لا ينام معهم فى القرية ، كان فى مسجد يقال له « مسجد صالح » ، فيه يبيت بالليل ، فإذا أصبح أتاهم فوعظهم وذكرهم ، وإذا أمسى خرج إلى مسجده فبات فيه .

= قال حجاج : وقال ابن جريج : لما قال لهم صالح : « إنه سيولد غلام يكون هلاككم على يديه » ، قالوا : فكيف تأمرنا ؟ قال : آمركم بقتلهم ! فقتلوهم إلاّ واحداً . قال : فلما بلغ ذلك المولود ، قالوا : لوكنا لم نقتل أولادَنا لكان لكل رجل منا مثل هذا ، هذا عملُ صالح ! فائتمروا بينهم بقتله ، وقالوا : نخرج مسافرين والناس يروننا علانيةً ، ثم نرجع من ليلة كذا من شهر كذا وكذا ، فنرصُدُه عند مصلاّه فنقتله ، فلا يحسب الناس إلاّ أنّا مسافرون ، كما نحن ! فأقبلوا حتى دخلوا تحت صخرة يرصُدُونه ، فأرسل الله عليهم الصخرة فرضَخَتهم ، فأصبحوا رَضْخًا . فانطلق رجال ممَّن قد اطلع على ذلك منهم ، فإذا هم رضْخٌ ، فرجعوا

(١) فى التاريخ : « فإن كان ولداً قتلنه » ، ليس فيه هذا الذى فى روايته فى التفسير ، وهى أحسن الروايتين إن شاء الله .

(٢) فى المطبوعة : « تستعمل » ، وأثبت ما فى المطبوعة والتاريخ .

يصيحون فى القرية : أى عباد الله، أما رضى صالح أن أمرهم أن يقتلوا أولادهم حتى قتلهم ! فاجتمع أهل القرية على قتل الناقة أجمعون ، وأحجموا عنها إلا ذلك ابن العاشر .

= ثم رجع الحديث إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وأرادوا أن يمكروا بصالح ، فمشوا حتى أتوا على سَرَبٍ على طريق صالح ، فاختبأ فيه ثمانية ، وقالوا : إذا خرج علينا قتلناه ، وأتينا أهله ، فبيَّتْنا هُمْ ! فأمر الله الأرض فاستوت عنهم . قال : فاجتمعوا ومشَوْا إلى الناقة وهى على حَوْضها قائمة ، فقال الشقىُّ لأحدهم : ائتها فاعقرها ! فأتاها ، فتعاظَمَه ذلك ، فأضرب عن ذلك . فبعث آخر ، فأعظم ذلك . فجعل لا يبعث رجلاً إلا تَعَاظمه أمرُها ، حتى مشوا إليها ، وتطاول فضرب عرقُوبَيْها ، فوقعت تركُضُ . وأتى رجلٌ منهم صالحًا فقال : « أدرك الناقةَ فقد عُقِرت » ! فأقبل، وخرجوا يتَلقَّونه ويعتذرون إليه : « يا نبى الله ، إنما عقرها فلان ، إنه لا ذنب لنا » ! قال : فانظروا ، هل تدركون فصيلها ؟ فإن أدركتموه فعسَى الله أن يرفعَ عنكم العذابُ ! فخرجوا يطلبونه، ولما رأى الفصيل أمَّه تضطرب ، أتى جبلاً يقال له « القارَة » ، قصيراً . فصعد ، وذهبوا ليأخذوه ، فأوحى الله إلى الجبل فطالَ فى السماء، حتى ما تَناله الطير . قال : ودخل صالح القرية ، فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ، ثم استقبل صالحًا فرغا رَغْوةً ، ثم رغَا أخرى ، ثم رغا أخرى ، فقال صالح لقومه : لكل رغوة أجلُ يوم ، « تمتعوا فى داركم ثلاثة أيامَ ذلك وعد غير مكذوب » ، ألا إن آية العذاب أنّ اليوم الأول تصبح وجوهكم مصفرّة ، واليوم الثانى محمرّة ، واليوم الثالث مسودَّة . فلما أصبحوا فإذا وجوههم كأنها طليت بالخلوق ،[1] صغيرُهم وكبيرُهم، ذكرهم وأنثاهم. فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم : « ألا قد مضى يوم من الأجل ، وحضركم العذاب » ! فلما أصبحوا اليوم الثانى ، إذا وجوههم محمرة ، ٤١/١٢

(١) « الخلوق » ، طيب يتخذ من الزعفران ، تغلب عليه الحمرة والصفرة .

كأنها خُضِبت بالدماء ، فصاحوا وضجُّوا وبكوا ، وعرفوا آية العذاب ، فلما أمسوا صاحُوا بأجمعهم : « ألا قد مضى يومان من الأجل ، وحضركم العذاب » ! فلما أصبحوا اليوم الثالث ، فإذا وجوههم مسودّة ، كأنها طُليت بالقار ، فصاحوا جميعًا : « ألا قد حضركم العذاب ، فتكفَّنُوا وتحنَّطوا » . وكان حنوطهم الصَّبر والمقر ،[1] وكانت أكفانهم الأنطاع ،[2] ثم ألقوا أنفسهم إلى الأرض ،[3] فجعلوا يقلبون أبصارهم ، فينظرون إلى السماء مرة ، وإلى الأرض مرة ، فلا يدرون من حيث يأتيهم العذاب ، من فوقهم من السماء ، أو من تحت أرجلهم من الأرض ، جَثْمًا وفَرَقًا .[4] فلما أصبحوا اليومَ الرابع ، أتتهم صيحةٌ من السماء ، فيها صوتُ كلّ صاعقة ، وصوت كل شيء له صوتٌ في الأرض ، فتقطعت قلوبهم في صُدورهم ، فأصبحوا في دارهم جاثمين .[5]

---

(١) « المقر » (بفتح فكسر) ، شبيه بالصبر ، وقيل هو الصبر نفسه ، وهو شجر مر . وكان في المطبوعة : « المغر » بالغين ، وهو خطأ .

(٢) انظر تفسير « الأنطاع » فيما سلف ص : ٣٧٢ تعليق : ١ .

(٣) في المطبوعة والمخطوطة : « بالأرض » ، وأثبت ما في التاريخ .

(٤) في المطبوعة : « خسفاً وغرقاً » ، غير ما في المخطوطة ، وفيها « حسما وفرقا » ، الأولى غير منقوطة . وفي التاريخ : « « خشعا وفرقا » ، وضبط « خشعا » بضم الخاء ، وتشديد الشين ، كأنه جمع « خاشع » ، وضبط « فرقاً » بضم الفاء والراء ، وهو فاسد من وجوه . والذي أثبته هو الصواب .

و « الجشع » (بفتحتين) ، الجزع لفراق الإلف ، والحرص على الحياة . وفي حديث معاذ : « فبكى معاذ جشعاً لفراق رسول الله صلى الله عليه وسلم » . وفي حديث ابن الخصاصية : « أخاف إذا حضر قتال جشعت نفسي فكرهت الموت » . و « الفرق » ، أشد الفزع .

(٥) الأثر : ١٨٢٩٠ – « حجاج » ، هو « حجاج بن محمد المصيصي » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً كثيرة .

و « أبو بكر بن عبد الله » ، لم أعرف من يكون ، فإن يكن هو : « أبا بكر بن عبد الله بن محمد ابن أبي سبرة القرشي » ، فهو منكر الحديث ، يروي الموضوعات عن الثقات ، ومضى برقم : ١٤٠٤٤ ، ذكره حجاج بن محمد ، فقال : « قال لي أبو بكر السبري : عندي سبعون ألف حديث في الحلال والحرام » فقال أحمد : « ليس بشيء ، كان يضع الحديث » ، بل هو أيضاً لم يدرك « شهر بن حوشب » ، فإنه مات سنة ١٦٢ ، وله ستون سنة ، وشهر بن حوشب ، مات سنة ١٠٠ ، أو بعدها بقليل . وإن يكن « أبا بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني » ، كما ذكر الذهبي في تعليقه عن المستدرك ، فهو أيضاً متروك الحديث ، مضى برقم : ٩٠٧١ ، ولا أعلم أدرك شهراً ، أم لا ، فإنه مات سنة ١٥٦ .

١٨٢٩١ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : حُدِّثت أنَّه لما أخذتهم الصيحة، أهلك الله مَنْ بَين المشارق والمغارب منهم ، إلا رجلاً واحداً كان في حرم الله ، منعه حرم الله من عذاب الله . قيل: ومن هو ، يا رسول الله ؟ قال: أبو رِغال . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين أتى على قرية ثمود ، لأصحابه : لا يدخلنَّ أحدٌ منكم القرية ، ولا تشربوا من مائهم . وأراهم مُرْتَقَى الفصيل حين ارتقَى في القارَة .

= قال ابن جريجُ : وأخبرني موسى بن عقبة ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر : أن النبي صلى الله عليه وسلم حين أتى على قرية ثمود قال : لاتدخلوا على هؤلاء المعذَّبين إلا أن تكونوا باكين ، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم ، أنْ يُصيبكم ما أصابهم .

= قال ابن جريج ، قال : جابر بن عبد الله : إن النبي صلى الله عليه وسلم لما أتى على الحِجْر ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد، فلا تسألوا رسُولَكم الآيات ، هؤلاء قوم صالح سألوا رسولهم الآية ، فبعث لهم الناقة ، فكانت تَرِدُ من هذا الفَجّ ، وتصدر من هذا الفَجّ ، فتشرب ماءَهم يوم ورودها .(١)

وفي تاريخ الطبري المطبوع « « أبو بكر بن عبد الرحمن » ، وفي بعض نسخه المخطوطة « أبو بكر بن عبد الله » ، مطابقاً لما في التفسير .

و « عمرو بن خارجة بن المنتفق الأشعري » ، صحابي ، ذكر العسكري أن شهر بن حوشب ، لا يصح سماعه عنه ، وإنما يروى عنه من طريق « عبد الرحمن بن غنم الأشعري » .

وهذا الخبر رواه أبو جعفر الطبري في تاريخه ١ : ١١٦ – ١١٨ .

ورواه الحاكم في المستدرك ٢ : ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، وقال : « هذا حديث جامع لذكر هلاك آل ثمود ، تفرد به شهر بن حوشب ، وليس له إسناد غير هذا ، ولم يستغن عن إخراجه . وله شاهد على سبيل الاختصار بإسناد صحيح ، دل على صحة الحديث الطويل ، على شرط مسلم » .

وقال الذهبي في تعليقه عليه : « أبو بكر ، واه ، وهو ابن أبي مريم » .

فهذا حديث ضعيف ، لضعف « أبي بكر بن عبد الله » ، أيا كان ، وللشك في رواية شهر عن عمرو ابن خارجة ، فهو منقطع .

(١) الأثر : ١٨٢٩١ – في هذا الخبر حديث مسند ، حديث ابن جريج ، عن موسى بن عقبة ،

١٨٢٩٢ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذكر لنا أن نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم لما مرّ بوادى ثمود وهو عامد إلى تبوك ، قال : فأمر أصحابه أن يسرعوا السير ، وأن لا ينزلوا به ، ولا يشربوا من مائه ، وأخبرهم أنه وادٍ ملعون . قال : وذكر لنا أن الرجل المُوسِر من قوم صالح كان يعطى المعسر منهم ما يتكَفّنون به ، وكان ، الرجل منهم يَلْحَد لنفسه ولأهل بيته ، لميعاد نبيّ الله صالح الذى وعدهم . وحدّث من رآهم بالطرق والأفنية والبيوت ، فيهم شبان وشيوخ ، أبقاهم الله عبرة وآية .

١٨٢٩٣ – حدثنا إسمعيل بن المتوكل الأشجعى من أهل حمص قال ، حدثنا محمد بن كثير قال ، حدثنا عبد الله بن واقد ، عن عبد الله ابن عثمان بن خثيم قال ، حدثنا أبو الطفيل قال : لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غَزَاة تَبوك ،(١) نزل الحِجر . فقال : يا أيها الناس ، لا تسألوا نبيَّكم الآيات ، هؤلاء قوم صالح سألوا نبيَّهم أن يبعث لهم آية ، فبعث الله لهم الناقة آيةً ، فكانت تَلج عليهم يوم [وردها من هذا الفجّ ، فتشربُ ماءهم، ويوم وردهم كانوا يتزودون منه] ،(٢) ثم يحلبونها مثل ما كانوا يتزَوّدون من مائهم قبل ذلك لبنًا ، ثم تخرج من ذلك الفجّ . فعتوا عن أمر ربهم وعقروها ، فوعدهم الله العذاب بعد ثلاثة أيام ، وكان وعداً من الله غير مكذوب ، فأهلك الله من كان

عن عبد الله بن دينار ، رواه أحمد من طرق ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، وخرجه أخى رحمه الله فى المسند ، انظر رقم : ٤٥٦١ ، ٥٢٢٥ ، ٥٣٤٢ ، ٥٤٠٤ ، ٥٤٤١ ، ٥٦٤٥ ، ٥٧٠٥ ، ٥٩٣١ .

وأما سائر ما فى الخبر ، فهو مرسل ، وقد مضى من حديث جابر نحوه ، من رقم : ١٤٨١٧ – ١٤٨٢٣ ، فانظر التعليق على هذه الآثار هناك . وانظر أيضاً مجمع الزوائد ٦ : ٧/١٩٤ : ٣٧ ، من حديث جابر الذى رواه أحمد وغيره .

(١) فى المطبوعة : « غزوة تبوك » ، غير ما فى المخطوطة ، وهو مطابق لما فى التاريخ .

(٢) كان فى المطبوعة والمخطوطة : « تاج عليهم يوم ورودهم الذى كانوا يترودون منه ثم يحلبونها . . . » ، وهو غير مستقيم ، أثبت الصواب من التاريخ ، وفيه « يتزودون » فى الموضعين ، فأصلحتهما جميعاً ، ووضعت نص ما فى التاريخ بين قوسين .

منهم فى مشارق الأرض ومغاربها إلا رجلاً واحداً، كان فى حرم الله، فمنعه حَرَمُ الله من عذاب الله . قالوا : ومن ذلك الرجل يا رسول الله ؟ قال : أبو رِغال .(١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ ﴿٦٨﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وأصاب الذين فعلوا ما لم يكن لهم فعله ، من عقر ناقة الله وكفرهم به = « الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين » ، قد جثَّمتهم المنايا ، وتركتهم خموداً بأفنيتهم ،(٢) كما : —

١٨٢٩٤ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : ٤٢/١٢

---

(١) الأثر : ١٨٢٩٣ — « إسماعيل بن المتوكل الشامى الحمصى » ، شيخ الطبرى ، مترجم فى التهذيب .

و « محمد بن كثير » ، كأنه « محمد بن كثير بن أبى عطاء الثقفى المصيصى ، الصنعانى » ، وهو ضعيف جداً . مضى برقم : ٤١٥٠ ، ٤٨٣٦ ، ومضى فى نحو هذا الإسناد رقم : ٩٤٩٢ .

و « عبد الله بن واقد ، أبو رجاء الهروى » ، ثقة لا بأس به ، مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ١٩١/٢/٢ .

و « عبد الله بن عثمان بن خثيم المكى القارئ » ، تابعى ثقة متكلم فيه ، ولكن الصحيح توثيقه ، وروى عن أبى الطفيل . مضى برقم : ٤٣٤١ ، ٥٣٨٨ .

و « أبو الطفيل » ، هو « عامر بن واثلة » ، مضى مراراً ، صحابى من صغار الصحابة ، كان له يوم مات رسول الله ثمانى سنوات ، فهو قد سمع هذا الخبر ممن هو أكبر منه من الصحابة ، ولعله سمعه من جابر بن عبد الله .

وهذا الخبر لين الإسناد شيئاً ، وقد رواه أبو جعفر فى تاريخه ١ : ١١٨ من هذه الطريق نفسها ، ولم أجده فى مكان آخر .

(٢) انظر تفسير « الجثوم » فيما سلف ١٢ : ٥٤٦ ، ٥٦٦ .

« فأصبحوا فى ديارهم جاثمين » ، يقول : أصبحوا قد هلكوا .

* * *

= « كأن لم يغنوا فيها » ، يقول : كأن لم يعيشوا فيها ، ولم يعمروا بها ، كما : —

١٨٢٩٥ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « كأن لم يغنوا فيها » ، كأن لم يعيشوا فيها .

١٨٢٩٦ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، مثله .

* * *

وقد بينا ذلك فيما مضى بشواهده ، فأغنى ذلك عن إعادته .[1]

* * *

وقوله : « ألا إن ثمود كفروا ربهم » ، يقول : ألا إن ثمود كفروا بآيات ربهم فجحدوها[2] = « ألا بعداً لثمود » ، يقول : ألا أبعد الله ثمود ! لنزول العذاب بهم .[3]

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا قَالَ سَلَـٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾ (٦٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « ولقد جاءت رسلنا » ، من الملائكة ، وهم فيما ذكر ، كانوا جبريل وملكين آخرين ، وقيل : إن الملكين الآخرين كانا

---

(١) انظر تفسير « غنى » فيما سلف ١٢ : ٥٦٩ ، ٥٧٠/١٥ : ٥٦ .

(٢) انظر ما سلف ص : ٣٦٧ .

(٣) انظر تفسير « البعد » فيما سلف ص : ٣٣٥ ، ٣٦٧ .

ميكائيل وإسرافيل معه =« إبراهيم » ، يعنى : إبراهيم خليل الله = « بالبشرى » ، يعنى : بالبشارة . (١)

* * *

واختلفوا فى تلك البشارة التى أتوه بها .

فقال بعضهم : هى البشارة بإسحق .

وقال بعضهم : هى البشارة بهلاك قوم لوط .

* * *

= « قالوا سلامًا » ، يقول : فسلموا عليه سلامًا .

* * *

ونصب « سلامًا » بإعمال « قالوا » : فيه ، كأنه قيل : قالوا قولاً وسلَّموا تسليمًا .

* * *

= « قال سلامٌ » ، يقول : قال إبراهيم لهم : سلام = فرفع « سلامٌ » ، بمعنى : عليكم السلام = أو بمعنى : سلام منكم .

* * *

وقد ذكر عن العرب أنها تقول : « سِلْمٌ » بمعنى السلام ، كما قالوا : « حِلٌّ ، وحلالٌ » ، « وحِرْم وحَرام » . وذكر الفرَّاء أن بعض العرب أنشده : (٢)

مَرَرْنَا فَقُلْنَا : إِيهِ سِلْمٌ ! فَسَلَّمَتْ كَمَا اكْتَلَّ بِالبَرْقِ الغَمَامُ اللَّوَائِحُ (٣)

---

(١) انظر تفسير « البشرى » فيما سلف من فهارس اللغة (بشر) .

(٢) لم أعرف قائله . والذى أنشده الفراء فى تفسير هذه الآية بيت آخر غير هذا البيت ، شاهداً على حذف « عليكم » ، وهو قوله :

فَقُلْنَا : السَّلَامُ، فاتَّقَتْ مِنْ أَمِيرِهَا وَمَا كَانَ إِلاَّ وَمْؤُهَا بالحواجِبِ

وأما هذا البيت الذى هنا ، فقد ذكره صاحب اللسان فى مادة (كلل) ، عن ابن الأعرابى ، فلعل الفراء أنشده فى مكان آخر .

(٣) اللسان (كلل) ، يقال : « انكل السحاب عن البرق ، واكتل » ، أى : لمع به ، و « اللوائح » التى لاح برقها ، أى لمع وظهر .

بمعنى : سلام . وقد روى : « كما انكلّ » .

* * *

وقد زعم بعضهم أن معناه إذا قرئ كذلك : نحن سِلْمٌ لكم = من « المسالمة » ، التى هى خلاف المحاربة .

وهذه قراءة عامّة قرأة الكوفيين .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة الحجاز والبصرة : ﴿ قَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ ﴾ ، على أن الجواب من إبراهيم صلى الله عليه وسلم لهم بنحو تسليمهم : عليكم السلام .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان متقاربتا المعنى ، لأن « السلم » قد يكون بمعنى « السلام » على ما وصفت ، و « السلام » بمعنى « السلم » ، لأن التسليم لا يكاد يكون إلا بين أهل السّلم دون الأعداء ، فإذا ذكر تسليم من قوم على قوم ، ورَدُّ الآخرين عليهم ، دلّ ذلك على مسالمة بعضهم بعضًا . وهما مع ذلك قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما أهل قدوة فى القراءة ، فبأيّتهما قرأ القارئ فمصيبٌ الصوابَ .

* * *

وقوله : « فما لبث أن جاء بعجل حنيذ » .

* * *

= وأصله « محنوذ » ، صرف من « مفعول » إلى « فعيل » .

* * *

وقد اختلف أهل العربية فى معناه .

فقال بعض أهل البصرة منهم[1] : معنى « المحنوذ » ، المشوىّ . قال : ويقال منه : « حَنَذْتُ فرسى » ، بمعنى : سخّنته وعرّقته ، واستشهد لقوله ذلك ببيت الراجز : [2]

---

(١) هو أبو عبيدة فى مجاز القرآن .

(٢) هو العجاج .

* ورَهِبَا مِنْ حَنْذِهِ أَنْ يَهْرَجَا *(١)

* * *

وقال آخر منهم : « حنذ فرسه » ، أى أضمره . وقال قالوا : « حَنَذه يحنِذُه حَنْذًا » ، أى : عرَّقه .

* * *

وقال بعض أهل الكوفة : كل ما انشوَى فى الأرض ، إذا خَدَدت له فيه ، فدفنته وغممته ، فهو « الحنيذ » و « المحنوذ » . قال : والخيل تُحْنَذ ، إذا ألقيت عليها الجِلال بعضُها على بعض لتعرق . قال : ويقال : « إذا سَقَيْتَ فأَحْنِذْ » ، يعنى : أخْفِسْ ، يريد : أقلَّ الماء ، وأكثر النبيذ .

* * *

وأما [أهل] التأويل ، فإنهم قالوا فى معناه ما أنا ذاكره ، وذلك ما : —

١٨٢٩٧ — حدثنى به المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « بعجل حنيذ » ، يقول : نضيج .

١٨٢٩٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد « بعجل حنيذ » ، قال : « بعجل » ،(٢) حَسِيل

---

(١) ديوانه ٩ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٩٢ ، واللسان (حنذ) ، (هرج) ، من رجزه المشهور ، وهذا البيت من أبيات يصف حمار الوحش وأتنه ، لما جاء الصيف ، وخرج بهن يطلب الماء البعيد فقال :

حَتَّى إِذَا ما الصَّيْفُ كَانَ أَمْجَا وَفَرَغَا مِنْ رَعْيِ ما تَلَزَّجَا
وَرَهِبَا من حَنْذِهِ أَنْ يَهْرَجَا تَذَكَّرَا عَيْناً رِوًى وفَلَجَا

و « الأمج » شدة الحر والعطش ، يأخذ بالنفس . و « تلزج الكلأ » تتبعه ، و « الحنذ » ، شدة الحر وإحراقه . و « هرج البعير » تحير وسدر من شدة الحر .

(٢) « الحسيل » (بفتح الحاء وكسر السين) : ولد البقرة .

البقر = و « الحنيذ » ، المشوى النضيج .

١٨٢٩٩ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى » إلى « بعجل حنيذ » ، [1] قال : نضيج ، سُخِّن ، أنضج بالحجارة .

١٨٣٠٠ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فما لبث أن جاء بعجل حنيذ » ، و « الحنيذ » ، النضيج .

١٨٣٠١ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « بعجل حنيذ » ، قال : نضيج . قال [وقال الكلبى] : و « الحنيذ » ، الذى يُحْنَذ فى الأرض . [2]

١٨٣٠٢ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يعقوب القمى ، عن حفص بن حميد ، عن شمر فى قوله : « فجاء بعجل حنيذ » ، قال : « الحنيذ » ، الذى يقطر ماء ، وقد شوى = وقال حفص : « الحنيذ » ، مثل حِنَاذ الخيل . ٤٣/١٢

١٨٣٠٣ – حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى ، قال : ذبحه ثم شواه فى الرَّضْف ، [3] فهو « الحنيذ » حين شواه .

١٨٣٠٤ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو يزيد ، عن يعقوب ، عن حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية : « فجاء بعجل حنيذ » ، قال : المشوىّ الذى يقطر .

---

(١) كان فى المطبوعة والمخطوطة هنا « ولما جاءت رسلنا » ، وهو سهو من الناسخ ، وحق التلاوة ما أثبت . وكذلك جاء سهواً منه فى نص الآية التى يفسرها أبو جعفر ، وصححتها ، ولم أشر إليه هناك .

(٢) الذى بين القوسين ليس فى المخطوطة ، وقد تركته على حاله ، وإن كنت أشك فيه ، وأرجح أنه زيادة من ناسخ آخر ، بعد ناسخ مخطوطتنا .

(٣) « الرضف » (بفتح فسكون) الحجارة المحماة على النار . و « شواه مرضوف » ، مشوى على الرضفة .

١٨٣٠٥ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا هشام قال ، حدثنا يعقوب ، عن حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية قال : « الحنيذ » ، الذى يقطر ماؤه ، وقد شُوِى .

١٨٣٠٦ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك : « بعجل حنيذ » ، قال : نضيج .

١٨٣٠٧ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « بعجل حنيذ » ، الذى أنضج بالحجارة .

١٨٣٠٨ – حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان : « فما لبث أن جاء بعجل حنيذ » ، قال : مشوىّ .

١٨٣٠٩ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا إسمعيل بن عبد الكريم قال ، حدثنى عبد الصمد : أنه سمع وهب بن منبه يقول : « حنيذ » ، يعنى : شُوِى .

١٨٣١٠ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : « الحِناذ » ، الإنضاج .[1]

* * *

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال التى ذكرناها عن أهل العربية وأهل التفسير ، متقارباتُ المعانى بعضها من بعض .

* * *

وموضع « أن » فى قوله : « أن جاء بعجل حنيذ » ، نصبٌ بقوله : « فما لبث أن جاء » .

* * *

---

(١) الأثر : ١٨٣١٠ – من خبر طويل ، رواه أبو جعفر فى تاريخه ١ : ٦٢٧ . وفيه « التحناذ » ، وكلاهما مما يزاد على معاجم اللغة .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ (٧٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فلما رأى إبراهيم أيديَهم لا تصل إلى العجل الذى أتاهم به ، والطعام الذى قدَّم إليهم ، نَكرهم . وذلك أنه لما قدم طعامه صلى الله عليه وسلم إليهم ، فيما ذكر ، كفّوا عن أكله ، لأنهم لم يكونوا ممن يأكله . وكان إمساكهم عن أكله ، عند إبراهيم ، وهم ضِيفانه ، مستنكرًا . ولم تكن بينهم معرفةٌ ، وراعه أمرهم ، وأوجس فى نفسه منهم خيفة .

* * *

وكان قتادة يقول : كان إنكاره ذلك من أمرهم ، كما :—

١٨٣١١ — حدثنا بشر قال: حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة » ، وكانت العرب إذا نزل بهم ضيفٌ ، فلم يطعم من طعامهم ، ظنوا أنه لم يجئْ بخير ، وأنه يحدِّث نفسه بشرّ .

١٨٣١٢ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرَهم » ، قال : كانوا إذا نزل بهم ضيف فلم يأكل من طعامهم ، ظنوا أنه لم يأت بخير ، وأنه يحدّث نفسه بشرّ . ثم حدَّثوه عند ذلك بما جاءوا .

* * *

وقال غيره فى ذلك ما :—

١٨٣١٣ — حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا إسرائيل ، عن الأسود بن قيس ، عن جندب بن سفيان قال : لما دخل ضيف إبراهيم عليه

السلام ، قرَّبَ إليهم العجل ، فجعلوا ينكتُون بقِداح فى أيديهم من نَبْل ، ولا تصل أيديهم إليه . نَكِرَهم عند ذلك .(١)

* * *

يقال منه : « نكرت الشىء أنكره » و « أنكرته أنكره » ، بمعنى واحد ، ومن « نكرت» و « أنكرت » ، قول الأعشى :

وَأَنكَرَتْنِي، وَمَا كَانَ الَّذِي نَكِرَتْ مِنَ الحَوَادِثِ، إلَّا الشَّيْبَ وَالصَّلَعَا(٢)

فجمع اللغتين جميعًا فى البيت ، وقال أبو ذؤيب :

فَنَكِرْنَهُ ، فَنَفَرْنَ ، وَامْتَرَسَتْ بِهِ هَوْجَاءُ هَادِيَةٌ وَهَادٍ جُرْشُعُ(٣)

* * *

---

(١) الأثر : ١٨٣١٣ – « الأسود بن قيس العبدى، البجلى » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ٧٤٤٠ .

و « جندب بن سفيان » ، منسوب إلى جده ، وهو : « جندب بن عبد الله بن سفيان البجلى » ، كان على عهد النبى صلى الله عليه وسلم غلاماً حزوراً ، كما قال هو ، وهو الذى راهق ، ولم يدرك بعد . مترجم فى الإصابة ، وغيره ، وفى التهذيب ، والكبير ١/٢/٢٢٠ ، وابن أبى حاتم ١/١/٥١٠ .

(٢) ديوانه : ٧٢ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٩٣ ، واللسان (نكر) وغيرهما ، وسيأتى فى التفسير ٢٩ : ١٤٥ (بولاق) ، ومما يرويه أبو عبيدة ، أن أبا عمرو بن العلاء قال : « أنا قلت هذا البيت وأستغفر الله » ، فلم يروه ، وأنه أنشد بشاراً هذا البيت وهو يسمعه ، وقيل له : إنه للأعشى ، فقال : ليس هذا من كلامه . فقلت له : يا سيدى ، ولا عرف القصيدة . ثم قال : أعمى شيطان . وهذه قصة تروى أنا فى شك منها .

(٣) ديوانه ، (ديوان الهذليين) ١ : ٨ ، وشرح المفضليات : ٨٦٧ ، وغيرهما ، يذكر حمر الوحش ، لما شرعت فى الماء ، وسمعت حس الصائد ، فقال :

فَشَرِبْنَ ثُمَّ سَمِعْنَ حِسًّا دُونَهُ شَرَفُ الحِجَابِ، وَرَيْبَ قَرْعٍ يَقْرَعُ
وَنَمِيمَةً مِنْ قَانِصٍ مُتَلَبِّبٍ فِى كَفِّهِ جَشْءٌ أَجَشُّ وَأَقْطَعُ

يقول : سمعن حس الصائد ، يحجبه ما ارتفع من الحرة وهو « شرف الحجاب » ، ثم يقول : سمعن ما رابهن من قرع القوس وصوت الوتر ، وسمعن نميمة الصائد ، وهو ما ينم عليه من حركته ، و « المتلبب » المحتزم بثوبه . و « الجشء » القضيب الذى تعمل منه القوس . و « أجش » غليظ الصوت . و « الأقطع » جمع « قطع » (بكسر فسكون) ، وهو نصل بين النصلين ، صغير . يقول : فلما سمعت ذلك أنكرته فنفرت ، فامترست الأتان بالحمار ، أى دنت منه دنواً شديداً ، من شدة ملازمتها له . و « سطعاء » طويلة العنق ، و « هادية » متقدمة ، وهو « هاد » متقدم ، « جرشع » ، منتفخ الجنبين .

وقوله : « وأوجس منهم خيفة » ، يقول : أحسَّ فى نَفسه منهم خيفة وأضمرها.[1] = « قالوا لا تخف » ، يقول : قالت الملائكة ، لما رأت ما بإبراهيم من الخوف منهم : لا تخف منا وكن آمنًا ، فإنا ملائكة ربّك = « أرسلنا إلى قوم لوط » .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « وامرأته » ، سارَة بنت هاران بن ناحور بن ساروج بن راعو بن فالغ ،[2] وهى ابنة عم إبراهيم = « قائمة » ، قيل : كانت قائمة من وراء الستر تسمع كلام الرسل وكلام إبراهيم عليه السلام . وقيل : كانت قائمة تخدُم الرسل ، وإبراهيم جالسٌ مع الرسل . ٤٤/١٢

* * *

وقوله : « فضحكت » ، اختلف أهل التأويل فى معنى قوله : « فضحكت » ، وفى السبب الذى من أجله ضحكت .

فقال بعضهم : ضحكت الضحك المعروف ، تعجبًا من أنّها وزوجها إبراهيم يخدمان ضِيفانهم بأنفسهما ، تكرمةً لهم ، وهم عن طعامهم ممسكون لا يأكلون .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٣١٤ — حدثنى موسى بن هرون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : بعث الله الملائكة لتهلك قوم لوط ، أقبلت تمشى فى صورة رجال شباب ، حتى نزلوا على إبراهيم فتضيَّفوه . فلما رآهم إبراهيم أجلّهم ، فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين ، فذبحه ثم شواه فى الرَّضْف ، فهو « الحنيذ »

وأما رواية « هوجاء هادية » ، فإنه يعنى : جريئة متقدمة .

(١) انظر تفسير « خيفة » فيما سلف ١٣ : ٣٥٣ .

(٢) هكذا هنا : « ساروج » ، وفى غيره : « ساروغ » ، وهو الأكثر .

حين شواه . وأتاهم فقعد معهم ، وقامت سارَة تخدمُهم . فذلك حين يقول : ﴿ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ وَهُوَ جَالِسٌ ﴾ = فى قراءة ابن مسعود . فلما قرّبه إليهم قال : ألا تأكلون ؟ قالوا : يا إبراهيم ، إنا لا نأكل طعامًا إلاّ بثمن . قال : فإن لهذا ثمنًا ! قالوا : وما ثمنه ؟ قال : تذكرون اسم الله على أوّله ، وتحمدونه على آخره . فنظر جبريل إلى ميكائيل فقال : حُقّ لهذا أن يتخذه ربه خليلاً ! فلما رأى أيديهم لا تصل إليه = يقول : لا يأكلون = فزع منهم وأوجس منهم خيفة ، فلما نظرت إليه سارَة أنه قد أكرمهم وقامت هى تخدمهم ، ضحكت وقالت : عجبًا لأضيافنا هؤلاء ، إنّا نخدمهم بأنفسنا تكرمةً لهم ، وهم لا يأكلون طعامنا ! (١)

* * *

وقال آخرون : بل ضحكت من أن قوم لوط فى غَفْلة ، وقد جاءت رُسُل الله لهلاكهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٣١٥ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : لما أوجس إبراهيم خيفةً فى نفسه ، حدّثوه عند ذلك بما جاءوا فيه ، فضحكت امرأته ، وعجبت من أن قومًا أتاهم العذاب ، وهم فى غفلة . فضحكت من ذلك وعجبت = « فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب » .

١٨٣١٦ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة أنه قال : ضحكت تعجبًا مما فيه قوم لوط من الغفلة ، ومما أتاهم من العذاب .

* * *

وقال آخرون : بل ضحكت ظنًّا منها بهم أنهم يريدون عَمَل قوم لوط .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٣١٧ — حدثنا الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو معشر ،

---

(١) الأثر : ١٨٣١٤ — رواه أبو جعفر فى تاريخه ١ : ١٢٨ .

عن محمد بن قيس فى قوله : « وامرأته قائمة فضحكت » ، قال : لما جاءت الملائكة ظنّت أنهم يريدون أن يعملوا كما يعمل قوم لوط .

* * *

وقال آخرون : بل ضحكت لما رأت بزوجها إبراهيم من الرَّوع .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٣١٨ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر ، عن الكلبي : « فضحكت » ، قال : ضحكت حين راعُوا إبراهيم ، مما رأت من الروع بإبراهيم .

* * *

وقال آخرون : بل ضحكت حين بُشرّت بإسحق، تعجبًا من أن يكون لها ولد على كبر سنها وسنّ زوجها .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٣١٩ – حدثنى المثنى قال ، إسحق قال ، حدثنا إسمعيل بن عبد الكريم قال، حدثنى عبد الصمد: أنه سمع وهب بن منبه يقول : لما أتى الملائكة إبراهيم عليه السلام ، فرآهم ، راعه هيئتهم وجمالهم، فسلموا عليه وجلسوا إليه ، فقام فأمر بعجل سمين ، فحُنِذَ له ، فقرّب إليهم الطعام = « فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة » ، وسارة وراء البيت تسمع ، قالوا : لا تَخَفْ إنَّا نبشرك بغلام حليم مبارك ! وبشّر به امرأته سارة ، فضحكت وعجبت : كيف يكون لى ولد وأنا عجوز ، وهو شيخ كبير ؟ فقالوا : أتعجبين من أمرالله ، فإنه قادر على ما يشاء ! فقد وهبه الله لكم ، فأبشروا به .

* * *

وقد قال بعض من كان يتأول هذا التأويل : إن هذا من المقدَّم الذى معناه التأخير ، كأنّ معنى الكلام عنده : وامرأته قائمة فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب ، فضحكت وقالت : يا ويلتا أألد وأنا عجوز ؟

* * *

وقال آخرون : بل معنى قوله : « فضحكت » فى هذا الموضع ، فحاضت .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٣٢٠ – حدثنى سعيد بن عمرو السكونى قال، حدثنا بقية بن الوليد ، عن على بن هرون ، عن عمرو بن الأزهر ، عن ليث ، عن مجاهد فى قوله : « فضحكت » ، قال : حاضت، وكانت ابنة بضع وتسعين سنة . قال : وكان إبراهيم ابن مئة سنة .[1]

* * *

وقال آخرون : بل ضحكت سرورًا بالأمن منهم ، لما قالوا لإبراهيم : « لاتخف »، وذلك أنه قد كان خافهم، وخافتهم أيضًا كما خافهم إبراهيم . فلما أمِنَت ضحكت ،فأتبعوها البشارة بإسحق . ٤٥/١٢

* * *

وقد كان بعض أهل العربية من الكوفيين يزعم أنه لم يسمع « ضحكت » ، بمعنى : حاضت، من ثقة .[2]

* * *

وذكر بعض أهل العربية من البصريين : أن بعض أهل الحجاز أخبره عن بعضهم : أن العرب تقول: « ضحكت المرأة »، حاضت . قال : وقد قال :

---

(١) الأثر : ١٨٣٢٠ – « على بن هرون » ، مضى برقم : ٦٥٢١ ، وكتبت هناك أنى أظنه « يزيد بن هرون » ، وهذا ظن خطأ ، دل عليه هذا الإسناد ، فهو هناك أيضاً : « سعيد بن عمرو السكونى ، عن بقية بن الوليد ، عن على بن هرون » ، ومثل هذا الخطأ لا يكاد يتفق على بعد ما بين الكلامين . والصواب أن « على بن هرون » مجهول ، فإن « بقية بن الوليد » مشهور بالرواية عن هؤلاء المجهولين ، وكان يحدث بالمناكير عن هؤلاء المجاهيل ، وكان يأخذ عن كل من أدبر وأقبل . فهذا « على ابن هرون » ممن أدبر أو أقبل ! !

وأما « عمرو بن الأزهر العتكى » ، فهو كذاب يضع الحديث ، وكان أبو سعيد الحداد يقول : « كان عمرو بن الأزهر يكذب مجاوبة » ، قيل له : « كيف هذا » ؟ قال : « رجل أسلم ثوباً إلى حائك ينسجه » ! ! مترجم فى ابن أبى حاتم ٢٢١/١/٣ ، وتاريخ بغداد ١٢ : ١٩٣ ، وميزان الاعتدال ٢ : ٢٨١ ، ولسان الميزان ٤ : ٣٥٣ .

فهذا خبر هالك من جميع نواحيه .

(٢) هذه مقالة الفراء فى معانى القرآن ، فى تفسير الآية .

« الضحك » ، الحيض . وقد قال بعضهم : « الضحك » الثَّغْرُ ،[١] وذكر بيت أبي ذؤيب :

فَجَاءَ بِمِزْجٍ لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ هُوَ الضَّحْكُ إِلَّا أَنَّهُ عَمَلُ النَّحْلِ[٢]

وذكر أنّ بعض أصحابه أنشده في « الضحك » ، بمعنى الحيض :[٣]

وَضِحْكُ الأَرَانِبِ فَوْقَ الصَّفَا كَمِثْلِ دَمِ الجَوْفِ يَوْمَ اللِّقَا[٤]

قال : وذكر له بعض أصحابه أنه سمع للكميت :

فَأَضْحَكَتِ الضِّبَاعَ سُيُوفُ سَعْدٍ بِقَتْلَى مَا دُفِنَّ وَلاَ وُدِينَا[٥]

وقال : يريدُ الحيض . قال : وبلحرث بن كعب يقولون : « ضحكت النخلة » ، إذا أخرجت الطَّلع أو البُسْر . وقالوا : « الضَّحْك » ، الطلع . قال : وسمعنا من يحكي : « أضحكت حوضًا » ، أي : ملأته حتى فاض . قال : وكأن المعنى قريبٌ بعضه من بعض كله ، لأنه كأنه شيء يمتلئ فيفيض .

* * *

(١) في المطبوعة : « الضحك العجب » ، وفي المخطوطة : « العسب » سيئة الكتابة ، كأنه لم يحسن قراءة المخطوطة التي نقل عنها ، والبيت الذي استشهد به دال على صواب ما أثبتناه .

(٢) ديوانه (ديوان الهذليين) ١ : ٤٢ ، واللسان (ضحك) ، وغيرهما ، من قصيدة من عجائبه ، ذكر في آخرها الخمر ، وكيف تزودها من أهل مصر وغزة ، وأقبل بها يقطع الأرض ، حتى بات بمزدلفة (جمع) ، ومنى ، فقال قبل البيت :

فَبَاتَ بِجَمْعٍ ، ثُمَّ تَمَّ إِلَى مِنًى فَأَصْبَحَ رَأْداً يبتغي المِزْجَ بالسَّحْلِ

وقوله : « رأداً » ، أي طالبا ، و « المزج » العسل ، يمزج بالخمر ، و « السحل » يعني : بنقد الدراهم . يقول : فلما طلب ذلك « المزج » اشترى بماله « مزجاً » ، أي : عسلا ، كأنه ثغر حسناء في بياضه وصفائه ورقته . هكذا قالوا ، وفي النفس منه شيء . وأجود منه عندي أن يقال إن « الضحك » في هذا البيت ، هو طلع النخل حين ينشق عما في جوفه ، وهو أبيض شديد البياض والنقاء .

(٣) لم أعرف قائله .

(٤) اللسان (ضحك) .

(٦) اللسان (ضحك) ، من قصيدة له مشهورة ، لم أجدها مجموعة في مكان ، ويزعمون أن الضبع تحيض ، إذا أكلت لحوم الناس أو شربت دماءهم . وكان ابن دريد يرد هذا ويقول : من شاهد الضباع عند حيضها فيعلم أنها تحيض ؟

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال التي ذكرت في ذلك بالصواب ، قولُ من قال : معنى قوله : « فضحكت » ، فعجبت من غفلة قوم لوط عمّا قد أحاط بهم من عذاب الله وغفلتهم عنه .

وإنما قلنا هذا القول أولى بالصواب ، لأنه ذكر عقيب قولهم لإبراهيم : « لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط » . فإذا كان ذلك كذلك ، وكان لا وجه للضحك والتعجب من قولهم لإبراهيم : « لا تخف » ، كان الضحك والتعجب إنما هو من أمر قوم لوط .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ (٧١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فبشّرنا سارّة ، امرأة إبراهيم ، ثوابًا منا لها على نكيرها وعجبها من فعل قوم لوط = « بإسحق » ، ولدًا لها = « ومن وراء إسحق يعقوب » ، يقول : ومن خلف إسحق يعقوب ، من ابنها إسحق .

* * *

و « الوراء » ، في كلام العرب ، ولد الولد ، وكذلك تأوّله أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٣٢١ — حدثنا حميد بن مسعدة قال ، حدثنا بشر بن المفضل قال ، حدثنا داود ، عن عامر قال : « ومن وراء إسحق يعقوب » ، قال : « الوراء » ، ولد الولد .

١٨٣٢٢ — حدثنا عمرو بن علي ، ومحمد بن المثنى قال كلٌّ واحد منهما ، حدثني أبو اليسع إسمعيل بن حماد بن أبي المغيرة مولى الأشعري قال : كنت إلى جنب جدّي ، أبي المغيرة بن مهران ، في مسجد عليّ بن زيد ، فمر بنا الحسنُ ابن أبي الحسن فقال : يا أبا المغيرة ، من هذا الفتى ؟ قال : ابني من ورائي .

فقال الحسن : « فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب » .[1]

١٨٣٢٣ – حدثنا عمرو بن علي، ومحمد بن المثنى قالا ، حدثنا محمد بن أبي عدي قال ، حدثنا داود بن أبي هند ، عن الشعبي في قوله : « فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب » ، قال : ولد الولد هو « الوراء » .

١٨٣٢٤ – حدثني إسحق بن شاهين قال حدثنا . خالد ، عن داود ، عن عامر في قوله : « ومن وراء إسحق يعقوب » ، قال : « الوراء » ، ولد الولد .

١٨٣٢٥ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية ، عن داود ، عن الشعبي ، مثله .

١٨٣٢٦ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا أبو عمرو الأزدي قال : سمعت الشعبي يقول : ولد الولد ، هم الولد من الوَراء .

١٨٣٢٧ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت قال : جاء رجل إلى ابن عباس ومعه ابن ابنه ، فقال : من هذا معك ؟ قال : هذا ابن ابني . قال : هذا ولدُك من الوراء ! قال : فكأنه شقّ على ذلك الرجل ، فقال ابن عباس : إن الله يقول : « فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب » ، فولد الولد هم من الوراء .

١٨٣٢٨ – حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط ، عن السدي قال : لما ضحكت سارَة . وقالت : « عجبًا لأضيافنا هؤلاء ، إنا نخدمهم بأنفسنا تكرمة لهم ، وهم لا يأكلون طعامنا » ! قال لها جبريل : أبشري بولد اسمُه إسحق ، ومن وراء إسحق يعقوب . فَضربتْ وَجْهَهَا ٤٦/١٢
عجبًا، فذلك قوله : ﴿ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا ﴾، [سورة الذاريات : ٢٩] . وقالت : « أألد

(١) الأثر : ١٨٣٢٢ – « أبو اليسع » ، إسماعيل بن حماد بن أبي المغيرة ، مولى الأشعري » ، لم أجده في مكان آخر . والذي وجدته :

« إسماعيل بن حماد بن أبي سليمان ، مولى الأشعري » ، مترجم في التهذيب ، والكبير ٣٥١/١/١ ، وابن حاتم ١٦٤/١/١ ، وروى عنه « عمر بن علي بن مقدم » ، ولم يروعنه « عمرو بن علي الفلاس » ، وإذاً فليس هو هو . فيبقى مجهولا حتى نجد له ترجمة .

وأنا عجوز وهذا بعلى شيخًا إن هذا لشيء عجيب» ، قالوا : « أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد » ، قالت سارة : ما آية ذلك ؟ قال : فأخذ بيده عودًا يابسًا فلواه بين أصابعه ، فاهتز أخضر . فقال إبراهيم : هُو لله إذاً ذبيحًا .

١٨٣٢٩ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال : « فضحكت » = يعنى سارّة ، لما عرفت من أمر الله جل ثناؤه ، ولمـا تعلم من قوم لوط = فبشروها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب = بابن، وبابن ابن. فقالت : وصكت وجهها = يقال : ضربت على جبينها = « يا ويلتا ءألد وأنا عجوز »، إلى قوله : « إنه حميد مجيد » .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة العراق والحجاز : ﴿ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبُ ﴾، برفع « يعقوب » ، ويعيد ابتداء الكلام بقوله : « ومن وراء إسحق يعقوب » . وذلك ، وإن كان خبراً مبتدأ ، ففيه دلالة على معنى التبشير .

* * *

وقرأه بعض قرأة أهل الكوفة والشأم ، ﴿ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ ﴾، نصبًا .

* * *

فأما الشأمى منهما ، فذكر أنه كان ينحو بـ « يعقوب » ، نحو النصب ، بإضمار فعل آخر مشاكل للبشارة ، كأنه قال : ووهبنا له من وراء إسحق يعقوب . فلما لم يظهر « وهبنا » ، عمل فيه « التبشير » ، وعطف به على موضع « إسحق » . إذ كان « إسحق » ، وإن كان مخفوضًا، فإنه بمعنى المنصوب بعمل « بشرنا » ، فيه ، كما قال الشاعر :(١)

جِئْنِي بِمِثْلِ بَنِي بَدْرٍ لِقَوْمِهِمِ أَوْ مِثْلَ أُسْرَةِ مَنْظُورِ بْنِ سَيَّارِ(٢)

(١) هو جرير .

(٢) ديوانه : ٣١٢ ، ٣١٣ ، ونقائض جرير والأخطل : ١٤٤ ، وسيبويه ١ : ٤٨ ، ٨٦ ، والفراء فى معانى القرآن ، فى تفسير الآية ، من جياد قصائده فى هجاء الأخطل ، يقول له :

أَوْ عَامِرَ بْنَ طُفَيْلٍ فِي مُرَكَّبِهِ أَوْ حَارِثًا، يَوْمَ نَادَى القَوْمُ: يَا حَارِ!

* * *

وأما الكوفيّ منهما ، فإنه قرأه بتأويل الخفض ، فيما ذكر عنه ، غير أنه نصبه لأنه لا يُجْرَى . وقد أنكر ذلك أهل العلم بالعربية، من أجل دخول الصفة بين حرف العطف والاسم .[1] وقالوا : خطأ أن يقال: « مررت بعمرٍو فى الدّار وفى الدار زيدٍ » ، وأنت عاطف بـ « زيد » على «عمرو » ، إلا بتكرير الباء وإعادتها . فإن لم تعد ، كان وجهُ الكلام عندهم الرفع ، وجاز النصبُ . فإن قُدّم الاسم على الصفة ، جاز حينئذ الخفض . وذلك إذا قلت : « مررت بعمرٍو فى الدار ، وزيدٍ فى البيت » . وقد أجاز الخفضَ ، والصفةُ معترضةٌ بين حرف العطف والاسم ، بعضُ نحويى البصرة .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب عندى، قراءةُ من قرأه رفعًا، لأن ذلك هو الكلام المعروف من كلام العرب ، والذى لا يتناكره أهلُ العلم بالعربية ، وما عليه قرأةُ الأمصار. فأما النّصب فيه ، فإن له وجهًا ، غير أنّى لا أحبُّ القراءة به ، لأن كتابَ الله نزلَ بأفصح ألسُن العرب ، والذى هو أولى بالعلم بالذى نزل به من الفصاحة .

لاَ تَفْخَرَنَّ ، فإنَّ اللهَ أَنْزَلَكُمْ يَا خُزْرَ تَغْلِبَ دَارَ الذُّلِّ والعَارِ
مَا فِيكُمُ حَكَمٌ تُرْضَى حُكُومَتُهُ لِلْمُسْلِمِينَ ، ولاَ مُسْتَشْهَدٌ شَارِى

ثم يقول البيتين ، وبينهما بيت ثالث :

أَوْ مَثْلَ آلِ زُهَيْرٍ ، والقَنَا قِصَدٌ وَالخَيْلُ فى رَهَجٍ مِنْهَا وَإِعْصَارِ

وهو فى هذه القصيدة يفخر ببنى قيس عيلان بن مضر بن نزار جميعاً ، على بنى ربيعة بن نزار ، وهم جذم الأخطل التغلبى . فذكر « بنى بدر » ، الفزاريين من قيس عيلان ، و « منظور بن سيار الفزارى » ، و « آل زهير بن جذيمة » ، العبسيين ، و « عامر بن الطفيل » من بنى جعفر بن كلاب ، و « الحارث بن ظالم المرى » ، من بنى ذبيان ، ثم تابع ذكر سائر قبائل قيس .

(١) « الصفة » يعنى حرف الجر ، كما سلف مراراً ، انظر فهارس المصطلحات .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ ﴿٧٣﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قالت سارة لما بُشِّرت بإسحق أنَّها تلد، تعجبًا مما قيل لها من ذلك، إذ كانت قد بلغت السن التى لا يلد من كان قد بلغَها من الرجال والنساء =

* * *

وقيل: إنها كانت يومئذ ابنة تسع وتسعين سنة، وإبراهيم ابن مئه سنة . وقد ذكرت الرواية فيما روى فى ذلك عن مجاهد قبلُ .(١)

* * *

وأما ابن إسحق فإنه قال فى ذلك ما :—

١٨٣٣٠— حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : كانت سارَة يوم بُشِّرت بإسحق، فيما ذكر لى بعض أهل العلم ، ابنة تسعين سنة ، وإبراهيم ابن عشرين ومئة سنة .

* * *

= « يا ويلتا » ، وهى كلمة تقولها العرب عند التعجب من الشىء ، والاستنكار للشىء . فيقولون عند التعجب : « وَيلُ امِّه رجلاً ما أرْجَله » ! (٢)

* * *

وقد اختلف أهل العربية فى هذه الألف التى فى « يا ويلتا » .

فقال بعض نحويى البصرة: هذه ألف حقيقة، إذا وقفتَ قلت: « يا ويلتاه »،

---

(١) انظر ما سلف رقم : ١٨٣٢٠ .

(٢) انظر تفسير « الويل » فيما سلف ٢ : ٢٦٧ — ٢٦٩ ، ٢٧٣ .

وهى مثل ألف الندبة ، فلطفت من أن تكون فى السكت ، وجعلت بعدها الهاء ، لتكون أبين لها ، وأبعد فى الصوت . ذلك لأن الألف إذا كانت بين حرفين ، كان لها صدًى ، كنحو الصوت يكون فى جَوْف الشىء فيتردد فيه ، فتكون أكثر وأبين . ٧٤/١٢

* * *

وقال غيره : هذه ألف الندبة ، فإذا وقفت عليها فجائز ، وإن وقفتَ على الهاء فجائزٌ . وقال : ألا ترى أنهم قد وقفوا على قوله : ﴿ويَدْعُو الإنْسَانُ﴾ ، [سورة الإسراء : ١١] ، فحذفوا الواو وأثبتوها ، وكذلك : ﴿ما كُنَّا نَبْغِى﴾ ، [سورة الكهف : ٦٤] ، بالياء ، وغير الياء . قال : وهذا أقوى من ألف الندبة وهائها .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى أنّ هذه الألف ألف الندبة ، والوقف عليها بالهاء وغير الهاء جائز فى الكلام ، لاستعمال العرب ذلك فى كلامهم .

* * *

وقوله : « ءألد وأنا عجوز » ، تقول : أنى يكون لى ولد = « وأنا عجوز وهذا بعلى شيْخًا » .

و « البعل » ، فى هذا الموضع ، الزوج . وسمى بذلك ، لأنه قَيِّم أمرها ، كما سموا مالك الشىء « بعله » ، وكما قالوا للنخل التى تَستغنى بماء السماء عن سقى ماء الأنهار والعيون « البعل » ، لأن مالكَ الشىء القيِّمُ به ، والنخل البعلُ ، بماء السَماء حياتُه .(١)

* * *

وقوله = « إن هذا لشىء عجيب » ، يقول : إن كون الولد من مثلى ومثل بعلى ، على السن التى بها نحن ، لشىء عجيب = « قالوا أتعجبين من أمر الله » ،

---

(١) انظر تفسير « البعل » فيما سلف ٤ : ٥٢٦ ، ٩/٥٢٧ : ٢٦٧ ، ولم يذكر فيهما مثل هذا التفصيل فى معناه . وهذا من فعله ، دال على طريقته فى التأليف .

يقول الله تعالى ذكره : قالت الرسل لها : أتعجبين من أمرٍ أمرَ الله به أن يكون ، وقضاءٍ قضاه الله فيك وفى بعلك .

* * *

= وقوله : « رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت » ، يقول : رحمة الله وسعادته لكم أهل بيت إبراهيم [1] = وجعلت « الألف واللام » ، خلفًا من الإضافة = وقوله : « إنه حَميدٌ مجيد » ، يقول : إن الله محمود فى تفضله عليكم بما تفضل به من النعم عليكم وعلى سائر خلقه [2] = « مجيد » ، يقول : ذو مجد ومَدْح وثَناء كريم .

* * *

يقال فى « فعل » منه : «مَجُد الرجل يمجُدُ مَجَادَةً» ، إذا صار كذلك . وإذا أردت أنك مدحته قلت : « مجَّدته تمجيداً » .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ ﴿٧٥﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فلما ذهب عن إبراهيم الخوفُ الذى أوجسه فى نفسه من رسلنا ، حين رأى أيديهم لا تصل إلى طعامه ، وأمن أن يكون قُصِد فى نفسه وأهله بسوء = « وجاءته البشرى » ، بإسحق ، ظَلّ = « يجادلنا فى قوم لوط » .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٣٣١ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة

---

(١) انظر تفسير « البركات » فيما سلف من فهارس اللغة (برك) .

(٢) انظر تفسير « الحميد » فيما سلف ٥ : ٩/٥٧٠ : ٢٩٦ .

قوله : « فلما ذهب عن إبراهيم الروع » ، يقول : ذهب عنه الخوف = « وجاءته البشرى » ، بإسحق .

١٨٣٣٢ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : «فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى » ، بإسحق ، ويعقوب ولد من صلب إسحق ، وأمن مما كان يخاف ، قال : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ ، [سورة إبراهيم : ٣٩] .

* * *

وقد قيل : معنى ذلك : وجاءته البشرى أنهم ليسوا إياه يريدون .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٣٣٣ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « وجاءته البشرى » ، قال : حين أخبروه أنهم أرسلوا إلى قوم لوط ، وأنهم ليسوا إياه يريدون .(١)

* * *

وقال آخرون : بشرّ بإسحق .

* * *

وأما « الروع » ، فهو الخوف ، يقال منه : « راعني كذا يَرُوعني رَوْعًا » ، إذا خافه . ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لرجل : « كيف لَكَ بِرَوْعَة المؤمن » ؟ ومنه قول عنترة :

مَا رَاعَنِي إِلاَّ حَمُولَةُ أَهْلِهَا وَسْطَ الدِّيَارِ تَسَفُّ حَبَّ الْخِمْخِمِ(٢)

---

(١) بعد هذا الأثر ما نصه : «قال حدثنا محمد بن ثور ، قال حدثنا معمر ، وقال آخرون . . . » فحذفت هذه الزيادة ، لأنها سبق نظر من الناسخ ، لأنه نقل من أول السطر الذى فوقه ، ثم عاد إلى السياق ولم يتم النقل .

(٢) ديوانه : ١٢٣ ، من معلقته المشهورة ، وقبله :

إِنْ كُنْتِ أَزْمَعْتِ الْفِرَاقَ ، فَإِنَّمَا زُمَّتْ رِكَابُكُمُ بِيَوْمِ مُظْلِمِ

« الخمخم » ، بقلة لها حب أسود . وذلك أنهم كانوا مجتمعين فى الربيع ، فلما يبس البقل ، سفت حب الخمخم ، فكان ذلك نذيراً بوشك فراقهم .

بمعنى : ما أفزعني .

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٣٣٤ – حدثني محمد بن عمرو قال : حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « الروع » ، الفَرَق .

١٨٣٣٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد =

١٨٣٣٦ – . . . . قال وحدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « فلما ذهب عن إبراهيم الروع »، قال : الفَرَق .

١٨٣٣٧ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « فلما ذهب عن إبراهيم الروع » ، قال : الفَرَق .

١٨٣٣٨ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فلما ذهب عن إبراهيم الروع » ، قال : ذهب عنه الخوف .

* * *

وقوله : « يجادلنا في قوم لوط » ، يقول : يخاصمنا ، كما :–

١٨٣٣٩ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « يجادلنا » ، يخاصمنا .[1] ٤٨/١٢

١٨٣٤٠ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

وزعم بعض أهل العربية من أهل البصرة أن معنى قوله : « يجادلنا »، يكلمنا .

---

(١) انظر تفسير « المجادلة » فيما سلف ص : ٣٠٣، تعليق ١ ، والمراجع هناك

وقال : لأن إبراهيم لا يجادل الله ، إنما يسأله ويطلب إليه .(١)

* * *

قال أبوجعفر : وهذا من الكلام جهلٌ ، لأن الله تعالى ذكره أخبرنا فى كتابه أنه يجادل فى قوم لوط ، فقول القائل : « إبراهيم لا يجادل » ، موهمًا بذلك أن قول من قال فى تأويل قوله : « يجادلنا » ، يخاصمنا ، أن إبراهيم كان يخاصم ربَّه ، جهلٌ من الكلام ، وإنما كان جدالهُ الرسلَ على وجه المحاجَّة لهم . ومعنى ذلك : « وجاءته البشرى يجادل رسلنا » ، ولكنه لما عرف المراد من الكلام ، حذف « الرسل » .

* * *

وكان جدالهُ إيَّاهُم ، كما :—

١٨٣٤١ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يعقوب القمى قال ، حدثنا جعفر ، عن سعيد : « يجادلنا فى قوم لوط » ، قال : لما جاء جبريل ومن معه قالوا لإبراهيم : إنَّا مهلكو أهل هذه القرية إنَّ أهلها كانوا ظالمين : قال لهم إبراهيم : أتهلكون قريةً فيها أربعمئة مؤمن ؟ قالوا : لا ! قال : أفتهلكون قرية فيها ثلثمئة مؤمن ؟ قالوا : لا ! قال : أفتهلكون قرية فيها مئتا مؤمن ؟ قالوا : لا ! قال : أفتهلكون قرية فيها أربعون مؤمنًا ؟ قالوا : لا ! قال : أفتهلكون قرية فيها أربعة عشَر مؤمنًا ؟ قالوا : لا ! وكان إبراهيم يعُدُّهم أربعة عشر بامرأة لوط ، فسكتَ عنهم واطمأنت نفسه .

١٨٣٤٢ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا الحمانى ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال الملك لإبراهيم : إن كان فيها خمسة يصلون ، رُفع عنهم العذاب .

١٨٣٤٣ — حدثنا بشر قال حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله :

---

(١) فى المطبوعة : « ويطلب منه » ، لم يحسن قراءة المخطوطة لدقة كتابة الكلمة فى تجويف باء « يطلب » ، إذ كانت فى آخر السطر .

« يجادلنا فى قوم لوط » ذكر لنا أن مجادلته إياهم أنه قال لهم : أرأيتم إن كان فيها خمسون من المؤمنين ، أمعذبوها أنتم ؟ قالوا: لا ! حتى صار ذلك إلى عشرة ، قال : أرأيتم إن كان فيها عشرة ، أمعذبوهم أنتم ؟ قالوا : لا ! وهى ثلاثُ قُرًى ، فيها ما شاء الله من الكَثْرة والعدد .

١٨٣٤٤ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « يجادلنا فى قوم لوط » ، قال : بلغنا أنه قال لهم يومئذ : أرأيتم إن كان فيهم خمسون من المسلمين ؟ قالوا : إن كان فيهم خمسون لم نعذبهم ! قال : أربعون ؟ قالوا : وأربعون ! قال : ثلاثون ؟ قالوا : وثلاثون ؟ حتى بلغ عشرة . قالوا : وإن كان فيهم عشرة ! قال : ما قومٌ لا يكون فيهم عشرة فيهم خير = قال ابن عبد الأعلى ، قال : محمد بن ثور ، قال : معمر : بلغنا أنه كان فى قرية لوط أربعة آلاف ألف إنسان ، أو ما شاء الله من ذلك .

١٨٣٤٥ — حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى ، « فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى » ، قال : ما خطبُكم أيها المرسلون ؟ قالوا : إنا أرسلنا إلى قوم لوط . فجادلهم فى قوم لوط ، قال : أرأيتم إن كان فيها مئة من المسلمين أتهلكونهم ؟ قالوا : لا : ! فلم يزل يحُطّ حتى بلغ عشرة من المسلمين ، فقالوا : لا نعذبهم ، إن كان فيهم عشرة من المسلمين . ثم قالوا : « يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه ليس فيها إلا أهل بيت من المؤمنين » ، هو لوط وأهل بيته . وهو قول الله تعالى ذكره : « يجادلنا فى قوم لوط » . فقالت الملائكة : « يا إبراهيم أعرض عن هذا إنَّه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذابٌ غير مردود » .

١٨٣٤٦ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق ، قال : « فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى » ، يعنى إبراهيم ، جادل عن قوم لوط ليردّ عنهم العذاب . قال : فيزعم أهل التوراة أن مجادلة إبراهيم إياهم حين

جادلهم فى قوم لوط ليردّ عنهم العذاب ، إنما قال للرسل فيما يكلمهم به : أرأيتم إن كان فيهم مئة مؤمن ، أتهلكونهم ؟ قالوا : لا ! قال : أفرأيتم إن كانوا تسعين ؟ قالوا : لا ! قال : أفرأيتم إن كانوا ثمانين ؟ قالوا : لا ! قال : أفرأيتم إن كانوا سبعين ؟ قالوا : لا ! قال : أفرأيتم إن كانوا ستين ؟ قالوا : لا ! قال : أفرأيتم إن كانوا خمسين ؟ قالوا : لا ! قال : أفرأيتم إن كان رجلاً واحداً مسلماً ؟ قالوا : لا ! قال : فلما لم يذكروا لإبراهيم أن فيها مؤمناً واحداً قال : ﴿ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ﴾ ، يدفع به عنهم العذاب = ﴿قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ ، [سورة العنكبوت : ٣٢] = « قالوا يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود » .

١٨٣٤٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال : إبراهيم : أتهلكونهم إن وجدتم فيهم مئة مؤمن ؟ ثم تسعين ، حتى هبط إلى خمسة . قال : وكان فى قرية لوط أربعة آلاف ألف . ٤٩/١٢

١٨٣٤٨ — حدثنا محمد بن عوف قال ، حدثنا أبو المغيرة قال ، حدثنا صفوان قال ، حدثنا أبو المثنى ، ومسلم أبو الحبيل الأشجعى قالا : « لما ذهب عن إبراهيم الروع » ، إلى آخر الآية ، قال إبراهيم : أتعذب عالماً من عالمك كثيراً ، فيهم مئة رجل ؟ قال : لا وعزتى ! ولا خمسين . قال : فأربعين ؟ فثلاثين ؟ حتى انتهى إلى خمسة ، قال : لا ! وعزتى ، لا أعذبهم ، ولو كان فيهم خمسة يعبدوننى ! قال الله عز وجل : ﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ، [سورة الذاريات : ٣٦] ، أى : لوطًا وابنتيه . قال : فحلّ بهم العذاب ، قال الله عز وجل : ﴿ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ [سورة الذاريات ٣٧] . وقال : « فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا فى قوم لوط » .(١)

* * *

(١) الأثر : ١٨٣٤٨ — « محمد بن عوف بن سفيان الطائى » ، شيخ الطبرى ، مضى مراراً ، منها : ١٣١٠٨ .

والعرب لا تكاد تتلقّى « لمّا » ، إذا وليها فعل ماضٍ إلا بماض ، يقولون : « لما قام قمت » ، ولا يكادون يقولون : « لما قام أقوم » . وقد يجوز فيما كان من الفعل له تطاوُل ، مثل « الجدال » و « الخصومة » ، و « القتال » ، فيقولون فى ذلك : « لما لقيته أقاتله » ، بمعنى : جعلت أقاتله .

* * *

وقوله : «إن إبراهيم لحليم أوّاه منيب »، يقول تعالى ذكره : إن إبراهيم لبطىء الغضب ،[1] متذلل لربه ، خاشع له ، منقاد لأمره = « منيب » ، رجّاع إلى طاعته ، كما :—

١٨٣٤٩ — حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا إسرائيل ، عن أبى يحيى ، عن مجاهد : « أوّاه منيب » ، قال : القانت الرّجاع .

* * *

وقد بينا معنى « الأواه » فيما مضى ، باختلاف المختلفين ، والشواهد على الصحيح منه عندنا من القول ، بما أغنى عن إعادته .[2]

و « أبو المغيرة » ، هو : « عبد القدوس بن الحجاج الخولانى » ، مضى مراراً ، منها : ١٣١٠٨

و « صفوان » هو : « صفوان بن عمرو بن هرم السكسكى » ، مضى مراراً ، منها : ١٣١٠٨

و « أبو المثنى » ، كأنه يعنى : « مسلم بن المثنى الكوفى المؤذن » ، روى عن ابن عمر ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢٥٦/١/٤ ، وابن أبى حاتم ١٩٥/١/٤ .

وأما « أبو الحبيل الأشجعى » ، فلست أجد من يسمى هكذا ، وظنى أنه قد وقع فى هذا الإسناد خطأ ، فصوابه عندى : « قال حدثنا أبو المثنى مسلم ، والحسيل الأشجعى » .

و « الحسيل الأشجعى » ، فيما أرجح : « الحسيل بن عبد الرحمن الأشجعى »، ويقال أيضاً : « حسين » ، روى عن سعد بن أبى وقاص ، مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٥٨/٢/١ .

هذا ، وفى النفس شىء من حقيقة هذا الإسناد ، والله أعلم .

(١) انظر تفسير « حليم » فيما سلف ١١ : ١١٤ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الأواه » فيما سلف ١٤ : ٥٢٣ — ٥٣٦ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾ (٧٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : مخبراً عن قول رسله لإبراهيم : « يا إبراهيم أعرض عن هذا » ، وذلك قيلهم له حين جادلهم فى قوم لوط ، فقالوا : دع عنك الجدالَ فى أمرهم والخصومة فيه [1] = فإنه « قد جاء أمر ربكَ » ، يقول : قد جاء أمر ربك بعذابهم . وحقّ عليهم كلمة العذاب ، ومضى فيهم بهلاكهم القضاء = « وإنهم آتيهم عذاب غير مردود » ، يقول : وإن قوم لوط ، نازلٌ بهم عذابٌ من الله غير مدفُوع .

* * *

وقد [مضى] ذكر الرواية بما ذكرنا فيه عمن ذكر ذلك عنه . [2]

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ (٧٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولما جاءت ملائكتنا لوطًا ، ساءَه مَجيئهم = وهو « فعل » من « السوء » = « وضاق بهم » ، بمجيئهم = « ذَرْعًا » ، يقول : وضاقت نفسه غمًّا بمجيئهم . وذلك أنه لم يكن يعلم أنهم رسلُ الله فى حال ما ساءه مجيئهم ، وعلم من قومه ما هم عليه من إتيانهم الفاحشة ، وخاف عليهم ، فضاق من أجل ذلك بمجيئهم ذرعًا ، وعلم أنه سيحتاج إلى المدافعة عن أضيافه ، ولذلك قال : « هذا يوم عصيب » .

* * *

(١) انظر تفسير « الإعراض » فيما سلف ١٤ : ٤٢٥ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

(٢) الزيادة بين القوسين يقتضيها السياق .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٣٥٠ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثنى معاوية، عن على، عن ابن عباس قوله : « ولما جاءت رسلنا لوطًا سىء بهم وضاق بهم ذرعًا » ، يقول : ساء ظنًا بقومه ، وضاق ذرعًا بأضيافه .

١٨٣٥١ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة ، عن حذيفة ، أنه قال : لما جاءت الرسل لوطًا أتوه وهو فى أرض له يعمل فيها ، وقد قيل لهم ، والله أعلم : لاتهلكوهم حتى يشهدَ لوط . قال : فأتوه فقالوا : إنا مُتَضيِّفوك الليلة . فانطلق بهم ، فلما مشَى ساعةً التفت ، فقال : أما تعلمون ما يعمَل أهل هذه القرية ؟ والله ما أعلم على ظهر الأرض أناسًا أخبث منهم ! قال : فمضى معهم . ثم قال الثانية مثل ما قال ، فانطلق بهم . فلما بصرت بهم عجوزُ السَّوْء امرأته ، انطلقَت فأنذرتهم .(١)

١٨٣٥٢ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة قال ، قال حذيفه ، فذكر نحوه .

١٨٣٥٣ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا الحكم بن بشير قال، حدثنا عمرو ابن قيس الملائى، عن سعيد بن بشير، عن قتادة قال: أتت الملائكة لوطًا وهو فى مزرعة له ،وقال الله للملائكة: إن شهد لوط عليهم أربعَ شهادات، فقد أذنت لكم فى هلَكتهم. فقالوا: يا لوط، نريد أن نُضيِّفك الليلة . فقال: وما بلغكم أمرهم ؟ قالوا : وما أمرهم ؟ قال : أشهد بالله إنها لشرُّ قرية فى الأرض عملاً ! يقول ذلك أربع مرات ، فشهد عليهم لوط أربع شهادات ، فدخلوا معه منزله.(٢) ١٢/٥٠

١٨٣٥٤ – حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ،

---

(١) الأثر : ١٨٣٥١ – رواه الطبرى فى تاريخه ١ : ١٥٤ .

(٢) الأثر : ١٨٣٥٣ – رواه الطبرى فى تاريخه ١ : ١٥٤ .

حدثنا أسباط ، عن السدى قال : خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط ، فأتوها نصف النهار ، فلما بلغوا نهر سَدُوم ، لقوا ابنة لوط تستقى من الماء لأهلها. وكانت له ابنتان : اسم الكبرى « رثيا » ، والصغرى « زغرتا » ،[1] فقالوا لها : يا جارية ، هل من منزل ؟ قالت : نعم ، فَمكانَكم لا تدخلُوا حتى آتيَكم ! فَرِقَتْ عليهم من قَوْمِها .[2] فأتت أباها فقالت : يا أبتاه ، أرادك فتيان على باب المدينة ، ما رأيتِ وجوه قوم أحسنَ منهم ، لا يأخذهم قومك فيفضحوهم ! وقد كان قومه نهوه أن يُضيف رجلاً ، فقالوا : خَلِّ عنَّا فلنضِف الرجال . فجاء بهم ، فلم يعلم أحدٌ إلا أهل بيت لوط ، فخرجت امرأته فأخبرت قومها ، قالت : إن فى بيت لوط رجالاً ما رأيت مثل وجوههم قَطّ ! فجاءه قومه يُهْرَعون إليه .[3]

١٨٣٥٥ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال : خرجت الرسل ، فيما يزعم أهل التوراة ، من عند إبراهيم إلى لوط بالمؤتفكة ، فلما جاءت الرسل لوطًا سىء بهم وضاق بهم ذرعًا ، وذلك من تخوف قومه عليهم أن يفضحُوه فى ضيفه ، فقال : « هذا يوم عصيبٌ » !

* * *

وأما قوله : « وقال هذا يوم عصيب » ، ، فإنه يقول : وقال لوط : هذا اليوم يوم شديدٌ شَرُّهُ ، عظيم بلاؤه .

* * *

يقال منه : « عصَبَ يومنا هذا يَعصِبُ عَصْبًا » ، ومنه قول عدى بن زيد :

وَكُنْتُ لِزَازَ خَصْمِكَ لَمْ أُعَرِّدْ وَقَدْ سَلَكُوكَ فِى يَوْمٍ عَصِيبِ[4]

---

(١) هكذا فى المخطوطة منقوطة نقطاً واضحاً ، على قلة النقط فى مواضع منها . وفى التاريخ : « رعزيا » ، وتحقيق ذلك يحتاج إلى وقت غير هذا .

(٢) أى : خافت عليهم .

(٣) الأثر : ١٨٣٥٤ — رواه الطبرى فى تاريخه ١ : ١٥٤ ، تام الإسناد ، مطولا .

(٤) الأغانى ٢ : ١١١ ، مجاز القرآن ١ : ٢٩٤ ، اللسان (سلك) ، وسيأتى فى التفسير ١٤ : ١٨/٨ : ١٣ (بولاق) . من قصيدة له طويلة ، قالها وهو فى حبس النعمان بن المنذر ، يقول للنعمان قبله :

وقول الراجز :

يَوْمٌ عَصِيبٌ يَعْصِبُ الأَبْطَالاَ عَضْبَ القَوِىِّ السَّلَمَ الطِّوَالاَ (١)

وقول الآخر :

وَإِنَّكَ إِنْ لاَتَرْضِ بَكْرَ بنَ وَائِلٍ يَكُنْ لَكَ يَوْمٌ بِالْعِرَاقِ عَصِيبُ (٢)

وقال كعب بن جعيل :

وَمُلِبُّونَ بِالْحَضِيضِ فِئَامٌ عارِفاتٌ مِنهُ بِيَوْمٍ عَصِيبِ (٣)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

سَعَى الأَعْدَاءُ لاَ يَأْلُونَ شَرًّا عَلَىَّ وربِّ مَكَّةَ والصَّلِيبِ

أَرَادُوا كى تُمَهَّلَ عَنْ عَدِيٍّ لِيُسْجَنَ أَو يُدَهْدَهَ فِى القَلِيبِ

وكُنْتُ لِزازَ خَصْمِكَ . . . . . .

أُعَالِنُهُمْ وَأُبْطِنُ كُلَّ سِرٍّ كَمَا بَيْنَ اللِّحَاءِ إِلَى العَسِيبِ

فَفُزْتُ عَلَيْهِمْ لَمَّا الْتَقَيْنَا بِتَاجِكَ فَوْزَةَ القِدْحِ الأَرِيبِ

« دهدهه » ، دحرجه من علو إلى سفل ، و « القليب » ، البئر ، إنما عنى القبر هنا . و « لزاز الخصم » ، الشديد المعاند ذو البأس فى الملمات . و « عرد عن خصمه » ، أحجم ونكص . وكان فى المطبوعة هنا « أعدد » ، وفى المخطوطة : « أعود » ، والصواب ما أثبت . و « اللحاء » قشر العود ، و « العسيب » جريد النخل ، يقول : سرك كما بين هذين ، يعنى خفى لا يرى . و « القدح الأريب » من قداح الميسر ، هو القدح ذو الآراب الكثيرة ، و « الآراب » أعضاء الجزور .

(١) لم أعرف قائله ، وهو فى مجاز القرآن ١ : ٢٩٤ .

(٢) لم أعرف قائله ، وهو فى مجاز القرآن ١ : ٢٩٤ .

(٣) لم أجد البيت فى مكان آخر ، وفى المطبوعة : « ويلبون » ، وفى المخطوطة مثله ، إلا أن فيه خطأ فى النقط . وأظن الصواب ما أثبت ، من قولهم : « ألب بالمكان » ، إذا لزمه ولم يفارقه . و « الحضيض » ، منخفض من الأرض عند منقطع الجبل . و « فئام » ، جماعات .

وكأن هذا البيت من شعره الذى رثى به عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وروى أبياتاً منه المصعب الزبيرى فى نسب قريش ص : ٣٢٥ ، وكان كعب بن جعيل مداحاً له .

١٨٣٥٦ – حدثنا أبو حذيفة قال: حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « عصيب » ، شديد .

١٨٣٥٧ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : « هذا يوم عصيب » ، يقول : شديد .

١٨٣٥٨ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال : « هذا يوم عصيب » ، أي : يوم بلاء وشدة .

١٨٣٥٩ – حدثنا ابن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة : « يوم عصيب » ، شديد .

١٨٣٦٠ – حدثني علي قال، حدثنا عبد الله قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « وقال هذا يوم عصيب » ، أي : يوم شديد .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾ (٧٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وجاء لوطاً قومه يستحثون إليه ، يُرْعَدون مع سرعة المشي ، مما بهم من طلب الفاحشة .

* * *

يقال : « أهْرِعَ الرجل » ، من برد أو غضب أوحمّى ، إذا أرعد ، « وهو مُهْرَع » إذا كان مُعْجَلاً حريصًا ، كما قال الراجز : (١)

---

(١) لم أعرف قائله .

* بِمُعْجَلاتٍ نَحْوَهُ مَهارِع *(١)

ومنه قول مهلهل :

فجاؤوا يُهْرَعُونَ وهمْ أُسارَى نقُودُهُمُ على رَغمِ الأُنُوف(٢)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٣٦١ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ،حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « يُهْرَعون إليه »، قال : يهرولون ، وهو الإسراع فى المشى .

١٨٣٦٢ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٨٣٦٣– حدثنا القاسم قال ،حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه . ٥١/١٢

١٨٣٦٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبوخالد، والمحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك : « وجاءه قومه يهرعون إليه » ، قال : يسعون إليه .

١٨٣٦٥ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : قال : فأتوه يهرعون إليه ، يقول : سراعًا إليه .

١٨٣٦٦ – حدثنى ابن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر ، عن قتادة : « يهرعون إليه » ، قال : يسرعون إليه .

١٨٣٦٧ – حدثنا موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وجاءه قومه يهرعون إليه » ، يقول : يسرعون المشى إليه .

١٨٣٦٨ – حدثنى الحارث قال: حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا يحيى بن

---

(١) مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٩٤ .

(٢) اللسان (هرع) ، ولم أعرف سائر الشعر .

زكريا ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « وجاءه قومه يهرعون إليه » ، قال : يهرولون فى المشى = قال سفيان : « يهرعون إليه » ، يسرعون إليه .

١٨٣٦٩ — حدثنا سوّار بن عبد الله قال، قال سفيان بن عيينة فى قوله : « يهرعون إليه » ، قال : كأنهم يدفعون .

١٨٣٧٠ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يعقوب قال، حدثنا حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية قال : أقبلوا يسرعون مشيًا بين الهرولة والجمز .

١٨٣٧١ — حدثنى على بن داود قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « وجاءه قومه يهرعون إليه » ، يقول : مسرعين .

* * *

وقوله : « ومن قبل كانوا يعملون السيئات » ، يقول : من قبل مجيئهم إلى لوط ، كانوا يأتون الرجال فى أدبارهم ، كما : —

١٨٣٧٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « ومن قبل كانوا يعملون السيئات » ، قال : يأتون الرجال .

* * *

وقوله قال : « يا قوم هؤلاء بناتى » ، يقول تعالى ذكره : قال لوط لقومه لما جاؤوه يراودونه عن ضيفه : هؤلاء يا قوم بناتى= يعنى نساء أمته= فانكحوهن ، فهنّ أطهر لكم ، كما : —

١٨٣٧٣ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر ، عن قتادة : « هؤلاء بناتى هن أطهر لكم » ، قال : أمرهم لوط بتزويج النساء ، وقال : « هن أطهر لكم » .

١٨٣٧٤ — حدثنا محمد قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر قال : وبلغنى هذا أيضًا عن مجاهد .

١٨٣٧٥ — حدثنا ابن وكيع ، عن سفيان، عن ليث، عن مجاهد: « هؤلاء

بناتى هن أطهر لكم » ، قال : لم تكن بناته، ولكن كنّ من أمتّه، وكل نبى أبُو أمّته .

١٨٣٧٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن علية، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « هؤلاء بناتى هن أطهر لكم » ، قال : أمرهم أن يتزوجوا النساء ، لم يعرضْ عليهم سفاحًا .

١٨٣٧٧ – حدثنى يعقوب قال، حدثنا أبو بشر: سمعت ابن أبى نجيح يقول فى قوله : « هن أطهر لكم »، قال: ما عرض عليهم نكاحًا ولا سفاحًا .(١)

١٨٣٧٨ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة فى قوله : « هؤلاء بناتى هن أطهر لكم » ، قال : أمرهم أن يتزوجوا النساء . وأراد نبى الله صلى الله عليه وسلم أن يَقِى أضيافه ببناته .

١٨٣٧٩ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن بن سعد قال ، أخبرنا أبو جعفر ، عن الربيع فى قوله : « هؤلاء بناتى هن أطهر لكم »، يعنى التزويج = حدثنى أبو جعفر ، عن الربيع فى قوله : « هؤلاء بناتى هن أطهر لكم » ، يعنى التزويج .(٢)

١٨٣٨٠ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو النعمان عارم قال ، حدثنا حماد بن زيد قال ، حدثنا محمد بن شبيب الزهرانى ، عن أبى بشر ، عن سعيد ابن جبير فى قول لوط : « هؤلاء بناتى هن أطهر لكم » ، يعنى : نساءهم ، هن بَنَاته ، هو نبيّهم = وقال فى بعض القراءة : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَهُوَ أَبٌ لَهُمْ ﴾ ، [سورة الأحزاب : ٦].(٣)

---

(١) لا يظهر لهذه العبارة معنى ، وأخشى أن يكون سقط من الكلام شىء، ويكون : « ما عرض عليهم بناته نكاحاً ولا سفاحاً » ، ويكون ابن أبى نجيح أراد أنه أمرهم بأن يتزوجوا النساء من قومهم .

(٢) هكذا جاء التكرار فى المخطوطة والمطبوعة ، وأخشى أن يكون سقط من الإسناد شىء .

(٣) الأثر : ١٨٣٨٠ – « محمد بن شبيب الزهرانى » ، ثقة . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/١/١١٤ ، وابن أبى حاتم ٣/٢/٢٨٥ .

١٨٣٨١ – حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وجاءه قومه يهرعون إليه » ، قالوا: أو لم ننهك أن تضيف العالمين ؟ قال : « هؤلاء بناتى هن أطهر لكم » ، إن كنتم فاعلين ، أليس منكم رجل رشيد ؟

١٨٣٨٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق ، قال : لما جاءت الرسل لوطًا، أقبل قومه إليهم حين أخبروا بهم، يهرَعون إليه . فيزعمون ، والله أعلم ، أن امرأة لوط هى التى أخبرتهم بمكانهم ، وقالت : إن عند لوط لضيفانًا ما رأيت أحسنَ ولا أجملَ قطُّ منهم ! وكانوا يأتون الرجالَ شهوة من دون النساء ، فاحشةٌ لم يسبقهم بها أحدمن العالمين . فلما جاؤوه قالوا : أولم ننهك عن العالمين ؟ أى : ألم نقل لَك : لا يقربنَّك أحدٌ ، فإنا لن نجد عندك أحداً إلا فعلنا به الفاحشة ؟ قال: « يا قوم هؤلاء بناتى هن أطهر لكم »، فأنا أفدى ضيفى منكم بهنّ ، ولم يدعهم إلا إلى الحلال من النكاح . ٥٢/١٢

١٨٣٨٣ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « هؤلاء بناتى » ، قال: النساء .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « هن أطهر لكم » .

فقرأته عامة القرأة برفع : ﴿أَطْهَرُ﴾ على أنْ جعلوا « هن » اسمًا ، « وأطهر »، خبره ، كأنه قيل : بناتى أطهرُ لكم مما تريدون من الفاحشة من الرجال.

* * *

وذكر عن عيسى بن عمر البصرى أنه كان يقرأ ذلك : ﴿هُنَّ أَطْهَرَ لَكُمْ﴾، بنصب « أطهر » .(١)

* * *

وكان بعض نحويى البصرة يقول : هذا لا يكون ، إنما ينصب خبر الفعل الذى لا يستغنى عن الخبر ، إذا كان بين الاسم والخبر هذه الأسماء المضمرة .

---

(١) انظر قراءة عيسى بن عمر ، وما قاله له أبو عمرو بن العلاء، فى طبقات فحول الشعراء ص: ١٨ .

وكان بعض نحويي الكوفة يقول : من نصبه جعله نكرةً خارجة من المعرفة ، ويكون قوله : « هن » ، عماداً للفعل ، فلا يُعْمِله .

* * *

وقال آخر منهم : مسموع من العرب : « هـذا زيد إيَّاه بعينه » ، قال : فقد جعله خبراً لـ « هذا » ، مثل قولك : « كان عبد الله إياه بعينه » . قال : وإنما لم يجزأن يقع الفعل ههنا ، لأن التقريب ردُّ كلام ، [1] فلم يجتمعا ، لأنه يتناقض ، لأنَّ ذلك إخبار عن معهود ، وهذا إخبار عن ابتداء ما هو فيه : « ها أنا ذا حاضر » أو : « زيد هو العالم » ، فتناقض أن يدخل المعهودُ على الحاضر ، فلذلك لم يجُزْ .

* * *

قال أبو جعفر : والقراءة التي لا أستجيز خلافها في ذلك ، الرفع : ﴿ هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ ، لإجماع الحجة من قرأة الأمصار عليه ، مع صحته في العربية ، وبعد النصب فيه من الصحة .

* * *

وقوله : « فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي » ، يقول : فاخشوا الله ، أيها الناس ، واحذروا عقابه ، في إتيانكم الفاحشة التي تأتونها وتطلبونها = « ولا تخزون في ضيفي » ، يقول : ولا تذلوني ، بأن تركبوا مني في ضيفي ما يكرهون أن تركبُوه منهم . [2]

* * *

و « الضيف » في لفظِ واحدٍ في هذا الموضع ، بمعنى جمع . والعرب تسمي الواحد والجمع « ضيفًا » ، بلفظِ واحدٍ . كما قالوا : « رجل عَدْل ، وقوم عَدْل » .

* * *

---

(١) انظر تفسير « التقريب » فيما سلف ٧ : ١٤٩ ، تعليق : ٤ وص : ١٥٠ ، تعليق : ٣ ، وهو من اصطلاح الكوفيين . وهو أن تكون « هذا » و « هذه » ، من أخوات « كان » في احتياجهما إلى اسم مرفوع ، وخبر منصوب .

(٢) انظر تفسير « الخزي » فيما سلف من فهارس اللغة (خزي) .

وقوله : « أليس منكم رجل رشيد » ، يقول : أليس منكم رجل ذو رُشد ، ينهى من أراد ركوبَ الفاحشة من ضيفى ، فيحول بينهم وبين ذلك ؟[1] كما : —

١٨٣٨٤ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق: « فاتقوا الله ولا تخزون فى ضيفى أليس منكم رجل رشيد » ، أى : رجل يعرف الحقّ وينهى عن المنكر ؟

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَالَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ (٧٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال قوم لوط للوط : « لقد علمت » ، يا لوط = « ما لنا فى بناتك من حق » ، لأنهن لَسْنَ لنا أزواجًا ،[2] كما : —

١٨٣٨٥ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال: « قالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق »، أى: من أزواج = « وإنك لتعلم ما نريد » .

* * *

وقوله : « وإنك لتعلم ما نريد » ، يقول : قالوا : وإنك يالوط لتعلم أنّ حاجتنا فى غير بناتك، وأن الذى نُريد هو ما تنهانا عنه .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك .

١٨٣٨٦ — حدثنى موسى قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن

---

(١) انظر تفسير « الرشد » فيما سلف ١٣ : ١١٤ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « ليس لنا أزواجاً » ، والصواب ما أثبت .

السدى : « وإنك لتعلم ما نريد » ، إنا نريد الرجال .

١٨٣٨٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وإنك لتعلم ما نريد » ، أى : إن بغيتنا لغير ذلك . فلما لم يتناهوا ، ولم يردّهم قوله ، ولم يقبلوا منه شيئًا مما عرض عليهم من أمور بناته ، قال : « لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد » .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ (٨٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال لوط لقومه ، حين أبوا إلا المضى لما قد جاؤوا له من طلب الفاحشة ، وأيس من أن يستجيبوا له إلى شىء مما عرض عليهم : « لو أن لى بكم قوة » ، بأنصار تنصرنى عليكم ، وأعوان تعيننى = « أو آوى إلى ركن شديد » ، يقول : أو أنضم إلى عشيرة مانعة تمنعنى منكم ،[1] لحلت بينكم وبين ما جئتم تريدونه منّى فى أضيافى = وحذف جواب « لو » لدلالة الكلام عليه ، وأن معناه مفهوم .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٣٨٨ — حدثنى موسى قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : قال لوط : « لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد » ، يقول : إلى جُنْد شديد ، لقاتلتكم .

---

(١) انظر تفسير « أوى » فيما سلف ص: ٣٣١ ، تعليق ١ والمراجع هناك = ثم انظر ما سيأتى ص : ٤٢٢

١٨٣٨٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « أو آوى إلى ركن شديد » ، قال : العشيرة . ٥٣/١٢

١٨٣٩٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة : « إلى ركن شديد » ، قال : العشيرة .

١٨٣٩١ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا مبارك بن فضالة ، عن الحسن : « أو آوى إلى ركن شديد » ، قال : إلى ركن من الناس .

١٨٣٩٢ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : قوله : « أو آوى إلى ركن شديد » ، قال : بلغنا أنه لم يبعث نبيٌّ بعد لوط إلاّ في ثَرْوَة من قومه ، حتى النبي صلى الله عليه وسلم .

١٨٣٩٣ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال : « لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد » ، أي : عشيرة تمنعني ، أو شيعة تنصرني ، لحلت بينكم وبين هذا .

١٨٣٩٤ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد » ، قال : يعني به العشيرة .

١٨٣٩٥ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا ابن أبي عدي ، عن عوف ، عن الحسن ، أن هذه الآية لما نزلت : « لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد » ، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رحم الله لوطًا ، لقد كان يأوي إلى ركن شديد !

١٨٣٩٦ – حدثنا أبو بكريب قال ، حدثنا جابر بن نوح ، عن مبارك ، عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رحم الله أخي لوطًا ، لقد كان يأوي إلى ركن شديد ، فلأيّ شيء استكان !

١٨٣٩٧ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا عبدة، وعبد الرحيم ، عن محمد ابن عمرو قال، حدثنا أبو سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم : رحمة الله على لوط ، إن كان ليأوى إلى ركن شديد ، إذ قال لقومه : « لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد » ، ما بعث الله بعده من نبيّ إلا فى ثَرْوة من قومه = قال محمد : و« الثروة » ، الكثرة والمنعة .[1]

١٨٣٩٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا محمد بن كثير قال، حدثنا محمد ابن عمرو قال، حدثنا أبو سلمة ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، بمثله .

١٨٣٩٩ – حدثنى يونس بن عبد الأعلى، قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنى سليمان بن بلال ، عن محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، بمثله .

١٨٤٠٠ – حدثنى زكريا بن يحيى بن أبان المصرى قال، حدثنا سعيد بن تليد قال ، حدثنا عبد الرحمن بن القاسم قال ، حدثنى بكر بن مضر ، عن عمرو ابن الحارث ، عن يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب الزهرى قال ، أخبرنى أبو سلمة ابن عبد الرحمن ، وسعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : رحم الله لوطًا ، لقد كان يأوى إلى ركن شديد ![2]

---

(١) الأثر : ١٨٣٩٧ – حديث محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة ، رواه من أربع طرق ، من رقم : ١٨٣٩٧ – ١٨٣٩٩ ، ثم رقم : ١٨٤٠٢ .

و « محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثى » ، روى له الجماعة ، مضى مراراً .

و « أبو سلمة بن عبد الرحمن » ، روى له الجماعة ، مضى مراراً .

وهذا حديث صحيح ، وخرجه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٥٦١ ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه بهذه الزيادة ، وإنما اتفقا على حديث الزهرى عن سعيد ، وأبى عبيدة ، عن أبى هريرة مختصراً » .

(٢) الأثر : ١٨٤٠٠ – حديث ابن شهاب الزهرى ، عن أبى سلمة ، وسعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة ، رواه من طريقين ، هذا ورقم : ١٨٤٠١ .

« زكريا بن يحيى بن أبان المصرى » ، شيخ الطبرى ، مضى برقم : ٥٩٧٣ ، ١٢٨٠٧ ، وانظر التعليق عليه فى الموضعين .

و « سعيد بن تليد » ، هو : « سعيد بن عيسى بن تليد المصرى » ثقة ، ، مضى برقم : ٥٩٧٣ .

١٨٤٠١ – حدثني يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، وسعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، فذكر مثله .

١٨٤٠٢ – حدثني المثنى قال ، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا حماد ابن سلمة ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قوله : « أو آوى إلى ركن شديد » ، قد كان يأوى إلى ركن شديد = يعني الله تبارك وتعالى . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فما بَعثَ الله بعده من نبيّ إلا في ثَرْوة من قومه .(١)

١٨٤٠٣ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا محمد بن حرب قال ، حدثنا ابن لهيعة ، عن أبي يونس ، سمع أبا هريرة يحدث ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : رحم الله لوطًا . فإنه كان يأوى إلى ركن شديد ! (٢)

١٨٤٠٤ – . . . . قال ، حدثنا ابن أبي مريم سعيد بن عبد الحكم قال ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .(٣)

١٨٤٠٥ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة :

و « عبد الرحمن بن القاسم بن خالد العتق » ، ثقة ، مضى برقم : ٥٩٧٣ .

و « بكر بن مضر المصري » ، ثقة ، مضى برقم : ٢٠٣١ ، ٤٦٣٣ ، ٥٨٩٧ ، ٥٩٧٣ .

و « عمرو بن الحارث بن يعقوب المصري » ، روى له الجماعة ، مضى مراراً كثيرة .

و « يونس بن يزيد بن أبي النجاد الأيلي » ، روى له الجماعة ، مضى مراراً كثيرة .

وهذا إسناد صحيح أيضاً .

(١) الأثر : ١٨٤٠٢ – انظر تخريج الأثر رقم : ١٨٣٩٧ .

(٢) الأثر : ١٨٤٠٣ – « أبو يونس » ، هو « سليم بن جبير الدوسي المصري » ، مولى أبي هريرة ، ثقة ، سلف برقم : ٦٨٨٩ .

و « ابن لهيعة » ، مضى مراراً ، ذكر من يضعفه ، ومن يوثقه .

(٣) الأثر : ١٨٤٠٤ – هذا إسناد صحيح ، ومن هذه الطريق ، رواه البخاري في صحيحه (الفتح ٦ : ٢٩٧) .

ذكر لنا أنّ نبي الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ هذه الآية = أو : أتى على هذه الآية = قال : رحم الله لوطًا ، إن كان ليأوى إلى ركن شديد ! = وذكر لنا أن الله تعالى لم يبعث نبيًّا بعد لوط عليه السلام إلا فى ثَرْوة من قومه ، حتى بعث الله نبيكم فى ثروة من قومه .

* * *

يقال : من « آوى إلى ركن شديد » ، « أويت إليك ، فأنا آوى إليك أوْيًا » ، بمعنى : صرت إليك وانضممت ،[1] كما قال الراجز :[2]

١٢/٥٤ يَأْوِى إِلَى رُكْنٍ مِنَ الأَرْكَانِ فِى عَدَدَ طَيْسٍ وَمجْدٍ بَانِ[3]

* * *

وقيل : إن لوطًا لما قال هذه المقالة ، وَجَدَت الرسلُ عليه لذلك .

١٨٤٠٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا إسمعيل بن عبد الكريم قال ، حدثنى عبد الصمد : أنه سمع وهب بن منبه يقول : قال لوط : « لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد » ، فوجد عليه الرسلُ وقالوا : إنّ ركنَك لشديد ![4]

---

(١) انظر تفسير « أوى » فيما سلف ص : ٤١٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك ، وهذه زيادة فى البيان لم يسبق مثلها .

(٢) لم أعرف قائله .

(٣) مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٩٤ ، و « عدد طيس » ، كثير .

(٤) الأثر : ١٨٤٠٦ — جزء من خبر طويل رواه أبو جعفر فى تاريخه ١ : ١٥٦ ، ١٥٧ ، وسيأتى برقم : ١٨٤١٥ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ (٨١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قالت الملائكة للوط ، لما قال لوط لقومه : « لو أن لى بكم قوه أو آوى إلى ركن شديد » ، ورأوا ما لقى من الكرب بسببهم منهم : « يا لوط إنا رسل ربك » ، أرسلنا لإهلاكهم ، وإنهم لن يصلوا إليك وإلى ضيفك بمكروه ، فهوّن عليك الأمر = « فأسر بأهلك بقطع من الليل » ، يقول : فاخرج من بين أظهرهم أنت وأهلك ببقية من الليل .[1]

* * *

يقال منه : « أسرى » و « سرى » ، وذلك إذا سار بليل = « ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك » .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « فأسر » .

فقرأ ذلك عامة قرأة المكيين والمدنيين : ﴿فَٱسْرِ﴾ ، وصلٌ بغير همز الألف ، من « سرى » .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفة والبصرة : ﴿فَأَسْرِ﴾ ، بهمز الألف ، من « أسرى » .

* * *

قال أبو جعفر : والقول عندى فى ذلك أنهما قراءتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما أهل قدوة فى القراءة ، وهما لغتان مشهورتان فى العرب ، معناهما واحد ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيبٌ الصوابَ فى ذلك .

* * *

(١) انظر تفسير « القطع » فيما سلف ص : ٧٦ .

وأما قوله : « إلا امرأتك » ، فإن عامّة القرأة من الحجاز والكوفة وبعض أهل البصرة قرأوا بالنصب : ﴿ إِلَّا امْرَأَتَكَ ﴾ ، بتأويل : فأسر بأهلك إلا امرأتك = وعلى أن لوطاً أمر أن يسرى بأهله سوى زوجته ، فإنه نهى أن يسرى بها ، وأمر بتخليفها مع قومها .

* * *

وقرأ ذلك بعض البصريين : ﴿ إِلَّا امْرَأَتُكَ ﴾ ، رفعًا = بمعنى : ولا يلتفت منكم أحد ، إلا امرأتك = فإن لوطاً قد أخرجها معه ، وأنه نهى لوط ومن معه ممن أسرى معه أن يلتفت سوى زوجته ، وإنها التفتت فهلكت لذلك .

* * *

وقوله : « إنه مصيبها ما أصابهم » ، يقول : إنه مصيب امرأتك ما أصاب قومك من العذاب = « إن موعدهم الصبح » ، يقول : إن موعد قومك الهلاك الصبح . فاستبطأ ذلك منهم لوط وقال لهم : بل عجّلوا لهم الهلاك ! فقالوا : « أليس الصبح بقريب » ؟ أى : عند الصبح نزولُ العذاب بهم ، كما : —

١٨٤٠٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « أليس الصبح بقريب » ، أى : إنما ينزل بهم من صبح ليلتك هذه ، فامض لما تؤمر .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٤٠٨ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد قال : فمضت الرُّسُل من عند إبراهيم إلى لوط ، فلما أتوا لوطًا ، وكان من أمرهم ما ذكر الله ، قال جبريل للوط : يا لوط ، إنا مهلكو أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين : فقال لهم لوط : أهلكهوهم الساعة ! فقال له جبريل عليه السلام : « إنّ موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب » ؟ فأنزلت على لوط : « أليس الصبح بقريب » . قال : فأمره أن يسرى بأهله بقطع من الليل ولا يلتفت منهم أحد إلاّ

امرأته ، قال : فسار ، فلما كانت الساعة التي أهلكوا فيها ، أدخل جبريل جناحَه فرفعها ، حتى سمع أهلُ السماء صياح الديكة ونباحَ الكلاب ، فجعل عاليها سافلَها وأمطر عليها حجارة من سجِّيل . قال : وسمعت امرأة لوط الهَدَّة ، فقالت : واقوماه ! فأدركها حَجَرٌ فقتلَها .(١)

١٨٤٠٩ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يعقوب ، عن حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية قال : كان لوط أخذ على امرأته أن لا تذيع شيئًا من سرّ أضيافه . قال : فلما دخل عليه جبريل ومن معه ، رأتهم فى صورة لم تر مثلها قطُّ . فانطلقت تسعى إلى قومها . فأتت النادى ، فقالتْ بيدها هكذا ! وأقبلوا يُهْرَعون مشيًا بين الهرولة والجمز ، فلما انتهوا إلى لوط ، قال لهم لوطٌ ما قال الله فى كتابه . قال جبريل : « يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك » ، قال : فقال بيده ،(٢) فطمس أعيُنَهم ، فجعلوا يطلبونهم يلمسون الحيطانَ وهم لا يبصرون .(٣)

١٨٤١٠ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن حذيفة قال : لما بَصُرت بهم = يعنى بالرسل = عجوزُ السَّوء امرأتُه ، انطلقت فأنذرتهم ، فقالت : قد تضيَّف لوطًا قوم ،(٤) ما رأيت قومًا أحسن ٥٥/١٢
وجوهًا ! = قال : ولا أعلمه إلا قالت : ولا أشد بياضًا وأطيبَ ريحًا ! قال : فأتوه يُهْرعون إليه ، كما قال الله ، فأصْفق لوط البابَ . قال : فجعلوا يعالجونه . قال : فاستأذن جبريل ربَّه فى عقوبتهم ، فأذن له ، فصفقهم بجناحه ، فتركهم عميانًا يتردَّدون فى أخبث ليلة أتت عليهم قطُّ .(٥) فأخبروه : « إنا رسل ربك فأسر

---

(١) الأثر : ١٨٤٠٨ – رواه أبو جعفر فى تاريخه ١ : ١٥٥ .

(٢) « قال بيده » ، أشار بيده وأومأ .

(٣) الأثر : ١٨٤٠٩ – رواه أبو جعفر فى تاريخه ١ : ١٥٥ .

(٤) فى المطبوعة فقالت « إنه تضيف لوطاً » ، وفى المخطوطة : « رب تضيف لوط قوم » ، وهو خطأ من الناسخ لا شك فيه ، وأثبت ما فى التاريخ .

(٥) فى المطبوعة : « فى أخبث ليلة ما أتت عليهم . . . » ، كأنه أراد تصويبها ، فأفسدها . والصواب ما فى المخطوطة والتاريخ .

بأهلك بقطع من الليل » ، قال : ولقد ذكر لنا أنه كانت مع لوط حين خرج من القرية امرأته ، ثم سمعت الصوت فالتفتت ، وأرسل الله عليها حجراً فأهلكها . وقوله : « إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب» ، فأراد نبيُّ الله ما هو أعجل من ذلك ، فقالوا : « أليس الصبح بقريب » ؟[1]

١٨٤١١ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا الحكم بن بشير قال، حدثنا عمرو بن قيس الملائى ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة قال : انطلقت امرأته = يعنى : امرأة لوط = حين رأتهم = يعنى : حين رأت الرسل = إلى قومها فقالت : إنه قد ضافه الليلةَ قومٌ ما رأيت مثلَهم قط ، أحسنَ وجوهاً ولا أطيبَ ريحًا ! فجاؤوا يُهرعون إليه ، فبادرهم لوط إلى أن يزحمهم على الباب ،[2] فقال : ﴿ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ ، فقالوا : ﴿ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ ،[3] فدخلوا على الملائكة ، فتناولتهم الملائكة وطمست أعينهم ، فقالوا : يا لوط ، جئتنا بقوم سحرة سحرونا ! كما أنت حتى تصبح ! قال : واحتمل جبريل قَرْيات لوط الأربع ، فى كل قرية مئة ألف ، فرفعهم على جناحه بين السماء والأرض ، حتى سمع أهل السماء الدنيا أصواتَ ديكتهم ، ثم قلبَهم ، فجعل الله عاليها سافلَها .[4]

١٨٤١٢ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر ، عن قتادة قال : قال حذيفة : لما دخلوا عليه ، ذهبت عَجُوزه عجوزُ السَّوء ، فأتت قومها فقالت : لقد تضيَّفَ لوطًا الليلةَ قومٌ ما رأيت قومًا قطُّ

---

(١) الأثر : ١٨٤١٠ – رواه أبو جعفر فى تاريخه ١ : ١٥٥ ، ولم ترد فيه الجملة الأخيرة من الخبر .

(٢) فى المطبوعة : « يزجهم على الباب » والصواب ما فى المخطوطة والتاريخ .

(٣) تضمين آيات سورة الحجر : ٧٠ ، ٧١ .

(٤) الأثر : ١٨٤١١ – رواه أبو جعفر فى تاريخه ١ : ١٥٥ ، ١٥٦ .

أحسنَ وجوهًا منهم ! قال : فجاؤوا يسرعون،[١] فعاجلهم إلى لوط ،[٢] فقام ملك فلزَّ الباب = يقول : فسدّه = واستأذن جبريل فى عقوبتهم ، فأذن له ، فضربهم جبريل بجناحه ، فتركهم عميانًا ، فباتوا بشرّ ليلة . ثم قالوا : « إنا رسل ربك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك » ، قال : فبلغنا أنها سمعت صوتًا فالتفتت ، فأصابها حجر ، وهى شاذّة من القوم معلومٌ مكانها .[٣]

١٨٤١٣ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن حذيفة بنحوه = إلا أنه قال : فعاجلهم لوط .[٤]

١٨٤١٤ — حدثنى موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو بن حماد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : لما قال لوط : « لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد» ، بسط ، حينئذ ، جبريل عليه السلام جناحيه ، ففقأ أعينهم ، وخرجوا يدوس بعضُهم فى أدبار بعض عميانًا ، يقولون : « النَّجَاءَ النجاء ! فإن فى بيت لوط أسحرَ قوم فى الأرض » ! فذلك قوله : ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ ﴾ ، [سورة القمر : ٣٧] . وقالوا للوط : « إنا رسل ربِّك لن يصلوا إليك » = « فأسْر بأهْلكَ بقطْع منَ اللَّيْل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها » ، واتبع أدبارَ أهلك[٥] = يقول : سرْ بهم = « وامضوا حيث تؤمرون » = فأخرجهم الله إلى

---

(١) فى التاريخ « فجاءوا يهرعون إليه » .

(٢) فى المطبوعة : « فعاجلهم لوط » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وأنا فى ريب منه ، لأن أبا جعفر لم يرو هذه الجملة فى تاريخه ، ولا أدرى لم ؟ ولم أشأ أن أغيره ، للخبر الذى يليه ، وهو فى التاريخ جمع الإسنادين جميعاً ، وساق هذه الجملة كلها غير هذا السياق .

(٣) الأثر : ١٨٤١٢ — رواه أبو جعفر فى تاريخه ١ : ١٥٦ ، جمع هذا الإسناد والذى يليه فقال : « . . . حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال حدثنا محمد بن ثور = وحدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق = جميعاً ، عن معمر . . . »

(٤) الأثر : ١٨٤١٣ — انظر التعليق السالف ، وإن كانت هذه الجملة ، لم ترد فى نص روايته فى التاريخ .

(٥) هذا تضمين للآيات من هذه السورة ، والتى فى سورة الحجر : ٦٥ .

الشأم . وقال لوط : أهلكوهم الساعة ! فقالوا : إنا لم نؤمر إلا بالصُّبح ، أليس الصبح بقريب ؟ فلما أن كان السَّحَر ، خرج لوط وأهله معه امرأته ،(١) فذلك قوله : ﴿ إِلاَّ آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴾ ، [سورة القمر : ٣٤] .(٢)

١٨٤١٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا إسمعيل بن عبد الكريم ، عن عبد الصمد : أنه سمع وهب بن منبه يقول : كانَ أهل سدوم الذين فيهم لوط ، قومًا قد استغنوا عن النساء بالرجال . فلما رأى الله ذلك [منهم] ، (٣) بعث الملائكة ليعذبوهم ، فأتوا إبراهيم ، وكان من أمره وأمرهم ما ذكر الله فى كتابه . فلما بشروا سارَة بالولد ، قاموا وقام معهم إبراهيم يمشى ، قال : أخبرونى ، لم بعثتم ؟ وما خطبكم ؟ قالوا : إنا أرسلنا إلى أهل سدوم لندمرها ، وإنهم قوم سَوء ، قد استغنوا بالرجال عن النساء ! قال إبراهيم : [أرأيتم] إن كان فيهم خمسون رجلاً صالحًا ؟(٤) قالوا: إذاً لا نعذبهم ! فجعل ينقص حتى قال: أهل بَيْت ؟(٥) قالوا : فإن كان فيها بيت صالح ! قال : فلوط وأهل بيته ؟ قالوا : إن امرأته هَوَاها معهم ! فلما يَئس إبراهيم انصرف . ومضوا إلى أهل سدوم فدخلوا على لوط ، فلما رأتهم امرأته أعجَبها حسنهم وجمالهم ، فأرسلت إلى أهل القرية : إنَّه قد نزل بنا قومٌ لم يُرَ قومٌ قطُّ أحسن منهم ولا أجمل ! (٦) فتسامعوا بذلك ، فغشُوا دار لُوط من كل ناحية، وتسوَّروا عليهم الجدران .(٧) فلقيهم لوط ، فقال: ١٢/٥٦

(١) فى التاريخ : « وأهله معه إلا امرأته » .

(٢) الأثر : ١٨٤١٤ – رواه أبو جعفر فى تاريخه ١ : ١٥٧ ، مع اختلاف ذكرته آنفاً . وذكر إسناده تاماً غير مختصر ، إلى ابن عباس ، وابن مسعود ، وناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم. وهو إسناد دائر فى التفسير ، فى أوله ، ثم اختصره أبو جعفر بعد .

(٣) الزيادة بين القوسين ، من التاريخ .

(٤) الزيادة بين القوسين ، من التاريخ .

(٥) فى المطبوعة والمخطوطة : « أهل البيت » ، والصواب من التاريخ .

(٦) فى التاريخ : « لم نر قوماً » .

(٧) فى التاريخ : « الجدارات » ، وفى المخطوطة : « الجدرات » ، والذى فى التاريخ صالح .

يا قوم ، لا تفضحون فى ضيفى ، وأنا أزوّجكم بناتى ، فهن أطهر لكم ! فقالوا : لو كنّا نُريد بناتك ، لقد عرفنا مكانهن ! فقال : « لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد » ! فوجد عليه الرسل وقالوا : إن ركنك لشديد ! وإنهم آتيهم عذاب غير مردود ! فمسح أحدهم أعينهم بجناحيه ، فطمس أبصارَهم ، فقالوا : سُحِرْنا ! انصرفوا بنا حتى نرجع إليه ! فكان من أمرهم ما قد قصّ الله تعالى فى القرآن .[1] فأدخل ميكائيل = وهو صاحبُ العذاب = جناحه حتى بلغ أسفل الأرض ، فقلبها ، ونزلت حجارة من السماء فتتبعت من لم يكن منهم فى القرية حيث كانُوا . فأهلكهم الله ، ونجّى لوطًا وأهله إلاّ امرأته .[2]

١٨٤١٦ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، وعن أبى بكر بن عبد الله = وأبو سفيان ، عن معمر = عن قتادة ، عن حذيفة : دخل حديث بعضهم فى بعض قال : كان إبراهيم عليه السلام يأتيهم فيقول : ويحكم ، أنهاكم عن الله أن تعرّضوا لعقوبته ! فلم يطيعوا ، حتى إذا بلغ الكتاب أجلَه ، لمحلٍّ عذابهم وسطوات الرّبّ بهم . قال : فانتهت الملائكة إلى لوط وهو يعمل فى أرض له ، فدعاهم إلى الضيافة ، فقالوا : إنّا مُضيِّفوك الليلة ! وكان الله تعالى ذكره عهد إلى جبريل عليه السلام أن لا يُعذ بهم حتى يشهد عليهم لوط ثلاث شهادات . فلما توجه بهم لوط إلى الضيافة ، ذكر ما يعمل قومه من الشّرّ والدواهى العظام ، فمشى معهم ساعةً ، ثم التفت إليهم فقال : أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية ؟ ما أعلم على وجه الأرضِ شرًّا منهم ! أين أذهب بكم ؟ إلى قومى وهم شرٌّ من خلَقَ الله ![3] فالتفت جبريل إلى الملائكة فقال : احفظوا ، هذه واحدة ! ثم مشى ساعةً ، فلما توسّط القرية وأشفق عليهم

---

(١) فى المطبوعة وحدها : « فى كتابه » .

(٢) الأثر : ١٨٤١٥ – رواه أبو جعفر فى تاريخه ١ : ١٥٦ ، ١٥٧ ، وانظر التعليق على رقم : ١٨٤٠٦ .

(٣) فى المطبوعة : « شر خلق الله » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

واستحيي منهم قال : أما تعلمون ما يعملُ أهل هذه القرية ؟ وما أعلم على وجه الأرض شرًّا منهم ، إن قومى شرُّ خلق الله ! فالتفت جبريل إلى الملائكة فقال : احفظوا ، هاتان ثنتان ! فلما انتهى إلى باب الدار بكَى حياءً منهم وشفقة عليهم وقال : إن قومى شرُّ خلق الله ، أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية ، ما أعلم على وجه الأرض أهل قرية شرًّا منهم ! فقال جبريل للملائكة : احفظوا ، هذه ثلاثٌ ، قد حُقَّ العذاب ! فلما دخلوا ذهبت عجوزُه عجُوز السَّوء ، فصَعدت فلوَّحت بثوبها ، فأتاها الفسَّاق يُهْرَعون سراعًا . قالوا : ما عندك ؟ قالت : ضيَّف لوطًا الليلة قومٌ ما رأيت أحسنَ وجوهاً منهم ، ولا أطيب ريحًا منهم ! فهُرِعوا يسارعون إلى الباب ، [1] فعاجلهم لوط على الباب ، فدافعوه طويلاً ، هو داخلٌ وهم خارجٌ ، يناشدهم الله ويقول : « هؤلاء بناتى هن أطهر لكم » ! فقام الملك فلزَّ الباب = يقول : فسَدَّه = واستأذن جبريل فى عقوبتهم ، فأذن الله له . فقام فى الصورة التى يكون فيها فى السماء ، فنشر جناحه = وبجبريل جناحان ، وعليه وشاح من درّ منظوم ، وهو برَّاق الثنايا ، أجلَى الجبين ، ورأسه حُبُك حُبُك مثل المرجان ، [2] وهو اللؤلؤ ، كأنه الثلج ، وقدماه إلى الخضرة = فقال : يا لوط ، « إنَّا رسل ربك لن يصلوا إليك » ، أمِطْ ، يا لوط ، من الباب ودعنى وإياهم . [3] فتنحى لوط عن الباب ، فخرج عليهم ، فنشر جناحه ، فضرب به وجوههم ضربةً

---

(١) فى المطبوعة : « مسارعين إلى الباب » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) هكذا فى المطبوعة ، كأنه يعنى « حبك الشعر » ، وهو الجعد المتكسر منه ، وفى المخطوطة « حبل حبل » غير منقوطة ، كأنها « حبل ، حبل » ، يعنى الذى ينظم فى اللؤلؤ كالتاج . أو تقرأ « جثل ، جثل » ، وهو من الشعر الكثير الملتف . والله أعلم .

(٣) فى المطبوعة : « امض يالوط » ، غير ما فى المخطوطة ، وهو الصواب المحض . يقال : « ماط عن المكان ، وأماط عنه » ، إذا تنحى . وفى حديث خيبر أنه أخذ الراية فهزها ، فقال : من يأخذها بحقها ؟ فجاء فلان : فقال : أنا ! فقال : أمط ! ثم جاء آخر ، فقال : أمط = أى : تنح أنت واذهب .

شَدَخ أعينهم ،[1] فصاروا عميًا لا يعرفون الطريق، ولا يهتدون إلى بيوتهم . ثم أمر لوطاً فاحتمل بأهله من ليلته ، قال : « فأسر بأهلك بقطع من الليل » .

١٨٤١٧ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال: لما قال لوط لقومه : « لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد » ، والرسل تسمع ما يقول وما يُقال له ، ويرون ما هو فيه من كرْب ذلك . فلما رأوا ما بلغه قالوا : « يالوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك »، أى: بشىء تكرهه =« فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحدٌ إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم إنّ موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب » ، أى : إنما ينزل بهم العذاب من صُبح ليلتك هذه ، فامض لما تؤمر .

١٨٤١٨ – . . . . قال، حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحق ، عن محمد بن كعب القرظى : أنه حدّث : أن الرسل عند ذلك سَفَعُوا فى وجوه الذين جاؤوا لوطًا من قومه يراودونه عن ضيفه ،[2] فرجعوا عميانًا . قال : يقول الله: ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ ﴾ ، [سورة القمر : ٣٧] .

١٨٤١٩ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ،حدثنى معاوية، عن على ، عن ابن عباس قوله : « بقطع من الليل » ، قال : بطائفة من الليل . ٥٧/١٢

١٨٤٢٠ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر ، عن قتادة : « بقطع من الليل » ، بطائفة من الليل .

١٨٤٢١ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج، عن ابن جريج قال، قال ابن عباس قوله : ﴿ بِقِطْعٍ مِنَ ٱللَّيْلِ ﴾، قال: جوفَ الليل = وقوله :

---

(١) هكذا فى المطبوعة والمخطوطة : « شدخ أعينهم » ، كأنه من « شدخت الغرة » ، إذا غشيت الوجه من أصل الناصية إلى الأنف ، فى الفرس . هذا ، وإلا فإنى لا أدرى ما هو ؟

(٢) « سفع وجهه بيده سفعاً » لطمه بكفه مبسوطة .

﴿وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾، يقول: واتبع أدبار أهلك = ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾(١)، [سورة الحجر: ٦٥].

وكان مجاهد يقول في ذلك ما: —

١٨٤٢٢ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: «ولا يلتفت منكم أحد»، قال: لا ينظر وراءه أحد = «إلا امرأتك».

* * *

وروى عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقرأ: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا أَمْرَأَتَكِ﴾.

١٨٤٢٣ — حدثني بذلك أحمد بن يوسف قال، حدثنا القاسم بن سلام قال، حدثنا حجاج، عن هرون قال: في حرف ابن مسعود: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا أَمْرَأَتَكَ﴾.

* * *

قال أبو جعفر: وهذا يدل على صحة القراءة بالنصب.

القول في تأويل قوله تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ ﴿٨٣﴾

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ولما جاء أمرنا بالعذاب، وقضاؤنا فيهم بالهلاك = «جعلنا عاليها»، يعني: عالي قريتهم = «سافلها وأمطرنا عليها»، يقول: وأرسلنا عليها = «حجارة من سجيل».

* * *

واختلف أهل التأويل في معنى «سجيل».

---

(١) الأثر: ١٨٤٢١ — هذا من تفسير آية سورة الحجر: ٦٥، ولم يذكره هناك.

فقال بعضهم : هو بالفارسية : سنك، وكل .[١]

* ذكر من قال ذلك .

١٨٤٢٤ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « من سجيل » ، بالفارسية ، أوّلها حَجَر ، وآخرها طين .

١٨٤٢٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

١٨٤٢٦ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد، بنحوه .

١٨٤٢٧ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

١٨٤٢٨ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يعقوب، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير : « حجارة من سجيل » ، قال : فارسية أعربت ، سنك وكل .[٢]

١٨٤٢٩ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « السجيل » ، الطين .

١٨٤٣٠ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر ، عن قتادة ، وعكرمة : « من سجيل » ، قالا : من طين .

١٨٤٣١ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا إسمعيل بن عبد الكريم قال ، حدثني عبد الصمد، عن وهب قال : « سجيل » ، بالفارسية : سنك ، وكل .

١٨٤٣٢ – حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ،

---

(١) انظر ما سلف ١ : ١٤ ، تعليق : ٢ ، ثم ص : ٢٠ .

(٢) الأثر : ١٨٤٢٨ – انظر الأثر السالف قديماً ، رقم : ٥ .

عن السدى : « حجارة من سجيل » ، أما « السجيل » ، فقال ابن عباس : هو بالفارسية سنك ، وجل = « سنك » ، هو الحجر ، و « جل » ، هو الطين . يقول : أرسلنا عليهم حجارة من طين .

١٨٤٣٣ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا مهران ، عن سفيان، عن السدى، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « حجارة من سجيل » ، قال : طين فى حجارة .

* * *

وقال ابن زيد فى ذلك ما : —

١٨٤٣٤ — حدثنى به يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « حجارة من سجيل » ، قال : السماء الدنيا ، قال : والسماء الدنيا اسمها « سجيل » ، وهى التى أنزل الله على قوم لوط .

* * *

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من البصريين يقول : « السجيل » ، هو من الحجارة الصلب الشديد، ومن الضرب، ويستشهد على ذلك بقول الشاعر :(١)

« ضَرْباً تَوَاصَى بِهِ الأَبْطَالُ سِجِّيلَا »(٢)

وقال : بعضُهُم يُحوِّل اللام نونًا .(٣)

* * *

---

(١) هو تميم بن أبى بن مقبل .

(٢) مجاز القرآن ١ : ٢٩٦ ، واللسان (سجل) ، ولكن البيت من قصيده نونية لتميم ، فى جمهرة أشعار العرب : ١٦٢ ، ومنتهى الطلب : ٤٤ ، والمعانى الكبير : ٩٩١ ، واللسان (سجن) ، وغيرها ، يقول قبله :

وإنَّ فِينَا صَبُوحاً إنْ أَرِبْتَ بِهِ ... جَمْعاً بَهِيًّا وَآلافاً ثَمَانِينَا

وَرَجْلَةً يَضْرِبُونَ البَيْضَ عَنْ عُرُضٍ ... ضَرْباً تَوَاصَى بِهِ الأَبْطَالُ سِجِّينَا

(٣) يعنى بقوله : « بعضهم » ، أى بعض العرب يحول اللام نوناً ، كقول النابغة :

وقال آخر منهم : هو « فِعّيل » ، من قول القائل : « أسجلته » ، أرسلته = فكأنه من ذلك ، أى : مرسلةٌ عليهم .

* * *

وقال آخر منهم : بل هو من « سَجَلت له سَجْلاً » ، من العطاء ، فكأنه قيل : مُتِحوا ذلك البلاء فأعطوه . وقالوا : « أسجله » ، أهمله .

* * *

وقال بعضهم : هو من « السِّجِلّ » ، لأنه كان فيها عَلَمٌ كالكتاب .

* * *

وقال آخر منهم : بل هو طين يطبخ كما يطبخ الآجرّ ، وينشد بيت الفضل ابن عباس :

مَنْ يُسَاجِلْنِي يُسَاجِلْ مَاجِداً يَمْلَأُ الدَّلْوَ إلَى عَقْدِ الكَرَبْ

فهذا من « سجلت له سَجْلاً » ، أعطيته .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا ما قاله المفسرون ، وهو أنها حجارة من طين ، وبذلك وصفها الله فى كتابه فى موضع ، وذلك قوله : ﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾ ، [سورة الذاريات : ٣٣ ، ٣٤] . ٥٨/١٢

* * *

بِكُلِّ مُدَجَّجٍ كاللَّيْثِ يَسْمُو عَلى أوْصَالِ ذَيَّالٍ رِفَنِّ

يريد : رفل = هذا تمام كلام أبى عبيدة فى مجاز القرآن ، نقلته للتوضيح . ونسب قريش : ٩٠ .

(١) معجم الشعراء : ٣٠٩ واللسان (سجل) ، وغيرهما ، وقبله :

وَأَنَا الأَخْضَرُ مَنْ يَعْرِفُنِي أَخْضَرُ الجِلْدَةِ فِى بَيْتِ العَرَبْ

مَنْ يُسَاجِلْنِي . . . . . .

إنَّمَا عَبْدُ مَنَافٍ جَوْهَرٌ زَيَّنَ الجَوْهَرَ عَبْدُ المُطَّلِبْ

وهو : الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب بن عبد المطلب ، وأمه آمنة بنت العباس بن عبد المطلب . وكان الفضل آدم شديد الأدمة ، ولذلك قال : « وأنا الأخضر » ، و « الخضرة » فى ألوان الناس ، شدة السمرة ، والعرب تصف ألوانها بالسواد ، وتصف العجم بالحمرة . و « الكرب » الحبل الذى يشد على الدلو .

وقد روى عن سعيد بن جبير أنه كان يقول : هى فارسية ونبطية .

١٨٤٣٥ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير قال : فارسية ونبطية ، « سج » ، « إيل »

* * *

فذهب سعيد بن جبير فى ذلك إلى أن اسم الطين بالفارسية « جل » لا « إيل »، وأن ذلك لو كان بالفارسية لكان « سِجْل » لا « سِجّيل »، لأن الحجر بالفارسية يدعى « سج » ، والطين « جل » ، فلا وجه لكوْن الياء فيها وهى فارسية .

* * *

قال أبو جعفر : وقد بينا الصواب من القول عندنا فى أول الكتاب ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[1]

* * *

وقد ذكر عن الحسن البصرى أنه قال : كان أصل الحجارة طينًا ، فشُدِّدت .

* * *

وأما قوله : « منضود » ، فإن قتادة وعكرمة يقولان فيه ، ما : ــ

١٨٤٣٦ ــ حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، وعكرمة : « منضود » ، يقول : مصفوفة .

١٨٤٣٧ ــ حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، ، عن قتادة : « منضود » ، يقول : مصفوفة .

* * *

وقال الربيع بن أنس فيه ما : ــ

١٨٤٣٨ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس فى قوله : « منضود » ، قال : نضد بعضه على بعض .

---

(١) انظر ما سلف ١ : ١٣ ــ ٢٠

١٨٤٣٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن أبي بكر الهذلي بن عبد الله : أما قوله : « منضود » ، فإنها في السماء منضودة معدَّة ، وهي من عُدَّة الله التي أعَدَّ للظلمة .

* * *

وقال بعضهم : « منضود » ، يتبع بعضه بعضًا عليهم. قال : فذلك نَضَدُه .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك ما قاله الربيع بن أنس ، وذلك أن قوله : « منضود » ، من نعت « سجيل » ، لا من نعت « الحجارة » ، وإنما أمطر القوم حجارة من طين ، صفة ذلك الطين أنه نُضِد بعضه إلى بعض ، فصُيِّر حجارة ، ولم يُمْطَرُوا الطين ، فيكونَ موصوفًا بأنه تتابع على القوم بمجيئه .

قال أبو جعفر : وإنما كان جائزاً أن يكون على ما تأوّله هذا المتأوّل ، لو كان التنزيل بالنصب « منضودةً » ، فيكون من نعت « الحجارة » حينئذ .

* * *

وأما قوله : « مسوّمة عند ربك » ، فإنه يقول : معلمة عند الله ، أعلمها الله ،[1] و « المسوّمة » من نعت « الحجارة » ، ولذلك نصبت على النعت .[2]

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٤٤٠ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « مسوّمة » ، قال : معلمة .

١٨٤٤١ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

---

(١) انظر تفسير « المسومة » فيما سلف ٦ : ٢٥١ – ٢٥٧ / ٧ : ١٨٤ – ١٩٠ .

(٢) في المطبوعة: « نصبت ونعت بها » ، وفي المخطوطة : « نصبت وانعت » ، وكأن الصواب ما أثبت .

١٨٤٤٢ — . . . . قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٨٤٤٣ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله = قال ابن جريج : « مسوّمة » ، لا تشاكل حجارة الأرض .

١٨٤٤٤ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة وعكرمة : « مسومة » ، قالا : مطوّقة ، بها نَضْحٌ من حمرة .(١)

١٨٤٤٥ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة : « مسومة » ، عليها سيما معلومة . حدّث بعضُ من رآها ، أنها حجارة مطوّقة ، عليها = أو : بها = نضحٌ من حمرة ، ليست كحجارتكم .

١٨٤٤٦ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه، عن الربيع في قوله : « مسوّمة »، قال : عليها سيما خطوط .

١٨٤٤٧ — حدثني موسى بن هرون قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « مسومة » ، قال : « المسومة »، المختّمة .

* * *

وأما قوله : « وما هي من الظالمين ببعيد » ، فإنه يقول تعالى ذكره ، متهدداً مشركي قريش : وما هذه الحجارة التي أمطرتها على قوم لوط ، من مشركي قومك ، يا محمد ، ببعيد أن يمطروها ، إن لم يتوبوا من شركهم .

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) في المخطوطة : « يصح من حمرة » ، والصواب ما في المطبوعة . و « النضح » ، ما بقي له أثر ، يقال : « على ثوبه نضح دم » ، وهو اليسير منه ، الباقي أثره .

١٨٤٤٨ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا أبو عتاب الدلال سهل ابن حماد قال ، حدثنا شعبة قال ، حدثنا أبان بن تغلب ، عن مجاهد فى قوله : « وما هى من الظالمين ببعيد » ، قال : أن يصيبهم ما أصاب القوم .(١)

١٨٤٤٩ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وما هى من الظالمين ببعيد » ، قال : يُرْهِب بها من يشاء .

١٨٤٥٠ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله . ٥٩/١٢

١٨٤٥١ – . . . . قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٨٤٥٢ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله

١٨٤٥٣ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وما هى من الظالمين ببعيد » ، يقول : ما أجار الله منها ظالمًا بعد قوم لوط .

١٨٤٥٤ – حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، وعكرمة : « وما هى من الظالمين ببعيد » ، يقول : لم يترك منها ظالمًا بعدهم .(٢)

١٨٤٥٥ – حدثنا على بن سهل قال ، حدثنا ضمرة بن ربيعة ، عن ابن شوذب ، عن قتادة فى قوله : « وما هى من الظالمين ببعيد » ، قال : يعنى ظالمى هذه الأمة . قال : والله ما أجارَ منها ظالمًا بعدُ!

---

(١) الأثر : ١٨٤٤٨ – « سهل بن حماد » ، « أبوعتاب الدلال » ، ثقة لا بأس به . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢ / ٢ / ١٠٣ ، وابن أبى حاتم ٢ / ١ / ١٩٦ .

(٢) فى المطبوعة : « لم يبرأ منها ظالم » ، وفى المخطوطة : « لم يبرا منها ظالماً » ، ورأيت قراءتها كما أثبتها .

١٨٤٥٦ – حدثنا موسى بن هرون قال، حدثنا حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدى : « وما هى من الظالمين ببعيد » ، يقول : من ظَلَمة العرب ، إن لم يتوبوا فيعذّبوا بها .

١٨٤٥٧ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن أبى بكر الهذلى بن عبد الله قال : يقول : « وما هى من الظالمين ببعيد » ، من ظلمة أمتك ببعيد ، فلا يأمنها منهم ظالم

* * *

وكان قلب الملائكة عالى أرض سدوم سافلها ، كما : –

١٨٤٥٨ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا جابر بن نوح قال ، حدثنا الأعمش ، عن مجاهد قال : أخذ جبريل عليه السلام قوم لوط من سَرْحهم ودورهم ، حملهم بمواشيهم وأمتعتهم ، حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم ، ثم أكفأهم . (١)

١٨٤٥٩ – حدثنا به أبو كريب مرة أخرى، عن مجاهد قال : أدخل جبريل جناحه تحت الأرض السفلى من قوم لوط ، ثم أخذهم بالجناح الأيمن ، فأخذهم من سرحهم ومواشيهم ، ثم رفعها . (٢)

١٨٤٦٠ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد : كان يقول : « فلما جَاءَ أمْرُنَا جَعَلْنَا عاليَها سَافلَهَا » ، قال : لما أصبحوا ، غدا جبريل على قريتهم ففَتقها من أركانها ، ثم أدخل جناحه ، ثم حملها على خوَافى جناحه . (٣)

١٨٤٦١ – . . . . قال، حدثنا شبل قال ، فحدثنى هذا ابن أبى نجيح ، عن إبراهيم بن أبى بكر = قال : ولم يسمعه ابن أبى نجيح ، عن مجاهد = قال :

---

(١) الأثر : ١٨٤٥٨ – رواه أبو جعفر فى تاريخه ١ : ١٥٧

(٢) الأثر : ١٨٤٥٩ – رواه أبو جعفر فى تاريخه ١ : ١٥٧

(٣) الأثر : ١٨٤٦٠ – رواه أبو جعفر فى تاريخه ١ : ١٥٧

فحملها على خوافى جناحه بما فيها ، ثم صعد بها إلى السماء ، حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم ، ثم قلبها . فكان أوّل ما سقط منها شِرَافها .[١] فذلك قول الله : « جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل » ، قال مجاهد : فلم يصب قومًا ما أصابهم ، إن الله طمس على أعينهم ، ثم قلب قريتهم ، وأمطر عليهم حجارة من سجيل .[٢]

١٨٤٦٢ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قال : بلغنا أن جبريل عليه السلام أخذَ بعُرْوة القرية الوُسطَى ، ثم ألوَى بها إلى السماء ،[٣] حتى سمع أهل السماء ضَواغِى كلابهم ،[٤] ثم دمَّر بعضها على بعض ، فجعل عاليها سافلها ، ثم أتبعهم الحجارة = قال قتادة : وبلغنا أنهم كانوا أربعة آلاف ألف .[٥]

١٨٤٦٣ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذكر لنا أن جبريل عليه السلام ، أخذ بعروتها الوسطى ، ثم ألوى بها إلى جَوّ السماء ، حتى سمعت الملائكة ضَواغى كلابهم ، ثم دمر بعضها على بعض ، ثم أتبع شُذَّان القوم صخراً .[٦] قال : وهى ثلاث قرًى يقال لها : « سدوم » ، وهى بين المدينة والشأم . قال : وذكر لنا أنه كان فيها أربعة آلاف ألف . وذكر

---

(١) فى المطبوعة : « شرفها » ، وفى المخطوطة والتاريخ « شرافها » ، كأنه على جمع « شريف » ، نحو « صنير » و « صغار » و « كبير » و « كبار » ، وكأن صوابهما « أشرافها » ، لأن « شراف » ، لم يذكر فى جموع « شريف » ، ولكنى أخشى أن تكون هى « شذانها » كما سيأتى فى رقم : ١٨٤٦٣ ، تعليق رقم : ٦

(٢) الأثر : ١٨٤٦١ – رواه أبو جعفر فى تاريخه ١ : ١٥٧ ، مختصراً ، أسقط منه قول مجاهد الآخر .

(٣) يقال : « ألوت به العقاب » ، أى أخذته وطارت به .

(٤) « ضواغى الكلاب » ، جمع « ضاغية » ، أى التى لها « ضغاء » ، وهو صوت الذليل المقهور إذا استغاث .

(٥) الأثر : ١٨٤٦٢ – رواه أبو جعفر فى تاريخه ١ : ١٥٧

(٦) « الشذان » جمع « شاذ » ، وهو الذى خرج من الجماعة ، فشذ عنهم .

لنا أن إبراهيم عليه السلام كان يشرف [ثمّ] يقول[١] : سدوم، يومٌ مَالكِ ! [٢]

١٨٤٦٤ – حدثني موسى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط، عن السدى قال : لما أصبحوا = يعنى قوم لوط = نزل جبريل فاقتلع الأرض من سبع أرَضين، فحملها حتى بلغ السماء الدنيا، [حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم، وأصوات ديوكهم، ثم قلبها فقتلهم]، [٣]فذلك حين يقول : ﴿ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴾، [سورة النجم : ٥٣] ، المنقلبة، حين أهوى بها جبريل الأرض فاقتلعها بجناحه . فمن لم يمت حين أسقط الأرض، أمطر الله عليه وهو تحت الأرض الحجارة، ومن كان منهم شاذًّا فى الأرض . وهو قول الله : « فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل ». ثم تتبعهم فى القرى، فكان الرجل [يتحدث] فيأتيه الحجر فيقتله،[٤] وذلك قول الله تعالى : « وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل » . [٥]

١٨٤٦٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج، عن أبى بكر = وأبو سفيان، عن معمر = عن قتادة قال : بلغنا أن جبريل عليه السلام لما أصبح نشرَ جناحه، فانتسف به أرضهم بما فيها من قُصورها ودوابها وحجارتها وشجرها، وجميع ما فيها، فضمها فى جناحه، فحواها وطواها فى جوف جناحه، ثم صعد بها إلى السماء الدنيا، حتى سمع سُكان السماء أصواتَ الناس والكلاب، وكانوا أربعة آلاف ألف، ثم قلبها، فأرسلها إلى الأرض منكوسةً، دمدمَ بعضها على بعض، فجعل عاليها سافلها، ثم أتبعها حجارة من سجيل . ٦٠/١٢

١٨٤٦٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثنى ابن إسحق قال، حدثنى محمد بن كعب القرظى قال : حُدثت أن نبى الله صلى الله عليه

---

(١) الزيادة من تاريخ الطبرى . وفى التاريخ : « سدوم يوم هالك »، وأخشى أن الصواب هو ما فى التفسير، وأن ذاك خطأ .

(٢) الأثر : ١٨٤٦٣ – رواه أبو جعفر فى تاريخه ١ : ١٥٧ .

(٣) ما بين القوسين زيادة لا بد منها لسياق الكلام، نقلتها من نص الخبر فى تاريخ الطبرى .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « فكان الرجل يأتيه »، وأثبت النص من التاريخ .

(٥) الأثر : ١٨٤٦٤ – رواه أبو جعفر فى تاريخه ١ : ١٥٧، ١٥٨ .

وسلم قال : بعث الله جبريل عليه السلام إلى المؤتفكة ، قرية لوط عليه السلام ، التى كان لوط فيهم ، فاحتملها بجناحه ، ثم صعد بها حتى إن أهل السماء الدنيا ليسمعون نُباح كلابها وأصوات دجاجها ، ثم كفأها على وجهها ، ثم أتبعها الله بالحجارة ، يقول الله : « جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل » ، فأهلكها الله وما حولها من المؤتفكات ، وكنّ خمس قريات ، « صنعة » و « صعوة» و « عثرة » ، و « دوما » و « سدوم » = وسدوم هى القرية العظمى = ونجّى الله لوطًا ومن معه من أهله ، إلا امرأته كانت فيمن هلك .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ (٨٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وأرسلنا إلى وَلَد مدين أخاهم شعيبًا ، فلما أتاهم قال : « يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره » ، يقول : أطيعوه ، وتذللوا له بالطاعة لما أمركم به ونهاكم عنه = « ما لكم من إله غيره » ، يقول : ما لكم من معبود سواه يستحق عليكم العبادة غيره = « ولا تنقصوا المكيال والميزان » ، يقول : ولا تنقصوا الناس حقوقهم فى مكيالكم وميزانكم = « إنى أراكم بخير » .

* * *

واختلف أهل التأويل فى « الخير » ، الذى أخبر الله عن شعيب أنه قال لمدين إنه يراهم به .

فقال بعضهم : كان ذلك رُخْص السعر ، وحذرهم غلاءه .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٤٦٧ – حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة قال، حدثنا عبد الله بن داود الواسطي قال ، حدثنا محمد بن موسى ، عن الذيال بن عمرو ، عن ابن عباس : « إني أراكم بخير » ، قال رُخْص السعر = « وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط » ، قال : غلاء سعر .(١)

١٨٤٦٨ – حدثني أحمد بن عمرو البَصري قال ، حدثني عبد الصمد ابن عبد الوارث قال ، حدثنا صالح بن رستم ، عن الحسن ، وذكر قوم شعيب ، قال : « إني أراكم بخير » ، قال : رُخْص السعر .(٢)

١٨٤٦٩ – حدثني محمد بن عمرو بن علي قال، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن أبي عامر الخراز ، عن الحسن في قوله : « إني أراكم بخير » ، قال : الغنى ورُخْص السعر .

* * *

وقال آخرون : عنى بذلك: إنيّ أرى لكم مالاً وزينة من زين الدنيا .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٤٧٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله : « إني أراكم بخير » ، قال: يعني خير الدنيا وزينتها .

١٨٤٧١ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة

---

(١) الأثر : ١٨٤٦٧ – « الذيال بن عمرو » ، هكذا جاء هنا بالذال معجمة ، وقد سلف في رقم : ١٤٤٤٥ ، وتعليق عليه ، وتعليق أخي السيد أحمد رحمه الله ، في ج ١٢ : ٥٨٩ ، رقم : ٧ ، « الزباء بن عمرو » ، وفي ابن كثير : « الديال » بدال مهملة ، ولم نستطع أن نعرف من يكون . والإسناد هنا، هو الإسناد هناك نفسه .

(٢) الأثر : ١٨٤٦٨ – « أحمد بن عمرو البصري »: شيخ الطبري، مضى برقم : ٩٨٧٥ ، ١٣٩٢٨ ، وقد مضى ما قلت فيه ، وقد روى عنه أبو جعفر في تاريخه ١ : ١٨٢/ ٥ : ٣٢ . وكان في المطبوعة هنا : « أحمد بن علي النصري » ، ولا أدري من أين جاء بهذا التغيير ؟

قوله : « إنى أراكم بخير » ، أبصر عليهم قِشْرًا من قشر الدنيا وزينتها .[١]

١٨٤٧٢ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « إنى أراكم بخير »، قال : فى دنياكم ، كما قال الله تعالى : ﴿ إنْ تَرَكَ خَيْرًا ﴾، [سورة البقرة : ١٨٠]، سماه « خيرًا » ، لأن الناس يسمون المال « خيرًا » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، ما أخبر الله عن شعيب أنه قال لقومه، وذلك قوله : « إنى أراكم بخير »، يعنى : بخير الدنيا . وقد يدخل فى خير الدنيا ، المال ، وزينة الحياة الدنيا ، ورخص السعر = ولا دلالة على أنه عنى بقيله ذلك بعض خيرات الدنيا دون بعض ، فذلك على كل معانى خيرات الدنيا التى ذكر أهل العلم أنهم كانوا أوتوها .

* * *

وإنما قال ذلك شعيب ، لأن قومه كانوا فى سعة من عيشهم ، ورُخْص من أسعارهم ، كثيرة أموالهم ، فقال لهم : لا تنقصوا الناس حقوقهم فى مكاييلكم وموازينكم ، فقد وَسَّع الله عليكم رزقكم = « وإنى أخاف عليكم » ، بمخالفتكم أمر الله ، وبَخْسكم الناسَ أموالهم فى مكاييلكم وموازينكم = « عذاب يوم محيط »، يقول : أن ينزل بكم عذاب يوم محيط بكم عذابه = فجعل « المحيط » نعتًا لليوم ، وهو من نعت « العذاب » ، إذ كان مفهومًا معناه ، وكان العذاب فى اليوم ، فصار كقولهم : « بعضُ جُبَّتك محترقة » .[٢]

* * *

---

(١) « القشر » هو فى الأصل ، قشر الشجرة ونحوها ، ثم استعير للثياب وكل ملبوس ، مما يخلع كما يخلع القشر ، ثم استعير لما نلبسه من زينة الحياة ثم نخلعه راضين أو كارهين .

(٢) انظر تفسير « محيط » فيما سلف ١٥ : ٩٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (٨٥) ١٢/٦١

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره ، مخبرًا عن قيل شعيب لقومه : أوفوا الناس الكيل والميزان [١] = « بالقسط » ، يقول : بالعدل ، وذلك بأن توفوا أهل الحقوق التى هى مما يكال أو يوزن حقوقهم ، على ما وجب لهم من التمام ، بغير بَخس ولا نقص .[٢]

* * *

وقوله : « ولا تبخسوا الناس أشياءهم » ، يقول : ولا تنقصوا الناس حقوقهم التى يجب عليكم أن توفوهم كيلاً أو وزنًا أو غير ذلك ، [٣] كما :—

١٨٤٧٣ — حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا على بن صالح بن حى قال : بلغنى فى قوله : « ولا تبخسوا الناس أشياءهم » ، قال : لا تنقصوهم.

١٨٤٧٤ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ولا تبخسوا الناس أشياءهم » ، يقول : لا تظلموا الناس أشياءهم .

* * *

وقوله : « ولا تعثوا فى الأرض مفسدين » ، يقول : ولا تسيروا فى الأرض تعملون فيها بمعاصى الله ،[٤] كما :—

١٨٤٧٥ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا

---

(١) انظر « إيفاء المكيال والميزان » فيما سلف ١٢ : ٢٢٤ ، ٥٥٥ .

(٢) انظر تفسير « القسط » فيما سلف ١٥ : ١٠٣ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « البخس » فيما سلف ص : ٢٦٢ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « عثا » فيما سلف ١٢ : ٥٤٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

= وتفسير « الفساد فى الأرض » ١٢ : ٥٤٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

معمر ، عن قتادة ، فى قوله : « ولا تعثوا فى الأرض مفسدين » ، قال : لا تسيروا فى الأرض .

١٨٤٧٦ – وحدثت عن المسيب ، عن أبى روق ، عن الضحاك فى قوله : « ولا تعثوا فى الأرض مفسدين » ، يقول : لا تسعوا فى الأرض مفسدين = يعنى : نقصان الكيل والميزان .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ (٨٦)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « بقية الله خير لكم » ، ما أبقاه الله لكم ، بعد أن توفوا الناس حقوقهم بالمكيال والميزان بالقسط ، فأحلّه لكم ، خير لكم من الذى يبقى لكم ببخسكم الناس من حقوقهم بالمكيال والميزان = « إن كنتم مؤمنين » ، يقول : إن كنتم مصدّقين بوعد الله ووعيده ، وحلاله وحرامه .

* * *

وهذا قولٌ روى عن ابن عباس بإسنادٍ غير مرتضى عند أهل النقل .

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فى ذلك .

فقال بعضهم معناه : طاعة الله خيرٌ لكم .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٤٧٧ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى = ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد : « بقية الله خير لكم » ، قال : طاعة الله خير لكم .

١٨٤٧٨ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد

ابن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد : « بقية الله » ، قال : طاعة الله خير لكم .

١٨٤٧٩ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « بقية الله » ، قال : طاعة الله .

١٨٤٨٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري ، عن ليث ، عن مجاهد : « بقية الله خير لكم » ، قال : طاعة الله خير لكم.

١٨٤٨١ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « بقية الله خير لكم » ، قال : طاعة الله .

١٨٤٨٢ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : حظكم من ربكم خير لكم .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٤٨٣ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين » ، حظكم من ربكم خير لكم .

١٨٤٨٤ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « بقية الله خير لكم » ، قال : حظكم من الله خير لكم .

* * *

وقال آخرون : معناه : رزق الله خير لكم .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٤٨٥ – حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان ، عمن ذكره ، عن ابن عباس : « بقية الله » ، قال : رزق الله .

* * *

وقال ابن زيد فى ذلك ما :—

١٨٤٨٦ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين » ، قال : « الهلاك » ، فى العذاب ، و « البقية » ، فى الرحمة .

* * *

قال أبو جعفر : وإنما اخترت فى تأويل ذلك القولَ الذى اخترته ، لأن الله تعالى ذكره إنما تقدم إليهم بالنهى عن بَخس الناس أشياءهم فى المكيال والميزان ، وإلى ترك التطفيف فى الكيل والبخس فى الميزان دعاهم شعيب ، فتعقيب ذلك بالخبر عما لهم من الحظّ فى الوفاء فى الدنيا والآخرة ، أولى = مع أن قوله : « بقية » ، إنما هى مصدر من قول القائل : « بقيت بقية من كذا » ، فلا وجه لتوجيه معنى ذلك إلا إلى : بقية الله التى أبقاها لكم ، مما لكم بعد وفائكم الناس حقوقهم ، خيرٌ لكم من بقيتكم من الحرام ، الذى يبقى لكم من ظلمكم الناس ، ببخسكم إياهم فى الكيل والوزن .

* * *

وقوله : « وما أنا عليكم بحفيظ » ، يقول : وما أنا عليكم ، أيها الناس ، برقيب أرقبكم عند كيلكم ووزنكم ، هل توفون الناس حقوقهم ، أم تظلمونهم ؟ [1] ١٢/٦٢ وإنما علىّ أن أبلغكم رسالة ربّى ، فقد أبلغتكموها .

* * *

(١) انظر تفسير « حفيظ » فيما سلف ص : ٣٦٥ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ (٨٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال قوم شعيب : يا شعيب ، أصلواتك تأمرك أن نترك عبادة ما يعبد آباؤنا من الأوثان والأصنام [١] = « أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء » ، من كسر الدراهم وقطعها ، وبخس الناس فى الكيل والوزن = « إنك لأنت الحليم » ، وهو الذى لا يحمله الغضب أن يفعل ما لم يكن ليفعله فى حال الرّضى [٢] = « الرشيد » ، يعنى رشيد الأمر فى أمره إياهم أن يتركوا عبادة الأوثان ، [٣] كما :—

١٨٤٨٧ — حدثنا محمود بن خداش قال ، حدثنا حماد بن خالد الخياط قال ، حدثنا داود بن قيس ، عن زيد بن أسلم فى قول الله : « أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد » [٤] قال : كان مما نهاهم عنه حذف الدراهم [٥] = أو قال : قطع الدراهم ، الشك من حمّاد . [٦]

١٨٤٨٨ — حدثنا سهل بن موسى الرازى قال ، حدثنا ابن أبى فديك ، عن

---

(١) فى المطبوعة فى هذا الموضع « أصلاتك » ، بالإفراد ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « الحليم » فيما سلف ص : ٤٠٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الرشيد » فيما سلف ص : ٤١٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٤) جاء فى المخطوطة هنا « أصلاتك » بالإفراد ، وهى إحدى القراءتين .

(٥) « حذف الشيء » ، قطعه من طرفه ، ومنه « تحذيف الشعر » ، إذا أخذت من نواحيه فسويته .

(٦) الأثر : ١٨٤٨٧ — « محمود بن خداش الطالقانى » ، شيخ الطبرى ، مضى برقم : ١٨٧ .
و « حماد بن خالد الخياط القرشى » ، ثقة ، كان أميا لا يكتب ، وكان يقرأ الحديث . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٣ / ١ / ٢٥ ، وابن أبى حاتم ١ / ٢ / ١٣٦ .

أبي مودود قال : سمعت محمد بن كعب القرظي يقول : بلغني أن قوم شعيب عُذِّبوا في قطع الدراهم، وجدت ذلك في القرآن: « أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء » .(١)

١٨٤٨٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا زيد بن حباب ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظي قال : عُذِّب قوم شعيب في قطعهم الدراهم ، فقالوا : « يا شعيب أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء » .

١٨٤٩٠ – . . . . قال ، حدثنا حماد بن خالد الخياط، عن داود بن قيس ، عن زيد بن أسلم في قوله : « أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء » ، قال : كان مما نهاهم عنه حَذْفُ الدراهم .

١٨٤٩١ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « قالوا يا شعيب أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء » ، قال : نهاهم عن قطع الدنانير والدراهم فقالوا : إنما هي أموالنا نفعل فيها ما نشاء ، إن شئنا قطعناها ، وإن شئنا حرَّفناها ، وإن شئنا طرَحناها !

١٨٤٩٢ – . . . . قال ، وأخبرنا ابن وهب قال ، وأخبرني داود بن قيس المرّي : أنه سمع زيد بن أسلم يقول في قول الله : « قالوا يا شعيب أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء » ، قال زيدٌ : كان من ذلك قطع الدراهم .

* * *

وقوله : « أصلواتك » ، كان الأعمش يقول في تأويلها ، ما :–

١٨٤٩٣ – حدثنا الحسن قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا الثوري ،

---

(١) في المطبوعة هنا أيضاً : « أصلاتك » بالإفراد، وأثبت ما في المخطوطة . وسأردها إلى المخطوطة حيث وجدتها ، وأترك الإفراد حيث أجده ، بلا إشارة إلى ذلك .

عن الأعمش فى قوله : « أصلواتك » ، قال : قراءتك .

* * *

فإن قال قائل : وكيف قيل : «أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء » ، وإنما كان شعيب نهاهم أن يفعلوا فى أموالهم ما قد ذكرتَ أنه نهاهم عنه فيها ؟

قيل : إن معنى ذلك بخلاف ما توهَّمت . وقد اختلف أهل العربية فى معنى ذلك .

فقال بعض البصريين : معنى ذلك : أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نترك أن نفعل فى أموالنا ما نشاء = وليس معناه : تأمرك أن نفعل فى أموالنا ما نشاء ، لأنه ليس بذا أمرهم .

* * *

وقال بعض الكوفيين نحو هذا القول . قال : وفيها وجهٌ آخر ، يجعل الأمر كالنهى ، كأنه قال : أصلواتك تأمرك بذا ، وتنهانا عن ذا ؟ فهى حينئذ مردودة على أن الأولى منصوبة بقوله « تأمرك » ، وأن الثانية منصوبة عطفًا بها على « ما » التى فى قوله : « ما يعبد » . وإذا كان ذلك كذلك ، كان معنى الكلام : أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا ، أو أن نترك أن نفعل فى أموالنا ما نشاء .

* * *

وقد ذكر عن بعض القرأة أنه قرأه : ﴿ مَا تَشَاء ﴾.

* * *

قال أبو جعفر : فمن قرأ ذلك كذلك ، فلا مؤونة فيه ، وكانت « أن » الثانية حينئذ معطوفة على « أن » الأولى .

* * *

وأما قوله لشعيب : « إنك لأنت الحليم الرشيد » ، فإنهم أعداء الله ، قالوا ذلك له استهزاءً به ، وإنما سَفَّهوه وجَهَّلوه بهذا الكلام .

* * *

وبما قلنا من ذلك قال أهل التأويل

* ذكر من قال ذلك :

١٨٤٩٤ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « إنك لأنت الحليم الرشيد » ، قال: يستهزئون .

١٨٤٩٥ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: « إنك لأنت الحليم الرشيد »، المستهزئون، يستهزئون: إنك لأنت الحليم الرشيد ! (١)

* * *

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (٨٨) ١٢/٦٣

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال شعيب لقومه : يا قوم ، أرأيتم إن كنت على بيان وبرهان من ربي فيما أدعوكم إليه من عبادة الله ، والبراءة من عبادة الأوثان والأصنام ، وفيما أنهاكم عنه من إفساد المال = « ورزقني منه رزقًا حسنًا » ، يعني : حلالاً طيبًا = « وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه»، يقول : وما أريد أن أنهاكم عن أمر ، ثم أفعلُ خلافه ، بل لا أفعل إلا ما آمركم به ، ولا أنتهي إلاّ عما أنهاكم عنه ، كما :–

١٨٤٩٦ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه » ، يقول : لم أكن لأنهاكم عن أمر أركبه أو آتيه .

* * *

(١) في المطبوعة : « بأنك لأنت » ، والصواب المحض ما في المخطوطة .

= « إن أريد إلاّ الإصلاح » ، يقول : ما أريد فيما آمركم به وأنهاكم عنه ، إلاّ إصلاحكم وإصلاح أمركم = « ما استطعت » ، يقول : ما قدرت على إصلاحه ، لئلا ينالكم من الله عقوبة منكِّلة ، بخلافكم أمره ، ومعصيتكم رسوله = « وما توفيقى إلا بالله » ، يقول : وما إصابتى الحق فى محاولتى إصلاحكم وإصلاح أمركم ، إلا بالله ، فإنه هو المعين على ذلك ، إلاّ يعنِّى عليه لم أصب الحق فيه .

* * *

وقوله : « عليه توكلت » ، يقول : إلى الله أفوض أمرى ، فإن به ثقتى ،[1] وعليه اعتمادى فى أمورى .[2]

* * *

وقوله : « وإليه أنيب » ، وإليه أقبل بالطاعة ، وأرجع بالتوبة ،[3] كما :—

١٨٤٩٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وإليه أنيب » ، قال : أرجع .

١٨٤٩٨ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٨٤٩٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال =

١٨٥٠٠ — . . . . وحدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله : « وإليه أنيب » ، قال : أرجع .

١٨٥٠١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « وإليه أنيب » ، قال : أرجع .

* * *

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « فإنه ثقتى » ، ولعل الصواب ما أثبت .

(٢) انظر تفسير « التوكل » فيما سلف من فهارس اللغة (وكل) .

(٣) انظر تفسير « الإنابة » فيما سلف ص : ٤٠٦ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ (٨٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره ، مخبرًا عن قيل شعيب لقومه : « ويا قوم لا يجرمنكم شقاقى » ، يقول : لا يحملنكم عداوتى وبغضى ، وفراق الدين الذى أنا عليه ،[1] على الإصرار على ما أنتم عليه من الكفر بالله ، وعبادة الأوثان ، وبخس الناس فى المكيال والميزان ، وترك الإنابة والتوبة ، فيصيبكم = « مثلُ ما أصاب قوم نوح » ، من الغرق = « أو قوم هود » ، من العذاب = « أو قوم صالح » ، من الرّجفة = « وما قوم لوط » ، الذين ائتفكت بهم الأرض = « منكم ببعيد » ، هلاكهم ، أفلا تتعظون به ، وتعتبرون ؟ يقول : فاعتبروا بهؤلاء ، واحذروا أن يصيبكم بشقاقى مثلُ الذى أصابهم ، كما :—

١٨٥٠٢ — حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « لا يجرمنكم شقاقى » ، يقول : لا يحملنكم فراقى = « أن يصيبكم مثلُ ما أصاب قوم نوح » ، الآية .

١٨٥٠٣ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « لا يجرمنكم شقاقى » ، يقول : لا يحملنكم شقاقى .

١٨٥٠٤ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « لا يجرمنكم شقاقى » ، قال : عداوتى وبغضائى وفراقى .

١٨٥٠٥ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن

---

(١) انظر تفسير « جرم » فيما سلف ٩ : ٤٨٣ — ٤٨٥ / ١٠ : ٩٥ .
= وتفسير « الشقاق » ، فيما سلف ١٣ : ٤٣٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

معمر ، عن قتادة : « وما قوم لوط منكم ببعيد » ، قال : إنما كانوا حديثًا منهم قريبًا = يعنى قوم نوح وعاد وثمود وصالح .[1]

١٨٥٠٦ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « وما قوم لوط منكم ببعيد » ، قال : إنما كانوا حديثى عهد قريب ، بعد نوح وثمود .

* * *

قال أبو جعفر : وقد يحتمل أن يقال : معناه : وما دارُ قوم لوط منكم ببعيد .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ (٩٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره ، مخبرًا عن قيل شعيب لقومه : « استغفروا ربكم » ، أيها القوم ، من ذنوبكم بينكم وبين ربكم التى أنتم عليها مقيمون ، من عبادة الآلهة والأصنام، وبَخْس الناس حقوقهم فى المكاييل والموازين = « ثم توبوا إليه » ، يقول : ثم ارجعوا إلى طاعته ، والانتهاء إلى أمره ونهيه = « إن ربى رحيم » يقول : هو رحيم بمن تاب وأناب إليه ، أن يعذبه بعد التوبة = « ودود » ، يقول : ذو محبة لمن أناب وتاب إليه ، يودُّه ويحبُّه . ٦٤/١٢

* * *

(١) هكذا جاءت العبارة فى المخطوطة والمطبوعة ، وأنا أرجح أن الصواب : « يعنى قوم نوح ، وهود، وصالح ، ولوط » .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ (٩١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال قوم شعيب لشعيب : « يا شعيب ما نفقه كثيرًا مما تقول » ، أى : ما نعلم حقيقة كثير مما تقول وتخبرنا به[١] = « وإنا لنراك فينا ضعيفًا » .

* * *

ذُكِر أنه كان ضريرًا ، فلذلك قالوا له : « إنا لنراك فينا ضعيفًا » .

* * *

* ذكر من قال ذلك :

١٨٥٠٧ – حدثنى عبد الأعلى بن واصل قال ، حدثنا أسد بن زيد الجصاص قال ، أخبرنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير فى قوله : « وإنا لنراك فينا ضعيفًا » ، قال : كان أعمى .[٢]

١٨٥٠٨ – حدثنا عباس بن أبى طالب قال ، حدثنى إبراهيم بن مهدى المصيصى قال ، حدثنا خلف بن خليفة ، عن سفيان ، عن سعيد ، مثله .

١٨٥٠٩ – حدثنا أحمد بن الوليد الرملى قال ، حدثنا إبراهيم بن زياد ، وإسحق بن المنذر ، وعبد الملك بن يزيد قالوا ، حدثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد ، مثله .[٣]

---

(١) انظر تفسير « الفقه » فيما سلف ١٤ : ٥٨٢ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) الأثر : ١٨٥٠٧ – « أسد بن زيد الجصاص » ، لم أجد له ذكرا . وإنما يذكرون : « أسيد بن زيد بن نجيح الجمال » ، وهو الذى يروى عن شريك ، ويروى عنه أبو كريب وطبقته وطبقته من شيوخ أبى جعفر الطبرى ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/٢/١٦ وأبى حاتم ١/١/٣١٨ ، وميزان الاعتدال ١ : ١١٩ . ولكن هذا « الجمال » ، وذاك « الجصاص » ، فلا أدرى من يكون هذا الذى ذكره أبو جعفر .

(٣) الأثر : ١٨٥٠٩ – « عبد الملك بن يزيد » ، هكذا هو فى المخطوطة ، كما أثبته ، وفى

١٨٥١٠ — . . . . قال ، حدثنا عمرو بن عون ومحمد بن الصباح قالا، سمعنا شريكًا يقول فى قوله : « وإنا لنراك فينا ضعيفاً » ، قال : أعمى .

١٨٥١١ — حدثنا سعدويه قال، حدثنا عباد، عن شريك، عن سالم، عن سعيد بن جبير ، مثله . (١)

١٨٥١٢ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان قوله : « وإنا لنراك فينا ضعيفًا » ، قال : كان ضعيف البصر = قال سفيان : وكان يقال له : « خطيبُ الأنبياء » .

١٨٥١٣ — . . . . قال ، حدثنا الحمانى قال، حدثنا عباد ، عن شريك، عن سالم ، عن سعيد : « وإنا لنراك فينا ضعيفًا » ، قال : كان ضرير البصر .

* * *

= وقوله : « ولولا رهطك لرجمناك »، يقول: يقولون : ولولا أنك فى عشيرتك وقومك = « لرجمناك » ، يعنون : لسببناك . (٢)

* * *

وقال بعضهم : معناه: لقتلناك .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٥١٤ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « ولولا رهطك لرجمناك » ، قال : قالوا : لولا أن نتقى قومك ورهطك لرجمناك .

* * *

المطبوعة : « عبد الملك بن زيد » ، غير ما فى المخطوطة . ولم أعرف من يكون « عبد الملك بن يزيد » أو « ابن زيد » ، الذى يروى عن شريك ؟ .

(١) الأثر : ١٨٥١١ — « سعدويه ، الضبى الواسطى » ، هو « سعيد بن سليمان » ، شيخ الطبرى ، مضى برقم : ٦١١ ، ٢١٦٨ ، ١١٩٩٦ ، ١٣٨٠٩ (ج ١٢ : ٥٨٥ ، تعليق : ١) . و « سعدويه » ، يروى عن شريك ، ولكنه يروى أيضاً عن عباد بن العوام، فروى عن شريك هنا بالواسطة .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « لولا أنت فى عشيرتك » ، وأرجح أن الصواب ما أثبت .

وقوله : « وما أنت علينا بعزيز » ، يعنون : ما أنت ممن يكرَّم علينا ، فيعظُم علينا إذلاله وهوانه ، بل ذلك علينا هيِّن .[١]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (٩٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال شعيب لقومه : يا قوم ، أعززتم قومكم ، فكانوا أعزّ عليكم من الله ، واستخففتم بربكم ، فجعلتموه خلف ظهوركم ، لا تأتمرون لأمره ، ولا تخافون عقابه ، ولا تعظِّمونه حق عظَمته ؟

* * *

يقال للرجل إذا لم يقض حاجة الرجل : « نَبَذ حاجته وراء ظهره »،[٢] أى تركها لا يلتفت إليها . وإذا قَضَاها قيل : « جعلها أمامه ، ونُصْب عينيه » ، ويقال : « ظَهَرتَ بحاجتى » و « جعلتها ظِهْرِيَّة » ، أى خلف ظهرك ، كما قال الشاعر :[٣]

* وَجَدْنَا بَنِي البَرْصَاءِ مِنْ وَلَدِ الظَّهْرِ *[٤]

بمعنى أنهم يَظْهَرُون بحوائج الناس ، فلا يلتفتون إليها .

* * *

---

(١) انظر تفسير « عزيز » فيما سلف من فهارس اللغة (عزز) .

(٢) انظر تفسير « نبذه وراء ظهره » فيما سلف ١ : ٤٠٣، ٤٠٤/٧ : ٤٥٨ ، ٤٥٩، ٤٦٣ .

(٣) هو أرطاة بن سهية المرى .

(٤) مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٩٨ ، واللسان (ظهر) ، وكان أرطاة يهاجى شبيب بن البرصاء ، وهما جميعاً من بنى مرة بن سعد بن ذبيان ، والهجاء بينهما كثير ، وهذا منه . انظر الأغانى ١٣ : ٢٩ – ٤٤ (دار الكتب) ترجمة أرطاة بن سهية = والأغانى ١٢ : ٢٧١ – ٢٨١ (ساسى) ترجمة شبيب بن البرصاء . وصدر البيت :

* فَمَنْ مُبْلِغٌ أَبْنَاءَ مُرَّةَ أَنَّنَا *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٥١٥ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « قال يا قوم أرهطى أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريًّا » ، وذلك أن قوم شعيب ورهطه كانوا أعز عليهم من الله ، وصَغُر شأن الله عندهم ، عزَّ ربُّنا وجلَّ .

١٨٥١٦ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح ، قال حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « واتخذتموه وراءكم ظهريًّا » ، قال : قَفًا. (١)

١٨٥١٧ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « يا قوم أرهطى أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريًّا » ، يقول : عززتم قومكم ، وأظهرتم بربكم .

١٨٥١٨ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة: « واتخذتموه وراءكم ظهريًّا » ، قال : لم تراقبوه فى شىء ،إنما تراقبون قومى = « واتخذتموه وراءكم ظهريًّا »، يقول : عززتم قومكم، وأظهرتم بربكم.

١٨٥١٩ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « واتخذتموه وراءكم ظهريًّا » ، قال : لم تراقبوه فى شىء ، إنما تراقبون قومى = « واتخذتموه وراءكم ظهريًّا » ، لا تخافونه .

١٨٥٢٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال : أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « أرهطى أعز عليكم من الله » ، قال : أعززتم قومكم ، واغتررتم بربكم . سمعت إسحق بن أبى إسرائيل قال : قال سفيان : ٦٥/١٢

(١) هكذا فى المطبوعة ، ولها معنى ، ولكن الذى فى المخطوطة : « قصى » ، وكأنه أراد « قصيا » ، وهذا عندى أحب .

« واتخذتموه وراءكم ظهريًّا » ، كما يقول الرجل للرجل : « خلَّفتَ حاجتى خلفَ ظهرك » = « فاتخذتموه وراءكم ظهريًّا » ، استخففتم بأمره . فإذا أراد الرجل قضاء حاجةِ صاحبه جعلها أمامه بين يديه ، ولم يستخفَّ بها .

١٨٥٢١ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « واتخذتموه وراءكم ظهريًّا » ، قال « الظهْرِىّ » ، الفَضْل ، مثل الجمّال يخرج معه بإبل ظَهَارِيَّة ،[1] فضل ، لا يحمل عليها شيئًا ، إلا أن يحتاج إليها. قال : فيقول : إنما ربكم عندكم مثل هذا ، إن احتجتم إليه . وإن لم تحتاجوا إليه ، فليس بشىء .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : واتخذتم ما جاء به شعيبٌ وراءكم ظهريًّا = فالهاء التى فى قوله : « واتخذتموه » ، على هذا ، من ذكر ما جاء به شعيب.

* ذكر من قال ذلك :

١٨٥٢٢ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « واتخذتموه وراءكم ظهريًّا » ، قال : تركتم ما جاء به شعيب .

١٨٥٢٣ — . . . . قال ، حدثنا جعفر بن عون ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد قال : نبذوا أمره .

١٨٥٢٤ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد : « واتخذتموه وراءكم ظهريًّا » ، قال : نبذتم أمره .

١٨٥٢٥ — حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « واتخذتموه وراءكم ظهريًّا » ، قال

---

(١) هكذا جاء فى المخطوطة والمطبوعة : « ظهارية » ، ولكن اللغة على أن جمع « ظهرى » ، « ظهارى » ، فزيادة التاء هنا ضعيفة الوجه .

هم رهط شعيب ، بتركهم ما جاء به وراء ظهورهم ، ظهريًّا .

١٨٥٢٦ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال =

١٨٥٢٧ – . . . . وحدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « واتخذتموه وراءكم ظهريًّا » ، قال : استثناؤهم رهط شعيب ، وتركهم ما جاءَ به شعيب وراء ظهورهم ظهريًّا .

* * *

قال أبو جعفر : وإنما اخترنا القول الذى اخترناه فى تأويل ذلك ، لقرب قوله : « واتخذتموه وراءكم ظهريًّا » ، من قوله : « أرهطى أعز عليكم من الله » = فكانت « الهاء » فى قوله : « واتخذتموه » بأن تكون من ذكر الله ، لقرب جوارها منه ، أشبهَ وأولى .

* * *

وقوله : « إن ربى بما تعملون محيط » ، يقول : إن ربى محيط علمه بعملكم ،[1] فلا يخفى عليه منه شيء ، وهو مجازيكم على جميعه عاجلاً وآجلاً .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره ، مخبرًا عن قيل شعيب لقومه : « ويا قوم اعملوا على مكانتكم » ، يقول : على تمكنكم .

* * *

(١) انظر تفسير « محيط » فيما سلف ص : ٤٤٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

يقال منه : « الرجل يعمل على مَكينته، ومَكِنته » ، أى : على اتئاده = « ومَكُن الرجل يمكُنُ مَكْنًا ومَكانةً ومَكاناً » .(١)

* * *

وكان بعض أهل التأويل يقول فى معنى قوله : « على مكانتكم » ، على منازلكم .

* * *

قال أبو جعفر : فمعنى الكلام إذاً : ويا قوم اعملوا على تمكنكم من العمل الذى تعملونه ، إنىّ عامل على تؤدةٍ من العمل الذى أعمله = « سوف تعلمون » ، أينا الجانى على نفسه ، والمخطئ عليها ، والمصيب فى فعله المحسنُ إلى نفسه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ (٩٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره ، مخبرًا عن قيل نبيّه شعيب لقومه : الذى يأتيه منّا ومنكم ، أيها القوم = « عذاب يخزيه » ، يقول : يذله ويهينه(٢) = « ومن هو كاذب » ، يقول : ويُخزى أيضًا الذى هو كاذب فى قيله وخبره منا ومنكم = « وارتقبوا » ، أى : انتظروا وتفقدوا، من « الرِّقْبة » .

* * *

يقال منه : « رقَبْتُ فلاناً أرْقُبه رِقْبَةً » .(٣)

* * *

وقوله : « إنى معكم رقيب » ، يقول : إنّى أيضاً ذو رِقْبة لذلك العذاب معكم ، وناظر إليه ، بمَنْ هو نازلٌ منا ومنكم ؟(٣)

* * *

---

(١) انظر تفسير « المكانة » فيما سلف ١٢ : ١٢٨ ، ١٢٩ ، وهنا زيادة فى مصادره لا تجدها فى كتب اللغة .

(٢) انظر تفسير « الخزى » فيما سلف من فهارس اللغة (خزى) .

(٣) انظر تفسير « الترقب » و « الرقيب » فيما سلف ٧ : ٥٢٣ ، ٥٢٤ / ١١ : ٢٣٩ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ (٩٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره ، ولما جاء قضاؤنا فى قوم شعيب ، بعذابنا = « نجينا شعيبًا » ، رسولنا ، والذين آمنوا به فصدقوه على ما جاءهم به من عند ربهم ، مع شعيب من عذابنا الذى بعثنا على قومه = « برحمة منا » ، له ولمن آمن به واتبعه على ما جاءهم به من عند ربهم = وأخذت الذين ظلموا صيحة من السماء أخمدتهم ، فأهلكتهم بكفرهم بربهم .[1] وقيل إن جبريل عليه السلام صاح بهم صَيحةً أخرجت أرواحهم من أجسامهم = « فأصبحوا فى ديارهم جاثمين » ، على ركبهم ، وصرعى بأفنيتهم .[2] ٦٦/١٢

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ (٩٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : كأن لم يعش قوم شعيب الذين أهلكهم الله بعذابه ، حين أصبحوا جاثمين فى ديارهم قبل ذلك ، ولم يغنوا .

* * *

= من قولهم : « غنيت بمكان كذا » ، إذا أقمت به ،[3] ومنه قول النابغة :

* * *

(١) انظر تفسير « الصيحة » فيما سلف ص : ٣٨٠ .
(٢) انظر تفسير « الجثوم » فيما سلف ص : ٣٨٠ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « غنى بكذا » فيما سلف ١٢ : ٥٦٩ ، ٥٧٠ / ١٥ : ٥٦ ، ٣٨١

غَنِيَتْ بِذَلِكَ إِذْ هُمُ لِي جِيرَةٌ مِنْهَا بِعَطْفِ رِسَالَةٍ وَتَوَدُّدِ (١)

وكما : –

١٨٥٢٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « كأن لم يغنوا فيها » ، قال يقول : كأن لم يعيشوا فيها .

١٨٥٢٩ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

١٨٥٣٠ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، مثله .

* * *

= وقوله : « ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود » ، يقول تعالى ذكره : ألا أبعد الله مدين من رحمته ، بإحلال نقمته بهم (٢) = « كما بعدت ثمود » ، يقول : كما بعدت من قبلهم ثمود من رحمته ، بإنزال سخطه بهم .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ ﴿٩٧﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولقد أرسلنا موسى بأدلتنا على توحيدنا ، وحجة تُبين لمن عاينها وتأملها بقلب صحيح (٣) أنها تدل على توحيد الله . وكذب

(١) مضى البيت وشرحه فيما سلف ص : ٥٦ .

(٢) انظر تفسير « البعد » فيما سلف ص : ٣٣٤ ، ٣٦٧ ، ٣٨١ .

(٣) انظر تفسير « السلطان فيما سلف ص : ١٤٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « مبين » فيما سلف من فهارس اللغة (بين) .

كل من ادّعى الربوبية دونه ، وبُطُول قول من أشرك معه فى الألوهية غيره = « إلى فرعون وملئه » ، يعنى : إلى أشراف جنده وتُبَّاعه[1] = « فاتبعوا أمر فرعون » ، يقول : فكذب فرعون وملأه موسى ، وجحدوا وحدانية الله ، وأبوا قبول ما أتاهم به موسى من عند الله ، واتّبع ملأ فرعون أمرَ فرعون دون أمر الله ، وأطاعوه فى تكذيب موسى ، وردّ ما جاءهم به من عند الله عليه = يقول الله تعالى ذكره : « وما أمر فرعون برشيد » ، يعنى : أنه لا يُرْشد أمر فرعون من قَبِله منه ، فى تكذيب موسى ، إلى خير ،[2] ولا يهديه إلى صلاح ، بل يورده نار جهنم .[3]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ (٩٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « يقدم » فرعون = « قومه يوم القيامة » ، يقودهم ، فيمضى بهم إلى النار ، حتى يوردهموها ، ويصليهم سعيرها = « وبئس الورد » ، يقول : وبئس الورد الذى يردونه .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٥٣١ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « يقدم قومه يوم القيامة » ، قال : فرعون ، يقدم قومَه يوم القيامة ، يمضى بين أيديهم ، حتى يهجُمَ بهم على النار .

---

(١) انظر تفسير « الملأ » فيما سلف ص : ٣١٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) فى المطبوعة حذف قوله : « منه » ، فأفسد الكلام إفساداً .

(٣) انظر تفسير « رشيد » فيما سلف ص : ٤٥٠ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

١٨٥٣٢ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة : « يقدم قومه يوم القيامة » . يقول : يقود قومه = « فأوردهم النار » .

١٨٥٣٣ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس قوله : « يقدم قومه يوم القيامة » ، يقول : أضلّهم فأوردهم النار .

١٨٥٣٤ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عمن سمع ابن عباس يقول في قوله : « فأوردهم النار » ، قال : « الورد » ، الدُّخول .

١٨٥٣٥ – حدثت عن الحسين قال، سمعت أبا معاذ يقول ، حدثنا عبيد ابن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « فأوردهم النار » ، كان ابن عباس يقول : « الورد » في القرآن أربعةُ أوراد : في « هود » قوله : « وبئس الورد المورود » = وفي « مريم » : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا ﴾ ، [سورة مريم : ٧١] ، وورد في « الأنبياء » : ﴿ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ ، [سورة الأنبياء : ٩٨] ، وورد في « مريم » أيضًا : ﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ ، [سورة مريم : ٨٦] . كان ابن عباس يقول : كل هذا الدخول . والله ليردنّ جهنم كل برّ وفاجر : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ ، [سورة مريم : ٧٢] .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴾ (٩٩)

قال أبو جعفر : يقول الله تعالى ذكره : وأتبعهم الله في هذه = يعني في هذه الدنيا = مع العذاب الذي عجله لهم فيها ، من الغرق في البحر ، لعنتَه[1] = « ويوم

(١) انظر تفسير « اللعنة » فيما سلف ١٢ : ٤٤٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

القيامة » ، يقول : وفى يوم القيامة أيضاً يلعنون لعنةً أخرى ، كما : —

١٨٥٣٦ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد ابن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بزة ، عن مجاهد : « وأتبعوا فى هذه لعنة ويوم القيامة » ، قال : لعنةً أخرى .

١٨٥٣٧ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وأتبعوا فى هذه لعنة ويوم القيامة » ، ٦٧/١٢
قال : زيدوا بلعنته لعنةً أخرى ، فتلك لعنتان .

١٨٥٣٨ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد: « وأتبعوا فى هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود »، اللعنةُ فى إثر اللعنة .

١٨٥٣٩ — . . . . قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « وأتبعوا فى هذه لعنة ويوم القيامة » ، قال : زيدوا لعنة أخرى ، فتلك لعنتان .

١٨٥٤٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « فى هذه » ، قال : فى الدنيا = « ويوم القيامة » ، أردفوا بلعنة أخرى ، زيدوها ، فتلك لعنتان .

* * *

وقوله : « بئس الرفد المرفود » ، يقول : بئس العَوْن المُعان، اللعنةُ المزيدة فيها أخرى مثلها .[1]

* * *

وأصل « الرفد » ، العون، يقال منه : « رفَد فلانٌ فلاناً عند الأمير يَرفِده رِفْداً » بكسر الراء = وإذا فتحت ، فهو السَّقْى فى القَدَح العظيم ، و « الرِّفد »

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « أخرى منها » ، وكأن الصواب ما أثبت .

القدحُ الضخم ، ومنه قول الأعشى :

رُبَّ رَفْدٍ هَرَقْتَهُ ذٰلِكَ الْيَوْ مَ وَأَسْرَى مِنْ مَعْشَرٍ أَقْتَالِ (١)

ويقال : « رَفد فلان حائطه » ، وذلك إذا أسنده بخشبة ، لئلا يسقط . و« الرَّفد » ، بفتح الراء المصدر . يقال منه : « رَفَده يَرفِده رَفْداً » ، « والرِّفْد » اسم الشيء الذى يعطاه الإنسان ، وهو « المَرْفَد » .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٥٤١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « بئس الرفد المرفود » ، قال : لعنة الدنيا والآخرة .

١٨٥٤٢ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « بئس الرفد المرفود » ، قال : لعنهم الله فى الدنيا ، وزيد لهم فيها اللعنة فى الآخرة .

١٨٥٤٣ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « ويوم القيامة بئس الرفد المرفود » ، قال : لعنة فى الدنيا ، وزيدوا فيها لعنةً فى الآخرة .

١٨٥٤٤ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة :

---

(١) ديوانه : ١٣ ، من قصيدة طويلة من جياد شعره ، يمدح فيها الأسود بن المنذر اللخمى أخا النعمان بن المنذر ، الملك . وكان الأسود غزا الحليفين أسداً وذبيان ، ثم أغار على الطف ، فأصاب نعماً وأسرى وسبياً من سعد بن ضبيعة (رهط الأعشى) ، وكان الأعشى غائباً ، فلما قدم وجد الحى مباحاً ، فأتاه فأنشده ، وسأله أن يهب له الأسرى ويحملهم ، ففعل . يقول : رب رجل كانت له إبل يحلبها فى قدح له ولعياله ، فاستقت الإبل ، وذهب ما كان يحلبه فى الرفد ، فكذلك هرقت ما حلب . و« الأقتال » جمع « قتل » (بكسر فسكون) . و« القتل » ، القرن من الأعداء ، وهو أيضاً : المثل والنظير . وقال الأصمعى فى شرح البيت وقد نقلت ما سلف من شرح ديوانه : « أقتال » ، أشباه غير أعداء .

وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « أقيال » ، وهو هنا خطأ .

« وأتبعوا فى هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود » ، يقول : ترادفت عليهم اللعنتان من الله ، لعنة فى الدنيا ، ولعنة فى الآخرة .

١٨٥٤٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو خالد ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : أصابتهم لعنتان فى الدنيا ، رَفَدت إحداهما الأخرى ، وهو قوله : « ويوم القيامة بئس الرفد المرفود » .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ (١٠٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : هذا القصص الذى ذكرناه لكَ فى هذه السورة ، والنبأ الذى أنبأناكه فيها ، من أخبار القرى التى أهلكنا أهلها بكفرهم بالله ،[1] وتكذيبهم رسله = « نقصه عليك » ، فنخبرك به [2] = « منها قائم » ، يقول : منها قائمٌ بنيانه ، بائدٌ أهله هالك ،[3] ومنها قائم بنيانه عامر ، ومنها حصيدٌ بنيانه ، خرابٌ متداعٍ ، قد تعفى أثرُه دارسٌ .

* * *

من قولهم : « زرع حصيد » ، إذا كان قد استؤصل قطعه ، وإنما هو « محصود » ، ولكنه صرف إلى « فعيل » ،[4] كما قد بينا فى نظائره .[5]

* * *

(١) انظر تفسير « النبأ » فيما سلف من فهارس اللغة (نبأ) .

(٢) انظر تفسير « القصص » فيما سلف ٩ : ٤٠٢ / ١١ : ٣٩٩ / ١٢ : ١٢٠ ، ٣٠٧ ، ٤٠٦ / ١٣ : ٧ ، ٢٧٤ .

(٣) فى المطبوعة : « بائد بأهله » ، والصواب من المخطوطة ، وزدت « قائم » قبل قوله : « بنيانه » ، وبذلك تستقيم الجملة وتساوى التى تليها .

(٤) انظر تفسير « حصيد » فيما سلف ص : ٥٦ .

(٥) انظر ما سلف من فهارس مباحث العربية والنحو وغيرهما .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٥٤٦ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ذلك من أنباء القرى نقصُّه عليك منها قائم وحصيد » ، يعنى بـ« القائم » قُرًى عامرة، و « الحصيد » قرى خامدة .

١٨٥٤٧ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « قائم وحصيد » ، قال: « قائم » ، على عروشها = و« حصيد» مستأصَلة .

١٨٥٤٨ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « منها قائم » ، يرى مكانه = « وحصيد » ، لا يرى له أثر .

١٨٥٤٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « منها قائم » ، قال : خاوٍ على عروشه = « وحصيد » ، ملزقٌ بالأرض .

١٨٥٥٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبيد الله ، عن سفيان ، عن الأعمش : « منها قائم وحصيد » ، قال : خرَّ بنيانه .

١٨٥٥١ – حدثنا الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش : « منها قائم وحصيد » ، قال : « الحصيد » ، ما قد خرَّ بنيانه .

١٨٥٥٢ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « منها قائم وحصيد » ، منها قائم يرى أثره ، وحصيدٌ بَادَ لا يرى أثره .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ (١٠١) ٦٨/١٢

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وما عاقبنا أهل هذه القرى التى اقتصَصنا نبأها عليك ، يا محمد ، بغير استحقاق منهم عقوبتنا ، فنكون بذلك قد وضعنا عقوبتناهُمْ فى غير موضعها = « ولكن ظلموا أنفسهم » ، يقول : ولكنهم أوجبوا لأنفسهم بمعصيتهم الله وكفرهم به ، عقوبتَه وعذابه ، فأحلوا بها ما لم يكن لهم أن يحلوه بها ، وأوجبوا لها ما لم يكن لهم أن يوجبوه لها = « فما أغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شىء » ، يقول : فما دفعت عنهم آلهتهم التى يدعونها من دون الله ،[1] ويدعونها أرباباً ، من عقاب الله وعذابه إذا أحله بهم ربُّهم من شىء ، ولا ردَّت عنهم شيئًا منه = « لما جاء أمر ربك » ، يا محمد ، يقول : لما جاء قضاء ربك بعذابهم ، فحقّ عليهم عقابه ، ونزل بهم سَخَطه = « وما زادوهم غير تتبيب » ، يقول : وما زادتهم آلهتهم ، عند مجىء أمر ربك هؤلاء المشركين بعقاب الله ، غير تخسيرٍ وتدمير وإهلاك .

* * *

يقال منه : « تبَّبْتُه أتبِّبُه تَتْبيبًا » ، ومنه قولهم للرجل : « تَبًّا لك » ، قال جرير :

عَرَادَةُ مِنْ بَقِيَّةِ قَوْمِ لُوطٍ ... أَلَا تَبًّا لِمَا فَعَلُوا تَبَابَا[2]

* * *

(١) انظر تفسير « أغنى عنه » فيما سلف ص : ٢١٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) ديوانه : ٧٢ ، من قصيدته المشهورة فى هجاء الراعى النميرى ، وكان سببها أن « عرادة النميرى » ، وهو راوية الراعى كان نديماً للفرزدق ، فقدم الراعى البصرة ، فدعاه عرادة فأطعمه وسقاه وقال : فضل الفرزدق على جرير ! فأبى . فلما أخذ فيه الشراب ، لم يزل به حتى قال :

يا صَاحِبَىَّ دَنَا الرَّوَاحُ فَسِيرَا ... غَلَبَ الفَرَزْدَقُ فى الهِجَاءِ جريرَا

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٥٥٣ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا سعيد بن سلام أبو الحسن البصرى قال ، حدثنا سفيان ، عن نسير بن ذعلوق ، عن ابن عمر فى قوله : « وما زادوهم غير تتبيب » ، قال : غير تخسير . (١)

١٨٥٥٤ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « غير تتبيب » ، قال : تخسير .

١٨٥٥٥ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٨٥٥٦ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « غير تتبيب » ، يقول : غير تخسير .

١٨٥٥٧ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمدبن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « غير تتبيب » ، قال : غير تخسير .

* * *

فهاج الهجاء بينهما ، فكان مما ذكر به عرادة قوله :

أَتَانِى عَنْ عَرَادَةَ قَوْلُ سُوءٍ فَلَا وَأَبِى عَرَادَةَ مَا أَصَابَا
وَكَمْ لَكَ يا عَرَادَ مِنْ أُمِّ سَوْءٍ بِأَرْضِ الطَّلْحِ تَحْتَبِلُ الزَّبَابَا
عَرَادَةُ مِنْ بَقِيَّةِ قَوْمِ لُوطٍ . . . . . .
لَبِئْسَ الْكَسْبُ تَكْسِبُهُ تُمَيْرٌ إِذَا اسْتَأْنَوْكَ وَانْتَظَرُوا الإِيَابَا

وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « عرابة » ، وهو خطأ صرف .

(١) الأثر : ١٨٥٥٣ – « سعيد بن سلام ، أبو الحسن البصرى العطار الثورى الأعور » ، منكر الحديث ، كذاب يحدث عن الثورى ، لا يكتب حديثه ، مترجم فى الكبير ٢ / ١ / ٤٤١ ، وابن أبى حاتم ٢ / ١ / ٣١ ، ولسان الميزان ٣ : ٣١ ، وميزان الاعتدال ١ : ٣٨٢ .
و « نسير بن ذعلوق الثورى » ، ثقة ، مضى برقم : ٥٤٩١ ، ١٣٤٨٨ .

قال أبو جعفر : وهذا الخبر من الله تعالى ذكره ، وإن كان خبرًا عمَّن مَضَى من الأمم قبلنا ، فإنه وعيدٌ من الله جل ثناؤه لنا ، أيتها الأمة ، أنّا إن سلكنا سبيلَ الأمم قبلَنا فى الخلاف عليه وعلى رسوله ، سلك بنا سبيلهم فى العُقوبة = وإعلامٌ منه لنا أنه لا يظلم أحداً من خلقه ، وأن العباد هُم الذين يظلمون أنفسهم ، كما : —

١٨٥٥٨ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد قال : اعتذر = يعنى ربنا جل ثناؤه = إلى خلقه فقال : « وما ظلمناهم » ، مما ذكرنا لك من عذاب من عذبنا من الأمم = « ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم » ، حتى بلغ : « وما زادوهم غير تتبيب » ، قال : ما زادهم الذين كانوا يعبدونهم غير تتبيب .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (١٠٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وكما أخذت ، أيها الناس ، أهلَ هذه القرى التى اقتصصت عليك نبأ أهلها بما أخذتهم به من العذاب ، على خلافهم أمرى ، وتكذيبهم رسلى ، وجحودهم آياتى ، فكذلك أخذى القرَى وأهلها إذا أخذتُهم بعقابى ، وهم ظلمة لأنفسهم بكفرهم بالله ، وإشراكهم به غيره ، وتكذيبهم رسله = « إنَّ أخذه أليم » ، يقول : إن أخذ ربكم بالعقاب من أخذه = « أليم » ، يقول : موجع = « شديد » الإيجاع .

* * *

وهذا من الله تحذيرٌ لهذه الأمة ، [١] أن يسلكوا فى معصيته طريق من قبلهم من الأمم الفاجرة ، فيحل بهم ما حلَّ بهم من المثُلات ، كما :—

١٨٥٥٩ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو معاوية ، عن بريد بن أبى بردة ، عن أبيه ، عن أبى موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله يُمْلى= ورُبَّما ، قال: يمهل = الظالمَ ، حتى إذا أخذه لم يُفْلِتْه . ثم قرأ : « وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة » .[٢]

١٨٥٦٠ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : إن الله حذّر هذه الأمة سطوتَه ، بقوله : « وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد » .

* * *

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « وهذا أمر من الله تحذير . . . » ، والصواب حذف « أمر » ، وكذلك فعلت .

(٢) الأثر : ١٨٥٥٩ — « بريد بن بردة » ، هو « بريد بن عبد الله بن أبى بردة الأشعرى » ، يروى جده « أبى بردة » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢ / ١ / ١٤٠ ، وابن أبى حاتم ١ / ١ / ٤٢٦ .

وقوله « : عن أبيه » ، يعنى عن « أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى » ، وهو جده . وهذا الخبر رواه البخارى فى صحيحه (الفتح ٨ : ٢٦٧) ، ومسلم فى صحيحه ١٥ : ١٣٧ ، وابن ماجة فى سننه ص : ١٣٣٢ ، رقم : ٤٠١٨ ، والترمذى فى كتاب التفسير . وإسناد البخارى ومسلم : « بريدة بن أبى بردة ، عن أبيه » ، وإسناد بن ماجة « بريد بن عبد الله بن أبى بردة ، عن أبى بردة » وعند الترمذى عن أبى كريب عن أبى معاوية أيضاً ، وهو إسناد الطبرى : بريد بن عبد الله ، عن أبى بردة . وقد ذكر الحافظ ابن حجر ذلك فقال : « كذا وقع لأبى ذر ، ووقع لغيره : " عن أبى بردة " بدل : "عن أبيه" ، وهو أصوب ، لأن بريداً ، هو ابن عبد الله بن أبى بردة ، فأبو بردة جده لا أبوه ، ولكن يجوز إطلاق الأب عليه مجازاً » (الفتح ٨ : ٢٦٧) .

وقال الترمذى : « هذا حديث حسن صحيح غريب ، وقد روى أبو أسامة عن بريد ، نحوه وقال : يملى . حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهرى ، عن أبى أسامة ، عن بريد بن عبد الله ، عن جده أبى بردة ، عن أبى موسى ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، نحوه ، وقال : يملى ، ولم يشك فيه » .

وكان هنا فى المخطوطة والمطبوعة : « إن الله يملى = وربما أمهل ، قال يمهل » ، زاد « أمهل » ، فحذفتها ، لأنها زيادة لا شك فى خطئها .

« أملى له » أخره وأطال مدته ، من « الملاوة » ، وهى المدة من الزمن . و « لم يفلته » ، لم يطلقه ، ولم يخلصه من عقابه .

وكان عاصم الجحدرىّ يقرأ ذلك : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ ﴾ ، [1] وذلك قراءة لا أستجيز القراءة بها ، لخلافها مصاحف المسلمين ، وما عليه قرأة الأمصار .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ (١٠٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إن فى أخذنا من أخذنا من أهل القرى التى اقتصصنا خبرَها عليكم ، أيها الناس = « لآية » ، يقول : لعبرة وعظة [2] = لمن خاف عقاب الله وعذابه فى الآخرة من عباده ، وحجةً عليه لربه ، وزاجرًا يزجره عن أن يعصى الله ويخالفه فيما أمره ونهاه . ٦٩/١٢

* * *

وقيل : بل معنى ذلك : إن فيه عبرة لمن خاف عذاب الآخرة ، بأن الله سينى له بوَعْده .

---

(١) كان فى المطبوعة : « وكذلك أخذ ربك إذ أخذ القرى » وفى المخطوطة : « وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى » ، والذى فى المخطوطة ، هو نفس التلاوة ، ولذلك جعل الناشر « إذ » مكان « إذا » .
ولكنى لما رأيت أبا جعفر ذكر خلافه لمصاحف المسلمين وكان فى المخطوطة : « إذا » قدرت أنه الذى أثبت ، وهى قراءة شاذة ، رويت عن عاصم الجحدرى ، وعن نافع (انظر القراءات الشاذه ، لابن خالويه : ٦١) .
وقرأ عاصم وطلحة بن مصرف : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذْ أَخَذَ الْقُرَى ﴾
وقرأ عاصم أيضاً : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذْ أَخَذَ الْقُرَى ﴾
فهى ثلاث قراءات عن عاصم الجحدرى ، أثبت أشدها خلافا لمصاحف المسلمين ، وما عليه قرأة الأمصار .

(٢) انظر تفسير « آية » فيما سلف من فهارس اللغة (أيى) .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٥٦١ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب، قال ابن زيد في قوله : « إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة » ، إنا سوف نفي لهم بما وعدناهم في الآخرة ، كما وفينا للأنبياء : أنّا ننصرهم .

* * *

وقوله : « ذلك يوم مجموع له الناس » ، يقول تعالى ذكره : هذا اليوم = يعني يوم القيامة = « يوم مجموع له الناس » ، يقول : يحشر الله له الناس من قبورهم ، فيجمعهم فيه للجزاء والثواب والعقاب = « وذلك يوم مشهود » ، يقول : وهو يوم تَشهده الخلائق ، لا يتخلّف منهم أحدٌ ، فينتقم حينئذ ممن عصى الله وخالف أمره وكذّب رُسُلَه .

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٥٦٢ – حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن مجاهد في قوله : « ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود » ، قال: يوم القيامة .

١٨٥٦٣ – حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن عكرمة ، مثله .

١٨٥٦٤ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي = ، عن شعبة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف المكي ، عن ابن عباس قال : « الشاهد » ، محمد = « والمشهود » ، يوم القيامة . ثم قرأ : « ذلك يوم مجموعٌ له الناس وذلك يوم مشهود » .

١٨٥٦٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا حماد، عن علي بن زيد ، عن ابن عباس قال: « الشاهد »، محمد = و« المشهود » يوم القيامة . ثم تلا هذه الآية : « ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود » .

١٨٥٦٦ – حدثت عن المسيب، عن جويبر، عن الضحاك قوله : « ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود » ، قال : ذلك يوم القيامة ، يجتمع فيه الخلق كلهم ، ويشهدُه أهل السماء وأهل الأرض .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴾ (١٠٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وما نؤخّر يوم القيامة عنكم أن نجيئكم به إلاّ لأن يُقْضَى ، فقضى له أجلاً فعدّه وأحصاه ، فلا يأتى إلا لأجله ذلك ، لا يتقدم مجيئه قبل ذلك ولا يتأخر .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ (١٠٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : يوم يأتى يوم القيامة ، أيها الناس ، وتقوم الساعة ، لا تكلّم نفس إلاّ باذن ربّها .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « يوم يأتى » .

فقرأ ذلك عامّة قرأة أهل المدينة بإثبات الياء فيها : ﴿ يَوْمَ يَأْتِى لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ ﴾ .

وقرأ ذلك بعض قرأة أهل البصرة وبعض الكوفيين بإثبات الياء فيها فى الوصل وحذفها فى الوقف .

وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة بحذف الياء فى الوصل والوقف : ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك عندى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِ ﴾ بحذف الياء فى الوصل والوقف ، اتباعًا لخطّ المصحف ، وأنها لغة معروفة لهذيل ، تقول : « مَا أدْرِ مَا تَقول » ، ومنه قول الشاعر :(١)

كَمَّاكَ كَفٌّ مَا تُلِيقُ دِرْهَمَا جُوداً وأُخْرَى تُعْطِ بالسَّيْفِ الدَّمَا(٢)

* * *

وقيل : « لاتكلم » ، وإنما هى : « لاتتكلم » ، فحذف إحدى التاءين ، اجتزاء بدلالة الباقية منهما عليها .

* * *

وقوله : « فمنهم شقىّ وسعيد » ، يقول : فمن هذه النفوس التى لا تكلم يوم القيامة إلا بإذن ربها ، شقىٌّ وسعيد = وعاد على « النفس » ، وهى فى اللفظ واحدة ، بذكر الجميع فى قوله : « فمنهم شقى وسعيد » .

* * *

يقول تعالى ذكره : « فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير » = وهو أوّل نهُاق الحمار وشبهه = « وشهيق » ، وهو آخر نهيقه إذا ردّده فى الجوف عند فراغه من نهُاقه ، كما قال رؤبة بن العجاج :

حَشْرَجَ فِى الجَوْفِ سَحِيلاً أَوْ شَهَقْ حَتَّى يُقَالَ نَاهِقٌ وَمَا نَهَقْ(٣)

* * *

(١) لم أعرف قائله .

(٢) معانى القرآن للفراء فى تفسير الآية ، اللسان (ليق) ، يقال : « ما يليق بكفه درهم » (بفتح الياء) أى : ما يحتبس = و « ما يلقيه هو » ، أى : ما يحبسه .

(٣) ديوانه : ١٠٦ ، واللسان (حشرج) ، وسيأتى فى التفسير ٢٩ : ٤ (بولاق) ، من

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٥٦٧ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « لهم فيها زفير وشهيق » ، يقول : صوت شديدٌ ، وصوت ضعيف . ٧٠/١٢

١٨٥٦٨ – . . . . قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن أبى العالية فى قوله : « لهم فيها زفير وشهيق » ، قال : « الزفير » ، فى الحلق = و « الشهيق » ، فى الصدر .

١٨٥٦٩ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية ، بنحوه .

١٨٥٧٠ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة قال : صوت الكافر فى النار صوت الحمار ، أوّله زفير وآخره شهيق .

١٨٥٧١ – حدثنا أبو هشام الرفاعى ، ومحمد بن معمر البحرانى ، ومحمد ابن المثنى ، ومحمد بن بشار قالوا ، حدثنا أبو عامر قال ، حدثنا سليمان بن سفيان قال ، حدثنا عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، عن عمر قال : لما نزلت هذه الآية : « فمنهم شقىّ وسعيد » ، سألت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت : يا نبى الله ، فعلام عَمَلُنا ؟ على شىء قد فرغ منه ، أم على شىء لم يفرغ منه ؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : على شىء قد فُرِغ منه ، يا عمر ، وجرت

طويلته المشهوره ، يصف فيها حمار الوحش ، وبعده :

كَأَنَّهُ مُسْتَنْشِقٌ مِن الشَّرَقْ خُرًّا من الخَرْدَلِ مَكْرُوهَ النَّشَقْ

و « حشرج » ردد الصوت فى حلقه ولم يخرجه . و « السحيل » ، الصوت الذى يدور فى صدر الحمار فى نهيقه .

به الأقلام ، ولكن كلٌّ مُيَسَّر لما خُلق له = اللفظ لحديث ابن معمر .[١]

* * *

وقوله : « خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلاّ ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد » ، يعنى تعالى ذكره بقوله : « خالدين فيها » ، لابثين فيها[٢] = ويعنى بقوله : « ما دامت السموات والأرض » ، أبداً .[٣]

* * *

وذلك أن العرب إذا أرادت أن تصف الشيء بالدوام أبداً قالت : « هذا دائم دوامَ السموات والأرض » ، بمعنى : أنه دائم أبداً . وكذلك يقولون : « هو باقٍ ما اختلف الليلُ والنهار » ، و « ما سمر ابنَا سَمِير » ، و « ما لألأت العُفْرُ بأذنابها » ، يعنون بذلك كله : « أبداً » . فخاطبهم جل ثناؤه بما يتعارفون به بينهم ، فقال : « خالدين فيها ما دامت السموات والأرض » ، والمعنى فى ذلك : خالدين فيها أبداً .

* * *

وكان ابن زيد يقول فى ذلك بنحو ما قلنا فيه .

١٨٥٧٢ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « خالدين فيها ما دامت السموات والأرض » ، قال : ما دامت الأرض أرضًا والسماءُ سماءً .

* * *

ثم قال : « إلا ما شاء ربك » ، واختلف أهل العلم والتأويل فى معنى ذلك .

فقال بعضهم : هذا استثناءٌ استثناه الله فى أهل التوحيد ، أنه يخرجهم من النار إذا شاء ، بعد أن أدخلهم النار .

---

(١) الأثر : ١٨٥٧١ « سليمان بن سفيان التيمى » ، ضعيف ، منكر الحديث ، يروى عن الثقات أحاديث مناكير . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢ / ٢ / ١٨ ، وابن أبى حاتم ٢ / ١ / ١١٩ ، وميزان الاعتدال ١ : ٤١٥ .

وهذا خبر ضعيف الإسناد ، ذكره ابن كثير فى تفسيره ٤ ٣٩٥ ، عن مسند أبى يعلى ، وذكره الحافظ الذهبى فى الميزان ، بإسناده ، عن أبى عامر العقدى . لكن معنى الخبر له شواهد فى الصحيح .

(٢) انظر تفسير « الخلود » فيما سلف من فهارس اللغة (خلد) .

(٣) انظر تفسير « ما دام » ١٠ : ١٨٥ / ١١ : ٧٤ ، ٢٣٨ .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٥٧٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة فى قوله : « فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلاّ ما شاء ربك » ، قال : الله أعلم بثُنيَاه .[١] وذكر لنا أن ناسًا يصيبهم سَفْعٌ من النار بذنوب أصابوها ،[٢] ثم يدخلهم الجنة .

١٨٥٧٤ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك » ، والله أعلم بثَنيَّته .[٣] ذكر لنا أن ناسًا يصيبهم سَفْعٌ من النار بذنوب أصابتهم ، ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته ، يقال لهم : « الجهنَّميُّون » .

١٨٥٧٥ – حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا شيبان بن فروخ قال ، حدثنا أبو هلال قال ، حدثنا قتادة ، وتلا هذه الآية : « فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق » ، إلى قوله : « لما يريد » ، فقال عند ذلك : حدثنا أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يَخْرج قومٌ من النار = قال قتادة : ولا نقول مثل ما يقول أهل حَرُوراء .[٤]

١٨٥٧٦ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يعقوب ، عن أبى مالك = يعنى ثعلبة = عن أبى سنان فى قوله : « فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلاّ ما شاء ربك » ، قال : استثناء فى أهل التوحيد .

١٨٥٧٧ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن

---

(١) « الثنيا » (بضم فسكون) و « الثنية » ، على وزن (فعيلة) ، و « المثنوية » ، كله الاستثناء .

(٢) « سفعته النار والشمس سفعاً » ، لفحته لفحاً يسيراً ، فغيرت لون بشرته وسودته .

(٣) انظر التعليق رقم : ١ .

(٤) « أهل حروراء » ، هم الخوارج ، يقولون إن صاحب الكبيرة مخلد فى النار ، لأنهم يكفرون أهل الكبائر .

معمر ، عن الضحاك بن مزاحم : « فأما الذين شقوا فى النار » ، إلى قوله : « خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك » ، قال : يخرج قومٌ من النار فيدخلون الجنة ، فهم الذين استثنى لهم .

١٨٥٧٨ - حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن عامر بن جَشيب ، عن خالد بن معدان فى قوله: ﴿لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ ، [سورة النبأ: ٢٣] ، وقوله: « خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك » ، أنهما فى أهل التوحيد .(١)

* * *

وقال آخرون : الاستثناء فى هذه الآية فى أهل التوحيد = إلا أنهم قالوا : معنى قوله : « إلا ما شاء ربك » ، إلا أن يشاء ربك أن يتجاوز عنهم فلا يدخلهم النار = ووجَّهوا الاستثناء إلى أنه من قوله : « فأما الذين شقوا فى النار » = « إلا ما شاء ربك » ، لا من « الخلود » . ١٢/١٧

* ذكر من قال ذلك

١٨٥٧٩ - حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، حدثنا ابن التيمى ، عن أبيه ، عن أبى نضرة ، عن جابر = أو : أبى سعيد ، يعنى الخدرى = أو : عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم = فى قوله : « إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد » ، قال : هذه الآية تأتى على القرآن كلِّه . يقول : حيث كان فى القرآن « خالدين فيها » ، تأتى عليه = قال : وسمعت أبا مجلز يقول : هو جزاؤه ، فإن شاء الله تجاوزَ عن عذابه .

* * *

وقال آخرون : عنى بذلك أهلَ النار وكلَّ من دخلها .

---

(١) الأثر : ١٨٥٧٨ - « عامر بن جشيب الحمصى » ، روى عن أبى أمامة ، وخالد بن معدان ، وغيرهما . ثقة . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣ / ١ / ٣١٩ . وكان فى المطبوعة : « جشب » ، وهو خطأ ، والمخطوطة كما أثبت إلا أنها غير منقوطة .

وهذا الخبر سيأتى فى التفسير ٣٠ : ٨ ، ٩ ، (بولاق) فى تفسير سورة « النبأ » .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٥٨٠ – حدثت عن المسيب، عمن ذكره، عن ابن عباس : « خالدين فيها ما دامت السموات والأرض » ، لا يموتون ولا هم منها يخرجون = « ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك » ، قال : استثناءُ الله . قال : يأمر النار أن تأكلهم . قال: وقال ابن مسعود : ليأتين على جهنَّم زمان تخفِقُ أبوابهُا، ليس فيها أحد ، وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابًا .

١٨٥٨١ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن بيان ، عن الشعبي قال : جهنم أسرع الدارين عمرانًا ، وأسرعهما خرابًا .

* * *

وقال آخرون : أخبرنا الله بمشيئته لأهل الجنة ، فعرَّفنا معنى ثُنْياه بقوله : « عطاء غير مجذوذ » ، أنها فى الزيادة على مقدار مدَّة السموات والأرض . قال : ولم يخبرنا بمشيئته فى أهل النار . وجائز أن تكون مشيئته فى الزيادة ، وجائز أن تكونَ فى النقصان .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٥٨٢ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلاَّ ما شاء ربك » . فقرأ حتى بلغ : « عطاء غير مجذوذ » ، قال : وأخبرنا بالذى يشاء لأهل الجنة ، فقال : « عطاء غير مجذوذ » ، ولم يخبرنا بالذى يشاء لأهل النار .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال فى تأويل هذه الآية بالصواب، القولُ الذى ذكرنا عن قتادة والضحاك : من أن ذلك استثناء فى أهل التوحيد من أهل الكبائر ، أنه يدخلهم النار خالدين فيها أبدًا ، إلا ما شاءَ من تركهم فيها أقلَّ من ذلك ، ثم يخرجهم فيدخلهم الجنة ، كما قد بينا فى غير هذا الموضع ،(١)

(١) فى المطبوعة : « كذا قد بينا » ، وهو كلام غث ، ورطه فيه سوء كتابة الناسخ .

بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[١]

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصحة فى ذلك ، لأن الله جل ثناؤه أوعد أهل الشرك به الخلود فى النار ، وتظاهرت بذلك الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فغير جائز أن يكون استثناءً فى أهل الشرك = وأن الأخبار قد تواترت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله يدخل قومًا من أهل الإيمان به بذنوبٍ أصابوها النارَ ، ثم يخرجهم منها فيدخلهم الجنة ، فغير جائز أن يكون ذلك استثناء فى أهل التوحيد قبل دُخُولها ، مع صحة الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذكرنا = وأنّا إن جعلناه استثناءً فى ذلك ، كنا قد دخلنا فى قول من يقول : « لا يدخل الجنّة فاسق ، ولا النار مؤمن » ، وذلك خلاف مذاهب أهل العلم ، وما جاءت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فإذا فسدهذان الوجهان ، فلا قول قال به القُدْوة من أهل العلم إلاّ الثالث .

* * *

ولأهل العربية فى ذلك مذهبٌ غير ذلك ، سنذكره بعدُ ونبينه إن شاء الله .[٢]

* * *

وقوله : « إن ربك فعال لما يريد » ، يقول تعالى ذكره : إن ربك ، يا محمد ، لا يمنعه مانع من فعل ما أراد فعله بمن عصاه وخالف أمره ، من الانتقام منه ، ولكنه يفعل ما يشاء فعلَه ، فيمضى فيهم وفيمن شاء من خلقه فعلُه وقضاؤهُ .[٣]

* * *

---

(١) غاب عن مكانه ، فمن وجده فليثبته .

(٢) انظر ما سيأتى ص : ٤٨٧ — ٤٨٩

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « ولكنه يفعل ما يشاء ، فيمضى فعله فيهم وفيمن شاء من خلقه فعله وقضاؤه » ، وهو غير مستقيم ، والآفة من الناسخ ، والصواب ما أثبت ، بتقديم « فعله » الأولى .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ (١٠٨)

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة المدينة والحجاز والبصرة وبعض الكوفيين : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا﴾، بفتح السين .

* * *

وقرأ ذلك جماعة من قرأة الكوفة : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا﴾، بضم السين ، بمعنى : رُزِقوا السعادة .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك ، أنهما قراءتان معروفتان ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيبٌ الصوابَ .

* * *

فإن قال قائل : وكيف قيل « سُعِدُوا » ، فيما لم يسمَّ فاعله ، ولم يقل : « أسعدوا » ، وأنت لا تقول فى الخبر فيما سُمِّى فاعله : « سعده الله » ، بل إنما تقول : « أسعده الله » ؟

قيل ذلك نظير قولهم : « هو مجنون » ، و « محبوب » ،[1] فيما لم يسمَّ فاعله ، فإذا سموا فاعله قيل : « أجنه الله » ، و « أحبه » ، والعرب تفعل ذلك كثيرًا.

٧٢/١٢ وقد بينا بعض ذلك فيما مضى من كتابنا هذا .[2]

* * *

وتأويل ذلك : وأما الذين سُعدوا برحمة الله فهم فى الجنة خالدين فيها ما دامت

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « هو مجنون ، محبوب » ، والأجود الفصل بالواو .

(٢) غاب أيضاً عن مكانه ، فمن وجده فليقيده .

السموات والأرض ، يقول : أبداً = « إلاّ ما شاء ربك » .

* * *

فاختلف أهل التأويل فى معنى ذلك .

فقال بعضهم : « إلا ما شاء ربك » ، من قدر ما مكثوا فى النار قبل دخُولهم الجنة . قالوا : وذلك فيمن أخرج من النار من المؤمنين فأدخل الجنة .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٥٨٣ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الضحاك فى قوله : « وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك » ، قال : هو أيضًا فى الذين يخرجون من النار فيدخلون الجنة . يقول : خالدين فى الجنة ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك . يقول : إلاّ ما مكثوا فى النار حتى أدخلوا الجنة .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : « إلا ما شاء ربك » ، من الزيادة على قدر مُدّة دوام السموات والأرض . قالوا : وذلك هو الخلود فيها أبداً .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٥٨٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يعقوب ، عن أبى مالك = يعنى ثعلبة = عن أبى سنان : « وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك » ، قال : ومشيئته خلودهم فيها ، ثم أتبعها فقال : « عطاء غير مجذوذ » .

* * *

واختلف أهل العربية فى وجه الاستثناء فى هذا الموضع .

فقال بعضهم : فى ذلك معنيان :

أحدهما : أن يجعله استثناءً يستثنيه ولا يفعله ، كقولك : « والله لأضربنّك

إلاّ أن أرى غير ذلك » ، وعزمُك على ضربه .[١] قال : فكذلك قال : « خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك » ، ولا يشاؤه ، [وهو أعلم] .[٢]

قال : والقول الآخر أنّ العرب إذا استثنت شيئًا كثيرًا مع مثله ، أو مع ما هو أكثر منه ،[٣] كان معنى « إلا » ومعنى « الواو » سواء . فمن كان قوله : « خالدين فيها ما دامت السموات والأرض » = سوى ما شاء الله من زيادة الخلود ، فيجعل « إلا » مكان « سوى » ، فيصلح ، وكأنه قال : « خالدين فيها ما دامت السموات والأرض سوى ما زادهم من الخلود والأبد » ، ومثله فى الكلام أن تقول : لى عليك ألف إلاّ ألفين اللذين [مِنْ قِبَل فلان » ، أفلا ترى أنه فى المعنى : لى عليك ألفٌ سِوَى الألفين] ؟[٤] قال : وهذا أحبُّ الوجهين إلىّ ، لأنّ الله لا خُلْفَ لوعده .[٥] وقد وصل الاستثناء بقوله : « عطاء غير مجذود » ، فدلّ على أن الاستثناء لهم فى الخلود غير منقطعٍ عنهم .

* * *

وقال آخر منهم بنحو هذا القول . وقالوا : جائزٌ فيه وجه ثالثٌ : وهو أن يكون استثنى من خلودهم فى الجنة ، احتباسهم عنها ما بين الموت والبعث ، وهو البرزخ ، إلى أن يصيرُوا إلى الجنة ، ثم هو خلود الأبد . يقول : فلم يغيبوا عن الجنة إلاّ بقدر إقامتهم فى البرْزَخ .

* * *

وقال آخر منهم : جائزٌ أن يكون دوام السموات والأرض ، بمعنى : الأبد ، على ما تعرف العرب وتستعمل ، وتستثنى المشيئة من دوامها ، لأنّ أهل

---

(١) فى معانى القرآن للفراء : « وعزيمتك على ضربه » ، وهذا نص كلام الفراء .

(٢) الزيادة بين القوسين من معانى القرآن للفراء .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « ومع ما هو أكثر منه » ، والصواب من معانى القرآن : « أو مع .. » .

(٤) كان فى المطبوعة والمخطوطة : « إلا الألفين اللذين قبله » ، وليس فيهما بقية ما أثبت ، وهو كلام مبهم ، نقلت سائره ، وزدته بين القوسين من معانى القرآن للفراء ، فهذا نص كلامه .

(٥) فى المطبوعة : « لا خلف لوعده » ، وفى المخطوطة : « لا مخلف لوعده » ، والصواب من معانى القرآن .

الجنة وأهل النار قد كانوا فى وقتٍ من أوقاتِ دوام السموات والأرض فى الدنيا ، لا فى الجنة ، فكأنه قال : خالدين فى الجنة ، وخالدين فى النار ، دوامَ السماء والأرض، إلاّ ما شاء ربُّك من تعميرهم فى الدنيا قبلَ ذلك .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب ، القولُ الذى ذكرته عن الضحاك وهو : « وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك »، من قدر مُكْثِهم فى النار ، من لدن دَخَلوها، إلى أن أدخلوا الجنة = وتكون الآية معناها الخصوص ، لأن الأشهر من كلام العرب فى « إلا » توجيهها إلى معنى الاستثناء ، وإخراج معنى ما بعدها مما قبلها ، إلا أن يكون معها دلالةٌ تدلُّ على خلاف ذلك . ولا دلالة فى الكلام = أعنى فى قوله : « إلا ما شاء ربك » = تدلُّ على أن معناها غير معنى الاستثناء المفهوم فى الكلام، فيُوَجَّه إليه .

* * *

وأما قوله : « عطاء غير مجذوذ » ، فإنه يعنى : عطاءً من الله غيرَ مقطوع عنهم .

* * *

من قولهم : « جذذت الشىء أجذّه جذًّا » ، إذا قطعته ، كما قال النابغة :[1]

تَجُذّ السَّلُوقِىَّ المُضَاعَفَ نَسْجُهُ وَيُوقِدْنَ بِالصُّفَّاحِ نَارَ الحُبَاحِبِ[2]

---

(١) فى المخطوطة : « كما قال الشاعر النابغة » ، وهى زيادة لا تجدى .

(٢) ديوانه : ٤٤ ، واللسان (حبحب) ، (سلق) ، (صفح) ، من قصيدته المشهورة ، يقول فيه قبله ، فى صفة سيوف الغسانيين ، وذلك فى مدحه عمرو بن الحارث الأعرج :

ولاَ عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ
تُوُرِّثْنَ مِنْ أَزْمَانِ يَوْمِ حَلِيمَةٍ إلى اليَوْمِ،قَدْجُرِّبْنَ كُلَّ التَّجَارِبِ
تَقُدُّ السَّلُوقِىَّ . . . . . .

يعنى بقوله : « تجذ » ، تقطع .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٥٨٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك : « عطاء غير مجذوذ » ، قال : غير مقطوع .

١٨٥٨٦ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « عطاء غير مجذوذ » ، يقول : غير منقطع .

١٨٥٨٧ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « عطاء غير مجذوذ » ، يقول : عطاء غير مقطوع . ٧٣/١٢

١٨٥٨٨ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « مجذوذ » ، قال: مقطوع .

١٨٥٨٩ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « عطاء غير مجذوذ » ، قال : غير مقطوع .

١٨٥٩٠ – . . . . قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٨٥٩١ – . . . . قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله ، عن أبيه، عن الربيع ، عن أبى العالية ، مثله .

١٨٥٩٢ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج، عن

وهذه رواية الديوان . و « السلوق » ، الدروع ، منسوبة إلى « سلوق » ، وهى مدينة . و « الصفاح » حجارة عراض . و « نار الحباحب » ، الشرر الذى يسقط من الزناد . ورواية الديوان : « وتوقد بالصفاح » ، وهما سواء .

ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

١٨٥٩٣ — . . . . قال ، حدثني حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ابن أنس ، عن أبي العالية ، قوله : « عطاء غير مجذوذ » ، قال : أما هذه فقد أمضاها . يقول : عطاء غير منقطع .

١٨٥٩٤ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « عطاء غير مجذوذ » ، غير منزُوعٍ منهم .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ (١٠٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فلا تَكُ في شك ، يا محمد ، مما يعبد هؤلاء المشركون من قومك من الآلهة والأصنام ،[1] أنه ضلالٌ وباطلٌ ، وأنه بالله شركٌ = « ما يعبد هؤلاء إلا كما يعبد آباؤهم من قبل » ، يقول : إلا كعبادة آبائهم ، من قبل عبادتهم لها . يُخبر تعالى ذكره أنهم لم يعبدُوا ما عبدوا من الأوثان ، إلا اتباعًا منهم منهاجَ آبائهم ، واقتفاءً منهم آثارهم في عبادتهموها ، لا عن أمر الله إياهم بذلك ، ولا بحجة تبيَّنوها توجب عليهم عبادتها .

ثم أخبر جل ثناؤه نبيَّه ما هو فاعل بهم لعبادتهم ذلك ، فقال جل ثناؤه : « وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص » ، يعني : حظهم مما وعدتهم أن أوفّيهموه من

---

(١) انظر تفسير « المرية » فيما سلف من فهارس اللغة (مرى) .

خير أو شر[1] = « غير منقوص » ، يقول : لا أنقصهم مما وعدتهم ، بل أتمّ ذلك لهم على التمام والكمال ،[2] كما : —

١٨٥٩٥ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : « وإنا لموفُّوهم نصيبهم غير منقوص » ، قال : ما وُعِدوا فيه من خير أو شر .

١٨٥٩٦ — حدثنا أبو كريب ، ومحمد بن بشار قالا ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، مثله = إلاّ أن أبا كريب قال في حديثه : من خيرٍ وشرّ .

١٨٥٩٧ — حدثني المثنى قال ، أخبرنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن شريك ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : « وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص » ، قال : ما قُدِّر لهم من الخير والشر .

١٨٥٩٨ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس في قوله : « وإنا لموفّوهم نصيبهم غير منقوص » ، قال : ما يصيبهم من خيرٍ أو شر .

١٨٥٩٩ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص » ، قال : نصيبهم من العذاب .

* * *

---

(١) انظر تفسير « وفى » فيما سلف ١٤ : ٣٩ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « النصيب » فيما سلف ١٢ : ٤٠٨ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « النقص » فيما سلف ١٤ : ١٣٢ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ (١١٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره ، مسلّيًا نبيَّه فى تكذيب مشركى قومه إياه فيما أتاهم به من عند الله ، بفعل بنى إسرائيل بموسى فيما أتاهم به من عند الله . يقول له تعالى ذكره : ولا يحزنك، يا محمد، تكذيب هؤلاء المشركين لك، وامض لما أمرك به ربُّك من تبليغ رسالته، فإن الذى يفعل بك هؤلاء ، من ردّ ما جئتهم به عليك من النَّصيحة ، من فعل ضُرَبائهم من الأمم قبلهم، وسنَّةٌ من سُننهم .

ثم أخبره جل ثناؤه بما فعل قوم موسى به فقال : « ولقد آتينا موسى الكتاب »، يعنى التوراة ، كما آتيناك الفرقان ، فاختلف فى ذلك الكتاب قومُ موسى ، فكذّب به بعضُهم وصدّق به بعضهم ، كما قد فعل قومك بالفرقان ، من تصديق بعض به ، وتكذيب بعض = « ولولا كلمة سبقت من ربك » ، يقول تعالى ذكره : ولولا كلمة سبقت، يا محمد ، من ربك بأنه لا يعجِّل على خلقه بالعذاب، ولكن يتأنَّى حتى يبلغ الكتاب أجله = « نقضى بينهم » ، يقول : لقضى بين المكذب منهم به والمصدِّق ، بإهلاك الله المكذب به منهم ، وإنجائه المصدق ٧٤/١٢ به = « وإنهم لفى شك منه مريب » ، يقول : وإن المكذبين به منهم ، لفى شك من حقيقته أنه من عند الله = « مريب » ، يقول : يريبهم ، فلا يدرون أحقٌّ هو أم باطلٌ ؟ ولكنهم فيه ممترون .[1]

* * *

(١) انظر تفسير « مريب » فيما سلف ص : ٣٧٠ ، تعليق : ١ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١١١)

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته جماعة من قرأة أهل المدينة والكوفة: ﴿وَإِنَّ﴾ مشددة ﴿كُلًّا لَّمَّا﴾ مشددة .

* * *

واختلف أهل العربية فى معنى ذلك .

فقال بعض نحويي الكوفيين: معناه إذا قرئ كذلك : وإنّ كلا لمـّا ليوفينهم ربك أعمالهم = ولكن لما اجتمعت الميمات حذفت واحدة ، فبقيت ثنتان، فأدغمت واحدة فى الأخرى ، كما قال الشاعر :(١)

وَإِنِّي لَمِمَّا أُصْدِرُ الْأَمْرَ وَجْهَهُ إِذَا هُوَ أَعْيَى بِالسَّبِيلِ مَصَادِرُهُ(٢)

ثم تخفف ، كما قرأ بعض القرأة: ﴿وَالْبَغْىْ يَعِظُكُمْ﴾ ،[سورة النحل: ٩٠]، تخفُّ الياء مع الياء .(٣) وذكر أن الكسائى أنشده :(٤)

---

(١) لم أعرف قائله .

(٢) معانى القرآن للفراء فى تفسير الآية . فى المطبوعة : « لما » و « أعيى بالنبيل » ،وكلاهما خطأ، صوابه من المخطوطة ومعانى القرآن . وقوله « لما » هنا، ليست من باب « لما » التى يذكرها، إلا فى اجتماع الميمات . وذلك أن قوله: « وإن كلا لما ليوفينهم » ، أصلها : « لمن ما » ، « من » بفتح فسكون ، اسم . وأما التى فى البيت فهى « لمن ما »، « من » حرف جر ، ومعناها معنى « ربما » للتكثير ، وشاهدهم عليه قول أبى حية النميرى (سيبويه ١ : ٤٧٧) :

وَإِنَّا لَمِمَّا نَضْرِبُ الْكَبْشَ ضَرْبَةً عَلَى رَأْسِهِ تُلْقِي اللِّسَانَ مِنَ الفَمِ

(٣) هكذا فى المخطوطة : « تخف » ، وفى المطبوعة : « يخفف » ، وأما الذى فى معانى القرآن للفراء ، وهذا نص كلامه : « بحذف الياء » ، وهو الصواب الجيد .

(٤) لم أعرف قائله .

وأشْمَتَّ العُدَاةَ بِنَا فَأضْحَوْا لدَىْ يَتَباشَرُونَ بِمَا لَقِيْنَا (١)

وقال : يريد « لدىَّ يتباشرون بما لقينا »، فحذف ياء، لحركتهن واجتماعهن .

قال : ومثله (٢)

كأَنَّ مِنْ آخِرِها إلْقادِمِ مَخْرِمُ نَجْدٍ فارعِ المَخَارِمِ (٣)

وقال : أراد : إلى القادم ، فحذف اللام عند اللام .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك إذا قرئ كذلك : وإن كلاًّ شديداً وحقًّا ، ليوفينهم ربك أعمالهم . قال: وإنما يراد إذا قرئ ذلك كذلك: « وإنّ كُلاًّ لمَّا »، بالتشديد والتنوين ،(٤) ولكن قارئ ذلك كذلك حذف منه التنوين ، فأخرجه على لفظ فعل « لمَّا » ، كما فعل ذلك فى قوله : ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنا رُسُلَنا تَتْرَى ﴾ ، [سورة المؤمنون : ٤٤] ، فقرأ « تترى » بعضهم بالتنوين ، كما قرأ من قرأ « لمَّا » ، بالتنوين، وقرأها آخرون بغير تنوين ، كما قرأ « لمَّا » بغير تنوين من قرأه . وقالوا : أصله من « اللَّمِّ » من قول الله تعالى : ﴿ وَتأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَمًّا ﴾ ، [سورة الفجر : ١٩] ، يعنى : أكلاً شديدًا .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك إذا قرئ كذلك : وإنّ كلاًّ إلاّ ليوفينهم ، كما يقول القائل : « بالله لمَّا قمتَ عنا ، وبالله إلاّ قمت عنا » .(٥)

* * *

---

(١) معانى القرآن للفراء فى تفسير الآية ، وفى المطبوعة والمخطوطة : « وأشمت الأعداء » ، وهو خطأ ، صوابه من معانى القرآن .

(٢) لم أعرف قائله .

(٣) معانى القرآن للفراء ، فى تفسير الآية . وكان فى المطبوعة : « من أحرها » ، و« محرم » و « المحارم » ، وهو خطأ . و « المخرم » ، (بفتح فسكون فكسر) ، الطريق فى الجبل ، وجمعه « مخارم » .

(٤) هذه قراءة الزهرى ، كما سيأتى ص : ٤٩٨

(٥) فى المطبوعة والمخطوطة : « لقد قمت عنا ، وبالله إلا قمت عنا » ، وذلك خطأ ، ولا شاهد فيه ، وصوابه من معانى القرآن للفراء ، فى تفسير الآية .

قال أبو جعفر : ووجدت عامة أهل العلم بالعربية ينكرون هذا القول ، ويأبون أن يكون جائزاً توجيه « لمَّا » إلى معنى « إلا » ، إلاّ فى اليمين خاصة .[١] وقالوا : لو جاز أن يكون ذلك بمعنى « إلا » ، جاز أن يقال : « قام القوم لمّا أخاك » ، بمعنى : إلا أخاك ، ودخولها فى كل موضع صلح دخول « إلا » فيه .

قال أبو جعفر : وأنا أرى أنّ ذلك فاسد من وجه هو أبين مما قاله الذين حكينا قولهم من أهل العربية فى فساده ، وهو أنّ « إنّ » إثبات للشيء وتحقيق له ، و « إلا » تحقيق أيضًا ،[٢] وإنما تدخل نقضًا لجحد قد تقدّمها . فإذا كان ذلك معناها ، فواجب أن تكون عندَ متأولها التأويلَ الذى ذكرنا عنه ، أن تكون « إنّ » بمعنى الجحد عنده ، حتى تكون « إلا » ، نقضًا لها . وذلك إن قاله قائل ، قولٌ لا يخفى جهلُ قائله ، اللهم إلا أن يخفف قارئ « إن » فيجعلها بمعنى « إن » التى تكون بمعنى الجحد . وإن فعل ذلك ، فسدت قراءته ذلك كذلك أيضًا من وجه آخر ، وهو أنه يصير حينئذ ناصبًا « لكل » بقوله : « ليوفينهم » ، وليس فى العربية أن ينصب ما بعد « إلا » من الفعل ، الاسمَ الذى قبلها . لا تقول العرب : « ما زيدًا إلا ضربت » ، فيفسد ذلك إذا قرئ كذلك من هذا الوجه ، إلا أن يرفع رافع « الكل » ، فيخالف بقراءته ذلك كذلك قراءة القرأة وخط مصاحف المسلمين ، ولا يخرج بذلك من العيب ، لخروجه من معروف كلام العرب .[٣]

* * *

وقد قرأ ذلك بعض قرأة الكوفيين : ﴿ وَإِنْ كُلاًّ ﴾ ، بتخفيف « إن » ونصب ﴿ كلاًّ لَمَّا ﴾ ، مشدّدة .

* * *

---

(١) فى المطبوعة ، أسقط « إلا » الثانية ، فأفسد الكلام .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « وإلا أيضاً تحقيق أيضاً » ، حذفت أولاهما ، لأنه تكرار ولا ريب .

(٣) فى المطبوعة : « بخروجه » ، والصواب من المخطوطة .

وزعم بعض أهل العربية أن قارئ ذلك كذلك ، أراد « إنّ » الثقيلة فخففها ، وذكر عن أبي زيد البصري ، أنه سمع : « كأنْ ثَدَيَيْه حُقّان » ، فنصب بـ « كأن » ، والنون مخففة من « كأنّ » ، ومنه قول الشاعر :[1]

وَوَجْهٌ مُشْرِقُ النَّحْرِ كَأَنْ ثَدْيَيْهِ حُقَّانِ[2]

* * *

وقرأ ذلك بعض المدنيين بتخفيف : ﴿ إنْ ﴾ ونصب ﴿ كُلاًّ ﴾ وتخفيف ﴿ لَمَا ﴾.

* * *

وقد يحتمل أن يكون قارئ ذلك كذلك ، قصدَ المعنى الذى حكيناه عن ١٢/٧٥ قارئ الكوفة من تخفيفه نون « إن » وهو يريد تشديدها ، ويريد بـ « ما » التى فى « لما » ، التى تدخل فى الكلام صلة ،[3] وأن يكون قَصَد إلى تحميل الكلام معنى : وإنّ كلاًّ ليوفينهم .

ويجوز أن يكون معناه كان فى قراءته ذلك كذلك : وإنّ كُلاًّ ليوفينهم ، أى : ليوفين كُلاًّ = فيكون نيته فى نصب « كل » كانت بقوله : « ليوفينهم » . فإن كان ذلك أراد ، ففيه من القبح ما ذكرت ، من خلافه كلام العرب . وذلك أنها لا تنصب بفعل بعد لام اليمين ، اسمًا قبلهَا .

* * *

وقرأ ذلك بعض أهل الحجاز والبصرة : ﴿ وَإنَّ ﴾ مشددة ﴿ كُلاًّ لَمَا ﴾ ، مخففة = ﴿ لَيُوَفِّيَنَّهُمْ ﴾ . ولهذه القراءة وجهان من المعنى :

أحدهما : أن يكون قارئها أراد : وإن كلاًّ لمَنْ ليوفينهم ربك أعمالهم ، فيوجه « ما » التى فى « لما » إلى معنى « من » كما قال جل ثناؤه : ﴿ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ ، [سورة النساء : ٣] ، وإن كان أكثر استعمال العرب

---

(١) من أبيات سيبويه الخمسين التى لا يعرف قائلها .

(٢) سيبويه ١ : ٢٨١ ، رفعاً « كأن ثدياه » ، وابن الشجرى فى أماليه ١ : ٢٣٧ رفعاً ٢ : ٣ ، نصباً ، والخزانة ٤ : ٣٥٨ ، والعينى (هامش الخزانة) ٢ : ٣٠٥ .

(٣) « صلة » ، أى : زيادة ، انظر فهارس المصطلحات فيما سلف .

لها في غير بني آدم = وينوى باللام التي في « لما » ، اللام التي تُتَلَقَّى بها « إنْ » جوابًا لها ، وباللام التي في قوله : « ليوفينهم » ، لام اليمين ، دخلت فيما بين « ما » وصلتها ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ ﴾ ، [سورة النساء : ٧٢] ، وكما يقال : « هذا ما لَغَيْرُه أفضلُ منه » .

والوجه الآخر : أن يجعل « ما » التي في « لما » بمعنى « ما » التي تدخل صلة في الكلام ، واللام التي فيها هي اللام التي يجاب بها ، واللام التي في « ليوفينهم » هي أيضًا اللام التي يجاب بها « إنّ » ، كررت وأعيدت ، إذ كان ذلك موضعها ، وكانت الأولى مما تدخلها العرب في غير موضعها ، ثم تعيدها بعدُ في موضعها ، كما قال الشاعر :[1]

فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي لَمْ يَكُونُوا أَعِزَّةً لَبَعْدُ لَقَدْ لاَقَيْتُ لاَ بُدَّ مَصْرَعَا[2]

* * *

وقرأ ذلك الزهري فيما ذكر عنه : ﴿ وَإِنَّ كُلًّا ﴾ بتشديد « إنّ » ، و ﴿ لَمَّا ﴾ بتنوينها ، بمعنى : شديداً وحقًّا وجميعًا .

* * *

قال أبو جعفر : وأصحُّ هذه القراءات مخرجًا على كلام العرب المستفيض فيهم ، قراءة من قرأ : ﴿ وَإِنَّ ﴾ بتشديد نونها ﴿ كُلًّا لَمَا ﴾ بتخفيف « ما » ﴿ لِيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ ﴾ بمعنى : وإن كل هؤلاء الذين قَصَصنا عليك ، يا محمد ، قصصهم في هذه السورة ، لمن ليوفينهم ربك أعمالهم ، بالصالح منها بالجزيل من الثواب ، وبالطالح منها بالشديد من العقاب = فتكون « ما » بمعنى « مَن » ، واللام التي فيها جوابًا لـ « إنّ » ، واللام في قوله : « ليوفينهم » ، لام قسم .

* * *

---

(١) لم أعرف قائله .

(٢) معاني القرآن للفراء ، في تفسير الآية . وكان في المخطوطة والمطبوعة : « مصرعي » ، وأثبت ما في معاني القرآن .

وقوله : « إنه بما يعملون خبير » ، يقول : تعالى ذكره : إن ربك بما يعمل هؤلاء المشركون بالله من قومك ، يا محمد ، « خبير » ، لا يخفى عليه شيء من عملهم ، بل يخبرُ ذلك كله ويعلمه ويحيط به ، حتى يجازيهم على جميع ذلك جزاءهم .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (١١٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فاستقم أنت ، يا محمد ، على أمر ربك ، والدين الذى ابتعثك به ، والدعاء إليه كما أمرك ربك[2] = « ومن تاب معك » ، يقول : ومن رجع معك إلى طاعة الله ، والعمل بما أمره به ربه من بعد كفره = « ولا تطغوا » ، يقول : ولا تعدُوا أمره إلى ما نهاكم عنه[3] = « إنه بما تعملون بصير » ، يقول : إن ربكم ، أيها الناس ، بما تعملون من الأعمال كلِّها ، طاعتها ومعصيتها = « بصير » ، ذو علم بها ، لا يخفى عليه منها شيء ، وهو لجميعها مبصرٌ .[4] يقول تعالى ذكره : فاتقوا الله ، أيها الناس ، أن يطَّلع عليكم ربكم وأنتم عاملون بخلاف أمره ، فإنه ذو علم بما تعملون ، وهو لكم بالمرصاد .

* * *

وكان ابن عيينة يقول فى معنى قوله : « فاستقم كما أمرت » ، ما : —

١٨٦٠٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن

---

(١) انظر تفسير « خبير » فيما سلف من فهارس اللغة (خبر) .

(٢) انظر تفسير « الاستقامة » فيما سلف ص : ١٨٧ .

(٣) انظر تفسير « طغى » فيما سلف ص : ٣٤ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « بصير » فيما سلف من فهارس اللغة (بصر) .

الزبير ، عن سفيان فى قوله : « فاستقم كما أمرت » ، قال : استقم على القرآن .

١٨٦٠١ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ولا تطغوا » ، قال : «الطغيان»، خلاف الله ، وركوب معصيته . ذلك « الطغيان » .

* * *

القول فى تأويل قوله ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ (١١٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولا تميلوا ، أيها الناس ، إلى قول هؤلاء الذين كفروا بالله ، فتقبلوا منهم وترضوا أعمالهم = « فتمسكهم النار » ، بفعلكم ذلك[1] = وما لكم من دون الله من ناصر ينصركم وولىّ يليكم[2] = « ثم لا تنصرون » ، يقول : فإنكم إن فعلتم ذلك ، لم ينصركم الله ، بل يخلّيكم من نصرته ، ويسلّط عليكم عدوّكم . ٧٦/١٢

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٦٠٢ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثنا معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار » ، يعنى : الركون إلى الشرك .

١٨٦٠٣ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن يمان، عن أبى جعفر ، عن الربيع ،عن أبى العالية : « ولا تركنوا إلى الذين ظلموا »، يقول: لا ترضوا أعمالهم .

---

(١) انظر تفسير « المس » فيما سلف ص : ٣٥٣ ، تعليق : ٦ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الأولياء » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .

١٨٦٠٤ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبي العالية في قوله : « ولا تركنوا إلى الذين ظلموا » ، يقول : لا ترضوا أعمالهم . يقول : « الركون » ، الرضى .

١٨٦٠٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : « ولا تركنوا إلى الذين ظلموا » ، قال : لا ترضوا أعمالهم = « فتمسكم النار » .

١٨٦٠٦ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « ولا تركنوا إلى الذين ظلموا » ، قال ، قال ابن عباس : ولا تميلوا إلى الذين ظلموا .

١٨٦٠٧ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار » ، يقول : لا تلحقوا بالشرك ، وهو الذي خرجتم منه .

١٨٦٠٨ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار »، قال : « الركون » ،الإدهان. وقرأ : ﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ ،[سورة القلم : ٩] . قال : تركنُ إليهم ، ولا تنكر عليهم الذي قالوا ، وقد قالوا العظيمَ من كفرهم بالله وكتابه ورسله . قال: وإنما هذا لأهل الكفر وأهل الشرك ، وليس لأهل الإسلام . أما أهل الذنوب من أهل الإسلام ، فالله أعلم بذنوبهم وأعمالهم . ما ينبغي لأحد أن يُصَالح على شيء من معاصي الله ، ولا يركن إليه فيها .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ (١١٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « وأقم الصلاة » ، يا محمد ، يعنى : صَلِّ = « طرفى النهار » ، يعنى : الغداةَ والعشىَّ.

* * *

واختلف أهل التأويل فى التى عُنِيت بهذه الآية من صَلوات العشىّ ، بعد إجماع جميعهم على أن التى عُنيت من صَلاة الغداة ، الفجرُ .

فقال بعضهم : عُنيت بذلك صلاة الظهر والعصر . قالوا : وهما من صلاة العشىّ .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٦٠٩ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى = عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد : « أقم الصلاة طرفى النهار » ، قال : الفجر ، وصلاتى العشى = يعنى الظهر والعصر .

١٨٦١٠ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو نعيم قال، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

١٨٦١١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن منصور ، عن مجاهد فى قوله : « أقم الصلاة طرفى النهار » ، قال : صلاة الفجر ، وصلاة العشى .

١٨٦١٢ – حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن أفلح بن سعيد قال : سمعت محمد بن كعب القرظى يقول : « أقم الصلاة طرفى النهار » ، قال: فطرفا النهار ، الفجرُ والظهرُ والعصرُ .

١٨٦١٣ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظي : « أقم الصلاة طرفي النهار » ، قال : « طرفي النهار »، الفجر والظهر والعصر .

١٨٦١٤ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن ابن مغراء ، عن جويبر ، عن الضحاك في قوله : « أقم الصلاة طرفي النهار » ، قال : الفجر والظهر والعصر .

* * *

وقال آخرون : بل عنى بها صلاة المغرب.

* ذكر من قال ذلك :

١٨٦١٥ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس في قوله : « أقم الصلاة طرفي النهار » ، يقول : صلاة الغداة ، وصلاة المغرب .

١٨٦١٦ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا يحيى ، عن عوف ، عن الحسن : « أقم الصلاة طرفي النهار » ، قال : صلاة الغداة والمغرب .

١٨٦١٧ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « أقم الصلاة طرفي النهار » ، الصبح والمغرب .

* * *

وقال آخرون: عنى بها صلاةَ العصر .

* ذكر من قال ذلك : ٧٧/١٢

١٨٦١٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبدة بن سليمان ، عن جويبر ، عن الضحاك في قوله : « أقم الصلاة طرفي النهار » ، قال: صلاة الفجر والعصر.

١٨٦١٩ – . . . . قال ، حدثنا زيد بن حباب، عن أفلح بن سعيد القباني ، عن محمد بن كعب : « أقم الصلاة طرفي النهار» ، الفجر والعصر .

١٨٦٢٠ – حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا أبو رجاء ،

عن الحسن فى قوله : « أقم الصلاة طرفى النهار » ، قال : صلاة الصبح وصلاة العصر .

١٨٦٢١ – حدثنى الحسين بن على الصدائى قال، حدثنا أبى قال، حدثنا مبارك ، عن الحسن قال : قال الله لنبيه : « أقم الصلاة طرفى النهار » ، قال : « طرفى النهار » ، الغداة والعصر .

١٨٦٢٢ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « أقم الصلاة طرفى النهار » ، يعنى صلاة العصر والصبح .

١٨٦٢٣ – حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن مبارك بن فضالة ، عن الحسن : « أقم الصلاة طرفى النهار » ، الغداة والعصر .

١٨٦٢٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا زيد بن حباب ، عن أفلح بن سعيد ، عن محمد بن كعب : « أقم الصلاة طرفى النهار » ، الفجر والعصر .

١٨٦٢٥ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا أبو عامر قال، حدثنا قرة ، عن الحسن : « أقم الصلاة طرفى النهار » ، قال: الغداة والعصر .

* * *

وقال بعضهم : بل عنى بطرفى النهار ، الظهر والعصر ، وبقوله : « زلفًا من الليل » ، المغرب والعشاء والصبح .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال فى ذلك عندى بالصواب ، قولُ من قال : « هى صلاة المغرب » ، كما ذكرنا عن ابن عباس .

وإنما قلنا : « هو أولى بالصواب » ، لإجماع الجميع على أن صلاة أحد الطرفين من ذلك صلاة الفجر ، وهى تصلى قبل طلُوع الشمس . فالواجب ، إذ كان ذلك من جميعهم إجماعًا ، أن تكون صلاةُ الطرف الآخر المغرب ، لأنها تصلى بعد غُروب الشمس . ولو كان واجبًا أن يكون مرادًا بصلاة أحد الطرفين قبل غروب الشمس ، وجب أن يكون مراداً بصلاة الطرف الآخر بعدَ

طلوعها . وذلك ما لا نعلم قائلاً قاله ، إلاّ من قال : « عنى بذلك صلاة الظهر والعصر » . وذلك قول لا يُخيلُ فسادهُ ،(١) لأنهما إلى أن يكونا جميعًا من صلاة أحد الطرفين ، أقربُ منهما إلى أن يكونا من صلاة طرفى النهار . وذلك أن « الظهر » لا شك أنها تصلىً بعد مضى نصف النهار فى النصف الثانى منه ، فمحالٌ أن تكون من طرف النهار الأول ، وهى فى طرفه الآخر .

فإذا كان لا قائلَ من أهل العلم يقول : « عنى بصلاة طرف النهار الأول صلاةً بعد طلوع الشمس » ، وجب أن يكون غير جائز أن يقال : « عنى بصلاة طرف النهار الآخر صلاةً قبل غروبها » .

وإذا كان ذلك كذلك ، صحَّ ما قلنا فى ذلك من القول ، وفسدَ ما خالفه .

* * *

وأما قوله : « وزلفًا من الليل » ، فإنه يعنى : ساعاتٍ من الليل .

* * *

وهى جمع « زُلْفة » ، و« الزلفة » ، الساعة ، والمنزلة ، والقربة . وقيل : إنما سميت « المزدلفة » و « جمع » ، من ذلك ، لأنها منزلٌ بعد عرفة = وقيل سميت بذلك ، لازدلاف آدم من عَرَفة إلى حواء وهى بها ، ومنه قول العجاج فى صفة بعير :

ناجٍ طَوَاهُ الأَيْنُ مِمَّا وجَفَا طَىَّ اللَّيالِى زُلَفًا فَزُلَفَا(٢)

* * *

(١) فى المطبوعة : « لا نحيل فساده » ، وهو كلام فاسد ، وفى المخطوطة غير منقوطة . يقال : « أخال الشىء » ، اشتبه . يقال « هذا الأمر لا يخيل على أحد » ، أى لا يشكل . و « شىء مخيل » ، مشكل .

وقد مضى مثله وعلقت عليه فى أوائل الكتاب ، فى مواضع .

(٢) ديوانه : ٨٤ ، مجاز القرآن ١ : ٣٠٠ ، وسيبويه ١ : ١٨٠ ، واللسان (زلف) ، (حقف) ، (سما) ، (وجف) وغيرها كثير ، وسيأتى فى التفسير ١٩ : ٥١ (بولاق) . وبعده هناك :

* سَمَاوَةَ الهِلاَلِ حَتَّى احْقَوْقَفَا *

« الأين » ، التعب . « وجف » من « الوجيف » ، وهو سرعة السير . و « سماوة الهلال » شخصه ، إذا ارتفع فى الأفق شيئاً . و « احقوقف » اعوج .

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة المدينة والعراق : ﴿ وَزُلَفاً ﴾ ، بضم الزاى وفتح اللام .

* * *

وقرأه بعض أهل المدينة بضم الزاى واللام = كأنه وجّهه إلى أنه واحدٌ ، وأنه بمنزلة « الحُلمُ » .

* * *

وقرأه بعض المكيين : ﴿ وَزُلْفاً ﴾ ، بضم الزاى وتسكين اللام .

* * *

قال أبو جعفر : وأعجب القراءات فى ذلك إلىّ أن أقرأها : ﴿وَزُلَفاً﴾ ، بضم الزاى وفتح اللام ، على معنى جمع « زُلْفة » ، كما تجمع « غُرْفة غُرف » و « حُجْرة حُجر » .

وإنما اخترتُ قراءة ذلك كذلك ، لأن صلاة العشاء الآخرة إنما تصلى بعد مضىّ زُلَفٍ من الليل ، وهى التى عُنِيت عندى بقوله : « وزلفًا من الليل » .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى قوله : « وزلفًا من الليل » ، قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٦٢٦ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « وزلفًا من الليل » ، قال : الساعات من الليل ، صلاة العتمة .

١٨٦٢٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله . ٧٨/١٢

١٨٦٢٨ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

١٨٦٢٩ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « زلفًا من الليل » ، يقول : صلاة العتمة .

١٨٦٣٠ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا يحيى ، عن عوف ، عن الحسن : « وزلفًا من الليل » ، قال : العشاء .

١٨٦٣١ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن سفيان ، عن عبيد الله بن أبي يزيد قال : كان ابن عباس يعجبه التأخير بالعشاء ، ويقرأ : « وزلفًا من الليل » .

١٨٦٣٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وزلفًا من الليل » ، قال : ساعة من الليل ، صلاة العَتَمَة .

١٨٦٣٣ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وزلفا من الليل » ، العَتَمَة . وما سمعت أحداً من فقهائنا ومشايخنا يقول « العشاء » ، ما يقولون إلا « العتمة » .

* * *

وقال قوم : الصلاة التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بإقامتها زُلَفًا من الليل ، صلاة المغرب والعشاء .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٦٣٤ – حدثني يعقوب بن إبراهيم ، وابن وكيع = واللفظ ليعقوب = قالا ، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا أبو رجاء ، عن الحسن : « وزلفًا من الليل »، قال : هما زُلْفَتان من الليل ، صلاة المغرب ، وصلاة العشاء .

١٨٦٣٥ – حدثنا ابن حميد، وابن وكيع قالا ، حدثنا جرير ، عن أشعث ، عن الحسن في قوله : « وزلفًا من الليل » ، قال : المغرب والعشاء .

١٨٦٣٦ – حدثني الحسن بن علي قال، حدثنا أبي قال ، حدثنا مبارك ،

عن الحسن ، قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم : « أقم الصلاة طرفى النهار وزلفًا من الليل » ، قال : « زلفًا من الليل » ، المغرب والعشاء ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هُما زُلْفَتا الليل ، المغرب والعشاء .

١٨٦٣٧ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى = ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد : « وزلفًا من الليل » ، قال : المغرب والعشاء .

١٨٦٣٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

١٨٦٣٩ – حدثنى المثنى قال حدثنا أبو نعيم قال، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

١٨٦٤٠ – . . . . قال، حدثنا سويد قال، أخبرنا ابن المبارك، عن المبارك ابن فضالة ، عن الحسن قال : قد بيّن اللهُ مواقيتَ الصلاة فى القرآن ،قال : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ ﴾ [سورة الإسراء : ٧٨] ، قال : « دلوكها » ، إذا زالت عن بطن السماء ، وكان لها فى الأرض فىءٌ . وقال: « أقم الصلاة طرفى النهار »، الغداة والعصر= « وزلفا من الليل »، المغرب والعشاء . قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هُما زلفتا الليل ، المغرب والعشاء .

١٨٦٤١ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة . و « زلفًا من الليل » ، قال : يعنى صلاة المغرب وصلاة العشاء .

١٨٦٤٢ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن أفلح بن سعيد قال : سمعت محمد بن كعب القرظى يقول : « زلفًا من الليل » ، المغرب والعشاء .

١٨٦٤٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا زيد بن حباب ، عن أفلح بن سعيد ، عن محمد بن كعب ، مثله .

١٨٦٤٤ – حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظي : « وزلفًا من الليل » ، المغرب والعشاء .

١٨٦٤٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن عاصم بن سليمان ، عن الحسن قال : زلفتا الليل ، المغرب والعشاء .

١٨٦٤٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن ابن مغراء ، عن جويبر ، عن الضحاك في قوله : « وزلفًا من الليل » ، قال : المغرب والعشاء .

١٨٦٤٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن عاصم ، عن الحسن : « وزلفًا من الليل » ، قال : المغرب والعشاء .

١٨٦٤٨ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عبدة بن سليمان، عن جويبر ، عن الضحاك : « وزلفًا من الليل » ، قال : المغرب والعشاء .

١٨٦٤٩ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن عاصم، عن الحسن : « زلفًا من الليل » ، صلاة المغرب والعشاء .

* * *

وقوله : « إن الحسنات يذهبن السيئات » ، يقول تعالى ذكره : إنّ الإنابة إلى طاعة الله والعمل بما يرضيه ، يذهب أثام معصية الله ، ويكفّر الذنوب .[1]

* * *

ثم اختلف أهل التأويل في « الحسنات » التي عنى الله في هذا الموضع ، ٧٩/١٢
اللاتي يذهبن السيئات .

فقال بعضهم : هنّ الصلوات الخمس المكتوبات .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) « الأثام » ، عقوبة الإثم وجزاؤه . وأما « الآثام » فجمع « إثم » ، وهو الذنب .

١٨٦٥٠ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا ابن علية ، عن الجريرى ، عن أبي الورد بن ثمامة ، عن أبي محمد بن الحضرمى قال ، حدثنا كعب فى هذا المسجد قال : والذى نفس كعب بيده ، إن الصلوات الخمس ، لهُنَّ الحسنات التى يذهبن السيئات ، كما يغسل الماءُ الدَّرَنَ . (١)

١٨٦٥١ – حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن أفلح قال : سمعت محمد بن كعب القرظى يقول فى قوله : « إن الحسنات يذهبن السيئات » ، قال : هن الصلوات الخمس .

١٨٦٥٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن عبد الله بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « إن الحسنات يذهبن السيئات » ، قال : الصلوات الخمس .

١٨٦٥٣ – . . . . قال أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن منصور ، عن مجاهد : « إن الحسنات » ، الصلوات .

١٨٦٥٤ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا يحيى= وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة = جميعًا ، عن عوف ، عن الحسن : « إن الحسنات يذهبن السيئات » ، قال : الصلوات الخمس .

١٨٦٥٥ – حدثني زريق بن السَّخت قال، حدثنا قبيصة، عن سفيان، عن عبد الله بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « إن الحسنات يذهبن

---

(١) الأثر : ١٨٦٥٠ – « الجريرى » ، هو « سعيد بن إياس الجريرى » ، سلف مراراً .
و « أبو الورد بن ثمامة بن حزن القشيرى » ، ويقال هو : « ثمامة بن حزن » ، تابعى ثقة ، لم يدرك غير واحد من الصحابة ، وكان قليل الحديث . مترجم فى التهذيب ، وابن سعد ٧ / ١ / ١٦٤ ، والكنى للبخارى: ٧٩ ، وابن أبى حاتم ٤ / ٢ / ٤٥١ فى الكنى ، وفى « ثمامة بن حزن القشيرى » ٤٦٥/١/١ ، ولم يقل هو « أبو الورد » ، فكأنهما عنده رجلان .
و « أبو محمد بن الحضرمى » ، هكذا جاء فى المخطوطة والمطبوعة ، والذى فى كتب الرجال : « أبو محمد الحضرمى » ، غلام أبى أيوب الأنصارى ، مترجم فى التهذيب ، والكنى للبخارى : ٦٦ ، وابن أبى حاتم ٤٣٢/٢/٤ ، ولم يذكروا له رواية عن كعب ، ولكن هذا الخبر يدل على أنه رآه ، وسمع منه ، وروى عنه .

السيئات » ، قال : الصلوات الخمس .[١]

١٨٦٥٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك في قوله : « إن الحسنات يذهبن السيئات » ، قال : الصلوات الخمس .

١٨٥٥٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن منصور ، عن الحسن قال : الصلوات الخمس .

١٨٦٥٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا الحماني قال ، حدثنا شريك ، عن سماك ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله: « إن الحسنات يذهبن السيئات »، قال : الصلوات الخمس .

١٨٦٥٩ – . . . . قال ، حدثنا سويد قال، أخبرنا ابن المبارك ، عن سعيد الجريري قال ، حدثني أبو عثمان ، عن سلمان قال : والذي نفسي بيده ، إن الحسنات التي يمحو الله بهن السيئات ، كما يغسل الماء الدَّرَن ، الصلواتُ الخمس .

١٨٦٦٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حفص بن غياث ، عن عبد الله ابن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « إن الحسنات يذهبن السيئات»، قال : الصلوات الخمس .

١٨٦٦١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبد الله ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن مزيدة بن زيد ، عن مسروق : « إن الحسنات يذهبن السيئات»، قال : الصلوات الخمس .[٢]

١٨٦٦٢ – حدثني محمد بن عمارة الأسدي، وعبد الله بن أبي زياد القطواني

---

(١) الأثر : ١٨٦٥٥ – « زريق بن السخت » ، شيخ الطبري ، مضى برقم : ١٠٠٥١ . وكان في المطبوعة والمخطوطة هنا « . . بن الشخب » ، وهو خطأ .

(٢) الأثر : ١٨٦٦١ – « مزيدة بن زيد » ، هكذا في المطبوعة ، وفي المخطوطة غير منقوط ، ولم أجد له ذكراً في شيء من كتب الرجال ، وأخشى أن يكون محرفاً عن شيء لم أعرفه .

قالا ، حدثنا عبد الله بن يزيد قال ، أخبرنا حيوة قال ، أخبرنا أبو عقيل زهرة ابن معبد القرشي من بني تيم من رهط أبي بكر الصديق رضي الله عنه : أنَّه سمع الحارث مولى عثمان بن عفان رحمة الله عليه يقول: جلس عثمان يومًا وجلسنا معه ، فجاءه المؤذن، فدعا عثمان بماءٍ في إناء ، أظُنُّه سيكون فيه قدر مُدٍّ ،(١) فتوضأ ثم قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ وُضوئي هذا، ثم قال: من توضأ وُضوئي هذا ثم قام فصلى صلاة الظهر ، غفر له ما كان بينه وبين صلاة الصبح ، ثمَّ صلَّى العصر، غفر له ما بينه وبين صلاة الظهر، ثم صلَّى المغرب غُفِر له ما بينه وبين صلاة العصر ، ثم صلَّى العشاء ، غفر له ما بينه وبين صلاة المغرب ، ثمَّ لعله يبيت ليلته يتمرَّغ ،(٢) ثم إن قام فتوضأ وصلَّى الصبح ، غفر له ما بينها وبين صلاة العشاء ، وهُنَّ الحسنات يذهبن السيئات .(٣)

١٨٦٦٣ – حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكم قال، حدثنا أبو زرعة

---

(١) « المد » (بضم الميم) ، ضرب من المكاييل ، قيل إنه مقدر بأن يمد الرجل يديه ، فيملأ كفيه طعاماً .

(٢) « التمرغ » ، أصله التقلب في التراب . وأراد هنا أنه يبيت يتقلب في فراشه مطمئناً رخي البال .

(٣) الأثر : ١٨٦٦٢ – « حيوة » ، هو « حيوة بن شريح » المصري ، الفقيه الزاهد ، ثقة ، مضى مراراً .

و « زهرة بن معبد القرشي التيمي » ، « أبو عقيل » ، تابعي ثقة ، مضى برقم : ٥٤٥١ ، ٥٤٥٧ .

و « الحارث » هو : « الحارث بن عبيد » ، « أبو صالح » ، مولى عثمان ، ثقة ، مترجم في تعجيل المنفعة : ٧٨ ، وابن أبي حاتم ١/٢/٩٥ .

وهذا الخبر صحيح الإسناد ، رواه أحمد في مسنده مطولا رقم : ٥١٣ ، واستوفى أخي رحمه الله الكلام عليه هناك . ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ١ : ٢٩٧ ، وابن كثير في تفسيره ٤ : ٥/٤٠١ : ٢٨٩ .

= والزيادة التي في المسند وغيره :

« قالوا : هذه الحسَنات ، فما الباقياتُ يا عُثمان ؟ قال : هن : لا إلَهَ إلا الله ، وسُبحان الله ، والحمد لله ، والله أكبر ، ولا حَولَ ولا قُوّة إلا بالله » .

وستأتي هذه الزيادة مفردة بهذه الأسانيد في تفسير سورة الكهف الآية : ٤٦/ج ١٥ : ١٦٥، ١٦٦

قال ، حدثنا حيوة قال ، حدثنا أبو عقيل زهرة بن معبد : أنه سمع الحارث مولى عثمان بن عفان قال : جلس عثمان بن عفان يومًا على المقاعد = فذكر نحوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم = إلا أنه قال : وهن الحسنات : « إن الحسنات يذهبن السيئات » .(١)

١٨٦٦٤ – حدثنا ابن البرقي قال، حدثنا ابن أبي مريم قال ، أخبرنا نافع ابن يزيد ، ورشدين بن سعد ، قالا ، حدثنا زهرة بن معبد قال: سمعت الحارث مولى عثمان بن عفان يقول : جلس عثمان بن عفان يومًا على المقاعد = ثم ذكر نحو ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم = إلا أنه قال : وهن الحسنات : « إن الحسنات يذهبن السيئات » .(٢)

١٨٦٦٥ – حدثنا محمد بن عوف قال، حدثنا محمد بن إسمعيل قال ، حدثنا أبي قال ، حدثنا ضمضم بن زرعة ، عن شريح بن عبيد ، عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : جعلت الصلوات كفارات لما بينهن ، فإن الله قال : « إن الحسنات يذهبن السيئات » .(٣) ٨٠/١٢

---

(١) الأثر : ١٨٦٦٣ – مكرر الأثر السالف .

و « أبو زرعة » ، هو « وهب الله بن راشد المصري » ، مضى مراراً كثيرة .

و « المقاعد » ، بالمدينة ، عند باب الأقبر ، وقيل : هي مساقف حولها . وقيل: هي دكاكين عند دار عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ذكرها ياقوت في معجمه ، ورأيت ذكر « المقاعد » أيضاً في مسند أحمد ، في مسند عثمان رقم : ٥٠٥ .

(٢) الأثر : ١٨٦٦٤ – مكرر الأثرين السالفين .

« رشدين بن سعد » ، ضعيف ، مضى مراراً منها رقم : ١٩ ، ١٩٣٨ ، ٢١٧٦ ، ٢١٩٥ ، وغيرها . ولكن لهذا الخبر شاهد مما سلف في الصحاح ، يقويه على ضعف رشدين .

(٣) الأثر : ١٨٦٦٥ – « محمد بن عوف بن سفيان الطائي الحمصي » ، شيخ الطبري ، مضى مراراً .

و « محمد بن إسماعيل بن عياش الحمصي » ، ضعيف ، يحدث عن أبيه ، ولم يسمع منه شيئاً . مضى برقم : ٥٤٤٥ .

وأبوه : « إسماعيل بن عياش الحمصي » ، ثقة ، متكلم فيه . مضى مراراً كثيرة آخرها رقم : ١٤٢١٢ .

١٨٦٦٦ – حدثنا ابن سيار القزاز قال، حدثنا الحجاج قال، حدثنا حماد، عن علي بن زيد، عن أبي عثمان النهدي قال : كنت مع سلمان تحت شجرة، فأخذ غصنًا من أغصانها يابسًا فهزّه حتى تحاتّ ورقُه، ثم قال : هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، كنت معه تحت شجرة، فأخذ غصنًا من أغصانها يابسًا فهزه حتى تحاتّ ورَقُه، ثم قال : ألا تسألني لم أفعل هذا يا سلمان ؟ فقلت : ولم تفعله ؟ فقال : إنّ المسلم إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم صلّى الصلوات الخمس، تحاتّت خطاياه كما تحاتّ هذا الورق. ثم تلا هذه الآية : « أقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل »، إلى آخر الآية.(١)

* * *

وقال آخرون : هو قول : «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر».

* ذكر من قال ذلك :

١٨٦٦٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا الحماني قال، حدثنا شريك، عن

و « ضمضم بن زرعة بن ثوب الحضرمي »، ثقة، وضعفه أبو حاتم، مضى برقم : ٥٤٤٥، ١٤٢١٢.

و « شريح بن عبيد بن شريح الحضرمي »، تابعي ثقة، مضى برقم : ٥٤٤٥، ١٢١٩٤، ١٤٢١٢.

وهذا خبر ضعف الإسناد، من آفة « محمد بن إسماعيل عن أبيه »، وخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد مختصراً ١ : ٢٩٩، وقال : «وفيه محمد بن إسماعيل بن عياش، قال أبو حاتم : لم يسمع من أبيه شيئاً، قلت : وهذا من روايته عن أبيه. وبقية رجاله موثقون».

(١) الأثر : ١٨٦٦٦ – « حماد »، هو « حماد بن سلمة ».

و « علي بن زيد بن جدعان »، مضى مراراً كلام الأئمة فيه، وأنه سيء الحفظ، ومضى أيضاً توثيق أخي السيد أحمد رحمه الله روايته.

و « أبو عثمان النهدي »، هو « عبد الرحمن بن مل »، تابعي ثقة.

وهذا الخبر رواه أحمد في مسنده ٥ : ٤٣٧، ٤٣٨، من طريق عفان عن حماد بنحو لفظ أبي جعفر في روايته، ومن طريق يزيد عن حماد بلفظ آخر.

وسيرويه أبو جعفر بعد، من طريق قبيصة عن حماد، برقم : ١٨٦٧٧.

وخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ١ : ٢٩٧، ٢٩٨، وقال : « رواه أحمد، والطبراني في الأوسط والكبير، وفي إسناد أحمد : علي بن زيد، وهو مختلف في الاحتجاج به. وبقية رجاله رجال الصحيح ».

منصور ، عن مجاهد : « إن الحسنات يذهبن السيئات » ، قال : « سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بالصواب فى ذلك ، قولُ من قال فى ذلك : « هن الصلوات الخمس » ، لصحة الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتواترها عنه أنه قال : « مَثَلُ الصلوات الخمس مَثَلُ نَهْرٍ جَارٍ عَلَى بابِ أحَدِكم ، ينغمس فيه كل يومٍ خمس مرات ، فماذا يُبقينَ من دَرَنه ؟ » ،[1] وأن ذلك فى سياق أمر الله بإقامة الصلوات ، والوعدُ على إقامتها الجزيلَ من الثواب عَقيبها ، أولى من الوعد على ما لم يجر له ذكر من صالحات سائر الأعمال ، إذا خُصّ بالقصد بذلك بعضٌ دون بعض.

* * *

وقوله : « ذلك ذكرى للذاكرين » ، يقول تعالى ذكره : هذه الذى أوعدت عليه من الركون إلى الظلم ، وتهددت فيه ، والذى وعدت فيه من إقامة الصلوات اللواتى يُذهبن السيئات ، تذكرة ذكّرت بها قومًا يذكُرون وعد الله ، فيرجُون ثوابه ووعيده ، فيخافون عقابه ، لا من قد طبع على قلبه ، فلا يجيب داعيًا ، ولا يسمع زاجرًا .

* * *

وذكر أن هذه الآية نزلت بسبب رجل نالَ من غير زوجته ولا ملك يمينه بعضَ ما يحرُم عليه ، فتاب من ذنبه ذلك .

* ذكر الرواية بذلك :

١٨٦٦٨ — حدثنا هناد بن السرى قال ، حدثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، والأسود قالا ، قال عبد الله بن مسعود : جاء رجل إلى

---

(١) هذا الخبر رواه أبو جعفر بغير إسناد ، رواه بنحو هذا اللفظ مالك فى الموطأ ص : ١٧٤ ، من حديث سعد بن أبى وقاص ، وروى البخارى نحوه من حديث أبى هريرة (الفتح : ٢ : ٩) ومسلم فى صحيحه ٥ : ١٦٩ ، ١٧٠ .

النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني عالجتُ امرأة في بعض أقطار المدينة ،[١] فأصبت منها ما دون أن أمسَّها ، فأنا هذا ،[٢] فاقض فيَّ ما شئت ! فقال عمر : لقد سترك الله لو سترت على نفسك ! قال : ولم يردّ النبي صلى الله عليه وسلم شيئًا. فقام الرجل فانطلق ، فأتبعه النبيُّ صلى الله عليه وسلم رجلاً فدعاه ، فلما أتاه قرأ عليه : « أقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين » ، فقال رجل من القوم : هذا لهُ يا رسول الله خاصَّةً ؟ قال : بل للناس كافة .[٣]

١٨٦٦٩ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي = ، عن إسرائيل ، عن سماك بن حرب ، عن إبراهيم ، عن علقمة، والأسود، عن عبد الله قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ، إني لقيت امرأة في البستان ، فضممتها إليَّ ، وباشرتُها، وقبَّلتها، وفعلت بها كلَّ شيء غير أني لم أجامعها . فسكت عنه النبي صلى الله عليه وسلم ، فنزلت هذه الآية : « إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين » ،

---

(١) « عالجت امرأة » ، يعني أخذها واستمتع بها، من « المعالجة » ، وهي الممارسة . وهذا لفظ بليغ موجز . و « أقطار المدينة » ، نواحيها ، وفي رواية مسلم « في أقصى المدينة » .

(٢) هذا تعبير عزيز ، فقيده .

(٣) الأثر : ١٨٦٦٨ – حديث عبد الله بن مسعود ، رواه أبو جعفر من طريقين :

١ – من طريق علقمة ، والأسود ، عن عبد الله بن مسعود ، وذلك برقم : ١٨٦٦٨ – ١٨٦٧٤ .

٢ – من طريق أبي عثمان النهدي، عن ابن مسعود ، رقم : ١٨٦٧٦ ، وسأبينها جميعاً، طريقاً طريقاً ، وكلها طرق صحاح .

« إبراهيم » ، هو « إبراهيم بن يزيد النخعي » ، روى له الجماعة ، مضى مراراً .

و « الأسود بن يزيد النخعي » ، روى له الجماعة ، وهو خال « إبراهيم بن يزيد النخعي » ، مضى مراراً .

و « علقمة » ، هو « علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي » ، وهو خال « إبراهيم النخعي »، لأنه عم خاليه الأسود ، وعبد الرحمن ، روى له الجماعة ، مضى مراراً .

ومن طريق أبي الأحوص ، عن سماك ، عن إبراهيم ، رواه مسلم في صحيحه (١٧ : ٨٠) ، وأبو داود في سننه ٤ : ٢٢٣ رقم : ٤٤٦٨ ، والترمذي في كتاب التفسير . وانظر التعليق على الطرق الآتية .

ثم انظر التعليق على رقم : ١٨٦٧٥ ، في بيان اسم « الرجل » الذي فعل ذلك .

فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقرأها عليه، فقال عمر: يا رسول الله، ألله خاصّةً، أم للناس كافة؟ قال: لا، بل للناس كافة = ولفظ الحديث لابن وكيع.[١]

١٨٦٧٠ - حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا إسرائيل، عن سماك بن حرب: أنه سمع إبراهيم بن يزيد يحدث، عن علقمة، والأسود، عن ابن مسعود قال: جاءَ رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إني وجدت امرأةً في بستان، ففعلت بها كل شيء، غير أني لم أجامعها، قبّلتها، ولزمتُها،[٢] ولم أفعل غير ذلك، فافعل بي ما شئت. فلم يقل له رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا. فذهب الرجل، فقال عمر: لقد ٨١/١٢ ستر الله عليه لو ستر على نفسه! فأتبعه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بَصَره، فقال: ردُّوه عليَّ! فردُّوه، فقرأ عليه: «أقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين». قال: فقال معاذ بن جبل: ألله وحده، يا نبي الله، أم للناس كافة؟ فقال: بل للناس كافة.[٣]

١٨٦٧١ - حدثني المثنى قال، حدثنا الحماني قال، حدثنا أبو عوانة، عن سماك، عن إبراهيم، عن علقمة، والأسود، عن عبد الله قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أخذت امرأة في البُستان فأصبتُ منها كل شيء، غير أني لم أنكحها، فاصنع بي ما شئت! فسكت النبي صلى الله عليه وسلم، فلما ذهب دعاه فقرأ عليه هذه الآية: «أقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل»، الآية.[٤]

---

(١) الأثر: ١٨٦٦٩ - مكرر الذي قبله.
ومن طريق وكيع، عن إسرائيل، عن سماك، رواه أحمد في مسنده رقم: ٤٢٥٠.

(٢) «لزمتها» يعني: عانقتها فأطلت العناق واستوعبته. وهذا الثلاثي بهذا المعنى قلما تجده في كتب اللغة، وإنما فيها: «التزمه»، أي: عانقه.

(٣) الأثر: ١٨٦٧٠ - مكرر الذي قبله.
ومن طريق عبد الرزاق، عن إسرائيل، عن سماك، رواه أحمد في مسنده رقم: ٤٢٩٠.

(٤) الأثر: ١٨٦٧١ - مكرر الذي قبله.

١٨٦٧٢ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله العجلى قال ، حدثنا شعبة ، عن سماك بن حرب قال ، سمعت إبراهيم يحدّث ، عن خاله الأسود ، عن عبد الله : أن رجلاً لقى امرأةً فى بعض طرق المدينة ، فأصاب منها ما دون الجماع ، فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له ، فنزلت : « أقم الصلاة طرفى النهار وزلفًا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين » ، فقال معاذ بن جبل : يا رسول الله ، لهذا خاصة ، أو لنا عامة ؟ قال : بل لكم عامة .(١)

١٨٦٧٣ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا أبو داود قال، حدثنا شعبة قال ، أنبأنى سماك قال ، سمعت إبراهيم يحدث، عن خاله، عن ابن مسعود : أن رجلاً قال للنبى صلى الله عليه وسلم : لقيت امرأة فى حُشٍّ بالمدينة ،(٢) فأصبت منها ما دون الجماع ، نحوه .(٣)

١٨٦٧٤ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا أبو قطن عمرو بن الهيثم البغدادى قال ، حدثنا شعبة ، عن سماك ، عن إبراهيم ، عن خاله ، عن ابن مسعود ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .(٤)

=ومن طريق أبى عوانة، عن سماك، رواه أحمد فى مسنده رقم : ٤٢٩١ ، ولكنه أحاله على الذى قبله . وأبو داود الطيالسى فى مسنده ص : ٣٧ ، رقم : ٢٨٥ .

(١) الأثر : ١٨٦٧٢ – « الحكم بن عبد الله العجلى » ، « أبو النعمان » ، ثقة حافظ ، مضى برقم : ١٠١٨٥ ، ١٧٠١٣ ، ١٨٠٣٣ .

ومن هذه الطريق ، رواه مسلم فى صحيحه ١٧ : ٨٠ ، ٨١ .

(٢) « الحش » ، البستان ، عند أهل المدينة ، انظر ما سلف رقم : ٣٠٨٦ .

(٣) الأثر : ١٨٦٧٣ – لم أعثر عليه فى مسند أبى داود الطيالسى ، ومعروف أن المطبوع من هذا المسند ناقص غير تام . وانظر التعليق التالى .

وفى المطبوعة والمخطوطة : « حدثنا أبو المثنى » ، والصواب « ابن المثنى » ، وهو « محمد بن المثنى » شيخ الطبرى .

(٤) الأثر : ١٨٦٧٤ – « عمرو بن الهيثم البغدادى » ، « أبو قطن » ، ثقة ، من ثقات أصحاب شعبة . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣/١/٢٦٨ .

١٨٦٧٥ – حدثني أبو السائب قال، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم قال : جاء فُلانُ بن معتِّب ، رجل من الأنصار ، فقال : يا رسول الله ، دخلت عليَّ امرأة فنلتُ منها ما ينالُ الرجل من أهله ، إلا أني لم أواقعها ؟ فلم يدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يجيبه ، حتى نزلت هذه الآية : « أقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات » ، الآية ، فدعاه فقرأها عليه . (١)

١٨٦٧٦ – حدثني يعقوب وابن وكيع قالا ، حدثنا ابن علية = وحدثنا حميد ابن مسعدة قال، حدثنا بشر بن المفضل = وحدثنا ابن عبد الأعلى قال، حدثنا المعتمر بن سليمان = جميعًا ، عن سليمان التيمي ، عن أبي عثمان ، عن ابن مسعود: أن رجلاً أصاب من امرأة شيئًا لا أدري ما بلغ ، غير أنه ما دون الزنا ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له ، فنزلت : « أقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات » ، فقال الرجل : ألي هذه يا رسول الله ؟ قال : لمن أخذَ بها من أمتي = أو : لمن عمل بها . (٢)

ومن هذه الطريق رواه أحمد في مسنده برقم : ٤٣٢٥ . وقال أخي السيد أحمد: « خاله ، إما : الأسود بن يزيد النخعي ، وإما عبد الرحمن بن يزيد النخعي ، فكلاهما خاله ، وإما علقمة بن قيس النخعي ، عم الأسود وعبد الرحمن . وقد روى إبراهيم الحديث عن ثلاثتهم مطولا ومختصراً ، كما مضى بأسانيد رقم : ٣٨٥٤ ، ٤٢٥٠ ، ٤٢٩٠ ، ٤٢٩١ » .

وقد رواه أحمد برقم : ٣٥٨٤ من طريق سفيان الثوري ، عن سماك ، عن إبراهيم ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله بن مسعود . ورواه الترمذي في كتاب التفسير .

(١) الأثر : ١٨٦٧٥ – فصل الحافظ ابن حجر في الفتح ٨ : ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، القول في اسم هذا الرجل ، فذكر هذا الخبر ، ثم قال : « وأخرجه ابن أبي خيثمة ، لكن قال : إن رجلا من الأنصار يقال له : معتب = وقد جاء أن اسمه : كعب بن عمرو ، وهو : أبو اليسر (بفتح التحتانية والمهملة) الأنصاري . أخرجه الترمذي ، والنسائي ، والبزار ، من طريق موسى بن طلحة ، عن أبي اليسر بن عمرو ، أنه أتته امرأة ، وزوجها قد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعث » ، الحديث ، وسيأتي برقم : ١٨٦٨٤ ، ١٨٦٨٥ .

(٢) الأثر : ١٨٦٧٦ – هذه هي الطريق الثانية ، لحديث عبد الله بن مسعود ، كما أشرت إليه في التعليق على رقم : ١٨٦٦٨ .

١٨٦٧٧ – حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ، حدثنا قبيصة ، عن حماد ابن سلمة ، عن على بن زيد ، عن أبى عثمان قال : كنت مع سلمان ، فأخذ غصن شجرة يابسة فحتّه ، وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من توضأ فأحسن الوضوء ، تحاتّت خطاياه كما يتحاتُّ هذا الورق ! ثم قال : « أقم الصلاة طرفى النهار وزلفًا من الليل » ، إلى آخر الآية .[1]

١٨٦٧٨ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا أبو أسامة ، وحسين الجعفى ، عن زائدة قال ، حدثنا عبد الملك بن عمير ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن معاذ قال : أتى رجل النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، ما ترى فى رجل لقى امرأة لا يعرفها ، فليس يأتى الرجل من امرأته شيئًا إلا قد أتاه منها ، غير أنْ لم يجامعها ؟[2] فأنزل الله هذه الآية : « أقم الصلاة طرفى النهار وزلفًا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين » ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : توضأ ثم صلّ . قال معاذ : قلت : يا رسول الله ، أله خاصة ، أم للمؤمنين عامة ؟ قال : بل للمؤمنين عامة .[3]

و « أبو عثمان » هو « عبد الرحمن بن مل النهدى » كما سلف مراراً .

وهذا حديث صحيح . ومن هذه الطريق رواه البخارى فى صحيحه (الفتح ٢ : ٧) من طريق يزيد بن زريع ، عن سليمان التيمى . ثم رواه أيضاً (الفتح ٨ : ٢٦٨ ، ٢٦٩) ، من الطريق نفسها ، بلفظ مختلف قليلا .

ورواه مسلم فى صحيحه ١٧ : ٧٩ ، ٨٠ ، من طريق يزيد بن زريع ، عن سليمان التيمى ، ثم من طريق محمد بن عبد الأعلى ، عن المعتمر بن سليمان ، عن سليمان التيمى ، وهو أحد طرق أبى جعفر فى رواية هذا الخبر ، بلفظ آخر .

ورواه أحمد فى مسنده برقم : ٣٦٥٣ ، عن يحيى ، عن سليمان التيمى . ثم رواه أيضاً برقم : ٤٠٩٤ ، من الطريق نفسها .

ورواه ابن ماجة فى سننه ص : ٤٤٧ ، رقم : ١٣٩٨ ، و ص ١٤٢١ ، رقم : ٤٢٥٤ .

ورواه الترمذى فى كتاب التفسير .

(١) الأثر : ١٨٦٧٧ – هذه طريق أخرى للأثر السالف رقم : ١٨٦٦٦ ، وقد مضى تخريجه وشرحه هناك .

(٢) فى المطبوعة : « غير أنه لم يجامعها » ، غير ما فى المخطوطة ، وهو الصواب الجيد .

(٣) الأثر : ١٨٦٧٨ – حديث معاذ ، يأتى أيضاً برقم : ١٨٦٨٢ .

١٨٦٧٩ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى : أن رجلا أصابَ من امرأة ما دون الجماع ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن ذلك ، فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم = أو : أنزلت = « أقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل » الآية ، فقال معاذ : يا رسول الله ، أله خاصة ، أم للناس عامة ؟ قال : هي للناس عامة . ٧٢/١٢

١٨٦٨٠ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا أبو داود قال ، حدثنا شعبة ، عن عبد الملك بن عمير قال : سمعت عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه .

١٨٦٨١ – حدثني عبد الله بن أحمد بن شبويه قال، حدثنا إسحق بن إبراهيم قال حدثني عمرو بن الحارث قال ، حدثني عبد الله بن سالم ، عن الزبيدي قال ، حدثنا سليم بن عامر : أنه سمع أبا أمامة يقول : إن رجلاً أتى رسول الله

« أبو أسامة » ، هو : « حماد بن أسامة » ، ثقة روى له الجماعة ، مضى مراراً .

و « حسين الجعفي » ، هو : « حسين بن علي الجعفي » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً .

و « زائدة » ، هو : « زائدة بن قدامة » ، ثقة ، مضى مراراً .

و « عبد الملك بن عمير اللخمي » ، المعروف بالقبطي ، ثقة روى له الجماعة ، مضى برقم : ١٢٥٧٣ .

و « عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً ، منها رقم : ٣٢ ، ٢١٥٦ ، ٢٩٣٧ .

وهذا إسناد صحيح .

رواه أحمد في مسنده ٥ : ٢٤٤ من طريق عبد الرحمن بن مهدي ، وأبي سعيد ، عن زائدة عن عبد الملك بن عمير = وفيه رواية أبي سعيد ، عن عبد الملك بن عمير مباشرة .

و « أبو سعيد » هو « عبد الرحمن بن عبد الله » ، مولى بني هاشم ، ثقة .

وخرجه ابن كثير في تفسيره ٤ : ٤٠٤ ، عن الحافظ الدارقطني ، وسيأتي في التعليق على رقم : ١٨٦٨٢ .

ورواه الترمذي في كتاب التفسير .

ثم سيأتي هذا الخبر موقوفاً على عبد الرحمن بن أبي ليلى برقم : ١٨٦٧٩ ، ١٨٦٨٠ .

صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله، أقم فيَّ حدّ الله = مرةً واثنتين . فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أقيمت الصلاة ، فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة قال : أين هذا القائل : أقم فيَّ حدّ الله ؟ قال : أنا ذا ! قال : هل أتممت الوضوء وصليتَ معنا آنفًا ؟ قال : نعم ! قال : فإنك من خطيئتك كما ولدتك أمّك ، فلا تَعُدْ ! وأنزل الله حينئذ على رسوله : « أقم الصلاة طرفى النهار وزلفًا من الليل » ، الآية .(١)

١٨٦٨٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنى جرير ، عن عبد الملك ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى، عن معاذ بن جبل : أنه كان جالسًا عند النبى صلى الله عليه وسلم ، فجاء رجل فقال : يا رسول الله ، رجلٌ أصاب من امرأة ما لا يحلُّ له ، لم يدع شيئًا يصيبه الرجل من امرأته إلاّ أتاه ، إلا أنه لم يجامعها ؟ قال : يتوضأ وضوءاً حسنًا ثم يصلى . فأنزل الله هذه الآية : « أقم الصلاة طرفى النهار

---

(١) الأثر : ١٨٦٨١ – « عبد الله بن أحمد بن شبويه الخزاعى » ، شيخ الطبرى ، سلف مراراً ، آخر رقم : ١٥٣٧٩ .

و « إسحق بن إبراهيم بن العلاء الزبيدى » ، هو « ابن زبريق » ، ثقة ، تكلموا فيه حسداً . مضى برقم : ١٥٣٧٩ .

و « عمرو بن الحارث بن النعمان الزبيدى » ، ذكره ابن حبان فى الثقات ، وقال الذهبى : لا تعرف عدالته ، مضى برقم : ١٥٣٧٩ .

و « عبد الله بن سالم الأشعرى الوحاظى » ، وثقه ابن حبان ، مضى برقم : ١٥٣٧٩ .

و « الزبيدى » ، هو « محمد بن الوليد بن عامر الزبيدى » ، ثقة ، روى له الشيخان ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٥٣٧٧ .

و « سليم بن عامر الكلاعى الحمصى » ، تابعى ثقة ، مضى برقم : ١٢٨٠٧ .

وهذا إسناد حسن ، ولم أجد حديث أبى أمامة مروياً من هذه الطريق ، ولكن الأئمة رووه من طرق أخرى .

رواه أحمد فى مسنده من طريقين ٥ : ٢٥١ ، ٢٦٢ من طريق عكرمة بن عمار اليمامى ، عن شداد بن عبد الله ، عن أبى أمامة . ثم رواه ص : ٢٦٥ ، من طريق الأوزاعى ، عن أبى عمار شداد ، عن أبى أمامة .

ومن الطريق الأولى ، رواه مسلم فى صحيحه ١٧ : ٨١ ، ٨٢ .

ومن الطريق الثانية رواه أبو داود فى سننه ٤ : ١٩١ ، رقم : ٤٣٨١ .

وزلفًا من الليل »، الآية . فقال معاذ: هي له ، يا رسول الله ، خاصة، أم للمسلمين عامة ؟ قال : بل للمسلمين عامة .(١)

١٨٦٨٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا محمد بن مسلم ، عن عمرو بن دينار ، عن يحيى بن جعدة : أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ذكر امرأة وهو جالسٌ مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فاستأذنه لحاجة ، فأذن له ، فذهب يطلبها فلم يجدها ، فأقبل الرجل يريد أن يُبَشّر النبي صلى الله عليه وسلم بالمطر ، فوجد المرأة جالسةً على غديرٍ ، فدفع في صدرها وجلس بين رجليها ، فصار ذكره مثل الهُدْبة ، فقام نادمًا حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بما صنع ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : استغفر ربَّك ، وصلِّ أربع ركعات : قال : وتلا عليه : « أقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل » ، الآية .(٢)

١٨٦٨٤ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا قيس ابن الربيع ، عن عثمان بن موهب ، عن موسى بن طلحة ، عن أبي اليسر بن عمرو الأنصاري قال : أتتني امرأة تبتاع مني بدرهم تمرًا ، فقلت : إن في البيت تمرًا أجود من هذا ! فدخلت ، فأهويت إليها فقبَّلتها . فأتيت أبا بكر فسألته ، فقال : استر على نفسك، وتُبْ واستغفر الله ! فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أخلَفْتَ رجلاً غازيًا في سبيل الله في أهله بمثل هذا ! ! حتى ظننت أنيّ من أهل النار ، حتى تمنيت أنيّ أسلمت ساعتئذ ! قال : فأطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعةً ، فنزل جبريل ، فقال : أين أبو اليسر ؟ فجئت ، فقرأ عليّ : « أقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل »، إلى : « ذكرى للذاكرين»،

---

(١) الأثر : ١٨٦٨٢ – هو مكرر الأثر السالف ١٨٦٧٨ ، وانظر تخريجه هناك .

(٢) الأثر : ١٨٦٨٣ – « يحيى بن جعدة بن هبيرة بن أبي وهب القرشي » ، تابعي ثقة ، مضى برقم : ٧٤٧٢ .

قال إنسان : لهُ يا رسول الله ، خاصةً ، أم للناس عامة ؟ قال : للناس عامة .(١)

١٨٦٨٥ – حدثني المثنى قال ، حدثنا الحماني قال ، حدثنا قيس بن الربيع ، عن عثمان بن موهب ، عن موسى بن طلحة ، عن أبي اليسر قال : لقيت امرأة فالتَزمْتُها ، غير أني لم أنكحها ، فأتيت عمر بن الخطاب رحمة الله عليه فقال : اتق الله ، واستر على نفسك ، ولا تخبرنّ أحداً ! فلم أصبر حتى أتيت أبا بكر رحمة الله عليه ، فسألته فقال : اتق الله ، واستر على نفسك ، ولا تخبرن أحداً ! قال : فلم أصبر حتى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فقال لي : هل جهزت غازيًا ؟ قلت : لا ! قال : فهل خلفت غازيًا في أهله ؟ قلت : لا! فقال لي ، حتى تمنيت أني كنت دخلتُ في الإسلام تلك الساعة ! قال : فلما وليت دعاني فقرأ عليّ : « أقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل » ، فقال له أصحابه : ألهذا خاصة ، أم للناس عامة ؟ فقال : بل للناس عامة .(٢)

١٨٦٨٦ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثني سعيد ، عن قتادة : أن رجلاً أصاب من امرأة قُبْلةً ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يانبي الله ، هلكتُ ! فأنزل الله : « إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين » . ٨٣/١٢

١٨٦٨٧ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن

---

(١) الأثر : ١٨٦٨٤ – حديث أبي اليسر الأنصاري ، سيأتي بعده بنحو إسناده . وانظر ما كتبه الحافظ ابن حجر في اسمه فيما سلف في التعليق على رقم : ١٨٦٧٥ .
« قيس بن الربيع الأسدي » ، سلف مراراً ، آخرها رقم : ١٦٣٦٩ ، وقد وثقه جماعة ، وضعفه آخرون .
و « عثمان بن موهب » ، هو « عثمان بن عبد الله بن موهب التميمي » ، ينسب إلى جده ، ثقة . مضى برقم : ١٧٥٦٧ .
و « موسى بن طلحة بن عبيد الله القرشي » ، تابعي ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ١٧٥٦٧ – ١٧٥٧١ .
وهذا الخبر رواه الترمذي في كتاب التفسير ، وقال : « هذا حديث حسن غريب . وقيس بن الربيع ، ضعفه وكيع وغيره . وروى شريك عن عثمان بن عبد الله هذا الحديث ، مثل رواية قيس بن الربيع » .

(٢) الأثر : ١٨٦٨٥ – هو مكرر الأثر السالف .

معمر ، عن سليمان التيمى قال : ضرب رجلٌ على كَفَلِ امرأة، ثم أتى أبا بكر وعمر رحمة الله عليهما . فكلما سأل رجلاً منهما عن كفارة ذلك قال : أمغزية هى[مادا] ؟ (١) قال : نعم ! قال : لا أدرى ! ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله عن ذلك ، فقال : أمغزية هى ؟ قال : نعم ! قال : لا أدرى ! حتى أنزل الله : « أقم الصلاة طرفى النهار وزلفًا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات » .

١٨٦٨٨ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن قيس بن سعد ، عن عطاء فى قول الله : « أقم الصلاة طرفى النهار وزلفًا من الليل »، أنّ امرأة دخلت على رجل يبيعُ الدقيق، فقبَّلها، فأسقِطَ فى يده ، فأتى عمر فذكر ذلك له ، فقال : اتق الله، ولا تكن امرأةَ غازٍ ؟ فقال الرجل : هى امرأة غازٍ ! فذهب إلى أبى بكر ، فقال مثل ما قال عمر ، فذهبوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم جميعًا ، فقال له كذلك ، ثم سكت النبى صلى الله عليه وسلم فلم يجبهم ، فأنزل الله : « أقم الصلاة طرفى النهار وزلفًا من الليل » ، الصلوات المفروضات = « إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين » .

١٨٦٨٩ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، أخبرنى عطاء بن أبى رباح قال : أقبلت امرأة حتى جاءت إنسانًا يبيع الدقيق لتبتاع منه ، فدخل بها البيت ، فلما خلا له قبَّلها . قال : فُسقِط فى يديه، فانطلق إلى أبى بكر فذكر ذلك له ، فقال : أبصر ، لا تكونَنّ امرأة رجل غازٍ ! فبينما هم على ذلك ، نزل فى ذلك : « أقم الصلاة طرفى النهار وزلفًا من الليل » = قيل لعطاء : المكتوبة هى ؟ قال : نعم ، هى المكتوبة =

(١) فى المخطوطة هذا الذى وضعته بين القوسين ، ولم أوفق إلى قراءته أو تبين معناه ، ومهما يكن فالسؤال واضح . وقوله : « مغزية » ، فالمغزية هى المرأة التى غزا زوجها وبقيت وحدها فى البيت ، ومنه حديث عمر :

« ما بال رجالٍ لا يزال أحدهم كاسرًا وسادَه عند مُغْزِية، يتحدَّث إليها وتتحدث إليه ! عليكم بالجَنْبة، فإنها عفافٌ . إنما النساء لحمٌ على وضَمٍ إلاّ ما ذُبَّ عنهُ » .

فقال ابن جريج : وقال عبد الله بن كثير : هى المكتوبات = قال ابن جريج ، عن يزيد بن رومان : أن رجلاً من بنى غنم ، دخلت عليه امرأةٌ فقبَّلها ، ووضع يده على دُبُرها ، فجاء إلى أبى بكر رضى الله عنه ، ثم إلى عمر رضى الله عنه ، ثم إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فنزلت هذه الآية : « أقم الصلاة » ، إلى قوله : « ذلك ذكرى للذاكرين » ، فلم يزل الرجل الذى قبَّل المرأة يذكر . فذلك قوله : « ذكرى للذاكرين » .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (١١٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : واصبر ، يا محمد ، على ما تلقى من مشركى قومك من الأذى فى الله والمكروه ، رجاءَ جزيل ثواب الله على ذلك ، فإن الله لا يضيع ثوابَ عمل من أحسن فأطاع الله واتبع أمره ، فيذهب به ، بل يوَفّره أحوجَ ما يكون إليه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴾ (١١٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فهلاّ كان من القرون الذين قصصت عليك نبأهم فى هذه السورة ، الذين أهلكتهم بمعصيتهم إياى ، وكفرهم برسلى[1]

(١) انظر تفسير « القرن » فيما سلف ١١ : ٢٦٣/١٥ : ٣٧ .

=« من قبلكم أولو بقية »، يقول : ذوو بقية من الفهم والعقل ، [١]يعتبرون مواعظَ الله ويتدبرون حججه ، فيعرفون ما لهم فى الإيمان بالله ، وما عليهم فى الكفر به[٢] = « ينهون عن الفساد فى الأرض » ، يقول : ينهون أهل المعاصى عن معاصيهم ، وأهل الكفر بالله عن كفرهم به ، فى أرضه [٣] = « إلاّ قليلاً ممن أنجينا منهم » يقول : لم يكن من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد فى الأرض ، إلاّ يسيرًا ، فإنهم كانوا ينهون عن الفساد فى الأرض ، فنجاهم الله من عذابه ، حين أخذَ من كان مقيمًا على الكفر بالله عذابُه = وهم أتباع الأنبياء والرسل .

* * *

ونصب « قليلاً » لأن قوله : « إلا قليلاً » ، استثناء منقطع مما قبله ، كما قال :﴿ إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنوا ﴾ ، [سورة يونس : ٩٨]. وقد بينا ذلك فى غير موضع ، بما أغنى عن إعادته . [٤]

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٦٩٠ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال قال ، ابن زيد : اعتذر فقال : « فلولا كان من القرون من قبلكم » حتى بلغ « إلا قليلاً ممن أنجينا منهم » ، فإذا هم الذين نجوا حين نزل عذاب الله . وقرأ : « واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه » .

١٨٦٩١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية » إلى قوله : « إلا قليلاً ممن أنجينا منهم » ، قال : يستقلّهم الله من كل قوم .

---

(١) انظر تفسير « البقية » فيما سلف ص : ٤٤٧ — ٤٤٩ .
(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « وعليهم » بإسقاط « ما » ، والأجود إثباتها .
(٣) انظر تفسير « الفساد فى الأرض » فيما سلف من فهارس اللغة (فسد) .
(٤) انظر فهارس مباحث العربية والنحو وغيرها .

٨٤/١٢ ١٨٦٩٢ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا ابن أبي عدى ، عن داود قال : سألني بلال عن قول الحسن فى القدر،[١] قال ، فقال : سمعت الحسن يقول : « قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسُّهم منا عذاب أليم » ، قال : بعث الله هوداً إلى عاد ، فنجى الله هودًا والذين آمنوا معه وهلك المتمتعون . وبعث الله صالحًا إلى ثمود ، فنجى الله صالحًا وهلك المتمتعون . فجعلت أستقريه الأمم ، فقال : ما أراه إلاّ كان حسَّن القول فى القَدر .[٢]

١٨٦٩٣ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد فى الأرض إلاّ قليلاً ممن أنجينا منهم » ، أى : لم يكن من قبلكم من ينهى عن الفساد فى الأرض =« إلا قليلاً ممن أنجينا منهم » .

* * *

وقوله : « واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه » ، يقول تعالى ذكره : « واتبع الذين ظلموا » ، أنفسهم ، فكفروا بالله= « ما أترفوا فيه » .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٦٩٤ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس: « واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه » ، قال : ما أُنْظروا فيه .

١٨٦٩٥ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه » ، من دنياهم .

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة هنا : « فى العذر » ، والصواب ما أثبت ، وانظر التعليق التالى .

(٢) فى المطبوعة وحدها : « فى العذر » ، والصواب من المخطوطة . ويعنى أنه أمر قد فرغ منه ، لقول الله سبحانه لنوح : « وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم » ، وذلك قبل أن يكونوا ، وهو قول أهل الإثبات ، من أهل الحق .

= وكأنّ هؤلاء وجّهوا تأويل الكلام : واتبع الذين ظلموا الشيء الذى أنظرهم فيه ربُّهم من نعيم الدنيا ولذاتها، إيثارًا له على عمل الآخرة وما ينجيهم من عذاب الله.

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : واتبع الذين ظلَموا ما تجبَّروا فيه من الملك ، وعتَوْا عن أمر الله .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٦٩٦ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه » ، قال : فى ملكهم وتجبُّرهم ، وتركوا الحق .

١٨٦٩٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، نحوه = إلا أنه قال : وتركِهم الحق .

١٨٦٩٨ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثل حديث محمد بن عمرو سواءً .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، أن يقال : إن الله أخبر تعالى ذكره : أن الذين ظلموا أنفسهم من كل أمة سلفت ، فكفروا بالله ، اتبعوا ما أنظروا فيه من لذّات الدنيا، فاستكبروا وكفروا بالله ، واتبعوا ما أنظروا فيه من لذات الدنيا ، فاستكبروا عن أمر الله ، وتجبَّروا وصدوا عن سبيله .

* * *

= وذلك أن « المترف »، فى كلام العرب، هو المنعَّم الذى قد غُذِّى باللذات، ومنه قول الراجز :[1]

(١) هو رؤبة .

نُهْدِى رُؤُوسَ المُتْرَفِينَ الصُّدَّادْ إلى أمِيرِ المُؤْمِنِينَ المُمْتَادْ (١)

* * *

وقوله : « وكانوا مجرمين » ، يقول : وكانوا مكتسبي الكفر بالله . (٢)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ (١١٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: وما كان ربك ، يا محمد ، ليهلك القرى التى أهلكها ، التى قَصَّ عليك نبأها ، ظُلمًا وأهلها مصلحون فى أعمالهم ، غير مسيئين ، فيكون إهلاكه إياهم مع إصلاحهم فى أعمالهم وطاعتهم ربّهم ، ظلمًا . ولكنه أهلكها بكفر أهلها بالله، وتماديهم فى غيِّهم ، وتكذيبهم رُسُلهم ، وركوبهم السيئات .

* * *

وقد قيل : معنى ذلك : لم يكن ليهلكهم بشركهم بالله . وذلك قوله : « بظلم » يعنى بشرك = « وأهلها مصلحون » ، فيما بينهم لا يتظالمون ، ولكنهم يتعاطَون الحق بينهم ، وإن كانوا مشركين ، وإنما يهلكهم إذا تظالموا .

* * *

---

(١) سلف البيت وتخريجه وشرحه فيما سلف ١١ : ٢٢٣ ، تعليق : ١ . و « الممتاد » ، الذى نسأله العطاء فيعطى .

(٢) انظر تفسير « الإجرام » فيما سلف من فهارس اللغة (جرم) .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿١١٩﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولو شاء ربك ، يا محمد ، لجعل الناس كلهم جماعة واحدة ، على ملة واحدة ، ودين واحد ، [1] كما : —

١٨٦٩٩ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة »، يقول : لجعلهم مسلمين كلهم .

* * *

وقوله : « ولا يزالون مختلفين » ، يقول تعالى ذكره : ولا يزال النَّاس مختلفين = « إلا من رحم ربك » .

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى « الاختلاف » الذى وصف الله الناس أنهم لا يزالون به .

فقال بعضهم : هو الاختلاف فى الأديان = فتأويل ذلك على مذهب هؤلاء : ٨٥/١٢ ولا يزال الناس مختلفين على أديان شتى ، من بين يهودىّ ونصرانىّ ومجوسى ونحو ذلك .

وقال قائلو هذه المقالة : استثنى الله من ذلك من رحمهم ، وهم أهل الإيمان .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٧٠٠ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن نمير ، عن طلحة بن عمرو ، عن عطاء : « ولا يزالون مختلفين » ، قال : اليهود والنصارى والمجوس ، والحنيفيَّة هُم الذين رحم ربُّك .

---

(١) انظر تفسير « الأمة » فيما سلف ص : ٣٥٣ تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

١٨٧٠١ – حدثني المثنى قال ، حدثنا قبيصة قال ، حدثنا سفيان ، عن طلحة بن عمرو ، عن عطاء : « ولا يزالون مختلفين » ، قال : اليهود والنصارى والمجوس = « إلا من رحم ربك » ، قال : هم الحنيفية .

١٨٧٠٢ – حدثني يعقوب بن إبراهيم، وابن وكيع قالا ، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا منصور بن عبد الرحمن قال : قلت للحسن : قوله : « ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك » ؟ قال : الناس مختلفون على أديان شتى ، إلا من رحم ربك ، فمن رحم غيرُ مختلفين .

١٨٧٠٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن حسن بن صالح ، عن ليث ، عن مجاهد : « ولا يزالون مختلفين » ، قال : أهل الباطل = « إلا من رحم ربك » ، قال : أهل الحقّ .

١٨٧٠٤ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ولا يزالون مختلفين » ، قال : أهل الباطل = « إلا من رحم ربك » ، قال : أهل الحق .

١٨٧٠٥ – حدثني المث قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

١٨٧٠٦ – . . . . قال ، حدثنا معلى بن أسد قال، حدثنا عبد العزيز ، عن منصور بن عبد الرحمن قال : سئل الحسن عن هذه الآية : « ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك » ، قال : الناس كلهم مختلفون على أديان شتى ، إلاّ من رحم ربك ، فمن رحم غير مختلف . فقلت له : « ولذلك خلقهم » ؟ فقال : خلق هؤلاء لجنته ، وهؤلاء لناره، وخلق هؤلاء لرحمته ، وخلق هؤلاء لعذابه .

١٨٧٠٧ – . . . . قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الرحمن بن سعد قال ، حدثنا أبو جعفر ، عن ليث ، عن مجاهد في قوله « ولا يزالون مختلفين » ، قال : أهل الباطل = « إلا من رحم ربك » ، قال : أهل الحق .

١٨٧٠٨ — . . . . قال، حدثنا الحمانى قال، حدثنا شريك، عن خصيف، عن مجاهد قوله : « ولا يزالون مختلفين » ، قال : أهل الحق وأهل الباطل = « إلا من رحم ربك » ، قال : أهل الحق .

١٨٧٠٩ — . . . . قال ، حدثنا شريك، عن ليث ، عن مجاهد، مثله .

١٨٧١٠ — . . . . قال، حدثنا سويد بن نصر قال، أخبرنا ابن المبارك : « إلا من رحم ربك » ، قال : أهل الحقّ ، ليس فيهم اختلاف .

١٨٧١١ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن يمان، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن عكرمة : « ولا يزالون مختلفين » ، قال : اليهود والنصارى = « إلا من رحم ربك » ، قال : أهل القبلة .

١٨٧١٢ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، أخبرنى الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « ولا يزالون مختلفين » ، قال: أهل الباطل = « إلا من رحم ربك » ، قال: أهل الحق .

١٨٧١٣ — حدثنا هناد قال، حدثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة فى قوله : « ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك » ، قال : لا يزالون مختلفين فى الهوى .

١٨٧١٤ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : « ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك » ، فأهل رحمة الله أهل جماعة ، وإن تفرقت دورهم وأبدانهم . وأهل معصيته أهل فرقة ، وإن اجتمعت دورهم وأبدانهم .

١٨٧١٥ — حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش : « ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك » ، قال : من جعله على الإسلام .

١٨٧١٦ — . . . . قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا الحسن بن واصل، عن الحسن: « ولا يزالون مختلفين» ، قال: أهل الباطل = « إلا من رحم ربك ».[1]

١٨٧١٧ — . . . . قال ، حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد في قوله: « ولا يزالون مختلفين » ، قال : أهل الباطل = « إلا من رحم ربك » ، قال : أهل الحق .

١٨٧١٨ — حدثنا ابن حميد، وابن وكيع قالا، حدثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولا يزالون مختلفين في الرزق ، فهذا فقيرٌ وهذا غنيّ .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٧١٩ — حدثنا ابن عبد الأعلى قال، حدثنا المعتمر ، عن أبيه : أن الحسن قال : مختلفين في الرزق ، سَخّر بعضهم لبعض .

* * *

٨٦/١٢ وقال بعضهم : مختلفين في المغفرة والرحمة ، أو كما قال .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب ، قولُ من قال : معنى ذلك : « ولا يزال الناس مختلفين في أديانهم وأهوائهم على أديان وملل وأهواء شتى ، إلا من رحم ربك ، فآمن بالله وصدق رسله ، فإنهم لا يختلفون في توحيد الله ، وتصديق رسله ، وما جاءهم من عند الله » .

وإنما قلت : ذلك أولى بالصواب في تأويل ذلك ، لأن الله جل ثناؤه أتبع

---

(١) الأثر : ١٨٧١٦ — « الحسن بن واصل » ، لم أجد له ذكراً ، وأخشى أن يكون فيه تحريف . وأن يكون صوابه : « الحسن ، عن واصل » ، وكأنه يعني : « واصل بن عبد الرحمن » « أبا حرة » ، وهو يروي عن الحسن ، مضى برقم : ٦٣٨٥ ، ١١٤٩٦ ، ١٢٦١٦ .

ذلك قوله : « وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجِنة والناس أجمعين » ، ففى ذلك دليلٌ واضح أن الذى قبله من ذكر خبره عن اختلاف الناس ، إنما هو خبرٌ عن اختلاف مذموم يوجب لهم النار. ولو كان خبرًا عن اختلافهم فى الرزق ، لم يعقّب ذلك بالخبر عن عقابهم وعَذابهم .

* * *

وأما قوله : « ولذلك خلقهم » ، فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله .

فقال بعضهم : معناه : وللاختلاف خلقهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٧٢٠ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع= وحدثنا ابن وكيع قال، قال ، حدثنا أبى = ، عن مبارك بن فضالة ، عن الحسن : « ولذلك خلقهم » ، قال : للاختلاف .

١٨٧٢١ – حدثنى يعقوب قال، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا منصور ابن عبد الرحمن قال : قلت للحسن : « ولذلك خلقهم » ، فقال : خلق هؤلاء لجنته ، وخلق هؤلاء لناره ، وخلق هؤلاء لرحمته ، وخلق هؤلاء لعذابه .

١٨٧٢٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن علية ، عن منصور ، عن الحسن ، مثله .

١٨٧٢٣ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا المعلى بن أسد قال ، حدثنا عبد العزيز عن منصور بن عبد الرحمن ، عن الحسن ، بنحوه .

١٨٧٢٤ – . . . . قال، حدثنا الحجاج بن المنهال قال، حدثنا حماد ، عن خالد الحذاء : أن الحسن قال فى هذه الآية : « ولذلك خلقهم » ، قال : خلق هؤلاء لهذه ، وخلق هؤلاء لهذه .

١٨٧٢٥ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا هوذة بن خليفة قال، حدثنا

عوف ، عن الحسن قال: « ولذلك خلقهم » ، قال : أما أهل رحمة الله فإنهم لا يختلفون اختلافًا يضرُّهم .

١٨٧٢٦ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « ولذلك خلقهم » ، قال : خلقهم فريقين ، فريقًا يرحم فلا يختلف ، وفريقًا لا يرحم يختلف ، وذلك قوله : ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾،[سورة هود: ١٠٥] .

١٨٧٢٧ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان ، عن طلحة بن عمرو ، عن عطاء في قوله : « ولا يزالون مختلفين » ، قال : يهود ونصارى ومجوس = « إلا من رحم ربك »، قال : من جعله على الإسلام = « ولذلك خلقهم » ، قال : مؤمن وكافر .

١٨٧٢٨ – حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان ، قال ، حدثنا الأعمش : « ولذلك خلقهم » ، قال : مؤمن وكافر .

١٨٧٢٩ – حدثني يونس قال، أخبرنا أشهب قال : سئل مالك عن قول الله : « ولا يزالون مختلفين إلا من رحم بك ولذلك خلقهم » قال : خلقهم ليكونوا فريقين : فريقٌ في الجنة ، وفريقٌ في السعير .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وللرحمة خلقهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٧٣٠ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي= ، عن حسن بن صالح ، عن ليث، عن مجاهد: « ولذلك خلقهم »، قال : للرحمة .

١٨٧٣١ – حدثنا ابن حميد، وابن وكيع قالا، حدثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد : « ولذلك خلقهم » ، قال : للرحمة .

١٨٧٣٢ – حدثني المثنى قال ، حدثنا الحماني قال ، حدثنا شريك ، عن خصيف ، عن مجاهد ، مثله .

١٨٧٣٣ – حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن شريك ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .

١٨٧٣٤ – . . . . قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن بن سعد قال ، أخبرنا أبو حفص ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله = إلا أنه قال : للرحمة خلقهم .

١٨٧٣٥ – حدثني محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « ولذلك خلقهم » ، قال : للرحمة خلقهم .

١٨٧٣٦ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو معاوية ، عمن ذكره ، عن ثابت ، عن الضحاك : « ولذلك خلقهم » ، قال : للرحمة .

١٨٧٣٧ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، أخبرني الحكم بن أبان ، عن عكرمة : « ولذلك خلقهم » ، قال : أهل الحق ومن اتبعه ، لرحمته .

١٨٧٣٨ – حدثني سعد بن عبد الله قال ، حدثنا حفص بن عمر قال ، حدثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : « ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك » ، قال : للرحمة خلقهم ، ولم يخلقهم للعذاب . ٨٧/١٢

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك بالصواب ، قولُ من قال : « وللاختلاف بالشقاء والسعادة خلقهم » ، لأن الله جل ذكره ذكر صنفين من خلقه : أحدهما أهل اختلاف وباطل ، والآخر أهل حق ، ثم عقّب ذلك بقوله : « ولذلك خلقهم » ، فعمّ بقوله : « ولذلك خلقهم » ، صفة الصنفين ، فأخبر عن كل فريق منهما أنه ميسَّر لما خلق له .

* * *

فإن قال قائل : فإن كان تأويل ذلك كما ذكرت ، فقد ينبغى أن يكون المختلفون غير ملومين على اختلافهم ، إذ كان لذلك خلقهم ربُّهم ، وأن يكون المتمتِّعون هم الملومين ؟

قيل : إن معنى ذلك بخلاف ما إليه ذهبت ، وإنما معنى الكلام : ولا يزال الناس مختلفين بالباطل من أديانهم ومللهم ، إلا من رحم ربك ، فهداه للحق ، ولعلمه ، وعلى علمه النافذ فيهم قبل أن يخلقهم ، أنه يكون فيهم المؤمن والكافر والشقى والسعيد ، خلقهم = فمعنى اللام فى قوله : « ولذلك خلقهم » ، بمعنى « على » ، كقولك للرجل : « أكرمتك على برك بى » و « أكرمتك لبرك بى » .

* * *

وأما قوله : « وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين » ، لعلمه السابق فيهم أنهم يستوجبون صليَّها بكفرهم بالله ، وخلافهم أمره .

* * *

وقوله : « وتمت كلمة ربك » ، قسم كقول القائل : « حلفى لأزورنّك » ، « وبدا لى لآتينك » ، ولذلك تُلُقِّيَتْ بلام اليمين .

* * *

وقوله : « من الجنة » ، وهى ما ابتَنَّ عن أبصار بنى آدم = « والناس » ، يعنى : وبنى آدم .

* * *

وقيل : إنهم سموا « الجنة » ، لأنهم كانوا على الجنان .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٧٣٩ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عبد الله ، عن إسرائيل ، عن السدى ، عن أبى مالك : وإنما سموا « الجنة » ، أنهم كانوا على الجنان ، والملائكة كلهم « جنة » .

١٨٧٤٠ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عبدالله ، عن إسرائيل ، عن السدى ،

عن أبي مالك ، قال : « الجنة » ، الملائكة .

* * *

وأما معنى قول أبي مالك هذا : أنّ إبليس كان من الملائكة ، والجن ذريته ، وأن الملائكة تسمى عنده الجن ، لما قد بينت فيما مضى من كتابنا هذا .[1]

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٢٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « وكلاً نقصّ عليك » ، يا محمد[2] = « من أنباء الرسل » ، الذين كانوا قبلك[3] = « ما نثبت به فؤادك » ، فلا تجزع من تكذيب من كذبك من قومك ، وردّ عليك ما جئتهم به ، ولا يضق صدرك ، فتترك بعض ما أنزلتُ إليك من أجل أن قالوا : « لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك » ؟ إذا علمت ما لقي مَنْ قبلك من رسلي من أممها ،[4] كما : –

١٨٧٤١ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قوله : « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك » ، قال : لتعلم ما لقيت الرسل قبلك من أممهم .

* * *

واختلف أهل العربية في وجه نصب « كلا »

---

(١) انظر تفسير « الجن » فيما سلف ١ : ٥٠٢ – ٥٠٨.

(٢) انظر تفسير « القصص » فيما سلف ص : ٤٧٠ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « النبأ » فيما سلف من فهارس اللغة (نبأ) .

(٤) انظر تفسير « التثبيت » فيما سلف ٥ : ٣٥٤ ، ٧/٥٣١ : ٢٧٢ ، ٨/٢٣٧ : ١٣/٥٢٩ : ٤٢٧ .

فقال بعض نحويي البصرة : نصب على معنى : ونقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ، كلاً = كأنّ « الكل » منصوب عنده على المصدر من « نقص » ، بتأويل : ونقصُّ عليك ذلك كلَّ القصص .

* * *

وقد أنكر ذلك من قوله بعض أهل العربية وقال : ذلك غير جائز . وقال : إنما نصب « كلاً » بـ « نقص » ، لأن « كلاً » بنيت على الإضافة ، كان معها إضافةٌ أو لم يكن وقال : أراد : كلَّه نقص عليك ، وجعل « ما نثبت » ، ردًّا على « كلا » وقد بينت الصواب من القول فى ذلك .(١)

* * *

وأما قوله : « وجاءك فى هذه الحق » ، فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله .

فقال بعضهم : معناه : وجاءك فى هذه السورة الحق .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٧٤٢ — حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا شعبة ، عن خليد بن جعفر ، عن أبى إياس ، عن أبى موسى : « وجاءك فى هذه الحق » ، قال : فى هذه السورة .

١٨٧٤٣ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى = ، عن شعبة ، عن خليد بن جعفر ، عن أبى إياس معاوية بن قرة ، عن أبى موسى ، مثله .

١٨٧٤٤ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنى سعيد بن عامر قال ، حدثنا عوف ، عن أبى رجاء ، عن ابن عباس فى قوله : « وجاءك فى هذه الحق » ، قال : فى هذه السورة .

١٨٧٤٥ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن أبى عوانة ،

---

(١) انظر ما سلف فى حكم « كل » ٦ : ٢١٠ ، ثم تفسير « كل » فيما سلف ص : ٢١٢ ، وفهارس اللغة مادة (كلل) .

عن أبي بشر ، عن عمرو العنبري ، عن ابن عباس : « وجاءك في هذه الحق » ، قال : في هذه السورة .

١٨٧٤٦ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن أبي عوانة ، عن أبي بشر ، عن رجل من بني العنبر قال : خطبنا ابن عباس فقال: « وجاءك في هذه الحق » ، قال : في هذه السورة .

١٨٧٤٧ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير قال : سمعت ابن عباس قرأ هذه السورة على الناس ، حتى بلغ : « وجاءك في هذه الحق » ، قال : في هذه السورة . ٨٨/١٢

١٨٧٤٨ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن عوف ، عن مروان الأصغر ، عن ابن عباس : أنه قرأ على المنبر : « وجاءك في هذه الحق » ، فقال : في هذه السورة .

١٨٧٤٩ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي = ، عن أبيه ، عن ليث ، عن مجاهد : « وجاءك في هذه الحق » ، قال : في هذه السورة .

١٨٧٥٠ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : وجاءك في هذه السورة .

١٨٧٥١ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٨٧٥٢ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

١٨٧٥٣ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع= وحدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي = ، عن شريك ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، مثله .

١٨٧٥٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبد الله ، عن أبي جعفر الرازي ،

عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية قال : هذه السورة .

١٨٧٥٥ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن ابن سعيد قال ، أخبرنا أبو جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ، مثله .

١٨٧٥٦ – حدثني يعقوب قال ، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا أبو رجاء ، عن الحسن فى قوله : « وجاءك فى هذه الحق » ، قال : فى هذه السورة .

١٨٧٥٧ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ، عن شعبة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، بمثله .

١٨٧٥٨ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال : حدثنا أبي = ، عن شعبة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، مثله .

١٨٧٥٩ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا عبد الرحمن ، عن أبان بن تغلب ، عن مجاهد ، مثله .

١٨٧٦٠ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « وجاءك فى هذه الحق » ، قال : فى هذه السورة .

١٨٧٦١ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، [مثله] .(١)

١٨٧٦٢ – حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي رجاء قال : سمعت الحسن البصرى يقول فى قول الله : « وجاءك فى هذه الحق » ، قال : يعنى : فى هذه السورة .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : وجاءك فى هذه الدنيا الحقّ .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٧٦٣ – حدثنا محمد بن بشار ، ومحمد بن المثنى قالا ، حدثنا محمد بن جعفر

---

(١) الزيادة بين القوسين ، أرجو أن تكون هى الصواب .

قال، حدثنا شعبة، عن قتادة : «وجاءك فى هذه الحق» ، قال : فى هذه الدنيا .

١٨٧٦٤ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع= وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى = ، عن شعبة ، عن قتادة : « وجاءك فى هذه الحق » ، قال : كان الحسن يقول : فى الدنيا .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بالصواب فى تأويل ذلك ، قولُ من قال : « وجاءك فى هذه السورة الحقُّ » ، لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن ذلك تأويله .

* * *

فإن قال قائل : أو لم يجئْ النبيَّ صلى الله عليه وسلم الحقُّ من سور القرآن إلاّ فى هذه السورة ، فيقال : وجاءك فى هذه السورة الحق ؟

قيل له : بلى ، قد جاءه فيها كلَّها .

فإن قال : فما وجه خصُوصه إذاً فى هذه السورة بقوله : « وجاءك فى هذه الحق » ؟

قيل : إن معنى الكلام : وجاءك هذه السورة الحقُّ ، مع ما جاءك فى سائر سور القرآن= أو : إلى ما جاءك من الحق فى سائر سور القرآن= لا أن معناه : وجاءك فى هذه السورة الحق ، دون سائر سور القرآن .

* * *

وقوله : « وموعظة » ، يقول : وجاءك موعظةٌ تعظ الجاهلين بالله ، وتبين لهم عبره ممن كفر به وكذب رسله[1] = « وذكرى للمؤمنين » ، يقول : وتذكرة تذكر المؤمنين بالله ورسله ، كى لا يغفلوا عن الواجب لله عليهم .

* * *

(١) انظر تفسير « الموعظة » فيما سلف ص : ١٠٤ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَـٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ ﴿١٢٢﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد صلى الله عليه وسلم : وقل ، يا محمد ، للذين لا يصدّقونك ولا يقرُّون بوحدانية الله = « اعملوا على مكانتكم » ، يقول : على هيئتكم وتمكنكم ما أنتم عاملوه ،[1] فإنا عاملون ما نحن عاملوه من الأعمال التى أمرنا الله بها = وانتظروا ما وعدكم الشيطان ، فإنا منتظرون ما وعدنا الله من حربكم ونصرتنا عليكم ، كما : —

٨٩/١٢ ١٨٧٦٥ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج فى قوله : « وانتظروا إنا منتظرون » ، قال : يقول : انتظروا مواعيدَ الشيطان إياكم على ما يزيّن لكم = « إنا منتظرون » .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٢٣﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولله ، يا محمد ، ملك كل ما غاب عنك فى السموات والأرض فلم تطلع عليه ولم تعلمه ،[2] كل ذلك بيده وبعلمه ، لا يخفى عليه منه شىء ، وهو عالم بما يعمله مشركو قومك ،

---

(١) انظر تفسير « المكانة » فيما سلف ص : ٤٦٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الغيب » فيما سلف ١٤ : ٣٨١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

وما إليه مصير أمرهم ، من إقامةٍ على الشرك، أو إقلاعٍ عنه وتوبة = « وإليه يرجع الأمر كله » ، يقول : وإلى الله مَعَادُ كل عامل وعمله ، وهو مجازٍ جميعهم بأعمالهم ، كما : —

١٨٧٦٦ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « وإليه يرجع الأمر كله » ، قال : فيقضى بينهم بحكمه بالعدل.

* * *

= « فاعبده » ، يقول : فاعبد ربك ، يا محمد = « وتوكل عليه » ، يقول : وفوِّض أمرك إليه ، وثق به وبكفايته ، فإنه كافي من توكّل عليه .[1]

* * *

= وقوله : « وما ربك بغافل عما تعملون » ، يقول تعالى ذكره : وما ربك، يا محمد، بساهٍ عما يعمل هؤلاء المشركون من قومك ،[2] بل هو محيط به ، لا يعزب عنه شيء منه ، وهو لهم بالمرصاد ، فلا يحزنك إعراضهم عنك، ولا تكذيبهم بما جئتهم به من الحقّ ، وامض لأمر ربّك ، فإنك بأعيننا .

١٨٧٦٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا زيد بن الحباب، عن جعفر بن سليمان ، عن أبي عمران الجوني ، عن عبد الله بن رباح ، عن كعب ، قال : خاتمة « التوراة » خاتمة « هود » .[3]

﴿ آخر تفسير سورة هود ، والحمد لله وحده ﴾[4]

---

(١) انظر تفسير « التوكل » فيما سلف ص : ١٦٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الغفلة » فيما سلف ص : ١٩٨ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) الأثر : ١٨٧٦٧ — مضى الخبر بتمامه فيما سلف برقم : ١٣٠٤٣ ، ومن طريق أخرى بمثله ، رقم : ١٣٠٤٢ .

(٤) في المخطوطة بعد هذا ، ما نصه :

« يتلوه تفسير السورة التي يذكر فيها يوسف وهو آخر المجلَّد الثاني عشر الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم » .

تفسير
سورة يوسف

﴿ تفسير السورة التي يذكر فيها يوسف صلى الله عليه وسلم ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ ربِّ يسّر ﴾

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾ (١)

قال أبو جعفر محمد بن جرير : قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل في تأويل قوله : « الر تلك آيات الكتاب »، والقول الذي نختاره في تأويل ذلك فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته ههنا .(١)

* * *

وأما قوله : « تلك آيات الكتاب المبين » ، فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله .

فقال بعضهم : معناه : « تلك آيات الكتاب المبين »، بيَّن حلاله وحرامه ، ورشده وهُداه .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٧٦٨ — حدثني سعيد بن عمرو السكوني قال ، حدثنا الوليد بن سلمة الفلسطيني قال ، أخبرني عبد الوهاب بن مجاهد ، عن أبيه في قول الله : « الر تلك آيات الكتاب المبين » ، قال : بيَّن حلاله وحرامه .(٢)

---

(١) انظر ما سلف ص : ٩ — ١٢ .

(٢) الأثر : ١٨٧٦٨ — « الوليد بن سلمة الفلسطيني الأردني » قاضي الأردن ، كذاب ، يضع الأحاديث على الثقات . مترجم في ابن أبي حاتم ٤/٢/٦ ، وميزان الاعتدال ٣ : ٢٧١ ، ولسان الميزان ٦ : ٢٢٢ .

١٨٧٦٩ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « الر تلك آيات الكتاب المبين » ، إى والله ، لمبينٌ ، بيّن الله هداه ورشده .[1]

١٨٧٧٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « الر تلك آيات الكتاب المبين » ، قال : بين الله رشده وهداه .

* * *

وقال آخرون فى ذلك ما : –

١٨٧٧١ – حدثنى سعيد بن عمرو السكونى قال ، حدثنا الوليد بن سلمة قال ، حدثنا ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان ، عن معاذ : أنه قال فى قول الله عز وجل : « الكتاب المبين » ، قال : بيّن الحروف التى سقطت عن ألسن الأعاجم ، وهى ستة أحرف .[2]

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : معناه : « هذه آيات الكتاب المبين لمن تلاه وتدبّر ما فيه ، من حلاله وحرامه ونهيه وسائر ما حواه من صنوف معانيه » ، لأن الله جل ثناؤه أخبر أنه « مبين » ، ولم يخصّ إبانته عن بعض ما فيه دون جميعه . فذلك على جميعه ، إذ كان جميعه مبينًا عمّا فيه .

* * *

و « عبد الوهاب بن مجاهد بن جبر » ، ضعيف جدا ، وقال سفيان : كذاب ، قال أحمد : « لم يسمع من أبيه ، ليس بشىء » . مضى برقم : ٦٣٦ .

(١) فى المطبوعة : « تركيبه » ، وفى المخطوطة : « برلـه » واستظهرت الصواب من الذى يليه .

(٢) الأثر : ١٨٧٧١ – « الوليد بن سلمة الفلسطينى » ، كذاب ، سلف برقم : ١٨٧٦٨ .
و « ثور بن يزيد الكلاعى » ، ثقة صحيح الحديث ، مضى برقم : ٣١٩٦ .
و « خالد بن معدان بن أبى كريب الكلاعى » ، تابعى ثقة ، روى له الجماعة مضى برقم : ٢٠٧٠ ، ٩٢٢٤ .
وهذا خبر آفته الوليد بن سلمة .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : إنا أنزلنا هذا الكتاب المبين ، قرآنًا عربيًّا على العرب ، لأن لسانهم وكلامهم عربى ، فأنزلنا هذا الكتاب بلسانهم ليعقلوه ويفقهوا منه ، وذلك قوله : « لعلكم تعقلون » .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ﴾ (٣) ١٢/٩٠

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « نحن نقص عليك » ، يا محمد، « أحسن القصص » ، بوحينا إليك هذا القرآن، فنخبرك فيه عن الأخبار الماضية ، وأنباء الأمم السالفة ، والكتب التى أنزلناها فى العصور الخالية [1] = « وإن كنت من قبله لمن الغافلين » ، يقول تعالى ذكره : وإن كنت ، يا محمد ، من قبل أن نوحيه إليك ، لمن الغافلين عن ذلك ، لا تعلمه ولا شيئًا منه ، [2] كما : —

١٨٧٧٢ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « نحن نقص عليك أحسن القصص » ، من الكتب الماضية ، وأمور الله السالفة

---

(١) انظر تفسير « القصص » فيما سلف ص : ٥٣٩ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الغفلة » فيما سلف ص : ٥٤٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

فى الأمم = « وإن كنت من قبله لمن الغافلين » .

* * *

وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لمسألة أصحابه إياه أن يقصّ عليهم .

* ذكر الرواية بذلك :

١٨٧٧٣ – حدثنى نصر بن عبد الرحمن الأودى قال ، حدثنا حكام الرازى ، عن أيوب ، عن عمرو الملائى ، عن ابن عباس قال : قالوا يا رسول الله ، لو قصصت علينا ؟ قال : فنزلت : « نحن نقص عليك أحسن القصص » .(١)

١٨٧٧٤ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن أيوب بن سيار أبى عبد الرحمن ، عن عمرو بن قيس قال : قالوا : يا نبى الله ، فذكر مثله .(١)

١٨٧٧٥ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن المسعودى ، عن عون ابن عبد الله قال : ملّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملّةً فقالوا : يا رسول الله ، حدثنا ! فأنزل الله عز وجل : ﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ﴾ ، [سورة الزمر : ٢٣] . ثم ملو ملّةً أخرى ، فقالوا : يا رسول الله ، حدثنا فوق الحديث ودون القرآن ! يعنون القصَص ، فأنزل الله : « الر تلك آيات الكتاب المبين * إنا أنزلناه قرآنًا عربيًّا لعلكم تعقلون * نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين » ، فأرادوا الحديث ، فدلّهم على أحسن الحديث ، وأرادوا القصصَ ، فدلّهم على أحسن القصص .(٢)

---

(١) الأثران : ١٨٧٧٣ ، ١٨٧٧٤ – « أيوب بن سيار ، أبو عبد الرحمن » ، لم أجده بهذه الكنية وإنما ذكروا « أيوب بن سيار الزهرى المدنى » وكناه البخارى « أبا سيار » ، قال البخارى : « منكر الحديث » ، وقال ابن حبان : « كان يقلب الأسانيد ، ويرفع المراسيل » . مترجم فى الكبير ٤١٧/١/١ ، وابن أبى حاتم ٢٤٨/١/١ ، وميزان الاعتدال ١ : ١٣٤ ، ولسان الميزان ١ : ٤٨٢ ، وكأنه هو هو نفسه : « أبو عبد الرحمن » ، و « أبو سيار » ، له كنيتان .

وقد روى الأول مرفوعاً إلى ابن عباس ، والآخر موقوفاً . ثم انظر حديث عمرو بن قيس الملائى ، مرفوعاً إلى سعد بن أبى وقاص ، برقم : ١٨٧٧٦ . فلعل هذا مما قلبه أيوب بن سيار .

(٢) الأثر : ١٨٧٧٥ – « عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود » ، روى عن أبيه وعمه

١٨٧٧٦ – حدثنا محمد بن سعيد العطار قال، حدثنا عمرو بن محمد قال، أخبرنا خلاّد الصفار، عن عمرو بن قيس، [عن عمرو بن مرة] ، عن مصعب بن سعد ، عن سعد قال : أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن ، قال : فتلاه عليهم زمانًا ، فقالوا : يا رسول الله ، لو قصصت علينا ! فأنزل الله : « الر تلك آيات الكتاب المبين » ، إلى قوله : « لعلكم تعلقون » ، الآية . قال : ثم تلاه عليهم زمانًا ، فقالوا : يا رسول الله، لو حدثتنا ! فأنزل الله : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا ﴾، [سورة الزمر : ٢٣] . قال خلاّد : وزاد فيه رجل آخر : قالوا: يا رسول الله = أو قال أبو يحيى : ذهبت من كتابي كلمة = فأنزل الله : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾، [سورة الحديد : ١٦] .(١)

* * *

مرسلا . وهذا الخبر ، خرجه السيوطي في الدر المنثور ٤ : ٣ من طريق عون بن عبد الله ، عن ابن مسعود ، فهو مرسل . وذكره الواحدي في أسباب النزول : ٢٠٣ .

(١) الأثر : ١٨٧٧٦ – « محمد بن سعيد بن غالب البغدادي ، العطار ، الضرير » ، « أبو يحيى » ، شيخ الطبري . روى عن ابن علية ، وعبد الله بن نمير ، والشافعي ، ووهب بن جرير ، وغيرهم . ثقة ، مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٣/٢/٢٦٦ ، وتاريخ بغداد ٥ : ٣٠٦ .

و « عمرو بن محمد القرشي العنقزي » ، ثقة ، جائز الحديث ، مضى برقم : ٦١٣٩ ، ١٢٣٦٩ ، ١٣٢٥٨ .

و « خلاد الصفار » ، هو : « خلاد بن عيسى العبدي » ، ويقال : « خلاد بن مسلم » ، وكنيته « أبو مسلم » . ثقة ، مضى برقم : ٣٠١٤ .

و « عمرو بن قيس الملائي » ، ثقة ، مضى مراراً كثيرة .

و « عمرو بن مرة المرادي الجملي » ، ثقة ، روى له الجماعة ، وهو الذي يروي عن مصعب ابن سعد ، مضى مراراً كثيرة .

وكان اسمه ساقطاً من الإسناد في المخطوطة والمطبوعة ، وزدته بين القوسين ، لأن ابن كثير نقل هذا الخبر في تفسيره ٤ : ٤١١ ، عن هذا الموضع من تفسير الطبري ، وجاء على الصواب كما أثبته ، كما رواه الحاكم وغيره ، كما سترى في التخريج .

و « مصعب بن سعد بن أبي وقاص » ، تابعي ثقة ، روى له الجماعة ، روى عن أبيه ، مضى برقم : ٩٨٤١ ، ١١٤٥٠ ، ١٦٦٣٣ .

وهذا الخبر رواه الحاكم في المستدرك ٢ : ٣٤٥ ، من هذه الطريق نفسها ، وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبي ، ولكن الحاكم قال : « حدثنا خلاد بن مسلم » ،

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾ (٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإن كنت يا محمد ، لمن الغافلين عن نبأ يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم = إذ قال لأبيه يعقوب بن إسحق : « يا أبت إنى رأيت أحدَ عشر كوكبًا » ، يقول : إنى رأيت فى منامى أحد عشر كوكبًا .

* * *

وقيل : إن رؤيا الأنبياء كانت وحيًا .

١٨٧٧٨ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن سماك بن حرب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى قوله : « إنى رأيت أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين » ، قال : كانت رؤيا الأنبياء وحيًا .

١٨٧٧٩ — وحدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة ، عن سفيان ، عن سماك ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « إنى رأيت أحد عشر كوكبًا » ، قال : كانت الرؤيا فيهم وحيًا .

* * *

فقال الذهبى : « صوابه : خلاد أبو مسلم الصفار ، وأبوه اسمه عيسى » ، وقد رأيت قبل ما ذكر من الاختلاف فى اسم أبيه .

ونقله عن الحاكم ، الواحدى فى أسباب النزول : ٢٠٣ ، وليس فيهما هذه الزيادة عن خلاد فى آخر الحديث .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٤ : ٣ ، وزاد نسبته إلى إسحق بن راهويه ، والبزار ، وأبى يعلى ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، وابن حبان ، وأبى الشيخ ، وابن مردويه .

وذكر أن الأحد العشر الكوكب التى رآها فى منامه ساجدةً مع الشمس والقمر ، ما : —

١٨٧٨٠ — حدثنى على بن سعيد الكندى قال، حدثنا الحكم بن ظهير ، عن السدى ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن جابر قال : أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم رجلٌ من يهود يقال له : « بستانة اليهودى » ، فقال له : يا محمد ، أخبرنى عن الكواكب التى رآها يوسف ساجدةً له ، ما أسماؤها ؟ قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه بشىء ، ونزل عليه جبريل وأخبره بأسمائها . قال : فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه فقال : هل أنت مؤمن إن أخبرتك بأسمائها ؟ قال : نعم ! فقال : جربان ، والطارق ، والذيال ، وذو الكنفات ،[1] وقابس ، ووثاب ، وعمودان ، والفليق ، والمصبح ، والضَّروح ، وذو الفرغ ، ٩١/١٢
والضياء ، والنور . فقال اليهودى : والله إنها لأسماؤها ![2]

* * *

(١) فى المطبوعة : « ذو الكتفين » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو مطابق لما نقله ابن كثير فى تفسيره عن هذا الموضع من تفسير الطبرى . أما باقى الأسماء ، فإنى جهلت ضبطها .

(٢) الأثر : ١٨٧٨٠ — « الحكم بن ظهير الفزارى » ، متروك ، مضى مراراً ، برقم : ٢٤٩ ، ٥٥٢٣ ، ٥٧٩٢ ، ١١٣٣٥ .

و « عبد الرحمن بن سابط » ، هو « عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط » تابعى ثقة ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١١٥٢٦ . وهو يروى عن جابر مرسلا ، قيل ليحيى بن معين : « سمع عبد الرحمن من سعد بن أبى وقاص ؟ قال : لا . قيل : من أبى أمامة ؟ قال : لا . قيل من جابر قال : لا ، هو مرسل » .

وهذا الخبر خرجه السيوطى فى الدر المنثور ٤ : ٤ ، وقال : « أخرج سعيد بن منصور ، والبزار ، وأبو يعلى ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والعقيلى ، وابن حبان فى الضعفاء ، وأبو الشيخ ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، وأبو نعيم والبيهقى معاً فى دلائل النبوة ، عن جابر » .

ولم أعرف مكان هذا الخبر من المستدرك للحاكم ، ولكن العجب أنه صححه ، فإن هذا الخبر قد تفرد به الحكم بن ظهير ، وهو واهى الحديث متروك ، وحتى قال الجوزجانى : « ساقط لميله وأعاجيب حديثه ، وهو صاحب حديث نجوم يوسف » ، وقد أنكر العقيلى حديثه فى تسمية النجوم التى رآها يوسف عليه الصلاة والسلام . انظر تهذيب التهذيب ، وميزان الاعتدال ١ : ٢٦٨ ، وذكر الخبر من طريق ابن حبان بإسناده . وانظر الاختلاف فى أسماء النجوم هناك ، وراجع دلائل النبوة لأبى نعيم ، فإنى لم أجده هناك .

وقوله : « والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين » ، يقول : والشمس والقمر رأيتهم فى منامى سجوداً .

* * *

وقال : « ساجدين » ، والكواكب والشمس والقمر إنما يخبر عنها بـ « فاعلة » و« فاعلات » ، لا بالواو والنون ، [لأن الواو والنون] إنما هى علامة جمع أسماء ذكور بنى آدم ، أو الجن ، أو الملائكة .[1] وإنما قيل ذلك كذلك ، لأن « السجود » من أفعال من يُجمع أسماء ذكورهم بالياء والنون أو الواو والنون ، فأخرج جمع أسمائها مخرج جمع أسماء من يفعل ذلك ، كما قيل : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾ ، [سورة النمل : ١٨] .

* * *

وقال : « رأيتهم » ، وقد قيل : « إنى رأيت أحد عشر كوكبًا » ، فكرر الفعل ، وذلك على لغة من قال : « كلمت أخاك كلمته » توكيداً للفعل بالتكرير .

* * *

وقد قيل : إن الكواكب الأحد عشر كانت إخوته ، والشمس والقمر أبويه .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٧٨١ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكبًا » ، إخوته ، أحد عشر كوكبًا = « والشمس والقمر » ، يعنى بذلك : أبويه .

١٨٧٨٢ – حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا شريك ، عن السدى فى قوله : « إنى رأيت أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر » ، الآية ، قال : رأى أبويه وإخوته سجوداً له = فإذا قيل له : عمن ؟ قال : إن كان حقًّا فإن ابن عباس فسَّره .

١٨٧٨٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا

---

(١) الذى بين القوسين ، أظنه سقط من الكلام ، لذلك زدته حتى تقسيم العبارة .

معمر ، عن قتادة فى قوله : « أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين » ، قال : الكواكب إخوته ، والشمس والقمر أبواه .

١٨٧٨٤ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله : « إنى رأيت أحد عشر كوكبًا »، إخوته = « والشمس » ، أمه = « والقمر » ، أبوه .

١٨٧٨٥ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا أبو أحمد قال، قال سفيان : كان أبويه وإخوته .

١٨٧٨٦ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال، سمعت الضحاك قوله : « إنى رأيت أحد عشر كوكبًا»، هم إخوة يوسف = « والشمس والقمر » ، هما أبواه .

١٨٧٨٧ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكبًا » ، الآية ، قال : أبواه وإخوته . قال : فنعاه إخوته ، وكانوا أنبياء ، [1] فقالوا : ما رضى أن يسجد له إخوته حتى سجد له أبواه ! حين بلغهم .

* * *

وروى عن ابن عباس أنه قال : « الكواكب » ، إخوته ، و « الشمس والقمر » ، أبوه وخالته = من وجه غير محمود ، فكرهت ذكره .

* * *

(١) هكذا هى فى المخطوطة ، أيضاً ، أو نحواً من « نعاه » غير منقوطة ، ولا أدرى ما أراد .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (٥)

قال أبو جعفر : يقول جل ذكره قال : يعقوب لابنه يوسف : « يا بنىّ لا تقصص رؤياك » ، هذه ، « على إخوتك » ، فيحسدوك[1] = « فيكيدوا لك كيداً » ، يقول : فيبغوك الغوائل ، ويناصبوك العداوة ، ويطيعوا فيك الشيطان[2] = « إن الشيطان للإنسان عدوّ مبين » ، يقول : إن الشيطان لآدم وبنيه عدوٌّ ، قد أبان لهم عداوته وأظهرها .[3] يقول : فاحذر الشيطان أن يغرىَ إخوتك بك بالحسد منهم لك ، إن أنت قصصت عليهم رؤياك .

* * *

وإنما قال يعقوب ذلك ، لأنه قد كان تبيَّن له من إخوته قبلَ ذلك حسداً .[4] كما :—

١٨٧٨٨ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عمرو بن محمد العنقزى ، عن أسباط ، عن السدى قال : نزل يعقوب الشأم ، فكان همُّه يوسف وأخاه ، فحسده إخوته لما رأوا حبَّ أبيه له . ورأى يوسف فى المنام كأن أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رآهم له ساجدين ، فحدث أباه بها ، فقال : « يا بنى لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً » ، الآية .

* * *

واختلف أهل العربية فى وجه دخول « اللام » فى قوله « فيكيدوا لك كيداً » . فقال بعض نحويى البصرة : معناه : فيتخذوا لك كيداً = وليست مثل :

---

(١) انظر تفسير « القصص » فيما سلف ص : ٥٥١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الكيد » فيما سلف ص : ٣٦١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « مبين » فيما سلف من فهارس اللغة (بين) .
(٤) فى المطبوعة : « حسده » بالإضافة ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو جيد جداً .

﴿ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ ، [سورة يوسف : ٤٣] ، تلك أراد أن يوصل الفعل إليها باللام ، كما يوصل بالباء ، كما تقول : « قدمت له طعامًا » ، تريد قدّمت إليه ، وقال : ﴿ يَا كُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ ﴾ ، [سورة يوسف : ٤٨] ، ومثله قوله : ﴿ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ﴾ ، [سورة يونس : ٣٥] . قال : وإن شئت كان « فيكيدوا لك كيداً » ، فى معنى : « فيكيدوك » ، وتجعل اللام مثل : ﴿ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ ، [سورة الأعراف : ١٥٤] . وقد قال : « لربهم يرهبون » ، إنما هو بمكان : ربَّهم يرهَبُون .

* * *

وقال بعضهم : أدخلت « اللام » فى ذلك ، كما تدخل فى قولهم : « حمدت لك » و « شكرت لك » ، و « حمدتك » و « شكرتك » . وقال : هذه لام جلَبها الفعل ، [1] فكذلك قوله : « فيكيدوا لك كيداً » ، تقول : فيكيدوك = أو : يكيدوا لك ، فيقصدوك ، ويقصدوا لك . قال : و « كيداً » ، توكيدٌ . ٩٢/١٢

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ٦

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره ، مخبرًا عن قيل يعقوب لابنه يوسف ، لما قصّ عليه رؤياه : « وكذلك يجتبيك ربك » ، وهكذا يجتبيك ربك . يقول : كما أراك ربك الكواكب والشمسَ والقمرَ لك سجوداً ، فكذلك يصطفيك ربك ، [2] كما : —

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « هذه لام عليها الفعل » ، والصواب ما أثبت .

(٢) انظر تفسير « الاجتباء » فيما سلف ١٣ : ٣٤١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

١٨٧٨٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو العنقزى ، عن أبى بكر الهذلى ، عن عكرمة : « وكذلك يجتبيك ربك » ، قال : يصطفيك .

١٨٧٩٠ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث» ، فاجتباه واصطفاه وعلّمه من عَبْر الأحاديث ، وهو « تأويل الأحاديث » .

* * *

وقوله : « ويعلمك من تأويل الأحاديث» ، يقول : ويعلمك ربك من علم ما يؤول إليه أحاديثُ الناس ، عما يرونه فى منامهم . وذلك تعبير الرؤيا . (١)

* * *

١٨٧٩١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « ويعلمك من تأويل الأحاديث » ، قال عبارة الرؤيا .

١٨٧٩٢ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ويعلمك من تأويل الأحاديث»، قال : تأويل الكلام، العلم والكلام.(٢) وكان يوسف أعبرَ الناس ، وقرأ : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾، [سورة يوسف : ٢٢].

* * *

وقوله : « ويتم نعمته عليك » ، باجتبائه إياك ، واختياره ، وتعليمه إياك تأويل الأحاديث = « وعلى آل يعقوب » ، يقول : وعلى أهل دين يعقوب ، وملته من ذريته وغيرهم (٣)= « كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم واسحق » ، باتخاذه هذا خليلاً وتنجيته من النار ، وفدية هذا بذبح عظيم ، كالذى :–

---

(١) انظر تفسير « التأويل » فيما سلف ص : ٩٣ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) فى المطبوعة : « العلم والحلم » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو جائز .
(٣) انظر تفسير « الآل » فيما سلف ١٣ : ٨٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

١٨٧٩٣ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، أخبرنا أبو إسحق ، عن عكرمة في قوله : « ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحق » ، قال : فنعمته على إبراهيم أن نجاه من النار ، وعلى إسحق أنْ نجّاه من الذّبح .

* * *

وقوله : « إن ربك عليم حكيم » ، يقول : « إن ربك عليم » ، بمواضع الفضل ، ومَنْ هو أهلٌ للاجتباء والنعمة = « حكيم » ، في تدبيره خلقه .[1]

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ (٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « لقد كان في يوسف وإخوته » ، الأحد عشر = « آيات » ، يعني : عبر وذكر[2] = « للسائلين » ، يعني : السائلين عن أخبارهم وقصصهم . وإنما أراد جل ثناؤه بذلك نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم .

* * *

وذلك أنه يقال : إن الله تبارك وتعالى إنما أنزل هذه السورة على نبيه ، يعلمه فيها ما لقي يوسف من أدانيه وإخوته من الحسد ،[3] مع تكرمة الله إياه ، تسليةً له بذلك مما يلقى من أدانيه وأقاربه من مشركي قريش .[4] كذلك كان بن إسحق يقول :

---

(١) انظر تفسير « عليم » و « حكيم » في فهارس اللغة (علم) و (حكم) .

(٢) انظر تفسير « الآية » فيما سلف من فهارس اللغة (أيي) .

(٣) في المطبوعة : « من إخوته وأذايته من الحسد » ، وفي المخطوطة : « من أدانيه وإخوته من الحسد » ، ووضع فوق « أدانيه » « كذا » ، كأنه شك في صحتها ، وهي صواب لاشك فيه ، يعني أقرب الناس إليه . وانظر ما سيلي ، والتعليق عليه .

(٤) في المطبوعة : « من أذايته وأقاربه » ، والصواب ما أثبت ، وإنما حمله عليه ما ورط فيه نفسه قبل أسطر . انظر التعليق السالف .

١٨٧٩٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال : إنما قصّ الله تبارك وتعالى على محمد خبر يوسف ، وَبغْى إخوته عليه ، وحسدهم إياه ، حين ذكر رؤياه ، لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بغى قومه وحسده حين أكرمه الله عز وجل بنبوته، ليأتسى به .[1]

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « آيات للسائلين » .

فقرأته عامة قرأة الأمصار: ﴿ آياتٌ ﴾ على الجماع .

* * *

وروى عن مجاهد وابن كثير أنهما قرآ ذلك على التوحيد .

* * *

والذى هو أولى القراءتين بالصواب ، قراءةُ من قرأ ذلك على الجماع ، لإجماع الحجة من القرأة عليه

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ ⑧

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : لقد كان فى يوسف وإخوته آيات لمن سأل عن شأنهم، حين قال إخوة يوسف[2] : « ليوسف وأخوه »، من أمه = « أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة » ، يقولون : ونحن جماعة ذوُو عَدد ، أحد عشر رجلاً .

* * *

(١) فى المطبوعة : « ليتأسى به » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب .

(٢) فى المطبوعة : « قالوا إخوة يوسف » ، وهو ردىء ، وإنما أخطأ قراءة المخطوطة ، وكان الناسخ أراد أن يكتب « قالوا » ، ثم جعلها « قال » .

و« العصبة » ، من الناس ، هم عشرة فصاعداً ، قيل : إلى خمسة عشرَ ، ليس لها واحد من لفظها ، كالنَّفر والرهط .

* * *

= « إن أبانا لفى ضلال مبين » ، يعنون : إنّ أبانا يعقوب لفى خطأ من فعله ، ١٢/٩٣
فى إيثاره يوسف وأخاه من أمه علينا بالمحبة = ويعنى بـ « المبين » : أنه خطأٌ يبينُ عن نفسه أنه خطأ لمن تأمله ونظر إليه .(١)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٧٩٥ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو بن محمد العنقزى ، عن أسباط ، عن السدى : « إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا » ، قال : يعنون بنيامين . قال : وكانوا عشرة .

١٨٧٩٦ — . . . . قال، حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدى : « إن أبانا لفى ضلال مبين » ، قال : فى ضلال من أمرنا .

١٨٧٩٧ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « ونحن عصبة » ، قال : « العصبة » ، الجماعة .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴾ (٩)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : قال إخوة يوسف بعضهم لبعض : اقتلوا يوسف أو اطرحوه فى أرض من الأرض ، يعنون مكانًا من الأرض = « يخل لكم

(١) انظر تفسير « المبين » فيما سلف من فهارس اللغة (بين) .

وجه أبيكم » ، يعنون : يخلُ لكم وجه أبيكم من شغله بيوسف ، فإنه قد شغله عنّا ، وصرف وَجهه عنّا إليه = « وتكونوا من بعده قومًا صالحين » ، يعنون أنهم يتوبون من قتلهم يوسف ، وذنبهم الذى يركبونه فيه ، فيكونون بتوبتهم من قتله من بعد هلاك يوسف قومًا صالحين .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٧٩٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو بن محمد، عن أسباط ، عن السدى : « اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضًا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قومًا صالحين » ، قال : تتوبون مما صنعتم ، أو : من صنيعكم .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾ (١٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال قائل من إخوة يوسف : « لا تقتلوا يوسف » .

* * *

وقيل : إن قائل ذلك « روبيل » ، كان ابن خالة يوسف .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٧٩٩ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة : « لا تقتلوا يوسف » ، ذكر لنا أنه روبيل ، كان أكبر القوم ، وهو ابن خالة يوسف ، فنهاهم عن قتله .

١٨٨٠٠ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « اقتلوا يوسف » ، إلى قوله : « إن كنتم فاعلين » ، قال : ذكر لى ، والله أعلم ، أن الذى قال ذلك منهم « روبيل » ، الأكبر من بنى يعقوب ، وكان أقصدهم فيه رأيًا.

١٨٨٠١ – حدثنا الحسن قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة قوله : « لا تقتلوا يوسف » ، قال : كان أكبر إخوته ، وكان ابن خالة يوسف ، فنهاهم عن قَتْله .

* * *

وقيل : كان قائل ذلك منهم « شمعون » . (١)

* ذكر من قال ذلك :

١٨٨٠٢ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن الزبير ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن مجاهد فى قوله : « قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف » ، قال : هو شمعون .

* * *

وقوله : « وألقوه فى غيابة الجب » ، يقول وألقوه فى قَعْرِ الجبّ ، حيث يَغيبُ خبَرَه .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة أهل المدينة : ﴿ غَيابَاتِ الْجُبِّ ﴾ ، على الجماع .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة سائر الأمصار : ﴿ غَيابَةِ الْجُبِّ ﴾ ، بتوحيد « الغيابة » .

* * *

قال أبو جعفر : وقراءة ذلك بالتوحيد أحبُّ إلىّ .

* * *

و « الجبُّ » ، بئر .

* * *

(١) سيأتى فى الأثر رقم : ١٨٨٣١ ، اسم آخر ، وأنه هو قائل ذاك ، وهو : « يهوذا » .

وقيل : إنه اسم بئر بيت المقدس .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٨٠٣ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة فى : « غيابة الجب » ، قال : بئر ببيت المقدس .

١٨٨٠٤ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « غيابة الجب » ، قال : بئر ببيت المقدس .

* * *

و « الغيابة » ، كل شىء غيّب شيئًا فهو « غيابة » = و « الجب »، البئر غير المطويَّة .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٨٠٥ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى : « غيابة الجب » ، ، فى بعض نواحيها ، فى أسفلها .

١٨٨٠٦ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وألقوه فى غيابة الجب » ، يقول: فى بعض نواحيها .

١٨٨٠٧ – حدثنا الحسن بن محمد قال،حدثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة، مثله .[1]

١٨٨٠٨ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس :« وألقوه فى غيابة الجب »،قال : قالها كبيرهم الذى تخلَّف . قال : و « الجب » ، بئر بالشأم ٩٤/١٢

(١) الأثر : ١٨٨٠٧ – « الحسن بن محمد » ، هو « الحسن بن محمد بن الصباح الزعفرانى » ، شيخ الطبرى . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣٦/٢/١ .
و « عبد الوهاب » ، هو « عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى » ، مضى مراراً .

١٨٨٠٩ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: « وألقوه في غيابة الجب »، يعني الركيَّة.

١٨٨١٠ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال، سمعت الضحاك يقول : « الجبّ » ، البئر.

* * *

وقوله : « يلتقطه بعض السيارة » ، يقول : يأخذه بعض مارَّة الطريق من المسافرين[1] = « إن كنتم فاعلين » ، يقول : إن كنتم فاعلين ما أقول لكم . فذكر أنه التقطه بعض الأعراب .

١٨٨١١ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « يلتقطه بعض السيارة » ، قال : التقطه ناس من الأعراب .

* * *

وذكر عن الحسن البصري أنه قرأ: ﴿تَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾، بالتاء.

١٨٨١٢ – حدثني بذلك أحمد بن يوسف قال حدثنا القاسم قال ، حدثني حجاج ، عن هرون ، عن مطر الورّاق ، عن الحسن .

* * *

وكأنّ الحسن ذهب في تأنيثه « بعض السيارة » إلى أنّ فعلَ بعضها فعلهُا . والعرب تفعل ذلك في خبرٍ كان عن مُضافٍ إلى مؤنث ، [2]يكون الخبرُ عن بعضه خبرًا عن جميعه ، وذلك كقول الشاعر :[3]

أَرَى مَرَّ السِّنِينَ أَخَذْنَ مِنِّي كَمَا أَخَذَ السِّرَارُ مِنَ الْهِلَالِ[4]

---

(١) انظر تفسير « السيارة » فيما سلف ١١ : ٧١ – ٧٣ .

(٢) في المطبوعة : « عن المضاف إلى مؤنث » ، فأساء بفعله غاية الإساءة .

(٣) هو جرير .

(٤) سلف البيت وتخريجه وشرحه ١١ : ٨٦ ، وكان في المخطوطة والمطبوعة هنا « أرى » ، والرواية هناك ، وفي ديوانه « رأت » .

فقال : « أخذن منى » ، وقد ابتدأ الخبر عن « المرّ » ، إذ كان الخبر عن « المرّ » ، خبرًا عن « السنين » ، ، وكما قال الآخر :[١]

إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ سَيِّدٌ فَدَانَتْ لَهُ أَهْلُ الْقُرَى وَالْكَنَائِسِ[٢]

فقال : « دانت له » ، والخبر عن أهل القرى ، لأن الخبر عنهم كالخبر عن « القرى » . ومن قال ذلك لم يقل : « فدانت له غلام هند » ، لأن « الغلام » لو ألقى من الكلام لم تدلّ « هند » عليه ، كما يدل الخبر عن « القرية » على أهلها . وذلك أنه لو قيل : « فدانت له القرى » ، كان معلومًا أنه خبر عن أهلها . وكذلك « بعض السيارة » ، لو ألقى البعض فقيل : « تلتقطه السيارة » ، علم أنه خبر عن « البعض » أو « الكل » ، ودلّ عليه الخبر عن « السيارة » .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾ (١١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال إخوة يوسف ، إذ تآمروا بينهم ، وأجمعوا على الفرقة بينه وبين والده يعقوب ، لوالدهم يعقوب : « يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف » ، فتتركه معنا إذا نحن خرجنا خارج المدينة إلى الصحراء = « ونحن له ناصحون » ، نحوطه ونكلؤه .[٣]

* * *

---

(١) لم أعرف قائله .

(٢) معانى القرآن للفراء فى تفسير الآية .

(٣) انظر تفسير « نصح له » فيما سلف ص : ٣٠٥ ، تعليق : ٢ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ (١٢)

قال أبو جعفر : واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة أهل المدينة : ﴿ يَرْتَعِ وَيَلْعَبْ ﴾ ، بكسر العين من « يرتع » ، وبالياء فى « يرتع ويلعب » ، على معنى : « يفتعل » ، من « الرعى » : « ارتعيت فأنا أرتعى » ، كأنهم وجّهوا معنى الكلام إلى : أرسله معنا غداً يرتـع الإبل ويلعب ، « وإنّا له لحافظون » .

وقرأ ذلك عامة قرأة أهل الكوفة : ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ ﴾ ، بالياء فى الحرفين جميعًا ، وتسكين العين ، من قولهم : « رتع فلانٌ فى ماله » ، إذا لَهِىَ فيه ونَعِم ، وأنفقه فى شهواته . ومن ذلك قولهم فى مثل من الأمثال : « القَيْدُ والرَّتَعَة » ،[1] ومنه قول القطامى :

أَكُفْرًا بَعْدَ رَدِّ الْمَوْتِ عَنِّى وَبَعْدَ عَطَائِكَ الْمِئَةَ الرِّتَاعَا[2]

* * *

وقرأ بعض أهل البصرة : ﴿ نَرْتَعْ ﴾ ، بالنون ﴿ ونَلْعَبْ ﴾ ، بالنون فيهما جميعًا ، وسكون العين من « نرتع » .

١٨٨١٣ — حدثنى أحمد بن يوسف قال ، حدثنا القاسم قال ، حدثنا حجاج ، عن هرون قال : كان أبو عمرو يقرأ : ﴿ نَرْتَعْ ونَلْعَبْ ﴾ بالنون . قال : فقلت

---

(١) مثل ذكره الميدانى فى أمثاله ٢ : ٣٩ ، والمفضل الضبى فى أمثاله : ٦٢ ، والمفضل ابن سلمة فى كتابه الفاخر ص : ١٧٠ ، ٢٤١ ، واللسان (رتع) . وأصله أن عمرو بن الصعق ، أسرته شاكر ، من همدان ، فأحسنوا إليه . وكان فارق قومه نحيفاً ، فهرب من شاكر ، فلما وصل إلى قومه قالوا : أى عمرو ، خرجت من عندنا نحيفاً ، وأنت اليوم بادن ؟ فقال : « القيد والرتعة » ، فأرسلها مثلا . و « الرتعة » الخصب .

(٢) سلف البيت وتخريجه وشرحه ١ : ١١٦ ، تعليق : ١ .

لأبي عمرو : كيف يقولون « نلعب » ، وهم أنبياء ؟ قال : لم يكونوا يومئذٍ أنبياء .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءة في ذلك عندي بالصواب ، قراءةُ من قرأه في الحرفين كليهما بالياء، وبجزم العين في « يرتع »، لأن القوم إنما سألوا أباهم إرسال يوسف معهم ، وخدعوه بالخبر عن مسألتهم إياه ذلك ، عما ليوسف في إرساله معهم من الفرح والسرور والنشاط بخروجه إلى الصحراء وفسحتها ولعبه هنالك، لا بالخبر عن أنفسهم .

* * *

وبذلك أيضًا جاء تأويل أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٨١٤ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « أرسله معنا غداً يرتع ويلعب » ، يقول : يسعى وينشطُ .

١٨٨١٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال، قال ابن عباس: « يرتع ويلعب » ، قال : يلهو وينشط ويسعى . ٩٥/١٢

١٨٨١٦ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « أرسله معنا غداً يرتع ويلعب » ، قال : ينشط ويلهو.

١٨٨١٧ – حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا عبد الوهاب، عن سعيد، عن قتادة ، بنحوه .(١)

١٨٨١٨ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « يرتع ويلعب » ، قال : يسعى ويلهو.

١٨٨١٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني هشيم ، عن

---

(١) الأثر : ١٨٨١٧ – « الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني » ، وانظر تفسير هذا الإسناد فيما سلف رقم : ١٨٨٠٧ .

جويبر ، عن الضحاك قوله : « يرتع ويلعب » ، قال : يتلهّى ويلعب .

١٨٨٢٠ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « يرتع ويلعب » ، قال : يتلهّى ويلعب .

١٨٨٢١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو بن محمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يرتع ويلعب » ، قال : ينشط ويلعب .

١٨٨٢٢ – . . . . قال ، حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى : « أرسله معنا غداً يرتع ويلعب » ، يلهو .

١٨٨٢٣ – . . . . قال، حدثنا حسين بن على ، عن شيبان، عن قتادة : « أرسله معنا غداً يرتع ويلعب » ، قال : ينشط ويلعب .

١٨٨٢٤ – حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا نعيم بن ضمضم العامرى قال : سمعت الضحاك بن مزاحم فى قوله : « أرسله معنا غداً يرتع ويلعب » ، قال : يسعى وينشط.[1]

* * *

= وكأن الذين يقرأون ذلك : ﴿ يَرْتَعِ وَيَلْعَبْ ﴾ ، بكسر العين من « يرتع » يتأوّلونه على الوجه الذى : –

١٨٨٢٥ – حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ، قال ، ابن زيد فى

---

(١) الأثر : ١٨٨٢٤ – « نعيم بن ضمضم العامرى » ، لم أجد له ترجمة فى غير لسان الميزان ٦ : ١٦٩ ، قال : « نعيم بن ضمضم ، عن الضحاك ، بحديث فى الوضوء . وضعفه بعضهم . انتهى . وهذا روى عنه سفيان بن عيينة ، وأبو أحمد الزبيرى ، وقبيصة بن عقبة ، وعبد الرحمن ابن صالح الكوفى ، وآخرون . وذكر البخارى روايته فى ترجمة عمران بن حميرى (؟) ولم يفرده بترجمة . وما عرفت إلى الآن من ضعفه . وقد تقدم فى « عمران » ، أن ابن حبان سمى أباه جهضما، ويقال : ضمعج . قلت : وهما خطأ ، فقد أخرج حديثه البزار ، والطبرانى ، والحارث بن أبى أسامة فى أسانيدهم ، وأبو الشيخ . فى كتاب الثواب ، كلهم من رواية عبد العزيز بن أبان ، فقال: عن نعيم بن ضمضم ، عن عمران بن حميرى ، كما وقع عند البخارى » .

انتهى ما قاله الحافظ ابن حجر ، وهو جليل الفائدة ، وزادنا الطبرى فى إسناده أنه العامرى »

قوله : ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعِ وَيَلْعَبْ ﴾ ، قال : يرعى غنمه ، وينظر ويعقل ، فيعرف ما يعرف الرجُل .

* * *

وكان مجاهد يقول فى ذلك بما :—

١٨٨٢٦ — حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا شبابة قال، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله: ﴿ نَرْتَعِ ﴾ يحفظ بعضنا بعضاً ، نتكالأ، نتحارس.[1]

١٨٨٢٧ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : ﴿نَرْتَعِ﴾ ، قال : يحفظ بعضنا بعضًا، نتكالأ .

١٨٨٢٨ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد =

١٨٨٢٩ — وحدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

١٨٨٣٠ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، بنحوه .

* * *

قال أبوجعفر : فتأويل الكلام : أرسله معنَا غداً نلهو ونلعب وننعم وننشط فى الصحراء ، ونحن حافظُوه من أن يناله شىء يكرهه أو يؤذيه .

* * *

(١) « نتكالأ » من قولهم : « كلأه » ، أى حفظه ورعاه وحرسه .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾ (١٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال يعقوب لهم : إنى ليحزننى أن تذهبوا به معكم إلى الصحراء،[١] مخافةً عليه من الذئب أن يأكله، وأنتم عنه غافلون لا تشعرون.[٢]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ (١٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال إخوة يوسف لوالدهم يعقوب : لئن أكل يوسف الذئبُ فى الصحراء ، ونحن أحد عشر رجلاً معه نحفظه = وهم العصبة[٣] = « إنا إذاً لخاسرون » ، يقول : إنا إذاً لعجزة هالكون.[٤]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٥)

قال أبو جعفر : وفى الكلام متروكٌ حذف ذكره، اكتفاءً بما ظهر عما ترك، وهو : « فأرسله معهم » = « فلما ذهبوا به وأجمعوا » ، يقول : وأجمع رأيهم،[٥] وعزموا على أن يجعلوه فى « غيابة الجب » ،[٦] كما :–

(١) انظر تفسير « الحزن » فيما سلف ص : ١٤٢ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الغفلة » فيما سلف ص : ٥٥١ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « العصبة » فيما سلف ص : ٥٦٢ .
(٤) انظر تفسير « الخسران » فيما سلف من فهارس اللغة (خسر) .
(٥) انظر تفسير « الإجماع » فيما سلف ص : ١٤٧ ، ١٤٨ .
(٦) انظر تفسير « غيابة الجب » فيما سلف ص : ٥٦٥ ، ٥٦٦ .

١٨٨٣١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدى قوله : « إنى ليحزننى أن تذهبوا به »، الآية ، قال، قال : لن أرسله معكم ، إنى أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون = « قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنّا إذاً لخاسرون » ، فأرسله معهم ، فأخرجوه وبه عليهم كرامة ، فلما برزوا به إلى البرّية أظهروا له العداوة ، وجعل أخوه يضربه ، فيستغيث بالآخر فيضربه ، فجعل لا يرى منهم رحيماً ،[1] فضربوه حتى كادوا يقتلونه ، فجعل يصيح ويقول : يا أبتاه ! يا يعقوب ! لو تعلم ما صنع بابنك بنو الإماء ! فلما كادوا يقتلونه، قال يهوذا :[2] أليس قد أعطيتمونى موثقاً أن لا تقتلوه ؟ ٩٦/١٢ فانطلقوا به إلى الجبّ ليطرحوه ، فجعلوا يدلونه فى البئر فيتعلّق بشفير البئر . فربطوا يديه ، ونزعوا قميصه ، فقال : يا إخوتاه ! ردوا علىّ قميصى أتوارى به فى الجبّ ! فقالوا : ادعُ الشمسَ والقمرَ والأحد عشر كوكباً تؤنسك ! قال : إنى لم أر شيئاً ، فدلوه فى البئر ، حتى إذا بلغ نصفها ألقوه إرادةَ أن يموت . وكان فى البئر ماءٌ فسقط فيه ، ثم أوَى إلى صخرة فيها فقام عليها . قال : فلما ألقوه فى البئر ، جعل يبكى ، فنادوه ، فظنّ أنها رحمة أدركتهم ، فلبّاهم ، فأرادوا أن يرضخوه بصخرة فيقتلوه ، فقام يهوذا فمنعهم ، وقال : [قد أعطيتمونى موثقاً أن لا تقتلوه ! وكان يهوذا يأتيه بالطعام .

* * *

وقوله : « فلما ذهبوا به وأجمعوا » ، فأدخلت « الواو » فى الجواب ، كما قال امرؤ القيس :

---

(١) انظر ما قلته فى « جعل » وأشباهها ، وأنها أفعال استعانة ، لها مكان فى التعبير لا يغنى مكانها شىء غيرها . انظر ج ١١ تعليق : ١ .

(٢) انظر ما سلف ص : ٥٦٥ ، تعليق : ١ فى اسم هذا القائل ، وأنه « روبيل » أو « شمعون » ، ولم يذكر هناك « يهوذا » .

فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الحَيِّ وَانْتَحَى بِنا بَطْنُ خَبْتٍ ذِي قِفافٍ عَقَنْقَلِ (١)

فأدخل « الواو » فى جواب « لما » ، وإنما الكلام : فلما أجزنا ساحة الحى ، انتحى بنا . وكذلك : « فلما ذهبوا به وأجمعوا » ، لأن قوله : « أجمعوا » هو الجواب .

* * *

وقوله : « وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم » ، يقول : وأوحينا إلى يوسف ، لتخبرنّ إخوتك = « بأمرهم هذا » ، يقول : بفعلهم هذا الذى فعلوه بك = « وهم لا يشعرون » ، يقول : وهم لا يعلمون ولا يدرُون .(٢)

* * *

ثم اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى عناه الله عز وجل بقوله : « وهم لا يشعرون » .

فقال بعضهم : عنى بذلك : أن الله أوحى إلى يوسف أنّ يوسف سينبىء إخوته بفعلهم به ما فعلوه : من إلقائه فى الجب وبيعهم إياه ، وسائر ما صنعوا به من صنيعهم ، وإخوته لا يشعرون بوحى الله إليه بذلك .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٨٣٢ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وأوحينا إليه » ، إلى يوسف .

١٨٨٣٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا » ، قال : أوحينا إلى يوسف : لتنبئنّ إخوتك .

١٨٨٣٤ — . . . . قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم

---

(١) معلقته المشهورة ، وسيأتى فى التفسير ١٧ : ٧٣ (بولاق) ، وكان فى المطبوعة : « ذى حقاف » ، وأثبت روايته هذه من المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « شعر » فيما سلف ١٢ : ٥٧٦ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

لا يشعرون » قال : أوحى إلى يوسف وهو فى الجبّ أنْ سينبئهم بما صنعوا ، وهم لا يشعرون بذلك الوحى .

١٨٨٣٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال مجاهد : « وأوحينا إليه » ، قال : إلى يوسف .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : وأوحينا إلى يوسف بما إخوته صانعون به ، وإخوته لا يشعرون بإعلام الله إيّاه بذلك .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٨٣٦ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون » ، بما أطلع الله عليه يوسف من أمرهم ، وهو فى البئر .

١٨٨٣٧ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون »، قال: أوحى الله إلى يوسف وهو فى الجب أن ينبئهم بما صنعوا به، وهم لا يشعرون بذلك الوحى .

١٨٨٣٨ – حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن قتادة ، بنحوه = إلا أنه قال : أن سينبئهم .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أن يوسف سينبئهم بصنيعهم به ، وهم لا يشعرون أنه يوسف .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٨٣٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « وهم لا يشعرون » ، يقول : وهم لا يشعرون أنه يوسف .

١٨٨٤٠ – حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا صدقة ابن عبادة الأسدى ، عن أبيه ، قال : سمعت ابن عباس يقول : لما دخل إخوة

يوسف فعرفهم وهم له منكرون، قال: جيء بالصُّوَاع ، فوضعه على يده ، ثم نقره فطنّ ، فقال : إنه ليخبرني هذا الجامُ أنه كان لكم أخٌ من أبيكم يقال له يوسف ، يدنيه دونكم ، وإنكم انطلقتم به فألقيتموه في غيابة الجب ! قال : ثم نقره فطنّ= فأتيتم أباكم فقلتم: إن الذئب أكلَه، وجئتم على قميصه بدَمٍ كذِب! قال : فقال بعضهم لبعض : إن هذا الجام ليخبره بخبركم ! قال ابن عباس: فلا نرى هذه الآية نزلت إلا فيهم : « لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون » .(١)

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَجَاءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ ﴿١٧﴾ ٩٧/١٢

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : وجاء إخوة يوسف أباهم ، بعد ما ألقوا يوسف في غيابة الجبّ ، عشاء يبكون .

* * *

وقيل: إن معنى قوله « نستبق »، ننتضل، من« السباق »،(٢) كما:—

١٨٨٤١ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو بن محمد قال ، حدثنا

---

(١) الأثر : ١٨٨٤٠ — «صدقة بن عبادة بن نشيط الأسدي» ، روى عن أبيه عن ابن عباس . روى عنه أبو داود الطيالسي ، وموسى بن إسماعيل ، وغيرهما ، مترجم في الكبير ٢٩٨/٢/٢ ، وابن أبي حاتم ٤٣٣/١/٢ .

وأبوه « عبادة بن نشيط الأسدي » ، روى عن ابن عباس ، روى عنه ابنه صدقة ، مترجم في ابن أبي حاتم ٩٦/١/٣ .

ولم يذكروا فيه ولا في ابنه جرحاً . ومع ذلك فالخبر عندي غير مستقيم . وكفاه اختلالا أنه مخالف لصريح القرآن ، ولو وافقه لكان أولى به أن يكون قال لهم ذلك ، لما دخلوا عليه فقال لهم : « هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون » ، في آخر السورة .

(٢) انظر تفسير « الاستباق » فيما سلف ٣ : ١٠/١٩٦ : ٣٩١

أسباط ، عن السدى قال : أقبلوا على أبيهم عشاء يبكون ، فلما سمع أصواتهم فزع وقال : ما لكم يا بنىّ ؟ هل أصابكم فى غنمكم شىء ؟ قالوا : لا ! قال : فما فعل يوسف؟ قالوا : « يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب » ! فبكى الشيخ وصاح بأعلى صوته ، وقال : أين القميص ؟ فجاؤوه بالقميص عليه دمٌ كذب ، فأخذ القميص فطرحه على وجهه ، ثم بكى حتى تخضَّب وجهه من دم القميص .

* * *

وقوله : « وما أنت بمؤمن لنا » ، يقولون : وما أنت بمصدّقنا على قِيلنا : إن يوسف أكله الذئب ، ولو كنا صادقين ! كما :—

١٨٨٤٢ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدى : « وما أنت بمؤمن لنا » ، قال : بمصدق لنا !

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

* * *

[فإن قال قائل : وكيف قال : « ولو كنا صادقين » ، وقوله] :[1] « ولو كنا صادقين » ، إما خبرٌ عنهم أنهم غير صادقين ، فذلك تكذيب منهم أنفسَهم = أو خبرٌ منهم عن أبيهم أنه لا يصدِّقهم لو صدَقوه ، فقد علمت أنهم لو صَدَقوا أباهم الخبرَ صَدَّقهم ؟

قيل : ليس معنى ذلك بواحدٍ منهما ، وإنما معنى ذلك : وما أنت بمصدِّق لنا ولو كنا من أهل الصدق الذين لا يُتَّهمون ، لسوء ظنك بنا ، وتُهَمَتك لنا .

* * *

(١) هذه الزيادة بين القوسين لابد منها حتى يستقيم الكلام ، وظنى أنه سقط من كلام الطبرى شىء ، فلذلك وضعت قبله أسطراً من النقط ، لأنى أرى أنه لم يتم تفسير الآية على عادته فى كل ما سلف .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ (١٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : «وجاؤوا على قميصه بدم كذب » ، وسماه الله « كذبًا » ، لأن الذين جاءوا بالقميص وهو فيه ، كذَبوا فقالوا ليعقوب : « هو دم يوسف » ، ولم يكن دمه ، وإنما كان دم سَخْلةٍ ،[1] فيما قيل .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٨٤٣ — حدثنى أحمد بن عبد الصمد الأنصارى قال ، حدثنا أبو أسامة ، عن شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « وجاؤوا على قميصه بدم كذب » ، قال : دم سخلة.[2]

١٨٨٤٤ — حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا شبابة قال ، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « وجاؤوا على قميصه بدم كذب » ، قال : دم سخلة ، شاة .

١٨٨٤٥ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « بدم كذب » ، قال : دم سخلة = يعنى شاة .

١٨٨٤٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « بدم كذب » ، قال : دم سخلةٍ ، شاة .

---

(١) « السخلة » . ولد الشاة من المعز والضأن ، ذكراً كان أو أنثى .

(٢) الأثر : ١٨٨٤٣ — « أحمد بن عبد الصمد بن على بن عيسى الأنصارى الزرقى » ، « أبو أيوب » ، شيخ الطبرى ، مشهور لا بأس به . مترجم فى تاريخ بغداد ٤ : ٢٧٠ ، ولسان الميزان ١ : ٢١٤ ، وروى عنه الطبرى فى تاريخه ٥ : ٢٢ ، فى موضع واحد . وانظر ما سيأتى رقم : ١٨٨٥٥ .

١٨٨٤٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : « بدم كذب » ، قال : كان ذلك الدم كذبًا ، لم يكن دمَ يوسف .

١٨٨٤٨ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « بدم كذب » ، قال : دم سخلة ، شاة .

١٨٨٤٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : « بدم كذب » ، قال : بدم سخلة .

١٨٨٥٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدى ، قال: ذبحوا جديًا من الغنم ، ثم لطَّخوا القميص بدمه، ثم أقبلوا إلى أبيهم ، فقال يعقوب : إنْ كان هذا الذئبُ لرحيمًا ! كيف أكل لحمه ولم يخرق قميصه ؟ يا بني ، يا يوسف ، ما فعل بك بنو الإماء !

١٨٨٥١ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان الثوري ، عن سماك بن حرب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وجاؤوا على قميصه بدم كذب » ، قال : لو أكله السبع لخرق القميص .

١٨٨٥٢ – حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا أبو خالد قال ، حدثنا سفيان ، بإسناده عن ابن عباس ، مثله = إلا أنه قال : لو أكله الذئب لخرَّق القميص .

١٨٨٥٣ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن سماك ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : « وجاؤوا على قميصه بدم كذب » ، قال : لو كان الذئب أكله لخرَّقه .

١٨٨٥٤ – حدثني عبيد الله بن أبي زياد قال، حدثنا عثمان بن عمرو قال ، حدثنا قرة ، عن الحسن قال : جيء بقميص يوسف إلى يعقوب ، فجعل

ينظر إليه فيرى أثر الدم ، ولا يرى فيه خَرْقًا ، قال : يا بنى ، ما كنت أعهدُ الذئب حليمًا ؟

١٨٨٥٥ – حدثنا أحمد بن عبد الصمد الأنصارى قال، حدثنا أبو عامر العقدى، عن قرة قال : سمعت الحسن يقول : لما جاؤوا بقميص يوسف ، فلم ٩٨/١٢ ير يعقوب شقًّا قال : يا بنى ، والله ما عهدت الذئب حليمًا؟ (١)

١٨٨٥٦ – حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا حماد بن مسعدة، عن عمران ابن مسلم ، عن الحسن قال : لما جاء إخوة يوسف بقميصه إلى أبيهم ، قال : جعل يقلبه فيقول : ما عهدت الذئب حليمًا ؟ أكل ابنى ، وأبقى على قميصه !

١٨٨٥٧ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وجاؤوا على قميصه بدم كذب » قال : لما أتوا نبيَّ الله يعقوب بقميصه قال : ما أرى أثرَ سبع ، ولا طعْنٍ ، ولا خرْق .

١٨٨٥٨ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « بدم كذب » ، الدم الكذب ، لم يكن دم يوسف .

١٨٨٥٩ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا مجالد ، عن الشعبى قال: ذبحوا جديًا ولطخوه من دمه . فلما نظر يعقوب إلى القميص صحيحًا ، عرف أن القوم كذبوه ، فقال لهم : إن كان هذا الذئب لحليمًا ، حيث رَحم القميص ولم يرحم ابنى ! فعرف أنهم قد كذبوه .

١٨٨٦٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة ، عن سفيان ، عن سماك ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وجاؤوا على قميصه بدم كذب »، قال : لما أتى يعقوب بقميص يوسف فلم ير فيه خرقًا قال : كذبتم ، لو أكله السبع لخرق قميصه !

---

(١) الأثر : ١٨٨٥٥ – « أحمد بن عبد الصمد الأنصارى » ، انظر ما سلف رقم : ١٨٨٤٣ .

١٨٨٦١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا إسحق الأزرق ، ويعلى ، عن زكريا ، عن سماك ، عن عامر قال : كان فى قميص يوسف ثلاث آيات : حين جاؤوا على قميصه بدم كذب . قال : وقال يعقوب : لو أكله الذئب لخرقَ قميصه .

١٨٨٦٢ – حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا محمد قال، حدثنا زكريا ، عن سماك ، عن عامر قال : إنه كان يقول : فى قميص يوسف ثلاث آيات : حين ألقى على وجه أبيه فارتد بصيرًا ، وحين قُدَّ منْ دُبُر، وحين جاؤوا على قميصه بدم كذب .

١٨٨٦٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن إسرائيل، عن سماك ، عن عامر قال : كان فى قميص يوسف ثلاث آيات : الشقُّ ، والدم ، وألقاه على وجه أبيه فارتدَّ بصيرًا .

١٨٨٦٤ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا أبو عامر قال، حدثنا قرة ، عن الحسن قال : لما جيء بقميص يوسف إلى يعقوب ، فرأى الدم ولم ير الشق قال : ما عهدت الذئب حليمًا ؟

١٨٨٦٥ – . . . . قال، حدثنا حماد بن مسعدة قال، حدثنا قرة ، عن الحسن ، بمثله

* * *

فإن قال قائل : كيف قيل « بدم كذب » ، وقد علمت أنه كان دمًا لا شك فيه ، وإن لم يكن كان دم يوسف ؟

قيل : فى ذلك من القول وجهان :

أحدهما : أن يكون قيل « بدم كذب » ، لأنه كُذِب فيه ، كما يقال : « الليلة الهلالُ » ، وكما قيل : ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾ ،[سورة البقرة: ١٦] . وذلك قولٌ كان بعض نحويى البصرة يقوله .

والوجه الآخر : وهو أن يقال : هو مصدر بمعنى « مفعول » . وتأويله : وجاؤوا على قميصه بدم مكذوب = كما يقال : « ما له عقل ، ولا معقول » و « لا له جَلَد ولا له مجْلود » . والعرب تفعل ذلك كثيرًا ، تضع « مفعولاً » ، فى موضع المصدر ، والمصدر فى موضع « مفعول » ، كما قال الراعى :

حَتَّى إذَا لَمْ يَتْرُكُوا لِعِظَامِهِ لَحْماً وَلاَ لِفؤادِهِ مَعْقولاَ (١)

وذلك كان يقوله بعض نحويى الكوفة .(٢)

* * *

وقوله : « قال بل سوّلت لكم أنفسكم أمرًا » ، يقول تعالى ذكره : قال يعقوب لبنيه الذين أخبروه أن الذئب أكل يوسف ، مكذّبًا لهم فى خبرهم ذلك : ما الأمر كما تقولون ، « بل سوّلت لكم أنفسكم أمرًا » ، يقول : بل زيّنت لكم أنفسكم أمرًا فى يوسف وحسنته ، ففعلتموه ، كما :—

١٨٨٦٦ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة

---

(١) جمهرة أشعار العرب : ١٧٥ ، وغيرها ، من ملحمته المشهورة ، قالها لعبد الملك بن مروان ، وكان بعض عماله على الصدقات ، قد أوقع ببنى نمير قوم الراعى ، لأن قيساً كانت زبيرية الهوى ، فقال :

أَخَلِيفَةَ الرَّحْمٰنِ إنَّا مَعْشَرٌ حُنَفَاءُ نَسْجُدُ بُكْرَةً وأَصِيلاَ
عَرَبٌ ، نَرَى لِلّٰهِ فى أَمْوالِنا حَقَّ الزَّكاةِ مُنَزَّلاً تنزيلاَ
إنَّ السُّعاةَ عَصَوْكَ يَوْمَ أَمَرْتَهُمْ وأَتَوْا دَوَاهِىَ ، لو عَلِمْتَ ، وغُولاَ

ثم يقول له :

أَخَذُوا العَرِيفَ فَقَطَّعُوا حَيْزُومَهُ بِالأَصْبَحِيَّةِ قائماً مَغْلُولاَ
حَتَّى إذَا لَمْ يَتْرُكُوا . . . .
. . . . . .
جَاءُوا بِصَكِّهِمُ ، وأَحْدَبَ أَشْأَرَتْ مِنْهُ السِّياطُ يَرَاعَةً إجْفِيلاَ

وهى من جيد الشعر .

(٢) هو الفراء فى معانى القرآن ، فى تفسير هذه الآية .

قال : « بل سوّلت لكم أنفسكم أمرًا »، قال يقول : بل زينت لكم أنفسكم أمرًا .

* * *

وقوله : « فصبر جميل » ، يقول : فصبرى على ما فعلتم بى فى أمر يوسف ، صبرٌ جميل = أو : فهو صبر جميل .

* * *

وقوله : « والله المستعان على ما تصفون » ، يقول : واللهَ أستعين على كفايتى شرَّ ما تصفون من الكذب .[1]

* * *

وقيل : إن « الصبر الجميل » ، هو الصبر الذى لا جزع فيه .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٨٦٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « فصبر جميل » ، قال : ليس فيه جزع .

١٨٨٦٨ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٨٨٦٩ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله . ٩٩/١٢

١٨٨٧٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن مجاهد : « فصبر جميل » ، فى غير جزع .

١٨٨٧١ — . . . . قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٨٨٧٢ — . . . . قال، حدثنا عمرو بن عون قال، أخبرنا هشيم ، عن عبد الرحمن بن يحيى ، عن حبان بن أبى جبلة قال : سئل رسول الله صلى الله

---

(١) انظر تفسير « الوصف » فيما سلف ١٢ : ١٠ ، ١١ ، ١٥٢ .

عليه وسلم عن قوله : « فصبر جميل » ، قال: صبر لا شكوى فيه . قال : من بثّ فلم يصبر .(١)

١٨٨٧٣ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عبد الرحمن بن يحيي ، عن حبان بن أبي جبلة : أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله : « فصبر جميل » ، قال : صبر لا شكوى فيه .(٢)

١٨٨٧٤ – . . . . قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « فصبر جميل » ، ليس فيه جزع .

١٨٨٧٥ – حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا شبابة قال، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٨٨٧٦ – حدثنا الحسن بن يحيي قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري ، عن رجل ، عن مجاهد في قوله : « فصبر جميل » ، قال : في غير جزع .

١٨٨٧٧ – حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٨٨٧٨ – حدثنا الحسن بن يحيي قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري ، عن بعض أصحابه قال : يقال : ثلاث من الصبر : أن لا تحدّث بوجعك ، ولا بمصيبتك ، ولا تزكّي نفسك = قال أخبرنا الثوري ، عن حبيب

---

(١) الأثر : ١٨٨٧٢ – « حبان بن أبي جبلة المصري » ، أحد العشرة الذين بعثهم عمر ، ليفقهوا أهل مصر ، مضى برقم : ٢١٩٥ ، ١٠١٨٠ .

أما « عبد الرحمن بن يحيى » ، فلم أعرف من يكون ، وقد سلف في مثل هذا الإسناد برقم : ١٠١٨٠ ، وظن أخي هناك أنه قد يكون « عبد الرحمن بن زياد بن أنعم » ، ولكن قد اتفق أن يكون في الموضعين، على تباعدهما « عبد الرحمن بن يحيى »، فهذا معبد اله عن التصحيف والتحريف ، إلا أن يكون هذا أحد الرواة عن حبان ، لم نعرفه . وعسى أن يأتي في التفسير بعد ما يوضحه .

ثم انظر أيضاً الإسناد الذي يليه .

(٢) الأثر : ١٨٨٧٣ – « عبد الرحمن بن يحيى » ، انظر التعليق السابق .

ابن أبي ثابت : أن يعقوب النبيّ صلى الله عليه وسلم كان قد سقط حاجباه ، فكان يرفعهما بخرقة ، فقيل له : ما هذا ؟ قال : طول الزمان، وكثرة الأحزان! فأوحى الله تبارك وتعالى إليه : يا يعقوب ، أتشكوني ؟ قال : يا رب ، خطيئة أخطأتها ، فاغفرها لي .

* * *

وقوله : « والله المستعان على ما تصفون » .[1]

١٨٨٧٩ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « والله المستعان على ما تصفون » ، أي : على ما تكذبون

* * *

تمّ الجزء الخامس عشر من تفسير الطبريّ

ويليه الجزء السادس عشر ، وأوله :

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَٰذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾

---

(١) انظر تفسير « الوصف » فيما سلف ص : ٥٨٤ ، تعليق ١ ، والمراجع هناك .

الفهارس

فهرس الآيات التى استدلّ بها فى غير موضعها من التفسير

السورة/الآية	الصفحة
آيات سورة البقرة	
١٠	٢٨٧
١٦	٥٨٢
٢٥	١٤١
١٢١	٢٧٥
١٨٠	٤٤٥
١٩٦	٧٤
٢١٣	٤٧
* * *	
آية سوره آل عمران	
١٦١	٩٠
* * *	
آيات سورة النساء	
٣	٤٩٧
٤٧	١٧٩
٧٢	٤٩٨
١٥٤	٨٧
١٥٧	٣٣٢
* * *	
آية سورة المائدة	
١١٦	٢٠٣
* * *	
آيات سورة الأنعام	
٨٤، ٨٥	١٦٦
٩٦	٢٩٤
١٣٣	١٦٣
١٣٦	١١١، ١١٣

السورة/الآية	الصفحة
١٣٨	١١٢
١٣٩	١١٢
١٤٢—١٤٤	١١٣
١٦٠	٧٠
* * *	
آيات سورة الأعراف	
٣٢	١١٢
٣٨	١١٠
٦٥	١٣
٦٩	١٣
١٥٤	٥٥٩
* * *	
آيات سورة التوبة	
٣٨	١١٠
٦٢	٢٣
٩٥	١٧٨
* * *	
آيات سورة يونس	
٣٥	٥٥٩
٩٠	٢٠٥
٩٤	٢٧٩
٩٨	٥٢٧
١٠٠	٢١٢
* * *	
آيات سورة هود	
١	١٢
١٥	٢٦

السورة / الآية	الصفحة
١٨	٢٠٤
٨١	٧٦
١٠٥	٥٣٦
* * *	
آيات سورة يوسف	
٢٢	٥٦٠
٤٣	٥٥٩
٤٨	٥٥٩
٨٢	٩١، ١٦٧، ٣٤٦
١٠٩	١٣
* * *	
آية سورة الرعد	
٣٦	٢٨٠
* * *	
آية سورة إبراهيم	
٣٩	٤٠١
* * *	
آية سورة الحجر	
٦٥	٧٦، ٤٣٢
* * *	
آيات سورة النحل	
٨٩	٢٨٣
٩٠	٤٩٤
* * *	
آيات سورة الإسراء	
٣	١٦٦
٧	١٥٦
١١	٣٩٩
١٣	٨١
٧٨	٥٠٨
* * *	

السورة / الآية	الصفحة
آيات سورة الكهف	
٢٩	٢٢
٦٤	٣٩٩
* * *	
آيات سورة مريم	
٥٩	٣٠٥
٧١	٤٦٢
٧٢	٤٦٧
٨٦	٤٦٧
* * *	
آيات سورة الأنبياء	
٧١	١٩٩
٩٨	٤٦٧
* * *	
آية سورة المؤمنون	
٤٤	٤٩٥
* * *	
آية سورة النور	
٣٦	١٧٤
* * *	
آية سورة النمل	
١٨	٥٥٦
* * *	
آية سورة القصص	
٨	١٧٨
* * *	
آيات سورة العنكبوت	
٢٧	٧١
٣٢	٤٠٥
* * *	

السورة / الآية	الصفحة
آية سورة الروم	
٣٩	٢٦٣
* * *	
آية سورة لقمان	
١٨	٧٨
* * *	
آية سورة السجدة	
١٧	٢٤٩
* * *	
آيات سورة الأحزاب	
١	٢٠٣
٦	٤١٤
٤٧	١٣٨
* * *	
آية سورة سبأ	
٤٨	١٢٤
* * *	
آيات سورة فاطر	
٣	١١٧
٤٥	٣٥
* * *	
آية سورة يس	
٤١	٥٢
* * *	
آية سورة الصافات	
٦٣	١٧٠
* * *	
آية سورة ص	
٦٤	١٢٤
* * *	

السورة / الآية	الصفحة
آيات سورة الزمر	
٩	٢٧٧
٢٣	٥٥٢، ٥٥٣
٥٣	٣٤٨هـ
* * *	
آية سورة الزخرف	
٥١	٢٩
* * *	
آية سورة الأحقاف	
٣٥	٥٤
* * *	
آية سورة ق	
٣٥	٧٠
* * *	
آيات سورة الذاريات	
٢٩	٣٩٥
٣٣، ٣٤	٤٣٥
٣٦	٤٠٥
٣٧	٤٠٥
٤٩	٣٢٤
* * *	
آيات سورة النجم	
٤٥	٣٢٣
٥٣	٤٤٢
* * *	
آيات سورة القمر	
١١—١٣	٣١٥
٣٤	٤٢٨
٣٧	٤٢٧، ٤٣١
* * *	

السورة / الآية	الصفحة
آية سورة الرحمن	
٦٢	٢٤٨
* * *	
آية سورة الحديد	
١٦	٥٥٣
* * *	
آية سورة الطلاق	
١	١١٦، ١٦٧، ٢٩٧
* * *	
آية سورة التحريم	
١٠	٣٤١، ٣٤٣
* * *	
آيات سورة القلم	
٩	٥٠١
٤٢، ٤٣	٢٨٧
* * *	
آية سورة الحاقة	
٢١	٣٣٣
* * *	
آيات سورة نوح	
٣ ، ٤	٣٥٨

السورة / الآية	الصفحة
٥ــ٢٨	٣١٣
٧	٢٣٨
١٣	٢٦
٢٦	٣٠٦، ٣٠٨
* * *	
آيات سورة النبأ	
١٦، ١٧	١٧٩
* * *	
آية سورة الطارق	
٦	٣٣٢
* * *	
آية سورة الفجر	
١٩	٤٩٥
* * *	
آية سورة الزلزلة	
٥	٢٩١
* * *	
آيات سورة الكافرون	
١ــ٣	٩٥
* * *	

فهرس اللغة

هذا الفهرس مرتب على ترتيب معاجم اللغة ، على أصل الاشتقاق ، وعلى آخر الأصل باباً ، وأوله فصلاً .

(بدأ) بدأ الخلق : ٢٠ ، ٨٥
بادئ الرأى : ٢٩٦
(برأ) برئ : ٩٤ ، ٣٠٦
(بوأ) بوّأه : ١٩٨
مبوّأ صدق : ١٩٨
تبوّأ : ١٧١
(ذرأ) ذرية : ١٦٣ — ١٦٦
(سوأ) سيء به : ٤٠٧
السوء : ٣٦٠ ، ٣٦١
مسه بسوء : ٣٧١
السيئات : ٤٣ ، ٧٣ ، ٢٥٦ ، ٥٠٩ — ٥٢٦
(ضوأ) ضياء : ٢٣
(ملأ) الملأ : ١٥٥ ، ١٦٦ ، ١٧٧ ، ٢٩٥ ، ٣١٠ ، ٤٦٦
(نبأ) النبأ : ١٤٧ ، ٣٥٦ ، ٤٧٠ ، ٥٣٩ ،
نبأه : ٤٦ ، ٥٤
استنبأه : ١٠٢
(نشأ) أنشأه : ٣٦٨
(هزأ) يستهزئ : ٢٥٤

* * *

(تبب) تتبيب : ٤٧٢ ، ٤٧٣
(توب) تاب : ٢٢٩ ، ٣٥٨ ، ٣٦٩ ، ٤٥٦ ، ٤٩٩
(جبب) الجبّ : ٥٦٥ — ٥٦٧ ، ٥٧٣
(جنب) دعانا لجنبه : ٣٦
(جوب) مجيب : ٣٦٩
استجاب : ٢٦١
(حزب) الأحزاب : ٢٧٨ — ٢٨١
(حسب) الحساب : ٢٤
(خطب) خاطبه فى كذا : ٣٠٩
(دبب) دابة : ٢٤٠ ، ٣٦٣
(ذهب) ذهب عنه : ٢٥٦ ، ٤٠٠
(رقب) ارتقب : ٤٦٣
رقيب : ٤٦٣
(ريب) ريب : ٩١
مريب : ٣٧٠ ، ٤٩٣
(صحب) أصحاب الجنة : ٧٢ ، ٢٩١
أصحاب النار : ٧٧
(صوب) أصاب : ٢١٩ ، ٤٢٤
(طيب) الطيبات : ١٩٩
(عجب) عجباً : ١٢
عجب ، يعجب : ٣٩٩
(عذب) عذاب أليم : ٢٢
(عزب) يعزب : ١١٦ ، ١١٨
(عصب) عصْبة : ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٧٣

يوم عصيب : ٤٠٧ ، ٤٠٩ — ٤١١
(عقب) عاقبة : ٩٣ ، ١٥٣ ، ٣٥٦
(غيب) الغيب : ٤٨ ، ٣٠٢ ، ٣٥٦ ، ٥٤٤
غيابة : ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٧٣
(قرب) قريب : ٣٦٩ ، ٤٢٤
عذاب قريب : ٣٧١
(كتب) الكتاب : ١١
كتاب مبين : ١١٨ ، ٢٤٣
(كذب) الكذب : ٤٥
كذّب : ٤٥
دم كذب : ٥٧٩ — ٥٨٣
كاذب : ٤٦٣
مكذوب : ٣٧٢
(كسب) يكسب : ٢٦ ، ٧٣ ، ١٠٢
(نصب) نصيب : ٤٩٢
(نوب) أناب : ٤٥٤
منيب : ٤٠٦

* * *

(بيت) بيات : ١٠١
(ثبت) يثبت : ٥٣٩
(خبت) أخبت : ٢٨٩ ، ٢٩٠
(لفت) لفته : ١٥٧

* * *

(بعث) بعث : ١٥٤
مبعوث : ٢٥١
(حدث) الأحاديث : ٥٦٠
(لبث) لبث : ٤١ ، ٩٧ ، ٣٨٣

* * *

(خرج) يخرج الحيّ من الميت : ٨٣
(زوج) زوج : ٣٢٢ — ٣٢٤
(عوج) العِوَج : ٢٨٥

* * *

(سبح) سبحان : ٣٠ ، ٤٧ ، ١٤٥
(صلح) صالح : ٥٦٤
عمل غير صالح : ٣٤٦ — ٣٥١
عمل الصالحات : ٢١ ، ٢٧ ، ٢٥٧ ، ٢٨٩
الإصلاح : ٤٥٤
المصلح : ٥٣٠
(صيح) الصيحة : ٣٨٠ ، ٤٦٤
(طرح) طرحه أرضاً : ٥٦٣
(فرح) فرِحٌ : ٢٥٦ ، ٢٥٧
(فلح) أفلح : ٤٦ ، ١٤٦ ، ١٥٦
(نصح) النصح : ٣٠٥
ناصح : ٥٦٨

* * *

(شيخ) الشيخ : ٣٩٨

* * *

(بعد) بَعد : ٤٦٥
بُعْداً : ٣٣٥ ، ٣٦٧ ، ٣٨١
(جحد) جحد : ٣٦٦
(جود) الجوديّ : ٣٣٤ — ٣٣٩
(حصد) حصيد : ٥٦ ، ٤٧٠ ، ٤٧١
(حمد) الحمد : ٣٣
حميد : ٤٠٠

(خلد) عذاب الْخُلد : ١٠٢
خالدا : ٧٢ ، ٧٧ ، ٢٩١ ، ٤٨١ ، ٤٨٧
(ردد) ردّه إليه : ٨٢
رادّ : ٢١٩
مردود : ٤٠٧
(رشد) رشيد : ٤١٧ ، ٤٥٠ ، ٤٦٦
(رفد) الرفد ، المرفود : ٤٦٨ — ٤٧٠
(زيد) زاده قوة : ٣٥٩
زيادة : ٦٢ — ٧١
(سعد) سُعِد : ٤٨٦
سعيد : ٤٧٩
(شدد) شدّ على قلبه : ١٧٩ — ١٨٢
شديد : ٤٧٤
العذاب الشديد : ١٤٦
(شهد) أشهده : ٣٦٠
شهيد : ٨٠ ، ٩٨
شاهد : ٢٦٩ — ٢٧٦
شهود : ١١٤
الأشهاد : ٢٨٢
مشهود : ٤٧٧
(صدد) يصدّ : ٢٨٥
(طرد) طارد : ٣٠٠
(عدد) عدد السنين : ٢٤
أجل معدود : ٤٧٨
أمة معدودة : ٢٥٢—٢٥٤
(عند) عنيد : ٣٦٦ ، ٣٦٧
(عود) يعيد الخلق : ٢٠ ، ٢١ ، ٨٥
(فأد) فؤاد : ٥٣٩
(فسد) الفساد فى الأرض : ٥٢٧
المفسد : ٩٤ ، ١٦٢ ، ١٩٤ ، ٤٤٦
(كيد) كاده ، كيداً : ٣٦١ ، ٥٥٨
(مجد) مجيد : ٤٠٠
(نضد) منضود : ٤٣٦ ، ٤٣٧
(ودد) وَدود : ٤٥٦
(ورد) أورده : ٤٦٦
الورد : ٤٦٦ ، ٤٦٧
المورود : ٤٦٦ ، ٤٦٧
(وعد) الوعد : ٩٩

* * *

(أخذ) أخذه : ٤٧٤
اتخذ : ١٤٥
اتخذه وراءه ظهريًّا : ٤٥٩
(جذذ) مجذوذ : ٤٨٩ — ٤٩١
(حنذ) حنيذ : ٣٨٣ — ٣٨٦
(عوذ) يعوذ : ٣٥٢

* * *

(أجر) أجر : ١٥٢ ، ٣٠٠ ، ٣٥٧ ، ٥٢٦
أجر كبير : ٢٥٨
(أخر) أخره : ٢٥٢ ، ٤٧٨
استأخر : ١٠٠
(أمر) الأمر : ٥٧٥
أمر الله : ٥٦ ، ٤٠٠ ، ٤٠٧ ، ٤٧٢
(بشر) بشره : ١٤ ، ١٧٦ ، ٣٩٤
البَشَر : ٢٩٥

البشرى : ١٢٤ — ١٤٢ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٤٠١
بشير : ٢٢٨
(بصر) بصير : ٤٩٩
نهار مبصر : ١٤٤
(تنر) التنور : ٣١٨ — ٣٢١
(جبر) جبّار : ٣٦٦
(حشر) يحشر : ٧٧ ، ٩٧
(خبر) خبير : ٢٢٨ ، ٤٩٩
(خسر) خسر : ٩٧
خسر نفسه : ٢٨٨
خاسر : ٢٠٤ ، ٣٥٢ ، ٥٧٣
الأخسر : ٢٨٨
تخسير : ٣٧١
(خير) الخير : ٢١٩ ، ٣٠٣ ، ٤٤٣ — ٤٤٥
(دبر) دبّر الأمر : ١٨ ، ١٩ ، ٨٤
(درر) مدرارٌ : ٣٥٨ ، ٣٥٩
(دور) دار السلام : ٥٩ — ٦٢
(ذرر) ذرّة : ١١٦ ، ١١٧
(ذكر) تذكر : ١٩ ، ٢٩٢
التذكير : ١٤٧
ذاكر : ٥١٥
الذكرى : ٥١٥ ، ٥٤٣
(زفر) زفير : ٤٧٩ ، ٤٨٠
(سحر) سِحْر : ١٧ ، ١٨
سحرٌ مبين : ١٥٥ ، ٢٥١
ساحر : ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٩
(سخر) سخر : ٣١٠
(سرر) أسرّ : ٢٣٩
أسر الندامة : ١٠٣
(سير) السيارة : ٥٦٧
(شعر) يشعر : ٥٧٥
(صبر) صبر : ٢٥٧
صبر جميل : ٥٨٤—٥٨٦
(ضرر) الضرّ : ٣٦ ، ١٠٠ ، ٢١٩
يضرّه : ٤٦
الضرّاء : ٤٩ ، ٢٥٦
(طهر) أطهر : ٤١٣
(ظهر) ظهريًّا : ٤٥٩ — ٤٦٢
(عقر) عقر : ٣٧٢
(عمر) استعمره : ٣٦٨ ، ٣٦٩
(غفر) يغفر : ٣٥٢
غفور : ٢١٩ ، ٣٣٠
مغفرة : ٢٥٨
استغفر : ٣٨ ، ٢٢٩ ، ٣٦٩ ، ٤٥٦
(فخر) فخور : ٢٥٧
(فطر) فطره : ٣٥٧ ، ٣٥٨
(فكر) يتفكر : ٥٧
(فور) فار : ٣١٨ — ٣٢١
(قتر) القتر : ٧٢
(قدر) قدّر : ٢٣
قدير : ٢٣٢
(قرر) مستقر : ٢٤١ — ٢٤٣
(كبر) كبر : ١٤٧
كبير : ٢٣٢
أجر كبير : ٢٥٨
الكبرياء : ١٥٧ ، ١٥٨
استكبر : ١٥٥

(كفر) كفر يكفر : ٢٢، ١٤٦، ٢٥١ ، ٢٨٧ ، ٢٩٥ ، ٣٨١
كفر ربَّه : ٣٦٧
كافر : ١٧ ، ١٧١ ، ٢٨٥
كفور : ٢٥٥
(مطر) أمطر : ٤٣٢
(مكر) المكر : ٤٩
(نذر) أنذره : ١٣ ، ١٥٣
النذير : ٢٢٨ ، ٢٥٨ ، ٢٩٣
النُّذُر : ٢١٥
(نصر) ينصره منه : ٣٠٢ ، ٣٧١
(نظر) ينظر : ٣٨
أنظره : ١٥١ ، ٣٦١
انتظر ، منتظر : ٤٨ ، ٢١٥ ، ٥٤٤
(نكر) نكره : ٣٨٧ ، ٣٨٨
(نور) نور : ٢٣
(وذر) يذر : ٣٤ ، ٣٧١

* * *

(جوز) جاوز : ١٨٨
(عجز) أعجز : ١٠٢
معجز : ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٣٠٥
عجوز : ٣٩٨
(عزز) أعزّ : ٤٥٩
العزة : ١٤٢
عزيز : ٣٧٣ ، ٤٥٩
(فوز) الفوز : ١٤٢
(كنز) كنزٌ : ٢٥٨

* * *

(بأس) بئس : ٤٦٦ ، ٤٦٨
ابتأس : ٣٠٦ ، ٣٠٧
(بخس) يبخس : ٢٦٢ — ٢٦٨
(حبس) يحبس : ٢٥٤
(رجس) الرجس : ٢١٤
(طمس) طمس : ١٧٩ — ١٨٢
(مسس) مسّ : ٣٦، ٤٩ ، ٢١٩، ٢٥٦ ، ٣٥٣ ، ٣٧١ ، ٥٠٠
(وجس) أوجس : ٣٨٩
(يأس) يؤوس : ٢٥٥

* * *

(عرش) العرش : ١٨ ، ٢٤٥ — ٢٥٠

* * *

(خرص) يخرص : ١٤٣
(خلص) أخلص له الدين : ٥١
(قصص) يقصّ : ٤٧٠ ، ٥٣٩ ، ٥٥١ ، ٥٥٨
القصص : ٥٥١
(قمص) قميص : ٥٧٩
(نقص) ينقص : ٤٤٣
منقوص : ٤٩٢

* * *

(عرض) أعرض عنه : ٤٠٧
(فيض) أفاض فيه : ١١٤ — ١١٦

* * *

(حبط) حبط : ٢٦٩
(حوط) أحيط به : ٥١

أحاط بعلمه : ٩٣
محيط : ٤٤٥ ، ٤٦٢
(خلط) اختلط : ٥٥
(رهط) الرهط : ٤٥٨ ، ٤٥٩
(سرط) صراط مستقيم : ٥٩ ، ٣٦٤
(سلط) سلطان : ١٤٦
سلطان مبين : ٤٦٥
(قسط) القسط : ٢١ ، ٩٩ ، ١٠٣ ، ٤٤٦
(لقط) التقطه : ٥٦٧
(هبط) يهبط : ٣٥٣

* * *

(حفظ) حافظ : ٥٧٢
حفيظ : ٣٦٥ ، ٤٤٩
(غلظ) عذاب غليظ : ٣٦٦
(وعظ) يعظ : ٣٥١
موعظة : ١٠٤ ، ٥٤٣

* * *

(بلع) يبلعُ : ٣٣٤
(تبع) اتَّبعه : ٨٧، ٨٩، ١٤٣، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ٢٢١ ، ٢٩٥ ، ٤٦٦
أتْبعه : ١٨٨ ، ٣٦٧ ، ٤٦٧
(جمع) يَجْمع : ١٠٥
أجمع أمره : ١٤٧ ، ١٤٨، ٥٧٣
جميعاً : ٢١٢
مجموع : ٤٧٧
(ذرع) ضاق به ذرعاً : ٤٠٧
(رتع) يرتع : ٥٦٩ — ٥٧٢
(رجع) أرجعه : ١٠٤ ، ٣٠٥
المرجع : ٢٠ ، ٥٤ ، ٩٨، ١٤٦ ، ٢٣٢
(روع) الروع : ٤٠٠ — ٤٠٢
(سمع) يسمع : ١٤٥
استمع : ٩٥
سميع : ١٤٢
(شفع) شفيع : ١٨ ، ٤٦
(طبع) يطبع على قلبه : ١٥٤
(قطع) قطع من الليل : ٧٥ ، ٧٦ ، ٤٢٣
(قلع) أقلع : ٣٣٤
(متع) متعه : ٢١١ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٣٥٣
تمتّع : ٣٧٢
متاع : ٥٣ ، ١٤٦ ، ٥٧٧
(نزع) نزعه : ٢٥٥
(نفع) ينفع : ٤٦
النفع : ١٠٠
(هرع) أهرع إليه : ٤١١—٤١٣
(ودع) مستودع : ٢٤١ — ٢٤٣

* * *

(بلغ) أبلغه : ٣٦٥

* * *

(ترف) أُتْرِف فى الأمر : ٥٢٨— ٥٣٠
(حنف) حنيف : ٢١٨
(خلف) اختلف ٤٧ ، ٢٠٠ ، ٤٩٣
الاختلاف : ٥٣١—٥٣٥

اختلاف الليل والنهار : ٢٤
استخلف : ٣٦٥
خالفه : ٤٥٣
خلائف : ٣٨ ، ١٥٣
(خوف) يخاف : ٤١
خيفة : ٣٨٩
(زخرف) زخرف : ٥٥
(زلف) زُلفة ، زلف : ٥٠٥ — ٥٠٩
(سرف) المسرف : ٣٧ ، ١٦٧
(سلف) أسلف : ٨٠
(صرف) يصرف : ٨٤
مصروف : ٢٥٤
(ضعف) ضاعفه : ٢٨٦
ضعيف : ٤٥٧
(ضيف) الضيْف : ٤١٦
(طرف) طرفا النهار : ٥٠٢ — ٥٠٥
(عرف) يتعارف : ٩٧
(عصف) عاصف : ٥١
(كشف) كشف عنه ؛ ٣٦ ، ٢١٠
كاشف : ٢١٩
(وصف) يصف ، الوصف : ٥٨٤ ، ٥٨٦

* * *

(حقق) الحق : ٢٤ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٢٢٠ ، ٤١٧ ، ٥٤٠
وعدك الحق : ٣٣٩
أحق الحق : ٨٥
حق عليه : ٢٠٤
حقت الكلمة : ٨٥
(حوق) حاق به : ٢٥٤
(ذوق) ذاق : ١٠٢
أذاق : ٤٩ ، ١٤٦ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦
(رزق) رزق حسن : ٤٥٣
(رهق) يرهق : ٧٢ ، ٧٣
(سبق) سبقت كلمة : ٤٧ ، ٤٩٣
سبق عليه القول : ٣٢٤
استبق : ٥٧٧
(شقق) شقاق : ٤٥٥
(شهق) شهيق : ٤٧٩ ، ٤٨٠
(صدق) قدم صدق : ١٤ — ١٦
الصادق : ٣٠٤
تصديق : ٩٠
(ضيق) ضاق به ذرعاً : ٤٠٧
ضائق : ٢٥٨
(فرق) الفريق : ٢٩١
(فسق) فسق : ٨٥
(وفق) توفيق : ٤٥٤

* * *

(أفك) يُؤْفك : ٨٦
(برك) بركة : ٣٥٣ ، ٤٠٠
(درك) أدركه : ١٨٩
(شكك) الشك : ٢٠٠ ، ٢١٧ ، ٣٧٠ ، ٤٩٣
(شرك) شركاء : ٧٨ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ١٤٣ ، ١٤٧
مشرك : ٢١٨
(ضحك) ضحكت المرأة : ٣٨٩—٣٩٤
(فلك) الفُلْك : ١٥٣ ، ٣٠٨ ، ٣١٠ ، ٥٠٠

(ملك) يملك : ٨٣ ، ١٠٠
المَلَك : ٢٥٨ ، ٣٠٢
(هلك) أهلك : ٣٧ ، ٥٣٠

* * *

(أجل) الأجل : ٣٣ ، ١٠٠
أجل مسمى : ٢٣٠
أجل معدود : ٤٧٨
(أهل) الأهل : ٣٣٩ ، ٣٤٠
(أول) التأويل : ٩٣ ، ٥٦٠
(بدل) بدّل : ٤٠
تبديل الكلمات : ١٤١
(بطل) أبطله : ١٦٢
باطل : ٢٦٩
(بعل) البعل : ٣٩٨ ، ٣٩٩
(ثقل) مثقال : ١١٦
(جدل) جادل : ٣٠٣ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣
(جعل) جعل: ٢٣ ، ٣٨ ، ١٤٤ ، ٢١٣ ، ٢١٤
(جمل) صبرٌ جميل : ٥٨٤ — ٥٨٦
(جهل) يجهل : ٣٠١
جاهل : ٣٥١
(حلل) حلّ عليه : ٣١٧
(حول) حال بينهما : ٣٣٤
(ذلل) ذلة : ٧٢ ، ٧٣
(رذل) الأراذل : ٢٩٥
(زيل) زيّل بينهم : ٧٨
(سأل) سأله : ٣٥١
(سبل) سبيل : ١٧٧ ، ١٨٧
سبيل الله : ٢٨٥
(سجل) سجّيل : ٤٣٢ — ٤٣٦
(سفل) سافل : ٤٣٢
(سول) سوّل له : ٥٨٣
(ضلل) ضلّ : ٨٢ ، ٢٢٠، ٢٨٨
أضل : ١٧٧
ضلال مبين : ٨٤ ، ٥٦٣
(عجل) يعجّل : ٣٣
استعجال : ٣٣ ، ١٠١
(عزل) معزل : ٣٣١
(عقل) يعقل : ٤١ ، ٣٥٧ ، ٥٥١
(عمل) العمل : ٢٥٠
عمل الصالحات : ٢٧ ، ٢٥٧ ، ٢٨٩
(غفل) غافل: ٢٥ ، ٨٠ ، ١٩٨ ، ٥٤٥ ، ٥٥١ ، ٥٧٣
(فصل) يفصل الآيات : ٢٤ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٢٢٥ — ٢٢٨
(فضل) الفضل : ١٠٥—١٠٨ ، ١١٣ ، ٢١٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٩٦
(فعل) فعّال : ٤٨٥
(قبل) قبلة : ١٧١ — ١٧٦
(كلل) الكُلّ : ٢١٢
كُلاً : ٤٩٦ — ٤٩٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠
(كيل) المكيال : ٣٤٣ ، ٤٤٦
(مول) الأموال : ١٧٧
(نزل) منازل : ٢٣

(وكل) توكل : ١٦٨ ، ٣٦٣ ، ٤٥٤ ، ٥٤٥ ،
وكيل : ٢٢٠ ، ٢٥٨
(ويل) الويل ، يا ويلتا : ٣٩٨

* * *

(ألم) أليم : ٢٩٤ ، ٤٧٤
عذاب أليم : ٢٢ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ٢٠٤ ، ٣٥٣
(أمم) أمة ، أمم : ٤٧ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ٣٥٣ ، ٥٣١
أمة معدودة : ٢٥٢—٢٥٤
إمام : ٢٧٧
(تمم) تمت الكلمة : ٥٣٨
أتمّ نعمته : ٥٦٠
(ثمم) ثَمّ : ١٠١
(جثم) جاثم : ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٤٦٤
(جرم) جرمه : ٤٥٥
لاجَرَم : ٢٨٨ ، ٢٨٩
إجرام : ٣٠٥ ، ٣٠٦
مجرم: ٣٨ ، ٤٦ ، ١٠١ ، ١٥٥ ، ١٦٢ ، ٣٦٠ ، ٥٣٠
(حكم) يحكم ، حاكم : ٨٩ ، ٢٢١
أحكمت آياته : ٢٢٥ — ٢٢٧
الحاكم : ٣٣٩
حكيم : ١٢ ، ٢٢٨ ، ٥٦١
(حلم) حليم : ٤٠٦ ، ٤٥٠
(حمم) حميم : ٢٢
(دوم) ما دام : ٤٨١
(رجم) رجمه : ٤٥٨
(رحم) يرحم : ٣٥٢
رحمة : ٤٩ ، ١٠٥ — ١٠٨ ، ١٧١ ، ٢٧٧ ، ٢٩٨ ، ٣٦٦ ، ٣٧٠ ، ٣٧٣ ، ٤٠٠ ، ٤٦٤
رحيم : ٢١٩ ، ٣٣٠ ، ٤٥٦
(سلم) سلام : ٣٢ ، ٣٥٣ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣
دار السلام : ٥٩ — ٦٢
مسلم : ١٥٢ ، ١٦٨ ، ٢٦١
(سوم) مسوّمة : ٤٣٧ ، ٤٣٨
(صمم) الأصمّ ، الصمّ : ٩٥ ، ٢٩١ ، ٢٩٢
(ظلم) ظلم : ٣٧ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ٣٠٩ ، ٤٧٢ ، ٥٠٠ ، ٥٢٨
ظالم: ٩٣ ، ١٦٨ ، ٢٨٢ ، ٣٠٣ ، ٣٣٥ ، ٤٣٨
أظلم : ٤٥
(عصم) يعصم ، عاصم : ٧٣ ، ٣٣١ — ٣٣٣
(عظم) يوم عظيم : ٤١
(علم) العلم : ١٩٩ ، ٢٠٠
علم الله : ٢٦١
العالمون : ٣٣ ، ٩١
عليم : ١٤٢ ، ١٥٩ ، ٥٦١

(غمم) غُمّة : ١٤٩ ، ١٥٠
(قدم) يقدُم : ٤٦٦
قدم صدق : ١٤ — ١٦
استقدم : ١٠٠
(قوم) أقم وجهك : ٢١٨
أقام الصلاة : ١٧٦، ٥٠٢
قائم : ٤٧٠ ، ٤٧١
المقام : ١٤٧
عذاب مقيم : ٣١٧
استقام : ١٨٧ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠
صراط مستقيم : ٥٩ ، ٣٦٤
(كلم) كلمات الله : ١٦٢
كلمة ربّك : ٢٠٤
(لزم) ألزمه : ٢٩٩
(لمم) اللمّ : ٤٩٥
(ندم) الندامة : ١٠٣
(نعم) جنات النعيم : ٢٩
نعماء : ٢٥٦
الأنعام : ٥٥

* * *

(أذن) أذنَ : ١١١
الإذن : ١٨ ، ٢١٣ ، ٤٧٨
(أمن) أمنه على كذا : ٥٦٨
آمن : ٢١ ، ٢٧ ، ٣٨، ٨٥ ، ٩٤ ، ١٠١ ، ١٢٣ ، ١٥٤ ، ١٦٣ ، ١٦٨ ، ١٨٢ ، ١٨٩ ، ٢٠٥ ، ٢١١ ، ٢١٦ ، ٢٧٨ ، ٢٨٩ ، ٣٠٦ ، ٣٢٥ ، ٤٦٤ ، ٥٤٤
المؤمن : ١٠٥ ، ١٥٩ ، ١٧٦ ، ٢١٣ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٦٠ ، ٤٤٧ ، ٥٤٣ ، ٥٧٨
(بدن) البدن : ١٩٤ — ١٩٨
(بين) البيّنة : ٣٧ ، ٣٨، ٤٠، ١٥٤ ، ٢٦٩ — ٢٧٦ ، ٢٩٧ ، ٣٦٠ ، ٣٧٠ ، ٤٥٣
سحر مبين : ١٧ ، ١٨، ١٥٥ ، ٢٥١
سلطان مبين : ٤٦٥
ضلال مبين : ٥٦٣
عدو مبين : ٥٥٨
كتاب مبين : ١١٨ ، ٢٤٣ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠
نذيرٌ مبين : ٢٩٣
(جنن) الجنّة : ٥٣٨ ، ٥٣٩
أصحاب الجنة : ٧٢ ، ٢٩١
جنات النعيم : ٢٩
(حزن) يحزن : ١٤٢ ، ٥٧٣
(خزن) خزائن : ٣٠٢
(حسن) أحسن : ٦٢
الحسنى : ٦٢ — ٧١
الحسنات : ٥٠٩ — ٥٢٦
المحسن : ٥٢٦
(حين) إلى حين : ٢١١

(دون) من دون الله : ٤٦ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ١٤٣ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٦٠ ، ٢٨٦ ، ٣٦١ ، ٤٧٢ ، ٥٠٠

(ركن) ركن إليه : ٥٠٠ ، ٥٠١
ركن شديد : ٤١٨ — ٤٢٢

(زين) زيّن له : ٣٧
ازّينت الأرض : ٥٥ ، ٥٨ ، ٥٩
الزينة : ١٧٧ ، ٢٦٢

(سكن) سكن فيه : ١٤٤

(شأن) شأن : ١١٤

(طمن) اطمأن : ٢٥

(ظنن) الظنّ : ٨٩ ، ١١٣ ، ١٤٣

(علن) أعلن : ٢٣٩

(عون) المستعان : ٥٨٤

(عين) بأعيننا : ٣٠٨ ، ٣٠٩

(فتن) يفتن : ١٦٧
فتنة : ١٦٨ — ١٧١

(قرن) القرون : ٣٧ ، ٥٢٦

(كون) ما كان له : ٩٠ ، ٥٣٠

(لدن) من لدن : ٢٢٨

(لعن) لعنة : ٢٨٢ ، ٣٦٧ ، ٤٦٧

(مكن) مكانة : ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٥٤٤

(وزن) الميزان : ٤٤٣ ، ٤٤٦

* * *

(أوه) أوّاه : ٤٠٦

(عمه) يعمه : ٣٤

(فقه) يفقه : ٤٥٧

(كره) كره : ١٦٢
أكرهه : ٢١٣
كاره : ٢٩٩

(وجه) أقم وجهك : ٢١٨
خلا له وجهه : ٥٦٣ ، ٥٦٤

* * *

(أنى) آنى : ٢٣٠ ، ٢٩٨ ، ٣٧٠

(أوى) أوى إلى كذا : ٣٣٠ ، ٤١٨ ، ٤٢٢
المأوى : ٢٥ ، ٢٦

(أيي) آية : ١١ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٤٠ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٥٧ ، ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٥٥ ، ١٩٨ ، ٢٠٤ ، ٢١٥ ، ٢٢٥ ، ٣٦٦ ، ٣٧١ ، ٤٦٥ ، ٤٧٦ ، ٥٦١

(بدا) بادى الرأى : ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧

(بغى) يبغى : ٥٣
يبغيه : ٢٨٥
البغى : ١٨٨

(بقى) بقية : ٥٢٧
بقية الله : ٤٤٧ — ٤٤٩

(بلا) يبلوه : ٨٠ — ٨٢ ، ٢٥٠

(تلا) يتلو : ٤٠ ، ٤١ ، ٨٠ — ٨٢ ، ١١٤ ، ١٤٧ ، ٢٦٩

(ثنى) يثنى صدره : ٢٣٣ — ٢٣٨

(جبى) اجتبى : ٥٥٩

(جرى) مجراها : ٣٢٧ — ٣٣٠
(جزى) يجزى : ٢١ ، ٣٨، ١٠٢
جزاء : ٧٣
(حيي) تحية : ٣٢ ، ٣٣
الحياة الدنيا : ٢٥ ، ٥٣ ، ٥٥
(خزى) الخزى : ٣٧٣
أخزاه : ٣١٧ ، ٤١٦ ، ٤٦٣
عذاب الخزى : ٢١٠ ، ٢١١
(خفى) استخفى : ٢٣٣
(خلا) خلا من قبله : ٢١٥
خلا له وجهه : ٥٦٣ ، ٥٦٤
(درى) أدراه : ٤١ — ٤٥
(دعا) دعانا لجنبه : ٣٦
دعوة : ١٨٥
دعوى : ٣٠ ، ٣٣
(دنا) الحياة الدنيا : ٢٥ ، ٥٣ ، ٥٥
(رأى) بادى الرأى : ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧
(رجا) يرجو لقاء الله : ٢٥ ، ٣٤ ، ٤٠
مرجوّ : ٣٦٩
(رسى) مرساها : ٣٢٧ — ٣٣٠
(زرى) ازدرى : ٣٠٢ ، ٣٠٣
(سرى) أسرى به : ٤٢٣
(سما) أجل مسمى : ٢٣٠
(سوى) استوى : ١٨ ، ٢٩٢
استوى على كذا : ٣٣٤
(شفى) شفاء : ١٠٥
(شقّ) شقّ : ٤٧٩
شقّى يشقّى : ٤٧٩
(صلا) أقام الصلاة : ١٧٦
الصلوات : ٤٥٠ — ٤٥٢
(طغى) طغى : ٤٩٩ ، ٥٠٠
طغيان : ٣٤
(عثا) يعثو : ٤٤٦
(عدا) العدْو : ١٨٨
المعتدى : ١٥٤
(عرى) اعتراه : ٣٦٠ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣
(عصى) عصى : ٤١ ، ١٩٤
(عطا) عطاء : ٤٨٩
(علا) عال : ٤٣٢
عال فى الأرض : ١٦٧
تعالى : ٤٧
(عمى) عُمّى عليه : ٢٩٨
الأعمى : ٢٩١ ، ٢٩٢
(غشى) أُغشِيَ وجهه : ٧٥
استغشى ثوبه : ٢٣٨
(غنى) غنى بمكان كذا : ٥٦ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥
غنى فى كذا : ٣٨١
أغنى عنه : ٨٩ ، ٢١٥ ، ٤٧٢
الغنىّ : ١٤٥
(غوى) أغوى : ٣٠٥
(فدى) افتدى : ١٠٣

(فرى) افترى : ٤٥ ، ٨٢ ، ٩٠ ، ٩١ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١٤٦ ، ٢٥٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٨ ، ٣٠٥ ، ٣٥٧

(قرى) قرية ، قرى : ٢٠٥ ، ٤٧٠ ، ٤٧٤

(قضى) قضى إليه : ١٥٠ ، ١٥١
قضى إليه أجله : ٣٣–٣٦
قضى بينهم : ٤٧ ، ٩٩ ، ١٠٣ ، ٢٠٠ ، ٤٩٣

(قوى) قوة : ٤١٨
زاده قوة : ٣٥٩
القوىّ : ٣٧٣

(كفى) كفى به : ٨٠

(لقى) ملاقو الله : ٣٠١
من تلقاء نفسه : ٤٠

(مرى) مرية : ٢٧٩ ، ٤٩١
امترى : ٢٠٣

(نجا) نجّاه : ١٩٤
النجْوَة : ١٩٥

(ندى) ناداه : ٣٣٩

(نصى) الناصية : ٣٦٣ ، ٣٦٤

(هدى) يهدى : ٢٧ ، ٥٩ ، ٨٦ ، ٩٦
يهدّى : ٨٦ — ٨٨
الهدى : ١٠٥
اهتدى ، مهتد : ٩٧ ، ٢٢٠

(وحى) أوحى : ١٣ ، ٤٠ ، ٤١ ، ١٧١ ، ٢٢١ ، ٢٥٨ ، ٣٠٦ ، ٣٥٦ ، ٥٥١ ، ٥٧٥
الوحى : ٣٠٩

(ورى) من وراء ، الوراء : ٣٩٤ — ٣٩٧

(وفى) وفّى : ٢٦٢ ، ٤٩١ ، ٤٩٢
أوفى : ٤٤٦
توفّاه : ٩٨ ، ٢١٧ ، ٢١٨

(وقى) اتقى : ٢٤ ، ٨٤ ، ١٢٣ ، ٣٥٦ ، ٤١٦

(ولى) تولّى : ١٥٢ ، ٢٣١ ، ٣٦٠ ، ٣٦٥
أولياء الله : ١١٨ — ١٢٣ ، ٥٠٠
مولى : ٨٢

(يدى) الذى بين يديه : ٩٠

أعلام المترجمين فى التعليق

الأرقام فى هذا الفهرس على أرقام الآثار ، لا الصفحات

أبان بن أبى عياش فيروز : ١٧٦١٨
أبان بن يزيد العطار : ١٧٧٢٠
إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى : ١٨١٣٣
إبراهيم بن المختار التميمى (حبويه ، أبو إسماعيل الرازى) : ١٧٦٣١
إبراهيم بن يزيد الخوزى : ١٧٥٣٢
إبراهيم بن يزيد النخعىّ : ١٨٦٦٨
إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق الجوزجانى ، السعدى (شيخ الطبرى) : ١٨١٤١
أبىّ بن كعب : ١٧٦٠٣
أحمد بن حماد بن سعيد الدولابى (شيخ الطبرى) : ١٧٧٣٢
أحمد بن عبد الصمد بن على بن عيسى الأنصارى (أبو أيوب) (شيخ الطبرى) : ١٨٨٤٣ ، ١٨٨٥٥
أحمد بن عمرو البصرى (شيخ الطبرى) : ١٨٤٦٧
أحمد بن محمد بن أبى بكر المقدمى (أبو عثمان) (شيخ الطبرى) : ١٧٧٢١
أحمد بن محمد بن سيار (أحمد بن محمد بن المغيرة بن سيار)
أحمد بن محمد بن المغيرة بن سيار (أبو حميد الحمصى)(أحمد بن المغيرة) (أحمد بن محمد بن سيار) (شيخ الطبرى) : ١٧٧٢٥
أحمد بن المغيرة (أحمد بن محمد بن المغيرة بن سيار)
أرطاة بن المنذر السكونى : ١٧٩٨٧
أبو أسامة (حماد بن أسامة بن زيد القرشى)
إسحق بن إبراهيم بن العلاء الزبيدى : ١٨٦٨١
أبو الأسد (سهل)
أسد بن زيد الجصاص(؟) : ١٨٥٠٧
أسماء بنت يزيد الأنصارية (أم سلمة) (ص : ٣٤٨ ، تعليق : ٢)
أبو إسماعيل الرازى ، حبويه (إبراهيم ابن المختار)
إسماعيل بن حماد بن أبى سليمان ، مولى الأشعرى : ١٨٣٢٢
إسماعيل بن حماد بن أبى المغيرة ، مولى الأشعرى (أبو اليسع) : ١٨٣٢٢
إسماعيل بن أبى خالد الأحمسى : ١٧٦٠٣
إسماعيل بن عياش الحمصى : ١٨٦٦٥

إسماعيل بن المتوكل الشامى الحمصى (شيخ الطبرى) : ١٨٢٩٣
الأسود بن عامر (شاذان) : ١٨١٤١
الأسود بن قيس العبدى البجلى : ١٨٣١٣
الأسود بن يزيد النخعى : ١٨٦٦٨
أسيد بن أبى أسيد ، يزيد البراد : ١٧٧٦٠
أسيد بن زيد بن نجيح الجمال : ١٨٥٠٧
أشعث بن إسحق بن سعد بن مالك القمى : ١٧٧٠٤
الأعرج (عبد الرحمن بن هرمز)
الأعمش (سليمان بن مهران)
الأوزاعى : ١٧٧١٨
أبو أيوب (أحمد بن عبد الصمد بن على) (شيخ الطبرى)
أيوب بن خالد بن صفوان الأنصارى : ١٧٧٣٠
أيوب بن سيار (أبو عبد الرحمن) (أبو سيار) : ١٨٧٧٣

* * *

بحر بن نصر بن سابق الخولانى المصرى (شيخ الطبرى) : ١٧٧١٥
أبو بردة بن أبى موسى الأشعرى : ١٨٥٥٩
بريدة الأسلمى : ١٧٩٨٢
بريد بن أبى بردة (بريد بن عبد الله ابن أبى بردة) : ١٨٥٥٩
بريد بن عبد الله بن أبى بردة الأشعرى (بريد بن أبى بردة) : ١٨٥٥٩
بزيع ، اللحام (بزيع بن عبد الله) (أبو خازم)
بزيع بن عبد الله (بزيع اللحام) ، (أبو خازم) : ١٨٢٣٥
بقية بن الوليد : ١٨٣٢٠
أبو بكر السبرى (أبو بكر بن عبد الله بن محمد)
أبو بكر الصفار (خلاد بن أسلم)
أبو بكر الهذلى : ١٧٦١٦
أبو بكر بن عبد الرحمن (أبو بكر ابن عبد الله) : ١٨٢٩٠
أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام (راهب قريش) : ١٧٦٠١
أبو بكر بن عبد الله (؟) : ١٨٢٩٠
أبو بكر بن عبد الله بن أبى مريم الغسانى : ١٨٢٩٠
أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبى سبرة القرشى : ١٨٢٩٠
أبو بكر بن عياش : ١٧٧٢٦ ، ١٧٧٢٧
أبو بكر بن أبى مريم : ١٨٢٩٠
بكر بن مضر المصرى : ١٨٤٠٠

* * *

أبو تميمة الهجيمى (طريف بن مجالد) : ١٧٦١٦

* * *

ثابت البنانى (ص : ٣٤٨ ، تعليق : ٢)
ثمامة بن حزن (أبو الورد بن ثمامة بن حزن) : ١٨٦٥٠

ثور بن يزيد الكلاعى : ١٨٧٧١
ثوير بن أبى فاختة : ١٨٢١٩

* * *

جابر الجعفى (جابر بن يزيد)
جابر بن يزيد الجعفى : ١٨٠٤٨
جامع بن شدّاد المحاربى : ١٧٩٨٢
الجريرى (سعيد بن إياس الجريرى)
أبو الجلد (جيلان بن أبى فروة الأسدى) : ١٧٩٠٧
جندب بن سفيان (جندب بن عبد الله بن سفيان البجلى) : ١٨٣١٣
جندب بن عبد الله بن سفيان البجلى : ١٨٣١٣
جيلان بن أبى فروة الأسدى (أبو الجلد) : ١٧٩٠٧

* * *

حاتم بن أبى صغيرة : ١٧٧٣٨
الحارث بن أبى أسامة : ١٧٦٠١
الحارث بن عبيد (أبو صالح ، مولى عثمان) : ١٨٦٦٢
أبو حازم (سلمان الأشجعى) : ١٧٨٦٠
حبان بن أبى جبلة المصرى : ١٨٨٧٢
حبويه ، أبو إسماعيل الرازى (إبراهيم ابن المختار)
أبو الحبيل الأشجعى (؟ ؟) : ١٨٣٤٨
حجاج بن محمد المصيصى : ١٨٢٩٠
أبو حرة (واصل بن عبد الرحمن)
أبو الحسن البصرى (سعيد بن سلام)
الحسن بن محمد بن الصباح الزعفرانى (شيخ الطبرى) : ١٨٨٠٧
الحسن بن واصل (؟ ؟) : ١٨٧١٦
الحسيل الأشجعى (الحسيل بن عبد الرحمن)
الحسيل بن عبد الرحمن الأشجعى (الحسين) : ١٨٣٤٨
حسين الجعفى (حسين بن على الجعفى)
الحسين بن زيد بن إسماعيل بن يزيد ابن أبى كبشة (شيخ الطبرى) : ١٧٦٠٨
الحسين بن سلمة بن أبى كبشة (الحسين بن زيد بن إسماعيل بن يزيد بن أبى كبشة)
الحسين بن عبد الرحمن الأشجعى (الحسيل . . .) : ١٨٣٤٨
حسين بن على الجعفى (حسين الجعفى) : ١٨٦٧٨
ابن حصين (عمران بن حصين الخزاعى)
أبو حصين (عثمان بن عاصم بن حصين الأسدى)
حفص بن سليمان الأسدى البزار : ١٧٥٧٠
حكام بن سلم الكنانى : ١٧٨٦٠
الحكم بن ظهير الفزارى : ١٨٧٨٠
الحكم بن عبد الله العجلى (أبو النعمان) : ١٨٦٧٢
الحكم بن عتيبة الكندى : ١٧٦٣٤
حماد بن أسامة بن زيد القرشى (أبو أسامة) : ١٧٦٠٣ ، ١٨٦٧٨

حماد بن خالد الخياط القرشى : ١٨٤٨٧
حماد بن سلمة : ١٧٩٨٠ ، ١٨٦٦٦ (ص : ٣٤٨ ، تعليق : ٢)
حميد الأزرق (ص ٣٤٨، تعليق : ٢)
أبو حميد الحمصى (أحمد بن المغيرة)
حميد بن عبد الرحمن (حميد بن عبد الله) : ١٧٧٥٦
حميد بن عبد الرحمن اليزنى (حميد ابن عبد الله المزنى) : ١٧٧٢٥
حميد بن عبد الله (حميد بن عبد الرحمن) : ١٧٧٥٦
حميد بن عبد الله المزنى (حميد بن عبد الرحمن اليزنى) : ١٧٧٢٥
حيوة بن شريح المصرى : ١٨٦٦٢

* * *

أبو خازم (بزيع بن عبد لله)
خالد بن معدان بن أبى كريب الكلاعى : ١٨٧٧١
خالد بن يزيد الجمحى المصرى : ١٧٦٠٩
خلاد الصفار (خلاد بن عيسى) (خلاد بن أسلم) (أبو مسلم)
خلاد بن أسلم العبدى (خلاد بن عيسى) (أبو بكر الصفار)(خلاد الصفار) (شيخ الطبرى) : ١٧٩٨٢ ، ١٨٧٧٦
خلاد بن عيسى العبدى (خلاد بن أسلم) (خلاد الصفار) : ١٨٧٧٦
خليد بن عبد الله العصرى : ١٧٦٠٨

* * *

داود بن المحبر الطائى ، الثقفى : ١٧٩٨٩
دراج بن سمعان (أبو السمح) : ١٧٧٢٩ ، ١٧٧٥٤
الديال بن عمرو (الذيال . . .) (الزباء . . .) : ١٨٤٦٧

* * *

ذكوان (أبو صالح السمان)
الذيال بن عمرو (الزباء بن عمرو) (الديال . . .) : ١٨٤٦٧

* * *

راهب قريش (أبو بكر بن عبدالرحمن ابن الحارث بن هشام)
أبو ربيعة ، فهد (زيد بن عوف القطعى)
أبو رجاء الهروى (عبد الله بن واقد)
رزيق بن مرزوق الكوفى البجلى : ١٨٠٤٨
أبو رزين العقيلى (لقيط بن عامر بن المنتفق) (لقيط بن صبرة) : ١٧٩٨٠
رشدين بن سعد المصرى : ١٧٧٢٩ ، ١٨٦٦٣

* * *

زائدة بن قدامة : ١٨٦٧٨
الزباء بن عمرو (الذيال . . .) (الزباء . . .) : ١٨٤٦٧
الزبيدى (محمد بن الوليد بن عامر)

أبو زرعة (وهب الله بن راشد) : ١٨٦٦٣
أبو زرعة بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلى : ١٧٧١٣ ، ١٧٧١٤
زريق بن السخت (شيخ الطبرى) : ١٨٦٥٥
زكريا بن يحيي بن أبان المصرى : ١٨٤٠٠
زهرة بن معبد التيمى (أبو عقيل): ١٨٦٦٢
زيد بن حباب التميمى : ١٧٥٣٢
زيد بن عوف القطعى (أبو ربيعة ، فهد) : ١٧٥٨٠

* * *

سباع بن ثابت : ١٧٧٣٢
سعدويه ، الضبى (سعيد بن سليمان) (شيخ الطبرى) : ١٨٥١١
أبو سعيد (عبد الرحمن بن عبد الله)
سعيد بن إياس ، الجريرى : ١٨٦٥٠
سعيد بن تليد (سعيد بن عيسى بن تليد) : ١٨٤٠٠
سعيد بن سلام البصرى ، الثورى ، العطار ، الأعور (أبو الحسن البصرى) : ١٨٥٥٣
سعيد بن سليمان الضبى الواسطى (سعدويه) (شيخ الطبرى) : ١٨٥١١
سعيد بن عمرو بن سعيد السكونى (شيخ الطبرى) : ١٧٧٢٣
سعيد بن عيسى بن تليد المصرى (سعيد بن تليد) : ١٨٤٠٠
سعيد بن أبى مريم (ابن أبى مريم): ١٨١٣٣
سعيد بن نمران الناعطى : ١٧٦١١ ، ١٧٦٢٧
سعيد بن أبى هلال الليثى المصرى : ١٧٦٠٩
سفيان بن سعيد الثورى : ١٧٥٦٧ ، ١٧٥٦٩
سفيان بن عيينة : ١٧٧٢٣ ، ٧٧٣٢
سلمان الأشجعى (أبو حازم): ١٧٨٦٠
أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى : ١٧٦٠٣ ، ١٧٧١٨ ، ١٧٧٢٠ ، ١٨٣٩٧
أم سلمة (أسماء بنت يزيد الأنصارية)
أم سلمة ، أم المؤمنين (ص : ٣٤٨ تعليق : ٢)
سليم بن جبير الدوسى المصرى (أبو يونس) : ١٨٤٠٣
سليم بن عامر الكلاعى الحمصى : ١٨٦٨١
سليمان العلاف : ١٨٠٤٠
سليمان القراسى : ١٨١٤٢
سليمان بن أيوب بن سليمان بن عيسى ابن موسى بن طلحة : ١٧٥٧١
سليمان بن سفيان التميمى : ١٨٥٧١
سليمان بن مهران (الأعمش) : ١٧٧٢٢
أبو السمح (دراج بن سمعان) : ١٧٧٢٩

سهل ، أبو الأسد القراري الحنفي : ١٧٧٠٨
سهل بن حماد (أبو عتاب الدلال) : ١٨٤٤٨
أبو سيار (أيوب بن سيار) (أبو عبد الرحمن)

* * *

شاذان (الأسود بن عامر)
شبيب بن سعيد التميمي الحبطي : ١٧٦١٨
شريح بن عبيد بن شريح الحضرمي : ١٨٦٦٥
شفي بن ماتع الأصبحي المصري : ١٨٠٢٨
شهر بن حوشب : ١٧٧١٥ ، (ص ٣٤٨ ، تعليق : ٢)

* * *

أبو صالح (الحارث بن عبيد)
أبو صالح السمان (ذكوان) : ١٧٧١٧ ، ١٧٧٢٢ ، ١٧٧٢٧
صباح الفراء (صباح بن يحيى المزني) : ١٨٠٤٨
صباح بن يحيى المزني (صباح الفراء) : ١٨٠٤٨
صدقة بن عبادة بن نشيط الأسدي : ١٨٨٤٠
صفوان بن عمرو بن هرم السكسكي : ١٧٧٥٦ ، ١٨٣٤٨
صفوان بن محرز بن زياد المازني : ١٧٩٨٢

* * *

ضمرة بن حبيب بن صهيب الزبيدي : ١٧٩٨٧
ضمضم بن زرعة بن ثوب الحضرمي : ١٨٦٦٥

* * *

طريف بن مجالد (أبو تميمة الهجيمي) : ١٧٦١٦
أبو الطفيل (عامر بن واثلة)
طلحة بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله التيمي : ١٧٥٧٠

* * *

عاصم بن بهدلة (عاصم بن أبي النجود) : ١٧٧٣٥
عاصم بن أبي النجود : ١٧٧٣٥
أبو عامر العقدي (عبد الملك بن عمرو)
عامر بن جشيب الحمصي : ١٨٥٧١
عامر بن سعد البجلي : ١٧٦١٠
عامر بن واثلة (أبو الطفيل) : ١٨٢٩٣
عباد بن راشد التميمي : ١٧٦٠٨
عباد بن يعقوب الأسدي (شيخ الطبري) : ١٨١٨٧
عبادة بن نشيط الأسدي : ١٨٨٤٠
عبادل (عبيد الله بن علي بن أبي رافع)
العباس بن الوليد بن مزيد الآملي : ١٧٧١٨
عبد الحميد بن بهرام الفزاريّ : ١٧٧١٥

أبو عبد الرحمن (أيوب بن سيار) (أبو سيار)
عبد الرحمن بن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام : ١٧٦٠١
عبد الرحمن بن جبير المصرى : ١٧٧٢٩
عبد الرحمن بن حماد بن عمران بن موسى بن طلحة : ١٧٥٧٠
عبد الرحمن بن زياد بن أنعم : ١٨٨٧٢
عبد الرحمن بن سابط (عبد الرحمن) ابن عبد الله بن سابط) : ١٨٧٨٠
عبد الرحمن بن عبد الله ، مولى بنى هاشم (أبو سعيد) : ١٨٦٧٨
عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط (عبد الرحمن بن سابط) : ١٨٧٨٠
عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة (المسعودى) : ١٧٩٨٢
عبد الرحمن بن غنم الأشعرى : ١٧٧١٥
عبد الرحمن بن القاسم بن خالد العتقى : ١٨٤٠٠
عبد الرحمن بن أبى ليلى الأنصارى : ١٨٦٧٨
عبد الرحمن بن محمد المحاربى : ١٨١٨٧
عبد الرحمن بن ملّ (أبو عثمان النهدى) : ١٨٦٦٦ ، ١٨٦٧٦
عبد الرحمن بن هرمز (الأعرج) : ١٧٧٦٠
عبد الرحمن بن يحيى (؟ ؟) : ١٨٨٧٢ ، ١٨٨٧٣
عبد العزيز الشامى : ١٨١٨٧
عبد العزيز بن أبان الأموى : ١٧٦٠١
عبد العزيز بن رفيع الأسدىّ : ١٧٧٣٧
عبد العزيز بن عبد الغفور (عبدالغفور ابن عبد العزيز)
عبد الغفار بن عبد العزيز (عبد الغفور . . .)
عبد الغفور بن عبد العزيز (عبد الغفار . . .) : ١٨١٨٧
عبد القدوس بن الحجاج الخولانى (أبو المغيرة) : ١٧٧٥٦ ، ١٨٣٤٨
عبد الكريم بن محمد الجرجانى : ١٧٩١٦
عبد الله بن أحمد بن شبويه الخزاعى (شيخ الطبرى) : ١٨٦٨١
عبد الله بن بكر بن حبيب السهمى : ١٧٧٣٨
عبد الله بن أبى بكر بن عبد الرحمن : ١٧٦٠١
عبد الله بن زيد الجرمى (أبو قلابة) : ١٧٦٠٦
عبد الله بن سالم الأشعرى الوحاظى : ١٨٦٨١
عبد الله بن عثمان بن خثيم القارئ : ١٨٢٩٣
عبد الله بن المبارك : ١٨٠٢٨
عبد الله بن نجىّ بن سلمة الكوفى

الحضرمى : ١٨٠٤٨
عبد الله بن واقد (أبو رجاء الهروى) : ١٨٢٩٣
عبد الملك بن زيد (؟) : ١٨٥٠٩
عبد الملك بن عمرو (أبو عامر العقدى : ١٧٦٠٨
عبد الملك بن عمير اللخمى : ١٨٦٧٨
عبد الملك بن محمد بن عبد الله الرقاشى (أبو قلابة) (شيخ الطبرى) : ١٧٧٢٠
عبد الملك بن يزيد (؟) : ١٨٥٠٩
عبد الواحد بن زيد البصرى : ١٧٩٨٩
عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى : ١٧٧٦٠ ، ١٨٨٠٧
عبد الوهاب بن مجاهد بن جبر : ١٨٧٦٨
عبيد الله بن على بن أبى رافع (عبادل) : ١٨١٣٣
عبيد الله بن أبى يزيد المكى : ١٧٧٣٢ ، ١٧٧٤٢
أبو عتاب الدلال (سهل بن حماد)
أبو عثمان (أحمد بن محمد بن بن أبى بكر المقدمى)
أبو عثمان (الوليد بن أبى الوليد القرشى)
أبو عثمان النهدى (عبد الرحمن بن مل) : ١٨٦٦٦
عثمان بن سعيد (عثمان بن سعيد بن دينار) : ١٧٧٢٣
عثمان بن سعيد بن دينار : ١٧٧٢٣
عثمان بن عاصم بن حصين الأسدى (أبو حصين) : ١٧٧٢٧
عثمان بن عبد الله بن موهب التيمى (عثمان بن موهب) : ١٧٥٦٧ ، ١٧٥٦٩ ، ١٨٦٨٤
عثمان بن عمر بن فارس بن لقيط العبدى : ١٧٧٢١
عثمان بن مطر الشيبانى : ١٨١٨٧
عثمان بن موهب (عثمان بن عبد الله ابن موهب)
عطاء بن أبى مسلم الخراسانى (عطاء ابن ميسرة) : ١٧٦٣١
عطاء بن ميسرة (عطاء بن أبى مسلم)
عطاء بن يسار : ١٧٧٢٢ ، ١٧٧٣٦
عقبة بن مسلم التجيبىّ : ١٨٠٢٨
أبو عقيل (زهرة بن معبد التيمى)
علقمة بن قيس بن عبد الله النخعى : ١٨٦٦٨
على بن الحسن الأزدى (على بن الحسين) (شيخ الطبرى) : ١٧٦٦٨
على بن الحسين الأزدى (على بن الحسن) (شيخ الطبرى) : ١٧٦٦٨
على بن زيد بن جدعان : ١٧٨٦١ ، ١٨١٣٦ ، ١٨٦٦٦
على بن عيسى البزار (على بن عيسى ابن يزيد البغدادى الكراجكى)
على بن عيسى بن يزيد البغدادى الكراجكى (على بن عيسى البزار) (شيخ الطبرى) : ١٧٥٧٠
على بن هرون (يزيد بن هرون ؟) : ١٨٣٢٠

عمار بن محمد الثورى : ١٧٧٢٨
عمارة بن القعقاع الضبىّ : ١٧٧١٣
عمر بن على بن مقدم : ١٨٣٢٢
عمر بن عمرو بن عبد الأحموسى : ١٧٧٢٥
عمران بن حصين الخزاعى (ابن حصين) : ١٧٩٨٢
عمرو بن الأزهر العتكى : ١٨٣٢٠
عمرو بن الحارث بن النعمان الزبيدىّ : ١٨٦٨١
عمرو بن الحارث بن يعقوب المصرى : ١٧٧٢٩ ، ١٧٧٥٤ ، ١٨٤٠٠
عمرو بن خارجة بن المنتفق الأشعرى : ١٨٢٩٠
عمرو بن دينار : ١٧٧٣٨، ١٧٧٤٣
عمرو بن عبد الحميد الآملى (شيخ الطبرى) : ١٧٧٢٤
عمرو بن على الفلاس : ١٨٣٢٢
عمرو بن قيس الملائى : ١٨٧٧٦
عمرو بن محمد العنقزى : ١٨٧٧٦
عمرو بن مرة المرادى الجملى : ١٨٧٧٦
عمرو بن الهيثم البغدادى (أبو قطن) : ١٨٦٧٤
عنبسة بن سعيد الضريس : ١٧٨٦٠
عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود : ١٨٧٧٥
عيسى الجرشى (عيسى بن ميمون الجرشى المكى) : ١٨٠١٨
عيسى بن ميمون الجرشىّ المكى : ١٨٠١٨

* * *

فائد ، مولى عبادل : ١٨١٣٣
فضالة بن الفضل بن فضالة التيمى الطهوى : ١٨٢٣٥
ابن فضيل (محمد بن فضيل بن غزوان)
فضيل بن عمرو الفقيمى : ١٧٥٤٠
فضيل بن عمرو بن الجون : ١٧٥٤٠
فضيل بن غزوان الضبىّ : ١٧٧١٣
فهد ، أبو ربيعة (زيد بن عوف القطعى)
أبو قطن (عمرو بن الهيثم البغدادى)
أبو قلابة (عبد الله بن زيد الجرمى)
أبو قلابة (عبد الملك بن محمد بن عبد الله الرقاشى)
قيس بن الربيع الأسدى : ١٧٨٦٠، ١٨٦٨٤

* * *

كثير بن زاذان النخعىّ : ١٧٨٦٠
أبو الكروّس (محمد بن عمرو بن تمام)
كعب بن عمرو (أبو اليسر) : ١٨٦٧٥ ، ١٨٦٨٤
كليب بن وائل بن هبار التيمى اليشكرى : ١٧٩٨٩

* * *

لقيط بن صبرة (لقيط بن عامر بن المنتفق) (أبو رزين العقيلى) : ١٧٩٨٠
لقيط بن عامر بن المنتفق (لقيط بن صبرة) (أبو رزين العقيلى) : ١٧٩٨٠

ابن لهيعة : ١٨٤٠٣

* * *

أبو مالك الأشعرى : ١٧٧١٥
ابن المبارك (عبد الله بن المبارك)
مبشر الحلبى (مبشر بن إسماعيل الحلبى) : ١٧٩٨٧
مبشر بن إسماعيل الحلبى : ١٧٩٨٧
أبو المثنى (مسلم بن المثنى الكوفى)
مجاهد بن جبر : ١٨٧٦٨
المحاربى (عبد الرحمن بن محمد المحاربى)
أبو محمد الثقفى : ١٧٩١٥
أبو محمد الحضرمى ، غلام أبى أيوب الأنصارى : ١٨٦٥٠
محمد بن إسماعيل بن عياش الحمصى : ١٨٦٦٥
محمد بن بكر بن عثمان البرسانى : ١٧٨٧٩
محمد بن جحادة الإيامى (ص : ٣٤٨ ، تعليق : ٢)
محمد بن حاتم بن سليمان الزمى (شيخ الطبرى) : ١٧٧٢٨
أبو محمد بن الحضرمى (أبو محمد الحضرمى) : ١٨٦٥٠
محمد بن خازم (أبو معاوية الضرير) : ١٧٧٢٢
محمد بن سعيد بن غالب العطار البغدادى (أبو يحيى) (شيخ الطبرى) : ١٨٧٧٦
محمد بن شبيب الزهرانى : ١٨٣٨٠
محمد بن عمرو بن تمام الكلبى (أبو الكروس) : ١٧٥٧١
محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثى : ١٨٣٩٧
محمد بن عوف بن سفيان الطائى (شيخ الطبرى) : ١٧٧٥٦ ، ١٨٣٤٨ ، ١٨٦٦٥
محمد بن فضيل بن غزوان الضبى : ١٧٧١٣
محمد بن كثير (محمد بن كثير بن أبى عطاء) : ١٨٢٩٣
محمد بن كثير بن أبى عطاء الثقفى : ١٨٢٩٣
محمد بن منصور بن داود الطوسى (شيخ الطبرى) : ١٧٦٤٣
محمد بن المنكدر (ابن المنكدر) : ١٧٧٢٣
محمد بن هرون القطان الرازق (شيخ الطبرى) : ١٧٩٨٠
محمد بن الوليد بن عامر الزبيدى : ١٨٦٨١
محمد بن يزيد الحزامى البزاز : ١٧٧٢٩
محمد بن يزيد (محمد بن يزيد الحزامى) : ١٧٧٢٩
محمود بن خداش الطالقانى (شيخ الطبرى) : ١٨٤٨٧
مروان بن الحكم : ١٧٦٠١
ابن أبى مريم (سعيد بن أبى مريم)
مزيدة بن زيد (؟ ؟) : ١٨٦٦١
المسعودى (عبد الرحمن بن عبد الله ابن عتبة)

أبو مسلم (خلاد بن عيسى الصفار)
مسلم بن إبراهيم الأزدى الفراهيدى : ١٧٧٢٠
مسلم بن المثنى الكوفى (أبو المثنى) : ١٨٣٤٨
مسلم بن نذير السعدى (مسلم بن يزيد) : ١٧٦١٤
مسلم بن يزيد السعدى (مسلم بن نذير) : ١٧٦١٤
المسيب بن شريك التميمى : ١٨١٤٢
أبو مصعب العقيلى (وكيع بن حدس)
مصعب بن سعد بن أبى وقاص : ١٨٧٧٦
أبو معاوية الضرير (محمد بن خازم)
معتب (كعب بن عمرو) (أبو اليسر) : ١٨٦٧٥ ، ١٨٦٨٤
أبو المغيرة (عبد القدوس بن الحجاج الخولانى)
المفضل بن فضالة بن أبى أمية القرشى : ١٨١٣٦
ابن المنكدر (محمد بن المنكدر)
موسى بن طلحة بن عبيد الله التيمى القرشى : ١٧٥٦٧ ، ١٧٥٦٩ ، ١٨٦٨٤
موسى بن عبيدة الربذىّ : ١٧٧٣٠
موسى بن يعقوب الزمعى : ١٨١٣٣

* * *

نافع بن جبير بن مطعم النوفلى : ١٧٧٤٢
نسير بن ذعلوق الثورى : ١٨٥٥٣
أبو نشيط : ١٧٩٨١
النضر بن شميل المازنى النحوى : ١٧٩٨٢
أبو النعمان (الحكم بن عبد الله العجلى)
نعيم بن جهضم (. . . ضمضم)
نعيم بن ضمضم العامرى (...جهضم)
(. . . ضمعج) : ١٨٨٢٤
نعيم بن ضمعج (. . . ضمضم)

* * *

هرون بن موسى الأعور النحوى : ١٧٧٦٠
هشام بن حسان الأزدى : ١٧٧٢٦

* * *

واصل بن عبد الرحمن (أبو حرة) : ١٨٧١٦
أبو الورد بن ثمامة بن حزن (ثمامة بن حزن) : ١٨٦٥٠
وكيع بن حدس (بن عدس) (أبو مصعب العقيلى) : ١٧٩٨٠
وكيع بن عدس (بن حدس)
الوليد بن سلمة الفلسطينى الأردنى : ١٨٧٦٨ ، ١٨٧٧١
الوليد بن عبد الله بن أبى مغيث : ١٧٥٣٢
الوليد بن مزيد الآملى البيروتى : ١٧٧١٨
الوليد بن أبى الوليد القرشى (أبو عثمان) : ١٨٠٢٨
وهب الله بن راشد المصرى (أبو زرعة) : ١٨٦٦٣

* * *

أبو يحيي (محمد بن سعيد بن غالب البغدادى)
يحيي بن جعدة بن هبيرة بن أبى وهب القرشى : ١٨٦٨٣
يحيي بن حسان التنيسى المصرى : ١٧٧١٥
يحيي بن داود بن ميمون الواسطى (شيخ الطبرى) : ١٧١٥٨
يحيي بن سعيد العطار : ١٧٧٢٥
يحيي بن طلحة بن عبيد الله التيمى : ١٧٥٧٠
أبو يزيد المكى : ١٧٧٣٢
يزيد بن هرون (؟) (على بن هرون) : ١٨٣٢٠
أبو اليسر الأنصارى (معتب) (كعب ابن عمرو) : ١٨٦٧٥، ١٨٦٨٤
أبو اليسع (إسماعيل بن حماد بن أبى المغيرة) : ١٨٣٢٢
يعلى بن عطاء العامرى : ١٧٩٨٠
يوسف بن عدى النصرى (النضرى) : ١٨٠٧٩
يوسف بن مهران : ١٧٨٦١
أبو يونس (سليم بن جبير الدوسى)
يونس بن يزيد بن أبى النجاد الأيلى : ١٨٤٠٠

فهرس المصطلحات

الإجراء (الصرف) : ١١٧ ، ٣٩٧
الاستثناء المنقطع : ٢٠٧ ، ٥٢٧
الباطن (هو الخفى المجهول) : ١٧٦
التطاول (فى الفعل) : ٤٠٦
التقريب : ٤١٦
الصفة (حرف الجر) : ٣٩٧
الصلة : ٥٤ ، ٧٥ ، ٤٩٨
الصلة (الزيادة) : ٤٩٧
الظاهر : ١٧٦
العماد : ٤١٦
القطع (الحال) : ٧٦ ، ٧٧ ، ٢٧٧
المصدَر (النصب على المصدر) : ٥٤٠
المصدَّر (المفعول المطلق) : ٣٥
الوقوع (التعدى) : ٣٥ ، ٤١٦

مباحث النحو والعربية وغيرها

* « الهمز »، ربما غلطت العرب فى الحرف إذا ضارعه آخر من الهمز ، فيهمزون غير المهموز ، كقول الطائية : « رثأت زوجى بأبيات » و « حلأت السويق » ، لمضارعتهما : « رثأت اللبن » ، و « حلأت الإبل » : ٤٣

* « الألف »، إدخالُها فى صدر الكلمة إذا سكن أولها ، ليوصل إلى قراءتها : ٥٨

* « الألف »، فى فعل الأمر ، جىء بها بعد حذف التاء من الفعل ، فلما حذفت ذهبت « لام الأمر » ، فجىء بها ليوصل إلى النطق بالكلمة : ١١٠

* « الألف »، إذا كانت بين حرفين ، كان لها صدًى ، كنحو الصوت يكون فى جوف الشىء فيتردد فيه ، فتكون أكثر وأبين : ٣٩٩

* « ألف الاستفهام »، معنى دخولها فى قوله : « أَسِحْرٌ هٰذَا » : ١٥٥ ، ١٥٦

* « ألف الندبة » ، وحكمها : ٣٩٨ ، ٣٩٩

* « الألف واللام » ، كلام العرب ، إدخالُ « الألف واللام » فى خبر « ما » و« الذى » ، إذا كان الخبر عن معهودٍ قد عرفه المخاطَب والمخاطِب ، بل لا يجوز إذا كان ذلك كذلك إلاّ بالألف واللام ، لأن الخبر حينئذٍ خبر عن شىء بعينه معروف عند الفريقين . وإنما يأتى بغير « الألف واللام » ، إذا كان الخبر عن مجهول غير معهود ولا مقصود قصد شىء بعينه ، فحينئذ لا تدخل « الألف واللام » فى الخبر : ١٦١

* « الألف واللام » ، إثباتها خلفاً من الإضافة ، فى نحو قوله : « رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ » ، أى ، أهل بيت إبراهيم : ٤٠٠

* « الألف واللام » ، دخولها على مضاف إلى معرفة ، لأنه فى معنى النكرة ، نحو « المجريها » : ٣٢٨ ، ٣٢٩

* « الأبد »، العرب إذا أرات أن تصف الشيء بالدوام أبداً قالت : « هذا دائم دوام السموات والأرض » ، أى : دائم أبداً . وكذلك « هو باق ما اختلف الليل والنهارُ » و « ما سمر ابنا سمير »، و « ما لألأت العفر بأذنابها »، يعنون بذلك كله : أبداً : ٤٨١ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩

* « إلى » ، العرب تضعها مكان « اللام » : ٢٩١

* « إلاّ » ، الأشهر فى كلام العرب فى « إلاّ » توجيهها إلى معنى الاستثناء ، وإخراج معنى ما بعدها مما قبلها، إلا أن يكون معها دلالة تدل على خلاف ذلك : ٤٨٩

* « إلاّ » بمعنى واو العطف ، وذلك إذا استثنيت شيئاً كثيراً مع مثله ، أو مع ما هو أكثر منه : ٤٨٨

* « إلاّ »، بمعنى « سوى » ، نحو : « لى عليك ألف، إلا ألفين اللذين من قبل فلان » ، أى ، لى عليك ألف سوى الألفين : ٤٨٨

* « إلاّ » ، تحقيق، وإنما تدخل نقضاً لجحد قد تقدمها : ٤٩٦

* « إلاّ »، ليس فى العربية أن ينصب ما بعد « إلاّ » من الفعل، الاسم الذى قبلها لا تقول العرب : « ما زيداً إلا ضربت » : ٤٩٦

* « إلاّ » ، بمعنى « لكن » : ٣٣٣

* « أم » ، بمعنى الاستفهام : ٢٥٩

* « إنّ » ، إثبات للشيء وتحقيق : ٤٩٦

* « إنّ » ، الثقيلة ، وتخفيفها والنصب بها مع التخفيف : ٤٩٦ ، ٤٩٧

* « إنّ » ، العرب تخصُّها ، إذا جاء نعت الاسم الذى عملت فيه بعد تمام خبره ، بأن ترفع النعت ، نحو : « إن أخاك قائم ، الظريفُ » ، برفع « الظريف » : ١٢٣ ، ١٢٤

* « الباء » ، إدخالها فى الكلام ، وسقوطها جائز ، نحو : « لأجزينك ما عملت، وبما عملت » : ٢٨٧

* «الباء»، زيادتها فى خبر المبتدأ نحو: « جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا »، وزيادتها فى المبتدأ نحو: « بحسبك قول السوء »، وقد أنكر بعضهم ذلك فقال: يجوز أن تكون الباء فى « حسب » زائدة، لأن التأويل: إن قلت السوء فهو حسبك، فلما لم تدخل فى الخبر، أدخلت فى « حسب » نحو: « بحسبك أن تقوم »، بمعنى: إن قمت فهو حسبك. فإن مُدِح ما بعد « حسب » أدخلت الباء فيما بعدها، كقولك: « حسبك بزيد »، ولا يجوز: « بحسبك زيد »، لأن زيداً الممدوح، فليس بتأويل خبر: ٧٤، ٧٥

* « التاء »، إدغامها فى « الزاى »، لتقارب مخرجيهما: ٥٨

* « التاء »، حذفها من الفعل، اجتزاء بدلالة التاء الباقية منهما عليها، نحو: « تكلّمُ » فى « تتكلم »: ٤٧٩

* « تحت »، بمعنى: من دونه وبين يديه، نحو قوله: « قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا »، أى جعل دونها وبين يديها: ٢٩

* « تلك »، بمعنى « هذه »: ١١

* « ثُمّ » و « ثَمّ »: ١٠١

* « جميع »، لا تقع إلاّ توكيداً، ولا تقع اسماً: ٢١٢

* « الذى »، حكم إدخال « الألف واللام » فى خبرها: ١٦١

* « الزاى »، إدغامها فى « الثاء » لتقارب مخرجيهما: ٥٨

* « عن »، بمعنى: من أجل، أو اللام، نحو: « وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِى آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ »: ٣٦٠

* « كأنّ »، تخفيفها، والنصب بها مع التخفيف: ٤٩٧

* « كل »، تقع توكيداً، واسماً: ٢١٢

* « كل »، بنيت على الإضافة، كان معها إضافة أو لم يكن: ٥٤٠

* « اللام » ، العرب تضعها مكان « إلى » : ٢٩١

* « اللام » ، بمعنى العاقبة والمآل ، نحو : « فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا » ، أى : التقطوه فكان لهم عدوًّا : ١٧٨

* « اللام » ، « لام كى » ، فى معنى « لام الخفض » ، لتقارب المعنى ، نحو قوله :

سَمَوْتَ ولم تَكُنْ أهلاً لِتَسْمُو ولكنّ المضيَّعَ قد يُصَابُ

يقال : « ما كنت أهلاً للفعل » ، ولا يقال : « لتفعل » ، إلا قليلاً ، وهذا منه : ١٧٨

* « اللام » ، التى يوصل بها إلى الفعل ، نحو : « لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ » : ٥٥٨ ، ٥٥٩

* « اللام » ، بمعنى « إلى » : ٥٥٩

* « اللام » ، التى يجلبها الفعل ، نحو : « شكرت لك » و « حمدت لك » فى « حمدتك » و « شكرتك » : ٥٥٩

* « لام الأمر » ، العرب لا تكاد تأمر المخاطب باللام والتاء ، وقول الفراء إن « اللام » ، فى الأمر ، هى البناء الذى خلق له : ١٠٩ ، ١١٠

« لام الأمر » ، سقوطها من فعل الأمر ، لحذف تاء المخاطب التى تليها ، فلما سقطت التاء ، ذهبت اللام ، وجىء بالألف ، إذ لا يستقم الاستئناف بحرف ساكن : ١١٠

* « لام اليمين » ، العرب لا تنصب بفعل بعد « لام اليمين » ، اسماً قبلها : ٤٩٧

* « لام الجواب » ، العرب تدخلها فى غير موضعها ، ثم تعيدها بعدُ فى موضعها ، نحو قول الشاعر :

فلَوْ أنّ قَوْمِى لَمْ يكونُوا أعِزّةً لَبَعْدُ لقد لَاقَيْتُ لا بُدَّ مَصْرَعَا

فأتى بها فى « لبعد » ثم أعادها فى « لقد » : ٤٩٨

* « لا » ، فى الدعاء ، ودخولها على المضارع ، نحو قوله :

فلا ينبسطْ من عينيك ما انزَوَى ولا تَلْقنى إلَّا وأنفك راغمُ

بمعنى : « فلا انبسط » ، و « لا لقيتنى » ، على الدعاء : ١٨٣

* « لا جرم » ، فى موضع الأيمان ، وفى موضع « لا بُدّ » : ٢٨٩

* « لدن » ، بمعنى « عند » : ٢٢٨

* « لمّا » ، بمعنى « إلاّ » ، نحو : « بالله لما قمتَ عنا ، وإلا قمت عنّا » ؛ وقول أبى جعفر : إن أهل العربية ينكرون ويأبون أن يكون جائزاً توجيهها إلى هذا المعنى إلا فى اليمين خاصة . ولو جاز أن يكون غير ذلك ، لجاز أن تقول : « قام القوم لمّا أخاك » ، بمعنى : إلاّ أخاك ، ودخولها فى كل موضع صلح دخول « إلاّ » فيه : ٤٩٦

* « لمّا » ، دخول « الواو » فى جوابها ، والمراد إسقاطها ، نحو : « فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا » ، وقول امرئ القيس :

فلمَّا أجزنا ساحة الحىّ وانتحى بنا بَطْنُ خَبْتٍ ذِى قفافٍ عَقَنْقَلِ

فأدخل « الواو » فى جواب « لما » ، وإنما الكلام : فلما أجزنا ساحة الحى ، انتحى بنا : ٥٧٤ ، ٥٧٥

* « لما » ، العرب لاتكاد تتلق « لمّا » إذا وليها فعل ماض ، إلا بفعل ماضٍ ، نحو : « لما قمتَ قمتُ » ، ولا يكادون يقول : « لما قام أقوم » . وقد يجوز فيما كان من الفعل له تطاول ، مثل : « الجدال والقتال » ، يقولون : « لمّا لقيته أقاتله » ، بمعنى : جعلت أقاتله : ٤٠٦

* « لو » ، حذف جوابها ، لدلالة الكلام عليه ، وأن معناه مفهوم : ٤١٨

* « لولا » ، بمعنى « هلا » : ٢٠٥ ، ٢١٠

* « ما » ، حكم إدخال « الألف واللام » فى خبرها : ١٦١

* « ما » ، أكثر استعمالها فى غير بنى آدم ، وقد تجىء بمعنى : « مَنْ » : ٤٩٧ ، ٤٩٨

* « مِن » ، فى الكلام بمعنى الزيادة ، نحو : « هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللهِ » و « غَيْرُ اللهِ » ، إذا نظرت إلى زيادتها : ١١٧ ، ١١٨

* « الهاء » ، بعد « ألف الندبة » ، لأن الألف لطفت من أن تكون فى السكت ، فجعلت بعدها الهاء لتكون أبين لها ، وأبعد فى الصوت ، نحو : « يا ويلتا » ، فإذا وقفت قلت : « يا ويلتاه » : ٣٩٨ ، ٣٩٩

* « هذا » و « هذه » ، من أخوات « كان » فى احتياجها إلى اسم مرفوع ، وخبر منصوب ، وهو « التقريب » : ٤١٦

* « الواو » ، دخولها والمعنى حذفها ، نحو : « قام الظريف والعاقل » ، وأنت تريد : « الظريف العاقل » ، شخصاً واحداً : ٢٩٢

* « الواو » دخولها فى جواب « لمَّا » ، والمراد إسقاطها : ٥٧٤ ، ٥٧٥

* « وراء » ، ومعانيها : ٣٩٤

* « الياء » ، تحويلها ألفاً ، فى لغة بنى عقيل ، نحو قولهم : « أعطاتُ » فى « أعطيتُ » وقولهم فى « بقى » « بقا » ، وفى « نُهَى » « نُهَا » ، وقول حريث بن عناب الطائى :

لقد آذنت أَهْلَ اليَمَامة طيئٌ بحَرْب كَنَاصَاةِ الأَغَرِّ المُشَهَّرِ

يريد : كناصية : ٤٣ ، ٤٤

* « الياء » ، طيء تصيِّر كل ياء انكسر ماقبلها ألفاً ، فيقولون فى « هذه جارية » : « هذه جاراة » ، ويقولون أيضاً فى « ترقوة » « ترقاة » ، وفى « عرقوة » « عرقاة » : ٤٤

* « الياء » و « الواو » إذا انفتح ما قبلهما وسكنتا ، صحّتا ولم تنقلبا إلى ألف : ٤٣

* * *

* « فاعل » ، بمعنى « مفعول » ، نحو : « عيشة راضية » ، أى مرضية : ٣٣٢ ، ٣٣٣

* « فاعلتُ » ، مجيئه للواحد ، وذلك أن العرب يلحقون أحياناً ألفاً مكان التشديد فى « فعّلت » : ٧٨

* « فعّلت » ، العرب كثيراً ما تلحق فيها أحياناً ألفاً مكان التشديد ، فيقولون « فاعلت » ، إذا كان الفعل لواحد . وأما إذا كان لاثنين ، فلا تكاد تقول إلا « فاعلت » : ٧٨

* « فعيل » ، بمعنى « مفعل » ، نحو : « حكيم » بمعنى : مُحْكم ، و « أليم » بمعنى : مؤلم : ١٢

* « فعيل » ، بمعنى « مفعول » ، نحو : «حميم» بمعنى « محموم » : ٢٢ ، ٥٦ ، ٣٨٣ ، ٤٧٠

* « مفعول » ، تضعه العرب مكان المصدر ، وتضع المصدر مكانه ، نحو : « ما له عقل ، ولا معقول » : ٥٨٣

* * *

* « الاستثناء » ، إذا كان ما قبله جحداً ، كان ما بعده مرفوعاً ، نحو : « ما قام أحد إلاّ أخوك » ، وذلك إذا كان ما بعد الاستثناء من جنس ما قبله .
ولكن لو اختلف الجنسان ، حتى يكون ما بعد الاستثناء من غير جنس ما قبله ، كان الفصيح من كلامهم النصب ، نحو : « ما بقى فى الدار أحدٌ إلاّ الوتدَ » : ٢٠٦ ، ٢٠٧

* « الاستثناء » ، جواز الاستثناء مما كان بمعنى الجنس والجمع ، وإن كان مفرداً فى اللفظ نحو : « الإنسان » : ٢٢٧

* « الاستثناء » ، رفع المستثنى بإلاّ ، وإن كان المستثنى منه من غير جنسه ، ووجه ذلك : ٣٣٢

* « الاستثناء » ، العرب تجعل الشىء استثناء تستثنيه ولا تفعله ، نحو : « والله لأضربنك إلاّ أن أرى غير ذلك » ، وعزمُك على ضربه : ٤٨٧ ، ٤٨٨

* « التنوين » ، حذفه من بعض الكلام : ٤٩٥

* « التوكيد »، اجتماع توكيدين فى كلام واحد ، نحو : « كلهم جميعاً » : ٢١٢

* « التوكيد » ، تكرار الفعل توكيداً ، نحو : « كلمت أخاك كلمته » : ٥٥٦

* « الضمير » ، ضمير العماد : ٤١٦

* « العدد »، المجىء بالأعداد هو الأصل، فتقول : « عندى درهم ودرهمان » والأصل « درهم واحد » و « درهمين اثنين » ، لأن الواحد والاثنين يدلان على كل الأجناس : ٢١٢ ، ٢١٣

* « الواحد » ، فى معنى الجمع ، نحو : « ضيف » و « عَدْل » : ٤١٦

* « الواحد » بمنزلة الجمع ، نحو : « النفس » : ٤٧٩

* « العطف »، حكم ما دخل فيه حرف الجر بين حرف العطف والاسم ، وخطأ من يقول : « مررت بعمرو فى الدار ، وفى الدار زيدٍ » ، وأنت تريد عطف « زيد » على « عمرو » : ٣٩٧

* « المصدر » بمعنى « مفعول »، نحو : « بدمٍ كَذِبٍ » ، أى مكذوب والعرب . تضع كثيراً « مفعولاً » فى موضع المصدر ، وتضع المصدر فى موضع «مفعول» ، نحو : « ما له عقل ، ولا معقول » : ٥٨٣

* « المعتل » الآخر ، يحذف حرف العلة من آخر الفعل فى الوصل والوقف ، وهى لغة معروفة لهذيل ، تقول : « ما أدرِ ما تقول » : ٤٧٩

* « القسم » ، ضروب منه على غير لفظ القسم، نحو : « وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ » ، وقولك : « بدالى لآتينَّك » ، ولذلك تُلقِّيَتْ بلام اليمين : ٥٣٨

* « النعت » ، كل موصوفٍ بصفة ، يدل الموصوف على صفته ، وتدل صفته عليه : ١٧

* « النعت »، إذا كانت النكرة نعتاً لمعرفة ، نصبت على « القطع »، وهو الذى يسميه الكوفيون « الحال » : ٧٦ ، ٧٧

* « النعت » : نعت الشيء بصفة ما يحل فيه ، نحو : « وَالنَّهَارَ مُبْصِراً » ، وقول جرير :

لَقَدْ لُمْتِنَا يَا أُمَّ غَيْلَانَ فِي السُّرَى ... وَنِمْتِ وَمَا لَيْلُ المَطِيِّ بِنَائِمِ

معناه : أنه هو لم يكن نائماً في الليل ولا بعيره : ١٤٤ ، ٢٩٤

* « النعت » ، نعت الشخص الواحد بنعتين عطفاً بالواو ، والمعنى زيادة « الواو » نحو : « قام الظريفُ والعاقل » ، وأنت تنعت بذلك شخصاً واحداً : ٢٩٢

* « النعت » ، إجراء النعت على أقرب اللفظين ، إذا كان معناه مفهوماً نحو : « بعض جبّتك محترقة » : ٤٤٥

* « النكرة » ، نصبها إذا كانت خارجة من المعرفة : ٤١٦

* « النكرة » ، إذا كانت نعتاً لمعرفة ، نصبت على « القطع »، وهو الذى يسميه الكوفيون : « الحال » : ٧٦ ، ٧٧

* « النكرة » ، المعرفة التى يكون فيها معنى النكرة ، وإن كانت مضافة إلى المعرفة ، وجواز دخول « الألف واللام » فيها ، نحو « المجريها » و « المرسيها » : ٣٢٨ ، ٣٢٩

* النصب على الظرف فى قولهم : « الحمد لله سِرارَكَ وإهلالَكَ »، ومسموع منهم : « الحمد لله ما إهلالَكَ إلى سرارك » : ٣٢٨

* إنما ينصبُ خبر الفعل الذى لا يستغنى عن الخبر ، إذا كان بين الاسم والخبر هذه الأسماء المضمرة : ٤١٥

* إعراب : « قمت قيامك » ، بمعنى : قمت كقيامك : ٣٥

* العرب تبنى على ما لم يسمّ فاعله بلفظ ، فإذا أتت بما يسمى فاعله أتت بلفظ آخر ، نحو : «مجنون » و« محبوب» فيما لم يسم فاعله ، فإذا سمّوا فاعله قالوا : « أجنه الله » و « أحبّه » : ٤٨٦

* « الأمر » العرب لا تكاد تأمر المخاطب باللام والتاء ، وإنما تأمره فتقول : « افعل

ولا تفعل » ، وقول أبى جعفر إنه لا يعلم أحداً من أهل العربية إلا وهو يستردئ أمر المخاطب باللام ، ويرى أنها لغة مرغوب عنها ، غير الفراء ، فإنه كان يزعم أن اللام فى الأمر ، هى البناء الذى خلق له ، واجهْتَ به أم تواجه ، إلاّ أن العرب حذفت اللام من فعل المأمور المواجَه ، لكثرة الأمر خاصة فى كلامهم ؛ كما حذفوا التاء من الفعل : ١٠٩ ، ١١٠

* « الجواب » ، ليس يسهُل فى الدعاء ، لأنه ليس بشرط : ١٨٤

* * *

* « الخطاب » ، ابتداء الخطاب بالإفراد ، ثم العود إلى إخراج الخطاب على الجمع نحو : « يَأَيُّهَا النَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ » : ١١٥ ، ١١٦

* « الخطاب » ، إخراج خطاب الواحد مخرج خطاب الجميع : ٢٩٧

* « الخطاب » ، يجرى فى أول الكلام لواحد ، ثم يجرى على الجمع ، وذلك أن العرب تخرج خطاب رئيس القوم وصاحب أمرهم مخرج خطاب الجمع ، إذ كان خطابه خطاباً لأتباعه وجنده ، وأحياناً مخرج خطاب الواحد ، إذ كان فى نفسه واحداً : ٢٦٢

* العرب تستجيز قول القائل لمملوكه : « إن كنت مملوكى فانتهِ إلى أمرى » ، ولابنه : « إن كنت ابنى فبرّنى » ، ولا يشك أحدهما فى أنه مملوكه أو ابنه : ٢٠٢ ، ٢٠٣

* « الخطاب » ، العرب تخاطب الواحد خطاب الاثنين ، كقوله :

فقلتُ لصاحبى : لا تُعجِلاَنا بنَزْعِ أُصُـــوله واجتَزَّ شِيحَا

فقال : « صاحبى » ، ثم قال : « تعجلانا » : ١٨٥

* خروج الخبر عن الشىء ، والمعنى لغيره ، إذ كان مفهوماً بالخطاب ما عُنِى به : ٥٦

* « الخطاب » ، العرب إذا قدمت قبل الكلام قولاً ، خاطبت ، ثم عادت إلى الخبر عن الغائب ، ثم رجعت بعدُ إلى الخطاب : ٥٢ ، ٥٣ ، ٢٣٢

* * *

* العرب فى خبر كان عن مضافٍ إلى مؤنث ، يكون الخبر عن بعضه خبراً عن جميعه ، تؤنث الفعل ، نحو :

أرَى مرَّ السنين أخذن منّى كما أخَذَ السِّرارُ من الهـلالِ

فقال : « أخذن » ، وقد ابتدأ الخبر عن « المرّ » ، وقول الآخر :

إذا ماتَ منهم سَيّدٌ قام سَيّدٌ فدانت لَهُ أهل القُرَى والـكنائِس

فقال : « دانت له » ، والخبر عن « أهل القرى » . ولكن لايقال : « دانت له غلام هند » ، لأن « الغلام » لو ألقى من الكلام لم تدل « هند » عليه ، كما يدل الخبر عن « القرية » على أهلها : ٥٦٧ ، ٥٦٨ .

* الإخبار عن غير العاقل بخبر العاقل ، إذا كان الفعل من أفعال العقلاء ، نحو : « وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَاجِدِينَ » ، وقوله : « يَأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَـكُمْ » : ٥٥٦

* « القلب » ، العرب تحوّل الفعل عن موضعه ، لما كان معلوماً المراد فيه ، نحو : « دخل الخاتم فى يدى ، والخف فى رجلى » ، ومعلوم أن الرجل هى التى تدخل فى الخف : ٢٩٨ ، ٢٩٩

* * *

* المقدم الذى معناه التأخير : ٣٩١

* تناقضٌ أن يدخل المعهود على الحاضر : ٤١٦

* « المفرد » ، الذى يقوم مقام الجمع ، إذا ذهب الوهم إليه وإلى من معه ، كالملك ، فإنه إذا ذكر بخوف أو سفر أو قدوم من سفر ، ذهب الوهم إليه وإلى من معه نحو : « قدم الخليفة فقلت الأسعار » ، لأنه تنوى بقدومه قدوم من معه : ١٦٦

* « الإفراد » ، إفراد الضمير ، والصفة ، إذا ذكر اثنين ، ثم اكتفى بذكر أحدهما عن الآخر ، نحو قوله : « وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ » ، وقول الشاعر :

رمانى بأمرٍ كنتُ مِنْه وَوَالدى بَرِيئًا ، ومن جُول الطَّوِىِّ رَمَانى

أى : بريئان : ٢٣

* * *

* « الساكن » ، الجمع بين الساكنين فى القراءة : ٨٧

* « الساكن » ، لا يبدأ به ، فيأتون بألف ليوصل إلى قراءته : ٥٨ ، ١١٠

* * *

* « الحذف» ، حذف المضاف إليه : ٩١

* « الحذف» ، حذف المضاف : ١٦٧

* « الحذف» ، حذف بعض الكلام لاستغنائه بدلالة ما ذكر منه عمَّا ترك ذكره : ١٧ ، ١٥٩ ، ٢٧٧ ، ٣٢٧ ، ٥٢٧

* « الحذف» ، حذف الفعل وإعماله ، إذا أظهرت فى الكلام دليلاً على ما حذفتَ نحو : « فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ » ، أى : وادعوا شركاءكم ، ونحو :

ورأيتِ زَوْجَكِ فى الوَغَى مُتَقَلِّداً سيفاً وَرُمْحَـــا

أى : وحاملاً رمحاً : ١٤٩

* « الحذف » ، حذف تمام الجملة ، اكتفاء بدلالة الكلام عليه ، نحو :

فلما لَبِسْنَ الليلَ أو حين ، نَصَّبتْ لَهُ مِنْ خَذَا آذَانِها وهو جَانِـحُ

يريد : أوحين أقبل ، نصبت : ١٥٦

* « الحذف » ، حذف بعض الحروف ، نحو « إن كُلا لَمَّا » ، وأصلها « لما » حذفت الميم لما اجتمعت الميمات ، وقول الشاعر :

وأَشْمَتَّ العداةَ بنا فأضحوا لَدَىْ يَتَبَاشَرُون بِما لَقِينا

أى : لدىّ ، وقول الآخر :

* كأنَّ من آخِرِهَا إلْقادِمِ *

أراد : إلى القادم ، فحذف اللام عند اللام : ٤٩٤ ، ٤٩٥

* * *

* كانت العرب إذ أسروا الأسير فأرادوا إطلاقه والمنّ عليه ، جزّوا ناصيته ، ليعتدّوا بذلك عليه فخراً عند المفاخرة : ٣٦٤

* * *

* حسبُ القراءة دلالة على فسادها ، خروج قارئها عما عليه قرأة أهل الأمصار : ٧٦

* أحق الكلام أن يقرأ بأفصح اللغات التى نزل بها ، كلام الله : ٨٨

* ليس لأحد أن يتلو القرآن إلا بالأفصح من كلام العرب ، وإن كان معروفاً بعض ذلك من لغة بعضها : ١١٠

* غير جائز توجيه معانى كلام الله إلاّ إلى الظاهر الأغلب المستعمل بين أهل اللسان الذى نزل به ، دون الخفى المجهول ، ما لم تأت دلالة تدلّ على غير ذلك : ١٧٦

* إذا أجمعت قرأة الأمصار على قراءة ، فليس لأحد خلافها ، وإن كان الوجه الآخر صحيحاً فى العربية ، صحيح المعنى : ٢٧٦

* كلام الله لا يُوَجَّهُ إلاّ إلى الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب ، إلاّ أن تقوم حجة على شىء منه بخلاف ذلك ، فيسلّم لها : ٣٢١

* إنما يوجَّه كلام الله إلى الأفصح الأشهر من كلام من نزل بلسانه ، ما وُجد إلى ذلك سبيل ، وما وجدنا له فى المشهور من كلام العرب مخرجاً صحيحاً : ٣٣٣

* لا يجوز القراءة بقراءة تخالف مصاحف المسلمين ، وما عليه قرأة الأمصار : ٤٧٦

* القراءة اتباعاً لخط المصحف : ٤٧٩

فهرس التفسير

٣ تصدير الجزء الخامس عشر .

٧ ﴿ تفسير سورة يونُس ﴾

٩ القول فى تفسير السورة التى يذكر فيها يونس صلى الله عليه وسلم .

٩ تفسير الحروف المقطعة : « الر » .

٢٥ فى خلق السموات والأرض ، الدلالة الواضحة على صانعه .

٢٧ الخبر عن عمل الإنسان ، يصوَّر له حين يخرج من قبره ، فيقوده إلى الجنة أو النار ، رقم : ١٧٥٥٨ ، ١٧٥٦٢ .

٣٩ رؤيا عوف بن مالك فى خلافة أبى بكر وعمر ، رقم : ١٧٥٨٠ .

٥٧ إنما خصّ الله أهل الفكر ، لأنهم أهل التمييز بين الأمور ، والفحص عن حقائق ما يعرض من الشبه فى الصدور .

٦٠ خبر أبى قلابة ، عن رؤيا رسول الله : « سيد بنى داراً ثم صنع مأدبة ، ثم أرسل داعياً » ، رقم : ١٧٦٠٦ .

٦٠ خبر أبى الدرداء : «ما من يوم طلعت فيه شمسه إلاّ وبجنتيها ملكان يناديان ، يسمعه خلق الله كلهم إلا الثقلين » ، رقم : ١٧٦٠٨

٦١ خبر عبد الله بن جابر عن رؤيا رسول الله : « ملك اتخذ داراً ، ثم بنى فيها بيتاً ، ثم جعل فيها مأدبة ، ثم بعث رسولاً يدعو الناس إلى طعامه » ، رقم : ١٧٦٠٩ .

٦٢ تأويل « الحسنى » ، والاختلاف فيها .

٦٣ الأخبار فى أنها : النظر إلى وجه الله ، من رقم : ١٧٦١٠ — ١٧٦٣٣ .

٦٤ تأويل « الزيادة » ، والاختلاف فيها .

١٠٦ الاختلاف فى تأويل « فضل الله » و « رحمته » .

١١٩ « أولياء الله » ، ومن يستحق هذا الاسم .

١٢٠ خبر أبى هريرة : « إنّ من عباد الله عباداً يغبطهم الأنبياء والشهداء » ، رقم : ١٧٧١٣ .

١٢١ خبر عمر : « إن من عباد الله لأناساً ، ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة » ، رقم : ١٧٧١٤ .

١٢٢ خبر أبى مالك الأشعرى : « يأتى من أفناء الناس ونوازع القبائل ، قوم . . . يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور » ، رقم : ١٧٧١٥ .

١٢٤ « البشرى » ، والاختلاف فى تأويلها ، وقول من قال : هى الرؤيا الصالحة .

١٢٤ حديث أبى الدرداء : « هى الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو تُرَى له » ، رقم : ١٧٧١٧ .

١٢٥ حديث عبادة بن الصامت : « هى الرؤيا الصالحة . . . » ، رقم : ١٧٧١٨ — ١٧٧٢١ .

١٢٨ حديث أبى الدرداء : « هى الرؤيا الصالحة . . . » ، رقم : ١٧٧٢٢ — ١٧٧٢٤ .

١٢٩ حديث عبادة بن الصامت : « هى الرؤيا الصالحة ... » ، رقم : ١٧٧٢٥ .

١٣٠ حديث أبى هريرة : « هى الرؤيا الصالحة ... » ، رقم : ١٧٧٢٦ — ١٧٧٢٨ .

١٣١ حديث عبد الله بن عمرو : « هى الرؤيا الصالحة . . . » ، رقم : ١٧٧٢٩

١٣٢ حديث عبادة بن الصامت : « هى الرؤيا الصالحة ... » ، رقم : ١٧٧٣٠ ، ١٧٧٣١ .

١٣٣ حديث أم كرز الكعبية : « ذهبت النبوة ، وبقيت المبشرات » ، رقم : ١٧٧٣٢ .

١٣٤ حديث أبى الدرداء : « هى الرؤيا الصالحة . . . » ، رقم : ١٧٧٣٣ — ١٧٧٣٨ .

١٣٦ حديث عبادة بن الصامت : « هى الرؤيا الصالحة ... » ، رقم : ١٧٧٣٩ ، ١٧٧٤٠ .

١٣٦ حديث أبى الدرداء : « هى الرؤيا الصالحة . . . » ، رقم : ١٧٧٤١ ، ١٧٧٤٣ .

١٣٨ حديث ابن مسعود ، وابن عباس : « هى الرؤيا الصالحة . . . » ، رقم : ١٧٧٤٨ — ١٧٧٥٢ .

١٣٩ حديث عبادة بن الصامت ، رقم : ١٧٧٥٦ .

١٤٠ قول من قال : « البشرى ، بشارة يبشر بها المؤمن فى الدنيا عند الموت » .

١٤٠ قول أبى جعفر فى « البشرى » .

١٤١ « لا تبديل لكلمات الله » ، ومقالة عبد الله بن عمر ، لما سمع قول الحجاج : « إن ابن الزبير بدّل كلام الله » ، وهو خبر عظيم القدر ، رقم : ١٧٧٥٩ .

١٤٧ بدء قصة نوح عليه السلام ، فى هذه السورة .

١٥٤ بعثة الرسل بعد نوح .

١٥٤ بعثة موسى إلى فرعون وملَئه .

١٦٣ تأويل « الذرية » ، والاختلاف فى معناها فى هذه الآية .

١٦٤ الاختلاف فى تأويل قوله : « واجعلوا بيوتكم قبلة » .

١٧٩ الاختلاف فى تأويل قوله : « واطمس على أموالهم » .

١٩٠ خبر خروج بنى إسرائيل من مصر ، وانفلاق البحر ، وغرق فرعون ، رقم : ١٧٨٥٧ .

١٩٠ الأخبار فى غرق فرعون ، وأن جبريل كان يدس فى فمه الطين ، مخافة أن تدركه الرحمة ، رقم : ١٧٨٥٨ — ١٧٨٦٧ .

١٩٥ خبر إنجاء فرعون ببدنه ، رقم : ١٧٨٦٩ .

٢٠١ القول فى بيان معنى : «فإن كنت فى شكّ مما أنزلنا إليك» ، والردّ على من يعترض فيقول : أوَ كان رسول الله فى شك من خبر الله أنّه حقٌّ يقين ؟

٢٠٥ خبر يونس وقريته ، والأخبار فى ذلك ، رقم : ١٧٨٩٧ — ١٧٩٠٧ .

* * *

٢٢٣ ﴿ تفسير سورة هُودٍ ﴾

٢٢٥ تفسير السورة التى يذكر فيها هود صلى الله عليه وسلم .

٢٢٥ بيان تأويل : « إحكام آيات الله وتفصيلها » ، واختلاف المختلفين فى ذلك .

٢٤٤ حديث أبى هريرة فى خلق السموات والأرض ، رقم : ١٧٩٧١ .

٢٤٦ حديث أبى رزين العقيلى وسؤاله : أين كان ربُّنَا قبل أن يخلق السموات والأرض » ، وذكر خلق « العرش » ، رقم : ١٧٩٨٠ ، ١٧٩٨١ .

٢٤٧ حديث عمران بن حصين ، وخبر الوفد الذين سألوا رسول الله عن خلق السموات والأرض ، رقم : ١٧٩٨٢ .

٢٤٨ حديث ابن عباس فى قوله : « وكان عرشه على الماء » ، وخبر الجنتين ، رقم : ١٧٩٨٣ — ١٧٩٨٦ .

٢٥١ «كتاب العقل » ، وكيف وضعه واضعوه ، وهو خبر غريب ، انظر التعليق على رقم : ١٧٩٨٩ .

٢٦٦ خبر شفىّ بن مانع الأصبحىّ ، وكيف كان أبو هريرة يحدّث عن رسول الله ، وخبر أبى هريرة فى أصحاب الرياء والسمعة يوم القيامة ، وتكذيب الله لهم ، رقم : ١٨٠٢٨ .

٢٦٩ اختلاف المختلفين فى « الشاهد » ، وقول من قال إنه محمد صلى الله عليه وسلم .

٢٧٢ قول من قال : هو علىّ بن أبى طالب.

٢٧٣ قول من قال : هو جبريل عليه السلام .

٢٧٥ قول من قال : هو ملك يحفظه صلى الله عليه وسلم .

٢٧٦ ترجيح أبى جعفر أنه جبريل عليه السلام .

٢٧٩ خبر سعيد بن جبير : « ما بلغنى حديث عن رسول الله على وجهه ، إلا وجدت مصداقه فى كتاب الله » ، رقم : ١٨٠٧٣ — ١٨٠٧٦ .

٢٨١ حديث أبى موسى الأشعرى : « من سمع بى من أمتى ، أو يهودى أو نصرانى ، فلم يؤمن بى ، لم يدخل الجنّة » ، رقم : ١٨٠٧٩ .

٢٩٣ بدء قصة نوح فى هذه السورة .

٣١٠ حديث عائشة فى صنعة نوح السفينة ، وقول رسول الله : « لو رحم الله أحداً من قوم نوح لرحم أم الصبى » ، وخبر هذه الأم ، رقم : ١٨١٣٣ .

٣١١ الأخبار فى صنعة نوح السفينة ، وما كان منه ومن قومه ، رقم : ١٨١٣٤ — ١٨١٤٢ .

٣١٨ اختلاف المختلفين فى « التنور وفورانه » .

٣٢١ ترجيح أبى جعفر أن « التنور » الذى يخبز فيه .

٣٢٤ اختلاف المختلفين فى الذى استثناه الله من أهل نوح .

٣٢٥ اختلاف المختلفين فى عدد الذين آمنوا مع نوح ، فحملهم معه فى الفلك .

٣٣٥ خبر السفينة واستواء الفلك على الجودىّ .

٣٣٨ تمام الأخبار عن سفينة نوح ، بعد أن غاض الماء .

٣٤٠ اختلاف المختلفين فى قوله تعالى لنوح حين قال: « إن ابنى من أهلى »، : « إنه ليس من أهلك » .

٣٤٨ تحقيق حديث شهر بن حوشب ، عن أم سلمة ، أهى الأنصارية ، أمْ أمّ المؤمنين ، وحديث عائشة ، فى قراءة قوله تعالى: « إنّه عَمِل غير صالح » .

٣٥٧ بدء قصة عادٍ ونبيهم هود عليه السلام ، فى هذه السورة .

٣٦٨ بدء قصة ثمود ونبيهم صالح عليه السلام ، فى هذه السورة .

٣٧٤ خبر عمرو بن خارجة فى أمر ثمود قوم صالح ، والناقة وفصيلها ، رقم : ١٨٢٩٠ .

٣٧٨ خبر هلاك ثمود إلاّ أبارِغال ، وأمر رسول الله حين مرّ بديارهم أن لا يدخلها أحد ولا يشرب من مائها ، وأنّ أراهم مرتّى الفصيل ، وقوله صلى الله عليه : « لا تدخلوا على هؤلاء المعذّبين »، وذكر خبر الناقة وفصيلها ، رقم : ١٨٢٩١ .

٣٧٩ خبر أبى الطفيل فى غزاة تبوك ، ونزول رسول الله حجر ثمود ، وما ذكر رسول الله من خبر الناقة وفصيلها ، رقم : ١٨٢٩٣ .

٣٨١ بدء خبر أبينا إبراهيم صلى الله عليه ، فى هذه السورة ، ومجىء الرسل بالبشرى فى هذه السورة .

٣٨٩ الأخبار فى ضحك امرأة أبينا إبراهيم ، حين جاءته البشرى .

٤٠٣ جدال أبينا إبراهيم رُسل الله فى قوم لوط ، وما كان من أمر قوم لوط .

٤٠٨ الأخبار فى مجىء الرسل إلى لوط عليه السلام .

٤١٤ الأخبار فى أمر قوم لوط ، وما قاله لهم رسولهم .

٤٢٠ حديث : « رحم الله لوطاً ، لقد كان يأوى إلى ركن شديد » ، وأنه : « ما بعث بعده من نبى إلاّ فى ثروة من قومه » ، رقم : ١٨٣٩٧ — ١٨٤٠٤

٤٣٩ الأخبار فى هلاك قوم لوط ، كيف كان ، من رقم : ١٨٤٠٨ — ١٨٤١٨

٤٤٠ الأخبار فى قلب الملائكة عالى أرض سدوم سافلها ، كيف كان ، من رقم : ١٨٤٥٨ — ١٨٤٦٦ .

٤٤٣ بدء قصة شعيب ، وأهل مدين ، فى هذه السورة .

٤٦٥ بدء قصة موسى وبعثته إلى فرعون ، فى هذه السورة .

٤٧٥ حديث أبى موسى : « إن الله يُملى للظالم ، حتى إذا أخذه لم يفلته » ، رقم : ١٨٥٥٩ .

٥٠٢ اختلاف المختلفين فى صلاة « طرفى النهار » من العشى .

٥٠٢ قول من قال : عنى بذلك « صلاة الظهر والعصر » ، وهما من صلاة العشى .

٥٠٣ قول من قال : عنى بها صلاة المغرب .

٥٠٣ قول من قال : عنى بها صلاة العصر .

٥٠٤ ترجيح أبى جعفر أنها صلاة المغرب .

٥٠٧ قول من قال : الصلاة التى أمرنا بإقامتها زلفاً من الليل ، هى صلاة المغرب والعشاء .

٥٠٩ اختلاف المختلفين فى « الحسنات » اللاتى يذهبن السيئات .

٥٠٩ قول من قال : هن الصلوات الخمس المكتوبات .

٥١١ حديث عثمان بن عفان ، فى الوضوء ، وفى الحسنات يذهبن السيئات ، وهن الصلوات الخمس المكتوبات ، رقم : ١٨٦٦٢ — ١٨٦٦٤ .

٥١٣ حديث أبى مالك الأشعرى : « جعلت الصلوات كفارات لما بينهن » ، رقم : ١٨٦٦٥ .

٥١٤ حديث أبى عثمان النهدى ، وسلمان الفارسى : « إن المسلم إذا توضأ فأحسن الوضوء ، ثم صلى الصلوات الخمس ، تحاتت خطاياه كما تحات هذا الورق » ، رقم : ١٨٦٦٦ ، ورقم : ١٨٦٧٧ .

٥١٤ قول من قال : « الحسنات : سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلاّ الله، والله أكبر » .

٥١٥ ترجيح أبي جعفر ، أنهن الصلوات الخمس .

٥١٥ سبب نزول آية : « إن الحسنات يذهبن السيئات » .

٥١٥ حديث عبد الله بن مسعود ، فى خبر الرجل الذى عالج امرأة فى بعض أقطار المدينة ، فأصاب منها ما دون أن يمسها ، رقم : ١٨٦٦٨ — ١٨٦٧٦ .

٥٢٠ حديث معاذ بن جبل فى خبر هذا الرجل ، رقم : ١٨٦٧٨ .

٥٢١ حديث أبى أمامة فى الرجل الذى جاء فقال : « يا رسول الله ، أقم فىّ حدّ الله — مرة واثنتين » ، رقم : ١٨٦٨١ .

٥٢٢ حديث معاذ بن جبل فى خبر الرجل ، رقم : ١٨٦٨٢ .

٥٢٣ حديث أبى اليسر بن عمرو الأنصارى ، وهو الرجل الذى عالج المرأة ، رقم : ١٨٦٨٤ ، ١٨٦٨٥ .

* * *

٥٤٧ ﴿ تفسير سورة يُوسُف ﴾

٥٤٩ تفسير السورة التى يذكر فيها يوسف صلى الله عليه وسلم .

٥٥٢ الخبر عن سؤال أصحاب النبىّ ، أن يقص عليهم رسول الله، رقم : ١٨٧٧٥ ، ١٨٧٧٦ .

٥٥٥ حديث اليهودى الذى سأل رسول الله عن أسماء الكواكب التى سجدت ليوسف ، رقم : ١٨٧٨٠ .

٥٧٤ خبر إلقاء يوسف فى الجبّ .

* * *

٥٨٩ فهرس الآيات التى استدلّ بها فى غير موضعها من التفسير .
٥٩٣ فهرس اللغة .
٦٠٦ فهرس أعلام المترجمين فى التعليق .
٦١٨ فهرس المصطلحات .
٦١٩ فهرس مباحث النحو والعربية وغيرهما .
٦٣٢ فهرس التّفسير .

تراث الإسلام

تفسير الطبري

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ - ٣١٠ هـ

١٦

حققه وخرج أحاديثه

محمود محمد شاكر

الناشر

مكتبة ابن تيمية

القاهرة ت ٨٦٤٢٤٠

تفسير الطبري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى لم يتَّخِذْ ولدًا ، ولم يكُنْ له شريكٌ فى المُلْك ، ولم يكُنْ له ولىٌّ من الذُّلّ سُبْحَانه ، أحمدهُ وأستغفرهُ وأتوبُ إليه ، وأبرأ إليه من اتّخاذ الأندادِ من شياطين الإنْس والجنّ . وأعوذُ به من كُلّ داعٍ يفتِنُ الناسَ عن التعبُّدِ له وطاعتِه والصلاةُ والسلام على محمّد النبىِّ الأُمىِّ الذى يُؤْمنُ بالله وكلماتِه ، صلاةً وسلامًا يعتقِدُهما القلبُ ويَمذُلُ بهما اللسانُ ، ليكونا ذُخرًا ليومٍ تشخَصُ فيه الأبصارُ ، ولأَزْدلِفَ بهما إلىٰ شفاعته يومَئذٍ لأُمَّته ، فهى نائلةٌ ، إن شاء اللهُ ، من مات من أمّته لا يُشْركُ بالله شيئًا . اللهمّ إنى أسْألُك لسانًا صادقًا ، وقلبًا خاشعًا ، ولزومًا لصراطك المستقيم ، ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ . رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ .

* * *

وبعدُ ، فهذا الجزء السادس عشر من تفسير أبى جعفر الطبرىّ رحمه الله ، وقد مضَى على صدور هذا الجزء الخامس عشر ثمان سنوات طِوال ، منذ سنة ١٣٧٩ من الهجرة (سنة ١٩٦٠ للميلاد) ، حالت دون إتمامه وصدوره حوائلُ جمَّةٌ ، منها ما أملكُهُ ، ومنْها ما لا مَلْكَ لِى به ، وأنَّى لامرئٍ أن يملِكَ طَوارقَ المقادير فى الظُّلَم السُّود ، ولكنّى أسألُ الله جلَّت قُدْرتُه وتعالى سُلطانُه ، أن يدفَع عنّى شرورَ نَفْسى التى بينَ جَنْبَىّ ، وأن يكُفَّ عنى غوائلَ عباده وخطاطِيفَ

خَلقه بما شاءَ من لُطْفِه ورحمته ، وأنْ يُوَفّقنى إلى استدراك ما فاتَ ، وأن يسدِّدَ خُطَاى على الطريقِ ، حتى أفرُغ بعونه سبحانه من أداءِ حقّه علىّ بنشر هذا التفسير الجليل ، غير مصروف عَنْه بحائلٍ من شرّ نفسى ، أو قاطعٍ من شرّ خلقه ، إنه هو القاهرُ فوق عباده وهو الحكيم الخبيرُ .

وكان من قِصَّة أوّلِ ما قطعنى عن المضىّ فى إصدار هذا الجزء فى ميعاده سنة ١٣٨٠ من الهجرة ، أنى كنتُ حين بدأت نشرَ تفسير أبى جعفر الطبرىّ ، على مثلِ حدّ السَّيْفِ من التخوّف لهذا الكتابِ الجليلِ ، فأمسكتُ نَفْسى عن التعليق على بعض مَسائله مخافةَ أن يَزِلَّ القلَمُ ، أو يَزيغَ بِىَ الرأىُ . وكان مما أمسكتُ عنه يومئذ ما رآهُ أبو جعفر فى تفسير قوله صلى الله عليه وسلم : « أُنْزِل القُرْآن على سَبْعةِ أحْرُفٍ » ، وما قالهُ فى شأنِ كتابة القرآن على عَهْد أبى بكر ، ثم كتابة المصحف الإمام على عَهْد عثمانَ رضى الله عنهما . وكان مما زادنى إمساكًا عن الكتابة فى ذلك ، أنّى خِفْتُ المَؤُونَةَ على نفسى يومئذٍ ، وترهَّبْتُ أنْ يعوقَ ذلك طبعَ الجزء الأوّل من التفسير ويؤخّره زمنًا يَطُول ، لأنّ هذا الفصل من كلامه يقع فى مقدمة التفسير (١ : ٢٠ ـ ٧٢ من هذه الطبعة) فى الباب الذى سَمَّاه : « القولُ فى اللُّغَة التى نزلَ بها القرآنُ من لُغاتِ العرب » ، واستوعبَ فيه قدرًا عظيمًا من رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » .

ولما انتهيتُ إلى هذا الجزء السادس عشر ، وقفت على حديث ابن عباس الذى رواه أبو جعفر (رقم : ٢٠٤١٠ / ص : ٤٥٢ من هذا الجزء) : وهو خبرٌ يتلمَّس أمثالَهُ أهلُ المطاعنِ فى القرآن من المستشرقين وأشياعهم من ذوى الألسنة من أهل جِلْدَتِنا . فلما دارست الخبر وإسنادَه ، وأردت تخريجَه وتوثيقهُ أو توهينه ،

انتهى بى الرأى والمُدارسة إلى مسألةِ « نزول القرآن على سبعة أحرف » ، وإلى ما كان من أمرِ كتابةِ المصحفِ على عهد أبى بكر ، ثم كتابة المصحف الإمام على عهد عثمان رضى الله عنهما ، فانفتح لى بابٌ عظيمٌ من تحقيق القول فيهما ، أردت أن أجعله مقدّمةً لهذا الجزء . فلما أوغَلتُ فى المدارسة والتثبت ، وبدأت أكتبُ ، اتَّسعَ القولُ وتشعَّبَ ، واحتاجَ الأمرُ إلى الفحص والتفتش والتغيير والتبديل ، حتى صارت المقدِّمة كتابًا على حِدَةٍ ، لا يمكن نشره فى أول الجزء ، فرجعتُ أدراجى بعد أكثر من ثلاث سنوات قضيتُها فى تمحيص القول فى الأحرف السبعة وكتابة المصحف الإمام ، إلى حيث وقفت ، فعدت إلى إتمام هذا الجزء ، ولكنّ الحوائل من يومئذ قامتْ بينى وبينه كالسدودِ ، وتتابعت العوائقُ المَقضيَّةُ فى غَيْب الله ، حتى أذن الله بالفرج ، لأعود إلى إتمام طبعه .

ولكن كان مما ساءنى بعدَ غياب لم أملكْ أمرَهُ ثلاث سنوات أخرى ، أنى وقفت منذ أيام قلائل على كتاب لأحد أبنائنا ، صدر فى زمان غيبتى ، عن تاريخ القرآن ، فوجدته تلقَّط فيه بعضَ ما سمعه من قولى فى بيان « الأحرف السبعة » ، وفى كتابة القرآن على عهد أبى بكر ، وكتابة المصحف الإمام على عهد عثمان ، وذلك أنى كنت أقرأ يومئذٍ ما أكتبُ منه على أصحابنا ، التماسًا لتصحيح الرأى إن زاغَ ، لأنّ أمرَ القرآن عظيم ، ولأنى ابتدأتُ شيئًا لم أرَ أحدًا من علمائنا سبقنى إليه بحمد الله وحده ، ولم أكن أتوهَّم يومئذٍ أنّ أمانة المجالِس قد رُفِعَتْ . ولَيته أَحْسن إذْ فَعَلَ ما فَعَل ، وكنتُ أتمنَّى لَهُ غيرَ الذى اختار لنفسه ، وهكذا زمانُنا ، أجد الناس اليومَ يختارون شرَّ الطريقين .

* * *

هذا ، وقد جاءتنى رسائل كثيرة فيما مضَى ، وسمعتُ أصحابَنا يسألوننى أن

أتمّ فهارسَ التفسير مع كلّ جزء ، لحاجة أهل العلم إلى سهولة استخراج ما يطلبونَ منه فزدتُ مع هذا الجزء وما يليه فهرسًا لما وردَ في التفسير من وجوه القراءات ، وفهرسًا للغات العرب وغيرهم . وفهرسًا للشعر ، وفهرسًا لأسماء الشعراء ، وسأزيدها عند إعادة طبع الأجزاء السابقة إن شاء الله . وأسألُ الله أن يعينني بحَوْله وقوّته ، بارئًا إليه من كُلّ حَوْلٍ وقُوّةٍ .

محمود محمد شاكر

مصر الجديدة : شارع الشيخ حسين المرصفي رقم ٣
الأحد ١٧ جمادى الأولى سنة ١٣٨٨
١١ أغسطس سنة ١٩٦٨

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (١٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وجاءت مارَّةُ الطريق من المسافرين[1] = « فأرسلوا واردهم » ، وهو الذى يرد المنهل والمنزل ، و « وروده إياه » ، مصيره إليه ، ودخوله [2] = « فأدلى دلوه » ، يقول : أرسل دلوه فى البئر .

* * *

يقال : « أدليت الدلو فى البئر » ، إذا أرسلتها فيها ، فإذا استقيت فيها قلت : « دلَوتُ أدْلُو دَلْوًا » .

* * *

وفى الكلام محذوف ، استغنى بدلالة ما ذكر عليه ، فترك ، وذلك : « فأدلى دلوه » = فتعلق به يُوسف ، فخرج ، فقال المدلى = : « يا بشرى هذا غلام » .

* * *

وبالذى قلنا فى ذلك جاءت الأخبار عن أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٨٨٠ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدى : « وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه » ، فتعلق يوسف بالحبل،

---

(١) انظر تفسير « السيارة » فيما سلف ١٥ : ٥٦٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الورود » فيما سلف ١٥ : ٤٦٦

فخرج ، فلما رآه صاحب الحبل نادَى رجلاً من أصحابه يقال له « بُشرى » : « يا بشرى هذا غلامٌ » .

١٨٨٨١ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه » ، فتشبث الغلام بالدلو ، فلما خرج قال : « يا بشرى هذا غلام » .

١٨٨٨٢ – حدثنا بشر قال. حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فأرسلوا واردهم » ، يقال : أرسلوا رسولهم ، فلما أدلى دلوه تشبث بها الغلام = « قال يا بشرى هذا غلام » .

* * *

واختلفوا فى معنى قوله : « يا بشرى هذا غلام » .

فقال بعضهم : ذلك تبشير من المدلى دلوَه أصحابَه ، فى إصابته يوسف ، بأنه أصاب عبداً .(١)

* ذكر من قال ذلك :

١٨٨٨٣ – حدثنا بشر قال ،حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « قال يا بشرى هذا غلام » ، تباشروا به حين أخرجوه ، وهى بئر بأرض بيت المقدس معلومٌ مكانها .

١٨٨٨٤ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « يا بشرى هذا غلام » ، قال : بشّرهم واردهم حين وجدَ يوسف .

* * *

وقال آخرون : بل ذلك اسم رجل من السيّارة بعينه ، ناداه المدلى لما خرج يوسف من البئر متعلّقاً بالحبل .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) انظر تفسير « البشرى » فيما سلف من فهارس اللغة (بشر) .

١٨٨٨٥ ــ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو بن محمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « يا بشرى هذا غلام » ، قال : نادى رجلاً من أصحابه يقال له « بشرى » ، فقال : « يا بشرى هذا غلام » .

١٨٨٨٦ ــ حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا خلف بن هشام قال ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن قيس بن الربيع ، عن السدى فى قوله : « يا بشرى هذا غلام » ، قال : كان اسم صاحبه « بشرى » . ١٢/١٠٠

١٨٨٨٧ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن ابن أبى حماد قال ، حدثنا الحكم بن ظهير ، عن السدى فى قوله : « يا بشرى هذا غلام » ، قال : اسم الغلام « بشرى » ، قال : « يا بشرى » ، كما تقول : « يا زيد » .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك :

فقرأ ذلك عامة قرأة أهل المدينة: ﴿ يابُشْرَىَّ ﴾ ، بإثبات ياء الإضافة ، غير أنه أدغم الألف فى الياء طلبًا للكسرة التى تلزم ما قبل ياء الإضافة من المتكلم ، فى قوله : « غلامى » و « جاريتى » ، فى كل حال . وذلك من لغة طيىء،[1] كما قال أبو ذؤيب :

سَبَقُوا هَوَىَّ وَأَعْنَقُوا لِهَوَاهُمُ فَتُخُرِّمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعُ[2]

* * *

(١) ولغة هذيل أيضاً ، كما قال الأصمعى .

(٢) ديوانه (فى ديوان الهذليين) ١ : ٢ ، وشرح المفضليات : ٨٥٤ ، وغيرهما ، وهى إحدى عجائب أبى ذؤيب ، يقولها فى بنيه الذين ماتوا ، سبقه بهم الطاعون فى عام واحد ، وكانوا خمسة :

أَوْدَى بَنِىَّ ، وأَعْقَبُونِى غُصَّةً بَعْدَ الرُّقادِ ، وعَبْرَةً لا تُقْلِعُ

سَبَقُوا هوَىَّ . . . . . .

. . . . . .

فَغَبَرْتُ بَعْدَهُمُ بِعَيْشٍ ناصِبٍ وَإِخالُ أَنِّى لاحِقٌ مُسْتَتْبِعُ

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفيين : ﴿ يا بُشْرَى ﴾ ، بإرسال الياء وترك الإضافة .

وإذا قرئ ذلك كذلك ، احتمل وجهين من التأويل :

أحدهما ما قاله السدي ، وهو أن يكون اسم رجل دعاه المستقى باسمه ، كما يقال : « يا زيد » و « ياعمرو » ، فيكون « بشرى » ، فى موضع رفع بالنداء .

والآخر : أن يكون أرادَ إضافة البشرى إلى نفسه ، فحذف الياء وهو يريدها ، فيكون مفرداً وفيه نيّة الإضافة ، كما تفعل العرب فى النداء فتقول : « يا نفس اصبري » ، و « يانفسي اصبرى » ، و « يابُنَيُّ لاتفعل » و « يابُنَيِّ لاتَفعل » ، فتفرد وترفع ، وفيه نية الإضافة . وتضيف أحيانًا فتكسر كما تقول : « ياغلامِ أقبل » ، و « غلامى أقبل » .

* * *

قال أبو جعفر : وأعجب القراءة فى ذلك إلىّ ، قراءةُ من قرأه بإرسال الياء وتسكينها ، لأنه إن كان اسم رجل بعينِه كان معروفًا فيهم ، كما قال السدى ، فتلكَ هى القراءة الصحيحة لا شك فيها .[1] وإن كان من « التبشير » ، فإنه يحتمل ذلك إذا قرئ كذلك ، على ما بيّنت .

وأما التشديد والإضافة فى الياء ، فقراءة شاذة ، لا أرى القراءة بها ، وإن كانت لغة معروفة ، لإجماع الحجة من القرأة على خلافها .

* * *

وأما قوله : « وأسروه بضاعة » ، فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله .

فقال بعضهم : وأسرّه الوارد المستقى وأصحابُه ، من التجار الذين كانوا معهم ، وقالوا لهم : « هو بضاعة استبضعناها بعضَ أهل مصر » ، لأنهم خافوا إن علموا أنهم اشتروه به بما اشتروه به ، أن يطلبوا منهم فيه الشركة .

* ذكر من قال ذلك :

يقول : سبقونى بما اختاروه من الموت والذهاب ، وساروا سيراً حثيثاً إلى الذى اختاروه ، فتخرمتهم المنية ، فأخذتهم واحداً بعد واحد . ولكل جنب مصرع لا يخطئه ، فحيث قدر الله له الميتة أدركته .

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « فذلك هى . . . » ، والأجود ما أثبت .

١٨٨٨٨ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وأسروه بضاعة » ، قال : صاحب الدلو ومن معه، قالوا لأصحابهم: « إنما استبضعناه »، خيفةَ أن يشركوهم فيه إن علموا بثمنه. وتبعهم إخوته يقولون للمدلى وأصحابه : استوثق منه ، لا يأبَقْ! حتى وَقَفوه بمصر فقال : من يبتاعني ويُبَشّر ؟ فاشتراه الملك ، والملك مُسلم .

١٨٨٨٩ – حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا شبابة قال ، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه = غير أنه قال : خيفة أن يستشركوهم إن علموا به ، واتبعهم إخوته يقولون للمدلى وأصحابه : استوثقوا منه لا يأبق ! حتى واقفوه بمصر[1] = وسائر الحديث مثل حديث محمد بن عمرو.

١٨٨٩٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد =

١٨٨٩١ – ... قال، وحدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، بنحوه = غير أنه قال: خيفة أن يشاركوهم فيه، إن علموا بثمنه.

١٨٨٩٢ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه = إلا أنه قال : خيفة أن يستشركوهم فيه ، إن علموا ثمنه . وقال أيضًا : حتى أوقفوه بمصر .

١٨٨٩٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو بن محمد قال، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وأسروه بضاعة » ، قال : لما اشتراه الرجلان ، فَرَقًا من الرفقة أن يقولوا : « اشتريناه » ، فيسألونهم الشركة ، فقالا : إن سألونا : ما هذا ؟ قلنا: بضاعة استبضَعْناه أهل الماء . فذلك قوله : « وأسروه بضاعة » ، بينهم .

* * *

(١) في المطبوعة : « حتى أوقفوه » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو الصواب ، وانظر هذه الرواية في رقم : ١٨٨٩٢ .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وأسرّه التجار بعضهم من بعض .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٨٩٤ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد : « وأسروه بضاعة » ، قال : أسرّه التجار بعضهم من بعض .

١٨٨٩٥ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو نعيم الفضل قال ، حدثنا سفيان ، عن مجاهد : « وأسروه بضاعة » ، قال : أسره التجار بعضهم من بعض . ١٠١/١٢

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : أسرُّوا بيعَه .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٨٩٦ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « وأسروه بضاعة » ، قال : أسروا بيعه .

١٨٨٩٧ – حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا قيس ، عن جابر ، عن مجاهد : « وأسروه بضاعة » ، قال : قالوا لأهل الماء : إنما هو هو بضاعة .

* * *

وقال آخرون : إنما عنى بقوله : « وأسروه بضاعة » ، إخوة يوسف ، أنهم أسرُّوا شأن يوسف أن يكون أخاهم ، قالوا : هو عبدٌ لنا .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٨٩٨ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وأسروه بضاعة » ، يعني : إخوة يوسف ، أسرُّوا شأنه ، وكتموا أن يكون أخاهم ، فكتم يوسف شأنه مخافةَ أن تقتله إخوته ، واختار البيع . فذكره إخوته لوارد القوم ، فنادى أصحابه قال : يا بشرى ! هذا غلامٌ يباع ! فباعه إخوته .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب، قولُ من قال : « وأسرَّ وارد القوم المدلى دلوَه ومن معه من أصحابه ، من رفقته السيارة ، أمرَ يوسف أنهم اشتروه ، خيفةً منهم أن يستشركوهم ، وقالوا لهم : هو بضاعة أبضَعَها معنا أهل الماء = وذلك أنه عقيب الخبر عنه ، فلأن يكون ما وليه من الخبر خبرًا عنه ، أشبهُ من أن يكون خبرًا عمَّن هو بالخبر عنه غيرُ متّصِل .(١)

* * *

وقوله : « والله عليم بما يعملون » ، يقول تعالى ذكره : والله ذو علم بما يعمله باعةُ يوسف ومشتروه فى أمره ، لا يخفى عليه من ذلك شىء ، ولكنه ترك تغيير ذلك ليمضى فيه وفيهم حكمه السابق فى علمه ، وليرى إخوة يوسف ويوسف وأباه قدرَته فيه .(٢)

* * *

وهذا ، وإن كان خبرًا من الله تعالى ذكره عن يوسف نبيّه صلى الله عليه وسلم ، فإنه تذكير من الله نبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم ، وتسليةٌ منه له ، عما كان يلقى من أقربائه وأنسبائه المشركين من الأذى فيه . يقول : فاصبر ، يا محمد ، على ما نالك فى الله، فإنّى قادرٌ على تغيير ما ينالك به هؤلاء المشركون ، كما كنت قادرًا على تغيير ما لقى يوسف من إخوته فى حال ما كانوا يفعلون به ما فعلوا ، ولم يكن تركى ذلك لهوان يوسف علىّ ، ولكن لماضِى علمى فيه وفى إخوته . فكذلك تركى تغييرَ ما ينالك به هؤلاء المشركون، لغير هوانٍ بك علىّ، ولكن لسابق علمى فيك وفيهم ، ثم يصير أمرُك وأمرهم إلى عُلوّك عليهم ، وإذعانهم لك ، كما صار أمرُ إخوة يوسف إلى الإذعان ليوسف بالسؤدد عليهم ، وعلوِّ يوسف عليهم .(٣)

* * *

---

(١) انظر تفسير « الإسرار » فيما سلف ١٥ : ١٠٣ ، ٢٣٩

(٢) انظر تفسير « عليم » فيما سلف من فهارس اللغة (علم) .

(٣) عند هذا الموضع انتهى الجزء الثانى عشر من مخطوطتنا ، وفى آخرها ما نصه :

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ (٢٠)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وشروه » ، به : وباع إخوة يوسف يوسف .

* * *

= فأما إذا أراد الخبر عن أنه ابتاعه قال : « اشتريته »، [١] ومنه قول ابن مفرّغ الحميرى :

وشَرَيْتُ بُرْدًا لَيْتَنى مِنْ قَبْلِ بُرْدٍ كنْتُ هَامَه [٢]

يقول . « بعت بردًا » . وهو عبدٌ كان له .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٨٩٩ — حدثنى يعقوب قال، حدثنا إبراهيم قال ، حدثنا هشيم ، عن

« نجز الجزء الثاني عشر ، بحمد الله وعونه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم يتلوه فى أوّل الجزء الثالث عشر إن شاء الله تعالى : القول فى تأويل قوله تعالى: ﴿وشَرَوه بثمن بَخْسٍ دراهم معدودةٍ وكانوا فيه من الزاهدين﴾. وكان الفراغُ منه في شهر رمضان المعظَّم سنة خمس عشرة وسبعمئة » .

يتلوه الجزء الثالث عشر ، وأوله ما نصه :

« بسم الله الرحمنِ الرحيم
رَبِّ يسِّر »

(١) انظر تفسير « الشراء » فيما سلف ١٤ : ١٥٠ ، تعليق . ٤ ، والمراجع هناك .
(٢) مضى البيت وتخريجه وشرحه فيما سلف ٢ : ٢٤١ ، تعليق . ٣ ، والمراجع هناك .

مغيرة ، عن أبي معشر ، عن إبراهيم : أنه كره الشراء والبيع للبدوىّ . قال : والعرب تقول : « اشر لى كذا وكذا » ، أى : بع لى كذا وكذا = وتلا هذه الآية : « وشروه بثمن بخس دراهم معدودة » ، يقول : باعوه ، وكان بيعه حرامًا .

١٨٩٠٠ — حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا شبابة قال ، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : إخوة يوسف أحد عشر رجلاً ، باعوه حين أخرجه المدلى بدلوه .

١٨٩٠١ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بمثله .

١٨٩٠٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد =

١٨٩٠٣ — وحدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٨٩٠٤ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله

١٨٩٠٥ — . . . . قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « وشروه » ، قال : قال ابن عباس : فبيع بينهم . ١٠٢/١٢

١٨٩٠٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « وشروه بثمن بخس » ، قال : باعوه .

١٨٩٠٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، مثله .

١٨٩٠٨ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبي قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : فباعه إخوته بثمن بخس .

* * *

وقال آخرون : بل عنى بقوله : « وشروه بثمن بخس » ، السيارةَ ، أنهم باعوا يوسف بثمن بخس .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٩٠٩ — حدثني محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « وشروه بثمن بخس » ، وهم السيارة الذين باعوه .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك بالصواب ، قول من قال : تأويل ذلك : « وشرَى إخوةُ يوسف يوسف بثمن بخس » . وذلك أن الله عز وجل قد أخبر عن الذين اشتروه أنهم أسرُّوا شراء يوسف من أصحابهم ، خيفة أن يستشركوهم ، بادّعائهم أنّه بضاعة . ولم يقولوا ذلك ، إلا رغبة فيه أن يخلُص لهم دونهم ، واسترخاصًا لثمنه الذى ابتاعوه به ، لأنهم ابتاعوه كما قال جل ثناؤه : « بثمن بخس » . ولو كان مبتاعوه من إخوته فيه من الزاهدين ، لم يكن لقيلهم لرفقائهم : « هو بضاعة » ، معنى = ولا كان لشرائهم إياه وهم فيه من الزاهدين ، وجهٌ ، إلا أن يكونوا كانوا مغلوبًا على عقولهم ، لأنه محال أن يشترى صحيحُ العقل ما هو فيه زاهدٌ من غير إكراهِ مكرِهٍ له عليه ، ثم يكذب فى أمرِه الناسَ بأن يقول : « هو بضاعة لم أشتره » ، مع زهده فيه . بل هذا القولُ من قول من هو بسلعته ضنينٌ لنفاستها عنده ، ولما يرجُو من نفيس الثّمن لها وفضلِ الربح .

* * *

وأما قوله : « بخس » ، فإنه يعنى : نَقْص .

* * *

وهو مصدر من قول القائل : « بخست فلانًا حقه » ، إذا ظلمته ، يعنى : ظلمه فنقصه عما يجبُ له من الوفاء : « أبخَسُه بَخْسًا » ، ومنه قوله :

---

(١) فى المطبوعة : « وشروا أخوة يوسف يوسف » ، وهو فاسد ، صوابه من المخطوطة .

﴿ وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ [سورة هود: ٨٥] ، وإنما أريد : بثمن مبخوس منقوصٍ ، فوضع « البخس » ، وهو مصدر ، مكان « مفعول » ، كما قيل : « بدم كذب » ، وإنما هو : « بدم مكذوب فيه » .(١)

* * *

واختلف أهل التأويل فى معنى ذلك .

فقال بعضهم : قيل : « بثمن بخس » ، لأنه كان حرامًا عليهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٩١٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك : « وشروه بثمن بخس » ، قال : « البخس» ، الحرام .

١٨٩١١ – حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا على بن عاصم، عن جويبر ، عن الضحاك : « وشروه بثمن بخس » ، قال : حرام .(٢)

١٨٩١٢ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول : كان ثمنه بخسًا، حرامًا ، لم يحلّ لهم أن يأكلوه .

١٨٩١٣ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، حدثنا هشيم ، عن جويبر . عن الضحاك فى قوله : « وشروه بثمن بخس » ، قال : باعوه بثمن بخس . قال : كان بيعه حرامًا ، وشراؤه حرامًا .

١٨٩١٤ – حدثنى القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك : « بثمن بخس » ، قال : حرام .

---

(١) انظر تفسير « البخس » فيما سلف ١٥ : ٢٦٢ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

(٢) الأثر : ١٨٩١١ – فى المطبوعة ، أسقط سطراً كاملا من المخطوطة ، فساق الخبرين رقم : ١٨٩١١ ، ١٨٩١٢ ، سياقاً واحداً هكذا : « . . . على بن عاصم ، عن الحسين بن الفرج » ، ورددته إلى أصله من المخطوطة .

١٨٩١٥ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « بثمن بخس » ، يقول : لم يحلّ لهم أن يأكلوا ثمنه .

* * *

وقال آخرون : معنى « البخس » هنا ، الظلم .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٩١٦ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وشروه بثمن بخس » ، قال : « البخس » ، هو الظلم . وكان بيع يوسف وثمنه حرامًا عليهم .

١٨٩١٧ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر قال ، قال قتادة : « وشروه بثمن بخس » ، قال : ظلم .

* * *

وقال آخرون : عنى بالبخس في هذا الموضع ، القليل .[1]

* ذكر من قال ذلك :

١٨٩١٨ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن قيس ، عن جابر ، عن عكرمة قال : « البخس » ، القليل .

١٨٩١٩ – حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا قيس ، عن جابر ، عن عكرمة ، مثله .

* * *

قال أبو جعفر : وقد بينا الصحيح من القول في ذلك .

* * *

وأما قوله : « دراهم معدودة » ،[2] فإنه يعني عز وجل : أنهم باعوه بدراهم غير

---

(١) في المخطوطة أسقط « القليل » ، والصواب إثباتها كما فعل ناشر المطبوعة .

(٢) انظر تفسير « معدودة » فيما سلف من فهارس اللغة (عدد) .

موزونة ، ناقصة غير وافية ، لزهدهم كان فيه .

* * *

وقيل : إنما قيل « معدودة » ، ليعلم بذلك أنها كانت أقلّ من الأربعين ، لأنهم كانوا فى ذلك الزمان لا يزنون ما كان وزنه أقلّ من أربعين درهمًا ، لأن أقل أوزانهم وأصغرها كان الأوقية ، وكان وزن الأوقية أربعين درهمًا . قالوا : إنما دلّ بقوله : « معدودة » ، على قلة الدراهم التى باعُوه بها .

فقال بعضهم : كان عشرين درهمًا . ١٠٣/١٢

* ذكر من قال ذلك :

١٨٩٢٠ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن زهير ، عن أبى إسحق ، عن أبى عبيدة ، عن عبد الله قال : إن ما اشترى به يوسف عشرون درهمًا .

١٨٩٢١ – حدثنى المثنى قال، حدثنا الحمانى قال ، حدثنا شريك ، عن أبى إسحق ، عن أبى عبيدة ، عن عبد الله : « وشروه بثمن بخس دراهم معدودة » ، قال : عشرون درهمًا .

١٨٩٢٢ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن أبى إسحق ، عن نوف البكالى فى قوله : « وشروه بثمن بخس دراهم معدودة » ، قال : عشرون درهمًا .

١٨٩٢٣ – حدثنا أبو كريب ، قال حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى = ، عن سفيان ، عن أبى إسحق ، عن نوف الشامىّ : « بخس دراهم » ، قال : كانت عشرين درهمًا .(١)

---

(١) الأثر : ١٨٩٢٣ – « نوف الشامى » ، هو نفسه « نوف بن فضالة البكالى » ، وقد سلف مراراً . وقد غيره فى المطبوعة ، وكتب « نوف البكالى » .

١٨٩٢٤ – حدثني المثنى قال ،حدثنا الحماني قال ، حدثنا شريك ، عن أبي إسحق ، عن نوف ، مثله.

١٨٩٢٥ – حدثنا القاسم قال،حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس في قوله : « بثمن بخس دراهم معدودة » ، قال : عشرون درهمًا .

١٨٩٢٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو، عن أسباط ، عن السدي: « دراهم معدودة » ، قال : كانت عشرين درهمًا .

١٨٩٢٧ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال،حدثنا سعيد ، عن قتادة : ذكر لنا أنه بيع بعشرين درهمًا = « وكانوا فيه من الزاهدين » .

١٨٩٢٨– حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

١٨٩٢٩– حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو بن محمد ، عن أبي إدريس، عن عطية قال : كانت الدراهم عشرين درهمًا ، اقتسموها درهمين درهمين .

* * *

وقال آخرون : بل كان عددها اثنين وعشرين درهمًا ، أخذ كل واحد من إخوة يوسف ، وهم أحد عشر رجلاً ، درهمين درهمين منها .

ذكر من قال ذلك :

١٨٩٣٠ –حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا أسباط قال ، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « دراهم معدودة » ، قال : اثنين وعشرين درهمًا .

١٨٩٣١ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « دراهم معدودة » ، قال:

اثنان وعشرون درهمًا لإخوة يوسف . [وكان إخوة] أحد عشر رجلاً .(١)

١٨٩٣٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « دراهم معدودة » =

١٨٩٣٣ – . . . . قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

١٨٩٣٤ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

* * *

وقال آخرون : بل كانت أربعين درهمًا .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٩٣٥ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا قيس ، عن جابر ، عن عكرمة : « دراهم معدودة » ، قال : أربعين درهمًا .

١٨٩٣٦ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال : باعوه ولم يبلغ ثمنه الذي باعوه به أوقية . وذلك أن الناس كانوا يتبايعون في ذلك الزمان بالأواق ، فما قصَّر عن الأوقية فهو عَدد . يقول الله : « وشروه بثمن بخس دراهم معدودة » ، أي لم يبلغ الأوقية .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبرَ أنهم باعُوه بدراهم معدودة غير موزونة ، ولم يحدَّ مبلغَ ذلك بوزن ولا عدد ، ولا وَضَع عليه دلالة في كتاب ولا خبر من الرسول صلى الله عليه وسلم . وقد يحتمل أن يكون كان عشرين = ويحتمل أن يكون كان اثنين وعشرين = وأن يكون كان أربعين ، وأقل من ذلك وأكثر . وأيُّ ذلك كان، فإنها كانت معدودة

---

(١) هذه زيادة لابد منها ، وسقطت من الناسخ ، لأنه كان أسقط صدر الخبر ، ثم كتبه في الهامش ، فلعله نسي بعضه .

غير موزونة، وليس فى العلم بمبلغ وزن ذلك فائدة تقع فى دين ، ولا فى الجهل به دخول ضرّ فيه . والإيمان بظاهر التنزيل فرضٌ. وما عَداه فموضوعٌ عنا تكلُّفُ علمه. (١)

* * *

وقوله : « وكانوا فيه من الزاهدين » ، يقول تعالى ذكره : وكان إخوة يوسف فى يوسف من الزاهدين ، لا يعلمون كرامته على الله ، ولا يعرفون منزلته عنده ، فهم مع ذلك يحبّون أن يحولوا بينه وبين والده ، ليخلو لهم وجهه منه ، ويقطعوه عن القرب منه ، لتكون المنافع التى كانت مصروفة إلى يوسف دونهم ، مصروفةً إليهم . ١٢/١٠٤

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٩٣٧ ــ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو بن محمد، عن أبى مرزوق ، عن جويبر ، عن الضحاك : « وكانوا فيه من الزاهدين » ، قال : لم يعلموا بنبوّته ومنزلته من الله .

١٨٩٣٨ ــ حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ يقول ، حدثنا عبيد بن سليمان قال، سمعت الضحاك فى قوله : « وجاءت سيارة »، فنزلت على الجب = « فأرسلوا واردهم »، فاستقى من الماء . فاستخرج يوسف، فاستبشروا بأنهم أصابوا غلاماً، لا يعلمون علمه ولا منزلته من ربه، فزهدوا فيه فباعوه. وكان بيعه حرامًا ، وباعوه بدراهم معدودة .

١٨٩٣٩ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى هشيم قال،

(١) هذا من موازين أبى جعفر ، التى فرق ذكرها فى كتابه ، ولم يذكرها عند كل موضع . وهى الحكم بينه وبين من يزعمونه ذهب فى تفسيره مذهب الاعتقاد لكثير مما أورده ، مما لم تأت به بينة صحيحة من خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو حجة عقل يجب التسليم لها .

أخبرنا جويبر ، عن الضحاك : « وكانوا فيه من الزاهدين » ، قال : إخوته ، زهدوا ، فلم يعلموا منزلته من الله ونبوته ومكانته .

١٨٩٤٠ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال : إخوته ، زهدوا فيه ، لم يعلموا منزلته من الله .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢١)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : وقال الذى اشترى يوسف من بائعه بمصر .

* * *

وذكر أن اسمه : « قطفير » .

١٨٩٤١ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : كان اسم الذى اشتراه قطفير .(١)

* * *

وقيل إن اسمه إطفير بن روحيب ، وهو العزيز ، وكان على خزائن مصر ، وكان الملك يومئذ الريّان بن الوليد ، رجل من العماليق ، كذلك :—

١٨٩٤٢ — حدثنا ابن حميد قال ،حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق.(٢)

* * *

---

(١) الأثر : ١٨٩٤١ — رواه الطبرى فى تاريخه ١ : ١٧٢ ، وكان فى المخطوطة فى الموضعين : « قطيفين » ، وفى التاريخ قبل الخبر « قطين » ، وفى الخبر « قطفير » .

(٢) الأثر : ١٨٩٤٢ — رواه الطبرى فى تاريخه ١ : ١٧٢ .

وقيل : إن الذى باعه بمصر كان مالك بن ذعر بن بُويب بن عفقان بن مديان بن إبراهيم، [١] كذلك :—

١٨٩٤٣ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق، عن محمد ابن السائب ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس .

* * *

= « وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته » ، واسمها ، فيما ذكر ابن إسحق : راعيل بنت رعائيل .

١٨٩٤٤ — حدثنا بذلك ابن حميد قال ، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق.

* * *

= « أكرمى مثواه » ، يقول : أكرمى موضع مقامه ، وذلك حيث يَثوِى ويُقيم فيه .

* * *

يقال : « ثوى فلان بمكان كذا » ، إذا أقام فيه .[٢]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٩٤٥ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « أكرمى مثواه » ، منزلته ، وهى امرأة العزيز .

١٨٩٤٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته أكرمى مثواه » ، قال : منزلته .

---

(١) فى التاريخ ١ : ١٧٢ : « دعر » بالدال مهملة ، وكان فى المطبوعة هنا « عنقاء » وفى المخطوطة : « عفقا » بغير نون فى آخره . وكان فى المطبوعة : « ثويب » ، وهى غير منقوطة فى المخطوطة ، فتبعت ما فى التاريخ .

(٢) انظر تفسير « المثوى » فيما سلف ٧ : ١٢/٢٧٩ : ١١٧ .

١٨٩٤٧ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : اشتراه الملك ، والملك مسلم .

* * *

وقوله : « عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً » ، ذكر أن مشترى يوسف قال هذا القول لامرأته ، حين دفعه إليها ، لأنه لم يكن له ولد ، ولم يأت النساء ، فقال لها : أكرميه عسَى أن يكفينا بعض ما نعاني من أمورنا إذا فهم الأمور التي يُكلَّفها وعرفها = « أو نتخذه ولداً » ، يقول : أو نتبنَّاه .

١٨٩٤٨ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : كان إطفير ، فيما ذكر لي ، رجلاً لا يأتي النساء ، وكانت امرأته راعيل امرأةً حسناء ناعمةً طاعمة ، في مُلك ودُنْيا .(١)

١٨٩٤٩ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي إسحق، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله قال: أفرس الناس ثلاثة : العزيز حين تفرّس في يوسف فقال لامرأته : « أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً » = وأبو بكر حين تفرّس في عمر = والتي قالت : ﴿يا أبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾ [سورة القصص : ٢٦] .

١٨٩٥٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو بن محمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي قال : انطُلِق بيوسف إلى مصر ، فاشتراه العزيز ملك مصر ، فانطلق به إلى بيته فقال لامرأته: «أكرمي مثْواه عسى أن ينفعنا أو نتخذهُ ولدًا ».

١٨٩٥١ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله قال : أفرس الناس ثلاثة: العزيز حين قال لامرأته: « أكرمي مثواه » ، والقوم فيه زاهدون = وأبو بكر حين تفرّس في عمر فاستخلفه= والمرأة التي قالت: ﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ﴾ . ١٠٥/١٢

* * *

(١) الأثر : ١٨٩٤٨ – رواه أبو جعفر في تاريخه ١ : ١٧٢ ، ١٧٣ .

وقوله : « وكذلك مكنّا ليوسف فى الأرض » ، يقول عز وجل : وكما أنقذنا يوسف من أيدى إخوته وقد هموا بقتله ، وأخرجناه من الجبّ بعدَ أن ألقى فيه ، فصيرناه إلى الكرامة والمنزلة الرفيعة عند عزيز مصر ، كذلك مكنّا له فى الأرض ، فجعلناه على خزائنها .[1]

* * *

وقوله : « ولنعلمه من تأويل الأحاديث » ، يقول تعالى ذكره : وكى نعلم يوسف من عبارة الرؤيا ،[2] مكنا له فى الأرض ، كما :—

١٨٩٥٢ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « من تأويل الأحاديث » ، قال : عبارة الرؤيا .

١٨٩٥٣ — حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا شبابة قال، حدثنا ورقاء ، عن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٨٩٥٤ — حدثنا ابن وكيع قال،حدثنا عمرو بن محمد قال،حدثنا أسباط ، عن السدى : « ولنعلمه من تأويل الأحاديث » ، قال : تعبير الرؤيا .

١٨٩٥٥ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو أسامة، عن شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ولنعلمه من تأويل الأحاديث »، قال : عبارة الرؤيا.

* * *

وقوله : « والله غالب على أمره » ، يقول تعالى ذكره : والله مستولٍ على أمر يوسف، يسوسه ويدبّره ويحوطه .

* * *

و« الهاء » فى قوله « على أمره » ، عائدةٌ على يوسف .

* * *

وروى عن سعيد بن جبير فى معنى « غالب » ، ما :—

---

(١) انظر تفسير « التمكين » فيما سلف ١١ : ١٢٢/٦٣ : ٣١٥ .

(٢) انظر تفسير « التأويل » فيما سلف ١٥ : ٥٦٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

١٨٩٥٦ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا إسرائيل، عن أبي حصين، عن سعيد بن جبير: «والله غالب على أمره»، قال: فعالٍ.(١)

* * *

وقوله: «ولكن أكثر الناس لا يعلمون»، يقول: ولكن أكثر الناس الذين زهدوا في يوسف، فباعوه بثمن خسيس، والذين صارَ بين أظهرهم من أهل مصر حين بيع فيهم، لا يعلمون ما الله بيوسف صانع، وإليه يوسف من أمره صائرٌ.

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (٢٢)

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ولما بلغ يوسف أشدّه، يقول: ولما بلغ منتهى شدته وقوته في شبابه وحَدِّه، وذلك فيما بين ثماني عشر سنة إلى ستين سنة، وقيل: إلى أربعين سنة.(٢)

* * *

يقال منه: «مضت أشُدُّ الرجل»، أي شدته، وهو جمع، مثل «الأضُرّ» و«الأشُرّ»،(٣) لم يسمع له بواحد من لفظه. ويجب في القياس أن يكون واحده «شدّ» كما واحد «الأضر» «ضر»، وواحد «الأشُرّ» «شر»، كما قال الشاعر:(٤)

---

(١) يمكن أن تقرأ «فعال» مشددة العين من «الفعل»، ولكني أستجيد أن تقرأها «فعال» الفاء حرف عطف بعده «عال» من «العلو». أما الأولى، فإني لا أكاد أرتضيها.

(٢) انظر تفسير «الأشد» فيما سلف ١٢: ٢٢٢.

(٣) هكذا جاء في المخطوطة والمطبوعة، إلا أنه كان في المخطوطة «الأسر»، و«سر»، وقد مضى هذان اللفظان أيضاً فيما سلف ١٢: ٢٢٢، وظننت هناك أنهما محرفتان، ولكن عجيب أن يظل التحريف هو هو على بعد المكانين وأخشى أن يكون صواب «الأضر» هو «الأضب» جمع «ضب» ومهما يكن من شيء، فهذا مما لم أتبينه ولا عرفته، وفوق كل ذي علم عليم.

(٤) لم أعرف قائله.

هَلْ غَيْرُ أَنْ كَثُرَ الأَشُرُّ وأَهْلَكَتْ حَرْبُ المُلُوكِ أَكَاثِرَ الأَمْوَالِ (١)

وقال حُميد :

وَقَدَ أَتَى لَوْ تُعْتِبُ الْعَوَاذِلُ بَعْدَ الْأَشُدِّ أَرْبَعٌ كَوَامِلُ (٢)

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فى الذى عنى الله به فى هذا الموضع من « مبلغ الأشد » .

فقال بعضهم : عنى به ثلاث وثلاثون سنة .

* ذكر من قال ذلك :

١٨٩٥٧ ــ حدثنا ابن وكيع والحسن بن محمد قالا ، حدثنا عمرو بن محمد قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « ولما بلغ أشده » ، قال : ثلاثًا وثلاثين سنة .

١٨٩٥٨ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٨٩٥٩ ــ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .

١٨٩٦٠ ــ حدثت عن على بن الهيثم ، عن بشر بن المفضل ، عن عبد الله ابن عثمان بن خثيم ، عن مجاهد قال : سمعت ابن عباس يقول فى قوله : « ولما بلغ أشده » ، قال : بضعًا وثلاثين سنة .

* * *

وقال آخرون : بل عنى به : عشرون سنة .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) فى المطبوعة : « كثر الأشد » ، وفى المخطوطة بالراء ، ولم أجد البيت فى غير هذا المكان .

(٢) لم أجده فى غير هذا المكان . ولا أدرى أهى فى الرجز « الأشد » أو « الأشر » .

١٨٩٦١ – حدثت عن على بن المسيب، عن أبى روق ، عن الضحاك فى قوله : « ولما بلغ أشده » ، قال : عشرين سنة .

* * *

وروى عن ابن عباس من وجه غير مرضىّ أنه قال : ما بين ثمانى عشرة سنة ، إلى ثلاثين . وقد بينت معنى « الأشُدّ » .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : إن الله أخبر أنه آتى يوسف لما بلغ أشده حُكْمًا وعلمًا = و« الأشد » هو انتهاء قوته وشبابه = وجائز أن يكون آتاه ذلك وهو ابن ثمانى عشرة سنة = وجائز أن يكون آتاه وهو ابن عشرين سنة = وجائز أن يكون آتاه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة = ولا دلالة له فى كتاب الله ، ولا أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا فى إجماع الأمة ، على أىّ ذلك كان . وإذا لم يكن ذلك موجوداً من الوجه الذى ذكرت ، فالصوابُ أن يقال فيه كما قال عز وجل ، حتى تثبت حجة بصحة ما قيل فى ذلك من الوجه الذى يجب التسليم له ، فيسلم لها حينئذ . ١٢/١٠٦

* * *

وقوله : « آتيناه حكمًا وعلمًا » ، يقول تعالى ذكره : أعطيناه حينئذ الفهم والعلم ،[1] كما : –

١٨٩٦٢ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « حكمًا وعلمًا » ، قال : العقل والعلم قبل النبوة .

* * *

وقوله : « وكذلك نجزى المحسنين » ، يقول تعالى ذكره : وكما جزيت يوسف فآتيته بطاعته إيّاى الحكمَ والعلمَ ، ومكنته فى الأرض، واستنقذته من أيدى إخوته

(١) انظر تفسير « الحكم » فيما سلف ٦ : ٥٣٨ ، وما سلف من فهارس اللغة (حكم) .

الذين أرادوا قتله ، كذلك نجزى من أحسن فى عمله ، فأطاعنى فى أمرى ، وانتهى عما نهيته عنه من معاصىّ .(١)

* * *

وهذا ، وإن كان مخرج ظاهره على كل محسن ، فإن المرادَ به محمدٌ نبىُّ الله صلى الله عليه وسلم . يقول له عز وجل : كما فعلت هذا بيوسف من بعد ما لقى من إخوته ما لقى ، وقاسى من البلاء ما قاسى ، فمكنته فى الأرض ، ووطَّأتُ له فى البلاد ، فكذلك أفعل بك فأنجيك من مشركى قومك الذين يقصدونك بالعداوة ، وأمكن لك فى الأرض ، وأوتيك الحكم والعلم ، لأنّ ذلك جزائى أهلَ الإحسان فى أمرى ونهيى .

* * *

١٨٩٦٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « وكذلك نجزى المحسنين » ، يقول : المهتدين .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (٢٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وراودت امرأة العزيز ، وهى التى كان يوسفُ فى بيتها [يوسفَ] عن نفسه ،(٢) أن يواقعها ، كما : —

١٨٩٦٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : ولما بلغ أشدَّه ، راودته التى هو فى بيتها عن نفسه ، امرأة العزيز .

(١) انظر تفسير « الجزاء » و « الإحسان » فيما سلف من فهارس اللغة (جزى) ، (حسن) .
(٢) الزيادة بين القوسين ، لا يستقيم الكلام إلا بها .

١٨٩٦٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه » ، قال : أحبته .

١٨٩٦٦ – . . . . قال وحدثنى أبى ، عن إسرائيل ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير قال : قالت : تعالَهْ .

* * *

وقوله : « وغلقت الأبواب » ، يقول : وغلقت المرأة أبواب البيوت عليها وعلى يوسف ، لما أرادت منه وراودته عليه ، بابًا بعد باب .

* * *

وقوله : « وقالت هيت لك » ، اختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة الكوفة والبصرة : ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ ، بفتح الهاء والتاء ، بمعنى : هلمَّ لك ، وادن ، وتقرَّب ، كما قال الشاعر لعلى بن أبى طالب رضوان الله عليه : (١)

أَبْلَغَ أَمِيرَ المؤْمِنِينَ أَخَا العِرَاقِ إِذَا أَتَيْنَا
أَنَّ العِرَاقَ وَأَهْلَهُ عُنُقٌ إِلَيْكَ فَهَيْتَ هَيْتَا (٢)

يعنى : تعال واقرب .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك تأوّله من قرأه كذلك .

١٨٩٦٧ – حدثنى محمد بن عبد الله المخرّمى قال، حدثنا أبو الجوّاب قال ، حدثنا عمار بن رزيق ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « هيت لك » ، قال : هلمَّ لك. (٣)

---

(١) لم أعرف الآن قائله .

(٢) مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٣٠٥ ، واللسان (هيت) ، (عنق) . وقوله : « عنق إليك » أى مائلون إليك ، كأنهم لووا أعناقهم إليك شوقاً أو ترقباً .

(٣) الأثر : ١٨٩٦٧ – « محمد بن عبد الله بن المبارك المخرمى » ، شيخ الطبرى سلف مراراً .

« أبو الجواب » ، هو « الأحوص بن جواب الضبى » ، روى عن سفيان الثورى ، وسعير ابن الخمس ، وعمار بن رزيق ، وغيرهم . كان ثقة ، وربما وهم . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٥٩/٢/١ ، وابن أبى حاتم ٣٢٨/١/١ .

و « عمار بن رزيق الضبى » ، « أبو الأحوص » ، ثقة مضى برقم : ١٠١٩١ .

١٨٩٦٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « هيت لك » ، قال : هلم لك .

١٨٩٦٩ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : « هيت لك » ، تقول : هلمّ لك .

١٨٩٧٠ – حدثني المثنى قال ،حدثنا حجاج قال، حدثنا حماد ، عن عاصم ابن بهدلة ، عن زرّ بن حبيش أنه كان يقرأ هذا الحرف : « هيتَ لك »، نصباً، أي : هلم لك

١٨٩٧١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج ،قال ابن عباس قوله : « هيت لك » ، قال : تقول : هلم لك .

١٨٩٧٢ – حدثني أحمد بن سهيل الواسطي قال ، حدثنا قرة بن عيسى قال ، حدثنا النضر بن عربيّ الجزري ، عن عكرمة مولى ابن عباس في قوله : « هيت لك » ، قال : هلم لك = قال : هي بالحَوْرانية .(١)

١٨٩٧٣ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وقالت هيت لك » ، قال الحسن : يقول : هلم لك .

١٨٩٧٤ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن الحسن : « هيت لك » ، يقول بعضهم : هلم لك.

---

(١) الأثر : ١٨٩٧٢ – « أحمد بن سهيل الواسطي » شيخ الطبري . قال الحاكم : « في حديثه بعض المناكير » ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : حدثنا عنه حبيش بن عبد الله النهشلي بواسط . مترجم في ميزان الاعتدال ١ : ٤٨ ، ولسان الميزان ١ : ١٨٥ .

وأما « قرة بن عيسى » ، فلم أجد من يسمى بهذا الاسم . ولكن الذي يروي عن « النضر بن عربي » هو : « بشر بن عبيس بن مرحوم العطار » ، مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ١/١/٣٦٢ .

وأما « النضر بن عربي الجزري الباهلي » ثقة لا بأس به ، مضى برقم : ١٣٠٧ ، ٥٨٦٤ ، وكان في المطبوعة « النضر بن علي الجزري » ، غير ما في المخطوطة وأساء .

١٨٩٧٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدى : « وقالت هيت لك » ، قال : هلم لك = وهى بالقبطية .

١٨٩٧٦ – حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن عمرو ، عن الحسن : « هيت لك »، قال: كلمة بالسريانية ، أي : عليك .

١٨٩٧٧ – حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن : « هيت لك » ، قال : هلمّ لك .

١٨٩٧٨ – حدثنا الحسن بن محمد قال ،حدثنا خلف بن هشام قال ، حدثنا محبوب ، عن قتادة ، عن الحسن : « هيت لك » ، قال : هلم لك . ١٠٧/١٢

١٨٩٧٩ – . . . . قال حدثنا عفان قال ، حدثنا حماد ، عن عاصم ، عن زر : « هيت لك » ، أي : هلمّ .

١٨٩٨٠ – حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا الثوري قال : بلغني فى قوله : « هيت لك » ، قال : هلم لك .

١٨٩٨١ – حدثنا أحمد بن يوسف قال ، حدثنا أبو عبيد قال ، حدثنا على بن عاصم ، عن خالد الحذاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قرأ : « هيت لك » ، وقال : تدعوه إلى نفسها .

١٨٩٨٢ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « هيت لك » ، قال : لغة عربية ، تدعُوه بها .

١٨٩٨٣ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله = إلا أنه قال : لغة بالعربية ، تدعوه بها إلى نفسها .

١٨٩٨٤ – حدثنا الحسن قال ، حدثنا شبابة ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثل حديث محمد بن عمرو ، سواء .

١٨٩٨٥ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

١٨٩٨٦ – حدثنا أحمد بن يوسف قال، حدثنا القاسم قال ، حدثنا هشيم ، عن يونس ، عن الحسن : « هيت لك » ، بفتح الهاء والتاء ، وقال : تقول : هلم لك .

١٨٩٨٧ – حدثني الحارث قال، قال أبو عبيد: كان الكسائي يحكيها = يعني : هيت لك . قال : وقال : وهي لغة لأهل حوران وقعت إلى الحجاز ، معناها : تعال . قال : وقال أبو عبيدة : سألت شيخًا عالمًا من أهل حوران ، فذكر أنها لغتهم ، يعرفها

١٨٩٨٨ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « هيت لك » ، قال : تعال .

١٨٩٨٩ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وقالت هيت لك » ، قال : هلمَّ لك ، إليَّ .

* * *

وقرأ ذلك جماعة من المتقدمين : ﴿ وَقَالَتْ هِئْتُ لَكَ ﴾ ، بكسر الهاء ، وضم التاء ، والهمزة ، بمعنى : تهيَّأت لك ، من قول القائل : « هئت للأمر أهيء هَيْئَةً » .

وممن روى ذلك عنه ابن عباس، وأبو عبد الرحمن السلمي، وجماعة غيرهما .

١٨٩٩٠ – حدثنا أحمد بن يوسف قال، حدثنا القاسم قال، حدثنا الحجاج، عن هرون ، عن أبان العطار ، عن قتادة : أن ابن عباس قرأها كذلك ، مكسور الهاء ، مضمومة التاء . قال أحمد: قال أبو عبيدة : لا أعلمها إلاّ مهموزة .

١٨٩٩١ – حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا عبد الوهاب ، عن أبان العطار، عن عاصم، عن أبي عبد الرحمن السلمي : ﴿ هِئْتُ لَكَ ﴾ ، أي : تهيأت لك .

١٨٩٩٢ – . . . . قال حدثنا عبد الوهاب، عن سعيد ، عن قتادة ، عن عكرمة ، مثله .

١٨٩٩٣ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كان عكرمة يقول : تهيأت لك .

١٨٩٩٤ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قال : ﴿ هِئْتُ لَكَ ﴾ ، قال عكرمة : تهيأت لك .

١٨٩٩٥ – حدثني المثنى قال ، حدثنا الحجاج قال ، حدثنا حماد ، عن عاصم بن بهدلة قال : كان أبو وائل يقول ﴿ هِئْتُ لَكَ ﴾ ، أي : تهيأت لك. وكان أبو عمرو بن العلاء والكسائي ينكران هذه القراءة .

١٨٩٩٦ – حدثت عن علي بن المغيرة قال، قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : شهدت أبا عمرو وسأله أبو أحمد= أو أحمد= وكان عالمًا بالقرآن [١] [وكان لألاء ، ثم كبر ، فقعد في بيته ، فكان يؤخذ عنه القرآن ، ويكون مع القضاة، فسأله] عن قول من قال : ﴿ هِئْتُ لَكَ ﴾ بكسر الهاء ، وهمز الياء . فقال أبو عمرو : [نسى] [٢] إي : باطل ، جعلها « فعلت » من « تهيأت » ، فهذا الخندق، [٣] فاستعرض العربَ حتى تنتهي إلى اليمن ، هل تعرف أحداً يقول : « هئت لك » ؟ [٤]

١٨٩٩٧ – حدثني الحارث قال حدثنا القاسم قال: لم يكن الكسائي يحكي

---

(١) هذه الزيادة بين القوسين ، من كتاب أبي عبيدة ، مجاز القرآن ١ : ٣٠٥ . وقوله « لألاء » ، هو بائع اللؤلؤ ، ويقال أيضاً : « لأء » ولأل » (بتشديد الهمزة بعد هاء ألف) على وزن « نجلر » .

(٢) هكذا رسم الكلمة في المخطوطة ، وفي المطبوعة « ينسى » ، وفي مجاز القرآن « بنسى » ، (بكسر النون ، وسكون الباء ، وكسر السين ، بعدها ياء) ، وأنا في شك من ذلك كله ، وأخشى أن تكون « بسبس » (بفتح فسكون ففتح) و « البسبس » ، الباطل ، و « البسابس » مثله .

(٣) « الخندق » ، هو خندق سابور ، حفره من مدينة « هيت » ، يشق طف البادية إلى كاظمة ، مما يلي البصرة ، وجعل عليه المسالح . وشرحه أبو عبيدة في المجاز شرحاً وافياً ، فراجعه هناك .

(٤) الأثر : ١٨٩٩٦ – هو نص كلام أبي عبيدة في مجاز القرآن ١ : ٣٠٥ – ٣٠٦ .

« هئت لك » عن العرب .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة أهل المدينة ﴿ هِيْتَ لَكَ ﴾، بكسر الهاء ، وتسكين الياء ، وفتح التاء .

* * *

وقرأه بعض المكيين : ﴿ هَيْتُ لَكَ ﴾ ، بفتح الهاء ، وتسكين الياء ، وضم التاء.

* * *

وقرأه بعض البصريين ، وهو عبدالله بن إسحق : ﴿ هَيْتِ لَكَ ﴾ ، بفتح الياء وكسر التاء .

* * *

وقد أنشد بعض الرواة بيتًا لطرفة بن العبد فى « هيت » ، بفتح الهاء ، وضم التاء، وذلك :

لَيْسَ قَوْمِي بِالأَبْعَدِينَ إِذَا مَا قَالَ دَاعٍ مِنَ العَشِيرَةِ هَيْتُ[1]

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القراءة فى ذلك قراءة من قرأه : ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾ ، بفتح الهاء والتاء ، وتسكين الياء ، لأنها اللغة المعروفة فى العرب دون غيرها ، وأنها ، فيما ذُكِر ، قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٨٩٩٨ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن الأعمش ، عن أبى وائل ، قال ابن مسعود : قد سمعت القرأة ، فسمعتهم متقاربين : فاقرأوا كما عُلِّمتم ، وإياكم والتنطع والاختلاف ، فإنما هو كقول أحدكم : « هلم » و « تعال » . ثم قرأ عبد الله : ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾ ؟ فقلت : يا أبا عبد الرحمن ، إن ناسًا يقرأونها : ﴿ هَيْتُ لَكَ ﴾ ، فقال عبد الله : إنى أقرأها كما عُلِّمت ، أحبُّ إلىّ .[2] ه ١٠٨/١٢

(١) لم أجد البيت فى مكان آخر .

(٢) الأثر : ١٨٩٩٨ — هذا إسناد صحيح ، مر تفسير مثله مراراً ، وسيأتى من طرق مختصراً . وهذا الخبر رواه البخارى فى صحيحه (الفتح ٨ : ٢٧٤ ، ٢٧٥) ، مختصراً .

١٨٩٩٩ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي وائل قال : سمعت عبد الله بن مسعود يقرأ هذه الآية : ﴿ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾ ، قال : فقالوا له : ما كنا نقرأها إلا ﴿ هَيْتُ لَكَ ﴾ ، فقال عبد الله : إنّي أقرأها كما عُلِّمت ، أحبُّ إليّ .(١)

١٩٠٠٠ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن عيينة ، عن منصور ، عن أبي وائل قال : قال عبد الله : ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾ ، فقال له مسروق : إن ناساً يقرأونها : ﴿ هَيْتُ لَكَ ﴾ ؟ فقال : دعوني ، فإني أقرأ كما أقرئت أحبُّ إليّ .(٢)

١٩٠٠١ – حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم العسقلاني قال ، حدثنا شعبة ، عن الأعمش ، عن شقيق ، عن ابن مسعود قال : ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾ ، بنصب الهاء ، والتاء ، وبلا همز .(٣)

* * *

وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى : أنّ العرب لا تثني « هيت » ولا تجمع ولا تؤنث ،(٤) وأنها تصوره في كل حال ، وإنّما يتبين العدد بما بعد ، وكذلك التأنيث والتذكير . وقال : تقول للواحد : « هيت لك » ، وللاثنين : « هيت لكما » ، وللجمع : « هيت لكم » ، وللنساء : « هيت لكن » .(٥)

* * *

وقوله قال : « معاذ الله » ، يقول جل ثناؤه : قال يوسف ، إذ دعته المرأة

وهذا الخبر رواه البخاري في صحيحه (الفتح ٨ : ٢٧٤ ، ٢٧٥) ، مختصراً .

ورواه أبو داود أيضاً مختصراً في سننه ٤ : ٥٢ ، ٥٣ برقم : ٤٠٠٤ ، ٤٠٠٥ .

ورواه أبو جعفر فيما سلف من طرق أخرى ، مختصراً ، ليس فيه « هيت لك » ، برقم : ٤٨ ، في أول الكتاب .

وفصل الحافظ بن حجر في الفتح ، الكلام فيه بما لا مزيد عليه .

(١) الأثر : ١٨٩٩٩ – مكرر الأثر السالف ، مختصراً .

(٢) الأثر : ١٩٠٠٠ – مكرر الأثرين السالفين ، من طريق أخرى صحيحة ، مختصر .

(٣) الأثر : ١٩٠٠١ – مختصر الآثار السالفة ، من طريق صحيحة .

(٤) في المطبوعة : « هيت لك » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٥) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٣٠٥ .

إلى نفسها، وقالت له: «هلم إلى»: أعتصم بالله من الذى تدعونى إليه، وأستجير به منه. [١]

* * *

وقوله: «إنه ربى أحسن مثواى»، يقول: إن صاحبك وزوجك سيدى، [٢] كما:—

١٩٠٠٢ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو بن محمد، عن أسباط، عن السدى: «معاذ الله إنه ربى»، قال: سيدى.

١٩٠٠٣ — . . . . قال، حدثنا ابن نمير، عن ورقاء، عن ابن أبى نجيح: «إنه ربى»، قال: سيّدى.

١٩٠٠٤ — حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا شبابة، عن ورقاء، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، مثله.

١٩٠٠٥ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، مثله.

١٩٠٠٦ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، مثله.

١٩٠٠٧ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: «قال معاذ الله إنه ربى أحسن مثواى»، قال: سيدى = يعنى زوج المرأة.

١٩٠٠٨ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق: «قال معاذ الله إنه ربى»، يعنى: إطفير. يقول: إنه سيدى.

* * *

وقوله: «أحسن مثواى»، يقول: أحسن منزلتى، وأكرمنى وائتمننى، فلا أخونه، [٣] كما:—

---

(١) انظر تفسير «عاذ» فيما سلف ١٥: ٣٥٢، تعليق: ٢، والمراجع هناك.

(٢) انظر تفسير «الرب» فيما سلف ١: ١٤١، ١٢/١٤٢: ٣٨٥، ٣٨٦، وغيرها فى فهارس اللغة (ربب)

(٣) انظر تفسير «المثوى» فيما سلف ص: ١٨، تعليق: ٢، والمراجع هناك.

١٩٠٠٩ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : « أحسن مثواى » ، أمنى على بيته وأهله .

١٩٠١٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « أحسن مثواى » ، فلا أخونه فى أهله .

١٩٠١١ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « أحسن مثواى»، قال : يريد يوسف سيدَه زوجَ المرأة .

* * *

وقوله : « إنه لا يفلح الظالمون » ، يقول : إنه لا يدرك البقاء ولا ينجح من ظلم،[1] ففعل ما ليس له فعله . وهذا الذى تدعونى إليه من الفجور، ظلم وخيانة لسيدى الذى ائتمننى على منزله ، كما : –

١٩٠١٢ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « إنه لا يفلح الظالمون » ، قال : هذا الذى تدعونى إليه ظلم ، ولا يفلح من عمل به .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ (٢٤)

قال أبو جعفر : ذكر أنّ امرأة العزيز لما هَمَّت بيوسف وأرادت مُراودته ، جعلت تذكر له محاسنَ نفسه ، وتشوّقه إلى نفسها ، كما : –

١٩٠١٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو بن محمد قال، حدثنا أسباط، عن السدى: «ولقد همت به وهم بها »، قال: قالت له: يا يوسف، ما أحسن شعرك!

---

(١) انظر تفسير « الفلاح » فيما سلف ١٥ : ١٥٦ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

قال : هو أوّل ما ينتثر من جسدى . قالت : يا يوسف ، ما أحسن وجهك ! قال : هو للتراب يأكله . فلم تزل حتى أطمعته ، فهمّت به وهم بها ، فدخلا البيت ، وغلّقت الأبواب ، وذهب ليحلّ سراويله ، فإذا هو بصورة يعقوب قائمًا فى البيت ، قد عضّ على إصبعه يقول : « يا يوسف لا تواقعها »،(١) فإنما مثلك ما لم تواقعها مثل الطير فى جوّ السماء لا يطاق ، ومثلك إذا واقعتها مثله إذا مات ووقع إلى الأرض لا يستطيع أن يدفع عن نفسه . ومثلك ما لم تواقعها مثل الثور الصّعب الذى لا يعمل عليه ، ومثلك إن واقعتها مثل الثور حين يموت فيدخل النّمل فى أصل قرنيه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه » ، فربط سراويله وذهب ليخرج يشتدّ ،(٢) فأدركته فأخذت بمؤخر قميصه من خلفه فخرقته ، حتى أخرجته منه وسقط ، وطرحه يوسف واشتدّ نحو الباب .(٣)

١٩٠١٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال :
١٠٩/١٢ أكبّت عليه ، يعنى المرأة ، تُطمعه مرة وتخيفه أخرى ، وتدعوه إلى لذّة من حاجة الرجال فى جمالها وحسنها وملكها ، وهو شاب مستقبل يجد من شَبَق الرجال ما يجد الرجل ، حتى رَقّ لها مما يرى من كَلَفها به ، ولم يتخوّف منها حتى همّ بها وهمّت به ، حتى خلوا فى بعض بُيوته .

* * *

ومعنى « الهم بالشىء » ، فى كلام العرب : حديث المرء نفسه بمواقعته ما لم يُوَاقِع .(٤)

* * *

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « تواقعها » بغير « لا » ، وأثبتها من التاريخ .
(٢) « اشتد » ، أسرع العدو .
(٣) الأثر : ١٩٠١٣ — رواه أبو جعفر فى تاريخه ١ : ١٧٣ .
(٤) انظر تفسير « الهم » فيما سلف ٩ : ١٠/١٩٩ : ١٤/١٠٠ : ١٥٨ ، ولم يشرحها هناك شرحاً يغنى ، وشرحها هنا .

فأما ما كان من هم يوسف بالمرأة وهمها به، فإن أهل العلم قالوا فى ذلك ما أنا ذاكره، وذلك ما : —

١٩٠١٥ — حدثنا أبو كريب ، وسفيان بن وكيع ، وسهل بن موسى الرازى قالوا ، حدثنا ابن عيينة ، عن عثمان بن أبى سليمان ، عن ابن أبى مليكة ، عن ابن عباس : سئل عن همّ يوسف ما بلغ ؟ قال : حَلّ الهِمْيان ، وجلس منها مجلس الخاتن [1] = لفظ الحديث لأبى كريب .[2]

١٩٠١٦ — حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا، حدثنا ابن عيينة قال ، سمع عبيدُ الله بن أبى يزيد ابنَ عباس فى : « ولقد همت به وهم بها »، قال: جلس منها مجلس الخاتن ، وحلّ الهِمْيان .

١٩٠١٧ — حدثنا زياد بن عبد الله الحسّانى ، وعمرو بن على ، والحسن بن محمد قالوا ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عبد الله بن أبى يزيد قال ، سمعت ابن عباس سئل : ما بلغ من همّ يوسف ؟ قال : حلّ الهميان ، وجلس منها مجلس الخاتن .

١٩٠١٨ — حدثنى زياد بن عبد الله قال ، حدثنا محمد بن أبى عدى ، عن ابن جريج ، عن ابن أبى مليكة قال : سألت ابن عباس: ما بلغ من همّ يوسف ؟ قال : استلقت له ، وجلس بين رجليها .

١٩٠١٩ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن يمان ، عن ابن جريج ، عن ابن أبى مليكة : « ولقد همت به وهم بها » ، قال : استلقت له وحلّ ثيابه .

١٩٠٢٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا قبيصة بن عقبة قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن ابن أبى مليكة ، عن ابن عباس : « ولقد همت به وهم بها »،

---

(١) قوله : « مجلس الخاتن » ، هو الذى يختن الفتى أو الفتاة . وفى مطبوعة تاريخ الطبرى : « مجلس الحائز » ، ولكن ستأتى فى مخطوطة التفسير « الخاتن » فى كل مكان . وسيأتى تفسير « الهميان» فى رقم : ١٩٠٢٢ ، وفى اللسان أنه « تكة السراويل » .

(٢) الأثر : ١٩٠١٥ — رواه أبو جعفر فى تاريخه ١ : ١٧٣ ، بهذا الإسناد نفسه .

ما بلغ ؟ قال : استلقت له ، وجلس بين رجليها ، وحلّ ثيابه = أو : ثيابها .

١٩٠٢١ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة قال : سألت ابن عباس : ما بلغ من همّ يوسف ؟ قال : استلقت على قفاها ، وقعد بين رجليها لينزعَ ثيابه .

١٩٠٢٢ ــ حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي = ، عن نافع بن عمر ، عن ابن أبي مليكة قال : سئل ابن عباس عن قوله : « ولقد همت به وهم بها » ، ما بلغ من هم يوسف ؟ قال : حل الهميان = يعني السَّراويل .

١٩٠٢٣ ــ حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ، حدثنا ابن إدريس قال ، سمعت الأعمش ، عن مجاهد في قوله : « ولقد همت به وهم بها » ، قال : حلّ السراويل حتى ألْيَتيه .[1] واستلقت له .

١٩٠٢٤ ــ حدثنا زياد بن عبد الله الحسّاني قال ، حدثنا مالك بن سعير قال ، حدثنا الأعمش ، عن مجاهد في قوله : « ولقد همت به وهم بها » ، قال : حلّ سراويله حتى وقع على ألْيَتَيه .[2]

١٩٠٢٥ ــ حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ولقد همت به وهم بها » ، قال : جلس منها مجلس الرجل من امرأته .

---

(١) في المطبوعة : « حتى التبان » ، وهو سراويل صغير مقدار شبر ، يستر العورة المغلظة ، وليس بشيء . وفي المخطوطة في هذا الموضع « التن » غير منقوطة ثم في رقم : ١٩٠٢٤ فيها : « حتى وقع على التنتين » ، ثم في رقم : ١٩٠٢٩ ، فيها أيضاً : « على الثنات » ، وقد جعلها الناشر في جميعها « التبان » برسم واحد ، ورجحت أنا أكتبها « أليتيه » ، في موضعين و « أالياته » في آخر المواضع ، لأني وجدت الخبر عن مجاهد في القرطبي ٩ : ١٦٦ « حل السراويل حتى بلغ الأليتين » ، ولو كتبتها كما في القرطبي ، لكان صواباً . و « الألية » (بفتح الهمزة) ، هي العجيزة للناس وغيرهم ، وهما من الناس « أليتان » ، ويقال : « إنه لذو أليات » ، كأنه جعل كل جزء « ألية » ، ثم جمع على هذا .

(٢) انظر التعليق السالف ، وكان في المطبوعة : « على التبان » .

١٩٠٢٦ ـ حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل قال ، حدثني القاسم بن أبي بزة : « ولقد همت به وهم بها »، قال: أمّا همّها به ، فاستلقت له = وأما همُّه بها ، فإنه قعد بين رجليها ونزع ثيابه .

١٩٠٢٧ ـ حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثني حجاج بن محمد ، عن ابن جريج قال ، أخبرني عبد الله بن أبي مليكة قال : قلت لابن عباس : ما بلغ من همّ يوسف ؟ قال : استلقت له ، وجلس بين رجليها ينزع ثيابه .

١٩٠٢٨ ـ حدثني المثنى قال ، حدثنا الحماني قال، حدثنا يحيى بن اليمان، عن سفيان ، عن علي بن بذيمة ، عن سعيد بن جبير ، وعكرمة قالا : حلّ السراويل ، وجلس منها مجلس الخاتن .

١٩٠٢٩ ـ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو بن محمد العنقزي ، عن شريك ، عن جابر ، عن مجاهد : « ولقد همت به وهم بها » ، قال : استلقت ، وحلّ ثيابه حتى بلغ أَلياته .(١)

١٩٠٣٠ ـ حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا قيس ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير : « ولقد همت به وهم بها » ، قال : أطلق تِكّة سراويله .

١٩٠٣١ ـ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن عثمان بن أبي سليمان ، عن ابن أبي مليكة قال : شهدت ابن عباس سئل عن هم يوسف ما بلغ ؟ قال : حلّ الهميان ، وجلس منها مجلس الخاتن .

* * *

فإن قال قائل : وكيف يجوز أن يوصف يوسف بمثل هذا ، وهو لله نبيّ ؟ قيل : إن أهل العلم اختلفوا في ذلك .

---

(١) « أليات » جمع « ألية » ، وانظر ما سلف ص : ٣٦، تعليق رقم : ١ .

١١٠/١٢ فقال بعضهم : كان من ابتلى من الأنبياء بخطيئة ،(١) فإنما ابتلاه الله بها ، ليكون من الله عز وجلّ على وَجَلٍ إذا ذكرها ، فيجد فى طاعته إشفاقًا منها ، ولا يتّكل على سعة عفو الله ورحمته .

* * *

وقال آخرون : بل ابتلاهم الله بذلك ، ليعرّفهم موضع نعمته عليهم ، بصفحه عنهم ، وتركه عقوبتَه عليه فى الآخرة .

* * *

وقال آخرون : بل ابتلاهم بذلك ليجعلهم أئمة لأهل الذنوب فى رَجاء رحمة الله ، وترك الإياس من عفوه عنهم إذا تابوا .

* * *

وأما آخرون ممن خالف أقوال السلف ، وتأوّلوا القرآن بآرائهم ، فإنهم قالوا فى ذلك أقوالاً مختلفة .

فقال بعضهم : معناه : ولقد همت المرأة بيوسف ، وهمّ بها يوسف أن يضربها أو ينالها بمكروه لهمّها به مما أرادته من المكروه ، لولا أنّ يوسف رأى برهان ربه ، وكفّه ذلك عما همّ به من أذاها = لا أنها ارتدعت من قِبَل نفسها . قالوا : والشاهد على صحة ذلك قوله : « كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء » . قالوا : فالسوء هُو ما كان همّ به من أذاها ، وهو غير « الفحشاء » .

* * *

وقال آخرون منهم : معنى الكلام : ولقد همت به ، فتناهى الخبرُ عنها . ثم ابتدىء الخبر عن يوسف فقيل : « وهمّ بها يوسف لولا أن رأى برهان ربه » ، كأنهم وجّهوا معنى الكلام إلى أن يوسف لم يهمّ بها ، وأن الله إنما أخبر أنّ يوسف لولا رؤيته برهان ربه لهمّ بها ، ولكنه رأى برهان ربه فلم يهمّ بها ، كما قيل : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ، [سورة النساء : ٨٣]

* * *

(١) فى المطبوعة : « كان ممن ابتلى . . . » ، والصواب ما فى المخطوطة .

قال أبو جعفر : ويفسد هذين القولين : أنّ العرب لا تقدم جواب « لولا » قبلها ، لا تقول : « لقد قمت لولا زيد » ، وهى تريد : « لولا زيد لقد قمت » ، هذا مع خلافهما جميع أهل العلم بتأويل القرآن ، الذين عنهم يؤخذ تأويله .

* * *

وقال آخرون منهم : بل قد همّت المرأة بيوسف ، وهم يوسف بالمرأة ، غير أن همّهما كان تمييلاً منهما بين الفعل والترك ، (١) لا عزمًا ولا إرادة . قالوا : ولا حرج فى حديث النفس ، ولا فى ذكر القلب ، إذا لم يكن معهما عزمٌ ولا فعلٌ .

* * *

وأما « البرهان » الذى رآه يوسف ، فترك من أجله مواقعة الخطيئة ، فإن أهل العلم مختلفون فيه .

فقال بعضهم : نودى بالنّهى عن مواقعة الخطيئة .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٠٣٢ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن عيينة ، عن عثمان بن أبى سليمان ، عن ابن أبى مليكة ، عن ابن عباس : « لولا أن رأى برهان ربه » ، قال : نودى : يا يوسف ، أتزنى فتكون كالطير وَقَع ريشه ، فذهب يطير فلا ريش له ؟

١٩٠٣٣ — . . . . قال ، حدثنا ابن عيينة ، عن عثمان بن أبى سليمان ، عن ابن أبى مليكة ، عن ابن عباس قال : لم يُعْطِ على النداء ، (٢) حتى رأى برهان

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « تمثيلا منهما » ، وهو خطأ . و « التمييل » . الترجيح ، أى الأمرين تأخذ ، وأيهما تدع . يقال : « إنى لأميل بين ذينك الأمرين ، وأمايل بينهما ، أيهما أركب ، أو أيهما أفضل » .

(٢) فى المطبوعة : « لم يتعظ » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صحيح المعنى ، يعنى : لم يعط المقادة والطاعة . وهو كقوله فى رقم : ١٩٠٣٧ ، « فلم يطع على النداء » ، ثم قوله فى رقم : ١٩٠٣٨ : « فلم يعط على النداء شيئا » ، فجاء بها فى المطبوعة على الصواب .

ربه . قال : تمثالَ صورة وجه أبيه = قال سفيان : عاضًّا على إصبعه = فقال : يا يوسف ، تزنى فتكون كالطير ذهب ريشه ؟

١٩٠٣٤ – حدثني زياد بن عبد الله الحساني قال ، حدثني محمد بن أبي عدى ، عن ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة قال ، قال ابن عباس : نُودى : يا ابن يعقوب ، لا تكن كالطائر له ريش ، فإذا زنى ذهب ريشه ، أو قعد لا ريش له. قال : فلم يُعْطِ على النداء ،[1] فلم يزد على هذا = قال ابن جريج : وحدثني غير واحد أنه رأى أباه عاضًّا على إصبعه .

١٩٠٣٥ – حدثني أبو كريب قال ، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي = ، عن نافع بن عمر ، عن ابن أبي مليكة قال ، قال ابن عباس : « لولا أن رأى برهان ربه » ، قال : نودى فلم يسمع ، فقيل له : يا ابن يعقوب ، تريد أن تزنى ، فتكون كالطير نتف فلا ريش له ؟

١٩٠٣٦ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن طلحة عن عمرو الحضرمى ، عن ابن أبي مليكة قال : بلغني أنّ يوسف لما جلس بين رجلى المرأة فهو يحلّ هميانه ، نودى : يا يوسف بن يعقوب ، لا تزن ، فإن الطير إذا زَنى تناثر ريشه . فأعرض ، ثم نودى فأعرض ، فتمثل له يعقوب عاضًّا على إصبعه ، فقام .

١٩٠٣٧ – حدثني المثنى قال ، حدثنا قبيصة بن عقبة قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس قال : نودى : يا ابن يعقوب ، لا تكن كالطير إذا زنى ذهب ريشه ، وبقى لا ريش له ! فلم يطع على النداء ، ففُزِّع .

١٩٠٣٨ – حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا حجاج بن محمد ، عن

---

(١) انظر التعليق السالف ص ٣٩ .

ابن جريج قال ، أخبرني عبد الله بن أبي مليكة قال ، قال ابن عباس : نودى : يا ابن يعقوب ، لا تكونَنّ كالطائر له ريش ، فإذا زنى ذهب ريشه = قال : أو قعد لا ريش له = فلم يُعْطَ على النداء شيئًا ، حتى رأى برهان ربه ، ففَرِق ففرّ .

١٩٠٣٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن عثمان بن أبي سليمان ، عن أبي مليكة قال ، قال ابن عباس : ١١١/١٢ نودى : يا ابن يعقوب ، أتزنى ، فتكون كالطير وقع ريشه ، فذهب يطيرُ فلا ريش له ؟

١٩٠٤٠ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني نافع بن يزيد ، عن همام بن يحيى ، عن قتادة قال : نودى يوسف فقيل : أنت مكتوب في الأنبياء ، تعمل عمل السفهاء ؟

١٩٠٤١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن يمان ، عن ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة قال : نودى : يُوسفَ بن يعقوب ، تزنى ، فتكون كالطير نتف فلا ريش له ؟

* * *

وقال آخرون : « البرهان » ، الذى رأى يوسف فكفّ عن مواقعة الخطيئة من أجله ، صورة يعقوب عليهما السلام يتوعّده .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٠٤٢ – حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا عمرو بن محمد العنقزى قال ، أخبرنا إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : « لولا أن رأى برهان ربه » ، قال : رأى صورةَ = أو : تمثالَ = وجهِ يعقوب ، عاضًّا على إصبعه ، فخرجت شهوته من أنامله .

١٩٠٤٣ ــ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو بن محمد العنقزى ، عن إسرائيل ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « لولا أن رأى برهان ربه » ، قال : مَثَل له يعقوب ، فضرب فى صدره ، فخرجت شهوته من أنامله .[1]

١٩٠٤٤ ــ حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا محمد بن بشر ، عن مسعر ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير : « لولا أن رأى برهان ربه » ، قال : رأى تمثال وجه أبيه ، قائلا بكفه هكذا = وبسط كفه = فخرجت شهوته من أنامله .

١٩٠٤٥ ــ حدثنا أبو كريب قال ،حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى = ، عن سفيان ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير : « لولا أن رأى برهان ربه » ، قال : مَثَل له يعقوب عاضًّا على أصابعه ، فضرب صدره ، فخرجت شهوته من أنامله .

١٩٠٤٦ ــ حدثنا يونس بن عبد الأعلى قال، حدثنا عبد الله بن وهب قال ، أخبرنى ابن جريج ، عن ابن أبى مليكة ، عن ابن عباس فى قوله : « لولا أن رأى برهان ربه » ، قال : رأى صورة يعقوب واضعًا أنملته على فيه ، يتوعَّده ، ففرَّ .

١٩٠٤٧ ــ حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا يحيى بن عباد قال ، حدثنا جرير بن حازم قال ، سمعت عبد الله بن أبى مليكة ، يحدث عن ابن عباس فى قوله : « ولقد همت به وهم بها » ، قال : حين رأى يعقوبَ فى سقف البيْت . قال : فنزعت شهوته التى كان يجدها ، حتى خرج يسعى إلى باب البيت ، فتبعته المرأة .

١٩٠٤٨ ــ حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى = ، عن قرة بن خالد السدوسى ، عن الحسن قال : زعموا ، والله

---

(١) الأثر : ١٩٠٤٣ – « عمرو بن محمد العنقزى » ، مضى مراراً ، وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « عمرو بن العنقزى » ، سقط اسم أبيه .

أعلم ، أن سقف البيت انفرج ، فرأى يعقوبَ عاضًّا على أصابعه .

١٩٠٤٩ – حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن يونس ، عن الحسن في قوله : « لولا أن رأى برهان ربه » ، قال : رأى تمثالَ يعقوب عاضًّا على إصبعه ، يقول : يوسف ! يوسف !

١٩٠٥٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن علية ، عن يونس ، عن الحسن ، نحوه .

١٩٠٥١ – حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا عمرو العنقزي قال ، أخبرنا سفيان الثوري ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير : « لولا أن رأى برهان ربه » ، قال : رأى تمثال وجه يعقوب ، فخرجت شهوته من أنامله .

١٩٠٥٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن علي بن بذيمة ، عن سعيد بن جبير قال : رأى صورةً فيها وجه يعقوب ، عاضًّا على أصابعه ، فدفع في صدره ، فخرجت شهوته من أنامله . فكلُّ ولد يعقوب وُلدَ له اثنا عشر رجلاً ، إلا يوسف ، فإنه نقص بتلك الشهوة ، ولم يولد له غير أحد عشر .

١٩٠٥٣ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب : أن حميد بن عبد الرحمن أخبره : أن البرهان الذي رأى يوسف ، يعقوبُ .

١٩٠٥٤ – حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا عيسى بن المنذر قال ، حدثنا أيوب بن سويد قال ، حدثنا يونس بن يزيد الأيلي ، عن الزهري ، عن حميد بن عبد الرحمن ، مثله .

١٩٠٥٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد : « لولا أن رأى برهان ربه » ، قال : مَثَّل له يعقوب .

١٩٠٥٦ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن عمرو، عن منصور، عن مجاهد. مثله.

١٩٠٥٧ ــ حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى. عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: «لولا أن رأى برهان ربه»، قال: يعقوب.

١٩٠٥٨ ــ حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا شبابة قال، حدثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

١١٢/١٢ ١٩٠٥٩ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

١٩٠٦٠ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة = وحدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق = قال، أخبرنا الثوري، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: مثَّل له يعقوب.

١٩٠٦١ ــ حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: جلس منها مجلس الرجل من امرأته، حتى رأى صورةَ يعقوب في الجدُر.[1]

١٩٠٦٢ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد في قوله: «لولا أن رأى برهان ربه»، قال: مثل له يعقوب.

١٩٠٦٣ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن القاسم بن أبي بزة قال: نودي: يا ابن يعقوب، لا تكونن كالطير له ريش، فإذا زنى قَعَد ليس له ريش. فلم يُعْرِض للنداء وقعد، فرفع رأسه، فرأى وجهَ يعقوب عاضًّا على إصبعه، فقام مرعوبًا، استحياءً من الله، فذلك قول الله: «لولا أن رأى برهان ربه»، وجهَ يعقوب.

---

(١) في المطبوعة: «على الجدار» وأثبت ما في المخطوطة، وهو صواب.

١٩٠٦٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى ، عن النضر بن عربى ، عن عكرمة قال : مثل له يعقوب عاضًّا على أصابعه .

١٩٠٦٥ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن نضر بن عربى ، عن عكرمة ، مثله .

١٩٠٦٦ – حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا قيس ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير قال : مثل له يعقوب ، فدفع فى صدره ، فخرجت شهوته من أنامله .

١٩٠٦٧ – . . . . قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان ، عن على بن بذيمة قال : كان يولد لكل رجل منهم اثنا عشر ابنًا ، إلاّ يوسف ، ولد له أحد عشر ، من أجل ما خرج من شهوته .

١٩٠٦٨ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال أبوشريح : سمعت عبيد الله بن أبى جعفر يقول : بلغ من شهوة يوسف أن خرجت من بَنَانه .

١٩٠٦٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يعلى بن عبيد، عن محمد الخراسانى قال : سألت محمد بن سيرين عن قوله : « لولا أن رأى برهان ربه » ، قال : مثل له يعقوب عاضًّا على أصابعه ، يقول : يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم خليل الله ، اسمك فى الأنبياء ، وتعمل عمل السفهاء ؟

١٩٠٧٠ – حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا يزيد بن زريع ، عن يونس ، عن الحسن فى قوله : « لولا أن رأى برهان ربه » ، قال : رأى يعقوب عاضًّا على إصبعه ، يقول : يوسف !

١٩٠٧١ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر قال ، قال قتادة : رأى صورة يعقوب ، فقال : يا يوسف ، تعمل عمل الفجّار ، وأنت مكتوب فى الأنبياء ؟ فاستحيى منه .

١٩٠٧٢ ــ حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « لولا أن رأى برهان ربه » ، رأى آية من آيات ربه ، حجزه الله بها عن معصيته . ذكر لنا أنه مثل له يعقوب حتى كلمه ، فعصمه الله، ونزع كل شهوة كانت فى مفاصله .

١٩٠٧٣ ــ . . . . قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن : أنه مثل له يعقوب وهو عاضٌّ على إصبع من أصابعه .

١٩٠٧٤ ــ حدثنى يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا إسمعيل بن سالم ، عن أبى صالح قال : رأى صورة يعقوب فى سقف البيت ، عاضًّا على إصبعه يقول : يا يوسف ! يا يوسف ! = يعنى قوله : « لولا أن رأى برهان ربه » .

١٩٠٧٥ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن منصور ، ويونس ، عن الحسن فى قوله : « لولا أن رأى برهان ربه » ، قال : رأى صورة يعقوب فى سقف البيت ، عاضًّا على إصبعه .

١٩٠٧٦ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن إسمعيل بن سالم ، عن أبى صالح ، مثله = وقال : عاضًّا على إصبعه يقول : يوسف ! يوسف !

١٩٠٧٧ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يعقوب القمى ، عن حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية قال : نظر يوسف إلى صورة يعقوب عاضًّا على إصبعه يقول : يا يوسف ! فذاك حيث كفَّ ، وقام فاندفع .

١٩٠٧٨ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا الحمانى قال ، حدثنا شريك ، عن سالم ، وأبى حصين ، عن سعيد بن جبير : « لولا أن رأى برهان ربه » ، قال : رأى صورة فيها وجه يعقوب عاضًّا على أصابعه ، فدفع فى صدره ، فخرجت شهوته من بين أنامله .

١٩٠٧٩ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا مسعر ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير : « لولا أن رأى برهان ربه » ، قال : رأى تمثال وجه أبيه ، فخرجت الشهوة من أنامله . ١١٣/١٢

١٩٠٨٠ – حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا يحى = يعنى ابن عباد = قال ، حدثنا أبو عوانة ، عن إسمعيل بن سالم ، عن أبي صالح : « لولا أن رأى برهان ربه » ، قال : تمثال صورة يعقوب فى سقف البيت .

١٩٠٨١ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا جعفر بن سليمان ، عن يونس بن عبيد ، عن الحسن قال : رأى يعقوب عاضًّا على يده .

١٩٠٨٢ – . . . . قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير فى قوله : « لولا أن رأى برهان ربه » ، قال : يعقوب ، ضرب بيده على صدره ، فخرجت شهوته من أنامله .

١٩٠٨٣ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « لولا أن رأى برهان ربه » ، آية من ربه ، يزعمون أنه مَثَلَ له يعقوب ، فاستحيى منه .

* * *

وقال آخرون : بل البرهان الذى رأى يوسف ، ما أوعد الله عز وجل على الزنا أهله .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٠٨٤ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن أبي مودود قال ، سمعت محمد بن كعب القرظى قال : رفع رأسَه إلى سقف البيت ، فإذا كتاب فى حائط البيت : ﴿لَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ ،(١) [سورة الإسراء : ٣٢] .

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلا » ، وهذه آية أخرى ، هى آية نكاح ما نكح الآباء من النساء ، وهى آية المقت « سورة النساء : ٢٢ » ، وزيادة « ومقتاً » سهو من الناسخ ، لا شك فى ذلك ، وجاءت على صواب التلاوة فى الأثر التالى ، ولكن الناشر زاد « ومقتاً » ، هناك ، فأساء غاية الإساءة .

١٩٠٨٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن أبي مودود ، عن محمد ابن كعب قال : رفع يوسف رأسه إلى سقف البيت حين همّ ، فرأى كتابًا في حائط البيت : ﴿ لَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾.

١٩٠٨٦ – . . . . قال، حدثنا زيد بن الحباب ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب : « لولا أن رأى برهان ربه » ، قال : لولا ما رأى في القرآن من تعظيم الزنا .

١٩٠٨٧ – حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، أخبرني نافع بن يزيد، عن أبي صخر قال : سمعت القرظي يقول في البرهان الذي رأى يوسف : ثلاث آيات من كتاب الله : ﴿ إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴾ الآية، [سورة الانفطار : ١٠]، وقوله : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ ﴾ [سورة يونس : ٦١]، وقوله : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [سورة الرعد : ٣٣] = قال نافع : سمعت أبا هلال يقول مثل قول القرظي ، وزاد آية رابعة : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ﴾ .

١٩٠٨٨ – حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا عمرو بن محمد قال ، أخبرنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظي ! « لولا أن رأى برهان ربه » ، فقال : ما حرّم الله عليه من الزنا .

* * *

وقال آخرون : بل رأى تمثال الملك .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٠٨٩ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « ولقد همت به وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربه » ، يقول : آيات ربه ، أُرِيَ تمثالَ الملك .

١٩٠٩٠ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال :

كان بعض أهل العلم، فيما بلغني، يقول: البرهان الذي رأى يوسف فصرف عنه السوءَ والفحشاء، يعقوبُ عاضًّا على إصبعه، فلما رآه انكشفَ هاربًا = ويقول بعضهم: إنما هو خيال إطفير سيده، حين دَنا من الباب. وذلك أنه لما هرب منها واتبعته، ألفياه لدى الباب.

* * *

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله جل ثناؤه أخبر عن همّ يوسف وامرأة العزيز كل واحد منهما بصاحبه، لولا أن رأى يوسف برهان ربه، وذلك آيةٌ من الله زجرته عن ركوب ما همّ به يوسف من الفاحشة = وجائزٌ أن تكون تلك الآية صورة يعقوب = وجائزٌ أن تكون صورة الملك — وجائز أن يكون الوعيد في الآيات التي ذكرها الله في القرآن على الزنا = ولا حجة للعذر قاطعة بأيٍّ ذلك [كان] من أيٍّ. والصواب أن يقال في ذلك ما قاله الله تبارك وتعالى، والإيمان به، وترك ما عدا ذلك إلى عالمه.

* * *

وقوله: «كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء»، يقول تعالى ذكره: كما أرينا يوسف برهاننا على الزجر عمّا هم به من الفاحشة، كذلك نسبّب له في كلّ ما عرض له من همٍّ يهمُّ به فيما لا يرضاه، ما يزجره ويدفعه عنه، كي نصرف عنه ركوب ما حرّمنا عليه، وإتيان الزنا، لنطهره من دنس ذلك. (١)

* * *

وقوله: «إنه من عبادنا المخلصين»، اختلفت القرأة في قراءة ذلك.

فقرأته عامة قرأة المدينة والكوفة: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾، بفتح اللام من «المخلصين» = بتأويل: إن يوسف من عبادنا الذين أخلصناهم لأنفسنا، واخترناهم لنبوّتنا ورسالتنا. ١٢/١١٤

* * *

(١) انظر تفسير «الصرف» فيما سلف ١٥ ٢٥٤، تعليق ٣، والمراجع هناك.
= وتفسير «الفحشاء» فيما سلف ١٢ ٥٤٧، تعليق ٣، والمراجع هناك.

وقرأ بعض قرأة البصرة: ﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ ﴾ ، بكسر اللام بمعنى : إن يوسف من عبادنا الذين أخلصوا توحيدنا وعبادتنا ، فلم يشركوا بنا شيئًا. ولم يعبدُوا شيئا غيرنا .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أن يقال: إنهما قراءتان معروفتان قد قرأ بهما جماعة كثيرة من القرأة ، وهما متفقتا المعنى . وذلك أن من أخلصه الله لنفسه فاختاره ، فهو مُخْلِصٌ لله التوحيدَ والعبادة ، ومن أخلص توحيدَ الله وعبادته فلم يشرك بالله شيئًا ، فهو ممن أخلصه الله ، فبأيتهما قرأ القارئ فهو للصوابِ مصيبٌ .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٢٥)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه: واستبق يوسف وامرأة العزيز بابَ البيت، [١] أما يوسف ففرارًا من ركوب الفاحشة لما رأى برهان ربه فزجره عنها ، وأما المرأة فطلبها ليوسف لتقضى حاجتها منه التى راودته عليها ، فأدركته فتعلقت بقميصه فجذبته إليها . مانعةً له من الخروج من الباب ، فقدّته من دبر = يعنى شقته من خلف لا من قدام ، [٢] لأن يوسف كان هو الهارب ، وكانت هى الطالبة ، كما :—

١٩٠٩١ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن

---

(١) انظر تفسير « الاستباق » فيما سلف ١٥ : ٥٧٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الدبر » فيما سلف ١٤ : ١٥ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

معمر ، عن قتادة : « واستبقا الباب » ، قال : استبق هو والمرأة الباب = « وقدت قميصه من دبر » .

١٩٠٩٢ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : لما رأى برهان ربه ، انكشفَ عنها هاربًا ، واتبعته فأخذت قميصه من دبر ، فشقّته عليه .

* * *

وقوله : « وألفيا سيدها لدى الباب » ، يقول جل ثناؤه : وصادفا سيدها[1] = وهو زوج المرأة[2] = « لدى الباب » ، يعني : عند الباب ،[3] كالذى : –

١٩٠٩٣ – حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا الثورى ، عن رجل ، عن مجاهد : « وألفيا سيدها » . قال : سيدها زوجها = « لدى الباب » . قال : عند الباب .

١٩٠٩٤ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن أشعث ، عن الحسن ، عن زيد بن ثابت قال : « السيد » ، الزوج .

١٩٠٩٥ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وألفيا سيدها لدى الباب » ، أى عند الباب .

١٩٠٩٦ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدى : « وألفيا سيدها لدى الباب » ، قال : جالسًا عند الباب ، وابن عمّها معه ، فلما رأته قالت : ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً ؟ إنه راودنى عن نفسى ، فدفعته عن نفسى فشققت قميصه . قال يوسف : بل هى راودتنى عن نفسى ، وفررت منها فأدركتنى فشقت قميصى . فقال ابن عمها : تبيّان هذا فى القميص ،

---

(١) انظر تفسير « ألفى » فيما سلف ٣ : ٣٠٦ ، ٣٠٧ .

(٢) انظر تفسير « السيد » فيما سلف ٦ : ٣٧٤ .

(٣) انظر تفسير « لدى » فيما سلف ٦ : ٤٠٧ .

فإن كان القميص قدّ من قُبُل فصدقت وهو من الكاذبين ، وإن كان قميصه قدّ من دبر فكذبت وهو من الصادقين . فأتى بالقميص ، فوجده قدّ من دبر قال : « إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم * يوسف أعرض عن هذا واستغفرى لذنبك إنك كنت من الخاطئين » .

١٩٠٩٧ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وألفيا سيدها لدى الباب » ، إطفير ، قائما على باب البيت ، فقالت وهابتَه : « ما جزاءُ من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب عذاب أليم » ، ولطخته مكانها بالسيئة ، فَرَقًا من أن يتهمها صاحبُها على القبيح . فقال هو ، وصَدقه الحديث : « هى راودتنى عن نفسى » .

* * *

وقوله : « قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً » ، يقول تعالى ذكره : قالت امرأة العزيز لزوجها لما ألفياه عند الباب ، فخافت أن يتهمها بالفجور : ما ثواب رجل أرادَ بامرأتك الزنا إلا أن يسجن فى السجن ، [1] أو إلاّ عذاب أليم = يقول : موجع .

* * *

وإنما قال : « إلا أن يسجن أو عذاب أليم » ، لأن قوله : « إلا أن يسجن » ، بمعنى : إلا السجن ، فعطف « العذاب » عليه ، وذلك أن « أن » وما علمت فيه بمنزلة الاسم .

* * *

(١) انظر تفسير « الجزاء » فيما سلف من فهارس اللغة (جزى) .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ ﴿٢٨﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال يوسف ، لما قذفته، امرأة العزيز بما قذفته من إرادته الفاحشة منها، مكذِّبًا لها فيما قذفته به. ودفعًا لما نسب إليه : ما أنا راودتها عن نفسها ، بل هى راودتنى عن نفسى.(١) ١١٥/١٢

* * *

وقد قيل : إن يوسف لم يرد ذكر ذلك ، لو لم تقذفه عند سيدها بما قذفته به .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٠٩٨ – حدثنى محمد بن عمارة قال، حدثنا عبيد الله بن موسى قال ، أخبرنا شيبان ، عن أبى إسحق ، عن نوف الشامى قال : ما كان يوسف يريد أن يذكره ، حتى قالت : « ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً » ، الآية، قال : فغضب فقال : « هى راودتنى عن نفسى » .(٢)

* * *

وأما قوله: «وشهد شاهد من أهلها »، فإن أهل العلم اختلفوا فى صفة الشاهد. فقال بعضهم : كان صبيًّا فى المهد .

---

(١) انظر تفسير « المراودة » فيما سلف ص : ٢٤ ، ٢٥ .

(٢) الأثر : ١٩٠٩٨ – فى المطبوعة : « نوف الشيبانى » ، وهو خطأ محض ، مأتاه من سوء كتابة المخطوطة ، وإن كانت واضحة بعض الوضوح ، والصواب « نوف الشامى » ، وهو : « نوف ابن فضالة البكالى الحميرى، الشامى » ، انظر ما سلف رقم : ١٨٩٢٣ ، والتعليق عليه .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٠٩٩ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا العلاء بن عبد الجبار ، عن حماد ابن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : تكلم أربعة فى المهد وهم صغار : ابن ماشطة بنت فرعون ، وشاهد يوسف ، وصاحب جريج، وعيسى بن مريم عليه السلام .(١)

١٩١٠٠ - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع ، عن أبى بكر الهذلى ، عن شهر بن حوشب ، عن أبى هريرة قال : عيسى ، وصاحب يوسف ، وصاحب جريج = يعنى : تكلموا فى المهد .(٢)

١٩١٠١ - حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا زائدة ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير : « وشهد شاهد من أهلها » ، قال : صبى .

١٩١٠٢ - حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا إسرائيل، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير : « وشهد شاهد من أهلها » ، قال : كان فى المهد صبيًّا .

١٩١٠٣ - حدثنى محمد بن عبيد المحاربى قال ، حدثنا أيوب بن جابر ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير فى قوله : « وشهد شاهد من أهلها » ، قال : صبى .(٣)

---

(١) الأثر : ١٩٠٩٩ - « العلاء بن عبد الجبار » ، « أبو الحسن العطار »، روى عن حماد ابن سلمة ، روى عنه الحميدى، وابنه عبد الجبار بن العلاء . صالح الحديث . مترجم فى ابن أبى حاتم ٣/١/٣٥٨ .

(٢) الأثر : ١٩١٠٠ - « أبو بكر الهذلى » ، كان يكذب ، متروك الحديث . مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٧٦١٦ ، ١٨٤٣٩ ، ولكن حديث أبى هريرة مطولا رواه البخارى فى صحيحه (الفتح ٦ : ٣٤٤-٣٤٨)، ومسلم فى صحيحه ١٦ : ١٠٦، ورواه أحمد فى المسند : ٨٠٥٧ ، ٨٠٥٨ بإسناد صحيح ، وانظر شرح أخى رحمه الله .

(٣) الأثر : ١٩١٠٣ - « أيوب بن جابر بن سيار اليمامى» ، ضعيف . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/١/٤١٠ ، وابن أبى حاتم ١/١/٢٤٢ ، وميزان الاعتدال ١ : ١٣٢ .

١٩١٠٤ - حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي قال، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن أبي حصين، عن سعيد بن جبير، بمثله.

١٩١٠٥ - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي =، عن شريك، عن سالم، عن سعيد بن جبير قال: كان صبيًّا في مهده.

١٩١٠٦ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن إدريس، عن حصين، عن هلال بن يساف: «وشهد شاهد من أهلها». قال: صبي في المهد.

١٩١٠٧ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو بن محمد، عن أبي مرزوق، عن جويبر، عن الضحاك: «وشهد شاهد من أهلها»، قال: صبي أنطقه الله. ويقال: ذو رأى برأيه.[1]

١٩١٠٨ - حدثنا الحسن بن محمد قال، أخبرنا عفان قال، حدثنا حماد قال، أخبرني عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «تكلم أربعة وهم صغار»، فذكر فيهم شاهد يوسف.[2]

١٩١٠٩ - حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ يقول، حدثنا عبيد بن سليمان قال، سمعت الضحاك يقول في قوله: «وشهد شاهد من أهلها»، يزعمون أنه كان صبيًّا في الدار.

١٩١١٠ - حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي

---

(١) قوله: «ذو رأى برأيه»، أي كان الشاهد رجلا ذا رأى، قال ذلك برأيه. وانظر الأثر التالي رقم: ١٩١٢٧.

(٢) الأثر: ١٩١٠٨ - حديث حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، حديث طويل، رواه أحمد في مسنده رقم: ٢٨٢٢، ٢٨٢٣، ٢٨٢٤، ٢٨٢٥، وفي آخره: قال «قال ابن عباس: تكلم أربعة صغار، عيسى بن مريم، وصاحب جريج، وشاهد يوسف، وابن ماشطة فرعون»، ولم يرفع هذا القول الأخير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وإسناده إسناد صحيح.

قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وشهد شاهد من أهلها » ، قال : كان صبيًّا في المهد .

* * *

وقال آخرون : كان رجلاً ذا لحية .

* ذكر من قال ذلك :

١٩١١١ - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي = ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان ذا لحية .

١٩١١٢ - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي= ، عن سفيان ، عن جابر ، عن ابن أبي مليكة، عن ابن عباس : « وشهد شاهد من أهلها » ، قال : كان من خاصّة الملك .

١٩١١٣ - . . . . وبه قال، حدثنا أبي ، عن عمران بن حدير ، سمع عكرمة يقول : « وشهد شاهد من أهلها » ، قال : ما كان بصبيّ ، ولكن كان رجلاً حكيمًا .

١٩١١٤ - حدثنا سوّار بن عبد الله قال، حدثنا عبد الملك بن الصباح قال ، حدثنا عمران بن حدير ، عن عكرمة ، وذكر عنده : « وشهد شاهد من أهلها » ، فقالوا : كان صبيًّا . فقال : إنه ليس بصبي ، ولكنه رجل حكيم .[1]

١٩١١٥ - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي = ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد : « وشهد شاهد من أهلها »، قال : كان رجلاً .

١٩١١٦ - حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ،

---

(١) الأثر : ١٩١١٤ - « عبد الملك بن الصباح المسمعي » ، ثقة ، مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٢/٢/٣٥٤ .

عن منصور ، عن مجاهد : « وشهد شاهد من أهلها » ، قال : رجل . ١١٦/١٢

١٩١١٧ - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد في قوله : « وشهد شاهد من أهلها » ، قال : رجل .

١٩١١٨ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير : « وشهد شاهد من أهلها » ، قال : رجل .

١٩١١٩ - حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا عمرو بن محمد قال ، أخبرنا إسرائيل ، عن سماك، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « وشهد شاهد من أهلها » ، قال : ذو لحية .

١٩١٢٠ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو بن محمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى قال : ابن عمها ، كان الشاهدَ من أهلها .

١٩١٢١ - حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس: « وشهد شاهد من أهلها»، قال : ذو لحية .

١٩١٢٢ - حدثني المثنى قال، حدثنا أبو غسان قال ، حدثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : ذو لحية .

١٩١٢٣ - حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا قيس ، عن جابر ، عن ابن أبي مليكة : « وشهد شاهد من أهلها » ، قال : كان من خاصة الملك

١٩١٢٤ - حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وشهد شاهد من أهلها » ، قال : رجل حكيم كان من أهلها

١٩١٢٥ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قوله: « وشهد شاهد من أهلها » ، قال: رجل حكيم من أهلها

١٩١٢٦ - حدثنا المثنى قال حدثنا أبو نعيم قال، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد : « وشهد شاهد من أهلها » ، قال : كان رجلاً .

١٩١٢٧ - حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن بعض أصحابه ، عن الحسن في قوله : « وشهد شاهد من أهلها » ، قال : رجل له رأى أشارَ برأيه .

١٩١٢٨ - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « وشهد شاهد من أهلها » ، قال : يقال : إنما كان الشاهد مشيرًا ، رجلاً من أهل إطفير ، وكان يستعين برأيه = إلا أنه قال : أشهد إن كان قميصه قدّ من قبل لقد صدقت وهو من الكاذبين .

* * *

وقيل : معنى قوله : « وشهد شاهد » ، حكم حاكم .

١٩١٢٩ - حدثت بذلك عن الفراء، عن معلى بن هلال ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد .

* * *

وقال آخرون : إنما عنى بالشاهد ، القميصَ المقدودَ

* ذكر من قال ذلك :

١٩١٣٠ - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ،حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « وشهد شاهد من أهلها »، قال : قميصُه مشقوق من دبر ، فتلك الشهادة .

١٩١٣١ - حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا شبابة قال ، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : « وشهد شاهد من أهلها »، قميصُه مشقوق من دبر ، فتلك الشهادة .

١٩١٣٢ - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا المحاربي، عن ليث عن مجاهد: « وشهد شاهد من أهلها » ، لم يكن من الإنس .

١٩١٣٣ – . . . . قال، حدثنا حفص، عن ليث، عن مجاهد : « وشهد شاهد من أهلها » . قال : كان من أمر الله ، ولم يكن إنسيًّا .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك ، قول من قال : كان صبيًّا فى المهد = للخبر الذى ذكرناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه ذكر من تكلم فى المهد ، فذكر أنَّ أحدهم صاحبُ يوسف .

* * *

فأمَّا ما قاله مجاهد من أنه القميص المقدود ، فما لا معنى له ، لأن الله تعالى ذكره أخبرَ عن الشاهد الذى شهد بذلك أنَّه من أهل المرأة ، فقال : « وشهد شاهد من أهلها » ، ولا يقال للقميص : هو من أهل الرجل ، ولا المرأة .

* * *

وقوله : « إن كان قميصه قُدَّ من قُبُل فصدقت وهو من الكاذبين » ، لأن المطلوب إذا كان هارباً فإنما يؤتى من قبل دبره ، فكان معلومًا أن الشقّ لو كان من قُبُل لم يكن هارباً مطلوباً ، ولكن كان يكون طالباً مدفوعاً ، وكان يكون ذلك شهادة على كذبه .

١٩١٣٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال ، قال : أشهد إن كان قميصه قُدَّ من قُبُل لقد صدقت وهو من الكاذبين . وذلك أن الرجل إنما يريد المرأة مقبلاً = « وإن كان قميصه قُدَّ من دُبر فكذبت وهو من الصادقين » . وذلك أن الرجل لا يأتى المرأة من دبر . وقال : إنه لا ينبغى أن يكون فى الحقّ إلاّ ذاك . فلما رأى إطفير قميصه قدَّ من دبُر ، عرف أنه من كيدها ، ١١٧/١٢
فقال : « إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم » .

١٩١٣٥ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : قال = يعنى : الشاهدُ من أهلها = : القميصُ يقضى بينهما ، « إن كان قميصه قدّ من قبل فصدقت وهو من الكاذبين * وإن كان قميصه قُدَّ من دبر فكذبت

وهو من الصادقين * فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم »

* * *

قال أبو جعفر : وإنما حذفت « أنَّ » التي تتلقَّى بها « الشهادة » لأنه ذهب بالشهادة إلى معنى «القول» ، كأنه قال : وقال قائل من أهلها : إن كان قميصه = كما قيل : ﴿ يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾ [سورة النساء: ١١]، لأنه ذهب بالوصية إلى « القول » .

* * *

وقوله : « فلما رأى قميصه قدّ من دبر » ، خبرٌ عن زوج المرأة ، وهو القائل لها : إن هذا الفعل من كيدكن = أي : صنيعكن ، يعني من صنيع النساء[1] = « إن كيدكن عظيم » .

* * *

وقيل : إنه خبر عن الشاهد أنه القائلُ ذلك .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾ (٢٩)

قال أبو جعفر : وهذا فيما ذكر عن ابن عباس ، خبرٌ من الله تعالى ذكره عن قيل الشاهد أنه قال للمرأة وليوسف .

* * *

يعني بقوله : « يوسف » ، يا يوسف = « أعرض عن هذا » ، يقول : أعرض عن ذكر ما كان منها إليك فيما راودتك عليه ، فلا تذكره لأحد ،[2] كما :ـــ

---

(١) انظر تفسير « الكيد » فيما سلف ١٥ : ٥٥٨ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الإعراض » فيما سلف ١٥ : ٤٠٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

١٩١٣٦ ــ حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « يوسف أعرض عن هذا » ، قال : لا تذكره ، واستغفرى أنت زوجك ، يقول : سليه أن لا يعاقبك على ذنبك الذى أذنبتِ، وأن يصفح عنه فيستره عليك .

* * *

= «إنك كنت من الخاطئين» ، يقول : إنك كنت من المذنبين فى مراودة يوسف عن نفسه .

* * *

يقال منه : « خَطِىء » فى الخطيئة « يخطَأ خِطْأً وخَطَأً » ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيراً ﴾ [سورة الإسراء : ٣١] ، و « الخطَأ» فى الأمر . وحكى فى « الصواب » أيضًا «الصوابُ » و « الصَّوْبُ » ،(٢) كما قال الشاعر :(٣)

لَعَمْرُكَ إِنَّمَا خَطَئِى وَصَوْبِى عَلَىَّ وَإِنَّ مَا أَهْلَكْتُ مَالُ(٤)

وينشد بيت أمية :

عِبَادُكَ يُخْطِئُونَ وَأَنْتَ رَبٌّ بِكَفَّيْكَ المَنَايَا وَالْحُتُومُ(٥)

---

(١) انظر تفسير « خطىء » فيما سلف ٢ : ٦/١١٠ : ١٤٣ .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « أيضاً الصواب ، والصوب » ، وكأن الصواب ما أثبت . وأخشى أن يكون : « والخطأ » و « الخطاء » فى الأمر ، وحكى فى « الصواب . . . » ، يعنى المقصور والممدود .

(٣) هو أوس بن غلفاء .

(٤) نوادر أبى زيد : ٤٧ ، طبقات فحول الشعراء : ١٤٠ ، مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٤١ ، اللسان (صوب) ، من أبيات يقولها لامرأته :

أَلاَ قَالَتْ أُمَامَةُ يَوْمَ غَوْلٍ : تَقَطَّعَ بِابْنِ غَلْفَاءَ الحِبَالُ
ذَرِينِى إِنَّمَا خَطَئِى وَصَوْبِى . . . . . .
فَإِنْ تَرَنِى أُمَامَةَ قَلَّ مَالِى وَأَلْهَانِى عَنِ الغَزْوِ ابْتِذَالُ
فَقَدْ أَلْهُو مَعَ النَّفَرِ النَّشَاوَى لِىَ النَّسَبُ المُوَاصَلُ وَالخِلاَلُ

(٥) ديوانه : ٤ ، واللسان (خطأ) ، (حتم) ، وقبل البيت :

سَلاَمَكَ رَبَّنَا فِى كُلِّ فَجْرٍ بَرِيئاً مَا تَلِيقُ بِكَ الذُّمُومُ

و بعده :

غَدَاةَ يَقُولُ بَعْضُهُمُ لِبَعْضٍ أَلاَ يَالَيْتَ أُمَّكُمُ عَقِيمُ

من : « خَطِيء الرجل ».

* * *

وقيل : « إنك كنت من الخاطئين » ، ولم يقل : « من الخاطئات » ، لأنه لم يقصد بذلك قصد الخبر عن النساء، وإنما قصد به الخبر عمَّن يفعل ذلك فيخطأ.

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (٣٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وتحدث النساء بأمر يوسف وأمر امرأة العزيز فى مدينة مصر ، وشاع من أمرهما فيها ما كان فلم ينكتم ، وقلن : « امرأة العزيز تراود فتاها »، [1] عبدها[2] = « عن نفسه » ، كما :—

١٩١٣٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال: وشاع الحديث فى القرية ، وتحدث النساء بأمره وأمرها ، وقلن : « امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه »، أى عبدها .

* * *

وأما «العزيز» فإنه : « الملك » فى كلام العرب ، [3] ومنه قول أبى دؤاد :

دُرَّةٌ غَاصَ عَلَيهـا تَاجِرٌ جُلِيَتْ عِنْدَ عَزِيزٍ يَوْمَ طَلّ [4]

يعنى بالعزيز ، الملك ،وهو من « العزّة ». [5]

* * *

---

(١) انظر تفسير « المراودة » فيما سلف ص :٥٣، تعليق :١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الفتى » فيما سلف ٨ : ١٨٨ .

(٣) هذا التفسير من عزيز اللغة ، وليس فى المعاجم ، فليقيد فى مكانه .

(٤) لم أجد البيت فى مكان آخر.

(٥) انظر تفسير « العزة » فيما سلف من فهارس اللغة (عزز) .

وقوله : « قد شغفها حبًّا » ، يقول : قد وصل حبُّ يوسف إلى شَغَاف قلبها فدخل تحته ، حتى غلب على قلبها .

* * *

و « شَغَاف القلب » ، حجابه وغلافه الذى هو فيه ، وإياه عنى النابغة الذبيانى بقوله :

وَقَدْ حَالَ هَمٌّ دُونَ ذَلِكَ دَاخِلٌ دُخُولَ شَغَافٍ تَبْتَغِيهِ الأَصَابِعُ(١)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٩١٣٨ – حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج قال ، أخبرنى عمرو بن دينار : أنه سمع عكرمة يقول فى قوله : « شغفها حبًّا » ، قال : دخل حبه تحت الشِّغاف .

١٩١٣٩ – حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا شبابة قال ، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله : « قد شغفها حبًّا » ، قال : دخل حبه فى شَغافها .

١٩١٤٠ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « قد شغفها حبًّا » ، قال : دخل حبه فى شَغافها . ١١٨/١٢

---

(١) ديوانه : ٣٨ ، مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٣٠٨ ، وغيرهما ، مع اختلاف فى روايته ، وقبله :

عَلَى حِينَ عَاتَبْتُ المَشِيبَ عَلَى الصِّبَا وَقُلْتُ : أَلَمَّا تَصْحُ والشَّيْبُ وَازِعُ ؟

و « الأصابع » يعنى : أصابع الأطباء . وجعله الطبرى من « الشغاف » بالفتح ، واللغويون يجعلونه من « الشغاف » (بضم الشين) ، وهو داء يأخذ تحت الشراسيف من الشق الأيمن . وإذا اتصل بالطحال قتل صاحبه . وهذا أجود الكلامين .

١٩١٤١ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « قد شغفها حبًّا » ، قال : كان حبه في شَغافها .

١٩١٤٢ – . . . . قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثل حديث الحسن بن محمد ، عن شبابة .

١٩١٤٣ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « قد شغفها حبًّا » ، يقول : عَلَّقها حبًّا .

١٩١٤٤ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « قد شغفها حبًّا » ، قال : غَلَبها .

١٩١٤٥ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي = ، عن أبيه ، عن أيوب بن عائذ الطائي ، عن الشعبي : « قد شغفها حبًّا » ، قال : « المشغوف » ، المحب ، و « المشعوف »،[1] المجنون .[2]

١٩١٤٦ – . . . وبه قال، حدثنا أبي ، عن أبي الأشهب، عن أبي رجاء، والحسن : « قد شغفها حبًّا » ، قال أحدهما : قد بَطَنها حبًّا . وقال الآخر : قد صَدَقها حبًّا .

١٩١٤٧ – حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن في قوله : « قد شغفها حبًّا » ، قال : قد بطنَها حبًّا = قال يعقوب : قال أبو بشر : أهل المدينة يقولون « قد بَطَنها حبًّا » .

١٩١٤٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن

---

(١) المشعوف » ، بالعين المهملة ، وكان في المطبوعة بالغين المعجمة ، وهو خطأ . وأراد الشعبي أن يفرق بينهما

(٢) الأثر ١٩١٤٥ – « أيوب بن عائذ المدلجي الطائي » ، ثقة، مضى برقم ١٠٣٣٨ ، ١٠٣٣٩ .

الحسن قال : سمعته يقول فى قوله : « قد شغفها حبًّا » ، قال : بطنها حبًّا . وأهل المدينة يقولون ذلك .

١٩١٤٩ ــ حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا عبد الوهاب ، عن قرة ، عن الحسن : « قد شغفها حبًّا » ، قال : قد بَطَن بها حبًّا . (١)

١٩١٥٠ ــ حدثنا الحسن قال،حدثنا أبو قطن قال، حدثنا أبو الأشهب ، عن الحسن : « قد شغفها حبًّا » ، قال : بطنها حبه .

١٩١٥١ ــ حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن : « قد شغفها حبًّا » ، قال : بطن بها .

١٩١٥٢ ــ حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ،حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « قد شغفها حبًّا » ، قال : استبطنها حبها إياه .

١٩١٥٣ ــ حدثنا بشر قال ،حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « قد شغفها حبًّا » ، أى : قد عَلَّقها .

١٩١٥٤ ــ حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا إسرائيل، عن أبى يحيى ، عن مجاهد : « قد شغفها حبًّا » ، قال : قد عَلَّقها حبًّا .

١٩١٥٥ ــ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا المحاربى ،عن جويبر ، عن الضحاك قال : هو الحب اللازق بالقلب .

١٩١٥٦ ــ حدثت عن الحسين قال،سمعت أبا معاذ يقول ، حدثنا عبيد قال ، سمعت الضحاك فى قوله : « قد شغفها حبًّا » ، يقول : هلكت عليه حبًّا ، و « الشَّغَاف » ، شَغَاف القلب .

١٩١٥٧ ــ حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عمرو بن محمد قال ، حدثنا

---

(١) فى المخطوطة : « بطن لها » ، وانظر رقم : ١٩١٥١ .

أسباط، عن السدى : « قد شغفها حبًّا » ، قال : و « الشغاف » ، جلدة على القلب يقال لها « لسان القلب» . [١] يقول: دخل الحب الجلد حتى أصاب القلب .

* * *

وقد اختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة الأمصار بالغين : ﴿ قَدْ شَغَفَهَا ﴾، على معنى ما وصفت من التأويل .

* * *

وقرأ ذلك أبو رجاء: ﴿ قَدْ شَعَفَهَا ﴾ ، بالعين .

١٩١٥٨ – حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا أبو قطن قال ، حدثنا أبو الأشهب، عن أبى رجاء: ﴿ قَدْ شَعَفَهَا ﴾ .

١٩١٥٩ – . . . . قال ، حدثنا خلف قال ، حدثنا هشيم ، عن أبى الأشهب، أو عوف، عن أبى رجاء: ﴿ قَدْ شَعَفَهَا حُبًّا ﴾، بالعين .

١٩١٦٠ – . . . . قال، حدثنا خلف قال ، حدثنا محبوب قال : قرأه عوف : ﴿ قَدْ شَعَفَهَا ﴾ .

١٩١٦١ – . . . . قال، حدثنا عبد الوهاب ، عن هرون ، عن أسيد ، عن الأعرج: ﴿ قَدْ شَعَفَهَا حُبًّا ﴾، وقال: « شَعفها» . إذا كان هو يحبها .

* * *

ووجّه هؤلاء معنى الكلام إلى أنّ الحبّ قد عمّها .

* * *

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من الكوفيين يقول: هو من قول القائل :

---

(١) هكذا فى المطبوعة والمخطوطة ، وأنا أرجح أن الصواب « لباس القلب » ، لأنهم قالوا فى شرح اللفظ : « الشغفاف : غلاف القلب ، وهو جلدة دونه كالحجاب ، وسويداؤه » ، وقالوا « هو غشاء القلب » وقال أبو الهيثم : « يقال لحجاب القلب ، وهى شحمة تكون لباساً للقلب الشغاف»

(٢) هكذا فى المخطوطة : « شعفها » ، وظنى أن الصواب : « شغف بها، إذا كان هو يحبها »، وذلك بالبناء للمجهول ، أما هذا الذى قاله ، فمالا يعرف

« قد شُعِفَ بها » ، كأنه ذهب بها كل مَذهب ، من « شَعَف الجبال» ، وهي رؤوسها .

* * *

وروى عن إبراهيم النخعي أنه قال : « الشغف » ، شغف الحب = و« الشعف» شعف الدابة حين تذعر .

١٩١٦٢ — حدثني بذلك الحارث ، عن القاسم : أنه قال : يروى ذلك عن أبي عوانة ، عن مغيرة ، عنه .

= قال الحارث ، قال القاسم : يذهب إبراهيم إلى أن أصل « الشَّعَف » ، هو الذعر . قال : وكذلك هو كما قال إبراهيم في الأصل . إلا أن العرب ربما استعارت الكلمة فوضعتها في غير موضعها ، قال امرؤ القيس :

أَتَقْتُلُنِي وَقَدْ شَعَفْتُ فُؤَادَهَا كَمَا شَعَفَ المَهْنُوءَةَ الرَّجُلُ الطَّالِي[1] ١١٩/١٢

قال : و « شعف المرأة » من الحبّ ، و « شعف المهنوءة » من الذعر ، فشبه لوعة الحب وجَوَاه بذلك .

* * *

وقال ابن زيد في ذلك ما :—

١٩١٦٣ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « قد شغفها حبًّا » ، قال : إنّ « الشغف » و « الشعف » ، مختلفان ،

(١) ديوانه : ١٤٢ ، واللسان « شعف » ، وغيرها ، من قصيدة البارعة ، يقول وقد ذكر صاحبته وبعلها :

فَأَصْبَحْتُ مَعْشُوقًا وَأَصْبَحَ بَعْلُها عَلَيْهِ القَتَامُ سَيِّءَ الظَّنِّ وَالبالِ
يَغُطُّ غَطِيطَ البَكْرِ شُدَّ خِناقُهُ لِيَقْتُلَنِي ، والمَرْءُ لَيْسَ بِقَتَّالِ
أَيَقْتُلَنِي والمَشْرَفِيُّ مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيابِ أَغْوَالِ
ولَيْسَ بِذِي رُمْحٍ فَيَطْعُنَنِي بِهِ وَلَيْسَ بِذِي سَيْفٍ ، ولَيْسَ بِنَبَّالِ
أَيَقْتُلَنِي أَنِّي شَعَفْتُ فُؤَادَها . . . . . .
وَقَدْ عَلِمَتْ سَلْمَى ، وإنْ كانَ بَعْلَها بِأَنَّ الفَتَى يَهْذِي ولَيْسَ بِفَعَّالِ

و « الشعف » ، فى البغض = و « الشغف » ، فى الحب .

* * *

= وهذا الذى قاله ابن زيد لا معنى له، لأن « الشعف » فى كلام العرب بمعنى عموم الحب ، أشهرُ من أن يجهله ذو علم بكلامهم

* * *

قال أبو جعفر : والصواب فى ذلك عندنا من القراءة : ﴿ قَدْ شَغَفَهَا ﴾ بالغين ، لإجماع الحجة من القرأة عليه .

* * *

وقوله : « إنا لنراها فى ضلال مبين »، قلن : إنا لنرى امرأة العزيز فى مراودتها فتاها عن نفسه، وغلبة حبه عليها، لفى خطأ من الفعل، وجَوْر عن قصد السبيل = « مبين » ، لمن تأمله وعلمه أنه ضلال ، وخطأ غير صواب ولا سَداد .(١) وإنما كان قيلهنّ ما قلن من ذلك، وتحدُّثهن بما تحدَّثن به من شأنها وشأن يوسف، مكرًا منهن ، فيما ذكر، لتريَهُنّ يوسف .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ (٣١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فلما سمعت امرأة العزيز بمكر النسوة اللاتى قلن فى المدينة ما ذكره الله عز وجل عنهن =

* * *

(١) انظر تفسير « الضلال » و « مبين » فيما سلف من فهارس اللغة (ضلل) ، (بين) .
(٢) انظر تفسير « المكر » فيما سلف ١٥ : ٤٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

وكان مكرهنّ ما : —

١٩١٦٤ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو بن محمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : «فلما سمعت بمكرهن » ، يقول : بقولهن .

١٩١٦٥ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : لما أظهر النساء ذلك، من قولهن : « تراود عبدها! » ، مكرًا بها لتريهن يوسف ، وكان يوصف لهن بحُسنه وجماله، «فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكأ».

١٩١٦٦ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فلما سمعت بمكرهن » ، أى بحديثهن = « أرسلت إليهن » ، يقول : أرسلت إلى النسوة اللاتى تحدثن بشأنها وشأن يوسف .

* * *

و «أعتدت » ، «أفعلت» من « العتاد »، وهو العدّة،(١) ومعناه : أعدّت لهن = « متكأ » ، يعنى : مجلسًا للطعام ، وما يتكئن عليه من النمارق والوسائد :

* * *

= وهو« مفتعل » ، من قول القائل : « اتّكأت » ، يقال: « ألق له مُتّكأ »، يعنى : ما يتكىء عليه .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٩١٦٧ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن اليمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد : « وأعتدت لهن متكأ » ، قال : طعامًا وشرابًا ومتكأ .

١٩١٦٨ — . . . . قال، حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدى : « وأعتدت لهن متكأ » ، قال : يتكئن عليه .

---

(١) انظر تفسير « أعتد » فيما سلف ٨ : ١٠٣ ، ٩/٣٥٥ : ٣٥٣ ، ٣٩٢ .

١٩١٦٩ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « وأعتدت لهن متكأ » ، قال : مجلسًا .

١٩١٧٠ – . . . . قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن أبي الأشهب ، عن الحسن أنه كان يقرأ : ﴿ مُتَّكَآءً ﴾ ويقول : هو المجلس والطعام .(١)

١٩١٧١ – . . . . قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن يزيد : من قرأ : ﴿مُتْكَأً﴾ ، خفيفة ، يعني : طعامًا . ومن قرأ ، ﴿ مُتَّكَأً ﴾ ، يعني : المتكأ .

* * *

فهذا الذي ذكرنا عمن ذكرنا عنه تأويل هذه الكلمة ، هو معنى الكلمة ، وتأويل « المتكأ » ، وأنها أعدّت للنسوة مجلسًا فيه متكأ وطعام وشراب وأترج . ثم فسر بعضهم « المتكأ » ، بأنه الطعام ، على وجه الخبر عن الذي أعدّ من أجله المتكأ = وبعضهم عن الخبر عن الأترج ، إذ كان في الكلام : « وآتت كل واحدة منهن سكينًا » ، لأن السكين إنما تعد للأترج وما أشبهه مما يقطع به = وبعضهم على البزماورد .

١٩١٧٢ – حدثني هرون بن حاتم المقرىء قال ، حدثنا هشيم بن الزبرقان ، عن أبي روق ، عن الضحاك في قوله : « وأعتدت لهن متكأ » ، قال : البزماورد .

* * *

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى : « المتكأ » ، هو النُّمْرُق يتكأ عليه . وقال : زعم قوم أنه الأترج . قال : وهذا أبطل باطل في الأرض ، ولكن عسى أن يكون مع « المتكأ » ، أترج يأكلونه .(٢)

* * *

---

(١) قراءة الحسن بالمد ، آخره همز ، ذكر هذه القراءة ابن خالويه في شواذ القراءات ص : ٦٣ عن الحسن ، وذكرها أبو حيان في تفسيره ٥ : ٣٠٢ ، ونسبها إلى الحسن وابن هرمز ، وقال : « بالمد والهمز . وهي مفتعل ، من الاتكاء ، إلا أنه أشبع الفتحة فتولدت منها الألف كما قالوا » :

وَأَنْتَ مِنَ الغَوَائِلِ حَيْثُ تُرْمَى ... وَمِنْ ذَمِّ الرِّجالِ بِمُنْتَزَاحِ

أي : بمنتزح ، فأشبع .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٣٠٩ .

وحكى أبو عبيد القاسم بن سلام قول أبي عبيدة ثم قال : والفقهاء أعلم بالتأويل منه . ثم قال : ولعله بعضُ ما ذهَبَ من كلام العرب ، فإنّ الكسائي كان يقول : قد ذهب من كلام العرب شيء كثيرٌ انقرض أهله . ١٢٠/١٢

* * *

قال أبو جعفر : والقول في أن الفقهاء أعلم بالتأويل من أبي عبيدة ، كما قال أبو عبيد لاشك فيه ، غير أن أبا عبيدة لم يُبْعد من الصواب في هذا القول ، بل القول كما قال : من أن من قال للمتكأ : هو الأترج ، إنما بيّن المعدّ في المجلس الذي فيه المتكأ ، والذي من أجله أعطين السكاكين ، لأن السكاكين معلومٌ أنها لا تعدُّ للمتكأ إلا لتخريقه ![1] ولم يعطين السكاكين لذلك .

* * *

ومما يبين صحة ذلك القول الذي ذكرناه عن ابن عباس من أن « المتكأ » ، هو المجلس ، ثم رُوي عن مجاهد عنه ، ما :—

١٩١٧٣ — حدثني به سليمان بن عبد الجبار قال، حدثنا محمد بن الصلت قال ، حدثنا أبو كدينة ، عن حصين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : « وأعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينًا » ، قال : أعطتهن أترجًّا ، وأعطت كل واحدة منهن سكّينًا .

* * *

فبيّن ابن عباس ، في رواية مجاهد هذه ، ما أعطت النسوة ، وأعرض عن ذكر بيان معنى « المتكأ » ، إذ كان معلومًا معناه .

* * *

* ذكر من قال في تأويل « المتكأ » ما ذكرنا :

١٩١٧٤ — حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي قال ، حدثنا فضيل بن عياض ، عن حصين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : « واعتدت لهن متكأ » ، قال : التُّرُنْج .

١٩١٧٥ — حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، حدثنا هشيم ،

---

(١) يقول : إلا إذا أعطين السكاكين لكي يمزقن النمارق والوسائد ، وهي المتكأ .

عن عوف قال ، حدثت عن ابن عباس أنه كان يقرؤها : ﴿ مُتْكاً ﴾ مخففة ، ويقول : هو الأترُجّ .

١٩١٧٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية : « وأعتدت لهن متكأ » ، قال : الطعام .

١٩١٧٧ – حدثني يعقوب والحسن بن محمد قالا ، حدثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن في قوله : « وأعتدت لهن متكأ » ، قال : طعامًا .

١٩١٧٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، مثله .

١٩١٧٩ – حدثنا ابن بشار ، وابن وكيع قالا ، حدثنا غندر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير في قوله : « وأعتدت لهن مُتَّكأ » ، قال: طعامًا .

١٩١٨٠ – حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا وهب بن جرير قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، نحوه .

١٩١٨١ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد قال : من قرأ: ﴿ مُتَّكَأً ﴾ ، فهو الطعام، ومن قرأها ﴿ مُتْكاً ﴾ ، فخففها ، فهو الأترجّ .

١٩١٨٢ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « متكأ » ، قال : طعامًا .

١٩١٨٣ – حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا شبابة قال ، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد، مثله .

١٩١٨٤ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد=

١٩١٨٥ – وحدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله

١٩١٨٦ – حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا أبو خالد القرشي قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد قال: من قرأ: ﴿ مُتْـكاً ﴾، خفيفة ، فهو الأترجّ .

١٩١٨٧ – حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، بنحوه .

١٩١٨٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن ليث قال : سمعت بعضهم يقول: الأترج .

١٩١٨٩ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وأعتدت لهن متكأ » ، أي طعامًا .

١٩١٩٠ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

١٩١٩١ – . . . . قال، حدثنا يزيد ، عن أبي رجاء ، عن عكرمة في قوله : « متكأ » ، قال : طعامًا .

١٩١٩٢ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس: ﴿ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتْـكاً ﴾، يعني الأترج .

١٩١٩٣ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وأعتدت لهن متكأ » ، و « المتكأ » ، الطعام .

١٩١٩٤ – . . . . قال ، حدثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد : « وأعتدت لهن متكأ » ، قال : الطعام .

١٩١٩٥ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وأعتدت لهن متكأ » ، قال : طعامًا .

١٩١٩٦ – حدثت عن الحسين قال ،سمعت أبامعاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « مُتَّكأً » ، فهو كل شيء يحزّ بالسكين .

* * *

١٢١/١٢ قال أبو جعفر : قال الله تعالى ذكره ، مخبراً عن امرأة العزيز والنسوة اللاتي تحدّثن بشأنها في المدينة : « وآتت كل واحدة منهن سكينًا » ، يعني بذلك جل ثناؤه : وأعطت كل واحدة من النسوة اللاتي حضرنها ، سكينًا لتقطع به من الطعام ما تقطع به . وذلك ما ذكرت أنّها آتتهن : إما من الأترج ، وإما من البزماورد ، أو غير ذلك مما يقطع بالسكين ، كما : –

١٩١٩٧ –حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي : « وآتت كل واحدة منهن سكينًا » ، وأترجًّا يأكلنه .

١٩١٩٨ – حدثنا سليمان بن عبد الجبار قال : حدثنا محمد بن الصلت قال : حدثنا أبو كدينة ، عن حصين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : « وآتت كل واحدة منهن سكينًا » ، قال: أعطتهن أترجًّا ، وأعطت كل واحدة منهن سكينًا .

١٩١٩٩ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « وآتت كل واحدة منهن سكيناً » ، ليحترزن به من طعامهنّ .

١٩٢٠٠ – حدثني يونس عبد الأعلى قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وآتت كل واحدة منهن سكيناً » ، وأعطتهن تُرنجًا وعسلاً ، فكن يحززن الترنج بالسكين ، ويأكلن بالعسل .

* * *

قال أبو جعفر : وفي هذه الكلمة بيانُ صحة ما قلنا واخترنا في قوله :[1]

(١) في المطبوعة : « وأخبرنا في قوله » ، لم يحسن قراءة المخطوطة .

« وأعتدت لهن متكأ » . وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن إيتاء امرأة العزيز النسوةَ السكاكينَ ، وترك مالَه آتتهن السكاكين ، إذ كان معلوماً أن السكاكين لاتدفع إلى من دُعى إلى مجلس إلا لقطع ما يؤكل ، إذا قطع بها . فاستغنى بفهم السامع بذكر إيتائها صواحباتها السكاكين ، عن ذكر ماله آتتهن ذلك . فكذلك استغنى بذكر اعتدادها لهنّ المتكأ ، عن ذكر ما يعتدُّ له المتكأ مما يحضر المجالس من الأطعمة والأشربة والفواكه وصنوف الالتهاء ، لفهم السامعين بالمراد من ذلك ، ودلالةِ قوله : « وأعتدت لهن متكأ » ، عليه . فأما نفس « المتكأ » ، فهو ما وصفنا خاصةً دون غيره .

* * *

وقوله : « وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه » ، يقول تعالى ذكره : وقالت امرأة العزيز ليوسف : « اخرج عليهن » ، فخرج عليهن يوسف = « فلما رأينه أكبرنه » ، يقول جل ثناؤه : فلما رأين يوسف أعظمنه وأجللْنه .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويلِ .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٢٠١ — حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا شبابة قال ، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله : « أكبرنه » ، أعظمنه .

١٩٢٠٢ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٩٢٠٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح = قال وحدثنا إسحق قال ، حدثنا عبدالله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٩٢٠٤ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فلما رأينه أكبرنه » ، أى : أعظمنه .

١٩٢٠٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو بن محمد، عن أسباط، عن السدى : « وقالت اخرج عليهن » ، ليوسف= « فلما رأينه أكبرنه » ، عظَّمنه .

١٩٢٠٦ – حدثنا إسمعيل بن سيف العجلى قال، حدثنا على بن عابس قال ، سمعت السدى يقول فى قوله : « فلما رأينه أكبرنه » ، قال : أعظمنه .(١)

١٩٢٠٧ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « اخرج عليهن » ، فخرج ، فلما رأينه أعظمنه وبُهِتن .

١٩٢٠٨ – حدثنا إسمعيل بن سيف قال، حدثنا عبد الصمد بن على الهاشمى، عن أبيه ، عن جده فى قوله : « فلما رأينه أكبرنه » ، قال : حِضْن .(٢)

١٩٢٠٩ – حدثنا على بن داود قال، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس فى قوله : « فلما رأينه أكبرنه » ، يقول : أعظمنه .

١٩٢١٠ – حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا يحيى بن أبى زائدة ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا القول = أعنى القول الذى روى عن عبد الصمد ، عن أبيه ، عن جده ، فى معنى « أكبرنه » ، أنه حضن = إن لم يكن عَنَى به أنهن حضن من إجلالهن يوسف ، وإعظامهن لما كان الله قسم له من البهاء والجمال ، ولما يجد من مثل ذلك النساءُ عند معاينتهن إياه = فقولٌ لا معنى له . لأن

---

(١) الأثر : ١٩٢٠٦ – « إسماعيل بن سيف العجلى » ، شيخ برقم الطبرى مضى : ٣٨٤٣ ، وذكر أخى هناك أنه لم يجد له ترجمة، وظنه «إسماعيل بن سيف، أبو إسحق » ، بل قطع بذلك. والله أعلم.
و « على بن عابس الأسدى » ، ضعيف ، مضى برقم : ١١٢٣٣ .

(٢) الأثر : ١٩٢٠٨ – « إسماعيل بن سيف العجلى » ، انظر رقم : ١٩٢٠٦
و « عبد الصمد بن على بن عبد الله بن العباس الهاشمى » ، كان أميراً بمكة ، وذكره العقيلى فى الضعفاء . مترجم فى ميزان الاعتدال ٢ : ١٣٢ ، ولسان الميزان ٤ : ٢١ .

تأويل ذلك : فلما رأين يوسف أكبرنه ، فالهاء التي في « أكبرنه » ، من ذكر يوسف ، ولا شك أن من المحال أن يحضنَ يوسف. ولكن الخبر ، إن كان صحيحًا عن ابن عباس على ما روى ، فخليقٌ أن يكون كان معناه في ذلك : أنهن حضن لِمَا أكبرن من حسن يوسف وجماله في أنفسهن ، ووجدن ما يجد النساء من مثل ذلك . ١٢/١٢٢

* * *

وقد زعم بعض الرواة أن بعض الناس أنشده في « أكبرن » بمعنى : حضن ، بيتاً لا أحسب أنَّ له أصلاً ، لأنه ليس بالمعروف عند الرواة ، وذلك :

نَأْتِي النِّسَاءَ عَلَى أَطْهَارِهِنَّ وَلَا نَأْتِي النِّسَاءَ إِذَا أَكْبَرْنَ إِكْبَارَا(١)

وزعم أن معناه : إذا حضن .(٢)

* * *

وقوله : « وقطعن أيديهن » ، اختلف أهل التأويل في معنى ذلك .

فقال بعضهم : معناه : أنهن حززن بالسكين في أيديهن ، وهن يحسبن أنهن يقطعن الأترُجّ .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٢١١ — حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا شبابة قال ، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : « وقطعن أيديهن » ، حزًّا حزًّا بالسكين .

١٩٢١٢ — حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وقطعن أيديهن » ، قال : حزًّا حزًّا بالسكاكين .

---

(١) لسان العرب (كبر) .

(٢) ذكر أبو منصور الأزهري ، عن أبي الهيثم أنه قال : « سألت رجلا من طيء فقلت : يا أخا طيء ، ألك زوجة ؟ قال : لا والله ما تزوجت ، وقد وعدت في ابنة عم لي . قلت : ما سنها ؟ قال : قد أكبرت = أو : كبرت = قلت : ما أكبرت ؟ قال : حاضت » . قال : الأزهري : « وإن صحت هذه اللفظة في اللغة بمعنى الحيض ، فلها مخرج حسن . وذلك أن المرأة أول ما تحيض فقد خرجت من حد الصغر إلى حد الكبر ، فقيل لها : أكبرت ، أي : حاضت فدخلت في حد الكبر الموجب عليها الأمر والنهي .

١٩٢١٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد =

١٩٢١٤ – ... قال، وحدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وقطعن أيديهن»، قال : حزًّا حزًّا بالسكين .

١٩٢١٥ – حدثنا ابن وكيع قال،حدثنا عمرو بن محمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « وقطعن أيديهن » ، قال : جعل النسوة يحززن أيديهن ، يحسبن أنهن يقطعن الأترج .

١٩٢١٦ – حدثنا إسمعيل بن سيف قال ،حدثناعلى بن عابس قال ، سمعت السدى يقول: كانت فى أيديهن سكاكين مع الأترج ، فقطعن أيديهنّ وسالت الدماء ، فقلن : نحن نلومك على حُبّ هذا الرجل ، ونحن قد قطعنا أيدينا وسالت الدماء !

١٩٢١٧ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : جعلن يحززن أيديهن بالسكين ، ولا يحسبن إلاّ أنهن يحززن الترنج ، قد ذهبت عقولهن مما رأين !

١٩٢١٨ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وقطعن أيديهن » ، وحززن أيديهن .

١٩٢١٩ – حدثني سليمان بن عبد الجبار قال ، حدثنا محمد بن الصلت قال ، حدثنا أبو كدينة ، عن حصين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : جعلن يقطعن أيديهن ، وهن يحسبن أنهن يقطعن الأترج .

١٩٢٢٠ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « وقطعن أيديهن » ، قال : جعلن يحززن أيديهن ولا يشعرن بذلك .

١٩٢٢١ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال: قالت ليوسف: « اخرج عليهن »، فخرج عليهن= « فلما رأينه أكبرنه »، وغلبت عقولهن عجبًا حين رأينه ، فجعلن يقطعن أيديهن بالسكاكين التى معهن ، ما يعقلن شيئاً مما يصنعن = « وقلن حاش لله ما هذا بشراً » .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنهن قطعن أيديهن حتى أبنَّها ، وهن لا يشعرن .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٢٢٢ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : قطعن أيديهن حتى ألقينَها .

١٩٢٢٣ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : « وقطعن أيديهن » ، قال : قطعن أيديهن حتى ألقينها .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله أخبر عنهن أنهن قطَّعن أيديهن وهن لا يشعرن لإعظام يوسف ، وجائز أن يكون ذلك قطعًا بإبانة = وجائز أن يكون كان قطع حزّ وخدش = ولا قول فى ذلك أصوب من التسليم لظاهر التنزيل .

* * *

١٩٢٢٤ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن ، قال ، حدثنا سفيان ، عن أبى إسحق ، عن أبى الأحوص ، عن عبد الله قال: أعطى يوسف وأمه ثلث الحسن .(١)

---

(١) الآثار ١٩٢٢٤ – ١٩٢٢٧ – حديث موقوف صحيح الإسناد ، خرجه السيوطى فى الدر المنثور ٤ : ١٧ من طرق وبألفاظ مختلفة ، وخرجه الهيثمى بهذا اللفظ ، فى مجمع الزوائد ٨ : ٢٠٣ ، وبغير هذا اللفظ مطولا . وقال : « رواه الطبرانى موقوفاً ، ورجاله رجال الصحيح » ثم ذكر هذا

١٩٢٢٥ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحق، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، مثله .

١٩٢٢٦ – . . . وبه ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله قال : قسم ليوسف وأمه ثلث الحسن .

١٢/٣٢١ ١٩٢٢٧ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي = ، عن سفيان ، عن أبي إسحق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله قال : أعطى يوسف وأمه ثلث حسن الخلق .

١٩٢٢٨ – حدثني أحمد بن ثابت، وعبد الله بن محمد الرازيّان، قالا ، حدثنا عفان قال ، أخبرنا حماد بن سلمة قال ، أخبرنا ثابت ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أعطى يوسف وأمه شَطْرَ الحسن[1] .

١٩٢٢٩ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن أبي معاذ ، عن يونس ، عن الحسن : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أعطى يوسف وأمه ثلث

المختصر ، فقال : رواه الطبراني ، والظاهر أنه وهم » . وذلك أن نص الأول المطول : « أعطى يوسف وأمه ثلثي حسن الناس » .

(١) الأثر : ١٩٢٢٨ – « أحمد بن ثابت بن عتاب الرازي » ، « فرخويه » ، شيخ الطبري كذاب ، ومضى برقم : ٢٠٥٥ .

و « عبد الله بن محمد الرازي » ، شيخ الطبري ، لم أعرفه ، وفي التاريخ : « حدثني عبد الله بن محمد ، وأحمد بن ثابت الشيان . . . » ، ولا أدري ما هذا ؟

و « عفان » ، هو « عفان بن مسلم الصفار » ، ثقة من شيوخ أحمد والبخاري ، مضى برقم : ٥٣٩٢ ، أخرج له الجماعة .

و « حماد بن سلمة » ، ثقة ، مضى مراراً .

و « ثابت » هو « ثابت بن أسلم البناني » تابعي ثقة ، مضى مراراً .

وهذا خبر صحيح الإسناد ، ولا يضره كذب « أحمد بن ثابت » ، فالثقات قد رووه ، رواه أحمد في مسنده ٣ : ٢٨٦ ، عن عفان نفسه ، بهذا اللفظ .

ورواه الحاكم في المستدرك ٢ : ٥٧٠ ، من طريق محمد بن إسحاق الصغاني ، ومحمد بن غالب بن حرب ، وإسحاق بن الحسن بن ميمون ، جميعاً عن عفان بن مسلم بمثله ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبي .

ورواه الطبري في تاريخه من هذا الطريق نفسه ١ ١٧٣ .

حُسن أهل الدنيا ، وأعطى الناس الثلثين = أو قال : أعطى يوسف وأمه الثلثين ، وأعطى الناس الثلث .

١٩٢٣٠ –حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي =، عن سفيان، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ربيعة الجرشي قال : قسم الحسن نصفين ، فأعطى يوسف وأمه سارة نصف الحسن ، والنصف الآخر بين سائر الخلق .

١٩٢٣١ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا أبو أحمد الزبيري قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد، عن ربيعة الجرشي قال : قسم الحسن نصفين ، فقسم ليوسف وأمه النصف ، والنصف لسائر الناس .

١٩٢٣٢ –حدثنا ابن وكيع ، وابن حميد قالا ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ربيعة الجرشي قال : قسم الحسن نصفين ، فجعل ليوسف وسارَة النصف، وجعل لسائر الخلق نصف .(١)

١٩٢٣٣ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عيسى بن يزيد ، عن الحسن : أعطى يوسف وأمه ثلث حسن الدنيا ، وأعطى الناس الثلثين .

* * *

وقوله : « وقلن حاش الله » ، اختلفت القرأة في قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة الكوفيين : ﴿ حَاشَ لِلّٰهِ ﴾ بفتح الشين وحذف الياء .

* * *

وقرأه بعض البصريين ، بإثبات الياء: ﴿ حَاشَيَ لِلّٰهِ ﴾ .

* * *

---

(١) الآثار : ١٩٢٣٠ – ١٩٢٣٢ – « ربيعة الجرشي » ، مختلف في اسم أبيه ، وفي صحبته . فقيل في اسم أبيه « ربيعة بن عمرو » ، و « ربيعة بن الغاز » ، انظر ترجمته في الإصابة ، والكبير للبخاري ٢/١/٢٥٦ ، وابن أبي حاتم ١/٢/٤٧٢ ، وابن سعد في الطبقات ٧/٢/١٥٠ ، وقال : « وفي بعض الحديث أنه صحب النبي صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه ، قال : وكان ثقة ، وقتل يوم مرج راهط في ذي الحجة سنة ٦٤ » .

وفيه لغات لم يقرأ بها : ﴿ حَاشَى أللهِ ﴾ ، كما قال الشاعر :(١)

حَاشَى أَبِي ثَوْبَانِ إنَّ بِهِ ضَنًّا عَنِ المَلْحَاةِ وَالشَّتْمِ(٢)

* * *

وذكر عن ابن مسعود أنه كان يقرأ بهذه اللغة : ﴿حَشَى اللهَ﴾ و ﴿حَاشْ أللهَ﴾،(٣) بتسكين الشين والألف ، يجمع بين الساكنين .

* * *

وأما القراءة فإنما هي بإحدى اللغتين الأوليين : فمن قرأ : ﴿ حَاشَ لِلّهِ ﴾ ، بفتح الشين وإسقاط الياء ، فإنه أراد لغة من قال : « حاشى لله » ، بإثبات الياء ، ولكنه حذف الياء لكثرتها على ألسن العرب ، كما حذفت العرب الألف من قولهم : « لا أب لغيرك » ، و « لا أب لشانيك » ، وهم يعنون : « لا أبا لغيرك » . و « لا أبا لشانيك » .

* * *

---

(١) هو الجميح ، منقذ بن الطماح الأسدى ، ونسب لسبرة بن عمرو الأسدى .

(٢) المفضليات ٧١٨ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٣١٠ ، والخزانة ٢ : ١٥٠ ، والعينى (بهامش الخزانة) ٤ : ١٢٩ ، واللسان (حشى) فى موضعين ، بروايتين ، وهو من شعر له هجا فيه بنى رواحة بن قطيعة بن عبس ، ويستثنى منهم عمرو بن عبد الله أبا ثوبان ، يقول :

وَبَنُو رَوَاحَةَ يَنْظُرُونَ إذَا نَظَرَ النَّدِيُّ بِآنُفٍ خُثْمِ
حَاشَا أَبِي ثَوْبَانَ إنَّ أَبَا ثَوْبَانَ لَيْسَ بِبُكْمَةٍ فَدْمِ
عَمْرُو بنَ عَبْدِ اللهِ إنَّ بِهِ ضَنًّا عَنِ المَلْحَاةِ والشَّتْمِ

وخلط فى الشعر أبو عبيدة وغيره ، وفى المخطوطة « أبى ثروان » ، وفى اللسان فى أحد الموضعين « أبى مروان » ، كأنه نقل محرف عن رواية « ثروان » ، إن صحت ، رواه المفضل « حاشى أبا ثوبان » بالنصب .

و « الندى » المجلس ، وأراد أهله . و « الآنف » جمع « أنف » ، و « الخثم » جمع « أخثم » ، وهو الأنف العظيم الكثير اللحم ، ليس برقيق ولا أشم . وهو ذم .

و « البكة » ، الأبكم ، و « الفدم » العيى الثقيل الفهم . و « الملحاة » مصدر ميمى من « لحوت الرجل و لحيته » ، إذا ألححت عليه باللائمة ، وكأنه يعنى المشاغبة .

(٣) فى المطبوعة ، أسقط « حشى الله » ، وأثبتها منها .

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يزعم أن لقولهم : « حاشى لله » ، موضعين فى الكلام :

أحدهما : التنزيه .

والآخر : الاستثناء . وهو فى هذا الموضع عندنا بمعنى التنزيه لله، كأنه قيل : معاذ الله .

* * *

قال أبو جعفر : وأما القول فى قراءة ذلك . فإنه يقال : للقارئ الخيار فى قراءته بأى القراءتين شاء ، إن شاء بقراءة الكوفيين ، وإن شاء بقراءة البصريين ، وهو ﴿ حَاشَ لِلَّهِ ﴾ و ﴿ حَاشَى لِلَّهِ ﴾، لأنهما قراءتان مشهورتان، ولغتان معروفتان بمعنى واحد ، وما عدا ذلك فلغات لا تجوز القراءة بها ، لأنا لا نعلم قارئًا قرأ بها .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٢٣٤ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وقلن حاش لله » ، قال : معاذ الله .

١٩٢٣٥ — حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « حاش لله »، معاذ الله .

١٩٢٣٦ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، « وقلن حاش لله » ، معاذ الله .

١٩٢٣٧ — حدثنا الحسن بن محمد قال،حدثنا شبابة قال ، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله : « حاش لله » ، معاذ الله .

١٩٢٣٨ — . . . قال ، حدثنا عبد الوهاب ، عن عمرو ، عن الحسن : « حاش لله » ، معاذ الله .

١٩٢٣٩ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا يحيى ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

وقوله : « ما هذا بشرًا » ، يقول : قلن : « ما هذا بشرًا » ، لأنهن لم يرين في حسن صورته من البشر أحداً ، فقلن : لو كان من البشر ، لكان كبعض ما رأينا من صورة البشر ، ولكنه من الملائكة لا من البشر ، كما : –

١٩٢٤٠ – حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وقلن حاش لله ما هذا بشرًا » ، ما هكذا تكون البشر !

* * *

وبهذه القراءة قرأ عامة قرأة الأمصار . وقد : –

١٩٢٤١ – حدثت عن يحيى بن زياد الفراء قال ، حدثني دعامة بن رجاء التيمي = وكان غزّاء[1] = ، عن أبي الحويرث الحنفي : أنه قرأ : ﴿ مَا هَذَا بِشِرًى ﴾ ، أي : ما هذا بمشترى .[2] ١٢٤/١٠

* * *

= يريد بذلك أنهن أنكرن أن يكون مثلُه مستعبداً يشترى ويُبَاع .

* * *

قال أبو جعفر : وهذه القراءة لا أستجيز القراءة بها ، لإجماع قرأة الأمصار على خلافها . وقد بينا أن ما أجمعت عليه ، فغير جائز خلافُها فيه .

* * *

وأما نصب « البشر » ، فمن لغة أهل الحجاز ، إذا أسقطوا « الباء » من الخبر نصبوه ، فقالوا : « ما عمرو قائمًا » . وأما أهل نجد ، فإن من لغتهم رفعه ، يقولون : « ما عمرو قائم » ، ومنه قول بعضهم حيث يقول :[3]

---

(١) كان في المطبوعة : « غرا » ، والصواب ما أثبت ، وهو كذلك في معاني القرآن .
(٢) الأثر : ١٩٢٤١ – هو في معاني القرآن للفراء في تفسير الآية .
(٣) لم أعرف قائله .

لَشَتَّانَ مَا أَنْوِى وَيَنْوِى بَنُو أَبِي جَمِيعاً ، فَمَا هَذَانِ مُسْتَوِيَانِ (١)
تَمَنَّوْا لِيَ المَوْتَ الَّذِي يَشْعَبُ الفَتَى وَكُلُّ فَتًى وَالمَوْتُ يَلْتَقِيَانِ

وأما القرآن فجاء بالنصب فى كل ذلك . لأنه بلغة أهل الحجاز .

* * *

وقوله : « إن هذا إلا مَلَكٌ كريمٌ » ، يقول : قلن : ما هذا إلا ملك من الملائكة ، كما : —

١٩٢٤٢ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « إن هذا إلا ملك كريم » ، قال : قلن : ملك من الملائكة .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ (٣٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قالت امرأة العزيز للنسوة اللاتى قطعن أيديهن : فهذا الذى أصابكن فى رؤيتكن إياه ، وفى نظرة منكن نظرتن إليه ما أصابكن من ذهاب العقل وعزوب الفهم ولَهًا ، ألهتُنّ حتى قطعتن أيديكن ،(٢) هو الذى لمتننى فى حبى إياه ، وشغف فؤادى به ، فقلتنّ : قد شغف امرأة العزيز فتاها حبًّا ، إنا لنراها فى ضلال مبين ! ثم أقرّت لهن بأنها قد راودته عن نفسه ،

---

(١) رواهما الفراء فى معانى القرآن ، فى تفسير الآية .

(٢) فى المطبوعة : « وغروب الفهم ولها إليه حتى قطعتن . . » ، وأثبت الصواب من المخطوطة . و « عزوب الفهم » ، ذهابه . يقال : « عزب عنه حلمه يعزب عزوباً » ، ذهب . وقوله : « ألهتن » من « أله يأله ألهاً » ، إذا تحير ، وأصله « وله ، يوله ، ولهاً » ، بمعنى واحد ، وإنما قلبت الواو همزة .

وأنّ الذى تحدّثن به عنها فى أمره حق،[١] فقالت : « ولقد راودته عن نفسه فاستعصم » ، مما راودته عليه من ذلك[٢] ، كما :—

١٩٢٤٣ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدى : « قالت فذلكن الذى لمتننى فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم » ، تقول : بعد ما حلّ السراويل استعصى ، لا أدرى ما بَدَا له !

١٩٢٤٤ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فاستعصم » ، أى : فاستعصى .

١٩٢٤٥ — حدثنى على بن داود قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « فاستعصم » ، يقول : فامتنع .

* * *

وقوله : « ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكوناً من الصاغرين » ، تقول : ولئن لم يطاوعنى على ما أدعوه إليه من حاجتى إليه = « ليسجنن » ، تقول : ليحبسن[٣] = وليكوناً من أهل الصغار والذلة بالحبس والسجن ، ولأهينَنَّه[٤]

* * *

والوقف على قوله : « ليسجنن » ، بالنون ، لأنها مشددة ، كما قيل : ﴿لَيُبَطِّئَنَّ﴾ ، [سورة النساء ٧٢]

* * *

وأما قوله : « وليكونًا » ، فإن الوقف عليه بالألف ، لأنها النون الخفيفة ، وهى شبيهةُ نون الإعراب فى الأسماء فى قول القائل : « رأيت رجلاً عندك » ، فإذا وقف على « الرجل » قيل : « رأيت رجلا » فصارت النون ألفًا . فكذلك ذلك فى : « وليكونا » : ومثله قوله : ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ * نَاصِيَةٍ﴾ ، [سورة العلق : ١٥ ، ١٦] ، الوقف عليه بالألف لما ذكرت ، ومنه قول الأعشى :

---

(١) انظر تفسير « المراودة » فيما سلف ص : ٦٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك

(٢) انظر تفسير « العصمة » فيما سلف ١٥ : ٣٣١ ، تعليق ٢ : ، والمراجع هناك

(٣) انظر تفسير « السجن » فيما سلف ص : ٥٢ .

(٤) انظر تفسير « الصغار » فيما سلف ١٤ : ٢٠٠ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

وَصَلِّ عَلَى حِينِ العَشِيَّاتِ وَالضُّحَى وَلَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ وَاللهَ فَاعْبُدَا (١)

وإنما هو : « فاعبدن » ، ولكن إذا وقف عليه ، كان الوقف بالألف .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٣٣)

قال أبو جعفر : وهذا الخبر من الله ، يدلُّ على أن امرأة العزيز قد عاودت يوسف فى المراودة عن نفسه ، وتوعّدته بالسّجن والحبس إن لم يفعل ما دعته إليه ، فاختار السجن على ما دعته إليه من ذلك ، لأنها لو لم تكن عاودته وتوعّدته بذلك ، كان محالاً أن يقول : « ربّ السجن أحبُّ إلىّ مما يدعوننى إليه » ، وهو لا يدعَى إلى شىء ، ولا يخوَّف بحبس .

* * *

و « السجن » ، هو الحبس نفسه ، وهو بيت الحبْس .

* * *

وبكسر السين قرأه قرأة الأمصار كلها . والعرب تضع الأماكن المشتقة من الأفعال مواضع الأفعال ،(٢) فتقول : « طلعت الشمس مطلعًا ، وغربت مغربًا » ، ١٢٥/١٢

---

(١) ديوانه : ١٠٣ ، وغيره كثير ، قاله عند إقباله على الإسلام ، ثم مات ميتة جاهلية ، والخبر مشهور ، ورواية ديوانه :

وَذَا النُّصُبَ المَنْصُوبَ لَا تَنْسُكَنَّهُ وَلَا تَعْبُدِ الأَوْثَانَ وَاللهَ فَاعْبُدَا
وَصَلِّ عَلَى حِينِ العَشِيَّاتِ والضُّحَى وَلَا تَحْمَدِ الشَّيْطَانَ وَاللهَ فاحْمَدَا

وهى أجود الروايتين .

(٢) « الأفعال » يعنى « المصادر » ، وانظر ما سلف من فهارس المصطلحات .

فيجعلونها ، وهى أسماء ، خلفًا من المصادر . فكذلك « السجن » ، فإذا فتحت السين من « السَّجن » ، كان مصدراً صحيحًا .

* * *

وقد ذكر عن بعض المتقدمين أنه يقرأه : ﴿ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ ﴾ ، بفتح السين. ولا أستجيز القراءة بذلك ، لإجماع الحجة من القرأة على خلافها .

* * *

قال أبو جعفر : وتأويل الكلام : قال يوسف : يا رب ، الحبس فى السجن أحبُّ إلىّ مما يدعوننى إليه من معصيتك ، ويراودننى عليه من الفاحشة ، كما :—

١٩٢٤٦ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « قال رب السجن أحب إلىّ مما يدعوننى إليه » ، من الزنا .

١٩٢٤٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : قال يوسف ، وأضاف إلى ربه ، واستغاثه على ما نزل به[1] : « رب السجن أحب إلى مما يدعوننى إليه » ، أى : السجن أحبّ إلىّ من أن آتى ما تكره .

* * *

وقوله : « وإلا تصرف عنى كيدهن أصب اليهن » ، يقول : وإن لم تدفع عنى ، يا رب ، فعلهن الذى يفعلن بى ، فى مروادتهن إياى على أنفسهن [2] = « أصب إليهن » ، يقول : أمِلْ إليهن ، وأتابعهن على ما يُرِدن منى ويهوَيْن .

* * *

= من قول القائل : « صبَا فلان إلى كذا » ، ومنه قول الشاعر :[3]

* * *

---

(١) فى المخطوطة : « وأحاف إلى ربه واستغاثه » ، والصواب فى الأولى ما فى المطبوعة ، وفى المطبوعة « استعانه » ، فأثبت ما فى المخطوطة . « أضاف إلى ربه » ، خاف وأشفق ، فلجأ إليه مستجيراً به .

(٢) انظر تفسير « الصرف » فيما سلف ص : ٤٩ ، تعليق ١ : ، والمراجع هناك .

= وتفسير « الكيد » فيما سلف ص : ٦٠ ، تعليق ١ : ، والمراجع هناك .

(٣) هو يزيد بن ضبة الثقفى

إِلَى هِنْدٍ صَبَا قَلْبِي وَهِنْدٌ مِثْلُهَا يُصْبِي (١)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٢٤٨ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « أصب اليهن » ، يقول : أتابعهن .

١٩٢٤٩ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وإلا تصرف عنى كيدهن » ، أى : ما أتخوَّف منهن = « أصبُ اليهن » .

١٩٢٥٠ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وإلا تصرف عنى كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين » ، قال : إلا يكن منك أنت العون والمنعة ، لا يكن منّى ولا عندى .

* * *

وقوله : « وأكن من الجاهلين » ، يقول : وأكن بصبوتى إليهن ، من الذين جهلوا حقك ، وخالفوا أمرك ونهيك، (٢) كما :–

١٩٢٥١ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « وأكن من الجاهلين » ، أى : جاهلاً ، إذا ركبت معصيتك .

* * *

---

(١) الأغانى ٧ : ١٠٢ (دار الكتب) ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٣١١ ، من أبيات له هو مطلعها ، وبعده :

وَهِنْدٌ غَادَةٌ غَيْدَا ء مِنْ جُرْثُومَةِ غُلْبِ
وَمَا إِنْ وَجَدَ النَّاسُ مِنَ الأَدْوَاءِ كَالْحُبِّ

(٢) انظر تفسير « الجهل » فيما سلف ١٣ : ٣٣٢ ، تعليق : ١ ، ٢ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (٣٤)

قال أبو جعفر : إن قال قائل : وما وجه قوله : « فاستجاب له ربه » ، ولا مسألةَ تقدَّمت من يوسف لربّه . ولا دعا بصَرْف كيدهنَّ عنه ، وإنما أخبر ربَّه أن السجن أحب إليه من معصيته ؟

قيل : إن فى إخباره بذلك شكايةً منه إلى ربه مما لقى منهنَّ ، وفى قوله : « وإلا تصرف عنى كيدهن أصب إليهن » ، معنى دعاءٍ ومسألةٍ منه ربَّه صرفَ كيدهنَّ ، ولذلك قال الله تعالى ذكره : « فاستجاب له ربه » ، وذلك كقول القائل لآخر : « إن لا تزرنى أهنك » ، فيجيبه الآخر : « إذاً أزورك » ، لأن فى قوله : « إن لا تزرنى أهنك » ، معنى الأمر بالزيارة .

* * *

قال أبو جعفر : وتأويل الكلام : فاستجاب الله ليوسف دعاءه ، فصرف عنه ما أرادت منه امرأة العزيز وصواحباتها من معصية الله ، كما :—

١٩٢٥٢ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : «فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم » ، أى نجاه من أن يركب المعصية فيهن ، وقد نزل به بعض ما حذَر منهنَّ .

* * *

وقوله : « إنه هو السميع » ، دعاءَ يوسف حين دعاه بصرف كيد النسوة عنه ، ودعاءَ كل داع من خلقه = « العليم » ، بمطلبه وحاجته وما يصلحه ، وبحاجة جميع خلقه وما يُصْلحهم .(١)

* * *

(١) انظر تفسير « السميع » و « العليم » فيما سلف من فهارس اللغة (سمع) ، (علم) .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (٣٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ثم بدا للعزيز ، زوج المرأة التى راودت يوسف عن نفسه .

* * *

وقيل : « بدالهم » ، وهو واحد ، لأنه لم يذكر باسمه ويقصد بعينه ، وذلك نظير قوله : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ﴾ ، [سورة آل عمران : ١٧٣] ، وقيل : إن قائل ذلك كان واحداً .

* * *

وقيل معنى قوله : « ثم بدا لهم » ، فى الرأى الذى كانوا رأوه من ترك يوسف مطلقًا ، ورأوا أن يسجنوه من بعد ما رأوا الآيات ببراءته مما قذفته به امرأة العزيز .

* * *

وتلك « الآيات » ، كانت قدّ القميص من دُبُر ، وخمشًا فى الوجه ، وقَطْعَ أيديهن ، كما : —

١٩٢٥٣ — حدثنا أبو كريب قال حدثنا وكيع ، عن [نصر بن عوف] ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : «ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات » ، قال : كان من الآيات : قدٌّ فى القميص ، وخمشٌ فى الوجه . (١) ٢٦/١٢

١٩٢٥٤ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، وابن نمير ، عن [نصر] ، عن عكرمة ، مثله . (٢)

---

(١) الأثر : ١٩٢٥٣ — « نصر بن عوف » ، لم أجد فى الرواة من يسمى بذلك ، والذى عندى أنه « نضر بن عربى الباهلى » ، فهو الذى يروى عن عكرمة ، ويروى عنه وكيع ، وقد سلف مراراً وانظر رقم : ١٣٠٧ ، ٥٨٦٤ ، وسلف التحريف فى اسمه كثيراً .

(٢) الأثر : ١٩٢٥٤ — « نصر بن عوف » ، انظر التعليق السالف ، هو « نضر بن عربى » .

١٩٢٥٥ ــ حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا شبابة قال ، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات » ، قال : قدُّ القميص من دبر .

١٩٢٥٦ ــ حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: « من بعد ما رأوا الآيات »، قال: قدُّ القميص من دبر .

١٩٢٥٧ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد=

١٩٢٥٨ ــ . . . قال، وحدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٩٢٥٩ ــ حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « من بعد ما رأوا الآيات » ، قال : « الآيات » ، حزُّهن أيديهن ، وقدُّ القميص .

١٩٢٦٠ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : قدّ القميص من دبر .

١٩٢٦١ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه » ، ببراءته مما اتهم به ، من شق قميصه من دبر = « ليسجننه حتى حين » .

١٩٢٦٢ ــ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو، عن أسباط ، عن السدى: « من بعد ما رأوا الآيات » ، القميصُ ، وقطع الأيدى .

* * *

وقوله: « ليسجننه حتى حين »، يقول: ليسجننه إلى الوقت الذى يرون فيه رأيهم.[1]

* * *

(٣) انظر تفسير « الحين » فيما سلف ١ : ١٢/٥٤٠ : ٣٥٩

وجعل الله ذلك الحبس ليوسف ، فيما ذكر ، عقوبةً له من همّه بالمرأة ، وكفارة لخطيئته .

١٩٢٦٣ – حدثت عن يحيى بن أبى زائدة ، عن إسرائيل ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « ليسجننه حتى حين » ، عثر يوسف عليه السلام ثلاثَ عثرات : حين همّ بها فسجن . وحين قال : « اذكرنى عند ربك » ، فلبث فى السجن بضع سنين ، وأنساه الشيطان ذكر ربه . وقال لهم : « إنكم لسارقون » ، فقالوا : « إن يسرق فقد سرق أخٌ له من قبل » .

* * *

وذكر أن سبب حبسه فى السجن ، كان شكوى امرأة العزيز إلى زوجها أمرَه وأمرَها ، كما :–

١٩٢٦٤ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدى : « ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين » ، قال : قالت المرأة لزوجها : إن هذا العبدَ العبرانىَّ قد فضحنى فى الناس ، يعتذر إليهم ، ويخبرهم أنّى راودته عن نفسه ، ولست أطيق أن أعتذر بعذرى ، فإما أن تأذن لى فأخرج فأعتذر ، وإما أن تحبسه كما حبستَنى . فذلك قول الله : « ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين » .

* * *

وقد اختلف أهل العربية فى وجه دخول هذه « اللام » فى : « ليسجننه » .

فقال بعض البصريين : دخلت ههنا ، لأنه موضع يقع فيه « أىّ » ، فلما كان حرف الاستفهام يدخل فيه دخلته النون ، لأن النون تكون فى الاستفهام تقول : « بدا لهم أيّهم يأخذنّ » ، أى : استبان لهم .

* * *

وأنكر ذلك بعض أهل العربية فقال : هذا يمين ، وليس قوله : « هل تقومن » بيمين ، « ولتقومن » ، لا يكون إلا يمينًا .

* * *

وقال بعض نحويي الكوفة : « بدا لهم » بمعنى « القول » ، و « القول » يأتي بكل الكلام ، بالقسم وبالاستفهام ، فلذلك جاز : « بدا لهم قام زيد » ، « وبدا لهم ليقومن » .

* * *

وقيل : إن « الحين » في هذا الموضع ، معنيٌّ به سبع سنين .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٢٦٥ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا المحاربي ، عن داود ، عن عكرمة : « ليسجننه حتى حين » ، قال : سبع سنين .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ ٱلْأَخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (٣٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ودخل مع يوسف السجن فتيان = فدل بذلك على متروكٍ قد ترك من الكلام ، وهو : « ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين » ، فسجنوه وأدخلوه السجن = ودخل معه فتيان ، فاستغنى بدليل قوله : « ودخل معه السجن فتيان » ، على إدخالهم يوسف السجن ، من ذكره .

* * *

١٢/١٢٧ وكان الفتيان ، فيما ذكر ،[1] غلامين من غلمان ملك مصر الأكبر ، أحدهما صاحبُ شرابه ، والآخر صاحبُ طعامه ، كما : –

(١) انظر تفسير « الفتى » فيما سلف ٨ : ١٨٨ / ١٦ : ٦٢ .

١٩٢٦٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : فطرح فى السجن = يعنى يوسف = « ودخل معه السجن فتيان » ، غلامان كانا للملك الأكبر الرّيان بن الوليد ، كان أحدهما على شرابه ، والآخر على بعض أمره ، فى سَخْطَةٍ سخطها عليهما ، اسم أحدهما « مجلث » ، والآخر « نبو » ، و « نبو » ، الذى كان على الشراب .

١٩٢٦٧ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ودخل معه السجن فتيان » ، قال : كان أحدهما خبازًا للملك على طعامه ، وكان الآخر ساقِيه على شرابه .

* * *

وكان سبب حبس الملك الفتيين ، فيما ذكر ، ما : –

١٩٢٦٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو، عن أسباط ، عن السدى قال : إن الملك غضب على خبّازه ، بلغه أنه يريد أن يسمّه ، فحبسه وحبس صاحب شرابه ، ظنّ أنه مالأه على ذلك، فحبسهما جميعًا، فذلك قول الله : « ودخل معه السجن فتيان » .

* * *

وقوله : «قال أحدهما إنى أرانى أعصر خمرًا »، ذكر أن يوسف صلوات الله عليه لما أدخل السجن ، قال لمن فيه من المحبّسين ، وسألوه عن عمله : إنى أعبُرُ الرؤيا: فقال أحدالفتيين اللذين أدخلا معه السجن لصاحبه: تعال فلنجر به، كما: –

١٩٢٦٩ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدى قال : لما دخل يوسف السجن قال : أنا أعبُرُ الأحلام . فقال أحد الفتيين لصاحبه : هلمّ نجرّب هذا العبد العبرانىّ . فتراءَيَا له فسألاه،[1] من غير أن يكونا رأيا شيئًا ، فقال الخباز : إنى أرانى أحمل فوق رأسى خبزًا تأكل الطير

(١) فى المطبوعة : « فتراءى له » ، والصواب من المخطوطة ، والتاريخ .

منه ؟ وقال الآخر : إنى أرانى أعصر خمرًا ؟[1]

١٩٢٧٠ – حدثنا ابن وكيع ، وابن حميد قالا ، حدثنا جرير ، عن عمارة ابن القعقاع ، عن إبراهيم ، عن عبد الله قال : ما رأى صاحبا يوسف شيئًا ، إنما كانا تحالما ليجرِّبا علمه .

* * *

وقال قوم إنما سأله الفتَيان عن رؤيا كانا رأياها على صحةٍ وحقيقةٍ ، وعلى تصديق منهما ليوسف لعلمه بتعبيرها .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٢٧١ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : لما رأى الفتيان يوسف قالا : والله ، يا فتى ، لقد أحببناك حين رأيناك .

١٩٢٧٢ – . . . قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن عبد الله ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : أن يوسف قال لهم حين قالا له ذلك : أنشدكما الله أن لا تحبانى ، فوالله ما أحبنى أحدٌ قط إلا دخل علىَّ من حبه بلاء ، لقد أحبتنى عمتى فدخل علىّ من حبها بلاء ، ثم لقد أحبنى أبى فدخل علىّ بحبه بلاء ، ثم لقد أحبتنى زوجةُ صاحبى هذا ، فدخل علىَّ بحبها إياى بلاء ، فلا تحبانى بارك الله فيكما ! قال : فأبيا إلاّ حبه وإلفه حيث كان ، وجعلا يعجبهما ما يريان من فهمه وعقله . وقد كانا رأيا حين أدخلا السجن رؤيا ، فرأى « مجلث » أنه يحمل فوق رأسه خبزًا تأكل الطير منه . ورأى « نبو » أنه يعصر خمرًا ، فاستفتياه فيها ، وقالا له : « نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين » ، إن فعلت .

* * *

وعنى بقوله : « أعصر خمرًا » ، أى : إنى أرى فى نومى أنى أعصر عنبًا ، وكذلك ذلك فى قراءة ابن مسعود ، فيما ذكر عنه .

١٩٢٧٣ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن أبى سلمة الصائغ ، عن

---

(١) الأثر ١٩٢٦٩ – رواه أبو جعفر فى تاريخه ١ ١٧٦

إبراهيم بن بشير الأنصارى ، عن محمد بن الحنفية قال : فى قراءة ابن مسعود: ﴿ إِنِّى أَرَانِى أَعْصِرُ عِنَبًا ﴾ .(١)

* * *

وذكر أن ذلك من لغة أهل عمان ، وأنهم يسمون العنب خمرًا .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٢٧٤ – حدثت عن الحسين قال، سمعت أبا معاذ يقول ، حدثنا عبيد قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « إنى أرانى أعصر خمرًا » ، يقول : أعصر عنبًا ، وهو بلغة أهل عمان ، يسمون العنب « خمرًا » .

١٩٢٧٥ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى = ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك : « إنى أرانى أعصر خمرًا »، قال : عنبًا ، أرضُ كذا وكذا يدعُون العنب « خمرًا » .

١٩٢٧٦ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « إنى أرانى أعصر خمرًا » ، قال : عنبًا .

١٩٢٧٧ – حدثت عن المسيب بن شريك، عن أبى حمزة ، عن عكرمة قال : أتاه فقال : رأيت فيما يرى النائم أنى غرست حَبَلَة من عنب ،(٢) فنبتت فخرج فيه عناقيد ، فعصرتهن ثم سقيتهن الملك ؟ فقال : تمكث فى السجن ثلاثةَ أيام ، ثم تخرج فتسقيه خمرًا . ١٢٨/١٢

* * *

وقوله: «وقال الآخر إنى أرانى أحمل فوق رأسى خبزاً تأكل الطير منه نبئنا

---

(١) الأثر : ١٩٢٧٣ – « أبو سلمة الصائغ » هو « راشد ، أبو سلمة الصائغ الفزارى » ، روى عن الشعبى ، وزيد الأحمسى ، وغيرهما . مترجم فى الكبير ٢/١/٢٧٢ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٤٨٥ ، ولم يذكرا فيه جرحاً.

و « إبراهيم بن بشير الأنصارى » ، روى عن ابن الحنفية ، مترجم فى الكبير ١/١/٢٧٤ وابن أبى حاتم ١/١/٨٩ .

وهذا الخبر ، ذكره البخارى فى ترجمة « إبراهيم بن بشير » .

(٢) « الحبلة » (بفتح الحاء والباء) ، القضيب من شجر الأعناب ، يغرس فينبت .

بتأويله » ، يقول تعالى ذكره : وقال الآخر من الفتيين : إنى أرانى فى منامى أحمل فوق رأسى خبزًا ، يقول : أحمل على رأسى = فوضعت « فوق » مكان «على »[١]= « تأكل الطير منه » ، يعنى : من الخبز .

* * *

وقوله : « نبئنا بتأويله » ، يقول : أخبرنا بما يؤول إليه ما أخبرناك أنَّا رأيناه فى منامنا ، ويرجع إليه ، [٢] كما :—

١٩٢٧٨ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا القاسم قال ، حدثنا يزيد ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « نبئنا بتأويله » ، قال : به = قال الحارث ، قال أبو عبيد : يعنى مجاهد أن « تأويل الشىء » ، هو الشىء . قال : ومنه : « تأويل الرؤيا » ، إنما هو الشىء الذى تؤول إليه .

* * *

وقوله : « إنا نراك من المحسنين » ، اختلف أهل التأويل فى معنى « الإحسان » ، الذى وصف به الفتيان يوسف .[٣]

فقال بعضهم : هو أنه كان يعود مريضهم ، ويعزى حزينهم ، وإذا احتاج منهم إنسان جَمَعَ له .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٢٧٩ — حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا سعيد بن منصور قال ، حدثنا خلف بن خليفة ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك بن مزاحم قال : كنت جالسًا معه ببلخ ، فسئل عن قوله : « نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين » ، قال : قيل له : ما كان إحسان يوسف ؟ قال : كان إذا مرض إنسان قام عليه ، وإذا احتاج جمع له ، وإذا ضاق أوْسَعَ له .

---

(١) انظر تفسير « فوق » فيما سلف ١٣ : ٤٣٠ .

(٢) انظر تفسير « النبأ » فيما سلف من فهارس اللغة (نبأ) .

= وتفسير « التأويل » فيما سلف ص : ٢٠ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الإحسان » فيما سلف من فهارس اللغة (حسن) .

١٩٢٨٠ – حدثنا إسحق، عن أبى إسرائيل قال ، حدثنا خلف بن خليفة ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك قال : سأل رجل الضحاك ، عن قوله : « إنا نراك من المحسنين » ، ما كان إحسانه ؟ قال : كان إذا مرض إنسان فى السجن قامَ عليه ، وإذا احتاج جمع له ، وإذا ضاق عليه المكان وسَّع له .

١٩٢٨١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن أبى بكر بن عبد الله ، عن قتادة قوله : « إنا نراك من المحسنين » ، قال : بلغنا أن إحسانه أنه كان يداوى مريضهم ، ويعزِّى حزينهم ، ويجتهد لربه . وقال : لما انتهى يوسف إلى السجن وجد فيه قومًا قد انقطع رجاؤهم ، واشتد بلاؤهم فطال حزنهم ، فجعل يقول : أبشروا واصبروا تؤجَروا ، إنَّ لهذا أجراً ، إن لهذا ثوابًا . فقالوا : يا فتى ، بارك الله فيك ، ما أحسن وجهك ، وأحسن خلقك ، لقد بورك لنا فى جوارك ، ما نحبُّ أنَّا كنا فى غير هذا منذ حبسنا ، لما تخبرنا من الأجر والكفّارة والطَّهارة ، فمن أنت يا فتى ؟ قال : أنا يوسف ، ابن صفى الله يعقوب ، ابن ذبيح الله إسحق ابن إبراهيم خليل الله . وكانت عليه محبَّة . وقال له عامل السجن : يا فتى ، والله لو استطعت لخليَّت سبيلك ، ولكن سأحسن جِوارك ، وأحسن إسارك ، فكن فى أىِّ بيوت السجن شئت .

١٩٢٨٢ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع ، عن خلف الأشجعى ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك ، فى : « إنا نراك من المحسنين » ، قال : كان يوسع للرجل فى مجلسه ، ويتعاهد المرضى .

* * *

وقال آخرون : معناه : « إنا نراك من المحسنين » ، إذا نبأتنا بتأويل رؤيانا هذه .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٢٨٣ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : استفتياه فى رؤياهما ، وقالا له : « نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين » ، إن فعلت .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك عندنا بالصواب ، القول الذى ذكرناه عن الضحاك وقتادة .

* * *

فإن قال قائل : وما وجهُ الكلام إن كان الأمر إذاً كما قلت ، وقد علمت أن مسألتهما يوسف أن ينبئهما بتأويل رؤياهما ، ليست من الخبَر عن صفته بأنه يعود المريض ويقوم عليه ، ويحسن إلى من احتاج ، فى شىء . وإنما يقال للرجل « نبئنا بتأويل هذا فإنك عالم » ، وهذا من المواضع التى تحسن بالوصف بالعلم ، لا بغيره ؟

قيل : إن وجه ذلك أنهما قالا له : نبئنا بتأويل رؤيانا محسنًا إلينا فى إخبارك إيانا بذلك ، كما نراك تحسن فى سائر أفعالك : « إنا نراك من المحسنين » .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ (٣٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال يوسف للفتيين اللذين استعبراه الرؤيا : « لا يأتيكما » ، أيها الفتيان ، فى منامكما = « طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله » ، فى يقظتكما = « قبل أن يأتيكما » .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٢/١٢٩ ١٩٢٨٤ ــ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو عن أسباط ، عن السدى

قال : قال يوسف لهما : « لا يأتيكما طعام ترزقانه » ، فى النوم = « إلا نبأتكما بتأويله » ، فى اليقظة .

١٩٢٨٥ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : قال يوسف لهما: « لا يأتيكما طعام ترزقانه»، يقول: فى نومكما = « إلا نبأتكما بتأويله » .

* * *

ويعنى بقوله : « بتأويله » ، ما يؤول إليه ويصير ما رأيا فى منامهما من الطعام الذى رأيا أنه أتاهما فيه .

* * *

وقوله : « ذلكما مما علمنى ربى » ، يقول : هذا الذى أذكر أنى أعلمه من تعبير الرؤيا ، مما علمنى ربى فعلمته = « إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله » = وجاء الخبر مبتدأ ، أى تركت ملة قوم ، والمعنى : ما ملت . وإنما ابتدأ بذلك ، لأن فى الابتداء الدليل على معناه .

* * *

وقوله : « إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله » ، يقول : إنى برئت من ملة من لا يصدق بالله ويقرّ بوحدانيته[1] = « وهم بالآخرة هم كافرون » ، يقول : وهم مع تركهم الإيمان بوحدانية الله ، لا يقرّون بالمعاد والبعث ، ولا بثواب ولا عقاب .

* * *

= وكررت « هم » مرتين ، فقيل : « وهم بالآخرة هم كافرون » ، لما دخل بينهما قوله : « بالآخرة» ، فصارت «هم» الأولى كالملغاة ، وصار الاعتماد على الثانية ، كما قيل : ﴿ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [سورة النمل : ٢ / سورة لقمان : ٤] ، وكما قيل : ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ ﴾ [سورة المؤمنون : ٣٥]

* * *

---

(١) انظر تفسير « الملة » فيما سلف ١٢ : ٥٦١ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

فإن قال قائل : ما وجه هذا الخبر ومعناه من يوسف ؟ وأين جوابه الفتيين عما سألاه من تعبير رؤياهما ، من هذا الكلام ؟

قيل له : إن يوسف كره أن يجيبهما عن تأويل رؤياهما ، لما علم من مكروه ذلك على أحدهما ، فأعرض عن ذكره ، وأخذ فى غيره ، ليعرضا عن مسألته الجوابَ عما سألاه من ذلك .

* * *

وبنحو ذلك قال بعض أهل العلم .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٢٨٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج فى قوله : « إنى أرانى أعصر خمرًا وقال الآخر إنى أرانى أحمل فوق رأسى خبزًا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله » ، قال : فكره العبارة لهما ، وأخبرهما بشىء لم يسألاه عنه ، ليريهما أن عنده علمًا . وكان الملك إذا أراد قتل إنسان صنعَ له طعامًا معلومًا ، فأرسل به إليه ، فقال يوسف : « لا يأتيكما طعام ترزقانه » ، إلى قوله : « تشكرون » ، فلم يدَعاه ، فعدل بهما ، وكره العبارة لهما . فلم يدعاه حتى يعبر لهما ، فعدل بهما وقال : « ياصاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار » ، إلى قوله : « يعلمون » . فلم يدعاه حتى عبر لهما ، فقال : « يا صاحبى السجن أما أحدكما فيسقى ربه خمرًا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه » ، قالا : ما رأينا شيئًا ، إنما كنا نلعب ! قال : « قُضى الأمر الذى فيه تستفتيان » .

* * *

قال أبو جعفر : وعلى هذا التأويل الذى تأوله ابن جريج ، فقوله : « لايأتيكما طعام ترزقانه » ، فى اليقظة لا فى النوم ، وإنما أعلمهما على هذا القول أنّ عنده علم ما يؤول إليه أمر الطعام الذى يأتيهما من عند الملك ومن عند غيره ، لأنه قد علم النوعَ الذى إذا أتاهما كان علامةً لقتل من أتاه ذلك منهما ، والنوعَ الذى إذا أتاه كان علامة لغير ذلك ، فأخبرهما أنه عنده علم ذلك .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٣٨)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « واتبعت ملة آبائى إبراهيم وإسحق ويعقوب » ، واتبعت دينهم ، لا دين أهل الشرك = « ما كان لنا أن نشرك بالله من شىء » ، يقول : ما جازَ لنا أن نجعل لله شريكاً فى عبادته وطاعته ، بل الذى علينا إفراده بالألوُهة والعبادة = « ذلك من فضل الله علينا » ، يقول : اتباعى ملة آبائى إبراهيم وإسحق ويعقوب على الإسلام ، وتركى ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ، من فضل الله الذى تفضّلَ به علينا ، فأنعم إذ أكرمنا به = « وعلى الناس » ، يقول : وذلك أيضًا من فضل الله على الناس ، إذ أرسلنا إليهم دعاةً إلى توحيده وطاعته = « ولكن أكثر الناس لا يشكرون » ، يقول : ولكن من يكفر بالله لا يشكر ذلك من فضله عليه ، لأنه لا يعلم من أنعم به عليه ، ولا يعرف المتفضِّل به .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٢٨٧ — حدثنى على قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « ذلك من فضل الله علينا » ، أن جعلنا أنبياء = « وعلى الناس » ، يقول : أن بعثنا إليهم رسلاً .

١٩٢٨٨ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ١٢/١٣٠

قوله : « ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس » ، ذكر لنا أن أبا الدرداء كان يقول : يا رُبَّ شاكرِ نعمةِ غيرِ منعم عليه لا يدرى ، وربّ حامل فقه غيرِ فقيه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يَـٰصَـٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ (٣٩)

قال أبو جعفر : ذكر أن يوسف صلوات الله عليه قال هذا القول للفتيين اللذين دخلا معه السجن ، لأن أحدهما كان مشركًا ، فدعاه بهذا القول إلى الإسلام وترك عبادة الآلهة والأوثان ، فقال : « ياصاحبي السجن » ، يعنى : يامن هو فى السجن ، وجعلهما « صاحبيه » ، لكونهما فيه ، كما قال الله تعالى لسكان الجنة : ﴿ فَأُولَـٰئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ، وكذلك قال لأهل النار ، وسماهم « أصحابها » ، لكونهم فيها .(١)

* * *

وقوله : « أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار » ، يقول : أعبادة أرباب شتى متفرقين ، وآلهة لا تنفع ولا تضر ، خيرٌ أم عبادة المعبود الواحد الذى لا ثانى له فى قدرته وسلطانه ، الذى قهر كل شىء فذلله وسخره ، فأطاعه طوعًا وكرهًا .(٢)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٢٨٩ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة

---

(١) انظر تفسير « الصاحب » ، فيما سلف من فهارس اللغة (صحب) .

(٢) انظر تفسير « القهار » فيما سلف ١٣ : ٤٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

قوله : « يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون » إلى قوله : « لا يعلمون » ، لما عرف نبيُّ الله يوسف أن أحدهما مقتولٌ ، دعاهما إلى حظّهما من ربهما ، وإلى نصيبهما من آخرتهما .

١٩٢٩٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « يا صاحبي السجن » ، يوسفُ يقوله .

١٩٢٩١ – . . . قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٩٢٩٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : ثم دعاهما إلى الله وإلى الإسلام ، فقال : « ياصاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار » ، أي : خيرٌ أن تعبدوا إلهًا واحداً، أو آلهة متفرقة لا تغني عنكم شيئًا ؟

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٠)

قال أبو جعفر : يعني بقوله : « ما تعبدون من دونه » ، ما تعبدون من دون الله .

وقال : « ما تعبدون » وقد ابتدأ الخطاب بخطاب اثنين فقال : « يا صاحبي السجن » ، لأنه قصد المخاطب به ، ومن هو على الشرك بالله مقيمٌ من أهل مصر ، فقال للمخاطَب بذلك : ما تعبد أنتَ ومن هو على مثل ما أنت عليه من عبادة الأوثان = « إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم » ، وذلك تسميتهم أوثانهم آلهة أربابًا،

شركًا منهم ، وتشبيهًا لها فى أسمائها التى سمَّوها بها بالله ، تعالى عن أن يكون له مثل أو شبيه = « ما أنزل الله بها من سلطان » ، يقول : سموها بأسماء لم يأذن لهم بتسميتها ، ولا وضع لهم على أن تلك الأسماء أسماؤها ، دلالةً ولا حجةً ، ولكنها اختلاق منهم لها وافتراء .[1]

* * *

وقوله : « إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلاّ إياه » ، يقول : وهو الذى أمر ألا تعبدوا أنتم وجميعُ خلقه ، إلا الله الذى له الألوهة والعبادة خالصةً دون كل ما سواه من الأشياء ، كما : —

١٩٢٩٣ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية فى قوله : « إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه » ، قال : أسَّسَ الدين على الإخلاص لله وحده لا شريك له .

* * *

وقوله : « ذلك الدين القيم » ، يقول : هذا الذى دعوتكما إليه من البراءة من عبادة ما سوى الله من الأوثان ، وأن تخلصا العبادة لله الواحد القهار ، هو الدِّين القويم الذى لا اعوجاج فيه ، والحقُّ الذى لا شك فيه[3] = « ولكن أكثر الناس لا يعلمون » ، يقول : ولكن أهل الشرك بالله يجهلون ذلك ، فلا يعلمون حقيقته .

* * *

---

(١) انظر تفسير « السلطان » فيما سلف ١٥ : ٤٦٥ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٢) نظر تفسير « القيم » فيما سلف ١٤ : ٢٣٧ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يَـٰصَـٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا وَأَمَّا ٱلْأَخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۖ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ (٤١)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه ، مخبراً عن قيل يوسف للذين دخلا معه السجن : « ياصاحبي السجن أما أحدكما فيسقى ربه خمرًا » ، هو الذى رأى أنه يعصر خمرًا فيسقى ربَّه = يعنى سيده ، وهو ملكهم[1] = « خمرًا » ، يقول : يكون صاحب شرابه .

* * *

١٩٢٩٤ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « فيسقى ربه خمرًا » ، قال : سيده . ١٢/١٢١

* * *

= وأما الآخر ، وهو الذى رأى أن على رأسه خبزاً تأكل الطير منه = « فيصلب فتأكل الطير من رأسه » ، فذكر أنه لما عبَّر ما أخبراه به أنهما رأياه فى منامهما ، قالا له : ما رأينا شيئًا ! فقال لهما : « قضى الأمر الذى فيه تستفتيان » ، يقول : فُرغ من الأمر الذى فيه استفتيتما ،[2] ووجب حُكم الله عليكما بالذى أخبرتكما به .[3]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل العلم .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٢٩٥ — حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن عمارة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله قال : قال اللذان دخلا السجن

---

(١) انظر تفسير « الرب » فيما سلف ص : ٣٢ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « قضى » فيما سلف ١٥ : ١٥١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « الاستفتاء » فيما سلف ٩ : ٢٥٣ ، ٤٣٠

على يوسف : ما رأينا شيئًا ! فقال : « قضى الأمر الذى فيه تستفتيان » .

١٩٢٩٦ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى =، عن سفيان ، عن عمارة بن القعقاع ، عن إبراهيم ، عن عبد الله : « قضى الأمر الذى فيه تستفتيان » ، قال : لما قالا ما قالا ، أخبرهما ، فقالا : ما رأينا شيئًا ! فقال : « قضى الأمر الذى فيه تستفتيان » .

١٩٢٩٧ ــ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا محمد بن فضيل ، عن عمارة ، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله ، فى الفتيين اللذين أتيا يوسف والرؤيا، إنما كانا تحالما ليجرّباه، فلما أوّل رؤياهما قالا : إنما كنا نلعب ! قال : « قضى الأمر الذى فيه تستفتيان » .

١٩٢٩٨ ــ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن عمارة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله قال : ما رأى صاحبا يوسف شيئًا ، إنما كانا تحالما ليجرّبا علمه ، فقال أحدهما : إنى أرانى أعصر عنبًا ! وقال الآخر : إنى أرانى أحمل فوق رأسى خبزًا تأكل الطير منه ؟ « نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين » ، قال : « يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقى ربه خمرًا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه » . فلما عبّر ، قالا : ما رأينا شيئًا ! قال : « قضى الأمر الذى فيه تستفتيان » ، على ما عبّر يوسف .

١٩٢٩٩ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : قال لمجلث : أما أنت فتصلب فتأكل الطير من رأسك . وقال لنبو : أما أنت فتردُّ على عملك ، فيرضى عنك صاحبك ، « قضى الأمر الذى فيه تستفتيان » = أو كما قال .

١٩٣٠٠ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج قال، قال ابن جريج . . . . . فيه تستفتيان .[1]

---

(١) هذا خبر سقط منه شيء كثير ، فوضعت النقط مكان السقط .

١٩٣٠١ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : « قُضي الأمر الذي فيه تستفتيان » ، عند قولهما : ما رأينا رؤيا ، إنما كنا نلعب ! قال : قد وقعت الرؤيا على ما أوّلتُ.

١٩٣٠٢ – حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا شبابة قال ، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : « الذي فيه تستفتيان » ، فذكر مثله .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ (٤٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال يوسف للذي علم أنه ناج من صاحبيه اللذين استعبراه الرؤيا :[1] « اذكرني عند ربك » ، يقول : اذكرني عند سيدك ،[2] وأخبره بمظلمتي ، وأني محبوس بغير جُرْم ، كما : –

١٩٣٠٣ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال ، قال = يعني لنبو = « اذكرني عند ربك » ، أي : اذكر للملك الأعظم مظلمتي وحبسي في غير شيء ، قال : أفعل .

١٩٣٠٤ – حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « اذكرني عند ربك » ، قال : للذي نجا من صاحبي السجن ، يوسف يقول : اذكرني عند الملك .

---

(١) انظر تفسير « الظن » فيما سلف من فهارس اللغة (ظنن)

(٢) انظر تفسير « الرب » فيما سلف ص : ١٠٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

١٩٣٠٥ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

١٩٣٠٦ ــ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن جابر ، عن أسباط : « وقال للذى ظن أنه ناج منهما اذكرنى عند ربك » ، قال : عند ملك الأرض .

١٩٣٠٧ ــ حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « اذكرنى عند ربك » ، يعنى بذلك الملك .

١٩٣٠٨ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وقال للذى ظن أنه ناج منهما اذكرنى عند ربك »، الذى نجا من صاحبي السجن ، يقول يوسف : اذكرنى للملك . ١٢/١٣٢

١٩٣٠٩ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال أخبرنا العوّام بن حوشب ، عن إبراهيم التيمى : أنه لما انتهى به إلى باب السجن ، قال له صاحبٌ له : حاجتَك ، أوصنى بحاجتك ! قال : حاجتى أن تذكرنى عند ربّك = سوى الربِّ ، قال يوسف .(١)

* * *

وكان قتادة يوجّه معنى « الظن » ، فى هذا الموضع ، إلى « الظن » ، الذى هو خلاف اليقين .

١٩٣١٠ ــ حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وقال للذى ظن أنه ناج منهما اذكرنى عند ربك » ، وإنما عبارة الرؤيا بالظن ، فيحقُّ الله ما يشاءُ ويُبْطِل ما يشاء .

* * *

(١) فى المطبوعة : « أن تذكرنى عند ربك ، ينوى الرب الذى ملك يوسف » ، غير ما فى المخطوطة وأثبت ما فيها ، إلا أنه كان هنا : « أن تذكرنى عند رب » بغير كاف ، والصواب ما أثبت .

قال أبو جعفر : وهذا الذى قاله قتادة ، من أن عبارة الرؤيا ظن ، فإن ذلك كذلك من غير الأنبياء . فأما الأنبياء ، فغير جائز منها أن تخبر بخبر عن أمرٍ أنه كائنٌ ثم لا يكون ، أو أنه غير كائن ثم يكون ، مع شهادتها على حقيقةِ ما أخبرت عنه أنه كائن أو غير كائن ، لأن ذلك لو جاز عليها فى أخبارها ، لم يُؤمَن مثل ذلك فى كل أخبارِها . وإذا لم يؤمن ذلك فى أخبارها ، سقطت حُجَّتها على من أرسلت إليه . فإذ كان ذلك كذلك ، كان غير جائزٍ عليها أن تخبر بخبرٍ إلا وهو حق وصدق . فمعلومٌ ، إذ كان الأمر على ما وصفت ، أن يوسف لم يقطع الشهادة على ما أخبر الفتيين اللذين استعبراه أنه كائن ، فيقول لأحدهما : « أما أحدكما فيسقى ربه خمراً وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه» ، ثم يؤكد ذلك بقوله : « قضى الأمر الذى فيه تستفتيان » ، عند قولهما : « لم نر شيئًا » ، إلا وهو على يقين أن ما أخبرهما بحدوثه وكونه ، أنه كائن لا محالة لا شك فيه . وليقينه بكون ذلك ، قال للناجى منهما : « اذكرنى عند ربك » . فبيِّنٌ إذاً بذلك فسادُ القول الذى قاله قتادة فى معنى قوله : « وقال للذى ظن أنه ناج منهما » .

* * *

= وقوله : « فأنساه الشيطان ذكر ربه » ، وهذا خبرٌ من الله جل ثناؤه عن غفلةٍ عرَضت ليوسف من قبل الشيطان ، نسى لها ذكر ربه الذى لو به استغاث لأسرع بما هو فيه خلاصه ، ولكنه زلَّ بها فأطال من أجلها فى السجن حبسَه ، وأوجع لها عقوبته ، كما : —

١٩٣١١ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا جعفر ابن سليمان الضبعى ، عن بسطام بن مسلم ، عن مالك بن دينار قال : لما قال يوسف للساقى : « اذكرنى عند ربك » ، قال : قيل : يا يوسف ، اتخذت من دونى وكيلاً ؟ لأطيلن حبسك ! فبكى يوسف وقال : يا ربِّ ، أنسى قلبى كثرة البلوى ، فقلت كلمةً ، فويل لإخوتى .

١٩٣١٢ – حدثنا الحسن قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : : لولا أنه = يعني يوسف = قال الكلمة التي قال ، مالبث في السجن طول ما لبث .

١٩٣١٣ – حدثني يعقوب بن إبراهيم، وابن وكيع قالا ، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا يونس ، عن الحسن قال : قال نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم : رحم الله يوسف ، لولا كلمته ما لبث في السجن طولَ ما لبث = يعني قوله : « اذكرني عند ربك » ، قال : ثم يبكي الحسن فيقول : نحن إذا نزل بنا أمرٌ فزعنا إلى الناس .

١٩٣١٤ – حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن في قوله : « وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك » ، قال : ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : لولا كلمة يوسفُ ، مالبث في السجن طولَ ما لبث .

١٩٣١٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو بن محمد ، عن إبراهيم ابن يزيد ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : لو لم يقل يوسف = يعني الكلمة التي قال = ما لبث في السجن طول ما لبث = يعني حيث يبتغي الفرج من عند غير الله.[1]

١٩٣١٦ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قال : بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لو لم يستعن يوسف على ربّه ، ما لبث في السجن طول ما لبث .

---

(١) الأثر : ١٩٣١٥ – « إبراهيم بن يزيد الخوزي القرشي » ، متروك منكر الحديث ، ليس بثقة ، كان يتهم بالكذب . مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٧٣١٣ .

فهذا خبر ضعيف الإسناد جداً ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ٣٩ ، مطولا ، وقال : « رواه الطبراني، وفيه إبراهيم بن يزيد القرشي المكي ، وهو متروك » . ورواه الطبري في تاريخه ١ : ١٧٧ . أما سائر الأخبار قبله وبعده ، فهي مرسلة لا حجة في شيء منها .

١٩٣١٧ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : لولا أنّ يوسف استشفع على ربه ، ما لبث فى السجن طول ما لبث ، ولكن إنما عوقب باستشفاعه على ربّه.

١٩٣١٨ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : قال له : « اذكرنى عند ربك »، ١٢/١٣٣ قال : فلم يذكره حتى رأى الملك الرؤيا ، وذلك أن يوسف أنساه الشيطان ذكرَ ربه ، وأمره بذكر الملك وابتغاءِ الفرج من عنده ، فلبث فى السجن بضع سنين بقوله : « اذكرنى عند ربك » .

١٩٣١٩ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه = غير أنه قال : فلبث فى السجن بضع سنين ، عقوبةً لقوله : « اذكرنى عند ربك » .

١٩٣٢٠ – . . . قال ، حدثنا إسحق قال ،حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثل حديث محمد بن عمرو ، سواء .

١٩٣٢١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثل حديث المثنى ، عن أبى حذيفة .

* * *

وكان محمد بن إسحق يقول : إنما أنسى الشيطانُ الساقى ذكر أمر يوسف لملكهم .

١٩٣٢٢ – حدثنا ابن حميد قال ،حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : لما خرج = يعنى الذى ظنّ أنه ناج منهما = رُدّ على ما كان عليه ، ورضى عنه صاحبه ، فأنساه الشيطان ذكر ذلك للملك الذى أمره يوسف أن يذكره ، فلبث يوسف بعد ذلك فى السجن بضع سنين . يقول جل ثناؤه : فلبث يوسف فى السجن، لقيله للناجى من صاحبى السجن من القيل : « اذكرنى عند سيدك » ، بضع سنين ، عقوبةً له من الله بذلك .

* * *

واختلف أهل التأويل فى قدر « البضع » ، الذى لبث يوسف فى السجن .

فقال بعضهم : هو سبع سنين .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٣٢٣ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا محمد أبو عثمة قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : لبث يوسف فى السجن سبعَ سنين .(١)

١٩٣٢٤ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فلبث فى السجن بضع سنين » ، قال : سبع سنين .

١٩٣٢٥ – حدثنا الحسن قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا عمران أبو الهذيل الصنعانى قال : سمعت وهبًا يقول : أصاب أيُّوب البلاء سبع سنين ، وترك فى السجن يوسف سبع سنين ، وعذب بختنصر ، فحُوِّل فى السباع سبع سنين .(٢)

١٩٣٢٦ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : زعموا أنها = يعنى « البضع » = سبع سنين ، كما لبث يوسف .

* * *

وقال آخرون : « البضع » ، ما بين الثلاث إلى التسع .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٣٢٧ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا سليمان قال ، حدثنا أبو هلال

---

(١) الأثر : ١٩٣٢٣ – « محمد ، أبو عثمة » ، هو : « محمد بن خالد بن عثمة » ، سف مراراً ، آخرها رقم : ١٠١٤٢ ، ، وانظر رقم : ٥٣١٤ ، ٥٤٨٣ ، ورواية محمد بن بشار عنه، وروايته هو عن « سعيد بن بشير » ، عن قتادة .

(٢) الأثر : ١٩٣٢٥ – « عمران ، أبو الهذيل الصنعانى » ، هو : « عمران بن عبد الرحمن بن مرثد » ، « أبو الهذيل » ، ثقة ، سمع وهب بن منبه ، وزياد بن فيروز ، والقاسم بن تنخسره . مترجم فى ابن أبى حاتم ٣/١/٣٠١

وهذا الخبر رواه أبو جعفر فى تاريخه ١ : ١٧٧ ، وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « يجول فى السباع » والمخطوطة غير منقوطة . والصواب من التاريخ ، وعنى بقوله « حول فى السباع » ، أى : مسخ سبعاً من السباع .

قال : سمعت قتادة يقول : « البضع » ، ما بين الثلاث إلى التسع .

١٩٣٢٨ – حدثنا وكيع قال، حدثنا يحيى بن آدم ، عن إسرائيل ، عن منصور ، عن مجاهد : « بضع سنين » ، قال : ما بين الثلاث إلى التسع .

* * *

وقال آخرون : بل هو ما دون العشر .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٣٢٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، قال ابن عباس : « بضع سنين » ، دون العشرة .

* * *

وزعم الفراء أن « البضع » لا يذكر إلا مع « عشر » ومع « العشرين » إلى « التسعين » ، وهو « نَيِّفٌ » ما بين الثلاثة إلى التسعة .[1] وقال : كذلك رأيت العرب تفعل . ولا يقولون : « بضع ومئة » ولا « بضع وألف » . وإذا كانت للذكران قيل : « بضع » .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب في « البضع » ، من الثلاث إلى التسع ، إلى العشر ، ولا يكون دون الثلاث . وكذلك ما زاد على العقد إلى المئة ، وما زاد على المئة فلا يكون فيه « بضع » .

* * *

---

(١) الأثر : ١٩٣٢٧ – « ابن بشار » ، هو « محمد بن بشار » مضى مراراً . و « سلمان» هو « سليمان بن داود بن الجارود » ، أبو داود الطيالسي الإمام المشهور ، مضى مراراً .

و « أبو هلال » هو « محمد بن سليم الراسبي » ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٥٣٥١ .

وكان في المطبوعة والمخطوطة « سمعت أبا قتادة » ، وهو خطأ ، فإن أبا هلال الراسبي ، يروي عن « قتادة » .

(٢) هذه عبارة غير واضحة . وقد نقل صاحب اللسان عن ابن برى قال : « وحكى عن الفراء في قوله : « بضع سنين » ، أن « البضع » لا يذكر إلا مع العشر والعشرين إلى التسعين. ولا يقال فيما بعد ذلك = يعني أنه يقال : مئة ونيف » . اللسان (بضع)

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ (٤٣)

قال أبو جعفر : يعنى جل ذكره بقوله : وقال ملك مصر : إنى أرى فى المنام سبع بقرات سمانٍ يأكلهن سبعٌ من البقر عجاف.[١] وقال : « إنى أرى » ، ولم يذكر أنه رأى فى منامه ولا فى غيره ، لتعارف العرب بينها فى كلامها إذا قال القائل منهم : « أرى أنى أفعل كذا وكذا » ، أنه خبر عن رؤيته ذلك فى منامه ، وإن لم يذكر النوم . وأخرج الخبر جلّ ثناؤه على ما قد جرى به استعمال العرب ذلك بينهم .

* * *

= « وسبع سنبلات خضر » ، يقول : وأرى سبع سُنْبلات خضرٍ فى منامى = « وأخر » ، يقول : وسبعًا أخر من السنبل = « يابسات يا أيها الملأ » ،[٢] يقول : يا أيها الأشراف من رجالى وأصحابى[٣] = « أفتونى فى رؤياى » ، فاعبروها ، « إن كنتم للرؤيا » ، عَبَرَةً .[٤]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) لم يفسر « العجاف » فى هذه الآية ، وسيفسرها فيما بعد فى الآيات التالية .

(٢) انظر تفسير « السنبلة » فيما سلف ٥ : ٥١٢ - ٥١٥ .

(٣) انظر تفسير « الملأ » فيما سلف ١٥ : ٤٦٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٤) « عبرة » جمع « عابر » ، وهو الذى يعبر الرؤيا ، ويفسرها .

١٩٣٣٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدى قال : إن الله أرى الملك فى منامه رؤيا هالته ، فرأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ، وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات ، فجمع السحرة والكهنة والحُزَاة والقافة ،(١) فقصَّها عليهم، فقالوا : «أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين » .(٢) ١٢/١٣٤

١٩٣٣١ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال: ثم إن الملك الريان بن الوليد رأى رؤياه التى رأى فهالته ، وعرف أنها رؤيا واقعة ، ولم يدر ما تأويلها ، فقال للملأ حوله من أهل مملكته : « إنى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف » إلى قوله « بعالمين » .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ (٤٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال الملأ الذين سألهم ملك مصر عن تعبير رؤياه : رؤياك هذه « أضغاث أحلام »، يعنون: أنها أخلاطٌ ، رؤيا كاذبةٌ لا حقيقة لها .

* * *

= وهى جمع « ضغث » ، و« الضغث»، أصله الحزمة من الحشيش، يشبه بها الأحلام المختلطة التى لا تأويل لها = و«الأحلام » ، جمع « حلم » ، وهو ما لم

(١) « الحزاة » جمع « حاز » ، وهو المتكهن ، يحرز الأشياء ويقدرها بظنه ، ويقال للذى ينظر فى النجوم وأحكامها بظنه وتقديره ، فربما أصاب : « الحزاء » . وجاء فى تاريخ الطبرى « الحازة والقافة » ، كأنه جمع آخر على غير القياس . وفى جمعه أيضاً « الحوازى » .

و « القافة » جمع « قائف » ، وهو الذى يتتبع الآثار ويعرفها ، ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه .

(٢) الأثر : ١٩٣٣٠ – رواه أبو جعفر فى تاريخه ١ : ١٧٧ ، مطولا .

يصدق من الرؤيا . ومن « الأضْغَاث » قول ابن مقبل :

خَوْدٌ كَأَنَّ فِرَاشَهَا وُضِعَتْ بِهِ أَضْغَاثُ رَيْحَانٍ غَدَاةَ شَمَالِ (١)

ومنه قول الآخر : (٢)

يَحْمِي ذِمَارَ جَنِينٍ قَلَّ مَانِعُهُ طَاوٍ كَضِغْثِ الخَلَا فِي البَطْنِ مُكْتَمِنِ (٣)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٣٣٢ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله قال، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « أضغاث أحلام » ، يقول : مشتبهة .

١٩٣٣٣ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال، حدثنى عمى قال، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « أضغاث أحلام » ، كاذبة .

١٩٣٣٤ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : لما قصّ الملك رؤياه التى رأى على أصحابه، قالوا : « أضغاث أحلام » ، أى فعل الأحلام .

١٩٣٣٥ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « أضغاث أحلام » ، قال : أخلاط أحلام = « وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين » .

١٩٣٣٦ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو بن محمد، عن أبى مرزوق ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : « أضغاث أحلام » ، كاذبة .

---

(١) لم أجده فى غير هذا المكان . و « الخود » ، الفتاة الناعمة الشابة . و « الشمال » هى الريح المعروفة ، وهى باردة . وما أطيب ما وصف ابن مقبل ! وما أبصره !

(٢) لم أعرف قائله

(٣) هذا بيت لم أجده ، ولا أحسن تفسيره مفرداً .

١٩٣٣٧ - . . . قال ، حدثني المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك : « قالوا أضغاث » ، قال : كذب .

١٩٣٣٨ - حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « أضغاث أحلام » ، هي الأحلام الكاذبة .

* * *

وقوله : « وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين » ، يقول : وما نحن بما تؤول إليه الأحلام الكاذبة بعالمين .(١)

* * *

و« الباء » الأولى التي في « التأويل » من صلة « العالمين » ، والتي في « العالمين » « الباء » التي تدخل في الخبر مع « ما » التي بمعنى الجحد = ورفع « أضغاث أحلام » ، لأن معنى الكلام : ليس هذه الرؤيا بشيء ، إنما هي أضغاث أحلام .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤٦﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وقال الذي نجا من القتل ، من صاحبي السجن اللذين استعبرا يوسف الرؤيا = « وادّكر » ، يقول : وتذكر ما كان نسي من أمر يوسف ، وذِكْرَ حاجته للملك التي كان سأله عند تعبيره رؤياه أن يذكرها

---

(١) انظر تفسير « التأويل » فيما سلف ص : ٩٨ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

له بقوله : « اذكرني عند ربك»= « بعد أمة » ، يعني : بعد حين ، كالذي :—

١٩٣٣٩ — حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن عاصم، عن أبي رزين، عن ابن عباس: « وادّكر بعد أمة» ، قال : بعد حين .

١٩٣٤٠ — حدثنا أبو كريب قال،حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي = ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رزين ، عن ابن عباس ، مثله .

١٩٣٤١ — حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثوري ، عن عاصم ، عن أبي رزين ، عن ابن عباس ، مثله .

١٢/١٣٥ ١٩٣٤٢ — حدثنا أبوكريب قال ، حدثنا أبو بكر بن عياش : « وادّكر بعد أمة » ، بعد حين .

١٩٣٤٣ — حدثنا الحسن بن محمد قال،حدثنا عمرو بن محمد قال ، أخبرنا سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رزين قال : « وادّكر بعد أمة »، قال : بعد حين.

١٩٣٤٤ — حدثني المثنى قال، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رزين ، عن ابن عباس ، مثله .

١٩٣٤٥ — . . . . قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « وادّكر بعد أمة » ، يقول : بعد حين .

١٩٣٤٦ —حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وادّكر بعد أمة » ، قال : ذكر بعد حين .

١٩٣٤٧ — حدثنا بشر قال،حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن : « وادكر بعد أمة » ، بعد حين .

---

(١) انظر تفسير « الأمة » فيما سلف . . . ، تعليق : . . . ، والمراجع هناك .

١٩٣٤٨ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن الحسن ، مثله .

١٩٣٤٩ – حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا عفان قال ، حدثنا يزيد بن زريع قال ، حدثنا سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، مثله .

١٩٣٥٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وادّكر بعد أمة » ، بعد حين .

١٩٣٥١ – حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قال، قال ابن كثير : « بعد أمة » بعد حين= قال ابن جريج : وقال ابن عباس : « بعد أمة » ، بعد سنين .

١٩٣٥٢ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدى : « وادّكر بعد أمة » ، قال : بعد حين .

١٩٣٥٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا الحماني قال، حدثنا شريك ، عن سماك ، عن عكرمة : « وادّكر بعد أمة » ، أى : بعد حقبة من الدهر .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا التأويل على قراءة من قرأ: ﴿ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾، بضم الألف وتشديد الميم ، وهى قراءة القرأة فى أمصار الإسلام .

* * *

وقد روى عن جماعة من المتقدمين أنهم قرأوا ذلك: ﴿ بَعْدَ أَمَهٍ ﴾، بفتح الألف ، وتخفيف الميم وفتحها بمعنى : بعد نسيان .

* * *

وذكر بعضهم أن العرب تقول من ذلك : « أَمِهَ الرجل يأمَهُ أمَهًا» ، إذا نسى .

* * *

وكذلك تأوّله من قرأ ذلك كذلك .

• ذكر من قال ذلك :

١٩٣٥٤ ــ حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا عفان قال، حدثنا همام، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أنه كان يقرأ: ﴿ بَعْدَ أَمَهٍ ﴾، ويفسّرها، بعد نسيان .

١٩٣٥٥ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا بهز بن أسد ، عن همام ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أنه قرأ : ﴿بَعْدَ أَمَهٍ ﴾، يقول : بعد نسيان.

١٩٣٥٦ ــ حدثني أبو غسان مالك بن الخليل اليحمدى قال ، حدثنا ابن أبي عدى ، عن أبي هرون الغنوى ، عن عكرمة أنه قرأ : ﴿ بَعْدَ أَمَهٍ ﴾ ، و« الأمه »، النسيان .[1]

١٩٣٥٧ ــ حدثني يعقوب، وابن وكيع قالا ، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا أبو هرون الغنوى ، عن عكرمة ، مثله .

١٩٣٥٨ ــ حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا عبد الوهاب قال ، قال هرون ، وحدثني أبو هرون الغنوى، عن عكرمة: ﴿ بَعْدَ أَمَهٍ ﴾ ، بعد نسيان .

١٩٣٥٩ ــ . . . قال، حدثنا عبد الوهاب، عن سعيد ، عن قتادة ، عن عكرمة: ﴿ وَادَّكَرَ بَعْدَ أَمَهٍ ﴾ ، بعد نسيان .

١٩٣٦٠ ــ حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن ابن عباس : أى بعد نسيان .

١٩٣٦١ ــ حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة: ﴿ وَادَّكَرَ بَعْدَ أَمَهٍ ﴾ ، قال : من بعد نسيانه .

١٩٣٦٢ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو النعمان عارم قال ، حدثنا حماد

---

(١) الأثر : ١٩٣٥٦ ــ « مالك بن الخليل اليحمدى الأزدى »، « أبو غسان » ، شيخ الطبرى ، روى عنه النسائى وغيره ، مترجم فى التهذيب .

ابن زيد، عن عبد الكريم أبي أمية المعلم، عن مجاهد: أنه قرأ: ﴿وَادَّ كَرَ بَعْدَ أَمَهٍ﴾.

١٩٣٦٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو بن محمد، عن أبي مرزوق، عن جويبر، عن الضحاك: ﴿وَادَّ كَرَ بَعْدَ أَمَهٍ﴾، قال: بعد نسيان.

١٩٣٦٤ – حدثت عن حسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ يقول، حدثنا عبيد بن سليمان قال، سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَادَّ كَرَ بَعْدَ أَمَهٍ﴾، يقول: بعد نسيان.

* * *

وقد ذكر فيها قراءة ثالثة، وهي ما :–

١٩٣٦٥ – حدثني به المثنى قال، أخبرنا إسحق قال، حدثنا عبد الله بن الزبير، عن سفيان، عن حميد قال: قرأ مجاهد: ﴿وَادَّ كَرَ بَعْدَ أَمْهٍ﴾، مجزومة الميم مخففة.

* * *

وكأنّ قارئ ذلك كذلك أراد به المصدرَ من قولهم: «أمه يأمَهُ أمْهًا»، وتأويل هذه القراءة نظير تأويل من فتح الألف والميم.

* * *

وقوله: «أنا أنبئكم بتأويله»، يقول: أنا أخبركم بتأويله[1] = «فأرسلون»، يقول: فأطلقوني، أمضي لآتيكم بتأويله من عند العالم به.

* * *

وفي الكلام محذوف، قد ترك ذكره استغناء بما ظهر عما ترك، وذلك: ١٢/١٣٦
«فأرسلوه، فأتى يوسف فقال له»: يا يوسف، يا أيها الصديق،[2] كما :–

١٩٣٦٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال: قال الملك للملأ حوله: «إني أرى سبع بقرات سمان»، الآية، وقالوا له ما قال،

---

(١) انظر تفسير «النبأ» فيما سلف من فهارس اللغة
= وتفسيره «التأويل» فيما سلف ص: ١١٩، تعليق: ١، والمراجع هناك.
(٢) انظر تفسير «الصديق» فيما سلف ٨: ٥٣٠ – ١٠/٥٣٢: ٤٨٥.

وسمع نبو من ذلك ما سمع ومسألته عن تأويلها ،[1] ذكر يوسف وما كان عبّرَ له ولصاحبه ، وما جاء من ذلك على ما قال من قوله ، قال : « أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون » ، يقول الله : « وادّكر بعد أمة » ، أى حقبة من الدهر ، فأتاه فقال : يا يوسف ، إن الملك قد رأى كذا وكذا ، فقصّ عليه الرؤيا ، فقال فيها يوسف ما ذكر الله لنا فى الكتاب ، فجاءهم مثلَ فَلَق الصبح تأويلُها ، فخرج نبو من عند يوسف بما أفتاهم به من تأويل رؤيا الملك ، وأخبره بما قال .

* * *

وقيل : إن الذى نجا منهما إنما قال : « أرسلونى » ، لأن السجن لم يكن فى المدينة .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٣٦٧ ــ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي : « وقال الذي نجا منهما وادّكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون» ، قال ابن عباس : لم يكن السجن فى المدينة ، فانطلق الساقى إلى يوسف فقال : « أفتنا فى سبع بقرات سمان » ، الآيات .

* * *

قوله : «أفتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات» ، فإن معناه : أفتنا فى سبع بقرات سمان رُئين فى المنام ، يأكلهن سبعٌ منها عجاف = وفى سبع سنبلات خضر رئين أيضًا ، وسبع أخر منهن يابسات . فأما « السمان من البقر » ، فإنها السنون المخصبة ، كما :ــ

١٩٣٦٨ ــ حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « أفتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف » ، قال : أما السمان فسنون منها مخصبة ، وأما السبع العجاف ، فسنون مجدبة لا تنبت شيئًا .

١٩٣٦٩ ــ حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة :

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « سمع » بغير « واو » ، والصواب إثباتها

« أفتنا فى سبع بقرات سمان » ، فالسمان المخاصيب ، والبقرات العجاف هى السنون المحُول الجـُدُوب .

* * *

قوله : « وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات » ، أما « الخضر » ، فهن السنون المخاصيب ، وأمـّا « اليابسات » ، فهن الجـُدُوب المحول .

* * *

« والعِجاف » جمع « عَجِف » ، وهى المهازيل .

* * *

وقوله : « لعلى أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون » ، يقول : كى أرجع إلى الناس فأخبرهم = « لعلهم يعلمون » ، يقول : ليعلموا تأويل ما سألتك عنه من الرؤيا .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلَهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ (٤٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال يوسف لسائله عن رؤيا الملك : « تزرعون سبع سنين دأبًا » ، يقول : تزرعون هذه السبع السنين ، كما كنتم تزرعون سائر السنين قبلها على عادتكم فيما مضى .

* * *

و « الدأب » ، العادة ،(١) ومن ذلك قول امرئ القيس :

كَدَأْبِكَ مِنْ أُمِّ الْحُوَيْرِثِ قَبْلَهَا وَجَارَتِهَا أُمِّ الرَّبَابِ بِمَأْسَلِ(٢)

يعنى : كعادتك منها .

* * *

(١) انظر تفسير « الدأب » فيما سلف ٦ : ٢٢٤ ، ٢٢٥/١٤ : ١٩

(٢) مضى البيت وتخريجه فيما سلف ٦ : ٢٢٥ .

وقوله : « فما حصدتم فذروه فى سنبله إلا قليلاً مما تأكلون » ، وهذه مشورة أشار بها نبى الله صلى الله عليه وسلم على القوم ، ورأىٌ رآه لهم صلاحًا ، يأمرهم باستبقاء طعامهم ، كما :—

١٩٣٧٠ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال: قال لهم نبىّ الله يوسف : « تزرعون سبع سنين دأبًا» الآية ، فإنما أراد نبىُّ الله صلى الله عليه وسلم البقاء .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ﴾ (٤٨)

قال أبو جعفر : يقول : ثم يجىء من بعد السنين السبع التى تزرعون فيها دأبًا سنون سبع شداد ، يقول : جدوب قحطة = « يأكلن ما قدمتم لهن » ، يقول : يؤكل فيهنّ ما قدمتم فى إعداد ما أعددتم لهن فى السنين السبعة الخصبة من الطعام والأقوات .

* * *

وقال جل ثناؤه : « يأكلن » ، فوصف السنين بأنهن « يأكلن » ، وإنما المعنى أن أهل تلك الناحية يأكلون فيهن ، كما قيل :(١)

نَهَارُكَ يَا مَغْرُورُ سَهْوٌ وَغَفْلَةٌ وَلَيْلُكَ نَوْمٌ وَالرَّدَى لَكَ لَازِمُ(٢)

---

(١) هو عبد الله بن عبد الأعلى بن أبى عمرة .

(٢) الأخبار الطوال : ٣٣٣ ، سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى : ٢٢٥ ، تاريخ ابن كثير ٩ : ٢٠٦ ، وغيرها ، يقول :

أَيَقْظَانُ أَنْتَ الْيَوْمَ أَمْ أَنْتَ حَالِمُ وكيف يطيق النَّوْمَ حَيْرَانُ هَائِمُ
فَلَوْ كُنْتَ يَقْظَانَ النَّدَامَةَ لَحَرَّقَتْ مَحَاجِرَ عَيْنَيْكَ الدُّمُوعُ السَّوَاجِمُ

فوصف النهار بالسهو والغفلة ، والليل بالنوم ، وإنما يسهى فى هذا ويغفل فيه ، وينام فى هذا ، لمعرفة المخاطبين بمعناه والمراد منه . ١٣٧/٢١

* * *

= « إلا قليلاً مما تحصنون » ، يقول : إلا يسيراً مما تحرزونه .

* * *

و« الإحصان » ، التصيير فى الحصن ، وإنما المراد منه الإحراز .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٣٧١ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قوله : « يأكلن ما قدمتم لهن » ، يقول : يأكلن ما كنتم اتخذتم فيهن من القوت = « إلا قليلاً مما تحصنون » .

١٩٣٧٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد » ، وهنّ الجدوب المحُول = « يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلاً مما تحصنون » .

١٩٣٧٣ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد » ، وهن الجدوب = « يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلاً مما تحصنون » ، مما تدّخرون .

بَلَ أَصْبَحْتَ فِى النَّوْمِ الطَّوِيلِ وَقَدْ دَنَتْ ... إِلَيْكَ أُمُورٌ مُفْظِعَاتٌ عَظَائِمُ
نَهَارُكَ يَا مَغْرُورُ سَهْوٌ وَغَفْلَةٌ ... وَلَيْلُكَ نَوْمٌ ، وَالرَّدَى لك لَازِمُ
تُسَرُّ بِمَا يَبْلَى ، وَتُشْغَلُ بِالْمُنَى ... كَمَا سُرَّ بِالأَحْلَامِ فِى النَّوْمِ نَائِمُ
وَسَعْيُكَ فِيمَا سَوْفَ تَكْرَهُ غِبَّهُ ... كَذَلِكَ فِى الدُّنْيَا تَعِيشُ الْبَهَائِمُ
فَلَا أَنْتَ فِى النُّوَّامِ يَوْماً بِسَالِمٍ ... وَلَا أَنْتَ فِى الأَيْقَاظِ يَقْظَانُ حَازِمُ

١٩٣٧٤ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس في قوله : « إلا قليلاً مما تحصنون » ، يقول : تخزنون .

١٩٣٧٥ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال، قال ابن عباس : « تحصنون » ، تحرزون .

١٩٣٧٦ ــ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدي : « يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلاً مما تحصنون » ، قال : مما ترفعون .

* * *

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال في قوله : « تحصنون » ، وإن اختلفت ألفاظ قائليها فيه ، فإن معانيها متقاربة ، وأصل الكلمة وتأويلها على ما بيّنت.

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ (٤٩)

قال أبو جعفر : وهذا خبرٌ من يوسف عليه السلام للقوم عما لم يكن في رؤيا ملكهم ، ولكنه من علم الغيب الذي آتاه الله دلالةً على نبوته وحجة على صدقه، كما :ــ

١٩٣٧٧ ــ حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قال : ثم زاده الله علم سَنَةٍ لم يسألوه عنها ، فقال : « ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون » .

* * *

ويعني بقوله : « فيه يغاث الناس » ، بالمطر والغيث .

* * *

وبنحو ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٣٧٨ ــ حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس » ، قال : فيه يغاثون بالمطر .

١٩٣٧٩ ــ حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا محمد بن يزيد الواسطي ، عن جويبر ، عن الضحاك : « فيه يغاث الناس » ، قال : بالمطر .

١٩٣٨٠ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « ثم يأتي من بعد ذلك عام » ، قال : أخبرهم بشيء لم يسألوه عنه ، وكان الله قد علمه إياه ، « عام فيه يغاث الناس » ، بالمطر .

١٩٣٨١ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « فيه يغاث الناس » ، بالمطر .

* * *

وأما قوله : « وفيه يعصرون » ، فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله .

فقال بعضهم : معناه : وفيه يعصرون العنب والسمسم وما أشبه ذلك .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٣٨٢ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « وفيه يعصرون » ، قال : الأعناب والدُّهْن .

١٩٣٨٣ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « وفيه يعصرون » ، السمسم دهنًا ، والعنب خمراً ، والزيتون زيتًا .

١٩٣٨٤ ــ حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون » ، يقول : يصيبهم غيث ، فيعصرون فيه العنب ، ويعصرون فيه الزيت ، ويعصرون من كل الثمرات .

١٩٣٨٥ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن

ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وفيه يعصرون » ، قال : يعصرون أعنابهم .

١٩٣٨٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدى : « وفيه يعصرون » ، قال : العنب .

١٩٣٨٧ – حدثنا الحسن بن محمد قال،حدثنا محمد بن يزيد الواسطى ، عن جويبر ، عن الضحاك : « وفيه يعصرون » ، قال : الزيت .

١٩٣٨٨ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال،حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « وفيه يعصرون » ، قال : كانوا يعصرون الأعناب والثمرات .

١٢/١٣٨ ١٩٣٨٩ – حدثنا بشر قال،حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وفيه يعصرون » ، قال : يعصرون الأعناب والزيتون والثمار من الخصب . هذا علم آتاه الله يوسف لم يُسْأل عنه .

* * *

وقال آخرون : معنى قوله : « وفيه يعصرون » ، وفيه يَحْلِبون .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٣٩٠ – حدثنا القاسم قال ،حدثنا الحسين قال ، حدثنى فضالة ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « وفيه يعصرون » ، قال : فيه يحلبون .

١٩٣٩١ – حدثنى المثنى قال ، أخبرنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن ابن أبى حماد قال ، حدثنا الفرج بن فضالة ، عن على بن أبى طلحة قال : كان ابن عباس يقرأ :﴿ وَفِيهِ تَعْصُرُونَ ﴾ ، بالتاء ، يعنى : تحتلبون .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأه بعض قرأة أهل المدينة والبصرة والكوفة:﴿ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾،بالياء ، بمعنى ما وصفت ، من قول من قال : عصر الأعناب والأدهان .

* * *

وقرأذلك عامة قرأة الكوفيين : ﴿ وَفِيهِ تَعْصِرُونَ ﴾ ، بالتاء .

وقرأ بعضهم : ﴿ وَفِيهِ يُعْصَرُونَ ﴾ ، بمعنى : يمطرون .

وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها ، لخلافها ما عليه قرأة الأمصار .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك : أن لقارئه الخيارَ فى قراءته بأى القراءتين الأخريين شاء ، إن شاء بالياء ، ردًّا على الخبر به عن « الناس » ، على معنى : فيه يُغاث الناس وفيه يَعْصرون أعنابهم وأدهانهم = وإن شاء بالتاء ، ردًّا على قوله : « إلا قليلاً مما تحصنون » ، وخطاباً به لمن خاطبه بقوله : « يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلاً مما تحصنون » = لأنهما قراءتان مستفيضتان فى قرأة الأمصار باتفاق المعنى ، وإن اختلفت الألفاظ بهما . وذلك أن المخاطبين بذلك كان لا شك أنهم إذا أغيثوا وعَصَروا ، أغيث الناس الذين كانوا بناحيتهم وعصروا . وكذلك كانوا إذا أغيث الناس بناحيتهم وعصروا ، أغيث المخاطبون وعَصَروا ، فهما متفقتا المعنى ، وإن اختلفت الألفاظ بقراءة ذلك .

* * *

وكان بعض من لا علم له بأقوال السلف من أهل التأويل ، ممن يفسر القرآن برأيه على مَذهب كلام العرب ،[1] يوجِّه معنى قوله : « وفيه يعصرون » إلى : وفيه ينجون من الجدب والقحط بالغيث ، ويزعم أنه من « العَصَر » و « العُصْرَة » ، التى بمعنى المنجاة ،[2] من قول أبى زبيد الطائى :

صَادِياً يَسْتَغِيثُ غَيْرَ مُغَاثٍ وَلَقَدْ كَانَ عُصْرَةَ المَنْجُودِ[3]

---

(١) يعنى أبا عبيدة معمر بن المثنى ، فهو قائل ذلك فى كتابه مجاز القرآن ١ : ٣١٣ ، ٣١٤ .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « من العصر والعصر التى بمعنى المنجاة » ، والصواب من مجاز القرآن لأبى عبيدة .

(٣) أمالى اليزيدى : ٨ ، وجمهرة أشعار العرب : ١٣٨ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٣١٣ واللسان (نجد) و (عصر) ، وغيرها ، من قصيدة رثى بها أخاه اللجلاج ، وكان مات عطشاً فى طريق مكة . يقول قبله ، وهو من جيد الشعر :

كُلُّ مَيْتٍ قَدِ اغْتَفَرْتُ فَلَا أَجْـــزَعُ مِنْ وَالِدٍ وَلَا مَوْلُودِ

أى : المقهور ، ومن قول لبيد :

فَبَاتَ وَأَسْرَى القَوْمُ آخِرَ لَيْلِهِمْ وَمَا كَانَ وَقَّافاً بِغَيْرِ مُعَصَّرِ (١)

وذلك تأويل يكفى من الشهادة على خطئه ، خلافه قول جميع أهل العلم من الصَّحابة والتابعين .

* * *

وأما القول الذى رَوَى الفرج بن فضالة ، عن على بن أبى طلحة ، (٢) فقول لا معنى له ، لأنه خلاف المعروف من كلام العرب ، وخلاف ما يعرف من قول ابن عباس .

* * *

غَيْرَ أَنَّ اللِّجْلَاجَ هَدَّ جَنَاحِى يَوْمَ فَارَقْتُهُ بِأَعْلَى الصَّعِيدِ
فِى ضَرِيحٍ عَلَيْهِ عِبْءٌ ثَقِيلٌ مِنْ تُرَابٍ وَجَنْدَلٍ مَنْضُودِ
عَنْ يَمِينِ الطَّرِيقِ عِنْدَ صَدٍ حَرَّ انَ يَدْعُو بِاللَّيْلِ غَيْرَ مَعُودِ

و « المنجود » ، المكروب ، والمقهور ، والهالك ، كله جيد .

(١) ديوانه ، القصيدة ١٤ ، بيت رقم : ١٢ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٩٥ ، ٣١٤ ، واللسان (عصر) ، وغيرها ، من قصيدة ذكر فيها من هلك من قومه ، وهذا البيت من ذكر قيس بن جزء ابن خالد بن جعفر ، وكان خرج غازياً فظفر ، فلما رجع مات فجأة على ظهر فرسه ، بات على فرسه ربيئة لأصحابه ، وعليه الدرع ، فهرأه البرد فقتله ، فى ذلك يقول لبيد :

وقيسُ بن جَزْءٍ يَوْمَ نَادَى صِحَابَهُ فَعَاجُوا عَلَيْهِ مِنْ سَوَاهِمَ ضُمَّرِ
طَوَتْهُ المَنَايَا فَوْقَ جَرْدَاءَ شَطْبَةٍ تَدِفُّ دَفِيفَ الطَّائِحِ المُتَمَطِّرِ
فَبَاتَ . . . . . .

يقول : نادى صحابه ، فعطفوا عليه خيلا قد لوحها السفر وهزلها ، وقد أخذته يد الموت وهو على ظهر فرسه الجرداء الطويلة ، « تدف » ، أى تطير طيراناً كما يفعل الطائر وهو قريب من وجه الأرض ، و « الرائح المتمطر » ، هو الطائر الذى يؤوب إلى فراخه ، طائراً فى المطر ، هارباً منه ، فذلك أسرع له . يقول : فبات عليها هالكاً ، وسار أصحابه ، ولم يتأخر عنهم إلا لأمر أصابه . ورواية الديوان : « بدار معصر » ، وذكر الرواية الأخرى .

(٢) انظر رقم : ١٩٣٩١

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّـٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ (٥٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فلما رجع الرسول الذى أرسلوه إلى يوسف، الذى قال : « أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون » ، فأخبرهم بتأويل رؤيا الملك عن يوسف = علم الملك حقيقةَ ما أفتاه به من تأويل رؤياه وصحة ذلك ، وقال الملك : ائتونى بالذى عبَّر رؤياى هذه ، كالذى :—

١٩٣٩٢ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : فخرج نبو من عند يوسف بما أفتاهم به من تأويل رؤيا الملك ، حتى أتى الملك فأخبره بما قال ، فلما أخبره بما فى نفسه كمثل النهار ،[1] وعرف أن الذى قال كائن كما قال ، قال : « ائتونى به » .

١٩٣٩٣ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى قال : لما أتى الملك رسوله قال : « ائتونى به » .

* * *

وقوله : « فلما جاءه الرسول » ، يقول : فلما جاءه رسول الملك يدعوه إلى الملك = « قال ارجع إلى ربك » ، يقول : قال يوسف للرسول : ارجع إلى سيدك[2] = « فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن »؟ وأبى أن يخرج مع الرسول وإجابةَ الملك، حتى يعرف صحةَ أمره عندهم مما كانوا قرفوه به من شأن النساء ،[3] فقال للرسول : سل الملك ما شأن النسوة اللاتى قطعن أيديهن، والمرأة التى سجنت بسببها ؟ كما :—

(١) فى المطبوعة : « بمثل النهار » ، وهى فى المخطوطة سيئة الكتابة ، والصواب ما أثبت .
(٢) انظر تفسير « الرب » فيما سلف ص : ١٠٧ ، تعليق : ١ ، والراجح هناك .
(٣) فى المطبوعة : « قذفوه » ، وأثبت الصواب من المخطوطة . « قرفه بالشيء » ، اتهمه به .

١٩٣٩٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « فلما
١٢/١٣٩ جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن » ، والمرأة
التى سجنت بسبب أمرها ، عما كان من ذلك .

١٩٣٩٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى
قال : لما أتى الملك رسوله فأخبره ، قال : « ائتونى به » ، فلما أتاه الرسول ودعاه
إلى الملك ، أبى يوسف الخروجَ معه = « وقال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة
اللاتى قطعن أيديهن »، الآية . قال السدى: قال ابن عباس: لو خرج يوسف
يومئذٍ قبل أن يعلَم الملك بشأنه ، ما زالت فى نفس العزيز منه حاجةٌ ! يقول :
هذا الذى راود امرأته .

١٩٣٩٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن
رجل، عن أبى الزناد ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
يرحم الله يوسف ، إن كان ذا أناة ! لو كنت أنا المحبوس ثم أرسل إلىّ لخرجت
سريعًا ، إن كان لحليماً ذا أناة ![1]

١٩٣٩٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا محمد بن بشر قال ، حدثنا محمد
ابن عمرو قال ، حدثنا أبو سلمة ، عن أبى هريرة قال : قال النبى صلى الله عليه
وسلم : لو لبثت فى السجن ما لبث يوسف ، ثم جاءنى الداعى لأجبته ، إذ جاءه
الرسول فقال : « ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن » ،
الآية .[2]

---

(١) الأثر : ١٩٣٩٦ – هذا حديث ضعيف الإسناد ، لإبهام الرجل الذى حدث عن أبى الزناد .

(٢) الأثر : ١٩٣٩٧ – حديث محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة، رواه أبو جعفر من ثلاث طرق، هذا ، والذى يليه ، ورقم : ١٩٤٠١ ، ١٩٤٠٢

و « محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثى » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ١٢٨٢٢، وغيرها قبله وبعده .

ومن طريق محمد بن عمرو ، رواه أحمد فى مسند أبى هريرة، ونقله بإسناده ولفظه ابن كثير فى تفسيره

١٩٣٩٨ – حدثني يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني سليمان بن بلال ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بمثله .(١)

١٩٣٩٩ – حدثنا زكريا بن أبان المصريّ قال ، حدثنا سعيد بن تليد قال ، حدثنا عبد الرحمن بن القاسم قال ، حدثني بكر بن مضر ، عن عمرو بن الحارث ، عن يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب قال ، أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن ، وسعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي .(٢)

١٩٤٠٠ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، وسعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بمثله .(٣)

١٩٤٠١ – حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا عفان بن مسلم قال ، حدثنا

---

٤ : ٤٤٨ ، قال : « حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة » . ولم أوفق لاستخراجه من المسند ، لطول مسند أبي هريرة .

وخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ٤٠ ، وقال : « قلت : له حديث في الصحيح غير هذا – رواه أحمد ، وفيه محمد بن عمرو ، وهو حسن الحديث » .

(١) الأثر : ١٩٣٩٨ – مكرر الذي قبله .

« سليمان بن بلال التيمي » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١١٥٠٣ .

(٢) الأثر : ١٩٣٩٩ – « زكريا بن أبان المصري » ، هو « زكريا بن يحيى بن أبان المصري » ، شيخ الطبري ، وسلف برقم : ٥٩٧٣ ، ١٢٨٠٣ ، وانظر ما كتبته عن الشك في أمره هناك . وكان في المطبوعة : « المقرئ » ، فكان « المصري » ، لم يحسن قراءة المخطوطة

وهذا الخبر صحيح الإسناد ، رواه البخاري في صحيحه (الفتح ٨ : ٢٧٧) ، عن سعيد بن تليد ، بمثله مطولا ، وانظر التعليق التالي .

(٣) الأثر ١٩٤٠ – هذه طريق أخرى للأثر السالف

ومر هذه الطر

حماد ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقرأ هذه الآية : « ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن إن ربى بكيدهن عليم » ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : لو كنت أنا ، لأسرعت الإجابة وما ابتغيت العُذر .(١)

١٩٤٠٢ – حدثني المثنى قال ، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا حماد ، عن ثابت ، عن النبي صلى الله عليه وسلم = ومحمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه قرأ : « ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن » ، الآية ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لو بعث إلىّ لأسرعت فى الإجابة ، وما ابتغيت العذر .(٢)

١٩٤٠٣ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه ، والله يغفر له ، حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ، ولو كنت مكانه ما أخبرتهم بشيء حتى اشترط أن يخرجُونى . ولقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه ، والله يغفر له ، حين أتاه الرسول ، ولو كنت مكانه لبادرتهم البابَ ، ولكنه أراد أن يكون له العذر .(٣)

١٩٤٠٤ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة » ، أراد نبيُّ الله عليه السلام أن لا يخرج حتى يكون له العذر .

١٩٤٠٥ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن

---

(١) الأثر : ١٩٤٠١ – من هذه الطريق رواه أحمد فى مسنده ، وانظر التعليق على رقم : ١٩٣٩٧ .

(٢) الأثر : ١٩٠٤٢ – هو حديث محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، كما بينته فى رقم : ١٩٣٩٧ .

(٣) الأثر : ١٩٤٠٣ – هذا حديث مرسل .

ابن جريج قوله : « ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن » ، قال : أراد يوسف العذر قبل أن يخرج من السجن .

* * *

وقوله : « إن ربى بكيدهن عليم » ، يقول : إن الله تعالى ذكره ذو علم بصنيعهن وأفعالهن التى فعلن بى ، ويفعلن بغيرى من الناس ، لا يخفى عليه ذلك كله ، وهو من وَراء جزائهن على ذلك .(١)

* * *

وقيل : إن معنى ذلك : إن سيدى إطفير العزيز ، زوج المرأة التى راودتنى عن نفسى ، ذو علم ببراءتى مما قرفتنى به من السوء .(٢)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ١٢/١٤٠ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ (٥٠)

قال أبو جعفر : وفى هذا الكلام متروك ، قد استغنى بدلالة ما ذكر عليه عنه ، وهو : « فرجع الرسول إلى الملك من عند يوسف برسالته ، فدعا الملك النسوة اللاتى قطعن أيديهن وامرأة العزيز » ، فقال لهن : « ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه » ، كالذى :—

١٩٤٠٦ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : فلما

---

(١) انظر تفسير «الكيد» فيما سلف ص: ٨٨، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « عليم » فيما سلف من فهارس اللغة (علم) .

(٢) فى المطبوعة : « قذفتنى به » ، والصواب من المخطوطة : أى : اتهمتنى به .

جاء الرسول الملك من عند يوسف بما أرسله إليه ، جمع النسوة وقال : « ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه » ؟

* * *

ويعني بقوله : « ما خطبكن » ، ما كان أمركن ، وما كان شأنكن = « إذ راودتن يوسف عن نفسه »[1] = فأجبنه فقلن : « حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق » ،[2] تقول : الآن تبيّن الحق وانكشف فظهر = « أنا راودته عن نفسه » = وإن يوسف لمن الصادقين فى قوله : « هى راودتنى عن نفسى » .

* * *

وبمثل ما قلنا فى معنى : « الآن حصحص الحق » ، قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٤٠٧ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثنا معاوية ، عن على ، عن ابن عباس : « الآن حصحص الحق » ، قال : تبيّن .

١٩٤٠٨ ــ حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « الآن حصحص الحق » ، تبيّن .

١٩٤٠٩ ــ حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٩٤١٠ ــ حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا شبابة قال ، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٩٤١١ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

---

(١) انظر تفسير « المراودة » فيما سلف ص : ٨٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « حاش لله » فيما سلف ص : ٨١ ــ ٨٤ .

١٩٤١٢ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « الآن حصحص الحق الآن » ، الآن تبين الحق .

١٩٤١٣ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

١٩٤١٤ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « الآن حصحص الحق » ، قال : تبيّن .

١٩٤١٥ – حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا عمرو بن محمد قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « الآن حصحص الحق » ، قال : تبين .

١٩٤١٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدى ، مثله .

١٩٤١٧ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك ، مثله .

١٩٤١٨ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال : قالت راعيل امرأة إطفير العزيز : « الآن حصحص الحق »، أى : الآن برز الحق وتبيّن = « أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين » ، فيما كان قال يوسف مما ادّعَت عليه .

١٩٤١٩ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى قال : قال الملك : ائتونى بهن ! فقال : « ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء » ، ولكن امرأة العزيز أخبرتنا أنها راودته عن نفسه ، ودخل معها البيت وحلّ سراويله ، ثم شدّه بعد ذلك، فلا تدرى ما بدا له . فقالت امرأة العزيز : « الآن حصحص الحق » .

١٩٤٢٠ – حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « الآن حصحص الحق » ، تبين .

* * *

وأصل « حَصحص » : « حصّ » ، ولكن قيل : « حصحص » ، كما قيل : ﴿فَكُبْكِبُوا﴾ ، [سورة الشعراء : ٩٤] ، فى : « كبوا » وقيل : « كفكف » ، فى « كفّ » ، « وذرذر » فى « ذرّ » .(١) وأصل « الحص » استئصال الشيء ، يقال منه : « حَصّ شعره » ، إذا استأصله جزًّا . وإنما أريد فى هذا الموضع بقوله : « حصحص الحق » ،(٢) ذهب الباطل والكذب فانقطع ، وتبين الحق فظهر .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ (٥٢)

قال أبو جعفر : يعنى بقوله : « ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب » ، هذا الفعل الذى فعلتُه ، من ردّى رسول الملك إليه ، وتركى إجابته والخروج إليه ، ومسألتى إيّاه أن يسأل النسوة اللاتى قطّعن أيديهن عن شأنهن إذ قطعن أيديهن ، إنما فعلته ليعلم أنى لم أخنه فى زوجته = « بالغيب » ، يقول : لم أركب منها فاحشةً فى حال غيبته عنى .(٣) وإذا لم يركب ذلك بمغيبه ، فهو فى حال مشهده إياه أحرى أن يكون بعيداً من ركوبه ، كما : —

١٩٤٢١ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : يقول يوسف : « ذلك ليعلم » ، إطفير سيده = « أنى لم أخنه بالغيب » ، أنى لم أكن لأخالفه إلى أهله من حيث لا يعلمه . ١٢/١٤١

---

(١) فى المخطوطة : « وردرد » ، فى : رد ، وكأن الصواب ما فى المطبوعة . و « الذرذرة » ، تفريقك الشيء وتبديدك إياه . و « ذر الشيء » ، بدده .

(٢) فى المطبوعة : أسقط قوله : « بقوله » .

(٣) انظر تفسير « الغيب » فيما سلف من فهارس اللغة (غيب) .

١٩٤٢٢ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب » ، يوسف يقوله .

١٩٤٢٣ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب » ، يوسف يقوله . لم أخن سيِّدي .

١٩٤٢٤ – . . . . قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب » ، قال : يوسف يقوله .

١٩٤٢٥ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب » ، قال : هذا قول يوسف .

١٩٤٢٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، حدثنا هشيم ، عن إسمعيل بن سالم ، عن أبي صالح في قوله : « ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب » ، قال : هو يوسف ، لم يخن العزيز في امرأته .

١٩٤٢٧ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، حدثنا عبيد قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب»، هو يوسف يقول : لم أخن الملك بالغيب .

* * *

وقوله : « وأنّ الله لا يهدي كيد الخائنين » ، يقول : فعلت ذلك ، ليعلم سيدي أني لم أخنه بالغيب= « وأن الله لا يهدي كيد الخائنين» ، يقول : وأن الله لا يسدّد صنيع من خان الأمانات ، ولا يرشد فعالهم في خيانتهموها.[1]

* * *

(١) انظر تفسير « الهدى » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) .
= وتفسير « الكيد » فيما سلف ص : ١٣٧ ، تعليق ١ ، والمراجع هناك .

= واتصل قوله : « ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب » ، بقول امرأة العزيز : « أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين » ، لمعرفة السامعين لمعناه ، كاتصال قول الله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ ، بقول المرأة : ﴿ وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ﴾ ، [سورة النمل : ٣٤] ، وذلك أن قوله : « وكذلك يفعلون » ، خبر مبتدأ ، وكذلك قول فرعون لأصحابه فى «سورة الأعراف» ، ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ ، وهو متصل بقول الملأ : ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ﴾ [سورة الأعراف : ١١٠] .(١)

* * *

٢/١٣ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٥٣)

قال أبو جعفر : يقول يوسف صلوات الله عليه : وما أبرئ نفسى من الخطأ والزلل فأزكيها = « إن النفس لأمارة بالسوء » ، يقول : إن النفوسَ نفوسَ العباد ، تأمرهم بما تهواه ، وإن كان هواها فى غير ما فيه رضى الله = « إلا ما رحم ربى » ، يقول : إلا أن يرحم ربى من شاء من خلقه ، فينجيه من اتباع هواها وطاعتها فيما تأمرهُ به من السوء = « إن ربى غفور رحيم » .

* * *

و « ما » فى قوله : « إلا ما رحم ربى » ، فى موضع نصب ، وذلك أنه استثناء منقطع عما قبله ، كقوله : ﴿ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ۝ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا ﴾ [سورة يس : ٤٣، ٤٤] ، بمعنى : إلا أن يرحموا . و« أن » ، إذا كانت فى معنى المصدر ، تضارع « ما » .

* * *

(١) انظر ما سلف ١٣ : ٢٠ .

ويعنى بقوله : « إن ربى غفور رحيم » ، إن الله ذو صفح عن ذنوب من تاب من ذنوبه ، بتركه عقوبته عليها وفضيحته بها = « رحيم » ، به بعد توبته ، أن يعذبه عليها .

* * *

وذُكر أن يوسف قال هذا القول ، من أجل أن يوسف لما قال : « ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب » ، قال ملكٌ من الملائكة : ولا يومَ هممت بها ! فقال يوسفُ حينئذ : « وما أبرئ نفسى إن النفس لأمارة بالسوء » .

* * *

وقد قيل : إن القائل ليوسف : « ولا يومَ هممت بها ، فحللت سراويلك » ! هو امرأة العزيز ، فأجابها يوسف بهذا الجواب .

* * *

وقيل : إن يوسف قال ذلك ابتداءً من قبل نفسه .

* * *

* ذكر من قال ذلك :

١٩٤٢٨ – حدثنا أبو كريب قال : حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما جمع الملك النسوة فسألهن : هل راودتن يوسف عن نفسه ؟ قلن : حَاشَ لله ، ما علمنا عليه من سوء ! قالت امرأة العزيز : « الآن حصحص الحق » ، الآية . قال يوسف : « ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب » ، قال فقال له جبريل : ولا يوم هممت بما هممت ! فقال : « وما أبرئ نفسى إن النفس لأمارة بالسوء » .

١٩٤٢٩ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما جمع الملك النسوة قال لهن : أنتن راودتن يوسف عن نفسه ؟ = ثم ذكر سائر الحديث ، مثل حديث أبى كريب عن وكيع .

١٩٤٣٠ – حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا عمرو قال ، أخبرنا إسرائيل ، ٣/١٣

عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما جمع فرعون النسوة،[1] قال : أنتن راودتن يوسف عن نفسه ؟ ثم ذكر نحوه = غير أنه قال : فغمزه جبريل فقال : ولا حين هممت بها ! فقال يوسف : « وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء » .

١٩٤٣١ ــ حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع= وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي = ، عن مسعر ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير قال : لما قال يوسف : « ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب » . قال جبريل ، أو مَلَك : ولا يوم هممت بما هممت به ؟ فقال : « وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء » .

١٩٤٣٢ ــ حدثنا عمرو بن علي قال ، حدثنا وكيع قال ، حدثنا مسعر ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، بنحوه = إلا أنه قال : قال له المَلَك : ولا حين هممت بها ؟ = ولم يقل : « أو جبريل » ، ثم ذكر سائر الحديث مثله .

١٩٤٣٣ ــ حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا محمد بن بشر ، وأحمد بن بشير ، عن مسعر ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير : «ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب» ، قال فقال له الملك = أو : جبريل = : ولا حين هممت بها ؟ فقال يوسف : « وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء » .

١٩٤٣٤ ــ حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل قال : لما قال يوسف : «ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب» ، قال له جبريل : ولا يوم هممت بما هممت به ؟ فقال : « وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء » .

١٩٤٣٥ ــ حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل ، بمثله .

١٩٤٣٦ ــ حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا عمرو قال ، أخبرنا مسعر ،

---

(١) في المطبوعة : « لما جمع الملك » ، وأثبت ما في المخطوطة .

عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، مثل حديث ابن وكيع . عن محمد بن بشر وأحمد بن بشير ، سواءً .

١٩٤٣٧ - حدثنا بن وكيع قال ، حدثنا العلاء بن عبد الجبار ، وزيد بن حباب ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن الحسن : « ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب » ، قال له جبريل : اذكر همَّك ! فقال : « وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء » .

١٩٤٣٨ - حدثنا الحسن قال ، حدثنا عفان قال ، حدثنا حماد ، عن ثابت ، عن الحسن : « ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب » ، قال جبريل : يا يوسف ، اذكر همك ! قال : « وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء » .

١٩٤٣٩ - حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم ، عن إسمعيل بن سالم ، عن أبي صالح في قوله : « ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب » ، قال : هذا قول يوسف قال : فقال له جبريل : ولا حين حللت سراويلك ؟ قال فقال يوسف : « وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء » ، الآية .

١٩٤٤٠ - حدثني المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن إسمعيل بن سالم ، عن أبي صالح ، بنحوه .

١٩٤٤١ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب » ، ذُكر لنا أن الملك الذي كان مع يوسف قال له : اذكر ما هممت به . قال نبي الله : « وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء » .

١٩٤٤٢ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قال : بلغني أن الملك قال له حين قال ما قال : أتذكر همك ؟ فقال : « وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي » .

١٩٤٤٣ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة قوله : « ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب » ، قال الملك ،

وطَعَن فى جنبه : يا يوسف، ولا حين هممت ؟ قال : فقال : « وما أبرئ نفسى » .

* * *

* ذكر من قال : قائل ذلك له المرأة .

١٩٤٤٤ ــ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى : « ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب » ، قال : قاله يوسف حين جىء به ، ليعلم العزيز أنه لم يخنه بالغيب فى أهله ، وأن الله لا يهدى كيد الخائنين . فقالت امرأة العزيز : يا يوسف ، ولا يوم حللت سراويلك ؟ فقال يوسف : « وما أبرئ نفسى إن النفس لأمارة بالسوء » .

* * *

* ذكر من قال : قائل ذلك يوسف لنفسه ، من غير تذكير مذكّر ذكره ، ولكنه تذكّر ما كان سلف منه فى ذلك .

١٩٤٤٥ ــ حدثنا محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدى كيد الخائنين » ، هو قول يوسف لمليكه ، حين أراه الله عذره ، فذكر أنه قد همّ بها وهمت به ، فقال يوسف : « وما أبرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء » ، الآية . ٤/١٢

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ (٥٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « وقال الملك » ، يعني ملك مصر الأكبر ، وهو فيما ذكر ابن إسحق : الوليد بن الرّيان .

١٩٤٤٦ — حدثنا بذلك ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عنه .

* * *

= حين تبين عذر يوسف ، وعرف أمانته وعلمه ، قال لأصحابه : « ائتوني به أستخلصه لنفسي » ، يقول : أجعله من خُلصائي دون غيري .

* * *

وقوله : « فلما كلمه » ، يقول : فلما كلم الملك يوسفَ ، وعرف براءته وعِظَم أمانته قال له : إنك ، يا يوسف ، « لدينا مكين أمين » ، أي : متمكن مما أردت وعرض لك من حاجة قبلنا ، لرفعة مكانك ومنزلتك ، لدينا = « أمين » على ما اؤتمنت عليه من شيء .

١٩٤٤٧ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي قال : لما وجد الملك له عذراً قال : « ائتوني به أستخلصه لنفسي » .

١٩٤٤٨ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « أستخلصه لنفسي » ، يقول : أتخذه لنفسي .

١٩٤٤٩ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل قال . الملك : « ائتوني به أستخلصه لنفسي » ، قال : قال له الملك : إني أريد أن أخلصك لنفسي ، غير أني آنَفُ أن تأكُل معي . فقال يوسف : أنا أحق أن آنفَ ، أنا ابن إسحق = أو : أنا ابن إسمعيل = أبو جعفر شكّ ، وفي كتابي : ابن إسحق ذبيح الله ، ابن إبراهيم خليل الله .

١٩٤٥٠ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثني أبي ، عن سفيان ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل ، بنحوه = غير أنه قال : أنا ابن إبراهيم خليل الله ، ابن إسمعيل ذبيح الله .

١٩٤٥١ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا

سفيان ، عن أبي سنان، عن عبد الله بن أبي الهذيل قال : قال العزيز ليوسف : ما من شيء إلا وأنا أحبُّ أن تشركني فيه، إلا أني أحبّ أن لا تشركني في أهلي ، وأن لا يأكل معي عَبْدي ! قال : أتأنف أن آكل معك ؟ فأنا أحق أن آنف منك ، أنا ابن إبراهيم خليل الله ، وابن إسحق الذبيح ، وابن يعقوب الذي ابيضت عيناه من الحزن .

١٩٤٥٢ ــ حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا سفيان بن عقبة ، عن حمزة الزيات، عن ابن إسحق، عن أبي ميسرة قال: لما رأى العزيز لَبَقَ يوسف وكيسه وظَرْفه، دعاه فكان يتغدّى ويتعشى معه دون غلمانه . فلما كان بينه وبين المرأة ما كان، قالت له: تُدْنِي هذا ! مُرْهُ فليتغدّ مع الغلمان. قال له: اذهب فتغدّ مع الغلمان. فقال له يوسف في وجهه: ترغب أن تأكل معي= أو: تَنْكَف[1]= أنا والله يوسف بن يعقوب نبي الله ، ابن إسحق ذبيح الله ، ابن إبراهيم خليل الله .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (٥٥)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : قال يوسف للملك : اجعلني على خزائن أرضك .

* * *

وهي جمع « خِزَانة » .

* * *

و « الألف واللام » دخلتا في « الأرض » ، خلفاً من الإضافة ، كما قال الشاعر :[2]

---

(١) يقال : « نكف من الشيء » و « استنكف منه » بمعنى واحد .

(٢) هو النابغة الذبياني .

* والأَحْلَامُ غَيْرُ عَوَازِبِ *(١)

* * *

وهذا من يوسف صلوات الله عليه ، مسألة منه للملك أن يولّيه أمر طعام بلده وخراجها ، والقيام بأسْباب بلده ، ففعل ذلك الملك به ، فيما بلغني ، كما : —

١٩٤٥٣ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « اجعلني على خزائن الأرض » ، قال : كان لفرعون خزائن كثيرة غير الطعام ، قال : فأسلم سلطانه كُلَّه إليه ، وجعل القضاء إليه . أمرُه وقضاؤه نافذٌ .

١٩٤٥٤ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا إبراهيم بن المختار ، عن شيبة الضبي في قوله : « اجعلني على خزائن الأرض » ، قال : على حفظ الطعام(٢) .

* * *

وقوله : « إني حفيظ عليم » ، اختلف أهل التأويل في تأويله .

فقال بعضهم : معنى ذلك : إني حفيظ لما استودعتني ، عليم بما وليتني .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٤٥٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « إني حفيظ عليم » ، إني حافظ لما استودعتني ، عالم بما وليتني . قال : قد فعلت .

١٩٤٥٦ — حدثنا بشر قال : حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إني حفيظ عليم » ، يقول : حفيظ لما وليت ، عليم بأمره . ٥/١٣

---

(١) سلف البيت وتخريجه وشرحه ٥ : ١٣/١٦٠ : ١٠٦ ، وهو :

لَهُمْ شِيمَةٌ لَمْ يُعْطِهَا الدَّهْرُ غَيْرَهُم مِنَ النَّاسِ، والأَحْلامُ غيْرُ عَوَازِبِ

(٢) الأثر : ١٩٤٥٤ — « إبراهيم بن المختار التميمي » ، ممن يتقى حديثه ، وبخاصة من رواية محمد بن حميد عنه ، مضى برقم : ٤٠٣٨ ، ١٤٣٦٥ ، ١٧٦٣١ .

و « شيبة الضبي » ، هو « شيبة بن نعامة الضبي » ، « أبو نعامة » ، ضعيف الحديث لا يحتج به ، مترجم في الكبير ٢/٢/١٤٣ ، وابن أبي حاتم ٢/١/٣٣٥ ، وميزان الاعتدال ١ : ٤٥٢ ، ولسان الميزان ٣ : ١٥٩ .

وانظر الإسناد الآتي رقم : ١٩٤٥٧ .

١٩٤٥٧ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا إبراهيم بن المختار ، عن شيبة الضبي في قوله : « إني حفيظ عليم » ، يقول : إني حفيظ لما استودعتني ، عليم بسني المجاعة .(١)

* * *

وقال آخرون : إني حافظ للحساب ، عليم بالألسن .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٤٥٨ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عمرو ، عن الأشجعي : « إني حفيظ عليم » ، حافظ للحساب ، عليم بالألسن .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين عندنا بالصواب ، قولُ من قال : معنى ذلك : « إني حافظ لما استودعتني ، عالم بما أوليتني » ، لأن ذلك عقيب قوله : « اجعلني على خزائن الأرض» ، ومسألته الملك استكفاءه خزائن الأرض ، فكان إعلامه بأن عنده خبرةً في ذلك وكفايته إياه ، أشبه من إعلامه حفظه الحساب ، ومعرفته بالألسن .(٢)

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٦)

---

(١) الأثر : ١٩٤٥٧ – انظر بيانه في التعليق على رقم : ١٩٤٥٤ .

(٢) انظر تفسير « حفيظ » فيما سلف ١٥ : ٤٤٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك = وتفسير « عليم » في فهارس اللغة (علم) .

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وهكذا وطّأنا ليوسف فى الأرض[١] = يعنى أرض مصر = « يتبوأ منها حيث يشاء » ، يقول : يتخذ من أرض مصر منزلاً حيث يشاء ، بعد الحبس والضيق[٢] = « نصيب برحمتنا من نشاء » ، من خلقنا ، كما أصبنا يوسف بها ، فمكنا له فى الأرض بعد العبودة والإسار ، وبعد الإلقاء فى الجبّ = « ولا نضيع أجر المحسنين » ، يقول : ولا نبطل جزاء عمل من أحسن فأطاع ربه ، وعمل بما أمره ، وانتهى عما نهاه عنه ، كما لم نبطل جزاء عمل يوسف إذ أحسن فأطاع الله.[٣]

* * *

وكان تمكين الله ليوسف فى الأرض كما :—

١٩٤٥٩ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال : لما قال يوسف للملك : « اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم » ، قال الملك : قد فعلت ! فولاه ، فيما يذكرون، عملَ إطفير ، وعزل إطفير عما كان عليه . يقول الله: « وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض يتبوّأ منها حيث يشاء » ، الآية . قال: فذكر لى ، والله أعلم ، أن إطفير هلَك فى تلك الليالى ، وأن الملك الرَّيان بن الوليد ، زوَّج يوسف امرأة إطفير راعيل ، وأنها حين دخلت عليه قال : أليس هذا خيراً مما كنت تريدين ؟ قال : فيزعمون أنها قالت : أيُّها الصديق، لا تلمنى ، فإنى كنت امرأة كما ترى حسناً وجمالاً ، ناعمةً فى ملك ودنيا ، وكان صاحبى لا يأتى النساء ، وكنتَ كما جعلك الله فى حسنك وهيئتك ، فغلبتى نفسى على ما رأيت. فيزعمون أنه وجدَها عذراء، فأصابها فولدت له رجلين: أفرائيم بن يوسف ، وميشا بن يوسف .

١٩٤٦٠ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى،

---

(١) انظر تفسير « التمكين » فيما سلف ص : ٢٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « تبوأ » فيما سلف ١٥ : ١٩٨ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « الأجر » و « الإحسان » فيما سلف من فهارس اللغة (أجر) ، (حسن)

« وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض يتبوأ منها حيث يشاء»، قال : استعمله الملك على مصر ، وكان صاحبَ أمرها، وكان يلى البيعَ والتجارة ، وأمرَها كله . فذلك قوله : « وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض يتبوأ منها حيث يشاء » .

١٩٤٦١ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « يتبوأ منها حيث يشاء » قال : ملكناه فيما يكون فيها حيث يشاء من تلك الدنيا، يصنع فيها ما يشاء ، فُوِّضَتْ إليه.قال : ولو شاء أن يجعَل فرعون من تحت يديه ، ويجعله فوقه، لفعل .

١٩٤٦٢ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عمرو قال ، أخبرنا هشيم ، عن أبى إسحق الكوفى ، عن مجاهد قال : أسلم الملك الذى كان معه يوسف .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ (٥٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولثواب الله فى الآخرة = « خير للذين آمنوا » ، يقول : للذين صدقوا الله ورسوله ، مما أعطى يوسف فى الدنيا من تمكينه له فى أرض مصر = « وكانوا يتقون » ، يقول : وكانوا يتقون الله ، فيخافون عقابه فى خلاف أمره واستحلال محارمه ، فيطيعونه فى أمره ونهيه .

* * *

القول فى تاويل قوله تعالى ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ (٥٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم »، يوسف ، « وهم » ليوسف ، « منكرون »، لا يعرفونه .

* * *

وكان سبب مجيئهم يوسفَ ، فيما ذكر لى ، كما : — ٦/١٣

١٩٤٦٣ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : لما اطمأن يوسف فى ملكه ، وخرج من البلاء الذى كان فيه ، وخلت السنون المخصبة التى كان أمرهم بالإعداد فيها للسنين التى أخبرهم بها أنها كائنة ، جُهد الناس فى كل وجه ، وضربوا إلى مصر يلتمسون بها الميرة من كل بلدة . وكان يوسف ، حين رأى ما أصاب الناسَ من الجهد ، قد آسى بينهم ،[1] وكان لا يحمل للرجل إلا بعيراً واحداً ، ولا يحمل للرجل الواحد بعيرين ، تقسيطاً بين الناس وتوسيعاً عليهم .[2] فقدم إخوته فيمن قدم عليه من الناس يلتمسون الميرة من مصر ، فعرفهم وهم له منكرون ، لما أراد الله أن يبلغ ليوسف عليه السلام فيما أراد .[3]

١٩٤٦٤ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى ، قال : أصاب الناس الجوعُ ، حتى أصاب بلادَ يعقوب التى هو بها ، فبعث بنيه إلى مصر ، وأمسك أخا يوسف بنيامين . فلما دخلوا على يوسف عرفهم وهم له منكرون . فلما نظر إليهم قال : أخبرونى ما أمركم ، فإنى أنكر شأنكم ؟ قالوا : نحن قوم من أرض الشأم . قال : فما جاء بكم؟ قالوا : جئنا نمتار طعاماً . قال :

---

(١) فى المطبوعة : « أسا بينهم » ، والصواب من المخطوطة . و « آسى بين القوم » ، سوى بينهم ، وجعل كل واحد أسوة لصاحبه ، أى مثله

(٢) « التقسيط » التفريق ، أعطى لكل امرئ قسطاً ، وهو من العدل بينهم .

(٣) فى المطبوعة : « ما أراد » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب محض .

كذبتم ، أنتم عيون ، كم أنتم ؟ قالوا : عشرة . قال : أنتم عشرة آلاف ، كل رجل منكم أميرُ ألف ، فأخبروني خبركم. قالوا : إنّا إخوة بنو رجل صِدّيق، وإنا كنا اثنى عشر ، وكان أبونا يحبّ أخاً لنا ، وإنه ذهب معنا البرية فهلك منا فيها ، وكان أحبّنا إلى أبينا . قال: فإلى من سكن أبوكم بعده ؟ قالوا :إلى أخ لنا أصغر منه . قال : فكيف تخبروني أن أباكم صدّيق ، وهو يحب الصغير منكم دون الكبير ؟ ائتوني بأخيكم هذا حتى أنظر إليه ، « فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون» قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون ». قال: فضعوا بعضكم رهينة حتى ترجعوا . فوضعوا شمعون .

١٩٤٦٥ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر ، عن قتادة ، « وهم له منكرون » ، قال : لا يعرفونه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ (٥٩)

قال أبو جعفر : يقول: ولما حمّل يوسف لإخوته أباعرهم من الطعام ، فأوقر لكل رجل منهم بعيرَه، قال لهم : « ائتوني بأخ لكم من أبيكم » ، كيما أحمل لكم بعيراً آخر، فتزدادوا به حمل بعير آخر ، « ألا ترون أنى أوفى الكيل »،[1] فلا أبخسه

(١) انظر وتفسير « الإيفاء » فيما سلف ١٥ : ٤٩٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك.
= وتفسير « الكيل » فيما سلف ١٥ : ٤٤٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

أحداً = « وأنا خير المنزلين » ، وأنا خير من أنزل ضيفاً على نفسه من الناس بهذه البلدة ، فأنا أضيفكم . كما : —

١٩٤٦٦ — حدثني المثنى ، قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وأنا خير المنزلين » ، يوسف يقوله ، أنا خيرُ من يُضيف بمصر . (١)

١٩٤٦٧ — حدثني ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : لما جهز يوسف فيمن جهّز من الناس ، حَمّل لكل رجل منهم بعيراً بعدّتهم ، ثم قال لهم : « ائتوني بأخ لكم من أبيكم » ، أجعل لكم بعيراً آخر ، أو كما قال = « ألا ترون أني أوفي الكيل » ، أي : لا أبخس الناس شيئاً = « وأنا خير المنزلين » ، أي : خير لكم من غيري ، فإنكم إن أتيتم به أكرمت منزلتكم ، وأحسنت إليكم ، وازددتم به بعيراً مع عدّتكم ، فإني لا أعطي كلّ رجل منكم إلا بعيراً = « فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون » ، لا تقربوا بلدي .

١٩٤٦٨ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ائتوني بأخ لكم من أبيكم » ، يعني بنيامين ، وهو أخو يوسف لأبيه وأمه .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ ۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ (٦٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره ، مخبراً عن قيل يوسف لإخوته : « فإن لم تأتوني به » ، بأخيكم من أبيكم = «فلا كيل لكم عندي » ، يقول : فليس لكم عندي طعام أكيله لكم = « ولا تقربون » ، يقول : ولا تقربوا بلادي .

* * *

(١) في المطبوعة : « يوسف يقول » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو الصواب

وقوله: «ولا تقربون»، فى موضع جزم بالنهى، و «النون» فى موضع نصب، وكسرت لما حذفت ياؤها، والكلام: ولا تقربُونى.

* * *

٧/١٣ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٦٢﴾

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قال إخوة يوسف ليوسف، إذ قال لهم: «ائتونى بأخ لكم من أبيكم»: «قالوا سنراود عنه أباه»، ونسأله أن يخلّيه معنا حتى نجىء به إليك[1] = «وإنا لفاعلون»، يعنون بذلك: وإنا لفاعلون ما قلنا لك إنا نفعله من مراودة أبينا عن أخينا منه، ولنجتهدنّ. كما: —

١٩٤٦٩ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق: «وإنا لفاعلون»، لنجتهدنّ.

* * *

وقوله: «وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم»، يقول تعالى ذكره: وقال يوسف = «لفتيانه»، وهم، غلمانه،[2] كما: —

١٩٤٧٠ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: وقال: «لفتيانه»، أى: لغلمانه.

* * *

«اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم»، يقول: اجعلوا أثمان الطعام التى أخذتموها منهم[3] = «فى رحالهم».

---

(١) انظر تفسير «المراودة» فيما سلف ص: ١٣٨، تعليق: ١، والمراجع هناك.
(٢) انظر تفسير «الفتى» فيما سلف ص: ٩٤، تعليق: ١، والمراجع هناك.
(٣) انظر تفسير «البضاعة» فيما سلف ص٤–٧.

* * *

= و« الرحال »، جمع « رَحْل » ، وذلك جمع الكثير . فأما القليل من الجمع منه فهو : « أرْحُل » ، وذلك جمع ما بين الثلاثة إلى العشرة .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى معنى « البضاعة » ، قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٤٧١ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم » ، أى : أوراقهم .[1]

١٩٤٧٢ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال : ثم أمر ببضاعتهم التى أعطاهم بها ما أعطاهم من الطعام ، فجعلت فى رحالهم وهم لا يعلمون .

١٩٤٧٣ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى قال : وقال لفتيته وهو يكيل لهم : « اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون » ، إلىّ .

* * *

فإن قال قائل : ولأيّةِ علة أمر يوسف فتيانه أن يجعلوا بضاعة إخوته فى رحالهم ؟

قيل : يحتمل ذلك أوجهاً :

أحدها : أن يكون خَشِى أن لا يكون عند أبيه دراهم ، إذ كانت السَّنة سنة جَدْب وقَحْط ، فيُضِرُّ أخذ ذلك منهم به ، وأحبّ أن يرجع إليه .

= أو : أرادَ أن يتسع بها أبوه وإخوته، مع [قلّة] حاجتهم إليه،[2] فردّه عليهم من حيث لا يعلمون سبب ردّه ، تكرماً وتفضُّلاً .

---

(١) « الأوراق » جمع « ورق » (بفتح فكسر) ، و « ورق » (بفتحتين) ، وهو الفضة ، أو المال كله ما كان .

(٢) فى المخطوطة : « وأراد » ، والصواب « أو » كما فى المطبوعة . والذى بين القوسين ليس فى المخطوطة أيضاً ، فزدته استظهاراً ، لحاجة المعنى إليه .

والثالث : وهو أن يكون أراد بذلك أن لا يخلفوه الوعد فى الرجوع ، إذا وجدوا فى رحالهم ثمن طعام قد قبضوه وملكَهُ عليهم غيرهم ، عوضاً من طعامه ،(١) ويتحرّجوا من إمساكهم ثمن طعام قد قبضوه حتى يؤدُّوه على صاحبه ، فيكون ذلك أدعى لهم إلى العود إليه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (٦٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فلما رجع إخوة يوسف إلى أبيهم = « قالوا يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل » ، يقول : منع منا الكيل ، فوق الكيل الذى كِيلَ لنا ، ولم يكل لكل رجُلٍ منّا إلاّ كيل بعير – « فأرسل معنا أخانا » ، بنيامين يكتلَ لنفسه كيلَ بعير آخر زيادة على كيل أباعِرِنا = « وإنا له لحافظون » ، من أن يناله مكروه فى سفره .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٤٧٤ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى : فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا : يا أبانا إن ملك مصر أكرمنا كرامةَ ما لو كان رجل من ولد يعقوب ما أكرمنا كرامته ، وإنه ارتهن شمعون ، وقال : ائتونى بأخيكم هذا

---

(١) فى المطبوعة : « عوضاً من طعامهم » ، وإنما فعل ذلك لأن معنى الكلام خفى عليه . وهو كلام بلا شك خفى المعنى ، ومعناه : أن هذا الثمن قد ملكه غيرهم ، وغلبهم على ملكه من أعطاهم هذا الطعام عوضاً عن الثمن .

الذى عكف عليه أبوكم بعد أخيكم الذى هلك ، فإن لم تأتونى به فلا تقربوا بلادى . قال يعقوب : « هل آمنكم عليه إلاّ كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين » ؟ قال : فقال لهم يعقوب : إذا أتيتم ملك مصر ، فاقرئوه منى السلام . وقولوا : إن أبانا يصلِّى عليك ، ويدعو لك بما أوليتنا .

١٩٤٧٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : خرجوا حتى قدموا على أبيهم ، وكان منزلهم ، فيما ذكر لى بعض أهل العلم ، بالعرَبات من أرض فلسطين بِغَوْرِ الشأم = وبعض يقول : بالأولاج من ناحية الشّعب ، أسفل من حِسْمى [1] = وكان صاحب بادية له شاءٌ وإبل ، فقالوا : يا أبانا ، قدمنا على خير رجُلٍ ، أنزلنا فأكرم منزلنا ، وكال لنا فأوفانا ولم يبخسنا ، وقد أمرنا أن نأتيَه بأخ لنا من أبينا ، وقال : إن أنتم لم تفعلوا ، فلا تقربُنّى ولا تدخلُنّ بلدى . فقال لهم يعقوب : « هل آمنكم عليه إلا كما أمنتم على أخيه من قبل فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين » ؟ ٨/١٣

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « نكتل » .

فقرأ ذلك عامة قرأة أهل المدينة ، وبعض أهل مكة والكوفة : ﴿ نَكْتَلْ ﴾ ، بالنون ، بمعنى : نكتل نحن وهو .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة أهل الكوفة : ﴿ يَكْتَلْ ﴾ ، بالياء ؛ بمعنى : يكتل هو لنفسه ، كما نكتال لأنفسنا .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان متفقتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيبٌ الصوابَ . وذلك أنهم إنما أخبروا أباهم أنه منع منهم زيادةَ الكيل على عدد رؤوسهم ، فقالوا : يا أبانا مُنع منا الكيل = ثم

(١) فى المخطوطة : « من حسو » ، والصواب ما فى المطبوعة .

سألوه أن يرسل معهم أخاهم ليكتال لنفسه ، . فهو إذا اكتال لنفسه واكتالوا هم لأنفسهم ، فقد دخل «الأخ» فى عددهم . فسواءٌ كان الخبر بذلك عن خاصة نفسه ، أو عن جميعهم بلفظ الجميع ، إذ كان مفهوماً معنى الكلام وما أُريد به .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ (٦٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال أبوهم يعقوب : هل آمنكم على أخيكم من أبيكم ، الذى تسألونى أن أرسله معكم ، إلا كما أمنتكم على أخيه يوسف من قبل ؟ يقول : من قَبْله .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « فالله خير حفظاً » .

فقرأ ذلك عامة قرأة أهل المدينة وبعض الكوفيين والبصريين : ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حِفْظًا﴾ ، بمعنى : والله خيركم حفظاً .

* * *

وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفيين وبعض أهل مكة : ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾ ، بالألف ، على توجيه « الحافظ » إلى أنه تفسير للخير ، كما يقال : « هو خير رجلاً » ، والمعنى : فالله خيركم حافظاً ، ثم حذفت «الكاف والميم» .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى ، قد قرأ بكل واحدة منهما أهل علمٍ بالقرآن ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وذلك أن من وصف الله بأنه خيرهم حفظاً ، فقد وصفه بأنه خيرهم حافظاً ، ومن

وصفه بأنه خيرهم حافظاً ، فقد وصفه بأنه خيرهم حفظاً .

* * *

= « وهو أرحم الراحمين » ، يقول : والله أرحم راحمٍ بخلقه ، يرحم ضعفى على كبر سنّى ، ووحدتى بفقد ولدى فلا يضيعه ، ولكنه يحفظه حتى يردّه علىّ لرحمته .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴾ (٦٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولما فتح إخوة يوسف متاعَهم الذى حملوه من مصر من عند يوسف = « وجدوا بضاعتهم » ، وذلك ثمن الطعام الذى اكتالوه منه = « ردّت إليهم قالوا يا أبانا ما نبغى هذه بضاعتنا رُدّت إلينا » ، يعنى أنهم قالوا لأبيهم : ماذا نبغى؟ هذه بضاعتنا ردت إلينا ، تطييبًا منهم لنفسه بما صُنع بهم فى ردّ بضاعتهم إليهم .(١)

* * *

وإذا وُجّه الكلام إلى هذا المعنى ، كانت « ما » استفهاماً فى موضع نصب بقوله : « نبغى » .

* * *

وإلى هذا التأويل كان يوجّهه قتادة .

١٩٤٧٦ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله :

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « ردت إليه » ، والجيد ما أثبت .

« ما نبغى » ، يقول : ما نبغى وراء هذا ، إن بضاعتنا ردت إلينا ، وقد أوفى لنا الكيل .

* * *

وقوله : « ونمير أهلنا » ، يقول : ونطلب لأهلنا طعاماً فنشتريه لهم .

* * *

يقال منه : « مارَ فلانٌ أهله يَميرهم مَيْراً » ، ومنه قول الشاعر :(١)

بَعَثْتُكَ مَائِراً فَمَكَثْتَ حَوْلاً مَتَى يَأْتِي غِيَاثُكَ مَنْ تُغِيثُ

* * *

= « ونحفظ أخانا » ، الذى ترسله معنا = « ونزداد كيل بعير » ، يقول : ونزداد على أحمالنا [من] الطعام حمل بعير ،(٢) يكال لنا ما حمل بعير آخر من إبلنا = « ذلك كيل يسير » ، يقول : هذا حمل يسير ، كما : —

٩/١٣ ١٩٤٧٧ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا القاسم قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج : « ونزداد كيل بعير » . قال : كان لكل رجل منهم حمل بعير ، فقالوا : أرسل معنا أخانا نزداد حمل بعير = وقال ابن جريج : قال مجاهد : « كيل بعير » ، حمل حمار . قال : وهى لغة = قال القاسم : يعنى مجاهد أن « الحمار » يقال له فى بعض اللغات « بعير » .

١٩٤٧٨ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ونزداد كيل بعير » ، يقول : حمل بعير .

١٩٤٧٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ونزداد كيل بعير » ، نَعُدّ به بعيراً مع إبلنا = « ذلك كيل يسير » .

* * *

---

(١) لم أعرف قائله ، ولم أجد البيت فى مكان ، وإن كنت أخالنى أعرفه .

(٢) الزيادة بين القوسين يقتضيها السياق .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ (٦٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: قال يعقوب لبنيه: لن أرسل أخاكم معكم إلى ملك مصر = «حتى تؤتون موثقاً من الله» ، يقول : حتى تعطون موثقاً من الله = بمعنى « الميثاق » ، وهو ما يوثق به من يمينٍ وعهد[1] = «لتأتنني به» ، يقول: لتأتنني بأخيكم = « إلا أن يحاط بكم » ، يقول : إلا أن يُحيط بجميعكم مالا تقدرون معه على أن تأتونى به .[2]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٤٨٠ – حدثني المثنى قال : حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « فلما آتوه موثقهم » ، قال : عهدهم .

١٩٤٨١ – حدثني المثنى قال ، أخبرنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٩٤٨٢ – حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا شبابة قال ، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : « إلا أن يحاط بكم » ، إلا أن تهلكوا جميعاً .

١٩٤٨٣ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد =

---

(١) انظر تفسير « الميثاق » فيما سلف ١٤ : ٨٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الإحاطة » فيما سلف ١٥ : ٤٠٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

١٩٤٨٤ ــ قال، وحدثنا إسحق قال، أخبرنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٩٤٨٥ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : « إلا أن يحاط بكم »، قال : إلا أن تغلَبوا حتى لا تطيقوا ذلك .

١٩٤٨٦ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قوله : « إلا أن يحاط بكم »، إلا أن يصيبكم أمرٌ يذهب بكم جميعاً، فيكون ذلك عذراً لكم عندي.

* * *

وقوله : « فلما آتوه موثقهم » ، يقول : فلما أعطوه عهودهم = « قال »، يعقوب = « الله على ما نقول »، أنا وأنتم = « وكيل » ، يقول : هو شهيد علينا بالوفاء بما نقول جميعاً .(١)

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (٦٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: قال يعقوب لبنيه، لما أرادُوا الخروج من عنده إلى مصر ليمتاروا الطعام : يا بني لا تدخلوا مصر من طريق واحد ، وادخلوا من أبواب متفرقة .

* * *

(١) انظر تفسير « الوكيل » فيما سلف ١٥ : ٢٢٠ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

وذكر أنه قال ذلك لهم ، لأنهم كانوا رجالاً لهم جمال وهيأة،(١) فخاف عليهم العينَ إذا دخلوا جماعة من طريق واحدٍ ، وهم ولد رجل واحد ، فأمرهم أن يفترقوا فى الدخول إليها ، كما : —

١٩٤٨٧ — حدثنا الحسن بن محمد قال،حدثنا يزيد الواسطى ، عن جويبر ، عن الضحاك : « لا تدخلوا من بابٍ واحد وادخلوا من أبواب متفرقة » ، قال : خاف عليهم العينَ .

١٩٤٨٨ — حدثنا بشر قال،حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يا بنىّ لا تدخلوا من باب واحد » ، خشى نبىُّ الله صلى الله عليه وسلم العينَ على بنيه ، كانوا ذوى صُورة وجَمال .

١٩٤٨٩ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر ، عن قتادة : « وادخلوا من أبواب متفرقة » ، قال : كانوا قد أوتوا صورةً وجمالاً ، فخشى عليهم أنفُسَ الناس .

١٩٤٩٠ — حدثنى محمد بن سعد ، قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وقال يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة » ، قال : رهب يعقوب عليه السلام عليهم العينَ .

١٩٤٩١ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال،سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « لا تدخلوا من باب واحد » ، خشى يعقوب على ولده العينَ . ١٠/١٣

١٩٤٩٢ — حدثنا ابن وكيع قال،حدثنا زيد بن الحباب ، عن أبى معشر ، عن محمد بن كعب : « لا تدخلوا من باب واحد » ، قال : خشى عليهم العين .

---

(١) فى المطبوعة : « وهيبة » ، لأنها فى المخطوطة : « وهمة » ، غير منقوطة ، وستأتى كذلك بعد ، وسأصححها دون أن أشير إلى هذا التصحيح فى سائر المواضع .

١٩٤٩٣ — . . . قال ، حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى قال : خاف يعقوب صلى الله عليه وسلم عن بنيه العين ، فقال : « يا بنى لا تدخلوا من باب واحد » . فيقال : هؤلاء لرجل واحدٍ ! ولكن ادخلوا من أبواب متفرقة .

١٩٤٩٣ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : لما أجمعوا الخروجَ = يعنى ولد يعقوب = قال يعقوب : « يا بنىّ لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة » ، خشى عليهم أعين الناس ، لهيأتهم ، وأنهم لرجل واحدٍ .

* * *

وقوله : « وما أغنى عنكم من الله من شىء » ، يقول : وما أقدر أن أدفع عنكم من قضاء الله الذى قد قضاه عليكم من شىء صغير ولا كبير ، لأن قضاءه نافذ فى خلقه[1] = « إن الحكم إلا الله » ، يقول : ما القضاء والحكم إلا لله دون ما سواه من الأشياء ، فإنه يحكم فى خلقه بما يشاء ، فينفذ فيهم حكمه ، ويقضى فيهم ، ولا يُرَدّ قضاؤه = « عليه توكلت » ، يقول : على الله توكلت فوثقت به فيكم وفى حفظكم علىّ ، حتى يردكم إلىّ وأنتم سالمون معافون ، لا على دخولكم مصر إذا دخلتموها من أبواب متفرقة = « وعليه فليتوكل المتوكلون » ، يقول : وإلى الله فليفوّض أمورَهم المفوّضون .[2]

* * *

(١) انظر تفسير « أغنى » فيما سلف ١٥ : ٤٧٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « التوكل » فيما سلف ١٥ : ٥٤٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٦٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولما دخل ولد يعقوب من حيث أمرهم أبوهم ، وذلك دخولهم مصر من أبواب متفرقة = « ما كان يغنى »، دخولهم إياها كذلك = « عنهم »، من قضاء الله الذى قضاء فيهم فحتمه = « من شىء إلا حاجة فى نفس يعقوب قَضَاها »، إلا أنهم قضوا وطراً ليعقوب بدخولهم ، لا من طريق واحد ، خوفاً من العين عليهم ، فاطمأنت نفسه أن يكونوا أتوا من قبل ذلك ، أو نالهم من أجله مكروه ، كما : —

١٩٤٩٥ — حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا شبابة قال، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد: « إلا حاجة فى نفس يعقوب قضاها »، خيفة العين على بنيه .

١٩٤٩٦ — حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٩٤٩٧ — . . . .قال، أخبرنا إسحق قال، حدثنا عبد الله، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٩٤٩٨ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « إلا حاجة فى نفس يعقوب قضاها » ، قال : خشية العين عليهم .

١٩٤٩٩ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قوله : « إلا حاجة فى نفس يعقوب قضاها » ، قال: ما تخوّف على بنيه من أعين الناس، لهيأتهم وعِدّتهم .

* * * *

وقوله : « وإنه لذو علم لما علمناه » ، يقولُ تعالى ذكره : وإن يعقوب لذو علم ، لتعليمنا إياه .

* * *

وقيل : معناه : وإنه لذو حفظٍ لما استودعنا صدره من العلم .

* * *

واختُلِف عن قتادة فى ذلك :

١٩٥٠٠ ــ فحدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وإنه لذو علم لما علمناه » ، أى : مما علمناه .

١٩٥٠١ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله بن الزبير ، عن سفيان، عن ابن أبى عروبة ، عن قتادة: « وإنه لذو علم لما علمناه » ، قال : إنه لعامل بما عَلِم .

١٩٥٠٢ ــ . . . قال المثنى قال ، إسحق قال ، عبد الله قال ، سفيان : « إنه لذو علم » ، مما علمناه . وقال : من لا يعمل لايكون عالماً .

* * *

= « ولكن أكثر الناس لا يعلمون » ، يقول جل ثناؤه : ولكن كثيراً من الناس غير يعقوب ، لا يعلمون ما يعلمه، لأنّا حَرَمناه ذلك فلم يعلمه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (٦٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولما دخل ولد يعقوب على يوسف = «آوى إليه أخاه» ، يقول : ضم إليه أخاه لأبيه وأمه.[١]

* * *

وكان إيواؤه إياه،[٢] كما :— ١١/١٣

١٩٥٠٣ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى : « ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه » ، قال : عرف أخاه ، فأنزلهم منزلاً ، وأجرى عليهم الطعام والشراب. فلما كان الليلُ ، جاءهم بِمُثُل، فقال: لينم كل أخوين منكم على مِثَال.[٣] فلما بقى الغلام وحده ، قال يوسف : هذا ينام معى على فراشى . فبات معه، فجعل يوسف يشمُّ ريحه ويضمه إليه حتى أصبح . وجعل روبيل يقول : ما رأينا مثل هذا ! أريحُونا منه !

١٩٥٠٤ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال : لما دخلوا = يعنى ولد يعقوب = على يوسف، قالوا : هذا أخونا الذى أمرتَنا أن نأتيك به ، قد جئناك به . فذكر لى أنه قال لهم : قد أحسنتم وأصبتم، وستجدون ذلك عندى = أو كما قال . ثم قال : إنى أراكم رجالاً ، وقد أردت أن أكرمكم. ودعا [صاحب]

---

(١) انظر تفسير « الإيواء » فيما سلف ١٥ : ٤٢٢ ، ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) كان الكلام فى المطبوعة هكذا : « وكل أخوه لأبيه » ، فلم يحسن قراءة المخطوطة ، فجاء بكلام لا معنى له ، وكان فيها : « وكل إيواوه إياه » غير منقوطة ، وهذا صواب قراءته .

(٣) « المثال » (بكسر الميم) ، وجمعه « مثل » (بضمتين) ، وهو الفراش ، وفى الحديث أنه دخل على سعد بن أبى وقاص، وفى البيت متاع رث ومثال رث = أى: فراش خلق بال . ويقال : هو النمط الذى يفترش من مفارش الصوف الملونة .

ضيافته . [١] فقال : أنزل كل رجلين على حدة ، ثم أكرمهما ، وأحسن ضيافتهما . ثم قال : إنى أرى هذا الرجل الذى جئتم به ليس معه ثانٍ ، فسأضمه إلىّ ، فيكون منزله معى . فأنزلهم رجلين رجلين فى منازل شتّى ، وأنزل أخاه معه ، فآواه إليه . فلما خلا به قال : إنى أنا أخوك ، أنا يوسف ، فلا تبتئس بشىء فعلوه بنا فيما مضى ، فإن الله قد أحسن إلينا ، ولا تعلمهم شيئاً مما أعلمتك . يقول الله : « ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه قال إنى أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون » .

١٩٥٠٥ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه » ، ضمه إليه ، وأنزله ، وهو بنيامين .

١٩٥٠٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا إسمعيل بن عبد الكريم قال ، حدثنى عبد الصمد بن معقل قال : سمعت وهب ابن منبه يقول = وسئل عن قول يوسف : « ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه قال إنى أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون » = : كيف أصابه حين أخذه بالصُّواع ، وقد كان أخبره [أنه] أخوه ، [٢] وأنتم تزعمون أنه لم يزل متنكراً لهم يكايدهم حتى رجعوا ؟ = فقال : إنه لم يعترف له بالنسبة ، ولكنه قال : « أنا أخوك » ، مكانَ أخيك الهالك = « فلا تبتئس بما كانوا يعملون » ، يقول : لا يحزنك مكانهُ .

* * *

وقوله : « فلا تبتئس » ، يقول : فلا تستكِنْ ولا تحزن .

* * *

---

(١) فى المطبوعة : « ودعا ضافته » ، ولا أجد لها وجهاً . وفى المخطوطة كما أثبتها ، ولكنه لا يستقيم إلا بالذى زدته بين القوسين .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « كيف أجابه حين أخذ بالصواع ، وقد كان أخبره أخوه » ، وامل الصواب ما أثبت ، مع هذه الزيادة بين القوسين .

وهو : « فلا تفتعل » من «البؤس» ، يقال منه : «ابتأس يبتئس ابتئاساً » .[١]

* * *

وبنحو ما قلناه فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٥٠٧ ــ حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فلا تبتئس » ، يقول : فلا تحزن ولا تيأس .

١٩٥٠٨ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا إسمعيل بن عبد الكريم قال ، حدثنى عبد الصمد قال : سمعت وهب بن منبه يقول : « فلا تبتئس » ، يقول : لا يحزنك مكانه .

١٩٥٠٩ ــ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى : « فلا تبتئس بما كانوا يعملون » ، يقول : لا تحزن على ما كانوا يعملون .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام إذاً : فلا تحزن ولا تستكن لشىء سلف من إخوتك إليك فى نفسك ، وفى أخيك من أمك ، وما كانوا يفعلون قبلَ اليوم بك .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ (٧٠)

قال أبو جعفر : يقول : ولما حمّل يوسف إبل إخوته ما حمّلها من الميرة ، وقضى حاجتهم ،[٢] كما : ــ

١٩٥١٠ ــ حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة

---

(١) انظر تفسير « ابتأس » فيما سلف ١٥ : ٣٠٦، ٣٠٧

(٢) انظر تفسير « التجهيز » و « الجهاز » فيما سلف ص : ١٥٤ .

قوله : « فلما جهزهم بجهازهم » ، يقول : لما قضى لهم حاجتهم ووفّاهم كيلهم .

* * *

وقوله : « جعل السقاية فى رحل أخيه » . يقول : جعل الإناء الذى يكيل به الطعام فى رَحْل أخيه .

* * *

و «السقاية» ، هى المشربة ، وهى الإناء الذى كان يشرب فيه الملك ويكيلُ به الطعام .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٢/١٣ ١٩٥١١ — حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا عفان قال ، حدثنا عبد الواحد ، عن يونس ، عن الحسن : أنه كان يقول : « الصواع » و « السقاية » ، سواء ، هو الإناء الذى يشرب فيه .

١٩٥١٢ — . . . . قال ، حدثنا شبابة قال ، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح عن مجاهد : « السقاية » و « الصواع » ، شىء واحد . كان يشرب فيه يوسف

١٩٥١٣ — . . . . قال ، أخبرنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : « السقاية » ، « الصواع » ، الذى يشرب فيه يوسف .

١٩٥١٤ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « جعل السقاية » ، قال : مشربة الملك .

١٩٥١٥ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « السقاية فى رحل أخيه » ، وهو إناء الملك الذى كان يشرب فيه .

١٩٥١٦ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله . « قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير » ، وهى « السقاية » ، التى كان يشرب فيها الملك = يعنى : مَكُّوكه .

١٩٥١٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن

ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « جعل السقاية » وقوله : « صواع الملك »، قال : هما شيء واحد ، « السقاية » و« الصواع » ، شيء واحد، يشرب فيه يوسف .

١٩٥١٨ ــ حدثت عن الحسين قال، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال، سمعت الضحاك يقول فى قوله: «جعل السقاية فى رحل أخيه » ، هو الإناء الذى كان يشرب فيه الملك .

١٩٥١٩ ــ حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « جعل السقاية فى رحل أخيه » ، قال : « السقاية »هو « الصواع » ،وكان كأساً من ذهب ، فيما يذكرون .

* * *

قوله : « فى رحل أخيه »، فإنه يعنى : فى متاع أخيه ابن أمه وأبيه،[1] وهو بنيامين .

وكذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٥٢٠ ــ حدثنا بشر قال،حدثنا يزيد قال،حدثنا سعيد، عن قتادة : « فى رحل أخيه » ، أى : فى متاع أخيه .

* * *

وقوله : « ثم أذّن مؤذّن »، يقول : ثم نادى منادٍ .[2]

* * *

وقيل : أعلم معلم .

* * *

= « أيتها العير »، وهى القافلة فيها الأحمال = « إنكم لسارقون » .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

---

(١) انظر تفسير « الرحل » فيما سلف ص: ١٥٧

(٢) انظر تفسير « أذن » فيما سلف من فهارس اللغة (أذن)

* ذكر من قال ذلك :

١٩٥٢١ ــ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى : « فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية فى رحل أخيه » ، والأخ لا يشعر . فلما ارتحلوا أذّن مؤذن قبل أن ترتحل العير : « إنكم لسارقون » .

١٩٥٢٢ ــ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : ثم جهزهم بجهازهم ،وأكرمهم وأعطاهم وأوفاهم ،وحمّل لهم بعيراً بعيراً،وحمل لأخيه بعيراً باسمه كما حمل لهم . ثم أمر بسقاية الملك = وهو « الصواع » ، وزعموا أنها كانت من فضة = فجعلت فى رحل أخيه بنيامين . ثم أمهلهم حتى إذا انطلقوا وأمعنوا من القرية ، أمر بهم فأدركوا فاحتبسوا ، ثم نادى مناد : «أيتها العير إنكم لسارقون» ، قفوا . وانتهى إليهم رسوله فقال لهم ، فيما يذكرون : ألم نكرم ضيافتكم ،ونوفّكم كيلكم ، ونحسن منزلتكم ، ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم ، وأدخلناكم علينا فى بيوتنا ومنازلنا ؟ = أو كما قال لهم . قالوا : بلى ، وما ذاك ؟ قال : سقاية الملك فقدناها ، ولا نتّهم عليها غيركم . قالوا : «تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الأرض وما كنا سارقين» .

* * *

وقوله : «أيتها العير» ، قد بينا فيما مضى معنى « العير » ، وهو جمع لا واحد له من لفظه .(١)

* * *

وحكى عن مجاهد : أن عير بنى يعقوب كانت حميراً .

١٩٥٢٣ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن الزبير، عن سفيان، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « أيتها العير » ، قال : كانت حميراً .

١٩٥٢٤ ــ حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا سفيان

---

(١) انظر ما سلف ص : ١٧٣ .

قال ، حدثني رجل ، عن مجاهد في قوله : « أيتها العير إنكم لسارقون » ، قال : كانت العير حميراً . ١٣/١٣

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴾ ﴿٧٢﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال بنو يعقوب ، لما نودوا : « أيتها العير إنكم لسارقون » ، وأقبلوا على المنادي ومن بحضرتهم يقولون لهم : « ماذا تفقدون » ، ما الذي تفقدون ؟ = « قالوا نفقد صواع الملك » ، يقول : فقال لهم القوم : نفقد مشربة الملك .

* * *

واختلفت القرأة في قراءة ذلك .

فذكر عن أبي هريرة أنه قرأه : ﴿ صَاعَ الْمَلِكِ ﴾ ، بغير واو ، كأنه وجّهه إلى « الصاع » الذي يكال به الطعام .

* * *

وروى عن أبي رجاء أنه قرأه : ﴿ صَوْعَ الْمَلِكِ ﴾ .

* * *

وروى عن يحيى بن يعمر أنه قرأه : ﴿ صَوْغَ الْمَلِكِ ﴾ ، بالغين ، كأنه وجّهه إلى أنه مصدر من قولهم : « صاغ يَصُوغ صوغاً » .

* * *

وأما الذي عليه قرأة الأمصار : فَـ ﴿ صُوَاعَ الْمَلِكِ ﴾ ، وهي القراءة التي لا أستجيز القراءة بخلافها ، لإجماع الحجة عليها .

* * *

و« الصواع » ، هو الإناء الذى كان يوسف يكيل به الطعام . وكذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٥٢٥ ــ حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى هذا الحرف : « صواع الملك » ، قال : كهيئة المكُّوك . قال : وكان للعباس مثله فى الجاهلية يَشْرَبُ فيه .

١٩٥٢٦ ــ حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى = ، عن شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى قوله : « صواع الملك » ، قال : كان من فضة مثل المكوك . وكان للعباس منها واحدٌ فى الجاهلية .

١٩٥٢٧ ــ حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى = ، عن شريك ، عن سماك ، عن عكرمة فى قوله : « قالوا نفقد صواع الملك » ، قال : كان من فضة .

١٩٥٢٨ ــ حدثنى يعقوب قال ، حدثنا هشيم ، عن أبى بشر ، عن سعيد ابن جبير : أنه قرأ : « صواع الملك » ، قال : وكان إناءه الذى يشرب فيه ، وكان إلى الطول ما هو .

١٩٥٢٩ ــ حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا سويد بن عمرو ، عن أبى عوانة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير : « صواع الملك » ، قال : المكوك الفارسى .

١٩٥٣٠ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير ، قال : «صواع الملك » ، قال : هو المكوك الفارسىّ الذى يلتقى طرفاه ، كانت تشرب فيه الأعاجم .

١٩٥٣١ ــ : : . . قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن ابن مغراء ، عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « صواع الملك » ، قال : إناء الملك الذى كان يشرب فيه .

١٩٥٣٢ ــ حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا يحيى = يعنى ابن عباد = قال ، حدثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : « صواع الملك » ، مكّوك من فضة يشربون فيه . وكان للعباس واحدٌ فى الجاهلية .

١٩٥٣٣ ــ حدثنا ابن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « صواع الملك » ، إناء الملك الذى يشرب فيه .

١٩٥٣٤ ــ حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا سعيد بن منصور قال ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير فى قوله : « صواع الملك » ، قال : هو المكوك الفارسى الذى يلتقى طرفاه .

١٩٥٣٥ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : « الصواع » ، كان يشرب فيه يوسف .

١٩٥٣٦ ــ حدثنا محمد بن معمر البحرانى قال، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال ، حدثنا صدقة بن عباد ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « صواع الملك » ، قال : كان من نحاس .

* * *

وقوله : «ولمن جاء به حمل بعير » ، يقول : ولمن جاء بالصواع حمل بعير من الطعام ، كما : ــ

١٩٥٣٧ ــ حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولمن جاء به حمل بعير » ، يقول : وقر بعير .

١٩٥٣٨ ــ حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله : « حمل بعير » ، قال : ١٤/١٣

حمل حمار= وهى لغة .[١]

١٩٥٣٩ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال =

١٩٥٤٠ ــ وحدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله : « حمل بعير » ، قال : حمل حمار= وهى لغة .[١]

١٩٥٤١ ــ حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا شبابة قال، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٩٥٤٢ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ،عن ابن جريج ، عن مجاهد قال ، قوله : « حمل بعير » ، قال : حمل حمار .

* * *

وقوله ، « وأنابه زعيم » ، يقول: وأنا بأن أوفّيه حملَ بعير من الطعام إذا جاءنى بصواع الملك ، كفيلٌ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٥٤٣ ــ حدثنى على قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « وأنا به زعيم » ، يقول : كفيل .

١٩٥٤٤ ــ حدثنا الحسن بن محمد قال ،حدثنا شبابة قال ، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهدقوله : « وأنابه زعيم » ،« الزعيم »، هو المؤذّن الذى قال : « أيتها العير » .

١٩٥٤٥ ــ حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « حمل طعام » ولا معنى له ، والصواب ما أثبت ، وهو تفسير لقوله : « بعير » ، انظر ما سلف ص : ١٦٢ ، رقم : ١٩٤٧٧ ، ١٩٤٧٨ ، ١٩٥٢٣ ، ١٩٥٢٤ وصوبت ذلك لقوله : « وهى لغة »، لأنه زعموا ذلك لغة فى الحمار ، أما « الطعام » ، فلا يصح أن يكون فيه لغة يقال لها « بعير » !

عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد، مثله .

١٩٥٤٦ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

١٩٥٤٧ ــ حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا محمد بن بكر ، وأبو خالد الأحمر ، عن ابن جريج قال : بلغني عن مجاهد ، ثم ذكر نحوه .

١٩٥٤٨ ــ حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، عن ورقاء بن إياس ، عن سعيد بن جبير : « وأنا به زعيم » ، قال : كفيل .

١٩٥٤٩ ــ حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وأنا به زعيم » ، أي : وأنا به كفيل.

١٩٥٥٠ ــ حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة: « وأنا به زعيم »، قال: كفيل .

١٩٥٥١ ــ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو خالد الأحمر، عن جويبر ، عن الضحاك: « وأنا به زعيم » ، قال : كفيل .

١٩٥٥٢ ــ حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك ، فذكر مثله .

١٩٥٥٣ ــ حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد : « وأنا به زعيم » ، قال : كفيل .

١٩٥٥٤ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : قال لهم الرسول : إنه من جاءنا به فله حمل بعير ، وأنا به كفيلٌ بذلك حتى أؤدّيه إليه .

* * *

ومن « الزعيم » الذي بمعنى الكفيل ، قول الشاعر :(١)

---

(١) هو حاجز بن عوف الأزدي السروي اللص الجاهلي ، وفي مجاز القرآن لأبي عبيدة : « وقال المؤمي الأزدي » ، وأخشى أن يكون « المؤمي » تصحيف لنسبته ، وهي « السروي » ، نسبة إلى « السراة » وهي جبال الأزد .

فَلَسْتُ بِآمِرٍ فِيهَا بِسَلْمٍ وَلَكِنِّي عَلَى نَفْسِي زَعِيمُ(١)

وأصل « الزعيم »، فى كلام العرب ، القائم بأمر القوم . وكذلك « الكفيل » و« الحميل» . ولذلك قيل : رئيس القوم زعيمهم ومدبِّرهم . يقال منه : «قد زَعُم فلان زعامة وزَعاماً »، (٢) ومنه قول ليلى الأخيلية :

حَتَّى إِذَا بَرَزَ اللِّوَاءُ رَأَيْتَهُ تَحْتَ اللِّوَاءِ عَلَى الْخَمِيسِ زَعِيمَا(٣)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾ (٧٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال إخوة يوسف : « تالله » ، يعنى : والله .

* * *

وهذه « التاء » فى «تالله» ، إنما هى « واو » قبلت « تاء »، كما فعل ذلك فى « التوراة» وهى من « وريّت »، (٤) و« التُّراث»، وهى من« ورثت » ، و «التخمة»،

---

(١) مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٣١٥ ، وبعد البيت ، وفيه تمام معناه :

بِغَزْوٍ مِثْلِ وَلْغِ الذِّئْبِ حَتَّى يَنُوءَ بِصَاحِبِي ثَأْرٌ مُنِيمُ

وهذا البيت فى لسان العرب مادة (ولغ) ، منسوباً لحاجز اللص.

(٢) قوله : « وزعاماً » ، هذا المصدر مما أغفلته معاجم اللغة ، فليقيد فى مكانه .

(٣) اللسان (زعم) وأمالى القالى ١ : ٢٤٨ ، وسمط اللآلئ ٥٦١ ، وتمام تخريجها هناك ، من قصيده لها تعرض فيها بابن الزبير ، وقبل البيت :

وَمُخَرَّقٍ عَنْهُ الْقَمِيصُ تَخَالُهُ وَسْطَ الْبُيُوتِ مِنَ الْحَيَاءِ سَقِيمَا

(٤) فى المطبوعة : « كما فعل ذلك فى التورية ، وهى من وريت » ، فأساء غاية الإساءة ، فضلا عما فيه من الجهالة . والصواب من المخطوطة ، و « التوراة » ، هى التى أنزلها الله على موسى ، قال الفراء فى كتاب المصادر إنها « تفعلة » من « وريت » ، وجرت على لغة طيء ، كقولهم فى « التوصية »«توصاة » ،

وهى من « الوخامة » ، قلبت الواو فى ذلك كله تاء ، و«الواو» فى هذه الحروف كلها من الأسماء ، وليست كذلك فى « تالله » ، لأنها إنما هى واو القسم . وإنما جعلت تاء ، لكثرة ما جرى على ألسن العرب فى الأيمان فى قولهم : « والله » ، فخُصَّت فى هذه الكلمة بأن قلبت تاء . ومن قال ذلك فى اسم الله فقال : «تالله» . لم يقل « تالرحمن » و « تالرحيم » ، ولا مع شىء من أسماء الله ، ولامع شىء مما يقسم به ، ولا يقال ذلك إلا فى « تالله » وحده .

* * *

وقوله : « لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الأرض » ، يقول : لقد علمتم ما جئنا لنعصى الله فى أرضكم.[1]

* * *

كذلك كان يقول جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٥٥٥ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس فى قوله : « قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الأرض » ، نقول : ما جئنا لنعصى فى الأرض .

* * *

فإن قال قائل : وما كان عِلْمُ من قيل له[2] : «لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الأرض » ، بأنهم لم يجيئوا لذلك ، حتى استجاز قائلو ذلك أن يقولوه ؟

قيل : استجازوا أن يقولوا ذلك ، لأنهم ، فيما ذكر ، ردُّوا البضاعة التى وجدوها

وفى « الجارية » « جاراة » . وقال البصريون : « التوراة » ، أصلها « فوعلة » ، مثل « الحوصلة » و « الدوخلة » وكل ما كان على « فوعلت » ، فمصدره « فوعلة » ، وقلبت الواو تاء ، كما قلبت فى « تولج » وأصلها « وولج » .

(١) انظر تفسير « الفساد فى الأرض » فيما سلف من فهارس اللغة (فسد)

(٢) فى المطبوعة : « وما كان أعلم من قيل له » ، وهو عبث وفساد ، صوابه ما فى المخطوطة .

فى رحالهم، فقالوا : لو كنا سُرَّاقاً ، لم نردّ عليكم البضاعة التى وجدناها فى رحالنا .

وقيل : إنهم كانوا قد عُرِفوا فى طريقهم ومسيرهم أنهم لا يظلمون أحداً ، ولا يتناولون ما ليس لهم ، فقالوا ذلك حين قيل لهم : « إنكم لسارقون » .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿٧٥﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال أصحاب يوسف لإخوته : فما ثواب السَّرَق إن كنتم كاذبين فى قولكم[1] : «ما جئنا لنفسد فى الأرض وما كنا سارقين »؟= «قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه » ، يقول جل ثناؤه : وقال إخوة يوسف : ثواب السرق من وجد فى متاعه السرق «فهو جزاؤه » ، [1] يقول : فالذى وجد ذلك فى رحله ثوابه بأن يسلم بسَرِقته إلى من سرق منه حتى يستَرِقّه= «كذلك نجزى الظالمين » ، يقول : كذلك نفعل بمن ظلم ففعل ما ليس له فعله ، من أخذه مال غيره سَرَقاً .[2]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٥٥٦ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « فهو

---

(١) « السرق » (بفتحتين) ، مصدر فعل السارق . وسوف يسمى «المسروق » « سرقاً » ، بعد قليل ، وهو صحيح فى العربية جيد . وهكذا كان يقوله أئمة الفقهاء القدماء .

(٢) انظر تفسير « الجزاء » فيما سلف من فهارس اللغة (جزى) .

جزاؤه » ، أى : سُلِّم به =« كذلك نجزى الظالمين » ، أى : كذلك نصنع بمن سرقَ منَّا .

١٩٥٥٧ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر قال : بلغنا فى قوله : « قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين » ، أخبروا يوسف بما يحكم فى بلادهم ، أنه من سرق أخذ عبداً ، فقالوا : « جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه » .

١٩٥٥٨ ــ حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى : « قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين » قالوا جزاؤه من وُجد فى رحله فهو جزاؤه » ، تأخذونه فهو لكم .

* * *

قال أبو جعفر : ومعنى الكلام : قالوا : ثوابُ السَّرَق الموجودُ فى رحله = كأنه قيل : « ثوابه استرقاق الموجود فى رحله » ، ثم حذف « استرقاق » ، إذ كان معروفاً معناه . ثم ابتدئ الكلام فقيل : « هو جزاؤه ، كذلك نجزى الظالمين » .

* * *

وقد يحتمل وجهاً آخر : أن يكون معناه قالوا : ثوابُ السَّرق ، الذى يوجدُ السَّرق فى رحله ، فالسَّارق جزاؤه = فيكون «جزاؤه » الأول مرفوعاً بجملة الخبر بعده ، ويكون مرفوعاً بالعائد من ذكره فى « هو » ، و« هو » مرافع « جزاؤه » الثانى .(١)

* * *

ويحتمل وجهاً ثالثاً : وهو أن تكون «مَنْ» جزاءً ،(٢) وتكون مرفوعة بالعائد من ذكره فى « الهاء » التى « فى رحله » ، و « الجزاء » الأول مرفوعاً بالعائد من

---

(١) فى المطبوعة : « رافع » ، وأثبت ما فى المخطوطة . وهذا الوجه الثانى مكرر فى المخطوطة ، كتب مرتين .

(٢) فى المطبوعة : « جزائية » ، وهو تصرف معيب .

ذكره فى « وجد » ، ويكون جواب الجزاء « الفاء » فى « فهو » ، و « الجزاء » الثانى مرفوع بـ « هو » ، فيكون معنى الكلام حينئذ: قالوا جزاء السَّرق ، من وجد السرق فى رحله فهو ثوابه ، يُستَرَقُّ ويُستعبَد.(١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (٧٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ففتش يوسف أوعيتهم ورحالهم ، طالباً بذلك صواعَ الملك ، فبدأ فى تفتيشه بأوعية إخوته من أبيه ، فجعل يفتشها وِعاءً وعاء قبل وعاء أخيه من أبيه وأمه ، فإنه أخّر تفتيشه ، ثم فتش آخرها وعاء أخيه ، فاستخرج الصُّواع من وعاء أخيه . ١٦/١٣

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٥٥٩ ــ حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه » ، ذكر لنا أنه كان لا ينظر فى وعاء إلا استغفر الله ، تأثماً مما قذفهم به ، حتى بقى أخوه ، وكان أصغر القوم ، قال : ما أرى هذا أخذ شيئاً ! قالوا : بلى ، فاستبْرِه ! (٢) ألا وقد علموا حيث وضعوا سقايتهم

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء فى تفسير هذه الآية ، فقد ذكر هذه الوجوه بغير هذا اللفظ .

(٢) « بلى » ، انظر استعمالها فى غير جواب الجحد فيما سلف ، فى التعليق على رقم : ١٦٩٨٧ ،

= « ثم استخرجها من وعاء أخيه » .

١٩٥٦٠ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قال : « فاستخرجها من وعاء أخيه » ، قال : كان كلما فتح متاعاً استغفر تائباً مما صنع ، حتى بلغ متاعَ الغلام فقال : ما أظن هذا أخذ شيئاً ! قالوا : بلى ، فاستَبْره !

١٩٥٦١ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدى قال : « فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه » . فلما بقى رحل الغلام قال : ما كان هذا الغلام ليأخذه ! قالوا : والله لا يترك حتى تنظر فى رحله ، لنذهب وقد طابت نفسك . فأدخلَ يده فاستخرجه من رحله.(١)

١٩٥٦٢ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : لما قال الرسول لهم : « ولمن جاء به حمل بعير وأنابه زعيم » ، قالوا : ما نعلمه فينَا ولا معنَا . قال : لستم ببارحين حتى أفتّش أمتعتكم ، وأعْذِر فى طلبها منكم ! فبدأ بأوعيتهم وعاء وعاءً يفتشها وينظر ما فيها ، حتى مرّ على وعاء أخيه ففتشه ، فاستخرجها منه ، فأخذ برقبته ، فانصرف به إلى يوسف . يقول الله : « كذلك كدنا ليوسف » .

١٩٥٦٣ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : ذُكر لنا أنه كان كلما بَحَثَ متاع رجل منهم استغفر ربه تأثماً ، قد علم أين موضع الذى يَطْلُب ! حتى إذا بقى أخوه ، وعلم أن بغيته فيه ، قال : لا أرى هذا الغلام أخذه ، ولا أبالى أن لا أبحث متاعه ! قال إخوته : إنه أطيبُ لنفسك وأنفسنا أن تستبرئ متاعه أيضاً . فلما فتح متاعه ، استخرج بغيته منه ، قال الله : « كذلك كدنا ليوسف » .

* * *

والمراجع هناك . وقوله « استبره » من « الاستبراء » ، سهلت همزتها ، وأصله : واستبرئه ، و « الاستبراء » طلب البراءة من الشىء ، ما كان تهمة أو عيباً أو قادحاً .

(١) فى المطبوعة : « فاستخرجها » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

واختلف أهل العربية فى « الهاء والألف » ، اللتين فى قوله : « ثم استخرجها من وعاء أخيه » .

فقال بعض نحويى البصرة : هى من ذكر « الصواع » . [قال : وأنّث وقد قال : « ولمن جاء به حمل بعير » ، لأنه عنى « الصواع » . قال : و« الصواع » ، مذكر ، ومنهم من يؤنث « الصواع » ، وعنى ههنا « السقاية » ، وهى مؤنثة . قال : وهما اسمان لواحد ، مثل « الثوب » و « الملحفة » ، مذكر ومؤنث لشىء واحد .

* * *

وقال بعض نحويى الكوفة فى قوله : « ثم استخرجها من وعاء أخيه » ، ذهب إلى تأنيث « السرقة» . قال : وإن يكن « الصواع » فى معنى « الصاع » ،[1] فلعل هذا التأنيث من ذلك . قال : وإن شئت جعلته لتأنيث « السقاية » . قال : و « الصواع »، ذكر ، و« الصاع » يؤنث ويذكر . فمن أنثه قال : « ثلاث أصوُع »، مثل « ثلاث أدور » ، ومن ذكره قال « أصواع » ، مثل : « أبواب » .

* * *

وقال آخر منهم : إنما أنّث« الصواع » حين أنث ، لأنه أريدت به « السقاية »، وذكّر حين ذكّر ، لأنه أريد به « الصواع » . قال : وذلك مثل « الخوان » و« المائدة »، و« سنان الرمح »، و« عالتيه »، وما أشبه ذلك، من الشىء الذى يجتمع فيه اسمان أحدهما مذكر ، والآخر مؤنث .

* * *

وقوله : « كذلك كدنا ليوسف » ، يقول : هكذا صنعنا ليوسف،[2] حتى يخلّص أخاه لأبيه وأمه من إخوته لأبيه، بإقرارٍ منهم أن له أن يأخذه منهم ويحتبسه فى يديه ، ويحول بينه وبينهم . وذلك أنهم قالوا ، إذ قيل لهم : « ما جزاؤه إن كنتم

---

(١) فى المطبوعة : « وإن لم يكن الصواع » ، زاد « لم »، فأفسد الكلام ، وإنما عنى أن « لصاع» يذكر ويؤنث ، فمن أجل ذلك أنث « الصواع » .

(٢) انظر تفسير « الكيد » فيما سلف ص: ١٤١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

كاذبين » : جزاءُ من سرق الصُّواع ، أن من وجد ذلك فى رحله فهو مستَرَقٌّ به . وذلك كان حكمهم فى دينهم . فكاد الله ليوسف، كما وصف لنا ، حتى أخذ أخاه منهم ، فصار عنده بحكمهم وصُنْعِ الله له . ١٣/١٧

* * *

وقوله : « ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك إلا أن يشاء الله » ، يقول : ما كان يوسف ليأخذ أخاه فى حكم ملك مصر وقضائه وطاعته منهم، لأنه لم يكن من حكم ذلك الملك وقضائه أن يسترقّ أحد بالسَّرَق، فلم يكن ليوسف أخذ أخيه فى حكم ملك أرضه ، إلا أن يشاء الله بكيده الذى كاده له، حتى أسلم من وجد فى وعائه الصواع إخوتُه ورفقاؤه بحكمهم عليه ، وطابت أنفسهم بالتسليم .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

* ذكر من قال ذلك :

١٩٥٦٤ — حدثنا الحسن قال ، حدثنا شبابة قال، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله: « ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك » ، إلا فعلة كادها الله له ، فاعتلّ بها يوسف .

١٩٥٦٥ — حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٩٥٦٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد: « كذلك كدنا ليوسف » ، كادها الله له ، فكانت علّةً ليوسف .

١٩٥٦٧ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد: « ليأخذ أخاه فى دين الملك إلا أن يشاء الله » ، قال : إلا فعلة كادها الله ، فاعتلّ بها يوسف = قال حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قوله : « كذلك كدنا ليوسف » ، قال : صنعنا .

١٩٥٦٨ ــ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو، عن أسباط ، عن السدى : « كذلك كدنا ليوسف » ، يقول : صنعنا ليوسف .

١٩٥٦٩ ــ حدثت عن الحسين قال، سمعت أبا معاذ يقول، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « كذلك كدنا ليوسف » ، يقول : صنعنا ليوسف .

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك » .

فقال بعضهم : ما كان ليأخذ أخاه فى سلطان الملك .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٥٧٠ ــ حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك » ، يقول : فى سلطان الملك .

١٩٥٧١ ــ حدثت عن الحسين قال، سمعت أبا معاذ يقول ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك » ، يقول : فى سلطان الملك .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : فى حكمه وقضائه .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٥٧٢ ــ حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : « ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك إلا أن يشاء الله » ، يقول : ما كان ذلك فى قضاء الملك أن يستعبد رجلاً بسرقة .

١٩٥٧٣ ــ حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن

معمر ، عن قتادة : « فى دين الملك » ، قال : لم يكن ذلك فى دين الملك = قال : حكمه .

١٩٥٧٤ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو صالح محمد بن ليث المروزى ، عن رجل قد سماه ، عن عبد الله بن المبارك ، عن أبى مودود المدينى قال : سمعت محمد بن كعب القرظى يقول : « قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه » = « كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه دين الملك » ، قال : دين الملك لا يؤخذ به من سرق أصلاً ، ولكن الله كاد لأخيه حتى تكلموا ما تكلموا به ، فأخذهم بقولهم ، وليس فى قضاء الملك .(١)

١٩٥٧٥ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر قال : بلغه فى قوله : « ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك » ، قال : كان حكم الملك أن من سَرَق ضوعف عليه الغُرْم .

١٩٥٧٦ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى : « ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك » ، يقول : فى حكم الملك .

١٩٥٧٧ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك » ، أى : بظلم ، ولكن الله كاد ليوسف ليضمّ إليه أخاه .

١٩٥٧٨ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : ١٨/١٣
« ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك » ، قال : ليس فى دين الملك أن يؤخذ السارق بسرقته . قال : وكان الحكم عند الأنبياء ، يعقوب وبنيه ، أن يؤخذ السارق بسرقته عبداً يسترقّ .

* * *

(١) الأثر : ١٩٥٧٤ – « محمد بن ليث المروزى » ، « أبو صالح » ، لم أجد له ترجمة فى شىء من المراجع التى بين يدى .

و « أبو مودود المدينى » ، هو « عبد العزيز بن أبى سليمان الهذلى » ، كان قاصاً لأهل المدينة ، كان من أهل النسك والفضل ، وكان متكلماً يعظ ، ورأى أبا سعيد الخدرى وغيره من الصحابة . ثقة ، مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٢/٢/٣٨٤ .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال ، وإن اختلفت ألفاظ قائليها فى معنى « دين الملك » ، فمتقاربة المعانى ، لأن من أخذه فى سلطان الملك عامله بعمله ، فبرضاه أخذه إذاً لا بغيره ، [١] وذلك منه حكم عليه ، وحكمه عليه قضاؤه .

* * *

وأصل « الدين » ، الطاعة . وقد بينت ذلك فى غير هذا الموضع بشواهده بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . [٢]

* * *

وقوله : « إلا أن يشاء الله» ، كما :—

١٩٥٧٩ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى : « إلا أن يشاء الله » ، ولكن صنعنا له ، بأنهم قالوا : « فهو جزاؤه » .

١٩٥٨٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « إلا أن يشاء الله» ، إلا بعلة كادَها الله ، فاعتلّ بها يوسف .

* * *

وقوله : «نرفع درجات من نشاء » ، اختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأه بعضهم : ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتِ مَنْ نَشَاءُ ﴾ بإضافة « الدرجات » إلى « من » ، بمعنى : نرفع منازل من نشاء رفع منازله ومراتبه فى الدنيا بالعلم على غيره ، كما رفعنا مرتبة يوسف فى ذلك ومنزلته فى الدنيا على منازل إخوته ومراتبهم . [٣]

* * *

وقرأ ذلك آخرون : ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ ﴾ بتنوين «الدرجات» ، بمعنى : نرفع

---

(١) فى المطبوعة : « فيرينناه أخذه إذا لم يغيره » ، وهو كلام مختل لا معنى له ، وهو فى المخطوطة غير منقوط بعضه ، وصواب قراءته إن شاء الله ما أثبت ، وأساء الناسخ فى كتابته ، لأنه لم يحسن القراءة عن الأم التى نقل منها ، فجعل « فبرضاه » « فيرناه » ، وجعل « لا » ، « لم » ، أما « بغيره » فهى غير منقوطة فى المخطوطة .

(٢) انظر تفسير « الدين » فيما سلف ٣ : ٦/٥٧١ : ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، وغيرها من المواضع فى فهارس اللغة (دين) .

(٣) انظر تفسير « الدرجة » فيما سلف ١٤ : ١٧٣ ، تعليق : ٦ ، والمراجع هناك .

من نشاء مراتب ودرجات فى العلم على غيره ، كما رفعنا يوسف . فـ « مَن » على هذا القراءة نصبٌ ، وعلى القراءة الأولى خفض . وقد بينا ذلك فى « السورة الأنعام ».(١)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

* ذكر من قال ذلك :

١٩٥٨١ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج قوله : « نرفع درجات من نشاء » ، يوسف وإخوته، أوتوا علماً ، فرفعنا يوسف فوقهم فى العلم .

* * *

وقوله : « وفوق كل ذى علم عليم » ، يقول تعالى ذكره : وفوق كل عالم من هو أعلم منه، حتى ينتهى ذلك إلى الله . وإنما عنى بذلك أنّ يوسف أعلم إخوته ، وأنّ فوق يوسف من هو أعلم من يوسف ، حتى ينتهى ذلك إلى الله .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٥٨٢ ــ حدثنا محمد بن بشار قال ،حدثنا أبو عامر العقدى قال ، حدثنا سفيان ، عن عبد الأعلى الثعلبى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أنه حدّث بحديث فقال رجل عنده : « وفوق كل ذى علم عليم » ، فقال ابن عباس : بئسما قلت ! إن الله هو عليم ، وهو فوق كل عالم .

١٩٥٨٣ ــ حدثنا أبو كريب قال،حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى = ، عن سفيان ، عن عبد الأعلى ، عن سعيد بن جبير قال: حدّث ابن عباس بحديث ، فقال رجل عنده : الحمد لله، « وفوق كل ذى علم عليم» ! فقال ابن عباس: العالم الله ، وهو فوق كل عالم .

---

(١) انظر ما سلف ١١ : ٥٠٥ .

١٩٥٨٤ ـ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن عبد الأعلى ، عن سعيد بن جبير قال : كنا عند ابن عباس ، فحدث حديثاً ، فتعجب رجل فقال : الحمد لله ، « فوق كل ذى علم عليم » ! فقال ابن عباس : بئسما قلت : الله العليم ، وهو فوق كل عالم .

١٩٥٨٥ ـ حدثنا الحسن بن محمد ، وابن وكيع قالا ،حدثنا عمرو بن محمد قال ، أخبرنا إسرائيل ، عن سالم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « وفوق كل ذى علم عليم » ، قال : يكون هذا أعلم من هذا ، وهذا أعلم من هذا ، والله فوق كل عالم .

١٩٥٨٦ ـ حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا سعيد بن منصور قال، أخبرنا أبو الأحوص ، عن عبد الأعلى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وفوق كل ذى علم عليم » ، قال : الله الخبير العليم ، فوق كل عالم .

١٩٥٨٧ ـ حدثنى المثنى قال ، حدثناعبيد الله قال ، أخبرنا إسرائيل ، عن عبد الأعلى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وفوق كل ذى علم عليم » ، قال : الله فوق كل عالم .

١٩/١٣ ١٩٥٨٨ ـ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع= وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى = ، عن أبى معشر ، عن محمد بن كعب قال: سأل رجل عليًّا عن مسألة ، فقال فيها . فقال الرجل : ليس هكذا ! ولكن كذا وكذا . قال علىٌّ : أصبتَ وأخطأتُ ، « وفوق كل ذى علم عليم » .

١٩٥٨٩ ـ حدثنى يعقوب ، وابن وكيع قالا ، حدثنا ابن علية ، عن خالد ، عن عكرمة فى قوله : « وفوق كل ذى علم عليم » ، قال : علم الله فوق كل أحد .

١٩٥٩٠ ـ حدثنا ابن وكيع قال،حدثنا ابن نمير ،عن نضر ،عن عكرمة، عن ابن عباس : « وفوق كل ذى علم عليم » ، قال : الله عز وجل .

١٩٥٩١ ــ حدثنا ابن وكيع ، حدثنا يعلى بن عبيد ، عن سفيان ، عن عبد الأعلى ، عن سعيد بن جبير : « وفوق كل ذى علم عليم » ، قال : الله أعلم من كل أحد .

١٩٥٩٢ ــ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن ابن شبرمة ، عن الحسن فى قوله : « وفوق كل ذو علم عليم » ، قال : ليس عالمٌ إلا فوقه عالم ، حتى ينتهى العلم إلى الله .

١٩٥٩٣ ــ حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا عاصم قال ، حدثنا جويرية ، عن بشير الهجيمى قال : سمعت الحسن قرأ هذه الآية يوماً : « وفوق كل ذى علم عليم » ، ثم وقف فقال : إنه والله ما أمسى على ظهر الأرض عالم إلا فوقه من هو أعلم منه ، حتى يعود العلم إلى الذى علَّمه .

١٩٥٩٤ ــ حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا على ، عن جرير ، عن ابن شبرمة ، عن الحسن : « وفوق كل ذى علم عليم » ، قال : فوق كل عالم عالم ، حتى ينتهى العلم إلى الله .

١٩٥٩٥ ــ حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وفوق كل ذى علم عليم » ، حتى ينتهى العلم إلى الله ، منه بدئ ، وتعلَّمت العلماء ، وإليه يعود . وفى قراءة عبد الله : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ عَالِمٍ عَلِيمٌ ﴾ .

* * *

قال أبو جعفر : إن قال لنا قائل : وكيف جاز ليوسف أن يجعل السقاية فى رحل أخيه ، ثم يُسَرِّق قوماً أبرياء من السَّرَق ،[1] ويقول : « أيتها العير إنكم لسارقون » ؟

قيل : إن قوله : « أيتها العير إنكم لسارقون » ، إنما هو خبرٌ من الله عن مؤذِّن أذَّن به ، لا خبر عن يوسف . وجائز أن يكون المؤذِّن أذَّن بذلك إذ فقد

(١) « يسرق » ، أى ينسبهم إلى السرقة ، «سرقه يسرقه » (بتشديد الراء) : نسبه إلى ذلك .

الصُّواع [١]، ولا يعلم بصنيع يوسف . وجائز أن يكون كان أذّن المؤذن بذلك عن أمر يوسف ، واستجاز الأمر بالنداء بذلك ، لعلمه بهم أنهم قد كانوا سرقوا سَرِقةً في بعض الأحوال ، فأمر المؤذن أن يناديهم بوصفهم بالسَّرق، ويوسف يعني ذلك السَّرق لا سَرَقهم الصُّواع . وقد قال بعض أهل التأويل: إن ذلك كان خطأً من فعل يوسف ، فعاقبه الله بإجابة القوم إيّاه: « إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل»، وقد ذكرنا الرواية فيما مضى بذلك[٢] .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ ۚ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ (٧٧)

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: « قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل»، يعنون أخاه لأبيه وأمه ، وهو يوسف ، كما: —

١٩٥٩٦ — حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا شبابة قال ، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله: « إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل»، ليوسف .

١٩٥٩٧ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٩٥٩٨ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة: « أن فقد الصواع » ، والصواب ما أثبت .

(٢) انظر ما سلف رقم: ١٩٥٥٩ — ١٩٥٦٣ ، وذلك أنه كان يستغفر كلما فتش وعاء من أوعيتهم ، تأثماً مما فعل . وعنى أبو جعفر أن يوسف كان يعلم أنه مخطئ في فعله . أما جواب إخوته له ، فلم يمض له ذكر فيما سلف

ورقاء ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله : « إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل » ، قال : يعني يوسف .

١٩٥٩٩ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد: « فقد سرق أخ له من قبل » ، قال : يوسف .

* * *

وقد اختلف أهل التأويل في « السَّرَق » الذي وصفُوا به يوسف .

فقال بعضهم : كان صنمًا لجده أبي أمه ، كسره وألقاه على الطريق .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٦٠٠ – حدثنا أحمد بن عمرو البصري قال، حدثنا الفيض بن الفضل قال ، حدثنا مسعر ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير : « إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل » ، قال : سرق يوسف صَنَمًا لجده أبي أمه ، كسره وألقاه في الطريق ، فكان إخوته يعيبونه بذلك[1] .

١٩٦٠١ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « فقد سرق أخ له من قبل» ، ذكر أنه سرق صنمًا لجده أبي أمه ، فعيَّروه بذلك .

١٩٦٠٢ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل »، أرادوا بذلك عيبَ نبيّ الله يوسف . وسرقته التي عابوه بها ، صنم كان لجده أبي أمه، فأخذه . إنما أراد نبيُّ الله بذلك الخير ، فعابوه .

١٩٦٠٣ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن

---

(١) الأثر : ١٩٦٠٠ – « أحمد بن عمرو البصري » ، شيخ الطبري ، مضى برقم : ٩٨٧٥ ، ١٣٩٢٨ ، والكلام عنه في الرقم الأول .

و « الفيض بن الفضل البجلي الكوفي » ، مترجم في الكبير ٤/١/١٤٠ ، وابن أبي حاتم ٣/٢/٨٨ ، ولم يذكرا فيه جرحاً . وكان في المطبوعة : «العيص» وأخطأ، لأن المخطوطة واضحة هناك كما أثبتها .

وهذا الخبر ، رواه أبو جعفر في تاريخه ١ : ١٨٢ .

ابن جريج فى قوله : « إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل » ، قال : كانت أمّ يوسف أمرت يوسف يسرق صنماً لخاله يعبده ، وكانت مسلمةً .

* * *

وقال آخرون فى ذلك ما : —

١٩٦٠٤ — حدثنا به أبو كريب قال ، حدثنا ابن إدريس قال ، سمعت أبى قال : كان بنو يعقوب على طعام ، إذْ نظرَ يوسف إلى عَرْق فخبأه ،(١) فعيّروه بذلك : « إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل » .(٢)

* * *

وقال آخرون فى ذلك بما : —

١٩٦٠٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، عن عبد الله بن أبى نجيح ، عن مجاهد أبى الحجاج قال : كان أوّل ما دخل على يوسف من البلاء ، فيما بلغنى ، أن عَمَّتَه ابنة إسحق ، وكانت أكبر ولد إسحق ، وكانت إليها [صارت] منطقة إسحق ،(٣) وكانوا يتوارثونها بالكبر ، فكان من اختانها ممن وليها(٤) كان له سَلَماً لا ينازع فيه ،(٥) يصنع فيه ما يشاء . وكان يعقوب حين وُلِد له يوسف ، كان قد حضَنه عَمَّتَهُ ،(٦) فكان معها وإليها ، فلم يحبَّ أحدٌ شيئاً من الأشياء حُبَّهَا إياه . حتى إذا ترعرع وبلغ سنواتٍ ، ووقعت نفس

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « اضطر يوسف إلى عرق » ، وهو خطأ محض ، وإنما وصل الكاتب « إذ » بقوله بعده « نظر » . و « العرق » (بفتح فسكون) : العظم عليه اللحم . فإن لم يكن عليه لحم ، فهو « عراق » (بضم العين) .

(٢) الأثر : ١٩٦٠٤ — رواه أبو جعفر فى تاريخه ١ : ١٨٢ ، مطولا .

(٣) الزيادة بين القوسين من تاريخ الطبرى .

(٤) فى المطبوعة : « فكان من اختص بها » ، غير ما فى المخطوطة ، فأفسد الكلام وأسقطه . والصواب منها ومن التاريخ . « اختانها » ، سرقها .

(٥) « السلم » (بفتحتين) انقياد المذعن المستخذى ، كالأسير الذى لا يمتنع ممن أسره ، يقال : « أخذه سلماً » ، إذا أسره من غير حرب ، فجاء به منقاداً لا يمتنع .

(٦) فى المطبوعة : « قد كان حضنته عمته » ، وأثبت ما فى التاريخ . وأما المخطوطة ، فهى غير منقوطة .

وقوله : « حضنه عمته » فهو هنا فعل متعد إلى مفعولين ، وليس هذا المتعدى مما ذكرته كتب اللغة وإنما ذكر « حضنت المرأة الصبى » ، إذا وكلت به تحفظه وتربيه ، وهى « الحاضنة » ، تضم إليها الطفل فتكفله . وهذا المتعدى إلى مفعولين ، صحيح عريق فى قياس العربية ، بمعنى : أعطاها إياه لتحضنه . وهذا مما يزاد عليها إن شاء الله .

يعقوب عليه،[١] أتاها فقال: يا أخيَّة، سلّمي إليّ يوسف، فوالله ما أقدر على أن يغيب عني ساعة! قالت: فوالله ما أنا بتاركته،[٢] والله ما أقدر أن يغيب عني ساعة![٣] قال: فوالله ما أنا بتاركه! قالت: فدعه عندي أياماً أنظرْ إليه، وأسكن عنه، لعل ذلك يسلّيني عنه = أو كما قالت. فلما خرج من عندها يعقوب، عمدت إلى مِنْطقة إسحق فحزمتها على يوسف من تحت ثيابه، ثم قالت: لقد فقدت مِنْطقة إسحق، فانظروا من أخذها ومن أصابها؟ فالتُمِسَتْ. ثم قالت: كشّفوا أهل البيت![٤] فكشفوهم، فوجدوها مع يوسف. فقالت: والله إنه لي لسَلَمٌ، أصنع فيه ما شئت. قال: وأتاها يعقوب فأخبرته الخبر. فقال لها: أنت وذاكِ، إن كان فعل ذلك، فهو سَلَمٌ لك، ما أستطيع غير ذلك. فأمسكته فما قدر عليه حتى ماتت. قال: فهو الذي يقول إخوة يوسف حين صنع بأخيه ما صنع حين أخذه: «إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل».[٥]

= قال ابن حميد. قال ابن إسحق: لما رأى بنو يعقوب ما صنع إخوة يوسف ولم يشكُّوا أنه سرق، قالوا= أسفاً عليه، لما دخل عليهم في أنفسهم،[٦] تأنيباً له=: «إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل». فلما سمعها يوسف قال: «أنتم شرٌّ مكاناً»،

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة: «وقعت» بغير واو، والصواب إثباتها، كما في تاريخ الطبري وقوله: «وقعت نفسه عليه»، أي اشتاق إليه اشتياقاً شديداً. وهذا مجاز لم تذكره معاجم اللغة، وهو في غاية الحسن والدقة وبلاغة الأداء عن النفس. وانظر بعد قوله: «ما أقدر على أن يغيب عني ساعة»، فهو دليل على المعنى الذي استظهرته.

(٢) في المطبوعة: «فقالت: والله...»، غير ما في المخطوطة، وهو الموافق لما في تاريخ الطبري أيضاً.

(٣) قولها: «والله ما أقدر...»، ليست في تاريخ الطبري، فهي زيادة في المخطوطة.

(٤) في المطبوعة: «اكشفوا»، وأثبت ما في المخطوطة والتاريخ

(٥) الأثر: ١٩٦٠٥ – إلى هذا الموضع، رواه أبو جعفر في تاريخه ١: ١٧٠.

(٦) في المطبوعة والمخطوطة: «أسفاً عليهم»، وهو لا يكاد يستقيم، وكان في المخطوطة أيضاً: «في أنفسنا»، فصححها في المطبوعة، وأصاب.

سِرًّا فى نفسه، ولم يبدها لهم= « والله أعلم بما تصفون » .

* * *

وقوله : « فأسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكاناً والله أعلم بما تصفون » ، يعنى بقوله : « فأسرها » ، فأضمرها.(١)

* * *

وقال : « فأسرها » ، فأنث ، لأنه عنى بها « الكلمة » ، وهى : « أنتم شر مكاناً والله أعلم بما تصفون » . ولو كانت جاءت بالتذكير ، كان جائزاً ، كما قيل: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾، [سورة هود: ٤٩]، و: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى﴾، [سورة هود : ١٠٠]

* * *

وكنى عن « الكلمة » . ولم يجر لها ذكر متقدِّم . والعرب تفعل ذلك كثيراً إذا كان مفهوماً المعنى المرادُ عند سامعى الكلام ، وذلك نظير قول حاتم الطائى :

أَمَاوِيَّ مَا يُغْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الْفَتَى إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْماً وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ(٢) ٢١/١٢

---

(١) انظر تفسير « الإسرار » فيما سلف ص: ٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك

(٢) ديوانه : ٣٩ ، وغيره ، من قصيدته المشهورة ، يقول بعده ، وهو من رائع الشعر :

إِذَا أَنَا دَلَّانِي الَّذِينَ أُحِبُّهُمْ بِمَلْحُودَةٍ زَلْخٍ ، جَوَانِبُهَا غُبْرُ

وَرَاحُوا عِجَالاً يَنفُضُونَ أَكُفَّهُمْ يَقُولُونَ : قَدْ دَمَّى أَنَامِلَنَا الْحَفْرُ!

« ملحودة » ، يعنى قبراً قد لحد له . و « زلخ » ، ملساء ، يزل نازلها فيتردى فيها .

يريد: وضاق بالنفس الصدر= فكنى عنها ولم يجر لها ذكر ، إذ كان فى قوله : « إذا حشرجت يوماً » ، دلالة لسامع كلامه على مراده بقوله : « وضاق بها » .

ومنه قول الله: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ، [سورة النحل : ١١٠] ، فقال : « من بعدها » ، ولم يجر قبل ذلك ذكر لاسم مؤنث .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٦٠٦ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « فأسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم » ، أما الذى أسرَّ فى نفسه فقوله : « أنتم شر مكاناً والله أعلم بما تصفون » .

١٩٦٠٧ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « فأسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكاناً والله أعلم بما تصفون » ، قال : هذا القول .

١٩٦٠٨ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « فأسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم » ، يقول : أسرَّ فى نفسه قوله : « أنتم شر مكاناً والله أعلم بما تصفون » .

* * *

وقوله : « والله أعلم بما تصفون » ، يقول : والله أعلم بما تكذبون فيما تصفون به أخاه بنيامين.(١)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) انظر تفسير « الوصف » فيما سلف : ١٥ : ٥٨٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

١٩٦٠٩ ــ حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا شبابة قال ، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : « أنتم شر مكاناً والله أعلم بما تصفون » ، يقولون : يوسف يقوله .

١٩٦١٠ ــ حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٩٦١١ ــ حدثني المثنى قال ، أخبرنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٩٦١٢ ــ حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « والله أعلم بما تصفون » ، أي : بما تكذبون .

* * *

قال أبو جعفر : فمعنى الكلام إذًا : فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم، قال : أنتم شرّ عند الله منزلاً ممن وصفتموه بأنه سرق وأخبث مكاناً ، بما سلف من أفعالكم ، والله عالم بكذبكم ، وإن جهله كثيرٌ ممن حضرَ من الناس .

* * *

وذكر أن الصّواع لما وُجد في رحل أخي يوسف تلاوَمَ القوم بينهم ، كما :ــ

١٩٦١٣ ــ حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عمرو ،عن أسباط ، عن السدي قال : لما استخرجت السرقة من رحل الغلام ، انقطعت ظهورهم وقالوا : يا بني راحيل ، ما يزال لنا منكم بلاء ! متى أخذت هذا الصواع ؟[1] فقال بنيامين : بل بنو راحيل الذين لا يزال لهم منكم بلاء ، ذهبتم بأخي فأهلكتموه في البرية ! وضَع هذا الصواع في رحلي ، الذي وضع الدراهم في رحالكم ! فقالوا : لا تذكر الدراهم فنؤخذ بها ! فلما دخلوا على يوسف ، دعا بالصواع فنقرَ فيه ، ثم أدناه من أذنه ، ثم قال : إن صواعي هذا ليخبرني أنكم كنتم اثني عشر رجلاً ، وأنكم انطلقتم

(١) في المطبوعة : « حتى أخذت» ، والصواب من المخطوطة والتاريخ .

بأخٍ لكم فبعتموه. فلما سمعها بنيامين قام فسجد ليوسف ، ثم قال : أيها الملك ، سل صواعك هذا عن أخى ، أحيٌّ هو ؟[١] فنقره ، ثم قال : هو حيٌّ ، وسوف تراه . قال : فاصنع بى ما شئت ، فإنه إن علم بى فسوف يستنقذنى . قال : فدخل يوسف فبكى ، ثم توضّأ ، ثم خرج . فقال بنيامين : أيها الملك ، إنى أريد أن تضرب صُواعك هذا فيخبرك بالحقّ ، فسله : من سرقه فجعله فى رحلى ؟ فنقره فقال : إن صواعى هذا غضبان ، وهو يقول : كيف تسألنى مَنْ صاحبى ،[٢] وقد رأيتَ مع من كنت ؟[٣] قال : وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لم يطاقُوا ، فغضب روبيل وقال : أيها الملك ، والله لتتركنا أو لأصيحنّ صيحة لا يبقى بمصر امرأةٌ حامل إلا ألقت ما فى بطنها ! وقامت كل شعرة فى جسد رُوبيل ، فخرجت ٢٢/١٣
من ثيابه ، فقال يوسف لابنه : قم إلى جنب روبيل فمسّه . وكان بنو يعقوب إذا غضب أحدهم فمسّه الآخر ذهب غضبه . فمر الغلام إلى جنبه فمسّه ، فذهب غضبه ، فقال روبيل : مَنْ هذا ؟ إن فى هذا البلد لبَزْراً من بَزْر يعقوب ![٤] فقال يوسف : من يعقوب ؟ فغضب روبيل فقال : يا أيها الملك ، لا تذكر يعقوب فإنه سَرِىُّ الله ،[٥] ابن ذبيح الله ، ابن خليل الله ! قال يوسف[٦] : أنتَ إذاً إن كنت صادقاً .[٧]

* * *

(١) فى التاريخ : « أين هو » ، ولكنه فى المخطوطة : « أحى هو » .

(٢) فى المطبوعة : « عن صاحبى » ، والصواب من المخطوطة والتاريخ .

(٣) فى المطبوعة وحدها : « وقد رؤيت » .

(٤) « البزر » (بفتح فسكون) ، الولد . يقال : « ما أكثر بزره » ، أى : ولده .

(٥) فى التاريخ : « إسرائيل الله » ، وكأن الذى فى التفسير هو الصواب ، لأن « إيل » بمعنى « الله » ، و « إسرا » ، يضاف إليه ، وكأن « إسرا » ، بمعنى « سرى » ، وهو بمعنى المختار ، كأنه : « صفى الله » الذى اصطفاه . وفى تفسير ذلك اختلاف كثير .

(٦) فى المطبوعة ، حذف « إن » من قوله : « إن كنت صادقاً » .

(٧) الأثر : ١٩٦١٣ — رواه أبو جعفر فى تاريخه مطولا ١ : ١٨٢ ، ١٨٣ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (٧٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره . قالت إخوة يوسف ليوسف: « يا أيها العزيز »، يا أيها الملك [١] = « إن له أباً شيخاً كبيراً » ، كلفاً بحبّه ، يعنون يعقوب= « فخذ أحدنا مكانه »، يعنون : فخذ أحداً منّا بدلاً من بنيامين، وخلِّ عنه = « إنا نراك من المحسنين » ، يقول : إنا نراك من المحسنين فى أفعالك .

* * *

وقال محمد بن إسحق فى ذلك ما : —

١٩٦١٤ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « إنا نراك من المحسنين » ، إنا نرى ذلك منك إحساناً إن فعلتَ .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَـٰعَنَا عِندَهُۥٓ ۖ إِنَّآ إِذًا لَّظَـٰلِمُونَ﴾ (٧٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: قال يوسف لإخوته: « معاذ الله »، أعوذ بالله .

* * *

وكذلك تفعل العرب فى كل مصدر وضعته موضع « يفعل» و « تفعل »، فإنها تنصب ، كقولهم : « حمداً لله ، وشكراً له » ، بمعنى : أحمد الله وأشكره .

* * *

والعرب تقول فى ذلك : « معاذَ الله » ، و « معاذةَ الله»، فتدخل فيه هاء

---

(١) انظر تفسير « العزيز » فيما سلف ص : ، ٦٢ ، تعليق : ٥، والمراجع هناك

التأنيث ، كما يقولون : « ما أحسن معناة هذا الكلام » = و « عوذ الله » و « عوذة الله » و « عياذ الله » . ويقولون : « اللهم عائذاً بك ، كأنه قيل : « أعوذ بك عائذاً » ، أو أدعوك عائذاً .

* * *

= « أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده » ، يقول : أستجير بالله من أن نأخذ بريئاً بسقيم ، (١) كما : —

١٩٦١٥ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنّا إذاً لظالمون » ، يقول : إن أخذنا غير الذى وجدنا متاعنا عنده ، إنّا إذاً نفعل ما ليس لنا فعله ونجور على الناس .

١٩٦١٦ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى : « قالوا يا أيها العزيز إنّ له أباً شيخاً كبيراً فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين * قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذاً لظالمون » ، قال يوسف : إذا أتيتم أباكم فاقرأوه السلام وقولوا له : إن ملك مصر يدعُو لك أن لا تموت حتى ترى ابنك يوسف ، حتى يعلَم أنّ فى أرض مصر صدِّيقين مثلَه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ﴾ (٨٠)

قال أبو جعفر يعنى تعالى ذكره : « فلما استيأسوا منه » ، فلما يئسوا منه من أن يخلّى يوسف عن بنيامين ، ويأخذ منهم واحداً مكانه ، وأن يجيبهم إلى ما سألوه من ذلك .

* * *

(١) انظر تفسير « عاذ » فيما سلف ص : ٣٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

وقوله : « استيأسوا » ، « استفعلوا » ، من : « يئس الرجل من كذا ييأس » ، كما : —

١٩٦١٧ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « فلما استيأسوا منه » ، يئسوا منه ، ورأوا شدّته فى أمره

* * *

وقوله : « خلصوا نجيًّا » ، يقول : بعضهم لبعض يتناجون ، لا يختلط بهم غيرهم .

* * *

و « النجىّ » ، جماعة القوم المنتجين ، يسمى به الواحد والجماعة ، كما يقال : « رجل عدل ، ورجال عدل » ، و« قوم زَوْر ، و فِطْر » . وهو مصدر من قول القائل : « نجوت فلانا أنجوه نجيًّا » ، جعل صفة ونعتاً . ومن الدليل على أن ذلك كما ذكرنا ، قول الله ﴿ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾ [سورة مريم : ٥٢] ، فوصف به الواحد. وقال فى هذا الموضع : « خلصوا نجيًّا » ، فوصف به الجماعة ، ويجمع « النجىّ » « أنجية » ، كما قال لبيد :

وَشَهِدْتُ أَنْجِيَةَ الأُفَاقَةِ عَالِيًا كَعْبِي وَأَرْدَافُ الْمُلُوكِ شُهُودُ(١)

وقد يقال للجماعة من الرجال : « نَجْوَى » كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى ﴾ [سورة الإسراء : ٤٧] ، وقال : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ ﴾ [سورة المجادلة : ٧] ، وهم القوم الذين يتناجون . وتكون « النجوى » أيضاً مصدراً ، كما قال الله : ٢٣/١٣

(١) ديوانه ، قصيدة : ٧ ، بيت : ٧ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٣١٥ من أبيات يقولها لابنته بسرة ، يذكر طول عمره ، فيقول لها :

وَلَقَدْ سَئِمْتُ من الحَيَاةِ وطُولِهَا وسُؤَالِ هٰذَا النَّاسِ : كَيْفَ لَبِيدُ؟
وَغَنِيتُ سَبْتاً قَبْلَ مَجْرَى دَاحِسٍ لَوْ كَانَ لِلنَّفْسِ اللَّجُوجِ خُلُودُ
وَشَهِدْتُ . . . . . .

« مجرى داحس » ، هو الخبر المشهور عن داحس والغبراء ، وإجرائهما ، وكانت بسببه الحرب بين عبس وذبيان أربعين سنة ، وقوله : « سبتاً » ، أى : دهراً .

و « الأفاقة » اسم موضع ، حيث كان اليوم المشهور بين لبيد ، والربيع بن زياد العبسى .

و « أرداف الملوك » ، من « الردف » ، وهو الذى يكون مع الملك ، وينوب عنه إذا قام من مجلسه .

﴿ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ ﴾ [سورة المجادلة : ١٠]، تقول منه : « نجوت أنجو نجوى » فهى ، فى هذا الموضع ، المناجاة نفسها ، ومنه قول الشاعر (١) :

بُنَيَّ بَدَا خِبُّ نَجْوَى الرِّجَالِ فَكُنْ عِنْدَ سِرِّكَ خَبَّ النَّجِيِّ (٢)

فـ « النجوى » و « النجى » ، فى هذا البيت بمعنى واحد ، وهو المناجاة ، وقد جمع بين اللغتين .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله : « خلصوا نجيًّا » ، قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٦١٨ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى : «فلما استيأسوا منه خلصوا نجيًّا » ، وأخلص لهم شمعون، وقد كان ارتهنه ، خَلَوْا بينهم نجيًّا ، يتناجون بينهم .

١٩٦١٩ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « خلصوا نجيًّا » ، خلصوا وحدهم نجيًّا .

١٩٦٢٠ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « خلصوا نجياً » أى : خلا بعضهم ببعض ، ثم قالوا : ماذا ترون ؟

* * *

وقوله : « قال كبيرهم » ، اختلف أهل العلم فى المعنىّ بذلك .

---

(١) هو الصلتان العبدى

(٢) شرح الحماسة ٣ : ١١٢ ، والشعر والشعراء : ٤٧٩ ، والخزانة ١ : ٣٠٨ ، وغيرها ، وهو من وصيته المشهورة التى أوصى بها ولده التى يقول فيها :

أَشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الكَبِيرَ كَرُّ الغَدَاةِ وَمَرُّ العَشِي

ثم يقول له بعد البيت الشاهد :

وَسِرُّكَ مَا كَانَ عِنْدَ امْرِئٍ وَسِرُّ الثَّلَاثَةِ غَيْرُ الخَفِي

و « الخب » (بكسر الخاء) ، المكر ، و « الخب » (بفتحها) ، المكار .

فقال بعضهم : عنى به كبيرهم فى العقل والعلم ، لا فى السن ، وهو شمعون . قالوا : وكان روبيل أكبر منه فى الميلاد .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٦٢١ ــ حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله: «قال كبيرهم »، قال: هو شمعون الذى تخلّف ، وأكبر منه = أو : أكبر منهم = فى الميلاد ، روبيل .

١٩٦٢٢ ــ حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا شبابة قال ، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد: « قال كبيرهم » ، شمعون الذى تخلّف ، وأكبر منه فى الميلاد روبيل .

١٩٦٢٣ ــ حدثنى المثنى قال ،حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٩٦٢٤ ــ حدثنى المثنى قال ، أخبرنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن الزبير ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « قال كبيرهم » ، قال : شمعون الذى تخلف ، وأكبرهم فى الميلاد روبيل .

* * *

وقال آخرون : بل عنى به كبيرهم فى السن ، وهو روبيل .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٦٢٥ ــ حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « قال كبيرهم » ، وهو روبيل ، أخو يوسف ، وهو ابن خالته ، وهو الذى نهاهم عن قتله .

١٩٦٢٦ ــ حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « قال كبيرهم » ، قال : روبيل ، وهو الذى أشار عليهم أن لا يقتلوه .

١٩٦٢٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو، عن أسباط، عن السدى : « قال كبيرهم » ، فى العلم [١] = « إن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله ومن قبل ما فرطتم فى يوسف فلن أبرح الأرض » ، الآية ، فأقام روبيل بمصر، وأقبل التسعة إلى يعقوب، فأخبروه الخبرَ فبكى وقال: يا بنىّ، ما تذهبون مرّة إلا نقصتم واحداً ! ذهبتم مرة فنقصتم يوسف، وذهبتم الثانية فنقصتم شمعون، وذهبتم الآن فنقصتُم روبيل !

١٩٦٢٨ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « فلما استيأسوا منه خلصوا نجيًّا » ، قال : ماذا ترون ؟ فقال روبيل ، كما ذكر لى ، وكان كبير القوم : « ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله لتأتنى به إلا أن يحاط بكم ومن قبل ما فرطتم فى يوسف » ، الآية .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصحة ، قولُ من قال : عنى بقوله : «قال كبيرهم » ، روبيل ، لإجماع جميعهم على أنه كان أكبرهم سنًّا . ولا تفهم العرب فى المخاطبة إذا قيل لهم : « فلان كبير القوم » ، مطلقاً بغير وصل ، إلا أحد معنيين : إما فى الرياسة عليهم والسؤدد ، وإما فى السن . فأما فى العقل ، فإنهم إذا أرادوا ذلك وصَلوه فقالوا : « هو كبيرهم فى العقل » . فأما إذا أطلق بغير صلته بذلك ، فلا يفهم إلا ما ذكرت .

وقد قال أهل التأويل : لم يكن لشمعون = وإن كان قد كان من العلم والعقل بالمكان الذى جعله الله به = على إخوته رياسةٌ وسؤدد ، فيعلم بذلك أنه عنى بقوله : « قال كبيرهم » . فإذا كان ذلك كذلك ، فلم يبق إلا الوجه الآخر ، وهو الكبر ١٣/٢٤

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « فى العلم » ، ولم أجد ما أستوثق به من أن يكون الخبر فى معنى الترجمة ، أعنى مكان « فى العلم » ، « فى السن » .

فى السن . وقد قال الذين ذكرنا جميعاً : « روبيل كان أكبر القوم سنًّا »، فصح بذلك القول الذى اخترناه .

* * *

وقوله : « ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله »، يقول : ألم تعلموا، أيها القوم، أنّ أباكم يعقوب قد أخذ عليكم عهودَ الله ومواثيقه :[1] لنأتينه به جميعاً إلا أن يحاط بكم = « ومن قبل ما فرطتم فى يوسف »،[2] ومن قبل فعلتكم هذه ، تفريطكم فى يوسف . يقول : أو لم تعلموا من قبل هذا تفريطَكم فى يوسف؟ = وإذا صرف تأويل الكلام إلى هذا الذى قلناه ، كانت « ما » حينئذ فى موضع نصب .

وقد يجوز أن يكون قوله : « ومن قبل ما فرطتم فى يوسف » ، خبراً مبتدأ ، ويكون قوله : « ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله » خبراً متناهياً ، فتكون « ما » حينئذ فى موضع رفع ، كأنه قيل : « ومن قبل هذا تفريطُكم فى يوسف = فتكون ، « ما » مرفوعة « بمن » قبلُ .

هذا ويجوز أن تكون « ما » التى هى صلة فى الكلام،[3] فيكون تأويل الكلام : ومن قبل هذا فرطتم فى يوسف .[4]

* * *

وقوله : « فلن أبرح الأرض » ، التى أنا بها ، وهى مصر ، فأفارقها = « حتى يأذن لى أبى » ، بالخروج منها ، كما : —

١٩٦٢٩ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « فلن أبرح الأرض » ، التى أنا بها اليوم = « حتى يأذن لى أبى »، بالخروج منها .

١٩٦٣٠ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن

---

(١) انظر تفسير « الموثق » فيما سلف ص : ١٦٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك

(٢) زدت نص الآية ، وإن لم يكن ثابتاً فى المخطوطة أو المطبوعة .

(٣) فى المطبوعة : « التى تكون صلة » ، وفى المخطوطة : « التى صلة » ، ورجحت ما أثبتت = و « الصلة » ، الزيادة ، انظر ما سلف من فهارس المصطلحات .

(٤) فى المطبوعة « تفريطكم فى يوسف » ، والصواب ما أثبت ، لأن « ما » زائدة هنا

ابن أبي نجيح ، عن مجاهد: قال شمعون : « لن أبرح الأرض حتى يأذن لى أبى أو يحكم الله لى وهو خير الحاكمين » .

* * *

وقوله : «أو يحكم الله»، أو يقضى لى ربى بالخروج منها، وترك أخى بنيامين، وإلا فإنى غير خارج = « وهو خير الحاكمين » ، يقول : والله خير من حكم ، وأعدل من فصل بين الناس.(١)

* * *

وكان أبو صالح يقول فى ذلك بما : —

١٩٦٣١ — حدثنى الحسين بن يزيد السبيعى قال ، حدثنا عبد السلام بن حرب ، عن إسمعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح فى قوله : « حتى يأذن لى أبى أو يحكم الله لى » ، قال : بالسيف .

* * *

= وكأنّ أبا صالح وجّه تأويل قوله: « أو يحكم الله لى »، إلى: أو يقضى الله لى بحرب من مَنَعنى من الانصراف بأخى بنيامين إلى أبيه يعقوب فأحاربه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾ (٨١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره ، مخبراً عن قيل روبيل لإخوته ، حين أخذ يوسف أخاه بالصواع الذى استخرج من وعائه : ارجعوا ، إخوتى ، إلى أبيكم يعقوب فقولوا له: يا أبانا ، إن ابنك بنيامين سرق .

* * *

(١) انظر تفسير « الحكم » فيما سلف من فهارس اللغة (حكم)

والقرأة على قراءة هذا الحرف بفتح السين والراء والتخفيف : ﴿إنّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾.

* * *

ورُوِى عن ابن عباس : ﴿إنّ ابْنَكَ سُرِّقَ﴾ : بضم السين وتشديد الراء، على وجه ما لم يسمّ فاعله ، بمعنى : أنه سُرِّق = « وما شهدنا إلا بما علمنا » .

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : معناه : وما قلنا إنه سرق إلا بظاهر علمنا بأن ذلك كذلك ، لأن صواع الملك أصيب فى وعائه دون أوعية غيره .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٦٣٢ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق ، « ارجعوا إلى أبيكم » ، فإنى ما كنت راجعاً حتى يأتينى أمرُه = «فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا »، أى : قد وجدت السرقة فى رحله ، ونحن ننظر ، لا علم لنا بالغيب = « وما كنا للغيب حافظين » .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وما شهدنا عند يوسف ، بأن السارق يؤخذ بسرقته ، إلاّ بما علمنا .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٦٣٣ ــ حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : قال لهم يعقوب عليه السلام : ما يدرى هذا الرجل أن السارق يؤخذ بسرقته إلا بقولكم ! فقالوا : « ما شهدنا إلا بما علمنا » ، لم نشهد أن السارق يؤخذ بسرقته إلا وذلك الذى علمنا . قال : وكان الحكم عند الأنبياء ، يعقوب وبنيه ، أن يؤخذ السارق بسرقته عبداً فيسترقّ .

* * *

٢٥/١٣ وقوله : « وما كنا للغيب حافظين » ، يقول : وما كنا نرى أن ابنك يسرق

ويصير أمرنا إلى هذا ، وإنما قلنا : « ونحفظ أخانا »، مما لنا إلى حفظه منه السبيل .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٦٣٤ – حدثنا الحسين بن الحريث أبو عمار المروزى . قال ، حدثنا الفضل بن موسى ، عن الحسين بن واقد ، عن يزيد ، عن عكرمة : « وما كنا للغيب حافظين » ، قال : ما كنا نعلم أن ابنك يسرق .[1]

١٩٦٣٥ – حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا شبابة قال ، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله : « وما كنا للغيب حافظين » ، لم نشعر أنه سيسرق .

١٩٦٣٦ – حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وما كنا للغيب حافظين » ، قال : لم نشعر أنه سيسرق .

١٩٦٣٧ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وما كنا للغيب حافظين » ، قال : لم نشعر أنه سيسرق .

١٩٦٣٨ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد = وأبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة : « وما كنا للغيب

---

(١) الأثر ١٩٦٣٤ – « الحسين بن الحريث » ، « أبو عمار المروزى » ، شيخ الطبرى ، مضى برقم ١١٧٧١ .

« الفضل بن موسى السينانى » ، مضى أيضاً برقم : ١١٧٧١ .

« الحسين بن واقد المروزى » ، مضى أيضاً برقم : ٤٨١٠ ، ٦٣١١ ، ١١٧٧١ ، وكان فى المخطوطة والمطبوعة هنا أيضاً « الحسن بن واقد » ، وهو خطأ بين ، كما أشرت إليه قبل .

حافظين » ، قال : ما كنا نظن ولا نشعر أنه سيسرق .

١٩٦٣٩ ــ حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وما كنا للغيب حافظين » ، قال : ما كنا نرى أنه سيسرق .

١٩٦٤٠ ــ حدثنا محمد بن عبد الأعلى . قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « وما كنا للغيب حافظين » ، قال : ما كنا نظن أن ابنك يسرق .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين بالصواب عندنا فى قوله : « وما شهدنا إلا بما علمنا » ، قولُ من قال : وما شهدنا بأن ابنك سرق إلا بما علمنا من رؤيتنا للصواع فى وعائه = لأنه عَقِيب قوله : « إن ابنك سرق » ؛ فهو بأن يكون خبراً عن شهادتهم بذلك ، أولى من أن يكون خبراً عما هو منفصل .

* * *

وذكر أن : « الغيب » ، فى لغة حمير ، هو الليل بعينه.(١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ (٨٢)

قال أبو جعفر : يقول : وإن كنتَ مُتَّهماً لنا ، لا تصدقنا على ما نقول من أن ابنك سرق : « فاسأل القرية التى كنا فيها » ، وهى مصر ، يقول : سل من فيها من أهلها = « والعير التى أقبلنا فيها » ، وهى القافلة التى كنا فيها ،(٢) التى أقبلنا منها معها ، عن خبر ابنك وحقيقة ما أخبرناك عنه من سَرَقِه ،(٣) فإنك تَخْبُر

(١) هذا معنى عزيز فى تفسير « الغيب » ، لم أجده فى شىء من كتب اللغة التى بين أيدينا .

(٢) انظر تفسير : « العير » فيما سلف ص : ١٧٣ ، ١٧٤

(٣) سرق الشىء يسرقه سرقاً (بفتحتين) ، وسرقاً (بفتح السين وكسر الراء) ، وسرقة .

مصداق ذلك = « وإنّا لصادقون » ، فيما أخبرناك من خبره .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٦٤١ ــ حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « واسأل القرية التى كنا فيها » ، وهى مصر .

١٩٦٤٢ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « واسأل القرية التى كنا فيها » ، قال : يعنون مصر .

١٩٦٤٣ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : قد عرف رُوبيل فى رَجْع قوله لإخوته، أنهم أهلُ تُهَمَةٍ عند أبيهم، لما كانوا صنعوا فى يوسف . وقولهم له : «اسأل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها » ، فقد علموا ما علمنا وشهدوا ما شهدنا ، إن كنت لا تصدقنا = « وإنا لصادقون » .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (٨٣)

قال أبو جعفر : فى الكلام متروك ، وهو : فرجع إخوة بنيامين إلى أبيهم وتخلف روبيل ، فأخبروه خبره ، فلما أخبروه أنه سرق = « قال بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً » ، يقول : بل زينت لكم أنفسكم أمراً هممتم به وأردتموه[1] = « فصبر جميل » ، يقول : فصبرى على ما نالنى من فقد ولدى ، صبرٌ جميل لا جزع فيه

(١) انظر تفسير : « التسويل » فيما سلف ١٥ : ٥٨٣ .

ولا شكاية[١] = عسى الله أن يأتيني بأولادي جميعاً فيردّهم عليّ = « إنه هو العليم »، بوَحْدتي ، وبفقدهم وحزني عليهم ، وصِدْقِ ما يقولون من كذبه = « الحكيم » ، في تدبيره خلقه .[٢] ٢٦/١٣

* * *

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٦٤٤ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : « بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل » ، يقول : زينت = وقوله : « عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً » ، يقول : بيوسف وأخيه وروبيل .

١٩٦٤٥ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال : لما جاءوا بذلك إلى يعقوب ، يعني بقول روبيل لهم، اتّهمهم وظنّ أن ذلك كفعلتهم بيوسف ، ثم قال : « بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً » ، أي : بيوسف وأخيه وروبيل .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (٨٤)

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره ، بقوله : « وتولى عنهم » ، وأعرض عنهم يعقوب[٣] = « وقال يا أسفا على يوسف » ، يعني : يا حزَنا عليه .

* * *

(١) انظر تفسير : « صبر جميل » فيما سلف ١٥ : ٥٨٤ .
(٢) انظر تفسير : « العليم » و « الحكيم » فيما سلف عن فهارس اللغة (علم) ، (حكم) .
(٣) انظر تفسير : « التولي » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .

يقال : إن « الأسف »، هو أشدُّ الحزن والتندم . يقال منه : « أسِفْتُ على كذا آسَفُ عليه أسَفاً » .

* * *

يقول الله جل ثناؤه : وابيضَّت عينا يعقوب من الحزن = « فهو كظيم » ، يقول : فهو مكظوم على الحزن ، يعنى أنه مملوء منه ، مُمْسِك عليه لا يُبينه .

* * *

= صُرِف «المفعول» منه إلى «فعيل»، ومنه قوله : ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ﴾ [سورة آل عمران : ١٣٤] ، وقد بينا معناه بشواهده فيما مضى .(١)

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ما قلنا فى تأويل قوله : « وقال يا أسفَا على يوسف » :

١٩٦٤٦ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « وتولى عنهم » ، أعرض عنهم ، وتتامَّ حزنه وبلغ مجهودَه ، حين لحق بيوسف أخوه ، وهيَّج عليه حزنه على يوسف فقال : « يا أسَفَا على يوسف وابيضَّت عيناه من الحزن فهو كظيم » .

١٩٦٤٧ ــ حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وتولى عنهم وقال يا أسفَا على يوسف » ، يقول : يا حزنى على يوسف .

١٩٦٤٨ ــ حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا شبابة قال ، حدثنا ورقاء = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء = ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله : « يا أسفا على يوسف » ، يا حزَنَا .

١٩٦٤٨م ــ حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « يا أسفا على يوسف » ، يا جزعاه .

---

(١) انظر تفسير « الكظم » فيما سلف ٧ : ٢١٤ .

١٩٦٤٩ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « يا أسفا على يوسف » ، يا جزَعاه حزناً .

١٩٦٥٠ ــ حدثني المثنى قال، أخبرنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « يا أسفا على يوسف» ، يا جزَعَا .

١٩٦٥١ ــ حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يا أسفَا على يوسف » ، أي : حزَنَاه .

١٩٦٥٢ ــ حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر ، عن قتادة : « يا أسفَا على يوسف »، قال : يا حزناه على يوسف .[1]

١٩٦٥٣ ــ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا محمد بن حميد المعمرى، عن معمر ، عن قتادة ، نحوه .

١٩٦٥٤ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « وقال يا أسفا على يوسف »، . . . . . .[2]

١٩٦٥٥ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع= وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي = ، عن أبي حجيرة ، عن الضحاك : « يا أسفا على يوسف »، قال: يا حزَنَا على يوسف .

١٩٦٥٦ ــ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو ، عن أبي مرزوق ، عن جوبير ، عن الضحاك : « يا أسفَا »، يا حزَنَاه .[3]

---

(١) في المطبوعة ، أسقط قوله : « على يوسف » .

(٢) لم يذكر مقالة ابن عباس في تفسير الآية ، سقط من النساخ .

(٣) الأثر : ١٩٦٥٦ – « عمرو » ، لعله « عمرو بن حماد بن طلحة القناد »، وهو الذي يروى عنه « سفيان بن وكيع » = أو « عمرو بن عون » ، وقد أكثر الرواية عنه .

وأما « أبو مرزوق » هذا ، فلم أستطع أن أجد له ذكراً ، و « أبو مرزوق التجيبي » ، و « أبو مرزوق » الذي روى عن أبي غالب عن أبي أمامة ، أقدم من هذا الذي يروى عن « جويبر » .

فهذا إسناد في النفس منه شيء ، وأخشى أن يكون سقط منه بعض رواته ، فاستبهم على بيانه .

١٩٦٥٧ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك: « يا أسفا »، يا حزنا = « على يوسف » .

١٩٦٥٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا الثوري، عن سفيان العصفري، عن سعيد بن جبير قال : لم يُعْطَ أحدٌ غيرَ هذه الأمة الاسترجاع ،[1] ألا تسمعون إلى قول يعقوب : « يا أسفَا على يوسف » ؟ ٢٧/١٣

١٩٦٥٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن سعيد بن جبير ، نحوه .

* * *

* ذكر من قال ما قلنا في تأويل قوله : « وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم » .

١٩٦٦٠ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « فهو كظيم » ، قال : كظيم الحزن .

١٩٦٦١ – حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا شبابة قال، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « فهو كظيم » ، قال : كظيم الحزن .

١٩٦٦٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

١٩٦٦٣ – حدثني المثنى قال ، أخبرنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « فهو كظيم » ، قال : الحزن .

١٩٦٦٤ – حدثني المثنى قال، أخبرنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل، عن ابن

---

(١) « الاسترجاع » ، هو قولنا نحن المسلمين ، إذا أصابتنا مصيبة : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾

أبي نجيح ، عن مجاهد : « فهو كظيم » ، مكمود .[١]

١٩٦٦٥ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « فهو كظيم » ، قال : كظيمٌ على الحزن .

١٩٦٦٦ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك في قوله : « فهو كظيم » ، قال : « الكظيم » ، الكميد .

١٩٦٦٧ ــ حدثنا ابن وكيع قال : حدثنا المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك في قوله : « فهو كظيم » ، قال : كميد .

١٩٦٦٨ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك في قوله : « كظيم » ، قال : كميد .

١٩٦٦٩ ــ حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: « وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم » ، يقول : تردَّدَ حُزْنُه في جوفه ، ولم يتكلّم بسوء .

١٩٦٧٠ ــ حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة في قوله : « فهو كظيم » ، قال : كظيم على الحزن ، فلم يقل بأساً .

١٩٦٧١ ــ حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا الحسين بن الحسن قال ، حدثنا ابن المبارك قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم » ، قال : كظيم على الحزن ، فلم يقل إلا خيراً .

١٩٦٧٢ ــ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن يمان ، عن يزيد بن زريع ، عن عطاء الخراساني : « فهو كظيم » ، قال : مكروب .

١٩٦٧٣ ــ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو، عن أسباط ، عن السدي : « فهو كظيم » ، قال : من الغيظ .

---

(١) في المخطوطة : « مكنود » ، والصواب ما في المطبوعة .

١٩٦٧٤ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم » ، قال : «الكظيم» الذي لا يتكلّم ، بلغ به الحزن حتى كان لا يكلّمهم .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ (٨٥)

قال أبو جعفر : يعني تعالى ذكره : قال ولد يعقوب = الذين انصرفوا إليه من مصر له ، حين قال : « يا أسفا على يوسف » = : تالله لا تزال تذكر يوسف .

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٦٧٥ – حدثني محمد بن عمرو قال : حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « تفتأ » ، تفتر من حبه .

١٩٦٧٦ – حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا شبابة قال ، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : « تفتأ » ، تفتر من حبه . (١)

= قال أبو جعفر : هكذا قال الحسن في حديثه ،(٢) وهو غلط ، إنما هو : تفتر من حبه ، تزال تذكر يوسف . (٣)

١٩٦٧٧ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف » ، قال : لا تفتر من حبه .

---

(١) في المطبوعة : « ما تفتر » بزيادة « ما » هنا ، وأثبت ما في المخطوطة كالذي قبله .

(٢) في المطبوعة : « كذا قال » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٣) اعتراض الطبري على خبر الحسن بن محمد ، يدل على أن الذي في أصله شيء آخر غير قوله : « تفتر من حبه » ، كما وردت في الخبر ، ولم أستطع أن أتبين كيف كان هذا الحرف في رواية الحسن .

١٩٦٧٨ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، « تفتأ » ، تفتر من حبه .

١٩٦٧٩ ــ . . . قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « تالله تفتأ تذكر يوسف » ، قال : لا تزال تذكر يوسف . ٢٨/١٣

١٩٦٨٠ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع= وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي = ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قالوا : « تالله تفتأ تذكر يوسف » ، قال : لا تزال تذكر يوسف. قال : لا تفتر من حبه .

١٩٦٨١ ــ حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « تفتأ تذكر يوسف » ، قال : لا تزال تذكر يوسف .

١٩٦٨٢ ــ حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر ، عن قتادة : « تفتأ تذكر يوسف » ، قال : لا تزال تذكر يوسف .(١)

* * *

يقال منه : « ما فَتِئت أقول ذاك» و« ما فَتَأت » لغة، « أفْتِيءُ وأفْتَأ فَتْأً وفُتُوءًا » .(٢) وحكى أيضاً : « ما أفتأت به » ، ومنه قول أوس بن حجر :

فَمَا فَتِئَتْ حَتَّى كَأَنَّ غُبَارَهَا سُرَادِقُ يَوْمٍ ذِي رِيَاحٍ تَرَفَّعُ(٣)

وقوله الآخر: (٤)

---

(١) الأثر : ١٩٦٨٢ – هذا الأثر مكرر في المطبوعة والمخطوطة بإسناده ولفظه ، و بين أنه سهو من الناسخ ، فحذفته .

(٢) قوله : « أفتىء » ، هكذا جاءت في المخطوطة والمطبوعة ، وليس في كتب اللغة ما يؤيدهذا الذي قاله أبو جعفر ، وهو غريب جداً .

(٣) ديوانه ،البيت : ١٧ ، القصيدة : ١٢ ، اللسان (شرم)، وروايته فيهما: « فما فتئت خيل كأن غبارها » .

(٤) هو قول أوس بن حجر أيضاً

فَمَا فَتِئَتْ خَيْلٌ تَثُوبَ وَتَدَّعِي وَيَلْحَقُ مِنْهَا لاَحِقٌ وَتَقَطَّعُ(١)

بمعنى : فما زالت .

وحذفت « لا » من قوله : « تفتأ » وهى مرادة فى الكلام ، لأن اليمين إذا كان ما بعدها خبراً لم يصحبها الجحد ، ولم تسقط « اللام » التى يجاب بها الأيْمان ، وذلك كقول القائل : « والله لآتينَّك » ، وإذا كان ما بعدها مجحوداً ، تُلُقِّيت بـ « ما » أو بـ « لا » . فلما عرف موقعها حُذِفت من الكلام ، لمعرفة السامع بمعنى الكلام ،(٢) ومنه قول امرئ القيس :

فَقُلْتُ يَمِينَ اللهِ أَبْرَحُ قَاعِداً وَلَوْ قَطَّعُوا رَأْسِي لَدَيْكِ وَأَوْصَالِي(٣)

فحذفت « لا » ، من قوله : « أبرح قاعداً » لما ذكرت من العلة ، كما قال الآخر :(٤)

فَلاَ وَأَبِي دَهْمَاءَ زَالَتْ عَزِيزَةً عَلَى قَوْمِهَا مَا فَتَّلَ الزَّنْدَ قَادِحُ(٥)

يريد : لا زالت :

* * *

وقوله : « حتى تكون حرضاً » ، يقول : حتى تكون دَنِفَ الجسم مخبول العقل .

* * *

وأصل « الحرض » ، الفساد فى الجسم والعقل من الحزن أو العشق ، ومنه قول العَرْجىّ :

---

(١) ديوانه القصيدة : ١٧ ، البيت : ١٠ ، الجمهرة ٣ : ٢٨٧ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٣١٦ ، والمعانى الكبير : ١٠٠٢

(٢) انظر معانى القرآن للفراء فى تفسير الآية .

(٣) مضى البيت وتخريجه فيما سلف ٤ : ٤٢٥ ، ويزاد عليه معانى القرآن للفراء .

(٤) هو تميم بن أبى بن مقبل ، فيما استظهره أستاذنا عبد العزيز الميمنى الراجكوتى ، فى سمط اللآلى ص ٦٦٨ ، تعليق : ٤ . وكنت وقفت على نسبته ثم نسيت أين قيدتها . وتميم يكثر من ذكر « دهماء » فى شعره .

(٥) معانى القرآن للفراء ، فى تفسير الآية ، ومشكل القرآن : ١٧٤ ، والخزانة ٤ : ٤٥ ، ٤٦ ، وشرح شواهد المغنى : ٢٧٨ ، وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « ما قبل الزند » ، وهو خطأ صرف .

إنِّى امْرُؤٌ لَجَّ بى حُبٌّ فأَحْرَضَنى حَتَّى بَلِيتُ، وحَتَّى شَفَّنى السَّقَمُ(١)

يعنى بقوله : « فأحرضنى » ، أذابنى فتركنى مُحْرَضاً . يقال منه : « رجل حَرَضٌ ، وامرأة حَرَضٌ ، وقوم حَرَضٌ ، ورجلان حَرَضٌ » ، على صورة واحدة للمذكر والمؤنث ، وفى التثنية والجمع . ومن العرب من يقول للذكر « حَارِض » ، وللأنثى « حارضة » . فإذا وُصف بهذا اللفظ ثُنِّى وجُمع ، وذكِّر وأنث. ووُحِّد « حَرَض » بكل حال ولم يدخله التأنيث ، لأنه مصدر ، فإذا أخرج على « فاعل » على تقدير الأسماء ، لزمه ما يلزم الأسماء من التثنية والجمع والتذكير والتأنيث .

وذكر بعضهم سماعاً : « رجُل مُحْرَضٌ » ، إذا كان وَجِعاً ، وأنشد فى ذلك بيتاً :

طَلَبَتْهُ الخَيْلُ يَوْماً كَامِلاً وَلَوَ ألْفَتْهُ لأَضْحَى مُحْرَضَا(٢)

وذكر أنّ منه قول امرئ القيس :

أَرَى المَرْءَ ذَا الأَذْوَادِ يُصْبِحُ مُحْرَضاً كَإِحْرَاضِ بَكْرٍ فى الدِّيَارِ مَرِيضِ(٣)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٦٨٣ ــ حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « حتى تكون حرضاً » ، يعنى الجَهْدَ فى المرض ، البالى . ٢٩/١٣

١٩٦٨٤ ــ حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن نمير ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « حتى تكون حرضاً » ، قال : دون الموت .

---

(١) ديوانه : ٥ ، مجاز القرآن لأبى عبيدة : ٣١٧ ، واللسان (حرض) .
(٢) لم أجد البيت ، ولم أعرف قائله .
(٣) ديوانه : ٧٧ ، واللسان (حرض) .

١٩٦٨٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن فضيل، عن ليث، عن مجاهد: «حتى تكون حرضاً»، قال: الحرض، ما دون الموت.

١٩٦٨٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

١٩٦٨٧ – . . . . . قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

١٩٦٨٨ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

١٩٦٨٩ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

١٩٦٩٠ – حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا شبابة قال، حدثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

١٩٦٩١ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: «حتى تكون حرضاً»، حتى تبلى أو تهرم.

١٩٦٩٢ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: «حتى تكون حرضاً»، حتى تكون هَرِماً.

١٩٦٩٣ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو، عن أبي بكر الهذلي، عن الحسن: «حتى تكون حرضاً»، قال: هَرِماً.

١٩٦٩٤ – . . . . قال، حدثنا المحاربي، عن جويبر، عن الضحاك، قال: «الحرض»، الشيء البالي.

١٩٦٩٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال، أخبرنا هشيم، عن جويبر، عن الضحاك في قوله: «حتى تكون حرضاً»، قال: الحرض، الشيء البالي الفاني.

١٩٦٩٦ – . . . . قال، حدثنا سويد بن نصر قال، أخبرنا ابن المبارك،

عن أبي معاذ ، عن عبيد بن سليمان ، عن الضحاك : « حتى تكون حَرَضاً » ، « الحرضُ » ، البالى .

١٩٦٩٧ ــ حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ قال ، حدثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك يقول فى قوله : « حتى تكون حرضاً » ، هو البالى المُدْبِر .(١)

١٩٦٩٨ ــ حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى : « حتى تكون حرضاً » ، بالياً .

١٩٦٩٩ ــ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : لما ذكر يعقوبُ يوسفَ قالوا = يعنى ولده الذين حضروه فى ذلك الوقت ، جهلاً وظلماً = : « تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضاً » ، أى : تكون فاسداً لا عقل لك = « أو تكون من الهالكين » .

١٩٧٠٠ ــ حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين » ، قال : « الحرض » ، الذى قد رُدَّ إلى أرذل العمر حتى لا يعقل ، أو يهلك ، فيكون هالكاً قبل ذلك .

* * *

وقوله : « أو تكون من الهالكين » ، يقول : أو تكون ممن هلك بالموت .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٧٠١ ــ حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن فضيل ، عن ليث ، عن مجاهد : « أو تكون من الهالكين » ، قال : الموت :

١٩٧٠٢ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « أو تكون من الهالكين » ، من الميتين .

١٩٧٠٣ ــ حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن

---

(١) فى المطبوعة : « البالى المندثر » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو أجود .

الضحاك ، « أو تكون من الهالكين » ، قال : الميتين .

١٩٧٠٤ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، مثله .

١٩٧٠٥ ــ حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عمرو بن عون ، عن أبي بكر الهذلي ، عن الحسن : « أو تكون من الهالكين » ، قال : الميتين .

١٩٧٠٦ ــ حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « أو تكون من الهالكين » ، قال : أو تموت .

١٩٧٠٧ ــ حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « أو تكون من الهالكين » ، قال : من الميتين.

١٩٧٠٨ ــ حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي : « أو تكون من الهالكين» ، قال : الميتين .(١) ١٣ / ٣٠

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال يعقوب للقائلين له من ولده : « تالله تفتأ تذكر يوسفَ حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين » = : لست إليكم أشكو بثي وحزني ، وإنما أشكو ذلك إلى الله .

* * *

ويعني بقوله : « إنما أشكو بثي » ، ما أشكو همّي وحزني إلا إلى الله .

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

---

(١) في المطبوعة : « من الميتين » ، بزيادة « من » .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٧٠٩ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « إنما أشكو بثي »، قال ابن عباس : « بثي » ، هي .

١٩٧١٠ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : قال يعقوب عَنْ عِلْمٍ بالله : « إنما أشكو بَثّي وحزني إلى الله وأعلم من الله مالا تعلمون » ، لما رأى من فظاظتهم وغلظتهم وسوء لَفْظهم له :[1] لم أشك ذلك إليكم = « وأعلم من الله مالا تعلمون » .

١٩٧١١ ــ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة ، عن عوف ، عن الحسن : « إنما أشكو بثي وحزني إلى الله » ، قال : حاجتي وحزني إلى الله .

١٩٧١٢ ــ حدثنا الحسن بن محمد قال،حدثنا هوذة بن خليفة قال ، حدثنا عوف ، عن الحسن ، مثله .

* * *

وقيل: إن « البثّ »، أشد الحزن ،[2]وهو عندي من : « بَثّ الحديث » ، وإنما يراد منه : إنما أشكو خبري الذي أنا فيه من الهمّ ، وأبثّ حديثي وحزني إلى الله .

* * *

١٩٧١٣ ــ حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا يحيى ابن سعيد ، عن عوف ، عن الحسن ، « إنما أشكو بثي » ، قال : حزني .

١٩١٤ ــ حدثنا ابن بشار قال، حدثني يحيى بن سعيد، عن عوف ، عن الحسن : « إنما أشكو بثي وحزني » ، قال : حاجتي .

* * *

---

(١) في المخطوطة والمطبوعة : « لفظهم به » ، وهو لا يستقيم ، صوابه ما أثبت ، ويعني جفاءهم فيما يخاطبونه به من الكلام .

(٢) هو لفظ أبي عبيدة في مجاز القرآن ١ : ٣١٧ .

وأما قوله : « وأعلم من الله ما لا تعلمون » ، فإن ابن عباس كان يقول فى ذلك ، فيما ذكر عنه ، ما :-

١٩٧١٥ - حدثنى به محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس فى قوله : « وأعلم من الله مالا تعلمون » ، يقول : أعلم أن رؤيا يوسف صادقة ، وأنى سأسجد له .

١٩٧١٦ - حدثنا ابن وكيع قال،حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى قال : « إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله وأعلم من الله مالا تعلمون » ، قال : لما أخبروه بدعاء الملك ، أحسَّت نفسُ يعقوب وقال : ما يكون فى الأرض صِدِّيق إلا نبىّ ! فطمع قال : لعله يوسف.(١)

١٩٧١٧ - حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : « إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله »،الآية ، ذكر لنا أن نبى الله يعقوب لم ينزل به بلاءٌ قط إلا أتى حُسْنَ ظنّه بالله من ورائه .

١٩٧١٨ - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن عيسى بن يزيد ، عن الحسن قال : قيل : ما بلغ وجدُ يعقوب على ابنه ؟ قال : وجد سبعين ثكْلى ! قال : فما كان له من الأجر ؟ قال : أجر مئة شهيدٍ . قال : وما ساء ظنه بالله ساعةً من ليل ولا نهارٍ .

١٩٧١٩ - حدثنا به ابن حميد مرة أخرى قال ، حدثنا حكام ، عن أبى معاذ ، عن يونس ، عن الحسن ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، مثله .

١٩٧٢٠ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة، عن المبارك بن مجاهد ، عن رجل من الأزد ،عن طلحة بن مصرِّف الإيامى قال: ثلاثة لا تذْكُرْهن واجتنب ذكرهُنّ: لا تشك مَرَضَك، ولا تَشْكَ مصيبتك ، ولا تزكِّ نفسك . قال :

---

(١) هذا خبر مضطرب اللفظ ، أخشى أن يكون فيه سقط أو تحريف .

وأنبئت أنّ يعقوب بن إسحق دخل عليه جار له فقال له: يا يعقوب، مالى أراك قد انهشمت وفنيتَ ، ولم تبلغ من السن ما بلغ أبوك ؟ قال : هَشَّمنى وأفنانى ما ابتلانى الله به من همّ يوسف وذكره ! فأوحى الله إليه : يا يعقوب ، أتشكونى إلى خلقى ؟ فقال : يا رب ، خطيئة أخطأتُها فاغفرها لى ! قال : فإنى قد غفرت لك . وكان بعد ذلك إذا سئل قال : « إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله وأعلم من الله مالا تعلمون ».

١٩٧٢١ ــ حدثنا عمرو بن على قال، حدثنى مؤمل بن إسمعيل قال ، حدثنا سفيان ، عن حبيب بن أبى ثابت قال : بلغنى أن يعقوب كبر حتى سقط حاجباه على وجنتيه، فكان يرفعهما بخِرْقَة، فقال له رجل: ما بلغ بك ما أرى ؟ قال : طول الزمان ، وكثرة الأحزان ! فأوحى الله إليه : يا يعقوب ، تشكونى ؟ قال : خطيئة فاغفرها . ٣١/١٣

١٩٧٢٢ ــ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال، حدثنا ثور ابن يزيد قال : دخل يعقوب على فرعون وقد سقط حاجباه على عينيه ، فقال : ما بلغ بك هذا يا إبراهيم ؟ فقالوا : إنّه يعقوب. فقال: ما بلغ بك هذا يا يعقوب؟ قال : طول الزمان ، وكثرة الأحزان . فقال الله : يا يعقوب ، أتشكونى ؟ فقال : يا رب خطيئة أخطأتها ، فاغفرها لى .

١٩٧٢٣ ــ حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا عبد الوهاب قال، حدثنا هشام ، عن ليث بن أبى سليم قال : دخل جبريل على يوسف السجنَ ، فعرفه ، فقال: أيها المَلِكُ الحسن وجهه ، الطيبة ريحُه ،الكريمُ على ربه ،ألا تخبرنى عن يعقوب أحىٌّ هو ؟ قال : نعم . قال : أيها الملك الحسنُ وجهه ، الطيبة ريحه ، الكريم على ربه، فما بلغ من حزنه؟ قال: حزن سبعين مُثْكِلة . قال : أيها الملك الحسن وجهه ، الطيبة ريحه ، الكريم على ربه ، فهل فى ذلك من أجر ؟ قال : أجر مئة شهيد .

١٩٧٢٤ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق ، عن ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد قال : حُدّثت أن جبريل أتى يوسف صلى الله عليهما وهو بمصر فى صورة رجل ، فلما رآه يوسف عرَفه، فقام إليه فقال : أيها الملك الطيبُ ريحه ، الطاهرُ ثيابه ، الكريم على ربه ، هل لك بيعقوب من علم ؟ قال : نعم ! قال: أيها الملك الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه، فكيف هو ؟ قال : ذهب بصره. قال: أيها الملك الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، وما الذى أذهب بصره ؟ قال : الحزنُ عليك . قال: أيها الملك الطيب ريحه ، الطاهر ثيابه ، الكريم على ربه ، فما أعطى على ذلك ؟ قال : أجر سبعين شهيداً .

١٩٧٢٥ – حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال أبو شريح : سمعت من يحدث أن يوسف سأل جبريل : ما بلغ من حزن يعقوب ؟ قال : حزن سبعين ثكلى . قال : فما بلغ أجره ؟ قال : أجر سبعين شهيداً .

١٩٧٢٦ – . . . . قال أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنى نافع بن يزيد ، عن عبيد الله بن أبى جعفر قال : دخل جبريل على يوسف فى البئر أو فى السجن ، فقال له يوسف : يا جبريل ، ما بلغ حزن أبى ؟ قال : حزن سبعين ثكلى . قال : فما بلغ أجره من الله ؟ قال: أجر مئة شهيدٍ .

١٩٧٢٧ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا إسمعيل بن عبد الكريم قال ، حدثنى عبد الصمد بن معقل قال : سمعت وهب بن منبه يقول : أتى جبريل يوسف بالبشرى وهو فى السجن . فقال : هل تعرفنى أيها الصِّدِّيق ؟ قال : أرى صورة طاهرة ورُوحاً طيبة لا تشبه أرواح الخاطئين . قال : فإنى رسول رب العالمين، وأنا الروح الأمين . قال: فما الذى أدخلك على مُدْخَل المذنبين ، وأنت أطيب الطيبين ، ورأس المقربين ، وأمين رب العالمين ؟ قال : ألم تعلم يا يوسف أن الله يطهّر البيوت بطُهْر النبيين ، وأن الأرض التى يدخلونها هى أطهر الأرَضين ،

وأن الله قد طهَّر بك السجن وما حوله يا أطهر الطاهرين وابن المطهَّرين؟[١] إنما يتطهر بفضل طهرك وطهر آبائك الصالحين المخلَصين! قال: كيف لى باسم الصِّدِّيقين، وتعدُّنى من المخلصين، وقد أدخلت مُدْخَل المذنبين، وسميت فى الضالين المفسدين؟[٢] قال: لم يُفْتَتَنْ قلبُك، ولم تطع سيدتك فى معصية ربك، ولذلك سمَّاك الله فى الصديقين، وعدّك من المخلَصين، وألحقك بآبائك الصالحين. قال: لك علم بيعقوب، أيها الروح الأمين؟ قال: نعم، وهبه الله الصبر الجميل، وابتلاه بالحزن عليك فهو كظيم. قال: فما قَدْرُ حزنه؟ قال: حزن سبعين ثكلى. قال: فماذا له من الأجر يا جبريل؟ قال: قدر مئة شهيدٍ.

١٩٧٢٨ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن ليث، عن ثابت البنانى قال: دخل جبريل على يوسف فى السجن، فعرفه يوسف. قال: فأتاه فسلم عليه فقال: أيها المَلَك الطيب ريحه، الطاهر ثيابه، الكريم على ربه، هل لك من علم بيعقوب؟ قال: نعم. قال: أيها الملك الطيبُ ريحه، الطاهر ثيابه، الكريم على ربه، هل تدرى ما فعل؟ قال: ابيضَّت عيناه. قال: أيها الملك الطيب ريحه، الطاهر ثيابه، الكريم على ربه، ممَّ ذاك؟ قال: من الحزن عليك.[٣] قال: أيها الملك الطيب ريحه، الطاهر ثيابه، الكريم على ربه، وما بلغ من حزنه؟ قال: حزن سبعين مُثْكِلةً! قال: أيها الملك الطيب ريحه، الطاهر ثيابه، الكريم على ربه، هل له على ذلك من أجر؟ قال: نعم، أجر مئة شهيدٍ.

١٣/٣٢

١٩٧٢٩ ــ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو، عن أسباط، عن السدى قال: أتى جبريل يوسف وهو فى السجن فسلّم عليه، وجاءه فى صورة رجلٍ حسن

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة: «يا طهر الطاهرين»، والصواب ما أثبت.

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة: «وسميت بالضالين المفسدين»، وهو لا يستقيم، صوابه ما أثبت. وانظر بعد قوله: «وسماك الله فى الصديقين».

(٣) فى المخطوطة: «قال: قد ابيضت عيناه من الحزن عليك»، وحذف ما بين الكلامين من سؤال وجواب.

الوجه طيّب الريح نقيّ الثياب ، فقال له يوسف : أيها المَلك الحسن وجهه ، الكريم على ربه ، الطيب ريحه ، حدثني كيف يعقوب ؟ قال : حزن عليك حزناً شديداً . قال : وما بلغ من حزنه ؟ قال : حزن سبعين مُثْكِلة . قال : فما بلغ من أجره ؟ قال : أجر سبعين أو مئة شهيد . قال يوسف : فإلى من أوَى بعدى ؟ قال : إلى أخيك بنيامين . قال : فترانى ألقاه أبداً ؟ قال : نعم . فبكى يوسف لما لقى أبوه بعده ، ثم قال : ما أبالى ما لقيت إنِ اللهُ أرانيه .

١٩٧٣٠ — . . . . قال ، حدثنا عمرو بن محمد ، عن إبراهيم بن يزيد ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة قال : أتى جبريل يوسف وهو فى السجن فسلم عليه ، فقال له يوسف ، أيها الملك الكريم على ربه ، الطيب ريحه ، الطاهر ثيابه ، هل لك من علم بيعقوب ؟ قال : نعم ، ما أشد حزنه ! قال : أيها الملك الكريم على ربه ، الطيب ريحه ، الطاهر ثيابه ، ماذا لهُ من الأجر ؟ قال : أجر سبعين شهيداً . قال : أفترانى لاقيه ؟ قال : نعم . قال : فطابت نفس يوسف .

١٩٧٣١ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن ليث ، عن سعيد بن جبير قال : لما دخل يعقوب على الملك وحاجباه قد سقطا على عينيه ، قال الملك : ما هذا ؟ قال السنون والأحزان ، أو : الهموم والأحزان . فقال ربه : يا يعقوب ، لم تشكونى إلى خلقى ، ألم أفعل بك وأفعل ؟

١٩٧٣٢ — حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا الثورى ، عن عبد الرحمن بن زياد ، عن مسلم بن يسار ، يرفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم قال : من بثَّ لم يصبر.[1] ثم قرأ : « إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله » .

١٩٧٣٣ — حدثنى عمرو بن عبد الحميد الآملى قال ، حدثنا أبو أسامة ،

---

(١) فى المخطوطة : « من بث فلم يصبر » ، غير منقوطة وعلى الجملة حرف (ط) دلالة على الخطأ ، والذى فى المطبوعة ، هو نص ما فى الدر المنثور ٤ : ٣١

عن هشام ، عن الحسن . قال : كان منذ خرج يوسف من عند يعقوب إلى يوم رجع ، ثمانون سنة ، لم يفارق الحزن قلبه ، يبكي حتى ذهبَ بصره . قال الحسن : والله ما على الأرض يومئذ خليقةٌ أكرم على الله من يعقوب صلى الله عليه وسلم .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (٨٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره ، حين طمع يعقوب فى يوسف قال لبنيه : « يا بنى اذهبوا » ، إلى الموضع الذى جئتم منه وخلفتم أخويكم به = « فتحسَّسوا من يوسف » ، يقول : التمسوا يوسف وتعرَّفوا من خبره .

* * *

وأصل « التحسُّس » ، « التفعل » من « الحِسِّ » .

* * *

= « وأخيه » ، يعنى بنيامين = « ولا تيأسوا من روح الله » ، يقول : ولا تقنطوا من أن يروِّح الله عنا ما نحن فيه من الحزن على يوسف وأخيه بفرَجٍ من عنده ، فيريحهما = « إنه لا ييأس من روح الله » ، يقول : لا يقنط من فرجه ورحمته ، ويقطع رجاءه منه[1] = « إلا القوم الكافرون » ، يعنى : القوم الذين يجحدون قُدرته على ما شاءَ تكوينه .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) انظر تفسير « اليأس » فيما سلف ٩ : ٥١٦ .

١٩٧٣٤ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى : « يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه » ، بمصر = « ولا تيأسوا من روح الله » ، قال : من فرج الله أن يردّ يوسف .

١٩٧٣٥ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ١٣/٣٢ قوله : « ولا تيأسوا من روح الله » ، أى : من رحمة الله .

١٩٧٣٦ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، نحوه .

١٩٧٣٧ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : ثم إن يعقوب قال لبنيه وهو على حسن ظنه بربه ، مع الذى هو فيه من الحزن : يا بنى ، اذهبوا إلى البلاد التى منها جئتم = « فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله » ، أى من فرجه = « إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » .

١٩٧٣٨ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « ولا تيأسوا من روح الله » ، يقول : من رحمة الله .

١٩٧٣٩ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ولا تيأسوا من روح الله » ، قال : من فرج الله ، يفرّج عنكم الغمّ الذى أنتم فيه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾ (٨٨)

قال أبو جعفر: وفى الكلام متروك قد استغنى بذكر ما ظهر عما حذف، وذلك: فخرجوا راجعين إلى مصر حتى صاروا إليها فدخلوا على يوسف = «فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر»، أى الشدة من الجدب والقحط[١] = «وجئنا ببضاعة مزجاة»، كما: —

١٩٧٤٠ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال: وخرجوا إلى مصر راجعين إليها = «ببضاعة مزجاة»، أى: قليلة لا تبلغ ما كانوا يتبايعون به، إلا أن يتجاوز لهم فيها، وقد رأوا ما نزل بأبيهم، وتتابعَ البلاء عليه فى ولده وبصره، حتى قدموا على يوسف. فلما دخلوا عليه قالوا: «يا أيها العزيز»، رَجَاةَ أن يرحمهم فى شأن أخيهم[٢] = «مسنا وأهلنا الضر».

* * *

وعنى بقوله: «وجئنا ببضاعة مُزْجاة»، بدراهم، أو ثمن لا يجوز فى ثمن الطعام إلا لمن يتجاوز فيها.

* * *

وأصل «الإزجاء»، السوق بالدفع، كما قال النابغة الذبيانى:

وَهَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ ذِى أُرُلٍ تُزْجِى مَعَ اللَّيْلِ مِنْ صَرَّادِهَا صِرَمَا[٣]

---

(١) انظر تفسير «الضر» فيما سلف من فهارس اللغة (ضرر).

(٢) فى المطبوعة: «رجاء»، وأثبت ما فى المخطوطة، وهو بمثل معناه.

(٣) ديوانه: ٥٢، و«ذو أرل»، جبل بديار غطفان. و«الصراد»، سحاب بارد رقيق تسفره الريح وتسوقه. و«الصرم» جمع صرمة، وهى قطع السحاب. وقبل البيت:

يعنى : تسوق وتدفع ، ومنه قول أعشى بنى ثعلبة :

الوَاهِبُ المِئةَ الهِجَانَ وعَبْدَهَا عُوذاً تُزَجِّى خَلْفَهَا أَطْفَالَهَا(١)

وقول حاتم :

لِيَبْكِ عَلَى مِلْحَانَ ضَيْفٌ مُدَفَّعٌ وَأَرْمَلَةٌ تُزْجِى مَعَ اللَّيلِ أَرْمَلاَ(٢)

يعنى أنها تسوقه بين يديها على ضعف منه عن المشى وعجز ، ولذلك قيل : «ببضاعة مزجاة» ، لأنها غير نافقة ، وإنما تُجُوِّز تجويزاً على وَضعٍ من آخذيها .(٣)

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فى البيان عن تأويل ذلك ، وإن كانت معانى بيانهم متقاربة .

* ذكر أقوال أهل التأويل فى ذلك :

١٩٧٤١ ــ حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى = ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « ببضاعة مزجاة » ، قال : رديَّةٍ زُيُوفٍ ، لا تنفق حتى يُوضَع منها .

١٩٧٤٢ ــ حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا عمرو بن محمد العنقزى قال ، حدثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قوله : « وجئنا ببضاعة مزجاة » ، قال : الرديّة ، التى لا تنفق حتى يُوضَع منها .

هَلاَّ سَأَلْتَ بَنِى ذُبْيَانَ ما حَسَبِى إِذَا الدُّخَانُ تَغَشَّى الأَشْمَطَ البَرَمَا

من أبيات يذكر فيها كرمه فى زمن الجدب والشتاء .

(١) ديوانه : ٢٥ ، من قصيدته فى قيس بن معديكرب ، مضت منها أبيات . و « الهجان » ، الإبل الأبيض ، وهى كرام الإبل . و « العوذ » جمع عائذ ، وهى الناقة الحديثة النتاج .

(٢) ليس فى ديوانه ، وأنشده ابن برى غير منسوب (اللسان : رمل) ، وظاهر أن الشعر لحاتم ، لأن « ملحان » ، هو ابن عمه « ملحان بن حارثة بن سعد بن الحشرج الطائى» ، وكنت وقفت على أبيات من هذا الشعر ، ثم أضعتها اليوم .

(٣) فى المخطوطة والمطبوعة : « على نقع من آخذيها » ، والصواب ما أثبتناه ، إن شاء الله ، تدل عليه الآثار الآتية بعد . ولو قرئت « على دفع » ، فلا بأس بذلك .

١٩٧٤٣ ــ حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن عيينة ، عن عثمان بن أبي سليمان، عن ابن أبي مليكة، عن ابن عباس : « وجئنا ببضاعة مزجاة » ، قال : خَلَقٍ ، [١] الغِرَارة والحبلُ والشيء . ١٣/٣٤

١٩٧٤٤ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا ابن عيينة ، عن عثمان بن أبي سليمان ، عن ابن أبي مليكة قال : سمعت ابن عباس، وسئل عن قوله: « وجئنا ببضاعة مزجاة » ، قال : رِثَّةُ المتاع ،[٢] الحبلُ والغرارةُ والشيء .

١٩٧٤٥ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن عيينة ، عن عثمان بن أبي سليمان ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس ، مثله .

١٩٧٤٦ ــ حدثنا محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال ، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله : « وجئنا ببضاعة مزجاة »، قال : « البضاعة » ، الدراهم،[٣] و « المزجاة » ، غير طائل .

١٩٧٤٧ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن ابن أبي زياد ، عمن حدثه ، عن ابن عباس قال : كاسدة غير طائل .

١٩٧٤٨ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو بكر بن عياش قال ، حدثنا أبو حصين، عن سعيد بن جبير ، وعكرمة ، « وجئنا ببضاعة مزجاة » ، قال : سعيد: ناقصة = وقال عكرمة: دراهم فُسُول.[٤]

---

(١) الخلق : البالى .

(٢) الرث (بفتح الراء) ، والرثة (بكسرها) ، والرثيث : الخلق الخسيس البالى من كل شيء .

(٣) انظر تفسير « البضاعة » فيما سلف : ص : ٤ ، ١٥٦

(٤) « فسول » جمع « فسل » (بفتح فسكون) : وهو الرديء الرذل من كل شيء . يقال : « دراهم فسول » ، أى : زيوف .

١٩٧٤٩ ــ حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، وعكرمة ، مثله .

١٩٧٥٠ ــ حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي = ، عن إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، وعكرمة : « وجئنا ببضاعة مزجاة » ، قال أحدهما : ناقصة = وقال الآخر : رديَّةٌ .

١٩٧٥١ ــ . . . وبه قال ، حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث قال : كان سَمْناً وصُوفاً .

١٩٧٥٢ ــ حدثنا الحسن قال ، حدثنا علي بن عاصم ، عن يزيد بن أبي زياد قال : سأل رجل عبدالله بن الحارث وأنا عنده عن قوله : « وجئنا ببضاعة مزجاة » ، قال : قليلةٌ ، متاعُ الأعراب الصوفُ والسَّمن .

١٩٧٥٣ ــ حدثنا إسحق بن زياد القطان أبو يعقوب البصري قال ، حدثنا محمد بن إسحق البلخي قال ، حدثنا مروان بن معاوية الفزاري ، عن مروان بن عمرو العذري ، عن أبي إسمعيل ، عن أبي صالح في قوله : « وجئنا ببضاعة مزجاة » ، قال : الصنوبر والحبة الخضراء .(١)

١٩٧٥٤ ــ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن يزيد بن الوليد ، عن إبراهيم في قوله : « وجئنا ببضاعة مزجاة » ، قال : قليلة ، ألا تسمع إلى قوله : ﴿فَأَوْفِرْ رِكَابَنَا﴾ ، وهم يقرأون كذلك .(٢)

---

(١) الأثر : ١٩٧٥٣ ــ « إسحق بن زياد القطان » ، « أبو يعقوب البصري » ، شيخ الطبري لم أجد له بعد ترجمة ، وقد مضى برقم : ١٤١٤٦ ، وهو هناك « العطار النصري » ، ثم في رقم : ١٧٤٣٠ ، وهو هناك : « إسحق بن زيادة العطار » بزيادة التاء . ولا طاقة لنا بالفصل في ذلك ، حتى نجد ما يدل عليه

و « محمد بن إسحق البلخي » ، مضى برقم : ١٤١٤٦ ، روى عنه هناك « إسحق بن زياد » أيضاً .

و « مروان بن معاوية الفزاري » ، مضى مراراً ، آخرها : ١٥٤٤٦ .

أما « مروان بن عمرو العذري » ، فلم أجد له ذكراً في كتب التراجم ، وأخشى أن يكون فيه تحريف وأما « أبو إسماعيل » . فلم أتبين من يكون ، لما في هذا الإسناد من الظلمة .

(٢) يعني أصحاب عبد الله بن مسعود ، كما سترى في الأثر التالي .

١٩٧٥٥ ــ حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم أنه قال : ما أراها إلا القليلة ، لأنها في مصحف عبد الله : ﴿وَأَوْقِرْ رِكَابَنَا﴾ ، يعني قوله : « مزجاة » .

١٩٧٥٦ ــ حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن القعقاع بن يزيد ، عن إبراهيم قال : قليلة ، ألم تسمع إلى قوله : ﴿وَأَوْقِرْ رِكَابَنَا﴾؟

١٩٧٥٧ ــ حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عمرو بن محمد ، عن أبي بكر الهذلي ، عن سعيد بن جبير ، والحسن : « بضاعة مزجاة » ، قال سعيد : الرديّة = وقال الحسن : القليلة .

١٩٧٥٨ ــ حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن إدريس ، عن يزيد ، عن عبد الله بن الحارث قال : متاع الأعراب سمن وصوف .

١٩٧٥٩ ــ حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية قال : دراهم ليست بطائل.[1]

١٩٧٦٠ ــ حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « مزجاة » ، قال : قليلة .

١٩٧٦١ ــ حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا شبابة قال ، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « مزجاة » ، قال : قليلة .

١٩٧٦٢ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٩٧٦٣ ــ . . . . قال ، حدثنا قبيصة بن عقبة قال ، حدثنا سفيان ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله بن الحارث : « وجئنا ببضاعة مزجاة » ، قال : شيء من صوف ، وشيء من سمن . ١٣/٣٥

(١) في المخطوطة : « ليس بطائل » ، ولا بأس به .

١٩٧٦٤ — . . . . قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن منصور ، عن الحسن قال : قليلة .

١٩٧٦٥ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، عمن حدثه ، عن مجاهد : « مزجاة » ، قال : قليلة .

١٩٧٦٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

١٩٧٦٧ — . . . . قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي حصين ، عن عكرمة قال : ناقصة = وقال سعيد بن جبير : فُسُولٌ .

١٩٧٦٨ — . . . . قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن أبي بكر ، عن سعيد بن جبير : « وجئنا ببضاعة مزجاة » ، قال : رديّة .

١٩٧٦٩ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : كاسدة ، لا تنفق .

١٩٧٧٠ — حدثني المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : كاسدة .

١٩٧٧١ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عبدة ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : كاسدة ، غير طائل .

١٩٧٧٢ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول : حدثنا عبيد قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « ببضاعة مزجاة » ، يقول : كاسدة غير نافقة .

١٩٧٧٣ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد الزبيري قال ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير : « وجئنا ببضاعة مزجاة » ، قال : الناقصة = وقال عكرمة : فيها تجوُّزٌ .

١٩٧٧٤ ـ . . . . قال ، حدثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : الدراهم الرديّة التى لا تجوز إلا بنقصان .

١٩٧٧٥ ـ . . . . قال ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي يحيي ، عن مجاهد قال : الدراهم الرُّذَال ،[١] التى لا تجوز إلا بنقصان.[٢]

١٩٧٧٦ ـ حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى قال : دراهم فيها جَوازٌ .

١٩٧٧٧ ـ حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وجئنا ببضاعة مزجاة » ، أى : يسيرة .

١٩٧٧٨ ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

١٩٧٧٩ ـ حدثنا يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وجئنا ببضاعة مزجاة » ، قال : « المزجاة » ، القليلة .

١٩٧٨٠ ـ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « وجئنا ببضاعة مزجاة » ، أى : قليلة لا تبلغ ما كنا نشترى به منك ، إلا أن تتجاوز لنا فيها .

* * *

وقوله : « فأوف لنا الكيل » ، . . . . . بها ،[٣] وأعطنا بها ما كنت تعطينا

---

(١) يقال : « هذا رذل » و « هذا رذال » (بضم الراء) أى : دون خسيس ردىء . وفى المخطوطة : « الرذل » ، وهو مثله .

(٢) الأثر : ١٩٧٧٥ ـ فى المطبوعة : « إسرائيل عن ابن أبى نجيح » ، غير ما فى المخطوطة ، فإنه كان فيها : « عن أبى يحى » كأنه أراد أن يكتب « نجيح » ، ثم صيرها : « يحى » ، غير منقوطة . و « أبو يحيى » ، هو : « أبو يحيى القتات الكوفى » ، وهو الذى يروى عن مجاهد ، وقد سلف برقم : ١٢١٣٩ ، ١٥٦٩٧ .

(٣) لا شك عندى أنه قد سقط من كلام أبى جعفر شىء فى تفسير « أوف لنا » ، لم يبق منه إلا قوله : « بها » ، فلذلك وضعت هذه النقط . والمراد من ذلك ظاهر ، كأنه كتب : « فأتم لنا حقوقنا فى الكيل بها ، وأعطنا . . . » ، وانظر تفسير « الإيفاء » فيما سلف ١٢ : ٢٢٤ ، ٥٥٤

قبل بالثمن الجيّد والدراهم الجائزة الوافية التى لا تردّ ، كما : —

١٩٧٨١ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « فأوف لنا الكيل » ، أى : أعطنا ما كنت تعطينا قَبْلُ ، فإن بضاعتنا مزجاة .

١٩٧٨٢ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو، عن أسباط ، عن السدى : « فأوف لنا الكيل » ، قال : كما كنت تعطينا بالدراهم الجياد .

* * *

وقوله : « وتصدق علينا » ، يقول تعالى ذكره: قالوا : وتفضل علينا بما بَيْن سعر الجياد والرديّة، فلا تنقصنا من سعر طَعامك ، لردىّ بضاعتنا = « إن الله يجزى المتصدقين » ، يقول : إن الله يثيب المتفضلين على أهل الحاجة بأموالهم.(١)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٧٨٣ — حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو، عن أسباط ، عن السدى : « وتصدق علينا » ، قال: تفضل بما بين الجياد والرديّة .

١٩٧٨٤ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن أبى بكر ، عن سعيد بن جبير : «فأوف لنا الكيل وتصدق علينا » ، لا تنقصنا من السعر من أجل ردىّ دراهمنا .

* * *

واختلفوا فى الصدقة ، هل كانت حلالاً للأنبياء قبل نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم ، أو كانت حراماً ؟

فقال بعضهم : لم تكن حلالاً لأحدٍ من الأنبياء عليهم السلام

* ذكر من قال ذلك .

١٩٧٨٥ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن أبى بكر ، عن سعيد بن جبير قال: ما سأل نبىٌّ قطُّ الصَّدَقة ، ولكنهم قالوا :

(١) انظر تفسير « التصدق » فيما سلف ٩ : ٣١ ، ٣٧ ، ١٤/٣٨ : ٢٦٩

« جئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا » ، لا تنقصنا من السعر .

* * *

٣٦/١٣ وروى عن ابن عيينة ما : —

١٩٧٨٦ — حدثني به الحارث قال ، حدثنا القاسم قال، يحكي عن سفيان ابن عيينة أنه سئل: هل حرمت الصدقة على أحدٍ من الأنبياء قبل النبيّ صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : ألم تسمع قوله : « فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزى المتصدقين » .

= قال الحارث : قال القاسم: يذهب ابن عيينة إلى أنهم لم يقولوا ذلك ، إلاّ والصدقة لهم حلالٌ ، وهم أنبياء، فإن الصدقة إنما حُرِّمت على محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم.[1]

* * *

وقال آخرون : إنما عنى بقوله : « وتصدق علينا » ، وتصدق علينا بردّ أخينا إلينا .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٧٨٧ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قوله : « وتصدق علينا » قال : رُدَّ إلينا أخانا .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا القول الذى ذكرناه عن ابن جريج ، وإن كان قولاً له وجه ، فليس بالقول المختار فى تأويل قوله : « وتصدَّق علينا » ، لأن « الصدقة » فى متعارف [العرب] ،[2] إنما هى إعطاء الرجل ذا حاجةٍ بعض أملاكه ابتغاءَ ثواب الله

---

(١) فى المطبوعة : « صلى الله عليه وسلم لا عليهم » ، غير ما فى المخطوطة ، كأنه ظن أن قوله : « وعليهم » ، معطوف على قوله : « إنما حرمت على محمد . . . وعليهم » ، وظاهر أن المراد : « صلى الله عليه وسلم وعليهم » ، أى : وصلى عليهم

(٢) فى المطبوعة : « فى المتعارف » ، وفى المخطوطة : « فى متعارف إنما هى » ، وفى الكلام سقط لا شك فيه ، وإنما سقط منه لأن « متعارف » هى آخر كلمة فى الصفحة ، و « إنما » فى أول الصفحة الأخرى ، فسها الناسخ ، فاستظهرت هذه الزيادة التى بين القوسين .

عليه،[1] وإن كان كلّ معروف صدقةً . فتوجيهُ تأويل كلام الله إلى الأغلب من معناه فى كلام من نزل القرآن بلسانه ، أولى وأحرى .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال مجاهد .

١٩٧٨٨ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا القاسم قال ، حدثنا مروان بن معاوية، عن عثمان بن الأسود قال: سمعت مجاهدًا وسئل: هل يُكْرَهُ أن يقول الرجل فى دعائه : اللهم تصدّق علىّ ؟ فقال: نعم ، إنما الصَّدقة لمن يبغى الثوابَ .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾ (٨٩)

قال أبو جعفر : ذكر أن يوسف صلوات الله عليه لما قال له إخوته : « يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزى المتصدقين » ، أدركته الرقّة ، وباح لهم بما كان يكتمهم من شأنه ، كما : —

١٩٧٨٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال : ذكر لى أنهم لما كلموه بهذا الكلام، غلبته نفسه، فارفضّ دمعه باكياً، ثم باح لهم بالذى يكتم منهم ، فقال : « هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون » ؟ ولم يعن بذكر أخيه ما صنعه هو فيه حين أخذه ، ولكن للتفريق بينه وبين أخيه ، إذ صنعوا بيوسف ما صنعوا .

---

(١) فى المطبوعة : « إعطاء الرجل ذا الحاجة » ، وهو خطأ وتصرف فى نص المخطوطة لا وجه له ، والصواب ما فى المخطوطة كما أثبته . وقوله : « ذا حاجة » مفعول المصدر من قوله : « إعطاء الرجل . . . »

١٩٧٩٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسباط ، عن السدى: « فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر» ، الآية ، قال : فرحمهم عند ذلك، فقال لهم: « هل علمتم مافعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون» ؟

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام : هل تذكرون ما فعلتم بيوسف وأخيه ، إذ فرقتم بينهما ، وصنعتم ما صنعتم إذ أنتم جاهلون ؟ يعنى : فى حال جهلكم بعاقبة ما تفعلون بيوسف ، وما إليه صائر أمره وأمركم .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (٩٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال إخوة يوسف له ، حين قال لهم ذلك يوسف : « إنك لأنت يوسف » ؟ فقال : نعم أنا يوسف = « وهذا أخى قد مَنّ الله علينا » ، بأن جمع بيننا بعد ما فرقتم بيننا = « إنه من يتق ويصبر » ، يقول : إنه من يتق الله فيراقبه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه = « ويصبر » ، يقول : ويكفّ نفسه فيحبسها عما حرّم الله عليه من قول أو عمل عند مصيبةٍ نزلتْ به من الله[1] = « فإن الله لا يضيع أجر المحسنين » ، يقول : فإن الله لا يُبْطل ثواب إحسانه وجزاء طاعته إيّاه فيما أمره ونهاه .

* * *

وقد اختلفت القرأة فى قراءة قوله : « إنك لأنت يوسف » .

فقرأ ذلك عامة قرأة الأمصار : ﴿ أَئِنَّكَ ﴾ ، على الاستفهام .

* * *

(١) انظر تفسير « التقوى » ، و « الصبر » فيما سلف من فهارس اللغة (وق) ، (صبر)

وذكر أن ذلك فى قراءة أبىّ بن كعب : ﴿أَوَأَنْتَ يُوسُفُ﴾ .

* * *

وروى عن ابن محيصن أنه قرأ: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾، على الخبر لا على الاستفهام .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك عندنا، قراءةُ من قرأه بالاستفهام، ٣٧/١٣
لإجماع الحجّة من القرأة عليه .

* * *

١٩٧٩١ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال : لما قال لهم ذلك = يعنى قوله : « هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون »، = كشف الغطاء فعرفوه، فقالوا : « أئنك لأنت يوسف » ، الآية .

١٩٧٩٢ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى من سمع عبد الله بن إدريس يذكر ، عن ليث ، عن مجاهد قوله : « إنه من يتق ويصبر »، يقول : من يتق معصية الله، ويصبر على السِّجن .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ (٩١)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : قال إخوة يوسف له : تالله لقد فضلك الله علينا ، وآثرك بالعلم والحلم والفضل = « وإن كنا لخاطئين» ، يقول : وما كنا فى فعلنا الذى فعلنا بك ، فى تفريقنا بينك وبين أبيك وأخيك وغير ذلك من صنيعنا الذى صنعنا بك ، إلا خاطئين = يعنون : مخطئين .

* * *

يقال منه : «خَطِىءَ فلان يَخْطَأُ خَطَأً وخِطْأً ، وأخطأ يُخْطِىءُ إخطاءً »، (١)

(١) انظر تفسير « خطىء » فيما سلف ٢ : ١١٠/٦ : ١٣٤ .

ومن ذلك قول أمية بن الأسكر :

وَإِنَّ مُهَاجِرَيْنِ تَكَنَّفَاهُ لَعَمْرُ اللهِ قَدْ خَطِئا وحَابَا[1]

* * *

و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٧٩٣ ــ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو عن أسباط، عن السدى قال : لما قال لهم يوسف : « أنا يوسف وهذا أخى» ، اعتذروا إليه وقالوا : « تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين » ، فيما كنا صنعنا بك .

١٩٧٩٤ ــ حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله : « تالله لقد آثرك الله علينا » ، وذلك بعد ماعرّفهم أنفسهم . يقول : جعلك الله رجلاً حليماً .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ (٩٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال يوسف لإخوته : « لا تثريب » ، يقول : لا تغيير عليكم[2] ، ولا إفساد لما بينى وبينكم من الحرمة وحقّ الأخوة ، ولكن لكم عندى الصفح والعفو .

* * *

(١) مضى البيت وتخريجه وتصويب روايته فيما سلف ٢ : ١١٠/٧ : ٥٢٩ ، ويزاد عليه، مجاز القرآن ١ : ١١٣ ، ٣١٨ ، وكان فى المطبوعة والمخطوطة هنا أيضاً « وخابا » بالخاء ، وقد فسره أبو جعفر فى ٧ : ٥٢٩ ، بمعنى : أثما ، من « الحوب » وهو الإثم ، وهو الصواب المحض إن شاء الله .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « تغيير » ، بالغين ، والصواب ما أثبته بالعين المهملة ، وهو صريح اللغة . وقد صححته فى كل موضع يأتى بعد هذا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٧٩٥ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « لاتثريب عليكم » ، لم يثرِّب عليهم أعمالهم .

١٩٧٩٦ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن الزبير قوله : « لا تثريب عليكم اليوم » ، قال : قال سفيان : لا تعيير عليكم .

١٩٧٩٧ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : « لا تثريب عليكم اليوم » ، أى : لا تأنيب عليكم اليوم عندى فيما صنعتم .

١٩٧٩٨ – وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى قال : اعتذروا إلى يوسف فقال : « لا تثريب عليكم اليوم » ، يقول : لا أذكر لكم ذنبكم .

* * *

وقوله : « يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين » ، وهذا دعاء من يوسف لإخوته ، بأن يغفر الله لهم ذنبهم فيما أتوا إليه وركبوا منه من الظلم . يقول : عفا الله لكم عن ذنبكم وظلمكم ، فستره عليكم = « وهو أرحم الراحمين » ، يقول : والله أرحم الراحمين لمن تاب من ذنبه ،[1] وأناب إلى طاعته بالتوبة من معصيته ، كما : –

١٩٧٩٩ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين » ، حين اعترفوا بذنبهم .

* * *

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « من تاب » ، وصواب الكلام ما أثبت .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٩٣)

قال أبو جعفر : ذكر أن يوسف صلى الله عليه وسلم لما عرّف نفسه إخوته ، سألهم عن أبيهم فقالوا : ذهب بصره من الحزن ! فعند ذلك أعطاهم قميصَه وقال لهم : « اذهبوا بقميصى هذا » .

* * *

* ذكر من قال ذلك :

١٩٨٠٠ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو، عن أسباط ، عن السدى قال : قال لهم يوسف : ما فعل أبى بعدى ؟ قالوا : لما فاته بنيامين عمى من الحزن . قال : « اذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه أبى يأت بصيراً وأتونى بأهلكم أجمعين » .

* * *

وقوله : « يأت بصيراً » ، يقول : يَعُدْ بصيراً[1] = « وأتونى بأهلكم أجمعين » ، يقول : وجيئونى بجميع أهلكم .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ (٩٤) ٣٨/١٢

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولما فصلت عير بنى يعقوب من عند يوسف متوجهة إلى يعقوب ،[2] قال أبوهم يعقوب : « إنى لأجد ريح يوسف » .

---

(١) هذا معنى يقيد فى معاجم اللغة ، فى باب « أتى » ، بمعنى : عاد = وهو معنى عزيز لم يشر إليه أحد من أصحاب المعاجم التى بين أيدينا .

(٢) انظر تفسير « فصل » فيما سلف ٥ : ٣٣٨ .

ذُكر أن الريح استأذنت ربها فى أن تأتى يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير ، فأذن لها ، فأتته بها .

* * *

* ذكر من قال ذلك :

١٩٨٠١ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، حدثنى أبو شريح ، عن أبى أيوب الهوزنى حدّثه قال : استأذنت الريح أن تأتى يعقوب بريح يوسف حين بعث بالقميص إلى أبيه قبل أن يأتيه البشير ، ففعل . قال يعقوب : « إنى لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون » .(١)

١٩٨٠٢ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبى سنان ، عن ابن أبى الهذيل ، عن ابن عباس فى قوله : « ولما فصلت العير قال أبوهم إنى لأجد ريح يوسف لو لا أن تفندون » ، قال : هاجت ريح فجاءت بريح يوسف من مسيرة ثمان ليالٍ ، فقال : « إنى لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون » .(٢)

١٩٨٠٣ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن أبى سنان ، عن ابن أبى الهذيل ، عن ابن عباس ، : « ولما فصلت العير » ، قال : هاجت ريح ، فجاءت بريح قميص يوسف من مسيرة ثمان ليال .

١٩٨٠٤ – حدثنى أبو السائب قال ، حدثنا ابن فضيل ، عن ضرار ، عن ابن أبى الهذيل قال : سمعت ابن عباس يقول : وجد يعقوب ريح يوسف وهو منه على مسيرة ثمان ليال .

---

(١) الأثر : ١٩٨٠١ – « أبو شريح » ، هو : « عبد الرحمن بن شريح بن عبد الله المعافرى » ، ثقة روى له الجماعة ، مضى برقم : ٦١٩٩ .

وأما « أبو أيوب الهوزنى » ، فلم أستطع أن أعرف من هو ، وقد ذكره الطبرى بكنيته هنا ، وفى تاريخه ١ : ١٨٥ ، وساق هذا الخبر بنصه .

(٢) الأثر : ١٩٨٠٢ – « أبو سنان » ، هو الشيبانى الأكبر : « ضرار بن مرة » ، ثقة ، مضى برقم : ١٧٣٣٦ ، ١٧٣٣٧ ، وسيأتى الخبر بعد برقم : ١٩٨٠٤ وما بعده .

و « ابن أبى الهذيل » ، هو « عبد الله بن أبى الهذيل العنزى » ، ثقة ، مضى برقم : ١٣٩٣٢ .

١٩٨٠٥ ــ حدثنا ابن وكيع والحسن بن محمد قالا ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل قال : كنت إلى جنب ابن عباس فسئل : من كم وجد يعقوب ريح القميص؟ قال : من مسيرة سبع ليالٍ أو ثمان ليال .

١٩٨٠٦ ــ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل قال : قال لى أصحابى : إنك تأتى ابن عباس ، فسله لنا . قال : فقلت : ما أسأله عن شيء ، ولكن أجلس خلف السرير ، فيأتيه الكوفيون فيسألون عن حاجتهم وحاجتى ، فسمعته يقول : وجد يعقوب ريح قميص يوسف من مسيرة ثمان ليال = قال ابن أبي الهذيل : . فقلت : ذاك كمكان البصرة من الكوفة .

١٩٨٠٧ ــ حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا على بن عاصم ، عن ضرار ابن مرة ، عن عبد الله بن أبي الهذيل قال : سمعت ابن عباس يقول : وجد يعقوب ريح قميص يوسف من مسيرة ثمان ليال . قال : فقلت فى نفسى : هذا كمكان البصرة من الكوفة .

١٩٨٠٨ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى = ، عن سفيان ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل ، عن ابن عباس فى قوله : « إنى لأجد ريح يوسف» ، قال : وجد ريح قيمص يوسف من مسيرة ثمان ليال . قال : قلت له : ذاك كما بين البصرة إلى الكوفة = واللفظ لحديث أبي كريب .

١٩٨٠٩ ــ حدثنا الحسين بن محمد قال، حدثنا عاصم وعلى قالا ، أخبرنا شعبة قال ، أخبرنى أبو سنان قال ، سمعت عبد الله بن أبي الهذيل ، عن ابن عباس فى هذه الآية : « إنى لأجد ريح يوسف » ، قال : وجد ريحه من مسيرة ما بين البصرة إلى الكوفة .

١٩٨١٠ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا آدم العسقلانى قال ، حدثنا شعبة قال ، حدثنا أبو سنان . قال : سمعت عبد الله بن أبي الهذيل يحدث ، عن ابن عباس ، مثله .

١٩٨١١ - . . . . قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي سنان ، عن عبد الله بن أبي الهذيل . قال :كنا عند ابن عباس فقال : « إني لأجد ريح يوسف » ، قال : وجد ريح قميصه من مسيرة ثمان ليال .

١٩٨١٢ - حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا إسرائيل ، عن أبي سنان ، عن عبد الله بن أبي الهذيل قال : سمعت ابن عباس يقول : « ولما فصلت العير » ، قال : لما خرجت العير ، هاجت ريح فجاءت يعقوبَ بريح قميص يوسف فقال : « إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون » ، قال : فوجد ريحه من مسيرة ثمان ليال .

١٩٨١٣ - حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، ٣٩/١٣
عن الحسن : ذكر لنا أنه كان بينهما يومئذ ثمانون فرسخاً ، يوسف بأرض مصر ، ويعقوبُ بأرض كنعان ، وقد أتى لذلك زمان طويل .(١)

١٩٨١٤ - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قوله : « إني لأجد ريح يوسف » ، قال : بلغنا أنه كان بينهم يومئذ ثمانون فرسخاً . وقال : « إني لأجد ريح يوسف » ، وكان قد فارقه قبل ذلك سبعاً وسبعين سنة .

١٩٨١٥ - حدثنا أحمد بن إسحق، قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي سنان ، عن عبد الله بن أبي الهذيل ، عن ابن عباس في قوله : « إني لأجد ريح يوسف » ، قال : وجد ريح القميص من مسيرة ثمانية أيام .

١٩٨١٦ - . . . قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي سنان ، عن عبد الله بن أبي الهذيل ،عن ابن عباس قوله : « ولما فصلت العير » ، قال : فلما خرجت العير ، هبَّت ريح فذهبت بريح قميص يوسف إلى يعقوب ،

---

(١) قوله : « وقد أتى لذلك زمان طويل » ، يعني مدة فراق يعقوب ويوسف ، كما يظهر من الأثر التالي .

فقال : « إنى لأجد ريح يوسف » ، قال : ووجد ريح قميصه من مسيرة ثمانية أيام .

١٩٨١٧ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال : لما فَصَلت العير من مصر ، استروَح يعقوب ريح يوسف ، فقال لمن عنده من ولده : « إنى لأجد ريح يوسف لولا أن تفنّدون » .

* * *

وأما قوله : « لولا أن تفندون »، فإنه يعنى : لولا أن تعنّفونى ، وتعجّزونى، وتلومونى، وتكذبونى .

* * *

ومنه قول الشاعر :(١)

يَا صَاحِبَىَّ دَعَا لَوْمِى وَتَفْنِيدِى فَلَيْسَ مَا فَاتَ مِنْ أَمْرِى بِمَرْدُودِ(٢)

ويقال : « أفند فلاناً الدهرُ » ، وذلك إذا أفسده ، ومنه قول ابن مقبل :

دَعِ الدَّهْرَ يَفْعَلْ مَا أَرَادَ ، فإنَّهُ إذا كُلِّفَ الإفْنَادَ بالنَّاسِ أَفْنَدَا(٣)

* * *

واختلف أهل التأويل فى معناه .

فقال بعضهم : معناه : لولا أن تسفهونى .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٨١٨ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن عيينة، عن أبى سنان ، عن ابن أبى الهذيل ، عن ابن عباس : « لولا أن تفندون » ، قال : تسفّهون .

١٩٨١٩ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع = وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى = ، عن إسرائيل ، عن أبى سنان ، عن ابن أبى الهذيل ، عن ابن عباس ، مثله .

---

(١) هو هانىء بن شكيم العدوى ، هكذا نسبة أبو عبيدة .

(٢) مجاز القرآن ١ : ٣١٨ ، وروايته هناك : « عن أمر » ، بغير إضافة .

(٣) لم أجد البيت فيما بين يدى من المراجع .

١٩٨٢٠ ــ . . . . . وبه قال، حدثنا أبي ، عن سفيان، عن خصيف ، عن مجاهد : « لولا أن تفندون » ، قال : تسفّهون .

١٩٨٢١ ــ حدثني المثنى وعلى بن داود قالا، حدثنا عبد الله قال ، حدثني معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « لولا أن تفندون » ، يقول : تجهّلون .

١٩٨٢٢ ــ حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي سنان ، عن عبد الله بن أبي الهذيل ، عن ابن عباس : « لولا أن تفندون » ، قال : لولا أن تسفّهون .

١٩٨٢٣ ــ حدثنا أحمد قال، حدثنا أبو أحمد = وحدثني المثنى قال ، حدثنا أبو نعيم = ، قالا جميعاً ، حدثنا سفيان ، عن خصيف ، عن مجاهد : « لولا أن تفندون » ، قال : لولا أن تسفهون .

١٩٨٢٤ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا الحماني قال ، حدثنا شريك ، عن أبي سنان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس = وسالم ، عن سعيد = : « لولا أن تفندون » ، قال أحدهما : تسفهون = وقال الآخر : تكذبون .

١٩٨٢٥ ــ حدثني يعقوب قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء : « لولا أن تفندون » ، قال : لولا أن تكذبون ، لولا أن تسفّهون .

١٩٨٢٦ ــ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يزيد بن هرون ، عن عبد الملك ، عن عطاء قال : تسفهون .

١٩٨٢٧ ــ حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « لولا أن تفندون » ، يقول : لولا أن تسفهون .

١٩٨٢٨ ــ حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر ، عن قتادة : « لولا أن تفندون » ، يقول : لولا أن تسفهون .

١٩٨٢٩ ــ حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا

إسرائيل ، عن أبي سنان ، عن عبد الله بن أبي الهذيل قال : سمعت ابن عباس يقول : « لولا أن تفندون » ، يقول : تسفّهون . .

١٣/٤٠ ١٩٨٣٠ ــ حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا شبابة قال، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : « لولا أن تفندون » ، قال : ذهبَ عقله !

١٩٨٣١ ــ حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « تفندون » ، قال : قد ذهب عقله !

١٩٨٣٢ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد =

١٩٨٣٣ ــ وحدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ،عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: «لولا أن تفندون » . قال: قد ذهب عقله!

١٩٨٣٤ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج، عن مجاهد: « لو أن تفندون »، قال : لولا أن تقولوا: ذَهَب عقلك!

١٩٨٣٥ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « لولا أن تفندون » ، يقول : لولا أن تضعّفوني .

١٩٨٣٦ ــ حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « لولا أن تفندون » ، قال: الذي ليس له عقل ، ذلك « المفنّد » . يقول : لا يعقل.[1]

* * *

وقال آخرون: معناه : لولا أن تكذبون .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٨٣٧ ــ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا سويد بن عمرو الكلبي ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد : « لولا أن تفندون » ، قال : تكذبون .

---

(١) في المطبوعة : « يقولون : لا يعقل » ، وما في المخطوطة صواب محض ، على منهاجهم .

١٩٨٣٨ – . . . . . قال، حدثنا عمرو، عن أسباط، عن السدى، قال: لولا أن تهرّمون وتكذبون .

١٩٨٣٩ – . . . . . قال، حدثنا محمد بن بكر، عن ابن جريج قال: بلغنى عن مجاهد قال : تكذبون .

١٩٨٤٠ – . . . . . قال، حدثنا عبدة، وأبو خالد، عن جويبر، عن الضحاك قال : لولا أن تكذبون .

١٩٨٤١ – حدثت عن الحسين قال، سمعت أبا معاذ يقول، حدثنا عبيد بن سليمان قال، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « لولا أن تفندون » ، تكذبون .

١٩٨٤٢ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عمرو قال، أخبرنا هشيم، عن عبد الملك، عن عطاء فى قوله : « لولا أن تفندون » ، قال : تسفهون، أو : تكذبون .

١٩٨٤٣ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال، حدثنى عمى قال، حدثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: « لولا أن تفندون »، يقول : تكذبون .

* * *

وقال آخرون : معناه : تهرّمون .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٨٤٤ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا إسرائيل، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد : « لولا أن تفندون » ، قال : لولا أن تهرّمون .

١٩٨٤٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبيد الله، عن إسرائيل، عن أبى يحيى، عن مجاهد، مثله .

١٩٨٤٦ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن . قال : تهرّمون .

١٩٨٤٧ – حدثنى يعقوب قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا أبو الأشهب،

عن الحسن : « لولا أن تفندون » ، قال : تهرّمون .

١٩٨٤٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال، أخبرنا هشيم ، عن أبي الأشهب ، وغيره ، عن الحسن ، مثله.

* * *

قال أبو جعفر : وقد بينا أن أصل « التفنيد » ، الإفساد . وإذ كان ذلك كذلك ، فالضعف والهرم والكذب وذهاب العقل وكل معاني الإفساد ، تدخل في « التفنيد » ؛ لأن أصل ذلك كله الفساد، والفساد في الجسم: الهرمُ وذهاب العقل والضعف = وفي الفعل: الكذب واللوم بالباطل ، ولذلك قال جرير بن عطية .

يا عَاذِلِيَّ دَعَا المَلاَمَ وأَقْصِرَا طَالَ الهَوَى وأَطَلْتُمَا التَّفْنِيدا[1]

يعني : الملامة = فقد تبيّن ، إذ كان الأمر على ما وصفنا ، أنّ الأقوال التي قالها من ذكرنا قولَه في قوله : « لولا أن تفندون » ، على اختلاف عباراتهم عن تأويله ، متقاربةُ المعاني ، محتملٌ جميعَها ظاهرُ التنزيل، إذ لم يكن في الآية دليلٌ على أنه معنيٌّ به بعض ذلك دون بعض .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴾ (٩٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال الذين قال لهم يعقوب من ولده : « إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون » : تالله ، أيها الرجل ، إنك من حبّ يوسف وذكره لفي خطائك وزللك القديم ،[2] لا تنساه ولا تتسلى عنه .

* * *

(١) ديوانه : ١٦٩ ، من قصيدة له طويلة ، ورواية البيت خطأ في الديوان ، صوابه ما ههنا ، « وأقصرا » ، بالراء ، من « الإقصار » ، وهو الكف عن فعل الشيء .

(٢) في المخطوطة : « لفي حطامك في ذلك القديم » غير منقوطة ، والصواب ما في المطبوعة . ولكنه كتب هناك: « خطئك » مكان « خطائك » ، وهما بمعنى واحد . وسيأتي في مواضع أخرى ، سأصححها على رسم المخطوطة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٨٤٩ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن ٤١/١٣
على ، عن ابن عباس قوله : « إنك لفى ضلالك القديم » ، يقول : خطائك القديم.

١٩٨٥٠ ــ حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة : «قالوا تالله إنك لفى ضلالك القديم » ، أى : من حب يوسف، لا تنساه ولا تسلاه . قالوا لوالدهم كلمةً غليظة ، لم يكن ينبغى لهم أن يقولوها لوالدهم ، ولا لنبىّ الله صلى الله عليه وسلم .

١٩٨٥١ ــ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو، عن أسباط ، عن السدى : « قالوا تالله إنك لفى ضلالك القديم » ، قال : فى شأن يوسف .

١٩٨٥٢ ــ حدثنا أحمد قال،حدثنا أبو أحمد قال ، قال سفيان : « تالله إنك لفى ضلالك القديم » ، قال : من حبك ليوسف .

١٩٨٥٣ ــ حدثنا ابن وكيع . قال، حدثنا عمرو، عن سفيان ، نحوه .

١٩٨٥٤ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « قالوا تالله إنك لفى ضلالك القديم » ، قال : فى حبك القديم .

١٩٨٥٥ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق : « قالوا تالله إنك لفى ضلالك القديم » ، أى: إنك لمن ذكر يوسف فى الباطل الذى أنت عليه .

١٩٨٥٦ ــ حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « تالله إنك لفى ضلالك القديم » ، قال : يعنون حزنه القديم على يوسف = « وفى ضلالك القديم » . لفى خطائك القديم .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٩٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: فلما أن جاء يعقوبَ البشيرُ من عند ابنه يوسف ، وهو المبشّر برسالة يوسف، وذلك بريدٌ، فيما ذكر، كان يوسف أبردَهُ إليه.(١)

* * *

وكان البريد ، فيما ذكر ، والبشير : يهوذا بن يعقوب ، أخا يوسف لأبيه .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٨٥٧ ــ حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه » ، يقول : « البشير » ، البريدُ .

١٩٨٥٨ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا جويبر ، عن الضحاك : « فلما أن جاء البشير » ، قال : البريد .

١٩٨٥٩ ــ حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا محمد بن يزيد الواسطى، عن جويبر ، عن الضحاك : « فلما أن جاء البشير » ، قال : البريد .

١٩٨٦٠ ــ . . . . . قال ، حدثنا شبابة قال، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله : « فلما أن جاء البشير » . قال : يهوذا بن يعقوب .

١٩٨٦١ ــ حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال : حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « البشير »، قال: يهوذا بن يعقوب .

---

(١) فى المطبوعة : « برده إليه » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وكلاهما صواب . يقال : « برد بريداً ، وأبرده » ، أى : أرسله .

١٩٨٦٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: يهوذا بن يعقوب.

١٩٨٦٣ – . . . . . قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: هو يهوذا بن يعقوب.

١٩٨٦٤ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج: «فلما أن جاء البشير»، قال: يهوذا بن يعقوب، كان البشير.

١٩٨٦٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله بن الزبير، عن سفيان، عن ابن جريج، عن مجاهد: «فلما أن جاء البشير»، قال: هو يهوذا بن يعقوب.

= قال سفيان: وكان ابن مسعود يقرأ: ﴿وَجَاءَ البَشِيرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيِ العِيرِ﴾.(١)

١٩٨٦٦ – حدثنا ابن وكيع قال: حدثنا المحاربي، عن جويبر، عن الضحاك: «فلما أن جاء البشير»، قال: البريد، هو يهوذا بن يعقوب.

١٩٨٦٧ – . . . قال، حدثنا عمرو، عن أسباط، عن السدي قال: قال يوسف: «اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً وأتوني بأهلكم أجمعين»، قال يهوذا: أنا ذهبتُ بالقميص ملطخاً بالدم إلى يعقوب فأخبرته أن يوسف أكله الذئب، وأنا أذهب اليوم بالقميص وأخبره أنه حيٌّ فأفرحه كما أحزنته. فهو كان البشير.

١٩٨٦٨ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا هشيم، عن جويبر، عن الضحاك، «فلما أن جاء البشير»، قال: البريد.

* * *

---

(١) هذه قراءة لا يقرأ بها كما سلف مراراً لمخالفتها ما في المصحف، ولكن هذه فيها إشكال، فلو صح أنها: «وجاء البشير»، لوجب أن تكون القراءة بعدها: «فألقاه» بالفاء وإلا وجب أن تكون القراءة: ﴿فلمَّا أنْ جاء البشِيرُ منْ بيْنِ يَدَيِ العِيرِ﴾.

قال أبو جعفر : وكان بعضُ أهل العربيّة من أهل الكوفة يقول : « أنْ » في قوله : « فلما أن جاء البشير » ، وسقوطُها ، بمعنى واحدٍ . وكان يقول : هذا في « لما » و « حتى » ، خاصّة . ويذكر أن العرب تدخلها فيهما أحياناً وتسقطها أحياناً ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا ﴾ [سورة العنكبوت : ٣٣] ، وقال في موضع آخر : ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا ﴾ [سورة هود : ٧٧] ، وقال : هي صلة ،[1] لا موضع لها في هذين الموضعين . يقال : « حتى كان كذا وكذا » ، أو « حتى أن كان كذا وكذا » . ٤٢/١٣

* * *

وقوله : « ألقاه على وجهه » ، يقول : ألقى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب ، كما : —

١٩٨٦٩ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : فلما أن جاء البشير ألقى القميص على وجهه .

* * *

وقوله : « فارتد بصيراً » ، يقول : رجع وعادَ مبصراً بعينيه ،[2] بعد ما قد عمي = « قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله مالا تعلمون » ، يقول جل وعز : قال يعقوب لمن كان بحضرته حينئذ من ولده : ألم أقل لكم ، يا بني ، إني أعلم من الله أنه سيردّ عليّ يوسف ويجمع بيني وبينه؟ وكنتم لا تعلمون أنتم من ذلك ما كنت أعلمه ، لأن رؤيا يوسف كانت صادقة ، وكان الله قد قضى أن أخرِّ أنا وأنتم له سجوداً ، فكنت مُوقناً بقضائه .

* * *

---

(١) قوله : « صلة » ، أي : زيادة ، وانظر ما سلف : ١ : ١٩٠ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٥٤٨ ، ٤ : ٥/٢٨٩ : ٤٦٠ ، ٧/٤٦٢ : ٣٤٠ ، ١٢/٣٤١ : ٣٢٥ ، ١٣/٣٢٦ : ١٤/٥٠٨ : ١٥/٣٠ : ٤٩٧ .

(٢) انظر تفسير « ارتد » فيما سلف ٣ : ٤/١٦٣ : ١٠/٣١٦ : ١٧٠ ، ٤٠٩ ، ٤١٠

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ﴿٩٨﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال ولد يعقوبَ الذين كانوا فرّقوا بينه وبين يوسف : ياأبانا سل لنا ربك يعفُ عنّا ، ويستر علينا ذنوبنا التى أذنبناها فيك وفى يوسف ، فلا يعاقبنا بها فى القيامة =« إنا كنا خاطئين »، فيما فعلنا به ، فقد اعترفنا بذنوبنا = « قال سوف أستغفر لكم ربى » ، يقول : جل ثناؤه : قال يعقوب : سوف أسأل ربى أن يعفو عنكم ذنوبكم التى أذنبتموها فىّ وفى يوسف .

* * *

ثم اختلف أهل العلم ،[1] فى الوقت الذى أخّر الدّعاء إليه يعقوبُ لولده بالاستغفار لهم من ذنبهم .

فقال بعضهم : أخّر ذلك إلى السَّحَر .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٨٧٠ – حدثنى أبو السائب قال، حدثنا ابن إدريس قال، سمعت عبد الرحمن بن إسحق ، يذكر عن محارب بن دثار قال : كان عمٌّ لى يأتى المسجدَ ، فسمع إنساناً يقول : « اللهم دعوتنى فأجبت ، وأمرتنى فأطعت ، وهذا سَحَرٌ فاغفر لى » . قال : فاستمع الصوت فإذا هو من دار عبد الله بن مسعود . فسأل عبد الله عن ذلك فقال : إن يعقوب أخّر بنيه إلى السحر بقوله : « سوف أستغفر لكم ربى » .[2]

---

(١) فى المطبوعة : « أهل التأويل » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٢) الأثر : ١٩٨٧٠ – « عبد الرحمن بن إسحق بن سعد الواسطى » ، « أبو شيبة » ، قال أحمد : ليس بشىء ، منكر الحديث ، وضعفه الباقون . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٢/٢/١٣٠ . و « محارب بن دثار السدوسى » ، « أبو مطرف » ، ثقة ، مضى برقم : ١١٣٣١ .

١٩٨٧١ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن فضيل، عن عبد الرحمن بن إسحق ، عن محارب بن دثار ، عن عبد الله بن مسعود : « سوف أستغفر لكم ربى » ، قال : أخّرهم إلى السَّحر .

١٩٨٧٢ – . . . . . قال، حدثنا أبو سفيان الحميرى ، عن العوام ، عن إبراهيم التيمىّ فى قول يعقوب لبنيه : « سوف أستغفر لكم ربى » ، قال : أخّرهم إلى السحر.(١)

١٩٨٧٣ – . . . . . قال ، حدثنا عمرو، عن خلاد الصفار، عن عمرو ابن قيس : « سوف أستغفر لكم ربى » ، قال : فى صلاة الليل .

١٩٨٧٤ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « سوف أستغفر لكم ربى » ، قال : أخّر ذلك إلى السَّحر .

* * *

وقال آخرون : أخّر ذلك إلى ليلة الجمعة .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٨٧٥ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن أبو أيوب الدمشقى قال ، حدثنا الوليد قال ، أخبرنا ابن جريج ، عن عطاء ، وعكرمة ، عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سوف أستغفر لكم ربى » ، يقول : حتى تأتى ليلة الجمعة ، وهو قول أخى يعقوب لبنيه.(٢)

---

(١) الأثر : ١٩٨٧٢ – « أبو سفيان الحميرى » ، هو « سعيد بن يحيى بن مهدى » ، صدوق ، مضى برقم : ١٢١٩٣

(٢) الأثر : ١٩٨٧٥ – « سليمان بن عبد الرحمن التميمى » ، « أبو أيوب الدمشقى » ، ثقة ، ولكنه حدث بالمناكير ، متكلم فى روايته عن غير الثقات ، مضى برقم : ١٤٢١٢ .

و « الوليد بن مسلم الدمشقى القرشى » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً ، آخرها : ١٣٤٦١ .

١٩٨٧٦ ــ حدثنا أحمد بن الحسن الترمذى قال ، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقى قال ، حدثنا الوليد بن مسلم قال ، أخبرنا ابن جريج ، عن عطاء ، وعكرمة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد قال أخى يعقوب : « سوف أستغفر لكم ربى » ، يقول : حتى تأتى ليلة الجمعة .(١)

* * *

وقوله : « إنه هو الغفور الرحيم » ، يقول : إن ربى هو الساتر على ذنوب التائبين إليه من ذنوبهم = « الرحيم » ، بهم أن يعذبهم بعد توبتهم منها .

* * *

وسائر رجال الخبر ثقات ، وقد ذكره ابن كثير فى تفسير ٤ : ٤٧٧ ، ثم قال : « وهذا غريب من هذا الوجه ، وفى رفعه نظر ، والله أعلم » .

وهذا الحديث ، من حديث الوليد بن مسلم ، رواه الترمذى من طريق أحمد بن الحسن ، عن سليمان ابن عبد الرحمن الدمشقى ، عن الوليد بن مسلم ، فى باب (أحاديث شتى من أبواب الدعوات) ، وهو حديث طويل جداً ، وقال الترمذى : « هذا حديث حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم » .

و رواه الحاكم فى المستدرك ١ : ٣١٦ . من هذه الطريق نفسها ثم قال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » .

وقد علق عليه الذهبى فقال : « هذا حديث منكر شاذ ، أخاف لا يكون موضوعاً ، وقد حيرنى والله جودة سنده ، فإن الحاكم قال فيه : حدثنا أبو النضر محمد بن محمد الفقيه ، وأحمد بن محمد العنزى قالا حدثنا عثمان بن سعيد الدارمى (ح) وحدثنى أبو بكر بن محمد بن جعفر المزكى ، حدثنا محمد بن إبراهيم العبدى ، قالا حدثنا أيوب سليمان بن عبد الرحمن الدمشقى ، حدثنا الوليد بن مسلم ، فذكره مصرحاً بقوله : "حدثنا ابن جريج" ، فقد حدث به سليمان قطعاً وهو ثبت ، فالله أعلم » .

وهذا الإشكال الذى حير الذهبى ، ربما فسره ما قال يعقوب بن سفيان ، فى سليمان بن عبد الرحمن : « كان صحيح الكتاب ، إلا أنه كان يحول ، فإن وقع فيه شىء فمن النقل ، وسليمان ثقة » . فإن صح هذا فربما كان هذا الحديث مما وهم فى تحويله ، لأن أسانيد هذا الخبر تدور كلها على « سليمان بن عبد الرحمن » ، ولم نجد أحداً رواه عن الوليد بن مسلم : غير سليمان . والله أعلم .

وسيأتى بإسناد آخر يليه .

(١) الأثر : ١٩٨٧٦ ــ هذا مكرر الذى سلف .

و « أحمد بن الحسن الترمذى » ، شيخ الطبرى ، كان أحد أئمة الحديث ، مضى برقم : ٧٤٨٩ ، ١٤٢١٢ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ ﴿١٠٠﴾

١٣/٤٣

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه . فلما دخل يعقوب وولده وأهلوهم على يوسف = « آوى إليه أبويه » ، يقول : ضم إليه أبويه،[1] فقال لهم : « ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين » .

* * *

فإن قال قائل : وكيف قال لهم يوسف : « ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين » ، بعد ما دخلوها ، وقد أخبر الله عز وجل عنهم أنهم لما دخلوها على يوسف وضمّ إليه أبويه ، قال لهم هذا القول ؟

قيل : قد اختلف أهل التأويل فى ذلك .

فقال بعضهم : إن يعقوب إنما دخل على يوسف هو وولده ، وآوى يوسف أبويه إليه قبل دخول مصر . قالوا : وذلك أن يوسف تلقّى أباه تكرمةً له قبل أن يدخل مصر ، فآواه إليه ، ثم قال له ولمن معه : « ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين » ، بها قبل الدخول .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) انظر تفسير « الإيواء » فيما سلف ص : ١٦٩ ، تعليق : ١ ، » والمراجع هناك .

١٩٨٧٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو، عن أسباط ، عن السدى : فحملوا إليه أهلهم وعيالهم ، فلما بلغوا مصر ، كلّم يوسف الملك الذى فوقه، فخرج هو والملوك يتلقّونهم ، فلما بلغوا مصر قال : « ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين » = « فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه » .

١٩٨٧٨ – حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا جعفر بن سليمان ، عن فرقد السبخى قال : لما ألقى القميص على وجهه ارتدّ بصيراً وقال : « ائتونى بأهلكم أجمعين » ، فحمل يعقوب وإخوة يوسف . فلما دنا أخبر يوسف أنه قد دنا منه ، فخرج يتلقاه . قال : وركب معه أهلُ مصر ، وكانوا يعظمونه . فلما دنا أحدهما من صاحبه ، وكان يعقوب يمشى وهو يتوكّأ على رجل من ولده يقال له يهوذا . قال : فنظر يعقوب إلى الخيل والناس فقال : يا يهوذا ، هذا فرعون مصر ؟ قال : لا هذا ابنك ! قال : فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه ، فذهب يوسف يبدؤه بالسّلام ، فمنع من ذلك ، وكان يعقوب أحقّ بذلك منه وأفضل ، فقال : السلام عليك يا ذاهب الأحزان عنى = هكذا قال: «يا ذاهب الأحزان عنى».(١)

١٩٨٧٩ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، قال حجاج : بلغنى أن يوسف والملك خرجا فى أربعة آلاف يستقبلون يعقوب وبنيه .

= قال : وحدثنى من سمع جعفر بن سليمان يحكى ،عن فرقد السبخى قال : خرج يوسف يتلقى يعقوب ، وركب أهل مصر مع يوسف = ثم ذكر بقية الحديث ، نحو حديث الحارث ، عن عبد العزيز .

* * *

(١) يعنى أنه قال ذلك معدياً « ذهب » من قولهم « ذهب به ، وأذهبه » ، أى : أزاله كأنه قال : يا مذهب الأحزان عنى . وهذا غريب ، يتيه لغرابته . وانظر إلى دقة الرواية عندنا ، حتى فى مثل هذه الأخبار ، ولكن أهل الزيغ يريدون أن يعبثوا بهذه الدلائل الواضحة ، ليقع الناس فى الشك فى أخبار نبيهم ، وفى رواية رواتهم ، والله من ورائهم محيط .

وقال آخرون : بل قوله : « إن شاء الله » ، استثناءٌ من قول يعقوب لبنيه : « أستغفر لكم ربى ». قال : وهو من المؤخر الذى معناه التقديم . قالوا : وإنما معنى الكلام : قال : أستغفر لكم ربى إن شاء الله إنه هو الغفورَ الرحيم ، فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه ، وقال ادخلوا مصر ، ورفع أبويه .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٨٨٠ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال : سوف أستغفر لكم ربى إن شاء الله آمنين = وبيْن ذلك ما بينه من تقديم القرآن .

* * *

قال أبو جعفر : يعنى ابن جريج : « وبين ذلك ما بينه من تقديم القرآن » ، أنه قد دخل بين قوله : « سوف أستغفر لكم ربى » ، وبين قوله : « إن شاء الله » ، من الكلام ما قد دخل ، وموضعه عنده أن يكون عَقِيب قوله : « سوف أستغفر لكم ربى » .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا ما قاله السدى ، وهو أن يوسف قال ذلك لأبويه ومن معهما من أولادهما وأهاليهم قبل دخولهم مصر حين تلقَّاهم ، لأن ذلك فى ظاهر التنزيل كذلك ، فلا دلالة تدلّ على صحة ما قال ابن جريج ، ولا وجه لتقديم شىء من كتاب الله عن موضعه أو تأخيره عن مكانه إلاّ بحجة واضحة .

* * *

وقيل : عُنِى بقوله : « آوى إليه أبويه، » أبوه وخالتُه . وقال الذين قالوا هذا القول : كانت أم يوسف قد ماتت قبلُ ، وإنما كانت عند يعقوب يومئذ خالتُه أخت أمه ، كان نكحها بعد أمِّه . ١٣/٤٤

* ذكر من قال ذلك :

١٩٨٨١ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى : « فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه » ، قال : أبوه وخالته .

* * *

وقال آخرون : بل كان أباه وأمه .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٨٨٢ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق : « فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه » ، قال : أباه وأمه .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك بالصواب ما قاله ابن إسحق ، لأن ذلك هو الأغلب فى استعمال الناس والمتعارف بينهم فى « أبوين » ، إلا أن يصح ما يقال من أنّ أم يوسف كانت قد ماتت قبل ذلك بحجة يجب التسليم لها ، فيسلّم حينئذٍ لها .

* * *

وقوله : « وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين » ، مما كنتم فيه فى باديتكم من الجدب والقحط .

* * *

وقوله : « رفع أبويه على العرش » ، يعنى : على السرير ، كما : –

١٩٨٨٣ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى : « ورفع أبويه على العرش » ، قال : السرير .

١٩٨٨٤ – حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا محمد بن يزيد الواسطى ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : « العرش » ، السرير .

١٩٨٨٥ – . . . . قال حدثنا ، شبابة قال ، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله : « ورفع أبويه على العرش » ، قال : السرير .

١٩٨٨٦ – حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا

عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٩٨٨٧ – حدثني المثنى قال، أخبرنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد =

١٩٨٨٨ – وحدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٩٨٨٩ – حدثنا القاسم ، قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

١٩٨٩٠ – حدثني المثنى قال، أخبرنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد =

١٩٨٩١ – وحدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٩٨٩٢ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

١٩٨٩٣ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ورفع أبويه على العرش » ، قال : سريره .

١٩٨٩٤ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر ، عن قتادة : « على العرش » ، قال : على السرير .

١٩٨٩٥ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « ورفع أبويه على العرش » ، يقول : رفع أبويه على السرير .

١٩٨٩٦ – حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، قال سفيان : « ورفع أبويه على العرش » ، قال : على السرير .

١٩٨٩٧ – حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد في قوله : « ورفع أبويه على العرش » ، قال : مجلسه .

١٩٨٩٨ – حدثني ابن عبد الرحيم البرقي قال ، حدثنا عمرو بن أبي سلمة قال ، سألت زيد بن أسلم عن قول الله : « ورفع أبويه على العرش » ، فقلت : أبلغك أنها خالته ؟ قال : قال ذلك بعض أهل العلم ، يقولون إن أمّه ماتت قبل ذلك ، وأن هذه خالته .

* * *

وقوله : « وخرّوا له سجداً » ، يقول: وخرّ يعقوب وولده وأمّه ليوسف سجّداً .

* * *

١٩٨٩٩ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « وخرُّوا له سجداً»، يقول: رفع أبويه على السرير وسجدا له ، وسجد له إخوته .

١٩٩٠٠ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : تحمّل = يعني يعقوب = بأهله حتى قدموا على يوسف ، فلما اجتمع إلى يعقوب بنوه ، دخلوا على يوسف، فلما رأوه وقعوا له سجوداً ، وكانت تلك تحية الملوك في ذلك الزمان = أبوه وأمه وإخوته .

١٩٩٠١ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة : « وخروا له سجّداً » وكانت تحية من قبلكم ، كان بها يحيّي بعضهم بعضًا ، فأعطى الله هذه الأمة السلام ، تحيةَ أهل الجنة ، كرامةً من الله تبارك وتعالى ٤٥/١٣ عجّلها لهم ، ونعمة منه .

١٩٩٠٢ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « وخروا له سجداً » ، قال : وكانت تحية الناس يومئذ أن يسجد بعضهم لبعض .

١٩٩٠٣ - حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو إسحق قال ، قال سفيان : « وخرّوا له سجداً » ، قال : كانت تحيةً فيهم .

١٩٩٠٤ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج : « وخروا له سجداً » ، أبواه وإخوته ، كانت تلك تحيّتهم ، كما يصنع ناسٌ اليومَ .

١٩٩٠٥ - حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك : « وخروا له سجداً » ، قال : تحيةٌ بينهم .

١٩٩٠٦ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وخرُّوا له سجداً » ، قال ، قال : ذلك السجود لشرَفه ، كما سجدت الملائكة لآدم لشرفه ، ليس بسجود عبادةٍ .

* * *

وإنما عنى من ذكر بقوله : « إن السجود كان تحية بينهم » ، أن ذلك كان منهم على الخُلُق ، لا على وجه العبادة من بعضهم لبعض . ومما يدلُّ على أن ذلك لم يزل من أخلاق الناس قديماً قبل الإسلام على غير وجه العبادةِ من بعضهم لبعض ، قول أعشى بني ثعلبة :

فَلَمَّا أَتَانَا بُعَيْدَ الكَرَى سَجَدْنَا لَهُ وَرَفَعْنَا عَمَارَا[1]

* * *

---

(١) ديوان : ٣٩ ، وهذا البيت من قصيدته في تمجيد قيس بن معديكرب ، وكان خرج معه في بعض غاراته ، فكاد الأعشى أن يؤسر ، فاستنقذه قيس ، فذكر ذلك فقال :

فَيَا لَيْلَةً لِيَ فِي لَعْلَعٍ كَطَوْفِ الغَرِيبِ يَخَافُ الإِسَارَا

فَلَمَّا أَتَانَا . . . . . .

و « لعلع » مكان بين الكوفة والبصرة . يذكر في البيت الأول قلقه وشدة نزاعه وحيرته ، لما تأخر قيس ، وقد كاد هو يقع في أسر العدو ، فلما جاء قيس استنقذه ومن معه ، فسجدوا له وحيوه . و « العمار » مختلف في تفسير قيل : هو العمامة أو القلنسوة ، وقيل : الريحان يرفع للملك يحيى به ، وقيل : رفعنا أصواتنا بقولنا : « عمرك الله » .

وفي المطبوعة : « ورفعنا العمارا » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو الموافق لرواية الديوان وغيره من المراجع .

وقوله : « يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقًّا » ، يقول جل ثناؤه : قال يوسف لأبيه : يا أبت ، هذا السجود الذى سجدتَ أنت وأمّى وإخوتى لى = « تأويل رؤياى من قبل » ، يقول : ما آلت إليه رؤياى التى كنت رأيتها ،[1] وهى رؤياه التى كان رآها قبل صنيع إخوته به ما صنعوا : أنّ أحد عشر كوكباً والشمس والقمر له ساجدون = « قد جعلها ربى حقًّا » ، يقول : قد حقّقها ربى ، لمجىء تأويلها على الصحّة .

* * *

وقد اختلف أهل العلم فى قدر المدة التى كانت بين رؤيا يوسف وبين تأويلها .

فقال بعضهم : كانت مدّةُ ذلك أربعين سنة .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٩٠٧ — حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا المعتمر ، عن أبيه قال ، حدثنا أبو عثمان ، عن سلمان الفارسى قال : كان بين رؤيا يوسف إلى أن رأى تأويلها أربعون سنة .

١٩٩٠٨ — حدثنى يعقوب بن برهان ويعقوب بن إبراهيم قالا ، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا سليمان التيمى ، عن أبى عثمان النهدى قال ، قال عثمان : كانت بين رؤيا يوسف وبين أن رأى تأويله . قال : فذكر أربعين سنة .[2]

١٩٩٠٩ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن علية ، عن التيمى ، عن أبى عثمان ، عن سلمان قال : كان بين رؤيا يوسف وتأويلها أربعون سنة .

---

(١) انظر تفسير « التأويل » فيما سلف ص : ١١٩ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) الأثر : ١٩٩٠٨ — « يعقوب بن برهان » ، شيخ الطبرى ، لم أجد له ذكراً فى شىء من دواوين الرجال .

وأنا أخشى أن يكون هو : « يعقوب بن ماهان » ، شيخ الطبرى أيضاً ، روى عنه فيما سلف رقم : ٤٩٠١ ، وقال : « حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، ويعقوب بن ماهان ، قالا ، حدثنا هشيم . . . » ، وهو شبيه بهذا الإسناد كما ترى ، وكأن الناسخ أساء القراءة ، فنقل مكان « ماهان » « برهان » .

١٩٩١٠ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي سنان ، عن عبد الله بن شداد قال : رأى تأويل رؤياه بعد أربعين عاماً .

١٩٩١١ – . . . . . قال ، حدثنا سفيان ، عن سليمان التيمي ، عن أبي عثمان ، عن سلمان ، مثله .

١٩٩١٢ – حدثني أبو السائب قال، حدثنا ابن فضيل، عن ضرار ، عن عبد الله بن شداد : أنه سمع قوماً يتنازعون في رؤيا رآها بعضهم ، وهو يصلي ، فلما انصرف سألهم عنها فكتموه ، فقال : أما إنه جاء تأويل رؤيا يوسف بعد أربعين عاماً .

١٩٩١٣ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع= وحدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبي =، عن إسرائيل ، عن ضرار بن مرة أبي سنان، عن عبد الله بن شداد قال : كان بين رؤيا يوسف وتأويلها أربعون سنة .

١٩٩١٤ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن فضيل، وجرير ، عن أبي سنان قال : سمع عبد الله بن شداد قوماً يتنازعون في رؤيا = ، فذكر نحو حديث أبي السائب عن ابن فضيل .

١٩٩١٥ – حدثنا أحمد قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا سفيان ، عن سليمان التيمي ، عن أبي عثمان ، عن سلمان قال : رأى تأويل رؤياه بعد أربعين عاماً .

١٩٩١٦ – حدثنا الحسن بن محمد قال، أخبرنا ابن عيينة، عن أبي سنان ، عن عبد الله بن شداد قال: وقعت رؤيا يوسف بعد أربعين سنة، وإليها ينتهي أقصى الرؤيا .(١) ٤٦/١٣

١٩٩١٧ – . . . . . قال، حدثنا معاذ بن معاذ قال، حدثنا سليمان

---

(١) في المطبوعة : « وإليها تنتهي أيضاً الرؤيا » ، وهو كلام فارغ ، ولم يحسن قراءة المخطوطة ، لأنها غير منقوطة ، ولأن رسم « أقصى » فيها : « أنصا » .

التيمى ، عن أبى عثمان ، عن سلمان قال : كان بين رؤيا يوسف وبين أن رأى تأويلها أربعون سنة .

١٩٩١٨ — . . . . . قال ، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن سليمان التيمى ، عن أبى عثمان ، عن سلمان قال : كان بين رؤيا يوسف وبين عبارتها أربعون سنة .

١٩٩١٩ — . . . . . قال ، حدثنا سعيد بن سليمان قال ، حدثنا هشيم ، عن سليمان التيمى ، عن أبى عثمان ، عن سلمان قال : كان بين رؤيا يوسف وبين أن رأى تأويلها أربعون سنة .

١٩٩٢٠ — . . . . . قال ، حدثنا سعيد بن سليمان قال ، حدثنا هشيم ، عن سليمان التيمى ، عن أبى عثمان ، عن سلمان قال : كان بين رؤيا يوسف وبين أن رأى تأويلها أربعون سنة .

١٩٩٢١ — . . . . . قال ، حدثنا عمرو بن محمد العنقزى قال ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى سنان ، عن عبد الله بن شداد قال : كان بين رؤيا يوسف وبين تعبيرها أربعون سنة .

* * *

وقال آخرون : كانت مدة ذلك ثمانين سنة .

* ذكر من قال ذلك .

١٩٩٢٢ — حدثنا عمرو بن على قال ، حدثنا عبد الوهاب الثقفى قال ، حدثنا هشام ، عن الحسن قال : كان منذ فارق يوسف يعقوب إلى أن التقيا ، ثمانون سنة ، لم يفارق الحزن قلبه ، ودموعه تجرى على خديه ، وما على وجه الأرض يومئذ عبدٌ أحبَّ إلى الله من يعقوب .

١٩٩٢٣ — حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن أبى جعفر جسر بن

فرقد قال : كان بين أن فقد يعقوب يوسف إلى يوم رُدَّ عليه ، ثمانون سنة .(١)

١٩٩٢٤ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا حسن بن على ، عن فضيل بن عياض ، قال : سمعت أنه كان بين فراق يوسف حجر يعقوب إلى أن التقيا ، ثمانون سنة .

١٩٩٢٥ – حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا داود بن مهران قال، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، عن يونس ، عن الحسن قال : ألقى يوسف فى الجب وهو ابن سبع عشرة سنة ، وكان بين ذلك وبين لقائه يعقوب ثمانون سنة ، وعاش بعد ذلك ثلاثًا وعشرين سنة ، ومات وهو ابن عشرين ومئة سنة .

١٩٩٢٦ – . . . . . قال ، حدثنا سعيد بن سليمان قال ، حدثنا هشيم ، عن يونس ، عن الحسن ، نحوه = غير أنه قال : ثلاث وثمانون سنة .

١٩٩٢٧ – . . . قال ، حدثنا داود بن مهران قال، حدثنا ابن نمية، عن يونس ، عن الحسن قال : ألقى يوسف فى الجب وهو ابن سبع عشرة سنة ، وكان فى العبوديّة وفى السجن وفى الملك ثمانين سنة ، ثم جمع الله عز وجل شمله ، وعاش بعد ذلك ثلاثًا وعشرين سنة .

١٩٩٢٨ – حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا مبارك ابن فضالة ، عن الحسن قال : ألقى يوسف فى الجب وهو ابن سبع عشرة ، فغاب عن أبيه ثمانين سنة ، ثم عاش بعد ما جمع الله له شمله ورأى تأويل رؤياه ثلاثاً وعشرين سنة ، فمات وهو ابن عشرين ومئة سنة .

١٩٩٢٩ – حدثنا مجاهد قال، حدثنا يزيد قال، أخبرنا هشيم ، عن الحسن قال : غاب يوسف عن أبيه فى الجب وفى السجن حتى التقيا ثمانين عاماً ، فما

---

(١) الأثر : ١٩٩٢٣ – « جسر بن فرقد » ، « أبو جعفر القصاب » ، ليس بذاك ، مضى برقم : ١٦٩٤٠ ، ١٦٩٤١ ، وكان فى المطبوعة هنا « حسن بن فرقد » ، لم يحسن قراءة المخطوطة .

جفَّت عينا يعقوب، وما على الأرض أحد أكرمَ على الله من يعقوب .(١)

* * *

وقال آخرون : كانت مدة ذلك ثمان عشرة سنة .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٩٣٠ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال : ذكر لى ، والله أعلم ، أنّ غيبة يوسف عن يعقوب كانت ثمان عشرة سنة . قال : وأهل : الكتاب يزعمون أنها كانت أربعين سنة أو نحوها ، وأنّ يعقوب بقى مع يوسف بعد أن قدم عليه مصر سبع عشرة سنة ، ثم قبضه الله إليه .

* * *

وقوله : «وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو » ، يقول جل ثناؤه ، مخبراً عن قيل يوسف : وقد أحسن الله بى فى إخراجه إياى من السجن الذى كنت فيه محبوساً ، وفى مجيئه بكم من البدو . وذلك أن مسكن يعقوب وولده ، ٤٧/١٣
فيما ذكر ، كان ببادية فلسطين ، كذلك : –

* * *

١٩٩٣١ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحق قال : كان منزل يعقوب وولده ، فيما ذكر لى بعض أهل العلم ، بالعَرَبات من أرض فلسطين ، ثغور الشأم . وبعضٌ يقول : بالأوْلاج من ناحية الشِّعْب. وكان صاحب بادية ، له إبلٌ وشاء .

١٩٩٣٢ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو قال، أخبرنا شيخ لنا : أن يعقوب كان ببادية فلسطين .

١٩٩٣٣ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو » ، وكان يعقوب وبنوه بأرض كنعان ، أهل مواشٍ وبرّيّة .

---

(١) الأثر : ١٩٩٢٩ – « مجاهد » هذا ، هو : « مجاهد بن موسى بن فروخ الخوارزمى » ، شيخ الطبرى ، مضى برقم : ٥١٠ ، ٣٣٩٦

١٩٩٣٤ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج : « وجاء بكم من البدو » ، قال : كانوا أهل بادية وماشية .

* * *

و « البَدْوُ » ، مصدر من قول القائل : « بدَا فلان » ، إذا صار بالبادية، « يَبْدُو بَدْواً » .

* * *

وذكر أن يعقوب دخل مصر هو ومن معه من أولاده وأهاليهم وأبنائهم يوم دخلوها، وهم أقلّ من مئة . وخرجوا منها يوم خرجوا منها ، وهم زيادة على ستمئة ألف .

* ذكر الرواية بذلك :

١٩٩٣٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا زيد بن الحباب، وعمرو بن محمد، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن عبد الله بن شداد قال : اجتمع آل يعقوب إلى يوسف بمصر وهم ستة وثمانون إنساناً ، صغيرهم وكبيرهم ، وذكرهم وأنثاهم . وخرجوا من مصر يوم أخرجهم فرعون ، وهم ستمئة ألف ونيّف .

١٩٩٣٦ – . . . . . قال ، حدثنا عمرو ، عن إسرائيل، عن أبي إسحق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله قال : خرج أهل يوسف من مصر وهم ستمئة ألف وسبعون ألفاً، فقال فرعون : ﴿ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾، [سورة الشعراء: ٥٤] .

١٩٩٣٧ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن إسرائيل ، والمسعودي، عن أبي إسحق ، عن أبي عبيدة ، عن ابن مسعود قال : دخل بنو إسرائيل مصر وهم ثلاثة وستون إنساناً . وخرجوا منها وهم ستمئة ألف = قال إسرائيل في حديثه : ستمئة ألف وسبعون ألفاً .

١٩٩٣٨ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عمرو ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحق، عن مسروق قال: دخل أهل يوسف مصر وهم ثلثمئة وتسعون من بين رجل وامرأة .

* * *

وقوله : «من بعد أن نَزَغ الشيطان بيني وبين إخوتي» ، يعني : من بعد أن أفسد ما بيني وبينهم ، وجَهِل بعضنا على بعض .

* * *

يقال منه : «نَزَغ الشيطان بين فلان وفلان ، يَنْزَغ نَزْغاً ونُزُوغاً» .(١)

* * *

وقوله : «إن ربي لطيف لما يشاء» ، يقول : إن ربي ذو لطف وصنع لما يشاء ،(٢) ومن لطفه وصنعه أنه أخرجني من السجن ، وجاء بأهلي من البَدْوِ ، بعد الذي كان بيني وبينهم من بعد الدار ، وبعد ما كنت فيه من العُبُودة والرِّق والإسار ، كالذي : —

١٩٩٣٩ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : «إن ربي لطيف لما يشاء» ، لطف بيوسف وصنع له حتى أخرجه من السجن ، وجاء بأهله من البدو ، ونَزَغ من قلبه نَزْغ الشيطان ، وتحريشه على إخوته .

* * *

وقوله : «إنه هو العليم» ، بمصالح خلقه وغير ذلك ، لا يخفى عليه مبادي الأمور وعواقبها = «الحكيم» ، في تدبيره .

* * *

---

(١) انظر تفسير «نزغ» فيما سلف ١٣ : ٣٣٣ ، وهذا المصدر الثاني «النزوغ» ، مما لم تذكره كتب اللغة ، فيجب إثباته في مكانه منها .

(٢) انظر تفسير «اللطيف» فيما سلف ١٢ : ٢٢ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (١٠١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قال يوسف ، بعد ما جمع الله له أبويه وإخوته ، وبسط عليه من الدنيا مابسط من الكرامة ، ومكنه فى الأرض ، متشوِّقاً إلى لقاء آبائه الصالحين : « رب قد آتيتنى من الملك » ، يعنى : من ملك مصر = « وعلمتنى من تأويل الأحاديث » ، يعنى من عبارة الرؤيا ، [1] تعديداً لنعم الله عليه ، وشكراً له عليها = « فاطر السموات والأرض » ، يقول : يا فاطر السموات والأرض ، يا خالقها وبارئها[2] = « أنت ولي فى الدنيا والآخرة » ، يقول : أنت ولي فى دنياى على من عادانى وأرادنى بسوء بنصرك ، وتغذونى فيها بنعمتك ، وتلينى فى الآخرة بفضلك ورحمتك[3] = « توفنى مسلماً » ، يقول : اقبضنى إليك مسلماً[4] = « وألحقنى بالصالحين » ، يقول : وألحقنى بصالح آبائى إبراهيم وإسحق ومن قبلهم من أنبيائك ورسلك . ٤٨/١٣

* * *

وقيل : إنه لم يتمن أحدٌ من الأنبياء الموتَ قبل يوسف .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٩٤٠ ــ حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عمرو قال ، حدثنا أسباط ، عن السدى : « رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى مِن تأويل الأحاديث » ، الآية ،

---

(١) انظر تفسير « التأويل » فيما سلف ص : ٢٧١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك.

(٢) انظر تفسير « فاطر » فيما سلف ١٥ : ٣٥٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « الولى » فيما سلف من فهارس اللغة (ولى) .

(٤) انظر تفسير « التوفى » فيما سلف ١٥ : ٢١٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك

كان ابن عباس يقول :[١] أول نبي سأل الله الموت يوسف .

١٩٩٤١ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : قوله : « رب قد آتيتني من الملك » ، الآية ، قال: اشتاق إلى لقاء ربه ، وأحبَّ أن يلحق به وبآبائه ، فدعا الله أن يتوفَّاه ويُلْحِقه بهم. ولم يسأل نبيّ قطّ الموتَ غير يوسف، فقال: « رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث » ، الآية = قال ابن جريج : في بعض القرآن من قال من الأنبياء[٢] : « توفني » .[٣]

١٩٩٤٢ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « توفني مسلماً وألحقني بالصالحين » ، لما جَمَع شمله، وأقرَّ عينه ، وهو يومئذ مغموس في نَبْتِ الدنيا وملكها وغَضَارتها،[٤] فاشتاق إلى الصالحين قبله. وكان ابن عباس يقول : ما تمنى نبي قطّ الموت قبل يوسف .

١٩٩٤٣ – حدثني المثنى قال، أخبرنا إسحق قال ، أخبرنا عبد الله بن الزبير ، عن سفيان ، عن ابن أبي عروبة ، عن قتادة قال : لما جمع ليوسف شمله ، وتكاملت عليه النعم ، سأل لقاء ربّه فقال : « رب قد آتيتني من الملك وعلمتني

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « قال ابن عباس يقول » ، وبين صواب ما أثبت ، وانظر الخبر التالي رقم : ١٩٩٤٢ .

(٢) في المخطوطة : « في بعض القرآن قد قال من الأنبياء توفني » ، وصوابها ما أثبت ، أما المطبوعة فقد كتبت : « في بعض القرآن من الأنبياء من قال توفني » ، غير مكان الكلام لغير حاجة .

(٣) لم أجد للذي قاله ابن جريج دليلا في القرآن ! فلعله وهم ، فإن النهي عن تمني الموت صريح في السنة .

(٤) في المطبوعة : « مغموس في نعيم الدنيا» ، وفي المخطوطة : «مغموس في نبت الدنيا » غير منقوطة ، وهذا صواب قراءتها . وعني بالنبت هنا : المال الكثير الوفير ، والنعمة النامية ، وقد جاء في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقوم من العرب : أنتم أهل بيت أو نبت ؟ فقالوا نحن أهل بيت وأهل نبت . وقالوا في تفسيره : أي نحن في الشرف نهاية ، وفي النبت نهاية ، أي : ينبت المال على أيدينا .

وهذا الذي قلته أصح في تأويل الحديث ، وفي تأويل هذا الخبر .

من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفّني مسلماً وألحقني بالصالحين» =قال قتادة: ولم يتمنّ الموت أحد قطُّ، نبي ولا غيره، إلا يوسف.

١٩٩٤٤ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا هشام قال، حدثنا الوليد بن مسلم قال، حدثني غير واحد، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: أن يوسف النبي صلى الله عليه وسلم، لما جمع بينه وبين أبيه وإخوته وهو يومئذ ملك مصر، اشتاق إلى الله وإلى آبائه الصالحين إبراهيم وإسحق، فقال: «رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين».

١٩٩٤٥ ــ حدثني المثنى قال، أخبرنا إسحق قال، حدثنا هشام، عن مسلم بن خالد، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: «وعلمتني من تأويل الأحاديث»، قال: العِبَارة.

١٩٩٤٦ ــ حدثت عن الحسين قال، سمعت أبا معاذ يقول، أخبرنا عبيد بن سليمان قال، سمعت الضحاك يقول في قوله: «توفني مسلماً وألحقني بالصالحين»، يقول: توفني على طاعتك، واغفر لي إذا توفَّيتني.

١٩٩٤٧ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحق قال: قال يوسف، حين رأى ما رأى من كرامة الله وفضله عليه وعلى أهل بيته، حين جمع الله له شمله، وردّه على والده، وجمع بينه وبينه فيما هو فيه من الملك والبهجة: «يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقًّا»، إلى قوله: «إنه هو العليم الحكيم». ثم ارعوى يوسف، وذكر أنّ ما هو فيه من الدنيا بائد وذاهب، فقال: «رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفّني مسلماً وألحقني بالصالحين».

* * *

وذُكِر أن بَنِي يعقوب الذين فعلوا بيوسف ما فعلوا ، استغفر لهم أبوهم ، فتاب الله عليهم وعفا عنهم ، وغفر لهم ذنبهم .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٩٤٨ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن صالح المرىّ ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس بن مالك . قال : إن الله تبارك وتعالى ٤٩/١٣
لما جمع ليعقوب شمله وأقر عينه ، خلا ولدُه نجيًّا . فقال بعضهم لبعض : ألستم قد علمتم ما صنعتم ، وما لقي منكم الشيخ ، وما لقي منكم يوسف ؟ قالوا : بلى ! قال : فيغرُّكم عفوهما عنكم ، فكيف لكم بربكم ؟ فاستقام أمرهم على أن أتوا الشيخ فجلسوا بين يديه ، ويوسف إلى جنب أبيه قاعدٌ ، قالوا : يا أبانا ، أتيناك في أمر لم نأتك في أمرٍ مثله قط ، ونزل بنا أمر لم ينزل بنا مثله ! حتى حرّكوه ، والأنبياء أرحم البرية ، فقال : ما لكم ، يا بني ؟ قالوا : ألست قد علمتَ ما كان منا إليك ، وما كان منا إلى أخينا يوسف؟ قال : بلى ! قالوا : أفلستما قد عفوتُما ؟ قالا : بلى ! قالوا : فإن عفوكما لا يغني عنّا شيئاً إن كان الله لم يعفُ عنا ! قال : فما تريدون يا بني ؟ قالوا : نريد أن تدعو الله لنا ، فإذا جاءك الوحي من عند الله بأنه قد عفا عمّا صنعنا ، قرّت أعيننا ، واطمأنت قلوبنا ، وإلا فلا قرّةَ عَين في الدنيا لنا أبداً . قال : فقام الشيخ واستقبل القبلة ، وقام يوسف خلفَ أبيه ، وقاموا خلفهما أذلةً خاشعين . قال : فدعا وأمّن يوسف ، فلم يُجَبْ فيهم عشرين سنة = قال : صالح المرّي : يخيفهم . قال : حتى إذا كان رأس العشرين ، نزل جبريل صلى الله عليه على يعقوب عليه السلام فقال : إن الله تبارك وتعالى بعثني إليك أبشرك بأنه قد أجاب دعوتك في ولدك ، وأنه قد عفا عما صنعوا ، وأنه قد اعتقد مواثيقهم من بعدك على النبوّة .(١)

---

(١) الأثر : ١٩٩٤٨ – « صالح المرى » ، هو « صالح بن بشير بن وداع المرى » ، منكر الحديث ، قاص متروك الحديث ، مضى برقم : ٩٢٣٤ .

١٩٩٤٩ ـ حدثني المثنى قال ، حدثنا الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال حدثنا جعفر بن سليمان ، عن أبي عمران الجوني قال : والله لو كان قتلُ يوسف مضى ، لأدخلهم الله النارَ كُلَّهم ، ولكن الله جل ثناؤه أمسك نفس يوسف ليبلغ فيه أمره ، ورحمة لهم. ثم يقول: والله ما قصّ الله نبأهم يُعيّرهم بذلك، إنهم لأنبياء من أهل الجنة ، ولكن الله قصّ علينا نبأهم لئلا يقنط عبده.

* * *

وذكر أن يعقوب توفى قبل يوسف ، وأوصى إلى يوسف ، وأمره أن يدفنه عند قبر أبيه إسحق .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٩٥٠ ـ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو، عن أسباط ، عن السدى قال : لما حضر الموتُ يعقوبَ أوصى إلى يوسف أن يدفنه عند إبراهيم وإسحق . فلما مات، نُفِخ فيه المُرّ وحمل إلى الشأم. قال: فلما بلغوا إلى ذلك المكان، أقبل عيصا أخو يعقوب[1] فقال: غلبني على الدعوة ، فوالله لا يغلبني على القبر! فأبى أن يتركهم أن يدفنوه . فلما احتبسوا، قال هشام بن دان بن يعقوب[2] = وكان هشامٌ أصمّ = لبعض إخوته: ما لجدّى لا يدفن ! قالوا : هذا عمك يمنعه ! قال : أرونيه أين هو ؟ فلما رآه ، رفع هشام يده فوجأ بها رأس العيص وَجْأةً سقطت عيناه على فخذ يعقوب ، فدفنا فى قبر واحد .

* * *

و «يزيد الرقاشى» ، هو «يزيد بن أبان الرقاشى» ، قاص ، متروك الحديث ، مضى قبل مراراً ، آخرها : ١١٤٠٨

وهذا خبر هالك ، من جراء هذين القاصين المتروكين ، صالح المرى ، ويزيد الرقاشى .

(١) فى المطبوعة : «عيص» ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وسيأتى بعد : «العيص» ، بالتعريف ، وهو فى كتاب القوم «عيسو» ، وهو ولد إسحق الأكبر ، وهو أخو يعقوب .

(٢) فى المطبوعة : «هشام بن دار» ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، وولد يعقوب فى كتاب القوم هو «دان» كما أثبته .

و «هشام» هذا ، هو فى كتاب القوم «حوشيم» .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَاءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ (١٠٢)

قال أبو جعفر : يقول : تعالى ذكره : هذا الخبر الذى أخبرتك به ، من خبر يوسف ووالده يعقوب وإخوته وسائر ما فى هذه السورة = « من أنباء الغيب » ، يقول : من أخبار الغيب الذى لم تشاهده ولم تعاينه ،[1] ولكنا نوحيه إليك ونعرّفكه لنثبّت به فؤادك ، ونشجع به قلبك . وتصبر على ما نالك من الأذى من قومك فى ذات الله ، وتعلم أن من قبلك من رسل الله = إذ صبروا على ما نالهم فيه ، وأخذوا بالعفو ، وأمروا بالعُرف ، وأعرضوا عن الجاهلين = فازوا بالظفر ، وأيّدوا بالنصر ، ومُكّنوا فى البلاد ، وغلبوا من قَصَدوا من أعدائهم وأعداء دين الله. يقول الله تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فبهم ، يا محمد ، فتأسَّ ، وآثارهم فقُصَّ = « وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون » ، يقول : وما كنت حاضراً عند إخوة يوسف ، إذ أجمعوا واتفقت آراؤهم ،[2] وصحت عزائمهم ، على أن يلقوا يوسف فى غيابة الجب . وذلك كان مكرهم الذى قال الله عز وجل : « وهم يمكرون » ، كما : —

١٩٩٥١ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وما كنت لديهم » ، يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم ، يقول : ما كنت لديهم وهم يلقونه فى غيابة الجب = « وهم يمكرون » ، أى : بيوسف . ٥٠/١٣

١٩٩٥٢ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس : « وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون » ، الآية ، قال : هم بنو يعقوب .

* * *

(١) انظر تفسير « النبأ » و « الغيب » فيما سلف من فهارس اللغة (نبأ) و (غيب) .
(٢) انظر تفسير « الإجماع » فيما سلف ١٥ : ١٤٧ ، ١٤٨ ، ٥٧٣ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (١٠٣)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : وما أكثر مشركى قومك ، يا محمد ، ولو حرصت على أن يؤمنوا بك فيصدّقوك ويتبعوا ما جئتهم به من عند ربك ، بمصدِّقيك ولا مُتَّبِعيك .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ (١٠٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لمحمد صلى الله عليه وسلم : وما تسأل ، يا محمد ، هؤلاء الذين ينكرون نبوتك ، ويمتنعون من تصديقك والإقرار بما جئتهم به من عند ربك ، على ما تدعوهم إليه من إخلاص العبادة لربك ، وهجر عبادة الأوثان وطاعةِ الرحمن = « من أجر » ، يعنى : من ثواب وجزاء منهم ،[1] بل إنما ثوابك وأجر عملك على الله . يقول : ما تسألهم على ذلك ثواباً فيقولوا لك : إنما تريد بدعائك إيّانا إلى اتباعك لننزلَ لك عن أموالنا إذا سألتنا ذلك. وإذ كنت لا تسألهم ذلك ، فقد كان حقًّا عليهم أن يعلموا أنك إنما تدعوهم إلى ما تدعوهم إليه ، اتباعاً منك لأمر ربك ، ونصيحةً منك لهم ، وأن لا يستغشُّوك .

* * *

وقوله : « إن هو إلا ذكر للعالمين » ، يقول تعالى ذكره : ما هذا الذى أرسلك

---

(١) انظر تفسير « الأجر » فيما سلف من فهارس اللغة (أجر) .

به ربك ، يا محمد ، من النبوة والرسالة = « إلا ذكر » ، يقول : إلا عظة وتذكير للعالمين ، ليتعظوا ويتذكَّرُوا به. (١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ (١٠٥)

قال أبو جعفر : يقول جل وعز : وكم من آية فى السموات والأرض لله وعبرة وحجة ، (٢) وذلك كالشمس والقمر والنجوم ونحو ذلك من آيات السموات ، وكالجبال والبحار والنبات والأشجار وغير ذلك من آيات الأرض = « يمرُّون عليها » ، يقول : يعاينونها فيمرُّون بها معرضين عنها ، لا يعتبرون بها ، ولا يفكرون فيها وفيما دلت عليه من توحيد ربِّها ، وأن الألوهةَ لا تنبغى إلا للواحد القهَّار الذى خلقها وخلق كلَّ شىء ، فدبَّرها .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٩٥٣ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها » ، وهى فى مصحف عبد الله : ﴿يَمْشُونَ عَلَيْهَا﴾ ، السماء والأرض آيتان عظيمتان .

* * *

---

(١) انظر تفسير « الذكر » فيما سلف من فهارس اللغة (ذكر)

(٢) انظر تفسير « كأين » فيما سلف ٧ : ٢٦٣ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ (١٠٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: وما يُقِرُّ أكثر هؤلاء = الذين وصَفَ عز وجل صفتهم بقوله : « وكأين من آية فى السموات والأرض يمرُّون عليها وهم عنها معرضون » = بالله أنه خالقه ورازقه وخالق كل شىء = « إلا وهم مشركون » ، فى عبادتهم الأوثان والأصنام، واتخاذهم من دونه أرباباً ، وزعمهم أنّ له ولداً ، تعالى الله عما يقولون .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٩٥٤ ــ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمران بن عيينة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وما يؤمن أكثرهم بالله » الآية ، قال : من إيمانهم، إذا قيل لهم : من خلق السماء ؟ ومن خلق الأرض ؟ ومن خلق الجبال؟ قالوا : «الله » ، وهم مشركون .

١٩٩٥٥ ــ حدثنا هناد قال، حدثنا أبو الأحوص، عن سماك ، عن عكرمة فى قوله : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » ، قال : تسألهم : من خلقهم ؟ ومن خلق السموات والأرض ؟ فيقولون: الله . فذلك إيمانهم بالله ، وهم يعبدون غيره .

١٩٩٥٦ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر، عن عامر ، وعكرمة: « وما يؤمن أكثرهم بالله »، الآية ، قالا : يعلمون أنه ربُّهم وأنه خلقهم ، وهم يشركون به . (١)

---

(٤) فى المطبوعة : « مشركون به » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

١٩٩٥٧ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر ، وعكرمة ، بنحوه . ٥١/١٣

١٩٩٥٨ – . . . . . قال، حدثنا ابن نمير ، عن نضر ، عن عكرمة : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » ، قال : من إيمانهم إذا قيل لهم : من خلق السموات؟ قالوا الله . وإذا سئلوا : من خلقهم ؟ ، قالوا : الله . وهم يشركون به بَعْدُ .

١٩٩٥٩ – . . . . . قال ، حدثنا أبو نعيم، عن الفَضْل بن يزيد الثمالى ، عن عكرمة قال: هو قول الله: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ ﴾ ، [سورة لقمان : ٢٥/سورة الزمر : ٣٨]. فإذا سئلوا عن الله وعن صفته وصفوه بغير صفته ، وجعلوا له ولداً ، وأشركوا به .(١)

١٩٩٦٠ – حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا شبابة قال ، حدثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح . عن مجاهد قوله : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » ، إيمانهم قولهم : الله خالقُنا ، ويرزقنا ويميتنا .

١٩٩٦١ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد: « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون»، فإيمانهم قولهُم : الله خالقنا ، ويرزقنا ويميتنا .

١٩٩٦٢ – حدثني المثنى قال ، أخبرنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » ، إيمانُهم قولهم : الله خالقنا ، ويرزقنا ويميتنا . فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيرَه .

١٩٩٦٣ – . . . . قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ،

---

(١) الأثر : ١٩٩٥٩ – « الفضل بن يزيد الثمالى البجلى » ، كوفى ثقة ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/١/١١٦ ، وابن أبي حاتم ٣/٢/٦٩ .
وكان فى المخطوطة والمطبوعة : « الفضيل » بالتصغير ، وهو خطأ صرف .

عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » . قال : إيمانهم قولهم : الله خالقُنا ، ويرزقنا ويميتنا .

١٩٩٦٤ ــ حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا هانئ بن سعيد ، وأبو معاويه ، عن حجاج ، عن القاسم ، عن مجاهد قال : يقولون : «الله ربنا ، وهو يرزقنا » ، وهم يشركون به بعدُ .

١٩٩٦٥ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : إيمانهم قولهُم : الله خالقنا ، ويرزقنا ويميتنا .

١٩٩٦٦ ــ . . . . . قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا أبو تميلة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عكرمة ، ومجاهد ، وعامر : أنهم قالوا في هذه الآية : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » ، قال : ليس أحد إلا وهو يعلم أن الله خلقه وخلق السموات والأرض ، فهذا إيمانهم ، ويكفرون بما سوى ذلك .

١٩٩٦٧ ــ حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » ، في إيمانهم هذا . إنك لست تلقى أحداً منهم إلا أنبأك أن الله ربه ، وهو الذي خلقه ورزقه ، وهو مشرك في عبادته .

١٩٩٦٨ ــ حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « وما يؤمن أكثرهم بالله » ، الآية ، قال : لا تسأل أحداً من المشركين : مَنْ رَبُّك ؟ إلا قال : ربِّيَ الله ! وهو يشرك في ذلك .

١٩٩٦٩ ــ حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » ، يعني النصارى ، يقول : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ ﴾ ، [سورة لقمان : ٢٥ / سورة الزمر : ٣٨] ، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ ﴾ [سورة الزخرف : ٨٧] ، ولئن سألتهم : من يرزقكم من السماء والأرض ؟ ليقولن : الله .

وهم مع ذلك يشركون به ويعبدون غيره ، ويسجدون للأنداد دونه .

١٩٩٧٠ – حدثني المثنى قال ، أخبرنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : كانوا يشركون به في تلبيتهم .

١٩٩٧١ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن نمير ، عن عبد الملك ، عن عطاء : « وما يؤمن أكثرهم بالله » ، الآية ، قال : يعلمون أن الله ربهم ، وهم يشركون به بعدُ .

١٩٩٧٢ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال : أخبرنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن عطاء في قوله : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » ، قال : يعلمون أن الله خالقهم ورازقهم ، وهم يشركون به .

١٩٩٧٣ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال سمعت ابن زيد ٥٢/١٣
يقول : « وما يؤمن أكثرهم بالله » ، الآية ، قال : ليس أحدٌ يعبد مع الله غيره إلا وهو مؤمن بالله ، ويعرف أن الله ربه ، وأن الله خالقه ورازقه ، وهو يشرك به . ألا ترى كيف قال إبراهيم : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، [سورة الشعراء : ٧٥ – ٧٧] ؟ قد عرف أنهم يعبدون رب العالمين مع ما يعبدون . قال : فليس أحد يشرك به إلا وهو مؤمن به . ألا ترى كيف كانت العرب تلبي تقول : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك ، إلا شريك هو لك ، تملكه وما ملك » ؟ المشركون كانوا يقولون هذا .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (١٠٧)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : أفأمن هؤلاء الذين لا يقرُّون بأن الله ربّهم إلا وهم مشركون فى عبادتهم إياه غيرَه = « أن تأتيهم غاشية من عذاب الله » ، تغشاهم من عقوبة الله وعذابه على شركهم بالله[1] = أو تأتيهم القيامة فجأةً وهم مقيمون على شركهم وكفرهم بربّهم ،[2] فيخلدهم الله عز وجل فى ناره، وهم لا يدرون بمجيئها وقيامها .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٩٧٤ ــ حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « أن تأتيهم غاشية من عذاب الله » ، قال : تغشاهم .

١٩٩٧٥ ــ حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا شبابة قال ، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله : « غاشية من عذاب الله » ، قال : تغشاهم .

١٩٩٧٦ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

١٩٩٧٧ ــ . . . . . قال حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

---

(١) انظر تفسير « الغاشية » فيما سلف ١٢ : ٤٣٥ ، ٤٣٦ .

(٢) انظر تفسير « الساعة » فيما سلف ١١ : ٣٢٤ .

= وتفسير « البغتة » فيما سلف ١١ : ٣٢٥ ، ٣٦٠ ، ١٢/٣٦٨ : ١٣/٥٧٦ : ٢٩٧ .

١٩٩٧٨ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

١٩٩٧٩ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله » ، أي : عقوبة من عذاب الله .

١٩٩٨٠ – ، حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « غاشية من عذاب الله » ، قال : « غاشية » ، وقيعة تغشاهم من عذاب الله .[1]

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (١٠٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد : هذه الدعوة التي أدعو إليها ، والطريقة التي أنا عليها ، من الدعاء إلى توحيد الله ، وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان ، والانتهاء إلى طاعته ، وترك معصيته = « سبيلي » ، وطريقتي ودعوتي ،[2] أدعو إلى الله وحده لا شريك له = « على بصيرة » ، بذلك ويقين علم منّي به أنا ، ويدعو إليه على بصيرة أيضاً من اتبعني وصدقني وآمن بي[3] = « وسبحان الله » ، يقول له تعالى ذكره : وقل ، تنزيهاً لله ، وتعظيماً له من أن يكون له شريك في ملكه ،[4] أو معبود سواه في سلطانه : « وما أنا من المشركين » ، يقول : وأنا بريء من أهل الشرك به ، لست منهم ولا هم منّي .

---

(١) في المطبوعة : « واقعة » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو صواب محض .

(٢) انظر تفسير « السبيل » فيما سلف من فهارس اللغة (سبل) .

(٣) انظر تفسير « البصيرة » فيما سلف ١٢ : ٢٣ ، ١٣/٢٤ : ٣٤٣ ، ٣٤٤ .

(٤) انظر تفسير « سبحان » فيما سلف من فهارس اللغة (سبح) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٩٨١ ــ حدثنى المثنى قال، أخبرنا إسحق قال، حدثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس فى قوله: «قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة »، يقول : هذه دعوتى .

١٩٩٨٢ ــ حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : « قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة » ، قال : « هذه سبيلى » ، هذا أمرى وسنّتى ومنهاجى= « أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى »، قال : وحقٌّ والله على من اتّبعه أن يدعو إلى ما دعا إليه، ويذكّر بالقرآن والموعظة ، ويَنْهَى عن معاصى الله .

١٩٩٨٣ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس قوله : « قل هذه سبيلى » ، هذه دعوتى . ٥٣/١٣

١٩٩٨٤ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن أبى جعفر ، عن الربيع : « قل هذه سبيلى » ، قال : هذه دعوتى .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١٠٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وما أرسلنا ، يا محمد ، من قبلك إلا رجالاً ، لا نساءً ولا ملائكة = « نوحى إليهم » آياتنا ، بالدعاء إلى طاعتنا وإفراد العبادة لنا = « من أهل القرى » ، يعنى : من أهل الأمصار دون أهل البوادى ،[1] كما : —

١٩٩٨٥ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم من أهل القرى » ، لأنهم كانوا أعلم وأحلم من أهل العَمُود[3] .

* * *

وقوله : « أفلم يسيروا فى الأرض » ، يقول تعالى ذكره : أفلم يسر هؤلاء المشركون الذين يكذبونك ، يا محمد ، ويجحدون نبوّتك ، وينكرون ما جئتهم به

---

(١) انظر تفسير « القرية » فيما سلف ٨ : ١٢/٤٥٣ : ٢٩٩ .

(٢) قوله « أهل العمود » ، العمود (بفتح العين) : وهو الخشبة القائمة فى وسط الخباء ، والأخبية بيوت أهل البادية ، فقوله : « أهل العمود » ، يعنى أهل البادية ، كما يدل عليه السياق هنا ، وكما بينه ابن زيد فى تفسير هذه الآية إذ قال : « أهل القرى أعلم وأحلم من أهل البادية » (تفسير أبى حيان ٥ : ٣٥٣) . وقال الزمخشرى فى الأساس « ويقال لأصحاب الأخبية : هم أهل عمود ، وأهل عماد ، وأهل عمد » ، وروى صاحب اللسان بيتاً ، وهو :

وَمَا أَهْلُ العَمُودِ لَنَا بِأَهْلٍ ... وَلاَ النَّعَمُ المُسَامُ لَنَا بِمَالِ

فهذا قول رجل يبرأ من أن يكون من أهل البادية ، فالأخبية الخصائص التى يألفها أهل البادية ، ويكونون بها أهل بادية .

من توحيد الله ، وإخلاص الطاعة والعبادة له = « فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم »، إذ كذبوا رسُلنا ؟ ألم نُحِلّ بهم عقوبتنا فنهلكهم بها، وننج منها رسلنا وأتباعنا ، فيتفكروا فى ذلك ويعتبروا ؟

* * *

* ذكر من قال ذلك :

١٩٩٨٦ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج قال ، قال ابن جريج قوله : « وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم ، قال : إنهم قالوا : ﴿مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾، [سورة الأنعام : ٩١]، قال وقوله : ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ * وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾، [سورة يوسف : ١٠٣، ١٠٤]، وقوله : ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾، [سورة يوسف : ١٠٥]، وقوله : ﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللهِ﴾، [سورة يوسف : ١٠٧]، وقوله « أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا » ، من أهلكنا ؟ قال : فكل ذلك قال لقريش : أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا فى آثارهم ، فيعتبروا ويتفكروا ؟

* * *

وقوله : « ولدار الآخرة خير »، يقول تعالى ذكره : هذا فِعْلُنا فى الدنيا بأهل ولايتنا وطاعتنا، أنّ عقوبتنا إذا نزلت بأهل معاصينا والشرك بنا ، أنجيناهم منها ، وما فى الدار الآخرة لهم خير .

* * *

= وترك ذكر ما ذكرنا ، اكتفاء بدلالة قوله : « ولدار الآخرة خير للذين اتقوا »، عليه ، وأضيفت « الدار » إلى « الآخرة »، وهى « الآخرة »، لاختلاف لفظهما ، كما قيل : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴾، [سورة الواقعة : ٩٥] ، وكما قيل :

« أتيتك عام الأوّل ، وبارحة الأولى ، وليلة الأولى ، ويوم الخميس»، [١] وكما قال الشاعر : [٢]

أتَمْدَحُ فَقْعسًا وتَذُمُّ عَبْساً ألاَ لله أُمُّكَ مِنْ هَجِينِ
ولو أقْوَتْ عَلَيْكَ دِيارُ عَبْسٍ عَرَفْتَ الذُّلَّ عِرْفَانَ اليَقِينِ [٣]

يعنى : عرفاناً له يقيناً . [٤]

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام : وللدار الآخرة خير للذين اتقوا الله ، بأداء فرائضه واجتناب معاصيه .

* * *

وقوله : « أفلا تعقلون » ، يقول : أفلا يعقل هؤلاء المشركون بالله حقيقةَ ما نقول لهم ونخبرهم به ، من سوء عاقبة الكفر ، وغِبّ ما يصير إليه حال أهله ، مع ما قد عاينوا ورأوا وسمعوا مما حلّ بمن قبلهم من الأمم الكافرة المكذبةِ رسلَ ربّها؟ [٥]

* * *

---

(١) هذا موجز كلام الفراء فى معانى القرآن ، فى تفسير الآية .

(٢) لم أعرف قائله .

(٣) رواهما الفراء فى معانى القرآن ، فى تفسير الآية . وكان فى المطبوعة : « ولو أفزت » ، وهو خطل محض ، وفى المخطوطة « ولو أمرت » ، غير منقوطة ، وهو تصحيف .

و « الهجين » ، ولد العربى لغير العربية . و « أقوت الدار » : أقفرت وخلت من سكانها . وظاهر هذا الشعر ، أن قائله يقوله فى رجل من بنى عبس ، كان هجيناً ، فمدح فقعساً وذم قومه لخذلانهم إياه . فهو يقول له : لو فارقت عبس مكانها وأفردتك فيه ، لعرفت الذل عرفاناً يقيناً .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « عرفانا به » ، وكأن الصواب ما أثبت . وفى الفراء : « عرفاناً يقيناً » ، بغير « له » ، وهو أجود .

(٥) فى المطبوعة : « بما قبلهم من الأمم » ، والصواب من المخطوطة .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ (١١٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم من أهل القُرَى » ، فدعوا من أرسلنا إليهم ، فكذبوهم وردُّوا ما أتوا به من عند الله = « حتى إذا استيأسَ الرسل » ، الذين أرسلناهم إليهم منهم أن يؤمنوا بالله ،[1] ويصدِّقوهم فيما أتوهم به من عند الله = وظن الذين أرسلناهم إليهم من الأمم المكذِّبة أن الرسل الذين أرسلناهم قد كذبوهم فيما كانوا أخبروهم عن الله ، من وَعده إياهم نصرَهم عليهم = « جاءهم نصرنا » .

* * *

١٣/٥٤ وذلك قول جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

١٩٩٨٧ ــ حدثنا أبو السائب سلم بن جنادة قال ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن ابن عباس فى قوله : « حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا » ، قال : لما أيست الرسل أن يستجيب لهم قومُهم ، وظنَّ قومهم أن الرسل قد كَذَبوهم ، جاءهم النصر على ذلك ، فننجّى من نشاء .

١٩٩٨٨ ــ حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا أبو معاوية الضرير قال ، حدثنا الأعمش ، عن مسلم ، عن ابن عباس ، بنحوه = غير أنه قال فى حديثه ، قال : « أيست الرسل » ، ولم يقل : « لما أيست » .[2]

---

(١) انظر تفسير « استيأس » فيما سلف ص : ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، وفهارس اللغة (يأس) .

(٢) مرة أخرى ، أوقفك على هذه الدقة البليغة فى رواية أخبارنا ، فضلا عن رواية حديث نبينا صلى الله عليه وسلم . ومع ذلك كله فالسفهاء يقولون ، متبعين أهواء أصحاب الضلالة من المستشرقين وأشباههم . فليت قومى يعلمون أى تراث يضيعون ، وأى سخف يتبعون . انظر ما سلف ص : ٢٦٥ ، تعليق : ١

١٩٩٨٩ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا مؤمل قال، حدثنا سفيان، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير : « حتى إذا استيأس الرسل » ، أن يسلم قومهم ، وظنّ قوم الرسل أن الرسل قد كَذَبُوا ، جاءهم نصرنا .

١٩٩٩٠ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا مؤمل قال، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن ابن عباس ، مثله .

١٩٩٩١ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا عمران بن عيينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كُذِبوا » ، قال: حتى إذا استيأس الرسل من قومهم ، وظن قومهم أن الرسل قد كَذَبوا ، « جاءهم نصرنا » .

١٩٩٩٢ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان ، عن حصين، عن عمران السّلمي ، عن ابن عباس : « حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا » ، أيس الرسل من قومهم أن يصدّقوهم ، وظن قومهم أن الرسل قد كذبتهم. (١)

١٩٩٩٣ – حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال، حدثنا جرير ، عن حصين ، عن عمران بن الحارث السلمي ، عن عبد الله بن عباس في قوله : « حتى إذا استيأس الرسل » ، قال : استيأس الرسل من قومهم أن يستجيبوا لهم = « وظنوا أنهم قد كذبوا » ، قال : ظن قومهم أنهم جاؤوهم بالكذب .

١٩٩٩٤ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا ابن إدريس قال ، سمعت حصيناً ، عن عمران بن الحارث ، عن ابن عباس : حتى إذا استيأس الرسل من أن يستجيب لهم قومهم ، وظنّ قومهم أن قد كذبوهم = « جاءهم نصرنا » .

---

(١) الأثر : ١٩٩٩٢ – « عمران السلمي » ، هو « عمران بن الحارث السلمي » ، « أبو الحكم » تابعي كوفي ثقة ، روى عن ابن عباس ، وابن الزبير ، وابن عمر . مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٣/١/٢٩٦ .

وستأتي روايته هذه في الأخبار التالية إلى رقم : ١٩٩٩٨ .

١٩٩٩٥ ــ حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس قال ، حدثنا عبثر قال ، حدثنا حصين ، عن عمران بن الحارث ، عن ابن عباس في هذه الآية : « حتى إذا استيأس الرسل » ، قال : استيأس الرسل من قومهم أن يؤمنوا ، وظنّ قومُهم أن الرسل قد كَذَبوهم فيما وعدوا وكذبوا = « جاءهم نصرنا » .(١)

١٩٩٩٦ ــ حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا ابن أبي عدى ، عن شعبة ، عن حصين ، عن عمران بن الحارث ، عن ابن عباس قال : « حتى إذا استيأس الرسل » ، من نصر قومهم = « وظنوا أنهم قد كذبوا » ، ظن قومهم أنهم قد كَذَبوهم .

١٩٩٩٧ ــ حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا محمد بن الصباح قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حصين ، عن عمران بن الحارث ، عن ابن عباس في قوله : « حتى إذا استيأس الرسل » ، قال : من قومهم أن يؤمنوا بهم ، وأن يستجيبوا لهم ، وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم = « جاءهم نصرنا » ، يعني الرسلَ .

١٩٩٩٨ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن حصين ، عن عمران بن الحارث ، عن ابن عباس ، بمثله سواء .

١٩٩٩٩ ــ حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن هرون ، عن عبّاد القرشي ، عن عبد الرحمن بن معاوية ، عن ابن عباس : « وظنوا أنهم قد كُذِبوا » خفيفة ، وتأويلها عنده : وظن القومُ أن الرسل قد كذبوا .(٢)

---

(١) الأثر : ١٩٩٩٥ ــ « عبد الله بن أحمد بن يونس » ، هو « عبد الله بن أحمد بن عبد الله ابن يونس اليربوعي » ، « أبو حصين » ، شيخ الطبري ، سلف برقم : ١٢٣٣٦ .
و « عبثر » ، هو « عبثر بن القاسم الزبيدي » ، ثقة ، مضى برقم : ١٢٣٣٦ ، ١٢٤٠٢ ، ١٧١٠٦ .

(٢) الأثر : ١٩٩٩٩ ــ « عبد الوهاب بن عطاء » ، هو الخفاف ، مضى مراراً آخرها رقم : ١٦٨٤٢ .
و « هرون » ، كأنه « هرون بن سفيان بن بشير » ، « أبوسفيان » ، المعروف بالديك ، مستمل

٢٠٠٠٠ – حدثنا أبو بكر قال، حدثنا طلق بن غنام ، عن زائدة ، عن الأعمش، عن مسلم، عن ابن عباس قال: « حتى إذا استيأس الرسل »، من قومهم أن يصدِّقوهم ، وظن قومُهم أن قد كذبتهم رُسُلهم = « جاءهم نصرنا» . (١)

٢٠٠٠١ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا »، يعني : أيس الرسل من أن يتّبعهم قومهم ، وظنّ قومُهم أن الرسل قد كَذَبوا ، فينصر الله الرسل ، ويبعثُ العذابَ . ٥٥/١٣

٢٠٠٠٢ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا »، حتى إذا استيأس الرسلُ من قومهم أن يطيعوهم ويتبعوهم ، وظنّ قومُهم أن رسلهم كذبوهم = « جاءهم نصرنا » .

٢٠٠٠٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا محمد بن فضيل، عن حصين ، عن عمران بن الحارث ، عن ابن عباس : « حتى إذا استيأس الرسل » ، من قومهم = « وظنوا أنهم قد كذبوا » ، قال : فما أبطأ عليهم إلا من ظن أنهم قد كَذَبوا .

٢٠٠٠٤ – . . . . . قال ، حدثنا آدم العسقلاني قال، حدثنا شعبة قال،

يزيد بن هارون ، روى عن معاذ بن فضالة، وأبي زيد النحوي ، ومطرف بن عبد الله المديني، ومحمد ابن عمر الواقدي . مترجم في تاريخ بغداد ١٤ : ٢٥ ، رقم : ٧٣٥٧ .

و « عباد القرشي » ، هو « عباد بن موسى القرشي البصري»، ثقة ، روى عن إسرائيل بن يونس ، وإبراهيم بن طهمان ، وسفيان الثوري ، وروى عنه هرون بن سفيان المستملي ، مترجم في التهذيب .

و « عبد الرحمن بن معاوية » ، هو « عبد الرحمن بن معاوية بن الحويرث الأنصاري ، الزرقي » ، « أبو الحويرث » ، روى عن ابن عباس ، وغيره ، مضى برقم : ١٥٧٥٦ .

(١) الأثر : ٢٠٠٠٠ – « أبو بكر » ، لم أعرف من هو من شيوخ أبي جعفر ، وظني أن صوابه « أبو كريب » ، فهو الذي ذكروا أنه يروي عن طلق بن غنام .

و « طلق بن غنام بن طلق بن معاوية النخعي » ، ثقة، لم يكن بالمتبحر في العلم، مترجم في التهذيب ، والكبير ٣٦١/٢/٢ ، وابن أبي حاتم ٤٩١/١/٢ .

أخبرنا حصين بن عبد الرحمن ، عن عمران بن الحارث قال ، سمعت ابن عباس يقول : « وظنوا أنهم قد كذبوا » ، خفيفةً . وقال ابن عباس : ظن القومُ أنّ الرسل قد كَذَبوهم ، خفيفةً .

٢٠٠٠٥ ـ حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن عطاء ، عن سعيد ابن جبير في قوله : « حتى إذا استيأس الرسل » ، من قومهم ، وظنّ قومُهم أن الرسل قد كَذَبوهم .

٢٠٠٠٦ ـ . . . . . قال ، حدثنا محمد بن فضيل ، عن خصيف قال ، سألت سعيد بن جبير عن قوله : « حتى إذا استيأس الرسل » ، من قومهم ، وظن الكفار أنهم هم كذبوا .

٢٠٠٠٧ ـ حدثني يعقوب والحسن بن محمد قالا ، حدثنا إسمعيل بن علية قال ، حدثنا كلثوم بن جبر ، عن سعيد بن جبير قوله : « حتى إذا استيأس الرسل » ، من قومهم أن يؤمنوا ، وظن قومُهم أن الرسل قد كَذَبتهم .

٢٠٠٠٨ ـ حدثني المثنى قال ، حدثنا عارم أبو النعمان قال ، حدثنا حماد ابن زيد قال ، حدثنا شعيب قال ، حدثني إبراهيم بن أبي حُرّة الجزريّ قال : سأل فتى من قريش سعيد بن جبير فقال له : يا أبا عبد الله ، كيف تقرأ هذا الحرف ، فإنّي إذا أتيت عليه تمنّيت أن لا أقرأ هذه السورة : « حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا » ؟ قال : نعم ، حتى إذا استيأس الرسل من قومهم أن يصدّقوهم ، وظن المرسَلُ إليهم أن الرُّسُل كَذَبوا . قال : فقال الضحاك بن مزاحم : ما رأيت كاليوم قط رجلاً يدعى إلى علم فيتلكّأ !! لو رحلت في هذه إلى اليمن كان قليلاً ! (١)

---

(١) الأثر : ٢٠٠٠٨ – « شعيب » ، هو « شعيب بن الحبحاب الأزدي » ، ثقة ، مضى برقم : ٦١٨٠ ، ٦٤٤٢ .

و « ابراهيم بن أبي حرة الجزري » ، وثقه ابن معين ، وأحمد ، وقال ابن أبي حاتم : ثقة ، لا بأس به وضعفه الساجي ، وذكره ابن حبان في الثقات . كان قليل الحديث . مترجم في لسان الميزان ١ : ٤٦ ، والكبير ١/١/٢٨١ ، وابن أبي حاتم ١/١/٩٦ ، وابن سعد ٧/٢/١٧٩ .

٢٠٠٠٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا الحجاج قال، حدثنا ربيعة بن كلثوم قال، حدثني أبي : أن مسلم بن يسار سأل سعيد بن جبير فقال : يا أبا عبد الله، آية بلغت مني كل مبلغ : « حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا »، فهذا الموتُ، أن تظنّ الرسل أنهم قد كُذِبوا، أو نظنّ أنهم قد كَذَبوا، مخففة ![1] قال : فقال سعيد بن جبير : يا أبا عبد الرحمن، حتى إذا استيأس الرسل من قومهم أن يستجيبوا لهم، وظن قومُهم أن الرسل كذبتهم = « جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين ». قال : فقام مسلم إلى سعيد فاعتنقه وقال : فرّج الله عنك كما فرّجت عني ![2]

٢٠٠١٠ – حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا يحيى بن عباد قال، حدثنا وهيب قال، حدثنا أبو المعلّى العطار، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباد : « حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا »، قال : استيأس الرسل من إيمان قومهم، وظنّ قومهم أن الرسل قد كَذَبوهم ما كانوا يخبرونهم ويبلّغونهم.[3]

وكان في المطبوعة : « ابن أبي حمزة »، لم يحسن قراءة المخطوطة، ولأن الناسخ وضع أمام هذا السطر علامة الشك.

والفتى المذكور هنا، هو « مسلم بن يسار » كما يظهر من الأثر التالي.

وأما كلمة الضحاك بن مزاحم، فهي كلمة رجل قد ملأ حب العلم قلبه، وقل من الناس من يمتلىء قلبه بحب العلم حتى يقول مثل هذه المقالة، إلا ما كان من أسلافنا هؤلاء، فإن الله قد نشأهم أحسن تنشئة في حجور الأنبياء والصالحين من صحابة رسولنا صلى الله عليه وسلم.

(١) في المخطوطة : « وظنوا أنهم قد كذبوا، ونظن أنهم قد كذبوا مخففة . . . »، سقط من الكلام ما أتمه ناشر المطبوعة الأولى من الدر المنثور للسيوطي ٤ : ٤١.

(٢) الأثر : ٢٠٠٠٩ – « ربيعة بن كلثوم بن جبر البصري »، ثقة، مضى برقم ٦٢٤٠، ١٢٥٢٢.

وأبوه : « كلثوم بن جبر البصري »، ثقة، مضى أيضاً برقم : ٦٢٤٠، ١٢٥٢٢

و « مسلم بن يسار البصري »، أبو عبد الله الفقيه، روى عن أبيه، وابن عباس، وابن عمر تابعي ثقة، مترجم في التهذيب، والكبير ٤/١/٢٧٥، وابن أبي حاتم ٤/١/١٩٨.

وانظر الخبر الآتي رقم : ٢٠٠١٤.

(٣) الأثر : ٢٠٠١٠ – « الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني »، شيخ الطبري، مضى مراراً آخرها رقم : ١٨٨٠٧، ١٨٨١٧.

و « يحيى بن عباد الضبعي »، « أبو عباد البصري »، ثقة، حدث عنه أهل بغداد، وقال الخطيب :

٢٠٠١١ ــ . . . . . قال ، حدثنا شبابة قال ، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : « حتى إذا استيأس الرسل » ، أن يصدقهم قومهم ، وظن قومهم أن الرسل قد كَذَبوا ، جاء الرسلَ نصرُنا .

٥٦/١٣ ٢٠٠١٢ ــ حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

٢٠٠١٣ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا الحجاج قال ، حدثنا حماد ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير في هذه الآية : حتى إذا استيأس الرسل من قومهم ، وظن قومهم أن الرسل قد كَذَبت .

٢٠٠١٤ ــ . . . . . قال ، حدثنا حماد ، عن كلثوم بن جبر قال ، قال لي سعيد بن جبير : سألني سيّدٌ من ساداتكم عن هذه الآية فقلت : استيأس الرسل من قومهم ، وظنّ قومهم أن الرسل قد كذبت .(١)

٢٠٠١٥ ــ حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا » ، قال : استيأس الرسل أن يؤمن قومهم بهم ، وظنّ قومهم المشركون أن الرسل قد كَذَبوا ما وعدهم الله من نصره إياهم عليهم ، وأخْلِفُوا ، وقرأ : « جاءهم نصرنا » ، قال : جاء الرسلَ النصرُ حينئذ . قال : وكان أبيّ يقرؤها : ﴿ كُذِبُوا ﴾ .

٢٠٠١٦ ــ حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن سعيد ، عن أبي المتوكل ، عن أيوب بن أبي صفوان ، عن عبد الله بن الحارث

أحاديثه مستقيمة ، لا نعلمه روى منكراً . مترجم في التهذيب ، والكبير ٢٩٢/٢/٤ ، وابن أبي حاتم ١٧٣/٢/٤ ، وتاريخ بغداد ١٤ : ١٤٤ ــ ١٤٦ .

و « وهيب » ، هو « وهيب بن خالد بن عجلان الباهلي » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ٤٣٤٥ ، ١٢٤٤٤ .

و « أبو المعلى العطار » ، هو « يحيى بن ميمون » ، ثقة ليس به بأس ، مضى برقم : ٨٣٤٦ ، ٨٣٤٧ ، ١١١٦٢ .

(١) الأثر : ٢٠٠١٤ ــ انظر الخبرين السالفين رقم : ٢٠٠٠٨ ، ٢٠٠٠٩ .

أنه قال : « حتى إذا استيأس الرسل » ، من إيمان قومهم = « وظنوا أنهم قد كذبوا » ، وظن القوم أنهم قد كذبوهم فيما جاؤوهم به .(١)

٢٠٠١٧ – حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا عبد الوهاب ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : ظن قومهم أن رسلهم قد كَذَبوهم فيما وعدوهم به .

٢٠٠١٨ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا محمد بن فضيل ، عن جحش بن زياد الضبي ، عن تميم بن حذلم قال : سمعت عبد الله بن مسعود يقول في هذه الآية : «حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا » ، قال : استيأس الرسل من إيمان قومهم أن يؤمنوا بهم ، وظن قومهم حين أبطأ الأمر أنهم قد كَذَبوا ، بالتخفيف .(٢)

٢٠٠١٩ – حدثنا أبو المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ،

---

(١) الأثر : ٢٠٠١٦ – « سعيد » ، هو « سعيد بن أبي عروبة » .

وأما « أبو المتوكل » ، فلا أدري ما هو ، وسيأتي بعد أنه عند البخاري وابن أبي حاتم : « المتوكل » ، ومع ذلك ، فلست أدري من يكون على التحقيق .

و « أيوب بن أبي صفوان » ، هكذا جاء في ترجمة « أيوب بن صفوان » في التاريخ الكبير للبخاري ، أي هكذا يقال فيه أيضاً ، وأما ابن أبي حاتم فاقتصر على أنه : « أيوب بن صفوان » ، مولى عبد الله ابن الحارث ، وفي ترجمة أبي حاتم تخليط كثير .

قال البخاري في ترجمته : « قال عبد الأعلى ، حدثنا سعيد ، عن متوكل ، عن أيوب بن صفوان ، مولى عبد الله بن الحارث الهاشمي ، عن عبد الله بن الحارث ، عن أم هانىء ، عن النبي صلى الله عليه وسلم » ، يعني في صلاة الضحى» . ثم ذكره في إسناد آخر هكذا « أيوب بن أبي صفوان » ، كالذي هنا .

وأما ابن أبي حاتم فقال : « أيوب بن صفوان ، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، روى عن المتوكل ، عن عبد الله بن الحارث ، روى عنه سعيد بن أبي عروبة » ، وهو خلط أرجح أن صوابه : « روى عنه المتوكل ، عن عبد الله بن الحارث ، وروى عن المتوكل سعيد بن أبي عروبة » .

وهذا خبر مشكل إسناده كما ترى ، ولا حيلة لنا فيه ، حتى نجد شيئاً يهدي إلى الصواب فيه .

(٢) الأثر : ٢٠٠١٨ – « جحش بن زياد الضبي» ، روى عن تميم بن حذلم ، روى عنه سفيان الثوري ، وجرير ، ومحمد بن فضيل ، وأبو بكر بن عياش . لم يذكروا فيه جرحاً ، مترجم في الكبير ١/٢/٢٥١ ، وابن أبي حاتم ١/١/٥٥٠ .

و « تميم بن حذلم الضبي » ، من أصحاب ابن مسعود ، ثقة ، قليل الحديث ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ١٣٦٢٣ . في ترجمة ولده .

عن أبي المعلى ، عن سعيد بن جبير في قوله : « حتى إذا استيأس الرسل » ، قال : استيأس الرسل من نصر قومهم ، وظنّ قومُ الرسل أن الرسل قد كذَبوهم .(١)

٢٠٠٢٠ ــ حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا عمرو بن ثابت ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير : حتى إذا استيأس الرسل أن يصدّقوهم ، وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم .(٢)

٢٠٠٢١ ــ . . . . . قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا إسرائيل ، عن عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : حتى إذا استيأس الرسل أن يصدّقهم قومهم ، وظن قومُهم أن الرسل قد كذَبوهم .

٢٠٠٢٢ ــ حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ يقول ، حدثنا عبيد بن سليمان قال، سمعت الضحاك في قوله : « حتى إذا استيأس الرسل »، يقول : استيأسوا من قومهم أن يجيبوهم ويؤمنوا بهم = « وظنوا » ، يقول : وظن قوم الرسل أن الرسل قد كذَبوهم الموعد .

* * *

قال أبو جعفر : والقراءة على هذا التأويل الذي ذكرنا في قوله : ﴿كُذِبُوا﴾ بضم الكاف وتخفيف الذال . وذلك أيضا قراءة بعض قرأة أهل المدينة وعامة قرأة أهل الكوفة .

وإنما اخترنا هذا التأويل وهذه القراءة ، لأن ذلك ، عقيب قوله : « وما أرسلنا من قبلك إلاّ رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف

---

(١) الأثر : ٢٠٠١٩ ــ « أبو المعلى » ، هو العطار ، « يحيى بن ميمون » . مضى قريباً برقم : ٢٠٠١٠ .

(٢) الأثر : ٢٠٠٢٠ ــ « عمرو بن ثابت بن هرمز البكري » ، روى عن أبيه ، ضعيف جداً ليس بثقة ، مضى برقم : ٦٤١ ، ٦٨٠ ، ٥٩٦٩ .

وأبوه «ثابت بن هرمز» ، الحداد ، « أبو المقدام » ، ثقة ، مضى برقم : ٦٤١ ، ٦٨٠ ، ٥٩٦٩ ، ١٦٦٤٥ .

كان عاقبة الذين من قبلهم »، فكان ذلك دليلاً على أن إياس الرسل كان من إيمان قومهم الذين أهلكوا ، وأن المضمر فى قوله : « وظنوا أنهم قد كذبوا » ، إنما هو من ذكر الذين من قبلهم من الأمم الهالكة . وزاد ذلك وضوحاً أيضاً ، إتباعُ الله فى سياق الخبر عن الرسل وأممهم قوله : « فنجى من نشاء » ، إذ الذين أهلكوا هم الذين ظنوا أن الرسل قد كذبتهم ،(١) فكذّبوهم ظنًّا منهم أنهم قد كذَبوهم .

* * *

وقد ذهب قوم ممن قرأ هذه القراءة، إلى غير التأويل الذى اخترناه ، ووجّهوا معناه إلى : حتى إذا استيأس الرسل من إيمان قومهم، وظنّتِ الرسل أنهم قد كُذِبوا فيما وُعِدُوا من النصر . ١٣/٥٧

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٠٢٣ ــ حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا عثمان بن عمر قال، حدثنا ابن جريج ، عن ابن أبى مليكة قال : قرأ ابن عباس : « حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كُذِبوا » ، قال : كانوا بشراً ضَعُفوا ويئِسوا .

٢٠٠٢٤ ــ . . . . . قال، حدثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج قال ، أخبرنى ابن أبى مليكة ، عن ابن عباس قرأ : « وظنوا أنهم قد كُذِبوا » ، خفيفة ، قال ابن جريج : أقول كما يقول : أخْلِفوا . قال عبد الله: قال لى ابن عباس: كانوا بشراً. وتلا ابن عباس: ﴿ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ ﴾ [سورة البقرة : ٢١٤] = قال ابن جريج : قال ابن أبى مليكة : ذهب بها إلى أنهم ضَعُفوا فظنوا أنهم أخْلِفوا .

٢٠٠٢٥ ــ حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا مؤمل قال، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى الضحى ، عن مسروق عن عبد الله أنه قرأ : « حتى إذا

(١) فى المخطوطة : « إن الذين أهلكوا » ، والصواب ما فى المطبوعة .

استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كُذِبوا »، مخففة . قال عبد الله: هو الذى تَكْرَه .

٢٠٠٢٦ — . . . . . قال، حدثنا أبو عامر قال ، حدثنا سفيان ، عن سليمان، عن أبى الضحى، عن مسروق: أن رجلاً سأل عبد الله بن مسعود : « حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا » ، قال : هو الذى تكره = مخففةً .

٢٠٠٢٧ — . . . . . قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير : أنه قال فى هذه الآية : « حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا » ، قلت : « كُذِبوا » ! قال : نعم ، ألم يكونوا بشراً ؟

٢٠٠٢٨ — حدثنا الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قوله : « حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كُذِبوا » ، قال : كانوا بشراً ، قد ظنُّوا .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا تأويلٌ وقولٌ، غيرُه من التأويل أولى عندى بالصواب،[1] وخلافه من القول أشبه بصفات الأنبياء . والرسل إن جاز أن يرتابوا بوعدِ الله إياهم ويشكوا فى حقيقة خبره، مع معاينتهم من حجج الله وأدلته مالا يعاينه المرسَل إليهم فيعذروا فى ذلك ، فإن المرسَلَ إليهم لأوْلى فى ذلك منهم بالعذر.[2] وذلك قول إن قاله قائلٌ لا يخفى أمره .

* * *

وقد ذُكِر هذا التأويل الذى ذكرناه أخيراً عن ابن عباس لعائشة ، فأنكرته أشد النُكرة فيما ذكر لنا .

* ذكر الرواية بذلك عنها ، رضوانُ الله عليها .

٢٠٠٢٩ — حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا عثمان بن عمر قال ، حدثنا

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « هذا تأويل وقول غيره من أهل التأويل . . . » بزيادة « أهل » ، وهو لا يستقيم ، لأنه لو عنى ذلك لقال : « وقول غيرهما » ، لأن الرواية قبل عن عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعود . ويصحح ما فعلت من حذف هذه الزيادة ، قوله بعد : « وخلافه من القول . . . » .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « أن المرسل إليهم » بغير الفاء ، وهى واجبة فى جواب الشرط من قوله : « والرسل إن جاز أن يرتابوا . . . فإن المرسل إليهم . . . » .

ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة قال : قرأ ابن عباس : « حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا » ، فقال : كانوا بشرًا ، ضَعُفوا ويئسوا = قال ابن أبي مليكة : فذكرت ذلك لعروة ، فقال : قالت عائشة : معاذ الله ! ما حدَّث الله رسوله شيئاً قطُّ إلا علم أنه سيكون قبل أن يموت ، ولكن لم يزل البلاء بالرسل حتى ظن الأنبياء أن من تبعهم قد كذّبوهم . فكانت تقرؤها : ﴿ قَدْ كُذِّبُوا ﴾ ، تثقلها.(١)

٢٠٠٣٠ — . . . . . قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قال ، أخبرني ابن أبي مليكة : أن ابن عباس قرأ : « وظنوا أنهم قد كُذِبوا » ، خفيفة ، قال عبد الله : ثم قال لي ابن عباس : كانوا بشراً ! وتلا ابن عباس : ﴿ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [سورة البقرة : ٢١٤] = قال ابن جريج : قال ابن أبي مليكة : يذهب بها إلى أنهم ضَعُفوا فظنوا أنهم أُخْلِفوا . قال ابن جريج : قال ابن أبي مليكة : وأخبرني عروة عن عائشة أنها خالفت ذلك وأبته ، وقالت : ما وعد الله محمداً صلى الله عليه وسلم من شيء إلا وقد علم أنه سيكون حتى مات ، ولكنه لم يزل البلاء بالرسل حتى ظنوا أنَّ من معهم من المؤمنين قد كذَّبوهم . قال ابن أبي مليكة في حديث عروة : كانت عائشة تقرؤها : ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا ﴾ ، مثقّلة ، للتكذيب .(٢)

٢٠٠٣١ — . . . . . قال حدثنا سليمان بن داود الهاشمي قال ، حدثنا إبراهيم بن سعد قال ، حدثني صالح بن كيسان ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، ٥٨/١٣

---

(١) الأثر : ٢٠٠٢٩ — « عثمان بن عمر بن فارس العبدي » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً . وابن جريج ، هو الإمام المشهور .

و « ابن أبي مليكة » ، هو « عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة » ، روى له الجماعة ، مضى مراراً كثيرة .

وهذا إسناد صحيح ، رواه البخاري في صحيحه (الفتح ٨ : ١٤٠) ، من طريق إبراهيم بن موسى ، عن هشام ، عن ابن جريج .

(٢) الأثر : ٢٠٠٣٠ — مكرر الذي قبله ، وهو إسناد صحيح .

عن عائشة قال: قلت لها : قوله: « حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كُذِبوا »، قال : قالت عائشة : لقد استيقنوا أنهم قد كُذِّبوا . قلت: « كُذِبوا » . قالت: معاذ الله ، لم تكن الرُّسل تظُنُّ بربها،(١) إنما هم أتباع الرُّسُل، لما استأخر عنهم الوحيُ ، واشتد عليهم البلاء، ظنت الرسل أن أتباعهم قد كذَّبوهم = « جاءهم نصرنا » .(٢)

٢٠٠٣٢ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة قالت : حتى إذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم أن يصدّقوهم ، وظنّت الرسل أن من قد آمن من قومهم قد كَذَّبوهم ، جاءهم نصر الله عندذلك .(٣)

* * *

قال أبو جعفر : فهذا ما روى فى ذلك عن عائشة ، غير أنها كانت تقرأ : ﴿ كُذِّبُوا ﴾، بالتشديد وضم الكاف، بمعنى ما ذكرنا عنها: من أن الرسل ظنّت بأتباعها الذين قد آمنوا بهم، أنهم قد كذَّبوهم فارتدُّوا عن دينهم، استبطاءً منهم للنصر .

وقد بيّنا أن الذى نختار من القراءة فى ذلك والتأويل غيرَه فى هذا الحرف خاصّةً .

* * *

وقال آخرون ممن قرأ قوله: ﴿ كُذِّبُوا ﴾ ،بضم الكاف وتشديد الذال : معنى ذلك: حتى إذا استيأس الرسل من قومهم أن يؤمنوا بهم ويصدِّقوهم ، وظنّت الرسل ، بمعنى :واستيقنت، أنهم قد كذّبهم أممهم ، جاءَتِ الرُّسل نُصْرَتنا . وقالوا :

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « تظن يوماً » ، ورجحت أن هذا تصحيف من الناسخ ، لم يحسن قراءة « بربها » ، فكتب مكانها « يوماً » ، لشبه ما بينهما فى الرسم ، والذى فى حديث البخارى : « تظن ذلك بربها » ، وهو يؤيد ما ذهبت إليه .

(٢) الأثر : ٢٠٠٣١ – بهذا الإسناد ، عن « عبد العزيز بن عبد الله ، عن إبراهيم بن سعد ، عن صالح بن كيسان » ، رواه البخارى فى صحيحه (الفتح ٨ : ٢٧٧ – ٢٧٩) = مطولا . ولفظ أبى جعفر ، مختصر أشد الاختصار . وكتب ابن حجر فصلا جيداً مستوفى فى شرح هذا الحديث .

(٣) الأثر : ٢٠٠٣٢ – وهذا إسناد صحيح إلى عائشة .

« الظن » ، فى هذا بمعنى العلم ، [١] من قول الشاعر : [٢]

فَظَنُّوا بِأَلْفَىْ فَارِسٍ مُتَلَبِّبٍ سَرَاتُهُمْ فِى الفَارِسِىِّ المُسَرَّدِ [٣]

* * *

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٠٣٣ ــ حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن = وهو قول قتادة = : حتى إذا استيأس الرسل من إيمان قومهم ، وظنوا أنهم قد كُذِّبوا ، أى : استيقنوا أنه لا خير عند قومهم ولا إيمان= « جاءهم نصرنا ».

* * *

٢٠٠٣٤ ــ حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « حتى إذا استيأس الرسل » ، قال : من قومهم = « وظنوا أنهم قد كذِّبوا » ، قال : وعلموا أنهم قد كذبوا =« جاءهم نصرنا » .

* * *

قال أبو جعفر : وبهذه القراءة كانت تقرأ عامة قرأة المدينة والبصرة والشأم، أعنى بتشديد الذال من ﴿ كُذِّبُوا ﴾، وضم كافها .

* * *

وهذا التأويل الذى ذهب إليه الحسن وقتادة فى ذلك ، إذا قرئ بتشديد الذال وضم الكاف ، خلافٌ لما ذكرنا من أقوال جميع من حكينا قوله من الصحابة ، لأنه لم يوجه « الظن» فى هذا الموضع منهم أحدٌ إلى معنى العلم واليقين ، مع أن « الظّن » إنما استعمله العرب فى موضع العلم فيما كان من علم أدرك من جهة الخبر أو من غير وجه المشاهدة والمعاينة . فأما ما كان من علم أدرك من وجه المشاهدة والمعاينة، فإنها لا تستعمل فيه « الظن». لا تكاد تقول: «أظننى حيًّا ، وأظننى إنساناً » ، بمعنى : أعلمنى إنساناً ، وأعلمنى حيًّا . والرسل الذين كذبتهم أممهم ، لا شك أنها كانت لأممها شاهدة ، ولتكذيبها إياها منها سامعة ، فيقال فيها: ظنّت بأممها أنها كذّبتها .

* * *

وروى عن مجاهد فى ذلك قولٌ هو خلاف جميع ما ذكرنا من أقوال الماضين الذين سمّينا أسماءهم وذكرنا أقوالهم ، وتأويلٌ خلاف تأويلهم ، وقراءةٌ غير قراءة

---

(١) انظر تفسير « الظن » بهذا المعنى فيما سلف من فهارس اللغة (ظنن) .

(٢) هو دريد بن الصمة .

(٣) مضى البيت بغير هذه الرواية ٢ : ١٨ ، تعليق : ١ ، وبينت ذلك هناك .

جميعهم ، وهو أنه ، فيما ذُكِر عنه ، كان يقرأ : ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَبُوا ﴾ ، بفتح الكاف والذال وتخفيف الذال .

* ذكر الرواية عنه بذلك :

٢٠٠٣٥ ــ حدثني أحمد بن يوسف قال ، حدثنا أبو عبيد قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد أنه قرأها : ﴿ كَذَبُوا ﴾ ، بفتح الكاف بالتخفيف .

* * *

= وكان يتأوّله كما : ــ

٢٠٠٣٦ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : استيأس الرسل أن يُعذَّب قومهم ، وظن قومهم أن الرسل قد كَذَبوا = « جاءهم نصرنا » ، قال : جاء الرسلَ نصرنا . قال مجاهد : قال في « المؤمن »[1] : ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ ، قال : قولهم : « نحن أعلم منهم ولن نعذّب » ، وقوله : ﴿ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ ، [سورة غافر : ٨٣] ، قال : حاق بهم ماجاءت به رسلهم من الحق . ٥٩/١٣

* * *

قال أبو جعفر : وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها ،[2] لإجماع الحجة من قرأة الأمصار على خلافها . ولو جازت القراءة بذلك ، لاحتمل وجهاً من التأويل ، وهو أحسن مما تأوله مجاهد ، وهو : حتى إذا استيأس الرسل من عذاب الله قومَها المكذِّبةَ بها ، وظنّت الرسل أن قومها قد كَذَبوا وافتروا على الله بكفرهم بها = ويكون « الظن » موجّهاً حينئذ إلى معنى العلم ، على ما تأوّله الحسن وقتادة .

* * *

وأما قوله : « فنجي من نشاء » ، فإن القرأة اختلفت في قراءته .

فقرأه عامة قرأة أهل المدينة ومكة والعراق : ﴿ فَنُنْجِي مَنْ نَشَاءُ ﴾ ، مخفّفة بنونين ،[3]

---

(١) « المؤمن » هي سورة غافر ، أي : سورة مؤمن آل فرعون .

(٢) في المطبوعة وحدها : « وهذه القراءة » ، ، غير الكلام بلا معنى .

(٣) في المطبوعة أسقط « مخففة » ، وكان في المخطوطة : « فننجي مخففة من نشاء بنونين » ، والذي أثبته أولى وأجود .

بمعنى : فننجى نحنُ من نشاء من رسلنا والمؤمنين بنا ، دون الكافرين الذين كَذَّبوا رُسلنا ، إذا جاء الرسلَ نصرُنا .

* * *

واعتلّ الذين قرأوا ذلك كذلك ، أنه إنما كتب فى المصحف بنون واحدة ، وحكمه أن يكون بنونين ، لأن إحدى النونين حرف من أصل الكلمة من : « أنجى ينجى » ، والأخرى « النون » التى تأتى لمعنى الدلالة على الاستقبال من فعل جماعةٍ مخبرةٍ عن أنفسها ، لأنهما حرفان ، أعنى النونين ، من جنس واحدٍ يخفى الثانى منهما عن الإظهار فى الكلام ، فحذفت من الخط ، واجتزئ بالمثبتة من المحذوفة ، كما يفعل ذلك فى الحرفين اللذين يُدْغم أحدهما فى صاحبه .

* * *

وقرأ ذلك بعض الكوفيين على هذا المعنى ، غير أنه أدغم النّون الثانية وشدّد الجيم .

* * *

وقرأه آخر منهم بتشديد الجيم ونصب الياء ، على معنى فعل ذلك به ، من : « نجّيته أنجّيه » .

* * *

وقرأ ذلك بعض المكيين : ﴿فَنَجَا مَنْ نَشَاءُ﴾ بفتح النون والتخفيف ، من : « نجا ينجو » .(١)

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ، قراءة من قرأه : ﴿فَنُنْجِي مَنْ نَشَاءُ﴾ بنونين ، لأن ذلك هو القراءة التى عليها القرأة فى الأمصار ، وما خالفه ممن قرأ ذلك ببعض الوجوه التى ذكرناها ، فمنفرد بقراءته عما عليه الحجة مجمعة من القرأة . وغير جائز خلاف ما كان مستفيضاً بالقراءة فى قرأة الأمصار .

* * *

(١) فى المخطوطة : « من نجا عذاب الله من نشاء ينجو » ، وفى المطبوعة : « من نجا من عذاب الله من نشاء ينجو » ، زاد « من » ليستقيم الكلام . بيد أنى أقطع بأن الصواب هو ما أثبت ، كما قال فى أخواتها السالفة ، وإنما زاد الناسخ ما زاد سهواً .

قال أبو جعفر : وتأويل الكلام : فننجى الرسلَ ومن نشاء من عباد نا المؤمنين إذا جاء نصرنا ، كما : —

٢٠٠٣٧ — حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « فننجى من نشاء » ، فننجى الرسل ومن نشاء = « ولا يردّ بأسنا عن القوم المجرمين » ، وذلك أن الله تبارك وتعالى بعَث الرسل فدعوا قومهم ، وأخبروهم أنه من أطاع نجا ، ومن عصاه عُذِّب وغَوَى .

* * *

وقوله : « ولا يردّ بأسنا عن القوم المجرمين »، يقول : ولا تردُّ عقوبتنا وبطشنا بمن بطشنا به من أهل الكفر بنا، وعن القوم الذى أجرموا فكفروا بالله ، وخالفوا رسله وما أتوهم به من عنده .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (١١١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : لقد كان فى قصص يوسف وإخوته عبرة لأهل الحِجى والعقول يعتبرون بها، وموعظة يتّعظون بها .(١) وذلك أن الله جل ثناؤه بعد أن ألقى يوسف فى الجبّ ليهلك ، ثم بِيع بَيْع العبيد بالخسيس من الثمن، وبعد الإسار والحبس الطويل ، ملّكه مصر ، ومكّن له فى الأرض، وأعلاه على من بغاه سوءاً من إخوته ، وجمع بينه وبين والديه وإخوته بقدرته ، بعد المدة الطويلة، وجاء بهم إليه من الشُّقّة النائية البعيدة ، فقال جل ثناؤه للمشركين من قريش من

(١) انظر تفسير « القصص » فيما سلف ١٥ : ٥٥٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك . =وتفسير « العبرة » فيما سلف ٦ : ٢٤٢ ، ٢٤٣ .

قوم نبيّه محمدٍ صلى الله عليه وسلم : لقد كان لكم ، أيها القوم ، فى قصصهم عبرةٌ لو اعتبرتم به ، أن الذى فعل ذلك بيوسف وإخوته ، لا يتعذّر عليه فعلُ مثله بمحمد صلى الله عليه وسلم ،[1] فيخرجه من بين أظهُرِكم ، ثم يظهره عليكم ، ويمكن له فى البلاد ، ويؤيده بالجند والرجال من الأتباع والأصحاب ، وإن مرّت به شدائد ، وأتت دونه الأيام والليالى والدهور والأزمان .

* * *

وكان مجاهد يقول : معنى ذلك : لقد كان فى قصصهم عبرة ليوسف وإخوته . ١٣/٦٠

* ذكر الرواية بذلك :

٢٠٠٣٨ ــ حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « لقد كان فى قصصهم عبرة » ، ليوسف وإخوته .

٢٠٠٣٩ ــ حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا شبابة قال ، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : عبرة ليوسف وإخوته .

٢٠٠٤٠ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

٢٠٠٤١ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب » ، قال : يوسف وإخوته .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا القول الذى قاله مجاهد ، وإن كان له وجه يحتمله التأويل ، فإن الذى قلنا فى ذلك أولى به ، لأنّ ذلك عَقِيب الخبر عن نبينا صلى الله عليه وسلم وعن قومه من المشركين ، وعَقِيبَ تهديدهم ووعيدهم على الكفر بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، ومنقطعٌ عن خبر يوسف وإخوته . ومع ذلك

(١) فى المطبوعة : « أن يفعل مثله » ، أساء قراءة المخطوطة ، وزاد « أن » من عند نفسه .

أنه خبر عامٌّ عن جميع ذوى الألباب أنّ قصصهم لهم عبرة ، وغير مخصوص بعض به دون بعض . فإذْ كان الأمر على ما وصفنا فى ذلك ، فهو بأن يكون خبراً عن أنه عبرة لغيرهم أشبه .[1] والرواية التى ذكرناها عن مجاهد [من] رواية ابن جريج[2] ، أشبه به أن تكون من قوله ، لأن ذلك موافقٌ القولَ الذى قلناه فى ذلك .

* * *

وقوله : « ما كان حديثاً يفترى » ، يقول تعالى ذكره : ما كان هذا القول حديثاً يختلق ويُتَكذَّب ويُتَخَرَّص ،[3] كما : —

٢٠٠٤٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ما كان حديثاً يفترى » ، و «الفرية » ، الكذب .

* * *

=« ولكن تصديق الذى بين يديه » ، يقول : ولكنه تصديق الذى بين يديه من كتب الله التى أنزلها قبله على أنبيائه ، كالتوراة والإنجيل والزبور ، يصدِّق ذلك كله ويشهد عليه أنّ جميعه حق من عند الله ، كما : —

٢٠٠٤٣ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ولكن تصديق الذى بين يديه » ، والفرقان تصديق الكتب التى قبله ، ويشهد عليها .

* * *

وقوله : « وتفصيل كل شىء » ، يقول تعالى ذكره : وهو أيضاً تفصيل كل ما بالعباد إليه حاجة من بيان أمر الله ونهيه ، وحلاله وحرامه ، وطاعته ومعصيته .[4]

* * *

وقوله : « وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » ، يقول تعالى ذكره : وهو بيان أمره

---

(١) قوله : « أشبه » ليست فى المخطوطة ، لأنها مضطربة هنا ، وهى زيادة حكيمة .
(٢) زدت « من » بين القوسين ليستقيم الكلام ، وليست فى المطبوعة ولا المخطوطة .
(٣) انظر تفسير « الافتراء » فيما سلف من فهارس اللغة (فرى) .
(٤) انظر تفسير « التفصيل » فيما سلف من فهارس اللغة (فصل) .

ورشاده لمن جهل سبيل الحق فعمى عنه،[١] إذا اتبعه فاهتدى به من ضلالته = « ورحمة » ، لمن آمن به وعمل بما فيه، ينقذه من سخط الله وأليم عذابه ، ويورِّثه فى الآخرة جنانه، والخلودَ فى النعيم المقيم = « لقوم يؤمنون »، يقول : لقوم يصدِّقون بالقرآن وبما فيه من وعد الله ووعيده، وأمره ونهيه، فيعملون بما فيه من أمره، وينتهون عما فيه من نهيه .

* * *

آخر تفسير سورة يوسف
صلَّى الله عليه وسلم [٢]

---

(١) فى المطبوعة : « ورشاد من جهل ... » ، وفى المخطوطة : « ورشاده من جهل »، فجعلتها « لمن جهل » ، وهو صواب إن شاء الله .

(٢) فى المخطوطة هنا ، بعد هذا ، ما نصه :

« يتلوه : تفسير السورة التى يذكر فيها الرعد
وصلى الله على محمد وآله وسلم كثيراً »

تفسير
سُورَةِ الرَّعْدِ

﴿أول تفسير السورة التى يذكر فيها الرعد﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿ربِّ يَسِّر﴾

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الٓمٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١)

قال أبو جعفر : قد بينا القول فى تأويل قوله : « الر » و « المر » ، ونظائرهما من حروف المعجم التى افتتح بها أوائل بعض سور القرآن ، فيما مضى ، بما فيه الكفاية من إعادتها [١]، غير أنا نذكر من الرواية ما جاء خاصًّا به كل سورة افتتح أولها بشىء منها .

فما جاء من الرواية فى ذلك فى هذه السورة عن ابن عباس من نقل أبى الضحى مسلم بن صبيح وسعيد بن جبير عنه ، التفريقُ بين معنى ما ابتدئ به أولها ، مع ٦١/١٣ زيادة الميم التى فيها على سائر السور ذوات « الر »[٢] ، ومعنى ما ابتدئ به أخواتها [٣]، مع نقصان ذلك منها عنها .

* ذكر الرواية بذلك عنه :

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٢٠٥ – ٦/٢٢٤ : ١٢/١٤٩ : ٢٩٣ ، ١٥/٢٩٤ : ٩ ، ٢٢٥ ، ٥٤٩ .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « على سائر سور ذوات الراء » ، والصواب ما أثبت .

(٣) السياق : « . . . التفريق بين معنى ما ابتدئ به أولها . . . ومعنى ما ابتدئ به أخواتها » .

٢٠٠٤٤ ــ حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا عبد الرحمن، عن هشيم ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « المر » ،قال : أنا الله أرى .

٢٠٠٤٥ ــ حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا شريك،عن عطاء بن السائب، عن أبي الضحى ، عن ابن عباس قوله : « المر » ، قام : أنا الله أرى .

٢٠٠٤٦ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين قال ، حدثنا سفيان ، عن مجاهد : « المر » ، فواتح يفتتح بها كلامه .

* * *

وقوله : « تلك آيات الكتاب » ، يقول تعالى ذكره : تلك التي قصصت عليك خبرَها ، آيات الكتاب الذى أنزلته قبل هذا الكتاب الذى أنزلته إليك إلى من أنزلته إليه من رسلى قبلك .

* * *

وقيل : عنى بذلك التوراة والإنجيل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٠٤٧ ــ حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « المر تلك آيات الكتاب » ، الكتُب التى كانت قبل القرآن .

٢٠٠٤٨ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن مجاهد : « تلك آيات الكتاب » ، قال : التوراة والإنجيل .

* * *

وقوله : « والذى أنزل إليك من ربك الحق » ، [القرآن]،(١) فاعمل بما فيه واعتصم به .

---

(١) الزيادة بين القوسين واجبة ، يدل على وجوبها ما بعدها من الآثار .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٠٤٩ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين قال ، حدثنا سفيان ، عن مجاهد : « والذى أنزل إليك من ربك الحق » ، قال : القرآن .

٢٠٠٥٠ ــ حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « والذى أنزل إليك من ربك الحق » ، أى : هذا القرآن .

* * *

وفى قوله : « والذى أنزل إليك » ، وجهان من الإعراب :

أحدهما : الرفع ، على أنه كلام مبتدأ ، فيكون مرفوعاً بـ « الحق» و« الحق » به . وعلى هذا الوجه تأويل مجاهد وقتادة الذى ذكرنا قبل عنهما .

* * *

والآخر : الخفض، على العطف به على « الكتاب »، فيكون معنى الكلام حينئذ : تلك آياتُ التوراة والإنجيل والقرآن . ثم يبتدئ : « الحق »، بمعنى : ذلك الحق = فيكون رفعه بمضمر من الكلام قد استغنى بدلالة الظاهر عليه منه .

* * *

ولو قيل : معنى ذلك : تلك آيات الكتاب الذى أنزل إليك من ربك الحق = وإنما أدخلت « الواو » فى « والذى » ، وهو نعت للكتاب ، كما أدخلها الشاعر فى قوله :

إِلَى المَلِكِ القَرْمِ وَأَبْنِ الهُمَامِ وَلَيْثَ الكَتِيبَةِ فِى المُزْدَحَمْ (١)

فعطف بـ « الواو » ، وذلك كله من صفة واحد = كان مذهباً من التأويل.(٢)

---

(١) مضى البيت وتخريجه وشرحه فيما سلف ٣ : ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، وقوله : « ليث » ، منصوب على المدح ، كما بينه الطبرى هناك .

(٢) السياق : « ولو قيل : معنى ذلك . . . كان مذهباً من التأويل » .

ولكن ذلك إذا تُؤُوِّل كذلك، فالصواب من القراءة فى « الحق » الخفض ، على أنه نعت لـ « الذى » .

* * *

وقوله : « ولكن أكثر الناس لا يؤمنون » ، ولكن أكثر الناس من مشركى قومك لا يصدقون بالحقّ الذى أنزل إليك من ربك ،[1] ولا يقرّون بهذا القرآن وما فيه من محكم آيه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ (٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : الله ، يا محمد ، هو الذى رفع السموات السبع بغير عَمَد ترونها ، فجعلها للأرض سقْفاً مسموكاً .

* * *

و« العَمَد » جمع « عمود » ، وهى السَّوارى، وما يعمد به البناء، كما قال النابغة :

وَخَيِّسِ الجِنَّ إنِّى قَدْ أذِنْتَ لَهُمْ ... يَبْنُون تَدْمُرَ بِالصُّفَّاحِ وَالعَمَدِ[2]

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة ، أسقط لفظ الآية ، فأثبتها .

(٢) ديوانه : ٢٩ ، ومجاز القرآن ١ : ٣٢٠ ، وشمس العلوم لنشوان الحميرى : ٣٧ ، وغيرها كثير ، من قصيدته المشهورة التى اعتذر فيها للنعمان ، لما قذفوه بأمر المتجردة ، يقول قبله :

ولاَ أرَى فَاعِلاً فِى النَّاسِ يُشْبِهُهُ ... ولاَ أُحَاشِى مِنَ الأقْوَامِ مِنْ أحَدِ

إلَّا سُلَيْمَانَ إذْ قَالَ الإلٰهُ لَهُ ... قُمْ فِى البَرِيَّةِ فَاحْدُدْهَا عن الفَنَدِ

وجمع « العمود » « عَمَد » ، كما جمع « الأديم » « أدَم » ، ولو جمع بالضم فقيل « عُمُد » جاز ، كما يجمع « الرسول » « رُسُل » ، و « الشَّكور » « شُكُر » .

* * *

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « رفع السموات بغير عمد ترونها » .

فقال بعضهم : تأويل ذلك : الله الذى رفع السموات بعَمَدٍ لا ترونها . ٦٢/١٣

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٠٥١ ــ حدثنا أحمد بن هشام قال ، حدثنا معاذ بن معاذ قال ، حدثنا عمران بن حدير ، عن عكرمة قال : قلت لابن عباس : إن فلاناً يقول إنها على عمد = يعنى السماء . قال فقال : اقرأها : « بغير عمَدٍ ترونها » ، أى : لا ترونها .

٢٠٠٥٢ ــ حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح قال ، حدثنا معاذ بن معاذ ، عن عمران بن حدير ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، مثله .

٢٠٠٥٣ ــ حدثنا الحسن بن محمد ، قال ، حدثنا عفان قال ، حدثنا حماد قال ، حدثنا حميد ، عن الحسن بن مسلم ، عن مجاهد فى قوله : « بغير عمد ترونها » ، قال : بعمد لا ترونها .

٢٠٠٥٤ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحجاج قال ، حدثنا حماد ، عن حميد ، عن الحسن بن مسلم ، عن مجاهد فى قول الله : « بغير عمد ترونها » ، قال : هى : لا ترونها . (١)

وقوله : « وخيس الجن » ، أى : ذللها ورضها . و « الصفاح » ، حجارة رقاق عراض صلاب .

و « تدمر » مدينة بالشأم . قال نشوان الحميرى فى شمس العلوم : « مدينة بالشأم مبنية بعظام الصخر ، فيها بناء عجيب ، سميت بتدمر الملكة العمليقية بنت حسان بن أذينة ، لأنها أول من بناها . ثم سكنها سليمان بن داود عليه السلام بعد ذلك . فبنت له فيها الجن بناء عظيما ، فنسبت اليهود والعرب بناءها إلى الجن ، لما استعظموه » .

وهذا نص جيد من أخبارهم وقصصهم فى الجاهلية .

(١) الأثران : ٢٠٠٥٣ ، ٢٠٠٥٤ ــ « الحسن بن مسلم بن يناق المكى » ، ثقة ، وله أحاديث مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/٢/٣٠٤ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٢٦ .

٢٠٠٥٥ ــ حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا شبابة، قال حدثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: « بغير عمد »، يقول : عمد، [لا ترونها].(١)

٢٠٠٥٦ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

٢٠٠٥٧ ــ . . . . . قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن الحسن، وقتادة قوله : « الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها »، قال قتادة : قال ابن عباس : بعَمَدٍ، ولكن لا ترونها.

٢٠٠٥٨ ــ حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا شريك، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، قوله : « رفع السموات بغير عمد ترونها »، قال : ما يدريك؟ لعلها بعمد لا ترونها.

* * *

ومن تأوّل ذلك كذلك، قصد مذهب تقديم العرب الجحدَ من آخر الكلام إلى أوله، كقول الشاعر :(٢)

وَلاَ أَرَاهَا تَزَالُ ظَالِمَةً تُحْدِثُ لِي نَكْبَةً وَتَنْكَؤُهَا(٣)

يريد : أراها لا تزال ظالمة، فقدم الجحد عن موضعه من « تزال »، وكما قال الآخر :(٤)

---

(١) ما بين القوسين زيادة لابد منها، وليست فى المخطوطة.

(٢) هو ابن هرمة

(٣) شرح شواهد المغنى ٢٧٧، ٢٧٩ من تسعة أبيات، ومعانى القرآن للفراء فى تفسير الآية، والأضداد لابن الأنبارى : ٢٣٤.

وقد زعموا أنه قيل لابن هرمة : إن قريشاً لاتهمز، فقال : لأقولن قصيدة أهمزها كلها بلسان قريش، وأولها :

إنَّ سُلَيْمَى والله يكْلَؤُهَا ضَنَّتْ بِشَيْءٍ مَا كَانَ يَرْزَؤُهَا

وعَوَّدَتْنِي فِيمَا تُعَوِّدُنِي أَظْمَاءَ وِرْدٍ مَا كُنْتُ أَجْزَؤُهَا

وَلاَ أَرَاهَا تَزَالُ ظَالِمَةً . . . . . .

(٤) لم أعرف قائله.

إِذَا أَعْجَبَتْكَ الدَّهْرَ حَالٌ مِنَ امْرِئٍ فَدَعْهُ وَوَاكِلْ حَالَهُ وَاللَّيَالِيَا(١)
يَجِئْنَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ صَالِحٍ بِهِ وَإِنْ كَانَ فِيمَا لَا يَرَى النَّاسُ آلِيَا

يعنى : وإن كان فيما يرى الناس لا يألو .

* * *

وقال آخرون ، بل هى مرفوعة بغير عمد .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٠٥٩ — حدثنا محمد بن خلف العسقلانى قال ، أخبرنا آدم قال ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن إياس بن معاوية فى قوله : « رفع السموات بغير عمد ترونها » قال : السماء مقبّبة على الأرض مثل القبة . (٢)

٢٠٠٦٠ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « بغير عمد ترونها » ، قال : رفعها بغير عمد .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصحة أن يقال كما قال الله تعالى : « الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها » ، فهى مرفوعة بغير عمد نراها ، كما قال ربنا جل ثناؤه ، ولا خبر بغير ذلك ، ولا حجة يجب التسليم لها بقول سواه . (٣)

* * *

وأما قوله : « ثم استوى على العرش » ، فإنه يعنى : علا عليه .

* * *

وقد بينا معنى « الاستواء » ، واختلاف المختلفين فيه ، والصحيح من القول فيما قالوا فيه ، بشواهده فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . (٤)

* * *

---

(١) معانى القرآن للفراء فى تفسير الآية ، والأضداد لابن الأنبارى : ٢٣٤ ، وقوله : « واكل حاله » ، أى : دع أمره لليالى . من « وكل إليه الأمر » ، أى : صرف أمره إليه . وقوله : « يجئن على ما كان من صالح به » ، أى يقضين على صالح أمره ويذهبنه . و « الآلى » ، المقصر .

(٢) الأثر : ٢٠٠٥٩ — « إياس بن معاوية بن قرة المزنى » ، « أبو واثلة » قاضى البصرة ، ثقة ، وكان فقيهاً عفيفاً ، وكان عاقلا فطناً من الرجال ، يضرب به المثل فى الحلم والدهاء . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/١/٤٤٢ ، وابن أبى حاتم ٦/١/٢٨٢ ، وابن سعد ٧/٢/٤ ، ٥ .

(٣) أى احتياط وفقه وعقل وورع ، كان أبو جعفر يستعمل فى تفسيره !

(٤) انظر تفسير « الاستواء » فيما سلف ١ : ٤٢٨ — ٤٣١/١٢ : ٤٨٢ ، ٤٨٣/١٥ : ١٨ .

وقوله : « وسخر الشمس والقمر » ، يقول : وأجرى الشمس والقمر فى السماء فسخرهما فيها لمصالح خلقه ، وذلّلهما لمنافعهم ، ليعلموا بجريهما فيها عدد السنين والحساب ، ويفصلوا به بين الليل والنهار .

* * *

وقوله : « كل يجرى لأجل مسمًّى » ، يقول جل ثناؤه : كل ذلك يجرى فى السماء = « لأجل مسمى » ، أى : لوقت معلوم ،[1] وذلك إلى فناء الدنيا وقيام القيامة التى عندها تكوَّر الشمس ، ويُخْسف القمر ، وتنكدر النجوم . ٦٣/١٣

= وحذف ذلك من الكلام ، لفهم السامعين من أهل لسان من نزل بلسانه القرآن معناه ، وأن « كلّ » لا بدّ لها من إضافة إلى ما تحيط به .[2]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى قوله : « لأجل مسمى » ، قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٠٦١ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمّى » ، قال : الدنيا .[3]

* * *

وقوله : « يدبِّر الأمر » ، يقول تعالى ذكره : يقضى الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها أمورَ الدنيا والآخرة كلها ، ويدبِّر ذلك كله وحده بغير شريك ولا ظهير ولا معين سُبْحانه .[4]

* * *

= وتفسير « العرش » فيما سلف ١٥ : ٢٤٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(١) انظر تفسير « الأجل المسمى » فيما سلف ٦ : ١١/٤٣ : ٢٥٦ — ٢٥٩ ، ٤٠٧

(٢) انظر تفسير « كل » وأحكامها فيما سلف ١٥ : ٥٤٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك . وانظر ما قاله أبو عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ٣٢١ .

(٣) قوله : « الدنيا » ، كأنه يعنى : فناء الدنيا ، فاقتصر على ذكر « الدنيا » ، لأنه معلوم بضرورة الدين أنها فانية ، وإنما الخلود فى الآخرة .

(٤) انظر تفسير « التدبير » فيما سلف ١٥ : ١٨ ، ١٩ ، ٨٤ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٠٦٢ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « يدبر الأمر » ، يقضيه وحده .

٢٠٠٦٣ – . . . . . قال حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

٢٠٠٦٤ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

* * *

وقوله : « يفصل الآيات » ، يقول : يفصل لكم ربُّكم آيات كتابه ، فيبينها لكم ،[1] احتجاجاً بها عليكم ، أيها الناس = « لعلكم بلقاء ربكم توقنون » ، يقول : لتوقنوا بلقاء الله والمعاد إليه ، فتصدقوا بوعده وعيده ،[2] وتنزجروا عن عبادة الآلهة والأوثان ، وتخلصوا له العبادة إذا أيقنتم ذلك.[3]

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

* ذكر من قال ذلك .

٢٠٠٦٥ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « لعلكم بلقاء ربكم توقنون » ، وإن الله تبارك وتعالى إنما أنزل كتابه وأرسل رسله ، لنؤمن بوعده، ونستيقن بلقائه .

* * *

---

(١) انظر تفسير « تفصيل الآيات » فيما سلف ١٥ : ٢٢٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الإيقان » فيما سلف ١٠ : ١١/٣٩٤ : ٤٧٥ .

(٣) فى المطبوعة : « تيقنتم » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو لب الصواب .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : والله الذى مَدَّ الأرض، فبسطها طولاً وعرضاً .

* * *

وقوله : « وجعل فيها رواسى » ، يقول جل ثناؤه : وجعل فى الأرض جبالاً ثابتة .

* * *

و « الرواسى » جمع « راسية » ، وهى الثابتة ، يقال منه : « أرسيت الوتد فى الأرض » ، إذا أثبته »[1] كما قال الشاعر :[2]

بِهِ خَالِدَاتٌ مَا يَرِمْنَ وهَامِدٌ وَأَشْعَثُ أَرْسَتْهُ الوَلِيدَةُ بِالفِهْرِ[3]

يعنى : أثبتته .

* * *

وقوله : « وأنهاراً » ، يقول : وجعل فى الأرض أنهاراً من ماء .

* * *

وقوله : « ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين » . فـ « مِنْ » فى

* * *

---

(١) انظر تفسير « الإرساء » فيما سلف ١٣ : ٢٩٣ .

(٢) هو الأحوص .

(٣) مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٣٢١ ، واللسان (رسا) ، وروايته « سوى خالدات » و « ترسيه الوليدة » . و « الخالدات » ، و « الخوالد » صخور الأثافى ، سميت بذلك لطول بقائها بعد دروس أطلال الديار . « ما يرمن » ، ما يبرحن مكانهن ، من « رام المكان يريمه » ، إذا فارقه . و « الهامد » الرماد المتلبد بعضه على بعض . و « الأشعث » ، الوتد ، لأنه يدق رأسه فيتشعث ويتفرق ، و « الوليدة » : الجارية ، و « الفهر » حجر ملء الكف ، يدق به .

قوله : « ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين » ، من صلة « جعل » الثانى لا الأول .

* * *

ومعنى الكلام : وجعل فيها زوجين اثنين من كل الثمرات . وعنى بـ « زوجين اثنين » ، من كل ذكر اثنان ، ومن كلِّ أنثى اثنان ، فذلك أربعة ، من الذكور اثنان ، ومن الإناث اثنتان ، فى قول بعضهم .

* * *

وقد بينا فيما مضى أن العرب تسمى الاثنين : « زوجين » ، والواحد من الذكور « زوجاً » لأنثاه ، وكذلك الأنثى الواحدة « زوجاً » ، و « زوجة » لذكرها ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .(١)

ويزيد ذلك إيضاحاً قول الله عز وجل : ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ ، [سورة النجم : ٤٥] ، فسمى الاثنين الذكر والأنثى « زوجين » .

وإنما عنى بقوله : « زوجين اثنين » ،(٢) نوعين وضربين .

* * *

وقوله : « يغشى الليل النهار » ، يقول : يجلِّل الليلُ النهارَ فيلبسه ظلمته ، والنهارُ الليلَ بضيائه ،(٣) كما :—

٢٠٠٦٦ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يغشى الليل النهار » ، أى : يلبس الليل النهار .

* * *

وقوله : « إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » ، يقول تعالى ذكره :

---

(١) انظر تفسير « الزوج » فيما سلف ١ : ٣٩٧ ، ٧/٥١٤ : ١٢/٥١٥ : ١٥/١٨٤ : ٣٢٢ — ٣٢٤ .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « من كل زوجين اثنين » ، وهم الناسخ ، فزاد فى الكلام ما ليس منه هنا ، وإنما ذلك من قوله تعالى فى آية أخرى . فحذفت « من كل » ، ليبقى نص الآية التى يفسرها هنا.

(٣) انظر تفسير « الإغشاء » فيما سلف ١٢ : ١٥/٤٨٣ : ٧٥ .

إن فيما وصفت وذكرت من عجائب خلق الله وعظيم قدرته التى خلق بها هذه الأشياء، لَدلالاتٍ وحججاً وعظاتٍ لقوم يتفكرون فيها، فيستدلون ويعتبرون بها، فيعلمون أن العبادة لا تصلح ولا تجوز إلا لمن خلقها ودبَّرها ، دون غيره من الآلهة والأصنام التى لا تقدر على ضر ولا نفع ، ولا لشىء غيرها ، إلا لمن أنشأ ذلك فأحدثه من غير شىء، تبارك وتعالى = وأن القدرة التى أبدع بها ذلك ، هى القدرة التى لا يتعذَّر عليهُ إحياء من هلك من خلقه ، وإعادة ما فنى منه، وابتداع ما شاء ابتداعَه = بها. (١) ١٣/٦٤

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَـٰوِرَٰتٌ وَجَنَّـٰتٌ مِّنْ أَعْنَـٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « وفى الأرض قطع متجاورات » ، وفى الأرض قطع منها متقاربات متدانيات ، يقرب بعضها من بعض بالجوار ، وتختلف بالتفاضل مع تجاورها وقرب بعضها من بعض ، فمنها قِطْعة سَبَخَةٌ لا تنبت شيئاً، فى جوار قطعة طيبة تنبت وتنفع .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) السياق : « وهى القدرة التى لا يتعذر عليه . . . بها » .

٢٠٠٦٧ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع، عن سفيان، عن ليث، عن مجاهد: «وفى الأرض قطع متجاورات»، قال: السَّبَخة والعَذِيَة،[١] والمالح والطيب.

٢٠٠٦٨ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا سفيان، عن ليث، عن مجاهد قوله: «وفى الأرض قطع متجاورات»، قال: سِبَاخٌ وعَذَوِيّة.

٢٠٠٦٩ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو نعيم قال، حدثنا سفيان، عن ليث، عن مجاهد، مثله.

٢٠٠٧٠ – حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا سعيد بن سليمان قال، حدثنا إسحق بن سليمان، عن أبى سنان، عن ابن عباس فى قوله: «وفى الأرض قطع متجاورات»، قال: العَذِيَة والسَّبخة.

٢٠٠٧١ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال، حدثنى عمى قال، حدثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: «وفى الأرض قطع متجاورات»، يعنى الأرض السبخة، والأرض العذية، يكونان جميعاً متجاورات، يُفضِّل بعضها على بعض فى الأكُل.[٢]

٢٠٠٧٢ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج، عن ابن جريج قال، قال ابن عباس: «قطع متجاورات»، العذية والسبخة،

---

(١) «السبخة» (بفتح السين والباء، وبفتح السين وكسر الباء): هى الأرض المالحة، ذات الملح والنز، ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر. و«العذية» (بفتح العين وسكون الذال، وفتح الياء بغير تشديد)، و«العذاة» أيضاً: وهى الأرض التربة، الكريمة المنبت، التى ليست بسبخة، ولا تكون ذات وخامة ولا وباء.

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة، ذكر بعد هذا الخبر التالى رقم: ٢٠٠٧٢، مبتور الآخر، ثم عاد فروى هذا الخبر (رقم: ٢٠٠٧١) بنصه وإسناده، ثم اتبعه الخبر رقم: ٢٠٠٧٢، فحذفت ما بين ذلك، لأنه تكرار لاشك فيه، وسهو من ناسخ الكتاب.

متجاورات جميعاً ، تنبت هذه ، وهذه إلى جنبها لا تُنْبِت .

٢٠٠٧٣ ــ حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا شبابة قال، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : « قطع متجاورات » ، طيِّبها وعذبُها ، وخبيثها السِّباخ .

٢٠٠٧٤ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

٢٠٠٧٥ ــ . . . . . قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

٢٠٠٧٦ ــ حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وفي الأرض قطع متجاورات » . قُرًى قَرُبت متجاورات بعضها من بعض .

٢٠٠٧٧ ــ حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « وفي الأرض قطع متجاورات » ، قال : قُرًى متجاورات .

٢٠٠٧٨ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا عمرو قال : حدثنا هشيم ، عن أبي إسحق الكوفي، عن الضحاك في قوله : « قطع متجاورات » . قال : الأرض السبخة ،[1] تليها الأرض العَذِية. [2]

٢٠٠٧٩ ــ حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ يقول ، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « وفي الأرض قطع ٦٥/١٣

---

(١) في المطبوعة : « الأرض السبخة بينها الأرض العذية » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، لأنها غير منقوطة .

(٢) الأثر : ٢٠٠٧٨ -- « أبو إسحق الكوفي » ، « عبد الله بن ميسرة الحارثي » ، كنيته « أبو ليلى » ، وكناه هشيم : « أبا إسحق » تارة و « أبا عبد الجليل » تارة أخرى ، كأنه يدلس بكنيته وهو ضعيف ، مضى برقم : ٦٩٢٠ ، ٩٢٥٠ ، ١٣٤٨٩ .

متجاورات » ، يعنى الأرض السَّبِخة والأرض العَذِيَة ، متجاورات بعضها عند بعض .

٢٠٠٨٠ – حدثنا الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا إسرائيل ، عن عطاء ابن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى قوله : « وفى الأرض قطع متجاورات » ، قال : الأرض تنبت حُلواً ، والأرض تنبت حامضاً ، وهى متجاورة تسقى بماءٍ واحد .

٢٠٠٨١ – حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « وفى الأرض قطع متجاورات » ، قال : يكون هذا حلواً وهذا حامضاً ، وهو يسقى بماء واحد ، وهن متجاورات .

٢٠٠٨٢ – حدثنى عبد الجبار بن يحيى الرملى قال ، حدثنا ضمرة بن ربيعة ، عن ابن شوذب فى قوله : « وفى الأرض قطع متجاورات » ، قال : عَذِيَة ومالحة . (١)

* * *

وقوله : « وجنات من أعناب وزرع ونخيل صِنْوان وغير صِنْوان يسقى بماء واحدٍ ونفضّل بعضها على بعض فى الأكُل » ، يقول تعالى ذكره : وفى الأرض مع القطع المختلفات المعانى منها بالملوحة والعذوبة والخبث والطيب ، (٢) مع تجاورها وتقارب بعضها من بعض ، بساتين من أعناب وزرع ونخيلٍ أيضاً متقاربةٌ فى الخلقة ، مختلفة فى الطعوم والألوان ، مع اجتماع جميعها على شربٍ واحد . فمن طيّبٍ طعمُه منها حسنٍ منظره طيبةٍ رائحته ، ومن حامضٍ طعمه ولا رائحة له .

* * *

---

(١) الأثر : ٢٠٠٨٢ – « عبد الجبار بن يحيى الرملى » ، شيخ الطبرى ، لم نجد له بعد ترجمة . ومضى برقم : ٧٤٢٥ ، ٧٤٤٦ .

(٢) فى المطبوعة : « والخبيث » ، والصواب ما فى المخطوطة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٠٨٣ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير فى قوله: « وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان » ، قال : مجتمع وغير مجتمع = « تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل » ، قال: الأرض الواحدة يكون فيها الخوخ والكمثرى والعنب الأبيض والأسود، وبعضها أكثر حملاً من بعض، وبعضه حلو، وبعضه حامض، وبعضه أفضل من بعض .

٢٠٠٨٤ – حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا شبابة، عن ورقاء، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد قوله : « وجنات » ، قال : وما معها .

٢٠٠٨٥ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد =

٢٠٠٨٦ – قال المثنى، وحدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، مثله .

* * *

واختلفت القرأة فى قراءة قوله : « وزرع ونخيل » .

فقرأ ذلك عامة قرأه أهل المدنية والكوفة: ﴿ وَزَرْعٍ وَنَخِيلٍ ﴾، بالخفض، عطفاً بذلك على « الأعناب » ، بمعنى : وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب ومن زرع ونخيل .

* * *

وقرأ ذلك بعض قرأة أهل البصرة: ﴿ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ ﴾ ، بالرفع ، عطفاً بذلك على « الجنات » ، بمعنى : وفى الأرض قطعٌ متجاوراتٌ ، وجناتٌ من أعناب ، وفيها أيضاً زرعٌ ونخيلٌ .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إنهما قراءتان متقاربتا المعنى ، وقرأ بكل واحدةٍ منهما قرأة مشهورون ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب . وذلك أن « الزرع والنخيل » إذا كانا فى البساتين فهما فى الأرض ، وإذا كانا فى الأرض فالأرض التى هما فيها جنة ، فسواءٌ وُصِفَا بأنهما فى بستانٍ أو فى أرضٍ .

* * *

وأما قوله : « ونخيل صنوان وغير صنوان » .

فإن « الصنوان » جمع « صنو » ، وهى النخلات يجمعهن أصل واحد ، لا يفرَّق فيه بين جميعه واثنيه إلا بالإعراب فى النون ، وذلك أن تكون نونه فى اثنيه مكسورةً بكل حال ، وفى جميعه متصرِّفة فى وجوه الإعراب ، ونظيره « القِنْوان » واحدها « قِنْوٌ » .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى معنى « الصنوان » قال أهل التأويل

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٠٨٧ ــ حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبى إسحق ، عن البراء : « صنوان » ، قال : المجتمع = « وغير صنوان » ، المتفرِّق .

٢٠٠٨٨ ــ حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يحيى بن واضح قال ، حدثنا الحسين ، عن أبى إسحق ، عن البراء قال : « صنوان » ، هى النخلة التى إلى جنبها نخلاتٌ إلى أصلها = « وغير صنوان » ، النخلة وحدَها . ٦٦/١٣

٢٠٠٨٩ ــ حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا أبو عاصم ، قال ، حدثنا سفيان ، عن أبى إسحق ، عن البراء بن عازب : « صنوان وغير صنوان » ، قال : « الصنوان » ، النخلتان أصلهما واحد = « وغير صنوان » ، النخلة والنخلتان المتفرِّقتان .

٢٠٠٩٠ ــ حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا

شعبة ، عن أبي إسحق قال : سمعت البراء يقول في هذه الآية ، قال : النخلة تكون لها النخلات = « وغير صنوان » ، النخل المتفرّق .

٢٠٠٩١ ــ حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا عمرو بن الهيثم أبو قطن ، ويحيى بن عباد ، وعفان ، = واللفظ لفظ أبي قطن = قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحق ، عن البراء في قوله : « صنوان وغير صنوان » ، قال : «الصنوان» ، النخلة إلى جنبها النخلات = « وغير صنوان » ، المتفرق .(١)

٢٠٠٩٢ ــ حدثنا الحسن قال ، حدثنا شبابة قال ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن البراء في قوله : « صنوان وغير صنوان » ، قال : « الصنوان » ، النخلات الثلاث والأربع والثنتان أصلهن واحد = « وغير صنوان » ، المتفرّق .

٢٠٠٩٣ ــ حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، وشريك ، عن أبي إسحق ، عن البراء في قوله : « صنوان وغير صنوان» ، قال : النخلتان يكون أصلهما واحد = « وغير صنوان » ، المتفرّق .

٢٠٠٩٤ ــ حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « صنوان » ، يقول : مجتمع .

٢٠٠٩٥ ــ حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ونخيل صنوان وغير صنوان » ، يعني بالصنوان : النخلة يخرج من أصلها النخلات ، فيحمل بعضه ولا يحمل بعضه ، فيكون أصله واحد ورؤوسه متفرقة .

٢٠٠٩٦ ــ حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا إسرائيل ،

---

(١) الأثر : ٢٠٠٩١ - « عمرو بن الهيثم بن قطن الزبيدي » ، « أبو قطن » ، ثقة ، من أصحاب شعبة ، مضى برقم : ١٨٦٧٤ .

و « يحيى بن عباد الضبعي » ، مضى برقم : ٢٠٠١٠ .

و « عفان » ، هو « عفان بن مسلم الصفار » ، ثقة روى له الجماعة ، مضى برقم : ٥٣٩٢ ، ١٦٣٦٩ .

عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : « صنوان وغير صنوان » ، النخيل في أصل واحد = « وغير صنوان » ، النخيل المتفرّق .

٢٠٠٩٧ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن عطاء ، عن سعيد ابن جبير : « ونخيل صنوان وغير صنوان » ، قال : مجتمع وغير مجتمع .

٢٠٠٩٨ – حدثني المثنى قال ، حدثنا النفيلي قال ، حدثنا زهير قال ، حدثنا أبو إسحق ، عن البراء قال : « الصنوان » ، ما كان أصله واحداً وهو متفرق = « وغير صنوان » ، الذي نبت وحدَه .(١)

٢٠٠٩٩ – حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا شبابة قال ، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « صنوان » ، النخلتان وأكثر في أصل واحد = « وغير صنوان » ، وحدَها .

٢٠١٠٠ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « صنوان » ، النخلتان أو أكثر في أصل واحد = « وغير صنوان » واحدة .

٢٠١٠١ – . . . . . قال حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

٢٠١٠٢ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك : « صنوان وغير صنوان » ، قال : « الصنوان » ، المجتمع ، أصله واحد = « وغير صنوان » ، المتفرق أصله .

٢٠١٠٣ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ،

---

(١) الأثر : ٢٠٠٩٨ – « النفيلي » ، هو « عبد الله بن محمد بن علي بن نفيل » ، « أبو جعفر » ثقة حافظ ، مضى برقم : ٩٢٥٣ ، ٩٢٥٤ .

و « زهير » ، هو « زهير بن معاوية الجعفي » ، ثقة روى له الجماعة ، مضى مراراً آخرها برقم ١٧٥١٣ .

عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « صنوان وغير صنوان » ، قال : « الصنوان » ، المجتمع الذى أصله واحد = « وغير صنوان » ، المتفرّق .

٢٠١٠٤ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ونخيل صنوان وغير صنوان » ، أما «الصنوان » ، فالنخلتان والثلاث أصولهُن واحدة ، وفروعن شتّى = «وغير صنوان » ، النخلة الواحدة .

٢٠١٠٥ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « صنوان وغير صنوان » ، قال : « صنوان » ، النخلة التى يكون فى أصلها نخلتان وثلاث أصلهنّ واحدٌ .

٦٧/١٣ ٢٠١٠٦ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ونخيل صنوان وغير صنوان » ، قال : « الصنوان » ، النخلتان أو الثلاث يكنّ فى أصل واحد ، فذلك يعدُّه الناس صنواناً .(١)

٢٠١٠٧ – حدثنا ابن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر قال ، حدثنى رجل : أنه كان بين عمر بن الخطاب وبين العباس قول ، فأسرع إليه العباس ، (٢) فجاء عمر إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، ألم تر عباساً فعل بى وفعل! فأردت أن أجيبه ، فذكرتُ مكانه منك ، فكففت. فقال : يرحمك الله ، إنّ عمّ الرجل صِنْوُ أبيه .(٣)

---

(١) الأثر : ٢٠١٠٦ – فى المخطوطة : « حدثنا يوسف » ، مكان « يونس » ، وصححه فى المطبوعة . وهو إسناد دائر فى التفسير .

(٢) « أسرع إليه » ، عجل إليه بالشر وبادره ، ومثله « تسرع إليه » ، ومن هذا المجاز قال المرار الفقعسى :

إذا شِئتَ يومًا أنْ تسودَ عَشِيرَةً فَبِالحِلْمِ سُدْ ، لَا بِالتَّسَرُّعِ والشَّتْمِ

(٣) الأثر : ٢٠١٠٧ – هذا خبر ضعيف ، لجهالة الرجل الذى روى عن عمر ، وسيأتى الخبر من طرق بعد كلها مرسل .

وقوله : « عم الرجل صنو أبيه » ، هذا الحديث رواه مسلم فى صحيحه (٧ : ٥٦ ، ٥٧) ، من

٢٠١٠٨ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة : «صنوان» ، النخلة التى يكون فى أصلها نخلتان وثلاث أصلهن واحد . قال : فكان بين عمر بن الخطاب وبين العباس رضى الله عنهما قولٌ ، فأسرع إليه العباس ، فجاء عمر إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبى الله ، ألم تر عباساً فعل بى وفعل ! فأردت أن أجيبه ، فذكرتُ مكانه منك ، فكففت عند ذلك . فقال : يرحمك الله ، إنّ عم الرجل صِنْو أبيه .(١)

٢٠١٠٩ – . . . . قال أخبرنا عبد الرزاق ، قال أخبرنا ابن عيينة ، عن داود بن شابور ، عن مجاهد : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : تؤذونى فى العباس ، فإنه بقية آبائى ، وإنّ عمّ الرجل صنو أبيه .

٢٠١١٠ – حدثنى يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا حجاج ، عن عطاء ، وابن أبى مليكة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر : يا عمر ، أما علمت أن عمّ الرجل صِنْوُ أبيه .(٢)

٢٠١١١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، أخبرنى القاسم بن أبى بزة ، عن مجاهد : « صنوان » ، قال : فى أصل واحد ثلاث نخلات ، كمثل ثلاثةٍ بنى أم وأب يتفاضلون فى العمل كما

حديث أبى الزناد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة ، ومن هذه الطريق نفسها رواه أحمد فى مسنده ٢ : ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ورواه الترمذى فى باب مناقب العباس مختصراً وقال : « هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث أبى الزناد إلا من هذا الوجه » .

وروى أحمد فى مسند على رضى الله عنه من حديث الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبى البخترى ، عن على ، وهو حديث طويل ، وإسناده ضعيف لانقطاعه ، فأحاديث أبى البخترى عن على مرسلة .

وانظر التعليق على الأخبار التالية .

(١) الأثر : ٢٠١٠٨ – هذا خبر مرسل ، رواه ابن سعد فى الطبقات ٤/١/١٧ ، من طريق محمد بن حميد ، عن معمر .

ورواه ابن سعد من طرق أخرى (٤/١/١٧) ، وانظر التعليق على الخبر السالف .

(٢) الأثران ٢٠١٠٩ ، ٢٠١١٠ – خبران مرسلان ، وانظر التعليق السالف .

يتفاضل ثمر هذه النخلات الثلاث فى أصل واحد = قال ابن جريج : قال مجاهد : كمثل صالح بنى آدم وخبيثهم ، أبوهم واحد .

٢٠١١٢ — حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج قال ، أخبرنى إبراهيم بن أبى بكر بن عبد الله ، عن مجاهد ، نحوه .(١)

٢٠١١٣ — حدثنى القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن أبى بكر بن عبد الله ، عن الحسن قال : هذا مثل ضربه الله لقلوب بنى آدم . كانت الأرض فى يد الرحمن طينةً واحدة فسطحها وبَطَّحها ، فصارت الأرض قطعاً متجاورة ، فينزل عليها الماء من السماء ، فتخرج هذه زهرتها وثمرها وشجرها ، وتخرج نباتها وتحيي مواتها ، وتخرج هذه سَبَخها وملحها وخَبَثَها ، وكلتاهما تسقى بماء واحد . فلو كان الماء مالحاً قيل : إنما استسبخت هذه من قبل الماء ! كذلك الناس خلقوا من آدم ، فتنزل عليهم من السماء تذكرة ، فترقّ قلوب فتخشع وتخضع ، وتقسو قلوب فتلهو وتسهو وتجفو . قال الحسن : والله ما جالس القرآن أحدٌ إلاّ قام من عنده بزيادة أو نقصان ، قال الله : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَاراً ﴾ [سورة الإسراء : ٨٢] .(٢)

* * *

وقوله : « تسقى بماء واحد » ، اختلفت القرأة فى قوله : « تسقى » .

فقرأ ذلك عامة قرأة أهل المدينة والعراق من أهل الكوفة والبصرة : ﴿ تُسْقَى ﴾ ، بالتاء بمعنى : تسقى الجناتُ والزرع والنخيل . وقد كان بعضهم يقول : إنما قيل «تسقى» ،

---

(١) الأثر : ٢٠١١٢ — « إبراهيم بن أبى بكر بن عبد الله الأخنسى » ، لم أجد ذكر جده إلا فى هذا الخبر ، وقد سلف لى كلام فى تحقيق اسمه ، فى الخبرين ١٠٧٥٨ ، ١٠٧٥٩ ، والمراجع هناك .

(٢) الأثر : ٢٠١١٣ — « حجاج » فيما أرجح ، « حجاج بن أرطاة » .
و « أبو بكر بن عبد الله » ، هو فيما أرجح « أبو بكر بن عبد الله بن أبى الجهم العدوى » ، ولم يذكروا روايته عن « الحسن » ، وهو خليق أن يروى عنه ، مضى برقم : ١٠٣٣٤ ، ١٠٣٣٥ .
وقوله : « استسبخت » ، مما ينبغى أن يزاد على مشتقات « السبخة » فى كتب اللغة .

بالتاء ، لتأنيث « الأعناب » .

* * *

وقرأ ذلك بعض المكيين والكوفيين: ﴿ يُسْقَى ﴾ ، بالياء .

* * *

وقد اختلف أهل العربية فى وجه تذكيره إذا قرئ كذلك ، وإنما ذلك خبرٌ عن الجنات والأعناب والنخيل والزرع أنها تسقى بماء واحد .

فقال بعض نحويى البصرة : إذا قرئ ذلك بالتاء فذلك على « الأعناب » ، كما ذكّر « الأنعام »،(١) فى قوله: ﴿ مِمَّا فِى بُطُونِهِ ﴾،[سورة النحل : ٦٦]،وأنث بعدُ فقال: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾،[سورة المؤمنون : ٢٢/سورة غافر : ٨٠]. فمن قال « يسقى » ، بالياء جعل « الأعناب » مما تذكّر وتؤنث مثل « الأنعام » .

* * *

وقال بعض نحويى الكوفة : من قال « تسقى » ، ذهب إلى تأنيث « الزرع والجنات والنخيل » ، ومن ذكّر ذهب إلى أن ذلك كله يُسْقى بماء واحد، وأكلُه ٦٨/١٣ مختلفٌ ، حامض وحلو ، ففى هذا آية .(٢)

* * *

قال أبو جعفر : وأعجب القراءتين إلىّ أن أقرأ بها، قراءة من قرأ ذلك بالتاء : ﴿تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾ على أن معناه : تسقى الجنات والنخل والزرع بماء واحد ، لمجىء «تسقى» بعد ما قد جرى ذكرها ، وهى جِمَاعٌ من غير بنى آدم . وليس الوجه الآخر بممتنع على معنى : يسقى ذلك بماء واحد ، أى : جميع ذلك يسقى بماء واحدٍ عذبٍ دون المالح .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

* ذكر من قال ذلك :

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « كما ذكروا » ، والصواب ما أثبت .

(٢) هذه مقالة الفراء فى معانى القرآن ، فى تفسير الآية .

٢٠١١٤ – حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا شبابة قال ، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « تسقى بماء واحد » ، ماء السماء ، كمثل صالح بني آدم وخبيثهم ، أبوهم واحدٌ .

٢٠١١٥ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد : « تسقى بماء واحد » ، قال : ماء السماء .

٢٠١١٦ – حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .

٢٠١١٧ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عمرو قال ، أخبرنا هشيم، عن أبي إسحق الكوفي ، عن الضحاك : « تسقى بماء واحد » ، قال : ماء المطر.[1]

٢٠١١٨ – حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد قال، أخبرنا ابن المبارك، قرأه ابن جريج ، عن مجاهد : « تسقى بماء واحد » ، قال: ماء السماء ، كمثل صالح بني آدم وخبيثهم ، أبوهم واحدٌ .

٢٠١١٩ . . . قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل = وحدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله = ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

٢٠١٢٠ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

٢٠١٢١ – حدثنا عبد الجبار بن يحيى الرملي قال، حدثنا ضمرة بن ربيعة ، عن ابن شوذب : « تسقى بماء واحد » ، قال : بماء السماء .[2]

* * *

---

(١) الأثر : ٢٠١١٧ – « أبو إسحاق الكوفي » ، ضعيف واهي الحديث ، سلف برقم : ٢٠٠٧٨ ، وكان في المطبوعة والمخطوطة هنا « أبو إسحق الصوفي » ، وهو خطأ محض .

(٢) الأثر : ٢٠١٢١ – « عبد الجبار بن يحيى الرملي » ، انظر ما سلف قريباً رقم : ٢٠٠٨٢ .

وقوله : « ونفضّل بعضها على بعض الأُكل »،[1] اختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأه عامة قرأة المكيين والمدنيين والبصريين وبعض الكوفيين : ﴿وَنُفَضِّلُ﴾، بالنون ، بمعنى : ونفضّل نحن بعضها على بعض فى الأكل .

* * *

وقرأته عامة قرأة الكوفيين: ﴿وَيُفَضِّلُ﴾ ، بالياء ، ردًّا على قوله : « يغشى الليل النهار » = « ويفضل بعضها على بعض » .

* * *

قال أبو جعفر : وهما قراءتان مستفيضتان بمعنى واحد ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب . غير أن « الياء » أعجبهما إلىّ فى القراءة ، لأنه فى سياق كلام ابتداؤه : « الله الذى رفع السموات » ، فقراءته بالياء ، إذ كان كذلك ، أولى .

* * *

ومعنى الكلام : إن الجنات من الأعناب والزرع والنخيل الصنوان وغير وغير الصنوان ، تسقى بماء واحد عذب لا ملح ، ويخالف الله بين طعوم ذلك فيفضّل بعضها على بعض فى الطعم ، فهذا حلو وهذا حامض .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠١٢٢ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « ونفضل بعضها على بعض فى الأكل » ، قال : الفارسىّ والدّقَل،[2] والحلو والحامض .

---

(١) انظر تفسير « الأكل » فيما سلف ٥ : ١٢/٥٣٨ : ١٥٧ .

(٢) « الفارسى » ، من التمر ، لم أجد من ذكره، وأنا أرجح أن يكون من به ﴿البَرْنِىّ﴾ وهو ضرب من التمر أصفر مدور ، عذب الحلاوة ، وهو أجوده . وقالوا إن لفظ « البرنى » فارسى معرب . ويرجح ذلك عندى أن الرواية ستأتى عن سعيد بن جبير أيضاً أنه قال : « برنى » ، رقم : ٢٠١٢٤ .
و « الدقل » أردأ أنواع التمر .
وسيأتى ذكر « الفارسى » فى الخبرين التاليين : ٢٠١٢٦ ، ٢٠١٢٧ .

٢٠١٢٣ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير : « ونفضل بعضها على بعض فى الأكل » ، قال : الأرض الواحدة يكون فيها الخوخ والكمثرى والعنب الأبيض والأسود ، وبعضها أكثر حملاً من بعض ، وبعضه حلو وبعضه حامض ، وبعضه أفضل من بعض .

٢٠١٢٤ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عارم أبو النعمان قال ، حدثنا حماد ابن زيد ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير : « ونفضل بعضها على بعض فى الأكل » ، قال : بَرْنىّ وكذا وكذا ، وهذا بعضه أفضل من بعض .

٢٠١٢٥ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا مؤمل قال ، حدثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير فى قوله : « ونفضل بعضها على بعض فى الأكل » ، قال : هذا حامض ، وهذا حلو ، وهذا مُزٌّ .

٢٠١٢٦ – حدثنى محمود بن خداش قال ، حدثنا سيف بن محمد، ابن أخت سفيان الثورى قال ، حدثنا الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله : « ونفضل بعضها على بعض فى الأكل » ، قال : الدَّقَل والفارسىّ ، والحلو والحامض .(١) ٦٩/١٣

---

(١) الأثر : ٢٠١٢٦ – « محمود بن خداش الطالقانى »، شيخ الطبرى ، ثقة صدوق ، مضى برقم : ١٧٨ ، ١٨٤٨٧ .

و « سيف بن محمد الثورى » ، « ابن أخت سفيان الثورى » ، لم يرو له من أصحاب الكتب الستة غير الترمذى ، قال البخارى فى تاريخه : « ضعفه أحمد » ، وروى عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه ، أنه قال : « كذاب » ، وقال يحيى بن معين : « كان شيخاً ههنا كذاباً خبيثاً » ، وقال أحمد أيضاً : « لا يكتب حديثه ، ليس بشىء ، كان يضع الحديث » . وقال النسائى : « ضعيف متروك وليس بثقة » ، مترجم فى التهذيب والكبير ٢/٢/١٧٣ ، وابن أبى حاتم ٢/١/٢٧٧ ، وميزان الاعتدال ١ : ٤٣٨ .

وهذا الخبر رواه الترمذى ، عن محمود بن خداش أيضاً ، بهذا الإسناد واللفظ فى تفسير الآية ، ثم قال : « هذا حديث حسن غريب ، وقد رواه زيد بن أبى أنيسه (وهو الإسناد التالى) عن الأعمش ، نحو هذا . وسيف بن محمد هو أخو عمار بن محمد ، وعمار أثبت منه ، وهو ابن أخت سفيان الثورى » . فالعجب للترمذى كيف يحسن إسناداً فيه هذا الكذاب « سيف بن محمد » . وانظر تخريج الأثر التالى .

وكان فى المطبوعة : « حدثنا سيف بن محمد بن أحمد ، عن سفيان الثورى » ، أساء ناشرها لأنه لم يدرس الإسناد ، وغير ما فى المخطوطة ، وكان فيها : « حدثنا سيف بن محمد بن أحمد سفيان

٢٠١٢٧ – حدثنا أحمد بن الحسن الترمذى قال ، حدثنا سليمان بن عبيد الله الرقىّ قال ، حدثنا عبيد الله بن عمرو الرقى ، عن زيد بن أبى أنيسة ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله : « ونفضل بعضها على بعض فى الأكل » ، قال : الدّقل والفارسىّ ، والحلو والحامض .(١)

* * *

وقوله : « إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » ، يقول تعالى ذكره : إن فى مخالفة الله عز وجل بين هذه القطع [من] الأرض المتجاورات وثمار جناتها وزروعها على ما وصفنا وبينّا ،(٢) لدليلاً واضحاً وعبرة لقوم يعقلون اختلاف ذلك ، أن الذى خالف بينه على هذا النحو الذى خالف بينه ، هو المخالف بين خلقه فيما قسم لهم من هداية وضلال ، وتوفيق وخذلان ، فوفّق هذا وخذل هذا ، وهدى ذا وأضل ذا ،

الثورى » ، وفى الهامش علامة الشك والتوقف ، وصوابه ما أثبت .

انظر تفسير « الفارسى » فيما سلف ص : ٣٤٣ ، تعليق : ٢ .

(١) الأثر : ٢٠١٢٧ – « أحمد بن الحسن الترمذى » ، شيخ الطبرى ، كان أحد أوعية الحديث ، ثقة ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٩٨٧٦ .

و « سليمان بن عبيد الله الأنصارى الرقى » ، « أبو أيوب الحطاب » ، قال ابن أبى حاتم : صدوق ، وذكره ابن حبان فى الثقات ، وقال النسائى : « ليس بالقوى » ، وقال ابن معين : « ليس بشىء » ، ولم يذكر فيه البخارى جرحا ، مترجم فى التهذيب والكبير ٢/٢/٢٦ ، وابن أبى حاتم ٢/١/١٢٧ ، وميزان الاعتدال ١ : ٤١٨ .

و « عبيد الله بن عمرو الرقى » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٦٩٤٥ .

و « زيد بن أبى أنيسة الجزرى » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٦٩٤٥ .

وهذا الخبر أشار إليه الترمذى ، كما أسلفت فى التعليق السابق ، وذكره الذهبى فى ميزان الاعتدال ١ : ٤١٨ ، فى ترجمة « سليمان بن عبيد الله » ، بهذا الإسناد تاماً ، ثم قال : « قال العقيلى ، لم يأت به غير سليمان ، وإنما يعرف بسيف بن محمد عن الأعمش . قلت : وسيف هالك » .

فهذا إسناد كما ترى ، فيه من الهلاك ، وانفراد الضعيف به ما فيه ، فكيف جاز للترمذى أن يحسنه مع هذه القوادح التى تقدح فيه من نواحيه . (وانظر علل الحديث لابن أبى حاتم ٢ : ٨٠ ، رقم : ١٧٢٣) .

انظر تفسير « الفارسى فيما سلف ص : ٣٤٣ ، تعليق : ٢ .

(٢) فى المخطوطة والمطبوعة : « هذه القطع الأرض » ، فالزيادة واجبة .

ولو شاء لسوّى بين جميعهم ، كما لو شاء سوّى بين جميع أُكل ثمار الجنة التى تشرب شرباً واحداً ، وتسقى سقياً [واحداً] ،[1] وهى متفاضلة فى الأكل .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰباً أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ وَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ ⑤

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « وإن تعجب » ، يا محمد ، من هؤلاء المشركين المتّخذين ما لا يضرُّ ولا ينفع آلهةً يعبدونها من دونى = «فعجب قولهم أئذاً كنا تراباً » ، وبَلِينا فعُدِمنا =« أئنا لفى خلق جديد» ، إنا لمجدَّدٌ إنشاؤنا وإعادتنا خلقاً جديداً كما كنا قبل وفاتنا ! ! =تكذيباً منهم بقدرة الله ، وجحوداً للثواب والعقاب والبعث بعد الممات ، كما :—

٢٠١٢٨ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وإن تعجب فعجب » ، إن عجبت ، يا محمد ، = « فعجب قولهم أئذا كنا تراباً أئنا لفى خلق جديد » ، عجب الرحمن تبارك وتعالى من تكذيبهم بالبعث بعد الموت .

٢٠١٢٩ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وإن تعجب فعجب قولهم » ، قال : إن تعجب من تكذيبهم ، وهم قد رأوا من قدرة الله وأمره وما ضرب لهم من الأمثال ، فأراهم من حياة الموتى فى الأرض الميتة ، إن تعجب من هذه فتعجَّب من قولهم : « أئذا كنا تراباً أئنا لفى خلق جديد » ،

---

(١) ما بين القوسين زيادة واجبة هنا أيضاً .

أو لا يرون أنا خلقناهم من نطفة ؟ فالخلق من نطفة أشدُّ أم الخلق من ترابٍ وعظام ؟[١]

* * *

واختلَف فى وَجْه تكرير الاستفهام فى قوله : « أئنا لفى خلق جديد » ، بعد الاستفهام الأول فى قوله : « أئذ كنا تراباً » ، أهلُ العربية .[٢]

فقال بعض نحوى البصرة : الأوّل ظرفٌ ، والآخر هو الذى وقع عليه الاستفهام ، كما تقول : أيوم الجمعة زيدٌ منطلق ؟ قال : ومن أوقع استفهاماً آخر على قوله : « أئذا كنا تراباً » ،[٣] جعله ظرفاً لشىء مذكور قبله ، كأنهم قيل لهم : « تبعثون »؟ فقالوا : « أئذا كنا تراباً » ؟ ثم جعل هذا استفهاماً آخر . قال : وهذا بعيدٌ . قال : وإن شئت لم تجعل فى قولك : « أئذاً » استفهاماً ، وجعلت الاستفهام فى اللفظ على « أئنا » ، كأنك قلت : أيوم الجمعة أعبد الله منطلق ؟ وأضمرت نفيه .[٤] فهذا موضعُ ما ابتدأت فيه بـ « أئذا » ،[٥] وليس بكثير فى الكلام . لو قلت : « اليوم إنّ عبد الله منطلق » ،[٦] لم يحسن ، وهو جائز . وقد قالت العرب : « ما علمت إنّه لصالح » ، تريد : إنه لصالح ما علمت .[٧]

* * *

---

(١) الأثر : ٢٠١٢٩ – فى المطبوعة وحدها مكان « ابن وهب » : « إبراهيم » ، لا أدرى من أين جاء بهذا ؟ وهو إسناد دائر فى التفسير .

(٢) « أهل العربية » ، فاعل قوله آنفاً : « واختلف . . . » .

(٣) فى المطبوعة والمخطوطة : « أئذا متنا وكنا تراباً » ، وأثبت نص الآية التى فى هذه السورة .

(٤) فى المطبوعة والمخطوطة : « وأضمر نفيه » ، والأجود ما أثبت . ويعنى بقوله : « نفيه » أى إلغاءه وإسقاطه .

(٥) فى المطبوعة : « قد ابتدأت فيه أئذا » ، وفى المخطوطة : « قد ابتدأت فيه بأئذا » ، ولكنه خلط كتابة « بأئذا » ، ورأيت أن الصواب أن تكون مكان « قد » « ما » . وفى المخطوطة والمطبوعة بعد هذا « بكبير فى الكلام » ، وهذا أجود .

(٦) فى المطبوعة وحدها : « اليوم أإن » بهمزة الاستفهام ، زاد ما ليس فى المخطوطة وأساء غاية الإساءة .

(٧) أشار أبو جعفر فيما سلف ٧ : ٢٦٠ ، إلى أنه سيأتى على الصواب من القول فى ترك إعادة الاستفهام ثانية ، وأن الاستفهام فى أول الكلام دال على موضعه ومكانه . وهذا هو الموضع الذى

٥ . . . . . .

أشار إليه ، فيما أرجح . فراجع ما سلف ٧ : ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

* * *

حاشية مهمة : كلام أبي جعفر في هذا الموضع يحتاج إلى بيان ، فإنه قد أغمض القول فيه إغماضاً مخلاً ، حتى ألجأ ناشر النسخة الأولى أن يصحح ما صحح ، ويغير ما غير ، لغموض ما كتب أبو جعفر ههنا ، ولذلك فارقت ما لزمته قبل ، من ترك التعليق على ما في التفسير من أبواب النحو . وأنا أخشى أن يكون سقط من الكلام شيء .

وكلام أبي جعفر في هذه الفقرة ، أراد به بيان تكرير الاستفهام ، كما ذكر في ترجمة اختلاف أهل العربية ، ولكنه أضمر الكلام إضماراً هذا بيانه وشرحه .

١ – قوله : « فقال بعض نحوي البصرة : الأولى ظرف . والآخر هو الذي وقع عليه الاستفهام ، كما تقول : أيوم الجمعة زيد منطلق » .

يريد أن « إذا » ظرف ، يتعلق بمحذوف بعده يدل عليه قوله : « أئنا لفي خلق جديد » ، وهو « البعث » ، كأنه قال : « أئذا كنا تراباً ، نبعث » ؟ فالظرف « إذا » متعلق بمحذوف هو « نبعث » ، والمعنى : أنبعث إذا كنا تراباً . فهذا كما تقول : أيوم الجمعة زيد منطلق ؟ ومعناه : أزيد منطلق يوم الجمعة ؟ فالاستفهام واقع في الأول على « نبعث » ، وفي المثال الآخر على : « زيد منطلق » . وهذا تأويل نحوي البصرة ، كما جاء في كتب التفسير .

٢ – ثم قال بعده : « ومن أوقع استفهاماً آخر على قوله : "أئذا كنا تراباً" ، جعله ظرفاً لمذكور قبله ، كأنهم قيل لهم : تبعثون ؟ فقالوا : "أئذا كنا تراباً" ، ثم جعل هذا استفهاماً آخر . قال : وهذا بعيد » .

يريد أن « إذا » ، الظرف ، متعلق بمحذوف قبله ، وهو الذي قيل لهم : « تبعثون » ، فقالوا : أئذا كنا تراباً ؟ فالاستفهام واقع هنا على « إذا » ، أي على الظرف . وهذا مستبعد ، لأنه أتى بمحذوف قبل الظرف لا دليل عليه في الكلام .

٣ – ثم قال : « قال : وإن شئت لم تجعل في "أئذا" استفهاماً ، وجعلت الاستفهام في اللفظ على "أئنا" ، كأنك قلت : أيوم الجمعة أعبد الله منطلق ؟ وأضمرت نفيه . فهذا موضع ما ابتدأت فيه بـ "أئذا" ، وليس بكثير في الكلام » .

يريد أن الاستفهام الأول فضلة وزيادة في « أئذا » ، وأنت تضمر نفيها ، فكررت الاستفهام ، كما كررته في قولك : أيوم الجمعة أعبد الله منطلق ؟ وهذا التكرار ليس بكثير في الكلام .

٤ – ثم قال : « لو قلت : اليوم إن عبد الله منطلق ، لم يحسن ، وهو جائز . وقد قالت العرب : ما علمت إنه لصالح ، تريد : إنه لصالح ما علمت » .

يعني أن هذا الوجه الرابع غير حسن ، وإن كان جائزاً ، وذلك أنه يقتضي أن تكون « إذا » عندئذ ، ظرفاً متعلقاً بقوله : «لفي خلق جديد » ، أي بخبر « إن » ، وخبر « إن » لا يتقدم عليها ، فأولى أن لا يتقدم عليها معمول خبرها . ولذلك لم يحسن قولك : « اليوم إن عبد الله منطلق » ، لأن « اليوم » معمول « منطلق » وهو خبر « إن » ، فتقديمه على « إن » ، غير حسن ، وإن جاز . لأن « إن » لا يعمل ما بعدها فيما قبلها . واستدل على جوازه بقول العرب : ما علمت إنه لصالح ، و « ما » هنا ظرفية ، أي : «في علمي ، أو : زمن علمي » ، فقدمت العرب « ما علمت » على « إن » وهي تعني « إنه صالح ما علمت »

وهذا البيان الذي توسعت فيه ، لشرح مقالة أبي جعفر ، لم أجد أحداً من أصحاب كتب التفسير ،

وقال غيره : « أئذا » ، جزاء ، وليست بوقت ،[١] وما بعدها جواب لها ، إذا لم يكن فى الثانى استفهام، والمعنى له، لأنه هو المطلوب . وقال : ألا ترى أنك تقول : « أإن تقم يقوم زيد ، ويقم؟ »،[٢] من جزم فلأنه وقع موقع جواب الجزاء ، ومن رفع فلأن الاستفهام له ، واستشهد بقول الشاعر :[٣]

حَلَفْتُ لَهُ إنْ تُدْلِجِ الليلَ، لاَ يَزَلْ أَمَامَكَ بَيْتٌ مِنْ بُيُوتِى سَائِرُ[٤]

فجزم جواب اليمين لأنه وقع موقع جواب الجزاء ، والوجه الرفع .[٥] قال : فهكذا هذه الآية . قال : ومن أدخل الاستفهام ثانية ، فلأنه المعتمد عليه ، وترك الجزاء الأوّل . ٧٠/١٣

* * *

وقوله : « أولئك الذين كفروا بربهم » ، يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين أنكروا البعث وجَحدُوا الثواب والعقاب، وقالوا : « أئذا كنا تراباً أئنا لفى خلق

أو أصحاب كتب إعراب القرآن ، تعرض له تعرض أبى جعفر فى بيانه . وكلهم قد تخطى هذا وأوجزه ، ولم يشرحه شرح أبى جعفر . وأبو حيان ، وهو من هو فى تتبع أقوال النحاة ، وفى تقصى مقالة الطبرى فى تفسيره ، أغفل هو أيضاً بيانه وتجاوزه . وذلك لغموض عبارة أبى جعفر فى هذا الموضع . فأرجو أن أكون قد بلغت فى بيانها مبلغاً مرضياً إن شاء الله .

(١) « الجزاء » ، هو « الشرط » = و « الوقت » ، هو « ظرف الزمان » .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « إن تقم يقوم . . . »، والصواب إثبات همزة الاستفهام ، كما يدل عليه الكلام .

(٣) البيت للراعى .

(٤) مضى البيت وتخريجه وشرحه فيما سلف ٧ : ٢٥٩ ، تعليق : ٢ .

(٥) يعنى أن الاستفهام إذا دخل على الشرط ، كان الاستفهام للجواب دون الشرط . وقد قال فيما سلف آنفاً ٧ : ٢٥٩ : «كل استفهام دخل على جزاء ، فمعناه أن يكون فى جوابه ، لأن الجواب خبر يقوم بنفسه ، والجزاء شرط لذلك الخبر » . وكذلك اليمين إذا تقدم الشرط ، كان الجواب له دون الشرط . فهو يقول إن الاستفهام فى « أئذا » ، و « إذا » شرط ، واقع على جوابها ، وهو « إنا لفى لخق جديد » ، هذا إذا خلت الآية من الاستفهام ، ولكنها لم تخل منه . فقال بعد ذلك: إنه إنما أدخل الاستفهام ثانية على الجواب ، بعد إدخاله على الشرط ، لأن الاستفهام للجواب ، فإدخاله على الجواب هو الأصل . فلما أدخله عليه ، فكأنه ألغى الاستفهام الأول الداخل على الشرط .

جديد » ، هم الذين جحدوا قدرة ربهم وكذبوا رسوله ، وهم الذين فى أعناقهم الأغلال يوم القيامة فى نار جهنم ،[١] فأولئك « أصحاب النار » ، يقول : هم سكان النار يوم القيامة = « هم فيها خالدون » ، يقول : هم فيها ماكثون أبداً ، لا يموتون فيها ولا يُخْرَجون منها .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ (٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « ويستعجلونك » ، يا محمد ،[٢] مشركو قومك بالبلاء والعقوبة قبل الرخاء والعافية ، فيقولون : ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ، [سورة الأنفال : ٣٢] ، وهم يعملون ما حلّ بمن خلا قبلهم من الأمم التى عصت ربها وكذبت رسلها من عقوبات الله وعظيم بلائه ،[٣] فمن بين أمة مسخت قردة ، وأخرى خنازير ، ومن بين أمّة أهلكت بالرَّجْفة ، وأخرى بالخسف . وذلك هو « المثلات » التى قال الله جل ثناؤه : « وقد خلت من قبلهم المثلات » .

* * *

و « المثلات » ، العقوبات المنكّلات ، والواحدة منها « مَثُلَة » ، بفتح الميم وضم الثاء ، ثم تجمع « مَثُلات » ، كما واحدة « الصَّدُقات » « صَدُقَة » ، ثم تجمع « صَدُقَات » .[٤] وذكر أن تميماً من بين العرب تضم الميم والثاء جميعاً من « المُثُلات »

---

(١) انظر تفسير « الأغلال » فيما سلف ١٣ : ١٦٨ ، ولم يبينها هنا ولا هناك بياناً كافياً كعادته.

(٢) انظر تفسير « الاستعجال » فيما سلف ١٥ ، ٣٣ ، ١٠١ .

(٣) انظر تفسير « خلا » فيما سلف ١٢ : ٤١٥ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

(٤) « الصدقة » ، مهر المرأة ، وقد مضى آنفاً فى سورة النساء ، آية : ٤ فى ٧ : ٥٥٢ ، ولم يشرحها كل الشرح هناك .

فالواحدة على لغتهم منها : «مُثْلة» ، ثم تجمع «مُثُلات» ، مثل : «غُرْفة» ، و « غُرُفات » . والفعل منه : « مَثَلْت به أمْثُلُ مَثْلاً » ، بفتح الميم وتسكين الثاء . فإذا أردت أنك أقصصته من غيره قلت : « أمثلته من صاحبه أُمْثِلُه إمْثالاً » ، وذلك إذا أقصصته منه .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠١٣٠ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وقد خلت من قبلهم المثلات » ، وقائع الله فى الأمم فيمن خلا قبلكم = وقوله : « ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة » ، وهم مشركو العرب ، استعجلوا بالشرّ قبل الخير ، وقالوا : ﴿ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ، [سورة الأنفال : ٣٢].

٢٠١٣١ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة » ، قال : بالعقوبة قبل العافية = « وقد خلت من قبلهم المثلات » ، قال : العقوبات .

٢٠١٣٢ – حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا شبابة قال ، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله : « المثلات » قال : الأمْثَال .

٢٠١٣٣ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد =

٢٠١٣٤ – وحدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

٢٠١٣٥ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى

قوله : « وقد خلت من قبلهم المثلات » ، قال : « المثلات » ، الذى مثّل الله به الأممَ من العذاب الذى عذّبهم ،[1] تولّت المثلات من العذاب ، قد خلت من قبلهم ، وعرفوا ذلك ، وانتهى إليهم ما مثّلَ الله بهم حين عصَوه وعَصوا رُسُله .

٢٠١٣٦ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سليم قال ، سمعت الشعبى يقول فى قوله : « وقد خلت من قبلهم المثلات » ، قال : القردة والخنازير هى « المثلات » .

* * *

وقوله : « وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم » ، يقول تعالى ذكره : وإن ربك ، يا محمد ، لذو ستر على ذنوب من تاب من ذنوبه من الناس ، فتاركٌ فضيحته بها فى موقف القيامة ، وصافحٌ له عن عقابه عليها عاجلاً وآجلاً = « على ظلمهم » ، يقول : على فعلهم ما فعلوا من ذلك بغير إذنى لهم بفعله[2] = « وإن ربك لشديد العقاب » ، لمن هلك مُصِرًّا على معاصيه فى القيامة ، إن لم يعجّل له ذلك فى الدنيا ، أو يجمعهما له فى الدنيا والآخرة . ٧١/١٣

* * *

قال أبو جعفر : وهذا الكلام ، وإن كان ظاهره ظاهرَ خبر ، فإنه وعيدٌ من الله وتهديدٌ للمشركين من قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن هم لم ينيبوا ويتوبوا من كفرهم قبل حلول نقمة الله بهم .

* * *

٢٠١٣٧ — حدثنى على بن داود قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : « وإن ربك لذو مغفرة للناس » ، يقول : ولكنّ ربّك .

* * *

(١) فى المطبوعة : « مثل الله فى الأمم » ، وأثبت ما فى المخطوطة ، وهو صواب .

(٢) فى المطبوعة : « بغير إذن » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « ويقول الذين كفروا »، يا محمد ، من قومك = « لولا أنزل عليه آية من ربه » ، هلاّ أنزل على محمد آية من ربه ؟[١] يعنون علامةً وحجةً له على نبوّته ،[٢] وذلك قولهم : ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ﴾ ، [سورة هود : ١٢]. يقول الله له : يا محمد ، « إنما أنت منذر » ، لهم ، تنذرهم بأسَ الله أن يحلّ بهم على شركهم[٣] = « ولكل قوم هاد»، يقول : ولكل قوم إمام يأتمّون به ، وهادٍ يتقدمهم فيهديهم إما إلى خيرٍ وإما إلى شرٍّ .

* * *

وأصله من : «هادى الفرس » ، وهو عنقه الذى يهدى سائر جسده .[٤]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، على اختلافٍ منهم فى المعنىّ بالهادى فى هذا الموضع .

فقال بعضهم : هو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠١٣٨ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه » ، هذا قول مشركى العرب . قال الله : « إنما نت منذر ولكلّ قوم هاد » ، لكل قوم داعٍ يدعوهم إلى الله .

٢٠١٣٩ — حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع ، عن سفيان، عن السدى،

---

(١) انظر تفسير « لولا » فيما سلف ١٥ : ٢٠٥ ، تعليق : ١، والمراجع هناك / ثم ١٥ : ٢١٠.
(٢) انظر تفسير « الآية » فيما سلف من فهارس اللغة (أيى) .
(٣) انظر تفسير « الإنذار » فيما سلف من فهارس اللغة (نذر) .
(٤) انظر تفسير « الهادى » فيما سلف ٢ : ٢٩٣ .

عن عكرمة = ومنصور ، عن أبي الضحى : « إنما أنت منذر ولكل قوم هاد » ، قالا : محمد هو « المنذر » ، وهو « الهاد » .

٢٠١٤٠ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن السدى ، عن عكرمة ، مثله .

٢٠١٤١ – حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا سفيان ، عن أبيه ، عن عكرمة ، مثله .

* * *

وقال آخرون : عنى بـ « الهادى » فى هذا الموضع : الله

* ذكر من قال ذلك :

٢٠١٤٢ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن عطاء ابن السائب ، عن سعيد بن جبير : « إنما أنت منذر ولكل قوم هاد » ، قال : محمد « المنذر » ، والله « الهادى » .[1]

٢٠١٤٣ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير : « إنما أنت منذر ولكل قوم هاد »، قال : محمد « المنذر » ، والله « الهادى » .

٢٠١٤٤ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا الأشجعى ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ،عن سعيد بن جبير : « إنما أنت منذر» ، قال: أنت ، يا محمد، منذر ، والله « الهادى » .

٢٠١٤٥ – حدثني المثنى قال ،حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد فى قوله: « إنما أنت منذر ولكل قوم هاد »، قال : « المنذر» ، النبي صلى الله عليه وسلم = « ولكل قوم هاد » ، قال : الله هادى كل قوم .

---

(١) الأثر : ٢٠١٤٢ – سقط آخر الخبر من المخطوطة ، وقف عند قوله : « هاد » ، وكأنه أتمه من الذى يليه .

٢٠١٤٦ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « إنما أنت منذر ولكل قوم هاد » ، يقول : أنت ، يا محمد ، منذر ، وأنا هادي كل قوم .

٢٠١٤٧ – حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، حدثنا عبيد ابن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول : « إنما أنت منذر ولكل قوم هاد » ، « المنذر » محمد صلى الله عليه وسلم ، و« الهادي » ، الله عز وجل .

* * *

وقال آخرون « الهادي » ، في هذا الموضع ، معناه : نبيٌّ .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠١٤٨ – حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد قال « المنذر » ، محمد صلى الله عليه وسلم = « ولكل قوم هاد » ، قال : نبيٌّ .

٢٠١٤٩ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد ابن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ، في قوله : « إنما أنت منذر ولكل قوم هاد » ، قال : نبيٌّ . ٧٢/١٣

٢٠١٥٠ – . . . . قال ، حدثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد ، مثله .

٢٠١٥١ – حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا أسباط بن محمد ، عن عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد في قوله : « إنما أنت منذر ولكل قوم هاد » ، قال : لكل قوم نبي ، والمنذر محمد صلى الله عليه .

٢٠١٥٢ – . . . . قال ، حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثني عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد في قول الله : « ولكل قوم هاد » ، قال : نبيٌّ .

٢٠١٥٣ – . . . . قال ، حدثنا شبابة قال ، حدثنا ورقاء ، عن ابن

أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : « ولكل قوم هاد » ، يعني : لكل قوم نبيّ .

٢٠١٥٤ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد: « ولكل قوم هاد » ، قال : نبيّ .

٢٠١٥٥ ــ حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « ولكل قوم هاد » ، قال : نبيّ يدعوهم إلى الله .

٢٠١٥٦ ــ حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « ولكل قوم هاد » ، قال : لكل قوم نبيّ . « الهادي » ، النبي صلى الله عليه وسلم ، و« المنذر » أيضاً النبي صلى الله عليه وسلم . وقرأ: ﴿ وَإِن مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ ،[سورة فاطر : ٢٤] ،وقال: ﴿ نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى ﴾، [سورة النجم : ٥٦]،قال: نبي من الأنبياء .

* * *

وقال آخرون ، بل عنى به : ولكل قوم قائد .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠١٥٧ ــ حدثنا أبو كريب قال، حدثنا جابر بن نوح ، عن إسمعيل بن أبي خالد،عن أبي صالح :« إنما أنت منذر ولكل قوم هاد » ، قال: إنما أنت، يا محمد، منذر ، ولكل قوم قادة .

٢٠١٥٨ ــ .... قال، حدثنا الأشجعي قال،حدثني إسمعيل = أو : سفيان، عن إسمعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح : « ولكل قوم هاد » ، قال : لكل قوم قادة .

٢٠١٥٩ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبي العالية : « إنما أنت منذر ولكل قوم هاد » ، قال : « الهادي » ، القائد ، والقائد الإمام ، والإمام العمل .

٢٠١٦٠ ــ حدثني الحسن قال ، حدثنا محمد = وهو ابن يزيد = عن إسمعيل،

عن يحيى بن رافع فى قوله : « إنما أنت منذر ولكل قوم هاد » ، قال : قائد

* * *

وقال آخرون : هو علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠١٦١ – حدثنا أحمد بن يحيى الصوفى قال ، حدثنا الحسن بن الحسين الأنصارى قال ، حدثنا معاذ بن مسلم بيّاع الهروىّ ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : « إنما أنت منذر ولكل قوم هاد » ، وضع صلى الله عليه وسلم يده على صدره فقال : أنا المنذر = « ولكل قوم هاد » ، وأومأ بيده إلى منكب علىّ ، فقال : أنت الهادى يا علىّ ، بك يهتدى المهتدون بَعْدى .(١)

* * *

وقال آخرون : معناه : لكل قوم داع .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠١٦٢ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « ولكل قوم هاد » ، قال : داع .

* * *

---

(١) الأثر : ٢٠١٦١ – « أحمد بن يحيى الصوفى » ، شيخ الطبرى ، ثقة ، مضى برقم : ٧٧٩ و « الحسن بن الحسين الأنصارى ، العرنى » ، كأنه قيل له « العرنى » ، لأنه كان يكون فى مسجد « حبة العرنى » . كان من رؤساء الشيعة ، ليس بصدوق ، ولا تقوم به حجة . وقال ابن حبان : « يأتى عن الأثبات بالملزقات ، ويروى المقلوبات والمناكير » . مترجم فى ابن أبى حاتم ١/٢/٦ ، وميزان الاعتدال ١ : ٢٢٥ ، ولسان الميزان ٢ : ١٩٨ .

و « معاذ بن مسلم بياع الهروى » ، لم يذكر بهذه الصفة « بياع الهروى » فى غير التفسير ، و « الهروى » ثياب تنسب إلى هراة . وجعلها فى المطبوعة : « حدثنا الهروى » ، فأفسد الإسناد إفساداً .

و « معاذ بن مسلم » مجهول ، هكذا قال ابن أبى حاتم ، وهو مترجم فى ابن أبى حاتم ٤/١/٢٤٨ ، وميزان الاعتدال ٣ : ١٧٨ ، ولسان الميزان ٦ : ٥٥ .

وهذا خبر هالك من نواحيه ، وقد ذكره الذهبى وابن حجر فى ترجمة « الحسن بن الحسين الأنصارى » قالا بعد أن ساقا الخبر بإسناده ولفظه ، ونسبته لابن جرير أيضاً : « معاذ فكرة ، فلعل الآفة منه » ، وأقول : بل الآفة من كليهما : الحسن بن الحسين ، ومعاذ بن مسلم .

وقد بينت معنى « الهداية »، وأنه الإمام المتبع الذى يقدُم القوم .[١] فإذ كان ذلك كذلك ، فجائز أن يكون ذلك هو الله الذى يهدى خلقه ، ويتّبع خلقُه هداه، ويأتمون بأمره ونهيه .

وجائز أن يكون نَبِيَّ الله الذى تأتمُّ به أمته .

وجائز أن يكون إماماً من الأئمة يُؤْتَمّ به،ويتّبع منهاجَه وطريقته أصحابُه .

وجائزٌ أن يكون داعياً من الدعاة إلى خيرٍ أو شرٍّ .

وإذ كان ذلك كذلك ، فلا قول أولى فى ذلك بالصواب من أن يقال كما قال جل ثناؤه : إنّ محمداً هو المنذر من أرسل إليه بالإنذار ، وأنّ لكل قوم هادياً يهديهم فيتّبعونه ويأتمُّون به .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ (٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « وإن تعجب فعجبٌ قولهم أئذا كنا تراباً أئنا لفى خلق جديد » ، منكرين قدرة الله على إعادتهم خلقاً جديداً بعد فنائهم وبلائهم ، ولا ينكرون قدرته على ابتدائهم وتصويرهم فى الأرحام ، وتدبيرهم وتصريفهم فيها حالاً بعد حال = فابتدأ الخبر عن ذلك ابتداءً ، والمعنى فيه ما وصفت ،[٢] ٧٣/١٣
فقال جل ثناؤه : « الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد » ، يقول : وما تنقص الأرحام من حملها فى الأشهر التسعة بإرسالها دم الحيض[٣]=

---

(١) انظر ما سلف ص : ٣٥٣ .

(٢) فى المطبوعة المخطوطة : « ما وصف » ، والصواب ما أثبت .

(٣) انظر تفسير « الغيض » فيما سلف ١٥ : ٣٣٤ ، وما بعدها .

« وما تزداد » ، فى حملها على الأشهر التسعة لتمام ما نقص من الحمل فى الأشهر التسعة بإرسالها دم الحيض = « وكل شيء عنده بمقدار » ، لا يجاوز شيء من قَدَره عن تقديره، ولا يقصر أمر أراده فَدَبَّره عن تدبيره، كما لا يزداد حمل أنثى على ما قُدِّرَ له من الحمل ، ولا يُقصِّر عما حُدَّ له من القدر .

* * *

و « المقدار » ، مِفْعال من « القدر » .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠١٦٣ – حدثنى يعقوب بن ماهان قال، حدثنا القاسم بن مالك ، عن داود بن أبى هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قوله : « يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام » ، قال : ما رأت المرأة من يوم دماً على حملها زاد فى الحمل يوماً .(١)

٢٠١٦٤ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال، حدثنى عمى قال، حدثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: «الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام » ، يعنى السِّقْط = « وما تزداد »، يقول: ما زادت الرحم فى الحمل على ما غاضت حتى ولدته تماماً . وذلك أن من النساء من تحمل عشرة أشهر ، ومنهن من تحمل تسعة أشهر ، ومنهن من تزيد فى الحمل ، ومنهن من تنقص . فذلك الغيض والزيادة التى ذكر الله ، وكل ذلك بعلمه .

٢٠١٦٥ – حدثنا سعيد بن يحيى الأموى قال، حدثنا عبد السلام قال ، حدثنا خصيف، عن مجاهد ، أو سعيد بن جبير فى قول الله: « وما تغيض الأرحام»، قال : غَيْضُها ، دون التسعة = والزيادة ، فوق التسعة .

---

(١) الأثر : ٢٠١٦٣ – « يعقوب بن ماهان البغدادى » ، ثقة ، مضى برقم : ٤٩٠٦ ، ١٠٣٣٩ ، ١٩٩٠٨ .

و « القاسم بن مالك المزنى » ، ثقة من شيوخ أحمد ، مضى برقم : ١٠٣٣٩ .

٢٠١٦٦ ـ حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا أبو بشر ، عن مجاهد أنه قال : « الغيض » ، ما رأت الحامل من الدم في حملها فهو نقصان من الولد ، و « الزيادة » ، ما زاد على التسعة أشهر ، فهو تمام للنقصان ، وهو زيادة .

٢٠١٦٧ ـ حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا عبد الصمد قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن مجاهد في قوله : « وما تغيض الأرحام وما تزداد » ، قال : ما ترى من الدم ، وما تزداد على تسعة أشهر .

٢٠١٦٨ ـ حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن مجاهد أنه قال : « يعلم ما تغيض الأرحام وما تزداد » ، قال : ما زاد على التسعة الأشهر = « وما تغيض الأرحام » ، قال : الدم تراه المرأة في حملها .

٢٠١٦٩ ـ حدثني المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون ، والحجاج بن المنهال قالا ، حدثنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن مجاهد في قوله : « وما تغيض الأرحام وما تزداد » ، قال : « الغيض » ، الحامل ترى الدم في حملها فهو « الغيض » ، وهو نقصانٌ من الولد . وما زاد على تسعة أشهر فهو تمام لذلك النقصان ، وهي الزيادة .

٢٠١٧٠ ـ حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد ، قال ، حدثنا عبد السلام ، عن خصيف ، عن مجاهد : « وما تغيض الأرحام وما تزداد » ، قال : إذا رأت دون التسعة ، زاد على التسعة مثل أيام الحيض .

٢٠١٧١ ـ حدثنا أحمد قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وما تغيض الأرحام » ، قال : خروج الدم = « وما تزداد » ، قال : استمساك الدم .

٢٠١٧٢ ـ حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وما تغيض الأرحام » ، إراقة المرأة حتى يخِسّ الولد = « وما تزداد » ، قال : إن لم تُهْرِق المرأةُ تَمّ الولد وعَظُم .

٢٠١٧٣ – حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا شبابة قال ، حدثنا شعبة ، عن جعفر ، عن مجاهد فى قوله : « وما تغيض الأرحام وما تزداد » ، قال : المرأة ترى الدم ، وتحمل أكثر من تسعة أشهر .

٢٠١٧٤ – حدثنا الحسن قال ، حدثنا محمد بن الصباح قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير فى قوله : « وما تغيض الأرحام » ، قال : هى المرأة ترى الدم فى حملها .

٢٠١٧٥ – . . . . قال ، حدثنا شبابة قال ، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله : « وما تغيض الأرحام وما تزداد » ، إهراقُ الدم حتى ٧٤/١٣
يخسّ الولد = و« تزداد » ، إن لم تهرق المرأة تمّ الولد وعظُم .

٢٠١٧٦ – . . . . قال ، حدثنا الحكم بن موسى ، قال ، حدثنا هقل ، عن عثمان بن الأسود قال : قلت لمجاهد: امرأتى رأت دمًا ، وأرجو أن تكون حاملاً ! = قال أبو جعفر : هكذا هو فى الكتاب[1] = فقال مجاهد : ذاك غيضُ الأرحام : « يعلم ما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شىء عنده بمقدار » ، الولد لا يزال يقع فى النقصان ما رأتِ الدّم ، فإذا انقطعَ الدم وقع فى الزيادة ، فلا يزال حتى يتمّ ، فذلك قوله : « وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شىء عنده بمقدار »[2] .

---

(١) موضع الإشكال الذى شكك فيه أبو جعفر أن عثمان بن الأسود قال : « امرأتى رأت الدم » ، وذلك يعنى الطمث ، وهى إذا رأت الدم لم تكن حاملا . ثم قال : « وأرجو أن تكون حاملا » ، يوهم أنه من جل رؤية الدم ، رجا أن تكون حاملا . ولكنى أخالف أبا جعفر ، وأجعل « أرجو » بمعنى التحقيق لا بمعنى الرجاء ، كأنه قال : « امرأتى رأت الدم وهى حامل » ، وهم يضعون « أرجو » بهذا المكان من التحقيق فى كثير من كلامهم . هذا ، وبعض النساء ترى الدم وهى حامل فى ميقات طمثها ، هكذا أخبرنى النساء .

(٢) الأثر : ٢٠١٧٦ – « الحكم بن موسى بن أبى زهير البغدادى » ، ثقة ، روى عنه البخارى تعليقاً ، ومسلم . مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/٢/٣٤٢ ، وابن أبى حاتم ١/٢/١٢٨ .

و « هقل » هو : « الهقل بن زياد بن عبيد الله الدمشقى » ، كاتب الأوزاعى ، و « هقل » لقب ، قيل اسمه : « محمد » ، وقيل : « عبد الله » ، ثقة من الثقات ، من أعلى أصحاب الأوزاعى . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/٢/٢٤٨ ، وابن أبى حاتم ٤/٢/١٢٢ .

و « عثمان بن الأسود بن موسى المكى » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً .

٢٠١٧٧ ــ . . . . قال ، حدثنا محمد بن الصباح قال، حدثنا هشيم قال ، أخبرنا أبو بشر ، عن مجاهد فى قوله : « وما تغيض الأرحام وما تزداد » ، قال : « الغيض » ، الحامل ترى الدم فى حملها ، وهو « الغيض » ، وهو نقصان من الولد . فما زادت على التسعة الأشهر فهى الزيادة ، وهو تمامٌ للولادة .

٢٠١٧٨ ــ حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا عبد الوهاب قال ، حدثنا داود ، عن عكرمة فى هذه الآية : « الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام»، قال : كلما غاضت بالدم ، زاد ذلك فى الحمل .

٢٠١٧٩ ــ . . . قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا داود ، عن عكرمة، نحوه .

٢٠١٨٠ ــ حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا عباد بن العوّام ، عن عاصم ، عن عكرمة: «وما تغيض الأرحام»، قال : غيض الرحم ، الدم على الحمل . كلما غاض الرحم من الدم يوماً ، زاد فى الحمل يوماً ، حتى تستكمل وهى طاهرةٌ .

٢٠١٨١ ــ . . . . قال، حدثنا عباد ، عن سعيد ، عن يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، مثله .

٢٠١٨٢ ــ حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا الوليد بن صالح قال ، حدثنا أبو يزيد ، عن عاصم ، عن عكرمة فى هذه الآية : « وما تغيض الأرحام » ، قال هو الحيض على الحمل = « وما تزداد » ، قال : فلها بكل يوم حاضت على حملها يوم تزداده فى طهرها ، حتى تستكمل تسعة أشهر طاهراً .

٢٠١٨٣ ــ . . . . قال ، حدثنا يزيد بن هرون قال ، أخبرنا عمران بن حدير ، عن عكرمة فى قوله : « وما تغيض الأرحام وما تزداد » ، قال : ما رأت الدم فى حملها زاد فى حملها .

٢٠١٨٤ ــ حدثنا عبد الحميد بن بيان قال، أخبرنا إسحق ، عن جويبر ،

عن الضحاك فى قوله : « وما تغيض الأرحام وما تزداد » ، ما « تغيض » ، أقل من تسعة = « وما تزداد » ، أكثر من تسعة .

٢٠١٨٥ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا ابن المبارك ، عن الحسن بن يحيي قال ، سمعت الضحاك يقول : قد يولد المولود لسنتين . قد كان الضحاك وُلدلسنتين. و« الغيض » ، ما دون التسعة = « وما تزداد » فوق تسعة أشهر .(١)

٢٠١٨٦ – . . . . قال ، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا سفيان ، عن جويبر ، عن الضحاك : « وما تغيض الأرحام وما تزداد » ، قال : دون التسعة = « وما تزداد »، قال : فوق التسعة .

٢٠١٨٧ – . . . . قال ، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا سفيان ، عن جويبر ، عن الضَّحاك قال : ولدت لسنتين .(١)

٢٠١٨٨ – حدثني المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك، عن الحسن بن يحيي قال، حدثنا الضحاك : أن أمه حملته سنتين . قال : « وما تغيض الأرحام » ، قال : ما تنقص من التسعة = « وما تزداد » ، قال : ما فوق التسعة .(١)

٢٠١٨٩ – . . . . قال حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله: « الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام »، قال : كل أنثى من خلق الله .

٢٠١٩٠ – . . . . قال، حدثنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك = ومنصور ، عن الحسن قالا : « الغيض » ، ما دون التسعة الأشهر .

---

(١) الآثار : ٢٠١٨٥ ، ٢٠١٨٧ ، ٢٠١٨٨ – « الضحاك بن مزاحم » ، صاحب التفسير ، مضى مراراً لا تحصى ، ولكنى يزاد هنا هذا الخبر فى ترجمته أنه قال عن نفسه أنه ولد لسنتين . ثم انظر رقم : ٢٠١٩٩ ، أنه ولد وقد نبتت ثناياه .

٢٠١٩١ ـ . . . . قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن داود ابن عبد الرحمن ، عن ابن جريج ، عن جميلة بنت سعد ، عن عائشة قالت : لا يكون الحمل أكثر من سنتين ، قدر ما يتحوّل ظِلُّ مِغْزَل .

٢٠١٩٢ ـ حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية العوفى : « وما تغيض الأرحام » ، قال : هو الحمل لتسعة أشهر ، وما دون التسعة = « وما تزداد » ، قال : على التسعة .

٧٥/١٣ ٢٠١٩٣ ـ . . . . قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا عمرو بن ثابت ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير : « وما تغيض الأرحام » ، قال : حيضُ المرأة على ولدها .

٢٠١٩٤ ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « وما تغيض الأرحام وما تزداد » ، قال : « الغيض » ، السِّقْط = « وما تزداد » ، فوق التسعة الأشهر .

٢٠١٩٥ ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن سعيد بن جبير : إذا رأت المرأة الدمَ على الحمل فهو «الغيض» للولد . يقول : نقصانٌ فى غذاء الولد ، وهو زيادة فى الحمل .

٢٠١٩٦ ـ حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : «الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد » ، قال : كان الحسن يقول : « الغيضوضة » ،[1] أن تضع المرأة لستة أشهر أو لسبعة أشهر ، أو لما دون الحدّ = قال قتادة : وأما الزيادة فما زاد على تسعة أشهر .

٢٠١٩٧ ـ حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا قيس ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير قال : غيض الرحم ، أن ترى الدم على

---

(١) « الغيضوضة » ، مصدر « غاض » ، لم تذكره كتب اللغة ، وهو حقيق أن يثبت فيها ، لأنه من كلام الحسن البصرى ، وناهيك به فصيحاً وحجة فى العربية .

حملها . فكل شيء رأت فيه الدم على حملها ، ازدادت على حملها مثل ذلك .

٢٠١٩٨ — . . . . قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن قيس بن سعد ، عن مجاهد قال : إذا رأت الحاملُ الدمَ كان أعظمَ للولد .

٢٠١٩٩ — حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، حدثنا عبيد ابن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « وما تغيض الأرحام وما تزداد » ، «الغيض» النقصان من الأجل ، و«الزيادة» ما زاد على الأجل . وذلك أن النساء لا يلدن لعدّةٍ واحدة ، يولد المولود لستة أشهر فيعيش ، ويولد لسنتين فيعيش ، وفيما بين ذلك . قال : وسمعت الضحاك يقول : ولدت لسنتين ، وقد نبتت ثناياي .

٢٠٢٠٠ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « وما تغيض الأرحام » ، قال : غيض الأرحام ، الإهراقة التي تأخذ النساء على الحمل . وإذا جاءت تلك الإهراقة لم يعتدّ بها من الحمل ، ونقص ذلك حملها حتى يرتفع ذلك . وإذا ارتفع استقبلت عِدّةً مستقبلةً تسعة أشهر . وأما ما دامت ترى الدم ، فإن الأرحام تغيض وتنقص ، والولد يرقّ . فإذا ارتفع ذلك الدم ربَا الولد ، واعتدّت حين يرتفع عنها ذلك الدم عدّة الحمل تسعةَ أشهر . وما كان قبله ، فلا تعتدُّ به ، هو هِرَاقةٌ ، يبطل ذلك أجمع أكتع .

* * *

وقوله : « وكل شيء عنده بمقدار » .

٢٠٢٠١ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وكل شيء عنده بمقدار » ، إي والله ، لقد حفظ عليهم رزقهم وآجالهم ، وجعل لهم أجلاً معلوماً .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ (٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: والله عالم ماغاب عنكم وعن أبصاركم فلم تروه، وما شاهدتموه فعاينتم بأبصاركم، لايخفى عليه شيء ، لأنهم خلقه وتدبيره[١] = « الكبير الذى كل شيء دونه »،[٢] = « المتعال »، المستعلى على كل شيء بقدرته .

* * *

=وهو « المتفاعل » من «العلو»، مثل« المتقارب»، من « القرب »، و«المتدانى»، من « الدنوّ » .[٣]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ (١٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : معتدلٌ عند الله منكم،[٤] أيها الناس ، الذى أسر القول،[٥] والذى جهر به،[٦] والذى هو مستخفٍ بالليل فى ظلمته بمعصية الله = « وسارب بالنهار » ، يقول : وظاهر بالنهار فى ضوئه، لا يخفى عليه شيء من ذلك. سواء عنده سرُّ خلقه وعلانيتهم، لأنه لايستسرّ عنده شيءٌ ولايخفى.

* * *

---

(١) انظر تفسير « الغيب والشهادة » فيما سلف ١١ : ٤٦٤ ، ٤٦٥ .

(٢) انظر تفسير « الكبير » فيما سلف ٨ : ٣١٨ .

(٣) وانظر تفسير « التعالى » فيما سلف ١٥ : ٤٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « سواء » فيما سلف من فهارس اللغة (سوى) .

(٥) انظر تفسير « الإسرار » فيما سلف ص : ١٩٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٦) انظر تفسير « الجهر » فيما سلف ٩ : ٣٤٣ - ٣٤٩ ، ١١/٣٥٨ : ١٣/٣٦٨ : ٣٥٣ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

يقال منه : «سَرَبَ يَسْرُبُ سُرُوباً »، إذا ظهر، كما قال قيس بن الخطيم:

أَنَّى سَرَيْتِ وَكُنْتِ غَيْرَ سَرُوبِ وَتُقَرِّبُ الأَحْلَامُ غَيْرَ قَرِيبِ (١)

يقول: كيف سريت بالليل [على] بُعْد هذا الطريق،(٢) ولم تكونى تبرُزين وتظهرين ؟

وكان بعضهم يقول : هو السَّالك فى سَرْبه ، أى : فى مذهبه ومكانه .(٣) ٧٦/١٣

واختلف أهل العلم بكلام العرب فى « السَّرب » .

فقال بعضهم : « هو آمن فى سَرْبه » ، بفتح السين .

وقال بعضهم : « هو آمن فى سِرْبه » ، بكسر السين .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٢٠٢ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « سواء منكم من أسرّ القول ومن جهر به ومن هو مستخفٍ بالليل وسارب بالنهار » ، يقول : هو صاحبُ ريبة مستخف بالليل . وإذا خرج بالنهار أرَى الناس أنه برىء من الإثم .

٢٠٢٠٣ — حدثنا القاسم، قال حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « وسارب بالنهار » ، ظاهر .

٢٠٢٠٤ — حدثنا ابن بشار قال، حدثنا ابن أبى عدى ، عن عوف ، عن أبى رجاء فى قوله : « سواء منكم من أسرّ القول ومن جهر به ومن هو مستخفٍ

---

(١) ديوانه : ٥ ، واللسان (سرب) وغيرها كثير . ويروى « سربت » بالباء الموحدة أيضاً وقوله : « غير سروب » ، أى : غير مبعدة فى مذهبك ، أو كما قال أبو جعفر فى تفسيره بعد .

(٢) الزيادة بين القوسين لا بد منها لتصحيح معنى الكلام .

(٣) أرجح أنه يعنى أبا عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ٣٢٣ ، ولكن لفظه : « سالك فى سربه ، أى مذاهبه ووجوهه » ، وهو أجود مما فى التفسير ، وأخشى أن يكون من تحريف الناسخ أو سهوه .

بالليل وساربٌ بالنهار» ، قال : إن الله أعلم بهم ، سواء من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار .

٢٠٢٠٥ ــ حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا على بن عاصم ، عن عوف ، عن أبى رجاء : « سواء منكم من أسرّ القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار »، قال : من هو مستخف فى بيته = « وسارب بالنهار »، ذاهب على وجهه . علمه فيهم واحدٌ .

٢٠٢٠٦ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « سواء منكم من أسرّ القول ومن جهر به » ، يقول : السر والجهر عنده سواء = « ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار »، أما «المستخفى» ففى بيته ، وأما «السارب» الخارج بالنهار حيثما كان . المستخفى غَيْبَه الذى يغيب فيه والخارجُ ، عنده سواء .

٢٠٢٠٧ ــ . . . . قال، حدثنا الحمانى قال، حدثنا شريك ، عن خصيف فى قوله : « مستخف بالليل » ، قال : راكب رأسه فى المعاصى = « وسارب بالنهار»، قال : ظاهر بالنهار .

٢٠٢٠٨ ــ حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « سواء منكم من أسر القول ومن جهر به » ، كل ذلك عنده تبارك وتعالى سواء ، السر عنده علانية = قوله : « ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار » ، أى : فى ظلمة الليل ، و« سارب » ، أى : ظاهر بالنهار .

٢٠٢٠٩ ــ حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا شريك، عن خصيف، عن مجاهد وعكرمة: «وسارب بالنهار»، قال: ظاهر بالنهار.

* * *

و «مَنْ» فى قوله : «من أسرّ القول ومَنْ جهر به ومَنْ هو مستخف بالليل» ، رفع الأولى منهن بقوله: « سواء » ، والثانية معطوفة على الأولى ، والثالثة على الثانية .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ (١١)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : معناه : لله تعالى ذكرهُ معقِّباتٌ . قالوا : « الهاء » فى قوله : « له » ، من ذكر اسم الله .

و « المعقبات » ، التى تعتقب على العبد .[1] وذلك أن ملائكة الليل إذا صعدت بالنهار أعقبتها ملائكة النهار ، فإذا انقضى النهار صعدت ملائكة النهار ثم أعقبتها ملائكة الليل . وقالوا : قيل « معقبات » ، و « الملائكة » ، جمع « ملك » مذكر غير مؤنث ، وواحد « الملائكة » « معقِّب » ، وجماعتها «مُعَقِّبة» ، ثم جمع جمعه = أعنى جمع « معقِّب » ، بعد ما جمع «مُعَقِّبة» = وقيل «معقِّبات» ، كما قيل : « سادات سعد » ،[2] « ورجالات بنى فلان » ، جمع « رجال » .

* * *

وقوله : « من بين يديه ومن خلفه » ، يعنى بقوله : « من بين يديه » ، من قدام هذا المستخفى بالليل والسارب بالنهار[3] = « ومن خلفه » ، من وراء ظهره .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٢١٠ -- حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا

---

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « تتعقب » ، والصواب ما أثبت .

(٢) فى المطبوعة : « ابناوات سعد » ، وهى فى المخطوطة : « اسادات » غير منقوطة والصواب ما أثبت . يقال : « سيد » و « سادة » و « سادات » .

(٣) انظر تفسير « بين يديه » فيما سلف ١ : ١٦٠ ، ١٢/٤٣٨ : ٤٩٢ .

شعبة ، عن منصور = يعنى ابن زاذان = ، عن الحسن فى هذه الآية : « له معقبات من بين يديه ومن خلفه » ، قال : الملائكة .

٢٠٢١١ ـ حدثنى المثنى قال ، حدثنا إبراهيم بن عبد السلام بن صالح القشيرى قال ، حدثنا على بن جرير ، عن حماد بن سلمة ، عن عبد الحميد بن جعفر ، عن كنانة العدوى قال : دخل عثمان بن عفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، أخبرنى عن العبد كم معه من ملك ؟ قال : ملك على يمينك على حسناتك ، وهو أمينٌ على الذى على الشمال ،[1] فإذا عملتَ حسنة كُتِبت عشراً. وإذا عملت سيئة، قال الذى على الشمال للذى على اليمين : اكتب! قال : لا ، لعله يستغفر الله ويتوب ! فإذا قال ثلاثاً قال : نعم اكتب ، أراحنا الله منه، فبئس القرين، ما أقل مراقبته لله، وأقل استحياءه منّا ! يقول الله : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ ، [سورة ق : ١٨] ، وملكان من بين يديك ومن خلفك ، يقول الله : « له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله » ، وملك قابض على ناصيتك، فإذا تواضعت لله رفعك، وإذا تجبّرت على الله قصمك. وملكان على شفتيك، ليس يحفظان عليك إلا الصّلاة على محمد. وملك قائم على فيك لا يدع الحيّة تدخل فى فيك ،[2] وملكان على عينيك . فهؤلاء عشرة أملاك على كلّ آدمىّ، ينزلون ملائكة الليل على ملائكة النهار ، [لأن ملائكة الليل سوى ملائكة النهار] ،[3] فهؤلاء عشرون ملكاً على كل آدمى، وإبليس بالنهار وولده بالليل.[4]

٧٧/١٣

---

(١) فى المطبوعة وابن كثير : « وهو أمير » ، وأثبت ما فى المخطوطة والدر المنثور .

(٢) فى المخطوطة : « تدخل فيك » ، والصواب ما فى المطبوعة ، ومثله فى ابن كثير والدر المنثور .

(٣) زيادة من ابن كثير والدر المنثور ، ولا غنى عنها .

(٤) الأثر : ٢٠٢١١ – هذا إسناد قد سلف مثله برقم : ١٣٨٦ ، ١٣٩٥ . وهو إسناد مشكل منكر .

« إبراهيم بن عبد السلام بن صالح القشيرى » ، وسلف « التسترى » وكان فى ذلك الموضع فى ابن كثير « القشيرى » ، لا ندرى أيهما الصواب ، ولم نجد له ذكراً فى شىء من كتب الرجال .

و « على بن جرير » ، لا يدرى منه هو أيضاً ، كما قلنا فيما سلف ، إلا أنى أزيد أن ابن أبى حاتم

٢٠٢١٢ – حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا شبابة قال، حدثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: « لهمعقبات من بين يديه ومن خلفه »، الملائكة = « يحفظونه من أمر الله ».

٢٠٢١٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

٢٠٢١٤ – . . . . قال، حدثنا عمرو بن عون قال، أخبرنا هشيم، عن عبد الملك، عن قيس، عن مجاهد في قوله: « له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه »، قال: مع كل إنسان حَفَظَةٌ يحفظونه من أمر الله.

٢٠٢١٥ – . . . . قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس قوله: « له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله »، فالمعقبات هن من أمر الله، وهي الملائكة.

٢٠٢١٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس: « يحفظونه من أمر الله »، قال: ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدره خَلَّوا عنه.

٢٠٢١٧ – حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس: « له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله »، فإذا جاء القدر خَلَّوْا عنه.

٢٠٢١٨ – حدثنا ابن حميد قال، حدثناجرير، عن منصور، عن إبراهيم

ترجم في الجرح والتعديل: « علي بن جرير البارودي روى عن . . . سئل أبي عن علي بن جرير البارودي، فقال: صدوق »، ولا أظنه هذا الذي في إسنادنا، كأن هذا متأخر. ابن أبي حاتم ٣/١/١٧٨

وأما « عبد الحميد بن جعفر »، فثقة، سلف برقم: ١٢٨٦.

وأما « كنانة العدوي »، فهو « كنانة بن نعيم العدوي »، تابعي ثقة، لم يذكر أنه أدرك عثمان ابن عفان أو روى عنه.

فهذا حديث فيه نكارة وضعف شديد، وانفرد بروايته أبو جعفر الطبري عن المثنى. انظر تفسير ابن كثير ٤: ٥٠٣، والدر المنثور ٤: ٤٨. وقال ابن كثير: إنه حديث غريب جداً.

فى هذه الآية ، قال : الحَفَظَة .

٢٠٢١٩ ــ حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبى، عن سفيان، عن منصور ، عن إبراهيم : « له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله »، قال : ملائكة .

٢٠٢٢٠ ــ حدثنا أحمد بن حازم قال، حدثنا يعلى قال ، حدثنا إسمعيل ابن أبى خالد ، عن أبى صالح فى قوله : « له معقبات » ، قال : ملائكة الليل ، يعقُبُون ملائكة النهار .

٢٠٢٢١ ــ حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « له معقبات من بين يديه ومن خلفه » ، هذه ملائكة الليل يتعاقبون فيكم بالليل والنهار . وذكر لنا أنهم يجتمعون عند صلاة العصر وصلاة الصبح = وفى قراءة أبىّ بن كعب : ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَرَقِيبٌ مِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ ﴾ .

٢٠٢٢٢ ــ حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قوله : « له معقبات من بين يديه » ، قال : ملائكة يتعاقبونه .

٢٠٢٢٣ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « له معقبات من بين يديه ومن خلفه » ، قال : الملائكة = قال ابن جريج : « معقبات » ، قال : الملائكة تَعَاقَبُ الليلَ والنهار . وبلغنا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : يجتمعون فيكم عند صلاة العصر وصلاة الصبح = وقوله : « يحفظونه من بين يديه ومن خلفه » ، قال ابن جريج : مثل قوله : ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾ ، [سورة ق : ١٧]. قال : الحسنات من بين يديه ، والسيئات من خلفه . الذى عن يمينه يكتب الحسنات ، والذى عن شماله يكتب السيئات. ١٣/٧٨

٢٠٢٢٤ ــ حدثنا سوّار بن عبد الله قال، حدثنا المعتمر بن سليمان قال ،

سمعت ليثاً يحدث ، عن مجاهد أنه قال : ما من عبدٍ إلاّ له ملك موكّل يحفظه في نومه ويقظته من الجنّ والإنس والهوامّ ، فما منها شيء يأتيه يريده إلا قال : وراءَك ! إلا شيئاً يأذن الله فيه فيصيبه .

٢٠٢٢٥ ــ حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « له معقبات من بين يديه ومن خلفه » ، قال : يعني الملائكة .

* * *

وقال آخرون : بل عنى بـ « المعقبات » في هذا الموضع ، الحرَس الذي يتعاقب على الأمير .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٢٢٦ ــ حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ، حدثنا ابن يمان قال ، حدثنا سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « له معقبات من بين يديه ومن خلفه » ، قال : ذلك ملك من مُلوك الدنيا ، له حَرَسٌ من دونه حرَس .

٢٠٢٢٧ ــ حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي وقال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « له معقبات من بين يديه من خلفه » ، يعني وليّ الشيطان ، يكون عليه الحرس .(١)

٢٠٢٢٨ ــ حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن شَرْقيّ : أنه سمع عكرمة يقول في هذه الآية : « له معقبات من بين يديه ومن خلفه » ، قال : هؤلاء الأمراء .(٢)

٢٠٢٢٩ ــ حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا عمر بن

---

(١) في المطبوعة : « ولي السلطان » ، غير ما في المخطوطة ، وهو الصواب ، يعني البغاة العصاة الأمراء ، يحرسون أنفسهم . وانظر ما يأتي ص : ٣٧٧ ، تعليق : ١ .

(٢) الأثر : ٢٠٢٢٨ ــ « شرق البصري » ، روى عن عكرمة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية . روى عنه شعبة . ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال أبي حاتم : ليس بحديثه بأس . مترجم في التهذيب ، والكبير ٢/٢/٢٥٥ ، وابن أبي حاتم ٢/١/٣٧٦ .

نافع قال : سمعت عكرمة يقول : « له معقبات من بين يديه ومن خلفه » ، قال : المواكب من بين يديه ومن خلفه .(١)

٢٠٢٣٠ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ يقول ، حدثنا عبيد بن سليمان قال، سمعت الضحاك يقول فى قوله: « له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله »، قال: هو السلطان المحترس من الله، وهم أهل الشرك.(٢)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب، قولُ من قال: « الهاء » ، فى قوله: « له معقبات » ، من ذكر « مَنْ » التى فى قوله : « ومَنْ هو مستخف بالليل » = وأن « المعقبات من بين يديه ومن خلفه » ، هى حرسه وجلاوزته ،(٣) كما قال ذلك من ذكرنا قوله .

وإنما قلنا : « ذلك أولى التأويلين بالصواب » ، لأن قوله : « له معقبات » ، أقرب إلى قوله : « ومن هو مستخف بالليل » ، منه إلى « عالم الغيب » ، فهى لقربها منه أولى بأن تكون من ذكره ، وأن يكون المعنىّ بذلك هذا ، مع دلالة قول الله : « وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردّ له » ، على أنهم المعنيُّون بذلك .

وذلك أنه جل ثناؤه ذكر قوماً أهلَ معصيةٍ له وأهلَ ريبة ، يستخفون بالليل ويظهرون بالنهار ، ويمتنعون عند أنفسهم بحرس يحرسهم، ومَنْعَة تمنعهم من أهل طاعته أن يحولوا بينهم وبين ما يأتون من معصية الله . ثم أخبر أنّ الله تعالى ذكره إذا أراد بهم سوءاً لم ينفعهم حَرَسهم ، ولا يدفع عنهم حِفْظُهم .

* * *

---

(١) الأثر : ٢٠٢٢٩ – « عمر بن نافع الثقفى » ، روى عن أنس وعكرمة . قال ابن معين : ليس بشىء . وذكره ابن حبان فى الثقات . وذكره الساجى وابن الجارود فى الضعفاء . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣/١/١٣٨ ، وميزان الاعتدال ٢ : ٢٧٢ .

(٢) فى المطبوعة : « المحروس من أمر الله » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٣) الجلاوزة جمع جلواز (بكسر الجيم وسكون اللام) . وهو الشرطى الذى يخف بين يدى الأمير ويأتمر بأمره .

وقوله : « يحفظونه من أمر الله » ، اختلف أهل التأويل فى تأويل هذا الحرف على نحو اختلافهم فى تأويل قوله : « له معقبات » .

= فمن قال : « المعقبات » ، هى الملائكة ، قال : الذين يحفظونه من أمر الله هم أيضاً الملائكة .

ومن قال : « المعقبات» ، هى الحرس والجلاوزة من بنى آدم ، قال : الذين يحفظونه من أمر الله ، هم أولئك الحرس .

* * *

واختلفوا أيضاً فى معنى قوله : « من أمر الله » .

فقال بعضهم : حفظهم إيّاه من أمره .

وقال بعضهم : « يحفظونه من أمر الله » : بأمر الله .

* ذكر من قال: الذين يحفظونه هم الملائكة، ووجّه قوله: « بأمر الله» إلى معنى أن حفظها إيّاه من أمر الله :

٢٠٢٣١ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « يحفظونه من أمر الله » ، يقول : بإذن الله ، فالمعقبات هى من أمر الله ، وهى الملائكة . ٧٩/١٣

٢٠٢٣٢ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير : « يحفظونه من أمر الله » ، قال: الملائكة الحفظة ، وحفظهم إياه من أمر الله .

٢٠٢٣٣ ــ حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا محمد بن عبيد قال ، حدثنى عبد الملك ، عن ابن عبيد الله ، عن مجاهد فى قوله : « له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله » ، قال : الحفظة هم من أمر الله .

٢٠٢٣٤ ــ . . . . قال، حدثنا على = يعنى ابن عبد الله بن جعفر = قال ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن ابن عباس : « له معقبات من بين يديه » ، رقباء =

« ومن خلفه » ، من أمر الله ، يحفظونه.[١]

٢٠٢٣٥ ــ . . . قال ، حدثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الجارود، عن ابن عباس : « له معقبات من بين يديه »، رقيب =« ومن خلفه».

٢٠٢٣٦ ــ حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا إسرائيل ، عن خصيف ، عن مجاهد : « له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله » ، قال : الملائكة من أمر الله .

٢٠٢٣٧ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « يحفظونه من أمر الله » ، قال : الملائكة من أمر الله .

٢٠٢٣٨ ــ حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور، عن إبراهيم: « له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله » ، قال : الحفظة .

* * *

* ذكر من قال : عنى بذلك : يحفظونه بأمر الله :

٢٠٢٣٩ ــ حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « يحفظونه من أمر الله » ، أى : بأمر الله .

٢٠٢٤٠ ــ حدثنا بشر بن معاذ قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة: «يحفظونه من أمر الله»، وفى بعض القراءات: ﴿ بِأَمْرِ اللهِ ﴾.

٢٠٢٤١ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن قيس ، عن مجاهد فى قوله : « له معقبات من بين يديه ومن

---

(١) الأثر : ٢٠٢٣٤ – « على بن عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدى » وهو « ابن المدينى » ، صاحب التصانيف ، ثقة ، روى عنه البخارى فى التاريخ ، وأبو داود . مترجم فى التهذيب ، وابن أبى حاتم ٣/١/١٩٣ .

و « سفيان » ، هو « سفيان بن عيينة » ، الثقة المشهور .

و « عمرو » ، هو « عمر بن دينار المكى » ، الثقة المشهور .

وكان فى المخطوطة : « سفيان بن عمرو » ، والصواب هو ما كان فى المطبوعة .

خلفه » ، قال : مع كل إنسان حَفَظَه يحفظونه من أمر الله .

* * *

* ذكر من قال : تحفظه الحرس من بني آدم من أمر الله :

٢٠٢٤٢ ــ حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « يحفظونه من أمر الله » ، يعني ولِيّ الشيطان ، [١] يكون عليه الحرس يحفظونه من بين يديه ومن خلفه . يقول الله عز وجل : يحفظونه من أمري ، فإني إذا أردت بقوم سوءاً فلا مردّ له ، وما لهم من دونه من والٍ .

٢٠٢٤٣ ــ حدثني أبو هريرة الضبعي قال، حدثنا أبو قتيبة قال ، حدثنا شعبة ، عن شَرْقيّ ، عن عكرمة : « يحفظونه من أمر الله » ، قال : الجلاوزة .[٢]

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : يحفظونه من أمر الله ، و « أمر الله » ، الجن ومن يبغي أذاه ومكروهه قبل مجيء قضاء الله . فإذا جاء قضاؤه ، خَلَّوْا بينه وبينه .

* ذكر من قال ذلك

٢٠٢٤٤ ــ حدثني أبو هريرة الضبعي قال ، حدثنا أبو داود قال ، حدثنا ورقاء ، عن منصور ، عن طلحة ، عن إبراهيم : « يحفظونه من أمر الله » ، قال : من الجن. [٣]

٢٠٢٤٥ ــ حدثنا سوّار بن عبد الله قال ، حدثنا المعتمر قال، سمعت ليثاً

---

(١) في المطبوعة « ولي السلطان » ، والصواب ما في المخطوطة ، ولكنه غيرها كما سلف آنفاً ص : ٣٧٣ ، تعليق : ١ .

(٢) الأثر : ٢٠٢٤٣ – « أبو هريرة الضبعي » ، هو « محمد بن فراس الضبعي الصيرفي » ، شيخ أبي جعفر ، ثقة صدوق ، مترجم في التهذيب ، وابن أبي حاتم ٤ / ١ / ٦٠

و « أبو قتيبة » ، هو « سلم بن قتيبة الشعيري » ، ثقة ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٢٩٠٤ .

و « شعبة » هو « شعبة بن الحجاج » ، الإمام المشهور ، مضى مراراً . وكان هنا في المطبوعة والمخطوطة : « سعيد » ، وهو خطأ محض ، فإن الذي يروي عن « شرق البصري » ، هو شعبة ، كما مضى آنفاً رقم : ٢٠٢٢٨ .

« وشرق البصري » ، مضى برقم : ٢٠٢٢٨ .

(٣) الأثر : ٢٠٢٤٤ – « أبو هريرة الضبعي » ، مضى في الأثر السالف .

و « أبو داود » ، هو الطيالسي .

يحدث ، عن مجاهد أنه قال : ما من عبد إلا له ملك موكّل يحفظه فى نومه ويقظته من الجنّ والإنس والهوامّ ، فما منهم شيء يأتيه يريده إلاّ قال : وراءَكَ! إلا شيئاً يأذن الله فيصيبه .

٢٠٢٤٦ ــ حدثنا الحسن بن عرفة قال ، حدثنا إسمعيل بن عياش ، عن محمد بن زياد الألهانى ، عن يزيد بن شريح ، عن كعب الأحبار قال : لو تجلّى لابن آدم كلّ سهلٍ وحزنٍ لرأى على كل شيء من ذلك شياطين . لولا أن الله وكّل بكم ملائكة يذبّون عنكم فى مطعمكم ومشربكم وعوراتكم . إذاً لتُخُطِّفتم .

٢٠٢٤٧ ــ حدثنى يعقوب قال ، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا عمارة بن أبى حفصة ، عن أبى مجلز قال : جاء رجل من مُرادٍ إلى علىّ رضى الله عنه وهو يصلى ، فقال : احترس ، فإنّ ناساً من مراد يريدون قتلك! فقال : إنّ مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدّر ، فإذا جاء القدَرُ خلّيا بينه وبينه ، وإن الأجل جُنّةٌ حصينة . ٨٠/١٣

٢٠٢٤٨ ــ حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا عبد الوهاب ، عن الحسن ابن ذكوان ، عن أبى غالب ، عن أبى أمامة قال : ما من آدمىّ إلاّ ومعه ملك موكّل يذود عنه حتى يسلمه للذى قُدِّر له .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : يحفظون عليه من الله .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٢٤٩ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « يحفظونه من أمر الله » ، قال : يحفظون عليه من الله .

* * *

قال أبو جعفر : يعنى ابن جريج بقوله : « يحفظون عليه » ، الملائكة الموكلة بابن آدم ، بحفظ حسناته وسيئاته ، وهى « المعقبات » عندنا ، تحفظ على ابن آدم حسناته وسيئاته من أمر الله .

* * *

قال أبو جعفر : وعلى هذا القول يجب أن يكون معنى قوله : « من أمر الله » ، أنّ الحفظة من أمر الله ، أو تحفظ بأمر الله = ويجب أن تكون « الهاء » التى فى قوله : « يحفظونه » ، وحُدِّدت وذُكِّرت وهى مراد بها الحسنات والسيئات ، لأنها كناية عن ذكر « مَنْ » الذى هو مستخف بالليل وسارب بالنهار = وأن يكون « المستخفى بالليل » أقيم ذكره مقام الخبر عن سيئاته وحسناته ، كما قيل : ﴿ وَاسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ ، [سورة يوسف : ٨٢].

* * *

وكان عبد الرحمن بن زيد يقول فى ذلك خلاف هذه الأقوال كلها :—

٢٠٢٥٠ — حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار » ، قال : أتى عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،(١) فقال عامر : ما تجعل لى إن أنا اتبعتك ؟ قال : أنت فارس ، أعطيك أعنة الخيل . قال : لا . قال : فما تبغى ؟ قال : لى الشرق ولك الغرب . قال : لا . قال : فلى الوَبَر ولك المَدَر . قال : لا . قال : لأملأنها عليك إذاً خيلاً ورجالاً . قال : يمنعك الله ذاك وابنا قيلة (٢)= يريد الأوس والخزرج . قال : فخرجا ، فقال عامر لأربد : إن كان الرجل لنا لممكناً ، لو قتلناه ما انتطحت فيه عنزان ، ولرضوا بأن نعقله لهم ، وأحبوا السلم وكرهوا الحرب إذا رأوا أمراً قد وقع . فقال الآخر : إن شئت . فتشاورا ،

---

(١) « أربد بن ربيعة » ، هكذا جاء هنا عن ابن زيد ، وكذلك جاء عن محمد بن على القرشى فيما رواه عنه ابن سعد فى طبقاته ١/٢/٥١ .

و « أربد » هو : « أربد بن قيس بن جزء بن خالد بن جعفر بن كلاب» ، وهو أخو لبيد لأمه ، و « لبيد » هو « لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب » ، فكأن ابن زيد ومحمد بن على القرشى إنما قالا : « أربد بن ربيعة » ، من قبل أخوته للبيد بن ربيعة ، ولا أدرى كيف قالا هذا ؟ ولم قالاه ؟ لم وأجده فى غير هذين الموضعين . وانظر كتاب « جوامع السيرة » ، لابن حزم ص : ١٢ ، تعليق : ١.

(٢) فى المطبوعة : « وأبناء قيلة » ، والصواب ما فى المخطوطة على التثنية . و « قيلة » أم الأوس والخزرج .

وقال : ارجعْ وأنا أشغله عنك بالمجادلة ، وكن وراءه فاضربه بالسيف ضربةً واحدة. فكانا كذلك : واحدٌ وراء النبي صلى الله عليه وسلم ، والآخر قال : اقصص علينا قصصك . قال : ما تقول ؟ قال : قرآنَك ! [١] فجعل يجادله ويستبطئه ،[٢] حتى قال : مالك حُشِمت ؟[٣] قال : وضعت يدى على قائم سيفى [فيبست]،[٤] فما قدرتُ على أن أُحْلِيَ ولا أُمِرُّ ولا أحرّكها. قال : فخرجا، فلما كانا بالحَرّة، سمع بذلك سعد بن معاذ وأسيد بن حُضير ، فخرجا إليهما ، على كل واحد منهما لأمته ، ورمحه بيده ، وهو متقلد سيفه . فقالا لعامر بن الطفيل: يا أعور [حسا] يا أبلخ ،[٥] أنت الذى يشرط على رسول الله صلى الله عليه ؟[٦] لولا أنك فى أمانٍ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رِمْتَ المنزل حتى نضرب عنقك ،[٧] ولكن [لا سبعين].[٨] وكان أشدّ الرجلين عليه أسيد بن الحضير ، [فقال : من هذا ؟ فقالوا : أسيد بن حضير]؟[٩] فقال : لو كان أبوه حياً لم يفعل بى هذا ! ثم قال

---

(١) فى المطبوعة : « قال ما يقول قرآنك » ، حذف من الكلام « قال » ، وأثبت ما فى المخطوطة ويعنى قال : اقرأ على قرآنك .

(٢) قوله : « فجعل يجادله ويستبطئه » وما بعدها ، كلام فيه اضطراب ، وأخشى أن يكون فيه خرم وسقط ، والسياق يدل على أنه جعل يجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينظر إلى أربد يستبطئه . فلما انصرفا قال عامر لأربد : مالك حشمت ؟

(٣) فى المطبوعة : « مالك أجشمت » بزيادة الهمزة ، وبالجيم ، وليس له معنى ، وفى المخطوطة : « حسمت » غير منقوطة ، وصواب قراءتها ما أثبت . يقال : « حشم » بالبناء المجهول ، إذا أعيى وانقبض .

(٤) الزيادة بين القوسين ، زادها الناشر الأول عن الدر المنثور .

(٥) فى المطبوعة : « يا أعور يا خبيث يا أملخ » ، غير ما فى المخطوطة ، والذى فيها : « ناعور حسما يا أبلخ » ، ولم أستطع أن أجد الخبر فى مكان آخر فأصححه ، وقد أعيانى كشف ما فيه من التحريف ، فأثبته كما هو . و « الأبلخ » هو العظيم فى نفسه ، الجرىء على ما أتى من الفجور .

(٦) فى المطبوعة : « تشترط » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٧) فى المطبوعة : « ضربت » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

(٨) وهذه كلمة أخرى أثبتها كما هى فى المخطوطة غير منقوطة لم أهتد إلى قراءتها ، ولكن ناشر المطبوعة جعلها : « لا تستبقين » ، فنقطها ، فصارت بلا معنى . أما السيوطى فى الدر المنثور ، فقد حذفها كعادته واستراح من همها .

(٩) زيادة لابد منها ، أثبتها من الدر المنثور .

لأربد : اخرج أنت يا أربد إلى ناحية عَدَنَة ،(١) وأخرج أنا إلى نجد ، فنجمع الرجال فنلتقى عليه . فخرج أربد حتى إذا كان بالرَّقَم ،(٢) بعث الله سحابة من الصيف فيها صاعقة، فأحرقته. قال : وخرج عامر حتى إذا كان بوادٍ يقال له الجرير ، أرسل الله عليه الطاعون، فجعل يصيح : يا آل عامر . أغدَّة كغدَّة البكر تقتلنى ! يا آل عامر ، أغدةٌ كغدة البكر تقتلنى ، وموتٌ أيضاً فى بيت سلولية ! وهى امرأة من قيس . فذلك قول الله : « سواء منكم من أسرّ القول ومن جهر به » ، فقرأ حتى بلغ : « يحفظونه » ، تلك المعقبات من أمر الله، هذا مقدّم ومؤخّر ، لرسول الله صلى الله عليه وسلم معقبات يحفظونه من بين يديه ومن خلفه ، تلك المعقبات ١٣/٨١ من أمر الله . وقال لهذين : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ، فقرأ حتى بلغ : « ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء » ، الآية ، فقرأ حتى بلغ « وما دُعاء الكافرين إلاّ فى ضلال » . قال : وقال لبيد فى أخيه أربد وهو يبكيه :

أَخْشَى عَلَى أَرْبَدَ الْحُتُوفَ وَلَا أَرْهَبُ نَوْءَ السِّمَاكِ وَالأَسَدِ (٣)

---

(١) فى المطبوعة : « إلى عذية » ، وليس فى بلاد العرب موضع بهذا الاسم ، والذى فيها « عدنة » (بفتح العين والدال) ، وهى أرض لبنى فزارة ، فى جهة الشمال من الشربة . قال الأصمعى فى تحديد نجد : « ووادى الرمة يقطع بين عدنة والشربة ؛ فإذا جزعت الرمة مشرقاً أخذت فى الشربة ، وإذا جزعت الرمة إلى الشمال أخذت فى عدنة » . أرجو أن يكون ما قرأت هو الصواب .

(٢) « الرقم » ، ظاهر أنه موضع ، انظر معجم البلدان ، ومعجم ما استعجم ، وصفة جزيرة العرب للهمدانى : ١٧٦ ، فأنا فى شك من هذا كله .

(٣) ديوانه قصيدة رقم : ٥ ، البيت : ٢ ، ٣ / وسيأتيان فى ص : ٣٩٤ ، وقبل البيتين ، وهو أولها :

ما إنْ تُعرِّى المَنُونُ مِنْ أَحَدٍ لا وَالِدٍ مُشْفِقٍ ولا وَلَدِ

و « الحتوف » ، ، هى الآجال . وقوله : « نوء السماك والأسد » ، فإنه يعنى السماك الأعزل ، ونوءه أربع ليال فى تشرين الأول (شهر أكتوبر) . وهو نوء غزيز . وأما « الأسد » ، فإنه يعنى « زبرة الأسد » ونوءها أربع ليال فى أواخر آب (شهر أغسطس) . ويكون فى نوء الزبرة مطر شديد (انظر كتاب الأنواء لابن قتيبة ص : ٥٨ ، ٥٩ / ٦٤ ، ٦٥) . وذلك كله فى زمن الصيف .

يقول لبيد : كنت أخشى عليه كل حتف أعرفه ، إلا هذا الحتف المفاجىء من صواعق الصيف .

وقوله : « فجعنى الدهر » ، أى أنزل بى الفجيعة الموجعة ، والرزية المؤلمة . و « يوم الكهريهة » ،

فَجَمَعَنِي الرَّعْدُ وَالصَّوَاعِقُ بِالْفَارِسِ يَوْمَ الْكَرِيهَةِ النَّجُدِ (١)

* * *

قال أبو جعفر وهذا القول الذى قاله ابن زيد فى تأويل هذه الآية ، قولٌ بعيد من تأويل الآية ، مع خلافه أقوالَ من ذكرنا قوله من أهل التأويل .

وذلك أنه جعل « الهاء » فى قوله : « له معقبات » ، من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يجر له فى الآية التى قبلها ولا فى التى قبل الأخرى ذكرٌ ، إلا أن يكون أراد أن يردّها على قوله : « إنما أنت منذر ولكل قوم هاد » ، « له معقبات » . فإن كان ذلك ،(٢) فذلك بعيدٌ ، لما بينهما من الآيات بغير ذكر الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وإذا كان ذلك ، فكونها عائدة على « مَنْ » التى فى قوله : « ومَنْ هو مستخف بالليل » ، أقربُ ، لأنه قبلها ، والخبر بعدها عنه .

فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام : سواء منكم ، أيها الناس ، من أسرّ القول ومن جهر به عند ربكم ، ومن هو مستخف بفسقه وريبته فى ظلمة الليل ، وساربٌ يذهب ويجيء فى ضوء النهار ممتنعاً بجنده وحرسه الذين يتعقبونه من أهل طاعة الله أن يحولوا بينه وبين ما يأتى من ذلك ، وأن يقيموا حدّ الله عليه ، وذلك قوله : « يحفظونه من أمر الله » .

* * *

وقوله : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ، يقول تعالى ذكره : « إن الله لا يغير ما بقوم » ، من عافية ونعمة ، فيزيل ذلك عنهم ويهلكهم = « حتى يغيروا ما بأنفسهم » ، من ذلك ، بظلم بعضهم بعضاً ، واعتداء بعضهم على بعض ،

يوم الشدة فى الحرب ، حيث تكره النفوس الموت . و « النجد » (بفتح فضم) ، هو الشجاع الشديد البأس ، السريع الإجابة إلى ما دعى إليه من خير أو شر ، مع مضاء فيما يعجز عنه غيره .

(١) الأثر : ٢٠٢٥٠ — رواه السيوطى فى الدر المنثور ٤ : ٤٨ ، ٤٩ ، ونسبه لابن جرير وأبى الشيخ . ولم أجده فى غير هذين المكانين .

(٢) فى المطبوعة : « فإن كان أراد ذلك » ، زاد من عنده ما لا حاجة إليه .

فتَحلّ بهم حينئذ عقوبته وتغييره .

* * *

وقوله : « وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردّ له » ، يقول : وإذا أراد الله = بهؤلاء الذين يستخفون بالليل ويسربون بالنهار ، لهم جند ومنعة من بين أيديهم ومن خلفهم يحفظونهم من أمر الله = هلاكاً وخزياً فى عاجل الدنيا ، = « فلامردّ له » ، يقول : فلا يقدر على ردّ ذلك عنهم أحدٌ غيرُ الله. يقول تعالى ذكره: « وما لهم من دونه من وال» ، يقول : وما لهؤلاء القوم = و« الهاء والميم » فى « لهم » من ذكر القوم الذين فى قوله: « وإذا أراد الله بقوم سوءاً » ،من دون الله = «من والٍ»، يعنى : من والٍ يليهم ويلى أمرهم وعقوبتهم .

* * *

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول : « السوء » ، الهلكة . ويقول : كل جذام وبرص وعمى وبلاء عظيم فهو « سوء » ، مضموم الأول ، وإذا فتح أوله فهو مصدر : « سُؤْت » ، ومنه قولهم : « رجلُ سَوْءٍ » (١).

* * *

واختلف أهل العربية فى معنى قوله : « ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار » .

فقال بعض نحوى أهل البصرة : معنى قوله : « ومن هو مستخف بالليل » ، ومن هو ظاهر بالليل ، من قولهم : « خَفَيْتُ الشىء » ، إذا أظهرته ، وكما قال امرؤ القيس :

فَإِنْ تَكْتُمُوا الدَّاء لا نَخْفِه ... وإنْ تَبْعَثُوا الحَرْبَ لا نَقْعُدِ (٢)

وقال : وقد قرىء ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ ، [سورة طه : ١٥] ، بمعنى : أظهرها .

وقال فى قوله : « وسارب بالنهار » ، « السارب » ، هو المتوارى ، كأنه وجّهه إلى

---

(١) هو نص كلام أبى عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ٣٢٤ .

(٢) ديوانه : ١٦ ، واللسان (خفا) ، وغيرهما ، وسيأتى فى التفسير ١٦ : ١١٤ (بولاق) ، مع اختلاف يسير فى الرواية .

أنه صار فى السَّرَب بالنهار مستخفياً.(١)

* * *

وقال بعض نحويى البصرة والكوفة: إنما معنى ذلك : « ومن هو مستخفٍ » ، أى مستتر بالليل، من« الاستخفاء » = « وسارب بالنهار » ، وذاهبٌ بالنهار، من قولهم : « سَرَبَت الإبل إلى الرَّعى »، وذلك ذهابها إلى المراعى وخروجها إليها .

وقيل إن « السُّرُوب» بالعشىّ ، و« السُّروح » ، بالغداة .

* * *

واختلفوا أيضاً فى تأنيث «معقبات » ، وهى صفة لغير الإناث .

٨٢/١٣ فقال بعض نحويى البصرة : إنما أنثت لكثرة ذلك منها ، نحو : « نسّابة » ، و « علامة » ، ثم ذَكَّر لأن المعنىّ مذكّر ، فقال : « يحفظونه » .

* * *

وقال بعض نحويى الكوفة: إنما هى« ملائكة معقبة » ، ثم جمعت « معقبات»، فهو جمع جمع ، ثم قيل : « يحفظونه » ، لأنه للملائكة .

* * *

وقد تقدم قولنا فى معنى : « المستخفى بالليل والسارب بالنهار » .(٢)

* * *

وأما الذى ذكرناه عن نحويى البصريين فى ذلك ، فقولٌ ، وإن كان له فى كلام العرب وجهٌ ،خلافٌ لقول أهل التأويل .(٣) وحسبه من الدلالة على فساده، خروجه عن قولِ جميعِهم .

* * *

وأما « المعقبات » ، فإن« التعقيب » ، فى كلام العرب ، العود بعد البدء ، والرجوع إلى الشىء بعد الإنصراف عنه،(٤) من قول الله تعالى: ﴿ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ [سورة النمل : ١٠] ، أى : لم يرجع ، وكما قال سلامة بن جندل :

---

(١) « السرب » (بفتحتين) : حفير تحت الأرض .

(٢) انظر ما سلف ص : ٣٦٦ – ٣٦٨ .

(٣) سياق الكلام : « فقول . . . خلاف لقول أهل التأويل » .

(٤) سلف أيضاً تفسير « المعقبات » ص : ٣٦٩ ، وما بعدها

وَكَرَّنا الخَيْلَ فِي آثَارِهِمْ رُجُعاً كُسَّ السَّنَابِكِ مِنْ بَدْءٍ وتَعْقِيبِ (١)

يعني : في غزوٍ ثانٍ عقَّبُوا ، وكما قال طرفة :

وَلَقَدْ كُنْتُ عَلَيْكُمْ عَاتِباً فَعَقَبْتُمْ بِذَنُوبٍ غَيْرِ مُرّ (٢)

يعني بقوله : « عقبتم » ، رجعتم .

= وأتاها التأنيث عندنا ، وهي من صفة الحرس الذين يحرسون المستخفي بالليل والسارب بالنهار ، لأنه عنى بها « حرس مُعَقِّبَة » ، ثم جمعت « المعقبة » فقيل « معقبات » ، فذلك جمع جمع « المعقِّب » ، و « المعقِّب » ، واحد « المعَقِّبة » ، كما قال لبيد :

حَتَّى تَهَجَّرَ فِي الرَّوَاحِ وَهَاجَهُ طَلَبَ المُعَقِّبِ حَقَّهُ المَظْلُومُ (٣)

و « المعقبات » ، جمعها . ثم قال : « يحفظونه » ، فردّ الخبر إلى تذكير الحرَس والجند .

* * *

وأما قوله : « يحفظونه من أمر الله » ، فإن أهل العربية اختلفوا في معناه .

---

(١) ديوانه : ٨ ، شرح المفضليات : ٢٢٧ ، قصيدة مشهورة ، وروايتهما .

* وَكَرَّنَا خَيْلَنَا أَدْرَاجَهَا رُجُعًا *

وهي أجود الروايتين ، وكان في المطبوعة : « في آثارها » . وقوله : « أدراجها » ، أي من حيث جاءت ذهبت . و « رجع » جمع « رجيع » ، وهو الدابة الذي هزله السفر . و « كس السنابك » ، جمع « أكس » ، وهو الحافر المتثلم الذي كسره طول السير ، أي تحاتت سنابكها من طول السير . و « البدء » الغزو الأول ، و « التعقيب » ، الرجوع من الغزو ، أو الغزو الثاني بعد الأول .

(٢) أشعار الستة الجاهليين : ٣٣٤ ، و « الذنوب » ، الدلو العظيمة يكون فيها ماء . يقول : كنت عليكم واجداً غاضباً ، فرجعتم بحلو المودة دون مرها ، فخلص قلبي لكم مرة أخرى .

(٣) ديوانه قصيدة رقم : ١٦ ، بيت ٢٦ ، اللسان (عقب) ، وهو من أبيات في صفة حمار الوحش ، وشرح البيت يطول ، وخلاصته أن الحمار « تهجر من الرواح » ، أي : عجل في الرواح إلى الماء ، و « هاجه » ، أي : حركه حب الماء ، فعجل إليه عجلة طالب الحق يطلبه مرة بعد مرة ، وهو « المعقب » . ورفع « المظلوم » ، وهو نعت للمعقب على المعنى والمعقب خفض في اللفظ ، ومعناه أنه فاعل « طلب » .

فقال بعض نحويي الكوفة : معناه : له معقبات من أمر الله يحفظونه ، وليس من أمرِه [يحفظونه] ،(١) إنما هو تقديم وتأخير . قال : ويكون يحفظونه ذلك الحفظ من أمر الله وبإذنه ، كما تقول للرجل : « أجبتك من دعائك إياى ، وبدعائك إياى » .

* * *

وقال بعض نحويي البصريين ، معنى ذلك : يحفظونه عن أمر الله ، كما قالوا : « أطعمنى من جوع ، وعن جوع » و « كسانى عن عرى ، ومن عُرْيٍ » .

* * *

وقد دللنا فيما مضى على أن أولى القول بتأويل ذلك أن يكون قوله : « يحفظونه من أمر الله » ، من صفة حرس هذا المستخفى بالليل ، وهى تحرسه ظنًّا منها أنها تدفع عنه أمرَ الله . فأخبر تعالى ذكره أن حرسه ذلك لا يغنى عنه شيئاً إذا جاء أمره ، فقال : « وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلامرد له ومالهم من دونه من والٍ » .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ ﴿١٣﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « هو الذى يريكم البرق » ، يعنى أن الرب هو الذى يرى عباده البرق = وقوله « هو » ، كناية اسمه جلّ ثناؤه .

* * *

وقد بينا معنى « البرق » ، فيما مضى ، وذكرنا اختلاف أهل التأويل فيه بما أغنى

---

(١) ما بين القوسين زيادة يقتضيها السياق .

عن إعادته فى هذا الموضع .[١]

* * *

وقوله : « خوفاً »، يقول : خوفاً للمسافر من أذاه . وذلك أن « البرق »، الماء، فى هذا الموضع كما : —

٢٠٢٥١ — حدثنى المثنى قال، حدثنا حجاج قال، حدثنا حماد قال، أخبرنا موسى بن سالم أبو جهضم، مولى ابن عباس قال: كتب ابن عباس إلى أبى الجَلْد يسأله عن « البرق »، فقال : « البرق »، الماء .[٢]

* * *

وقوله : « وطمعاً » ، يقول : وطمعاً للمقيم أن يمطر فينتفع ، كما : —

٢٠٢٥٢ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « هو الذى يريكم البرق خوفاً وطمعاً » ، يقول : خوفاً للمسافر فى أسفاره ، يخاف أذاه ومشقته = « وطمعاً » للمقيم، يرجو بركته ومنفعته، ويطمع فى رزق الله.

٢٠٢٥٣ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « خوفاً وطمعاً »، خوفًا للمسافر، وطمعاً للمقيم . ٨٣/١٣

* * *

وقوله : « وينشئ السحاب الثقال » ، ويثير السحاب الثقال بالمطر ويبدئه .

* * *

يقال منه: « أنشأ الله السحاب »، إذا أبدأه . و « نشأ السحاب »، إذا بدأ، « ينشأ نَشْأً » .

* * *

و « السحاب » فى هذا الموضع ، وإن كان فى لفظ واحد، فإنها جمعٌ، واحدتها « سحابة » ، ولذلك قال : « الثقال »، فنعتها بنعت الجمع . ولو كان جاء « السحاب الثقيل»، كان جائزاً، وكان توحيداً للفظ «السحاب»، كما قيل : ﴿الَّذِى جَعَلَ لَكُمْ

---

(١) انظر تفسير « البرق » فيما سلف ١ : ٣٤٢ - ٣٤٦ .

(٢) الأثر : ٢٠٢٥١ — « موسى بن سالم » ، « أبو جهضم » ، ثقة ، روايته عن ابن عباس مرسلة ، سلف برقم : ٤٣٤ .

و « أبو الجلد » ، هو «جيلان بن فروة الأسدى» ، ثقة ، سلف برقم : ٤٣٤ ، ٧٢٢ ، ٩١٣ .

مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا ﴾ [سورة يس : ٨٠].

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك:

٢٠٢٥٤ ــ حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا شبابة قال ، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله : « وينشئ السحاب الثقال » ، قال : الذى فيه الماء .

٢٠٢٥٥ ــ حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

٢٠٢٥٦ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

٢٠٢٥٧ ــ . . . قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

٢٠٢٥٨ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « وينشئ السحاب الثقال » ، قال : الذى فيه الماء .

* * *

وقوله : « ويسبح الرعد بحمده » .

* * *

قال أبو جعفر : وقد بينا معنى « الرعد » فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .(١)

* * *

وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا سمع صوت الرعد قال ، كما : ــ

٢٠٢٥٩ ــ حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا كثير بن هشام قال ، حدثنا جعفر قال : بلغنا أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا سمع صوت الرعد الشديد

---

(١) انظر تفسير « الرعد » فيما سلف ١ : ٣٣٨ – ٣٤٢ .

قال : اللهم لا تقتلنا بغضبك ، ولا تهلكنا بعذابك ، وعافنا قبل ذلك .(١)

٢٠٢٦٠ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن أبيه ، عن رجل ، عن أبي هريرة ، رفع الحديث : أنه كان إذا سمع الرعد قال : سبحان من يسبح الرعد بحمده .

٢٠٢٦١ – حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا مسعدة بن اليسع الباهلي ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن علي رضي الله عنه : كان إذا سمع صوت الرعد قال : سبحان من سَبَّحتَ له .(٢)

٢٠٢٦٢ – . . . قال ، حدثنا إسمعيل بن علية ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة، عن ابن عباس: أنه كان إذا سمع الرعد قال: سبحان الذي سَبَّحتَ له .(٣)

٢٠٢٦٣ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا يعلى بن الحارث قال : سمعت أبا صخرة يحدث عن الأسود بن يزيد : أنه كان إذا سمع الرعد قال : سبحان من سبَّحتَ له = أو : « سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته » .(٤)

---

(١) الأثر : ٢٠٢٥٩ – رواه أحمد بهذا اللفظ في المسند رقم : ٥٧٦٣ من حديث ابن عمر ، ورواه البخاري في الأدب المفرد برقم : ٧٢١ ، وخرجه أخي السيد أحمد رحمه الله في المسند .

(٢) الأثر : ٢٠٢٦١ – « مسعدة بن اليسع بن قيس اليشكري الباهلي » ، قال ابن أبي حاتم : « هو ذاهب الحديث ، منكر الحديث ، لا يشتغل به ، يكذب على جعفر بن محمد عندي ، والله أعلم » . وقال أحمد : « مسعدة بن اليسع ، ليس بشيء ، خرقنا حديثه ، وتركنا حديثه منذ دهر » . مترجم في الكبير ٤/٢/٢٦ ، وابن حاتم ٤/١/٣٧٠ ، وميزان الاعتدال ٣ : ١٦٣ ، ولسان الميزان ٦ : ٢٣ .

(٣) الأثر : ٢٠٢٦٢ – رواه البخاري في الأدب المفرد رقم : ٧٢٢ ، مطولا ، و « الحكم بن أبان العدني » تكلم أهل المعرفة بالحديث في الاحتجاج بخبره، كذلك قال ابن خزيمة في صحيحه، وهو ثقة إن شاء الله ، قال ابن حبان : ربما أخطأ ، مترجم التهذيب ، والكبير ١/٢/٣٣٤ ، وابن أبي حاتم ١/٢/١١٣ .

(٤) الأثر : ٢٠٢٦٣ – « يعلى بن الحارث بن حرب المحاربي » ، ثقة ، مترجم في التهذيب ، والكبير ٤/٢/٤١٨ ، وابن أبي حاتم ٤/٢/٣٠٤ .

« أبو صخرة » ، ، هو « جامع بن شداد المحاربي » ثقة مضى برقم : ١٧٩٨٢ ، وظني أنه لم يسمع « الأسود بن يزيد النخعي » ، بل سمع ذلك من أخيه « عبد الرحمن بن يزيد النخعي » ، و « عبد الرحمن » سمع من أخيه .

٢٠٢٦٤ - . . . قال ، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا ابن علية ، عن ابن طاوس ، عن أبيه = وعبد الكريم ، عن طاوس : أنه كان إذا سمع الرعد قال : سبحان من سبحتَ له .

٢٠٢٦٥ - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ميسرة ، عن الأوزاعي قال : كان ابن أبي زكريا يقول : من قال حين يسمع الرعد : « سبحان الله وبحمده » ، لم تصبه صاعقةٌ . (١)

* * *

ومعنى قوله : « ويسبح الرعد بحمده »، ويعظم اللهَ الرعدُ ويمجِّده ، فيثني عليه بصفاته ، وينزهه مما أضاف إليه أهل الشرك به ، ومما وصفوه به من اتخاذ الصاحبة والولد، تعالى ربنا وتقدّس .(٢)

* * *

وقوله : « من خيفته » ، يقول : وتسبح الملائكة من خيفة الله ورَهْبته .(٣)

* * *

وأما قوله : « ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء » .

* * *

فقد بينا معنى « الصاعقة » ، فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته، بما فيه الكفاية من الشواهد ، وذكرنا ما فيها من الرواية .(٤)

* * *

وقد اختلف فيمن أنزلت هذه الآية .

فقال بعضهم : نزلت في كافر من الكفّار ذكر الله تعالى وتقدّس بغير ما ينبغي ذكره به ، فأرسل عليه صاعقةً أهلكته :

---

(١) الأثر : ٢٠٢٦٥ - « ابن أبي زكريا » ، هو : « عبد الله بن أبي زكريا الخزاعي الشامي » ، « أبو يحيى » ، ، كان من فقهاء أهل دمشق ، من أقران مكحول ، تابعي ثقة قليل الحديث ، صاحب غزو . مترجم في التهذيب ، وابن سعد ١٦٣/٢/٧ ، وابن أبي حاتم ٦٢/٢/٢ .

(٢) انظر تفسير « التسبيح » فيما سلف ١ : ٤٧٢ - ٤٧٤ ، وفهارس اللغة (سبح) .

(٣) انظر تفسير « الخفية » فيما سلف ١٣ : ١٥/٣٥٣ : ٣٨٩ .

(٤) انظر تفسير « الصاعقة » فيما سلف ٢ : ٨٢ ، ٩/٨٣ : ١٣/٣٥٩ : ٩٧ .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٢٦٦ – حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا عفان قال ، حدثنا أبان ابن يزيد قال ، حدثنا أبو عمران الجونى ، عن عبد الرحمن بن صُحار العبدى : أنه بلغه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى جبّار يدعوه ، فقال : أرأيتم ربكم؟ أذهبٌ هو ، أم فضةٌ هو ، أم لؤلؤٌ هو ؟ قال : فبينما هو يجادلهم ، إذ بعث الله سحابة فرعدت ، فأرسل الله عليه صاعقة فذهبت بقِحْف رأسه ، فأنزل الله هذه الآية : « ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال ».(١) ٨٤/١٣

٢٠٢٦٧ – حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق بن سليمان ، عن أبى بكر بن عياش ، عن ليث ، عن مجاهد قال : جاء يهودى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أخبرنى عن ربّك ، من أىّ شىء هو ؟ من لؤلؤ أو من ياقوت ؟ فجاءت صاعقة فأخذته ، فأنزل الله : « ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال » .

٢٠٢٦٨ – حدثنى المثنى قال، حدثنا الحمانى قال ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .

٢٠٢٦٩ – . . . قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله بن هاشم قال ، حدثنا سيف ، عن أبى روق ، عن أبى أيوب ، عن على قال : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، حدثنى من هذا الذى تدعو إليه ؟ أياقوت

---

(١) الأثر : ٢٠٢٦٦ – « عفان » ، هو « عفان بن مسلم الصفار » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً آخرها رقم : ٢٠٠٩١ .

و « أبان بن يزيد العطار » ، ثقة إن شاء الله ، مضى مراراً .

و « أبو عمران الجونى » ، هو « عبد الملك بن حبيب الأزدى » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ٨٠ ، ١٣٠٤٢ ، ١٧٤١٣ .

و « عبد الرحمن بن صحار بن صحر العبدى » ، لأبيه صحبة ، تابعى ثقة ، روى عن أبيه ، مترجم فى ابن أبى حاتم ٢/٢/٢٤٤ .

وهذا خبر مرسل صحيح الإسناد .

هو ؟ أذهب هو ؟ أم ما هو ؟ قال : فنزلت على السائل الصاعقة فأحرقته ، فأنزل الله : « ويرسل الصواعق » ، الآية.(١)

٢٠٢٧٠ – حدثنا محمد بن مرزوق قال، حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب قال، حدثني علي بن أبي سارة الشيباني قال ، حدثنا ثابت البناني ، عن أنس بن مالك قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم مرةً رجلاً إلى رجل من فراعنة العرب أن أدْعُه لي ، فقال : يا رسول الله ، إنه أعتى من ذلك ! قال: اذهب إليه فادعه . قال : فأتاه فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك ! فقال : مَنْ رسول الله؟ وما الله؟ أمن ذهب هو ، أم من فضة ، أم من نحاس ؟ قال: فأتى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال : ارجع إليه فادعه . قال: فأتاه فأعاد عليه، وردَّ عليه مثل الجواب الأوّل . فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال : ارجع إليه فادعه ! قال : فرجع إليه ، فبينما هما يتراجعان الكلام بينهما ، إذ بعث الله سحابة بحيالِ رأسه فرَعَدت ، فوقعت منها صاعقة فذهبت بقِحْفِ رأسه ، فأنزل الله: « ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال ».(٢)

* * *

(١) الأثر : ٢٠٢٦٩ – « إسحق » ، هو « إسحق بن سليمان العبدي الرازي » ، نزل الري ، ثقة روى له الجماعة ، سلف مراراً ، آخرها : ١٦٩٤٠ .

وأما « عبد الله بن هاشم » ، فقد سلف في مثل هذا الإسناد برقم : ٧٣٢٩ ، ٧٩٣٨ ، ١٢١٢٨ ، وقلت في آخرها ، « لم أعرف من يكون » ، ولكني أستظهر الآن أنه : « عبد الله بن هاشم الكوفي » ، نزيل الري . مترجم في ابن أبي حاتم ٢/٢/١٩٦ .

وأما « سيف » ، فهو « سيف بن عمر الضبي » ، الأخباري ، صاحب الفتوح ، وهو ضعيف ساقط الحديث ، ليس بشيء . مضى مراراً ، آخرها ١٢٢٠٣ ، ومضى في مثل هذا الإسناد نفسه برقم ٧٣٢٩ ، ٧٩٣٨ ، ١٢١٢٨ . وسيأتي مثله برقم : ٢٠٢٧٣ ، ٢٠٢٨٢ ، ٢٠٢٨٦ . وهذا إسناد منكر

(٢) الأثر : ٢٠٢٧٠ – « محمد بن مرزوق » ، هو « محمد بن محمد بن مرزوق الباهلي » ، شيخ الطبري ، ثقة ، مضى برقم : ٢٨ ، ٨٢٢٤ ، ١٧٢٤٩ .

و « عبد الله بن عبد الوهاب الحجبي » ، ثقة صدوق ، مضى برقم : ٧٩١١ .

و « علي بن أبي سارة الشيباني »، ويقال له : « علي بن محمد بن سارة » ، شيخ ضعيف الحديث . قال البخاري : في حديثه نظر . وقال أبو داود : ترك الناس حديثه . وقال ابن حبان : غلب على روايته المناكير فاستحق الترك . وقال العقيلي : « علي بن أبي سارة عن ثابت البناني ، لا يتابع عليه ، ثم روى

وقال آخرون: نزلت في رجل من الكفار، أنكر القرآن وكذب النبيّ صلى الله عليه وسلم.

* ذكر من قال ذلك:

٢٠٢٧١ - حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قال: ذكر لنا أن رجلاً أنكر القرآن وكذّب النبيّ صلى الله عليه وسلم، فأرسل الله عليه صاعقة فأهلكته، فأنزل الله عز وجل فيه: «وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال».

* * *

وقال آخرون: نزلت في أربد، أخي لبيد بن ربيعة، وكان همّ بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وعامر بن الطفيل.

* ذكر من قال ذلك:

٢٠٢٧٢ - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج قال: نزلت = يعني قوله: «ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء» = في أربد، أخي لبيد بن ربيعة، لأنه قدم أربدُ وعامرُ بن الطفيل بن مالك بن جعفر على النبيّ صلى الله عليه وسلم، فقال عامر: يا محمد، أ أسلم وأكون الخليفة من بعدك؟ قال: لا! قال: فأكون على أهل الوَبَر، وأنتَ على أهل المدَر؟ قال: لا! قال: فما ذاك؟ قال: أعطيك أعنة الخيل تقاتل عليها، فإنك رجل فارس. قال: أو ليست أعِنّة الخيل بيدي؟ أما! والله لأملأنها عليك خيلاً ورجالاً من بني عامر! قال لأربد: إمّا أن تكفينيه وأضربه بالسيف، وإما أن أكفيكه وتضربه بالسيف. ٨٥/١٣

له عن ثابت عن أنس في قوله تعالى: ويرسل الصواعق، ثم قال: ولا يتابعه عليه إلا من هو مثله أو قريب منه». مترجم في التهذيب، وابن أبي حاتم ٣/١/١٨٩، وميزان الاعتدال ٢: ٢٢٦، وذكر الحديث بإسناده هذا وبتمام لفظه، وعده من الأحاديث التي أنكرت عليه.

فهذا إسناد ضعيف جداً.

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧: ٤٢: «رواه أبو يعلى البزار، ورجال البزار رجال الصحيح، غير ديلم بن غزوان، وهو ثقة».

قال أربد: اكفنيه وأضربه.[١] فقال ابن الطفيل : يا محمد ، إن لى إليك حاجة . قال : ادْنُ ! فلم يزل يدنو ويقولُ النبي صلى الله عليه وسلم : « ادْنُ » ، حتى وضع يديه على ركبتيه وحَنَى عليه ، واستلّ أربد السيف ، فاستلّ منه قليلاً ، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم بَرِيقه تعوّذ بآية كان يتعوّذ بها ، فيبِسَت يدُ أربد على السيف ، فبعث الله عليه صاعقة فأحرقته ، فذلك قول أخيه :

أَخْشَى عَلَى أَرْبَدَ الحُتُوفَ وَلَا أَرْهَبُ نَوْءَ السِّمَاكِ وَالأَسَدِ
فَجَّعَنِي الْبَرْقُ والصَّوَاعِقُ بالـــفَارِسِ يَوْمَ الكَرِيهَةِ النَّجُـدِ[٢]

* * *

وقد ذكرت قبل خبر عبد الرحمن بن زيد بنحو هذه القصة .[٣]

* * *

وقوله : « وهم يجادلون فى الله » ، يقول : وهؤلاء الذين أصابهم الله بالصواعق ، أصابهم بها فى حال خُصومتهم فى الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم .[٤]

* * *

وقوله : « وهو شديد المحال » ، يقول تعالى ذكره: والله شديدةٌ مماحلته فى عقوبة من طغى عليه وعتَا وتمادى فى كفره .

* * *

و « المحال » مصدر من قول القائل : « ما حلت فلاناً ، فأنا أماحله مماحلةً ومِحَالاً » ، و « فعلت » منه : « مَحَلت أمحَلُ مَحْلاً » ، إذا عرّض رجلٌ رجلاً لما يهلكه ، ومنه قوله : ﴿وَمَا حِلٌ مُصَدَّقٌ﴾ ،[٥] ومنه قول أعشى بنى ثعلبة :

---

(١) فى المخطوطة والمطبوعة : « أكفيكه » ، والصواب ما أثبت .
(٢) مضى الشعر وتفسيره وتخريجه فيما سلف ص : ٣٨١ ، تعليق : ٣ .
(٣) هو الأثر رقم : ٢٠٢٥٠ .
(٤) انظر تفسير « المجادلة » فيما سلف ١٥ : ٤٠٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٥) هذا حديث جابر رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
﴿ القرآن شافِعٌ مشفَّعٌ ، وماحِلٌ مُصَدَّقٌ ، من جعله أمامه قاده إلى الجنة ، ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النّار﴾ .

فَرْعُ نَبْعٍ يَهْتَزُّ فِي غُصُنِ المَجْـــدِ غَزِيرُ النَّدَى شَدِيدُ المِحَالِ (١)

هكذا كان ينشده معمر بن المثنى ، فيما حُدِّثت عن على بن المغيرة ، عنه .

وأما الرواة بعدُ فإنهم ينشدونه :

فَرْعُ فَرْعٍ يَهْتَزُّ فِي غُصُنِ المَجْـــدِ كَثِيرُ النَّدَى عَظِيمُ المِحَالِ (٢)

وفسّر ذلك معمر بن المثنى ، وزعم أنه عنى به العقوبة والمكر والنّكال ، ومنه قول الآخر : (٣)

وَلَبْسٍ بَيْنَ أَقْوَامٍ فَكُلٌّ أَعَدَّ لَهُ الشَّغَازِبَ وَالمِحَالَا (٤)

* * *

رواه ابن حبان فى صحيحه ١ : ٢٨٧ رقم : ١٢٤ ، وخرجه أخى السيد أحمد هناك . وهو فى مجمع الزوائد ١ : ١٧ / ٧ : ١٦٤ ، ورواه أيضاً عن ابن مسعود ، ولكنه ضعف إسناده . وانظر أمالى القالى ٢ : ٢٦٩ ، بغير هذا اللفظ . هذا الخبر مشهور عن ابن مسعود ، وإن كان صحيحه عند جابر

(١) ديوانه : ١٠ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٣٢٥ ، واللسان (محل) ، وغيرها .

و « النبع » ، شجر ينبت فى قلة الجبل ، وهو أصفر العود رزينه ، ثقيله فى اليد ، وإذا تقادم احمر ، وتتخذ منه القسى ، فهى أجودها وأجمعها للأرز واللين معاً ، و « الأرز » الشدة .

(٢) قوله « فرع فرع » من قولهم : « هو فرع قومه » ، للشريف منهم الذى فرعهم ، أى علاهم بالشرف . يقول : هو سيد لسادات . وهذه عندى أجود روايات البيت .

(٣) هو ذو الرمة .

(٤) ديوانه : ٤٤٥ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٣٢٦ ، وأمالى القالى ٢ : ٢٦٨ ، واللسان (شغزب) ، (محل) ، وغيرها . وهو من قصيدته فى مدح بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى ، وهذا البيت من صميم مدحه ، يقول بعده :

وَكُلُّهُمُ أَلَدُّ أَخُو كِظَاظٍ أَعَدَّ لِكُلِّ حالِ القومِ حَالاَ
أَبَرَّ على الخُصُومِ فليسَ خَصْمٌ ولا خَصْمَانِ يَغْلِبُهُ جِدالاَ
قَضيْتَ بِمِرَّةٍ فأَصَبْتَ منهُ فُصُوصَ الحقِّ فانفصلَ انفصالاَ

و « اللبس » اختلاط الأمر ، وهو مشكله ، و « الشغازب » ، جمع « شغزبة » ، وهى الكيد والغرة والحيلة ، وأصله اعتقال المصارع رجل آخر برجله ليلقيه ويصرعه . و « أبر » علا ، وغلب . و « وقضى بمرة » ، أى بقوة وإحكام ، و « فصوص الحق » ، لبه ومعقده . وهذا كلام بارع فى الخصومة والقضاء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٢٧٣ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله بن هاشم قال ، حدثنا سيف ، عن أبى روق ، عن أبى أيوب ، عن على رضى الله عنه ; « وهو شديد المحال » ، قال : شديد الأخذ .(١)

٢٠٢٧٤ ــ حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن أبى يحيى ، عن مجاهد : « وهو شديد المحال » ، قال : شديد القوّة .

٢٠٢٧٥ ــ حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وهو شديد المحال » ، أى : القوة والحِيلة .

٢٠٢٧٦ ــ حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن : « شديد المحال » ، يعنى الهلاك . قال : إذا محل فهو شديد . = وقال قتادة : شديد الحيلة .

٢٠٢٧٧ ــ حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا رجل ، عن عكرمة : « وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال » ، قال : جدال أربد(٢) = « وهو شديد المحال » ، قال : ما أصاب أربد من الصاعقة .

٢٠٢٧٨ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « وهو شديد المحال » ، قال قال ابن عباس : شديد الحَوْل .

٢٠٢٧٩ ــ حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وهو شديد المحال » ، قال : شديد القوة ، « المحال » ، القوة .

* * *

قال أبو جعفر : والقول الذى ذكرناه عن قتادة فى تأويل « المحال » أنه الحيلة ؛ والقول الذى ذكره ابن جريج عن ابن عباس ، يدلاّن على أنهما كانا يقرآن

---

(١) الأثر : ٢٠٢٧٣ ــ انظر التعليق على الأثر السالف رقم : ٢٠٢٦٩ .

(٢) فى المطبوعة : « قال : المحال جدال أربد » ، وهو كلام فاسد ، والمخطوطة هى الصواب .

﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾، بفتح الميم، لأن الحيلة لا يأتى مصدرها «مِحَالاً»، بكسر الميم، ولكن قد يأتى على تقدير «المفعلة» منها، فيكون «محالة»، ومن ذلك قولهم: «المرء يعجزُ لا مَحالة»،[1] و «المحالة» فى هذا الموضع، «المفعلة» من «الحيلة»، فأما بكسر الميم، فلا تكون إلاّ مصدراً من «ماحلت فلاناً أماحله محالاً»، و «المماحلة» بعيدة المعنى من «الحيلة». ٨٦/١٣

* * *

قال أبو جعفر: ولا أعلم أحداً قرأه بفتح الميم.[2] فإذ كان ذلك كذلك، فالذى هو أولى بتأويل ذلك ما قلنا من القول.

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ (١٤)

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: لله من خلقه: الدعوة الحق، و «الدعوة» هى «الحق»، كما أضيفت «الدار» إلى «الآخرة» فى قوله: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾، [سورة يوسف ١٠٩].

---

(١) هذا مثل ذكره الميدانى ٢: ٢٢١، وأبو هلال فى الجمهرة: ١٩٣، وسمط اللآلى: ٨٨٨، وخرجه، ومنه قول الشاعر:

حاولتُ حين صَرَمْتَنِى والمرءُ يَعجِزُ لا المحَالهْ
والدَّهْرُ يلعبُ بالفتى والدَّهْرُ أرْوَغُ من ثُعالهْ
والمرءُ يَكْسِبُ مالهُ بالشُّحِّ يورِثه كَلَالهْ
والعبدُ يُقْرعُ بالعَصَا والحرُّ تكفيه المَقالهْ

(٢) بل قرأها الأعرج والضحاك كذلك، انظر تفسير أبى حيان ٥: ٣٧٦، وشواذ القراءات لابن خالويه: ٦٦.

وقد بينا ذلك فيما مضى .[١]

وإنما عنى بالدعوة الحق ، توحيدَ الله وشهادةَ أن لا إله إلاّ الله .

* * *

وبنحو الذى قلنا تأوّله أهل التأويل :

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٢٨٠ ــ حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : « دعوة الحق » ، قال : لا إله إلا الله .

٢٠٢٨١ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « له دعوة الحق » ، قال: شهادة أن لا إله إلا الله .

٢٠٢٨٢ ــ . . . قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله بن هاشم قال ، حدثنا سيف ، عن أبى روق ، عن أبى أيوب ، عن على رضى الله عنه : « له دعوة الحق » ، قال : التوحيد .[٢]

٢٠٢٨٣ ــ حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : قوله : « له دعوة الحق » ، قال : لا إله إلا الله .

٢٠٢٨٤ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس فى قوله: « له دعوة الحق »، قال: لا إله إلاّ الله .

٢٠٢٨٥ ــ حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « له دعوة الحق » ، لا إله إلاّ الله . ليست تنبغى لأحدٍ غيره . لا ينبغى أن يقال : « فلان إله بنى فلان » .

* * *

---

(١) انظر ما سلف ص : ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

(٢) الأثر : ٢٠٢٨٢ ــ مضى هذا الإسناد الهالك مراراً آخرها رقم : ٢٠٢٧٣ .

وقوله : « والذين يدعون من دونه »، يقول تعالى ذكره : والآلهة التى يَدْعوها المشركون أرباباً وآلهة .

* * *

وقوله : « من دونه » ، يقول : من دون الله .

* * *

وإنما عنى بقوله : « من دونه » ، الآلهةَ ، أنّها مقصِّرة عنه ، وأنّها لا تكون إلهاً ، ولا يجوز أن يكون إلهاً إلاّ الله الواحد القهار ،[1] ومنه قول الشاعر :[2]

أتُوعِدُنِى وَرَاءَ بَنِى رِيَاحٍ ؟ كَذَبْتَ لَتَقْصُرَنّ يَدَاكَ دُونِى[3]

يعنى : لتقصرنّ يداك عنى .

* * *

وقوله : « لا يستجيبون لهم بشىء » ، يقول : لا تجيب هذه الآلهة ، التى يدعوها هؤلاء المشركون آلهةً ، بشىء يريدونه من نفع أو دفع ضرٍّ = « إلا كباسط كفيه إلى الماء » ، يقول : لا ينفع داعى الآلهة دعاؤه إياها ، إلاّ كما ينفع باسط كفيه إلى الماء بسطُه إياهما إليه من غير أن يرفعه إليه فى إناء ، ولكن ليرتفع إليه بدعائه إياه ، وإشارته إليه ، وقبضه عليه .

* * *

والعرب تضرب لمن سعى فيما لا يدركه ، مثلاً ، بالقابض على الماء ،[4] قال بعضهم :[5]

فإنِّى وإيَّاكُمْ وَشَوْقًا إلَيْكُمُ كَقَابِضِ مَاءٍ لَمْ تَسِقْهُ أنَامِلُه[6]

---

(١) انظر تفسير « دون » فى فهارس اللغة (دون) .

(٢) هو جرير .

(٣) ديوانه ٥٧٧ ، والنقائض : ٣١ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٣٢٦ والأضداد لابن الأنبارى : ٥٨ ، وسيأتى فى التفسير قريباً ١٣ : ١٣٠ (بولاق) وغيرها كثير ، يهجو فضالة من بنى عرين .

(٤) قالوا فى المثل : « كالقابض على الماء » ، انظر أمثال الميدانى ٢ : ٨٠ ، وجمهرة الأمثال : ١٦٤ .

(٥) هو ضابئ بن الحارث البرجمى .

(٦) من قصيدته التى قالها فى السجن ، وكان أعد حديدة يريد أن يغتال بها عثمان بن عفان

يعني بذلك : أنه ليس في يده من ذلك إلا كما في يد القابض على الماء ، لأن القابض على الماء لا شيء في يده . وقال آخر :(١)

فَأَصْبَحْتُ مِمَّا كانَ بَيْنِي وبَيْنَهَا مِنَ الوُدِّ مِثْلَ القَابِضِ المَاءَ بِاليَدِ(٢)

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٢٨٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا سيف ، عن أبي روق ، عن أبي أيوب ، عن علي رضي الله عنه في قوله : « إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه » ، قال : كالرجل العطشان يمد يده إلى البئر ليرتفع الماء إليه ، وما هو ببالغه .(٣) ٨٧/١٣

٢٠٢٨٧ – حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا شبابة قال، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : « كباسط كفيه إلى الماء » ، يدعو الماء بلسانه ، ويشير إليه بيده ، ولا يأتيه أبداً .

٢٠٢٨٨ – . . . قال حدثنا حجاج، عن ابن جريج قال، أخبرني الأعرج، عن مجاهد: « ليبلغ فاه »، يدعوه ليأتيه، وما هو بآتيه، كذلك لا يستجيب من هو دونه .

رضي الله عنه وشعره في خزانة الأدب ٤ : ٨٠ ، وفي طبقات فحول الشعراء : ١٤٥ ، وتاريخ الطبري ٥ : ١٣٧ / ٧ : ٢١٣ ،والبيت في الخزانة ، وفي اللسان (وسق) ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٣٢٧ ، وغريب القرآن لابن قتيبة: ٢٢٦ . وقوله: « لم تسقه »، من « وسقت الشيء أسقه وسقاً » ، إذا حملته .

(١) هو الأحوص بن محمد الأنصاري .

(٢) الزهرة : ١٨٣ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٣٢٧ ، وقبله :

فوَاندَمِي إذْ لم أُعَجْ ،إذ تقولُ لِي تقدَّمْ فَشَيِّعنا إلى ضَحْوةِ الغَدِ

ورواية الزهرة :

* سِوَى ذِكْرِها ، كالقابضَ الماءِ باليدِ *

وهي رواية جيدة جداً ، خير مما روى أبو عبيدة والطبري .

(٣) الأثر : ٢٠٢٨٦ – هذا أيضاً هو الإسناد الهالك الذي مضى برقم : ٢٠٢٨٢ .

٢٠٢٨٩ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « كباسط كفيه إلى الماء » ، يدعو الماء بلسانه ، ويشير إليه بيده ، فلا يأتيه أبداً .

٢٠٢٩٠ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد =

٢٠٢٩١ – . . . قال ، وحدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله قال ، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

٢٠٢٩٢ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد = مثل حديث الحسن عن حجاج . قال ابن جريج : وقال الأعرج ، عن مجاهد: « ليبلغ فاه » ، قال : يدعوه لأن يأتيه وما هو بآتيه ، فكذلك لا يستجيب مَنْ دونه .

٢٠٢٩٣ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلاّ كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه » ، وليس ببالغه حتى يتمزَّع عنقه ويهلك عطشاً . قال الله تعالى : « وما دعاء الكافرين إلا في ضلال » . هذا مثل ضربه الله . أي : هذا الذي يدعو من دون الله هذا الوثنَ وهذا الحجر ، لا يستجيب له بشيء أبداً ولا يسُوق إليه خيراً ، ولا يدفع عنه سوءاً حتى يأتيه الموت ، كمثل هذا الذي بسط ذراعيه إلى الماء ليبلغ فاه ، ولا يبلغ فاه ولا يصل إليه ذلك حتى يموت عطشاً .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : « والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء » ، ليتناول خياله فيه ، وما هو ببالغ ذلك .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٢٩٤ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني

معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : « كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه » ، فقال : هذا مثل المشركِ مع الله غيرَه ، فمثله كمثل الرَّجل العطشان الذى ينظر إلى خياله فى الماء من بعيد ، فهو يريد أن يتناوله ولا يقدر عليه .

* * *

وقال آخرون فى ذلك ما : —

٢٠٢٩٥ — حدثنى به محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء » ، إلى « وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال » ، يقول : مثل الأوثان والذين يعبدونها من دون الله ،[1] كمثل رجل ، قد بلغه العطش حتى كَرَبه الموت ،وكفاه فى الماء قد وضعهما لا يبلغان فاه . يقول الله : لا تستجيب الآلهة ولا تنفع الذين يعبدونها حتى يبلغ كفّا هذا فاه ، وما هما ببالغتين فاه أبداً .

٢٠٢٩٦ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه » ، قال : لا ينفعونهم بشىء إلاّ كما ينفع هذا بكفيه ، يعنى بَسْطَهما إلى ما لا ينالُ أبداً .

* * *

وقال آخرون فى ذلك ما : —

٢٠٢٩٧ — حدثنا به محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه» ، وليس الماء ببالغ فاه، ما قام باسطاً كفيه لا يقبضهما =« وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال » . قال : هذا مثلٌ ضربه الله لمن اتخذ من دون الله إلهاً أنه غير نافعه ، ولا يدفع عنه سوءاً ، حتى يموت على ذلك .

* * *

(١) فى المطبوعة والمخطوطة : « مثل الأثان الذين يعبدون » ، وهو لا يستقيم إلا كما كتبته .

وقوله : « وما دعاء الكافرين إلاّ فى ضلال » ، يقول : وما دعاء من كفر بالله ما يدعو من الأوثان والآلهة = « إلا فى ضلال » ، يقول : إلا فى غير استقامة ولا هدًى ، لأنه يشرك بالله . ١٣/ ٨٨

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ (١٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : فإن امتنع هؤلاء الذين يدعون من دون الله الأوثان والأصنامَ لله شركاء، من إفراد الطاعة والإخلاص بالعبادة له = فلله يسجد من فى السموات من الملائكة الكرام ، ومن فى الأرض من المؤمنين به طوعاً ، فأما الكافرون به فإنهم يسجدون له كَرْهاً حين يُكْرَهون على السُّجود ، كما :—

٢٠٢٩٨ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعاً وكرهاً » ، فأما المؤمن فيسجد طائعاً ، وأما الكافر فيسجد كارهاً .

٢٠٢٩٩ — حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد قال، أخبرنا ابن المبارك ، عن سفيان قال : كان ربيع بن خُثَيم إذا تلاهذه الآية : « ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعاً وكرهاً » ، قال : بلى يا رَبَّاه .

٢٠٣٠٠ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعاً وكرهاً » ، قال : من دخل طائعاً ، هذا طوعاً = « وكرهاً » ، من لم يدخل إلا بالسَّيف .

* * *

وقوله : « وظلالهم بالغدوّ والآصال » ، يقول : ويسجد أيضاً ظلالُ كل من سجد طوعاً وكرهاً بالغُدُوات والعَشَايا.(١) وذلك أن ظلّ كلّ شخص فإنه يفيء بالعشيّ ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إلى ما خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلاَلُهُ عَنِ اليَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾ ، [سورة النحل : ٤٨] .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٣٠١ ــ حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « وظلالهم بالغدوّ والآصال » ، يعنى : حين يفيء ظلُّ أحدهم عن يمينه أو شماله .

٢٠٣٠٢ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن الزبير ، عن سفيان قال : فى تفسير مجاهد : « ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدوّ والآصال » ، قال : ظل المؤمن يسجد طوعاً وهو طائع ، وظلُّ الكافر يسجد طوعاً وهو كاره.(٢)

٢٠٣٠٤ ــ حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « وظلالهم بالغدوّ والآصال » ، قال : ذُكر أن ظلال الأشياء كلها تسجد له ، وقرأ : ﴿ سُجَّدًا لِلهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾ ، [سورة النحل : ٤٨] . قال : تلك الظلال تسجد لله .

* * *

---

(١) انظر تفسير « الغدو » فيما سلف ١٣ : ٣٥٤ .

(٢) قوله : « يسجد طوعاً وهو كاره » ، يعنى أن الظل ، وهو من خلق الله المتعبد له ، يسجد طوعاً ، وصاحب الظل كاره للسجود ، وهو الكافر ، أعاذنا الله وإياك .

و « الآصال » جمع « أُصُلٍ » و « الأُصُل » جمع « أصيلٍ »، و «الأصيل» ، هو العشيُّ ، وهو ما بين العصر إلى مغرب الشمس ،[١] قال أبو ذؤيب :

لَعَمْرِى لَأَنْتَ البَيْتُ أُكْرِمَ أَهْلَهُ وَأَقْعُدُ فِى أَفْيَائِهِ بِالأَصَائِلِ[٢]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد، لهؤلاء المشركين بالله: مَنْ رَبُّ السموات والأرض ومدبِّرها ؟ فإنهم سيقولون: الله . وأمر الله نبيّه صلى الله عليه وسلم أن يقول: « الله » ، فقال له: قل ، يا محمد، ربُّها الذى خلقها وأنشأها ، هو الذى لا تصلح العبادة إلاّ له ، وهو الله . ثم قال: فإذا أجابوك بذلك . فقل لهم : أفاتخذتم من دون رب السموات والأرض أولياء لا تملك لأنفسها نفعاً تجلبه إلى نفسها ، ولا ضرًّا تدفعه عنها ؟ وهى إذ لم تملك ذلك لأنفسها، فمِنْ مِلْكه لغيرها أبعدُ ، فعبدتموها وتركتم عبادة من بيده النفع والضر، والحياة والموت وتدبير الأشياء كلها . ثم ضرب لهم جل ثناؤه مثلاً فقال : « قل هل يستوى الأعمى والبصير » .

* * *

---

(١) انظر تفسير « الآصال » فيما سلف ١٣ : ٣٥٤ ، ٣٥٥ .

(٢) ديوانه : ١٤١ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٢٣٩ ، ٣٢٨ ، والإنصاف : ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، والخزانة ٢ : ٤٨٩ ، ٥٦٤ ، واللسان (أصل) . وله حادثة طريفة [illegible]

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ (١٦) ٨٩/١٣

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد ، لهؤلاء المشركين الذين عَبَدُوا من دون الله الذى بيده نفعهم وضرهم ما لا ينفع ولا يضرُّ : « هل يستوى الأعمى » ، الذى لا يبصر شيئاً ولا يهتدى لمحجة يسلكها إلاّ بأن يُهدى= « والبصير » ، الذى يهدى الأعمى لمحجة الطريق الذى لا يُبصر ؟ إنهما لا شك لغير مستويين . يقول : فكذلك لا يستوى المؤمن الذى يبصر الحقّ فيتبعه ويعرف الهدى فيسلكه ، وأنتم أيها المشركون الذين لا تعرفون حقًّا ولا تبصرون رَشَداً .

* * *

وقوله : « أم هل تستوى الظلمات والنور » ، يقول تعالى ذكره : وهل تستوى الظلماتُ التى لا تُرَى فيها المحجة فتُسْلَك، ولا يرى فيها السبيل فيُرْكَب = والنور الذى تبصر به الأشياء ، ويجلو ضوءه الظّلام ؟ يقول : إن هذين لا شك لغير مستويين ، فكذلك الكفر بالله، إنما صاحبه منه فى حَيرة يضرب أبداً فى غَمْرَةٍ ، لا يرجع منه إلى حقيقة . والإيمان بالله صاحبه منه فى ضياء يعمل على علم بربه ، ومعرفةٍ منه بأن له مثيباً يثيبه على إحسانه ، ومعاقباً يعاقبه على إساءته ، ورازقاً يرزقه ، ونافعاً ينفعه .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٣٠٥ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « قل هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور » ، أما « الأعمى والبصير » ، فالكافر والمؤمن = وأما « الظلمات والنور » ، فالهدى والضلالة .

* * *

وقوله : « أم جعلوا الله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم » ، يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل، يا محمد ، لهؤلاء المشركين : أخَلَق أوثانُكم التي اتّخذتموها أولياء من دون الله خلقاً كخلق الله ، فاشتبه عليكم أمرُها فيما خَلقت وخَلَق الله ، فجعلتموها له شركاء من أجل ذلك، أم إنما بكم الجهل والذهابُ عن الصواب؟ فإنه لا يشكل على ذى عقل أنّ عبادة ما لا يضرّ ولا ينفع من الفعل جهلٌ ،وأن العبادة إنما تصلح للذى يُرْجَى نفعه ويُخْشَى ضَرّه، كما أن ذلك غير مشكل خطؤه وجهلُ فاعله ، كذلك لا يشكل جهل من أشرك فى عبادة من يرزقه ويكفله ويَمُونه ، من لا يقدِرُ له على ضرّ ولا نفع .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال بعض أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٣٠٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد: « أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه »، حملهم ذلك على أن شكُّوا فى الأوثان .

٢٠٣٠٧ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

٢٠٣٠٨ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « أم جعلوا الله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم»، خلقوا كخلقه ، فحملهم ذلك على أن شكُّوا فى الأوثان .

٢٠٣٠٩ ــ حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا شبابة قال ، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

٢٠٣١٠ ــ . . . قال ، حدثنا حجاج، عن ابن جريج قال ، قال ابن كثير : سمعت مجاهداً يقول : « أم جعلوا الله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم » ، ضُربت مثلاً .

* * *

وقوله : « قل الله خالق كل شيء » ، يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء المشركين إذا أقرُّوا لك أن أوثانهم التي أشركوها في عبادة الله لا تخلق شيئاً : فاللهُ خالقكم وخالق أوثانكم وخالق كل شيء،[1] فما وجه إشراككم ما لا يخلق ولا يضرّ ؟

* * *

وقوله : « وهو الواحد القهار » ، يقول : وهو الفرد الذي لا ثاني له[2] = « القهار » ، الذي يستحق الألوهة والعبادة، لا الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع .[3] ٩٠/١٣

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ (١٧)

قال أبو جعفر : وهذا مثل ضربه الله للحق والباطل ، والإيمان به والكفر .

يقول تعالى ذكره : مثل الحق في ثباته ، والباطل في اضمحلاله ، مثل ماء

---

(١) في المطبوعة والمخطوطة : « وخلق كل شيء » ، والذي أثبت أجود .

(٢) انظر تفسير « الواحد » فيما سلف ٣ : ٢٦٥ ، ١٦/٢٦٦ : ١٠٤

(٣) انظر تفسير « القهار » فيما سلف ص : ١٠٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

أنزله الله من السماء إلى الأرض = « فسالت أودية بقدرها » ، يقول : فاحتملته الأودية بملئها ، الكبير بكبره ، والصغير بصغره = « فاحتمل السيل زبداً رابياً » ، يقول : فاحتمل السيل الذى حدث عن ذلك الماء الذى أنزله الله من السماء ، زبداً عالياً فوق السيل .

فهذا أحدُ مثلى الحقّ والباطل . فالحق هو الماءُ الباقى الذى أنزله الله من السماء ، والزبد الذى لا ينتفع به هو الباطل .

والمثل الآخر : « ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية » ، يقول جل ثناؤه : ومثلٌ آخر للحقّ والباطل ، مثل فضة أو ذهب يوقد عليها الناس فى النار طلبَ حلية يتخذونها أو متاع ، وذلك من النحاس والرصاص والحديد ، يوقد عليه ليتخذ منه متاع ينتفع به = « زبد مثله » ، يقول تعالى ذكره : ومما يوقدون عليه من هذه الأشياء زبد مثله ، يعنى : مثل زبد السَّيل ، لا ينتفع به ويذهب باطلاً ، كما لا ينتفع بزبد السَّيل ويذهب باطلاً .

* * *

ورفع « الزبد » بقوله : « ومما يوقدون عليه فى النار » .

* * *

ومعنى الكلام : ومما يوقدون عليه فى النار زبدٌ مثلُ زبد السيل فى بطول زبده ، وبقاء خالص الذهب والفضة .

يقول الله تعالى : « كذلك يضرب الله الحق والباطل » ، يقول : كما مثَّل الله مثلَ الإيمانِ والكفر ،[1] فى بُطُول الكفر وخيبة صاحبه عند مجازاة الله ، بالباقى النافع من ماء السيل وخالص الذهب والفضة ، كذلك يمثل الله الحق والباطل = « فأما الزبد فيذهب جُفَاء » ، يقول : فأما الزبد الذى علا السيل والذهب والفضة والنحاس والرصاص عند الوقود عليها ، فيذهب بدفع الرياح وقذف الماء به ، وتعلُّقه بالأشجار وجوانب الوادى = وأما ما ينفع الناس من الماء والذهب والفضة والرصاص

(١) فى المطبوعة : « كما مثل الله الإيمان . . » ، حذف ما أثبته من المخطوطة .

والنحاس ، فالماء يمكثُ فى الأرض فتشربه ، والذهب والفضة تمكث للناس = «كذلك يضرب الله الأمثال » ، يقول : كما مثّل هذا المثل للإيمان والكفر ، كذلك يمثّل الأمثال .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٣١١ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها » ، فهذا مثل ضربه الله ، احتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكّها . فأما الشك فلا ينفع معه العمل ، وأما اليقين فينفع الله به أهله ، وهو قوله : « فأما الزبد فيذهب جفاء » ، وهو الشك = « وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » ، وهو اليقين ، كما يُجعل الحَلْىُ فى النار فيؤخذ خالصُه ويترك خَبَثُه فى النار . فكذلك يقبل الله اليقين ويترك الشك .

٢٠٣١٢ ــ حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً » ، يقول : احتمل السيل ما فى الوادى من عود ودِمْنة = « ومما يوقدون عليه فى النار » ، فهو الذهب والفضة والحلية والمتاع والنحاس والحديد ، وللنحاس والحديد خَبَث ، فجعل الله مثل خبثه كزبد الماء . فأما ما ينفع الناس فالذهب والفضة ، وأما ما ينفع الأرض فما شربت من الماء فأنبتت . فجعل ذلك مثل العمل الصالح يبقى لأهله ، والعمل السيئ يضمحل عن أهله ، كما يذهب هذا الزبد . فكذلك الهدى والحق جاء من عند الله ، فمن عمل بالحق كان ٩١/١٣
له ، وبقى كما يبقى ما ينفع الناس فى الأرض . وكذلك الحديد لا يستطاع أن تجعل منه سكين ولا سيف حتى يدخل فى النّار فتأكل خَبَثه ، فيخرج جيّده فينتفع به .

فكذلك يضمحل الباطل إذا كان يوم القيامة ، وأقيم الناس ، وعرضت الأعمال ، فيزيغ الباطل ويهلك ، وينتفع أهل الحق بالحق . ثم قال : « ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حِلْية أو متاع زبدٌ مثله » .

٢٠٣١٣ – حدثنى يعقوب قال، حدثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، عن الحسن فى قوله : « أنزل من السماء ماء فسالت أودية» إلى « أو متاع زبد مثله » ، فقال : ابتغاء حلية الذهب والفضة ، أو متاع الصُّفْر والحديد . قال : كما أوقد على الذهب والفضة والصُّفْر والحديد فخلص خالصه . قال : « كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاءً وأمّا ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » ، كذلك بقاء الحق لأهله ، فانتفعوا به .

٢٠٣١٤ – حدثنا الحسن بن محمد الزعفرانى قال، حدثنا حجاج بن محمد قال ، قال ابن جريج ، أخبرنى عبد الله بن كثير : أنه سمع مجاهداً يقول : « أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها »، قال: ما أطاقت ملأها = « فاحتمل السيل زبداً رابياً » ، قال : انقضى الكلام . ثم استقبل فقال : « ومما توقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله » ، قال : المتاع الحديد والنحاس والرصاص وأشباهه = « زبد مثله »، قال: خَبَثُ ذلك مثل زَبَد السيل . قال : « وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض »، « وأما الزبد فيذهب جفاء »، قال: فذلك مثل الحق والباطل .

٢٠٣١٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين ، قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد : أنه سمعه يقول ، فذكر نحوه = وزاد فيه ، قال : قال ابن جريج ، قال مجاهد قوله : « فأما الزبد فيذهب جفاء » ، قال : جموداً فى الأرض = « وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » ، يعنى الماء . وهما مثلان ، مثل الحق والباطل .

٢٠٣١٦ – حدثنا الحسن قال، حدثنا شبابة قال ، حدثنا ورقاء ، عن ابن

أبي نجيح ، عن مجاهد قوله: « زبداً رابياً » السيل ، مثل خَبَث الحديد والحلية = « فيذهب جفاء » ، جموداً في الأرض = « ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله » ، الحديد والنحاس والرصاص وأشباهه . وقوله : « وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » ، إنما هما مثلان للحق والباطل .

٢٠٣١٧ ـ حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد =

٢٠٣١٨ ـ . . . قال ، وحدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد = يزيد أحدهما على صاحبه = في قوله : « فسالت أودية بقدرها » ، قال : بملئها = « فاحتمل السيل زبداً رابياً » ، قال : الزبد السيل = « ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله » ، قال : خبث الحديد والحلية = « فأما الزبد فيذهب جفاء » ، قال : جموداً في الأرض = « وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » ، قال : الماء . وهما مثلان للحق والباطل .

٢٠٣١٩ ـ حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها » ، الصغير بصغره ، والكبير بكبره = « فاحتمل السيل زبداً رابياً » ، أي : عالياً = « ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء » ، و « الجفاء » ، ما يتعلق بالشجر = « وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض» . هذه ثلاثة أمثال ضربها الله في مثلٍ واحدٍ . يقول : كما اضمحلّ هذا الزبد فصار جُفاءً لا ينتفع به ولا تُرْجى بركته ، كذلك يضمحلّ الباطل عن أهله كما اضمحل هذا الزبد ، وكما مكث هذا الماء في الأرض ، فأمرعت هذه الأرض وأخرجت نباتها ، كذلك يبقى الحق لأهله كما بقي هذا الماء في الأرض ٩٢/١٣
فأخرج الله به ما أخرج من النبات= قوله: « ومما توقدون عليه في النار » ، الآية ، كما يبقى خالص الذهب والفضة حين أدخل النار وذهب خَبَثه ، كذلك يبقى الحق

لأهله = قوله : « أو متاع زبد مثله » ، يقول : هذا الحديد والصُّفْر الذى ينتفع به فيه منافع . يقول : كما يبقى خالص هذا الحديد وهذا الصُّفر حين أدخل النار وذهب خَبَثه ، كذلك يبقى الحق لأهله كما بقى خالصهما .

٢٠٣٢٠ ــ حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « فسالت أودية بقدرها » ، الكبير بقدره ، والصغير بقدره = « زبداً رابياً » ، قال : ربا فوق الماء الزبد = « ومما توقدون عليه فى النار » ، قال : هو الذهب إذا أدخل النار بقى صَفْوه ونُفِىَ ما كان من كَدَره . وهذا مثل ضربه الله للحق والباطل = « فأما الزبد فيذهب جفاء » ، يتعلق بالشجر فلا يكون شيئاً . هذا مثل الباطل = « وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » ، وهذا يخرج النبات . وهو مثل الحق = « أو متاع زبد مثله » ، قال : « المتاع » ، الصُّفْر والحديد .

٢٠٣٢١ ــ حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا هوذة بن خليفة قال ، حدثنا عوف قال : بلغنى فى قوله : « أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها » ، قال : إنما هو مثل ضربه الله للحق والباطل = « فسالت أودية بقدرها » ، الصغير على قدره ، والكبير على قدره ، وما بينهما على قدره = « فاحتمل السيل زبداً رابياً » ، يقول : عظيماً ، وحيث استقرَّ الماءُ يذهب الزبد جفاءً فتطير به الريح فلا يكون شيئاً ، ويبقى صريح الماء الذى ينفع الناس ، منه شرابهم ونباتهم ومنفعتهم = « أو متاع زبد مثله » ، ومثل الزبد كلّ شىء يوقد عليه فى النار ، الذهب والفضة والنحاس والحديد ، فيذهب خَبَثُه ويبقى ما ينفع فى أيديهم . والخبث والزَّبد مثل الباطل ، والذى ينفع الناس مما تحصَّل فى أيديهم مما ينفعهم ، المال ، الذى فى أيديهم .

٢٠٣٢٢ ــ حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « ومما توقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله » ، قال : هذا مثل ضربه الله للحق والباطل . فقرأ : « أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً » ، هذا الزبد لا ينفع = « أو متاع زبد مثله » ، هذا لا ينفع

أيضاً . قال : وبقى الماءُ فى الأرض فنفع الناس ، وبقى الحَلْىُ الذى صلح من هذا فانتفع الناس به = « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال » ، وقال : هذا مثل ضربه الله للحق والباطل .

٢٠٣٢٣ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن عباس : « أودية بقدرها » ، قال : الصغير بصغره ، والكبير بكبره .

٢٠٣٢٤ ــ حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا طلحة بن عمرو ، عن عطاء : ضرب الله مثلاً للحق والباطل ، فضرب مثل الحق كمثل السيل الذى يمكث فى الأرض ، وضرب مثل الباطل كمثل الزبد الذى لا ينفع الناس .

* * *

وعنى بقوله : « رابياً » ، عالياً منتفخاً ، من قولهم : « رَبَا الشىء يَرْبُو رُبُوًّا فهو رابٍ » ، ومنه قيل للنَّشْز من الأرض كهيئة الأكمة : « رابية » ، ومنه قول الله تعالى : ﴿ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ ، [سورة الحج ٥ / سورة فصلت ٣٩] .(١)

* * *

وقيل للنحاس والرصاص والحديد فى هذا الموضع « المتاع » ، لأنه يستمتع به ، وكل ما يتمتع به الناس فهو « متاع » ،(٢) كما قال الشاعر :(٣)

تَمَتَّعْ يا مُشَعَّثُ إنَّ شَيْئاً سَبَقْتَ بِهِ المَمَاتَ هُوَ المَتَاعُ(٤)

* * *

---

(١) انظر تفسير « ربا » فيما سلف ٦ : ٧

(٢) انظر تفسير « المتاع » فيما سلف ١٥ : ١٤٦ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

(٣) هو المشعث العامرى ، وبهذا البيت سمى « مشعثاً » .

(٤) الأصمعيات رقم : ٤٨ ، ومعجم الشعراء : ٤٧٥ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٣٢٨ ، واللسان (متع) ، وهى أبيات جياد ، يقول بعد البيت :

ياصَخْرُ يَتْرُكْنِي الحَيُّ يوماً رَهِينَةَ دَارِهِمْ ، وهُمُ سِرَاعُ

وأما « الجفاء » ، فإني : —

٢٠٢٢٥ — حدثت عن أبي عبيدة معمر بن المثنى ، قال أبو عمرو بن العلاء : يقال : « قد أجفأت القِدْرُ » ، وذلك إذا غلت فانصبَّ زَبدها ، أو سَكَنَت فلا يبقى منه شيء»(١) .

* * *

وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة ، أن معنى قوله : « فيذهب جفاء » ، تنشفُه الأرض . وقال : يقال : « جفا الوادى ، وأجفى » ، فى معنى نشف ، و « انجفى الوادى »(٢) ، إذا جاء بذلك الغثاء و « غَثَى الوادى فهو يَغْثَى غَثْيًا وغَثَيَانًا »(٣) وذكر عن العرب أنها تقول : « جفأتُ القدر أجفؤها » ، إذا أخرجتَ جُفَاءها ، وهو الزبد الذى يعلوها = و « أجفأتها إجفاء» ، لغة . قال : وقالوا : « جفأت الرجل جَفْأً » ، صرعته .

وقيل : « فيذهب جفاء » ، بمعنى : « جفأً » ، لأنه مصدر من قول القائل : « جفأ الوادى غُثاءه » ، فخرج مخرج الاسم ، وهو مصدر ، كذلك تفعل العرب فى مصدر كلّ ما كان من فعل شيء اجتمع بعضُه إلى بعض كـ « القُمَاش ، والدُّقاق ، والحُطام ، والغُثَاء » ، تخرجه على مذهب الاسم ، كما فعلت ذلك فى

وجاءتْ جَيْأَلٌ وَأَبُو بَنِيهَا أَحَمُّ المَأْقِيَيْنِ بِهِ خُماعُ
فظَلاَّ ينْبِشانِ التُّرْبَ عنِّى وما أَنا وَيْبَ غيْرِكَ والسِّباعُ

يقول : ليأتينى الأجل ، فيتركنى أهلى دفيناً فى ديارهم ، ثم يسرعون الرحيل . ثم تأتى « جيأل » ، وهى أنثى الضباع ، ويأتى ذكرها ، أسود مأق العين ، يخمع ويعرج ، فينبشان الترب عنى ، ولا دفع عندى لما يفعلان .

(١) هذا نص كلام أبى عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ٣٢٩ .

(٢) هذا نص لا شبيه له فى كتب اللغة فى مادة (جفا) ، ولا فى مادة (جفأ) ، وبين أنه أراد « جفا وأجفى » المعتل الآخر ، لا المهموز ، ولا أدرى من قاله .

(٣) هذا أيضاً لا أدرى من قاله قبل زمان أبى جعفر ، إلا أن صاحب اللسان ذكر مثله عن ابن جنى ، والمعروف عند أهل اللغة : « غثا الوادى يغثو » .

قولهم : « أعطيتُه عَطاء » ، بمعنى الإعطاء . ولو أريد من « القماش » ، المصدر على الصحة لقيل : « قد قمشه قَمْشاً » .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ (١٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : أما الذين استجابوا لله فآمنوا به حين دعاهم إلى الإيمان به ، وأطاعوه فاتبعوا رسوله وصدّقوه فيما جاءهم به من عند الله[1] = « فإن لهم الحسنى » ، وهى الجنة ،[2] كذلك : —

٢٠٣٢٦ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « للذين استجابوا لربهم الحسنى » ، وهى الجنة .

* * *

وقوله : « والذين لم يستجيبوا له لو أنّ لهم ما فى الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به » ، يقول تعالى ذكره : وأما الذين لم يستجيبوا لله حين دعاهم إلى توحيده والإقرار بربوبيته ،[3] ولم يطيعوه فيما أمرهم به ، ولم يتبعوا رسوله فيصدقوه فيما جاءهم به من عند ربهم ، فلو أن لهم ما فى الأرض جميعاً من شىء ومثله معه ملكاً لهم ، ثم قُبِل مثل ذلك منهم ، وقبل منهم بدلاً من العذاب الذى أعدّه الله لهم فى نار جهنم وعوضاً ،[4] لافتدوا به أنفسهم منه . يقول الله : « أولئك لهم سوء الحساب » ،

(١) انظر تفسير « الاستجابة » فيما سلف ١٣ : ٤٦٥ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الحسنى » فيما سلف ٩ : ١٤/٩٦ : ٢٩١ .
(٣) فى المطبوعة : « لم يستجيبوا له » ، وأثبت ما فى المخطوطة .
(٤) كانت هذه العبارة فى المطبوعة هكذا : « ثم مثل ذلك ، وقبل ذلك منهم بدلا من العذاب » ،

يقول : هؤلاء الذين لم يستجيبوا لله = « لهم سوء الحساب » ، يقول : لهم عند الله أن يأخذهم بذنوبهم كلها ، فلا يغفر لهم منها شيئاً ، ولكن يعذبهم على جميعها ، كما :-

٢٠٣٢٧ - حدثنا الحسن بن عرفة قال، حدثنا يونس بن محمد قال ، حدثنا عون ، عن فرقد السبخي قال ، قال لنا شهر بن حوشب : « سوء الحساب » ، أن لا يتجاوز لهم عن شيء .(١)

٢٠٣٢٨ - حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية قال، حدثني الحجاج بن أبي عثمان قال ، حدثني فرقد السبخي قال ، قال إبراهيم النخعي : يا فرقد ، أتدري ما « سوء الحساب » ؟ قلت : لا ! قال : هو أن يحاسب الرّجل بذنبه كله لا يغفر له منه شيء .(٢)

* * *

وقوله : « ومأواهم جهنم » ، يقول : ومسكنهم الذي يسكنونه يوم القيامة ، جهنم(٣)= « وبئس المهاد » ، يقول : وبئس الفراش والوطاء جهنمُ التي هي مأواهم يوم القيامة .(٤)

* * *

وكان في المخطوطة هكذا : « ثم قيل مثل ذلك ، وقيل ذلك منهم بدلا من العذاب » . وهما عبارتان مختلفتان هالكتان ، والصواب الذي رجحته هو ما أثبت .

(١) الأثر : ٢٠٣٢٧ - « الحسن بن عرفة العبدي البغدادي » ، شيخ الطبري ، ثقة، مضى برقم : ٩٣٧٣ ، ١٢٨٥١ ، ١٥٧٦٦ .

و « يونس بن محمد بن مسلم البغدادي » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ٥٠٩٠ ، ١٢٥٤٩ و « عون » ، كأنه يعني : « عون بن سلام القرشي الكوفي » ، ثقة مترجم في التهذيب .

وأما « فرقد السبخي » ، فهو « فرقد بن يعقوب السبخي » ، « أبو يعقوب » ، كان ضعيفاً منكر الحديث ، لأنه لم يكن صاحب حديث ، وليس بثقة مترجم في التهذيب ، والكبير ٤/١/١٣١ ، وابن أبي حاتم ٣/٢/٨١ ، وميزان الاعتدال ٢ : ٣٢٧ .

(٢) الأثر : ٢٠٣٢٨ - « فرقد السبخي » ، ليس بثقة ، مضى برقم : ٢٠٣٢٧ ، وسيأتي هذا الخبر بإسناد آخر رقم : ٢٠٣٣٤ .

(٣) انظر تفسير « المأوى » فيما سلف ١٠ : ٢٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « المهاد » فيما سلف ١٢ : ٤٣٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (١٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : أهذا الذى يعلم أنّ الذى أنزله الله عليك، يا محمد ، حق فيؤمن به ويصدق ويعمل بما فيه ، كالذى هو أعمى ، فلا يعرف موقع حُجّة الله عليه به ، ولا يعلم ما ألزمه الله من فرائضه ؟

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٣٢٩ ــ حدثنا إسحق قال ، حدثنا هشام، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة فى قوله : « أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق » ، قال : هؤلاء قوم انتفعُوا بما سمعوا من كتاب الله وعقلوه ووَعَوْه، قال الله : « كمن هو أعمى » ، قال : عن الخير فلا يبصره .

* * *

وقوله : « إنما يتذكر أولو الألباب »، يقول : إنما يتعظ بآيات الله ويعتبر بها ذوو العقول ،[1] وهى « الألباب » واحدها « لُبٌّ » .[2]

* * *

---

(١) انظر تفسير « التذكر » فيما سلف من فهارس اللغة (ذكر) .

(٢) انظر تفسير « الألباب » فيما سلف ٣ : ٤/٣٨٣ : ٥/١٦٢ : ٦/٥٨٠ : ١١/٢١١ : ٩٧ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ ﴿٢١﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره: إنما يتعظ ويعتبر بآيات الله أولو الألباب، الذين يوفون بوصية الله التى أوصاهم بها[1] = « ولا ينقضون الميثاق » ، ولا يخالفون العهد الذى عاهدوا الله عليه إلى خلافه ، فيعملوا بغير ما أمرهم به ، ويخالفوا إلى ما نهى عنه . ١٣/٩٤

* * *

وقد بينا معنى « العهد » و« الميثاق » ، فيما مضى بشواهده ، فأغنى عن إعادته فى هذا الموضع .[2]

* * *

وبنحو الذى قلنا ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٣٣٠ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة قال: « إنما يتذكر أولو الألباب » ، فبيّن من هم ، فقال : « الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق » ، فعليكم بوفاء العهد ، ولا تنقضوا هذا الميثاق، فإن الله تعالى قد نهى وقدّم فيه أشد التّقدمة،[3] فذكره فى بضع وعشرين سنة موضعاً نصيحةً لكم، وتقدمةً إليكم ، وحجة عليكم. وإنما يعظُم الأمر بما عظّمه الله به عند أهل الفهم والعقل، فعظّموا ما عظم الله . قال قتادة:

---

(١) انظر تفسير « الإيفاء » فيما سلف من فهارس اللغة (وفى) .

(٢) انظر تفسير « العهد » فيما سلف ١٤ : ١٤١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك = وتفسير « الميثاق» فيما سلف ص: ٢٠٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٣) « قدم فيه أشد التقدمة » : أى : أمرهم به أمراً شديداً ، ونهاهم عن مخالفته ، وقد سلف شرحها فى الخبر رقم : ٤١١٤/ ج ٥ : ٩ ، تعليق : ٣ .

وذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فى خطبته : « لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له » .

* * *

وقوله : « والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل » ، يقول تعالى ذكره : والذين يصلون الرَّحم التى أمرهم الله بوصلها فلا يقطعونها[1] = « ويخشون ربهم » ، يقول : ويخافون الله فى قطْعها ، أن يقطعوها فيعاقبهم على قطعها وعلى خلافهم أمرَه فيها .

* * *

وقوله : « ويخافون سوء الحساب » ، يقول : ويحذرون مناقشة الله إياهم فى الحساب ، ثم لا يصفح لهم عن ذنب ، فهم لرهبتهم ذلك جادُّون فى طاعته ، محافظون على حدوده ، كما : —

٢٠٣٣١ — حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا عفان قال ، حدثنا جعفر ابن سليمان، عن عمرو بن مالك، عن أبى الجوزاء فى قوله : « الذين يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب » ، قال : المقايسةُ بالأعمال .[2]

٢٠٣٣٢ — . . . قال، حدثنا عفان قال ، حدثنا حماد ، عن فرقد ، عن إبراهيم قال : « سوء الحساب » ، أن يحاسب من لا يغفر له .

٢٠٣٣٣ — حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى

---

(١) انظر تفسير « الوصل » فيما سلف ١ : ٤١٥ .

(٢) الأثر : ١٠٣٣١ — « عفان » ، هو « عفان بن مسلم الصفار » ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ٢٠٢٢٦ .

و « جعفر بن سليمان الضبعى » ، ثقة ، كان يتشيع ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٠٤٥٣ .

و « عمرو بن مالك النكرى » ، روى عن أبى الجوزاء، ثقة، وضعفه البخارى، مضى برقم : ٧٧٠١ .

و « أبو الجوزاء » ، وهو « أوس بن عبد الله الربعى » ، تابعى ثقة ، مضى برقم : ٢٩٧٧ ، ٢٩٧٨ ، ٧٧٠١ . وكان فى المخطوطة والمطبوعة : « عن أبى الحفنا » ، وإنما وصل الناسخ الأول « الواو » بالزاى .فصارت عند ناسخ المخطوطة إلى ما صارت إليه ! !

وفى المطبوعة أيضاً : « المناقشة بالأعمال » ، غير ما فى المخطوطة . و « المقايسة » من « القياس » ، « قاس الشىء » ، إذا قدره على مثاله . و « المقايسة بالأعمال » ، كأنه أراد تقديرها . والذى فى المطبوعة أجود عندى : « المناقشة » .

قوله : « ويخافون سوء الحساب » ، قال ، فقال : وما « سوء الحساب » ؟ قال : الذى لا جَوَاز فيه . (١)

٢٠٣٣٤ – حدثنى ابن سنان القزاز قال، حدثنا أبو عاصم، عن الحجاج ، عن فرقد قال : قال لى إبراهيم : تدرى ما « سوء الحساب » ؟ قلت : لا أدرى . قال : يحاسب العبد بذنبه كله لا يغفرُ له منه شىء .(٢)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ (٢٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : والذين صبروا على الوفاء بعهد الله ، وترك نقض الميثاق، وصلة الرحم = « ابتغاء وجه ربهم » ، ويعنى بقوله : « ابتغاء وجه ربهم » ، طلب تعظيم الله ، وتنزيهاً له أن يُخالَفَ فى أمره . أو يأتى أمرًا كره إتيانه فيعصيه به = « وأقاموا الصلاة » ، يقول : وأدّوا الصلاة المفروضة بحدودها فى أوقاتها = « وأنفقوا مما رزقناهم سرًّا وعلانية» ، يقول : وأدّوا من أموالهم زكاتها المفروضة وأنفقوا منها فى السبل التى أمرهم الله بالنفقة فيها = « سرًّا » ، فى خفاء « وعلانية » ، فى الظاهر ، كما : –

٢٠٣٣٥ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « وأقاموا الصلاة » ، يعنى الصلوات الخمس = « وأنفقوا مما رزقناهم سرًّا وعلانية » ، يقول : الزكاة .

---

(١) « الجواز » ، التساهل والتسامح .

(٢) الأثر : ٢٠٣٣٤ – مضى بإسناد آخر رقم : ٢٠٣٢٨ .

٢٠٣٣٦ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : « الصبر »، الإقامة . قال، وقال: « الصبر »، في هاتين، فصبرٌ لله على ما أحبَّ وإن ثقل على الأنفس والأبدان، وصبرٌ عمَّا يكره وإن نازعت إليه الأهواء . فمن كان هكذا فهو من الصابرين. وقرأ: ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾، [سورة الرعد: ٢٤].

* * *

وقوله : « ويدرأون بالحسنة السيئة » ، يقول : ويدفعون إساءة من أساء إليهم من الناس بالإحسان إليهم ،[1] كما :–

٢٠٣٣٧ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « ويدرأون بالحسنة السيئة » ، قال : يدفعون الشر بالخير ، لا يكافئون الشرّ بالشر ، ولكن يدفعونه بالخير . ١٣/٩٥

* * *

وقوله : « أولئك لهم عقبى الدار » . يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين وصفنا صفتهم، هم الذين « لهم عقبى الدار »، يقول: هم الذين أعقبهم الله دارَ الجنان ، من دارهم التي لو لم يكونوا مؤمنين كانت لهم في النار ، فأعقبهم الله من تلك هذه .[2]

* * *

وقد قيل : معنى ذلك: أولئك الذين لهم عَقِيبَ طاعتهم ربَّهم في الدنيا ، دارُ الجنان .

* * *

---

(٢) انظر تفسير « الدر » فيما سلف ٢ : ٢٢ – ٧/٢٢٥ : ٣٨٢ .

(٢) انظر تفسير « العاقبة » فيما سلف ١٥ : ٣٥٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ ﴿٢٤﴾

قال أبو جعفر : يقول : « جنات عدن » ، ترجمة عن « عقبى الدار »،[1] كما يقال : « نعم الرجل عبد الله » ، فعبد الله هو الرجل المقول له : « نعم الرجل » . وتأويل الكلام : أولئك لهم عَقِيبَ طاعتهم ربَّهم، الدارُ التى هى جَنَّات عدْنٍ .

* * *

وقد بينا معنى قوله : « عدن » ، وأنه بمعنى الإقامة التى لا ظَعْنَ معها .[2]

* * *

وقوله : « ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرّياتهم » ، يقول تعالى ذكره : جنات عدن يدخلها هؤلاء الذين وصف صفتهم = وهم الذين يوفون بعهد الله ، والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ، ويخشون ربهم ، والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم ، وأقاموا الصلاة ، وفعلوا الأفعال التى ذكرها جل ثناؤه فى هذه الآيات الثلاث = « ومن صلح من آبائهم وأزواجهم »، وهى نساؤهم وأهلوهم = «وذرّياتهم» .[3] و« صلاحهم»، إيمانهم بالله، واتباعهم أمره وأمر رسوله عليه السلام ، كما :—

٢٠٣٣٨ — حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا شبابة قال، حدثنا ورقاء ،

---

(١) « الترجمة » ، هى عند الكوفيين ، « عطف البيان » و « البدل » عند البصريين ، انظر ما سلف ٢ : ٣٤٠ ، ٣٧٤ ، ٤٢٠ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ثم سائر الأجزاء فى فهرس المصطلحات .

(٢) انظر تفسير « جنات عدن» فيما سلف ١٤ : ٣٥٠ — ٣٥٥ .

(٣) انظر تفسير « الأزواج » فيما سلف ١٢ : ١٥٠ ، تعليق ٦ : ١ ، والمراجع هناك = وتفسير « الذرية » فيما سلف ١٥ : ١٦٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : « ومن صلح من آبائهم » ، قال : من آمن في الدنيا .

٢٠٣٣٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد =

٢٠٣٤٠ – وحدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

٢٠٣٤١ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله : « ومن صلح آبائهم » ، قال : من آمن من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم .

* * *

وقوله : « والملائكة يدخلون عليهم من كل باب * سلام عليكم بما صبرتم » ، يقول تعالى ذكره : وتدخل الملائكة على هؤلاء الذين وصف جل ثناؤه صفتهم في هذه الآيات الثلاث ، في جنات عدن ، من كل باب منها ، يقولون لهم : « سلام عليكم بما صبرتم » ، على طاعة ربكم في الدنيا = « فنعم عقبى الدار » .

* * *

وذكر أن لجنات عدن خمسة آلاف باب .

٢٠٣٤٢ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا علي بن جرير قال ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن يعلى بن عطاء ، عن نافع بن عاصم ، عن عبد الله بن عمرو قال : إن في الجنة قصراً يقال له : « عدن » ، حوله البروج والمروج ، فيه خمسة آلاف باب ، على كل باب خمسة آلاف حِبَرة ،(١) لا يدخله إلا نبيٌّ أو صديق أو شهيدٌ .(٢)

٢٠٣٤٣ – . . . قال، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الرحمن بن مغراء ،

---

(١) « الحبرة » بكسر الحاء وفتح الباء ، ضرب من برود اليمن منمر .

(٢) الأثر : ٢٠٣٤٢ – « علي بن جرير » ، مضى آنفاً برقم : ٢٠٢١٢ ، ولم أجد له

عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « جنات عدن » ، قال : مدينة الجنة ، فيها الرسل والأنبياء والشهداء وأئمة الهدى ، والناسُ حولهم ، بعدد الجنات حوْلها .

* * *

وحذف من قوله : « والملائكة يدخلون عليهم من كل باب * سلام عليكم » ، = « يقولون » ،[1] اكتفاءً بدلالة الكلام عليه ، كما حذف ذلك من قوله : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا ﴾ ، [سورة السجدة : ١٢]

* * *

٢٠٣٤٤ ــ حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن بقية بن الوليد قال ، حدثنى أرطاة بن المنذر قال : سمعت رجلاً من مشيخة الجند يقال له « أبو الحجاج » ، يقول : جلست إلى أبى أمامة فقال : إن المؤمن ليكون متّكئاً على أريكته إذا دخل الجنة ، وعنده سِمَاطان من خَدَمٍ ، وعند طرف السِّماطين ٩٦/١٣
بابٌ مبوَّبٌ ،[2] فيقبل المَلَك يستأذن ؛ فيقول أقصى الخدم للذى يليه :[3] ملك يستأذن! ويقول الذى يليه للذى يليه : «ملك يستأذن » ، حتى يبلغ المؤمن فيقول : ائذنوا . فيقول أقربهم إلى المؤمن : ائذنوا . ويقول الذى يليه للذى يليه : ائذنوا. فكذلك حتى

ترجمة إلا فى ابن أبى حاتم ، وهى مختلة .

و « حماد بن سلمة » ، ثقة مشهور ، مضى مراراً .

و « يعلى بن عطاء العامرى » ، ثقة مضى مراراً ، آخرها : ١٧٩٨١ .

و « نافع بن عاصم الثقفى » ، تابعى ثقة ، مضى برقم : ١٥٤٠٢ .

وهذا إسناد صحيح إلى عبد الله بن عمرو ، لولا ما فيه من جهالة « على بن جرير » هذا . وهو موقوف على عبد الله بن عمرو ، لم أجد من رفعه .

(١) أى « وحذف . . . يقولون » .

(٢) فى المطبوعة : « وعند طرف السماطين سور » ، مكان « باب مبوب » ، لأنه لم يحسن قراءة المخطوطة . وقوله : « باب مبوب » ، يعنى مصنوع معقود . وإن شئت قلت : قد اتخذ له بواباً يحرسه .

(٣) كانت العبارة فى المطبوعة فاسدة مع زيادة جملة كاملة ، وهى « فيقول الذى يليه ملك يستأذن» مكررة ، وفى المخطوطة كالذى أثبت ، إلا أنه أسقط من الكلام « أقصى الخدم » ، فأثبتها من الدر المنثور .

يبلغ أقصاهم الذى عند الباب ، فيفتح له ، فيدخل فيسلّم ثم ينصرف .(١)

٢٠٣٤٥ – حدثنى المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن إبراهيم بن محمد، عن سُهَيْل بن أبى صالح ، عن محمد بن إبراهيم قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يأتى قبور الشهداء على رأس كل حول فيقول : « السلام عليكم

---

(١) الأثر : ٢٠٣٤٤ – « بقية بن الوليد » ، ثقة ، مضى مراراً ، ولكن فى حديثه مناكير ، أكثرها عن المجاهيل ، وهو كما قال الجوزجانى : « إذا تفرد بالرواية فغير محتج به ، لكثرة وهمه . ومع أن مسلماً وجماعة من الأئمة قد أخرجوا عنه اعتباراً واستشهاداً ، لا أنهم جعلوا تفرده أصلا » .

و « أرطاة بن المنذر الألهانى » ، ثقة ، كان عابداً ، مضى برقم : ١٧٩٨٧ .

وأما « أبو الحجاج ، رجل من مشيخة الجند » ، فأمره مشكل .

وذلك أن ابن قيم الجوزية ، رواه من طريق بقية بن الوليد عن أرطاة بن المنذر وفيه « أبو الحجاج » ، وكذلك رواه من هذه الطريق نفسها ، ابن كثير فى التفسير ، ثم قال : « رواه ابن جرير ، ورواه ابن أبى حاتم من حديث إسماعيل بن عياش ، عن أرطاة بن المنذر ، عن أبى الحجاج يوسف الألهانى قال سمعت أبا أمامة » ، فصرح باسم « أبى الحجاج » وأنه « يوسف الألهانى » (حادى الأرواح ٢ : ٣٨/ تفسير ابن كثير ٤ : ٥٢)

فلما طلبت « يوسف الألهانى » ، وجدته فى التاريخ الكبير للبخارى ٤/٢/٣٧٦ ، ٣٧٧ قال : « يوسف الألهانى أبو الضحاك الحمصى ، سمع أبا أمامة الباهلى وابن عمر ، وروى عنه أرطاة . حدثنا إسحق بن يزيد ، قال حدثنا أبو مطيع معاوية ، سمع أرطاة ، سمع أبا الضحاك » .

ووجدته فى الجرح والتعديل لابن أبى حاتم ٤/٢/٣٥ : « يوسف الألهانى ، أبو الضحاك الحمصى ، روى ابن عمر وأبى أمامة ، عنه أرطاة بن المنذر » .

والذى نقله ابن كثير عن تفسير ابن أبى حاتم نفسه فيه : « أبو الحجاج يوسف الألهانى » ، والذى فى الجرح والتعديل : « أبو الضحاك » ، يؤيده ما جاء فى التاريخ الكبير . والمشكل أن يتفق نص ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل . ونص البخارى ، ثم يختلف نقل ابن كثير عن تفسير ابن أبى حاتم ، متفقاً مع ما جاء فى نسخ الطبرى ومن نقل عنه ، وكنيته فيها « أبو الحجاج » . والذى أرجحه أن الصواب هو ما فى التاريخ الكبير وابن أبى حاتم : « أبو الضحاك » .

ومع كل ذلك لم أجد ما يهدينى إلى الصواب المحقق ، و « يوسف الألهانى » « أبو الضحاك » ، أو « أبو الحجاج » ، تابعى كما ترى ، ولكن لم أجد له ذكراً فى غير ما ذكرت من كتب ، ولم يبين حاله .

فهذا إسناد فيه نظر ، لما وجدت فى التابعى من الاختلاف ، وقد رأيت أيضاً أنه لم يتفرد بروايته بقية بن الوليد ، عن أرطاة بن المنذر فيكون تفرد فيه بقية قادحاً فى إسناده . فقد رواه عن أرطاة أيضاً « إسماعيل بن عياش » . ومع ذلك يظل فى الإسناد شىء ، وفى النفس منه شىء .

و « إسماعيل بن عياش الحمصى » ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٤٢١٢ ، وهو ثقة ، ولكنهم تكلموا فيه ، وضعفوه فى بعض حديثه .

بما صبرتم فنعم عقبى الدار » ، وأبو بكر وعمر وعثمان .(١)

* * *

وأما قوله : « سلام عليكم بما صبرتم» ، فإن أهل التأويل قالوا فى ذلك نحو قولنا فيه .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٣٤٦ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرزاق ، عن جعفر بن سليمان ، عن أبى عمران الجونى : أنه تلا هذه الآية : « سلام عليكم بما صبرتم » ، قال : على دينكم .

٢٠٣٤٧ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « سلام عليكم بما صبرتم » ، قال : حين صبروا بما يحبه الله فقدّموه . وقرأ : ﴿ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ ، حتى بلغ : ﴿ وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴾ ، [سورة الإنسان : ٢ – ٢٢] ، وصبروا عما كره الله وحرم عليهم ، وصبروا على ما ثقل عليهم وأحبه الله ، فسلم عليهم بذلك . وقرأ : « والملائكة يدخلون عليهم من كل باب * سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » .

* * *

وأما قوله : « فنعم عقبى الدار » ، فإن معناه ، إن شاء الله ، كما : –

٢٠٣٤٨ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرزاق ، عن جعفر ، عن أبى عمران الجونى فى قوله : « فنعم عقبى الدار » ، قال : الجنة من النار .(٢)

* * *

---

(١) الأثر : ٢٠٣٤٥ – « إبراهيم بن محمد » ، هو « إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء ابن خارجة الفزارى » ، ثقة مأمون ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١١٣٥٨ .

و « سهيل بن أبى صالح ، ذكوان السمان » ، ثقة ، روى له الجماعة ، متكلم فى بعض روايته . مضى أخيراً برقم : ١١٥٠٣ ، . وكان فى المطبوعة : « سهل » غير مصغر ، وهو خطأ . لم يحسن الناشر قراءة المخطوطة لأنها غير منقوطة .

و « محمد بن إبراهيم» ، لعله : « محمد بن إبراهيم بن الحارث بن خالد التيمى » ، تابعى ثقة ، روى له الجماعة ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/١/٢٢ ، وابن أبى حاتم ٣/٢/١٨٤ .

(٢) أى الجنة بدلا من النار ، كما سلف فى ص : ٤٢٢

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ (٢٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وأما الذين ينقضون عهد الله ، و« نقضهم ذلك » ، خلافهم أمر الله ، وعملهم بمعصيته[١] = « من بعد ميثاقه » ، يقول : من بعد ما وثّقوا على أنفسهم لله أن يعملوا بما عهد إليهم[٢]=« ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل » ،[٣] يقول : ويقطعون الرحم التى أمرهم الله بوصلها = « ويفسدون فى الأرض » ، فسادهم فيها، عملهم فيها بمعاصى الله[٤]=« أولئك لهم اللعنة » ، يقول : فهؤلاء لهم اللعنة ، وهى البعد من رحمته ، والإقصاء من جِنانه[٥]= « ولهم سوء الدار » ، يقول : ولهم ما يسوءهم فى الدار الآخرة .

* * *

٢٠٣٤٩ ــ حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية، عن على، عن ابن عباس قال: أكبر الكبائر الإشراك بالله، لأن الله يقول: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾ ، [سورة الحج : ٣١] ، ونقض العهد ، وقطيعة الرحم . لأن الله تعالى يقول : « أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار » ، يعنى : سوء العاقبة .

٢٠٣٥٠ ــ حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج قال ،

---

(١) انظر تفسير « النقض » فيما سلف ٩ : ٣٦٣/١٠ : ١٢٥/١٤ : ٢٢ .
(٢) انظر تفسير « الميثاق » فيما سلف ص : ٤١٩ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « الوصل » فيما سلف ١ : ٤١٥/وهذا ص : ٤٢٠ ،تعليق : ١ .
(٤) انظر تفسير « الفساد فى الأرض » فيما سلف من فهارس اللغة (فسد) .
(٥) انظر تفسير « اللعنة » فيما سلف ١٥ : ٤٦٧ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

قال ابن جريج فى قوله : « ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل » ، قال : بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا لم تمش إلى ذى رحمك برجلك ، ولم تعطه من مالك ، فقد قطعته .

٢٠٣٥١ – حدثنى محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن مصعب بن سعد قال : سألت أبى عن هذه الآية : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [سورة الكهف : ١٠٣، ١٠٤] ،أهم الحرورية ؟ قال : لا ، ولكن الحرورية : « الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار » ، فكان سعد يسميهم الفاسقين .(١)

٢٠٣٥٢ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا أبو داود قال ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة قال ، سمعت مصعب بن سعد قال : كنت أمسك على سعد المصحف فأتى على هذه الآية ، ثم ذكر نحو حديث محمد بن جعفر .(٢)

---

(١) الأثر : ٢٠٣٥١ – « مصعب بن سعد بن أبى وقاص » ، تابعى ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٨٧٧٦ .

رواه البخارى فى صحيحه من طريق محمد بن بشار ، عن محمد بن جعفر ، مطولا (الفتح ٨ : ٣٢٣) وسيأتى مطولا فى التفسير ١٧ : ٢٧ (بولاق) فى تفسير آية سورة الكهف . رواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٣٧٠ ، من طريق « إسحاق، عن جرير ، عن منصور ، عن مصعب بن سعد »، وقال: « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » . ووافقه الذهبى . ثم انظر تخريجه فى غير المطبوع من الكتب ، فى الدر المنثور ٤ : ٢٥٣ . وسيأتى بإسناد آخر فى الذى يليه .

(٢) الأثر : ٢٠٣٥٢ – هو مكرر الذى قبله من رواية أبى داود الطيالسى ، عن شعبة .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَـٰعٌ﴾ (٢٦) ١٣/٩٧

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : الله يوسّع على من يشاء من خلقه فى رزقه فيبسط له منه[1] : لأن منهم من لا يُصْلحه إلا ذلك = « ويقدر » ، يقول : ويقتّر على من يشاء منهم فى رزقه وعيشه فيضيّقه عليه ، لأنه لا يصلحه إلاّ الإقتار = « وفرحوا بالحياة الدنيا » ، يقول تعالى ذكره : وفرح هؤلاء الذين بُسِط لهم فى الدنيا من الرزق على كفرهم بالله ومعصيتهم إياه بما بسط لهم فيها ، وجهلوا ما عند الله لأهل طاعته والإيمان به فى الآخرة من الكرامة والنعيم .

ثم أخبر جلّ ثناؤه عن قدر ذلك فى الدنيا فيما لأهل الإيمان به عنده فى الآخرة ، وأعلم عباده قِلّته فقال : « وما الحياة الدنيا فى الآخرة إلا متاع » ، يقول : وما جميعُ ما أُعطى هؤلاء فى الدنيا من السَّعة ، وبُسِط لهم فيها من الرزق ورغد العيش ، فيما عند الله لأهل طاعته فى الآخرة = « إلا متاع » ، قليل ، وشىء حقير ذاهب ،[2] كما :—

٢٠٣٥٣ — حدثنا الحسن بن محمد ، قال ، حدثنا شبابة قال ، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله : « إلا متاع » ، قال : قليلٌ ذاهب .

٢٠٣٥٤ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد =

٢٠٣٥٥ — . . . قال ، وحدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « وما الحياة الدنيا فى الآخرة إلا متاع » ، قال : قليلٌ ذاهب .

---

(١) انظر تفسير « البسط » فيما سلف ٥ : ٢٨٨ — ١٠/٢٩٠ : ٤٥٢ .
(٢) انظر تفسير « المتاع » فيما سلف : ٤١٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

٢٠٣٥٦ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن بكير بن الأخنس ، عن عبد الرحمن بن سابط فى قوله : « وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا فى الآخرة إلا متاعٌ » ، قال : كزاد الرّاعى يُزوِّده أهله : الكفَّ من التمر ، أو الشىء من الدقيق ، أو الشىء يشرَبُ عليه اللبن .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴾ (٢٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ويقول لك ، يا محمد ، مشركو قومك : هلاَّ أُنزل عليك آية من ربك، إمّا ملك يكون معك نذيراً ، أو يُلْقَى إليك كنز ؟ فقل : إن الله يضل منكم من يشاء ، أيها القوم ، فيخذله عن تصديقى والإيمان بما جئته به من عند ربى = « ويَهدى إليه من أناب » ، فرجع إلى التوبة من كفره والإيمان به ، فيوفقه لاتباعى وتصديقى على ما جئته به من عند ربه ، وليس ضلالُ من يضلّ منكم بأن لم ينزل على آية من ربّى ، ولا هداية من يهتدى منكم بأنّها أنزلت علىّ ، وإنما ذلك بيَدِ الله يوفّق من يشاء منكم للإيمان ، ويخذل من يشاء منكم فلا يؤمن .

* * *

وقد بينت معنى « الإنابة » ، فى غير موضع من كتابنا هذا بشواهده ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . (١)

* * *

(١) انظر تفسير « الإنابة » فيما سلف ١٥ : ٤٠٦ ، ٤٥٤ . ولقد نسى أبو جعفر رحمه الله ، فإنه لم يذكر « الإنابة » فى غير هذين الموضعين القريبين ، ولم يذكر فى تفسيرهما شيئاً من الشواهد،

٢٠٣٥٧ - حدثنا بشر ، قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله : « ويهدى إليه من أناب » ، أى : من تاب وأقبل .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾ ﴿٢٩﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ويهدى إليه من أناب بالتوبة الذين آمنوا .

* * *

و « الذين آمنوا » ، فى موضع نصب ، ردٌّ على « مَنْ » ، لأن « الذين آمنوا » ، هم « من أناب » ، ترجم بها عنها .[1]

* * *

وقوله : « وتطمئن قلوبهم بذكر الله » ، يقول : وتسكن قلوبهم وتستأنس بذكر الله ، [2] كما : —

٢٠٣٥٨ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وتطمئن قلوبهم بذكر الله » ، يقول: سكنت إلى ذكر الله واستأنست به .

* * *

وقوله : « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » ، يقول : ألا بذكر الله تسكن وتستأنس قلوبُ المؤمنين . [2]

وكأنه لما أوغل فى التفسير ، وكان قد أعد له العدة ، شبه عليه الأمر ، وظن أن الذى سيأتى مراراً ، مضى قبل ذلك مراراً ، فقال من ذلك ما قال هنا ، وقد مر مثله وأشرت إليه .

(١) « الترجمة » ، البدل أو عطف البيان ، وانظر ما سلف قريباً ص ٤٢٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢، ٣) انظر تفسير « الاطمئنان » فيما سلف ١٥ ٢٥ ، تعليق ١ ، والمراجع هناك .

وقيل : إنه عنى بذلك قلوب المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٣٥٩ – حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا شبابة قال، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » ، لمحمد وأصحابه . ١٣ / ٩٨

٢٠٣٦٠ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل[1] =

٢٠٣٦١ – وحدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء = ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » ، قال : لمحمد وأصحابه .

٢٠٣٦٢ – . . . قال ، حدثنا إسحق، قال ، حدثنا أحمد بن يونس قال ، حدثنا سفيان بن عيينة في قوله : « وتطمئن قلوبهم بذكر الله » ، قال : هم أصحاب محمد صلى الله عليه .

* * *

وقوله : « الذين آمنوا وعملوا الصالحات » ، الصالحات من الأعمال ، وذلك العمل بما أمرهم ربهم = « طوبى لهم » .

* * *

و « طوبى » في موضع رفع بـ « لهم »

* * *

وكان بعض أهل البصرة والكوفة يقول : ذلك رفع ، كما يقال في الكلام: « ويلٌ لعمرو » .

* * *

(١) كرر هذا الإسناد في المطبوعة وحدها ، وقال ناشر المطبوعة الأولى : « كذا في النسخ بهذا التكرار فانظره » ، وليس مكرراً في مخطوطتنا ، فكأنه لم يرجع إليها .

قال أبو جعفر : وإنما أوثر الرفع فى « طوبى » ، لحسن الإضافة فيه بغير «لام» . وذلك أنه يقال فيه : « طوباك » ، كما يقال : « ويلك» ، و« ويبك» ، ولولا حسن الإضافة فيه بغير لام ، لكان النصب فيه أحسنَ وأفصح ، كما النصب فى قولهم : « تعساً لزيد ، وبعداً له ، وسُحْقاً » ، أحسن ، إذ كانت الإضافة فيها بغير « لام » لا تحسن .

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : « طوبى لهم » .

فقال بعضهم : معناه : نِعْمَ ما لهم .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٣٦٣ – حدثنى جعفر بن محمد البروزى من أهل الكوفة قال ، حدثنا أبو زكريا الكلبى ، عن عمر بن نافع قال : سئل عكرمة عن « طوبى لهم » ، قال : نعم ما لهم .(١)

٢٠٣٦٤ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا عمر بن نافع ، عن عكرمة فى قوله : « طوبى لهم » ، قال : نعم ما لهم .

٢٠٣٦٥ – حدثنى الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنى عمر بن

---

(١) الأثر : ٢٠٣٦٣ – « جعفر بن محمد البروزى ، من أهل الكوفة ، » شيخ الطبرى ، هكذا جاء فى المخطوطة ، وهو ما لا أعرف . وقد مضى برقم : ٩٨٠٠ ، وذكرت هناك أنى لم أجده ، وكان فيما سلف : « جعفر بن محمد الكوفى المروزى » ، وذكرت أنه روى عنه فى التاريخ ٥ : ١٨ ، وصح عندى أنه هو هو فى المواضع الثلاثة ، لأنه روى عنه فى التاريخ قال : « حدثنى جعفر بن محمد الكوفى وعباس بن أبى طالب قالا ، حدثنا أبو زكريا يحيى بن مصعب الكلبى ، قال حدثنا عمر بن نافع » . فهذا هو بعض إسنادنا هذا .

و « أبو زكريا الكلبى » ، هو « يحيى بن مصعب الكلبى الكوفى » ، وهو « جار الأعمش » . روى عن الأعمش حكايات ، وروى عن عمر بن نافع ، وهو صدوق. مترجم فى الكبير ٤/٢/٣٠٦ ، وابن أبى حاتم ٤/٢/١٩٠ .

و « عمر بن نافع الثقفى » ، متكلم فيه ، مضى قريباً برقم : ٢٠٢٢٩ ، وكان فى المخطوطة هنا : « عمرو بن نافع» ، وهو فيها على الصواب فى الإسناد التالى، أما المطبوعة فقد تبع خطأ المخطوطة الأول ، وترك صوابها الثانى ! !

نافع قال : سمعت عكرمةَ في قوله : « طوبى لهم » ، قال : نِعْمَ مآ لهم .

* * *

وقال آخرون : معناه : غبطةٌ لهم .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٣٦٦ — حدثنا أبو هشام قال ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن جويبر ، عن الضحاك : « طوبى لهم » ، قال : غبطةٌ لهم .

٢٠٣٦٧ — حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال . حدثنا عبد الرحمن ابن مغراء ، عن جويبر ، عن الضحاك ، مثله .

٢٠٣٦٨ — . . . قال، حدثنا عمرو بن عون قال . أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، مثله .

* * *

وقال آخرون : معناه : فرحٌ وقُرَّةُ عين .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٣٦٩ — حدثني علي بن داود والمثنى بن إبراهيم قالا . حدثنا عبد الله قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله : « طوبى لهم » ، يقول : فرحٌ وقُرَّة عين .

* * *

وقال آخرون : معناه : حُسْنَى لهم .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٣٧٠ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « طوبى لهم » ، يقول : حسنى لهم ، وهي كلمة من كلام العرب .

٢٠٣٧١ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « طوبى لهم » ، هذه كلمة عربية ، يقول الرجل : « طوبى لك » ، أي : أصبتَ خيرًا .

* * *

وقال آخرون : معناه : خير لهم .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٣٧٢ – حدثنا أبو هشام قال، حدثنا ابن يمان قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم قال : خير لهم .

٢٠٣٧٣ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم فى قوله : « طوبى لهم » ، قال : الخير والكرامة التى أعطاهم الله .

* * *

وقال آخرون : « طوبى لهم » ، اسم من أسماء الجنة ، ومعنى الكلام : الجنّة لهُم .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٣٧٤ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « طوبى لهم » ، قال : اسم الجنة ، بالحبشيّة .

٢٠٣٧٥ – حدثنا أبو هشام قال ، حدثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : « طوبى لهم » ، قال : اسم أرض الجنة ، بالحبشية .

٢٠٣٧٦ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ابن مشجوج فى قوله : « طوبى لهم »، قال : « طوبى »، اسم الجنة ، بالهندية .

٢٠٣٧٧ – حدثنا الحسن بن محمد قال ،حدثنا داود بن مهران قال ، حدثنا يعقوب ، عن جعفر بن أبى المغيرة ، عن سعيد بن مشجوج قال : اسم الجنة بالهندية : « طوبى » .[1] ١٣ / ٩٩

(١) الأثران : ٢٠٣٧٦ ، ٢٠٣٧٧ – « سعيد بن مشجوج » أو « بن مسجوح » ، أو و« ابن مسجوع »، هكذا جاء مختلفاً فى المخطوطة ، ثم فى تفسير بن كثير ٤ : ٥٢٣ ، والدر المنثور ٤ : ٥٩ ، ونسبه لابن جرير ، وأبى الشيخ .ولم أجد له ذكراً فى شىء من كتب الرجال ، مع مراجعته على وجوه التصحيف والتحريف .

٢٠٣٧٨ – حدثنا أبو هشام قال ، حدثنا ابن يمان قال ، حدثنا سفيان ، عن السدى ، عن عكرمة : « طوبى لهم » ، قال : الجنة

٢٠٣٧٩ – . . . قال ، حدثنا الحسن بن محمد ، قال ، حدثنا شبابة قال ، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله : « طوبى لهم » ، قال : الجنة .

٢٠٣٨٠ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

٢٠٣٨١ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب » ، قال : لما خلق الله الجنة وفرغ منها قال : « الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب » ، وذلك حين أعجبته .

٢٠٣٨٢ – حدثنا أحمد قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا شريك ، عن ليث ، عن مجاهد : « طوبى لهم » ، قال : الجنة .

* * *

وقال آخرون : « طوبى لهم » ، شجرة فى الجنة .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٣٨٣ – حدثنا محمد بن بشار ، قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا قرة ابن خالد ، عن موسى بن سالم قال ، قال ابن عباس : « طوبى لهم » ، شجرة فى الجنة .(١)

ولكنى وجدت فى لسان العرب مادة (كرم) و(كسا) ، وفيهما قال : « سعيد بن مسحوح الشيبانى » ، وفى شرح القاموس « ابن مشجوج » ونسب إليه السيرافى وابن برى شعر أبى خالد القنانى الخارجى ، الذى يقول فى أوله :

لَقَدْ زَادَ الحَيَاةَ إِلَىَّ حُبًّا بَنَاتِى إِنَّهُنَّ مِنَ الضِّعَافِ

وانظر الكامل ٢ : ١٠٧ . هذا غاية ما وجدته ، ولا أدرى علاقة ما بين هذين الاسمين ، وفوق كل ذى علم عليم .

(١) الأثر : ٢٠٣٨٣ – « موسى بن سالم » ، مولى آل العباس . ثقة ، حديثه عن ابن عباس مرسل ، وروى عن عبد الله بن عبيد الله بن عباس . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤ / ١ / ٢٨٤ ، وابن أبى حاتم ٤ / ١ / ١٤٣ .

٢٠٣٨٤ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الأشعث بن عبد الله ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة : « طوبى لهم » ، شجرة في الجنة ، يقول لها : «تَفَتَّقي لعبدي عما شاء» ! فتنفتق له عن الخيل بسروجها ولُجُمها ، وعن الإبل بأزمّتها ، وعما شاء من الكسوة .(١)

٢٠٣٨٥ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن شهر بن حوشب قال : « طوبى » ، شجرة في الجنة ، كل شَجر الجنة منها ، أغصانُها من وراءِ سور الجنة .

٢٠٣٨٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن الأشعث بن عبد الله ، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة قال : في الجنة شجرة يقال لها « طوبى » ، يقول اللهُ لها : تفَتَّقِي = فذكر نحو حديث ابن عبد الأعلى ، عن ابن ثور .(٢)

٢٠٣٠٨٧ – حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا عبد الجبار، قال حدثنا مروان قال، أخبرنا العلاء، عن شمر بن عطية في قوله: «طوبى لهم »، قال: هي شجرة في الجنة يقال لها « طوبى » .

٢٠٣٨٨ – حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن منصور ، عن حسان أبي الأشرس ، عن مغيث بن سُمَيّ قال : « طوبى » ، شجرة في الجنة ، ليس في الجنة دارٌ إلا فيها غصن منها ، فيجيء

---

(١) الأثر : ٢٠٣٨٤ – « أشعث بن عبد الله بن جابر الحداني، الحملي » الأعمى ، وينسب إلى جده فيقال : « أشعث بن جابر » ، وهو ثقة ، يعتبر بحديثه . وقال العقيلي : في حديثه وهم . ووثقه ابن معين والنسائي وابن حبان . مضى برقم : ٨٣٥٨ ، وهو مترجم في التهذيب ، والكبير ١/١/٤٢٩ في « أشعث بن جابر » ثم فيه ١/١/٤٣٣ في «أشعث أبو عبد الله الحملي»، وفي ابن أبي حاتم ١/١/٢٧٣ .

و « شهر بن حوشب » ، مضى مراراً ، وثقوه ، وتكلموا فيه .

وهذا خبر موقوف على أبي هريرة . وسيأتي من طريق أخرى برقم : ٢٠٣٨٦ .

(٢) الأثر : ٢٠٣٨٦ – هو مكرر الأثر السالف رقم : ٢٠٣٨٤ .

الطائر فيقع ، فيدعوه فيأكل من أحد جنبيه قَدِيداً . ومن الآخر شِوَاء ، ثم يقول : « طِرْ » ، فيطير . (١)

٢٠٣٨٩ — . . . . قال، حدثنا أبو صالح قال، حدثنى معاوية ، عن بعض أهل الشأم قال : إن ربك أخذ لؤلؤة فوضعها على راحتيه ، ثم دملجها بين كفيه ، (٢) ثم غرسها وسط أهل الجنة ، ثم قال لها : « امتدّى حتى تبلغى مَرْضاتى » . ففعلت ، فلما استوت تفجَّرت من أصولها أنهارُ الجنة ، وهى « طوبى » .

٢٠٣٩٠ — حدثنا الفضل بن الصباح قال، حدثنا إسمعيل بن عبد الكريم الصنعانى قال ، حدثنى عبد الصمد بن معقل : أنه سمع وهباً يقول : إن فى الجنة شجرة يقال لها « طوبى » ، يسير الراكب فى ظلها مئة عام لا يقطعها ، زهرها رِيَاط ، (٣) وورقها بُرود ، (٤) وقضبانها عنبر ، وبطحاؤها ياقوت ، وترابها كافور ، ووَحَلها مسك ، يخرج من أصلها أنهارُ الخمر واللبن والعسل ، وهى مجلسٌ لأهل الجنة . فبينا هم فى مجلسهم إذ أتتهم ملائكة من ربِّهم يقودون نُجُباً مزمومة بسلاسل من ذهب ، وجوهها كالمصابيح من حسنها ، ووَبَرها كخَزّ المِرْعِزَّى من لينه ، (٥) عليها رحالٌ ألواحها من ياقوت ، ودفوفها من ذهب ،

---

(١) الأثر : ٢٠٣٨٨ — « منصور » ، هو « منصور بن المعتمر » ، مضى مراراً .

و « حسان أبو الأشرس » ، هو «حسان بن أبى الأشرس بن عمار الكاهلى » ، وهو « حسان بن المنذر » كنيته وكنية أبيه « أبو الأشرس » ، ثقة ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/١/٣٢ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٢٣٥ .

و « مغيث بن سمى الأوزاعى » ، تابعى ثقة ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/٢/٢٤ ، وابن أبى حاتم ٤/١/٣٩١ .

وسيأتى هذا الخبر مطولا بإسناد آخر رقم : ٢٠٣٩٢ .

(٢) « دملج الشىء دملجة » ، إذ سواه وأحسن صنعته ، كما يدملج السوار .

(٣) « الرياط » جمع « ريطة » ، وهى كل ثوب لين رقيق .

(٤) « برود » ، جمع « برد » ، هو من ثياب الوشى .

(٥) « المرعزى » (بكسر الميم وسكون الراء ، وكسر العين وتشديد الزاى المفتوحة) ، هو الزغب الذى تحت شعر العنز ، وهو ألين الصوف وميم « المرعزى» زائدة ، ومادته (رعز) .

وثيابها من سندس وإستبرق، فينيخونها ويقولون : « إن ربنا أرسلنا إليكم لتزوروه وتسلّموا عليه » . قال : فيركبونها ، قال : فهى أسرع من الطائر ، وأوطأ من الفراش ، نُجُباً من غير مَهَنَة ،[1] يسير الرَّجل إلى جنب أخيه وهو يكلمه ويناجيه ، لاتصيب أذُنُ راحلة منها أذُنَ صاحبتها ، ولا بَرْكُ راحلة بركَ صاحبتها ،[2] حتى إن الشجرة لتتنحّى عن طرُقهم لئلا تفرُق بين الرجل وأخيه ، قال : فيأتون إلى الرحمن الرحيم فيُسْفِر لهم عن وجهه الكريم حتى ينظروا إليه ، فإذا رأوه قالوا : « اللهم أنت السلام ومنك السلام ، وحُقّ لك الجلال والإكرام » .قال: فيقول تبارك وتعالى عند ذلك : « أنا السلام ومنى السلام ، وعليكم حقّت رحمتى ومحبتى ، مرحباً بعبادى الذين خَشُونى بغَيْب ،وأطاعوا أمرى » . قال : فيقولون : « ربنا إنا لم نعبدك حقّ عبادتك ، ولم نقدرك حق قدرك ، فأذن لنا بالسجود قدّامك » . قال : فيقول الله : « إنها ليست بدار نَصَب ولا عبادة ،ولكنها دارُ مُلْك ونعيم ، وإنى قد رفعت عنكم نَصَب العبادة ، فسلونى ما شئتم ، فإن لكل رجل منكم أمنيّته » . فيسألونه ، حتى إن أقصرهم أمنيةً ليقول : « ربِّ ،تنافس أهل الدنيا فى دنياهم فتضايقوا فيها ، رب فآتنى كل شىء كانوا فيه من يوم خلقتها إلى أن انتهت الدنيا » . فيقول الله : «لقد قصّرت بك اليوم أمنيتُك ، ولقد سألت دون منزلتك ، هذا لك منى ، وسأتحفك بمنزلتى ، لأنه ليس فى عطائى نَكَد ولا تَصْريدٌ »[3]. قال : ثم يقول: «اعرضوا على عبادى ما لم تبلغ أمانيهم ،ولم يخطر لهم على بال» . قال : فيعرضون عليهم حتى يَقْضُوهم أمانيهم

١٣/١٠٠

---

(١) « المهنة » (بفتحات) جمع « ماهن» ، ويجمع على « مهان » ، نحو « كاتب ، وكتبة ، وكتاب » ، وهو الخادم .

(٢) هكذا فى المخطوطة ، وفى تفسير ابن كثير « برك »،وفى الدر المنثور « لاتزل راحلة بزل صاحبتها » ، وأنا أرجح أن الصواب : « ولا ورك راحلة ورك صاحبتها » ولكن الناسخ الأول وصل الواو بالراء ، فأتى ناسخنا هذا فوصل بغير بيان ولا معرفة .

(٣) فى المطبوعة : « ولا قصر يد » ، وهو كلام غث بل هو عين الغثاثة و« التصريد » ، فى العطاء تقليله .

التى فى أنفسهم، فيكون فيما يعرضون عليهم بَرَاذين مقرَّنة ، على كل أربعة منها سرير من ياقوتة واحدة ، على كل سرير منها قبة من ذهب مُفْرَغة ، فى كل قبة منها فُرُش من فُرُش الجنة مُظَاهَرة، فى كل قبة منها جاريتان من الحور العين ، على كل جارية منهن ثوبان من ثياب الجنة ، ليس فى الجنة لونٌ إلا وهو فيهما ، ولا ريح طيبة إلاّ قد عَبِقتَا به ، ينفذ ضوء وجوههما غِلَظ القبة ، حتى يظن من يراهما أنهما من دُون القُبة، يُرَى مخهما من فوق سوقهما كالسِّلك الأبيض من ياقوتة حمراء، يريان له من الفضل على صاحبته كفضل الشمس على الحجارة ، أو أفضل، ويرى هولهُما مثل ذلك . ثم يدخل إليهما فيحييانه ويقبّلانه ويعانقانه ويقولان له : « والله ما ظننا أن الله يخلق مثلك » ، ثم يأمر الله الملائكة فيسيرون بهم صفًّا فى الجنة ، حتى ينتهى كل رجُل منهم إلى منزلته التى أعدّت له . (١)

٢٠٣٩١ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا على بن جرير ، عن حماد قال : شجرة فى الجنة ، فى دار كل مؤمن غُصن منها .

٢٠٣٩٢ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن حسان بن أبى الأشرس ، عن مغيث بن سمى قال : « طوبى » ، شجرة فى الجنة ، لو أن رجلاً ركب قلوصًا جَذَعاً أو جَذَعَةً ثم دار بها ، لم يبلغ المكان الذى ارتحل منه حتى يموت هَرماً . وما من أهل الجنة منزل إلا فيه غصن من أغصان تلك الشجرة متدلٍّ عليهم ، فإذا أرادوا أن يأكلوا من الثمرة تدلّى إليهم

---

(١) الأثر : ٢٠٣٩٠ – « الفضل بن الصباح البغدادى » ، شيخ الطبرى ثقة، مضى برقم : ٢٢٥٢ ، ٣٩٥٨ .

و « إسماعيل بن عبد الكريم بن معقل الصنعانى » ، ثقة ، مضى برقم : ٩٩٥ ، ٥٥٩٨ .

و « عبد الصمد بن معقل بن منبه اليمانى» ، ثقة، روى عن عمه وهب بن منبه ، مضى برقم : ٩٩٥.

وقد رواه ابن كثير فى التفسير ٤ : ٥٢٤ ، وقال قبله : «روى ابن جرير عن وهب بن منبه ها هنا أثراً غريباً عجيباً » ، ثم أتم الخبر من طريق ابن أبى حاتم، ثم قال: « وهذا سياق غريب ، وأثر عجيب ، ولبعضه شواهد » .

فيأكلون منه ما شاؤوا . ويجيء الطير فيأكلون منه قديداً وشواءً ما شاؤوا ، ثم يطير .(١)

* * *

وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر بنحو ما قال من قال : هي شجرة .

* ذكر الرواية بذلك :

٢٠٣٩٣ - حدثني سليمان بن داود القومسي قال ، حدثنا أبو توبة الربيع ابن نافع قال ، حدثنا معاوية بن سلام ، عن زيد : أنه سمع أبا سلّام قال ، حدثنا عامر بن زيد البكالي : أنه سمع عتبة بن عبد السلمي يقول : جاء أعرابيٌّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله، في الجنة فاكهة؟(٢) قال : نعم ، فيها شجرة تدعى « طوبى » ، هي تطابق الفردوس . قال : أيّ شجر أرضنا تشبه ؟ قال : ليست تشبه شيئاً من شجر أرضك ، ولكن أتيتَ الشأم ؟ فقال : لا ، يا رسول الله . فقال : فإنها تشبه شجرة تدعى الجَوْزة ، تنبت على ساق واحدة ، ثم ينتشر أعلاها . قال : ما عِظَم أصلها ، قال : لو ارتحلتَ جَذَعَةً من إبل أهلك ، ما أحاطت بأصلها حتى تنكسر تَرْقُوتاها هَرَماً .(٣) ١٣/١٠١

---

(١) الأثر : ٢٠٣٩٢ - «حسان بن أبي الأشرس» ، سلف برقم : ٢٠٣٨٨. و « مغيث بن سمي» ، سلف برقم : ٢٠٣٨٨ .
وهو مطول الأثر السالف : ٢٠٣٨٨ .

(٢) في المطبوعة : « إن في الجنة . . . » ، وأثبت ما في المخطوطة .

(٣) الأثر : ٢٠٣٩٣ - « سليمان بن داود القومسي » ، شيخ الطبري ، لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من الكتب .
و « أبو توبة » ، « الربيع بن نافع » ، ثقة مضى برقم : ٣٨٣٣ . و « معاوية ابن سلام بن أبي سلام » ، ثقة، روى له الجماعة ، روى عن أبيه وجده ، وأخيه زيد ، مضى برقم : ١٦٥٥٧ .
وأخوه « زيد بن سلام بن أبي سلام » ثقة ، روى عن جده « أبي سلام » ، مترجم في التهذيب ، والكبير ٢/١/٣٦١ ، وابن أبي حاتم ١/٢/٥٦٤ .
و « أبو سلام » ، هو « ممطور » الأسود الحبشي ، ثقة ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٦٥٥٠ .

٢٠٣٩٤ - حدثنا الحسن بن شبيب قال ، حدثنا محمد بن زياد الجزرىّ ، عن فرات بن أبى الفرات ، عن معاوية بن قرة ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « طوبى لهم وحسن مآب » ، شجرة غرسها الله بيده ، ونفخ فيها من روحه ، نبتتْ بالحلْىِ والحُلل ،(١) وإن أغصانها لترى من وراء سور الجنة .(٢)

٢٠٣٩٥ - حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، أخبرنى عمرو بن الحارث ، أن درّاجاً حدّثه ، أن أبا الهيثم حدثه ، عن أبى سعيد الخدرى ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن رجلاً قال له : يا رسول الله ، ما طوبى ؟ قال : شجرة فى الجنة مسيرة مئة سنة ، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها .(٣)

* * *

و « عامر بن زيد البكالى » ، تابعى ، ثقة ، مترجم فى ابن أبى حاتم ٣/١/٣٢٠ .

و « عتبة بن عبد السلمى » ، « أبو الوليد » ، له صحبة ، روى عن النبى صلى الله عليه وسلم . مترجم فى الإصابة ، وأسد الغابة ، والاستيعاب ، والتهذيب ، وابن أبى حاتم ٣/٣٧١ ، وابن سعد ٧/٢/١٣٢ .

فهذا إسناد جيد ، ورواه أحمد فى مسنده ٤ : ١٨٣ ، ١٨٤ ، مطولا ، من طريق « على ابن بحر ، عن هشام بن يوسف ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن عامر بن زيد البكالى » ، وهو إسناد صحيح أيضاً ، ونقله عن المسند ، ابن القيم فى حادى الأرواح ١ : ٢٦٣ ، ٢٦٤ .

(١) فى المطبوعة ، أسقط قوله « نبتت » وأثبتها من المخطوطة .

(٢) الأثر : ٢٠٣٩٤ - «الحسن بن شبيب بن راشد» ، شيخ الطبرى ، سلف برقم : ٩٦٤٢ ، ١١٣٨٣ ، قال ابن عدى ، « حدث عن الثقات بالبواطيل ، ووصل أحاديث هى مرسلة » .

و « محمد بن زياد الجزرى » ، لعله هو « الرقى » ، لأن الرقة معدودة من الجزيرة . وهو « محمد ابن زياد اليشكرى الطحان ، الميمونى الرقى » ، وهو كذاب خبيث يضع الحديث ، روى عن شيخه الميمون بن مهران وغيره الموضوعات . مترجم فى التهذيب ، وتاريخ بغداد ٥ : ٢٧٩ ، وابن أبى حاتم ٣/٢/٢٥٨ ، وميزان الاعتدال ٣ : ٦٠ . وكان فى المطبوعة « الجريرى » ، غير ما فى المخطوطة .

و « فرات بن أبى الفرات » ، قال ابن أبى حاتم : «صدوق ، لا بأس به » ، وذكره ابن حبان فى الثقات قال : « هو حسن الاستقامة والروايات » ، ولم يذكر البخارى فيه جرحاً » ولكن قال يحيى بن معين : « ليس بشىء » ، وقال ابن عدى : « الضعف بين على رواياته » ، وقال الساجى « ضعيف ، يحدث بأحاديث فيها بعض المناكير » . مترجم فى الكبير ٤/١/١٢٩ ، وابن أبى حاتم ٣/٢/٨٠ ، وميزان الاعتدال ٢ : ٣١٦ ، ولسان الميزان ٤ : ٤٣٢ .

و « معاوية بن إياس المزنى » ، تابعى ثقة ، مضى برقم : ١١٢١١ ، ١١٤٠٩ . وأبوه « قرة بن إياس بن هلال بن رئاب المزنى » ، له صحبة مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/١/١٨٠ .

وهذا خبر هالك الإسناد ، وحسبه ما فيه من أمر « محمد بن زياد » ، ولم أجده عند غير الطبرى

(٣) الأثر : ٢٠٣٩٥ - « عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصارى المصرى » ، ثقة ، روى له الجماعة ، سلف مراراً ، آخرها رقم : ١٧٤٢٩ .

قال أبو جعفر : فعلى هذا التأويل الذى ذكرنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الرواية به ، يجب أن يكون القولُ فى رفع قوله: « طوبى لهم » ، خلافُ القول الذى حكيناه عن أهل العربية فيه . وذلك أن الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن « طوبى » اسم شجرة فى الجنة . فإذْ كان كذلك ، فهو اسم لمعرفة كزيد وعمرو . وإذا كان كذلك لم يكن فى قوله : « وحسن مآب » ، إلاّ الرفع ، عطفاً به على « طوبى » .

* * *

وأما قوله : « وحسن مآب » ، فإنه يقول : وحسن منقلب ،[1] كما :—

٢٠٣٩٦ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك : « وحسن مآب » ، قال : حسن منقلب .[1]

و « دراج » ، هو « دراج بن سمعان » ، « أبو السمح » ، متكلم فيه ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٧٧٥٤ .

و « أبو الهيثم » ، هو « سليمان بن عمرو العتوارى المصرى » ثقة ، مضى برقم : ١٣٨٧ ، ٥٥١٨ .

وقد سلف مثل هذا الإسناد برقم ١٣٨٧ ، وصحح هذا الإسناد أخى السيد أحمد رحمه الله . هذا ، وقد نقل ابن عدى عن أحمد بن حنبل : « أحاديث دراج ، عن أبى الهيثم ، عن أبى سعيد ، فيها ضعف » وقال ابن شاهين : « ما كان بهذا الإسناد فليس به بأس » ، ومقالة أحمد فى دراج شديدة فقد نقل عنه عبد الله بن أحمد : « حديثه منكر » . وعندى أن تصحيح مثل هذا الإسناد فيه بعض المجازفة ، وأحسن حاله أن يكون مما لا بأس به ، مما يعتبر به .

وهذا الخبر رواه أحمد فى مسنده ٣ : ٧١ من طريق ابن لهيعة . عن دراج أبى السمح = ورواه الخطيب البغدادى فى تاريخه ٤ : ٩١ ، من طريق أسد بن موسى ، عن ابن لهيعة ، مطولا ، وصدره « أن رجلا قال له : يا رسول الله ، طوبى لمن رآك وآمن بك ! قال : طوبى لمن رآنى وآمن بى ، ثم طوبى ، ثم طوبى ، ثم طوبى لمن آمن بى ولم يرنى ، فقال له رجل : وما طوبى ؟ » ، الحديث .

(١) انظر تفسير « المآب » فيما سلف ٦ : ٢٥٨ ، ٢٥٩ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ (٣٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : هكذا أرسلناك ، يا محمد ، فى جماعة من الناس[١] = يعنى إلى جماعة = قد خلت من قبلها جماعات على مثل الذى هم عليه ، فمضت[٢] = « لتتلو عليهم الذى أوحينا إليك » ، يقول : لتبلغهم ما أرسلناك به إليهم من وحيي الذى أوحيته إليك = « وهم يكفرون بالرحمن » ، يقول : وهم يجحدون وحدانيّة الله ويكذّبون بها = « قل هو ربى » ، يقول : إنْ كفر هؤلاء الذين أرسلتُك إليهم ، يا محمد ، بالرحمن فقل أنت : الله ربّى « لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب » ، يقول : وإليه مرجعى وأوبتى .

* * *

= وهو مصدر من قول القائل : « تبت متابًا وتوبةً » .[٣]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٣٩٧ — **حدثنا** بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وهم يكفرون بالرحمن » ، ذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية حين صالح قريشاً كتب : « هذا ما صالح عليه محمدٌ رسول الله » ،

---

(١) انظر تفسير « الأمة » فيما سلف من فهارس اللغة (أمم) .
(٢) انظر تفسير « خلا » فيما سلف ، ٣٥٠ تعليق : ٣ والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « التوبة» فيما سلف من فهارس اللغة (توب) .

فقال مشركو قريش : لئن كنت رسولَ الله ثم قاتلناك لقد ظلمناك ! ولكن اكتب : « هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله » . فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعنا يا رسول الله نقاتلهم ! فقال : لا ، ولكن اكتبوا كما يريدون ، إنّى محمد بن عبد الله . فلما كتب الكاتب : « بسم الله الرحمن الرحيم »، قالت قريش : أما « الرحمن » ، فلا نعرفه ، وكان أهل الجاهلية يكتبون : « باسمك اللهم » ، فقال أصحابه : يا رسول الله ، دعنا نقاتلهم ! قال : لا ، ولكن اكتبوا كما يريدون .

٢٠٣٩٨ – **حدثنا** القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال قوله : «كذلك أرسلناك فى أمة قد خلت » ، الآية، قال : هذا لمّا كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشًا فى الحديبية ، كتب : « بسم الله الرحمن الرحيم » ، قالوا : لا تكتب « الرحمن »، وما ندرى ما « الرحمن » ، ولا تكتب إلا : « باسمك اللهم » . قال الله : « وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربى لا إله إلاّ هو » ، الآية .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَاناً سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً﴾ ١٣/١٠٢

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك .

فقال بعضهم : معناه : « وهم يكفرون بالرحمن »، «ولو أن قرآناً سيرت به الجبال » ، أى : يكفرون بالله ولو سيّر لهم الجبال بهذا القرآن . وقالوا : هو من المؤخر الذى معناه التقديم ، وجعلوا جواب «لو» مقدّماً قبلها . وذلك أن الكلام

على معنى قيلهم : ولو أنّ هذا القرآن سُيِّرت به الجبال أو قطعت به الأرض ، لكفروا بالرّحمن .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٣٩٩ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ولو أن قرآنا سُيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى » قال : هم المشركون من قريش ، قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لو وسعت لنا أودية مكّة ، وسيّرت جبالها فاحترثناها ، وأحييت من مات منّا ، وقُطّع به الأرض أو كلم به الموتى ! فقال الله تعالى : « ولو أن قرآنا سُيّرت به الجبال أو قُطّعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعاً » .

٢٠٤٠٠ – حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا شبابة قال ، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : « ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى » ، قول كفار قريش لمحمد : سيِّر جبالنا تتسع لنا أرضُنا فإنها ضيِّقة ، أو قرب لنا الشأم فإنا نَتَّجر إليها ، أو أخرج لنا آباءنا من القبور نكلمهم ! فقال الله تعالى[1] : « ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى » .

٢٠٤٠١ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

٢٠٤٠٢ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه = قال ابن جريج : وقال عبد الله بن كثير : قالوا : لو فَسَحت عنّا الجبال ، أو أجريت لنا الأنهار ، أو كلمتَ به الموتى ! فنزل ذلك = قال ابن جريج : وقال ابن عباس : قالوا : سيِّر بالقرآن الجبالَ ، قطّع بالقرآن الأرض ، أخرج به موتانا .

---

(١) قوله : « فقال الله تعالى » ، ساقطة من المخطوطة ، وهي واجبة .

٢٠٤٠٣ – حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال ابن كثير : قالوا : لو فسحت عنّا الجبال ، أو أجريت لنا الأنهار ، أو كلمت به الموتى ! فنزل : « أفلم ييأس الذين آمنوا » .

* * *

وقال آخرون : بل معناه : « ولو أن قرآنا سيرت به الجبال » ، كلامٌ مبتدأ منقطع عن قوله : « وهم يكفرون بالرحمن » . قال : وجوابُ « لو » محذوف ، استغْنِيَ بمعرفة السامعين المرادَ من الكلام عن ذكر جوابها . قالوا : والعرب تفعل ذلك كثيرًا ، ومنه قول امرئ القيس :

فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ سَرِيحَةً وَلٰكِنَّهَا نَفْسٌ تَقَطَّعُ أَنْفُسَا(١)

وهو آخر بيت في القصيدة ،(٢) فترك الجواب اكتفاءً بمعرفة سامعه مرادَه ، وكما قال الآخر : (٣)

فَأُقْسِمُ لَوْ شَيْءٌ أَتَانَا رَسُولُهُ سِوَاكَ وَلٰكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعَا(٣)

* * *

* ذكر من قال نحو معنى ذلك :

---

(١) ديوانه : ١٠٧ ، وروايتهم :

فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ جَمِيعَةً وَلٰكِنَّهَا نَفْسٌ تَسَاقَطُ أَنْفُسَا

وقوله : « سريحة » ، أي معجلة في سهولة ويسر ، من قولهم : « شيء سريح » ، أي سهل أو « أمر سريح » ، أي معجل .

(٢) في دواوينه المنشورة ، ليس هو آخر القصيدة ، ولو أحسن ناشرو دواوين الشعر ، لأدوا إلينا الروايات المختلفة على ترتيبها ، فإن ديوان امرئ القيس المطبوع حديثاً قد أغفل ترتيب الروايات إغفالا تاماً ، مع شدة حاجتنا إلى ذلك في فهم الشعر ، وفي إعادة ترتيبه . وهذا مما ابتلى الله به الشعر الجاهلي ، أن يحمله إلى الناس من لا يحسنه ، حتى ساء ظن الناس فيه ، وأكثروا الطعن في روايته .

(٣) هو امرؤ القيس .

(٤) سلف البيت وتخريجه وشرحه ١٥ : ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

٢٠٤٠٤ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى » ، ذكر لنا أن قريشاً قالوا : إن سَرَّك ، يا محمد ، اتباعك = أو : أن نتبعك = فسيّر لنا جبال تِهامة ، أوزد لنا فى حَرَمنا حتى نتّخذ قَطائع نخترف فيها ، (١) أوأحيِ لنا فلاناًوفلاناً ! ناساً ماتوا فى الجاهلية . فأنزل الله : « ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى » ، يقول : لو فعل هذا بقرآنٍ قبل قرآنكم ، لفُعِل بقرآنكم .

٢٠٤٠٥ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : إن كفّار قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : أذهب عنا جبال تِهامة حتى نتّخذها زرعاً فتكون لنا أرضين ، أو أحيِ له فلاناً وفلاناً يخبرونا : حقٌّ ما تقول ! فقال الله : « ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعاً » ، يقول : لو كان فُعِل ذلك بشيء من الكتب فيما مضى ، كان ذلك . ١٣/١٠٣

٢٠٤٠٦ – حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول . أخبرنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « ولو أن قرآناً سيرت به الجبال » ، الآية ، قال : قال كفار قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم : سيّر لنا الجبالَ كما سُخِّرت لداود ، أو قَطِّع لنا الأرض كما قُطعت لسليمان ، فاغتدى بها شهرًا وراح بها شهرًا ، أو كلم لنا الموتَى كما كان عيسى يكلمهم ، يقول : لم أنزل بهذا كتاباً ، ولكن كان شيئاً أعطيته أنبيائى ورسلى .

٢٠٤٠٧ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى

---

(١) : « نخترف فيها » ، أى : نقيم فيها زمن الخريف ، وذلك حين ينزل المطر ، وتنبت الأرض . والذى فى كتب اللغة « أخرفوا » ، أقاموا بالمكان خريفهم ، وهذا الذى هنا قياس العربية نحو « ارتبع » ، و « اصطاف » .

قوله : « ولو أن قرآناً سيرت به الجبال » ، الآية ، قال : قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : إن كنت صادقاً فسيِّر عنا هذه الجبال واجعلها حروثاً كهيئة أرض الشأم ومصر والبُلْدان ، أو ابعث موتانا فأخبرهم فإنهم قد ماتوا على الذى نحن عليه ! فقال الله: «ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى »، لم يصنع ذلك بقرآن قط ولا كتاب ، فيصنع ذلك بهذا القرآن .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أَفَلَمْ يَايْئَسِ الَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً ﴾

قال أبو جعفر: اختلف أهل المعرفة بكلام العرب فى معنى قوله: « أفلم ييأس ».

فكان بعض أهل البصرة يزعم أن معناه : ألم يعلمْ ويتبيَّن = ويستشهد لقيله ذلك ببيت سُحَيْم بن وَثيلٍ الرِّياحىّ :

أَقُولُ لَهُمْ بالشِّعْبِ إِذْ يَأْسِرُونَنِي ... أَلَمْ تَيْأَسُوا أَنِّى ابْنُ فَارِسِ زَهْدَمِ (١)

ويروى : « يَيْسِرُونَنِى » ، فمن رواه «ييسرونني » فإنه أراد: يقتسمونني ، من « الميسر » ، كما يقسم الجزور . ومن رواه : « يأسرونني » ، فإنه أراد الأسر ، وقال : عنى بقوله : « ألم تيأسوا » ، ألم تعلموا . وأنشدوا أيضاً فى ذلك : (٢)

أَلَمْ يَيْأَسِ الأَقْوَامُ أَنِّى أَنَا ابْنُهُ ... وَإِنْ كُنْتُ عَنْ أَرْضِ العَشِيرَةِ نَائِيَا (٣)

---

(١) مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٣٣٢ ، وأساس البلاغة (يأس) ، وخرجه الأستاذ سيد صقر فى مشكل القرآن : ١٤٨ ، وغريب القرآن : ٢٢٨ ، واللسان (يأس) . وشرحه وبينه هنالك ، وغير هذه المواضع كثير . و « زهدم » فرس سحيم فيما قالوا . ولو صحت نسبة الشعر لسحيم لكان « زهدم » فرس أبيه وثيل . وهذا الشعر ينسب إلى جابر بن سحيم ، فإذا صح ذلك ، صح أن « زهدم » فرس سحيم . وانظر نسب الخيل لابن الكلبى : ١٧ ، وأسماء الخيل لابن الأعرابى : ٦٣ .

(٢) نسب إلى مالك بن عوف ، وإلى رياح بن عدى .

(٣) معجم غريب القرآن فى مسائل نافع بن الأزرق ، لابن عباس : ٢٩١ : والقرطبى ٩ : ٣٢٠ ، وأبو حيان ٥ : ٣٩٢ ، وأساس البلاغة (يأس) ، ولم أعرف الشعر .

وفسروا قوله : « ألم ييأس » ، ألم يعلَم ويتبيَّن ؟

* * *

وذكر عن ابن الكلبي أن ذلك لغة لحيّ من النَّخَع يقال لهم : « وَهْبيل » ، تقول : « ألم تيأس كذا » ، بمعنى : ألم تعلمه ؟

* * *

وذكر عن القاسم بن معن أنها لغة هَوازن ، وأنهم يقولون : « يئستْ كذا » ، علمتُ .

* * *

وأما بعض الكوفيين فكان ينكر ذلك ، [1] ويزعم أنه لم يسمع أحداً من العرب يقول : « يئست » ، بمعنى علمت . ويقول : هو في المعنى = وإن لم يكن مسموعاً « يئست » بمعنى علمت = يتوجَّهُ إلى ذلك ، إذ أنه قد أوقع إلى المؤمنين أنه لو شاء لهدى الناس جميعاً ، [2] فقال : « أفلم ييأسوا علماً » ، يقول : يؤيسهم العلم . فكأنّ فيه « العلم » مضمرًا ، [3] كما يقال : « قد يئست منك أن لا تفلح علمًا » ، كأنه قيل : « علمتُه علماً » ، قال : وقول الشاعر : [4]

حَتَّى إِذَا يَئِسَ الرُّمَاةُ وَأَرْسَلُوا غُضْفًا دَوَاجِنَ قَافِلًا أَعْصَامُهَا [5]

معناه : حتى إذا يئسوا من كل شيء مما يمكن ، إلاّ الذي ظهر لهم ، أرسلوا =

---

(١) هو الفراء في معاني القرآن ، في تفسير الآية ، والآتي هو نص كلامه .

(٢) في المطبوعة : « إن الله قد أوقع . . . » ، وأثبت ما في المخطوطة ، وهو الموافق لما في معاني القرآن .

(٣) في معاني القرآن : « فكأن فيهم العلم » ، والصواب ما في الطبري ، وهو موافق لما في اللسان (يأس) .

(٤) هو لبيد .

(٥) معلقته المشهورة ، في صفة صيد البقرة الوحشية . يقول : أرسلوا عليها كلاباً غضف الآذان ، وهي كلاب الصيد تسترخي آذانها . و « دواجن » ضاريات قد عودن الصيد . و « القافل » اليابس . و « الأعصام » ، جمع « عصام » ، وهو قلائد من أدم تجعل في أعناق الكلاب ، وهي السواجير أيضاً .

فهو فى معنى : حتى إذا علموا أن ليس وجه إلا الذى رأوا وانتهى علمهم ، فكان ما سواه يأساً . (١)

* * *

وأما أهل التأويل فإنهم تأولوا ، ذلك بمعنى : أفلم يعلَم ويتبيَّن .

* ذكر من قال ذلك منهم :

١٣/١٠٤ ٢٠٤٠٨ – حدثني يعقوب قال ، حدثنا هشيم ، عن أبى إسحق الكوفى ، عن [مولى مولى بحير] : أن عليًّا رضى الله عنه كان يقرأ : ﴿أَفَلَمْ يَتَبَيَّنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (٢)

٢٠٤٠٩ – حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا عبد الوهاب ، عن هرون ، عن حنظلة ، عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس : «أفلم ييأس» ، يقول : أفلم يتبيّن

٢٠٤١٠ – حدثنا أحمد بن يوسف قال ، حدثنا القاسم قال ، حدثنا يزيد ، عن جرير بن حازم ، عن الزبير بن الخِرِّيت = أو : يعلى بن حكيم = ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه كان يقرؤها : ﴿أَفَلَمْ يَتَبَيَّنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ، قال : كتب الكاتب الأخرى وهو ناعسٌ . (٣)

---

(١) فى معانى القرآن : « فكان ما وراءه يأسا » ، وهو جيد .

(٢) الأثر : ٢٠٤٠٨ – « أبو إسحق الكوفى » ، هو « عبد الله بن ميسرة » ، ضعيف واهى الحديث ، ووثقه ابن حبان ، مضى برقم : ٦٩٢٠ ، ١٣٤٨٩ ، ٢٠٠٧٨ ، وكان هشيم يكنيه بابن له يقال له « إسحق » ، وكنيته « أبو ليلى » ، وهشيم يدلس بهذه الكنية . وكان فى المخطوطة : «ابن إسحق الكوفى» ، وهو خطأ صرف .

وأما الذى بين القوسين ، فهو هكذا جاء فى المخطوطة ، وجعل مكانه فى المطبوعة : « عن مولى يخبر » ، تصرف فى الإسناد أسوأ التصرف وأشنعه . وهذا الذى بين القوسين ربما قرئ آخره : « مولى بحتر » ، وقد استوعبت ما فى تهذيب الكمال للحافظ المزى ، فى باب من روى عن « على بن أبى طالب » ، وباب من روى عنه « أبو إسحق الكوفى» ، فلم أجد شيئاً قريب التحريف من هذا الذى عندنا .

ومهما يكن من شىء ، فحسب هذا الإسناد وهاء أن يكون فيه «أبو إسحق الكوفى» ، ثم انظر التعليق على الأثر التالى رقم : ٢٠٤١٠ .

وكان فى المطبوعة : « كان يقول » مكان : « كان يقرأ » ، لم يحسن قراءة المخطوطة ، لأن الناسخ كتب « يقول » ثم جعل الواو « راء » ، وأدخل الألف فى اللام ، ووضع عليها الهمزة ، فاختلط الأمر على الناشر .

(٣) الأثر : ٢٠٤١٠ – « أحمد بن يوسف التغلبى الأحول » ، شيخ أبى جعفر الطبرى ،

. . . . . .

=هو صاحب أبي عبيد القاسم بن سلام، مشهور بصحبته، ثقة مأمون، مضى مراراً آخرها رقم: ١٢٩٩٤، وهو الذي أخذ عنه أبو جعفر الطبري كتب أبي عبيد القاسم بن سلام.

و «القاسم»، هو «القاسم بن سلام»، «أبو عبيد»، الفقيه القاضي، صاحب التصانيف المشهورة، كان إمام دهره في جميع العلوم، وهو صاحب سنة، ثقة مأمون، وثناء الأئمة عليه ثناء لا يدرك.

و «يزيد»، هو «يزيد بن هرون السلمي»، وهو أحد الحفاظ الثقات الأثبات المشاهير، روى له الجماعة، مضى مراراً آخرها رقم: ١٠٤٨٤.

و «جرير»، هو «جرير بن حازم الأزدي»، ثقة حافظ، روى له الجماعة، مضى مراراً آخرها رقم: ١٤١٥٧.

و «الزبير بن الخريت». ثقة، روى له الجماعة سوى النسائي، مضى برقم: ٤٩٨٥، ١١٦٩٣، وكان في المطبوعة: «الزبير بن الحارث»، غير ما في المخطوطة مجازفة.

و «يعلى بن حكيم»، ثقة، روى له الجماعة سوى الترمذي، مضى برقم: ١٢٧٤٨.

فهذا خبر رجاله ثقات، بل كل رجاله رجال الصحيحين، سوى أبي عبيد القاسم بن سلام، وهو إمام ثقة صدوق، فإسناده صحيح، لا مطعن فيه — ومع صحة إسناده لم أجد أحداً من أصحاب الدواوين الكبار، كأحمد في مسنده، أو الحاكم في المستدرك، ولا أحداً ممن نقل عن الدواوين الكبار، كالهيثمي في مجمع الزوائد، أخرج هذا الخبر أو أشار إلى هذه القراءة عن ابن عباس، أو علي بن أبي طالب، كما جاء في الخبر الذي قبله رقم: ٢٠٤٠٨. بل أعجب من ذلك أن ابن كثير، وهو المتعقب أحاديث أبي جعفر في التفسير، لما بلغ تفسير هذه الآية، لم يفعل سوى أن أشار إلى قراءة ابن عباس، وأغفل هذا الخبر إغفالا على غير عادته، وأكبر ظني أن ابن كثير عرف صحة إسناده، ولكنه أنكر ظاهر معناه إنكاراً حمله على السكوت عنه، وكان خليقاً أن يذكره ويصفه بالغرابة أو النكارة، ولكنه لم يفعل، لأنه فيما أظن قد تحير في صحة إسناده، مع نكارة ما يدل عليه ظاهر لفظه. وزاد هذا الظاهر نكارة عنده، ما قاله المفسرون قبله في هذا الخبر عن ابن عباس، حين رووه غير مسند بألفاظ غير هذه الألفاظ.

فلما رأيت ذلك من فعل ابن كثير وغيره، تتبعت ما نقله الناقلون من ألفاظ الخبر، فوجدت بين ألفاظ الخبر التي رويت غير مسندة، وبين لفظ أبي جعفر المسند، فرقاً يلوح علانية، وألفاظهم هذه هي التي دعت كثيراً من الأئمة يقولون في الخبر مقالة سيئة، بلغت مبلغ الطعن في قائله بأنه زنديق ملحد! ونعم، فإنه لحق ما قالوه في الخبر الذي رووه بألفاظهم، أما لفظ أبي جعفر هذا، وإن كان ظاهره مشكلا، فإن دراسته على الوجه الذي ينبغي أن يدرس به، تزيل عنه قتام المعنى الفاسد الذي يبتدر المرء عند أول تلاوته..

فلما شرعت في دراسته من جميع وجوه الدراسة، انفتح لي باب عظيم من القول في هذا الخبر وأشباهه، من مثل قول عائشة أم المؤمنين: «يا ابن أختي، أخطأ الكاتب»، أي ما كتب في المصحف الإمام، ومعاذ الله أن يكون ذلك ظاهر لفظ حديثها. وهذان الخبران وأشباه لهما يتخذهما المستشرقون وبطانتهم ممن ينتسبون إلى أهل الإسلام، مدرجة للطعن في القرآن. أو تسويلا للتلبيس على من لا علم عنده بتنزيل القرآن العظيم، فاقتضاني الأمر أن أكتب رسالة جامعة في بيان معنى قوله صلى الله عليه وسلم: «أنزل القرآن على سبعة أحرف»، وكيف كانت هذه الأحرف السبعة وما الذي بقي عندنا منها، وانتهيت إلى أنها بحمد الله باقية بجميعها في قراءات القراء، وفي شاذ القراءة، وفي رواية الحروف، لا كما ذهب إليه أبو جعفر الطبري في مقدمة تفسيره =

٢٠٤١١ – حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جُرَيْج قال : فى القراءة الأولى ، زعم ابن كثير وغيره : « أفلم يتَبيَّن » .(١)

٢٠٤١٢ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « أفلم ييأس الذين آمنوا » ، يقول : ألم يتبين .

٢٠٤١٣ – حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية بن صالح ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « أفلم ييأس الذين آمنوا » ، يقول : يعلم .

٢٠٤١٤ – حدثنا عمران بن موسى قال ، حدثنا عبد الوارث قال ، حدثنا ليث ، عن مجاهد فى قوله : « أفلم ييأس الذين آمنوا » ، قال : أفلم يتبين .(٢)

٢٠٤١٥ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة فى قوله : « أفلم ييأس الذين آمنوا » ، قال : ألم يتبين الذين آمنوا .

٢٠٤١٦ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « أفلم ييأس الذين آمنوا » ، قال : ألم يعلم الذين آمنوا .

(١ : ٥٥ – ٥٩) ، ومن ذهب فى ذلك مذهبه . ثم بينت ما كان من أمر كتابة المصحف على عهد أبى بكر ، ثم كتابة المصحف الإمام على عهد عثمان رضى الله عنهما ، وجعلت ذلك بياناً شافياً كافياً بإذن الله . وكنت على نية جعل هذه الرسالة مقدمة للجزء السادس عشر من تفسير أبى جعفر ولكنها طالت حتى بلغت أن تكون كتاباً ، فآثرت أن أفردها كتاباً يطبع على حدته إن شاء الله .

(١) الأثر : ٢٠٤١١ – « الحسن بن محمد بن الصباح الزعفرانى » ، شيخ الطبرى ثقة ، أحد أصحاب الشافعى ، مضى مراراً آخرها رقم : ١٨٨٠٧ .

و « حجاج بن محمد المصيصى الأعور » ، « أبو محمد » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً آخر رقم : ١٨٢٩٠ .

(٢) الأثر ٢٠٤١٤ – « عمران بن موسى بن حيان القزاز » ، شيخ الطبرى ، ثقة ، مضى مراراً آخرها رقم : ٨٦٨٣ .

و « عبد الوارث » ، هو « عبد الوارث بن سعد بن ذكوان » ، أحد الأعلام، مضى مراراً آخرها رقم : ١٥٣٣٩ .

و « ليث » ، هو « ليث بن أبى سليم القرشى » ، هو الذى يروى عن مجاهد ، مضى مراراً، آخرها : ٩٦٣٢ .

٢٠٤١٧ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ، ابن زيد في قوله : « أفلم ييأس الذين آمنوا » ، قال : ألم يعلم الذين آمنوا .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك ما قاله أهل التأويل ، أن تأويل ذلك : « أفلم يتبين ويعلم » ، لإجماع أهل التأويل على ذلك ، والأبيات التي أنشدناها فيه .

* * *

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام إذاً : ولو أنّ قرآناً سوى هذا القرآن كان سُيِّرت به الجبال ، لسُيِّر بهذا القرآن ، أو قُطِّعت به الأرض ، لقُطعت بهذا ، أو كُلِّم به الموتى ، لكُلِّم بهذا ، ولكن لم يُفْعل ذلك بقرآن قبل هذا القرآن فيُفْعل بهذا[1] = « بل لله الأمر جميعاً » ، يقول ذلك : كله إليه وبيده ، يهدي من يشاءُ إلى الإيمان فيوفِّقه له ، ويُضِل من يشاء فيخذله ، أفلم يتبيَّن الذين آمنوا بالله ورسوله = إذْ طمِعوا في إجابتي من سأل نبيَّهم [ما سأله] من تسيير الجبال عنهم ،[2] وتقريب أرض الشأم عليهم ، وإحياء موتاهم = أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً إلى الإيمان به من غير إيجاد آية ، ولا إحداث شيء مما سألوا إحداثه ؟ يقول تعالى ذكره : فما معنى محبتهم ذلك ، مع علمهم بأن الهداية والإهلاك إليّ وبيدي ، أنزلتُ آيةً أو لم أنزلها ، أهدي من أشاءُ بغير إنزال آية ، وأضلّ من أردتُ مع إنزالها .

---

(١) كانت هذه العبارة في المطبوعة : « ولو يفعل بقرآن قبل هذا القرآن لفعل بهذا » ، وهي عبارة فاسدة كل الفساد ، صوابها ما في المخطوطة ، ولا أدري لم غيره ؟

(٢) الزيادة بين القوسين ، يقتضيها السياق = أو أن يحذف من الكلام « من » في قوله : « من تسيير الجبال » .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ إِنَّ اللهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ (٣١)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : « ولا يزال » ، يا محمد = « الذين كفروا » ، من قومك =« تصيبهم بما صنعوا » ، من كفرهم بالله، وتكذيبهم إياك ، وإخراجهم لك من بين أظهرهم = « قارعة » ، وهى ما يقرعهم من البلاء والعذاب والنِّقَم ، بالقتل أحياناً، وبالحروب أحياناً ، والقحط أحياناً = « أو تحل » ، أنت يا محمد ، يقول : أو تنزل أنت = « قريباً من دارهم » ، بجيشك وأصحابك = « حتّى يأتى وعدُ الله » الذى وعدك فيهم ، وذلك ظهورُك عليهم ، وفتحُك أرضَهمْ ، وقَهْرك إياهم بالسيف = « إن الله لا يخلف الميعاد » ، يقول : إن الله منجزك ، يا محمد ، ما وعدك من الظهور عليهم ، لأنه لا يخلف وعده .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٤١٨ – [حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا] أبو داود قال، حدثنا المسعودىّ عن قتادة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى قوله : « ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة » ، قال: سَرِيَّة = « أو تحل قريباً من دارهم » ، ١٣/١٠٥
قال : محمد = « حتى يأتى وعد الله » ، قال : فتح مكة .(١)

---

(١) الأثر : ٢٠٤١٨ – هذا إسناد لا شك أن قد سقط صدره ، وهو الذى زدته بين القوسين ، استظهاراً بإسناد سابق رقم : ٢١٥٦ : « حدثنا محمد بن المثنى ، عن أبى داود ، عن المسعودى . . . » و « أبو داود » هو الطيالسى الإمام الحافظ : « سليمان بن داود بن الجارود » ، و « المسعودى» ، هو « عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود » ، مضى مراراً كثيرة ، آخرها : ١٧٩٨٢ .

٢٠٤١٩ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن المسعودى ، عن قتادة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، بنحوه = غير أنه لم يذكر « سريّة » .

٢٠٤٢٠ – حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا أبو قطن قال ، حدثنا المسعودى ، عن قتادة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : تلا هذه الآية : « ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة » ، قال : « القارعة » ، السريّة = « أو تحلّ قريباً من دارهم » ، قال : هو محمد صلى الله عليه وسلم = « حتى يأتى وعد الله » ، قال : فتح مكة .(١)

٢٠٤٢١ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو غسان قال ، حدثنا زهير : أن خصيفاً حدثهم ، عن عكرمة فى قوله : « ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريباً من دارهم » ، قال : نزلت بالمدينة فى سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلّم = « أو تحل » ، أنت يا محمد = « قريباً من دارهم » .

٢٠٤٢٢ – حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن النضر بن عربىّ ، عن عكرمة : « ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة » ، قال : سرية = « أو تحلّ قريباً من دارهم » ، قال : أنت يا محمد

٢٠٤٢٣ – حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة » ، يقول : عذابٌ من السماء ينزل عليهم = « أو تحلّ قريباً من دارهم » ، يعنى نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وقتالَه إياهم .

٢٠٤٢٤ – حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا شبابة قال ، حدثنا ورقاء ،

---

(١) الأثر : ٢٠٤٢٠ – « أبو قطن » ، هو « عمرو بن الهثيم البغدادى » ثقة ، سلف برقم : ١٨٦٧٤ ، ٢٠٠٩١ .

وكان هذا الإسناد مكرراً فى المخطوطة ، ثم ختمه بقوله : « عن ابن عباس بنحوه ، غير أنه لم يذكر سرية » ، وهذا يناقض رواية الإسناد بعده . والظاهر أنه لما قلب الورقة ليكتب بقية الخبر ، سبق نظره إلى ختام الخبر السالف ، ثم تابع النقل على الصواب ، فكرر الإسناد ثم أتبعه الخبر .

عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : « تصيبهم بما صنعوا قارعة » ، تصاب منهم سَرِيَّة، أو تصاب منهم مصيبة = أو يحل محمد قريباً من دارهم= وقوله : « حتى يأتي وعد الله » ، قال : الفتح .

٢٠٤٢٥ – حدثني المثنى قال ، حدثنا الحجاج قال، حدثنا حماد بن زيد ، عن عبد الله بن أبي نجيح : « أو تحل قريباً من دارهم » ، يعني النبي صلى الله عليه وسلم .

٢٠٤٢٦ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد = نحو حديث الحسن ، عن شبابة .

٢٠٤٢٧ – حدثني الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا قيس ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : « قارعة » ، قال : السرايا.

٢٠٤٢٨ – . . . قال، حدثنا عبدالعزيز قال، حدثنا عبد الغفار ، عن منصور ، عن مجاهد : « قارعة »، قال: مصيبة من محمد = « أو تحلّ قريباً من دارهم » ، قال : أنت يا محمد = « حتى يأتي وعد الله » ، قال : الفتح .

٢٠٤٢٩ – . . . قال، حدثنا إسرائيل ، عن خصيف ، عن مجاهد : « قارعة » ، قال : كتيبةٌ .

٢٠٤٣٠ – . . . قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا عمرو بن ثابت ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير : « تصيبهم بما صنعوا قارعة » ، قال : سرية = « أو تحل قريباً من دارهم » ، قال : أنت يا محمد .

٢٠٤٣١ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة » ، أي : بأعمالهم أعمال السوء = وقوله : « أو تحل قريباً من دارهم ، أنت يا محمد = « حتى يأتي وعد الله » ، ووعدُ الله ، فتحُ مكة .

٢٠٤٣٢ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن

معمر ، عن قتادة : « قارعة » ، قال : وَقِيعة = « أو تحلّ قريباً من دارهم » ، قال : يعني النبي صلى الله عليه وسلم . يقول : أو تحل أنتَ قريباً من دارهم .

٢٠٤٣٣ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا محمد بن طلحة ، عن طلحة ، عن مجاهد : « تصيبهم بما صنعوا قارعة » ، قال : سريّة . (١)

٢٠٤٣٤ – حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد : « تصيبهم بما صنعوا قارعة » ، قال : السرايا ، كان يبعثهم النبي صلى الله عليه وسلم = « أو تحل قريباً من دارهم » ، أنت يا محمد = « حتى يأتي وعد الله » ، قال : فتح مكة . ١٣/١٠٦

٢٠٤٣٥ – . . . قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن بعض أصحابه ، عن مجاهد : « تصيبهم بما صنعوا قارعة » ، قال : كتيبة

٢٠٤٣٦ – حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله : « ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة » ، قال : قارعة من العذاب .

* * *

وقال آخرون : معنى قوله : « أو تحلّ قريباً من دارهم » ، تحل القارعةُ قريباً من دارهم .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٤٣٧ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قال ، قال الحسن : « أو تحل قريباً من دارهم » ، قال :

---

(١) الأثر : ٢٠٤٣٣ – « محمد بن طلحة بن مصرف اليامي » ، وثقه أحمد ، وضعفه غيره ، ومضى برقم : ٥٠٨٨ ، ٥٤٢٠ .

و « طلحة » أبوه ، وهو « طلحة بن مصرف اليامي » ، ثقة ، روى له الجماعة ، وهو يروي عن مجاهد . مضى برقم : ٥٤٣١ ، ١١١٤٥ ، ١١١٤٦ . وكان في المخطوطة هنا في الهامش علامة تشكك ، وهذا هو تفسير ما تشكك فيه الناسخ .

أو تحلُّ القارعة قريباً من دارهم .

٢٠٤٣٨ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن قال : « أو تحل قريباً من دارهم » ، قال : أو تحل القارعة .

* * *

وقال آخرون فى قوله : « حتى يأتى وعد الله » ، هو يوم القيامة .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٤٣٩ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا مُعلَّى بن أسَد قال ، حدثنا إسمعيل ابن حكيم ، عن رجل قد سماه ، عن الحسن فى قوله : « حتى يأتى وعد الله » ، قال : يوم القيامة .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ (٣٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، إن يستهزئ هؤلاء المشركون من قومك ويطلبوا منك الآيات تكذيباً منهم ما جئتهم به ، فاصبر على أذاهم لك ، وامض لأمر ربك فى إنذارهم والإعذار إليهم ،(١) فلقد استهزأت أممٌ من قبلك قد خلَت فمضتْ ، بُرسلِى ،(٢) فأطلتُ لهم فى المَهَل ، ومددت لهم فى الأجَل ، ثم أحللتُ بهم عذابى ونقمتى حين تمادَوْا فى غيِّهم وضَلالهم ، فانظر كيف كان عقابى إياهم حين عاقبتهم ،

---

(١) فى المطبوعة : « فى إعذارهم » ، وهو فاسد ، ونون « إنذارهم » فى المخطوطة ، كانت عيناً ثم جعلها الكاتب نوناً ، فعاث فى رسمها ، يقال : « أعذرت إليه إعذاراً » ، أى لم تبق موضعاً للإعتذار ، لأنك بلغت أقصى الغاية فى التبليغ والبيان .

(٢) فى المطبوعة : «برسل» ، بغير ياء ، لم يحسن قراءة المخطوطة لخفاء الياء فى كتابة الكاتب .

ألم أذقهم أليم العذاب ، وأجعلهم عبرةً لأولى الألباب ؟

* * *

و « الإملاء» فى كلام العرب ، (١) الإطالة ، يقال منه : «أمْلَيتُ لفلان» ، إذا أطلت له فى المَهَل ، ومنه : « المُلاوة من الدهر » ، ومنه قولهم : « تَمَلَّيْتُ حبيباً » ، (٢) ولذلك قيل لليل والنهار : « المَلَوَان » ، لطولهما ، كما قال ابن مُقبل :

أَلاَ يَادِيَارَ الْحَىِّ بِالسَّبُعَانِ ... أَلَحَّ عَلَيْهَا بِالْبِلَى الْمَلَوَانِ (٣)

وقيل للخَرْقِ الواسع من الأرض « مَلاً » ، (٤) كما قال الشاعر : (٥)

فَأَخْضَلَ مِنْهَا كُلَّ بَالٍ وَعَيِّنٍ ... وَجِيفُ الرَّوَايَا بِالْمَلَا الْمُتَبَاطِنِ (٦)

لطول ما بين طرفيه وامتداده .

* * *

---

(١) انظر تفسير « الإملاء » فيما سلف ٧ : ٤٢١ ، ومجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ١٠٨ ، ٣٣٣ .

(٢) فى المطبوعة « تمليت حيناً » ، وهو خطأ صرف .

(٣) مضى البيت وتخريجه ونسبته وشرحه فيما سلف ٧ : ٤٢٠ تعليق رقم : ٣ ، ٤ ، وانظر قصيدة ابن مقبل فى ديوانه الذى طبع حديثاً : ٣٣٥ .

(٤) انظر مجاز القرآن ١ : ٣٣٣ .

(٥) هو الطرماح ، وهو طائى .

(٦) ديوانه : ١٦٨ ، وأضداد الأصمعى وابن السكيت : ٤٤ ، ١٩٧ ، وأضداد ابن الأنبارى : ٢٥٦ ، واللسان (عين) ، وكان فى المطبوع : « وجف الروايا » ، وجاء كذلك فى بعض المراجع السالفة وفى الديوان ، وهو فى المخطوطة « وجيف » ، وإن كان ما بعد ذلك مضطرب الكتابة. وقصيدة الطرماح هذه كما جاءت فى الديوان مضطربة ، سقط منها كثير ، تجد بعضها فى مواضع مختلفة من المعانى الكبير لابن قتيبة ، يدل على سقوط أبيات قبل هذا البيت ، ولم أستطع أن أعرف موضع هذا البيت من قصيدته ، ولذلك غمض معناه على ، لتعلق الضمير فى « منها » بمذكور قبله لم أقف عليه ، ولذلك أيضاً لا أستطيع أن أرجح أى اللفظين أحق بالمعنى « وجف » أو « وجيف » ، ولكنى إلى الثانية أميل . ولغة البيت : « أخضل » ابتل . ويقال « سقاء عين » ، إذا سال منه الما و « سقاء عين » فى لغة طيئ جديد ، والطرماح طائى ، فهو المراد هنا . و « الوجيف » ، ضرب من سير الإبل سريع . و « الروايا » جمع « رواية » ، وهو البعير الذى يستقى عليه ، يحمل مزاد الماء . و « المتباطن » ، فى شرح ديوانه ، المتطامن ، وكذلك فى أمالى أبى على القالى ٢ : ٧ فى شرح حديث امرأة قالت : « ارم بعينك فى هذا الملا المتباطن » . وعندى أن هذا التفسير فى الموضعين غير جيد ، وإنما هو من قولهم : « شأو بطين » ، أى بعيد واسع ، ونص الزمخشرى فى الأساس على ذلك فقال : « تباطن المكان ، تباعد » ، فهذا حق اللفظ هنا ، كما نرى .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ (٣٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : أفالرَّبُّ الذى هو دائمٌ لا يَبيدُ ولا يَهْلِك، قائم بحفظ أرزاق جميع الخَلْق ،[1] متضمنٌ لها، عالمٌ بهم وبما يكسبُونه من الأعمال ، رقيبٌ عليهم لا يَعْزُب عنه شىء أينما كانوا ، كَمَن هو هالك بائدٌ لا يَسمَع ولا يُبصر ولا يفهم شيئاً ، ولا يدفع عن نفسه ولا عَمَّن يعبده ضُرًّا ، ولا يَجْلب إليهما نفعاً ، كلاهما سَواءٌ ؟

* * *

وحذف الجواب فى ذلك فلم يَقُلْ ، وقد قيل : « أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت » : ككذا وكذا ، اكتفاءً بعلم السامع بما ذَكَر عما ترك ذِكْرَه . وذلك أنه لما قال جل ثناؤه : « وجَعلُوا الله شُرَكاء » ، عُلِمَ أن معنى الكلام : كشركائهم التى اتخذوها آلهةً ، كما قال الشاعر :[2]

١٣/١٠٧ تَخَيَّرِى خُيِّرْتِ أُمَّ عَالِ ... بَيْنَ قَصِيرٍ شِبْرُهُ تِنْبَالِ
أَذَاكَ أَمْ مُنْخَرِقُ السِّرْبَالِ ... وَلَا يَزَالُ آخِرَ اللَّيَالِى

(١) انظر تفسير « القيام » فيما سلف ٦ : ٥١٩ - ٥٢١/٧ : ١٢٠ - ١٢٤ . وانظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٣٣٣ .

(٢) هو القتال الكلابى .

* مُتْلِفَ مَالٍ وَمُفِيدَ مَالِ *(١)

ولم يقل وقد قال: « شَبْرُهُ تِنْبَال »: (٢) « وبين كذا وكذا»، اكتفاء منه بقوله : « أذاكَ أم منخرق السربال » ، ودلالة الخبر عن المنخرق السربال ، على مراده فى ذلك .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٤٤٠ – حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ،

---

(١) من رجز رواه صاحب الأغانى ٢٠ : ١٦٤ فى حديث طويل، وأخرجه إحسان عباس فيما جمعه من شعر القتال الكلابى : ٨٣، والتخريج فى : ١١٣ ويزاد عليه اللسان (رمل) ، مع اختلاف فى روايته . « أم عال » ، هى « عالية » ، امرأة من بنى نصر بن معاوية ، كانت زوجة لرجل من أشراف الحى ، فكان القتال ينسب بها فى أشعاره، ورواية الأغانى :

* تَخَيَّرِى خُيِّرْتِ فى الرِّجَالِ *

لأن قبله :

* لَعَلَّنَا نَطْرُقُ أُمَّ عَالِ *

وفى المطبوع : « قصير شده » ، وهو خطأ .

ويقال : « فلان قصير الشبر » ، إذا كان متقارب الخطو ، وقال الزمخشرى : متقارب الخلق . ورواية الأغانى: « قصير باعه » . و « التنبال » ، القصير . وبعد هذا البيت :

وَأُمُّهُ رَاعِيَةُ الْجِمَالِ تَبِيتُ بَيْنَ الْقَتِّ وَالْجِعَالِ

« منخرق السربال » ، ممزق السربال ، وهو القميص ، قال البكرى فى شرح قول ليلى الأخيلة :

وَمُخَرَّقٍ عَنْهُ الْقَمِيصُ تَخَالُهُ وَسْطَ الْبُيُوتِ مِنَ الْحَيَاءِ سَقِيمَا

فيه قولان ، أحدهما : أن ذلك إشارة إلى جذب العفاة له ، والثانى : أنه يؤثر بجيد ثيابه فيكسوها . والأجود عندى أنهم يمدحون الرجل بأنه ملازم للأسفار والغزو ، يعاقب بينهما ، فلا يزال فى ثياب تبلى ، لأنه غير مقيم ملازم للحى ، فلا يبالى أن يستجد ثياباً ، وذلك من خلائق الكرم والبأس . وبعد البيت ، وهو يؤيد ما قلت :

كَرِيمُ عَمٍّ وَكَرِيمُ خَالِ مُتْلِفُ مَالٍ وَمُفِيدُ مَالِ
وَلَا تَزَالُ آخِرَ اللَّيَالِى قَلُوصُهُ تَعْثُرُ فى النِّقَالِ

و « مفيد مال » ، مستفيد مال . ورواية اللسان : « ناقته ترمل فى النقال » . و« ترمل»، أى تسرع . و « النقال » ، المناقلة ، وهى أن تضع رجليها مواضع يديها وذلك من سرعتها .

(٢) فى المطبوعة هنا أيضاً : « شره » .

عن قتادة قوله : « أفمن هو قائمٌ على كل نفس بما كسبت » . ذلكم ربكم تبارك وتعالى ، قائمٌ على بنى آدمَ بأرزاقهم وآجالهم ، وحَفَظ عليهم والله أعمالهم.[١]

٢٠٤٤١ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة : « أفمَن هو قائم على كل نفس بما كسبت » ، قال : الله قائم على كل نفس .[٢]

٢٠٤٤٢ — حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى ، قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت » ، يعنى بذلك نفسه ، يقول : هو معكم أيما كنتم ، فلا يعمل عاملٌ إلا والله حاضِرُه . ويقال : هم الملائكة الذين وُكِلوا ببنى آدم .[٣]

٢٠٤٤٣ — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت » ، وعلى رزقهم وعلى طعامهم، فأنا على ذلك قائم ، وهم عبيدى ،[٤] ثم جعلوا لِى شُركاء .

٢٠٤٤٤ — حدثت عن الحُسَين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول، حدثنا عبيد بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت »، فهو الله قائم على كل بَرّ وفاجر ، يرزقهم ويَكلؤهم ، ثم يشرك به منهم من أشرك.[٥]

* * *

---

(١) الأثر : ٢٠٤٤٠ — الدر المنثور ٤ : ٦٤ ، وأسقط آخر الخبر

(٢) من أول قوله : « قال . . . » ، ساقط من المطبوعة .

(٣) الأثر : ٢٠٤٤٢ — فى الدر المنثور ٤ : ٦٤ ، واقتصر على « يعنى بذلك نفسه». وفى المطبوعة « إلا وهو حاضر » ، غير ما فى المخطوطة . وقوله : « ويقال هم الملائكة » ، ليس من قول ابن عباس بلا ريب ، وكأنه من قول « محمد بن سعد » ، راوى الخبر

(٤) فى المخطوطة « فأنا على ذلك وهم عبيدى » ، أسقط « قائم »

(٥) الأثر : ٢٠٤٤٤ — فى المطبوعة أسقط من الإسناد : « بن الفرج » ، ورد فى نص الخبر فجعله « على كل نفس بر وفاجر » ، والذى أثبته مطابق لما فى الدر المنثور ٤ : ٦٤ .

وقوله : « وجعلوا لله شركاءَ قُلْ سَموهم أم تنبِّئونه بما لا يعلم فى الأرض أمْ بظاهر من القول » ، يقول تعالى ذكره : أنا القائم بأرزاق هؤلاء المشركين ، والمدبِّرُ أمورهم ، والحافظُ عليهم أعمالَهُمْ ، وجعلوا لى شركاء من خلقى يعبدُونها دونى ، قل لهم يا محمد : سمّوا هؤلاء الذين أشركتموهم فى عبادة الله ، فإنهم إن قالوا : آلهة ، فقد كذبوا ، لأنه لا إله إلا الواحد القهار لا شريك له= « أم تُنَبِّئونَه بما لا يعلم فى الأرضُ » ، يقول : أتخبرونه بأن فى الأرض إلهًا ، ولا إله غيرُه فى الأرض ولا فى السماء ؟

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٤٤٥ — حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، حدثنا عبيد قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « وجعلوا لله شركاء قل سمُّوهم » ، ولو سمَّوْهم آلهةً لكذَبوا وقالوا فى ذلك غير الحق ، لأن الله واحدٌ ليس له شريك . قال الله : « أم تُنَبِّئُونه بما لا يعلم فى الأرض أم بظاهر من القول » ، يقول : لا يعلم اللهُ فى الأرض إلهًا غيره .(١)

٢٠٤٤٦ — حدثنى المثنى قال حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : «وجعلوا لله شركاء قل سموهم » ، والله خلقهم .

٢٠٤٤٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج : « وجعلوا لله شركاء قل سموهم » ، ولو سمَّوهم كذبوا وقالوا فى ذلك مَا لا يعلم الله ، مَا من إله غير الله ،(٢) فذلك قوله : « أم تنبئونه بما لا يعلم فى الأرض » .

* * *

(١) الأثر : ٢٠٤٤٥ — هو تتمة الخبر السالف فى الدر المنثور ٤ : ٦٤ .
(٢) فى المطبوعة ، أسقط « ما » من قوله : « ما من إله » ، فأفسد الكلام .

وقوله : « أم بظاهر من القول » ، مسموع ، [١] وهو فى الحقيقة باطل لا صحة له .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ، غير أنهم قالوا : « أم بظاهر » ، معناه : أم بباطل ، فأتوا بالمعنى الذى تدل عليه الكلمة دون البيان عن حقيقة تأويلها .

* ذكر من قال ذلك :

١٣/١٠٨ ٢٠٤٤٨ — حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا شبابة قال ، حدثنا ورقاء . عن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله : « بظاهر من القول » ، بظن .

٢٠٤٤٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

٢٠٤٥٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن قتادة قوله : « أم بظاهر من القول » ، و « الظاهر من القول » ، هو الباطل .

٢٠٤٥١ — حدثت عن الحسين بن الفرج قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، حدثنا عبيدا بن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « أم بظاهر من القول » ، يقول : أم بباطل من القول وكذب ، ولو قالوا ، قالوا الباطل والكذب .

* * *

وقوله : « بل زُيِّنَ للذين كفروا مكرهم » ، يقول تعالى ذكره : ما لله من شريك فى السموات ولا فى الأرض ، ولكن زُيِّن للمشركين الذين يدعون من دونه إلهًا ، [٢] مَكْرُهم ، وذلك افتراؤهم وكذبهم على الله . [٣]

* * *

---

(١) أسقط فى المطبوعة : « وقوله » ، فجعل الكلام سياقاً واحداً .

(٢) انظر تفسير « التزيين » فيما سلف ١٥ : ٥٥ ، تعليق رقم : ٣ ، والمراجع هناك .

(٣) انظر تفسير « المكر » فيما سلف : ٦٨ تعليق رقم : ٢ والمراجع هناك .

وكان مجاهد يقول : معنى « المكر » ، ههنا ، القول ، كأنه قال : يعني قَوْلُهم بالشرك بالله .(١)

٢٠٤٥٢ — حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : « بل زين للذين كفروا مكرهم » ، قال : قولهم .

٢٠٤٥٣ — حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

* * *

واما قوله : « وصدوا عن السبيل »، فإن القَرَأة اختلفت في قراءته .

فقرأته عامة قَرَأة الكوفيين :﴿ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ﴾ ، بضم « الصاد » ، بمعنى : وصدَّهم الله عن سبيله لكفرهم به ، ثم جُعلت « الصاد » مضمومة إذ لم يُسَمَّ فاعله .

* * *

وأما عامة قرأة الحجاز والبصرة فقرأوه بفتح « الصاد » ، على معنى أن المشركين هم الذين صَدُّوا الناس عن سبيل الله.(٢)

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان، قد قرأ بكل واحدة منهما أئمةٌ من القرأة، متقاربتا المعنى . وذلك أن المشركين بالله كانوا مصدودين عن الإيمان به، وهم مع ذلك كانوا يصدون غيرهم كما وصفهم الله به بقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [سورة الأنفال : ٣٦]

* * *

(١) في المطبوعة أسقط « يعني » .
(٢) انظر تفسير : « الصد » فيما سلف ١٥ : ٢٨٥ ، تعليق رقم : ١ ، والمراجع هناك .

وقوله : « ومن يُضْلِل الله فمَالهُ من هادٍ » ، يقول تعالى ذكره : ومن أضلَّه الله عن إصابة الحق والهدى بخذلانه إياه ، فماله أحدٌ يهديه لإصابتهما ، لأن ذلك لا يُنَال إلا بتوفيق الله ومعونته ، وذلك بيد الله وإليه دُون كلِّ أحدٍ سواه .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾ (٣٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره ، لهؤلاء الكفار الذين وَصَف صِفَتَهم فى هذه السورة ، عذابٌ فى الحياة الدنيا بالقتل والإسار والآفاتِ التى يُصيبهم الله بها = « ولعذاب الآخرة أشق » ، يقول : ولتعذيبُ الله إياهم فى الدار الآخرة أشدُّ من تعذيبه إيَّاهم فى الدنيا .

* * *

« وأشقّ » ، إنما هو « أفعلُ » من « المشقَّة » .

* * *

وقوله : « وما لهم من الله من وَاقٍ » ، يقول تعالى ذكره : وما لهؤلاء الكفار من أحدٍ يقيهم من عذاب الله إذا عذَّبهم ، لا حَمِيمٌ ولا ولىٌّ ولا نصيرٌ ، لأنه جل جلاله لا يعادُّه أحدٌ فيقهره ،(١) فيتخلَّصَه من عذابه بالقهر ،(٢) ولا يشفع عنده أحدٌ إلا بإذنه ، وليس يأذن لأحد فى الشفاعة لمن كفر به فمات على كفره قبل التَّوبة منه .

---

(١) « عاده يعاده ، عداداً ومعادة » ، ناهده وقارنه ، و « العد » ، بكسر العين ، القرن ، بكسر فسكون .

(٢) فى المطبوعة : « فيخلصه » ، و « تخلصه » ، استنقذه .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾ (٣٥)

قال أبو جعفر : اختلف أهلُ العلم بكلام العرب فى مَرَافع « المثل » .(١)

فقال بعض نحويى الكوفيين : الرافع للمثل قوله : « تجرى من تحتها الأنهار » ، فى المعنى ، وقال : هو كما تقول : « حِلْيَةُ فلان ، أسمرُ كذا وكذا » ، فليس « الأسمر » بمرفوع بالحلية ، إنما هو ابتداءٌ ، أى هو أسمر ، هو كذا . قال : ولو دخل « أنّ » ، فى مثل هذا كان صواباً . قال : ومِثْلُه فى الكلام : « مَثَلُكَ أنَّك كذا ، وأنك كذا » ، وقوله : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۝ أَنَّا ﴾ [سورة عبس : ٢٤ ، ٢٥] مَنْ وجَّه ، «مثلُ الجنة التى وعد المتقون » ، فيها ، ومن قال : ﴿ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ ﴾ ، أظهر الاسم لأنه مردودٌ على «الطعام» بالخفض ، ومستأنَف ، أى : طعامُه أنَّا صببنا ، ثم فعلنا . وقال : معنى قوله : « مثل الجنة » ، صفات الجنّة .

١٣/١٠٩

* * *

وقال بعض نحويى البصريين : معنى ذلك : صفةُ الجنة . قال : ومنه قول الله تعالى : ﴿ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾ [سورة الروم : ٢٧] ، معناه : ولله الصفة العُليا .

قال : فمعنى الكلام فى قوله : « مثلُ الجنة التى وعد المتقون تجرى من تحتها الأنهار ، أو فيها أنهار » ،(٢) كأنه قال : وَصْفُ الجنة صفة تجرى من تحتها الأنهار ، أو صفة فيها أنهار ، والله أعلم .

---

(١) فى المطبوعة : « رافع » والذى فى المخطوطة خالص الصواب . وانظر ما سيأتى ص : ٥٥٢

(٢) العبارة مبهمة ، ويبدو لى أن صوابها بعد الآية : « صفة الجنة التى وعد المتقون ، صفة جنة تجرى من تحتها الأنهار ، أو فيها أنهار » .

قال : ووجه آخر ، كأنه إذا قيل: « مَثَلُ الجنة » ، قيل: الجنَّة التى وُعِدَ المتقون . قال : وكذلك قوله : ﴿ وَأَنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ [سورة النمل : ٣٠] ، كأنه قال: بالله الرحمن الرحيم ، والله أعلم .

قال : وقوله : ﴿ عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ ﴾ [سورة الزمر : ٥٦]، فى ذات الله ، كأنه عندَنا قيل : فى الله .

قال وكذلك قوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ،[سورة الشورى : ١١]، إنما المعنى: ليس كشىء وليس مثله شىء ، لأنه لا مثْلَ له . قال : وليس هذا كقولك للرجل: « ليس كمثلك أحدٌ »، لأنه يجوز أن يكون له مثلٌ ، والله لا يجوز ذلك عليه. قال : ومثلُه قول لَبيد :

* إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا * (١)

قال : وفُسِّر لنا أنه أراد : السلام عليكما ، قال أوس بن حجر :

وَقَتْلَى كِرَامٍ كَمِثْلِ الْجُذُوعِ تَغَشَّاهُمُ سَبَلٌ مُنْهَمِرٌ (٢)

قال : والمعنى عندنا : كالجذوع ، لأنه لم يرد أن يجعل للجذوع مَثَلاً ، ثم يشبه القتلى به . قال : ومثله قول أمية :

زُحَلٌ وَثَوْرٌ تَحْتَ رِجْلِ يَمِينِهِ وَالنَّسْرُ لِلْأُخْرَى وَلَيْثٌ مُرْصِدُ (٣)

---

(١) سلف البيت وتخريجه وشرحه ١ : ١١٩ ، تعليق ١/١٤ : ٤١٧ ، تعليق : ١ ، وعجزه :

* وَمَنْ يَبْكِ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدِ اعْتَذَرْ *

(٢) سيأتى البيت بعد ٢٥ : ٩ (بولاق) ، وروايته هناك : « مُسْبِلٌ » ، وكان فى المطبوعة : « سيل » ، تصحيف ، و « السبل » ، بالتحريك ، المطر .

(٣) سلف البيت : ١ : ٣٤٥ ، وهناك « رجل وثور » ، ورجحت أنها « رجل » ، لما جاء فى الخبر قبله رقم : ٤٤٨ .

قال فقال : « تحت رجل يمينه » كأنه قال : تَحْتَ رِجله ، أو تحت رِجله اليُمْنَى . قال : وقول لَبيد :

أَضَلَّ صِوَارَهُ وَتَضَيَّفَتْهُ نَطُوفٌ أَمْرُهَا بِيَدِ الشِّمَالِ (١)

كأنه قال : أمرها بالشمال ، وإلى الشِّمال ، وقول لَبيد أيضًا :

* حَتَّى إِذَا أَلْقَتْ يَدًا فِي كَافِرٍ * (٢)

فكأنه قال : حتى وَقَعت فى كافر .

* * *

وقال آخر منهم : هو من المكفوف عن خَبَره . (٣) قال : والعرب تفعل ذلك . قال : وله معنى آخر : ﴿ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى ﴾ ، مَثَلُ الجنة ، موصولٌ ، صفةٌ لها على الكلام الأوّل . (٤)

* * *

---

(١) ديوانه : ٧٧ ، وتخريجه : ٣٧٣ ، يزاد عليه ما هنا واللسان (يدى) . والبيت فى سياق أبيات من القصيدة ، يصف فيها ثور الوحش ، والضمير فى « أضل » ، إليه . و « الصوار » ، قطيع بقر الوحش ، أضل الثور قطيعه وبقى فرداً وحيداً ، كئيباً متحيراً . « تضيفته » ، نزلت به وطرقته ، والضمير فى « تضيفته » لإحدى الليالى التى ذكرها فى البيت قبله :

كَأَخْنَسَ نَاشِطٍ جَادَتْ عَلَيْهِ بِبُرْقَةِ وَاحِفٍ إِحْدَى اللَّيَالِى

و « ليلة نطوف » ، قاطرة تمطر حتى الصباح . وقال أبو عمرو : « تطوف » : سحابة تسيل قليلا قليلا » ، والأول عندى أجود هنا ، وفى اللسان (يدى) : « نِطَافٌ »

(٢) ديوانه : ٢١٦ ، وتخريجه : ٣٩٦ ، ويزاد عليه ما هنا ، وتمام البيت :

* وأَجَنَّ عَوْرَاتِ الثُّغُورِ ظَلَامُهَا *

« ألقت » ، يعنى الشمس ، ولم يجر لها ذكر قبل . و « الكافر » ، الليل المظلم ، يستر ما يشتمل عليه .

(٣) هذه مقالة أبى عبيدة مجاز القرآن ١ : ٣٣٣ ، ٣٣٤ .

(٤) هو أيضاً قول أبى عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ٣٣٤ . وقوله : « للذين استجابوا » ، هى الآية ١٨ من سورة الرعد ، وهذه الآية : ٣٥ منها ، فلذلك قال : « على الكلام الأول » .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : ذَكر « المَثَل » ، فقال : « مثل الجنة » ، والمراد الجنة ، ثم وُصِفت الجنة بصفتها ، وذلك أن مَثَلَها إنما هو صِفَتُها ، وليست صِفتها شيئًا غيرها . وإذْ كان ذلك كذلك ، ثم ذكر « المثل » فقيل ، « مثل الجنة » ، ومثلها صفَتُها وصفة الجنّة ، فكان وصفها كوصف « المَثَل » ، وكان كأنّ الكلام جرى بذكر الجنة فقيل : الجنةُ تجرى من تحتها الأنهار ، كما قال الشاعر : [1]

أَرَى مَرَّ السِّنِينَ أَخَذْنَ مِنِّى كَمَا أَخَذَ السِّرَارُ مِنَ الْهِلَالِ [2]

فذكر « المرّ » ، ورَجَع فى الخبر إلى « السنين »

وقوله : « أكلها دائمٌ وظلها » ، يعنى ما يؤكل فيها ، [3] يقول : هو دائم لأهلها ، لا ينقطع عنهم ولا يزول ولا يبيد ، ولكنه ثابتٌ إلى غير نهاية = «وظلها» ، يقول : وظلها أيضًا دائم ، لأنه لا شمس فيها . [4]

* * *

«تلك عقبى الذين اتقَوْا» ، يقول : هذه الجنة التى وصف جل ثناؤه ، عاقبة الذين اتَّقَوا الله ، فاجتنبوا مَعَاصيه وأدَّوْا فرائضه . [5]

١٣/١١٠ وقوله : « وعَقْبَى الكافرين النار » ، يقول : وعاقبةُ الكافرين بالله النارُ .

* * *

---

(١) هو جرير .

(٢) سلف البيت ٧ : ٨٦ ، تعليق : ١/١٥٠ : ٥٦٧ وسيأتى ١٩ : ٣٩ (بولاق) ، ويزاد فى المراجع : اللسان (خضع) .

(٣) انظر تفسير « الأكل » فيما سلف من هذا الجزء : ٣٤٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٤) سلف « الظل » غير مبين ٨ : ٤٨٩

(٥) انظر تفسير « العاقبة » و « العقبى » فيما سلف ١٥ : ٣٥٦ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ الْكِتَـٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾ (٣٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : والذين أنزلنا إليهم الكتاب ممَّن آمن بك واتبعكَ، يا محمد ، يفرحون بما أنزل إليك منه = « ومن الأحْزاب من ينكر بعضه » ، يقول : ومن أهل الملل المتحزِّبين عليك ، وهم أهل أدْيان شتَّى ، (١) من ينكر بعضَ ما أنزل إليك . فقل لهم : إنَّما أمرتُ، أيها القوم ، أن أعبد الله وحده دون ما سواه = « ولا أشرك به » ، فأجعل له شريكاً فى عبادتى ، فأعبدَ معه الآلهةَ والأصنامَ ، بل أخلِص له الدين حَنِيفًا مسلمًا = « إليه أدعو » ، يقول : إلى طاعته وإخلاص العبادة له أدعو الناسَ = « وإليه مآب » ، يقول : وإليه مصيرى =

* * *

=وهو « مَفْعَل » ، من قول القائل : « آبَ يَؤُوب أوْبًا ومَآبًا » . (٢)

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٤٥٤ ــ حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك » ، أولئك أصحابُ محمد صلى الله عليه وسلم ، فرحوا بكتاب الله وبرسوله وصدَّقُوا به .

* * *

قوله : « ومن الأحزاب من ينكر بعضه » ، يعنى اليهودَ والنصارى .

---

(١) انظر تفسير « الأحزاب » فيما سلف ١٥ : ٢٧٨ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « المآب » فيما سلف : ٤٤٤ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

٢٠٤٥٥ ــ حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا شبابة قال ، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : « ومن الأحزاب من ينكر بعضه »، قال: من أهل الكتاب .

٢٠٤٥٦ ــ حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ، مثله .

٢٠٤٥٧ ــ حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج، عن مجاهد قوله : « والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه » ، من أهل الكتاب ، و« الأحزاب » ، أهل الكتب يقرّبهم تحزُّبهم. (١) قوله : ﴿وَإِنْ يَأْتِ الأَحْزَابُ﴾ [سورة الأحزاب : ٢٠] قال : لتحزبهم على النبي صلى الله عليه وسلم = قال ابن جريج ، وقال : عن مجاهد : « ينكِرُ بعضه » ، قال : بعض القرآنِ .

٢٠٤٥٨ ــ حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « وإليه مآب »، وإليه مَصِيرُ كلّ عبْدٍ .

٢٠٤٥٩ ــ حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك » ، قال : هذا مَنْ آمنَ برسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب ، فيفرحون بذلك . وقرأ : ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾، [سورة يونس : ٤٠] . وفي قوله : « ومن الأحزاب من ينكر بعضه » ، قال: « الأحزاب » ، الأممُ، اليهودُ والنصارى والمجوس ، منهم من آمنَ به ، ومنهم من أنكره .

---

(١) في المطبوعة : « تفريقهم لحربهم » ، والذي أثبت هو ما في المخطوطة ، وإن كان قد أساء في كتابة الكلمة الأولى بعض الإساءة .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْماً عَرَبِيًّا وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾ (٣٧)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وكما أنزلنا عليك الكتاب ، يا محمد ، فأنكرهُ بعض الأحزاب ، كذلك أيضًا أنزلنا الحكم والدين ، حُكْمًا عربيًّا[1] = وجعل ذلك « عربيًّا » ، ووصفه به ، لأنه أنزل على محمدٍ صلى الله عليه وسلم وهو عربيٌّ ، فنسب الدين إليه ، إذ كان عليه أنزل ، فكذَّب به الأحزابُ . ثم نهاه جل ثناؤه عن ترك ما أنزل إليه واتباع الأحزاب ، وتهدَّده على ذلك إنْ فعله فقال : « ولئن اتبعت » ، يا محمد ، «أهواءهم » ، أهوَاء هؤُلاء الأحزاب ورضَاهم ومحبتَهم ،[2] وانتقلت من دينك إلى دينهم ، مالك من يَقيك عذَاب الله إنْ عذّبك على اتباعك أهواءَهم ، ومالك من ناصر ينصرك فيستنقذك من الله إن هو عاقبك ،[3] يقول : فاحذر أن تتّبع أهـواءهم .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجاً وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ (٣٨) ١٣/١١١

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولقد أرسلنا ، يا محمد ، رسلاً من قبلك إلى أمم قد خلَتْ من قبلِ أمتك ، فجعلناهم بشرًا مثلَك ، لهم أزواج ينكحون ،

(١) انظر تفسير « الحكم » فيما سلف من هذا الجزء : ٢٣ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الهوى » فيما سلف ٩ : ١١/٣٠٢ : ٣٩٧ .
(٣) انظر تفسير « الولى » فيما سلف ١٣ : ١٥٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

وذريةً أنسلوهم ،[١] ولم نجعلهم ملائكةً لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون ، فنجعلَ الرسولَ إلى قومك من الملائكة مثلهم ، ولكن أرسلنا إليهم بشرًا مثلهم ، كما أرسلنا إلى من قبلهم من سائر الأمم بشرًا مثلهم = « وما كان لرسول أن يأتيَ بآية إلا باذن الله » ، يقول تعالى ذكره : وما يقدِر رسولٌ أرسله الله إلى خلقه أنْ يأتي أمتَه بآية وعلامة ،[٢] من تسيير الجبال ، ونقلِ بلْدةٍ من مكان إلى مكان آخر ، وإحياء الموتى ، ونحوها من الآيات = « إلا بإذن الله » ، يقول : إلا بأمر الله الجبالَ بالسير ،[٣] والأرضَ بالانتقال ، والميتَ بأن يحيَا = « لكل أجل كتاب » ، يقول : لكلِّ أجلِ أمرٍ قضاه الله ، كتابٌ قد كتَبه فهو عنده .[٤]

* * *

وقد قيل : معناه : لكل كتابٍ أنزله الله من السماء أجَلٌ .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٤٦٠ — حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق بن يوسف ، عن جويبر ، عن الضحاك في قوله : « لكلّ أجل كتاب » ، يقول : لكل كتاب ينزل من السماء أجل ، فيمحُو الله من ذلك ما يشاءُ ويُثْبت وعنده أمُّ الكتاب .[٥]

* * *

قال أبو جعفر : وهذا على القول ، نظيرُ قول الله : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾ [سورة ق : ١٩] . وكان أبو بكر رحمه الله يقرؤه[٦] : ﴿ وَجَاءَتْ

---

(١) انظر تفسير « الذرية » فيما سلف ٤٢٣ تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الآية » فيما سلف من فهارس اللغة (أيي) .
(٣) انظر تفسير « الإذن » فيما سلف من فهارس اللغ (أذن) .
(٤) انظر تفسير « الأجل » فيما سلف ١٥ : ١٠٠ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « الكتاب » فيما سلف ١٤ : ٩٠ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٥) الأثر : ٢٠٤٦٠ — « المثنى » ، هو « المثنى بن إبراهيم الآملي » ، شيخ الطبري ، مضى مراراً و « إسحق بن يوسف » ، لعله « إسحق بن يوسف الواسطي » ، الذي مضى برقم : ٣٣٣٩ ، ٤٢٢٤ ، ١٢٧٤٢ .
(٦) في المطبوعة : « وكان أبو بكر رضي الله عنه يقول » ، وهو فاسد .

سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ ﴾ ، وذلك أن سَكْرة الموت تأتى بالحق ، والحق يأتى بها ، فكذلك الأجل ، له كتاب ، وللكتاب أجَلٌ .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ (٣٩)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك :

فقال بعضهم : يمحو الله ما يشاء من أمور عباده فيغيّره ، إلا الشقاء والسعادة ، فإنهما لا يُغَيَّران .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٤٦١ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا بحر بن عيسى ، عن ابن أبى ليلى ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى قوله : « يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » ، قال : يدبّر الله أمرَ العبادة ، فيمحو ما يشاءُ إلا الشقاء والسعادة [والحياة] والموت .(١)

---

(١) الأثر : ٢٠٤٦١ – « أبو كريب » ، هو « محمد بن العلاء بن كريب الكوفى الحافظ » شيخ الطبرى ، مضى مراراً لا تحصى كثرة .

و « بحر بن عيسى » ، فهذا شىء لم أعرفه ، ولم أجد له ذكراً فى كتاب على طول البحث ، ولكنى أرجح أعظم الترجيح أن صواب هذا الأسناد .

« حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا بكر ، عن عيسى ، عن ابن أبى ليلى ، عن المنهال . . . . »

وتفسير ذلك :

« ابن أبى ليلى » ، هو « محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى الأنصارى » ، مضى مراراً كثير ،

و « عيسى » ، هو « عيسى بن المختار بن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبى ليلى الأنصارى » ، روى عن عم جده « ابن أبى ليلى محمد بن عبد الرحمن » قال ابن سعد : « كان سمع مصنف ابن أبى ليلى » ، مترجم فى التهذيب ، وغيره .

و « بكر » ، هو « بكر بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبى ليلى الأنصارى » ويقال له : « بكر بن عبيد » ، روى عن ابن عمه « عيسى بن المختار » ، و « أبو كريب » روى عن « بكر بن عبد الرحمن » هذا . مترجم فى التهذيب .

فمن أجل هذا السياق الصحيح فى الرواية ، رجحت أن الصواب « حدثنا بكر ، عن عيسى ، عن ابن أبى ليلى » ، ولعل ذلك من مصنفه الذى رواه عنه عيسى بن المختار ، والله أعلم .

٢٠٤٦٢ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا . . . . ابن أبي ليلى ، عن المنهال ابن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : «يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب» ، قال : كل شيء غير السعادة والشقاء ، فإنهما قد فُرِغ منهما .(١)

٢٠٤٦٣ – حدثني علي بن سهل قال ، حدثنا يزيد = وحدثنا أحمد قال ، حدثنا أبو أحمد = عن سفيان ، عن ابن أبي ليلى ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس يقول : « يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » ، قال : إلا الشقاء والسعادة، والموت والحياة .

٢٠٤٦٤ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو نعيم الفضل بن دُكَيْن، وقَبِيصة قالا ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبي ليلى ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

٢٠٤٦٥ – حدثنا عمرو بن علي قال ، حدثنا وكيع قال ، حدثنا ابن أبي ليلى ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قوله : « يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب» ، قال قال ابن عباس : إلا الحياة والموت ، والشقاء والسعادة .

وهذا الأثر ، ذكره السيوطي في الدر المنثور ٤ : ٦٥ ، ونسبه إلى عبد الرزاق ، والفريابي ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في الشعب . مطولا ، والزيادة التي بين القوسين منه ، ومن تفسير ابن كثير ٤ : ٥٣٦ وذكر الخبر ، عن الثوري ، ووكيع ، وهشيم ، عن ابن أبي ليلى كما سيأتي في الآثار التالية من ٢٠٤٦٣ – ٢٠٤٦٦ .

(١) الأثر : ٢٠٤٦٢ – « ابن بشار» ، هو « محمد بن بشار العبدي » ، « بندار » أبو بكر الحافظ ، شيخ أبي جعفر ، مضى ما لا يعد كثرة .

و « ابن أبي ليلى » هو « محمد بن عبد الرحمن » ، سلف في الأثر قبله .

وقد وضعت نقطاً بين الرجلين ، لأنه هكذا إسناد باطل لا يقوم ، لأن ابن أبي ليلى توفي سنة ١٤٨ ، و « ابن بشار » ولد سنة ١٦٧ ، توفي سنه ٢٥٢ ، فهذا قاطع في سقوط شيء من الإسناد ، وظني أن صوابه :

« حدثنا ابن بشار ، قال حدثنا وكيع ، عن سفيان الثوري ، عن ابن أبي ليلى » ، لأن الخبرين بعده من طريق سفيان ، عن ابن أبي ليلى ، و « محمد بن بشار » ، إنما يروي عن وكيع ، وكيع يروي عن سفيان ، والله أعلم .

٢٠٤٦٦ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم ، عن ابن أبي ليلى ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : « يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » ، قال : يقدِّر الله أمر السَّنَة في ليلة القَدْر ، إلا الشقاوة والسَّعادة والموت والحياة .

٢٠٤٦٧ – حدثنا عمرو بن علي قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد في قوله : « يمحو الله ما يشاء ويثبت » ، قال : إلا الحياة والموت والسعادة والشقاوة ، فإنَّهما لا يتغيَّران .

٢٠٤٦٨ – حدثنا عمرو قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا معاذ بن عقبة ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .[1] ١٣/١١٢

٢٠٤٦٩ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

٢٠٤٧٠ – . . . . قال حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور قال : قلت لمجاهد : « إن كنت كتبتني سعيداً فأثبتني ، وإن كنت كَتَبْتَني شقيًّا فامحني » = قال : الشقاء والسعادة قد فُرِغ منهما .[2]

٢٠٤٧١ – حدثنا أحمد قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد = قال ، حدثنا سعيد بن سليمان قال ، حدثنا شريك ، عن منصور ، عن مجاهد : « يمحو الله ما يشاء ويثبت » ، قال : ينزل الله كل شيء في السَّنَة في ليلة القَدر ، فيمحو ما يشاءُ من الآجال والأرزاق والمقادير ، إلا الشقاء والسعادة ، فإنهما ثابتان .[3]

---

(١) الأثر : ٢٠٤٦٨ – « معاذ بن عقبة » ، لم أجد له ذكراً ، وقد أعياني أن أعرف من يكون ، أو ما دخل هذا الإسناد من الاضطراب ، أخشى أن يكون : « معاذ بن هشام الدستوائي » عن « عقبة » ، محرفاً عن شيء آخر نحو « شعبة » .

(٢) الأثر : ٢٠٤٧١ – « إن كنت كتبتني سعيداً . . . » إشارة إلى حديث عبد الله ابن مسعود في الدعاء ، كما سيأتي في الآثار التالية إلى آخر تفسير الآية . والنقط هنا دلالة على أن الحديث عن « ابن بشار » شيخ الطبري ، كالذي قبله .

(٣) الأثر : ٢٠٤٧١ – « أحمد » هو « أحمد بن إسحق بن عيسى الأهوازي » ، شيخ أبي

٢٠٤٧٢ – حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن منصور قال ، سألت مجاهداً فقلت : أرأيت دعاءَ أحدِنا يقول : « اللهم إن كان اسمى فى السعداء فأثبته فيهم ، وإن كان فى الأشقياء فامحه منهم واجعله فى السعداء » ، فقال : حَسنٌ . ثم أتيته بعد ذلك بحَوْلٍ أو أكثر من ذلك، فسألته عن ذلك فقال : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [سورة الدخان : ٣، ٤] ، قال : يُقْضى فى ليلة القدر ما يكون فى السَّنة من رزق أو مصيبة ، ثم يقدِّم ما يشاء ويؤخر ما يشاء، فأما كتاب الشقاء والسعادة فهو ثابتٌ لا يُغَيَّر .

* * *

وقال آخرون: معنى ذلك: أنّ الله يمحو ما يشاء ويثبت من كتابٍ سوى أمّ الكتاب الذى لا يُغَيَّرُ منه شىء .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٤٧٣ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحجاج قال ، حدثنا حماد ، عن سليمان التَّيمى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال فى هذه الآية : « يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب »، قال : كتابان ، كتابٌ يمحو منه ما يشاء ويثبت ، وعنده أمّ الكتاب .

٢٠٤٧٤ – حدثنا عمرو بن على قال، حدثنا سهل بن يوسف قال ، حدثنا سليمان التيمى ، عن عكرمة فى قوله : « يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب»،

جعفر ، سلف مراراً ، انظر رقم : ١٥٩ ، ١٨٤١ .

و «أبو أحمد » ، هو « محمد بن عبد الله بن الزبير ،الزبيرى » ، مضى أيضاً ، وانظر رقم ١٥٩ ، ١٨٤١ .

ثم انظر الإسناد السالف رقم : ٢٠٤٦٣ ، ٢٠٤٧٠ .

والإسناد الثانى فى هذا الخبر ، تفسره :

« سعيد بن سليمان الضبى » ، « سعدويه » ، مضى مراراً كثيرة ، آخرها رقم : ١٨٥١١ ، والراوى عنه : «أحمد بن إسحق » ، شيخ الطبرى . وكان فى المطبوعة « بن سلمان » ، وهو خطأ .

قال : الكتابُ كتابان : كتاب يمحو الله منه ما يشاء ويثبت ، وعنده أم الكتاب.

٢٠٤٧٥ — . . . . قال ، حدثنا أبو عامر قال ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن سليمان التيمي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، بمثله .

٢٠٤٧٥م — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن عكرمة قال : الكتاب كتابان ، « يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك أنه يمحو كل ما يشاء ، ويثبت كل ما أراد .

• ذكر من قال ذلك :

٢٠٤٧٦ — حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا عثام ، عن الأعمش ، عن شقيق أنه كان يقول : « اللهم إن كنت كتبتنا أشقياء فامحنا واكتبنا سعداء ، وإن كنت كتبتنا سعداء فأثبتنا ، فإنك تمحو ما تشاءُ وتثبت وعندك أمّ الكتاب » .

٢٠٤٧٧ — حدثنا عمرو قال ، حدثنا وكيع قال ، حدثنا الأعمش ، عن أبي وائل قال : كان مما يُكْثِر أن يدعُو بهؤلاء الكلمات : « اللهم إن كنتَ كتبتنا أشقياءَ فامحنا واكتبنا سعداء ، وإن كنتَ كتبتنا سُعَداء فأثبتنا ، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب » . (١)

٢٠٤٧٨ — . . . . قال ، حدثنا معاذ بنُ هشام قال ، حدثنا أبي ، عن أبي حكيمة ، عن أبي عثمان النَّهْدِيّ : أن عمر بن الخطاب قال وهو يطوف بالبيت ويبكي : اللهم إن كنت كتبت على شقْوة أو ذنباً فامحه ، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب ، فاجعله سعادةً ومغفرةً . (٢)

---

(١) الأثران : ٢٠٤٧٦ ، ٢٠٤٧٧ — «شقيق» ، هو « شقيق بن سلمة الأسدي الكوفي » ، وهو « أبو وائل » ، كما في الإسناد الثاني ، مضى مراراً كثيرة جداً ، كان أعلم أهل الكوفة بحديث « عبد الله بن مسعود » . فقوله : « كان يكثر أن يدعو » ، الضمير في ذلك إلى عبد الله بن مسعود . وساقه ابن كثير في تفسيره ٤ : ٥٣٦ ، مساقاً يوهم أنه شقيق بن سلمة نفسه الذي كان يكثر أن يدعو ، وقد أساء ، لأنه هو الذي غير لفظ الخبر الثاني . وانظر الدر المنثور ٤ : ٦٧ .

(٢) الأثر : ٢٠٤٧٨ — « معاذ بن هشام » هو الدستوائي ، روى عنه الجماعة ، مضى مراراً منها : ٤٥٢٣ ، ٥٥٥٢ ، ٦٣٢١ .

وأبوه « هشام بن أبي عبد الله ، سنبر » « أبو بكر الربعي » ، من بكر بن وائل ، ثقة مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري ٤/٢/١٩٨ ، وابن أبي حاتم ٤/٢/٥٩ .

و « أبو حكيمة » ، اسمه « عصمة » ، ويقال « الغزال » ، روى عن أبي عثمان النهدي ، وروى عنه « قرة » و « سلام بن مسكين » ، و « الضحاك بن يسار » ، و « حماد بن سلمة »

٢٠٤٧٩ — . . . . قال ، حدثنا معتمر ، عن أبيه ، عن أبي حكيمة ، عن أبي عثمان قال : وأحسِبُني قد سمعتُه من أبي عثمان ، مثله .(١)

٢٠٤٨٠ — . . . . قال ، حدثنا أبو عامر قال ، حدثنا قرة بن خالد ، عن عصمة أبي حكيمة ، عن أبي عثمان النهدي ، عن عمر رحمه الله ، مثله .(٢)

٢٠٤٨١ — حدثني المثنى قال ، حدثنا الحجاج قال ، حدثنا حماد قال ، حدثنا أبو حكيمة قال : سمعت أبا عُثْمان النَّهدي قال : سمعت عمر بن الخطاب ١٣/١١٣ رضي الله عنه يقول ، وهو يطوف بالكعبة : اللهم إن كنت كتبتَني في أهل السعادة فأثبتني فيها ، وإن كنت كتبت عليَّ الذَّنب والشِّقْوة فامحُني وأثبتني في أهل السَّعادة ، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أمّ الكتاب .(٣)

و « سليمان بن طرخان التيمي » . قال أبو حاتم : « محله الصدق » ، وذكره أحمد في كتاب العلل ١ : ١٨ وقال : « أبو حكيمة » ، عصمة ، روى عنه قرة ، و « أظن التيمي يحدث عنه » ، وانظر التعليق على الخبر التالي . وهو مترجم في الكبير للبخاري ٤/١/٦٣ ، والصغير له : ١٤٠ ، وابن أبي حاتم ٣/٢/٣٠ .

و « أبو عثمان النهدي » ، هو « عبدالرحمن بن مل » ، أدرك الجاهلية ، وأسلم على عهد رسول الله ولم يلقه ، مضى مراراً كثيرة آخرها : ١٧١٥١ .

وبهذا الإسناد نقله ابن كثير في تفسيره ٤ : ٥٣٦ ، وزاد في إسناده فقال : « عن أبي حكيمة عصمة » . وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٤ : ٦٦ ، ونسبه إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر . ثم انظر التعليق على الآثار التالية .

(١) الأثر : ٢٠٤٧٩ — « معتمر » ، هو « معتمر بن سليمان بن طرخان التيمي » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً كثيرة .

وأبوه هو « سليمان بن طرخان التيمي » ، « أبو المعتمر » ، ثقة روى له الجماعة ، مضى مراراً كثيرة منها رقم : ٦٨٢٠

وهذا الإسناد مصداق ظن أحمد رضي الله عنه حيث قال : « وأظن التيمي يحدث عنه » ، كما سلف في تفسير الإسناد السالف .

(٢) الأثر : ٢٠٤٨٠ — « قرة بن خالد السدوسي » ، ثقه ، روى له الجماعة ، مضى مراراً كثيرة ، وانظر رقم : ٩٧٦٢ .

وكان في المطبوعة : « عصمة بن أبي حكيمة » ، غير ما في المخطوطة ، وكان فيها : « عصمة بن حكيمة » ، وكلاهما خطأ ، كما دل عليه ما أسلفنا في التعليق على الأثر : ٢٠٤٧٨ .

ومن طريق « قرة ، عن عصمة » ، رواه البخاري في الكبير ٤/١/٦٣ ، « عن عبد الله ، حدثنا أبو عامر قال حدثنا قرة » ولفظه : « اللهم إن كنت كتبت على ذنباً أو إثماً أو ضغناً ، فاغفره لي ، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب » .

ورواه الدولابي في الكنى والأسماء ١ : ١٥٥ ، قال : « حدثنا محمد بن بشار قال ، حدثنا حماد ابن مسعدة قال حدثنا قرة » ، ولم يقل : « أو ضغناً » ، وقال : « فاغفر لي ، وامحه عني ، فإنك... » .

(٣) الأثر : ٢٠٤٨١ — « المثنى » هو « المثنى بن إبراهيم الآملي » ، شيخ الطبري ، مضى مراراً .

و « الحجاج » هو « حجاج بن النهال الأنماطي » ، من شيوخ البخاري ، روى له الجماعة ، مضى مراراً كثيرة ، انظر رقم : ٦٨٢ .

و « حماد » ، هو « حماد بن سلمة بن دينار » ، مضى مراراً كثيرة ، انظر : ٢٠٣٤٢ .

٢٠٤٨٢ – . . . . قال حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا حماد ، عن خالد الحذاء ، عن أبي قلابة ، عن ابن مسعود أنه كان يقول : اللهم إن كنت كتبتني في [أهل] الشقاء فامحني وأثبتني في أهل السعادة.(١)

٢٠٤٨٣ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » ، يقول : هو الرجل يعمل الزمانَ بطاعة الله ، ثم يعود لمعصية الله، فيموت على ضلاله ، فهو الذي يمحو = والذي يثبتُ : الرجلُ يعمل بمعصية الله ، وقد كان سبق له خير حتى يموت وهو في طاعة الله ، فهو الذي يثبت.(٢)

٢٠٤٨٤ – حدثنا أحمد قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا شريك ، عن هلال بن حميد ، عن عبد الله بن عُكَيْم ، عن عبد الله أنه كان يقول : اللهم إن كُنْتَ كتبتني في السعداء فأثبتني في السعداء ، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب.(٣)

---

(١) الأثر : ٢٠٤٨٢ – ما بين القوسين زيادة في المطبوعة ، وهو في المخطوطة : «في الشقاء» وانظر التعليق على الأثر التالي رقم : ٢٠٤٨٤ .

(٢) الأثر : ٢٠٤٨٣ – خرجه السيوطي في الدر المنثور ٤ : ٦٥ ، وزاد في نسبته إلى ابن أبي حاتم . وفي المخطوطة مكان « فيموت على ضلاله » ، « فيعود على ضلاله » .

(٣) الأثر : ٢٠٤٨٤ – « هلال بن حميد » و « هلال بن أبي حميد » ويقال : «ابن عبد الله » ، و « ابن عبد الرحمن » ، و « ابن مقلاص » ، الجهني ، ويقال له : «هلال الوزان » قال البخاري : « قال وكيع مرة : هلال بن حميد ، ومرة : هلال بن عبد الله ، ولا يصح » . وانظر العلل لأحمد ١ : ١٠٦ ، ٢١١. وقال ابن أبي حاتم « هلال بن أبي حميد الوزان، أبوجهم الصيرفي . ويقال أبو أمية ، وهو : هلال بن مقلاص الجهبذ، مولى جهينة » ، وبنحوه قال ابن سعد .
و « هلال » ثقة مترجم في التهذيب ، والكبير ٤/٢/٢٠٧ ، وابن أبي حاتم ٤/٢/٧٥ ، وابن سعد في الطبقات ٦ : ٢٢٧ .

و « عبد الله بن عكيم الجهني » ، « أبو معبد » ، كان كبيراً قد أدرك الجاهلية ، وأدرك زمان النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لا يعرف له سماع صحيح ، مترجم في التهذيب ، والكبير ٣/١/٣٩ ، وابن أبي حاتم ٢/٢/١٢١ ، وابن سعد في الطبقات ٦ : ٧٧ .
وكان في المطبوعة « عبد الله بن حكيم » ، وفي تفسير ابن كثير ٤ : ٥٣٦ ، « عبد الله ابن عليم » ، وكلاهما خطأ .

وهذا الأثر ، أشار إليه ابن كثير في تفسير ٤ : ٥٣٦ ، وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٤ : ٦٧ ، وزاد في نسبته إلى ابن المنذر والطبراني ، وساقه وهو الأثر السالف رقم : ٢٠٤٨٢ ، سياقاً واحداً ، مع اختلاف في اللفظ .

٢٠٤٨٥ – حدثني المثنى قال ، حدثنا الحجاج قال ، حدثنا حماد ، عن أبي حمزة ، عن إبراهيم : أن كعبًا قال لعمر رحمة الله عليه: يا أمير المؤمنين، لولا آية في كتاب الله لأنبأتك ما هو كائنٌ إلى يوم القيامة . قال : وما هي ؟ قال : قولُ الله : « يمحو الله ما يشاءُ ويثبت وعندَهُ أمّ الكتاب ».(١)

٢٠٤٨٦ – حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، حدثنا عبيد قال ، سمعت الضحاك يقول في قوله : « لكل أجل كتاب » ، الآية يقول : « يمحو الله ما يشاء » ، يقول : أنسخُ ما شئت ،وأصْنعُ من الأفعال ما شئت ، إن شئتُ زدتُ فيهـا ، وإن شئت نقصت .

٢٠٤٨٧ – حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا عفان قال، حدثنا همام قال ، حدثنا الكلبي قال: « يمحو الله ما يشاء ويثبت » ، قال: يَمْحى من الرزق ويزيد فيه ، ويَمْحَى من الأجل ويزيد فيه .(٢) قلت : من حدّثك ! قال : أبو صالح ، عن جابر بن عبد الله بن رئاب الأنصاري ، عن النبي صلى الله عليه

---

(١) الأثر: ٢٠٤٨٥ – « الحجاج » هو « الحجاج بن المنهال » ، سلف قريباً برقم ٢٠٤٨١ . و « حماد » ، هو « حماد بن سلمة » ، مضى مراراً . وفي تفسير ابن كثير ٤ : ٥٣٧ ، روى هذا الخبر ، وفيه هناك « خصاف » ، ولكني أرجح أنه « حماد » ، كما في المخطوطة أيضاً و « خصاف » ، هو « خصاف بن عبد الرحمن الجزري » ، ليس بذاك ، مترجم في لسان الميزان ٢ : ٣٩٧ ، وابن أبي حاتم ١/٢/٤٠٤ .

و «أبو حمزة » ، هو « ميمون » الأعور النهار الراعي ، الكوفي، هو صاحب إبراهيم النخعي ، ضعيف ، جداً ذاهب الحديث ، قال العقيلي : « وأحاديثه عن إبراهيم خاصة مما لا يتابع عليه » . قد سلف برقم : ٦١٩٠ ، ١١٨١٠ ، وانظر الكنى للدولابي ١ : ١٥٧ .

و « إبراهيم » ، هو « إبراهيم بن يزيد النخعي » ، مضى مراراً .

وهذا إسناد واه جداً ، والعجب من السيد رشيد رضا في تعليقه على تفسير ابن كثير (٤ : ٥٣٧) حيث يقول : « من الغريب أن تبلغ الجرأة بكعب إلى هذا الحد الباطل شرعاً وعقلا . ثم يعتدون بدينه وعلمه ويردون عنه ، والغريب هو تحامله على كعب الأحبار قبل التثبت من إسناد الخبر ، وما ذنب كعب إذا ابتلاه بذلك مثل « أبي حمزة الأعور » ؟ ولكن هكذ ديدن الشيخ ، إذا جاء ذكر كعب الأحبار ، يتهمه بلا بينة .

وخرج هذا الأثر السيوطي في الدر المنثور ٤ : ٦٧ ، ولم ينسبه إلى غير ابن جرير .

(٢) هكذا جاء في المخطوطة ؛ « يمحى » أيضاً ، وهو صواب « محا الشيء يمحوه ، ويمحاه محواً ومحياً » ، والذي في المراجع الأخرى : « يمحو » . وانظر ما سيأتي : ٤٩٢ تعليق : ١ .

وسلم . فقدم الكلبيّ بعدُ فسئل عن هذه الآية : « يمحو الله ما يشاء ويثبت » ، قال : يكتب القول كُلَّه، حتى إذا كان يوم الخميس ، طُرح منه كل شيء ليس فيه ثواب ولا عليه عقاب ، مثل قولك : أكلت ، شربت ، دخلت ، خرجت ، ذلك ونحوه من الكلام ، وهو صادق ، ويثبت ما كان فيه الثواب وعليه العقاب . (١)

٢٤٠٨٨ – حدثنا الحسن قال، حدثنا عبد الوهاب قال، سمعت الكلبي ، عن أبي صالح ، نحوه ، ولم يجاوز أبا صالح .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنّ الله ينسخ ما يشاء من أحكام كِتَابه ، ويثبت ما يشاء منها فلا ينسَخُه.

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٤٨٩ – حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « يمحو الله ما يشاء »، قال : من القرآن. يقول : يبدل الله ما يشاء فينسخه ، ويثبت ما يشاء فلا يبدله = « وعنده أم الكتاب » ، يقول : وجملة ذلك عنده في أمّ الكتاب، الناسخ والمنسوخ، وما يبدل وما يثبت ، كلُّ ذلك في كتاب. (٢)

٢٠٤٩٠ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يمحو الله ما يشاء ويثبت » ، هي مثل قوله : ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ

---

(١) الأثر : ٢٠٤٨٧ – الكلبي » ، هو « محمد بن السائب الكلبي » ، النسابة المفسر ، متكلم فيه بما لا يحتمل الرواية عنه ، وقد سلف قول الطبري فيه : « إنه ليس من رواية من يجوز الاحتجاج بنقله » (١ : ٦٦) ، وهذا من المواضع القليلة في تفسير أبي جعفر ، التي جاءت فيها الرواية عن الكلبي ، انظر ما سلف : ٧٢ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ١٢٩٦٧ .

وهذا الخبر أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبير مختصراً ٣/٢/١١٤ ، وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٤ : ٦٦ ، وزاد نسبته إلى ابن مردويه ، ونقله ابن كثير في تفسيره ٤ : ٥٣٧ . وانظر الإسناد التالي . وكان في المطبوعة وابن كثير : « ونحو ذلك من الكلام » .

(٢) الأثر : ٢٠٤٨٩ – خرجه السيوطي في الدر المنثور ٤ : ٦٧ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في المدخل . ونقله ابن كثير في تفسيره ٤ : ٥٣٨ .

نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾ ، [سورة البقرة : ١٠٦] ، وقوله : « وعنده أم الكتاب » ، أى جُملة الكتاب وأصله .

٢٠٤٩١ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، « يمحو الله ما يشاء ويثبت » ما يشاء ، وهو الحكيم = « وعنده أمّ الكتاب » ، وأصله

٢٠٤٩٢ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « يمحو الله ما يشاء »، بما ينزّل على الأنبياء ، «ويثبت» ما يشاء مما ينزل على الأنبياء ، قال : « وعنده أم الكتاب » ، لا يغيَّر ولا يبدَّل . ١١٤/١٣

٢٠٤٩٣ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، قال قال ابن جريج : « يمحو الله ما يشاء » ، قال : ينسخ . قال : « وعنده أم الكتاب » ، قال : الذِكْرُ .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك أنه يمحو من قد حان أجله ، ويثبت من لم يجئ أجله إلى أجله

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٤٩٤ – حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا ابن أبى عدى، عن عوف ، عن الحسن فى قوله : « يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » ، يقول : يمحو من جاء أجله فذهب ، والمثبت الذى هو حىٌّ يجرى إلى أجله .

٢٠٤٩٥ – حدثنا عمرو بن على قال ، حدثنا يحيى قال، حدثنا عوف قال : سمعت الحسن يقول : « يمحو الله ما يشاء » ، قال : من جاء أجله = « ويثبت » ، قال : من لم يجىء أجله إلى أجله .

٢٠٤٩٦ – حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا هوذة قال، حدثنا عوف ، عن الحسن ، نحو حديث ابن بشار .

٢٠٤٩٧ — . . . . قال ، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء قال ، أخبرنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن فى قوله : « لكل أجل كتاب » ، قال : آجال بنى آدم فى كتاب ، يمحو الله ما يشاء من أجله ويثبت ، وعنده أم الكتاب .

٢٠٤٩٨ — . . . . قال ، حدثنا شبابة قال ، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قول الله: « يمحو الله ما يشاء ويثبت »، قالت قريش حين أنزل : ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ﴾ [سورة الرعد : ٣٨] : ما نراك، يا محمد، تملك من شىء، ولقد فُرِغ من الأمر ! فأنزلت هذه الآية تخويفاً ووعيداً لهم : إنا إن شئنا أحدثنا له من أمرنا ما شئنا، ونُحدِث فى كل رمضان ، فنمحو ونثبتُ ما نشاء من أرزاق الناس ومَصائبهم ، وما نعطيهم ، وما نقسم لهم.(١)

٢٠٤٩٩ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، نحوه.

٢٠٥٠٠ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه.

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : ويغفر ما يشاء من ذنوب عباده ، ويترك ما يشاء فلا يغفر .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٥٠١ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا حكام، عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد فى قوله : « يمحو الله ما يشاء ويثبت » ، قال : يثبت فى البطن الشَّقاء والسعادة ، وكلَّ شىء ، فيغفر منه ما يشاء ، ويُؤخّر ما يشاء.(٢)

---

(١) الأثر : ٢٠٤٩٨ — خرجه السيوطى فى الدر المنثور ٤ : ٥ ، وزاد نسبته إلى ابن أبى شيبة ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، ونقله ابن كثير فى تفسيره ٤ : ٥٣٨ .

(٢) الأثر : ٢٠٥٠١ — خرجه السيوطى فى الدر المنثور ٤ : ٦٨ ، ولم ينسبه لغير ابن جرير ، ولفظه عنده: « . . . وكل شىء هو كائن ، فيقدم منه ما يشاء . . . » ، وهذا أجود مما فى مخطوطتنا .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال التي ذكرت في ذلك بتأويل الآية وأشبهها بالصّواب ، القولُ الذي ذكرناه عن الحسن ومجاهد ، وذلك أن الله تعالى ذكره توعّد المشركين الذين سألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الآياتِ بالعقوبة ، وتهدّدهم بها ، وقال لهم : ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ ، يعلمهم بذلك أن لقضائه فيهم أجلاً مُثْبَتًا في كتاب ، هم مؤخَّرون إلى وقت مجيء ذلك الأجل . ثم قال لهم : فإذا جاء ذلك الأجل ، يجيء الله بما شاء ممن قد دنا أجله وانقطع رزقه ، أو حان هلاكُه أو اتضاعه من رفعة أو هلاك مالٍ ، فيقضي ذلك في خلقه ، فلذلك مَحْوُه ، ويثبت ما شاء ممن بقي أجله ورزقه وأُكْله ،[1] فيتركه على ما هو عليه فلا يمحوه .

وبهذا المعنى جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك ما : —

٢٠٥٠٢ — حدثني محمد بن سهل بن عسكر قال ، حدثنا ابن أبي مريم قال ، حدثنا الليث بن سعد ، عن زيادة بن محمد ، عن محمد بن كعب القُرَظي ، عن فَضالة بن عُبَيْد ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن اللهَ يَفتح الذِّكر في ثلاث ساعات يَبْقَيْن من الليل ، في الساعة الأولى منهن ينظر في الكتاب الذي لا ينظُرُ فيه أحد غيره ، فيمحو ما يشاء ويثبتُ . ثم ذكر ما في الساعتين الأخريين .[2]

---

(١) « الأكل » ، بضم فسكون ، الحظ من الدنيا ، من البقاء والرزق .

(٢) الأثر : ٢٠٥٠٢ — « محمد بن سهل بن عسكر » ، شيخ الطبري ، مضى مراراً ، انظر ٥٥٩٨ ، ٥٦٦٤ ، ٥٩١١ .

و « ابن أبي مريم » ، هو « سعيد بن أبي مريم » ، وهو « سعيد بن الحكم » ، ثقة روى له الجماعة ، مضى مراراً آخرها رقم : ١٨٤٠٤ .

و « زيادة بن محمد الأنصاري » ، منكر الحديث ، مضى برقم : ١٦٩٤٣ ، ١٦٩٤٤ .

وسلف هذا الأثر مطولا برقم : ١٦٩٤٣ ، وسلف تخريجه وشرح إسناده ، وهو الخبر

٢٠٥٠٣ – حدثنا موسى بن سهل الرملىّ قال، حدثنا آدم قال ، حدثنا الليث قال ، حدثنا زيادة بن محمد ، عن محمد بن كعب القرظى ، عن فضالة ابن عبيد ، عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله ينزل فى ثلاث ساعات يَبْقَين من الليل ، يفتح الذكر فى الساعة الأولى الذى لم يره أحد غيره ، يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء.(١) ١١٥/١٣

٢٠٥٠٤ – حدثنى محمد بن سهل بن عسكر قال، حدثنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : إن لله لوحًا محفوظًا مسيرةَ خمسمِئة عام ، من دُرَّة بيضاء لَها دَفَّتَان من ياقوت ، والدَّفتان لَوْحان لله ، كل يوم ثلثمئة وستون لحظةً ، يمحو ما يشَاء ويثبت وعنده أم الكتاب.(٢)

٢٠٥٠٥ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور قال ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه قال ، حدثنى رجل ، عن أبيه ، عن قيس بن عباد أنه قال : العاشِرُ من رجب هو يوَم يمحو الله فيه ما يشاء .(٣)

الذى أشار إليه البخارى فى الكبير ، وقال « منكر الحديث » . ويزاد فى تخريجه : السيوطى فى الدر المنثور ٤ : ٦٥ ، وزاد نسبته إلى بن أبى حاتم ، وابن مردويه ، والطبرانى ونقله ابن كثير فى تفسيره ٤ : ٥٣٧ . ثم انظر الخبر التالى والتعليق عليه .

(١) الأثر : ٢٠٥٠٣ – « موسى بن سهل بن قادم الرملى » ، شيخ الطبرى ، ثقة ، مضى برقم : ٨٧٨ ، ٥٤٣٤ ، ١٦٩٤٤ ، وانظر أيضاً « موسى بن سهل الرازى » رقم : ١٨٠ ، والتعليق عليه ، و « سهل بن موسى الرازى » رقم : ١٨٠ ، ٤٣١٩ ، ٩٤٨٢ ، والتعليق عليها .

و « آدم » ، هو « آدم بن أبى إياس » .

وهذه طريق أخرى للخبر السالف ، فهو منكر كمثله .

(٢) الأثر : ٢٠٥٠٤ – خرجه السيوطى فى الدر المنثور ٤ : ٦٥ ، ولم ينسبه لغير ابن جرير ، ونقله ابن كثير فى تفسيره ٤ : ٥٣٧ .

(٣) الأثر : ٢٠٥٠٥ – خرجه السيوطى فى الدر المنثور ٤ : ٦٦ ، ولم ينسبه إلى غير ابن جرير ، ثم ذكر بعده خبراً مطولا عن قيس بن عباد، ونسبه إلى ابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والبيهقى فى الشعب .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ (٣٩)

قال أبو جعفر : اختلفَ أهل التأويل فى تأويل قوله : « وعنده أم الكتاب » .

فقال بعضهم : معناه : وعنده الحلال والحرام .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٥٠٦ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال ، حدثنا محمد ابن عقبة قال ، حدثنا مالك بن دينار قال : سألت الحسن قلت : « أمُّ الكتاب » ، قال : الحلال والحرام . قال قلت له : فما « الحمد لله رب العالمين » ، قال : هذه أمُّ القرآن .

* * *

وقال آخرون : معناه : وعنده جُمْلة الكتاب وأصله .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٥٠٧ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وعنده أم الكتاب » ، قال : جملة الكتاب وأصله .

٢٠٥٠٨ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

٢٠٥٠٩ – حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، حدثنا عبيد قال ، سمعت الضحاك يقول فى قوله : « وعنده أم الكتاب » ، قال : كتابٌ عند رب العالمين .

٢٠٥١٠ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق بن يوسف ، عن جويبر ، عن الضحاك : « وعنده أم الكتاب » ، قال : جملة الكتاب وعلمه . يعنى بذلك ما يَنْسَخ منه ومايُثْبت .

٢٠٥١١ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : « وعنده أم الكتاب » ، يقول : وجملة ذلك عنده في أمّ الكتاب ، الناسخُ والمنسوخ ، ومايبدّل ومايثبت ، كلٌّ ذلك في كتاب .

* * *

وقال آخرون في ذلك ما :–

٢٠٥١٢ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن سيّار ، عن ابن عباس : أنه سأل كعبًا عن « أم الكتاب » ، قال : علمُ الله ، ما هو خالقٌ ، وما خَلْقُه عاملون ، فقال لعلمه : كُنْ كتابًا ، فكان كتابًا . (١)

* * *

وقال آخرون : هو الذكر .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٥١٣ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج = قال أبو جعفر : لا أدري فيه ابن جريج أم لا = قال ، قال ابن عباس : « وعنده أم الكتاب » ، قال : الذكر .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قولُ من قال : « وعنده أصل الكتاب وجملته » . وذلك أنه تعالى ذكره أخبر أنه يمحُو ما يشاء ويثبت

---

(١) ٢٠٥١٢ – « سيار » ، مولى خالد بن يزيد بن معاوية ، روى عن أبي الدرداء ، وابن عباس ، وأبي أمامة . روى عنه سليمان التيمي ، وذكره ابن حبان في الثقات : « سيار بن عبد الله » ، قال ابن حجر : « لم نجد من سمى أباه عبد الله غير ابن حبان » .

وهو مترجم في التهذيب ، والكبير للبخاري ٢/٢/١٦١ ، وابن أبي حاتم ٢/١/٢٥٤ ، ولم يذكرا فيه جرحاً .

وكان في المطبوعة وحدها : « شيبان » .

والخبر خرجه السيوطي في الدر المنثور ٤ : ٦٨ ، وزاد نسبته إلى عبد الرزاق ، ونقله ابن كثير في تفسيره ٤ : ٥٣٨ ، وفي جميعها « سيار » ، وهو الصواب .

ما يشاء ، ثم عقّب ذلك بقوله : « وعنده أم الكتاب » ، فكان بيّنًا أن معناه : وعنده أصل المثبَت منه والممحوّ وجملتُه فى كتاب لديه .

* * *

قال أبو جعفر : واختلفت القرأة فى قراءة قوله : ﴿ ويثبت ﴾

فقرأ ذلك عامة قرأة المدينةوالكوفة : ﴿ وَيُثَبِّتُ ﴾ بتشديد « الباء » ، بمعنى : ويتركه ويقرُّه على حاله فلا يمحوه .

* * *

وقرأه بعض المكيين وبعض البصريين وبعض الكوفيين : ﴿ وَيُثْبِتُ ﴾ ، بالتخفيف ، بمعنى : يكتب .

* * *

وقد بيّنّا قبلُ أن معنى ذلك عندنا : إقرارُه مكتوبًا وتركُ مَحْوه ، على ما قد بيّنّا . فإذا كان ذلك كذلك ؛ فالتثبيتُ به أولى ، والتشديدُ أصْوَبُ من التخفيف : وإن كان التخفيف قلمّا يحتمل توجيهه فى المعنى إلى التشديد ، والتشديد إلى التخفيف ، لتقارب معنييهما .

* * *

وأما « المحو » فإن للعرب فيه لغتين : فأما مُضَر فإنها تقول : « محوت الكتابَ أمحُوه مَحْوًا » وبه التنزيل = « ومحوته أمْحاه مَحْوًا » .

وذُكِر عن بعض قبائل رَبِيعةَ أنها تقول : « مَحَيْتُ أمْحَى » . (١) ١١٦/١٣

---

(١) هذه اللغة منسوبة فى اللسان وغيره إلى طيء أيضاً ، و « أمحى » ، بفتح الحاء . وانظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٣٣٤ ، وما سلف : ٤٨٤ ، تعليق : ٢ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَإِنَّمَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ (٤٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإما نُرينك ، يا محمد ، فى حياتك بعضَ الذى نعدُ هؤلاء المشركين بالله من العقاب على كفرهم = أو نتوفينّكَ قبل أن نُريَك ذلك ، فإنما عليك أن تنتهِىَ إلى طاعةِ ربك فيما أمرك به من تبليغهم رسالتَه ، لا طلبَ صلاحِهم ولا فسادِهم ، وعلينا محاسبتهم ، فمجازاتهم بأعمالهم ، إن خيرًا فخيرٌ ، وإن شرًّا فشرٌّ . (١)

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ (٤١)

قال أبو جعفر : اختلف أهلُ التأويل فى تأويل ذلك .

فقال بعضهم : معناه : أو لم ير هؤلاء المشركون مِنْ أهل مكة الذين يسألون محمدًا الآيات ، أنا نأتى الأرض فنفتَحُها له أرضًا بعد أرض حَوَالَىْ أرضهم ؟ أفلا يخافون أن نفتح لَهُ أرضَهم كما فتحنا له غيرها ؟

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٥١٤ — حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا محمد بن الصباح قال ، حدثنا هشيم ، عن حصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قوله : « أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها » ، قال : أو لم يروا أنا نفتح لمحمد الأرض بعد الأرض ؟ (٢)

---

(١) انظر مراجع ألفاظ هذه الآية فى فهارس اللغة .

(٢) الأثر : ٢٠٥١٤ — « الحسن بن محمد بن الصباح الزعفرانى » ، شيخ الطبرى ، مضى مراراً ، آخرها قريباً رقم : ٢٠٤١١ .

٢٠٥١٥ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها » ، يعني بذلك ما فتح الله على محمد. يقول : فذلك نُقْصَانها.

٢٠٥١٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ،عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك قال : ما تغلَّبتَ عليه من أرضِ العدوّ.

٢٠٥١٧ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر قال : كان الحسن يقول في قوله : « أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها » ، هو ظهور المسلمين على المشركين .(١)

٢٠٥١٨ – حدثت عن الحسين قال، سمعت أبا معاذ قال، حدثنا عبيد ابن سليمان قال ،سمعت الضحاك يقول في قوله : « أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها » ،يعني أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يُنْتَقَصُ له ماحوله من الأرَضِين ، ينظرون إلى ذلك فلا يعتبرون ، قال الله في « سورة الأنبياء » : ﴿ نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٤٤] ، بل نبي الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه هم الغالبون .

* * *

وقال آخرون : بل معناه : أو لم يروا أنا نأتي الأرض فنخرِّبها ، أو لا يَخَافون أن نفعل بهم وبأرضهم مثل ذلك ، فنهلكهم ونخرِّب أرضهم ؟

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٥١٩ – حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا علي بن عاصم ، عن حصين ابن عبد الرحمن ،عن عكرمة ،عن ابن عباس في قوله : « أنا نأتي الأرض ننقصها

و« محمد بن الصباح الدولابي » ، أبو جعفر البزاز البغدادي ، ثقة روى له الجماعة ، مترجم في التهذيب ، والكبير ١/١/١١٨ ، وابن أبي حاتم ٣/٢/٢٨٩ ، وتاريخ بغداد ٥ : ٣٦٥ .

(١) في المطبوعة : « فهو ظهور » .

من أطرافها »، قال : أو لم يروا إلى القرية تخربُ حتى يكون العُمْران فى ناحية ؟[١]

٢٠٥٢٠ — . . . . قال ، حدثنا حجاج بن محمد، عن ابن جريج ، عن الأعرج : أنه سمع مجاهداً يقول : « نأتى الأرض ننقصها من أطرافها »، قال : خرابُها .

٢٠٥٢١ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن الأعرج ، عن مجاهد مثله = قال : وقال ابن جريج : خرابُها وهلاك الناس .

٢٠٥٢٢ — حدثنا أحمد قال ، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا إسرائيل، عن أبى جعفر الفرّاء ، عن عكرمة قوله : « أو لم يروا أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها » ، قال : نخرِّب من أطرافها .[٢]

* * *

وقال آخرون : بل معناه : ننقص من بَرَكتها وثَمرتها وأهلِها بالموت .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٥٢٣ — حدثنى المثنى قال، حدثنا عبد الله قال، حدثنى معاوية، عن على، عن ابن عباس قوله : « ننقصها من أطرافها »، يقول : نقصان أهلِها وبركتها .

٢٠٥٢٤ — حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد فى قوله : « ننقصها من أطرافها»، قال : فى الأنفس ، وفى الثمرات ، وفى خراب الأرض .

---

(١) الأثر : ٢٠٥١٩ — « على بن عاصم بن صهيب الواسطى » ، متكلم فيه لغلطه ثم لحاجه ، مضى برقم : ٥٤٢٧ .
و « حصين بن عبد الرحمن السلمى » ، مضى مراراً كثيرة ، آخرها رقم : ١٧٢٣٧ .

(٢) الأثر : ٢٠٥٢٢ — « أبو جعفر الفراء »، كوفى ، مختلف فى اسمه قيل « كسيان »، وقيل « سلمان » ، وقيل « زيادة » ، ذكره ابن حبان فى الثقات . مترجم فى التهذيب ، والكبير للبخارى ٤/١/٢٣٤ ، وابن أبى حاتم ٣/٢/١٦٦ ، وابن سعد فى طبقاته ٦ : ٢٣٠ ، والكنى والأسماء للدولابى ١ : ١٣٤ ، ١٣٥ ، وفى التاريخ الكبير ، وفى إحدى نسخ ابن أبى حاتم « القراد » بالقاف والدال ، وهذا مشكل، والأرجح « الفراء ». وانظر العلل لأحمد ١ : ١٠٤ ، ٣٦٠ ، خبرله هناك ، وفيه « الفراء » أيضاً .

١١٧/١٣ ٢٠٥٢٥ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي ، عن طلحة القناد ، عمن سمع الشعبي قال : لو كانت الأرض تُنْقَص لضاق عليك حُشُّك ،(١) ولكن تُنْقَص الأنفُس والثَّمرات .

* * *

وقال آخرون : معناه : أنا نأتي الأرض ننقصها من أهلها ، فنتطرَّفهم بأخذهم بالموت. (٢)

• ذكر من قال ذلك :

٢٠٥٢٦ – حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا شبابة قال، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « ننقصها من أطرافها » ، قال : موت أهلها .

٢٠٥٢٧ – حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا يحيى ،عن سفيان، عن منصور ، عن مجاهد : « أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها »، قال : الموت.(٣)

٢٠٥٢٨ – حدثني المثنى قال ، حدثنا مسلم بن إبراهيم قال ، حدثنا هرون النحوي قال ، حدثنا الزبير بن الخِرِّيت ، عن عكرمة في قوله : « ننقصها من أطرافها » ، قال : هو الموت . ثم قال : لو كانت الأرض تنقص لم نجد مكانًا نجلسُ فيه . (٤)

٢٠٥٢٩ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « نأتي الأرض ننقصها من أطرافها » ، قال : كان عكرمة يقول : هو قَبْضُ الناس .

---

(١) « الحش » البستان ، والمتوضأ، حيث يقضي المرء حاجته . وانظر ما سلف ١٥ : ٥١٨، تعليق : ٢ . ثم انظر الخبر رقم : ٢٠٥٣١ .

(٢) يعني بقولهم : « نتطرفهم » ، أي نأخذ من أطرافهم ونواحيهم ، وهو عربي جيد .

(٣) الأثر : ٢٠٥٢٧ – « يحيى » ، هو « يحيى بن سعيد القطان » ، مضى مراراً . و« سفيان » ، هو الثوري ، مضى مراراً .

(٤) الأثر : ٢٠٥٢٨ –« هرون النحوي »، هو « هارون بن موسى النحوي » ، سلف مراراً . و « الزبير بن الخريت » ، سلف قريباً رقم : ٢٠٤١٠ ، وكان في المطبوعة والمخطوطة هنا وهناك : « الزبير بن الحارث » ، وهو خطأ .

٢٠٥٣٠ ــ حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة . قال : سئل عكرمة عن نقص الأرض ، قال : قبضُ الناس .

٢٠٥٣١ ــ حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا جرير بن حازم ، عن يعلى بن حكيم ، عن عكرمة فى قوله : « أو لم يروا أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها » ، قال : لو كان كما يقولون ، لما وجَد أحدُكم جُبًّا يخرأ فيه .

٢٠٥٣٢ ــ حدثنا الفضل بن الصباح قال، حدثنا إسمعيل بن علية ، عن أبى رجاء قال: سئل عكرمة وأنا أسمع عن هذه الآية : « أو لم يروا أنا نأتى الأرض ننقُصها من أطرافها » ، قال : الموت .

* * *

وقال آخرون : « ننقُصها من أطرافها » ، بذهاب فُقَهائها وخِيارها .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٥٣٣ ــ حدثنا أحمد بن إسحق قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا طلحة بن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال: ذهابُ علمائها وفقهائِها وخيار أهلِها. (١)

٢٠٥٣٤ ــ قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا عبد الوهاب ، عن مجاهد قال : موتُ العلماء .

* * *

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال فى تأويل ذلك بالصواب قولُ من قال : « أو لم يروا أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها » ، بظهور المسلمين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم عليها وقَهْرِهم أهلها ، أفلا يعتبرون بذلك فيخافون ظُهورَهم

(١) الأثر : ٢٠٥٣٢ ــ رواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٣٥٠ ، من طريق الثورى عن طلحة بن عمرو ، وقال: « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ، وتعقبه الذهبى فقال : « طلحة ابن عمرو »، قال أحمد : « متروك » .

على أرْضِهم وقَهْرَهم إياهم ؟ وذلك أن الله توعَّد الذين سألوا رسولَه الآياتِ من مشركي قومه بقوله : ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ ، ثم وبَّخهم تعالى ذكره بسوء اعتبارهم بما يعاينون من فعل الله بضُرَبائهم من الكفار ، وهم مع ذلك يسألون الآيات ، فقال : « أولم يرَوْا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها » ، بقهر أهلها ، والغلبة عليها من أطرافها وجوانبها ،[1] وهم لا يعتبرون بما يَرَوْن من ذلك .

* * *

وأما قوله : « والله يحكُم لا مُعَقّب لحكمه » ، يقول : والله هو الذي يحكم فيَنْفُذُ حكمَه ، ويَقْضي فيَمْضِي قضاؤه ، وإذا جاء هؤلاء المشركين بالله من أهل مكة حُكْمُ الله وقضاؤُه ، لم يستطيعوا رَدَّهَ . ويعني بقوله : « لا معقّب لحكمه » ، لا رَادَّ لحكمه .

* * *

« والمعقِّب » ، في كلام العرب ، هو الذي يكرُّ على الشيء .[2]

* * *

وقوله : « وهو سريع الحساب » ، يقول : والله سريع الحساب ، يُحْصي أعمال هؤلاء المشركين ، لا يخفى عليه شيء ، وهو من وراءِ جزائهم عليها .[3]

---

(١) انظر تفسير « الطرف » فيما سلف ٧ : ١٩٢ .

(٢) انظر تفسير مادة (عقب) فيما سلف من فهارس اللغة . ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٣٣٤ .

(٣) انظر تفسير « سريع الحساب » فيما سلف من فهارس اللغة .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعاً يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّـٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ (٤٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قد مكر الذين من قبل هؤلاء المشركين من قريش من الأمم التى سلفت ، بأنبياء الله ورسله = « فلله المكر جميعًا » ، يقول : فلله أسبابُ المكر جميعًا ، وبيده وإليه ، لا يضرُّ مكرُ من مكر منهم أحدًا إلا من أراد ضرَّه به . يقول : فلم يضرَّ الماكرون بمكرهم إلا من شاء الله أن يضرَّه ذلك ، وإنما ضرُّوا به أنفسهم ، لأنهم أسخطوا ربَّهم بذلك على أنفسهم ، حتى أهلكهم ، ونجَّى رُسُلَه. يقول : فكذلك هؤلاء المشركون من قريش ، يمكرون بك ، يا محمد ، والله منجّيك من مكرهم ، ومُلْحِقٌ ضُرَّ مكرهم بهم دونك .[1] ١٣/١١٨

وقوله : « يعلم ما تكسب كلّ نفس » ، يقول : يعلم ربك ، يا محمد ، ما يعمل هؤلاء المشركون من قومك ، وما يسعون فيه من المكر بك ، ويعلم جميعَ أعمال الخلق كلهم ، لا يخفى عليه شيء منها[2] = « وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار » ، يقول : وسيعلمون ، إذا قدموا على ربهم يوم القيامة ، لمن عاقبة الدار الآخرة حين يدخلون النار ، ويدخلُ المؤمنون بالله ورسوله الجنَّة .[3]

* * *

قال أبو جعفر : واختلفت القرأة فى قراءة ذلك :

فقرأته قرأة المدينة وبعضُ البصْرة : ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكَافِرُ ﴾ ، على التوحيد.[4]

* * *

(١) انظر تفسير « المكر » فيما سلف : ٤٦٦ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الكسب » فيما سلف من فهارس اللغة .
(٣) انظر تفسير « العقبى » فيما سلف قريباً : ٤٧٢ ، تعليق : ٥ ، والمراجع هناك .
(٤) فى المطبوعة : « بعض أهل البصرة » ، زاد فى الكلام ما يستقيم بإسقاطه وبإثباته .

وأما قرأة الكوفة فإنهم قرأوه : ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ﴾ ، على الجمع .

* * *

قال أبو جعفر : والصوابُ من القراءة فى ذلك ، القراءةُ على الجميع : ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ﴾ ، لأن الخبر جرى قبل ذلك عن جماعتهم ، وأتبع بَعده الخبر عنهم ، وذلك قوله : « وإما نُرِيَنَّك بعضَ الذى نعدهُم أو نَتَوفينَّك » ، وبعده قوله : ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا ﴾ . وقد ذُكر أنها فى قراءة ابن مسعود : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ، وفى قراءة أبىّ ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ . وذلك كله دليلٌ على صحة ما اخترنا من القراءة فى ذلك .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ (٤٣)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ويقولَ الذين كفروا بالله من قومك يا محمَّد : لست مرسلاً ! تكذيبًا منهم لك ، وجحودًا لنبوّتك ،[1] فقل لهم إذا قالوا ذلك : « كفى بالله » ، يقول : قل حَسْبى الله[2] = «شهيدًا» ، يعنى : شاهدًا[3] = « بينى وبينكم » ، علىّ وعليكم ، بصدقى وكذبكم = « ومن عنده علمُ الكتاب » .

* * *

فـ « مَنْ » إذا قرئ كذلك ، فى موضع خفضٍ ، عطفًا به على اسم الله .

---

(١) انظر تفسير « الرسالة » فيما سلف من فهارس اللغة .
(٢) انظر تفسير « كفى » فيما سلف ٨ : ٤٢٩ .
(٣) انظر تفسير « الشهيد » فيما سلف من فهارس اللغة .

وكذلك قرأته قَرَأة الأمصار،[١] بمعنى : والذين عندهم علم الكتاب، أى الكتب، التى نزلت قبلَ القرآن كالتوراة والإنجيل . وعلى هذه القراءة فسَّر ذلك المفسِّرون .

* ذكر الرواية بذلك :

٢٠٥٣٥ – حدثنى على بن سعيد الكِنْدى قال، حدثنا أبو مُحَيَّاة يحيى بن يعلى، عن عبد الملك بن عمير، عن ابن أخى عبد الله بن سَلاَم قال، قال عبد الله بن سَلاَم : نزلت فىَّ : « كفى بالله شهيداً بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب » .[٢]

٢٠٥٣٦ – حدثنا الحسين بن على الصُّدائى قال، حدثنا أبو داود الطيالسى قال، حدثنا شعيب بن صفوان قال، حدثنا عبد الملك بن عمير : أن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام قال، قال عبد الله بن سلام : أنزل فىَّ : « قل كفى بالله شهيداً بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب» .[٣]

---

(١) فى المطبوعة : « قرأ به قراء الأمصار » ، أساء القراءة .

(٢) الأثر : ٢٠٥٣٥ – « على بن سعيد بن مسروق الكندى » ، شيخ الطبرى ، ثقة ، مضى برقم : ١١٨٤ ، ٢٧٨٤ ، ١١٢٣٣ ، ومواضع أخرى كثيرة .

و « يحيى بن يعلى بن حرملة التيمى » ، « وأبو محياة » ، ثقة ، مضى برقم : ١٤٤٦٢ . وفى المطبوعة : « أبو المحياة » .

و « عبد الملك بن عمير بن سويد بن حارثة القرشى » ، أو « اللخمى » ، روى له الجماعة سلف برقم : ٤١٠٨ ، ١٢٥٧٣ ، ١٨٦٧٨ . ويزاد فى ترجمته : الكبير للبخارى ٣/١/٤٢٦ .

و « ابن أخى عبد الله بن سلام » ، لا يعرف اسمه ، ترجم له ابن أبى حاتم ٤/٢/٣٢٥ وقال : « روى عن عبد الله بن سلام ، روى عنه عبد الملك بن عمير ، سمعت أبى يقول ذلك » . أشار إلى هذا الخبر فيما أرجح .

و « عبد الله بن سلام » ، هو الصحابى الجليل ، كان أعلم بنى إسرائيل ، فأسلم . ثم انظر الخبر التالى .

(٣) الأثر : ٢٠٥٣٦ – « الحسين بن على بن يزيد الصدائى » ، شيخ الطبرى ، ثقة ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١١٤٥٨ ، وانظر رقم : ٥٤٣٧ .

و « أبو داود الطيالسى » ، الإمام الحافظ ، مضى مراراً .

و « شعيب بن صفوان بن الربيع بن الركين» ، « أبو يحيى الثقفى » ، تكلم فيه ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/٢/٢٢٤ ، ولم يذكر فيه حرجاً ، وأشار إلى هذا الخبر ، وابن أبى حاتم

٢٠٥٣٧ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب » ، فالذين عندهم علم الكتاب، هم أهل الكتاب من اليهود والنَّصارَى .

٢٠٥٣٨ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا الأشجعي، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد : « ومن عنده علم الكتاب »، قال: هو عبد الله بن سلام .(١)

٢٠٥٣٩ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ، أخبرنا هشيم قال ، أخبرنا إسمعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح في قوله : « ومن عنده علم الكتاب » ، قال : رجلٌ من الإنس ، ولم يُسمّه .

٢٠٥٤٠ – حدثنا الحسن بن محمد قال ،حدثنا شبابة قال ، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : « ومن عنده علم الكتاب » ، هو عبد الله ابن سلام .

٢٠٥٤١ – . . . . قال حدثنا يحيى بن عباد قال، حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد : « ومن عنده علم الكتاب»....(٢)

٢/١/٣٤٨ ، وميزان الاعتدال ١ : ٤٤٨ ، وتاريخ بغداد ٩ : ٢٣٨ .

و « محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام » ، روى عن أبيه ، عن أبي سعيد الخدري ، وابن الزبير ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وروايته عن جده أشار إليها البخاري في ترجمته ، وفي ترجمة « شعيب بن صفوان ». مترجم في التهذيب ،والكبير ١/١/٢٦٢ ، وابن أبي حاتم ٤/١/١١٨.

وهذا الخبر أخرجه السيوطي في الدر المنثور : ٤ : ٦٩، وزاد نسبته إلى ابن مردويه .

(١) الأثر : ٢٠٥٣٨ – « الأشجعي » ، هو « عبيد الله بن عبيد الرحمن الأشجعي » ، مضى برقم : ٨٦٢٢ ، ١٠٢٥٨ .

(٢) الأثر : ٢٠٥٤١ – وضعت النقط لأن الأثر ناقص في المطبوعة والمخطوطة، وأنا أرجح أنه هو الخبر الذي أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٤ : ٦٩ ، ونسبه إلى ابن جرير ، وابن سعد ، وابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، عن مجاهد ، ونصه :

« عن مجاهد أنه كان يقرأ : "ومن عنده علم الكتاب" ، قال : هو عبد الله بن سلام » .

٢٠٥٤٢ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ويقول الذين كفروا لستَ مُرْسلاً » ، قال : قول مشركي قريش = « قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب » ، أناس من أهل الكتاب كانوا يشهدون بالحقّ ويقرُّون به ، ويعلمون أن محمداً رسول الله ، كما يُحدَّث أن منهم عبدُ الله بن سلام . ١١٩/١٣

٢٠٥٤٣ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن قتادة : « ومن عنده علم الكتاب » ، قال : كان منهم عبدُ الله بن سلام، وسلْمان الفارسي ، وتميمٌ الدّاريّ .

٢٠٥٤٤ – حدثنا الحسن قال، حدثنا عبد الوهاب ، عن سعيد ، عن قتادة: « ومن عنده علم الكتاب » قال : هو عبد الله بن سلام .

* * *

وقد ذُكر عن جماعة من المتقدِّمين أنهم كانوا يقرأونه : ﴿ وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الْكِتَابُ ﴾ ، بمعنى : مِنْ عند الله عُلِمَ الكتاب . (١)

* ذكْر من ذُكِر ذلك عنه :

٢٠٥٤٥ – حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن هرون ، عن جعفر بن أبي وحشية ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس :

---

(١) ضبطت في المخطوطة : « عُلِمَ » ، بالبناء للمفعول ، في الموضعين ، وهذ القراءة الأولى، نسبها أبو حيان في تفسيره ٥ : ٤٠٢ ، إلى علي بن أبي طالب ، وابن السميفع ، والحسن ، كما سيأتي في رقم : ٢٠٥٤٧ ، ٢٠٥٥٣ . وقراءة ثانية ، ذكرها أبو حيان أيضاً، قرأت بها جماعة كثيرة من القرأة، منهم ابن عباس، بجعل « من » حرف جر أيضاً: ﴿وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾، والقراءة الثالثة، ولم ينسبها : ﴿وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِّمَ الْكِتَابُ﴾ بتشديد اللام ، وبالبناء للمفعول .

ولكني لم أجد هذه القراءة الأولى منسوبة إلى ابن عباس ، ولكن الخبر التالي رقم : ٢٠٥٤٥ ، دال على أنه قرأها كذلك ، لأن حديث أبي جعفر ، قاطع بأنه أراد هذه القراءة ببناء « علم » للمفعول ، كما يتبين ذلك من الأثر : ٢٠٥٥٣ ، وتعقيبه عليه . وانظر التعليق التالي .

﴿وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الْكِتَابُ﴾ ، يقول مِنْ عندالله عُلِمَ الكتاب .(١)

٢٠٥٤٦ – حدثني محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد : ﴿وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الْكِتَابُ﴾، قال : من عند الله .

٢٠٥٤٧ – . . . . قال، حدثنا ابن أبي عدى ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد : ﴿ وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الْكِتَابُ ﴾ ، قال : من عند الله عُلِمَ الكتاب = وقد حدثنا هذا الحديثَ الحسن بن محمد قال ، حدثنا شبابة قال ، حدثنا شعبة عن الحكم ، عن مجاهد : ﴿وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الْكِتَابُ﴾ ، قال : هو الله = هكذا قرأ الحسن : ﴿ وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الْكِتَابُ ﴾ .

٢٠٥٤٨ – ... قال، حدثنا شعبة،عن منصور بن زاذان ، عن الحسن ، مثله .

٢٠٥٤٩ – . . . . قال، حدثنا على = يعنى ابن الجعد = قال ، حدثنا شعبة ، عن منصور بن زاذان،عن الحسن : ﴿ وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الْكِتَابُ﴾ ، قال : الله – قال شعبة : فذكرت ذلك للحكم ، فقال : قال مجاهد مثله .(٢)

٢٠٥٥٠ – حدثنا ابن المثنى قال،حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة قال ، سمعت منصور بن زاذان يحدث ، عن الحسن أنه قال فى هذه الآية : ﴿ وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الْكِتَابُ ﴾ ، قال : من عند الله .

٢٠٥٥١ – . . . . قال ، حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا هوذة قال ،

---

(١) الأثر : ٢٠٥٤٥ – « جعفر بن أبي وحشية » ، هو « جعفر بن إياس ، وهو أبووحشية اليشكرى » ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ٥٤٠٥ ، ٥٤٦١ ، ٦٢٠٢ . وكان فى المخطوطة وحدها « جعفر عن أبي وحشية » ، وهو خطأ .

وضبطت « عُلِمَ » فى الموضعين فى هذا الخبر أيضاً، فى المخطوطة، وكذلك فى الآثار التالية إلى رقم : ٢٠٥٤٧ ، و « الكِتَابُ » ، بضمة على الباء أيضاً فيها .

(٢) الأثر : ٢٠٥٤٩ – « الحسن بن محمد » ، هو الزعفرانى ، سلف قريباً .

و « على بن الجعد بن عبيد الجوهرى » ، « أبو الحسن البغدادى » ، ثقة ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ٣/٢/٢٦٦ ، وابن أبي حاتم ٣/١/١٧٨ ، وانظر ما سياتى رقم : ٢٠٨٦٣ .

حدثنا عوف ، عن الحسن : ﴿وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمَ الْكِتَابُ﴾ ، قال : مِنْ عند الله عُلِم الكتاب .

٢٠٥٥٢ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن : ﴿وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمَ الْكِتَابُ﴾ ، قال : من عند الله عِلْمُ الكِتَابِ[1]= هكذا قال ابن عبد الأعلى .

٢٠٥٥٣ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قال : كان الحسن يقرأها : ﴿قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمَ الْكِتَابُ﴾ ، يقول : مِنْ عِنْد الله عُلِمَ الكتابُ وجُمْلَته . = قال أبو جعفر : هكذا حدثنا به بشر : « عُلِمَ الكتابُ » ، وأنا أحسِبَه وَهِم فيه ، وأنه : « ومِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الكِتَابِ »،[2] لأن قوله : « وجملته » ، اسم ، لا يُعْطف باسم على فعل ماضٍ .

٢٠٥٥٤ – حدثنا الحسن قال، حدثنا عبد الوهاب ، عن هرون : ﴿وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمَ الْكِتَابُ﴾ ، يقول : مِنْ عند الله عُلِم الكتاب .

٢٠٥٥٥ – حدثني المثنى قال حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر قال : قلت لسعيد بن جبير : ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ أهو عبد الله بن سلام ؟ قال : هذه السورة مكية ، فكيف يكون عبد الله بن سلام! قال : وكان يقرأها : ﴿وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الْكِتَابُ﴾، يقول : مِنْ عند الله .[3]

٢٠٥٥٦ – حدثنا الحسن قال ، حدثنا سعيد بن منصور قال ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، قال : سألت سعيد بن جبير عن قول الله : « ومَنْ عِنْدَه

---

(١) ضبطت « علم » بكسر فسكون ، لأني أرجح أن الطبري من أجل ذلك قال : « هكذا قال ابن عبد الأعلى » . وهذا أمر يعتمد في الحقيقة على السماع ، وأين اليوم السماع ؟ أو على الضبط ، والمخطوطة غير مضبوطة ، فأرجو أن أكون قد أصبت وجه الخبر . وانظر الخبر التالي وضبطه .

(٢) « علم » بكسر فسكون فضم .

(٣) ضبطت « علم » بالبناء للمفعول في المخطوطة

عِلْمُ الكِتَابِ »، أهو عبد الله بن سلام ؟ قال : فكيف ، وهذه السورة مكية ؟ وكان سعيد يقرؤها : ﴿ ومِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكِتَابُ ﴾

٢٠٥٥٧ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني عباد ، عن عوف ، عن الحسن = وجُوَيبر ، عن الضحاك بن مزاحم = قالا : ﴿ وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الْكِتَابُ ﴾،[1] قال : من عند الله .

* * *

قال أبو جعفر : وقد رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرٌ بتصحيح هذه القراءة وهذا التأويل ، غير أنّ في إسناده نظرًا ، وذلك ما : –

٢٠٥٥٨ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني عباد بن العوّام ، عن هرون الأعور ، عن الزّهْرى ، عن سالم بن عبد الله ، عن أبيه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ : ﴿ وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الْكِتَابُ ﴾ ، عند الله عُلِم الكتاب .[2] ١٣/١٢٠

* * *

قال أبو جعفر : وهذا خبرٌ ليس له أصلٌ عند الثِّقات من أصحاب الزهريّ.

---

(١) ضبطت « علم » . بالبناء للمفعول في المخطوطة .

(٢) الأثر : ٢٠٥٥٨ – « عباد بن العوام الواسطي » ، ثقة ، من شيوخ أحمد ، مضى مراراً آخرها رقم : ١٥٦٦٩ .

و « هرون الأعور » ، هو « هرون بن موسى العتكي » ، ثقة ، وهو صاحب القراءات ، وله قراءة معروفة ، وقد سلف مراراً ، آخرها : ١٧٧٦٠ ، وانظر ما سلف ٦ : ٥٤٨ ، تعليق ٣ .

وهذا إسناد منقطع ، لأن هرون الأعور ، لم يسمع من الزهري ، وقد خرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ١٥٥ ، وقال : « رواه أبو يعلى ، وفيه سليمان بن أرقم ، وهو متروك » ، وكذلك خرجه السيوطي في الدر المنثور ٤ : ٦٩ ، وقال : وأخرج أبو يعلى ، وابن جرير ، وابن مردويه ، وابن عدي ، بسند ضعيف ، عن ابن عمر » .

و « سليمان بن أرقم » ، « ابو معاذ البصري » ، يروى عن الزهري ، وهو متروك الحديث ، قال ابن معين : « ليس بشيء ، ليس يسوى فلساً » ، وقال ابن حبان : « كان ممن يقلب الأخبار ، ويروى عن الثقات الموضوعات » . وكأن رواية هرون الأعور ، هي عن سليمان بن أرقم ، فأسقطه . وقد سلفت ترجمة « سليمان بن أرقم » رقم : ٤٩٢٣ ، ١٤٤٤٦ .

فإذْ كان ذلك كذلك ، وكانت قرأة الأمصار من أهل الحجاز والشأم والعراق على القراءة الأخرى ، وهى : ﴿ ومَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ ﴾ ، كان التأويل الذى على المعنى الذى عليه قرأة الأمصار أولى بالصواب ممّا خالفه ،[1] إذ كانت القراءة بما هم عليه مجمعون أحقّ بالصواب .

﴿ آخر تفسير « سُورة الرَّعْد » ﴾[2]

---

(١) فى المطبوعة : « ممن خالفه » ، غير ما فى المخطوطة بلا تدبر .

(٢) بعد هذا فى المخطوطة :

« والحمدُ لله حمدًا كثيرًا كما هو أهلُه .
وصلى الله على محمدٍ المصطفى ، وآله
أهل الصدقِ والوفَا ، وسلَّم كثيرًا .
يتلوهُ إن شاءَالله تعالى : تفسير سُورةِ إبرَاهيم »

تفسير
سورة إبراهيم

﴿ تفسير السُّورَة التى يُذْكَر فيها إبْرَاهِيمُ ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله جل ذكره ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (١)

قال أبو جعفر الطَّبَرِىّ : قد تقدم منا البيان عن معنى قوله : « الر » ، فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . (١)

* * *

وأما قوله : « كتاب أنزلناه إليك » ، فإن معناه : هذا كتاب أنزلناه إليك ، يا محمد ، يعنى القرآن = « لتخرج الناس من الظلمات إلى النور » ، يقول : لتهديهم به من ظلمات الضلالة والكفر ، إلى نور الإيمان وضيائه ، وتُبصِّر به أهلَ الجهل والعمَى سُبُل الرَّشاد والهُدَى . (٢)

وقوله : « بإذن ربهم » ، يعنى بتوفيق ربهم لهم بذلك ولطفه بهم (٣) = « إلى صراط العزيز الحميد » ، يعنى : إلى طريق الله المستقيم ، وهو دينه الذى ارتضاه ، وشَرَعَه لخلقه . (٤)

* * *

---

(١) انظر ما سلف ١ : ٢٠٥ — ٢٢٤ .
(٢) انظر مراجع ألفاظ الآية فيما سلف من فهارس اللغة .
(٣) انظر تفسير « الإذن » فيما سلف قريباً : ٤٧٦ ، تعليق : ٣ والمراجع هناك .
(٤) انظر تفسير « الصراط » فيما سلف ١٢ : ٥٥٦ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
= وقد أغفل تفسير « العزيز » ، فانظر ما سلف ١٥ : ٣٧٣ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك

و« الحميد » ، « فعيل » ، صُرِف من « مفعول » إلى « فَعيل »، ومعناه: المحمود بآلائه. (١)

* * *

وأضاف تعالى ذكره إخراجَ الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربِّهم لهم بذلك ، إلى نبيه صلى الله عليه وسلم ، وهو الهادي خَلْقَه، والموفقُ من أحبَّ منهم للإيمان ، إذ كان منه دعاؤهم إليه ، وتعريفهُم ما لهم فيه وعليهم . فبيّنٌ بذلك صِحة قول أهل الإثبات الذين أضافوا أفعال العباد إليهم كَسبًا ، وإلى الله جل ثناؤه إنشاءً وتدبيراً ، وفسادُ قول أهل القَدر الذين أنكرُوا أن يكون لله فى ذلك صُنْعٌ . (٢)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٥٥٩ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة فى قوله: « لتخرج الناس من الظلمات إلى النور »، أى من الضلالة إلى الهدى .

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ (٢)

قال أبو جعفر : اختلفت القرأة فى قراءة ذلك .

فقرأته عامة قرأة المدينة والشأم : ﴿اللهُ الَّذِى لَهُ مَافِى السَّموات﴾، برفع اسم

---

(١) انظر تفسير « الحميد » فيما سلف ٥ : ٥٧٠ / ٩ / ٢٩٦ / ١٥ : ٤٠٠ .

(٢) «أهل الإثبات»، هم أهل السنة مثبتو الصفات . و « أهل القدر » هم المعتزلة، ومن أنكر القدر .

« الله » على الابتداء ، وتصيير قوله : الذى له ما فى السموات » ، خبرَه

* * *

وقرأته عامة قرأة أهل العراق والكوفة والبصرة : ﴿ اللهِ الَّذِى ﴾ ، بخفض اسم « الله » ، على اتباع ذلك « العزيزِ الحميدِ » ، وهما خفضٌ .

* * *

وقد اختلف أهل العربية فى تأويله إذ قُرِئ كذلك .

فذكر عن أبى عمرو بن العَلاء أنه كان يقرأه بالخفض . ويقول : معناه : بإذن ربهم إلى صراط [الله] العزيز الحميدِ الذى له ما فى السموات .[1] ويقول : هو من المؤخَّر الذى معناه التقديم ، ويمثله بقول القائل : « مررتُ بالظَّريف عبد الله » ، والكلام الذى يوضع مكانَ الاسم النَّعْتُ ، ثم يُجْعَلُ الاسمُ مكان النعتِ ، فيتبع إعرابُه إعرابَ النعت الذى وُضع موضع الاسم ، كما قال بعض الشعراء :

لَوْ كُنْتُ ذَا نَبْلٍ وَذَا شَزِيبِ ... مَا خِفْتُ شَدَّاتِ الخَبِيثِ الذِّيبِ[2]

* * *

وأما الكسائى فإنه كان يقول فيما ذكر عنه : مَنْ خفضَ أراد أن يجعلَه كلامًا واحداً ، وأتبع الخفضَ الخفضَ ، وبالخفض كان يَقْرأ ١٣/١٢١

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان مشهورتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القُرّاء ، معناهما واحدٌ ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

---

(١) زدت ما بين القوسين لأنه حق الكلام ، وإلا لم يكن المعنى على « المؤخر الذى معناه التقديم » كما سيأتى ، بل كان يكون على التطويل والزيادة ، وهو باطل . وهو إغفال من عجلة الناسخ وسبق قلمه .

(٢) غاب عنى مكان الرجز . و « الشزيب » و « الشزبة » ، (بفتح فسكون) ، من أسماء القوس ، وهى التى ليست بجديد ولا خلق ، كأنها شزب قضيبها ، أى ذبل . و « الشدة » ، (بفتح الشين) الحملة ، يقال : « شد على العدو » ، أى حمل .

وقد يجوز أن يكون الذى قرأه بالرفع أراد معنى من خفض فى إتباع الكلام بعضه بعضًا ، ولكنه رفع لانفصاله من الآية التى قبله ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ﴾ إلى آخر الآية ثم قال : ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ ﴾ [سورة التوبة : ١١١ ، ١١٢] .(١)

* * *

ومعنى قوله : « اللهِ الذى له ما فى السموات وما فى الأرض » ، اللهِ الذى يملك جميع ما فى السموات وما فى الأرض .

يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : أنزلنا إليك هذا الكتاب لتدعو عبادى إلى عبادة من هذه صفته، ويدعوا عبادة من لا يملك لهم ولا لنفسه ضرًّا ولا نفعًا من الآلهة والأوثان . ثم توعّد جل ثناؤه من كفر به ، ولم يستجب لدعاء رسوله إلى ما دعاه إليه من إخلاص التوحيد له فقال : « وويلٌ للكافرين من عذاب شديد » ، يقول : الوادى الذى يسيلُ من صديد أهل جهنم، لمن جحد وحدانيته، وعبد معه غيره ، من عذاب الله الشديد .(٢)

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْأَخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُوْلَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾ (٣)

قال أبو جعفر : يعنى جل ثناؤه بقوله : « الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة » ، الذين يختارون الحياة الدنيا ومتاعها ومعاصى الله فيها ، على طاعة الله

---

(١) انظر ما قاله أبو جعفر فى الآية ، فيما سلف ١٤ : ٥٠٠ ، التعليق رقم : ٢ .
(٢) انظر تفسير « الويل » فيما سلف ٢ : ٢٦٧ — ٢٦٩ ، ٢٧٣ .

وما يقرِّبهم إلى رضاه من الأعمال النافعة فى الآخرة[١] = « ويصدُّون عن سَبِيل الله » ، يقول : ويمنعون من أراد الإيمان بالله واتّباعَ رسوله على ما جاء به من عند الله ، من الإيمان به واتباعه[٢] = « ويَبْغونها عِوَجًا » ، يقول : ويلتمسون سَبِيل الله = وهى دينه الذى ابتعث به رسوله[٢] = « عوجًا » ، تحريفًا وتبديلاً بالكذب والزّور .[٣]

* * *

و« العِوَج » ، بكسر العين وفتح الواو ، فى الدين والأرض وكل ما لم يكن قائمًا . فأما فى كلّ ما كان قائمًا ، كالحائط والرمح والسنّ ، فإنه يقال بفتح العين والواو جميعًا « عَوَج » .[٤]

* * *

يقول الله عز ذكره : « أولئك فى ضلال بعيد » ، يعنى هؤلاء الكافرين الذين يستحبُّون الحياة الدنيا على الآخرة . يقول : هم فى ذهابٍ عن الحق بعيد ، وأخذ على غير هُدًى ، وجَوْر عن قَصْد السبيل .[٥]

* * *

وقد اختلف أهل العربية فى وجه دخول « على » فى قوله : « على الآخرة » ، فكان بعض نحويى البَصْرة يقول : أوصل الفعل بـ« على » كما قيل : « ضربوه فى السيف » ، يريد بالسيف ،[٦] وذلك أن هذه الحروف يُوصل بها كلها ، وتحذَف ،

---

(١) انظر تفسير « الاستحباب » فيما سلف ١٤ : ١٧٥ .

(٢) انظر تفسير « الصد » فيما سلف : ٤٦٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « السبيل » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٣) انظر تفسير « الابتغاء » فيما سلف ١٥ : ٢٨٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « العوج » فيما سلف ١٥ : ٢٨٥ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر بياناً آخر عن « العوج » فيما سلف ١٢ : ٤٤٨ ، وانظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٣٣٥ ، وفيه خطأ بين هناك .

(٥) انظر تفسير « الضلال » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٦) انظر ما سيأتى : ٥٣٤ ، تعليق : ١ .

نحو قول العرب : « نزلتُ زيداً » و « مررت زيداً » ، يريدون : مررت به ، ونزلت عليه .

* * *

وقال بعضهم : إنما أدخل ذلك ، لأن الفعل يؤدّى عن معناه من الأفعال ،[1] فى قوله : « يستحبون الحياة الدنيا » ، معناه يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة ، ولذلك أدخلت « على » .

وقد بيّنت هذا ونظائره فى غير موضع من الكتاب ، بما أغنى عن الإعادة .[2]

* * *

القول فى تأويل قوله عزّ ذكره ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وما أرسلنا إلى أمة من الأمم ، يا محمد ، من قبلك ومن قبلِ قومك ، رسولاً إلا بلسان الأمة التى أرسلناه إليها ولغتهم = « ليبين لهم » ، يقول : ليفهمهم ما أرسله الله به إليهم من أمره ونَهيه ، ليُثْبت حجة الله عليهم ، ثم التوفيقُ والخذلانُ بيد الله ، فيخذُل عن قبول ما أتاه به رسُوله من عنده من شاء منهم ، ويوفّق لقبوله من شاء = ولذلك رفع « فيُضلُّ » ، لأنه أريد به الابتداء لا العطف على ماقبله ، كما قيل : ﴿ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ ﴾ [سورة الحج : ٥] = « وهو العزيز »[3] ، الذى لا يمتنع مما أراده من ضلال أو

---

(١) قوله : « يؤدى عن معناه من الأفعال » ، أى يتضمن معنى فعل غيره .

(٢) انظر « مباحث النحو والعربية وغيرها » ، فيما سلف من أجزاء هذا الكتاب .

(٣) انظر تفسير « العزيز » ، فيما سلف قريباً : ٥١١ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

هداية من أرادَ ذلك به = « الحكيم » ، فى توفيقه للإيمان من « وفَّقه له ، وهدايته له من هداه إليه ، وفى إضلاله من أضلّ عنه ، وفى غير ذلك من تدبيره .[1] ١٣/١٢٢

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٥٦٠ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه » ، أى بلغة قومه ما كانت . قال الله عز وجلّ : « ليبين لهم » الذى أرسل إليهم ، ليتخذ بذلك الحجة . قال الله عز وجل : « فيَضلّ الله من يشاء ويهدى من يشاء وهو العزيز الحكيم » .

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ولقد أرسلنا موسى بأدلتنا وحُجَجنا من قبلك ، يا محمد ، كما أرسلناك إلى قومك بمثلها من الأدلة والحجج ،[2] كما : -

٢٠٥٦١ - حدثنا محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح = ح[3] وحدثنى الحارث قال ، حدثنا الحسن الأشيب قال ، حدثنا ورقاء ، عن أبى نجيح ، عن مجاهد = ح[3] وحدثنا الحسن بن محمد قال ،

---

(١) انظر تفسير « الحكيم » فيما سلف من فهارس اللغة .

(٢) انظر تفسير « الآية » فيما سلف من فهارس اللغة (أبى) .

(٣) هذه أول مرة يستعمل رمز (ح) فى هذه المخطوطة . وهو اصطلاح للمحدثين وغيرهم ، يراد به : تحويل الإسناد ، أى رواية الأثر بإسناد آخر قبل تمام الكلام .

حدثنا شبابة قال ، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « ولقد أرسلنا موسى بآياتنا » ، قال : بالبينات .

٢٠٥٦٢ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد: « ولقد أرسلنا موسى بآياتنا »، قال : التسعُ الآيات ، الطُّوفانُ وما معه .

٢٠٥٦٣ – حدثني المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : « أرسلنا موسى بآياتنا » ، قال : التسعُ البَيِّناتُ .

٢٠٥٦٤ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج ، عن ابن جريج، عن مجاهد ، مثله .

* * *

وقوله : « أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور » ، كما أنزلنا إليك ، يا محمد ، هذا الكتاب لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم . ويعني بقوله: « أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور » ، أنِ ادعهم، [1] من الضلالة إلى الهدى ، ومن الكفر إلى الإيمان ، كما :–

٢٠٥٦٥ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور » ، يقول : من الضلالة إلى الهدى .

٢٠٥٦٦ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال، حدثنا هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة ، مثله .

* * *

(١) في المطبوعة : « أي ادعهم » ، أساء التصرف ، وأراد : أن ادعهم ، ليخرجوا من الضلالة إلى الهدى ، فحذف واختصر .

وقوله : « وَذَكِّرْهُم بأيام الله » ، يقول جل وعزّ : وعِظْهُم بما سلف من نُعْمَى عليهم فى الأيام التى خلت = فاجتُزِئ بذكر « الأيام » من ذكر النعم التى عناها ، لأنها أيام كانت معلومة عندهم ، أنعم الله عليهم فيها نعمًا جليلةً ، أنقذهم فيها من آل فرعون ، بعدَ ما كانوا فيما كانوا [فيه] من العذاب المُهين ، وغرَّق عدوَّهم فرعونَ وقومَه ، وأوْرَثهم أرضهم وديارَهم وأموالَهم .

* * *

وكان بعض أهل العربية يقول : معناه : خوِّفهم بما نَزَل بعادٍ وثمودَ وأشباههم من العذاب ، وبالعفو عن الآخرين : قال : وهو فى المعنى كقولك : « خُذْهم بالشدة واللين » .

* * *

وقال آخرون منهم : قد وجدنا لتسمية النِّعم بالأيام شاهداً فى كلامهم . ثم استشهد لذلك بقول عمرو بن كلثوم :

وَأَيَّامٍ لَنَا غُرٍّ طِوَالٍ عَصَيْنَا المَلْكَ فِيهَا أَنْ نَدِينَا(١)

وقال : فقد يكون إنما جعلها غُرًّا طِوالاً ، لإنعامهم على الناس فيها . وقال : فهذا شاهدٌ لمن قال : « وذكّرهم بأيام الله » ، بنعم الله . ثم قال : وقد يكون تَسْميتُها غُرًّا لعلوّهم على المَلِكِ وامتناعهم منه ، فأيامهم غرّ لهم ، وطِوالٌ على أعدائهم .(٢)

* * *

(١) من قصيدته البارعة المشهورة ، انظر شرح القصائد السبع لابن الأنبارى : ٣٨٨ .

(٢) هذا قول أبى عبيدة بلا شك عندى ، نقله عنه بنصه ابن الأنبارى فى شرح السبع الطوال : ٣٨٩ ، من أول الصفحة ، إلى السطر السابع ، مع اختلاف فى ترتيب الأقوال . وهو بلا شك أيضاً من كتابه « مجاز القرآن » ، بيد أنى لم أجده فى المطبوعة ١ : ٣٣٥ ، فى تفسير هذه السورة ، ولا فى مكان غير هذا المكان . وأكاد أقطع أن نسخة مجاز القرآن ، قد سقط منها شىء فى أول تفسير « سورة إبراهيم » كما تدل عليه تعليقات ناشره الأخ الفاضل الأستاذ محمد فؤاد سزكين . فالذى نقله الطبرى غير منسوب ، والذى نقله ابن الأنبارى منسوباً إلى أبى عبيدة ، ينبغى تنزيله فى هذا الموضع من الكتاب . والحمد لله رب العالمين . وانظر ما سيأتى : ٥٣٥ ، تعليق : ٤ .

قال أبو جعفر : وليس للذى قال هذا القول ، من أنّ فى هذا البيت دليلاً على أن « الأيام » معناها النعم ، وجهٌ . لأنّ عمرو بن كلثوم إنما وصفَ ما وصف من الأيام بأنها « غُرّ » ، لعزّ عشيرته فيها وامتناعهم على المَلِك من الإذعان له بالطاعة ، وذلك كقول الناس : « ما كان لفلان قطُّ يومٌ أبيض » ، يعنون بذلك أنه لم يكن له يومٌ مذكورٌ بخير . وأمّا وصفه إياها بالطولِ ، فإنها لا توصف بالطول إلا فى حال شدّة ، كما قال النابغة : ١٣/١١٢٣

كِلِينِى لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبِ وَلَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِىءِ الكَوَاكِبِ[1]

فإنما وصفها عَمْرٌو بالطول ، لشدة مكروهها على أعداء قومه . ولا وجه لذلك غيرُ ما قلت .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٥٦٧ — حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعىّ قال ، حدثنا فُضَيْل بن عِيَاض ، عن ليث ، عن مجاهد : « وذكرهم بأيام الله » ، قال : بأنْعُم الله .

٢٠٥٦٨ — حدثنى إسحق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال ، حدثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن عُبَيْدٍ المُكْتِب ، عن مجاهد : « وذكرهم بأيام الله » ، قال : بنعم الله.[2]

٢٠٥٦٩ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا

---

(١) ديوانه : ٤٢ ، مطلع قصيدته النابغة ، فى تمجيد عمرو بن الحارث الأعرج ، حين هرب إلى الشأم من النعمان بن المنذر ، وسياتى البيت فى التفسير بعد ١٤ : ١٥/٢٣ : ٢٠٦ (بولاق) .

(٢) الأثر : ٢٠٥٦٨ — « إسحق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد » ، شيخ الطبرى ، سلفت ترجمته رقم : ٢٤١٨ ، مثل هذا الإسناد . وانظر رقم : ١٩٦٢ ، ١٣٨٩٩ .

و « عبيد المكتب » ، هو « عبيد بن مهران الكوفى » ، ثقة ، أخرج له مسلم ، سلف برقم : ٢٤١٧ ، وفيه ضبط « المكتب » .

سفيان ، عن عبيد المُكْتِب ، عن مجاهد ، مثله .

٢٠٥٧٠ - حدثنا أحمد قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا عبثر ، عن حصين ، عن مجاهد ، مثله . (١)

٢٠٥٧١ - حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى = ح وحدثني الحارث قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا ورقاء = جميعًا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « بأيام الله » ، قال : بنعم الله .

٢٠٥٧٢ - حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا شبابة قال ، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

٢٠٥٧٣ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

٢٠٥٧٤ - حدثني المثنى قال ، أخبرنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « وذكّرهم بأيام الله » ، قال : بالنعم التي أنعم بها عليهم ، أنجاهم من آل فرعون ، وفَلَق لهم البحر ، وظلّل عليهم الغمَام ، وأنزل عليهم المنّ والسَّلوَى .

٢٠٥٧٥ - حدثنا أحمد قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا حبيب بن حسان ، عن سعيد بن جبير : « وذكرهم بأيام الله » ، قال : بنعم الله . (٢)

٢٠٥٧٦ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « وذكرهم بأيام الله » ، يقول : ذكرهم بنعم الله عليهم .

٢٠٥٧٧ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن

---

(١) الأثر : ٢٠٥٧٠ - « عبثر » ، هو « عبثر بن القاسم الزبيدي » ، « أبو زبيد الكوفي » ، روى له الجماعة ، سلفت ترجمته برقم : ١٢٣٣٦ ، ١٣٢٥٥ ، وانظر : ١٢٤٠٢ ، ١٧١٠٦ ، ١٩٩٩٥ .

(٢) الأثر : ٢٠٥٧٥ - « حبيب بن حسان » ، هو و« حبيب بن أبي الأشرس » . و« حبيب بن أبي هلال » ، منكر الحديث ، متروك ، سلف برقم : ١٦٥٢٨ .

معمر ، عن قتادة : « وذكرهم بأيام الله » ، قال : بنعم الله .

٢٠٥٧٨ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قول الله : « وذكرهم بأيام الله » ، قال : أيامُه التي انتقم فيها من أهل معاصيه من الأمم ، خوَّفهم بها وحذَّرهم إياها ، وذكَّرهم أن يصيبهم ما أصابَ الذين من قبلهم .

٢٠٥٧٩ — حدثني المثنى قال ، حدثنا الحِمَّاني قال ، حدثنا محمد بن أبان ، عن أبي إسحق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن أبيّ ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : « وذكرهم بأيام الله » ، قال : نعم الله .(١)

---

(١) الأثر : ٢٠٥٧٩ — « الحماني » (بكسر الحاء وتشديد الميم) ، هو « يحيى بن عبد الحميد ابن عبد الرحمن الحماني » ، متكلم فيه ، ووثقه يحيى بن معين . وانظر ما قاله أخي السيد أحمد رحمه الله في توثيقه فيما سلف رقم : ٦٨٩٢ .

و « محمد بن أبان بن صالح بن عمير الجعفي » ، متكلم في حفظه ، سلف برقم : ٢٧٢٠ ، ١١٥١٥ ، ١١٥١٦ .

و « أبو إسحق » ، هو السبيعي ، مضى مراراً .

هذا إسناد أبي جعفر . وقد رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائده على مسند أبيه (المسند ٥ : ١٢٢) ، وإسناده :

« حدثنا عبد الله ، حدثني أبي ، حدثنا يحيى بن عبد الله ، مولى بني هاشم ، حدثنا محمد بن أبان الجعفيّ ، عن أبي إسحق ، عن سعيد بن جبير . . . »

= و « يحيى بن عبد الله ، مولى بني هاشم » ، هو « يحيى بن عبدويه ، مولى عبيد الله ابن المهدي » ، متكلم فيه ، سئل عنه يحيى بن معين فقال : هو في الحياة ؟ فقالوا : نعم . فقال : كذاب ، رجل سوء . وروى الخطيب في تاريخ بغداد أن أحمد بن حنبل حث ولده عبد الله على السماع من يحيى بن عبدويه ، وأثنى عليه . مترجم في ابن أبي حاتم ٤/٢/١٧٣ ، وتاريخ بغداد ١٤ : ١٦٥ ، وتعجيل المنفعة : ٤٤٣ ، وميزان الاعتدال ٣ : ٢٩٦ .

وهذا الخبر نقله ابن كثير في تفسيره : ٥ : ٥٤٥ ، عن المسند ، وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٤ : ٧٠ ، وزاد نسبته إلى النسائي ، وابن أبي حاتم ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، والبيهقي في شعب الإيمان .

وقد روى عبد الله بن أحمد في المسند ٥ : ١٢٢ قال : « حدثنا أبو عبد الله العنبري ، حدثنا أبو الوليد الطيالسي ، حدثنا محمد بن أبان ، عن أبي إسحق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس عن أبي ، نحوه ولم يرفعه » .

قال ابن كثير ، وأشار إلى هذا الخبر : « ورواه عبد الله بن أحمد أيضاً موقوفاً ، وهو أشبه » .

قلت : ومدار هذه الأسانيد على « محمد بن أبان الجعفي » ، وقد قيل في سوء حفظه وضعفه ما قيل .

٢٠٥٨٠ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن عبيد الله أو غيره ، عن مجاهد : « وذكرهم بأيام الله » ، قال : بنعم الله .

* * *

= « إن في ذلك لآيات لكل صبّار شكور » ، يقول : إن في الأيام التي سلفت بنعمتي عليهم = يعني على قوم موسى = « لآيات » ، يعني لعبرًا وموعظ[1] = « لكل صبّار شكور » ، يقول : لكل ذي صبر على طاعة الله ، وشكرٍ له على ما أنعم عليه من نعمه .[2]

٢٠٥٨١ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا هشام ، عن عمرو ، عن سعيد ، عن قتادة في قول الله عز وجل : « إنّ في ذلك لآيات لكل صبّار شكور » ، قال : نعمَ العبدُ عبدٌ إذا ابتلي صبَر ، وإذا أعطي شكَر .

* * *

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ ⑥ ١٣/١٢٤

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر ، يا محمد ، إذ قال موسى بن عمران لقومه من بني إسرائيل : « اذكروا نعمة الله عليكم » ، التي أنعم بها عليكم = « إذ أنجاكم من آل فرعون » ، يقول : حين أنجاكم من أهل دين فرعون وطاعته[3] = « يسومونكم سوء العذاب » ، أي يذيقونكم

---

(١) انظر تفسير « الآية » فيما سلف من فهارس اللغة (أي) .

(٢) انظر تفسير « الصبر » فيما سلف ١٣ : ٣٥ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك = وتفسير « الشكر » فيما سلف ٣ : ٢١٢ ، ٢١٣ .

(٣) انظر تفسير « الإنجاء » فيما سلف ١٥ : ٥٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ .

شديدَ العذاب[١] = « ويذبحون أبناءكم » ، مع إذاقتهم إياكم شديد العذاب [يذبحون] أبناءكم .[٢]

* * *

وأدْخلت الواو فى هذا الموضع ، لأنه أريد بقوله : « ويذبحون أبناءكم » ، الخبرُ عن أن آل فرعون كانوا يعذبون بنى إسرائيل بأنواع من العذاب غير التذبيح وبالتذبيح . وأما فى موضعٍ آخرَ من القرآن ، فإنه جاء بغير الواو : ﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ ﴾ [سورة البقرة : ٤٩] فى موضع ، وفى موضع ﴿ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ ﴾ [سورة الأعراف : ١٤١] ، ولم تدخل الواو فى المواضع التى لم تدخل فيها لأنه أريد بقوله : « يذبحون » ، وبقوله : « يقتلون » ، تبيينه صفات العذاب الذى كانوا يسومونهم . وكذلك العملُ فى كل جملة أريد تفصيلُها ، فبغير الواو تفصيلها ، وإذا أريد العطف عليها بغيرها وغير تفصيلها فبالواو .[٣]

* * *

٢٠٥٨٢ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة فى قوله : « وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمةَ الله عليكم » ، أيادِىَ الله عندكم وأيَّامَه .[٤]

* * *

وقوله : « ويستحيون نساءكم » ، يقول : ويُبقون نساءكم فيتركون قتلهن ،

---

(١) انظر تفسير « السوم » فيما سلف ٢ : ٤٠/١٣ ، ٨٥ ، ثم مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٣٣٥ . = و تفسير « سوء العذاب » فيما سلف ٢ : ٤٠/١٣ : ٨٥ .

(٢) من أول قوله : « مع إذاقتهم . . . » ساقط من المطبوعة . و « يذبحون » التى بين القوسين ساقطة من المطبوعة .

(٣) فى المطبوعة : « فالواو » ، لم يحسن قراءة المخطوطة .

(٤) الأثر : ٢٠٥٨٢ — « عبد الله بن الزبير بن عيسى الحميدى » ، سلف برقم : ٩٩١٤ ، ١١٦٢٢ ، وقد أطلت الكلام فى نسبه ، فى جمهرة أنساب قريش للزبير بن بكار ١ : ٤٤٩ ، تعليق : ١ ، ويزاد عليه : الانتقاء لابن عبد البر : ١٠٤ ، وأول مسند الحميدى ، الذى طبع فى الهند حديثاً .

وذلك استحياؤهم كان إياهن = وقد بينا ذلك فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع[١] = ومعناه : يتركونهم والحياة ،[٢] ومنه الخبر الذي روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« اقْتُلُوا شُيُوخَ المشركين وَاسْتَحْيُوا شَرْخَهُمْ »،[٣] بمعنى : استبقوهم فلا تقتلوهم .

* * *

= « وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم »، يقول تعالى : فيما يصنعُ بكم آلُ فرعون من أنواع العذاب ، بلاءٌ لكم من ربكم عظيمٌ ، أي ابتلاء واختبارٌ لكم ، من ربكم عظيم .[٤] وقد يكون « البلاء »، في هذا الموضع نَعْماء، ويكون من البلاء الذي يصيب النَّاس من الشدائد.[٥]

* * *

---

(١) انظر تفسير « الاستحياء » فيما سلف ٢ : ٤١ – ٤٨/١٣ : ٤١ ، ٨٥ .

(٢) في المطبوعة : « يتركونهم » والحياة هي الترك » ، زاد « هي الترك » بسوء ظنه .

(٣) هذا الخبر رواه أحمد في مسنده في موضعين ٥ : ١٢ ، ٢٠ في مسند سمرة بن جندب ، من طريق أبي معاوية ، عن الحجاج ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة = ثم طريق هشيم ، عن حجاج ابن أرطأة ، عن قتادة ، ومن هذه الثانية قال : « واستبقوا شرخهم » .

ورواه أبو داود في سننه ٣ : ٧٣ ، من طريق سعيد بن منصور ، عن هشيم ، عن حجاج .

ورواه الترمذي في أبواب السير ، « باب ما جاء في النزول على الحكم » ، من طريق أبي الوليد الدمشقي ، عن الوليد بن مسلم ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة . وقال : «هذا حديث حسن غريب ، ورواه الحجاج بن أرطاة عن قتادة نحوه» . وفيه : « واستحيوا ». ثم قال : « والشرخ : الغلمان الذين لم ينبتوا » .

وقال عبد الله بن أحمد (المسند ٥ : ١٢) : « سألت أبي عن تفسير هذا الحديث : اقتلوا شيوخ المشركين ؟ قال : يقول : الشيخ لا يكاد أن يسلم ، والشاب ، أي يسلم ، كأنه أقرب إلى الإسلام من الشيخ . قال : الشرخ ، الشباب » .

(٤) انظر تفسير « البلاء » فيما سلف ١٥ ، ٢٥٠ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

(٥) في المطبوعة : « وقد يكون معناه من البلاء الذي قد يصيب الناس في الشدائد وغيرها » ، زاد في الجملة ما شاء له هواه وغير ، فأساء غفر الله له .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ (٧)

قال أبو جعفر : يقول جل ثناؤه : واذكروا أيضًا حين آذنكم ربكم .

* * *

=و «تأذن»، «تفعّل» من «آذن». والعرب ربما وضعت «تفعّل» موضع «أفعل»، كما قالوا : «أوعدتُه» «وتوعّدته»، بمعنى واحد . و«آذن»، أعلم،[1] كما قال الحارث بن حِلِّزة .

آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا أَسْمَاءُ رُبَّ ثَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ[2]

يعنى بقوله : «آذنتنا»، أعلمتنا

* * *

وذُكر عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه كان يقرأ : «وإذْ تأذَّنَ ربُّكُمْ» : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكُمْ﴾ :-

٢٠٥٨٣ - حدثنى بذلك الحارث قال، حدثنى عبد العزيز قال، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عنه .[3]

٢٠٥٨٤ - حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله : «وإذ تأذّن ربكم»، وإذ قال ربكم، ذلك «التأذن» .

* * *

وقوله : «لئن شكرتم لأزيدنكم»، يقول: لئن شكرتم ربكم، بطاعتكم إياه

---

(١) انظر تفسير «أذن» فيما سلف ١٣ : ٢٠٤، ثم تفسير «الإذن» فيما سلف من فهارس اللغة . ثم انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٣٤٥ .

(٢) مطلع طويلته المشهورة، انظر شرح القصائد السبع لابن الأنبارى : ٤٣٣ .

(٣) الأثر : ٢٠٥٨٣ - «الحارث»، هو «الحارث بن أبى أسامة» منسوباً إلى جده، وهو «الحارث بن محمد بن أبى أسامة التميمى»، شيخ الطبرى، ثقة، سلف مراراً آخرها رقم : ١٤٣٣٣ . و «عبد العزيز»، هو «عبد العزيز بن أبان الأموى»، كذاب خبيث يضع الأحاديث، مضى مراراً كثيرة آخرها رقم : ١٤٣٣٣ .

فيما أمركم ونهاكم ، لأزيدنكم فى أياديه عندكم ونعمه عليكم ، على ما قد أعطاكم من النجاة من آل فرعون والخلاص مِنْ عذابهم .

* * *

وقيل فى ذلك قولٌ غيره ، وهو ما : —

٢٠٥٨٥ — حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا الحسين بن الحسن قال ، أخبرنا ابن المبارك قال ، سمعت على بن صالح يقول فى قول الله عز وجل : « لئن شكرتم لأزيدنكم » ، قال : أى من طاعتى .

٢٠٥٨٦ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا يزيد قال ، أخبرنا ابن المبارك قال ، سمعت على بن صالح ، فذكر نحوه .

٢٠٥٨٧ — حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان : « لئن شكرتم لأزيدنكم » ، قال : من طاعتى . ١٣/١٢٥

٢٠٥٨٨ — حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا مالك بن مغول ، عن أبان بن أبى عياش ، عن الحسن فى قوله : « لئن شكرتم لأزيدنكم » ، قال : من طاعتى .

* * *

قال أبو جعفر : ولا وجهَ لهذا القولُ يُفْهَم ، لأنه لم يجرِ للطاعة فى هذا الموضع ذكرٌ فيقال : إن شكرتمونى عليها زدتكم منها ، وإنما جرَى ذكر الخبر عن إنعام الله على قوم موسى بقوله : « وإذ قال مُوسى لقومه اذكروا نِعْمَةَ الله عليكم » ، ثم أخبرهم أن الله أعلمهم إن شكروه على هذه النعمة زادهم . فالواجب فى المفهوم أن يكون معنى الكلام : زادهم من نعمه ، لا مما لم يجرِ له ذكر من « الطاعة » ، إلا أن يكون أريد به : لئن شكرتم فأطعتمونى بالشكر ، لأزيدنكم من أسباب الشكر ما يعينكم عليه ، فيكون ذلك وجهًا .

* * *

وقوله : « ولئن كفرتم إنّ عذابى لشديد » ، يقول : ولئن كفرتم ، أيها القوم ، نعمةَ الله ، فجحدتموها بتركِ شكره عليها وخلافِه فى أمره ونهيه ، وركوبكم معاصيه = « إن عذابى لشديد » ، أعذبكم كما أعذب من كفر بى من خلقى.

* * *

وكان بعض البصريين يقول فى معنى قوله : « وإذ تأذن ربكم » ، وتأذّن ربكم : ويقول : « إذ » من حروف الزوائد ،[1] وقد دللنا على فساد ذلك فيما مضى قبل.[2]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ (٨)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وقال موسى لقومه : إن تكفروا ، أيها القوم ، فتجحدوا نعمةَ الله التى أنعمها عليكم ، أنتم = ويفعل فى ذلك مثل فعلكم مَنْ فى الأرض جميعًا = « فإن الله لغنى » عنكم وعنهم من جميع خلقه ، لا حاجة به إلى شكركم إياه على نعمه عند جميعكم[3] = « حميد » ، ذو حمد إلى خلقه بما أنعم به عليهم ،[4] كما : —

٢٠٥٨٩ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن هاشم قال ، أخبرنا سيف ، عن أبى روق ، عن أبى أيوب ، عن على : « فإن الله لغنى » ، قال : غنى عن خلقه = « حميد » ، قال : مُسْتَحْمِدٌ إليهم .[5]

---

(١) هو أبو عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ٣٤٥ .

(٢) انظر ما سلف ١ : ٤٣٩ — ٤٤٤ ويزاد فى المراجع ص : ٤٣٩ ، تعليق : ١ أن قول أبى عبيدة هذا فى مجاز القرآن ١ : ٣٦ ، ٣٧ .

(٣) انظر تفسير « الغنى » فيما سلف ١٥ : ١٤٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « الحميد » ، فيما سلف قريباً : ٥١٢ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٥) فى أساس البلاغة : « استحمد الله إلى خلقه ، بإحسانه إليهم ، وإنعامه عليهم » ، وقد

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ (٩)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره ، مخبرًا عن قيل موسى لقومه : يا قوم : « ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم » . يقول : خبر الذين من قبلكم من الأمم التى مضت قبلكم[1] = « قوم نوح وعاد وثمود » ، وقوم نوح ، مُبيَّنٌ بهم عن « الذين » ، [2] و« عاد » معطوف بها على « قوم نوح » ، = « والذين من بعدهم » ، يعنى من بعد قوم نوح وعاد وثمود = « لا يعلمهم إلا الله » . يقول : لا يحصى عَدَدهم ولا يعلَمُ مبلغهم إلا الله ، كما :—

٢٠٥٩٠ — حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن أبى إسحق ، عن عمرو بن ميمون : « وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله » ، قال : كذَب النسَّابون .[3]

سلف « استحمد » فى خبر آخر رقم : ٨٣٤٩ فى الجزء ٧ : ٤٧٠ ، وهو مما ينبغى أن يقيد على كتب اللغة الكبرى ، كاللسان والتاج وأشباههما .

(١) انظر تفسير « النبأ » فيما سلف ١٥ : ١٤٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) فى المطبوعة والمخطوطة : « وقوم عاد فبين بهم عن الذين » . وهذا كلام لا معنى له ، وإنما سها الناسخ ، ومراده أن « قوم نوح » ، بدل من « الذين » ، و « التبيين » ، هو البدل ، ذكر ذلك الأخفش (همع الهوامع ٢ : ١٢٥) . ويقال له أيضاً « التفسير » ، كما أسلفت فى الجزء ١٢ : ٧ ، تعليق : ١ ، ويقال له أيضاً : « التكرير » ، (همع الهوامع ٢ : ١٢٥) .

(٣) الآثار : ٢٠٥٩٠ — ٢٠٥٩٣ — خرجها السيوطى فى الدر المنثور ٤ : ٧١ ، وزاد نسبته إلى عبيد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم .

وإسناد هذا الخبر صحيح .

٢٠٥٩١ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله بن مسعود ، بمثل ذلك .

٢٠٥٩٢ – حدثنا الحسن بن محمد قال ،حدثنا شبابة قال ،أخبرنا إسرائيل، عن أبي إسحق، عن عمرو بن ميمون قال ، حدثنا ابن مسعود أنه كان يقرؤها، ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللهُ﴾، ثم يقول: كذب النسابون.

٢٠٥٩٣ – حدثني ابن المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عيسى بن جعفر ، عن سفيان ، عن أبي إسحق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله ، مثله .(١)

* * *

وقوله : « جاءتهم رسلهم بالبينات» ، يقول : جاءت هؤلاء الأمم رسلُهم الذين أرسلهم الله إليهم بدعائهم إلى إخلاص العبادة له= «بالبينات »، يعني بحجج ودلالاتٍ على حقيقة ما دعوهم إليه معجزاتٍ.(٢) ١٣ / ١٢٦

* * *

وقوله : « فردوا أيديهم في أفواههم »، اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك.

فقال بعضهم : معنى ذلك: فعضُّوا على أصابعهم ، تغيُّظًا عليهم في دعائهم إياهم إلى ما دعَوْهم إليه .

---

(١) الأثر : ٢٠٥٩٣ – « ابن المثنى » ، هو « محمد بن المثنى العنزي » ، الحافظ ، المعروف بالزمن ، شيخ الطبري ، روى عنه ما لا يحصى كثرة ، مضى مراراً ، انظر : ٢٧٣٤ ، ٢٧٤٠ ، ٥٤٤٠ ، ١٠٣١٤ .

و « عيسى بن جعفر» ، هذا خطأ لا شك فيه ، وإنما الصواب « محمد بن جعفر الهذلي » ، وهو « غندر » ، روى عنه « ابن المثنى » في مواضع من التفسير لا تعد كثرة ، انظر ما سلف من الأسانيد مثلا : ٣٥ ، ١٠١ ، ١٩٤ ، ٢٠٨ ، ٤١٩ ، في الجزء الأول من التفسير ، وفي الجزء الثامن : ٨٧٦١ ، ٨٨١٠ ، ٨٨٦٣ ، ٨٩٧٣ ،وفيه « المثنى » ، وصوابه « ابن المثنى » . وغير هذه كثير .

(٢) انظر تفسير « البينات » فيما سلف ١٣ : ١٤ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

= هذا ، وكان في المطبوعة : « يعني بالحجج الواضحات ، والدلالات البينات الظاهرات على حقيقة ما دعوهم إليه معجزات » ، زاد في الكلام غثاء كثيراً ، كأنه غمض عليه نص أبي جعفر ، فأراد أن يوضحه بما ساء وناء .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٥٩٤ – حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا، حدثنا عبد الرحمن قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله : « فردّوا أيديهم في أفواههم » ، قال : عضوا عليها تغيّظًا .

٢٠٥٩٥ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا الثوري ، عن أبي إسحق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله في قوله : « فردوا أيديهم في أفواههم » ، قال : غيظًا ، هكذا ، وعضّ يده .

٢٠٥٩٦ – حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو نعيم قال ، حدثنا سفيان ، عن أبي إسحق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله : « فردوا أيديهم في أفواههم » ، قال : عضّوها.(١)

٢٠٥٩٧ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن رجاء البصريّ قال ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله في قول الله عز وجل : « فردوا أيديهم في أفواههم » ، قال : عضوا على أصابعهم .(٢)

---

(١) الآثار : ٢٠٥٩٤ – ٢٠٥٩٦ – خبر « سفيان الثوري ، عن أبي إسحق » ، أخرجه الحاكم في المستدرك ٢ : ٣٥١ ، من طريق عبد الرزاق ، وهو هنا رقم : ٢٠٥٩٥ ، ولفظه في المستدرك : « قال عبد الله كذا ، وردّ يده في فيه ، وعضّ يده ، وقال : عضّوا على أصابعهم غيظًا » .

قال الحاكم : « هذا حديث صحيح بالزيادة على شرطهما » ، ووافقه الذهبي .

وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٤ : ٧٢ ، وزاد نسبته إلى عبد الرزاق ، والفريابي ، وأبي عبيد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والطبراني . وخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ : ٤٣ ، وقال : رواه الطبراني عن شيخه ، عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم ، وهو ضعيف ». ولم يذكر هو ولا السيوطي الحديث بزيادة الحاكم .

وسيأتي الخبر عن « سفيان الثوري » و « إسرائيل » برقم : ٢٠٦٠٣ .

(٢) الأثر : ٢٠٥٩٧ – « إسرائيل » ، هو « إسرائيل بن يونس بن أبي إسحق السبيعي » ، روى عن جده ، ومضى مراراً كثيرة لا تعد .

و « عبد الله بن رجاء بن عمرو الغداني البصري » ، ثقة ، كان حسن الحديث عن « إسرائيل » سلفت ترجمته برقم : ٢٨١٤ ، ٢٩٣٩ ، ١٦٩٧٣ .

وهذا الخبر ، رواه الحاكم في المستدرك ، من طريق : «عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل » ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبي ، وسيأتي من طريق أبي أحمد الزبيري ، عن إسرائيل ، وسفيان جميعاً برقم : ٢٠٦٠٣ . وانظر تخريج الآثار السالفة .

٢٠٥٩٨ – حدثني المثنى قال : حدثنا الحماني قال ، حدثنا شريك، عن أبي إسحق ، عن أبي الأحوص، عن عبد الله: « فردوا أيديهم في أفواههم »، قال: عضوا على أطراف أصابعهم.(١)

٢٠٥٩٩ – حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحق ، عن هبيرة ، عن عبد الله أنه قال في هذه الآية : « فردوا أيديهم في أفواههم » ، قال : أن يجعل إصْبعه في فيه . (٢)

٢٠٦٠٠ – حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا أبو قطن قال ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحق ، عن هبيرة ، عن عبد الله في قول الله عز وجل : « فردوا أيديهم في أفواههم » ، ووضع شُعبة أطرافَ أنامله اليُسرى على فيه .(٢)

٢٠٦٠١ – حدثنا الحسن قال، حدثنا يحيى بن عباد قال ، حدثنا شعبة قال ، أخبرنا أبو إسحق ، عن هبيرة قال ، قال عبد الله : « فردوا أيديهم في أفواههم » ، قال هكذا ، (٣) وأدخل أصابعه في فيه . (٢)

٢٠٦٠٢ – حدثنا الحسن قال ، حدثنا عفان قال ، حدثنا شعبة ، قال أبو إسحق ، أنبأنا عن هبيرة ، عن عبد الله أنه قال في هذه الآية: « فردوا أيديهم في أفواههم »، قال أبو علي: وأرَانا عفان ،وأدخل أطراف أصابع كفّه مبسوطةً في فيه ، وذكر أن شعبة أراه كذلك .(٢)

---

(١) الأثر : ٢٠٥٩٨ – هذه طريق ثالثة لخبر أبي الأحوص ، عن عبد الله بن مسعود : « شريك ، عن أبي إسحق: عن أبي الأحوص ، عن عبد الله » ، . وانظر الآثار السالفة .

(٢) الآثار : ٢٠٥٩٩ – ٢٠٦٠٢ – هذه الثلاثة، طريق أخرى لخبر عبد الله بن مسعود ، من حديث هبيرة عنه .

و « أبو قطن » ، هو « عمرو بن الهيثم بن قطن الزبيري » ، «أبو قطن البصري » ، ثقة، في الطبقة الرابعة من أصحاب شعبة . مضى برقم: ١٨٦٧٤، ٢٠٠٩١ ، ٢٠٤٢٠ .

و « يحيى بن عباد الضبعي » ، « أبو عباد » ، من شيوخ أحمد ، والحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني ، ثقة ، ولكنه ضعيف . مضى برقم : ٢٠٠١٠ ، ٢٠٠٩١

و « هبيرة بن مريم الشبامي » ، تابعي ثقة ، لم يرو عنه غير أبي إسحق السبيعي ، مضى برقم : ٣٠٠١ ، ٥٤٦٨ .

(٣) « قال هكذا » ، أي أشار . وقد سلف مراراً تفسير « قال » بهذا المعنى .

٢٠٦٠٣ – حدثنا أحمد قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا سفيان وإسرائيل، عن أبي إسحق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله: «فردوا أيديهم في أفواههم»، قال: عضُّوا على أناملهم. وقال سفيان: عضُّوا غيظًا.(١)

٢٠٦٠٤ – حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: «فردوا أيديهم في أفواههم»، فقرأ: ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [سورة آل عمران: ١١٩]، قال: هذا، «ردُّوا أيديهم في أفواههم».(٢) قال: أدخلوا أصابعهم في أفواههم. وقال: إذا اغتاظ الإنسان عضَّ يده.

* * *

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنهم لما سمعوا كتابَ الله عجبوا منه، ووضعوا أيديهم على أفواههم.

* ذكر من قال ذلك:

٢٠٦٠٥ – حدثني محمد بن سعد قال، حدثني أبي قال، حدثني عمي قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: «فردوا أيديهم في أفواههم»، قال: لما سمعوا كتابَ الله عجِبُوا، ورَجَعوا بأيديهم إلى أفواههم.

* * *

وقال آخرون: بل معنى ذلك أنهم كذبوهم بأفواههم.

* ذكر من قال ذلك:

٢٠٦٠٦ – حدثني محمد بن عمرو قال: حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا

---

(١) الأثر: ٢٠٦٠٣ – انظر التعليق على الآثار السالفة.

(٢) في المطبوعة: «وقال: معنى: ردوا أيديهم في أفواههم»، عبث باللفظ وأساء غاية الإساءة.

عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد= ح وحدثني الحارث قال ، حدثنا الحسن قال ، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : « فردوا أيديهم في أفواههم » ، قال : ردوا عليهم قولهم وكذّبوهم .

٢٠٦٠٧ – حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا شبابة قال ، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . ١٣/١٢٧

٢٠٦٠٨ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

٢٠٦٠٩ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « جاءتهم رسلهم بالبينات فردُّوا أيديهم في أفواههم » ، يقول : قومُهم ، كذّبوا رسلهم وردُّوا عليهم ما جاءوا به من البينات ، وردُّوا عليهم بأفواههم ، وقالوا : إنا لفي شكّ مما تدعوننا إليه مُريب .

٢٠٦١٠ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة في قوله : « فردوا أيديهم في أفواههم » ، قال : ردوا على الرسل ما جاءت به .

* * *

قال أبو جعفر : وكأنّ مجاهداً وجّه قوله : «فردُّوا أيديهم في أفواههم » ، إلى معنى : ردُّوا أيادي الله التي لو قبلوها كانت أيادىَ ونعمًا عندهم ، فلم يقبلوها = ووجّه قوله : « في أفواههم » ، إلى معنى : بأفواههم ، يعني : بألسنتهم التي في أفواههم [1] .

* * *

وقد ذكر عن بعض العرب سَماعًا : « أدخلك الله بالجنّة » ، يعنون : في الجنة ، وينشد هذا البيت [2] :

---

(١) انظر ما سلف : ٥١٥ ، تعليق : ٦ .
(٢) لم أعرف قائله . ومنشده هو الفراء ، كما في اللسان (فيا) .

وَأَرْغَبُ فِيهَا عَنْ لَقِيطٍ وَرَهْطِهِ وَلَكِنَّنِي عَنْ سِنْبِسٍ لَسْتُ أَرْغَبُ (١)

يريد : وأرغب بها، يعنى بِابنةٍ له، (٢) عن لقيط ، ولا أرغبُ بها عن قبيلتى .

* * *

وقال آخرون : بل معنى ذلك أنهم كانوا يَضَعُون أيديهم على أفواه الرّسل ، ردًّا عليهم قولَهم ، وتكذيبًا لهم .

* * *

وقال آخرون : هذا مَثَلٌ ، وإنما أُرِيد أنهم كفُّوا عمَّا أُمروا بقَوْله من الحق ، (٣) ولم يؤمنوا به ولم يسلموا . وقال : يقال للرَّجل إذا أمسَك عن الجواب فلم يجبْ : « ردّيده فى فمه » . وذكر بعضهم أن العرب تقول : « كلمت فلانًا فى حاجة فرَدّ يدَه فى فيه » ، إذا سكت عنه فلم يجب . (٤)

* * *

قال أبو جعفر : وهذا أيضًا قول لا وَجْه له ، لأن الله عزّ ذكره ، قد أخبر عنهم أنهم قالوا : « إنا كفرنا بما أرسلتم به » ، فقد أجابوا بالتكذيب .

* * *

قال أبو جعفر : وأشبه هذه الأقوال عندى بالصواب فى تأويل هذه الآية ، القولُ الذى ذكرناه عن عبد الله بن مسعود : أنهم ردُّوا أيديهم فى أفواههم ،

---

(١) اللسان (فيا) ، وسيأتى فى التفسير ١٧ : ١٠٥ (بولاق) وأنشده فى اللسان عن الفراء :

وأَرغبُ فيها عن عُبَيْدٍ ورَهْطِهِ ولكنْ بِهَا عن سِنْبسٍ لستُ أَرغَبُ

(٢) كان فى المطبوعة : « يريد : وأرغب فيها ، يعنى أرغب بها عن لقيط » ، لم يحسن قراءة المخطوطة لأن فيها « وأرغب فيها » مكان « وأرغب بها » ، ولأنه كتبت « بابنت » بتاء مفتوحة ، وغير منقوطة فضل ، فتصرف ، فأضل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(٣) فى مجاز القرآن لأبى عبيدة « بقوله » ، مكان « بقبوله » فأثبته ، ولم أثبت ما فى المخطوطة والمطبوعة ، وما وافقهما فى فتح البارى (٨ : ٢٨٥) ، لأن قول أبى جعفر بعد : « لأن الله عز وجل قد أخبر عنهم أنهم قالوا . . . » ، دليل على صوابه .

(٤) هذا قول أبى عبيدة فى مجاز القرآن ١ : ٣٣٦ ، ولكنه فى المطبوع من مجاز القرآن مختصر جداً ، وكأن هذا الموضع من « مجاز القرآن » مضطرب وفيه خروم ، كما أسلفت بيان ذلك فى ص : ٥١٩ تعليق رقم : ٢

فعضُّوا عليها ، غيظًا على الرسل ، كما وصف الله جل وعز به إخوانهم من المنافقين فقال : ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [سورة آل عمران : ١١٩] . فهذا هو الكلام المعروف والمعنى المفهوم من « ردِّ اليدِ إلى الفم » .

* * *

وقوله : « وقالوا إنّا كفرنا بمَا أرسلتم به » ، يقول عز وجل : وقالوا لرسلهم : إنا كفرنا بما أرسلكم به مَنْ أرسلكم ، من الدعاء إلى ترك عبادة الأوثان والأصنام = « وإنا لفي شك » ، من حقيقة ما تدعوننا إليه من توحيد الله = « مُريب » ، يقول : يريبنا ذلك الشك ، أى يوجب لنا الريبَة والتُّهَمَةَ فيه .

* * *

= يقال منه : « أرابَ الرجل » ، إذا أتى بريبة ، « يُريبُ إرابةً » .[1]

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ (١٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : قالت رُسل الأمم التى أتتها رسُلها : « أفى الله »،[2] أنه المستحق عليكم ، أيها الناس ، الألوهة والعبادةَ دون جميع

---

(١) انظر تفسير « الريب » فيما سلف من فهارس اللغة (ريب) ، وتفسير « الإرابة » فيما سلف ١٥ : ٣٧٠ ، ٤٩٣ .

(٢) فى المخطوطة : « أفى الناس » ، وهو سهو منه .

خلقه = « شكّ » = وقوله : « فاطر السموات والأرض » ، يقول : خالق السموات والأرض[١] = « يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم » ، يقول : يدعوكم إلى توحيده وطاعته = « ليغفر لكم من ذنوبكم » ، يقول : فيستر عليكم بعضَ ذنوبكم بالعفو عنها ، فلا يعاقبكم عليها ،[٢] = « ويؤخركم » ، يقول : وينسئ في آجالكم ،[٣] فلا يعاقبكم في العاجل فيهلككم ، ولكن يؤخركم إلى الوقت الذي كتبَ في أمّ الكتاب أنه يقبضكم فيه ، وهو الأجل الذي سمّى لكم .[٤] فقالت الأمم لهم : « إن أنتم » ، أيها القوم « إلا بشرٌ مثلنا » ، في الصورة والهيئة ، ولستم ملائكة ،[٥] وإنما تريدون بقولكم هذا الذي تقولون لنا = « أن تصدّونا عما كان يعبدُ آباؤنا » ، ١٣/١٢٨ يقول : إنما تريدون أن تصرفونا بقولكم عن عبادة ما كان يعبدُه من الأوثان آباؤنا[٦] = « فأتونا بسلطان مبين » ، يقول : فأتونا بحجة على ما تقولون ، تُبين لنا حقيقتَه وصحتَه ، فنعلم أنكم فيما تقولون محقُّون .[٧]

* * *

---

(١) انظر تفسير « فطر » فيما سلف : ٢٨٧ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « المغفرة » فيما سلف من فهارس اللغة (غفر) ، ثم انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ : ٣٣٦ ، في بيان زيادة « من » في الآية .

(٣) انظر تفسير « التأخير » فيما سلف من فهارس اللغة (أخر) .

(٤) انظر تفسير « الأجل » فيما سلف : ٤٧٦ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « مسمى » فيما سلف : ٣٢٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٥) انظر تفسير « بشر » فيما سلف ١٥ : ٢٩٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٦) انظر تفسير « الصد » فيما سلف : ٥١٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

(٧) انظر تفسير « السلطان » فيما سلف : ١٠٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « مبين » فيما سلف من فهارس اللغة (بين) .

القول فى تأويل قوله عزّ ذكره ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١١)

قال أبوجعفر : يقول تعالى ذكره: قالت للأمم التى أتتهم الرّسلُ رُسُلُهم: [١] « إن نحن إلاّ بشر مثلكم » ، صدقتم فى قولكم ، إن أنتم إلا بشر مثلنا، فما نحنُ إلا بَشَر من بنى آدم، إنسٌ مثلكم[٢] = « ولكنّ الله يمنُّ على من يشاء من عباده » ، يقول : ولكن الله يتفضل على من يشاء من خلقه ، [٣] فيهديه ويوفقه للحقّ ، ويفضّله على كثير من خلقه = « وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان » ، يقول : وما كان لنا أن نأتيكم بحجة وبرهان على ما ندعوكم إليه[٤] = « إلا بإذن الله » ، يقول : إلا بأمر الله لنا بذلك[٥] = « وعلى الله فليتوكل المؤمنون » ، يقول : وبالله فليثق به من آمن به وأطاعه ، فإنّا به نثق ، وعليه نتوكل.[٦]

٢٠٦١٠م — حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج، عن ابن جريج عن مجاهد قوله : « فأتونا بسلطان مبين »، قال : « السلطان المبين »، البرهان والبينة . وقوله : ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ [سورة آل عمران ١٥١ / سورة الأعراف : ٧ / سورة الحج : ٧١] ، قال : بينةً وبرهانًا .

* * *

(١) فى المطبوعة : « قال الأمم التى أتتهم الرسل لرسلهم » ، وهو لا يفهم ، وفى المخطوطة : « قالت الأمم التى أتتهم الرسل رسلهم » ، وصوابها « للأمم » ، و « رسلهم » فاعل « قالت » .

(٢) انظر تفسير « البشر » فيما سلف قريباً : ٥٣٧ ، تعليق : ٥

(٣) انظر تفسير « المن » فيما سلف ٧ : ٩/٣٦٩ : ١١/٧١ : ٣٨٩ .

(٤) انظر تفسير « السلطان » فيما سلف قريباً .

(٥) انظر تفسير « الإذن » فيما سلف : ٥٢٦، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٦) انظر تفسير « التوكل » فيما سلف ١٦٦، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (١٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره ، مخبرًا عن قِيل الرُّسل لأممها : « وما لنا أن لا نتوكل على الله » ، فنثق به وبكفايته ودفاعه إياكم عنَّا = « وقد هدانا سُبُلنا » ، يقول : وقد بَصَّرنا طريقَ النجاة من عذابه ، فبين لنا[1] = « ولنصبرنَّ على ما آذيتمونا » ، فى الله ، وعلى ما نلقى منكم من المكروه فيه بسبب دُعائنا لكم إلى ما ندعوكم إليه ،[2] من البراءة من الأوثان والأصنام ، وإخلاص العبادة له = « وعلى الله فليتوكل المتوكلون » ، يقول : وعلى الله فليتوكل من كان به واثقًا من خلقه ، فأما من كان به كافرًا فإنّ وليَّه الشيطان .

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٣) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ (١٤)

قال أبو جعفر : يقول عزّ ذكره : وقال الذين كفروا بالله لرسلهم الذين أرسلوا إليهم ، حين دعوهم إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له ، وفراق عبادة الآلهة والأوثان

---

(١) انظر تفسير « الهدى » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) .
= وتفسير « السبيل » فيما سلف من فهارس اللغة (سبل) .

(٢) انظر تفسير « الأذى » فيما سلف ١٤ : ٣٢٤ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

=« لنخرجنّكم من أرضنا » ، يعنون: من بلادنا فنطردكم عنها = « أو لتعودن فى مِلّتنا » ، يعنون : إلا أن تَعُودوا فى دِيننا الذى نحن عليه من عبادة الأصنام .(١)

* * *

وأدخلت فى قوله : « لتعودُنّ » « لام »، وهو فى معنى شرطٍ ، كأنه جوابٌ لليَمين ، وإنما معنى الكلام : لنخرجنّكم من أرضنا ، أو تعودون فى ملتنا .(٢)

* * *

ومعنى « أو » ، ههنا معنى « إلا » أو معنى « حتى » كما يقال فى الكلام : «لأضربنك أوْ تُقِرّ لى »، فمن العرب من يجعل ما بعد « أو » فى مثل هذا الموضع عطفًا على ما قبله ، إن كان ما قبله جزمًا جزموه ، وإن كان نصبًا نصبوه ، وإن كان فيه « لام » جعلوا فيه « لاما » ، (٣) إذ كانت « أو » حرف نَسَق . ومنهم من ينصب ما بعد « أو » بكل حالٍ ، ليُعْلَم بنصبه أنه عن الأول منقطع عما قبله ، كما قال امرؤ القيس :

بَكَى صَاحِبِى لَمَّا رَأَى الدَّرْبَ دُونَهُ ... وَأَيْقَنَ أَنَّا لَاحِقَانِ بِقَيْصَرَا
فَقُلْتُ لَهُ : لَا تَبْكِ عَيْنُكَ إِنَّمَا ... نُحَاوِلُ مُلْكًا أَوْ نَمُوتَ فَنُعْذَرَا(٤)

فنصب « نموت فنعذرا » ، وقد رفع « نحاول » ، لأنه أراد معنى : إلا أن نموتَ ، أو حتى نموتَ ، ومنه قول الآخر :(٥)

لَا أَسْتَطِيعُ نُزُوعًا عَنْ مَوَدَّتِهَا ... أَوْ يَصْنَعَ الْحُبُّ بِى غَيْرَ الَّذِى صَنَعَا(٦)

---

(١) انظر تفسير « الملة » فيما سلف : ١٠١، تعليق : ١، والمراجع هناك، وانظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٣٣٦ .

(٢) فى المطبوعة : « أو تعودن » ، والصواب من المخطوطة .

(٣) فى المطبوعة : « إن كان فيه لاماً » ، ، خطأ ، صوابه فى المخطوطة .

(٤) ديوانه: ٦٥ من قصيدته الفائية التى قالها فى مسيره إلى قيصر مستنصراً به بعد قتل أبيه . وصاحبه الذى ذكره ، هو عمرو بن قميئة اليشكرى الذى استصحبه إلى قيصر ، و « الدرب » . ما بين طرسوس و بلاد الروم .

(٥) هو الأحوص بن محمد الأنصارى ، وينسب أحياناً للمجنون .

(٦) الأغانى ٤ : ٢٩٩ ، وديوان المجنون : ٢٠٠ ، وخرج أبيات الأحوص ، ولدنا الأستاذ عادل سليمان ، فيما جمعه من شعر الأحوص ، ولم يطبع بعد .

١٢٩/١٣ وقوله: « فأوحَى إليهم ربُّهم لنُهلكنَّ الظالمين »، الذين ظلموا أنفسهم، [١] فأوجبوا لها عقاب الله بكفرهم. وقد يجوز أن يكون قيل لهم « الظالمون »، لعبادتهم من لا تجوز عبادته من الأوثان والآلهة، [٢] فيكون بوضعهم العبادةَ فى غير موضعها، إذ كان ظلمًا، سُمُّوا بذلك. [٣]

* * *

وقوله: « ولنسكننكم الأرض من بعدهم »، هذا وعدٌ من الله مَنْ وَعد من أنبيائه النصرَ على الكَفَرة به من قومه. يقول: لما تمادتْ أمم الرسل فى الكفر، وتوعَّدوا رسُلهم بالوقوع بهم، أوحى الله إليهم بإهلاك من كَفَر بهم من أممهم، ووعدهم النصر. وكلُّ ذلك كان من الله وعيداً وتهدُّداً لمشركى قوم نبيِّنا محمد صلى الله عليه وسلم على كفرهم به، [٤] وجُرْأتهم على نبيه، وتثبيتًا لمحمد صلى الله عليه وسلم، وأمرًا له بالصبر على ما لقى من المكروه فيه من مشركى قومه، كما صبر من كان قبله من أولى العزم من رسله = ومُعرِّفَه أن عاقبة أمرِ من كفر به الهلاكُ، وعاقبتَه النصرُ عليهم، سُنَّةُ الله فى الذين خَلَوْا من قبل.

* * *

٢٠٦١١ — حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: « ولنسكننكم الأرضَ من بعدهم »، قال: وعدهم النصرَ فى الدنيا، والجنَّةَ فى الآخرة.

* * *

وقوله: « ذلك لمن خَافَ مَقامى وخاف وَعِيدِ »، يقول جل ثناؤه:

---

(١) انظر تفسير: « أوحى » فيما سلف ٦: ٤٠٥/٩ : ٣٩٩/١١ : ٢١٧، ٢٩٠، ٣٧١، ٥٣٣.

(٢) انظر تفسير « الظلم » فيما سلف ١ : ٥٢٣، ٥٢٤ / ٢ : ٣٦٩، ٥١٩/ ٤ : ٥٨٤ / ٥ : ٣٨٤، وغيرها فى فهارس اللغة.

(٣) فى المطبوعة كتب: « سموا بذلك ظالمين »، زاد ما لا محصل له، إذ لم يألف عبارة أبى جعفر، فأظلمت عليه.

(٤) فى المطبوعة: « وعيداً وتهديداً »، أساء إذ غير لفظ أبى جعفر.

هكذا فعلى لمن خاف مقامه بين يدىّ، وخاف وعيدى فاتّقانى بطاعته ، وتجنّب سُخطى ، أنصُرْه على ما أراد به سُوءًا وبَغَاه مكروهًا من أعدائى ، أهلك عدوّه وأخزيه ، وأورثه أرضَه وديارَه .

* * *

وقال : « لمن خاف مقامى » ، ومعناه ما قلت : من أنه لمن خاف مقامه بين يدىّ ، بحيث أقيمه هُنالك للحساب ،[1] كما قال : ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [سورة الواقعة : ٨٢] ، معناه : وتجعلون رزقى إياكم أنكم تكذبون . وذلك أن العرب تُضيف أفعالها إلى أنفسها ، وإلى ما أوقعت عليه ، فتقول : « قد سُرِرتُ برؤيتك ، وبرؤيتى إياك » ، فكذلك ذلك .

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ (١٥)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : واستفتحت الرُّسل على قومها ، أى استنصرت الله عليها[2] = « وخاب كل جبار عنيد » ، يقول : هلك كل متكبر جائر حائدٍ عن الإقرار بتوحيد الله وإخلاص العبادة له .

* * *

و « العنيد » و « العاند » و « العَنُود » ، بمعنى واحد .[3]

* * *

(١) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٣٣٧ .
(٢) انظر تفسير « الاستفتاح » فيما سلف ٢ : ١٠/٢٥٤ : ٤٠٥، ٤٠٦، ومجاز القرآن ١ : ٣٣٧
(٣) انظر تفسير « عنيد » فيما سلف ١٥ : ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ومجاز القرآن ١ : ٣٣٧ .

ومن « الجبار »، تقول: هو جَبَّار بيِّنُ الجَبَرِيَّة، والجَبْرِيَّة، والجَبَرُوَّة، والجَبْرُوَّة، والجَبَرُوت . (١)

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٦١٢ – حدثنى محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى = وحدثنى الحارث قال، حدثنا الحسن قال ، حدثنا ورقاء = جميعًا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : « واستفتحوا » ، قال : الرسل كلها . يقول : استنصروا = « عنيد » ، قال : معاند للحق مجانبه .(٢)

٢٠٦١٣ – حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا شبابة قال، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

٢٠٦١٤ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد = ح وحدثنى الحارث قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد فى قوله : « واستفتحوا » ، قال : الرسل كُلها استنصروا = « وخاب كل جبَّار عَنيد » ، قال : معاند للحق مجانبه .

---

(١) انظر تفسير « جبار » فيما سلف ١٠ ، ١١/١٧٢ : ٤٧٠ / ١٥ : ٣٦٦ .

هذا ، وفى المطبوعة: « هو جبار بين الجبرية ، والجبروتية ، والجبروة ، والجبروت» زاد فى اللغة مالا نص عليه، وهو « الجبروتية » ، ونقص واحدة من الخمس « الجبروة » . وكان فى المخطوطة مكان «الجبرية » الثانية : « الجبر نسبه » ، غير منقوطة ، وأساء كتابتها .

(٢) الأثر : ٢٠٦١٢ – هذا الذى أثبته هو الذى جاء فى المخطوطة ، وطابق ما خرجه السيوطى فى الدر المنثور ٤ : ٧٣ ، عن مجاهد ، ونسبه لابن جرير ، وابن المنذر وابن أبى حاتم ، وكان فى المطبوعة هنا .

« يقول : استنصروا على أعدائهم ومعانديهم ، أى على من عاند عن اتباع الحق وتجنّبه » .

٢٠٦١٥ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله = وقال ابن جريج : استفتحوا على قومهم .

٢٠٦١٦ – حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى . . . (١)

٢٠٦١٧ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد »، قال : كانت الرسلُ والمؤمنون يستضعفهم قومُهم ويقهَرُونهم ويكذبونهم ، ويدعونهم إلى أن يعودوا في مِلّتهم، فأبَى الله عز وجل لرسله وللمؤمنين أن يعوُدوا في مِلّة الكفر ، وأمرَهُم أن يتوكلوا على الله، وأمرهم أن يستفتحوا على الجبابرة ، ووعدهم أن يُسْكنهم الأرض من بعدهم ، فأنجز الله لهم ما وعدهم ، واستفتحوا كما أمرهم أن يستفتحوا ، وخابَ كل جبار عنيد .

٢٠٦١٨ – حدثني المثنى قال ، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا أبو عوانة ، عن المغيرة ، عن إبراهيم في قوله : « وخاب كل جبار عنيد » ، قال : هو النّاكب عن الحق. (٢)

١٣٠/١٣ ٢٠٦١٩ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا مطرف بن بشر ، عن هشيم ، عن مغيرة ، عن سماك ، عن إبراهيم : « وخاب كل جبار عنيد » ، قال : الناكب عن الحق . (٣)

---

(١) الأثر : ٢٠٦١٦ – هذا إسناد مقحم فيما أرجح ، وإنما هو صدر الأسناد رقم : ٢٠٦١٢ اجتلبته يد الناسخ سهواً إلى هذا المكان . والله أعلم .

(٢) الأثر : ٢٠٦١٨ – في هذا الخبر أيضاً زيادة لا أدرى كيف جاءت، فاقتصرت على ما في المخطوطة ، وهو مطابق لما خرجه السيوطي في الدر المنثور ٤ : ٧٣، عن إبراهيم النخعي ،ونسبه لابن جرير وحده ، والزيادة التي كانت في المطبوعة هي :

« أي الحائد عن اتباع طريق الحق »

وانظر الخبر التالي ، بلا زيادة أيضاً .

(٣) الأثر : ٢٠٦١٩ – « مطرف بن بشر » ، لا أدرى ما هو ، ولم أجد له ذكراً في شيء مما بين يدي . وجاء ناشر المطبوعة فجعله « مطرف ، عن بشر » ، بلا دليل .

٢٠٦٢٠ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله: « واستفتحوا »، يقول : استنصرت الرسل على قومها = قوله: « وخاب كل جبار عنيد » ، و« الجبار العنيد » ، الذى أبى أن يقول لا إله إلا الله .

٢٠٦٢١ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة: « واستفتحوا » ، قال : استنصرت الرسل على قومها = « وخاب كل جبار عنيد » ، يقول : عَنِيد عن الحق ، مُعْرِض عنه .[1]

٢٠٦٢٢ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة مثله – وزاد فيه : مُعْرِض ،[2] أبى أن يقول لا إله إلاّ الله .

٢٠٦٢٣ – حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد فى قوله: « وخاب كل جبار عنيد » ، قال : « العنيد عن الحق »، الذى يعنِدُ عن الطريق ، قال : والعرب تقول : « شرُّ الأهْل العَنِيد » ،[3] الذى يخرج عن الطريق .

٢٠٦٢٤ – حدثنى يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد » ، قال : « الجبّار » ، المتجبّر .[4]

* * *

وكان ابن زيد يقول فى معنى قوله : « واستفتحوا » ، خلاف قول هؤلاء ، ويقول : إنما استفتحت الأمم فأجيبت .

٢٠٦٢٥ – حدثنى يونس ، قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « واستفتحوا » ، قال: استفتاحهم بالبلاء ، قالوا: اللهم إن كان هذا الذى

---

(١) فى المطبوعة ، والدر المنثور ٤ : ٧٣ : « بعيد عن الحق » ، وأرى الصواب ما فى المخطوطة، انظر ما سلف فى تفسير « عنيد » ص : ٥٤٢ ، ٥٤٣ .

(٢) فى المطبوعة : « معرض عنه » ، كأنه زادها من عنده .

(٣) فى المطبوعة : « شر الإبل » ، ولا أدرى أهو صواب ، أم غيرها الناشر ، ولكنى أثبت ما فى المخطوطة ، فهو عندى أوثق .

(٤) فى المطبوعة : « هو المتجبر » ، زاد فى الكلام .

أتى به محمد هو الحقّ من عندك ، فأمطر علينا حجارةً من السماء ، كما أمطرتها على قوم لوط ، أو ائتنا بعذاب أليم .(١) قال : كان استفتاحهم بالبلاء كما استفتح قوم هود : ﴿ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [سورة الأعراف : ٧٠] . قال : فالاستفتاح العذاب ، قال : قيل لهم : إنّ لهذا أجلاً ! حين سألوا الله أن ينزل عليهم ، فقال : « بلْ نُؤَخِّرُهُمْ ليَوْم تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَار » .(٢) فقالوا : لا نريد أن نؤخر إلى يوم القيامة : ﴿ رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا ﴾ عَذَابَنَا ﴿ قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ [سورة ص : ١٦] . وقرأ : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ ﴾ حتى بلغ : ﴿ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة العنكبوت : ٥٣ – ٥٥] .

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ ﴿١٧﴾

قال أبو جعفر : يقول عزّ ذكره : « من ورائه » ، من أمام كلّ جبار « جهنم » يَرِدُونها .

* * *

و« وراء » فى هذا الموضع ، يعنى : أمام ، كما يقال : « إن الموت مِنْ ورائك » ، أى قُدّامك ، وكما قال الشاعر :(٣)

---

(١) هذا من تأويل آية سورة الأنفال : ٣٢ .
(٢) هو انتزاع من آية سورة إبراهيم : ٤٢ .
(٣) هو جرير .

أَتُوعِدُنِي وَرَاءَ بَنِي رِيَاحٍ كَذَبْتَ لَتَقْصُرَنَّ يَدَاكَ دُونِي (١)

يعنى : « وراء بنى رياح » ، قدّام بنى رياح وأمامهم .

* * *

وكان بعض نحويّى أهل البصرة يقول : إنما يعنى بقوله : « من ورائه » ، أى من أمامه ، لأنه وراءَ ما هو فيه ، كما يقول لك : « وكلّ هذا من ورائك » ، أى سيأتى عليك ، وهو من وراء ما أنت فيه ، لأن ما أنت فيه قد كان قبل ذلك وهو من ورائه . وقال : ﴿وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [سورة الكهف : ٧٩] ، من هذا المعنى ، أى كان وراء ما هم فيه أمامهم .

* * *

وكان بعض نحوى أهل الكوفة يقول : أكثر ما يجوزُ هذا فى الأوقات ، لأن الوقت يمرُّ عليك ، فيصير خلفك إذا جزته ، وكذلك ﴿كَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ﴾ ، لأنهم يجوزونه فيصير وراءهم .

* * *

وكان بعضهم يقول : هو من حروف الأضداد ، يعنى « وراء » يكون قُدّامًا وخلفًا .

* * *

وقوله : « وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ » ، يقول : ويسقى من ماءٍ ، ثم بيّن ذلك الماء جل ثناؤه وما هو ، فقال : هو « صديد » ، ولذلك رد « الصَّديد » فى إعرابه على « الماء » ، لأنه بيانٌ عنه . (٢)

* * *

---

(١) البيت وتخريجه وشرحه فيما سلف : ٣٩٩ ، تعليق : ٣ ، ثم انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٣٣٧ .

(٢) « البيان » ، هو « عطف البيان » ، ويسميه الكوفيون « الترجمة » كما سلف ، انظر فهارس المصطلحات .

و« الصديد » ، هو القَيْحُ والدم .

* * *

وكذلك تأوّله أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٦٢٦ – حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى = وحدثني الحارث قال ، حدثنا الحسن قال ، حدثنا ورقاء = ح وحدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا شبابة قال ، حدثنا ورقاء = ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : « من ماء صديد » ، قال : قيحٌ ودم .

٢٠٦٢٧ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله . ١٣١/١٣

٢٠٦٢٨ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ويسقى من ماء صديد » ، و« الصديد » ، ما يسيل من لحمه وجلده .[1]

٢٠٦٢٩ – حدثنا الحسن بن يحيى قال ، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : « ويسقى من ماء صديد » ، قال : ما يسيل من بين لحمه وجلده .

٢٠٦٣٠ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا هشام ، عمن ذكره ، عن الضحاك : « ويسقى من ماء صديد » ، قال : يعني بالصديد ما يخرج من جوف الكافر ، قد خالط القَيْح والدم .

* * *

وقوله : « يتجرّعه » ، يتحسّاه = « ولا يكاد يسيغه » ، يقول : ولا يكاد يزدرده من شدة كراهته ، وهو مُسيغه من شدّة العطش .

* * *

(١) الأثر : ٢٠٦٢٨ – في المطبوعة : « من دمه ولحمه وجلده » ، بزيادة ، وأثبت ما في المخطوطة موافقاً لما في الدر المنثور ٤ : ٧٤ .

والعرب تجعل «لايكاد»، فيما قد فُعِل وفيما لم يُفْعَل. فأما ماقد فعل، فمنه هذا، لأن الله جل ثناؤه جعل لهم ذلك شرابًا. وأمَّا ما لم يفعل وقد دخلت فيه «كاد» فقوله: ﴿حَتَّى إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾، [سورة النور: ٤٠] فهو لايراها.(١)

* * *

وبنحو ما قلنا من أن معنى قوله: «ولا يكاد يسيغه»، وهو يُسيغه، جاء الخبرُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

* ذكر الرواية بذلك:

٢٠٦٣١ - حدثني محمد بن المثنى قال، حدثنا إبراهيم أبو إسحق الطَّالقاني قال، حدثنا ابن المبارك، عن صفوان بن عمرو، عن عبيد الله بن بسر، عن أبي أمامة، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: «ويُسقى من ماء صديد يتجرّعه»، فإذا شربه قطّع أمعاءه حتى يخرج من دُبُره، يقول الله عز وجل: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [سورة محمد: ١٥]، ويقول: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ﴾ [سورة الكهف: ٢٩].(٢)

٢٠٦٣٢ - حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا معمر، عن ابن المبارك قال، حدثنا صفوان بن عمرو، عن عبيد الله بن بسر، عن أبي أمامة، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: «ويسقى من ماءٍ صديد»، فذكر مثله، إلا أنه قال: ﴿سُقُوا مَاءً حَمِيمًا﴾.(٢)

---

(١) انظر تفسير «كاد» فيما سلف ٢: ٢١٨، ٢١٩ / ١٣: ١٣١.

(٢) الأثران: ٢٠٦٣١، ٢٠٦٣٢ - «إبراهيم، أبو إسحق الطالقاني»، هو «إبراهيم ابن إسحق بن عيسى الطالقاني البناني»، وربما قيل: «إبراهيم بن عيسى»، منسوباً إلى جده، وهو مولى «بنانة»، ثقة، من شيوخ أحمد، سمع ابن المبارك، وبقية. و «الطالقان»، بسكون اللام، ويقال بفتحها، بلدة بخراسان. وهو مترجم في التهذيب، والكبير ١/١/٢٧٣، وابن أبي حاتم في موضعين ١/١/٨٦، ١١٩، وتاريخ بغداد ٦: ٢٤.

و «عبد الله بن المبارك»، أحد الأئمة الكبار، مضى مراراً كثيرة.

و «صفوان بن عمرو بن هرم السكسكي»، ثقة ثبت مأمون، مضى مراراً منها: ٧٠٠٩، ١٢١٩٤، ١٢٨٠٧، ١٣١٠٨.

. . . . . .

و « عبيد الله بن بسر »، مصغراً هكذا هو هنا ، وفى رواية أحمد فى مسنده ، وفى سنن الترمذى . و« عبد الله بن بسر » فى المستدرك للحاكم ، وحلية الأولياء لأبى نعيم . وفى ابن كثير نقلا عن المسند « عبيد الله بن بشر » ، وهو تصحيف .

وهذا الخبر من طريق ابن المبارك ، عن صفوان بن عمرو ، رواه أحمد فى مسنده عن على بن إسحق ، عن عبد الله بن المبارك (المسند ٥ : ٢٦٥) .

ورواه الترمذى عن سويد بن نصر ،عن عبد الله بن المبارك (فى باب ما جاء فى صفة شراب أهل النار)

ورواه أبو نعيم فى الحلية ٨ : ١٨٢ من طرق : نعيم بن حماد، عن ابن المبارك ،ومعاذ بن أسد، عن ابن المبارك ، ويحيى الحمانى عنه ، ومحمد بن مقاتل عنه ، أربع طرق .

ورواه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٣١ من طريق عبدان ، وهو عبد الله بن عثمان بن جبلة ، عن ابن المبارك ، وقال : «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» ، ووافقه الذهبى .

وفى « عبيد الله بن بسر » مقال . قال الترمذى ، وساق الخبر : « هذا حديث غريب ، هكذا قال محمد بن إسماعيل : " عن عبيد الله بن بسر"، ولا يعرف " عبيد الله بن بسر " إلا فى هذا الحديث. وقد روى صفوان بن عمرو عن" عبد الله بن بسر "صاحب النبى صلى الله عليه وسلم غير هذا الحديث، وعبد الله بن بسر له أخ قد سمع من النبى صلى الله عليه وسلم ، وأخته قد سمعت من النبى صلى الله عليه وسلم ،وعبيد الله بن بسر الذى روى عنه صفوان بن عمرو حديث أبى أمامة ، أخو عبد الله بن بسر »

قلت : لم أجد ما قاله محمد بن إسماعيل البخارى فى تاريخه الكبير .

وأما أبو نعيم فى الحلية فقال: « تفرد به صفوان ، عن عبد الله بن بسر ، وقيل : عبد الله بن بشر ، وهو اليحصبى الحمصى، يكنى أبا سعيد ، ورواه بقية بن الوليد ، عن صفوان مثله . روى صفوان ، عن عبد الله بن بسر المازنى ، وله صحبة ، وعن عبد الله بن بشر ، ولذلك اشتبه على بعض الناس ، وهذا هو : عبد الله بن بسر» .

وقال الحافظ ابن حجر فى التهذيب ، وساق ما قاله الترمذى : « وقال ابن أبى حاتم : عبيد الله ابن بسر ، ويقال : عبد الله ، روى عن أبى أمامة ، وعنه صفوان بن عمرو . وقال الطبرانى عبد الله بن بسر اليحصبى ، عن أبى أمامة ، وروى له هذا الحديث ، وحديثاً آخر من رواية بقية ، عن صفوان ،والله أعلم . وذكر أبو موسى المدينى فى ذيل الصحابة : عبيد الله بن بسر ، أخو عبد الله بسر ، قاله السلمانى » . والذى نقله الحافظ عن ابن أبى حاتم موجود فى الجرح والتعديل ٢/٢/٣٠٨ .

ولكن العجب أن الإمام الحافظ محمد بن إسماعيل البخارى ، لم يترجم لعبيد الله بن بسر فى تاريخه الكبير ولا الصغير ، مع ما نقله عنه الترمذى مما يوهم أنه فى أحدهما . وإنما الذى فيه : « عبد الله بن بسر السلمى، ثم المازنى ، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (الكبير ٣/١/١٤) ثم ذكر « عبد الله بن بسر »وليس المازنى ، الجبرانى »،وهذا يروى عن عبد الله بن بسر المازنى ، الصحابى ، وعن أبى أمامة الباهلى . (مترجم فى التهذيب أيضاً) .

ولكن الإشارة التى تكاد تكون صريحة إلى هذا الخبر فى كتاب البخارى ، فهى فى ترجمة « عبيد الله بن بشير بن جرير البجلى » قال : «عن أبى أمامة رضى الله عنه عن ابن المبارك ، عن صفوان بن عمرو ،الشامى » ، ولا أدرى كيف هذا ، لأن ابن أبى حاتم ترجم فى الجرح والتعديل ٢/٢/٣٠٨ « عبيد الله بن بسر » رقم : ١٤٦٧، ثم يليه رقم : ١٤٦٨ فقال : « عبيد الله بن بشير بن جرير البجلى (روى عن . . .) ،روى عنه يونس بن أبى إسحق ، سمعت أبى يقول ذلك ويقول : هو مجهول » .

٢٠٦٣٣ – حدثني محمد بن خلف العسقلاني قال حدثنا حيوة بن شريح الحمصيّ قال ، حدثنا بقية ، عن صفوان بن عمرو قال ، حدثني عبيد الله بن بسر ، عن أبي أمامة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مثله سواءً.(١)

* * *

وقوله : « ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت » ، فإنه يقول : ويأتيه الموت من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وشماله ، ومن كل موضع من أعضاء جسده = « وما هو بميت »، لأنه لا تخرج نفسه فيموت فيستريح ، ولا يحيي لتعلّق نفسه بالحناجر ، فلا ترجع إلى مكانها ، كما : –

٢٠٦٣٤ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد في قوله : « يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت » ، قال: تعلق نفسه عند حنجرته، فلا تخرج من فيه فيموت، ولا ترجع إلى مكانها من جوفه، فيجد لذلك راحة ، فتنفعه الحياة .

٢٠٦٣٥ – حدثنا الحسن بن محمد، قال حدثنا يزيد بن هرون قال، حدثنا العوّام بن حوشب ، عن إبراهيم التيمي قوله : « ويأتيه الموت من كل مكان » ، قال : من تحت كل شَعَرة في جسده .

وكذلك فعل الذهبي في ميزان الاعتدال ٢ : ١٦٤ ، وقال : « عبيد الله بن بسر . حمصي، عن أبي أمامة ، وعنه صفوان بن عمرو وحده ، لا يعرف»، فيقال هو : عبد الله الصحابي ، ويقال هو : « عبيد الله بن بسر الحبراني التابع ، وهو أظهر»، ثم ذكر بعد « عبيد الله بن بشير البجلي » ، وقال : « فيه جهالة ، حدث عنه يونس بن أبي إسحق ليس إلا » .

فيكاد يكون واضحاً ، أن الذي وقع في التاريخ الكبير(٣/١/٣٧٤ ، ٣٧٥) ، إنما هو خلط بين ترجمتين مختلفتين ، وأن ترجمة « عبيد الله بن بسر » قد سقط صدر منها من النسخة المطبوعة من التاريخ الكبير ، وتداخل بعضها في ترجمة أخرى ، ويرجح ذلك أن ابن أبي حاتم ، الذي ذكر الترجمتين جميعاً ، لم يتعرض لهذا في كتابه : « بيان خطأ محمد بن إسماعيل البخاري في تاريخه » ، ولو كان في أصل تاريخ البخاري مثل هذا ، لما فات ابن أبي حاتم، فيكون ما نقله الترمذي عن البخاري من التاريخ الكبير ، وسقط من المطبوع .

(١) الأثر : ٢٠٦٣٣ – « محمد بن خلف بن عمار العسقلاني » ، شيخ الطبري ، مضى مراراً كثيرة آخرها رقم : ١٢٥٢٣ .

و « حيوة بن شريح بن يزيد الحضرمي الحمصي » ثقة ، مضى مراراً آخرها رقم : ١٥٣٧٨ .

وهذا الخبر قد مرت الإشارة إليه في التعليق السالف ، من طريق بقية بن الوليد عن صفوان بن عمرو .

* * *

وقوله : « ومن وَرائه عـذَابٌ غليظ » ، يقول : ومن وراء ما هو فيه من العذاب = يعنى أمامه وقدامه[١] = « عذابٌ غليظٌ » .[٢]

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾ (١٨)

قال أبو جعفر : اختلف أهلُ العربية فى رافعِ « مَثَلُ » .

فقال بعض نحويى البصرة : : إنما هو كأنه قال : ومما نقصّ عليكم مَثَلُ الذين كفروا ، ثم أقبل يفسّر ، كما قال : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ ﴾ ، [سورة الرعد : ٣٥] وهذا كثير .[٣]

* * *

وقال بعض نحويى الكوفيين : إنما المثل للأعمال ، ولكن العرب تقدّم الأسماء ، لأنها أعرفُ ، ثم تأتى بالخبر الذى تخبر عنه مع صاحبه . ومعنى الكلام : مَثَلُ أعمال الذين كفروا بربهم كرماد ، كما قيل : ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ ﴾ [سورة الزمر : ٦٠] ، ومعنى الكلام :[٤] ويوم القيامة ترى وجوه الذين كذبوا على الله مسودة . قال : ولو خفض « الأعمال » جاز ، كما قال : ﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ الآية [سورة البقرة : ٢١٧] ، وقوله : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾

---

(١) انظر تفسير « وراء » فيما سلف : ٥٤٦، ٤٧٥ ، تعليق : ١

(٢) انظر تفسير « الغليظ » فيما سلف ٧ : ١٤/٣٤١ : ٣٦٠ ، ١٥/٥٧٦ : ٣٦٦

(٣) انظر ما سلف قريباً : ٤٦٩-٤٧٢

(٤) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٣٣٨ ، وسيبويه ١ : ٧٧ .

[سورة الرعد : ٣٥] . قال : فـ«تجرى»، هو فى موضع الخبر ، كأنه قال : أن تجرى ، وأن يكون كذا وكذا ، فلو أدخل « أن » ، جاز. قال : ومنه قول الشاعر :[1] ١٣/١٣٢

ذَرِينِي إِنَّ أَمْرَكِ لَنْ يُطَاعَا وَمَا أَلْفَيْتِنِي حِلْمِي مُضَاعَا[2]

قال : فالحلمُ منصوبٌ بـ «ألفيتُ» على التكرير ،[3] قال : ولو رفعه كان صواباً.

قال : وهذا مثلٌ ضربه الله لأعمال الكفّار فقال : مَثَلُ أعمال الذين كفروا يوم القيامة ، التى كانوا يعملونها فى الدنيا يزعمُون أنهم يريدون الله بها ، مَثَلُ رمادٍ عصفت الريح عليه فى يومِ ريح عاصفٍ ، فنسفته وذهبت به ، فكذلك أعمال

---

(١) هو عدى بن زيد بن العبادى ، ونسبه سيبويه لرجل من بجيلة أو خثعم .

(٢) سيبويه ١ : ٧٧ ، ٧٨ / والخزانة ٢ : ٣٦٨ ، ٣٦٩ / والعينى بهامش الخزانة ٤ : ١٩٢ / وسيأتى فى التفسير ٢٤ : ١٥ (بولاق) ، من أبيات عزيزة هذا أولها ، يقول بعده :

أَلَا تِلْكَ الثَّعَالِبُ قَدْ تَعَاوَتْ عَلَيَّ وَحَالَفَتْ عُرْجًا ضِبَاعَا
لِتَأْكُلَنِي ، فَمَرَّ لَهُنَّ لَحْمِي وَأَذْرَقَ مِنْ حِذَارِي أَوْ أَتَاعَا
فَإِنْ لَمْ تَنْدَمُوا فَثَكِلْتُ عَمْرًا وَهَاجَرْتُ الْمُرَوَّقَ وَالسَّمَاعَا
وَلَا وَضَعَتْ إِلَيَّ عَلَى فِرَاشٍ حَصَانٌ يَوْمَ خَلْوَتِهَا قِنَاعَا
وَلَا مَلَكَتْ يَدَايَ عِنَانَ طِرْفٍ وَلَا أَبْصَرْتُ مِنْ شَمْسٍ شُعَاعَا
وَخُطَّةِ مَاجِدٍ كَلَّفْتُ نَفْسِي إِذَا ضَاقُوا رَحُبْتُ بِهَا ذِرَاعَا

والبيتان الأول والثانى من هذه الأبيات ، فى المعانى الكبير ٨٦٧ ، واللسان (مرد) (ذرق) (فرق) . ولم أجد لهذه الأبيات خبراً بعد ، وأتوهمها فى أقوام تحالفوا على أذاه ، جعل بعضهم ثعالب لمكرها وخداعها ، وبعضها ضباعاً ، لدناءتها وموقها ، والضباع موصوفة بالحمق (الحيوان ٧ : ٣٨) وقول صاحب الخزانة : « أراد بالثعالب ، الذين لاموه على جوده حسداً ولؤماً » قول مرغوب عنه . و « الضباع » عرج ، فيها خمع . و « تعاوت » تجمعت ، كما تتعاوى الذئاب فتجتمع . « ومر اللحم » ، و « أمر » ، كان مراً لا يستساغ . و « أذرق » ، أى جعلها تذرق ، يقال : « ذرق الطائر » ، إذا خذق بسلحه ، أى قذف ، وهو هنا مستعار . إشارة إلى أن ذا بطونهم قد أساله الخوف حتى صار كسلح الطير مائعاً . و « أتاع » حملهم على القىء يعنى من الخوف أيضاً « تاع القىء يتيع » خرج . ويروى « فأفرق » وهو مثل « أذرق » فى المعنى هنا . و « عمرو » المذكور فى شعر عدى ، لا أكاد أشك أنه أخوه « عمرو بن زيد » ، (الأغانى ٢ : ١٠٥) قال : « كان لعدى ابن زيد أخوان ، أحدهما اسمه عمار ، ولقبه أبى ، والآخر اسمه عمرو ، ولقبه سمى » . و « المروق » ، الخمر ، لأنها تصفى بالراووق . و « السماع » ، الغناء ، يدعو على نفسه أن ينخلع من لذات الدنيا إذا لم يندموا على مغبة كيدهم له .

(٣) « التكرير » ، هو البدل عند البصريين ، ويسميه الكوفيون أيضاً « التبيين » ، انظر ما سلف ٥٢٩ تعليق : ٢ .

أهل الكفر به يوم القيامة ، لا يجدون منها شيئاً يفنعهم عند الله فينجهم من عذابه ، لأنهم لم يكونوا يملونها لله خالصاً ، بل كانوا يشركون فيها الأوثان والأصنام .

يقول الله عز وجل : « ذلك هو الضلال البعيد » ، يعنى أعمالهم التى كانوا يعملونها فى الدنيا ، التى يشركون فيها مع الله شركاء ، هى أعمالٌ عُملت على غير هُدًى واستقامة ، بل على جَوْر عن الهُدَى بعيد ، وأخذٍ على غير استقامة شديد .

* * *

وقيل : « فى يوم عاصف » ، فوصف بالعُصوف اليومَ ،[1] وهو من صفة الريح ، لأن الريح تكون فيه ، كما يقال : « يوم بارد ، ويوم حارّ » ، لأن البردَ والحرارة يكونان فيه ،[2] وكما قال الشاعر :[3]

* يَوْمَيْنِ غَيْمَيْنِ وَيَوْمًا شَمْسَا *[4]

فوصف اليومين بالغيمين ، وإنما يكون الغيم فيهما . وقد يجوز أن يكون أريد به : فى يوم عاصف الريح ، فحذفت « الريح » ، لأنها قد ذكرت قبل ذلك ، فيكون ذلك نظير قول الشاعر :[5]

* إِذَا جَاءَ يَوْمٌ مُظْلِمُ الشَّمْسِ كَاسِفُ *[6]

يريد : كاسفُ الشمس . وقيل : هو من نعت « الريح » خاصة ، غير أنه

---

(١) فى المطبوعة حذف « اليوم » ، اجتراء وتحكماً .
(٢) انظر تفسير « عاصف » فيما سلف ١٥ : ٥١ .
(٣) لم أعرف قائله .
(٤) سيأتى فى التفسير ٢٤ : ٦٧ (بولاق) ، وبعده هناك :

* نَجْمَيْنِ بِالسَّعْدِ وَنَجْمًا نَحْسَا *

(٥) هو مسكين الدارمى .
(٦) من أبيات خرجتها فيما سلف ٧ : ٥٢٠ ، تعليق : ٣ . وانظر الخزانة ٢ : ٣٢٣ وصدر البيت :

* وَتَضْحَكُ عِرْفَانَ الذُّرُوعِ جُلُودُنَا *

لما جاء بعد « اليوم » أُتبع إعرابَهُ ، وذلك أن العرب تتبع الخفضَ الخفضَ في النعوت ، كما قال الشاعر : (١)

تُرِيكَ سُنَّةَ وَجْهٍ غَيْرِ مُقْرِفَةٍ مَلْسَاءَ لَيْسَ بِهَا خَالٌ وَلَا نَدَبُ (٢)

فخفض « غير » إتباعًا لإعراب « الوجه » ، وإنما هي من نعت « السنَّة » ، والمعنى : سُنَّةَ وَجْهٍ غَيْرَ مُقْرِفة ، وكما قالوا : « هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ » .

* * *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٦٣٦ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج في قوله : « كرماد اشتدت به الريح » ، قال : حملته الريح في يوم عاصف .

٢٠٦٣٧ — حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف » ، يقول : الذين كفروا بربهم وعبدوا غيرَه ، فأعمالهم يوم القيامة كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف ، لا يقدرون على شيء من أعمالهم ينفعهم ، كما لا يُقْدَرُ على الرماد إذا أُرْسِل في يوم عاصف . (٣)

* * *

---

(١) هو ذو الرمة .

(٢) ديوانه : ٤ ، من عقيلته المحجبة بالحسن . وهذا البيت من أبيات في صفة صاحبته مي .

= و « السنة » ، ما أقبل عليك من الوجه وصفحة الخد مصقولا يلوح . و « غير مقرفة » ، لا يشوب معارفها ولا لونها شيء يهجنها ، وذلك من عتقها . و « الندب » ، أثر الجرح إذا لم يرتفع .

(٣) في المطبوعة : « إذا أرسل عليه الريح في يوم عاصف » ، زاد ما لا معنى له .

وقوله : « ذلك هو الضَّلال البعيد » ، أى الخطأ البينُ ، البعيدُ عن طريق الحق .[١]

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ ﴿٢٠﴾

قال أبو جعفر : يقول عز ذكره لنبيّه محمد صلى الله عليه وسلم : ألم تر ، يا محمد ، بعين قلبك ،[٢] فتعلم أن الله أنشأ السموات والأرض بالحق منفرداً بإنشائها بغير ظهير ولا مُعين = « إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد » ، يقول : إن الذى تفرد بخلق ذلك وإنشائه من غير معين ولا شريك ، إن هو شاء أن يُذْهبكم فيفنيكم ، أذهبكم وأفناكم ،[٣] ويأتِ بخلق آخر سواكم مكانكم فيجدِّد خلقهم = « وما ذلك على الله بعزيز » ، يقول : وما إذهابكم وإفناؤكم وإنشاء خلقٍ آخر سواكم مكانكُم ، على الله بممتنع ولا متعذّر ، لأنه القادر على ما يشاء .[٤]

* * *

واختلف القرأة فى قراءة قوله : « ألم تر أن الله خلق » .

فقرأ ذلك عامة قرأة أهل المدينة والبصرة وبعض الكوفيين : ﴿خَلَقَ﴾ ، على « فعَل »

* * *

---

(١) من أول : « وقوله : ذلك هو . . . » ، ليس فى المخطوطة ، ولست أدرى من أين جاء به ناشر المطبوعة ، فتركته على حاله ، حتى أقطع بأنه ليس من كلام أبى جعفر .
= وانظر تفسير « الضلال » ، و « البعيد » ، فيما سلف من فهارس اللغة .
(٢) انظر تفسير « الرؤية » فيما سلف ٥ : ٤٨٥ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « الإذهاب » فيما سلف ١٤ : ١٦١ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٤) انظر تفسير « عزيز » فيما سلف : ٥١١ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

وقرأته عامة قرأة أهل الكوفة : ﴿ خَالِقُ ﴾ ، على « فاعل »

* * *

وهما قراءتان مستفيضتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القرأة ، متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيبٌ .

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَـٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَـٰكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ (٢١) ١٣/١٣٣

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « وبرزوا لله جميعًا » ، وظهر هؤلاء الذين كفروا به يوم القيامة من قبورهم ، فصاروا بالبَراز من الأرض[١] = « جميعًا » ، يعنى كلهم[٢] = « فقال الضعفاء للذين استكبروا » ، يقول : فقال التُّبَّاع منهم للمتبوعين ، وهم الذين كانوا يستكبرون فى الدنيا عن إخلاص العبادة لله واتباع الرسل الذين أرسلوا إليهم[٣] = « إنَّا كنا لكم تَبَعًا » ، فى الدنيا .

* * *

و « التبع » جمع « تابع » كما « الغَيَب » جمع « غائب » .

* * *

وإنما عنوا بقولهم : « إنا كنا لكم تبعًا » ، أنهم كانوا أتباعهم فى الدنيا يأتمرون

---

(١) انظر تفسير « برز » فيما سلف ٥ : ٧/٣٥٤ : ٨/٣٢٤ : ٥٦٢ .
(٢) انظر تفسير « الجميع » فيما سلف ١٥ : ٢١٢ .
(٣) انظر تفسير « الضعفاء » فيما سلف ١٤ : ٤١٩ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .
= وتفسير « الاستكبار » فيما سلف ١٥ : ١٥٥ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

لما يأمرونهم به من عبادة الأوثان والكفر بالله ، وينتهون عما نهوهم عنه من اتباع رسل الله = « فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء » ، يعنون : فهل أنتم دافعون عنا اليوم من عذاب الله من شيء .(١)

* * *

وكان ابن جريج يقول نحو ذلك :

٢٠٦٣٨ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن ابن جريج قوله : « وقال الضعفاء » ، قال : الأتباع = « للذين استكبروا » ، قال : للقادة .

* * *

وقوله : « لو هدانا الله لهديناكم » ، يقول عز ذكره : قالت القادةُ على الكفر بالله لُتبَّاعها : « لو هدانا الله » ، يعنون : لو بيَّن الله لنا شيئًا ندفع به عذابه عنا اليوم = « لهديناكم » ، لبيَّنا ذلك لكم حتى تدفعوا العذابَ عن أنفسكم ، ولكنا قد جزعنا من العذاب ، فلم ينفعنا جزعُنا منه وصَبْرُنا عليه(٢) = « سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص » ، يعنون : ما لهم من مَزاغٍ يزُوغون عنه .(٣)

* * *

يقال منه : « حاص عن كذا » ، إذا زاغ عنه ، « يَحِيصُ حَيْصًا ، وحُيُوصًا وحَيَصانًا » .(٤)

* * *

٢٠٦٣٩ – وحدثني المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن

---

(١) انظر تفسير « الإغناء » فيما سلف ١٦٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .
(٢) انظر تفسير « الهدى » فيما سلف من فهارس اللغة (هدى) .
(٣) في المطبوعة : « مزاغ » ، و « يزوغون » ، و « زاغ » ، كل ذلك بالزاى ، والذى في المخطوطة صواب محض .
(٤) انظر تفسير « الحيص » فيما سلف ٩ : ٢٢٦ .

الحكم ، عن عُمَر بن أبي ليلى ، أحد بني عامر ، قال : سمعت محمد بن كعب القرظي يقول : بلغني ، أو ذُكِر لي ، أن أهل النار قال بعضهم لبعض : يا هؤلاء ، إنه قد نزل بكم من العذاب والبلاء ما قد ترون ، فهلمَّ فلنصبر فلعل الصَّبر ينفعنا ، كما صبر أهل الدنيا على طاعة الله فنفعهم الصبر إذ صبروا . قال : فيُجْمعون رأيهم على الصَّبر . قال : فصبروا ، فطال صبرهم ، ثم جزعوا فنادوا : « سواءٌ علينا أجزِعْنَا أم صبرنَا مالنا من محيص » ، أي : من منجًى .(١)

٢٠٦٤٠ — حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص » ، قال : إن أهل النار قال بعضهم لبعض : تعالوا ، فإنما أدركَ أهل الجنة الجنَّةَ ببكائهم وتضرُّعهم إلى الله ، فتعالوا نبكي ونتضرع إلى الله ! قال : فبكوا ، فلما رأوا ذلك لا ينفعهم قالوا :

---

(١) الأثر : ٢٠٦٣٩ — « الحكم » ، هو « الحكم المكي » ، شيخ لعبد الله بن المبارك توقف الإمام البخاري في أمره . وقال ابن أبي حاتم : هو مجهول . قال البخاري : « الحكم المكي ، عن عمر بن أبي ليلى ، سمع منه ابن المبارك ومحمد بن مقاتل . وروى مروان ، يعني ابن معاوية ، عن الحكم ابن أبي خالد ، مولى بني فزارة ، عن عمر بن أبي ليلى . قال الحسن بن علي ، وعن الحكم بن أبي خالد ، عن الحسن ، عن جابر ، في الجنة ، فلا أدري هذا من ذاك » . وكأن هذا إشارة إلى هذا الخبر نفسه .

وذكر في ترجمة « الحكم بن ظهير الفزاري » : « حدثنا محمد بن عبد العزيز ، قال حدثنا مروان ، عن الحكم بن أبي خالد ، مولى بني فزارة ، عن عمر بن أبي ليلى النميري . . . » ، وقال مثل ما قال في ترجمة « الحكم المكي » . ثم ترجم « الحكم بن أبي خالد » ، ولم يذكر فيه شيئاً من هذا .

وأما ابن أبي حاتم فاقتصر على ترجمة « الحكم المكي » ، ولم يذكر فيه « الحكم بن أبي خالد » .

وقال ابن حجر في التهذيب : « قال ابن أبي خيثمة : سمعت يحيى بن معين يقول : كان مروان بن معاوية يغير الأسماء ، يعمي على الناس ، يقول : حدثنا الحكم بن أبي خالد ، وإنما هو الحكم بن ظهير » .

وانظر هذا الذي ذكرت في الكبير للبخاري ١/٢/٣٣٦ ، ٣٣٩ ، ٣٤٢ ، وابن أبي حاتم ١/٢/١٣١ ، وميزان الاعتدال ١ : ٢٧٣ ، ولسان الميزان ٢ : ٣٤١ ، وتهذيب التهذيب .

و « عمر بن أبي ليلى » ، قال البخاري في الكبير ٣/٢/١٩٠ : « روى عنه الحكم المكي ، وقال بعضهم : « عمر بن أبي ليلى ، أخو بني عامر ، سمع محمد بن كعب ، قوله » . وزاد البخاري في ترجمة « الحكم بن ظهير » في نسبته « النميري » ، كما سلف قريباً . وقال مثل ذلك ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٣/١/١٣١ ، وزاد عن أبيه فقال : « سمعته يقول : هو مجهول » ، وفي ميزان الاعتدال ٢ : ٢٦٨ قال : « قلت حدث عنه ابن أبي فديك والواقدي » ، وزاد ابن حجر في لسان الميزان ٤ : ٢٢٤ قال : « وذكره ابن حبان في الثقات » .

وكان في المطبوعة : « عمرو بن أبي ليلى » ، غير ما هو ثابت في المخطوطة على الصواب .

و « محمد بن كعب القرظي » ، تابعي ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً كثيرة لا تعد .

وهذا الخبر تالف ، لما علمت من أمر « الحكم المكي » وجهالته ، فإن كان هو « الحكم بن ظهير الفزاري » ، فهو متروك كما سلف مراراً كثيرة .

تعالوا، فإنّما أدرك أهل الجنة الجنّةَ بالصبر، [١] تعالوا نصبر! فصبروا صبراً لم يُرَ مثله، فلم ينفعهم ذلك، فعند ذلك قالوا : « سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من مَحِيص » .

* * *

القول فى تأويل قوله عز ذكره : ﴿وَقَالَ الشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢٢)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وقال إبليس، [٢] « لما قُضِى الأمر » ، يعنى لما أدخل أهلُ الجنة الجنةَ وأهلُ النار النارَ، واستقرّ بكل فريق منهم قرارهم، [٣] أن الله وعدكم ، أيها الأتباعُ ، النارَ ، ووعدتكم النُّصْرة ، فأخلفتكم وعدى ، ووفى الله لكم بوعده = « وما كان لى عليكم من سلطان » ، يقول : وما كان لى عليكم، فيما وعدتكم من النصرة ، من حجة تثبت لى عليكم بصدق قولى [٤] = « إلا أنْ دعوتكم » . وهذا من الاستثناء المنقطع عن الأول ، كما تقول : « ما ضربْتُه إلا أنه أحمق » ، ومعناه : ولكن دعوتكم فاستجبتم لى . يقول : إلا أن دعوتكم

(١) تلعب الناشر بالكلام فجعله : « فما أدرك أهل الجنة الجنة إلا بالصبر » ، فجعل « فإنما » « فما » ثم زاد « إلا » ! فاعجب لما فعل .

(٢) انظر تفسير « الشيطان» فيما سلف ١ : ١١١ ، ١١٢ ، ١٢/٢٩٦ : ٥١ .

(٣) انظر تفسير « القضا« » فيما سلف : ١٠٧ ، ، تعليق: ٢ ، والمراجع هناك .

(٤) انظر تفسير « السلطان » فيما سلف : ٥٣٧ ، تعليق : ٧ ، والمراجع هناك .

إلى طاعتى ومعصية الله ، فاستجبتم لدعائى[١] = « فلا تلومونى » ، على إجابتكم إياى = « ولوموا أنفسكم » ، عليها = « ما أنا بمُصْرِخِكم » ، يقول : ما أنا بمُغِيثكم = « وما أنتم بمصرخِيَّ ، ولا أنتم بمُغيثيَّ من عذاب الله فمُنْجِيَّ منه = « إنى كفرت بما أشركتمونى من قبل » ، يقول : إنى جَحدْت أن أكون شريكًا لله فيما أشركتمونى فيه من عبادتكم = « من قبل » ، فى الدنيا = « إن الظالمين لهم عذاب أليم » ، يقول : إن الكافرين بالله لهم عذاب = « أليم » ، من الله موجِع.[٢]

* * *

يقال : « أصْرَختُ الرجلَ » ، إذا أغثته ، « إصراخًا » ، و « قد صَرَخ الصَّارخ ، يصرُخ ، ويَصْرَخ ، قليلة ، وهو الصَّرِيخ والصُّراخ » .[٣]

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل . ١٣/١٣٤

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٦٤١ — حدثنى محمد بن المثنى قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا داود ، عن عامر فى هذه الآية : « ما أنا بمُصْرخكم وما أنتم بمصرخىّ إنى كفرت بما أشركتمونى من قبل » ، قال : خطيبان يقومان يومَ القيامة ، إبليسُ وعيسى ابن مريم . فأما إبليس فيقوم فى حزبه فيقول هذا القول . وأما عيسى عليه السلام فيقول : ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ، [سورة المائدة : ١١٧] .

---

(١) انظر تفسير « الاستجابة » فيما سلف : ٤١٦ ، تعليق : ١ ، والمراجع هناك .

(٢) انظر تفسير « الإشراك » و « أليم » فيما سلف من فهارس اللغة (شرك) (ألم) .

(٣) « يَصْرَخُ » بفتح الراء ، وكذلك هى مضبوطة فى المخطوطة ، ومضارع « صرخ » بفتح الراء لم أجد من نص عليه فى المعاجم ، فهذا موضع زيادة .

٢٠٦٤٢ – حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية ، عن داود ، عن الشعبي قال : يقوم خطيبان يوم القيامة ، أحدهما عيسى ، والآخر إبليس . فأما إبليس فيقوم فى حزبه فيقول : « إن الله وعدكم وعدَ الحق » ، فتلا داود حتى بلغ : « بما أشركتمونى من قبل » ، فلا أدرى أتمَّ الآية أم لا. وأما عيسى عليه السلام فيقال له: ﴿ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلٰهَيْنِ مِن دُونِ اللهِ ﴾ فتلا حتى بلغ : ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [سورة المائدة : ١١٦– ١١٨] .

٢٠٦٤٣ – حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا على بن عاصم ، عن داود ابن أبى هند ، عن عامر قال : يقوم خطيبان يوم القيامة على رؤوس الناس، يقول الله عز وجل : ﴿ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ إلى قوله ﴿هٰذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾، [سورة المائدة: ١١٦– ١١٩] . قال: ويقوم إبليس فيقول : « وما كان لِيَ عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخيّ» ، ما أنا بمغيثكم وما أنتم بمُغيثيَّ .

٢٠٦٤٤ – حدثنا الحسين قال، حدثنا سعيد بن منصور قال ، حدثنى خالد ، عن داود ، عن الشعبى فى قوله : « ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى » ، قال: خطيبان يقومان يوم القيامة ، فأما إبليس فيقول هذا، وأما عيسى فيقول : ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ﴾ .

٢٠٦٤٥ – حدثنا المثنى قال ، حدثنا سويد بن نصر قال ، أخبرنا ابن المبارك ، عن رشدين بن سعد قال ، أخبرنى عبد الرحمن بن زياد ، عن دخين الحجرى ، عن عقبة بن عامر ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذكر الحديث ، قال : يقول عيسى : ذلكم النبيُّ الأميّ . فيأتونى ، فيأذن الله لى أن أقوم ، فيثورُ من مجلسى من أطيب ريح شَمَّها أحدٌ ، حتى آتى ربى فيشفعنى ، ويجعل

لى نوراً إلى نور ، من شعر رأسى إلى ظفر قدمى ، ثم يقول الكافرون : قد وجد المؤمنون من يشفع لهم ، فقم أنت فاشفع لنا ، فإنك أنت أضللتنا . فيقوم ، فيثورُ من مجلسه أنتنُ ريح شمَّها أحدٌ ، ثم يعظم لجهنم ،[1] ويقول عند ذلك : « إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم » ، الآية .[2]

٢٠٦٤٦ — حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن رجل ، عن الحسن فى قوله : « وما كان لى عليكم من سلطان » ، قال : إذا كان يوم القيامة قام إبليس خطيباً على منبر من نار فقال : « إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم » ، إلى قوله : « وما أنتم بمصرخىّ » ، قال : بناصرىّ = « إنى كفرت بما أشركتمونى من قبل » ، قال : بطاعتكم إياى فى الدنيا .

٢٠٦٤٧ — حدثنى المثنى قال ، حدثنا سويد قال ، أخبرنا المبارك ، عمن ذكره قال : سمعت محمد بن كعب القرظى قال فى قوله : « وقال الشيطان لما قُضِى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق » ، قال : قام إبليس يخطبهم فقال : « إن الله وعدكم وعد الحق » إلى قوله : « ما أنا بمصرخكم » ، يقول : بمغن عنكم شيئاً =

---

(١) فى المطبوعة « يعظم نحيبهم » ، غير ما اتفقت عليه المخطوطة ، والدر المنثور ، وابن كثير . وهو ما أثبت ، وأنا فى شك من الكلمة ، وظنى أنها « يُقَطِّمُ لجهنَّم » ، من قولهم « قَطَّم الشارب » إذا ذاق الشراب فكرهه ، وزوى وجهه ، وقطب .

(٢) الأثر : ٢٠٦٤٥ — « رشدين بن سعد المصرى » ، رجل صالح ، أدركته غفلة الصالحين ، فخلط فى الحديث ، فليس يبالى عمن روى ، وهو ضعيف متروك ، عنده معاضيل ومناكير ، مضى مراراً آخرها رقم : ١٧٧٢٩ .

و « عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الشعبانى الإفريقى » ، رجل صالح ، ولكنه منكر الحديث ، وإن وثقه بعضهم ، قال أبو الحسن بن القطان . كان من أهل العلم والزهد بلا خلاف بين الناس ، ومن الناس من يوثقه ، ويربأ به عن حضيض رد الرواية ، والحق فيه أنه ضعيف ، لكثرة روايته المنكرات ، وهو أمر يعترى الصالحين » ، مضى أيضاً مراراً آخرها رقم : ١٤٣٣٧ .

و « دخين الحجرى » ، هو « دخين بن عامر الحجرى » ، « أبو ليلى المصرى » ، روى عن عقبة بن عامر ، وعنه عبد الرحمن بن زياد ، ذكره ابن حبان فى الثقات . مترجم فى التهذيب ، والكبير ٢/١/٢٣٤ ، وابن أبى حاتم ١/٢/٤٤٢ .

وهذا خبر ضعيف الإسناد ، لا يقوم . وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٤ : ٧٤ ، وزاد نسبته إلى ابن المبارك فى الزهد ، وابن أبى حاتم ، والطبرانى ، وابن مردويه ، وابن عساكر وقال : أخرجوه بسند ضعيف ، ونقله عن ابن أبى حاتم ، ابن كثير فى تفسيره ٤ : ٥٥٧ .

« وما أنتم بمصرخيّ إني كفرت بما أشركتمونى من قبل. »، قال : فلما سمعوا مقالته مقتوا أنفسهم، قال : فنودوا: ﴿وَلَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ الآية [سورة غافر: ١٠].

٢٠٦٤٨ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى » ، ما أنا بمغيثكم ، وما أنتم بمغيثى = قوله : « إني كفرت بما أشركتمونى من قبل » ، يقول : عصيت الله قبلكم .

٢٠٦٤٩ – حدثنى محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخيّ إني كفرت بما أشركتمونى من قبل » ، قال : هذا قولُ إبليس يوم القيامة ، يقول ما أنتم بنافعيّ وما أنا بنافعكم = « إني كفرت بما أشركتمونى من قبل » ، قال : شركته ، عبادته .

٢٠٦٥٠ – حدثنى محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى = وحدثنى الحارث قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنا ورقاء = جميعًا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله: « بمصرخيّ، » قال : بمغيثيّ . ١٣/١٣٥

٢٠٦٥١ – حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا شبابة قال ، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

٢٠٦٥٢ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

٢٠٦٥٣ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله .

٢٠٦٥٤ – حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثنى حجاج ، عن أبى جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس قال : « ما أنا بمنجيكم وما أنتم بمنجيّ .

٢٠٦٥٥ – حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد : قال : خطيبُ السَّوْءِ الصادق إبليس ،[1] أفرأيتم صادقًا لم ينفعه صِدقُه : « إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان »، أقهركم به = « إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي »، قال : أطعتموني = « فلا تلوموني ولوموا أنفسكم » ، حين أطعتموني = « ما أنا بمصرخكم » ، ما أنا بناصركم ولا مغيثكم – « وما أنتم بمصرخيّ » ، وما أنتم بناصريّ ولا مغيثيّ لما بي = « إني كفرت بما أشركتموني من قبل إنّ الظالمين لهم عذاب أليم » .

٢٠٦٥٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا سويد قال ، حدثنا ابن المبارك ، عن الحكم ، عن عُمَر بن أبي ليلى ، أحدِ بني عامر قال : سمعت محمد بن كعب القرظيّ يقول : « وقال الشيطان لما قضي الأمر » ، قال : قام إبليس عند ذلك ، يعني حين قال أهل جهنم : « سواءٌ علينا أجزِعنا أم صبرنا ما لنا من مَحِيص » ، فخطبهم ، فقال : « إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم » ، إلى قوله : « ما أنا بمصرخكم » ، يقول بمُغْنٍ عنكم شيئًا = « وما أنتم بمصرخيّ إني كفرت بما أشركتموني من قبل » . قال : فلما سمعوا مقالته مَقَتُوا أنفسهم ، قال : فنودوا : ﴿لَمَقْتُ اللهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ﴾، الآية [سورة غافر : ١٠].[2]

* * *

(١) في المطبوعة : « إبليس الصادق » ، أخر وقدم بلا داع مفهوم .

(٢) الأثر : ٢٠٦٥٦ – « الحكم المكي » ، و « عمر بن أبي ليلى » ، انظر ما سلف تعليقاً على الرقم : ٢٠٦٣٩ ، وهو تتمة ذاك الخبر . وكان في المطبوعة هنا أيضاً « عمرو بن أبي ليلى » .

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٢٥﴾

قال أبو جعفر : يقول عز ذكره : وأدخل الذين صدقوا الله ورسوله ، فأقرُّوا بوحدانية الله وبرسالة رُسله ، وأنّ ما جاءت به من عند الله حق = « وعملوا الصالحات » ، يقول : وعملوا بطاعة الله ، فانتهوا إلى أمر الله ونهيه = « جنّات تجرى من تحتها الأنهار » ، بساتين تجرى من تحتها الأنهار = « خالدين فيها » ، يقول : ماكثين فيها أبدًا[1] = « بإذن ربهم » ، يقول : أُدخلوها بأمر الله لهم بالدخول = « تحيتهم فيها سلامٌ » ،[2] وذلك إن شاء الله كما :—

٢٠٦٥٧ — حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قوله : « تحيّتهم فيها سلام » ، قال : الملائكة يسلّمون عليهم فى الجنة .

* * *

وقوله : « ألم تر كيف ضربَ الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة » ، يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد صلى الله عليه وسلم : ألم تر ، يا محمد ، بعين قلبك ،[3]

---

(١) قوله : « يقول : ماكثين فيها أبداً » ، ساقط من المطبوعة .

(٢) انظر تفسير ألفاظ الآية فيما سلف من فهارس اللغة (أمن) ، (صلح) ، (جنن) ، (نهر) ، (خلد) ، (أذن) .
= وانظر تفسير « التحية » فيما سلف ٨ : ٥٨٦ .

(٣) انظر تفسير « الرؤية » فيما سلف : ٥٥٦ ، تعليق : ٢ ، والمراجع هناك .

فتعلم كيف مثَّل الله مَثَلاً وشبَّه شبَهًا [١] = « كلمة طيبة » . ويعنى بالطيبة الإيمانَ به جل ثناؤه، [٢] كشجرة طَيِّبة الثمرة، وترك ذكر « الثمرة » استغناء بمعرفة السَّامعين عن ذكرها بذكر « الشَّجرة ». وقوله: « أصلها ثابت وفرعها فى السماء » ، يقول عز ذكره : أصلُ هذه الشجرة ثابتٌ فى الأرض = « وفرعها » ، وهو أعلاها فى « السماء » ، يقول : مرتفع عُلوًّا نحوَ السماء . وقوله : « تؤتى أكُلَهَا كل حين بإذن ربّها » ، يقول : تطعم ما يؤكل منها من ثمرها كلَّ حين بأمرِ ربها [٣] = « ويضرب الله الأمثال للناس » ، يقول : ويمثِّل الله الأمثال للناس ، ويشبّه لهم الأشباهَ [١] = « لعلهم يتذكرون » ، يقول : ليتذكروا حُجَّة الله عليهم، فيعتبروا بها ويتعظوا ، فينزجروا عما هم عليه من الكفر به إلى الإيمان . [٤]

* * *

وقد اختلف أهل التأويل فى المعنى بالكلمة الطيبة .

فقال بعضهم : عُنى بها إيمانُ المؤمن .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٦٥٨ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس قوله : « كلمة طيبة » ، شهادةُ أن لا إله إلا الله = « كشجرة طيبة » ، وهو المؤمن = « أصلها ثابتٌ » ، يقول : لا إله إلا الله، ثابتٌ فى قلب المؤمن = « وفرعها فى السماء » ، يقول : يُرْفَع بها عملُ المؤمن إلى السماء . ١٣٦/١٣

---

(١) انظر تفسير « ضرب مثلا » فيما سلف ١ : ٤٠٣ .
(٢) انظر تفسير « الطيب » فيما سلف ١٣ : ١٦٥ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
(٣) انظر تفسير « الأكل » فيما سلف : ٤٧٢ ، تعليق : ٣ ، والمراجع هناك .
=وتفسير « الإذن » فيما سلف من فهارس اللغة (أذن) .
(٤) انظر تفسير « التذكر » فيما سلف من فهارس اللغة (ذكر) .
= وانظر القول فى « لعل » فى مباحث العربية .

٢٠٦٥٩ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس : « كلمة طيبةً » ، قال : هذا مَثَلُ الإيمان ، فالإيمان الشَّجرة الطيبة ، وأصله الثابت الذى لا يزول الإخلاصُ لله ، وفرعُه فى السماء ، فَرْعُه خشْية الله .

٢٠٦٧٠ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن ابن جريج قال ، قال مجاهد : « ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمةً طيبةً كشجرة طيبة » ، قال : كنخلة = قال ابن جريج ، وقال آخرون : « الكلمة الطيبة » ، أصلها ثابت ، هى ذات أصل فى القلب[1] = « وفرعها فى السماء » ، تَعْرُجُ فلا تُحْجَب حتى تنتهى إلى الله .

* * *

وقال آخرون : بل عُنِى بها المؤمن نفسُه .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٦٧١ - حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أُكلَها كل حين بإذن ربها » ، يعنى بالشجرة الطيبة المؤمنَ ، ويعنى بالأصل الثابت فى الأرض ، وبالفرع فى السماء ، يكون المؤمن يعمَلُ فى الأرض ويتكلَّم ، فيبلغ عمله وقولُه السَّماءَ وهو فى الأرض .

٢٠٦٧٢ - حدثنا أحمد قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية العوفى فى قوله : « ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة » ، قال : ذلك مثل المؤمن لا يزال يخرُج منه كلام طيبٌ وعمل صالح يَصْعَد إليه .

٢٠٦٧٣ - حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين ، حدثنى حجاج ، عن

---

(١) فى المطبوعة : « فى ذات أصل » ، وهو خطأ بلا ريب .

أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس قال : ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ فِي الْأَرْضِ﴾ ، وكذلك كان يقرؤها . قال : ذلك المؤمنُ ضُرِبَ مثله . قال : الإخلاصُ لله وحده وعبادته لا شريك له ، قال : « أصلها ثابت » ، قال : أصل عمله ثابتٌ في الأرض = « وفرعها في السماء » ، قال : ذكرُه في السماء .

* * *

واختلفوا في هذه « الشجرة » التي جعلت للكلمة الطيبة مثلاً .

فقال بعضهم : هي النخلة .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٦٧٤ – حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة ، عن معاوية بن قرة قال : سمعت أنس بن مالك في هذا الحرف : « كشجرة طيبة » ، قال : هي النخلة .

٢٠٦٧٥ – حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا أبو قطن قال ، حدثنا شعبة ، عن معاوية بن قرة ، عن أنس ، مثله .

٢٠٦٧٦ – حدثنا الحسن قال ، حدثنا شبابة قال ، حدثنا شعبة ، عن معاوية بن قرة قال : سمعت أنس بن مالك يقول : « كلمة طيبة كشجرة طيبة » ، قال : النخل .[1]

٢٠٦٧٧ – حدثني يعقوب والحسن بن محمد قالا، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا شعيب قال ، قال : خرجت مع أبي العالية نريد أنس بن مالك ، قال : فأتيناه ، فدعا لنا بقِنْوٍ عليه رُطَبٌ ،[2] فقال : كلوا من هذه الشجرة التي قال الله عز وجل : « ضربَ الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت

---

(١) الآثار : ٢٠٦٧٤ – ٢٠٦٧٦ – هذا خبر صحيح الإسناد ، من طرقه الثلاث ، موقوفاً على أنس . وانظر التعليق على الآثار التالية .

(٢) « القنو » ، بكسر فسكون ، وجمعه « أقناء » و « قنوان » بكسر فسكون ، وهو العذق عذق النخلة ، بما فيه من الرطب ، وهو « الكباسة » ، بكسر الكاف .

وفرعها فى السماء » ، وقال الحسن فى حديثه : « بقِنَاع » .[١]

٢٠٦٧٨ - حدثنا خلاد بن أسلم قال، أخبرنا النضر بن شميل قال ، أخبرنا حماد بن سلمة قال ، أخبرنا شعيب بن الحبحاب ، عن أنس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُتِى بقِناع بُسْرٍ،[١] فقال : « مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة » ، قال : هى النخلة .

٢٠٦٧٩ - حدثنا سوّار بن عبد الله قال، حدثنا أبى قال ، حدثنا حماد ابن سلمة ، عن شعيب بن الحبحاب ، عن أنس : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أُتِى بقِناع فيه بُسْر فقال : « مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة » ، قال : هى النخلة . قال شعيب : فأخبرت بذلك أبا العالية فقال : كذلك كانُوا يقولون .

٢٠٦٨٠ - حدثنى المثنى قال، حدثنا حجاج قال، حدثنا حماد بن سلمة ، عن شُعيب بن الحَبْحاب قال : كنا عند أنس ، فأُتينا بطَبَق ، أو قِنْع ،[١] عليه رُطب ، فقال : كل يا أبا العالية ، فإن هذا من الشَّجرة التى ذكر الله جلّ وعزّ فى كتابه: « ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلُها ثابت ».

٢٠٦٨١ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا الحجاج بن المنهال قال ، حدثنا مهدى بن ميمون ، عن شعيب بن الحبحاب قال : كان أبو العالية يأتينى ، فأتانى يومًا فى منزلى بعد ما صلَّيت الفجر ، فانطلقتُ معه إلى أنس بن مالك ، فدخلنا معه إلى أنس بن مالك ، فجيء بطبق عليه رُطَب فقال أنس لأبى العالية : كل ، يا أبا العالية ، فإن هذه من الشجرة التى قال الله فى كتابه : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ثَابِتٍ أَصْلُهَا﴾ ، قال : هكذا قرأها يومئذ أنس .[٢] ١٣/١٣٧

---

(١) « القناع » ، بكسر القاف، و « القنع » ، بكسر فسكون، هو الطبق الذى يؤكل عليه الطعام ، أو الذى تؤكل فيه الفاكهة، ويقال هو للرطب خاصة . و « البسر » . بضم فسكون ، التمر قبل أن يرطب ، وهو مالم يلون ولم ينضج، فإذا نضج فقد أرطب ، فهو رطب .

(٢) الآثار : ٢٠٦٧٧ - ٢٠٦٨١ - حديث شعيب بن الحبحاب، عن أنس ، مروى هنا من

٢٠٦٨٢ – حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا طلق قال ، حدثنا شريك ، عن السدى ، عن مرة ، عن عبد الله ، مثله .(١)

٢٠٦٨٣ – حدثنى الحارث قال ، حدثنا عبد العزيز قال ، حدثنا عبد الغفار ابن القاسم ، عن جامع بن أبى راشد ، عن مُرَّة بن شراحيل الهمدانى ، عن مسروق : « كشجرة طيبة » ، قال : النخلة .

٢٠٦٨٤ – حدثنى محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى = ح وحدثنى الحارث قال ، حدثنا الحسن [قال ، حدثنا ورقاء = جميعاً عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله : « كشجرة طيبة » ، قال : كنخلة .

٢٠٦٨٥ – حدثنا الحسن](٢) قال ، حدثنا شبابة قال ، حدثنا ورقاء = ح وحدثنى المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل = جميعاً ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

خمس طرق : من طريقين مرفوعاً ، من رواية حماد بن سلمة ، عن شعيب ، (٢٠٦٧٨ ، ٢٠٦٧٩) ، ثم من رواية حماد عن شعيب أيضاً موقوفاً ، (٢٠٦٨٠) ، ثم من طريقين موقوفاً ، من رواية ابن علية ، عن شعيب ، ومهدى بن ميمون عن شعيب . (٢٠٦٧٧ ، ٢٠٦٨١) .

فالمرفوع ، أخرجه الحاكم فى المستدرك ٢ : ٣٥٢ ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه » ، وأخرجه الترمذى فى تفسير هذه السورة . مطولا ، عن طريق أبى الوليد ، عن حماد بن سلمة ، عن شعيب ، ثم قال : « حدثنا قتيبة ، حدثنا أبو بكر بن شعيب بن الحبحاب ، عن أبيه ، عن أنس بن مالك نحوه بمعناه ، ولم يرفعه ، ولم يذكر قول أبى العالية (٢٠٦٧٩) . وهذا أصح من حديث حماد بن سلمة .. وروى غير واحد مثل هذا موقوفاً . ولا نعلم أحداً رفعه غير حماد بن سلمة . ورواه معمر ، وحماد بن زيد ، وغير واحد ، ولم يرفعوه . حدثنا أحمد بن عبدة الضبى . حدثنا حماد بن زيد ، عن شعيب بن الحبحاب . عن أنس بن مالك . نحو حديث عبد الله بن أبى بكر بن شعيب بن الحبحاب ، ولم يرفعه » .

وخرج المرفوع السيوطى فى الدر المنثور ٤ : ٧٦ ، وزاد نسبته إلى النسائى ، والبزار ، وأبى يعلى ، وابن أبى حاتم ، وابن حبان ، وابن مردويه ، وذكره . ابن كثير فى تفسيره ٤ : ٥٦١ .

(١) الأثر : ٢٠٦٨٢ – « طلق » ، هو « طلق بن غنام بن طلق النخعى » ، سلف برقم : ٢٠٠٠٠ ، روى عنه أبو كريب .

و « شريك » ، هو « شريك بن عبد الله النخعى » القاضى ، روى عنه طلق ، مضى مراراً كثيرة .

وأمام هذا الخبر علامة فى المخطوطة هكذا « ج » للدلالة على الشك ، وصدق فإنه لم يمض ذكر خبر عبد الله بن مسعود قبل ذلك ، فيقول : « مثله » . وقد نقله ابن كثير فى تفسيره ٤ : ٥٥٩ ، فقال : هكذا رواه السدى ، عن مرة ، عن ابن مسعود قال : « هى النخلة » ، وكذلك السيوطى فى الدر المنثور ٤ : ٧٦ ، فأخشى أن يكون سقط قبل هذا الخبر خبر فيه نص كلام ابن مسعود .

(٢) ما بين القوسين ، من منتصف الخبر السالف ، إلى هذا الموضع ، ساقط من المطبوعة .

٢٠٦٨٦ - حدثنا أحمد قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا إسرائيل ، عن السدى ، عن مرة ، عن عبد الله ، مثله .

٢٠٦٨٧ - حدثنى المثنى قال، حدثنا مُعَلَّى بن أسد قال ، حدثنا خالد قال ، أخبرنا حصين ، عن عكرمة فى قوله : « كشجرة طيبة » قال : هى النخلة ، لا تزالُ فيها منفعةٌ .

٢٠٦٨٨ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن بن مغراء ، عن جويبر ، عن الضحاك فى قوله : « كشجرة طيبة » ، قال : ضرب الله مثل المؤمن كمثل النخلة = « تؤتى أكلها كل حين » .

٢٠٦٨٩ - حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة » ، كنا نُحَدَّث أنها النخلة .

٢٠٦٩٠ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « كشجرة طيبة » ، قال : يزعمون أنها النخلة .

٢٠٦٩١ - حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « تؤتى أكلها كل حين » ، قال : هى النخلة .

٢٠٦٩٢ - حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا محمد بن عبيد قال ، حدثنا الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى قوله : « وفرعها فى السماء » ، قال : النخل .[1]

٢٠٦٩٣ - حدثنا الحسن[2] قال ،حدثنا سعيد بن منصور قال ،حدثنا خالد، عن الشيبانى ، عن عكرمة : « تؤتى أكلها كل حين » ، قال : هى النخلة .

٢٠٦٩٤ - حدثنا محمد بن عبدالأعلى قال ،حدثنا محمد بن ثور، عن معمر قال ، قال شعيب بن الحبحاب ،عن أنس بن مالك: « الشجرة الطيبة » ، النخلة.

---

(١) فى المطبوعة : « النخلة » .

(٢) فى المطبوعة : « قال حدثنا الحسن » ، زاد ما لا مكان له .

وقال آخرون : بل هي شجرة في الجنة .

• ذكر من قال ذلك :

٢٠٦٩٥ - حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا عفان قال ، حدثنا أبو كدينة قال ، حدثنا قابوس بن أبي ظبيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس في قول الله جلّ وعزّ : « ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها » ، قال : هي شجرة في الجنة .(١)

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين بالصواب في ذلك قولُ من قال : هي « النخلة»، لصحّة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما : —

٢٠٦٩٦ - حدثنا به الحسن بن محمد قال ، حدثنا سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : صحبتُ ابنَ عمر إلى المدينة ، فلم أسمعه يُحدِّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا حديثًا واحداً قال: كنّا عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فأتي بجُمّار فقال: من الشّجر شجرةٌ مَثَلُها مثلُ الرَّجُل المسلم . فأردتُ أن أقول « هي النخلة »، فإذا أنا أصغرُ القوم ، فسكتُّ ، [فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هي النخلة] .(٢)

---

(١) الأثر : ٢٠٦٩٥ - « أبو كدينة » ، « يحيى بن المهلب البجلي » ، ثقة ، ربما أخطأ ، يعتبر به ، سلفت ترجمته : ٤١٩٣ ، ٥٩٩٤ ، ٩٧٤٥ .

و « قابوس بن أبي ظبيان الجنبي » ، ضعيف ، كان رديء الحفظ ، ينفرد عن أبيه بما لا أصل له ، فربما رفع المراسيل ، وأسند الموقوف ، مضى برقم : ٩٧٤٥ ، ١٠٦٨٢ ، ١٦٦٧٩ .

وأبوه « أبو ظبيان » ، اسمه « حصين بن جندب الجنبي » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ٩٧٤٥ ، ١٠٦٨٣ ، ١٦٦٧٩ .

(٢) الأثر : ٢٠٦٩٦ - إسناده صحيح ، رواه من هذه الطريق أحمد في مسنده رقم : ٤٥٩٩ ، ورواه أحمد أيضاً من طريق شريك ، عن سلمة بن كهيل ، عن مجاهد ، مطولا ومختصراً (٥٦٤٧ ، ٥٩٥٥) ورواه البخاري في صحيحه (الفتح ١ : ١٥١) ، ومسلم في صحيحه (١٧ : ١٥٢) من ثلاث طرق : من طريق أيوب ، عن أبي الخليل الضبعي ، عن مجاهد ، ومن طريق سفيان بن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، ومن طريق ابن نمير ، عن أبيه ، عن سيف ، عن مجاهد .

وكان أمام الخبر في المخطوطة حرف (ط) ، إشارة إلى ما فيه من النقص الذي أثبته عن مسند أحمد ، ووضعته بين قوسين .

٢٠٦٩٧ - حدثنا الحسن قال ، حدثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا سليمان، عن يوسف بن سَرْج ، عن رجل ، عن ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: هل تدرُون ما الشجرة الطيبة؟ قال : ابن عمر: فأردت أنْ أقول « هى النخلة »، فمنعنى مكان عُمَر ، فقالُوا: الله ورسوله أعلم ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هى النَّخْلة.(١)

٢٠٦٩٨ - حدثنا الحسن قال، حدثنا يحيى بن حماد قال، حدثنا عبدالعزيز قال ، حدثنا عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا لأصحابه : إن شجرةً من الشجر لا تَطرحُ ورقَها مثل المؤمن ؟ قال : فوقع الناس فى شجر البَدْو ، ووقع فى قلبى أنها النخلة ، فاستحييت ، حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هى النخلة .(٢)

٢٠٦٩٩ - حدثنا الحسن قال، حدثنا عاصم بن على قال ، حدثنا عبدالعزيز ابن مسلم القسملى قال ، حدثنا عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إنّ من الشجر شجرةً لا يسقط ورَقها ، وهى مثل ١٣/١٣٨

---

(١) الأثر : ٢٠٦٩٧ - « سليمان » ، هو « سليمان بن طرخان التيمى » ، مضى مراراً كثيرة .

و « يوسف بن سرج » ، بالجيم ، نص على ذلك عبد الغنى ، فى المؤتلف والمختلف : ٦٩ ، والذهبى فى المشتبه : ٣٥٦ ، روى حديثاً مرسلا ، روى عنه سليمان التيمى ، مترجم فى الكبير للبخارى ٤/٢/٣٧٣ وابن أبى حاتم ٤/٢/٢٢٣ : وكأنهما أشارا إلى هذا الخبر .

وكان فى المطبوعة هنا : « سرح » بالحاء ، وكذلك فى المخطوطة ، وإن كانت تغفل أحياناً بعض النقط .

(٢) الأثر : ٢٠٦٩٨ - « عبد العزيز » ، هو « عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلمة الماجشون » ، أحد الأعلام ، روى له الجماعة ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ٣/٢/١٣ ، وابن أبى حاتم ٢/٢/٣٨٦ .

وهذا الخبر رواه أحمد فى مسنده : ٦٠٥٢ ، من طريق عبد العزيز الماجشون ، عن عبد الله ابن دينار ، مطولا ، ورواه من طريق مالك » عن عبد الله بن دينار ، مطولا : ٥٢٧٤ . ورواه البخارى فى صحيحه من هذه الطريق (الفتح ١ : ٢٠٣) ، ورواه من طريق إسماعيل بن جعفر ، عن عبد الله بن دينار (الفتح ١ : ١٣٣ ، ١٣٤) ، ومن طريق سليمان بن بلال عن عبد الله (الفتح ١ : ١٣٦) . ورواه مسلم فى صحيحه (١٧ : ١٥٣) من طريق إسماعيل بن جعفر ، عن عبد الله .

وانظر التعليق على الخبر التالى .

المؤمن ؛ فحدثونى ما هى ؟ فذكر نحوه .(١)

٢٠٧٠٠ – حدثنا الحسن قال ، حدثنا على، قال ، حدثنا يحيى بن سعيد قال ، حدثنا عبيد الله قال ، حدثنى نافع ، عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخبرونى بشجرة كمثل الرجل المسلم ، تُؤتى أكلها كل حين، لا يتحاتُّ وَرَقُها ؟ قال : فوقع فى نفسى أنها النَّخلة ، فكرهت أن أتكلم وثَمَّ أبو بكر وعمر ، فلما لم يتكلموا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هى النخلة .(٢)

٢٠٧٠١ – حدثنا الحسن قال، حدثنا محمد بن الصباح قال ، حدثنا إسمعيل ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، نحوه .(٣)

* * *

واختلف أهل التأويل فى معنى « الحين » الذى ذكر الله جل وعز فى هذا الموضع فقال : « تؤتى أكلها كلَّ حِين بإذن ربِّها » .

فقال بعضهم : معناه : تؤتى أكلَها كلَّ غَداةٍ وعَشِيَّة .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٧٠٢ – حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا أبو معاوية قال ، حدثنا

---

(١) الأثر : ٢٠٦٩٩ – « عبد العزيز بن مسلم القسملى » ، صالح الحديث ثقة ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ٣/٢/٢٨ ، وابن أبى حاتم ٢/٢/٣٩٤ ، وهذه طريق أخرى للخبر السالف .

(٢) الأثر : ٢٠٧٠٠ – « يحيى بن سعيد بن فروخ » ، القطان، الحافظ ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً كثيرة .

و « عبيد الله » ، هو « عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب » ، مضى مراراً .

وهذا حديث صحيح رواه البخارى فى صحيحه (الفتح ١ : ٢٨٦) مطولا ، من طريق عبيد بن إسماعيل عن أبى أسامة ، عن عبيد الله بن عمر ، ورواه مسلم فى صحيحه (١٧ : ١٥٥) عن أبى بكر بن أبى شيبة ، عن أبى أسامة .

وسيأتى من طريق أخرى .

(٣) الأثر : ٢٠٧٠١ – « محمد بن الصباح الدولابى » ، البزاز ، روى له الجماعة ، مضى برقم : ٢٠٥١٤ .

و « إسماعيل » ، هو « إسماعيل بن زكريا الخلقانى الأسدى » ، لقبه « شقوصا » ، روى له الجماعة ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ١/١/٣٥٥ ، وابن أبى حاتم ١/١/١٧٠ .

الأعمش، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس قال : « الحين » ، قد يكون غُدْوَة وَعشيّة .

٢٠٧٠٣ – حدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا محمد بن عبيد قال، حدثنا الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس في قوله : « تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها » ، قال : غُدْوةً وعشيّةً .

٢٠٧٠٤ – حدثنا ابن بشار قال، حدثنا يحيى قال ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، مثله .

٢٠٧٠٥ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن أبي عدى ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، بمثله .

٢٠٧٠٦ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا طلق ، عن زائدة ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، مثله .

٢٠٧٠٧ – حدثنا الحسن قال، حدثنا على بن الجعد قال ، حدثنا شعبة عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس في قوله : « تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها » ، قال: بُكْرَة وعشيًّا .

٢٠٧٠٨ – حدثنا أحمد قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا شريك ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس : « تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها » ، قال : بكرة وعشية

٢٠٧٠٩ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها » ، قال : يذكر الله كلّ ساعة من الليل والنهار .

٢٠٧١٠ – حدثنا الحسن قال، حدثنا عفان قال ، حدثنا أبو كدينة قال ، حدثنا قابوس ، عن أبيه، عن ابن عباس: « تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها » ، قال : غدوة وعشية .

٢٠٧١١ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال . حدثنا عبد الرحمن ابن مغراء ، عن جويبر ، عن الضحاك في قوله: « تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها » ، قال : المؤمن يطيع الله بالليل والنهار وفي كل حين .

٢٠٧١٢ - حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه، عن الربيع بن أنس: « تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها» ، يصعَدُ عمله أولَ النهار وآخره .

٢٠٧١٣ - حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس : « تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها » ، قال : يصعد عمله غُدوة وعشيَّة .

٢٠٧١٤ - حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ قال ، أخبرنا عبيد ابن سليمان قال، سمعت الضحاك يقول في قوله : « تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها »، قال: تخرج ثمرتها كُلَّ حين. وهذا مثلُ المؤمن يعمل كل حين ، كل ساعة مِن النهار وكل ساعة من الليل ، وبالشتاء والصيف ، بطاعة الله .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك تؤتي أكلها كل ستة أشهر ، من بين صِرَامها إلى حَمْلها .(١)

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٧١٥ - حدثنا محمد بن بشار قال، حدثنا يحيى قال ، حدثنا سفيان ، عن طارق بن عبد الرحمن ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : « الحين »، ستة أشهر .

٢٠٧١٦ - حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية قال ، أخبرنا أيوب قال ، قال عكرمة: سُئلت عن رجل حلَف أن لا يصنع كذا وكذا إلى حين ؟ فقلت:

---

(١) « صرام النخل » ، بكسر الصاد ، هو قطع الثمرة واجتناؤها من النخلة .

إن من الحين حيناً يُدْرَك ، ومن الحين حيناً لا يُدْرَك ، فالحين الذى لا يدرك قوله : ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ ، [سورة ص : ٨٨] ، والحين الذى يدرك ، « تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها » ، قال : وذلك من حين تُصْرَم النخلة إلى حين تُطْلِعُ ، (١) وذلك ستّة أشهر . ١٣/١٣٩

٢٠٧١٧ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن الأصبهانى ، عن عكرمة قال : « الحين » ، ستة أشهر . (٢)

٢٠٧١٨ - حدثنا الحسن قال ، حدثنا سعيد بن منصور قال ، حدثنا خالد ، عن الشيبانى ، عن عكرمة فى قوله : « تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها » ، قال : هى النخلة ، و « الحين » ، ستة أشهر .

٢٠٧١٩ - حدثنا أبو كريب قال ، حدثنا كثير بن هشام قال ، حدثنا جعفر قال ، حدثنا عكرمة : « تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها » ، قال : هو ما بين حَمْل النخلة إلى أن تُجِدّ . (٣)

٢٠٧٢٠ - حدثنى المثنى قال ، حدثنا قبيصة بن عقبة قال ، حدثنا سفيان قال ، قال عكرمة : الحين ستة أشهر .

٢٠٧٢١ - حدثنا أحمد قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا قيس ، عن طارق بن عبد الرحمن ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أنه سئل عن رجل حلَف أن لا يكلم أخاه حيناً ؟ قال : الحينُ ستة أشهر . ثم ذكر النخلةَ ، ما بينَ حملها إلى صِرامها ستّة أشهر .

---

(١) « أطلع النخل يطلع إطلاعاً » ، أخرج طلعه .

(٢) الأثر : ٢٠٧١٧ - « سفيان » ، هو « الثورى مضى مراراً .
و « ابن الأصبهانى » ، هو « عبد الرحمن بن عبد الله بن الأصبهانى » ، روى له الجماعة . روى عن أنس وأبى حازم وعكرمة وغيرهم . مترجم فى التهذيب ، وانظر رقم ٢٠٧٢٥ .

(٣) الأثر : ٢٠٧١٩ - « كثير بن هشام الكلابى » ، ثقة صدوق ، مضى برقم : ١٢٦٤٨ .
و « جعفر » ، هو « جعفر بن برقان الكلابى » ، ثقة ، مضى برقم : ٤٥٧٧ .
وكان فى المطبوعة : « إلى أن تحرز » ، وفى المخطوطة مثلها غير منقوط ، ورجحت أن الصواب « تجد » ، من : « جد النخل يجده جداً ، وجد اداً » ، صرمه . و « أجد النخل » ، حان له أن يجد .

٢٠٧٢٢ - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع، عن سفيان، عن طارق، عن سعيد بن جبير : « تؤتى أكلها كل حين »، قال : ستة أشهر.

٢٠٧٢٣ - حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قال : « تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها »، والحين ما بين السبعة والستة، وهي تُؤْكَلُ شتاءً وصيفًا.

٢٠٧٢٤ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر قال، قال الحسن : ما بين الستة الأشهر والسبعة، يعني الحين.

٢٠٧٢٥ - حدثنا ابن بشار قال، حدثنا عبد الرحمن قال، حدثنا سفيان، عن عبد الرحمن بن الأصبهاني، عن عكرمة قال : الحينُ ستة أشهر.

* * *

وقال آخرون : بل « الحين » ههنا سنة.

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٧٢٦ - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع، عن أبي مكين، عن عكرمة : أنه نذر أن يقطعَ يدَ غلامه أو يحبسه حينًا.(١) قال : فسألني عمر بن عبد العزيز، قال فقلت : لا تُقْطع يدُه، ويحبسه سنة. والحين سَنَة. ثم قرأ : ﴿ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ ﴾، [سورة يوسف : ٣٥]، وقرأ : « تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها » = حدثنا أبو كريب قال، حدثنا وكيع قال، وزاد أبو بكر الهذلي، عن عكرمة قال : قال ابن عباس : « الحين »، حينان، حين يعرف وحين لا يعرف، فأما الحين الذي لا يُعرف : ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ [سورة ص : ٨٨]، وأما الحين الذي يعرف فقوله : « تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ».

---

(١) في المطبوعة : « إن نذر » خطأ.

٢٠٧٢٧ - حدثنا ابن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة قال : سألت حماداً والحكم عن رجل حلف أن لا يكلم رجلاً إلى حين ؟ قال : الحينُ سنة .

٢٠٧٢٨ - حدثنا محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى = ح وحدثني الحارث قال، حدثنا الحسن قال، حدثنا ورقاء = ح وحدثنا الحسن بن محمد قال، حدثنا شبابة قال، حدثني ورقاء = ح وحدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل= ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : « كل حين » ، قال : كل سنة .[1]

٢٠٧٢٩ - حدثني يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله : « تؤتي أكلها كل حين » ، قال : كل سنة .

٢٠٧٣٠ - حدثنا أحمد قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سلام ، عن عطاء بن السائب ، عن رجل منهم[2] : أنه سأل ابن عباس فقال : حلفت أن

---

(١) في المخطوطة هنا ختام ، كأنه كان آخر تجزئة سابقة نقلت عنها مخطوطتنا ، وهذا نص ما فيها :

« يتلوهُ إن شاء الله تعالى حدثني يونس قال ،
أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد في قوله :
(تؤتي أُكُلها كُلَّ حِين) قال : كُلَّ سنة .
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم » .

وبعده في أول الجزء :

« بسم الله الرحمن الرحيم
رب يسِّر
قال أبو جعفر ، حدثني يونس . . . »

(٢) في المطبوعة : « عن رجل مبهم » ، لم يعرف معنى المخطوطة ، وقوله : « رجل منهم » ، أي من ثقيف ، رهط عطاء بن السائب .

لا أكلم رجلاً حيناً ؟ فقرأ ابن عباس : « تؤتى أكلها كل حين » ، فالحين سنة .

٢٠٧٣١ - حدثنا أحمد قال حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا ابن غسيل ، عن عكرمة قال : أرسل إلىّ عمر بن عبد العزيز فقال : يا مولى ابن عباس ، إنى حلفت أن لا أفعل كذا وكذا ، حيناً ، فما الحين الذى تعرف به ؟ قلت : إنّ من الحين حيناً لا يدرك ، ومن الحين حينٌ يُدرك ، فأما الحين الذى لا يُدرك فقول الله : ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ [سورة الإنسان : ١] ، والله ما يدرى كم أتى له إلى أن خُلِق ، وأما الذى يُدرك فقوله : « تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها » ، فهو ما بين العام إلى العام المُقْبِل . فقال : أصبت يا مولى ابن عباس ، ما أحسن ما قلت .(١)

٢٠٧٣٢ - حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا جرير ، عن عطاء قال : أتى رجل ابن عباس فقال : إنى نذرت أن لا أكلم رجلاً حيناً ؟ فقال ابن عباس : « تؤتى أكلها كل حين » ، فالحين سَنَة .

* * *

وقال آخرون : بل « الحين » فى هذا الموضع شهران . ١٣/١٤٠

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٧٣٣ - حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا محمد بن مسلم الطائفى ، عن إبراهيم بن ميسرة قال : جاء رجل إلى سعيد بن المسيب فقال : إنى حلفت أن لا أكلم فلاناً حيناً ؟ [فقال : قال الله تعالى : « تؤتى أكلها كلّ حين بإذن ربها »] .(٢) قال : هى النخلة ، لا يكون منها أُكُلُها إلا شهرين ، فالحين شهران .

---

(١) الأثر : ٢٠٧٣١ - « ابن غسيل » ، والأجود أن يقال « ابن الغسيل » ، وهو « عبد الرحمن ابن سلمان بن عبد الله بن حنظلة الأنصارى » ، يعرف بابن الغسيل ، وهو جده حنظلة بن أبى عامر ، غسيل الملائكة . مضى برقم : ٥١٢٣ ، ٧٧٧٧ . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « ابن عسيل » ، بالعين المهملة .

(٢) ما بين القوسين فى المطبوعة ، وساقط من المخطوطة ، فلم أحذفها لحسن موقعها .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب قولُ من قال : عنى بالحين ، فى هذا الموضع ، غدوةً وعشيةً ، وكلَّ ساعة ،[1] لأن الله تعالى ذكره ضَرَب ما تؤتى هذه الشجرة كلَّ حين من الأكل لعمل المؤمن وكلامِه مثلاً ، ولا شك أن المؤمن يُرْفع لهُ إلى الله فى كلّ يوم صالحٌ من العمل والقول، لا فى كل سنة ، أو فى كل ستة أشهر ، أو فى كل شهرين . فإذْ كان ذلك كذلك ، فلا شك أن المَثَل لا يكون خِلافًا للممثَّل به فى المعنى . وإذا كان ذلك كذلك، كان بيِّنًا صحةُ ما قلنا .

فإن قال قائل : فأىُّ نخلة تؤتى فى كل وقت أكلاً صيفًا وشتاء ؟ قيل : أما فى الشتاء، فإن الطَّلْع من أكُلها، وأما فى الصيف فالبَلَح والبُسْرُ والرُّطَب والتَّمرُ ، وذلك كله من أكلها .

* * *

وقوله : « تؤتى أكلها » ، فإنّه كما : —

٢٠٧٣٤ — حدثنا به محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها »، قال: يؤكل ثمرها فى الشتاء والصيف .

٢٠٧٣٥ — حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : « تؤتى أكلها كل حين » ، قال: هى تؤكل شتاء وصيفًا .

٢٠٧٣٦ — حدثنى المثنى قال، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس : « تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها » ، يصعد عملُه ، يعنى عَمل المؤمن مِن أوّل النهار وآخره .

---

(١) انظر تفسير « الحين » فيما سلف ١ : ٥٤٠/١٢ : ٣٥٩/١٦ : ٩٢ : ٩٤ .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ (٢٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ومثل الشِّرك بالله، وهى « الكلمة الخبيثة »، [١] = « كشجرة خبيثة » .

* * *

اختلف أهل التأويل فيها أىّ شجرة هى ؟

فقال أكثرهم : هى الحنظل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٧٣٧ — حدثنا محمد بن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة، عن معاوية بن قرة قال : سمعت أنس بن مالك قال فى هذا الحرف : « ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة » ، قال : الشَّرْيان : فقلت : ما الشَّرْيان ؟ قال رجل عنده : الحنظلُ ، فأقرَّ به معاوية . [٢]

٢٠٧٣٨ — حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا شبابة قال ، أخبرنا شعبة ، عن معاوية بن قرة قال : سمعت أنس بن مالك يقول : « ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة » ، قال : الحنظل . [٣]

٢٠٧٣٩ — حدثنا الحسن قال ، حدثنا عمرو بن الهيثم قال ، حدثنا شعبة ، عن معاوية بن قرة ، عن أنس بن مالك قال : الشَّرْيَان ، يعنى الحنظل .

٢٠٧٤٠ — حدثنا أحمد بن منصور قال ، حدثنا نعيم بن حماد قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن ابن جريج ، عن الأعمش ، عن حبان بن شعبة ،

---

(١) انظر تفسير « الخبيث » فيما سلف ١٣ : ١٦٥ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .
(٢) الأثر : ٢٠٧٣٧ — انظر الأثر السالف : ٢٠٦٧٤ ، فهو من تمامه .
(٣) الأثر : ٢٠٧٣٨ — انظر الأثر السالف : ٢٠٦٧٦ فهو من تمامه .

عن أنس بن مالك في قوله : « كشجرة خبيثة » ، قال : الشَّرْيان . قلت لأنس : ما الشَّريان ؟ قال: الحنظل .(١)

٢٠٧٤١ – حدثني يعقوب قال، حدثنا ابن علية قال ، حدثنا شعيب قال : خرجت مع أبي العالية نريد أنس بن مالك ، فأتيناه ، فقال : « ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة » ، تلكم الحنظل .(٢)

٢٠٧٤٢ – حدثنا الحسن قال، حدثنا إسمعيل بن إبراهيم ، عن شعيب بن الحبحاب ، عن أنس ، مثله .

٢٠٧٤٣ – حدثني المثنى قال ، حدثنا آدم العسقلاني قال ، حدثنا شعبة قال ، حدثنا أبو إياس ، عن أنس بن مالك قال: « الشجرة الخبيثة » ، الشَّرْيَان . فقلت : ومَا الشَّرْيَان ؟ قال : الحنظل .

٢٠٧٤٤ – حدثني المثنى قال ، حدثنا الحجاج قال ، حدثنا حماد ، عن شعيب، عن أنس قال : تلكم الحنظل .(٣)

٢٠٧٤٥ – حدثني المثنى قال ، حدثنا الحجاج قال ، حدثنا مهدى بن ميمون ، عن شعيب قال ، قال أنس : « ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة » ، الآية ، قال : تلكم الحنظل، ألم تَرَوْا إلى الرِّياح كيف تُصَفِّقُها يمينًا وشمالاً؟(٤)

٢٠٧٤٦ – حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن

---

(١) الأثر : ٢٠٧٤٠ – « حبان بن شعبة » بالباء الموحدة، هكذا جاء في المطبوعة والمخطوطة ، وهي غير منقوطة . وفي الدر المنثور ٤ : ٧٧ « حيان » بالياء المثناة ، ولم أجد هذا الاسم في مكان ، بعد طول البحث، وأقرب ما وجدت أن يكون هو « حيان ، أبو سعيد التيمي » ، روى عنه الأعمش . ولكني لم أجده ذكر أنه روى عن أنس بن مالك . مترجم في الكبير ٢/١/٥٥ ، وابن أبي حاتم ١/٢/٢٤٧ . وأزيد أني في شك من رواية « ابن جريج » ، عن « الأعمش » .

(٢) الأثر : ٢٠٧٤١ – هو من تتمة الأثر السالف : ٢٠٦٧٧ .

(٣) الأثر : ٢٠٧٤٤ – هو من تتمة الأثر السالف : ٢٠٦٨٠ .

(٤) الأثر : ٢٠٧٤٥ – هو من تتمة الأثر السالف : ٢٠٦٨١ .

ويقال : « صفقت الريح الشيء » ، إذا قلبته يميناً وشمالا ، فاضطرب وتردد .

ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : « كشجرة خبيثة » ، الحنظلة .

* * *

وقال آخرون : هذه الشجرة لم تُخْلَق على الأرض .

* ذكر من قال ذلك :

١٤١/١٣ ٢٠٧٤١ – حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني قال ، حدثنا عفان قال ، حدثنا أبو كدينة قال ، حدثنا قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس : « ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار » ، قال : هذا مثل ضربه الله ، ولم تخلق هذه الشجرةُ على وجه الأرض .(١)

* * *

وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتصحيح قول من قال : هي الحنظلة ، خبرٌ . فإن صحَّ ، فلا قولَ يجوز أن يقال غيرُه ، وإلاّ فإنها شجرة بالصِّفة التي وصفها الله بها .

* * *

* ذكر الخبرُ الذي ذكرناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

٢٠٧٤٨ – حدثنا سَوَّار بن عبد الله قال ، حدثنا أبي قال ، حدثنا حماد ابن سلمة ، عن شعيب بن الحبحاب ، عن أنس بن مالك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ومثل كَلِمة خبيثةٍ كشجرة خبيثة اجْتُثَّت من فوق الأرض ما لها من قَرار » ، قال : هي الحنظلة = قال شعيب : وأخبرت بذلك أبا العالية فقال : كذلك كانوا يقولون .(٢)

* * *

---

(١) الأثر : ٢٠٧٤٧ – هو من تمام الأثر السالف : ٢٠٦٩٥ .

(٢) الأثر : ٢٠٧٤٨ – سلف قول الترمذي أن هذا الخبر لم يرفعه غير حماد بن سلمة ، وأن الموقوف أصح . انظر ما سلف في التعليق على الآثار : ٢٠٦٧٧ – ٢٠٦٨١ . وهذا الأثر من تمام الأثر السالف : ٢٠٦٧٩ .

وقوله : « اجْتُثَّت من فوق الأرض »، يقول : استُؤْصِلت . يقال منه : « اجتثَثْتُ الشيء ، أجْتَثُّه اجتثاثًا » ، إذا استأصلتَه .

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٧٤٩ — حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : « اجتثت من فوق الأرض » ، قال: استؤصلت من فوق الأرض .

* * *

= « ما لها من قرار » ، يقول: ما لهذه الشجرة من قَرار ولا أصل فى الأرض تثْبُت عليه وتقوم . وإنما ضُرِبت هذه الشجرة التى وصَفها الله بهذه الصفة لكُفر الكافر وشركِه به مثلاً . يقول : ليس لكُفر الكافر وعَمَله الذى هو معصيةُ الله فى الأرض ثباتٌ ، ولا لَه فى السماء مَصْعَدٌ ، لأنه لا يَصْعَد إلى الله منه شيء .

* * *

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٧٥٠ — حدثنى محمد بن سعد قال ، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله: « ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار » ،ضرب الله مثل الشجرة الخبيثة كمثل الكافر . يقول : إن الشجرة الخبيثة اجتُثّت من فوق الأرض مالها من قَرار . يقول : الكافر لا يُقْبَل عمله ولا يصعَدُ إلى الله ، فليس له أصل ثابتٌ فى الأرض، ولا فرعٌ فى السماء . يقول: ليس له عمل صَالحٌ فى الدنيا ولا فى الآخرة.

٢٠٧٥١ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة : قوله : « ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتُثَّت من فوق الأرض ما لها من قرار » ، قال قتادة : إن رجلاً لقى رجلاً من أهل العلم فقال : ما تقول فى « الكلمة الخبيثة » ، فقال : ما أعلم لها فى الأرض مستقرًّا ، ولا فى السماء مَصْعَداً ، إلا أن تَلْزَم عُنُقَ صاحبها حتى يوافى بها القِيامة .(١)

٢٠٧٥٢ – حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبى العالية : أن رجلاً خالجت الريحُ رداءَه فلعنها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تَلْعنها ، فإنها مأمورة ، وإنه من لَعن شيئًا ليس له بأهلٍ رَجعت اللَّعنةُ على صاحبها .(٢)

٢٠٧٥٣ – حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثنى حجاج ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس : « ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة » ، قال : هذا الكافر ليس له عمل فى الأرض ، ولا ذكرٌ فى السماء = « اجتُثت من فوق ما لها من قرار » ، قال : لا يصعد عمله إلى السماء ، ولا يقوم على الأرض . فقيل : فأين تكون أعمالهم ؟ قال : يَحْمِلون أوزارهم على ظُهورهم .

---

(١) فى المطبوعة ، زاد فقال : « يوم القيامة » .

(٢) الأثر : ٢٠٧٥٢ – أخرجه الترمذى فى كتاب البر والصلة ، باب ما جاء فى اللعنة : رواه عن زيد بن أخزم الطائى البصرى ، حدثنا بشر بن عمر ، حدثنا أبان بن يزيد ، عن قتادة ، عن أبى العالية ، عن ابن عباس : أن رجلا لعن الريح عند النبى صلى الله عليه وسلم » . وقال الترمذى : « هذا حديث حسن غريب ، لا نعلم أحداً أسنده غير بشر بن عمر » .

و « بشر بن عمر بن الحكم الزهرانى » ، ثقة ، روى له الجماعة ، سلف برقم : ٣٣٧٥ ، ١٥٠٥٤ ، ورواه أبو داود فى سننه ٤ : ٣٨٢ ، من طريقين : من طريق مسلم بن إبراهيم ، عن أبان بن يزيد العطار ، عن قتادة ، ومن طريق : زيد بن أخزم الطائى ، عن بشر بن عمر ، عن أبان بن يزيد عن قتادة ، وهذا هو طريق الترمذى . ويتبين من الطريق الأولى أن الذى أسنده هو « أبان بن يزيد العطار » ، وهو ثقة ، وقال الحافظ ابن حجر : « لم يذكره أحد ممن صنف فى رجال البخارى من القدماء ، ولم أر له عنده إلا أحاديث معلقة فى الصحيح » ، فمن قبل أبان جاءت غرابته .

وقوله : « خالجت الريح رداءه » بمعنى نازعته رداءه . و « مأمورة » ، أى مسخرة بأمر الله غير مريدة لما تفعل . وقوله : « ليس له بأهل » ، أى ليس للعن بمستحق ، يقال : « هو أهل ذاك ، وأهل لذاك » .

٢٠٧٥٤ – حدثنا أحمد بن إسحق قال ، حدثنا أبو أحمد قال حدثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية العوفي : « ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض » ، قال : مثل الكافر ، لا يصعَد له قولٌ طيب ولا عملٌ صالح .

٢٠٧٥٥ – حدثني المثنى قال ، حدثنا عبد الله بن صالح قال ، حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قال : « ومثل كلمة خبيثة » ، وهي الشرك = « كشجرة خبيثة » ، يعني الكافر . قال : « اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار » ، يقول : الشرك ليس له أصلٌ يأخذ به الكافرُ ولا برهانٌ ، ولا يقبل اللهُ مع الشرك عملاً .

٢٠٧٥٦ – حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحق قال ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : « ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة » ، قال : ١٤٢/١٣
مثل الشجرة الخبيثة مثل الكافر ليس لقوله ولا لعمله أصلٌ ولا فرع ، ولا قوله ولا عمله يستقرُّ على الأرض ولا يصعد إلى السماء .

٢٠٧٥٧ – حدثت عن الحسين قال ، سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد ابن سليمان قال ، سمعت الضحاك يقول : ضربَ الله مثلَ الكافر : « كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار » ، يقول : ليس لها أصلٌ ولا فرع ، وليست لها ثمرة ، وليست فيها منفعة ، كذلك الكافر ليس يعمل خيراً ولا يقوله ، ولم يجعل الله فيه بركةً ولا منفعةً .

* * *

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ (٢٧)

قال أبو جعفر : يعنى تعالى ذكره بقوله : « يثبت الله الذين آمنوا » ، يحقق الله أعمالَهم وإيمانهم[1] = « بالقول الثابت » ، يقول : بالقول الحق ، وهو فيما قيل : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأنّ محمدًا رسول الله .

* * *

وأما قوله : « فى الحياة الدنيا » ، فإن أهل التأويل اختلفُوا فيه .

فقال بعضهم : عنى بذلك أن اللهُ يثبّتهم فى قبورهم قبلَ قيام الساعة .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٧٥٨ — حدثنى أبو السائب سَلْم بنُ جُنَادة قال، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن سَعْد بن عُبَيْدَة ، عن البَراء بن عازب فى قوله : « يثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا » ، قال : التثبيت فى الحياة الدنيا ، إذا أتاه الملَكان فى القبر فقالا له : من ربك ؟ فقال : ربّى الله . فقالا له : ما دينك ؟ قال : دينىَ الإسلام . فقالا ، له : مَن نبيك ؟ قال : نبيِّى محمدٌ صلى الله عليه وسلم . فذلك التثبيت فى الحياة الدنيا.[2]

---

(١) انظر تفسير « التثبيت» فيما سلف ١٥ : ٥٣٩ ، تعليق : ٤ ، والمراجع هناك .

(٢) الأثر : ٢٠٧٥٨ — حديث البراء بن عازب رضى الله عنه ، رواه أبو جعفر بأربعة عشر إسناداً فى هذا الموضع ، فأحببت أن أجمعها ، وأفصلها ، لتسهل مراجعتها ، ولا يتبعثر القول فيها ، ويسهل تخريجها ويستبين . فالحديث عن البراء مروى من ثلاث طرق :

١ — طريق سعد بن عبيدة ، عن البراء .

٢ — طريق زاذان ، عن البراء .

٣ — طريق خيثمة ، عن البراء .

٢٠٧٥٩ – حدثنا أبو كريب قال، حدثنا جابر بن نوح، عن الأعمش، عن سعد بن عُبَيْدة، عن البراء بن عازب، بنحو منه في المعنى .(١)

٢٠٧٦٠ – حدثني عبد الله بن إسحق الناقد الواسطي قال، حدثنا وهب ابن جرير قال، حدثنا شعبة، عن علقمة بن مَرْثَد، عن سعد بن عبيدة، عن البراء قال : ذكر النبيّ صلى الله عليه وسلم المؤمنَ والكافرَ، فقال : إن المؤمن إذا سئل في قبره قال : ربّي الله، فذلك قوله : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابتِ في الحياة الدنيا وفي الآخرة» .(٢)

فعند بدء كل طريق، أذكر طرق إسناده مفصلة إن شاء الله، وهذه أوان بيان الطريق الأولى :

(١) طريق سعد بن عبيدة عن البراء .

رواه أبو جعفر من طريقين :

١ – من طريق الأعمش، عن سعد بن عبيدة .

٢ – من طريق علقمة بن مرثد، عن سعد بن عبيدة .

(١) طريق الأعمش، عن سعد بن عبيدة .

١ – من طريق أبي معاوية، عن الأعمش برقم : : ٢٠٧٥٨ .

٢ – من طريق جابر نوح، عن الأعمش برقم : ٢٠٧٥٩ .

(١) وطريق أبي معاوية، هو هذا الإسناد الأول، وهذا بيانه :

« أبو السائب »، « سلم بن جنادة بن خالد السوائي »، شيخ أبي جعفر، روى عنه البخاري خارج الصحيح، شيخ صدوق، قال البرقاني : « ثقة حجة لا شك فيه، يصلح للصحيح »، مضى مراراً آخرها رقم : ٨٣٩٥ .

و « أبو معاوية »، هو « محمد بن خازم التميمي السعدي »، روى له الجماعة، ثقة في حديث الأعمش، مضى مراراً، آخرها رقم : ١٧٧٢٢ .

و « سعد بن عبيدة »، كان في المخطوطة في جميع مواضعه « سعيد »، وهو خطأ .

فهذا حديث صحيح الإسناد، لم أجده عند غير أبي جعفر، من هذه الطريق .

(١) الأثر : ٢٠٧٥٩ – الإسناد التالي انظر التعليق السالف .

(٢) طريق جابر بن نوح، عن الأعمش

و « جابر بن نوح الحماني »، ضعيف الحديث، قال ابن معين ليس حديثه بشيء .

فالخبر من هذه الطريق ضعيف الإسناد، ولم أجده عند غير أبي جعفر، والصحيح هو الإسناد السالف .

(٢) الأثر : ٢٠٧٦٠ – هذه هي الطريق الثانية، عن سعد بن عبيدة، عن البراء .

(٢) طريق علقمة بن مرثد، عن سعد بن عبيدة .

١ – طريق شعبة، عن علقمة بن مرثد .

رواه أبو جعفر، من ثلاث طرق، هذا أولها،

(١) عن وهب بن جرير، عن شعبة، ٢٠٧٦٠، (٢) وعن هشام بن عبد الملك، عن شعبة : ٢٠٧٦١ . (٣) وعن عفان، عن شعبة : ٢٠٧٧٣ .

وهاك بيان الطريق الأولى في هذا الخبر .

٢٠٧٦١ – حدثنا محمد بن المثنى قال، حدثنا هشام بن عبد الملك قال، حدثنا شعبة قال، أخبرني علقمة بن مرثد قال، سمعت سعد بن عُبيدة، عن البراء بن عازب : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن المسلم إذا سئل في القبر فيشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. قال : فذلك قوله : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ».(١)

٢٠٧٦٢ – حدثني الحسين بن سَلَمة بن أبي كَبْشة، ومحمد بن معمر البَحْراني = واللفظ لحديث ابن أبي كبشة = قالا، حدثنا أبو عامر عبد الملك ابن عمرو قال، حدثنا عبّاد بن راشد، عن داود بن أبي هند، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فقال :

« عبد الله بن إسحاق الناقد الواسطي »، شيخ الطبري، لم أجد له ترجمة، وقد روى عنه في تاريخ الصحابة (انظر ذيل المذيل / تاريخ الطبري ١٣ : ٦١)

و « وهب بن جرير بن حازم الأزدي »، الحافظ، روى له الجماعة، مضى برقم : ٢٨٥٨، ٤٣٤٦، ٥٤١٨، ١٤١٥٧. ولم أجد الخبر فيما بين يدي من طريق وهب بن جرير، عن شعبة. ولكن حديث شعبة، عن علقمة، رواه الأئمة :

فرواه أحمد في مسنده ٤ : ٢٨٢ عن طريق عفان، عن شعبة، وهو الذي رواه أبو جعفر برقم : ٢٠٧٧٣. ثم رواه في مسنده ٤ : ٩١، من طريق محمد بن جعفر غندر، عن شعبة. وسيأتي في رواية أصحاب الكتب.

رواه البخاري في صحيحه (الفتح ٣ : ١٨٤) من طريق حفص بن عمر، عن شعبة، من طريق محمد بن جعفر، غندر، عن شعبة. ثم رواه (الفتح ٨ : ٢٨٦)، من طريق أبي الوليد الطيالسي، هشام بن عبد الملك الباهلي، وهو الذي رواه أبو جعفر برقم : ٢٠٧٦١، كما سيأتي.

ورواه مسلم في صحيحه (١٧ : ٢٠٤) من طريق محمد بن جعفر، غندر، عن شعبة.
ورواه أبو داود في سننه ٤ : ٣٢٩. من طريق أبي الوليد الطيالسي، عن شعبة.
ورواه النسائي في سننه ٤ : ١٠١، من طريق محمد بن جعفر غندر، عن شعبة.
ورواه الترمذي في سننه في التفسير، من طريق أبي داود الطيالسي، عن شعبة.
ورواه ابن ماجة في سننه : ١٤٢٧ من طريق محمد بن جعفر غندر، عن شعبة.
وهو حديث صحيح.

(١) الأثر : ٢٠٧٦١ – هو مكرر الأثر السالف.
« هشام بن عبد الملك الباهلي »، « أبو الوليد الطيالسي »، روى له الجماعة، مضى مراراً كثيرة.
ومن طريق أبي الوليد، عن شعبة رواه البخاري، وأبو داود، كما سلف في تخريج الذي قبله.
وكان في المطبوعة : « إذا سئل في القبر يشهد »، كما في رواية البخاري، ورواية أبي داود : « فشهد »، وأثبت ما في المخطوطة، وكل صواب.
وكان في المخطوطة هنا « سعيد »، مكان « شعبة »، وهو تصحيف فاحش.

يا أيها الناس ، إن هذه الأمة تبتلى فى قُبورها ، فإذا الإنسان دُفِن وتفرَّق عنه أصحابه ، جاءه ملك بيده مِطْراقٌ فأقعده فقال : ما تقولُ فى هذا الرجل ؟ فإن كان مؤمناً قال : أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبدُه ورسوله . فيقول له : صدقْتَ . فيفتح له بابٌ إلى النار فيقال : هذا منزلك لو كفرتَ بربّك ، فأما إذْ آمنت به فإن الله أبدَلك به هذا . ثم يفتح له بابٌ إلى الجنة ، فيريد أن ينْهَضَ له ، فيقال له : اسكُنْ . ثم يُفْسَح له فى قبره . وأما الكافِر أو المنافق فيقال له : ما تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول : ما أدرى ! فيقال له : لاَ دَرَيْتَ ولا تَدَرَّيتَ ولا اهتديتَ ! ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقال له : هذا كان منزلك لو آمنت بربك ، فأما إذْ كفرت ، فإن الله أبدَلك هذا . ثم يفتح له بابٌ إلى النار ، ثم يَقْمَعُه المَلَكُ بالمطراق قَمْعَةً يسمعه خَلْقُ الله كُلهم إلاّ الثقلين . قال ، بعضُ أصحابه ، يا رسولَ الله ، ما مِنَّا أحدٌ يقوم على رأسه مَلَكٌ بيده مِطْراق إلاّ هِيلَ عند ذلك ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثَّابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويُضِلُّ الله الظالمين ويفعلُ الله ما يشاء » .(١)

---

(١) الأثر : ٢٠٧٦٢ — « الحسين بن سلمة بن إسماعيل بن يزيد بن أبى كبشة الأزدى ، الطحان » شيخ الطبرى ، ثقة ، مضى برقم : ١٧٦٠٨ . وكان فى المطبوعة والمخطوطة : « الحسن بن سلمة » ، وهو خطأ .

و « محمد بن معمر البحرانى » ، شيخ الطبرى ، ثقة ، روى له الجماعة . مضى مراراً كثيرة آخرها رقم : ١٦٨٨٥

و « عبد الملك بن عمرو القيسى » ، و « أبو عامر العقدى » ، ثقة من شيوخ أحمد ، مضى مراراً ، آخرها : ١٧٦٠٨ .

و « عباد بن راشد تميمى » ، ثقة ، وليس بالقوى ، روى له البخارى مقروناً بغيره ، مضى مراراً ، آخرها : ١٧٦٠٨

و « داود بن أبى هند » ، ثقة ، مضى مراراً كثيرة .

و « أبو نضرة » ، « المنذر بن مالك بن قطعة العبدى » ، تابعى ، ثقة ، كثير الحديث ، مضى مراراً آخرها رقم : ١٥٧٩٧ — ١٥٨٠١ .

فهذا حديث صحيح الإسناد ، رواه أحمد فى مسنده ٣ : ٣ ، عن أبى عامر العقدى ، بإسناده . وخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٣ : ٤٧ ، وقال : « رواه أحمد والبزار ، ورجاله رجال الصحيح » ،

١٤٣/١٣ ٢٠٧٦٣ - حدثنا أبو كريب قال، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن زاذان ، عن البراء : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : وذكر قَبْضَ روح المؤمن : فتُعاد روحُه فى جسده ، ويأتيه مَلَكان فيجلسانه ، يعنى فى قبره ، فيقولان: مَنْ ربُّك ؟ فيقول: ربىَ الله . فيقولان : ما دينُك ؟ فيقول : دينى الإسلام . فيقولان له : ما هذا الرجلُ الذى بُعِث فيكم ؟ فيقول : هو رسولُ الله . فيقولان له : ما يدريك ؟ فيقول : قرأت كتابَ الله فآمنت به وصدّقْتُ . فينادِى مُنادٍ من السماء أنْ صَدَق عبدى .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٤ : ٨٠ ، وزاد نسبته إلى ابن أبى الدنيا فى ذكر الموت ، وابن أبى عاصم فى السنة، وابن مردويه ، والبيهقى فى عذاب القبر ، وقال: « بسند صحيح عن أبى سعيد الخدرى » . وفى لفظ الخبر بعض الخلاف .

« المطراق » ، مما لم تذكره كتب اللغة ، وهو ثابت ، فى جميع روايات الخبر ، فى المواضع التى ذكرتها ، وهو صحيح فى العربية ، ومثله « المطرق » بكسر فسكون ، ومضى فى الخبر رقم : ٢٣٨٩ ، و « المطرقة » ، ، وهى مضربة الحداد التى يطرق بها الحديد .

وقوله : « لا دريت ، ولا تدريت » ، هكذا هو فى المخطوطة ، فأثبته على ذلك ، وكان فى المطبوعة : « لا دريت ولا تليت » ، كما جاء فى جميع المراجع الآنفة . والذى فى المخطوطة مكتوب بوضوح ، لا أجده سائغاً أن يكون الناسخ صحف « تليت » إلى « تدريت » . مع شهرة الخبر . فإن صحت هذه رواية فى الخبر رواها أبو جعفر ، فإنه تكون « تَفَعَّلَ » من « دَرَى » أى طلبت الدراية ، كما تقول « علم » ، وهما سواء فى المعنى . وهى جيدة المعنى جداً .

وأما « لا دريت ولا تليت » ، فقد اختلف فى معناها . قالوا : هى من « تلوت » أى لا قرأت ولا درست من « تلا يتلو » فقالها بالياء ليعاقب بها « الياء » فى « دريت » . وكان يونس يقول : « إنما هو : « ولا أَتليت » فى كلام العرب ، معناه : أن لا تتلى إبله ، أى لا يكون لها أولاد « تتلوها ». وقال غيره : « إنما هو : لا دريت ولا اتَّليت ، على افتعلت ، من "ألوت" أى أطقت واستطعت ، فكأنه قال : لا دريت ولا استطعت » . وقال ابن الأثير : « المحدثون يرون هذا الحديث : ولا تليت ، وصوابه : « ولا ائتَلَيْت » .

وقال الزمخشرى فى الفائق (تلا) ، وذكر الخبر : « أى ، ولا اتبعت الناس بأن تقول شيئاً يقولونه . ويجوز أن يكون من قولهم : « تلا فلان تِلْوَ غير عاقِل » ، إذا عمل عمل الجهال، أى لا علمت ولا جهلت يعنى : هلكت فخرجت من القبيلتين .

وأحسب أن الذى فى التفسير ، إن صحت روايته ، أبين دلالة على المعنى مما ذهبوا إليه . هذا ، وفى رواية الخبر عند جمعهم زيادة فى هذا الموضع : « فيقول: لاأدرى ، سمعت الناس يقولون شيئاً» . وهذه رواية أحمد .

قال : فذلك قول الله عز وجل : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » .(١)

٢٠٧٦٤ – حدثنى أبو السائب قال ، حدثنا أبو معاوية قال ، حدثنا الأعمش ، عن المنهال ، عن زاذان ، عن البراء ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .(٢)

٢٠٧٦٥ – حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن زاذان ، عن البراء ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .(٣)

---

(١) الأثر : ٢٠٧٦٣ – هذه هى الطريق الثانية ، كما ذكرت فى التعليق على رقم : ٢٠٧٥٨ .

(٢) طريق زاذان ، عن البراء .

رواه أبو جعفر من طريقين مختصراً .

١ – طريق الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن زاذان .

٢ – طريق يونس بن خباب ، عن المنهال ، عن زاذان .

ثم رواه عن الأعمش من خمس طرق : عن أبى بكر بن عياش ، عن الأعمش : ٢٠٧٦٣ ، وعن أبى معاوية ، عن الأعمش : ٢٠٧٦٤ ، وعن جرير ، عن الأعمش : ٢٠٧٦٥ ، وعن ابن نمير ، عن الأعمش : ٢٠٧٦٦ ، وعن أبى عوانة ، عن الأعمش : ٢٠٧٨٠ ، ٢٠٧٨٧ .

و « المنهال بن عمرو الأسدى » . تكلموا فيه ، ووثقه جماعة ، ورجح أخى السيد أحمد رحمه الله توثيقه فى المسند ٧١٤ ، وفى الطبرى : ٣٣٧ . وقال أبو الحسن بن القطان : « كان أبو محمد بن حزم يضعف المنهال ، ورد من روايته حديث البراء » ، يعنى هذا الحديث ، ولم يخرج له البخارى ولا مسلم فى الصحيح شيئاً . وروى ابن أبى خيثمة : أن المغيرة ، صاحب إبراهيم ، (وهو المغيرة بن مقسم الضبى) ، وقف على يزيد بن أبى زياد فقال : ألا تعجب من هذا الأعمش الأحمق ، إنى نهيته أن يروى عن المنهال بن عمرو ، وعن عباية ، ففارقنى على أن لا يفعل ، ثم هو يروى عنهما ، نشدتك بالله تعالى ، هل كانت تجوز شهادة المنهال على درهمين ؟ قال : اللهم لا » ، فهذا من أشد ما يقال فيه ، ولكنه محمول إن شاء الله على مقالة المتعاصرين ، يقول بعضهم فى بعض .

و « زاذان » ، « أبو عبد الله أو أبو عمر الكندى » الضرير البزار ، تابعى ثقة ، مضى مراراً .

وقد أفاض أبو عبد الله الحاكم فى المستدرك ١ : ٣٧ – ٤٠ فى جمع طرق هذا الحديث ، وجاء بالشواهد من الأخبار على شرط الشيخين ، يستدل بها على صحة خبر المنهال ، عن زاذان .

وزاد الحاكم رواية سفيان ، عن الأعمش ١ : ٣٨ ، وهى فى المسند ٤ : ٢٩٧ ، ورواية شعبة ، عن الأعمش ١ : ٣٨ ، وفى مسند أحمد رواية زائدة عن الأعمش ٤ : ٢٨٨ .

وزاد أبو جعفر الطبرى رواية أبى بكر بن عياش ، عن الأعمش فى هذا الإسناد ، وفيما سلف مختصراً رقم : ١٤٦١٤ . وانظر الكلام على الآثار التالية من هذه الطريق ، وما سلف فى التعليق على رقم : ١٤٦١٤ .

وخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٣ : ٤٩ – ٥١ ، وقال : « هو فى الصحيح وغيره ، باختصار ، رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح » .

(٢) الأثر : ٢٠٧٦٤ – من طريق أبى معاوية ، عن الأعمش ، رواه أحمد فى المسند ٤ : ٢٨٧ ، والحاكم فى المستدرك ١ : ٣٧ ، وأبو داود فى سننه ٤ : ٣٣٠ .

(٣) ٢٠٧٦٥ – من طريق جرير ، عن الأعمش ، رواه أبو داود مختصراً فى سننه ٣ : ٢٨٩ .

٢٠٧٦٦ – حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن نمير قال ، حدثنا الأعمش قال ، حدثنا المنهال بن عمرو ، عن زاذان ، عن البراء ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه.(١)

٢٠٧٦٧ – حدثنا ابن حميد قال، حدثنا الحكم بن بشير قال ، حدثنا عمرو بن قيس ، عن يونس بن خبّاب ، عن المنهال ، عن زاذان، عن البراء بن عازب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، نحوه .(٢)

٢٠٧٦٨ – حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر = حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا سعيد بن منصور قال ، حدثنا مهدى بن ميمون = جميعًا ، عن يونس بن خباب ، عن المنهال بن عمرو ، عن زاذان ، عن البراء بن عازب قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر قبضَ رُوح المؤمن ! قال : فيأتيه آتٍ فى قبره فيقول : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ فيقول : ربىَ الله ، ودينى الإسلام، ونبيّى محمد صلى الله عليه وسلم. فينتهره فيقول : مَنْ ربُّك ؟ وما دينك ؟ فهى آخر فتنة تُعْرَض على المؤمن، فذلك حين يقول الله عز وجل : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » ، فيقول : ربى الله ، ودينى الإسلام ، ونبيى محمد صلى الله

---

(١) الأثر : ٢٠٧٦٦ – من طريق عبد الله بن نمير ، عن الأعمش ، رواه أحمد فى المسند ٤ : ٢٨٨ ، وأبو داود فى سننه ٤ : ٣٣١ ، والحاكم فى المستدرك ١ : ٣٧ .

(٢) الأثر : ٢٠٧٦٨ – هذه طريق يونس بن خباب ، عن المنهال ، كما ذكرت فى التعليق على رقم : ٢٠٧٦٣ ، رواها أبو جعفر من طريق عمرو بن قيس ، عن يونس : ٢٠٧٦٨ . ومن طريق معمر ، عن يونس : ٢٠٧٦٩ ، ومهدى بن ميمون ، عن يونس : ٢٠٧٦٩ أيضاً .

و « يونس بن خباب الأسيدى » ، ضعيف جداً ، قال يحيى القطان : « ما تعجبنا الرواية عنه » ، وقال ابن معين : « رجل سوء ، وكان يشتم عثمان » . وقال البخارى : « منكر الحديث » ، وقال : ابن حبان : « لا تحل الرواية عنه ». وقال أبو حاتم : « مضطرب الحديث ، ليس بالقوى » ، مترجم فى التهذيب ، والكبير ٤/٢/٤٠٤ ، وابن أبى حاتم ٤/٢/٢٣٨ ، وميزان الاعتدال ٣ : ٣٣٧ .

وهذا حسبك فى ضعفه من هذه الطريق . وقد زاد أحمد فى مسنده ٤ : ٢٩٦ ، روايته من طريق حماد بن زيد ، عن يونس . وزاد الحاكم فى المستدرك روايته من طريق شعيب بن صفوان عن يونس ، وعباد بن عباد ، عن يونس ١ : ٣٩ .

عليه وسلم . فيقال له : صدقت – واللفظ لحديث ابن عبد الأعلى .(١)

٢٠٧٦٩ – حدثنا محمد بن خلف العسقلانى قال ، حدثنا آدم قال، حدثنا حماد بن سلمة ، عن محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة ، قال : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » ، قال : ذاك إذ قيل فى القبر : مَنْ ربك ؟ وما دينك ؟ فيقول: ربى الله، ودينى الإسلام، ونبيّ محمدٌ صلى الله عليه وسلم ، جاء بالبينات من عِنْد الله فآمنتُ به وصدّقت . فيقال له : صَدَقْتَ، على هذا عشت ، وعليه مِتَّ ، وعليه تُبْعَث .(٢)

٢٠٧٧٠ – حدثنا مجاهد بن موسى والحسن بن محمد قالا، حدثنا يزيد قال ، أخبرنا محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة قال : إن الميت ليسمع خَفْقَ نِعالهم حين يُوَلُّون عنه مدبرين . فإذا كان مؤمنًا ، كانت الصلاة عند رأسه ، والزكاةُ عن يمينه ، وكان الصيام عن يساره ، وكان فِعْلُ الخيرات من الصّدقة والصِّلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه ، فيؤتَى من عند رأسه فتقول الصلاة: ما قِبَلى مَدْخَلٌ . فيؤتى عن يمينه فتقول الزكاة : ما قِبَلى مدخلٌ . فيؤتى عن يساره فيقول الصيام : ما قِبَلى مَدخلٌ . فيؤتى من عند رجليه فيقول فعل الخيرات من الصَّدقة والصِّلة والمعروف والإحسان إلى الناس : ما قِبَلى

---

(١) الأثر : ٢٠٧٦٨ – مكرر الأثر السالف .
وحديث معمر ، عن يونس بن خباب ، رواه أحمد فى المسند ٤ : ٢٩٥ ، والحاكم فى المستدرك ١ : ٣٩ .
وحديث مهدى بن ميمون ، عن يونس ، رواه الحاكم فى المستدرك ١ : ٣٩

(٢) الأثر : ٢٠٧٦٩ – « محمد بن خلف بن عمار العسقلانى » ، شيخ الطبرى ، ثقة مضى مراراً . آخرها رقم : ٢٠٦٣٣ .
و « آدم » ، هو « آدم بن أبى إياس العسقلانى » ، ثقة ، مضى مراراً كثيرة ، آخرها رقم : ١٦٩٤٤ .
و « حماد بن سلمة » ، ثقة ، مضى مراراً كثيرة.
و « محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثى » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً كثيرة .
و « أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى » ، تابعى ثقة ، كثير الحديث ، مضى مراراً .
فهذا خبر صحيح الإسناد ، ولم أجده عند غير أبى جعفر ، وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٤ : ٨١ ، وزاد نسبته إلى ابن مردويه ، وكأنه مختصر الخبر التالى .

مدخلٌ . فيقال له : اجلسْ . فيجلسُ ، قد تمثّلتْ له الشمس قد دنت للغروب ، فيقال له : أخبرنا عمّا نسألك . فيقول : دعُونى حتى أصلّى . فيقال : إنك ستفعل ، فأخبرنا عما نسألك عنه ! فيقول : وعمّ تسألون ؟ فيقال : أرأيت هذا الرجل الذى كان فيكم ، ماذا تقول فيه ، وماذا تشهد به عليه ؟ فيقول : أمحمد ؟ فيقال له : نعم . فيقول أشهد أنّه رسول الله ، وأنه جاء بالبينات من عند الله ، فصدّقناه . فيقال له : على ذلك حَيِيتَ ، وعلى ذلك ، مِتَّ ، وعلى ذلك تُبْعث إن شاء الله . ثم يُفْسح له فى قبره سبعون ذراعًا ويُنَوَّر له فيه ، ثم يُفتح له باب إلى الجنة فيقال له : انظر إلى ما أعدّ الله لك فيها ، فيزداد غِبْطَةً وسرورًا ، ثم يفتح له باب إلى النار فيقال له : انظر ما صَرَف الله عنك لو عصيتَه ! فيزداد غبْطةً وسُرورًا . ثمّ يجعل نَسَمُه فى النَّسَم الطَّيب ، وهى طيْرٌ خُضْرٌ تُعَلَّق بشجر الجنة ، ويعاد جسده إلى ما بُدئ منه من التراب ، وذلك قول الله : «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة».(١) ١٤٤/١٣

٢٠٧٧١ – حدثنا الحسن بن محمد قال ، حدثنا أبو قطن قال ، حدثنا المسعودى ، عن عبد الله بن مخارق ، عن أبيه ، عن عبد الله قال : إنّ المؤمن

---

(١) الأثر : ٢٠٧٧٠ – لعله مطول الخبر السالف .

« مجاهد بن موسى بن فروخ الخوارزمى » ، شيخ الطبرى ، ثقة ، مضى برقم : ٥١٠ ، ٣٣٩٦ .

و « الحسن بن محمد بن الصباح الزعفرانى » ، شيخ الطبرى ، ثقة ، مضى مراراً آخرها : ٢٠٤١١ .

و « يزيد » هو « يزيد بن هارون السلمى الواسطى » ، أحد الأعلام الحفاظ المشاهير ، مضى مراراً كثيرة آخرها : ١٥٣٤٨ .

فهذا خبر صحيح الإسناد ، أخرجه الحاكم فى المستدرك ١ : ٣٧٩ من طريق سعيد بن عامر ، عن محمد بن عمرو بن علقمة ، ثم من طريق حماد بن سلمة ، عن محمد بن عمرو ١ : ٣٨٠ ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه » ، وتابعه الذهبى .

وخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٣ : ٥١ ، ٥٢ ، مطولا وقال : « رواه الطبرانى فى الأوسط ، وإسناده حسن » ، ثم قال : « روى البزار طرفاً منه » ، ثم انظر حديثاً آخر عنده عن أبى هريرة ٣ : ٥٣ ، ٥٤ .

وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ٤ : ٨٠ ، وزاد نسبته إلى ابن أبى شيبة ، وهناد بن السرى فى الزهد ، وابن المنذر ، وابن حبان ، وابن مردويه ، والبيهقى .

وكان فى المطبوعة : « فيجلس قد مثلت له الشمس » ، كما فى مجمع الزوائد ، والدر المنثور . وفى المستدرك : « فيقعد ، وتمثل له الشمس » ، وأثبت ما فى المخطوطة .

إذا مات أُجْلِس فى قبره ، فيقال له : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ فيثبّته الله فيقول : ربى الله ، ودينى الإسلام، ونبيّى محمد . قال : فقرأ عبد الله : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » .(١)

---

(١) الأثر : ٢٠٧٧١ — « أبو قطن » « عمرو بن الهيثم الزبيدى القطعى » ، ثقة ، مضى مراراً آخرها رقم : ٢٠٥٩٩ .

و « المسعودى » ، هو « عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة المسعودى » ، كان ثقة ، واختلط بأخرة ، رواية المتقدمين عنه صحيحة ، مضى مراراً ، آخرها رقم : ١٧٩٨٢ .

و « عبد الله بن مخارق » ، مشكل أمره جداً . فقد ترجم له البخارى فى الكبير ٣/١/٢٠٨ ، وابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل ٢/٢/١٧٩ ، وقالا جميعاً واللفظ هنا لابن أبى حاتم : « عبد الله ابن مخارق بن سليم السلمى كوفى ، روى عن أبيه مخارق ، روى عنه عبد الرحمن بن عبد الله المسعودى ، وأبو العميس عتبة بن عبد الله ، وعبد الملك بن أبى غنية » ، ثم ذكر ابن أبى حاتم عن يحيى بن معين أنه سئل عن « عبد الله بن مخارق بن سليم فقال : مشهور » .

وقال البخارى فى ترجمته : « روى سماك ، عن قابوس بن مخارق الشيبانى ، وروى أيضاً سليمان الشيبانى ، عن مخارق بن سليم الشيبانى ، فلا أدرى ما بينهما » . فشك البخارى فى نسبة أبيه أهو « سلمى » أو « شيبانى » ، كما ترى .

فلما ترجم فى فصل « مخارق » ، الكبير ٤/١/٤٣٠ ترجم « مخارق » أبو قابوس ، عن على ، روى عنه ابنه قابوس ، وهو ابن سليم ، قاله ابن طهمان » . ثم ترجم بعده « مخارق بن سليم الشيبانى » وقال : « يعد فى الكوفيين » ، وأغفل « مخارق بن سليم السلمى » ، الذى ذكر فى ترجمة ابنه « عبد الله ابن مخارق بن سليم السلمى » ، أنه روى عن أبيه ، وهو صحابى ، كما هو ظاهر . وكذلك فعل ابن أبى حاتم ٤/١/٣٥٢ ، اقتصر أيضاً على « مخارق بن سليم الشيبانى » ، وأغفل « السلمى » الذى ذكره فى باب « عبد الله » .

وأما الحافظ ابن حجر فى التهذيب ، وفى الإصابة ، فإنه قال : « مخارق بن سليم الشيبانى » ، أبو قابوس ، روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وعن ابن مسعود ، وعمار بن ياسر ، وعلى بن أبى طالب . روى عنه ابناه قابوس ، وعبد الله . ذكره ابن حبان فى الثقات » .

فهذا لفظ جامع ، يدل على أن « عبد الله بن مخارق » هذا إنما هو « الشيبانى » ، وأن « السلمى » ، نسبة لا يكاد يعرف صاحبها ، وتزيد أباه فى الصحابة جهالة ، وهذا مستبعد .

و « عبد الله بن مخارق بن سليم الشيبانى » ، هو نابغة بنى شيبان ، الشاعر المشهور ، وهو أخو « قابوس بن مخارق بن سليم الشيبانى » ، المترجم فى التهذيب ، وفى الكبير ٤/١/١٩٣ ، غير منسوب إلى « شيبان » أو « سليم » وفى ابن أبى حاتم ٣/٢/١٤٥ ، فيما أرجح . وقد كنت قرأت قديماً فى كتاب غاب عنى مكانه اليوم : أن قابوساً كان شاعراً ، وأن أخاه عبد الله ، نابغة بنى شيبان ، كان محدثاً ، ثم رأى أحدهما رؤيا ، أو كلاهما ، فترك « قابوس » الشعر وطلب الحديث ، وترك « عبد الله » الحديث وأخذ فى الشعر ، فصار نابغة بنى شيبان . وقد كان عبد الله بن مخارق نابغة بنى شيبان ، ينشد الشعر فيكثر ، حتى إذا فرغ قبض على لسانه فقال : والله لأسلطن عليك ما يسوءك : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر » (جاء هذا فى كتاب المنتقى من أخبار الأصمعى : ٦) ، فهذا كأنه مؤيد للرواية التى غاب عنى مكانها ، وأسأل من وجدها أن يدلنى على مكانها .

فهذا الخبر مضطرب جداً ، ولكن خرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٣ : ٥٤ وقال : « رواه الطبرانى فى الكبير ، وإسناده حسن » ، وخرجه السيوطى فى الدر المنثور ونسبه إلى ابن جرير ، والطبرانى ، والبيهقى فى عذاب القبر .

٢٠٧٧٢ – حدثنا الحسن قال ، حدثنا أبو خالد القرشي ، عن سفيان ، عن أبيه = وحدثنا أحمد قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا سفيان ، عن أبيه ، عن خيثمة ، عن البراء في قوله : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا » ، قال : عذاب القبر . (١)

٢٠٧٧٣ – حدثنا الحسن قال ، حدثنا عفان قال ، حدثنا شعبة ، عن علقمة ابن مرثد ، عن سعد بن عبيدة ، عن البراء ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله تعالى : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة » ، قال شعبةُ شيئًا لم أحفظه ، قال : في القبر . (٢)

٢٠٧٧٤ – حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت » ، إلى قوله : « ويضل الله الظالمين » ، قال : إن المؤمن إذا حضَره الموت شهدته الملائكة ، فسلموا عليه وبشروه بالجنة ، فإذا ماتَ مشَوْا في جنازته

---

(١) الأثر : ٢٠٧٧٢ – هذه هي الطريق الثالثة ، لحديث البراء مختصراً .

(٣) طريق خيثمة ، عن البراء .

من طريق واحدة ، بإسنادين .

١ – سفيان ، عن أبيه ، عن خيثمة .

أما الأول ، فعن « أبي خالد القرشي » ، وهو « عمرو بن خالد القرشي » ، وهو منكر الحديث . كذاب ، غير ثقة ولا مأمون ، مترجم في التهذيب ، والكبير ٣/٢/٣٢٨ ، وابن أبي حاتم ٣/١/٢٣٠ وميزان الاعتدال ٢ : ٢٨٦ ، فهو بإسناد أبي خالد متروك لا يشتغل به .

وأما « أبو أحمد » ، فهو الزبيري « محمد بن عبد الله بن الزبير الأسدي » ، ثقة روى له الجماعة مضى مراراً ، آخرها : ٢٠٤٧٠ .

و « سفيان » هو الثوري الإمام .

وأبوه « سعيد بن مسروق الثوري » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً آخرها رقم : ١٣٧٦٦ .

و « خيثمة » ، هو « خيثمة بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي » ، تابعي ثقة ، روى له الجماعة مضى مراراً آخرها : ١١١٤٥ .

ومن طريق سفيان عن أبيه ، رواه مسلم في صحيحه (١٧ : ٢٠٤) ، والنسائي في سننه ٤ : ١٠١ ، كلاهما عن عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان .

(٢) الأثر : ٢٠٧٧٣ – هو مكرر الأثر السالف : ٢٠٧٦٠ ، مع زيادة .

و « عفان » ، هو « عفان بن مسلم بن عبد الله الصفار » ، ثقة ، من شيوخ أحمد ، روى له الجماعة ، مضى مراراً آخرها : ٢٠٣٣١ .

ومن طريق عفان رواه أحمد في المسند ٤ : ٢٨٢ ، كما سلف في تخريج الخبر رقم : ٢٠٧٦٠ .

ثم صلوا عليه مع الناس ، فإذا دفن أجلس فى قبره فيقال له : من ربك ؟ فيقول : ربّىَ الله . ويقال له: منْ رسولك؟ فيقول : محمد . فيقال له : ما شهادتُك ؟ فيقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله . فيوسَّع له فى قبره مدّ بَصَره(١) .

٢٠٧٧٥ – حدثنا الحسن قال، حدثنا حجاج قال ، قال ابن جريج ، سمعت ابن طاوس يخبر ، عن أبيه قال : لا أعلمه إلا قال : هى فى فِتنَةِ القبر ، فى قوله : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت » .

٢٠٧٧٦ – حدثنا بن حميد قال، حدثنا جرير ، عن العلاء بن المسيب ، عن أبيه أنه كان يقول فى هذه الآية : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » ، هى فى صاحب القبر .

٢٠٧٧٧ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا عمرو بن عون قال ، أخبرنا هشيم عن العوّام ، عن المسيب بن رافع : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » ، قال : نزلت فى صاحب القبر .

٢٠٧٧٨ – حدثنا أحمد قال، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا عباد بن العوّام ، عن العلاء بن المسيب ، عن أبيه المسيَّب بن رافع ، نحوه .

٢٠٧٧٩ – حدثنى المثنى قال، أخبرنا إسحق قال ، حدثنا عبد الرحمن ابن سعد قال ، أخبرنا أبو جعفر الرازى ، عن الربيع فى قول الله عز وجل : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » ، قال : بلغنا أن هذه الأمة تُسْأل فى قبورها ، فيثبّت الله المؤمن فى قبره حين يُسْأل .

٢٠٧٨٠ – حدثنى المثنى قال، حدثنا أبو ربيعة فَهْدٌ قال، حدثنا أبو عوانة، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن زاذان ، عن البراء بن عازب قال :

---

(١) الأثر : ٢٠٧٧٤ – هذا إسناد ضعيف جداً، وإن كثر دورانه فى التفسير ، وسلف بيانه وشرحه فى أول التفسير رقم : ٣٠٥ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر قبضَ روح المؤمن ، قال : فترجع روحُه فى جسده ، ويبعث الله إليه ملكين شديدى الانتهار ، فيجلسانه وينتهرانه يقولان : من ربك ؟ قال : فيقول : الله . وما دينك ؟ قال : الإسلام . قال : فيقولان له : ما هذا الرجل ، أو النبيّ ، الذى بُعث فيكم ؟ فيقول : محمد رسول الله . قال : فيقولان له : وما يُدْريك ؟ قال ، فيقول : قرأت كتابَ الله فآمنتُ به وصدّقت ! فذلك قول الله : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة »[1] .

٢٠٧٨١ - حدثنى يونس قال ، أخبرنا ابن وهب قال ، قال ابن زيد فى قوله : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » ، قال : نزلت فى الميت الذى يُسْأل فى قبره عن النبى صلى الله عليه وسلم .

٢٠٧٨٢ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة فى قول الله : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » ، قال : بلغنا أن هذه الأمة تُسأل فى قبورها ، فيثبت الله المؤمنَ حيث يُسْأل

٢٠٧٨٣ - حدثنا أحمد قال ، حدثنا أبو أحمد قال ، حدثنا شريك ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى ١٣/١٤٥

---

(١) الأثر : ٢٠٧٨٠ - حديث البراء بن عازب ، من طريق زاذان عن البراء ، كما سلف فى التعليق على : ٢٠٧٥٨ ، ثم من طريق الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، كما سلف فى التعليق على : ٢٠٧٦٣ .

« أبو ربيعة » ، « فهد » ، متكلم فيه ، كما سلف بيانه رقم : ٥٦٢٣ ، وقد مضى مراراً آخرها : ١٥٩٠٥ .

و « أبو عوانة » ، هو « الوضاح بن عبد الله اليشكرى » ، ثقة ، روى له الجماعة ، مضى مراراً آخرها : ١٧٠١٠ .

ومن طريق أبى عوانة ، عن الأعمش رواه أبو داد الطيالسى فى مسنده مطولا : ١٠٢ ، وقد سلف ما قلناه فى هذا الإسناد فى شرح الأثر رقم : ٢٠٧٦٣ ، وانظر ما سيأتى رقم : ٢٠٧٨٧ ، بهذا الإسناد نفسه .

الحياة الدنيا » ، قال : هذا فى القبر مُخاطبته ، وفى الآخرة مثل ذلك .

* * *

وقال آخرون : معنى ذلك : يثبت الله الذين آمنوا بالإيمان فى الحياة الدنيا ، وهو « القول الثابت » = « وفى الآخرة » ، المسألةُ فى القبر .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٧٨٤ – حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال ، أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا » ، قال : لا إله إلا الله = « وفى الآخرة » ، المسألة فى القبر .

٢٠٧٨٥ – حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا » ، أما « الحياة الدنيا » فيثبتهم بالخير والعمل الصالح ، وقوله « وفى الآخرة » ، أى فى القبر .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك ما ثبتَ به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك ، وهو أنّ معناه : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا » ، وذلك تثبيته إياهم فى الحياة الدنيا بالإيمان بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم = « وفى الآخرة » ، بمثل الذى ثبّتهم به فى الحياة الدنيا ، وذلك فى قبورهم حين يُسْألون عن الذى هم عليه من التوحيد والإيمان برسوله صلى الله عليه وسلم .

* * *

وأما قوله : « ويضلُّ الله الظالمين » ، فإنه يعنى ، أن الله لا يوفِّق المنافق والكافر فى الحياة الدنيا وفى الآخرة عند المُسَاءَلة فى القبر ،[1] لما هدى له المؤمن من الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم[2] .

* * *

(١) فى المطبوعة : « المسألة » ، وكتب فى رسم المخطوطة : « المسايلة » ، وهى صحيحة .
(٢) فى المطبوعة قدم وأخر : ، « لما هدى له من الإيمان المؤمن بالله » ، وليست بشىء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

* ذكر من قال ذلك :

٢٠٧٨٦ – حدثنا محمد بن سعد قال، حدثنى أبى قال ، حدثنى عمى قال ، حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : أما الكافرُ ، فتنزل الملائكة إذا حضره الموت ، فيبسُطون أيديهم = « والبَسْط » ، هو الضرب = يضربون وجوههم وأدبارَهم عند الموت . فإذا أدْخِل قبره أقعد فقيل له : من ربك ؟ فلم يرجِع إليهم شيئًا ، وأنساه الله ذكر ذلك . وإذا قيل له : من الرسول الذى بُعِث إليك ؟ لم يهتد له، ولم يرجع إليه شيئًا ، يقول الله : « ويضل الله الظالمين » .[1]

٢٠٧٨٧ – حدثنى المثنى قال ، حدثنا فهْد بن عوف ، أبو ربيعة قال ، حدثنا أبو عوانة ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن زاذان ، عن البراء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وَذكَر الكافر حين تُقْبض روحه ، قال : فتعاد روحُه فى جسده . قال : فيأتيه ملكَان شديدَا الانتهار ، فيجلسانه فينتهرانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : لا أدرى ؟ قال فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : لا أدرى ، قال : فيقال له : ما هذا النبىّ الذى بُعِث فيكم ؟ قال فيقول : سمعت الناس يقولون ذلك ، لا أدرى . قال : فيقولان : لادريتَ . قال : وذلك قول الله : « ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء » .[2]

* * *

وقوله : « ويفعل الله ما يشاء » ، يعنى تعالى ذكره بذلك : وبيدِ الله الهداية والإضلال ، فلا تنكروا ، أيها الناس ، قدرتَه ، ولا اهتداءَ من كان منكم ضالاًّ ، ولا ضلالَ من كان منكم مهتديًا ، فإنّ بيده تصريفَ خلقه وتقليبَ قلوبهم ، يفعل فيهم ما يشاء .

---

(١) فى المطبوعة : « يقول : ويضل الله الظالمين » ، والصواب ما فى المخطوطة .

(٢) الأثر : ٢٠٧٨٧ – هذا آخر حديث البراء بن عازب . وانظر التعليق السالف على الأثر : ٢٠٧٨٠ .

تَمَّ الجزء السادس عشر من تفسير الطبرىّ
ويليه الجزء السّابع عشر ، وأوّلُه :

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالَى

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا
قَوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا
وَبِئْسَ القَرَارُ ﴾

الفهارس

فهرس الآيات التى استدل بها فى غير موضعها من التفسير

السورة / الآية	الصفحة
آيات سورة البقرة	
٤٩	٥٢٤
٨٣	١٠٤
١٠٦	٤٨٥ ، ٤٨٦
٢١٤	٣٠٥ ، ٣٠٧
٢١٧	٥٥٢
* * *	
آيات سورة آل عمران	
١١٩	٥٣٣ ، ٥٣٦
١٣٤	٢١٥
١٥١	٥٣٨
١٧٣	٩١
* * *	
آيات سورة النساء	
١١	٦٠
٧٢	٨٦
٨٣	٣٨
* * *	
آيات سورة المائدة	
١١٦ — ١١٩	٥٦٢
١١٧	٥٦١
* * *	
آيات سورة الأنعام	
٩١	٢٩٤
* * *	

السورة / الآية	الصفحة
آيات سورة الأعراف	
٧	٥٣٨
٤٢	١٠٤
٧٠	٥٤٦
١١٠	١٤٢
١٤١	٥٢٤
* * *	
آيات سورة الأنفال	
٣٢	٣٥٠ ، ٣٥١
٣٦	٤٦٧
* * *	
آيات سورة التوبة	
١١١ ، ١١٢	٥١٤
* * *	
آيات سورة يونس	
٢٦	١٠٤
٤٠	٤٧٤
٦١	٤٨
* * *	
آيات سورة هود	
٢٣	١٠٤
٤٩	١٩٨
٧٧	٢٦٠
٨٥	١١
١٠٠	١٩٨
* * *	

السورة / الآية	الصفحة
آيات سورة يوسف	
١٨	١١
٣٥	٥٧٩
٨٢	٣٧٩
١٠٣ ، ١٠٤	٢٩٤
١٠٥	٢٩٤
١٠٧	٢٩٤
١٠٩	٣٩٧
* * *	
آيات سورة الرعد	
٢٤	٤٢٢
٣٣	٤٨
٣٥	٥٥٢ ، ٥٥٣
٣٨	٤٨٧
* * *	
آيات سورة النحل	
٤٨	٤٠٤
١١٠	١٩٩
* * *	
آيات سورة الإسراء	
٣١	٦١
٣٢	٤٧ ، ٤٨
٤٧	٢٠٤
٨٢	٣٤٠
* * *	

السورة / الآية	الصفحة
آيات سورة الكهف	
٢٩	٥٤٩
٧٩	٥٤٧
١٠٣ ، ١٠٤	٤٢٩
* * *	
آيات سورة مريم	
٥٢	٢٠٤
* * *	
آيات سورة طه	
١٥	٣٨٣
* * *	
آيات سورة الأنبياء	
٤٤	٤٩٤
* * *	
آيات سورة الحج	
٥	٤١٤ ، ٥١٦
٣١	٤٢٨
٧١	٥٣٨
* * *	
آيات سورة المؤمنون	
٣٥	١٠١
* * *	
آيات سورة النور	
٤٠	٥٤٩
* * *	

السورة / الآية	الصفحة
آيات سورة الشعراء	
٥٤	٢٧٦
٧٥ ــ ٧٧	٢٨٩
٩٤	١٤٠
* * *	
آيات سورة النمل	
٢	١٠١
١٠	٣٨٤
٣٠	٤٧٠
٣٤	١٤٢
* * *	
آيات سورة القصص	
٢٦	١٩
* * *	
آيات سورة العنكبوت	
٣٣	٢٦٠
٥٣ ــ ٥٥	٥٤٦
* * *	
آيات سورة الروم	
٢٧	٤٦٩
* * *	
آيات سورة لقمان	
٤	١٠١
٢٥	٢٨٧ ، ٢٨٨
* * *	
آيات سورة السجدة	
١٢	٤٢٥
* * *	
آيات سورة الأحزاب	
٢٠	٤٧٤
* * *	
آيات سورة فاطر	
٢٤	٣٥٦
* * *	
آيات سورة يس	
٤٣ ، ٤٤	١٤٢
٨٠	٣٨٧ ، ٣٨٨
* * *	
آيات سورة ص	
١٦	٥٤٦
٨٨	٥٧٨ ، ٥٧٩
* * *	
آيات سورة الزمر	
٣٨	٢٨٧ ، ٢٨٨
٥٦	٤٧٠
٦٠	٥٥٢
* * *	
آيات سورة غافر	
١٠	٥٦٤ ، ٥٦٥
٨٣	٣١٠
* * *	

السورة / الآية	الصفحة
آيات سورة فصلت	
٣٩	٤١٤
* * *	
آيات سورة الشورى	
١١	٤٧٠
* * *	
آيات سورة الزخرف	
٨٧	٢٨٨
* * *	
آيات سورة الدخان	
٣ ، ٤	٤٨٠
* * *	
آيات سورة محمد	
١٥	٥٤٩
* * *	
آيات سورة ق	
١٧	٣٧٢
١٨	٣٧٠
١٩	٤٧٦
* * *	

السورة / الآية	الصفحة
آيات سورة النجم	
٤٥	٣٢٩
٥٦	٣٥٦
* * *	
آيات سورة الواقعة	
٨٢	٥٤٢
٩٥	٢٩٤
* * *	
آيات سورة المجادلة	
٧	٢٠٤
١٠	٢٠٥
* * *	
آيات سورة الإنسان	
٢ — ٢٢	٤٢٧
٢١	٥٨١
* * *	
آيات سورة عبس	
٢٤ ، ٢٥	٤٦٩
* * *	
آيات سورة الانفطار	
١٠	٤٨
* * *	
آيات سورة العلق	
١٥ ، ١٦	٨٦

فهرس اللغة

هذا الفهرس مرتب على ترتيب معاجم اللغة ، على أصل الاشتقاق ، وعلى آخر الأصل بابًا ، وأوّله فصلاً

(برأ) برّأه : ١٤٢
(بوأ) يتبوّأ : ١٥١
(خطأ) خاطئ : ٦٠ — ٦٢ ، ٢٤٥ ، ٢٦١ خَطئ خطْأ وخَطأ (فى الخَطيئة) : ٢٦١، ٤٥
الخطَأ فى الأمر : ٦١
(درأ) يدرأ : ٤٢٢
(سوأ) السوء : ٤٩ ، ٥٢ ، ١٤٢ ، ٣٨٣
سوء الحساب : ٤١٧ ، ٤٢١
سوء الدار : ٤٢٨
سوء العذاب : ٥٢٤
السيئة : ٣٥٠ ، ٤٢٢
(شيأ) يفعل الله ما يشاء : ٦٠٣
(فتأ) فتئ ، يفتأ : ٢١٩—٢٢١
(قرأ) قرآن : ٤٤٦
(ملأ) الملأ : ١١٦
(نبأ) نبّأه : ١٠٠ ، ١٢٣ ، ٤٦٥
نبأ ، أنباء : ٢٨٣، ٥٢٩
(نشأ) أنشأ السحاب : ٣٨٧
(هزأ) استهزأ به : ٤٦٠
(هيأ) هِئتُ لك : ٢٨ — ٣٠
(هيت لك) : ٢٨ —٣١
(وكأ) مُتّكأ : ٦٩ — ٧٥
اتّكأ : ٦٩

* * *

(أوب) آبَ ، يؤوب ، مآبًا : ٤٧٣
حسن مآب : ٤٤٤
(توب) متاب : ٤٤٥
(ثرب) التثريب : ٢٤٦ ، ٢٤٧
(جوب) استجاب له : ٩٠، ٣٩٩ ، ٤١٦ ، ٥٦١
(حبب) استحبّ كذا على كذا : ٥١٤ ، ٥١٥
(حزب) الأحزاب : ٤٧٣
(حسب) الحساب : ٤٩٣
سريع الحساب : ٤٩٨
(خطب) ما خطبك ؟ : ١٣٧، ١٣٨
(خيب) خابَ : ٥٤٢
(دأب) الدأب : ١٢٥
(ذنب) ذنوب : ٥٣٧
(ذهب) أذهبه : ٥٥٦
(ربب) ربّ ، (سيدى) : ٣٢، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١٣٣
ربّ ، أرباب : ١٠٤
ربّ السموات : ٤٠٥

(ريب) مُريب : ٥٣٦
أراب الرجُل : ٥٣٦
(سحب) السحاب : ٣٨٧
(سرب) ساربٌ : ٣٦٦ — ٣٦٨ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤
(صحب) صاحب : ١٠٤ ، ١٠٧
أصحاب النار : ٣٥٠
(صلب) يُصْلب : ١٠٧
(صوب) أصاب بكذا : ١٥١ ، ٤٥٦
الصوابُ ، الصَّوْبُ : ٦١
(ضبب) الأضُبّ ، جمع ضبّ : ٢١ تعليق
(ضرب) ضرب مثلاً : ٥٦٦، ٥٦٧
ضرب الحق والباطل : ٤٠٩ — ٤١٤
يضرب الأمثال : ٥٦٧
(طوب) طُوبَى : ٤٣٣ — ٤٤٤
(طيب) كلمة طيبة : ٥٦٧ — ٥٦٩
شجرة طيبة : ٥٦٧—٥٧٥
(عجب) يعجب ، عَجبٌ : ٤٣٦
(عذب) عذابُ الحياة الدنيا : ٤٦٨
عذابُ الآخرة : ٤٦٨
عذابٌ شديد : ٥١٤ ، ٥٢٨
(عرب) حُكْما عربيًّا : ٤٧٥
(عقب) عاقبة : ٢٩٣
العقاب ، شديد العقاب : ٣٥٢ ، ٤٦٠
عقّب ، مُعَقِّبٌ : ٤٩٨
المعقّبات : ٣٦٩ — ٣٧٥
٣٨٤ — ٣٨٦
عقبى الدار : ٤٢٢، ٤٢٧، ٤٧٢ ، ٤٩٩
(غلب) غالبٌ على أمره : ٢٠
(غيب) الغيب : ١٤٠ ، ١٤١ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٨٣
عالم الغيب : ٣٦٦
غائب ، غَيَبٌ : ٥٥٧
(قرب) يقرَبُه : ١٥٥
(قلب) انقلب إلى أهله : ١٥٦
(كتب) كتاب : ٤٧٦ ، ٥١١
أم الكتاب : ٤٩٠—٤٩٢
علم الكتاب : ٥٠٠—٥٠٧
(كسب) كسب : ٤٦٢ ، ٤٩٩
(لبب) لُبّ ، ألباب : ٣١٤ ، ٤١٨
(نوب) أناب : ٤٣١ ، ٤٣٢

* * *

(بغت) بغتةً : ٢٩٠
(ثبت) أثبت ، يُثْبتُ : ٤٧٧— ٤٨٩ ، ٤٩٢
ثبّته : ٥٨٩ — ٦٠٢
القول الثابت : ٥٨٩ — ٦٠٢
(موت) كلم الموتى : ٤٤٦—٤٥٠
(هيت) هيتَ لك : ٢٥ — ٣١
(هئتُ لك) : ٢٨—٣٠

* * *

(بثث) البثّ : ٢٢٥ ، ٢٢٦
(جثث) اجتثّهُ : ٥٨٦
(حدث) تأويل الأحاديث : ٢٠

(خبث) كلمة خبيثة : ٥٨٣
شجرة خبيثة : ٥٨٣—٥٨٥
(ضغث) ضِغْث، أضْغاثٌ : ١١٧، ١١٨
(غوث) غائه ، وأغاثه : ١٢٨
(مكث) يمكث : ٤٠٩ ، ٤١٠
(ورث) التراث : ١٨٠

* * *

(حوج) حاجة : ١٦٧
(خرج) أخرجه من كذا : ٥١١، ٥١٨ ، ٥٤٠
(درج) درجة ، درجات : ١٩٠
(زوج) الزوجان : ٣٢٩
أزواج : ٤٢٣ ، ٤٧٥
(عوج) العِوَج : ٥١٥

* * *

(برح) برح الأرضَ : ٢٠٨
(ذبح) ذبّح : ٥٢٤
(سبح) سبحان الله : ٢٩١
يسبح الرعْدُ بحمده : ٣٨٨ — ٣٩٠
(روح) ريح الشيء : ٢٤٨—٢٥٢
اشتدّت به الريحُ : ٥٥٣
رَوْح الله : ٢٣٢ — ٢٣٣
(صلح) صلح : ٤٢٣ — ٤٢٤
الصالح : ٢٧٨
الصالحات : ٤٣٣ ، ٥٦٦
(فتح) استفتح : ٥٤٢ — ٥٤٦
(فرح) فرح بالحياة الدنيا : ٤٣٠
يفرح : ٤٧٣

* * *

(شيخ) شيخٌ : ٢٠٢
(صرخ) أصرخه ، مُصْرِخ : ٥٦١ — ٥٦٥

* * *

(بعد) الضلال البعيد : ٥٥٤ ، ٥٥٦
(جدد) خلق جديد : ٣٤٦، ٥٥٦
(حصد) حصدَهُ : ١٢٥ ، ١٢٦
(حمد) سبح بحمده : ٣٩٠
الحميد : ٥١٢ ، ٥٢٨
(خلد) خالد : ٣٥٠ ، ٥٦٦
(ردد) ارتدّ بصيراً : ٢٥٨
لا مردّ له : ٣٨٣
ردّوا أيديهم فى أفواههم : ٥٣٠ — ٥٣٦
(رعد) الرعد : ٣٨٨
(رمد) رمادٌ : ٥٥٢ ، ٥٥٣
(رود) راوده : ٢٤ ، ٢٥ ، ٥٣، ٦٢ ، ٨٦ ، ١٣٨، ١٥٦
(زبد) الزَّبَد : ٤٠٩
(زهد) زاهدٌ : ١٦
(زود) زادهُ ، يزيدُه : ٥٢٧
ازداد شيئًا : ١٦٢ ، ٣٥٩ — ٣٦٥
(سجد) ساجد : ٢٧
السجود : ٢٦٩ — ٢٧١
يسجد : ٤٠٣
(سود) السيد : ٥٠
(شدد) بلغ أشُدَّه : ٢١ — ٢٣
شداد : ١٢٦ ، ١٢٧
شديد المحال : ٣٩٤

عذاب شديد : ٥١٤ ، ٥٢٨
اشتدّت به الريح : ٥٥٣
(شهد) شهد ، شاهدٌ : ٥٣ـ٥٩
الشهيد : ٥٠٠
عالم الشهادة : ٣٦٦،
(صدد) صدّ ، يصدّ : ٣٥٧، ٥١٥
صدّ عن السبيل : ٤٦٧
صديد : ٥٤٧ ، ٥٤٨
(عبد) يعبد : ١٠٥ ، ١٠٦ ، ٤٧٣ ، ٥٣٧
عِباد : ٥٣٨
(عتد) أعتد له الشيءَ : ٦٩
(عدد) معدودة : ١٢ — ١٦
(عمد) عَمَدٌ : ٣٢٢ — ٣٢٥
(عند) عنيد ، عاند ، عنود : ٥٤٢ — ٥٤٦
(عود) عاد فى ملتهم : ٥٤٠
(فسد) أفسد فى الأرض : ١٨٠ — ١٨٢ ، ٤٢٨
(فقد) يفقد : ١٧٥
(فند) فنّده : ٢٥٢ — ٢٥٦
(قدد) قدّ الشيء : ٥٠ ، ٥٩
(كيد) الكيد : ٦٠ ، ١٣٧ ، ١٤١
كادَ له : ١٨٦
لا يكاد : ٥٤٩
(مدد) مدّ الأرض : ٣٢٨
(مهد) المهاد : ٤١٧
(ميد) المائدة : ١٨٦

(وحد) الواحد : ١٠٤ ، ٤٠٨
(ورد) الوارد : ١
(وعد) يَعِد : ٤٩٣ ، ٤٦٩
وعدَ الله : ٤٥٦ — ٤٦٠
وعد الحق : ٥٦٠
الوعيد : ٥٤١
الميعاد : ٤٥٦
(وقد) أوقد ، يوقد : ٤٠٩

* * *

(أخذ) أخذ عليه موثقًا : ٢٠٨
أخذ الكافر : ٤٦٠
اتخذه ولداً : ١٩ ، ٤٠٥
(عوذ) معاذ الله : ٣١، ٢٠٢، ٢٠٣

* * *

(أثر) آثره على فلان : ٢٤٥
(أجر) الأجر : ١٥١ ، ١٥٢ ، ٢٨٤
(أخر) أخّره : ٥٣٧
الآخرة : ١٥٢ ، ٢٧٨ ، ٤٣٠ ، ٥١٥ ، ٥٨٩ — ٦٠٢
دار الآخرة : ٢٩٤
عذاب الآخرة ٤٦٨
(أمر) غالب على أمره : ٢٠
لله الأمر : ٤٤٦
أمر الله : ٣٧٥ — ٣٨٢، ٣٨٥ ، ٣٨٦
أمّارةٌ : ١٤٢
(بشر) البشر : ٨٤ ، ٥٣٧، ٥٣٨
يا بُشرى : ١ — ٤
البشير : ٢٥٨

(بصر) بصير : ٢٤٨ ، ٢٥٨ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧
بصيرة : ٢٩١
(بعر) بعير : ١٦٢ ، ١٧٧ ، ١٧٨
(ثمر) ثمرات : ٣٢٨
(جبر) جبّار : ٥٤٣
(جهر) جهر بالقول : ٣٦٦
(جور) متجاورات : ٣٣٠
(خرر) خرّ له ساجداً : ٢٦٩
(خضر) أخضر ، خُضر : ١١٦
(خمر) الخمر : ٩٧ ، ١٠٧
(دبر) من دُبُر : ٥٠ ، ٥٩
(دور) عقبى الدار : ٤٢٢ ، ٤٢٧ ، ٤٩٩
(ذرر) ذُرّية : ٤٢٣ ، ٤٧٦
(ذكر) ذكْرٌ : ٢٨٤
ذكر الله : ٤٣٢ ، ٤٣٣
ذكّره بكذا : ١٠٩ ، ١١١ ، ٥١٩
ذكره ، يذكرُه : ٥٢٣
يتذكّر : ٤١٨ ، ٥٦٧
ادّكر : ١١٩
(سخر) سخّر : ٣٢٦
(سرر) سرًّا : ٤٢١
أسرّ القول : ٤ — ٧ ، ٣٦٦
أسرّه فى نفسه : ١٩٨
(سير) سير الجبال : ٤٤٦ — ٤٥٠
سيارة : ١
(شرر) الأشُرّ ، جمع شَرّ : ٢١ ، ٢٢
(شعر) يشعُر : ٢٩٠
(شكر) شكره ، يشكره : ١٠٣ ، ٥٢٣
شكورٌ : ٥٢٣
(صبر) صبَر : ٤٢١
صبّار : ٥٢٣
(صغر) الصاغر : ٨٦
(ضرر) الضُرّ : ٢٣٤
الأضُرّ (جمع ، ضرّ ؟) : ٢١
الضَرّ : ٤٠٥
(طير) الطير : ١٠٧
(ظهر) ظاهر من القول : ٤٦٦
(عبر) عبَر الرؤيا : ١١٦
عِبْرةٌ : ٣١٢
(عصر) عصر الخمر : ٩٦
يعصر : ١٢٩ — ١٣٢
(عير) العِير : ١٧٣ — ١٧٥ ، ٢١٢ ، ٢٤٨
(غفر) غفور : ١٤٢ ، ٢٦٣
يغفر : ٢٤٦ ، ٥٣٧
استغفر له ذنبَهُ : ٢٦١
المغفرة : ٣٥٢
(فطر) فاطر السموات : ٢٧٨ ، ٥٣٧
(فكر) يتفكر : ٣٣٠
(قدر) قدر الرزق : ٤٣٠
بقدَرها : ٤٠٩ ، ٤١٤
مقدار : ٣٥٩ ، ٣٦٥
(قرر) قرارٌ : ٥٨٦ — ٥٨٨
(قهر) القهار : ١٠٤ ، ٤٠٨

(كبر) الكبير : ٣٦٦
أكبَرهُ : ٧٥
أكبَرتْ (بمعنى حاضت) : ٧٧
استكبر : ٥٥٧ ، ٥٥٨
(كفر) كفَرَ : ٣٤٩ ، ٣٥٣ ، ٤٣١ ، ٤٤٥ ، ٤٥٦ ، ٥٠٠ ، ٥٢٨ ، ٥٣٦ ، ٥٣٩ ، ٥٥٢ ، ٥٦١
الكافر : ١٠١ ، ٤٧٢ ، ٥١٤
الكفَّار : ٤٩٩
(مكر) المكر : ٦٨ ، ٤٩٩
يمكر : ٢٨٣
(مور) مار أهله : ١٦٢
(نذر) منذرٌ : ٣٥٣
(نكر) أنكره ، منكِر : ١٥٣ ، ١٥٤ ، ٤٧٣
(نهر) الأنهار : ٣٢٨ ، ٤٦٩ ، ٥٦٦
(نور) النور : ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٨
(يسر) يسيرٌ : ١٦٢

* * *

(برز) برَز له : ٥٥٧
(جهز) جهزه بجهازه : ١٥٤ ، ١٧١
(خبز) الخبز : ٩٨
(عزز) العزيز : ٦٢ ، ٢٠٢ ، ٢٣٤ ، ٥١١ ، ٥١٦ ، ٥٥٦

* * *

(بأس) بئْس : ٤١٧
البَأْس : ٣١٢
ابتأس : ١٧٠ ، ١٧١
(بخس) بَخْسٌ : ١٠ — ١٢
(حسس) تحسَّس منه : ٢٣٢
(مسس) مسه الضرّ : ٢٣٤
(نفس) النفس : ١٤٢
(يأس) يئس ، ييأس : ٢٣٢
يئس ييأس (علم) : ٤٥٠ — ٤٥٥
استيأس : ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٩٦
(يبس) يابس : ١١٦

* * *

(عرش) العرش : ٢٦٧ — ٢٦٩ ، ٣٢٥
(فحش) الفحشاء : ٤٩

* * *

(حرص) حرص : ٢٨٤
(حصص) حصحص الحق : ١٣٨ — ١٤٠
(حيص) حاص ، يحيصُ ، محيص : ٥٥٨ — ٥٦٠
(خلص) خلصوا نجيًّا : ٢٠٤
المخلص : ٤٩ ، ٥٠
استخلصه لنفسه : ١٤٧
(قصص) القصص : ٣١٢
(نقص) نقصه ، ينقُصُه : ٤٩٣ — ٤٩٨

* * *

(بيض) ابيضت عينه : ٢١٥
(حرض) حرضٌ : ٢٢١ — ٢٢٤
(عرض) أعرض عنه : ٦٠

مُعْرِضٌ : ٢٨٥
(غيض) غاض ، يغيض : ٣٥٨ — ٣٦٥
(نقض) ينقُضُ الميثاق : ٤١٩ ، ٤٢٨

* * *

(بسط) بسط الرزق : ٤٣٠
باسط كفيه إلى الماء : ٣٩٩ — ٤٠٢
(حوط) أُحيط به : ١٦٣
(سلط) سلطان : ١٠٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٦٠
(شيط) الشيطان : ٥٦٠ (شطن)
(صرط) صراط : ٥١١
(فرط) فرّط فى الشىء : ٢٨

* * *

(حفظ) حفيظٌ : ١٤٩ ، ١٥٠
حافظ : ١٥٨ ، ١٦٠ ، ٢١٠
حفظه ، يحفظهُ : ١٦٢ ، ٣٦٩
(غلظ) عذابٌ غليظ : ٥٥٢

* * *

(بضع) بضْعَ : ١١٤ ، ١١٥
بضاعة : ٤ — ٧ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦١ ، ٢٣٤
(تبع) التَّبَعُ : ٥٥٧ ، ٥٥٨
اتّبع : ١٠٣ ، ٢٩١ ، ٤٧٥
(جرع) يتجرّعُه : ٥٤٨
(جزع) جَزَع : ٥٥٨
(جمع) أجمعوا أمرهم : ٢٨٣
جميعًا : ٤١٦ ، ٤٤٦ ، ٤٥٠ ، ٤٩٩ ، ٥٢٨ ، ٥٥٧
(رفع) رفعه : ١٩٠
رفع السموات : ٣٢٢
رفعه على العرش : ٢٦٧
(سرع) سريع الحساب : ٤٩٨
(سمع) السميع : ٩٠
(سوع) الساعة : ٢٩٠
(صنع) صنع : ٤٥٦
(صوع) الصُّواع : ١٧٥ — ١٧٧ ، ١٨٦
الصاع : ١٧٥
الصَّوْع : ١٧٥
(ضيع) أضاع الشىء : ١٥٠
(طوع) طوعًا : ٤٠٣
(طمع) طمعًا : ٣٨٧
(فرع) الفرع : ٥٦٧
(قرع) قارعةٌ : ٤٥٦
(قطع) قطّع يده : ٧٧ ، ١٣٣
قطع الأرض : ٤٤٦ — ٤٥٠
قطع ما أمر الله به : ٤٢٨
قِطَعٌ : ٣٣٠
(متع) متاع : ١٦١ ، ٢٠٢ ، ٤٠٩ ، ٤١٤ ، ٤٣٠ ، ٤٣١
(نفع) نفع ينفع ، النفع : ١٩ ، ٤٠٥ ، ٤٠٩

* * *

(بلغ) البلاغ : ٤٩٣

(سوغ) يُسيغُه : ٥٤٨ ، ٥٤٩
(صوغ) الصَّوْغ : ١٧٥
(نزغ) نزغ بينهما : ٢٧٧

* * *

(أسف) يا أسفا : ٢١٤ ، ٢١٧
الأسف : ٢١٥
(خلف) لا يخلف الميعاد : ٤٥٦ ، ٥٦٠
من خِلفه : ٣٦٩
(خوف) خاف مقامه : ٥٤١ ، ٥٤٢
يخاف : ٤٢٠
خوفًا : ٣٩٠
من خِيفته : ٣٨٧
(شعف) شعفه الحب : ٦٦ — ٦٨
شَعَف الجبال : ٦٧
(شغف) شغفه الحب : ٦٣ — ٦٨
شَغاف القلب : ٦٣
(صرف) صرف عنه كذا : ٤٩ ، ٨٨ ، ٩٠
(ضعف) الضعفاء : ٥٥٧ ، ٥٥٨
(طرف) أطراف : ٤٩٣ — ٤٩٨
(عجف) عجاف : ١١٦ ، ١٢٥
(عصف) يوم عاصف : ٥٥٣ — ٥٥٥
(وصف) يصف : ١٩٩

* * *

(برق) البرق : ٣٨٦
(حقق) الحق : ٣٢٠ ، ٤١٨
جعلها حقًّا : ٢٧١
بالحق : ٥٥٦
دعوة الحق : ٣٩٧ ، ٣٩٨
وعد الحق : ٥٦٠
(خلق) خلقوا الخلقة : ٤٠٧
الخلق : ٤٠٧ ، ٥٥٦
خلق جديد : ٣٤٦
خالق كل شيء : ٤٠٨
(رزق) يرزق : ١٠٠ ، ٤٢١
(سبق) استبق : ٥٠
(سرق) سرقَ ، يسرق ، السَّرَق : ١٩٤ — ١٩٦ ، ٢٠٩
(شقق) أشقّ ، المشقة : ٤٦٨
(صدق) صادق : ٢١٣
تصديق : ٣١٤
تصدّق عليه ، المتصدّق : ٢٤١ ، ٢٤٢
الصدقة : ٢٤٢
الصدّيق : ١٢٣
(صعق) الصاعقة : ١٩٠
(غلق) غلّقت الأبواب : ٢٥
(فرق) يتفرّق : ١٠٤
متفرقة : ١٦٤ ، ١٦٥
(لحق) ألحقه بكذا : ٢٧٨
(نفق) أنفق : ٤٢١
(وثق) مَوثِق : ١٦٣ ، ٢٠٨
الميثاق : ٤١٩ ، ٤٢٨

* * *

(شكك) شك : ٥٣٦ : ٥٣٧
(شرك) أشركه : ١٠٣ ، ٤٧٣ ، ٥٦١ ، ٥٦٤
جعلوا له شركاء : ٤٠٧ ، ٤٦٥
مشرك : ٢٨٦ — ٢٨٩ ، ٢٩١

(ملك) ملك لنفسه شيئًا : ٤٠٥
المُلْك : ٢٧٨
المَلِكُ : ١١٦ ، ١٣٣
١٤٧
مَلَكٌ وملائكة : ٨٥ ،
٣٦٩
(هلك) أهلكه : ٥٤١
الهالك : ٢٢٤ ، ٢٢٥

* * *

(أجل) أجَل مسمى : ٣٢٦ ،
٣٢٧ ، ٤٧٦ ، ٥٣٧
(أصل) الأصْل : ٥٦٧
أُصُل ، آصال : ٤٠٤ ،
٤٠٥
(أكل) الأَكْل : ١٢٦
الأُكُل : ٣٤٣ ، ٤٧٢
آتى أُكُله : ٥٦٧ ، ٥٨٢
(أول) تأويل الأحاديث : ٢٠ ،
٩٨ ، ١٠١ ، ١٢٣ ،
٢٧١ ، ٢٧٨
(بول) ما بالُ فلان ؟ : ١٣٣
(ثقل) السحاب الثقال : ٣٨٧
(جدل) يجادل فى الله : ٣٩٤
(جعل) جعله على كذا : ١٤٨
(جمل) صبرٌ جميلٌ : ٢١٣
(جهل) الجاهل : ٨٩ ، ٢٤٣
(حلل) حلّ قريبًا : ٤٥٦ ، ٤٥٩
(حمل) حِمْل بعير : ١٧٧ ، ١٧٨
حملت المرأة : ٣٥٨
احتمل الشيء : ٤٠٩
(رحل) رَحْل ، رِحال : ١٥٧ ،
١٧٣ ، ١٨٢
(رسل) أرسل ، رسول : ٢٣ ،
٥١٦ ، ٥١٧
مُرْسَل : ٥٠٠
(سبل) سبيل ، سُبُل : ٢٩١ ،
٢٩٢ ، ٤٦٧ ، ٥٣٩
سبيل الله : ٥١٥
(سنبل) سنبلة : ١١٦ ، ١٢٥
(سول) سوّلت له نفسه : ٢١٣
(سيل) سال : ٤٠٩
السيل : ٤٠٩
(ضلل) أضل يضلّ : ٤٣١ ، ٤٦٨
٥١٦ ، ٦٠٢
ضلال : ٦٨ ، ٢٥٦ ،
٤٠٣
ضلال بعيد : ٥١٥ ،
٥٥٤ ، ٥٥٦
(ظلل) الظِلّ ، الظِلال : ٤٠٤ ،
٤٧٢
(عجل) يستعجله : ٣٥٠
(عقل) يعقل : ٢٩٥ ، ٣٤٥
(عمل) أعمال : ٥٥٣
(غلل) الأغلال : ٣٥٠
(فصل) فصلت العير : ٢٤٨
فصّل الآيات : ٣٢٧
تفصيل : ٣١٤
(فضل) فَضْل : ١٠٣
فضّل بعضها على بعض :
٣٤٣
(فعل) يفعل الله ما يشاء : ٦٠٣

(قبل) من قُبُل : ٥٩
أقبل عليه : ١٧٥
أقبل فى كذا : ٢١٢
(كلل) كُلّ : ٣٢٦
(كيل) الكيل : ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ، ٢٤٢
اكتال : ١٥٨
(مثل) مَثَلُ : ٤٦٩ — ٤٧٢ ، ٥٥٢ ، ٥٨٣
ضرب مثلاً : ٥٦٦ ، ٥٦٧
يضرب الأمثال : ٥٦٧
مَثَلَةٌ ، مَثُلات : ٣٥٠ — ٣٥٢
(محل) المحال : ٣٩٤—٣٩٧
(ملل) ملة : ١٠١ ، ١٠٣ ، ٥٤٠
(نزل) أنزل الله : ١٠٦ ، ٣٢٠ ، ٤٧٣ ، ٤٧٥ ، ٥١١
أنزل الضيف : ١٥٥
خير المنزلين : ١٥٥
(وصل) وصل ، يصل ، يُوصل : ٤٢٠ ، ٤٢٨
(وكل) توكلَ عليه : ٤٤ ، ١٦٦ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩
المتوكلون : ١٦٦
وكيل : ١٦٤
(ويل) ويلٌ : ٥١٤

* * *

(ألم) أليم : ٥٢ ، ١١ ،
(أمم) بعدَ أُمة : ١١٩ —١٢١ ، ١٢٤
أمةٌ ، أممٌ : ٤٤٥
أمّ الكتاب : ٤٩٠ —٤٩٢
(جرم) المجرم : ٣١٢
(جهنم) جهنم : ٤١٧ ، ٥٤٦
(حكم) الحُكم : ٢٣ ، ١٠٦ ، ١٦٦
حُكمًا عربيًّا : ٤٧٥
يحكم ، الحاكم : ٢٠٩ ، ٤٩٨
الحكيم : ٢٧٧ ، ٥١٧
(حلم) حِلْم ، أحْلام : ١١٧ ، ١١٩
(درهم) دراهم : ١٢
(دوم) دائم : ٤٧٢
(رحم) رحمةٌ : ٣١٥
رحمه الله : ١٤٢
الراحم : ١٦١ ، ٢٤٧
الرحمن : ٤٤٥
الرحيم : ١٤٢ ، ٢٦٣
(زعم) زعيمٌ بِه : ١٧٨ — ١٨٠
(سلم) سلام عليكم : ٤٢٤
(سوم) سامه ، يسومه : ٥٢٣
(طعم) طعام : ١٠٠
(ظلم) ظُلم : ٣٥٢
الظالم : ١٨٢ ، ٢٠٢ ، ٥٤١ ، ٥٦١ ، ٦٠٢
ظُلُمات : ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٨
(عصم) استعصم : ٨٦
(علم) العليم : ٧ ، ٩٠ ، ١٣٧ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٩١ —

١٩٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢٧٧
عالِم : ٣٦٦
العالَمون : ٢٨٤
علم الكتاب : ٥٠٠، ٥٠٧
(عوم) عامٌ : ١٢٨
(قدم) القديم : ٢٥٦
(قوم) أقام الصلاة : ٤٢١
قائم على كل نفس : ٤٦٢ — ٤٦٤
خاف مقامه : ٥٤١ ، ٥٤٢
القيِّم : ١٠٦
(كرم) كريم : ٨٥
أكرم : ١٨
(كظم) كظيم : ٢١٥ — ٢١٩
(كلم) كلم الموتى : ٤٤٦—٤٥٠
(لوم) لامه فى كذا : ٨٥ ، ٥٦١
(نعم) نعمة الله : ٥٢٣ ، ٥٢٤
نِعْمَ عُقْبى الدار : ٤٢٣
(همم) هَمَّ بكذا : ٣٥ — ٣٩
(وخم) التخمة : ١٨٠ ، ١٨١
(يوم) يوم عاصف : ٥٥٣ — ٥٥٥
أيام الله : ٥١٩ — ٥٢٣

* * *

(أذن) الإذْن : ٤٧٦ ، ٥١١ ، ٥٣٨ ،
بإذن الله : ٥٦٦ ، ٥٦٧
أذّن مؤذّن : ١٧٣
تأذّن الله : ٥٢٦
(أمن) آمن ، يؤمن : ١٠١ ، ١٥٢ ، ٣١٥ ، ٣٢٢ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٥٠ ، ٥٦٦ ، ٥٨٩
أمنه على الشيء : ١٦٠
آمنٌ : ٢٦٤
أمين : ١٤٧
مؤمن : ٥٣٨
(برهن) البرهان : ٣٩ — ٤٩
(بين) بيَّن له : ٥١٦
مُبِينٌ : ٦٨ ، ٥٣٧
البيِّنات : ٥٣٠
(جنن) الجنة ، جناتٌ : ٣٣٣ ، ٤٦٩ ، ٥٦٦
جنات عَدْن : ٤٢٣ — ٤٢٥
(حسن) حُسْنُ مآب : ٤٤٤
أحسن : ٣٢
أحسن به : ٢٧٥
الإحسان : ٩٨
المُحْسن : ٢٣ ، ٢٤ ، ٩٨ — ١٠٠ ، ١٥١ ، ٢٠٢ ، ٢٤٤
الحَسَنَة : ٣٥٠ ، ٤٢٢
الحُسْنى : ٤١٦
(حصن) أحصن الشيء : ١٢٧ ، ١٢٨
(حين) الحين : ٩٤ ، ٥٧٥ — ٥٨٢
(خزن) خِزانة ، خزائن : ١٤٨

(خون) خانَهُ : ١٤٠
الخِوانُ : ١٨٦
(دون) من دونه : ١٠٥ ، ٣٩٩ ، ٤٠٥
(دين) الدِّين : ١٠٦
دِين الملك : ١٨٧ — ١٩٠
(زين) زُين له مكره : ٤٦٦ ، ٤٦٧
(سجن) سجنه ، يسجنه : ٨٦ ، ٩٢
السِّجْن : ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٤ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ٢٧٥
(سكن) أسكنه الأرض : ٥٤١
(سمن) سِمَان : ١١٦ ، ١٢٥
(سنن) سنَان الرمح : ١٨٦
(شطن) الشيطان : ٥٦٠ (شيط)
(طمن) اطمأن قلبه : ٤٣٢، ٤٣٣
(ظنن) ظنّ : ١٠٩ ، ١١٠ ، ٢٩٦ — ٣٠٩
(عدن) جنات عَدْن : ٤٢٣ — ٤٢٥
(علن) علانية : ٤٢١
(لسن) لسان : ٥١٦
(لعن) اللعنة : ٤٢٨
(مكن) مكّن له : ٢٠ ، ١٥١
مَكينٌ : ١٤٧
(منن) منّ الله عليه : ٢٤٤ ، ٥٣٨
(يقن) أيقن ، يُوقِن : ٣٢٧

* * *

(أمه) بَعْد أمَه : ١٢١ — ١٢٣
(شبه) تشابه عليه : ٤٠٧
(فوه) ردّوا أيديهم فى أفواههم : ٥٣٠ — ٥٣٦
(كره) كَرْهًا : ٤٠٣
(وجه) وجه ربهم : ٤٢١

* * *

(أتى) أتى (بمعنى : عاد) : ٢٤٨
أتى بكذا : ١٢٣ ، ١٤٦ ، ١٥٥ ، ٤٧٦
أتى الشيءَ : ٤٩٣
آتاه : ٢٣ ، ٢٧٨ ، ٤٧٣
آتى أُكُله : ٥٦٧ ، ٥٨٢
آتاهُ موثقًا : ١٦٣
(أذى) آذاه : ٥٣٩
(أوى) آويته : ١٦٩
آوى إليه أباه : ٢٦٤
مَأوى : ٤١٧
(أبى) الآية ، الآيات : ٩١ ، ٢٨٥ ، ٣٢٠ ، ٣٢٧ ، ٣٤٥ ، ٣٥٣ ، ٤٣١ ، ٤٧٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥٢٣
(بدا) بدا لَهُ : ٩١
البَدْو : ٢٧٥ ، ٢٧٦
(بغى) يبغي : ١٦١
بغاهُ ، يبغيه : ٥١٥
ابتغاء : ٤٠٩ ، ٤٢١
(بلا) بلاءٌ : ٥٢٥
(تلا) تلا ، يتلو : ٤٤٥
(ثوى) المثوى : ١٨ ، ٣٢
ثوى بالمكان : ١٨

(جزى) يجزى : ٢٣
الجزاء: ٥٢، ١٨٢، ١٨٣
(جفا) الجُفَاء : ٤١٥
(حشا) حاش لله : ٨١ — ٨٣
حَشَى لله : ٨٢
(حيي) الحياة الدنيا : ٤٣٠، ٤٦٨، ٥١٥ ، ٥٨٩ — ٦٠٢
استحيي نساءهم : ٥٢٤، ٥٢٥
(خشى) خشى ربه : ٤٢٠
(خفى) مستخْف بالليل: ٣٦٦— ٣٦٨ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤
(خلا) خلا ، يخْلو : ٣٥٠ ، ٤٤٥
(دعا) دعا ، يدعو ، ٤٧٣ ، ٥٣٧
دعاء : ٤٠٣
دعوة الحق : ٣٩٧
(دلو) أدلى دلوه : ١
دلا ، يدلو ، دلواً : ١
(دنا) الحياة الدنيا : ٢٧٨ ، ٤٣٠ ، ٤٦٨ ، ٥١٥ ، ٥٨٩ — ٦٠٢
(رأى) رأى ، من الرؤيا : ١١٦
الرؤيا : ١١٦ ، ٢٧١
ألم تر : ٥٥٦ ، ٥٦٦
(ربى) زبداً رابياً: ٤٠٩ ، ٤١٤
(رسا) الراسية ، الرواسى : ٣٢٨
(زجى) بضاعة مزجاة : ٢٣٤ — ٢٤٠
(سقى) يُسقَى بالماء : ٣٤١
السِّقاية : ١٧٢ ، ١٨٦
(سما) اسم ، أسماء : ١٠٥
سمّى : ١٠٥ ، ٤٦٥
أجل مسمى : ٣٢٦، ٣٢٧، ٥٣٧
(سوى) سَواءٌ ، سواءٌ عليه : ٣٦٦ ، ٥٥٨
(سوى) استوى على العرش: ٣٢٥، ٤٠٦
(شرى) شرى : ٨ — ١٠
اشترى : ٨ — ١٠ ، ١٧
شِرًى : ٨٤
(شكا) شكا يشكو : ٢٢٥
(صبا) يصبو إليه : ٨٨ ، ٩٩
(صنو) صِنْو ، صِنْوانٌ : ٣٣٥ — ٣٤٠
(علا) عالية الرمح : ١٨٦
المتعالى : ٣٦٦
(عمى) الأعمى : ٤٠٦ ، ٤٠٧، ٤١٨
(غدا) الغدوّ : ٤٠٤
(غشى) غاشية : ٢٩٠ ، ٢٩١
أغشى الليل النهارَ : ٣٢٩
(غنى) أغنى عنه : ١٦٦ ، ١٦٧
غنىٌّ : ٥٢٨
(فتى) الفتى : ٦٢ ، ٩٤
فتى ، وفتيان : ١٥٦
أفتاهُ : ١١٦
استفتى : ١٠٧
(فدى) افتدى به : ٤١٦
(فرى) افتراهُ : ٣١٤

(قرى) قرية ، قُرًى : ٢١٢ ، ٢٩٣
(قضى) قضَى الأمرَ : ١٠٧ ، ١٦٧
قُضِى الأمرُ : ٥٦٠
(كفى) كفى به : ٥٠٠
(لدى) لدى : ٥١
(لفى) ألفى : ٥١
(لقى) لقاء الله : ٣٢٧
(محا) محا ، يمحو : ٤٧٧–٤٨٩ ، ٤٩٢
(ملا) أملى له : ٤٦٠ ، ٤٦١
(نجا) ناجٍ : ١٠٩
نجّاهُ : ٢٩٦ ، ٣١٠–٣١٢
أنجاه : ٥٢٣
النجوى : ٢٠٤ ، ٢٠٥
النجىّ : ٢٠٤
(نسا) نسْوة : ٦٢ ، ١٣٣
أنْسَاهُ : ١١١
(هدى) هدى ، يهدى : ٤٣١ ، ٥١٦ ، ٥٣٩ ، ٥٥٨
هُدًى : ٣١٤ ، ٤٥٥
هاد : ٣٦٨ ، ٣٥٣ – ٣٥٨
(هوى) أهواء : ٤٧٥
(وحى) أوحى إليه : ٢٨٣ ، ٢٩٣ ، ٤٤٥ ، ٥٤١
(ودى) وادٍ ، أودية : ٤٠٩
(ورى) وراء : ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٥٢
التوراة : ١٨٠
(وعى) وعاء ، أوعية : ١٨٤
(وفى) أوفَى الكيلَ : ١٥٤ ، ٢٤٠
أوفى بعهده : ٤١٩
توفّاه : ٢٧٨ ، ٤٩٣
(وقى) اتّقى : ١٥٢ ، ٢٤٤ ، ٤٧٢
واقٍ : ٤٦٨ ، ٤٧٥
المتقون : ٤٦٩
(ولى) ولىّ ، أولياء : ٢٧٨ ، ٤٠٥ ، ٤٧٥
تولى عنه : ٢١٤
(يدى) بين يديه : ٣١٤ ، ٣٦٩
ردّوا أيديهم فى أفواههم : ٥٣٠ – ٥٣٦

أعلام المترجمين فى التعليق

(الأرقام فى هذا الفهرس على أرقام الآثار ، لا الصفحات)

آدم بن أبى إياس العسقلانى : ٢٠٥٠٣ ، ٢٠٧٦٩

أبان بن يزيد العطار : ٢٠٢٦٦ ، ٢٠٧٥٢

إبراهيم بن إسحق بن عيسى الطالقانى البنانى (إبراهيم بن عيسى) (أبو إسحق الطالقانى) : ٢٠٦٣١ ، ٢٠٦٣٢

إبراهيم بن بشير الأنصارى : ١٩٢٧٣

إبراهيم بن أبى بكر بن عبد الله الأخنسى : ٢٠١١٢

إبراهيم بن أبى حرة الجزرىّ : ٢٠٠٠٨

إبراهيم بن عبد السلام بن صالح القشيرى : ٢٠٢١١

إبراهيم بن عيسى الطالقانى (إبراهيم ابن إسحق بن عيسى)

إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء ابن خارجة الفزارى : ٢٠٣٤٥

إبراهيم بن المختار التميمى : ١٩٤٥٤

إبراهيم بن يزيد الحوزى القرشى : ١٩٣١٥

إبراهيم بن يزيد النخعى : ٢٠٤٨٥

أبو أحمد (محمد بن عبد الله بن الزبير ، الزبيرى ، الأسدى)

أحمد بن إسحق بن عيسى الأهوازى (شيخ الطبرى) : ٢٠٤٧١

أحمد بن ثابت بن عتاب الرازى (فرخويه) (شيخ الطبرى) : ١٩٢٢٨

أحمد بن الحسن الترمذى (شيخ الطبرى) : ١٩٨٧٦ ، ٢٠١٢٧

أحمد بن سهيل الواسطى (شيخ الطبرى) : ١٨٩٧٢

أحمد بن عمرو البصرى (شيخ الطبرى) : ١٩٦٠٠

أحمد بن يحيى الصوفى (شيخ الطبرى) : ٢٠١٦١

أحمد بن يوسف التغلبى الأحول (شيخ الطبرى) : ٢٠٤١٠

أبو الأحوص (عمار بن رزيق الضبى)

الأحوص بن جواب الضبى (أبو الجواب) : ١٨٩٦٧

أربد بن ربيعة (أربد بن قيس بن جزء ، أخو لبيد لأمه) : ٢٠٢٥٠

أربد بن قيس بن جزء (أخو لبيد لأمه) (أربد بن ربيعة) : ٢٠٢٥٠

أرطاة بن المنذر الألهانى : ٢٠٣٤٤

أبو إسحق السبيعى : ٢٠٥٧٩

أبو إسحق الطالقانى (إبراهيم بن إسحق بن عيسى)

أبو إسحق الكوفى (عبد الله بن ميسرة

الحارثى) (أبو ليلى) ، (أبو عبد الجليل) : ٢٠٠٧٨ ، ٢٠١١٧
إسحق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد (شيخ الطبرى) : ٢٠٥٦٨
إسحاق بن زياد القطان (أبو يعقوب البصرى) (شيخ الطبرى) : ١٩٧٥٣
إسحاق بن زيادة القطان (إسحق ابن زياد القطان) (شيخ الطبرى)
إسحق بن سليمان العبدى الرازى : ٢٠٢٦٩
إسحق بن يوسف (الواسطى) : ٢٠٤٦٠
إسرائيل بن يونس بن أبى إسحق السبيعى : ٢٠٥٩٧
أبو إسماعيل (؟؟) : ١٩٧٥٣
إسماعيل بن زكريا الخلقانى الأسدى (شقوصا) : ٢٠٧٠١
إسماعيل بن سيف العجلى (شيخ الطبرى) : ١٩٢٠٦ ، ١٩٢٠٨
إسماعيل بن عبد الكريم بن معقل الصنعانى : ٢٠٣٩٠
إسماعيل بن عياش الحمصى : ٢٠٣٤٤
الأسود بن يزيد النخعى : ٢٠٢٦٣
الأشجعى (عبيد الله بن عبيد الرحمن الأشجعى)
أبو الأشرس (حسان بن المنذر) (المنذر بن عمار)
أشعث أبو عبد الله الحملى (أشعث ابن عبد الله بن جابر)
أشعث بن جابر الحدانى (أشعث بن عبد الله بن جابر)
أشعث بن عبد الله بن جابر الحدانى الحملى الأعمى (أشعث بن جابر) : ٢٠٣٨٤
ابن الأصبهانى (عبد الرحمن بن عبد الله الأصبهانى)
أوس بن عبد الله الربعى (أبو الجوزاء) : ٢٠٣٣١
إياس (أبو وحشية اليشكرى) : ٢٠٥٤٥
إياس بن معاوية بن قرة المزنى (أبو واثلة) : ٢٠٠٥٩
أيوب بن جابر بن سيار اليمامى : ١٩١٠٣
أيوب بن صفوان (أيوب بن أبى صفوان) : ٢٠٠١٦
أيوب بن أبى صفوان (أيوب بن صفوان) : ٢٠٠١٦
أيوب بن عائذ المدلجىّ الطائى : ١٩١٤٥
أبو أيوب الحطاب (سليمان بن عبيد الله الأنصارى)
أبو أيوب الدمشقى (سليمان بن عبد الرحمن التميمى)
أبو أيوب الهوزنىّ (؟؟) : ١٩٨٠١

* * *

بحر بن عيسى (؟؟) : ٢٠٤٦١
ابن بشار (محمد بن بشار)

بشر بن عبيس بن مرحوم العطار : ١٨٩٧٢
بشر بن عمر بن الحكم الزهرانى : ٢٠٧٥٢
بقية بن الوليد : ٢٠٣٤٤
أبو بكر (؟؟) (شيخ الطبرى) : ٢٠٠٠٠
أبو بكر الربعى (هشام بن أبى عبد الله ، سنبر)
أبو بكر الهذلى : ١٩١٠٠
بكر بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبى ليلى : ٢٠٤٦١
أبو بكر بن عبد الله (؟؟) (أبو بكر بن عبد الله بن أبى الجهم العدوى) : ٢٠١١٣
أبو بكر بن عبد الله بن أبى الجهم العدوى : ٢٠١١٣
بندار (محمد بن بشار العبدى).
بياع الهروى (معاذ بن مسلم)

* * *

تميم بن حذلم الضبى : ٢٠٠١٨
أبو توبة (الربيع بن نافع)

* * *

ثابت البنانى (ثابت بن أسلم)
ثابت بن أسلم البنانى : ١٩٢٢٨
ثابت بن هرمز ، الحداد (أبو المقدام) : ٢٠٠٢٠

* * *

جابر بن نوح الحمانى : ٢٠٧٥٩
جامع بن شداد المحاربى (أبو صخرة) : ٢٠٢٦٣
جحش بن زياد الضبى : ٢٠٠١٨
ابن جريج : ٢٠٠٢٩
جرير بن حازم الأزدى : ٢٠٤١٠
جسر بن فرقد (أبو جعفر القصاب) : ١٩٩٢٣
أبو جعفر البزاز البغدادى (محمد بن الصباح الدولابى)
أبو جعفر الفراء (القراد) (كيسان) (سلمان) (زيادة) : ٢٠٥٢٢
أبو جعفر القصاب (جسر بن فرقد)
أبو جعفر النفيلى (عبد الله بن محمد ابن على بن نفيل)
جعفر بن إياس ، أبى وحشية اليشكرى : ٢٠٥٤٥
جعفر بن برقان الكلابى : ٢٠٧١٩
جعفر بن سليمان الضبعى : ٢٠٣٣١
جعفر بن محمد البروزى (جعفر بن محمد الكوفى المروزى) (شيخ الطبرى) : ٢٠٣٦٣
جعفر بن محمد الكوفى المروزى (جعفر ابن محمد البروزى) (شيخ الطبرى) : ٢٠٣٦٣
جعفر بن أبى وحشية (جعفر بن إياس) : ٢٠٥٤٥
أبو الجلد (جيلان بن فروة الأسدى)
الجهبذ (هلال بن أبى حميد الوزان) : ٢٠٤٨٤
أبو جهضم (موسى بن سالم)

أبو الجواب (الأحوص بن جواب الضبى)
أبو الجوزاء (أوس بن عبدالله الربعى)
جيلان بن فروة الأسدى (أبو الجلد) : ٢٠٢٥١

* * *

الحارث بن أبى أسامة (الحارث بن محمد بن أبى أسامة)
الحارث بن محمد بن أبى أسامة التميمى (الحارث بن أبى أسامة) : ٢٠٥٨٣
حبان بن شعبة (؟؟) : ٢٠٧٤٠
حبيب بن أبى الأشرس (حبيب بن حسان)
حبيب بن حسان (حبيب بن أبى الأشرس) (حبيب بن أبى هلال) : ٢٠٥٧٥
حبيب بن أبى هلال (حبيب بن حسان)
حجاج (؟؟) (حجاج بن أرطاة) : ٢٠١١٢
أبو الحجاج ، رجل من مشيخة الجند (أبو الحجاج يوسف الألهانى) (أبو الضحاك الحمصى) : ٢٠٣٤٤
أبو الحجاج ، يوسف الألهانى (أبو الحجاج ، رجل من مشيخة الجند) (أبو الضحاك الحمصى ، يوسف الألهانى) : ٢٠٣٤٤
حجاج بن أرطاة (حجاج ؟؟) : ٢٠١١٢
حجاج بن محمد المصيصى الأعور ، (أبو محمد) : ٢٠٤١١
الحجاج بن المنهال الأنماطى : ٢٠٤٨١ ، ٢٠٤٨٥
حسان أبو الأشرس (حسان بن المنذر)
حسان بن أبى الأشرس (حسان بن المنذر)
حسان بن المنذر بن عمار الكاهلى (حسان أبو الأشرس) (حسان ابن أبى الأشرس) : ٢٠٣٨٨ ، ٢٠٣٩٢
أبو الحسن البغدادى (على بن الجعد ابن عبيد الجوهرى)
أبو الحسن العطار (العلاء بن عبدالجبار)
الحسن بن الحسين الأنصارى ، العرنى : ٢٠١٦١
الحسن بن شبيب بن راشد (شيخ الطبرى) : ٢٠٣٩٤
الحسن بن عرفة البغدادى (شيخ الطبرى) : ٢٠٣٢٧
الحسن بن محمد بن الصباح الزعفرانى (شيخ الطبرى) : ٢٠٠١٠ ، ٢٠٤١١ ، ٢٠٥١٤ ، ٢٠٥٤٩ ، ٢٠٧٧٠
الحسن بن مسلم بن يناق المكى : ٢٠٠٥٣ ، ٢٠٠٥٤
الحسين بن الحريث المروزى (أبو عمار) (شيخ الطبرى) : ١٩٦٣٤
الحسين بن سلمة بن إسماعيل بن يزيد ابن أبى كبشة الأزدى ، الطحان

(شيخ الطبرى) : ٢٠٧٦٢
الحسين بن على بن يزيد الصدائى (شيخ الطبرى) : ٢٠٥٣٦
الحسين بن واقد المروزى : ١٩٦٣٤
أبو حصين (عبد الله بن أحمد بن يونس)
حصين بن جندب الجنبى (أبو ظبيان) : ٢٠٦٩٥
حصين بن عبد الرحمن السلمى : ٢٠٥١٩
الحكم المكى (الحكم بن أبى خالد . مولى بنى فزارة) (الحكم بن ظهير الفزارى) : ٢٠٦٣٩ ، ٢٠٦٥٦
أبو الحكم (عمران بن الحارث السلمى)
الحكم بن أبان العدنى : ٢٠٢٦٢
الحكم بن أبى خالد ، مولى بنى فزارة (الحكم المكى) (الحكم بن ظهير الفزارى) : ٢٠٦٣٩ ، ٢٠٦٥٦
الحكم بن ظهير الفزارى (الحكم المكى) (الحكم بن أبى خالد) : ٢٠٦٣٩ ، ٢٠٦٥٦
الحكم بن موسى بن أبى زهير البغدادى : ٢٠١٧٦
أبو حكيمة (عصمة) (الغزال) : ٢٠٤٧٨ ، ٢٠٤٨٠
حماد بن سلمة بن دينار : ١٩٢٢٨ ٢٠٣٤٢ ، ٢٠٤٨١ ، ٢٠٤٨٥ ٢٠٧٦٩
الحمانى (يحيى بن عبد الحميد بن عبد الرحمن الحمانى)
أبو حمزة (ميمون الأعور التمار ، الراعى)
أبو الحويرث (عبدالرحمن بن معاوية ابن الحويرث)
حيان . أبو سعيد التيمى : ٢٠٧٤٠
حيان بن شعبة : ٢٠٧٤٠
حيوة بن شريح بن يزيد الحضرمى الحمصى : ٢٠٦٣٣

* * *

أبو خالد القرشى (عمرو بن خالد القرشى)
خصاف (خصاف بن عبدالرحمن)
خصاف بن عبد الرحمن الجزرى : ٢٠٤٨٥
خيثمة بن عبد الرحمن بن أبى سبرة الجعفى : ٢٠٧٧٢

* * *

أبو داود الطيالسى (سليمان بن داود ابن الجارود) : ٢٠٥٣٦
داود بن أبى هند : ٢٠٧٦٢
دخين الحجرى (دخين بن عامر الحجرى) المصرى (أبو ليلى)
دخين بن عامر الحجرى المصرى (أبو ليلى) : ٢٠٦٤٥
دراج بن سمعان (أبو السمح) : ٢٠٣٩٥
الديك (هرون بن سفيان بن بشير)
ديلم بن غزوان : ٢٠٢٧٠

* * *

ذكوان السمان (سهيل بن أبى صالح)

* * *

راشد ، أبو سلمة الصائغ الفزارى

(أبو سلمة الصائغ) : ١٩٢٧٣
الربيع بن نافع (أبو توْبة) : ٢٠٣٩٣
ربيعة الجرشى (ربيعة بن عمرو)
(ربيعة بن الغاز) : ١٩٢٣٠ — ١٩٢٣٢
أبو ربيعة (فهد) : ٢٠٧٨٠
ربيعة بن عمرو (ربيعة الجرشى)
ربيعة بن الغاز (ربيعة الجرشى)
ربيعة بن كلثوم بن جبر البصرى : ٢٠٠٠٩
رِشدين بن سعد المصرىّ : ٢٠٦٤٥

* * *

زاذان (أبو عبد الله ، أو أبو عمر الكندى البزار) : ٢٠٧٦٣
أبو زبيد الكوفى (عبثر بن القاسم الزبيدى)
الزبير بن الخريت : ٢٠٤١٠ ، ٢٠٥٢٨
أبو زكريا الكلبى (يحيى بن مصعب الكلبى)
ابن أبى زكريا (عبد الله بن أبى زكريا الخزاعى الشامى)
زكريا بن أبان المصرى (زكريا بن يحيى بن أبان) (شيخ الطبرى) : ١٩٣٩٩
زكريا بن يحيى بن أبان المصرى (زكريا بن أبان)
الزَّمِن (محمد بن المثنى العنزى) (شيخ الطبرى)
زهير بن معاوية الجعفى : ٢٠٠٩٨
زيادة (أبو جعفر الفراء)
زيادة بن محمد الأنصارى : ٢٠٥٠٢
زيد بن أبى أنيسة الجزرى : ٢٠١٢٧
زيد بن سلام بن أبى سلام : ٢٠٣٩٣

* * *

أبو السائب (سلم بن جنادة بن خالد)
سعد بن عبيدة : ٢٠٧٥٨ — ٢٠٧٦١
سعدويه (سعيد بن سليمان الضبى)
أبو سعيد (عبيد الله بن بسر)
سعيد بن بشر : ١٩٣٢٣
سعيد بن الحكم (سعيد بن أبى مريم) (ابن أبى مريم) : ٢٠٥٠٢
سعيد بن سليمان الضبى (سعدويه) : ٢٠٤٧١
سعيد بن أبى عروبة : ٢٠٠١٦
سعيد بن أبى مريم (سعيد بن الحكم) (ابن أبى مريم) : ٢٠٥٠٢
سعيد بن مسجوح (بن مشجوج ، ابن مسجوع) : ٢٠٣٧٦ ، ٢٠٣٧٧
سعيد بن مشجوج (سعيد بن مسجوح ، ابن مسجوع) : ٢٠٣٧٦ ، ٢٠٣٧٧
سعيد بن مسروق الثورى : ٢٠٧٧٢
سعيد بن يحيى بن مهدىّ (أبو سفيان الحميرى) : ١٩٨٧٢
سفيان الثورى : ٢٠٥٢٧ ، ٢٠٧١٧ ، ٢٠٧٧٢
أبو سفيان (هرون بن سفيان بن بشير)
أبو سفيان الحميرى (سعيد بن يحيى ابن مهدى)

سفيان بن عيينة : ٢٠٢٣٤
أبو سلام (ممطور ، الأسود الحبشي)
سلم بن جنادة بن خالد السوائى (أبو السائب) (شيخ الطبرى) : ٢٠٧٥٨
سلم بن قتيبة الشعيرى (أبو قتيبة) : ٢٠٢٤٣
سلمان (أبو جعفر الفراء)
أبو سلمة الصائغ (راشد أبو سلمة) : ١٩٢٧٣
أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى : ٢٠٧٦٩
سليمان (سليمان بن داود بن الجارود)
سليمان بن أرقم (أبو معاذ البصرى) : ٢٠٥٥٨
سليمان بن بلال التيمى : ١٩٣٩٨
سليمان بن داود القومسى (شيخ الطبرى) : ٢٠٣٩٣
سليمان بن داود بن الجارود ، (أبو داود الطيالسى) : ١٩٣٢٧
سليمان بن طرخان التيمى (أبو المعتمر) : ٢٠٤٧٩ ، ٢٠٦٩٧
سليمان بن عبد الرحمن التميمى (أبو أيوب الدمشقى) : ١٩٨٧٥
سليمان بن عبيد الله الأنصارى الرقى (أبو أيوب الحطاب) : ٢٠١٢٧
سليمان بن عمرو العتوارى المصرى (أبو الهيثم) : ٢٠٣٩٥
أبو السمح (دراج بن سمعان)
أبو سنان الشيبانى الأكبر (ضرار بن مرة)
سنبر (هشام بن أبى عبدالله) (أبو بكر الربعى)
سهل بن موسى الرازى : ٢٠٥٠٣
سهيل بن أبى صالح ، (ذكوان السمان) : ٢٠٣٤٥
سيار ، مولى خالد بن يزيد بن معاوية (سيار بن عبد الله) : ٢٠٥١٢
سيار بن عبد الله (سيار ، مولى خالد ابن يزيد) : ٢٠٥١٢
سيف بن عمر الضبى : ٢٠٢٦٩
سيف بن محمد الثورى (ابن أخت سفيان الثورى) : ٢٠١٢٦ ، ٢٠١٢٧

* * *

شرقى البصرى : ٢٠٢٢٨ ، ٢٠٢٤٣
أبو شريح (عبد الرحمن بن شريح ابن عبد الله المعافرى)
شريك بن عبد الله النخعى : ٢٠٦٨٢
شعبة بن الحجاج : ٢٠٢٤٣
شعيب (شعيب بن الحبحاب)
شعيب بن الحبحاب الأزدى : ٢٠٠٠٨ ، ٢٠٦٧٧ — ٢٠٦٨١
شعيب بن صفوان بن الربيع بن الركين (أبو يحيى الثقفى) : ٢٠٥٣٦
شقوصا (إسماعيل بن زكريا الخلقانى)
شقيق بن سلمة الأسدى الكوفى (أبو وائل) : ٢٠٤٧٦ ، ٢٠٤٧٧
شهر بن حوشب : ٢٠٣٨٤
شيبة الضبى (شيبة بن نعامة)
أبو شيبة (عبد الرحمن بن إسحق ابن سعد الواسطى)

شيبة بن نعامة الضبي (أبو نعامة) : ١٩٤٥٤ ، ١٩٤٥٧

* * *

صالح المرى (صالح بن بشير بن وداع المرى)
أبو صالح (محمد بن ليث)
صالح بن بشير بن وداع المرى (صالح المرى) : ١٩٩٤٨
صحار بن صخر الأسدىّ : ٢٠٢٦٦
أبو صخرة (جامع بن شداد المحاربى)
صفوان بن عمرو بن هرم السكسكى ٢٠٦٣١ ، ٢٠٦٣٢

* * *

أبو الضحاك الحمصى (يوسف الألهانى) : ٢٠٣٤٤
الضحاك بن مزاحم : ٢٠١٨٥ ، ٢٠١٨٧ ، ٢٠١٨٨ ، ٢٠١٩٩
ضرار بن مرة الشيبانى (أبو سنان) : ١٩٨٠٢

* * *

طلحة بن مصرف اليامى : ٢٠٤٣٣
طلق بن غنام بن طلق النخعى : ٢٠٠٠٠ ، ٢٠٦٨٢

* * *

أبو ظبيان (حصين بن جندب الجنبى)

* * *

أبو عامر العقدى (عبد الملك بن عمرو القيسى)
عامر بن زيد البكالى : ٢٠٣٩٣
عباد القرشى (عباد بن موسى القرشى البصرى)
أبو عباد البصرى (يحيى بن عباد الضبعى)
عباد بن راشد التميمى : ٢٠٧٦٢
عباد بن العوام الواسطى : ٢٠٥٥٨
عباد بن موسى القرشى البصرى (عباد القرشى) : ١٩٩٩٩
عبثر (عبثر بن القاسم الزبيدى)
عبثر بن القاسم الزبيدى (عبثر) : ١٩٩٩٥ ، ٢٠٥٧٠
عبد الجبار بن يحيى الرملى (شيخ الطبرى) : ٢٠٠٨٢ ، ٢٠١٢١
أبو عبد الجليل (عبد الله بن ميسرة الكوفى) (أبو إسحق الكوفى) (أبو ليلى)
عبد الحميد بن جعفر : ٢٠٢١١
عبد الرحمن بن إسحق بن سعد الواسطى (أبو شيبة) : ١٩٨٧٠
عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الشعبانى الإفريقى : ٢٠٦٤٥
عبد الرحمن بن سليمان بن عبد الله بن حنظلة بن أبى عامر غسيل الملائكة الأنصارى (ابن الغسيل) : ٢٠٧٣١
عبد الرحمن بن شريح بن عبد الله المعافرى (أبو شريح) : ١٩٨٠١
عبد الرحمن بن صحار بن صخر الأسدى : ٢٠٢٦٦
عبد الرحمن بن عبد الله الأصبهانى (ابن الأصبهانى) : ٢٠٧١٧
عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود (المسعودى) :

٢٠٤١٨ ، ٢٠٧٧١
عبد الرحمن بن معاوية بن الحويرث الأنصاري الزرقي (أبو الحويرث) : ١٩٩٩٩
عبد الرحمن بن مل (أبو عثمان النهدي) : ٢٠٤٧٨
عبد الرحمن بن يزيد النخعي : ٢٠٢٦٣
عبد الصمد بن علي بن عبدالله بن العباس الهاشمي : ١٩٢٠٨
عبد الصمد بن معقل بن منبه الصنعاني : ٢٠٣٩٠
عبد العزيز بن أبان الأموي : ٢٠٥٨٣
عبد العزيز بن سليمان الهذلي (أبو مودود المديني) : ١٩٥٧٤
عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون : ٢٠٦٩٨
عبد العزيز بن مسلم القسملي : ٢٠٦٩٩
أبو عبد الله (مسلم بن يسار البصري الفقيه)
عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن يونس اليربوعي (عبد الله بن أحمد بن يونس) (أبو حصين) (شيخ الطبري) : ١٩٩٩٥
عبد الله بن أحمد بن يونس (عبدالله ابن أحمد بن عبد الله بن يونس اليربوعي)
عبد الله بن إسحق الناقد الواسطي (شيخ الطبري) : ٢٠٧٦٠
عبد الله بن بسر (عبيدالله بن بسر)
عبد الله بن بشر (عبيدالله بن بسر)
عبد الله بن رجاء بن عمرو الغداني البصري : ٢٠٥٩٧
عبد الله بن الزبير بن عيسى الحميدي : ٢٠٥٨٢
عبد الله بن أبي زكريا الخزاعي الشامي (ابن أبي زكريا) : ٢٠٢٦٥
عبد الله بن سلام : ٢٠٥٣٥
ابن أخي عبد الله بن سلام : ٢٠٥٣٥
عبد الله بن عبد الوهاب الحجبي : ٢٠٢٧٠
عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة (ابن أبي مليكة) : ٢٠٠٢٩
عبد الله بن عكيم الجهني (أبو معبد) : ٢٠٤٨٣
عبد الله بن المبارك : ٢٠٦٣١ ، ٢٠٦٣٢
عبد الله بن محمد الرازي (شيخ الطبري) : ١٩٢٢٨
عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم : ٢٠٥٩٤ — ٢٠٥٩٦
عبد الله بن محمد بن علي بن نفيل (أبو جعفر) (النفيلي) : ٢٠٠٩٨
عبد الله بن مخارق (عبد الله بن مخارق ابن سليم السلمي الشيباني) : ٢٠٧٧١
عبد الله بن مخارق بن سليم السلمي الشيباني (نابغة بني شيبان) : ٢٠٧٧١
عبد الله بن ميسرة الكوفي (أبو إسحق الكوفي) (أبو عبد الجليل) (أبو ليلى) : ٢٠٠٧٨
عبد الله بن هاشم (؟؟) : ٢٠٢٦٩

عبد الله بن هاشم الكوفى : ٢٠٢٦٩
عبد الله بن أبى الهذيل العنزى (ابن أبى الهذيل) : ١٩٨٠٢
عبد الملك بن حبيب الأزدى (أبو عمران الجونى) : ٢٠٢٦٦
عبد الملك بن الصباح المسمعى : ١٩١١٤
عبد الملك بن عمرو القيسى (أبو عامر العقدى) : ٢٠٧٦٢
عبد الملك بن عمير بن سويد بن حارثة القرشى (اللخمى) : ٢٠٥٣٥
عبد الوارث بن سعد بن ذكوان : ٢٠٤١٤
عبد الوهاب بن عطاء الخفاف : ١٩٩٩٩
عبيد المكتب (عبيد بن مهران الكوفى)
أبو عبيد (القاسم بن سلام)
عبيد بن مهران الكوفى (عبيد المكتب) : ٢٠٥٦٨
عبيد الله بن بسر اليحصبى الحمصى (عبد الله بن بسر) (أبو سعيد) : ٢٠٦٣١ ، ٢٠٦٣٢
عبيد الله بن عبيد الرحمن الأشجعى : ٢٠٥٣٨
عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم ابن عمر بن الخطاب : ٢٠٧٠٠
عبيد الله بن عمرو الرقى : ٢٠١٢٧
عتبة بن عبد السلمىّ (أبو الوليد) : ٢٠٣٩٣
أبو عثمان النهدى (عبد الرحمن بن مل)
عثمان بن الأسود بن موسى المكى : ٢٠١٧٦
عثمان بن عمر بن فارس العبدى : ٢٠٠٢٩
أبو عثمة (محمد بن خالد بن عثمة)
عصمة (أبو حكيمة) (الغزال) : ٢٠٤٧٨ ، ٢٠٤٨٠
عفان (عفان بن مسلم الصفار)
عفان بن مسلم بن عبد الله الصفار : ١٩٢٢٨ ، ٢٠٠٩١ ، ٢٠٢٦٦ ، ٢٠٣٣١ ، ٢٠٧٧٣
العلاء بن عبد الجبار (أبو الحسن العطار) : ١٩٠٩٩
على بن جرير (؟؟) : ٢٠٢١١ ، ٢٠٣٤٢
على بن جرير البارودى : ٢٠٢١١
على بن الجعد بن عبيد الجوهرى (أبو الحسن البغدادى) : ٢٠٥٤٩
على بن أبى سارة الشيبانى (على بن محمد بن أبى سارة : ٢٠٢٧٠
على بن سعيد بن مسروق الكندى (شيخ الطبرى) : ٢٠٥٣٥
على بن عابس الأسدى : ١٩٢٠٦
على بن عاصم بن صهيب الواسطى : ٢٠٥١٩
على بن عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدى (ابن المدينى) : ٢٠٢٣٤
على بن محمد بن أبى سارة (على بن أبى سارة الشيبانى) : ٢٠٢٧٠
أبو عمار المروزى (الحسين بن الحريث) (شيخ الطبرى)

عمار بن رزيق الضبيّ (أبو الأحوص) : ١٨٩٦٧
عمار بن محمد الثورى (ابن أخت سفيان الثورى) : ٢٠١٢٦
عمر بن أبى ليلى : ٢٠٦٣٩ ، ٢٠٦٥٦
عمر بن نافع الثقفى : ٢٠٢٢٩ ، ٢٠٣٦٣
عمران السلمى (عمران بن الحارث السلميّ)
عمران ، أبو الهذيل الصنعانى (عمران ابن عبد الرحمن بن مرثد)
أبو عمران الجونى (عبد الملك بن حبيب الأزدى)
عمران بن الحارث السلمى (أبو الحكم) (عمران السلمى) : ١٩٩٩٢ — ١٩٩٩٨
عمران بن عبد الرحمن بن مرثد (عمران ، أبو الهذيل الصنعانى) ١٩٣٢٥
عمران بن موسى بن حيان القزاز (شيخ الطبرى) : ٢٠٤١٤
عمرو (؟؟) (عمرو بن حماد بن طلحة القَنّاد) : ١٩٦٥٦
عمرو بن ثابت بن هرمز البكرى : ٢٠٠٢٠
عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصارى المصرى : ٢٠٣٩٥
عمرو بن حماد بن طلحة القَنّاد : ١٩٦٥٦
عمرو بن خالد القرشى (أبو خالد القرشى) : ٢٠٧٧٢
عمرو بن دينار المكى : ٢٠٢٣٤
عمرو بن مالك النكرى : ٢٠٣٣١
عمرو بن محمد العنقزى : ١٩٠٤٣
عمرو بن الهيثم بن قطن الزبيدى البغدادى (أبو قطن) : ٢٠٠٩١ ، ٢٠٤٢٠ ، ٢٠٥٩٨ ، ٢٠٧٧١
أبو عوانة (الوضاح بن عبد الله اليشكرى)
عون (؟؟) (عون بن سلام القرشى) : ٢٠٣٢٧
عون بن سلام القرشى المكى : ٢٠٣٢٧
عيسى بن جعفر (؟؟) (محمد بن جعفر)
عيسى بن المختار بن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبى ليلى : ٢٠٤٦١

* * *

الغزال (عصمة) (أبو حكيمة) : ٢٠٤٧٨ ، ٢٠٤٨٠
أبو غسان (مالك بن الخليل اليحمدى الأزدى)
ابن الغسيل (عبد الرحمن بن سليمان ابن عبد الله بن حنظلة بن أبى عامر ، غسيل الملائكة)
غندر (محمد بن جعفر الهذلى)

* * *

فرات بن أبى الفرات : ٢٠٣٩٤
فرخويه (أحمد بن ثابت بن عتاب الرازى)
فرقد السبخى (فرقد بن يعقوب السبخى)

فرقد بن يعقوب السبخى (فرقد السبخى) : ٢٠٣٢٧ ، ٢٠٣٢٨
الفضل بن الصباح البغدادى (شيخ الطبرى) : ٢٠٣٩٠
الفضل بن موسى السينانى : ١٩٦٣٤
الفضل بن يزيد الثمالى البجلى : ١٩٩٥٩
فهد ، (أبو ربيعة) : ٢٠٧٨٠
الفيض بن الفضل البجلى الكوفى : ١٩٦٠٠

* * *

قابوس بن سليم الشيبانى : ٢٠٧٧١
قابوس بن أبى ظبيان الجنبى : ٢٠٩٦٥
قابوس بن مخارق الشيبانى : ٢٠٧٧١
القاسم بن سلام (أبو عبيد) : ٢٠٤١٠
القاسم بن مالك المزنى : ٢٠١٦٣
أبو قتيبة (سلم بن قتيبة الشعيرى)
قرة بن إياس بن هلال بن رئاب المزنى : ٢٠٣٩٤
قرة بن خالد السدوسى : ٢٠٤٨٠
قرة بن عيسى (؟؟) يروى عن النضر بن عربى : ١٨٩٧٢
أبو قطن (عمرو بن الهيثم بن قطن)

* * *

كثير بن هشام الكلابى : ٢٠٧١٩
أبو كدينة (يحيى بن المهلب)
أبو كريب (محمد بن العلاء بن كريب) : ٢٠٠٠٠
الكلبى (محمد بن السائب)
كلثوم بن جبر البصرى : ٢٠٠٠٩
كنانة العدوى (كنانة بن نعيم العدوى) :
كنانة بن نعيم العدوى : ٢٠٢١١
كيسان (أبو جعفر الفراء)

* * *

ليث بن أبى سليم القرشى : ٢٠٤١٤
أبو ليلى (دُخين بن عامر الحجرى)
أبو ليلى (عبد الله بن ميسرة الكوفى) (أبو إسحق الكوفى) (أبو عبد الجليل)
ابن أبى ليلى (محمد بن عبد الرحمن ابن أبى ليلى)

* * *

الماجشون (عبد العزيز عبد الله بن أبى سلمة)
مالك بن الخليل اليحمدى الأزدى (أبو غسان) (شيخ الطبرى) : ١٩٣٥٦
متوكل (أبو المتوكل) (؟؟) : ٢٠٠١٦
أبو المتوكل (متوكل) : ٢٠٠١٦
ابن المثنى (محمد بن المثنى العنزى) (الزمن) (شيخ الطبرى) : ٢٠٥٩٣
المثنى بن إبراهيم الآملى (شيخ الطبرى) : ٢٠٤٦٠ ، ٢٠٤٨١
مجاهد بن موسى بن فروخ الخوارزمى (شيخ الطبرى) : ١٩٩٢٩ ، ٢٠٧٧٠
محارب بن دثار السدوسى (أبو مطرف) : ١٩٨٧٠

محمد ، أبو عثمة (محمد بن خالد ابن عثمة)
أبو محمد (حجاج بن محمد المصيصى)
محمد بن أبان بن صالح بن عمير الجُعْفى : ٢٠٥٧٩ ، ٢٠٥٧٩
محمد بن إبراهيم (؟؟) (محمد بن إبراهيم بن الحارث بن خالد)
محمد بن إبراهيم بن الحارث بن خالد التيمى : ٢٠٣٤٥
محمد بن إسحق البلخى : ١٩٧٥٣
محمد بن بشار العبدى (بندار) (ابن بشار) (شيخ الطبرى) : ١٩٣٢٧ ، ٢٠٤٦٢
محمد بن جعفر الهذلىّ (غندر) : ٢٠٥٩٣
محمد بن حميد (شيخ الطبرى) : ١٩٤٥٤
محمد بن خازم التميمى السعدى (أبو معاوية) : ٢٠٧٥٨
محمد بن خالد بن عثمة (محمد ، أبو عثمة) : ١٩٣٢٣
محمد بن خلف بن عمار العسقلانى (شيخ الطبرى) : ٢٠٦٣٣ ، ٢٠٧٦٩
محمد بن زياد الجزرى (الرقى) (محمد بن زياد بن اليشكرى الطحان ، الميمونى ، الرقى) : ٢٠٣٩٤
محمد بن السائب الكلبىّ : ٢٠٤٨٧
محمد بن سليم الراسبى (أبو هلال) : ١٩٣٢٧
محمد بن سهل بن عسكر (شيخ الطبرى) : ٢٠٥٠٢
محمد بن الصباح الدولابى (أبو جعفر البزاز البغدادى) : ٢٠٥١٤ ، ٢٠٧٠١
محمد بن طلحة بن مصرف اليامى : ٢٠٤٣٣
محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى الأنصارى (ابن أبى ليلى) : ٢٠٤٦١ ، ٢٠٤٦٢
محمد بن عبد الله بن الزبير الأسدى (أبو أحمد ، الزبيرى) : ٢٠٤٧١ ، ٢٠٧٧٢
محمد بن عبد الله بن المبارك المخرمى (شيخ الطبرى) : ١٨٩٦٧
محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثى : ١٩٣٩٧ ، ٢٠٧٦٩
محمد بن العلاء بن كريب (أبو كريب)(شيخ الطبرى) : ٢٠٤٦١
محمد بن فراس الضبعى الصيرفى (أبو هريرة الضبعى) : ٢٠٢٤٣ ، ٢٠٢٤٤
محمد بن كعب القرظى : ٢٠٦٣٩
محمد بن ليث (أبو صالح) : ١٩٥٧٤
محمد بن المثنى العنزى (ابن المثنى) (الزمن) (شيخ الطبرى) : ٢٠٥٩٣
محمد بن محمد بن مرزوق الباهلى (محمد بن مرزوق)(شيخ الطبرى) : ٢٠٢٧٠

محمد بن مرزوق (محمد بن محمد بن مرزوق) (شيخ الطبرى)
محمد بن معمر البحرانى (شيخ الطبرى) : ٢٠٧٦٢،
محمد بن يوسف بن عبدالله بن سلام : ٢٠٥٣٦
محمود بن خداش الطالقانى (شيخ الطبرى) : ٢٠١٢٦
أبو محياة (يحيى بن يعلى بن حرملة التيمى)
مخارق بن سليم السلمى : ٢٠٧٧١
مخارق بن سليم الشيبانى : ٢٠٧٧١
ابن المدينى (على بن عبد الله بن جعفر بن نجيح)
أبو مرزوق (؟؟) (أبو مرزوق التجيبى) : ١٩٦٥٦
أبو مرزوق التجيبى : ١٩٦٥٦
مروان بن عمرو العذرى : ١٩٧٥٣
مروان بن معاوية الفزارى : ١٩٧٥٣
ابن أبى مريم (سعيد بن أبى مريم) (سعيد بن الحكم) : ٢٠٥٠٢
مسعدة بن اليسع بن قيس اليشكرى الباهلى : ٢٠٢٥٩
المسعودى (عبد الرحمن بن عبد الله ابن عتبة المسعودى)
مسلم بن يسار البصرى (أبو عبد الله الفقيد) : ٢٠٠٠٨ ، ٢٠٠٠٩
مصعب بن سعد بن أبى وقاص : ٢٠٣٥١ ، ٢٠٣٥٢
أبو مطرف (محارب بن دثار السدوسى)
مطرف بن بشر (؟؟) : ٢٠٦١٩
أبو معاذ البصرى (سليمان بن أرقم)
معاذ بن عقبة (؟؟) : ٢٠٤٦٨
معاذ بن مسلم ، بياع الهروى : ٢٠١٦١
معاذ بن هشام الدستوائى : ٢٠٤٦٨ ، ٢٠٤٧٨
أبو معاوية (محمد بن خازم التميمى السعدى)
معاوية بن إياس المزنى (صوابه : معاوية بن قرة بن إياس ، يصحح)
معاوية بن سلام بن أبى سلام : ٢٠٣٩٣
معاوية بن قرة بن إياس المزنى : ٢٠٣٩٤
أبو معبد (عبد الله بن عكيم الجهنى)
أبو المعتمر (سليمان بن طرخان)
معتمر بن سليمان بن طرخان التيمى : ٢٠٤٧٩
أبو المعلى العطار (يحيى بن ميمون)
مغيث بن سمى الأوزاعى : ٢٠٣٨٨
المغيرة بن مقسم الضبى : ٢٠٧٦٣
أبو المقدام (ثابت بن هرمز ، الحداد)
ابن أبى مليكة (عبد الله بن عبيد الله ابن أبى مليكة)
ممطور الأسود الحبشى (أبو سلام) : ٢٠٣٩٣
المنذر بن مالك بن قطعة العبدى (أبو نضرة) : ٢٠٧٦٢
منصور بن المعتمر : ٢٠٣٨٨

المنهال بن عمرو الأسدى : ٢٠٧٦٣ — ٢٠٧٦٨
أبو مودود المدينى (عبد العزيز بن سليمان الهذلى)
موسى بن سالم (أبو جهضم) : ٢٠٢٥١
موسى بن سالم ، مولى آل العباس : ٢٠٣٨٣
موسى بن سهل الرازى : ٢٠٥٠٣
موسى بن سهل بن قادم الرملى (شيخ الطبرى) : ٢٠٥٠٣
ميمون الأعور ، التمار ، الراعى ، الكوفى (أبو حمزة) : ٢٠٤٨٥

* * *

نابغة بنى شيبان (عبد الله بن مخارق ابن سليم الشيبانى) : ٢٠٧٧١
نافع بن عاصم الثقفى : ٢٠٣٤٢
الناقد (عبد الله بن إسحق) (شيخ الطبرى)
نصر بن عوف (؟؟) (نضر بن عربى) : ١٩٢٥٣ ، ١٩٢٥٤
أبو نضرة (المنذر بن مالك بن قطعة)
النضر بن عربى الجزرى الباهلى : ١٨٩٧٢ (وانظر : قرة بن عيسى) : ١٩٢٥٣ ، ١٩٢٥٤
أبو نعامة (شيبة بن نعامة الضبى)
النفيلى (عبد الله بن محمد بن على بن نفيل)
نوف بن فضالة الحميرى البكالى الشامى : ١٨٩٢٣ ، ١٩٠٩٨

* * *

هرون الأعور (هرون بن موسى العتكى)
هرون النحوى (هرون بن موسى النحوى)
هرون بن سفيان بن بشير (أبو سفيان ، الديك) : ١٩٩٩٩
هرون بن موسى العتكى (هرون الأعور) : ٢٠٥٥٨
هرون بن موسى النحوى (هرون النحوى) : ٢٠٥٢٨
هبيرة بن مريم الشبامى : ٢٠٥٩٨
أبو الهذيل الصنعانى (عمران بن عبد الرحمن بن مرثد)
ابن أبى الهذيل (عبد الله بن أبى الهذيل)
أبو هريرة الضبعى (محمد بن فراس الضبعى)
هشام بن أبى عبد الله (أبو بكر الربعى) (سنبر) : ٢٠٤٧٨
هشام بن عبد الملك الباهلى (أبو الوليد الطيالسى) : ٢٠٧٦١
هقل (الهقل بن زياد بن عبيد الله)
الهقل بن زياد بن عبيد الله الدمشقى ، كاتب الأوزاعى : ٢٠١٧٦
أبو هلال (محمد بن سليم الراسبى)
هلال بن حميد (هلال بن أبى حميد)
هلال بن أبى حميد الوزان (هلال ابن حميد) (هلال بن عبد الله)

(هلال بن عبد الرحمن) (هلال ابن مقلاص) (الجهبذ) : ٢٠٤٨٤
هلال بن عبد الله (هلال بن أبي حميد)
هلال بن مقلاص (هلال بن أبي حميد)
أبو الهيثم (سليمان بن عمرو العتوارى)

* * *

أبو وائل (شقيق بن سلمة الأسدى)
أبو واثلة (إياس بن معاوية بن قرة)
أبو وحشية اليشكرى (إياس) : ٢٠٥٤٥
الوضاح بن عبد الله اليشكرى (أبو عوانة) : ٢٠٧٨٠
أبو الوليد (عتبة بن عبد السلمى)
أبو الوليد الطيالسى (هشام بن عبد الملك الباهلى)
الوليد بن مسلم الدمشقى القرشى : ١٩٨٧٥
وهب بن جرير بن حازم الأزدى : ٢٠٧٦٠
وهيب بن خالد بن عجلان الباهلى : ٢٠٠١٠

* * *

يحيي القطان (يحيي بن سعيد بن فروخ)
أبو يحيي الثقفى (شعيب بن صفوان ابن الربيع بن الركين)
أبو يحيي القتات الكوفى : ١٩٧٧٥
يحيي بن سعيد بن فروخ القطان : ٢٠٥٢٧ ، ٢٠٧٠٠
يحيي بن عباد الضبعى (أبو عباد البصرى) : ٢٠٠١٠ ، ٢٠٠٩١ ، ٢٠٥٩٨
يحيي بن عبد الحميد بن عبد الرحمن الحمانى (الحمانى) : ٢٠٥٧٩
يحيي بن عبد الله ، مولى بنى هاشم (يحيي بن عبدويه ، مولى عبيدالله المهدى) : ٢٠٥٧٩
يحيي بن عبدويه ، مولى عبيد الله المهدى (يحيي بن عبد الله ، مولى بنى هاشم) : ٢٠٥٧٩
يحيي بن مصعب الكلبى الكوفى (أبو زكريا الكلبى) : ٢٠٣٦٣
يحيي بن المهلب البجلى (أبو كدينة) : ٢٠٦٩٥
يحيي بن ميمون (أبو المعلى العطار) : ٢٠٠١٠ ، ٢٠٠١٩
يحيي بن يعلى بن حرملة التيمى (أبو محياة) : ٢٠٥٣٥
يزيد الرقاشى (يزيد بن أبان الرقاشى)
يزيد بن أبان الرقاشى (يزيد الرقاشى) : ١٩٩٤٨
يزيد بن أبى زياد : ٢٠٧٦٣
يزيد بن هرون السلمى الواسطى : ٢٠٤١٠ ، ٢٠٧٧٠
أبو يعقوب (فرقد بن يعقوب السبخى)
أبو يعقوب البصرى (إسحق بن زياد القطان (إسحاق بن زيادة) (شيخ الطبرى)

يعقوب بن برهان (يعقوب بن ماهان) (شيخ الطبرى) : ١٩٩٠٨
يعقوب بن ماهان البغدادى (يعقوب ابن برهان) (شيخ الطبرى) : ١٩٩٠٨ ، ٢٠١٦٣
يعلى بن الحارث بن حرب المحاربى : ٢٠٢٦٣
يعلى بن حكيم : ٢٠٤١٠
يعلى بن عطاء العامرى : ٢٠٣٤٢
يوسف الألهانى ، أبو الضحاك الحمصى (أبو الحجاج ، رجل من مشيخة الجند) (أبو الحجاج يوسف الألهانى) : ٢٠٣٤٤
يونس بن خباب الأسيدى : ٢٠٧٦٨
يونس بن محمد بن مسلم البغدادى : ٢٠٣٢٧

فهرس المصطلحات

« الاسم » ، « الأسماء » ، (بمعنى المشتقّات) : ٨٨ ، ٢٢٢ (ولم أشرحها) ، ٤١٥ ، ٥٥٢

« الأفعال » ، « الفعل » (بمعنى ، المصادر ، والمصدر) : ٨٧

« أهل الإثبات » ، وهم أهل السنة ، مثبتو القدر : ٥١٢

«أهل القدر » ، وهم نُفاة القدر ، كالمعتزلة : ٥١٢

« الأوقات » ، « الوقت » ، (ظرف الزمان) : ٣٤٩ ، ٥٤٧

« البيان » ، (عطف البيان) : ٥٤٧

« التبيين » ، (البدل) : ٥٥٣ ، تعليق : ٣

« الترجمة » ، (عطف البيان ، البدل) : ٤٢٣ ، ٤٣٢

« التفسير » ، (التمييز) : ١٦٠

« التقدير » ، (بمعنى الوزن فى قوله « على تقدير الأسماء ») : ٢٢٢

« التكرير » ، (البدل) : ٥٣٣ ، تعليق :٣

« الجزاء » ، (وهو الشرط) : ٣٤٩

« الصلة » ، (الزيادة) : ٢٠٨ ، ٢٦٠

« الفعل » ، (الأفعال) (بمعنى المصدر ، والمصادر) : ٨٧

« الوقت » ، « الأوقات » ، (ظرف الزمان) : ٣٤٩ ، ٥٤٧

الفِرَق

- « الأنبياء » ، غير جائز منها أن تخبر عن أمْر أنه كائنٌ ثم لا يكون ، أو أنه غير كائن ثم يكون : ١١١
- « الأنبياء » ، تنزيه الأنبياء عن المعاصى : ٣٧ ، وما بعدها
- « أفعال العباد » ، الدليل على صحة قول أهل الإثبات الذين أضافوا أفعال العباد إليهم كسبًا ، وإلى الله جل ثناؤه إنشاءً وتدبيراً ، وفسادُ قول أهل القدر (نفاةُ القدر) الذين أنكروا أن يكون لله فى ذلك صُنْعٌ : ٥١٢
- « الصدقة » ، هل كانت حلالاً للأنبياء قبلنا : ٢٤١ ، ٢٤٢

مباحث النحو والعربية وغيرهما

● بعضُ ما ذهبَ من كلام العرب ، وقول الكسائى : قد ذهبَ من كلام العرب كثيرٌ انقرض أهلُه : ٧١

* * *

● « الألف » حذفها من آخر الكلم ، نحو : « لا أبَ لغيرك » و « لا أبَ لشانيك » وهم يريدون : « لا أبا لغيرك » ، و « لا أبا لشانيك » ، لكثرتها على على ألسن العرب : ٨٢ .

● « الألف واللام » ، دخولهما خلفاً من الإضافة ، نحو : ﴿ اُجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ ﴾ ، أى : خزائن أرضك ، وقول النابغة :

لَهُمْ شِيمَةٌ لَمْ يُعطِهَا الدَّهْرُ غَيْرَهُمْ ... مِنَ النَّاسِ ، والأَحْلَامُ غيرُ عَوَازِبِ

أى : وأحلامُهم : ١٤٨ ، ١٤٩ .

● « إذْ » ، من حروف الزوائد ، تدخُل الكلام ويرادُ إلغاؤها : ٥٢٨ .

● « إذَنْ » وقوعها جواباً لخبر ، نحو قول القائل : « إن لا تَزُرْنى أُهِنْكَ » ، فيجيبه الآخر : « إذَنْ أَزُورك » ، لأن فى قوله : « إن لا تَزُرنى أُهِنْك » ، معنى الأمر بالزيارة : ٩٠ .

● « أنْ » ، إذا كانت بمعنى المصدر ، تضارع « مَا » : ١٤٢ .

● « أنْ » إسقاطها وإثباتُها بعد « لما » و « حتى » : ٢٦٠ .

● « أنَّ » حذف « أنَّ » التى تُتلَقّى بها « الشهادة » فى قوله : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ ﴾ ، لأنه ذُهِب بالشهادة إلى معنى « القول » ، كأنه قال : وقال قائل من أهلها : إن كان قميصهُ = كما قيل : ﴿ يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ ﴾ [سورة النساء : ١١] ، لأنه ذهب بالوصية إلى « القول » : ٦٠ .

- « أو » ، بمعنى « إلاّ » أو « حتّى » ، كما يقال فى الكلام : « لأضربنّك أو تُقِرَّ لى » ، فمن العرب من يجعل ما بعد « أو » عطفًا على ما قبله ، إن كان ما قبله مجزومًا جزموه ، وإن كان نصبًا نصبوه ، وإن كان فيه « لام » جعلوا فيه « لامًا » ، إذْ كانت « أو » حرف نسق . ومنهم من ينصبُ ما بعد « أو » بكلّ حال ، ليعلم بنصبه أنه عن الأوّل منقطعٌ عما قبله ، كما قال امرؤ القيس :

بكَى صاحبى لمّا رَأَى الدَّربَ دُونَه ... وأيقنَ أنَّا لاحقَان بقيصرا
فقلتُ لَه : لا تَبكِ عينُك ، إنما ... نحاول مُلْكًا أَو نَموتَ فنُعْذَرَا

لأنه أراد معنى : إلاّ أن نموتَ ، أو حتّى نموت ، وقول الأحوص :

لَا أَسْتطيعُ نُزُوعًا عنْ مَوَدَّتِها ... أَوْ يَصْنَعَ الحُبُّ بى فوق الَّذِى صَنَعا

بمعنى : إلاّ أن يصنع ، أو حتى يصنع : ٥٤٠ .

- « الباء » ، دخولها فى خبر « ما » التى بمعنى الجحد : ١١٩ .
- « الباء » ، بمعنى « فى » ، ذكر عن بعض العرب سماعًا : « أدخلَكَ الله بالجنة » ، يعنون : فى الجنة : ٥٣٤ .
- « بين » حذف معادلها ، لدلالة الخبر أو الكلام عنه (انظر « الحذف ») : ٤٦٢ ، ٤٦٣ .
- « التاء » ، المقلوبة من « الواو » ، نحو : « تالله » ، و « التوراة » ، و « التراث » و « التخمة » ، ومن قال « تالله » ، لم يقُل « تالرحمن » ، إنما ذلك فى اسم الجلالة وحدهُ : ١٨٠ ، ١٨١ .
- « تاء التأنيث » ، العربُ تدخل « تاء التأنيث » على المصدر ، نحو : « معاذَ الله » ، و « معاذةَ الله » ، و « عوذَ الله » و « عوذةَ الله » ، ويقولون : « ما أحسن معناةَ هذا الكلام » ، أى : معنى هذا الكلام : ٢٠٢ ، ٢٠٣ .
- « حتى » ، سقوط « أن » بعدها ، لأنها صلة (أى زيادة) لا موضع لها ، تقول : « حتى كان كذا وكذا » ، و « حتى أن كانَ كذا وكذا » : ٢٦٠ .
- « فوق » ، بمعنى « على » ، فى قوله : ﴿ أَحْمِلُ فوقَ رَأْسى خُبْزًا ﴾ : ٩٨ .

● « فى » ، بمعنى « الباء » ، نحو « ضربوه فى السيف » ، أى بالسيف ، وقوله تعالى : ﴿ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ﴾ ، أى ردُّوا نعم الله بأفواههم ، وقول الشاعر :

وأَرْغَبُ فيها عن لَقيطٍ ورَهْطِهِ ولَكنَّنى عن سِنْبِسٍ لَسْتُ أَرغبُ

يريد : وأرغبُ بها ، يعنى بابنة له ، عن لقيط : ٥١٥ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ .

● « كاد » انظر « لا يكاد »

● « كُل » ، لا بُدَّ لَها من إضافة إلى ما تحيطُ بِه ، ثم يحذف المضاف إليها ، لفهم السامعين من أهل لسان من نزل بلسانه القرآن معناه ، نحو : ﴿ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ ، يعنى : كُلّ ذلك يجرى فى السماء لأَجل مسمى : ٣٢٦ .

● « اللام » ، التى يُجَابُ بها الأيمانُ ، لا تحذف ولا تسقط ، إذا كان ما بعد اليمين خبراً ، وذلك كقول القائل : « واللهِ لآتينَّك » : ٢٢١ .

● « لام القسم » ، مجيئها فى غير القسم ، نحو : ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ ﴾ ، وقول بعض البصريين : دخلتْ ، لأنه موضع يقع فيه « أىّ » ، فلما كان حرف الاستفهام يدخل فيه ، دخلتْهُ النون ، لأن النون تكون فى الاستفهام ، تقول : « بدا لهم أيُّهم يأخُذَن » .

وأنكر ذلك بعض أهل العربية ، فقال : هذا يمين . وليس قوله : « هل تقومنّ » بيمين ، و « لتقومنّ » لا يكون إلاّ يميناً : ٩٣ .

● « لام القسم » فى معنى « القول » ، نحو « بَدَا لَهُم لَيَقُومنّ » ، لأن القول يأتى بكلّ الكلام ، بالقسم والاستفهام : ٩٤ .

● « اللام » ، دخُولُها ، لما كان فى معنى الشرط ، أو جواب اليمين ، نحو قوله : ﴿ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ ، ومعنى الكلام لنخرجنكم من أرضنا ، أو تعودون فى ملتنا : ٥٤٠ .

● « لا » ، تُتَلَقَّى بها اليمينُ ، إذا كان ما بعدها مجحوداً ، وتحذف لأن موقعها قد عُرِف ، ولمعرفة السامع بمعنى الكلام : ٢٢١ .

- « لا » ، العرب تقدّم الجحد من آخر الكلام إلى أوّله ، كقول ابن هرمة :

ولا أرَاها تزالُ ظالمةً تُحْدِثُ لى نكْبةً وتنكؤُها

يريد : أراها لا تزال ظالمة ، فقدم الجحد عن موضعه من « تزال » ، وكما قال الآخر :

إذَا أعْجَبَتْكَ الدّهرَ حَالٌ من امْرِئٍ فَدَعْهُ ووَاكِلْ حَالَهُ وَاللّيَالِيَا

يَجِئْن على ما كانَ من صالحٍ بِهِ وإنْ كان فيمَا لَا يَرى الناسُ آلِيا

يعنى : وإن كان فيما يرى الناسُ لا يألُو : ٣٢٤ ، ٣٢٥ .

- « لا يكاد » ، العربُ تجعل « لا يكادُ » فيما قد فُعل ، وفيما لم يُفْعَلْ ، فأما ما قد فُعل فنحو : ﴿ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ ﴾ ، وهو يسيغهُ ، لأن الله جل ثناؤه جعل لهم ذلك شراباً . وأما ما لم يُفْعل ، فقوله : ﴿ حَتَّى إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ﴾ [سورة النور : ٤٠] ، فهو لا يراها : ٥٤٩ .

- « لعلّ » بمعنى لكى : ٥٦٧ .
- « لما » سقوط « أن » بعْدها ، لأنها صلة (أى زيادة) لا موضع لها ، نحو : ﴿ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا ﴾ [سورة العنكبوت : ٣٣] ، وفى موضع آخر : ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا ﴾ [سورة هود : ٧٧] : ٢٦٠
- « لو » تقديم جوابها قبلها : ٤٤٦ .
- « لو » حذف جواب « لو » استغناءً بمعرفة السامعين المرادَ من الكلام عن ذكر جوابها ، نحو قول امرئ القيس :

فلو أنَّها نَفْسٌ تموتُ سَرِيحَةً ولكنَّها نَفْسٌ تقطَّعُ أنْفُسا

وقوله أيضًا :

فأُقْسِمَ لَوْ شيءٌ أتانَا رَسُولُه سِوَاكَ ، وَلَكِن لم نَجِدْ لَكَ مَدْفَعَا

نترك الجواب اكتفاءً بمعرفة سامعه مراده : ٤٤٨ .

- « لولا » ، العرب لا تقدّم جواب « لولا » قبلها ، لا تقول : « لقد قمت لولا

زيدٌ » ، وهى تريد « لولا زيدٌ لقد قمتُ » : ٣٩ .

- « ما » ، بمعنى الجحد، لغة أهل الحجاز نصبُ خبرها إذا أسقطوا الباء ، يقولون: « ما عمرٌو قائمًا » . ولغة أهل نجد رفع خبرها ، إذا أسقطوا الباء ، يقولون : « ما عمرٌو قائمٌ » ، ومنه قول بعضهم :

لشَتَّانَ ما أَنْوِى وينْوِى بَنُو أبِى جَميعًا ، فَمَا هٰذَانَ مُستَوِيانِ

وأما القرآن فجاء بالنَّصْب فى كلّ ذلك ، لأنه بلغة أهل الحجاز : ٨٤ ، ٨٥ .

- « ما » بمعنى الجحد ، دخول الباء فى خبرها : ١١٩ .
- « ما » تضارع « أنْ » ، إذا كانت فى معنى المصدر : ١٤٢ .
- « ما » تُتَلَقَّى بها اليمين ، إذا كان ما بعدها مجحوداً ، وتحذف لأنّ موقعها قد عُرِف ، ولمعرفة السامع بمعنى الكلام : ٢٢١ .
- « مِنْ » ، بمعنى « عن » ، نحو : « أطعمنى من جُوع ، وعن جُوع » ، و « كسانى عَنْ عُرْى ، ومن عُرْى » : ٣٨٦ .
- « مِنْ » بمعنى الباء ، نحو : « أجبتك من دعائك إياى وبدعائك إياى » : ٣٨٦ .
- « نون التوكيد » الخفيفة ، الوقف عليها بالألف ، فهى شبيهةُ نون الإعراب فى الأسماء ، فى قول القائل « رأيت رجُلاً عندك » ، فإذا وُقف على « الرجل » قيل : « رأيتُ رَجُلاَ » ، ومنه قول الأعشى :

وَصَلِّ عَلى حِينِ العَشِيَّات والضُّحَى ولا تَعْبُدِ الشيطانَ واللهَ فاعْبُدَا

وإنما هو « فاعبُدَنْ » ، ولكن إذا وقف عليه ، كان الوقف بالألف : ٨٦ ، ٨٧ .

- « نون التوكيد » المشدّدة ، الوقف عليها بالنون ، نحو ﴿ لَيُسْجَنَنْ ﴾ فى قوله ﴿ لَيُسْجَنَنَّ ﴾ : ٨٦ .
- « نون التوكيد » المشدّدة ، دخولها فى الاستفهام ، أو فى موضع تقع فيه « أىّ » نحو : ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ ﴾ ، لأن النون تكون فى الاستفهام ، تقول : « بَدَالهم أيُّهم يأخذنَّ » : ٩٣
- « هيت لك » ، أنها لغة حورانية [الخبر رقم ١٨٩٧٢ : ، ورقم : ١٨٩٨٧] ،

وأنها بالقبطية [رقم : ١٨٩٧٥] ، وأنها بالسريانية [رقم : ١٨٩٧٦] ، وأنها لغة عربية [رقم : ١٨٩٨٣] ، وأنها لغة حورانية ، وقعت إلى الحجاز [رقم : ١٨٩٨٧] — وأنها لا تثنى ولا تجمع ، ولا تذكر ولا تؤنث ، وإنما يتبين العدد والتذكير والتأنيث بما بعدها : ٣١ .

- « الواو » ، قلبها « تاء » ، نحو « تالله » ، و « التوراة » ، و « التراث » ، و « التخمة » وغيرها : ١٨٠ ، ١٨١ .
- « واو » القسم ، قلبها « تاء » ، لكثرة ما جرى على ألسنة العرب فى الأيمان فى قولهم : « والله » ، فخصّتْ هذه الكلمة بأن قلبت « تاء » ، ولم يقولوا : « تالرحمن » و « تالرحيم » : ١٨٠ ، ١٨١ .
- « الواو » ، واو العطف ، دُخولها لعطف صفة على صفة ، نحو قول الشاعر :

إلى المَلِكِ القَرْمِ وَابْنِ الهُمَامِ ... ولَيْثَ الكَتِيبَةِ فِى المُزْدَحَمْ

فعطفَ بـ « الواو » ، وذلك كُله من صفة واحد : ٣٢١ .

- « الواو » ، كُلّ جملة أريد تفصيلها ، فبغير « الواو » تفصيلُها ، وإذا أريد العطفُ عليها بغيرها وغير تفصيلها فبالواو : ٥٢٤ .
- « الياء » حذفها من آخر الكلم ، نحو : « حاش لله » فى « حَاشَى لله » ، لكثرتها على ألسن العرب : ٨٢ .
- « ياء » المتكلم : حذفها فى النداء ، وأنت تريدها ، نحو « يا نفس اصبرى » و « يا نَفْسِي اصبرى » . وانظر « الحذف » : ٤ .
- « الياء » حذف ياء المتكلم ، نحو قوله « ولا تقْرَبونِ » ، أى : « ولا تقربونى » ، وألزمت النون الكسر : ١٥٦ .

* * *

- « الحروف » ، حروف المعانى ، يوصل بها كُلها ، وتحذف ، ويقوم بعضها مقامَ بعض ، نحو : « ضربوه فى السيف » ، يريد : بالسيف . وتقول العرب « مررْتُ زيداً » ، و « نزلت زيداً » ، يريدون : مررت به ، ونزلت عليه : ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ .
- « الحروف » تدخُل على الأفعال ، ليؤدى الفعل عن معنى غيره من الأفعال ، وهو « التضمين » ، نحو : ﴿ يَسْتَحِبُّونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ ﴾ ، معناه :

يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة :٥١٦ .

● « القول » ، يأتى بكلّ الكلام ، بالقسم والاستفهام ، ولذلك جاز : « بدا لهم قام زيدٌ » ، و« بدا لهم ليقومنّ » ، فدخلته لام القسم : ٩٤ .

« القول » حذفُه من الجملة ، اكتفاءً بدلالة الكلام عليه ، نحو : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ ، أى . يقولون : سلام عليكم : ٤٢٥ .

* * *

● « فعيل » بمعنى « مفعول » ، نحو « كظيم » بمعنى مكظوم ، صرف « المفعول » منْه إلى « فعيل » : ٢١٥ .

● « فعول » و « فعيل » ، وجمعهما على « فَعَل » و « فُعُل » ، نحو « عمُود » و « عَمَد » و « عُمُد » ، و « أَدِيم » و « أدَمٌ » و « رسولٌ » و « رُسُل » : ٣٢٣ .

* * *

● « المبتدأ » ، المبتدأ الذى يكون خبرُه جملةً مستأنفة ، نحو قولهم : « حِليةُ فلان ، أسمَرُ كذا وكذا » ، ليس « أسمر » بمرفوع « الحلية » ، إنما هو ابتداءٌ أى : هو أسمرُ ، هو كذا ، ولو دخل « أنّ » فى مثل هذا كان صوابًا ، ومثله فى الكلام : « مثَلك ، أنك كذا ، وأنك كذا » : ٤٦٩ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ .

● « الخبر » وقوعه موقع المسألة والدعاء والأمر ، نحو قوله تعالى : ﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ﴾ ، ففى إخباره شكاية إلى ربّه ، وفى قوله : « وإلا تصرفْ عنى كيدهن » ، معنى دعاء ومسألة من ربّه صرفَ كيدهنّ ، ولذلك قال بعد : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ ﴾ ونحو قولك : « إن لا تزُرنى أُهنْك » ، فيجيبك الآخر : « إذنْ أزورك » ، لأن فى الأولى معنى الأمر بالزيارة : ٩٠ .

● « الخبر » ، العرب تكف المبتدأ عن خبره ، أى تحذف الخبر : ٤٧١ .

● ردّ الخبر إلى المضاف إليه دون المضاف ، ثم ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ

المُتَّقُونَ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ ﴾ ، أى الجنَّةُ تجرى من تحتها الأنهار ، وقول جرير :

أرَى مَرَّ السِّنِينَ أَخَذْنَ مِنِّى كما أخذَ السِّرَارُ مِنَ الهِلَالِ

فذكر « المرّ » ، ورجع فى الخبر إلى « السنين » ، فى قوله « أخذْنَ منى » : ٤٧٢ .

- « الرفع » ، رفع النعت ، إذا طال الكلام وانفصل ما بين الاسم والنعت . نحو قوله تعالى : ﴿ إنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ المُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ﴾ إلى آخر الآية ، ثم قال : ﴿ التَّائِبُونَ العَابِدُونَ ﴾ [سورة التوبة : ١١١ ، ١١٢] وهو من نعت « المؤمنين » : ٥١٤ .

- « الجزاء » (الشرط) ، إذا دخله الاستفهام ، فالاستفهام للجواب دون الشرط ، فيجوز الجزم والرفع ، نحو : « أإنْ تَقمْ يقوم زيدٌ ، ويَقُمْ زيدٌ » ؛ من جزم ، فلأنه وقع موقع جواب الشرط ، ومن رفع ، فلأن الاستفهام للجواب دون الشرط : ٣٤٩ .

- « العطف » ، لا يُعْطف باسم على فِعْل ماضٍ [الخبر رقم : ٢٠٥٥٢ ، فى تعليق أبى جعفر] : ٥٠٥ .

- وصف ما لا يعقل بعمل ما يعقل ، نحو : ﴿ ثُمَّ يَأْتِى مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ ﴾ ، فوصف السنين بأنهن « يأكلن » ، وإنما المعنى أنّ أهل تلك الناحية يأكلون فيهنّ ، كقول عبد الله بن عبد الأعلى :

نَهَارُكَ يا مَغْرُورُ سَهْوٌ وغَفْلَةٌ ولَيْلُكَ نَوْمٌ ، والرَّدَى لَكَ لازِمِ

فوصف النهار بالسهو والغفلة ، والليل بالنوم ، وإنما يُسْهى فى هذا ويُغفَل فيه ، وينامُ فى هذا ، لمعرفة المخاطبين بمعناه والمراد منه : ١٢٦ ، ١٢٧ .

- « الأسماء » ، (وهى المشتقات) ، إذا وصف بها لزمها التذكير والتأنيث والتثنية والجمع : ٢٢٢ .

- « النَّعت » ، وضع « النعت » مكان الاسم ، وجعل الاسم مكان النعت ، فيتبع

إعرابُه إعراب النعت الذى وُضع موضع الاسم ، قال الراجز :

لو كُنْتُ ذا نَبْلٍ وذا شَزِيبِ مَا خِفْتُ شَدَّاتِ الخَبِيثِ الذِّيب

يعنى : شدّاتِ الذيبِ الخبيث : ٥١٣ .

- « النعت » ، رفع النعت إذا طال الكلام . وانفصل ما بين الاسم ونعته (انظر : « الرفع ») : ٥١٤ .
- « النعت » ، وصف الشىء بصفة غيره ، لأن صاحب الصفة يكون فيه ، نحو قوله : ﴿ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ ، و « عاصف » من صفةِ « الريح » ، لأن الريح تكون فيه ، وكذلك « يوم بارد ، ويومٌ حار » ، لأن البرد والحرارة يكونان فيه ، وقول الشاعر :

* يَوْمَيْنِ غَيْمَيْنِ ويَومًا شَمْسَا *

وإنما الغيم يكون فيهما : ٥٥٤ .

- « النعت » ، العربُ تتبع الخفضَ الخَفْضَ فى النعوتِ ، نحو قول ذى الرمة :

تُرِيكَ سُنَّةَ وَجْهٍ غَيْرِ مُقْرِفَةٍ مَلْسَاءَ لَيْسَ بها خَالٌ ولا نَدَبُ

فخفض « غير » إتباعًا لإعراب « الوجه » ، وإنما هو من نعت « السنة » ، والمعنى : سنَّةَ وَجْهٍ غيرَ مقْرِفة ، وكما قالوا : « جُحْر ضَبٍّ خَرِبٍ » : ٥٥٥

- « الاستثناء » المنقطع عما قبله فى موضع نصب : ١٤٢
- « الاستفهام » ، تكرير الاستفهام فى قوله تعالى : ﴿ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ بعد قوله : ﴿ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا ﴾ : ٣٤٧ — ٣٤٩ ، والتعليق رقم : ٧ ص : ٣٤٧ ، والحاشية ص : ٣٤٨ ، وانظر ما بعده .
- « الاستفهام » ، الاستفهام إذا دخل على الشرط ، كان الاستفهام للجواب دون الشرط ، فلذلك جاز تكرير الاستفهام فى الآية السالفة ، لأن الاستفهام لما دخل على الشرط ، وكان حقه أن يكون للجواب ، أدخله على الجواب أيضًا ، لأنه هو الأصل ، فكأنه ألغى الاستفهام الأوّل الذى أدخله على الشرط : ٣٤٩ ، والتعليق رقم : ٥ ، وانظر ما سلف قبل .

- « الإضافة » ، إضافة الموصوف إلى صفته ، نحو﴿ دَارُ الآخِرَةِ ﴾ . و «أتيتك عام الأوّل ، وبارحة الأولى » . وقول الشاعر :

وَلَوْ أَقْوَتْ عَلَيْكَ دِيارُ عَبْسٍ عَرَفْتَ الذُّلَّ عِرْفانَ اليَقِينِ

يعنى : عرفانًا يقينًا : ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ .

- « التثنية والجمع » ، ما لايفرّق بين جميعه واثنيه إلا بالإعراب فى النون ، نحو « صِنْو » و « صِنْوانِ »و« صِنْوانٌ » ،و« قِنْوٌ» و « قِنْوانِ » ،و « قِنْوانٌ » ، تكون نونه فى اثنين مكسورة بكلّ حال ،وفى جميعه متصرّفةً فى وجوه الإعراب : ٣٣٥ .

- « التذكير والتأنيث » ، عودة الضمير بالتأنيث أو التذكير جائزٌ ، إذا كان ما يعود إليه جُمْلة ، تدلّ على معنى «القول» أو«الكلمة» : ١٩٨ . ثم انظر : ١٨٦ .

- « التذكير والتأنيث » ، إذا اجتمع للشىء اسمان أحدهما مذكر ، والآخر مؤنث جاز أن يعودَ إليه الضمير بالتذكير ، وبالتأنيث ، كقوله تعالى ، وقد ذكر « صواع الملك » ، وقال : ﴿ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ ﴾ ، بالتذكير ، ثم قال فى الآية التالية : ﴿ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ ﴾ ، فأنث الضمير ذهاباً إلى معنى « السقاية » ، ونحو ذلك « الخوان » ، و « المائدة » ، و« سنان الرمح » ، و « عالية الرمح » : ١٨٦ ، ثم انظر : ١٩٨

- « التأنيث والتذكير » ، عود الضمير إلى ما كان غير بنى آدم ، بالتذكير مرة ، وبالتأنيث مرة ، كما قال فى « الأنعام » :﴿ مِمَّا فِي بُطُونِهِ ﴾[سورة النحل:٦٦] ، وأنث بعد فقال : ﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾ ، [سورة المؤمنون : ٢٢ ، سورة غافر : ٨٠] : ٣٤١

- « التأنيث » للكثرة والمبالغة ، نحو« نسابة » و« علامة » : ٣٨٤

- « الاستعارة » ، العربُ ربما استعارت الكلمة فوضعتها فى غير موضعها ، نحو « الشَّعَف » ، هو فى الأصل الذُّعْر ، ذُعْرُ الدابة ، قال امرؤ القيس :

أَتقتُلُنِي وقَدْ شَعَفْتُ فُؤَادَها كما شَعَفَ المُهْنُوءَةَ الرَّجلُ الطَّالِي

« شَعَف المرأة » من الحبّ ، و « شعف المهنوءة » من الذعر ، فشبه لوعةَ الحبّ وجواهُ بذلك : ٦٧ ، وردّ ذلك ص : ٦٨ .

- « الأفعال » ، العرب تضيفُ أفعالها إلى أنفُسِها ، وإلى ما أوقعت عليه ، فتقول : « قد سُرِرت برؤيتك ، وبرؤيتى إياك » : ٥٤٢
- « التضمين » ، تضمين الفعل معنى غيره ، وإدخال الحرف ليؤدّى الفعل معناه ومعنى غيره من الأفعال (انظر : « الحروف ») : ٥١٥ ، ٥١٦
- « الجحد » انظر « لا » : ٣٢٤ ، ٣٢٥ .
- « اليمين » ، إذا كان ما بعدها خبراً لم يصحبها الجَحْد ، نحو : « والله لآتينك » ، و « اللام » التى يُجَاب بها الأيمان لا تسقط من الكلام : ٢٢١ .
- « اليمين » ، يقع موقع الجزاء ، وهو الشرط ، فيجزم جواب اليمين ، نحو قول الراعى :

حَلَفْتُ لَه ، إن تُدْلِجِ اللَّيلَ لا يَزَلْ أمَامَكَ بَيْتٌ مِنْ بُيُوتِى سَائِرُ

فجزم جواب اليمين ، لأنه وقع موقع الجزاء ، والوجه الرفع : ٣٤٩ .

- « الضمير » ، العرب تعيد الضمير على ما لم يجر له ذكر متقدم من مؤنث أو مذكر ، بدلالة سَامع الكلام على المراد بما فيه من الكناية ، نحو : ﴿ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ ﴾ وهو يعنى قول إخوته : ﴿ إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ وقول حاتم الطائى :

أَمَاوِيَّ مَا يُغْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الفَتَى إذا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ

يريد : وضاق بالنَّفْس الصدر ، ولم يجر للنفس ذكر ، ودلّ عليه قوله : « إذا حشرجَتْ » : ١٩٨ ، ١٩٩ .

- عود الضمير إلى المؤنث لفظًا بالتذكير ، لأن المعنىّ مذكرٌ : ٣٨٤ .
- « اسم الفاعل » ، نصبه فى الدعاء ، نحو : « اللهم عائذاً بك » ، كأنه قيل : « أعوذ بك عائذاً » ، أو « أدعوك عائذاً » : ٢٠٣ .
- العربُ تَضَع الأماكن المشتقة من الأفعال مواضع الأفعال (الأفعال : المصادر)

فتقول : « طلعت الشمس مَطْلِعًا ، وغربتَ مغربًا »فيجعلونها وهى أسماء ، خلفًا من المصادر ، فكذلك « السَّجْن » ، فإذا فتحت السين من « السَّجْنِ » كان مصدراً صحيحًا : ٨٧ ، ٨٨ .

- « المصدر » وضع المصدر مكان « مفعول »، نحو ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ ، أى مبخوس ، و﴿ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [سورة يوسف : ١٨] ، وإنما هو : بدم مكذوب فيه : ١١ .

- « المصدر » ، العرب تنصبُ كُلّ مصدر وضعته موضع « يفعل » و « تفعل » ، كقولهم : « معاذَ الله » ، أى أعوذ بالله . و « حمداً لله وشكراً له » . بمعنى : أحمدُه وأشكره : ٢٠٢ .

- « المصدر » ، جعله صفة ونعتًا ، فيوصف به الواحد والجماعة نحو : « رجُلٌ عدْلٌ ، ورجال عدْلٌ » : ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

- « المصدر » ، إذا وصف به ، بقى على صورة واحدة للمذكر والمؤنث . وفى التثنية والجمع ، نحو « رجُل حَرَضٌ . وامرأة حرضٌ . وقوم حَرَضٌ . ورجُلانِ حَرَض » : ٢٢٢ .

- « المصدر » ، مجيئه على وزن الاسم (المشتقّ) ، وتفعل العرب ذلك فى مصدر كُلّ ما كان من فعل شىء اجتمع بعضه إلى بعض ، كالقُماش ، والدُّقاق ، والحُطَامِ ، والغُثاءِ ، والجُفَاءِ ، تخرجه على مذهب الاسم (المشتق) ، كما فعلت ذلك فى قولهم : « أعطيته عَطاءً » ، بمعنى الإعطاء . ولو أريد من « القماش » المصدر على الصحة ، لقيل : « قد قمَشْتُهُ قَمْشاً » : ٤١٥، ٤١٦.

- « المصدر » ، رفعه آثر ، إذا حسُنت الإضافة فيه بغيرِ « لام »، نحو : « طوبى لك »، و« ويل لعمرو »، وذلك أنه يقال فيه وفى مثله : « طوباك » و « ويلك »، و « وَيْبَاك » ، ولولا حُسْن الإضافة فيه بغير لام ، لكان النصب فيه أحسن وأفصح ، كما النصب فى قولهم : « تعساً لزيد ، وبُعْداً له . وسُحْقاً » ، أحسن ، إذ كانت الإضافة فيها بغير « لام » لا تحسُن : ٤٣٤ .

- « الجمع »، الجمع الذى لم يسمع له بواحد من لفظه ، نحو « الأشُدّ » ، ويجب

فى القياس أن يكون واحده « شَدّ » كما واحد « الأَضُرّ » « ضرٌّ » ، وواحد « الأشُرّ » « شَرّ » ، كما قال الشاعر :

هَلْ غَيْرُ أَنْ كَثُرَ الأَشُرُّ وأَهْلَكَتْ حَرْبُ المُلوكِ أَكَاثِرَ الأَمْوالِ

وظنى أن « الأَضُر » خطأ ، وإنما هو « الأَضُبّ » واحدها « ضب » : ٢١ ، ٢٢.

● « الجمع » ، جمع « فاعِل » على « فَعَل » ، نحو « تابع » و « تَبَع » ، و « غائب » ، و « غَيَب » : ٥٥٧ .

● « الجمع » الذى يرادُ به « الواحد » ، لأنه لم يذكر باسمه ويُقْصَد بعينه ، وذلك نظير قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾ قيل إن قائل ذلك واحدٌ ، وقوله : ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ ﴾ وهو واحد : ٩١ .

● « جمع الجمع » ، بالألف والتاء ، نحو : « ملائكة مُعَقّبة ، ومعقّبات » ، و « سادات سعد » ، و « رجالات بنى فلان » ، جمع « رجال » : ٣٦٩ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ .

● « الجمع » الذى هو فى لفظ الواحد ، ينعت بنعت الواحد والجمع ، نحو « السحاب الثقال » ، لأنه جمع « سحابة » ، وجائز أن يقال « السحابُ الثقيل » ، توحيداً للفظ « السحاب » ، وقوله تعالى : ﴿ الَّذِى جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا ﴾ [سورة يس : ٨٠] : ٢٩٧ ، ٣٨٨

● « التقديم » ، العرب تقدم الضمير ، لأنه أعرف ، ثم تأتى بالخبر الذى تخبر عنه مع صاحبه ، نحو قول عدىّ بن زيد :

ذَرِينِي إِنَّ أَمْرَكِ لَنْ يُطَاعَا وَمَا أَلْفَيتِنِي حِلْمِي مُضَاعَا

فالحلم منصوبٌ بـ « ألفيت » ، على التكرير (البدل) ، ولو رفعه كان صوابًا : ٥٥٢ ، ٥٥٣ .

● «التقديم» ، العرب تقدّم الأسماء (المشتقات) ، لأنها أعرف ، ثم تأتى بالخبر الذى تخبر عنه مع صاحبه ، نحو : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ ﴾ ،

ومعنى الكلام : مثل أعمال الذين كفروا بربهم كرماد ،وقوله :﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ ﴾ ، [الزمر : ٦٠] ، ومعنى الكلام : ويوم القيامة ترى وُجوهَ الذين كذبوا على الله مُسْوَدَّةً : ٥٥٣ .

● المؤخر الذى معناه التقديم : ٢٦٦ ، ٤٤٦ ، ٥١٣ .

● « القلب» فى الكلام ، نحو قوله تعالى : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ عندمن قال فى معناه لكلّ كتابٍ أجلٌ ، ونظيرهُ قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾ ، [سورة ق : ١٩] ، وكان أبو بكر يقرؤها : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ ﴾ ، وذلك أن سكْرَة الموت تأتى بالحق ، والحقّ يأتى بها ، فكذلك الأجل ، له كتابٌ ، وللكتابِ أجلٌ : ٤٧٦ ، ٤٧٧ .

● الجمع بين الساكنين ، فى قراءة ابن مسعود : ﴿ حَاشْ اللهَ ﴾ : ٨٢ .

● « الحذف » ، المحذوف الذى استغنى بدلالة ما ذكر عليه : ١ .

● « الحذف » ، حذف ياء الإضافة ، وأنت تريدها ، تفعل ذلك العرب فى النداء ، فتقول : « يا نفسُ اصبرى » و « يا نفسى اصبرى » ، و « يا بُنَىُّ لا تفعلْ » و « يا بُنَىِّ لا تفعل » ، فتفرد وترفع ، وفيه نية الإضافة . وتضيف أحياناً فتكسر كما تقول : « يا غُلامِ أقبلْ » ، و « يا غُلامى أقبلْ » : ٤ .

● « الحذف » ، حذف « أنّ » التى تتلقى بها « الشهادة » ، و « الوصية » ذهابًا فى معناهما إلى معنى « القول » : ٦٠ .

● « الحذف » ، حذف الياء ، والألف من أواخر الكلم ، لكثرتها على ألسن العرب ، نحو : « حَاشَى لله » فى « حاشَى لله » ، ونحو قولهم : « لا أبَ لغيرك » و « لا أبَ لشانيك » ، وهم يعنون : « لا أبا لغيرك » و « لا أبا لشانيك » : ٨٢ .

● « الحذف » حذف « الكاف والميم » المضافين إلى الاسم ، نحو : ﴿ فَاللهُ خَيْرٌ حَافِظًا ﴾ وقولهم : « هو خيرُ رجُلاً » ، أى : خيركم حافِظًا ، وخيركم رجلاً : ١٦٠ .

- « الحذف » ، حذف « لا » فى اليمين ، وهى مرادةٌ فى الكلام ، نحو : «تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ » ، وقول امرئ القيس :

فَقُلْتُ يَمِينَ اللهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا ... ولَوْ قَطَّعُوا رَأْسِي لَدَيْكِ وأَوْصَالِي

أى « لا أبرح » ، فحذف « لا » . وعلةُ الحذف : أن اليمينَ إذا كان ما بعدها خبراً لم يصحبْها الجحْدُ ، ولم تسقُطِ « اللام » التى يُجَابُ بها الأَيْمان ، وذلك كقول القائل : « والله لآتينَّك » . وإذا كان ما بعدها مجحوداً تُلُقِّيت اليمينُ بـ « ما » أو « لا » ، فلما عُرِف موقعها حذفت من الكلام ، لمعرفة السامع بمعنى الكلام : ٢٢١ .

- « الحذف » ، حذف صدر الكلام ، اكتفاءً بدلالة ما ذُكر بعده : ٢٩٤ .
- « الحذف » ، حذف ما يضاف إلى « كُلّ » ، لفهم السامعين معناه : ٣٢٦ .
- « الحذف » ، حذف جواب « لو » ، استغناء بمعرفة السامعين المرادَ من الكلام عن ذكر جوابها : ٤٤٨ (انظر « لو » فى مباحث العربية والنحو)
- « الحذف » ، حذف الجواب فى قوله : ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ ، اكتفاء بعلم السامع بما ذكر عمّا ترَكَ ذكرهُ ، أى ككذا وكذا : ٤٦٢ .
- « الحذف » ، حذفُ معادل « بين » فى قول القتال الكلابىّ :

تَخَيَّرِى خُيِّرتِ أُمَّ عَالِ ... بَيْنَ قَصِيرٍ شِبْرُهُ تِنْبَالِ
أَذَاكَ أَمْ مُنْخَرِقُ السِّرْبَالِ

ولم يقل : « وبين كذا وكذا » ، اكتفاءً بقوله : « أذاكَ أم منخرق السربال » ودلالة الخبر عن المنخرق السربال ، على مراده بذلك : ٤٦٢ ، ٤٦٣ .

- « الحذف » ، حذف « حروف المعانى » ، نحو « مررت زيداً ، ونزلتُ زيداً » ، يريدون : مررت به ، ونزلت عليه : ٥١٥ .
- « الحذف » ، العربُ تحذف المنعوت المضاف إلى نعته ، إذا تقدم ذكر المنعوت كما قال مسكين الدارمى :

وتَضْحَكُ عِرْفَانَ الدُّرُوعِ جُلُودُنَا إِذَا جَاءَ يَوْمٌ مُظْلِمُ الشمْسِ كَاسِفُ

يريد : كاسفُ الشمس ، فحذف : ٥٥٤ .

● « الزيادة » حروف تزاد فى الكلام ، نحو « اسم » فى ﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ ، كأنه قال : بالله الرحمن الرحيم ، وقول لبيد :

إِلَى الحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا وَمَنْ يَبْكِ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدِ اعْتَذَرْ

فُسِّر : ثم السلام عليكما .

و « جَنْب » ، فى قوله تعالى : ﴿ عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ ﴾ ، كأنه قيل : فى الله .

و « ذات » ، كقولهم : « فى ذات الله » ، أى : فى الله

و « مثل » فى قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ، لأنه لا مثْلَ له ، وقول أوس بن حجر :

وَقَتْلَى كِرَامٍ كَمِثْلِ الجُذُوعِ تَغَشَّاهُمُ سَبَلٌ مُنْهَمِرْ

أى : كالجذوع ، ولم يرد أن يجعل للجذوع مِثْلاً ، ثم يشبه به القتلى .

و « يمين » فى قول أمية بن أبى الصلت :

زُحَلٌ وَثَوْرٌ تَحْتَ رِجْلِ يَمِينِهِ والنَّسْرُ للأُخْرَى ولَيْثٌ مُرْصَدُ

أى تحت رجله ، أو تحت رجله اليمنى .

و « اليد » فى قول لبيد :

أَضَلَّ صِوَارُهُ وتَضَيَّفَتْهُ نَطُوفٌ أَمْرُهَا بِيَدِ الشَّمَالِ

أى : أمرها بالشمال ؛ أو إلى الشمال ، وقوله أيضًا :

حَتَّى إِذَا أَلْقَتْ يَدًا فِي كَافِرٍ وأَجَنَّ عَوْرَاتِ الثُّغُورِ ظَلَامُهَا

كأنه قال : حتى وقعت فى كافر : ٤٧٠ ، ٤٧١ .

* * *

- الفقهاء أعلمُ بالتأويل من أهل اللغة : ٧١ .
- الإيمان بظاهر التنزيل فرضٌ ، وما عداه فموضوعٌ عنا تكلّف علمه ، إذا لم تأت بالبيان عنه دلالة من كتاب ، أو خبرٍ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ١٥ ، ١٦ (وانظر ص : ٢٣) .
- توجيه تأويل كلام الله إلى الأغلب من معناه فى كلام من نزل القرآن بلسانه ، أولى وأحرى : ٢٤٣
- إذا لم تجئ حُجة للعذر قاطعةٌ بأىّ ذلك كان من أىٍّ ، فى تفسير القرآن ، فالصواب أن يقال فى ذلك ما قاله الله تبارك وتعالى ، والإيمان به ، وترك ما عدا ذلك إلى عالمه : ٤٩
- إنكارُ تأويل آيات القرآن بالرأى الذى يجىء على خلاف جميع أهل العلم بتأويل القرآن ، الذين يؤخذ عنهم تأويله : ٣٨ — ٣٩ .
- ما لا دلالة له فى كتاب الله ، ولا أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا فى إجماع الأمة على ذلك كان ، فالصَّواب أن يقال فيه كما قال الله عز وجلّ ، حتى تثبت حجةٌ بصحة ما قيل فى ذلك ، من الوجه الذى يجب التسليم له ، فيسلم لها حينئذ : ٢٣ ، (وانظر ص : ١٥ ، ١٦)
- تأويل كلام الله بقولٍ ، وإن كان له فى كلام العرب وجْهٌ ، خلافٍ لقول أهل التأويل ، فحسبه من الدلالة على فساده ، خروجه عن قول جميعهم : ٣٨٤ .
- ما أجمعتْ عليه قرأة الأمصار ، فغير جائز خلافُها فيه : ٨٤ ، ٨٨ ، ١٣١ ، ١٧٥ ، ٢٤٥ ، ٣١١ .
- القراءتان المعروفتان ، إذا قرأ بهما جماعة كثيرة من القرأة ، وكانتا متفقتى المعنى ، فبأيهما قرأ القارئ ، فهو للصوابِ مُصِيبٌ : ٥٠ ، ١٣١ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٣٣٥ ، ٣٤٣ ، ٤٦٧ ، ٥١٣ ، ٥٥٧
- القراءة الشاذّة ، هى التى أجمعت الحجة من القرأة على خلافها : ٤ .
- لا تجوز القراءة بلغات العرب ، إذا لم نعلم قارئًا قرأ بها : ٨٣ .

لغات العرب وغيرهم

- « تميم » ، لغتها من بين العرب « مُثُلاَت » ، تضم الميم والثاء ، واحدتها « مُثْلَة » على لغتهم ، مثل « غُرْفة » و « غُرُفات » : ٣٥٠ ، ٣٥١ وانظر : (نجد).
- « الحبشية » ، « طوبى » ، اسم الجنة بالحبشية [رقم : ٢٠٣٧٤ ، ٢٠٣٧٥] : ٤٣٦ .
- « الحجاز » ، « هيت لك » ، لغة حورانية ، وقعت إلى أهل الحجاز (رقم : ١٨٩٨٧) : ٢٨ [انظر « هيت لك » فى فهارس اللغة والنحو] .
- « الحجاز » ، لغتهم نصبُ خبر « ما » ، إذا أسقطوا الباء ، نحو : « ما عمرٌو قائمًا » ، وبالنصب جاء ما فى القرآن ، لأنه بلغة أهل الحجاز : ٨٤ ، ٨٥ .
- « حمير » ، فى لغة حمير « الغيبُ » ، هو الليل بعينه : ٢١٢ .
- « الحَوْرانية » ، و « حوران » من أعمال دمشق ، قولهم : « هَيْتَ لك » ، أى هلُمّ لك [فى الخبر رقم : ١٨٩٧٢ ، ورقم : ١٨٩٨٧] ، وفى الآخر منهما عن الكسائى : أنها لغة لأهل حوران وقعت إلى الحجاز . وقال أبو عبيدة : سألت شيخًا عالمًا من أهل حوران ، فذكر أنها لغتهم يعرفها : ٢٦ ، ٢٨ (انظر « هيت لك » فى فهارس اللغة والنحو) .
- « ربيعة » ، لغة بعض قبائل ربيعة ، وطيئ أيضًا : « مَحَيْتُ أمَحى » : ٤٩٢ والتعليق رقم : ١
- « السريانية » ، « هيت لك » ، أى : عليك ، بالسريانية [فى الخبر رقم : ١٨٩٧٦] : ٢٧ .
  [انظر « هيت لك » فى فهارس اللغة والنحو] .
- « طيئ » لغتها إدغام ألف المقصور فى ياء الإضافة ، طلباً للكسرة التى تلزمُ ما قبل ياء الإضافة من المتكلم ، ومنه قول أبى ذؤيب ، وهو هُذَلىٌّ ، لا طائى :

سَبَقُوا هَوَىَّ وأَعْنَقُوا لِهَوَاهُمُ فَتُخُرِّمُوا ، ولِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعُ

فقال « هوىّ » فى « هَوَاى » : ٣ .

- « طيئ » ، لغة طيئ : « محيتُ الكتابَ أمْحَاه » : ٤٩٢ ، والتعليق رقم : ١ .
- « القبطية » ، « هيت لك » ، هلُمّ لك ، بالقبطية [الخبر رقم : ١٨٩٧٥] : ٢٧ (انظر « هيت لك » فى فهارس اللغة والنحو)
- « مضر » ، لغة مضر « مَحَوت الكتاب أمحُوهُ مَحْواً » ، وبها جاء التنزيل ، و « محوتُه أمْحَاهُ محْواً » : ٤٩٢ .
- « نجد » ، لغتهم رفعُ خبر « ما » ، إذا أسقطوا الباء ، يقولون : « ما عمرو قائمٌ » ، ومنه قول بعضهم :

لَشَتَّانِ مَا أنْوِى وَينْوِى بَنُو أبِى جَمِيعًا فَمَا هٰذَانِ مُسْتَوِيَانِ

بالرفع : ٨٤ ، ٨٥ انظر : (تميم)

- « النَّخَع » ، من لغتهم : « ألم تيأسْ كذا » ؟ أى : ألم تعلمه ؟ : ٤٥١ (انظر : « بنو وَهْبِيل »)
- « هذيل » ، لغتها ، إدغام ألف المقصور فى ياء الإضافة (انظر : طيئ) : ٣ ، والتعليق رقم : ١ .
- « الهندية » ، «طوبى » اسم الجنة بالهندية [رقم : ٢٠٣٧٦ ، ٢٠٣٧٧] : ٤٣٦
- « هوازن » ، من لغتهم : « يئسْتُ كذا » ، علمتُ : ٤٥١ .
- « بنو وَهْبيل » (من النَّخَع) ، من لغتهم : « ألم تيأسْ كذا » ، أى : ألم تعلمه : ٤٥١ .

القراءات

قراءة سورة يوسف

* «قراءة» : ﴿يَا بُشْرَىَّ هٰذَا غُلَامٌ﴾ ، بالتشديد والإضافة ، قال أبو جعفر : «قراءة شاذَّة ، لا أرَى القراءة بها ، وإن كانت لغة معروفةً ، لإجماع الحجّة من القرأةِ على خلافها» : ٣ ـ ٤

* «قراءة» : ﴿وَقَالَتْ هِئْتُ لَكَ﴾ ، قرأها جماعة من المتقدمين ، بكسر الهاء ، وضم التاء ، والهمزة ، بمعنى : تهيأت لك ، [انظر الأخبار من رقم : ١٨٩٩٠ ، إلى رقم : ١٨٩٩٧] ، وأن أبا عمرو بن العلاء ، والكسائى كانا ينكران هذه القراءة : ٢٨ ـ ٣٠

* «قراءة» : ﴿وَقَالَتْ هِيتَ لَكَ﴾ ، قرأها عامة قرأة أهل المدينة ، بكسر الهاء ، وتسكين الياء ، وفتح التاء : ٣٠ .

* «قراءة» : ﴿وَقَالَتْ هَيْتِ لَكَ﴾ ، قرأها بعض البصريين ، بفتح الهاء وكسر التاء (وقد وقع خطأ فى التصحيح ، فكتب هناك : بفتح الياء ، والصواب : بفتح الهاء ، فيصحح) : ٣٠ .

* «قراءة» : ﴿وَقَالَتْ هَيْتُ لَكَ﴾ ، قرأها بعضُ المكيين ، بفتح الهاء ، وتسكين الياء ، وضم التاء ، وأنشد بعض الرواة بيتاً لطرفة بن العبد :

لَيْسَ قَوْمِى بالأَبْعَدِينَ إِذَا مَا ... قَالَ دَاعٍ مِنَ العَشِيرَةِ هَيْتُ

بفتح الهاء ، وضم التاء . [وانظر خبر ابن مسعودٍ رقم : ١٨٩٩٨ ، إلى رقم : ١٩٠٠١]

* «قراءة» : ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ﴾ ، قرأ بها بعض قرّاة البصرة ، بكسر اللام : ٥٠ .

* «قراءة» : ﴿قَدْ شَعَفَهَا حُبًّا﴾ ، قرأها أبو رجاء ، بالعين المهملة : ٦٦

* «قراءة» : ﴿وأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَآءً﴾ ، قرأها الحسن ، بالمد آخره همز [الخبر رقم : ١٩١٧٠] : ٧٠ ، والتعليق رقم : ١ .

* «قراءة» : ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتْكًا﴾ ، بضم الميم ، وسكون التاء ، وتنوين الكاف ، [من رقم ١٩١٧٥ – ١٩١٩٦] : ٧١ – ٧٤ .

* «قراءة» : ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتْكَأً﴾ ، خفيفة [انظر رقم : ١٩١٧١ ، ومن رقم : ١٩١٧٤ – ١٩١٩٦] : ٧٠ .

* «قراءة» : ﴿حَاشَى لِلّٰهِ﴾ ، قرأها بعض البصريين بإثبات الياء : ٨١ ، ٨٣ .

* «قراءة» : ﴿حَشَى اللّٰهَ﴾ و﴿حَاشْ اللّٰهَ﴾ ، قرأ بهما ابن مسعود ، والآخِرة منهما بتَسكين الشين والألف ، يجمع بين السَّاكنين : ٨٢ .

* «قراءة» : ﴿مَا هٰذَا بِشِرًى﴾ ، قرأ بها أبو الحويرث الحَنفيّ ، بكسر الباء والشين ، والباء باء الجر ، أي : ما هذا بمُشْتَرًى [رقم : ١٩٢٤١] : ٨٤ .

* «قراءة» : ﴿السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ ، قرأه بعض المتقدّمين ، بفتح السين : ٨٨ .

* «قراءة» : ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ عِنَبًا﴾ ، قرأ بها ابن مسعود [رقم ١٩٢٧٣] : ٩٦ ، ٩٧ .

* «قراءة» : ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَهٍ﴾ بفتح الميم ، قرأ بها جماعة من المتقدمين الأخبار من رقم : [١٩٣٥٤ – ١٩٣٦٤] : ١٢١ – ١٢٣

* «قراءة ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمْهٍ﴾ ، مجزومة الميم مخففة ، قرأ بها مجاهد [رقم : ١٩٣٦٥] : ١٢٣ .

* «قراءة» : ﴿وَفِيهِ تَعْصِرُونَ﴾ ، بالتاء ، قرأ بها عامة قرأة الكوفيين [رقم : ١٩٣٩١] : ١٣٠ .

* «قراءة» : ﴿وَفِيهِ يُعْصَرُونَ﴾ ، بضم الياء ، وفتح الصاد : ١٣١ .

* «قراءة» : ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا يَكْتَلْ﴾ ، قرأ بها عامة أهل الكوفة : ١٥٩ .

* «قراءة» : ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حِفْظًا﴾ ، قرأ بها عامة قرأة أهل المدينة ، وبعض الكوفين والبصريين : ١٦٠ .

* «قراءة» : ﴿نَفْقِدُ صَاعَ الْمَلِكِ﴾ ، بغير واو ، ذُكِرت عن أبي هريرة : ١٧٥ .

* «قراءة» : ﴿نَفْقِدُ صَوْعَ الْمَلِكِ﴾ ، بغير ألف ، رُوِيت عن أبي رجاء : ١٧٥ .

* «قراءة» : ﴿نَفْقِدُ صَوْغَ الْمَلِكِ﴾ ، بغين معجمة ، رُوِيتْ عن يحيى بن يعمر : ١٧٥ .

* «قراءة» : ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتِ مَنْ نَشَاءُ﴾ ، بإضافة «الدرجاتِ» إلى «مَنْ» : ١٩٠ .

* «قراءة» : ﴿وَفَوْقَ كُلِّ عَالِمٍ عَلِيمٌ﴾ ، قراءة عبد الله بن مسعود [الخبر رقم : ١٩٥٩٥] : ١٩٣

* «قراءة» : ﴿إِنَّ ابْنَكَ سُرِّقَ﴾ ، رُويت عن ابن عباس ، بضم السين ، وتشديد [illegible] ، على وجه ما لم يسمَّ فاعله : ٢١٠ .

* «قراءة»: ﴿وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِرْ لَنَا وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾، فى مصحف عبد الله بن مسعود [الأخبار من رقم: ١٩٧٥٤ - ١٩٧٥٦]: ٢٣٧، ٢٣٨.

* «قراءة»: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾، رُوِى عن ابن مُحَيْصِن، أنه قرأها على الخبر لا على الاستفهام: ٢٤٥

* «قراءة»: ﴿أَوَأَنْتَ يُوسُفُ﴾، ذكر أنها كذلك فى قراءة أبىّ بن كعب: ٢٤٥.

* «قراءة»: ﴿وَجَاءَ الْبَشِيرُ مِنْ بَيْنَ يَدَيِ الْعِيرِ﴾، كان ابن مسعود يقرؤها كذلك، [الخبر رقم: ١٩٨٦٥]: ٢٥٩، والتعليق رقم: ١.

* «قراءة»: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمْشُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾، هى كذلك فى مصحف عبد الله بن مسعود: ٢٨٥.

* «قراءة»: ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾، كانت تقرؤها عائشة أم المؤمنين كذلك، تُثَقِّل الذال وتضمُّ الكاف [الأخبار رقم: ٢٠٠٢٩ - ٢٠٠٣٢]، وبهذه القراءة كانت تقرأ عامة قَرَأَة المدينة والبصرة والشأم: ٣٠٦ - ٣٠٩

* «قراءة»: ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَبُوا﴾، ذكر عن مجاهد أنه قرأها بفتح الكاف والذال، وتخفيف الذال [الخبر رقم: ٢٠٠٣٥]: ٣٠٩، ٣١٠

* «قراءة»: ﴿فَنُنْجِي مَنْ نَشَاءُ﴾، قرأها عامة قَرَأَة أهل المدينة ومكة والعراق مخفَّفة بنونين، وإنما كتبت فى المصحف بنون واحدة، لأن ذلك يُفْعل فى الحرفين اللذين يُدْغَم أحدهما فى صاحبه، ولأنهما من جنس واحد: ٣١٠، ٣١١

* «قراءة» ﴿فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ﴾ ، قرأها بعض الكوفيين ، بإدغام النون الثانية فى الجيم ، وتشديد الجيم ، وسكون الياء : ٣١١

* «قراءة» : ﴿فَنَجَا مَنْ نَشَاءُ﴾ ، بفتح النون ، وتخفيف الجيم المفتوحة قرأ ذلك بعض المكيين : ٣١١ .

* * *

قراءة سورة الرعد

* «قراءة» : ﴿وَزَرْعٍ وَنَخِيلٍ﴾ ، قرأها عامة قرأة أهل المدينة والكوفة بالخفضِ عَطفاً على « الأعناب » : ٣٣٤ .

* «قراءة» : ﴿تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾ ، قرأ ذلك عامة قرأة أهل المدينة والعراق من أهل الكوفة والبصرة ، بالتاء : ٣٤٠ ، ٣٤١

* «قراءة» : ﴿وَيُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ﴾ ، قرأته عامة قرأة الكوفيين ، بالياء : ٣٤٣ .

* «قراءة» : ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَرَقِيبٌ مِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ ، فى قراءة أبىّ بن كعب [الخبر رقم : ٢٠٢٢١] : ٣٧٢

* «قراءة» : ﴿يَحْفَظُونَهُ بِأَمْرِ اللَّهِ﴾ ، فى بعض القراءات [الخبر رقم : ٢٠٢٤٠] : ٣٧٦ .

* «قراءة» : ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ ، يدلّ تفسير قتادة وابن عباس ، على أنهما كانا يقرآن بفتح الميم ، قرأها كذلك الأعرج ، والضحاك ، [انظر الأخبار رقم : ٢٠٢٧٥ ، ٢٠٢٧٦ ، ٢٠٢٧٨] : ٣٩٦ ، ٣٩٧ والتعليق رقم : ٢ .

* «قراءة» : ﴿وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ ، قرأه عامة قرأةِ الحجاز والبصرة ، بفتح الصاد : ٤٦٧ .

* «قراءة» : ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ ويُثَبِّتُ﴾ ، قرأه عامة قرأة المدينة والكوفة ، بتشديد الباء : ٤٩٢ .

* «قراءة» : ﴿وَسَيَعْلَمُ الكَافِرُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ ، قرأته قرأةُ المدينة وبعضُ البصرةِ على التوحيد : ٤٩٩

* «قراءة» : ﴿وَسَيَعْلَمُ الكَافِرُونَ﴾ ، ذكر أنها فى قراءة ابن مسعود : ٥٠٠ .

* «قراءة» : ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ، ذكر أنها فى قراءة أُبَيّ بن كعب : ٥٠٠ .

* «قراءة» : ﴿وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الكِتَابُ﴾ قرأ بها جماعةٌ من المتقدمين ، «مِنْ» حرف جرٍّ ، ببناء «عُلِم» للمجهول ، قرأ بها جماعة من المتقدمين [الأخبار رقم : ٢٠٥٤٥ – ٢٠٥٥٨] : ٥٠٣ ، والتعليق رقم : ١ – ٥٠٧ .

* قراءة» : ﴿ومِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الكِتَابِ﴾ ، قرأ بها كثير من القرأة ، منهم ابن عباس ، «مِنْ» حرف جرٍّ ، و «عِلْم» ، بكسر فسكون [الخبر رقم : ٢٠٥٥٣] ، وتعقيب الطبرى على الخبر : ٥٠٣ ، تعليق رقم : ١ ، وص : ٥٠٥ ، وانظر الخبر رقم : ٢٠٥٥٢ ، وص : ٥٠٥ ، والتعليق عليه رقم : ١ .

* «قراءة» : ﴿وَمِنْ عَنْدِهِ عُلِّمَ الكِتَابُ﴾ ، بتشديد اللاّم المكسورة ، والبناء للمفعول : ٥٠٣ ، تعليق رقم : ١

* * *

قراءة سورة إبراهيم

* «قراءة» : ﴿اللهُ الَّذِى لَهُ مَافِى السَّمَوَاتِ﴾ ، قرأته عامة قرأة المدينة والشأم ، برفع اسم «الله» : ٥١٢ ـ ٥١٤ .

* «قراءة» : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ ، ذكر عن ابن مسعود أنه كان يقرؤها كذلك [الخبر رقم : ٢٠٥٨٣] : ٥٢٦ .

* «قراءة» : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَعَادًا وثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللهُ﴾ ، كان ابن مسعود يقرؤها كذلك [الخبر رقم : ٢٠٥٩٢] : ٥٣٠ .

«قراءة» : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ خَالِقُ السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ﴾ ، قرأته عامة قرأة أهل الكوفة ، على «فاعل» ، وجرّ «السموات والأرض» : ٥٥٧ .

* «قراءة» : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ثَابِتٍ أَصْلُهَا﴾ ، هكذا سمعها أبو العالية يوماً من أنس بن مالك ، بتقديم «ثابتِ» ، وبالجرّ ، [الأثر رقم : ٢٠٦٨١] : ٥٧٠ .

* «قراءة» : ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ فِى الأَرْضِ وَفَرْعُهَا فِى السَّمَاءِ﴾ ، كذلك كان يقرؤها الربيع بن أنس ، بزيادة «فى الأرض» [الخبر رقم : ٢٠٦٧٣] ٥٦٨ ـ ٥٦٩

* * *

قراءة سورة ق

* «قراءة» : ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الحَقِّ بِالمَوْتِ﴾ ، كذلك كان يقرؤها أبو بكر رحمه الله ، على القلب : ٤٧٦ .

فهرس الشعر

آ ذنتنا	الثواءُ	خفيف	الحارث بن حلزة	٥٢٦
ولا	وتنكؤها	منسرح	ابن هرمة	٣٢٤

* * *

وأرغب	أرغبُ	طويل	—	٥٣٥
تريك	ندبُ	بسيط	ذو الرمة	٥٥٥
وإن	وحـابا	وافر	أمية بن الأسكر	٢٤٦
كليني	الكواكب	طويل	النابغة	٥٢٠
لهم	عوازبِ	«	النابغة	١٤٩
وكرّنا	وتعقيبِ	بسيط	سلامة بن جندل	٣٨٥
أنى	قريبِ	كامل	قيس بن الخطيم	٣٦٧
إلى	يصبي	هزج	يزيد بن ضبة	٨٩
لو	شزيبِ	رجز	—	٥١٣

* * *

ليس	هيتُ	خفيف	—	٣٠

* * *

بعثتك	تعبثُ	وافر	—	١٦٢

* * *

فلا	قادحُ	طويل	تميم بن مقبل	٢٢١
وأنت	بمنتزاحِ	وافر	—	٧٠ هـ

* * *

زحل	مرصِدُ	كامل	أمية بن أبي الصلت	٤٧٠

وشهدت	شهودُ	كامل	لبيد	٢٠٤
وصلٌ	فاعبدا	طويل	الأعشى	٨٧
دع	أفندا	«	تميم بن مقبل	٢٥٢
يا	التفنيدا	كامل	جرير	٢٥٦
فظنوا	المسردِ	طويل	دريد بن الصمة	٣٠٩
فأصبحت	باليدِ	«	الأحوص	٤٠٠
يا	بمردودِ	بسيط	هانئ بن شكيم العدوى	٢٥٢
وخيس	والعمدِ	«	النابغة	٣٢٢
أخشى	والأسدِ	منسرح	لبيد	٣٨١، ٣٩٤
صاديا	المنجودِ	خفيف	أبو زبيد الطائى	١٣١
فإن	نقعد	متقارب	امرؤ القيس	٣٨٣

* * *

إلى	اعتذرْ	طويل	لبيد	٤٧٠
ولقد	مُرّْ	رمل	طرفة	٣٨٥
وقتلى	منهمرْ	متقارب	أوس بن حجر	٤٧٠
حلفت	سائرُ	طويل	الراعى	٣٤٩
أماوىّ	الصدرُ	«	حاتم الطائى	١٩٨
نأتى	إكبارا	بسيط	—	٧٧
بكى	بقيصرا	طويل	امرؤ القيس	٥٤٠
فلما	عمارا	متقارب	الأعشى	٢٧٠
فبات	معصّرِ	طويل	لبيد	١٣٢
يا	بالفهرِ	«	الأحوص	٣٢٨

* * *

فلم	أنفسا	طويل	امرؤ القيس	٤٤٨

يومين	شمسا	رجز	—	٥٥٤

* * *

طلبته	مُحْرِضًا	رمل	—	٢٢٢
أرى	مريضِ	طويل	امرؤ القيس	٢٢٢

* * *

وقد	الأصابعُ	طويل	النابغة	٦٣
فما	ترفَّعُ	»	أوس بن حجر	٢٢٠
فما	وتقطَّعُ	»	»	٢٢١
سبقوا	مصرعُ	كامل	أبو ذؤيب	٣
تمتع	المتاعُ	وافر	المشعث العامرى	٤١٤
فأقسم	مدفعا	طويل	امرؤ القيس	٤٤٨
لا	صنعا	بسيط	الأحوص ، أو المجنون	٥٤٠
ذرينى	مضاعا	وافر	عدى بن زيد	٥٥٣

* * *

وتضحك	كاسفُ	طويل	مسكين الدارمى	٥٥٤
لقد	الضعافِ	وافر	أبو خالد القنانى	٤٣٧هـ

* * *

درة	طلّ	رمل	أبو دواد	٦٢
لعمرك	مالُ	وافر	أوس بن غلفاء	٦١
وقد	العواذلُ	رجز	حميد بن ثور	٢٢
ليَبْكِ	أرملا	طويل	حاتم الطائى	٢٣٥
ولبس	والمِحالا	وافر	ذو الرمة	٣٩٥
أتقتلنى	الطالى	طويل	امرؤ القيس	٦٧
فقلت	وأوصالى	»	»	٢٢١

لعمرى	بالأصائلِ	طويل	أبو ذؤيب	٤٠٥
كدأبك	بمأسلِ	»	امرؤ القيس	١٢٥
أضلّ	الشمالِ	وافر	لبيد	٤٧١
أرى	الهلالِ	»	جرير	٤٧٢
وما	بمالِ	»	—	٢٩٣هـ
هل	الأموالِ	كامل	—	٢٢
خود	شمالِ	»	تميم بن مقبل	١١٨
تخيرى	عالِ	رجز	القتال الكلابى	٤٦٢
فرع	المحالِ	خفيف	أعشى ثعلبة	٣٩٥
فإنى	أناملُهْ	طويل	ضابئ البرجمى	٣٩٩
حاولت	المحالهْ	مجزوء الكامل	—	٣٩٧هـ
الواهب	أطفالها	كامل	أعشى ثعلبة	٢٣٥

* * *

إلى	المزدحمْ	متقارب	—	٣٢١
نهارك	لازمُ	طويل	عبد الله بن عبد الأعلى	١٢٦
إنى	السقمُ	بسيط	العرجى	٢٢٢
فلست	زعيمُ	وافر	حاجز بن عوف	١٨٠
عبادك	والحتومُ	وافر	أمية بن أبى الصلت	٦١
حتى	المظلومُ	كامل	لبيد	٣٨٥
وهبت	صرما	بسيط	النابغة	٢٣٤
حتى	زعيما	كامل	ليلى الأخيلية	١٨٠
ومخرّق	سقيمَا	كامل	»	٤٦٣هـ
إذا	والشّتمِ	طويل	المرار الفقعسى	٣٣٨هـ
أقول	زهدمِ	طويل	سحيم بن وثيل	٤٥٠
حاشى	والشتم	مجزوء الكامل	الجميح أو سبرة الأسدى	٨٢
وشربت	[illegible]	مجزوء الكامل	ابن مفرغ الحميرى	٨

حتى	أعصامها	كامل	لبيد	٤٥١
حتى	ظلامُها	«	«	٤٧١

* * *

يحمى	مكتمنُ	بسيط	—	١١٨
وأيام	ندينا	وافر	عمرو بن كلثوم	٥١٩
أبلغ	أتينـا	مجزوء الكامل	—	٢٣
لشتان	مستويانِ	طويل	—	٨٥
ألا	الملوانِ	«	تميم بن مقبل	٤٦١
فأخضل	المتباطنِ	«	الطرماح	٤٦١
أتوعدنى	دونى	وافر	جرير	٣٩٩، ٥٤٧
أتمدح	هجينِ	وافر	—	٢٩٥

* * *

بنىَّ	النَّجِىْ	متقارب	الصلتان العبدى	٢٠٥
ألم	نائيا	طويل	مالك بن عوف أو رياح ابن عدى	٤٥٠
إذا	والليالِيا	«	—	٣٢٥

فهرس أسماء الشعراء

الأحوص بن محمد : ٣٢٨ ، ٤٠٠ ، ٥٤٠
أعشى ثعلبة : ٢٣٥ ، ٢٧٠ ، ٣٩٤
أعشى قيس : ٨٦
امرؤ القيس : ٦٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٣٨٣ ، ٤٤٨ ، ٥٤٠
أمية بن الأسكر : ٢٤٦
أمية بن أبي الصلت : ٦١ ، ٤٧٠
أوس بن حجر : ٢٢٠ ، ٤٧٠
أوس بن غلفاء : ٦١

* * *

تميم بن أبي بن مقبل = بن مقبل

* * *

جابر بن سحيم : ٤٥٠
جرير : ٢٥٦ ، ٣٩٩ ، ٤٧٢ ، ٥٤٦
الجميح = منقذ بن الطماح : ٨٢

* * *

حاتم الطائي : ١٩٨ ، ٢٣٥
حاجز بن عوف الأزدي : ١٧٩
الحارث بن حلزة : ٥٢٦
حميد بن ثور : ٢٢

* * *

أبو دواد : ٦٢
دريد بن الصمة : ٣٠٩

* * *

أبو ذؤيب : ٣ ، ٤٠٥
ذو الرمة = غيلان بن عقبة : ٣٩٥ ، ٥٥٥

* * *

الراعي : ٣٤٩
رياح بن عدي : ٤٥٠

* * *

أبو زبيد الطائي : ١٣١

* * *

سبرة بن عمرو الأسدي : ٨٢
سحيم بن وثيل الرياحي : ٤٥٠
سلامة بن جندل : ٣٨٤

* * *

الصلتان العبدي : ٢٠٥

* * *

ضابئ بن الحارث البرجمي : ٣٩٩

* * *

طرفة بن العبد : ٣٨٥
الطرماح بن حكيم : ٤٦١

* * *

عبد الله بن عبد الأعلى : ١٢٦
عدي بن زيد : ٥٥٣

العرجى : ٢٢١
عمرو بن كلثوم : ٥١٩

* * *

غيلان بن عقبة = ذو الرمة

* * *

القتال الكلابى : ٤٦٢
قيس بن الخطيم : ٣٦٧

* * *

لبيد بن ربيعة : ١٣٢ ، ٢٠٤ ، ٣٨١ ، ٣٨٥ ، ٣٩٤ ، ٤٥١ ، ٤٧٠ ، ٤٧١
ليلى الأخيلية : ١٨٠ ، ٤٦٣ هـ

* * *

مالك بن عوف : ٤٥٠
المجنون : ٥٤٠
المرار الفقعسى : ٣٣٨
مسكين الدارمى : ٥٥٤
المشعث العامرى : ٤١٤
ابن مفرغ الحميرى : ٨
ابن مقبل = تميم بن أبى بن مقبل : ١١٨ ، ٢٢١ ، ٢٥٢ ، ٤٦١
منقذ بن الطماح الأسدى = الجميح

* * *

النابغة الذبيانى : ٦٣ ، ١٤٨ ، ٢٣٤ ، ٣٢٢ ، ٥٢٠

* * *

هانئ بن شكيم العدوى : ٢٥٢
ابن هرمة : ٣٢٤

* * *

يزيد بن ضبة الثقفى : ٨٨

فهرس التفسير

تصدير الجزء السادس عشر

﴿ تَفْسِيرِ سُورَةِ يُوسُفَ ﴾

١ خبر السيارة الذين التقطوا يوسف عليه السلام .

٤ الاختلاف فى الذين أسرُّوا يوسف بِضَاعة .

٤ قول من قال : إنهم التجار الذين وردوا يستقون .

٦ قول من قال : أسرّه التجار بعضهم من بعض — ومن قال : أسروا بيعه — وقول من قال : إنهم إخوة يوسف .

٨ أن الذين باعوا يوسف بثمن بخس . هم إخوته .

١٠ أن الذين باعوه هم السيارة .

١٣ الاختلاف فى معنى « دراهم معدودة » ، وكم هى ؟

١٧ ذكر اسم الذى اشترى يوسف . وهو عزيز مصر .

٢٤ كيف كانت مراودة المرأة يوسف .

٣٤ كيف كان هم يوسف بالمرأة وهمها به .

٣٧ الاختلاف فى أمر النبىّ ، هل تجوز عليه المعصية ؟

٣٩ تأويل معنى « البرهان » الذى رآه يوسف ، ما هو ؟

٥٣ صفة « الشاهد » من أهل امرأة العزيز ، وأنه كان صبيًّا فى المهد ، والأخبار فى ذلك .

٥٤ الخبر عن الأربعة الذين تكلموا فى المهد .

٥٦ أن « الشاهد » كان رجلاً ذا لحية .

٥٨ أن « الشاهد » هو القميص المقدود .

٧٠ الاختلاف فى أمر « المتكأ » الذى أعدته امرأة العزيز للنسوة .

٩٣ حبس يوسف ، أكان عقوبة من الله له ، أم كان من شكوى امرأة العزيز .

٩٤ الخبر عن الفتيين اللذين دخلا مع يوسف السجن ، ورؤياهما .

١٠٧ تأويل يوسف رؤيا الفتيين . وما قال لكل منهما .
١١٤ الاختلاف فى مدة بقاء يوسف فى السجن .
١١٦ رؤيا الملك .
١٢٥ تأويل يوسف رؤيا الملك .
١٣٣ إرسال الملك إلى يوسف ليأتى به .
١٣٤ حديث أبى هريرة ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « لو لبثت فى السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعى » .
١٣٧ إرسال الملك إلى النسْوة وسؤالهن عن مراودة يوسف عن نفسه .
١٤٧ اسم الملك الذى كان على عهد يوسف .
١٥١ تولى يوسف الأمر فى مصر .
١٥٣ خبر إخوة يوسف ودخولهم عليه بمصر . وما فعل بجهازهم ، وما قال لهم .
١٥٨ مرجع إخوة يوسف إلى أبيهم ، وإخباره بما قال لهم يوسف فى شأن أخيه .
١٦٤ أمر يعقوب أولادَه ألا يدخلوا مصر من باب واحد ، بل من أبواب متفرقة ، ومعنى ذلك .
١٦٩ دخول إخوة يوسف عليه مرة ثانية ، ومصارحته أخاه بحقيقة أمره ، وما كان من أمر صواع الملك .
١٨٤ تفتيش رحال إخوته ، وأخذ يوسف أخاه متهماً بالسرقة .
١٩٤ تعريض إخوة يوسف بسرقة كانت منه . والأخبار فى ذلك .
٢٠٠ ذكر تلاوُم إخوة يوسف حين وجد الصواع فى رحل أخيه .
٢٠٥ كبير إخوة يوسف من هو ؟
٢١٢ رجوع إخوة يوسف إلى أبيهم وما قالوا له ، وما قال لهم .
٢١٤ حزن يعقوب على يوسف ، وطول ذكره إياه ، وما بلغ منه الحزن .
٢٢٧ أخبار حزن يعقوب على ولديه ، وعماه .
٢٣٤ دخول إخوة يوسف عليه مرة ثالثة وكيف كان ، وما قالوا له وما قال لهم .
٢٤١ اختلافهم فى الصدقة ، هل كانت حلالاً للأنبياء قبل نبينا صلى الله عليه وسلم أو كانت حراماً .

٢٤٨ ذكر خبر قميص يوسف ، وإرساله إياه إلى أبيه يعقوب ، وما كان من أمره.
٢٥٨ مجيء البشير إلى يعقوب ، وارتدادُه بصيراً .
٢٦٤ دخول يعقوب وولده وأهله ، على يوسف ، وما كان من أمره وأمرهم ، وتأويل رؤياه .
٢٧١ الاختلاف فى قدر المدة بين رؤيا يوسف صغيراً ، وبين تأويلها .
٢٧٨ لم يتمنَّ أحدٌ من الأنبياء الموتَ قبل يوسف .
٢٨١ استغفار يعقوب لولده ، وتوبة الله عليهم .
٢٩٦ اختلاف أهل التأويل فى معنى : « حتى إذا استيأس الرسل » .

* * *

﴿ تفسيرُ سُورَةِ الرَّعْدِ ﴾

٣١٩ القول فى « ألمر » ، وفواتح السور .
٣٣٨ حديث : « عمُّ الرجُل صِنْو أبيه » ، وتخريجه .
٣٤٤ حديث أبى هريرة ، فى تفسير قوله تعالى : « ونفضل بعضها على بعض فى الأكل » .
٣٤٧ القول فى تكرير الاستفهام ، وشرح مهمّ لعبارة أبى جعفر .
٣٦٩ الاختلاف فى معنى « معقبات »
٣٧٩ خبر عامر بن الطفيل ، وأربد بن ربيعة ، ومجيئهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسيأتى ص : ٣٩٣
٣٨٨ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله إذا سمع الرعد .
٣٩١ حديث على فى خبر الرجل الذى أخذته صاعقة ، بعد عدوانه فى سؤال رسول الله .
٣٩٢ حديث أنس بن مالك فى خبر هذا الرجل الذى أخذته الصاعقة .
٣٩٣ خبر عامر بن الطفيل ، وأربد بن ربيعة ، ومضى قريباً : ص ٣٧٩
٤٢٥ خبر أبى أمامة ، عن المؤمن إذا دخل الجنة ، واستئذان الملك عليه .
٤٢٦ الخبر عن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتى قبور الشهداء على رأس كُلّ حول .

٤٣٤ اختلاف أهل التأويل فى معنى « طوبى » ، والأخبار فى ذلك .
٤٤٢ الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى معنى « طوبى » .
٤٥٢ حديث ابن عباس ، وعلىّ فى قوله تعالى : « أفلم ييأس الذين آمنوا » ، وما أثار خبر ابن عباس من أقوال العلماء فيه ، وما أثارنى حين قرأت ما كتبوا ، فبعثنى على كتابة ما وفقنى الله إليه فى معنى « الأحرف السبعة التى نزل عليها القرآن » ، و « رسم المصحف الإمام » .
٤٧٧ الاختلاف فى تأويل : « يمحو الله ما يشاء ويثبت » ، والأخبار فى كُلّ ذلك .
٤٨٨ حديث أبى الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المحو والإثبات .

* * *

﴿ تفسيرُ سُورَةِ إبْرَاهِيمَ ﴾

٥١٩ الاختلاف فى معنى « أيام الله » ، والأخبار فى ذلك .
٥٢٥ حديث : « اقتلوا شُيوخ المشركين واستحيُوا شَرْخَهم » ، وتخريجه .
٥٤٩ حديث أبى أمامة فى تفسيره صلى الله عليه وسلم : « ويُسْقَى من ماء صديد » ، وتخريجه .
٥٦٢ حديث عقبة بن عامر فى شفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم وتخريجه .
٥٦٧ اختلاف أهل التأويل فى المعنى بقوله : « كلمة طيبة » ، والأخبار فى ذلك .
اختلافهم فى المعنى بقوله : « كشجرة طيبة » ، ما هى ؟ والأخبار فى ذلك .
٥٦٩ حديث أنس بن مالك فى تفسير « شجرة طيبة » أنها النخلة ، وتخريجه من طرق من رقم : ٢٠٦٧٧ — ٢٠٦٨١ .
٥٧٣ حديث ابن عمر مرفوعًا فى تفسير « شجرة طيبة » أنها النخلة ، وتخريجه رقم : ٢٠٦٩٦ — ٢٠٧٠٠ .
٥٨٣ اختلاف أهل التأويل فى معنى « شجرة خبيثة » ، وأنها الحنظل ، وهو من تمام حديث أنس بن مالك من رقم : ٢٠٦٧٧ — ٢٠٦٨١ .
٥٨٥ الخبر عن أنس بن مالك مرفوعًا أنها الحنظل رقم : ٢٠٧٤٨ .
٥٨٩ القول فى بيان « القول الثابت » الذى يثبت به الله الذين آمنوا ، ما هو ؟

وفيه الأخبار عن سؤال القبر ، وحديث البراء بن عازب فى ذلك من رقم : ٢٠٧٥٨ — ٢٠٧٦١ ، وسيأتى تمامه .
٥٩١ حديث أبى سعيد الخدرى فى سؤال القبر وعذابه رقم : ٢٠٧٦٢ . وسيأتى بعد أيضًا .
٥٩٢ حديث البراء بن عازب فى سؤال القبر من رقم : ٢٠٧٦٣ — ٢٠٧٦٨ .
٥٩٦ حديث أبى هريرة فى سؤال القبر رقم : ٢٠٧٦٩ ، ٢٠٧٧٠ .
٥٩٧ حديث عبد الله بن مسعود فى سؤال القبر رقم : ٢٠٧٧١ .
٥٩٩ حديث البراء بن عازب فى سؤال القبر رقم : ٢٠٧٧٣ .
٦٠٠ حديث البراء بن عازب فى سؤال القبر رقم : ٢٠٧٨٠ .
٦٠٣ آخر حديث البراء بن عازب فى سؤال القبر رقم : ٢٠٧٨٧ .

* * *

٦٠٧ فهرس الآيات التى استُدِلّ بها فى غير موضعها من التفسير
٦١١ فهرس اللغة
٦٢٥ فهرس أعلام المترجمين فى التعليق
٦٤٢ فهرس المصطلحات
٦٤٣ فهرس الفرق
٦٤٤ فهرس مباحث النحو والعربية وغيرهما
٦٦١ فهرس لغات العرب وغيرهم
٦٦٣ فهرس القراآت
٦٧٠ فهرس الشعر
٦٧٥ فهرس أسماء الشعراء
٦٧٧ فهرس التفسير